# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

1


من إنتاج

الجمعية المغربية

للتأليف والترجمة والنشر



نشر

مطابع سلا

1989 / 1410

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 629

## شكر وتقدير

يسعد الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر أن تزجي عبارات الشكر والامتنان للشركة الشريفة للبترول التي اهتمت بمشروع المعلمة وأسهمت ماديا في تحقيقه، وأن تنشر الكلمة الطيبة التي تفضل بكتابتها الأستاذ محمد بن عبد الرازق المتصرف المنتدب للشركة :

لقد أبت الشركة الشريفة للبترول إلا أن تساهم، ولو بكيفية متواضعة، في إنجاز ونشر هذه الموسوعة المغربية التي تتطرق إلى جوانب متعددة لكل من تاريخ وطننا ومن مجتمعنا بخصوصياته وتقاليده وقيمه. وقد سهر على كتابة هذه الموسوعة نخبة من العلماء والباحثين المغاربة الذين نقدم لهم جزيل الشكر والثناء. مساهمة شركة وطنية في مشروع كهذا تعبر قبل كل شيء عن شعورها في بعض الظروف والأحيان بضرورة مد الإعانة إلى كل الذين يقومون بالبحث والتنقيب في كل ميادين تراثنا الوطني والذين تنقصهم الوسائل المادية.

ولا يسعنا هنا إلا أن نشجع أي مبادرة من هذا النوع لا سيما وقد ألفنا من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره الكثير من مثل هذه المبادرات بطبع ونشر العديد من الكتب المغربية الجليلة والقديمة من ماله الخاص جزاه الله خير جزاء. والسلام.

محمد بن عبد الرازق
المتصرف المنتدب للشركة الشريفة للبترول
الرباط 4 فبراير 1989

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ . | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.


نشكر الزملاء الأساتذة، والمؤسسات التالية على ما قدموا للمعلمة من صور ورسوم :

- الخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
- الخزانة العلمية الصبيحية، سلا
- خزانة الأستاذ محمد ابن عزوز حكيم، تطوان
- مديرية التراث بوزارة الشؤون الثقافية، الرباط
- قسم الخرائطية بوزارة الفلاحة، الرباط
- المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير، الرباط

كما نشكر الأستاذ عبد الرحمان الفلاذي الذي رسم الخرائط.

# تقديم

**معلمة المغرب** كتاب يحتوي - كسائر الموسوعات - على مادة علمية متنوعة بأقلام مجموعة من الكتاب تتمحور حول موضوع رئيسي، هو هنا المغرب الأقصى. وهي بذلك معجم معارف ألفبائي يضم بين دفاته آلاف المواد التي تعنى بالتعريف بهذا البلد على كل المستويات في الماضي وفي الحاضر.

قد يتساءل البعض لماذا معلمة المغرب ؟ وفي هذا الظرف بالذات ؟ لعل من المناسب، قبل المبادرة بالجواب، التذكير بالوضعية المعرفية الحالية ببلادنا وخلفياتها القريبة. فالمغرب الذي ظل محافظاً على تقاليده منطويا على نفسه طوال قرون اصطدم فجأة بالحضارة الغربية التي أخذت تتحرش به وتطوقه من كل جانب، وأخيراً كسرت أبوابه وفرضت عليه سلطتها ومدنيتها وعلمها، ولم تسمح له، وهي الحامية الحاجرة، من وسائل المعرفة والتقدم إلاَّ بمقدار وحد محدود. فلما تحرر المغرب بادر إلى نشر المعرفة في ربوعه على أوسع نطاق وقد أدرك أنها السبيل السوي لكل تقدم. ورغم كل السلبيات والمعوقات فإن عدد المتعلمين عندنا أصبح، في ظرف وجيز لا يجاوز ثلاثة عقود من السنين إلاَّ قليلاً، يعد بالملايين بعد أن كان لا يعدو بضعة آلاف في النصف الأول من هذا القرن. ونشأت - تبعا لذلك - عدة جامعات عصرية علاوة على جامعة القرويين الأصيلة، وعشرات المعاهد والمدارس العليا المتخصصة أعطت كلها الأولوية في ميدان البحث للموضوعات المغربية. لكن أين هي المراجع في المادة المغربية ؟ وما هي الكتب المصنفة التي يستمد منها الباحث والطالب والتلميذ، وحتى الأستاذ والمدرس والمنشط ؟ إنها ضئيلة متناثرة بالنسبة لبعض المواد، منعدمة تماما بالنسبة لكثير من المواد الأخرى. لذلك فكر جماعة من الأساتذة الذين مارسوا التدريس وخبروا مشاكله وحاجياته في إخراج **مَعلمَة المَغرِب** لتسد هذا الفراغ المرجعي المعرفي، ولو بكيفية جزئية ومرحلية.

يرجع تاريخ الاهتمام بوضع موسوعة مغربية إلى أوائل الستينات بُعيد استكمال تحرر أقطار المغرب العربي باستقلال الجزائر سنة 1962. فقد ارتأى بعض قادة الفكر في هذه الأقطار ـ تعزيزا لمشاريع التعاون والتكامل المعلن عنها آنذاك ـ كتابة موسوعة (مغاربية) مجزأة في المرحلة الأولى، يقوم كل من المغرب والجزائر وتونس وليبيا بإعداد معلمته المحلية بوسائله الخاصة على أن تُجمع في مرحلة لاحقة معلمة واحدة لبلاد المغرب العربي الكبيرفي أفق موسوعة عربية وإسلامية شاملة. وتكونت بالفعل "هيئة موسوعة المغرب العربي" برعاية المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي. وبعد جلسات عمل عقدت بقاعة قسم الوثائق والمخطوطات من الخزانة العامة بالرباط برآسة المرحوم علال الفاسي أصدرت الهيئة الجزء الأول من *فهرس القسم الخاص بالمغرب الأقصى حرف "أ"*،معظمه أعلام بشرية ليست كلها مغربية، لأن فريقا من هيئة الموسوعة كان يرى إدخال عدوة الأندلس. ثم فترت الهمم بعد ذلك، ولم يتحقق من هذا المشروع الأول إلا ما كتبه الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله الرئيس السابق للمكتب الدائم للتعريب في *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية* التي نُشر منها أربع فصلات مع ملحقين حول الصحراء والمدن والقبائل. وهي وإن كانت في معظمهما عبارة عن جذاذات مقتضبة، فإنها أفادت طيلة سنوات وكانت من بين مراجع **معلمة المغرب** لاسيما في مرحلة الجرد.

وهناك محاولة أخرى سابقة في الشمال لمشروع موسوعة مغربية كشف النقاب عنها ونشر الوثائق المتعلقة بها الأستاذ محمد ابن عزوز حكيم في مجلته *الوثائق الوطنية* (ع 2، 103 ـ 107) تثبت أن المرحوم عبد الخالق الطريس في أول جلسة للهيئة الوطنية المكلفة بوضع النظام الأساسي لحزب الإصلاح بتطوان يوم 16 يناير 1933 أثار قضية معلمة المغرب واقترح بإلحاح إدراجها ضمن غايات الحزب المزمع تأسيسه فعارضه بعض الحضور ولم تدرج. ولما عُين مديراً عاماً للأوقاف بالشمال سنة 1934، أحدث باباً في ميزانية الأوقاف سنة 1935 خصصه لوضع معلمة المغرب باللغة العربية لكن المقيم العام الإسباني رفض. ثم حاول الطريس مرة أخرى سنة 1943 مع مدير معهد الجنرال فرانكو بتطوان لكن بدون جدوى.

تبنت الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر منذ تأسيسها سنة 1980 فكرة إصدار معلة المغرب كنقطة ثالثة في برنامج عملها بعد مجلة *الكتاب المغربي*، والمنشورات الجامعية. كانت الانطلاقة من الصفر وبخطى وئيدة. ذلك أنه بعد تكوين ثلاث لجان علمية، الأولى للعلوم الإنسانية، والثانية للعلوم الدقيقة والجغرافيا، والثالثة للتحرير، فكرنا وقدرنا ضخامة المشروع وضآلة إمكانياتنا فرأينا أن نحد من طموح التوسع العلمي، ولو أنه مشروع طبعاً، ونتقيد بما لا بد منه مما يمكن تحقيقه وإنجازه. اتفقنا على أن تقتصر المعلمة من حيث المجال على المغرب الأقصى في حدوده الحالية، لكنها، من حيث الزمان، تنطلق من عصر ما قبل التاريخ إلى اليوم، لتشمل كل ما يتعلق بهذه المنطقة جغرافياً وتاريخياً وحضارياً.

تهتم **معلمَة المَغرب** في مسيرتها الطويلة بالمكتشفات الأركيولوجية التي يرجع

عهدها إلى ملايين أو مآت آلاف السنين، إلى أحدث المعطيات الإدارية والسياسية والاجتماعية والعمرانية، كمؤسسات الدولة ونظم الأقاليم والجماعات والهيآت السياسية والنقابية والعلمية. وتسجل الأحداث البارزة التي عرفها المغرب عبر حقبه التاريخية، معرِّفة ـ قدر الإمكان ـ بالمواقع القائمة والمندثرة من مدن وقرى وحصون وأسوار وأبواب وجوامع وزوايا في السهول والجبال والصحارى بأسمائها الأصلية، ومعظمها باللسان الأمازيغي، وبالثروات المعدنية والزراعية والحيوانية. كما تعرف بعناصر السكان والأسر والبيوتات المتميزة، والأشخاص ـ ماعدا الأحياء ـ الذين عرف لهم دور علمي أو روحي أو سياسي، وبعادات السكان في معاشهم وأفراحهم وأتراحهم. لم يكن بد من هذا التوسع المعرفي، الذي قد يبدو مبالغا فيه، لتؤدي المعلمة الرسالة المنوطة بها وتستجيب لحاجيات الباحثين والدارسين في جميع الميادين.

لقد اعترضتنا صعوبات منذ مرحلة الجرد الأولى، إذ كان علينا أن نرجع إلى عدد كثير من الكتب والدوريات التي تتحدث عن المغرب بمختلف اللغات. وبعد جمع المادة وفرزها وانتقائها، بدت صعوبة الترتيب، فليست عندنا طريقة موحدة حتى في كتب التراجم مثلا، ولا تقاليد متبعة في مادة متنوعة أشد ما يكون التنوع كمادة **معلمة المغرب**، لذلك توقفنا مدة نتأمل ونجرِّب. واجتهدنا في ترتيب ماد "الهمزة" ونشرناها سنة 1982 في كتيب مشروع *معلمة المغرب* ثم في العدد الأول من مجلة *الكتاب المغربي*، لكن تبيّن بالممارسة أن اختيارنا غير عملي بالنسبة للمعلمة، إذ كان علينا ـ مثلا ـ أن نصدر جزءاً خاصاً بالآباء والأبناء (ابن فلان وأبو فلان) كما تشعبت مداخل كثير من أسماء المواقع بسبب اختلاف كتابة الفصحى مع النطق العربي الدارج أو الأمازيغي، أو بسبب إشباع الهمزات الأولى في بعض الأسماء بالألف أو الواو أو الياء عند الكتابة للدلالة على حركاتها في حين أنها غير مشبعة لا في الأصل ولا في النطق... وقد توصلنا بعد جلسات عمل طويلة إلى بعض النتائج التي ليست نهائية، وأعدنا الترتيب مراعين في ذلك طريقة المداخل المتفق عليها أخيراً في المشرق العربي المسايرة لنظم آلات الحاسوب (الكومبيوتر).

وهكذا اعتبرنا في الأعلام البشرية اسم الشهرة بدلا من الاسم الشخصي، وأهملنا في الأسماء المضافة الآتية كلماتها الأولى "ابن" و"أبو" و"أهل" و"أولاد" و"أيت" و"باب" و"جامع" و"جبل" و"رأس" و"زاوية" و"ضاية" و"مسجد" و"واد" وأدرجناها في مداخل الكلمات الثانية المضاف إليها. وحذفنا حروف المد الزائدة التي تتلو الحروف الأولى في الأسماء مكتفين بحركات الفتح والضم والكسر في مثل ابن أجروم، أبه، إبيبض، إلاّ الأسماء التي اشتهرت بكتابتها ممدودة فإننا أبقيناها على حالها مثل : آجليان، أوبان، إيموزار، تارودانت، وتيزنيت.

واجهتنا بعد ذلك مشكلة تحرير المواد، فأعضاء الجمعية ولو أن عددهم ينيف على السبعين من مختلف التخصصات، لم يكن باستطاعتهم وحدهم القيام بهذه المهمة الضخمة، وكان لا بد من البحث عن كتاب آخرين فاق عددهم في حرف الهمزة وحدها عدد الزملاء

الأعضاء، ومما يجدر ذكره أننا لقينا استجابة، بل تحمسا من معظم الذين رغبنا إليهم في الكتابة في المعلمة، وهم من آفاق علمية مختلفة، فيهم تقنيون لا يزاولون التدريس وأصحاب مهن حرة، وتلك لعمري ظاهرة صحية واعدة.

ولم تقف مسألة تحرير المواد عند البحث عن الكتّاب، بل كان لا بد من وضع تصور مبدئي لطريقة تناول المواد تفاديا لتنافرها وتباين تركيبها، لاسيما وأن الكتاب، كما ذكرنا سالفا، مختلفون تكويناً وتفكيراً وممارسة. ولم يكن التغلب على هذه الصعوبة إلا جزئياً بالرغم على "توصيات" مفصلة وزعت على الكُتاب مع رجاء مراعاتها عند التحرير لضمان الانسجام في الشكل.

وأهمَّ جانبُ الكم المشرفين على المعلمة أيضا فحددوا خمس مستويات للمقالات بحسب أهمية المواد وما يتوفر عنها من معلومات، أطولها ثمان صفحات أو 2800 كلمة، وأقصرها نصف عمود أو 100 كلمة. لكن حظ النجاح في تحقيق هذه الخطة كان أضعف من السابق، إما لسعة بعض الموضوعات كمادة الأدب المغربي التي اضطرنا إلى تفريعها إلى أدب أصلي، وأدب عهد الحماية، وأدب عهد الاستقلال، والأدب المغربي المكتوب بالفرنسية، وكمواد الآلة، والاستعمار، وإمازيغن، وانجلترا والمغرب التي طفح كيلها ؛ وإما لضيق موضوعات أخرى جعلنا نكتفي ببضعة أسطر في بعض المواد لضحالة الإشارات المكتوبة أو سكوت المصادر عنها بالمرة، ومنها أسماء أماكن أمازيغية يعثر عليها القارئ في المصادر ولا يهتدي سبيلا إلى إدراك معانيها أو تحديد مواقعها.

نتج عن هذه الصعوبات، وبخاصة الأخيرةمنها، أننا لم نتكمن بعدُ من تحديد دقيق لحجم المعلمة ، وإنما نقدِّر الآن بحسب تجربة حرف الهمزة أن يكون عدد أجزائها أربعة عشر، قد تزيد أو تنقص حسب مستجدات مواد الحروف الأخرى. فليس لدينا، والحق يقال، من الوسائل البشرية والمادية ولامن التجربة مايمكننا من وضع تصور شامل مدقق للمشروع من بدايته إلي نهايته، لاسيما والأمر يتعلق بعمل جماعي تطوعي بالأساس. لكننا مع ذلك موقنون بأن حدة هذه الصعوبات ستخف شيئا فشيئا بتقدم التجربة، وبالتالي سيقل التعميم وتنقشع الغيوم مع تطور العمل في مراحل إعداد الأجزاء التالية.

إننا نعرف سلفا أن عملنا في المعلمة غير كامل ولامستقص، وأن المادة مختلفة من حيث الجودة والتدقيق باختلاف الكتاب أو بحسب المعلومات المتيسرة. كما نعترف سلفاً بما قد يبدو فيها من خطأ أو إسقاط أو إغفال غير مقصود شاكرين من ينبهنا إلى ذلك لإصلاحه وتداركه في ملحقات أو طبعة ثانية. وحسبنا أننا اجتهدنا، ولم نقصر في التنقيب والتقويم ما استطعنا. ومهما يكن فإن **معلمة المغرب** تسجل مرحلة معرفية معينة، وتعطي صورة تقريبية لما وصل إليه البحث في المغرب الحديث.

الرباط في 27 رمضان 1409 / 31 ماي 1989

# المشاركون في تحرير مواد حرف الهمزة

محمد **الأخضر**، وزارة التربية الوطنية
محمد **أديوان**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **أربيب**، وزارة التربية الوطنية
شفيق **أرفاك**، باحث، الرباط
محمد **أزهار**، كلية الآداب، المحمدية
سعيد **أعراب**، المعهد الأصلي، تطوان
عمر **أفا**، كلية الآداب، الرباط
عبد اللطيف **أكنوش**، كلية الآداب، الدار البيضاء
محمد **ألحيان**، المركز الوطني لتنسيق البحث العلمي، الرباط
علي **أمهان**، وزارة الشؤون الثقافية
محمد **أوجامع**، كلية الآداب، مراكش
محمد **البايك**، كلية اللغة العربية، مراكش
ثريا **برادة**، كلية الآداب، القنيطرة
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب، المحمدية
سعيد **برقاد**، مهندس بمكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية
محمد **بريان**، كلية الآداب، الرباط
محمد أمين **البزاز**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **بلاوي**، كلية الآداب، مراكش
محمد **بلعربي**، باحث، الرباط
عائشة **البلغيتي العلوي**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب، القنيطرة
البضاوية **بلكامل**، كلية الآداب، الرباط
محمد الأمين **بلكناوي**، باحث، الرباط
محمد **بنتاويت**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بنجلون أندلسي**، باحث
الحسن **بنحليمة**، كلية الآداب، أكادير
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب، المحمدية
محمد **بنشريفة**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد العزيز **بنعبد الله**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد المجيد **بنعبد الله**، مهندس بوزارة الفلاحة
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين، سلا
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب، بني ملال
عمر **بنميرة**، كلية الآداب، الرباط

لطيفة **بناني سميرس**، كلية الآداب، فاس
عبد المجيد **بنيوسف**، الخزانة العامة، الرباط
أحمد **بوجداد**، وزارة الشؤون الإدارية
أحمد **بوحسن**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بوخبزة**، قسم المخطوطات بالخزانة العامة، تطوان
رحمة **بورقية**، كلية الآداب، الرباط
فاطمة **بوخريص**، كلية الآداب، الرباط
محند **آيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية
محمد **حجي**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب، وجدة
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب، الرباط
عبد الجليل **الحسيني**، مهندس بشركة إسمنت المغرب الشرقي
حمادي **حضيكي**، مهندس بمفاحم المغرب
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب، فاس
محمد أيت **حمزة**، كلية الآداب، الرباط
محمد أبو **حميد**، وزارة التربية الوطنية
علال **الخديمي**، كلية الآداب، الرباط
سعيد **خليل**، كلية الآداب، أكادير
مارية **دادي**، كلية الآداب، وجدة
محمد **دحماني**، كلية الآداب، وجدة
عبد الله **درقاوي**، مركز تكوين المفتشين، الرباط
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب، فاس
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب، فاس
مصطفى **بوشعراء**، مديرية الوثائق الملكية ، الرباط
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **بوعصاب**، المركز التربوي، القنيطرة
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب، الرباط
أحمد شوقي **بينبين**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **التمسماني خلوق**، كلية الآداب، الرباط
محمد **تميم**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد العزيز **توري**، وزارة الشؤون الثقافية
أحمد **التوفيق**، كلية الآداب، الرباط
حسن **جلاب**، كلية الآداب، مراكش

الحسين **الجهادي**، وزارة التربية الوطنية
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية، الرباط
حميد **الديوري**، وزارة الشبيبة والرياضة
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب، مراكش
عبد الرحمان **رحو**، كلية الآداب، فاس
محمد **رحو**، كلية الآداب، فاس
حسن **رحيوي**، مهندس بمفاحم المغرب
محمد **رزوق**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي، الرباط
محمد **زرهوني**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
مبارك **زكي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط
محمد **زنيبر**، كلية الآداب، الرباط
قاسم **الزهيري**، باحث، الرباط
عبد الله **ساعف**، كلية الحقوق، الرباط
عبد الأحد **السبتي**، كلية الآداب، الرباط
عبد الجبار **السحيمي**، صحافي، الرباط
كلود **سلطان**، مفتش التعليم الإسرائيلي، الدار البيضاء
عبد اللطيف **الشادلي**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
أحمد **الشرقاوي إقبال**، باحث، مراكش
محمد **شفيق**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
محمد **شقرون**، كلية الآداب، الرباط
محمد **الشياظمي**، باحث، الرباط
فاطمة الزهراء **الصبيحي ـ العلوي**، متحف الآثار، الرباط
علي **صدقي أزايكو**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرزاق **الصديقي**، كلية الآداب، المحمدية
خالد **بن الصغير**، المدرسة العليا للأساتذة، الرباط
فاطمة الزهراء **طموح**، كلية الآداب، الرباط
محمد **الطويل**، كلية الآداب، القنيطرة
امحمد **بن اعبود**، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **ابن عزوز حكيم**، باحث، الرباط
عز الدين **العلام**، المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير
محمد **العلوي الأوفوسي**، وزارة التربية الوطنية
عبد الله **العمراني**، باحث
أحمد **عمالك**، كلية الآداب، مراكش
أحمد **العماري**، كلية الآداب، فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب، الرباط
محمد **عياد**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب، الرباط
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب، القنيطرة
حسن **الفكيكي**، كلية الآداب، القنيطرة

خالد **القادري**، وزارة المالية
عبد الرحمان **القادري**، كلية الحقوق، الرباط
محمد مصطفى **القباج**، أكاديمية المملكة المغربية
أحمد **لقمهري**، كلية الآداب، الرباط
محمد إبراهيم **الكتاني**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
علي **كريمي**، كلية الحقوق، الرباط
عبد الله **كنون**، عضو أكاديمية المملكة المغربية ورئيس رابطة علماء المغرب
العربي **كنينح**، المدرسة العليا للأساتذة، فاس
محمد **الكير**، وزارة التربية الوطنية
رامون **لوريدو**، باحث، طنجة
شمعون **ليفي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **المازوني**، كلية الآداب، أكادير
محمد **ماكامان**، كلية الآداب، مراكش
الملكي **المالكي**، وزارة التربية الوطنية
أحمد **متفكر**، باحث، مراكش
الحسين **المجاهد**، كلية الآداب، الرباط
الحسن **المحداد**، كلية الآداب، أكادير
علي **المحمدي**، كلية الآداب، الرباط
العربي **مزين**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **مزين**، كلية الآداب، فاس
محمد **مستاوي**، باحث، الرباط
خديجة **المسدالي**، كلية الآداب، الرباط
رشيد **المصلوت**، باحث، أكادير
محمد **مطيع**، كلية الآداب، مراكش
آمنة **معطى الله**، وزارة التربية الوطنية
الصديق **معنينو**، وزارة الداخلية والإعلام
محمد **مقدون**، كلية الآداب، فاس
عبد الرحمان **الملحوني**، باحث، مراكش
محمد **المنصور**، كلية الآداب، الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب، الرباط
محمد **منيوي**، المعهد العلمي، الرباط
عبد الرزاق **مولاي ارشيد**، كلية الحقوق، الرباط
عبد الله **ميميس**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **ناعمي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي،الرباط
الحبيب **نوحي**، كلية الآداب، أكادير
محمد عبد الجليل **الهجراوي**، متحف الآثار، الرباط
المختار **الهراس**، كلية الآداب، الرباط
عثمان **هناكا**، كلية الآداب، أكادير
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب، مراكش
علي **واحدي**، كلية الآداب، فاس
سالم **يفوت**، كلية الآداب، الرباط

# أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها مع اختصارها


محمد ابن **الابار**،

- *التكملة لكتاب الصلة*، تح. عزت العطار الحسيني ـ القاهرة 1955 ـ 2 ج.
- *الحلة السيراء*، تح. حسين مؤنس، القاهرة، 1963، 2 ج، *(التكملة)*.
- *المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي*، القاهرة 1967. *(المعجم)*

أحمد ابن **إبراهيم** الدكالي المشنزائي،

- *سلسلة الذهب المنقود في ذكر بعض أعلام الأسلاف والجدود*، مخطوط.

العباس ابن **إبراهيم** المراكشي،

- *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام*، ط 2، 10 أجزاء، الرباط 19 ـ *(الإعلام)*

عبد الله **إبراهيم**،

- *الحزب والنقابة*، الدارالبيضاء، 1967.

محمد عبد المنعم **إبراهيم** وآخر،

- *الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الشمال الإفريقي*، القاهرة، 1958.

م.ت **الأبيوري**،

- *إتحاف الخل المواطي*، مخطوط خاص.

علي **ابن الأثير**،

- *الكامل في التاريخ*، القاهرة، 1929.

**إحسان** عباس،

- *تاريخ الأدب الأندلسي*، بيروت، 1960.

إسماعيل ابن **الأحمر**،

- *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972.
- *روضة النسرين في دولة بني مرين*، ط 2. الرباط، 1962.
- *مستودع العلامة ومستبدع العلاّمة*، تح. م. التركي وم. ابن تاويت، ط 2. تطوان 1964.
- *نثير فرائد الجمان* ـ بيروت 1967.

محمد **الأخضر**،

- *الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية*، الترجمة العربية، الدارالبيضاء، 1977.

أ. **أخمليش**،

- *تقييد حول الشرفاء الخمالشة*، مخطوط خاص.

**إدريس**،

- *الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمان ابن هشام*، مخطوط، خ. ص.

إدريس بن الماحي **الإدريسي**،

- *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988.
- *وفيات*، مخطوط المؤلف.

الشريف **الإدريسي**،
- *أنس المهج وروض الفرج* - إصدار وتقديم فؤاد سزگين - فرانكفورت، 1984.
- *وصف إفريقيا والأندلس* - لندن، 1968.

محمد **الإدريسي**،
- *الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية* - بيروت، 1986.

يوسف بن عابد **الإدريسي**،
- *ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضر موت*، تح. أمين توفيق الطيبي، الدار البيضاء، 1988.

ع. **الأدوزي**،
- *اليعقوبيون*، مخطوط.

محمد **أديب السلاوي**،
- *المسرح المغربي من أين إلى أين*، دمشق، 1975.

محمد **أزرقان**،
- *الظل الوريف*، مخطوط خاص.

محمد البشير ظافر **الأزهري**،
- *اليواقيت الثمينة في مذهب عالم المدينة* (د، م) 1324 هـ ***(اليواقيت)***.

عبد القادر **الإسحاقي**،
- *الرحلة الحجازية*، مخطوط، خ.ح. 1428.

طاهر بن محمد **الإسفراييني**،
- *التبصر في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين*، تح. محمد زاهد الكوثري، القاهرة، 1940.

محمود **إسماعيل**،
- *الخوارج في بلاد المغرب*، الدار البيضاء، 1976.

أبو الحسن علي **الأشعري**،
- *الإبانة في أصول الديانة*، حيدر أباد، 1948.
- *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*، تح. هلموت ريتر، ط 3. فيسبادن 1980.

علي **الأصفهاني**،
- *الأغاني*، 21 جزءاً في 9 مجلدات، القاهرة، 1323 هـ.

محمد **الأصفهاني**،
- *خريدة القصر وجريدة العصر*، قسم شعراء المغرب - تونس 1966.
- *الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، كلية الآداب، الرباط 1986.

أ.ابن أبي **أصيبعة**،
- *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، ط 3، بيروت، 1982. 3 ج

عبد الكبير الكثيري **اعليوات**،
- *سراج الغيوب في أعمال القلوب*، مخطوط. خ. ع. 455 ك.

عمر **أفا**،
- *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، الدارالبيضاء، 1988.

محمد **الإفراني**،
- *روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف*، الرباط 1962.
- *صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر*، فاس : ط. حجرية [د. ت].
- *نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي* - ط 2، الرباط، 1977.

أحمد الحجري **أفوقاي**،

- *ناصر الدين على القوم الكافرين*، نشر محمد رزوق، الدار البيضاء، 1987.

محمد **أفيلال**،

- *مذكرات حول حرب تطوان*، مخطوط خاص.

أحمد **الأكتاوي**،

- *تجديد المراسم البالية في السيرة العلية*، مخطوط.
- *الهدية المقبولة في حلل الطب المشمولة*، مخطوط، خ. ع.

ع. **الأكتاوي**،

- *الدرر اللامعة في السيرة الحسنيّة الجامعة*، مخطوط خاص.

محمد **الأكراري**،

- *روضة الافنان*، مخطوط.

العربي **اكنينح**،

- *آثار التدخل الأجنبي في المغرب على علاقات المخزن بقبيلة بني مطير*، 1833 ـ 1912. د. د.ع : تاريخ، الرباط، 1984.

إبراهيم بن غانم **الأندلسي**،

- *العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع*، ترجمه عن الإسبانية أفوقاي، مخطوط خ. ع.

ع. **الإندوزالي**،

- *مناقب الشيخ التنملي*، مخطوط.

ح. **الأنصاري**،

- *تحفة الأحباب*، مخطوط.

**الانصاري**،

- *اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، الرباط، 1983.

محمد **أوزال**،

- *الحوض*، تح. عبد الرحمن الجشتمي، الرباط، 1977.

عبد الحق **البادسي**،

- *المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف*، تح. سعيد أعراب، الرباط 1982.

**البخلاخي**، (ابن الريف)

- *الظل الوريف بتلخيص المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف*، طنجة، 1987.

ثريا **برادة**،

- *الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر*، د. د. ع.تاريخ : الرباط، 1984.

محمد **برادة**،

- محمد مندور *وتنظير النقد الأدبي* ـ بيروت، 1979.

ح. **برادي**،

- *بنية الشكل في الخطاب الروائي*. محاولة اقتراب بنيوية في الرواية المغربية، د. د. ع. آداب، الرباط، 1988.

عكاشة **برحاب**،

- *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي*، 1873 ـ 1907. د. د. ع. تاريخ ـ الرباط 1987.

عبد الكريم **برشيد**،

- *حدود الكائن والممكن في المسرح الاحتفالي*، الدار البيضاء 1985.

ليڤي **بروڤنسال**،

- *مؤرخو الشرفاء*، تر. عبد القادر الخلادي، الرباط، 1977.

كارل **بروكلمان**،

- *تاريخ الأدب العربي*، تر. عبد الحليم النجار وأبو بكر يعقوب ، القاهرة، 1961 - 1977. 5 ج.

علي ابن **بسام**،

- *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*، تح. إحسان عباس، 8 أجزاء، بيروت، 1980. *(الذخيرة)*.

خلف ابن **بشكوال**،

- *الصلة في تاريخ أعلام الأندلس*، القاهرة 1966 *(الصلة)*

م. ع. **البصري**،

- *منحة الجبار*، مخطوط خ. ح. 941 ز.

محمد **البعقيلي**،

- *مناقب البعقيلي*، تح. محمد المختار السوسي، الرباط 1987.

عبد القادر **البغدادي**،

- *أصول الدين*، بيروت، 1981.
- *الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم*، ط 4، بيروت 1980.
- *الملل والنحل*، تح. ألبير نصري، نادر، بيروت 1970.

يحيى ابن أبي **بكر**،

- *كتاب سير الأئمة وأخبارهم*، تح. إسماعيل العربي، بيروت، 1982. *(سير)*.

أبو عبيد **البكري**،

- *المسالك والممالك*، باريز 1965.
- *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، ط 2، الجزائر، 1911 (المغرب).

أحمد بن يحيى **البلاذري**،

- *فتوح البلدان*، القاهرة 1319 هـ.

إ. **بلمليح**،

- *الرؤية البيانية عند الجاحظ*، الدار البيضاء، 1984.

عمر **بنجلون**،

- *الطبقة العاملة بعد 12 سنة*، النشرة الداخلية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، الدار البيضاء، 1967 (الطبقة العاملة).

محمد **بنشريفة**،

- *أمثال العوام في الأندلس*، الرباط، 1971 - 2 ج.

عبد الحميد **بنشنهو**،

- *البيان المطرب لنظام حكومة المغرب*، ط 2. الرباط 1951.

عبد العزيز **بنعبد الله**،

- *الشعر والشعراء بالمغرب الأقصى عبر العصور*، مخطوط المؤلف.
- *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، 4 جزاء + ملحقين عن المدن والقبائل والصحراء، نشر وزارة الأوقاف بالرباط، 1976.

عبد اللطيف **بنمنصور**،

- *مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية*، الرباط، 1977.

الطيب **بنونة**،

- *نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة*، طنجة، 1980.

محمد **بنيس**،

- *ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب* - بيروت، 1979.

محمد **بوجندار**،

- *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، الرباط 1987 *(الاغتباط)*.
- *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط* (د. م.) (د. ت.) *(تعطير)*.
- *مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح*، الرباط، 1345 هـ.

أحمد **بوحسن**،

- *الخطاب النقدي عند طه حسين*، بيروت، 1985.

أحمد **بوشرب**،

- *دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وآزمور قبل 28 غشت 1481 - أكتوبر 1542*، الدار البيضاء.

مصطفى **بوشعراء**،

- *الاستيطان والحماية بالمغرب* (1280 - 1311 / 1863 - 1894) جزآن، الرباط، 1987 *(الاستيطان)*.
- *الهجرة من المغرب وإليه*، مخطوط المؤلف.

إبراهيم **بوطالب**،

- *العصر العلوي الأول*، مذكرات من التراث المغرب ، ج 4، الرباط 1985.

أحمد **البوعياشي**،

- *حرب الريف التحريرية ومراحل النضال*، جزآن، طنجة 1974 *(حرب الريف)*.

**بوفيل**،

- *الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب*، تر. زاهر رياض، القاهرة، 1968.

**البيجوري**،

- *تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد*، بيروت، 1983.

أبو بكر **البيدق**،

- *أخبار المهدي بن تومرت، وبداية دولة الموحدين*، الرباط، 1971 *(أخبار)*.

يوسف بن الزيات **التادلي**،

- *التشوف إلى رجال التصوف*، ط 2. تح. أحمد التوفيق ، الدار البيضاء، 1984.

محمد ابن **تاويت**،

- *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى*، 3 أجزاء، الدار البيضاء، 1982 - 1984.

عبد السلام **التازي**،

- *الأدباء المغاربة المعاصرون*، الدار البيضاء، 1983.

عبد الهادي **التازي**،

- *جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس*، بيروت 1972 - 1973. 3 ج.
- *رسائل مخزنية*، الرباط، 1979.
- *الساعات المائية بالمغرب*، مذكرات من الثرات المغربي، ج 3. 1985.

محمد **التسولي**،

- *نوازل*، مخطوط، خ. ع. 882 د.

محمد **التطواني**،
- *ابن الخطيب من خلال كتبه*، تطوان، 1954.

الأعمى **التطيلي**،
- *ديوان الأعمى التطيلي*، تح. إحسان عباس، بيروت 1963.

أحمد **تفاسكا**،
- تطور الحركة العمالية في المغرب، بيروت، 1980.

م. ابن **تكلات**،
- *إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين*. تح. **محمد** رابطة الدين، 1986. د. د، ع، الرباط.

عبد الرحمان **التمنارتي**،
- *الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة*، مخطوط خ. ع.

نعيمة هراج **التوزاني**،
- *الأمناء في المغرب في عهد السلطان مولاي الحسن* 1290 - 1311 / 1873 - 1979. *(الأمناء)*.

أحمد **التوفيق**،
- *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر. (إينولتان 1850 - 1912)* ط 2، الدار البيضاء، 1983 *(إنولتان)*.

أحمد **توفيق المدني**،
- *كتاب الجزائر*، الجزائر 1931.

أحمد ابن **تيمية**،
- *السياسة الشرعية*، القاهرة، 1323 هـ.

عبد الرحمان **الجادري**،
- *اختصار شرح البردة*، مخطوط.

عبد الرحمان **الجبرتي**،
- *عجائب الآثار في التراجم والأخبار*، القاهرة 1958.

محمد ابن **جبير**،
- *الرحلة : تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار*، طبعت مرارا.

عباس **الجراري**،
- *الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه*، الرباط، 1979.
- بحوث مغربية *في الفكر الإسلامي*، الرباط، 1988.
- وحدة *المغرب المذهبية خلال التاريخ*، الدار البيضاء، 1976.

عبد الله **الجراري**،
- *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين* من 1900 إلى 1972، جزآن، الرباط، 1985 *(التأليف)*.
- من *أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، الرباط وسلا*، جزآن، الرباط 1971 *(أعلام الفكر)*.

علي **الجزنائي**،
- *جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس*، الرباط، 1967. *(زهرة الآس)*.

إدريس بن **جلون التويمي**،
- *التراث العربي المغربي في الموسيقى*، الدار البيضاء، (د. ت).

ح. **جهادي**،
- *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مرقون، 1980.

محمد **الجهشياري**،

- *كتاب الوزراء والكتاب*، تح. مصطفى السقاء وآخرين، القاهرة 1938.

ع. ابن **الجوزي**،

- *تلبيس إبليس*، القاهرة 1368 هـ.

عمر **الجيدي**،

- *العرف والعمل في المذهب المالكي، ومفهومهما لدى علماء المغرب*، الرباط 1984.

محمد ابن **الحاج السلمي**،

- *إتحاف ذوي العلم والرسوخ، بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ*، الدار البيضاء، 1978 (*إتحاف*).

حاجي **خليفة**،

- *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، جزآن، اسطنبول، 1941.

محمد **حجي**،

- *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، جزآن، المحمدية 1977 - 1978 (*الحركة الفكرية*).

- *الزاوية الدلائية*، ط 2، الرباط 1988.

- *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*، الكويت، 1985 (*فهرس*).

أحمد ابن **حجر العسقلاني**،

- *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، بيروت (د. ت) 4 ج.

إبراهيم **حركات**،

- *المغرب عبر التاريخ*، 3 أجزاء، ط 2. الدار البيضاء، 1985.

علي ابن **حزم**،

- *جمهرة أنساب العرب*، تح. عبد السلام هارون، ط 2، القاهرة، 1962.

إبراهيم **الحساني**،

- *ديوان قبائل سوس في عهد السلطان المنصور الذهبي*، تح. عمر أفا، الدار البيضاء، 1989.

حسن إبراهيم **حسن**،

- *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي*، القاهرة، 1976.

محمد **الحضرمي**،

- *السلسل العذب*، منشورات الخزانة الصبيحية بسلا، 1988.

محمد **الحضيكي**،

- *طبقات الحضيكي*، جزآن، الدار البيضاء، 1938.

أ. **الحليمي**،

- *المجموعات القروية التقليدية وتغيرها*. تر. زبيدة بوحيل، م. م. ق. ج. ع 2، 1975. ص 119 - 149.

محمد **الحميدي**،

- *جذوة المقتبس*، القاهرة، 1952.

ابن **حوقل**،

- *كتاب صورة الأرض*، بيروت، 1979.

سليمان **الحوات**،

- *البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية*، مخطوط خ.ع. 261 د.

حيان ابن **حيان**،

- *المقتبس في أخبار بلاد الأندلس*، الجزء الخامس، تح. عبد الرحمان علي الحجي، بيروت، 1965 ثم طبع بمدريد 1979.

الفتح ابن **خاقان**،
- *قلائد العقيان في محاسن الأعيان*، بولاق، 1283 هـ + تونس *(قلائد)*.
علال **الخديمي**،
- *حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية*، 1907 ـ 1908. د. ع، تاريخ، الرباط 1985.
محمد العربي **الخطابي**،
- *فهارس الخزانة الحسنية*، 2 ـ 6، الرباط 1982 ـ 1987..
م. لسان الدين ابن **الخطيب**،
- *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة 1973 ـ 1978. 4 ج.
- *أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام*. تح. ليڤي بروفنصال، بيروت، 1956 + الدار البيضاء، 1964.
- *جيش التوشيح*، تونس، 1967.
- *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، القاهرة 1347.
- *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، ج 2. ط 2. تح. محمد المختار العبادي، الدار البيضاء.
عبد الكبير **الخطيبي**،
- *الرواية المغربية*، تر. محمد برادة، الرباط 1971.
الشهاب **الخفاجي**،
- *خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا*، مخطوط.
- *ريحانة الألبّا*، القاهرة 1306 هـ.
أحمد **الخلاصة**،
- *شاعر الحمراء في تاريخ الأدب المعاصر*، الدار البيضاء، 1987.
عبد الرحمان ابن **خلدون**،
- *التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا*، تح. محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة، 1951.
- *العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*، 7 أجزاء، بيروت، 1959 *(العبر)*.
أحمد ابن **خلكان**،
- *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان*، تح. إحسان عباس، 8 أجزاء، بيروت *(وفيات الأعيان)*.
محمد **الخليفتي**،
- *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*، تح. أحمد عمالك. د. د. ع، الرباط 1986.
أ. **خليل**،
- *النبات*، ج 1، القاهرة، كتاب المعرفة، 3.
يوسف أسعد **داغر**،
- *معجم الأسماء المستعارة*، بيروت، 1982.
محمد **داود**،
- *تاريخ تطوان*، 8 أجزاء، تطوان، 1959 ـ 1970.
- *مختصر تاريخ تطوان*، جزآن، تطوان، 1955.
عمر ابن **دحية**،
- *المطرب من أشعار أهل المغرب*، القاهرة، 1954 *(المطرب)*.
أحمد **الدرجيني**،
- *طبقات الدرجيني*، ت. إبراهيم طلاي، جزآن، قسنطينة، 1974.

عبد الله **درقاوي**،
- *الطاهر الإفراني، حياته وشعره*، رسالة مرقونة. د. د. ع، 1986.
أبو بكر محمد ابن **دريد**،
- *الجمهرة في اللغة*، حيدر أباد، 1344 ـ 1345 هـ. 3 ج.
م. **الدغمومي**،
- *النقد القصصي والروائي بالمغرب من بداية الاستقلال إلى سنة 1980*. د. د. ع. أدب، الرباط، 1987.
م، ابن أبي **دينار**،
- *المونس في أخبار إفريقية وتونس*، تونس، 1931 *(المونس)*.
محمد **دينية**،
- *مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط*، الرباط 1986 *(مجالس)*.
الحافظ **الذهبي**،
- *تذكرة الحفاظ*، حيدر آلدكم 1333 هـ، 2 ج.
عبد الله **راجع**،
- *القصيدة المغربية*، بنية الشهادة والاستشهاد، ج 1. الدار البيضاء 1987.
**الراعي** الأندلسي،
- *انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب مالك*، بيروت، 1981.
**الرسموكي**،
- *وفيات الرسموكي*، تح. محمد المختار السوسي، الرباط 1988.
عبد الحميد **الرندى**،
- *الكتابة والكتاب*، فاس، 1922.
ح. ع. **الريفي**،
- *زهر الأكم*، تح. بنعدادة، د. د. ع، الرباط، 1989.
عبد القادر **زبادية**،
- *مملكة سنغاي في عهد الأسقيين*، الجزائر، 1971.
علي ابن أبي **زرع**،
- *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس* ـ الرباط، 1973 *(القرطاس)*.
- *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، الرباط، 1972.
**الزركشي**،
- *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، تونس، 1966.
خير الدين **الزركلي**،
- *الاعلام : قاموس تراجم* لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط 2. القاهرة، 1954 ـ 1959. 10 ج.
أحمد **زروق**،
- *الكناشة*، تح. فهمي خشيم، ليبيا. د.ت.
عبد القادر **زمامة**،
- *أبو الوليد ابن الأحمر*، الرباط، 1979.
عبد العظيم **الزموري**،
- *بهجة الناظرين وأنس الحاضرين*، مخطوط، خ. ع. 1622.
عبد العظيم **الزموري الأصغر**،
- *تقييد حول شرفاء المغرب*، مخطوط خ. ع. 1512.

قاسم **الزهيري**،

- *الإذاعة عملاق القرن العشرين*، العلم، 2 و4 فبراير 1957.
- *محمد الخامس : الملك البطل*، الرباط، 1984.

عبد العزيز **الزياتي**،

- *الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة*، مخطوط، خ. ع. 66 ج.

أبو القاسم **الزياني**،

- *البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف*، مخطوط خ. ع. 1577 د.
- *تحفة النبهاء في التفريق بين الفقهاء والسفهاء*، مخطوط خ. ح.
- *الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب*، مخطوط خ. ع. 658 د.
- *الترجمانة الكبرى في أخبار العالم براً وبحراً*، تح. عبد الكريم الفيلالي، الرباط، 1967.
- *تكميل قضاة فاس على ما في جذوة الاقتباس*، مخطوط خ. ح.
- *جوهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك العلويين وأشياخ مولاي سليمان*، مخطوط خ. ح.
- *الروضة السليمانية في ملوك الدولة الإسماعيلية ومن تقدمها من الدول الإسلامية*، مخطوط.

جرجي **زيدان**،

- *تاريخ آداب اللغة العربية*، ط 2، بيروت، 1978. 4 ج.

عبد الرحمان ابن **زيدان**،

- *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، الرباط، 1930 - 1933. 5 ج.
- *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، الرباط، 1962. 2 ج.

عمر **الساحلي**،

- *المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس*، الدار البيضاء، 1985 - 1986، 2 ج.

**سالوست**،

- *حرب يوغرطة، صفحات من تاريخ شمال إفريقيا القديم*، ترجمة محمد التازي سعود، فاس، 1981.

حسن **السايح**،

- *نظرات في القصة والمسرحية في الأدب المغربي*، دمشق، 1975.

محمد **السايح**،

- *المنتخبات العبقرية*، الرباط، 1920.

محمد العربي ابن **السايح**،

- *البغية*، القاهرة، د. ت.

شمس الدين محمد **السخاوي**،

- *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، القاهرة، 1354 هـ.

محمد الوزير **السراج**،

- *الحلل السندسية في الأخبار التونسية*، 3 أجزاء، تح. محمد الحبيب الهيلة، ط 2. بيروت 1984.

يحيى **السراج** الكبير،

- *فهرس السراج*، مخطوط.

محمد **السرغيني**،

- *حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخبار*، مخطوط.

عبد الرحمان **السعدي**،
- *تاريخ السودان*، تر. هوداس باريز، 1964.
عبد الملك ابن **سعيد** المغربي،
- *المغرب في حلى المغرب*، تح. شوقي ضيف، جزآن، القاهرة، 1953. ثم طبع في القاهرة أيضا 1978.
علي بن محمد **السفاقسي**،
- *غيث النفع في القراءات السبع*، مطبوع بهامش سراج القارئ لابن القاصح، د. ت.
عيسى **السكتاني**،
- *أجوبة السكتاني*، مخطوط خ. ع. 1016.
- *أجوبة فقهية*، مخطوط خ. ع. 1257 ج.
أحمد **سكيرج**،
- *رفع النقاب بعد كشف الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الأصحاب*، جزآن، تطوان (د. ت)،
- *الروضة اليانعة والثمرة النافعة في شرح الفذلكة الجامعة في صرف الجامعة*، فاس، ط. حجرية، 1316 هـ.
ابن **سلام** الإباضي،
- *كتاب ابن سلام*، تح. شفارتز، وسالم يعقوب، بيروت، 1985.
عبد الرحيم ابن **سلامة**،
- *التقليد المغربي في الحكم*، الوضع الدستوري قبل الحماية، ب. ع. ع 27، 1977.
أحمد **السِّلَفي**،
- *معجم السفر*، مخطوط.
أ. **السملالي**،
- *الفوائد المرضية للأنفس الزكية، أو نزهة الجلاس في قصة أبي أحلاس*، مخطوط، خ. ع. 4625.
ابن **سناء الملك**،
- *دار الطراز في عمل الموشحات*، ت. جودة الركابي دمشق، 1949 *(دار الطراز)*.
أحمد باب **السوداني**،
- *كفاية المحتاج*، تح. محمد مطيع، د. د. ع، تاريخ الرباط، 1987.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج،القاهرة، 1932 *(نيل)*.
عبد السلام ابن **سودة**،
- *إتحاف المطالع بوفيات رجال القرن الثالث عشر والرابع*، مخطوط المؤلف.
- *إزالة الالتباس عن قبائل مدينة فاس*، مخطوط المؤلف.
- *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ط 2، جزآن، الدا ر البيضاء، 1960 - 1965.
- *سل النصال للنضال*، فهرس - مخطوط المؤلف.
محمد المختار **السوسي**،
- *الإلغيات*، تطوان، (د. ت) 3 ج.
- *إبليغ قديما وحديثا*، الرباط، 1966.
- *الترياق المداوي في أخبار الشيخ سيدي الحاج علي السوسي الدرقاوي*، تطوان، 1961.
- *جوف الفرا*، مخطوط المؤلف.
- *حول مائدة الغداء*، الرباط 1983.

- *خلال جزولة*، تطوان، (د. ت). 4 ج.
- *رجالات العلم بسوس*، مخطوط المؤلف.
- *الرسالتان البونعمانية والشوقية*، تطوان. د.ت.
- *طاقة ريحان*، الرباط، 1984.
- *سوس العالمة*، فضالة، 1960.
- *مترعات الكؤوس*، مرقون.
- *مدارس سوس العتيقة*، طنجة، 1987.
- *معتقل الصحراء*،الرباط، 1982.
- *المعسول*، الدار البيضاء، فضالة 1960 ـ 1963. 20 ج.
- *من أفواه الرجال*، تطوان، 1962 ـ 1963. 3 ج.

إبراهيم **السولامي**،
- *تأملات في الأدب المعاصر*، الدار البيضاء، 1979.
- *الشعر الوطني في عهد الحماية*، 1912 ـ 1956، دار الثقافة، 1973.

عبد الرحمان **السيوطي**،
- *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، جزآن، القاهرة، 1955.

عبد اللطيف **الشادلي**،
- *الحركة العياشية*، الرباط، 1982.

أبو القاسم ابن **الشاط**،
- *مشيخة ابن أبي الربيع*، *تح*. *عبد العزيز الأهواني*، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، ج 1 ـ 2. من المجلد الأول، 1955.

يونس **الشامي**،
- *نوبات الآلة المغربية المدونة بالكتابة الموسيقية*، الدار البيضاء، 1982.

إبراهيم **شحاتة**،
- وقعة *وادي المخازن في تاريخ المغرب*،الدار البيضاء، 1979.

هـ. **شرابي**،
- *مقدمات لدراسة المجتمع العربي*، بيروت، 1980.

أحمد **الشرقاوي إقبال**،
- *شاعر الحمراء في الغربال*،الدار البيضاء، 1963.

صالح **الشرقي**،
- *أضواء على الموسيقى المغربية*، المحمدية، 1977.

أحمد **الشماخي**،
- *سير الشماخي*، طبعة حجرية بالقاهرة، 1983.

أ. **الشنقيطي**،
- *روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة*، مخطوط.

**الشهرستاني**،
- *الملل والنحل*، بيروت، 1975.

لويس **شيخو**،
- الآداب العربية في القرن التاسع عشر، بيروت، 1924 ـ 4 أجزاء.

عبد الملك ابن **صاحب الصلاة**،
- *المن بالإمامة على المستضعفين*، تح. ع. التازي، بيروت، 1964.

أحمد **الصبيحي**،

- *باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة*، مخطوط خ. ص.
- *الفالوذج* - كناشة - مخطوط خ. ص.

محمد **الصديقي**،
- *إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة*، الدار البيضاء، د. ت.

خليل **الصفدي**،
- *الوافي بالوفيات*، فيسبادن، 1962، طبع منه لحد الآن 14 ج.

ح. **الصفار**،
- *حزب الإصلاح الوطني*، 1936 - 1956. د. د. ع. علوم سياسية، الرباط، 1988.

**صفوان** بن إدريس،
- *زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر*، تح. عبد القادر محداد، بيروت، 1939.

أ. **الضبي**،
- *بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس*، القاهرة، 1967.

محمد **الضعيف**،
- *تاريخ الدولة السعيدة*، تح، أحمد العماري، الرباط، 1986 *(تاريخ الضعيف)*.

محمد ابن جرير **الطبري**،
- *تاريخ الأمم والملوك*، القاهرة، 1326 هـ.

حسن **الطريبق**،
- *الشاي وتجربة غرسه في المغرب*، العلم، عدد 12 أبريل، 1982.

عبد الخالق **الطريس**،
- *من مذكرات الزعيم الأستاذ الطريس*، 1 : المذكرات الخاصة برحلة الوفد الوطني إلي مدريد سنة 1934 / محمد ابن عزوز حكيم، الرباط، 1982.

دييگو دي **طوريس**،
- *تاريخ الشرفاء*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، 1988.

أحمد ابن **عبد البر**،
- *جامع بيان العلم وفضله*، بيروت، (د. ت).

ع. ابن **عبد الحكم**،
- *فتوح إفريقية والأندلس*، الجزائر، 1948.

محمد ابن **عبد الملك** المراكشي،
- *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن في قسمين*، تح. محمد بنشريفة، الرباط. 1984، 2 ج.

حسن حسني **عبد الوهاب**،
- *ورقات عن الحضارة التونسية*، تونس، 1972.

محمد **العبدري**،
- *الرحلة المغربية*، تح. محمد الفاسي، الرباط، 1968.

محمد **العثماني**،
- *ألواح جزولة والتشريع الإسلامي*، مخطوط.

محمد ابن **عذاري**،
- *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، قسم الموحدين، تح. م. إبراهيم. الكتاني، وآخرين. بيروت، 1985.

م. أبو **العرب**،
- *طبقات علماء إفريقية*، تونس، 1968.

إسماعيل **العربي**،
- *دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة*، بيروت، 1983.
الصديق ابن **العربي**،
- *كتاب المغرب*، بيروت، 1984.
عبد الله **العروي**،
- *الإيديولوجية العربية المعاصرة*، بيروت، 1970.
أ. **عزاوي**،
- *مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية*، 1985. د. د. ع، تاريخ الرباط، 1985.
محمد ابن **عزوز حكيم**،
- *عائلات تطوان*، مخطوط المؤلف.
- *معارك الثورة الريفية*، الرباط، 1982.
- *معركة أنوال*، الرباط، 1981.
- *نضال الطريس في ساحة الوحدة*، الرباط، 1980.
- *وثائق تشهد*، ج 1. الرباط، 1980.
- *وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب*، ج 1. تطوان 1980.
- *وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب*، تطوان، 1980.
ابن **عساكر**،
- *تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري*، بيروت، 1979.
أحمد **عسة**،
- *المعجزة المغربية*، بيروت، 1975.
محمد ابن **عسكر**،
- *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1976.
محمد الصادق **عفيفي**،
- *القصة المغربية الحديثة*، 1961.
س. **علوش**،
- *الرواية والإيديولوجيا في المغرب العربي*، 1960 - 1975. بيروت، 1981.
ي. س. **علوش**، ع. الرجراجي،
- *فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح*، باريز، الرباط، 1954 - 1958. 2 ج.
محمد بن ابراهيم **العلمي**،
- *إنهاض الهمم العالية للاستطلاع على بعض الكتب الرياضية في التوقيت والتعديل والهيئة والجغرافية*، مخطوط. خ. ص.
محمد **العلمي**،
- *الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب*، طبعة حجرية بفاس، 1315 هـ *(الأنيس)*.
أحمد **العلوي**،
- *الأنوار السنية في نسب من بسجلماسة من الأشراف المحمدية*، تح. عبد الكريم الفيلالي، فضالة، 1966. *(الأنوار السنية)*.
إسماعيل بن الشريف **العلوي** (السلطان)،
- *إلى ولدي المامون*، الرباط، 1962.
سليمان **العلوي** (السلطان)،
- *عناية أولي المجد، بذكر آل الفاسي ابن الجد*، فاس، 1928 (عناية).

محمد بن عبد الله **العلوي** (السلطان)،
- *الفتوحات الإلاهية في أحاديث خير البرية*، الرباط، 1945.
محمد ابن **علي الدكالي**،
- *الإتحاف الوجيز* (تاريخ العدوتين) نشر الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، 1986.
عبد الحي ابن **العماد**،
- *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، 8 أجزاء، بيروت، د. ت.
محمد عبد الله **عنان**،
- *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، وهو العصر الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، جزآن، القاهرة، 1964.
- *نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين*، وهو العصر الرابع من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، 1949.
ن - **العوفي**،
- *مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية*، بيروت، الدار البيضاء، 1987.
كركيس **عواد**،
- *الأسطرلاب وما ألف فيه من كتب ورسائل*، بغداد، 1955.
محمد ابن **عيشون**،
- *الروض العاطر الأنفاس في أخبار الصالحين من أهل فاس*، تح، ز. النظام، د. د. ع، الرباط، 1989.
محمد **عياد**، عبد اللطيف المنوني،
- *الحركة العمالية المغربية، صراعات وتحولات*، الدار البيضاء، 1985 *(الحركة العمالية)*.
جرمان **عياش**،
- *دراسات في تاريخ المغرب*، الرباط، 1986.
عبد الله **العياشي**،
- *الإحيا والانتعاش في تراجم سادات زاوية أيت عياش*، مخطوط، خ. ع. 1433 د.
**عياض** بن موسى السبتي،
- *ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك*، نشر وزارة الأوقاف، 8 أجزاء، الرباط، 1965 - 1983.
محمد ابن **غازي**،
- *التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد*. تح. محمد الزاهي، الرباط، 1979.
محمد **الغجدامي**،
- *التسلي عن الآفات بذكر الأحوال وما فات*، مخطوط خاص.
محمد **الغربي**،
- *بداية الحكم المغربي في السودان الغربي*، بغداد، 1982.
- *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، ج 1. الدار البيضاء، 1974.
محمد **غريط**،
- *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، فاس، 1376 هـ.
محمد **الغسال**،
- *رحلة الوزير في افتكاك الأسير*، ت. الفريد البستاني، طنجة، 1940.
عبد الكريم **غلاب**،
- *تاريخ الحركة الوطنية المغربية*. ط 2، الرباط، 1987، 2 ج.

- *عالم شاعر الحمراء*، الدار البيضاء، 1982.
- *في الثقافة والأدب*، الدار البيضاء، 1982.

عبد الحفيظ **الفاسي**،
- *معجم الشيوخ (رياض الجنة)*، الرباط، 1932.

عبد الرحمان **الفاسي**،
- *ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب*، مخطوط خ. ع. 1222.
- *الأقنوم في مبادئ العلوم*، مخطوط، خ. ع.
- *العمل الفاسي*، مخطوط خ. ص.
- *تقييد في الموازين وتحقيقها*، مخطوط، خ. ع. 121 د.

عبد الكريم **الفاسي**،
- *تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين*، مخطوط.

عبد الله **الفاسي**،
- *الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر*، مخطوط، خ. ع 1080 ك. و خ. ح. 3637 ز.

علال **الفاسي**،
- *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة، تطوان (د. ت).
- *حفريات في الحركة الدستورية في المغرب قبل الحماية*، ط 2. الرباط، 1982.

محمد **الفاسي**،
- *الرحالة المغاربة*، د. ح، ع. 3. دجنبر 1958.

محمد الطيب **الفاسي**،
- *مطمح النظر ومرسل العبر بالذكرى بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر*، مخطوط خاص.

محمد بن عبد الرحمان **الفاسي**،
- *المنح البادية في الأسانيد العالية والمرويات الزاهية والطرق الهادية الكافية*، مخطوط، خ. ع. 1249 ك.

محمد العربي **الفاسي**،
- *مرآة المحاسن في أخبار الشيخ أبي المحاسن*، فاس، ط. حجرية ، 1324 هـ.

محمد المهدي **الفاسي**،
- *ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع*، فاس، ط. حجرية، 1313 هـ / 1896 م.
- *تحفة اهل الصديقية باسانيد الطائفة الجزولية والزروقية*، مخطوط، خ. ع. 76 ج.

إسماعيل أبو **الفداء**،
- *تقويم البلدان*، ترجمة دي سلان، باريس، 1840.

إبراهيم ابن **فرحون**،
- *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*. القاهرة، 1974.

ع. ابن **الفرضي**،
- *تاريخ علماء الأندلس*، القاهرة، 1966 (تراثنا، المكتبة الأندلسية، 2).

محمد الحبيب **الفرقاني**،
- *نجوم في يدي*، الدار البيضاء. 1964.

عبد العزيز **الفشتالي**،
- *مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفاء*، تح. عبد الله كنون، تطوان، 1964.

ابن **فضل الله العمري**،
- *الاستبصار*، مخطوط خ. ع.
ادريس **الفضيلي**،
- *الدرر البهية، والجواهر النبوية، في الفروع الحسنية والحسينية*، جزآن، طبعة حجرية بفاس، 1896 (الدرر البهية).
حسن **الفكيكي**،
- *قلعية ومشكل الوجود الإسباني بمليلية*، رسالة د. د. ع. مرقونة، كلية الاداب بالرباط، 1984.
ب. **الفلاح**،
- *دراسة جيومورفولوجية لجزء من أخدود جنوب الريف*. د. د. ع. جغرافية الرباط.
روبرت **فورنو**،
- *عبد الكريم أمير الريف*، تر. فؤاد أيوب، دمشق، (د. ت).
أبو بكر **القادري**،
- سعيد حجي، الدار البيضاء، 1982، 2 ج.
عبد السلام **القادري**،
- *المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد*، ط. حجرية فاس. د. ت.
محمد بن الطيب **القادري**،
- *الإكليل والتاج في تذليل كفاية المحتاج*، مخطوط، خ. ح. 1897.
- *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، بيروت، 1983.
- *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تح. مجمد حجي وأحمد توفيق، 4 ج، الرباط، الدار البيضاء، 1977 - 1982 *(نشر)*.
أحمد ابن **القاضي**،
- *جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس*، جزآن، الرباط، 1973 - 1974.
- *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1970 - 1974. 3 ج.
- *لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد*، ضمن مجموعة "ألف سنة من الوفيات" تح. محمد حجي، الرباط، 1976 *(لقط الفوائد)*.
محمد **القاضي**،
- *أسد الريف*، محمد عبد الكريم الخطابي، تطوان، 1979.

أحمد **قبش**،
- *تاريخ الشعر العربي الحديث*، دمشق، 1971.
محمد **القبلي**،
- *مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين*، م. ك. د. ر، ع 8. 1978.
عبد الله بن مسلم ابن **قتيبة**،
- *الإمامة والسياسة*، تح. محمد محمود الرافعي، القاهرة، 1322 هـ، جزآن.
حسن ابن **القطان**،
- *نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان*، تح. محمود مكي، تطوان، د.ت.
أ. **القلقشندي**،
- *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، القاهرة 1963، 14 ج.
أحمد ابن **قنفد** القسنطيني،
- *أنس الفقير وعز الحقير*، الرباط، 1965.

- شرف *الطالب*، ضمن ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1976.
- *الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية*، تح. محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس، 1968 (الفارسية).

أ. ابن **القوطية**،
- *تاريخ افتتاح الأندلس*، بيروت، 1957.

ابن أبي زيد **القيرواني**،
- *الرسالة*، طبعت مرارا.

محمد **الكانوني**،
- *أسفي وما إليه قديما وحديثا* ، ط 2. الدار البيضاء، 1983.
- *تاريخ الطب العربي بالمغرب*، مخطوط خاص.
- جواهر *الكمال في تراجم الرجال*، الدار البيضاء، 1937.

ج. **كاني**،
- بعض *مشاهير الحركة السلفية في المغرب*، تر. زبيدة بورحيل، سعيد النجار. ت. ع. ع 35، 1985.

محمد بن جعفر **الكتاني**،
- *سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، 3 أجزاء، طبعة حجرية بفاس، 1900 (سلوة).

عمر رضى **كحالة**،
- *أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام*، 5 أجزاء، دمشق، 1959.
- معجم *المؤلفين*، 14 ج، دمشق، 1957.

إگناتي **كراتشكوفسكي**،
- *تاريخ الأدب الجغرافي العربي*، تر. صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، 1963.

محمد **الكراسي**،
- *البشارة*، مخطوط.

ع. **الگرسيفي**،
- *رسالة في تحرير السكك المغربية*، مخطوط خاص.
- *رسالة في تحقيق الأوزان والمكاييل*، مخطوط.

محمد **الكغاط**،
- *بنية التأليف المسرحي بالمغرب*، الدار البيضاء، 1986.

محمد **الكلاعي**،
- *إحكام صنعة الكلام*، بيروت، 1966.

إبراهيم **الكلالي**،
- *تنبيه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهارب والهاربة من الهذيان لمدعي استحقاق الفتوى آجليان*، مخطوط. خ. ع 571 ك.

عبد الفتاح **كليطو**،
- *الأدب والغرابة*، بيروت، 1987.

عبد الله **گنون**،
- *أحاديث عن الأدب المغربي الحديث*، ط 2. الدار البيضاء، 1976.
- *أكنسوس*، بيروت، د. ت. (ذكريات مشاهير رجال المغرب، ع 4).
- *السلاجي* ..... ع 11.
- *النبوغ المغربي في الأدب العربي*، ط 2. بيروت، 1900.

م. **لحميداني**،
- *الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي*، الدار البيضاء، 1985.
محمد **لشعل**،
- *تطور الحركة العمالية لمناجم الفحم بجرادة من 1933 إلى 1967*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ (1981 - 1982) كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.
عبد الله **لعوينة**،
- *المظاهر المناخية للقحولة، الجفاف في المغرب والبلدان المجاورة للصحراء*. م. ج. م.، ع 6، 1982، ص 11 - 34.
روجي **لوطورنو**،
- *فاس قبل الحماية*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، جزآن، بيروت، 1986.
أ. **الماجري**،
- *المنهاج الواضح في تحقيق كرامات الشيخ أبي محمد صالح*، القاهرة، 1933.
**مالك** بن أنس،
- *الموطا*، طبع مرارا.
علي بن محمد **الماوردي**،
- *الأحكام السلطانية والولايات الدينية*، بيروت، 1978.
**مجهول**،
- *الاستبصار في عجائب الأمصار*، تح. سعد زغلول عبد الحميد، ط 2، الدار البيضاء، 1985.
**مجهول**،
- *إعراب الترجمان عن قصة الأوداية مع مولاي عبد الرحمان*، مخطوط.
**مجهول**،
- *تبصرة الرئيس الأمين في ذكر إمام المسلمين*، مخطوط خاص.
**مجهول**،
- *الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية*، تح. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979.
**مجهول**،
- *رسائل سعدية*، مخطوط، خ. ع. 278 ك.
**مجهول**،
- *طبقات المالكية*، مخطوط، خ. ع. 3928 د.
محمد أمين **المحبي**،
- *خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر*، 4 أجزاء، القاهرة، 1284 هـ + طبعة ثانية بالأوفيسط في بيروت. د. ت.
علي **المحمدي**،
- مساهمة في دراسة *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، المجتمع البعمراني وعلاقته بالمخزن 1786 - 1985*. د. ع. تاريخ، 1985.
محمد **مخلوف**،
- *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، القاهرة، 1930.
عبد الواحد **المراكشي**،
- *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، تح. محمد الفاسي، سلا، 1938 *(المعجب)*.
م. ابن **مرزوق**،

- *المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981.

العياشي **المريني**،

- *الفهرس في عمود نسب الأدارسة*، طنجة، 1986.

**المسعودي**،

- *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، جزآن،القاهرة، 1346 هـ.

ع. **المشرفي**،

- *نزهة الأبصار إلى ذوي المعرفة والاستبصار*، مخطوط.

م. **مصايف**،

- *النقد الأدبي في المغرب العربي*، الجزائر، 1979.

الحسن **المعداني**،

- *الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح*، مخطوط خ. ع. 1835 د.

علي ابن **معصوم**،

- *سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر*، القاهرة، 1324 هـ.

الحاج أحمد **معنينو**،

- *ذكريات ومذكرات*، مرقون.

محمد **مفتاح**،

- *التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن 8 هـ = 14 م*، 1981، دكتورة، آداب، الرباط، 1981.

- *دينامية النص*، الدار البيضاء، 1987.

محمد **مقدون**،

- *ثورة أيدمون*، د. د. دع. تاريخ، فاس، 1984.

أحمد **المقري**،

- *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978 - 1980. 5 ج.

- *إضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة*، مصر، 1304 هـ.

- *روضة الآس العطرة النفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس*، الرباط، 1964 ثم أعيد نشره بالتصوير.

- *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. تح. إحسان عباس، بيروت، 1968. 8 ج.

أحمد **المكناسي**،

- *أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب*، تطوان، د. ت.

م. الرشيد **ملين**،

- *فصل الشتاء في أسول، أو الكفاح السياسي لحزب الأحرار* (القسم الأول) الرباط.د. ت.

- *نضال ملك، صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف، أو المعركة من أجل الاستقلال*، الرباط، (د.ت.) *(نضال ملك)*.

محمد **المنالي**،

- *دوحة البستان ونزهة الإخوان في مناقب سيدي علي بن عبد الرحمان*، مخطوط، خ. ع. 390 د.

أحمد **المنجور**،

- *فهرس*، تح. محمد حجي، الرباط، 1976.

عبد الوهاب ابن **منصور**،

- *أعلام المغرب العربي*، 4 أجزاء، الرباط، 1979 ـ 1986.
- *قبائل المغرب*، جزآن، الرباط، 1968.

أحمد **المنصوري الزياني**،

- *تاريخ بلدة خنيفرة*، الدار البيضاء، 1986.

محمد **المنوني**،

- *تاريخ الموسيقى الأندلسية في المغرب*، مجلة "التراث الشعبي" العراقية، العدد 6، السنة 10، الصفحات 31 ـ 64.
- *دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية*، الرباط، 1985.
- *المصادر العربية لتاريخ المغرب، من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث*، الجزء الأول، الرباط، 1983.
- *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، جزآن، بيروت، 1985.
- *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط.

حسن **المنيعي**،

- *أبحاث عن المسرح المغربي*، مكناس، 1974.

محمد ابن **الموقت**،

- *السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية*، فاس. ط. حجرية، 1335 ـ 1336 هـ. 2 ج.

حسين **مونس**،

- *الجغرافية والجغرافيون العرب في الأندلس*، م. د. س.و ج 9، 1961. ج 10. 1962.

محمد **ميارة**،

- *شرح لامية الزقاق*، مخطوط خ. ح.

أحمد **الناصري**،

- *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، ط 2، الدار البيضاء، 1954 ـ 1956. 9 ج.
- *زهرة الأفنان من حديقة ابن الونان*، طبعة حجرية بفاس، 1895.
- *طلعة المشتري في النسب الجعفري*، فاس، ط 2 حجرية بالأوفيسط، 1987، 2 ج.

محمد بن عبد السلام **الناصري**،

- *الرحلة الحجازية*،مخطوط، خ. ع. 2651.

محمد المكي **الناصري**،

- *الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة*، ت. محمد الحبيب نوحي، د. د. ع. الرباط، 1987.
- *الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية*،مخطوط، خ. ع. 88 ج.

عبد الجليل **ناظم**،

- *الخطاب النقدي بالمغرب حول موضوع الشعر 1930 ـ 1980*. د. د. ع، أدب، الرباط، 1987.

مصطفى **ناعمي**،

- *الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.

ع. **النجار**،

- *المهدي بن تومرت*، بيروت، 1983.

محمد **نجيدي**،

- *قضية المكوس*، د. د. ع. تاريخ، الرباط، 1987.

إ، **نحال**،
- *أساسيات علم الحراج*، حلب، 1983.

إدريس **نقوري**،
- *المصطلح المشترك*، الدار البيضاء، 1977.

المختار **الهراس**،
- *تطور الهياكل القبلية شمال غرب المغرب*، أنجرة كنموذج ؛ 1984. د. د. ع، الرباط، 1984.

ألبرت **هيل**،
- *النبات الاقتصادي*، ترجمة زاهر عبد الحميد وآخرين، القاهرة، 1962.

أحمد البلوي **الوادي آشي**،
- *ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي*، تح. عبد الله العمراني، بيروت، 1983 *(ثبت)*.

ع. **الورياشي**،
- *الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف الأول سيدي محمد أمزيان وأخبار مقاومته هو وإخوانه الريفيين لأبي حمارة والإسبان*، تطوان، 1976.

حسن **الوزان**،
- *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي ومحد الأخضر، بيروت، 1983.

م. حسن **الوزاني**،
- *مذكرات حياة وجهاد*، 6 أجزاء، بيروت، 1983 ـ 1986.

أبو بكر محمد **الولاتي**،
- *فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور*، بيروت، 1981.

أحمد **الولالي**،
- *مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار*، ت. بوعصاب. د. د. ع. تاريخ، الرباط، 1987.

أحمد **الونشريسي**،
- *المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب*، طبع على الحجر بفاس، ثم أعيد طبعه في بيروت 1981، 13 جزءاً، بإشراف محمد حجي.
- *وفيات، ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976.

أحمد **اليابوري**،
- *تطور الفن القصصي في المغرب*، 1914 ـ 1966. د. د. ع. أدب، الرباط، 1967.

**ياقوت الحموي**،
- *معجم البلدان*، 10 أجزاء، القاهرة، 1906.

م. **يعلى**،
- *ظاهرة المحلية في الفن القصصي بالمغرب من أوائل الأربعينات إلى نهاية الستينات*، د.د.ع، فاس، 1984.

سالم **يفوت**،
- *ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس*، الدار البيضاء، 1986.

س. **يقطين**،
- *القراءة والتجربة*، الدار البيضاء، 1985.

الحسن **اليوسي**،
- *رسالة العكاكزة*، مخطوط، خ. ع. 1224 ك.
- *المحاضرات*، تح. محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، بيروت، 1982، جزآن.

# Bibliographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie avec leurs abréviations


*ABD-EL-KRIM : Generis de la rebelion rifena* - Tetuan, 1950.

ABDELMASSIH, E.T - *Tamazight Verb structure : a generative approach* - La Haye, 1971.

ABITBOL, M - *Tombouctou et les Arma* - Paris, 1979 *(Arma).*

*L'Abrogation des capitulations britanniques - A.F,* fév. 1937

*Accion de Espana en Africa.* - Madrid, 1930. *(Accion).*

ADAM, A - *Anfa - E.I2,* I - p. 521-522

ADAM, A - *Etude économique et sociologique d'un souq du Haut-Atlas occidental* : *Imi-n-Tanout* - in Actes du IVe congrès international des Sciences anthropologiques et Ethnologiques, 1-8 Septembre 1952 - *Ethnologica* (Vienne), III, 1956 - p. 9-16.

ADAM, A - *Histoire de Casablanca des origines à 1914* - Paris, 1968. *(Casablanca, 1914).*

AGI, M - *De l'idée d'universalité comme fondatrice du concept des droits de l'homme d'après la vie et l'œuvre de René Cassin* - Antibes.

AGUILLERA, C.R - *Traité de droit public marocain* : *zone espagnole* - Paris, 1954 - (C.C.E.J, XL) *(Droit publ. espagn.)*

AKOUAOU, A - *L'Expression de la qualité en berbère* : *le verbe, parler de base, le tachlhiyt de Tiznit* - 1976 *(Verbe)* -
Th. 3e cycle : Paris : 1976.

AL-MOUTABASSIR - *Ma El Ainin Ech Chenguity - R.M.M,* I, 1907 - p. 343-351.

ALARCON, P.A de-*Diario de un testigo de la guerra de Africa* - Madrid 1860. *(Diario)*

ALLAIN, Ch - DEVERDUN, G - *Les Portes anciennes de Marrakech - Hesp.* 1° - 2 trim. 1957 - p. 85-126.

ALMONTE, E.D' - *Ensayo de una breve descripcion del Sahara Espanol - Bol. Real Soc. Geogr.*, 56, 1914 - p. 129-347.

AMAHAN, A - *Peuplement et vie quotidienne dans un village du Haut Atlas marocain* : *Abadou des Ghoujdama* - Paris, 1983 *(Abadou des Ghoujdama).*

ANDERSON, F - *The First maroccan crisis,* 1904-1906 - Connecticut, 1966 *(First moroccan)*

APPLEGATE, J.R - *An Outline of the structure of Shilha* - 1985 *(Shilha).*

APPLEGATE, J.R - *Berber languages - Current Trends in linguistics,* 6, 1970 - p. 586-661.

*Appointment in Oujda - Foreign Affairs,* Vol. -3, n° 5, 1985 - p. 1095-1110.

ARAMBOURG, C. - BIBERSON, P. - *Découverte de vestiges humains acheuléens dans la carrière de Sidi Abderrahman, près Casablanca - C.R.A.S.* T. 240, 1955 - p. 1661-1663.

*Argan - E.I2,* I - p. 648.

ARNAUD - *Monographie de la région de Meknès* - Meknès, 1914 *(Meknès).*

ARNAULD, L - *Au temps des Mehallas ou le Maroc de 1860 - 1912* - Casablanca, 1952 *(Mehallas).*

ARRAKI, S - *Trois petites villes de la Chaouia intérieures : Settat, Benahmed et El Gara* - 1965
D.E.S : Geogr.: Bordeaux : 1965 *(CHaouia intérérieure).*

ARRIF, A - *Compétition caïdale et procés d'intégration d'un canton montagnard : L'Unayn - A.A.N,* XXII, 1983 - p. 347-360.

AUBIN, E - *Le Maroc d'aujourd'hui* - Paris, 1904 *(Maroc d'auj).*

AULAGNIER, S - THEVENOT, M - *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc* - Rabat, 1986- (Trav. Inst. Sc., Série zoologie; n° 41) *(Mammifères).*

AYACHE, A. - *Le Maroc : bilan d'une colonisation* - Paris, 1956 *(Maroc).*

AYACHE, A. - *Le Mouvement syndical au Maroc,* T. 1 : 1919-1942- Paris, 1982 - *(Mouv. synd.).*

AYACHE, A. COULAND, J. [et al...] - *Mouvements sociaux maghrébins : travailleurs, militants, idéologies* - Nice, 1982 - (C. Méd., n° 2, 1981-1982) *(Mouv. Soc. magh.).*

AYACHE, G - *Beliounech et le destin de Ceuta entre le Maroc et l'Espagne - H.T,* Vol. XIII, 1972.

AYACHE, G - *Les Origines de la guerre du Rif* - 2e éd. - Rabat, 1981 - *(Guerre du Rif).*

AYAD, M - *L'Organisation de l'espace rural dans le plateau d'El Jadida et le Sahel d'Azemmour* - 1982 - 2 Vol.
D.E.S : Géogr.: Rabat 1982 *(El Jadida).*

AYAD, M - SIJILMASSI, A - BENABDELJALIL, A - *Etudes des architectures régionales : région du Centre* - Rabat, 1985 - 2 vol.

AZAM, P - *Les Cités rurales du Ktawa* - Paris, 1946 (Mémoire C.H.E.A.M) *(Ktawa).*

*AZAM, P. - La Structure politique et sociale de l'Oued Draa* - Paris, 1947- (mémoire C.H.E.A.M). *(Oued Draa)* .

AZAN, P - *Bugeaud et l'Algérie* - Préf de André Maginot - Paris : [s.d] *(Bugeaud).*

BA, M.A - *A propos de Smara - A.F,* fév. 1934.- p. 95-97.

BABIN, G - *Le Maroc sans masque : Son Excellence* - Paris, 1932 *(masque).*

BAILLOUD, G - MIEGE DE BOOFZHEIM, P - *La Nécropole néolithique d'El Kiffan près de Tamaris - Libyca,* XII, 1964 - p. 95-171.

BALANDIER, G - *Sens et puissance* - Paris, 1951.

BARADEZ, J - *Deux missions de recherches sur le limes de la Tingitane - C.R.A.S,* 1955 - P. 294-295.

BARRAT, R - *Justice pour le Maroc* - Paris, 1953 *(Justice).*

BARRETT. R.S. - U.S *Policy in North Africa - American-Arab Affairs,* n° 13, 1985.

BARY, L - *Etude syntaxique d'un parler de la langue tamazight : le techelhit d'Inezgane* - 1983
Th. 3e cycle : Rabat : 1983 *(Inezgane).*

BASSET, A - *La langue berbère* - in Handbook of African languages - London, 1952.

BASSET, A - *La langue berbère : morphologie, le verbe : études de thèmes* - Paris, 1929 *(Langue berbère).*

BASSET, A. - *Sur la métrique berbère - Etudes et documents berbères,* n° 2, 1987 - p. 85-90.

BASSET, H. - *Essai sur la littérature des berbères* - Alger, 1920 *(Lit. Ber).*

BASSET, H - TERRASSE , H. - *Sanctuaires et forteresses almohades - Paris, 1932 (Sanctuaires).*

*La Bataille d'Isly* - Paris, 1844.

BAYED, A - BEAUBRUN, C - *Les Mammifères marins du Maroc : inventaire préliminaire - Mammavia,* 3 - p. 437-447.

BEAUDET, G - *Les Beni Mguild du nord : étude géographique de l'évolution récente d'une confédération semi-nomade - R.G.M.* n° 16, 1969.

BEAUDET, G - *Le Plateau Central marocain* - Rabat, 1969 *(Plat. Central).*

BEGUIN, H - *L'Organisation de l'espace au Maroc* - Bruxelles, 1974 *(Espace).*

BEKER, J - *Historia de Marruecos* - Madrid, 1915 *(Historia).*

AL-BEKRI - *Description de l'Afrique septentrionale* - Trad. M. de Slane - Paris, 1965 *(Description).*

BEL, A - *La Religion musulmane en Berbérie* - Paris, 1938 *(Religion).*

BELAL, A - *Quelques problèmes du mouvement syndical marocain - Al-Moukafik,* ler Mai 1963.

BELGHITI, A - *Urbanisation et domination rurale : l'éxemple d'Azrou* - 1978.
Th.: Geogr.: Toulouse : 1978 *(Azrou).*

BELGUENDOUZ, A - *La Colonisation agraire au Maroc et ses méthodes de pénétration* - *R.J.P.E.M;* n° 4, 1978.

BELLAKHDAR, J - *Médecine traditionnelle et toxicologie ouest-sahariennes* : *contribution à l'étude de la pharmacopée marocaine* - Rabat, 1978 *(Pharmacopée marocaine).*

BELLAOUI, A - *Aït Ourir* - 1982
Th. 3e cycle : Géogr : Tours : 1982 *(Ait Ourir).*

BELLICHI, A - *Les Climats thermiques du Maroc Nord occidental* - 1983.
Th. 3e cycle : Géogr.: Aix-Marseille : 1983 *(climats).*

BENABID, A - *A propos de l'écologie des essences forestières du Sud Ouest australien méditerranéen* : *application au Maghreb* - *Ann. Rech. Forest. Mar.,* T. 24, 1984.

BENABID, A - *Les Ecosystèmes forestiers, préforestiers et présteppiques du Maroc* - *Forêt méditerranéenne,* T. VII, 1, 1985 - p. 53-64.

BENABOU, M - *La Résistance Africaine à la romanisation* - Paris, 1976 *(Resistance afr.).*

BENAIM, S.Y - *Les Pélerinages juifs des lieux saints au Maroc* - Casablanca, 1980 *(Pélerinages juifs).*

BENBAKKAL, M - *Le Mariage chez les Aït Hadiddou* - *Acad. Sc. Col.,* 21 Juin 1946 - p. 275-298.

BENCHEKROUN, M - *La Vie intellectuelle marocaine sous les Wattasides,* XIIIe-XIVe siècle - Fès, 1974 *(Vie intel. Wat).*

BEN DAOUD - *Recueil du Droit coutumier de Massat* - *Hesp.,* 4e trim., 1924 - p. 405-439.

BENEITEZ, V - *Abd-El-Krim y el pacto militar hispano-frances* - Tetuan, 1947 *(Pacto).*

BENJELLOUN, D - *La Médina d'Azemmour* : *une cité marocaine en péril* - 1978.
Mem. maitrise : Institut Geographie : Tours *(Azemmour)* .

BENRAMDANE, Z - *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles* : *essai de reconstitution de la civilisation musulmane* - 1987.
Th. 3e cycle : Histoire : Aix-Marseille I : 1987 *(Ceuta).*

BENSEDDIK , M - *Le Syndicalisme en marche* - Casablanca, 1952 (Mémoire) *(Synd.).*

BENTOLILA, F - *Grammaire fonctionnelle d'un parler-berbère* : *Aït Sghrouchen d'Oum Jeniba, Maroc* - Paris, 1981 *(Oum Jeniba).*

BERARD, V - *L'Affaire marocaine* : Le Maroc , *La France et le Maroc, l'accord franco-anglais, l'accord franco-espagnol, le désaccord franco allemand, les réformes* - Paris, 1906 *(L'Affaire maroc).*

BERARD, V. - *Les Phéniciens et l'Odyssée* - Paris, 1902 - 2 vol. *(Phéniciens).*
BERENGUER, Gl - *Campanas en el Rif y Yebala,* 1921-1922 : *notas y documentos de mi diario de operaciones* - Madrid, 1923 *(Rif y Yebala).*
BERENGUIER, A - *Le Syndicalisme marocain* - *C.A.A.* 1er trim. 1961.
BERGER, F - *Moha ou Hammou le Zaïani* : *un royaume berbère contemporain au Maroc,* 1877-1921 - Marrakech, 1929 *(Moha Ou Hammou).*

BERNARD, A - *Les Confins algéro-marocains* - Paris, 1911 *(Confins).*
BERNARD, A - *La Fontière algéro-marocaine* - *A.F,* 1908 - P. 205-216.
BERNARD, J - *Le Sang et l'histoire* - Paris, 1983.

BERNARD, M - *La Pacification du Maroc,* 1907-1934 - Paris 1936 *(Pacification).*

BERNUS, E - *Afarag* - *Ency. Ber,* - Aix-en-Provence, 1985 - T. 2 - p. 207.

BERQUE, J. - *Maghreb* : *histoires et sociétés* - Alger; Gembloux, 1974 *(Magh. hist. Soc.).*

BERQUE, J. - *Structures sociales du Haut-Atlas* - Paris, 1974 *(Structures).*

BERRAMDANE, A - *Le Maroc et l'occident,* 1800-1974 - Paris, 1987 *(Mar. occid.).*

BERRIANE, M - *Le Tourisme et la petite et moyenne ville au Maroc* - *in Petites villes et villes moyennes dans le monde Arabe* - Tours, 1987 - (U.R.B.A.M.A; fasc. 16 et 17).

BERRIAU, S - *Simone est comme ça* - Paris, 1973 *(Simone).*
BESNIER, M - *Géographie ancienne du Maroc* - *A.M.* I, 1904 - p. 301-365.

BESNIER, M - *Lexique de géographie ancienne* - Paris, 1964 *(Lexique géo.).*

BIARNAY , S - *Etudes sur les dialectes berbères du Rif* - Paris, 1917 *(Dial. Rif.).*

BIARNAY, S - *Notes sur les chants populaires du Rif* - *A.B,* I, 1915-1916.

BIBERSON, P - *Le Cadre paléogéographique de la préhistoire atlantique* - Rabat, 1961 - (P.S.A.M; XVI) *(Paléogéogr.).*

BIBERSON, - *Le Gisement de l'homme de Sidi Abderrah man* - *B.A.M,* I, 1956 - P. 38-92.

BIBERSON, P - *Le Paléolithique inférieur du Maroc atlantique* - Rabat, 1961 - (P.S.A.M; n° 17) *(Paléol. inf.).*

BLEUCHOT H - *Les Libéraux Français au Maroc,* 1947-1956 - Paris, 1973 *(Libéraux).*

BODIN, M - *La Zaouia de Tamegrout* - *A.B,* Vol. III, Fasc. A. 1918.

BOOKIN WEINER, J - EL MANSOUR, , éd. - *The Atlantic connection* - Rabat, 1988 *(Atlantic).*

BORDES, F - *Le Paléolithique dans le monde* - Paris, 1968 - (L'Univers des connaissances) *(Paléolith.).*

BOUE, H - CHANTON, R - *Biologie animale, zoologie* - Paris, 1962.

BOUHDIBA, A - *Les Arabes et les couleurs* - in *L'Autre et l'Ailleurs* - Paris : Berger-Levrault, 1976.

BOUKHRIS, F - *Le Verbe en tamazight : lexique et morphologie, parler des Zemmours* - 1986. Th. 3e cycle : Paris III-EPHE : 1986 *(Parler Zemmours).*

BOUKOUS, A - *L'Emigration des Soussi* - *B.E.S.M,* n° 15, 1977 - p. 71-90.

BOUKOUS, A - *Graphie, prosodie et interprétation* - *Tafsut,* n° 2, 1985.

BOUKOUS, A - *langage et culture populaire au Maroc* - Casablanca, 1977 *(Langage culture).*

BOUKOUS, A - *La littérature d'expression berbère* - in *Grande Encyclopédie du Maroc : culture, Arts et Traditions,* I - Rabat, 1987 - p. 143-148.

BOUNFOUR A - *Linguistique et littérature : étude sur la poésie orale marocaine* - 1985. Th.: Littérature : Paris III : 1985 *(poésie orale).*

BOUNFOUR, A - *Transformation et enjeux de la poésie berbère* - in *Nouveaux enjeux culturels au Maghreb* - Paris, 1986.

BOUQUEREL, J - *Le Port de Safi : de l'antiquité aux temps modernes* - *R.C.C.,* n° 35, Jan. 1969.

BOURDIEU, P - *Sociologie de l'Algérie* - Paris, 1974 *(Sociologie).*

BOURGUIGNON - *Renseignements sur la région du Tiznit* - Mémoire, 31.7.1913. Archives du Service Historique de l'Armée, Maroc, 3H581 Vincennes *(Tiznit).*

BOUSQUET, G.H - *Le Droit coutumier des Aïts Hadiddou des Assif Melloul et Isselaten : confédération des Aït Yafelmane* - *A.I.E.O. XIV,* 1956 - p. 113-229.

BOVILL, E.W - *Caravans of the Old Sahara : An introduction to the History of Western Sudan* - Oxford, 1933 *(Caravans).*

BOVILL, E.W - *The Golden trad of the Moors* - London, 1985 *(Golden).*

BRAITHWAITE, J - *The History of the Revolutions in the Empire of Morocco* - Reprint - London, 1969 *(Revolution).*

BREMARD, F - *L'Organisation régionale du Maroc* - Paris, 1949 - (C.C.E.J; 27) *(Organisations rég.).*

BRETHES, J - *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches nimismatiques* - Casablanca, 1939 *(Numismatiques).*

BRIGNON J, [et. al...] - *Histoire du Maroc* - Paris, 1967.

BRIVES, A - *Voyage au Maroc,* 1901-1907 - Alger, 1909 *(Voyage).*

BROOKS, L.A.E - *Memoir of sir John Drumond Hay* - London, 1896 *(Drumond Hay).*

BROWN, K - *An urban view of moroccan history : Salé,* 1000-1800 - *H.T,* XII, 1971, fasc. unique - P. 5-106.

BROWN, K.L - *People of Salé : tradition and change in a Moroccan city,* 1830-1930 - London, 1976 *(People).*

BRUNO, H - *Introductuction à l'étude du droit coutumier des Berbères du Maroc central* - *A.B,* Vol. 3, fasc. 4, 1918.

BRUNOT, H - *Notes sur le statut coutumier des berbères marocains* - *A.B,* I, fasc. 3 - 1915. 1916.

BRUNOT, L - *Aperçu historique sur la piraterie salétine* - *B.E.P.M,* 1923.

BRUNOT, L - *La Mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et à Salé* - Paris, 1921 - (Publ. Ecole Sup. de Langue Arabe et de Dial. Ber) *(Mer).*

BRUNOT, L - *Textes arabes de Rabat* - Paris, 1952 - 2 vol. *(Textes de Rabat).*

BURKE, E - *Prelude to Protectorate in Morocco : precolonial protest and resistance, 1860-1912 - Chicago, 1976 (Prelude).*

BURTOM, M - *Tous les mammifères d'Europe* - 2e éd. - Paris, 1976 *(Mam. Europe).*

CABELLO ALCARAZ, J - *Apuntes de geografia de Marruecos, con ligera, descripcion de Argelia, Tunez y las posesiones espanolas del Africa occidental* - Tetuan, 1951 *(Geo. Marruecos).*

CABRERA, A - *Los Grandes cetaceos del estrecho de Gibraltar : su pesca y exploitacion - Trab. del museo Sc. nat.: Série zoologica,* 52.

CADENAT, J - *Notes sur les cétacés observés sur les cotes du Sénégal de 1941 à 1948 - B.I.F.A.N,* XI.

CADI, K - *Système verbal rifain : forme et sens* - Paris, 1981 *(Système).*

CADI, K - *Le Verbe en Tarifit, Maroc-Nord : formes, structures et Valences* - 1987. Th. 3e cycle : Paris III - EPHE : 1987 *(Tarifit).*

GAGNAT, R - *L'Armée romaine d'Afrique* - Paris, 1912 *(Armée).*

CAILLE, J - *L'Abolition des tributs versés au Maroc par la Suède et le Danemark - Hesp.,* 3°-4° trim. 1958 - p. 203-238.

CAILLE, J - *Les Accords internationaux du Sultan Sidi Mohamed Ben Abdellah,* 1757-1790 - Paris, 1960 *(Accords).*

CAILLE, J - *Organisation judiciaire et procédure marocaine* - Paris, 1948 - (C.C.E.J; 25) *(Org. Jud.).*

CAILLE, J - *La Petite histoire de Rabat* - Préf. de Henri Terrasse - Casablanca, *(Hist. de Rabat).*

CAILLE, J - *Quelques renseignements sur le capitaine Erckman - Hesp.,* 1954, 1er-2e trim. - P. 131-145.

CAILLE, J - *Une mission de Léon Roches à Rabat en 1845* - Casablanca, 1947 - (P.I.H.E.E.M; 43) *(Léon Roches).*

CAILLE, J - *La ville de Rabat jusqu'au protectorat français* - Paris, 1949 - 3 vol. *(Rabat).*

CALVET, C - LEGOFF, Y - *Régimes pluviométriques au Maroc - Notes d'inf. tech.* n° 6.

CAMPBELL, A.A - NICHOLLS - *Guide de la faune et de la flore littorales des mers d'Europe* - Neuchatel, 1986 - *(Guide du naturaliste).*

CAMPS, G - *Afrag.* ville - *Enc. Ber.* - Aix-en Provence, 1985 - T. 2 - p. 207.

CAMPS, G - *Agadir - Enc. ber.,* I, 1976.

CAMPS, G - *Aux origines de la Berbérie : Massinissa ou les débuts de l'histoire* - Alger, 1960 *(Massinissa).*

CAMPS, G - *Berbères : aux marges de l'histoire* - Toulouse, 1980 *(Marges).*

CAMPS, G - *Les Civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara* - Paris , 1974 *(Civ. préh.).*

CARCOPINO, J - *Le Maroc antique* - Paris, 1943 *(Carcopino).*

CARNERO, I - *Vocabulario geografico Sahariano* - Madrid, 1955 *(Vocabulario).*

CARO BAROJA, J - *Estudios Saharianos* - Madrid, 1955 *(Estudios).*

CARETTE, E - *Recherches sur l'origine et les migrations des principales tribus de l'Afrique septentionale* - Paris, 1853 *(Migrations).*

CASTILLO - *La Guerra de Africa* - Madrid, 1861 *(Guerra).*

CASTRIES, H. de - *Les Corsaires de Salé - R.D.M,*1963.

CELERIER, J - *Chez les berbères du Maroc : de la collectivité patriarcale à la coopérative - Annales d'Hist. Eco. Soc.,* n° 39, mai 1936 - p. 217-273.

CELERIER, J - *Les Mouvements migratoires indigènes au Maroc - B.E.S.M.* 1934.

CELERIER, J - *La Transhumance dans le Moyen-Atlas - Hesp.,* 1er trim. 1927 - p. 53-68.

CENIVAL, P - LA CHAPELLE, F. de - *Possessions espagnoles sur la Côte occidentale d'Afrique : Santa-Cruz de Mar Pequena et Ifni - Hesp.,* 21, 1935 - p. 19-78.

CERVERA, J - *Expedicion al Sahara : de Rio de Oro a Iyil - Revista de Geografia Comercial,* II, n° 25-30, Julio-Sept. 1886.

CERYCH, L - *Européens et marocains, 1930-1956 : sociologie d'une décolonisation* - Bruge, 1964 *(Européen).*

CESAR, - *Guerre d'Afrique* - Texte établ. et trad. par A. Bouvet - Paris, 1949 *(Guerre d'Afrique).*

CHAKER, S - *Afrag - Afarag - Encyc. Ber* - Aix-en-Provence, 1985- T.2 - p. 206.

CHAKER, S - *Afus - Encycl. Ber.,* Tome 2 - p. 224.

CHAKER, S - *Un parler berbère d'Algérie, Kabylie : syntaxe* - Aix-en-Provence, 1983 *(Parler Kabylie)*.

CHAMI, M - *Un parler amazigh du Rif marocain : approche phonologique et morphologique* - 1979.
Th. 3e cycle : Paris V : 1979 *(Parler amazigh)*.

CHAPI, M - *L'Analyse de quelques cas de grandes familles du pouvoir au Maroc pendant le 19e siècle d'aprés l'œuvre de A. Ben Zidane* - 1974 - D.E.S : Histoire : Rabat : 1974 *(Grandes familles)*.

CHARON, M-ORTLIEB, L-PETIT-MAIRE, N - *Occupation humaine holocène de la région du Cap Juby, Sud Ouest marocain* - *B.N.S.A.P,* S, série X, serie XIII, 1973 - p. 379-412.

CHATELAIN, L - *Le Maroc des romains* - Paris, 1944 *(Maroc romains)*.

CHATELAIN, L - *Note sur les fouilles de Volubilis, Maroc* - *C.R.AI.B.L,* 1916 - p. 359-366.

CHATELAIN, L - *Travaux et recherches du Service des Antiquités du Maroc depuis 1919* - *C.R.A.I.B.L.,* 1922 - p. 28-31.

CHATELAIN, L - *Un groupe de bronze de Banasa* - *Hesp.,* 1937. 1er - 2e trim., t. 24 - p. 130-132.

CHENIER, L - *Journal du Consulat général de France au Maroc, 1767 - 1785* - Introd. par Charles Penz - Casablanca, 1943 *(Journal)*.

CHERBONNIER, G - *Le Roman des Echinodermes* - Paris, 1954.

CHOTTIN, A - *Corpus de musique marocaine* - préf. et note de Prosper Ricard - Paris, 1933 - 2 vol. *(Corpus)*.

CHOTTIN, A - *Tableau de la musique marocaine* - Paris, 1939 *(Tableau)*.

CHOUBERT, G - MARCAIS, J - *Le Quaternaire des environs de Rabat et l'âge de l'Homme de Rabat* - *C.R.A.S,* T. 224, 1947 - p. 1645-1647.

CHTATOU, M - *Aspects of the phonology of a Berber dialect of the Rif - 1982.*
Th.: Univ. London : 1982 *(Berber dialect)*.

CIGAR, N - *Société et vie politique à Fès sous les premiers Alawites,* 1660-1830 - *H.T,* 1978-1979 - p. 93-172.

CAHEN, D - *Les Langues chamito sémitiques* - in *Le Langage* - Paris, 1968 - *(La Pléiade)*.

COINDREAU, R - *Les Corsaires de Salé* - Préf. de Henri Bosco - Paris, 1948 - (P.I.H.E.M, 47) *(Corsaires)*.

COLIN, G.S - *Afrag* - *E.I²*. - Paris, 1960 - I.P. 243.

COMISION HISTORICA DE LAS CAMPANAS DE MARRUECOS - *Geografia de Marruecos* - Madrid, 1935-1947 - 3 vol. *(Geografia)*.

COULEAU, J - *La Paysannerie marocaine* - Paris, 1969 - (C.R.A.M) *(Paysannerie)*.

COLIN, G-S - *Origine arabe des grands mouvements de populations berbères dans le Moyen-Atlas* - *Hesp.,* XXV, 2e-3e trim. 1938 - P. 265-268.

COMBE, M- FERRE, M- THAUVIN, J-P - *Méseta centrale et méseta côtière* - Rabat, 1975 - 2 vol. *(Meseta cent. côt)*.

CORJON, F - *Le Mariage collectif dans les tribus berbères du Maroc central* - *B.E.P.M,* n° 119, mars 1932 - p. 116.

COUR, A - *La Dynastie marocaine des Beni-Wattas, 1420-1554* - Paris, 1920 *(Beni - Wattas)*.

COUVREUR, G - *La Vie pastorale dans le Haut Atlas Central* - *R.G.M* n° 13, 1968.
*Croquis de la région de Melilla* - Madrid, 1921.

CUENOT, L - *Echinodermes, stomocordes, Procordes* - in *GRASSE, P.P.* - *Traité de zoologie* - Paris, 1948 - II vol.

CUNTZ, O - *Itineraria Romana I. Itiniraria Antonini Augusti et Burdigalense* - Leipzig, 1929 *(Itineraria)*.

DAMES, J - *U.S - Arab relations : the Moroccan dimension* - Washington, 1986 *(Arab relation)*.

DAMIS, J - *Les Relations des Etats-Unis avec le Maroc* - *Maghreb-Machrek,* n° 111, Jan-fév. - mars 1986 - p. 5-23.

DAN, P - *Histoire de la Barbarie et de ses corsaires* - Paris, 1649 *(Barbarie)*.

DAREMBERG, C - SAGLIO, F - *Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines* - Paris, 1873-1919 *(Ant. grecques)*.

DARLET, J - *Monographie d'Azemmour* - Rabat, 1950 *(Monogr.)*.

DEBENATH, A - *Découverte d'une mandibule humaine antérieure à El Harhoura* - *B.A.M*, XII, 1979-1980 - p. 1-2.

DEBENATH, A - [et al...] - *Mission préhistorique et paléontologique française au Maroc : rapport d'activités* - 1981-1982.

DECRET, F - FANTAR, M - *L'Afrique du Nord dans l'antiquité : des origines au Ve siècle* - Paris, 1981 *(Afr. Nord Ant.).*

DECROUX, P - *Les Sociétés au Maroc, zone française, zone tangéroise, statut juridique et fiscal* - Paris, 1950 *(Sociétés).*

DEKEYSER, P.L - *Les Mammifères de l'Afrique noire française* - Dakar, 1955 *(Mam. Afr. Noire).*

DELAFOSSE, M - *Les Relations du Maroc avec le Soudan à travers les âges* - *Hesp.*, 1924 - p. 153-174.

DELBREL, G - *EL pretendiente y sus harcas en el nordeste marroqui, 1902-1908* - Tanger, 1903 *(Pretendiente).*

DELEGACION DE ASUNTOS INDIGENAS - *Familias ilustres de Tetuan* - Tetuan, 1921 *(Familias).*

DELIBRIAS, G - ROCHE, J - *Datations absolues de l'épipaléolithique marocain* - B.A.M, X, 1976 - p. 11-24.

DELPHIN, G - *Histoire des Pachas d'Alger de 1515 à 1745; extrait d'une chronique indigène* - *J.A*, 11,19, 1922 - p. 161-233; 1925- p. 1-15.

DEPONT, O - COPPOLANI, X - *Les Confréries religieuses musulmanes* - Alger, 1897 *(Confréries).*

DERKAOUI, C - *Etude du verbe et de ses modalités dans le dialecte tachelhit* - 1986 - Th. 3e cycle : Paris V : 1986 *(Verbe).*

DERMENGHEM, E - *Le Culte des saints dans l'Islam maghrébin* - Paris, 1954 *(Culte).*

DESANGES, J - *Anatis* - *Enc. Ber.*, II - p. 633.

DESANGES, J - *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil* - Dakar, 1962 *(Catalogue).*

DESANGES, J - *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique* - Rome, 1978 *(Activités med.).*

DESMAZIERES, B - *Imouzzer du Kandar : problèmes d'équipement d'une station d'estivage* - *B.E.S.M*, 1952.

DESPOIS, J - RAYNAL, R - *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest* - Paris, 1965 *(Géographie).*

DESTAING, E - *Vocabulaire français-berbère : étude sur le Tachelhit du Sous* - Paris, 1938 *(Vocabulaire).*

DEVERDUN, G - *Inscriptions arabes de Marrakech* - Rabat, 1956 *(Inscriptions).*

DEVERDUN, G - *Marrakech des origines à 1912* - Rabat, 1959 *(Marrakech).*

DEVISSE, J - *Routes de commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la Méditerranée : un essai sur le commerce africain médiéval du XIe au XVIe siècle* - *R.H.E.S*, L, 1-3, 1972- p. 357-397.

DIEULAFOY, J - *Isabelle la Grande* - Paris, 1921 *(Isabelle).*

*Documentos presentados a las cortes en la legislatura de 1907-1908, por el Ministro de Asuntos de Marruecos* - Madrid, 1908 *(Las Cortes, 1907-1908).*

*Documents diplomatiques : Affaires du Maroc, 1901-1912* - Paris, 1905-1913 - 6 vol. *(Documents dipl.).*

*Documents inédits d'histoire almohade* - Publ. et trad. avec une introd et des notes par E. Levi-Provençal - Paris, 1928 *(Doc. inédits).*

DOMENECH LAFUENTE, A - *Algo sobre Rio de Oro* - Madrid, 1949 *(Rio De ORO).*

DOMENECH LAFUENTE, A - *Del territorio de Ifni* - Madrid, 1946 *(Territorio).*

DOMENECH LAFUENTE, A - *Geografia de la zona norte del protectorado de Espana en Marruecos* - [s.l.], 1930 *(Zona norte).*

DOMINELLI, C - *Ski dans le Haut Atlas de Marrakech* - Andorre, 1984 *(Ski).*

DORST, J - DANDELOT, P - *Guide des grands mammifères d'Afrique* - Neuchatel; Paris, 1973 *(Mammifères d'Afrique).*

DOUTTE, E - *Des moyens de développer l'influence française au Maroc - 1ère partie : Analyse des moyens généraux d'influence* - Rapport à MR le Gouverneur Général d'Alger - Paris, 1900 *(Influence).*

DOUTTE, E - *En Tribu* - Paris, 1914 *(Tribu).*

DOUTTE, E - *L'Organisation domestique et sociale chez les Haha : Contribution à la sociologie marocaine* - *A.F.R.C,* N° 1, Han. 1905- p. 1-16.

DOZY, R - *Supplément aux dictionnaires arabes* - Beyrouth, 1981 - 2 Vol. *(Dictionnaires).*

DOZY, R - *Histoire des musulmans d'Espagne* - Leyde, 1981 - 3 Vol. *(Hist. mus. Esp.).*

DOZY, R - GOEJE, M. de - *Description de l'Afrique et de l'Espagne par Edrissi* - Leyde, 1986 *(Afrique - Espagne).*

DRAGUE, G - *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc : confréries et zaouias* - Paris, 1951 - (Cahiers de l'Afrique et de l'Asie; 2) *(Esquisse).*

DRESCH, J - *Documents sur les genres de vie dans le massif central du Grand Atlas* - Tours, 1941 *(Genres de vie).*

DRESCH, J - *Le Massif du Toubkal : guide alpin* - Rabat, 1938 *(Toubkal).*

DRESCH, J - *Migrations pastorales dans le Haut Atlas calcaire : régions de Demnate et d'Ouaouizarht* - *in Mélanges géographiques Arbos* - Paris, 1953 - 2 Vol.

*Les Droits de l'homme et l'éducation* : Actes du congrés du centenaire de l'Alliance Israélite Universelle - Paris, 1961 *(Droit de l'homme).*

DROUIN, J - *Un cycle oral hagiographique dans le Moyen - Atlas marocain* - Paris, 1975 *(Cycle oral).*

DURAND, E - *Traité de droit public marocain* - Préf. de Henri Terrasse - Paris, 1955 - (C.C.E.J; 46) *(Droit pub. mar.).*

DURETTE-DESSET, M.C - FOREST, M.J - FRANC, M.A - *Les Céphalopodes* - *Alpha,* fasc. 29 - p. 180-187.

EL-ALOUI, A - *Le Maghrib et le Commerce transsaharien, milieu de XV, milieu du XVI* - 1983. Th. 3e cycle : Histoire : Bordeaux : 1983 *(Maghrib commerce).*

ELGEY, G - *Histoire de la Quatrième République* - Paris, 1965-1968 - 2 vol. - (Les Grandes études contemporaines) *(Quatrième Republique).*

EL HAJRAOUI, M-A - *Les Industries préhistoriques de la région de la Mamora dans leur contexte géologique et paléopédologique* - 1985 3e cycle : Histoire : Bordeaux I : 1985 *(Ind. préh).*

EL MANSOUR, M - *Political and social development in Morocco under the reign of Mawlay Suleyman, 1792-1822-1981.*
Ph. D : Histoire : London : 1981 *(My. Suleyman).*

EL MEDLAOUI, M - *Segments et syllabation dans le parler techelhit d'Imdlawn* - 1985.
Th. 3e cycle : Paris VIII : 1985 *(Segments).*

EL MOUJAHID, E - *La Classe de nom dans un parler de la langue tamazight : le techlhit d'Igherm, Souss, Maroc* - 1981.
Th. 3e cycle : Paris V : 1981 *(parler d'Igherm).*

EL YOUSFI, M - *La Dégradation forestière dans le sud marocain : éxemple de l'arganeraie d'Admine, Souss, entre 1969 et 1986* - 1988 Mém. 3e cycle forestier : IAV : Rabat : 1988 *(Degr. Forest.).*

EMBERGER, L - *Les Arbres du Maroc et comment les reconnaitre* - Paris, 1938 *(Arbres du Maroc).*

ERCKMANN, J - *Le Maroc moderne* - Paris, 1885 *(Mar. mod.).*

ERLANGER, R.d' - *La Musique arabe* - Paris, 1930-1959 - 6 vol. *(Mus. orale).*

ET-TABYI - *Miscellanea marroqui* - Tetuan, 1953 *(Misc. Marroq).*

EUSTACHE, D - *Corpus des monnaies Alawites* - Rabat, 1984 - 3 vol. *(monnaires Alawites).*

EUSTACHE, D - *Etudes de numismatiques et de métrologie musulmanes H.T,* Vol. X, fasc. 1-2, 1969 - p. 95-189.

EUZENNAT, M - *L'Archéologie marocaine de 1955 à 1957* - *B.A.M,* II, 1957 - p. 199-229.

EUZENNAT, M - *Grecs et orientaux en Maurétanie tingitane* - *Ant.Afr.,* V, 1971- p. 161-178.

EUZENNAT, M - *Les Voies romaines du Maroc dans l'Itinéraire Antonin* - in *Hommages à Albert Grenier* - Bruxelles, 1962 - p. 595-610 - Latomus n° 58).

FARMER, H.G. - *History of Arabian music* - London, 1929 *(Music).*

FAUJAS, M - *La Frontière algéro-marocaine - 1906.*
Th. Grenoble : 1906 *(Frontière).*

FEREMBACH, D - *L'Ancêtre de l'homme du paléolithique supérieur était-il un néanderthalien* - in *Acte du colloque de l'UNESCO* - Paris, 1972 - p. 73-80.

FEREMBACH, D - *Les Iberomaurusiens du Maghreb : origine et évolution - Revue anthropologique,* 1974 - p. 221.

FEREMBACH, D - *Les Hommes du paléolithique supérieur autour du bassin méditerranéen - L'Anthropologie,* T. 90, n° 3, 1986 - p. 579-589.

FEREMBACH, D - D'ASTUGUE, J - POITRATTAGOWLA, M.J - *La Néocropole épipaléolithique de Taforalt, Maroc oriental : étude des squelettes humains* - Casablanca, 1962 *(Squelettes).*

FERNANDES, V - *Description de la cote d'Afrique de Ceuta au Sénégal, 1506-1507* - Trad. P. de Cenival, Th. Monod - Paris, 1938 *(Ceuta - Sénégal).*

FERRO, M - *L'Histoire sous surveillance* - Paris, 1985.

*Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche atlantique Centre Est. Céphalopodes* - Ottawa, 1981.

FLAMAND, P - *Un mellah en pays berbère : Demnate* - Paris, 1952 - (P.I.H.E.M : N.D; X) *(Mellah Demnate).*

FLORES, A - *El Sahara Espanol* - Madrid, 1946.

FLOURNEY, F.F - *British policy towards Morocco in the age of Palmerston, 1830-1865* - London, 1935 *(Palmerston).*

FOSSET, R - *Le Reseau urbain des bas-plateaux atlantiques moyens* - Tours, 1977 *(Réseau urbain).*

FOSSET, R - *Société rurale et organisation de l'espace : les bas plateaux atlantiques du Maroc moyens* - 1978 - 2 vol.
Th.: Geogr.: Montpellier III : 1978 *(Bas plateaux).*

FOSSET, R - *Un exemple régional du sous-développement au Maroc : les Doukkala - I.G,* n° 1, 1967 - p. 34-41.

FOUCAULD, Ch. de - *Dictionnaire touareg - français* - Paris, 1952 - 4 vol. *(Dict. touareg).*

FOUCAULD, Ch. de - *Reconnaissance au Maroc, 1883-1884* - Paris, 1988 *(Reconnaissance).*

FOUGEROLLES, A - *Le Haut Atlas Central : guide alpin* - Casablanca, 1982 *(Guide alpin).*

FOURNEL, H - *Les Berbers* - Paris, 1875 - 2 vol.

FOUROUT, M - *Vers une organisation de l'espace rural dans les Doukkala - R.G.M,* n° 8, 1965 - p. 75-82.

FREZOULS, E - *Les Baquates et la province romaine de Tingitane - B.A.M.* II, 1957 - p. 65-116.

FUCHS, J - *Evolution d'un grand commandement marocain : le Caïd Mtouggui.* Mémoire C.H.E.A.M. *(Mtouggui).*

GABRIELLI, L - *Abd-El-krim et les événements du Rif* - Casablanca, 1953 *(Abd-El-Krim).*

GAILLARD, H - *La Réorganisation du gouvernement marocain - A.F : R.C,* 1916 - p. 153-170.

GALAND L - *Continuité et renouvellement d'un système verbal : le cas du berbère - Bull. Soc. Ling.,* 72, 1, 1977 - p. 275-303.

GALAND, L - *L'Enoncé verbal en berbère : étude des fonctions - cahiers de Ferdinand de Saussure,* n° 21, 1956 - p. 33-53.

GALAND L - *Etat et procés : les verbes de qualité en berbère - Hesp.,* 1955 - p. 245-251.

GALAND-PERNET, P - *Littérature orale et représentation du texte : les poèmes berbères traditionnels - Etude de littérature ancienne,* Vol. 3, 1985 - p. 107-118.

GALAND-PERNET, P - *Le Poème oral et ses marges : prologues berbères - Lalies* : Actes des sessions de linguistique et de littérature, 1985.

GALAND-PERNET, P - *Recueil des poèmes chleuhs. I : Chants de trouveurs* - Paris, 1972 *(Trouveurs).*

GALAND-PERNET, P - *Un schème grillé de la poésie berbère : étude de motif des métamorphoses dans les poèmes chleuhs - Word,* Vol. 25, n° 1-3- p. 120-130.

GALLAGHER, Ch. F - *The United States and North Africa : Morocco, Algeria and Tunisia - Cambridge, Mass., 1963. (U.S - North Africa).*

GALLEGO RAMOS, E - *La Campana del Rif, 1909* - Madrid, 1909 *(Campana).*

GALLISOT, R - *Le Patronat européen au maroc, 1931-1942* - Rabat, 1964 *(Patronat).*

GARCIA FIGUERAS, T - *Marruecos : la accion de Espana en el Norte de Africa* - Barcelone, 1939 *(Marruecos).*

GARCIA FIGUERAS, T - *Miscelanea de estudios africanos* - Larache, 1947-1953 - 3 vol. *(Misc. est.).*

GARCIA FIGUERAS, T - *Recuerdos centenarios de la guerra de Africa* - Madrid, 1961 *(Recuerdos).*

GARCIA FIGUERAS, T - *Santa cruz de Mar Pequena, Ifni, Sahara* - Madrid, 1941 *(Santa Cruz).*

GATTEFOSSE, J - *Juifs et chrétiens du Dra avant l'Islam* - *B.S.P.M,* n° s 3-4, 3e-4° trim. 1935-1936.

GATELL, J - *Description du Sous* - *B.S.G,* I, 1871 - p. 81-106.

GATELL, J - *L'Oued-Noun et le Tekna à la côte occidentale du Maroc* - *B.S.G,* XVIII, 1869 - p. 257-287.

GATELL. J - *Viajes por Marruecos : El Sus, Uad Nun y Tekna* - *Memorias de la Sociedad de Geografia,* I, 1877.

GAUDIO, A - *Maroc du Nord* - Paris, 1981.

GAUDIO, A - *Sahara espagnol : fin d'un mythe colonial* - Paris, 1978 *(Mythe colonial).*

GAUTIER, E.F - *Les Siècles obscurs du Maghreb* - Paris, 1927 *(Siècles).*

GELLNER, E - *The Saints of the Atlas* - London, 1969 - (The nature of human society series) *(The Saints).*

GENTIL, L - *A travers l'Anti-Atlas et les déserts du Dra* - *A.F,* mars 1924.

GERENTON, E - *Les Expeditions de Moulay El Hassan dans le Sous* - *A.F : R.C,* n° 9, 1924.

GHIRELLI, A - *El Norte de Marruecos* - Mellila, 1902 *(Norte).*

GIGOUT, M - *Etude sur la meseta marocaine occidentale* - Rabat, 1951 - (Trav. Inst. Sc. Cher.) *(Meseta mar.).*

GILLET, B - *Histoire du sport* - Paris, 1949 - (Que sais-je ? 337).

GODARD, L - *Description et histoire du Maroc* - Paris, 1860 *(Description).*

GODED, - *Marruecos : Las étapas de la pacificacion* - Madrid, 1932. *(Pacification).*

GOIS, D. de - *Les Portugais au Maroc de 1495-1521* - Trad. R. Ricard - Paris, 1937 *(Les Portugais au Maroc).*

GORDILLO OSUNA, M - *Geografia urbana de Ceuta* - Madrid, 1972 *(Geo. Urbana).*

GOUVION, J et M - *A^cayan al-Maghrib al-Akça : esquisse générale des Moghrebs, de la genèse à nos jours et Livre des grands du Maroc* - Paris, 1939 *(A^cayan al-Maghrib).*

GOZALBES BUSTO, G - *La Republica andaluza de Rabat en el siglo XVIII* - Granada, 1974 *(Rep. and.).*

GRANDVAL, G - *Ma mission au Maroc* - Paris, 1956 *(Mission).*

GRUNER, R - *Du Maroc traditionnel au Maroc moderne* - Paris, 1984.

GSELL, S - *Connaissances géographiques des grecs sur les côtes africaines de l'Océan : études sur l'afrique antique* - *Scripta Varia,* 1981 - p. 175-194.

GSELL, S - *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord* - Paris, 1914-1928-8 vol. *(Afr. Nord. anc.).*

GUEDIRA, A.R - *Hassan II et la C.E.E : géopolitique* - *Revue de l'Inst. Inst. de Geopol.,* n° 10, 1985.

GUERSSEL, M - *Glides and sillabicity in Berber* - *Linguistic Inquiry,* 17,1986 - p. 1-12.

GUERSSEL, M - *Issues in Berber phonology* - 1977.
Ph. D : Washington : 1977 *(Berber phon.).*

GUETTAT, M - *La Musique classique du Maghreb* - Paris, 1980 *(Musique clas.).*

GUILLAUME, A - *Les Berbères marocains et la pacification de l'Atlas Central, 1912-1913* - Paris, 1946 *(Pac. Atlas).*

GUILLEN, P - *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905* - Paris, 1967 *(Allemagne Maroc).*

GUILLEN, P - *Les milieux d'affaires français et le Maroc à l'aube du XXe siècle* - *R.H,* Avril-Juin 1963 - p. 397-422.

GUILLEN, P - *La Résistance du Maroc à l'emprise française au lendemain des accords franco-anglais d'avril 1904* - *R.O.M.M,* 1970.

HALL, L - *The United States and Morocco, 1776-1956* - Metuche, N.J, 1971 *(US - MOROCCO).*

HALSTEAD, J - *Rebirth of a nation : the Origins and Rise of Moroccan nationalism, 1912-1944* - Cambridge, (Mas), 1967 - (Harvard Middle eastern monographs, XVIII) *(Rebirth).*

HAMMOUDI, A - *Sainteté, pouvoir et société : Tamegrout aux XVII et XVIIIe Siècles* - *A.E.S.C,* n° 3-4, mai-Août 1980.

HANAKA, O - *Taroudant et Oulad Taïma : deux pôles urbains du Sous* - 1987.

Th. 3e cycle : Geogr.: Tours : 1987 *(Taroudant).*

HARRIES, M-J - *Syntactic structure of Tamazight* - 1971 PH. D : California : 1971 *(Syntatic).*

HARRIS, W.B - *Le Maroc disparu : Anecdotes sur la vie intime de Moûlay Hafid, de Moulay Abdel-Aziz et de Raissouli* - Trad. de l'anglais par Paul Odinot, préf. du Gal Gouraud, intr, de Michaux-Bellaire - Paris, 1929 *(Maroc disparu).*

HART, D.M - *Segmentary Systems and the role of the five fifths in tribal Morocco* - *R.O.M.M,* n° 3, 1er sem. 1967 - p. 65-96.

HARTNER, W - *Asturlab* - *E.I2,* I - p. 744-749.

HASSAN II - *Le Défi* - Paris, 1976.

HASSAN, T - *La Musique arabe : les traditions musicales* - Paris, 1977. *(Musique ar.).*

HEBAZ, B - *L'Aspect en berbère tachelhiyt, Maroc : parler de base : Immi, Marrakech-Ouarzazate* - 1979.
Th. 3e cycle : Paris V : 1979 *(Immi).*

HENRY, R - *Où se trouvait la Zaouia de Dilâ ?* - *Hesp.,* 1944, fasc. unique - p. 46-54.

HERAUTE, S - *Les Conditions de l'occupation espagnole à Ifni* - *A.F,* Juin 1934 - p. 338-341.

HERNANDEZ DE HERRERA, C - GARCIA FIGUERAS, T - *Accion de Espana en Marruecos* - Madrid, 1929-1930 - 2 vol. *(Accion Espana).*

HERNANDEZ-PACHECO, F - *Caractéristicas generales geografico-geologicas del territorio de Ifni* - *A.I.E.A,* X, n° 45.

HERODOTE - *Histoire* - texte établi et trad. par Ph. Le Grand - Paris, 1946.

HERZENNI, A - *L'Ounain : modes d'utilisation des eaux d'irrigation et rapports sociaux* - *B.E.S.M,* n° 159-160 - p. 85 - 110.

HESS, J - *La Question du Maroc* - Paris, 1903. *(Question).*

*Historia de las campanas de Marruecos* - Madrid, 1947-1981 - 4 vol. *(Campanas).*

HOPKINS, J.F.P - *Letters from Barbary,* 1576-1774 - London, 1982 *(Letters).*

HOSOTTE-REYNAUD, M - *Identification d'un des astrolabes de la Mosquée des Andalous* - *Hesp.,* 1er 2e trim. 1957 - p. 128.

HUGUES, E - MIEGE, J.L - *Les Européens à Casablanca au XIXe siècle,* 1856-1906 - Paris, 1954 *(Européens Casa).*
HUICI MIRANDA, A. - *Un fragmento de Ibn Idari sobre los Almoravides* - *H.T,* 1961, vol, 2: Fasc. 1.

HUNWICK, J-O - *A new source for the biography of Ahmad Baba al-Tinbukti* - *B.S.O.A.S,* XXVII, 1964 - p. 568-593.

HUNWICK, J.O - *Ahmad Baba and the Moroccan invasion of the Sudan,* 1591 - *J.H.S.N,* Vol. 2, n° 3 - p. 311-328.

HUNWICK, J.O - *Further light on Ahmad Baba al-Tinbukti* - *Research Bulletin,* (Centre of Arabic Documentation, Institute of African Studies), Vol. 2, n° 2, 1966 - p. 19-30.

HURE, A - *La Pacification du Maroc : dernière étape, 1931-1934* - Paris, 1952 *(Pacification du Maroc).*

HUYGUE, G - *Dictionnaire Chaouia, Arabe, Kabyle et Français* - Alger, 1907 *(Dict. Chaouia).*

IBN AZZUZ HAKIM, M - *Apellidos Tetuanies de Origen espanol* - Tetuan, 1949 *(Apellidos).*

IBN AZZUZ HAKIM, M - *Repertorio diplomatico marroqui* - Rabat, 1961.

IBN KHALDOUN - *L'Histoire des Berbères* - Trad. M. de Slane - Paris, 1978 *(Berbères).*

IDRISS. H.R. - *La Berbérie orientale sous les zirides* - Paris, 1962 - 2 vol. *(Berberie orientale).*

AL-IDRISI, A-M - *Opus geographicum :* sive Liber ad eorum delectationem qui terras peragrare studeant - consilio et auctirate E. Ceru lli, F. Gabrieli, [et al...] - Naples, 1982 - 9 vol. *(Opus).*

JACKSON, J.G. - *Account of the Empire of Morocco and the districts of Suse and Tafilalet* - London, 1968 *(Districts of Suse).*

JACQUES-MEUNIE, Dj - *Greniers citadelles du Maroc* - Paris, 1951 (Greniers).

JACQUES-MEUNIE, Dj - *Hiérarchie sociale au Maroc présaharien* - *Hesp.,* 3e - 4e trim. 1958 - p. 239-269.

JACQUES-MEUNIE, D - *Le Maroc saharien des origines au XVIe siècle* - Paris, 1982 - 2 vol. *(Maroc Saharien).*

JACQUES-MEUNIE, D - *La Nécropole de Foum el-Rjam : tumuli du Maroc présaharien* - *Hesp,.* 1e-2e trim. 1958 - p. 95-142.

JACQUES MEUNIE, Dj - *Les Oasis des Lektaoua et des Mehamid : Institutions traditionnelles des Draoua* - *Hesp.*, 3e-4e trim. 1947 - p. 397-430.

JAEGER, J.J - *Découverte d'un crane d'hominidé dans le pleistocène moyen du Maroc* - in *Colloque international Evolution des vertébrés* - Paris, 1974.

JAHANDIEZ, E - MAIRE, R. [et al...] - *Catalogue des plantes du Maroc* - Alger, 1931-1934 - 3 vol. *(Cat. plantes).*

JARCY, S - *La Musique arabe* - Paris, 1977 *(Musique).*

JAUBERT, P.A - *Geographie d'Edrissi,* trad. de l'arabe en français... - Paris, 1836-40 - 2 vol.

JEAN-LEON L'AFRICAIN - *Description de l'Afrique* - Trad. de l'italien par A. Epaulard, annot, par A. Epaulard, Th. Monod, H. Lhote et R. Mauny - Paris, 1956 - 2 vol. *(Descript. Afrique).*

JEANNAU, L - *Mutation récentes des campagnes du Moyen Atlas et de ses bordures* - *Médit.*, n° 4, 1986.

JEBBOUR, A - *Processus de formation du pluriel nominal et tamazight, tachelhit de Tiznit : Approche non concatenative* - 1988. D.E.S : Rabat : 1988 *(Tachelhit Tiznit).*

JODIN, A - *Volubilis : Regia Jubae : contribution à l'étude des civilisations du Maroc antique préclaudien* - Paris, 1987 *(Volubilis).*

JOLY, F - *Etudes sur le relief dans le Sud-Est marocain* - Rabat, 1962 - (Trav. Inst. Sc. : Geol. et Geogr. phys.; n° 10) *(Relief S-E).*

JORDIN, A - *Dictionnaire berbère-français* - Rabat, 1934 *(Dict. berb. fra.).*

JOUAD, H - *Les Eléments de versification en berbère marocain tamazight et tachalhit* - 1983. Th. 3e cycle : Paris III : 1983 *(Versif. berb.).*

JOUAD, H - *La Matrice rythmique : fondement caché du vers* - *Etudes et Documents berbères,* n° 3, 1987 - p. 47-59.

JOUAD, H - *Mètres et rythmes de la poésie orale en berbère marocain : la composante rythmique* - *Cahiers de poétique comparée,* n° 12, 1986 - p. 103-127.

JOUAD, H - *Les Règles métriques dans la poésie berbère* - *Cahiers de poétique comparée,* III, 1 1977 - p. 25-29.

JOUAD, H - LORTAT-JACOB, B - *Les Modèles métriques dans la poésie de tradition orale et leur traitement musical* - *Revue de musicologie,* vol., 68, 1-2, 1982 - p. 174-197.

JOUANNET, P - *Le Syndicalisme au Maroc* - *R.P.P.,* Jan. 1955.

JUIN, A - *Le Maghreb en feu* - Paris, 1957 *(Magh. feu).*

JUIN, A - *Mémoires* - Paris, 1959-1960 - 2 vol. - (Les Grandes études contemporaines).

JULIEN, Ch. - A. - *Histoire de l'Afrique du Nord : Tunisie, Algérie, Maroc* - Ed. revue en 1951 par Christian Courtois et Roger le Tourneau - Paris, 1951 - 2 vol. *(Hist. Afr. Nord).*

JULIEN, Ch.- A. - *Histoire de l'Algérie contemporaine* - Paris, 1964 *(Algerie cont.).*

JULIEN, Ch. - A. - *Le Maroc face aux impérialismes,* 1945-1956 - Paris, 1978 *(Maroc impérialismes).*

JULY, P. - *Une République pour un Roi* - Paris, 1974 - (Les Grandes études contemporaines).

JUSTINARD, L - *Les Aït Ba Amrane* - Paris, 1930 - (Villes et tribus du Maroc; Vol. 8) *(Aït Ba Amrane).*

JUSTINARD, L - *Le Caïd El Goundafi* - Casablanca, 1952 *(Goundafi).*

JUSTINARD, L - *Notes d'histoire et de littérature berbères* - *Hesp.,* 2e trim. 1925 - p. 227-238.

JUSTINARD, L - *Notes sur l'histoire du Sous au XVIe siècle* - *A.M,* 1933 - 230 p. *(Sous, 16e S.).*

JUSTINARD, L - *Notes sur l'histoire du Sous au XIXe siècle* - *Hesp.,* 1925 - p. 265-276; 1926 - p. 351-364 *(Sous, 19e S.).*

JUSTINARD, L - *Un petit royaume berbère : le Tazeroualt : un saint berbère Sidi Ahmed Ou Moussa* - Paris, 1954 - (IHEM : N.D; 15) *(Le Tazeroualt).*

KABLY, M - *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen Age* - Paris, 1986 *(Maroc moyen âge).*

KARPATI, J - *Mélodie, vers et structure strophique dans la musique berbère du Maroc central* - *Studia Musicologia* (Budapest), I, 3-4, 1961 - p. 451-473.

KENBIB, M - *Les Protections étrangères au Maroc, 19e début 20e siècle - 1980.*
Th.: Histoire : Paris : 1980 *(Protections).*

KHANEBOUBI, A - *Les premiers sultans Mérinides,* 1929-1331 - Paris, 1987 *(Sultans mérinides).*

KOEHLER, H - *L'Eglise Chrétienne du Maroc et la Mission Franciscaine, 1221-1790 - Paris, 1934 (Eglise chrét.).*

KRAMERS, J-M - *La littérature géographique classique des musulmans - Analecta Orientala,* n° 2, 1956 - p. 172-204.

LA CASINIERE, H. de - *Les Municipalités marocaines : leur développement, leur législation* - Casablanca, 1924 *(Municipalités).*

LA CHAPELLE, F. de - *Esquisse d'une histoire du Sahara occidental - Hesp.,* XI, 1930, Fasc. I-II - p. 35-95.

LA CHAPELLE, F. de - *L'Expédition de Suetonius Paulinus dans le Sud-Est du Maroc - Hesp.,* XIX, 1934, Fasc. I-II - p. 107-124.

LA CHAPELLE. F. de - *Le Sultan Moulay Ismaïl et les berbères Sanhaja au Maroc central - A.M,* XXVIII, 1931 - p. 7-64.

LA CHAPELLE, F. de - *Les Tekna du Sud marocain - A.F,* 1934.

LA CHAPELLE, F. de - *Un grand Caïdat du Sud marocain - A.F : R.C,* Oct. 1927 - p. 372-386.

LACOUTURE, J et S - *Le Maroc à l'épreuve* - Paris, 1958 *(Maroc épreuve).*

LAGARDERE, J.P - *Les Crevettes des côtes du Maroc* - Rabat, 1971 - (Trav. Inst. Cherif) *(Crevettes).*

LA MARTINIERE, H. de - *Notes sur les ruines de Ad Mercuri - B.C.T.H,* 1889.

LA MARITINIERE, H. de - LACROIX, N - *Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain* - Alger, 1894-1897 - 4 vol. *(Doc. Nord-Ouest).*

LAOUINA, A - *Le Maroc nord-oriental : reliefs, modelés et dynamique du calcaire* - 1987. Th.: Géogr.: Paris I : 1987 *(Maroc Nord-Orient.).*

LAOUST, E - *Chants berbères contre l'occupation française* - in *Mémorial Henri Basset* - Paris, 1928 - p. 9-20.

LAOUST, E - *Contribution à une étude sur la toponymie du Haut Atlas - R.E.I,* 1939, Cahiers, 3-4 - p. 201-312; 1940, Cahiers 1-2 - p. 27-73 *(Toponymie).*

LAOUST, E - *Cours de berbère marocain* : *Dialecte du Maroc central* - Paris, 1928 *(Cours).*

LAOUST, E - *L'Habitation chez les transhumans du Maroc central* - Paris, 1935 - (Hespéris, VI) *(Habitation).*

LAOUST, E - *Mots et choses berbères : notes de linguistiques et d'ethnographie, dialectes du Maroc* - Paris, 1920 *(Mots et choses).*

LAOUST, H - *Essai sur les doctrines sociales et politiques d'Ibn Taimiya* - Le Caire, 1939 *(Ibn Taimiya).*

LAOUST, H - *La Profession de foi d'Ibn Batta* - Damas, 1958 *(Ibn Batta).*

LAREDO, A.I - *Les Noms des Juifs au Maroc : essai d'onomastique judéo-marocaine* - Madrid, 1978 *(Noms de juifs).*

LAROUI, A - *Islam et modernité* - Paris, 1987.

LAROUI, A - *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain,* 1830-1913 - Paris, 1977 - (Textes à l'appui) *(Origines).*

LASSERE, J.M - *Ubique Populus : peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sevéres, 146-235* - Paris, 1977 - (Etudes d'antiquités africaines) *(Ubique Populus).*

LAUBADERE, A. de - *Les Réformes des pouvoirs publics au Maroc : le gouvernement, l'administration, la justice* - Paris, 1949 *(Réformes).*

LA VERONNE, C. de. - *Relations entre le Maroc et la Turquie dans la seconde moitié du XVIe siècle et le début du XVIIe siècle, 1550-1616 - R.O.M.M,* n° 15-16, 2e sem. 1973 - p. 391-401.

LEBLANC, A - *La Politique européenne du Maroc à l'époque contemporaine* - Paris, 1906 *(Pol. europ.).*

LE CHATELIER, A - *Tribus du Sud Ouest marocain : bassins cotiers entre Sous et Draa* - Paris, 1891 *(Tribus Sud Ouest).*

LE COEUR, Ch. - *Décadence économique d'une petite cité marocaine : Azemmour de 1907-1937* - in *Entretiens sur l'évolution des pays de civilisation arabe,* T.III - Paris, 1938.

LE COEUR, Ch - *Métiers et classes sociales d'Azemmour - B.E.S.M,* Vol. 4, n° 16, Avril 1937 - p. 166-169.

LE COMTE, A - *Le Panafricanisme syndical cherche son avenir - R.A.P,* 1961.

LE COZ, J - *Les Tribus Guich du Maroc* - *R.G.M,* n° 7, 1965.

LEFEBURE, C - *Contrat mensonger* : *un chant d'amdyaz sur l'émigration* - *Etudes et documents berbères,* n° 3, 1987 - p. 28-46.

LEFEBURE, C - *Ousmane* : *la Chanson berbère reverdie* - in *Nouveaux enjeux culturels au Magreb* - Paris, 1986 - p. 189-208.

LEHZAN, A - *Propriété foncière et marché foncier dans les villes à faibles croissance démographique* : *l'éxemple d'Asilah* - *R.M.D.E.D,* n° 12, 1986.

LE MOIGNE, Y - BOURCART, J - *Un projet d'utilisation d'un fleuve marocain* : *l'Oum Er-Rbia* - *Rev. Geo. Phys. et géo. Dyn.,* Vol., VI, fasc. 1, 1933 - p. 5-42.

LENOIR, M - [et al...] - *Fouilles de Dchar Jdid, 1977-1980* - *B.A.M,* XIV, 1981-1982 - p. 169-246.

LENOIR, M - *Inscription nouvelles de Volubilis* - *B.A.M,* XVI, 1985-1985 - p. 231-232.

LENZ, O - *Timbouctou* : *voyage au Maroc, au Sahara et au Soudan* - Trad. de l'allemand par Pierre Lehautcourt - Paris, 1886-1887 - 2 vol. *(Timboucton).*

LESNE, M - *Evolution d'un groupement berbère* : *les Zemmour* - Rabat, 1956 *(Zemmour 1).*

LESNE, M - *Histoire d'un groupement berbère* : *les Zemmour* - 1959
Th.: Paris : 1959 *(Zemmour 2).*

LE TOURNEAU, R - *Fès avant le protectorat* : *étude économique et sociale d'une ville de l'occident musulman* - Casablanca, 1949 *(Fès).*

LE TOURNEAU, R - *Hansalyya* - *E.I2* III - p. 170-171.

LEVI-PROVENCAL, E - *Extraits des historiens arabes du Maroc* - Paris, 1948 *(Hist. arabes).*

LEVI-PROVENCAL, E - *Les Historiens des Chorfa* : *essai sur la littérature historique et biographique au Maroc du XVIe au XXe siècle* - Paris, 1922 *(Hist. Chorfa).*

LEVI-PROVENCAL, E - *Les Ruines almoravides du pays de l'Ouergha* - *Bull. Archéol.,* 1918 - p. 194-200.

LEVI-PROVENCAL, E - *Trente-sept Lettres officielles almohades* - Rabat 1941 - (P.I.H.E.M, textes arabes; 10) *(Lettres almohades).*

LEVI-PROVENCAL, E - *Un nouveau texte d'histoire mérinide* : *le Musnad d'Ibn Marzuk* - *Hesp.,* 1925 - p. 1-82.

LEVI-PROVENCAL, E - *Une description de Ceuta musulmane au XVe siècle* : *L'Ihtisar Al-Ahbar de Mohammad B. Al-Qasim Ibn 'Abd Al-Malik Al-Ansari,* texte arabe - *Hesp.,* 1931, t. 12, fasc. 2 - p. 145-176.

LEYRIS DE CAMPREDON, D - *Quarante cinq ans de souvenirs marocains* - Casablanca, 1948 *(Souvenirs).*

LLABADOR, F - *Le Tragique épisode du combat du Bab-El-Assa,* 27-11. 1907- *B.S.G.A.O., 1938.*

LOPES, D - *Historia d'Arzila a dominio portugues,* 1471-1550 e 1577-1489 - Coimbra, 1924 *(Arzila).*

LOPEZ, A - *Obispo en Africa septentrional desde el siglo XIII* - Tanger, 1941 *(Obispo).*

LOPEZ, J - *La Orden Franciscana en la asistencia a los cristianos cautivos en Marruecos* - Larache, 1939 *(Orden).*

LOPEZ OLIVAN, J - *Legislacion vigente en la zona de Protectorado Espanol en Marruecos* - Madrid, 1931 - 4 vol. *(Legislacion vig.).*

LORTAT-JACOB, B - *Musique et fêtes du Haut Atlas* - Paris, 1980 *(Musique fêtes).*

LOUP, J - *L'Oum Er Rbia* - Rabat, 1960 - (Trav. Inst. Sc. Cherif.; n° 9).

LOURIDO, R - *La Abolicion de la esclavitud de cristianos en Marruecos* - *C.H.I* (Granada), 8, 1977 - p. 5-46.

LOURIDO, R - *La Obra redentora del Sultan Sidi Mohamed Ben Abdellah entre los cautivos musulmanes en Europa* - *C.H.I,* 11, 1984-p. 139-184.

LUCAIN - *La Guerre civile* - Paris, 1926.

LUCRECE - *De la nature* - Trad, par A. Ernout - Paris, 1937.

LUTHER, W - FIEDLER, K - *Guide de la faune sous marine des côtes méditerranéennes* - Neuchâtel, 1987 *(Faune sous marine).*

LYAUTEY, H - *Paroles d'action* : *Madagascar, sud-Oranais, Oran, Maroc, 1900-1926* - Paris, 1927 *(Paroles).*

MAHER, V - *Worman and poperty in Morocco* - London, 1974 *(Worman).*

MAIRE, R - *Flore de l'Afrique du Nord* - Paris, 1952 *(Flore).*

MALDONADO, E - *El Rogui* - Madrid, 949.

MALHER, F - *Les Noms de mammifères en Algérie* - Alger, 1970 *(Mammifères Algérie).*

MANDOUZE, A - *Prosopographie de l'Afrique Chrétienne* - Paris, 1982 *(Prosopographie).*

MARCAIS, G - *L'Architecture musulmane d'Occident* - Paris, 1954 *(Archit. mus).*

MARCAIS, G - *La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen-Age* - Paris, 1946 *(Berb. musulmane).*

MARCAIS, J - *Découverte de restes humains fossiles dans les grés quaternaires de Rabat* - *L'Anthropologie,* T. XLIV, 1934 - p. 579-583.

MARCHAL, R - *Précis de legislation financière marocaine* - Rabat, 1936 *(Lég. financ.).*

MARION, J - *La Population de Volubilis à l'époque romaine* - *B.A.M,* IV, 1960 - p. 133-187.

MARMOL DE CARVAJAL, L - *L'Afrique* - trad. franc. - Paris, 1667-3 vol. *(Afrique).*

*Le Maroc* - sous la dir. d'Eugène Guernier - Paris, 1948 - (Encyclopédie coloniale et maritime).

*Le Maroc et le monde arabe face à la C.E.E* - Casablanca, 1982 *(Maroc. C.E.E.).*

MARTIN A.G.P - *D'Azilal au Dades* - *B.S.G.M,* IV, fasc. 5, 1925 - p. 85-115.

MARTIN, A.G.P - *Le Maroc et l'Europe* - Paris, 1928 *(Maroc Martin).*

MARTIN, A.G.P - *Quatre siècles d'histoire marocaine : Au Sahara de 1504 à 1902, au Maroc de 1894 à 1912* - Paris, 1923 *(Quatre siècles).*

MARTIN, J - *Le Moyen Atlas central : étude géomorphologique* - Rabat, 1981 - (Notes et Mém. Serv. Geol.; n° 258 Bis) *(M.A. Central).*

MARTIN J - *Les Potentialités agro-pastorales du Moyen Atlas Central* - *R.G.M,* n° 10, 1986.

MARTIN J, [et al...] - *Géographie du Maroc* - Paris, 1964 *(Géo. Mar.).*

MARTIN, M - *El colonialismo espanol en Marruecos* - Paris, 1973 *(Colonialismo).*

MARTINEZ DE VELASCO, E - *Isabel la catolica* - Madrid, 1883.

MARTY, P - *Les Fedalia* - *R.M.M,* 31, 1915-1916 - p. 135-219.

MARTY, P - *Les Tribus de la Haute Mauritanie* - *A.F : R.C,* 1915 - p. 73-82; 118-126; 136-145.

MAS LATRIE, L. de - *Relations et commerce de l'Afrique septentrionale avec les nations chrétiennes du Moyens-Age* - Paris, 1886 *(Relations commerce).*

MASLOW, B - *Les Mosquées de Fès et du Nord du Maroc* - Paris, 1937 - (PIHM) *(Mosquées Fès).*

MASSIGNON, L - *Le Maroc dans les premières années du XVIe siècle : Tableau géographique d'après Léon l'Africain* - Alger, 1906 *(tableau géo.).*

MATHEWS, F.A - *El Sus, El Wad Nun y El Sahara* - *Bol. Sc. Geogr.* (Madrid), XII, 1882 - p. 513-525.

MATHIEU, J.R - *Mémoires d'Abd el-krim* - Paris, 1927 *(Mémoires).*

MATIAS DE SAN FRANCISCO - *Relacion del viaje espiritual de Juan de Prado* - Ed. Jose Lopez - Tanger, 1945 *(Juan de Prado).*

MAUNY, R - *Note sur les grands voyages de Léon l'Africain* - *Hesp.,* 3e-4e trim. 1954 - p. 380-394.

MAURER. G - *Les Montagnes du Rif central : étude géomorphologique* - 1968.
Th.: Géogr.: Univ. Paris : 1968 *(Rif Central).*

MAURICE, L - *La Politique marocaine de l'Allemagne* - Paris, 1916 *(pol. mar. allem.).*

MAZEL, J - *Enigmes du Maroc* - Paris, 1971 *(Enigmes).*

MEGE, E - *Notes sur les Mzab et les Achache : tribus Chaouia* - *A.B,* Vol. 3 fasc.2-3, 1918 - p. 187-257.

MENAR, A - BALAZUC, G - *Etude critique du régime spécial de la zone de Tanger, Maroc* - Préf. de Daniel Saurin et de Louis Marion - Tanger, 1932-1933 - 2 vol. *(Zone de Tanger).*

MENENDEZ PIDAL, J - *Leyenda del ultimo rey godo* - Madrid, 1906 *(Rey Godo).*

MENOUNI, A - *Le Syndicalisme au Maroc* - Casablanca, 1978 *(Syndicalisme).*

MENOUNI, A - *L'Union Nationale des Etudiants du Maroc* - 1970.
D.E.S : Sc. Po.: Rabat : 1970 *(U.N.E.M).*

MERAD, A - ALGAR, H - BERKES, N - AHMAD, A - *Islah* - *E.I²,* IV - p. 146-179.

METRO, A - *L'Ecologie des Eucalyptus : son application au Maroc* - Paris, 1948 (Mém. Soc. Sc. Nat. Maroc, XLIX) *(Eucalyptus).*

METRO, A - SAUVAGE, C - *Flore des végétaux ligneux de la Mamora - Soc. Sc. Nat. Phys. Mar.*, 1955 *(Flore vég.).*

MEZZINE, L - *Sur l'étymologie du toponyme Sijilmassa - H.T,* 1984- p. L9-25.

MEZZINE, L - *Le Tafilalet : contribution à l'histoire du Maroc aux XVII et XVIIIe siècles* - Rabat, 1987 *(Tafilalet).*

MICHARD, A - *Eléments de géologie marocaine* - Rabat, 1976 - (Not. Mém. Serv. Géol.; n° 252) *Géol. mar.).*

MICHAUX-BELLAIRE, E - *Les Coutumes berbères dans les tribus arabes - R.M.M,* 1909.

MICHAUX-BELLAIRE, E - *le Rif* - Paris, 1925.

MICHAUX-BELLAIRE, E - *La Zaouia d'Ahansal - A.M.,* XXVII, 1927 - p. 87-114.

MICHAUX-BELLAIRE, E - SALMON, G. - *Les Tribus arabes de la Vallée du Lekkous - A.M,* IV, 1905 - p.

MIEGE, J.L - *Le Maroc et l'Europe, 1830-1894* - Paris, 1961-1964 - 4 vol. *(Maroc. 1830-94).*

MIEGE, J.L - *Les Missions protestantes au Maroc,* 1875-1900 - *Hesp.,* 1955 - 153-192.

MIEGE, J.L - *Origine et développement de la consommaton du thé au Maroc - B.E.S.M.*, n° 71, 3e trim. 1956.

MILLER, K - *Mappa Arabicae* - Stuttgard, 1902-1931 - 3 vol. *(Mappa).*

MILLET, R - *Les Almohades* - Paris, 1923.

MONDEJAR, M. de - *Mémorias sobre Alfonso El Sabio* - Madrid, 1845 *(El Sabio).*

MONTAGNE, R - *L'Aghbar et les hautes vallées du Grand Atlas - Hesp.,* 1er tr., 1927 - p. 1-32.

MONTAGNE, R - *Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc : essai sur la vie politique des Berbères sédentaires, groupe Chleuh* - Paris, 1930 *(Berbères Makhzen).*

MONTAGNE, R - *Le Développement du pouvoir des caïds de Tagontaft, Grand Atlas* - in *Mémorial Henri Basset* - Paris, 19O29 - p. 169-184 - 2 vol.

MONTAGNE, R - *Naissance du prolétariat marocain* - Paris, 1952 - (Cahiers de l'Afrique et de l'Asie *(Prolétariat).*

MONTAGNE, R - *Révolution au Maroc* - Paris, 1953 *(Révolution).*

MONTAGNE, R - *Un magasin collectif de l'Anti-Atlas : l'Agadir des Ikounka - Hesp.,* 1929, 2e-3e trim. - p. 145-266.

MONTAGNE, R - BEN DAOUD, M - *Documents pour servir à létude du droit coutumier du sud Marocain - Hesp.*, 1927, 4e trim. - p. 401-446.

MONTANE, F.M - *Propos sur la classe étudiante - Cahiers de la République,* n° 23, 1969.

MONTEIL, V - *Choses et gens du Bani - Hesp.,* 3e-4e trim., 1946 - p. 386-405.

MONTEIL, V - *Contribution à l'étude de la faune du Sahara occidental* - Paris, 1957 - (P.I.H.E.M : N-D; 9) *(Faune).*

MONTEIL, V - SAUVAGE, Ch - *Contribution à l'étude de la flore du Sahara occidental* - Paris, 1949-1953 - 2 vol. - (P.I.H.E.M; 5-6) *(Flore Sahara).*

MONTEIL, V - *Les Juifs d'Ifni - Hesp.,* 1er - 2e trim. 1948 - p. 151-162.

MONTEIL, V - *Notes sur Ifni et les Aït Ba Amrân* - Paris, 1948 *(Ifni).*

MONTEIL, V - *Notes sur les Tekna* - Paris, 1948 *(Tekna).*

MONTS DE SAVASSE - *Le Régime foncier chez les Aït Atta du Sahara.* Mémoire CHEAM *(Régime foncier).*

MORSY, M - *Les Ahansala : examen du rôle d'une famille maraboutique de l'Atlas marocain* - Paris, 1972 *(Ahansala).*

MOUETTE, G - *Histoire des Conquetes de Moulay Archy, connu sous le nom de roy de Tafilet, et de Moulay Ismaël* - Paris, 1683 *S.I.H.M,* 2e série, France II - p. 1-120 *(Moulay Archy).*

MOUETTE, G - *Relation de la captivité du Sieur Mouette dans les royaumes de Fès et du Maroc* - Paris, 1683 *(Mouette).*

MOULIERAS, A - *Le Maroc inconnu : exploration du Rif et des Djebala*-Oran; Paris, 1895-1899 - 2 vol. *(Maroc inconnu).*

NATAF. F - *L'Indépendance du Maroc* - Paris, 1975 *(Indépendance).*

NEGRE, R - *Petite flore des régions arides du Maroc occidental* - Paris, 1961 *(Petite flore).*

NESTERENKO, G - *Maghreb : le grand tournant* - *Géopolitique,* n° 10, 1985.

NOIN, D - *La Population rurale du Maroc* - Paris, 1970 - 2 vol. *(Population).*

NOLASQUE, N - *Redemption de la congrégation de Paris* - Paris, 1724 *(Redemptions).*

NOUVEL, S - *Nomades et sédentaires au Maroc* - Paris, 1917 *(Nomades).*

OLIVA, P - *Notes sur Ifni* - *R,G,M,* n° 19, 1971 - p. 85-95.

OMAN, G - *Al-Idrissi* - *E,I2,* III p. 1058-1061.

OUDINOT, - SALADIN, *Note sur Beni Tende, Mergo, Tansor et Angla* - *Bull. Archéol.,* 1916.

OUSTRY, - *Notes sur le Haut Ziz* - *B.S.G.A.O,* 1910.

OVIDE - *Métamorphoses* - établi. et trad. par G. Lafay - Paris, 1957.

PAILLAT, G - *Vingt ans qui déchirèrent la France* - Paris, 1969 - 1972 - 2 vol. - (L'Histoire que nous vivons) *(vingt ans).*

PANOUSE, J.B - *Les Mammifères du Maroc* - Rabat, 1957 - (Trav. Sci. Chérif., serv. zool.; n° 5).

PARKER, Ch. H - *North Africa : Regional tensions an strategic concerns* - New-York, 1984 *(Regional tensions).*

PARSON, F.V - *The Origins of the Morocco Question, 1880-1900* - London, 1976 *(Morocco question).*

PASCON, P - *Le Commerce de la Maison d'Iligh d'après le régistre comptable de Husayn B. Hachem, Tazerwalt, 1850-1875* - *A.E.S.C,* n° 3-4, Août 1908 - p. 700-729.

PASCON, P - *Le Haouz de Marrakech* - Rabat, 1977 - 2 vol. *(Haouz).*

PASCON, P - *Les Ruines d'Agouitir de Khnifis* : *Santa Cruz de Mar Pequena* - Rabat, 1963 *(Agouitir).*

PASCON, P - ENNAJI, M - *Le Makhzen et le Sous Al Aqsa* : *la correspondance politique de la maison d'Iligh* - Rabat : Paris, 1988 *(Iligh).*

PASCON, P - VAN DER WUSTEN, H - *Les Beni Bou Frah* : *essai d'écologie sociale d'une vallée rifaine, Maroc* - Rabat, 1983 *(Beni Boufrah).*

PASCON, P, [et al...] - *La Maison d'Iligh et l'histoire sociale du Tazerwalt* - Rabat, 1984 *(Maison d'Iligh).*

PAUL-MARGUERITTE, L - *Chants berbères du Maroc* - Paris, 1935 *(Chants).*

PAUL OROSE - *Historiarum adu. Paganos* - Ed. C. Zangmeister - Vienne, 1882 *(Paganos).*

PAZOS, M-R - *Mision Franciscana-Espanola en Marruecos* : *la historia de un siglo, 1859-1959* - Tanger, 1959 *(Mision Franciscano).*

PEDECH, P - *Un texte discuté de Pline* : *le voyage de Polybe en Afrique* - *R.E.L,* 33, 1955. - p. 318-322.

PEDELABORDE, P - *Le Climat du bassin parisien* - Paris, 1957.

PELLAT, C - *Damnat* - *E.I.2,* II - p. 111-112.

PELLOW, Th - *The History of the long captivity and adventures in South Barbary* - trad. et annot. en français par Magali Morsy - Paris, 1983 - (Synthèse; 12) *(Thomas Pellow).*

PENCHOEN, T - *Etude syntaxique d'un parler berbère, Aït Frah de l'Aurès* - Napoli, 1973 *(Aït Frah).*

PENZ, Ch - *Les Captifs français du Maroc au XVIIe siècle, 1577-1699* - Rabat, 1944 *(Captifs).*

PENZ, Ch - *Lettres inédites sur la captivité de Bidé de Maurville à Marrakech, 1765-1767* - *Hesp.,* 1er-2e trim. 1949 - p. 221-232.

PEYRON, M - *Une forme dynamique de poésie orale* : *les izlan et les timawayin du Moyen Atlas, Maroc* - *Langues et littératures,* n° 5, 1985 - p. 161-185.

PEYRONNET, R - *Tadla, pays Zaïan, Moyen-Atlas* - Alger, 1923 *(Zaïan).*

PFLAUM, H.G - *Remarques sur l'onomastique de Cirta* - in *Limes Studien, 3e congrés int. des frontières romaines dans la région du Rhin* - Bâle, 1959 - p. 96-133.

PICARD, G-Ch - *La Civilisation de l'Afrique romaine* - Paris, 1959 *(Afr. Romaine).*

PIERA, D - *Espana en marruecos* : *Cronica de la Campana de 1909* - Barcelona, 1913 *(Campa na 1909).*

PIRES DE LIMA, D - *Azamor os precedentes de conquista e a expediçao do Duque Don Jaime*

- Lisbonne, 1930 *(Azamor).*

PLANTEY, A - *La Réforme de la justice marocaine : la justice makhzen et la justice berbère* - Paris, 1952 - (C.C.E.J) *(Justice makhzen).*

PLINE L'ANCIEN - *Histoire naturelle* - Ed. par J. Desanges - Paris, 1982.

PLUNCKET, I - *Isabel of Castille* - New-York, 1915 *(Isabel).*

PLUTARQUE - *Vies parallèles* - trad. B. Latzarus - Paris, 1950 - 4 vol. *(Vies).*

POMPONIUS MELA - *Choregraphia* - ed. et trad. G. Lafay - Paris, 1957.

PONSICH, M - *Lixus : le quartier des Temples* - Rabat, 1981 - (ETAM, IX) *(Lixus).*

PONSICH, M - *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région* - Paris, 1970 *(Tanger région).*

PONSICH M - *Recherches archéologiques dans le Tanger antique : Thymesterion pour les phéniciens, mais déjà Tingi suivant l'origine berbère - Journal de Tanger,* n° 1368, 24 Juin 1967 - p. 4 et 5.

POSAC MON, C - *En busca del pasado de Ceuta - Transfretana : Revista del Inst. de Est. Ceuties* (Ceuta), n° 1, 1981 - p. 13-15.

PREMARE, A.L de - *Les Notes de voyage d'Ibrahim B. Al Hadjdj an-Numayri en l'année 745H, 1344* - 1978 - 3 vol.
Th.: Lyon II : 1972 *(An - Numayri).*

PREVOST, C - *Les Etudiants et le gauchisme* - Paris, 1969.

PRUVOT, FOH, A - *Etude de quelques episthobranches de la côte atlantique du Maroc et du Sénégal* - Rabat, 1953 - Trav. Inst. Sc.: zool.; 2) *(Cote atlantique).*

POPER, C.F.E - SWEENEY, M.J - NAUEN, C.E - *F.A.O. Species catalogue* - Vol. 3 : *Cephalopods of the world* - Rome, 1984.

PUIGAUDEAU, O - *Arts et coutumes des Maures - H.T,* 1967, fasc. un. - p. 111-230; 1968, fasc. 3 - p. 329-458; 1970, fasc. un. - p. 5-82.

PUIGAUDEAU, O - SENNONES, - *Peintures rupestres du Tagant - J.S.A,* IX, fasc. 1, 1939.

QUANGTRAC, N - SIMONT, M - *Le Couloir Taourirt-Oujda* - in *Ressources en eau du Maroc* - Rabat, 1971 - (Notes et Mem. Serv. Géol.; n° 231).

QUEDENFELDT, M - *Division et répartition de la population berbère au Maroc* - Trad. Simon - Alger, [s.d] *(Pop. berbère).*

QUERLEUX, Cap. - *Les Zemmour : étude ethnographique d'après le questionnaire de la Résidence de France au Maroc - A.B,* vol., fasc. 2, 1915 - p. 12-61.

BACHET, M - *Rome et les Berbères - Latomus* (Bruxelles), 1970.

RADI, A - *Adaptation de la famille au changement - B.E.S.M,* n° 135, 1977.

RAMIN, J - *Le Périple d'Hannon - B.A.R : Suppl. Series,* 3, 1976.

RAYMOND, J.B.H - *Isabelle de Castille* - Paris, 1869 *(Isabelle).*

RAYMOND, R - *Le Maroc chez les auteurs anciens* - Paris, 1924 *(Auteurs anciens).*

RAYNAL, R - *Plaines et piédmonts du bassin de la Moulouya, Maroc oriental : étude géomorphologique* - Rabat, 1961 *(Moulaya).*

RAYNAL, R - *La Terre et l'homme en Haute Moulouya - B.E.S.M,* 1960.

REBUFFAT, R - *Bronzes d'Hercule à Tanger et à Arzila - Ant. Afr.,* 5, 1971 - p. 179-191.

REBUFFAT, R - *Inscription militaire au génie du lieu d'Aïn Sakkour et de Sidi Moussa Bou Fir - B.A.M,* X, 1976 - p. 151-170.

REBUFFAT, R - *Les Principia de Camp romain - B.A.M,* IX, 1973. 1975- p. 373.

REISER, - BACHELOT, C - *Notice sur le cercle de Sefrou - B.S.G.M,* n° 4, fév. 1918 - p. 29-51.

RENAUD, H.P.J - *Le Mouvement scientifique au Maroc* - in *Initiation au Maroc* - Paris, 1937 - p. 179-183.

RENAUD, H.P.J - *Notes critiques d'histoire des sciences chez les musulmans* - III : *Agronomie et astrologie marocaine - Hesp.,* 1942, Fasc. unique - p. 41-63.

RENAUD, H.P.J - *Ya-t-il une question du thé au Maroc ? - Le Mouvement sanitaire,* 30 Mai 1928 - p. 693-701.

RENE-LECLERC, Ch - *L'Amalat d'Oujda : conditions de son développement économique - A.F,* 1910 - p. 254-263.

RENE-LECLERC, Ch.- *Les Régions nord et sud de la frontière algéro-marocaine* - Tanger, 1909 *(Front. algéro-mar.).*

RENISIO, A - *Etude sur les dialectes berbères des Beni Iznassen, du Rif et des Senhaja de Sraïr : Grammaire, textes et lexique* - Paris, 1932 - (P.I.H.E.M; 22) *(Beni Iznassen).*

RENOUVIN, P - *Histoire des relations internationales* - Paris, 1967 - 8 vol. *(Relat. int.).*

*Résultats statistiques du recensement de la population civile de l'Empire Chérifien, effectué le 7 mars 1926 - Casablanca, 1927 (Recensement 1926).*

REYNIERS, - *Un document sur la politique de Moulay Ismail dans l'Atlas* - *A.M,* vol. XXVII, 1931.

RICARD, P - *Le Maroc* - 7e éd. - Paris, 1950 - (Les guides bleus).

RICARD, R - *le Commerce de Berbérie et l'organisation économique de l'empire portugais aux XV et XVIe siècles* - in *Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc* - Coimbra, 1955.

RICARD, R - *Le Maroc septentrional au XVe siècle, d'après les chroniques portugaises* - *Hesp.,* XXIII, 4e trim. 1936, fasc. II - p. 89-144.

RINN, L - *Marabouts et Khouans : étude sur l'Islam en Algérie* - Alger, 1884 *(Marabouts).*

RINN, L - *Les Origines Berbères* - Alger, 1889.

RIVIERE, P.L - *Précis de législation marocaine* - Caen, 1942-1946 - 2 vol. *(Législation marocaine).*

ROCHE, J - *Chronologie absolue de l'épipaléothique marocain* - *C.R.A.S,* T. 246, 1976 - p. 3486-3487.

ROCHE, J - *L'Epipaléolithique marocain* - Paris, 1963 - 2 vol. *(Epip).*

ROCHE, J - TEXIER, J.P - *Découverte de reste humains dans un niveau atérien supérieur de la grotte des contrebandiers à Temara* - *C.R.A.S,* T. 282, série D, 1976 - p. 45-47.

RODRIGUES, B - *Anais de Arzila : cronica inedita de Seculo XVI* - Coimbra, 1915-1919 - 2 vol. *(Anais).*

ROGERS, P.G - *A history of Anglo-Moroccan Relations to 1900* - London, [s.d] *(Anglo-Moroccan).*

ROGET, R - *Index de topographie antique du Maroc* - Paris, 1938 - (P.S.A.M; 4) *(Topographie antique).*

ROLLMAN, W.J - *The New Order in a precolonial muslim society : military reform in Morocco, 1844-1904* - 1983- 2 vol.
Th.: Histoire : Univ. Michigan : 1983 *(Military reform).*

ROSENBERGER, B - *Note sur Kouz : un ancien port à l'embouchure de l'oued Tensift* - *H.T,* 1967.

ROSENBERGER, B - *Tamdult, cité minière et caravanière présaharienne, IX-XIVe siècles* - *H.T,* XI, 1970 - p. 103-139.

ROSENBERGER, B - *Les Vieilles exploitations minières et les centres métallurgiques du Maroc* - *R.G.M,* N° 17.

ROUX, A - *Les Aventures extraordinaires du Sidi Hmad U Musa, patron du Tazerwalt* - *Hesp.;* 1er-2e trim. 1952- p. 75-96.

ROUX, A - *Les Imdyazen ou aèdes berbères du groupe linguistique beraber* - *Hesp.,* 2e trim., 1928 - p. 231-251.

ROUX, A - *Un chant d'Amdyaz : l'aède berbère du groupe linguistique beraber* - in *Mémorial Henri Besset* - Paris, 1928 - p. 237-247.

ROUX, A - *La Vie berbère par les textes, Tachelhit* - Paris, 1955 - 2 vol. *(Vie berbère).*

ROVSING-OLSEN, M - *Chants de mariage de l'Atlas marocain* - 1984.
Th. 3e cycle : Paris X : 1984 *(Chants de mariage).*

RUHLMANN, A - *La Grotte préhistorique de Dar es-Soltan* - Paris, 1951- (Hespéris, XI) *(Dar es-Soltan).*

RUHLMANN, A - *Le Paléolithique marocain* - Rabat, 1945 - p. 3-103 - (P.S.A.M, 7) *(Paléolithique).*

RUHLMANN, A - *Les Recherches de préhistoire dans l'extrême sud marocain* (Rabat, 1939 - (P.S.A.M; 5) *(Rech. preh.).*

RUIZ DE CUEVAS, T - *Apuntes para la historia de Tetuan* - Tetuan, 1951 *(Historia de Tetuan).*

SAGLIO, E - *Antaeus* - in *Dictionnaire des antiquités grecques et romaines* - Paris, 1877.

SAILE, J - *A phonological study of Tamazight berber : dialect of the Ayt Ndhir* - 1976 Ph. D : California : 1976 *(Ayt Ndhir).*

SAINT-QUENTIN, L. de - *3000 ans avec les Berbères - Paris, 1949 (Trois mille ans).*

SALLUSTE - *Bellum Jugurthinum - Texte établ. par A. Ernout* - Paris, 1971 *(Bellum).*

SALVAT, B - *Les Animaux* - Vol. 6 : *Parorama du monde animal* : *mollusques* - Paris, 1980.

SAN JUAN DEL PUERTO, F - *Mision historial de Marruecos* - Sevilla, 1708.

SAUER, F - *Plages et cotes* - Paris, 1978.

SAUSSE, F - *La Mandibule atlanthropienne de la carrière Thomar 1,* Casablanca - *L'Anthropologie,* T. 79, n° 1, 1975 - p. 81-112.

SAUSSE, F - *Les Pithecanthropéens marocains* - in *IXe congrés de l'Union internationale des Sciences préhistoriques et protohistoriques,* colloque VI - Nice, 1976 - p. 445-454.

SBIHI-ALAOUI, F.Z - *Les Hommes préhistoriques* - in *Mémorial du Maroc,* Vol. I - Rabat, 1983 - p. 58-68.

SBIHI-ALAOUI, F.Z - *Les Industries préhistoriques* - in *Mémorial du Maroc,* vol. 1 - Rabat, 1983 - p. 69-78.

SBIHI-ALAOUI, F.Z - *Le Néolithique* - in *Mémorial du Maroc,* vol. 1 - Rabat, 1983 - p. 79-88.

SBIHI-ALAOUI, F.Z - *Le Néolithique* - in *Mémorial du Maroc,* vol. 1 - Rabat, 1983 - p. 79-88.

SCHOEN, Cap. - *Le Pacha de Marrakech* - Notice dactylographiée, 1938 *(Pacha).*

SCHROETER, D.J - *Merchants and pedlars of Essaouira* : *A social history of a Moroccan trading town,* 1844-1886
Ph. D : histoire : Manchester *(Merchants).*

SCHUYLER, Ph. D-*A Repertory of Ideas* : *The Music of Rwais, Berber professional musicians from Southwestern Morocco* - 1979
Ph. D : Union. Washington : 1979 *(Music of Rwais).*

SEBTI, A - *Aristocratie citadine* : *pouvoir et discours savant au Maroc précolonial, contribution à une relecture de la littérature généalogique fassie, XVe siècle* - 1984.
Th. univ.: Histoire : Paris VII : 1984. *(Aritocratie citadine).*

SEFIANI, N - *Les Etats-Unis d'Amérique et le statut international du Maroc de 1776 à 1976 - 1979.*
D.E.S : Droit : Rabat : 1979 *(E.U - Maroc).*

SEGONZAC, R. de - *Au cœur de l'Atlas* : *mission au Maroc, 1904-1905* - Paris, 1910 *(Cœur).*

SEGONZAC, R de - *Mission au Maroc, 1899-1901 - Paris, 1903 (Mission).*

SEMACH, Y.D - *Un Rabin voyageur marocain - Hesp.,* 3°-4° trim. 1928 - p. 385-399.

SIGMAN. M.C - *The Romans and the indigenous tribes of Mauritania Tingitana - Historia,* XXVI, 4, 1977 - p. 415-439.

SILIO CORTES, C - *Isabel la Catolica* - Valladolid, 1938.

SILIUS ITALICUS - *La Guerre punique* - texte établi. et trad. par P. Minoconi et G. Devallet - Paris, 1979.

SOTOMAYOR, E - *Nuestra marina de guerra* - Madrid, 1917 *(Marina).*

*Les Sources inédites de l'histoire du Maroc* - Première Série : Dynastie saadienne - Archives et Bibliothèques d'Angleterre - Paris, 1918-1935 - 3 vol. - (P.S.H.M) *(SIHM, Angleterre).*

*Les Sources inédites de l'histoire du Maroc* - Première série : Dynastie saadienne : Archives et Bibliothèques d'Espagne - Paris, 1921-1961 - 3 vol. - (P.S.H.M) *(SIHM, Espagne).*

*Les Sources inédites de l'histoire du Maroc* - Première Série : Dynastie Saadienne : Archives et Bibliothèques de France - Paris, 1905-1926 - 3 Vol. + 1 index - (P.S.H.M) *(SIHM, France I).*

*Les Sources inédites de l'histoire du Maroc* - Première Série : Dynastie Saadienne : Archives et Bibliothèques des Pays-Bas - Paris, 1906-1923 - 6 vol. - (P.S.H.M) *(SIHM, Pays-Bas).*

*Les Sources inédites de l'histoire du Maroc* - Première série : Dynastie Saadienne : Archives et Bibliothèques de Portugal - Paris, 1934-1953 - 6 vol. - *(P.S.H.M) (SIHM, Portugal).*

*Les Sources inédites de l'histoire du Maroc* - Deuxième série : Dynastie filalienne : Archives et Bibliothèques de France - Paris; 1922-1970 - 7 vol. + Index *(SIHM, France II).*

SOUZA, F - *Dictatura en Marruecos - Madrid, 1930 (Dictatura).*

SPILLMANN, G - *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra* - Rabat, 1936 - (P.I.H.E.M; 29) *(Ait Atta du Sahara).*

SPILLMANN, G - *Districts et tribus de la haute vallée de Draa - A.M,* Vol. 6, II, 1931.

SRAIEB, N [et al...] - *Le Mouvement ouvrier maghrébin* - Paris, 1985 - (CRESM) *(Mouv. ouvrier).*

STRABON - *Géographie* - Texte établi et trad. François Lasserre et Germaine Aujac - Paris, 1966-1969 - 3 vol.

SURDON, G - *Esquisses de droit coutumier berbère marocain* - Rabat, 1928 *(Esquisse de droit).*

SURDON, G - *Institutions et coutumes des berbères du Magreb, Maroc, Algérie, Tunisie, Sahara* :

*Leçons de droit coutumier berbère* - Tanger, 1936 *(Institutions et coutumes).*

SZYMANSKI, E - *Les Tribus de Guich et le Makhzen sous le règne de Sidi Mohammed Ben Abdallah - R.O.M.M, 1970 - p. 195-200.*

TAIFI, M - *Le Tamazight au contact de l'arabe dialectal : étude socio-linguistique sur le parler des Aït Mguild* - 1979.
Th. 3e cycle : Paris III-EPHE : 1979 *(Aït Mguild).*

TALLANDIER - *Les Origines du Maroc français : récit d'une mission 1901-1906* - Paris, 1930 *(Mission 1901-1906).*

TAMANARTI - *Fawaïd al-Jamma bi isnadi 'ouloumi al-oumma* - Trad L. Justinard - Chartres, 1953 *(Fawaïd al Jamma).*

TAMOUH, Z - *Le Maroc et le Soudan au XIXe siècle* - 1982.
Th. 3e cycle : Histoire : Paris I - Sorbonne : 1982 *(Maroc Soudan).*

TARRADELL, M - *Guia arqueologica del Marruecos espanol* - Tetuan, 1953 *(Guia).*

TARRADELL, M - *Marruecos Punico* - Tetuan, 1960.

TEBBAA, J - *La Pénétration commerciale et financière au Maroc,* 1850-1912-1976.
D.E.S : Sc. Eco.: Grenoble : 1976 *(Pénétration commerciale).*

TERRASSE, H - *L'Art hispano-mauresque des origines au XIIIe S.* - Paris, 1932 *(Art hispano-mauresque).*

TERRASSE, H - *Le Décor des portes anciennes du Maroc - Hesp.,* 2e trim. 1923 - p. 147-174.

TERRASSE, H - *La Fortesse almoravide d'Amergo - And.,* XVIII, 1953.

TERRASSE, H - *Histoire du Maroc : des origines à l'établissement du Protectorat français* - Casablanca, 1949-1950 - 2 vol. *(Histoire du Maroc).*

THOMAS, A - *L'Origine des cromagnoïdes* - in *PIVETEAU, J - Les Origines humaines et les époques de l'intelligence* - Paris, 1978 - p. 261-282.

THOUVENOT, R - *La Connaissance de la montagne marocaine chez Pline l'Ancien - Hesp.,* 2e trim. 1939 - p. 113-121.

THOUVENOT, R - *La côte méditerranéenne du Maroc d'après le géographe Ptolémée, IIe Siècle J.C - R.G.M,* XXVIII, 4, 1944.

TISSOT, Ch. - *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane* - Paris, 1878 - (MAIBL: IX) *(Mauritanie Tingitane).*

TORCY, de - *Les Espagnols au Maroc en 1909* - Paris, 1910.

TORRES, D de - *Histoire des Chérifs et des royaumes de Maroc, de Fez, de Tarudant et autres provinces* - trad. de l'espagnol par le Duc d'Angoulesme le Père - [Fait suite à *l'Afrique de Marmol,* T, 3] - Paris, 1667 *(Histoire des Chérifs).*

TOURI, A - AKERRAZ, A - MAKDOUN, M. - *Le Maroc des origines à l'avènement de l'Islam* - in *Grande Encyclopédie du Maroc : Histoire* - Rabat, 1987 - p. 8-38.

TOURI, A - HAMMAM - *Tradition écrite et architecture - H.T,* 1986.

TOZY, M - *De quelques lieux de la compétition politique au Tazeroualt - B.E.S.M,* n° 159-160, 1978 - p. 155-182.

TROIN, J.F - *Essai méthodologique pour une étude des petites villes - Annales de géographie,* n° 354, Août-Oct. 1971.

TROIN, J.F - *Rif Oriental - R.G.M,* 12, 1957 - p. 435.

TROIN, J.F - *Les Souks marocains : marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc* - Aix-en-provence, 1975- 2 vol. - (Connaissance du monde méditerranéen) *(Souks).*

*VADEMECUM, Ano 1931* - Ceuta [s.d].

VALLOIS, H.V - *L'Homme de Rabat - B.A.M.* III, 1958-1959 - p. 87-91.

VALLOIS, H.V - *Les Hommes de Cro Magnon et les granches : les faits acquis et les hypothèses - Anuario de Estudios Atlanticos* (Madrid, 15 - p. 97-119).

VASCONCELLOS, E. de - *Una plana de Ceuta de 1774 - S.G.L,* 1915.

*VERDADES amargas : la campana de 1909 en el Rif* - Madrid 1910 *(Campana del Rif).*

VERNET GIMES, J - *Historia de Marruecos : la islamizacion* - Tetuan, 1957 - (Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. ar.) *(Historia de Marruecos).*

VIEUCHANGE, M - *Chez les dissidents du Sud marocain et du Rio de Oro, Smara : carnets de route* - Paris, 1932. *(Carnets de route).*

*Villes et tribus du Maroc : Casablanca et les Chaouia* - Documents et renseignements publiés sous les auspices de la Residence Générale - Paris, 1915 - 2 vol. *(Villes et tribus, Casa).*

*Villes et tribus du Maroc : Rabat et sa région* - Documents et renseignements publiées sous les auspices de la Résidence Générale par la Mission Scientifique du Maroc - Paris, 1918-1920 - 4 vol. *(Villes et tribus. Rabat).*

*Villes et tribus du Maroc* : *Région des Doukkala* - Documents et renseignements publiés par la Direction des Affaires Indigènes, Section sociologiques - Paris, 1932 - 2 vol. *(Villes et tribus, Doukkala).*

*Villes et tribus du Maroc* : *Tanger et sa zone* - Documents et renseignements publies par la Direction des Affaires Indigènes et du Service des Renseignements, Section Sociologique, av. propos de Michaux-Bellaire - Paris, 1921 *(Villes et tribus, Tanger).*

*Villes et tribus du Maroc - Tribus Berbères - I* : *Les Aïts Ba Amran* - par le Lt. Colonel Justinard; préf. de E. Michaux-Bellaire - Documents et renseignements de la Direction Générale des Affaires Indigènes, Section, Sociologique - Paris, 1930 *(Villes et Tribus, Aït Ba Amran).*

*Ville et tribus du Maroc* : *Tribus Berbères* - II : *Districts et tribus de la haute Vallée du Dra* - par le Lt. G. Spillmann, *Note provisoire sur les vallées du Todagha, de l'Imider et du Sahro Oriental* - par Le Lt. Beaurpère - Paris, 1931 *(Villes et tribus, vallée du Dra).*

VITRUVE - *Architectura* - texte établ. trad. et comment. par L. Calleba - Paris, 1973.

VIVIEN DE SAINT MARTIN. - *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine* : *étude historique et géographique* - Paris, 1863 *(Nord de l'Afrique).*

VOINOT, L - *Le Développement et les résultats de la crise de 1859 dans les confins algéro-marocains* - *R.A,* 1918 - p. 374-386.

VOINOT, L - *Oujda et l'amalat* - Oran, 1912 *(Oujda).*

VOLLERS, K - *Note sur un manuscrit arabe attribué à Maqrizi - Bull. Soc. Khediv. geog. 3e série, 1893 - p. 131-139.*

WANSBROUGH, J - INALCIK , H - LAMBTON, A.KS - BAER, G - *Imtiyazat* - *E.I*[2], III - p. 1207-1225.

WEINER, J.B - *Anglo - Moroccan relations in the first decade of the occupation of the Tangier, 1662-1672* - *H.T,* vol. XVIII, fasc. unique, 1978-79.

WEISGERBER, F - *Au seuil du Maroc moderne* - Casablanca, 1948 *(Seuil).*

WEISGERBER, F - *Casablanca et les Chaouia en 1900* - Casablanca 1935 *(Casablanca Chaouia).*

WEIT, G - *Un résumé d'Idrissi* - *Bull. Soc. Roy. Geogr. d'Egypte,* 1939 - p. 161-201.

WINDUS, J - *A Journey to Mequiqnez* - London, 1725 *(Journey).*

WOOLMAN. D.S - *Abd-el-Krim y la guerra del Rif* - Trad. en Espagn. par Margarida Cratacos - Barcelona, 1971 *(Guerra del Rif).*

ZAFRANI, H - *Etudes et recherches sur la vie intellectuelle juive au Maroc* : *de la fin du 15e au début du 20e siècle* - Paris, 1972-1980 - 3 vol. *(Vie intellectuelle juive).*

ZOUBER, M.A - *Ahmad Baba de Tombouctou* - Paris, 1977 *(Ahmed Baba).*

ZUHRI - *Kitab Al-Dja'rafiyya mappemonde du Calife Al-Ma'mun* reproduire par Fazari, III = IXe., rééditée et commentée par Zuhri, VIe = XIIe S. - Texte arabe établi avec intr. en français par Mahammad Hadj-Sadok - *B.E.O,* XXI, 1968 - p. 7-312 *(Al-Dja'rafiyya).*

# Liste des principales abréviations des périodiques

**A.A.N** : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
**Acad. Sc. Col.**: *Académie des Sciences Coloniales.*
**A.E.S.C** : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
**A.F** : *Afrique Française*
**A.F.R.C** : *Afrique Française : Renseignements coloniaux.*
**A.I.E.A** : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
**A.I.E.O** : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
**A.M** : *Archives Marocaines.*
**And.**: *Al-Andalus.*
**Ann. Rech. Forest. Maroc** : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
**Ant. Afr.**: *Antiquités Africaines.*
**B.A.M** : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
**B.A.R** : *British Archeological Reports.*
**B.E.P.M** : *Bulletin de l'Enseignement Public du Maroc.*
**B.E.S.M** : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
**B.M.S.A.P** : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
**B.S.G** : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
**B.S.G.A** : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
**B.S.G.A.O** : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
**B.S.O.A.S.** : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
**B.S.P.M** : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
**Bull. Archéol.**: *Bulletin Archéologique.*
**C.A.A** : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
**C.C.E.J** : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
**C.H.I** : *Cuadernos de Historia del Islam.*
**C. Méd.**: *Cahiers de la Méditerranée.*
**C.R.A.I.B.L** : *Compte-rendus de l'Académie des inscriptions et Belles-Lettres.*
**C.R.A.S** : *Comptes Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
**E.I.1** : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
**E.I²** : *Encyclopédie de l'Islam (2e édition).*
**E.T.A.M** : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
**H-T** : *Hespéris-Tamuda.*
**Hesp** : *Hespéris.*

**I.G** : *Information Géographique.*

**I.H.E.M** : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*

**I.H.E.M : N-D** : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*

**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. ar.**: *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano arabe.*

**I.S.P.M** : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*

**J.H.S.N** : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*

**M.A.I.B.L** : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*

**Medit** : *Méditerranée.*

**P.I.H.E.M** : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*

**P.S.A.M** : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*

**P.S.H.M** : *Publications de la Section Historique du Maroc.*

**R.A** : *Revue Africaine.*

**R.A.P** : *Revue de l'Action Populaire.*

**R.C.C** : *Revue de la Chambre de Commerce.*

**R.D.M** : *Revue des Deux Mondes.*

**R.E.I** : *Revue des Etudes Islamiques.*

**R.E.L** : *Revue des Etudes Latines.*

**Rev. Geo. phys. Geo. Dyn.**: *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*

**R.G.M** : *Revue de Géographie du Maroc.*

**R.M.D.E.D** : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*

**R.M.M** : *Revue du monde Musulman.*

**R.P.P** : *Revue Politique et Parlementaire.*

**S.G.L** : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*

**S.I.H.M** : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*

**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar.**: *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

**Trav. Inst. Sc.**: *Travaux de l'Institut Scientifique.*

أ

**الآبلي**، محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري، نسبة إلى مسقط رأس والده آبلة "Avila" شمال غربي مدريد عاصمة المملكة الإسبانية حاليا. من هذه المدينة انتقل والده وعمه أحمد إلى تلمسان، تلبية لدعوة ملكها يغمراسن الأول، فانتظما في سلك الجندية في عهده وعهد ولده أبي سعيد عثمان من بعده. وتزوج إبراهيم الآبلي ابنة قاضي تلمسان آنذاك محمد بن غلبون فولدت له محمداً هذا عام 681 / 1282 وكفله جده القاضي فنشأ شغوفا بالعلم محبا للحكمة، وظهر نبوغه واشتهرت براعته، فقصده الطلبة للتعلم والاستفادة وهو ما يزال غض الإهاب ناعم الأظافير. اتصل محمد الآبلي بالسلطان أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني حين فتح مرسى هنين وثغورا أخرى في حركته الطويلة التي حاصر فيها تلمسان ثمانية أعوام. فأكرمه السلطان وعينه قائدا للجنود الأندلسيين في تاوريرت. وبعد رحلة قام بها الآبلي إلى الشرق عاد إلى فاس فمراكش حيث درس على إمام المعقول والمنقول بها أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء العددي (654 - 724) فلزمه وأخذ عنه وتضلع في العلوم والفنون الحكمية.

بعد هذا استدعاه شيخ قبيلة هسكورة علي بن محمد بن تروميت، بغية الدراسة عليه والاستفادة منه. فذهب وأقام عنده مدة كان خلالها محل إعزاز وإكرام ومحبة وحسن مشورة. وهناك اجتمع عليه الطلبة فدرسوا عليه واستفادوا منه كثيرا. ولما استدعى السلطان المريني أبو الربيع سليمان شيخ هسكورة ابن تروميت هذا ذهب الآبلي في معيته وسكن مدينة فاس - عاصمة المرينيين - وتقاطر عليه طلاب العلم هناك من كل حدب وصوب، فذاع صيته واشتهر أمره، وانتشر علمه في الآفاق. وحين افتتح السلطان أبو الحسن المريني مدينة تلمسان في رمضان 737 / أبريل 1337 أثنى عليه بين يديه أحد أساتذته السابقين : الشيخ أبو موسى ابن الإمام، وبما أن السلطان كان مولعا بجمع الشخصيات العلمية لمجلسه، استدعاه من فاس ونظمه في سلك علماء مجلسه. هكذا عكف الآبلي على التدريس في فاس، ولزم مصاحبة السلطان في الحل والترحال، في السلم والحرب، فحضر معه - مثلا - وقعة طريف بالأندلس يوم 7 جمادى الآخرة 741 / 28-11-1340، كما حضر معه - فيما بعد - واقعة القيروان بتونس في سابع محرم 749 / 7 . 4 . 1348. وفي تونس تعرف عليه فيلسوف التاريخ ومؤسس علم الاجتماع عبد الرحمان ابن خلدون، ودرس عليه واستفاد منه كثيرا وقال عنه : "ولما قدم على تونس، في جملة السلطان أبي الحسن، لزمته وأخذت عنه الأصلين، والمنطق، وسائر الفنون الحكيمة، والتعليمية. وكان - رحمه الله - يشهد لي بالتبريز في ذلك (*التعريف* ص23). ويبين ابن خلدون سبب لزومه للآبلي وكيفية الاتصال به فيقول (ص 38) "كانت حصلت بينه وبين والدي - رحمه الله - صحابة كانت وسيلتي إليه في القراءة عليه فلزمت مجلسه، وأخذت عنه، وافتتحت العلوم العقلية بالتعاليم. ثم قرأت المنطق وما بعده من الأصلين وعلوم الحكمة". ويسترسل ابن خلدون، فيعرفنا كيف تخلف الآبلي في تونس، وبذلك نجا من الغرق في البحر، قال : "وعرض أثناء ذلك ركوب السلطان أساطيل من تونس إلى المغرب. وكان الشيخ في منزلنا وكفالتنا، فأشرنا عليه بالمقام، وثبطناه عن السفر، فقبل وأقام. وطالبنا به السلطان أبو الحسن فأحسنًا له العذر وتجافى عنه... وأقام الشيخ بتونس، ونحن وأهل بلدنا جميعا نتساجل في غشيان مجلسه والأخذ عنه. فلما هلك السلطان بجبال هنتاتة (27 ربيع النبوي 752) وفرغ ابنه أبو عنان من شواغله، وملك تلمسان من بني عبد الواد، كتب فيه يطلبه من صاحب تونس... فأسلمه إلى سفيره، وركب معه البحر في أسطول السلطان الذي جاء فيه السفير، ومر ببجاية، ودخلها وأقام بها شهرا، حتى قرأ عليه طلبة العلم بها *مختصر ابن الحاجب* في أصول الفقه، برغبتهم في ذلك منه ومن صاحب الأسطول، ثم ارتحل ونزل بمرسى هنين، وقدم السلطان بتلمسان، وأحله محل التكرمة ونظمه في *طبقة* أشياخه من العلماء".

وللتعرف على عقلية محمد الآبلي، نختم بحادثة ذكرها تلميذه الإمام محمد المقري (ت 758) قال : "ولما قدم شيخنا ابن المسفر الباهلي (ت 743) فاسا، رسولا عن صاحب بجاية، وزاره الطلبة، فحدثهم أنهم كانوا في زمن ناصر الدين يستشكلون ما وقع في *تفسير* فخر الدين الرازي في سورة الفاتحة ويستشكله الشيخ معهم. وكان النص المشكل كما يلي : "ثبت في بعض العلوم العقلية أن المركب مثل البسيط في الجنس، والبسيط مثل المركب في الفصل، وأن الجنس أقوى من الفصل". مشكلة عويصة ولا شك، لكن ألم يحن الوقت لحلها في بلد العلم فاس وعلى يد العبقري الإمام الآبلي ؟ هنا - إذن - رجعوا إليه وأخبروه بما حدث، وسمع النص فاستشكله هو أيضا، وهذا شيء طبيعي، لكنه لم يلبث أن تأمله فاهتدى إلى سبب الاستشكال وقال : الآن فهمت أنه كلام مصحف، وأصله : "إن المركب قبل البسيط في الحس، والبسيط قبل المركب في العقل وإن الحس أقوى من العقل". ورجعوا إلى الشيخ المسفر وأخبروه، فلج. فقال لهم الشيخ الآبلي : "اطلبوا النسخ وراجعوها". ولما فعلوا، وجدوا في بعضها كما قال الشيخ الآبلي.

أجل، إن ماحرره الفخر الرازي في القرن السادس الهجري، وأثبته الإمام الآبلي في القرن الثامن، عزز جانبه علم النفس الحديث، ذلك أن الطفل يحس بالشجرة أو الكلمة أو الجملة - مثلا - ويبصرها ويتعرف على أحدها ككل، قبل أن يدرك أجزاء هذه أو تلك ويحيط علما بتفاصيلها.

وكانت وفاة محمد الآبلي بمدينة فاس عام 757 / 1356.

ع. ابن خلدون، *التعريف* ؛ م. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. ابن القاضي، جذوة ؛ أ. باب السوداني، *نيل* ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج.4.

عبد الله العمراني

**الآثار** بالمغرب، بدأ الاهتمام بدراسة الآثار المغربية في منتصف القرن التاسع عشر، وفي خضم الحركات الاستطلاعية المختلفة الاتجاهات التي اعتمدها الأوروبيون في محاولتهم للتعرف على البلاد شعبا وثقافة. هكذا تم تحديد عدد من المواقع الأثرية جغرافيا وتاريخيا كموقع ليكسوس وبناصا ووليلي إلخ... وقد كان لكل من هنري دولامارتينيير H. De La Martiniére وشارل تيسو Ch. Tissot الأسبقية في التعريف بأول هذه المواقع، وبفتح آفاق البحث الأركيولوجي الذي سبقت إليه أوربا سواء في مناطق من أراضيها (اليونان، إيطاليا) أو جهات خارجة عنها لكنها مصيرية بالنسبة لتطلعاتها المستقبلية (الشرق الأدنى والأوسط).

وإذا كانت عمليات الحفر قد واكبت مباشرة عمليات الاستكشاف (حفريات دولامارتينيير بليكسوس في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر). وتوبعت بعمليات أخرى في بداية القرن العشرين (بناصا، 1911)، فإن ذلك لم يعْدُ أن كان مجرد مبادرات منفردة، خارجة عن كل تنظيم عملي وعلمي كما في البعثات الأركيولوجية. ومع بداية القرن العشرين وبالضبط في سنة 1915 نظمت أول بعثة أركيولوجية للحفر والبحث والدراسة العلمية في موقع وليلي، أسندت مسؤولية إدارتها للويس شاتلان L. Chatelain وبذلك انطلق فعلا العمل الأركيولوجي المعاصر، حيث توافد على المغرب عدد من الباحثين الفرنسيين ومختلفي الاختصاصات والاهتمامات لتكثر بكثرتهم عمليات البحث وتتعدد.

على أن عمليات البحث هذه إنما انصبت بالخصوص على ما يعود للفترات ما قبل الإسلامية (أو المصطلح عليها بالكلاسكية)، لما لها من ارتباط بالوجود الاستعماري الروماني في القسم الشمالي من المملكة المغربية، وهذا مرتبط أساسا بسياسة فرنسا بالمغرب القاضية بإبراز ماله ارتباط بالحضارة الرومانية، باعتبارها إحدى قواعد الحضارة الأروبية وأحد مناهلها، مع ما في هذه السياسة من إرادة طمس أو تجاهل لما دونها من رواسب وشواهد حضارية وتراثية.

ولما اتضح ما تزخر به أرض المغرب من بقايا أثرية متنوعة مختلفة الحقب انكبت سلطات الحماية على تنظيم قطاع الآثار والتراث وتقنين عمليات الحفر عن الآثار والمحافظة على المباني والمواقع. فكان أن صدر أول نص قانوني بمثابة ظهير متعلق بالمحافظة على المباني والنفائس التاريخية في 13 ذي الحجة 1330 / 26 نونبر 1912. وأن أحدثت أول "مصلحة للآثار القديمة" في منتصف السنوات العشرين، اختارت لها موقع وليلي مقراً قبل نقلها إلى الرباط العاصمة.

وكانت أول مؤسسة تراثية رأت النور في الإطار التنظيمي هذا هو المتحف الأثري بالرباط الذي تم تأسيسه سنة 1933 وأطلق عليه اسم متحف لويس شاتلان L. Chatelain أول مدير "لمصلحة الآثار القديمة المغربية". وفي هذه البناية خصّص جانب لعرض التحف الأثرية المستخرجة من بعض المواقع بينما خصص الجانب الثاني لإيواء المرافق الإدارية لمصلحة الآثار. بعد ذلك بسنتين قطع البحث الأثري بالمغرب مرحلة جديدة أخرى هي مرحلة النشر المنظم بإصدار أول مجموعة أثرية بعنوان *نشريات مصلحة الآثار القديمة بالمغرب* *Publications du Service des Antiquités du Maroc* التي عمرت إلى حدود سنة 1962 حيث صدر منها سبعة عشر جزءا. وفي سنة 1956 صدر أول عدد من السلسلة الجديدة *النشرة الأثرية المغربية* *Bulletin d'Archéologie Marocaine* لتعوِّض شيئا فشيئا المجموعة الأولى وتساير إلى يومنا هذا نشر نتائج ما تسفر عنه الدراسات والأبحاث الأثرية بمختلف حقبها وتخصص أصحابها، وتعتبر سنة 1975 سنة هامة بالنسبة للبحث الأثري بالمغرب، حيث أعيد فيها تنظيم هيكلة إدارة الآثار بجعلها مصلحة متخصصة في البحث والتنقيب والدراسة والنشر، وتوسيع مسؤولياتها على مجموعة التراب الوطني. وقد واكب التنظيم إقرار سياسة جديدة في البحث (مغربية الأطر) وفي العلاقة مع الباحثين الأجانب على وجه الخصوص، حيث قننت عملياتهم بشكل يسمح للإدارة المغربية بالمراقبة الصارمة وبوضع برامج البحث وضبطها. ثم في سنة 1985 أحدث المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث ليقوم بمهمة تكوين الجيل الصاعد في حقول التراث ومسؤولية متابعة البحث الميداني والعلمي وتقنينهما والإشراف عليهما.

وليس بالأمر السهل أن يتحدث المرء عن الآثار المغربية بالإيجاز المطلوب، وذلك اعتبارا لما يطبعها من غنى وتنوع تنغمس جذوره في حقب غابرة من التاريخ. فالآثار المغربية ترتبط بحقب مختلفة تنقسم عموما إلى ثلاث مراحل : فترات ما قبل التاريخ، وعهود ما قبل الإسلام، والعهود الإسلامية، وهي تقسيمات تحدد المراحل التي طبعت تاريخ الإنسان على أرض المغرب.

تعود أقدم البقايا الأثرية التي تم الكشف عنها بالمغرب إلى ما بين مليون ومليوني سنة، وهي عبارة عن أدوات حجرية مصقولة ضبطت سنة 1941 بمقالع سيدي عبد الرحمان بضواحي الدار البيضاء (R. Neuville et Ruhlmann, 1941, p. 32) على أن هذا الاكتشاف الهام لا يزال يفتقر حتى اليوم إلى البقايا الإنسانية للمجموعات البشرية التي صنعت هذه الأدوات وتداولتها. وبذلك تبقى أقدم البقايا العظمية البشرية تلك التي عثر عليها بنفس الموقع سنة 1955 (جمجمة وثلاثة أجزاء من فكوك) التي أرخت بمائتي ألف سنة خلت ؛ هذه البقايا جعلت الإنسان المغربي يتأخر بخمس وثلاثين ألف سنة عما سبق، وإن سبق أن حدد له، عندما اكتشف "إنسان الرباط" (165 ألف سنة) في مطلع 1934. وقد جاءت بعد ذلك وعلى طول ما يناهز نصف قرن من البحث والتمحيص، عدة مواقع مغربية ساحلية لترسم

باكتشافاتها خريطة الوجود البشري الهام على أرض المغرب على امتداد مواقع تَافُوغَالْت بناحية وجدة وجبل إغود بناحية أسفي (الإنسان والحضارة العتيرية 30000-50000 سنة) مغارات تمارة الهرهورة، والمهربين ودار السلطان وكلها بناحية الرباط (الحضارة البيرومورروسية 10000-20000 سنة) إلخ... أما العصور الممهدة فتمثلها في بلادنا مواقع عديدة تمتد رقعة انتشارها على طول الخريطة المغربية من الساقية الحمراء جنوبا إلى الشواطئ المتوسطية شمالا، كما تمثلها النقوش الحجرية المتعددة التي تحتفظ بها مناطق من الصحراء وجبال الأطلس. وتعد البقايا الأثرية المرتبطة بالفترات ما قبل الإسلامية بالمغرب، وأولى المخلفات التي جلبت اهتمام الباحثين الأروبيين والفرنسيين منهم على وجه الخصوص : فكان لكثافة هذه التحريات أن ضبط العديد من المواقع كان الكثير منها مدنا مشهورة، عرفت في نصوص الأقدمين، ووصفتها كتب اللاحقين، اعتباراً لما كان لها من دور في تلك الحقب، اقتصادا وحضارة. ومن أشهر هذه المواقع وليلي بضواحي زرهون، كانت مدينة اعتبرها الكثير من الباحثين عاصمة ثانية للملك الموريطاني يوبا الثاني (25 ق.م. 33 للميلاد) وكانت وليلي أول المواقع التي جرى فيها التنقيب والحفر الأركيولوجي. ومنها استخرجت أنفس التحف البرونزية والخزفية وغيرها المحفوظة بالمتحف الأثري بالرباط. ومنها ليكسوس على ضفة اللكوس، وتعتبر ثالثة المدن الكبرى بالمغرب الكلاسيكي إلى جانب قادس بإيبيريا وقرطاجة بالبلاد

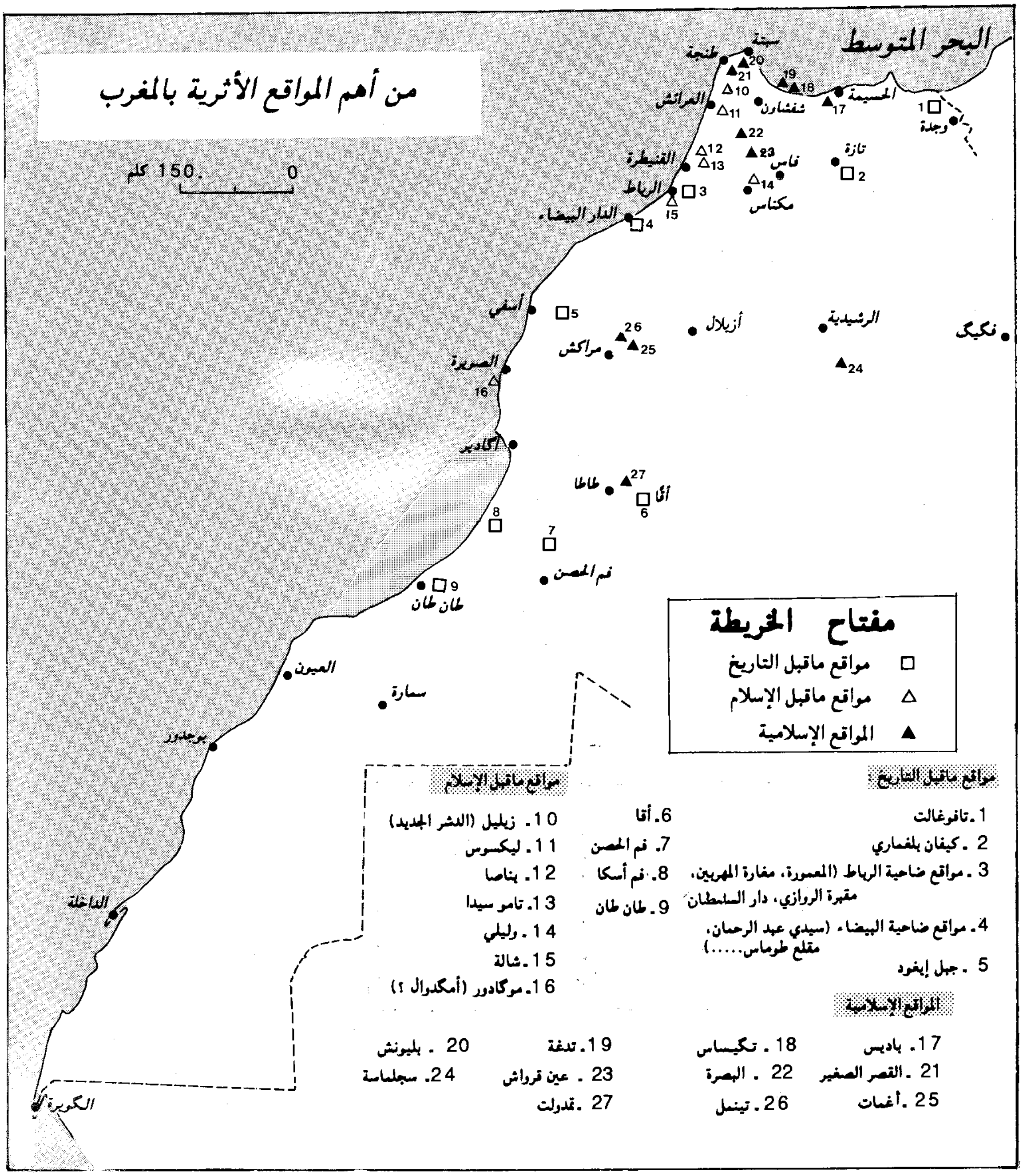

التونسية ؛ ومنها سلا، المدينة الرومانية ثم المدينة ما قبل الرومانية التي عرفت في ضوء مستخرجاتها (قاعدة تمثال سولبيسيوس فليكس Sulpicius Félix) بجوانب من النظام البلدي الذي كانت تدار به بعد أن ظنها الباحثون قبل ذلك مستوطنة رومانية ملكية، اختارها أبو يوسف يعقوب المريني (656-686 / 1258-1286) لتكون مأوى أخيرا له ولأفراد عائلته. ومنها موگادور بمقربة من مدينة الصويرة الحالية، حيث ضبطت أولى الإشارات الثابتة إلى ما اصطلح عليه بالفترات الموريطانية والبونيقية (القرن السابع قبل الميلاد).

أما آثار العهود الإسلامية فمتعددة ومختلفة بتعدد الدول والأسر الإسلامية التي حكمت المغرب منذ الفتح الإسلامي، واختلاف معالم العمران التي تخلفت لنا عنها.

لقد بدأ البحث عن الآثار الإسلامية المغربية مع مطلع السنوات العشرين، وكانت هي الفترة التي رأت تأسيس "معهد الدراسات العليا المغربية" Institut des Hautes Etudes Marocaines الذي كان له دور فعال وكبير في مجال البحث والدراسة في العلوم الإنسانية وظهور مجلة هيسبريس *Hesperis* التي كانت السند الطبيعي والعامل الأساسي للتعريف بنتائج هذه الدراسات.

وبإلقاء مجرد نظرة على الطريق التي اتبعتها التحريات الأثرية الإسلامية، يتبين أنها واكبت التطورات السياسية والعسكرية للوجود الفرنسي، حيث تمت أولى التحريات في مناطق الأطلس والسهول الأطلنتيكية كمسجد تينمل والكتبية ومسجد تيط والقلاع المرابطية إلخ... وذلك تمشيا مع تحكم سلطة الحماية في هذه المناطق. بعد ذلك تنوعت الأبحاث واتجهت اتجاهين أساسيين : اتجاها اهتم بالوقوف على المنجزات المعمارية العظيمة التي خلفتها الدول التي حكمت المغرب الإسلامي ودراستها (جوامع ومدارس وقصور) واتجاها استهدف التنقيب في مواقع معروفة وهامة (شالة المرينية مثلا).

وحيث إن معظم الباحثين كانوا يجمعون ما بين طموح الأثري وفضول المؤرخ، فإن الملاحظ أن البحث الأركيولوجي في الفترات الإسلامية كان يواكب، في العديد من تحرياته، الإشكاليات التي كانت النصوص والوثائق التاريخية تضعها أمام الدارس المؤرخ والتي كانت لا تغني فضوله بقدر ما تثيره.

ورغم هذا المجهود كله، فإنه ليس هناك معرفة متوازية لمخلفات كل حقبة من حقب الوجود الإسلامي هذا، ولا للخصوصيات التي امتازت بها عطاءات الدول تناسبا مع ما طبع حقب وجودها من مميزات حضارية وفنية. فإن كانت الآثار الموحدية والمرينية مثلا معروفة إلى حد كبير حتى في بعض جزئياتها فإن ما يعود إلى فترات أخرى كالإدريسية والمرابطية وحتى السعدية والعلوية، لا يزال ينتظر تظافر الجهود العلمية ليخرج من طيات المجهول إلى نور المعرفة.


عبد العزيز توري، *تأملات في واقع الأركيولوجيا المغربية*، الملحق الثقافي لجريدة العلم، شتنبر 1985.

Publications du Service des Antiquités du Maroc, 1933-1961 ; *Bulletin d'Archéologie Marocaine* T.1, 1956, T. XVI, 1985-86 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, dans *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres*, IX, 1978, p.203-221 ; H. De La Martiniére, *Recherches sur l'emplacement de la ville de Lixus*, 1890 ; L. Chatelain, *Note sur les fouilles de Volubilis* (Maroc), *C. R. de l'Académie des Inscriptions et Belles - Lettres*, 1916, p. 359-366 ; *Travaux et recherches* du Service des Antiquités du Maroc depuis 1919, C. R. de l'Académie des Inscriptions et Belles - Lettres, 1922, p. 28-31 ; A. Ruhlmann, *Le Poléolithique marocain*, P.S.A.M. fasc. 7, Rabat, 1945, p. 3-103 ; G. Choubert et J. Marcais, *Le quaternaire des environs de l'âge de l'Homme de Rabat*, C.R.A.S. T. 225, 1947, p. 1645-1647 ; C. Arambourg et P. Biberson, *Découverte de vestiges humains acheuléens dans la carriére de Sidi Abderrahman prés de Casablanca*, C.R.A.S., T. 240, 1955, p. 1661-1663 ; M. Ponsich, *Lixus, le Quartier des Temples*, ETAM IX, 1981 ; A. Touri, A. Akerraz et M. Makdoun, *Le Maroc des origines à l'avênement de l'Islam, dans la Grande Encyclopédie du Maroc, Histoire*, Rabat, 1987, p. 8-38.


عبد العزيز توري

**ابن آجَطّا**، عبد الله بن عمر الصنهاجي، من صنهاجة صفرو. وتحذف كلمة "ابن" من كنيته فيدعى : آجطا، كما تحذف الهمزة فيقال : جطا، وگطا - بالكاف المعقودة - أحد أعلام القراء في المغرب المتخصصين في رسم القرآن وضبطه. أخذ عن إمام هذا الفن بلا منازع محمد بن محمد الشريشي الفاسي المعروف بالخراز (تـ 718 / 18. 1319) ولازمه مدة طويلة يقرأ عليه مؤلفاته لا سيما مورد *الظمآن في رسم أحرف القرآن* الذي طبقت شهرته الآفاق، وأجازه الخراز فيه، فشرحه ابن آجطا شرحا وافيا نقديا، بدأه في حياة شيخه الخراز وأتمه بعد وفاته، وهو أول من شرح هذا الكتاب فدعي الشارح، وإن تعدد الشراح من بعده كثيرا.

يرى ابن خلدون أن كتاب الإمام الخراز يعدُّ آخر مدرسة للقراءات بالمغرب هجر الناس به كتب الأقدمين واقتصروا عليه وذاعت شهرته في الآفاق (*المقدمة*، 785) والحق أن لتلميذه ابن آجطا يدا في تأسيس هذه المدرسة الجديدة وشهرتها بكتابه *التبيان في شرح مورد الظمآن*، أوضح القواعد التي جمعها الخراز أو استنبطها، ورجع في ذلك إلى الأصول مقارنا ومحللا ومنتقدا. وتصدر ابن آجطا - بعد موت الخراز - لنشر هذا الفن بفاس، فكان أستاذ كرسي القراءات فيها، وعنه أخذ كبار الأعلام أمثال محمد بن أجروم المعروف بمنديل، وعلي بن يخلف المديوني الشهير بابن جزو أحد شيوخ يحيى السراج الكبير.

أسلوب ابن آجطا في *التبيان* متين سلس في نفس الوقت، فباستثناء المقدمة المسجعة التي تدل على تمكنه من القواعد البلاغية، يأتي كلامه أثناء الشرح والتمثيل معبرا خاليا من الحشو والتعقيد. ونسخ *التبيان*، منها المطول، وهو الأصل، ومنها مختصرات لعلها من عمل طلبة ابن آجطا كتبوها من إملاءاته أو انتسخوها لأنفسهم حسب حاجياتهم. وهي كلها لا تختلف مع الأصل في الجوهر وإنما تتمايز طولا وقصرا.

وقد اعتمد قراء المغرب عبر القرون شرح ابن آجطا وتداولوه في الحواضر والبوادي، وانتشر حتى خارج المغرب. وممن نوه به الإمام محمد ابن قاسم القصار شيخ الجماعة بفاس في العصر السعدي، في خطاب وجهه إلى تلميذه أحمد بن علي الشريف العلمي لما رجع هذا الأخير إلى شفشاون في أوائل استقراره بها، مبتهجا بأخبار نشاطه في التدريس قائلا : "وأعجبني إقراؤك *الرسالة* وفرحت به... وكذلك إقراؤك الخراز أعجبني، واعتمد على ابن آجطا فإن نقله صحيح جدا، وكثير من شروح الخراز فيه تحريف" (*مرآة*، ص. 171).

توفي ابن آجطا بفاس حوالي عام 750 / 49-1350 ودفن داخل باب الحمراء بأول الكغادين مقابلا لزنقة أزمور وقد انطمست معالم قبره الآن.

ي. السراج الكبير، *الفهرس* (مخطوط) ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*، 171 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 105-106 ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب* (مرقون).

**آجْلَيَانْ**، عبد الله الزجلي، فقيه مشارك قرأ في قريته الريفية قبل أن يتوجه إلى فاس ليدرس على كبار شيوخها أمثال يحيى بن محمد السراج، وعبد الواحد الحميدي، ومحمد القصار، ثم رجع إلى مسقط رأسه ببني زجل على ضفاف وادي لاوْ من بلاد غمارة مشتغلا بالتدريس والفتيا. واشتهر ذكره بسبب خلافه مع قاضي بني ورياگل إبراهيم الگلالي في مسألة شاب وشابة هربا من قريتهما الغمارية ثم رجعا ورغبا في عقد قرانهما، فعزل القاضي المرأة للاستبراء عند أمين وحكم بتأبيد تحريمها على الهارب بها معاملة له بنقيض قصده وزجراً له على اغتصابه وفسقه.

التجأ المحكوم عليه إلى آجليان فأفتاه بنقيض ما قضى به الگلالي حاكيا في فتواه الأقوال المتباينة لأئمة المذهب المالكي والحنفي مرجحا الحلية التي هي مذهب مالك في **الموطأ** وقول ابن القاسم وجماعة من العلماء، وهو المشهور وبه العمل والفتوى. غضب القاضي لهذه الفتوى واتهم آجليان بممالأة الظلمة الفسقة دونما تريث أو مراعاة للصالح العام، وعلق عليها بكلمات نابية جاء فيها أن الخلاف الفقهي في المسألة يعرفه حتى الصبيان، وأن الصواب هو التحريم الذي أفتى به جماعة من الفقهاء سماهم ومنهم شيخاه يحيى السراج وعبد الواحد الحميدي.

تطورت المسألة إلى "مواجهة قلمية عنيفة" بين القاضي والمفتي رددت أصداءها كتب الفتاوي المعاصرة، إذ كتب آجليان ردين مسهبين على إبراهيم الگلالي ينبزه بالقصور والتنكب عما يجب به الحكم من المشهور وما جرى به العمل، ويتهمه بانتحال الانتساب إلى كبار الشيوخ الذين زعم أنه قرأ عليهم بفاس. ألف الگلالي حينئذ كتاب *تنبيه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهارب والهاربة من الهذيان، لمدعي استحقاق الفتوى آجليان*. تحامل فيه كثيرا على خصمه، لكنه مع ذلك احتفظ لنا بنصوص ردود آجليان التي تدل على قوة عارضة هذا الرجل وواسع اطلاعه على أصول الفقه وفروعه، وطول نفسه في النقاش والدفاع عن وجهة نظره، وإن كنا في النهاية مع القاضي الواعي بمسؤوليته في ردع الجناة وحماية المجتمع من داء التخليق والهروب بالنساء الذي أخذ ينتشر في تلك الفترة المضطربة التي أعقبت وفاة أحمد المنصور.

توفي آجليان حوالي عام 1630/1040.

إ. الگلالي، *تنبيه الصغير من الولدان* (مخطوط) ؛ ع. الزياتي، *الجواهر المختارة* (مخطوط) ؛ م. القادري، نشر، 1 : 38 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 256 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 308، 2 : 310، 460.

محمد حجي

**آدم**، أحمد بن محمد بن عيسى الرباطي، وصفه القادري في *نشر المثاني* بالشيخ الحافظ الشريف. وعده صاحب *المنح البادية* من جملة شيوخه الذين تلقى عنهم العلم وأجازوه وقال : "سمعت عليه الحديث المسلسل بالأولية وأحاديث من *الصحيحَين* وأجازني فيهما وفيما له من مقروء ومسموع وأضافني على الأسودين وصافحني وشابكني وألبسني وناولني السبحة وهو يروي عن شيوخ فاس كالإمام أبي البركات عبد القادر الفاسي وأبي الضياء محمد بن أحمد ميارة وأبي البقاء الأبار وغيرهم، ورحل إلى الجزائر وأخذ بها عن العلامة سعيد بن إبراهيم التونسي النجار الجزائري الدار الشهير بقدورة".

وقد ذكر محمد بوجندار في مقدمة كتابه *تعطير البساط* أنه غير متحقق من كون القاضي آدم تولى قضاء الرباط لذلك لم يدرجه ضمن قضاة الرباط الذين ترجم لهم.

توفي آدم سنة 1094 / 82-1683 ولا يعرف مدفنه.

م. ع. الفاسي، *المنح البادية*، مخطوط ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، 277 ؛ *نشر*، 2 : 309 ؛ م. البشير ظافر، *اليواقيت الثمينة* ؛ م. ابن علي الدكالي، *الاتحاف الوجيز* ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط* ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط 1987 ؛ *تعطير البساط*، الرباط، 1345.

عبد الإله الفاسي

**آكِلُ العسل**، Mellivora Capensis Leuconota (Sclater) ويسمى أيضا الظربان، وشنصر، ويعرف في جنوب المغرب بأرْيْزين وبُوقْدَيِّم وأنديوف، وهو حيوان ينتمي إلى الثدييات اللاحمة من فصيلة العرسيات Musteleidae طوله يتراوح بين 65 و75 سم جمعا بين الرأس والجسم، يبلغ طول ذيله 18. 25 سم وقوائمه الخلفية 8 سم، وعلوه عند الغارب 25 سم ويصل وزنه إلى 11 كلغ على الأكثر. يغطي ظهره شعر قصير متكاثف فاتح البياض لكنه يصير كدر البياض فوق الرأس وأسود جهة البطن والجوانب والذيل.

يمتاز بجسم قوي، عريض ومنحدر فوق القوائم التي تنتهي بمخالب طويلة وقوية. جمجمته طويلة وعريضة جهة الخلف وفكه قصير وقوي، صيغة أسنانه كالآتي :

قوارض 3/3، أنياب 1/1، أضراس أمامية 3/3، أضراس 1/2، 34 سنا قوية وقصيرة. يعيش هذا الحيوان منفردا أو مزدوجا داخل الجحور التي يحفرها بسرعة تلفت النظر. إنه حيوان ليلي على العموم على الرغم من مشاهدته أحيانا في النهار. يتكون غذاؤه من اللبونات الصغرى وخاصة منها القواضم من الطيور والزواحف والحشرات والبيض، كما أنه يتناول الجذور والفواكه والجيفة أحيانا. إنه شجاع ومقدام، في استطاعته أن ينقض على فريسة أكبر منه كالحيرم مثلا الذي يعض حالبه وأعضاءه التناسلية في أول الأمر مما يؤدي إلى نزيف الفريسة وقتلها. يُلاحظ هذا السلوك عادة خلال فترة النزو Rut. هوايته المفضلة هي أكل العسل مما أدى إلى تسميته آكل العسل Mellivora لهذا يعد هذا الحيوان أكبر مخرب لجباح النحل والطنان. أثناء عثوره على الجباح يهجم بلهفة دون تردد ولا يخاف من الغرزات لتوفره على شعر كثيف وطبقة شحمية غليظة تحت الجلد تحميه من اللذغات. وفي استطاعته أن يتسلق الأشجار إذا اقتضى الأمر ذلك ليصل إلى الجباح.

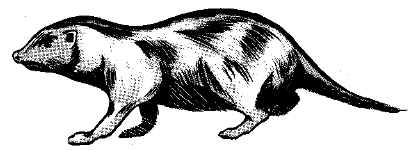

آكل العسل

يترك وراءه خسائر كبيرة داخل أفنية الدواجن إذا تمكن من الولوج إليها. تضع الأنثى عادة مرة كل سنة فردين، وتدوم فترة الحمل 6 أشهر. يمكن إيلاف الصغير إلا أنه يشترط ابتعاده من فناء الدواجن.

يقتصر توزيعه الجغرافي على الشمال الغربي الإفريقي لكن يستبعد أن يشمل الاسم نفس الحيوان الذي يعيش في الهضاب الصحراوية والغابات الكثيفة الموجودة بغينيا. يعيش هذا الحيوان في الجوانب الصحراوية بجنوب المغرب ويتوقع وجوده أيضا بناحية سوس.

S. Aulagnier et M. Thevenot, 1986, *Catalogue des Mammiféres Sauvages du Maroc*... Trav. Inst. Sci. Série Zoologie n° 41.

محمد رمضاني

**الآلـة**، إنها الكلمة التي استعملت في المغرب منذ أجيال للدلالة على نوع من الغناء المستعمل بالمدن والمصحوب بآلات الموسيقى بقصد تمييزه عن غناء من نوع آخر يؤدى بدون مرافقة الآلات ويسمى السماع. ومنذ عهد قريب أخذ الناس يدعونها، أيضا، الموسيقى الأندلسية إشارة إلى مصادرها الأولى. ولعل في إطلاق هذا الاسم كثيرا من التعميم الذي لا يطابق الحقيقة، لأن في الآلة أجزاء مهمة تعد من ابتكار المغاربة، كالأدراج، مثلا.

تمثل الآلة الطرب التقليدي المغربي في أرقى درجاته، الطرب المستعمل في القصور السلطانية والحفلات العائلية الكبرى بالحواضر المغربية العريقة مثل فاس وتطوان وطنجة والرباط وسلا إلخ. فهي كما يقول شوتان في كتابه عن *الموسيقى المغربية* : "نمط قريب من الموسيقى الأروبية كما كانت منذ قرن ونصف والتي تدعى موسيقى الحجرة أو موسيقانا السمفونية الأولى" (ص. 104). لذلك فهي تتميز عن أنواع أخرى من الطرب أكثر ارتباطا بالأوساط الشعبية مثل الملحون والعيطة والطقطوقة الجبلية وأقلال وأحواش وأحيدوس إلخ.

النوبة : الآلة عبارة عن مجموعة من النوبات تتميز عن بعضها بنغمها الخاص، وكان عددها في الأصل أربعا وعشرين، على عدد ساعات النهار، لكن، نظرا لما لحقها من ضياع، فقد أدمجت بعض النوبات المتقاربة في النغم مع بعضها، فأصبح عددها، في النهاية، إحدى عشرة. وتتميز النوبة المستعملة حاليا في الآلة بصفات أهمها :

وحدة النغم أو التقارب بين مجموعة من الأنغام إذا اختلفت فيما بينها، كما سيأتي فيما بعد. واشتمال النوبة على مجموعة من الأشعار المختلفة في شكلها وأعاريضها ولغتها. والربط بين النوبات وأوقات اليوم. وخضوع النوبة لنظام إيقاعي موحد يتفرع إلى خمسة موازين كبرى سيأتي الحديث عنها. واشتمال النوبة على طبع أو أكثر. والأصل في استعمال الكلمة يرجع إلى الربط بين الأنغام وطبع الإنسان. فنجد عند بعض المؤلفين اجتهادات في الكشف عن معاني بعض الطبوع أو المقامات كما يدعوها المشارقة. يقول صفي الدين الأرموي، مثلا، في *شرح كتاب الأدوار* : "والعشاق والنوا وبوسليك تولد فيها [في النفس] الشعور بالقوة والشجاعة. أما الراست والعراق والأصفهان فتبعث فيها الإحساس بالغبطة والسرور..." ونجد اجتهادات مماثلة عند الحائك التطواني.

ومن ثم جاءت الفكرة لمدوني الآلة في الربط بين الطبوع والعناصر الأربعة التي تتكون منها الطبيعة حسب فلاسفة اليونان وهي النار والماء والهواء والتراب وما يرتبط بها من طبائع أربع هي الحرارة واليبوسة والرطوبة والبرودة. وهكذا فإن "طبع رصد الذيل عنصره هو التراب، وطبيعته البرودة واليبوسة" وعند تصنيف الطبوع، يميز أصحاب الآلة مثل الونشريسي والحائك بين طبوع تعتبر أصولا وأخرى تعد فروعا منها كما يوضحه الجدول التالي :

| العنصر 1<br>التراب<br>يهيج السوداء | العنصر 2<br>الماء<br>يهيج البلغم | العنصر 3<br>الهواء<br>يهيج الدم | العنصر 4<br>النار<br>يهيج الصفراء | |
|---|---|---|---|---|
| الأصل<br>الذيل<br><br>الفروع<br>1 - رصد الذيل<br>2 - الاستهلال<br>3 - عراق العرب<br>4 - عراق العجم<br>5 - المشرقي الصغير<br>6 - مجنب الذيل<br>7 - رمل الذيل | الأصل<br>الزيدان<br><br>الفروع<br>1 - الأصبهان<br>2 - العشاق<br>3 - الحجاز الكبير<br>4 - الحصار<br>5 - الزور كند<br>6 - الحجاز المشرقي | الأصل<br>الماية<br><br>الفروع<br>1 - رمل الماية<br>2 - انقلاب الرمل<br>3 - الحسين<br>4 - الرصد<br>5 - الصيكة | الأصل<br>المزموم<br><br>الفروع<br>1 - غريبة الحسين<br>2 - حمدان<br>3 - المشرقي | الأصل<br>الغريبة المحررة<br><br>أصل بدون فرع |

توزيع الطبوع حسب العناصر الأربعة

كما تتميز النوبة بأن كل ميزان فيها يخضع، غالبا، لترتيب معين تتوالى أجزاؤه على الشكل الآتي: أ ـ البغية: مدخل موسيقي خال من الإيقاع يتحرى الإحاطة بالجملة الموسيقية التي ينبني عليها الطبع الأساسي في النوبة. ب ـ التوشية : قطعة صامتة ذات إيقاع حثيث وخفيف. ج ـ الصنائع : سلسلة الأشعار الملحنة، وربما تخللت الصنائع تواش داخلية. د ـ الإنشاد : في وسط الميزان، قد يتوقف الجوق عن أداء الصنائع ليفسح المجال لمطرب جميل الصوت كي يؤدي الإنشاد، الذي هو عبارة عن شعر يتغنى به في نفس الطبع في لحن خال من الإيقاع لكن له قواعده وشروطه. هـ ـ بعد الانتهاء من الإنشاد، يستأنف الجوق أداء بقية النوبة. وغالبا ما يدخل في صنائع القنطرة التي تمثل مرحلة وسطى في سرعتها بين الصنائع الأولى المرتلة والأخيرة التي تعزف بخفة متزايدة وتعرف بصنائع الانصراف التي تنتهي بما يسمى قفل الميزان.

الصنعة : كلمة ترادف اللحن الذي تغنى به كل قطعة شعرية، وهي تدل على الاجتهاد الذي أدخل على ذلك اللحن بما فيه من ترجيع وتنويع في النغم. ولذلك فإن صنائع الآلة تختلف من حيث الطول والقصر. ونظرا لارتباطها بنوع الشعر المستعمل، فلا بد من أن نلقي نظرة على الأشعار المستعملة :

1. الموشح : أكثر صنائع الآلة من الموشحات على اختلاف أشكالها، وبما أن الموشحات تمتاز، في الغالب، بطولها فيقتصر على قسم واحد منها، ما عدا بعض الموشحات المستعملة في الانصراف، سنعود إليها فيما بعد. والجاري به العمل هو :

القطعة السباعية : بيتان أولان هما مطلع الموشح ويسميان في الاصطلاح الموسيقى الدخول. وتأتي بعدهما ثلاثة أبيات بقافية مغايرة يسمى كل واحد منها سمطا وتدعى عند الآليين كرش الصنعة، ثم يقع الانتقال إلى البيتين الأخيرين اللذين يكونان على روي المطلع ويسميان القفل وفي اصطلاح الآليين الخروج.

ـ القطعة الخماسية : لا تختلف عن السابقة إلا في كون المطلع أو الدخول حسب اصطلاح الآليين حذف منها فلم يبق فيها إذن إلا خمسة أبيات.

2. الشعر العمودي :

ـ القطعة السداسية : لا يوجد منها كثير بالآلة. فنذكر من بينها، على سبيل المثال، صنعة في قائم ونصف رمل الماية مطلعها :

إنْ قيل زُرْتُم بما رجعتُم — يا أكرمَ الخلق ما أقــولُ

ـ القطعة الرباعية : هي، أيضا، غير كثيرة، نذكر منها، مثلا،

كلُّ شيءٍ له انتهــاءٌ وحــدٌّ — غيرَ شوقي إليك ما له حــدٌّ

ـ القطعة الثلاثية : قليلة نذكر منها أبياتاً من بحر البسيط تستعمل في قدام الأصبهان، مطلعها.

لله شخص بديع الحسن فتانُ — صاحٍ ومن نشوة العينين سكران

ـ القطعة الثنائية : قد تختلف طريقة أدائها، فمنها التي يغنى فيها البيت بكامله ويردف بالجواب الآلي مثل :

عشيَّــة كأنهــا عقيــان — لون الذهب في دوحة البستان

ومنها التي يغنى فيها كل شطر على حدة.

3. البراول : وهي قطع من الشعر الملحون بالدارجة المغربية الذي يختلف عن الزجل الأندلسي لفظا ونظما. وتختلف طولا ووزنا وشكلا عن أشعار الآلة الأخرى. وكثير من مقطوعاتها تنسب إلى الشيخ محمد الحراق التطواني. وأكثر ما تستعمل في ميزاني الدرج والبسيط.

تلك هي الصنعة من حيث أشكالها الشعرية. وتختلف الصنائع من حيث الطول والقصر. وكل واحدة منها تعرف بعدد من الأدوار محددة عن طريق الإيقاع. ويمكننا أن نميز، بوجه عام، بين ثلاثة أنواع من الصنائع :

1. هنالك الصنعة البسيطة التي يتبع فيها اللحن الكلمات حسب تسلسلها في البيت دون إضافة كلمة ربط من نوع الطراطين والأننات، بحيث تكاد تقرب مما يسميه أهل العروض نغمات البحور. وهذا النوع هو الغالب على التخليلات التي يكثر ورودها في ميزان القدام بمختلف النوبات. فنذكر منها، على سبيل المثال :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها — تقبل الأرض عني وهي نائبتـي

من قدام رمل الماية

2. هنالك الصنعة المتوسطة التي تدخل عليها بعض الإضافات ولكن بصورة مخففة مثل :

أوقـدت في قلبي هــواكْ — وقـلـت لـي إيـاك تـبـوح

من بسيط الأصبهان، أو

يا واحد العصر في الجمال — وطلعـة البـدر في الكمـال

وهاته الإضافات هي التي اصطلح على تسميتها شغل.

3. هنالك الصنعة المشغولة، بكل معنى الكلمة، أي الصنعة التي تحتل فيها الإضافات حيزا كبيرا مثل :

صلوا يا عباد جملـة — علـى أشرف الـورى

وارضوا عن العشـرة — الأكرميــن البَــررة

من بسيط رمل الماية، أو

قد هب النسيم على وجبه — والليـل البهيـم رفع مشهبـه

من بطايحي العشاق، أو

عسى ترفقوا بي — يا حداة البـوازل

من بطايحي الاصبهان إلخ...

فالصنعة من هذا الصنف تتميز بطولها وتعدد أدوارها فتدخل عليها بصورة مكثفة الإضافات المتمثلة في الطراطين التي تشمل كلمات غير ذات معنى مثل :

يالالن، هانن، طيريطان، طار اللاطي، طاني طاناي إلخ، التي تساعد على ملء الفراغ الناشئ عن التفاوت بين البيت الشعري والجملة الموسيقية. ويجتهد اليوم شيوخ الآلة في التخفيف من الأننات أو حذفها، خلافا لما كان يجري به العمل عند الأجيال السابقة من أصحاب الآلة.

وبالجملة، فهنالك الصنائع الخالية من الشغل وتسمى،

أيضا، الصنائع البيضاء، والصنائع المشغولة التي يظهر فيها العمل الفني بصورة أجلى. لكن مهما كان الاختلاف بين الصنائع، فإنها تخضع لنسق محكم يتمثل في طبع النوبة أو مقامها، من حيث النغم، وفي وحدة الإيقاع من حيث الوزن والحركة وفي الهندسة العامة للميزان الذي ينتقل من البطيء إلى السريع.

التحليل الموسيقى للنوبات : بإضافة طبع الصيكة إلى الطبوع الأخرى التي رأيناها من قبل يصبح عدد الطبوع أربعة وعشرين، والنوبات إحدى عشرة. وفيما يلي تحليل موسيقى لنوبات الآلة وسلالمها المختلفة حسبما وقع عليه الاتفاق في المؤتمر الثاني للموسيقى العربية المنعقد بفاس سنة 1969.

1. نوبة رمل الماية : أربعة طبوع هي : رمل الماية والحسين وحمدان وانقلاب الرمل.

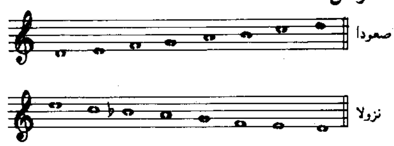


أ - رمل الماية

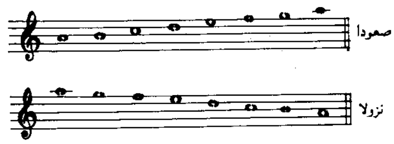


ب - الحسين

ج - حمدان

د - انقلاب الرمل

2. نوبة الأصبهان : طبعان هما : الأصبهان والزوركند

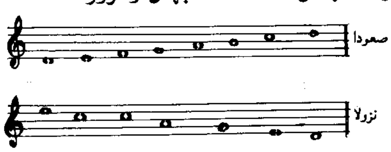


أ - الأصبهان

ب - الزوركند

3. نوبة المايه : طبع واحد صورته :

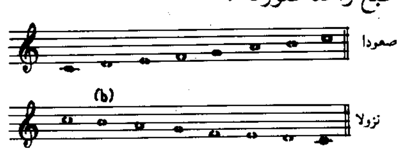


4. نوبة رصد الذيل : طبع واحد هو رصد الذيل وصورته هي

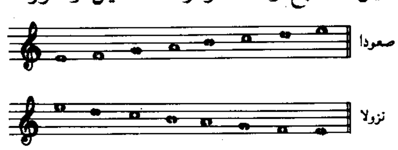


5. نوبة الاستهلال : طبعان هما الاستهلال وعراق العرب.

أ - الاستهلال

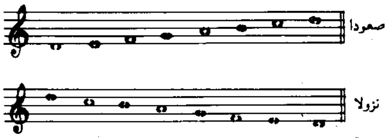


ب - عراق العرب

6. نوبة الرصد : أربعة طبوع هي : الرصد، والحصار، والزيدان، والمزموم.

أ - الرصد : يتميز بكون سلمه خماسيا

ب - الحصار

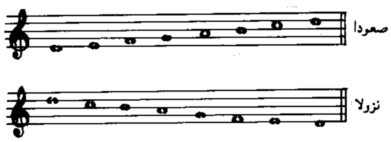


ج - الزيدان

د - المزموم

7. نوبة غريبة الحسين : ثلاثة طبوع هي : غريبة الحسين، والغريبة، المحررة، والصيكة.

أ - غريبة الحسين

ب - الغريبة المحررة

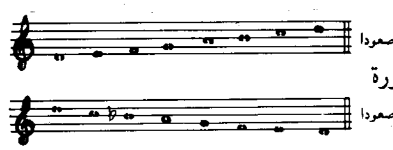


ج - الصيكة

8. نوبة الحجاز الكبير : ثلاثة طبوع هي : الحجاز الكبير، ومجنب الذيل، والمشرقي الصغير.

أ - الحجاز الكبير

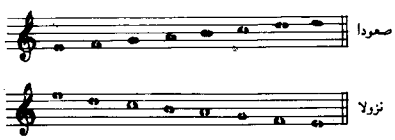

ب ـ مجنب الذيل

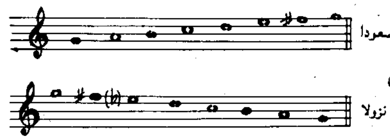


ج ـ المشرقي الصغير

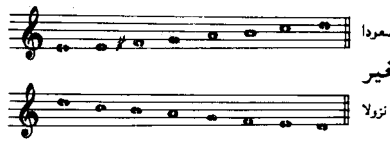


9. نوبة الحجاز المشرقي: طبعان هما الحجاز المشرقي، والمشرقي.

أ ـ الحجاز المشرقي

ب ـ المشرقي

10. نوبة عراق العجم

11. نوبة العشاق : ثلاثة طبوع هي : العشاق، والذيل، ورمل الذيل.

أ ـ العشاق

ب ـ الذيل

ج ـ رمل الذيل

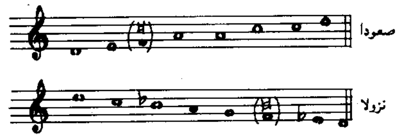


استدراكات : لابد من إدراج ملاحظات إضافية للمزيد من التعريف بالطبوع والنوبات :

1. إن التحليل الذي قدمناه عن بعض النوبات تقريبي ويعني الأعم والأغلب، لكن هنالك صنائع تشذ عن القاعدة وتنتسب لطبوع أخرى غير واردة في التحليل، إلا أن هذا الاختلاف لا يمنع من وجود التواصل والانسجام.

2. تحديد الطبع لا يقف عند السلم الذي ما هو إلا جزء من مقوماته، بل هنالك عناصر أخرى ذات أهمية تضفي على الطبع شخصيته، نذكر منها : انقسام السلم إلى جملة من الخلايا تختلف أبعادها بين ثلاث وخمس وتسمى أجناسا أو عقودا، بحيث إن السلالم المتشابهة يظهر الفرق بينها بسبب الاختلاف الواقع في تركيب الخلايا النغمية داخل كل طبع. ويتميز كل طبع بثلاثة أصناف من الدرجات :

أ ـ القرار : وهو الصوت الذي يرتكز عليه الطبع ويقف عنده ولا يشكل المحور الذي يدور عليه اللحن سواء في الاتجاه إلى المرتفع أو المنخفض. وهنالك طبوع تحمل اسم قرارها مثل الذيل والصيكة.

ب ـ المراكز : محطات ثانوية يجتاز منها سلم الطبع وتقترن بحدود الخلايا المشار إليها آنفا.

ج ـ الدخول إلى الصنعة : كل نوبة نجد لها اختيارات خاصة بها في الدخول إلى الصنعة أي في الدرجة الصوتية التي تنطلق منها الصنعة.

د ـ الاختلاف بين الدخول والكرسي.

هـ ـ جمل لحنية تتردد في كل ميزان تذكّر نوعا ما بما يجري في السمفونية بالموسيقى الكلاسيكية الغربية.

الميزان : تتميز الآلة بتنوع حركتها وانتقالها من البطيء إلى السريع ومن الثقيل إلى الخفيف. وليس يعني ذلك أنها حركة فوضوية، بل إنها مضبوطة في قواعد ومقاييس ونماذج يسميها الآليون موازين. والكلمة هي التي اصطلح عليها في الكتب الشرقية عن الموسيقى بالإيقاعات. تحتوي الآلة على خمسة موازين هي : البسيط، والقائم ونصف، والبطايحي، والدرج، والقدام. فبالاستماع إلى أداء الآليين نلاحظ وجود نقرات تتكرر على الطار والدربوكة، منها القوي والخافت في فترات زمانية متساوية. فالميزان يتكون من خلية إيقاعية تتكرر من البداية إلى النهاية. وهاته الخلية بالنسبة للقدام تتراءى لنا متركبة من نقرة قوية متبوعة بسكته تليها نقرتان خفيفتان على الشكل التالي :

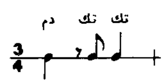


وقد استعرنا من القاموس المشرقي اصطلاح "دم" للدلالة على الزمان القوي و"تك تك" للدلالة على الزمان الضعيف.

قبل تقديم صورة تلك الموازين، يجب أن نشير إلى أن كل ميزان يمر من ثلاث مراحل :

أ ـ الموسع : يدل على حركة بطيئة ويضم تصديرات الميزان.

ب ـ المهزوز : يدل على التوسط في الحركة.

ج ـ الانصراف : يضم القطع السريعة التي تأتي في الجزء الختامي للميزان،

والانتقال من مرحلة إلى أخرى يسمى القنطرة الذي يشعر فيه المستمع بتغير الحركة بصورة محسوسة.

1. البسيط :

أ ـ الموسع المهزوز

ب ـ الانصراف

2. القائم ونصف :

أ . الموسع المهزوز

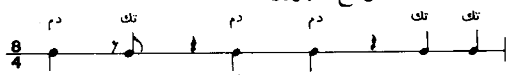

ب ـ الانصراف

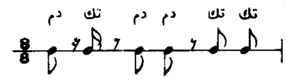

3. البطايحي :

أ ـ الموسع والمهزوز

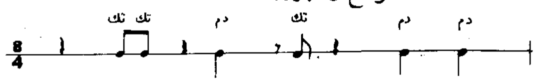

ب ـ الانصراف

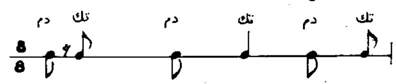

4. الدرج :

أ ـ الموسع والمهزوز

5 . القدام

أ ـ الموسع والمهزوز

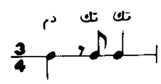

ب ـ الانصراف

الصورة التي قدمناها عن الموازين الخمسة هي المتداولة في الغالب. ويمكن أن تدخل عليها بعض التغييرات تبعا لآلة النقر: الكف (التوسيد) أو الطار أو الدربوكة وتبعا لاجتهاد العازفين وما يتحرونه أحيانا، من زخرفة، دون أن يمس ذلك طبعا بجوهر الميزان وعدد وحداته الأساسية.

هناك في الأخير، ملاحظة فنية تتعلق بطريقة أداء الإيقاع : فبالرغم من كون الميزان تكررا مستمرا لنفس الوحدة الإيقاعية، فإن الحذاق من الآليين يجتهدون كثيرا في إدخال التنوع عليه وتخليصه من شوائب الرتابة وذلك بالسير على بعض القواعد نذكر منها :

أ ـ تغيير بنية الإيقاع تبعا لسرعة الصنعة المعزوفة كما رأينا من قبل.

ب ـ استعمال "التبريد" عند الإنشاد ويعني الخفض من النقر حتى لا يكاد يسمع والاقتصار على الضروري من ضربات الإيقاع. ويدعى التبريد أيضا الخاوي أو الحسبي.

ج ـ التعمير : يدل على العكس وهو مستحسن عند الجواب ويعني إبراز النقر والتشديد عليه والتصرف في زخرفته. فتظهر مهارة العازف على الطار والدربوكة.

وقد اشتهر عدد من الآليين باتقانهم للنقر على الطار وكانوا أساتذة في أجواقهم.

الشعر : تحتضن الآلة جملة من الأشعار والموشحات والأزجال والبراويل في حجم ديوان شعري محترم. والبحث في هذا الموضوع مهم لما له من ارتباط بتاريخ الآلة والبحث عن أصولها كما سنرى. لكن، هنالك صعوبة لابد من ذكرها منذ البداية حتى يكون البحث في الموضوع مسلحا بكثير من الاحتياط والتحري. فالملاحظ أن دواوين الآلة ما بين مخطوط ومطبوع تبرز اختلافا في الأشعار وتكررا للبعض منها، بحيث إن كل حكم يمكن إصداره عن شعر الآلة سيكون غير مقنع، نظرا لما نشأ حوله من اختلاف أو تساهل في استبدال شعر بآخر. وحل المشكل يكمن في البحث عن أقدم نسخ المجموعات الشعرية المستعملة في طرب الآلة. والرواية المتداولة حاليا هي رواية الحايك الذي عاش في أواخر القرن الثامن عشر، في حين أن التراث الأندلسي يرجع إلى قرون قبل ذلك، اللهم إلا إذا أخذنا بالنظرية التي تقول إن الآلة هي مغربية أكثر منها أندلسية، وهو موضوع سنعود إليه.

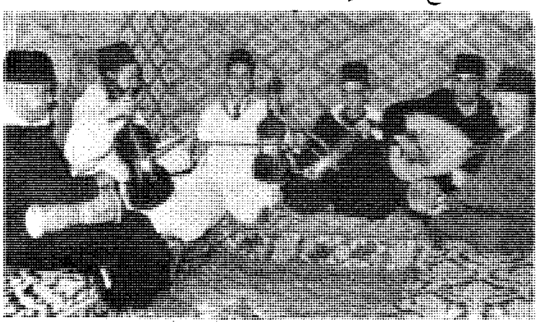

جوق الآلة لرباط الفتح

فالموضوع ما زال يتطلب مزيدا من البحث. وكل ما نستطيع القيام به حاليا، هو النظر إلى مجموعة الحايك وما هو مستعمل منها حاليا. ولكن يعترضنا، مع ذلك، مشكل آخر يتعلق بتحديد تاريخ القطع الشعرية المستعملة، الشيء الذي ليس بالسهل بالنسبة لكل الأشعار. وعلى أي فنحن نجد أنفسنا بين صنفين من الشعر :

1. صنف يصعب تحديد زمانه لأننا نجهل قائله وهو ليس بالقليل، مع العلم بأن البحث ما زال لم يسلط بالكفاية عليه حتى تتقلص نسبة الجهل في شأنه. فنحن، إذن، في وضع مؤقت ها هنا.

2. صنف معروف وموثق النسبة إلى أصحابه وهو الذي يمكننا أن نسلط عليه بعض الأضواء في التعريف بنوعية الشعر المستعمل في الآلة. ومدار حديثنا يتعلق بمجموعة من الأشعار تضم 135 قطعة. فإذا نظرنا إليها من حيث التاريخ، يمكننا أن نقسمها إلى أربعة عصور كبرى هي :

العصر الأول : يشمل القرون الأربعة الأولى للهجرة، ولا نجد منها في الآلة إلا ست قطع شعرية كلها لشعراء مشارقة هم : حسان بن ثابت، والشافعي، وأبو نواس، وأبو تمام، والمتنبي، أما الأندلسيون، فلا وجود لهم بالنسبة للعصور المذكورة.

العصر الثاني : يشمل القرون 5 و 6 و7 وقد رصدنا منه 36 قطعة شعرية. وستستمر مساهمة المشارقة ممثلة في عمر

ابن الفارض، والبهاء زهير، لكن مساهمة الأندلسيين ستبرز لأول مرة، إذ نصادف أسماء : ابن عمار، وابن عباد، وابن زيدون، والأعمى التطيلي، وابن زهر، وابن سعيد، وابن عطية، وابن القبطورنة، وابن بقي القرطبي. وهنالك شاعر مغربي هو الفزازي الذي يمكن عده في جملة الأندلسيين أيضا.

العصر الثالث : يعني القرون 8 و9 و10 وقد أحصينا ضمن المجموعة التي حددناها 62 قطعة شعرية، فنجد من بين المشارقة صفي الدين الحلّي، والرفاعي، والبوصيري، ومن الأندلسيين ابن سهل، والششتري، وابن الخطيب، وابن زمرك، ويوسف الثالث.

العصر الرابع : يعني القرون 11 و12 و13 وقد رصدنا فيه 31 قطعة. فنجد من بين المشارقة عبد الغني النابلسي، والبرعي، ولا نجد أحدا من الأندلسيين، بينما نجد من المغاربة أسماء : ابن زاكور، والعلمي، ومحمد المهدي الغزال، وعمر لوقاش، والحراق، وابن الحاج، وغريط، ومول القصور.

إننا نشعر، طبعا، بأن إحصاءنا ليس نهائيا ولا يسلم كليا من بعض الخطإ، ولكنه كاف ليقدم لنا الاتجاه العام الذي غلب على شعر الآلة. فنحن نلاحظ، مثلا، أن أكثر العصور عطاء هو العصر الثالث، أي ما بين القرن الثامن والعاشر الهجريين الذي يكاد يمثل نصف المجموع، وأن العصرين الأولين يمثلان أقل من الثلث. كما نلاحظ أن أكثر الشعراء عطاءً هم : الششتري، وابن الخطيب، وأحمد التطيلي، وإبراهيم ابن سهل، وابن الفارض، والبهاء زهير، وصفي الدين الحلي، والحراق.

وأما الأشعار المستعملة فأكثرها من نوع الموشح والزجل مع إخلاء مكان لمقطعات شعرية من العروض العربي التقليدي. يضاف إلى ذلك زجل مغربي صرف من نوع الملحون، وهو الذي يدخل في صنف البراويل. فإذا نظرنا إلى موضوعاتها فهي تدور في الغالب حول وصف الطبيعة ومظاهر جمالها. فنوبة العشاق، مثلا، غالبا ما تقدم لنا طلوع النهار وما يرافقه من تحولات في منظر الكون. وتحدثنا نوبة الماية، من جهتها، عن منظر العشي وقرب المساء ووداع النهار، بينما يتغنى رصد الذيل بالليل وما يدعو إليه من استمتاع بملذات الحياة أو ما يذكيه في نفوس العشاق من لوعة وذكرى. ويمثل الغزل موضوعا رئيسيا في شعر الآلة، وأغلبه من نوع الغزل المذكر. وكذلك الخمريات تكون بابا واسعا في أشعار الآلة. ومن أهم الموضوعات شعر المديح الديني، وحسبما تحدثنا به المصادر، فإنه لم يكن متأصلا في الآلة، وإنما ألحق بها. فنوبة رمل الماية، مثلا، لم تحول إلى المديح النبوي إلا في عهد قريب باجتهاد من أحد العلماء المغاربة، وكان الشعر المستعمل فيها يرجع بالأصل إلى صنف الغزل والخمريات ووصف الطبيعة. وما زال شعرها الأول معروفا. لكن هل كان أصحاب الآلة مبتعدين عن أهل السماع المتخصصين في شعر المديح النبوي؟ موضوع سنتناوله بعد قليل.

أصل الآلة : البحث عن تاريخ الفن المغربي، بوجه عام، يدفع منذ البداية إلى البحث عن أصوله ومصادره. قاعدة تنطبق على الهندسة المعمارية كما تنطبق على الفنون الصناعية، وتنطبق من باب أولى وأحرى، على الموسيقى لسهولة انتقالها من مكان إلى آخر عن طريق الحفظ والرواية.

يوجد تاريخ متداول للآلة يرجع بها إلى عهد زرياب في القرن الثالث الهجري ويذكر من مراحلها الأساسية عطاء الفيلسوف ابن باجة وأمية بن أبي الصلت وغيرهما ممن عاشوا فيما بين القرن السادس والسابع. ولكن هاته الرواية يعوزها التوثيق ولا تدل، قطعا، على أن ألحان الآلة التي نسمعها اليوم هي لأولئك الأعلام المشهورين. وعلى أي فقد طرح الموضوع على عدد من الباحثين في تاريخ الآلة. فالأستاذ محمد الفاسي يؤكد أن الآلة أصلها مغربي وليست أندلسية، ويسايره في هذا القول أحد المتخصصين الكبار في الموضوع، الحاج إدريس بنجلون، الذي يلاحظ أن تسمية الطرب الأندلسي لم يجر بها العمل إلا منذ وقت قريب في عهد الحماية، وأن أشياخ الفن في القرن الماضي وفي أوائل هذا القرن كانوا إذا تحدثوا عنها يسمونها الآلة. فما السبب في نعتها بالأندلسية، إذن؟ يجيب بأنه ربما كان من إيحاء الاستعمار الذي كان يحرص على التقليل من شأن التراث الثقافي المغربي للنيل من معنوية المغاربة، ولذلك أوعز بتسمية الآلة الطرب الأندلسي حتى لا يكون للمغاربة فضل في إيجادها ويعتبروا مجرد نقله ومقلدين. رأي لا يخلو من وجاهة، ولكنه ربما أغفل بعض الوقائع التي لابد من اعتبارها. فاقتصار المغاربة على استعمال كلمة الآلة لا يدل على أنهم لم يكونوا يعتبرونها من أصل أندلسي، سيما إذا علمنا المكانة الخاصة التي كانت تحظى بها كل الأشياء المنسوبة للأندلسيين من علوم وآداب وفنون وصناعات. فالصبغة الأندلسية ظلت عالقة بأذهان المغاربة منذ قرون توحي لهم بالإكبار والإعجاب. فلا بدع إذا كانوا يشعرون في أعماق نفوسهم بأن طرب الآلة من مصدر أندلسي.

هنالك واقع آخر له اعتباره وهو أن ذلك الطرب لم يزدهر إلا في الحواضر التي وجد بها الأندلسيون، مثل تطوان والشاون وطنجة وفاس والرباط وسلا. وإذا كان الأمر يتعلق بمجرد صدفة، فإنها ستكون، حقا، صدفة غريبة من نوعها. وأقرب إلى المنطق أن نستنتج بأن مجتمع تلك المدن الذي ضم طائفة مهمة من الأندلسيين احتفى بنوع من الموسيقى كانت تتجاوب مع ميوله وتروق في ذوقه. الشيء الذي يقودنا حتما إلى تأكيد الصلة بين تلك الموسيقى وبين الأندلس، فما هو نوع تلك الصلة ؟ ويمكننا أن نطرح السؤال بصيغة أخرى : ما هو الأندلسي في الموسيقى الأندلسية ؟ هل كلها أم بعضها ؟ هل شكلها العام دون مضمونها التفصيلي ؟ هل وصلتنا محفوظة كما

كانت في الأصل دون أن يطرأ عليها أي تغيير ؟

أسئلة كثيرة ومختلفة تطرح نفسها تلقائيا على الباحث في الموضوع. وفي محاولة الجواب عنها يمكن أن نهتدي ولو شيئا ما إلى الحقيقة. وأهم رواية تاريخية تربط بين الآلة المغربية والموسيقى الأندلسية هي التي ذكرها ابن خلدون في *المقدمة* إذ قال وهو يتحدث عن فن المطرب "زرياب"، "فأورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف. وطما منها بإشبيلية بحر زاخر وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها إلى بلاد العدوة بإفريقية والمغرب، وانقسم على أمصارها. وبها منها الآن صبابة على تراجع عمرانها وتناقص دولها".

كلام واضح ومفيد، نفهم منه، أولا، أن ما وصل منها إلى المغرب إنما وصل بعد ذهاب غضارتها، أي بعد ضياع أحسن ما فيها ؛ ونفهم منه ثانيا أن ما بقي رائجا منها بالمغرب هو مجرد صبابة أي شيء طفيف. وكل القرائن تدل، بالفعل، على أن الطرب الأندلسي جاء مع الوافدين من الأندلس على المغرب، وبالخصوص منذ عهد المرابطين، إذ تكونت منهم جالية كبيرة بسبتة وفاس ومراكش وسلا. وكان منهم ببلاط الدولة طائفة من الكتاب والأدباء من ذوي الجاه والنفوذ، وفي ضمنهم جماعة من أهل إشبيلية حاضرة العباديين التي اشتهرت بإقبالها على الموسيقى حتى قيل إن المطرب إذا مات بقرطبة بيعت آلته بإشبيلية، وكان ملكها المعتمد بن عباد نفسه من المقبلين على الطرب ومن العازفين على آلته في مجالسه الخاصة. وكان عدد من الأمراء المرابطين المستقرين بالأندلس قد أصبحوا من المولعين بالألحان الأندلسية كما تدل على ذلك العلاقة التي كانت بين ابن باجة مع ابن تيفلويت كوزير بسرقسطة ثم مع يحيى بن يوسف ابن تاشفين. ومن المعلوم أن ابن تومرت في حملته الدعائية على المرابطين اتهمهم بالتعاطي للهو والسماح بالخلاعة، مشيرا إلى المجالس والسهرات التي كانت تعقد ببيوت بعض الأمراء المرابطين وأعيان الأندلسيين.

لكن، هل وقع الاحتفاظ على تلاحين زرياب ومدرسته؟ لقد قيل إنه كان يحفظ عشرة آلاف لحن. وهو قدر يتجاوز المعقول، فالآلة كلها التي لا يحفظها إلا القليل لا تتجاوز ألف لحن إلا قليلا. وفي هذا العدد تدخل الألحان المكررة. فإذا نحينا ما في الرواية من مبالغة واعتبرنا أن زرياب كان من كبار الملحنين ورواة الألحان، نستنتج أنه بفضل مهارته ومدرسته، ترك وراءه تأثيرا في معاصريه وفي الأجيال اللاحقة، لكن هل بقيت ألحانه على صورتها الأصلية ؟ هذا ما نشك فيه شكا يقارب اليقين.

وحاصل ما نصل إليه من دراسة المرحلة الأولى من تاريخ فن الموسيقى بالأندلس، من عهد زرياب إلى القرن السادس، هو أنه من الصعب علينا جدا أن نؤكد وصول بعض الألحان من تلك الفترة سالمة دون تبديل أو تحريف في الرواية الأصلية. وكذلك بالنسبة للمرحلة الثانية في القرن السادس التي تقترن بنبوغ علمين كبيرين في الموسيقى الأندلسية هما : أمية بن أبي الصلت الذي اشتهر كطبيب وعالم وموسيقي. ويقال إنه استقر بإفريقية عشرين سنة استطاع أن ينشر فيها جملة كبيرة من ألحان الموسيقى الأندلسية ؛ وأبو بكر بن الصائغ المعروف باسم ابن باجة الفيلسوف الكبير المشهور الذي يهمنا أكثر لأنه أقام بفاس وزيراً ليحيى بن يوسف ابن تاشفين. ومن جملة المزايا التي نسبت إليه أنه كان في وقته أعظم أستاذ للموسيقى الأندلسية. وتكفينا في ذلك شهادة المؤرخ الموثق ابن سعيد إذ يقول عنه : "وإليه تنسب الألحان المطربة بالأندلس التي عليها الاعتماد". ولا يمكن أن يقيم طوال عشرين سنة بفاس دون أن يكون نشر شيئا من فنه. والشهرة التي ظلت تتمتع بها فاس كأعظم مركز للطرب الأندلسي ربما تعود إلى ذلك الوقت.

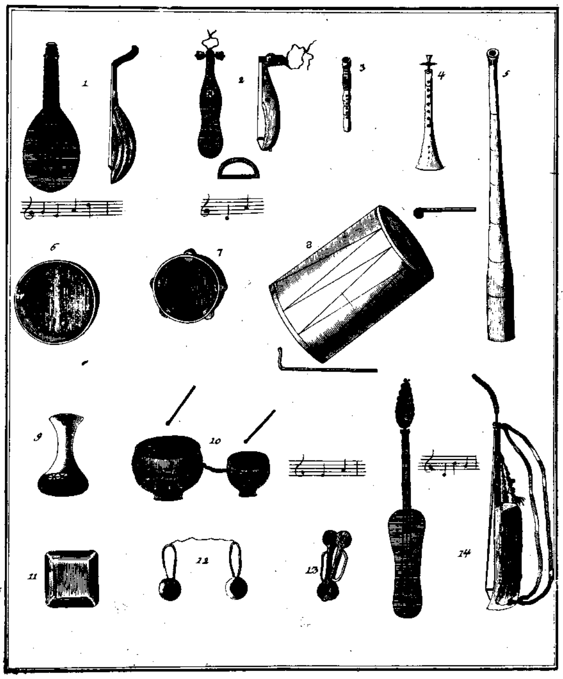

آلات موسيقية مغربية من القرن الثامن عشر

(عن كتاب Hörst)

النتيجة التي ننتهي إليها هي بكل إيجاز أن المرحلتين الأوليين في تاريخ الموسيقى الأندلسية، مرحلة زرياب في القرن الثالث ومرحلة ابن باجة في القرن السادس لم تبق لنا منهما ألحان مقطوع بصحتها. إلا أنه لا يمكن القول إنها ضاعت منا بالمرة ولم يبق منها أي شيء. بل إننا لا نشك أن الأساس الذي وضعه أولئك الموسيقيون الأولون في تشكيل الموسيقى العربية بالغرب الإسلامي وضبطها بأصول وقواعد ظل موجودا.

وهاتان المرحلتان الأوليان هما اللتان أتاحتا الانطلاقة الحقيقية للآلة التي نعتقد أنها نتاج مشترك بين المغاربة والأندلسيين، إذا اعتبرنا أن تلك الانطلاقة إنما جرت فيما بين القرنين السابع والثامن الهجريين. ودلائلنا على ذلك نلخصها فيما يلي :

1. أن معظم تواشيح الآلة وأزجالها ترجع لهاته الفترة التاريخية كما رأينا من قبل.

2. أن ازدهار الآلة ارتبط بظواهر دينية أهمها : انتشار حركة التصوف بالمغرب والأندلس. وهكذا نجده يقترن مع تعدد حلقات الذكر والترنم بالأشعار الصوفية وظهور حياة الزوايا. فتشير المصادر إلى وجود ألحان لابن عربي الحاتمي وأبي الحسن الشاذلي وابن سبعين. ويأتي أبو الحسن الششتري كتتويج لهاته السلسلة. فمن المعلوم أنه كانت تجتمع حوله حلقة تضم أربعمائة من الفقراء، على الأقل.

3. وفي نفس الوقت، أخذ الاحتفال بعيد المولد النبوي مظهرا فخما في الأندلس والمغرب بمشاركة الملوك والأمراء والأشراف والعلماء والوجهاء. فاتخذ مظاهر من الزينة والحفاوة دخل فيها الطرب بقسط وافر. ونظم البوصيري قصيدتيه المشهورتين *البُرْدَة والهمزية* في القرن السابع. فكان لهما ذيوع كبير بالمغرب وتبارى المنشدون في التغني بهما في المغرب، وما زال التقليد جاريا إلى اليوم.

4. التأثير الديني ظل مستمرا إلى عصر قريب منا. فقد رأينا كيف تم تحويل نوبة رمل الماية إلى المدح النبوي في القرن الثامن عشر. واحتضنت الآلة فيما بعد أشعارا لشعراء عاشوا بعد القرن العاشر الهجري مثل : العلمي، وابن زاكور، والحلبي، وبالأخص، الحراق الذي عاش في القرن الماضي والذي تنسب إليه عدة براويل مستعملة في الآلة. وأكثر هؤلاء الشعراء كانت تغلب عليهم نزعة دينية أو صوفية.

ويذكر ابن الدراج السبتي الذي كان يعيش في أواخر المائة السابعة للهجرة أن أكثر الغناء في عصره كان إما في المدح النبوي أو في التشوق إلى ديار الحج أو في موضوعات الوعظ والزهد، وهاته الشهادة الواردة في كتابه *الإمتاع* تؤكد أهمية التأثير الصوفي والديني على ألحان الآلة.

وتشير بعض الدراسات إلى تأثير الهجرات الأخيرة من الأندلس، وهي التي جاءت من غرناطة. لكن دون أن تكون حلقة الربط واضحة ومؤكدة. معنى كل هذا أن الآلة لم تلحن دفعة واحدة. بل هي ثمرة مجهود امتد على عدة قرون، واشترك فيه المغاربة والأندلسيون لما أصبحوا يعيشون جنبا إلى جنب في مدن متحضرة مثل سبتة وفاس وتطوان وسلا والرباط ومراكش والشاون وغيرها، مسترشدين ببعض النماذج والأصداء التي بقيت لهم من تراث الأساتذة الأولين، زرياب وأمية ابن أبي الصلت وابن باجة. وقد ضاعت عدة ألحان حتى من الفترة الأخيرة كما تدلنا على ذلك الأشعار المثبتة بديوان الحايك التي نسي المطربون ألحانها، ونحن نفترض أن أروع الألحان وأطرفها وأرفعها طبقة من حيث السبك والتركيب هي التي ضاعت لأن الرواة لم يكونوا قادرين على تسجيلها في ذاكرتهم.


الأصفهاني، *الأغاني* ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ ل. ابن الخطيب، *جيش التوشيح*، تونس، 1967 ؛ التيفاشي، *متعة الأسماع*، (أبحاث) بيروت، 1958 ؛ ابن الدراج، *الامتاع والانتفاع*، د.ت. ابن سناء الملك، *دار الطراز*، دمشق، 1949 ؛ ع. الونشريسي، *في الطبائع والطبوع، مقدمة الحايك* ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ؛ م. العلمي، *الأنيس المطرب، مجموعة الحايك*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *زهرة الأفنان*، فاس، 1894 ؛ إ. التادلي، *أغاني السيقا*، مخطوط ؛ ح. ح. عبد الوهاب، *ورقات عن الحضارة*، تونس، 1972 ؛ إ. بن جلون التويمي، *التراث العربي المغربي في الموسيقى*؛ إ. عباس، *تاريخ الأدب الأندلسي*، بيروت ، 1960 ؛ ي. الشامي، *نوبات الآلة المغربية*، الدار البيضاء، 1984 ؛ *المهرجان الأول للطرب الغرناطي*، السعيدية، 1980 ؛ ع. ابن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، الكويت، 1983 ؛ م. المنوني، *تاريخ الموسيقى الأندلسية في المغرب*، مجلة التراث الشعبي، ع. 6 ؛ م. زنيبر، *الآلة بين المظهر التراثي والفن المستقبلي*، عرض ألقي في مهرجان فاس 1982.

H. G. Farmer, *History of Arabian Music*, London 1929 ; D'Erlanger, *La Musique arabe*, Paris, 1930 - 1959 ; A. Chottin *Tableau de la Musique marocaine*, 1938 ; *Corpus de la Musique marocaine*, Paris, fasc. 1 ; M. Guettat, *La Musique classique du Maghreb*, Sindbad, 1980 ; S. Jarcy, *la Musique arabe*, Paris, P. U. F. 1977 ; T. Hassan, *La Musique arabe, Les traditions musicales*, Paris, 1977 et Buchet / Chastel.


محمد زنيبر

ابن **آوى**، أو **الذيب**، وبالأمازيغية أوشَّنْ، وُوشَّنْ، من الثدييات اللاحمة المنتمية إلى رتبة البرثنيات وفصيلة الضواري. ويسمى علميا Canis aureus الذي يطلق عليه إجمالا اسم الذيب في شمال إفريقيا.

يرجع نعته بالذهبي إلى اللون الأصفر الرمادي لأطراف شعره، شكله وسط بين الكلب والثعلب. طوله 85 إلى 105 سم، علوه عند الغارب 40 سم ووزنه 9. 15 كلغ، خطمه مدبب بعض الشيء، وأذناه كبيرتان نسبيا ومتجانستا اللون. يكسو ذيله شعر كث يكاد يلامس الأرض. لون ذيله موافق للباقي إلا في طرفه حيث يصير أسمر مسودا أو مشاعا محمرة. قوائمه فاتحة نسبيا تختلف ما بين الأصهب والأصفر.

صيغة أسنانه كالتالي : قوارض 3/3، أنياب 1/1، أضراس أمامية 4/4، أضراس 2/3 = 42 سنا. كل أسنانه مفصولة عن بعضها بفلجات واضحة. آخر أضراسه الأمامية في الفك الأعلى وأولى أضراسه في الفك الأسفل قوية جدا، أطرافها القاطعة أعلى من مثيلاتها في الأسنان الأخرى، وهي أوصاف تتوفر للطواحن عند الحيوانات الضارية.

يقتات ابن آوى بالجيفة على الخصوص، كما يترصد الحيوانات الصغيرة كالأرانب والحجل والقواضم عامة والحشرات. ومعروف أنه يباغت أقنان الدجاج في غياب كلاب الحراسة، وهو لا يتبرم من الفواكه كالتمر والتين وثمار القطلب والعنب والبطيخ الأحمر.

يختبئ ابن آوى أثناء النهار في الكهوف والآجام، لا يغادرها إلا في الغسق أو الليل بحثا عن غذائه. تضع الإناث في أواخر الربيع بعد حَمْل يدوم تسعة أسابيع. ينتج

البطن ما بين 3 و8 صغار في المرة الواحدة، يستطيع المولود بسرعة أن ينضم إلى أفواج الكبار وأن يشاركها في البحث عن الأكل.

ابن آوى

يعتبر الفرد بالغا منذ سنته الثانية ويعمر قرابة عشر سنين. يعيش منفردا أو مزدوجا أو داخل مجموعات صغيرة. لا يجرؤ على مهاجمة الإنسان بل العكس هو الصحيح يقترب في بعض الحالات من المنشآت البشرية التي يخشى أن يحمل إليها داء السعر. وهو في الواقع لا يرفض التدجين إذا ما جلب صغيراً. بل ويألف صاحبه شأنه في ذلك شأن الكلاب. لكن الذي يقف في وجه هذه العملية هو عدم رغبة الإنسان فيه لأسباب منها عواؤه المتردد والطويل الذي يصعب تحمله وكذلك رائحته الكريهة.

ابن آوى شائع على مدى التراب المغربي وفي مختلف الأوساط. ترتفع كثافته في المناطق الغابوية والجبلية وتقل في الصحراء. لقد قتل منه في المغرب ما بين 1959 و1971 ثلاثون ألف فرد. من المجالات الأخرى التي يعيش بها، بالإضافة إلى القارة الإفريقية، جنوب أوروبا وآسيا إلى حدود الهند.

ينعت سكان شمال إفريقيا ابن آوى أو الذئب بالاحتيال والمكر وهي الصفات التي يخصصها الأوروبيون للثعلب عندهم.

J. Dorst et P. Dandelot (1973), *Guide des grands mammifères d'Afrique*, Paris ; J. B. Panouse (1957), *Les mammifères du Maroc*. Trav, Inst. ; V. Monteil, *Du Sanglier au Phacochère. Catalogue des animaux connus des Tekna des Rguibat et des Maures*, Paris ; F. Malher (1970), *Les noms de mammifères en Algérie*, Inst. de Biologie, Univ. Scien. et Tech., *Houari Boumedienne*. Rapport inédit.

محمد رمضاني

**أبادو**، لفظ أمازيغي، فلاحي تقني يطلق على الجدار الترابي المنخفض الذي يُكَوِّن متوازيان منه قناةَ السقي، أو تحد به الأحواض المزروعة أو المغروسة، ويطلق عليه في اللسان المغربي الدارج لفظ "الناكر". وتطلق أبادو على الأماكن التي تشبه تضاريسها شكل الجدار المذكور، ومنها على سبيل المثال قرية بالثلث التحتاني بإقليم الرشيدية، وأخرى بأيت غريس بإقليم الصويرة، وأخرى بأيت سورن بإقليم أزيلال، ورابعة بايغي باگلاوة الشمالية بإقليم مراكش، ويوجد فج أبادو، أو "تيزي نوبادو" بناحية دمنات.

وأخيرا قرية أبادو، بقبيلة غجدامة، أكبر القرى الآنفة الذكر مساحة، وأوفرها عددا من حيث السكان. تقع هذه القرية على بعد حوالي 100 كلم شرقي مدينة مراكش، وعلى مسافة 12 كلم غرب سد مولاي يوسف بأيت عادل. واستنادا إلى بعض الروايات الشفوية فإنها أقدم قرية بقبيلة غجدامة التي ذكرها غير واحد من المؤرخين الذين تعرضوا لهسكورة، القبيل الأم، واللغة المتداولة عند سكانها تاشلحيت من الأمازيغية.

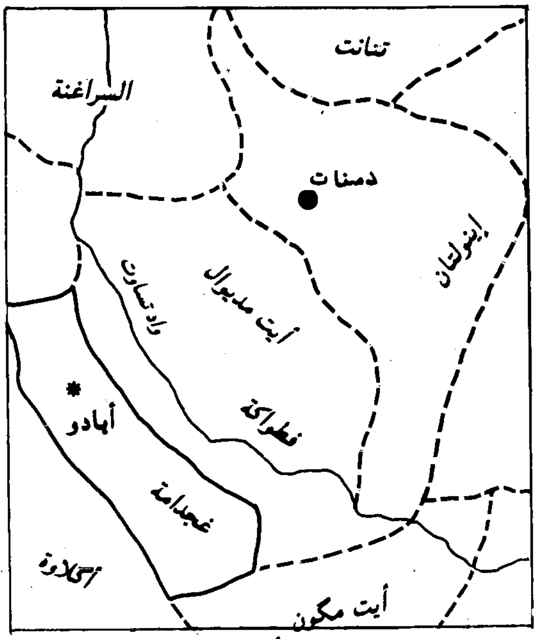


* أبادو

تعتبر قرية أبادو المركز الإداري والاقتصادي لقبيلة غجدامة، ولهذا فالجماعة المحلية للقبيلة تحمل نفس اسم أبادو، ويبلغ عدد سكان أبادو، حاليا 1673 نسمة، يتوزعون على 193 عائلة.

اعتمد اقتصاد هذه القرية قديما، وإلى حدود الستينات، على الموارد الفلاحية الأساسية، من زراعة الحبوب (القمح، والشعير، والذرة، والقطاني، إلى جانب أشجار الزيتون وبعض الكروم)، إضافة إلى تربية المواشي (غنم، ماعز، بقر). وذلك نظرا لموقعها بمنطقة الدير، بين قمم جبال الأطلس الكبير، وسهول الحوز الفسيحة، على مقربة من وادي تاساوت، وعلى ضفاف واد لَاغْ.

وقد تعززت هذه الموارد الأساسية بموارد جديدة، تتمثل في المساعدات النقدية التي يصل بها العمال المهاجرين من أبنائها أسرهم، سواء من هاجر منهم إلى الخارج، أو من التحقوا بالمراكز الاقتصادية ببعض المدن المغربية، كالدار البيضاء والرباط، ومراكش. ويبلغ عدد هؤلاء المهاجرين 193 فردا، وهو نفس عدد العائلات المكونة لقرية أبادو، أي بمعدل شخص واحد لكل عائلة.

A. Amahan, *Peuplement et vie quotidienne dans un village du Haut Atlas marocain : Abadou des Ghoujdama*, Paris, 1983.

**أباشكو**، كلمة أمازيغية تختلف معانيها وتتباين باختلاف صيغ الاستعمالات، فقبائل الأطلس الصغير تستعمل لفظ أباشكو للدلالة على مجموعة من الأواني

المنزلية المصنوعة من الطين، أو القصب، أو النحاس أو غير ذلك. وكلمة "أباشكو" تتفرع عن نفس اللفظ نتيجة عملية تبادل méthatèse وهي تعني غطاء مخروطي الشكل، كالذي يزين رأس العروس الأمازيغية، وتطلق كذلك على قمم الجبال والتلال ذات الشكل المخروطي، وتسمى بأباشكو قرية بأيت بوولي بناحية دمنات في إقليم أزيلال، يبلغ تعداد سكانها حوالي 300 نسمة ويرتكز اقتصادها على الزراعة وتربية المواشي. ويوجد بمدينة الدار البيضاء حي يسمى "باشكو"، من المحتمل جدا أن تكون تسميته هذه صيغة معربة لكلمة "أباشكو" الأمازيغية، وقد كان هذا الحي إلى مطلع القرن الحالي، قرية من قرى فخذة أولاد حدو من الشاوية الشمالية.

*معلومات خاصة وبحث ميداني.*

علي أمهان

**الإبَاضِيَّة**، فرقة من الخوارج الذين انقسموا إلى أكثر من 20 فرقة، والخوارج هم الفئة التي خرجت عن علي بعد مسألة التحكيم واعتبرت مرتكب الكبيرة كافرا، كما لم تشترط القرشية في الإمام، فالإمامة من حق أي مسلم "ولو كان عبدا حبشيا" بعد أن تتوفر فيه شروط الإمامة المعروفة : العلم بالكتاب والسنة والعدل ...

ويمكن القول إن هذين المبدأين هما الأصلان اللذان تلتقي فيهما كل فرق الخوارج، بينما تختلف في الفروع. ومن أبرز فرقهم : الأزراقة والنجدات والصفرية والإباضية، ويسمى هؤلاء الأخيرون كذلك نسبة إلى عبد الله بن إباض زعيمهم، الذي تميزت مواقفه، بالمقارنة مع الفرق الأخرى، بالاعتدال، فهو لا يحرم التزاوج والميراث مع المخالفين للخوارج، كما لا يستبيح قتل غير الخوارج من المسلمين، عكس الأزارقة، هذا فضلا عن علاقات المودة والمهادنة التي ربطته بالأمويين ممثلين في عبد الملك بن مروان الخليفة (26.86 هـ) والحجاج بن يوسف الثقفي واليهم على العراق (40.95 هـ) والذي سيعرض على خلف عبد الله بن إباض، وهو جابر بن زيد، منصب القضاء، لما عرف به هذا الأخير من علم وتقوى ودراية بأصول وفروع المذهب. فقد حمل لواء الدعوة بعد عبد الله بن إباض إلى أن توفي سنة 93، ثم تلاه على زعامة المذهب مسلم بن أبي كريمة التميمي الملقب بأبي عبيدة الذي سيتعرض لاضطهاد الحجاج بن يوسف الثقفي. وبعد وفاة أبي عبيدة سنة 145 هـ، كان نشاط المذهب الإباضي يعم جل أطراف العالم الإسلامي التي بعث إليها بعثات من حملته ! ومن بين هاته الأطراف، المغرب.

أول من أدخل المذهب الخارجي إلى المغرب، حسب كتاب *سير الأئمة وأخبارهم* المعروف *بتاريخ أبي زكريا*، سلامة بن سعد وعكرمة بن عبد الله (الذي يعزى إليه نشر المذهب الصفري). والمقصود بالمغرب هنا إفريقية أو ما نسميه اليوم شمال إفريقية، بدليل أن سلامة كوّن جماعة من الإباضيين سيتزعمها شخص يسمى عبد الله بن مسعود التجيبي الذي قتله عامل طرابلس. ثم سيتزعمها عبد الجبار بن قيس المرادي الذي سيقتتل مع إباضي آخر هو الحارث الحضرمي، وسيموتان معا سنة 131 هـ، وتلاهم على كرسي الزعامة، إسماعيل النفوسي الذي سيقتله عبد الرحمان بن حبيب، عامل العباسيين على القيروان.

والجدير بالملاحظة أن هؤلاء الزعماء الذين تعاقبوا على رآسة الإباضية كانوا يحظون بدعم قبائل هوارة، ثم قبائل زناتة فيما بعد. وحسب ابن سلام الإباضي، تلت هاته المرحلة، مرحلة جديدة ستتوج بقيام الدولة الرستمية، إذ مع مجيء عبد الرحمان بن رستم، سيتم الاستيلاء على طرابلس، ثم القيروان سنة 141 هـ ، واتجهت قواته وقوات أبي الخطاب إلى المغرب الأوسط، لكن قوات العباسيين كبدتهم هزيمة في شرق طرابلس، وقتل إثرها أبو الخطاب، فتولى الأمر ابن رستم الذي فرّ مع اتباعه جنوبا في اتجاه الجريد ثم تاهرت حيث أسس الدولة الرستمية، سنة 161 هـ، وقد شمل سلطانها من طرابلس شرقا حتى تلمسان غربا.

الجدير بالملاحظة كذلك أن أحوال المغرب، المتمثلة في سوء معاملة عمال الأمويين للبربر وإرهاقهم بالجبايات واعتبارهم بلادهم بلاد حرب رغم أنهم اعتنقوا الإسلام، ساعدت على أن تحظى مبادئ الخوارج بالانتشار، نظرا لحرمان البربر من المساواة مع العنصر العربي الحاكم.

وقد ظهرت فرقتان فقط من فرق الخوارج في أحداث بلاد المغرب وهما فرقة الصفرية، وفرقة الإباضية. وهما فرقتان معتدلتان لا تكفران القعدة عن القتال ولا تقولان بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم كالأزارقة، وتجيزان التقية في القول، أي ألا يظهر الخارجي خارجيته اتقاء شر خصومه. والفرق بينهما أن الصفرية تكفر مرتكب الكبيرة تكفيرا مطلقا، أما الإباضية فترى أنه موحد، لكنه كافر كُفرَ نعمة وليس كفر اعتقاد. وقد انتشرت الدعوة الصفرية بالمغرب الأقصى أكثر من انتشار الدعوة الإباضية التي لم تتجاوز المغرب الشرقي.

وإذا كان قد كتب للصفرية أن تنتشر بالمغرب الأقصى بين بربر مطغرة ومكناسة وبرغواطة بعد حركة ميسرة السقاء، إذ كانت أفكارها تغلغلت في سائر أرجاء المغرب وجنوبي الصحراء عن طريق القوافل التجارية الرابطة بين المغرب والسودان عبر واحة تافيلالت التي هي مركز الدولة الصفرية المؤسسة سنة 140 هجرية بسجلماسة، فإن المذهب الإباضي انتشر أكثر في بلاد المغرب الأدنى والأوسط خاصة في قبائل نفوسة وهوارة، ولم يكد يتعدى المغرب الأقصى الشرقي. ويذهب ابن أبي زرع في *القرطاس* إلى أن العديد من القبائل التي بايعت إدريس الأول كانت على مذهب الإباضية مثل زناتة وزواغة ولماية وسدراتة ونفزة، وأن بعضها ظلت على أفكارها بعد مبايعته، فكان عليه وعلى الخلفاء الأدارسة من بعده أن يحاربوا الرستميين لضمان تبعية تلك البطون للدولة الإدريسية، فقد استطاع الأدارسة أن يستولوا على تلمسان ويخضعوا قبائل مغراوة وبني يفرن، سنة 173 هـ ، واستمرت عملية إغارة الأدارسة

على أراض تابعة للرستميين واقتطاعها إلى حد أن بعض المصادر تذهب إلى أن الأدارسة اقتطعوا الجزء الشمالي للمغرب الأوسط إلى أن لامسوا الدولة الأغلبية. وسواء صح هذا الخبر أم لم يصح، فإن ما هو أكيد أن المناطق التي كان ينتشر بها المذهب الإباضي بالمغرب لم تكن مناطق قارة تخضع خضوعا رسميا وقارا للدولة المغربية.

ابن سلام الإباضي، *كتاب ابن سلام الإباضي*، تحقيق شفارتز وسالم بن يعقوب، بيروت، 1985 ؛ أبو زكريا يحيى ابن أبي بكر، *كتاب سير الأئمة وأخبارهم*، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، 1982 ؛ أ. الدرجيني، *طبقات الدرجيني*، تحقيق إبراهيم طلاي، قسنطينة 1974، جزآن ؛ أ. الشماخي، *سير الشماخي*، ط. حجرية، القاهرة، 1883 ؛ م. إسماعيل، *الخوارج في بلاد المغرب*، الدار البيضاء، 1976.

T. Lewicki, *Etudes Nord - Africaines*, Varsovie, 1955.

سالم يفوت

**الأبّــار**، أسرة أندلسية عريقة أنجبت علماء وأدباء في مختلف العصور، وانتقل أفراد منها إلى العدوة المغربية في أوقات مختلفة، فاستقر بعضهم بفاس، وآخرون بتطوان أو بغيرها من المدن. منهم :

**الأبّــار، أحمد** بن محمد بن موسى الأندلسي الفاسي، المدعو حمدون اللّبار ولد بفاس عام 1001 / 1592 ، واشتغل في شبابه بالتجارة على عادة أهل بيته الموسرين، ثم شغف بالعلم فتتلمذ لكبراء شيوخ الحاضرة الإدريسية كالحافظ أحمد بن يوسف الفاسي، ومحمد الجنان، وعبد الواحد ابن عاشر.

كان أحمد الأبار مشاركاً في مختلف العلوم اللغوية والشرعية والعقلية، واشتغل دهراً طويلاً بالتدريس في فاس والزاوية الدلائية، وانتصب للإفتاء، والإمامة بجامع الأندلس، وألف عدة كتب ما زالت محفوظة مخطوطة، منها : *التقاط الدر الجليل* من منثور مختصر خليل، و*كشف الرواق* عن صرف الجامعة إلى الأوراق. وفتاوي مجموعة.

توفي بفاس في 13 جمادى الأولى عام 1071 / 14 يناير 1661.

م. الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. القادري، *التقاط الدرر* ؛ *نشر*، ج. 2 ؛ أ. العياشي، *فهرس*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 330.

Brock, S.II : 961 ; L. Provençal, *Les Historiens*, 263, n° 1.

محمد حجي

**الأبّــار، محمد بن الحسن** الفاسي. من أسرة عالمة بمدينة فاس درس على عدد من علماء المدينة منهم قريبه أبو العباس حمدون الأبار، ومحمد ميارة، وعبد القادر الفاسي وابنه محمد. برع في ميداني علم الفرائض والحساب. من تآليفه : شرح *فرائض الشيخ خليل*. واحترف خطة العدالة وتلقي الشهادة. توفي عام 1113/ 1701. 1702. ودفن بباب سيدي بوجيدة بمدينة فاس.

م. القادري، *نشر المثاني*، 3 : 133-135 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 96.

ابن **الأبّــار، محمد بن محمد**، فقيه مفت أديب، ينتمي إلى أسرة تطوانية أصلها أندلسي. ولد بتطوان في شهر ربيع الأول 1274 / نوفمبر 1857، وبعد أن أخذ العلم عن مشايخ مسقط رأسه توجه إلى القرويين بفاس. وعند عودته إلى تطوان اشتغل بالتدريس والفتوى، وتعاطي خطة العدالة مع الإمامة والخطبة بجامع القصبة ثم بالزاوية الريسونية.

وقد عمل بديوانة تطوان ومليلة والدار البيضاء والرباط وطنجة، كما زاول خطة الحسبة بتطوان. ومن تلامذته العديدين العالم الفقيه أحمد الرهوني الذي كان قاضي القضاة بشمال المغرب في عهد الحماية عدة سنوات.

توفي بتطوان يوم 6 ذي القعدة 1338 / 22 يوليوز 1920. ودفن بالزاوية الحراقية.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 6 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 356 ؛ ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

**أبَخْزِرْ، أبراهام** بن موشي، الحبر المولود بتافيلالت عام 1866. ذهب عام 1871، مع أسرته إلى بيت المقدس. وأقام حوالي 1892 بالإسكندرية، حيث عين كاتبا موثقا للجماعة. وأدار بتلك المدينة مدرسة ربِّية ونشر كتابا حول التعليم العبري *حاعبْري*، وعين عام 1908 حبرا أعظم بمدينة الإسكندرية، وعاد عام 1929 إلى بيت المقدس، حيث عين رئيس الجماعة المغربية "للمَعارَبين".

**أبَخْزِرْ، موشي**، كان حبراً بتافيلالت في القرن 18. 19 (في بغريس) وتوجد أحكامه القضائية في الصفرية ليعقوب (بنايم، مالكاربَّانان).

أ. لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، ص. 207.

شمعون ليفي

**أبراج القلعة**، ثغر وموقع استراتيجي هام، يقع بساحل قبيلة بني بوفرح، قريبا من جزيرة بادس. ويتناول الحديث هنا أمرين : القلعة كدَسْكَرة، والأبراج كحصن حصين.

فالقلعة : قرية قديمة - جديدة، اتخذها المواطنون - على مرّ الزمن - مربضاً للعسس، وميناءً يُؤوي سفن الصيد وقواربه، مع الصيادين والملاحين الذين يوفرون لأولادهم موردا للرزق والغذاء، ولبلادهم مصدرا طيبا للدخل.

تقع القلعة (القديمة) على الناحية اليسرى لمصبّ نهر بني بوفرح. وفي أيام الحماية البائدة. عملت يد الترميم والإصلاح والتشييد، فنشأت قلعة أخرى حديثة على الجهة اليمنى للنهر قُبيل المصبّ. وهكذا ازدادت رحاب القلعة اتساعا، وتعددت مرافقها الاجتماعية، وازدهرت حركتها

التجارية، إذ كانت دكاكينها تعجّ بمختلف السلع التي تزوّدها بها سفن تجارية، ترسو - تباعا - بمينائها الاصطناعي، كما كانت سفن الصيد تغذى الأسواق القريبة والبعيدة بأسماك تنافس بها تلك التي يلفظُها ميناء الحسيمة عاصمة الإقليم.

في أوائل الأربعينات من القرن العشرين غَزُرت الأمطار، وحملت الأنهار فحدث فيضان تضرّرت منه المساكن والحوانيت والسكان، وبدأت الهجرة وفرّت رؤوس الأموال إلى الحسيمة خاصة، الأمر الذي سبّب للقلعة نكسة اقتصادية. لكن الفيضان لم يتكرر - لحسن الحظ - فاطمأنت النفوس، واستعادت البلدة بعض نشاطها.

أما الأبراج، فتقع يسرة المصبّ، على قمة تل صخري مدبّب عالٍ مشرف على البحر المتوسط، لا يفصله عن أمواجه المتلاطمة أي حاجز، مما يحول دون تسلُّق التلّ من ناحية البحر (الشمالية)، ويجعل الصعود إليه مقصورا على الجهة الخلفية (الجنوبية)، حيث الارتفاع تدريجي، والطريق معبَّدٌ موصِّلٌ للأبراج.

في الحرب الأهلية الإسبانية (36-1939) أعلِنت الأبراج منطقة حربية، فكان الجنود يحرسونها ليل نهار. لكنّ انتهاء تلك الحرب وضَعَ نهايةً للحراسة الرسمية، فصار في الإمكان الصعود إلى الأبراج للتمتع بالمناظر الطبيعية، وأصبح في استطاعة روّاد مصيف (يلّيش) القريب، أن يزوروا أبراج القلعة عندما يتسوّقون من المدينة الصغيرة.

عدد الأبراج - في الواقع - خمسة لكنها تبدو من البحر أربعة فقط. وهذا كان السبب في التسمية الخاطئة التي لا نزال نقرأها في بعض الأطالس الجغرافية الإسبانية : (Cuatro Torres) فالصواب، والواجب العلمي يقتضيان أن نحذف العدد أربعة (Cuatro) لتبقى التسمية صحيحة سليمة.

*معلومات شخصية وبحث ميداني.*

عبد الله العمراني

ابن **إبراهيم**، أسر متعددة في مختلف مدن المغرب، وأشهرها في كتب التراجم فرقتان :

أ - بنو **إبراهيم الأندلسيون**، هاجروا إلى المغرب في تاريخ غير محدد، وربما كان بعد عملية الطرد النهائي من شبه الجزيرة الإيبيرية أوائل القرن الحادي عشر /17، لأن المترجمين منهم متأخرون. وقد استقرت فرقة منهم بفاس، وأخرى بتطوان أو بالعدوتين سلا والرباط، وعرفت فرقة من آل ابن إبراهيم الرباطيين بلقب (بِّيزار)، كما أن من آل ابن إبراهيم التطوانيين فرقة من قبائل جبالة تعرف بأولاد الهواري اشتغلوا بالجندية خلال القرن التاسع عشر.

ب - بنو **إبراهيم المشنزائيون** الدكاليون، من قبائل مصمودة السهل المستقرة منذ القدم بالمنطقة الشمالية الغربية الموالية للساحل من بلاد دكالة أو ما يعرف اليوم بمنطقة سيدي بنور. انتقل آل ابن إبراهيم المشنزائيون إلى فاس في فترتين، وبذلك كانوا فيها فرقتين، الأولى قديمة يرجع تاريخ استقرارها بفاس إلى القرن السابع / 13 أو قبله، ويقول عنهم ابن القاضي في *الجذوة* إنهم من أهل فاس ؛ والثانية حديثة، خرج جدهم العلامة إبراهيم بن موسى المشنزائي وهو قاصد الحج، في أواخر القرن التاسع / 15، فاستقر بفاس هو وأولاده الأربعة، وربما كان لهجرة إبراهيم وبنيه علاقة بحادث تدخل البرتغاليين في بلاد دكالة بتواطؤ مع بعض الرؤساء المتنافسين على الحكم بعد أن تخلصوا من حكم الهنتاتيين أصحاب مراكش. وقد وقع تحريف في نسب هؤلاء الإبراهيميين ونسبتهم مع تعاقب الأجيال، إذ زعم بعضهم أنهم عرب، في حين أنهم من صريح بربر مصمودة، واختلطت نقطتا النون والزاي في مشنزاية عند النساخ فوضعوهما معاً فوق النون التي أصبحت تاء وقرئت مشترائية - براء مهملة - . وانفرد عبد الحفيظ الفاسي - فيما وقفت عليه - بإضافة فرقة ثالثة من آل ابن إبراهيم، قال إنهم بلديون أسلم أباؤهم بفاس.

أ. ابن إبراهيم الدكالي، *سلسلة الذهب المنقود في ذكر بعض أعلام الأسلاف والجدود*، مخطوط ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 149؛ ع. الفاسي، *الأقنوم*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ ع. الفاسي، *رياض الجنة* ؛ ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج. 3 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج. 8 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*، مخطوط ؛ م. ابن الحاج، *إتحاف ذوي العلم والرسوخ* 116.

محمد حجي

**إبراهيم بن إسماعيل** بن الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي الذي كانت له منزلة خاصة في الدولة الموحدية منذ نشأتها، والذي كان لأسرته من بعده نفوذ كبير جعلها تتقلد كثيرا من المسؤوليات السياسية والعسكرية. ولسنا نعرف شيئا عن نشأة إبراهيم بن إسماعيل، وكل ما نعرفه أنه كان من جملة أبناء الأسرة الذين كانوا في دائرة أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي الذي كان الناصر الموحدي قد عينه على إفريقية عام 603 / 1207 وفوض إليه كل السلطات فيها حتى "يسد فيها مسدَّ الخلافة ويقيم بها سوق الملك" حسب تعبير ابن خلدون.

ولا شك أن الشيخ أبا محمد كان في حاجة إلى معاضدة ذويه ليقوم بأعباء الوظيفة المسندة إليه. كما أن أنظار الهنتاتيين كانت متجهة إليه، وهذا ما يفسر وجود ابن أخيه إبراهيم إلى جنبه في إفريقية، والظاهر أنه كان شابا طموحا له مكانة ونفوذ بين الموحدين الموجودين في دائرة عمه. وهذا ما ظهر أثره عند وفاة أبي محمد سنة 618، فقد اختلف الموحدون فيما بينهم أثناء الشورى فيمن يولونه مكانه، فرشّح فريق أبا زيد عبد الرحمان بن أبي محمد، بينما رشح فريق آخر إبراهيم ابن إسماعيل. فترددوا مليا، ثم اتفقوا على الأمير أبي زيد عبد الرحمان ابنه، وأعطوه صفقة أيمانهم. وأقعدوه بمجلس أبيه في الإمارة (ابن خلدون).

لكن إبراهيم لم يتنازل إلا ظاهريا، وظل ينتظر الفرصة التي جاءت بعد ثلاثة أشهر من ولاية عبد الرحمان ابن عمه. فقد تلقى هذا الأخير كتابا من المستنصر الموحدي يعزله من منصبه، فانصاع للأمر وعاد مع إخوانه إلى مراكش. فما الذي كان السبب في عزله ؟ هل هي وشاية أو دسيسة من منافسه إبراهيم ؟ أم هنالك سبب آخر ؟ ليس من الممكن الجزم بالجواب. وكل ما يمكن ملاحظته أن هذا العزل كان في صالح إبراهيم الذي بقي بتونس.

على أن هنالك سببا وجيها وهو أن الخليفة يحيى المستنصر أراد أن يسترضي عم أبيه إدريس بن يوسف بن عبد المومن الذي عزل من ولايته على إشبيلية، فعيَّنه واليا على إفريقية، وأسند النيابة عنه لإبراهيم بن إسماعيل. فاغتنم هذا الأخير الفرصة للانتقام من أبناء عمه. ولكن سرعان ما وصل الوالي المعين إدريس بن يوسف الذي بطش بأبناء أبي محمد وصادر أموالهم.

ولعل إبراهيم لم يطب له المقام بعد ذلك بإفريقية فعاد إلى المغرب، وأظهر الخليفة العادل، أثناء عهده القصير، ميلا إلى الأسرة الحفصية حيث عيَّن أبا زيد بن أبي محمد بن أبي حفص وزيرا له. كما قرَّب إليه إبراهيم بن إسماعيل. وهو الذي أسند إليه قيادة جيش لقمع تمرُّد هسكورة والخُلط، إلا أن إبراهيم انهزم وقتل في تلك المعركة سنة 624 / 1227.

ابن عذارى، *البيان المغرب* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ ابن قنفذ، *الفارسية*؛ ابن أبي دينار، *المؤنس*.

محمد زنيبر

ابن **إبراهيم بِّيزار، أحمد** بن محمد الرباطي. تاريخ ولادته غير معروف عاش في أواخر القرن الثالث عشر والثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجريين. ونشأ بالرباط ودرس العلم على جل المشايخ الكبار، أمثال إبراهيم التادلي، وأبي حامد البطاوري، والمهدي متجينوش، ومحمد بريبش وغيرهم. ثم رحل إلى فاس ومكث بها مدة في طلب العلم آخذا عن محمد بن قاسم القادري والقاضي عبد السلام الهواري وغيرهما، ثم رجع إلى الرباط فأتم دراسته على الشيخ البطاوري المذكور وهو عمدته وسنده.

تصدر للتدريس، فأخذ عنه كثير من الطلبة، وهو أحد مشايخ المؤرخ محمد بوجندار. كان يقرئ *الأجرومية والمرشد وفرائض المختصر والألفية والرسالة والتحفة ولامية الزقاق* ـ وكان تلميذه بوجندار القارئ بين يديه ـ قال عنه محمد بن علي دينية "كان لا يحتاج في تدريسه إلى مطالعة، ولا إلى توقف أو مراجعة، وقد ختم *فرائض المختصر* إقراء بشرح العلامة الخرشي ما يقرب من عشرين مرة، وكذلك ختم *الزقاقية* مرات عديدة، *والتحفة* مرتين، وانتفع به جم غفير وعدد من الطلبة" (*الانبساط* ص. 314).

وألف تآليف كثيرة منها شرح على لامية الزقاق سماه *تلخيص الحذاق* وقد طبع في أوائل الحماية، وكان بوجندار قد قرظه في جملة من قرظه من علماء الرباط وسلا وغيرهم، ثم *حاشية مطولة على الزقاق* في عدة أجزاء، اختصرها في جزء واحد، وله *تأليف في علم الفرائض*، وختم *على التحفة*، وآخر على *الزقاقية* وثالث على *الأجرومية*، ورابع على *فرائض المختصر* و*تقييد نفيس* فيما يتعلق باسم زيد بن ثابت من الفرائض، طبع سنة 1320 / 1902، إلى غير هذا من التقاييد والطرر والكتابات بالهوامش سيما على المتون الفقهية وشروحها.

ولكثرة شغفه بالفقهاء كان يلقب بعض أولاده الذكور بالزقاق وبالتاودي وخليل، وبعض الإناث بالتحفة وهكذا. وقد تصدر للشهادة والفتوى مدة طويلة في بداية قضاء الشيخ المكي البطاوري، ثم تولى قضاء العرائش عام 1326 / 1908، وبعد ذلك عينه المخزن قاضيا بأسفي وبقبيلتي عبدة وأحمر في شعبان 1330 / يوليوز ـ غشت 1911 ـ دام بها نحو السنة ثم عزل ورجع إلى الرباط.

وقد وصفه البعض بالتشوف إلى الولاية والشغف بها، فقال عنه محمد الكانوني في جواهر الكمال (2: 107-108): "ولولا تهافته على الولاية وقبض الرشوة تهافتا خارجا عن الحد لكان مثال النبوغ والذكاء، ولكنه تكدرت حالته بسوء سيرته ومجاهرته بقبض الرشوة من الخصوم".

توفي بين العشائين من يوم السبت 25 ذي القعدة 1334 / 23 شتنبر 1916 وعمره نحو الأربعين، ودفن بضريح مولاي المكي بالرباط.

ع.الجراري، *من أعلام الفكر* ج. 2 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط* ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*.

ابن **إبراهيم بِّيزار، عبدالسلام** بن محمد الرباطي، من فقهاء الرباط المدرسين، والعدول الموثقين المشهورين. أخذ عن والده الفقه فبرع فيه واشتغل بتدريسه، وألف *شرحا كبيرا على لامية الزقاق* قدمه للسلطان المولى الحسن فوصله عليه. وبعد وفاة والده رحل عبد السلام إلى فاس ومثل بين يدي السلطان برسم أداء مراسيم التعزية، وكان المخزن عزم على تقليده خطة القضاء في موضع والده، فحالت بعض الموانع بينه وبين هذه البغية بإغراء من بعض أهل الدائرة المخزنية، فعوضه عن ذلك بالخدمة في بعض المراسي، فاستخدم عدلا بمرسى العرائش وظل في وظيفة العدالة مدة استطاع فيها أن يثري ثراء جعله في أرغد عيش، ولم يزل على هذه الحالة إلى أن توفي في 17 ربيع الأول 1324 / 13 مايو 1906 ودفن بزاوية سيدي علي بن عبد الرحمان (الزاوية الرحمانية) بالرباط.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر* ؛ م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*.

ابن **إبراهيم بِّيزار، محمد** بن محمد "كان إماما في الفقه والإفتاء، وآية من آيات الله في الحفظ والإملاء، مشاركا في كثير من الفنون خصوصا الحديث والسير والمعاملة والفرائض والتوثيق والحساب من جبر ومقابلة، وكان خطيبا مصقعا ومفتيا سميدعا... ومؤلفا جامعا

ومدرسا نافعا" (*الاغتباط*، ص 197)، وكتب ختما على *الألفية*، وحواشي على *ميارة الكبير*، *والخرشي*، وجمع *ديوان خطب*، وآخر في *التوثيق*. وله شرح *بردة البوصيري* الذي اختصره من شرح *ابن مرزوق*. وفتاويه كثيرة.

أخذ عن القاضي الطيب بسير، والخطيب المكي بوجندار، ومحمد عاشور الذي يعد عمدته. وأخذ أيضا عن القاضي عبد الرحمان البريبري. وتعاطى التدريس فتتلمذ له كثير من العلماء. وقد وصف بالشهامة والورع والاستقامة والعدل والديانة. وأهم من تتلمذ له المكي البطاوري، والعربي الوزاني، والناظر بنعيسى بن مسعود الرباطي. وولي الخطابة بالزاوية الناصرية، وتولى خطة القضاء بالرباط، وعرف باعتنائه بالعدول وبتحرِّيه في كل أحكامه وبالإحسان إلى الضعفاء. وكان ورد عليه أيام ولايته بالرباط أمر السلطان محمد بن عبد الرحمان ليتوجه إلى طنجة بقصد فصل بعض القضايا فتوجه بعدما أناب عنه في الرباط الحاج عمر عاشور عام 1288 / 1871-1872، كما كانت له منزلة كريمة عند السلطان المولى الحسن الذي كان يرفع إليه القضايا من فاس ومراكش فيفصلها، وقد بلغت محبته للشرفاء درجة جعلته يتسامح معهم ولو أتوا بعض الهفوات.

وكان لا يتوانى عن إسداء النصح إلى المسؤولين في مدينته، فقد وجه كتابا إلى ناظر الأحباس بالرباط محمد بن أحمد غنام يحضّه فيه على القيام بما هو مطوق به وبتفقد الضعفاء، والاهتمام بأمور المسلمين.

توفي يوم السبت 12 شوال 1297 / 17 شتنبر 1880 ودفن بالزاوية القاسمية بالرباط.

م. دنية، *مجالس الانبساط* ؛ م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ ع. الوزاني، *معجم الشيوخ*، مخطوط.

عبد الإله الفاسي

**إبراهيم بن تاشفين** اللمتوني، لا ينبغي خلط إبراهيم هذا مع إبراهيم بن علي بن يوسف، بل هو ابن آخر الملوك المرابطين تاشفين بن علي بن يوسف. ولعله تولى الملك، هو أيضا، بمراكش في ظروف يحيط بها الغموض.

والظاهر أنه كان ما يزال في طور الفتوة حين قدم والده سنة 537 بكراندة من الأندلس بمناسبة وفاة جده علي بن يوسف، يدل على ذلك أن والده أرجعه إلى قرطبة بقصد مواصلة الدراسة بمجرد الفراغ من مراسيم الجنازة.

ويشير بعد ذلك ابن عذاري إلى أن أباه استدعاه بعد مرور سنتين على ذلك الحدث، حينما ضاق به الحال في حربه مع عبد المومن بناحية تلمسان. فقد ألحق عبد المومن هزيمة نكراء بجيش الربرتير، قائد الروم بمعسكر المرابطين بعد قتال استمر ثلاثة أيام، واستولى بعد ذلك على المحلة وعلى زناتة بني يلومي الذين كانوا في جهتهم.

ولما انسحب الربرتير إلى تلمسان بجنوده التقى هنالك مع تاشفين وأطلعه على خطورة الوضع. وحينئذ قرر تاشفين أن يوجه الدعوة إلى كل البلاد التابعة لدولة المرابطين يطلب منهم النجدة السريعة. فوصله عسكر سجلماسة وعسكر بجاية. ووصله من الأندلس عسكر على رأسه ابنه إبراهيم. ويظهر أن أباه استقدمه عنوة في تلك الهيئة وفي تلك المناسبة ليسند إليه ولاية العهد ويشد به ظهره في قاعدة المملكة مراكش التي غاب عنها طويلا. وهذا ما يفهم من عبارة *الحلل الموشية* الذي يقدم الحدث على هاته الصورة : "كان أبوه قد ولاه عهده وهو مقيم بوهران ووجهه إلى مراكش وأصحبه جماعة من لمتونة وذلك قبل وفاته بشهر".

الرواية التي أوردناها تصطدم مع رواية أخرى، صاحبها هو ابن أبي زرع الفاسي في *القرطاس*، يقول فيها إن تاشفين لما خرج من مراكش لمتابعة عبد المومن في غزوه للأقاليم الشرقية وناحية وهران، استخلف عليها ولده إبراهيم، وتبنى ابن القاضي هاته الرواية التي لاشك أنه أخذها عن *القرطاس*، لكن الرواية الأولى أرجح لأنها واردة في أوثق المصادر بالنسبة لتاريخ الموحدين مثل ابن عذارى وابن خلدون *والحلل الموشية*. ثم إنها أقرب للواقع، فلم يكن من المعقول أن يسند تاشفين مهمة جد صعبة لولده وهو ما يزال في سن صغيرة، سيما إذا اعتبرنا الظرف الدقيق الذي كانت تجتازه الدولة المرابطية.

نضيف إلى ذلك تفاصيل أخرى وردت في الرواية الأولى وتدل على أن إبراهيم ورد من الأندلس. فقد ذكر ابن عذاري أن إبراهيم لما وصل من الأندلس صار أبوه "يميز العساكر من الحشود والجنود والوفود فميزوا وبرزوا. وعجب الناس من كثرة عددهم واحتفالهم بالزينة حتى زعموا أنهم لم يروا مثل تلك الجموع حسنا وعدة وكمالا". ويذكر ابن خلدون، من جهته أن تاشفين لما أجمع الرحلة إلى وهران، بعد أن توالت عليه الوقائع، بعث ابنه إبراهيم ولي عهده إلى مراكش "في جماعة من لمتونة وبعث كاتبا معه أحمد ابن عطية". فكل هاته عناصر مهمة تؤكد الرواية الأولى وتبين الظرف الخاص الذي حدث فيه توجيه إبراهيم إلى مراكش، وتبرز حرص أبيه على أن يكون في رفقته كاتب محنك ومقتدر من مستوى أبي جعفر ابن عطية.

وعلى أي، فلم يجد إبراهيم عند وصوله إلى مراكش الحظ المساعد. فقد ذكر صاحب *الحلل الموشية* أنه بويع بمراكش لما مات أبوه بوهران وأكد ذلك ابن خلدون، فيكون، بهذا المعنى، هو آخر الملوك المرابطين. إلا أنه في الواقع، لم يستمتع بالملك، لأنه، نظرا لحداثة سنه لم يكن قادرا على تحمل أعبائه وسط تلك الظروف. ولما وجده المرابطون "مضعفا عاجزا" حسب عبارة ابن خلدون، خلعوه وبايعوا عمه إسحاق بن علي بن يوسف. ونشير عرضا إلى كون صاحب *الحلل الموشية* خلع على إبراهيم لقب "أمير المسلمين" مما يدل على تمام بيعته.

والظاهر أن المرابطين، وبخاصة رجال الحل والعقد من بينهم أضاعوا وحدتهم وتماسكهم لما توالت الشدائد عليهم، فدب الخلاف بينهم منذ وفاة علي بن يوسف. فابن خلدون يأتي برواية أخرى يذكر فيها أن المرابطين بمراكش بايعوا

إسحاق بن علي بن يوسف "صبيا صغيرا عند بلوغ خبر أبيه" الشيء الذي يفهم منه أنهم لم يكونوا موافقين على بيعة تاشفين نفسه.

والمحقق هو أن إسحاق عم إبراهيم رفض البيعة لولد أخيه "ودعا لنفسه ووقع الخلاف والتدابر بينهما إلى انقطاع دولتهم" حسب عبارة *الحلل والبيان المغرب* مما يدل على قيام صراع حاد بين المرابطين بمراكش. ويظهر أن أنصار إسحاق تغلبوا، في النهاية، على أنصار إبراهيم، وبايعوا لأميرهم قبل استيلاء الموحدين على مراكش بسبعة أشهر. وجرت هاته التحولات في الوقت الذي كانت تعاني فيه مراكش من حصار الموحدين، ذلك الحصار الذي مات فيه عشرات الألوف من أهل مراكش، جوعا وقتلا، وانتهى بدخول عبد المومن إلى المدينة في شوال 514. وهنا تختلف الروايات. فيذكر مؤلف *الحلل الموشية* أن إبراهيم تحصن داخل القصبة المعروفة بقصر الحجر مع المرابطين وأعيان البلد، حين دخل الموحدون إلى مراكش وشرعوا في تقتيل السكان. وعند الزوال تقدموا إلى أعدائهم يطلبون الأمان، لكن طلبهم لم يصادف القبول. واقتحم الموحدون الحصن وأخرجوا الأمير أبا إسحاق وكل من كان معه من الأمراء وأبنائهم ومن كان معهم من لمتونة إلى الموضع المعروف بجليز. ويظهر أن عبد المومن، لما رآه أشفق عليه لصغر سنه، لكن بعض أشياخ الموحدين اعترض عليه بقوله : "أتريد أن تربي فرخ سبع؟" ويختم *الحلل* المشهد المأساوي بقوله : و"لما قدم الأمير أبو إسحاق، جعل يرغب لعبد المومن في إبقائه فتفل في وجهه الأمير سير بن الحاج أحد أشياخ المرابطين وقال له : "أترغب إلى أبيك أو مشفق عليك؟ ! اصبر صبر الرجال فقتل وقتل كل من أخرج معه".

هذه رواية *الحلل* لكن هنالك رواية أخرى تذكر أن الأمير الذي قتل على تلك الصورة هو إسحاق بن علي بن يوسف، وهي أصح لأنها وردت عند البيذق في كتابه *أخبار المهدي* وهو يقدمها كشاهد عيان وأكدتها المصادر مثل *البيان* لابن عذاري و*العبر* لابن خلدون. وهي أقرب للمنطق لأن أمير المرابطين في تلك الساعات الأخيرة من دولتهم صار هو إسحاق، كما رأينا من قبل. ولعل صاحب *الحلل* اشتبه عليه الأمر فوضع أبا إسحاق مكان إسحاق وهو خطأ من السهل الوقوع فيه.

ومهما يكن، فمن المؤكد أن إبراهيم قتل في جملة من قتل من أمراء المرابطين ورجالهم في تلك الأيام الدامية التي عاشتها مراكش عند دخول الموحدين إليها.


ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ م. ابن عذاري، البيان المغرب (القسم الثالث) ؛ مجهول، الحلل الموشية ؛ ابن خلدون، *العبر* ج.6 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة ج.1 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام* ج.1.


محمد زنيبر

**إبراهيم ابن تعيشت**، أحد أبناء يوسف بن تاشفين الخمسة كما أورد ذلك صاحب *القرطاس*، وصاحب *الحلل الموشية*. ولاشك أنه تلقى تربية تشتمل على ثقافة واسعة في العلوم الدينية والعربية، إذ هو معدود في أصحاب المحدث أبي علي الصدفي. كما أن تربيته اشتملت على تقاليد قومه الملثمين في التدريب على أساليب الحرب والقيادة العسكرية وما تقتضيه من فضائل كالشجاعة وضبط النفس والصبر على المكاره.

وتاعيشت المنسوب إليها اسم والدته التي كانت سوداء. وكغيره من الأمراء المرابطين، فقد أسندت إليه مسؤولية كبيرة في الولاية على الأقاليم وإدارتها، وكذلك في قيادة الجيش، فكان في البداية واليا على سبتة، ثم عيّنه أخوه علي بن يوسف واليا على مُرسية سنة 507 خلفا للقائد المرابطي الكبير يحيى ابن عائشة وهو ابن الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني، واشتهر ابن عائشة بشجاعته وتحمسه للجهاد ونُصرة الدين، ومن جملة الوقائع التي انتصر فيها على النصارى الإسبان، استفتاحه لحصن ألبيط (Aledo).

وفي محاولة لغزو برشلونة أصيب في بصره وهو عائد منها. وهي الوقعة المعروفة بوقعة البورت التي استشهد فيها قائد مرابطي آخر أبو عبد الله بن الحاج. وما لبث يحيى ابن عائشة أن عمي وذهب بصره، فاستقدمه علي بن يوسف وعيَّن محله أخاه إبراهيم، ولا شك أن التَّعيين صادف ارتياحا من الأندلسيين، وبخاصة في شرق الجزيرة التي عانت من عدوان القائد الإسباني "السيد الكنبيادور" وهذا ما تدل عليه الأبيات التي مدحه بها أبو جعفر بن وضّاح.

| | |
|---|---|
| لا يردُ العظيمَ إلا العظيـمُ | تعقدُ النائبـاتُ حـين تقـومُ |
| وولت عن ساحتيها الهمومُ | عمَّرت بالسرور أكنافَ تدمير |
| هـا بما أملتـه يـوم كريـمُ | مطلتهـا الأيـام حتـى تلقَّـا |
| والعـلا والأميـر إبراهيـم | طالعتها القنا وجرد المذاكـي |

ظل إبراهيم واليا على مُرسية إلى أن قتل الأمير أبو بكر بن إبراهيم ابن تافلوت أمير سرقسطة سنة 510 أو 511. فذهب لتفقد أحوال إمارته وضبطها. وفي سنة 511، تحرك لمنازلة ملك أراجون كقائد عام للجيش، وانتهى القتال بهزيمته. وبرغم ذلك، فقد ظل على رأس الجيش المرابطي يجابه القوات الإسبانية التي كانت استعداداتها الحربية في تزايد مع مرور الأيام، بينما كانت الدولة المرابطية سائرة في طريق التدهور، وعلاقاتها مع مسلمي الأندلس في تأزم وتوتر، واستطاع أن يحافظ على هيبة الدولة وسلطتها بربوع الأندلس إلى أن تعرض للهزيمة في موقعة كتندة التي يصفها المقري كما يلي :

"وقد كانت وقعة كتندة على المسلمين قبل هذا التاريخ بمدة (كان المؤلف يتحدث عن استيلاء العدو على بلنسية سنة 636) وكتندة ـ ويقال "قتندة" بالقاف ـ من عمل سرقسطة من الثغر الأعلى. وكانت الهزيمة على المسلمين

جبرهم الله تعالى. وقتل فيها من المطوعة نحو من عشرين ألفا، ولم يُقْتل فيها من العسكر أحد. وكان على المسلمين الأمير إبراهيم بن يوسف ابن تاشفين الذي ألف الفتحُ باسمه *قلائد العقيان*. وكانت سنة أربع عشرة وخمسمائة، وممن حضرها الشيخ أبو علي الصدفي السابق الذكر، وقرينه في الفضل أبو عبد الله ابن الفراء، خرجا غازيين، فكانا ممن فُقِدَ فيها".

ويظهر أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، المعروف بصبره وتسامحه، لم يغفر لأخيه هاته الهزيمة، بعد أن رفع منزلته وعيّنه واليا على إشبيلية التي صارت هي عاصمة الأندلس في تلك الآونة وحاضرتها الكبرى. ولذلك فإنه عزله عنها "في جمادى الأول عام ستة عشر وخمسمائة فكانت ولايته لها أربعة أعوام وتسعة أشهر". *(البيان المغرب)* وعيّن مكانه أخاه الآخر تميم بن يوسف بن تاشفين. فما السبب في سخطه عليه ؟ لاشك أنه وقع منه خطأ أو تقصير، كما يتراءى ذلك من رواية المقري الواردة آنفا، والتي يظهر منها أن الجيش ظل بمعزل عن المعرَكة، بينما اقتصر فيها على جهاد المتطوعة، الذين مهما كان تحمسهم وإخلاصهم، لم يكن لديهم من الحنكة والتدريب ما يوجد عند الجيش النظامي.

ومهما يكن، فقد استدعي ابن تعيشت إلى مراكش ونكب واستُصفيت أمواله، وامتد السُخط إلى حاشيته ورجاله. ولعلَّ هذه التدابير تمت عندما كان علي بن يوسف بالأندلس في جوازه الرابع الذي يؤرخه صاحب *الحلل الموشية* بسنة 515. وكان السبب الأساسي لذهابه إلى الأندلس ثورة أهل قرطبة على المرابطين ونهبهم لبعض دورهم. ولعلّه اغتنم فرصة وجوده ليعيد النظر في التنظيم الإداري بالأندلس.

لكن إبراهيم ما لبث أن استعاد منزلته في بلاط أخيه، إذ يذكر لنا ابن عذاري أنه حضر إلى جانب أخيه في حفلة تعيين وليّ العهد سير بن علي سنة 522. وكان قبل هذا التاريخ يشارك في الحملات العسكرية التي كان المرابطون يشنونها على الموحدين بسوس. ويظهر أنه كان من بين القواد الذين شاركوا في معركة البحيرة قرب مراكش، وهي المعركة التي هزم فيها الموحدون سنة 524. وتتفق كل المصادر على أنه قتل وهو يحارب على ظهر جواده. وإنما تختلف في تحديد الزمان والمكان. فيذكر البيذق أنه قتل في الغزوة التي قادها عمر بن علي الصنهاجي (عمر أصناج) بموضع يقال له "تيزدن الإيثات"، دون أن يحدد السنة. وينقل ابن الأبار عن ابن صاحب الصلاة أنه قُتل وفلّ عسكره على طريق سجلماسة بجبل هسكورة في إحدى المعارك الناشبة بين المرابطين والموحدين. وأما ابن خلدون فيذكر أنه قتل بمعركة كيك وحضر معه فيها بكو بن علي بن يوسف. وابن القطان يذكر تاريخ موته وهو سنة 528 دون أن يحدد المكان وإنما يكتفي بالقول إنه قتل في "غزوة أثارها وكانت الدبرة عليه وكَبَابه فرسه فقتل".

وهذا الاختلاف طفيف لا أَهَمية له، في الواقع، والمهم هو أنه قتل في إحدى شعاب الأطلس الكبير وهو يحارب، مُبرهنا على أنه ختم حياته كجندي كما بدأها، وأنه ظل يحمل روح قومه صنهاجة الصحراء وما عُرفوا به من إباء وبسالة واستماتة.

لكن، هنالك جانب آخر في شخصية إبراهيم بن تعيشت لابد من أن نقف عنده ولو قليلا، ولعله هو الذي أكسبه مزيدا من الشهرة، وبخاصة في كتب الأندلسيين. فابن الأبار، مثلا يذكر كيف أنه حرص على أخذ الحديث عن أبي علي الصدفي، وكيف أن هذا الأخير قبل أن يذهب إليه، بصورة استثنائية، بعد أن يفرغ من الدروس التي كان يقدمها للعموم. ومن المعلوم أن الأدباء والشعراء نوّهوا به في كتبهم وقصائدهم وهكذا لم يجد الفتح بن خاقان خيرا منه ليهديه كتابه المشهور *قلائد العقيان* وقد حلاه في المقدمة بما لا مزيد عليه من الإطراء فمن ذلك قوله :

"... ولم يزل شخص الأدب وهو مُتوار، وزنده غير وار، وجده عاثر، ونهجه داثر، إلى أن أراد الله اعتلاء اسمه، وإحياء رسمه، وإنارة أفقه، وإعادة رونقه، فبعث من الأمير الأجل أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين ملكا عليا، غدا للبة المجد حليا، وهمى على الأمة وسميا ووليا. وألبس الدنيا جمالا، وجدد لأهلها آمالا، وناهيك به من ملك عالي، ناظم لأشتات المعالي. أصبح الدين منبسطا في نواحيه، مغتبطا بمناحيه، والهمُّ فرقا من جوده، مفترقا في أغواره ونجوده، والبأس مزدهيا بمضائه، مكتفيا بانتضائه...".

إلى أن يقول :

"... مع عفاف كف حتى عن الطيف، وحكى المحرمين بالخيف، وندى خرق العوائد، وأورق عوده في يد الرائد، وسجايا تتجلى بها الظلماء، كأن مزاجها عسل وماء. ولما أنارت به تلك الآفاق، وعاد به كساد الفضل إلى النَّفاق، رأيت أن أخدم مجلسه العالي بزف الكتاب إليه، وأشرف محاسنه بمثوله بين يديه، فوسمته باسمه، وكسوته نور وسمه، وجلبت العلق إلى مميزه، وأجريت الجواد في ميدان محرزه، وأطلعت شمس النبل في أفقها، وأتيت ببضاعة الفضل إلى منفقها...".

من هذه المقتطفات يتضح أن شخصية المترجم كانت محببة إلى الأندلسيين برغم ظروف الصراع التي كانت قائمة بين أهل الأندلس والمرابطين. ومن دون شك أنه امتلك قلوبهم بخصاله التي منها الشجاعة والكرم. وفي هذا الصدد يورد لنا ابن خاقان مثالا على ذلك، كشاهد عيان : "ووصلت شاطبة في فطر سنة عشر وخمسمائة. والأمير أبو إسحق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين أيده الله معيِّد بها، ومجدد ذاهب رتبها. وكان عيدا، كان عهدُ أهلها بمثله بعيدا، بل لم يعهد بالقطر شبيهه، ولم يحضر مثله خامله ولانبيهه. وكان ابن خفاجة هذا حاضرا لاستنجاز وعده، بالتوقيع على صك يحذى نعاله من عنده. فلما كان يوم

العيد واحتفل جمعه واحتشد، قام لدى أبي إسحق وأنشد :

سجعتِ وقد غنى الحمام فرجعا ... وما كنت لولا أن تغنى لأسجعا
وأندب عهدا بالمشقر سالفا ... وظل غمام للصبا قد تقشعا
ولم أدر ما أبكى أرسم شبيبة ... عفا أم مصيفا من سليمى ومربعا..

والقصيدة كما أوردها الفتح طويلة ونقتصر منها على بعض الأبيات في مدح إبراهيم ابن تعيشت، مشيرا إلى فرسه :

ولما انتحى ذكر الأمير استخفه ... فخفض من لحن الصهيل ورفعا
حنينًا إلى الملك الأعز مردداً ... وشجوا على المسرى القصي مرجعا
فعن حب إبراهيم أعرب صاهلاً ... وفي نصر إبراهيم كرٌّ تشيعا
إمام يباهي الحمد وشيًا مذهبًا ... به ويرأس المجد تاجا مرصعا
دعا باسمه داعي الحفيظة والندى ... فلبّى على شرخ الشباب وأهطعا
وهب كما هب الحسام استنامة ... وعبّ كما عبّ الخضم تبرعا
وجر به ذيل الخميس ابن غابه ... تردى غلاما بالعلا وترفعا
وداس العدا ركضا وأجرى الوغى دما ... بأطوع من يمناه فعلا وأطبعا
ولما تدرّى النصل منها منطقا ... سديدا فريدا أو حميدا مقطعا
فبيد في ذات المكارم وانثنى ... ورره في جنب الاله ورفعا
وخفض من صوت الأبي وصيته ... وزلزل من ذكر العصيّ وضعضعا
وألقت إليه بالمقادة قادة ... تطامن من أعراقها ما ترفعا

وكان أبو عامر بن عقيد، وهو أديب من ناحية مُرسية، من كتابه. فحدث أن نقل إلى إبراهيم أنه يفشي سره ويقع فيه، فاعتقله فكتب إليه شعراً ورد فيه :

أتأخذني بذنبي ثم تنسى ... من الحسنات ألفا ثم ألفا
وتتركني لأسياف الأعادي ... وليس يهز قولي منك عطفا
كأنك ما ثنيت إليّ لحظا ... كأنك ما مددت إلي كفًا
جعلت أبي على رجلي وما إن ... له ذنب يهان به ويحفى

فاستحسن مداعبته وأعاده إلى خدمته. والمداعبة أتت في البيت الأخير، إذ كلمة عقيد اسم أبيه إذا حذف منها حرف العين صارت قيد.

ومدحه، أيضا، قاضي شاطبة، أبو الحسن طاهر بن نيفون بقوله :

أيا ملكا أولانى العز والغنى ... وصيرني بعد الخمول مكرّما
وأبصرني في الأرض ملقى مذللا ... فرفّعني بالعز والجاه للسما

ومن المعلوم أن أهل الأندلس، على العموم، لم يكونوا راضين عن حكم المرابطين، وبالخصوص في الفترة الأخيرة من دولتهم. ظهر ذلك في ثوراتهم كما ظهر في أقوالهم من شعر ونثر. وإجماع الأدباء والشعراء على مدح إبراهيم بن تعيشت له، إذن، دلالة خاصة على مكانة الرجل ودوره الإيجابي في حياة المجتمع الأندلسي. لكن المصادر لا تتحدث لنا، ويا للأسف، إلا عن بعض أعماله الحربية ملحّة على هزائمه أكثر مما تشير إلى انتصاراته.

ويتبين من النُتف القليلة التي بقيت في كتب الأدب أنه كان من كبار المحسنين إلى العلم والأدب في الأندلس. فإليه أهدى الفتح بن خاقان *قلائده* كما أشرنا، وإليه أهدى ابن زهر كتابه *الاقتصاد في صلاح الأجساد*، وفي مدحه تبارى عدد من الشعراء، وعلى رأسهم ابن خفاجة الذي عرف عنه نوع من التعفف والأنفة في المدح. وهذا يبين الخطأ الذي وقع فيه عدد من المؤرخين والباحثين، مستشرقين وعرب، مثل "دوزى" وغيره حين استصغروا شأن المرابطين وازدروا دورهم الحضاري في الأندلس. ولعل له دور المعتمد بن عباد لو أنصفته المصادر وتحدثت عنه بنفس التقدير الذي أبدته عند حديثها عن أمير إشبيلية.

ف. بن خاقان، *قلائد العقيان*، ط بولاق 1283 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان* ؛ ابن الأبار، المعجم ؛ *التكملة* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، الجزء 4 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ج. 6 ؛ ابن سعيد المغربي، *المغرب*، القاهرة 1955 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ج. 4 و7 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 1.

محمد زنيبر

**ابن إبراهيم، الجيلالي** بن أحمد الرباطي، المفتى والعالم الكبير، ولد في حدود 1260 / 1844 ونشأ بمسقط رأسه طالبا للعلم على مشايخ بلدته كالفقيه أحمد دنية وولده القاضي علي دنية، وإبراهيم التادلي، والتهامي البناني، وأحمد بن إبراهيم، وأحمد ملين. وقد رحل إلى فاس مرتين من أجل طلب العلم فمكث بها مدة أخذ فيها عن الفقيه عمر بن سودة وشقيقه الحاج أحمد والفقيه المهدي بن الحاج وشقيقه أحمد صاحب *الحاشية على الألفية*، وأضرابهم.

ثم رجع لمسقط رأسه فتصدى للتدريس والشهادة والإفتاء، وقد وُصف بكونه من أركان العلم بالرباط في وقته وبكونه قاموسا محيطا بقواعد المذهب وأصوله، كما وصف بقوة الذاكرة واستحضار الكثير مما تضمنته كتب الأحكام والنوازل وحفظ مختصر *خليل*. كان يحضر مجالسه عدد من كبار الطلبة، وتخرج عليه عدد من التلامذة أمثال زين العابدين البناني، وأخيه الشيخ فتح الله، والقاضي محمد بن عبد السلام الروندة، ومحمد بن عمر دنية وغيرهم. وخلف عدة تقاييد منها *فتاويه* الكثيرة وختم *على المختصر*، وتقييد في الطلاق البائن والرجعي رد فيه على ما كتبه مفتى فاس سيدي المهدي الوازاني، ثم حواش لا تزال طرراً بهامش *شرح الدردير على المختصر*.

كانت طريقته في التدريس السرعة في الإملاء وعدم تحمل الإلقاء بسبب مالديه من غزارة المادة والحفظ والاستحضار.

انتقل إلى أسفي سنة 1319 / 1901-1902 كعدل بالمرسى، وكان يدرّس خلال تلك المدة بنفس المدينة. وولى أيضا القضاء بالعرائش عام 1326 / 1908. وقد وصف بالورع والديانة وإباء النفس. وكان أخذ الورد الدرقاوي عن الشيخ مولاي الطيب ابن المربي مولاي العربي الدرقاوي لما كان بالرباط.

توفي في الساعة الخامسة من صبيحة يوم الخميس 3 جمادى الأولى عام 1336 / 14 يبراير 1918 ودفن بضريح أبي الأنوار. وتقدم للصلاة عليه العلامة الوزير الشيخ شعيب الدكالي.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، ج. 2 ؛ م. دنية، *مجالس الانبساط* ؛ م. بوجندار، *الاغتباط* ط.

عبد الإله الفاسي

**إبراهيم بن سليمان** العلوي، أحد أبناء السلطان المولى سليمان بن محمد بن عبد الله. سهر والده على تربيته وتعليمه شخصيا قبل أن يسند إليه مهمات سياسية وعسكرية على درجة كبيرة من الأهمية. فبمجرد ما أن وطد والده سلطته بالبلاد أرسله إلى زاوية أبي الجعد (1212/ 1798) ليدرس بها العلوم الفقهية. وقد رحب شيخ الزاوية الشرقاوية بهذه البادرة السلطانية التي جاءت بعد سنوات من العلاقات المتأزمة بين مولاي سليمان وسيدي العربي بن المعطي. وفي السنة التالية (1213 / 1798) انتقل إلى مدينة أسفي لمتابعة تعليمه بها، وكان بها آنذاك القائد عبد الرحمان بناصر المخيزني الذي لم تكن نيته قد خلصت بعد تجاه السلطان. وبذلك يكون قرار إرساله إلى أسفي للدراسة بها قرارا سياسيا في نفس الوقت، مثل ما كان الشأن بالنسبة لأبي الجعد من قبل، الغرض منه هو استمالة ذوي النفوذ المحلي وتأكيد رغبة المخزن في طي صفحة الماضي. ويخبرنا الضعيف الرباطي أن المولى سليمان نقله في سنة 1218 / 1804 إلى مدينة الرباط من أجل الدراسة والسكنى بها.

كانت أهم مامورية قلده إياها والده إرساله إلى الديار المقدسة في سنة 1226 / 1811 لأداء فريضة الحج ونقل رسالة من المولى سليمان إلى زعيم الدولة الوهابية الفتية، سعود بن عبد العزيز. وقبل ذلك التاريخ كان ركب الحجاج المغاربة قد تعطل لعدة سنوات بسبب ما أشيع عن الأوضاع في الحجاز بعد دخول الوهابيين إلى مكة والمدينة وبطشهم - حسب ادعاء خصومهم - بكل من لا يسايرهم في معتقداتهم. ولما تحقق المولى سليمان من بطلان هذه الإشاعات قرر إرسال ولده إبراهيم على رأس وفد من العلماء لتبليغ رسالته المتضمنة لموقفه من معتقدات الوهابيين من جهة ولاستطلاع آراء هؤلاء حول جملة من القضايا العقدية من جهة ثانية. وكان من جملة العلماء الذين رافقوا المولى إبراهيم في هذه الزيارة القاضي محمد ابن إبراهيم الزداغي والقاضي العباس بن كيران والفقيه محمد العربي الساحلي وغيرهم. ولما استقبل هؤلاء من طرف سعود بن عبد العزيز دار بينهم وبينه نقاش حول عدد من القضايا مثل القول بالاستواء وزيارة الأموات وطلب الشفاعة من الأنبياء والصالحين، فتبين للوفد المغربي أن الوهابيين ملتزمون بمذهب أهل السنة خلافا لما يشيعه بشأنهم خصومهم، لكن بالرغم من التأكيدات التي رجع بها أعضاء الوفد عن سلامة عقيدة الوهابيين فإن موجة العداء لهؤلاء لم تنقص في شيء وظل الناس يتحدثون بأنه لولا وجود الأمير مولاي إبراهيم مع الحجاج لما تمكنوا من أداء مناسكهم.

وكانت رآسة الجيش من جملة المهمات التي تقلدها المولى إبراهيم بتكليف من والده، ففي 1231 / 1816 أسند له المولى سليمان قيادة الجيش وأرسله في حركة إلى تافيلالت لمعاقبة قبائل أيت عطة والصباح بعد استيلائهم على عدد من قصور المخزن. وتمكن المولى إبراهيم من تبديد شمل القبائل العاصية وأخذ منهم الرهائن. وعندما أشرف على استئصال دائهم تقدم إليه أيت عطة طالبين الأمان، فسمح لهم بالرجوع لديارهم، إلا أنهم غدروا وتمادوا في غيهم، فقتل المولى إبراهيم عددا من رهائنهم وقاد نحو مائة آخرين لفاس حيث قتلهم بباب محروق. وقد أنكر عليه والده سلوكه مع أيت عطة بتنفيس الخناق عليهم في وقت كانت هزيمتهم قد أصبحت وشيكة، كما أنكر عليه تقتيل الرهائن "وعد ذلك من الخفة والطيش"، وهذا ما جعل السلطان يوجه حركة جديدة لأيت عطة في السنة التالية لكنه جعل على رأسها هذه المرة وزيره أحمد بن مبارك، وعلى يد هذا الوزير تم طرد أيت عطة من القصور التي كانوا قد استولوا عليها في تافيلالت.

وفي سنة 1234 / 1819 عندما قرر المولى سليمان تنظيم حركة ضد قبائل أيت أومالو طلب من ولده إبراهيم تجهيز قبائل الغرب والسير بها إلى تادلا. وكان السلطان آنذاك مقيما بمراكش، بينما كان المولى إبراهيم خليفته بفاس. وصادفت هذه الحركة العسكرية انتشار الطاعون بشمال البلاد، "وكان الناس في محنة شديدة من الوباء الذي طم وعم، وكان السلطان تركه خفيفا ولا يعلم أنه شاع وذاع"، فلم يمتثل الناس أوامر المخزن بالاستعداد للحرب إلا مكرهين، وبشأن هذه المسألة يواخذ أكنسوس المولى إبراهيم لعدم إخباره والده بحقيقة الوباء ومدى انتشاره وتضييقه على الناس فيؤخر الحملة العسكرية ويعفى القبائل منها في تلك الظروف الصعبة. ولما جهز المولى إبراهيم الجيوش وأشرف على بلاد أيت أَمَالُو بعث إليه هؤلاء بالنساء والصبيان طالبين العفو ومظهرين الطاعة والخضوع، لكن الأمير ارتكب خطأ بالغ الخطورة عندما رد طلبهم، فنشبت الحرب التي انتهت بما نعرف بهزيمة زيان (مايو 1819). وفي هذه المواجهة مع قبائل أيتْ أَمَالُو أصيب مولاي إبراهيم بجروح خطيرة في رأسه نقل على إثرها إلى فاس فمات ودفن بها. وتدعي بعض الروايات أن الأوداية هم الذين غدروا به يوم المواجهة مع أيت أَمَالُو بعد نزول الظلام، لأنه - حسب أكنسوس - "كان قد أضر بهم غاية وقيد عليهم صهره الحاج أحمد بن قدور فمكر بهم".

وكان مقتله أعظم مصيبة بالنسبة للمولى سليمان، إذ كان خليفته في حياته والمرشح للملك بعده. وقبل وقعة زيان كان أبو القاسم الزياني قد ناشد المولى سليمان بأن يوصي

له بالخلافة، بل حرر من أجل ذلك مشروع وصية أثبته في *الروضة السليمانية*.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة العلوية* ؛ أ. الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*.

محمد المنصور

ابن **إبراهيم**، **عباس** بن محمد المراكشي السملالي نسبا. اشتهر بالتعارجي. وأكثر ما كان يُدعى في الأوساط المراكشية بالقاضي التعارجي نسبة إلى الحرفة التي كانت تمتهنها الأسرة وهي تجليد التعارج (نوع من الدفوف)، إذ كان لوالده دكان بسوق الكمَاخين (بسوق الجلد).

وُلد عام 1274 / 1877 بحي سيدي ابن سليمان في مراكش، وفي سن مبكرة التحق بكتاب الحي حتى حفظ القرآن الكريم حفظا تاما مع جملة من المتون المعروفة آنذاك، وأخذ عن جملة من علماء مراكش والمشرق قراءة وسماعا أو إجازة، منهم : محمد بن محمد بن أحمد أزْنِيط (تـ 1317 / 1899) ومحمد بن إبراهيم السباعي (تـ 1332 / 1913) وشيخ الجماعة العربي الرحماني البربوشي (تـ 1354 / 1935) كما أخذ في مصر عن الشيخ محمد حسين، والشيخ يوسف الدحوي وغيرهما.

لما آنس عباس ابن إبراهيم من نفسه القدرة على التدريس، شرع سنة 1319 / 1901 في إلقاء دروس في الفقه بمسجد رياض العروس، وفي السنة الموالية رتب في المرتبة الثالثة في هيأة العلماء بمراكش، كما درّس بمَسجد المواسين *جمع الجوامع* و*قانون اليوسي*. ولم يشغله التدريس ولا الوظيفة عن البحث والتنقيب عن الكتب، سواء في المغرب أو خارجه، إذ كان يرحل كل سنة إلى أوربا أو أقطار الشمال الإفريقي باحثا عن نفائس الكتب، ومقتنيا ما أمكنه الاقتناء، أو ناسخا ما هو في حاجة إليه، حتى استطاع أن يكوّن أكبر خزانة خاصة بمراكش. إلى جانب هذا كان مجداً في المطالعة مدمنا عليها. لا تفارقه الكتب ولا لوازم الكتابة. وقد تخرج على يديه مجموعة من الطلبة، وأجاز نخبة منهم.

ولما ثار مولاي عبد الحفيظ الخليفة السلطاني بمراكش 1325 / 1907 على أخيه السلطان المولى عبد العزيز، تألق نجم القاضي ابن إبراهيم في الميدانين العلمي والإداري. فعين كاتبا بالبنيقة الأولى (ديوان الوزير الأول) وحصل في السنة التالية على المرتبة الأولى بين علماء وفقهاء مراكش، وقد زكاه شيوخه بشهادة نذكر منها شهادة شيخه محمد بن إبراهيم السباعي، لما سئل عن استحقاق المترجم للمرتبة الأولى، قال : (إن المرتبة الأولى إنما جعلت لأنجب العلماء وتفاوتهم في الفهم والتحصيل، وأما القضاء إنما جعلت لهم تعظيما للخطة لا للعلو في العلم، والذي أتقلد أن الطالب العباس المذكور لأنجب وأحسن فهما وتحصيلا من جميع من أعلم بمراكش، إنه في المرتبة الأولى وأكثرهم استحقاقا لها من حيث حسن الفهم والإدراك والتحصيل..) (*الاعلام* 1 : 144).

وإثر ذلك صدر ظهير السلطان مولاي عبد الحفيظ بنقل المترجم إلى المرتبة الأولى. وأثناء وصوله إلى فاس رافق السلطان مولاي عبد الحفيظ في زمرة من جاءوا معه من مراكش، كالفقيه ابن كبور والأديب أحمد الزموري فأدهشوا علماء فاس واعتبروهم مبرزين في العلم والأدب والشعر وصناعة الترسل.

وفي سنة 1330 / 1912 عاد ابن إبراهيم إلى مسقط رأسه ليسند إليه الإفتاء والتوثيق إلى جانب التدريس بمسجد المواسين. ثم عين سنة 1333 / 1915 قاضيا في مجلس الاستئناف الشرعي بالرباط، وقد استطاع أن يجمع بين أعباء الوظيفة ومسؤولية التدريس، حيث كان يلقي بالزاوية القاسمية دروسا في النحو. بعد ذلك عين قاضيا في محكمة سطات، ثم قاضيا بالجديدة، فقاضيا في محكمة المنشية بقصبة مراكش سنة 1343 / 1925، إذ كانت مراكش مقسمة إلى ثلاثة أقسام على ثلاثة قضاة : القاضي الحاج الحبيب الورزازي باليوسفية، ومحمد بن العربي الدكالي بالمواسين، والمترجم بالمنشية.

العباس ابن إبراهيم السملالي في شيخوخته

وقد سلك في حياته القضائية مسلك الجادة، إذ كانت أحكامه تتسم بالدقة والنزاهة، مع طول باعه في الفقه واطلاعه الواسع على المظان التي تعد عمدة التشريع الإسلامي. وهذا ما جعله يعتز بنفسه وأحكامه. وقد حكى لي أحد أعوانه أن المندوب الفرنسي طلب من القضاة الثلاثة أن يحضروا عنده مرة في الأسبوع للنظر في بعض القضايا التي سبق أن حكموا فيها. فرفض هوالخضوع لأوامره، وواجهه بعبارات كان لها شديد الوقع على نفسه. ولما أصدر كتابه القيم : *الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام* اطلع عليه بعض أساتذة الجامعة الهولندية، فأدركوا قيمته وما تجشمه المؤلف من أتعاب ومشاق، واقترحوا على رئاسة الجامعة استضافته ومكافأته على عمله الجليل، وتشجيعه على الاستمرار في مشروعه الموسوعي الكبير، فحل ضيفا عليها مدة أسبوعين، فكان أول مغربي حظي بهذه العناية من قبل جامعة أوربية حديثة. طبعت خمسة أجزاء من كتاب الإعلام في حياة المؤلف عام 1358 / 1939، ثم أعيد طبعه كاملا ـ بترتيب مغاير ـ في المطبعة الملكية بالرباط في عشرة أجزاء عام 1983/1403.

وقد ألف ابن إبراهيم كتبا أخرى في موضوعات مختلفة، منها : *منظومة درر الحجال في مناقب أولياء مراكش سبعة رجال* ؛ *وإظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال*، وهو شرح المنظومة السابقة طبع نصفه طبعة حجرية ؛ *والألماس فيمن اسمه العباس* (مخطوط)؛ والأجوبة *الفقهية مع الأحكام المسجلة* (مخطوط) في أربعة أجزاء ؛ والإمتاع بحكم الإقطاع (مخطوط) ؛ *وتاريخ ثورة الشيخ أحمد الهيبة* (مخطوط) ؛ *والقضاء على الإسلام بيد أبنائه* (مخطوط) ؛ وشرح *منظومة السلطان مولاي عبد الحفيظ لجمع الجوامع* (مخطوط) ؛ وحاشية على *صحيح مسلم* (مخطوط) ؛ وديوان شعر (مخطوط).

وكانت وفاة عباس بن إبراهيم بمراكش يوم الأربعاء 20 شوال عام 1378 / 29 أبريل 1959 ودفن بضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، المقدمة ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 1 : 198 ؛ *التأليف ونهضته بالمغرب*، 2 : 321 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 3 : 165 ؛ *روايات شفوية* ؛ *مجلة دعوة الحق*، سنة 1959، عدد 10 ؛ Hespéris, T. XXV - 1938.

أحمد متفكر

ابن **إبراهيم، عبد الرحمان** بن محمد بن محمد الدكالي المشنزائي. ولد بفاس حوالي عام 892 / 1487. فقيه حافظ لفروع المذهب قائم على تدريس *رسالة ابن أبي زيد*، ظل يقرئ الفقه بفاس أزيد من نصف قرن، وكان له كرسيان بالقرويين، كرسي ما بين العشاءين طوال أيام الأسبوع، وكرسي الغداة يومي الخميس والجمعة، إلى درس ثالث يلقيه ظهراً بسارية معينة في القرويين، ودروس أخرى في أوقات مختلفة خارج هذا الجامع. وإلى شدة تمكنه من المادة الفقهية كان أسلوبه في التبليغ مبسطا مشوقا، كما "كان مجلسه منوراً وللفظه حلاوة، وعليه طلاوة. وربما يحضره... عبد الواحد الونشريسي، وكان أسنَّ منه، ويعجب من فصاحته ورشاقته في ذلك ويقول في تدريسه : ذلك هو السهل الممتنع" (*فهرس المنجور*، 56).

تخرج على يد عبد الرحمان ابن إبراهيم جماعة كثيرة من أعلام علماء العصر السعدي، كالإمام أحمد المنجور، وشيخ الجماعة محمد القصار، وأبي المحاسن يوسف الفاسي وغيرهم. وتولى خطابة القرويين بعد وفاة الشيخ علي بن موسى بن هارون المطغري سنة 951، واستمر خطيبا اثنتي عشرة سنة إلى وفاته، فخلفه في الخطابة والتدريس بالقرويين ولده أبو شامة.

توفي عبد الرحمان ابن إبراهيم بفاس عام 962 / 1555-54 وحضر جنازته الجم الغفير من الناس وفيهم ولي العهد آنذاك عبد الله بن محمد الشيخ المهدي.

أ. المنجور، *فهرس* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 40 و261، *درة الحجال*، 3 : 97-98، *لقط*، 304 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 176 ؛ م. القادري، *الإكليل*، مخطوط، *نشر*، 1 : 91 و 125 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 1 : 157 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 130 ؛ ل. بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، 89 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 352 والهامش 24.

محمد حجي

**إبراهيم** بن **عبد المومن** الموحدي. أحد أبناء عبد المومن الثمانية عشر كما ذكر ابن عذاري. كان واليا على قرطبة سنة 563هـ. ويظهر أنه كان ما يزال في مستهل الشباب في تلك الآونة، إذ لا يرد ذكر له قبل ذلك في المصادر. وربما جاء تعيينه في سن مبكرة نتيجة للسياسة التي انتهجها يوسف بن عبد المومن في توزيع الولايات على "إخوته السادات، والحفاظ من أشياخ الجماعات" حسب تعبير ابن عذاري.

لكن يظهر أن اختيار إبراهيم واليا علي قرطبة كان للقيام بمهمة حربية لم يكن في إخوته من يقدر على أدائها مثله، ففي الرسالة التي وجهها الخليفة يوسف بن عبد المومن إلى الشيخ محمد بن أبي إبراهيم. يذكر له أنه عازم على القيام بأمرالأندلس والدفاع عنها من عدوان الروميين والمجسمين، يقول : "وقد اتفقنا في هذه الأيام على أن يتوجه إليها أخونا أبو إسحاق إبراهيم بن سيدنا أمير المؤمنين - وفقه الله - في عسكر مبارك من الموحدين والعرب - وفرهم الله - ليكون بقرطبة - مهدها الله - ورجونا من تعاونه مع إخوانه الذين بإشبيلية - حرسها الله - وتعاضدهم جميعا وتوازرهم على الجهاد وحماية البلاد، والنظر في المصالح وكافة ما وصيناهم به في هذه الأغراض أن تظهر عليهم بركة سيدنا أمير المؤمنين وآثاره". فالرسالة على أي حال، تبين الدور الخطير المنوط بإبراهيم. ولم تكن مشكلة الأندلس بالنسبة للموحدين تنحصر في حرب النصارى، بل كان لهم مناوئون ومعارضون من الأمراء والزعماء الأندلسيين. وفي تلك الآونة بالذات، كانوا يعانون من محاربة ابن مردنيش وصهره ابن همشك، ويظهر أن مهمة إبراهيم سرعان ما آتت أكلها. فبمجرد أن تلقى نجدة بقيادة الشيخ أبي حفص الهنتاتي، بادر ابن همشك إلى طلب الصلح والالتحاق بمعسكر الموحدين، وبذلك ضعفت معارضة ابن مردنيش الذي كان معولا عليه، وجاء ابن همشك يقدم طاعته إلى الشيخ أبي حفص وإبراهيم في قرطبة، ووجه إبراهيم رسالة في هذا الشأن إلى الأشياخ والحُفاظ يعلمهم بالخبر. وكان ذلك في رمضان عام 564.

وبعد هذا المجهود التمهيدي الذي كان بمثابة جس للنبض بالأندلس، رأى الخليفة يوسف من الحكمة أن يدعو ولاة الأندلس وقادتها للتشاور معهم وأخذ كامل الاستعداد للحملة الكبرى التي كان يعتزم القيام بها في الأندلس. وهكذا استدعى أخويه إسماعيل والي إشبيلية وإبراهيم، وظلوا عدة شهور بمراكش إلى أوائل سنة 565، وكان الجيش الموحدي شرع آنذاك في القيام بهجوم مضاد على البرتغاليين الذين شرعوا بقيادة ألفونسو هنريكز في حملة الاسترداد بالجهة الغربية من الأندلس، واستطاع الموحدون أن يحرزوا نصرا في بطليوس، إذ استعادوا المدينة سنة 1169/564.

هكذا، بدأت الأحوال تنقلب لصالح الموحدين ومسلمي الأندلس، فوجد يوسف بن عبد المومن في ذلك حافزا لوضع خطة عسكرية محكمة وتعزيز القيادة العسكرية والتسيير الإداري بتعيينات إضافية في المنطقة. فأعاد أخويه أبا إبراهيم إلى إشبيلية وأبا إسحاق إلى قرطبة في أوائل 565. وعين أخاه الحسن واليا على سبتة. وغير خاف ما كان لهذا المرسى من أهمية استراتيجية بالنسبة للدولة الموحدية. كما قام بتعيينات أخرى في مدن الأندلس الواقعة في مناطق المواجهة مثل بطليوس وطبيرة.

ظل إبراهيم في ولايته على قرطبة إلى أن جاز الخليفة يوسف بجيشه إلى الأندلس في رمضان 566، وبدأت الحملة الكبرى التي شارك فيها إخوة الخليفة، وكان إبراهيم من بين الذين استقبلوا هلال بن مردنيش، حسب رواية ابن عذاري، إذ يقول :

"لما مات محمد بن سعد بن مردنيش بادر ابنه هلال بالوصول إلى الخليفة بعد استقرار أبي حفص بمرسية، وكان وصوله بجميع إخوته وأصحاب أبيه من قواده وكبراء أجناده في عقب شعبان من السنة فخرج إليه السيد أبو زكريا وأخوه إبراهيم أخو الخليفة مع جماعة من الموحدين ودخل في صحبتهم إلى مجلس الخليفة قرب صلاة المغرب من يوم وصوله".

وكان هذا انتصاراً آخر للموحدين، نظراً لما لاقوه من عنت وإزعاج في أيام أبيه محمد بن مردنيش. وهكذا، تعزز الخليفة يوسف بن عبد المومن، فسار في تنفيذ خطته إلى إرجاع السيطرة للمسلمين بإسبانيا كاملة كما كانت في العصر الذهبي للأندلس. وتقدم لغرب الأندلس لاسترجاع عدد من الحصون والمدن ومن بينها مدينة وبذة. وكان إبراهيم أميرا على قبيلة گدميوة في تلك الحملة التي أخذ فيها الفتور يظهر في جيش الموحدين بعدما دشن حركته بانتصارات متوالية.

وتكاد تسكت المصادر بالمرة عن إبراهيم إلى حين وفاته. والظاهر أنه ظل محظوظا من بين أمراء الموحدين يتقلد الولايات في الأقاليم، وكان قد نقل من الأندلس إلى تلمسان في عهد الخليفة يعقوب المنصور، ولعل مرضا مزمنا كان سببا في طول إقامته هناك، والظاهر أنه كان من بين السادة الذين لم يرق في عينهم صعود يعقوب إلى الخلافة. ولذلك، فإن هذا الأخير لما كان عائدا من حركته بإفريقية سنة 584 قرر أن يظهر له السخط وينكبه، في ضمن الأمراء الذين بلغته عنهم أنباء تشكك في ولائهم. ونورد هنا رواية ابن عذارى في شأن نكبة إبراهيم :

"كان ابتداء سطوة المنصور في أوبته قبل وصوله إلى حضرته ببعض قرابته الحاسدين لبيعته، فأول من تلقاه بتلمسان السيد أبو إسحاق أحد الأعمام، وممن كان غمر بالإحسان والإنعام، وكان تأخيره بهذا القطر لاعتلال لزمه. فذكر عنه أنه كان يطعن من آراء المنصور في تلك الحركة (الحركة بإفريقية) ويضعفها لحجج ضعيفة سخيفة، فجاء ليسلم عليه وقعد بين يديه. وسأل الخليفة عن حاله وكيفية كونه في حلوله وارتحاله. فقال له : حالنا على ما يسر المسلمين ويسوء الحاسدين، ثم أمر بقيامه، فأخرج على وجهه، وطردت دابة ركوبه ومشى على قدميه إلى منزله، والعامة تطأ أثوابه، ولم يلبث إلا يسيرا وتوفي".

وترجمة هذا الأمير تبين المشكلة التي أخذت تتفاقم داخل الأسرة الحاكمة بتكاثر أبناء الخلفاء الموحدين والتي ستظهر آثارها السلبية مع تدهور الدولة وضعف الخلفاء.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

**إبراهيم، بن علي بن بهي** محمد، من مواليد 1918 بدوار الركن أيت الخميس من قبيلة أيت باعمران، إقليم تزنيت. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1957 بعد خروجه من السجن حيث إنه كان قد سجن من طرف الاستعمار الإسباني بالداخلة من يوم 1955/11/18 إلى 12 ماي 1956 لسبب سياسي. وكان من الذين خاضوا عدة معارك قاسية ضد قواعد الجيوش الإسبانية بأيت باعمران، وقام بدور هام مع الجماعة التي يترأسها برتبة قائد المائة بمقاطعة 10. وفاز بشرف الشهادة في معركة أملو بتاريخ 1957/12/8.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**إبراهيم بن علي الگومي**، أخو الخليفة الموحدي الأول عبد المومن بن علي. لانعرف شيئا كثيرا عن حياته وشخصيته. وليس لدينا عنه من المعلومات إلا ما أورده البيذق في كتابه *أخبار المهدي*. وهذه المعلومات تتعلق، في الحقيقة بكيفية مقتله. كان عبد المومن على رأس جيشه يطارد تاشفين من المغرب الأقصى، منتقلا من بلد إلى بلد إلى أن وصل إلى الريف في جبال تمسمان.

وهنالك وفد عليه أخوه إبراهيم، معلنا التوحيد. ولا شك أنه جاء من گومية، وربما كان بمعيته وفد من القبيلة. فاستقبله عبد المومن أحسن استقبال وأعطاه "الخيل والعبيد والخباء وأنزله في موضع محمد بن أبي بكر بن بيكيت" والظاهر أن هذا الأخير لم يقبل هذا التدبير ووقع نزاع بينه وبين إبراهيم. فما كان منه إلا أن قام بقتله.

ثارت ثائرة عبد المومن لمقتل أخيه، وطالب بالقصاص أي بقتل ابن بيكيت. لكنه اصطدم بمعارضة بعض شيوخ الموحدين، إذ قال له أبو حفص عمر الهنتاتي وأبو الحسن يوگوت بن وگاك : "ألم يقل المهدي بأن أهل الجماعة وصبيانهم عبيدهم كل من في الدنيا" واضطر عبد المومن لكظم غيظه، معتبرا أن المعركة الكبرى التي كان يقودها للقضاء على المرابطين لم تكن تسمح له بإثارة أي خلاف مع شيوخ الموحدين. ومهما يكن، فالحادثة ذات دلالة مهمة، إذ تبين الصراع الداخلي الذي نشأت فيه دولة الموحدين، صراع

بين زعماء المصامدة من جهة، وعبد المومن وأنصاره من جهة أخرى. وهي تبين في نفس الوقت مدى النفوذ السياسي الذي كان يتمتع به شيوخ الموحدين إلى جانب الخليفة. وهو نفوذ سيستمر وستكون له مضاعفات خطيرة في المرحلة الأخيرة من الدولة الموحدية.

وكانت النتيجة الفورية لمقتل إبراهيم هي أن عبد المومن أمر "بقسمة المروس بالبنود كل قبيلة ببندها" أي كل قبيلة أضحت مستقلة في معسكرها.

البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين* ج. 1.

محمد زنيبر

ابن **إبراهيم غازي، أبو القاسم** بن محمد الدكالي المشنزائي، فقيه وجيه، اشتغل - كأهله - بالتدريس وبالنيابة عن قضاة مدينة فاس. توفي في 7 ربيع الثاني عام 1098 / 20 فبراير 1687.

ابن **إبراهيم غازي، محمد** (فتحا) بن محمد بن قاسم الدكالي المشنزائي عرف بابن الخياط، ورث العلم والصلاح من جدوده للأب والأم معا، فكان "بفاس علامة مدرسا مشاركا من خاتمة أئمة الضبط والإتقان" (*إتحاف المطالع*).

درس محمد بن إبراهيم *رسالة ابن أبي زيد* في القرويين بين العشاءين، و*ألفية ابن مالك*، كما تولى الإمامة بمدرسة العطارين، وقام فيها بتدريس المرشد المعين ومختصر *خليل* وغيرهما للمبتدئين. وكان في طبعه حدة تمنع الطلبة من سؤاله أو مراجعته أثناء الدرس، ومع ذلك كثر الإقبال عليه لإفادته وحسن إلقائه.

اشتغل المترجم كذلك بالفتوى، ثم سار إلى الصويرة بعد تأسيسها من طرف سيدي محمد بن عبد الله ليقوم فيها بالتدريس، وغمره هذا السلطان بالصلات والعطايا فرجع منها إلى فاس بثروة طائلة بدلت عسره يسرا. وكان يقرض الشعر على طريقة الفقهاء، وألف ذيلا لكتاب أخيه أحمد في نسب آل ابن إبراهيم.

توفي في ثالث وعشري جمادى الأولى عام 1184 / 14 شتنبر 1770. ودفن إلى جنب قبر جده للأم الإمام ابن غازي في الروضة الكائنة بالكغادين داخل باب الفتوح من فاس الأندلس.

م. القادري، *التقاط الدرر*، 235 ؛ *نشر*، 2 : 338، 4 : 196-197 ؛ ع. ابن سودة، *اتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد حجي

**إبراهيم** بن **القاسم** بن إدريس الأزهر، أمير شجاع لعب دورا مهما في تثبيت سلطة بني القاسم بن إدريس في المنطقة الشمالية بالمغرب زهاء قرن من الزمان. كان أبوه القاسم واليا على هذه المنطقة الشمالية باستثناء مدينة أصيلا التي كانت من نصيب يحيى بن إدريس حينما وزع الإمام محمد بن إدريس الولايات على إخوته بإشارة من جدته كنزة. لكن يبدو أن القاسم سبق أخاه يحيى إلى أصيلا أو أخرجه منها وقامت دعوته بها (*البيان المغرب* 1 : 233). ولما ثار عيسى بن إدريس والي أزمور على أخيه الإمام محمد بن إدريس الأزهر صاحب فاس أمر هذا الأخير أخاه القاسم صاحب طنجة بقتال ثائر أزمور، لكنه امتنع، ثم انهزم أمام أخيه عمر الذي سلطه عليه صاحب فاس، وتنسك في مسجد بناه على الشاطئ قريبا من أصيلا التي كان قد أسسها من قبل، إلى أن توفي ودفن هناك.

قام إبراهيم بن القاسم حينئذ باسترجاع مدن طنجة والبصرة وأصيلا وسائر بلاد الهبط وكتامة، واستقام له الأمر، لكنه أخذ يتدخل في شؤون الأندلس، وربط اتصالات سرية بعمر بن حفصون الثائر ضد الخليفة الأموي بقرطبة. ولا يعرف عن تاريخ وفاة إبراهيم إلا ما يُستنتج مما ذكره ابن عذاري في *البيان المغرب* (1 : 235) من أنه أول من ملك البصرة نحو أربعين سنة، فتكون وفاته حوالي عام 253 / 867.

خلّف إبراهيم أربعة أبناء ذوي طموح ونزوع إلى الحكم تمكنوا من بسط نفوذهم على المنطقة الشمالية عقودا من السنين. ولي أصيلا - بعد موت إبراهيم - ابنه حسن، وامتد نفوذه إلى قبائل لواته المستوطنة جنوبي المدينة وطال حكمه خمسا وعشرين سنة. وتولى أمر البصرة عيسى بن إبراهيم الذي دخل في نزاع مع بني عمه إلى أن قتله منهم أبو العيش گنون. فدخلت البصرة حينئذ في طاعة أخيه أحمد بن إبراهيم المعروف بأبي الأذنين حاكم بلاد كتامة، إلى أن مات مسموما، فحل محله أخوه يحيى بن إبراهيم المعروف بابن برهوية واستمر في الحكم إلى أن اختلفت عليه قبائل كتامة فكان في ذلك نهاية حكم أبناء إبراهيم بن القاسم، وانتقال حكم أصيلا وسائر المنطقة الشمالية الغربية إلى بني محمد بن إدريس على يد حسن الحجام في الدولة الثانية للأدارسة.

ابن عذاري، *البيان المغرب* ج. 1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 1؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، ج. 1 ؛ إ. العربي، *دولة الأدارسة*.

محمد حجي

ابن **إبراهيم، أبو القاسم** بن محمد الدكالي المشنزائي. عالم مشارك متضلع في الفقه والقراءات والتفسير والنحو والأدب والتاريخ. ولد عام 896 / 90-1491 وأخذ عن والده الشيخ محمد ابن إبراهيم، وعن الإمام محمد ابن غازي، وعن صهره أبي زوجته محمد الهبطي السماتي صاحب *وقف القرآن* وأضرابهم. عمّر أكثر من أخيه عبد الرحمان في التدريس بالقرويين وغيرها، وتخرج به جماعة كبيرة من طبقة المنجور. وكانت بينه وبين قاضي فاس عبد الواحد الحميدي منافسة، فكان هذا الأخير يشتمه وقومه آل إبراهيم في مجلس درسه الفقهي الشهير بالمدرسة المصباحية ويقول عنه إنه "أحمر بني إبراهيم" - صيغة تفضيل من الحمار على غير قياس - وليس ذلك بشيء، وإنما هو الحسد والغرور وسلاطة اللسان.

عدَّد أحمد المنجور المصنفات التي كان يقوم عليها أبو القاسم ابن إبراهيم، وما قرأ عليه منها من القرآن العزيز بالقراءات السبع، والتفسير بكتب ابن عطية والزمخشري والصفاقسي وغيرهم. وذكر أنه كان يقوم إلى جانب التدريس بتلقي الشهادات ويحسن كتب الوثائق، ولازم سماط العدول بفاس مدة.

توفي بفاس عام 978 / 70-1571 وكانت جنازته مشهودة حضرها الخاص والعام.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 75 ؛ أ. المنجور، *فهرس*، 65-66 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 153 ؛ *درة*، 6 : 287-988 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج*، مخطوط ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 1 : 157 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 128. م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 353.

محمد حجي

**إبراهيم** بن **محمد** بن إدريس الأزهر، عندما اعتلى العرش الإمام محمد بن إدريس (213-221 / 828-836)، وزع ـ بوصية من جدته السيدة كنزة ـ أقاليم المغرب على إخوته الكبار، لكن سرعان ما أسفرت التجربة عن فشلها، إذ لم يلبث بعض إخوته أن ثاروا على سلطته، وأرادوا الاستقلال بحكم أقاليمهم وتوريثها لأولادهم من بعدهم، مما أوقع البلاد في أتون من الفتن والحروب الداخلية. وجعل الأدارسة يتنافسون فيما بينهم، ويتقاتلون أحيانا، مما عجل بانقراض دولتهم، وجعل فترة حكمهم يكسوها شيء غير يسير من الفوضى وعدم الاستقرار، ومن الغموض وعدم الوضوح.

يَبْرُزُ الأمير إبراهيم بن محمد بن إدريس في الأفق السياسي والعسكري عندما تستولي قوات الخليفة الأموي عبد الرحمان الثالث، على مدينة سبتة بقيادة قائد البحر عامل الجزيرة الخضراء أمية بن إسحاق القرشي، وتأخذها من يد بني عصام الذين كانوا ـ وفي مقدمتهم الرضي ابن عصام ـ يحكمونها باسم الأمراء الأدارسة. حدث هذا الاحتلال صدر ربيع الأول من عام 319 / 23 مارس 913، فكان مفاجأة غير سارة لإبراهيم بن محمد بن إدريس الذي كانت تُحكم سبتة باسمه، ولذلك ثارت حميته، وأبت عليه نخوته العسكرية إلا أن يجمع جموعه من بني أبيه ومواليهم، ومن القبائل المجاورة. ووقع الزحف على المدينة المغتصبة. لكن مقاومة جند الأمويين وممانعة أهل المدينة أنفسهم أفشلتا الحملة، واضطر الأمير الإدريسي إلى الجنوح إلى السلم والاعتراف بالواقع. وتبودلت بين الطرفين مراسلات وإرساليات كانت نتيجتها المهادنة ومبايعة أمير الأدارسة إبراهيم بن محمد بن إدريس للخليفة الأموي الناصر لدين الله.

هنا يظهر على المسرح السياسي والعسكري أيضا الأمراء أبناء عمر بن إدريس بزعامة إبراهيم بن إدريس بن عمر. ذلك أن النتائج التي توصل إليها بنو محمد بقيادة إبراهيم، ساءت بني عمر وزعيمهم إبراهيم، فكتب هؤلاء الأخيرون إلى الخليفة عبد الرحمان الثالث كتابا يناقضون فيه بني عمهم، ويحرضونه ضدهم، ومع ذلك، فمن خلال أحداث سبتة المشار إليها، ومن تضاعيف مراسلات الأمير إبراهيم بن محمد، ومخاطبته لعبد الرحمان الثالث الذي كان في عهده يمثل أكبر قوة إسلامية بالغرب الإسلامي يتضح لنا أننا أمام رجل دولة بكل ما تحمل الكلمة من معنى. لقد كان في الواقع ملكا غير متوج ومات بعد 319 / 931.

أ. ابن حيان القرطبي، *المقتبس* (نشر ب. شالميتا) ص. 88-298 ؛ ع. أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 4 : 217 ؛ إ. العلوي، *الدرر البهية* 2 : 65 وما بعدها ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ *دورية الوثائق*، 1 : 73-80.

Juan Vernet Gimes, *Historia de Marruecos : La Islamizacion*, p. 59 y siguientes, Editora Marroqui, Tetuan 1957; R.P. Dozy, *Historia de los Musulmanes*, 2º Tome, Barcelona 1945.

عبد الله العمراني

ابن **إبراهيم**، **محمد (الجد)** الدكالي المشنزائي. ابن الشيخ إبراهيم الوافد على فاس. عاصر الإمام محمد ابن غازي وأصهر إليه ببنته، واشتغل إلى جانبه بالتدريس في القرويين. كان مختصا في فروع الفقه "لا ينقطع عن قراءة *المدونة*، ورسالة *ابن أبي زيد*".

توفي بفاس عام 921 / 1515.

أ. المنجور، *فهرس* 12 ؛ أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد*، ألف سنة من الوفيات 285 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 248.

محمد حجي

ابن **إبراهيم**، **محمد الدكالي** المشنزائي الفاسي من أبرز علماء العهد السليماني، بل إنه تمكن من تصدر مكانة مرموقة ضمن علماء الحضرة الفاسية حتى قبل هذا العهد، بحيث نجد اسمه من جملة أسماء النخبة التي بايعت المولى سليمان سنة 1792. وقد عمّر طويلا بعد أن نجا من الوباء الجارف (1799-1800) الذي أتى على عدد هام من العلماء الذين شاركوه في البيعة المذكورة، وكان الوحيد من بين هؤلاء الذي بقي على قيد الحياة حتى بعد وفاة المولى سليمان.

يُجمع كل من ترجم لهذا العالم على أنه كان من الفقهاء المقتدرين، وقد كتب عنه العربي المشرفي أنه كان من شدة حفظه وسعة علمه قادراً على تلخيص فتواه في سطر واحد أو سطرين. وهذا النبوغ الذي أظهره محمد بن إبراهيم الدكالي هو الذي حدا بالمولى سليمان إلى أن يقلده خطة الفتوى بمدينة فاس، وأن يستشيره في القضايا الهامة التي تخص سياسة الدولة. وهكذا استفتاه السلطان عند بداية القرن الماضي بخصوص مسألة بيع الخيل للإسبانيين مقابل تخليهم عن بعض الثغور التي يحتلونها في شمال البلاد، فكان جوابه بالموافقة. لكن مهمة الفتوى بالمغرب بقيت دائما مهمة غامضة المحتوى مفتقرة إلى التنظيم والاستمرار، كما كانت مجردة عن الامتيازات الهامة التي ارتبطت بمنصب المفتي ببلدان إسلامية أخرى. وعلى الرغم من أن الزياني يضع الفتوى في المرتبة الثالثة بعد الخلافة العظمى والوزارة،

فإن الواقع جعلها دون مرتبة المناصب الشرعية الأخرى كمنصب قاضي القضاة بالحضرة الإدريسية الذي كانت له اختصاصات واسعة لا سبيل للمفتي إليها، من تعيين أصحاب الخطط الشرعية من عدول ونظار أحباس ومحتسبين وغيرهم بالإضافة إلى الإشراف على التدريس والمدرسين بجامع القرويين. إلا أن مزاولة هذا المنصب الهام، منصب قاضي القضاة، ظلت طوال العهد السليماني حكراً على الأسرة السودية. فالمولى سليمان بحكم المكانة التي اكتسبها محمد التاودي ابن سودة (ت. 1795) في دولة والده، وبحكم العلاقات المتينة التي كانت تجمعه بشيخه أحمد بن التاودي بن سودة، بادر في سنة 1792 إلى تعيين هذا الأخير قاضيًا بمدينة فاس، وهو المنصب الذي احتفظ به لمدة أربع وعشرين سنة تقريبًا، أي إلى حدود سنة 1816. وحتى عندما ترك أحمد بن سودة القضاء في هذه السنة بعد أن فقد بصره فإن المولى سليمان لم يتردد في إسناد المهمة إلى ولده العباس بن سودة رغم صغر سنه (29 سنة) ودون أن يكترث لردود الفعل المحتملة من طرف العلماء، خاصة من كان يُحسب من المتقدمين سنًا وعلمًا وممارسة للخطط الشرعية مثل المفتي محمد بن إبراهيم الدكالي الذي سرعان ما دخل في صراع مع قاض اعتُبر غير أهل للمهمة التي أسندت إليه، وهو الصراع الذي كان من جملة العوامل التي أدت إلى أزمة خطيرة كادت أن تعصف بالدولة السليمانية.

بعد سنة 1816 لم يعد التعايش ممكنا بين القاضي والمفتي. فالعباس بن سودة على الرغم من ضعف تجربته وهوة السن التي كانت تفصله عن محمد بن إبراهيم الدكالي أظهر من العناد والتعصب لرأيه ما جعل الأمور تتأزم بسرعة بين الطرفين. والأدهى من ذلك أن السلطان وقف إلى جانب القاضي وسانده في كل خلاف نشأ بينه وبين المفتي إلى درجة أصبحت معها مزاولة الفتوى أمراً متعذراً. وفي سنة 1818، وبعد أن احتد الصراع بين العباس بن سودة ومحمد ابن إبراهيم، قرر المولى سليمان إلغاء خطة الإفتاء، وهو الأمر الذي زاد في تدهور الوضعية بفاس بعد أن تعصّبت جماعة من العلماء لجانب المفتي المعزول واتهمت القاضي بعدم الكفاءة والاستبداد بالرأي والجور في الأحكام. هذه الاتهامات رُفعت إلى علم السلطان بواسطة رسالة حررها كل من محمد بن إبراهيم الدكالي والفقيه عبد السلام الأزمي، وفي هذه الرسالة ندد هذان العالمان بالخروقات التي يقترفها القاضي وطالبا المولى سليمان بضرورة التدخل السريع لتدارك الأزمة قبل استفحالها. إلا أن السلطان، حسب رواية أكنسوس، لم يُعر للمسألة اهتماما واعتبرها من باب "المنافسة التي لابد منها بين الأقران".

أما الزياني فلا يتردد في تحميل المسؤولية لمحمد بن إبراهيم الدكالي متهما إياه بطمعه في منصب القضاء، وهو الذي جعله، حسب هذا المؤرخ، يتآمر مع ثلة من فقهاء المدينة لعزل القاضي العباس بن سودة :

| | |
|---|---|
| وعزم المفتي ومن له تبع | من فقها الوقت وفي القضا طمع |
| فعزل المفتي وأنكى التابعين | وأبطل الفتوى لكل النازعين |
| فكان ذاك سبب الخلاف | أفتى به المفتي مع الأجلاف |

لكن يظهر أن مآخذ محمد بن إبراهيم وشيعته على القاضي لم تكن كلها مختلقة بغرض الإطاحة بهذا الأخير، فالزياني نفسه، وإن كان من أشد الناس وقوفا ضد المفتي وكل من تمرد على المولى سليمان، فإنه مع ذلك يتبنى ما نُسب للعباس بن سودة من تعصب واستبداد بالرأي حتى وإن كان على غير صواب :

| | |
|---|---|
| لا عيب يرتضيه غير أنه | لا يقبل الحق وإن شاهده |
| يمزق الفتوى لمن أتى لـه | ويُبطل الحكم وإن موجَّهُ |

وكان بالإمكان أن يبقى الخلاف محصوراً بين شخصين أو دائرة محدودة من العلماء لولا تدهور الأوضاع السياسية بعد هزيمة زايان (1819) وسقوط هيبة السلطان وما تبع ذلك من تفتت السلطة المخزنية، وخاصة بالعاصمة الإدريسية. فبينما كان المولى سليمان محاصراً بمدينة مكناس من طرف القبائل البربرية دبت الفتنة إلى صفوف أهل فاس فثاروا على عاملهم محمد الصفار. ثم بعد انتقال السلطان إلى مراكش (1820) قام جيش الأوداية بنهب ملاح فاس ومحاصرة المدينة القديمة وقائد المخزن لا حول له ولا قوة. بعد ذلك مباشرة عمد أهل فاس إلى عزل القاضي واستبدلوه بمن كان من شيعة محمد بن إبراهيم الدكالي.

لقد ارتبط اسم المترجم بما يعرف بـ "فتنة فاس" (1820-1822) وهي فتنة لم تبق في الحقيقة محصورة في مدينة فاس بل تعدتها إلى جهات أخرى. فهو الذي قدمه أهل فاس لمكاتبة المولى سليمان ليطلبوا منه الرجوع من مراكش إلى الغرب حتى تهدأ بوجوده نار الفتن التي عمت شمال البلاد. وإليه وجّه السلطان جوابه الذي اتخذه أهل فاس ذريعة لخلعه ومبايعة ابن أخيه إبراهيم بن اليزيد ويتعلق الأمر برسالة غامضة المحتوى يُحتمل تفسيرها على أنها إقرار بالعجز وترخيص للرعية باختيار أمير آخر.

وكان محمد بن إبراهيم الدكالي في مقدمة العلماء الذين فسروا رسالة السلطان بهذا المعنى (الزياني اتهمه بتزوير كتاب السلطان) وأفتوا في نفس الوقت بوجوب مبايعة خليفة قادر على القيام بأمور الأمة. وعلى هذا الأساس استطاع أهل فاس ومن تحالف معهم من القبائل البربرية والزوايا (الوزانية والدرقاوية) مبايعة المولى إبراهيم بن اليزيد (1820) ثم أخيه مولاي سعيد (1821-1822).

وخلال هذه الفتنة امتُحن القاضي العباس بن سودة وأودع السجن مع عدد من إخوته وأغرموا أموالا طائلةً تزيد على أربعين قنطاراً.

وعندما بويع المولى عبد الرحمان بن هشام (1822) توجه إليه السوديون طالبين منه أن ينصفهم ويدفع عنهم ما لحقهم من ظلم على يد المتمردين من أهل فاس. ولم يمض وقت طويل حتى أصاب الفقيه محمد بن إبراهيم ما أصاب

العباس بن سودة وإخوته من التعذيب والتنكيل. ذلك أنه ولي القضاء بالحضرة الفاسية في سنة 1823 فشُنعت عليه "أمور منكرة" قادته إلى السجن بعد أن مكث في القضاء ما يزيد على السنة قليلا. وقد أغرم الأموال الطائلة وعذّب بأنواع العذاب وأهين غاية حتى إنه أجلس فوق المزابل وهو مغلّل في السلاسل وتوفي يوم 8 رجب 1241 / 16 فبراير 1826.

أ. الزياني، *تكميل قضاة فاس على ما في جذوة الاقتباس*، مخطوط ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ ع. المشرفي، *نزهة الابصار إلى ذوي المعرفة والاستبصار*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2.

محمد المنصور

**ابن إبراهيم، محمد (شاعر الحمراء).** كان شذوذا أديبا حلوا كما قال الفرقاني في مقدمة ديوانه *نجوم في يدي*، فنال من إعجاب الناس به ما أهلته له شاعريته وظرفه، ومعهما شذوذه الذي كان له تأثير فعال في توليع الناس به وفي تحبيبه إلى القلوب وهو لم يكد يدخل العقد الثالث من عمره حتي طار اسمه في المغرب كشاعر مطبوع، ونكات بارع، وشاطر أحْوَذِيّ.

والمحكي عن والده الحاج إبراهيم السراج أنه كان قاهر السلطة في بيته وأهله، وأنه كان شديد التدين، متمسكا بالشرعيات، لا يكاد يقدم على أمر حتى يستفتي فيه علماء الدين الذين كانوا عنده بموضع التعظيم والتوقير، ومن ثم كانت إرادته في ابنه محمد هذا أن يتفقه في الدين، وأن يكون على سمت رجاله في الركانة والوقار، وأراد ابنه محمد أن يكون أديبا مرسل العنان، لا يتقيد بأي ناموس، فاختلفا، وأفضى الأمر في ذلك إلى أن غلب عُرَامُ الصبى صرامة الأب، فتهتك الفتى بدل أن يتنسك، وجاءنا منه شاعر بديلا عن فقيه.

وقد لفت شاعر الحمراء أيام الطلب نظر أشياخه إليه بلقانته وتحصيله، فكتب له نفر منهم إجازات شهدوا له فيها بالأهلية العلمية، وكان من بينها إجازة للعلامة رأس السلفية وشيخ التحديث لوقته بالمغرب أبي شعيب الدكالي جاء فيها بعد التحميد :

"أما بعد فقد استجازني الشاب الأنجب، اللوذغي الأدب، الفقيه سيدي محمد بن إبراهيم المراكشي بعد أن سمع مني من *صحيح البخاري* ومن مختصر الشيخ خليل جملة صالحة، وبعد مذكرات أنيقة، فأجزته بكل ما تجوز عني روايته من معقول ومنقول، وفروع وأصول، بشرط أن يقول لا أدري، وأن يواظب على الاستفادة والإفادة..."

ولم ينكر أحد من العارفين بالشعر على شاعر الحمراء سليقته الشعرية وإنما انتقدوا عليه أنه كان لا يهتم بتثقيف شعره، كما ذكروه أيضا بخفة المضامين إلى حد السذاجة، وذلك ما يخفف كفة ميزانه في الشعر في أحيان كثيرة.

وقد علق به لقب شاعر الحمراء واشتهر به عند الناس، فدونه يوسف أسعد داغر في كتابه *معجم الأسماء المستعارة* إلى جانب شاعر الخضراء لقب الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي، وشاعر النيل لقب الشاعر المصري حافظ إبراهيم في ألقاب أخرى من ذلك الطراز.

ونال هذا اللقب حظا من التشريف القومي فسمي به زقاق بأگادير وأطلق على مدرسة ابتدائية بها، وعلى ابتدائية أخرى بالبيضاء، وعلى إعدادية بمراكش الحمراء.

وارتفعت منزلته عند واحد من عمداء الشعر من معاصريه هو الشاعر الأديب عبد الملك البلغيثي، فبايعه أميرا على شعراء المغرب سنة 1941 وضمن بيعته قصيدة له يقول في فاتحتها :

يا أميراً في دولة الأشعار ... بسُمُوٍّ في ذوقه وابتكار
لك في عالم البراعة شأو ... من يجاريك إن يكن من يجاري؟
غير بدع أن صرت فيها أميرا ... بانتخاب فأنت أنت اختياري
فتحكم في دولة الشعر يا خيـ ... ـر أمير قد نال كل اعتبار

وقد حظي شاعر الحمراء ـ كشاعر ـ بصيت لم يحظ به أي أحد من شعراء المغرب الذين عاصروه، ولقي من الحفاوة والاعتبار ما يستحقه أو ما هو فوق ذلك، فكثرت المذكرات بأدبه في المجالس، ولقّن الطلبة اسمه بين أسماء الشعراء الذين وضعوا في المناهج، وأدخل المؤلفون المدرسيون أشعاره في كتبهم المدرسية لغرض تفهيمها وتحفيظها، وتلقفت الصحف والمجلات ما كان يصدر عنه من أشعار ونشرتها في الواجهات مع الكثير من التنويه والإطراء.

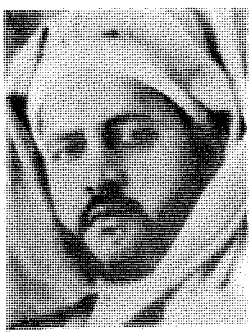

شاعرالحمراء

وتعدت شهرته حدود المغرب إلى خارجه فتعرف عليه أدباء الحجاز وشعراؤه أيام زيارته للديار المقدسة لأداء فريضة الحج، وساجلهم وساجلوه، وعرج في عودته إلى الوطن على مصر، فاحتفى به هناك رجال الفكر والأدب احتفاء تناقلت أخباره الصحف والمجلات، وأثبت هو جدارته بذلك الاحتفاء بما أنشده من رائق الشعر في المناسبات والدعوات التي حضرها.

وقد لخص شاعر الحمراء حياته العلمية والأدبية في ورقة تعريف بنفسه كتبها سنة 1942 وقال فيها ما نصه :

"مولدي بمراكش الحمراء مهل عام 1318 هجرية، وقد سهر أبي ـ قدس الله روحه ـ على تربيتي حتى حفظت *القرآن الكريم* بروايتي ابن كثير وأبي عمرو البصري، وحفظت عالب المتون العلمية، ومنها مختصر أبي الضياء خليل المالكي، ثم عكفت على دراسة العلوم الدينية بكلية ابن

يوسف ثم كلية القرويين نحو الأربعة (كذا) حيث رجعت إلى مسقط رأسي.

وبعد الإتمام انقطعت إلى التدريس زمنا غير طويل بالكلية اليوسفية، ثم جذبني الأدب ـ الذي كنت أغالب ثورة منه تعصف في أعماقي ـ جذبة قوية ما زلت منها بين أحضانه إلى الآن.

أما آثاري فليس لدي من آثار إلا *معارضة للزوميات أبي العلاء المعري* التي تقع في ثلاثة آلاف وخمسمائة وستين بيتا (3560) و*ديوان شعري* الذي قد كان يمكن أن يكون ضخما جدا لو كان جميعه في حوزتي، و*مساجلاتي لشعراء مصر والحجاز* التي أفردتها بتوليف والسلام".

وقد بقي الشاعر فيما بعد مشدودا إلى الأدب بتلك الجذبة القوية إلى أن مات بسكتة قلبية سنة 1954. ومن آثاره الأدبية :

1. *ديوان*. توفي شاعر الحمراء وديوانه على الحالة التي ذكرها من التفرق والشتات في التعريف السابق، فقام على تخريجه من المسودات والصحف والمجلات ومن أفواه الرواة ومما احتفظ به بعض أصدقائه من رقاع شعره ـ قام على ذلك نفر من أصدقائه المراكشيين هم الأساتذة : الطيب المريني دنيا، مبارك العدلوني الكتاني، محمد بنبين، علي بن المعلم التاورتي، أحمد الشرقاوي إقبال، وتم عملهم في التخريج سنة 1969 وحفظت النسخة المخرجة منه بالمكتبة الحسنية بالرباط. وانتقى منه الأستاذ الطيب المريني دنيا وكاتب هذه السطور مختارات أخرجتها المطبعة الوطنية بمراكش سنة 1979.

2. *معارضة اللزوميات*. ذكر في التعريف أنها تقع في 3560 بيتا، لكن المعثور عليه من ذلك بعد التفتيش المستقصي لا يتجاوز ست مقطوعات طولاهُنَّ تتألف من ستة أبيات، ومجموع أبيات القطع الست عشرون بيتا ليس إلا، وهي مثبتة في الديوان.

3. *المسرحية الطلابية*. هي مسرحية شعرية تتألف من قطع مختلفة البحور والقوافي، موضوعها المفاضلة بين التعليم في مراكش عندما كان حرا، وبعد أن خضع للتنظيم بتأسيس كلية ابن يوسف سنة 1939. يجتمع فريق من الطلبة يختلفون على الطريق القديمة والجديدة وفي أيتهما الأنفع والأجدى، ويتخذون واحدا منهم حكما فيما جرى بينهم من خلاف ويسألونه القضاء بينهم بما يراه الحق والصواب فيقضي للجديد على القديم. وقد ألحقنا نصها الكامل بالديوان.

4. *الشطرنج الناطق*. قصيدة شطرنجية كان عمله فيها أنه ملأ بيوت الشطرنج الأربعة والستين بعددها من الكلمات، ثم كون من تلك الكلمات أبياتا شعرية تتألف معانيها من سير القطع الثماني غير البيادق على الرقعة في مختلف الاتجاهات، وجعلها أمداحا في الباشا الأگلاوي. ألحقناها بالديوان، ويرجع إليها أيضا في كتاب *شاعر الحمراء في الغربال* (23 ـ 27) وفي كتاب *لعبة الشطرنج* (101 ـ 104) كلاهما لكاتب هذه السطور.

5. *المساجلات*. هي مساجلات بينه وبين شعراء من مصر وآخرين من الحجاز أفردها بتوليف صغير كما أخبر بذلك في التعريف، وهي في حكم الضائع.

6. *بين الأدب المصري والأدب المغربي*. هو حديث ألقاه في إذاعة الرباط، تكلم فيه عن احتفاء رجال الفكر والأدب المصريين به لدى مروره بمصر وهو في طريق عودته إلى المغرب بعد أداء فريضة الحج، وخبَّر فيه عما اتفق له أن يحضره من المناسبات والدعوات، الأمر الذي اقتضى منه أن يقول من الأشعار ما يساهم به في تلك المناسبات أو يشكر به على تلك الدعوات. نشر هذا الحديث بجريدة *التقدم* مجزأ في أعدادها الآتية : العدد 56 بتاريخ 1940/10/28 ؛ العدد 57 بتاريخ 1940/11/11 ؛ العدد 58 بتاريخ 1940/11/25.

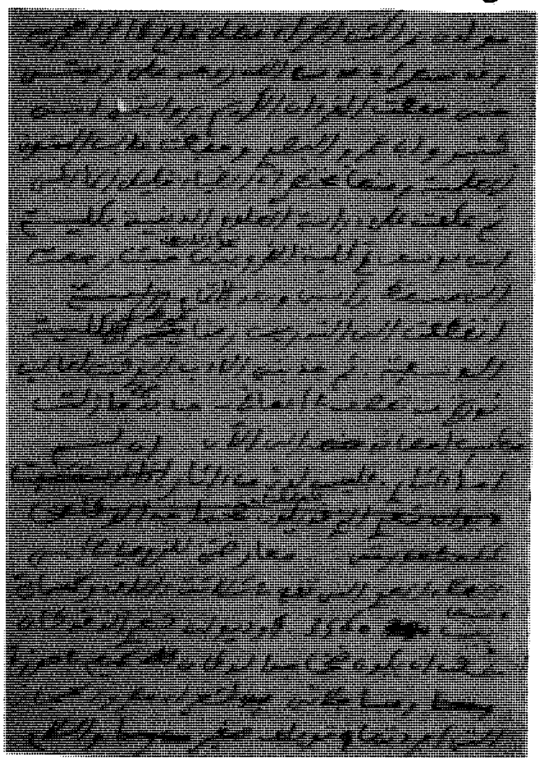

صفحة بخط شاعر الحمراء

ح. التناني، الأدب الحي وحظه من اعتنائنا ؛ حديث ألقي من الإذاعة الجهوية بمراكش سنة 1940 وطبع بمطبعة التقدم الإسلامية بمراكش ؛ أ. الشرقاوي إقبال، *شاعر الحمراء في الغربال*، البيضاء 1963 ؛ ص. العلوي، *تخطيط لدراسة شاعر الحمراء*، محاضرة نشرتها جريدة العلم بتاريخ 1964/2/27 ؛ ع. غلاب، *في الثقافة والأدب*، البيضاء 1964 ؛ *عالم شاعر الحمراء*، البيضاء 1982 ؛ م.ح. الفرقاني، *نجوم في يدي*، البيضاء 1964 ؛ م. برادة، *أصداء الفكر والثقافة*، دعوة الحق مارس 1964 ؛ أ. قبش، *تاريخ الشعر العربي الحديث*. طبع سنة 1971 ؛ إ. السولامي، *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية*، البيضاء 1974 ؛ *تأملات في الأدب المعاصر*، البيضاء 1979 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية*، 1 : 24 ؛ ع. گنون، *أحاديث عن*

*الأدب المغربي الحديث*، البيضاء، 1978 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام* 5، 306، ط 4 بيروت 1979 ؛ أ. داغر، *معجم الأسماء المستعارة*، ص. 164، بيروت 1982 ؛ أ. ع. البقالي، *أظرف شعراء زمانه*. الدارة (مجلة) يونيو 1986 ؛ أ. الخلاصة، *شاعر الحمراء في تاريخ الأدب المعاصر*، البيضاء 1987.

أحمد الشرقاوي إقبال

ابن **إبراهيم، محمد أبو شامة** بن عبد الرحمان الدكالي المشنزائي. ولد بفاس عام عشرة وتسعمائة، وبها درس على والده وعمه وأحمد الحباك وعلي ابن هارون وغيرهم من مشيخة فاس تلاميذ الإمام ابن غازي. ثم انقطع للتدريس والعبادة إذ كفاه والده عبد الرحمان شؤون العيش.

كان محمد أبو شامة - كعشيرته - فقيها متمكنا من فروع المذهب وأصوله، وإلى ذلك كان مشاركا في علوم اللغة والأدب. أقبل عليه طلبة الحاضرة الإدريسية خاصة في النحو، ومنهم، أحمد المنجور، قال : "حضرت مجلسه مدة في *ألفية ابن مالك*، وكان يجيدها بالحك اللفظي ولا يزيد نقلا، وانتفع به غير واحد من الطلبة... وفي *الرسالة وتلخيص المفتاح*" (*فهرس*، 72). تولى الخطابة بجامع القرويين بعد وفاة والده وظل خطيبا إلى أن مات آخر سنة 964 / 1557 .

وحضر جنازته جم غفير وولي العهد عبد الله (الغالب) بن محمد الشيخ السعدي.

أ. المنجور، *فهرس*، 71 - 72 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 40 و153 ؛ *درة*، 2 : 207 ؛ *لقط الفرائد*، 305 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، 1 : 156-157 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 352.

ابن **إبراهيم، محمد** - فتحا - ابن المفضل الأندلسي الفاسي، عالم صالح اشتغل بالتدريس وتربية المريدين، وله أتباع كثيرون منهم علماء مشهورون مثل الشيخ أحمد بن محمد بن الخضر العمراني الحسني. توفي بفاس يوم الخميس مهل رجب عام 1326 / 30 يوليوز 1908.

أ. العمراني، *فهرس*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

ابن **إبراهيم، محمد بن محمد** (خمس مرات) الدكالي المشنزائي، ولد بفاس حوالي عام 1294 / 1877 وبها نشأ ودرس على نيف وعشرين من كبار شيوخ عصره أمثال محمد بن التاودي ابن سودة، والحسن بن جلون، ومحمد بن علي الأغصاوي، ومحمد العلمي، وأحمد بن المامون البلغيثي. وهو آخر المشهورين بالتدريس في القرويين من هذه الأسرة العالمة الماجدة. كان فقيها مشاركا متبحرا في التفسير والحديث والفقه والحساب والتوقيت. دَرّس مدة طويلة في القرويين قبل النظام وبعده، واختير عضوا بالمجلس العلمي للقرويين ثم رئيسا لهذا المجلس، كما اشتغل بخطة العدالة، والنيابة عن قاضي محكمة الرصيف. توفي ليلة السبت 14 رجب 1381 / 22 دجنبر 1961، ودفن بمقبرة آل ابن إبراهيم قرب ضريح الإمام ابن غازي بطريق باب الحمراء من حي وادي الزيترن بفاس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ *سل النصال*، مخطوط ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط ؛ (وتاريخ الوفاة فيها خطأ) م. ابن الحاج، *إتحاف ذوي العلم والرسوخ*، الدار البيضاء، 1978، ص. 116 - 121.

ابن **إبراهيم، محمد المشنزائي** الفاسي، من آل إبراهيم الدكاليين القدماء بفاس، فقيه مدرس، خطيب جامع القرويين، وليها بعد وفاة محمد بن عبد الواحد بن أبي الصبر. وقد خلفه في الخطابة بعد وفاته الشيخ أبو محمد العبدوسي. توفي حسب ابن القاضي عام 846، وعند أحمد الونشريسي في الوفيات أن وفاته كانت عام 847 / 1443-44.

أ. الونشريسي، *وفيات*، ألف سنة، 143 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 39 و149 ؛ *لقط الفرائد*، ألف سنة، 250.

محمد حجي

**إبراهيم** (مولاي - ) صالح الرباط ← **العلمي المريسي**

**إبراهيم** (مولاي - ) طير الجبل ← **الأمغاري**

**إبراهيم بن اليزيد** بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي، بويع له بالملك بمدينتي فاس وتطوان في سنة 1236 / 1820-1821، إلا أن خلافته لم تدم أكثر من أربعة أشهر، كما أنها لم تتجاوز في رقعتها الأقاليم الشمالية - الغربية.

قضى إبراهيم معظم المدة الفاصلة بين وفاة والده (1206/1792) ومبايعته بفاس (1236 / 1820) منقبضا عن الناس معتزلا للحياة السياسية. ويرجع سبب ذلك إلى الحذر الشديد الذي كان للمولى سليمان من ذرية أخيه اليزيد المغضوب عليه من طرف والده والمتسبب باندفاعه وتطرفه في كثير من المآسي والاضطرابات التي عصفت بالبلاد لعدة سنوات (1790 - 1797). لذلك لا يشير إليه المؤرخون قبل مبايعته إلا إشارات خفيفة. وهكذا يذكر الضعيف أن والده عينه خليفة له بمراكش عندما كان منشغلا بحصار مدينة سبتة (1204 / 1790). غير أنه اضطر إلى مغادرة مراكش بعد أشهر قليلة عندما تمردت قبائل الجنوب على سلطة والده وبايعت عمه المولى هشام (1205 / 1791). ولما استتب الأمر لمولاي سليمان بالجزء الشمالي من البلاد طلب من المولى إبراهيم أن يرحل عن مدينة فاس ويتوجه هو وعياله إلى تافيلالت ليستقر بها. إلا أن توسط علماء فاس لدى السلطان أدى بهذا الأخير إلى التراجع عن قراره والسماح لمولاي إبراهيم بالإقامة بفاس بعد أن قدمت له، على ما يظهر، ضمانات بابتعاده عن الحياة السياسية.

وقد استطاع المولى إبراهيم باستقامته وتجنبه الخوض في أمور الدولة أن يفوز بثقة عمه المولى سليمان الذي

استدعاه في سنة 1216 / 1802 ليرأس جيش العبيد والأوداية وقبائل الغرب في الحملة العسكرية التي نظمها السلطان ضد قبيلة بني مطير. ومنذ ذلك التاريخ وإلى حين مبايعته لم يقم بدور هام يستحق الذكر من طرف المؤرخين. وترجع ظروف مبايعته في سنة 1236 / 1820 إلى هزيمة زيان في السنة قبلها. فبعد هذه الهزيمة امتدت الفتن والاضطرابات إلى جل قبائل المغرب وخاصة في المناطق الشمالية من البلاد. ومع انحلال السلطة وتمرد الجيش ونزول القبائل الأطلسية إلى بسيط سايس أصبح المولى سليمان عاجزا عن إقرار الأمن وإعادة الطمأنينة إلى نفوس الرعية، خاصة بعد أن نضبت موارد الجباية أواخر الدولة، كما يقول المولى سليمان نفسه، إذ ضعُف الجند ولم يقدر على قبض الواجب من القبائل وجمع بيت المال.

ومما لا شك فيه أن سنوات القحط التي توالت على المغرب بعد سنة 1233 / 1816 والطاعون الذي ابتليت به البلاد في سنتي 1233 . 1818 / 1234 . 1819 تعتبر من جملة العوامل التي مهدت لضعف سلطة المخزن. ومما لا شك فيه كذلك أن أهل فاس كانوا أكثر الناس تضررا وتذمرا من الأوضاع الاقتصادية والسياسية المتدهورة. فالقحط أدى إلى كساد الصناعة والتجارة، وانقطاع الاتصال مع العالم الخارجي خلال سنتي الطاعون أضرَّ بمصالح التجار. أضف إلى ذلك الحصار المضروب على المدينة من طرف القبائل وجيش الأوداية الذي مد يده بالنهب إلى حارة اليهود بفاس (شعبان 1235 / يونيو 1820) والسطو على ممتلكات الفاسيين من أجنَّة وماشية وقوافل تجارية. وأمام عجز موظفي المخزن عن حماية أهل فاس وممتلكاتهم بادر هؤلاء إلى تعيين قواد محليين وتنصيب قاض جديد، وفي نفس الوقت كتبوا إلى المولى سليمان، وهو آنذاك بمراكش، يناشدونه الرجوع إلى الغرب لعل ذلك يعيد الأمور إلى نصابها فيما يجاور مدينتهم من المناطق. لكن السلطان أجابهم برسالة مشوبة بالغموض ينصحهم فيها باللجوء إلى حماية القبائل البربرية، وهذه الرسالة هي التي زادت نار الفتنة اشتعالا، وعلى أساسها أصدر علماء فاس الفتاوى التي تبيح لهم مبايعة سلطان آخر.

ويظهر أن المتمردين على سلطة المولى سليمان كانوا ينوون في البداية اختيار أمير من بين الشرفاء الأدارسة، وكان هذا هو الرأي الذي يميل إليه محمد بن الغازي رئيس زمور وشيخه العربي الدرقاوي. إلا أن الأندلسيين من أهل فاس، وكانوا يشكلون أقوى عصبية بالمدينة، عارضوا هذه الفكرة يقينا منهم بأن تطبيقها سيرجح كفة الميزان لصالح الشرفاء والزاويتين الوزانية والدرقاوية، كما أن المس بالسلطة القائمة كان سيُفقدهم دعم العبيد والأوداية الذي كانوا لا يزالون يعلقون عليه الأمل. وبذلك اتجهت الأنظار إلى أبناء مولاي اليزيد لمقدرة سياسية أو عسكرية برهنوا عنها، ولكن أساسا لما كان يحيط بشخصية المولى اليزيد من هالة نسجها الخيال الشعبي حول هذا السلطان الذي اشتهر بالشجاعة والتفاني في الجهاد، ولما اتبعه من سياسة موالية للقوى المحافظة في البلاد (الشرفاء الأدارسة على الخصوص). والمولى إبراهيم الذي وقع عليه الاختيار لم يكن يتمتع بأي صفة تؤهله لمنصب الخلافة، وربما تم اختياره بسبب شخصيته الضعيفة التي تجعل منه أداة طيعة في يد مبايعيه. ولم يكن له دور سياسي يذكر على الساحة السياسية خلال حكم عمه المولى سليمان، ولم يكن يخالط الناس ولا عرف أحد ما هو عليه في داره ولا يكلم أحداً ولا يكلمه أحدٌ غير من لا بد له منه ممن يقوم بفرسه وضرورياته. ولا يراه أحدٌ في مسجد ولا غيره، إلا يوم الجمعة يركب فرسه ويذهب لأقرب الجوامع إلى داره وهو المدرسة العنانية. وهذه العزلة هي سبب الهيبة التي أصبحت له في قلوب الناس حسب أكنسوس، ولكنها "هيبة ما تحتها طائل ولا فائدة". والحقيقة أن مولاي إبراهيم بن اليزيد لم تكن له همة وطموح إلى الملك وهذا ما جعله يرفض الخلافة في البداية ولم يقبلها إلا شبه مكره. وتمت له البيعة بفاس يوم 8 صفر 1236 / 16 نونبر 1820 بحضور أعيان فاس من رماة وأشراف وعلماء. كما حضر البيعة رؤساء بعض القبائل مثل زمور وأيت إدراسن وگروان وبني حسن وشيخا الزاويتين الوزانية والدرقاوية والمرابط أبو بكر أمهاوش.

وتضمن نص البيعة شروطا قبلها المولى إبراهيم دون أدنى مناقشة من جملتها رد الاعتبار للشرفاء وجعل أمور المسلمين في يد "من ظهر حسبه وتناسق نسبه"، كما شرط عليه أهل فاس إخراج الأوداية من المدينة. وعند تلاوة كل الشروط كان المولى إبراهيم يهز رأسه بالموافقة "وما سمعوا منه من يوم بويع إلى أن مات كلمة صحيحة... كأنه صنم لا يتكلم لا يزيد ولا ينقص". إلا أن المتمردين على سلطة المولى سليمان فشلوا في كسب تأييد عنصر من أهم عناصر المشروعية وهو الجيش، وبذلك ظلت القبائل البربرية تشكل القوة الأساسية التي اعتمد عليها النظام الجديد من الناحية العسكرية.

لم تمض على مبايعة المولى إبراهيم إلا أسابيع قليلة حتى بدأ يفكر في الخروج من فاس والتوجه نحو قبائل ومراسي الجهة الشمالية من البلاد. وكان يهدف من وراء ذلك إلى توسيع نطاق سلطته في منطقة تعتبر معقل الشرفاء العلميين الذين شكلوا الدعامة الأساسية لوالده من قبل، وهي المنطقة التي تتميز بوجود مكثف لأتباع كل من الزاويتين الوزانية والدرقاوية. كما كان أنصار المولى إبراهيم يعلقون آمالا كبيرة على مراسي الشمال وما يمكن أن توفره لهم من اتصال بالدول الأوربية وموارد مالية، سيما وأن تعبئة المقاتلين من القبائل كانت تتطلب أموالا لم يستطع تجار فاس تقديمها رغم السطو الذي تعرضت له أموال المخزن وأملاك الأحباس بهذه المدينة.

خرج المولى إبراهيم باتجاه النواحي الشمالية في ربيع الثاني 1236 / أواخر شهر يناير 1821 وبرفقته سيدي العربي

الوزاني الذي كان يدعو أتباعه إلى تأييد النظام الجديد. إلا ان مدينتي العرائش وطنجة رفضتا استقبال مولاي إبراهيم نظرا لوجود حاميات من جيش العبيد بهما، وكانت تطوان المدينة الوحيدة التي فتحت له أبوابها أملا في قدرة هذا السلطان على إنهاء الأزمة التي كان يعاني منها التطوانيون، والتي كانت تشبه إلى حد كبير الأزمة التي واجهها الفاسيون عقب هزيمة زيان (حصار القبائل المجاورة، تعطل المبادلات التجارية مع المحيط القروي)، كما أن وجود أتباع الزاويتين الوزانية والدرقاوية بالمدينة كان له أثر على موقف التطوانيين المؤيد لحركة مولاي إبراهيم.

وبالرغم من هذا التأييد فإن المولى إبراهيم وشيعته فشلوا في تحقيق الأهداف الأساسية التي غادروا مدينة فاس من أجلها. فممثلو الدول الأوربية المقيمون بطنجة رفضوا الاعتراف بالنظام الجديد لأنهم كانوا يدركون جيدا الطبيعة المحافظة للقوى التي كانت وراء هذا النظام، ومن أهم ما كانوا يخشونه إحياء الجهاد البحري الذي تخلى عنه المولى سليمان. وفشل المتمردون على سلطة المولى سليمان في ربط علاقات تجارية مع الأوربيين الذين امتنعوا عن تزويدهم بالسلاح الذي كانوا في أمس الحاجة إليه. ولذلك فإن حركة التمرد سرعان ما وجدت نفسها في ضائقة مالية وعُزلة ديبلوماسية ستكون من جملة العوامل التي سترجح كفة المولى سليمان في النهاية.

وخلال إقامته القصيرة بتطوان أصيب المولى إبراهيم بن اليزيد بالتهاب في الرئتين تطور إلى استسقاء صدري. وقد وجه طلبا إلى الإنجليز كي يبعثوا إليه طبيبا من جبل طارق، إلا أن هؤلاء ردوا طلبه تمشيا مع الموقف الذي وقفته الدول الأوربية عامة من حركة التمرد. وتوفي في 9 جمادى الثانية 1236 / 15 مارس 1821 أي بعد أقل من شهرين من دخوله تطوان. وبعد ذلك مباشرة بويع أخوه المولى سعيد الذي بقي على رأس الحركة المناهضة لعمه مولاي سليمان إلى حين سقوطها في رجب 1237 / أبريل 1822.

أ. الزياني، *تحفة النبهاء في التفريق بين الفقهاء والسفهاء*، مخطوط ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مخطوط ؛ محمد داود، *تاريخ تطوان*، المجلد الثالث ؛ *وثائق وزارة الخارجية البريطانية* .C.O.91/79

محمد المنصور

**إبراهيم بن يعقوب المنصور**، وقد سمَّته بعض المصادر أبا إسحاق الأحول، وعدَّته من بين أبناء المنصور الستة عشر، وأورد المراكشي في *المعجب* اسمه بعد اسم ولي العهد محمد في قائمة أولاد المنصور، مشيراً بذلك إلى أهميته ومنزلته. وأحسن ما لدينا عنه من معلومات هي الشهادة التي قدمها لنا معاصره عبد الواحد المراكشي الذي عرفه عن كثب، إذ قال في التعريف به : "وهو خير ولده وأجدرهم بالأمر لو كانت الأمور جارية على إيثار الحق واطراح الهوى. لا أعلم فيهم أنجب منه".

ولا شيء يؤكد هاته الشهادة أكثر من كون أخيه الناصر اختاره ليكون وزيراً له بعد أن عزل عبد الرحمان بن موسى بن يوجان عن هذا المنصب. ولا يذكر لنا المراكشي شيئا عن عمله في الوزارة معتذرا بصغر سنه، وكل ما نعلم هو أن الناصر عين ابن يوجان واليا على إفريقية سنة 596. فتكون بداية وزارته في هاته السنة بالذات. والظاهر أنه شغل هذا المنصب تسع سنوات إلى غاية 605 وهي فترة تاريخية حافلة بأحداث كثيرة، منها القضاء على الثائر الجزولي بسوس واسترجاع ميورقة من يد النصارى والقضاء على ابن غانية بها، ومنها أخذ عدد من التدابير الإدارية المهمة من تغيير في الولايات والقيادات وتجديد لجهاز الجيش وسلاحه. وكانت الأوضاع بإفريقية إحدى الشواغل الكبرى للدولة، إذ بلغت مناوأة بني غانية للدولة هنالك حدا كبيرا من الخطورة مما جعل الناصر يتحرك بجيشه إلى تلك الجهات.

كانت حركته فيما بين 601 و 604 حيث قام بعمليات عسكرية كبيرة لتهدئة البلاد انتهت بتعيين الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي عليها وهو جد الحفصيين. وكانت مشاركة إبراهيم لأخيه في مواجهة هاته الأحداث والمشاكل مشاركة فعالة. يكفي أن نذكر دوره كقائد عسكري في عمليات إفريقية فهو الذي تولى قيادة جيش كبير لتهدئة الفتنة في عامة إفريقية، إذ، كما يذكر ابن عذارى، "صاروا يضربون في أرض تلك الأقاليم شرقا وغربا ويتقصون آثار المفسدين بها قطرا قطرا وأفقا أفقا حتى دوخوا ما وراء طرابلس واستأصلوا بني دمر ومطماطة وما والاها ووقفوا على آخر نفوسه وجاوزوا حد عمرانها المحدود، وشارفوا أرض سويقة بني مكود، يتقدّمهم النصر والتأييد إلى كل سبيل..." وكانت هاته العملية الناجحة الشاملة هي التي أعادت الاطمئنان إلى نفس الناصر، فقرر العودة إلى مراكش.

هكذا، ظهرت نجابة إبراهيم وشخصيته وهو يتولى الوزارة لأخيه، والظاهر أنه كان، بالإضافة إلى ذلك، صاحب نخوة ونبل وكرم، مما جعل الناصر يغار منه وظل في منصبه الجديد سنتين. وفي سنة 607، استعفى منه لأسباب لا يذكرها المؤرخون. ولعله كان متضايقا من سياسة الناصر بالأندلس الخالية من عوامل الاستقرار بالإكثار من التولية والعزل على كور الأندلس في فترة قصيرة من الزمن. ولعله كان غير مرتاح، أيضا، للأوضاع العسكرية تجاه الخطر المسيحي. ومهما يكن، فإنه تخلى عن منصبه وتولى مكانه عمه إبراهيم بن يوسف. وجاءت الأحداث، على إثر ذلك، لتؤكد فشل سياسة الناصر بالأندلس، في هزيمة العقاب التي كانت كارثة على الوجود الإسلامي سنة 609.

وبعد وفاة الناصر سنة 610 وتولي ولده المستنصر، لم يجد هذا الأخير خيراً من عمه إبراهيم لتولّي أمر إشبيلية، من جديد، في تلك الظروف العصيبة. وكانت إشبيلية، يومئذ، هي حاضرة الأندلس بعد أفول نجم قرطبة، وعلى أي

فيمكننا أن نعتبر أن ولايته على تلك المدينة اقترنت بآخر عهودها الزاهرة وهي ما تزال تحت حكم الإسلام. إلى جانب شخصيته كرجل دولة وقائد عسكري، تجلت مزاياه، أيضا وبصورة خاصة، في ميدان رعاية العلم والأدب.وكان هو نفسه، على جانب كبير من العلم، إذ حسب المراكشي، لم يكن في "العلماء بعلم الأثر المتفرغين لذلك أنقل منه للأثر" وكان مثل أبيه ينتحل مذهب الظاهرية. وهو اختيار يحتاج إلى تمكن كبير من الثقافة العربية الإسلامية.

ومن الأمثلة على حسن رعايته للثقافة تقريبه للعالم الكبير عبد الرحمان بن يخلفتن الفزازي، الذي اتخذ منه كاتبا خاصا له، وهو الذي ينعته ابن الخطيب بقوله : "عامر الإناء، يطلب العلم شغفا به، وانطباعا إليه وحبا فيه وحرصا عليه، آية الله في سرعة البديهة وارتجال النظم والنثر وفور مادة وموالاة استعمال...". وكذلك معاملته لعبد الواحد المراكشي الذي تقدم إليه، أول مرة، وأنشده قصيدة مطلعها :

لكـمُ على هذا الورى التقديم وعليهـمُ التفويض والتسليم

أحييتـمُ المنصور فهـو كأنـه لم تفتقده معالـم وعلـوم

ومحابـر ومنابـر ومحـارب وحمى يحاط وأرمل ويتيم

ومنها أبيات تدل على نشاط إبراهيم وحزمه في مواجهة الأعداء :

فكأنما حمـص جمـالا سـارة وكـأن إبـراهيـم إبراهيــم

ورأى طليطلة كهاجر إثرها سيزفهـا الأدفنش وهو ذميـم

يذر الصليب صغيره وكبيره فيها جذاذا والعلوج جثـوم

ويحرق الأعداء فيما أضرمت ويجوب نار الحرب وهي جحيم

ويقول المراكشي معلقا على تلقي الأمير لقصيدته : "فاستحسنها، ـ رحمه الله ـ وبالغ في الثناء عليها، تفضلا منه وسوددا، وجريا على سنن الأجواد. هذا مع ركاكتها وقلة انطباعها وظهور تكلفها". واقتفى أثر أبيه في الإحسان للأولياء. فقد ذكر ابن الخطيب أنه وجه للزاهد عبد الله بن موسى الصنهاجي خمسمائة دينار ليصلح بها من شأنه. فصرف جميعها على أهل الستر في أقل من شهر".

توفي إبراهيم سنة 617 / 1220. وبالجملة، فقد كان من الأمراء الموحدين النموذجيين في مزاولة مهامهم الصعبة بالأندلس التي كانت تواجه آنذاك أعنف الهجمات المسيحية.

ع. المراكشي، *المعجب* ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

**إبراهيم بن يوسف** بن عبد المومن، أحد أبناء يوسف الثمانية عشر. أمه صنهاجية من قلعة بني حماد. كان من بين السادة النجباء الذين تقلدوا مناصب الولاية في أشد المراكز وعورة وحساسية بالأندلس، ونعني بها إشبيلية وما يليها من جهة الغرب التي كانت معرضة باستمرار لهجمات القشتاليين والبرتغاليين. ولا أدل على نباهته ونجابته من كونه ظل يشغل منصب الولاية على تلك الجهة ما لا يقل عن خمس وثلاثين سنة. ففي سنة 574 / 1178 ـ 1179، عينه أبوه واليا على إشبيلية في ظروف جد دقيقة إذ كانت المدينة وناحيتها تضررت من سيل عظيم أتى به الوادي الكبير فخرج على جهة طريانة. وفي نفس الوقت كان ملك البرتغال ألفونسو هنريكز يقوم بضغط كبير على جهة غرب الأندلس القريبة من إشبيلية واستطاع أن يحقق انتصارات على الموحدين ويسترد بعض المدن التي كانت في يدهم ويصبح خطرا على المنطقة بأكملها. لذا فإن يوسف بن عبد المومن اختار ولده إبراهيم لما رأى فيه من كفاءة سياسية وعسكرية ووجهه إلى تلك البلاد مع جيش ضخم.

ظل إبراهيم يباشر مهامه بإشبيلية وكانت لا تخلو من تعقيد، إذ كان عليه أن يقوم بالإدارة الداخلية للمنطقة الموكلة إليه فيطمئن مسلمي الأندلس الذين باتوا يتخوفون على مصيرهم، وفي نفس الوقت أن يجابه الهجمات الآتية من جهات متعددة من الممالك المسيحية، فيقوي جيشه ويعده للمعارك المقبلة. وفي تلك الأثناء، وجه إليه والده سنة 576 / 1180 ـ 1181، رسالة من بلاد إفريقية يبشره فيها بافتتاح قفصة التي كان العرب يعيثون في ربوعها وكان ابن الرند قد استولى عليها. وأرفق الرسالة بقصيدة من نظم ابن طفيل يشير فيها إلى انتصار الخليفة وخضوع العرب الثائرين. فكانت مناسبة لحفل التهنئة، حضره أشياخ الموحدين بإشبيلية وشارك فيه الشعراء بقصائدهم مما يدل على الأهمية التي كان يوليها الخليفة لولاية إشبيلية وولده إبراهيم.

ولما عاد يوسف من حملته بإفريقية إلى مراكش سنة 577 / 1181 ـ 1182، توجه إبراهيم إليه للسلام عليه وتهنئته، في وفد يضم ابن وانودين الهنتاتي وغيره من الموحدين وأشياخ إشبيلية والتحقت بهم وفود أخرى من قرطبة وغرناطة ومرسية.

وفي سنة 578 / 1182 ـ 1183، تحرك بجيشه لمنازلة العدو في شنتفيلة. وكان الضغط العسكري شديدا سواء من جهة البرتغاليين الذين وصلوا إلى شلوقة Sanlucar la Mayor، على مصب الوادي الكبير، أو من جهة القشتاليين الذين كان هجومهم أعنف، إذ انتهى باستيلائهم على حصن شنتفيلة Santafila الواقع بين قرطبة وإشبيلية. فحقق إبراهيم بعض الانتصارات دون أن يدخل شنتفلية عنوة، وإنما كان العدو هو الذي جلا عنها اضطرارا بعد أن أتى الحصار على أكثر جنوده.

وفي نفس السنة، استطاع الموحدون المستقرون بإشبيلية أن يحققوا انتصارا مهما في مدينة طلبيرة Talavera الواقعة داخل المملكة القشتالية. وكان قائد الجيش الموحدي هو أبو عبد الله ابن وانودين، وتغيب إبراهيم عن تلك الواقعة، الشيء الذي أثار غضب والده عليه، لأنه ترك مجد الانتصار لأحد قواده. ولم يطل غضبه عليه، إذ نراه في سنة 579 / 1183 يؤكد من جديد توليته على إشبيلية،

حينما قرر تعيين بنيه الأربعة استعداداً لحملة كبيرة سيقودها بنفسه إلى الأندلس. وجاء إثر ذلك، وبدأ تحركه العسكري من إشبيبية متجها صوب الشمال الغربي لمواجهة البرتغاليين وأسند قيادة الجيش المتوجه لاستعادة شنترين (Santaven) إلى إبراهيم. وكان جيشا ضخما.

لكن المعركة التي نشبت بين العدوين لم تكن حاسمة فاضطر الخليفة للتراجع في ظروف سادتها الفوضى. وكان أول من انسحب بجيشه إبراهيم وتبعه معظم الجيش، بينما بقي الخليفة في قوات محدودة العدد، مما سهل على النصارى مهاجمته وإصابته بجرح قاتل.

ونجد الخليفة يعقوب المنصور يستبقيه بعد ذلك في ولايته. وكان هو أول من افتتح الصلاة بجامع إشبيلية الذي بناه المنصور. ثم نجد.الناصر يعينه من جديد على إشبيلية سنة 600 / 1203 ـ 1204 مكان الشيخ أبي عبد الله بن يحيى، ثم يعزله في السنة الموالية ويعين مكانه أخاه السيد أبا موسى. ثم يعيد تعيينه على إشبيلية سنة 607. وأدركته الوفاة بالأندلس سنة 612 / 1215 ـ 1216. وبالجملة، فإن إبراهيم بن يوسف بن عبد المومن كان من كبار الولاة الموحدين بالأندلس، وقدر له أن يقوم بأدوار مهمة.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، جزء 6 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ م. ابن عذارى، *البيان المغرب* ـ القسم الثالث ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين* ج. 2.

محمد زنيبر

**أَبْـرْدَان**، إدريس قائد من قواد إجْرْوَان على عهود السلاطين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ ومولاي يوسف. لا نعرف تاريخ ميلاده أو وفاته، ويمكن رصد بعض المعلومات عن هذا القائد من خلال بعض الإشارات الواردة في الوثائق المخزنية، ففي قائمة بأسماء قواد بعض القبائل، مؤرخة بـ 16 ذي القعدة عام 1318 / 1900، نجده يقتسم قيادة إجروان مع القواد محمد بن عبد الفاضل الجرواني ورَحُّ الجرواني والمصطفى البوخليفني (محفظة رقم م 3 / 430)،

إدريس أبردان

وفي سنة 1326 / 1908 ورد مع جماعة من القواد على دار المخزن ودفع ما اعتادت إيالته دفعه في مثل تلك المناسبات (غ رقم 30)، وفي السنة الموالية فعل مثل ذلك (غ رقم 2). وقد استمر هذا القائد في منصبه إلى عهد الحماية، ففي دراسة متأخرة لنواحي مكناس مؤرخة بـ 20 فبراير 1914، نجده على رأس أيت حمُّ، فرقة من إجروان إلى جانب القواد علي بن محمد والحسين بن عكي وعقّ بن علي والمصطفى الهردي (La région de Meknès, 31) ويظهر أن إدريس أبردان كان ذا نفوذ كبير ويندرج ضمن القواد الذين احتفظت بهم سلطات الحماية.

*وثائق بالخزانة الحسنية.*

Arnaud (Capitaine) *Monographies de la région de Meknès* 1914.

العربي أكنينح

**إِبْـرَّان**، جبل وتل اسمه باللهجة الريفية الحجل، ويقع شمال مركز أنوال بقبيلة تمسمان، وقد دخل التل التاريخ على إثر المعركة التي جرت به بين المجاهدين برآسة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي والقوات الإسبانية الغازية التي كان يترأسها الجنرال سيلفيسطري.

الجنرالان سيلفيسطري (1) ونافاروا (2)
في اليوم الذي جرت فيه معركة ظهر أبران (1 ـ 6 ـ 1921)

وسبب ذلك هو أن الحاكم العسكري لناحية مليلة الجنرال المذكور كان يريد أن يصل إلى خليج النكور عن طريق البر، وبعد أن احتل مركز أنوال يوم 15 يناير 1921 أراد أن يستولي على المركز الموالي له وهو أبران، فقام باحتلاله في الصباح الباكر يوم فاتح يونيو، وذلك بالرغم من الإنذار الذي وجهه له الأمير الخطابي، فكان على الأمير أن يبرهن للجنرال الإسباني على قراره الرامي إلى الحيلولة دون السماح للجيش الإسباني أن يتمركز بقبيلة تمسمان ليسهل عليه الاستيلاء على قبيلة بني ورياغل المجاورة حيث يقع خليج النكور. ولم تمر على تمركز القوات الإسبانية بجبل إبران سوى بضع ساعات حتى هاجمها المجاهدون وقضوا عليها عن آخرها، واستولوا على جميع الأسلحة والذخيرة التي كانت بالمركز، وهي 4 مدافع و300 بندقية و60 ألف من القرطوش و360 قنبلة مدفعية، زيادة على عدد من الخيام والأدوية والمأكولات و12 ألف ريال إسباني. وأما عدد القتلى في صفوف الإسبان فقد كان يفوق 300 منهم القطبان سالافرانكا رئيس المركز و8 من الضباط و290 من الجنود.

جرت هذه المعركة المعروفة عند الإسبان بـ «Zarpazo de Abarran» (خدشة أبران) في منتصف يوم فاتح يونيو 1921 وكانت أول معركة انتصر فيها المجاهدون على الغزاة، وهي بداية الحرب الريفية الثانية التي قادها الأمير الخطابي.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*، ص. 43.

محمد ابن عزوز حكيم

**أَبَـرِّي**، أسرة تطوانية أصلها من ناحية الريف وانقرضت بتطوان. وكان منها بعض الفقهاء نعرف منهم :

**أَبَـرِّي أحمد**، الذي كان ضمن الوفد الذي سلّم للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بفاس وثيقة مبايعته وذلك يوم الأحد 11 ربيع الأول 1276 / 9 أكتوبر 1859.

**أَبَرِّي عبد الرحمان**، بن محمد الذي كان عدلا من سنة 1210 / 1795 إلى سنة 1213 / 1798.

**أَبَـرِّي عبد السلام**، بن محمد فقيه كان حيا سنة 1158 / 1746.

**أَبَـرِّي عبد القادر**، بن محمد الذي كان عدلا من سنة 1210 / 1595 إلى سنة 1212 / 1797.

**أَبَـرِّي علي**، بن عبد الرحمان الذي كان عدلا سنة 1197 / 1783.

**أَبَرِّي عمر**، بن عبد الرحمان الذي كان حيا سنة 1783/1197 أيضا.

ع. السكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 6 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 2 : 261، 3 : 369، 7 : 265 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tettuan*, 1921 ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*.

محمد ابن عزوز حكيم


**أبركان ← بركان**

**أبرو ← سمك**


**أَبْـرِيدَا**، Abrida لم نجد ذكرا لهذا المصطلح إلا عند جغرافي رافينا (Geographe de Ravenne) وهو مؤلف مجهول من القرن الثامن الميلادي. وينسب التسمية للبرابرة (Les Barbares). فهل مصطلح برابرة يعني بالنسبة له السكان المحليين للمغرب الذين ظلوا خارج تيار الحضارة الرومانية ؟

يجعل جغرافي رافينا مصطلح أبريدا مقابلا لمصطلح موريطانيا القاديتانية (Maurétanie Gaditane)، ويذكر بأنه استقى التسمية من كاستوريوس (Castorius) ولكننا لا نعرف عن هذا الأخير أي شيء (جغرافي رافينا III، 11 من خلال رايمون روجي R. Roget).

وتمتد موريطانيا القاديتانية حسب جغرافي رافينا على ساحل البحر الكبير ويوجد بالقرب منها المضيق المعروف تحت اسم سبتيم قاديتانوس (Septem Gaditanus) الذي يفصل موريطانيا عن إسبانيا أو بعبارة أشمل مستعمرة إفريقيا عن أوربا (جغرافي رافينا I، 3). ويضيف في نفس الفقرة قائلا بأن هذه المنطقة تتميز بتعدد مدنها. ولا شك أنه استفاد في نقله للمعلومات المتعلقة بالمغرب القديم من قراءاته لكاستوريوس السابق الذكر ولغيره من المؤلفين القدامى (جغرافي رافينا، I، 3).

وفي تعداده للمدن نلاحظ أن لائحته تتضمن مدنا تقع على ساحل البحر المتوسط وأخرى على المحيط الأطلسي وثالثة بالداخل. ومعظم المدن التي ذكرها محصورة ضمن مثلث موريطانيا الطنجية. فنجد على سبيل المثال مدن طنجيس (Tingis) وليكسوس وبناصة ووليلي وغيرها.

وذكر جغرافي رافيا بأنه تجري بداخل موريطانيا القاديتانية عدة أنهار جعل أهمها نهر سبوبوس (Sububus) ونهر أوبوس، ونهر سلانسيس (Salensis). ويوافق النهر الأخير وحسب رايمون روجي (R. Roget) نهر أبي رقراق.

وحاول تيسو (Tissot) أن يربط بين مصطلح أبريدا والمصطلح البربري أبريد (Abrid) الذي يعني الطريق، أو الممر أو المجاز.

وذكر رايمون روجي أن المصطلح البربري تبريدا (Tabrida) له نفس دلالة المصطلحين المذكورين.

وعليه فأبريدا وحسب تيسو (Tissot) هي البلاد التي يسهل عبرها اجتياز المضيق، ولذا فجغرافي رافينا قصد بها في أول تعريف له (3, I) المنطقة الساحلية المحصورة بين طنجة وسبتة وهي المنطقة المتاخمة لمضيق قاديتانوس الذي شكل قنطرة عبور منذ أقدم العصور. وذكر جغرافي رافينا أنه عبر هذا المضيق فرالوندال في اتجاه إفريقيا بعد هزيمتهم أمام بليزير (Belisaire) (جغرافي رافينا، I، 3 وIII، 11)، وتتفق جل الدراسات المعاصرة على تعريف مضيق قاديتانوس بأنه مضيق جبل طارق الحالي. ولكن عندما حصر جغرافي رافينا (11, III) ضمن أبريدا مدنا مثل بناصة ووليلي وأنهاراً مثل نهر سالنسيس (أبو رقراق) فإنه بهذه الإضافة أعطى مدلولا أوسع لمصطلح أبريدا فانتقل بنا إلى ما وراء المضيق إلى موريطانيا الطنجية.

Geographe de Ravenne, cité par R. Roget, *Le Maroc chez les Auteurs Anciens*, pp. 41-44 ; R. Roget, *Index de Topographie antique du Maroc*, B.S.A.M 4, 1938, pp. 1-86 ; M. Tissot, *Recherches sur la Geographie Comparée de la Maurétanie Tingitane*.

بلكامل البيضاوية وعبد العزيز بلفايدة


**أبرطيل ← برطيل**

**أبريكشة ← بريكشة**


**أَبْـرِيل**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لازالت هناك أسر إسبانية تحمل الاسم Abril وهو اسم الشهر الرابع من السنة الميلادية. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1150 / 1738. ويبدو أنها أنجبت عدة علماء وفقهاء وأدباء لم نعرف عنهم شيئا باستثناء :

**أبْريل، بالقاسم** بن علي الفقيه الأديب الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1110 / 1690.

**أبريل محمد العربي**، فقيه أديب شاعر تطواني، كان معاصرا للأديب المشهور محمد بن الطيب العلمي الذي وصفه في كتابه *الأنيس المطرب* بإمام البلاغة والأديب المجيد والكاتب البارع، ومدحه بقصيدة أثبتها في كتابه المذكور.

يقول الفقيه الرهوني : إن وفاته كانت بعد سنة 1151 / 1738، في حين أن الفقيه داود يعتقد أنه ربما توفي سنة 1156 / 1743، ولعل هذا هو الصواب، لأنه من المؤكد أن يكون أديبنا المترجم له هو الشخص المسمى العربي بن قاسم أبريل الذي كان يتعاطى خطة العدالة بتطوان من سنة 1143 / 1730، إلى سنة 1155 / 1742.

م. العلمي، *الأنيس المطرب* ؛ م. السكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 24 و38 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 1 : 283، 2 : 325، 3 : 369، 7 : 251.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**أبزو ← بزو**

**أبَـطَّـيح**، مركز بالصحراء المغربية، يقع في الجنوب الغربي لإقليم طانطان على بعد ثمانين كيلو متراً من مدينة طانطان، وتشكل اليوم مركز الجماعة القروية التي تحمل نفس الاسم والتي أحدثت سنة 1979.

أهم ما يميز تنظيم التضاريس في منطقة أبطيح هو اتساع الآفاق وامتداد الأراضي المنبسطة، وهذا الشكل هو الذي يفسر تسمية البطيح التي تطلق على هذا الموقع. وتعلو هذا البسيط تضاريس مرتفعة في شكل هضاب إلى الغرب ونتوءات حادة إلى الشرق كجبال زيني ورأس الخنفرة التي تعد امتدادا لجبال الواركزيز. وتتخلل هذه المناطق المنخفضة مجموعة من الأحواض المغلقة التي تترسب فيها المياه أثناء التساقطات كالگرارة والسبخة. تحدد هذه الأشكال التضاريسية مجموعة من الأودية التي تنساب فيها شبكة مائية موسمية ومن أهمها واد الشبيكة والواد الواعر وواد أم فاطمة. (الخريطة).

ومن أهم المميزات البنيوية للموقع : اقتران منطقة أبطيح المسطحة بامتداد طبقات الكريطاس والايوسين في إطار بنية مسطحة وترسو وفقها إلى الغرب إرسابات ميوبليوسينية قارية (هضبة الحصية).

أما النتوءات والأعراف الإفريزية الشرقية فهي مشكلة من صخور شيستية وحثية تنتمي إلى الزمن الأول. (الخريطة).

هذا وتعرف هذه المنطقة مناخا جافا، وباستثناء الساحل المحيطي الذي تسوده الرطوبة، فإن باقي المنطقة يخضع للمناخ الصحراوي الجاف بحيث إن معدل الحرارة السنوي لا يتعدى 17 درجة، أما معدل الحرارة العليا فيصل إلى 27 درجة وأحيانا 29 درجة.

أما التساقطات : فهي ضعيفة جدا لا تتجاوز 100 مم سنويا، والرياح التي تهب من الشرق، هي رياح ساخنة وحارة وتتسبب في عواصف رملية قوية.

ونتيجة لذلك فإن الغطاء النباتي يبقى هزيلا وهو في معظمه مشكل من نباتات قصيرة، على أن هناك تعارضا بين الجهة الساحلية والداخل، فعند الساحل حيث تتزايد أهمية الرطوبة نلاحظ تنوع النباتات وتظهر مراعي مهمة.

وأهم النباتات الطبيعية المهيمنة في هذه المنطقة هي نباتات الدغموس والگروف والكركاز.. وتزدهر هذه النباتات على العموم على إثر تساقط الأمطار الطارئة والغزيرة.

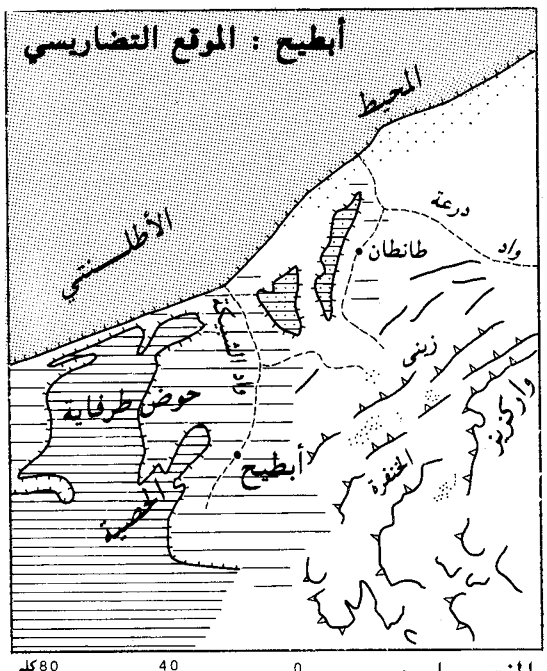


المفتـــاح :

| | |
|---|---|
| عارضة | حمادة بليوسينية |
| أعراف (بنية ملتوية) | كثبان رملية متصلية |
| جوانب الهضاب | مجاري موسمية |
| هضبة طباشيرية | سبخة |
| حمادة ميوبليوسينية | |

القبائل المستوطنة للمنطقة تتمثل في أيت لحسن وإگوت وهي تنتمي إلى قبيلة تكنة وتعيش على العموم من الترحال ويهم نشاط الرعي هذا، تربية الإبل والمعز. أما الفلاحة، فتقام بعد التساقطات خصوصا في مناطق الفيض (المعدر) وتقتصر على الشعير فقط.

هذا ومع تطور العمران والأنشطة المختلفة بالصحراء المغربية بدأت بعض المجموعات البشرية تستقر، وهكذا فإن مركز أبطيح أصبح يعرف نوعا من النمو، إذ يحتضن حاليا ما يقرب من 500 نسمة من مجموع 2403 نسمة المستوطنة للجماعة القروية. وتجدر الإشارة إلى أن حركة الصيد

البحري بدأت تنشط في السنين الأخيرة عند ساحل هذه الجماعة وتسوق الأسماك في طانطان وفي أگادير.

*دراسة ميدانية.*

حسن بنحليمة

**أبْطّيو**، أسرة تطوانية أصلها من ناحية الگرت (إقليم الناضور) تنسب إلى مجموعة من القبائل كانت هناك تعرف بـ "بَطِّيوة" (هناك من يكتب : بَطُّوية)، ولا شك أن الأمر يتعلق بالقبائل الحالية المسماة بتمسمان وبني أوليشك وبني سعيد، وما زالت هناك مرسى بشاطئ القبائل المذكورة تعرف لحد الآن بمرسى بطوية بالإسبانية : (Betoya).

وأسرة أبطّيو هي نفس الأسرة التي تعرف بـ "البَطِّيوي" أو "البَطُّوئي"، بل هي نفس الأسرة التي تحمل اسم "الحمامي" والأسرة المعروفة بأولاد "حَدُّو" أو بـ"التمسماني" أو بـ "الريفي"، فبهذه الأسماء كلها نجد أفراد أسرة أبْطّيو التي اشتهرت بقيادة جيش المجاهدين الذين كان السلطان مولاي إسماعيل قد أوكل إليهم أمر استرجاع الجيوب المغتصبة في شمال المغرب وغربه. ويوجد من بين القواد المذكورين : أحمد بن حدو البطيوي، وعلي بن عبد الله الحمامي، والباشا أحمد بن علي الريفي.

ولا زالت أسرة أبْطّيو أو البطّيوي موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 1 : 3.134 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* (B) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) (B) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**أبْعير**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد الريفية، كان بعض أفرادها ينتمون إلى الجيش الذي أنشأه السلطان مولاي إسماعيل سنة 1082 / 1672 من أجل استرجاع الجيوب المغتصبة في شمال المملكة، حيث شاركوا في الحصار المضروب على مدينة طنجة الذي انتهى بتحريرها من يد الأنجليز يوم 5 فبراير 1684، فاستقرت أسرة أبعير بها إلى أن انتقل فرد منها، وهو المسمى علي، إلى تطوان، وخلف علي ولدين : أحمد الذي عينه الإسبان حاكما على المسلمين المتخلفين بمدينة تطوان عند احتلال هذه المدينة يوم 6 فبراير 1860، وعبد الرحمان، الذي كان ينوب عن أخيه عند غيابه أو مرضه. وخلف أحمد ولدا اسمه محمد، كما خلف عبد الرحمان ولدين اسمهما : عبد القادر ومحمد، وقد اندثرت هذه الأسرة الآن بتطوان.

**أبْعير، أحمد** بن علي، أشهر فرد من أسرة أبعير الريفية التي استوطنت طنجة على إثر استرجاعها من يد الانجليز سنة 1095 / 1684. وقد انتقل بعض أفرادها إلى تطوان فكان من بينهم أبو المترجم له الذي أصبح يعد من أعيان تطوان ووجهائها.

وولد أحمد أبعير بتطوان سنة 1230 / 1815 وشغل منصب ملحق بقنصلية النمسا والدنيمارك عندما اندلعت الحرب الإسبانية المغربية سنة 1276 / 1860 حيث كان يوجد بتطوان في اليوم الذي جرت فيه المعركة الفاصلة بين الجيشين الإسباني والمغربي بسهل تمْزتينْ يوم 4 فبراير من السنة المذكورة، فانهزمت قوات الأمير مولاي العباس أخي السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان الذي فضل أن يترك مدينة تطوان لحال سبيلها بدلا من أن يعتصم بها للدفاع عنها، بدليل أنه بعد الهزيمة دخل إلى المدينة وأخذ ما كان بها من أموال ومعدات حربية وأقام معسكره على بعد ستة كيلو مترات بعيداً عنها بالقرب من قنطرة بوصفيحة.

الحاج أبعير باشا تطوان

ونتج عن هذا الموقف السلبي للأمير المذكور أن امتدت أيدي الغوغاء إلى النهب وانتهاك الأعراض والقتل الذي تعرض له سكان تطوان خلال يوم 4 فبراير والليلة الموالية، الشيء الذي جعل معظم الأهالي يتركون ديارهم ويتوجهون إلى البادية المجاورة أو إلى مدينة شفشاون، غير أنه لم يتأت لجميع الناس أن يغادروا ديارهم لسبب من الأسباب، وكان من بين هؤلاء أفراد من الأسر التالية : أبعير - أغَيْلان - الصبان - السلاوي - أسنوس - المريني - اليعقوبي - ماشان - أفزاز - يَعْلَى - الساقة - الهيشو - الوزاني وغيرهم من الذين اجتمع رأيهم على أن يكتبوا التقديم للمترجم له من أجل أن يتفاوض مع الجنرال أودونيل (O'donell) الذي كانت جيوشه تحيط بتطوان وتستعد لدخولها عنوة، حسب ما جاء في الإنذار الذي وجهه الجنرال المذكور لسكانها يوم 4 فبراير.

وفي اليوم التالي توجه أحمد أبعير مع وفد تطواني إلى المعسكر الإسباني لإخباره بأن السكان الذين ظلوا بتطوان مستعدون لاستقباله دون قتال في اليوم التالي، وكان الأمر كذلك حيث استطاع أبعير أن يحول دون تدمير المدينة كما استطاع إيقاف حملة الفوضى والنهب وانتهاك الأعراض والقتل التي كانت قد عمت المدينة.

وعندما قام الجيش الإسباني باحتلال تطوان يوم 6 فبراير لم يجد الجنرال أودونيل شخصا آخر سوى أبعير ليسند إليه أمر المسلمين الذي ظلوا بالمدينة، فعينه قائداً عليهم والمتكلم باسمهم مع سلطات الاحتلال، وبهذه الصفة

رافق أبعير الجنرال المذكور عندما توجه إلى بوصفيحة يوم 23 فبراير للتفاوض مع الأمير مولاي العباس في أمر الهدنة والصلح.

وقد تعرض أبعير للقيل والقال ممن كان يحسن إليهم من التطوانيين، فكان عليه أن يطلب من الجنرال أودونيل أن يتوسط له لدى الأمير مولاي العباس لكي يرد له الاعتبار أمام الجميع، ولبى الجنرال طلبه وأصدر مولاي العباس يوم 17 صفر 1277 / 4 سبتمبر 1860 مرسوما نشره محمد داود في *تاريخ تطوان*، ج. 5، ص. 234.

وبعد أن انسحبت القوات الإسبانية من تطوان في 10 ماي 1862، أرادت الحكومة الإسبانية أن تجازي أبعير عما قام به من أعمال أثناء الاحتلال، فمنحته الجنسية الإسبانية ولقب خليفة قنصل شرفي، فظل متمتعا بهذا اللقب وتلك الجنسية إلى أن وافته المنية حيث ورث ابنه محمد أبعير لقب خليفة قنصل شرفي، ونجده يستلم شؤون القنصلية الإسبانية بتطوان من القنصل الإسباني طيودورو ذي كويفاس (Teodoro de Cuevas) بتاريخ 15 نوفمبر 1899.

ولم نقف على تاريخ وفاة أحمد أبعير الذي يوجد قبره بالزاوية الحراقية بتطوان.

**أبْعير**، عبد الرحمان بن علي، شخصية بارزة من أسرة أبعير الريفية التي استوطنت طنجة ثم تطوان. وفيها ولد عبد الرحمان سنة 1235 / 1820، وكان يشتغل بالتجارة عندما اندلعت الحرب الإسبانية - المغربية سنة 1276 / 1860.

ولما توجه أخوه أحمد أبعير - بعد الهزيمة - إلى المعسكر الإسباني للتفاوض مع الجنرال أودونيل (O'donell) في أمر تسليم تطوان للجيش الغازي دون قتال، كان المترجم بجانبه. وعندما أسند الجنرال الإسباني المذكور أمر المسلمين المتخلفين بتطوان إلى أخيه أحمد وعينه قائداً عليهم، بقي عبد الرحمان بجانبه يساعده ويسانده في تأدية مهمته. وفي 9 أبريل 1860 منحته الحكومة الإسبانية الجنسية الإسبانية، وعندما مرض أخوه أحمد عينه الحاكم الإسباني بمدينة تطوان الجنرال طورون (Turon) مكان أخيه بتاريخ 3 يوليوز 1860.

وبعد أن انسحبت القوات الإسبانية عن تطوان في 10 ماي 1862 منحته الحكومة الإسبانية لقب خليفة قنصل شرفي جزاءً له عما قام به من أعمال خلال مدة احتلال تطوان.

ونجهل تاريخ وفاته، وعلى كل حال فإنه ليس هو الشخص الذي يحمل نفس الاسم ومن نفس أسرة أبعير الذي توفي بتطوان في شهر شعبان 1229 / يوليوز 1814.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 4 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 6 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 4 : 205 و226 و5 : 232 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) 1932 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*, 1949 ; Alarcon (P.A) *Diario de un testigo de la guerra de Africa*, Madrid 1860 ; Ruiz de Cuevas, *Apuntes historicos sobre Tetuan*, Tetuan 1838 ; Abdurrahim Jebbur, *Tetuan durante la ocupacion española* (1860-1862) Tetuan 23 novembre 1950.

محمد ابن عزوز حكيم

**إبَقّـوِيَنْ**، حسب التعبير المحلي، وبَقُّويَة أو بَقِّيوَة، بناءً على ما هو موجود ببعض المصادر. وقد ربط اسم بقوية بلفظ Baquate الدال على اسم أمازيغي، استخرج من نص روماني اكتشف بمدينة وليلي الأثرية، استناداً إلى الموقع الذي تحتله قبيلة بقوية مما يوافق تحديد النص الروماني. أما ابن خلدون فقد ذكر أن بَقُّوية تعد من الأقسام الثلاثة التي تكونت منها بَطُّوية الصنهاجية.

ينطبق اسم إبقوين أو بقوية في الوقت الراهن على إحدى قبائل الريف الأوسط (الأعلى). تحتل منه أراضي القبيلة الجزء الساحلي الممتد على شكل نصف قوس، من خليج المزمة (الحسيمة) شرقًا، بدءاً من الموضع الموافق لمصب واد إسْلي، مما يقابل الجزيرات (تيزرين) من فرقة إزمورن، إلى غاية جون "إياوعياش" الواقع غرب صخرة بادس. ويصل هذا الامتداد الطولي بين الحدين المذكورين نحو 20 كلم.

يتألف سطح القبيلة من كتلة هضبية مساحتها 288 كلم[2] وتظهر أقصى الارتفاعات في القسم الغربي من الهضبة، ممثلة في جبل "بويا أحمد" [747 م] وجبل "بوقاسم" [676 م] كلاهما بفرقة "تيگديث" وبجماعة "أدوز". ويجري فوق هذا السطح واد "تارمَّاسْت" (فرقة إزمورن) وواد بادس (فرقة تيگديث). ويترك الساحل الصخري عدة مراسي منها مرسى بادس القديم المتصل بالصخرة التي يحتلها الإسبان ثم مرسى "بوسكور" الواقع بفرقة إزمورن.

تتألف القبيلة في الوقت الراهن من ثلاث فرق، وتضم 41 مدشراً. والفرق هي على التوالي من الشرق إلى المغرب: إزمورن، وأزغار، وتيگديث. وهي الفرق التي تجاورها بمحاذاة حدودها الجنوبية فرق بني ورياغل، وتقف عند حدودها الغربية فرق بني بوفراح.

ع. بن خلدون، *العبر* ؛ *ضابط حول تنظيم وسير أعمال اللجن القروية للفرق والجماعات من قبائل منطقة تطوان*، 1951 ص. 85 ؛ *خريطة القسم الطبوغرافي* - الرباط 1972 : الحسيمة وبني بوفراح.

Comission de las campanas de espana en Africa : *Geografia de Marruecos* T. II p. 83. Madrid 1936 ; I. Brignon (et al...) *Histoire du Maroc*, p. 31-44, Paris 1967, Frezules, *Bulletin d'archeologie marocaine* - II 1957.

حسن الفيگيگي

**أبَقّيو**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بَقُّوية الريفية، والشخص الوحيد منها الذي تذكره الوثائق هو :

أبْقّيوْ علي بن المختار الفقيه الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1319 / 1901. وهذه الأسرة التي لا زالت بتطوان لا علاقة لها بأسرة البقيوي التي كانت بتطوان وأصلها من نفس قبيلة بقُّوية.

ع. السكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 6 ؛ م. عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (B) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929, (A) ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931), (B) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**أبْلاغ ← سمك**

**أبــلاَّغْ**، محمد بن حدو، تولى قيادة دمنات وقبيلتها إينولتان بظهير عزيزي مؤرخ بربيع الثاني 1322 هـ إثر اغتيال القائد المخزني الجيلالي بن علي أو حَدُّو.

وأسرة أبَلاَّغْ من فرقة كُرُول بإينولتان شرقي دمنات، يذكر عقبها أن أصلهم من أسَاكَا أوبْلاَغْ قرب تيزنيت، ومنها هاجروا إلى إينولتان في القرن العاشر الهجري. وقد استثقلوا الفروض الضريبية في عهد العامل على دمنات منذ منتصف القرن التاسع عشر على أوحدو، فدفعوا بأحد أبنائهم، وهو الطالب سي أحماد أبَلاَّغْ، لولوج عسكر السلطان لما في ذلك من ترقية وتحرير لأسرته من المغارم، وقد صار هذا الطالب إلى رتبة قائد المائة ورجع إلى بلده حيث أسندت إليه مشيخة إخوانه الكروليين ثم سكن دمنات وهي مركز المبادلات في إينولتان فأغرته أرباح المتاجرة، وحصل ثروة جعلت العامل على أوحدو، حسب رواية شفوية، يدبر قتله، ولم يضمحل بذلك ما كان لأسرته من رصيد السمعة والجاه حتى برز ولده الحاج محمد بين أعيان دمنات وإينولتان مؤيدا من قبليه الكروليين ومن تربطهم بهم أحلاف كفرق من الگطويين وأيت شتاشْنْ وأيت بلال، ولم يحُل ما كان من ضغينة الثأر بين أسرة أبلاغ وأسرة علي أوحدو دون تعامل أبناء أبلاغ مع العامل المخزني البارز الذي استفحل أمره واتسعت مناطق نفوذه في العهدين الحسني والعزيزي وهو الجيلالي الدمناتي. ومن ذلك أن محمد أبلاغ وأخاه عبد السلام، وكانا من مشاهير الفرسان، قد شاركا في حركة العامل الجيلالي الدمناتي إلى تافيلالت في أواخر العهد الحسني، وساعداه في تدبير القبض على مراهين أيت بوگماز لضمان طاعة هذه القبيلة لحساب المخزن الذي جعلها إلى نظره ووكل أمرها إلى وسائله.

وعندما انتفضت إينولتان وفر الجيلالي الدمناتي إلى زاوية تاغملت توالى على تدبير شؤون دمنات وإينولتان شيوخ مختارون من الجماعة في السنتين الأوليين من العهد العزيزي، ولما قدم السلطان الجديد إلى مراكش بادر الإينولتانيون بترشيح محمد أبلاغ ليكون عاملا عليهم وطلبوا تزكيته من السلطان، ولكن أعيانهم الذين رافقوه إلى محل نزول السلطان بالرحامنة تخلوا عن مرشح القبيلة وانحاشو للعامل المطرود، وعاد هذا الأخير بتعزيز من القوة المخزنية ليحكم زهاء ثلاث سنوات أخرى اغتيل بعدها.

بالرغم من أن الخليفة السلطاني مولاي حفيظ بعث من مراكش قائد الرحى الحاج محمد البيزاري لضبط الأمن بدمنات، فإن الفرصة سنحت من جديد لترشيح محمد أبلاغ للقيادة، فقد ترك عمه عبد السلام، وكان شيخا على كرول في عهد الجيلالي، ليقوم بضبط شؤون القصبة والمدينة وذهب مع أعيان إينولتان إلى فاس لطلب ظهير القيادة من السلطان. وقد قام عبد السلام بإحباط مؤامرة ضد طموح أبلاغ كان من أبرز مدبريها محمد لقلالش زعيم إيواريضن المجاورين لدمنات. ولما رجع محمد أبلاغ بظهير التولية على إينولتان قبض على متزعمي تلك المؤامرة، فانتشر الأمن في عهده بدمنات وعاد إليها بعض بريق أيامها الحافلة بالنشاط ولكنها لم تعد من الناحية السياسية مركز العمالة الكبرى التي جمعها الجيلالي الدمناتي لأن أبلاغ لم يتولَّ إلا على إينولتان إذ أن تگانة وغجدامة وفطواكة قد صار حكمها إلى أسرة الأگلاويين الزاحفين في توسعهم في اتجاه الشرق.

وقد كان دعي آخر يطلب ولاية إينولتان وهو سعيد بن علي أوحدُو أخو الجيلالي المقتول، وكان في الجيش السلطاني، وقد أجابه على رسالة نعي أخيه الوزير عبد الكريم بن سليمان بتاريخ 2 يونيه 1904 "بأن الأمور ستبقى في داركم" وكان ذلك حبراً على ورق لأن أبلاغ هو الذي مارس التولية بالفعل. وقد دخل القائد محمد أبلاغ في صراع مع "أرستقراطية" دمنات وانتصر عليهم بفرسان "إخوانه" من فرقة كرول ومن لف لفهم من أهل گطيوة وأيت شتاشق وأيت بلال، ولكن أبلاغ لم يستطع بما فرضه من الإقامة الإجبارية على بعض أولئك الأعيان أن يمنع اتصالاتهم السرية بالأگلاويين الطامعين في دمنات قصد الاستحواذ على تلك النقطة الستراتيجية التي تحولت إليها كثير من المبادلات التي كانت تمر عبر تلوات في تجارة الصحراء مع حوز مراكش.

ولما بويع السلطان المولى عبد الحفيظ، وكان الرؤساء الأگلاويون يؤيدونه، كان من الطبيعي أن ينحاز أبلاغ إلى أنصار المولى عبد العزيز، ولما كان مولاي عبد الحفيظ في طريقه إلى فاس، نزل بالسراغنة وأرسل في طلب أبلاغ، فاعتذر عن المجيء باعتلال صحته، حيث أنه أوجس خيفة من المكر به لما يعلم من حنق الأگلاوي عليه. وبعد شهر من ذلك الطلب أعطي علال الأگلاوي الذي كان متوليا على فطواكة ظهيرا حفيظيا بالتولية على إينولتان، وكان له في دمنات مماثلون جلهم في "حاشية" أبلاغ، فتربصوا بهذا الأخير حتى أرسل فرسانه لتأييد القائد بوشعيب السرغيني ضد من خالفه من إيالته على عادة قواد المخزن في نصره بعضهم البعض الآخر، فاستدعي الأگلاوي سرا وفاجأ أبلاغ في نفر قليل من مقاتليه فتمكن منه وقتل القائد أبلاغ بعد معركة بالمكان المسمى بسيدي مالك خارج الأسوار، وقد استبسل زهاء ساعة من الزمن، وذلك في ربيع الثاني من عام 1326 / ماي 1908. وبذلك دخل الأگلاويون دمنات وتولوا على إينولتان إلى عهد الاستقلال. وقد تكيفت أسرة إبلاغن التي رجعت إلى فرقة كرول، مع الظروف الجديدة. ولما كان الفقيه المدني الأگلاوي بعد سنوات من انعقاد الحماية على المغرب، يساعد في تطويع قبائل الأطلس الأوسط كان بعض أفراد أسرة إبلاغن من المشاركين في حركته.


م. الغجدامي، *التسلي عن الآفات بذكر أحوال مافات*، مخطوط ؛
أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*.


أحمد التوفيق

**أبنصُور**، أسرة شهيرة للأحبار والأدباء اليهود المغاربة بمدن فاس ومكناس وسلا وتطوان. يبدأ الفرع المغربي، المنتمي إلى الأندلس، مع موشي أبنصور، الحبر الذي ربما اعتنق المسيحية بإسبانيا، قبل أن يهاجر إلى فاس بعد 1492، ليعود إلى اليهودية. وشغل ابناه إبراهام وصامويل في القرن السادس عشر، منصبي حبرين وقاضيين (ديانين) بفاس وسلا.

وإن لائحة الأحبار القضاة المنتمين إلى أسرة أبنصور طويلة في كتاب لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، مع أنه لم يذكر منهم إلا من تركوا تآليف مخطوطة أو مطبوعة.

**أبنصُور، إسحاق** المتوفى عام 1937، رئيس الجماعة اليهودية طوال ثلاثين سنة، ترجمان في سفارة النمسا والمجر بطنجة حتى عام 1914، وأحد مؤسسي المجلس الصحي بهذه المدينة. جلس في كرسي المجلس التشريعي بصفته ممثلا أنجليزيا. وسيّر البنك موسيس پّاريانطي، أقدم بنك في المدينة وخلفه على رأسه أبناه موشي وأحران إلى أن نُقل إلى جنيف عام 1960.

**أبنصُور، رفائيل بن شلومو** حبر بفاس، خلف مؤلفات في الفقه *شُؤَلُوط* أو *تْشُوبُوط* (فتاوي)، وكتبا ذات طابع ديني : *سفر ركارن ل بني إسرائيل، سفر سمْحَت عُلام، هگهوط عال سفر أبو درهم*، توفي سنة 1826.

**أبنصُور، رفائيل بن شلومو** آخر، ولد سنة 1830 وكان رئيس المحكمة الربية بفاس، ألف فتاوى (تْشُوبُوط) وشروحا حول الأحكام الدينية (دينين)، وتوفي سنة 1917.

**أبنصُور، رُؤْبين** حبر قبّالي (صوفي) مؤلف *سيفارْدَرويشين*، مجموعة مواعظ، و*پّالْغُوط ماييمْ حَيِّيم* (جداول المياه الجارية) حول الاستحمامات الطقسية. عاش في القرن السابع عشر.

**أبنصُور، شَلُوم** ابن عم يعقوب الحبر بسلا آتي الترجمة. شاعر ومؤلف شيرْ *حَادَاشْ* (الغناء الجديد، الإسكندرية، 1893) الذي شرح فيه معرفته في علم التنجيم لخدمة علم اليومية العبرية التي توازي بين الشهور القمرية والشمسية، والتي تجدر معرفتها لتحديد تواريخ الارتسامات الدينية (انظر تحليل حاييم الزعفراني، في *الشعر اليهودي في الغرب الإسلامي*)، عاش في القرنين 17 و 18.

**أبنصُور، شلومو بن رفائيل** المولود حوالي سنة 1805، الحبر بفاس. مؤلف كتابين في الأحكام الدينية : *پيني شلومو، زنجي رازون*، توفي سنة 1843.

**أبنصُور، موشي بن إسحاق**، عاش بسلا، وتعاطى بصفة خاصة القبلانية التي يشكل أحد مؤلفاته فيها : *مَعَرة سدهْ هَمَّخْيلَة* (بيت المقدس، 1910) وهو عنوان يذكر بضريح البَطَارقة. ومن المواضيع الكبرى التي يتناولها في مخطوطات أخرى (دبْر هَقَّبَّالة، مَلَخَة لـ ـ موشي، هبُو شعَارْ هـ ـ شَمَينْ، دبْرعَمَتْ، قرَى مُوشي). إن مؤلفاته الشعرية *صلْصي شَامَعَ* (صَنوة رنَانة) التي نشرت في نفس المجلد مع أشعار يعقوب أبنْصور (الإسكندرية، 1893) مسبوقة بمقدمة عُرضت فيها الأسباب الصوفية للابتكار الشعري (ح. الزعفراني، *الشعر اليهودي*، ص. 21 ـ 41). عاش موشي أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر.

**أبنصُور، يعقوب بن رُؤْبين**، أشهر هذه السلالة، تحت الاسم المختصر يَعْبَص. ولدَ بمكناس وتوفي بفاس سنة 1753. له دراسات متينة في مواد دينية وقضائية، وفي النحو والتنجيم والقبلانية والشعر العبري. زاول مهنة حبر ـ قاض طوال 49 سنة، بفاس 31 سنة، ومكناس 11 سنة، و7 سنوات بتطوان التي أسس فيها بيعة قبل أن يعود إلى فاس، حيث أعاد تنظيم المحكمة الكبرى، بعد فترة انحطاط هذه الجماعة، من جراء المجاعات والفتن المنتشرة بالمغرب بعد موت المولى إسماعيل.

ترتكز شهرته قبل كل شيء على أحكامه وفتاويه التي توجد في مختلف كتب فقه الأحبار ـ القضاة (ديانين) المغاربة. وقد جُمع قسم هام منها في *مشْپّاط أو صْداقة بـ ـ يعقوب* (الحكم والعدالة عند يعقوب) وهي جملة مستخرجة من الزبور. كما أنه ألف كتابا اسمه *عطْ سُوفر* (ريشة العدل) ما يزال يعمل به. وله رسائل بالنثر المسجوع جمعت في *ليشُون لمُدِّين* (في مجموعة گلاگسبالْد)، و*مواعظ وشروح* (مخطوطة 169 بالخزانة الوطنية بباريس، السجل العبري). يقول حاييم الزعفراني : "إن أسلوبه مباشر، خال من الزخارف، مجرد من التشدق الكلامي المعتاد لهذا النوع الأدبي. إن ملاحظاته تفاجئ بوضوحها وبمنطقها وقوتها" (*يهود المغرب*، ص. 33) وكانت أحكامه فقها في القانون اليهودي المغربي، يرجع إليها قضاة وفقهاء الأجيال اللاحقة، كأنها نصوص قانونية. وهذا التأليف محرر بالعبرية، لكنه يشتمل على رسائل ومطالب باللغة العربية المغربية (انظر *مشْپّاط*، جزء 1 ص. 116.72.66.40.39.18.14. 216 وح. زعفراني، *الأدب الشعبي*، ص. 300). إن الدواوين الشعرية العبرية ليعقوب أبنْصور جمعت في *عتْ لكل حفْص* (زمان لكل شيء) من طرف أحد أحفاده رفائيل أبنْصور، رئيس المحكمة الربية بفاس، ونشرت مع مؤلفات موشي وشلوم أبنصور عام 1893 بالإسكندرية (نُوأمُون) (انظر تحليل بعض القطع عند حاييم الزعفراني : *الشعر اليهودي في الغرب الإسلامي*، ص. 316-384) وتُغَنَّى بعض هذه الأشعار على ألحان الموسيقى الأندلسية في جل كتب الصلوات اليهودية بالمغرب.

**أبنصُور، يعقوب بن شلومو** سموءل، ولد سنة 1780، وكان الحبر ـ القاضي (ديان) بفاس. له كتاب في الفتاوي : *شُؤَلُوط* أو *تْشُوبُوط*.

أ. لاريدو، *أسماء يهود المغرب* ؛ ي. بنيمين، *ملخة ربانين* ؛ ح.

الزعفراني، *الشعر اليهودي في الغرب الإسلامي* ؛ طوليدانو، نين حما عرب.

شمعون ليڤي

## أُبهي ← عدّي أُبهي

أيْت **أُبهي**، معناها : آل ابن إبراهيم، لأن الهمزة التي عليها ضم تعني "ابن"، و"به" ترخيم أمازيغي في إبراهيم. أسرة كان لها نفوذ سياسي واقتصادي واجتماعي بقبائل حاحا من أواخر القرن الثامن عشر إلى النصف الأخير من القرن التاسع عشر. تولت هذه الأسرة تسيير تلك القبائل منذ بداية نشأة مدينة الصويرة وتركيز النشاط الاقتصادي بها، مما أعطاها أهمية بمراقبتها للطرق التجارية الرابطة بين مرسى الصويرة ومناطق الإنتاج والاستهلاك، خاصة المناطق الصحراوية جنوبا وشرقا ومناطق الأطلس الكبير والصغير، مما مكن أيت أبهي من الاستفادة من هذه الإمكانات أثناء ممارسة السلطة المحلية بالمنطقة، وهم بالتوالي محمد بن بهي أمولود، وعبد الملك بن محمد، وعبد الله بن عبد الملك، ومحمد بن عبد الله، وأخيرا عبد الملك بن عبد الله، ثم تولى لفترة قصيرة فرع أيت سعيد أبهي وهم من بني عمومتهم. ويوجد مقر قيادة أيت أبهي بقبيلة زلطن شمالي حاحا في المكان المعروف بأزغارنَيْتْ بهي (بسيط أسرة أيت بهي).

**أُبهي، أحمد** بن محمد أسعيد : انتقلت القيادة إلى أيت سعيد أبهي وهم فرع من أيت أبهي، فتولى أحمد بن محمد بن سعيد أبهي في ذي القعدة عام 1295 على أيت زلطن وإداوبوزيا وأيت عيسى، وقد طالبه السلطان بتسوية ديون ابن عمه عبد الملك بن عبد الله أبهي لبعض اليهود بالصويرة بعد أن عجز عن تسديد أموال الدولة. ويظهر أن مدة تولية أحمد أسعيد لم تدم أكثر من سنة.

**أُبهي، عبد الملك بن عبد الله**، تولى على حاحا أثناء توجه حركة الخليفة المولى الحسن إليها في أوائل سنة 1290، فولاه على حاحا بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، وبذلك استأنفت أسرة أيت أبهي الحكم بحاحا من جديد، وقد حاول عبد الملك أبهي استرجاع مكانة أسرته بالمنطقة وساعد الخليفة أثناء حركة حاحا، كما حاول استرجاع أملاك أسرته.

تطورت الأمور خاصة بعد وفاة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان، فقد تولى المولى الحسن، فقسم حاحا إلى ثلاث قيادات ابتداء من أوائل سنة 1291 / 1874، فتولى أنفلوس على إداوكَرْض وبني زمزم، ونكنافة، ومجدادة وإداوگلول. وتولى الحسن أتْگزْيرين على بني تامر وإداوبوزيا. وبذلك تقلص نفوذ عبد الملك ودخل في صراع مع أنفلوس، ويظهر أنه أساء التصرف في أموال الدولة حتى أدّى به الأمر إلى العزل أواخر سنة 1295 / 1878.

**أُبهي، عبد الملك بن محمد** بن بهي. خلف والده في الولاية أواخر عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ويظهر أن قيادته كانت ممتدة من الصويرة إلى سوس. وقد حدث أن أحد علماء قبيلة سگينة وصلحائها وهو يحيى بن سعيد استشفعه في سجناء قبيلته وقبل شفاعته. فأطلق كل المسجونين بالصويرة وحاحا احتراما له. ولما توفي السلطان سيدي محمد بن عبد الله، واضطربت شؤون الحكم إلى أن استقرت على يد السلطان المولى سليمان سنة 1212 / 1798 بإجلاء هشام بن محمد بن عبد الله عن مراكش، كانت منطقة حاحا والصويرة تحت نفوذ عبد الملك أبهي الذي يظهر أنه كان على اتصال مع عبد الرحمان بن ناصر العبدي زعيم حركة الانشقاق بالجنوب، ويدبر مساعدة المنشقين من إخوة السلطان المولى سليمان ممن لهم طموح بمراكش، ولذلك فإن السلطان المولى سليمان دبر مع أخيه عبد السلام لإقصاء عبد الملك أبهي عن مدينة الصويرة وتولية محمد بن عبد الصادق عليها. وقد تمكن هذا المتولي من التحايل على عبد الملك أبهي ومن تنحيته عن الصويرة بعد التنسيق مع عناصر من جيش العبيد ومسگينة وأهل أگدير. وبإثر هذه العملية انحسرت ولاية عبد الملك أبهي عن الصويرة واقتصرت على حاحا وإداوتنان، وقد توجهت إلى هذه القبيلة الأخيرة حركة بإذن من السلطان المولى سليمان سنة 1213 هـ . ويظهر أن نفوذ عبد الملك امتد إليها بعد الطاعون الجارف الذي أصابها.

لقد استقبل عبد الملك أبهي السلطان المولى سليمان لما تحرك إلى سوس سنة 1222، ونظم حركة إليها بإذن من السلطان مع القائد محمد بن يحيى أُغَنَّاج سنة 1225 / 1810، واستمر نفوذه بسوس وكان قد عين خليفة له بتارودانت.

يظهر أن عبد الملك كان على صلة حسنة مع المولى عبد الرحمان بن هشام أثناء توليه على الصويرة لمدة سبع سنوات (1230 / 1237) مما سهل له الاستمرار في مهمته بعدما بويع مولاي عبد الرحمان سلطانا سنة 1238، إلا أن أواخر أيام عبد الملك أبهي تميزت بالاضطراب في حاحا فنجم عن ذلك أن تولى مكانه ابنه عبد الله.

**أُبهي، عبد الله بن عبد الملك**، من أكبر القواد الذين عرفهم الجنوب المغربي في منتصف القرن التاسع عشر. ارتبطت شهرته بالمكانة التي كانت له لدى المخزن حيث أسند إليه العمالة على إقليم حيوي يمتد من الصويرة إلى سوس، فكان يعتمد عليه في إدارة المنطقة سياسيا وعسكريا، وكلفه عدة مرات بمباشرة أمر سوس. ففي سنة 1271 / 1855 قام بحملة ضد هوارة وقائدها بومهدي وعين خليفة بتارودانت، وفي سنة 1284 / 1867 أمدته الدولة بالتولية على أگدير لما عزم على مهاجمة إداوتنان، فكانت ولايته تمتد على سوس أو أطراف منها كأگادير عندما تقتضي المصلحة ذلك.

كانت لعبد الله أبهي علاقات مع الأسر المحلية ذات النفوذ بمنطقة سوس كآل بيروك بأكلميم، وآل تزروالت بإليغ، وتناولت علاقاته مع هذه القوى قضايا مختلفة، فتدخل سنة 1283 / 1866 لدى آل بيروك يحملهم على التخلي عن فكرة فتح مرسى بشاطئ قبيلة تاكنة. أما علاقاته بآل تزروالت فكانت هامة، حيث كان يتبادل الزيارات مع أكبر رؤسائها الحسين أهاشم. من ذلك أنه قدم عليه وفد كبير من قبيلة حاحا، وكان اللقاء على وادي وُلْغاس، ثم وفد الحسن بن هاشم بدوره على أبهي في حاحا، فوقع الاحتفاء به عبر إيالته من أگدير إلى مقره بأزَغَارنَيْتْ بهي بأيت زَلْطن. ويظهر أن هذه العلاقات أسيء فهمها مما أدى إلى ارتباك العلاقات بين عبد الله أبهي والمخزن، حتى إن علاقاته بآل هاشم تؤول على أنها كانت من أسباب تنحيته واستدعائه من حاحا إلى مراكش حيث توفي أواخر سنة 1284 / 1868.

لعب عبد الله أبهي دوراً هاما في منطقة الدير، فقد حظي بثقة المخزن خاصة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، وقد أسهم بمساعدات كبيرة في حركة الأمير المولى الحسن إلى سوس سنة 1280 / 1864، كما كان يراقب شؤون القبائل المجاورة لإيالته كالشياظمة وأولاد أبي السباع ومتوگة، وكانت العلاقات تسوء بين هذه القبائل وبين حاحا نظرا للمصالح المشتركة بين القبيلتين. بالرغم من ذلك فقد أسهم عبد الله أبهي في إطلاق سراح القائد المتُوگي من السجن سنة 1283 / 1866 كما ساعد على عودته إلى الحكم بقبيلته.

كانت أعمال عبد الله أبهي داخل القبيلة نشيطة في استصلاح الأراضي الفلاحية، فكان يُشَغِّل القبيلة في أعمال السخرة حتى تمكن من امتلاك ثروة فلاحية مهمة إضافة إلى المداخيل الشرعية والعرفية التي كان يشرف على جبايتها من إيالته مما ساعده على تملك العقارات بكل من الصويرة ومراكش.

اشتهر عبد الله أبهي بأعمال البر والإحسان التي ما تزال ذكراها تتردد بين القبائل بالجنوب، كبناء نطافي الماء في الطرقات وأماكن العمارة، وما تزال آثار عدد منها معروفة بحاحا. كما اشتهر بالعناية بجوانب دينية كتشييد المساجد والأضرحة. ولم تقتصر أعماله البرية على القبيلة، وإنما امتدت إلى الصويرة ومراكش، ووصلت حتى الشرق حيث أنشأ أوقافاً بمكة والمدينة.

**أبِهِي، علي** بن محمد أسعيد، تولى في ذي القعدة سنة 1296 على نفس القبائل التي كان يتولاها أخوه أحمد : أيت زَلْطن، وإداوبُوزيا وأيت عيسى، ويرد ذكره في وثائق أخرى باسم علال بن محمد أبهي. وقد دخل في الصراع مع أنفلوس الذي اتهمه بأنه كان يحرّض عليه قبيلتي إداوبُوزيا وأيت عيسى، كما اتّهمه بالهجوم على قبيلة أيت زَلْطن. ويظهر أن الصراعات بينهما كانت شديدة حتى عاقته عن المشاركة في الحركة التي طالبه السلطان بالاستعداد لها، فطلب التأخير لمواجهة أنفلوس.

لقد حاول السلطان المولى الحسن في شعبان 1298 / 1881 أن يصلح بين قواد حاحا وأبلغ عزمه لعلال أبهي، فأوفد لذلك الغرض القائد بوشتى البغدادي، ويظهر أن هذا الإجراء اتخذه السلطان لما كان يفكر في الحركة إلى سوس. ويعتبر علال أبهي من فرع أيت سعيد آخر من تولى القيادة بحاحا.

**أبِهِي، محمد بن بهي** أمُولُود. ظهر في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي ولاه عاملا على الصويرة سنة 1182 / 1769، ولم يكن مر على بنائها سوى أربع سنوات. وهذا يؤكد أن محمد أبهي كان له نفوذ وصيت بالمنطقة مما جعل السلطة المركزية توليه قيادة ميناء حديث النشأة منفتح على قبيلة حاحا التي ينتمي إليها أبهي، فتكون توليته عليهما بمثابة ضمان للأمن والاستقرار.

**أبِهِي، محمد بن عبد الله**، تولى قيادة حاحا بعد تنحية والده، لكن الأحداث التي عرفتها إيالته دلت على أنه لم يكن في مستوى المسؤولية المنوطة به مما جعل المخزن يقلص نفوذه، فلم يعد يحكم أگادير منذ أواخر سنة 1285 / 1869، ثم عزل عن قبيلة إداوْزيكي أوائل سنة 1288/ 1870، وبذلك لم يعد يتحكم في إحدى الطريقين الرئيسيتين إلى سوس، وكانت قيادة حاحا تستمد بعض أهميتها من مراقبتهما، وهي الطريق الساحلية المارة بحاحا، والطريق الداخلية المارة بمنخفض وادي إسِّنْ انطلاقا من إمِي نْتَانُوت.

لقد كانت علاقات محمد أبهي بالقبائل المجاورة تحكمها النزاعات، كما حدث مع الشياظمة، وخاصة متُوگة. ويظهر أن قائد متُوگة عمر بن سعيد المتوگي استغل سوء تدبير أبهي للأمور، فكان يشجع تمرد قبيلته ضده مما أدى لمناوشات مستمرة بين محمد أبهي وعمر المتُوگي، فتدخل المخزن والقواد المجاورون بينهما عدة مرات لإبرام الصلح، لكن سوء تصرف محمد أبهي حتى مع قبيلته حاحا، سرعان ما أدّى إلى قيام ثورة عليه بحاحا في جمادى الثانية سنة 1288 / 1871، انتهت باكتساح دور أيت أبهي بأزَغَارنَيْتْ بهي بأيت زَلْطن.

أمّا محمد أبهَي، فقد التجأ إلى السلطة المركزية، فأقام بمراكش واستمر يحاول استرداد سلطته على حاحا، إلا أن السلطة المركزية اكتفت بإيوائه وإيواء أسرته، بينما عُيِّن محمد بن الطاهر الدويلالي قائدا على حاحا خلفاً لمحمد أبهي.

*وثائق خاصة* ؛ *وثائق مخزنية من الخزانة الحسنية* ؛ م. الضعيف، *التاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 8 و9 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh.*

محمد زرهوني

**الإبُوركي، أحمد بن عبد الله** من أسرة تسمى بني الطَّالب إبُورك أو يبُورك - بالتسهيل - من قرية تاكَانْزا بقبيلة أمَلْن. حافظ مشهور بالعلم وتحقيقه لاسيما النحو والصرف، كان يقول لو أن النحو اندرس من الدنيا لكفى الناس ما عرفت. أخذ عن محمد بن يحيى الأزاريفي، وعمي في آخر عمره، وتوفي كما يُظن أول القرن الثالث عشر الهجري. تنسب له *رحلة حجازية*.

**الإبُوركي، أحمد بن مَحمد** (فتحا) الجرفي العالم العامل الصالح، واظب على التعليم مدة ليست باليسيرة في مدارس بلده، معروف بنساخة الكتب. أخذ عن الشيخ أحمد بن محمد الظريفي وعن شيخ الإسلام محمد بن عبد السلام الدرعي التامكَروتي الناصري، وعن محمد سبط الشرحبيلي النحو والصرف، وبه تخرج عبد الرحمان الجشتيمي صاحب كتاب *الحضيكيون*، وينسب له كتاب *مناقب الصالحين*. توفي بتاريخ 1212 / 1797.

ع. الجشتيمي، *الحضيكيون* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 189 ؛ *المعسول* 6 : 24.

عبد الله درقاوي

**أبوزيري ← بوزيري**

**إبيبض ← الأكَلاوي محمد**

**أبيسْرُور شلوم**، مؤلف كتاب *سفر نيتبوت شلام* (كتاب طرق السلم) يتضمن مواعظ وإرشادات عن أسفار موسى الخمسة. نشر بالدار البيضاء عام 1948.

**أبيسْرُور مردخاي**، ولد بأقَّا حوالي عام 1830 وتوفي بالجزائر العاصمة عام 1876. درس بمراكش ثم بفلسطين. كان عمره 24 سنة عندما أصبح ربِّيا. رحل إلى الجزائر حيث اشتغل بالتدريس مدّة عام درس خلاله التلموذ، خصوصا بمدينة وهران، وزار مصر وتونس وليبيا، ثم رجع إلى مسقط رأسه وراح يمارس التجارة، لا سيما منها ما تعلق بالبضائع العابرة للصحراء، من عام 1858 حتى عام 1871. أقام عدة مرات بتنبكتو حيث استقرت لمدة قليلة جالية تجارية يهودية مغربية. حلّ مرة أخرى بالجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي فكلفته سلطات الاستعمار، بعد تدريب بباريس، بمهمة التجسس جنوب المغرب وبتنبكتو. عن هذه المهمة، صدر مقال عن قبيلة دكَاتوم الصحراوية المتنقلة اليهودية الأصل التي أسلمت، فكانت عباداتها مبسطة للغاية.

اتخذه شارل دوفوكو، خلال عامي 1883 و1884، مرشدا له في رحلته الاستطلاعية عبر المغرب (باريس 1884). وقد اعترف فوكو بخصال أبيسور مردخاي وبمهارته وذكائه، لكن اليهودي لاحظ عند فوكو نزعة عنصرية مضادة للسامية.

**أبيطْبُول**، أسر مختلفة تحمل هذا الاسم أو أسماء مشتقة منه، مثل بوطبول وطبالي، فيهم ربِّيون كثيرون، منهم :

**أبيطْبُول، أبرهام** بالقصر الكبير في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر.

**أبيطْبُول، السموءل** بن مردخاي في القرن الخامس عشر بدرعة.

**أبيطْبُول، شلومو** عاش بمراكش، وكان يناوئ النزعة المسيحية التي نادى بها شباطاي أصبي المتعلقة بظهور المسيح في آخر الزمان (طوليدانو، نين حما عرب، 116 - 118).

**أبيطْبُول، شلومو** المعروف بلقب ربِّي شلومو أملال في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وهو صاحب مقال في الرؤيا.

**أبيطْبُول، صاؤل** يشوع بن إسحاق (1739-1809) حبر صفرو الأكبر الملقب هواب شيشا صاحب كتاب *ابني شاس*، أي حجر المرمر (نشر بالقدس) يتضمن فتاوي ومواعظ وشروحا حول قوانين ذبح الأنعام.

**أبيطْبُول، عمور** ابن الربِّي شلومو (1782-1854) الذي كان شاعرا وصاحب فتاوي فقهية.

**أبيطْبُول، مسعود** المكنى ابن قريقل عاش بفاس في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر.

**أبيقْصيص**، شمعون كان ربياً بالصويرة بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين. مؤلف سفر *بالغي مييم*، وسفر *أخ توب لإسرائيل*، *وهيدوشي شاش*، *دراشوت وبيسكي دينيم*، وهي مجموعة نشرت كلها بلندن، كما له مخطوطات أخرى.

ونشير إلى أن كتابا عنوانه : *شاش أنوخي وتوب أي* "أنا من المرمر وأنا عاطفي" طبع بالدار البيضاء عام 1937 ولا ندري هل هو من مؤلفات أبقصيص أم لا.

بنّاحيم، *ملغ ربّنان* ؛ سماش، *ربِّي رحالة مغربي*، هسبريس، 1928، ص. 385-399 ؛ مجلة جغرافية المغرب، سنة 1895.

شمعون ليفي

**أتَاي**، أو شاي : هو كَاميلْيا سِنَانْزيسْ أو تيَا سِنَانْزِيسْ Thea sinensis = Camelia sinensis، وهذا الاسم مأخوذ من كلمة "شا" من الدارجة الصينية. ينتمي الشاي إلى فصيلة التِّرْنْسْتْرَاميَات Ternstremiaceae.

الصفات النباتية : الشاي في الطبيعة شجرة يبلغ ارتفاعها 10 أمتار ولكنها في الزراعة تصبح جنبة لا يتعدى ارتفاعها مترين وذلك بسبب التقليم المستمر اللازم لتوليد البراعم الغضة. أوراقها رمحية الشكل ومسننة. أزهارها بيضاء وتعطي ثمارا علبية.

البيئة والتوزيع البْيُوجُغْرافي : الموطن الأصلي للشاي هو آسام الواقعة بالمناطق الجبلية الفاصلة بين الهند والصين. والصينيون هم الذين كانوا يهتمون بالشاي منذ القدم وذلك لصفاته الطبية، غير أنهم لم يبدأوا في تناوله

كمشروب إلا في القرن الخامس الميلادي. وعرف اليابانيون الشاي في القرن العاشر الميلادي، وعرفه الأروبيون في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، والإنجليز هم أكثر المستهلكين للشاي في العالم حاليا.

ينمو الشاي في المناطق الرطبة والحارة الموجودة ما بين المدارين. وقد أنجزت أبحاث عديدة لتنمية زراعته باختيار الأصناف الأكثر إنتاجا أو الأكثر ملاءمة مع الظروف البيئية التي يزرع فيها. ولهذا نجد أكثر من ألف صنف من الشاي في العالم.

كيفية زراعته : يمكن زراعته إما بالبذرة وإما بالافتسال، وتدوم لمدة طويلة. ويمكن قطف الشاي مرات عديدة في السنة ابتداء من السنة الخامسة من عمره.

أما في المغرب فقد بدأت تجربة زراعة الشاي في العشرينات من هذا القرن بحديقة التجارب الزراعية بالرباط، وكان مصيرها الفشل. واستؤنفت بعد الاستقلال بمساعدة خبراء صينيين وغيرهم بمحطة المنزه الواقعة بغابة البلوط الفليني بمعمورة في ناحية القنيطرة، ثم بنواحي ألماس والشاون والعرائش. وكانت نتائج هذه التجارب الأخيرة ناجحة في أواخر السبعينات بناحية العرائش حيث يمكن توفير الظروف البيئية لزراعة الشاي تحت ظلال البلوط الفليني وبالسقي. ولقد امتدت زراعته على عدة مآت من الهكتارات، وأقيم بنفس الناحية معمل لتحضير الشاي.

تحضير الشاي : يحضر الشاي من الأوراق الخضراء التي تعرض بعد قطفها للحرارة لكي تذبل وتلين وتصبح قابلة للف، ثم تلف وتجفف. وهذه العملية تُعطي ما يسمى بالشاي الأخضر الذي يمكنه أن يخمر فيصبح شايا أسود. والإنسان المغربي يفضل النوع الأول.

فوائد الشاي : إن فوائد الشاي تتجلى في كونه يحتوي على مواد منبهة وهي الشايين وزيت طيار وهما يذوبان عند خلطه بالماء الساخن، وزيادة على السكر يضاف النعناع أو الشهيبة (أو الشيبة) ليصبح السائل معطرا. أما إذا استمرت العملية لمدة أطول فإن ذوبان دباغ الشاي يعطي للسائل طعما مرا ولونا أحمر داكنا. والإنسان الصحراوي يفضل شرب الشاي على هذه الطريقة الأخيرة بعد غليان السائل بمحتوياته لمدة طويلة.

البرت هيل، النبات الاقتصادي، ترجمة زاهر عبد المجيد وآخرين، ـ القاهرة ـ نيويورك 1962 ؛ الطريبق حسن، *الشاي وتجربة غرسه في المغرب* ـ العلم 12 أبريل، 1982 ـ ص. 6 ؛ *بحث ميداني*.

عبد المالك بنعبيد

**أتاي**، ويقال أيضا التّاي، باختلاف النطق حسب جهات المغرب، مشروب يومي لكل فرد أو أسرة مغربية مرات، ولو مرة واحدة على الأقل في اليوم، وخصوصا بعد وجبة الغذاء، حيث يقدم مُحلًّى بالسكر على العادة، ومخلوطا غالبا بعشبة النعناع، خصوصا في الصيف، وقد يخلط في الفصل البارد بعشبة الشيبة، أو عشبة السالمية وخصوصا في فصل الربيع. وقد يتناوله البعض بصفة استثنائية مخلوطا بالعنبر أو الرند، أو مع زهور البرتقال على الخصوص، وقد يخلط مع الورد زهورا أو ماء مقطرا.

اعتنى المغاربة بطريقة تقديم الشاي وباقتناء الأواني التي يقدم فيها، من بَرّاد، وهو الإبريق الخاص بطبخه، وكؤوس زجاجية ظريفة، إما صافية عادية أو منقوشة أو ملوحة أوملونة مزخرفة أو مذهبة. وقد يتخذها الموسرون من الزجاج البلوري النفيس. وتُقدم هذه الكؤوس في إناء مستدير مصنوع من معدن عادي أو مموه بالفضة أو من النحاس أو الفضة يسمى "الصينية" وهي في غالب الأحوال منقوشة مزخرفة تختلف مساحتها باختلاف المقامات والمناسبات، ولكنها في جميع الأحوال لا تتعدى القدر الذي يتحكم فيه شخص واحد يجلس إليها لتحضير مشروب الشاي. توضع الكؤوس في الصينية على هيئة حلقة واسطة عقدها البراد وفي مركزها كأس، وعددها في الحالات النموذجية اثنا عشر كأسا، والغالب أن ترتفع الصينية عن الأرض قليلا وهي على رجيلات ثلاث. وتوضع بجانب الصينية التي تحمل الكؤوس صينية أصغر منها تحمل الربائع، جمع ربيعة، وهي عبارة عن أوان فضية أو نحاسية أيضا، لها أغطية قبابية الشكل، واحدة منها تحمل السكر مكسراً، والثانية تحمل أتاي، والثالثة تحمل النعناع أو ما في معناه، والرابعة عبارة عن كأس فضية أو معدنية تحمل ملعقة تحرك بها المواد في البراد.

ومن أواني صنع مشروب الأتاي المجمر حامل الجمر الذي يطبخ عليه الأتاي، وفوقه عادة البَقْراج أو الغلاّي الذي يغلى فيه الماء. وقد يستغنى عن المجمر والغلاّي بآنية (البابور) الظريفة الشهيرة في الصناعات المعدنية (الفضية والنحاسية) بالمغرب، وهي عبارة عن آنية إبريقية الشكل تقريبا مقببة في أعلاها، بطنها الداخلي من طبقتين : خارجية للجمر، وداخلية للماء، وهي تقدم على الخصوص في المناسبات الاحتفالية. وسميت بالبابور من اسم البخار الذي يخرج منها.

ومن هذا يتبين أن تقديم الأتاي عند المغاربة قد صار لحظة احتفاء ومسرة وتكريم للضيف بقدر ما هو مشروب منعش أو منبه.

إن استهلاك مشروب الشاي بشكل كثيف، وفي جميع المناسبات، وعلى جميع المستويات، جعل المغرب من بين الدول الأولى في العالم استهلاكا لنبات الأتاي. ويرجع ذلك إلى أن معظم العائلات، والفقيرة بالخصوص أصبحت منذ الحرب العالمية الثانية، تجعل من الأتاي شطراً أساسيا ثانيا مع الخبز في غذائها (وتسميه : دواز / جواز، تجوز به الخبز الحافي حسب التعبير المغربي الدارج). فكيف تسلل الأتاي واحتل هذه المكانة في التقاليد المغربية، ومتى وكيف دخل المغرب ؟

وردت عشبة الأتاي على المغرب من الشرق الأقصى (الهند والصين) المكان الأصلي لها، عن طريق التجارة الخارجية. ودخلت أول مرة للمغرب كدواء على عهد السلطان المولى إسماعيل (1082 ـ 1139 / 1672 ـ 1727) ثم عمل حفيده السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1171 ـ 1204 / 1757 ـ 1790) على نشرها وتعميمها بشكل واسع كمشروب حلال، يمكن بواسطته القضاء على المشروبات المحرمة شرعا، والمضرة بدنيا، كما يمكن بواسطته تنشيط مادة تجارية غذائية، يمكنها أن تدر أرباحا هامة على المستوردين. يسوق عبد الكبير الفاسي (*تذكرة المحسنين*، مخطوط)، خلال ترجمته للسلطان محمد الثالث، سبب دخول الأتاي وانتشاره في المغرب فيقول :

"وفي أيامه أظهر الله بالمغرب عشبة الأتاي المشروب بسائر أقطاره، وهو من خصائص صاحب الترجمة وآثاره، ولم يزل يبذل المجهود في إشاعته وتكثيره وإذاعته له، إطفاء لما عمت به البلوى من شرب الخمور التي هي أم الخبائث وأقبح الأمور، حتى نسخ الله تلك الظلمة بهذا الضياء، وأبدل الله ذلك الحرام بهذا الحلال الذي شربه العلماء والأولياء [...] ويقال : إن أول من شربه بالمغرب عم السلطان المذكور مولانا زيدان بن مولانا إسماعيل، كان خليفة والده بثغر آسفي، وكان شريبا، حتى أكسبه الشرب ألماً أعجز الأطباء عن معالجته. فجيئ بحكيم نصراني، فأمعن النظر فيه، فقال لابد من تخليه عن الشرب، فلم يجد إليه سبيلا، فأتاه بشرب الأتاي، ولم يزل يحسنه إليه، حتى استغنى به عن الشرب، فعوفي بقدرة الله [...] فلما لقيه والده المذكور، قص عليه الخبر، وأراه إياه، فشربه، ثم جيئ به لولده مولانا عبد الله [...] وفي أيام صاحب الترجمة، شاع وذاع، وعم جميع المجالس والبقاع، ولم يزل في زيادة الظهور، والولع به في البوادي والحواضر على ترادف الأعوام والشهور.

وقد مدحه الشعراء بكثير من الغزليات الأدبية، وذكروا كثيراً من الفوائد الطبية. منهم على سبيل المثال : ـ عبد السلام بن محمد الأزموري أديب فاس (ت : 1279 / 1863) له قصيدة في *الشاي*، شرحها أبو حامد المكي البطاوري في كتاب سماه : ـ *شرح الأرجوزة الفائقة* المستعذبة الرائقة، فيما يحتاج الأتاي إليه، ويتوقف شربه وإقامته عليه (112 صفحة). مطلعها :

الحمد لله الذي أطعمنا     من كل مطعوم به أكرمنا

(خ. ع. : D 1709، طبع بالرباط عام 1365 / 1946 في: 192 ص. وقد طبعت الأرجوزة على الحجر بفاس).

وأبو الربيع سليمان الحوات، له منظومة في شرب الأتاي ومنافعه، في 19 بيتا مطلعها : ـ

دعوا شربكم للخمر فالخمر مسكر     وفي الشرع كل المسكرات حرام

(خ. ع : D 157، وD 158).

ومحمد بدر الدين بن الشاذلي بن أحمد الحمومي (ت 1266 / 1849) له تقييد في حكم شرب الأتاي. (طبع على الحجر بفاس).

وفي *الابتسام* أيضا توجد مقطوعات شعرية عن الأتاي والقهوة، منها مقطوعات شعرية للوزير ابن إدريس جاء فيها :

اغنم بأنسك في دنياك أفراحا     وحل من حالفات الا كؤس الراحا
إن الأتاي لقوت الروح فاعن به     قد فاق بالطيب والحلية الراحا

وأنشد فيه أيضا :

إن الأتاي تأتّى لي الصبوح به     مع فتية دمثو الأخلاق سادات
غاب المعرب والواشي لطيته     فطاب من طيب هذا الوقت كاسات
قل لابن عزوز خل الحيف ناحية     واعدل فإنك للأتاي آفات

وقد هجا بعضهم الأتاي بأبيات فقال :

أرى الأتاي أهل المال وَاتَى     وأما المقترون فلم يواتي
تساوى في التنعم فيه قس     وباقلة المنعم والتواتي
وكيف يلذ للرؤساء يوما     وقد ضاهاهم فيه النواتي
فلو لم يأت إلا النزر منه     لأعوز غيرهم قدر النواتي

فرد عليه الوزير ابن إدريس بقوله :

ألا ياهاجي الأتاي مهملا     فقد وافيتنا بالترهات
فلست بسامع فيه هجاءً     فإن شئت المديح له فهات
أتري بنعمة عمت وطمت     أفي الأتاي وصف الذم يأت
حياة الأنفس الأتاي ضاها     وهل أحد يرى ذم الحياة
فليس الراح في الراحات يبدو     بأفضل منه في راح السقاة
وهو الحلو الحلال لشاربيه     توارثه الثقاة عن الثقاة
ففي الناس الأسافل والأعالي     وكل مثل وصف جلاه يات

ـ هناك رسالة حول الأتاي عنوانها : *هداية الضال المشتغل بالقيل والقال* لمحمد بن المامون بن عمر بن الطائع الكتاني الحسني (ت 1309 / 1891) شرح فيها قول الشاعر : إذا كنت في حاجة مرسلا. ذكر فيها وصول السكر القالب للمغرب، واستعرض طائفة من أشعار المغاربة في الأتاي، (مخطوط خ.ع. 320 ضمن مجموع ص : 133 ـ 145).

ـ وللعربي بن علي المشرفي المعسكري نزيل فاس *تأليف في الأتاي* في مجلد. ولخالد بن محمد الهادي العمري الطنجي، *قصيدة* فيه، ذكرها محمد العربي الدمناتي في *كناشته* (خ، س : 1952). وكذلك للعربي بن السايح (ت : 1309 / 1891)، قصيدة في الأتاي مطلعها :

واصل شراب حليفة الأمجاد     واترك مقال أخي هوى وعناد
صفراء تسطع في الكؤوس كأنها     من عسجد عصرت بأعصر عاد

ثم يختمها بقوله :

فاترك مقالة معضل في شأنها      وارو المسلسل موصل الإسناد

إدريس، *الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمان بن هشام*، مخطوط ؛ عبد الكبير الفاسي، *تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين* ـ مخطوط ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية*. رقم : 3.

J.L. Miège, *Origine et développement de la consommation du thé au Maroc*. Bulletin Economique et Social du Maroc. N° 71, 3e trim. 1956 ; H. P. J. Renaud, *y'a-t-il une question du thé au Maroc* ? Le Moment Sanitaire. Organe du Syndicat des médecins hygiénistes français et de la société de médecine publique (Paris, 30 mai 1928, pp. 693 - 701) ; *Mission de Léon Roches*.

أحمد العماري

## الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، (حزب ـ).

بعد عملية التصحيح التي تمت يومي 30 و31 يوليوز 1972، عقد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية دورتين للجنة المركزية، في بداية خريف 1972 ويناير 1973. وفي أعقاب اعتقال مجموعة من أعضاء قيادته، في النصف الثاني من شهر مارس لنفس السنة ومناضلين آخرين من عدة أقاليم، ومثولهم أمام محكمة الجنايات، وصدور أحكام براءتهم في نهاية شهر غشت 1973، اضطر إلى توقيف نشاطاته، ذلك التوقيف الذي قد فرض عليه فرضا. لكن الأحداث التي عرفتها سنة 1974، بعد ثورة القرنفل، ونهاية أبريل لنفس السنة في البرتغال والإطاحة بنظام كايطانو وعودة النظام الديموقراطي لهذه البلاد استؤنف الاتصال، من جديد، مع الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، في شخص مسؤول من قيادته، هو الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد، وطلب منه رسميا أن يسهم، باسم حزبه، في حملة واسعة للتعريف بالملف المغربي الخاص بتحرير أقاليمنا في الجنوب، التي كانت خاضعة للاستعمار الإسباني. وتقررت الاستجابة لذلك في أعقاب الدورة التي عقدتها اللجنة الإدارية الوطنية، بتاريخ 14 يوليوز 1974.

وهكذا قام الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد برحلة طويلة عبر أقطار في آسيا وأوربا للدفاع عن الملف المغربي الخاص بالصحراء الغربية المحتلة. هذا الانفراج الذي عرفته علاقات الحكم بالمعارضة اليسارية سيتدعم بإطلاق سراح من تبقى رهن الاعتقال من قادة الحزب، أمثال : الأستاذ محمد اليازغي والمرحوم عمر بنجلون.

ومن أجل وضع حد للخلط، الذي كانت تغذيه بالخصوص الصحافة الأجنبية، قررت اللجنة المركزية للاتحاد الوطني باقتراح من الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد أن يصبح الحزب، منذ ذلك التاريخ، يحمل اسم "الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية"، وكرس المؤتمر الاستثنائي، الذي عقد بمدينة الدار البيضاء أيام 10-11-12 يناير 1975 ذلك الاختيار. تشير المادة الرابعة من قانونه الأساسي إلى أن هذه المنظمة تحدد برامج ومناهج عملها على أساس الالتزام :

- بالاشتراكية العلمية كمنهج للتحليل والأخذ بالقيم التقدمية، العربية والإسلامية، التي تكوّن جزءاً لا ينفصل من شخصية وأصالة وتكوين الشعب المغربي ورصيده النضالي.

- بالديموقراطية كقاعدة للتقرير واعتماد مصالح الطبقة الكادحة للعمال والجماهير والفلاحين الصغار والمثقفين التقدميين والتجار الصغار والحرفيين كمنطلق جوهري في التفكير والسلوك والعمل.

- التضامن مع مختلف الحركات التحريرية المناوئة للاستعمار والامبريالية والعنصرية والاستغلال الرأسمالي.

أما الانخراط في هذه الحركة التقدمية، التي يصنفها إخصائيو علم السياسة ضمن منظمات اليسار، فيخضع لشروط نجد بعضها في جميع الجمعيات ومنها ما تنفرد به وهي كالآتي :

1. أن يكون مغربيا. 2. أن يبلغ من العمر على الأقل ثمانية عشر عاما. 3. أن يبرهن عن اقتناعه بالاختيارات المذهبية للاتحاد وخطه السياسي ويلتزم بتنفيذ قوانينه وقراراته. 4. أن ينتظم في خلية مؤسسته أو مهنته أو حيه أو دواره. 5. أن يدفع اشتراكات العضوية السنوية والدورية.

ويتجزأ القانون الأساسي للاتحاد الاشتراكي إلى سبعة أقسام تتعلق بتنظيماته وبالمؤتمر الوطني وباللجنة الإدارية الوطنية وبالمكتب السياسي والكاتب الأول وباللجنة المركزية وبالهيآت الإقليمية والمحلية وأخيرا بالمالية.

تنظيمات الاتحاد : يتألف الاتحاد الاشتراكي من تنظيمات خلوية وإقليمية ووطنية. فالخلية تكون على مستوى المؤسسة أو المهنة، أما المقاطعات فتضم جماعات الاتحاد التابعة لها بينما تضم فروع الاتحاد جميع المقاطعات الموجودة في الفرع.

وفي كل إقليم تنظم الفروع في اتحاد إقليمي تقوم بمهمتين أساسيتين :

1. بربط الصلة بين الفروع والهيآت المركزية للاتحاد الاشتراكي.

2. بالسهر على تنظيم النشاط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في المنطقة، طبقا لمقررات الاتحاد الاشتراكي.

وعلى الصعيد الوطني، يباشر الاتحاد الاشتراكي مسؤوليات الجمعية بأسرها ويقوم على يد هيآته المركزية بتمثيلها في العلاقات مع السلطات العمومية، وأمام العدالة، ومع الهيآت الأخرى المغربية أو الأجنبية أو الدولية.

يقوم نظام الاتحاد على أساس المركزية الديموقراطية التي تخول لجميع الأعضاء قابلية المشاركة في تسير الجمعية وفق المبادئ الآتية :

أولا : الانتخاب هو المبدأ في اختيار المسؤولين في الخلية والمقاطعة والفرع والإقليم وعلى الصعيد الوطني.

ثانيا : يقوم المسؤولون بمهمتهم، طبقا للقاعدة الجماعية، مع ضبط المسؤولية الفردية، والمحاسبة والمراقبة من طرف الهيئة التي انتخبتهم.

ثالثا : كل هيئة تقرر بكل حرية في المسائل التي ترجع

**لاختصاصها، طبقا للقانون الداخلي، بشرط أن لا تكون قراراتها متناقضة مع الخطة العامة، التي رسمها المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكي أو قرارات الهيآت المركزية.**

**المؤتمر الوطني : نلاحظ بادئ ذي بدء أن هناك تشابها كبيرا بين الفصول الخاصة بهذا القسم وفصول القانون الأساسي للاتحاد الوطني، الأمر الذي يؤكد أن واضعي هذا القانون يعتقدون جازمين بأنهم هم الممثلون الحقيقيون للاتحاد الوطني، منذ تأسيسه، في خريف 1959، وبأن** الجماعة، التي ما زالت تزعم بأنها المسؤولة عنه، لم يبق لها وجود، ولا أدل على ذلك، حسب رأيهم، من أن صوتهم قد اختفى في الداخل، منذ أكثر من ثلاث عشرة سنة، علاوة على انعدام أي تنظيم، لا على الصعيد المحلي أو الإقليمي ولا على الصعيد الوطني، كما يؤكدون أن تغييرهم لكلمة الوطني بالاشتراكي لم يكن إلا من أجل وضع حد للخلط، الذي حاول خصوم الحزب، من خلاله، النيل عبثا من تمثيليته، عندما رخصوا لأنفسهم بالتمييز، بين من كانوا يطلقون عليهم مجموعة الرباط ومجموعة الدار البيضاء.

ومع ذلك، نلاحظ أن هذا القسم يتضمن توضيحات إضافية لم تكن موجودة في القانون الأساسي السابق، هكذا ينص الفصلان 14 و15 على ما يلي : "يبين القانون الداخلي طريقة سير المؤتمر الوطني ولا يعتبر اجتماعه قانونياً إلا إذا حضر أكثر من نصف أعضائه. فإذا لم يتوفر هذا العدد، جدد الاستدعاء لجلسة ثانية، وتعتبر مقرراته إذ ذاك نافدة بأغلبية أصوات الحاضرين، وتتخذ جميع المقررات بالأغلبية المطلقة للحاضرين في الدورة الأولى، وبالأغلبية النسبية، في الدورة الثانية. ويجب أن يشتمل جدول أعمال المؤتمر الوطني، في دورته العادية، على ما يلي :

1. مناقشة التقارير التوجيهية والسياسية والتنظيمية، المقدمة من طرف الهيآت المركزية.

2. مناقشة تقرير نشاط المكتب السياسي واللجنة الإدارية.

3. انتخاب اللجنة الإدارية الوطنية.

4. المصادقة على المكتب السياسي والكاتب الأول، الذين تنتخبهم اللجنة الإدارية من بين أعضائها.

اللجنة الإدارية الوطنية : تدير اللجنة الإدارية الوطنية شؤون الاتحاد الاشتراكي في المدة الفاصلة بين دورات اللجنة المركزية. وتتألف من خمسة وثلاثين عضوا على الأقل (حاليا تضم ما يقرب من تسعين عضوا) ينتخبهم المؤتمر العام. وتجتمع مرة كل شهرين أو إذا ما طلب منها ذلك المكتب السياسي أو ثلث أعضائها، كما تسهر على تطبيق مقررات المؤتمر الوطني، وتتخذ القرارات اللازمة لتسيير الاتحاد الاشتراكي، وتحدد المواقف التي تتطلبها الظروف في نطاق الخطة التي رسمها المؤتمر الوطني. كما تشرف على سير تنظيمات الاتحاد الاشتراكي ومؤسساته، وتراقب نشاطات الاتحاد الإقليمية والفروع. ولها الحق في مراجعة التقسيم الإداري والإقليمي والمحلي لتنظيمات الاتحاد الاشتراكي، حسب مقتضيات المصلحة السياسية والضرورات الإدارية والجغرافية.

المكتب السياسي والكاتب الأول : تنتخب اللجنة الإدارية الوطنية من بين أعضائها، مكتبا سياسيا يتألف من سبعة أعضاء على الأقل، من بينهم كاتب أول للاتحاد، ويصادق المؤتمر على هذا الانتخاب (يضم المكتب السياسي حاليا ثمانية أعضاء وهم السادة : عبد الرحيم بوعبيد، الكاتب الأول، محمد اليازغي، المكلف بالتنظيم، ومحمد الحبابي ومحمد منصور، والحبيب الغيغائي الفرقاني، ومصطفى القرشاوي، وعبد الرحمان اليوسفي، المشرف على العلاقات الدولية، والمهدي العلوي).

يجتمع المكتب السياسي مرة في الأسبوع على الأقل. ويتكفل بصفة جماعية بالإدارة الفعلية، السياسية والمادية للاتحاد الاشتراكي تطبيقا لمقررات اللجنة الإدارية الوطنية. ويسهر بالخصوص على تطبيق المقررات في الميدان السياسي والاجتماعي والتنظيمي، ويوجه التعليمات الضرورية بذلك للأقاليم. ويوزع المكتب السياسي المهام بين أعضائه فيما يرجع لنشاط الاتحاد الاشتراكي، على الصعيد الداخلي أو في تمثيله لدى الحكومة والسلطات الإدارية والقضائية، أو لربط الصلة مع الهيآت الأخرى، مغربية كانت أو أجنبية أو دولية. وتحمل الوثائق المالية إمضاء عضوين من المكتب السياسي. يعد الكاتب الأول للمكتب السياسي الناطق الرسمي للاتحاد الرسمي للاتحاد الاشتراكي على الصعيد الداخلي والدولي، وفي حالة غيابه، يعين المكتب السياسي من ينوب عنه من بين أعضائه.

اللجنة المركزية : تعد أعلى هيئة للاتحاد الاشتراكي بين دورات المؤتمر الوطني وتتألف من :

1. أعضاء اللجنة الإدارية الوطنيـة. 2. ممثلين عن كل إقليم. 3. أعضاء مشاركين هم أعضاء اللجان القارة المختصة، تجتمع مرة كل أربعة أشهر بدعوة من المكتب السياسي، وعند الضرورة، وذلك لتحديد موقف الاتحاد الاشتراكي من القضايا الوطنية أو الدولية المسجلة في جدول الأعمال. وخلال دورتها، يتقدم المكتب بتقرير حول نشاط الاتحاد، كما يستمع المشاركون إلى تقارير يقدمها ممثلو الأقاليم. وتصدر اللجنة المركزية توصيات وقرارات وبيانات توضح من خلالها، موقف الاتحاد الاشتراكي من القضايا المقترحة في إطار الخط العام للمؤتمر. ولها الصلاحية في إضافة أعضاء جدد للجنة الإدارية الوطنية أو تعويض آخرين، بسبب غيابهم الراجع إلى استقالتهم أو توقيفهم أو وفاتهم.

الهيآت الإقليمية والمحلية : يعد مجلس الفرع الهيئة التقريرية على مستوى الفرع. ويتكون من مكتب الفرع وممثلي المقاطعات ولجن التنسيق في القطاع والمؤسسات، ويتجدد مكتب الفرع كل سنة.

ـ يتكون المؤتمر الإقليمي الذي يعد أعلى هيئة للاتحاد في الإقليم من مندوبين ينتخبهم الأعضاء العاملون في خلايا المؤسسات والحي والدوار. ويجتمع في دورته العادية، مرة في السنتين، باستدعاء من الكتابة الإقليمية باتفاق مع اللجنة الإدارية الوطنية أو بطلب من الفرع. أما جدول أعماله فيقتصر على نقطتين جوهريتين : ـ مناقشة تقرير الكتابة الإقليمية، وتطبيق قرارات الهيآت المركزية التوجيهية والسياسية والتنظيمية، ويكون عليه في أعْقاب أشغاله أن ينتخب أعضاء الكتابة الإقليمية الجديدة. أما المجلس الإقليمي فيضم أعضاء الكتابة الإقليمية وممثلي الفروع ولجن التنسيق. ويعقد دورتَهُ كل شهرين باستدعاء من الكتابة الإقليمية، كما يمكن أن يجتمع في دورات غير عادية.

المالية : تتكون المداخيل الطبيعية للاتحاد الاشتراكي من الاشتراكات، وعلى كل عضو عامل أخذ بطاقة العضوية سنويا ودفع ثمنها. ولا يعفى أي عضو من واجب الاشتراك ولا يخفض من قيمته إلا بقرار من خليته يثبت أنه لا يستطيع الأداء. وتقوم اللجنة المركزية بتوزيع المداخيل على الهيآت المحلية والإقليمية والوطنية حتى تتمكن كل واحدة من مواجهة النفقات المنوطة بها. وتقدم لجنة مراقبة الحسابات تفاصيل المداخيل المالية وميزانية النفقات ليقدم تقرير بذلك للمؤتمر العام.

منذ الانطلاقة الجديدة التي عرفها الاتحاد الوطني، الذي أصبح يسمى بالاتحاد الاشتراكي، في أعقاب المؤتمر الاستثنائي، الذي عقد بالدار البيضاء أيام 10 و11 و12 يناير 1975 تمكن من عقد مؤتمرين وطنيين في الدار البيضاء سنة 1978 وسنة 1984 تتبع أشغالهما مآت من مناضلي الحزب، وما يقرب من عشرين وفداً أجنبيا من أقطار المغرب العربي وأوربا الغربية بالخصوص وبعض دول أوربا الشرقية، وهو يستعد الآن لمؤتمره المقبل، بعدما أوشكت مرحلة المؤتمرات الإقليمية التي عمت معظم الأقاليم المغربية، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً على الانتهاء.

لقد ساند الاتحاد الاشتراكي، منذ البداية المسلسل الانتخابي في خريف 1976، الذي دشنه المغرب، بعد مرور خمس سنوات تقريبا على استفتاء فاتح مارس 1972 الخاص بالمصادقة على التعديلات التي أدخلت على دستور 1970. وهكذا شاركت أطره بعد صدور توصية بذلك من طرف قيادته المسؤولة، بحماس كبير، في الانتخابات الجماعية لتلك السنة وفاز مرشحوه بمقاعد كثيرة، تجاوزت أحيانا ثلثي أعضاء المجلس الجماعي الحضري أو القروي، في عدة مدن كبرى، كما شارك الاتحاد الاشتراكي في الانتخابات الإقليمية والمهنية، التي نظمت في شتاء وبداية ربيع 1977 والتي تُوجت بالانتخابات التشريعية لـ 3 يونيه 1977.

وبالرغم من انتقاده العنيف لما كان يسميه بتدخل الجهاز الإداري في الانتخابات العامة، والضغط على الناخبين في الأرياف بالخصوص، وانعدام النزاهة في أكثر من مكتب للتصويت، فقد اضطلع نوابه بمسؤولياتهم في مجلس النواب، ولم يكن عددهم يتجاوز خمسة عشر عضوا، من بين مائتين وأربعة وستين عضوا آنذاك (حاليا يتألف مجلس النواب من ثلاثمائة وستة أعضاء، بعد إصدار الأمر بتنفيذ القانونين التنظيميين، الصادرين عن مجلس النواب، في غشت 1979 ويونيه 1983، والقاضيين برفع ذلك العدد أولا إلى 267 عضوا، لتمكين إقليم وادي الذهب المسترجع من أن يكون له ممثلون في المجلس النيابي، ثم إلى 306، نتيجة للنمو الديموغرافي، الذي يعرفه المغرب، الذي أصبح سكانه، بعد الإحصاء الأخير، يقاربون خمسة وعشرين مليون نسمة، ولجعل جالياتنا في أوربا والولايات المتحدة وباقي أجزاء الوطن العربي، ممثلة هي أيضا، في هذا المجلس) والنواب الاشتراكيون في المجلس يؤدون رسالتهم سواء خلال ولاية مجلس النواب الأولى، التي استمرت ست سنوات (1977 ـ 1983)، أو خلال ولايته الثانية، التي ابتدأت في 14 أكتوبر 1984، والتي من المفروض أن تستمر إلى خريف 1990، فإن نواب هذا الحزب، الذين أصبحوا في التجربة الحالية، قريبين من الأربعين قد تقدموا بمقترحات قانونية، تتعلق بميدان الحريات العامة والقانون الجنائي، وبمجالات الاقتصاد والاجتماع. ومن خلال هذا المنبر فإنهم يدافعون كذلك عن البديل فيما يخص السياسة الاقتصادية التي ينبغي للمغرب أن ينهجها، للخروج من النفق الذي توجد فيه البلاد، حسب رأيهم، مقتصرين منذ ما يقرب من إحدى عشرة سنة على التصويت لصالح ميزانيتي السيادة والدفاع الوطني، ورافضين باستمرار ميزانيات الوزارات الأخرى والقانون المالي السنوي عامة. كما يشاركون في جميع المؤتمرات التي تعقدها البرلمانات العربية والإفريقية والأوربية وفي البعثات التي يوجهها مجلس النواب إلى الخارج، وذلك للإسهام في الدفاع عن ملف المغرب، الخاص بالوحدة الترابية، أو بالملف الاقتصادي الذي يهم علاقاتنا الاقتصادية والتجارية مع السوق الأوربية المشتركة بالخصوص.

وهكذا يكون الاتحاد الاشتراكي قد أدرك بدوره أهمية وجوده في المجالس المنتخبة، على الصعيدين المحلي والوطني، وذلك لإسماع صوته والتعريف ببرامجه، استعداداً كذلك للانتخابات الجماعية والتشريعية القادمة، لأن هذا الحضور في المؤسسات المنتخبة سيجعله على اتصال دائم بالسكان في مختلف الأقاليم، ذلك أن دوره، كدور كل الأحزاب، هو السعي باستمرار من أجل الحصول على أكبر عدد من المقاعد في مجلس النواب، حتى يتسنى له، استنادا إلى الأغلبية، تطبيق برنامجه الاقتصادي والاجتماعي مستقبلا، إذا ما حظي بثقة الناخبين.

المؤتمر الخامس للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية :عقد بالرباط أيام 30 و31 مارس ـ فاتح وثاني أبريل 1989 حضر جلسته الافتتاحية والختامية قادة الأحزاب الوطنية : حزب

الاستقلال، الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، التقدم والاشتراكية، منظمة العمل الديموقراطي الشعبي، إضافة إلى ثلاثين حزباً سياسيا من مختلف الأقطار العربية والإفريقية والأوربية. قرر المؤتمر تعديل القانون الأساسي للاتحاد الاشتراكي بالاستغناء عن اللجنة الإدارية الوطنية والاقتصار على جهازين : 1. اللجنة المركزية التي تتألف من 101 عضو تم انتخابهم بالاقتراع السري من طرف لجنة الترشيحات وصادق عليهم المؤتمرون الذين بلغ عددهم حوالي 1600 عضو. 2. المكتب السياسي المنتخب من طرف اللجنة المركزية المتركب من ثلاثة عشر عضوا. وأصدر المؤتمر بيانا سياسيا هاما ومجموعة من المقررات الفرعية الخاصة بقضايا التربية والتعليم والثقافة والإعلام والمغرب العربي والعلاقات الدولية، والشؤون الاقتصادية والاجتماعية. نشر في جريدة الاتحاد الاشتراكي (3 / 4 / 1989).

ـ *القانون الأساسي للاتحاد الاشتراكي* : طبع من طرف اللجنة الإدارية الوطنية على الستانسيل ؛ *جريدة المحرر* (1974-1981) مديرها إلى غاية اغتياله في 18 دجنبر 1975 الأستاذ عمر بنجلون، ثم خلفه الأستاذ محمد اليازغي إلى أن اتخذ قرار بمنعها ؛ *أعمال المؤتمر الاستثنائي للاتحاد الاشتراكي* المنعقد بالدار البيضاء أيام 10-11 و12 يناير طبعة ثانية عام 1978 ؛ *التقرير الإيديولوجي* : وثائق المؤتمر الاستثنائي يناير 1975 (بالعربية والفرنسية) ؛ *التقرير السياسي* للأستاذ عبد الرحيم بوعبيد مطبوع بالعربية والفرنسية ؛ *مقررات حول الوحدة الترابية* بعد استرجاع أقاليمنا في الجنوب وتصفية الاستعمار الإسباني بمقتضاه، وحول القضية الفلسطينية، وحول الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ؛ *تقارير المكتب السياسي* أمام اللجنة المركزية التي تجتمع دوريا كل أربعة أشهر والبيانات الصادرة في أعقاب دوراتها ؛ *وثائق حول المناظرات* التي تنعقد حول تجربة الجماعات المحلية ومضمون الديموقراطية المحلية ؛ *وثائق حول الأيام الدراسية الخاصة بالقطاع العمومي والقطاع الخصوصي* ؛ *وثائق حول الأيام الدراسية الخاصة بشؤون المرأة* : الحركة النسوية التابعة للاتحاد الاشتراكي ؛ *مواقف مبدئية وقرارات ظرفية : المؤتمر الوطني الثالث 1978.* طبعة ثانية 1984 ؛ *التقرير العام* للمؤتمر الوطني الثالث للاتحاد الذي عقد بالدار البيضاء في غضون شهر دجنبر 1978 بالعربية والفرنسية ؛ *الميثاق الوطني للجماعات المحلية*، مطبوعان معا بالدار البيضاء سنة 1978 ؛ *بيانات وبلاغات 79-1980.* بالرباط 1981 ؛ *اللجنة الإدارية الوطنية* : المذكرة التوضيحية أبريل 1981؛ *مقررات المؤتمر الرابع* للاتحاد الذي عقد بالدار البيضاء في غضون شهر يوليوز 1984 ؛ *مجلة المشروع* : دورية يصدرها الاتحاد الاشتراكي كحزب تقدمي اشتراكي ؛ *الاتحاد الاشتراكي جريدة* : بدأت تصدر انطلاقا من شهر ماي 1983 ؛ *تقارير تعرض على* اللجان المختصة التابعة للجنة الإدارية الوطنية : لجنة الجماعات المحلية، لجنة العلاقات الخارجية، لجنة التضامن والحريات العامة، اللجنة العمالية، لجنة الإعلام، لجنة الدراسات. اللجنة المركزية مع قضايا الشعب المغربي، مطبوع بالدار البيضاء سنة 1984.

عبد الرحمان القادري

**الاتحاد الدستوري**، من يعرض للاتحاد الدستور كحركة سياسية حديثة العهد ببلادنا، فلا مناص له من أن يرجع ولو للحظة إلى الخلفيّة الفكرية والسياسية والاجتماعية التي تحدد أو توجه على الأقل السلوك العام للمغاربة في أبعاده المختلفة.

بهذه العلية القائمة سيأخذ، كما سنرى، منظرو الاتحاد الدستوري في منهجهم وفي تعاطيهم للحدث السياسي. وبالفعل فلقد جبل المغاربة على روح الاعتدال والتعايش بتأثير من عوامل شتى، نخص بالذكر منها العقيدة السمحاء كإحدى مقومات الذهنية المغربية. وترسخت هذه الروح عبر مسيرة دستورية أقرتها وزكتها الأمة المغربية، قوامها التساكن بين مختلف الأسر الفكرية والعقدية والسياسية. وهكذا فقد ساعدت هذه الخلفية العامة وهذه الممارسة الدستورية في انبثاق إطار جديد يروم الاستجابة لمشاغل وتطلعات ما يمكن الاصطلاح عليه "بجيل الهامش" أو كما أريد له أن يكون، وهو الجيل الذي لم تستوعبه ـ في تقدير مؤسسي الاتحاد الدستوري ـ الأحزاب ولا المنظمات الموجودة إما بسبب برامجها أو أساليب تعاملها مع هذا الجيل. إلى جانب هذا العامل السياسي يبرز عاملان اثنان سيكون لهما الأثر البليغ في تغذية صفوف الاتحاد الدستوري بفئات من الشباب وغير الشباب، ونعني بهما :

أولا : الأرضية الدستورية باعتبارها إطارا يسمح بل يدعو للتعددية السياسية والنقابية، دونما تمييز أو تفضيل بين الهيئات والمنظمات.

ثانيا : المناخ المتولد عن المسيرة الخضراء والتي فجرت الطاقات وأبانت عن قدرات شابة تستلزم الاستيعاب وتتطلب التعبئة المستمرة، مسيرة رسمت ملامح جيل جديد تواق إلى الفعل السياسي والانخراط في الحياة العامة ضمن مفاهيم وأساليب تتلاءم وتكوينه وتطلعه وحماسه.

برز الاتحاد الدستوري على ضوء هذه المعطيات وهو يتطلع إلى استقطاب فئات عريضة من شباب المسيرة وشباب ما بعد الاستقلال، مراهنا بذلك على طاقاتهم واستعدادهم للحوار الهادىء المسؤول، بعيدا عن القوالب الجاهزة والمواقف المسبقة. وقد عرف هذا التنظيم أطواراً سنعرض لها لماما عبر استجلاء المبادىء أو المناهج المعتمدة والأهداف التي تجندت أطر هذا الحزب من أجل بلوغها.

أ ـ طور التكوين : لقد عمد الأستاذ المعطي بوعبيد، أحد أعلام الحركة الوطنية الشباب ـ وهو رجل قانون مارس المحاماة منذ فجر الاستقلال وتقلد مناصب وزارية إلى أن أصبح وزيرا أول في حكومة صاحب الجلالة (1979 ـ 1983). عمد من موقع المسؤولية الحكومية إلى توزيع رسالة دورية مؤرخة ب 29 دجنبر 1982 شرح فيها الأسباب الداعية إلى قيام الاتحاد الدستوري. وعقد تبعا لذلك، سلسلة من الاجتماعات عبر التراب الوطني لبلورة الدوافع التي حدت به إلى الأخذ بزمام المبادرة" والصدع علنا برأي كانت تهمس به القوات الحية بالبلاد وهو أن نجاح مسيرتنا

الديموقراطية وخطتنا التنموية، يفرض ضرورة الاحتفاظ بشعلة الحماس وتجنيد كل الطاقات، وفي الطليعة، الجيل الجديد، وأعني به تلك الحشود من الشباب الذي نما ونضج مع الاستقلال أو مع المسيرة الخضراء".

ويأتي في مقدمة هذه الاجتماعات المشار إليها من حيث الأهمية، تجمع مدينة الدار البيضاء بتاريخ 7 يناير 1983 باعتباره مناسبة لإجراء حوار مفتوح بين ممثلي مختلف شرائح المجتمع المغربي. ولقد تبين المشاركون، خلال هذا التجمع، أن هناك خللا في الساحة السياسية، وأن البلاد تعاني من شبه فراغ في مجال التأطير السياسي وخاصة فيما يتعلق بتأطير جيل ما بعد الاستقلال. ومن جملة الاعتبارات التي دعت بإلحاح الى قيام هذا الحزب، في تقدير مؤسسيه، وجود شباب متحمس ومتعطش لتحمل نصيبه من المسؤولية في بناء المغرب المعاصر، المغرب الجديد، خصوصا وأن الوطنية تراث مشترك وملك مشاع بين جميع المغاربة، إنها منهل مفتوح أمام الجميع لا تحتكره فئة دون أخرى ولا تنظيم دون تنظيم (خطاب بوعبيد بالبيضاء). ولعل من شأن هذه الأفكار وهذه القناعات أن تستقطب فئات عريضة من الشباب وغير الشبا ب بدْواً كانوا أو حَضَراً للانخراط في الحياة العامة ضمن مفاهيم ومبادىء تجند المغاربة منذ الاستقلال وقبله لنصرتها. وكان المؤتمر التأسيسي للاتحاد الدستوري من حيث تشكيلة المشاركين وأعمارهم ومستوياتهم وحجمهم إيذانا بانبثاق حركة سياسية جديدة تقتضي التأطير الجاد والتنظيم المحكم.

ب ـ طور التنظيم : إن تنظيم أي حركة تستهدف التأطير والتوجيه يستلزم حتما بلورة المبادىء التي يقوم عليها هذا التنظيم. والاتحاد الدستوري الذي لا يند عن هذه القاعدة، عمد منذ أول وهلة إلى التركيز على بواعث ظهوره التي استقاها واستلهمها من الدستور المغربي الذي يرسخ ـ عبر نظام الملكية الدستورية ـ القيم الأساسية والتقليدية لمجتمعنا ويحمي الحريات العامة والحقوق الفردية ويرسم الحدود لمختلف السلط : التشريعية والتنفيذية والقضائية.

فإلى جانب التعلق بالملكية الدستورية وشخص الملك الحامي لوحدة البلاد والضامن لاستقرارها يتشبث الاتحاد الدستوري بنص الدستور القائم على المبادئ الأساسية للدين الإسلامي التي هي نفسها مبادئ الديمقراطية الحديثة والحرية والقانون. وبهذا الخصوص تجدر الإشارة إلى أن الدستور المغربي يتعارض في نصه وروحه مع مبدأ الحزب الوحيد بل بالعكس من ذلك يتيح لكل مواطن أن ينخرط في الهيئة أو التنظيم الذي يتلاءم مع طموحاته وتوجهاته. هنا يأتي حرص الاتحاد الدستوري على تركيز القيم الأساسية لدستور المملكة داخل حياة الأفراد وضمن العمل السياسي والاجتماعي ويأتي في طليعة هذه القيم مفهوم دولة القانون كسبيل لتنظيم مجالات الحياة العامة وبناء المجتمع العادل المتوازن والحفاظ على مقدساته ومكتسباته. ويعد مفهوم دولة القانون الذي يخضع له الجميع دون استثناء معياراً للديمقراطية الحق والدفاع عن دولة القانون.

وفي المجال الاقتصادي والتنموي يتوجه الاتحاد الدستوري إلى تشجيع المبادرة الحرة والفلسفة اللبرالية التي تعد الرديف الطبيعي للتعددية السياسية سعيا وراء تخليص الدولة من وظيفة الإنتاج وتخفيف أعبائها لتتحمل مهام المراقبة والتوجيه وحفظ التوازن في ظل وضعيّة اقتصادية تميزت بالنمو البطىء واختلال التوازنات الأساسية وانخفاض نمو الناتج الإجمالي.

إن التنظيم القمين ببلورة هذه المبادئ وتجنيد هذه الرؤيا تطلبت الاعتماد أساسا على الأطر والإخصائيين ذوي ملامح محددة حرص الحزب منذ تأسيسه على تحديدها والتركيز عليها.

ونجد في طليعة الملامح والصفات السلوك المصداقي وروح الجد والنقاء. وفي إطار هذا السلوك العام أهاب الحزب أن تكون أطره قدوة في التشبث بالنهج الديموقراطي وإشاعة الحوار وفي الاضطلاع بالمسؤولية كاملة داخل الإطار المهني، والإطار العام وفي الارتقاء بالعمل الوطني إلى مصاف الالتزام الصادق.

ويتضح من خلال هذه الملامح المعلن عنها أن الاتحاد الدستوري يأخذ بمفهوم النخبة التي عليها أن توجه وتستقطب، سلاحُها في ذلك ما تمثله من قيم المصداقية والتفاني وروح الإخلاص، لذا انصب اهتمام هذا الحزب منذ البدء على الأطر وما يمثلونه من جذب وتأثير. فكانت لقاءات خاصة بالإخصائيين (ماي 1984) الذين دعُوا لتعميق الدراسة في الوسائل والأهداف التي يتوخاها الاتحاد الدستوري، ولقاءات المرأة والشباب باعتبارهم مركز ثقل وجسرا للإصلاح لامندوحة عنه. وتُوِّج هذا النشاط الدؤوب بتأسيس أمانات وطنية دائمة للشباب والمرأة والأطر خلال المؤتمر الاول لهذا الحزب (أكتوبر 1985) الذي تلا المؤتمر التأسيسي، تمكن من تهيئة الشروط الموضوعية لإرساء قواعد المنظمات الموازنة لقطاع الشباب وقطاع المرأة ولجنة الإخصائيين وغيرها...

ومهمة هذه الأمانة تكمن في تهيئة ملفات قطاعية قوامها الدراسة الميدانية، وهذا عنصر آخر تعتمده المنهجية التي يأخذ بها الاتحاد الدستوري والمتمثلة في جرد الواقع وتشخيص الحال .

وعموما يمكن اعتبار الاتحاد الدستوري براغماتيا في نزعته لا يعتد بما لا يفيد ولا يكترث لما درجت عليه الممارسة السياسية التقليدية التي تجتر ـ في منظور هذا الحزب ـ الأحكام وتعيد المواقف دونما اهتمام بالتطور الحاصل في العقليات والممارسات والذي سيؤدي لا محالة إلى ترسيخ النهج الديموقراطي الذي لا رجعة فيه.

إن هذا المنحى وهذا الأسلوب في معالجة المسألة

السياسية ببلادنا لمن شأنهما مبدئيا أن يطورا الممارسة ويحدثا رجة في الهيكل السياسي العام باتجاه تحديثه وإدخال التوازن عليه وخلق فكر سياسي وسطي يُقيم ذلكم التوازن الاجتماعي والسياسي الخليق بتثبيت الممارسة الديموقراطية وتوسيع قاعدة المنخرطين في الحياة العامة بحيث تحوي سائر الحساسيات والقناعات، كل حسب شاكلته. فأين الاتحاد الدستوري من هذه الرجة وكيف تتراءى الآفاق ؟

الآفاق المستقبلية : ينبغي لرصد هذه الآفاق أن نحدد بداية أو نحاول تحديد موقع هذا الحزب على الخريطة السياسية وما يمثله من رموز اجتماعية وثقافية. لقد سجل الحزب خلال الاستشارات الشعبية نتائج هامة، إن على الصعيد المحلي أو الجهوي أو الوطني رشحته للاضطلاع بالدور الذي نذر نفسه من أجله والممثل في محاربة الاحتكار والفوارق الطبقية لتكون "التنمية الاجتماعية شاملة وسريعة ومبنية على المسعى الفردي وعادلة في نتائجها" (خطاب المؤتمر التأسيسي). ويتمثل هذا الدور كذلك في مناهضة التطرف بجميع أنواعه :

- التطرف الذي يعني التزمت وتحنيط العقول والوقوف في وجه كل تطور سياسي واقتصادي واجتماعي.
- التطرف الذي يسعى إلى تجميد المبادرة الشخصية.
- التطرف الذي يفرض القيود على الحريات.

إن المتتبع للحياة السياسية المغربية لم يفته أن يقف على حجم وشدة الانتقادات الموجهة إلى هذا الحزب. وقد استأثر بالانتباه وضم إلى صفوفه فئات عريضة ممن فضلوا قبل هذا سياسة الكراسي الشاغرة، كما لم يسلم من الألقاب من طرف الأحزاب والهيئات الأخرى التي اعتبرت أن الاتحاد الدستوري يكون قد استفاد من سخاء الإدارة ومحاباتها. وقد ذهب بعض المحللين إلى أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد دخول عنصر جديد إلى الجسم السياسي المغربي خلق ردودا ومواقف منتظرة سرعان ما تلطفت وتأقلمت مع مناخ تيار جاء لفتح الطريق في وجه الاقتصاد والحرية المسؤولة والتضامن بين الطبقات حيث تلعب الدولة دور المدافع عن المصلحة العامة تاركة لروح المبادرة والمنافسة مجالا أرحب. وبهذا أخذت تترسخ مفاهيم الوسط بالمعنى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

وقد لا يجانب الصواب من قال بأن مصير هذا الحزب ونجاحه مرهونان إلى حد كبير بتجذير هذه السلوكات والعمل على ترجمتها إلى الواقع الحي الملموس، إن مثل هذا التحدي يجابه حزبا فتيا كحزب الاتحاد الدستوري، المدعو باستمرار للحرص على صيانة ملامح المناضل كما حددتها أدبياته ومن ضمنها المصداقية وروح المسؤولية، كما هو مدعو - على عتبة مؤتمره الثاني - لتطوير أساليب عمله بالاعتماد على الشباب أساسا لأنه جاء لتمثيل الشباب أصلا والتعبير عن طموحه وتمكينه من الدور الذي هُيئ له وفق فلسفة الرجل المناسب في المكان المناسب، خدمة لقضايا الوطن العليا وحفاظا على مقدسات الأمة وتطلعاتها على الساحة الجهوية والدولية ودعما لروح الثقة والتفاؤل التي أخذت تسري في المجتمع السياسي المغربي.

*المؤتمر التأسيسي للاتحاد الدستوري*، الدار البيضاء 25 جمادى الثانية 1403 - 9 أبريل 1983 ؛ *دراسة إخصائيي الحزب حول الموضوع* (منشورات مطبعة الليمون - ماي 1984) ؛ *اللقاء الأول للإخصائيين والأطر*، الدار البيضاء، 26-27 ماي ؛ *المؤتمر الأول للاتحاد الدستوري*، الدار البيضاء 5-6 أكتوبر 1985.

حميد الديوري

**الاتحاد السوفياتي** والمغرب، كانت للمغرب علاقات بروسيا ستكون موضوع مادة في هذه المعلمة. أما علاقة المغرب بالثورة البلشفية وباتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية حول إشكالية التحرير الوطني فإنه يكوِّن فصلا كلاسيكيا معروفا نسبيا، حيث عرفت تقلبات شتى يعد موقف الدعم للشعب المغربي إبان حرب الريف أحد أقوى فصولها.

لقد كان نضال الأممية الشيوعية ضد حرب الريف موضع بحوث معمقة عديدة، اعتبرت فيها نضالا مثاليا حتى من طرف المؤلفين الذين انتقدوا الأممية الثالثة. وموضوع هذا النص لا يسمح بالتوقف عند عناصر التحليل للقاعدة الاقتصادية والاجتماعية للحركة الريفية التي تبرر موقف الشيوعيين الغربيين ضد حرب الريف، ولا عند الصورة الاجتماعية والاقتصادية التي تقدمها عن المغرب صحافة الأممية الشيوعية ولا عن طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل الحركة الريفية. كما لا يسمح بالعودة إلى الاعتبارات التي جعلت سطالين يذكر الريف ضمن البلاد التي سيؤدي نمو البرولتاريا فيها إلى تطور ثوري، ولا بالتطرق إلى أطروحات الأممية الشيوعية عن مسألة الاستعمار منذ المؤتمر الحادي عشر للأممية الثالثة ومؤتمر باكو.

إن الهم الرئيسي للاتحاد السوفياتي والأممية الشيوعية لا يبدو مرتكزاً حول نضال الريفيين في ذاته ولا حول موقف البرولتاريا الغربية منه، بل يتم التطرق لهذه القضية بصفتها تشكل خطراً على السلام العالمي، حيث يؤكد زينوفيف على هذا الجانب بقوله : إن كفاح الريف في حد ذاته لا يكتسي إلا أهمية ضئيلة، إنه يؤشر إلى أحداث أكثر خطورة. إن المضاعفات الدولية التي تتمخض عنه تنذر بحرب عالمية. وفي وارد هذه التكهنات يؤكد معلقون آخرون على اختلال التوازن في شمال إفريقيا نتيجة امتداد دائرة النفوذ الفرنسية على حساب إسبانيا، وكان هذا سببا في صراع مرير بين عدة دول هي فرنسا وإنجلترا وإيطاليا وإسبانيا، وسيطرح مسألة جبل طارق بحدة، ومسألة تركيا والسيطرة على البحر المتوسط، وقد يؤدي تفاقم الصراعات حول مصالح الدول الأمبريالية التي يثيرها بسهولة إلى حرب عالمية جديدة.

لقد اعتبر موقف الاتحاد السوفياتي والأممية الثالثة كتعبير عن السياسة الخارجية السوفياتية في زمن تبلور

فيه مذهب الاشتراكية في بلد واحد. ويبدو أن الهدف من الحملة التي قامت في إطار الأممية الثالثة على المستوى الداخلي هو عزل مجموعة تروتسكي كامينيف في الحزب وداخل الهيئات الإدارية للكومنترن. أما على المستوى الدولي فقد كانت تلتقي مع الرغبة السوفياتية لفك الحصار الدبلوماسي الذي كان يحيط بالنظام السوفياتي.

إن فترة ما بعد حرب الريف تتميز بالمؤتمر السادس (17 يوليوز - 1 سبتمبر 1928) للأممية الشيوعية، ويعد هذا الحدث أهم حدث في علاقات حركات التحرر الوطني مع الشيوعيين. وقد حدد المؤتمر السادس كهدف أولوي خلق تنظيمات شيوعية في المغرب، لأن الظروف الاقتصادية والاجتماعية تظهر بوضوح وجود الإرهاصات الضرورية لمثل هذا العمل. ويجب التنبيه هنا إلى أن المظاهر السلبية لمسار التنظيم الشيوعي في المغرب قد تم إرجاعها في أغلب الحالات إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، وأن صورة الاتحاد السوفياتي لم يتضرر منها إلا بقدر قليل لا يكاد يذكر. أما بعد الانتصار السوفياتي في ستالنغراد فإن مكانة الاتحاد السوفياتي المنتصر على ألمانيا النازية قد خلق حركة واسعة من التعاطف لفائدته داخل المغرب كما هو الأمر بالنسبة لباقي البلاد العربية.

كان الاتحاد السوفياتي يبدو كقوة عسكرية عظمى معادية للاستعمار تتميز عن الكتلة الأمبريالية الغربية، ولكن هذه الجاذبية سرعان ما قلّت عند إعلان الموقف السوفياتي لفائدة تقسيم فلسطين وإعلان دولة إسرائيل في سنة 1948.

وكان النضال من أجل الاستقلال فرصة أخرى يظهر فيها من جديد الدور الإيجابي للاتحاد السوفياتي. وهكذا فإن الدعم السوفياتي للمغرب ضد فرنسا داخل الأمم المتحدة كان مستمرا منذ أن طرح المشكل لأول مرة أمام مكتب الجمعية العامة للأمم المتحدة خلال الدورة السادسة والسابعة أيضا عندما صوت الاتحاد السوفياتي لمناقشة القضية المغربية ضمن جدول الأعمال. أما في الدورات الباقية الثامنة والتاسعة والعاشرة فقد تم تسجيلها دون تصويت أو نقاش بعد تغيير موقف الولايات المتحدة التي لم تعد تعترض على ذلك. وقد تبنى الاتحاد السوفياتي موقفا مماثلا في مجلس الأمن مساندا الاقتراح الخاص بمناقشة تهديد السلام الذي يشكله خلع السلطان المغربي. إن دعم الشعب المغربي في حقه بالاستقلال الذاتي كان مستمرا سواء على مستوى الشكل أو المضمون. وهذا الدعم السوفياتي يعود إلى موقف مبدئي من مسألة الاستعمار، وكذلك إلى الرغبة في استثمار التناقضات السياسية للغرب من أجل إضعافه داخل البلد الذي كان الوحيد المدمج عمليا مع جنوب إفريقيا في الاستراتيجية العسكرية للغرب.

وأمام تفاقم الصراعات مع البلاد الغربية شرع المغرب في بناء علاقات دبلوماسية مع المعسكر الاشتراكي.

وهكذا استجابت الحكومة المغربية في 4 سبتمبر 1958 للطلب المتجدد لرئيس مجلس الوزراء السوفياتي بتبادل السفراء، واكتست العلاقات المغربية - السوفياتية بين 1960 و1962 قدرا من الأهمية يوازي وصول المساعدة العسكرية السوفياتية للمغرب (اعطى الاتحاد السوفياتي للمغرب 14 طائرة ميغ). وهكذا عرفت العلاقات بين البلدين تطورا لا شك فيه بالرغم من المنع الذي تعرض له الحزب الشيوعي المغربي والتهرب المغربي من النداءات السوفياتية للتعاون الوثيق في قضايا معينة تخص المغرب عن قرب (بالخصوص القضية الموريطانية)، والرفض المغربي لقبول إمدادات عسكرية سوفياتية جديدة، في حين قبل العرض الأمريكي بتجهيز الجيش المغربي خلال التصميم الخماسي (1960 - 1964) بغض النظر عن المكان المتواضع الذي يحتله الاتحاد السوفياتي في التجارة المغربية.

خلال سنة 1960 دافع الاتحاد السوفياتي من خلال صحافته وعبر ممثله الرسمي في الأمم المتحدة عن مغربية موريطانيا إلى حد استعمال حق الفيتو ضد انضمام موريطانيا للأمم المتحدة، ويبدو أنه حصل هناك تغيير في موقفه بحيث تحول إلى الامتناع عن التصويت في مجلس الأمن وتوصية الجمعية العامة للأمم المتحدة بقبول عضوية موريطانيا في إطار مزايدات بين الشرق والغرب تسمح بانضمام منغوليا وموريطانيا.

هذا التراجع السوفياتي والبرودة التي أعقبته لا تغير شيئا في الميزة العامة التي تتسم بها هذه المرحلة التي تبقى مرحلة تطور مهم للعلاقات بين البلدين. وتكتسي المرحلة اللاحقة أهمية خاصة شهدت تجميد العلاقات بين البلدين وبرودة مميزة غداة استقلال الجزائر الثورية والحرب الجزائرية المغربية في سنة 1963. وبعد هذه الفترة من التردد (1963 - 1965) كانت عودة العلاقات سريعة ومكثفة.

والخلاصة أن العلاقات السياسية قد تطورت بين البلدين دون إثارة ودون مواقف درامية بل بطريقة متعقلة ومحسوبة بدون صعوبات كبيرة قصوى، ولكن بدون شغف ولا حماس.

بالمقارنة مع عناصر التاريخ، مع مضمونها السياسي والتيارات الإديولوجية التي تخللها، فإن العلاقات المغربية السوفياتية تبدو محددة بالتقييم الاستراتيجي. والاتحاد السوفياتي في هذه العلاقة الاستراتيجية هو العنصر الفعال الرئيسي، أما المغرب فيبقى عنصرا تكميليا.

يبقى المغرب في التعاطي السوفياتي جزءاً لا يتجزأ من الوضع العام لدول المغرب داخل حوض البحر المتوسط. والعنصر الأهم في تعريف القيمة الاستراتيجية لبلاد كالمغرب يبدو متجسدا في الرغبة السوفياتية في نسج شبكات للاتصال البحري تربط بين محيطات الكرة الأرضية. وهكذا فإن إقامة أسطول بحري سوفياتي في البحر المتوسط مرتبطة برغبة في مد نشاطاته إلى هذا البحر الحيوي بالنسبة لمصالحه الاستراتيجية حول محور

شمالي - جنوبي يربط البحر الأسود بالمتوسط والبحر الأحمر بالمحيط الهندي.

والسياسة المغربية للاتحاد السوفياتي هي ترجمة لبحث متوال عن قواعد بحرية وتسهيلات في الموانئ على طول الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط من اللاذقية إلى بورسعيد إلى الإسكندرية والمرسى الكبير، والجديدة، وعدن، وكراتشي...

من جهة أخرى، فإن العلاقات الاقتصادية التي بدأت بين البلدين مع الاستقلال تطرح اليوم تساؤلات حول ما إذا وضعت الأسس لمدارات هيكلية رغم انعدام التنوع في المبادلات، فالواردات تتمحور حول منتجات الطاقة، والصادرات هي منتجات معدنية ونباتية، وإذا كانت هذه المبادلات سوف تتقوى نظرا للصعوبات التي يعرفها حاليا الاقتصاد المغربي مع الغرب.

أما على صعيد النظرة الإديولوجية لكل طرف من الجانب الآخر، فإن المسافات الإديولوجية غير قابلة للتقليص، ولكن "الصور العملية" ليست صور نفور ولا جاذبية جامحة، وهذا صحيح بالنسبة للدولة ولمختلف التيارات في الرأي سواء في اليمين أو اليسار. ففي العلاقات الإديولوجية المغربية السوفياتية تغلب صفة القبول المتعقل للآخر كطرف ملائم على أساس سلوكه الموصوف بالإيجابية عامة من الجهتين، وكذلك على أساس نسبة قليلة من أسباب الدولة (Raison d'Etat).

إ. اليحياوي، *العلاقات المغربية السوفياتية منذ 1958*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، القانون العام، كلية الحقوق، الرباط، 1987 ؛ ع. التازي، *العلاقات المغربية الروسية*، مجلة البحث العلمي، ع. 2 سنة 1967.

Constant (J.P), *Les relations moroco-soviétiques 1956-1971*. L.G.D.J, Paris, 1973 ; Halliday (F), *L'URSS et le monde arabe*, traduction Evelyne Marek, Paris 1982 ; Yaka Badir, *Les relations entre le Maroc et l'URSS 1956-1966*, Thèse de doctorat de 3° cycle, Université Paris I, 1979.

عبد الله ساعف

**الاتحاد العام للشغالين** بالمغرب، تأسس يوم 20 مارس 1960 كحركة نقابية تضم العمال والموظفين، وذلك بواسطة عناصر نقابية قيادية اعترضت على الأساليب التي اعتبرتها غير ديمقراطية داخل هيئة الاتحاد المغربي للشغل بعد سلسلة من الملتمسات التنظيمية الهادفة إلى تطوير هياكل المنظمة على أسس انتخابية ديمقراطية. وكانت هذه العناصر في أغلبيتها متأثرة بالمبادئ الاستقلالية ووفية للخط الإيديولوجي الذي رسمه زعيم حزب الاستقلال علال الفاسي والقاضي ببلورة العمل النقابي وفق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية الكبرى، ولا تؤيد استقلالية العمل النقابي عن مجريات الاختيارات الأساسية لعامة الشعب.

كانت انطلاقة التأسيس بواسطة لجن قيادية قطاعية سميت "لجن الإنقاذ" ثم تحولت إلى نقابات حرة، وفي مقدمتها كان قطاع التعليم الذي انفردت لجن عمله فتشكلت تحت اسم لجن "الأربعة عشر"، أي كل فرد يحيط نفسه بأربعة عشر عضوا إلى أن كانت لجنة رئيسية قيادية سميت بـ "لجنة الأربعة عشر" ثم تحولت هذه اللجن إلى تأسيس نقابة للتعليم أطلق عليها آنذاك اسم "الجامعة الحرة للتعليم الرسمي" وهي أول نواة لهذا الاتحاد.

تتلخص أهداف هذا الاتحاد من خلال الاطلاع على الميثاق وكذلك التقارير المذهبية لستة مؤتمرات عامة فيما يلي :

الإيمان بضرورة الالتزام السياسي في العمل النقابي.

ضرورة مساهمة العمال في المعامل عن طريق تقسيم الأرباح بنسبة 50٪ بين العمال والمشغلين مع الاحتفاظ بنسبة 10 ٪ للصيانة لكل طرف ومساهمة العمال بنسبة 20 ٪ من الأرباح في رأسمال المؤسسة و 10 ٪ للتطبيب وتمدرس الأطفال و 10 ٪ يبقى الاختيار في صرفها للعمال. وكذلك الأمر في المؤسسات الفلاحية أو الصناعية أو التجارية.

مراجعة قانون الشغل بتعميم أحكامه على مختلف القطاعات مع ضبطه بقوانين زجرية وعدم الإبقاء عليه كقانون للمصالحة ومساواة الطرفين أمامه.

مراجعة القوانين المنظمة للمحاكم الاجتماعية.

تطبيق السلم المتحرك للأجور مع إعادة النظر في التقويم الاستدلالي في الأجور.

تطبيق مبدأ السقف المثقوب للأجور الذي يمنح الترقية الداخلية المستمرة.

إعطاء نظام التقاعد فاعلية أكبر للاطمئنان على المستقبل للحد من تصرفات القلق والخوف التي أدت إلى الانحراف الإداري على مختلف المستويات. ويرى الاتحاد العام ضرورة تخفيض سن التقاعد ورفع النقط الاستدلالية للتقاعد من 2,5 إلى 3,3 حتى يتم التقاعد المهني في 30 سنة والتقاعد النسبي في 16 سنة والتقاعد السني في 55 سنة وذلك لإيجاد مناصب الشغل لمختلف أنواع العاطلين.

إدخال التعويضات المهنية ضمن الراتب الأساسي.

ضرورة مراجعة نظام التسويق والتجارة الخارجية بتخفيف الأعباء الجمركية على المواد الخام للصناعات الوطنية.

ضرورة وضع نظام المبادلات على أساس شروط متكافئة.

الحد من الاستيراد لحماية الصناعات الوطنية.

البحث عن أساليب لتطوير الأيدي العاملة المغربية إما بتداريب أو بجعل التعليم التقني أساسيا وكذلك مختلف الشعب لتطوير الإنتاج الوطني.

العمل على استغلال الكفاءات والمهارات وذلك بالاستعداد لإدماج العمال المهاجرين عند عودتهم ضمن مشاريع صناعية واقتصادية.

تقديم جميع المعونات للأسرة العاملة المهاجرة وخصوصا كل ما هي في حاجة إليه لتظل مرتبطة بهويتها وإنسيتها المغربية.

وفيما يتعلق بالأهداف الكبرى يعتبر الاتحاد العام للشغالين بالمغرب أن النظام الاقتصادي يجب أن يقوم على أساس تعادلي وهو منهج اقتصادي إسلامي كان قد ابتدعه الأستاذ علال الفاسي ويقوم على العناية بالإنسان المتحرر من أنانيته كمستغل، ولكنه مؤمن بالعمل كوسيلة للكسب دون أن يقع استغلال المال وحده كأداة للكسب. وعلى اعتبار أن المال هو مال الله وأن الإنسان مسخر لإقامة العدل بينه وبين غيره. وهذه التعادلية تقوم أيضا على أساس تكافؤ الفرص بين سائر المواطنين في مختلف الالتزامات والحقوق، وكذلك بين جهات البلاد من حيث إنه لا مجال ليكون هنالك مغرب نافع وآخر غير نافع... وتؤمن التعادلية بتأميم جميع المرافق التي لها علاقة مباشرة بمصالح المواطنين.

النظام الديمقراطي كوسيلة سياسية واقتصادية لاحترام كرامة المواطنين وجعلهم على قدم المساواة وعلى أي صعيد.

الإيمان بالدفاع عن جميع الأراضي المغتصبة سواء في جهة الجنوب أو الشرق.

والاتحاد العام للشغالين بالمغرب يعتبر عضوا مؤسسا لمنظمة الوحدة الإفريقية النقابية، كما أنه عضو مؤسس للاتحاد الدولي الإسلامي للعمال، وعضو ملاحظ في المكتب الدولي للشغل وفي منظمة العمل العربية والاتحاد الدولي للعمال العرب، وتربطه عدة علاقات مع منظمات إفريقية وعربية وأسيوية وأروبية.

يرأس الاتحاد العام للشغالين بالمغرب حاليا السيد عبد الرزاق أفيلال في منصب كاتب عام صحبة أربعة عشر عضوا يشكلون المكتب التنفيذي.

أعلى سلطة في المنظمة هي المؤتمر العام الذي ينعقد مرة كل أربع سنوات.

يليه المجلس الوطني وهو يضم كتاب وأمناء الجامعات والاتحادات الجهوية والمحلية وكذلك المسؤولون عن المناطق.

يليه مجلس عام وهو ينعقد فقط لأهداف تنظيمية ويضم كتاب الجامعات والاتحادات الجهوية والمحلية.

الاتحادات الجهوية والمحلية وهي تغطي مختلف ربوع البلاد ويرأسها كاتب جهوي أو محلي.

الجامعات الوطنية وتشمل مثلا التعليم، الفلاحة، الصحة، الشبيبة والرياضة، السكنى، التجهيز، البريد، النقل، الموانئ، التعاون الوطني والصناعة التقليدية، المعادن، السكة الحديدية، الفنادق.

للاتحاد جريدة تسمى "العمال" توقفت اختيارا وهي في طريقها إلى الصدور من جديد.

*ميثاق الاتحاد العام للشغالين ؛ تقارير المؤتمرات العامة ؛ جريدة العمال.*

محمد بنجلون أندلسي

**الاتحاد العام لطلبة المغرب**، عقد مؤتمره التأسيسي بالرباط أيام 19 ـ 20 ـ 21 يوليوز 1962. وتضم منظمة طلبة المغرب (الراغبين في الالتحاق بها)، الذين يدرسون بالمغرب أو خارجه، وكذلك الطلبة الأجانب الذين يدرسون بالمغرب، كما نص على ذلك القانون الأساسي للمنظمة. وقد رفع المؤتمر التأسيسي شعاراً مبدئيا للمنظمة هو : وحدة ـ تقدم ـ ديمقراطية. ومن بين أهداف المنظمة ومبادئها النقابية والعامة، كما أعلنت عنها في مؤتمرها التأسيسي، المبادئ الأساسية : أولا : تضامن الاتحاد العام لطلبة المغرب مع جميع المنظمات والحركات التقدمية العالمية. ثانيا : إن الطالب المغربي باعتباره عضوا عاملا في المجموعة الوطنية فإنه مثقف متمم للمجموعات العمالية.

في الصعيد الوطني : أ. العمل على وحدة وتقدم الوطن. ب. العمل على بناء ديمقراطية حقيقية. ج. محاربة الإقطاعية والرجعية. د. محاربة التخلف بكل أشكاله.

في الصعيد الدولي : أ. العمل على وحدة وصداقة كل طلاب العالم وعلى تقارب شباب كل الأقطار. ب. المساهمة في إطار التحرير العملي لكل الشعوب. ج. العمل على توحيد المغرب العربي كمرحلة لتوحيد كل الدول العربية والإفريقية. د. العمل من أجل السلام العالمي.

أهداف الاتحاد العام لطلبة المغرب : 1. الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية للطلبة. 2. تمثيل الطلبة لدى السلطات العامة والجامعية وكذلك لدى الرأي العام الوطني ولدى المنظمات الدولية. 3. العمل على أن يقوم الطالب بدوره الاجتماعي داخل المجموعة الوطنية. 4. إعداد الطلبة للمشاركة في النمو الاقتصادي والاجتماعي للوطن. 5. المساهمة الفعالة في تثقيف الجماهير الشعبية. 6. مشاركة الطالب في العمل الجماعي لحركات الشباب المغربي.

النشاط : لتحقيق هذه الأهداف فإن الاتحاد العام لطلبة المغرب يعمل على : 1. مضاعفة النشاط الثقافي لإتمام التكوين الجماعي للطالب حتى يتسنى له معرفة واقع بلاده. 2. التعاون مع المنظمات الأجنبية للطلبة للمساهمة في توحيد الحركات الطلابية على الصعيد الدولي. 3. إصدار جريدة دورية ونشرات للتعريف بأهداف ونشاط ومنجزات الاتحاد العام لطلبة المغرب. *(جريدة صوت الطالب)*. 4. تنظيم أسفار دراسية والتبادل الثقافي مع الجمعيات الخارجية. 5. تشجيع الرياضة الجامعية. 6. خلق وحدات طلابية في كل الكليات والمعاهد العليا للتعرف على حاجيات الطلبة والعمل على الدفاع عن مصالحهم.

يعتبر مؤتمر المنظمة السلطة العليا، ينتخب خلاله مجلس إداري من 51 عضوا (يجتمع مرتين في السنة). والمجلس الإداري هو الذي ينتخب اللجنة التنفيذية من 7 أو 9 أعضاء، وتكون مسؤولة أمام المؤتمر عن سير المنظمة وتنفيذ قرارات المؤتمر. كما أن المجلس الإداري ينتخب رئيس الاتحاد الذي يمثله أمام السلطات التنفيذية والقضائية.

الرؤساء الذين تعاقبوا على الاتحاد العام لطلبة المغرب: عباس الفاسي - محمد عبد الهادي القباب - محمد الخليفة - أحمد الصقلي - أحمد القادري - عبد الجليل بن حلام - محمد الوفا - محمد سليطن - محمد ماء العينين - محمد المجذوبي - العربي العزوزي - عبد العزيز السعودي - محمد البكاري - رشيد الرّوم - عبد الإله البوزيدي.

*جريدة صوت الطالب ؛ تحريات ميدانية ؛ وثائق المنظمة.*

**اتحاد كتاب المغرب**، انعقد الاجتماع التأسيسي الأول لاتحاد كتاب المغرب بكلية العلوم بالرباط في 27 يونيو 1961. وكانت فكرة تأسيس اتحاد للكتاب قد اختمرت خلال ندوة عقدتها جمعية نبراس الفكر بتطوان، حيث تبنى الفكرة بحماس الأستاذ محمد عزيز الحبابي، وتشكلت لجنة لمتابعة الموضوع، منه ومن الأستاذين محمد الصباغ، ومحمد بن تاويت. غير أن ذلك الجمع التأسيس الأول، في الواقع، كان يعنى "اتحاد أدباء المغرب العربي الكبير"، تبعا لبلاغ نشرته اللجنة المؤسسة في سنة 1959، جاء فيه : «وهي (اللجنة) إذ تعلن عن هذا، ترجو من جميع الأدباء المغاربة والجزائرين والتونسيين الذين يرغبون في الانتماء إلى هذا الاتحاد، أن يكتبوا برغبتهم، مع نبذة عن حياتهم الأدبية وعنوانهم إلى الأمانة العامة باسم كاتبها العام : محمد الصباغ - باب السعيدة - تطوان، المغرب».

ثم بعد ذلك، نجد أن اسم الاتحاد أصبح "رابطة"، إذ نشرت اللجنة التأسيسية بلاغا في سنة 1960، تعلن فيه عن الدعوة إلى اجتماع تمهيدي لدراسة قوانين "الرابطة"، حددت أهدافها في : - ربط الاتصال بين أسرة المؤلفين في المغرب الكبير. - التعريف بهم في الداخل والخارج عن طريق نشر إنتاجهم وترجمته بكل ما يمكن من الوسائل. - تنظيم محاضرات ومعارض للإنتاج المغربي. - تأسيس مكتبة تضم ما ينتجه المؤلفون لهذه الأقطار.

وقد تأسس الاتحاد فعلا، خلال مؤتمر 27 يونيو 1961، وكان يضم كتابا من المغرب والجزائر وليبيا، وملاحظين من تونس. وكان أول مكتب انتخبه الجمع العام التأسيسي يتكون من : محمد عزيز الحبابي (رئيسا)، وعضوية عبد الكريم غلاب، محمد برادة، محمد الصباغ، مصطفى المعداوي (المغرب)، مولود معمري، محمد ديب، آسيا جبار (الجزائر). إلا أنه ابتداءً من المؤتمر الثاني للاتحاد في 6 يوليوز 1968، أصبح اتحادا لكتاب المغرب الأقصى فقط.

ومن بين الإشكاليات التي طرحت على الاتحاد، سواء في تأسيسه، أو في كل مؤتمراته بعد ذلك، إشكالية تعريف "من هو الكاتب"، وفي هذه النقطة يجيب أول رئيس للاتحاد الأستاذ محمد عزيز الحبابي : "الكاتب هو "المؤبجد" وكفى. لأننا نريد التفتح على الجميع تاركين للأيام أن تغربل فيما بعد".

واتحاد كتاب المغرب، كما هو مثبت في قانونه الأساسي، جمعية تضم كل الكتاب والأدباء المغاربة الراغبين في الانخراط فيها، وهي جمعية لا ترتبط بأي تنظيم سياسي. ويتمحور نشاط الاتحاد، بواسطة مكتبه المركزي، أو فروعه في مختلف المدن المغربية في : - إقامة ندوات ومحاضرات. - تكريم مفكري ومثقفي المغرب البارزين. - إقامة أمسيات لمناقشة الكتب التي يصدرها الكتاب والأدباء أعضاء الاتحاد. - إصدار ملفات خاصة في مجلات عربية للتعريف بالأدب المغربي. - إبرام اتفاقات تعاون مع اتحادات الكتاب والأدباء العربية والأجنبية. - عقد ندوات على المستوى العربي يشترك في تنظيمها وتمويلها اتحاد الكتاب والأدباء العرب. - المشاركة في مؤتمرات اتحاد الكتاب والأدباء العرب بوفد يحدد أعضاؤه المكتب المركزي. - المشاركة في مؤتمرات كتاب إفريقيا وآسيا. - انتداب من يمثله، ولو من خارج مكتبه المركزي الذي ينتخبه المؤتمر، للمشاركة في الندوات واللقاءات الأدبية والثقافية التي يستدعى لها الاتحاد.

وأصدر اتحاد كتاب المغرب *نشرة اتصال داخلية* (توقفت)، ونشرة تحمل اسم *إشارة* بالاشتراك مع جمعية التشكيليين المغاربة (توقفت)، كما يصدر مجلة الاتحاد التي تحمل اسم *آفاق* وهي غير منتظمة الصدور.

يقتصر تمويل الاتحاد على انخراطات أعضائه، ومنحة سنوية من وزارة الشؤون الثقافية، ويقوم كل عمل أعضائه في المكتب المركزي أو الفروع على التطوع. وينص قانون الاتحاد على أن يعقد مؤتمره العام مرة كل سنتين. وفي المؤتمر الخامس الذي انعقد بالرباط في 23 ماي 1976، أعلن *ميثاق اتحاد كتاب المغرب* الذي يعتبر بمثابة وثيقة تحدد مواقف واختيارات الاتحاد ورسالة الكتاب وتصوراتهم لوظيفة الأدب في المجتمع.

الرؤساء المتعاقبون على اتحاد الكتاب : محمد عزيز الحبابي (من 1961 إلى 1968) - عبد الكريم غلاب ( من 1968 إلى 1976) - محمد برادة (من 1976 إلى 1983) - أحمد اليبوري (من 1983 إلى 1988) - محمد الأشعري (من 1989...)

*ميثاق اتحاد الكتاب ؛ نشرات الاتحاد ؛ مجلة آفاق.*

عبد الجبار السحيمي

**اتحاد - مغرب** التابع للرابطة الإسرائيلية العالمية التي تأسست عام 1860 وبسطت هيمنتها على التعليم اليهودي الحديث في جميع البلاد التي يوجد فيها يهود تحت شعار "التحرر بواسطة التعليم". وقد شهدت تطوان عام 1862، ميلاد أول مؤسسة تعليمية بالمغرب، تحت إشراف الرابطة الإسرائيلية العالمية، ومن ذلك التاريخ إلى عام 1914، أخذت المؤسسات التابعة لها تنشأ في ربوع البلاد، مثل طنجة 1869، العرائش 1873، فاس 1881، الصويرة 1888، الدار البيضاء 1897، مكناس 1902، ثم الرباط والجديدة وأسفي وصفرو وأزمور ما بين 1903 و1912.

كان عدد التلاميذ المسجلين في شبكة مدارس الرابطة

الإسرائيلية العالمية في الفترة الأولى يقدر بنحو 5.500 نسمة موزعين بين 14 مدرسة. ولم تكن إقامة هذه المدارس في أوساط تشبعت منذ القرون البعيدة بمناهج تعليمية جرى بها العمل في مؤسسات الحضر وشيبيا، لتخرج عن نطاق العقيدة الدينية الصرفة. وبدت المدرسة العصرية في هذه الأوساط مرادفة للثقافة غير الدينية، فتعرضت للمعارضة الشديدة من طرف المحافظين الغلاة، إلى أن تبناها على استحياء بعض الربيين المحليين المناصرين للتعليم اليهودي الديني الملقن بالتوازي مع مواد التعليم العام.

وتم في الفترة المتراوحة بين 1914 و1928، تنظيم الدروس الأولى في التعليم التقني، وتأسست جمعيات قدماء التلاميذ، ومضت مديرية التعليم العمومي التابعة لسلطات الحماية الفرنسية بالمغرب، تمنح التلاميذ اليهود من أجل إتمام دراساتهم العليا.

في عام 1928، أبرمت معاهدة بين مديرية التعليم العمومي بالمغرب والرابطة الإسرائيلية العالمية، نتج عنها تدعيم المراقبة على التعليم الإسرائيلي والزيادة في المساعدات المالية الممنوحة للمدارس اليهودية. وقد وقّع هذه المعاهدة أول مندوب للرابطة بالمغرب المسمى ي . د. سماش، فكان للمعاهدة انعكاس إيجابي على نشاط الرابطة التي تمكنت من تمديد شبكة مدارسها إلى مجموع تراب المملكة.

وخلال عام 1940 انقطعت شبكة هذه المؤسسات عن المركز الرئيسي الذي انتقل إلى مدينة ڤيشي، لكنها تلقت التطمينات على مصيرها من طرف جلالة المغفور له محمد الخامس الذي لم يفتأ يولى عطفه الكريم لرعاياه من اليهود، ورغم الحرب التي اشتدت رحاها، فإن هذه المدارس مضت تزاول مهامها في ظروف طبيعية مع تجسيد نتائج جد مشجعة في امتحان الشهادة الابتدائية وشهادة البروڤي.

وبعد انتهاء الحرب، في عهد الجنرال دوگول، أسندت مهمة تسيير شؤون الرابطة الإسرائيلية العالمية إلى روني كاسان، العامل في المقاومة الفرنسية، ورجل القضاء ذي الشهرة العالمية، الذي سينال جائزة نوبل للسلام. فصار عدد التلاميذ المسجلين بمدارس الرابطة بالمغرب يرتفع ابتداء من سنة 1945 بمعدل 2.000 تلميذ في السنة، إلى أن بلغ في المجموع 28.000 تلميذ سنة 1952.

وغداة استقلال المغرب، تمغربت الرابطة الإسرائيلية العالمية وصارت تسمى اتحاد - مغرب وعربت قسما من برامجها تدريجيا وبمساعدة الدولة والمسؤولين في وزارة التربية الوطنية، وصارت مدارس اتحاد - مغرب تندمج في النظام التعليمي الوطني مع الاحتفاظ بخصوصياتها الدينية.

في شهر أكتوبر 1957، استقبل العاهل المغربي محمد الخامس - رحمه الله - روني كاسان للمرة الثانية بعدما سبق لجلالته أن استقبله سنة 1955 بسان جرمان - آن - لاي، وقد ذكر كاسان بشعاره : "يجب تكوين الرجال والنساء... وجعلهم أنجب التلاميذ في المدارس وأفضل المواطنين، وأحسن اليهود، أينما كانوا، لخدمة ما اختاروا من البلاد".

وتمشيا مع هذا النمو، حيث أصبح عدد التلاميذ اليهود في اتحاد - مغرب سنة 1962، 12.000 تلميذ، مضى النظام التعليمي اليهودي يستفيد من برنامج هام من الإنجازات واستصلاح المدارس، واكتساب الأدوات والأجهزة الضرورية والتعديل البداغوجي.

وعندما أصبح برونشفيك رئيسا للرابطة، أبدى اهتماما بـ "إنعاش التعليم العبري والديني" فأقبل على فتح المدرسة العبرية للمعلمين بالدار البيضاء التي كان طلبتها يتلقون، زيادة على دروس في العبرية، دروسا في التكوين العام، ثم بعد سنوات، دروسا في اللغة العربية تختتم بامتحانات وتتوج بشهادات رسمية.

وفي عهد برونشفيك كذلك، ارتفع عدد مدارس اتحاد - مغرب فأنشئت حتى في التخوم الصحراوية، مثل الريش والريصاني وتلسنت وأقا وغير ذلك من المواقع في الأطلس الكبير. ووقع الاهتمام بالطفولة الشقية، ففتحت مدرسة للمصابين بداء الرمد استمر العمل فيها من عام 1950 إلى عام 1957، ثم فتح معهد للصم - البكم بعد اتفاق مع منظمة البناء والشغل، ومدرسة للعمي كانت تلقن تلاميذها، بطريقة ابراي، دروسا في العربية والفرنسية والعبرية، ولم يبخل اتحاد - مغرب في يوم من الأيام بمد المساعدات إلى مختلف المدارس اليهودية المستقلة، مثل : أساره - توراة وتلمود - توراة وام - حابنيم وبعدها إلى الهيشبوط. وهكذا وُجد ما ينيف عن 200 معلم يحملون شهادات في اللغة العربية تؤهلهم للاستجابة إلى حاجيات تعليم اللغة العربية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن اليهود يتوفرون على مدرسة للمعلمين لتلقين العربية، تعمل منذ يناير 1960، مكنت مدارس اتحاد - مغرب من تحقيق نتائج هامة، مع تعليم ثلاث لغات : العربية والفرنسية والعبرية. ونشير في الختام إلى أنه بعد استقلال المغرب، كان م. ر. التاجوري وإلياس هاروش يمثلان في المغرب الرابطة الإسرائيلية العالمية، بتزكية من اتحاد - مغرب، ورغم تقلص عدد سكان اليهود بسبب هجرتهم، ما يزال اتحاد - مغرب، يواصل عمله ونشاطه التربوي على مستوى التعليم الابتدائي والثانوي، لاسيما بالدار البيضاء وفاس ومكناس ومراكش بمساعدة من الرابطة الإسرائيلية العالمية ورئيسها الأستاذ استيگ. ومنذ عام 1982، شرعت اللجنة الجديدة في القيام بنشاط فعال يتجلى في تحديث المناهج البداغوجية وإعادة هيكلتها، سواء فيما يخص اللغة العربية أو الفرنسية أو العبرية.

*حقوق الإنسان والتعليم ؛ أعمال مؤتمر الرابطة الإسرائيلية العالمية 1961 ؛ مارك آجي ؛ من فكرة الشمولية كأساس لمفهوم حقوق*

*الإنسان من خلال وأعمال روني كاسان ؛ دفاتر والدفاتر الجديدة للرابطة.*

كلود سلطان

**الاتحاد المغربي للشغل**، سمتان أساسيتان طبعتا الاتحاد المغربي للشغل منذ نشأته حتى اليوم وتثيران انتباه كل دارس لهذه المنظمة. ويتعلق الأمر من جهة أولى بكونه أقدم مركزية نقابية عمالية مغربية عرفت، لمدة وفي حدود معينة، كيف تستوعب تقاليد نقابية من أصل غير مغربي لتدرجها في سياق وطني متميز. ويتعلق الأمر من جهة ثانية بكونه لم يقتصر في عمله على القضايا المطلبية الصرفة، بل ساهم في الحياة الوطنية السياسية سواء في مرحلة النضال الوطني ضد نظام الحماية أو في مرحلة الاستقلال مما جعل منه، منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة، جزءا من محيط نقابي مغربي معقد ذي عناصر متنوعة ومتشابكة. إن هذا التعقيد هو الذي أملى علينا في هذا العرض أن نتعمّد الطرح الوضعي ضمن إشكالية عامة تتوخى معرفة كيف وبأي طريقة طبع الاتحاد المغربي للشغل الحياة الوطنية بصفة عامة وكيف يمكن تحديد وضعه ودوره في الحياة العمالية ببلادنا. وسنترك بالتالي للقارئ مهمة استجلاء دلالة تطور هذه المنظمة، تلك الدلالة التي يصعب أن نستوفيها في أبعادها المتشابكة في عرض محدود.

نشأ الاتحاد المغربي للشغل في 20 مارس 1955. وتزامن ذلك مع فترة من أحلك الفترات وأصعبها عرفها المغرب أي في وقت كان فيه جلالة المغفور له محمد الخامس بالمنفى وكانت فيه القوات الاستعمارية معبأة كلية لقمع الشعب المغربي وقواه الوطنية. وأتى ميلاد الاتحاد المغربي للشغل في هذه الظروف كمؤشر لتصاعد قوات المقاومة المغربية، وفي نفس الوقت كمؤذن بتغييرات نوعية في النضال الوطني من أجل الاستقلال والتحرر. وعليه، فإن هذا الميلاد لم يكن اعتباطيا ولا ظرفيا وإنما كان ثمرة مخاض طويل فجره تصاعد النضال الوطني. واعتبارا للحدث وللظروف التي واكبته وللرجال الذين صنعوه، يمكن القول بأن ميلاد الاتحاد المغربي للشغل كان نتيجة تضافر مسلسلين اثنين ؛ نعني بهما المسلسل النقابي والمسلسل الوطني.

ـ المسلسل النقابي : يمكن اعتبار الاتحاد المغربي للشغل امتدادا للعمل النقابي السابق، وبصفة أدق، نقطة لقاء بين التقاليد النقابية الفرنسية وخصوصية الطبقة العاملة المغربية الناشئة في مسيرة نضال طويل ومتشعب اتخذ أشكالا مختلفة واتخذ منحىً في مساره حيث انطلق من تنظيم الموظفين والعمال الفرنسيين واتجه شيئا فشيئا نحو تنظيم العمال المغاربة. فأول ما ظهر العمل النقابي بالمغرب منذ العشرينات، كان على يد التنظيمات النقابية الفرنسية وعلى شكل نقابات الموظفين الفرنسيين التي بلغ عددها سنة 1930 أكثر من خمسين نقابة منظمة على صعيد الإدارات وعلى مستوى المصالح. وتم أول إضراب نقابي في شهر مارس 1925. وهو إضراب شنه عمال السكك الحديدية الذين كانوا في غالبيتهم فرنسيين. وفي سنة 1930 تم تكوين أول فرع لمركزية نقابية وكان تابعا للمركزية الفرنسية "الكونفدرالية العامة للشغل" (.C.G.T). ولقد ساهمت في تأسيسه، خلال مؤتمر انعقد بالدار البيضاء ثمان نقابات منها كونفدرالية الموظفين ونقابة الأساتذة ونقابة رجال البريد ونقابة مستخدمي الدولة ونقابة الفوسفاط. كما حضر في هذا التأسيس الكاتب العام الوطني لـ .C.G.T الفرنسية السيد "ليون جورا". وحضور هذا القائد النقابي يبرهن على الأهمية التي كانت توليها الحركة النقابية الفرنسية لعملها بالمغرب. ويمكن اعتبار سنة 1930، وبصفة خاصة الأزمة الاقتصادية العالمية كعنصر حفّز هذه الحركة على الاهتمام بالعمال المغاربة. لكن الحدث الرئيسي الذي أدمج الحركة النقابية الفرنسية بالمغرب في الصيرورة الاجتماعية هو إضراب سنة 1936 الذي كان على صعيد المغرب وشمل الوحدات الإنتاجية الصناعية الأساسية انطلاقا من معمل كوزيمار لصناعة السكر. وقد تميز هذا الإضراب، الذي عم المدن المغربية المهمة مثل الدار البيضاء وخريبگة واليوسفية والمحمدية ووجدة، بمشاركة مهمة للعمال المغاربة في بعض القطاعات لا باعتبارهم كمضربين فقط بل أيضا كمؤطرين ومسيرين لحركة الإضراب. ويمكن القول، بأن إضراب سنة 1936 يشكل الولادة الحقيقية للحركة العمالية المغربية. كما يمكن القول بأنه هو الذي حوّل تنظيمات نقابية أجنبية لا تنظم إلا أقلية من العمال إلى تنظيمات جماهيرية لها وزنها وقوتها الضاغطة وترتبط بشكل أقوى من السابق بالواقع المغربي.

وبعد سنين من الجمود النقابي تميزت سنة 1938 بحل الكونفدرالية العامة للشغل (.C.G.T)، وفي سنة 1943 أي في أعقاب الانتصارات الأولى الحاسمة على الفاشية تكون الاتحاد العام للنقابات الموحدة بالمغرب (U.G.S.C.M). وشكل تكوين هذا الاتحاد خطوة أخرى تقرب العمل النقابي من الواقع المغربي، إذ لم تكتف هذه المركزية النقابية بالتخلي عن الأطروحات الاستعمارية والأبوية التي كانت في كثير من الأحيان تميز مواقف .C.G.T، بل عملت على تكوين أطر مغربية من أجل تنمية العمل النقابي وتأطير الفروع الجديدة. بل بدأت، في بعض الأحيان، تستعمل اللغة العربية لمخاطبة العمال. فكثير من الأطر المؤسسة للاتحاد المغربي للشغل أخذت تكوينها داخل هذا الاتحاد.

ـ المسلسل الوطني : إلا أن هذا المسلسل النقابي لا يكفي وحده لفهم نشأة الاتحاد المغربي للشغل إذ ارتبط بمسلسل مواز له صبغة وطنية وسياسية ؛ نعني بذلك اهتمام الحركة الوطنية بالحركة العمالية وتدخلها فيها. ذلك أن الحركة الوطنية المغربية لم تظل مكتوفة الأيدي أمام توسع التنظيمات النقابية الفرنسية بالمغرب بل حتى قبل هذا التوسع. فلقد وعت مبكرا بأهمية الطبقة العاملة المغربية الناشئة وبما يمكن أن تمثله من قوة في الصراع الاجتماعي والسياسي. فالأستاذ علال الفاسي يؤكد بأن

الحزب الوطني أسس سنة 1937 أول مركزية نقابية مغربية سماها الاتحاد الوطني للنقابات وهو اتحاد أُقْفِلَ مقره الرئيسي مع حل الحزب الوطني واعتقال زعماء الحركة الوطنية في نفس السنة. واستمر العمل النقابي الوطني، مع ذلك، بطريقة سرية إبان الحرب العالمية الثانية وسنوات بعدها. إلا أن هذا العمل لكونه تم في ظروف صعبة لا تتناسب والعمل النقابي المطلبي لم يتمكن من التوسع، باستثناء بعض المؤسسات الاقتصادية كمعمل "كوزيمار" للسكر بالدار البيضاء. وأمام تعنت سلطات الحماية في رفض الاعتراف للمغاربة بتأسيس منظمة نقابية مغربية علنية وفي الاكتفاء بإعطائهم حق الانخراط كأفراد في المنظمات النقابية الموجودة والتي كانت مؤطرة كما أسلفنا في غالبيتها من طرف الأجانب، قرر القادة الوطنيون التخلي عن تجربتهم الخاصة في الميدان النقابي وطالبوا سنة 1948 من أطر ومناضلي العمل النقابي الوطني الالتحاق بالاتحاد العام للنقابات الموحدة بالمغرب (U.G.S.C.M) للعمل تحت لوائه. ولم تمض سنتان حتى أصبح الوطنيون بفضل خطتهم هاته أغلبية داخل هذه المركزية النقابية. وكللت جهودهم عندما أقر مؤتمرها المنعقد في نوفمبر 1950 مبدأ تكوين مركزية نقابية مغربية مستقلة عن المركزية الفرنسية. ولقد برزت في هذا المؤتمر ثلة من القادة النقابيين المغاربة منهم السادة المحجوب بن الصديق والطيب بن بوعزة والتيباري وغيرهم. إلا أن اعتقال القادة النقابيين الوطنيين بعد إضراب 7 دجنبر 1952، الذي شن احتجاجا على اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد، وإقدام سلطات الحماية على حل الاتحاد العام للنقابات الموحدة بالمغرب سنة 1953، حالا دون تنفيذ هذا المشروع في صيغته الأصلية. فكان إنشاء الاتحاد المغربي للشغل بعد إطلاق سراح القادة النقابيين وتصاعد المقاومة المغربية، من جهة، تنفيذا لذلك المبدأ، وكان من جهة ثانية تحقيقا لمطلب كافح من أجله الوطنيون عبر مختلف مراحل نضالاتهم على المستوى النقابي منذ أواخر الثلاثينات.

إلا أن الاتحاد المغربي للشغل لم يستكمل بناءه الداخلي ولم يؤسس أغلبية تنظيماته المحلية (الاتحادات) والمهنية (الجامعات) إلا بعد سنة 1955، وفي السنوات الأولى من استقلال البلاد الذي شكل انطلاقة قوية لتوسع التنظيم النقابي في كل أنحاء المغرب. وهكذا ارتفع عدد الاتحادات المحلية والإقليمية ليشمل كل المدن المغربية بما فيها مدن الشمال التي حرمت، من طرف الاستعمار الإسباني، من كل عمل نقابي منظم.

أما عدد الجامعات المهنية، وكان في شتنبر 1955، 14 جامعة، فقد ارتفع في يوليوز 1959 إلى 24 جامعة. وتميز عمل الاتحاد المغربي للشغل خلال هذه الفترة بتأسيس جامعة واسعة تشمل كل قطاعات الوظيفة العمومية، كما أنه تغلغل حتى داخل الوسط القروي خلافا لما كان عليه الحال آنذاك في دول أخرى من العالم الثالث. وهكذا تم تكوين "الاتحاد المغربي للفلاحة" و"الشبيبة العاملة" و"المسرح العمالي" إلخ. كما عرف الاتحاد المغربي للشغل حركة واسعة من الانخراطات جعلت منه أحد التنظيمات النقابية المهمة في القارة الإفريقية ؛ انخراطات تعدت، في الفترة ما بين 1956 - 1960، 600.000 (ستمائة ألف) منخرط. وقد توج هذا الاشعاع بانتخاب الاتحاد المغربي للشغل، في أبريل 1961 رئيسا للاتحاد النقابي الإفريقي.

ولقد تميزت هذه الفترة التي عرف فيها الاتحاد المغربي للشغل تجذرا في أوساط الطبقة العاملة المغربية بتعاون نشيط بين الأجهزة النقابية والسلطات المغربية. هكذا ساهم الاتحاد المغربي للشغل في أعمال المجلس الوطني الاستشاري الذي أسس في غشت 1956 وانتخب كاتبه العام السيد المحجوب بن الصديق نائبا لرئيس هذا المجلس. كما كلف القادة النقابيون ببعض المهمات الرسمية. وبصفة عامة، وجد الاتحاد المغربي للشغل، خلال هذه الفترة، رعاية وعناية من طرف السلطات الوطنية. فلقد كان المغفور له جلالة محمد الخامس يترأس فعليا استعراضات فاتح ماي، كما أن الحكومة المغربية مكنت الاتحاد من وسائل العمل مثل المقرات، بما في ذلك المقر المركزي بالدار البيضاء، وبالمتفرغين للعمل النقابي وبالاعتمادات السنوية. كما تمكن الاتحاد المغربي للشغل في هذه الفترة من إقناع الحكومات المغربية المتتالية لنهج سياسة إصلاحية في الميدان الاجتماعي ؛ سياسة تجلت في إحراز مكاسب أساسية وتاريخية بالنسبة للشغيلة المغربية. وتبرز هذه المكاسب على الصعيد التشريعي في ظهيري 1957/7/17، (الأول، حول الحق النقابي والثاني، حول الاتفاقات الجماعية)، وفي ظهير 1957/7/7 (المتعلق بطب العمل)، وظهير 1959/12/31 (المتعلق برفع الأجور حسب ارتفاع مستوى المعيشة). وتجدر الإشارة إلى أن مرسوم 1957/7/18، الذي يتمم الظهير المتعلق بالحق النقابي، قد جعل من الاتحاد المغربي للشغل عمليا المركزية النقابية الوحيدة ؛ إذ نص على إعطاء الصلاحية للكاتب العام للحكومة في معارضة تكوين أي مركزية نقابية جديدة.

إن الاتحاد المغربي للشغل، وهو مدعم بهذا السند وبنتائج هذا النهج، رفع عددا من الشعارات كان يرمي من ورائها إلى تعميق سياسة الإصلاح الاجتماعي والسياسي. فلقد نادى بضرورة المغربة وبتأميم القطاعات الأساسية والاستراتيجية للاقتصاد المغربي. كما طالب بالقيام بإصلاح "زراعي جذري" وبسن دستور تُوزَّع بمقتضاه السلط وتعقلن به عملية مزاولة الحكم وبتعيين حكومة منسجمة وقوية تتمتع بثقة الطبقة العاملة للقيام بعملية الإصلاح المتوخاة. وقد أدى هذا التوجه إلى تعميق الخلافات داخل حزب الاستقلال، وهو أكبر حزب وطني آنذاك، بين الجناح المحافظ والجناح اليساري الذي كان ينتمي إليه قادة الاتحاد المغربي للشغل بمعية ممثلي المقاومة وجيش التحرير وبعض الشخصيات من قيادة الحزب وأطره مما جعله من العناصر

الأساسية التي كانت وراء إنشاء الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في 25 يناير 1959. وإن إنشاء هذا الحزب لا يشكل في حد ذاته قطيعة مع السياسة التي نهجها الاتحاد المغربي للشغل بل، على العكس من ذلك، يعد تتميما لها باعتباره عملية تتوخى تكوين جبهة من "القوى الشعبية" الراغبة في الإصلاح الاجتماعي والسياسي وباعتباره تصعيدا للضغط من أجل تكوين حكومة قريبة من هذه المركزية النقابية. إلا أن تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية لم يكن ليؤثر في علاقات الاتحاد المغربي للشغل بالحكم الذي كان يرغب في أن تظل هذه المركزية النقابية بعيدة عن الحياة السياسية أي "محايدة" ومندمجة في البنيات القائمة. ولما أقيلت حكومة الأستاذ عبد الله إبراهيم - وهو من قيادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية القريب من الاتحاد المغربي للشغل - اضطر هذا الأخير (أي الاتحاد المغربي للشغل) إلى نهج سياسة جديدة تقتضى فرض الإصلاحات بدون سند حكومي وبالتالي الدخول في نضالات مواجهة للسياسة الرسمية. وهي سياسة جديدة بالفعل إذا أخذنا بعين الاعتبار أن أغلبية المكاسب التي حصلت عليها المركزية النقابية لم تكن نتيجة تعبئة الطبقة العاملة بقوتها الذاتية بقدر ما كانت نتيجة لميزان القوى السياسي التي عرفته هذه المرحلة، ولضرورة تحقيق مطالب اجتماعية ناضلت من أجلها أثناء الحماية الحركة الوطنية برمتها.

ولكي يبقى الاتحاد المغربي للشغل وفيا لنفسه ويستمر في اتباع نهجه دخل في سلسلة من الاضرابات المختلفة وفي حركات، نظمها باتفاق مع منظمات أخرى مثل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب والاتحاد الوطني للقوات الشعبية، من أجل بعض المطالب مثل جلاء الجيوش الأجنبية ومساندة كفاح الشعب الجزائري... وقد أراد تتويج هذا المسلسل عندما أعلن عن تنظيم إضراب عام تساهم فيه جميع قطاعات الوظيفة العمومية وبعض القطاعات الشبه العمومية وذلك بتاريخ 19 يونيه 1961. وكان من المتوقع أن تأخذ هذه الحركة اتساعا وقوة لا مثيل لهما في تاريخ الحركة النقابية العمالية المغربية حيث كانت ستشمل كلا من وزارة الخارجية ووزارة البريد ووزارة الأشغال العمومية والشركة المغربية لتوزيع الماء والكهرباء والإذاعة ؛ أي قطاعات كلها من عمال ومستخدمي الدولة. لذلك اكتسى هذا الإضراب العام، في أول وهلة، صبغة سياسية. وعملت الحكومة على الضغط على قيادة الاتحاد المغربي للشغل للتراجع عنه ملوحة بأنها ستعمل على إقامة علاقة جديدة مع المركزية النقابية تحرم بمقتضاها هذه الأخيرة من أغلب المكاسب التي كانت تتمتع بها مثل الانقطاعات والمقرات والاعتمادات. والملاحظ أنه إذا كانت القيادة النقابية لم تفلح في توقيف هذه الحركة المطلبية فإنها مع ذلك لم تمدها بكل الدعم الضروري ولم تدخل قطاعات أخرى كان دخولها مقررا في هذه الحركة. وانتهى الإضراب، كما هو معروف، بطرد عشرات المضربين والأطر النقابية، مما شكل ضربة قوية بالنسبة للتنظيمات النقابية في الوظيفة العمومية في حين قررت المركزية النقابية الدخول في تجربة أخرى.

في سنة 1961، عملت المركزية النقابية على تحويل معارضتها السياسية السابقة من أجل الإصلاحات، تلك المعارضة التي مارستها مع قوى سياسية وطنية (حزب الاستقلال وعناصر جيش التحرير والمقاومة في مرحلة أولى والاتحاد الوطني للقوات الشعبية في مرحلة ثانية)، إلى معارضة نقابية. لكن هذا التوجه أدى إلى عزلة الاتحاد المغربي للشغل وابتعاده عن الحقل السياسي في وقت كانت تعاني فيه قوى سياسية أخرى نتائج المواجهة مع الحكومة، إذ وقع في هذه الفترة منع الحزب الشيوعي المغربي واعتقال كثير من قادة ومناضلي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. بل أدى هذا التوجه إلى تقلص الإصلاحات ذاتها. إن نتائج هذا الاتجاه تبرز في تراجع الحكومة عن بعض المكتسبات الأساسية، إذ وقع التراجع عن تطبيق ظهير 31 أكتوبر 1951 القاضي برفع الأجور بموازاة مع مستوى المعيشة، كما وقع إلغاء مرسوم 1957/7/18 الذي يعطي للكاتب العام للحكومة التفويض في البت في رفض تكوين مركزيات نقابية جديدة، وعدل في يوليوز 1963 القانون الجنائي وخاصة البند 288 الذي يشدد من العقوبات في حالة "عرقلة حرية العمل" أي في حالة الإضراب. كما اتخذت في سنة 1966 عدة مراسيم تمنع بعض فآت الموظفين من تأسيس نقابات مهنية مثل رجال المطافئ والجمارك والشرطة والحراس الغابويين... وفي النهاية، لقد أدى هذا النهج المبني على الاقتصار على العمل النقابي دون إدماجه في خطة وطنية عامة تؤدي إلى إصلاحات متجانسة ومتكاملة وذات أبعاد وطنية نقابية وسياسية في نفس الوقت إلى التقليص من دور الاتحاد المغربي للشغل ومن فعاليته، فظهرت، بعد نشأة الاتحاد العام للشغالين في 20 مارس 1960، نقابات أخرى. وتجدر الإشارة إلى كون هذا النهج الجديد لا يعني أن الاتحاد المغربي للشغل كمركزية نقابية لا يقوم، على المستوى الفعلي، بدور سياسي. فعلى سبيل المثال، نذكر بأنه طالب، سنة 1962، برفض الدستور ونادى سنة 1963، بمقاطعة الانتخابات. إلا أن هذا العمل السياسي أصبح مرادفا للعمل النقابي وهادفا بالخصوص إلى الاحتفاظ على المنظمة النقابية كأداة كما أصبح يأتي في الغالب بمعزل عن عمل القوى السياسية الأخرى التي تعمل من أجل نفس الأهداف.

وعندما اعتقل الكاتب العام للاتحاد المغربي للشغل سنة 1967، لم يكن رد الفعل النقابي والوطني في مستوى الحدث. بما أدى بالمركزية النقابية إلى مراجعة جزئية ومؤقتة لخطتها فدخلت في نفس السنة في عملية إعادة التقارب بينها وبين الأطر السياسية في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وامتد هذا العمل الوحدوي إلى مساهمتها في يوليوز 1970 في تجربة الكتلة الوطنية.

إلا أن هذه المراجعة الجزئية لم تكن كافية للقضاء على

الخلافات القائمة بين الأطر النقابية والسياسية، لذلك انتهى التقارب بين الجناحين في يوليوز 1972 وتكرست نهايته سنة 1975 في إنشاء الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية.

إن الأزمة التي عانى منها الاتحاد المغربي للشغل ابتداء من سنة 1961، والتي هي في العمق أزمة توجيه وهوية، لم تتجل فقط في الخلافات والصراعات بين الأطر النقابية المتحكمة في توجيه الاتحاد المغربي للشغل وبين الأطر السياسية التي واكبت على الدوام مسيرة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية قبل أن يؤسس الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية بل برزت أيضا، ومنذ البداية، على شكل خلافات داخلية بين الأطر النقابية الموالية للقيادة النقابية والأخرى الرافضة للخطة الجديدة التي سارت عليها المركزية النقابية انطلاقا من إضراب 1961. وقد أدى تفاقم هذه الخلافات إلى انشقاقات وإلى تكوين تنظيمات نقابية قطاعية مستقلة عن الاتحاد المغربي للشغل، وتؤكد إرادتها في الاستمرار في خطة العمل الوطني التي نهجها هذا الاتحاد قبل 1961. وفي هذا الإطار تكونت سنة 1963 النقابة الوطنية للبريد، وتكونت سنة 1967 النقابة الوطنية للتعليم. وقد اكتسبت هاتان النقابتان تمثيلية في قطاعيهما. ويمكن القول : إن تنمية هذه التجربة هي التي أدت فيما بعد، مع تفاقم الخلافات وتعميق الأزمة الاجتماعية، إلى تأسيس الكونفدرالية الديمقراطية للشغل في 25 نوفمبر 1978 انطلاقا من تكوين نقابات وطنية في قطاعات أخرى مثل السكر والفوسفاط والمناجم والتبغ والسكك الحديدية... وقد وجد الاتحاد المغربي للشغل في هذه المركزية النقابية الجديدة منافسا على الصعيد الوطني والدولي.


عمر بنجلون، *الطبقة العاملة بعد 12 سنة* ؛ *النشرة الداخلية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية*، *1967* ؛ عبد اللطيف المنوني / محمد عياد، *الحركة العمالية المغربية، صراعات وتحولات*، دار توبقال، 1985 ؛ أحمد تفاسكا، *تطور الحركة العمالية في المغرب*، دار ابن خلدون، 1976 ؛ لشهل محمد، *تطور الحركة العمالية لمناجم الفحم بجرادة من 1933 إلى 1967*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ (1982-1981).

A. Ayache, *le mouvement syndical au Maroc*, T. 1 : 1919-1942, L'Harmattan 1982 ; A. Ayache, J. Couland (et al...), *Mouvements sociaux maghrébins, Travailleurs militants, idéologies* ; Cahiers de la méditerranée, n° 2, 1981-1982 ; A. Belal, *Quelques problèmes du mouvement syndical marocain*. Al-Moukafih, 1er Mai 1963 ; M. Benseddik, *Le syndicalisme en marche*, (mémoire) 1952 ; A. Berenguier, *Le syndicalisme marocain*, Cahiers de l'Afrique et de l'Asie, 1er trimestre 1961; R. Galissot, *Le patronat européen au Maroc* (1931-1942), Rabat; 1964 ; P. Jouannet, *Le syndicalisme au Maroc*, Revue politique et parlementaire, Janvier 1955 ; Sraieb, Bessis, Saadi (et al...), *Le mouvement ouvrier maghrébin*, éd. du CNRS, CRESM, Paris 1965.


عبد اللطيف المنوني ومحمد عياد

**الاتحاد الوطني لطلبة المغرب**، عندما يتعلق الأمر بدراسة الحركة الطلابية في المغرب نجد أنفسنا أمام ظاهرة تاريخية وتنظيم طبع ولمدة ما يزيد عن ربع قرن، الأوساط الطلابية بل وحتى الوطنية، ونعني به الاتحاد الوطني لطلبة المغرب. كما أن الكشف عن خبايا هذه الحركة وعن مكوناتها وأسسها ومدى إشعاعها يفترض الرجوع إلى مجموع الحركات المغربية الاجتماعية والسياسية المناهضة للاستعمار والتي تعرف بالحركة الوطنية المغربية. يظهر جليا، إذن، لأول وهلة، أن الحديث عن هذه المنظمة الطلابية لا يتأتى إلا في إطار أوسع وأشمل، إطار الحركة الوطنية في صيرورتها التاريخية وفي مخاضها الطويل المعقد المتلازم مع ما عرفه المجتمع المغربي من إرهاصات وتحولات.

تأسس الاتحاد الوطني لطلبة المغرب في دجنبر 1956. ولكن هذا التأسيس لا يشكل في حد ذاته بداية للحركة الطلابية المغربية، بل امتدادا لعمل سابق وعملية توحيد لروافد طلابية مختلفة.

فلقد مرت الحركة من مستويات تنظيمية مختلفة وعرفت مراحل متباينة من الوعي بالذات والفعالية. فقبل سنة 1912، يصعب الحديث عنها كحركة قائمة الذات رغم ما كان لها من إرهاصات تبرز في بعض المناسبات والتظاهرات الجماعية ذات الطابع الاحتفالي مثل سلطان الطلبة. ففي هذه الفترة كانت منصهرة في البنيات الاجتماعية والثقافية للمغرب ولم تقم بأي عمل مطلبي رغم ما كان يعرفه المجتمع الطلابي آنذاك من مشاكل مادية وظروف عيش قاسية.

وإذا ما تركنا هذه المرحلة جانبا، مع التأكيد على ضرورة مواصلة دراستها بطريقة أكثر تفصيلا وأكثر منهجية لاستجلاء معالمها الدقيقة، يمكن القول إن الحركة الطلابية المغربية هي في جوهرها تعبير وتجلّ للوعي الوطني وفي ذات الوقت مسلسل انطلق مع بداية النضال من أجل استرجاع الكرامة المغربية بعد تطاول 1912 وتطور مع هذا النضال.

لقد اتخذ هذا المسلسل في بداياته الأولى صبغة وجود فردي داخل الحركات الاستقلالية ثم تطور إلى تكتلات طلابية متميزة ذات صبغة حزبية وأبعاد سياسية. ويكفي أن نشير، في هذا الصدد، إلى أن محمد الخطابي شقيق قائد المقاومة المسلحة بالريف عندما بادر بالمساهمة في الحرب التحريرية كان وقتها طالبا وإلى أن أغلبية الذين أطروا مقاومة الظهير البربري وأسسوا أولى التنظيمات السياسية الوطنية بالمغرب أمثال علال الفاسي ومحمد بلحسن الوزاني كانوا طلابا. ولم يتمكن الوعي الوطني من استقطاب قوى طلابية منظمة إلا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة كما يشهد على ذلك الإضراب الذي قام به تلاميذ ثانوية مولاي إدريس بفاس سنة 1945 احتجاجا على القمع الوحشي الذي تعرضت له التظاهرات الشعبية الوطنية المنادية باستقلال المغرب. ولقد تطورت هذه الحركات الطلابية إلى أن أدت إلى تأسيس فروع طلابية حزبية تابعة على الخصوص لكل من حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال. أما الطلبة الذين كانوا يتابعون دراستهم العليا

بفرنسا فقد كانوا مؤطرين من طرف جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين AEMNA التي تأسست بباريس سنة 1927 والتي كان لها بعد تحرري ونشاط نقابي مكثف جسدت آنذاك مدرسة تكون فيها العديد من قادة الحركة الوطنية في المغرب العربي.

وأدى وضع اللبنات الأولى للتعليم العالي العصري بإحداث المدرسة الإدارية والمدرسة المغربية للفلاحة ومعهد الدراسات العليا المغربية وبروز مشاكل طلابية مادية وتربوية إلى ضرورة تأسيس تنظيم نقابي. لكن قوة الوعي الوطني وتجذره في صفوف الطلبة المغاربة جعلا هذا التنظيم الطلابي المغربي يتشكل خارج الجمعية العامة لطلاب الرباط وبمعزل عنها حيث كانت تابعة "للاتحاد الوطني لطلبة فرنسا" UNEF، وهكذا تأسست سنة 1948 "جمعية الطالب المغربي" AEM كأول منظمة طلابية نقابية مغربية ذات أبعاد وطنية. ووجدت هذه الجمعية صدى مماثلا لها عندما تأسس بفرنسا سنة 1950 "اتحاد الطلبة المغاربة" الذي ضم في تنظيم مستقل الطلبة المغاربة المقيمين بفرنسا. أما الطلبة المغاربة المقيمون بإسبانيا ودول الشرق العربي فقد أسسوا بدورهم تنظيمات طلابية أطلقوا عليها اسم لجان التنسيق والتواصل. وعملت كل هذه التنظيمات على حل بعض القضايا النقابية المطروحة مع التركيز على العمل في المجال الوطني التحرري. فاتحاد الطلاب المغاربة بفرنسا مثلا كان يساهم بنشاط في اللجنة المعادية للاستعمار التي اتخذت باريس مقرا لها. ونظم في دجنبر 1953، بعد المؤامرة الاستعمارية التي تبلورت في نفي عاهل المغرب جلالة محمد الخامس، حملة لمقاطعة الحفل المقام لتدشين دار المغرب بباريس الذي كان سيترأسه الجنرال گيوم المقيم العام ومدبر هذه المؤامرة.

وفي سنة 1956 ومع الحصول على الاستقلال أصبح من الضروري صهر مجموعة التنظيمات الطلابية التي وإن لعبت رغم تعددها نفس الدور على المستويين المطلبي والوطني، فإنها ظلت تفتقر إلى التنسيق وعلى الأخص إلى القيادة الوحيدة وإلى التنظيم الموحد، فكان ميلاد الاتحاد الوطني لطلبة المغرب استجابة لهذه الضرورة، وكان في ذات الوقت تجسيدا لموقف طالما عبرت عنه مختلف فصائل الحركة الوطنية. لذلك حظي مؤتمره التأسيسي الذي انعقد بالرباط في أواخر دجنبر 1956 وبداية يناير 1957، بمساندة كل القوى السياسية الوطنية، مساندة تجلت في حضور كل من ممثلي التنظيمات الطلابية السابقة (جمعية الطالب المغربي، اتحاد الطلاب المغاربة بفرنسا، ولجان التنسيق والتواصل) ومن ممثلي الطلبة المسيَّسين على اختلاف انتمائهم (حزب الاستقلال، حزب الشورى والاستقلال، والحزب الشيوعي المغربي إلخ...)، وفي تولي ولي العهد الأمير مولاي الحسن الرئاسة الشرفية لهذا المؤتمر. وأضفيت على الاتحاد الوطني المغربي صفة جمعية ذات مصلحة عمومية وهي صفة بالإضافة إلى طابعها المعنوي، تخول للاتحاد وسائل مادية لتنمية عمله الطلابي والوطني.

تكمن أهمية هذا المؤتمر التأسيسي في كونه رسم، ولو في خطوطه العريضة، التوجهات الرئيسية التي اتخذها الاتحاد الوطني لطلبة المغرب ركيزة لعمله، وهي توجهات ستتحدد وستتعمق تدريجيا ضمن الديناميكية الاجتماعية ومن خلال المؤتمرات المتتالية للاتحاد. ويمكن تلخيص تلك التوجهات في النقط التالية :

1. رفض اعتبار القضايا المطلبية النقابية خارج الصيرورة الاجتماعية والسياسية وبالتالي ضرورة الصياغة في كل مرحلة من المراحل، للمطالب المتفاعلة مع الوضع الاجتماعي، والتحرك السياسي منها.

2. عدم اعتبار استقلال المغرب كحدث يختزل في إلغاء معاهدة الحماية في 4 مارس 1956 بل كمسلسل تحرري تطبعه مراحل يتعمق من خلالها وباستمرار مضمون وفحوى هذا الاستقلال على المستوى السياسي والاجتماعي / الاقتصادي والثقافي /. وفي هذا الإطار طالب المؤتمر التأسيسي بمغربة الإدارة وبجلاء القوات الفرنسية والأمريكية التي كانت ما زالت مرابطة بالمغرب، وبتعريب التعليم وتوحيده ودمقرطته، كما طالب بإنشاء جامعة مغربية عصرية مستقلة وديموقراطية.

3. تحديث البنيات المغربية وذلك بخلق علاقة جديدة ومتفاعلة بين الحاكمين والمحكومين عبر حياة دستورية ونيابية تُستلهم أسسها ومبادؤها من روح ديموقراطية حقيقية.

من يتصفح تاريخ المغرب بعد الاستقلال وخصوصا من 2 مارس 1956 إلى حدود أواخر الستينات وبداية السبعينات يشد انتباهه وجود فاعل للاتحاد الوطني لطلبة المغرب كمنظمة طلابية ملتحمة بالقوات الوطنية الأخرى، منظمة جاهدة في المساهمة في توطيد الاستقلال ومكاسب الكفاح الوطني وفي استكمال تحرير البلاد. وقد برزت هذه المنظمات بخصوصيات مكنتها منذ البداية من احتلال مكانة نوعية ضمن القوى الوطنية الأخرى.

فزيادة عن كونها المنظمة الوحيدة للطلاب المغاربة بمختلف اتجاهاتهم السياسية والعقدية. كانت تنظيماتها لا تقتصر على طلاب التعليم العالي بل شملت أيضا، وإلى غاية 1963، تلاميذ الثانوي ضمن وداديات بلغ عددها العشرات. هذه القاعدة الموسعة وهذا الحضور الفعلي جعلا من الاتحاد الوطني لطلبة المغرب قوة لها وزن يؤخذ بعين الاعتبار أوقات الاختيارات الكبرى. كمثال على توسع قاعدة الاتحاد، يكفي الإشارة إلى إضراب ماي 1963 الذي شارك فيه، طيلة ثلاثة أيام، ما يقارب 135.000 طالب وتلميذ ينتمون إلى مؤسسات ثانوية بمختلف مدن المغرب، وهو عدد له دلالته في تلك الفترة التي كان فيها عدد الطلاب والتلاميذ محدودا نسبيا.

وعلى الصعيد الدولي لم يفتأ الاتحاد طوال هذه المدة يتوفر على إشعاع واسع مكنه من الحضور الفعلي في

تظاهرات طلابية دولية عديدة. فبعدما كان عضوا في "الكونفدرالية العالمية للطلاب" التي كان مقرها في لاهاي أصبح عضوا بارزا في الاتحاد العالمي للطلاب الذي مقره براغ. كما ساهم لعدة سنوات في إنشاء وتنشيط كونفيدرالية طلبة المغرب التي كانت تضم بالإضافة إلى الاتحاد الوطني لطلبة المغرب كلا من الاتحاد الوطني لطلبة الجزائر والاتحاد العام لطلبة تونس. هذه الكونفدرالية التي جسدت طيلة وجودها الآمال الراسخة لشباب المغرب العربي في الوحدة والتحرر والانعتاق. وبكل هذه المميزات ساهم الاتحاد الوطني لطلبة المغرب في الحقل الوطني بأعماله واجتهاداته ونضالاته خصوصا وأن المغرب في بداية الاستقلال كان في حاجة إلى مساهمة طلابية واعية تكتمل بها الحياة الديموقراطية. فهكذا كان الاتحاد الوطني لطلبة المغرب ممثلا بعضو في المجلس الاستشاري الذي أسسه في غشت 1956 المغفور له جلالة محمد الخامس ودافع في إطاره على ضرورة نهج سياسة تعليمية ترتكز على الإصلاح والتعريب والدمقرطة والمغربة. كما نادى مع القوات السياسة الأخرى، بضرورة التضامن مع الجزائر الشقيقة ومع كل حركات التحرر الوطني في العالم، وبضرورة نهج ما كان يسمى آنذاك "سياسة الحياد الإيجابي" على مستوى العلاقات الخارجية. ولم يقتصر دور الاتحاد على نشاطه داخل المؤسسات ذات الطابع الدستوري بل توسع ليشمل جملة من التوجهات والأعمال التي طبعت تلك الحقبة من تاريخنا الوطني. فعلى سبيل المثال ساهم الاتحاد في أعمال لها دلالتها الرمزية مثل طريق الوحدة وبناء الأوراش وحملات تشجير البلاد... كما نظم نضالات طلابية نادى من خلالها بالجلاء وباستقلال الجزائر. وقد تطورت توجهات الاتحاد وتعمقت في أواخر الخمسينات وبداية الستينات عندما تبلورت في مؤتمراته، خصوصا مؤتمر تطوان (يوليوز 1958) وأزرو (يوليوز 1961) المطالبة بدمقرطة الحياة السياسية في البلاد وبضرورة سن دستور ينظم ويعقلن الحياة العامة ويوزع المسؤوليات والسلط ويمكن الشعب من المساهمة الإيجابية والمسؤولية في تسيير البلاد.

وعلى الصعيد القطاعي التعليمي كان ابتداء من سنة 1957 عضوا في اللجنة الوطنية لإصلاح التعليم، وكان من بين المنظمات والشخصيات الوطنية التي ساهمت في ذلك الوقت وبتفاعل مع الظرف السياسي والاجتماعي في صياغة المبادئ الأربعة التي ارتكزت عليها سياسة التعليم بالمغرب لسنين. وهذه المبادئ هي التعريب والتوحيد والتعميم والمغربة. كما طالب بإصلاح برامج جامعة القرويين في اتجاه يجعلها تساير متطلبات العصر، ونادى بتكوين جامعة وطنية مغربية تحل محل المعهد العالي للدراسات المغربية الذي أسسته إدارة الحماية، وكان من ضمن الذين كللت جهودهم عندما تأسست جامعة محمد الخامس سنة 1958. وفي سنة 1963 ساهم في النقاش الوطني الواسع الذي كان إطاره مناظرة المعمورة حول التعليم وكان من بين الذين ركزوا على ضرورة الحفاظ على المبادئ الأربعة، وسن سياسة نشيطة لتكوين الأطر والإسراع بإصلاح التعليم الأصلي. وتجدر الإشارة هنا إلى أن مواقف الاتحاد الوطني لطلبة المغرب تجاه المبادئ الأربعة، إن كانت مثلها مثل مواقف القوات الأخرى تركز على مساندة العمل طبقا لهذه المبادئ، فإنه كان يراها بعين ناقدة ومتبصرة جعلته يتميز في كثير من المناسبات بتصديه لكل ارتجال تهوري في ميدان حيوي مثل ميدان التعليم. ولم يتردد مثلا في التأكيد في مؤتمره الحادي عشر على : أن التعريب بالمغرب تم خارج أي تخطيط جدي وبطريقة مرتجلة طبعها التأرجح والتردد.

وفي سنوات 1968 / 1970 أطر حملة واسعة في جل المراكز الجامعية بالبلاد من أجل مراجعة البرامج والطرق التربوية. وجعلها مسايرة لواقع البلاد ولضرورة النمو الاقتصادي والاجتماعي بدون التخلي عن القيم الإنسانية العليا. هذا الدور الفاعل جعل الاتحاد يلجأ ما بين الفينة والأخرى إلى إصدار جرائد ذات توزيع وطني مثل *الطالب المغربي* و *الطالب* ثم *الطلبة*.

من الضروري مراعاة كون هذا التطور وهذه المساهمة الفعالة ما كان لهما أن يتما إلا في إطار صراع اجتماعي وسياسي. فبقدر ما كانت تتحدد وتتوضح توجهات الاتحاد لطلبة المغرب، بقدر ما كانت تتحول هويته الوطنية إلى هوية تقدمية واهتماماته القطاعية المطلبية إلى اهتمامات اجتماعية وسياسية بالمعنى الواسع والأصيل لكلمة سياسي، وأصبح يواجه مقاومة ازدادت حدتها مع مرور السنين، بازدياد عدد الطلاب وتعقد المشاكل وتشعب الاختيارات. ويمكن أن نصنف المقاومة التي واجهها الاتحاد في هذه المرحلة، أي منذ أواخر الستينات وبداية السبعينات، إلى صنفين :

- الصنف الأول : ونعني به المقاومة التي كانت تأتي من داخل الحركة الوطنية وبالضبط من الجناح الذي اعتبر محافظا والذي عمل سنة 1961 على تأسيس منظمة أخرى تحت اسم "الاتحاد العام لطلبة المغرب".
- الصنف الثاني : ويتعلق الأمر بمعارضة الحكومات المتتالية لنشاط الاتحاد بالخصوص ابتداء من سنة 1960 تاريخ إعفاء حكومة عبد الله إبراهيم. ومن مظاهر هذه المعارضة إصدار ظهير سنة 1963 الذي أعطى تعريفا جديدا للطالب حيث جعل منه "كل شخص مسجل بانتظام في كلية أو مؤسسات تعليم عال" وأكد "أن كل جمعية طلابية أو اتحاد أو فدرالية تؤسس دون مراعاة البندين الأول والثاني تعتبر باطلة ولاغية" (الترجمة للمؤلفين) هذا الظهير أرغم الاتحاد على التخلي عن تنظيم جزء كبير من قاعدته التي كانت تتشكل أيضا من تلاميذ الثانوي، ومن مظاهرها أيضا تجريد الاتحاد الوطني لطلبة المغرب سنة 1965 من صفة منظمة ذات مصلحة عمومية ومحاولة حله بطلب قضائي في نفس السنة وهو طلب تم رفضه من طرف محكمة

الرباط. كما تجلت هذه المعرضة في إغلاق مقرات الاتحاد سنة 1967 ومنع مؤتمره الحادي عشر خارج المقر كما جرت العادة بذلك، وفي اعتقال الكثير من أطره العليا ومناضيله على امتداد هذه المدة الزمنية، هذا بالإضافة إلى التشدد الرسمي أمام المطالب النقابية الطلابية التي كانت تزداد اتساعا وحدة مع نمو الجامعة المغربية وسنّ سياسة تعليمية تتميز بالتراجعات عن المبادئ التي أقرها الإجماع الوطني في أواخر الخمسينات.

إن المرحلة التي أعقبت حياة الاتحاد الوطني لطلبة المغرب بعد المؤتمر الثالث عشر (غشت 1969) اتسمت بصعوبات متعددة متشابكة ومعقدة عرفتها الحياة الطلابية والوطنية، صعوبات أدت مع تراكمها وانعدام حلها بالشكل المناسب، إلى تقوية الأزمة الداخلية التي عرفها الاتحاد في أواخر الستينات، وتكمن هذه الصعوبات في توسع مساحة التعليم العالي بازدياد عدد الطلبة دون أن يواكب ذلك مجهود مواز للتأطير وتنويع الأنشطة والاهتمامات وتوعية الطلاب بالقضايا الوطنية وبتشابكها مع المطالب الجامعية، خصوصا وأن الأفواج الجديدة منهم لم يقع تأطيرها في المرحلة الثانوية. ونتجت عن ذلك وضعية خاصة تتصف بوصول - في شروط الأزمة - ووصول أفواج كبيرة من الطلبة ستنخرط لأول مرة ودفعة واحدة في العمل النقابي الوطني الذي يقوده الاتحاد، لذلك يمكن أن نفترض بأن ضعف الخبرة النقابية والسياسية يفسر إلى حد كبير بروز اتجاهات داخل صفوف الطلبة إما مندفعة وإما انعزالية غير مبالية.

واتسمت المرحلة في نفس الوقت بتراجع القوات السياسية الحليفة للاتحاد مما جعل هذا الأخير في وضعية صعبة سواء على مستوى فاعليته وإشعاعه أو على مستوى تحصين تنظيماته ووحدته الداخلية. وزاد من حدة الاتحاد أمام اختيار شائك إما الاستمرار في التوجه الوطني مع كل ما يقتضيه ذلك من صعوبات وإشكالات في التوجه الوطني، وإما التراجع (الطاكتيكي أو غير الطاكتيكي) للاكتفاء بالعمل الطلابي المطلبي. ويبدو أن عمله تموقع في إطار الاختيار الأول مع محاولة خلق قوى سياسية جديدة تنطلق من الوسط الطلابي لتخلف القوى الوطنية التي اعتبرت آنذاك متجاوزة. لكن مسلسل خلق أدوات سياسية انطلاقا من الوسط الطلابي مع ما يكتنفه من لبس وهشاشة شكل، موضوعيا، حافزا لعملية التفرقة وتعميق الخلافات وعرف الاتحاد عاملا مضاعفا ومولدا للأزمة. تجدر الإشارة هنا إلى أن المعني هو الاتحاد الوطني لطلبة المغرب كتنظيم وكأداة للتأطير والتوعية وكوجود متجذر ومتميز للحركة في الساحة الجامعية الوطنية. نعم لقد اتسمت المرحلة بتحركات طلابية هائلة وواسعة انتشرت عبر مختلف مدن المغرب وحملت شعارات وطنية ومطالب نقابية، لكن واكب كل ذلك ضعف وتردد في الأداة النقابية ذاتها حيث تعددت القيادات وتقلص النفوذ الفعلي للاتحاد كتنظيم متجذر، وعندما ضعفت هذه التحركات وتوقفت نسبيا لم يبق سوى الطرف الثاني من الواقع المتجسد في غياب كل التقوية للتمفصلات التنظيمية مع الوسط الطلابي والوطني بطريقة عضوية وزاد من هذا المنحى وقوّاه المنع الذي تعرض له في 24 يناير 1974.

إذا كانت الحكومة تراجعت عن هذا المنع سنة 1976 فإن المحاولات التي قام بها الاتحاد الوطني لطلبة المغرب ليعيد اكتساب ذاته كأداة متجذرة فارتباط عضوي مع عملية اكتساب في الوسط الطلابي، لم تصل إلى مداها لكونها اصطدمت بصعوبات يظهر أنه لم يتغلب عليها في الظروف الراهنة ورغم ذلك استمر كرمز وكملجأ عاطفي وكامل.

مؤتمرات الاتحاد الوطني لطلبة المغرب : المؤتمر التأسيسي بالرباط أواخر دجنبر 1956 بداية 1957 ؛ المؤتمر الثاني، فاس، سبتمبر 1957 ؛ المؤتمر الثالث، تطوان، 25 يوليوز 1958 ؛ المؤتمر الرابع، أگادير، 24/22 غشت 1959 ؛ المؤتمر الخامس، الدارالبيضاء، صيف 1960؛ المؤتمر السادس، أزرو، 24/20 يوليوز 1961؛ المؤتمر السابع، الرباط، 22/19 يوليوز 1962 ؛ المؤتمر الثامن، الدارالبيضاء، 30 يوليوز / 2 غشت 1963 ؛ المؤتمر التاسع، الرباط، 7/4 شتنبر 1965 ؛ المؤتمر العاشر، الرباط، 25/21 أكتوبر 1965 ؛ المؤتمر الحادي عشر، الرباط، 27/25 يوليوز 1966 ؛ المؤتمر الثاني عشر، الرباط، 22/17 يوليوز 1968 ؛ المؤتمر الثالث عشر، الدار البيضاء، 11/9 غشت 1969 ؛ المؤتمر الرابع عشر، الرباط، صيف 1970 ؛ المؤتمر الخامس عشر، يوليوز 1972.

24 يناير 1974 حل الاتحاد بقرار حكومي.

المؤتمر السادس عشر، الرباط، صيف 1976 ؛ المؤتمر السابع عشر، الرباط صيف 1977.


جرائد الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، بالخصوص : *الطالب المغربي*، العدد الخاص 15 نونبر 1962 ؛ *الطالب*، الأعداد 6.5.1 ؛ *الطلبة*، الأعداد 5.3 ؛ أ. الحليمي، *الاتحاد الوطني لطلبة المغرب* : عشر سنوات من الالتزام الواعي، جريدة المحرر 16 أكتوبر 1965 ؛ ع. إبراهيم ، *الحزب والنقابة*، 1967.

A. Manouni, *L'Union Nationale des Etudiants du Maroc*, D.E.S, Faculté des sciences Juridiques, Economiques et Sociales, Rabat, 1970. (Annexés à ce travail documents principaux de l'U.N.E.M) ; R. Le Tourneau, *Fès avant le Protectorat* (passages concernant l'enseignement) ; A. Le Comte, *Le Panafricanisme syndical cherche son avenir*, R.A.P., 1961; C. Prevost, *Les Etudiants et le gauchisme*, Ed. Soc., 1969 ; F.M. Montane, *Propos sur la "Classe étudiante"*, Cahiers de la République, 1969, n° 23.


عبد اللطيف المنوني ومحمد عياد

## الاتحاد الوطني للقوات الشعبية (حزب ـــ)

قبيل الإعلان عن تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بسبعة أشهر، قررت مجموعة هامة من قيادة حزب الاستقلال، بتاريخ 25 يناير 1959، بزعامة رئيس المجلس الوطني الاستشاري، إذ ذاك الانفصال عن الحزب، معلنة عن ميلاد الكونفدرالية الوطنية لحزب الاستقلال، التي كان هيكلها التنظيمي على الشكل الآتي :

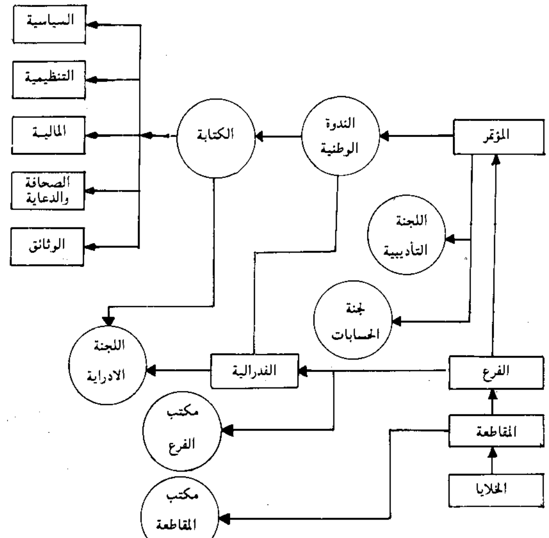


لكن قادة هذا الحزب الجديد، بعد أشهر من الحملات الصحافية المتبادلة بين طرفي حزب الاستقلال القديم المعتدل والجديد اليساري، والانتقادات المرة التي كانت تسمع هنا وهناك، وحتى داخل المجلس الوطني الاستشاري الذي كان يعد تجربة رائدة في مجال دمقرطة المؤسسات في المغرب، وقيام جلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه، بتوقيف نشاطات المجلس المذكور، اعتقد أولئك القادة أن الظروف التي كانت تجتازها البلاد داخليا وخارجيا بسبب ما كانت تنشره الصحافة الفرنسية حول الإصلاحات الاقتصادية التي أقدمت على اتخاذها حكومة الأستاذ عبد الله إبراهيم، محاولة إثارة الرعب في صفوف أصحاب رؤوس الأموال بغية إفشال البرنامج الإصلاحي للحكومة، تقتضي التفكير جديا في تأسيس جبهة متراصة من الوطنيين، أيا كانت انتماءاتهم ، الذين يشاطرون الأهداف التي ترمي إلى بلوغها الهيأة الوزارية التي كان يرأسها الأستاذ عبد الله إبراهيم والتي كانت تضم كذلك بعض الوزراء المستقلين.

وبعد سلسلة من اللقاءات التي لم ينشر عنها شيء ولم يحط بها علما إلا عدد قليل من المناضلين، تم استدعاء مآت من الأطر ذوي الاتجاهات المختلفة لحضور اجتماع هام عقد بسينما الكواكب، في الدار البيضاء، بتاريخ 6 شتنبر 1959، حضره، علاوة على الأستاذ المهدي ابن بركة، ثلة من قادة حزب الشورى والاستقلال، من بينهم الأساتذة : عبد الهادي بوطالب وأحمد بنسودة والتهامي الوزاني. وأثناء ذلك التجمع، أعلن عن تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، الذي كان يضم، الجناح اليساري لحزب الاستقلال وبعض قادة حزب الشورى والاستقلال وقادة من المقاومة. ونلاحظ بادئ ذي بدء أن القانون الأساس لهذه المنظمة، التي تأسست، طبقا للظهير الشريف، بمثابة قانون، الصادر بتاريخ 15 نونبر 1958، يحدد الغاية والأهداف والوسائل لهذه الجمعية فيما يلي :

الفصل 3 : غاية الاتحاد هي العمل على تنظيم سائر المواطنين، رجالا ونساء، من أجل العمل على تقدم الأمة ورفاهيتها، وبناء مجتمع متحرر من جميع أشكال الاستغلال على أساس تكافؤ الفرص والمساواة في الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حتى يتمكن كل عضو في المجتمع من نعمة الطمأنينة ويتمتع بازدهار الثقافة الروحية والمادية في عالم تسوده المودة والسلام.

ويشير الفصل الرابع إلى الأهداف التي حددها المؤتمر العام التأسيسي مركزا بالخصوص على ما يلي :

- الدفاع عن الاستقلال والوحدة الكاملة للتراب الوطني.
- جلاء القوات الأجنبية وتصفية مخلفات الاستعمار من القيود العسكرية والاقتصادية والتقنية.
- مواصلة سياسة التحرر الاقتصادي لضمان التشغيل الشامل والعدالة الاجتماعية.
- تحقيق الإصلاح الزراعي الذي يعد شرطا لرفع مستوى الجماهير الفلاحية.
- انتهاج سياسة التصنيع وتأميم المرافق الحيوية للاقتصاد، لتأمين ارتفاع الدخل القومي، ارتفاعا مطردا لفائدة جميع السكان.
- الإسراع بتحقيق إصلاحات جوهرية في الإدارة، وتكوين الإطارات وفقا لمقتضيات بناء الاستقلال.
- اتباع سياسة منطقية في التعليم تطابق روح التطور العصري للمغرب وتحافظ على مقوماته الروحية.
- إقامة ديمقراطية واقعية تضمن لجميع المواطنين تسيير شؤونهم بأنفسهم سواء على الصعيد الوطني، أو المحلي، في دائرة ملكية دستورية تحت رعاية صاحب الجلالة الملك محمد الخامس.
- مساعدة الشعب الجزائري المكافح من أجل تحرره وتحقيق وحدة المغرب العربي في نطاق الأخوة العربية والتضامن الإفريقي.
- تطبيق سياسة خارجية على مبدأ عدم التبعية، والتعاون والتضامن مع الشعوب المناضلة من أجل التحرر، على أساس تقوية دعائم السلام العالمي.

أما الوسائل فهي لا تختلف في شيء عن الوسائل المشروعة في النظم الديموقراطية، وفي طليعتها التعاون مع جميع الهيآت التي تعمل لتحقيق نفس الغايات المشار إليها في الفصل الثالث.

أجهزة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية : يضم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية أجهزة محلية وإقليمية ووطنية.

1 . فعلى الصعيد المحلي، نجد الفروع التي تتألف من الأعضاء الذين يقطنون أو يشتغلون في المنطقة الجغرافية للفرع، وينقسم الفرع إلى مقاطعات، وتضم كل مقاطعة جماعات الاتحاد الوطني التي هي الخلية الأولية المكونة على أساس مكان الشغل أو سكنى أعضائها، أو حسب القواعد التي تضعها اللجنة الإدراية الوطنية.

2 . وفي كل إقليم تنظم الفروع في اتحاد لذلك الإقليم

يقوم بربط الصلة بين الفروع والهيآت المركزية للاتحاد الوطني ويسهر على التربية الوطنية وعلى تنظيم النشاط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في كل ناحية طبقا لمقررات الاتحاد الوطني.

3. وفي النطاق القومي يباشر الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مسؤوليات الجمعية بأسرها، ويقوم على هيآته المركزية بتمثيلها في علاقاتها مع الحكومة والهيآت الأخرى المغربية أو الأجنبية أو الدولية ويؤكد الأعضاء قابلية المشاركة في إدارة الجمعية وفق المبادئ الآتية :

أولا : في كل درجة تكون أعلى هيأة للإدارة هي المؤتمر ويضم النواب المنتخبين من طرف الأعضاء، ويجتمع بصفة دورية لاختيار الهيآت المسؤولة ومن بينها اللجن الإدارية في المقاطعات أو في الأقاليم أو على الصعيد القومي.

ثانيا : يقوم المسؤولون بمهمتهم طبقا لقاعدة الإدارة الجماعية مع مراعاة المسؤولية الفردية، ويلتزمون بإعطاء بيان عن نشاطهم أمام الهيأة التي انتخبتهم.

ثالثا : كل هيأة تقرر بكل حرية في المسائل التي ترجع لاختصاصها، طبقا للقانون الداخلي، بشرط أن لا تكون قراراتها متناقضة مع الخطة التي رسمها المؤتمر العام للاتحاد الوطني والتي أولتها الهيآت المركزية للاتحاد.

المؤتمر العام : (الفصلان 12، 13) يشكل المؤتمر العام الهيأة التقريرية العليا ويتألف لمدة ثلاث سنوات من مندوبي الأقاليم، المنتخبين، حسب نسبة مائوية تحدد وفقا لعدد الأعضاء المسجلين قانونيا في كل إقليم. وتحدد اللجنة الإدارية هذه النسبة وكذلك مسطرة الانتخابات. يشارك في المؤتمر بحكم القانون أعضاء اللجنة الإدارية الوطنية وأعضاء المجلس الوطني للاتحاد ولجنة مراقبة الحسابات واللجنة المركزية للتحكيم الذين انتخبهم المؤتمر العام السابق.

يعقد المؤتمر دورته العادية في التاريخ والمكان المحددين من طرف اللجنة الإدارية الوطنية.

يجب أن تستلم المنظمات القاعدية مشروعات جدول الأعمال والتقريرين التوجيهي وحول النشاط المحضرة من طرف الكتابة العامة، قبل انعقاد المؤتمر بمدة يحددها القانون الداخلي.

ويمكن جمع المؤتمر في دورات غير عادية، إما بمبادرة من اللجنة الإدارية أو بطلب من ثلثي أعضاء المجلس الوطني أو ثلثي أعضاء المؤتمر العام.

اللجنة الإدارية الوطنية : (الفصل 16) تدير اللجنة الإدارية الوطنية شؤون الاتحاد الوطني في المدة الفاصلة بين دورات المؤتمر العام. وتتألف من خمسة وعشرين عضوا على الأقل، ينتخبهم المؤتمر العام لمدة ثلاث سنوات. وتجتمع مرة كل شهر، أو كلما طلب ذلك ثلث أعضائها، كما تسهر على تطبيق مقررات المؤتمر العام وتتخذ القررات اللازمة لتسيير الاتحاد الوطني واتخاذ المواقف التي تتطلبها الظروف في نطاق الخطة التي رسمها المؤتمر العام.

وتشرف على سير منظمات الاتحاد الوطني ومؤسساته وتراقب نشاط الاتحادات الإقليمية والفروع. ولها الحق في مراجعة التقسيم الإداري الإقليمي والمحلي لمنظمات الاتحاد الوطني حسب مقتضيات المصلحة السياسية والضرورات الجغرافية والإدارية.

الكتابة العامة : تنتخب اللجنة الإدراية الوطنية من بين أعضائها كتابة عامة تتألف من تسعة أعضاء على الأقل. وتجتمع الكتابة العامة، على الأقل، مرة في الأسبوع وتتحمل بصفة جماعية مسؤولية الإدارة الفعلية، السياسية والمادية للاتحاد الوطني والتصرف في مؤسساته، طبقا لمقررات اللجنة الإدارية الوطنية. وتسهر بالخصوص على تطبيق القانون الأساسي وعلى تنظيم وتوجيه التعليمات إلى الأقاليم لتحقيق برامج الاتحاد الوطني. ولهذه الغاية تتخذ جميع الإجراءات المستعجلة الضرورية في المستوى الإقليمي والمحلي. وتقوم الكتابة العامة، بتوزيع المهام بين أعضائها، سواء فيما يخص النشاط الداخلي للاتحاد الوطني أو تمثيله إزاء الحكومة والسلطات العمومية والقضاء أو من أجل ربط علاقات مع الهيآت الأخرى، مغربية كانت أو أجنبية أو دولية. وتحمل الوثائق المالية إمضاء عضوين من الكتابة العامة.

مجلس الاتحاد الوطني : يجتمع مجلس الاتحاد الوطني مرة كل ستة أشهر على الأقل، باستدعاء من اللجنة الإدارية الوطنية، ويستمع لتقارير الهيآت التنفيذية للمؤتمر العام. ويتألف من :

- أعضاء اللجنة الإدارية الوطنية ولجنة مراقبة الحسابات واللجنة المركزية.
- أعضاء دائمين ينتخبهم المؤتمر العام.
- من مندوبين تنتخبهم اللجن الإدارية الإقليمية بنسبة الأعضاء المسجلين في كل إقليم ويشارك الكتاب الجهويون للأقاليم في مجلس الاتحاد الوطني. وتحدد هذه النسبة من طرف اللجنة الإدارية الوطنية بحيث يكون عدد أعضاء الصنف الثالث متساويا فيها يخص عدد أعضاء الصنفين الأول والثاني.

اللجنة المركزية : تجتمع اللجنة المركزية مرة في كل ثلاثة أشهر بدعوة من الكتابة العامة وكلما دعت الضرورة إلى تحديد موقف الاتحاد الوطني من القضايا الوطنية المسجلة في جدول الأعمال. وتقدم الهيآت التنفيذية المركزية تقريرا حول نشاط الاتحاد كما يقدم الممثلون الإقليميون تقاريرهم حول نشاط الأقاليم. وتتألف اللجنة المركزية :

- من أعضاء اللجنة الإدارية الوطنية.
- من ممثلين عن كل إقليم يحدد عددهم وكيفية توزيعهم وتعيينهم القانون الداخلي.

الهيآت الإقليمية المحلية : تنعقد المؤتمرات الإقليمية والمحلية للاتحاد الوطني في دورتها العادية، مرة كل سنة، في المواعيد التي تقررها اللجنة الإدارية الوطنية وبحضور

مندوب عنها. ويشتمل جدول أعمالها على :

- مناقشة نشاط اللجنة الإقليمية أو المحلية.
- تطبيق برامج الاتحاد الوطني على الصعيد الإقليمي أو المحلي.
- انتخاب اللجنة الإدارية للسنة المقبلة مع لجنة مراقبة الحسابات ولجنة التحكيم.

وتنتخب كل لجنة إدارية إقليمية أو محلية كتابة تتألف من :

- كاتب في التنظيم والتربية الوطنية.
- مساعد الكاتب العام في الدعاية والصحافة.
- أمين المال.

المالية : تتكون موارد الاتحاد الوطني من واجبات الاشتراك ومداخيل مؤسسات الاتحاد وغير ذلك من المداخيل التي يبيحها القانون. ويقرر المؤتمر العام واجب الاشتراك، ويمكن للجنة الإدارية المحلية تقرير التخفيض أو الإعفاء التام من واجب الاشتراك في حق الأعضاء الذين لا تسمح لهم مداخيلهم بالأداء. أما نسبة توزيع المداخيل على الهيآت المحلية والإقليمية والمركزية من أجل مواجهة النفقات المنوطة بها، فيقررها مجلس الاتحاد الوطني، كما تكون الحسابات في كل لجنة إدارية رهن إشارة لجنة مراقبة الحسابات المختصة التي ترفع تقريرا إلى المؤتمر الذي انتخب تلك اللجنة الإدارية.

كان الاتحاد الوطني في بداية الستينات أكبر حزب سياسي في المغرب وأجمع كبار الإخصائيين في علم السياسة والمعلقين السياسيين آنذاك أنه قد يتمكن من تنفيذ برامجه الإصلاحية بعد مشاركته في الانتخابات التشريعية وانتخاب أبرز قادته في المؤسسة البرلمانية.

فخلال حملة الاستفتاء، حول مشروع الدستور الأول الذي عرفه المغرب بعد استرجاع الاستقلال خص الأستاذ موريس ديفرجي أستاذ علم السياسة والقانون الدستوري في جامعة باريز جريدة لوموند الفرنسية بمقال حول ذلك المشروع، حث فيه كلا من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والاتحاد المغربي للشغل على العدول عن المقاطعة واستغلال ما يتضمنه القانون الأساسي للدولة من إمكانيات لتدعيم دمقرطة المؤسسات في المغرب وتنفيذ المخططات التنموية التي يطالبان بها.

هذا ومن أبرز قادة الاتحاد الوطني الذي كان قد عقد مؤتمره الثاني، بحضور عدد كبير من الوفود الأجنبية، العربية والإفريقية والأوربية. ابتداء من 25 مايو 1962 بالقاعة الكبرى لمعرض مدينة الدار البيضاء، والذي استغرقت أشغاله أربعة أيام، السادة : عبد الرحيم بوعبيد والمهدي ابن بركة ومحمد البصري وعبد الله إبراهيم والمحجوب بن الصديق والمعطي بوعبيد وعبد الرحمان اليوسفي الخ. كما كان من بين مؤسسيه الأستاذان عبد الهادي بوطالب وأحمد بنسودة، غير أنهما قررا بعد حوالي سنتين على تأسيسه، توقيف نشاطهما في المنظمة السياسية المذكورة، بدون شرح الأسباب التي دفعتهما إلى اتخاذ ذلك القرار.

وإذا كانت الأحزاب المشاركة في الحكومة الملكية : حزب الاستقلال والحركة الشعبية والمستقلون وبعض القادة الشوريين أمثال الأستاذ عبد الهادي بوطالب، قد تجندت بحماس للمطالبة بالتصويت بـ "نعم" فإن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية طلب من المواطنين مقاطعة الاستفتاء لأنه يعتقد أن السلطة التأسيسية ملك للشعب وبالتالي ينبغي أن يكون مشروع الدستور من إعداد جمعية تأسيسية منتخبة، في حين أن الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني، زعيم حزب الشورى والاستقلال انتقد من خلال سلسلة مقالات في جريدته الأسبوعية "الدستور" مشروع الدستور الذي عرض على الاستفتاء، معلنا بأن القانون الأساسي للدولة يجب أن يوضع من طرف مجلس يضم ذوي الرأي في الأمة، ومطالبا، هو أيضا، بالإمساك عن التصويت، يوم الاستفتاء، أي 7 ديسمبر 1962.

وقد يرى البعض أن قادة الاتحاد الوطني قد تراجعوا عن موقفهم من الدستور الذي قاطعوه سابقا، وذلك بعد ما قررت الكتابة العامة للاتحاد المشاركة في حملة الانتخابات التشريعية التي حدد موعدها، قبيل حلول موعد الانتخابات العامة التي أجريت في 17 مايو 1963 بأسبوعين. وبالفعل فقد رشح الحزب المذكور مناضلين في صفوفه، في مختلف الدوائر الانتخابية وقام قادته بحملة واسعة النطاق، في المدن المغربية الكبرى، حيث نظمت تجمعات جماهيرية ضخمة وذلك ومن أجل الدعاية لمرشحي الاتحاد والفوز بالأغلبية، داخل مجلس النواب، لكن النتائج لم تكن مطابقة لما كان يتوقع، هكذا لم يفز الاتحاد إلا بثمانية وعشرين مقعدا من بين مائة وأربعة وأربعين مقعدا التي كان يتألف منها المجلس.

وبعد مرور شهرين على الانتخابات المذكورة، سيمرّ الاتحاد الوطني في صيف 1963، بامتحان عسير، وسيعرف كثير من قادته ومسؤوليه الإقليميين مضايقات واعتقالات ومحاكمات، كما سيمثل عدد من قادته البارزين أمام محكمة الجنايات بالرباط، في أواخر 1963 وبداية 1964. وفي أعقاب مداولات المحكمة التي استغرقت فترة طويلة ستصدر أحكاما بالإعدام بتاريخ 14 مارس 1964، في حق عضو الكتابة العامة للاتحاد المقاوم السيد محمد البصري، وفي حق عضو اللجنة الإدارية الوطنية المرحوم عمر بنجلون. كما أصدرت المحكمة حكما بثلاث سنوات سجنا مع إيقاف التنفيذ في حق عضو الكتابة العامة، الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي، عضو المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي حاليا وعضو المكتب الدائم لاتحاد الحقوقيين والمحامين العرب، بينما برّئت ساحة مجموعة أخرى من اطر الاتحاد، التي ظلت في السجن الاحتياطي لمدة ثمانية أشهر.

لكن في 20 غشت 1964، بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لثورة الملك والشعب، حوّل جلالة الملك الحسن الثاني الحكم

بالإعدام، الصادر في حق السادة محمد البصري وعمر بنجلون ومومن الديوري، إلى السجن المؤبد. وفي 13 أبريل 1965، في أعقاب أحداث الدار البيضاء، لأواخر مارس من نفس السنة، صدر عفو ملكي عام، استفاد منه جميع المعتقلين السياسين من بينهم محمد البصري ورفاقه.

وقد قرر الأستاذان عبد الرحيم بوعبيد وعبد الرحمان اليوسفي، منذ بداية السبعينات وبسبب التجميد الذي كان يعاني منه الاتحاد الوطني، اتخاذ المبادرة للقيام بعملية تصحيح ووضع حد لتلك الوضعية التي لم يكن معظم المناضلين في الحزب راضين عنها. هكذا وبعد الأحداث التي عرفها المغرب، في سنوات 1972 ـ 1973 ـ 1974 كلفت لجنة تحضيرية من أطر كانت سابقا في الاتحاد الوطني، بتهييء مؤتمر استثنائي في أوائل يناير 1975، انبثق عنه الحزب الاشتراكي للقوات الشعبية، واضعا بذلك حدا للخلط، الذي كان يميز تعليقات الصحافة المحلية والأجنبية، حول ما كانت تسميه بالاتحاد الوطني (قيادة الدار البيضاء) والاتحاد الوطني (قيادة الرباط).

ونلاحظ أن من بين أعضاء الكتابة العامة، التي تم انتخابها، في أعقاب المؤتمر الثاني للاتحاد الوطني المنعقد بالدار البيضاء في أواخر مايو 1962، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، لم يبق عمليا إلا الأستاذان عبد الله إبراهيم والمحجوب بن الصديق، أما الآخرون فمنهم من أوقف نشاطه، أو قام بتأسيس حزب جديد، كما حدث للسيد المعطي بوعبيد، الذي بعد تعيينه كوزير للعدل، ثم رئيس للحكومة بصفته محايدا ما بين 1977 ـ 1983 أسس حزبا تحت اسم الاتحاد الدستوري في ربيع 1983.

*القانون الاساسي للاتحاد الوطني* (6 شتنبر 27 : 1959، معدل في 27 ماي 1982) باللغتين العربية والفرنسية : طبع على الستانسيل باللغة العربية وفي كتيب صغير بالفرنسية من طرف الاتحاد الإقليمي للرباط ـ صحافة ودعاية 13 شارع الزرقطوني ؛ *أعمال المؤتمر الأول الذي عقده الحزب أيام 25ـ26 ماي 1962 الدار البيضاء* ؛ *التقرير المذهبي* للأستاذ عبد الله إبراهيم ؛ *التقرير التنظيمي* للمرحوم الأستاذ المهدي ابن بركة ؛ *مقررات المؤتمر* وانتخاب هيآته المسؤولة ؛ *موقف الاتحاد الوطني من الاستفتاء الدستوري*، المؤرخ 1962/12/7 ؛ *موقفه من الانتخابات التشريعية ل 1963/5/7* ؛ *اجتماع اللجنة الإدارية الموسعة بتاريخ 1963/7/16* واتخاذ قرار بمقاطعة الانتخابات الجماعية والمهنية ؛ *ملتمس رقابة* قدم ضد حكومة الوزير الأول المرحوم الأستاذ أحمد أبا حنيني من طرف الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في مجلس النواب في شهر يونيو 1964 واهتم الرأي العام بتدخلات النواب الاتحاديين خلال النقاش حول الملتمس المذكور. 60 نائبا صوتوا لصالح الملتمس، من بينهم أعضاء فريق حزب الاستقلال ؛ كتيب يتضمن جميع تدخلات أعضاء *فريق الاتحاد الوطني* أثناء مناقشة ملتمس الرقابة ضد الحكومة ؛ *مناقشة التصميم الثنائي* 1965 ـ 1967 من طرف مجلس النواب ومقاطعة فريق الاتحاد الوطني لعملية التصويت ؛ *التحرير* جريدة يومية لسان حال الاتحاد الوطني يديرها السيد محمد البصري، ويرأس تحريرها السيد عبد الرحمان اليوسفي وذلك منذ خريف 1959. وقد تعرضت للحجز المتكرر بعد اختطاف الأستاذ المهدي ابن بركة، بتاريخ 1965/10/29 ثم منعت الجريدة نهائيا ؛ *بيان* موقع من ثلاثة أعضاء : الأساتذة عبد الرحيم بوعبيد وعبد الله إبراهيم والمحجوب بن الصديق، كمحاولة لإعطاء نفس جديد للاتحاد في أعقاب اعتقال الأمين العام للاتحاد المغربي للشغل، بعد اتخاذه موقفا من العدوان الإسرائيلي على الدول العربية في 5 يونيه 1967 وإصدار حكم عليه بالسجن لمدة سنتين، كتابة ثلاثية هي المسؤولة عن الحزب مكان الكتابة العامة السابقة التي كانت تتألف من عشرة أشخاص.

عبد الرحمان القادري

**الاتحاد الوطني النسوي**، جمعية أسست سنة 1969. وعقد الاجتماع العام للاتحاد الوطني النسوي بالرباط يوم 6 ماي 1969 ضم 315 امرأة. استمعن خلاله إلى الخطاب التوجيهي السامي لجلالة الملك (*انبعاث أمة*، 14 : 119 ـ 135) ثم حصل الاتحاد على امتياز اعتباره جمعية ذات مصلحة عمومية بمقتضي الظهير الشريف المؤرخ في 23 ذي القعدة 1389 / 31 يناير 1970. يتكون الاتحاد من رئيسة هي الأميرة للافاطمة الزهراء، وأعضاء المكتب الموجود بالرباط، إضافة إلى تسعة وعشرين مكتبا إقليميا ومائة وأربعة وسبعين مكتبا محليا. يمارس الاتحاد بواسطة المكاتب الإقليمية والمحلية أنشطته، ويضع الخطوط العريضة لأعمال الاتحاد، وإن ممارسة الأنشطة في هذه المنظمة تطوعية وبدون مقابل وفي نطاق السياسة العامة للدولة.

وقد نص القانون الأساسي للاتحاد على أهدافه التي جعلها فوق كل اعتبار وأهم هذه الأهداف :

- مساعدة المرأة المغربية في جميع الميادين.
- جعلها تستفيد من إمكانياتها المادية والأدبية.
- الدعوة إلى القيام في الوسط النسوي بالمملكة بإنماء حركة تعود بالفائدة على مشاريع الأمة ومنجزاتها.
- تنظيم حملة واسعة لخلق الوعي وتنوير الأفكار قصد التعريف بالمجهودات التي تبذلها الدولة في تكوين المرأة المغربية وتمكينها من القيام على أحسن وجه بالمهمة المنوطة بها بوصفها زوجة وأما ومواطنة.
- المساهمة في المجهود الوطني الرامي إلى رفع مستوى المرأة الأدبي والمادي رغبة في تحسين مستوى الحياة العائلية.

وهكذا نجد أن عمل الاتحاد الوطني النسوي نابع من تصميم الحضارة المغربية التي تستمد قيمها من الإسلام مستهدفا بذلك إسعاد المجتمع به وفتح آفاق التنمية أمامه، ومحاولا بذلك خدمة المرأة ومساعدتها عن طريق تطوير

العمل التطوعي ونقله من عمل خيري يعتمد على إسداء المعروف إلى عمل تنموي يعتمد على التوعية والتكوين لإدماج المرأة في عمليات التنمية المختلفة. ووعيا من الاتحاد في تكوين المرأة وتأهيلها وتشغيلها كهيكل أساسي من هياكل التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فقد تبلورت نشاطاته على الصعيد الوطني والدولي.

أ - نشاط الاتحاد على الصعيد الوطني : في المجال الاجتماعي والاقتصادي تمت عدة أنشطة نذكر منها :

- تأسيس تعاونيات لصناعات مختلفة في جميع أنحاء المملكة.

- فتح صالونات للحلاقة مع تقديم كل الضروريات المؤهلة لتأطير الفتيات.

- تأسيس رياض للأطفال بتعاون مع أرباب بعض المعامل.

- تأسيس مشروع تربية النحل بتمارة وتربية الدواجن بتازا.

- فتح مراكز للتكوين والتأهيل في الطرز والخياطة والتدبير المنزلي والتكوين المهني.

- فتح مراكز فلاحية بالبادية لمساندة المرأة البدوية على الاندماج في عملية التنمية، بإعطائها معلومات أولية في الفلاحة وتربية الدواجن كخطوة رائدة في الاهتمام بالعالم القروي مع الحرص على تمدرس الفتيات المنقطعات عن الدراسة، وأيضا تركيز الاهتمام حول هيكلة الأنشطة الموجودة حاليا في جميع الأقاليم في الإطار التعاوني الذي يهدف إلى التنمية الاجتماعية والاقتصادية والتربوية.

ب - في مجال توعية المرأة :

1 . من أهم منجزات الاتحاد الوطني النسوي في هذا الإطار إصدار مجلة *عائشة* وهي مجلة شهرية تنشد الاتصال مع كافة نساء وفتيات المملكة وما وراء حدودها. وإنها لا تحصر ميدان عملها في عالم المرأة المغربية بل إنها تخاطب الرجل أيضا لأن المشاكل التي يفرضها العالم المعاصر على مجتمعنا لا يمكن التغلب عليها إلا بالعمل المشترك بين الرجل والمرأة. وقد جاء في افتتاحية المجلة ما يلي "إن مجلة عائشة تتطلع إلى التقدم دون إهمال واجب المحافظة على التقاليد والعادات والأخلاق التي تشكل أركان الأمة. وترتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ المرأة أينما تأصلت جذور الدين الإسلامي الحنيف... إن هذه المجلة تستهدف الشرح والقيام بدور المربى وتقديم النصائح والإرشادات وحمل القارئ على التأمل بواسطة ما تنشره من مقالات. إنها لا تود أن تكون مجرد أداة للتسلية بل ترغب في خدمة نمو المعارف العامة، تذكر كل امرأة مغربية بمالها من حقوق وما عليها من واجبات بوصفها مواطنة ولإقناع رجل العصر بأن المكانة السياسية والاجتماعية للمرأة قد تغيرت على مر السنين وأصبحت أكثر أهمية من ذي قبل.

- الدعوة إلى القيام ببحوث اجتماعية واقتصادية حول قضية المرأة وتشجيع الباحثين المختصين في هذا المجال.

- القيام بحملات توعية عن طريق التجمعات كالتجمع الوطني الذي نظمه الاتحاد في 13 مارس 1983 تحت شعار (المرأة المغربية والتنمية في البادية) وقد تم خلال هذا التجمع تدشين أول تعاونية من نوعها في المغرب وهي تعاونية تربية النحل للنساء التي استطاعت إنقاذ عدد من النساء من أزمة الفقر والجهل إلى الاستنارة بمبادئ القراءة والكتابة والحساب، الاكتفاء الذاتي ماديا من ربع التعاونية التي أصبحت في ملكهن بفضل المساعدة والدعم الذي تلقته التعاونية من مركز البحث الزراعي، وكذا من المنظمة الأمريكية للتنمية الدولية التي ساندت التعاونيات ماديا وأدبيا وزودتها بصناديق لتربية النحل مع سيارة لنقل الصناديق والعاملات إلى حقول العمل، وكذا مدُّهن بالدروس التطبيقية الشيء الذي سيمكن فيما بعد من مد شبكة التعاونيات عبر أقاليم المملكة.

2 . نشاط الاتحاد على الصعيد الدولي : يتمتع الاتحاد الوطني النسوي بمكانة مرموقة في منظمة الاتحاد النسائي العربي العام، هذه المنظمة التي تضم الاتحادات النسائية العربية من المحيط إلى الخليج. وقد حصل الاتحاد المغربي النسوي على العضوية فيها سنة 1969 حيث كان مقرها بالقاهرة إذ ذاك، وقد شارك الاتحاد في سائر اجتماعات مكتبها الدائم وكذا في مكتب أمانتها العامة. كما قام الاتحاد النسائي المغربي بدعوة إلى لقاء النساء العربيات على أرض المغرب. انعقدت لأول مرة بالرباط من يوم الجمعة 25 سبتمبر 1970 إلى يوم السبت 26 من نفس الشهر مناظره ضمت مختلف الوفود النسوية من موريطانيا وتونس والجزائر بدعوة من صاحبة السمو الأميرة للافاطمة الزهراء "رئيسة الاتحاد الوطني النسوي المغربي". وأثناء هذه المناظرة أثيرت عدة مسائل هامة من بينها إحداث "اتحاد نسوي لدول المغرب العربي" وحصل الاتحاد الوطني النسوي على عضوية المنظمة الإفريقية للنساء، وساهم في نشاطات هذه المنظمة. كما انخرط في المجلس العالمي للمرأة، تلك المنظمة التي تضم الاتحادات النسائية الإفريقية والأوربية، وذلك سنة 1969، وقد شارك الاتحاد في جميع اجتماعات المنظمة وكان آخرها مناظرة طنجة المنعقدة بتاريخ فاتح أكتوبر 1984 وهي الندوة الخاصة بالمرأة والتنمية التي عقدت في إطار التحضير لمؤتمر نيروبي والتي حضرتها إحدى وثلاثون دولة عضوة بالإضافة إلى ممثلي المنظمات الدولية.

كما شارك الاتحاد النسائي المغربي في المؤتمر الثاني عشر للرابطة الدولية للنساء المنعقد بشهر سبتمبر 1970، وقد انتخب المغرب كعضو في هذا المؤتمر كما شارك الاتحاد في مؤتمر مكسيكو 1975. وأهم ما صدر عن المؤتمر برنامج العمل الدولي العشري للمرأة من 1975 إلى 1985 وشعار هذا المؤتمر التنمية، المساواة، السلم. كما شارك الاتحاد المغربي

النسوي في مؤتمر كوبنهاكن 1980 الذي انعقد في منتصف العشرية من 1975 إلى 1980 وقد أكد على الصحة، والتربية، والتشغيل، وفي ختام العشرية كان مؤتمر نيروبي الذي درس محتوى العشري. وصدرت عنه استراتيجية النهوض بالمرأة إلى حدود 2000، وكانت مشاركة المغرب في هذا المؤتمر مشاركة فعالة.

*القانون الأساسي للاتحاد الوطني النسوي* ؛ *انبعاث أمة*، الجزء 14؛ مجلة *عائشة*، الأعداد الثلاثة الأولى ؛ مجلة *صوت العرب*، السنة العاشرة، العدد 3.

خديجة المسدالي

**إِتْزَرْ**، مدينة تقع في حوض ملوية العليا، وهي منطقة عبور مكونة من أراض منتصبة فوق 1600 م تربط بين مرتفعات الأطلس المتوسط شمالا وجبال الأطلس الكبير جنوبا.

أخذت إتزر موطنها عند قدم جبال الأطلس المتوسط الجنوبي (جبل الروميات 2349 م) على مستوى الضفة اليمنى لمجرى تانسلنت، أحد الروافد المتعددة لواد ملوية، ويرتبط هذا الموضع بوفرة الماء الذي يشكل عنصرا نادرا في هذا الوسط المتميز بشبه جفاف بارز وتباين حراري فصلي كبير. فالتساقطات تقل عن 300 ملم سنويا.

كل هذه العوامل كان لها الدور الحاسم في خلق حياة مبكرة هنا، ويعتقد أن أصل المدينة يرجع إلى أحد الأدارسة المسمى عثمان بن الحسن من قبيلة سيدي بو موسى، حيث كانت تُحْصَى إتزر إلى حدود 1971 في إطار مجموعة أيت سيدي بوموسى. وينتمي هذا الأخير إلى سيدي حمزة (القرن العاشر الهجري) كما كان له الفضل في تأسيس واحة تيشوت التي استقطبت العديد من الشرفاء والفقهاء والفلاحين الوافدين من مناطق مختلفة (الأطلس الكبير وتافيلالت، إلى غير ذلك). وتشكل هذه الواحة النواة الأصلية للمركز الحالي، وهي تقع بالنسبة له في الشمال الغربي وبقيت تمثل مجموعة منعزلة عن ما يمكن أن نسميه بإتزر الجديد.

إلا أن هذا التعمير القديم الذي اعتمد على الاستقرار والإنتاج الفلاحي لم يق المنطقة من تحركات القبائل النصف ترحالية خاصة منذ بداية القرن السابع عشر، إذ توالت عليها قبائل عربية وبربرية، كل ذلك في إطار نزاعات وصراعات من أجل البحث عن مراع جديدة وامتلاكها، ولم تنته هذه التنقلات إلا في نهاية القرن التاسع عشر حيث احتلت قبيلة إِركْلاوْن المنتمية لبني مكيلد المجال الذي يحيط بإتزر والذي لا زالت تشغله حتى اليوم. قام المولى الحسن الأول برحلة إلى منطقة ملوية العليا سنة 1888 ومن ضمن أهداف الحركة الحد من الاضطرابات الناتجة عن هذه التنقلات، فاحتل قصبة إتزر وقام بتعيين قائد عليها. وبقي الإركلاونيون يمارسون تربية الماشية وبعض الزراعات البورية وهم يتنقلون بين المراعي الجبلية في الصيف وأزغار في الشتاء عند أبناء عمهم المقيمين بأزرو، هذا في الوقت الذي استمرت فيه الساكنة المستقرة (أيت سيدي بوموسى) على واد تانسلنت في أنشطتها المعتمدة على الزراعة السقوية مذكرة بذلك اقتصاديا وعمرانيا (البناء بالتراب المدكوك) بالواحات الجنوبية. أما في الفترة الاستعمارية فقد عملت الإدارة على اختيارها كمركز عسكري وإداري يتيح لها إمكانية المراقبة وبسط النفوذ على القبائل المجاورة. وحرمت إثر ذلك قبيلة إِركلاون من التنقل نحو أزرو، ونادرا ما رخص لها بذلك.

وظهرت بنايات جديدة تجسد هذه السلطة بعيدا عن تيشوت وفي موقع تم فتحه على الطريق الرئيسية رقم 2 الرابطة بين مكناس وتافيلالت. وانفتاح إتزر هذا على وسائل المواصلات السريعة ساعد على فتح مجالها الغابوي الشاسع للاستغلال، إذ أصبح نشاط قطع الخشب والنجارة يشكلان بعد الفلاحة القطاع المشغل لجزء وافر من السكان (إنشاء معملين لقطع الخشب). ونتيجة لهذه الدينامية الجديدة نمت تجارة صغيرة دائمة بجانب السوق الأسبوعي الذي اتسعت رقعة إشعاعه على المناطق المجاورة.

كما أن إتزر سجلت إقامة بعض الخدمات مثل الصحة والبريد والتعليم (تأسيس مدرسة بربرية - فرنسية ومدرسة وطنية في الخمسينيات) كل هذه العوامل تظافرت لرسم الوجه الجديد لهذا المركز الذي تزايدت ديمغرافيته بسبب التزايد الطبيعي نتيجة لسيرورة الاستقرار، فبعدما كان المركز لا يمثل أكثر من 200 نسمة في 1936 وصل عدد ساكنته إلى 1800 نسمة سنة 1952، وأصبحت تقصده الساكنة الريفية من بولعجول وأيت ميمون وأيت بن إيشو وأيت بنمنصور وإزاتيمن وغيرهم) قصد التبادل والترفيه وقضاء الحاجات يوم السوق (الاثنين).

واستمر هذا التوسع الديمغرافي للمدينة، خاصة في مرحلة الستينات، حيث وصل عدد السكان إلى 4232 نسمة (من بينهم 277 يقطنون مجموعة تيشوت) سنة 1971، واكتسحت البنايات الجديدة المجال الزراعي مثل قطاع "فوق الساقية"، "إيگ نتوگة". إلا أن هذه الوثيرة سرعان ما تراجعت. وحسب إحصاء 1982 لم يتجاوز عدد السكان 4545 نسمة. ويمكن إرجاع سبب هذا الركود إلى كون المدينة لم تعرف ظهور نفس جديد حيث بقيت فيها الأنشطة الاقتصادية جد محدودة نتيجة موقعها الهامشي بالنسبة للطريق الرئيسية الرابطة بين مكناس والريصاني (تبعد عنها ببضع كيلو ميترات) وبروز مراكز أخرى مثل بومية (4292 نسمة) وتونفيت (4250 نسمة) مما جعل إتزر تنكمش على نفسها رغم كونها لا زالت تمثل مركزا إداريا تابعا لعمالة خنيفرة. فإدخال التجهيزات التعليمية على المجموعات المجاورة قلص من شعاعها التعليمي، كما أن خلق سوق أسبوعي جديد بزايدة من شأنه أن يحد من الوقع الاقتصادي لهذه البلدة الصغيرة التي لا زالت تبحث عن هويتها.

Brignon et coll., *Histoire du Maroc* ; R. Raynal, *La Terre et l'Homme en Haute Moulouya*, BESM, 1960 ; *Note de présentation du plan d'aménagement de la ville d'Ifran*, Ministère de l'Intérieur ; *Recensement général de la population et de l'habitat*, 1960, 1971, 1982 ; *Carte topographique d'Ifran au 1/50000*, 1966 ; Enquête personnelle.

عائشة البلغيتي العلوي

**أتمكا، الحسين** زعيم أيت سخمان، القبيلة الواقعة على وادي العبيد، يعتبر خلفا روحيا للمرابط علي أمهاوش في الطريقة الدرقاوية وفي زعامة أهله. لا يُعرف شيء عن نشاطه قبل أبريل 1918، تاريخ وفاة شيخه أمهاوش. ومنذئذ ظهر زعيما للجناح المقاوم لزاوية أحنصال بأسكر، المناهض لجناح سيدي مْحا أحنصال الذي خضع للفرنسيين عام 1923.

في تقارير الفرنسيين وكتاباتهم تحامل كبير على أتمكا، وربما كان ذلك لأن حياته مليئة بالمقاومة المتواصلة للغزو الاستعماري في الأطلس المتوسط، فهو يمثل الجيل الثاني من زعماء هذه المقاومة بعد وفاة أمهاوش وموحا أسعيد ومقتل موحى وْحَمُّو. واستمر في الجهاد إلى عام 1930 حيث توفي، وجاء رئيس جمهورية فرنسا گاستون دوميرگ إلى المغرب وقام بزيارة للأطلس المتوسط ليتأكد من هدوء الوضع بعد وفاة أتمكا العنيد.

قضى جلّ أوقاته في التحريض على المقاومة متنقلا بين زاوية تمكا وتاگلفين وأسكر وأغبالا المراكز الروحية لدرقاوة في الأطلس المتوسط.

كان الحسين أتمكا زعيم زاوية أحنصال بأسكارن وقائدا على أيت سخمان، وكان له نفوذ خاص عند أيت داود أعلي وأيت سعيد، وكانوا يزيدون في عددهم على ألفين وثلاثمائة وست وأربعين خيمة.

عقد أتمكا عشرات من التجمعات للتبشير بفكرة الجهاد وتوحيد الصف اللازم له عند أيت عطا الثائرين المطوقين بالقبائل الأخرى الخاضعة للمزوارين ولمْحَا الحنصالي. وقد طلب أتمكا من القبائل أن تنتخب شيوخ الحرب، وكان منهم الشيخ علي أمُوحا لدى أيت عطًا، وابن حساين نايت عيسى عند أيت مساض، وابن حسين الزعبيد عند أيت عبدي، وابن حامد عند اتحادية أيت إسري، وموحى أوارّاي عند أيت داود أعلي، وأقديم نايت إبراهيم بعد نهاية مدة الزعابدي إلخ. وكل هذه الانتخابات تمت بمساعي أتمكا وبعد مفاوضات ومناقشات عويصة.

امتد نفوذ أتمكا إلى الدير، وكان رد فعله الجهادي الأول على غزو الفرنسيين لمنطقة وادي العبيد عام 1918، وجاءته إمدادات من تافيلالت، وكان متصلا بشريفها المجاهد الدرقاوي، فاجتمع له ألفان من حملة البنادق قاوموا زحف الغزاة وصمدوا لقصفهم العنيف بالطيران ابتداء من 1924. وقد مارس ضغطا كبيرا على كل المهادنين، ونظم حركات هجومية لقطع الطريق على الغزاة. وكان له اتصال وثيق بثوار الريف، وقد توصل في يوليوز 1925 برسائل جديدة ومبعوثين من الريف تحثه على الشروع في الهجوم لتجميد حركة الغزو. وتقدر المصادر الفرنسية أن مجموع ما توصل به أتمكا من إعانة الريفيين ثمانية

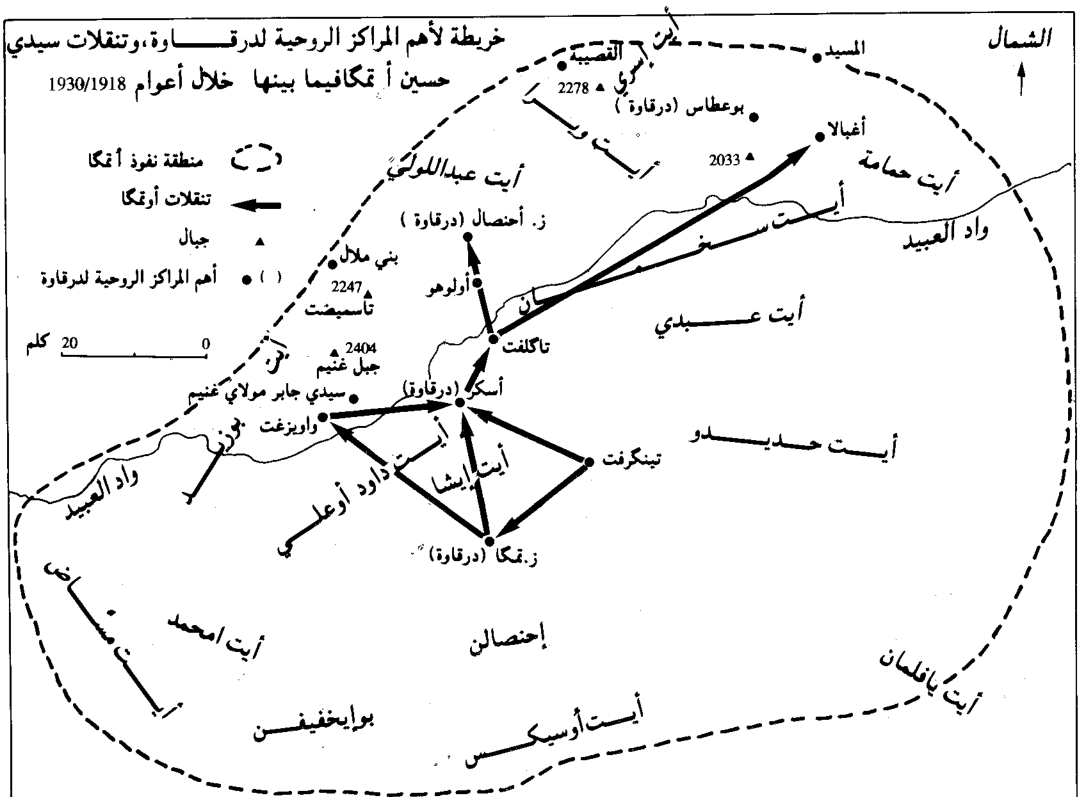

آلاف دورو حسني لتكثير الجهود والجيوش، وقالت إن جزءا منها من مصدر ألماني.

استعان الاستعمار بعدد من عملائه في وضع العراقيل أمام المقاومة بزعامة أتگا الذي تغلب على بعض الصعوبات إلى أن توفي يوم 13 مايو 1930 بزاوية أسكر وكان قد عين لخلافته ابنه سيدي علي وسنه بين 40 و50 عاما واستطاع قيادة المقاومة ما وسعه ذلك.

*التقارير الشهرية للحماية 1918-1930* ؛ جريدة *السعادة*، العددان: 2644 بتاريخ 8 أبريل 1924 و2645، بتاريخ 10 أبريل 1924 ؛ القبطان طاريط، *مجلة الجغرافية المغربية*، دجنبر 1923 ؛ *الوثائق المغربية* 1927، 110-123.

الملكي المالكي

**أتيـل**، أو أگارْ أو تاگارْتْ : نوع نباتي يسمى ميرُوَا كرَاسِيفُولْيَا Maerua crassifolia وهو من فصيلة الكباريات Capparaceae.

إنه شجرة أو شجيرة ذات جذع وأغصان بيضاء. أوراقها صغيرة ذات لون فضي، ومجتمعة على هيئة كواكب، توجد على رؤوس أغصان قصيرة. ثمارها طويلة. يعيش أتيل في المناطق الصحراوية ذات الشكلين الحار والمعتدل فَوق أراض صخرية.

أما من حيث توزيعه الجغرافي فإنه ينتشر في الصحراء الوسطى والجنوبية وفي الناحية الغربية من الصحراء الشمالية وبالضبط في الجنوب المغربي الواقع جنوبي الأطلس الصغير أي في جبال باني ووارگزيز.

يعرف أتيل في الأوساط الشعبية الصحراوية بالجنوب المغربي كنبات يستعمل لتنقية الأسنان وفي التطبيب التقليدي ضد الحمى وأوجاع الأسنان والأمعاء وفي حالة الدمل والكسر. كما يعتبر من أهم الشجيرات الرعوية.

J. Bellakhdar, *Médecine traditionnelle et toxicologie* .

عبد المالك بنعبيد

**الأثْبَـج**، أحد شعوب بني هلال. جدّهم الذي ينتسبون إليه هو الأثبج بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال. كانت مساكنهم في الجاهلية ضمن بطون بني هلال في بسائط الطائف بينه وبين جبل غزوان من أرض الحجاز. ثم نزحوا في الإسلام إلى الشام إلى أن نقلهم الفاطميون العبيديون حكام مصر إلى بلاد الصعيد. ولما قطع بنو زيري حكام إفريقية دعوة الفاطميين وبايعوا العباسيين عام 437، سلّط عليهم المستنصر بالله الفاطمي - بإشارة من وزيره الحسن اليازوري - القبائل الهلالية، وفي مقدمتهم الأثبج قائلا لهم: "قد أعطيتكم المغرب ومُلك المعز بن بادس الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون" *(العبر*، 6 : 31) وكان للأثبج ومن معهم من بني هلال وسليم وقائع مشهورة تغلّبوا أثناءها على المعز واستولوا على حاضرته القيروان وخربوها، ثم اقتسموا بلاد إفريقية وهادنوا الزيريين الصنهاجيين الذين كانت لهم دولة ثانية تحت حماية الأعراب في منطقة ساحلية ضيقة يحكمونها من مدينة المهدية.

ولما قامت دولة الموحدين وخرج عبد المومن من مراكش في حركته الشهيرة إلى المغربين الأوسط والأدنى، جاءه أمير الأثبج أبو الجليل بن شاكر ومعه أمير جشم "فتلقّاهما بالمبرة وعقد لهما ومضى لوجهه" *(العبر*، 6 : 44) وقد استنفر الموحدون الأثبج في جهادهم بالأندلس فأجازوا مع عبد المومن وابنه يوسف. لكن لما خرج بنو غانية أمراء ميورقة على الموحدين وملكوا بجاية عام 581 / 1185 انحاز إليهم الأثبج في جملة القبائل العربية، إلى أن قضى عليهم يعقوب المنصور وطاردهم إلى الصحراء. حينئذ رجع العرب، ومنهم الأثبج، إلى طاعة الموحدين، فرأى المنصور أن يخضد شوكتهم بترحيل فرق منهم إلى المغرب الأقصى. وكان بعض بطون الأثبج من هؤلاء المرحّلين، وأسكنهم المنصور مع قبائل جشم بلاد تامسنا فيما بين سلا ومراكش.

قضى الأثابج - كسائر العرب المرحلين إلى المغرب - فترة تأقلم لم تخل من اضطرابات. فبالرغم عن إخلاصهم للموحدين ومشاركتهم في حركاتهم الجهادية بالأندلس فإنهم كانوا من العناصر المشاغبة التي زادت في تدهور هذه الدولة بعد موت الناصر، ولم يتمكن المرينيون من الأخذ بناصية هؤلاء العرب إلا بمصانعتهم ومصاهرتهم وإسناد المناصب السامية إليهم كالحجاجة والكتابة والقيادة. ثم استبد الأعراب بالسلطة الفعلية في الجهات التي يقطنون بها عند ضعف السلطة المركزية مع أواخر المرينيين وطوال عهد الوطاسيين، كما يتجلى ذلك عند الحسن الوزان ومارمول. وتعرض الأثابج كسائر القبائل العربية عبر العصور إلى هجرات اختيارية أو قسرية جعلتهم ينفصلون عن بعضهم أو يندمجون في غيرهم، وأشهر بطون الأثبج هم أولاد دُريد، وأولاد لطيف، وأولاد مقدّم، وأولاد الضحاك، وأولاد عاصم، وأولاد قرة. وهم اليوم موزعون في مناطق مختلفة من أقطار المغرب الكبير، و"تشلّح" لسان بعضهم بمخالطتهم جيرانهم الأمازيغيين، واتخذ بعضهم أسماء مستحدثة نسبة لبطون أو عشائر متفرعة أو متركبة.

ع. ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *إفريقيا* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*.

محمد حجي

**اثنين أيت واد ريم ← أگدير (إقليم ـــ )**

**اثنين تيموليلة ← أزيلال (إقليم ـــ )**

**اثنين جنان بوية ← أسفي (إقليم ـــ )**

**اثنين الغيات ← أسفي (إقليم ـــ )**

**أجَانَا**، أسرة شهيرة بمكناس، تنسبها وثائق عدلية إلى صنهاجة، وهو الثابت في *الديوان الإسماعيلي* لأنساب طبقات من سكان مكناس، حيث يرد به : "أولاد أجانَة من

صنهاجة طيط" فيتبين من هذه الفقرة أن نسب الأسرة يرجع إلى صنهاجة أزمور، ومن هذا التحديد فإن أجانا هنا لا علاقة له بـ "أجانا بن يحيى" : الجد الأعلى لزناتة "(*العبر*، 6 : 183، 265)، كما أنه لا اتصال له بإجَّانة" من بطون كتامة : (*العبر*، 6 : 302).

وعن لقب الأسرة فإن الشائع فيه كتابته بالألف والجيم المفتوحتين آخره ألف ؛ وبينهم فرقة تحول لقبها إلى الأجانيّ على طريق النسبة، وفريق ثالث يكتب أجانة بالتاء آخره، وعلى هذه الصفة ورد - أيضا - في *الديوان الإسماعيلي* المشار إليه. وأغرب أفراد من صميمهم، فأضاف إلى لقب الأسرة كلمة "الجعفري"، ولا يفسر هذا إلا بالتطلع لنسبة الجعفرية دون مستند معروف، ودون أن يشايعه في ذلك عامة القبيل ؛ وأغرب من هذا ما قام به بعض المتزلفين للمحتسب أجانا آتي الذكر، فافتعل وثيقة بشرف الأسرة، على أن عددا من فضلائها، لهم من الخلال الكريمة ما خلد لهم شرف الانتساب للعلم والنبل والجدية. ويكثر فيهم الصناع والتجار الصغار والمتعلمون. ويتوجه اليوم أبناؤهم إلى التعليم الحديث.

ومنهم قلة في فاس عرّف بهم المرحوم عبد السلام بن سودة في *إزالة الالتباس* قائلا : "أولاد أجانة - بفتح الجيم والنون - من مكناسة الزيتون، وأصلهم من قبيلة صنهاجة طيط، ولا زال البعض منهم بمكناسة، أهل طلب وثروة ومال ومعاش وحرفة".

وبعد هذا : فإن انتساب المنوه بهم إلى صنهاجة طيط، قد يشير إلى أن ورود أوائلهم لمكناس، كان قد عقب استيلاء البرتغال على منطقة تيط أوائل القرن العاشر الهجري / 16 م.، غير أن المصادر المتوفرة على قلتها، إنما تبتدئ بذكر المعنيين عند أواخر القرن الثاني عشر / 18. ويُعرف منهم في آخر هذا القرن :

**أجَانَا، الحاج العربي** بن الحاج محمد، وكان أحد أمناء مكناس الاثني عشر أيام السلطان العلوي محمد الثالث (1186 / 1772)، (*الحوالة الجديدة لأحباس مكناس*، 117).

**أجَانَا، عبد الله** بن محمد، ذيل باسمه مخطوطا فرغ من كتابته بتاريخ 8 جمادى الثانية 1194 / 1780، (خ. ع. 2082 د).

وإلى هنا فإن المصادر المتبقية تتناثر بها أسماء النابهين من الأسرة موزعين بين الفرق التالية :

أ - فريق النازحين إلى مراكش، ومنهم :

**أجَانَا، أحمد** بن عبد الوهاب، ولا يعرف عنه الآن سوى تخطيط بوصف الفقيه في الظهير السليماني.

**أجَانَا، عبد الوهاب** بن الحاج عبد الرحمان، وهو اسم ردده أكثر من مصدر. فنوه به الزياني في *الجمهرة* بين أشياخ السلطان العلوي مولاي سليمان قائلا : "ومنهم مؤدبه في صغره معلم أولاد الملوك بباب الدار العالية بالله في قصبة مراكش... الأستاذ البركة المرابط : السيد عبد الوهاب أجانا المكناسي أصلا، المراكشي دارا" كما ذكره كل من ابن إبراهيم في *الإعلام* وابن زيدان في *الإتحاف*. وفي المصدرين - معا - يأتي نص ظهير مولاي سليمان بإقطاع دار وعرصة في مراكش برسم أولاد شيخه المذكور بتاريخ 6 شعبان 1212 / 1798. ويستنتج من ترحُّم الوثيقة على المترجم أنه - آنذاك - صار في عداد الأموات، وذلك هو مستند ابن زيدان في توقيت وفاة عبد الوهاب أجانا بأوائل القرن الثالث عشر / أواخر ق 18 م. والظهير - بعد هذا - يزكي أستاذية المترجم للسلطان، فيخططه بوصف "شيخنا" وهي حلية يعتز بها - من بعده - العاهل عبد الرحمان بن هشام، فيسجلها في منشور بتوقير واحترام الأسرة ورد عند ابن زيدان في *النهضة العلمية*.

وإلى هذا : فإن الوثيقة السليمانية تفيد باسمين من أبناء المترجم المفضل وأحمد، وتذكر كلا منهما بسمة "الفقيه"، وحسب وثيقة عدلية بتاريخ 4 ذي القعدة 1207 / 1793 : كان للمترجم ولد ثالث باسم محمد، موصوف بالفقيه المدرس المجود. وهكذا يصل عدد المنتقلين من مكناس لمراكش إلى أربعة.

**أجَانَا، محمد** بن عبد الوهاب، وهو من الآخذين عن محمد بن عبد السلام الفاسي، وبهذه المناسبة جاء ذكره في *عناية أولى المجد*، مع تحليته "بالشيخ العلامة المشارك النبيل"، ثم ترجمه ابن زيدان في *الإتحاف*.

**أجَانَا، المفضل** بن عبد الوهاب، وكان - حسب الزياني - من الكتاب ببلاط مولاي سليمان، ومن الحاضرين في مجالسه.

وإلى هؤلاء الأربعة يتحدث السباعي في *البستان* أواسط عام 1290 / 1873، عن عبد الوهاب أجانا (غير المتقدم) وأخيه الهاشمي ساكني مراكش، ويصف الأول قائلا : "صهرنا الفقيه النجيب. الحاذق العاقل اللبيب، الإمام الخطيب".

ب - فريق حي حمام الجديد بمكناس، ويتسلسل فيه عالمان جليلان وعدل مبرز :

**أجَانَا، أحمد** بن إدريس يدعي قرُورُو، وُصف بالعدل الرضى، ولا تزال ذريته بقيد الوجود في مكناس، ونوّه به في *الإتحاف*.

**أجَانَا، إدريس** بن التهامي في نفس المصدر.

**أجَانَا، التهامي** المترجم في *الإتحاف*.

ج - فريق أجانا الجعفري بمكناس، منهم :

**أجَانَا، محمد** محمد بن **التهامي**، حلي بالفقيه النبيه حسب وثيقة شراء مخطوط خاص، بتاريخ أواخر شعبان 1206 / 1792. كما حلّى والده بالعدل الوجيه.

**أجَانَا، محمد** بن **محمد** بن التهامي، هكذا ورد إمضاؤه في المخطوط السابق.

**أجَانَا، محمد الهاشمي** (غير السابق) بن محمد بن التهامي الجعفري المكناسي، هكذا سجل اسمه في خاتمة مخطوط *فصل الخطاب* لأبي بكر بن الخطاب، وفرغ من انتساخه عشية الأحد 4 محرم 1232 / 1816 (خ.ع. 3787 د).

د ـ فريق المحتسب أجانا بمكناس

**أجَانَا، أحمد** بن **محمد** بن أحمد، خريج القرويين، ومحافظ خزانة الجامع الكبير بمكناس إلى أن توفي يوم فاتح ربيع الأول 1404 / 6 دجنبر 1983. ومما يحمد له أنه قدّم لجائزة الحسن الثاني حصة مهمة من وثائق جده عن تصرفاته في فترة ولايته الحسبة بمكناس، وبذلك تتوفر الخزانة العامة بالرباط على مجموعة من الأشرطة لصور هذه الوثائق.

**أجَانَا، الحاج محمد** بن **العربي** لمع اسمه من أواسط عام 1294 / 1877، حيث عُين ضمن أمناء الصائر بمكناس، ثم صار محتسبا بنفس المدينة من تاريخ 5 ربيع الثاني 1298 / 1881، إلى وفاته ليلة 26 رمضان 1306 / 1889، حيث دفن في الزاوية الناصرية بمكناس. وقد أقام خطة الحسبة على قواعدها المدونة، وأعرافها المألوفة، وتشدد في ذلك حتى ليتجاوز ـ أحيانا ـ اختصاصات وظيفته.

ومن آثاره المعمارية ببلد مأموريته، الروض الفخم الذي كان يعرف بـ "رياض أجانا"، وتحول ـ أخيرا ـ إلى مدرسة ابتدائية في حي الصباغين، ويهمنا من هذا المعمار أنه كان من بين حجراته عُلية هيأها المترجم لوضع "فردة النعل النبوي الشريف" التي صارت إليه، وكان وضعها داخل صندوق يناسب أهمية الذخيرة المظروفة به، ثم استمرت بعد وفاته مدة بمكانها، إلى أن أهداها ابنه الحاج أحمد للسلطان مولاي عبد العزيز أخريات أيامه، فكان ذلك آخر العهد بها.

**أجَانَا، محمد** بن **أحمد** بن الحاج محمد المحتسب المذكور قبله. وهو مؤسس المسجد في المدينة الجديدة بمكناس عند حي الأمير عبد القادر، ويعد من المثرين القلائل الذين جمعوا ثروتهم بالوسائل المشروعة، ويؤدون منها حقوقها الشرعية.

هـ ـ أسماء أخرى لآل أجانا

**أجَانَا، أحمد** بن الحاج **محمد**، أستاذ حافظ للقراءات السبع، توفي عام 1373 / 1953.

**أجَانَا، إدريس** (زنيبر)، تـ 1354 / 1935، كان مكتبا في حي العدوية بمكناس، منور الشيبة حسن الهندام.

**أجَانَا، محمد** بن الحاج **محمد** بن محمد المكتب في درب الجنان من نفس المدينة، توفي نحو عام 1364 / 1944.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 3 ؛ *الديوان الإسماعيلي* (لأنساب طبقات من سكان مكناس حسب نصه ـ كاملا ـ عند ابن زيدان في *المنزع اللطيف* (خ. ع. 595 ج)) ؛ *الحوالة الجديدة* لأحباس مكناس، (مخطوط نظارة نفس المدينة) ؛ أ. الزياني، *جمهرة التيجان* (مخطوط خ.ع. 1220 ك) ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2، 4، 5 ؛ *النهضة العلمية* (مخطوط) ؛ *وثيقتان عدليتان* في حوزة خاصة ؛ م. سليمان، *عناية أولى المجد* ؛ م. السباعي، *البستان* (مخطوط خ. ع. 1346 د) ؛ *وثيقة شراء مخطوط* في خزانة خاصة ؛ *لائحة بأسماء الشهود* في محكمة القاضي بمكناس، نحو 1331 / 1913 (خزانة خاصة) ؛ ع. الفاسي، *تعليق على سلوة الأنفاس* (بهامش نسخة في خزانة خاصة) ؛ م. المنوني، *خطة الحسبة في المغرب*، المناهل، ع. 14، 209-234.

محمد المنوني

**أجَانَا**، (زاوية ـــ)، أسسها أبو محمد الحسن بن عمر المدعو أجانا المتوفي حوالي عام 920 / 1515 ذكره صاحب *ممتع الأسماع* (ص. 29) *وتحفه أهل الصديقية* (ص. 26). واكتفى بذكر نسبه وأخذه وتتلمذه على الشيخ الجزولي مباشرة وبدون واسطة. وقد شيد أجانا زاويته بتَجْمْلْت على وادي اللبن، مما يلي بلاد هوارة من أحواز فاس. لكن الزاوية لم تشتهر إلا بعد ذلك بسنين أي في عهد أبي إبراهيم الجناتي المتوفي عام 1055 / 1645 الذي ذكره كذلك في *الممتع* (ص. 118) *والتحفة* (ص. 51) وكان هذا الأخير من أتباع مولاي أبي الشتاء الخمار المتوفى عام 995 / 1589.

استمرت زاوية أجانا في نشاطها وإشعاعها بعد ذلك، حيث اهتم بها الملوك العلويون وأصدروا في شأنها ولصالح أسرة الجناتيين ظهائر توقير واحترام، لا زال أصحاب هذه الزاوية يحتفظون بها. منها ظهير 1171 هـ يأمر فيه السلطان بتوقير واحترام السيد عمر بن عبد القادر القاطن بقبيلة التسول وإخوانه القاطنين بقبيلة اللجاية ومنهم السيد الحسن بن محمد والسيد محمد بن الطاهر والسيد بوقرن القاضي والسيد عبد القادر... وكذلك ظهير 1291 هـ الصادر عن المولى الحسن الأول يشير فيه إلى أن سيدي محمد بن الحسن المدعو أجانا من بلاد الحياينة النازلين بها وبفاس من السادة الذين منحهم الملوك العلويون ظهائر، وقد "أقررنا لهم ما عهد لهم فيها من التوقير والاحترام والحمل على كاهل المبرة والإكرام، والمحاشاة عما يكلف به العوام"... وكذلك ظهير عام 1311 لرفع التكاليف عن أبناء سيدي محمد بن الحسن الجناتي، وأخيرا ظهير 15 شعبان عام 1323، للتذكير بتوقير الأسرة الجناتية أرباب الزاوية. ولا زالت زاوية أجانا مفتوحة إلى اليوم، تختزن أصول الظهائر التي أشرنا إليها.

*ظهائر التوقير والاحترام* الصادرة عن الملوك العلويين مخطوطة في الزاوية ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط ؛ *ممتع الأسماع*.

محمد مزين

**الأجانب** بالمغرب. ظل المغرب حتى القرن السابع عشر متمسكا بقواعد الفقه الإسلامي فيما يتعلق بمعاملة

الأجانب، ذلك أن هذا الفقه لا يأخذ بمفهومي مواطن وأجنبي وإنما يقيم التمييز في معاملة الأشخاص على أساس الانتساب إلى دار الإسلام أو دار الكفر. فالمسلم لا يُعتبر في دار الإسلام "أجنبيا" مهما كان بلده، أما غير المسلم من أهل الكتاب المقيم في دار الإسلام بصورة دائمة فيطلق عليه وصف الذمي، ويتمتع نتيجة ذلك بحقوق (حرية العقيدة الدينية...) مقابل واجبات (أداء الجزية والخراج) ولا ينطبق وصف "الأجنبي" في تصور الفقه الإسلامي إلا على الشخص الذي ينتمي إلى دار الكفر، وهي التي تحت حكم غير المسلمين. فإذا كان انتماء غير المسلم إلى بلاد هي في حالة حرب مع دار الإسلام أطلق عليه اسم الحربي ولم يجز له نتيجة لذلك دخول دار الإسلام. أما غير المسلم المأذون له بدخول دار الإسلام فيسمى بالمستأمن وهو يعامل معاملة الذمي طيلة الفترة المسموح له بالإقامة خلالها في دار الإسلام. وتقترب من ذلك وضعية المعاهد، أي الشخص الذي عقدت معاهدة سلام بين بلده ودار الإسلام.

وقد بقي المغرب تحت ظل هذا القانون التسامحي عدة قرون. ولكن الدول الأروبية والأمريكية استطاعت بين القرنين 17 و19، تنظيم الوضعية القانونية لرعاياها الذين أخذوا يستقرون في المغرب بمقتضى معاهدات شبيهة بتلك التي كانت تعقد مع الامبراطورية العثمانية أو الأقاليم الإفريقية التابعة لها (كالجزائر وتونس وطرابلس ومصر)، أخضعوا في ظلها لنظام قانوني خاص يعرف باسم نظام الامتيازات. وقد قام هذا النظام في أول الأمر على مبدإ المعاملة بالمثل، غير أنه تحول بسبب ضعف الدولة المغربية، خصوصا بعد هزيمة إسلي 1840 وتطوان 1860، أمام الأطماع الأوروبية التي تغلبت على الصراعات فيما بينها، إلى نظام امتيازات من جانب واحد من الناحية الواقعية بعد أن كان متبادلا من الزاوية القانونية، وأصبح الأجانب الخاضعون له، في نهاية الأمر، يتمتعون في المغرب بوضعية متميزة أكثر من اللازم. وقد ساعد على تجذير ذلك إدخال شرط الدولة الأولى بالرعاية في كثير من المعاهدات التي أبرمها المغرب آنذاك مع الدول الأجنبية. ويمكن تلخيص جوهر الحقوق التي كان الأجانب يتمتعون بها خلال هذه الحقبة وفقاً لنظام الامتيازات، أولا : في الحق في التملك العقاري، ضمن الحدود التي أقرها الفصل 11 من معاهدة مدريد التي عقدت في 3 يوليوز 1880. ثانيا : في حرية الإقامة والمساواة القانونية والاقتصادية لجميع الأجانب في المغرب التي وقع تكريسها نهائيا بمقتضى معاهدة الجزيرة الخضراء (7 أبريل 1906) وثالثا : في الامتياز القضائي الذي كان يحرم القاضي المغربي من الفصل في المنازعات التي تنشأ بين الأجانب أو التي يكون الطرف الأجنبي فيها مدعى عليه، باستثناء القضايا العقارية التي بقيت من اختصاص القاضي المغربي حصرا، ثم الامتياز التشريعي الذي سُمح للأجنبي بموجبه بأن يخضع لقانون دولته إلا في ما يتعلق بالجانب العقاري الذي كان إقليميا. وهكذا كان الأجنبي يخضع لمحكمة قنصلية كانت تطبق قانونا أجنبيا أو قواعد متفقا عليها إذا كانت المحكمة مكونة من قنصل دولة وقنصل دولة أخرى أجنبية، أو من قنصل أجنبي والقائد أو الباشا فيما يتعلق بالنزاعات التي يكون أحد أطرافها مغربيا، وانتقل المغرب تحت ضغوط التزاماته الدولية والتزامات فرنسا الدولية إلى عهد الحماية.

بعد فرض نظام الحماية وتقسيم المغرب إلى مناطق احتلال ثلاث، شُرع في تنظيم وضعية الأجانب في كل منطقة على حدة، بمقتضى نصوص قانونية داخلية وهكذا صدر في منطقة الحماية الفرنسية بالمغرب قانون 12 غشت 1913 تحت عنوان : "ظهير بشأن الوضعية المدنية للفرنسيين والأجانب"، كما صدر في المنطقة الخاضعة للنفوذ الإسباني بتاريخ 1 يونيو 1914 ظهير خليفي بشأن الوضعية المدنية للإسبانيين والأجانب في المغرب". أما في منطقة طنجة الدولية فلم يصدر القانون المتعلق بالوضعية المدنية للأجانب الخاص بهذه المنطقة إلا في سنة 1924. وقد اشتملت هذه النصوص الثلاثة، بالإضافة إلى القواعد المتعلقة بوضعية الأجانب بالمفهوم الضيق أي التمتع بحقوق، على كثير من القواعد التي تهم بالأساس مادة تنازع القوانين وتنفيذ الأحكام الأجنبية بالمغرب. ولذلك فمضمون كل من هذه الظهائر في الواقع أوسع من العنوان الذي يحمله. غير أن هذه القوانين الثلاثة لم تنظم وضعية الأجانب بصورة مباشرة كما هو عليه الحال في معظم البلدان المستقلة حيث تقاس وضعية الأجنبي على وضعية المواطن، بل أحالت في ذلك على القوانين الوطنية لمختلف الأشخاص الأجانب. وبعبارة أوضح كان كل أجنبي يتمتع خلال الحماية بالحقوق التي كان معترفاً له بها في بلده الأصلي، فهو إذا جاز التشبيه كان يحمل هذه الحقوق معه عند قدومه إلى المغرب، لأن وضعيته، وهذا شيء غريب، كانت تحدد استنادا إلى قانونه الوطني. ويرجع السبب في ذلك إلى كون التشريعات الخاصة بوضعية الأجانب في المغرب آنذاك، أُعدت لتكون الوارثة الشرعية الوحيدة لنظام الامتيازات. ومن ثم فلم تتعرض وضعية الأجانب لأي تغيير هام، باستثناء مضمون الحقوق نفسها التي يعترف بها القانون الوطني للشخص الأجنبي.

ورغم هذا ظهر آنذاك ما سمي بـ"النظام العام الشريفي الجديد" الذي شكل أداة من أجل تصحيح نظام شخصية القوانين عند الحاجة. وقد كان هذا النظام العام ذا صلة وثيقة بالنموذج الغربي الليبرالي.

كما ظهرت عدة نصوص تحد من بعض الحقوق الاقتصادية، مما أدى إلى رفع الولايات المتحدة التي لم تتنازل عن امتيازاتها في المغرب، شكوى لدى محكمة العدل الدولية، لأن المقيم العام الفرنسي في المغرب اتخذ بموجب قرار صدر عنه في 1948/12/30 سلسلة من التدابير القصد منها إخضاع الواردات لنظام إذن مسبق لا يشتمل على مخصصات رسمية تتعلق بالعملات الأجنبية.

فاعتبرت محكمة العدل الدولية أن هذا القرار المقيمي يتنافى مع الالتزامات الدولية للمغرب، ومنها على الخصوص تلك الواردة في معاهدة الجزيرة الخضراء.

أما بالنسبة لوضعية الأجانب في نطاق القانون العام، فيلاحظ أن اهتمام سلطات الحماية كان منصرفا إلى الحفاظ على الأمن في البلاد أكثر من ضمان الحرية، ولم تكن هذه السلطات لتفكر في إصدار إعلان للحقوق يستفيد المغاربة منه أيضا. لذا فليس من الغريب أن تقتصر ظهائر الوضعية المدنية على تنظيم وضعية الأجانب المدنية فقط أي التي تتعلق بالقانون الخاص.

إن النصوص المتعلقة بالوضعية المدنية للأجانب الصادرة في عهد الحماية، استمرت سارية المفعول إلى حين صدور قانون توحيد المحاكم في 26 يناير 1965. لكن بعد توقف العمل نهائيا بالنصين اللذين كانا نافذين في المنطقة الخليفية وفي منطقة طنجة، أضحى ظهير 12 غشت 1913 الذي كان يسري في منطقة الحماية الفرنسية سابقا هو وحده المعمول به في كافة أرجاء التراب المغربي. غير أن الحقوق التي يتمتع بها الأجانب اليوم في بلادنا، لم تعد تخضع ضمنيا من حيث تعيينها وتنظيمها للقوانين الوطنية للأجانب أو للمعاهدات القديمة المبرمة من جانب المغرب قبل الحماية، بل للنصوص القانونية الداخلية، وللمعاهدات الدولية التي التزمت الحكومة المغربية باحترامها أو صادقت عليها مع الدول الأخرى بعد الاستقلال. وقد وقع اختيارنا على الحديث عن وضعية الأشخاص الذاتيين الأجانب فقط. مع العلم أن وضعية الأجانب ونصوص داخلية أخرى (أهمها ظهير 1973/3/2) المتعلق بمغربة بعض الأنشطة وقوانين الاستثمارات لسنوات 60، 73، 83، 1988) ومعاهدات دولية، كما أن ظهير 1958/11/15 المغير بظهير 1973/4/10 والمتعلق بالحريات العامة يعطينا معيارا إقليميا وشخصيا لتحديد حقوق الجمعيات الأجنبية، وتجدر الإشارة إلى أن التمييز بين سفينة مغربية وأجنبية خاضع لظهير 1919/3/2 المتعلق بالتجارة البحرية، والتفرقة بين طائرة أجنبية ومغربية أساسها مرسوم 1962/7/10. كما أن ظهير 6 شتنبر 1958 ينظم قواعد الجنسية المغربية ويميز بالتالي بين الشخص الذاتي المغربي والشخص الذاتي الأجنبي. لا يجوز للشخص الذاتي الأجنبي دخول التراب المغربي إلا إذا كان حاملا جواز سفر صحيح صادر من السلطات المختصة في الدولة التي يتبعها، بشرط أن يكون مؤشرا عليه بالإذن في الدخول من طرف سلطة قنصلية مغربية. غير أنه يمكن إعفاء الأجانب من التأشيرة إذا كانوا ينتسبون إلى دول أبرمت الدولة المغربية معها اتفاقيات في هذا الشأن أو بقرار انفرادي من طرف المغرب. ويمكن أن تتخذ التأشيرة عدة أشكال : يتعلق بعضها بالتجول والبعض الآخر بالإقامة في حين نجد أن صنفا منها لا يهم إلا المرور العابر.

ويجب على كل أجنبي يريد الاستقرار في المغرب لمدة تزيد على ثلاثة أشهر أن يحصل على بطاقة تعريف خاصة بالأجانب، قابلة للتجديد مبدئيا كل سنة، وهي تطلب من مفوضية الشرطة أو إدارة الدرك التي يقيم الشخص الأجنبي في دائرة نفوذها مقابل الإدلاء ببعض الوثائق وأداء 60 درهما.

وعلاوة على ذلك فإن الأجنبي الذي يدخل المغرب قصد ممارسة عمل مهني، يكون ملزما بالحصول على عقد عمل مؤشر عليه من طرف وزارة الشغل المغربية إذا كان يعمل لحساب الغير، أو إذن خاص من لدن الكتابة العامة للحكومة بممارسة نشاط اقتصادي أو مهني معين لحسابه الشخصي إذا لم يكن هذا النشاط مقصورا على المغاربة وحدهم. وأما الطلبة الأجانب فيجب عليهم الإدلاء بشهادة التسجيل في مؤسسة جامعية وإذا كانت الحالة تتطلب ذلك بشهادة المنحة.

وهناك قواعد خاصة تنظم كلا من مسألة تغيير الإقامة وتمديدها وتأشيرة العودة.

ولقد صادق المغرب (ظهير 26 غشت 1957 كما وقع تغييره) على معاهدة جنيف المتعلقة بوضع اللاجئين بتاريخ 28 يوليوز 1951. ويمكن أن يفرض على الأجنبي الذي يشكل وجوده خطرا على الأمن العام أو الذي يتعذر عليه مغادرة التراب المغربي رغم قرار الإبعاد الصادرة في حقه، الإقامة في مكان معين تحدده له السلطات المختصة. كما يجوز طرد كل شخص أجنبي إذا كان من شأن التصرفات التي يقوم بها تهديد الأمن العام. أما تسليم الأجانب، فيخضع لعدة شروط، أهمها أن يكون الفعل المرتكب من جانب الشخص المطالب بتسليمه معاقبا عليه في القانون الجنائي لكل من المغرب والدولة التي تطلب التسليم على السواء، وأن لا يتعلق الأمر بجريمة سياسية. وتخضع إجراءات التسليم لرقابة الغرفة الجنائية بالمجلس الأعلى (ظهير 1958 المغير بظهير 1970/7/27 ومقتضيات معاهدات دولية ثنائية مع دول غربية وإفريقية).

ولا يعترف للأجنبي الموجود في المغرب بأي حق من الحقوق السياسية، فلا يجوز له أن يكون ناخبا أو منتخبا في الهيئات المحلية أو الوطنية (فصل 8 من دستور 1972/3/10)، كما لا تسند له أي وظيفة عمومية (فصل 21 من النظام الأساسي) إلا إذا كان الأمر يتعلق برابطة تعاقدية. وأما الالتزامات العسكرية فلا يتحمل عبئها إلا المغاربة (مرسوم ملكي بتاريخ 1961/6/9) شأنها في ذلك شأن الخدمة المدنية (ظهير بمثابة قانون بتاريخ 13 غشت 1972). لكن الانتفاع من المرافق العمومية ليس قاصرا عن المواطن المغربي، بل يتعدى أثره إلى أي شخص أجنبي يقوم في المغرب.

أما في نطاق الحقوق الخاصة، فإن الفصلين 1 و2 من ظهير 12 غشت 1913، المتعلق بالوضعية المدنية للأجانب في المغرب، فقد فقدا كل أثر لهما، رغم أن فسخهما لم يتم بعد، بصورة صريحة، ذلك أن الأجانب أضحوا لا يتمتعون إلا بالحقوق الخاصة المالية وغير المالية والحقوق القضائية

المعترف لهم بها في ظل النصوص القانونية الداخلية أو الاتفاقيات المتعلقة بالإقامة أو الحالة الشخصية أوالاتفاقيات القضائية التي أبرمها المغرب مع بعض الدول من المغرب العربي وأوروبا وإفريقيا السوداء، وكذا الاتفاقيات المتعلقة بحماية وتشجيع الاستثمارات الخاصة الأجنبية المعقودة مع بعض الدول الغربية أو العربية أو اتفاقيات متعددة الأطراف.

وهكذا يمنع على الأجانب ممارسة مهنة المحاماة، كما لا يجوز لهم أن يكونوا أعضاء في مكاتب النقابات المهنية أو مندوبين للأجراء في المؤسسات ويلزم الأجنبي الذي يرغب في تسيير مؤسسات التعليم الخاص والتدريس فيها أن يحصل على إذن خاص من الإدارة المغربية... على أن أهم النصوص التي قيدت تمتع الأجانب بالحقوق في المغرب هي التي صدرت لتنظيم ممارسة بعض الأنشطة الاقتصادية، وملكية الأراضي الفلاحية.

وقد سعى المغرب إلى إعطاء مضمون حقيقي لسيادته على ثرواته، وذلك عن طريق اتباع سياسة تهدف إلى سيطرة الدولة على بعض الثروات الطبيعية (الأراضي الفلاحية) وبعض القطاعات (توزيع المحروقات السائلة) وكذا بموجب سياسة تحويل متدرج وجزئي لملكية وإدارة الثروات الرئيسية من الأجانب إلى المواطنين المغاربة.

فهكذا أضحى الأجانب بعد صدور ظهير 2 مارس 1973 محرومين من ممارسة المهن والصناعات، والأعمال التجارية التي قصرها المشرع على الأشخاص الطبيعيين أو المعنويين المغاربة، إلا أنه تم منذ الثمانينات التراجع عن المغربة. كما شرعت الحكومة المغربية ابتداء من سنة 1959 في استرجاع الممتلكات الفلاحية التي كانت في حوزة الأجانب (استرجاع أراضي الاستعمار ظهير 1963/9/26 كما وقع تعديله وتغييره، نقل ملكية أراضي الملك الفلاحية أو القابلة للفلاحة إلى الدولة : ظهير 1973/3/2. كما وقع تعديله وتغييره). وتُوجت هذه السياسة بصدور ظهير 23 أبريل 1975 الذي نزع بصورة نهائية من الأجانب حق تملك الأراضي الفلاحية خارج الدوائر الحضرية.

ونخلص من ذلك إلى أن الأجانب يتمتعون حاليا في المغرب بالحقوق التي لا يمنعهم المشرع المغربي منها أو المعترف لهم صراحة بها في المعاهدات المبرمة مع دولهم إذا كانت مثل هذه الحقوق يقتصر التمتع بها على المواطنين المغاربة.

*كتب الفقه ونصوص المعاهدات والظهائر والمراسيم المشار إليها داخل النص.*

عبد الرزاق مولاي ارشيد

**أجَانَـة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لا زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ayala، وكان من بين أفرادها :

**أجَانَـة، محمد** فقيه كان يتعاطى خطة العدالة بتطوان سنة 1207 / 1793.

**أجَانَـة**، مسعود بن أحمد أحد أعيان تطوان وعدولها الذين شهدوا بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم في شهر شوال من سنة 1078 / 1668.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع. السكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 24 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 1 : 239 و282، م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (Y) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**الأجاني، محمد** الكرعة قائد بَني أجَّان من قبيلة غياثة، في جبال غربي تازا وبني بوگيطون، أصله من سيدي قاسم بوعسرية من شراردة مكناس. كان قائد مائة في عهد مولاي الحسن، وشارك في فتنة بوحمارة حيث كان قائد مشوره، قدمه الفرنسيون للقيادة وساعد على تطويع غياثة الشرق.

J. et M. Gouvion, *A'Ayan al-Maghrib al'Aqsa.*

محمد مزين

**أجْبَارْ**، أسرة تطوانية أصلها من فرقة بني أجبارة بقبيلة الأخماس، والشخص الوحيد الذي تذكره الوثائق منهم هو امحمد أجبار الذي كان يعمل بفرقة المدفعية بحامية تطوان سنة 1246 / 1830، ولا وجود لهذه الأسرة بتطوان اليوم.

ع. السكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 8 : 214 ؛ م، ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**إجَّاص**، أو إنكاص، ويسمى أيضًا (بُورْقِيبَة، بُوعْوِيدَة، بُوعْوِيدْ، كَمَّثْرَى). يطلق على بعض أنواع جنس بيروس Pirus، وهي أنواع نباتية من فصيلة الورديات Rosaceae. وهذه الأنواع هي الإجاص العادي أو بِيرُوسْ كُومُونِيسْ Pirus communis، وإجاص معمورة أو بيروس مَامُورِيَنْزِيسْ Pirus mamorensis، وإجاص الغرب أو بِيرُوسْ غَارْبِيَانَا Pirus gharbiana والنوعان الأخيران بريان.

الإجاص العادي هو ما يسمى عامة بالإجاص البَلَدي. إنه شجرة ذات قامة متوسطة. لها جذع مستقيم ومشقق. أوراقها عنقية وبيضوية الشكل ومسننة ومجتمعة على شكل باقات على الأغصان. أزهارها بيضاء وتظهر مع الأوراق. ثمارها إجاصية الشكل ومتوسطة الحجم إذ يبلغ قطرها من 3 إلى 4 سانتمترات، حلوة المذاق وغزيرة العصير، ولها عنق طويل لذلك تسمى الإجاص بوعويد أو بوعويدة أو بورقيبة.

الإجاص العادي ليس طبيعيا في شمال إفريقيا، وموطنه الأصلي هو أوربا الغربية، ويعتبر الشُّجَرَةَ الأم للأصناف المغروسة التي يزيد عددها عن خمسة آلاف في العالم.

تتطلب زراعة الإجاص كميات كبيرة من الماء وأتربة ثقيلة وغنية بالذبال وبيومناخات باردة. والمناطق التي تتوفّر فيها هذه الظروف بالمغرب هي الريف، والأطلس المتوسط، والأطلس الكبير والهضبة الوسطى وبعض السهول السقوية.

يمكن إكثار الإجاص بالبذور أو التطعيم أو بالافتسال.

أما إجّاص المعمورة فهو شجرة لا يتجاوز ارتفاعها 10 أمتار، أوراقها قَلْبية الشكل ولها عنق طويل. أزهارها تظهر قبل أوراقها، مجتمعة على هيئة سَنَمَة خَيمية. ثمارها صغيرة وقاسية وقليلة العصير ممّا يجعلها صعبة الأكل. يعيش هذا النوع في غابات البَلوط الفليني في معمورة وناحية سيدي بَطّاش وبنسليمان. ويمكن تطعيم هذا النوع بالأصناف المغروسة.

إجاص الغرب شجرة لها ساق معوج متفرع ومشوك. أوراقها عديمة الوبر وساطعة، ثمارها صغيرة. يعيش هذا النوع الأخير من الإجاص البري في السهول والجبال المنخفضة من المغرب الشرقي، فوق أتربة كلسية وفي بيومناخات شبه جافة. ويمكن تطعيمه بالأصناف المغروسة.

البرت هيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة زاهر عبد المجيد وآخرين، القاهرة - نيويورك 1962.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaitre*, Paris, 1938 ; Métro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux*, Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

**أَجْدَايْ**، والي المرابطين على إشبيلية. المعلومات عنه قليلة وحتى تحقيق اسمه يطرح مشاكل وكذلك حقيقة وظيفه. ولي على إشبيلية سنة 522 هـ. ونقل إليها من قرطبة ليحل محل الأمير أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين الذي غضب عليه والده لأنه لم يرض عن تعيين أخيه تاشفين واليا على الأندلس، وغرّبه مكبلا إلى الصحراء.

وما كان علي ليعوضه إلا برجل من علية المرابطين وهذا ما حمل المؤرخ الإسباني هويثي ميراندا على أن يعرفه تارة بأنه هو عبد الله بن أبي بكر بن سير اللمتوني، وطوراً بأنه عبد الله بن عمر بن سير اللمتوني، إلا أن ابن عذاري عند إيراده لقائمة الولاة على إشبيلية في آخر الجزء الذي خصصه للمرابطين يذكر أن الذي حل محل أبي بكر بن علي هو عمر بن سير، فهل يكون أجداي هو هذا الشخص ذاته؟

كل القرائن ترجح ذلك، إلا أننا نلاحظ أن ابن عذاري يكتب اسمه واجدي بدل أجداي. ثم إنه يذكر في إحدى الفقرات (ص. 77) : "وأقام واجدي بن سير مع أخيه عمر والي إشبيلية" وفي فقرة أخرى يذكر بأنه "واجدي بن عمر بن سير" (ص. 80) كل هذا يزيد في غموض هاته الشخصية. هل هو أخ أم ابن لعمر بن سير؟

مهما يكن، هنالك إشارة عند ابن عذاري في أوراق مخطوطة بالقروين تذكر بأن أجداي كان هو "صاحب الأعنة" مما يستفاد منه أنه كان مكلفا بالشؤون الحربية إلى جانب أخيه عمر. ويذكر النص أنه ذهب لمشاهدة استعمال المجانيق وغيرها من الآلات الحربية والتأكد من "التجربة لها والرمي بها" مما أثار ضجة كبيرة لازدحام الناس على رؤية المشهد وتسبب في مشاكل للمرابطين.

وظهر إقدام أجداي عند خروجه بالجيش من إشبيلية ومهاجمته لطلبيرة سنة 523. "فاكتسح ما بها وبالغ في النكاية" (ابن عذاري) إلا أنه تهاون في تشتيت جموع العدو وتشريدهم. "فقيل له : بددهم قبل تجمعهم فأعرض عن ذلك حتى تكامل للعدو زهاء ثلاثمائة فارس حمل على جيش المسلمين فانهزم لهم وأصابوا من المرابطين جملة وافرة وأسروا عدة، ورفع الأمر إلى علي بن يوسف فألزم واجدي فدية من أسر وأنفذ عزله وولاية الأمير أبي زكريا يحيى بن علي ابن الحاج ومجوز". (ابن عذاري 4 / 80).

هكذا انتهت مهمة أجداي كوال على إشبيلية وهي المهمة التي لم تدم أكثر من خمسة شهور. ولعل مسؤولية إخفاقه لا تقع عليه بالذات، بل إن الإدارة المرابطية بالأندلس كانت تجتاز من أزمة حادة، كما أن ضغط الدول المسيحية على الثغور كان قويا، وهذا ما حدا بعلي بن يوسف إلى تعيين ولده تاشفين كوال عام على الأندلس حتى يتمكن من جمع شتات المرابطين والتنسيق بين جهودهم.

وبعد هذا لا نجد أي شيء في المصادر عن أجداي ولا عن سنة وفاته.

ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

A. Huici Miranda, *Un fragmento de Ibn Idari Sobre los Almoravides*, H.T, Vol. II, Fasc I, 1961.

محمد زنيبر

**أَجْدَايْن**، مرسى تقع بشاطئ قبيلة بقِّيوة الريفية، وقد نزلت بها القوات البحرية الإسبانية يوم 8 شتنبر 1925 كعملية أولى في المخطط الإسباني الفرنسي الرامي إلى القضاء على الحرب الريفية التي كان يقودها محمد بن عبد الكريم الخطابي. ففي عشية يوم 7 شتنبر حلت بمياه خليج

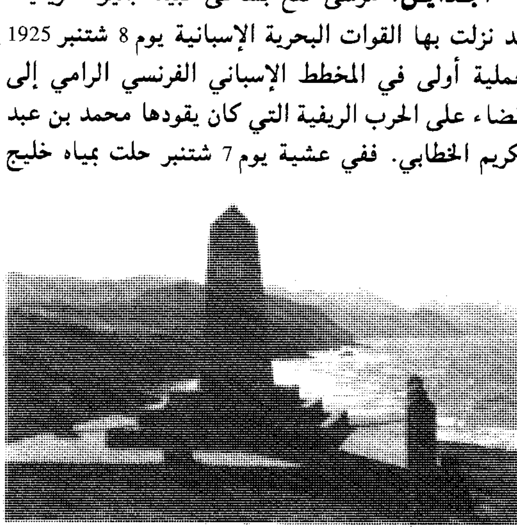

إجداين

النكُّور الأساطيل الإسبانية الفرنسية المكونة من أكثر من 110 قطع بحرية حربية، وفي الصباح الباكر من اليوم التالي بدأت تقصف شاطئ أجداين من أجل تحطيم التحصينات المغربية.

وحوالي الساعة الثامنة صباحا اقتربت حاملات الجنود إلى الساحل وأخذت تنزل قواتها التابعة للفيلق الأجنبي برئاسة الكولونيل فرانكو الذي تمكن من الوصول بجنده إلى مرسى أجداين والتمركز بها، غير أنه لم يستطع أن يتقدم نحو قرية أجدير قاعدة الثورة الريفية كما كان مقررا، وذلك بسبب المقاومة الشديدة التي قام بها المجاهدون، الشيء الذي اضطُر معه الإسبانيون إلى إنزال قوات أخرى إضافية تقدر بـ 15 ألف جندي في نفس المرسى يوم 10 شتنبر. ورغم ذلك لم تتمكن هذه القوات الهائلة من التوغل داخل التراب المغربي إلا يوم 14، ثم كان ما كان من أمر الغزو الإسباني الفرنسي لأرض الريف والقضاء على الثورة الريفية بعد سنة من تاريخ الإنزال الذي تم بمرسى أجداين التي أطلق عليها الإسبان منذ ذلك اليوم اسم ثيباديا Cebadilla (أي الأرض التي ينبت فيها الشعير البري) وبها أقاموا نصبا يذكِّر بيوم إنزال قواتهم الغازية.

**أجْدايـن**، (كونت مرسى ــ ) (Conde de la playa de Ixdain) لقب من الألقاب الشرفية التي منحها الملك الإسباني ألفونصو الثالث عشر (Alfonso XIII) لبعض الجنرالات والوزراء الذين امتازوا بالقيام بعمل من الأعمال التي كانت تتفق مع سياسة الملك المذكور بخصوص مخططه الرامي إلى الاستيلاء على شمال المغرب.

وأما اللقب الشرفي الذي نحن بصدده فقد منحه الملك المذكور للجنرال ليوبولدو سارو إمارين (Leopoldo Saro y Marin) بمقتضى مرسوم يوم 19 يوليوز 1926 الذي تعهد فيه الملك ألفونصو أن يكون اللقب هكذا (Conde de la playa de Ixdain) وذلك بالرغم من أن المرسى المذكورة تعرف عند الإسبان بمرسى ثيباديا (Cebadilla) أي مرسى الشعير البري.

والسبب في إنشاء هذا اللقب هو أن القوات التي كان يرأسها الجنرال المذكور كانت هي القوات الأولى التي تمكنت من النزول بمرسى أجْداين بقبيلة بقِّيوة الريفية يوم 8 شتنبر 1925 بقيادة الكومندار فرانكو الذي أصبح فيما بعد رئيسا للدولة الإسبانية.

وتقول التقارير الإسبانية إنه لولا تمكن قوات الجنرال صاحب اللقب من النزول بالمرسى المذكورة لما استطاعت القوات الإسبانية الأخرى النزول بخليج النكور بعد ذلك بأيام، وكانت النتيجة أن انهارت الجبهة الشمالية للثورة الريفية.

ولد صاحب اللقب يوم 11 يناير 1878 والتحق بالأكاديمية العسكرية للمشاة سنة 1893. وبعد أن تخرج منها التحق بصفوف الجيش الإسباني بكوبا، وهناك ترقى إلى رتبة قبطان سنة 1903. وفي سنة 1909 التحق بحامية مليلة حيث شارك في معركة خندق الذئب ليوم 27 يوليوز 1909 التي قتل فيها الجنرال بينطوس (Pintos) وخسر فيها الجيش الإسباني 752 رجلا ما بين قتيل وجريح من ضباط وجنود، وعلى إثر هذه المعركة ثارت الجماهير بمدينة برشلونة مطالبة بجعل حد للحرب القائمة بأرض الغرب وأطلق على الأسبوع الذي عمت فيه الاضطرابات المدينة المذكورة بالأسبوع المفجع.

وصاحب الترجمة هو الذي قاد القوات الإسبانية في معركة عزيب علال وقدُّر يوم 15 ماي 1912 التي استشهد فيها بطل الثورة الريفية الأولى الشريف سيدي محمد أمزيان، وعلى إثر هذه المعركة رقي صاحب اللقب إلى رتبة كولونيل. وفي سنة 1921 كان ما زال بمليلة من بين الضباط القلائل الذين نجوا من مذبحة أنوال، وفي سنة 1922 رقي لرتبة جنرال. وعندما قام الجنرال بريمودي ريفيرا (Primo de Rivera) بالانقلاب العسكري الذي مكن العسكريين من حكم إسبانيا في عهد ألفونصو الثالث عشر (Alfonso XIII) يوم 13 شتنبر 1923 عين صاحب الترجمة وزيرا في الحكومة العسكرية. ولم نقف على تاريخ وفاته.

Santiago Guerrero, *La columna Saro en el desembarco de Alhucemas*, Barcelona 1926 ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, tomo 54 ; Martinez Campos, *España Belica, Siglo XX*, Madrid 1972 ; Servicio Historico Militar *Historia de las Campañas de Marruecos*, Madrid 1947-1981 ; Ministerio de la Guerra, *Accion de España en Africa*, 1930, 2 : 51 ; Domenech Lafuente (Angel), *Geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, 1942-48 ; Cabello Alcaraz (J), *Apuntes de geografia de Marruecos 1951-63*.

محمد ابن عزوز حكيم

**أجْدِيـر**، هي القرية الصغيرة الهادئة الواقعة فوق ارتفاع 190 متراً عن سطح البحر المتوسط، على هضبة حجرية صلبة بالقرب من موضع مدينة المزمَّة التاريخية بقبيلة بني ورياغل. وتشرف على خليج الحسيمة، مقابلة لحجرة النكور المحتلة من طرف إسبانيا منذ سنة 1673 التي لا تبعد عن شاطئ المجاهدين (بأجدير) إلا بحوالي نصف كيلومتر. وتطل من جهة الشرق على وادي غيس الذي يزودها بمياه الشرب والسقي.

يعتمد سكان أجدير على زراعة الحبوب والخضر وبعض الأشجار المثمرة والماشية، وصيد الأسماك ـ المهنة التي اشتهروا بها منذ القديم ـ إلا أن عدم كفاية هذه الموارد دفعهم منذ القرن التاسع عشر ـ على الأقل ـ إلى الهجرة الخارجية بحثا عن لقمة العيش.

وكلمة أجدير تطلق في الريف على المخازن (مطامير) كانت تجمع فيها محاصيل المناطق المحيطة بها. ويراعي في اختيار المكان جمعه بين الموقع الاستراتيجي ووجود تربة غير راشحة لحفظ الحبوب من الفساد وحمايتها من الأعداء.

ولعل إطلاق هذا الاسم على بعض القرى في الريف شاهد على الوظيفة التي كانت لها في الماضي كمخازن جماعية للمحصولات الفلاحية، عندما كانت الحياة تنتظم في إطار جماعي مثل أجدير بُوفْيَاضَنْ وأجدير تمسمان

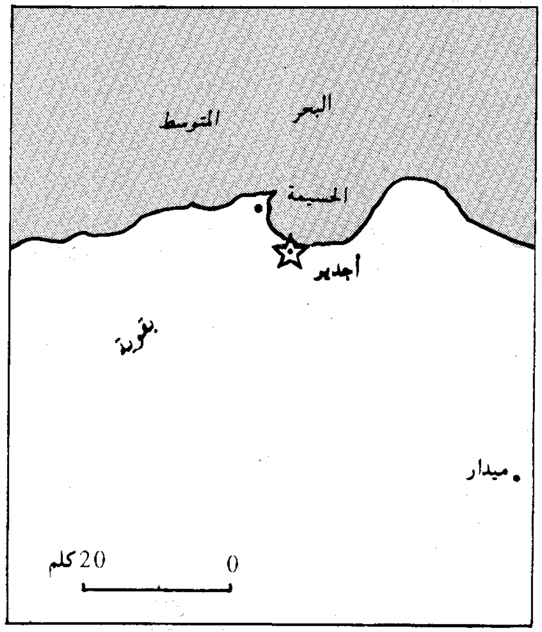


وأجدير بني توزين وأجدير بني يزناسن وتاجديرت (مؤنث أجدير) قلعية، إضافة إلى أجدير بني ورياغل الشهيرة التي تهمنا بالدرجة الأولى. وتشترك هذه القرى في مواقعها الاستراتيجية المحصنة المنيعة التي تتيح لها شروطاً ممتازة للدفاع ؛ وفي وسطها مناطق جد آهلة بالسكان. وهي معالم تشهد على جوانب من التنظيمات الجماعية للحياة في هذه المناطق، عندما كان السكان في الماضي يضطرون إلى إخفاء مواردهم، وحمايتها والاتحاد لمواجهة الهجومات - خاصة من جهة البحر - التي كانوا يتعرضون لها باستمرار. كما كانت مراكز تجارية لتبادل محصولاتهم بحاجياتهم من الموارد الحيوية الأخرى، وهو ما يمكن استنتاجه من وجود آثار استقرار عائلات يهودية بالقرب منها، خاصة في تمسمان حيث اكتشفت بقايا مقبرة يهودية يرجح أن تكون من مخلفات من تعاطوا هناك للتجارة والحرف... ومن غير المستبعد أن يكون أجدير قد فقد وظيفته الأساسية كمخزن جماعي بسبب حدوث تطور ما في تقاليد هذه المناطق، كتحول أسلوب تسيير أحوال السكان من جماعي إلى فردي وتفشي الانقسامات والتطاحنات لأسباب كثيرة، ثم احتفظ بعد ذلك بمفهومه الدال فقط على الموقع المحصن.

وغالب الظن أن أجدير المستعمل في الريف وأكادير (جمع إكودار) المستعمل في سوس والأطلس الصغير يعنيان مفهوما واحداً، أي مخازن جماعية. ولا يختلفان إلا اختلافا بسيطاً في نطق وحركات الحرف الثاني في الكلمتين. وحسب گزيل Gsell فإن كلمة أگادير بونيقية الأصل تحولت من Gades اللاتينية إلى Càdiz (مدينة بجنوب إسبانيا) الإسبانية. وأيا كان أصلها، فإن استعمالها شائع في المناطق التي يقطنها الأمازيغيون.

أما أجدير بني ورياغل فقد اجتمعت فيها كل الشروط لا لتكون مخزنا آمنا للمحصولات فحسب، بل أيضا قلعة منيعة للدفاع بفضل طبيعة تضاريسها المتمثلة في وجود تلال رملية على الشاطئ، وهضاب صخرية صغيرة تحجبها عن البحر وعن أنظار حجرة النكور وتحميها من قذائف المدافع وتبطل مفعولها ؛ بينما ساعدت نفس هذه المميزات سكان أجدير على إقامة معسكر دائم على بعد 500 متر من حجرة النكور. بحيث كانت فرق قبيلة بني ورياغل تتناوب على إرسال كل واحدة منها مائة من رجالها ليرابطوا هناك مدة شهر بخيامهم ومئونتهم وأسلحتهم وذخيرتهم مصحوبين بأفراد عائلاتهم يراقبون جميع تحركات الإسبانيين بحجرة النكور، على أهبة الاستعداد للتصدي لأي هجوم أو محاولة إسبانية لإنزال قواتها بخليج الحسيمة. كما يرصدون في آن واحد، تحركات عملاء الإسبانيين، ولا يبرحون أماكنهم إلا بعدما يكون رجال فرقة أخرى قد حلوا مكانهم. وكان بهذا المعسكر، الذي ما يزال يعرف بشاطئ المجاهدين إلى اليوم، مسجد وعدد من المنازل لإيواء عشرات الرجال الذين يحجون إلى هذا المكان المقدس لدى الجميع، خاصة عندما اشتد تأزم العلاقات مع إسبانيا.

وبذلك أصبحت أجدير نقطة استقطاب لكثير من الأسر التي نزحت إليها سواء من القبائل المجاورة أو البعيدة كعائلة الخطابي مثلا. ولا شك أن كيانها تبلور في خضم مواجهتها للغزو الخارجي على مر القرون. ونظراً لموقعها في خط المواجهة الأمامية فإنها كانت تتحمل أكبر الأعباء في الدفاع عن كل قبيلة بني ورياغل مما عزز مركزها تدريجياً، وعند نهاية القرن 19 كانت أجدير تحت قيادة عبد الكريم الخطابي، والد الزعيم المشهور، تتزعم فعلا قبيلة بني ورياغل وتقوم بدور أساسي في كل القرارات والأحداث الكبرى التي عرفها الريف.

وهكذا عندما توجه محمد بن بوشتة البغدادي سنة 1898 على رأس محلة مخزنية لمعاقبة قبيلة بقيوة فإنه نزل بأجدير قرب ضريح سيدي محمد وعلي، وهناك تحرك نحو بقيوة ففتك بها. إلا أن العسكر قام بنهب ممتلكات الورياغليين وانتهاك حرماتهم رغم حسن معاملتهم واستقبالهم لهم.

فما كان من الفقيه عبد الكريم إلا أن نبه ابن البغدادي لذلك وطلب منه كف الجنود عن أعمالهم السيئة وتجاوزاتهم المهينة للأعراض لما لاحظه من غليان في القبيلة كاد يؤدي إلى الفتنة. وكان لأجدير دور أساسي في تهدئة نفوس الورياغليين بعدما كف الجنود عن تعديهم وفسادهم إلى أن انسحبوا من هنالك بسلام.

وفي سنة 1908، تزعمت أجدير بني ورياغل في مبايعة السلطان الجديد المولى عبد الحفيظ، فقرر أبو حمارة - الذي كان قد أخضع جل قبائل الريف لسلطته - غزوها ودخولها "بالحديد والدم" خاصة وأنها كانت تبدي نوعاً من عدم الاكتراث بسلطته. إلا أنه عندما أقدم على تنفيذ وعيده وجد نفسه يحصد الهزيمة التي عجلت بنهاية حركته. وقد تزعم الورياغليين وحلفاءهم في هذه المعركة القاضي عبد الكريم الخطابي زعيم أجدير، بتنسيق مع الشريف محمد

أمزيان. ثم في سنة 1909 سارعت أجدير إلى إرسال مقاتلين إلى قلعية. وذلك عندما تصدى الشريف أمزيان لمقاومة الاحتلال الإسباني للريف. وكان لرجالها وكافة بني ورياغل دور حاسم في انتصارات الريفيين على قوات الاحتلال، مما أثار حقد الإسبان ضدهم فأمطروا قرية أجدير بوابل من قنابل مدافعهم حتى يشغلوهم عن إرسال مقاتلين إلى أمزيان، وعندما لم يثنهم ذلك على القتال عمد المستعمر إلى إثارة الضغائن والتطاحنات بواسطة عملائه في المنطقة وفي نفس القرية، فأصبحت أجدير تعيش في بحر من الفوضى والخلافات، فظن المستعمر بأن الظرف مناسب لاحتلال ما تبقى من القبائل الريفية، فتقدم بقوات ضخمة انطلاقا من مليلية مكتسحاً أراضي بني توزين وبني وليشك وتمسمان، ووقف عند أبواب بني ورياغل إلا أنه فوجئ بمقاومة عنيفة من طرف الريفيين، انطلقت شعلتها من أجدير على يد الفقيه عبد الكريم الخطابي ثم ابنه محمد بعده فألحقت بالمستعمر هزائم منكرة. إذ ما عرف تاريخ العالم مثل هذه الحرب التي واجه فيها حفنة من الرجال (سيئي التسليح والتدريب، ضعيفي الإمكانات) الجيوش الجرارة المدججة بجميع أنواع الأسلحة لدولتين استعماريتين عريقتين، فانتصروا عليهما، بل وأعطوا النموذج الذي اقتدت به الشعوب المغلوبة لاسترجاع كرامتها واستقلالها وتحقيق تنمية شاملة للبلاد والإنسان معا. وقد انطلق هذا النموذج من أجدير، القرية التي خلدت في التاريخ. قرية صيادي السمك التي ما كان لها من مكان على الخريطة لصغر حجمها وقلة عدد سكانها (حوالي 2000 نسمة) حتى أصبحت معروفة في كل بقاع العالم باعتبارها منبعا لحركات التحرير المعاصرة، وأصبح لها ذكر بين العواصم العالمية عندما كانت عاصمة ثورة الريف الخالدة التي تزعمها البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي ومقر قيادتها العامة، فاهتمت بها كبريات الصحف العالمية وقصدها صحفيون مرموقون من مختلف بقاع العالم واحتضنت عشرات الاجتماعات التي تمخضت عنها قرارات حاسمة غيرت مسيرة التاريخ المغربي بل والعالمي، أسمع من خلالها صوت المغاربة مدويا في جميع أرجاء المعمور، ومن بينها اجتماع أعيان الريف يوم 29 يناير 1923 بالمحل المعروف بظهر السلوم حيث نصبوا محمد بن عبد الكريم أميراً للجهاد، وغيرها من الاجتماعات التاريخية الهامة سواء فيما بين أعيان الريف والأمير ابن عبد الكريم، أو ما بين هذا وشخصيات أخرى مغربية وفرنسية وإسبانية. وورد ذكر أجدير في كل البيانات الصادرة عن الثورة الريفية. وإلى أجدير ينتسب معظم أطر الثورة وصانعيها وقادتها، أمثال الخطابيين وأزرقان وغيرهم.

وقد استفادت أجدير خلال الثورة (1921 - 1926) أكثر من غيرها من إصلاحات ابن عبد الكريم، فتم ربطها بواسطة طرق معبدة مع أيت قمرة وأربعاء تاوريرت وسيدي علي بوعقبة (بگزناية). كما أقيم بها مركز تليفوني ربطها بسائر المناطق شرقا وغربا ومكّن من إيصال القرارات الحاسمة في وقتها وسهل الاتصال ما بين ابن عبد الكريم وقادة الثورة الآخرين. وكان السيد عبد اللطيف بن الحاج عمر الأجديري يشرف على إدارة التليفون بنجاح باهر.

وأقيم بأجدير أول مركز لتدريب الجيش النظامي للثورة الريفية على يد المدعو احديدان الأجديري وشعيب أفلاح ومحمد بوحوت القلعي، وذلك في غضون 1922. كما فتحت بها أول مدرسة عصرية لتكوين أطر الثورة سهر ابن عبد الكريم بنفسه على وضع برامجها التي اشتملت على الرياضيات والعلوم والفنون العسكرية، وأشرف عليها بصفة مباشرة.

وإضافة إلى هذه الإنجازات المهمة، عرفت أجدير عددا من الإصلاحات الأخرى خاصة في المجال الاجتماعي والإداري. فكانت مركز المحكمة العليا التي ترأسها ابن عبد الكريم.

ومن جهة أخرى فإن سكان أجدير كباراً وصغاراً ورجالا ونساء تحملوا القسط الأكبر من أعباء الثورة، فوضعوا مساكنهم رهن إشارة الثورة، وقدموا الأطعمة للمقاتلين وساهموا بأموالهم المتواضعة فضلا عن مساهمتهم الفعلية والفعالة في صنع الثورة والاستماتة في الدفاع عنها. وبفضل هذا المجهود الضخم لأجدير وللقرى والقبائل الريفية الأخرى نجحت الثورة في تطهير كل المنطقة الشمالية تقريبا من براثين الاحتلال الإسباني وأذنابه وشرعت في ذات الوقت - اعتماداً على إمكاناتها الذاتية المتواضعة - في علاج أسباب الداء وذلك بالقيام بإصلاحات جريئة.

وهذا بالضبط ما جعل فرنسا تنقلب ضد الريف وتنزل بكامل ثقلها للقضاء على ثورته، لكن جيوشها الجرارة العصرية وعلى رأسها قائدها المحنك الماريشال ليوطي Lyautey منيت بهزائم مخجلة. عندها أرسلت الماريشال بيتان Pétain على رأس عشرات الآلاف من الجنود إلى الريف.

فكان أن تمخض عن ذلك تحالف بين الدولتين الكبيرتين ضد الريفيين الضعفاء، وتوحيد جيوشهما تحت قيادة الماريشال بيتان، الذي حدد استراتيجية في الهجوم على أجدير من جميع الجهات براً وجواً وبحراً. وطبقا لهذه الخطة، أنزلت إسبانيا قوات ضخمة بخليج الحسيمة في المحل المعروف بـ El quemado الذي يبعد عن أجدير بحوالي سبعة كيلو مترات وذلك في 8 سبتمبر 1925، وهاجمت قرية أجدير بعنف بمشاركة المشاة والمدفعية والطيران والبحرية... وكان الريفيون قد وضعوا المدافع على القمم يديرها طبجيون ريفيون بمهارة عجيبة، وقد استبسل الريفيون وبصفة خاصة سكان أجدير، في الدفاع عن عاصمة الثورة وقلبها النابض. وعندما دخلت قوات الاحتلال إلى أجدير تكونت فرق انتحارية اقتحمت على جنود الاحتلال في مخابئهم كفوج "الاهتداء" مثلا الذي تكون من ثلاثين صنديداً من شجعان أجدير، فرسموا بذلك لوحة آية في الجمال والخلود.

إلا أن العدو تمكن من الاستيلاء على الجبال المشرفة على قرية أجدير فوضع في أعاليها بطاريات مدافعه، فأصبحت عاصمة الثورة تحت رحمة نيرانها. وعند ذلك هوجمت أجدير من جميع الجهات براً وجواً وبحراً، وتم احتلالها خلال يومي 2 و3 أكتوبر 1925، بعد مقاومة شديدة ومستميتة أظهر فيها سكان الريف وخاصة أبناء أجدير شجاعة نادرة مفضلين الاستشهاد على الانسحاب أو الاستسلام.

وقد أطلق الغزاة العنان لهمجية جنودهم فعاثوا في القرية الصامدة نهبا وسبيا وفساداً و... مزيلين بذلك القناع عن مفهومهم الحقيقي "للحضارة" التي جاؤوا لنشرها في المغرب ! وبسقوط أجدير تحت الاحتلال ضعفت الثورة ودخلت مرحلتها الأخيرة إذ يمكن القول بأنه إذا كان ابن عبد الكريم روح الثورة الريفية وعقلها المدبر، فإن أجدير قلبها النابض.

وعاشت أجدير طيلة فترة الاحتلال في عزلة تامة وتهميش مقصود من طرف الاستعمار الإسباني الذي لم يذخر جهداً في إدلال سكانها وسجنهم وتعذيبهم والانتقام منهم بمختلف الأساليب، وكان ذلك تشفيا ونكاية فيهم لدورهم الطلائعي في الثورة وفي المقاومة الباسلة للإسبانيين لعدة قرون.

واضطر الكثير من سكان أجدير إلى الهجرة إما نحو الجزائر أو نحو منطقة الاحتلال الفرنسي ؛ وبعد الاستقلال، فتح أمامهم باب الهجرة نحو أوربا الغربية، إذ المنطقة فقيرة الموارد لا تتوفر على ما تشد به إليها أبناءها خاصة أنها تعرف كثافة سكانية وتزايدا ديمغرافيا جد مرتفعين. ولكنها مع ذلك تتوفر على تراث نضالي زاخر جعل منها رمزا خالداً لحركات التحرير المعاصرة.

م. أزرقان، *الظل الوريف*، مخ ؛ ع. الصوفي، *الأمير عبد الكريم الخطابي*، القاهرة، 1958 ؛ فورنو، *عبد الكريم أمير الريف*، ترجمة فؤاد أيوب، دمشق، د.ت ؛ ج. أ. البوعياشي، *حرب الريف* ؛ م. القاضي، *أسد الريف* ؛ م. ح. الوزاني، *مذكرات*، 2 ؛ *رواية شفوية*.

Et-Tabyi, *Miscelanea marroqui*, Ceuta, 1953, p. 27, (225-298), (313) ; Servicio Historico Militar, *Historia de las Campañas de Marruecos*, T. III et IV.

مصطفى أربيب

**ابنُ أجَرُّوم**، محمد بن داود الصنهاجي. وكلمة أجرُّوم أو أكُرُّومْ باللسان الأمازيغي تعني : الفقير الصوفي. كان أديبا لامعا، ونحويا بارعا، ومقرئا شهيرا، مارس التدريس في جامع القرويين بفاس، فدرّس العلوم القرآنية، وعلوم اللغة العربية، وتخرج على يديه كثيرون، منهم الأستاذ المقرئ النحوي محمد بن علي بن عمر الغساني الغرناطي (682 ـ 748 هـ) الذي ترجم له لسان الدين ابن الخطيب في *الإحاطة*، وغيره.

وعلى عادة أهل المغرب في تطلعهم إلى المشرق بغية أداء فريضة الحج والتعارف، والتبادل العلمي، وأخذ السند العالي، ذهب محمد بن أجروم إلى الديار المقدسة، فحج ومر بالقاهرة المعزية، فأخذ عن عالم النحو المفسر الشهير أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف النفزي الغرناطي الأصل، فأجازه، وأباح له أن يروي عنه كل ما صنف وألف من منثور أو منظوم.

ومن مؤلفات ابن أجرُّوم : *المقدمة الأجرُّومية في مبادئ علم العربية*. وهو كتاب جليل الفائدة، رغم صغر حجمه، اشتهر في المشرق والمغرب، وحصل عليه الإقبال الكبير هنا وهناك، وحتى في أوربا، حيث طبع هناك لأول مرة، في رومة سنة 1592 م، وطبع مترجمًا إلى اللاتينية سنة 1610 م (1019 هـ)، ويبدو أن ابن أجروم كان من أتباع مدرسة الكوفة في النحو، لأنه في تآليفه استخدم اصطلاحاتهم، واتبع بعض آرائهم، وذلك واضح جليّ تقرؤه بين السطور في المقدمة... هذا، ويقال : إنه الف كتابه تجاه الكعبة المشرفة، بمكة المكرمة.

ومن مؤلفاته ايضا : *شرح الشاطبية* أو اللامية الموسومة بـ*حرز الأماني* لناظمها القاسم بن فيره الشاطبي، ولابن أجروم أيضا منظومة في قراءة الإمام نافع سماها : *البارع*.

ولد ابن أجروم عام 692 هـ (1273 م). وهي السنة التي توفي فيها عالم النحو الأندلسي جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الجياني ناظم *الألفية* الشهيرة في النحو. أما وفاة بن أجروم فكانت في صفر عام 723 / فبراير ـ مارس 1323 م، ودفن داخل باب الجديد بمدينة فاس.

ج. ع. السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، 1، الترجمة رقم 434 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 1 : 209 ؛ ع. العمراني : *ثبت أبي جعفر احمد البلوي الوادي آشي*، هامش ص. 199.

عبد الله العمراني

**ابنُ أجَرُّوم، مَنديل** بن محمد بن محمد بن داود، أبو المكارم الصنهاجي. قال عنه ابن الأحمر : "شيخنا الفقيه الأستاذ المقرئ المصنف الأديب الحاج أبو المكارم ابن الأستاذ النحوي أبي عبد الله ابن أجروم". وقال عنه أبو زكرياء يحيى بن أحمد الرندى النفزي الحميري الفاسي المعروف بالسراج محليا إياه في *فهرسته* بـ "الشيخ الأستاذ الحاج المقرئ اللغوي الأديب ابن الفقيه الأستاذ المقرئ العلامة، كان أديبا شاعرا مكثرا مجيدا منبسطا جميل المجلس، من أعجب المقرئين فصاحة وحسن إلقاء. وكان جل إقرائه مقامات الحريري، كان فيها أوحد زمانه، وكان نبلاء الطلبة يرصدونه فلا يسمعون منه لحنة".

رحل إلى المشرق، حيث أدى فريضة الحج سنة 741 هـ (1341 م) ولقى جماعة من العلماء، فأجازوه، منهم أبو حيان محمد بن يوسف ابن حيان الغرناطي، فقد أجازه كما أجاز والده من قبل، وأباح له رواية جميع ما روى، وجميع ما ألف من نظم أو نثر. وأخذ بتونس عن ابن برّال، والفقيه أحمد بن أبي بكر اليحصبي التونسي، والقاضي ابن عبد السلام، وابن جابر الوادي آشي، والفقيه المدرس أبي مهدي عيسى بن موسى الزواوي، وابن المسفر، وعن قاضي

الجماعة أبي عبد الله ابن يوسف، وأبي العباس ابن محمد الزواوي، وغيرهم.

ومن أهم من أخذ عن ابن أجروم الفقيه الكاتب أحمد بن عبد الله الرصافي التونسي. ومن شعره الرقيق قوله :

يا غائباً سلبتني الأُنْسَ غيبتُـه    كيف اصطباري وقد كُبِّدتُ بينهما ؟
دعواي أنك في قلبي يعارضُها    شوقي إليك، فكيف الجمعُ بينهما ؟

توفي ابن أجروم في رابع جمادى الأولى من عام 722 / 24 نوفمبر 1370.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 322، الترجمة رقم 893 ؛ أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، 380-381.

عبد الله العمراني

**أُجْرْوَاوْ**، يعرف باسم أجرواو أو أَيْرْوَاوْ : المنخفض الواقع ضمن مرتفعات الگارت الجنوبية بقبيلة بني بويحيى (إقليم الناظور). والاسم قديم ذكره أبو عبيد الله البكري بلفظ "ڨرواو"، باعتباره آنذاك المرحلة ما قبل الأخيرة للقوافل السجلماسية المتجهة نحو قلعة گرط (قلعة جارة) ومدينة مليلة. كما كان الموضع مكان تجمع العشائر المرينية التي كانت تقصد حوض ملوية الأوسط ما بين أجرسيف وواد "زا" للانتجاع، ومن هذا المنخفض تسرب المرينيون إلى قلعة تزوطا وإقليم گرط سنة 610 هـ .

منخفض أُجْرْوَاو عبارة عن حوض رسوبي، لا يتجاوز ارتفاعه 380 م. تدل نسبة الملوحة الموجودة بالتربة على أنه كان من ضمن الشطوط المتبقية بالمنطقة، يكسو سطحه نبات الحلفا. شكله مستدير، متوسط قطره 20 كلم. ويظهر انخفاضه بالقياس إلى المرتفعات المحيطة به من جهاته الأربع، أعلاها جبل بوهيدور (1080 م) الممتد من جانبه الشمالي الغربي إلى الجنوب الشرقي، يتلوه جبل كركر (765 م) المحيط بشرق المنخفض. ويشرف عليه من جهة الشمال جبل النعاش (923 م) وجبل بوحمزة (814 م).

ولا تشكل هذه المرتفعات حاجزا صعب الاختراق في اتجاه المنخفض، وذلك أن عددا من الممرات والفجاج تظهر بين تقطع امتداد الجبال. فمن جهة الجنوب يوجد ممران مفتوحان في اتجاه مجرى ملوية الواقع بين مصبي واد مسون عند أجرسيف وواد زا مما يجاور تاوريرت، حيث نجد ممر "ونزكا" المتصل بفج "صاكا". وهو على بعد 50 كلم من أجرسيف، بينما ينفتح فج "جريويو" أو الرملة في اتجاه تاوريرت ومشرع قليلة. أما من جهة الشمال فينفتح ممر آخر في اتجاه المطالسة عبر مجرى واد "غان"، حيث توجد "ثلاث بوبكر". ويؤدي ممر أولاد "بويمين" إلى سهب گرط.

يعقد في الزاوية الشمالية الشرقية من حوض أجرواو سوق بموضع "أفْسُو" الواقع على خط الممرين "بويمين" و"نزكا"، وذلك يوم الاثنين، وهو مقصد سكان إقليم گرط، وخاصة من طرف عشائر بني بويحيى المجاورة : إخَيَّانَنْ وأولاد عبد السميع وأولاد عبد الدايم.

أ. البكري، *المغرب*، 152 ؛ ح. الفگيگي، *إسهام مليلة في التجارة الصحراوية إلى بداية القرن 4 هـ* ، م.د.ن. 9، 1986، ص. 26 ؛ *خريطة مليلة*، مقياس 1/250000 عام 1936.

J.F. Troin, *Le Rif Oriental*, R.G.M., 12, 1957, p. 435 ; *Croquis de la région de Melilla*, Madrid 1921.

حسن الفگيگي

## أجزناية ← جزناية

**أَجْنَادَة**، قصبة تقع بقرية فرخانة من قبيلة مزوجة المجاورة لمدينة مليلية، ولذلك تعرف أيضا بقصبة فرخانة، وهي من القصبات التي بناها السلطان مولاي إسماعيل على الحدود المجاورة للقطر الجزائري سنة 1108 / 1696. وحيث إن مليلية كانت تحتلها إسبانيا فقد أراد أن يقيم بقصبة أجنادة حامية تتولى أمر محاصرة المدينة المذكورة.

وعندما أقام حفيده السلطان سيدي محمد بن عبد الله الحصار على مليلية من ديسمبر 1774 إلى مارس 1775 جعل معسكره الرئيسي بالقصبة المذكورة التي استمرت تقاوم بدورها إلى أن هدمها الثائر بوحمارة يوم 13 أبريل 1906. ورغم ذلك قام الجيش الإسباني باحتلالها في 22 سبتمبر 1909 ولم يغادرها إلا بعد استقلال المغرب سنة 1956.

A. Ghirelli , *El Norte de Marruecos*, 204, Melilla, 1902.

محمد ابن عزوز حكيم

## أجنوي ← الجنوي

## إجوكاك ← ثلاث نيعقوب

**إِجِيمِي الكبير**، محمد التِّيبْوتِي الزَّدُّوتي. أصل أهله من تنبكتو من بني عقيل ابن أبي طالب، ثم سكنوا تيبوتْ في ضواحي تارودانت. وانتقل إلى مراكش أواسط القرن الثالث عشر. وهو عالم كبير مشارك متفنن، له *حاشية على البخاري*، وقد كان مع القائد بومهدي الهواري حاضرا حين أوتي بأحمد التمگدشتي معتقلا، فخاطبه بخطاب جاف عرف عنه. ولعله توفي آخر القرن الثالث عشر.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم* ؛ *خلال جزولة*، 2 : 160 ؛ 4 : 100 ؛ *سوس العالمة*، 201.

عبد الله درقاوي

## أحباس ← وقف

**إِحَبَّارنْ**، تنتمي إحبارن إلى قبيلة أيت حركات التي تشكل بدورها فرعا من اتحادية زيان الكبرى، ضمن الجناح المعروف بزيان العليا أو زيان أنجلاتن وتنتشر إحبارن، على الضفة اليسرى لواد أم الربيع، حول ضريح سيدي حسين، على منتصف الطريق بين أكَلْموزْ وسيدي لَمينْ (Tadla, 66). ويرتبط تاريخ هذه الفرقة، بالتاريخ العام لاتحادية زيان. ولا نعرف بالضبط الفترة التي استقر فيها الزيانيون ومعهم إحبارن في المجال الذي يحتلونه الآن. فقد قدمت زيان إلى الأطلس المتوسط، من أقصى الجنوب في مرحلة متأخرة،

ضمن الموجة الصنهاجية التي عمرت هذه المنطقة مع بداية العصر الحديث. (*آثار التدخل*، الفصل الأول). فقد ورد ذكر زيان لأول مرة في التاريخ، في القرن 6 هـ / 12 م. على لسان الإدريسي. وكانوا يعيشون في هذه الفترة في ضواحي بني ملال. (*Le Sultan Moulay Ismail*, 31).

وعندما ترجم صاحب *الإحياء والانتعاش* لموسى العياشي، أشار إلى وجود بعض فصائل زيان في منطقة تزرقت بالجنوب الشرقي (*الإحياء*، 8). وقد اضطرت هذه الاتحادية إلى الرحيل والاستقرار في مجالها الحالي، تحت تأثير نفس الضغوط التي دفعت بكثير من القبائل الصنهاجية إلى الهجرة نحو الأطلس المتوسط وتعمير سهل سايس وهضبة زمور.

إن مصادر التاريخ تتحدث عن زيان. ولا نعثر على أخبار إجبارن إلا في مرحلة متأخرة، على لسان الرحالين والباحثين الأجانب. فقد ذكر كيد نفلدت أن إجبارن وقت زيارته للمنطقة، كانت تشكل ربع زيان. (Divis. et Répart., 47). وبعده، قدر شارل دوفوكو عدد خيولها بحوالي 1000 (Reconnaissance, 475). وفي دراسة إجمالية لمنطقة تادلة وبلاد زيان والأطلس المتوسط، وردت إشارات مهمة عن إجبارن. فقد كانت هذه القبيلة تشتمل على حوالي 500 خيمة. وكانت تنقسم إلى أربعة عظام : آيت موسى، 100 خيمة، أيت قصو، 150 خيمة، آيت علي واعمر، 150 خيمة، أيت خا ابراهيم، 150 خيمة (Tadla, 661) وكانت هذه العظام تنتظم في "صفين" متعارضين. يضم الصف الأول آيت موسى وأيت قصو. وفي الصف الآخر، يقف أيت خا ابراهيم وأيت عمر (Tadla, 662). وكانت علاقة إجبارن بجيرانها متوترة. ولذلك اضطرت إلى الخضوع والاحتماء بسلطة آل أمحزون، وكان رئيسهم موحا أو حمو الزياني (Tadla, 662).

كانت إجبارن تعيش على الزراعة وتربية الماشية. وكانت زراعة القمح والذرة تتصدر إنتاجهم الزراعي. وتكاد تقتصر ثروتهم الشجرية على أشجار التين والعنب. إلا أن أهم مورد لعيشهم كان يأتي من تربية الماشية وخاصة الأغنام منها. وكانت مبادلاتهم التجارية تتم في مجملها في سوق سيدي حسين (Tadla, 663).

ع. العياشي، *الإحياء والانتعاش* ؛ اكنينح العربي، *آثار التدخل الأجنبي*.

Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; M. Quedenfeldt, *Division et Répartition de la population Berbère au Maroc* ; Peyronnet, *Tadla, Pays Zaïan, Moyen Atlas*. In B.S.G.A., 1922 n° 91 ; De La Chapelle, *Le Sultan Moulay Ismaïl et les Berbères Sanhaja*.

اكنينح العربي

**أَحَتَّاش**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة أهل سريف الهبطية، وإليها ينتمي الفقيه قاسم بن محمد الذي كان يتعاطى خطة العدالة من سنة 1265 / 1849 إلى سنة 1276 / 1859، والفقيه عبد العزيز بن عبد الله الذي كان يعلم الصبيان بكتابه (المسيد) الكائن بحومة السويقة سنة 1306 / 1888، ولم يبق من هذه الأسرة الآن بتطوان سوى بعض النساء.

ع. السكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 252 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*.

محمد ابن عزوز حكيم

**أحجار السودان** : اسم لموضع يوجد بجوار مدينة سبتة من جهة الغرب، على الطريق البحري المؤدي إلى طنجة. يبدو أن الاسم قد أطلق في البداية على صخور ارتفعت عن البحر، قبل أن يشمل مقبرتين مجاورتين للمكان ورابطة. من الصعب تحديد المصدر الحقيقي لهذا الاسم على مستوى الاصطلاح اللغوي، لم نعثر له على دلالة لغوية معينة كما هو الشأن مثلا بالنسبة لـ "حجر طرابلس" الذي يعني نوعاً من الحجارة الصالحة للصقل، أو "حجر حبشي" الذي يعني لا زَوَرد (Supplément, 1 : 251). لكن لا يستبعد أن يكون للاسم دلالة تاريخية، استمدها من العلاقات التجارية التي كانت تربط سبتة ببلاد السودان عبر الطريق الصحراوي المار بسجلماسة وغانا ومالي، ونذكر على الخصوص تجارة الرقيق، سيما وأن المستعرب الفرنسي دوسلان De Slane لا يتردد في ترجمة كلمة "السودان" بـ "nègres" (العبيد السود) بدلا من "Soudan" (بلاد السودان) لتفادي الالتباس. إلا أن السؤال الذي يبقى مطروحا هو : هل كانت تجارة الرقيق معروفة بسبتة منذ زمن البكري لدرجة إخفاء بصماتها على السكان فيُحتمل أن يكون مرسى للبواخر المصدِّرة للعبيد السود تجاه أوربا، ثم ما إذا كانت هناك بالفعل تجارة للرقيق السود بسبتة عبر حقبتها الإسلامية خصوصا وأنه ليس لدينا من الوثائق التاريخية ما يثبت صحة ذلك !

أ. البكري، *المسالك والممالك*، 209 ؛ البادسي، *المقصد*، 101 ؛ الأنصاري، *اختصار الاخبار*، 25-26-50.

G. S. Colin, *Al-Maqsad*, 195, n° 292 ; R. Dozy, *Supplément*, 1 : 251.

زليخة بن رمضان

**أَحَجِّيم**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني رزين الغمارية، وكان منها الفقيه الحاج محمد بن الحسين أَحَجِّيم الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1182 / 1768، والفقيه عبد الله بن عبد القادر والفقيه أحمد بن أحمد والفقيه المختار بن عبد الصادق، كلهم كانوا على قيد الحياة سنة 1196 / 1782.

ع. السكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 28 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*.

محمد ابن عزوز حكيم

**أحُـد**، اسم وحدة عسكرية مغربيّة لعبت دوراً هامًّا في

حرب الصحراء المسترجعة، فقد شهدت أواخر سنة 1979 تغييراً في التكتيك العسكري المغربي، حيث تم تشكيل عدة وحدات عسكرية قوية وسريعة الحركة أطلقت عليها أسماء معارك اسلامية ومغربية شهيرة.

أولى هذه الوحدات سميت بـ "أحد" تيمنا بالغزوة الشهيرة، وانطلقت بمناسبة الذكرى الرابعة للمسيرة الخضراء. غادرت مدينة طانطان يوم 29 أكتوبر 1979 في اتجاه الجنوب، وبالضبط مدينة الداخلة، مرورا بطرفاية فالعيون، ومناجم بوكراع فبوجدور ثم الداخلة، ومن هناك انطلقت صوب بئر أنزران فكَلْتة زمور، ثم اتجهت نحو الشمال الشرقي... وكانت "أحد" تضم ستة آلاف جندي وألفًا وخمسمائة آلية عسكرية مجهزة بأحدث الأسلحة ضمنها دبابات ومدفعية تغطيها حماية جوية عسكرية. وحدة "أحد" أسندت إليها مهمة مسح وتطهير الجنوب المغربي، وخاصة منطقة وادي الذهب في أجل يتراوح مابين ستة واثنى عشر شهراً للقضاء على مخابئ القوات المعادية، ورغم رحلتها الطويلة فإنها لم تخض أي معركة حاسمة، لكن تلك الرحلة صهرت الرجال وامتحنت الآليات...

لقد كان لهذه الرحلة الطويلة صدى كبير استعادت من خلاله القوات المسلحة الملكية سيطرتها وقوة تحكمها مما جعلها تنطلق بعد ذلك إلى اتجاهات مختلفة لحمايتها والدفاع عنها.

عملية "أحد" إذن التي تم إعدادها بسرية في العديد من الثكنات العسكرية في مختلف جهات المملكة، والتي تم تجميعها أخيرا في قاعدة ابن گرير الجوية اعتبرتها الجزائر قوة ضاربة خطيرة وقوية مما دفعها إلى إعلان استنفار في صفوف قواتها في الجنوب الجزائري عندما اقتربت "أحد" من الحدود الفاصلة بين البلدين...

وبعد نجاح وحدة "أحد" تلاها تشكيل وحدة "الزلاقة" ووحدة "بدر" في شهري مارس وماي 1980 وقد أسندت إليهما مهمة تطهير المنطقة الجبلية لوركزيز، حيث خاضت معارك عنيفة انتهت بدحر فلول القوات المعادية...

تشكيل الوحدات الثلاث دخل في إطار استراتيجية عسكرية استهدفت إبعاد القوات المعادية إلى خارج الحدود المغربية ومنعها من التحرك، وذلك بإنشاء الجدران الأمنية المتواصلة والمتقدمة، التي كلما قيل إنها توقفت نهائيا إلا وزحفت من جديد لتضم أراضي أخرى...

*مستندات وزارة الداخلية والإعلام بالمغرب.*

الصديق معنينو

**أحَد أولاد فرج**، يمثل أحد أولاد فرج المركز التقليدي لقبيلة أولاد فرج التي تحتفظ بفرعيها أولاد عبد الغني وأولاد الشيهب بموقعها في الحد الشرقي لسهل دكالة منذ القرن 15 وإلى الآن. ويشكل المركز حاليا من الناحية الإدارية مجرد مقر جماعة تحمل اسمه وتنسب إلى إقليم الجديدة وإلى دائرة مقرها أصغر حجما من أحد أولاد فرج.

ويتعلق الأمر بسيدي اسماعيل الذي بلغ 2157 نسمة عام 1982. إلا أنه سنة 1971 كان يفوق عدد سكانه (1267 ن) حجم سكان أحد أولاد فرج.

يتميز موضع مركز أحد أولاد فرج ببعض الخصوصيات محليا. وتتمثل في محاذاة المركز للقطاع المسقي ووجوده على علو 125-130 مترا عند قدم آخر الكثبان الحثّية التي تتخذ أكبر اتساع لها في هذه المنطقة (على بعد حوالي 50 كلم من المحيط)، وعلى مسافة حوالي 3 كلم تقريبا غرب واد الفارغ الأسفل المتعمق، والذي يعتبر أهم مجرى مائي وسط دكالة. وتتوسط المسافة الفاصلة بين الوادي والمدينة ضاية ضگويات الواسعة (1000 م طولا و500 متر عرضا) التي تستقبل مجرى موسميا قد يصب أثناء الفيضانات في الواد الفارغ.

أما موقع أحد أولاد فرج فيتسم بمظاهر موروثة منذ القديم حيث يتمركز أحد أولاد فرج في هذا الجزء الشمالي الشرقي من سهل دكالة وسط مجموعة من أهم القرى والمراكز الصغيرة (بولعوان وخميس متوح وأربعاء العونات وأربعاء مگرس وسيدي اسماعيل وثلاثاء أولاد حمدان). وتربطه الطريق الثانوية رقم 105 بالجديدة (نحو الشمال الغربي) وسطات عبر بولعوان (نحو الجنوب الشرقي). كما تصل طريق ثلاثية بينه وبين أزمور عبر ثلاثاء أولاد الحمدان نحو الشمال الشرقي وطريق ثلاثية أخرى بينه وبين أربعاء العونات نحو الجنوب. لكن موقع الملتقى المحلي يتمثل أساسا في المسالك الاثنى عشرة التي تتقارب نحوه من جميع الاتجاهات. ويمتاز أحد أولاد فرج أيضا بموقع فريد في منطقة دكالة، عند اتصال رستاقين أساسيين، بين الكثبان الحثية الساحلية والسهل الفيضي لدكالة. ومن ثمة يوجد عند اتصال ثلاث محطات رئيسية. على الترابات الهزيلة التي تعلو الكثبان المتصلبة في الشمال تنتشر زراعة بعلية خفيفة للحبوب (ذرة وشعير) مع قليل من القطاني والتين المتناثر. ويستغل الجزء السهلي الجنوبي الغربي الذي تغطيه تربة رملية في زراعة متنوعة تتغلب فيها زراعة بعلية جد قديمة للكروم والتين. أما في الجهة الوسطى الجنوبية من السهل فتنتشر زراعات مسقية غنية ومتنوعة على الترابات الغرينية والغرينية - الرملية السميكة (حبوب وعلف وقطن وشمندر). ويعرف هذا السهل المسقي بقطاع الفارغ الذي يروي بالانسياح الجاذبي بواسطة أربع قنوات ثانوية تتفرع عن القناة الرئيسية بالمصلحة السفلى. ويعد أول قطاع بدأ فيه الري بسهل دكالة 1956 (أي بعد 10 سنوات من بناء سد إمفوت) بعد ري تجريبي بقطاع بولعوان. وتغطي الآن المساحة الإجمالية المسقية بمقدار 9000 هكتار جهزت بين 1952 و 1958.

إن العوامل الأخيرة تظافرت مع عوامل أخرى لتفسير دينامية سكانية شبيهة بدينامية بعض المراكز التي تنمو بسرعة وسط السهل، كأربعاء العونات وخميس الزمامرة. إن القرية المتواضعة سنة 1960 (1069 نسمة) أخذت تتطور

ببطء في الفترة الأولى التي لحقت إدخال الري بالسهل. ولم يتعد حجم سكان المركز 1267 ن سنة 1971. انطلاقا من هذا التاريخ أصبح التزايد السكاني مرتفعا بنسبة 8,62٪ سنويا، حتى إن المدينة بلغت 3603 ن عام 1982 ؛ أي أنها استقبلت في هذه المدة 1826 نسمة ناتجة عن النزوح القروي وحده. وهو رقم يفوق عدد سكان المدينة نفسها سنة 1971. فأصبحت المدينة الصغيرة الآن تحتل الصف 174 على الصعيد الوطني والصف الخامس بين مدن سهل دكالة بعد الجديدة وأزمور وسيدي بنور وخميس الزمامرة.

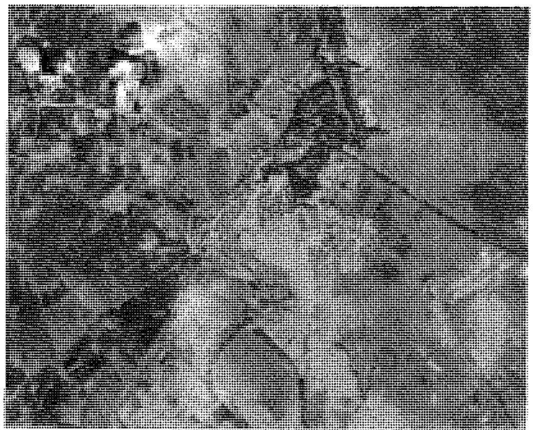

أحد أولاد فرج : صورة جوية

إن التزايد السكاني الكبير الذي شهده مركز أحد أولاد فرج لحقه تجمع لبعض الخدمات النادرة في المنطقة، ولكنه لم يخلق بنية حضرية مكتملة تعكس تلك الحيوية. يتوسط المركز سوق الأحد المشهور باستقطابه الواسع المدى وبحجم السلع المعروضة فيه، وخاصة الحبوب والماشية (منها الخيول العربية لأولاد فرج الموجهة للسباق كما هو الشأن بالنسبة لخيول الشتوكة) تحيط بالسوق حلقة نصف دائرية موجهة نحو الشمال الشرقي ومحدودة في قاعدتها الجنوبية الغربية بالطريق الثانوية رقم 105. ومنها يتخذ التصميم شكل مروحة تبلغ في القاعدة امتداد حوالي 200 م. يشكل الحلقة الأولى حول السّوق مركز المدينة الذي يتميز بنسيجه المهوّى والذي يحتضن جل مرافق التجارة والإدارة والخدمات الأساسية كمقر الجماعة والقيادة ومدرستين وثانوية (818 تلميذ سنة 1988) ومستوصف ومركز للبريد وصيدلية وملعب ومركز الاستثمار الفلاحي رقم 310 والقرض الفلاحي والمحلات الميكانيكية ومحطات البنزين والمقاهي، ... ويشكل الجزء الجنوبي الشرقي من هذه الهالة الحضرية الحي السكنى الذي أنشئ في إطار برنامج التغذية العالمي الذي بني وحده بتصميم منتظم ومتعاهد. أما الحلقة الثانية فتتكون من وحدتين سكنيتين ذات بناء متواضع وغير منتظم تفصلها فراغات كبيرة، وهما وحدة سيدي مسعود بن حسين في الشمال الشرقي ودوار الفريمات في الشرق. وهناك حول المركز وبمقربة منه دواوير متجمعة نحو الشمال الشرقي في القطاع البوري الكثيف السكان (الحسينات وأولاد جدية وأولاد سيدي حسين). وبنفس الكثافة المرتفعة تميز القطاع المسقي نحو الجنوب، إلا أن السكن متفرق به عموما.


*معاينة ميدانية* ؛ مديرية الإحصاءات، *نتائج الإحصاءات العامة للسكان والسكن*، 1960، 1971، 1982، الرباط ؛ قسم الخرائط، *بولعوان، خريطة طبغرافية* 1/50000 الرباط، 1981 *أحد أولاد فرج*؛ *صورة جوية* 1/30000، بعثة 1981.

M. Ayad, *L'organisation de l'espace rural dans le plateau d'El Jadida et le Sahel d'Azemmour*, Rabat, 1982, 2t. Ronéo ; R. Fosset, *Un exemple régional de sous-développement au Maroc : Les Doukkala*, in Formation géographique, 1, Paris, 1967, pp. 34-41 ; M. Fourout, *Vers une organisation de l'espace rural dans les Doukkala*, R.G.M. n° 8, Rabat, 1965, pp. 75-82 ; Ministère de l'Urbanisme, de l'Habitat et de l'Environnement, C.E.R.F., *Schéma d'armature rurale, région du centre*, Rabat, 1972 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc*, P.U.F., Paris, 1970, 2t. ; J.F. Troin, *Les Souks marocains*... Edisud, Aix-En-Provence, 1975, 2t.


مصطفى عياد

## أحد أيت بلفاع ← أگادير (إقليم ـ )

## أحد البخاتي ← أسفي (إقليم ـ )

**أَحَـد لَبْرَادِيَّـة**، يشاع محليا أن هذا الجزء من منطقة تادلا اشتهر بإنتاج محلي (للبرادع) فسمي سكان المركز بالبرادعية، لكن هذه التسمية لخشونتها وثقلها على اللسان، خففت فيما بعد إلى كلمة "لبرادية". وقد أنشئ هذا المركز في إطار البرنامج العالمي للتغذية، قصد الحد من الهجرة القروية وذلك سنة 1972.

ينتمي سكان البرادية إلى قبيلة بني عمير الشرقيين. ويخضع مركز لبرادية إداريا إلى قيادة بني عمير الشرقيين التابعة لدائرة الفقيه ابن صالح التي تعد إحدى الدوائر التابعة لعمالة إقليم بني ملال.

يبعد مركز البرادية عن مدينة الفقيه بن صالح بحوالي 15 كلم وعن عاصمة الإقليم (بني ملال) بحوالي 26 كلم. وعلى شرق مركز البرادية وجنوبه الشرقي نجد نهر أم الربيع. ويقع كذلك مركز لبرادية على الطريق الثانوية رقم 133 الرابطة ما بين اخريبگة وبني ملال عبر الفقيه بن صالح، كما تخترق المركز طريق ثلاثية تربط مدينتي الفقيه بن صالح وتادلا.

بعض المعطيات الطبيعية : يقع مركز البرادية داخل منطقة سهلية في امتداد لسهل تادلا الخصب ويمتاز بمناخ قاري (شبه جاف) ذلك أن معدل الأمطار لا يتعدى 300 ملم سنويا. وقد ترتفع الحرارة في هذا المركز صيفا إلى حدود 40 درجة، وقد تتعداها في بعض الحالات.

السكن والتجهيز : بلغ عدد سكان المركز حوالي 4000 نسمة سنة 1982 وتتخذ المدينة شكلا بيضويا في اتجاه مدينة الفقيه بن صالح (انظر التصميم المرافق).

ويتكون المركز من أحياء أساسية، تفصل فيما بينها شوارع رئيسية هي : الحي الإداري، الحي الصناعي والتجاري، حي يام، حي القصبة (تسمى محليا قصبة أيت عبد النبي نسبة إلى القواد الذين كانوا يحكمون المنطقة

ويحافظون على سلامة القوافل التجارية). كما أنه يتوفر على بعض التجهيزات والمرافق العمومية الضرورية.

- الأنشطة الاقتصادية المحلية : أهم الأنشطة السائدة هي الفلاحة وتربية الماشية والتجارة.

- الفلاحة : عصرية، تعتمد على السقي إذ تستفيد من القناة السطحية الآتية من سد الزيدانية الموجود بالقرب من قصبة تادلا.

- تربية الماشية : تتمثل في أهم أنواع الماشية وهي : الأغنام والأبقار.

- التجارة : ترتبط بالنشاط السائد ألا وهو الفلاحة، بمعنى أن التجارة بالمركز تلبي حاجيات الفلاحة، وأحسن مثال هو السوق الأسبوعي ليوم الأحد.

- خصوصيات القرية : من الناحية الاجتماعية : يشتهر هذا المركز بموسم أولاد سيدي ميمون نسبة إلى الولي الصالح سيدي علي بن ميمون، ويقام هذا الموسم سنويا في أوائل شهر شتنبر. ومن الناحية التاريخية : اشتهرت المنطقة بوجود "قصبة" وهي قصبة أيت عبد النبي، أحد القادة الذين اشتهروا بحمايتهم للقوافل التجارية والأمن على سلامة المنطقة.

إذا استمر المركز على هذه الوتيرة من النمو الديمغرافي والعمراني، فمن المرتقب أن يبلغ مستوى المدن الصغيرة في العشر سنوات المقبلة.

*تحريات ميدانية.*

عبد الرحيم ابن علي

**أحد تاركا ← أگادير (إقليم ـ )**

**أحد الثوابة ← أسفي (إقليم ـ )**

**أحد حرارة ← أسفي (إقليم ـ )**

**أحد كورت ← سيدي قاسم (إقليم ـ )**

**أحْدَادُو**، أسرة تطوانية أصلها من الريف استوطنت تطوان في عهد السلطان مولاي إسماعيل حيث أصبحت هذه المدينة قاعدة لجيش المجاهدين برآسة القائد أحمد بن حدو البطّيوي الذي كانت له علاقة عائلية مع أولاد أحدادو، فأصبح جلهم يتقلدون رتبة قائد أو خليفة أو ضابط في صفوف الجندية.

ومما يدل على أن هذه الأسرة لم تنقطع عن الخدمة العسكرية أن خليفة أغا عسكر حامية تطوان سنة 1875 كان هو القائد العربي بن أحمد أحدادو الذي تنسب إليه الزنقة التي كانت تعرف بزنقة أحدادو وتعرف الآن بزنقة الفرطاخ، وتقع بحي السويقة، ولا زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. السكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329-334 ؛ *تاريخ تطوان*، 6 : 169 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) (H) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (A).

ابن **الأحدب**، أسرة تطوانية لم نتوفر على وثائق تثبت لنا أصلها حيث لا نعرف عنها إلا أن جل أفرادها كانوا يعملون بالجيش، وهكذا نجد ثلاثة منهم، وأسماؤهم العربي ومحمد، وعبد المجيد، يعملون كجنود في فرقة البحرية بحامية تطوان سنة 1246 / 1830. ولازال بعض أفراد هذه الأسرة موجودين بتطوان

ع. السكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 211 و212 ؛ م. إبن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* (H) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) (H) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**الأحدب**، أبو القاسم بن الجد محمد بن عبد الله، ينتمي إلى أسرة نبيلة ترجع بنسبها إلى قريش. وهو أحد إخوة ثلاثة نبغوا كلهم في العلم والأدب. والإخوان الآخران هما أبو عامر أحمد الذي عرف بالنحو ومهر في *كتاب سيبويه* وفهم أغراضه وغوامضه ؛ وأبو بكر الفقيه الجليل الذي أدرك منزلة كبيرة عند الخلفاء الموحدين الأولين وتوفي في عهد يعقوب (586 هـ) وموطن أسرتهم، في الحقيقة، كان هو مدينة لبلة، لكن شهرتهم حصلت في إشبيلية. وقد نوه ابن بسام بأبي القاسم سواء كأديب أو كفقيه، وذلك ما أكده ابن بشكوال حينما ذكر أنه "كان من أهل التفنن في المعارف والتقدم في الآداب والبلاغة وله حظ جيد من الفقه والتكلم في الحديث" وهو لم يصل إلى هاته المنزلة إلا بعد أن تفرغ للدراسة وخصص لها ما يكفي من الوقت، فالفتح بن خافان الذي كان معاصراً له وذا صلة به يقول إنه أقام زمانا معتكفا على دواوين العلم، "مشتغلا بالدراسة معتزلا للرياسة".

ومن ثم استطاع أن يمهر بالخصوص في الإنشاء والكتابة بكل أنواعها، ولم يكن حظه من الشعر ضئيلا. وتوسع ثقافته ومتانة تكوينه جعلته يُنتدب ليشغل مناصب مختلفة. فكان يفتي ببلده لبلة وولاه أهلها خطة الشورى. كما تقلد وزارة الراضي بن المعتمد بن عباد لما ولاه أبوه على رندة، وأخيراً استدعاه أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين إلى مراكش حيث كان من جملة الكتاب المتازين الذين رغب في استدنائهم إليه ليقوموا بمكاتباته السلطانية، ومن بينهم أبو بكر بن القبطرنة وأبو عبد الله بن أبي الخصال وأخوه أبو مروان وعبد المجيد بن عبدون وآخرون يطول ذكرهم، ويظهر أن أبا القاسم لم يكن راغبا في المنصب والجاه كما أشار إلى ذلك ابن خاقان وابن بسام. فهذا الأخير يصفه بالإباء والقناعة ويذكر عنه أنه على نباهة الذكر وعلو القدر وشرف المحل من قهر، قد لزم داره وطوى أخباره واقتصر على عفة من المعيشة رزقها. فهو يتبرض جميمها، لا بل يتزود نسيمها. والشمس وإن سترها الضباب، فغير خفية السناء، ولا مجهولة الغناء (*الذخيرة* 2. 1 / 285) لكن شهرته كأديب وكاتب جعلت الأنظار تتجه

إليه. وكانت سببا في وقوع الاختيار عليه من علي بن يوسف. فلم يكن له بد من الإجابة لدعوة أمير المسلمين. وما زالت لدينا نماذج من الرسائل التي حررها باسمه أورد بعضها الفتح بن خاقان في *قلائد العقيان* نذكر منها :

- *رسالة إلى أهل إشبيلية* بتاريخ 512 هـ يدعوهم فيها للتأليف والوئام وترك التباغض والتنافر.

- *رسالة إلى أهل سبتة* يعلمهم فيها بتولية الأمير يحيى بن أبي بكر.

- *رسالة إلى عبد الله بن فاطمة* أحد العمال يحثه على التزام أحكام الحق وإيثار أسباب الرفق.

- *رسالة إلى أهل غرناطة* بتاريخ 19 رمضان 507 هـ يعاتبهم على ما يقومون به من تشغيب.

- *كتاب إلى ابن حمدين* بقرطبة يقوم فيه بتزكية عياض.

وللتعريف بطريقته في الكتابة نقتصر على إيراد فقرة من رسالة كتبها على لسان حاج بعد زيارته لقبر النبي عليه السلام : .... ، لما صدرت يا رسول الله من زيارتك الكريمة، وقد ملأت هيبتك ومحبتك أرجاء فكري، وفضاء صدري، وغشيني من نور برهانك ما بهر لبي، وعمر قلبي، لحقني من الأسف لبعد مزارك، والحنين إلى شرف جوارك، ما أودع جوانحي التهابا، وأوسع جوارحي اضطرابا، وأشعر أملي عودا إلى محلك المعظم وإيابا. وكيف لا أحن إلى قربك. وأتهالك في حبك، وأعفر خدي في بمقدس تربك، وبك اقتديت فاهتديت، ولولاك ما صمت ولا صليت، ولا طفت ولا سعيت...". ومما أورده ابن عبد الغفور في كتابه إحكام صنعة الكلام قول ابن بسام : كتاب العصر ورؤساء النثر أربعة : كلاعيان وفهريان. أما الكلاعيان، فأبو بكر بن القصير وأبو محمد بن عبد الغفور، وأما الفهريان فأبو القاسم بن الجد وأبو محمد بن عبدون (ص. 110) وأما الفتح بن خاقان، فقد حلاه بقوله : "ملأ المهارق بيانا وأرى السحر عيانا" ومهما يكن، فإن أسلوبه يمتاز بالسلاسة والوضوح ولا تكاد الأسجاع والمحسنات البلاغية تثقله وتعمي معانيه.

توفي أبو القاسم سنة 515 / 1121-22.

ابن بسام، *الذخيرة* ؛ ابن خاقان، *قلائد*، بولاق 1983 ؛ ابن دحية، *المطرب*، الخرطوم 1954 ؛ ابن عبد الغفور، *إحكام صنعة الكلام*، بيروت 1966 ؛ ابن بشكوال، *الصلة*، القاهرة 1966.

محمد زنيبر

**أحْديدْ،** أسرة تطوانية لم نتوفر على وثائق تثبت أصلها، غير أننا نعرف أن جل أفرادها كانوا يعملون في الجندية. وهكذا نجد اثنين منهم اسمهما محمد وعبد الله يعملان كجنديين بحامية تطوان سنة 1246 / 1830.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 216 ؛ م. إبن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* (H) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) (H) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**الأحرار،** (حزب ـــ ) تم تأسيس هذا الحزب بمدينة الرباط مساء يوم عيد الفطر عام 1354 / 27 دجنبر 1936 من طرف جماعة من الشباب الوطني، محمد الرشيد ملين، وأحمد رضى گديرة، ومحمد الرگراگي، ومحمد الزياني، ومحمد برقليل، ومحمد أمين بلگناوي. أقسم هؤلاء الأعضاء المؤسسون على "أن يحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه، وأن يعمل على بث روح المحبة بين المغاربة أجمعين، وأن يجدّ لتكوين تشكيلات يكون الغرض منها تطبيق مبدأ المحبة عملا بالحديث النبوي : "لا يومن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (*فصل الشتاء* ، ص. 51). وقد عبر محمد الرشيد ملين بعد هذه الفقرة عن المخطط العام للأحرار بقوله : "لم يكن تكثير الأفراد المنتمين إلى الهيأة يهمنا بقدر ما تهمنا رؤية مبدئنا يطبق، فالغاية التي سعينا إليها هي القضاء على تلك الحواجز التي حالت دون الاتصال والتعاون بين منظمات وطنية متحدة الأهداف، متحدة الوسائل، متحدة الروح، حواجز جعلت النخبة المغربية تنقسم على نفسها. وبعبارة أخرى كنا نؤمل أن نجعل من كل وطني رمزا للوطن، يحبه الوطنيون أجمعون ويضحون في سبيله، ويحيطونه بعطفهم واحترامهم، كنا ندرك صعوبة تحقيق برنامج كهذا ، ولكنا عملنا على الأقل، على تطبيقه بيننا، وقد تعددت الفرص في طريقنا لتجربة درجة استعدادنا وتشبثنا بالوعد الذي قطعناه على أنفسنا".

كان محمد الرشيد ملين رئيس تشكيلة وطنية بالرباط تابعة لكتلة العمل الوطني، وشارك في مظاهرات 1936 على إثر اعتقال اليزيدي وإيقاف الصحافة الوطنية، لكنه صُدم في تصوره للوطنية وإدراكه لها عندما انشقت الكتلة الوطنية إلى فرقتين : الحزب الوطني بزعامة علال الفاسي، والحركة القومية بزعامة محمد حسن الوزاني، فقرر هو ورفاقه الابتعاد عن الفئتين المتنازعتين، مع البقاء في ميدان الحركة الوطنية والعمل في خدمة المواطنين، وأسسوا زمرة الأحرار (هكذا سميت في البداية قبل أن تأخذ اسم حزب الأحرار) في التاريخ المذكور.

وفي سنة 1943 أصبح للأحرار جريدة *الصوت الوطني* *La voix nationale* وهي أسبوعية تصدر بالفرنسية، بعد أن تنازل لهم مديرها عبد اللطيف الصبيحي عن تسييرها ونشرها وتحريرها. وبعد تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال دون استشارة زمرة الأحرار، بادر محمد الرشيد ملين بتهييء عريضة العلماء والفقهاء والأدباء والطلبة، وكان على رأس الموقعين عليها حافظ العصر السيد المدني بن الحسني، ووزير العدلية السابق محمد الرندة الذي أمر طلبته الحاضرين في درسه بمسجد مورينو بالذهاب بها للقاضي مولاي أحمد البدراوي ليوقع عليها ويأمر العدول بالتوقيع، وقد فعلوا، علاوة على عدد من أعضاء مختلف الوزارات بالقصر الملكي. فحمل العريضة وفد برآسة محمد الرشيد ملين إلى جلالة الملك محمد الخامس.

وشارك الأحرار في نادي روزفيلت سنة 1945 الذي أسسه عبد اللطيف الصبيحي بالرباط بمساهمة عدد من الوطنيين في العدوتين أمثال الرشيد ملين والطاهر زنيبر وأبي بكر الصبيحي. وكان الغرض الرئيسي للنادي هو التشويش على الفرنسيين وإحراجهم بالتقرب إلى الأمريكيين والرئيس روزفيلت الذي وعد الشعوب المضطهدة في أعقاب الحرب العالمية الثانية باسم الحلفاء بالحرية وإزاحة نير الاستعباد. وقد حاربت الإدارة الاستعمارية الفرنسية هذا النادي وعملت على توقيف نشاطه.

وقد نُفي محمد الرشيد ملين رئيس الأحرار إلى أَسُول بالصحراء في مستهل سنة 1953 حين اشتد تكالب الفرنسيين على الوطنيين استعدادا للانقضاض على رمز سيادة الأمة محمد الخامس طيب الله ثراه. وبعد الاستقلال أصدر محمد الرشيد ملين كتابين يحكي فيهما قصة الكفاح الوطني وضمنه كفاح الأحرار زمرة وحزبا، وعنوان أولهما *نضال ملك* في جزءين، وقد ألقاه أولا أحاديث مسلسلة بالإذاعة الوطنية، والثاني بعنوان : *فصل الشتاء في أسول*، أو الكفاح السياسي لحزب الأحرار. القسم الأول في سلسلة الأحرار السياسية. كما أصدر حزب الأحرار جريدة *النضال* بالرباط "جريدة أسبوعية للدفاع عن الحرية والتآخي بين جميع طبقات الأمة. صدر أول عدد من جريدة النضال يوم 9 ماي 1967 وربما كان آخر عدد صدر منها بتاريخ 30 شتنبر 1967.

وإلى ذلك أنشأ الأحرار جمعيات ثقافية ورياضية وفنية واجتماعية، منها أحباء الأدب والأخلاق، وجمعية سيدي فاتح لتنشيط الحركة الثقافية، وجمعية التمثيل، والمغرب الرياضي الرباطي، وكشفية يعقوب المنصور، وجمعية أصدقاء الطالب.

م. الرشيد ملين، *نضال ملك* ؛ *فصل الشتاء في أسول أو الكفاح السياسي لحزب الأحرار* ؛ القسم الاول ـ الرباط د.ت ؛ *النضال*، جريدة حزب الأحرار.

محمد الأمين بلكناوي

**الأحْـرَش**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حسان الجبلية. وكان أول فرد منها انتقل إلى تطوان منذ قرن هو الفقيه محمد بن عبد القادر الأحرش الذي كان يتعاطى خطة العدالة من سنة 1302 / 1885 إلى سنة 1318 / 1900.

ولا زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ الرهوني، *عمدة الراوين* 3 : 65 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (H) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (H) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**الأحْـرَش**، أسرة سلوية تنتسب إلى جبل العلم، وربما كان أصلها من قبيلة بني حسان الريفية. ولا يُعرف تاريخ استيطان آل الأحرش بهذه المدينة إلا أنه يبدو من تشعبها وتداخلها بالمصاهرة مع الأسر السلاوية العريقة أنها تقطن سلا منذ عدة قرون. وتختزن ذاكرة أفراد هذه الأسرة أن أجدادهم سكنوا حي النميلة بسلا طوال أربعمائة سنة. وجامع النميلة المعروف حتى اليوم بسلا يقع تحت عقبة المكودي بحي الجامع الكبير بسلا. كان من آل الأحرش فقهاء وعدول وتجار، منهم :

**الأحْـرَش، أحمد** بن **عبد الرحمان** بن محمد، فقيه فلكي ولع بنساخة الكتب خاصة كتب التوقيت والتنجيم، وما زالت بعض منتسخاته محفوظة في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا.

**الأحْـرَش، أحمد** بن **محمد** المتوفى في شهر رجب عام 1353 / أكتوبر 1934. كان من كبار تجار الثياب في العدوتين، يستوردها من إنجلترا وألمانيا.

كما كان من أوائل الوطنيين الذين واجهوا الاستعمار بسلا

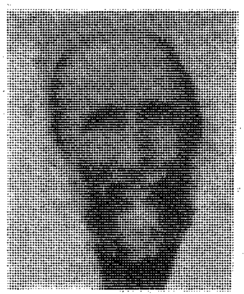

أحمد بن محمد
الأحرش

**الأحْـرَش، بوعمرو** (أو أبو عمرو) بن الحاج أحمد. كان يتاجر في لندن أواخر القرن التاسع عشر. وأفلس واعتقله عامل سلا الحاج محمد بنسعيد. وربما كان يعمل في تصدير الصوف مع شريكيه أخيه الحاج محمد الأحرش، ومحمد بومسلك البرهمي. وكانت وفاة بوعمر الأحرش بعد عام 1303 / 1886.

**الأحْـرَش، عبد الله** بن أحمد الذي كان يتعاطى خطة العدالة بسلا عام 1215 / 1800.

م. حجي، *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا* ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز* ؛ *الاستيطان والحماية* ج. 1 ؛ *وثائق عائلية بالخزانة العلمية الصبيحية*.

محمد حجي

**الأحْـرَش، محمد**، ولد سنة 1928 بدوار المزاب، فخذة القلعة، قبيلة بني وليد إقليم تاونات، لم يكن منضويا تحت لواء فرق جيش التحرير المغربي ولكنه كان يقوم بدور استعلامي، حيث كان يزود قيادة جيش التحرير بأخبار بعض الفرنسيين وتحركاتهم. ولما علمت السلطات الاستعمارية بعمله الفدائي نظمت هجوما على دار والده فأعدمته بتاريخ 1956/7/3 بالمزاب.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**أَحَرْضَان**، (أولاد ــ ) أسرة من أغنى أسر طنجة وأكثرها وجاهة، اشتهر منها في التاريخ الحديث موظفون كبار مع المخزن، أمناء ونظّار أوقاف، وغيرهم، منهم :

**أَحَرْضَان، أحمد** (الحاج ــ ) كان أمينا وأحد تجار السلطان بالمغرب وبمدينة قادس سنة 1830.

**أَحَرْضَان، عبد السلام** من أمناء طنجة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان. أصبح في العهد الحسني موظفا ساميا مكلفا بتفتيش أمناء المراسي والمستفادات، فكان يطلع على مداخيلهم ومصارفهم، ويتفقد كل المرافق والمصالح التابعة لهم بصفته أمينا مفتشا ينتمي إلى الأمناء المعروفين بأمناء الاختبار. كان يراجع كشوف الأمناء وسجلاتهم، ويقدم للجهاز المخزني تقريرا مفصلا عن الأمانة التي يتولى مراقبتها.

وكان الحاج عبد السلام أحرضان، منذ مطلع القرن الحالي، أحد أعضاء المجلس الاستشاري للنائب الحاج محمد العربي الطريس بدار النيابة الطنجية. وكانت الهيئة المخزنية مكونة من نخبة من الموظفين ، وهم : القائد عبد الله بنسعيد السلوي ؛ والفقيه عبد القادر المراكشي ؛ والفقيه الطيب بن كيران ؛ والأمين الحاج عبد الحفيظ برادة؛ والفقيه محمد بن علي الهواري الفاسي ؛ ومحمد بن العباس القباج .

**أَحَرْضَان، عبد الكريم**. شغل بطنجة عام 1266 / 1850 منصب ناظر الأحباس، ثم نجده في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان أمين مرساها، وقد أورد محمد داود تقييدا جعله من الموظفين المكلفين بجباية الرسوم الجمركية ومراقبة التجارة بها. وتذكر الوثائق المخزنية أنه التحق بدار النيابة، وعمل بها مساعدا للنائب السلطاني محمد الخطيب. وفي تلك الأثناء، عين عضوا في اللجنة المالية التي فرضتها إسبانيا على المخزن في أعقاب النزاع المسلح الذي دار بتطوان سنة 1860، فسافر في 11 ديسمبر 1860، مع هذه اللجنة إلى الصويرة بصفته مكلفا بدفع الغرامة الحربية التي يتعين على المغرب أداؤها تعويضا لإسبانيا عن خسائر حرب تطوان التي أعلنتها عليه.

ع. زيدان، *العز والصولة*، 306 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج. 5 و6 ؛ *الوثائق*، دورية الرباط، المجموعة 4، 1977 ؛ ن. التوزاني، *الأمناء بالمغرب*.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 2 : 43-45, 3 : 32.

عبد العزيز التمسماني خلوق

**أَحْسَايْن، رمضان** بن عمرو بن عبد الرحمان. ولد بقرية تغجيرت بدائرة أحفير بإقليم وجدة سنة 1918. انخرط في صفوف المقاومة وشارك تحت رئاسة المقاوم أحمد بن علي في عدة أعمال فدائية. وفي يوم 2 يناير 1954 كلف بتنفيذ حكم الإعدام الذي أصدرته المقاومة المغربية ضد أحد مفتشي الشرطة الفرنسية بوجدة الذي كان أسرع منه وأطلق عليه رصاص مسدسه فاستشهد في الحين.

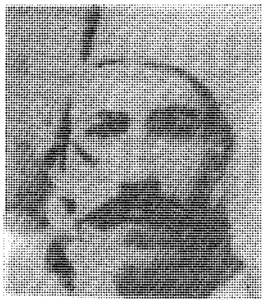

أحساين رمضان

*وثائق المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**أَحَسُّون**، أسرة تطوانية انقرضت، وكان أصلها من ناحية الريف، وليست هي الأسرة التي تعرف بأولاد حسون الجبلية الأصل والتي لا زالت موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 24:3 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1944.

محمد ابن عزوز حكيم

**الإحصاء** بالمغرب، تمثل إحصاءات السكان المنطلق الضروري لكل عملية تنموية والمادة الخام الأساسية لمختلف الدراسات المتعلقة بالطابع الديمغرافي (العدد والنمو والبنيات العمرية والجنسية والوظيفية) والطابع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي (الشغل والسكن والإقامة والتعليم والمستوى الثقافي) بإمكان الباحث الحصول على كثير من تلك المعلومات قصد استعمالها مباشرة أو بعد تقاطعها، إلا أنها لا تغطي جل المواضيع التي قد يحتاجها كل متخصص، لا سيما وأن العمليات الأولى للإحصاء كانت عبارة عن تعدد تقريبي للسكان أو مجرد تقديرات (تعدادات 1921 و1926 و1931 بالمنطقة الجنوبية و1930 و1935 بالمنطقة الشمالية).

ولم تظهر في الفترة الاستعمارية معلومات إضافية من الناحية الديمغرافية واللغوية والوظيفية إلا مع إحصاء 1936 الذي جاء بعد وضع لائحة كاملة بأسماء الدواوير والقبائل وبعد تدعيم إدارة الحماية وتحسين مستوى المشتغلين بعملية الإحصاء. فكانت الأخطاء والثغرات التي أفلتت من المراقبة الإحصائية قليلة.

في الوقت الذي تحسنت فيه ظروف العمل بشكل ملموس وألف فيه الناس عمليات التعداد وتوطدت تقنيات السلطات الإدارية، كان من المنتظر أن تأتي نتائج أحسن وأشمل. غير أن تعدادات 1940 و1950 بالمنطقة الشمالية و1941 بطنجة، و51 - 1952 بالمنطقة الجنوبية، جاءت بعكس ذلك أقل جودة من تعداد 1936. حيث كانت تشوبها عدة

نواقص ونقص من التقدير أو تضخم في عدد السكان، بسبب الأوضاع السياسية المضطربة آنذاك وتحركات السكان المتواترة وإمساكهم عن الإدلاء ببعض المعلومات. وبهذا لا يمكن مقارنة إحصاءات ما بعد الاستقلال وسابقاتها بنوع من الدقة والمصداقية إلا مع تعداد 1936.

إن عملية 1960 تعتبر أول إحصاء شامل وموثق تم إنجاحه باستعدادات مكثفة للسلطات المحلية وإدارات الإحصاء وبحملة إعلامية واسعة. وشمل كل الوسط الحضري والريفي بالنسبة لعدد السكان. أما رصد الخصائص المختلفة في الوسط الريفي فقام على استطلاع بنسبة 1/10 ورغم وقوع تقلص في عدد الصبيان أقل من سنة وسن الإناث والشيوخ بسبب التصريحات المشوهة عمداً في الأصل، فإن ذلك لا يقلل من صلاحية الإحصاء على المستوى الشمولي. وتظل نسبة الخطإ جد ضعيفة (ما بين 3,5 و4 ٪).

لقد تم اجتناب ارتكاب مثل تلك الأخطاء في إحصاء 1971 بواسطة جملة من العوامل، أساسها التعبئة الشاملة للإدارة والسكان والتهيء الملائم للمكلفين بالإحصاء والمراقبة الصارمة لعملية جمع المعلومات سواء في مكان الإحصاء أو في الإدارة المركزية. وطبقت هذه المرة الاستفاضة على كل من الوسط الحضري والوسط الريفي حتى تكون المقارنة جد غنية بين إحصائي 1960 و1971 والإحصاءات اللاحقة.

ولا شك أن إحصاء 1982 يعد أحسن واحد في الفترة المعاصرة. هنا أيضا تم تغيير الحدود الإدارية وحذف بعض الدواوير وظهور بعضها الآخر، إلا أن أسماء الأماكن أصبحت محكمة على الصعيد الوطني، وشمل الإحصاء أيضا الأقاليم الصحراوية التي عرفت سنة 1974 إحصاء في الفترة الاستعمارية الإسبانية. وقد سبقت إحصاء 1982 عمليات تمهيدية متعددة من الناحية التشريعية والخرائطية والتنظمية، بل أصبح الإحصاء والاستطلاع تقليدا مألوفا حتى عند السكان. وبهدف المعالجة الدقيقة لمعطيات الإحصاء فقد أنشئ مؤخرا "المركز الوطني للفرز".

بإمكان الباحثين فرز كل المعطيات الإحصائية مباشرة في مصلحة الوثائق بمديرية الإحصاء انطلاقا من الخرائط الطبغرافية ودفاتر الجولات وبطاقات الأسر، كما يمكن لهم استغلال المنشورات الإحصائية التي تصدر عنها والتي توجد في بعض المؤسسات المتخصصة والمفتشيات الجهوية لوزارة التخطيط. تضم هذه المنشورات على العموم تحديد السكان القانونيين لمختلف الوحدات الإدارية وتحديد بنيات السكان الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية على صعيد وطني حسب الوسطين الريفي والحضري، كما تضم تحديد تلك البنيات على صعيد إقليمي وجماعي حسب الوسطين الحضري والريفي. إلا أن بعض تلك المنشورات تأتي مبتورة على المستوى المحلي أو متأخرة كما هو الشأن بالنسبة لنتائج إحصاء 1982 التي لم تظهر مدققة نسبيا إلا في نهاية سنة 1988.

*وثائق مصالح الإحصاء ومنشوراته.*

مصطفى عياد

**أَحْصُول**، عيسى عمراني. أحد عُبّاد قبيلة بَقُّويَة وصلحائها خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري. ينتمي بالموطن إلى مدشر "تغْزَى"، الكائن عند الحافة الجنوبية من الجبل المعروف بنفس الاسم، مما يقابل مدشر الرواضني جنوبا. كان في عصره على رأس الصلحاء الملازمين لرابطة أم أيمن بمدشر تقيت، من القائمين هناك بالتدريس والوعظ. ظهر من جملة تلامذته هنالك الشيخ زكرياء بن يحيى التقيتي وأحمد بن سوسان البوسكوري.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 91-92 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف*، 1 : 252-253.

حسن الفكيكي

**أَحَضْرِي، أحمد** بن محمد بن العربي. ليس من السهل تحديد تاريخ ميلاده ووفاته. وكل ما نعلم أنه تتلمذ على الموسيقي محمد البوعصامي الذي عاش في أيام المولى إسماعيل، فيكون عصره هو القرن الثامن عشر الذي ظهر فيه اهتمام بجمع التراث الموسيقي الأندلسي بتأثير من السلطان سيدي محمد بن عبد الله ومن جملة من العلماء والأدباء وأهل السماع. وتتلمذ، أيضا، على شيخين آخرين هما سيدي مبارك بن سيدي عبد الله تكدمت برواية سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمن الشريف وسيدي العربي بن محمد الغواشي.

وهو من أصل أندلسي، نشأ وعاش بمراكش ولعله كان ينتمي لأهل السماع، إذ ظهر ولوعه بالطرب والغناء وهو ما يزال صغير السن، واتجه بالخصوص إلى الألحان التي وضعت على أشعار المديح النبوي. ومن هنالك انجرّ إلى دراسة الموسيقى الأندلسية والتعرف على أصولها ورجالها، فترك لنا معلومات طريفة في هذا الصدد.

كان من نتائج بحثه واجتهاده أنه ألف كتابا بعنوان *ديوان الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع وبيان تعليقها بالطبائع الأربعة*. ويتركب مؤلفه من قسمين : مقدمة ومجموعة شعرية. وفي المقدمة شرح بإسهاب المعلومات التي كانت متداولة في عصره عن الموسيقى. ورسم شجرة للطبوع وفصولها، ذاكرا من استخرجها ومن أنشدها وشيعها. وواضح من عمله أنه تأثر بشيخه البوعصامي، إذ اقتبس منه الترتيب الذي أخذ به في الطبوع. وشجرة الطبوع، كما يراها، هي :

1 . طبع الماية، وعنه يتفرع : رمل الماية، انقلاب الرمل، الرصد، الحسين. ونسبتها للدم وفصل الربيع.

2 . طبع الزيدان، وعنه يتفرع : العشاق، أصبهان الحجاز الكبير، الحجاز المشرقي، الحصار. ونسبتها للبلغم وفصل الشتاء.

3. طبع المزموم، ويتفرع عنه : المشرقي الصغير،

حمدان، غريبة الحسين. ونسبتها للصفراء وفصل الصيف.

4. طبع الذيل، وفروعه : الاستهلال، رصد الذيل، عراق العجم، مجنب الذيل، الرمل. ونسبتها للسوداء وفصل الخريف.

5. طبع الغريبة المحررة. وهي أصل بلا فرع. وتتصل بسائر الطبوع.

ولأحضري رواية طريفة عن إنشاء طبع الاستهلال إذ ذكر "أنه فرع من الذيل استخرجه الحاج علال من مدينة فاس. وكان من وزراء الأمير عبد الحق المريني. وكانت له قدم راسخة في علم الموسيقى. فلما قطع الأمير عبد الحق إلى الجزيرة الخضراء برسم الجهاد، جاز معه الحاج علال ليستفيد من أهلها ما يستفاد. فلما قدمها سمع بخبره أهل فنه، فتلقوه وطلبوا ضيافته للسلطان ومشوا به إلى دار الزعفران. فلما انضم الشمل وكمل المنى وحضر أهل الآلة وأرباب الغناء، تكلمت الأنغام الموسيقية وجاويها أهل اللطافة والرقة بأنغام الذيل الشجية. ثم استنبط الحاج علال من نغمته هذا الطبع وصعد إلى مكان مرتفع وهلل به على رؤوس الجميع. ولهذا سمي بالاستهلال. ثم استحسنه أهل الجزيرة غاية الاستحسان. فلم يخرج علال من الجزيرة حتى أخرج معه الطبوع كلها. وهو أول من أتى بالآلة إلى المغرب" *(ديوان الأمداح)*.

رواية أثبتناها لفائدتها الكبرى، ولو كانت قابلة للمناقشة، لأنها ترجع بنا إلى بداية استقرار الموسيقى الأندلسية بالمغرب.

وأما المجموعة الشعرية، فهي تحتوي على قصائد خاصة بالمدح النبوي، وقد رتبها المؤلف وصنفها إلى ثلاثة عشر طبعا، باعتبار أنغامها. وهي بالتتابع : أصبهان، الحجاز الكبير، الحجاز المشرقي، العشاق، رمل الماية، الرصد، غريبة الحسين، المشرقي الصغير، رصد الذيل، عراق العجم، الاستهلال، الصيكة.

والجدير بالذكر أن هذه القائمة تحتوي على طبعين فقدا من الآلة اليوم أو اندمجت بعض ألحانها الباقية في النوبات المحفوظة وهي : الصيكة والمشرقي الصغير.

والذي يهمنا اليوم في هذا المؤلف هو أنه يشكل حلقة مهمة في تاريخ الموسيقى الأندلسية، لأنه جاء قبل الحايك التطواني، صاحب المجموع الذي صار معتمدا في الآلة. ونقل عن سابقيه وتعرف على مصادر أصبحت اليوم في عداد المفقود.

أ. أحضري، *ديوان الأمداح النبوية* (مخطوط) ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، ج. 2 ؛ م. الحايك، *كناشة* ؛ م. المنوني، *تاريخ الموسيقى الأندلسية بالمغرب* ؛ البحث العلمي ع. 14-15 سنة 1969 ؛ ع. ابن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، الكويت 1983.

**أَحَضْرِي، سليمان** بن مخلوف، فصل البيذق في تسميته فقال : أبو الربيع سليمان بن مخلوف الحضري، شهر بابن البقال وابن تاعظميت عند أهل أغمات وبسليمان أحضري عند الموحدين. وربما وقع استبدال الحضري بالحضرمي. ومن دون شك أنه خطأ. فالنسبة الأخيرة تجعله ينحدر من أصل عربي، في حين أن كل القرائن تدل على أنه من أصل بربري، سيما وأن البيذق ينسبه لقبيلة هوارة. ووقع بعض الاختلاف في اسمه، *فالقرطاس* يدعوه سليمان بن خلوف، *والحلل الموشية* إسماعيل بن مخلوف.

وكان أحد العشرة أي من أهل الجماعة. كما كان معدودا في أهل الخمسين. وقد نال هاته المنزلة لأنه تكون على يد المهدي فكان من جملة طلبته في أغمات وريكة. ثم اتخذه المهدي كاتبا له يحرر الرسائل عن إذنه.

وكان من بين المشاركين في معركة البحيرة التي انهزم فيها الموحدون شر هزيمة وقتل كثير من رجالهم، وكان سليمان من بين الذين قتلوا فيها سنة 524 / 1130.

أ. البيذق، أخبار المهدي ؛ *كتاب الأنساب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ مجهول، *الحلل الموشية*.

محمد زنيبر

**أَحْفِير**، ـ جغرافيا ـ مركز يقع في أقصى الشمال الشرقي من المغرب. وينتمي من حيث التقسيم الإداري إلى إقليم وجدة، دائرة أبركان. تتربع الجماعة الحضرية على مساحة 6 كلمترات مربعة، تشغل الواجهة الشمالية الشرقية لسلسلة بني إزناسن والجزء الجنوبي من سهل طريفة، وبذلك فهي محاطة بجماعة أغمات القروية من كل الجهات باستثناء الناحية الشرقية حيث تمتد الحدود المغربية الجزائرية على طول وادي كيس الذي يعتبر الحد الطبيعي بين القطرين إلى مصبه في البحر الأبيض المتوسط شرق مدينة السعيدية.

تبعد مدينة أحفير عن وجدة بحوالي 37 كلم وعن ابركان والسعيدية بحوالي 20 كلم غربا وشمالا بالترتيب.

يوجد المركز الحضري في ملتقى الطرق الرئيسية 27 و28، وبذلك فهو حلقة وصل بين الدائرة الشمالية (دائرة ابركان) وباقي الدوائر الأخرى، فهو منفذ رئيسي تعبره كذلك الطريق المؤدية إلى القطر الجزائري التي كانت تلعب منذ القديم دورا تجاريا مهما.

وقد استرجعت مدينة أحفير دورها الاستراتيجي منذ عودة العلاقات المغربية الجزائرية سنة 1988.

تمتاز مدينة أحفير بحكم موقعها بمناخ متوسطي معتدل صيفا وشتاء لكونها منفتحة على البحر المتوسط شمالا ومحمية من التيارات الساخنة ناحية الجنوب بالسلسلة الجبلية، وتبعا لذلك فالمدى الحراري الفصلي لا يتعدى 10° بين أعلى درجة حرارية في غشت 32° وأدناها خلال يناير 18 .20°. أما معدل التساقطات فيقدر بـ 450 مم سنويا، تستقبلها المنطقة بين شهري شتنبر وأبريل.

ينتمي معظم سكان الجماعة الحضرية إلى قبائل تاغجيرت التي تعتبر بدورها إحدى مجموعات بني ازناسن الكبرى وأهمها بني خالد وبني ادرارا.

يقدر مجموع سكان الجماعات بـ 17161 نسمة حسب إحصاء 1982 من بينها 16615 مغربيا، و546 أجنبيا. وتعرف المدينة نموا سكانيا معتدلا حيث تقدر نسبة التزايد بحوالي 4٪.

معظم سكان جماعة أحفير يشتغلون بالفلاحة حيث يمثل هذا القطاع 50٪ من النشاط الاقتصادي. ويتمركز نشاطهم بالمناطق المجاورة، بالخصوص سهل طريفة السقوي الممتد شمال المدينة، حيث تتمركز زراعة الخضروات والقطاني فضلا عن الزراعة الشجرية المتمثلة في الحوامض بالخصوص. أما بطون الأودية على الواجهة الشمالية لسلسلة جبال بني إزناسن فتشغلها زراعة الخضر والفواكه المختلفة وتربية الأغنام والدواجن.

إلى جانب الزراعة، تمثل اليد العاملة المشتغلة في الخارج 0,5٪ بالنسبة لمجموع اليد العاملة النشيطة، مع ذلك فمداخيلها من العملة الصعبة تعتبر جد مهمة بالنسبة لمداخيل المدينة. أما عدد السكان المشتغلين بالمهن الحرة فضئيل جدا.

التشكيل الحضري :

أ ـ مراحل التطور: شيدت النواة الأولى للمركز الحضري خلال السنوات الأولى من القرن الحالي، وتعتبر أول مركز استعماري أنشأته سلطة الحماية بالمغرب الشرقي بقيادة "مارتان بري". قد أطلق اسمه فيما بعد على النواة الأولى المكونة من ثكنة عسكرية، وحي إداري، ومستوصف وسجن مدني إلى حدود سنة 1917. هذا إلى جانب حي سكني يقطنه المعمرون الفرنسيون والطائفة اليهودية، أما نسبة السكان الأهالي فكانت ضعيفة جدا في هذه الفترة.

وبحكم موقعه، أصبح أحفير (مارتان بري دوكيس آنذاك) مركزا إداريا لمنطقة مهمة من سهل طريفة وسلسلة جبال بني إزناسن الشرقية.

وتتميز المرحلة الثانية بتوافد السكان الفرنسيين على ملوية السفلى خلال الثلاثينات. فكان لذلك انعكاس مهم على توسع المدينة حيث شيد الحي الأوربي وأصبح يضم البنايات السكنية ويعطي المنشآت الإدارية كمصالح البريد، والشرطة، والجمارك.

ابتداء من تاريخ اندلاع الحرب التحريرية الجزائرية توافدت على المدينة وضواحيها الجالية الجزائرية النازحة من المناطق المجاورة وأصبحت تشكل نسبة مهمة من عدد السكان الإجمالي.

أما المرحلة الثالثة فتبتدئ من سنة 1961 حيث اندلعت الهجرة القروية من المناطق المجاورة، فقد توافد على المدينة عدد كبير من سكان البوادي والدواوير، وذلك للأهمية الإدارية والتجارية والثقافية التي عرفتها المدينة، إضافة إلى كونها ملتقى الطرق التجارية ومركزا حدوديا مهما.

عرفت المدينة تطورا ملموسا منذ السبعينات من حيث البناء والتعمير موازية بذلك الارتفاع السريع لعدد السكان من جهة وتوفير السكن الملائم لكافة المواطنين من جهة أخرى، واستجابة لهذا الهدف جهزت عدة تجزئات سكنية، تمت بدايتها في إطار البرنامج العالمي للتغذية سنة 1970 حيث تم تشييد 332 مسكنا مستقلا ومسجدا، كما أنشئت تجهيزات أخرى، اثنتان منها جهزت من طرف الدولة وستة أخرى من طرف الخواص منها ما تم بناؤه ومنها ما هو في طور البناء. وتعتبر هذه الإنجازات عاملا أساسيا في توسع المدينة والقضاء على الأحياء الغير المندمجة، وتجدر الإشارة إلى أن الطابع المعماري السائد، هو الطابع المغربي الأصيل، روعيت فيه الجوانب العصرية في البناء، والحفاظ على البيئة الطبيعية وذلك بتخصيص مساحات خضراء صحية وترفيهية داخل كل الأحياء.

أحفير ـ صورة جوية

حرصا على ما تكتسيه المناطق الخضراء من أهمية صحية وترفيهية فقد عمدت الجماعة إلى تجهيز عدة حدائق مغروسة بفصائل شجرية تتلاءم مع الطبيعة المناخية السائدة. وقد أنجزت هذه الحدائق داخل وخارج المدينة مما جعلها تتميز بخصائص جمالية وصحية. ويبلغ عدد الحدائق تسعا، مسيجة ومفتوحة فضلا عن الحديقة العمومية التي تتوسط المدينة وهي موروثة عن عهد الحماية.

أحدثت بالمركز الحضري لأحفير منذ عهد الاستقلال مرافق إدارية ومؤسسات تعليمية وثقافية تلبية لحاجيات السكان تتمثل فيما يلي : ثانوية وإعدادية وست مدارس. كما يتوفر المركز على مركز للتكوين المهني ومركز تأهيلي نسوي ودار الشباب. كما يوجد بالمدينة ملعب بلدي لكرة القدم ومركب رياضي متعدد التخصصات.

تتوفر جماعة أحفير على سوقين رئيسيين :

ـ السوق الأسبوعي : شيد هذا السوق في الستينات على مساحة 57600 متر مربع، غرب المدينة وهو سوق أسبوعي تباشر فيه التجارة يوم الأحد والاثنين والخميس

ويعرف رواجا تجاريا لمختلف السلع كالخضر والفواكه والحبوب والمواشي، ومختلف السلع التجهيزية، والأدوات التقليدية.

- السوق اليومية : هو عبارة عن مركز تجاري حديث دشن سنة 1988، شيد على نمط الأسواق العصرية المغطاة الموجودة بالمدن الكبرى ويتوفر على 143 دكان ومقهى ومطعم، تشغل مساحته الكلية 27275 م وتعرض فيه المواد الغذائية والتجهيزات المنزلية والملابس.

*بحث ميداني*

محمد الدحماني

**أَحْفير**، - تاريخ - صارت أحفير على خط الحدود بين المغرب والجزائر منذ توقيع اتفاقية مغنية سنة 1845، وهي في الأصل من المراكز التي استحدثتها فرنسا بعد احتلال وجدة يوم 29 مارس 1907، فصار المركز المذكور يُعرف باسم "مارتان بري دو كيس" (Martimprey de Kiss) منذ شهر يناير 1908.

يقع هذا المركز بأراضي قبيلة بني خالد (بني يزناسن)، ويُعْرَفُ موقعه عند قبائل بني يزناسن باسم أحفير منذ سنة 1859، وهو تاريخ الحملة الفرنسية التي قادها الجنرال "مارتان بري" بهدف زجر قبائل بني إزناسن التي ظلت تقاوم أطماع الفرنسيين في المنطقة. وقد عمد القائد المذكور إلى تحصين ذلك الموقع وحفر الخنادق حوله، وتزامنت هذه الحملة مع وفاة السلطان عبدالرحمان بن هشام (1822-1859) وإعلان إسبانيا الحرب ضد المغرب، فجهز قائد الحملة جيشا قوامه خمسة عشر ألف جندي، واقتحم به لأول مرة معاقل بني يزناسن (غشت 1859)، وتمركز بعين تافوغالت، وسيطر على الجبل وكل المسالك المؤدية إليه، إلا أن تفشي وباء الطاعون بين الجنود خصوصا في مكان تجمّعهم بواد كيس (أحفير) عجّل بانسحابهم من وجدة وناحيتها (نونبر 1859).

وبعد جلاء الجيوش الفرنسية عن موقع تجمعهم بواد كيس، صار الموقع المذكور يُعرف عند قبائل بني إزناسن باسم أحفير، وهي لفظة صيغت بالأمازيغية يُراد بها حُفَر كَبيرة، وهي بذلك قد تدل على ما وقع من حفر بالمكان المذكور من أجل التحصين العسكري، ومن الملاحظ أن اتفاقية مغنية سنة 1845 لم تشر إلى موقع أحفير كأحد معالم الحدود، وهذا دَليل على أن تسمية المكان كانت بعد الحملة الفرنسية لسنة 1859. وإثر الغزو الفرنسي لناحية وجدة (1907)، جرت معارك كبيرة قرب أحفير بين قبائل بني إزناسن والقوات الفرنسية (نونبر 1907)، فتحصنت الجيوش الفرنسية مرة ثانية بنفس الموقع الذي تحصن به قائد حملة سنة 1859، ثم صار ذلك الموقع قاعدة انطلقت منها القوات الفرنسية لاحتلال جبال بني إزناسن.

وفي شهر يناير 1908 قرر الجنرال "ليوطي" (Lyautey) تشييد قرية بأحفير وإقامة حامية عسكرية بها، فأطلق اسم الجنرال "مارتان بري" على القرية المذكورة، ثم تحولت قرية "مارتان بري دو كيس" إلى مركز استعماري في إطار التقسيم الإداري الفرنسي في المنطقة من أجل إخضاع قبيلة بني خالد، واستقر به عدد من المعمّرين الفرنسين الذين وفدوا من غرب الجزائر، وقررت السلطات الفرنسية نقل سوق أغبال الواقعة بقبيلة بني خالد إلى "مارتان بري دو كيس"، وما زالت السوق المذكورة تُعقد كل يوم إثنين ويوم خميس. وبعد فرض الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912 أُقيم مركز للديوانة في "مارتان بري"، فصار محطة عبور بين إقليم وجدة ومرسى الغَزوات بالجزائر، وبعد استقلال المغرب (1956)، صارت قرية "مارتان بري دو كيس" تُعرف باسمها الأصلي أي أحفير.

*Documents diplomatiques, Affaires du Maroc* 1901-1912, Imprimerie Nationale, Paris 1905-1912. Vol. IV, p. 81-82, p. 89 et p. 126-128 ; A. Bernard, *La frontière algéro-marocaine* in A.F, 1908, p.205-216 ; Ch. René-Leclerc, *L'Amalat d'Oujda, conditions de son développement économique*, in A.F, 1910, pp. 254-263 ; A. Bernard, *Les confins algéro-marocains*, E. Larose Paris, 1911, pp. 144-147 et pp. 239-241 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*. pp. 571-575 ; *Le développement et les résultats de la guerre de 1859 dans les confins algéro-marocains*, in R.A, 1918 pp. 374-386 ; F. Llabador, *Le tragique épisode du combat du Bab El-Assa* 27/11/1907, in B.S.G.A.O, 1938 p. 78 et p. 89.

عكاشة برحاب

**أَحَكّام**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني زيات الغمارية. وقد استوطنت تطوان حيث كان جل أفرادها يشتغلون بالصيد البحري، فكان منهم رواس (جمع رايس) البحر يحتكم إليهم الصيادون في خلافاتهم ومشاكلهم، وكان أشهرهم وربما آخرهم الرايس احساين بن محمد أحكّام المتوفى سنة 1938 م. ولم يبق من هذه الأسرة الآن بتطوان سوى امرأة واحدة

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 28 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 ; H. Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (H) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

**أَحَكّان**، أسرة تطوانية أصلها من ناحية الريف. وكلمة أحكان في اللهجة الريفية تعني مستنقع، ونعرف من أفرادها : محمد بن العربي والهاشمي بن أحمد ومحمد بن عبدالله والطاهر بن الغالي الذين كانو جنوداً بحامية تطوان سنة 1246 / 1830.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 28:3 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 ; H. Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (H) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**أبو أَحْلاس**، مجهول النسبة والبلد، لا يعرف إلا بكنيته "أبو أحلاس" التي تعني بالبربرية : «صاحب

البردعة» بسبب ركوبه دابة وضعت عليها بردعة مملوءة بقراطيس كتبت برموز سحرية. وقد ظهر بالسوس الأقصى في سنة 1207 هـ / 1793 م، أي بعد وفاة المولى اليزيد بن محمد بن عبد الله بوقت قليل، وحاول كسب الأتباع وتزعم حركة لا تعرف بدقة دوافعها ومراميها السياسية، ذلك أن كل ما وصلنا عنها صادر عن خصومها ومحاربيها.

يستفاد مما كتبه بعض الفقهاء السوسيين عن أبي أحلاس أن الأمر يتعلق بمغامر ادعى المهدوية أحيانا كما ادعى أنه المولى اليزيد أحيانا أخرى. وغالب الظن أنه حاول استعمال المهدوية والدعوة السياسية معا لكسب الأتباع، وهو بذلك لا يمثل إلا أحد نماذج المطالبين بالسلطة والمُوجهين في نفس الوقت للتذمر والاستياء الشعبي اللذين يظهران في أوقات الفراغ السياسي على المستوى المركزي.

ظهر هذا الداعية بمنطقة أيت باعمران ببلدة تاسريرت على ساحل البحر، وذلك بعد أسابيع قليلة من مقتل المولى اليزيد بمراكش (23 جمادى الثانية 1206 / 17 فبراير 1792). ومن المعلوم أن حضور عمال المخزن في منطقة سوس كان قد ضعف ابتداء من دولة سيدي محمد بن عبد الله عندما استقر أحد أبناء هذا السلطان، وهو الأمير مولاي عبد الرحمان، بوادي نون في سنة 1779. وأقام هناك إمارة شبه مستقلة عن حكم والده. أما تارودانت ومرسى آگادير فكانتا في وضع لا يختلف كثيرا عن هذا الوضع، وكان صاحب الأمر بهما هو حفيد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، مولاي عبد الملك المعروف بالزيزون. وكان وجود هذين الأميرين بساحل سوس يعتمد أساسا على مركزهما كوسيطين بين التجارة الصحراوية والتجارة البحرية الأوربية. ولم يتمكن المولى اليزيد خلال حكمه القصير (1790 ـ 1792) من تعزيز سلطته جنوب مراكش، وبذلك عاشت منطقة سوس عدة سنوات في شبه فراغ من عمال المخزن أفسحت المجال لظهور متمردين من أمثال أبي أحلاس.

ادعى أبو أحلاس في بداية أمره أنه هو المولى اليزيد الذي لم يُقتل حسب زعمه، ولستر أمره كان يحمل لثاما يغطي كل وجهه إلا عينا واحدة. ثم ادعى أنه الإمام المهدي المنتظر، وأنه جاء ليملأ الأرض عدلا بعدما مُلئت جورا، وزعم أحيانا أخرى أنه ولي من أولياء الله وأن السبعة الرجال المراكشيين هم الذين بعثُوا به الى تلك الأصقاع. ولم يتوان عن استعمال السحر والشعوذة للاستيلاء على ضعفة العقول من بين العامة. ونجح بفضل ذلك في استدراج الكثير من الأتباع خاصة من بين رعاع الناس وطغامهم. وأبرز ما طبع حركته معاداتها لليهود بصفة خاصة إذ أطلق يد القتل فيهم والنهب في أموالهم وممتلكاتهم كما أعلن العداء للطلبة وحملة العلم.

ولقيت حركة أبي أحلاس إقبالا كبيرا في بدايتها خاصة في صفوف العامة. ويقول صاحب *نزهة الجلاس* : إن أمره عظم بعد سيره الى گلميم "فأتته الناس بالنصر والهدايا من كل فج عميق". ولم تبق أصداء أبي أحلاس محصورة في منطقة سوس بل نجد ذكره عند ممثلي الدول الأوربية بطنجة. فقُنصل بريطانيا يشير إليه في تقاريره وينعته بالمغامر المعادي لليهود بصفة خاصة. لكن ما كتبه القنصل البريطاني نفسه يفيد بأن بطش أبي أحلاس لم يقتصر على اليهود. وعلى سبيل المثال فقد أحرق أربعين عائلة مسلمة في إحدى القرى، إلا أن حركة أبي أحلاس ، ككل حركة تدجيل، لم تدم طويلا. ولا شك أن إفراطه في البطش والتنكيل بالطلبة والفقهاء بقصد "طمس طريق الشريعة" على الناس كان من العوامل التي ألبت ضده قبائل سوس ودفعت ببعض الفقهاء الى تزعم حركة المعارضة التي عجلت بنهايته.

وقد حاربه علماء سوس وفقهاؤها بالكلمة والسيف معا. ومن الذين تجندوا لحربه محمد بن أحمد الحضيكي ومحمد بن أحمد التاساكاتي (الهلالي) وشيخه علي بن إبراهيم. وقد حرروا الفتاوي وكتبوا الرسائل للعديد من القبائل يحذرونهم فيها من هذا "الشيطان" الذي يدلس على المسلمين بإتيان خوارق العادة، والتي يزعم أنها من كراماته بينما "تكون الكرامة لمن ظهرت منه الاستقامة... لا لمن يرتكب الفجور ويقتل الطلبة والفقراء والذميين بغير حق". وشجب الفقهاء السوسيون بصفة خاصة قتل اليهود الموجودين تحت ذمة المسلمين. وفي قرية إفران، التي كان بها عدد هام من اليهود، منع فقهاء وأعيان البلدة أبا أحلاس من المس بهؤلاء أو النيل من ممتلكاتهم.

ويرجع الفضل في القضاء على أبي أحلاس إلى الفقيه محمد بن أحمد التاساكاتي الذي استطاع تجنيد اثني عشر ألف مقاتل من قبيلتي هشتوكة وولتيته، وإلحاق ضربة قاضية بهذا "الدجال" وشيعته. وبمقتله قرب تزنيت أواسط شعبان سنة 1207 هـ / 1793 م طويت صفحته.

أ. السملالي، *الفوائد المرضية للأنفس الزكية أو نزهة الجلاس في قصة أبي أحلاس*، مخطوط خ. ح رقم 4625 ؛ م.الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 5 ؛ وثائق وزارة الخارجية البريطانية (FO52/10) ؛ راجع أيضا ترجمة الأدوزي، محمد بن أحمد المرابط، بهذا الجزء من *معلمة المغرب*.

محمد المنصور

**الأحْلاف**، جمع حِلف بالكسر، بمعنى العهد أو المعاهدة بين القوم، وهو الصَداقة أيضا لأن الصديق يحلف لصاحبه أن لا يخونه. وكان الحلف عند العرب قديماً يبرم بين عدة قبائل أو عشائر لتوطيد العَلاقات بينهما في السلم أو الحرب، فيصبح الطرفان المتعاقدان حلفاء أو أحلافاً، وكل طرف حليف للآخر. وكان في استطاعة أي شخص أن يدخل بمفرده في حلف مع قبيلة من القبائل، وهذه الحالة، تكون فكرة حلف المطيِّبين الذي عقدته قبيلة عبد مناف مع عدد من عشائر قريش ضد بني عبد الدار، وحلف الفضول، عقده بعض عشائر قريش للأخذ بناصر المظلومين.

ولما هاجرت القبائل العربية إلى المغرب، حملت معها

عوائدها وتقاليدها، فأصبحت تعقد تحالفات واتحادات، في موطنها الجديد، إما فيما بينها، طلبا للأمن والسلام حتى لا تتعرض لإغارة مُغير أو تضييع كبير من الأشياء أو صغير، كما كان يقصد من الحلف المبرم مع ملوك المغرب الذين حرصوا على اصطناع هذه القبائل المشاغبة بقصد تدجينها وكسب ودها، مستعملين جميع وسائل الإغراء : مثل المصاهرة، وتعيين زعماء القبائل في إدارة بعض الممتلكات، واتخاذ حجاب ومستشارين من زعماء القبائل العربية، كما فعل بنو مرين عندما ازدادت حاجة الدولة إلى هذه القبائل.

وأول اتصال لابن تومرت الموحدي بالقبائل العربية كان مع الثعالبة، عرب الجزائر، الذين سيصبحون من مؤيدي الدعوة الموحدية، عندما أهدوه دابة يركبها لأنه كان يمشي على رجليه (*الاستقصا*، 2 : 90). وفي سنة 633 / 1235، تحالف الرشيد بن المامون الموحدي مع جرمون بن عيسى وقومه عرب سفيان فاستولى على مدينة مراكش (*العبر*، ص. 535)، كما أن الموحدين ادعوا أنهم من أصل عربي لحمل القبائل العربية المقيمة بإفريقيا على المشاركة في غزو الأندلس (*المعجب*، ص. 225) وأثناء الصراع الذي قام بين الموحدين وبين بني مرين، تحالف بنو مرين على وجه الخصوص مع عرب ذوي عبيد الله. وقد تعددت الأحلاف في المغرب عبر حقب العصر الإسلامي. اشتهر منها بالخصوص فرقتان :

أحلاف المغرب الشرقي، وأحلاف الشاوية ودكالة.

أما فيما يتعلق بناحية الشاوية، فإن الأحلاف كانت في أوائل هذا القرن (1915) تشتمل بأولاد حريز على فخذ واحد يدعي الحلالفة وينتمي لأولاد يعقوب، وبالمذاكرة، على ثلاثة أفخاذ من الأحلاف وهي : أولاد حسن وأولاد الجيش والزكارة، بالإضافة إلى فخذين آخرين من الأحلاف، أحدهما ينتمي لأولاد علي، والثاني لأولاد امراح. (*Casablanca et Chaouia*, in Villes et Tribus, 2 : 8-10).

غير أن هذا التوزيع تغير في 1956 فأصبح أحلاف الشاوية يشتملون على أحلاف مَليلة بالمذاكرة، وهم أولاد عيسى وأولاد موسى والخبزيين وأولاد زيد وأولاد الجيش والزكارنة وأولاد صالح والبليديين الوزِّيكة، وعلى أحلاف بني غيتون بأولاد امراح وهم : الأحلاف وأولاد عمور وبني غيتون وأولاد زهرة، وعين الضربان الجنوبية. (*Nomenclature des Tribus*, 32).

وأخيرا فإن قبيلة أولاد فرج عبد الغني بإقليم الجديدة تشتمل على أحلاف الفيض، وأحلاف أولاد الشيخ بالساحل.


ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*.

Villes et Tribus, *Casablanca et Chaouia* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc* ; *Nomenclature des Tribus*. Ministère des Finances, Rabat, 1956.


محمد الشياظمي

**الأحْلاف**، قبيلة بهذا الاسم بنواحي مدينة تاوريرت بالمغرب الشرقي. (إقليم وجدة) وتمتدّ أراضيها على ضفتي واد زَا في مجراه الأسفل إلى مصبه بنهر ملوية، وتُنسب القبيلة المذكورة إلى عرب معقل الذين استوطنوا التخوم الشرقية من بلاد المغرب الأقصى ما بين ملوية ودرعة في تاريخ غير معيّن. ويرجع نسب الأحلاف إلى العمارنة والمنبات، وهما من بطون ذوي منصور. ولما قامت العداوة بين بني مرين وبني عبد الواد كان الأحلاف يستقرون بموطنهم الذي يُعرفون به حاليا في المغرب الشرقي. بل صارت أرضهم في بعض الأحيان منطقة حدود بين ملوك تلمسان وملوك فاس، خصوصًا بعد تشييد قصبة تاوريرت في عهد المرينيين.

وقد استطاع سلطان تلمسان أبو حمو الثاني (760 / 1359 - 791 / 1389) أن يستميل إليه الأحلاف بعض الوقت، إلا أنهم خذلوه وأذعنوا لسلطة المرينيين، ولا يُعرف عنهم الكثير في عهد السعديين، ولما غزا مولاي محَمد بلاد أنكاد في منتصف القرن السابع عشر بايعه الأحلاف، وصارت لهم حظوة عند ملوك الدولة العلوية بعد أن زوّج السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 - 1790) بعض أولاده ببنات الأحلاف وعلى رأسهم مولاي سليمان (1792 - 1822)، ومن أجل ذلك كان المولى عبد الرحمان بن هشام (1822 - 1859) يخاطب قائدهم في مطلع القرن التاسع عشر بعبارة "خالنا الأرضي" (بوزيان الشاوي الأحلافي).

ومما زاد في أهمية الأحلاف تَحكُّمُهم في المسالك الرابطة بين وجدة وتازة، وقد تمكنوا من السيطرة على جزء كبير من بسيط أنْكاد بعد أن تغلبوا على قبائله في مطلع القرن التاسع عشر، وأصبحت لهم الزعامة على قبائل وجدة وتازة في ولاية القائد بوزيان الشاوي. وإثر احتلال فرنسا للجزائر (1830) أمر السلطان عبدالرحمان بن هشام قبيلة الأحلاف بالانتجاع والنزول بطرف الإيالة على طول الحدود الشرقية، وذلك خوفًا من ترامي الفرنسيين على الأراضي المغربية، فنزل الأحلاف ببسيط أنكاد وبعَيْن بني مطهر، وقد خلّف نزولهم بأنكاد نزاعات مع قبائل وجدة، غير أنهم فقدوا الزعامة على قبائل وجدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فتقلّص نفوذهم بعد أن عادوا إلى موطنهم الأصلي بجوار قصبة تاوريرت. وكانت قبيلة الأحلاف تتركب من الأفخاذ التالية حسب التقسيم المخزني في القرن التاسع عشر : الكرارمة - أولاد السهلي - أولاد سليمان - الأرباع - غفُّولة.

غير أن التقسيم الإداري في عهد الحماية اعتبر الكرارمة قبيلة مستقلة عن الأحلاف، فظهر تقسيم جديد للقبيلة، تمثّل في ثلاث فصائل وهي : الأرباع وأولاد المهدي وأولاد سليمان.


ابن خلدون، *العبر*، 6 : 131 - 135، 7 : 681 - 683 ؛ *تقييد إيالة وجدة ونواحيها وبعض القبائل المجاورة لفاس سنة 1309 هـ* . كناش

*الخزانة الحسنية* رقم 192 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 3 : 357. 5 ؛ 446؛ ع. بنمنصور، *قبائل المغرب*، 1 : 425. 426.

La Martinière et Lacroix, *Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest Africain*. publiés par le Gouvernement Général de l'Algérie. Lille 1894, T. I, pp. 160-162 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*, pp. 191-192 ; *Résultats statistiques du recensement de la population civile de l'empire Chérifien*, effectué le 7 mars 1926, p. 282.

عكاشة برحاب

## أيت أحمد أعلي ← أزوافيط

## ابن أحمد القاضي ← العلوي محمد بن أحمد

**الأحلافي**، الحاج محمد بن المرابط الشيظمي كان عاملا على مدينة أسفي في عهد الحسن الأول، وله مراسلات معه في شأن المحميين والمستوطنين الأجانب الذين كانوا يزعجون آنذاك حكومة المخزن وممثليها في الأقاليم بتظلماتهم التي لا تستند في الغالب على أساس صحيح. وقد اشتكى أحد سماسرة الأنجليز المدعو الحاج الحسين الشياظمي من العامل الأحلافي مدعيا أنه ترامى عليه وأهانه وأخذ ما بيده من مال التاجر الأنجليزي إدوارد كرارة وتكررت المراسلة في الموضوع سنة 1295 / 1878 بين الباشدور الأنجليزي والنائب السلطاني محمد بركاش والأحلافي الذي برئت ساحته في النهاية وصدر أمر سلطاني إلى الباشدور "ألا يُنصت بعد لأهل الترهات والأباطيل".

*الوثائق المخزنية* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان* 3 : 1033. 1035.

محمد حجي

**ابن أحْمَد**، أحد المراكز الحضرية بالشاوية، ويوجد بالضبط في الشاوية العليا على مقربة من السفح الذي يفصل هذه المنطقة عن سهل برشيد. موضعه على جوانب واد الأحمر وموقعه على الطريق المؤدية من برشيد إلى قصبة تادلا.

وتتوسط هذا المركز الحضري منطقة فلاحية هي من أخصب سهول المغرب. ولذا فقد واكب تطوره النمو الفلاحي للمنطقة كما أن حداثة النمو الحضري كانت مزامنة للتعمير الفرنسي للأرض الفلاحية بالسهل.

ففي بداية القرن، يتضح من الأوصاف الجغرافية، أن قصبة ابن أحمد لا تتكون إلا من مجموعة من النوالات والحوانيت، يقطنها نحو ألف أو ألف وخمسمائة ساكن، وتحميها قلعة. ويظهر أن القصبة تمّ تشييدها ما بين 1875 و 1880 من طرف القايد ابن أحمد. إلا أن المركز كان موجودا قبل هذا العهد. فالنصوص تذكر أن تاجرا فرنسيا أقام به بعض الوقت سنة 1865 لربط علاقات تجارية مع منطقة تادلة، وقصد تأمين طريق ثانوية بالمقارنة مع طريق مراكش عبر سطات. ثم تطور المركز بنمو نفوذ قواد محليين أغنياء امتلكوا مساحات زراعية واسعة.

وحسب الأوصاف المقدمة عن المركز في بداية القرن، فإن ما يثير الانتباه هو أهمية مخابئ الحبوب المتعددة، قرب قصبة محصنة، في داخلها بعض المنازل والحوانيت، على جانب طريق صغير.

إلا أن نمو هذا المركز توقف منذئذ بعد أن تمّ هدم القصبة سنة 1908. فبقيت القصبة بعد ذلك مخربة ولم يجدد بناؤها، كما أن إحصاء سكانها سنة 1926 لم يشر إلى أكثر من 1103 من السكان.

ويمكن اعتبار مرحلة التعمير الفرنسي للشاوية البداية الحقيقية لتطور المدينة. وقد بدأ هذا التعمير مبكراً حيث احتل الفرنسيون مركز ابن أحمد سنة 1908. وأصبح بذلك يكون بالنسبة لهم نقطة متقدمة جنوبا لحماية الدارالبيضاء ونقطة انطلاق لغزو المجالات الداخلية.

ثم أصبح ابن أحمد بعد ذلك أحد المراكز الفلاحية التي يعتمد عليها التعمير الفلاحي لمنطقة الشاوية. لكن صعوبات كثيرة اعترضت التعمير في ناحية ابن أحمد بسبب ندرة أراضي المخزن وشدة تجزيء أراضي الملك. ولم تتكون تجزئات حقيقية للتعمير الرسمي إلا بعد سنة 1922، بينما بلغت مساحة الأراضي المحتلة سنة 1927 ما تقديره 4819 هكتارا، ويلغ عدد المعمرين القاطنين في المركز 13 معمرا. بعد هذا التاريخ فقط تطور التعمير الفلاحي بسرعة حيث وصلت المساحة إلى 13000 هكتار سنة 1933 وارتفع عدد القاطنين إلى 44 معمراً.

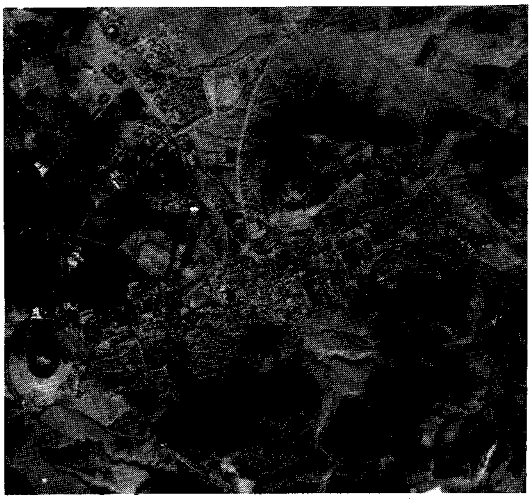

ابن أحمد ـ صورة جوية

وقد طرح منذ البداية بالنسبة للمدينة مشكل المواصلات. فقد وصل أول خط حديدي سنة 1915 إلى ابن أحمد واستمر إلى واد زم التي وصلها سنة 1917. ثم شرع في تشييد خط ثانٍ إلى مراكش عبر سطات سنة 1923، بينما تم تحويل الخط المؤدي إلى وادي زم بعيداً عن مدينة ابن أحمد. وهكذا فقدت هذه المدينة أهم الخطوط التي وفرت لها في البداية.

وقد وقع نفس الشيء بالنسبة للطريق التي كانت تعبر المركز الحضري، ثم تحولت إلى خارج المدينة ابتداء من سنة 1936.

هذا يفسر النمو الدمغرافي الضعيف الذي عرفته المدينة التي أصبح يقطنها سنة 1956 : 1285 ساكنا فقط.

رغم ذلك، عرفت المدينة نموا اقتصاديا يعتمد على القطاع الثالث وخاصة تجارة الحبوب والصوف والجلد. فقد استقرت بها بعض الشركات التجارية المتخصصة في جمع المواد الزراعية، وظهر بها العديد من متاجر التقسيط. كما تطور الدور التجاري لسوقها الأسبوعي. فقد أصبح هذا السوق يلعب دور موزع إقليمي، يستقطب أسبوعيا ما يزيد عن 7000 من الوافدين.

ابتداء من الخمسينات عرفت ابن احمد نموا هامًا شبيها بنمو مختلف المراكز الحضرية الصغرى في المغرب. وهكذا وصلت ساكنتها إلى 4328 نسمة عام 1952، ثم 6650 سنة 1960 و10460 سنة 1971 و15808 سنة 1982. ويعزى هذا النمو القوي خلال السنوات الأخيرة إلى عامل الهجرة القروية.

ويتضح من الأبحاث الميدانية أن أصول سكان المدينة تتوزع كالتالي : 20٪ منهم مولودون بالمدينة، 57٪ قادمون من الشاوية، 10٪ من السهول الأطلنتية وتادلا، 10٪ من الجنوب و 5٪ فقط من شمال البلاد.

أما عن النسيج الحضري فقد ظهرت أول التحولات فيه مع مقدم المعمرين الذين أقاموا حيا عصريا عسكريا في البداية، ثم سكنيا وإداريا بعد ذلك.

والموقع كان يملي ضرورة التفريق بين مقر الحي الأوروبي والمدينة المغربية. فكل منهما يحتل سفحا للوادي، بحيث يكون الحيّان متقابلين.

والحيُّ الأوروبي موجود على السفح الشمالي، قاعدته الطريق التي تربط المركز بالطريق المؤدية إلى تادلا، فوقها بنايات عليا تجارية ومقاه، ثم بنايات إدارية، وتستقر فوق الهضبة دور فردية سقفها أحمر مزدوج، محاطة بحدائق صغرى.

أما الحي المغربي فهو على السفح الجنوبي للوادي، يفصله عن الحي الأول مجال فارغ واسع، تم تحويله في البداية إلى حدائق عمومية، بينما نراه حاليا يمتلئ بسكن هزيل متكدس. ويمتاز الحي المغربي ببنائه المزدحم وبدوره الصغيرة المتدرجة على السفح الجنوبي.

ولم تعرف المدينة في السنوات الأخيرة تطورات حضرية حاسمة. فرغم النمو السكاني نرى أن الرقعة الحضرية لم تتسع كثيرا، كما لم تنشأ أحياء جديدة حقيقية، بل نشهد اكتظاظا سكنيا في الأحياء الموجودة وخاصة منها الأحياء الجنوبية، مع ملء للفراغات التي كانت تتوسط المدينة. كل هذا يتم دون أن يكتسب هذا المركز وظائف اقتصادية هامة تخلق فيه النشاط والحيوية. فابن أحمد مدينة صغيرة، تنمو ساكنتها بسرعة، دون أن يواكب ذلك نمو اقتصادي وتنويع وظيفي. وهي مدينة ظلت إلى اليوم تعتمد خاصة على القطاعين الفلاحي والتجاري.

S. Akkari, *Trois petites villes de la Chaouia intérieure, Settat, Benahmed et El Gara,* D.E.S., Fac. Lettres Bordeaux, 1965.

عبد الله العوينة

## أيت **أحمد** ← **شتوكة**

**أحمد** بن **إدريس الأزهر**، تركه أبوه لما مات صغيرا لذلك لم يذكر له أغلب المؤرخين للدولة الإدريسة ولاية عندما وزع الإمام محمد بن إدريس أقاليم المغرب على إخوته بإشارة من جدته كنزة. إلا ابن أبي زرع في *القرطاس* فإنه ذكر أن مدينة مكناس وبلاد فازاز وتادلا كانت من نصيب أحمد. وعلى ذلك درج الفضيلي في *الدرر البهية*. وذكر أن أحمد ابن إدريس بدا له في نبذ طاعة أخيه الإمام محمد بن إدريس ورام الاستبداد بإيالته، وبقي على ذلك إلى أن توفي - ولم يذكر تاريخ وفاته - وتفرق عقبه في بلاد زواوة والصحراء وبني مسارة، وجلُّهم ببلاد مغراوة، ويعرفون بالكنونيين، واستقر بعضهم بتطوان وفاس ولقبوا بأهل الزواقين. ومن حفدة أحمد كذلك الدرقاويون.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ل.ابن الخطيب، *أعمال الاعلام* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 11 و159 - 165 ؛ إ. العربي، *دولة الأدارسة* ؛ المريني العياشي، *الفهرس*.

**أحمد الأعْـرج** بن محمد القائم بأمر الله الشريف الزيداني الحسني السعدي. ولد بتگمادارْت من بلاد درعة عام 891 / 1486 وبويع كولي للعهد بإشارة من أبيه عام 918/12 - 1513. حين رجع القائم بأمر الله من درعة إلى تيدسي القريبة من تارودانت بسوس. ثم سار أحمد الأعرج مع والده إلى بلاد حاحا والشياظمة تلبية لطلب أشياخ هذه القبائل التي رغبت في أن يساعداهم على مدافعة العدو الكافر الذي اشتدت شوكته عليهم، فنزلا بأفوغال من بلاد حاحا حيث كان ضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي. وقد أبلى أحمد الأعرج إلى جانب والده البلاء الحسن في جهاد البرتغاليين المحتلين لثغور عبدة ودكالة، طوال خمس سنوات، إلى أن توفي القائم بأمر الله عام 923 / 1517 فخلفه أحمد الأعرج في إمارة الجهاد بالمنطقة وفي الزعامة السياسية، وبقي أخوه الأصغر محمد المهدي الشيخ ينوب عنه في تدبير شؤون بلاد سوس ومجاهدة البرتغاليين المحتلين لثغور الجنوب.

قضى أحمد الأعرج زهاء ربع قرن على رأس إمارة الشرفاء الناشئة يجاهد البرتغاليين وحلفاءهم من قبائل عبدة ودكالة، خاض خلالها غمرات حروب طاحنة جعلته في النهاية يضيِّق الخناق على المسيحيين بعد أن تمكن من القضاء على أكبر حليف لهم يحيى بن تعففت وشيعته المتعاونين مع العدو. الأمرالذي أكسبه صيتا بعيدا، وجعل الهنتاتيين حكام مراكش ينحازون إليه ويسلِّمونه الحاضرة المرابطية - طوعاً أو كرهاً - ليتخذ منها عاصمة له. وبذلك

اتسعت رقعة نفوذه وأطاعته قبائل السهل والجبل. ومن ثم تغيرت طبيعة الحركات الجهادية التي يقوم بها أحمد الأعرج إذ أصبحت تضم عدداً أكبر من الرجال والخيل. بحيث لم يعد المسيحيون يقوون على مواجهتها وإنما يحتمون منها بالأسوار. تجلى ذلك في الحصار العنيف الطويل الذي ضربه أحمد الأعرج عام 940 / 1534 على مدينة أسفي أهم مركز يحتله البرتغاليون في المنطقة. وكان باستطاعته أن يلقي بأعدائه في البحر لولا تحرشات الوطاسيين به ومناوأتُهم له.

كان الوطاسيون في بداية حركة الشرفاء يؤيدونهم ويمدونهم بالمال والرجال لكنهم أخذوا يخشونهم بعد الانتصارات التي حققوها والسمعة الطيبة التي أصبحت لهم لدى عامة الناس وخاصتهم. فقلبوا لهم ظهر المجن، وجمع أحمد الوطاسي ما استطاع من المقاتلة قاصداً مراكش، وحاصر بها أحمد الأعرج مدة إلى أن اضطر إلى الرجوع إلى فاس بسبب قيام ثورة ضده في الشمال. وتجدد القتال بعد ذلك وتكرر بين أحمد الأعرج وأحمد الوطاسي، غير أنه كان يقع بعيدا عن مراكش، وجرت المعركة الفاصلة بينهما عام 943 / 1536 بمشرع بوعقبة على ضفاف واد العبيد من بلاد تادلا، انتهت بوثيقة صلح اعترف فيها الوطاسيون بسلطة السعديين وتخلوا لهم عن كل البلاد الواقعة وراء واد أم الربيع مكتفين بالقسم الشمالي من البلاد.

دخلت أحمد الأعرج نخوة الملك بعد أن أصبح يلقب بملك مراكش، وأخذ يعمل على التخلص من أخيه رفيقه في المسيرة الطويلة لتمهيد الدولة وتقعيد قواعدها، فأسند ولاية العهد إلى ابنه زيدان، وكان الحران بن محمد المهدي الشيخ أحق بها لأنه أكبر سناً على ما تعارف عليه السعديون منذ حياة والدهم القائم بأمر الله. ولما تمكن محمد المهدي الشيخ في ربيع 948 / 1541 من فتح حصن فونتي (أگدير) وحصل على مكاسب مادية ومعنوية عظيمة، أبدى أحمد الأعرج استياءه من تصرف أخيه في قسم الغنيمة واحتجاز أهمها لنفسه وجنده. وأخيرا صرَّح الشر بينهما ولم تُجد وساطة بعض شيوخ التصوف شيئا، ووقعت المواجهة بين الأخوين أحمد ومحمد وتعددت، وانتهت بأسر أحمد الأعرج. فسجنه وجميعَ أبنائه أخوه محمد المهدي الشيخ سنة 946 / 1540 حسب الإفراني (*نزهة*، 22) أو سنة 851 / 1545 حسب القادري في *النشر* وأكدها مارمول (*إفريقيا* 1 : 465). ولعل هذا الأخير هو الصواب، لأنه الأنسب لما جريات الأحداث، فضلا عن أن مارمول يخبر عن مشاهدة.

ظل أحمد الأعرج سجينا في تافيلالت ثم في مراكش، تجري عليه الجرايات العظيمة من قبل أخيه إلى أن اغتيل محمد المهدي الشيخ بأگلاگل في طَريقه إلى تارودانت يوم الأربعاء 26 محرم 964 / 29 نونبر 1556. ومن الغد بلغ خبر مقتله إلى مراكش، فبادر خليفتُه عليها القائد علي بن أبي بكر أزيكي بقتل أحمد الأعرج وأبنائه جميعا يوم الخميس 27 محرم 964 / 30 نونبر 1556 خشية أن يروم البيعة لنفسه ما دام ولي العهد عبد الله الغالب غائبا آنذاك بفاس. ولم يتجاسر أحد على دفن أحمد الأعرج وبنيه إلى أن دفنهم الشيخ أبو عمر القسطلي بجوار ضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي في القبة المعروفة بقبور الأشراف في مراكش.

أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد*، 305 ؛ مارمول، *إفريقيا*، 1 : 455. 492 ؛ د. دي طريس، *تاريخ الشرفاء*، 13. 255 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 19. 23 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 110 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 13. 18 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 44. 45.

محمد حجي

**أحْمَد أومُوسَى**، ويعرف باسم "سيدي احماد أوموسى" يمكن دراسة آثار هذا الصوفي الكبيرمن وجهات متعددة. إلا أن تحليل الخصائص التي جعلت منه قطب سوس والجنوب المغربي تبدو أهم ما يمكن أن نقف عنده من ملامح تاريخية. ولا شك أن الحديث عن الجوامع والتلاخيص ومعناها المفهمي بشأن هذه الشخصية هو حديث عن التقسيمات الهيكلية للمعرفة الصوفية. فنحن بصدد صورة لا يمكن استجلاء أبعادها إلا في إطار معطياتها ومصادرها الخاصة.

ولد احماد أوموسى بن عيسى سنة 853 / 1450 في بومروان بمنطقة إذا أوسملال من حلف إِگْزُولْنْ بسوس الأقصى. ويعتبر الشيخ عبد السلام ابن مشيش المتوفي سنة 626 / 1228 أكبر سلطة روحية ببلاد جبالة حيث منطقة بني عروس بجبل العلم التي تنتمي إليها عائلة سيدي احماد أوموسى. لقد كان ابن مشيش يجسد بداية ظاهرة التصوف المغربي المستقل عن مقامات المولى عبدالقادر الجيلاني المتعددة بالمشرق. على أن المكانة المتميزة وشهرة قبري موسى بن عيسى وتاونُّو والدي أحماد أوموسى، لا تكسبهما بالضرورة أي سلطة شخصية تربطهما بقطب الشمال أو تقنن مسيرة ابنهما. ذلك لأن منطق الوعي الصوفي الذي يستعمل سلطة الحس في توجيه الأبناء من أجل الانخراط في منظومة الآباء لا يحكم العلاقة بين احماد أوموسى وأبويه. الدليل على ذلك هو التبرير الأخلاقي الذي يحدد حلقات تطور الصبي من ماجن جانح ذي سلوك يشوه الموروث والعرفي إلى مقياس للذهول والزهد والورع (*المعسول*، 12 : 28 ؛ *Le Royaume*, 19).

وتؤكد *رسالة* أحمد بن محمد الحسني الدرعي المكنى أدفال التي تعتبر مع *مناقب البعقيلي* أقرب المصادر المعايشة لشخص احماد أوموسى وسيرته، على أن جو الحيوية التي كانت تميزه طفلا بين أقرانه، ينبع من طينة تطمح إلى الانسياب والرعونة والتهريج (*المعسول*، 12 : 28). ذلك ما تزال تردده أيضا الرواية الشفوية مركزة على الالتصاق التام للصفة على امتداد حياة الموصوف. فقد حاول في وقت لاحق من حياته الصوفية اختبار معنى احترام الأطفال

وتوقيرهم له بأن هدم متعمدا ألاعيبهم ثلاث مرات متوالية. فجاء رميهم له بالحجارة سببا في حكمته المأثورة: كنت أظن أن احترام الناس لي نابع منهم، ولكنني تأكدت الآن من أن احماد أوموسى هو الذي يحترم نفسه (*المعسول*، 12 : 53). وإذا كان العقل البشري الاعتيادي يدرك اليوم ببساطة أن احترام الناس هو بالأساس انعكاس لمميزات الذات وممارساتها، فإننا نمتلك من خلال هذه المقولة، البينة الوحيدة حول إدراك قطب سوس الأول لمفهوم التعامل مع الغير. وهي بينة ستسعفنا بعد حين في استجلاء بعض الغموض حول ممارساته الشهيرة.

مهما يكن فإننا نرى إلى حد الآن كيف تتمظهر من خلال المناخ العام رغبة احماد أوموسى طفلا وشيخا في التهريج وممازحة الغير والحركة المرحة كانطباعات صادقة عما يكمن بداخله. وهي لمحات لا تلبث أن تعطي برنامجا وصفيا يعرض لتفسير أساسي يلتصق بممارسة النشاطات الجسمانية الرياضية البهلوانية كما ينسبها إليه اليوم «أبناء» سيدي احماد أوموسى (*إيليغ*، 19 ؛ *المعسول*، 12 : 7-28). وهنا يطل علينا علي بن ناصر ببلاد أحمر صاحب أشهر مدرسة للرماية بإسناده هذه الأخيرة إلى سيدي احماد أوموسى (*خلال*، 2 : 35 ؛ *المعسول*، 12 : 55). فلا غرو إذن في أن الاتصال أو الانفصال عن هذه المقولة يتخذان مصداقيتهما على مستوى المواضيع والمجالات المدروسة كل على حدة.

قدم احماد أوموسى لأقرانه، وهو طفل قارب أو تجاوز الخامسة عشرة، مشهدا كشفت لهم غرابته عن نفسية تناقض طينته المعهودة ورغبته الاعتيادية في الاستهزاء بالغير. لقد جاءت مجرد مساعدته شيخا مسنا على نقل قفته المملوءة تينا من مكان لآخر، وحدها كفيلة بإثارة استغرابهم. والتمايز هنا يتدخل لتحقيق كل أسباب الفرادة وتأكيد الخصوصية وتقابل عالمين داخليين متنافرين بحنايا هذا الطفل. ما هي التناقضات المغروسة إذن في أعماق هذا الوجدان الفتي؟ حبكة سوف تعمل خيوطها مستقبلا على تشاكل وتآلف النغمات لتجعل من هذا الطفل قطب سوس الأول والمؤسس الحقيقي لمدرسة أحمر العسكرية على معارج الفنون البهلوانية الرياضية.

إذا كان محمد الوجاني دفين وجان بإذاأوْسْمْلاَلْ هو ذلك الشيخ المسن الذي عجز عن حمل قفته مكتفيا بالدعاء لحاملها، فإن المصادر تسجل استجابة السماء في الحين بإلقاء الطفل في معارج الزفرة الوجدانية الصوفية (*المعسول*، 3 : 225، 12، 7 : 28). ومما يعطي للحظة نوعا من التجسيم والتشخيص أن الطفل قد انطلق مباشرة يتقرى مشايخ عصره. ذلك ما توحي به الاندفاعة التلقائية التي تدل على سمة اختراق الفضاء الوجداني كدلالة معجمية. على أن هذا البروز المفاجئ للجانب الصوفي لن يتغلب على حركية الطفل وحيويته البدنية نظرا لمتطلبات التجوال كضرورة تعطي التوازن مساره النهائي (*إيليغ* : 20).

لقد غادر احماد أوموسى رب القفة في حال من الذهول وصل به مباشرة إلى عبدالعزيز الحرار شيخ الجماعة وإمام الصوفية بمراكش. فما أن دخل سوقا من أسواق مراكش حتى علم به الحرار فجاء اللقاء مخنوقا وجافا حال دون احماد أوموسى ودخول دار الحرار. أمر الشيخ مريده بالانتظار بمزبلة مجاورة، فلم يكن من شأن المبادرة أن تصل من عزيمة الطفل الذي لبث في الانتظار ثلاثة أيام متواصلة خوفا من خروج الشيخ المباغت. ظهر الحرار أخيرا ليأمرمريده بالاستسلام للنوم. وكم كانت مفاجأة احماد أوموسى كبيرة عندما تأكد من أنه نام سبعة أيام دون انقطاع. علم ساعتئذ أن تحمل تبعات صبره كان من أجل تثبيت حضور كلا الطرفين لدى الآخر. فما كان من الحرَّار إلا أن أذن له ببداية التجوال على أمل زيارته حيا أو ميتا يوم عودته إلى مراكش. وهكذا تبدأ الجولة التي لن تحول دون احماد أوموسى خلال ما يقارب ثلاثين سنة من العودة المنتظمة إلى بسيط بومروان ببلاد سملالة.

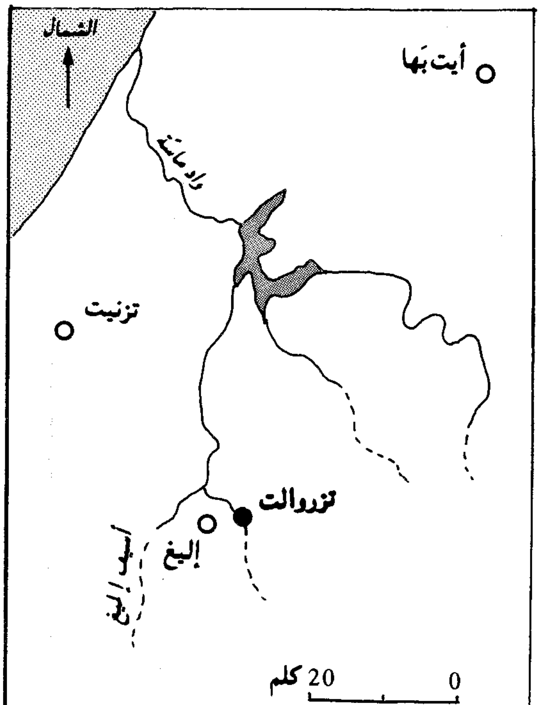


**تزروالت: سيدي أحمد أوموسى**

على أن لقاء احماد أوموسى بشيخه الحرار يُحيلنا على بعض الحالات التي تقتسم همومه الوجدانية إذاك.

1 - تتدخل الكيفية التي تم من خلالها اللقاء لتدفع المحلل إلى قراءة ضمنية قد تسمح باستخراج المعطى الباطني للنص. لقد ظل المريد ينتظر ثلاثة أيام لينام بعدها أسبوعا متجاوزا بذلك الطريقة التفسيرية للمعطى العادي. بل إن التأكيد على خصوصيات اللقاء قد تفي بغرضها إن هي استهدفت تمييز الشخصيتين عن باقي علماء الباطن. نحن إذن أمام ظاهرة الوصول إلى حقائق الأمور عن طريق

الوجدان الذي يقود وحده الخطى كما يقود النظر خطى الناظر.

2 - في هذا السياق يتدخل الطرد السابق لأوانه من طرف الحرار كعملية اختراق للحجب والمظاهر. ولكنها عملية تكشف خاصة عن اعتبار علوم اللغة والفقه بما فيها الفروع والأصول أمورا ثانوية. وتتويجا لذلك فإن إبتعاد احماد أوموسى عن علوم الظاهر ستؤكده تعاليم الحرار القاضية بالذهاب المباشر إلى أحمد بن يوسف الملياني الشهير من أصحاب زروق الصوفي الكبير *(المعسول*، 12 : 9). لسنا ندري كم من الوقت دامت هذه الملازمة ولا ملابساتها ولكنها ستنتهي بإدخال الملياني مريده إلى الخلوة مدة سنة *(المعسول*، 12 : 29). على أي حال فإن احماد أوموسى يكون قد بلغ سن الأربع والأربعين بوفاة الملياني سنة 899 / 1397، ولا تذكر المصادر ما إذا كان خلالها قد مر بأستاذه الرابع عبد العزيز بن خليفة القسنطيني. مهما يكن فإنه من المستبعد والحالة هذه، أن يكون هذا الأخير على واسع اطلاع بعلوم الظاهر. والذي يجب أن نثبته هنا هو أنه إذا كان دعاء محمد الوجاني قد كان كافيا ليعتبر أنه هو شيخ سيدي احماد أوموسى، فإنه لا مانع من القول بأنه من بين الثلاثمائة شيخ التي ينسب إليها لا بد وأن يكون هناك أحياء وأموات. وهو عدد زاده أحد حفدة سيدي احماد أوموسى ستين شيخا كتجربة صوفية تبدو وحدها الكفيلة بتقييم ما يمكن أن نسجله من علوم الظاهر عند رحالة من هذا المقدار. إن علوم الباطن تبني بنايات شامخة تحول دون الشرخ أو النتوءات التي تحدثها علوم الظاهر كما تتبث ذلك بوضوح الإشارات الواردة في نص التمنارتي (*Fawaid*, 34 . 62 . 89 . 93).

3 - يحدد محمد المختار السوسي، شأنه شأن عدد من الدارسين، معرفة احماد أوموسى الفقهية والأدبية انطلاقا من شهادة مريده أدفال الدرعي المتوفي سنة 1023 / 1614 - 1615. وتترتب عن ذلك مقولات أساسية في هذا المجال النوعي تجعل لزاما علينا الإحاطة بشهادة أدفال. لقد تثقف أدفال بدرعة ثم فاس ثم القاهرة فالحرمين حسب ما تخبر به *درة الحجال واقتفاء الأثر* لأبي سالم العياشي *وصفوة من انتشر والدرر المرصعة وطبقات الحضيكي*. كما تتفق هذه المصادر على أنه أوصى أبناءه أثناء احتضاره بألا يخالطوا إلا العلماء والفقراء الصادقين. فجاء بذلك التلازم بين علمي الظاهر والباطن كعامل كشف عن الإشكالية المعرفية داخل فضائه الشخصي. وإذا كانت هذه الإشكالية ستحدد علاقته بسيدي احماد أوموسى، فإن تقييمه الخاص لأهمية قطب سوس من بين مجمل أساتذته مشرقا ومغربا يحد من ألمعيته كعالم (*Fawaid*, 86). فبحر الحيرة في نظره هو الكفيل وحده بالتشكيك في أفضلية منزلة السادات المتصوفة بالنسبة للفقهاء أهل العلم الظاهر *(المعسول*، 12 : 43). وهي مقولة صوفية تؤكد على أن الاعتقاد خير من الانتقاد الذي يعتبره أدفال قبيحا ويخالف الشرع المجمع عليه. وأما المختلف فيه فالتسليم أولى، مما يقتضي من تلميذ سيدي احماد أوموسى النصيحة : *انصر أمر أخيك على خير ما وجدت إليه سبيلا*. وهكذا تعطينا تأكيدات أدفال معنى مشخصا لمنطلقه في الكتابة عن شيخه. وعلينا أن نربط هذا المعنى المشخص بظاهرة تاريخية واجتماعية لا تخلو من عنف مفهمي يسيطر على نص أدفال خاصة عندما يؤكد بأن كل باطل يخالف الباطن فهو زندقة. فلا الشريعة تنافي الحقيقة ولا الحقيقة تنافي الشريعة وكل ما أتى به المتصوفة فموروث عن خير مبعوث لخير وارث *(المعسول*، 12 : 28). نرى بذلك أن أدفال يركز على ماهية وقوانين يعتبرها مكتفية بذاتها وغير متناقضة. وهذا إنما يعني التيه في صحراء الماهية. إنه الجانب المجرد من المفهوم الذي سيكون علينا عزله وتفصيل إشاراته من علاقات ومقولات صوفية هامة كي نخرج بالشكل من المحتوى.

يسجل محتوى الجزء الأول من نص أدفال المؤرخ بأوائل شعبان 969 / أبريل 1552، ما شاهده المريد وما استقاه عن طريق السماع بعد أن أنهى زيارته الثامنة لشيخه *(المعسول*، 12 : 25). وخلافا لما كان يعتقده فإن زيارته الأخيرة لن تكون إلا العاشرة في أواخر شعبان 971 /أبريل 1554 قبل وفاة القطب بأربعة شهور. أما الجزء الأخير من النص فيكشف عن التأثير القوي والمتزايد لسيدي احماد أوموسى سنتين بعد وفاته رغم الاعتلال البدني المتزايد وضعف ذاكرة المريد *(المعسول*، 12 : 35). بذلك تتبث الأهمية المطلقة لقطب سوس الشهير لدى أدفال الذي تحمل مشقة السفر على اعتلال بدنه ورغم مكانته الهامة بين متصوفة درعة. وهي رؤية يؤيدها غياب أي مظهر من مظاهر التكلف كدلالة على أن اقتناع المريد بأهمية شيخه لم يكن مجرد انعكاس لآراء الخاص والعام. فجاء بذلك الانتهاء من النص يوم 1 . 1 . 973 / 29 . 7 . 1665 كأكبر دليل على الحضور المتزايد للقطب في فضاء تلميذه من جهة والجنوب المغربي من جهة ثانية.

إن احتكاكنا بشهادة أدفال حول علم سيدي احماد أوموسى تجبينا، شأنها في ذلك شأن فوائد التمنارتي، بأن قطب سوس الأول قد لا يعرف القراءة والكتابة *(المعسول*، 12 : 53 . 89 : *Fawaid*). فمكانته الصوفية تطل علينا كمقولة بُولغ في استعمالها أكثر من غيرها. وهكذا فإن الإشكالية الكامنة ضمنيا في ممارسته تعتبر بالرغم من معرفتنا النسبية بالأصول التي نهل منها والتلوينات التي خضع لها فكره ووجدانه، هي الوسيلة الوحيدة الكفيلة باستجلاء بعض الغموض. إلا أن هناك سؤالا استراتيجيا من وجهة النظر التاريخية ينطلق من ضرورة التساؤل عما يميز سيدي احماد أوموسى عن قرينه وصهره القطب الثاني لسوس سيدي امحند أوبراهيم الشيخ التمنارتي. فلضبط المواقف الأساسية المكونة لكلتا الشخصيتين، لا بد من البحث عن البعد التاريخي الذي يتحدد بصورة أفضل من خلال المقارنة التي تسمح بها بعض إشارات *الفوائد الجمة*.

يثبت كتاب *صفوة من انتشر* مضي أزيد من ثلاثين سنة على وفاة القطبين عندما تم تحرير *الفوائد الجمة* (Fawaid, IX). ولهذه النقطة أهميتها من تحديد خاصية زاوية سيدي احماد أوموسى بتازروالت بعد وفاة القطب في 7 ذي الحجة 971 / 1564.7.1 (*المعسول*، 12 : 31). إذا كانت تارودانت هي عاصمة سوس، فإن تمنارت هي العاصمة الدينية والثقافية لبلاد جزولة ( 99 . 86 . 79 . 78 . 77 . 73 . 54 . 52 . 51 . Fawaid : 16 . 48). وإذا اعتبرنا بأن علم قطب سوس الأول لا يَسمح له بالتخفيض من القيمة العلمية والدينية لمدينة مراكش (Fawaid, 81)، فإن سمعة زاويته بعد مماته لن تحول بدورها دون صاحب *الفوائد الجمة* وتفضيل تمنارت. على أن انتماء هذا المؤلف إلى تمنارت قد يعد عاملا ذاتيا كفيلا وحده بتوجيه الرؤيا. ولكن تقييمه لقطبانية سيدي احماد أوموسى يحد بحزم من فعالية هذا الاحتمال (106 . 85 . 72 . Fawaid, 71). وهو تأكيد لن نأخذه في كامل معناه إلا إذا سجلنا غياب أي تناقض مضمونيٍ بين هذا النص ونص أدفال وركزنا على كون المؤلف يثبت المنظور المحلي لكلا القطبين انطلاقا من مكانة كل منهما في الرواية الشفوية. نخلص من ذلك إلى أن سيدي احماد أوموسى لم يكن أهلا للوصول بتازروالت إلى شأو الذي سنه أبو حسون السملالي بإيليغ فيما بعد. هذه الحقيقة وإن كانت لا تستنفذ نقطة بمثل هذه الأهمية إلا أنها تغلف العمق الواقعي لما حفره وحدد وجهته سيدي امحند أوبراهيم الشيخ بتمنارت. إن حصيلة الوصف الإتنغرافي لحياة هذا القطب تبرز بالإضافة إلى تضلعه في علوم الظاهر والباطن على حد سواء، سلطاته السياسية والفكرية. فمما يقوي حتما من وزنه الاجتماعي اعتباره بطلا للأشغال العمومية من بناء وترميم (Fawaid, 109). لقد كان يعتبر بأن وظيفته الدقيقة تكمن في محاربة المد المسيحي وتوثيق واقع بلاده السوسية. ذلك ما تثبته لغته في التخاطب مع الحراطين المحليين (الكوشيين) الذين أبرم معهم اتفاقية تعايش ووئام مخالفا بذلك لقصة سيدي احماد أوموسى مع القبائل المحيطة ببسيط تازروالت. إن استقراء الأحداث يؤدي كما أشار إلى ذلك بول پاسكون، إلى معاينة إشكالية استقرار قطب سوس الأول ببسيط تازروالت بعد عودته النهائية. فالأخبار الأكثر تواترا وبالتالي الأكثر حضورا في المصادر هي تلك التي تكشف دون ذكر للأسباب، عن ضراوة الصراع الذي خاضه دون هوادة، سيدي احماد أوموسى من أجل الاستقرار بعين المكان. لقد بدأت الأعراض الأولى للتوتر مباشرة بظهور الشيخ في فضاء يحتكره الحضور الصوفي المطبق لكل من سيدي سليمان بتيوانامان وسيدي يحيى أويْدير بتومنار وأبيضار بنفس المكان حيث تقع زاوية سيدي أحماد أوموسى الحالية (La Maison, 156). قد يكون تنقل مقره من بومروان بسملالة إلى إيغالن ـ ن ـ أيت عباس ثم إلى أضار الشيخ فمدشر تسل (*المعسول*، 12 : 44 . 45)، حقلا خصبا ما يزال منطويا على كثير من الغموضات. فأدفال يذكر بأن الشيخ قد إستعمل تيوانامان كمتعبد انقطع فيه مدة معينة عن العالم (*المعسول*، 12 : 22). ولكن الأدعى للدهشة والاستغراب هو عندما يتدخل أحد البعقليين من خدام الشيخ ليخبر بأن استقراره بمقر زاويته لن يتم في الغالب إلا في وقت متأخر جداً. ذلك أن استعمال الشيخ لإلماتن أو (اللمطيين) حيث كان عريشه ينذر بقرب استقراره بمقره النهائي، قد دام إلى ما بعد زواج ابنته من سيدي يحيى بن إبراهيم مريد الشيخ (*مناقب البعقيلي*، 8 . 9 . 10). لقد كان أدعى إلى الدهشة فعلا أن تمنحنا هذه الشهادة صورة لعريش الشيخ في وقت بلغ فيه من الأهمية مبلغا كبيراً. وتتأرجح الرواية هنا بين تصدي الشيخ لكل من حاول الاقتراب من مصالحه والصفة الواضحة الثابتة لمكانته التي لم تعد مهمشة يومها ؛ وهما تعبيران يشيران إلى الإعلان عن خصوصيات فترة حاسمة من أخصب فترات حياته الحافلة. فمن كل جانب وحتى بين أفراد حاشيته يبدو أن الإحساس بالتغرب لم يعد هو الهاجس الأول الذي يقرر ضرورة الرحيل. لقد بدا النقص في المؤونة عامل اصطدام تتركز حوله بداية انتعاش الزاوية (*المعسول*، 12 : 11 . 34). بل لعل اكتظاظ المجال الصوفي كعامل رئيسي يبدو الكفيل أساسا بترجمة تطلعات قطب سوس إلى الاستقرار بتازروالت. ما هي خلفيات هذا الاستقرار إذن ؛ عن هذا السؤال ينتهي المختار السوسي إلى إقرار مبدأ الدفاع المطلق واللامشروط عن الشريعة كعملة الشيخ الوحيدة في التبادل (*المعسول*، 12 : 12). وهو احتمال ربما تأتى فعلا بعد فحص العناصر الدينية والمذهبية المحلية. إلا أن جواب سيدي أحمد بن عبد الرحمان بن محمد الجزولي المكسدادي عن سؤال الشيخ المتعلق بالحديث النبوي "من فر بدينه من أرض إلى أرض ولو بشبر استوجب الجنة"، يبدو المعتمد الأساسي لصاحب *المعسول* في بلورة الفكرة (*المعسول*، 12 : 47). استعمال قطب سوس الأول للبريد الشفوي في طرح سؤاله يكشف في بداية النص عما يزكي جهله بالكتابة والقراءة. وهو عامل آخر من بين تلك التي تحمل على التقليل من القيمة العلمية الفقهية للقطب. أما الجواب في حد ذاته فيرتكز على استغلال صاحبه للطاقة الدلالية الكامنة في آراء كبار المتصوفة والأحاديث النبوية. ولكن هذه الدلالة لا تتم إلا بشروط سياقية معينة كان الكاتب يحس بها كصوفي له صيغة بين اللفظ والمعنى. وهو طرح يتجاوز على بساطته فكرة المختار السوسي بتعميم الغرض من سؤال الشيخ كفكرة تواصلية تحدد الأبعاد الحقيقية لممارسته السرية والعلنية. وعلاوة على ذلك فإنه ليس بالإمكان اعتبار محتوى السؤال هو الحامل على تنقلات الشيخ المتجددة عبر جبال سملالة. ويمكن لهذه الحصيلة أن تصبح متكاثفة الأبعاد حينما نجد الشيخ يدخل في صراعات أسطورية مع إذاً أوحربيل ومجاط. لقد جاءت تفاعلاته مع الوسط القبلي لتقترح لائحة من الاحتمالات التي يصعب خوض غمارها هنا. فقد حدث في حدود

الأسطورة المحلية أن سمح إذا أوحربيل للشيخ عند عودته النهائية بالمساحة التي تقطعها عصاه إن قذف بها. ولكن العصا عبرت بسيط تازروالت من شرقه إلى غربه فظهر تناقض المصالح. هنا يتدخل مفهوم الصراع كدائرة ستنتهي بدعوات الشيخ الساخطة إلى استعمال قبيلة مجاط لإقصاء إذا أوحربيل عن المنطقة بمعركة تزلمي التاريخية. على أن تعدد معاني التحالف والتعارض بين الشيخ وقبيلة مجاط يقود إلى إرادة الشيخ في الاستقرار كسلطة دينية محلية أولى (Notes, 10). وبالرغم من أن استقرار قبيلة مجاط بالمنطقة يعود إلى ما قبل القرن العاشر الهجري، فإن علاقة الشيخ بالتصفية التي دارت فعلا بين هذه القبيلة وإذا أوحربيل تقر بانخراطه المباشر أو غير المباشر (La, 157 Maison). وهو انخراط لا يمكن فصله عن العملية الاجتماعية التي أسهمت تاريخيا في بلورة المعطيات الاثنية بشكل قد يتجاوز نقطة الربط هنا. فلنكتف إذن بالإشارة إلى أن ممارسة الشيخ كانت تقوم بكشف الاتجاهات والتيارات المذهبية والدينية المختلفة انطلاقا من منظوره الصوفي. ندرك إذن أن تخصص الزاوية في توزيع ما تتلقاه من هدايا على وفرتها قد جسد كرم قطب سوس وهو كرم بلغ حد الأسطورة (دوحة، 76 . 77 . 181 . 182 / 24 . Fawaid, 22 . 23). وبالرغم من أن هذا التوزيع لم يكن ليشمل القطع الأرضية الأربع التي توصلت بها الزاوية واحدة بتامورزت والباقي بتازميلت (La Maison, 21)، فإن كرم سيدي احماد أوموسى سيضرب به المثل. فقد كانت بالزاوية مجموعة من الغرف الخاصة باستقبال المريدين يحيط بها جنان لإنتاج ما يلزم من الخضر ومسجد (*المعسول*، 12 : 24 . 26 / 24 . 23 . 22 ,Fawaid). هذه الخصائص التي كانت تميز أيضا زاوية سيدي امحند أبراهيم الشيخ، كانت تدعم وضعية تمنارت كمدرسة تجمع بين علمي الباطن والظاهر.

يظل السؤال إذن مطروحا حول المعطيات المنهجية التي حققت الخصوصية المميزة لسيدي احماد أوموسى كأول قطب بالمنطقة. وهنا ينبغي على التحليل أن يعنى بالتفاصيل التي تكشف عن جبهات المواجهة التي كان يخوضها.

علينا أن نعتبر هنا بأنه إذا كان الأثر ينحصر في المدلول، فإن مجال اشتغال النصوص هو الدال. لنتصور شخصا نحيفا يحسبه من لا يعرفه من أدنى العوام (*المعسول*، 12 : 32). فرسه الذي لا يفارقه هو تلك العصا التي غرز حول أحد رأسيها مسامير (*المعسول*، 12 : 29). يمارس السير والحركات البهلوانية ويمازح الأطفال مردداً الأشعار الشلحية (*المعسول*، 12 : 46). من هنا فإن جولة الأمصار البعيدة والعادات الغريبة واللهجات والألوان وأنماط الحياة تطعن كلها فيما قد يستفيده هذا السائح كطالب علم له في هذا الباب شأن ذلك مايثبته بالإضافة إلى تعدد مشايخه الأحياء منهم والأموات، حرصه الدائم على العودة المنتظمة إلى موطنه الأصلي (Fawaid, 100).

حقا لقد جاءت الآيات القرآنية - أليس الله بكاف عبده - وجعلنا النهار معاشا - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا - لتثبث بما لا يدع مجالا للشكل حفظه للقرآن (*المعسول*، 12 : 33 . 34 . 36). ولكن حفظة القرآن يتميزون بمكانة وصورة واضحة يحتلونها كأشباه متعلمين في نظام محدد تاريخيا للإنتاج الثقافي. وبالإضافة إلى ذلك فإن الإشارات قد أجمعت في تباينها على أهمية جولة سيدي احماد أوموسى المشرقية دونما أي استنطاق لمعرفته الملومسة التي تبدو واهية جداً (Fawaid, 98 . 100). هذا ما تسمح به أخبار أدفال والتمنارتي المستقاة من الملاحظة المباشرة مبرهنين بذلك على أن في المسافة بين شهادتيهما ومقاصدهما يظهر التناقض كمقياس منهجي.

إن القاسم المشترك الذي تتقاسمه المصادر هو التركيز على غرائب سيدي احماد أوموسى كشخصية محورية. ومن بين الغرائب التي يزخر بها موروث الثقافة الشفاهية اطلاع القطب على خبايا النفوس. كما نجده يفهم بالإضافة إلى لغة الأمازيغ، لغة الطير والحيوان (*المعسول*، 12 : 46) وأنه كان يحول الرمل إلى ذهب ويعالج المرضى والمشلولين ويعيد الخصوبة إلى النساء والحيوانات والنبات، على أن العرض الكامل لهذه الغرائب بقدر ما يصح استخدام هذه الكلمة، لا ينفصل عن حركة الممارسة التي تبدو لمجمل المصادر محملة بما يتكفل المؤلفون بترجمته. لذلك فلابد من النظر إلى أبعاد ممارسة القطب على أنها أساسا ذات دلالة موضوعية.

تفيد المصادر بأن سيدي احماد أوموسى لم يكن يرو أو يرسم علي مسامع حضوره البطولات والخوارق. فقد كان يسترق من نظرات المتحلقين حوله مواضيع حلقته لدرجة تسمح له بالخوض في الذات المجتمعية والكشف عن خبايا الثوابث والمتغيرات. وندرك بسهولة أن اتقان فن الاحتياط والسرية يكفي لإحاطة صاحبه بهالة من الهيبة والوقار تضفي على صورته من المبالغات الشيء الكثير. لقد كان سيدي احماد أوموسى يتشدد في إخفاء كراماته وفي عدم ذكر شيوخه، بل قل أن يسمع وهو يصف أحدا بالصلاح أو بالطلاح (*المعسول*، 12 : 38). إنه لا يسأل ولا يبعث سلامه إلى أي كان رغم ما عرف عنه من مرح وبسط وانشراح (*المعسول*، 12 : 39). وإذا كان يكتفي عادة بذكر مناقب غيره، فإنه يرفض الاعتراف لأي كان بالتشيخ أو التسيد (*المعسول*، 12 : 37). هذا بالضبط ما سيخل به سيدي امحند أبراهيم الشيخ عندما شبه نفسه بالنجم وسيدي احماد أوموسى بالشمس التي يحجب طلوعها كل النجوم. كان في مقدور سيدي احماد أوموسى أن يرد بالنفي عندما بلغه الخبر ولكنه فضل الاقتضاب قائلا : صدق لكم (*المعسول*، 12 : 45). فإذا جاء تصريحه هذا إخلالا بمنهجيته التي يتشدد في تطبيقها، فقد جاءت الحمولة الإعلامية لهذا الرد ولزيارته الإسرائية واقترابه من العرش الإلهي، كاقتحام منهجي ضروري يحدد من خلاله مكانته المتميزة

(Fawaid, 102). فهو إنما يرتب من الرؤى ما سيربطه بطبقة الأنبياء والرسل. لذلك فإن المعطيات المكونة لخطاب قطب سوس الأول تتحرك في بناء مساره تصورات لا تتداخل ولا تتعارض إلا نادرا.

لقد كان يرفض التعامل مع مريديه كتابعين *(المعسول*، 12 : 30 . 36 / Fawaid, 87)، معلنا بذلك ارتفاع قدره عن باقي المشايخ. ولعل هذا ما يبرر تملصه من الرد على الطالب الذي استشاره في مسألة الذهاب إلى فاس من أجل التعلم. لقد طلب من القطب مشاورة شيخه الأسبق أحمد بن عبد الرحمان. فجاءت استجابة الطالب كتأكيد على أهمية سيدي احماد أوموسى المطلقة. قال الشيخ لطالبه : إذا كان مرادك الظاهر فأي شعبة شئت من جزولة أخذتها فيها، وإن كان مرادك الباطن فخليق به ذلك الرجل الذي كنت عنده *(المعسول*، 12 : 26). نرى إذن أهمية الصمت كقانون منهجي أساسي في التقليص من علوم الظاهر وتكريس سمعة قطب سوس الأول. وبالمقابل فقد كان من شأن تعدد مثل هذه الشهادات في حق سيد تازروالت تعميق الأخدود الذي اختطه التصوف المحلي قبل وبعد وفاة الشيخ. ولعل هذه النظرة هي التي أدت ببول باسكون إلى القول بأن سيدي احماد أوموسى قد عمل على تعميق خصوصيات التصوف المغربي وذلك بتمريره من خلال الجزولية إلى سوس مؤيدا بذلك رأي المصادر الآنفة الذكر (*La Maison*, 156 . 7).

وتتدخل منهجية الصمت المطبق لتزيل أي محاولة لإنشاء طريقة صوفية خاصة بزاوية تازروالت على غرار باقي الزوايا. وهو واقع سيؤدي باتباع الشيخ إلى الانتماء إلى إحدى الطريقتين الناصرية أو القادرية وبالحكم المركزي إلى التركيز على خصوصية تازروالت. فلا شك أن الأهمية المطلقة للقطب قد تزايدت بحج السلطان السعدي عبد الله الغالب بالله إليه بعقر زاويته *(استقصا*، 5 : 41 ـ *إيليغ*، 14 ـ 22). كما أن قدرته على التصريح جهارا أمام الأمراء بالانتقادات اللازمة مثلت إحدى أهم العوامل التي أبرزت البون بينه وبين سيدي امحند أبراهيم الشيخ. ولا شك أنه عامل هام في إبراز المصادر لأهمية قطب تازروالت *(المعسول*، 12 : 28). إن أدفال الذي يؤمن بأن هذا الشيخ هو أكبر قطب في جميع الأقطار يوم مماته *(المعسول*، 12 : 38)، لا يرى مانعا من أن تتدخل الخوارق كسائد معياري على امتداد نصه لتحدد الترابط الواضح بين ما هو سياسي وما هو اجتماعي وما هو صوفي. فبكامل العفوية نجد أدفال يقر بأن كل خوارق الأولياء تعتبر متجاوزة لدى سيدي احماد أوموسى (Fawaid, 84)، وبأن طريق المعرفة الحقة نحو التأمل لا يمر إلا من حيث مر القطب الأكبر. وبذلك يتضح أن من أهم مميزات النصوص حول سياحات القطب وعلمه، الممارسة القصدية التي تحكمها خلفيات توجه طبيعة القراءة للمقروء. وفي غياب شرط الموضوعية المفاهيمية يتضح دور المنحنى الميثي كسائد معياري يستهدف تضخيم الصورة *(المعسول*، 12 : 29 ـ *إيليغ*، هوامش 96 ـ 102 ـ 109). إن سيدي احماد أوموسى معروف لدينا اليوم من خلال رؤية الآخرين إليه. وهذه الأخيرة نابعة بالضرورة من ممارسته كوسيلته الوحيدة لتحقيق ذاته في المجتمع وبواسطته. ولا شك أن فكرة تحول المثل الأعلى إلى واقع هي فكرة عميقة فيها كثير من التمييز بين المثال والواقع. لذلك نجد سيدي احماد أوموسى يتفهم جيدا واقعه المجتمعي بكل قوانينه ومتطلباته.


م. البعقيلي، *مناقب البعقيلي* ؛ م. أدفال، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، نصه بالمعسول، 12 : 20 . 30 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع* ؛ ع. السكتاني، *أجوبة عيسى السكتاني*، مخطوط ؛ ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة*؛ م. الحضيكي، *طبقات الحضيكي* ؛ م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ *صفوة من انتشر* ؛ أ. الزياني، *الترجمان المعرب* ؛ ع. الجشتيمي، انظر جستنار ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، *طلعة المشتري* ؛ م. المختار السوسي، *الإلغيات* ؛ *إيليغ قديما وحديثا* ؛ *خلال جزولة* ؛ *المعسول* ؛ *سوس العالمة* ؛ *وفيات الرسموكي* ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ أ. ابن القاضي، *ذرة الحجال* ؛ ع ابن إبراهيم، *الإعلام*.

Saugnier, *Voyage au Sénégal* 1972 ; J. Gatell, *Description du Sous*, Bulletin de la Société Géographique, mars - avril 1871; A. Le Chatelier, *Tribus du Sud Ouest Marocain, bassins côtiers entre Sous et Draa*. Publications de l'Ecole des lettres d'Alger, Paris, 1891 ; Bourguignon, *Renseignements sur la région de Tiznit*, 31/7/1913, *Archives du Service Historique de l'Armée*, Maroc, 3H 581 Vincennes ; L. Justinard, *Notes sur l'histroire du Sous au XIXe S*. Hésp., 1925, pp. 265-76 et 1916, VI p. 351-64 ; *Notes d'histoire et de littérature berbère*, Hésp., 1925, 2e T, p. 227-38 ; *Les Aït Ba Amrane*, 1930, *Villes et Tribus du Maroc*, Vol. 8 ; *Notes sur l'histoire du Sous au XVIe S*, A.M, 1933, p.230 ; *Notes d'histoire et de littérature*, Hésp., 1949, 3-4 T., p. 321-32 ; *Fawaid Al Gamma bi Isnadi Ouloumi Al Oumma*, (œuvre de Tamanarti) ; P.S.H.M, Chartres, Durand, Editeur, 1953, p.120 ; *Un petit Royaume Berbère, le Tazerwalt, Un Saint Berbère Sidi Ahmad U Mùsa*, I.H.E.M, XV, Librairie Orientale et Américaine, G - P. Maisonneuve, Max Besson Succ, 1954, 125 p. ; A. Roux, *Les aventures extraordinaires de Sidi Hmàd U Mùsa, patron du Tazerwalt*, Hésp., 1952, 1 - 2, p. 75-96 ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh*, voir en particulier p. 155-162.


**مصطفى ناعمي**

**أحْمَد بَابَ** السوداني التنبكتي، من آل أقيت، ولد بتنبكتُو ليلة الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة ختام عام 963 / 26 أكتوبر 1556. ونسبه كما ورد في *كفاية المحتاج* هو "أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيي... الصنهاجي الماسني، يعرف باب "كان ينعت نفسه في بعض مؤلفاته بالتنبكي. نسبته إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية واردة في *بذل المناصحة، في فعل المصافحة* لأحمد بن علي السوسي الهشتوكي البوسعيدي، وينعت أيضا بالسوداني والتكروري، كان جد جده محمد أقيت قد رحل من ماسنة إلى بيرُ (ولاية موريطانية حاليا)، ثم منها إلى تنبُكتوُ، فانضافت أسرة آل أقيت إلى سكانها. ما لبثَ أن ظهرت نباهتها وتوارث أفرادها العلم أبا عن جد ؛ فكان ألمع حلقات سلسلتهم هو مترجمنا. منذ بداية عهد الأسكيين، ملوك دولة سُغَيْ، في أواخر القرن التاسع / 15م، أي منذ أيام جد أحمد باب وأخويه عبد الله

ومحمود، وكلهم أبناء عمر بن محمد أقيت، اشتهرت الأسرة التنبكتية الجديدة بالعلم والصلاح وانفردت بخطتي القضاء والإمامة بمسجد حي سنْكُري. وكان القاضي من آل أقيت يعين أئمة المسجد الجامع بالمدينة. وخلافا للأمر بسائر مدن السودان كان له سلطة الزجر : هو الذي يأمر بتنفيذ العقوبات وكان له حق العفو.

نشأ أحمد باب بتنبكتو تحت حكم أسكيا داود (956 ـ 990 / 1549 ـ 1582) الذي تعتبر أيامه عهد سلم واستعادة نماء. وكانت تنْبُكْتُو إذ ذاك من أهم مدن مملكة سُغي، لها علاقات بالمراكز الثقافية الكبرى في العالم الإسلامي شرقا وغربا. وكانت قد استعادت مكانتها العلمية بفضل عناية أسكيا بالعلماء الذين عادوه إليها بعد فرارهم وقت تسلط سُنِّ علي عليها. كان يساعدهم بالنساخ ويقتني الكتب لفائدتهم، كما كان يستجلب العلماء من المشرق والمغرب. وإلى جانب الازدهار الثقافي كان بتنبكتو حركة اقتصادية كبيرة ؛ تأتي إليها القوافل من جميع الآفاق من أجل المبادلات التجارية بها ومن أجل المرور إلى سوق مدينة جنّي حيث يلتقي ملح تَغازَ بذهب بيطُ، ثم تعود إليها متجهة نحو الشمال. إذن في إقليم مجدود دون غيره من أقاليم السودان ثقافة واقتصادا. وفي ظروف سياسية مثلى بالنسبة لما سبق، أي في ظل دولة سُغي، أقوى دولة وأكملها تنظيما عرفتها المنطقة، نشأ أحمد باب.

وقد سهر على تربيته وتعليمه الأساسي أبوه وعمه أبو بكر. فبرعايتهما حفظ القرآن. وكانت جميع المواد الإسلامية تدرس هناك بمسقط رأسه من تفسير وحديث وفقه وتوحيد ومنطق وتصوف وعربية. ثم إنه من الظاهر أن مستوى العلماء بتنبكتو كان قد ارتقى ؛ ولا أدل على ذلك من نبوغ أحمد باب نفسه ، إذ حفظ الأمهات وقرأ النحو على أستاذه الأول فيه، عمه أبي بكر، فاستوعب قواعده الأساسية في مدة قصيرة بلا عناء. وأخذ والده الحديث سماعا والمنطق وأكبر الفضل في تكوينه يعود لشيخه محمد بَغْيُعْ الذي انتفع به وبكتبه. ولازمه سنين كانت نتيجتها أنه :

1 ـ في التفسير والحديث : تلقى عنه تفسير القرآن إلى أثناء سورة الأعراف، وختم عليه *الموطأ وألفية* الحديث لعبد الرحيم العراقي بشرح مؤلفها، وقرأ نحو النصف من *صحيح البخاري وصحيح مسلم* كله *وشفا عياض* وجملة من *مدخل* ابن الحاج.

2 ـ في الفقه والأصول : ختم عليه مختصر خليل وجمع *الجوامع* للسبكي بشرح المحلي، وقرأ عليه كثيرا من *تحفة الحكام* لابن عاصم مع شرحها لولده *وفرعَي* ابن الحاجب وكثيرا من *المنتقى* للباجي *والمدونة* بشرح أبي الحسن الزرويلي ودروسا من *الرسالة* لابن أبي زيد القيرواني *والتوضيح* لخليل وسمع عنه جامع *المعيار* للونشريسي كاملا.

3 ـ في التوحيد وعلم الكلام ؛ ختم عليه *صغرى* السنوسي في العقائد وشرح *المنظومة الجزائرية* لأحمد بن عبد الله الجزائري.

4 ـ في المنطق : ختم عليه رجز *المغيلي*.

5 ـ في التنجيم : ختم عليه *نظم* أبي مقرع *والهاشمية* مع *مقدمة* الباجوري.

6 ـ في التصوف : ختم عليه *ابن عطاء الله* بشرح رزوق.

7 ـ في النحو والبلاغة والعروض واللغة : ختم عليه *تسهيل* ابن مالك، وتلقى دروسا في *الألفية*، وختم *الخزرجية* في العروض بشرح الشريف السبتي، كما ختم *تلخيص المفتاح* للقزويني في البلاغة *بمختصر* سعد الدين التفتزاني.

ومما درسه في الأدب *مقامات الحريري* قراءة على غير شيوخه المذكورين. وكان قد بدأ في أبحاث وألف فيها وهو ما يزال طالبا، واعتبارا لتضلعه في فروع الفقه يبدو أنه كان المرشح الأول لخطة القضاء بعد قريبه عمر بن محمود في تنبكتو.

صفحة من كفاية المحتاج بخط أحمد باب

(عن مخطوطة الشيخ النيفر التونسي)

في يوم السبت 25 جمادى الثانية 1002 / 18 مارس 1593 نفي أحمد باب من تنبكتو في اتجاه مراكش بأمر من الباشا المغربي محمود بن زرقون وسنه تناهز الأربعين، وأجبر هناك على الإقامة أربعة عشر عاما مع بعض عشيرته الأقربين وموقف آل أقيت من المحاولة السعدية هو سبب التهجير، وكان موقف رفض غير صريح للسلطة السعدية وآل أقيت كانوا ذوي مكانة اجتماعية مرموقة، يقتدي بهم الناس، لا سيما ألمع أعلامهم وأعلم فقهاء

تنبكت إذ ذاك، أحمد باب. فالناس كانوا يقدرون فيهم العلم والورع والنسك. وإذا كان رفضهم بيعة الملك السعدي مع وجاهتهم وتأثيرهم في الأهالي هو الذي أدى إلى نفيهم، فلا نرى مانعا في افتراض أن هدف الملك المغربي أحمد المنصور من أمره بنقل أحمد باب وأهل بيته مع غيرهم من المعارضين لحكمه في السودان إلى عاصمة ملكه ليس التأديب أو مجرد الانتقام، بل هو محاولة إقناعهم بالوحدة ("اجتماع الكلمة" على حد تعبير الإفراني حكاية عن المنصور. (*النزهة*، 97) وفي *الصفوة*، 53) واستمالتهم، ثم الاستفادة مما كان لهم من نفوذ لدى مواطنيهم. وهو افتراض لحنكة المنصور السياسية أنسب ولمراميه أوفق.

وقد استقر أحمد باب مع أفراد من أسرته مع عيالهم في حكم الثقاف بمراكش ما بين وصولهم في رمضان عام 1003 إلى يوم الأحد 21 من رمضان 1004.

وبعد الإفراج عنه دعي للإقراء، فجلس بجامع الشرفاء بحي المراسين بمراكش يقرىء *مختصر خليل* وتسهيل ابن مالك *وألفيه* العراقي *وتحفة الحكام* لابن عاصم *وجمع الجوامع* للسبكي وحكم ابن عطاء الله، *والجامع الصغير* للجلال السيوطي *والصحيحين*، كذلك *الشفا* للقاضي عياض *والموطأ* للإمام مالك *والمعجزات* الكبرى للسيوطي *وشمائل* الترمذي، *والاكتفاء* لأبي الربيع الكلاعي وغيرها. وحصل إقبال كبير على دوله بسبب تمكنه من الفقه ومعرفه تراجم الرجال. وزيادة على التدريس كان يُفْتي لفظا وكتابة. وإلى جانب هذا وذاك صرف نشاطا كبيرا في التأليف بالعاصمة السعدية ، فألف خلال مدة مقامه بها ماينيف على تسعة وعشرين مصنفا، ومجموع ما أحصينا من تصانيفه ينيف على الستين. وبفضل التدريس والإفتاء والتأليف، بسبب تهجيره عن بلده ومحنته، اشتهر، ولا يستبعد أن تكون رغبة بعض العلماء المغاربة اللامعين في استجازته من قبيل التعاطف معه بصفته منفيا عن بلده أو التبرك به، إضافة إلي الاعتراف بعلمه أساسا. كان كثير التردد على قبور الصلحاء أثناء مدة مقامه بمراكش خصوصا قبر الولي أبي العباس السبتي الذي زاره أزيد من خمسمائة مرة. عادته في أيام الجمعة التنقل بين مزرات المدينة. وكان يزور أيضا قبر أبي عبد الله الهزميري بأغمات. وبفاس زار قبر على بن حرزهم. وكان يتشوق لبلده تنكبت. وقد نظم أبياتا عبر فيها عن حنينه إليها ، أولها:

أيا قاصدا كاغُ فعُج نحو بلدتي    وزمزم لهم باسمي وبلغ أحبتي
سلاما عطرا من غريب وشائق    إلي وطن الأحباب رهطي وجيرتي

وكان لمحنته نتائج على المستويين النفسي والمعرفي. فهو في *نيل الابتهاج* لم يدع فرصة تمر من غير أن يتظلم وكأنه مصدوم لا تغرب ذكرى المحنة عن ذهنه يذكر بالواقعة عندما تتاح المناسبة ويأسف لفقدان بعض كتبه. والملاحظ أن تظلمه كاد ينعدم في *الكفاية* حيث لم يذكر سوى ضياع أحد كتبه نتيجة المحنة. فإما أنه تركه تمشيا مع الاختصار، وفي اعتباره أن *الكفاية* مختصر للنيل، وإما أنه بعد مرور سبع سنوات تقريبا على تحريره للنيل تخلص من بعض اثار صدمته و إما أنه عدل عن موقفه المعادي بدون شك لسياسة المنصور وبدأ يتفهمها، ففي مقدمة *النيل* بمخطوط دار الكتب الوطنية التونسية الحامل رقم 12877 كلام ليس في جميع النسخ المخطوطة، وليس في المطبوع . منه بعد ذكر الصعوبات التي واجهت مشروع تأليف الكتاب: "...تفضل علي من له الفضل... بوصولي إلى منبع العلم في الديار المغربية، حضرة الإمامة... الهاشمية الأحمدية المنصورية... فرأيت بها أسباب السعادة متيسرة... رأيت حضرة من تسمو الآمال لسدة بابه... مالك المغربين بالأصل والنصال، ما بين قطر الجنوب والشمال، عالم الملوك وملك العلماء، فخر السلاطين الكرام، أبي العباس مولانا أحمد المنصور ...". وفي أول الأمر كان قد جرى بينه وبين الملك السعدي، لدى تسريحه من السجن حوار شهير ينم عن تشدد أحمد باب وتلطف أحمد المنصور، ثم لم يفرض عليه أخيرا سوى الإقامة بمراكش، ومنحه حرية التجول فيها والاتصال بمن شاء، وترك له كذلك حرية التنقل. حتى خارجها، بل سمح له بالتدريس والإفتاء وأعانه على ذلك.

كانت المدة التي قضاها أحمد باب بالجزء الشمالي من مغرب ذلك العصر على المستوى العلمي أهم فترات حياته، مكنه مقامه بالعاصمة السعدية من توسيع آفاقه المعرفية بفضل خزاناتها وبفضل ما أتاحته له من اتصالات ومناظرات مع علمائها وعلماء فاس، وفي ذلك العهد كان يفد على مراكش طارئون من علماء سوس والأطلس الكبير ومهاجرون من المغرب الأوسط والمشرق العربي وعلماء من أصل أندلسي.

وبعد موت المنصور أذن ولده زيدان للفقيه السوداني في الرجوع إلى بلاده. وكان قد قَضَى معظمُ ذويه بسبب الوباء الذي انتشر بمراكش من عام 1006 إلى عام 1012 / 1595 - 1603. فوصل إلى تنبكت في 10 ذي الحجة 1016 / 27 مارس 1607. ولما أشرف على بلده جعل أهلها يصيحون : "ها أحمد باب جاء" بلهجتهم، فقال : أتينا بلد السفه وقلة الحياء، أو نحو هذا، وكان يقال له في المغرب : "سيدي أحمد"، وقال لهم :" أنتم تدخلون النار باطلا، لا أكلا، لا لباسا، لامسكنا، إلا الزنا والعرا وقلة الدين، فلا دين ولا دنيا" أونحو هذا، (مخطوط خ. ع . رقم 100 ج).

تتلمذ لأحمد باب كثير بالسودان والمغرب، من أشهرهم: المصطفى بن أحمد بن محمود بن أبي بكر بَغْيُعُ، ولد أخي محمد بغيغُ شيخ المترجم تـ 1025 / 1616. ومحمد كورد بن محمد ساج الفلاني المتوفى بتنبكت عام 1066 / 1655 عن 84 سنة. وعبد الرحمان بن عبد الله السعدي (تـ بعد 1065 / 1657) الذي لازم الشيخ طيلة المدة الأخيرة من حياته التي قضاها في تنبكت والذي تحدث كثيرا عن آل أقيت في مؤلفه *تاريخ السودان*. ومحمد بن يعقوب الإيسي المراكشي (تـ قبل 1010 / 1610). وأحمد بن علي السوسي (تـ 1064 / 1637). والحاج أحمد بن محمد بن أبي فهد

التواتي ثم المراكشي. كما أجاز أحمد المقري وغيره من أكابر العلماء الذين لقيهم بمراكش.

كان أحمد باب ضخم الجسم، غليظ الشفتين، معقد اللسان، لايفهم كلامه، إلا بعد الألف والتعود. وكان من القائلين بحلية التبغ، المدمنين على تدخينه. ولا ينبغي ربط ابتلائه بالتدخين بقوله بحليته كمؤثر، لا من قريب ولا من بعيد. ففكره على ما يبدومن جملة فتاويه، يميل إلى المنطق القانوني والموضوعية في الأحكام، ارتكازاً على مبادىء الأصول والقواعد الشرعية. فما اعتمد عليه في فتواه حول التدخين المعنونة *اللمع، في الإشارة إلى حكم طبغ* كون الاصل الشرعي الإباحة. ونجده أبعد ما يكون البعد عن الذاتية واتباع الهوى عندما أفتى في أمر استرقاق مواطنيه السودانيين في *معراج الصعود*. فالملاحظ في فتواه هذه اعتبار مبادىء الشرع الصرفة فحسب.

أما عقبه فقد أخبر بهم قدامى ومحدثون في مواضع قصدا إلى ذلك أو عرضا. فالمقري ذكر في *روضة الآس* (ص. 314) سبطا له اسمه محمد، برع في العلوم والأدب وتوفي بعد 15 ربيع الثاني عام 1010؛ كما تحدث عنهم التمنارتي في الفوائد الجمة، والبوسعيدي في بذل المناصحة، وعبد الرحمان السعدي في تاريخ السودان. وحكى الرحالة الفرنسي فليكس ديبوا (Félix Dubois) - القرن 19 - في كتابه تنبكتو الخفية: *Tombouctou la mystérieuse* ص. 331 - 352 أنه وجد بتنبكتو حفيدين لأحمد باب: أحمد بو بكر، وكان قاضيا، وعمر باب، وكان نساخا يسترزق بخطه الجميل، ثم تحدث عن كرسي ورثة عقب أحمد باب، وهو هبة من زيدان بن المنصور الذهبي له. قال إنهم كانوا محافظين عليه بعناية كبيرة، وكانوا يجلسون عليه المتزوج منهم يوم عرسه تبركا بجدهم العلامة الفاضل. ثم وقف محمود زبير على مخطوطة *لنيل الابتهاج* نسخها في القرن التاسع عشر "زوج نانا عائشة حفيدة الشيخ أحمد باب". ويظن زبير أن سلالة المترجم انقرضت بتنبكت وأن آخر من عرف منها هما الشخصان اللذان ذكرهما فلكس ديبوا، لكن ناسا في تنبكت اليوم ما زالوا يدعون أنهم من سلالته، والناس مصدقون في أنسابهم حتى يثبت بالحجة خلاف ذلك.

وذكرى أحمد باب لا زالت في الأذهان، سواء في المغرب أو في السودان، فبعض المراكشيين يشيرون حتى اليوم إلى منزل بمدينة مراكش على أنه كان منزل الفقيه التنبكي، وهو أول مسكن إلى اليسار في درب الحمام الحالي بحي المواسين جوار مسجد الشرفاء عند مدخله الشمالي جهة السقايتين، وهو من جملة المباني القديمة التي يجمع الأثريون على أنها أقيمت في العهد السعدي أي عهد بناء مسجد الشرفاء والسقايتين المجاورتين له. وفي يناير 1970 أنشئ في تنبكتو مركز أحمد باب للتوثيق والبحوث التاريخية Cedrab.

تشتمل آثار أحمد باب الفقه والحديث والعقائد والنحو إضافة إلى التاريخ والتراجم، وإذا استثنينا *نيل الابتهاج* و*كفاية المحتاج*، فالباقي شروح أو تحريرات لمسائل معينة، موضوعاتها محدودة، لا يتعدى بعضها صفحات معدودة. كلها بقطع النظر عن ديباجات بعضها نثر من النوع العادي، تتساوى فيه الألفاظ والمعاني. وأحمد باب على ما يبدو لم يكن يميل إلى الشعر، وقليلا ما نظم. وما عثرنا عليه من نظمه إلا ستة أبيات في الدعابة أوردها المقري في *الروضة* (ص. 314) وثمانية أبيات في الحنين إلى وطنه أوردها الإفراني في *النزهة* (ص. 97).

ومن تصانيفه ما هو موجود بالخزانات العلمية والخاصة، ومنها ما ذكره هو نفسه في *كفاية المحتاج*، أو ما ذكره غيره خاصة تلاميذه كعبد الرحمان السعدي في *تاريخ السودان* وأحمد المقري في *الروضة*. لكن القائمة التي سردها البرتلي في فتح الشكور أكمل مما سردوه، فهي محتوية على 39 تأليفا وضمنها جل ما كتبه المترجم خلال العشرين سنة الأخيرة من حياته التي قضاها في تنبكت.

وهناك محاولات لترتيب زمني لمصنفات أحمد باب، أولها محاولة جون هنويك J. O. Hunwick في مقاله إمداد الضياء على أحمد باب التنبكتي *Further Light on bàbà al-Tinbukti* (م.م)، وثانيتها محاولة محمود زبير في كتابه *Ahmed bàbà*، وآخرها وأوفاها محاولتنا في رسالتنا الجامعية عن *كفاية المحتاج* وأحمد باب السوداني، ونقتصر هنا على سردها مصنفة حسب المواد:

في الفقه: (1) - جمع *تعاليق وطرر* شيخه بغْيغٌ على *شراح خليل*. (2) *تعليق على مواضيع من ابن الحاجب* (3 - 12)، *شرح وحاشية على مختصر خليل وتحريرات ونكت* على كثير من مشكلاته وقفنا على عشر منها فصلناها في الرسالة الجامعية: (13) - *جواب عن القوانين العرفية* التي تعارف عليها بعض سكان الجبال في المغرب (14) - *عين الإصابة في حكم طابة* (15) - *اللمع، في الاشارة إلى حكم طبع* (16) - *معراج الصعود*، إلى نيل حكم جلب السود أو الكشف والبيان، في أصناف مجلوب السودان.

في الحديث والسيرة: (17) - *إمتاع الاسماع* بما قيل في إجراء ألفاظ الحديث مجرى السماع (18) *الفتح المبين*، في شرح حديث أولياء الله المحبين (19) - *المنهج المبين*، في شرح حديث أولياء الله المحبين (20) - *خمائل الزهر*، فيما ورد في كيفية الصلاة على سيد البشر (21) - *الدر النضير*، في كيفيات الصلاة على الشفيع البشير (22) - *نشر العبير*، بمعاني آيات الصلاة على البشير النذير (23) - *شرح الصدر* وتنوير القلب، لبيان مغفرة ما نسب للجانب النبوي من الذنب.

في العقائد والتصوف: (24) - *تنوير القلوب*، بتكفير الأعمال الصالحة للذنوب (25) - *شرح صغرى السنوسي* (26) - *شرح العقيدة البرهانية* [شرح عقيدة عثمان السلالجي المغربي] (27) - *رسالة في التصوف* [حول احتياج المريد الى شيخ].

في التاريخ والتراجم : (28) - *درر السلوك*، بذكر الخلفاء وأفاضل الملوك (29) - *القول المنيف*، في ترجمه الامام أبي عبد الله الشريف [التلمساني] (30) - *اللآلي السندسية*، في الفصائل السنوسية [مختصر المواهب القدوسية، في المناقب السنوسية لمحمد بن إبراهيم الملالي] (31) - *منظومة في المبعوثين* على رأس كل مائة سنة (32) - *نيل الابتهاج*، بتطريز الديباج (33) - *كفاية المحتاج*، لمعرفة من ليس في الديباج.

في العربية ومواضيع شتي : (34) - *الإبداء والاعادة* ، في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة (35) - *غاية الإجادة*... [مختصر] (36) - *النكث المستجادة* في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة (37) - *شرح رجز المكودي* [في التصريف] (38) - *فتح المحيي*، في مسألة حيي (39) - *المسلك الأنم*، في معرفة هلم (40) - *منور الحالك*، في شرح بيتي ابن مالك [في لغات أيمن] (42) - *النكث الوفية*، في شرح الألفية (42) - *النكث الزكية*، في شرح الالفية [لعله مختصرة] (43) - *التحديث والتأنيس*، في الاحتجاج بألفاظ ابن ادريس. (44) - *وسيلتي وشافعي*، في ثبوث الاستدلال بألفاظ الامام الشافعي لعله غير السابق (45) - *تحفة الفضلاء* ببعض فصائل العلماء (46) - *مرآة التعريف* بفضائل العلم الشريف (47) - *ترتيب جامع المعيار* للونشريسي (48) - *جلب النعمة*، ودفع النقمة ، بمجانبة الظلمة . (49) - *ماوراه الرواة*، في مجانبة الولاة (50) - *جواب عن ثلاثة أسئلة* [في المفاضلة بين العلماء والشرفاء وفي انتحال الشرف] (51) - *درر الوشاح*، في فوائد النكاح [الاختصار لكتاب الوشاح، في فضائل النكاح للسيوطي] (52) - *دفع الضير*، عن كلام ابن خير (53) - *غاية الأمل* في تفضيل النية على العمل (54) - *فتح الصمد الفرد*، في محبة الله تعالى للعبد (55) - *اللمع* في أجوبة الأسئلة الأربع [محاورها : إشكال متعلق بمقابلة التقويم الهجري بالگريگوري، مصير الولد غير الشرعي في الآخرة، البداية بالبسملة، طقوس أصحاب الطرق] (56) - *مسائل إلى علماء مصر* [أجوبة على 21 سؤالا : 5 تتعلق باجابة الدعاء، و4 تتعلق بتقنيات عددية ممن يستعملها أبو العباس البوني، والباقي حول مسائل فقهية وعقدية ولغوية] (57) - *المطلب والمأرب*، في أعظم اسماء الرب (58) - *نزول الرحمة*، في التحدث بالنعمة (59) - *نيل المرام*، على التمام، ببيان حكم الإقدام، على الدعاء لما فيه من إبهام (60) - *أجوبة* على الأسئلة المصرية (61)- *فتح القدير*، للعاجز الفقير.

توفي أحمد باب بتنبكتو في 6 شعبان 1036 / 22 أبريل 1627.

أحمد باب نفسه، *كفاية المحتاج* - القسم الاخير - (مخطوط) ؛ أ. المقري، *روضة الآس* ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة* (مخطوط) ؛ م.ص. الإفراني، *نزهة وصفوة* ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج. 1 ؛ م. البرتلي، *فتح الشكور* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج.5 ؛ ع. بن ابراهيم، *الإعلام*، ج. 2 ؛ م. مطيع، *كفاية المحتاج*، دراسة جامعية بكلية الآداب بالرباط.

J. O. Hunwick, *Ahmed Baba and the Maroccan invasion of the Sudan* (1521), in J.H.S.N, vol. 2 n° 3, pp. 311-328 ; *A new source for the biography of Ahmed Bàbà al-Tinbukti*, in B.S.O.A.S, 1964, XXVII, pp. 568-593 ; *Further light on Ahmed Bàbà al-Tinbukti*, in Research Bulletin (centre of Arabic Documentation, Institute of African Studies, University of Ibadan), 1966, vol. 2, n° 2, pp. 19-30 ; Mahmoud A. Zouber, *Ahmad Bàbà de Tombouctou*, Paris, 1977.

محمد مطيع

**أحمد بن بوجمعة**، ولد سنة 1939 بصبوية بأيت باعمران من عائلة معروفة بالمقاومة والتحق بصفوف جيش التحرير منذ إنشائه بالمنطقة. كان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله، نشيطا في عمله معروفا بغيرته الوطنية، قويا بإيمانه.

استشهد في أول معركة ضد الجيش الإسباني بثلاثاء صبوية بتاريخ 1957/11/23.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عبد الله العلام

**أحمد الذهبي**، أحد أبناء المولى إسماعيل بن الشريف العلوي، تولى الإمارة خلال حياة والده ثم الملك بعد وفاته لكن لمدة قصيرة فقط.

عندما أقدم المولى إسماعيل على تقسيم البلاد على أبنائه في سنة 1111 / 1699 - 1700 كانت منطقة تادلا وقصبتها من نصيب الأمير مولاي أحمد الذي بقي كعامل عليها إلى حين وفاة والده في سنة 1140 / 1727، كان يحتل مكانة خاصة عند والده حتى إنه كان الابن الوحيد الذي بقي في منصبه بعد أن عزل المولى إسماعيل جميع أبنائه عن عمالاتهم في سنة 1130 / 1718. ويذكر أبو القاسم الزياتي أن مولاي إسماعيل كان قد اختاره لخلافته بعد وفاته وأسند إليه العهد، وهو ما ينفيه أكنسوس اعتماداً على ما سمعه من السلطان المولى سليمان، إلا أن المصادر الأجنبية كرحلة الإنجليزي براثوايت تؤكد ماذهب إليه الزياني. ولما توفي المولى إسماعيل اجتمع أعيان الدولة واختاروا مولاي أحمد و "بايعوه بإشارة العبيد الشبيهة بالجبر" حسب صاحب *الجيش العرمرم*. ويظهر أن رؤساء جيش العبيد قدموه على غيره من إخوته لما عرفوا فيه من بسط اليد والسخاء وأن ذلك على حساب الكفاية السياسية. والحقيقة أن الأوضاع التي أصبح عليها المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل كانت تتطلب من الحزم وحسن التدبير ما لم يكن متوفراً في أحد من أبنائه. فالنظام الذي أقام عليه المولى إسماعيل ركائز حكمه وطوّع به البلاد سرعان ما انهار، أو على الأصح لم يكن لأحد من خلفائه من الهيبة وقوة الشخصية ما يسمح بضبط دواليب ذلك النظام والتحكم فيها، فحبابرة الدولة الذين قهروا الرعية خلال حياته مثل أحمد علي الريفي وعلي بن يشي وأولاد الروسي وغيرهم لم يعودوا بقادرين على كبح جماح الفتنة

النائمة، فقام عليهم الناس وتسابقت القبائل إلى اقتناء الخيل والسلاح "فكأنما كانوا على ميعاد". مما زاد الطين بلة أن جيش العبيد الذي كان بالأمس يرمز إلى الأمن والاستقرار أصبح بعد موت مؤسسه المتزعم الأول للاضطراب السياسي والفوضى الاجتماعية. ولم يكن المولى أحمد وغيره من إخوته إلاأدوات في يد هؤلاء العبيد الذين كانوا ينصبون ويعزلون من شاؤوا من الأمراء .

ولم يدم المولى أحمد في الملك إلا سنة واحدة تقريباً حتى ظهر عجزه عن الحكم بعد أن أقبل على الملذات وأدار ظهره لمصالح الرعية، فانحلت أمور الدولة، ولم يعد يحظى لا بدعم جيش العبيد ولا برضى أهل فاس، فاتفقوا على خلعه ومبايعة أخيه عبد الملك في شهر رمضان 1140 / 1728، وكان هذا الأمير في ذلك الوقت مستبدا بنواحي سوس وجنوب البلاد.

طابع السلطان أحمد الذهبي

وعلى الرغم من نجدة مولاي عبد الملك وحزمه فإنه لم يحكم إلا شهوراً قليلة، ذلك أنه أراد أن يعالج عين الداء ويسدد ضربة لجيش العبيد بالاعتماد على القبائل، إدراكاً منه أن ذلك الجيش هو سبب الفتنة وسر الاضطراب. إلا أن العبيد تفطنوا لخطته "فعاجلوه قبل أن يُعاجلهم" ومرة أخرى رجع العبيد إلى المولى أحمد الذهبي الذي كان مبعداً بسجلماسة وبايعوه للمرة الثانية في شهر ذي الحجة من عام 1140 / يوليوز 1728، إلا أن أهل فاس الإدريسية امتنعوا عن ذلك وتشبتوا بأخيه عبد الملك، فحاصرهم المولى أحمد وقاتلهم ما يقرب من خمسة شهور إلى أن استسلموا وسلموا له أخاه المخلوع فأودعه السجن بمكناس. وبعد ذلك بوقت قصير مرض المولى أحمد مرض موته، فلما أحس بقرب أجله أمر بخنق أخيه عبد الملك، وكانت وفاته هو بعد ذلك بثلاثة أيام (رابع شعبان 1141 / 5 مارس 1729).

م. القادري، *نشر المثاني* ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعدية* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* 7.

Captain John Braithwaite, *The History of the Revolutions in Empire of Morocco*.

محمد المنصور

**أحمد بن زيدان** بن أحمد المنصور الذهبي الحسني السعدي. أصغر أبناء زيدان وأتعسهم حظا، إذ ما كاد يموت أبوه زيدان بمراكش يوم تاسع محرم عام 1037 / 20 شتنبر 1627 ويبايع لأخيه عبد الملك في نفس التاريخ والمكان حتى بدا لأحمد هذا وأخيه الوليد أن يثورا عليه، فجرت بينهما وبينه معارك دامت بضعة أسابيع وأسفرت عن انهزام الثائرين وفرار أحمد إلى منطقة الغرب حيث تمكن من الدخول إلى مدينة فاس يوم الجمعة 25 صفر من نفس السنة، إذ كان أميرها عبد الملك بن محمد الشيخ المامون قد توفي منذ نحو شهرين ولم يخلفه أحد، فأعلن أحمد نفسه ملكا بفاس، واتخذ شارات السلطنة وضرب السكة باسمه ولم تطل إمارته بها سوى عشرة أشهر كان خلالها ضعيف السلطة في دار إقامته بفاس الجديد لا يتدخل بشيء في فاس القديم الذي كان الصراع فيه على أشده بين الأندلسيين واللمطيين بل وبين مختلف الأحياء. كما كانت قبيلتا شراگة والحياينة تهاجمان المدينة فلا يجد الفاسيون إلا الالتجاء إلى المجاهد العياشي بسلا وإلى الدلائيين للدفاع عنهم والانتصاف من المهاجمين.

ولما اشتدت الهيعة بمنطقة الغرب وكثر القتال داخل فاس وخارجها من طرف الثوار حتى تعطلت الصلوات بجامع القرويين، ألقي القائد عدُّوبْاها القبض على أحمد بن زيدان في 11 ذي الحجة عام 1037 / 12 غشت 1628 وسجنه بفاس الجديد حيث بقي سجينا سبع سنين إلى أن فر من السجن مستخفيا بين نساء في 7 رجب عام 1044 / 17 دجنبر 1634. وبعد شهر نودي بنصره مرة أخرى في فاس لكن لم يتم له أمر، وظل هناك إلى أن بايعت فاس محمد الحاج الدلائي في شعبان عام 1051. ولم يكد يرتحل عنها حتى قتل أحد العامة أحمد بن زيدان في ملعب فاس الجديد برصاصة أطلقها عليه في 24 ذي القعدة عام 1051 / 24 فبراير 1642 فكان آخر الأمراء السعديين بفاس.

م. الإفراني، *نزهة*، 218 ؛ م. القادري، *التقاط*، 114 ؛ *نشر*، 1 : 278 و2 : 9 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 6 : 72-73 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، (ط 2) 20-21.

محمد حجي

**أحمد بن سعيد** بن إسماعيل ولد سنة 1898 بدوار دولاسن - أيت النر - أيت باعمران - دائرة إفني إقليم تيزنيت، وشارك في صفوف جيش التحرير حتى استشهد في معركة تبلكوكت وهو حامل سلاحه دفاعا عن حوزة الوطن في 1957/11/23، وهو يوم اشتعال ثورة قبائل أيت باعمران للاستيلاء على المركز الإسباني بسيدي إفني حيث كانت قواته تعسكر هناك.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير*

عبد الله العلام

**أحمد بن عبد السلام** الموحدي من ذرية أبي دبّوس آخر الموحدين الذي قتل سنة 668 بظاهر مراكش وقد خرج للقاء المرينيين. وبعد مقتله تفرق أولاده ملتجئين لدى العرب. فكان من نسله المترجم الذي تقدم سلسلة نسبه

هكذا : أحمد بن عبد السلام بن عثمان بن أبي دبوس، كان جده عثمان حاول أن يثور بطرابلس سنة 688 على رأس فريق من العرب. ووصل تونس ورجع عنها خائبا، وظل يتردد بين طرابلس وقابس إلى أن مات بجزيرة جربة. واعتقل أبوه عبد السلام بتونس. ولد أحمد بالقاهرة سنة 722 / 1323 ويذكر ابن حجر أنه كان "حسن الهيئة، جميل الصورة، بادن الجسم، خفيف اللحية، كثير الصمت، حسن الكتابة، بليغ العبارة " وما بلغ سن الرابعة والعشرين حتى غادر مصر متجها إلى المغرب سنة 736 هـ بقصد استخلاص بعض الأملاك تنسب لجده وأبيه بمراكش، لكنه توقف بتونس حيث أقام أربع سنوات. ألقي عليه القبض سنة 741 هـ وأخذ إلى السجن إلى سنة 747 هـ، والظاهر أن سلطات تونس تخوفت من نشاطه وتحركه وأن خصوم الدولة القائمة كانوا يراهنون على اسمه ونسبه. عاد أحمد إلى القاهرة لمدة محدودة. ثم رجع إلى تونس على رأس جماعة من العربان كانوا قد أسندوا إليه بيعتهم. وتذكر رواية أخرى أنه نزل بتوزر واحترف الخياطة إلى أن تمكنت كلمته من العرب فثار بهم على السلطان أبي الحسن المريني. كثر أنصاره وبلغ جيشه عشرة آلاف جندي. وجرت معارك بينه وبين أبي الحسن في المحرم من سنة 749 / 1348 انتهت بانهزام الملك المغربي واستيلاء العرب على أمواله. وطمع أحمد في الاستيلاء على تونس، فقام بحصار قصبتها. لكن أبا الحسن عاد إليه بقوات جديدة فاضطر أحمد للتراجع نحو العرب وكان الأمر فسد بينه وبينهم. فاختلت أحواله وحاول الفرار، لكن قبض عليه وأخذ في مركب إلى بجاية، ثم إلى فاس. لم يفكر الملك المغربي في عقابه والاقتصاص منه، بل عامله بحسنى، وكذلك ولي تلمسان. وهكذا، تمكن من الذهاب إلى غرناطة حيث وجد حسن الاستقبال فأمكنه أن يتزوج هنالك وينجب الأولاد. وعاوده ريح الثورة لما كاتبه عرب إفريقية، ولكن تيقن بأن حركته لن يكون وراءها طائل، فعاد إلى غرناطة وأقام بها مدة، ثم انتقل إلى فاس، وافدا على ملكها أبي سالم. هنالك أدركه الأجل في سنة 762.

قصة هذا الرجل تبين أن أحفاد الموحدين كان ما زال لهم طمع في العودة إلى الملك : بعد مرور قرن على انقراض دولتهم. كما تبين وجود أنصار لهم في عرب إفريقية الذين تعودوا على مناصرة كل الثائرين على الدولة القائمة. فبالأمس كانوا مع بني غانية ضدا على الموحدين، اليوم نجدهم مع أحفاد الموحدين ضدا على الحفصيين والمرينيين.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 ؛ ابن حجر، *الدرر الكامنة*، 1 ؛ ابن أبي دينار، *المؤنس* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 3.

**أحمد بن عبد المومن** بن علي الموحدي، أحد أبناء عبد المومن بن علي. وقد ذكره ابن عذارى في آخر قائمة أولاده الذكور. كان واليا على سجلماسة إلى أن توفي سنة 574. وتعيينه على تلك المدينة ومنطقتها فيه دلالة على حزمه وقوة شخصيته، خصوصا إذا اعتبرنا أن الدولة الموحدية كانت ما تزال في أول عهدها وأن سجلماسة هي بوابة الصحراء ومنفذ قبائل صنهاجة الملثمين إلى الشمال. فلا أقل من أن يحاولوا الهجوم على دولة الموحدين الفتية. من تلك الجهة.

وقد ظهر فتور في ولاء سجلماسة عند قيام الثائر الماسي بسوس ثم إن سجلماسة كانت، في نفس الوقت عقدة مواصلات مهمة بالنسبة للمغرب وعلاقاته بإفريقيا السوداء (ن. سجلماسة) واستيراده لمادة الذهب والعبيد والعاج وغيرها من البضائع النفيسة والضرورية لتجارته مع الخارج. لكل هذا كان لا بد من أن يكون الوالي على سجلماسة في تلك الآونة شخصية قوية الشكيمة قادرة على التنظيم الإداري وحماية الثغور.

ولا شك أن أحمد وفق في مهمته إذ لا يسجل المؤرخون في إبان ولايته أي حركة تمرد أو معارضة للدولة الموحدية. بل إن اطمئنان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على تمكن السلطة من ذلك الإقليم جعله يتخذ من سجلماسة معتقلا لجراندة الجليقي (جيرالدوسمبافور) وأصحابه. وكان هذا القائد في خدمة ألفونسو هنريكز (ابن الرنك في المصادر العربية) ملك البرتغال، لكنه اختلف مع ملكه وأتى إلى إشبيلية هو وصحبه ليقدموا خدماتهم ليوسف بن عبد المومن. إلا أنه عاد سرا إلى ولائه نحو هنريكز ونوى الغدر وضبطت مراسلاته السرية مع الملك البرتغالي. فما كان من يوسف إلا أن أمر باعتقاله هو وجماعته المتكونة من ثلاثمائة وخمسين جنديا ووجهوا مقيدين إلى سجلماسة حيث وضعوا تحت الحراسة المشددة سنة 569 مما يدل على الثقة التي كانت للخليفة في ذلك البلد وواليه أخيه أبي العباس أحمد بن عبد المومن.

أ.البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن عذارى، *البيان المغرب* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

**أحمد بن علي**، قائد أسفي، لا تسمح النصوص بتحديد تاريخ استقلال أسفي عن مراكش الهنتاتية. فحينما طُرد الشيخ الجزولي من أسفي (قبل 869 / 1465) كان على رأس إدارة المدينة "قائد" لم تحدد المصادر المغربية هويته ولا نوعية علاقته بعاصمة الجنوب. ولما وصل الرحالة الفرنسي (دولافوس De la Fosse) إلى مينائها سنة 863 / 1479 وجد بها "ملكا". غير أنه من الأكيد، حسبما ورد بالوثائق البرتغالية، أن قائد هذه المدينة، الذي لم يكن يدين بالولاء لأحد، أدخل أسفي في عهد الفونصو الخامس، المتوفى في رجب 886 / غشت 1481 تحت الحماية البرتغالية. ويفهم من رسالة بعث بها هذا القائد إلى الملك يوحنا الثاني في سنة 893 / 1488 لطلب تمديد العمل بنفس المعاهدة، أنه كان يسمى أحمد بن علي، وأنه أول من اعترف بسلطة التاج البرتغالي على المدينة. ويذكر الإخباري البرتغالي (دوگويش D. de Gòis) أن أحمد هذا كان ينتمي إلى أسرة نبيلة وذات نفوذ كبير، تعرف ببني فرحون (ص 28). ويبدو

أنه كان أول من حكم أسفي من أفراد هذه الأسرة، وأنه استمر في إدارة المدينة إلى أن عُزل سنة 903 / 1498.

وخلال هذه المدة استطاع أن ينشر نفوذه بعيدا عن أسوار المدينة، إذ كانت تدين له بالولاء قرى بالشياظمة وبني ماجر، وكذا قرية بولعوان الدكالية (على ضفة أم الربيع) وربما حاضرة دكالة الكبيرة، المدينة الغربية. ولعل حرص القائد على التحكم في هذه المناطق مرتبط برغبته في إدماج المدينة ونواحيها في كتلة واحدة لتكاملها من جهة، ولدور تلك البوادي في الرواج التجاري من جهة أخرى، هذا الرواج الذي أصبحت تعرفه المدينة خلال النصف الثاني من القرن 15 م بسبب احتلال مدن المغرب الشمالية وتنظيم البرتغاليين لتجارة التبر والعبيد بغرب إفريقيا.

ومعلوم أن إنشاء مراكز تجارية بتلك المنطقة جعل من الحواضر الدكالية سوقا ضرورية لتزويد تلك التجارة بما كانت في حاجة إليه من حبوب وأثواب صوفية ونحاس الخ. وحتم هذا الدور التجاري الجديد على البرتغاليين الاهتمام بتلك الموانئ، كبراها وصغراها، واحتكار أسواقها وإبعاد المنافسة الإسبانية عنها (أ. بوشرب، دكالة 113 ـ 115) وكان حرص القائد أحمد بن علي على الاستفادة من هذه الظرفية، ومما توفره من مداخيل جبائية ومن وساطة تجارية، ورغبته في إسكات معارضيه، من أهم الأسباب التي دفعت به إلى الارتماء في أحضان البرتغاليين. واكتفى حكام لشبونة، الواعون بطاقات المنطقة الإنتاجية والاستهلاكية الهائلة، بهذا النوع من الحكم غير المباشر تفاديا لتدخل عسكري يضر أولا بمصالحهم التجارية.

هكذا قبل أحمد الحماية البرتغالية وأداء ضريبة سنوية وتسهيل تجارة الملك البرتغالي بالمدينة، بينما تعهد الطرف البرتغالي بحماية حليفه المغربي ضد كل من يهدد سلطته. واستمر العمل بهذه المعاهدة في عهد ثلاثة ملوك بعد أن قبل كل من يوحنا الثاني (894 / 1488) وإمنويل الأول (901 / 1495) تجديد العمل بها. وطبعا كان أحمد بن علي أكبر مستفيد من هذه التبعية. فقد أصبح مزود الملك البرتغالي بكل السلع الضرورية لتجارة التبر والعبيد بغرب إفريقيا. كما سمح له بإرسال سفينة على رأس كل سنة للاتجار بمركز أرغين. واحتكر القائد مداخيل الجمارك ولم يكن ملزما إلا بضريبة رمزية. غير أن عوامل كثيرة أثرت على موقف القائد من حماته البرتغاليين ودفعت بهؤلاء سنة 904 / 1498 إلى تنظيم انقلاب نتج عنه تنحية القائد وتنصيب ابن أخيه. وبهذا الانقلاب دخلت أسفي مرحلة من الاضطرابات والحروب الأهلية لعب البرتغاليون فيها دورا حاسما قبل أن يقرروا احتلالها سنة 914 / 1508.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ج. 1 ؛ أ. بوشرب، *دكالة*.

R. Ricard, *Les Portugais au Maroc*, de D. de Gòis, *extraits de la chronique du Roi, D. Manuel de Portugal* ; C. de Marmol, *L'Afrique*, tome 2. P. de Cénival ; S.I.H.M, Série sa'dienne, tome 1.

أحمد بوشرب

ابن **أحمد، علي**. ولد سنة 1905 بأيت اعمرو، أيت لحسن، ناحية إموزار مرموشة، إقليم بولمان. شارك في الكفاح المسلح في سبيل الاستقلال وذلك ضمن الوحدة التي قادها إلياس ميمون أعقّى بالمنطقة، وقد عمل المرحوم بكل إخلاص وشجاعة إلى أن شارك في الهجوم على دار حارس المياه والغابات حيث صرعته رصاصة المستعمر، فاستشهد رحمه الله يوم 2 أكتوبر 1955.

**أحمد** بن **عمار** ، ولد سنة 1914 بأيت إبراهيم قبيلة أيت لحسن من إموزار مرموشة بإقليم بولمان. شارك في الهجومات والمعارك التي شنها جيش التحرير بقيادة إلياس ميمون أعقى، وخاض معركة ضد جنود الاحتلال يوم 2 أكتوبر 1955 استشهد فيها.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير بالرباط.*

عز الدين العلام

**أحمد بن مبارك**، من عبيد البخاري، سوسي الأصل، برز كوصيف مرموق في عهد السلطان مولاي سليمان، تدرج من السلم العسكري إلى الرتب السياسية شأنه في ذلك شأن من ظهروا من أهله طيلة قرن من الزمن. كان هو وأبوه مبارك من وصفان السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وفوتهما لابنه المولى سليمان، وقد تربى معه. أحمد هذا. وتقلد الحجابة والصدارة، واستمر في الخدمة مدة ثلاثين سنة كان في وقت منها يعرف بـ (مول الأتاي = القيم على تحضير الشاي) أي أنه كان من الموظفين الداخليين المقربين. وكان الشاي في ذلك العهد غير معروف إلا لدى خاصة الخاصة. واتسعت مهماته حتى إنه كان لا يبرم أمر إلا بعمله ولا يفارق السلطان في سفره (م. الحجوي، *اختصار الابتسام*، 360). ومن علو شأنه مشاركته في مفاوضات مع فرنسا سنة 1817 في شأن بيع القمح لها، له مكاتبات مع القناصل منها على سبيل المثال رسالة في أسفلها خاتمه وبداخله : "وصيف المقام العالي بالله أحمد بن مبارك لطف الله به" موجهة إلى "قونصو إنجليز" بتاريخ 1932 / 1812.

ولا تظهر أهمية شخصية أحمد بن مبارك في المناصب السياسية التي تولاها فحسب مع العلم بأنه بلغ فيها إلى حد أنه سمي بصاحب الطابع، بل تتجلى أيضا في شخصيته العسكرية، فقد عقد له السلطان على جيش كثيف وأرسله إلى قبائل أيت أمالو سنة 1223 وإلى الصحراء سنة 1231 هـ ومعه عدة من المدافع والمهاريس (*الاستقصا*، 9 : 130 ـ 131) وفي الجملة فإن أحمد بن مبارك بلغ في جهاز المخزن درجة جعلت أكنسوس يقول عنه : "إنه هو السلطان في حقيقة الحال" (*الجيش العرمرم*، 664)، ومصداق ما بلغه أن السلطان الذي جرب إخلاصه كان يمتدحه في المجالس، هذا كله مما جعل جماعة من جيش البخاري يحقدون عليه ويدبرون قتله سنة 1235 / 1819 بمكناس وذلك بعد وقعة زايان التي كان فيها انهزام جيش المخزن، وذلك أن جيش العبيد اعتبر أحمد بن مبارك

مسؤولا عن تلك الهزيمة، وبقتله بدأ نظام ذلك العهد في الانحلال، فكان السلطان يقول : "لو كان أحمد لما وقع كذا وكذا" (أكنسوس *الجيش*، 665). وقد نعى تقرير للقنصل الفرنسي سوردو Sourdeau هذا الوزير وبين مكانته، وفي هذا التقرير ما يشير إلى أن اعتماده كوزير متول للشؤون البرانية لم يكن يرجع إلى عهد أقدم من أربع سنوات قبل وفاته. ومما هو جدير بالذكر أن أحمد بن مبارك، مع شهرته هذه، لم يترك سوى مبلغ ستمائة مثقال قضي بها دين كان عليه (مادني، 16). وهكذا انتهت حياة شخصية مخزنية فذة نموذجية في الترقي من وسط جيش البخاري، أسست أسرة سيكون لبعض أفرادها نفوذ وشهرة.

مينة مادني، *نموذج من الأسر المخزنية المغربية من خلال بعض المصادر والوثائق المغربية : أسرة أحمد بن مبارك*. بحث نهاية الإجازة، كلية الآداب بالرباط، 1982.

M. Chapi, *Quelques Familles du Makhzen*

أحمد التوفيق

**أحمد بن محمد** بن عمر، ولد عام 1920 بدوار إديوسنينا، أيت إخْلف، أيت باعمران. وقد التحق بجيش التحرير لصحراء المغرب بمركز تزگي في أوائل سنة 1957 تحت مسؤولية المرابطي الأنصاري محمد بلمختار وكريم محمد بن إبراهيم وحمل السلاح ضد جيش الاستعمار الإسباني، وشارك في عدة معارك منها معركة الگويرة أيت إخلف التي استشهد فيها بعد ما أصيب برصاص المستعمر، كان ذلك يوم 1957/11/12.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومة وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**أحمد المنصور الذهبي** بن محمد المهدي الشيخ بن محمد القائم بأمر الله الزيداني الحسني السعدي. ولد بفاس عام 956 / 1549 أي في السنة التي دخل فيها والده إلى مدينة فاس لأول مرة. والدته الحرة مسعودة بنت الشيخ أحمد بن عبد الله الوزگيتي الشهيرة في كتب التاريخ وفي الذاكرة الشعبية حتى اليوم.

الحياة العلمية : نشأ أحمد مترددا بين فاس ومراكش وسوس، وقرأ القرآن الكريم على معلم أولاد الملوك الأستاذ محمد الدرعي إمام جامع المشور بفاس، ثم على القاضي سليمان بن إبراهيم بمراكش، ولما انتقل والده إلى سوس أخذه معه فقرأ الرسالة على الفقيه موسى السوسي، وأعاد قراءتها على القاضي سليمان مرتين، وعلى الفقيه النحوي محمد بن عبد العزيز ابن إبراهيم، كما قرأ على هذا الأخير مرارا مقدمة ابن أجروم وألفية ابن مالك، وعلم الحساب. درس أحمد كل هذا وهو لم يجاوز السنة الحادية عشرة من عمره، لأنه خرج إلى الجزائر مع أخيه عبد الملك أواخر عام 966 / 1559 عندما ساءت سيرة عبد الله الغالب مع إخوته وأخذ يتتبعهم بالقتل حسب أغلب الروايات.

ولما عاد الأخوان من الجزائر وبويع عبد الملك بفاس في 7 ذي الحجة 983 / 30 مارس 1574 عين أخاه أحمد نائبا عنه في مدينة فاس، وعمره حينئذ سبع وعشرون سنة. استأنف أحمد دراسته على كبار شيوخ القرويين متتلمذا لكل من إمام النحاة في عصره أحمد القدومي، وشيخ الفقهاء محمد بن أبي القاسم الشريف الحسني، وإمام المعقول والمنقول أحمد المنجور، وشيخ المحدثين رضوان بن عبد الله الجنوي، وحامل لواء المذهب المالكي القاضي عبد الواحد الحميدي. كان أحمد في هذا العهد مولعا بالعلم أكثر من ولعه بالسياسة، الأمر الذي أغضب عبد الملك المعتصم وكتب إليه رسالة التعنيف التي وقف عليها الإفراني وأثبت نصها في *النزهة* (ص 71) وفيها يقول المعتصم : "إلى أخينا الأحظى باب أحمد حفظه الله ... فاعلم أني لا أحب أحدا بعد نفسي محبتي لك ورغبتي في انتقال هذا الأمر بعدي إلا إليك لا لغيرك غير أني نعتاد منك التراخي في الأمور حتى إنك لا تبالي بعظيم الأمر ولا تعتبره... من ذلك في هذا التراخي إهمالك الجند الذي بالعرائش وإغفالك له مع ما يترادف عليك في كل ساعة من تلقائه من استدعاء ما دعت الحاجة إليه من المؤونة والبارود والرصاص الذي لا يستقيم لهم أمر في مقاومة العدو دون ذلك وجعلت تقابل خطابهم بالإهمال وعدم المبالاة...".

يبدو أنه كان لهذه الرسالة أثرها البالغ في نفس أحمد الذي فتح عينيه على الأخطار المحدقة بالبلاد فشمر عن ساق الجد وأبلى البلاء الحسن سواء في مطاردة محمد المتوكل أو في تجييش الجيوش لمواجهة خطر الهجمة الصليبية الكبرى بقيادة سباستيان ملك البرتغال، دون أن يتخلى عن طلب العلم، فقد ذكر في *فهرسه* أنه في أثناء تحركه وإقامته ببسيط أزغار - منطقة المعركة الكبرى بوادي المخازن - كان يقرأ *ألفية ابن مالك* على الفقيه المجاهد محمد الحارثي. وحتى الملك لم ينل من نهم أحمد المنصور في المزيد من الدرس والبحث إلى أن حصل على إجازات من معظم شيوخه، وفي مقدمتهم الإمام أحمد المنجور الذي خصه بإجازة عامة كبرى جعلها فهرسا جامعا لشيوخه.

وظل الطابع العلمي من أهم مميزات عهد أحمد المنصور، إذ كان يرعى العلماء والمتعلمين ويعقد هو مجالس علمية عامة وخاصة في أوقات معلومة لا تتخلف، يحضرها علماء دولته من الشمال والجنوب، فيغدق عليهم من الصلات والعطايا ما حفلت به كتب التاريخ والتراجم. ومن الثابت أن أحمد المنصور كان إلى جانب مشاركته الواسعة في العلوم اللغوية والشرعية، أديبا شاعرا ناثرا، ورياضيا موهوبا مواظبا على دراسة أمهات كتب الحساب والجبر والهندسة لإقليدس وابن البناء وأضرابهما، كما كانت حاشيته تكاد تكون كلها من العلماء والأدباء حتى قادة الجيش وولاة الأقاليم.

وقد ألف أحمد المنصور كتابين مهمين، الأول في علم السياسة سماه كتاب *المعارف في كل ما تحتاج إليه الخلائف*، لكن لا يعرف منه الآن إلا ما ذكره الفشتالي في *مناهل الصفا* (215.217) من نص المقدمة، وملخص النقط

البارزة التي تعرض إليها أحمد المنصور من تحصين الحصون واختطاطها، وتشييد المعاقل وتوطيدها، وتعبئة الحروب ومكائدها وآلاتها وخدعها وأنواعها" فضلا عن مباحث في حقائق المعلومات السياسية النظرية والعلمية. والثاني كتاب *العَوْدُ أحمد*، وهو جزء لطيف بناه على سبعة أبواب جامعة للأدعية المأثورة عن الرسول ـ عليه السلام ـ أخذا من كتب الحديث الصحاح، وكان هو أول مستعمل لهذه النصوص طوال حياته. ولحسن الحظ فإن هذه النسخة الملوكية الأصلية ما تزال محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط في أول مجموع ضخم يضم أورادا وأحزابا صوفية للشاذلي، وابن وفا، والسهروردي، وابن جابر الغساني وغيرهم باختيار أحمد المنصور. وقد وقف أحمد المقري على هذا المخطوط الثمين فأخذ بروعته ونفاسته وكتب عنه : "قد رأيت هذا التأليف بخط تأنق فيه صاحبه إلى الغاية، عن أمر هذا الخليفة، وتخيل لي أنه لا يمكن أن يوجد له نظير في مضمنه وخطه" (*روضة الآس*، 58).

ولأحمد المنصور غير هذين الكتابين، *فهرس* ذكر فيه شيوخه وما قرأ عليهم ؛ و*ديوان* صغير جمع فيه أشعاره، وهي عبارة عن مقطعات ومساجلات أثبت كثيرا منها ومن *الفهرس* كتاب بلاطه في مؤلفاتهم ؛ و*ديوان أشعار العلويين* إلا أنه لم يكمله، وكلّف به كاتبه عبد الواحد بن أحمد الحسني السجلماسي فمات دون إتمامه (الأصل بخط المؤلف في الاسكوريال).

كما أُلفت في أحمد المنصور كتب، منها : *الممدود والمقصور من سنى أبي العباس المنصور*، للكاتب محمد بن عيسى التملي، و*المنتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور* لأحمد بن القاضي، و*مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا*. وألفت باسمه كتب تنيف عن المائة، مجّده المؤلفون في مقدماتها (انظر *روضة الآس*، 69-70).

وتعتبر مكتبة أحمد المنصور بمراكش أعظم مكتبة علمية في ذلك العصر الزاهر حوت من نفائس مؤلفات القدماء والمحدثين ما لم تحوه مكتبة أخرى، ورتّب لها المنصور في قصره خطاطين ماهرين للنساخة، وفنانين للتجليد والتزويق، وأخذوا يكتبون بدل المداد بمحلول الذهب والعنبر المسقي بماء الورد، وينشّفون بمسحوق الذهب بدل التراب، فضلا عن الوراقين المشارقة الذين لم يفتؤوا يمدونه بإنتاجهم من القاهرة واصطمبول والحرمين الشريفين. وما تزال كثير من ذخائر هذه المكتبة بالإسكوريال.

الحياة السياسية : اضطلع أحمد المنصور بأعباء الدولة في أعقاب معركة وادي المخازن حيث هلك ثلاثة ملوك : سيباستيان ملك البرتغال، وعبد الملك المعتصم، ومحمد المتوكل المسلوخ ؛ وجنى هو ثمرة الظفر فبويع في ساحة القتال ملقبا بالمنصور يوم الاثنين متم جمادى الأولى سنة 986 / 4 غشت 1578. كان عليه أن يواجه مخلفات الفتن والحروب التي عمت البلاد طوال ثلاث سنوات، وما نشأ عنها من انقسامات وزعامات بين القبائل والأندلسيين المهاجرين، إلى الأخطار الخارجية المزمنة المتمثلة في الدولتين القويتين المجاورتين : الإسبان والأتراك. وقد بدا بخته ويمن نقيبته منذ الأيام الأولى لتوليته حيث وافته التهنئة بفاس من مختلف الدول الإسلامية والمسيحية حاملة إليه الهدايا الفاخرة، وبذل له البرتغاليون، إضافة إلى الغنائم العظيمة التي استحوذ عليها في المعركة، ما احتوت عليه خزائنهم من ذخائر لفداء نبلائهم الأسرى. كما بدت كفاية أحمد المنصور الذهبي السياسية، وحنكته العسكرية في السنتين الأوليين حيث تمكن من تتبع رؤوس الفتنة وتمهيد البلاد من جهة، وتجاوز تحرشات ولاة الجزائر الأتراك لخلق أرضية سلمية إن لم تكن ودية بين المغرب والخلافة العثمانية من جهة أخرى، مع موقف متبصر تجاه الإسبان ورثة الإمبراطورية البرتغالية المنهارة.

وقد تطور هاجس الخلافة عند أحمد المنصور، فلم يعد ما كان عليه عند والده محمد المهدي الشيخ الذي كان يناصب العثمانيين العداء ويفكر في أن يحل محلهم في الأقطار المجاورة بشمال إفريقيا حتى مصر. وإنما أصبح هاجسا متقيدا بالواقع متحركا في دائرة الإمكان كما يتجلى في مفاوضة الملأ من أصحابه وأعيان دولته حين عزم على منازلة أمير السودان صاحب كاغو. فقد فكر أحمد المنصور وقدّر أن قواته في التسعينات من القرن العاشر لا تستطيع اختراق حاجز الأتراك في الشرق، ولا مصادمة الإسبانيين وراء المضيق، فلم يبق أمامه مجال للعمل إلا من ناحية الجنوب، فاستردّ في يسر صحراء تيكورارين وتوات، وأخضع الإمارات السودانية الصغيرة في منطقة حوض السنيغال، وسالم مملكة بورنو ـ كانم في الجهة الشرقية بعد أن خطب ودَّه ملكُها إدريس ألوما وبايعه. ولم تقف في وجهه سوى مملكة سنغاي وريثة الإمبراطوريتين العريقتين مالي وغانا. وكان للأسكيين ملوك سنغاي وجهة نظر في شرعية حكمهم وعلاقاتها بقضية الخلافة، إذ كان جدهم المؤسس محمد أسكيا الكبير لما حج سنة 900 / 1495 تلقى من شريف مكة أو من الخليفة العباسي بمصر ـ حسب اختلاف الروايات تزكية لحكم بلاد السودان الغربي، فاعتبر الأساكي أنفسهم حكاما باسم الخليفة الأكبر للمسلمين. لذلك لم يستسيغوا فكرة الخلافة السعدية منذ محمد المهدي الشيخ لا سيما وأنها كانت تمَسُّ مسألة اقتصادية حيوية بالنسبة لهم، وهي ممالح تغازى وتاودني علي مشارف الصحراء الجنوبية التي يتجاذبها كلا الفريقين. والحجة التي يستظهر بها السعديون أن المعادن حسب الشريعة الإسلامية، يرجع أمرها إلى الإمام، وهم الأئمة المستوفون لشرط الخلافة باعتبارهم قرشيين من آل البيت النبوي. وقد اختلفت مواقف الأسكيين المتعاقبين على الحكم من قضية الخلافة السعدية وما يرتبط بها من استغلال المالح، إلى أن جاء أحمد المنصور فجعل منها إحدى ركائز سياسته الخارجية، لكن مرونة الأسكيا داود (955-990 / 1548-1582) جعلت أحمد المنصور يكتفي بليونة موقف هذا الأخير

وتنازله عن خراج المالح. ولما ولي الحكم إسحاق الثاني سنة 994 / 1586، غيّر سياسة أبيه تجاه المغرب وأبدى استخفافا برسائل المنصور التي تطالبه بالاعتراف به كخليفة للمسلمين وتسليم المالح له. وكان رد إسحاق السيء سبب قيام أحمد المنصور بتجهيز حملة كبرى للسودان بقيادة جؤذر باشا، انتهت باستيلاء جيش السعديين على مملكة سنغاي عام 999 / 1591. وبذلك أصبحت رقعة نفوذ الدولة السعدية تمتد جنوبا إلى ما وراء نهر النيجر، وتصل شرقا إلى بلاد النوبة المتاخمة لصعيد مصر.

لم يُغفل أحمد المنصور، منذ البداية، مسألة السكّر عاملا على توسيع المزارع التي لم تعد قاصرة على سوس وإنما أصبحت تنتشر في بلاد حاحا وشيشاوة القريبة من مراكش، وتطوير مصانع التصفية وتجهيزها بأحدث الآلات بحيث أصبح السكر المغربي مرغوبا فيه من مختلف البلاد الإفريقية والأوربية، خاصة أنكلترا التي كادت تستورد منه كميات وافرة. نتج عن نفاذ سوق السكر نشاط تجاري داخلي وخارجي، وغدت السفن الأوربية تتردد بكثرة على الموانيء المغربية، لا سيما ميناء أسفي وأگدير، تحمل البضائع الأوربية والذخيرة الحربية، وتأخذ بالإضافة إلى السكر، منتجات نباتية وحيوانية ومعدنية، مثلما كانت القوافل التجارية عبر الصحراء لا تنقطع جالبة إلى المغرب أحمال التبر. وبذلك كثر المعدن الثمين "حتى كان المنصور لا يعطي في الرواتب إلا النضار الصافي، والدينار الوافي، وكانت بباب - دار السكة - كل يوم أربع عشرة مائة مطرقة تضرب الدينار، دون ما هو معدود لغير ذلك من صوغ الأقراط والحلي ... ولأجل ذلك لقِّب بالذهبي لفيضان الذهب في زمانه (*نزهة*، 86).

وقد وظف أحمد المنصور قسطا من وفر بيت المال في تشييد منشآت عمرانية دينية وعلمية واقتصادية وعسكرية في مختلف أنحاء البلاد، مثل جناح الخصة بصحن القرويين والخزانة العلمية بقبلته، والحصنين أو البستيونين خارج باب عجيسة وباب الفتوح، والحصنين بالعرائش، ومصانع السكر بحاحا وشوشاوة. على أن أعظم منشأة عمرانية للمنصور هو قصر البديع بمراكش الذي لم يُبن قبله مثله في هذه البلاد. وهو وإن هُدم فقد بقي وصفه مفصلا فيما كتبه الفشتالي والإفراني في تاريخيهما حتى لكأن المرء ينظر إلى قبابه وفرشه وأبهائه وبساتينه.

نتج عن نجاح سياسة أحمد المنصور، والسمعة التي اكتسبها منذ الانتصار الباهر في معركة وادي المخازن، أن سعت بعض الدول الأوربية إلى ربط علاقات ودية معه مثل انجلترا وفرنسا وهولاندا. وتمتّنت العلاقات أكثر بين أحمد المنصور وإليزابيت الأولى التي رغبت في التعاون معه على احتلال الهند على أن يتولى المغرب تموين الحملة بالمال، وانكلترا بالأسطول والرجال.

وبالرغم عن كل محاسن المنصور فقد أخذت عليه أمور عديدة، منها : تشدده في الجبايات والمغارم على عامة الناس وخاصتهم في الحواضر والبوادي حتى كانت الأعشار العينية التي تؤخذ من الفلاحين تفوق بكثير مقادير الزكاة الشرعية، ولو أنه تظاهر بإسقاط النائبة التي فرضها أبوه وجده بسيطة في البداية وتضخمت بمرور الزمان. ومنها قسوته البالغة في عقاب المخلين بالأمن والمشاغبين على الدولة، وقصة استنكار علماء فاس ما شاهدوه في طريقهم إليه من أسراب السجناء المصفدين وبينهم امرأة أخذها الطلق فوضعت حملها دون أن تفك عنها الأغلال. ومنها عدم توقفه في الدماء إلى غير ذلك من مظاهر البطش والجبروت.

ومع ذلك فإن أحمد المنصور الذهبي يعدُّ أحد ملوك المغرب العظام، عمل كثيرا وكان يطمح إلى أن يعمل أكثر لولا أن باغتته المنية بفاس مطعونا وهو في حركة تهدئة ليلة الاثنين 16 ربيع الأول عام 1012 / 24 غشت 1603. ودفن بإزاء مقصورة الجامع الأعظم بفاس الجديد، ثم نقل إلى مراكش ودفن في قبور الأشراف قبلي جامع المنصور بالقصبة.

أ. المنصور نفسه، *الفهرس* ؛ أ. المنجور، *الفهرس* ؛ إ. الحساني الجزولي، *ديوان قبائل سوس*، تقديم وتحقيق عمر أفا. الدار البيضاء، 1988 ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ أ. ابن القاضي، جذوة ؛ *درة الحجال* ؛ *لقط الفرائد* ؛ *المنتقى المقصور*، تحقيق محمد رزوق، الرباط ؛ ش. الخفاجي، *خبايا* ؛ م. المحبي، *خلاصة* ؛ ع. ابن معصوم، *سلافة*؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية التاگمادرتية*؛ م. الناصري، *الرياحين* ؛ م. القادري، *الإكليل* ؛ *نشر*؛ م. الأزهري، *اليواقيت* ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج 3 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 6 ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، ج.1 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج. 2 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*.

G. Deverdun, *Marrakech* ; E. Levi - Provençal, *Les historiens des Chorfa* ; H. de Castries, S.I.H.M, 1ère série.

محمد حجي

**أحمد بن موسى**، عرف باسم **ابَّاحْماد**، هو ابن الصدر الأعظم في عهد السلطان مولاي الحسن موسى بن أحمد، حفيد أحمد بن مبارك الوصيف البخاري الذي بلغ شأوا عظيما في أيام السلطان المولى سليمان حيث كان حاجبه ووزيره. أما أحمد بن موسى فقد ولد عام 1257 / 1841. ونال حظا من العلم بالأخذ على بعض علماء القرويين، وهيأه ذكاؤه لمناصب الوزارة والحجابة في العهدين الحسني والعزيزي حتى عُدَّ وجْهاً قليل النظير من بين خدام السلاطين ورجال الدولة المغربية في المدة السابقة لعهد الاستعمار.

كان أحمد بن موسى سليل عائلة مخزنية ترجع أوائل بروزها في خدمة السلاطين إلى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وكان والده موسى حاجبا لدى السلطان محمد بن عبد الرحمان ثم وزيرا صدرا في أوائل مولاي عهد الحسن إلى أن توفي بتاريخ 1296 / 1879 ولم يخلفه ابنه أحمد في هذا المنصب الخطير لأن السلطان مولاي الحسن

قرّب أبناء أسرة مخزنية عريقة أخرى هي أسرة الجامعي التي كانت لها صلة قرابة معه. بالرغم من كون المجال ضيقا أمام أحمد بن موسى لتوسيع نفوذه في سياق توازنات في صفوف المخزن كان يراقبها السلطان ويرعاها بشخصيته القوية، فإن هذا الحاجب قد وطد أسس النفوذ الذي صار له فيما بعد، وذلك بالتدخل في كثير من شئون التسييرالمتعلقة بالعمال والسياسة الداخلية.

وليس هنالك شك في أن أحمد بن موسى قد حقق اعترافا من لدن الجميع بمكانته، فتأتى له عند وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1312 / 1894 بتادلا وهو في الطريق بين مراكش والرباط، أن يأخذ بزمام الأمور لضمان سير المحلة حتى الرباط حيث دفن السلطان، وأن يقوم في ذلك الظرف الداخلي والدولي الحرج بأخذ البيعة للسلطان الجديد مولاي عبد العزيز الذي لم تكن سنه تتعدى اثنتى عشرة سنة. وقد كان أحمد بن موسى وهو حاجب للمولى الحسن، مسؤولا عن تربية الأمير مولاي عبد العزيز، وهذه السابقة، إضافة إلى سن السلطان وجملة أخرى من الظروف أتاحت لهذا الحاجب أن يزيد من نفوذه حتى صار كل تدبير خطير مقترنا باسمه ونعت من قبل عدد من معاصريه المؤرخين "بالحاجب المستبد". غير أنه قد هيأ لذلك الاستحواذ على السلطة باسم السلطان ظروفه حيث قرب عددا من الوزراء وقواد العساكر واستمالهم.

وقد كان من الطبيعي أن يتضايق منافسوه الجامعيون ولاسيما الوزير الأعظم لدى مولاي الحسن، المعطي الجامعي وأخوه محمد الصغير وزير الحرب، من هذه المكانة الجديدة لأحمد بن موسى، ويظهر أن أولاد الجامعي لم يظهروا الحماس لبيعة السلطان الجديد، وحتى لو لم تكن هذه التهمة سوى تلفيق من ابا حماد ضد الجامعيين فإن الصراع كان على أشده خفية بين هؤلاء وبين الحاجب ، وكان من نقط الخلاف بين الجانبين قضية العاصمة. فكان الجامعيون يميلون إلى فاس حيث توجدُ عصبيتهم من جيش اشراگة. وكان أحمد بن موسى يقترح أن تكون العاصمة في مكناس حيث توجد عصبيته من جيش البخاري. وقد انتهى الصراع لصالح الحاجب حيث وقع القبض على المعطي الجامعي وأخيه وبعض أفراد عائلتهم ووقعت مصادرة أملاكهم، فخلا الجو للحاجب وصار في منصب الوزير الصدر الذي إليه الرجوع في جميع شئون الدولة بأمر السلطان.

كان مّما بادر إليه أحمد بن موسى بعد التخلص من منافسيه ، تطهير المناصب المخزنية من أذنابهم ، وتنصيب أهله وأنصاره في مراكز السلطة، ومن ذلك تولية أخيه سعيد في وزارة الحرب وأخيه إدريس في الحجابة وابن عمه المختار بن عبد الله كاتبا له في الصدارة. وقد أبقى على المفضل غريط في وزارة الخارجية، ولكنه استبد دونه بالنظر في شئونها بالتعامل مباشرة مع النائب السلطاني لدى نواب الأجناس وهو محمد الطريس، ولم يكن يستشير في دعاوي الأجانب سوى صديقه الحميم عبد السلام التازي الذي كان وزيراً للمالية. وفي سياق هذا التدجين السياسي والسلوك الاستبدادي قام الصدر بعزل عدد من الموظفين واستبدل بهم آخرين يتصفون بما ينبغي من الطاعة والخنوع، ومن ذلك عزله عامل فاس وتعويضه بإدريس بن العلام الذي احتفظ أيضا بمنصبه كقائد للمشور. وقد حرص على كسب رضى الخاصّة من الشرفاء والعلماء بفاس خلافا لما كان عليه سلفه في الصدارة. وفي رسالة من سفير بطنجة إلى وزارة الخارجية الفرنسية مؤرخة بـ1894/10/29 ما يفيد أن "التجار بفاس وسائر السكان الذين لهم علاقة مع الأوربيين يزكون فريق الوزير بّا حماد ويثقون في تزايد مصداقيته لدى الرأي العام" (أوردتها ومرجعها مادني، 39) ولاشك أن هؤلاء كانوا يرون في أحمد بن موسى الرجل القوي الذي كان قادرا على ضمان الاستقرار، ولكن ذلك التأييد لم يمنع ظهور علامات السخط في أوساط أخرى عوامل ترجع إلى عصبية أو إلى التعسفات التي بدأت تُرتكب في عهد الصدارة الجديدة، وكذا بسبب اعتبارات تتعلق بشخص اباحماد الذي كان في أصله من عبيد جيش البخاري والذي ترقت أسرته في السلم الاجتماعي بمؤهلات شخصية. وقد استطاع الوزير أبا حماد أن يقضي على تمرد قبيلة الرحامنة عام 1313 وتمرد الشاوية سنة 1315 واسترجع إقليم طرفاية من أطماع شركة أنجليزية، وحاول الوقوف في وجه الأطماع الفرنسية في قصور واحة توات سنة 1317.

ومما يثير تساؤلات المؤرخين أن يفاجيء الموت أخوي الوزير، وهما سعيد وزير الحرب وإدريس الحاجب في عام واحد سنة 1318 وأن يقضي هو نفسه بسكتة لم يفد فيها الطبيب في فاتح السنة الموالية. وكان السلطان قد شرع في مرحلة جديدة من تدبير الأمور بنفسه وإسناد تسيير الشئون لأشخاص لم يكونوا جميعهم من المرضيين عند أحمد بن موسى وأهله.

ومهما يكن اختلاف المؤرخين حول أوصاف هذا الوزير وحول تقدير دوره في الأحداث، فإنهم كادوا يجمعون على اعتبار عهد وزارته مع ما ميزها من الاستبداد عهد استمرار لهيبة السلطة المخزنية كما كانت في عهد السلطان مولاي الحسن، وقد انتقد على الخصوص لكونه أبعد عددا من الرجال عن دواليب المخزن وخلق فراغا انقضت بسببه عدد من قواعد المخزن بعد موته، لربما أفسد إلى حدمّا شؤون العمال وبالتالي الرعيَة، بابتزازه، حتى إن الناس ظلوا أجيالا بعده يضربون المثل بمال ابّا احماد كما يذكرون مال قارون، ومن الآثار على تلك الثورة التي تراكمت بين يديه وعند أسرته قصر "دارسي سعيد" بمراكش وهو من بناء أخيه وقصر "دار الباهية" الذي تملكه أحمد بن موسى، وقد صودرت فورموته تلك الأموال ما كان منها عقارا أو منقولا.

م. المشرفي ، *الحلل البهية* ؛ م. الحجوي ، *تقاييد تاريخية*. ج. 128 ؛ *تقييد تاريخي*. ج.254 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 : 393 وما بعدها ؛ ع. ابن إبراهيم ، *الإعلام* 2 : 443- 448. مينة مادني،

بحث *نهاية الاجازة* بكلية الآداب بالرباط سنة 1982 (فيه إشارة إلى الوثائق والمراجع الاجنبية).

M. Chapi, *quelques grandes familles du Makhzen.*

أحمد التوفيق

**أحمد الوطاسي**، رابع سلاطين الدولة الوطاسية التي كان مقر حكمها بفاس. خلف والده محمد الثاني الملقب بالبرتغالي وكانت بيعته في نهاية 932 / 1524.

مال أحمد الوطاسي إلى السلم في بداية حكمه، فعقد هدنة مع البرتغال بينما كان السعديون في حرب معهم بسواحل سوس والمناطق المجاورة لها. وكان قصده أن يتصدى للسعديين قبل استئناف الجهاد. وقد وصل هؤلاء في زحفهم إلى مراكش التي أصبحت من مناطق نفوذهم. وفي وقعة أنماي حيث زاوية الشيخ رحال الكوش بضواحي مراكش، انهزم أحمد الوطاسي وتدخل الفقهاء والصلحاء للتوفيق بينه وبين السلطان السعدي أحمد الأعرج، فتراضيا على أن يكون ما بين تادلا وحدود المغرب شرقا من نفوذ الوطاسيين، وما وراء ذلك جنوبا من نفوذ السعديين. ولم ينجح هذا التقسيم كما لم ينجح من قبل. ووقعت محاولة الصلح المذكور سنة 940. كانت هناك عدة جيوب خَارجة عن نفوذ الوطاسيين شمالا بما في ذلك الهبط الذي يحتله البرتغال، ومنطقة شفشاون بيد بني راشد التي تتمتع بحكم ذاتي قوي، ومنطقة تطوان بيد بني المنظري ذوي الأصل الأندلسي. لم يستقر السلم بين الوطاسيين والسعديين، وتواصل الزحف السعدي تجاه البرتغال والوطاسيين معًا، وأصبحت فاس مهددة، فاشتبك أنصار الوطاسي وأحمد الأعرج في معركة فاصلة عند مشرع بو عقبة على واد أم الربيع في صفر 943، وتكبد الوطاسيون خسائر بشرية ومادية كبيرة، واستولى السعديون على قصبة تادلا، وبذلك انتزعوا من خصومهم منطقة غنية بالمراعي والحقول، وبالتالي مورداً جبائيا ذا أهمية، فضلا عن التحكم في الطريق الداخلي بين مراكش وفاس. غير أن النزاع على السلطة بين أحمد الأعرج وأخيه محمد الشيخ شغل السعديين مدة عن الزحف النهائي على فاس، وأثناء ذلك عقد الوطاسيون حلفًا مع أحمد الأعرج. ثم أقصيَ أحمد الأعرج الذي وضعه محمد الشيخ رهن الاعتقال سنة 946 وأتيح للسلطان السعدي الجديد أن يطرد البرتغال نهائيا من حصن فونتي في السنة التالية ويلجئهم إلى الجلاء عن أسفي سنة 948 التي أخلوا فيها أزمور أيضاً. هذه الانتصارات السعدية ذات الأهمية القصوى جعلت أحمد الوطاسي يبحث في أقصى الشمال عن سند قوي، فتزوج في هذه السنة بالذات (948 / 1541) من الست الحرة حاكمة تطوان، لكسب عطف وتأييد القبائل الجبلية المحيطة بمنطقة تطوان وشفشاون الخاضعة لعائلة الست الحرة.

لم يستطع أحمد الوطاسي أن يستغل توقف مراكش عن بيعة السلطان السعدي محمد الشيخ منذ قبضه على أخيه حتى 951، لكي يجعل منها جبهة متقدمة باتجاه المراكز السعدية. وهكذا خضعت مراكش من جديد لبيعة العاهل السعدي الذي تريث في الانقضاض على فاس، وواجه جيش أحمد الوطاسي عند وادي درنة بتادلا سنة 952 حيث وقع في الأسر أبو زكرياء يحيى أخو العاهل الوطاسي، بل إن بعض الروايات تذكر أن الأسير كان أحمد الوطاسي نفسه وأنه لم يقع إطلاق سراحه إلا بعد تنازله عن مكناس. وبقطع النظر عن وجود اضطراب في تأريخ الأحداث قُبَيْلَ سقوط فاس، فإن الزحف على هذه المدينة واستيلاء السعديين عليها سنة 956 / 1549 أدى إلى القبض على أحمد الوطاسي وأسرته فحبسوا بمراكش حيث توفي أحمد الوطاسي سنة 960 تقريبًا. ونقل الناصري في *الاستقصا* رواية أخرى برتغالية تفيد أنه أعدم بدرعة.

كان أحمد الوطاسي يتعاطف مع الصلحاء، لكن انحياز الزاوية الجزولية إلى جانب السعديين كان أقوى من نفوذ أنصار العاهل الوطاسي الذي راح عددٌ من كبار الفقهاء ضحية لولائهم له.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 ؛ ع. ابن براهيم، *الإعلام*، 2 : 229 ؛ م. داود، تاريخ تطوان، 1 : 121 . 122.

H. De Castries, *Sources Inédites*, Portugal ; A. Cour, *La Dynastie marocaine des Banou Wattas* ; Ch - A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, 2 ; 220 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, 2 : 140 - 143.

إبراهيم حركات

**احْمَر**، قبيلة يخترق أرضها وادي تانسيفت، من مراكزها الشماعية واليوسفية. تجاورها من جهة الغرب قبيلة الشياظمة وقبيلة عبدة التي عاصمتها مدينة أسفي على المحيط الأطلسي، وتجاورها من الشمال أراضي عبدة ودكالة والرحامنة، ويجاورها من الشرق أولاد دليم والأوداية من قبائل گيش مراكش، أما من الجنوب فتحاديها أراضي أولاد بوسباع وتكنة. ينتسب إلى هذه القبيلة : حمري وحميري، وهذه الصيغة في بعض رسائل قائدهم ابن الضو.

أرض احمر ملتقى السهول الأطلنتية مع المرتفعات الداخلية، فهي سهل مرتفع يقطعه وادي تانسيفت، ولكنها من حيث الطابع العام، ولا سيما بمناخها، أشبه بسهل الحوز منها بالسهول الساحلية الغربية.

ينتسب سكان القبيلة العرب المستوطنون هذه الأرض إلى معقل الحميريين ولكن الاسم الخاص "احمر" غامض الأصل، وإن كانت روايات شفوية محلية تنسبه إلى حمري الذي يعتقد أنه "جد القبيلة". ويرى الجيولوجي Brives أن "احمر" من حمرة تربة ذلك البلد، وهو ادعاء غير مقنع لأن هذا اللون غير عام ولأن الغالب على الظن أنهم فرع من قبيلة كبرى حملوا اسمهم قبل الحلول بهذا الموطن.

ويغلب على الظن أن موطنهم الحالي كان محتلا منذ العهد الموحدي بقبيلة عربية معقلية تسمى عمرو، إلى أن ثار هؤلاء على السعديين فنقلوهم إلى جهة سلا ثم نقلوا احمر من سوس وأوطنوهم قرب بحيرة زيما حيث كونوا قبيلة

الزرارات، كما نقلوا أولاد عيسى من احمر هوارة بسوس إلى جوار احمر فكونوا الزرارات وأولاد يوسف. وقد دخل فيهم غيرهم ولا سيما من دكالة والسراغنة وزمران وسكتانة وهوارة وأيت إمور، إلخ.

ومن فرق احمر : الكرارمة والعوامر والفرجان. وقد حكمهم القائد العربي بن كروم في عهد مولاي سليمان، وبعد موته قسمت قيادتهم إلى نفوذ القائد عمر الشلح (ولد عيسى) والقائد محمد بن عبد السلام الصويبة من الزرات، وقد توفي الأول حوالي 1848 بينما توفي الثاني عام 1859. وقد سجن هذا الأخير بمكناس حيث مات وسجن ابنه مدة طويلة.

وقد عين قائد آخر على احمر هو هدي بن الضو فحكم اثنين وعشرين عاما. وقد كان هدي على طاعة المخزن، وهو الذي بعث برسالة بيعة إلى السلطان مولاي الحسن في عام 1290 هـ (*الوثائق*، 3 : 42 و 130). وحكم بعده ابنه وحفيده إلى نهاية عهد مولاي الحسن، وقصبة ابن الضو على الطريق قرب الشماعية. ومات عام 1880.

أما ابنه الجلالي بن هدي فهو الذي رافق السلطان مولاي الحسن إلى حركة تادلا عام 1883، كما شارك بفرسان احمر في حركات سوس وتافيلالت، وفي عهده كتب الحسين أو هاشم رئيس تازروالت إلى السلطان مولاي الحسن رسالة بتاريخ 1302/8/27 / 1885/6/11 يذكر فيها أنه أرسل من قبله من يجمع له على العادة في كل عام "الزيارات" التي يعطيها أهل قبيلة احمر إلى بيت آل سيدي احماد أوموسى، فمنعهم القائد الجيلالي ولد هدي مع العلم بأن تلك "الزيارة" قائمة من قديم. (M. Ennaji et P. Pascon, *Le Makhzen*, 87). وهذا الارتباط بين قبيلة احمر الحوزية وبين آل تازروالت يرجع على ما يبدو إلى تاريخ استيطانهم بهوارة بسوس حيث كانت لهؤلاء عادات مشابهة في تعظيم مرابطي تازروالت.

وبعد موت الجيلالي خلفه ابنه أحمد عام 1890، وكان يرافق السلطان في حركاته ويخلفه على القبيلة عمه الضو بن هدي فيضبط قبيلته ضبطا تاما. وكان القائد في موكب السلطان عندما توفي بتادلا فانتفض أهل احمر اقتداء بالعديد من القبائل وحاصروا قصبة ابن الضو، وكان أعتاهم الفطانس والخوالقة ورياحة والكرارمة، بينما حايد أولاد معاشو والمصابيح. فهدموا القصبة وسلبوا من متاع القائد كثيرا، وقد عينت كل فرقة قائدا منها عليها، بينما رجع الجيلالي إلى أسفي. وكان الحمري بن العربي بن كروم ممن حاولوا الثأر من آل ابن الضو حيث جمع نصف الزرارات تحت قيادته ولكن الوزير ابّا احماد سجنه عام 1897. ولم تنجح محاولتان أخريان لكل من المحجوب الشرادي والعربي بن القاضي، إذ دبر قتلهما مسعود بن العربي بن حماد بإيعاز من القائد عيسى بن عمر العبدي.

أما النصف الثاني من الزرارات بمن فيهم أولاد معاشو فحكمهم علال بن ابّا إلى أن مات عام 1900 وخلفه ولده.

أما الحاج علي بن التهامي قائد الفرجان فقد حكم فرقته إلى عام 1896. وتعاقب بعده على الحكم من موت ابّا احماد إلى تولية السلطان مولاي حفيظ كل من قاسم بن محمد بلقاضي ومسعود بن العربي وأحمد بن علال بن ابّا وقدور الخولاقي، وقد شارك أهل احمر في حرب بوحمارة تحت قيادة بلقاضي.

ولكن عيسى بن عمر قائد عبدة استطاع توسيع نفوذه إلى احمر حيث ساعد بعض الموالين له ثم أبعدهم وولى على احمر ثلاثة من أبنائه هم بوبكر علي الزرات الجنوبيين والمختار على الزرات الشماليين وعبد الوهاب علي أولاد عيسى. وكان الهدوء قد ساد في القبيلة بعد أن شارك أربعمائة من فرسانها في حركة الهيبة.

ولم يقع أي حادث عندما مرت بقبيلة احمر عساكر الكولونيل بلتيي Peletier، بل ان مستنفرين منها شاركوا في حملة الگيلولي وأنفلوس على أگادير.

وبعد تنحية عيسى بن عمر العبدي عام 1913 تولى على الرحامنة ثلاثة قواد هم عبد الرحمان بن محمد بن السليماني على الزرات وخليفة بن عتي على الزرارات، وإبراهيم ولد الحمري على أولاد يوسف.

وابتداء من فاتح يناير 1914 أصبحت احمر تابعة لناحية مراكش بعد أن كانت تابعة لأسفي. وفي أواخر 1919 أنشئ مكتب الاستعلامات بالشماعية، وكان به De Trebon الذي أنجز مونوغرافية حول قبيلة احمر.

وقد عرف وجود الفوسفاط باليوسفية منذ 1919 وحدد مكان الاستغلال عام 1929 وشرع فيه عام 1932، وفي هذا التاريخ صارت احمر تابعة لدائرة شيشاوة.

وكان قاسم بلقاضي قد توفي عام 1919 وصارت الزرارات تحت حكم العربي بلكوش وتلقى ظهيرا بذلك في 1920/6/6.

أما قائد الزرارات خليفة بن عتي فقد سرح عام 1915 وخلفه أحمد بن علال بن ابّا. وفي عام 1924 خلفه شيخ أولاد بوعزيز وهو أحمد بن التهامي إلى غاية 1938.

وقد كان سكان احمر في إحصاء عام 1936 حوالي ثمانين ألف نسمة، ولكن الوفيات الناجمة عن أوبئة عام 1937 وكذا الهجرة الناتجة عن الأزمة الفلاحية جعلت العدد ينقص بحوالي عشرين ألف نسمة، وإن كان الإحصاء المتعلق بتوزيع المواد المقننة إبان الحرب يجعل العدد أكثر من تسعين ألف.

وفي إحصاء لأتباع الطرق عام 1938 تبين أن الناصريين أكثر عددا 752، ثم يأتي بعدهم التجانيون 442، ثم الكتانيون 440، ثم القادريون 350 ثم الدرقاويون 132.

A. Hardy, *Monographie de l'annexe de contrôle civil de Chemaia*. Document du C.H.E.A.M. n 435.

أحمد التوفيق

**ابن الأحمر**، أسرة تطوانية يقول عنها الفقيه الرهوني إن أصلها من ناحية جبالة وإنها انقرضت سنة

1774/1188، ثم يضيف أنه لا يبعد أن تكون من بقية بني الأحمر النصريين آخر ملوك الأندلس بغرناطة، حيث يؤكد كاخيگاس أن بعض أفراد أسرة بني الأحمر انتقلوا من غرناطة إلى شمال المغرب واستقروا بقبيلة بني يدّر الجبلية، ومنها انتقلوا إلى تطوان حيث كان يوجد بها سنة 1931 م تاجر له دكان بزنقة النياريين. وقد اجرى كاخيگاس معه استجوابا وأطلعه على بعض الوثائق التي تثبت انتماءه إلى الأسرة المالكة بغرناطة.

وعلى كل حال فنحن نعلم بوجود فقيهين من هذه الأسرة بتطوان في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، هما :

**ابن الأحمر، محمد بن إبراهيم**، كان يتعاطى خطة العدالة من عام 1157 / 1743 إلى عام 1175 / 1761.

**ابن الأحمر، محمد بن محمد**، كان هو الآخر منتصبًا للشهادة مع العدول عام 1188 / 1774.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 19؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ *تاريخ تطوان*، 2 : 297 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de tetuàn*. Isidro de las Cagigas, *Familias Tetuanies de abolengo. Vademecum de Intervenciones* (año 1931) (B). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanõl* (I).

محمد ابن عزوز حكيم

**ابن الأحمر**، أسرة فاسية هاجرت من الأندلس في أوائل القرن الثامن الهجري. وبنو الأحمر خزرجيون من ذرية الصحابي سعد بن عبادة، استوطنوا الأندلس منذ العهد الأول للفتح الاسلامي. وفي فترة الفراغ السياسي التي أعقبت انهزام الموحدين في وقعة العقاب (609 / 1212) ظهر من بين الزعماء المحليين المتطلعين للحكم محمد بن يوسف (الأحمر) بن نصر الخزرجي، فملك غرناطة سنة 635 / 1238 واستمر حكم دولة بني الأحمر النصرية إلى نهاية دولة الإسلام بالأندلس سنة 897 / 1492. وقد حكم من بني الأحمر فرعان الأول أبناء مؤسس الدولة عبد الله محمد بن يوسف الملقب بالغالب بالله ملك غرناطة، والثاني أبناء أخيه إسماعيل بن يوسف أمير مالقة الملقب بالرئيس.

حدث انقسام في الفرع الثاني لبني الأحمر منذ أن استلموا مقاليد الأمور على يد إسماعيل بن فرج بن الرئيس إسماعيل أمير مالقة، وكان من أول الثائرين عليه أخوه محمد بن فرج الملقب بالقائم بأمر الله، لكن لم يتم له أمر، فأبعد إلى تلمسان، ثم عاد إلى الأندلس وبويع أميراً للمسلمين في حصن أندرش من عمل المرية ففشل أيضا وأبعد مرة أخرى إلى تلمسان، كما أبعد أبناؤه الأربعة يوسف وفرج ومحمد وإسماعيل، وتفرقوا في برِّ العدوة، واستقر منهم يوسف في مدينة فاس بعد أن وفد على ملكها أبي سعيد عثمان المريني ( 710 ـ 731 / 1311 ـ 1331) واستمر فيها عقبه يتناسلون أجيالا. وتكررت هجرة الأمراء من بني الأحمر إلى فاس إلى أن انتهت بهجرة أبي عبد الله محمد بن علي آخر ملوك غرناطة بعد سقوطها. وقد أدرك أحمد المقري في أوائل القرن الحادي عشر / 17 حفدة هذا الملك بفاس يعيشون من الصدقات في فقر مذقع.

**ابن الأحمر، إسماعيل بن فرج** ابن الرئيس إسماعيل أمير مالقة. أديب شاعر عاش في فاس في الفترة التي كان فيها ابن عمه إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر آتي الترجمة، وقد ذكره في الباب الثالث المخصص لشعر ملوك بني الأحمر من *نثير الجمان* (ص 81) قائلا عنه :"طلع في سماء البلاغة نجما، وبرز في ميدان البلاغة ضيغماً شهما، وحاز من الفصاحة ما لم يحزه سواه، ومن الذكاء ما هو ألذ من الشهد في الأفواه، ومن الهمة ما يسمو أدناها فوق الشاهد، ومن الفكاهات ما يلتذ بسماعها الغائب والشاهد. ومع ذلك فهو بالأدب عارف، وعلى محبَّته عاكف..." وأورد له مقطعات شعرية، كما ذكره في الباب الثاني عشر ضمن شعراء فاس الذين وصفوا السيف الذي بصومعة جامع القرويين، لما اجتمعوا بهذا المسجد في شهر ربيع الآخر عام أربعة وستين وسبعمائة. فأنشد إسماعيل بن فرج :

وما السيفُ في رأس المنار لذلّةٍ ... بفاس ولكنْ أمْـرُهُ أيما أمر
رآها ابنُ إدريس مقرَّ خلافـــةٍ ... فجرَّدَهُ عزمـاً لأملاكها الغُرِّ

ولا يعرف تاريخ وفاة إسماعيل بن فرج، وربما كان ذلك في أواخر القرن الثامن /14.

إ. ابن الأحمر، *نثير الجمان*، بيروت 1976، 81-82، 455-456 ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، 49 (وقد خلط المعلّق في الهامش 120 فجعله إسماعيل بن يوسف!!) ؛ ع زمامة، *أبو الوليد ابن الأحمر*، 78-79.

**ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف** بن محمد القائم بأمر الله، أبو الوليد عالم أديب ومؤلف مكثر. لا يُعرف بالضبط لولادته تاريخ ولا مكان، وإنما يقدَّر أنه وُلد حوالي عام 725 / 1325، ونشأ بفاس آخذاً عن أعلامها أمثال : عبد الرحمان ابن رشد المعروف بابن الحفيد ( تـ بعد 767 / 1366) ومنديل ابن أجروم (تـ 772 / 1370). ومحمد بن أحمد الفشتالي قاضي فاس (تـ 777 / 1375) ومحمد بن سعيد الرعيني المعروف بالسراج (تـ 778 / 1376) وأبي القاسم بن رضوان (تـ 783 / 1380) ؛ كما أخذ عن الرحالة محمد ابن بطوطة الطنجي (تـ 779 / 1377) حيث وفد على أبي عنان بفاس وأملى رحلته على محمد بن جزي. ويبلغ عدد شيوخ ابن الأحمر أربعة وثلاثين (زمامة، 116-126).

نال إسماعيل بن الأحمر تكويناً متينا في مختلف مجالات المعرفة اللغوية والشرعية، فكان مفسراً محدثاً فقيهاً نحوياً مؤرخاً نسابة إلا أن الطابع الذي ميزه هو الأدب، فعُرف بنثره الفني وشعره الرقيق. وعاش مقربا من السلطان أبي عنان المريني فبَنيه من بعده، ومن رجال البلاط وزراء وحجابا وكتابا، إلاَّ أن ذكريات المجد الغابر والحنين إلى موطن الأجداد في الأندلس والحرمان من ترف الإمارة وبذخها إضافة إلى اضطرابات أحوال المرينيين بعد

أبي عنان جعلت إسماعيل بنَ الأحر يعيش في قلق تُفصح عنه نفثات أقلامه وإن أخفاه لسانه وجنانه. وكان إسماعيل بن الأحمر معجباً بأدبه يعدُّ نفسه في مصافِّ أكابر شعراء العصر العباسي كما جاء في آخر إحدى قصائده :

تُقرُّ القوافي أنني (بُحتريُّها) وأني على رغم العدو (حبيبُها)

وقد وُفق إلى استعمال نثره ـ على تعقيده البلاغي ـ في كتب أرخ فيها للأدب المغربي ـ الأندلسي في القرن الثامن الهجري، مسهماً بذلك إسهاماً مفيداً إلى جانب معاصريْه المرموقين عبد الرحمان ابن خلدون ولسان الدين ابن الخطيب.

وجملة تآليفه ثلاثة عشر كتاباً تدور حول تاريخ دولة بني مرين ملوك فاس ودولة بني الأحمر النصريين ملوك غرناطة وتراجم أشهر شعراء وكُتاب هاتين الدولتين، مع التعريف بأشهر البيوتات وكبار الشيوخ المتصدرين للتدريس. ويلاحظ أن بعض عناوين هذه الكتب تتشابه حتى لا يكاد يفرق بينها أحيانا إلا إقحام كلمة أو كلمات أو استبدالها بأخرى، ذلك لأنه كان يعود ـ بعد سنين ـ إلى بعض مؤلفاته فيوسعها أو يضيف إليها مادة جديدة، تاركاً الكتاب القديم على حاله مقتبساً من عنوانه للمؤلَّف الجديد. بعض مؤلفات ابن الأحمر موجود، بل مدروس ومحقَّق ومطبوع أكثر من مرة، وبعضها لا يعرف إلا اسمه الذي ذكره المؤلف نفسه في كتبه أو بعضُ من ترجم له أو نقلوا عنه. فمن مؤلفاته الباقية :

ـ *نثير الجُمان في شعر مَن نظمني وإياه الزمان*، ألفه سنة 776 جامعاً فيه تراجم نيف وسبعين من شعراء الأندلس والمغرب، مع مقتطفات من نثرهم وشعرهم. وهو من أمهات كتب الأدب والتراجم الباقية من القرن الثامن إلى جانب *الإحاطة* و*الكتيبة الكامنة* وغيرهما من مؤلفات ابن الخطيب.

ـ *نثير فرائد الجُمان في نظم فحول الزمان*، ألفه سنة 799 مضيفاً إليه تراجم بعض المشارقة في فصل أول، مخصصاً الفصل الثاني لشعراء الأندلس في قسمه الأول، وشعراء المغرب في القسم الثاني. ومجموع تراجم الكتاب إحدى وثلاثون ترجمة. منها ترجمة شخصية للمؤلف.

ـ *مستودع العلاَمة ومستبدع العلاَّمة*، عرَّف فيه بالعلاَمة التي هي "الإشارة في الكتب كالشهادة الشرعية" تؤكد الصحة وتنفي التزوير والتزييف، وتحدَّث عن المتولِّين لهذه العلامَة الملقبين بأصحاب القلم الأعلى، مع الإتيان بنماذج من هذه العلامات.

ـ *روضة النسرين في أخبار بني عبد الواد وبني مرين*. مجَّد فيها وُلاة نعمته ملوك بني مرين ونال من خصومهم العبدلواديين ملوك تلمسان، ورفعه إلى السلطان أبي سعيد الأصغر عثمان بن أحمد الذي تسنَّم العرش سنة 800. وهذا الكتاب المنشور أكثر من مرة يعد إلحاقاً لكتابين آخرين لابن الأحمر، أولهما :

ـ *النفحة النسرينية واللَّمحة المرينية*، وهي منظومة من بحر الرجز في 112 بيتاً مع شرحها، عارض بها *نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك* لعبد العزيز الملزوزي وقدمها للسلطان أحمد بن أبي سالم المريني الذي ولي الملك للمرة الثانية سنة 789 / 1387 ؛ والثاني *رقم الحلل في نظم الدول* لابن الخطيب.

ـ *حديقة النسرين في أخبار بني مرين*، ويعد اليوم في حكم المفقود.

ـ *بيوتات فاس*، وهو كتاب جمع فيه ابن الأحمر طائفة من الأسر الشهيرة بفاس، وأضاف إليه مجهولون في فترات مختلفة أسراً أخرى أو أفراداً متأخرين من أُسر ذكرها ابن الأحمر. ثم جاء عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (ت 1096 / 1685) فاختصره وتصرف فيه بالحذف والإلحاق فعُرف الكتاب حينئذ *ببيوتات فاس الكبرى*، وطبع مراراً.

ـ *شرح بردة البوصيري*، توجد منه مخطوطة ناقصة بالخزانة الحمزاوية في الأطلس المتوسط. وقد اختصره تلميذه عبد الرحمان الجادري الفاسي، وأثبت في الاختصار معلومات مفيدة عن مشيخة أبي الوليد ابن الأحمر.

أما مؤلفات إسماعيل الأخرى التي لم نعد نعرف غير أسمائها فهي :

ـ *فهرس* يعد من أهم مصادر أحمد باب السوداني في *نيل الابتهاج*.

ـ *تأنيس النفوس في تكميل نَقْط العروس*، ذيَّل به كتاب ابن حزم الشهير.

ـ *عرائس الأمراء ونفائس الوزراء*.

ـ *المنتخب من درر السلوك في شعراء الخلفاء الأربعة والملوك*.

ـ *فريد العصر في شعر بني نصر*.

كان إسماعيل بن الأحمر يسكن داراً معلومة في وسط مدينة فاس بعقبة المكودي قرب جامع الرصيف الحالي، وبها أدركته الوفاة عام 807 حسب رواية ابن القاضي وهو الصحيح ـ أو عام 810 حسب رواية أحمد باب السوداني، ولا يعرف مدفنه بالتحديد، ولذلك ذكره صاحب *السلوة* آخر الجزء الثالث ضمن من لا يُعرف لهم قبر معين في فاس.


إ. ابن الأحمر نفسه، *نثير فرائد الجمان*، بيروت 1967، 377-404 ؛ ل. ابن الخطيب، *اللمحة البدرية*، 24 ؛ ع. الجادري، *اختصار شرح البردة*، مخطوط ؛ أ. الونشريسي، *وفيات*، 136 ؛ أ. ابن القاضي *جذوة*، 69 ؛ *درة الحجال*، 1 : 213 ؛ *لقط الفرائد*، 234 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 99 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، الأجزاء 2 و 5 و 7 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، 238 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 :256 - 257 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 1 : 144 - 145 ؛ م. التطواني السلوي، *ابن الخطيب من خلال كتبه*، تطوان، 1954، 1 : 8، 2 : 119؛ م. رضوان الداية، *مقدمة نثير فرائد الجمان*، 61 - 203 ؛ ع. زمامة، *أبو الوليد ابن الأحمر*،الرباط، 1979.

**ابن الأحمر، أبو عبد الله بن أبي الحسن علي**، آخر الملوك النصريين بغرناطة. تولى العرش وهو ابن خمس وعشرين سنة بعد أن ثار على أبيه في وادي آش، ثم أسره النصارى ولم يطلقوا سراحه حتى تعهد بطاعة ملك قشتالة، فرجع إلى غرناطة وبقي يتقاسم الحكم مع عمه محمد الزغل صاحب مالقة، والحرب بينهما على أشدها، إلى أن تغلب عليهما معا الملكان الكاثوليكيان فرديناند وإيزابِّيلا. وفي ثاني يناير 1492 غادر أبو عبد الله غرناطة مع أهله محملا أمواله وأمتعته، وسلم مفاتيح قصر الحمراء إلى فرديناند متوجهاً إلى بلدة أندرش في منطقة البشرات القريبة من المرية. فلم يطق المقام بها وقرر الجواز إلى المغرب في السنة التالية 898 / 1493. نزل في مليلة المحتلة ثم سار إلى فاس واستقر بها في كنف ملكها محمد الشيخ الوطاسي بعد أن قدّم بين يديه رسالة اعتذار واستعطاف مطولة تشتمل على شعر ونثر من إنشاء كاتبه أبي عبد الله العربي العقيلي بعنوان : *الروض العاطر الأنفاس في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس* (نصها في نفح الطيب، 4 : 529 ـ 548).

شيد محمد ابن الأحمر في فاس قصورا على الطراز الأندلسي عاش فيها زهاء نصف قرن إلى أن وافته المنية. وتختلف المصادر في ظروف موته، إذ تقول الرواية العربية إنه مات حتف أنفه بفاس عام 940 / 1533، ودفن بإزاء المصلى خارج باب الشريعة. وتذكر روايات أخرى أنه مات عام 943 / 1536 في معركة مشرع بوعقبة الشهيرة التي جرت بين الوطاسيين والسعديين. وقد خلّف ولدين أحمد ويوسف بقي عقبهما بفاس أجيالا عديدة.

وتوجد في بعض متاحف إسبانيا صورة لأبي عبد الله ابن الأحمر بوجه وسيم وزي جميل، وثوبان مدرعان له يبدو من حجمهما أنه كان قوي البنية.

أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد*، 272-273 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض؛ نفح الطيب*، 4 : 528 - 548 ؛ مارمول، *افريقيا*، 1 : 458 - 459 ؛ د. دي طوريس، *تاريخ الشرفاء*، 70 - 71 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 257 ؛ ع. عنان، *نهاية الأندلس*، 149 - 207.

E.I.

**ابن الأحمر، عبد الوهاب** بن التاودي الفاسي. صوفي صالح من أفراد الطائفة التجانية وممن لهم الشهرة فيها والذكر الحسن. ربما كان من آخر مَن ذكرته كتب التراجم من بني الأحمر الفاسيين. توفي عام 1270 / 53-1854 ودفن بالقباب خارج باب الفتوح.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 27 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

**ابن الأحمر، محمد بن يوسف** بن محمد القائم بأمر الله أخو الأديب المؤلف سابق الترجمة أبي الوليد إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر. كان محمد يكبُر أخاه إسماعيل بعشرين سنة، لذلك يظن أنه ولد بغرناطة حوالي 702 / 1305، وانتقل مع والده يوسف إلى فاس حين طُردوا من الأندلس على إثر محاولة الملك الفاشلة التي قام بها جده القائم بأمر الله.

كان محمد بن يوسف أديباً شاعراً ناثراً، موسيقياً حسن الخط خفيف الروح "ممن يُشار إليه في فك معميات الأدب، ويُلجأ إلي معين فطنته في كشف مغيّبات الطلب،... وإن خطب أنساك بلاغة سحبان، أو أنشأ فما العماد وبديع الزمان" (*نثير الجمان*، 83). يغلب الغزل على شعره، كقوله:

يا نـازحـاً ولعهـد الحبِّ قد نَقَضا   لا تستـحـلَّ حراماً رُمتـه غرضا
ناشدتُك اللهَ هل في العيـش منتفعٌ   يوماً اذا ما جفا المحبوبُ أو رفضا

وله ـ كأخيه إسماعيل ـ *شرح على بردة البوصيري*، إلا أنه لا يعرف مكان وجوده الآن.

توفي محمد بن يوسف ابن الأحمر بفاس بعد عام 776 / 1374.

إ. ابن الأحمر، *نثير الجمان*، 83 - 84 ؛ ع. الجادري، *اختصار شرح البردة*، مخطوط ؛ ع. زمامة، *أبو الوليد بن الأحمر*، 91.

**ابن الأحمر، يوسف بن إسماعيل** بن محمد القائم بأمر الله. وُلد بفاس في تاريخ غير محدد، وأمُّه أميرة من بني الأحمر النصريين، زَوَّج أبو عنان المريني أباه إسماعيل منها وأدّى صداقها إكراماً لهذه الأسرة النبيلة اللاجئة إلى فاس. لم يتحدث إسماعيل عن ابنه يوسف هذا إلا في *روضة النسرين* أثناء ترجمته لشيخه محمد بن عبد الرحمان المومناني الحسني حيث ذكر أنه لقيه بفاس وأخذ عنه وأجازه إجازة عامة، وأجاز معه ولده يوسف. ونقل ذلك ابن القاضي في *الجذوة*. الأمر الذي يدلّ على أن يوسف كان من طلبة العلم. ولا ندري إن كان أدرك ـ كأهله ـ شأواً في العلم والأدب، كما لا ندري تاريخ وفاته.

ا. ابن الأحمر، *روضة النسرين* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 180 ؛ ع. زمامة، *أبو الوليد ابن الأحمر*، 91-92.

محمد حجي

**الأحمر بن منصور**، مجاهد صلب، ضد الاحتلال الفرنسي للشاوية. وهو من أعيان قبيلة المذاكرة وأولاد علي، إذ ينتمي إلى فرقة الأحلاف، وهي واحدة من الفرق الثلاث التي تتكون منها قبيلة المذاكرة : أولاد صباح والأحْلاف و مَلِّيلة. وتقع مواطن الأحلاف وملِّيلة بغابة المذاكرة، فهم مجاورون لأولاد محمد والأعشاش.

لانعرف شيئًا عن نشأة الأحمر وطفولته، لكننا نرجح أنه ولد حوالي 1850، إذ نعرف أن وفاته كانت في الثلاثينات من هذا القرن وعمره يناهز الثمانين سنة.

ويغلب على الظن، أن تربية الرجل لمْ تشذ عن التربية التي كان يتلقاها أبناء الشاوية خاصة والقبائل المغربية عامة؛ من التدريب على ركوب الخيل، وحمل السلاح، منذ حدِّ الصِّيام.

وتشير الأخبار إلى أن الأحمر، كان ينتمي لأسرة اشتهر أفرادها بالبسالة وهي صفة تأكدت خلال جهاد الرجل ـ كما

سنري - فهو ابن خالة المسمى مسعود، الذي خلدت الذاكرة الشعبية شجاعته بهذا القول : «قَبْرك آمسعود في الغابة أحسن من عشرة هرّابة». أي أن وجود قبر مسعود بالغابة شاهد على بسالة صاحبه، الذي ثبت لأعدائه في الوقت الذي هرب فيه الآخرون.

كان الأحمر بن منصور، زعيمًا من زعماء قبيلته، بل كان أكثر الزعماء نفوذاً وتأثيراً. قبل الاحتلال الفرنسي وخلال المقاومة. فخلال انتفاضة الشاوية بين 1903 و1907 كان من أصحاب الرأي الذين تلتجئ الجماعة لحكمهم خلال الخصومات. وعلى الرغم من زعامته ويُسْر حاله، فقد ظل يقطن الخيمة، التي أحاطها بسور، ويوجد هذا السور إلى الجنوب الشرقي من مدينة الگارة اليوم.

أما خلال مقاومة الاحتلال، فقد برز الأحمر كزعيم ومقدم لقبيلته. فهو كان ينتمي، كمعظم زعماء فرق الشاوية لطائفة الرماة. وكانت طائفة الرماة التي ترتبط بالدين وبالجهاد في سبيل الله، طائفة دينية وسياسية وعسكرية ووطنية، ولذلك كان لجماعة الرُمَى (الرماة) دور خطير في حياة القبيلة، وكان مقدم الرْمَى، من الشخصيات التي تتصف بالزعامة والرجولة والشجاعة والإيثار والتواضع. وقد كان الأحمر يتصف بهذه الصفات، له خمسة عشر خَمّاسًا يساعدونه على فلاحة أرضه، ويعتبر نفسه واحداً منهم يجالسهم ويؤاكلهم ويشاركهم الرأي، (بشهادة أحد خماسته المسن محمد ولد بنصالح التادلاوي الذي لقيناه بالگارة سنة 1983 وكانت سنه تناهز 115 سنة).

برزت مؤهلات الأحمر كقائد حربي وزعيم شعبي، خلال جهاد الشاوية ضد الاحتلال الفرنسي. إذ ظل يقود مقاومة المذاكرة وأولاد علي، مع زعماء آخرين مثل الحاج العربي ولد المذكورية، منذ معركة الدارالبيضاء في غشت 1907، إلى احتلال غابة المذاكرة في صيف 1908.

كان الأحمر يحمل علم القبيلة أو لواءها خلال المعارك، ولذلك قالوا فيه : (الأحْمَر بن منصُورْ، أعْلاَمو كَاسي عَوْدُو). ويتقدم الصفوف، ويخطط مع قواد آخرين لكيفية مواجهة العدو في كل معركة. وإن كان الغالب على تعبئة مجاهدي الشاوية، هو البحث باستمرار عن الالتحام بالعدو وقد صرّح الأحمر يوما للحاج أحمد گنوني المذكوري بقوله : «كنا نسوگ (نهجم) للفرنسيين حتى نختلط بهم، فيموت من يموت منهم ومنا».

وأهم المعارك التي شارك فيها الأحمر، مع قبيلته، معركة سطات الأولى في 15 يناير 1908 ومعركة سيدي عبدالكريم (أو معركة السِّدْرَة) على حدود المذاكرة بأولاد زيان، يوم 18 فبراير. وقد برز خاصة في معركة فخفاخة، التي وقعت يوم 29 فبراير بهضبة فخفاخة، وتسمى هذه المعركة "معركة السور" نسبة إلى قصبة الحاج المكي، وهي قصبة متهدمة. ففي هذه المعركة أبان فرسان الشاوية عن مهارة فائقة، في استدراج خيالة العدو، التي حصدتها نيران المشاة والفرسان الكامنين. وقد كبد زعماء المغاربة ومنهم الأحمر بن منصور الجنرال داماد خسائر فادحة في هذه المعركة، واضطر للتراجع دون أن يحقق هدفه في سحق المذاكرة كما خطط لذلك قبل المعركة. وتشير الرواية المحلية، إلى أنه لولا جرح الأحمر، الذي كان يحمل لواء القبيلة في تلك المعركة لكانت خسائر الفرنسيين أفدح مما وقع. وقد قيل فيه بالمناسبة : (الأحمر بن منصور صَابْغوُ دخان التَّلْثي).

وقد أرخ الحاج أحمد گنوني المذكوري لجهاد المذاكرة بزعامة الأحمر بن منصور، فقال نظما :

وصمدت قبيلة المذاكـــــرة ... معلمة مثل النجوم الزاهرة

يقودها اللّيثُ الهَصُورُ الأحمرُ ... مُؤيد في حرْبه مُظفَّـــــرُ

وتجدر الإشارة إلى أن الأحمر بن منصور انضم لمولاي عبدالحفيظ منذ إعلان بيعته، وأصبح من جملة الزعماء التابعين له في الشاوية، وقد أرسل "سلطان الجهاد" فرقة من الجيش النظامي بقيادة عمر السكتاني، لمساعدة المذاكرة. وهكذا عمل السكتاني وبعض القواد المجاهدين، مثل موحا وحمو الزياني وموحا وسعيد الويراوي، والقائد التريعي الدكالي بجانب الأحمر بن منصور، لمواجهة جنرالات فرنسا بالمذاكرة.

وعندما قرر مولاي عبدالحفيظ، الانتقال من مشرع الشعير قرب الشاوية، إلى فاس، انسحب نتيجة لذلك القواد المذكورون. وتشير تقارير استخبارات الجيش الفرنسي إلى أن الأحمر بن منصور قام بعدة محاولات لإبقاء القواد المشار إليهم ببلاد المذاكرة والاستمرار في المقاومة. لكن السلطان نصح الجميع بمهادنة المحتلين، نظراً لتفوقهم وقرر حل المسألة بالمفاوضات مع الحكومة الفرنسية.

تشير الأخبار إلى أن الأحمر انتقل بدوره لفاس، بعد سيطرة المحتلين على أرض القبيلة. وبقي بجانب مولاي عبدالحفيظ إلى أن تم توقيع عقد الحماية، فانضم للمجاهدين بالأطلس المتوسط، وبعد مدة توسط له بعض أعيان أبي الجعد فعاد إلى بلاده.

وقد ظل الفرنسيون يراقبون بطل المذاكرة باستمرار، بيد أن ذلك لم يمنع سلطات الاحتلال بمركز الگارة (بوشرون Boucheron)، من تقديم الاحترام اللائق بالمجاهد المذكوري كلما زار المراقب في المركز. وهكذا كان حاكم المركز يخرج للقائه، ويقدم له التحية اللائقة به، إذ كان الأحمر لاينزل عن فرسه، وكان دائمًا يلبس جلابيتين وسلهامين أو أكثر حتى يدفئ جسمه الذي خرقه الرصاص (كانت بجسمه أكثر من 14 رصاصة حسب الرواية المحلية.) ويذكر أحد الذين كانوا يشاهدونه بالمركز، أن التلاميذ كانوا يتحلقون حوله لمشاهدته. وأنه كان رجلا ضخم الجثة مائلا إلى القصر، وأن صوته كان فخمًا جهوريًا.

وخلال حرب الريف، ازدادت المراقبة حول الأحمر بل وضع تحت الإقامة المحروسة خلال حركة عبد الكريم (1921 - 1926)، خوفًا من تزعمه للجهاد من جديد.

وعلى الرغم من كل ذلك، فلا نعرف بالضبط متى توفي بطل المذاكرة منسيًا، ولو أن الأخبار تشير إلى حوالي سنة 1930.

علال الخديمي، *حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية* (1907 - 1908)، د. د. ع.، كلية الآداب، الرباط 1985. *وثائق الحربية الفرنسية بفانسان* A. G. V ؛ استخبارات في عين المكان.
A.G.P. Martin, *Le Maroc et l'Europe*, Paris 1928 ; *Quatre siècles d'histoire marocaine* ; *Villes et Tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, Paris 1915.

علال الخديمي

**أيتْ إحَنْدْ** (إتْزَرْ) : قبيلة صنهاجية من مجموعة قبائل أيت مگليد المستوطنة بالأطلس المتوسط وناحية ملوية.

تقطن هذه القبيلة بمنطقة تتوسطها قرية إتْزَر من الأطلس المتوسط، ويعتمد اقتصادها على الرعي بطريقة الانتجاع إلى جانب زراعة ضعيفة أساسها الحبوب. تتكون قبيلة أيت إحند من فصول ثلاثة هي : أيت علي - أو - موسى وينضري ضمنها اثنا عشر فرعاً، أيت عثمان وتجمع ثمانية عشر فرعاً، أيت غَانْمْ - أو - يْشُو وأعظم فروعها أيت سعيد أو - حْدّو، أيت يعقوب - أو - يشُو وأكبر فروعها أيت نسْ.

ومما يثير الانتباه أن من بين فروع أيت عثمان فرعا يحمل اسم إدَبْدُبيْنْ الذي يوحي باسم دَبْدُو وهو الاسم الذي تحمله اليوم منطقة وقرية بشرق المغرب. ووجوده عالقا بهذا الفرع يوحي بصلة هذا الأخير بالمنطقة المذكورة، كما يبرز طبيعة تكوين القبائل الخاضعة في عمقها لمبدأ التعايش المصلحي أكثر منه لمسألة الأصل السلالي.

*Répertoire Alphabétique* ; L. Mezzine, *le Tafilalt*. p. 206.

عبد العزيز توري

زاوية **أحْنصال**، لفظ أحْنْصَالْ غامض المعنى، لا تستند إلى أساس ثابت الرواية المنقبية الشفوية المحلية التي تقول بأنه تحريف لأحْصَّالْ، بمعنى حصَّال، أي كثير الحفظ والتحصيل المشتقّ من فعل حَصَّل. وتزعم نفس الرواية أن اللفظ أطلق على سيدي أعمرو، كلقب ؛ لأنه "حصل القرآن - أي ختمه - في مدة سبعة أيام". ومن ثم اشتق اسم الزاوية من اسم مؤسسها الأول : أحنصال، دادا سعيد أو سعيد الكبير. ويجمع على إحْنْصالْن. وهو الاسم الذي ما يزال يطلق على أسرة المرابطين من سلالة الشيخ المؤسس، حتى الآن.

قدم هذا الشيخ، السوسي إلى الأطلس في بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، ونزل بموضع تَاغْيَانَايَتْ تَاگْلاَ ؛ على ضفة مجرى مائي دعي منذئذ أسيفْ نُوحْنْصَالْ.

تجعل الرواية الشفوية المحلية سعيد أحنصال تلميذا لأبي محمد صالح دفين أسْفي، وتقول إن نبوغ سعيد ظهر مبكرا، مما جعل شيخه يرهصه لمهمة صوفية كلفه للقيام بها بعدما استكمل تعليمه. (*Drague*, 163) ولعل هذا الأمر ليس غريبا، لما عرف عن هذا الشيخ من تحريض أتباعه على الرحلة والسياحة، إما من أجل أداء فريضة الحج، وإما لنشر العلم والصلاح في بعض جهات المغرب، (*المنهاج*، 1352). وفي هذا الإطار يمكن أن يندرج قدوم سيدي سعيد إلى المنطقة التي عرفت فيما بعد بزاوية أحنصال.

وتربط الرواية الشفوية بين قدومه، وبين نزوح قبائل صنهاجية - تدعوها أيت عطا - إلى المنطقة المجاورة للزاوية. تذكر المصادر أن صنهاجة الجنوب كانوا قد استأنفوا نزوحهم التقليدي نحو الشمال، خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري، لعدة أسباب أهمها :

- بداية تدهور الدولة الموحدية.
- ضغط قبائل بني معقل على المنطقة الجنوبية.
- عودة القبائل إلى أحلافها.(*الذخيرة*، 36 و122).

وفي نفس السياق يتحدث *كتاب الأنساب* عن أيت أونير، وهي إحدى فرق أيت عطا (*Drague*, 164) مما قد يفضي إلى تأكيد تزامن قدوم سيدي سعيد أحنصال مع التحركات القبلية الواسعة التي عرفتها جبال الأطلس. وهذا ما نجد صداه في الرواية الشفوية : لما قدم المرابط أحنصال إلى المنطقة، لاقى معارضة قوية من طرف أيت واستر - السكان الأصليين - فاستصرخ عليهم بأيت عطا، الذين أغاثوه ؛ وبعدما تحالف زعيمهم - دادا عْطَّا - معه عن طريق تَاضَا (الأخوة المصطنعة بالرضاع الجماعي)، قاموا بطرد أيت واستر ؛ الشيء الذي أسفر عنه حصول أيت عطا، منذئذ، على حق الانتجاع بالمنطقة، كما أصبحوا يترددون سنويا إلى الزاوية من أجل الزيارة (*Morsy*, 8). لا شك أن شيخ إحنصالن قد عمل، بعدما استقر بالمنطقة، على استقطاب أناس، لقنهم أوراد أبي محمد صالح، فأصبح له مريدون وأتباع، الأمر الذي قد يكون ساعد على ذيوع صيته، لا سيما وأن موقع زاويته يوجد في منطقة عبور القبائل المتنقلة، وتذكر الرواية الشفوية أن أحلافه بعد وفاته، قد استكانوا بزاويتهم. فلم يخلفوا أي صدى يذكر. لعل ذلك راجع إلى كون نفوذهم قد ظل محدودا ؛ حتى إن الرواية الشفوية تكاد تغفلهم، أما التاريخ فيجهلهم تماما(*Drague*, 168).

وفي فترة غير دقيقة، تجعلها الرواية الشفوية، زمن أحد حفدة سيدي سعيد الكبير، تنقسم إحْنْصالن إلى ثلاثة فروع، أهمها فرع سيدي علي أحنصال، الذي تبلورت، في عهده، العلاقات بين الزاوية وبين أيت عطا. هؤلاء الذين كانوا قد اندمجوا في نمط عيش التنقل المنتظم بين الصحراء وجبال الأطلس الكبير الأوسط وانخرطت فرق منهم في سلك زاوية أحنصال. تمتد هذه الفترة من القرن الثالث عشر الميلادي إلى القرن السادس عشر. ففي هذا القرن (10 / 16) كانت اتحادية أيت عطا قد تشكلت ككيان سوسيو - سياسي، أصبح يتحرك في مجال شاسع يمتد من حوالي الواحات الجنوبية إلى مشارف الأطلس المتوسط (*Tafilelt*, 276-277). ومما يسترعي الاهتمام أن تاريخ زاوية أحنصال

أضحى مرتبطا بتاريخ هذا الحلف، وبعلاقته مع القبائل الجبلية. وهذا أمر تؤكده المصادر التاريخية ,Tafilelt) (277. وخلال هذه الفترة تم ربط نسب إحنصالن بالمولى إدريس الأكبر، كما يبدو أن الزاوية أصبح لها نفوذ قوي بعدما استقطبت أتباعا من بين أيت عطا الأقوياء. فانشغلت أساسا، بالعمل على المحافظة على التوازنات بين مصالح السكان المستقرين والرحل,Morsy, 27 ; Drague ) (166. وبالرغم من ذلك فقد امتدت فترة طويلة، دامت ما ينيف على ثلاثة قرون، تميزت بأفول نجم زاوية أحنصال. لكن في غضون القرن الحادي عشر / السابع عشر، سطع، من جديد، أحد نجوم هذه الزاوية : أحنصال سعيد بن يوسف، الذي أصبح اسمه مرتبطا باسم أيت عطا، (*نشر*، 3: 144). كان هؤلاء قد اجتازوا ـ خلال نزوحهم ـ واد العبيد، وشرعت بعض فرقهم في الاستقرار هنالك ,Morsy) .27-28)

درس أبو عثمان سعيد أحنصال القرآن الكريم على فقيه من تسْليتْ، عند قدم جبل غنينْ (جنوبي بني ملال)، وبعدما ختَم القرآن، تقوى عزمه على طلب العلم ؛ فتوجه إلى شمال البلاد ؛ ومكث سبع سنين بالقصر الكبير. لم يكن هذا التوجه عفويا. إذ من المعلوم أن هذه المدينة كانت تابعة للزاوية الدلائية .فيما بين 1641 و1653 (*الزاوية الدلائية*، 158 و217) ؛ وما يزال بها مسجد يحمل اسم سيدي علي الحنصالي. بالإضافة إلى ذلك أخذ أبو عثمان أحنصال الورد عن الشيخ علي بن عبد الرحمان التَّمْجوتي، تلميذ الدلائيين (*مباحث الأنوار*، 187 ؛ *دوحة البستان*، 97). وتتأكد ملامح العلاقة بين الدلائيين وإحنصالن من خلال وثيقة من زاوية سيدي بويعقوب (أسولْ)، وهذه الوثيقة، وإن عنيت خاصة باتفاق وقع بين قبائل جبلية، فإنها تلمح إلى العلاقة المتينة بين الجانبين. فقد انبرم الاتفاق تحت إشراف علماء من زاوية الدلاء (الحسن اليوسي ومحمد المرابط الدلائي وأحمد المجاطي)، وحررت الوثيقة على أيدي أحنصاليين (يوسف أحنصال، وإسماعيل أحنصال) (*Tafilalt*, 144).

انتقل سعيد أحنصال من القصر الكبير، حيث ظهر عليه سمت الورع والتقوى، إلى فاس التي قضى فيها سبع سنوات أيضا، درس خلالها عليه ثلة من العلماء المشهورين. ومنها قام بزيارة لزاوية أخنوش بتافيلالت، حيث أقام بها سبع سنوات، وبعد ذلك توجه إلى المشرق لأداء مناسك الحج، فألم به مرض، فاضطر إلى المجاورة بالمدينة المنورة، ثلاث سنوات (*Drague*, 168).

وأثناء قفوله من الديار المقدسة، مكث مدة بمصر، فالتحق بالأزهر من أجل طلب العلم . وبمصر تلقن *المنظومة الدمياطية* المشهورة على يد الشيخ عيسى الجنيدي الدمياطي (*Morsy*, 6)، هذه المنظومة التي أصبحت، فيما بعد، وردا رئيسيا في طريقة إحنصالن. ولما زار ضريح أبي العباس المرسي بالاسكندرية تجلى له ـ في رؤيا ـ أربعون وليا، يتوسطهم الرسول (صلعم) ؛ فمنحوه السوط، إشارة إلى الإذن له، وأمروه بالعودة إلى المغرب.

ولما عاد إلى المغرب كان الحرمان وتعب السفر قد أنهكاه. فخارت قواه وفقد الذاكرة والحال الصوفي. الشيء الذي حفزه على استئناف الطلب والتلمذة على أيدي الاشياخ. وهكذا أخذ من الشيخ محمد ابن ناصر، بتمكروت، أولا، ثم أخذ بعد ذلك، عن أربعة عشر شيخا آخرين. وتوج طوافه بالانقطاع بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش مدة سنة كاملة. وأقام من جديد، بفاس، خلال سنتين، آخذا عن مشاهير الاشياخ، وبعد ذلك التحق بزاوية سيدي علي بن عبد الرحمان بتادلا، ومنه تلقن الورد، وعنه أخذ الإذن بالتلقين، كما سبقت الإشارة إلى ذلك وأمره بتأسيس زاوية خاصة به (*دوحة البستان*، 97 و159؛ *نشر*، 3 : 144).

أسس سعيد أحنصال زاويته الجديدة بأغْبَالُو ـ نَايْتْ ـ مْضْرِيفْ، على بعد حوالي ثمانية كلم غربي ووزَغْتْ. فعاش، كما يظهر، عيشة الزاهد الورع، تاركا أمور الشؤون الدنيوية لابنه يوسف (*Ahansala*, 6). الأمر الذي هيأ له الأسباب لتوسيع نفوذ زاويته في سهل تادلا ؛ كما يستفاد من رسالة مؤرخة في 1110 / 1698 ـ 99، وجهها السلطان مولاي إسماعيل إلى الباشا غازي بوحفرة، يخبره فيها بقدوم ابن أخي سعيد أحنصال إلى مكناس، طالبا لعمه المذكور موضعا لبناء زاوية بتادلا. ويوصيه بملاحظته والبرور به، وإمداده بالمعونة. (*مجموعة وثائق زاوية كرول*). وتنم هذه العلاقة بين الشيخ سعيد أحنصال، وبين المخزن على نوع من المصانعة، قد لا تكون استثناء في سياسة المولى إسماعيل، العامة، إزاء الزوايا...

توفي شيخ إحنصالن سنة 1114 / 1702، بعدما استطاع وضع لبنات طائفة صوفية لها تعاليمها وأتباعها. (*نشر*، 3: 144). وعلى الرغم من التضارب حول مكان وفاته، فمن الراجح أنه مدفون بزاوية أيت مضريف.

أحنصال، يوسف بن سعيد، تولى شؤون الزاوية، بعد وفاة أبيه، فكثر أتباع إحنصالن، من بين قبائل أيت عطا، الذين كانت بعض فرقهم قد استقرت نهائيا في منخفض ووزغت (*الدرة الجليلة*، 2 : 359 ـ 363). مما أدى إلى اطراد نفوذ هذه الطائفة، وجعل المخزن يعمل على استمالتها من أجل محاولة استعمالها، لا سيما أنه كان على علم بنفوذ إحنصالن على قبائل أيت عطا ؛ حيث كان من بين أهم مشاغله ألا ينزل تلك القبائل إلى السهول.

وقد اهتبل المخزن فرصة ورود بعض إحنصالن على السلطان بمكناس، سنة 1115 / 1702، ليذكرهم بواجبهم وواجب جميع المرابطين من أمثالهم نحو الإمارة، إذ يشير السلطان ـ في رسالته إلى ابنه أحمد الذهبي ـ إلى أن الخلافة التي عرفهم بحقها وواجبها عليهم هي مصدر البركة بالنسبة للمرابطين. وبعد سنتين يستجيب أحمد الذهبي لوساطة يوسف أحنصال لفرقة أيت أسعيد من أجل إطلاق

سراح بعض سجنائهم. (*مجموعة وثائق زاوية كرول*).

إلا أن التمادي في هذه الاتصالات جعل الزاوية تقحم، مباشرة، في الشؤون السياسية. بعد وفاة مولاي إسماعيل التجأ أحمد الذهبي إلى زاوية أحنصال، فارا من سطوة أخيه عبد الملك وحل ضيفا على رئيسها يوسف الذي أكرم وفادته وتنبأ له بالرجوع إلى الحكم. أي أنه أصبح له دور في الصراع الدائر حول السلطة، آنذاك ؛ لا سيما وأنه قام بزيارة لمكناس صحبة أحمد الذهبي، الشيء الذي يحمل على الاعتقاد أنه كان مناصراً له. (*نشر*، 3 : 301 ـ 302 ؛ *الاستقصا*، 7 : 120 ـ 168 ؛ Pellow, 166).

وفي عهد عبد الله بن إسماعيل يظهر أحنصال كزعيم لثورة، في منطقة تادلا، قاد خلالها عددا كبيرا من الاتباع:"فتوفرت له جيوش تقدر بحوالي مائتي ألف رجل ؛ كانوا يطيعونه طاعة عمياء... كأنهم سيل عارم..." (Pellow, 166). لعل قبائل أيت عطا، التي طالما انكبست بواسطة حصار مولاي إسماعيل، قد استأنفت نزوحها نحو السهول، ملتفة حول شيخ إحنصالن. وقد قام المولى عبد الله بحركة إلى منطقة وادي العبيد أثناء مطاردته لأيت إِمُورْ (*الزياني*، 37 ـ 38). لعل شرر غزوه لتلك المنطقة أصاب أيت عطا بدورهم، مما قد يجعلهم مهيئين للقيام برد الفعل.

ومهما يكن فقد تم الاصطدام بين الجيوش السلطانية، وبين الثوار، بمنطقة الدير ـ قريبا من الصومعة ـ فكانت هزيمة يوسف أحنصال وأتباعه منكرة. (*الدرة الجليلة*، 2 : 268 ـ 269 ؛ Pellow, 167) بل إن رئيس الزاوية نفسه وقع أسيرا لدى الجيش السلطاني، وأحضر إلى قصبة تادلا، حيث أعدم بمحضر السلطان. وظلت جثته بدون دفن حتى نهشت الكلاب أشلاءه. وقد أشار لهذا المشهد المعداني، على لسان محمد الصالح الشرقاوي، ساخرا :"ذيبْ غوتْ في الجبل واكله كلاب الوطا" وأضاف :"وكان منه ذلك إشارة لما وقع به يوم قتل بقصبة تادلا، وأكله بعض الكلاب، كما عاين ذلك من أخبر موته..." (*الروض اليانع*، 149). وعلق القادري على ذلك قائلا : وقد حكي لنا أنه قال له حين قتله : أردت أن لا أقتلك، لكن خفت أتركك فيقال إن جنونك (يعني خدامك من الجن) غلبوني..." لأن يوسف عرف بتعاطيه للسحر، حتى اعتقد أتباعه أن القذائف لا تنال من أجسامهم. كان ذلك سنة 1144 / 1732. (*نشر*، 3 : 354). على الرغم من أن السلطان حاول تنفيد اسطورة الرجل الذي لا يموت، لما قتل يوسف أحنصال، فقد ذهب سعيه سدى، لأن الاتباع مضوا على الاعتقاد أن شيخهم لم يمت، بل اختفى.

لعل زاوية أَغْبَالُو نايت مضريف قد اعتراها بعض الانكماش، بعد وفاة يوسف أحنصال، على عكس زاوية أَكَّدِّيمْ ؛ ربما بسبب بعدها مما جعلها تحافظ على أدوارها داخل القبائل. وفي هذه الفترة ظهرت بعض الانقسامات في طائفة إحنصالن، حيث تأسست زوايا جديدة تابعة لهم. منها زاوية تَمْكَهْ (على بعد حوالي عشرين كلم شمالي أَكَّدِّيمْ)، وزاوية أَسْكَرْ (على بعد حوالي أربع وثلاثين كلم شرقي ووزغت). بالإضافة إلى زاوية كَرْوَلْ (جنوبي دمنات)، التي كانت قد بلغت من ذيوع الصيت والشهرة، في تلك المنطقة، ما جعلها محط اهتمام المخزن منذ عهد أبي عثمان أحنصال (*مجموعة وثائق زاوية كرول*). وقد نتج عن هذه الانقسامات توسيع نفوذ إحنصالن بالمنطقة الجبلية، لأن كل زاوية عملت على توسيع منطقة نفوذها، واستقطاب الاتباع. وتدخلت للوساطة والتحكيم بين القبائل، وتزعمت إبرام العقود بين المستقرين والرحل، خاصة وأن المنطقة ضمن مجال انتجاع قطعان أيت عطا الذين ظلت مجموعاتهم المتنقلة تتردد إلى جبال الأطلس الكبير الأوسط في هجرات موسمية تبتدئ مع نهاية فصل الربيع (Drague, 173 - 175). وقد يفضي اجتياح أيت عطا لتلك المناطق، في كثير من الأحيان، إلى الإخلال بالتوازن الاقتصادي بالنسبة للمستقرين، مما كان يؤدي بطبيعة الحال، إلى ردود فعل قد ينتج عنها نشوب نزاعات محتدمة بين الجانبين ؛ يلعب المرابطون أثناءها دورا بالغ الأهمية. فيتوسطون بين المتنازعين ؛ ويتدخلون في تقسيم المجالات...

ولم يقتصر نفوذ إحنصالن على البوادي فحسب، بل شهدت بعض المدن المغربية تأسيس زوايا تابعة لهم، كما هو الشأن بالنسبة لتطوان وطنجة والقصر الكبير وغيرها. يضاف إلى ذلك انتشار طائفتهم في بلاد الجزائر.

إلا أن إحنصالن قد دخلوا خلال هذا العهد أي بعد وفاة يوسف أحنصال، فيما يخص علاقاتهم مع المخزن ؛ في ما يمكن أن يشبه الوصاية. بدأت الزاوية تتلقى ظهائر التوقير والاحترام، منها ظهير وجهه السلطان سيدي محمد بن عبد الله لزاوية كَرْوَلْ، سنة 1193 / 1779. الأمر الذي قد يدخل الريب في قيام الشيخ يوسف ضد عبد الله بن إسماعيل. لأن إجراء تجديد ظهير معناه تأكيد صك السوابق، فيكون هذا الاجراء بمثابة اعتراف بحسن السيرة. إلا أن الشك سرعان ما يذهب هباء. سبقت الإشارة إلى أن كتاب *الدرة الجليلة* قدم لنا يوسف أحنصال وهو حارك إلى الصومعة (بني ملال)، من أجل الاستيلاء عليها، وأنه انهزم أمام جيوش قدمت من ناحية الشمال الشرقي. فبني ملال كانت قصبة سلطانية ؛ ولا تندرج محاولة الاستيلاء عليها إلا في إطار الخروج عن السلطة المركزية. والجيوش التي تصدت ليوسف أحنصال، لا يستبعد أنها جيوش عبد الله بن إسماعيل القادمة من جهة قصبة تادلة. (*الدرة الجليلة*، 168. 169). يستنتج مما سبق أن هذه الظهائر، إما أنها خاصة بزاوية كَرْوَلْ، وإما أن زوايا إحنصالن قد استكانت بعد نكبة يوسف، فأصبحت تتلقى هذه الظهائر شأنها شأن باقي الزوايا، فجاءت هذه الظهائر، بمثابة مؤشر للكف عن القيام بأي عمل سياسي قد يثير قلق المخزن.

وتأكد تدخل المخزن في شئون زاوية إحنصالن في عهد

السلطان عبد الرحمن بن هشام. فقد عزل هذا الأخير رئيسها التباع ليولي مكانه الطالب يوسف ولد عبد العزيز، كما يستفاد من رسالة مؤرخة بمتم قعدة 1263/19. 1846/11. وبعد عشر سنوات تشير رسالة أخرى إلى زيارة أحد مرابطي إحنصالن لنفس السلطان، وإلى الثناء عليه من طرفه ومن طرف القائد علي الدمناتي (*مجموعة وثائق زاوية كرول*).

إلا أن الأمير عبد الرحمان بن سليمان الذي ثار ضد السلطان عبد الرحمان بن هشام، قد كانت بينه وبين رئيس زاوية أگديم علاقات حميمة ؛ حسبما يستشف من رسالتين وجههما الأمير المذكور إلى سيدي احماد وحماد أحنصال، سنة 1269 / 1853. (وثائق زاوية أگديم) ؛ مما قد يثير أكثر من تساؤل. فهل كان هذا الثائر لائذا بزاوية أحنصال قبل التجائه إلى زاوية العياشي ؟ أم أنها كانت من بين نقط ارتكاز في تلك المنطقة لتهييء الثورة ؟ لهل التساؤل الأخير يفضي إلى التفكير في تكرار تجربة يوسف أحنصال مع أحمد الذهبي !

على كل حال يبدو أن العلاقات بين الطرفين كانت طيبة. وهذا واضح من خلال التحليات التي أغدقها الأمير على مرابط إحنصالن، حيث يخاطبه بالحبيب والمحب، والأخ والخير والمرتضى والذخيرة... وهي كلها أسماء وصفات تدل على المودة والتقارب. وكان صهر الأمير العلوي وهو سيدي محمد بن سرور المكاوي قد زار الزاوية، وقدم لرئيسها هدية ثمينة، وترك عنده وديعة. مما يدل على أن الأواصر الواصلة بين الطرفين كانت متينة.

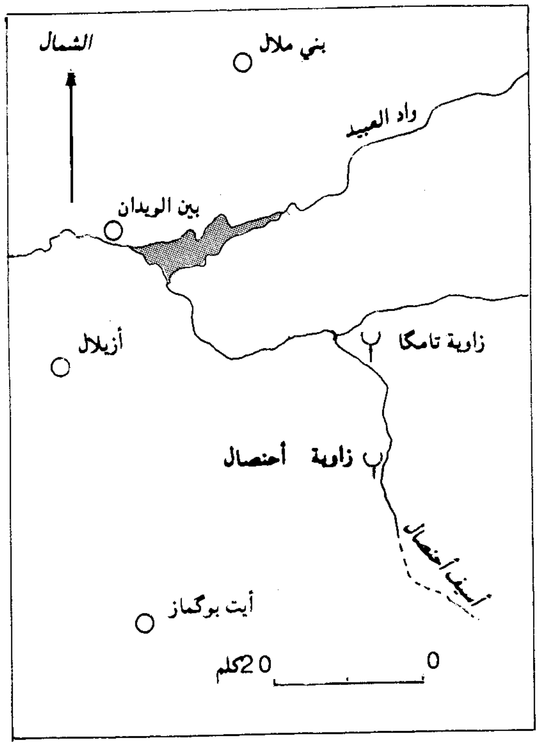


زاوية أحنصال

وبعد ثلاثين سنة يذكر دوفوكو De Foucauld الذي زار وَوزْغتْ سنة 1883، أن نفوذ زاوية أگديم، قوي بالمنطقة، وخاصة لدى أيت مساض. بل يتعدى النطاق المحلي ليصل إلى مراكش وتدغة ودادس. فقد يكفي أحد عبيد الزاوية لخفر قافلة، بأمان، من تدغة إلى مراكش (*Reconnaissance*, 264-265) وفي سنة 1904، آوت زاوية إحنصالن الموجودة بأسْكرْ الماركي دوسيگونزاك، خلال يوميد 15 و16 يناير. وقد وصف رئيسها، سيدي لحسن وتَمْگهْ وصفا ساخرا. (*Au cœur de l'Atlas*, 40). ولعل رينْ Rinn قد يبالغ ويتحامل عندما يدعي أن إحنصالن ـ كطائفة صوفية ـ ليس لهم أي نفوذ. بل هم مجرد سحرة بعيدين كل البعد عن تعاليم الإسلام، ولم تكن القبائل تبجلهم إلا لأنهم ينحدرون من صلحاء أسطوريين اشتهروا ببعض الخوارق بواسطة السحر ؛ "وهي أمور توافق، تماما، عقلية البربر" كما يدعي سبيلمان (Drague, 181). وبعد مداهمة الجيش الفرنسي لمدينة مراكش، في صيف 1912، شرع إحنصالن بزعامة رئيس زاويتهم، آنذاك، سيدي مْحَا أو احمد، في الاستعداد للمقاومة. وفي سنة 1916 لم يتراجع عن أزيلال إلا بعد هزيمته أمام جيش الجينرال De Lamothe. وعلى الرغم من ضعف عدته الحربية، وقلة عدد جنوده، فقد استطاع إلحاق الهزيمة بالفرنسيين مرتين : في سنة 1918، قرب موقع بويحيا، وفي سنة 1922 على مشارف أيت بُوكمّازْ (Drague, 176).

وبعد محاصرة إحنصالن عن طريق بناء مراكز المراقبة، بكل من بين الويدان وأيت أوگْفيضْ، ووزغتْ في شتنبر ـ أكتوبر 1922، أصبح سيدي مْحَا الحنصالي مضطرا إلى الاستسلام للسلطات الفرنسية في 27 يونيو 1932. فأسْندت إليه قيادة تلك القبائل. وتحول إلى أداة طيعة تم بواسطتها تهدئة قبائل المنطقة، فيما بين 1923 و 1933. ولا شك أن انحياشه إلى جانب الفرنسيين قد أضر بنفوذ زاويته ؛ في حين قاوم رئيس زاوية أسْكرْ، سيدي حسين أو تَمْگهْ، التدخل الفرنسي بضراوة، حيث ظل على تلك الحال حتى وفاته سنة 1930، في وقت كانت قذائف الفرنسيين تهز زاويته. وبالرغم من ضعف إمكانياته، فقد واصل ابنه، من بعده، مقاومة التغلغل الفرنسي في تلك المناطق، حتى عد من بين أواخر الزعماء الذين تصدوا للفرنسيين في المغرب. (*Drague*, 177 ; *Morsy*, 39).

ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية* ؛ أحمد بن إبراهيم الماجري، *المنهاج الواضح* ؛ الولالي، *مباحث الأنوار* ؛ المعداني، *الروض اليانع* ؛ المنالي، *دوحة البستان* ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج 3 ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ الزياني، *الترجمان المعرب* ؛ الناصري، *الاستقصا*، 7 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*.

De Segonzac, *Au cœur de l'Atlas* ; Drague, *Esquisse*, De Foucauld, *Reconnaissance* ; R. Le Tourneau, *Hansalyya*. in E.I.2; Nlle édition. M. Morsy, *Les Ahansala* ; *La Relation de Thomas Pellow* ; L. Mezzine, *Le Tafilalt*.

أحمد عمالك

**أحنصال، احماد** بن مُحا، يعرف أيضا بالحنصالي، وينتسب لزاوية أحنصال بإقليم أزيلال. كان راعي غنم قبل أن يقوم بثورته الشهيرة بعد أن هجم على مكتب الشرطة بقريته معلنا ثورته الغاضبة على الوجود الاستعماري. وقد حاول ش. أ. جوليان أن يحدد بعض مميزات كفاح هذا البطل وهو يرى أن ما قام به كان ثورة عفوية تعبر عن رفض قاطع للأجنبي، مقارنا بين وضعية الحنصالي ووضعية الأب ميلون Le Père Milon أحد أبطال الأديب الفرنسي موبّسان Maupassant الذي قتل 15 شخصا من جنود الاحتلال، وخلال استنطاقه عن السبب أجاب : "إنني لم أبحث عنكم ولا أعرفكم بتاتا، ولا أدري من أين أتيتم، لقد انتقمت لنفسي، ولست بنادم على ذلك".

لا يهمنا هنا تأويل ش. أ. جوليان لطبيعة عمل الحنصالي بقدر ما نريد الإشارة إلى الطابع التلقائي والعفوي لكفاح الحنصالي وإلى ردود الفعل ومدى البلبلة التي أحدثها في صفوف الاستعمار. فبعد أربعة أيام من حصوله على السلاح، أعلنت الجرائد الاستعمارية أن "أحمق معتوها قتل وجرح مجموعة من الرعايا الفرنسيين، وأصبح بذلك يشكل خطرا حقيقيا على أمن الوجود الفرنسي بالمنطقة". وهكذا بدأت الحملة الفرنسية للبحث عن هذا الفلاح ذي البندقية الواحدة فلجأت أولا إلى تعبئة حوالي 10.000 جندي، ولم يكن للحنصالي من ملجأ يختبئ فيه غير الجبال التي تحصن بها، كما كان يتردد على مكان يدعى "بن شروبونوال، وأيضا إلى كوخ صديقه الشهيد موح اسميحة بمقبرة واويزغت. ولما فشلت السلطات الاستعمارية في محاولاتها هاته، نهجت نهجا مغايرا وأعلنت تخصيص مبلغ مليون فرنك جزاء لمن أتى بهذا المتمرد. وفعلا سال لعاب بعض السفلة وفي مقدمتهم المسمى "زايد أرحو أيت حبيبي" مع آخرين. وكان الغبي يعرف أحنصال بالاسم والعين والنسب لأنه خدم عنده مدة يرعى غنمه، فبحث عنه حتى تحقق عنده مكان استقراره، فبعث له بالأمان حسب الأعراف المتبعة لكنه عندما اتصل به عند موح اسميحة أحاط به ومعه عونان هما "صالح ابامو أيت حبيبي وولد أيت ابوم الشخمان" فالتقطوه بالحيلة وأخذوه وسلموه للفرنسيين.

ظل الحنصالي معتقلا رفقة صديقه اسميحة مدة تزيد على سنتين وكان "بونيفاس" Boniface يشرف شخصيا على استنطاقه، كما أنه خضع لتعذيب وتنكيل وحشيين إذ ظل معلقا من رجليه تسعة أيام في إدارة الشرطة نتيجة إصراره على القول بأن ضميره وحده هو الذي دفعه إلى القتل "انظر جرائد *السعادة*، *ماروك بريس Maroc Presse* *لوبوتي ماروكان Le Petit Marocain* *الأمة* ليوم 26 نونبر 1953".

كنت وجماعة من الأوفياء - يقول الحاج أحمد معنينو - بسجن اغبيلة وبلغنا خبر موعد تنفيذ حكم الإعدام على الحنصالي وصديقه اسميحة - رحمهما الله - فبتنا هذه الليلة نحرس الزمان حتى وصل إبان الرابعة صباحا تقديرا وقد اشتعلت الأضواء بقاعات السجن وتعلقنا نحن الجماعة بشباك البيت نلتمس رؤيتهما، وفعلا حصلت لنا هذه المكرمة، وشاهدناهما يرفلان في الحديد. ومرا معا أمامنا، فبكينا وقرأنا سوراً من القرآن الكريم هدية لأرواحهما، فقد فتحت الزنزانة عليهما وظهرا مكبلين بالحديد. بكينا لفقدان أبطال كرام جادوا بأرواحهم في سبيل خلاصنا وإنقادنا" (مجلة *المقاومة*).

احماد أحنصال قبيل استشهاده

وفي 26 نونبر 1953، أعلنت الجرائد الاستعمارية وغيرها نبأ إعدام احماد أحنصال وصديقه اسميحة رميا بالرصاص (وذلك على الرغم من أن القوانين المعمول بها إذ ذاك تحول عقوبة الإعدام في حالة تجاوز الشخص 60 سنة إلى السجن المؤبد) وهو الآن دفين مقبرة ابن امسيك بالدار البيضاء.

أ. معنينو، *تعقيب على قصة "بامو"*، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع. 4، 1982 ؛ م. الوديع الأسفي، *عبد العزيز الماسي*، من معالم الطريق، دار النشر المغربية 1982 ؛ *المقاومة وجيش التحرير*، سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال الوثيقة (1)، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.
Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956*, Ed. J.A. 1978.

عز الدين العلام

**أحنصال، سعيد** بن يوسف بن سعيد الكبير الذي عاش في القرن السابع (13 م) والذي تتلمذ لأبي محمد صالح، قطب مدينة أسفي. أسس سعيد بن يوسف الزاوية الحنصالية بالأطلس الكبير الأوسط في القرن الحادي عشر (17 م)، وفقد والديه مبكرا، فهاجر دار عمه ليتعاطى (التصوف والتحصيل) حفظ القرآن الكريم في كتّاب بتسليت، في سفح جبل غنيم بالاطلس المتوسط جنوب بني ملال. ثم توجه الى القصر الكبير، حيث أقام ست أو سبع سنوات خصصها لدراسة العلوم، ومنها إلى فاس، حيث

أقام كذلك سبع سنوات بتافيلالت، أقام فيها أيضا سبع سنوات، وأقام أخيرا بزاوية الشيخ أبي عبد الله من أولاد محمد.

ورحل بعد ذلك إلى الشرق، حيث مكث عدة سنوات، فأقام ثلاثا منها بالمدينة المنورة، وذهب إلى القاهرة ليحضر الدروس بجامع الأزهر. وكان يختلف إلى مدينة رشيد من حين لآخر. وقرأ على الشيخ سيدي عيسى الجنيدي التصوف وأخذ عنه بالأخص *القصيدة الدمياطية* التي أصبحت الورد الرئيسي للطائفة الحنصالية. وزار بالاسكندرية ضريح سيدي أبي العباس المرسي، فعاد إلى المغرب، وتتلمذ للشيخ محمد ابن ناصر التمگروتي قبل ذهابه لزيارة ضريح سيدي عبد السلام بن مشيش الحسني، حيث أقام سنة واحدة، ومنه ذهب إلى فاس حيث أخذ عن مشاهير علمائها. ثم لازم بإحدى زوايا تادلة، سيدي علي بن عبد الرحمان التامجوتي وقام بأسفار عبر الأطلس الأوسط داعيا ومرشدا.

وأخيراً بنى زاويته، حيث عاش زاهدا متنسكا، وكلف ابنه يوسف بتدبير شؤونها. واختلفت الروايات حول تاريخ وفاته. فيجعلها صاحب *سلوة الأنفاس* في 12 ربيع الاول 1114 / 6 غشت 1702، وصاحب *السعادة الأبدية* في شهر رجب 1113 / ديسمبر 1701.

م. المنالي الزبادي، *دوحة البستان*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 3 : 144 ؛ الزياني، *الترجمان* ؛ البستان، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 120 ؛ *طلعة المشتري* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، 2 : 75.

محمد الأخضر

**أحنصال، مْحَا**، شيخ زاوية أحنصال التي في "تاغيا" بمنطقة واد العبيد، تزعّم مقاومة قبائل الأطلس الكبير الأوسط للغزو الفرنسي ابتداءً من 1916. يتبين من تقارير الاستخبارات الفرنسية التي تتبعت نشاطه أن نفوذه كان فعليا لدى أيت أگفيض وأيت أتفركال وأيت مازيغ وأيت امحمد وأيت بوگماز وأيت أسيكيس وأيت بواخنيفن وأيت إشا وأيت عبدي وأيت بلال بإنولتان. وقد انتخبت هذه القبائل شيوخها العامين تحت زعامته، وكانت كلها بالإضافة إلى قبائل أيت بوزيد وأيت عتاب وأيت أنير وأيت عطا القبلة وأيت عباس ترسل زيارات إلى أحنصال أو إلى شيخ زاوية نْتاغملت الواقعة في نفس الجهة.

كان للشيخ محا أحنصال إخوة وأبناء عمومة يشاركونه في زعامة بعض الفرق من القبائل المذكورة.

انطلق الغزو الفرنسي لقبائل منطقة واد العبيد من تنانت قرب دمنات سنة 1916 بمشاركة المدني الأگلاوي وقائدي نتيفة أشطو وأوراغ، ووقع الصدام بين الجانبين في الغابات القريبة من أزيلال وألحق بهم بعض الهزائم.

وبعد ست سنوات من محاولة المقاومة بوسائل بدائية تبين للمرابط أحنصال أن يميل إلى السلم مع الغزاة، وهكذا قدم عام 1923 إلى مراكش بصحبة شيوخ عدد من القبائل لتحية جلالة السلطان مولاي يوسف. وقد تقلص نفوذ أحنصال في وضعية التعامل مع الفرنسيين، وصار قائدا على قبائل أيت محمد وأيت بوگماز إلى أن توفي عام 1930.

م. الغجدامي، *التسلي*.

Spillmann, *Ahansal*, A. M, vol. 27, pp. 87-113 ; M. Morsy, *Les Ahansala, Rapports mensuels du Protectorat au Maroc 1918-1923*.

المالكي الملكي

**أحنصال، يوسف** بن سعيد تولى مشيخه زاوية أحنصال الواقع مركزها بأيت مضريف في الأطلس الأوسط، وذلك بعد وفاة والده السيخ أبي عثمان سعيد بتاريخ فاتح رجب من عام 1114 / 21 نونبر 1702. وقد ورث الشيخ يوسف نفوذ زاوية والده وزعامتها لقبائل أيت عطا التي كانت في طور تنقل بطيء تارة، وسريع عنيف تارة أخرى، نحو الشمال مع ماكان يقتضيه زحفها من الصراع مع القبائل التي في سهل تادلا وحوض وادي العبيد كأيت عتاب وأيت مساض وأيت واسر وغيرها. وقد اشتهر يوسف وسط القبائل الموالية له بما اشتهر به أبوه من القدرة على خرق العوائد أو "مخالطة الحدثان " بما في ذلك من تنبؤات أو ادعاء استخدام قوى الجان، أما القبائل التي كانت قديمة في ذلك المجال وتناضل ضد تسربات العطاويين المنتسبين للحنصالي، فقد توجهت عناصر منها إلى الانتساب للناصريين التامگروتين المشهورين بمجانبة مثل تلك "البدع" التي تشجع عليها البيئة الثقافية والضرورات الاستراتيجية في ذلك الوسط الأمازيغي.

وبسبب هذه التحركات القبلية وغيرها من الملابسات ازدادت الأهمية البشرية والسياسية للمنطقة بين منتصف القرن السابع عشر ومنتصف القرن الثامن عشر الميلادي، ومن الطبيعي، بناء على هذه الأهمية، أن يحرص المخزن على مراقبة تلك التطورات، ويقوم في سياق هذه المراقبة بربط الاتصال بالزعماء ذوي النفوذ لدى المجموعات القبلية، ومن بينهم شيوخ زاوية أحنصال، ومن الشواهد على ذلك رسالة بعث بها السلطان المولى إسماعيل إلى ولده ولي عهده عامله على تادلا أحمد الذهبي تفيد أن أولاد سعيد أحنصال قد وردوا على السلطان في نفس عام وفاة والدهم، وأن السلطان "وصاهم" بأن يمتثلوا لكبيرهم (يوسف؟) وأن يقدروا الخلافة. وبعد عامين من هذا التاريخ أي في 17 رجب 1116 / 15 نونبر 1704 قام أحمد الذهبي بن السلطان إسماعيل وهو عامله على تادلا بإخبار عبد الله بوگرين، وكان على ما يبدو، في قصبة واويزغت، بأن الظهائر السلطانية قد جددت لأولاد سعيد أحنصال وأن على العامل المذكور أن يراعي حرمتهم. وقد استحكمت هذه العلاقة الوثيقة المتسمة بالمبرة المبنية على المصالح المتبادلة بين يوسف أحنصال وبين أحمد الذهبي ابن السلطان

المولى إسماعيل، فنجد مثلا على ذلك كتابا من هذا الأخير إلى يوسف أحنصال مؤرخا بعشرين رجب 1122 / 14 شتنبر 1710 يذكر له فيه أنه يقبل تسريح مساجين أيت أسْعيدْ (من أيت عطا الموالين لأحنصال) إذا جاء الشيخ وبمعيته أعيانهم إلى حضرة هذا الأمير العامل، ويذكره بأنه سبق له أن جاء بهم. فيفهم من هذا الموقف أن المخزن الإسماعيلي كان يعمل على ضبط حركات القبائل في جبال تادلا وسهولها، وأن المرابط أحنصال الذي كان يحظى بتبعية روحية من لدن تلك القبائل كان في موقع المخاطب الضامن في مايحدث لهذه القبائل في علاقتها مع المخزن، ومن ثمة توطدت الصلات بين الأمير أحمد الذهبي الذي كان عاملا لوالده على هذه المنطقة التدلاوية الخطيرة وبين يوسف أحنصال الذي شهد له المخزن نفسه في بعض الرسائل بنفوذ الكلمة لدى قبائل أيت عطا الطامعة في التقدم نحو الشمال. بسبب هذا الواقع كان المرابط الحنصالي في وضعية حرجة بين أطماع قاعدة مندفعة من القبائل وبين سلطة مخزنية يحتاج إلى التعامل معها والحال أنها لا تقبل التشغيب في مجال قريب من عاصمة الدولة. وكأن كل طرف كان مطالبا بتحمل الطرف الآخر على مضض، ويبدو أن انتشار أتباع أحنصال قد تعدى مجال تادلا وحوض وادي العبيد ليصل إلى الحواضر الكبرى، فقد وردت إشارة عند المنالي في *دوحة البستان* (ص 213 من مخطوط خ.ح) حيث ذكر أن السلطان المولى إسماعيل قد سخط، بعد قضية أبي العباس الدراوي تلميذ علي بن عبد الرحمان التمجوتي شيخ سعيد أحنصال، على جميع الفقراء المنتسبين، وكان من جملة من قبض جماعة من الحنصاليين بفاس وطافوا بالأسواق مقرنين بالحبال، وحيث إن ذلك جرى بعد أربع سنوات من وفاة أبي الحسن الدراوي أي في عهد سعيد أحنصال والد يوسف، فإن نفوذ زاوية أحنصال إنما زاد في عهد هذا الأخير حيث انتشر في جهات أخرى من المغرب .

وقد ظهر يوسف أحنصال على مسرح الأحداث بعد وفاة المولى إسماعيل حيث عادت القبائل لحالها من ركوب الخيل واقتناء السلاح (الزياني، *الروضة*، ورقة 79 من مخ خ.ع.د 1275). وقد تنازع الملك أبناء السلطان الراحل فأيد يوسف أحنصال أحمد الذي عرفه وتعامل معه سنين طويلة بتادلة وذلك من أجل توليته الثانية ضد أخيه عبد الملك، وقد صاحبه، وعززه فيمن جاء معه لدخول مكناس. وقد ذكر طوماس پيلو وهو أسير انجليزي تربى في البلاط الإسماعلي وشارك في الحركات الواقعة بين عام 1721 وعام 1735 أنه عرف يوسف أحنصال عندما حضر إلى مكناس وشاهد بحضور آلاف من الناس الخوارق التي أظهر فيها أسرابا من الفرسان فوق أسوار القصر.

وقد مرض أحمد الذهبي ومات عام 1141 هـ وأتلف العبيد مهجة أخيه عبد الملك وجاءت دولة المولى عبد الله بن إسماعيل، وقد انبرى لكسر شوكة القبائل المنتفضة، وفي هذا السياق قتل يوسف أحنصال، وهذا ماتتفق عليه روايات المصادر ولكنها تختلف في الملابسات الدقيقة لتنفيذ هذا الإعدام، فالأسير الأنجليزي يذكر أنه شارك في الحركة الموجهة إلى تادلا، ويحكي أنها كانت مقتلة عظيمة في المنتفضين (من أيت عطا أو من أيت إيمور)، وصاحب *الإتحاف* (4 : 402) يذكر أن المولى عبد الله فاجأ أيت إيمور العائثين فسادا في تادلا بعد أن دفعهم أيت أومالو، فوجد يوسف الحنصالي نازلا بين أظهرهم، والضعيف يذكر أن يوسف ثار بجهات سوس فجاءته به كتيبة من الجيش إلى مكناس ثم أرسل إلى السلطان الذي كان بتادلا فقتله بعد مابلغه أنه كان المحرض للقبائل على الفتن. ولكن أغلب الروايات تتفق على أن هذا الإعدام وقع على يد المولى عبد الله عام 1143 / 31 ـ 1730، كما تتفق على ما يفيد التبجيل العظيم والاعتقاد الاسطوري الذي كان ليوسف في نفوس أتباعه، ولذلك قتله السلطان ومنع الناس من دفنه "لئلا يتوهم ضعفة العقول من أصحابه أنه لم يمت (*نشر المثاني*، 355:3).

وقد انتقلت طريقة أحنصال على يد أحد تلاميذه وهو سعدون الفرجاني إلى جهات قسنطينة بالمغرب الأوسط ولكنها لم تندثر من المغرب كما زعم رين وكوبولاني وميشو بيلير، بل بقي فرع من عقب أحنصال في زاويتهم الأصلية وانتقل فرع آخر إلى فرقة كرول بجبل قريب من دمنات، ولم تنقطع صلاتهم بالمخزن، حيث نجد الأمير المستضيء ابن إسماعيل يكتب إلى نجل عبد العزيز ابن يوسف الحنصالي عام 1159 : 1746 بأنه سيقف إلى جانبه في النزاع بين الورثة حول مشيخه زاويتهم. كما أن ظهائر التوقير والاحترام ظلت تجدد للأعقاب في عهود الملوك الذين توارثوا الملك، إلاأن أخبار الزعامة الحنصالية للقبائل لم ترد إلينا إلى أن عادوا للظهور من جديد وهم يرأسون قبائل جهات أزيلال في مقاومة الغزو الفرنسي سنة 1916.


*رسائل من زاوية أحنصال بكرول* ؛ م الإفراني، *صفوة* ؛ 184 ؛ المنالي، *دوحة البستان*، مخطوط ؛ أ الولالي، *مباحث الأنوار*، 315 ؛ أ. الخليفتي، *الدرة الجليلة* (إشارات إلى حركات قبائل حوض وادي العبيد). مخطوط ؛ الضعيف، *التاريخ*، 108 ـ 112 ؛ أ. الزياني، *الروضة* ؛ أ الناصري، *الاستقصا*، 7 : 120 ؛ ع.ابن زيدان، *الإتحاف*، 4 : 402 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 367.

Thomas Pellow, *The history of the long captivity and adventures of Thomas Pellow in south Barbary*. (Traduit et annoté en français par Magali Morsy) ; Rinn, *Marabouts et Khouans*, p. 385 ; Deppont et Coppolani, *Les confréries religieuses*, p. 492 ; Michaux-Bellaire, *La zaouia d'Ahansal*, A. M. XXVII,163-182 ; Drague, *Esquisse d'histoire religieuse*, 163-182 ; R. Le Tourneau, *Ahansal*, E. I. ; M. Morsy, *Les Ahansala* ; E. Gellner, *The saints of the Atlas*.


أحمد التوفيق

**أحنصال، يوسف** صالح تطواني، من أسرة كانت تعيش في هذه المدينة وانقرضت، يقول عنه الفقيه الرهوني: من ولد الولي سعيد أحنصال صاحب الزاوية الحنصالية بآيت عطا، وأنه ولد سنة 1320 هـ بالزاوية الحنصالية ويقع بحي

أحفير وتقام به الصلوات الخمس. وقد انقرضت الآن أسرة أحنصال التطوانية ولا علاقة لها بأسرة الخنصالي المعروفة بهذه المدينة.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 10، 4 : 136، م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 169 و 172 ؛ ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegaction de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (H) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (H) ; *Vademecum de intervenciones* (āno 1931) 1932 (H) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**أحَتَّاش**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة أهل سريف الهبطية، واليها ينتمي الفقيه قاسم بن محمد الذي كان يتعاطى خطة العدالة من سنة 1265 / 1849 إلى سنة 1276 / 1859، والفقيه عبد العزيز بن عبد الله الذي كان يعلم الصبيان بكتابه (المسيد) الكائن بحومة السويقة سنة 1306/ 1888، ولم يبق من هذه الاسرة الآن بتطوان سوى بعض النساء.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 11 م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 ; (H) Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 ; (A) *Vademecum de Intervenciones* (ano 1931. (H). ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanōl* (1949) (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**أحْواش**، تُطلق على «الرقص الجماعي» بجميع أشكاله بجنوب المغرب، خاص في المناطق المتداولة فيها لهجة تاشلحيت، وفي رأي لعض الدارسين (أبودرار 1978)، فالمصطلح في الناحية الفنية لا يعني رقصة واحدة كما هو شائع، بل يشتمل «متتالية من الرقصات المتناسقة فيما بينها» على شكل لوحات منسجمة في تنوعها، لُغويًا، ثنتمي مفردة أحواش إلى معجم تاشلحيت، وهي مشتقة من جدر ح.و.ش، حيث تدل على صيغة إسم الفعل (أسْكَارْ = أفْعَال). وتقابلها في العربية كلمات جمع، لَمّ، ضمّ، ومشتقاتها، كثيرة حسب الصيغ الفعلية والاسمية : إحْواش: «رقَصَ أحواش» ؛ أمْحُوش او أمْحْوَاش : راقص أحواش، ومؤنثه : تَامْحُوشت أو تامْحْوَاشتَ، وجمعه إمْحُوشن / تيمحُوشين، وأيت أوحْواش = (أصحاب أحواش) = هواة رقصة أحواش، مفزد : بُو وْ حْوَاش ؛ وتاحواشت ؛ وهي مؤنث وصيغة تصغير لكلمة أحواش، وتعني احد أنواع الرقص في جنوب الأطلس الكبير وكذلك مقطع من المقاطع المغناة أثناء الرقص، على شكل بيتين يقوم بارتجالهما الشاعر (أنظّام) وتردّدهما المجموعة الراقصة بعده.

وللتعبير عن ممارسة أحواش، يقال إكْشْمْ أحْوَاش (= دخل أحواش) أي ولج حلبة الرقص، أو إبيَدْ غْ أوحْوَاش (= وقف في أحْواش) أي إتخذ مكانه بين الراقصين، كما يقال سيِيْسْ (ف) من أسَايْس، ،هو الميدان والساحة المستوية، مكان رقص أحواش، والراقص يُدْعى أمْسيْسْ (مث تامْسِييْسْت). ويقابل كلمة أحواش بمدلولها اَلفنّي، في أمازيَغية الأطلس المتوسّط (تامازيغت) مصطلح أحيدوس انظر المادة (في هذه المعلمة)، كما يُعبّر عن الرقص والغناء الجماعيين في مناطق مختلفة من الجنوب، بمصْطلحات أخرى إلى جانب كلمة أحواش نفسها ؛ ومنها :

1 ـ لْهْضْرْت : ومعناها لغويًا «اللعب، المزاح، ما هو ضدّ الجد» والكلمة من جذر هـ، د، ر الموجودة أيضا في بعض لَهجات العربية المغربية بمفهوم «الكلام، الحديث والثرثرة. ويفترض البعض (بوزيد 1984 : 99) أن المصطلح تسرّب إلى تاشلحيت من العربية على يد الفقهاء والعلماء السوسيين الذين كان لهم موقف استنكار ومناهضة إزاء كل أشكال الغناء والرقص وإنشاد الشعر، فهي عندهم بمثابة هذر لتعارضها مع الدّين المجسِّد للجدّ في مقابل كل مظاهر «الهزل» الدنيوية الأخرى، باستثناء الديني.

2 ـ أگوال : ومعناه في الجنوب الغربي لمنطقة سوس أحواش. والكلمة في أصلها تعني «آلة النقر الإيقاعية» المعروفة ب «التعريجة» أو «الگوّال» في العربية المغربية. وينسحب مدلول الكلمة راهناً على هذه الآلة نفسها وفي نفس الوقت على رقصة أحواش، حتى في المناطق التي لآ تستعمل فيها التعريجة كآلة إيقاع و(ايغرم مثلا).

جغرافيا : تمتدّ رقعة انتشار أحواش إلى مجموع المنطقتين الغربية والوسطى من الأطلس الكبير، وخاصة في جنوب إقليم مراكش (أمزميز، إمي ن ـ تانوت) وغرب إقليم أگادير (تزنيت، تارودانت، سوس) وغرب اقليم ورززات (تازناخت، تاليوين). وتعتبر جبال «غات» و«إيغيل ن مگون» (أيت مگون) الحدود الفاصلة بين مجال أحواش ومجال أحيدوس، حيث تعدّ قبيلة إنفضواك (فطواكة) بأقصى شرق الأطلس الكبير، الحدّ الجغرافي بين المجالين، إذ بها تتداول رقصة أيت مگون الشهيرة وهي من نوع أحواش.

تاريخيا : لا يمكن، بسبب غياب المصادر المكتوبة، واقتصار الآداب والفنون الأمازيغية عامة على الجانب الشفوي، وضع تاريخ مضبوط لنشأة رقصة أحواش وتطورها ؛ كما يصعب على الدارسين تحديد أصلها وتاريخ ظهورها بالمغرب، رغم أن بعض المصادر الأجنبية تعتبر منطقة تلْوَات ببلاد گلاوة (إيگلوا) أول مهد لنشأة هذه الرقصة وتطورها، ومنها انتشرت عبر المناطق المجاورة. الاّ أن هذا الرأي لا يرجّحه المتخصّصون في الدراسات الأمازيغية، لاعتماده فقط على كون رقصة تلْوات من أجود أنواع أحواش. غير أنه من المؤكّد أن رقصات أحواش قد شهدت تطورات دائبة منذ نشأتها، حيث تكيفت مع الظروف الاجتماعية والثقافية المميزة لكل منطقة توجد فيها، كما ساعدت عوامل الهجرة والتواصل بين القبائل

المتجاورة والمتباعدة على إغنائها وتطورها حتى أصبحت على الشكل الذي تقدّم به اليوم.

ثقافيا : تعتبر رقصة أحواش من الممارسات الثقافية والفنية ذات الطابع الجماعي، المتجذّرة في تقاليد المجتمع الأمازيغي، إذ تقترن بمختلف المناسبات التي يحييها أبناء القرى والقبائل برُمّتهم كالأعياد الدينية والوطنية والمواسم الفصلية والحفلات الاجتماعية كالأعراس والختان والولادة وغير ذلك من المناسبات التقليدية التي تبرز فيها ظاهرة التكافل والتآزر الإجتماعي المميز للمجتمع القروي عامة. فليس هناك من حفلة أو عيد دون رقصة أحواش، وكما أنه لا معنى لأحواش أو لا قيمة له بدون مناسبة تهم الجماعة على مستوى المدشر أو القبيلة.

أصناف أحواش : يتم تصنيف رقصات أحواش اعتماداً على معايير مختلفة، مما أدّى إلى تنوّع الأسماء الدالّة على الرقصات التي يتشكل منها كنه هذه الظاهرة الفنية : فهناك الانتماء الجغرافي وشكل حلقة الراقصين وجنسهم وطبيعة الرقصة أو إحدى مميّزاتها البارزة والآلة المستعملة لمصاحبة الغناء والرقص.

- فمن الناحية الجغرافية، تأخذ بعض رقصات أحواش اسم القبيلة التي تمارسها، كرقصة «تيسنْتْ» (الملح) وهي قبيلة بنواحي أكادير، ورقصة «أولْوزْ» بناحية تارودانت ورقصة «تاوريرت» بوارزازات ورقصة «إيمي ن تانوت» ورقصة «حاحا» ورقصة «تكوات» ورقصة «مكّونة» ورقصة «طاطا» ورقصة «إداوزْدُوتْ» ... وكلها أسماء تقدّم بها الرقصة المعنية لتعريفها على المستوى الوطني.

- أما من حيث جنس الراقصين، فهناك رقصات خاصة بالرجال وحدهم كرقصة دْرْسْت بأولْوزْ وتَاسْكيوينْ، ورقصة حاحا وتاليوين وأقّا وطاطا ... وهناك رقصات خاصة بالسيدات، كرقصة تيزنيت، وأخر مقتصرة على الأوانس كرقصة ألُّونْ بالأطلس الصغير. كما أن هناك رقصات مختلطة تجمع في حلقتها بين الرجال والسيدات والأوانس، وأنواع أخرى تجمع بين الرجال والسيدات دون الأوانس وأخرى بين الرجال العُزّاب والأوانس.

- وبالنسبة لشكل حلقة أحواش وهيئة الراقصين، فهناك أسماء مثل دْرْسْت (= المجموعة أو الكوكبة) وتنطبق على رقصات مختلفة إيقاعا وحركات، تمارس بقبيلة إيمي نْتَانُوت وإِيمْنْتَاكّنْ وإِدا وْ مْحْمُود وإداوزْدْغْ (شمال المنابهة)، ثم اسم أسْكّا أو بُو تْسْكّا (= الجنب او الطرف) ويطلق على رقصة يكون فيها الراقصون واقفين جنبا إلى جنب في صفين متقابلين، وهناك اسم أجُوكّر (التدرّج) ويعني رقصة تتميّز بإيقاعها الذي يتسرّع تدريجياً منذ بداية الرقص إلى نهايته حيث يبلغ أوج السرعة ؛ وهناك أيضا تابلويدت، وهو اسم رقصة خاصة بالرجال وأهْنَاقّار (؟) ويعني رقصة تتميّز بقوة حركاتها وحدّة إيقاعها، ثم أجْمَاكْ وهو اسم رقصة متداولة بأشتوكن وتيزنيت، يؤديها الجنسان على شكل صفّين متقابلين.

ومن حيث الآلة المستعملة، هناك رقصات تحمل أسماء لآلات إقاعية معروفة، مثل أكّوال وهو أحواش الذي يُؤدّى إيقاعه بالتعريجة أي أفحوال، خاصة في كل من طاطا وأقا والفايجة. وفي مناطق أخرى كإيندوزال وإيغرم، تطلق نفس الكلمة على أحواش والرقص والغناء عامة ولو في غياب آلة النقر تلك. وفي أماكن أخرى، وخاصة في أولْوزْ، تحمل الرقصة اسم بَّاعْرّوج (وهو على الأرجح من كلمة تعريجة) وتُؤديها النساء دون الرجال، وتستعمل فيها آلة التعريجة. كما أن الرقصة المعروفة بـ تاسْكيوين استمدّت اسمها من إيسك / تيسْكْت أي «القرن (ة)» ومن إيسك ن لْبَارود بالخصوص (قرن البارود) وهو قطعة خشبية مقوسة ومجوّفة على شكل قرن، تُغَلّف بالنحاس أو الفضة المزخرفة وتزيّن بأهداب حريرية، ثم تُثبّت على الكتف اليسرى للراقص بواسطة غمد. ويُرجع البعض أصل الرقصة إلى تظاهرة فنية حربية قديمة. وتنشر في المنطقة الغربية للأطلس الكبير. وهناك أسماء أخرى مثل لْعْوّادْ وهو رقصة مصحوبة بالعزف على تالْعْوّادْتْ أو لْعْوّاد، أي الناي القصير، وهي متداولة بمنطقة إداوْسْمْلاَل ؛ ثم اسم نَّاقُوسْ الذي يطلق على رقصة تُؤدى على نغمات آلات إيقاعية بسيطة كالناقوس الحديدي أو النحاسي، وهذه الرقصة تقام على هامش أحواش، حيث تمهّد له أو تختمه، وتكون ممارستها جلوساً.

وتأخذ رقصة أحواش كذلك اسمها الخاص من إحدى خصائص المجموعة التي تمارسها. من ذلك مثلا رقصات تيرُوبّا (= المجموعات ؛ مفردها تَارَابّوت) ومنها تارَابّوت ن يهْيّاضْن (مجموعة إهْيّاضْن - مفرد أهْيّاض) ويُطلق على فرق أولاد سيدي حماد أو مُوسى وعلى كل مجموعة فنية متجولة، تعيش على الرقص والغناء والفكاهة. (انظر هذه المادة) وهناك تاربّوت ن يسْمْكّانْ (= مجموعة العبيد) وتعني المجموعة المؤدية لأحواش على إيقاع ولحن كناوين، وبآلة النقر كانكا (الطبل)، وتوجد بالخصوص في شمال الأطلس الصغير وجنوبه (سكتانة وتاليوين وطاطا وأقّا ورَاسْ الواد وسهول سوس...)

أشكال حلقة أحواش : يختلف شكل صفّ الراقصين والراقصات في أحواش باختلاف المناطق والأصناف، إذ هناك على الأقل خمسة أشكال معروفة، تنفرد كل رقصة بأحدها أو تجمع بين اثنين أو ثلاثة تتنقّل بينها وفق نظامها الخاص : شكل خط مستقيم أو قوس، خطان متقابلان أو قوسان متقابلان أو دائرة مغلقة قد تتحوّل إلى حلقة بيضوية الشكل عند تكاثر عدد الراقصين. وفي حالة المزج بين أشكال مختلفة، يتم ذلك تحت إشراف أعْلاّم أو أمْرِيبّس (الرئيس) وهو قائد المجموعة ومسيرها في أحواش.

عناصر أحواش : إلى جانب أعلاّم أو أمريبّس، تشتمل فرقة أحواش على إِمْسُوسْن (مفرد : أمْسُوسْ، من سُوسْ = اهتزّ، ومنه تَامْسُوسْت : الرقص الآهتزازي) وهم المجموعة الراقصة المكوّنة عادة من كلّ أفراد المدشر أو القبيلة الذين

لا يشترط فيهم أي شرط عدا رغبتهم في الانضمام إلى أسَايْس (ج. إيسُوياسْ) وهو الساحة التي يختارها أهل المدشر لرقص أحواش، وغالبا ما تكون أوسع رحبة درس الزرع (أنْرار). ويشرف على إعداد مراسيم حفل أحواش عند المناسبات التي تستدعي إقامته مسؤول يعرف بـ لْمْقدّم، أو أمْغَار، ويكون على رأس لْعَمْت (وهي تجمّع شبان القرية، يضمّ أهمّ موسيقيي وراقصي أحواش في مناطق الأطلس الكبير - خاصة في أيت مْكّون - والكلمة من المعجم العربي = العَامَّة أي الجمهور ؛ ولها دور تكميلي بالنسبة لـ لْجْمَاعْتْ (الجماعة) التي تقتصر على الشيوخ وعلية القوم، حيث ينحصر دور لعَمّت في تهييء الحفلات الموسمية). وبما أن أحواش يجمع بين الرقص والغناء والعزف، فإن مجموعة أيت أحواش (أهل أحواش = المساهمون الفعليون فيه) تتضمّن بالضرورة العناصر التالية:

أمارير أو أنظّام وهو الشاعر الذي يتولّى الغناء المنفرد في أحواش، ويختار الأبيات التي تردّدها المجموعة (الكورال) بعد أن ينشدها هو بطريقته الخاصة التي تميّزه عن غيره من إنظّامن. ذلك لأنه ناظم للشعر وقارض له وحافظ ومرتجل، ويكون في الغالب هو نفسه أعْلاّم المسيّر للرقصة. ويكون ذا حظوة في قبيلته، لكونه مبدعاً عضويّاً أوتي موهبةً ينفرد بها أحيانا ويمتاز بها عن عامّة الناس، بالرغم من أنه غير محترف، على عكس رَّايْس المعروف في ساحات الفرجة ببعض الحواضر، إذ لا يؤدي مهمته الفنية والإبداعية إلا في إطارٍ جماعيّ بمحضر أهل القبيلة أو المدشر بمناسبة أحواش. وقد دُرج على نعت موهبته الشعرية بـ «علم الكرش» (انظر مادة أمارگ). وغالبا ما يصاحب غناءه بعزفه على تَالُونت (البندير) اَلتي يضعها أمام فيه وهو ينشد توخياً للمزيد من الصدى لصوته الذي يكون صالحا للغناء.

أما العزف (النقر) على آلات الإيقاع، أي إيلُونا (م. ألُون) أو تيلُونا (م. تالُونت) وهو «البندير»، وگانگا (= الطبل) وغيرهما فيتولاّه مجموعة إينقّرن (م. أمْنْقْرْ، فعل نْقّرْ = النقر على آلة إيقاع) وهم في أغلب الحالات يتوسطون حلقة الرقص جلوسا، أو يقفون في صف الراقصين ريثما يستوي أحواش، فيجلسون وسط الحلقة، وفي مناطق أخرى من الأطلس الكبير يُسمى هؤلاء العازفون رْوَايْس (م. رَّايْس) وهم عازفو تيلُونا وأغَانيم (القصبة = الناي) وتالعْوَادْت. وليس هناك من حصر لعدد إينقّرْن في أحواش، إذ كلّما كثر عددهم كلما كان ذلك عاملا على إنجاح الرقصة، وحين يكون عددهم جدّ مرتفع، يحتكمُون إلى تقليد أفُوس (اليد = الدّوْر) الذي يقضي بتعاقب مجموعات مختلفة على تأدية الإيقاع في مختلف مراحل أحواش، وفي بعض أصناف أحواش (أيت مگّون مثلا) يشارك أيْت إيديكْل (= ضاربو الأكفّ) في الإيقاع بأكفّهم. وقد تكتفي النسوة أحيانا بإشارة خفيفة تحاكي التصفيق، تمشياً مع إيقاع الرقصة. ويشكل الراقصون والراقصات في نفس الوقت المجموعة المردّدة، أي إيرْدّادن وتيردّادين للأشعار التي ينشدها أنظّام أو للازمة منها. ولا يحمل هذا «الكورال» اسماً خاصا في التقليد الأمازيغي، إذ يسمى الرجال إيْرگازْنْ (رجال) والنساء تيْمغَارينْ (نساء) والأوانس تيعيّالين (بنات) والشبّان إيعيّالْن.

وبما أن أحواش ليس قصراً على مجموعة دون أخرى في القبيلة، لغياب ظاهرة الاحتراف، فإن جمهور المتفرجين من أبناء القبيلة يعّد عنصرا أساسياً يكمّل العناصر المؤدية للرقصة، بل يتوقف نجاح هذه الأخيرة على مساهمته في تنشيط الحفل، كما أن إبداعات أنظّام الشعرية وبراعته الإنشاديّة مرهونة بتفاعل الحضور معه، وكثيراً ما يكون الجمهور بمثابة حَكَم قاسٍ على الشعراء والراقصين وعازفي الإيقاع ؛ لأن أحواش مسألة جماعية ذات حُرمة، تؤخذ مأخذ الجدّ والصرامة، ولا يجوز لأي كان الاستهانة بطقوسها وأعرافها وقواعدها.

الآلات الموسيقية : تستعمل في أحواش آلات موسيقية تقليدية توجد مثيلاتها في أنواع أخرى من الرقص بمختلف المناطق المغربية. وهي كالآتي :

- تالُونت ؛ أو ألُون، (ج. تيلُونا / إيلُونا)، وهي «البندير» (وتعني أيضا «الغربال» في تاشلحيت) وتسمى في مناطق أخرى أگْنْزا أو تاگْنْزا (ج. إيگْنْزيوْن / تيگْنْزيوين)، ويختلف شكلها وحجمها ورنّتها من منطقة إلى أخرى. وهي عبارة عن إطار خشبي مستدير، يعرف بـ إغْصْ (عظم)، يتراوح قطره ما بين 40 و50 سم، وعمقه ما بين 8 و10 سم ويُغَطَّى قعره بجلد الماعز المدبوغ بعناية. وتتميز تالُونت المستعملة في سوس برنّتها الطنّانة الحادّة، بينما تكون في قبائل أخرى، كأيت مگّون، مجهّزة بـ تيسْمَامّايين (= النائحات) وهي أصناج صغيرة على شكل صفيْحات معدنية رقيقة دائرية الشكل تنَضّد حول مسمار مثبّت في شقّ بالإطار، تحدث جلجلة متواصلة تصاحب النقر على الآلة. وهناك بنادر أخرى مزوّدة بـ تاگزّوت وهي عبارة عن خيط أو خيطين متوترين من النيلون أو المصران، يمتدّان على طول القعر، ويحدثان نبرة اهتزازية تلوّن نغمة البندير. وعلى الإطار الخشبي توجد تيطْ (العين) وهي ثقب قطره 3 سم يدخل فيه بنصر العازف للتحكّم في الآلة أثناء النقر عليها. وفي بعض أصناف أحواش (أيت مگون مثلا)، تختلف أنواع البنادير باختلاف أدوارها في الرقصة، إذ تتميّز تالُونت الخاصة بالعزف المنفرد عن تيلُونا المُخصّصة للإيقاع الجماعي، إذ الأول ينفرد به أمهر العازفين، ولذلك يتمّ المفارقة بين تاگنزان واسّيفْ (بندير الغربلة) وتاگنز ن وامّاسْ (بندير الوسط) أو بين تْخْلّيف (المختلف) بالنسبة للعزف المنفرد وتْهْرّيم الخاص بالعزف الجماعي.

ـ گانگا (= الطبل)، وهو طبل عادي متوسط الحجم، ينقر عليه بعُصَّيتيْن معقوفتي الرأس أو مستقيمتين. ويقوم بتضخيم الإيقاع، وهو أكثر استعمالا في أحواش المتداول بجنوب سوس وورزازات.

ـ أگوال (التعريجة) المعروفة بالگوال في الدارجة المغربية، وهي آلة اسطوانية من الفخار قاعدتها مجلدة على غرار البندير، وتستعمل بالخصوص في رقصة تاسكيوين وفي أحواش أمزميز وسكساوة، وهناك من يرجع اسمها إلى القوال أو الجوال وهو «المغني المتجول» الذي يوقع إنشاده بالنقر على التعريجة.

ـ تَالعْوَادْت أو لعْوَاد : وهو ناي قصير يكون أحياناً مزدوج القصبتين، وقد ينتهي أحياناً بقرن حيوان كما هو الحال بالنسبة لناي آيت بوگمّاز.

ـ نَاقُوس : إطار نحاسي أو معدني (غالبا ما يتخذ من قالب كابح السيارة الفولاذي)، ينقر عليه بقضيبين حديديين ليصدر عنه رنين حادّ يصاحب الإيقاع بالبنادر والطبل، وهو نفس الناقوس المستعمل لدى مجموعات الروايس.

حركات أحواش : تتميّز رقصات أحواش بتماثل حركات الراقصين والراقصات، وهي حركات يختلف شكلها وسرعة إيقاعها باختلاف الأصناف. وفي حالات نادرة جداً، ينبري رجل أو امرة أو هما معاً للانفراد بالرقص خارج حلقة المجموعة. وتشمل حركات أحواش الجزء العلوي من الجسم، بما في ذلك الرأس والكتفان والذراعان والصدر والكفّان ثم القدمان، ونادراً ما يتحرك الجسم برُمّته. ويقوم أعْلاّم بضبط حركات الراقصين لتتعنجر في دقة وتناسق وانسجام، مستعملاً لذلك إشارات متعارف عليها بينه وبين مجموعته.

الزي : يرتدي راقصو أحواش وراقصاته زي الحفلات والأعياد وهو من الصنف التقليدي المميّز لكل منطقة. فالرجال يلبسون الجلباب الوطني الأبيض والقميص (تْشامير) والبرنس والعمامة البيضاء أو المزركشة بالحرير الأصفر ويتقلدون بالخنجر الفضي، لكُومِّيْتْ، وأقْرَاب (المحفظة الجلدية المزركشة بالحرير) والبلغة البيضاء أو الصفراء المحلية أو الوطنية. أما النساء فتختلف أزياؤهن باختلاف المناطق الأمازيغيّة، وكذلك الشأن بالنسبة للحليّ التقليدية التي تكون من الفضة.

مراحل أحواش : تنقسم رقصة أحواش التقليدية إلى سلسلة من المراحل المتعاقبة بإحكام تضبطه الأعراف الفنية السائدة بالنسبة لكل صنف، ،هي كالآتي :

ـ أ ـ أرَاسَال أو أجُوكّْ (= الانبراء) : بعد استعداد أيت أوحْوَاش للرقص، وفي جوّ من الصّخب، ينبري أمَارير (الشاعر) للإنشاد مقترحاً بيتين يشكلان تَاحْوَاشت الأولى (ويقال يُوسي أرَاسَالْ أي أقام أراسال = انبرى للإنشاد) فيردّدهما مرتين أو ثلاثا إلى أن يجتذب إصغاء الجميع، مجموعةً وحضوراً، ويتمكن الراقصون من كلمات ولحن البيتين المعروفين أيضا بـ «تالّغَات»، فيتولّى «كورال» النساء والرجال ترديد البيت الأول ثم الثاني بالتعاقب ؛ حيث يختلف ترتيب الجنسين في الترديد باختلاف المناطق والأصناف. وقد جرت العادة بأن يُسْبَق أراسال بـ «تادَالالْت أو تَالاَلاَيْتْ (الليللة) وهي الصيغة اللحنية التي ينظم أمارير على منوالها تالّغات أثناء افتتاحه لأحواش، وهي خاضعة لقواعد النظم والعروض الأمازيغيين (انظر مادة أمارگ)، كما تتمثـل في جملـة من المقاطع الصوتيـة يتم التأليف بينها (أ ـ يْ ـ دْ ـ لاَلْ ـ لي). وأحياناً يحلو لأمارير أن يمطط إنشاده فينتقل منْ تَاحْوَاشت إلى أسُولِي، مختاراً من جعبته «موّالاً» مطوّلا يعرف بـ «تَازْرَارت» خاصة في احدى مراحل أحواش المطوّل بعد إعياء إمْسَوسْن (الراقصين) الذين يغتنمون فترة الإصغاء إلى الإنشاد المنفرد ليستريحوا قبل استئناف الرقص. وفي حالة وجود شاعرين أو أكثر في نفس المحفل، فإنها تكون مناسبة لأدوار أنْعيبار أو أنقيبال أو أبَارَاز، أي المبارزة «العكاظية» القائمة على التحاور بالشعر المرتجل أمام تحكيم الجمهور.

ـ ب ـ «الكورال» : يكون الغناء الجماعي الذي يعقب أرَاسَال مباشرة، إمّا رجاليا او نسائيا حسب أصناف أحواش، حيث يتلو غناء الجنس الثاني غناء الجنس الأول والعكس بالعكس. وتردّد المجموعة البيتين معاً (على نحو لازمة ثابتة) أو يقتسمهما الفريقان بالتعاقب.

ـ ج ـ كورال وإيقاع : في هذه المرحلة، يندمج الجميع في الغناء والرقص مع ترديد اللازمة الأساسية في تاحواشت، وأحياناً تنقسم حلقة النساء إلى صفين متقابلين، يردّد أحدهما تادالالت وحدها والآخر بيتي تاحواشت على إيقاع يسرّع تدريجيا دون توقف. وكلّما كان تصعيد أحواش (يُولي، أغولي، إحْمَا = صعد واحتدم) تلقائيا دون تكلّف، كلما كانت الرقصة ناجحة، إذ ينتهي الجزء «الثقيل» أو البطيء (إزّاي) بتغيّر تلقائي في الإيقاع ينتقل بعده أحواش إلى تيزي (= الفجّ) ثم تأتى بعدها المرحلة الموالية، وهكذا دواليك. وتكون الحركات وإيقاعها أمراً مرهوناً بعزف إينقّارن، وقد يحدث أن يخطئ أحد هؤلاء ويزيغ عن اللحن أو المقام، فيقال إيسْضْر أحواش (= أسْقطَ أحواش) أو أجو (سقوط عفوي)، وفي هذه الحالة يقوم غيره بتدارك الموقف بسرعة لتقويم الإيقاع (= هُوزّ، رَارْ = أعاده) ويعيده إلى نصابه. ويتمّ الانتقال من مرحلة إلى أخرى بإشارة من أعْلاّم، ويُعرف هذا التحوّل بـ «تْخْلّيفْ» (الاختلاف).

ـ د ـ الاختتام : يمكن أن يتوقف أحواش عند قمة تسريع إيقاعه، كما يمكن أن يُسْتأنف من جديد بمرحلة رابعة تستهلّ بإنشاد أمارير لتَالْغات أو تازْرَارت جديدة، فينطلق أحواش ثانية بمختلف مراحله إلى أن يقتنع الجميع بإيذان وقت الانصراف، ويكون ذلك عند مطلع الفجر بالنسبة لأهم

سهرات أحواش في أكبر المناسبات. وتكون الخاتمة التقليدية سواء بالنسبة للفاصل الواحد من أحواش أو للرقصة في مجموعها، عبارة عن نقرات حادة وقويّة على تيلّونا (البنادر) أو على گانگا (الطبل) ويُعرف الاختتام بـ «أهايّو» (الانتهاء).

شعر أحواش : غالبا ما يكون النّص الشعري «ثانويا» في أحواش، إذ لا ينتبه السامع إلى مدلول الأبيات المغناة بقدر ما يرتكز اهتمامه على أنماطها العروضية التي يستسيغها ويفهمها، وقد تدور الرقصة أحيانا حول بيتين أو أربعة من الأشعار المتداولة الشائعة. إلاّ أن الأمر يختلف حين ينبري أمارير (شاعر) مرموق ليبدع شعراً يرتجله مباشرة أمام الملإ، أو ينشد محفوظةً من الأشعار البليغة النادرة : ويكون التجديد والإبداع في أكثر الأحيان على مستوى طريقة أداء لَغَا (الغناء ـ الشعر) التي تتطلب إلى جانب تقنية الإنشاد، الصوت الحسن والموهبة الشعرية، وعلى عكس قصيدة الروايس الطاغية على الموسيقى، فشعر أحواش تطمسه الأنغام الإيقاعية والغناء الجماعي ولا يبقى منه سوى قالبه العروضي واللحني (انظر مادة أمارگ).

مدة أحواش : يستغرق أحواش الواحد ما بين 12 و20 دقيقة بالنسبة لـ تَاحْوَاشْت المردّدة مرات عديدة قبل استبدالها بغيرها. أما مدة سهرة أحواش المطولة، فتحكمها رغبة الراقصين والجمهور في استئناف وتجديد الوصلات.

موسيقى أحواش : خلصت بعض الدراسات الموسيقية لرقصات أحواش (أبودرار 1978 : 101) إلى أن مقاماتها خماسية تتضمن خمسة أصوات موسيقية (نوتات) رئيسية، وأكثرها استعمالا هو المقام الخماسي الطبيعي (الدياتوني) الذي يختلف عن السلم العالمي السباعي بفقده للدرجتين الرابعة والسابعة، حيث تعمل الثامنة فيه كجواب للأولى ليصبح على النحو التالي :

رقصة أحواش (D'après la Saison des fêtes)

وعلى المستوى الانسجامي، فالنغمة الأساسية في هذا المقام هي الدرجة الأولى، إذ يتنقل اللحن الارتجالي بين هذه الأخيرة وبين الدرجة الخامسة. ويؤكد أبودرار (نفس المرجع السابق) على أن قوانين الانسجام الغربي يصعب تطبيقها على أنغام أحواش.

أما إيقاع أحواش، فإن بعض الدارسين الأجانب (شوطان مثلا) يذهبون إلى اعتباره ثلاثيا مركبا أو خماسيا بسيطا (5/4)، إلا أن أبودرار (نفس المرجع السابق 102) يرى أن الأوزان الأمازيغية عموما سداسية من صنف المثنيات البسيطة (6/4)، ويمكن تغيير الأزمنة القوية (دوم) وتلوينها بارتجالات عزفية على آلات الإيقاع الرئيسية كالبندير مثلا.

م. أبودرار، *من أهازيج سوس، أحواش، الفنون*، عدد خاص 1، السنة الخامسة، ص. 99 ـ 102، (إصدار وزارة الثقافة، الرباط) 1978 ؛ ع. أمارير، *أمالو، ظلال من الفنون الشعبية المغربية*، الدار البيضاء، دار الكتاب 1978 ؛ أ. بوزيد، *أحواش، الرقص والغناء الجماعي بسوس*، (مرقون)، تحت الطبع، الرباط، منشورات عكاظ ؛ ع. المعاوي، 1984، *الشعر الغنائي السوسي "لقصيدة"*، رسالة لنيل د.د.ع، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1984.

A. Chottin, (1933), *Corpus de musique marocaine, II, Musique et danses berbères du pays Chleuh*, Paris, Hengel ; (1939), *Tableau de la musique marocaine*, Paris, Geuthner ; H. Jouad et B. Lortat-Jacob (1978), *La saison des fêtes dans une vallée du Haut Atlas*, Paris, Seuil ; (1983) *Les éléments de la versification en berbère marocain tamazight et tachlhit*, (ronéotypée), thèse de IIIème cycle, Université de Paris III, EPHE, IVe Section ; B. Lortat-Jacob (1980), *Musique et fêtes au Haut Atlas*, Paris, Mouton / EHESS, cahiers de l'Homme ; A. Paris (1921), *Haouach à Telouet*, Hesp. 1 (2), pp. 209-214 ; M. Rovsing Olsen (1984), *Chants de mariage de l'Atlas marocain*, thèses de IIIème cycle, Paris X (ronéotypée) ; P. Schuyler (1979), *A Repertory of Ideas : The music of the Rwaïs, Berber professional Musicians from South western Morocco* (ronéotypée), P.H.D, Univesity of Washington.

أسطوانات توثيقية :

B. Lortat-Jacob et G. Rouget (1971), *Musique Berbère du Haut Atlas*, Collection Musée de l'Homme, Paris, Disque Vogue, LD 787 ; (1975) *Maroc, musique Berbère : Un mariage dans le Haut Atlas Oriental*, Vogue LDY 28029 ; B. Lortat-Jacob et H. Jouad (1979), *Berbères du Maroc, Ahwach*, Les chants du monde, LDX 74705, CNRS, Musée de l'Homme, Paris.

الحسين مجاهد

**أحُوزي، أحمد** بن محمد بن داوود بن يعزى بن يوسف الجزولي التّمْلي نسبا، الشهير بأحوزي وبالهشتوكي، من أبرز رجالات العلم بسوس في عصره، ولد عام 1057 / 1657 وأخذ عن عدد من الشيوخ المغاربة حيث درس بالزاوية الدلائية مدة تنيف عن 20 سنة، لازم خلالها الفقيه علي المراكشي الأقاوي، والحسن اليوسي، وأحمد بن حمدان التلمساني، كما أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي وأبي سالم العياشي، وكل هؤلاء أجازوه كتابة. اما في التصوف فقد عوّل على الشيخ مَحمد بن ناصر الدرعي ولازمه مدة طويلة اشتغل خلالها بالتدريس في الزاوية الناصرية بتامگروت وزوّجه شيخه إحدى بناته.

رحل أحمد الهشتوكي الى تغازى في تخوم السودان

وتولى بها خطتي الإفتاء والقضاء حيث حصل على أموال كثيرة وتبادل بها الأخذ مع عدد من علماء المنطقة. وفي تغازى جمع فهرسته المسماة *قرى العجلان على إجازة الاحبة والإخوان*، التي ذكر فيها شيوخه ومختلف العلوم التي أخذها عنهم وإجازتهم له. حج أحمد أحوزي مرتين (الاولى عام 1096 / 1685 والثانية عام 1119 / 1707) التقى خلالهما بعدد من الشيوخ المشارقة خاصة بمصر حيث أخذ عن محمد الخرشي وعبد الباقي الزرقاني شارحي *مختصر خليل*، وعن الشهاب أحمد العجمي والملاَّ إبراهيم الكوراني. عاش أحمد أحوزي مدة في الزاوية الناصرية بتامگروت وتصدر للتدريس بها حتى وفاته في جمادى الاولى عام 1127 / 1714.

خلف المترجم تآليف تنيف عن العشرين، أغلبها في الفقه والنحو والعقائد والحديث، إضافة إلى *فهرسه* المذكور، و*رحلتيه* الحجازيتين، وتأليف في مناقب شيخه محمد بن ناصر الدرعي سماه : *إنارة البصائر في ذكر مناقب القطب ابن ناصر، وأتباعه من أهل الهداية الأكابر*، وغيرها. وقد آل جزء هام من خزانته الى دار الكتب التابعة للزاوية الناصرية اليوم.

م. م. الناصري، *الدرر المرصعة*، 24 ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، رقم 38 ؛ م. الحضيكي، *طبقات* (مخطوط) ؛ أ. الناصري : *طلعة المشتري*، 2 : 9 ؛ ع. ابن زيدان : *إتحاف*، 5 : 443 ؛ ع. الكتاني : *فهرس الفهارس* ؛ ع. ابن سودة : *دليل*، 1 : 181 و 2 : 345 ـ 370 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 190.

الحبيب نوحي

**أحولي** ـ مركز ـ ← **الرصاص**

**أحُولي، يوسف إسحاق** (اللوبافيتش) Aholé Yoséf Yishaq معاهد أنشئت في عدد من المراكز الحضرية والقروية وأخذت تتطور تقريبا بنفس الأسلوب الذي تطورت به "أساراه ـ توراه" إلاّ أن هذه المؤسسات ازدهرت بالخصوص في المراكز القروية حيث احتفظ التعليم بطابعه القديم التقليدي. أما اللوبافيتش وهو التعبير الذي يطلق على أنصار الطائفة الحسيدية الملقبة ب "حباد" الكلمة التي ترمز حروفها إلى حكمة وبناه ودأأت (أي علم وعقل ومعرفة) فإن هذه الطائفة تشكلت في إحدى قرى روسيا البيضاء، فواصل أنصاره نشاطهم الصوفي من عام 1819 إلى قيام الثورة الروسية عام 1917.

يقيم اليوم هؤلاء اللوبافيتش بنيويورك، ومن هناك يشرفون على تنمية نشاطهم الديني بواسطة التعليم في مختلف البلدان (فرنسا، انكلترا، إسرائيل، المغرب، تونس...) وتمكنوا من إعادة تهويد عدد كبير من الذين انسلخوا عن تطبيق العبادات اليهودية.

تحمل مدارس هذه الطائفة اسم أحولي يوسف إسحاق بمعنى "خيام أو بيوت يوسف إسحاق" تخليداً لذكرى أحد قادة هؤلاء اللوبافيتش المسمى الربّي إسحاق شنيورض المتوفى بنيويورك عام 1950.

ومنذ إغلاق معهد الدراسات الربِّية بالرباط، أخذ الربيون ـ القضاة يتلقون تكوينهم في كوليل خاضع للتدبير والتسيير من طرف المسؤولين عن مؤسسات اللوبافيتش وأساراه ـ توراه. وقد وافقت على برنامج تكوينهم كل من وزارة الداخلية ووزارة العدل بالمغرب اللتين يوجد النظام القضائي اليهودي بالمغرب تحت وصايتهما.

كلود سلطان

**أحيدُوس**، يطلق مصطلح أحيدوس على مختلف أشكال الرقص الجماعي بالمناطق الأمازيغية للمغرب الأوسط التي تتداول فيها لهجة "تامازيغت". والمفردة لغويا تنتمي إلى المعجم الأمازيغي الأصيل، وهي بصيغة اسمية مشتقة من جذر ـ ح ـ د ـ س الذي يفيد الفعل المشتق منه كذلك، أي حيدْسْ معنى "رَقص أحيدوس". وللكلمة أيضا مقابلها بصيغة المؤنث : ثاحيدوسْتْ ولها قيمة التصغير حيث تدل على أحيدوس مصغر من حيث عدد الراقصين المشاركين فيه. وللدلالة على عدة رقصات من هذا النوع تستعمل صيغة الجمع الأمازيغية فتصبح الكلمة: إيحيدَاس.

وإلى جانب الكلمة حيدْس الدالة على رقص أحيدوس، تستعمل تعابير أخرى من قبيل كْشْمْ أحيدوس (ادخل أحيدوس)، إكْشْم أذْيُورَارْ (دخل ليلعب [أحيدوس])، ذلك أن مفردة أورَار (اللعب) تطلق أيضا على رقص أحيدوس، ومنها اشتقت عبارة وْنّ إيسُّورارن (الذي يُلعِّب) المستعملة للدلالة على قائد فرقة أحيدوس ومسيرها المعروف أيضا بـ "رَايسْ، أمسّادْ، أو "بوطّارت (صاحب الطارة : العازف على البندير). وللتعبير عن جمال الرقصة ونجاحها يقال : إينْصْرْ أو حيدوس (فاز أحيدوس، نجح).

في نفس المناطق التي يتداول فيها أحيدوس، يوجد نوع آخر من الرقص الجماعي يشبهه في عدد من خصائصه ومظاهره، ويعرف برقصة الْهيتْ. وكثيرا ما يتم التأليف بين الرقصتين في محفل واحد، حيث يكون البدء بإحديهما والختم بالأخرى. ويتميز لْهيتْ، من بين ما يتميز به، بترديد الراقصين للمقطع الصوتي هَيْ (هَيْ أهَيْ أهَيْ ...) طوال مدة الرقصة. ومن هذا المقطع اشتق فعل هْيّتْ أي أدّى رقصة "الهيت". ويتداول الهيتْ أيضا في بعض المناطق العربية المجاورة لقبائل زمور، كقبائل بني حْسْن (إقليم القنيطرة) وبني عمرو قرب مدينة تيفلت، وربما في مناطق أمازيغية أخرى. ويختلف الهيث في أحيدوس إيقاعا وحركات. فإيقاعه أخف تنتج عنه حركات بالغة السرعة، إضافة إلى خلْوه من كل شعر غنائي ما عدا ترديد مقطع "هْيْ" ! أو ما يتخلل الرقص بين الفينة والأخرى من موال مرتجل على غرار تامَاوَايت بالنسبة لأحيدوس، يؤديه أحد الراقصين ذي الصوت الحسن. ومما تفتقر إليه الدراسة العلمية لرقصة أحيدوس بصفة خاصة وللرقصات المغربية

عموما، المعطيات التاريخية التي يمكن الاستناد إليها للتأكيد على مدى وجود أو انعدام تلاقح وتمازج بين رقصة وأخرى تجاورها جغرافيا. ولذلك لا يمكن الجزم بفرضية من هذا القبيل بالنسبة لعلاقة الهيث بأحيدوس.

- جغرافيا، يمتد مجال انتشار وتداول أحيدوس ليشمل جميع مناطق الأطلس المتوسط وما يقع غربها من هضاب زمّور بإقليم الخميسات. وتعتبر جبال "غات" و"إيغيل ن - مگون" (أيت مگون) بالأطلس الكبير الحدود الفاصلة بين منطقة أحواش (انظر المادة) ومنطقة أحيدوس، وعليه، فقبيلة "إنفضواك" (فطواكة) بأقصى شرق الأطلس الكبير عبارة عن الحدّ الجغرافي الفاصل بين مجالي الرقصتين.

- من الناحيتين الاجتماعية والثقافية، تتجذّر رقصة أحيدوس كغيرها من التعابير الفنية المحلية، في أعماق التقاليد الاجتماعية للأمازيغية بمناطق الأطلس المتوسط، حيث ترتبط بمختلف التظاهرات والمناسبات الموقعة للحياة هناك، سواء على المستوى الديني كالأعياد والمواسم أو الاجتماعي والوطني، كالأعراس والختان والمواسم الفلاحية (الحصاد..) وتمتد كذلك إلى الأتراح خاصة "عند فقدان فتى أو فتاة في زهرة العمر (قبل الزواج) إذ تشيّع الجنازة في محفل رهيب على إيقاع مرثيات غير مصحوبة بإيقاع معزوف على آلة.

- أصناف أحيدوس : بالنسبة لقبائل زمور (على الأقل) تتوزع رقصة أحيدوس إلى نوعين : أحيدوس أكْسْواث (= أحيدوس الأكبر) وأحيدوس أمزيان (بتفخيم الزاي) (= أحيدوس الأصغر). ويتجلى الاختلاف بين النوعين أساسا في عدد الراقصين وطبيعة كل من الإيقاع والحركات. فبالنسبة لأحيدوس أكسواث (الأكبر) فكما يدل على ذلك اسمه، تشمل الحلبة أكبر عدد ممكن من المشاركين في الرقص، يكون غالبيتهم من المتمرسين بهذا الفن، وينضم إليهم هواة يستغلونها فرصة لكسب المزيد من الخبرة. أما إيقاعه فيتسم بالبطء ويصنف ضمن الإيقاعات الخماسية المتضمّنة لثنائيات متفرقة. وينعكس بطء الإيقاع على طبيعة الحركات التي تنجز بنفس البطء إلا أنها غاية في التعقيد إذ لا يتقنها سوى كبار الراقصين وأغلبهم من الجيل القديم. ويكون هذا الحيدوس الأكبر من أبرز التظاهرات المميزة للمناسبات التي تجمع القبائل المتجاورة، كالمواسيم الاحتفالات الوطنية، أما أحيدوس أمزيان (الأصغر) فهو في الغالب رقصة الأعراس والمناسبات العائلية، حيث يقل عدد المشاركين فيه بالمقارنة مع أحيدوس الأكبر. ويختلف عن هذا الأخير في بساطة حركاته وإيقاعه المتوسط السرعة، ولا تحتاج المشاركة فيه إلى براعة متميزة، وقد يكون "المدرسة الأولى" للشباب قبل انضمامهم إلى أحيدوس الأكبر. وقد لا تخلو المناسبات العائلية بدورها من أحيدوس الأكبر إذا توفرت الشروط لذلك، كعدد الراقصين ومهارتهم، كما أن السهرة قد تبدأ بأحيدوس الأصغر وتتواصل بأحيدوس الأكبر لتنتهي أحيانا بالهيث. وفضلا عن هذين التقسمين المعتمدين بالدرجة الأولى على المظهر الخارجي للرقصة (عدد الراقصين، الإيقاع...) فمما لا شك فيه أن الدراسة المتخصصة ستبرز خصوصيات أدق ترجع إلى عوامل أخرى كاختلاف المناطق الجغرافية وما يترتب عنه من إضافات محلية تميّز رقصة عن أخرى في إطار التشابه الشمولي الواضح بين جميع رقصات أحيدوس، ويؤكد هذه الفرضية ما للعارفين من قدرة على نسب رقصة معينة إلى قبيلة محددة، ولذلك فالأنواع تصنف بمرجعيتها القبلية : أحيدوس ن أيت يدين، أحيدوس ن - أيت وَفْلاّ (= رقصة زايان) وأحيدوس ن - آيت حديدّو (وهي من أجود الرقصات الأطلسية...). وحسب المصادر القليلة في هذا المجال، فليس هناك أي إشارة إلى وجود مصطلحات تقنية محليّة تميّز بدقة رقصة عن أخرى. وهناك تصنيف آخر يمكن إلى حدّ ما إدراجه في هذا الإطار، ويميّز بين الرقصة المرفوقة بقرع الأكفّ والأقدام المعروفة بـ تامْحاوْست وبين الرقصة الخالية من أي قرع من هذا النوع والمسماة بـ تامْسْراليت.

- أشكال حلقة أحيدوس : يختلف شكل حلقة أحيدوس باختلاف المناطق وعدد الراقصين المشاركين فيه : فهناك الحلقة الدائرية المغلقة والتي يطلق فيها الراقصون جنبا إلى جنب، إما ذكورا أو إناثا أو ذكرا وأنثى على التوالي. وفي بعض القبائل (أيت عطّا مثلا)، ينتظم الراقصون على شكل صفين متقابلين، صفّ للرجال وآخر للنساء، وقد لا يراعي هذا التقسيم الجنسي أحيانا في الضعيف، حيث يكون كل صف مزيجا من الذكور والإناث. وفي مناطق أخرى يكون أحيدوس على نحو صف واحد يسيّره قائد الفرقة المنفصل عنه. أما في قبائل أيت حديدّو، فهناك أربعة صفوف تتداخل وتتوزّع وفق نظام محكم. وفي جميع الحالات، يكون قائد الرقصة إما بين الراقصين أو منعزلا عنهم (غالبا أمامهم أو وسط الدائرة) وقد يكون للمجموعة الكثيرة العدد مسيّران يتولى كل واحد منهما جانبا من الراقصين. ويكون القائد دائما رجلا، إذ في أحيدوس، لا يمسك البندير (طّارت) سوى الرجال.

- عناصر أحيدوس : تقوم رقصة أحيدوس على عناصر أساسية وهي الرقص والغناء والعزف على آلات الإيقاع والراقصون ثم قائدهم.

أ - الراقصون : يشارك في أحيدوس راقصون من كلا الجنسين ومن مختلف الأعمار، يرتدون الزي التقليدي المحلي ويصطفون في الحلقة جنبا إلى جنب بحيث تتلامس أطراف أكتافهم. ولا يشترط فيهم أي شرط خلا رغبتهم في الانضمام إلى المجموعة والانقياد إلى أعرافها وتتبع إشارات القائد. ذلك أنه رغم وجود رجال ونساء ممن علا كعبهم في هذا الفن، فذلك لا يشكل عائقا لإشراكهم المبتدئين من الفتيان والفتيات في الرقص، ولذلك ينتهي

المطاف بكافة أهل القبيلة إلى إتقانهم فن أحيدوس. وأثناء إنجاز الحركات الفنية الخاصة بكل مرحلة من مراحل الرقصة، تتحرك الحلقة ببطء من اليمين إلى اليسار وتؤديه جانبيا من اليمين إلى اليسار، حيث تتموج أجسام الراقصين عند محوري الكتفين والخاصرة على نحو متناسق جعل بعض الدارسين (شوطان 17/1939) يشبه هذا النوسان الطفيف بتموّج سنابل القمح التي تحركها الريح في الحقل أو حركة الأفعى التي يهيّجها عزف الناي أو حركة كثبان الرمل في الصحراء تحت وطأة هبوب الرياح... ويكون هذا التحرك الشبيه بالزحف تحت إمرة قائد الرقصة (رَايس بُوطَارت...) الذي يتنقل بدوره مع الدائرة أو الصّف، تصدر عنه إشارات يدوية أو بواسطة البندير الذي يضبط به إيقاع الرقصة. ولهذه الإشارات قيمة عرفية على مستوى التواصل بين الراقصين والقائد، وهي بمثابة شفرة لا يدرك مغزاها سوى الطرفين. ويلجأ إليها القائد للتحكم في التسلسل الدقيق للرقصة ولتغيير إيقاعها والانتقال من مقام إلى مقام أو من درجة سرعة إلى أخرى. وقد يستعمل إشارات معيّنة لتنبيه راقص أو راقصة إلى أخطاء لا يكاد يلمسها غير العارفين بهذا الفن.

موسيقية مرهفة تمكّنه من ضبط أي خلل في الإيقاع أو الغناء، حيث لا يسمح بمواصلة الرقص إلا إذا تأكد من توافق مختلف العناصر المكونة لأحيدوس. وهو يكتفي بالحركات وبالنقر على آلة البندير، تاركا مهمة الغناء للمجموعة.

ج ـ الحركات : لابد من الإشارة إلى قصور الدراسة الوصفية المعتمدة على المعاينة المباشرة البحتة في غياب أدوات منهجية ومصطلحات تقنية مدققة تفي بالمطلوب بشأن حركات الرقصات الشعبية عموما ورقصة أحيدوس على وجه الخصوص. وفي انتظار ذلك يمكن إعطاء فكرة عن التسلسل الحركي في أحيدوس أمزيان (الأصغر) والذي يتم من أربع مراحل أو فواصل : (1) ففي المرحلة الأولى، يكون جسم الراقص (ـة) مستسلما لتأثير نغمات الإيقاع الصادرة عن بندير الرئيس وتنعكس تلك الاستجابة على تناسق حركات الجزئين العلوي والسفلي منه. فالأعضاء العلوية (الذراع والساعد) تشكل زاوية مفتوحة يمثل المرفق نقطتها المركزية (على غرار حركات التضرع) ويكون الكفّان مبسوطين وممتدين إلى الأمام في أول زمن الإيقاع ثم مرتفعين في اتجاه الصدر عند الزمن الثاني منه.

رقصة أحيدوس (عن وثائق وزارة السياحة)

ب ـ رئيس الفرقة : يتولى رئاسة وتسيير الرقصة أبرع العناصر وأعرفهم بفن أحيدوس، إذ يكون ملمّا بتقنياته وأنواعه ومحيطا بخصائص الراقصين وكيفية تأديتهم للحركات وإنجازهم للإيقاعات المطلوبة. كما أن له أذنا

وتكون الحركة مسترسلة بانسجام من الكتف إلى الكف بموازاة مع حركة الجذع الخفيفة التابعة لنفس الاتجاه. وأحيانا يكتفي الراقصون وخاصة الرجال منهم بتشبيك أصابع اليدين على الصدر أثناء الرقص. أما على مستوى

الجزء السفلي للجسم، فتخلل الخاصرة والردفين انحناءة خفيفة لا تكاد تدرك لو لم تكن جماعية. وهذه الحركة تنسجم زمنيا مع حركة الكتفين. أما القدمان فتتبع اليسرى اليمنى أثناء التحرك الجانبي (الزحف) وهكذا ففي هذه المرحلة تكون وضعية الأجسام عمودية (2). في المرحلة الثانية وبعد إنجازه لنقرة على البندير كعلامة على نهاية المرحلة الأولى، يقف الرئيس أمام جانب من الحلقة ويؤدي بجسمه انحناءةً خاصة على مستوى خاصرته وركبتيه مقدما الساق اليمنى على اليسرى، ويستمر على هذه الوضعة مواصلا النقر على آلته. ويتلو ذلك مباشرة استجابة حلقة الراقصين مؤدّية بانسجام وتوافق نفس الحركة. وفي نفس الوقت، يكون الجزء الأسفل للأجسام ثابتا بينما يتحرك الجزء الأعلى بأعضائه في اتجاه واحد مع تسريع في حركة الكتفين توافقا مع حركة البندير التي ينجزها الرئيس. أما الرأس فتبقى دائما ثابتة لا تتحرك مع الجسم. ومن خصائص المرأة في أحيدوس أنها تكتفي بالحركات اليدوية ولا تؤدي حركات الانحناء على مستوى الخاصرة أو الردفين، حيث تبقى وضعيتها عمودية مع إبراز ملحوظ للصدر (3). في المرحلة الثالثة، تبقى حلقة الراقصين ثابتة ووضعية الراقصين على ما كانت هي عليه في المرحلة الثانية مع فارق في الحركة التي تتمركز عند الجزء العلوي من الجسم والذي تتموج أعضاؤه كاملة من اليمين إلى اليسار، ويبرز ذلك بالخصوص من خلال حركات اليدين، إذ ينساب معهما الجدع بأكمله ثم الرأس هذه المرة. أما الرئيس فيؤدي هذه الحركات بالبندير قبل إنجاز نغمة انتهاء المرحلة الثالثة (4). أما المرحلة الرابعة فهي آخر فاصل في الرقصة الواحدة. فالانتقال إليها يتم بختم الحركات التّموجية لليدين المتمثل في وهم حركة دائرية يتلوها تقوس الجسم وإنزال اليدين إلى أسفل في حركة دائرية مماثلة، وتبقى الوضعية على هذا الحال مدة ثانية أو ثانيتين، بعدها يتوقف عزف الإيقاع. وبعد انحناءة طفيفة للجسم، يضرب الراقصون خمس مرات بأكفّهم، ويعيدون هذا الفاصل ثلاث مرات مع توقف بين فاصل وآخر. أما الرئيس فيرسم دائرة عالية ببنديره ويوقف العزف لزمن قصير ثم يقلب البندير على قعره ويتقدم نحو الحلقة ثم يعزف عليه خمس نغمات بكفه اليمنى إيذانا باختتام الأحيدوس بمختلف مراحله. وهكذا فرقصة أحيدوس عبارة عن تركيب بين هذه المتواليات الحركية التي تستغرق كل واحدة منها حوالي عشرين أو ثلاثين ثانية، ويتم أحيانا الاجتهاد من لدن الرئيس في التأليف والتغيير بالنسبة لفاصل أو عدة فواصل. وقد يكون الاختلاف بين أشكال أحيدوس راجعا إلى التصرف في إنجاز هذه المتواليات التي تبدو ثابتة في جميع الأصناف. أما مدة أحيدوس الواحد فتتراوح ما بين عشرين دقيقة وخمس وأربعين دقيقة، وذلك مرهون بالمناسبة وبعدد المشاركين ورغبتهم في مواصلة الرقص.

وتنتهي رقصة أحيدوس برفع الرئيس لبنديره وتدويره على بنصره عدة مرات، ويفهم الراقصون من خلال تلك العلامة أن الرقص قد انتهى. ومن مميزات أحيدوس، كونه ينجز بجدية وخشوع وهيبة يلتزم بها كل راغب في المشاركة فيه من النساء والرجال.

د ـ الغناء : أغلب المقاطع الغنائية في أحيدوس من صنف إيزلان (مفرد إيزلي، انظر مادة أمارگ). ففي بداية كل رقصة، يتولى إنشاء إيزلي شخص أو شخصان ممن لهم باع في قرض الشعر أو حفظه أو إتقان إنشاده. ويتألف إيزلي عادة من بيتين تختلف مضامينهما حسب المناسبات ولغتهما بليغة وحافلة بالرموز والصور والأخيلة المميزة للشعر. ويكون ترديد البيتين بعد الإنشاء الفردي أو الثنائي موزعا بين صفي الراقصين أو نصفي حلقتهما الدائرية، وذلك تعاقبا، فريق بعد آخر. ويتكرر ترديد نفس إيزلي طيلة مدة الرقصة، حيث يعمل بمثابة لازمة غنائية تؤطر أحيدوس من بدايته إلى نهايته. وعلى مستوى اللحن، فأغلب أغاني أحيدوس تلتزم نفس النغمة المتواترة المنجزة برتابة غير مملة، ويثبّت لحن الأغنية منذ بداية الرقصة بواسطة لازمة صوتية مجرّدة من الكلام والمعنى تذكّر بما يعرف في عروض تاشلحيت بـ "تادَالايت" أو تالالايت (الليللة، انظر مادة أمارگ) إذ في إيزلان تتكرر متوالية من المقاطع الصوتية على نفس النحو وهي : أوَا أوَاأوَا وتستهل بها الأبيات المغناة في أحيدوس. وينحصر دورها في كونها تعتمد كقالب إيقاعي للغناء.

هـ ـ الإيقاع : يعزف الإيقاع الخماسي المميز لأحيدوس بواسطة آلة البندير المعروفة بـ "طارْتْ" أو "ألُّون" وهو عبارة عن إطار دائري من الخشب (على نحو الغربال) مغلق في قعره بجلد الماعز الجيد المدبوغ. قطره 75 سم وعمقه 15 سم، وهو بذلك يختلف عن بندير أحواش الذي يصغره حجما (40 سم x 8 سم). ويتوفر بندير أحيدوس على خيطين من المصران أو النيلون متوتّرين على طول القعر الداخلي، ويضفى ذلك على نغمته رنينا متميّزا يلون نغمته التي تختلف عن نغمة بندير أحواش من حيث النبر والرنة إذ الأولى مغلظة والثانية مرققة حادة.

H. Basset, (1920), *Essai sur la littérature berbère*, Alger, Jourdan ; F. Boukhris, (1978), *Ahidous, danse du Moyen Atlas (Maroc Central), Approche sémiologique*, Mémoire de Licence, Rabat, Faculté des Lettres ; A. Chottin, (1933), *Corpus de musique marocaine*, II, *Musique et danses berbères du pays Chleuh*, Paris, Hengel ; A. Chottin (1939), *Tableau de la musique marocaine*, Paris, Geuthner ; H. Jouad et Lortat-Jacob, Bernard (1978), *La saison des fêtes dans une vallée du Haut Atlas*, Paris, Seuil ; Lortat-Jacob, Bernard (1980), *Musique et fêtes au Haut Atlas*, Paris, Mouton, EHSS, Cahiers de l'homme ; M. Peyron, (1985), *Une forme dynamique de poèsie orale : Les izlans et les timawayin du Moyen Atlas* (Maroc), Langues et litteratures n°5, p. 161-185, Rabat, Faculté des Lettres.

فاطمة بوخريص

## اخريبگة ← خريبگة

**أخْريرو، أحمد** بن محمد أسبو، اشتهر بأخريرو،

فظل اللقب عالقا به طول حياته. نشأ في أسرة فقيرة بمدشر دار الغازي بقبيلة بني حزمار حوالي سنة 1898. أجمع الرواة على أن ماضي أسرته لم يكن معروفا : قضى قسطا من أيام حداثته راعيا يحرس القطعان بمسقط رأسه. ويظهر من قراءة التقارير العسكرية الإسبانية أنه لم يكد يبلغ السابعة عشرة من عمره حتى رحل قاصدا تطوان فانخرط في الجندية، إلاأنه سرعان ماهرب من طابور القوات النظامية والتحق برباط دار ابن قريش، مهد حركة الجهاد الأولى في بلاد جبالة.

المرحلة الأولى : في صفوف المقاومة الجبلية : تأثر أحمد الحزمري بسياسة رباط قبيلته، المعتمدة على الروح الجماعية ونكران الذات، وانفعلت بها نفسه، فحمل السلاح قصد الجهاد، مهاجما الجيوش الإسبانية المتمركزة في المواقع الاستراتيجية المجاورة لتطوان. وجدت حركته أرضية خصبة بين صفوف الجبليين، ذلك أنها كانت تزرع المقاومة في النفوس، وتوجه ضربات قاسية إلى الزعامات المحلية التي كانت تجنح إلى مهادنة العدو، وتتقاعس عن المشاركة في مجهود الجهاد.

المرحلة الثانية : انضمامه إلى الجبهة الريفية : تتحدث التقارير العسكرية الإسبانية عن الدور الذي اضطلع به القائد اخريرو في عرقلة الانسحاب الإسباني الذي بدأ في أوائل شتنبر 1924، وهي تبين أنه كبد القوات المنسحبة من وادي لَوْ وشفشاون خسائر فادحة، وفتك بها فتكا ذريعا، حتى أضحت كارثة انسحابها الرهيب شبيهة بكارثة اندحارها في معركة أنوال. ويجمل بنا ونحن نتحدث عن أعماله الجهادية أن نشير إلى استماتته في كدية الطاهر على جبل غرغيز المشرف على تطوان في أوائل شتنبر 1925.

المرحلة الثالثة : تقمصه إدارة الجهاد بعد المرحلة الخطابية : واصل أحمد اخريرو القتال، فدارت بينه وبين الجيوش الإسبانية معارك كثيرة. كان فيها أصدق ممثل لإدارة الجهاد . استشهد يوم 3 نوفمبر 1926 ودفن بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش في جبل العلم.

ع. التمساني خلوق، *أسماء مغمورة لقادة الجهاد في المغرب : القائد أحمد اخريرو الحزمري (1926-1898)*، مجلة دار النيابة، العدد التاسع، 1986، ص.46 - 48.

C. Hernandez de Herrera y T. Garcia Figueras, *Acción de España en Marruecos*, Madrid, 1929 - 1930, tomo 1, pp. 537 - 539 ; *Un cabecilla de Yebala. Ahmed Ben Mohammed el Hosmari El Jeriro*, *Miscelanea de Estudios varios sobre Marruecos*, 1951 ; *Historia de las campañas de Marruecos*, Madrid, 1981, pp. 13 - 14.

عبد العزيز خلوق

**أخريف**، أسرة تطوانية شريفة، كان منها الفقهاء والعدول والجنود، حيث نجد أحد أفرادها واسمه أحمد يعمل كبحار تابع لحامية تطوان سنة 1246 / 1830، وفي نفس السنة كان هناك شخص آخر اسمه محمد أخريف كمقدم لحي العيون، وأما المسمى امحمد بن محمد بن عبد السلام فقد كان فقيها يتولى الإمامة والخطابة بمسجد الجعيدي بحي العيون من سنة 1325 / 1907 إلى أن وافته المنية سنة 1355 / 1936.

ولازالت هذه الأسرة بتطوان، وهي غير الأسرة التي تحمل اسم "أخرِّيف"، والتي تحمل اسم أخروف.

**أخْرِّيف**، أسرة تطوانية اسمها تصغير لاسم أسرة أخرى تسمى أخْريف، ولم نجد في الوثائق ما يدلنا على أصلها، وكان منها فقيه اسمه أحمد بن عبدالخالق أخرِّيف يتعاطى خطة العدالة سنة 1246 / 1830.

ولا زالت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3: 23 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 286، 8 : 211 ؛ م. إبن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias' ilustres de Tetuan* 1921 ; (J) Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 ; (J). *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (J) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**الأخصاص**. - جغرافيا . قبيلة ذات أصل بربري توجد جنوب مدينة أگدير، وهي إحدى قبائل سوس الأقصى التابعة لعمالة إقليم تزنيت تحدها من الشمال قبيلتا أولاد جرار وأيت برابيم، ومن الغرب قبائل أيت باعمران، ومن الجنوب قبيلتا أيت أحمد وأيت النص، ومن جهة الشرق قبيلتا أهل إفْران وأيت ارخا.

تتكون هذه القبيلة إداريا من جماعتين محليتين هما : جماعة ثلاثاء الاخصاص وجماعة جمعة - ن - تغيرت اللتان تكونان بالإضافة إلى جماعة أيت ارخا دائرة الأخصاص.

تستوطن هذه القبيلة مجالا واسعا داخل وحدة الأطلس الصغير الغربي يكون ممرا طبيعيا يسمح بربط الأقاليم الشمالية من البلاد بالأقاليم الجنوبية الصحراوية. لكن الموارد الطبيعية التي يقدمها تبقى متواضعة، الأمر الذي يفسر ضعف الكثافة البشرية داخل القبيلة وضعف نسبة التزايد السكاني.

تشكل بلاد الأخصاص هضبة يتراوح ارتفاعها بين 800 و1000 م، تتميز بكونها ضيقة ومتقطعة، تنحصر بين كتلتي إفني وكردوس القديمتين مما يعطيها امتدادا طوليا يجعلها تشرف على سهل تزنيت شمالا ومنخفض بوإزكارن جنوبا، الوضع الطولي لهذا الشريط الهضبي، تحدده مجموعة من الانكسارات المتوازية، في اتجاه موحد ش. ج. وتكون هضبة الأخصاص مقعرا ممتدا، بنيته أفقية حادة، مكون من طبقات كربوناتية تنتمي لبداية الزمن الأول ويفصل بين محدبين مقببين يمثلان كتلتين قبل كمبريتين هما كتلتا كردوس وإفني. وقد ساعد الوضع الصخاري والبنيوي المنكسر على امتداد الأشكال الكارستية السطحية منها والباطنية.

وعلى الرغم من الارتفاع والقرب من البحر فان وضع

بلاد الأخصاص المحمي يجعلها تتلقى كميات مائية متواضعة تتركز في عدد قليل من الأيام (في محطة جمعة - ن - تغيرت، متوسط الأمطار 215 مم في السنة ومتوسط عدد الأيام المطيرة لا يتجاوز 24 يوما في السنة). ومما يزيد من حدة الجفاف بمنطقة الأخصاص كونها تتركب من ركيزة صخرية يغلب فيها الكلس والدلومي وهما صخران منفذان ورغم هذا الوضع فإن بلاد الأخصاص تتوفر على غلاف ترابي قديم موروث يسمح بوجود غطاء نباتي كثيف نسبيا يتركب أساسا من الأرگان والزقوم يكون مرعى جيدا يتركز حوله نشاط السكان.

تعرف ساكنة قبيلة الأخصاص التي بلغ قدرها حسب إحصاء سنة 1982، حوالي 43423 نسمة + معدل نمو يعتبر من أضعف المعدلات المسجلة داخل المغرب لم يتعد أكثر من 1,78 ٪ أي بزيادة مطلقة قدرها 700 نسمة في السنة.

إن هذا النمو البطيء لا يعود إلى ضعف التزايد الطبيعي بالمنطقة، وإنما يعود إلى أهمية ظاهرة الهجرة التي نجدها تميز كل المناطق المجاورة بسبب قلة وتواضع الموارد الاقتصادية المحلية. ظاهرة الهجرة هذه تشكل تيارات مهمة تميز داخلها : مجموعة تتجه نحو المدن الشمالية المغربية ومجموعة تتوجه إلى دول اوربا الغربية وتلعب دورا أساسيا في تنشيط الحياة الاقتصادية داخل المنطقة.

تتميز بلاد الأخصاص بغياب المراكز الحضرية، لذلك تبقى كل الأنشطة التي يزاولها السكان الأخصاصيون مركزة أساسا في النشاط الفلاحي الذي يكاد يتخصص في رعي الماعز، وفي زراعة الشعير حينما تسمح الأمطار بذلك. أما الزراعة المسقية فإنها تظهر كلما توفرت المياه النادرة بالمنطقة.

إضافة إلى هذا تعرف بلاد الأخصاص نشاطا تجاريا محليا يتمثل في مجموعة من الأسواق الأسبوعية، أهمها سوق ثلاثاء الأخصاص الذي يعرف - بسبب موقعه على الطريق الرئيسية رقم 30 التي تربط بين تزنيت وبوإزكارن - رواجا تجاريا مهما، الأمر الذي يؤهله للقيام بربط كل أجزاء تراب القبيلة. وينتظر أن يلعب هذا السوق في المستقبل دورا اقتصاديا أهم نظرا لكونه يشكل إحدى نقط العبور إلى الصحراء المغربية.

لقد أصبحت المنطقة تعرف حاليا بسبب هذه الأنشطة المختلفة ضغطا قويا على الوسط الطبيعي الذي بدأ يعرف عدة تغيرات يمكن ملاحظتها على مستوى الغطاء النباتي الذي أصبح يعرف تراجعا وتفككا مهما.

*بحث ميداني*

الحسن المحداد

**الأخصاص،** - تاريخ - لا يعرف للأخصاص ذكر في المصادر والوثائق المدونة (التي أمكن الوقوف عليها) سواء منها العامة أو الخاصة بسوس، فيما عدا ابن خلدون الذي أشار إلى مجموعة معقلية عرفها بإسم "لخص" الذي قد يكون له علاقة باسم الأخصاص ؛ اعتبارا لوحدة الوطن الجغرافي ولما يعتري أسماء المجموعات البشرية أو المواطن الجغرافية من تحول. لم يكن انتظام وحدات الأخصاص يعرف الاستقرار طيلة القرن التاسع عشر، لما كان لدى أعيان كل ربع من حرص على الاستقلال بمجال نفوذهم. كان من نتيجة التعديلات الإدارية التي عمت سائر قبائل سوس انقسام الأخصاص إلى نصفين، تولى منصب القيادة في كل منها القائد على بن مسعود الأخصاصي والقائد إبراهيم بُوفُوسْ الأخصاصي (بوهيا). كان من جملة العائلات الأخصاصية التي تضاءل نفوذها عائلة إدْعْبْلاً أولْحَاجْ، لاسيما على عهد الشيخ عمر بن عبد الله الذي غدا بعد اغتيال أخيه سعيد أحد صنائع القائد بوهيا. اعتمد المدني، أحد أفراد العائلة المذكورة، على القائد سعيد الگلولي، الذي كان خليفة للسلطان بسوس على عهد مولاي عبد العزيز، لكسر شوكة القائد بوهيا، مستغلا في ذلك ماكان يكنه الگلولي من كره للقائد بوهيا. تراجع نفوذ بوهيا على إثر تولي المدني منصب القيادة بفخذه إد بوفولن بعد تولية محمد أنفلوس الحاحي خلفا للگلولي، نهج سياسة إبعاد أنصار الگلولي من بين ذوي النفوذ بسوس. تسامت عندئذ مكانة القائد بوهيا، بينما تراجع المدني الى مقر سكناه ب" فَاصْكْ" مترقبا خصومه بعد جلاء جيش أنفلوس عندما ثارت أغلبية قبائل سوس على قوادها، وكان من جملة هؤلاء بوهيا. عندئذ خلا الجو بالأخصاص للقائد المدني الذي كان قد غدا أحد كبار دعاة أحمد الهيبة.

الأخصاص

مكنت موالاة القائد المدني لأحمد الهيبة، من توسيع نفوذه إلى أن تجاوز الأخصاص إلى القبائل المجاورة، مثل أَيْتْ رخَا وأَيْتْ عبْلاً. شارك المدني في حملة الهيبة على رأس ماناب الاخصاص من "حراك". لقد كانت الأخصاص

على عهد القائد المدني من جملة قبائل سوس التي ظلت وفية للهيبة ولأخيه مربيه ربه من بعده.

توفي القائد المدني فخلفه في منصب القيادة أخوه الحنفي، غير أنه لم يكن يولي مربيه ربه الاعتبار الذي كان يكنه له القائد المدني ؛ وذلك لكون الحنفي كان يفاوض الحاكم الفرنسي الذي كان مقيما بتزنيت. لم يستسلم الأخصاصيون سنة 1934 إلابعد أن سخر الغزاة وسائل متعددة من جملتها القصف الجوي.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 122 ؛ م.المختار السوسي، *المعسول*،20؛

ع.المحمدي، *المجتمع الباعمراني*، ر.د.د.ع كلية الآداب ، الرباط.

P. De Cenival et F. de La Chapelle, *Possessions Espagnoles sur la côte d'Afrique*, Hesp., N° 20 - 21, 1935, P. 68; T.Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar pequena - Ifni* - Sagara, 1941 ; R. Pelissier, *Les Territoires Espagnols d'Afrique*, 1963.

علي المحدي

**الأخصاص**، ـ انتروبولوجيا ـ بلاد تقع على المرتفعات الغربية للأطلس الصغير بعد حوالي 25 كلم من المحيط الأطلسي الجبلية وتتجلى الطبيعة الجبلية في وحدة البلاد المجالية كما تدل على ذلك دراسة أسماء الأماكن المحلية. رغم أن بعض القرى الأخصاصية تمتد إلى بسيط تزنيت (أزغارنتزنيت) شمالا وسهل واد نون جنوبا، فإن الطابع المميز هو ارتفاع المنطقة بحوالي 1000 م عن مستوى سطح البحر. ومن هنا فإن بلاد الأخصاص عبارة عن هضبة تخترقها قمم الأطلس الصغير التي تصل أحيانا إلى 1500 م (V. Monteil (1948) 32).

تنضاف هذه العوامل مجتمعة إلى انتشار القرى والمداشر عبر حقول الهضبة لتوحي بطابع الاستقرار الموغل في القدم. فأساس التلاؤم الظرفي الاجتماعي والاقتصادي هو وحدة المجال التي يعيشها المجتمع الأخصاصي كضرورة تاريخية لاتقتصر على مجال دون آخر.

إن هذا التصنيف الذي ينطلق من الواقع الجيومورفلوجي ينطبق على المعنى الدلالي الأمازيغي لكلمة لَخْصاص كما يشير إلى ذلك الأب دوفوكو(1951 : III : 1115). ذلك أن المعنى الخاص والوظيفي الذي استعملت من أجله الكلمة لدى قدماء اللمطيين يفيد الاختباء أو التعود عليه. فاحتماء الأخصاص بمضيق إيكني وإمغرن جنوبا ومضيقي تلات نتيداف وتاسْدْرِمْتْ شمالا يلقى الضوء على علاقة هذه الفصائل اللمطية بالقياس الجغرافي للموقع. فالاهمية الاستراتيجية للنتوءات الجبلية تربط التعريفة الإثنية بضرورة مراقبة المجال والاحتماء. ذلك مايمكن ان نستشفه بجلاء من ابن خلدون الذي يثبت هذه الحقيقة خلال القرن الرابع عشر الميلادي على الأقل (II : 117 ـ 280). على أننا نعلم أن موقع قبيلة لمطة هذه المحاربة يعود في هذه المنطقة إلى ما قبل المرابطين بقرون عديدة (البكري (1965) 242 ـ 306).

من هنا فإنه يصعب اتهام المد المعقلي منذ القرن الثالث عشر الميلادي في الدفع بالأخصاص إلى موقعهم هذا، كما أنه يصعب إحالة هذه الظاهرة على القمع الموحدي في القرن الثاني عشر الميلادي. ولربما كان لاستقرار المعقليين أولاد جرار دوره في تحديد الملابسات المحلية من حصار ومضايقات شكلت السبب الرئيسي في طمس المعالم التاريخية لهذه الفصائل اللمطية. ذلك أنها رغم تجسيدها للغور اللمطي الحاضر محليا منذ أبعد الحقب، تبدو أبعد ما تكون عن أضواء الجغرافيين العرب والرحالين الأروبيين وغيرهم. فهذا البعد هو الذي يحصر الإشارات القليلة لفصائل لخصاص في إطار الاحداث التي واكبت تطور المناطق المجاورة وخاصة منها تازروالت مركز الاشعاع الديني والسياسي والتجاري. من هنا ففصائل لخصاص تكتفي باكتساب ذات جماعية تقسمها إلى أربعة أرباع. وكعملية أساسية يعتبر كل ربع خصائصه المصنفة من أهم أساليب التخاطب مع الأرباع الثلاثة المتبقية. هكذا تعتبر التفاضلية والتخالفية هي القاسم الاجتماعي المشترك بين أيت بوياسين ـ أيت بويفولن ـ أيت إعلاتن ـ ايد لعربا. على أن القاسم المهني المشترك التاريخي يظل بحكم الموقع هو ممارسة التجارة عبر مسالك المنطقة. أما الفلاحة فهي امر لاتسمح به الطبيعة الجبلية خلافا لتربية الماشية.

ندرك إذن أن دور بلاد الأخصاص كممر بين الشمال والجنوب يدعو فصائلها إلى التخصص في مراقبة المجال وممارسة التجارة. لكي نتأكد بصورة أوضح من أهمية المجال كعامل أساسي في التعريف بالأخصاص، فيكفى أن نتأمل في ظهورها على واجهة الاحداث سنوات مقاومة المد الفرنسي منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى حدود 1934. لقد انجلت يومها أهمية مراقبة الموقع كعامل استراتيجي قد يكون السبب في عدم تقدم الجيش الفرنسي.

A. Le Chatelier, *Tribus du Sud Ouest marocain*, Paris, E. Leroux, 1891. R. Montagne, *Les Berbéres et le Makhzen* ; V. Monteil, *Notes sur Ifni* ; *Notes sur les Tekna* ; E. Justinard, *Tribus berbéres*, Tome I, *Ait Ba Amran*, Paris, Larose, 1948, F. Bremard, *L'organisation Régionale du Maroc*, Paris, Pichon et Dumond-Auzias, 1949 ; Jacques Meunié, *Greniers-Citadelles du Maroc* ; Ch De Foucauld, *le dictionnaire Touareg-français*, I II, Articles : *éléves, Lakkes*, A. Hure, *La pacification au Maroc, derniére étape 1931 - 1934*, Paris, Berger-Levrault, 1952 ; L. Arnaud, *Au temps des Mehallas* ; A. Boukous, *L'émigration des soussi*, Bulletin Economique Et Social du Maroc, n° 135, 1977, pp 71-90 ; A. Al Bakri, *Decription de l'Afrique Septentrionale ;* A. Laroui, *Les Origines Sociales et Culturelles du Nationalisme Marocain* (1830 - 1912) Ibn Khaldoun, *L'histoire des berbères*, trad de Slane.

محمد ألحيان

**الأخصاصي، محمد**، فلكي موقت انتقل من المغرب إلى مصر في تاريخ غير محدد، وأدرك بها شهرة ومكانة فأصبح موقت الجامع الأزهر، ألف كتاب *الدرة المضية في الأعمال الشمسية*. لم نقف على تاريخ وفاته.

م. العلمي، *إنهاض الهمم العلية*، (مخطوط).

محمد حجي

**الأخصاصي، المدني** ينتمي لأسرة إدْعْبْلاً أولْحَاجْ التي توفرت لها مقومات الرياسة في قبيلة الأخصاص. حافظ أبوه على ما كانت تتمتع به أسرة إدْعْبْلاً من

وجاهة بقبيلة الأخصاص في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مستندا في ذلك على استمالة ذوي النفوذ الروحي من أمثال سيدي المدني الناصري، وإلى تقوية صلاته بالعناصر البارزة ضمن لفّ تكزولت التي كان قطب رحاها الحسين أهاشم، شيخ زاوية تازوالت، باعتباره أحد الممثلين البارزين للسلطة المركزية بسوس، وأحد كبار المالكين لوسائل الانتاج بالأطلس الصغير الغربي.

بعد وفاة والد المدني الأخصاصي تقهقر نفوذ أسرته من جراء الأهمية التي كانت السلطة المركزية قد أولتها للمناطق الهامشية وفق ما كانت تستدعيه الظرفية التي كان المغرب يمر بها. فالقواد المولون من قبل السلطان مولاي الحسن كان نفوذهم يتنامى على حساب تراجع نفوذ منافسيهم من بين أعيان قياداتهم.

وقد جسد التراجع في نفوذ أسرة المدني عمه الشيخ عمر، فقد غدا أحد صنائع بوهيا المستبد بأمر قبيلة الأخصاص منذ توليه قيادتها خلفا لصهره علي بن مسعود الأخصاصي.

منذ 1314 / 1897 بدأ المدني يتطلع لاسترداد مكانة أبيه في قبيلة الاخصاص عبر مساندة للقائد سعيد الگلولي (عامل سوس يومئذ). ذلك أن الگلولي كان يعاني من مضايقة القائد دحمان بيروك التكني، الذي كان مطلق السلطة بقبيلة تكنة، مستفيدا مما كان يتمتع به من خطوة لدى السلطة المركزية التي كانت لها حساسية خاصة حيال منطقة واد نول.

وللإفلات من ابتزاز القائد الگلولي، مالت طائفة من قواد قبائل الأطلس الصغير الغربي إلى موالاة دحمان بيروك، ومن جملتهم قائد قبيلة الأخصاص. ففي هذا السياق غدا المدني بالنسبة للگلولي أداة ضرورية لمضايقة القائد بوهيا والتقليل من نفوذه. لتحقيق هذه الغاية اتخذ الگلولي من المدني قائدا مخزنيا على قسم من الأخصاص في انتظار توسيع مجال نفوذه على حساب قيادة بوهيا. وقد بدا هذا المسعى جليا سنة 1317 / 1899 ـ 1900 من خلال إضافة قسم آخر من قيادة بوهياإلى مجال نفوذه القائد المدني، كما أضاف إليه قبيلة أيت رْخَا المجاورة.

رجحت كفة غريم المدني على عهد محمد أنفلوس الحاحي الذي خلف الگلولي منذ 1318 / 1900 ـ 1901. نهج انفلوس سياسة تقريب أعداء الگلولي فاسترد القائد بوهيا ما كان له من نفوذ بالأخصاص قبل ظهور القائد المدني.

أفل نجم المدني بين 1318 ـ 1321 ـ 1900 ـ 1904، ليتألق من جديد في أفق أرحب من مجال قبيلة بدءا من 1323 ـ 1905 ـ 1906. فبعد رحيل أنفلوس 1321 / 1903 ـ 1904، عم الشعور بضعف سلطة ممثلي المخزن، فثارت أغلبية قبائل سوس على قوادها. كان من جملة هؤلاء القواد، بوهيا الذي حاصره الأخصاصيون بفخدة (أيت بوياسين) مدة سنتين إلى أن التجأ إلى قيادة حليفه عبد السلام الجراري.

منذئذ غدا المدني واحدا من الأعيان ضمن تَكَزُولْتْ، يتقاسم معهم السلطة وعائداتها. غير أن حنكته تجلت بصفة خاصة في استفادته من الدعوة لأحمد الهيبة منذ بداية حركته. فما كاد أمر سوس يتمهد لأحمد الهيبة حتى أعاد تجديد تعيين المدني قائدا على سائر فخذات الأخصاص.

شارك المدني في حملة الهيبة على رأس وفد قبيلته، ولم يغادر مراكش إلا صبيحة هزيمة أنصار الهيبة في سيدي بوعثمان قرب مراكش.

تحت تأثير المطاردة المستمرة لأنصار جيوش الاحتلال من أمثال حيدة مَّايْسْ، واصل أحمد الهيبة ومن ظل ملتفا حوله من الأتباع تراجعهم إلى أن استقروا بمكان جبلي يدعى كردوس. عندئذ تولت زعامات سوسية تنظيم مقاومة جيوش الاحتلال. وقد كان للقائد المدني دور بارز ضمن الزعامات المذكورة في تنظيم المقاومة. لقد كان يستعين بأحد كبار مرافقي حيدة (القائد العربي الضرضوري) في متابعة تحركات جيوش الاحتلال. وتستشف أهميته ضمن الزعامات المذكورة من خلال رآسته لوفد من أعيان سوس، أسندت إليه مهمة التفاوض مع التهامي الأگلاوي عند مقدمه إلى سوس صحبة كبار قواد الحوز وحاحة ضمن حملة الجنرال دولاموط عام 1917.

واصل المدني مؤازرته لمربيه ربه الذي خلف أحمد الهيبة. ففي عهده وسع قيادته على حساب قبيلتي أيت إعزا وأيت عبد الله وبين 1341 ـ 1342 / 1922 ـ 1923، مد المدني نفوذه إلى كل من أزغار (مجال نفوذ القائد عياد الجراري) وقبيلة أيت إبراهيم.

استمر المدني في تشبته بمعاداة الإدارة الاستعمارية، التي كانت تتابع عن كتب تحركاته انطلاقا من تزنيت، إلى أن وافته المنية في 7 رمضان 1352 / 13 يناير 1934.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 4 : 20 ؛ *روايات شفوية مأخوذة عن الحسين بن المدني الأخصاصي.*

علي المحمدي

**الأخصاصي، الناجم** بن مبارك بن مسعود، ينتمي أبواه إلى عائلتين كان قد مر على تحريرهما من العبودية قرابة أربعة أجيال. عندما ولد الناجم ظلت عائلة أبيه تدين بالولاء لعائلة إدْجُلُولْ التي كانت لها الصدارة بأيت بوياسين (فخذ بقبيلة الأخصاص)، بينما باتت عائلة أمه تابعة لعائلة إدْ الرَّايْسْ التي كانت معدودة من بين العائلات صاحبة النفوذ بالأخصاص.

نشأ بقبيلة الأخصاص، حيث كان منذ صغره في خدمة سادة جدته بعد وفاة والديه انتقل إلى دار دَحْمَانْ بَيْرُوكْ بتكنة، حيث أمضى عدة سنوات في خدمة زوجة دحمان. ثم عمل بعد ذلك بدار القائد بوهيا الأخصاصي "مسخرا" نحو سنة.

انتقل إلى مراكش مع القائد محمد بن الطاهر الشرادي (قائد أولاد دليم بالحوز)، الذي التحق بخدمته أثناء قيامه بمهمة مخزنية في أيت باعمران. وقد غدا بحكم ملازمته لسيده عارفا بالكثير من أسرار مهنته. وبعد موت القائد بن الطاهر عاد الناجم إلى سوس حيث اشتغل بالتجارة، التي مكنته من التعرف على الوسط الصحراوي وإقامة علاقة صداقة مع أسر سيغدو لها شأن بعد ذلك.

إثر وفاة السلطان مولاي الحسن قامت قبائل الحوز ضد قوادها، فانتقل الناجم عندئذ إلى قبيلة أولاد دليم للدفاع عن أسرة القائد محمد بن الطاهر. أظهر كفاءته الحربية من خلال مشاركته في إخماذ انتفاضة الرحامنة ؛ فلفت انتباه قواد الجيش السلطاني بمراكش مثل الباشا عباس بن داود والباشا ويدة، فتهيأ له بذلك أن يكون "رديفا" ثم قائدا لطابور في الجيش السلطاني.

على إثر تعيين باشا مكناس حمو بن الجيلالي باشا لمدينة تارودانت، وجه الناجم من جديد إلى سهل سوس حيث تولى مدافعة هشتوكة وهوارة عن تارودانت. ثم استقدم إلى مراكش حيث عزله الوزير أحمد بن موسى عن منصبه كقائد للجند. غدا بعد ذلك من أعوان العلاف سعيد بن موسى، الذي كان يعتمد عليه كثيرا في تنفيذ ما يعرض له من المهمات. بعد وفاة العلاف لازم الناجم إدريس بن موسى الذي خلفه في منصبه.

فقد دعامته بدار المخزن على إثر وفاة أحمد بن موسى، فأخذ يتقرب من المنابهي الذي كان قد تولى وزارة الحربية، فأنعم عليه بالرجوع إلى الجندية بعد أن طلبها منه. فابلى البلاء المطلوب في محاربة الثائر الجيلاني الزرهوني (بوحمارة). حاربه في أماكن متعددة، بدءاً من فاس وانتهاء بوجدة. استمر في ملاحقته إلى أن اضمحل أمر هذا الثائر وقبض عليه.

تقلب الناجم في كل من الجزائر ومليلية أثناء فترة الصراع بين السلطانين عبد العزيز وعبد الحفيظ. تولى قيادة الجند من جديد فواصل مواجهة الجيش الفرنسي بجبالة بتعاون مع أحمد الريسوني. أسند إليه مولاي عبد الحفيظ، ضمن بقية قواد الأرحاء، محاربة القبائل التي لم تكن قد دانت إليه بالطاعة مثل أيت بوسي وبني مطير.

لما ارتأى مولاي عبد الحفيظ تقليص مجال النفوذ للأگلاويين، أسند الناجم إلى حليفه إدريس منو تولي قيادة قبائل الجيش الحوزية. عين ولي نعمته بدوره باشا لمراكش وما يليها خلفا للتهامي الأگلاوي ؛ فدخل الناجم في صراع مع الأگلاويين ومن لف لفهم، على إثر توليه مهمة توطيد نفوذ الباشا إدريس منو القبائل التي كانت في عداد ولايته.

التحق الناجم بحركة الهيبة وهو في طريقه إلى مراكش، حيث غدا من جملة من يشير عليه بالرأي وبعد أن تفرق شمل أتباع الهيبة، دافع القائد الناجم عن أهل سوس الفارين من مراكش إلى أن وصلوا إلى تارودانت مقر أحمد الهيبة. عين أحمد الهيبة الناجم رئيسا للحروب، فتفرغ لمحاربة القائد حيدة الذي كان قد انضم إلى صنف دعاة الاستعمار. وبعد خروج الهيبة من تارودانت ولى الناجم قائدا على هشتوكة، فتمكن منهم وأحسنوا الطاعة للهيبة. ومن هشتوكة تولى محاربة حيدة إلى أن تراجع لتارودانت، كما حارب نظيره ابن دحان الذي كان مقره بتزنيت.

بعد وفاة الهيبة استمر الناجم في الولاء لمربيه ربه الذي خلف الهيبة، إلى أن تم لكل من فرنسا وإسبانيا احتلال سوس سنة 1934.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 20.

علي المحمدي

**إخْص**، جمعه إخْصَانْ أو إغْصَان أو إخْسَان حسب اختلاف النطق باختلاف المناطق. يُقابل عادة في العربية بترجمته إلى كلمة "العظم" أو إلى الفرنسية بكلمة "Clan". وهو كمفهوم في تاريخ المؤسسة العائلية بالمغرب مفهوم متجذر كاسم من أسماء الوحدات الصغرى لما تحت القبيلة، يرى روبير مونطاني أن إخْص هو الجماعة العائلية (R. Montagne, *Révol*, 45) وبمجرد أن يعرف عنصر من عناصر تلك الجماعة ثراءً أو سعة نلاحظ استقطابة لكل المستخدمين "Employeurs" الذين يعرفونه جيدا، منهم أولاد الأعمام وأولاد الاخوال الذين يأتون للمشاركة في غناه والاستفادة من حمايته. ثم إن نظام إخْص في المجتمع القبلي المغربي مرتبط بتشكيلة اقتصادية واجتماعية، وكذا تطوراتها، ولاسيما منذ تكاثف الاحتكاك مع الاقتصاد الرأسمالية، أي منذ منتصف القرن التاسع عشر، لكن إخصان أو العائلات البطريكية التي تتشكل منها الفخدات "Fractions" وبالتالي القبائل ظلت إلى منتصف القرن العشرين بمنأى عن أي تأثيرات قوية.

إن إخص بسوس جماعة عائلية أبوية (بطريكية) أو أنسابية "agnatique" فهو الوحدة الأقل صغرا والأكثرحيوية تساهم في تكوين الجماعات الاجتماعية الممتدة في بلاد البربر وتتكون تلقائيا بفعل التطور الطبيعي للعائلة التي تسكن منزلا منعزلا. فالرجل الشلحي لايتزوج في الغالب إلا امرأة واحدة وهو يعيش مع أولاده حياة لا انقسامية، وقد يستقر مع أبناء العم في مأوى واحد. وقد يفد عليهم غرباء يشتغلون لديهم ثم يندمجون فيهم يتزوج بناتهم، وبعد ثلاثة أجيال أو أربعة تتشكل من جميعهم مجموعة متعددة الأفراد قوية يديرها في غالب الأحيان شيخ كبير يكون هو الرئيس الطبيعي لذلك الموضع. وكل جيل يعيش بمنأى عن الذي سبقه، والوجبات لاتتناول جماعية، وللرجال مجتمعهم كما للنساء مجتمعهن، ولكل تقاليد واعتقادات ومعجم لغوي. ويضم إخص في الغالب بين 10 و15 كانونا (تاكات بسوس وتكا بحاحا) والجد الذي ينسب إليه إخْص قلما يبعد بأكثر من أربعة أجيال. ويضم كل منزل ثلاثة

كوانين أو أربعة، ويستطيع المنحدرون من نفس الجد، بواسطة تحالفات زواجية جديدة أن يشكلوا وحدة اجتماعية صغيرة لا يقبل فيها الغريب إلا بعد مضي مدة طويلة، وليس رئيسها هو الأكبر سنا في جميع الحالات، بل الأكثر غنى وتأثيرا هو الذي يتكلم باسم" إخوانه" داخل مجلس الجماعات كلما أصبحت مصالح إخْص مهددة. ويسكن القرية الصغيرة " تادْشَرْت" عظمان أو ثلاثة عظام، وقد يكون أحد تلك العظام مهيمنا فيمثل المصالح المشتركة للقبيلة .

لم تهتم الدراسات الاستعمارية من إخْص إلاّ بالتأثير الإديولوجي والسياسي، فاهتمت بعائلات إمغارن "الشيوخ الحكام" أو عائلة المرابطين أو عائلة الشرفاء لأن الأحلاف الجهوية في الحقيقة لم تكن سوى تحالفات بين إخْصان" ذات النفوذ المادي أو الروحي المؤكد، ومن هنا وفرة أدب المناقب والأنساب في فترة ما قبل الاستعمار.

إن إِخْص مرحلة من مراحل التطور في تنظيم العائلة في المجتمع ذي البنية الزراعية الرعوية القليل السكان وحيث أمد الأمل ضئيل، وحيث هيمنة الطبيعة على مجهود الإنسان، الأمر الذي يتطلب نظاما مكثفا للتغلب عليها. وإخص، فضلا عن هذا، ثقافة ذات معايير وقيم. ثم إنه والعائلة الواسعة التي تشكل حلقة من حلقاته ينتميان إلى ما سمي بالتجمعات العائلية، Communautés familiales التي كانت الضامنة الأساسية للاستمرارية المجتمعات الجماعوية Sociétés collectivistes ou communautaires وهو النمط الذي عرفته جل المجتمعات قبل الثورة الصناعية، غير أن الاحتكاك بنموذج الاقتصاد الرأسمالي جعل إخص يتفكك ضمن تفكك مجموع البنية الاجتماعية، ولربما لم يبق من تشكيل إخص في الخمسينات من هذا القرن إلا بعض السمات الاستمرارية حيث إن بنية إخصْ مرت إلى بنية العائلة الممتدة، أي النموذج الذي يتوسط بين النموذج المثالي وهو"إخص الثراتي" وبين الأسرة النواتية . ولاشك أن الذي ساعد على هذا التفكك هو ديناميات داخلية "كالمخزنة" وخارجية كمثاقفة كولونيالية.

ومما يوضح بنية إخْص أو "العظم" أن الجماعة تتكون من عدة إخصان أي من عدة عائلات بينها قرابة الدم وتضم المنحدرين من الذكور وزوجاتهم والجماعَتْ تتطابق مع الجماعة أو الفخذة في نظر دوتي (Doutté, *Haha*, 9) ولكن هذه المترادفات تهدر الخصوصيات التاريخية والاجتماعية والثقافية لإخْص، إذ يمكن تجسيد النظام القبلي كما يلي : ـ القبيلة من الكل إلى الجزء : فخدات ـ إخصان (عظام) ـ عائلات ممتدة ـ أسر زواجية. ومن الجزء إلى الكل في اتجاه معاكس.

إن الالتباس عند دوتي آت من الإحالة على مرجعين أو سجلين ثقافيين، أمازيغي وعربي، الأمر الذي أدى به الى تصورات متذبذبة. أما أحمد الحليمي فيرى أن الفخذة (Fraction) إطار للدفاع، والقبيلة إطار سياسي، في حين أن العظم يظل إطارا اقتصاديا، والمرجع إلى الدم في هذه المستويات إنما هو أسطوري، إن مؤسسة العائلة الممتدة، كانت نسقا أنسابيا (Agnatique) واجتماعيا وسياسيا في أوربا ما قبل الثورة الصناعية ـ كما أسلفنا ـ ومحكوم عليها بالتحول والموت، كما لاحظنا مع انتشار النموذج الرأسمالي، نفس المصيرمع انتشار الظاهرة الكولونيالية في بلاد ما وراء البحار. إن ـ ذلك الموت بدأ بكل بطء مع المخزنة كذلك، وكان التنظيم (الإخصي) يشكل خصوصية قبلية تتنافى مع كل مركزية للدولة وتحديث رأسمالي يساعد على تمثل النزعة الفردالي. كذلك لا تلبي صفة العائلة الممتد (إخْص) في المجتمعات الصناعية الحديثة أي رغبة لأي مجموعة خاصة. غير أن لهذه الصفة وظيفة وذلك كما أكده تالكوت بارسونز (Talcot Parsons) : "فبنيان المجتعات الصناعية [بما في ذلك] حركية الأفراد، صفة المشاريع والمؤسسات البروقراطية، غير منسجم مع استمرارية العائلة الكبيرة" (مناهج علم الاجتماع ص 142 Cité par R. Boudon) وخصوصيات المجتمعات المثاقفة والتي أصبحت مسقطبة وتابعة لفضاءات حضارة كونية رأسمالية ومنفتحة.

أ الحليمي، *المجموعات القروية التقليدية وتغيرها*، تر. : زبيدة بورحيل، *المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع*. ع.2، 1975.ص119-149.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; *Révolution au Maroc* ; *Le développement du pouvoir des caïds de Tagontaft*, in *Mémorial Henri Basset*, t. II, pp. 169-189 ; E. Doutté, *L'organisation domestique et sociale chez les Héha* B.C.A.F.C. n° 1 Janvier 1955.

محمد الكير

ابن **الأخضر**، أسرة تطوانية أصلها من قرية بني سالم من فرقة البحري بقبيلة الحوز المجاورة لتطوان، وكان منها الفقيه عبد الجبار بن المهدي الذي كان يتعاطى خطة العدالة من سنة 1296 / 1879 إلى سنة 1311 / 1893.

ويبدو أن هذه الأسرة قد انقرضت بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 19 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *familias ilustres de Tetuan* 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* 1932 (I) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (I).

محمد ابن عزوز حكيم

**أخطبوط**، في الوهلة الأولى يبدو من الصعب التصديق بأن الأخطبوط ينتمي إلى نفس الصنف الذي تنتمي إليه حيوانات أخرى لا تمت إليه بأي صلة شبه كمعيديات الأرجل (الحلزون، البزاق...) وصفيحيات الخياشيم (بلح البحر، المحار...) إلا أن وضعية أعضاء الأخطبوط الداخلية وكذلك مراحل تكوينه الجنيني تفرض

تصنيفه بين الرخويات بل وتجعل منه نمطا لهذه الطبقة.

كيف نتعرف على الأخطبوط : على شكل كيس خال من أي قوقعة (خلافا لباقي الرخويات) يتكون جسم الأخطبوط من ثلاثة أجزاء : الرأس، المعطف والرجل (انظر الرسم). يحمل الرأس ظهريا عينين اثنتين وقد تعتبر عين الأخطبوط من أكثر الأعين تطورا عند اللافقريات حيث تضاهي من حيث بنيتها عين الإنسان، بينما يحمل المعطف كل أحشاء الأخطبوط وأمعائه. أما الرجل فهي تتحول جزئيا عند الأخطبوط لتعطي ثمانية أدرع تحمل كل منها صفا أو صفين من المحاجم وتحيط بفم مركزي مسلح بفكين قويين على شكل "منقار ببغاء" وبعدد كبير من الأسنان الصغيرة والحادة. أما الجزء الباقي من الرجل فهو يتحول إلى قمع يصل داخل الحيوان بالعالم الخارجي.

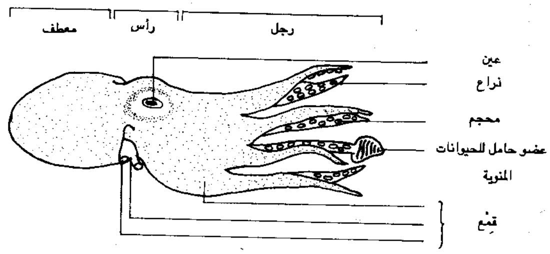


الأخطبوط كمفترس وكفريسة : يعتبر الأخطبوط من اللاحمات التي تتغذى أساسا من لحوم القشريات (إربيان، سرطان...) الرخويات (معيديات الأرجل، صفيحيات الخياشيم بل وحتى بعض رأسيات الأرجل الأخرى) وكذلك بعض الأسماك الصغيرة. وإذا كان الفكان والأسنان الصغيرة تمكن الأخطبوط من قتل وطحن الفريسة فإن الأدرع الثمانية ليس لها دور آخر سوى الإمساك وخنق تلك الفريسة. خلافا لباقي رأسيات الأرجل الأخرى فإن الأخطبوط يتناول وجبته بكل تأن وهدوء حيث إنه أثناء الهضم الأولي يفرق بين الجزء الصالح للأكل (اللحم) والجهاز العظمي أو القوقعة التي يرمي بها إلى الخارج.

إذا كان الأخطبوط يعتبر من اللاحمات فهو بدوره يعتبر من "أشهى الأطباق" بالنسبة لبعض الحيوانات اللاحمة الأخرى كالبلينات ذوات الأسنان وسمك القرش والفقم والبطريق وسمك سيف والإنسان كذلك.

وفيما يخص الناحية الاقتصادية للأخطبوط وبالأخص قيمته في تغذية الإنسان فكمثل بسيط يمكن للمتجول على شواطئنا ساعة الجزر، أن يطلع عن كثب على الأعداد الكبيرة من الأخطبوطات التي يرغمها الجزر على البقاء داخل الأحواض الصغيرة المليئة بالماء في انتظار ساعة المد حيث تكون بذلك صيدا سهل المنال بالنسبة لبعض الصيادين التقليديين الذين يجوبون الشواطئ كل ساعة جزر. أما المنظمة العالمية للتغذية والزراعة (F.A.O) فهي تقدر مصيدات رأسيات الأرجل بحوالي مليون ومائتي ألف طن سنويا بما فيها 14 ٪ من الأخطبوطات أغلبها يصطاد باليابان وبلدان البحر المتوسط.

يعيش الأخطبوط في كل بحار العالم ما بين صفر وأكثر من ألف متر من العمق تقريبا في مواضع كثيرة ومتنوعة الرمال، الحمأ، فوق الصخور وفي أجوافها وكذلك بين الطحالب... في المياه القليلة العمق وخاصة التي تكثر فيها الرمال والحمأ. يحفر الأخطبوط لنفسه جحورا يسهل للناظر التعرف عليها حيث إن ثغور هاته الجحور غالبا ما تكون محيطة بأكداس من القواقع الفارغة وذروع السراطين الميتة.

كيف يتنقل الأخطبوط ؟ في تنقله يمكن للأخطبوط أن يستعمل وسيلتين اثنتين : في قاع البحر، يزحف على أدرعه الثمانية، أما وسط الماء فبتقليص عضلاته يقذف الأخطبوط وبكل قوة بالماء الموجود داخل جوفه إلى الخارج عن طريق القمع مما يمكنه من الاندفاع إلى الوراء.

إذا كان الناس وخاصة منهم الذين يمارسون رياضة الغوص يعتبرون الأخطبوط من الحيوانات البحرية "الخجولة" التي تألف الإنسان وتداعبه فإن عضته، رغم ذلك، يمكن أن تحدث ألما شديدا. في غالب الأحيان لا تكون عضة الأخطبوط أي خطر على حياة الإنسان إلا إذا تعلق الأمر ببعض الأنواع الاستوائية المسمومة. وهكذا في أستراليا مثلا كانت عضة Haplochlaena سببا في وفاة العديد من الناس، لذلك يجب أن يعامل الأخطبوط بكل حذر.

في حالة إزعاج الأخطبوط أو تهديده يلجأ إلى عدة وسائل للدفاع عن نفسه. وأول طريقة وأسهلها أن يبقى ثابتا في مكانه "آملا" أن لا ينتبه المهاجم لوجوده. ذلك لأن الأخطبوط يتوفر تحت جلده على خلايا حاملة لخضوب متنوعة. ففي حالة تقلصها يبدو الأخطبوط ذا لون فاتح أما في حالة ارتخائها فيبدو لونه داكنا. إذن يستطيع الأخطبوط أن يساوي بين اصطباغه واصطباغ محيطه مما يمكنه، في غالب الأحيان، من خدع أعين مطارديه.

أمام نباهة وإصرار مهاجمه يسعى الأخطبوط للفرار ملتجئا بذلك إلى جحره أوالي أقرب مكان آمن (طحالب كثيفة، أجواف الصخور...)، إلا أنه إذا بوغت في حجر المياه بعيدا عن كل مكان آمن فقد يعتمد على "مدافع الميلانين" التي هي عبارة عن كيس ملحقة بجهاز الأخطبوط الهضمي مليئة بمداد أسود يقذف بها بغتة وعلى مراحل في وجه مهاجميه مشكلا بذلك سحابة سوداء تحجبه عن أعينهم. بل وفي بعض الأحيان تكون سببا في شلل بعض حواسهم كحاستي الشم والبصر.

ومن البديهي أن هاته الوسائل هي وسائل حيوان مسالم يتفادى قدر الإمكان الالتجاء إلى القوة، لكن عند إحساسه بخطر يهدد وجوده فإنه لا يتأخر في الدخول في مواجهة مباشرة مع مطارده مستعملا في ذلك كل الوسائل الممكنة بما في ذلك أذرعه الثمانية وفكاه وأسنانه التي تكون حاملة لإفرازات سامة بل وقاتله أحيانا.

يتكون الجهاز الدموي عند الأخطبوط خاصة ورأسيات الأرجل عامة من قلب مركب من بطين واحد وأذنين اثنين إضافة إلى شبكة متشعبة جدا من الشرايين. أما الجهاز التنفسي فكباقي الحيوانات المائية يتكون من خياشيم (خيشومين اثنين). أما فيما يتعلق بالجهاز التناسلي للأخطبوط فهو ذو بنية معقدة جدا إلا أن ما يميزه وخاصة عند الذكر (هو عادة أصغر حجما من الأنثى) هو أنه إبان المزاوجة فإن رأس إحدى الأذرع تتحول إلى عضو حامل للحيوانات المنوية أو ما يسمى عمليات Hectocotyle. وإذا كانت بنية هذا العضو تتغير من نوع لآخر إلا أن مهمته تبقى ثابتة وهي إيصال الخلايا المخصبة من الذكر إلى مقربة من الجهاز التناسلي للأنثى أو إلى أي مكان آخر من جسمها.

يوجد العضو الحامل للحيوانات المنوية، عادة، داخل غشاء شفاف وأثناء الزواجية ينفصل ذلك العضو عن الذراع الذي يحمله فينتج عن ذلك تمزيق الغشاء وبالتالي تحرير الحيوانات المنوية التي تسلك طريقها نحو داخل الجهاز التناسلي للأنثى حيث يتم تلقيح البويضة بعد تلقيحها تحرر البويضات خارج الجهاز التناسلي للأنثى على شكل عثاكيل أو بريم، وخلافا للعديد من الحيوانات البحرية الأخرى، يدفع "حدس الأمومة" عند أنثى الأخطبوط إلى أن تقوم بحراسة ذريتها فهي تنضحها وتنظفها باستمرار إلى أن يحين وقت تفقيسها.

أما عن عدد البويضات وحجمها، فباستطاعة الأنثى Octopus vulgaris وهي الأكثر انتشارا في المغرب مثلا، أن تبيض حوالي 400.000 بيضة يبلغ حجم كل واحدة منها 1,7 سنتم تقريبا. كما تستغرق مدة الحضانة حوالي 65 يوما.

بعد شهرين تقريبا من تلقيحها تظهر البيضة أخطبوطا صغيرا يدور داخلها بدون انقطاع محاولا التعلق بجدرانها الشفافة بواسطة أذرعه الثمانية وكأنه يحاول التوجه نحو مصادر الضوء. بعد ذلك يتمكن الأخطبوط الصغير من بيضته ليعيش حياة عالقة لمدة عدة أسابيع قبل أن يلزق بالصخور ويتم حياته بينها كباقي القاعيات.

عرف تصنيف الأخطبوطات في السنوات الأخيرة عدة تعديلات ولا زالت بعض المجموعات قيد الدرس إلى حد الآن، لذا لن يكون من الممكن إعطاء أي تصنيف دقيق للأخطبوط إلا أن خصوصيات الأنواع الثمانية الأكثر انتشارا على شواطئ المغرب والأكثر أهمية من الناحية الاقتصادية هي Octopus vulgaris صفان اثنان من المحاجم، أذرع بحترية وقصيرة إلا أن الذراعين الظهريين تصغران بقليل عن الأذرع الأخرى.

Octopus defilippi، صفان اثنان من المحاجم، جسم صغير، أذرع طويلة جدا وزهيدة. Octopus macropus، صفان اثنان من المحاجم، الذراعان الظهريان أطول وأثخن من كل الأذرع الأخرى. Eledone moschata، صف واحد من المحاجم، الأذرع طويلة، جلد مصقول (أو ناعم) أو حامل لحبيبات دقيقة جدا. Eledone cirrosa، صف واحد من المحاجم، أذرع بحترية، جلد أحرش يحمل حليمات عديدة. Scaeurgus unicirrus، صفان اثنان من المحاجم، "معطف" مغطى بحليمات عديدة ومحاط بعرفين على الجانبين الأيمن والأيسر مع قرن صغير متشعب فوق كل عين. P. teroctopus tetracirrhus، صفان اثنان من المحاجم، أذرع طويلة، جسم حجم طوله كعرضه تقريبا وعنق لا يحمل أي قبض مع قرنين صغيرين فوق كل عين. Argonaûla argo، أنثى عائمة فوق سطح البحر بواسطة "قوقعة شفافة"، أذرع طويلة إلا أن الذراعين الظهريين تبدوان خشينتين متصلتين بينهما بغشاء.

جغرافيا فإن الأخطبوطات تسكن كل بحار ومحيطات العالم تقريبا إلا أنه فيما يخص شواطئنا ومياهنا الإقليمية فإن الأنواع الثمانية السابق ذكرها تتوزع كالتالي :

O. Vulgaris, A. Argo, P. Tetracirrhus, O. Defilippi : تسكن كل الشواطئ المغربية من السعيدية (البحر المتوسط) إلى طنجة ومن طنجة إلى الكويرة (على الساحل الأطلسي).

Macropus, S. Unicirrhus : نوعان لا يسكنان إلا في سواحل البحر المتوسط (السعيدية إلى البوغاز).

E. Currosa, E. Moschata : على سواحل البحر المتوسط من السعيدية إلى البوغاز أما على سواحل المحيط الأطلسي فهي تتوزع من طنجة إلى أگادير تقريبا.

الأخطبوط كحيوان للتجارب المخبرية : ينتمي الأخطبوط إلى رأسيات الأرجل التي تعتبر من أضخم اللافقريات المعروفة وأكبرها. كما أنه يعتبر من أقوى الرخويات وأكثرها تطورا. ونظرا لتطور حواسه وجهازه العصبي بما في ذلك الدماغ. ونظرا كذلك لقدرته الهائلة على التعلم فإن الأخطبوط يعتبر من أهم الحيوانات المخبرية التي تجري عليها عدة تجارب علمية وخاصة في ميادين علم الأحياء والطب.


H. Boue et R. Chanton (1962), *Biologie animale, Zoologie*. I. Invertebrés, tome I Doin et Cle, édit. Durett-Desset M.C. ; M.J. Forest et M.A. Franc (1974), *Les cephalopodes*, coll. "Les Sciences" *La grande encyclopédie alpha Sciences et des techniques*, Fasc, 29 : 180-187 ; Ministère des pêches et des Oceans du Canada (1981), *Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche atlantique Centre-Est ; Cephalopodes*. Fiches F.A.O. 89 P ; C.F.E. Roper, M.J. Sweeney et C.E. Nauen (1984), F.A.O. speciès catalogue vol.3 ; *Cephalopods of the world*, F.A.O. Ficheries synopsis n°125, 276 P ; B. Salvat (1980), Les animaux, *l'encyclopédie des animaux dans la nature*, vol. 6. *Panorama du monde animal* ; *Mollusques*, Hachette édit. (deuxième édition), 991-1001.


محمد منيوي

**أخَطّاب**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد اشتهر أفرادها بمهارتهم في الرمي بالمدافع، حيث نجد المسمى محمد أخطّاب وقّع بصفته رئيس فرقة المدفعية بحامية تطوان على وثيقة مبايعة سعيد بن السلطان مولاي اليزيد في 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821. كما

نجد المسمى عبد الكريم أخطاب يرأس فرقة المدفعية بتطوان عام 1246 / 1830. وقد انقرضت هذه الأسرة.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 19 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (J) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* 1932 (J) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**الأخْفَش**، علي بن يحي بن محمد بن علي بن هشام القيسي المراكشي، أبو الحسن المعروف بالأخفش. من علماء مراكش في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي. لم ترد معلومات وافرة عنه في كتب التراجم. ومما وصلنا عنه أنه أخذ عن أبي زيد السهيلي، وأبي عبد الله الاستجي، وابن أبان، وابن نخيل، وأبي حفص بن إبراهيم الغساني، وابن خلوص وأبي محمد قاسم بن الزقاق.

ومن الذين رووا عنه صهره محمد بن عبد الله بن زيد المهاجر، ومحمد بن عبد الله بن عبد العزيز الخروف، وأحمد ابن عبد الله السكوني، وعمر بن محمد بن أحمد القيسي، وأبو الطاهر السلفي الذي طلب إجازته.

ذكر ابن عبد الملك المراكشي أن والده أخذ عن المترجم له القراءات السبع (*الذيل والتكملة*، 5 : 422)، وهو العلم الذي كان يجيده، إذ قال عنه إنه كان مقرئا مجودا متفننا ضابطا فاضلا. وكان خطيبا بسجن مراكش. ونسب له ابن عبد الملك بيتا شعريا :

سلام كأنواع القريض فوافـــر مديد بسيط كامل فطويـــل

في ترجمة صهره وتلميذه محمد بن عبدالله المهاجر، الذي ذيله ببيتين، هما :

على الأدب الغض الذي راق زهره كوارق روض قد غداه بليـــل

وإلا كمسك في مفارق غــــادة كأملود بان والنسيم عليـــل

لم تذكر المصادر تاريخ وفاة علي الأخفش.

م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ج 5 و6 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، ج 4.

حسن جلاّب

**الأخماس**، قبيلة ريفية، غير أن أصل التسمية لا نكاد نظفر بحقيقته المزعومة إلا عند العارفين من أبناء هذه القبيلة، والشواهد الماثلة تلمح إلى حقيقة واحدة، هي أن رجلا مقدسا عند الأقوام، مقاما له ضريح عندهم، يحجون إلى زيارته، ويقيمون سوقا باسمه، وفي موضعه. قالوا إنّ الذي أنشأ هذه التسمية هو "يرسول" - كما تنطق به العامة - أو "يلصو" كما يقول غيرهم من الخاصة. فمن هذا الرجل؟ يقولون إنه من ذرية عثمان بن عفان، فهو يرسول بن عبد الملك بن محمد بن أبان بن عثمان، ونحن نعرف عن أبان هذا وعن بنيه الشئ الكثير، لكننا لانعرف شيئا عن "يرسول" ابن حفيده، وبالأحرى لانعرف أو لا يمكن أن نعرف عن "يلصو" وهو عربي من ذرية العرب الأقحاح، إذ القاعدة المطردة في العربية أن ليس بها اسم آخره واو قبلها ضمة لازمة، ويمكن أن يكون أصله مضارعا كيزيد، وإلا فإننا نزيح عن الميدان اسم "يلصو" اللهم إلا أن يكون هذا الحفيد نشأ بين البربر، فسموه بهذا الاسم الذي لا يرفضونه.

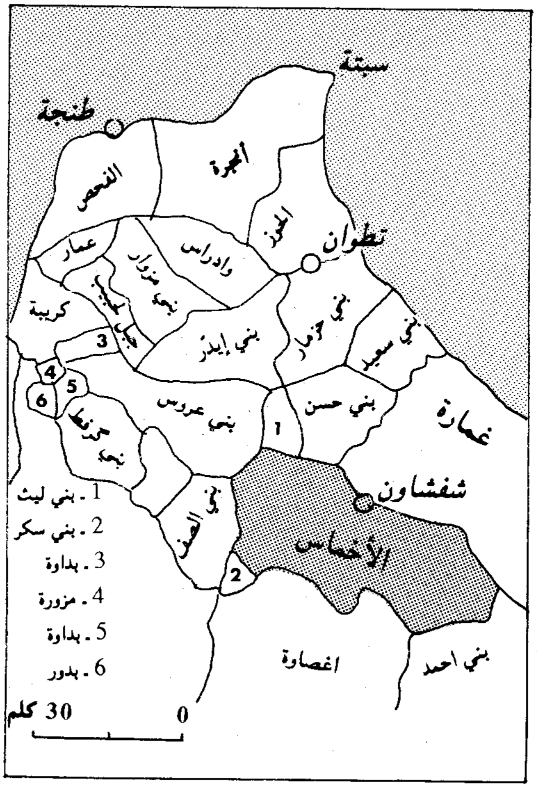


الأخماس

والقصة فيه أنه كان أحد الولاة الخمسة، الذين كان فيهم طارق بن زياد، فقد جاء هذا الرجل، أو كان بالمغرب، الذي غادره إلى مصر سنة 87 ثم انتهى الى غمارة وأقام فيها بمكان منها أو من تخومها سمي فيما بعد باسم الأخماس (رواية ابن الصادق). والقصة تحمل في طياتها شيئا قد يلقي عليه التاريخ بصيصا مما عرف فيه، فقد عرف أن المغرب كان فيه من يميل إلى العثمانية ومن يميل إلى العلوية، بحكم الولاء، أو الانتماء الذي يدعمه الزواج.

وإذا كانت غمارة عامة تعرف بولائها للعلوية، فإن الأخماس، قد انشقت - إن كانت منها - عن هذا الحب، فكان ضلعها مع العثمانية، وما زلنا نجد اسم عثمان يسمى به بعض أبنائها في عصرنا. وهناك أدلة بارزة عثمانية لا تنكر في الأخماس. إنما بها عادات لا يعرف مصدرها. وهو أن بها أسرا متضامنة في قراها تسيطر عليهم عقائد شيعية تبرز بوضوح في عاداتهم وملابسهم. منهم : أتباع زاوية سيدي عبد الله الهبطي حيث إن أحزمة نسائهم خضراء وعلم صالحهم أخضر ولا تخلو ملابسهم من الاخضرار. كما أن الشرفاء العمرانيين بالأخماس يتطيرون

من اللباس الأسود ويفضلون الأخضر ويتشددون في الزواج من بعضهم ويكثرون من رواية أقاصيص سيدنا علي، وهذه الاسر متعددة خصوصا في الأخماس العليا. كما أننا نجد الحب المفقود بين غمارة وبين الأخماس لعهدنا، ويتجلى نموذج منه في سكان مدينة الشاون، التي نجد فيها كتلتين متعصبتين، كتلة الأخماس وكتلة غمارة، وكنتيجة للصدام الذي كان يجري بين الأخماس وغمارة، اقتطعت بعض المداشر من غمارة وضمت إلى الأخماس بظهير لا زال بين أيديهم لحد الآن. وخارجًا عن القبيلتين نجد "وادراس" حليفة للأخماس، و "أنجرة" حليفة لغمارة، وهما قبيلتان بينهما تنافس يصل إلى العداء، استغله الإسبان سالفا حتى في الجهاد.

نعود إلى اسم "الأخماس" قال بعض رجال هذه القبيلة إن "يرسول" لما أتى هذه الجهة، ونصب بها خزانة - خيمة - ما زال مكانها معروفا بهذا الاسم، كان له خمسة أولاد، كانوا مصابيح الهداية، فعلّموا أو علّم أبوهم أهل هذه الجهات الصلوات الخمس لما أسلموا على يدهم، فكانت هذه الخمسة من عددهم وعدد الصلوات منشأ لهذه التسمية، وعلى هذه الخمسية قسمت هذه الناحية إلى خمسة أقسام، هي : خمس بني صالح، خمس بني دركول، خمس بني فلواط، خمس سبع قبايل، خمس بني زرويل. لكن هذه الأخماس لم تقف عند العددية، بل هناك خمس بني تليد، وخمس بني جافن. بالإضافة إلى هذا هناك محل سكنى "يرسول" بجماعة الخزانة، المكان الذي كان قد أقام به خيمته. أول نزوله فيه، وما زال معروفا بهذا. وقد قالوا إنه الذي قسم الأخماس إلى قسمين، الأخماس الفوقية، التي تضم الأربعة المذكورة أولا. والأخماس السفلية، التي تضم الأخماس التي ذكرت بعد تلك مضافا إليها (الخزانة). وزعموا أنه أقام لكلا القسمين سوقا يقام يوم الأحد، كما قالوا إنه جعل لكل خمس راية يصطحبونها في السلم والحرب، وما زال أهل الأخماس إذا خرجوا لزيارة مولاي عبد السلام في موسم النسخة، حمل كل جماعة راية تنتمي إلى خمسهم، وساروا أولا مفترقين، ثم يجتمعون في منتصف الطريق. لقد رأى أهل الأخماس، أن يسموا ألويتهم بأسماء الصالحين والأولياء، فسمى جماعة بني جافن لواءهم باسم المولى إدريس الفاتح، وسمى جماعة بني تليد لواءهم باسم صالح منهم، وهو يوسف التليدي، وسمى جماعة بني زرويل لواءهم باسم محمد بن اسعادة، أما جماعة بني صالح وبني درگول وبني فلواط، فسموا لواءهم بأحمد العالم، وبهذا تكون الأخماس الثلاثة قد ضمها لواء واحد فعُدَّت واحدة، وسمى جماعة سبع قبايل لواءهم باسم سيدي الحاج القطران (وهو ولي يحكون له كرامة فيها زوجته التي جعلت لضيوفه قطرانا بدل عسل). وقالوا أيضا إنه أثناء إقامة "يرسول" بالموضع المعروف، جاء طارق إلى المكان المعروف الآن باسم الشرافات، وهو ضمن ولايته، فأسس بهذا المكان مسجداً، حيث الآن مقام هناك مسجد، كان قبيل الاستقلال أحد المعاهد الدينية، نظمت به الدراسة التي سميت فيما بعد بالتعليم الأصلي. ومنذ زمن غير بعيد كان السكان يحترمونه كثيرا حتى إنهم إذا مروا به نزلوا عن دوابهم احتراما له، وبعض الغلاة يخلعون نعالهم حين المرور به.

وهكذا ظل "يرسول" مقيما بهذا المكان "الخزانة" إلى أن وافاه الأجل المحتوم، فدفن حيث ضريحه ما زال معروفا يزار في سوق جمعة "سيدي يرسول" وتقام بهذا السوق عمارة تسمى عمارة سيدي يرسول، وهو تقليد قومي أن تدعى الأسواق بأسماء الأولياء : سيدي سليمان، سيدي قاسم، مولاي بوسلهام، سيدي عياش إلى غير ذلك من الأسماء، حقيقية كانت أم مخترعة، تدل على تشبث هؤلاء بالصالحين في أسواقهم وعمائرهم.

ومع أن "يرسول" خلف بنين منه، لكن الذي تولى حكم هذا الإقليم كان رجلا يدعى "تيفو" ولا شك أنه كان بربريا، في الأصل أو في الاسم، كما دعي سلفه باسم "يلصو" وهو ما استبعدنا أن يكون عربيا، إلا بتأويل لم نجد له نظيرا نستأنس به. قالوا إن "تيفو" هذا استبد وطغى، فثار عليه القوم وأزاحوه عن الحكم، وأقاموا مكانه رجلا من اقرباء "يلصو" أو "يرسول" بمدشر "تيفوزال".. وفي هذا الاسم ادعاؤهم تركيبه من "تيفو" + كلمة زال العربية، حيث كان القضاء على "تيفو" أو إزالته فزال عن الحكم، والغالب أن هذا التعليل حصل بعد ذلك وأن المكان هكذا دعي، تركيبا بربريا، وإن كان مثل هذا التعليل معهوداً في الغرب والشرق، تعليلا ميسورا للجميع.

ومهما يكن فان هذه القبيلة عُرفت بالإباء والجهاد، وقد ظهر من رجالها على مسرح السياسة في القرن الحادي والثاني عشر، وفي عهد المولى اسماعيل رجل الدولة اليحمدي الأديب، وشاعره علي مصباح العظيم، ثم ابن هذا الكاتب الشاعر [انظر تراجمهم في حروفها].

وبعزوف الأخماس لم تنضم إلى الفاطميين، بل ظلت وفية لبني عثمان، ثم للأمويين الذين مدوا ظل سلطانهم، على عهد عبد الرحمان الناصر ومن أتى بعده في المغرب، فكان ضمن هذا النطاق قبيلة الأخماس.

أما جيرانهم الغماريون الذين أخلصوا للفاطميين، فقد كان لهم شأن خارج المغرب، وخلدت أسماؤهم في اسبانية بغرناطة، وفي وسط الجزيرة الايبيرية، حيث "كاسيريس" التي ما هي إلا "قاع اسراس" الغمارية، وفي جنوب "سوريا" حيث يحمل هناك بسيط فسيح اسم "غمارة".

*معلومات ومشاهدات شخصية ؛ رواية أمين الاملاك المخزنية بالشاون أحمد بن الأمين ابن الصادق ؛ مذكرة الأستاذ محمد المعطي العمراني المحامي.*

محمد بن تاويت

**أخَمْليش**، أو الخَمْليشي أسرة شريفة يقول عنها النسابة إدريس الفضيلي في *الدرر البهية* إنها إدريسية تنحدر من أحمد بن محمد بن إدريس الثاني، ولها نفوذ كبير في قبائل الريف وخاصة في قبائل صنهاجة حيث توجد الزاوية الأم للأسرة الخمليشية التابعة للطريقة الناصرية.

ويبدو أن أول فرد من هذه الأسرة استقر بصنهاجة هو يحيى بن أحمد بن عبد الرحمان بن يحي ابن يخلف بن إبراهيم بن عبد المجيد بن عبد الغفور بن إدريس بن محمد بن أحمد بن أبي الفضل ابن أحمد بن محمد بن إدريس الثاني، وقد نزل بمدشر القناطر بقبيلة بونصر حيث أسس في العقد السابع من القرن العاشر الهجري زاويته المعروفة بزاوية القناطر التي أصبحت هي الزاوية الأم للأسرة الخمليشية.

وقد توفي يحيى المذكور بقرية امسد بقبيلة بني بشير حيث يوجد ضريحه الذي تقام حوله عمارة كبيرة كل سنة، وقد خلّف أربعة أولاد كان أشهرهم محمد الذي خلّف بدوره ثلاثة أولاد أشهرهم محمد الكبير، وأشهر أولاده الثلاثة محمد الصديق.

انتشر خلف يحيى بجميع قبائل صنهاجة حيث نجد أولاد أخمليش في القبائل التالية : بني بونصر، وبني بشير، وبني خنوس، وبني مزدوي، وبني أحمد، وبني بوشيبت، وتغزوت، وتركيست وزرقات، وكتامة. وأما فروع الأسرة اليوم فعددها أربعة هي : أولاد الصديق، وأولاد الفاسي، وأولاد الدرويش، وأولاد سيدي الحاج علي.

وتشهد الوثائق التي نتوفر عليها أن شيوخ هذه الأسرة أسهموا إسهاما كبيرا في المحافظة على الأمن والاستقرار بقبائل صنهاجة، وكان المخزن يعتمد عليهم في بسط نفوذه بناحية الريف.

وتجدر الإشارة إلى أن موليارا (Auguste Moulieras) يدعي أن كلمة أخمليش معناها في اللهجة الريفية "المبارك" أو "المبروك"، وقد وجدنا بعض أفراد هذه الأسرة مكتوبا "خمليش" في بعض الظهائر السلطانية.

إ. العضيلي، *الدرر البهية*.

Auguste Moulièras, *Le Maroc inconnu*, Oran 1895-1899 ; Cerdeira (Clemente), *Apuntes para la historia del Rif*, Madrid-Ceuta 1926 ; Capaz (Loronel), *La familia de Ulad Ajamlichen y suatolengo en Senhaya*, Ceuta 1935 ; Rodriguez Srola (J.), *Estudio sobre los chorfa Ajamlichen*, Tetuan 1952.

محمد ابن عزوز حكيم

**أخَمْليش، محمد الصديق**، أحد أقطاب الزاوية الخمليشية التي تأسست في الريف بصنهاجة السراير. جده الأعلى هو يحيى بن عبد الرحمان بن يحيى الصنهاجي الخمليشي الذي عاش في النصف الأول من القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر. أما والده فهو سيدي محمد الكبير صاحب زاوية القنطرة بقبيلة بني بوناصر.

عاصر المترجم ثلاثة سلاطين من الأسرة العلوية، هم مولاي عبد الرحمان بن هشام، وسيدي محمد بن عبدالرحمان، ومولاي الحسن. وقد نضجت شخصيته الدينية والعلمية منذ الثلث الأول من القرن التاسع عشر، إذ نجده في غضون هذا التاريخ عالما متضلعا في الفقه والتوحيد والنحو، وكانت زاويته التي أسسها في أزرواس بقبيلة بوناصر تضطلع منذ ذلك التاريخ بالدور الذي تقوم به عادة الزوايا في المغرب، ألا وهو دور التحكيم لحل مشاكل الجماعات والأفراد. نتبين، مثلا، من إحدى الوثائق أنه شهد في قسمة إرث على الشكل التالي : "شهد بذلك من حضر لهذا الصلح وحققه كيف ذكر وهو لدى إمام محمد خمليش وفاصلهم على ذلك بعد التحقيق والتأمل على طيب أنفسهم" (آخر ربيع الأول 1253 / 4 غشت 1837).

على أن ذروة تنامي نفوذ المترجم والزاوية الخمليشية على العموم هي الفترة التي تطابق النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد تراخت يومئذ قبضة السلطة المركزية على إقليم الريف مما أحدث فراغا وأعطى الزاوية بالتالي دفعة قوية من النفوذ كقوة دينية لا مناص للقبائل عن إلتماس وساطتها لحل مشاكلها. وحيث إن محمد الصديق احتفظ بعلاقات طيبة مع السلطة المركزية، فقد زاد إعتماد المخزن عليه ليكون همزة وصل بينه وبين القبائل. وكان نفوذه يستغل في شتى الميادين بما فيها جباية الضرائب والواجبات المخزنية. من ذلك أن المترجم كتب إلى كافة صنهاجة في رسالة غير مؤرخة يقول فيها : "يرد عليكم أصحاب الباشا قائد الرحى ومن معه وصحبتهم كتاب يأمركم بأعمال كل قبيلة شيخها بجمع المال والذعائر والمعاملات على العادة نأمركم خيرا بأصحابه ونؤكد به عليكم وأعجلوا ولا تستهزئوا".

وإليه أيضا كان المخزن يلتجئ عند ظهور الأخطار الخارجية ليذكي في نفوس الريفيين حب الجهاد. تبلور هذا الدور على الخصوص غداة حرب تطوان ضد الإسبان (1859 - 1860)، حيث دارت بينه وبين السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان مراسلات عديدة تشهد على أهمية الدور الذي لعبه خلال هذه الحرب. ومن مؤثراته الجليلة في هذا المجال وضعه حدا للنزاعات الداخلية التي كانت تشل القبائل وتقعدها عن الجهاد. من ذلك الصلح الذي عقده بتوقيعه في 14 رجب 1276 / 6 فبراير 1860، بين أهل ورغة ومرنيسة. وهكذا فقد خرجت القبائل التي كانت تقاتل بعضها بالأمس مجاهدة مناضلة. ويذكر ميشو بلير بالفعل أنه جمع المحاربين الريفيين بشكل كثيف وقادهم إلى مولاي العباس قائد الجيش المخزني. وهذا ما يستشف أيضا من الرسالة التالية التي وجهها إليه السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان :

"وصلنا ما كتبته عن إستعداد قبائل الناحية للقيام بالحرب المقدسة، واجبك أن تهيء الحركة وتأتي حسب ما صرحت لك بنفسك معهم، تلتمس منا أن نبين لك المكان الذي يجب أن تتجهون إليه، سنقوم بتنصيب مكان إقامتكم. فلتعط توجهيات لتموين صنهاجة وأصدقاؤك في نفس الوقت نوصيك برعاية الرجال الذين معك والإعتناء

بهم نظرا للحالة الصعبة التي توجد عليها تلك القبائل...".

توفي المترجم في 10 شعبان 1297 / 18 يوليوز 1880.

م. الحامد أخمليش، *تقييد حول الشرفاء الخمالشة*، مخطوط ؛ أ. أشعبان، *الزاوية الخمليشية*، شعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 78. 1979.

Michaux Bellaire, *Le Rif*, Direction des Affaires indigènes, Rabat 1925 ; P. Pascon, *Les Béni Boufrah*, Rabat 1983.

محمد الأمين البزاز

**أخَمْليش، محمد الكبير** (الثاني) بن محمد، آلت إليه مشيخة زوايا هذه الأسرة بقبائل صنهاجة بعد وفاة عمه الشيخ محمد الصديق بن محمد الكبير (الأول) بن أحمد بن يحي.

وأقدم وثيقة نتوفر عليها لحد الآن تتعلق بصاحب الترجمة هي الرسالة التي وجهها له الحسن الأول يوم 23 شوال 1306 / 22 يونيو 1889 يقول له فيها إنه أصدر أوامره إلى عامله بصنهاجة لكي يلتحق صحبة قبيلته بالركب السلطاني الذي في طريقه من فاس إلى تطوان، وجاء في الرسالة : "نخبرك بهذا لتكون منه على علم وتعمل على تنفيذه وتلتحق أنت كذلك بأعتابنا الشريفة عاجلاً".

ومما يدل على أن صاحب الترجمة كان مثل أسلافه في خدمة المخزن الظهير الذي أصدره السلطان مولاي عبد العزيز يوم 5 ربيع الثاني 1320 / 12 يوليوز 1902 يأمر من يقف عليه أن يحيط الشيخ محمد الكبير بالتوقير والاحترام.

وعندما أقدم أهل فاس على خلع السلطان مولاي عبد العزيز ومبايعة أخيه مولاي عبد الحفيظ، كتب من ولّوه أمر الخلافة بفاس إلى أن يصل إليها السلطان الجديد، وهو الشريف مولاي عبد السلام الأمراني، رسالة إلى صاحب الترجمة بتاريخ 4 ذي الحجة 1325 / 8 يناير 1908 يخبره فيها بذلك كله ويطلب منه إرسال بيعة قبائل صنهاجة لمولاي عبد الحفيظ.

ويستفاد من المصادر الإسبانية أن صاحب الترجمة وقف من الثائر أبي حمارة موقف المعارض لتسرب نفوذه إلى قبائل صنهاجة، الشيء الذي تؤكده عدة رسائل وجهها الثائر إلى قبائل صنهاجة وبني عمرت وبني مزلوي وتغزوت بتاريخ فاتح محرم 1325 / 14 فبراير 1907 يأمرهم فيها بتخريب الزاوية الخمليشية الواقعة بمدشر التفاح بقبيلة بني عمرت، وفي هذا الصدد جاء في رسالة وجهها له السلطان مولاي عبد الحفيظ يوم 3 شعبان 1326 / 30 غشت 1908 يقول له فيها إنه واثق من إخلاصه وتعلقه بعرشه، شأنه في ذلك شأن ما كان عليه أسلافه، كما نتوفر على رسالة أخرى بتاريخ 23 شعبان من نفس السنة / 20 سبتمبر يقول له فيها إنه على علم بما يقوم به من دعاية ضد الثائر أبي حمارة ويحثه على متابعة عمله.

وهناك رسالة ثالثة من نفس السلطان بتاريخ 19 جمادى الثانية 1327 / 8 يوليوز 1909 يخبر فيها صاحب الترجمة بأنه توصل برسالته حول تقدم الجيش الإسباني بأرض المغرب وأنه يتعين عليه أن يكون على بال من أمره.

وتقول المصادر الإسبانية إن صاحب الترجمة كان بجانب الشريف مولاي محمد أمزيان يعينه في حركته ضد أبي حمارة أولا ثم في مقاومته المسلحة ضد الغزو الإسباني لقبائل الكرت المجاورة لمدينة مليلة، وذلك منذ اندلاع الثورة في 14 جمادى الثانية 1327 / 3 يوليوز 1909 إلى أن استشهد الشريف أمزيان بمعركة عزيب علال وقدور يوم 28 جمادى الأولى 1330 / 15 ماي 1912 وتشهد نفس المصادر على أن الشيخ محمد الكبير كان قد انضم إلى الثورة الريفية التي تزعمها محمد بن عبد الكريم الخطابي منذ اللحظة الأولى أي في شهر رمضان 1339 / 9 يونيو 1921، غير أن كبر سنه لم يسمح له بالمشاركة الشخصية في المقاومة، فكان ينوب عنه في ذلك ولداه سيدي محمد الفلاح ومولاي الصديق. وكانت وفاته سنة 1347 / 1928.

Cerdeira (Clemente), *Apuntos para La historia del Rif*, Madrid-Ceuta 1926 ; Capaz (Coronel), *La familia de Ulad Ajamlich y suabolengo en Senhaya*, Ceuta 1935 ; Rodriguez Erola (José), *Estudio sobre Los chorfa Ajamlichen* , Tetuan 1952 ; Et-tabyi, *Miscelanea marroqui*, Tetuan 1953 ; *Retazos de historia marroquí*, Tetuan 1955.

محمد ابن عزوز حكيم

**أخَنُّوسْ** (قصر ــ) ← **تافيلالت**

**أخنيفرة** ← **خنيفرة**

**أخِينُوس** أو قُنفذ البحر. يُعتبر الفيلسوف الإغريقي أرسطو أول من أطلق اسم أخينوس "Echinus" أو قنفذ البحر على هذا الحيوان المتوسطي Paracentrotus lividus الذي سنتخذه كنوع نمط للتعريف بهاته الفصيلة من الحيوانات البحرية التي ظهرت حسب الدراسات الجيولوجية قبل 450 مليون سنة تقريبا.

1 - منسل
2 - الشرج
3 - الفم
4 - القصبة الهضمية
5 - أشواك
6 - أرجل
7 - جهاز مضغي
8 - جهاز مائي
9 - منطقة قنائية
10 - منطقة بيقنائية
11 - صفيحات شعاعية
12 - صفيحات بيشعاعية

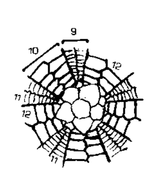

رسم 1

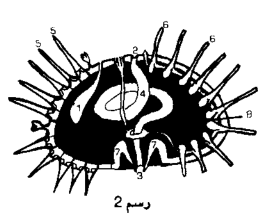

رسم 2

على شكل كروي أفطس لا يُرى لأخينُوس رأس ولا جسم ولا مفاصل، فهو محاط من كل جانب بعدد من الأشواك التي إذا نُزعت تكشف عن قوقعة كروية الشكل مخططة بعشرين صفًا عموديا من الصفيحات السداسيات الشكل والمتراصة فيما بينها (رسم 1). تنقسم القوقعة بفعل هاته الصفوف إلى عشرة مناطق تتكون كل واحدة

منها من صفين اثنين متشابهين تحمل بالتناوب عددا محددا من الثقوب حاملة لعدة أرجل تتحرك بواسطة جهاز مائي.

الجهاز الهضمي : كباقي الحيوانات يتكون الجهاز الهضمي عند قنافذ البحر من فم محاط بجهاز مضغي ثم من مريء قصير يصب في معدة واسعة مُتبعة بمَعيٍ ثم بمستقيم وأخيرا بشَرَج (رسم 2) ؛ إلا أن ما يميز هذا الجهاز الهضمي هو الجهاز المضغي البالغ التعقيد والذي لا سبيل إلى الدخول في تفاصيله في هذا المقال إلا أنه يمكن تلخيص بنيته في خمسة أسنان قوية على شكل هرم تتحرك كلها بواسطة آلة معقدة من العضلات محيطة بالجزء الأمامي للمريء.

الجهاز التنفسي : كباقي الحيوانات المائية يتوفر الجهاز التنفسي عند قنافذ البحر على عدد قليل من الخياشيم المحيطة بالفم على الواجهة البطنية إلا أن الاعتقاد السائد هو أن امتصاص مادة الأكسجين من الماء يُؤَمَّن في أغلبيته ومباشرة عن طريق الأرجل.

الجهاز الدموي : خلافا للعديد من الحيوانات فإن البنية الأساسية للجهاز الدموي عند قنافذ البحر مبسطة جدا. يتكون هذا الجهاز من بعض الفجوات التي تحيط بالأمعاء وخاصة الجزء المختص في امتصاص المواد الغذائية. تتشعب هاته الفجوات فيما بعد لتحمل السائل الدموي محملا بالمواد المغذية إلى جميع أعضاء الجسم.

الجهاز التناسلي : رغم أنه غالبا ما يتعذر التعرف على الذكر من الأنثى إعتمادا على الخصائص الخارجية فإن أغلبية أنواع قنافذ البحر أحاديات النسل إلا أن بعض الأنواع قد تكون خناثا حيث أن كل فرد من الجماعة يبدأ حياته الجنسية كذكر ليتحول فيما بعد إلى أنثى، وقد أثبتت الدراسات أن بعض الخناث يمكن أن تلقح ذاتها.

يكون البلوغ الجنسي مبكرا نسبيا حيث إن الحيوانات المنوية عند الذكور والبويضات عند الإناث تصبح قابلة للتخصيب عندما يبلغ حجم الأخينوس ربع حجمه النهائي فقط، ومن أغرب ما يُعرف عن هذا الحيوان هو أنه مع قرب وقت الإخصاب أي بداية فصل الصيف تقريبا يلاحَظ وجود تجمعات عديدة لقنافذ البحر حيث تقترب بعضها من البعض قبل أن يدفع الجميع بسائله الجنسي في الماء وذلك على فترات متقاربة.

يعتبر هذا السلوك محاولة للزيادة من حُظوظ التلاقي بين الحيوانات المنوية والبويضات الأنثوية، حُظوظا تتضاعف أكثر نتيجة إفراز البويضات الأنثوية لبعض الهرمونات التي تحملها التيارات والتي تساعد الحيوانات المنوية على "التعرف" والتوجه نحو هاته البويضات لتلقيحها.

أما عن عدد الخلايا التناسلية التي يمكن للأخينوس أن يدفع بها في الماء وقت الإخصاب وكمثال فقط يمكن لبعض إناث قنافذ البحر أن تلد أكثر من عشرين مليون من البويضات في صيف واحد.

أما فيما يخص الجهاز التناسلي ذاته فهو يتكون سواء عند الذكر أو الأنثى من خمسة مناسل شعاعية ذات لون برتقالي يفرغ محتواها ساعة التلقيح بواسطة مسالك قصيرة.

الجهاز العصبي : يتكون الجهاز العصبي من حلقة محيطة بالمريء تتفرع إلى خمسة أشرطة شعاعية الشكل تعصب كل منها واحدة من الحجرات الخمسة التي تكون جسم قنفذ البحر ثم من حلقة محيطة بالفم تعصب المناسل بالإضافة إلى جهاز عصبي ناقص يعصب الجهاز المضغي.

تصنيف قنافذ البحر : تُصنَّف قنافذ البحر إلى مجموعتين اثنتين، فهي إما ذات تماثل مرتَّب وإما ذات تماثل غير مرتب. أما ذوات التماثل المرتب فهي تستجيب للوصف الذي أعطيناه سابقا. يوجد الفم عند هاته الفئة على الواجهة البطنية وهو محاط بجهاز مَضْغي معقد، والشرج على الواجهة الظهرية.

أما فيما يتعلق بالمجموعة ذات التماثل غير المرتب فهي تتوفر على قوقعة سهلة الإنكسار مغطاة بعدد كبير من الأشواك اللينة أو الوَبَرِيَّة. وخلافا للمجموعة الأولى يوجد الشرج إما على الواجهة الخلفية أو الواجهة البطنية على مقربة من الفم مما يزيد البنية الداخلية تعقيدا. أما الجهاز المضغي فهو، في حالة وجوده، ذو بنية بسيطة يحيط بفم على شكل هلال تحولت فيه الشفة السفلى لتصبح على شكل مِنْقَارطَيْر يتلائم وحياة هاته المجموعة الرملية. والجدير بَالذكر أن كلا المجموعتين موجودة في المغرب على طول سواحله الأطلسية والمتوسطية وهي ممثلة بعدة أنواع يمكن أن نذكر من بينها Paracentrotus lividus وArbacia lixulae فوق الصخور وEchinocardium cordatum في الرمال.

تعيش قنافذ البحر في مواطن عديدة وعلى عمق يمتد من سطح البحر حتى عمق آلاف الأمتار. تكثر الأنواع التي تنتسب إلى ذوات التماثل المرتب بين الطحالب، تحت وفوق الصخور حيث بتمحورها تصنع لنفسها نخارب تسكن فيها وتغطي نفسها تَفَادِيًا لأعين الحيوانات الأخرى المفترسة كما أنها تتغذى علىَ الطحالب وعلى الحيوانات الأخرى الصغيرة كالقشريات والحلقيات...

أما فيما يتعلق بذوات التماثل غير المرتب فهي تستوطن الجحور وسط الرمال والرمال الطينية وتتغذى عادة على الرمال والطين حيث تمتص منها كل ما هو عضوي لتقذف بباقي المواد المعدنية خارج الجحر.

استعمالاته : تعتبر مناسل الأخينوس أهم عضو بالنسبة للإنسان ؛ فبالإضافة إلى قيمتها الغذائية، وبفضل محتواها، استطاع الإنسان أن يكتشف ويتعرف لأول مرة في عالم الحيوانات، على جميع مراحل عملية تلقيح البويضات الأنثوية من طرف الحيوانات المنوية، ولا زالت

مراحل هاته العملية تُدرس حتى اليوم كنموذج في الكليات والمعاهد. كما استطاع الإنسان أن يستخرج من مناسل قنافذ البحر مادتي الجزرين "ب" والقنفذية التي يمكن أن تحوّل إلى فيتامين "أ".

Anonyme (1980), *Les animaux*, l'encyclopédie des animaux dans la nature, vol. 3, *Animaux de la mer* (Deuxième édition), Hachette édit., 575 p. ; H. Boue et R. Chantion (1962), *Biologie animale, Zoologie*, I. *Invertébrés*, tome II, Doinet Cie édit., 723 p. ; Camprell, A.C. et Nicholls (1968), *Guide de la faune et de la flore littorales des mers d'Europe*, Coll. "Les Guides du Naturaliste", Delachaux et Niestlé édit., 322 p. ; G. Cherbonnier (1954), *Le roman des Echinodermes*, Coll. "Le monde et l'homme", Oberth édit.; 128 p. ; G. Cherbonnier (1980), *Les animaux* ; l'encyclopédie des animaux dans la nature, Vol. 6, *Panorama du monde animale : Echinodermes*, Hachette édit., (deuxième édition), 1039-1050 ; L. Cuenot (1948), *Echinodermes - Stomocordés. Procordés* in Grasse P.P., *Traité de Zoologie*, tome XI, Masson et Cie édit., 1077p. ; W. Luther et K. Fiedler (1987), *Guide de la faune sous marine des Côtes méditerraneennes*, coll. "Les Guides du Naturaliste", Delachaux et Niestlé édit., 270p. ; F. Sauer (1978), *Plages et Côtes*, Guides Nathan / Nature édit., 144 p.

محمد منيوي

**الإدارة**، لفظ الإدارة مشتق من صميم اللغة العربية من مادة دار يدور، أصل واحد على حد قول ابن فارس، يدل علي إحداق الشيء بالشيء من حواليه، ولقد ورد بمختلف صيغه في التنزيل وفي الحديث وفي كتب اللغة، ما عدا بصيغة "إدارة"، فلم نقف له على ذكر فيما تصفحناه، وسبب ذلك أن ما يفيده هذا اللفظ من المعاني في عالمنا المعاصر كان مجهولا لدى السلف، وفاقد الشيء لا يعطيه، لأن الإدارة في مفاهيمنا الحالية هي مجموع الأعمال أو عناصر التأطير التي تمكن المؤسسات الاقتصادية من إنعاش خيراتها والهيئات الاجتماعية من تدبير شؤون المرتبطين بها، أو الدولة العصرية بالأحرى من تتبع أحوال الجمهور ومعالجتها والإحاطة بالشاذة والفاذة منها بإحصاء السكان ومسح التراب وقياس هذا بذاك وترتيب المداخل وإعداد النفقات ووضع الجداول وتعبئة الجذاذات والتحليل والتحريم والضبط والربط. ولم تكن الدولة الكلاسيكية، لا في عالمنا الإسلامي العربي ولا في المجتمعات الأوربية تعنى بهذه الجزئيات، حيث كان السلطان الأعلى لدينا ولديهم، يكتفي بالقيادة العامة للأمة وبرصد الأموال الضرورية للدفاع عن حوزتها وإقرار العدل بين الأفراد والجماعات، حتى إذا انقلبت الظروف التاريخية رأسا على عقب ابتداء من القرن السادس عشر، واتسعت آفاق المسؤولية الحكومية بأوربا من جميع الأبعاد، عندئذ اتخذ الأوربيون كلمة "أدمنستراسيون" (Administration) التي كانت رائجة من أصل لاتيني يفيد المساعدة والتمكين، للدلالة على تدخلات الدولة في أدنى جزئيات حياة الجمهور، ثم كانت الثورة الفرنسية، أواخر القرن الثامن عشر، فاستقر هذا المعنى الجديد بما استقر من مفاهيم الحكم المعاصر وقواعد التعامل بين الحكام والمحكومين الذين أضحى الحكم بينهم دولة يتداولونها بالنيابة والتناوب، فحلت أساليب الاقناع والترغيب محل أساليب القمع والترهيب.

وكلمة "إدارة" إنما هي تعريب كلمة "أدمنستراسيون" ولا سبيل إلى ضبط تاريخ استعمالها بهذا المعنى في اللغة العربية، لافتقار اللغة العربية إلى معاجم تاريخية، وكل ما نعلم أن لفظ "مدير" كان يعني لدى العثمانيين رئيس الناحية، وهي مقاطعة من مقاطعاتهم، كما نعلم أن هذا المفهوم الجديد من مفاهيم الحكم تسرب إلى المجتمع المغربي مع الضغوط الأوربية التي مورست عليه في القرن التاسع عشر، ولقد جاء التعبير عنه بما كانوا يستعملون من مصطلحات الترتيب والنظام والتنظيم والإصلاح، ولا وجود لكلمة "إدارة" فميا اطلعنا عليه من الكتابات المغربية قبل حلول القرن العشرين، لا الخاص منها ولا الرسمي، لكنها وردت في مشروع الدستور الذي رفعه مجهول إلى المولى عبد العزيز سنة 1904 أو 1905، كما وردت في مشروع الدستور الذي وضعه أصحاب "لسان المغرب" سنة 1908، فلا سبيل إلى الجزم بأكثر من أن اللفظ دخل المغرب من جهة الشرق ومن باب طنجة، وأنه ترسم بمقتضى عقد الحماية الذي نص على أن الدولة الحامية تقوم بجميع الإصلاحات التي يحتاج المغرب إليها وفي مقدمتها الإصلاح الإداري، ولم يكن ذلك إصلاحا وإنما كان قلبا للأوضاع غطت عليه الدعاية الاستعمارية بما تعمدت من خلط الحكم وهو عندهم "گوفرنمان" (Gouvernement) وكانت الدولة المغربية قائمة به على التمام، ومفهوم الإدارة أو "أدمنستراسيون" وهو ما لم يكن لا من طبائعها ولا من مستلزماتها، وأدخلته الدولة الحامية على البلاد لاستغلال خيراتها وتأطير سكانها واعتماد الوسائل الإدارية لتجاوز مفهوم الحماية القانوني إلى مفهوم الحكم المباشر والتبعية الاستعمارية، ولو تفطّن عبد الحي الكتاني بما بين الحكومة والإدارة من التفاوت في التاريخ لما جعل لكتابه عن عصر الرسول عنوان "نظام الحكومة النبوية المسمى *بالتراتيب الإدارية*"، ولا يترتب على قيام الحاضر على الماضي قيام الماضي على الحاضر، ولا وجود إعادة بناء صرحه بما لم يكن متداولا لدى السلف ولا بيدهم.

هذا ولقد جعلت الحماية مختلف إداراتها أربعة أقسام، قسم خاص بما بدا لها أن تحتفظ به من الوظائف المخزنية الأصلية، وقسم قائم بأجهزة الحكم والمراقبة الأجنبية، وثالث مضطلع بوسائل الاستغلال الاقتصادي، والرابع للتأطير الاجتماعي، وسنستعرضها فيما يلي مقتصرين على أوضح ما يصور معانيها التاريخية.

1. الإدارة المخزنية الجديدة : أول ما ترتب على عقد الحماية الفرنسية على المغرب أن جرى تقسيم البلاد إلى ثلاث مناطق من النفوذ تباين فيها الحكم والإدارة، حيث أقامت فرنسا بمنطقتها إدارة خاصة بسلطتها أصبحت تدعى بالمنطقة السلطانية لإقامة السلطان بعاصمتها الرباط، وأقامت إسبانيا أخرى تابعة لأحكامها ودعيت بالمنطقة الخليفية لإقامة خليفة للسلطان بتطوان، وظلت طنجة وأحوازها تحت تصرف نواب الدول الموقعة على عقد

الجزيرة الخضراء. وغني عن البيان أن مختلف تلك الإدارات لم يوضع لا دفعة واحدة، ولا مسح مجموع التراب المغربي من أول وهلة، فإدارة طنجة الدولية لم يتفق بشأنها الأقطاب إلا سنة 1923، وإسبانيا لم تطأ أقدام موظفيها أودية الريف الداخلية إلا سنة 1925، كما أنهم لم يتجاوزوا شواطئ الساقية الحمراء ووادي الذهب إلى الداخل إلا بعد سنة 1934، وفرنسا كذلك لم تستتبّ لها الأمور بجبال الأطلس إلا بعد مطلع الثلاثينات.

لكن المستعمر بادر في جميع الحالات إلى وضع الوسائل الإدارية التي مكنته من مراقبة شؤون المغرب العليا والإحاطة بها إحاطة السوار بالمعصم، ولما كانت الأغراض واحدة والاتجاهات متوازية، فلا عبرة في هذا الإطار المعلمي المنحصر، بتباين الأشكال واختلاف أجناس المديرين، سيما وأن السلطان ظل هو مصدر التشريع، وأن الشعب المغربي، الموحد ملة ومذهبا، كان هو المقصود بالهياكل الإدارية الدخيلة. ولما كان هذا الشعب له دولة عريقة في الحكم وحيث إن المستعمر التزم حرفيا بالمحافظة على التقاليد والمقدسات المغربية، فإن أول ما سعى له سواء على الصعيد المركزي أو على الصعيد المحلي، هو أن يتصرف بالأجهزة المخزنية الموروثة بكيفية تضمن في آن واحد تسخير تلك الأجهزة لفائدة الإدارة الأجنبية والتحايل على مدلول الحماية بحذف ما كان موجودا وإحداث ما لم يسبق له وجود وحفظ ما كان من اللازم حفظه كمظلة ستظل بها للتصرف بما كان وراءها من النفوذ.. وهكذا احتفظ بمنصب الصدارة العظمى وحذفت وظائف وزير البحر والعلاف الكبير لفائدة المقيم العام الذي تقمص الوظيفتين معا، واحتفظ بمنصب أمين الأمناء أو وزير المالية الذي لم يكن عقد الحماية قد أشار بحذفه إلى تاريخ 5 غشت 1914 حيث صدر ظهير بحذفه مع إعادة تنظيم شؤون المالية المغربية، وكذلك حذفت وزارات الشكايات، وكان ذلك إيذانا بالتصرف بشؤون العدل والقضاء، وابتدعت وزارتان لم يسبق العهد بهما في أعراف الدولة المغربية، وزارة العدل التي انحصرت مهامها في تأطير القضاة وأعوانهم، ووزارة الأحباس التي أبانت عن تمسك المستعمر بالمقدسات الإسلامية في الظاهر، ومكنته في الواقع من مراقبة جانب غير يسير من خريطة الملكية العقارية بالبلاد ومن وسيلة للضغط على المنتفعين. وجرى التصرف كذلك بالوظائف المحلية حيث احتفظ بألقاب الباشا والقائد والخليفة والشيخ والمقدم مع إيقاف لقب الباشا على حكام المدن ولقب القائد على حكام البوادي، وحذفت قيادات وأحدثت أخرى، وتقلص نفوذ بعضها وامتد نفوذ البعض الآخر، وكان من ذلك سياسة القواد الكبار التي جعلت التهامي الأكلاوي يحكم من مراكش وأحوازها إلى وادي درعة، وتصرف المستعمر بالجماعات القروية فاحتفظت البوادي اسميا بجماعاتها ولكن المؤسسة دخلها ما دخلها من العسف والخلط فغدت تفيد تارة الجماعة الإدارية القروية وتارة أخرى الجماعة القضائية وأحيانا كائنا معنويا مجرداً من كل وظيف.

أما كبريات المدن فلقد أحدثت بها لجن بلدية بظهر فاتح أبريل 1913 الذي جعل الباشا رئيسا لها والقنصل الفرنسي نائبا للرئيس وموظفا فرنسيا قائما بالمصالح البلدية، ثم وضع القانون الأساسي للبلديات بظهير 8 أبريل 1917 الذي جعل وظائف البلديات، باستثناء ما تميزت به فاس والدار البيضاء، أولا موزعا بين الباشا كممثل للسلطان، ورئيس للمصالح البلدية كممثل للإدارة الاستعمارية، ولجنة بلدية مزدوجة من العنصر المغربي الذي كان معنيا ومن العنصر الفرنسي الذي كان منتخبا.

وسارت السلطات الإسبانية بمناطق نفوذها سيرة مماثلة، سيما وأنها كانت تستمد مشروعية احتلالها ليس من السلطان الذي لم يوقع لها على شيء، وإنما من تنازل فرنسا لها عن بعض الأقاليم بالشمال والجنوب، وعبثا حاولت الحماية الإسبانية تفادي ذلك باستمرار بإحداث خلافة سلطانية بتطوان وإحاطتها بجهاز مخزني شبيه بالجهاز المركزي على الشكل الذي تصرفت به فرنسا، لكنها استطاعت أن تفصل إدارة المنطقة الشمالية عن إدارة الأقاليم الصحراوية، فكان ذلك أهم ما تميزت به إدارتها إضافة إلى ما ترتب على أعمالها بالمغرب من سوء استقرار الأوضاع السياسية بالتراب الإسباني طيلة فترة الحماية، حيث كانت إسبانيا ملكية سنة 1912، ثم أصبحت جمهورية سنة 1931، وانتقلت إلى نظام الدكتاتورية العسكرية سنة 1939.

أما منطقة طنجة الدولية فإن مركز المشروعية بها كان هو المندوب السلطاني، وجعلت الإدارة الفعلية بيد ممثلي الدول اللذين ظلوا يتصرفون بها بحكم الأمر الواقع بعد سنة 1912، إلى أن اتفقوا على قانون وضعوه يوم 18 دجنبر 1923 بباريس، فأسندت السلطة الأساسية لمجلس تشريعي مركب من ممثلي الدول، إضافة إلى تسعة مغاربة منهم ثلاثة من اليهود، ومن لجنة للمراقبة مركبة من قناصل الدول القائمين بطنجة، ومن مدير ومديرين مساعدين للقيام بجانب التنفيذ. وإذا ما استثنينا فترة الحرب العالمية الثانية التي سطت فيها إسبانيا على المنطقة، فإن هذا النظام ظل قائما في مجمله إلى يوم الاستقلال.

2. إدارة المراقبة وإثبات النفوذ الاستعماري : كانت وسائل القرار والإقرار والتنفيذ والمراقبة والأخبار والاستخبار وكلها بيد المقيم العام ومن كان يقوم مقامه، مركزيا ومحليا، ولقد تم "تأسيس إدارات عمومية على الهيئة العصرية" كما جاء في أول ظهير صدر بالجريدة الرسمية، الصيغة العربية، وجرى "أحداث التنظيمات الذي اقتضى بها الحال" في ظرف وجيز نسبيا وبوتيرة متدفقة، مما لا سبيل إلى ذكره بالتفصيل فنكتفي بإبراز معانيه.

فمن الإدارات المبتكرة، إدارة الإقامة العامة التي كان بيدها السلطتان المدنية والعسكرية في عهد ليوطي

(Lyautey)، ولذلك ألحق بها عدد من المكاتب والدواوين، وأقيم بجانبها مفوضية مكلفة بالنيابة عن المقيم العام في حالتي العجز أو الغياب، وكتابة عامة للحماية، أنيط بها دور تنسيق أعمال الإدارات المتخصصة التي أطلق عليها عبارة "الإدارات الشريفة الجديدة" ويجوز أن نميز بشأنها بين الإدارات المكلفة بالمراقبة السياسية والإدارات المكلفة بالتجهيز والاستغلال.

فبخصوص المراقبة السياسية، فلقد تقاسمتها مستشار الشؤون الشريفة من جهة ومدير الداخلية من جهة أخرى، وكان الأول يراقب الأجهزة المخزنية العليا ويمارس الضغوط عليها عند الاقتضاء ويستصدر منها النصوص التشريعية والتنظيمية، ويترجمها، أو يبلغها قرارات المقيم العام بعد تعريبها ويسهر على إصدار الجريدة الرسمية التي أضحت مدونة مسترسلة بما كان ينشر فيها من النصوص الرسمية.

وكانت وظيفة مدير الداخلية مراقبة الجماهير المخزنية والسلطات المخزنية المحلية وتسيير الشؤون العامة للبلاد وفي طليعتها شؤون الأمن والاستعلامات والإشراف على المكلفين بها في الرباط وخارج الرباط من مراقبين مدنيين وضباط الشؤون الأهلية إلى أدنى مستويات الشرطة والعسس.

أما التأطير التقني فلقد أنيط بعدد من الإدارات التي اختلفت باختلاف وجوه التجهيز الاقتصادي والاجتماعي، بدأ بالمالية والأشغال العمومية والبريد، ثم الفلاحة والغابات والإنتاج الصناعي والمعادن والتجارة والملاحة التجارية، وخلوصا إلى الصحة والتربية والشغل والقضايا الاجتماعية، ولقد توحدت بعض هذه الإدارات تارة وتميزت بعضها عن البعض تارة أخرى، دون أن يطرأ أي تغيير على الأهداف والأساليب.

وكانت الإدارات الإقليمية والبلدية والقروية مبنية على نفس الأسس، سواء كانت قيادتها العليا عسكرية، مثلماكان الشأن في أقاليم فاس ومكناس ومراكش وأكادير والتخوم الصحراوية، أو كانت مدنية مثلما كان الشأن في وجدة والدار البيضاء وناحية آسفي والصويرة يوم تحولت إلى منطقة إدارية قائمة بذاتها، فهنا وهناك كان الجنرال أو المراقب المدني رئيس الناحية ومن كان يساعدهما من الموظفين الفرنسيين وبخاصة الكاتب العام للإقليم، هم أصحاب الحل والعقد وهم المشرفون على الإدارات المحلية السياسية والتقنية على السواء، إذ كانت الغاية من السيطرة الإدارية هي استثمار خيرات البلاد وإعداد يدها العاملة للرأسمال الاستعماري، واحتكار الأسواق المغربية للمنتجات الأجنبية.

3. الإدارة سبيل الاستثمار : لقد بادرت الإدارة الدخيلة إلى تمهيد سبل السيطرة على الأرض والماء والخيرات المعدنية بحكم القانون، فكان من التنظيمات الأولى وضع قواعد المحافظة العقارية وأساليب التفويت من خلال ظهير 12 غشت 1913، وإحداث دوائر الاستعمار الفلاحي الرسمي بظهير 9 أبريل 1919 وإقرار ملكية المياه للدولة بظهير فاتح يوليوز 1914 وإلحاق المياه الجوفية ومياه المروج والضايات بها (ظهير 8 نونبر 1919) وصون الأراضي الجماعية لتبقى بنظر الإدارة الجديدة وذلك بأول "ظهير بربري" بتاريخ 7 شتنبر 1914، وبظهير 19 أبريل 1919 الذي أضيف إليه في نفس السنة بتاريخ 19 نونبر ظهير إلحاق أراضي المرجات بمراقبة الدولة، وهي كل أراضي الغرب التي أقيمت فيها بعد ذلك أجود ضيعات الاستعمار، يوم تقرر لديهم جعل المغرب كالفورنيا ثانية، ورصدت لذلك جميع وسائل التشجيع الرأسمالي من قروض ومكافاءات وتعويضات مما لا نذكر منه في المجال الفلاحي إلا مكتب الحبوب الذي أحدث بظهير 24 أبريل 1937 لضمان مبيعات المعمرين الذين تشوف بعضهم إلى جعل .المغرب مخزنا للحبوب.

ووضعت أقسام إدارة الشؤون المالية بما فيها من مصالح الميزانية ومراقبتها ومصالح الضرائب المباشرة وغير المباشرة والخزينة العمومية وبنك المغرب الذي يعود إحداثه إلى مقررات الجزيرة الخضراء، وجعل حد لفوضى الرواج النقدي بتوحيد العملة وإدخالها في منطقة الفرنك بعد إحداث الفرنك المغربي بظهير 21 يونيه 1920. واستنبطت أساليب وضع الميزانية من الأساليب الفرنسية فدخلت على المغرب معظم الضرائب الفرنسية مثل الباتنتة (Patente) أو الضريبة على المعاملات بظهير 9 أكتوبر 1920، والضريبة الحضرية التي نص عليها البند 61 من عقد الجزيرة الخضراء ونظمها ظهير 24 يوليوز 1918، والضريبة على السكنى بظهير 30 يوليوز 1927، هذا إضافة إلى ضريبة الترتيب التي كانت الدولة المغربية قد حاولت إقرارها قبل الحماية وجاءت السلطات الجديدة لتثبت نظامها بظهير 10 و11 مارس 1915.

وأقيمت إدارات الضرائب غير المباشرة وفي مقدمتها إدارة الجمارك، علما بأن تعريفة الرسوم على الواردات كانت قد حصرت عند 10 ٪ من قيمة البضائع منذ مؤتمر الجزيرة الخضراء، لكن التقنيات العصرية لإدارة الجمارك كانت كلها من وضع الحماية، ورتبت إلى جانبها مختلف الضرائب غير المباشرة بما في ذلك الرسوم علي مواد الاستهلاك مثل السكر والتبغ والمشروبات أو واجبات التسجيل (ظهير 11 مارس 1918) والتنبر (Timbre) بظهير 15 دجنبر 1917.

واهتمت السلطات الاستعمارية بإحصاء الخيرات المنجمية والمعدنية ووضعت الوسائل الإدارية لاستغلالها، فأقامت المكتب الشريف للفوسفاط بظهير 7 غشت 1920 وقررت إيقاف استغلال تلك الخيرات على الدولة، مما جعلها حكرا على السوق الفرنسية لمدة الحماية، كما أقامت لنفس الغاية مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية بظهير 15 دجنبر 1928.

وأقيمت مكاتب أخرى لضبط شؤون التجارة وتدبير

أسباب المواصلات بالبريد والبرق والهاتف منذ فاتح أكتوبر 1913 حيث غدا بريد المغرب نسخة طبق الأصل للبريد الفرنسي، وشُرع في بناء الطرق والموانئ والسكك الحديدية، وأحدث المكتب المركزي للنقل بظهير 6 غشت 1936 لضبط الأسعار وترتيب التناوب والمواقيت. وأقيمت مكاتب توزيع الماء والكهرباء تارة بمبادرات إقليمية، وتارة بمبادرة الدولة المركزية التي أحدثت بظهير 19 يوليوز 1929 وكالة الاستثمارات الصناعية للحماية بمهمة صيانة أدوات العمل الحكومي من آلات وسيارات، وكذلك تزويد بعض المدن الصغرى من الماء والكهرباء مثل أزرو وفضالة (المحمدية) وابن سليمان وأسفي ووزان. وفي الميدان التجاري المحض، أقيم مكتب تداول الأسهم العقارية سنة 1929 والمكتب الشريف للمراقبة والتصدير (ظهير 22 يناير 1937)، ومكتب السياحة في نفس التاريخ، ومكتب للتجارة مع الحلفاء بظهير 19 يوليوز 1943، ومكتب الصرف بظهير 8 يناير 1944 لتبقى معاملات المغرب الدولية كلها بنظر الدولة الحامية ومصلحة الفرنك.

4. التأطير الاجتماعي : تدخلت سلطات الحماية في القطاعات الاجتماعية بنفس روح الضبط والترتيب وضمان رفاهية الأقلية الأجنبية مع السعي في اتقاء كل ضرر يأتي من جهة الأغلبية المغربية.

ففي ميدان العدل كان من اللازم ترتيب القضاء الأصلي بما يصون قدسية الإسلام ويسمح في ذات الوقت بمراقبته والحيلولة دون وقوفه عرقلة في وجه المعمرين، ولذلك حلت وزارة العدل محل وزارة الشكايات (31 أكتوبر 1912) وصدر ظهير 7 يوليوز 1914 بتنظيم القضاء المدني ومسطرة تفويت الأملاك، وظهير 7 فبراير 1921 بأحداث محكمة الاستئناف الشرعي، وظهائر بشأن أبي الموارث ووكالة الغياب ومهنة الوكلاء الشرعيين والقانون الأساسي للقضاة والعدول. وأسند الحكم في المعاملات المدنية والعقوبات للباشوات بالمدن والقواد بالبادية، بمراقبة مغوض حكومي أجنبي (ظهير 2 غشت 1918)، وأحدثت المحكمة العليا الشريفة لاستئناف تلك الأحكام بظهير 4 غشت 1918.

وأبت سلطات الاحتلال إلا أن تحدث جهازا قضائيا لا يمت بصلة إلى القضاء المغربي لينظر في قضايا الأقلية الأجنبية بناء على أعرافها ومدوناتها ورعيا لمصالحها المادية والمعنوية ؛ فصدر ظهير 12 غشت 1913 منظما للمحاكم الفرنسية وألحقت به الظهائر المنظمة للمسطرة الجنائية والمدنية وهيئات أعوان القضاء من محاميين وموثقين ومراسل، وكذلك مدونة المعاملات التجارية وتسجيل العقار، وجعلت المحاكم على ثلاثة مستويات : محاكم للسداد، ومحاكم إقليمية، ومحكمة للنقض والإبرام، وكان ذلك القضاء المتميز دليلا على الغاية الاستعمارية بما كان يعارض من قاعدة قطرية القضاء المعترف بها بين الدول. وبلغ السيل الزبى يوم رام المعمر إلحاق نصف سكان المغرب بهذا السلك القضائي الدخيل، وذلك بمقتضى الظهير البربري ليوم 16 ماي 1930 لكن المحاولة باءت بالفشل.

وأحدثت مكاتب للعناية بشؤون الأقلية الاجتماعية مثل مكتب العائلات المتعددة الأفراد بظهير 4 يوليوز 1928 الذي تحول فيما بعد صراحة إلى مكتب العائلة الفرنسية (ظهير 25 أبريل 1941) وأنشئ مكتب لسكنى العسكر الفرنسي سنة 1941 وآخر لسكنى رجال البحرية سنة 1942، وأحدث في نفس السنة صندوق المساعدة الاجتماعية للمستخدمين والعمال.

وفي مجال الصحة أقيمت النواة الأولى لإدارة الصحة بتاريخ 19 أبريل 1913 وكانت أول نواة لمعهد باستور (Pasteur) بالرباط منذ 1912، وبالرباط أيضا أقيم معهد مكافحة مرض الكلب بتاريخ 4 ماي 1915، ونظم قرار وزيري بتاريخ 16 مارس 1920 مجلسا مركزيا للصحة والتطهير في العموم وفتحت مستشفيات ومتسوصفات بكبريات المدن للعلاج واتقاء الأوبئة، وأيضا لتوظيف وسائل العلاج للاستقصاء وممارسة الضغوط.

وهيمنت حسابات مماثلة لدى إقامة الإدارات المكلفة بالتعليم والثقافة والشبيبة والرياضة، فلقد اهتمت السلطات الفرنسية بإعداد موظفيها لمهام التأطير، فأقامت مدرسة ليتعلموا بها اللغتين العربية والبربرية منذ 1914، وتلك المدرسة هي التي تحولت سنة 1920 إلى معهد عال للدراسات المغربية في مجال علوم الاجتماع، ثم أقيم إلى جانبه المعهد الشريف للعلوم البحتة ، أما بخصوص التعليم فلقد أقيمت في البداية بعض المدارس الابتدائية وبعض الأقسام الإعدادية لأبناء الأعيان في بعض العواصم ولأبناء وجوه القبائل البربرية بأزرو، ولم تتسع أقسام الطورين الأولين من التعليم شيئا ما ، إلا غداة الحرب العالمية الثانية لمواجهة مطالب الحركة القومية التي ما فتئت منذ نشأتها الأولى تندد بالخطة المالتوزيانية التي كانت الحماية تنهجها في هذا القطاع، وكذلك من جراء الضغط الديمغرافي وتضخم الإدارات، الأمر الذي اضطر الحكام إلى توظيف بعض المغاربة في المستويات الدنيا والمتوسطة من الوظائف، ولذلك أحدثت مدرسة للفلاحة بمكناس سنة 1945 والمدرسة المغربية للإدارة بالرباط سنة 1948، ووقع الاهتمام بشؤون الشبيبة والرياضة في نفس الحقبة.

ولم تتغافل الإدارة الاستعمارية عن الفن المغربيّ الزاخر وإنما اعتنت بصيانته وترميمه واجتهدت في توظيفه لتدعيم صناعة السياحة حيث أحدث مكتب السياحة سنة 1937، والمكتب السينمائي المغربي سنة 1940.

تناقضات الإدارة الاستعمارية وانهيارها : لم تترك سلطات الحماية شاذة ولا فاذة من أسباب حياة المغرب المعاصرة إلا وقفت عليها وجعلت لها الضوابط والرواسي، لتكون أصولها وعوامل صيرورتها بيد أولي الأمر الدخلاء، سواء في ذلك أقربها من مراكز القرار أو أبعدها منها،

فكانت تلك الإدارة مبنية على روح الشمولية، هادفة إلى إقرار التنظيمات الكلية والجزئية في البلاد، ساهرة على أن تضبط الأمور من أعلى مقاليد الحكم باستمرار.

على أن أوج الأمور عنوان أفولها، فما أن أخذت الإدارة الدخيلة تستكمل بنيانها وتؤتي أكلها غداة الحرب العالمية الثانية حتى صارت تعاني من تضخم هياكلها ومما ترتب على ذلك من السراب والخيال الذي أفقد المعمرين سبيل التواضع والاعتدال، فوقعوا في متاهات كان فيها إتلاف الحماية جملة وتفصيلا من جراء تفاقم التناقضات وتصدع شامل للبنيان. ولا سبيل إلى إغفال كون الإدارة الاستعمارية، مهما كان من قيمة أعمالها، كانت إدارة دخيلة على المجتمع المغربي متسلطة عليه، يدير دواليبها موظفون أجانب لا يعنيهم إلا شؤون بني جنسهم القاطنين أو غير القاطنين، ولا ينكبون على أمور أهل البلاد إلا من باب لزوم المحافظة على سلامة الاستعمار وضمان ريعه، مع أن روح عقد الحماية والنص بالحرف، كانا يحصران مهام المقيم العام عند اقتراح الترتيبات الإصلاحية على السلطان وانتظار صدورها برضاه ومساعدته على تنفيذها، ولكن ممارسات الغلبة سرعان ما أدت إلى تجاوز هذا القانون وسرعان ما انتقلت الحماية إلى إدارة مباشرة. ولعل أوضح مثال على ذلك قضية التقسيم الإقليمي للبلاد إلى نواح عسكرية وأخرى مدنية، وتقسيم الناحية إلى دوائر، والدوائر إلى ملحقات، فلقد تمّ ذلك ليس بظهير سلطاني ولكن بقرار رئيس الجمهورية الفرنسية بتاريخ 3 أكتوبر 1926 صدر بالجريدة الرسمية الفرنسية قبل أن يصدر بالجريدة الرسمية المغربية، وسبب ذلك إقدام الحكومة الفرنسية غداة انسحاب ليوطي (شتنبر 1925) ونهاية حرب الريف، على فصل قيادة جيوش الاحتلال عن السلطة المدنية للمقيم العام، وكان ذلك القرار خرقا سافرا للمشروعية الدولية، لكن البلاد المغربية حكمت بمقتضاه إلى نهاية الحماية، وتلك الوضعية غير القانونية هي التي مكنت رؤساء النواحي من مطلق السلطات وجعلت بعضهم يمارس من النفوذ أقوى مما كان يمارسه المقيم العام نفسه، مثل بونفاس (Boniface) رئيس ناحية الدار البيضاء كنموذج مدني، والجنرال دوتفيل (D'Hauteville) رئيس ناحية مراكش كنموذج عسكري.

وكان من الأدلة الواضحة الأخرى على مرامي التجهيز الإداري إحداث مجلس للحكومة بمجرد قرار مقيمي اتخذه ليوطي بتاريخ 18 مارس 1919 ليلحق بمقتضاه ممثلي الغرف الفلاحية والتجارية والصناعية الفرنسية بالاجتماعات التي كان يعقدها المقيم مع مساعديه من المديرين، وتلك الجلسات الإدارية الصرفة هي التي أصبحت، مجازفةً، مجالس حكومية تعالج فيها أسبقيات الاستعمار. وسنة 1926 التحقت بالغرف المذكورة هيئة ثالثة تمثل المهن الحرة والمستهلكين الأجانب، أما الجانب المغربي فلم يسمح بتمثيله في هذا المجلس إلا سنة 1923، علما بأن الممثلين كانوا معينين لزوما ممن كان يتعاطى الفلاحة أو المقاولات العصرية وكانوا قلة.

وبلغ البهتان الاستعماري حدوده التاريخية يوم جاء الجنرال جوان مقيما عاما سنة 1947، وصار يناور ويموه في قارعة النهار، فقرر توسيع التمثيل المغربي في مجلس الحكومة وأذن بانتخاب الممثلين عوضا عن تعيينهم. ولما انتخب جماعة من ذوي الغيرة الوطنية وأبت السكوت على أساليب العمل بالكيلين وبالوزنين، طردها المقيم العام من الجلسات علانية، ولم تكن العملية من أصلها إلا مناورة لتمرير الظهائر "الإصلاحية" التي كانت قد أعدت بقصد إشراك الأقلية الأجنبية في سيادة البلاد وتخويل ممثليها حق الجلوس في الحكومة وفي البلديات على قدم المساواة مع أهل البلاد، باعتبار مساواة وزنهم الكيفي من جهة الرأسمال والخبرة، بوزن الشعب المغربي العددي وكان يناهز عشرة ملايين نسمة. ولكن السلطان سيدي محمد بن يوسف، محمد الخامس، امتنع من وضع خاتمه الشريف على تلك الظهائر، فما كان من الإدارة الاستعمارية إلا أن عزلته عن عرشه وأمرت بنفيه في مدغشقر، فوقعت بذلك في أخطر التناقض، شأنها في ذلك شأن الفرع يطغى على أصله، وسايرت حكومة باريس تصرفات الشرذمة الاستعمارية منفذة المؤامرة، إلى أن اشتعلت نيران ثورة الملك والشعب، فتبين لها أن سلطاتها كانت قد ديست إلى أقصى الحدود، وكان لزاما عليها أن تتراجع، وكان لا بد من إبعاد المسؤولين عن الجريمة، وكان لا بد من إرجاع الملك الشرعي إلى عرشه، فكان ذلك عنوان إلغاء الحماية واسترجاع السيادة الوطنية وتوحيد البلاد وإدارتها، ووضع تلك الإدارة على قدميها بعد أن كانت في الوضع الاستعماري وكأنها تدور على أم رأسها.

*الجريدة الرسمية للحكومة المغربية* ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مخطوط ؛ *تحليل رسائل شريفة*، باريس 1915 ؛ ع. الجبرتي، *عجائب الآثار في التراجم والأخبار*، القاهرة 1958 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. الكتاني، *التراتيب الإدارية* ؛ ع. بن شنهو، *النظام الإداري بالمغرب*، الرباط 1951 ؛ ع. علال، *حفريات في الحركة الدستورية في المغرب قبل الحماية* ؛ م. حسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، ج. 1.

H. Gaillard, *la réorganisation du gouvernement marocain*, Paris 1916 ; H. De la Casinière, *Les Municipalités marocaines*, Casablanca 1924 ; A. Ménard, *Etude critique du régime spécial de la zone de Tanger*, Tanger 1932 ; A. de Laubadère, *Les Réformes des pouvoirs publics au Maroc*, Paris 1949 ; P. L. Rivière, *Précis de législation marocaine*, Caen, 1942-1946 ; F. Brémard, *L'organisation régionale du Maroc*, Paris 1949 ; R. Marchal, *Précis de législation financière marocaine*, Rabat 1948; J. Caillé, *Organisation judiciaire et procédure marocaine* Paris, 1948 ; P. Decroux, *Les Sociétés au Maroc*, Paris 1950 ; A. Plantey, *La Réforme de la justice marocaine, la justice Makhzen et la justice berbère*, Paris, 1952 ; E. Durand, *Traité de droit public marocain*, Paris 1955 ; C. R. Aguliere, *Traité de droit public marocain (Zone Espagnole)*, Paris 1955 ; A. Ayache, *Le Maroc*, Paris 1956 ; Amine Boutaleb, Brignon, Martinet, Rosenberger, *Histoire du Maroc*, Hatier 1967 ; R. Gruner, *Du Maroc traditionnel au Maroc moderne*, Paris 1967.

إبراهيم بوطالب

**الأدارسة**، أسرة كبيرة من آل البيت جدها الأعلى هو إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول (ص). التجأ إدريس، كما هو معلوم، إلى المغرب فرارا من بطش العباسيين وأسس دولته لكنه اغتيل فتولى بعده ابنه إدريس الذي كان قد تركه جنينا في بطن أمه. وعن إدريس الثاني تنحدر فروع الأسرة الإدريسية المنتشرة بسائر أنحاء المغرب وبجهات أخرى من الجزائر.

ونركز اهتمامنا هنا على الأدارسة كأسرة حاكمة أي كدولة. وجودها يقترن بالفترة 172 . 375 / 785 . 990. لكن لابد من التمييز داخل هاته الفترة بين أطوار مختلفة :

1 . طور التأسيس الذي اقترن بعهد إدريس الأول (172 . 177 / 788 . 793) أي قيام الدولة بالتفاف فريق مهم من سكان المغرب حول إدريس تضمهم قبائل كبرى ومبايعتهم له، حسب التقاليد الإسلامية.

2 . طور الهيكلة والتنظيم ويقترن بعهد إدريس الثاني (177 . 213 / 793 . 828) حيث جرى تدعيم الدولة الناشئة باستحداث عدد من البنيات والمؤسسات كان من أهمها : بناء فاس واتخاذها كعاصمة للدولة ؛ واتخاذ بعض النظم الإسلامية كالوزارة والكتابة والقضاء والإمامة ؛ وتجريد العاصمة الجديدة من تأثير العصبيات والطابع القبلي، وذلك باحتضانها لفئات مهمة من السكان الوافدين من القيروان والأندلس، مما جعل العناصر المختلفة من سكان المدينة تنصهر في وحدة بشرية تمثل، بوجه عام، التركيب السكاني الجديد الذي بدأ يعم الغرب الإسلامي انطلاقا من عهد الفتح. إضافة إلى بداية إشعاع اللغة العربية من فاس كلغة دين وثقافة ؛ ونمو رقعة المملكة بحيث أصبحت أهم كيان سياسي بالمغرب الأقصى وكان لها اتصال مباشر بسائر النواحي في البلاد.

3 . طور التقسيم : ترك إدريس الثاني غداة وفاته عدة أولاد منهم الكبار والصغار وتولى أكبرهم محمد خلافته، إلا أنه اعتبر المملكة التي تركها له أبوه إرثا لا بد من توزيعه على الورثة. هل استند في ذلك إلى المبادئ الشرعية ؟ أم هل استمع إلى نصيحة جدته كنزة كما تذكر بعض المصادر ؟ أم هل كان المقصود من ذلك التوزيع هو حضور الدولة الإدريسية بصورة مباشرة في أقاليم مختلفة؟ ليست لدينا عناصر كافية للجواب على هذا السؤال. والذي نستطيع تأكيده هو أن التقسيم كانت له سلبيات وإيجابيات. فتقسيم المملكة إلى عدة ولايات أدى إلى إضعاف السلطة المركزية ونشوء إمارات إقليمية تنزع بطبيعتها إلى الاستقلال الذاتي على أوسع مدى. وقبل إعطاء مثال على المشاكل التي ترتبت عن ذلك التوزيع، من الضروري إعطاء صورة إجمالية عن التوزيع.

قسم محمد بن إدريس المملكة إلى ما لا يقل عن تسع ولايات، نذكرها الآن حسب رواية *القرطاس*، منبهين إلى وجود اختلافات طفيفة بين المصادر التي تناولت الموضوع.

محمد بن إدريس فاس وناحيتها.

القاسم بن إدريس طنجة وسبتة وقلعة حجر النسر وتطوان وبلاد مصمودة وما والاها.

داود بن إدريس هوارة وتسول ومكناسة وجبال غياثة وتازة.

عيسى بن إدريس شالة وسلا وأزمور وتامسنا.

يحيى بن إدريس البصرة وأصيلا والعرائش إلى بلاد ورغة.

عمر بن إدريس مدينة تيكساس ومدينة ترغة وبلاد صنهاجة وغمارة.

أحمد بن إدريس مدينة مكناسة وبلاد فازاز ومدينة تادلا.

عبد الله بن إدريس أغمات وبلاد نفيس وبلاد المصامدة وسوس.

حمزة بن إدريس تلمسان وأعمالها.

تلك هي الولايات التسع التي تدل على مدى امتداد الدولة الإدريسية شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، وهي معلومات تؤكدها كل المصادر التاريخية كما تؤكدها الأبحاث الخاصة بتاريخ النقود الإدريسية. فالدراسة المهمة التي قام بها دانييل أوستاش "في هذا الصدد تقدم لنا قائمة بدور السكة تعنى الأماكن التالية : أصيلا، البصرة، تدغة، تلمسان، تهليت، سبو، طنجة، العالية، مريرة، ورغة، وازقور، واطيط، وليلي، إيكّم.

لم يكن توزيع الولايات على هاته الصورة، في نية محمد بن إدريس، يهدف إلى تجريد السلطة المركزية بفاس من حقها في مراقبة الولاة الإقليميين والمحافظة على وحدة المملكة الإدريسية. لكن الخلاف ما لبث أن نشب بين الإخوة، إذ ثار عيسى بن إدريس، على أخيه محمد، فكلف هذا الأخير أخاه القاسم الوالي على طنجة بالذهاب لمعاقبة الثائر. لكن القاسم رفض القيام بالمهمة. فكلف محمد عمر بها. فتوجه هذا الأخير الذي كان واليا على غمارة وعزل عيسى عن ولايته كما تصدّى للقاسم الذي التجأ إلى أصيلا.

لم تذكر المصادر المكتوبة أسباب الخلاف. ولكن يظهر حسب التحريات التي قام بها "أوستاش" أن أسباب الثورة راجع لكون محمد سحب عن الولاة رخصة سك النقود. وكان عيسى حاكما على منطقة وازقور التي يوجد بها معدن مهم للفضة. فلم يرضخ لهذا القرار الذي يحرمه من مورد مالي مهم، عن طريق سك الدراهم. وترتب عن ذلك قراره بقطع إمداد دار السكة بفاس بمعدن الفضة.

وهكذا نشب الخلاف، إلا أنه لم يؤد، مع ذلك، إلى تقاطع. والظاهر أن الصلح وقع بعد ذلك بين الإخوة. والجدير بالذكر هو حصول نوع من الاستقرار السياسي داخل الإمارات الإدريسية المنتشرة بأنحاء المغرب. فلم تسجل

ثورات للسكان ولا معارضة للقبائل. هل يرجع ذلك إلى التقديس الذي حظيت به الأسرة في أعين المغاربة المعاصرين أم إلى أسباب أخرى ؟

الملاحظ هو اندماج الأسرة الإدريسية في المجتمع المغربي عن طريق المصاهرة والتطبع بأخلاق أهل البلاد مما جعل السكان في مختلف الأقاليم لا يتعاملون معهم كأجانب ودخلاء، بل يعتبرونهم منهم ويحترمونهم ويضعونهم في الصدارة لشرف نسبهم. ويمكننا أن نعتبر أن احترام الشرفاء كسلوك شعبي بدأ منذ ذلك العهد يتحول إلى مبدإ سياسي بعد ذلك بعدة قرون. ومع تكون عدة إمارات إدريسية، يصبح تاريخ الأدارسة متشعبا. وسنقتصر هنا على ذكر أهم الأحداث والأشخاص.

4 . الأدارسة بفاس : ظلت فاس هي الحاضرة المركزية للدولة وتولى فيها عدد من الأمراء نذكرهم بالتتابع :

أ . علي بن محمد بن إدريس (221 . 234 هـ) تذكر المصادر أنه سار بسيرة أبيه وجده وأن أيامه كانت أيام سلام ورخاء.

ب . يحيى بن محمد : أخو السابق (234 . 249 هـ) في أيامه كثرت العمارة بفاس وتوافد إليها المهاجرون من جميع جهات الغرب الإسلامي، مما دعا إلى توسيع المدينة والبناء في أرباضها. وفي عهده بني المسجدان المشهوران : جامع الأندلس وجامع القرويين.

ج . يحيى بن يحيى (249 . 252 هـ) في عهده حدثت أزمة بسبب سوء سيرته وثار عليه عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي واستولى على عدوة القرويين ومات يحيى في تلك الأثناء وجاء صهره علي بن عمر فاستولى على المدينة وتولى الإمارة.

د . علي بن عمر : لا تحدد المصادر تاريخ ولايته بعد فترة من الاستقرار، اصطدم بثورة عبد الرزاق الفهري الخارجي وهزمه واضطر للالتجاء إلى أوربة، بينما دخل عبد الرزاق إلى عدوة الأندلس فاستولي عليها إلا أنه صادف مقاومة من لدن عدوة القرويين التي نادى أهلها على يحيى بن القاسم بن إدريس .

هـ . يحيى بن القاسم بن إدريس (المتوفى سنة 292 هـ) استطاع أن يحافظ على وجود الدولة الإدريسية بفاس حيث طرد عبد الرزاق الخارجي من عدوة الأندلس وخرج لمقاتلة الصفرية. والظاهر أنه قضى عهده في مباشرة الحروب إذ نجده يسقط صريعا في ساحة الوغى وهو يقاتل ربيع بن سليمان سنة 292.

و . يحيى بن إدريس بن عمر ( 292 . 309 هـ) تطنب المصادر في الثناء عليه. فابن خلدون ينعته أنه "كان أعلى بني إدريس ملكا" بينما يصفه *روض القرطاس* بقوله : "كان يحيى هذا أعلى بني إدريس قدرا وصيتا وأطيبهم ذكرا وأقواهم سلطانا (...) وكان فقيها حافظا للحديث ذا فصاحة وبيان ولسان ومع ذلك كان بطلا شجاعا حازما".

إلا أن المصادر لا تذكر شيئا عن أعماله، وذلك، ولا شك، لأن أحداثا خطيرة جاءت لتهدد الدولة الإدريسية في وجودها. فقد قامت الدولة الفاطمية بأفريقية في أواخر القرن الهجري الثالث وسعت لأن تبسط سيطرتها على مجموع بلاد المغرب.

وهكذا جاء مصالة بن حبوس المكناسي، عامل الفاطميين على المغرب الأوسط، على رأس جيش لمحاربة الأدارسة، وجرت بينه وبين يحيى معركة قرب مكناس انتهت بهزيمة الأمير الإدريسي. وبعد ما ضرب عليه مصالة الحصار بفاس، اضطر إلى الاستسلام وتوصل مع خصمه إلى صلح، أمكنه بمقتضاه أن يحتفظ بإمارته مقابل إعلانه الخضوع والتبعية للخليفة الفاطمي.

إلا أن مصالة أسند في نفس الوقت رئاسة قبيلة مكناسة بالمغرب إلى ابن عمه موسى بن أبي العافية. فاجتهد هذا الأخير منذ ذلك الوقت في القضاء على الأدارسة. وأخذ يحرض مصالة على يحيى ويوغر صدره عليه. وهكذا تمكن بدسائسه من أن يحمل مصالة على اعتقال يحيى وأنصاره ثم نفاه إلى أصيلة. وانتهت حياة يحيى بمأساة إذ سجن عشرين سنة ثم مات جوعا وهو في طريقه إلى إفريقية سنة 332 هـ.

ومنذ انهزام يحيى قام صراع مرير بين موسى ابن أبي العافية والأدارسة. فقد حاول الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس المعروف بالحجام أن يسترجع سلطة الأدارسة، فاستولى على فاس وخرج لمحاربة موسى وانتصر عليه في جولة أولى. لكن موسى أعاد الكرة عليه وطارده إلى فاس حيث غدر به عاملها ومات الحسن في تلك الأثناء.

خلا الجو بعد ذلك لموسى ابن أبي العافية واستطاع أن يستولي على ما كان بيد الأدارسة من أراض في شمال المغرب وطاردهم وضيق عليهم الخناق حتى اضطروا إلى الاعتصام بحصن منيع في حجر النسر بجبال الريف. والواقع أن المأساة التي عاشها الأدارسة في تلك الآونة راجعة إلى الصراع الكبير الذي نشب بين الخلافتين الفاطمية بإفريقية والأموية بالأندلس، وكان مسرح هذا الصراع بلاد المغرب، وبخاصة المغرب الأقصى.

وحاول الأدارسة أن يحافظوا على استقلالهم وحيادهم في الحرب الضروس الدائرة بين الطرفين. لكنهم، بسبب ضعفهم وبسبب الضغوط العسكرية القوية التي تعرضوا لها، تارة من جهة الفاطميين، وطورا من جهة الأمويين، لم يجدوا بدا من الخضوع، حسب الظروف، تارة لأولئك وتارة لهؤلاء. ولعل ارتباطهم بالأمويين كان أقوى، نظرا لقصر المسافة بين المغرب والأندلس، ولكون الخلفاء الأمويين ربما عاملوا زعماء الأدارسة بشيء من التقدير والاحترام. والوضع الذي عرفه الأدارسة في تلك الآونة هو نفس الوضع الذي عاشه غيرهم من زعماء البربر مثل موسى بن أبي العافية المكناسي وأولاده.

وبرغم الاضطهاد والمضايقات التي تعرض لها الأدارسة طوال مدة لم تكن بالقصيرة أثناء القرن الرابع، فقد برهنوا على أن وجودهم أصبح متجذرا في عدة أنحاء من المغرب، وأنهم ظلوا يكونون قوة سياسية متمثلة في زعامات محلية نستطيع أن نذكر منها :

أ . بني عمر : الذين كان مقر نفوذهم في صدينة ببلاد صنهاجة جنوبي الريف. وإليهم ينتسب الحموديون، الذين تولوا الخلافة بقرطبة، ثم كانوا من جملة ملوك الطوائف بالأندلس.

ب . بني داود : الذين امتد نفوذهم في جهة وادي سبو، ومن أمرائهم حمزة بن داود.

ج . بني القاسم : ويمثلون فرعا مهما من الأسرة إذ امتد نفوذها في الهبط. فكان لها مركز بالبصرة وآخر بأصيلا. ومن أبرز أمرائهم إبراهيم بن القاسم.

د . بني عيسى : الذين كان مقرهم بوازقور في جهة الأطلس المتوسط. وكانوا يتوفرون على معدن الفضة بجبل عوام.

هـ . بني عبيد الله : الذي سيحل بجنوب المغرب، حيث ستنتشر ذريته. وإليه يعزى تأسيس مدينتين مهمتين : تامدولت، الواقعة في قدم السفح الجنوبي للأطلس الصغير وبها معدن الفضة، وإكلي التي جعل منها عاصمته بعد استيلائه على سوس. وسيمتد نفوذه إلى لمطة ومشارف الصحراء جنوبا وإلى أغمات ونفيس شمالا. ويمكن القول إن هاته الأسرة كان لها نفوذ روحي قبل كل شيء في المنطقة المذكورة.

و. ومن فروع العلويين المتصلين بالأدارسة، نذكر بني سليمان بن عبد الله وهو أخو إدريس الأول. وتختلف الروايات في شأنه هل قتل في معركة فخ أم هل تمكن من الفرار ونجح في الوصول إلى تلمسان. ومهما يكن، فإن ولده محمد تتفق المصادر على ذكر اسمه كأمير على تلمسان وما حولها من أقاليم في المغرب الأوسط. وهو الذي قدم عليه إدريس الثاني ليستلحق إمارة تلمسان بمملكة الأدارسة، وتركه على رأسها. وعن محمد بن سليمان تفرعت عدة فروع انتشرت بجهات مختلفة من المغرب الأوسط. إلا أن المصادر تشح كثيرا، بالأخبار عن هاته الأسرة المرتبطة بالأدارسة.

نهاية الأدارسة بالمغرب : برغم المصائب التي توالت على الأدارسة منذ تصدى لهم موسى ابن أبي العافية، فقد أمكنهم أن يصمدوا وأن يحافظوا على وجودهم السياسي على يد بني القاسم بن إدريس. فقد اتفق الأدارسة على تولية القاسم بن محمد بن القاسم ابن إدريس واستمر في إمارته إلى أن توفي سنة 337. فتولى بعده ولده أبو العيش أحمد. وتميز بالعلم والفقه والورع. وكان مواليا لبني أمية الذين ازداد نفوذهم توطدا بالمغرب. وفضل أبو العيش أن ينهي حياته مجاهدا، إذ توجه للأندلس حيث استشهد في ساحة القتال سنة 343. فكان الذي خلفه بعد انصرافه إلى الجهاد أخوه الحسن بن گنون. وفي عهده وقع هجوم جديد للفاطميين على المغرب كان الهدف منه استرجاع سطوتهم على البلاد. فاضطر الحسن أمام قوة الهاجمين إلى التحول بولائه إلى جهة الهاجمين. لكنه لم يتخذ ذلك الموقف إلا تقية، إذ رجع بولائه إلى الأمويين بمجرد انصراف جيوش الفاطميين عن المغرب.

وبعد مدة، جاء جيش فاطمي آخر بقيادة بلگين بن زيري. فاضطر الحسن، مرة أخرى، إلى نفض يده من بيعة الأمويين وتجديد بيعته للفاطميين. وفي هذه المرّة انضم إلى معسكر الفاطميين بصورة فعالة وساهم في التنكيل بأنصار الأمويين في البلاد مما أحقد عليه الخليفة المرواني الحكم المستنصر الذي وجه جيشا كبيرا إلى المغرب للانتقام منه وبعد معارك ضارية، اضطر الحسن للالتجاء إلى حجر النسر ثم للاستسلام والذهاب مع ذويه إلى قرطبة (363 / 974) لكن، مالبث أن حدثت نفرة بينه وبين الحكم بعد سنتين من إقامته بقرطبة. فنفاه الخليفة الأموي هو وذويه عن الأندلس فالتجأوا إلى الفاطميين بمصر، حيث وجدوا استقبالا حسنا وظلوا هنالك إلى غاية 373. وحينئذ أمر الخليفة الفاطمي بتجهيز الحسن بجيش ليذهب إلى المغرب ويستعيد إمارته باسم الفاطميين. لكن المنصور بن أبي عامر بعث لقتاله جيشا قويا. فاضطر إلى طلب الأمان. لكن المنصور لم يف له وأمر باغتياله وهو في الطريق إلى قرطبة (375 / 985). وبذلك "انقرضت أيام الأدراسة بالمغرب بموت الحسن بن گنون آخر ملوكهم". (*القرطاس* ص 94).

بالرغم على التدهور الذي حصل للأدراسة طوال أزيد من قرن، يمكن القول إنهم قاموا بدور أساسي في تاريخ المغرب :

1 . على أيديهم تم تحويل المغرب، بصورة فعالة إلى عهد الإسلام الذي عملوا على نشره في أنحاء مختلفة من البلاد

2 . بمبادرتهم جرت أول محاولة لتجاوز القبلية وذلك بتأسيس دولة على النمط الإسلامي لها حاضرتها فاس. فكان عملهم أول انطلاقة فعلية للدولة المغربية في التاريخ

3 . مجهودهم على المستوى العمراني باستحداث مدن جديدة أو إنعاش القديمة مع تنشيط الحركة التجارية وإنشاء عدد مهم من دور السكة في جهات مختلفة من المغرب.

ابن حزم، *جمهرة الأنساب* ؛ ابن حيان، *المقتبس* ، ج 4 و5 ؛ البكري، *المغرب* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ج 1 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام* ؛ الجزنائي، *زهرة الآس* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ا. العربي، *دولة الأدارسة*.

*Encyclopédie de l'Islam*, Article Idrisides ; Le Tourneau, *Fès avant le Protectorat* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc* ; D. Eustache, *Le corpus des dirhams Idrissides* ; J. Brignon et autres, *Histoire du Maroc*.

محمد زنيبر

**أداسيل**، مدشر من فرقة إينماغوس بقبيلة إيگدميون، وهو في نفس الوقت من بين أهم التجمعات البشرية بعالية وادي أسيف المال ومركز للجماعة القروية التي تحمل اسمه، إحدى الجماعات المكونة لدائرة أمزميز الممتدة على السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي جنوب مراكش ما بين أسيف المال ووادي نفيس. جاء عند روبير مونطاني R. Montagne في حديثه عن اللف عند مصامدة الأطلس الكبير ذكر اسم سي حدوش الماغوسي أحد قواد المخزن والذي قال عنه بأنه كان يقيم بأداسيل وبأنه قاد حوالي سنة 1870 حملة ضد فخد إيونسكتن أحد أفخاذ قبيلة أيگدميون التي يمتد موطنها جنوب أداسيل على طول الوادي الذي يحمل اسمه. وهو خبر يستخلص منه أنّ أداسيل كان في الماضي القريب مركز إقامة قائد مخزني على غرار أزگر من ناحية، وأن هذا المركز كان يضطلع بمهمة مراقبة سكان عالية وادي أسيف المال من ناحية أخرى، مما يجرنا إلى القول بأن المخزن رغبة منه في تدعيم وجوده بجبال درن أقدم على خلق سلسلة من المراكز القيادية على خط الاتصال بين المنطقة القابَطلَسيَّة والمنطقة الجبلية العالية فضلا عن مراكز الدير التقليدية كأمزميز وإيمي ن تانوت وأگرگور مثلا. إلا أن خضوع قبيلة أيگدميون إلى نفوذ القائد الگنتافي عند بداية القرن العشرين وسقوط المغرب تحت وطأة الاستعمار الفرنسي أفقد أداسيل مكانته كمركز قيادة.

*تحريات ميدانية.*


R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen.*


أحمد بلاوي

**إداوگيلول**، قبيلة في الصف الساحلي من قبائل حاحا الاثنتي عشرة، تقع في قلب حاحا وتمثل قطب رحى أحداثها. تمتد على الساحل الغربي من وادي إيگوزولن الذي يفصلها عن قبيلة إداوسارن إلى أفتاس إيمسوان الذي يحدها جنوبا مع أيت أمر، ومن الشرق والجنوب الشرقي تحدها قبائل إداوبوزيا وإداوكازو وإداوتغما الحاحية هي الأخرى.

وكلمة إيلول اسم لجماعة من السكان يقطنون قرية قرب مركز تمنار فنسبت إليهم القبيلة باستعمال كلمتي إدا بمعنى أهل وگگ التي هي أداة الشأن في صياغة أسماء كثير من القبائل السوسية مثل إيداگنيضيف.

وقد لعبت قبيلة إداگيلول دورا تاريخيا مهما في بسط نفوذ المخزن على كثير من القبائل الحاحية والسوسية المتمردة بعد موت مولاي الحسن بقيادة آل المحجوب الگيلوليين الذين امتد نفوذهم إلى تزنيت في عهد القائد سعيد الگيلولي (*المعسول*، 15 : 196) ومن كبار قادتهم المحجوب بن أحمد المتوفى عام 1308 هـ وأخوه سعيد بن أحمد الگيلولي المتوفى عام 1319. وابنه القائد مبارك بن سعيد المتوفى عام 1329 وأخوه القائد عبد الرحمان بن سعيد الگيلولي الذي كانت له يد طولي في تحريك ثورة أحمد

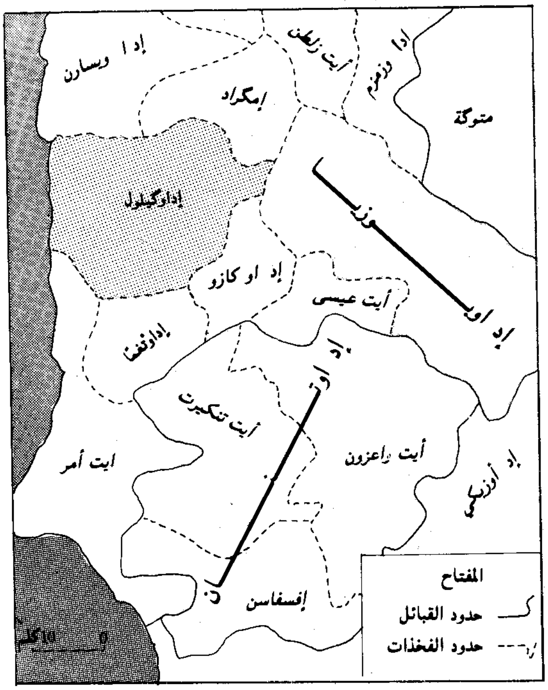


إداوگيلول

الهيبة ضد التدخل الفرنسي بإيعاز من ألمانيا عدوة فرنسا ومنافستها على حماية المغرب. توفي هذا القائد بعد نفيه وسجنه عام 1331 هـ فتولى بعده الحاج الحسن بن محمد أوفقير الگيلولي في عهد الحماية إلى أن توفي عام 1344 (*المعسول*، 15 : 235) ومن المآثر التاريخية والثقافية بهذه القبيلة : مركز دائرة تمنار الذي أسسه القائد المحجوب الگيلولي المذكور عام 1301 هـ 1883 م، لأول مرة قرب قصبة برتغالية قديمة كانت تسكنها نصرانية تدعى تمنارت الذي يطلق في الشلحة على الحيوان الشديد البياض وخلصة في الوجه، ثم أصبح هذا الاسم علما على القصبة. ولموقع تمنار وسط قبيلة إيداگيلول خاصة وقبائل حاحة عامة، وعلى نقطة متنصف الطريق الرئيسية بين الصويرة وأگادير، أهمية استراتيجية كبيرة جعلتها مجمعا لجميع المرافق الإدارية والثقافية في حاحة قديما وحديثا، ففيها مقر قيادة حاحة قبل الحماية وبعدها، تولى الحكم فيها القواد الخمسة الگيلوليون المذكورون (1299 ـ 1344) ثم تولى بعدهم القائد سعيد بن الحاج الحسن التيگزيريني إلى أن توفي عام 1957 / 1377 وبعد الاستقلال أنشئ في تنمار مقر المركز المستقل، والدائرة، ثم الجماعة الحضرية التي تبلغ مساحتها 15,80 كلم مربع وعدد سكانها 1500 نسمة، وتتوفر على كل التجهيزات الأساسية. وازاءها مدرسة سيدي حسا وحساين العتيقة التي توحدت حولها قبيلة إداگيلول.

المراجع المشار إليها بالإضافة إلى *تحريات مدانية.*

محند أيت الحاج

**إدالة**، حامية عسكرية يبعثها السلطان في النظام المغربي لما قبل الاستعمار، إلى مركز من المراكز فتقيم به

للحراسة. وسميت إدالة لأنها لا تقيم بذلك المركز إلا لأمد معين ثم تخلفها فيه حامية أخرى فتكون الحراسة متداولة (*العز والصولة*، 1 : 394). وقد يكون مكان إقامة الإدالة ثغرا في الحدود أو مرسى من المراسي أو قصبة داخلية لحراسة ممر أو لمنع قطع الطريق (Michaux-Bellaire, 145)

وقد يؤخذ العساكر المكلفون بالإدالة من قبيلة قريبة أو بعيدة، ويطلبون منها إضافة إلى ما تعطيه من العسكر للحركة في المناسبة، والعسكر الذي في الإدالة قد لا يتحرك في "الحركة". فقبيلة الخلط وقبيلة طليق مثلا كانتا تعطيان مائة وعشرة من الفرسان للحركة وخمسة عشر فارسا للإدالة. وفي حالات أخرى كانت الإدالة تساعد على القيام بالحركة (*الوثائق*، 2 : 113).

وقد تؤخذ الإدالة من مدينة، كما وقع عندما ألزم السلطان محمد بن عبد الله (1765) أهل فاس "ببعث إدالة منهم إلى الصويرة، وهي خمسون راميا بقائدها وفقيه ومدرس ومؤقت ومؤذن وشاهدان" (*الاستقصا*، 8 : 24). وقد ترتب عن إعطاء هذه الإدالة إعفاء أهل فاس مما كانوا يبعثون به إلى السلطان من العسكر، وعدتهم خمسمائة رام.

وترتب لكل إدالة مؤن ومرافق يدفعها أمناء القبائل أو أمناء المراسي (*برادة*، 297). وقد كان الملوك يحرصون على أن يكون رجال الإدالات من الكفاة الأنجاد المزودين بالعدة الصحيحة (*الوثائق*، 3 : 455) كما كانوا يحرصون على ألا يتسرب إليهم الملل بطول المقام حيث أعطيت الأوامر في بعض الحالات بأن يتبدلوا "بعد الشهر أو الشهرين" (*الإتحاف*، 5 : 80)، وإذا طال الأمد على حامية ثغر من الثغور وضعفت وقع تجديدها كلها.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 24 ؛ ع.ابن زيدان، *العز والصولة*، 1 : 394 ؛ *الوثائق*، 3 : 455 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 6.

Michaux-Bellaire et G. Salmon, *Les Tribus arabes de la Vallée du Lekkous*, A.M., 1905, PP. 4-5.

أحمد التوفيق

**إدامُولي**، جيوليو Adamoli, G. مهندس إيطالي زار المغرب سنة 1876 وتجول بمختلف مناطقه الشاطئية وبمراكش. وكان موفدا من الجمعية الجغرافية الإيطالية له عدة أبحاث نشرها بعد رجوعه إلي بلاده.

م. بوشعراء، *الهجرة من المغرب وإليه* (مخطوط).

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 55.

مصطفى بوشعراء

**إداوْزيمر ← إداوْمحمود**

**إداوْبَعْقيل**، ينسب إليها البعقيليون، وترد في صيغة بَعقيلَة، من مجموعة قبائل إداوْلْتيت المستوطنة في غربي الأطلس الصغير (بلاد جزولَة) ذكرت في كناش أحمد المنصور وقُدرت بألف سرجة مساوية للقبيلتين المجاورتين من إداولْتيت وهما إداوْسملال وإداوْرسموك. تجاورهما من الجانب قبيلة مجاط، كانت بين بعقيلة ومجاط حروب شهيرة (*المعسول*، 1 : 128 ـ 130).

وموطن إداوْبعقيل مجاور لبلد تازروالت يفصل مجاليهما تل صغير. ويتكون هذا الموطن من خمسة أودية تشرف عليها هضاب مضرسة هي واد وجَّان (ينسب إليه عدد من أعلام الوجَّانيين) وواد أسَاكا، وواد إمجگارن، وواد أگم، وواد إيمي نْتغمي.

ذكر مارمول أن إداوْبعقيل كانت من أقوى قبائل سوس بقدرتها على تجنيد عشرين ألف مقاتل. وقد حافظوا بعصبيتهم في لف تاحگات المضاد للف تاگيزولت، على تنظيمات جماعية بقيت وظيفية إلى قرننا هذا. ومن فرقها:

1) سيدوس علي واد وجَّان حيث توجد زاوية سيدي احماد أوموسى. 2) دُودرار على واد أساكا، وفيه كان مقر القائد المخزني المعين عام 1882. 3) إيگي واسيف. 4) إيمي أوساكا. 5) تيواضُو. 6) إيمي نْتغمي.

وزَّعهم السلطان مولاي الحسن على منطقتي نفوذ قائدين. وقد كانوا في نزاع مع أهل تازروالت ولكنهم مرتبطون روحيا بزاوية سيدي احماد أوموسى وقد انتشرت في أوساطهم الطريقة الناصرية. وكان شيخ الإفتاء عندهم الشيخ أحمد أبا عْقيل وهو من الشرفاء السملاليين الذين استقروا بين ظهرانيهم.

مارمول، إفريقيا ؛ *ديوان قبائل سوس* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 1 : 128 ـ 132. 3 : 38 ـ 389. 8 : 151 ـ 156. 15 : 207 ـ 218. 19 : 16 ـ 27.

A. Le Chatelier, *Tribus du sud-ouest Marocain*, Paris 1891; Albert (Lieutenent), *Les Ida Oubaàqil*, Archives, SHA. 1915. D. J. Meunié, *Le Maroc saharien*.

**إداوبلال**، ترد أيضا بصيغة دوي بلال أو داوبلال، ينسب لها الدوبلالي، قبيلة تعيش على النجعة عربية اللسان، تنسب نفسها إلى أصل عربي، كانت في أواخر القرن التاسع عشر على جنبات وادي درعة الأوسط بين خط الطول المار بطاطا غربا وبين مريميما شرقا، على بعد 20 كلم جنوب شرق أگادير نتيسنت، أي بين المرتفعات الأولى للأطلس الصغير شمالا وأيت أومريبط غربا وأولاد يحيى شرقا، وكان مجال تنقلها إلى الجنوب يمتد عدة أيام من السير في الصحراء بدون تحديد (Foucauld, Recon, 153).

وما تزال وضعية إداوبلال تشبه إلى حد ما حالها في القرن التاسع عشر، ولكنهم في القرن السابع عشر في عهد نفوذ تازروالت على عهد أبي حسون كانوا أو كان فريق منهم في السهول الأطلسية الجنوبية جنوب واد ماسة.

C. Buffe, *Les Ida ou Blal*, Arch. SHA, 1939 ; D. J. Meunié, *Le Maroc saharien*.

أحمد التوفيق

**إداوْبوزيا**، قبيلة أوعدة قبائل، يرجح أن الاسم أمازيغي وأن أزْياً تعني المشكاة المصطنعة على هيئة مثلث في زوايا البيوت، ولعل الاسم آت من تشبيه ما تنحته الطبيعة في الجبال بتلك السقوف. ووجه الشبه هو الوضع

المعلق. ويذهب آخرون إلى القول بأن الاسم آت من نسبة الجماعة إلى شخص كنيته أبو زياد (ينسبون في بعض الوثائق : البوزيادي).

توجد جماعات تشترك في هذا الاسم مع اختلاف في المواطن :

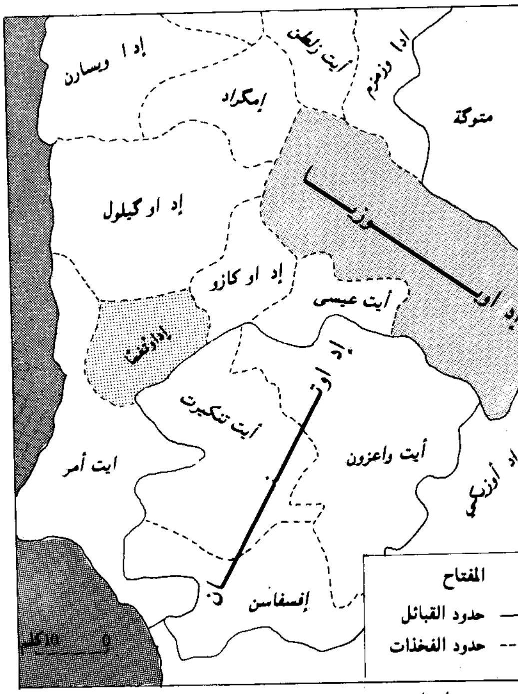


إد اويـــــوزيــــا واداوتغما

- إداوبُوزيْا الذين بأيت باعمران، ويعدون من أقدم سكانها حيث تشير وثائق الحيازة إلى أن معظم الأملاك سبقت بأيديهم. وكان موطنهم بتيزگي (تيغزى حاليا) وكان لهم أگادير (حصن جماعي) كبير قديم بسور من حجر لا يقل محيطه عن ألف متر، ومازالت بعض معالمه شاخصة للعيان وفيه آثار قديمة حفرت في الصخور وآثار أخرى لعمران كثيف وقبور ومحراب في اتجاه الجنوب، وقد يدل هذا على أنه محراب من عهد الموحدين. وقد تعرض سكان أگادير المذكور لوباء أفنى معظمهم (وثيقة أصلها عند إدعثمان الضلعيين) بينما هاجر من بقي منهم من تيزگي إلى جهة سيدي إفني أي أنهم تحولوا عن موقعهم إلى جهة الغرب بحوالي عشرة أميال، ويعرفون في مقرهم الجديد بنفس الاسم ولا يكونون حاليا سوى فخدة من قبيلة أيت إخْلَفْ، ولهم مزارة سيدي محند الشيخ وفيهم قراء مدرسون في أمثال المرحوم عبد بن بُوعْمَيْر (*وثائق مهمة عند السيد أحمد بوعُمَيْر الحلفي بأگادير حاليا*).

- إداوبُوزيْا في تاقْبيلْتْ بإفْرْدا، وهم عائلات معدودة موطنها على بضع كلمترات من سوق أربعاء الساحل إلى جهة الجنوب، ولديهم *وثائق* تدل عى علاقتهم بإداوبوزيا من أيت إخْلَفْ (*وثيقة* تذكر علاقتهم بعائلة إجَوَان خاصة، وهي بملك أحد أعلام هذه العائلات وهو المقاوم السيد عمر المتوكل الساحلي).

- إداوبوزيا في أشْتُوكَنْ (هشتوكة). موطنهم في سهل أزْغَارْ، يحدهم شمالا، إداگارَن وجنوبا أيت عَمْرو وشرقا أيت وَادْرِيمْ وغربا أيت بَلْفَاعْ، ويجمعون مع أيت عمرو في مشيخة واحدة، ضمن قيادة بيگورا (بجيم بدوية مشددة مضمومة، وإگورّا أبواب نحتتها وديان الأطلس الصغير) وأرضهم خصبة ومع ذلك اشتهروا بالهجرة إلى خارج المغرب منذ منتصف هذا القرن. وكانوا قبل ذلك تحت قيادة يرعى (يرعاه ؟) السباعي، وخلفه عليهم ولده عبد الرحمان إلى تاريخ استقلال البلاد. ومن أشهر مدارسهم العتيقة سيدي بُومْرگيدْ ومدرسة بُورجَ (أبو الرجاء).

- إداوبُوزيْا في إحَاحَانْ (حاحا) ويتداولون أن أصلهم من أيت باعمران وثبت فعلا أن رجالا من هذه القبيلة رجعوا إلى أيت باعمران (حوالي عام 1958) حاملين عقودا عقارية تشهد لهم بممتلكات معروفة ولكنها انتقلت في بيوعات مما يجعل استرجاعها مستحيلا.

ح. جهادي الباعمراني، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط.

الحسين جهادي الباعمراني

**إداوتْغـمـا**، قبيلة حاحية، تقع بأقصى جنوب إقليم حاحا في المنطقة الهضبية الوسطى. وتتكون من منطقتين متميزتين : إحداهما سهلية ساحلية تنتهي في الجنوب الغربي بحدود قبيلة أيْت أمر، وفي الشمال تحدها قبيلة إداگْلول، ثم تأخذ في الارتفاع تدريجيا كلما اتجهنا نحو الجنوب الشرقي، فتتكون المنطقة الهضبية الثانية التي تنتهي عند سفوح جبال إداوتنان جنوبا، وتتصل مع هضاب قبيلة إداوكَازُو شرقا، فتشكل معها امتدادا طبيعيا للهضاب الرابطة بين السهول الساحية وجبال الأطلس الكبير. وتبلغ مساحة أراضي قبيلة إيداوْتغما حوالي 203 كلم مربع. وعدد سكانها يناهز 9060 نسمة. (إحصاء 1982)، يشتغل معظمهم بتربية المواشي والفلاحة البورية لأن أراضيهم شبه جافة تندر فيها الآبار والعيون الجارية، بينما يتجه البعض الآخر إلى الاتجار في الأسواق والمدن المجاورة لسهولة تنقلهم عبر الطريق الرئيسية بين أگادير والصويرة المارة وسط مداشرهم. والسكان من أصل أمازيغي اختلطت بهم بعض الأسر العربية من أصل شريف إدريسي أوبكري، كآل إعزّى ويهْدّى، ولغة عامتهم أمازيغية ممتزجة بألفاظ عربية وبألفاظ دخيلة وكلمة إداوتغما تعني أهل الفخذ وهو ما بين الركبة والورك : تاغما. وقد اشتهر التغماويون بين قبائل حاحا بالحيوية والنشاط وحب مغامرة الأسفار فاكتسبوا بكثرة المخالطة الحنكة والدهاء إلى حد الشطارة أحيانا. كما اشتهروا بالتدين وتوجيه أبنائهم إلى حفظ القرآن بالقراءات وطلب العلم فنبغ فيهم عدد كثير من طلبة القرآن والعلماء قديما وحديثا أمثال أسرة الأمغاريين وأسرة آل المؤذن بفخذة إيداواعشا وغيرهما كثير.

أما المآثر الثقافية الدينية بإداوتغما فإنها كثيرة وتتجلى في :

1. كثرة المساجد وكتاتيبها القديمة، والمتعددة بتعدد الدواوير والجماعات.

2. كثرة أضرحة الأولياء والزوايا المزارة مثل ضريح سيدي سحنون، وضريح سيدي بومهدي، وضريح سيدي مناع وزاوية سيدي محند أومغار (ت 1318 / 1900).

3. تعمير مدرستها العلمية المنسوبة إلى دفين زاويتها العلامة المقرئ سيدي أحمد بن امبارك الوركاوي التناني أصلا المتوفى عام 1272 / 1855، والتي توحدت القبيلة حولها، فظلت إلى اليوم رمزا خالدا لبنيتها الأصلية القديمة. وقد تصدر للتدريس فيها علماء أجلاء أشهرهم دفينها المذكور (*خلال جزولة*، 4 : 91) ثم العلامة الأديب سيدي امحند بن محمد أمغار المذكور والذي تخرج عليه عدد كثير من طلبة القبيلة وعلمائها المشهورين اليوم (*رحلة من الحمراء*).

وتتوفر القبيلة على سوق قروي ينعقد يوم الأربعاء، وبه اليوم مقر الجماعة وبعض المرافق الإدارية، ومستوصف، وأقسام دراسية موزعة.

*تحريات ميدانية* ؛ م. المختار السوسي، *رحلة من الحمراء إلى إيليغ*، مخطوط ورثة المؤلف.

محند أيت الحاج

**إِدَاوْتَنَانْ**، اسم ثلاث قبائل تشكل اتحادية مهمة وتحتل الجزء الغربي للأطلس الكبير الذي يعتبر امتدادا طبيعيا لبلاد حاحا من جهة الجنوب، وقبائل إداوتنان هي :

1. قبيلة أيت واعزون وتقع ربوعها جهة الشمال الشرقي من جبال إداوتنان من السفح إلى القمة، وتحدها من الشمال الغربي قبائل حاحا الجنوبية : إداوْتغما وإداوگازُو وأيت عيسى.

2. قبيلة تانكرت وتستوطن جهة الشمال الغربي من جبال إداوْتنان، جهة البحر.

3. قبيلة إِفْسْفَاسْنْ وهي أقلها سكانا، وتقع جهة الجنوب الغربي.

وسكان قبائل إداوْتنان من قبائل مصمودة القاطنين بجبل درن منذ القديم وقد اختلطت عدة عناصر بربرية وعربية لتكون سكان قبائل إداوْتنان اليوم، إذ نجد من بينهم أسرا إدريسية وأخرى بكرية أمثال شرفاء سيدي إبراهيم بن علي التغانيميني (*المعسول*، 15 : 72) وآل إِعَزّى ويهْدّى وغيرهم، وقد ظلت قبائل إداوتنان متمنعة بجبالها عن الخضوع لأي سلطة مخزنية رغم المحاولات التي قام بها القائد الحاج عبد الله أوبيهي عام 1260 / 1844 وكذلك في عام 1283 / 1867 (*المعسول*، 15 : 12) كما حاصرهم السلطان المولى الحسن الأول إثر رجوعه من سوس 1303 / 1885 فأدار بهم الجيوش من كل جهة حتى انقادوا وقدموا له الهدايا ودفعوا المؤن، ثم لم يلبث السلطان أن ذهب بغتة بعدما ما جعل لهم رئيسا يسمى أبا العشرة فقتله التنانيون بعد رحيل السلطان وعادوا إلى حالهم من التمنع متشبثين بأولاد الولي الصالح إبراهيم بن علي التيغانيميني (*خلال جزولة*، 4 : 88) لذلك اعتبر روبير مونطاني اتحادية قبائل إداوتنان نموذجا للمجموعات المتمردة من القبائل الأمازيغية ذات نظام سياسي واجتماعي كان سائدا في القديم ثم اندثر حاليا لم تبق منه إلا معالم منها حكام أيت ربعين وسلطة المرابطين وإمغارن وأعيان القبيلة. (روبير مونطاني، *التنظيم الاجتماعي والسياسي للقبائل الأمازيغية : إداوتنان بالأطلس الكبير الغربي*، مجلة الدراسات الإسلامية : 223).

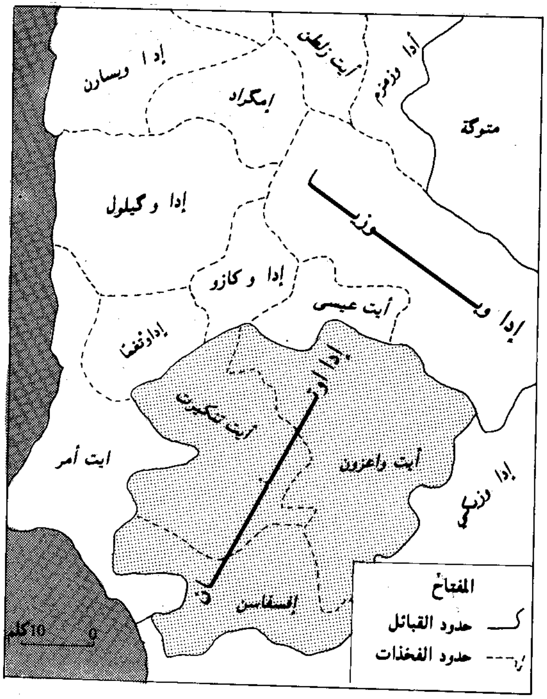


إداوتـــــنـــــان

ولم تستطع فرنسا أن تخضع إداوتنان لإدارتها إلا في عام 1346 / 1927 بعد حصار اقتصادي وقصف بالطائرات. ومن مراكز إداوتنان المشهورة سوق خميس إِيمُوزَّارْ وبه يقع مقر القيادة والجماعة القروية لهذه القبائل ويتوفر على معظم التجهيزات الأساسية، ويقبل السياح على زيارته لما فيه من مناظر طبيعية وشلالات وجبال شامخة.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 15 ؛ *خلال جزولة*، 4.
R. Montagne, *Ida ou Tanane*, R.E.I. 1927.

محند أيت الحاج

**إِدَاوْزَالْ**، (بتفخيم الزاي) قبيلة واقعة في السفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي، وتستقر بالمناطق المشرفة مباشرة على سهل سوس، وتتدرج في الارتفاع من 400 م عند قدم الجبل إلى 2856 م عند قمة جبل تگرْكُسْتْ.

تتوزع القبيلة على وديان عميقة هي وادي إدَامْرَوَانْ الذي يعتبر أهمها لأنه ينبع من تشْكا قرب إداومحمود ليصب في وادي سوس، ثم وديان قصيرة مثل وادي المنايْزْلَة ووادي تَمْدَا، وكلها تنحدر نحو الجنوب إلا وادي تايْغْتْ فإنه يتجه شمال غرب تِزي أنْ فَرْقْ الريح ليلتقي بوادي إسْنْ عند أرگانة.

إن الموقع الجغرافي للقبيلة جعل معظم معاملاتها تتم مع سوس ولذلك كانت تتأثر بالمشاكل التي تعيشها سوس من استقرار واضطراب، إلا أن القبيلة تشرف مع فرع الطريق الرئيسي لسوس عبر أركانة فَبيباون فَلَمْنايزْلَة عند السهل، وهي تمثل مركزا رئيسيا للقبيلة، فكانت مركز السلطة المخزنية بإداوزال ويمثلها الشيوخ بفرق القبيلة، كما كانت المَنايزْلة تمثل أيضا مركزا اقتصاديا، فكانت بها نزالة تأوي إليها قوافل التجار مما كان يعرضها أيام الاضطرابات إلى النهب في القبائل المجاورة كهوارة ولذلك تكلفت قبيلة إداوزال بتقوية الحراسة بالمنايزْلة بتكثيف السكان، وإقامة أبراج للحراسة ما تزال خرائبها معروفة. وكانت لهذه الحراسة نتائج منها دفاع السكان عن العمال الذين التجأوا إلى المنايزْلة لما طاردتهم هوارة عقب التمرد عليهم سنة 83 - 1884، ولما قام المولى الحسن بحركته إلي سوس سنة 1885 أعاد العمال إلى مناصبهم بهوارة، وجعل إداوزال تحت قيادة بلمختار وظلت إداوزال تحت قيادته إلى وفاة السلطان وتولية المولى عبد العزيز فتولى عليهم الباشا حمو الذي كان الوزير أحمد بن موسى قد نقله من مكناس إلى تارودانت احتياطا منه، وبعد وفاته تولى حيده بن مويس علي تارودانت وإداوزال لكن نحاه أحمد بن علي كَبَّا عن المدينة ابتداء من 1324 / 1906، وهو الذي صاحب الهيبة إلى مراكش، ولما تراجع عنها قتل كَبَّا بإفَرْضْ بإداوزال في شتنبر 1912، ونهبت محلته.

لقد تمكن المتوگي بعد استعادة سلطته على إداوزيكي أن يتولى على إداوزال لكنه لم يبسط نفوده عليها لانتصاب علي بن حمو كقوة فعلية على إداوزال، فاستغل ظروف الاضطرابات التي كانت تواكب مقاومة الاستعمار الفرنسي والموانئ، والتي كانت تعرفها قبائل المنطقة في إداوزيكي وسوس، فأشاع علي بن حمو نوعا من الإرهاب بالسفح الجنوبي للأطلس، واشتهر أمره بالقبائل المجاورة لإداوزال لما كان يرتكبه بواسطة أعدائه من سطو على الممتلكات، ويظهر أن السلطات الاستعمارية التي استقرت بتارودانت غضت الطرف عنه حتى يرهق السكان ويرغم القبائل المجاورة للدفاع، فظلت سطوته بإداوزال حتى ضمت القبيلة نهائيا إلى السلطات الاستعمارية بإيمنتانوت ثم أركانة ليرتبط مصيرها بمصير القبائل المشاركة لها.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 20، *تحريات ميدانية*.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; J. Fuchs, *Evolution d'un grand commandememt marocain, Le Caid Mtouggi*, C.E.A.M.

محمد زرهوني

## إداوزداغ ← زداغة

**إداوزْمزْم**، أو إدازنزم قبيلة حاحية في الصف الجبلي من بين القبائل الاثنتي عشرة التي تكون اتحادية حاحة، تحدها من القبلة امتوگة. ومن الشرق قبيلة مسكالة، حيث يوجد المركز الفسفاطي الضخم ومن جهة الغرب تحدها قبيلة إداوبوزيا ومن البحر قبيلة أيت زلطن، أراضيها متنوعة التضاريس بين السهل والهضاب والجبال، ومعظمها مكسو بغابات أرگان وأشجار اللوز والزيتون. مساحتها 238 كلم مربع ويبلغ عدد سكانها حاليا حوالي 11745 نسمة (إحصاء 1982) يشتغل معظمهم بالزراعة البورية وتربية المواشي، كما اشتهروا بالصناعة التقليدية الخزفية منذ القدم، وتتوفر اليوم هذه القبيلة على كميات هائلة من الفوسفاط ينتظر أن توفر الشغل لعدد كبير من أبناء القبيلة وما جاورها.

وقد كانت قبيلة إدازمزم منضوية في إيالة قيادة آل بيهي أوموليد إلى أن توفي كبيرهم الحاج عبد الله أبِهي الحيحي عام 1284 / 1867، وانتزعت القيادة من ابنه محمد أمعدور، فتولى قيادة إداوزمزم القائد لحسن گورما ثم ابنه محمد گورْما اللذان كانا معا بارزين بين القواد الحاحيين في العهدين العزيزي والحفيظي. وكان القائد محمد گُرْمَا الزَّمْزَمي (1296 ـ 1350) يوالي القائد عبد المالك المتوگي. وقد كان معه يوم جلا أحمد الهيبة عن مراكش عام 1330 هـ، ثم لما مدت حكومة الاحتلال يدها إلى حاحة أعفته من القيادة وولت من أسرته القائد مباركا فصال وجال، واكتنز من الأموال مع أن قبيلته صغيرة (*المعسول*، 15 : 244) وأسند المخزن بعده قبيلة إداوزمزم للقائد المختار (إيگيدر) فكانت قصبته بأزغار أيت زلطن مركزا للقبيلتين معا فلما استقل المغرب سنة 1956 اختارت الحكومة مركزا وسطا بين القبيلتين يسمى (بيزضاض) قرب سوق اثنين إداوزمزم على بعد 70 كلم شرق الصويرة. وهو مقر جماعة إداوزمزم اليوم، ويتوفر على التجهيزات الأساسية من ماء وكهرباء ومستوصف قروي إلى جانب مجموعة مدرسية، ومقر الدرك الملكي.

أما المآثر الثقافية والدينية بقبيلة إداوزمزم فإنها تتجلى في كثرة المساجد وكتاتيبها القرآنية الموزعة بأغلب دواوير القبيلة وبين جماعاتها وأكثرها شهرة مدرسة سيدي إبراهيم القاضي الزمزمي المتوفى 1311 / 1893. والتي توحدت حولها قبيلة إداوزمزم، فبلغ عدد طلبتها في مطلع هذا القرن حوالي مائة طالب، وقد تحدث الرحالة الباحث الفرنسي إدمون دوتي في رحلته عبر بلاد أرگان عام 1904 عن هذه المدرسة وموقعها قرب سوق اثنين إداوزمزم وعن كثرة طلبتها وطيبوبة فقيهها.

E.Doutté, *En Tribu*, p. 268.

محند أيت الحاج

**إدَاوْزِيكي**، قبيلة بالأطلس الكبير الغربي تقع على طول وادي إسَّنْ انطلاقا من حدود قبيلة دمسيرة شمالا وتجاورها غربا كل من إداوبُوزِيَّا الحاحية وإداوْتنان وجنوبا مسگينَة وهوارة وشرقا إدَاوْزَالْ وإدَوْمحمود.

إن وجود قبيلة إداوزيكي على ضفاف وادي إسّنْ يجعلها تقع على الطريق الكبير نحو سوس، مما أضفى عليها أهمية بالنسبة للسلطات المركزية، فحافظت على انقيادها بإضافة قصبات لحراسة الطريق، ولا تزال هناك

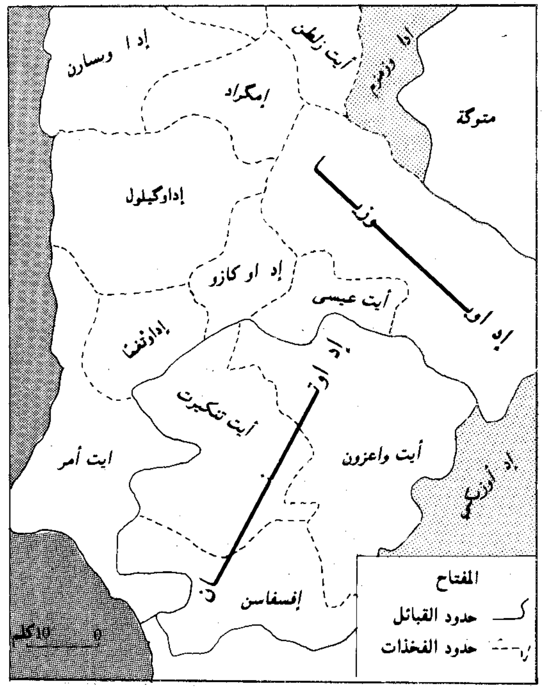


إداوزمزم وإداوزيكي

آثار بقايا هذه القصبات بإموكّني ومكّنونة وتامودالْتْ، وترجع إلى عهد السعديين الذين كانوا قد ركزوا ربط الصلة بسوس مركز تموينهم بالمال والرجال عبر الطريق الذي يمر بتزي أوماشُو فأرگانة بإداوزيكي فسوس إما عبر بيباوْنْ إلى تارودانت أوتركُو إلى سهل سوس السفلى. واستمرت العناية بهذا الطريق في القرون التالية فأقام المولى إسماعيل القصبات التي منها بقايا قصبة بامْسْكْرُوض والتي كانت تراقب تزي (فج) الحجاج، وهو نفس الطريق الذي سلكه المولى الحسن أثناء حركته إلى سوس سنة 1280/ 1863.

انعكست ضرورة المحافظة على أمن الطريق على إداوزيكي مما أدى لربطها دوما بمراكز قوى السلطة فكانت تابعة بتارودانت التي تعين قائدا يستقر بتاسَدَمْت. لكن لما تقوت قيادة حاحة ضمت إليها قبيلة إداوزيكي منذ بداية عهد عبد الله أبهي أوائل الأربعينات من القرن التاسع عشر، إلا أنه يظهر أن القبيلة كانت في صراع معه خاصة لما مر الخليفة المولي الحسن بإداوزيكي عائدا من سوس أواخر سنة 1280، حيث امتنعوا عن تقديم المؤونة بسبب خلافهم مع أبهي عاملهم.

ولما تولى محمد بن عبد الله أبهي قيادة حاحة استغل القائد عمر المتوكي ضعفه وتمكن من التولية على إداوزيكي في شوال 1288 / 1868 ومنذ ذلك التاريخ ظلت إداوزيكي تحت حكم القواد المتوكيين المتوالين وكان خليفة القائد المكلف يعين الشيوخ على فرق إداوزيكي. كما أقام المتوگيون فرقا من القوات تحرس النزايل بأرگانة وتركُو والدّخيْلة عند مخرج وادي إسن نحو سوس.

ولما قام الهيبة بحركته نحو مراكش سنة 1912، استقبلته قبيلة إداوزيكي وكذلك خليفة المتوگي فعزله وعين خليفة له على القبيلة وأقام بتاسَدَمْتْ القرية التي تقع مباشرة على طريق سوس قبل الوصول إلى تزي ن الحجاج، كما عزل الشيوخ الذين كانوا في عهد المتوگيين.

ولما تراجع الهيبة عن مراكش نشب الصراع بين إداوزيكي والمتوگي لأنهم رفضوا حكمه متمسكين ببيعة الهيبة، فنظم عبد الملك المتوگي حركة إلى إداوزيكي سنة 1913، فكان قتال شديد بين الطرفين انتهى بانهزام إداوزيكي مما أدى لاجتياح الحركة للقبيلة وإحداث خسائر فادحة بها، وتمكن المتوگي بعدها من العودة إلى حكم إداوزيكي الذين أرهقهم بالكلف، فتضررت القبيلة مما أدى إلى تناقص سكانها بالهجرة إلى مناطق أخرى.

تمكنت السلطات الاستعمارية أخيرا من أن تقيم مركزا لها بأرگانة منذ 1929 وأنهت تدريجيا سلطة المتوگيين بالمنطقة.

إن وجود قبيلة إداوزيكي على الممر الكبير نحو سوس جعل السكان يتعرضون للاختلاط بالمتوافدين إلى القبيلة خاصة من سوس وتكثر تلك التوافدات في سنوات الجفاف نظرا للإمكانات الفلاحية التي تتوفر عليها القبيلة، كما أن القبيلة عرفت استقرارا قديما دلت عليها بعض المعلومات التي ذكرها البكري عن تَمْزاوْرْتْ والتي نعتها بالمدينة وقال عنها، إنها لطيفة وطيبة، وذكر أن الطريق منها يرقى إلى الجبل عند الملاحة لينحدر نحو السهل وقد ظل هذا الطريق بنفس الوصف الذي ذكره إلى أوائل القرن العشرين لما شقت طريق تركُو.

أما الملاّحة التي ذكرها البكري فبقيت أيضا تستغل لاستخراج الملح إلى اليوم وتعرف بملاحة تركُو، وعند مخرج الوادي ملاحة أخرى تعرف بملاحة الدخيلة.

لقد أتيح سد عبد المومن في نفس المكان الذي كانت فيه تمزاورت مما يدل على أنها ظلت تؤدي مهمتها على الطريق نحو سوس إلى أن غمرتها مياه السد.

أ. البكري، *كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 20 ؛ *تحريات ميدانية*.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; J. Berque, *Les Structures Sociales du Haut Atlas*.

محمد زرهوني

**إداوسَارْنْ**، ثاني قبيلة حاحية من الشمال في الصف الساحلي، من القبائل الاثنتي عشرة التي تكون اتحادية قبائل حاحة في القرون الأخيرة، تحدها قبيلة إداوگرض شمالا وإداگيلول جنوبا، وإيْنكنافْنْ وإيْمگراد شرقا، وتمتد القبيلة بأراضيها على سيف بحر المحيط الأطلسي الذي يمنحها شاطئا جميلا يعرف بتگراگرا يتوسطه ميناء تَفْتْنَة التاريخي، وأصلها تَافْضْنَا، وهو بالأمازيغية حوض الماء الساخن، ولعل إطلاقها مرتبط بانفجار مياه ساخنة. وتوجد بالمنطقة شعبة عميقة تحيط بها رواسب بركانية، وكذا مغارة في جبل صخري مواجه للبحر.

أراضيها كثيرة الانقطاعات والحوادث التضارسية، تبلغ مساحتها 334 كلم مربع معظمها بورية مكسوة بغابات شجر أركان والعرعر. وتتميز قبيلة إداوسارنْ بتوفرها على آبار الملح بقريتي : إداويْعْزَّا وأزْلا وقد لعبت المملحتان دوراً اقتصاديا هاما في توفير ظروف التعمير والاستقرار لمعظم سكان القبيلة الذين يبلغ عددهم : 20250 نسمة حسب إحصاء 1982 وتتوفر القبيلة على عدة مآثر عمرانية وثقافية دينية أهمها :

أ ـ مدينة تَفْتْنَة وميناؤها : زارها الحسن الوزان المعروف بجان ليون الإفريقي عام 919 / 1514. ووصفها بقوله : تَفْتْنَة ثغر على البحر المحيط من بناء الأفارقة، فيها نحو ستمائة كانون، ومرسى في غاية الجودة للسفن الصغيرة، اعتاد بعض التجار البرتغاليين أن يجيئوا إليه ليقايضوا سلعهم بالشمع وجلود المعز... ويوجد في مدينة تَفْتْنَة جُمرك وضريبة الملح (*وصف إفريقيا*، 86).

ب ـ ضريح ومدرسة سيدي بوزكري : نسبة إلى الشيخ الحاج الشهير أبي زكرياء يحيى الحاحي القادم في القرن السابع الهجري من تيط التي توجد قرب أزمور إلى تيغْزَا ببلاد حاحة حيث كَوَّن طائفة من المتصوفين سمَّاها ابن قنفذ بطائفة الحاحيين ووصف هذا الموضع في إداوسارن بأنه موضع خير وعلوم وقراءة وتدريس ( *أنس الفقير*، 64).

ج ـ زاوية ومدرسة سيدي أبي البركات كنية لأبي عبد الله محمد بن محمد العبدري الحيحي المشهور بكتابه *الرحلة المغربية* الدالة على سعة ثقافة كاتبها وعلى تقدم التعليم ومناهجه في تلك المنطقة منذ القرن السابع الهجري افتتحها بقوله : كان سفرنا، تقبله الله تعالى، في الخامس والعشرين من ذي قعدة عام ثمانية وثمانين وستمائة مبدؤه من حاحا صانها الله، (*الرحلة*، 7).

وبالرغم من أن العبدري لم يبق له ورثة، إلا أن هناك من يذكر اليوم إن مدرسته ظلت عامرة بالطلبة والمدرسين المجدين إلى عهد قريب، كان آخرهم الفقيه الأديب : الحسن إبَنْدُو التامري (ت 1405 / 1984) وقد تتلمذ عليه فيها معظم من يمثلون زينة الشباب المثقف في حاحة بعد الاستقلال.

د ـ ضريح ومسجد الولي الصالح : أحمد بن محمد الحاحي المعروف بالسائح (ت 997 / 1588) الواقع بقرية إيغانيمن على شاطئ إداوسارن شمال ميناء تفضنا.

هـ ـ آثار قيادة آل أغْنَّاجْ محمد بن يحيى الوساري الحاحي (1224. 1232)، لا زالت هناك أطلال بقرية أيت إيدير قرب النهر الذي يجري إزاء ضريح سيدي امبارك بقبيلة إداوسارن، تعرف بدار أغْنّاج نسبة إلى خليفة القائد عبد المالك بن بيهي على سوس والمذكور عند المختار السوسي أكثر من مرة بأنه جال في سوس بمحلة السلطان ـ مولاي سليمان ـ نحو 1224 هـ فاتحا، فوقعت له وقائع ومعارك تركت آثارا في تواريخ العامة الذين قَلَّما يؤرخون إلا بأمثالها (*إيليغ*، 242). وفي تلك القرية أسر لا زالت تحمل هذا اللقب (أَغْنَّاجْ) وتروي ذكريات أسلافها الذين أخضعوا حاحا وسوس للنظام المخزني. و ـ تيگمِّي للوُضا = دار الحاج علي القاضي، نسبة إلى أحد شيوخ القائد الحاج عبد الله أوبيهي الحاحي (ت 1284) الذي تولى القيادة على قبيلة إداوسارن بعد وفاة هذا الأخير، فبنى حصنا صغيرا فوق منبسط تحيط به جبال بمثابة أسوار تحمي هذا الحصن الذي يشرف على السهول والرُّبى المجاورة للطريق الرئيسية بين الصويرة وأگادير عند نقطة مركز سْميمو، وقد ذاع صيت هذه الدار في أوائل عهد الحماية الفرنسية للمغرب، حين لجأت إليها حامية فرنسية تريد العبور إلى سوس بقيادة الكومندان ماسوتي فحاصرها المجاهدون بزعامة القائد محمد أنفلوس النكنافي والقائد عبد الرحمان الگيلولي، من يوم 18 دجنبر 1912 إلى يوم 27 منه، عندما تمكن الفرنسيون من إغاثة حاميتهم من الصويرة بعد موت خلق كثير من الطرفين، وبذلك توجهت أنظار المهتمين آنذاك إلى موگادور (الصويرة) ودار الحاج علي القاضي على الصعيدين الوطني والفرنسي، وكتبت بأحرف بارزة في الصحف والأخبار السينمائية في باريز.

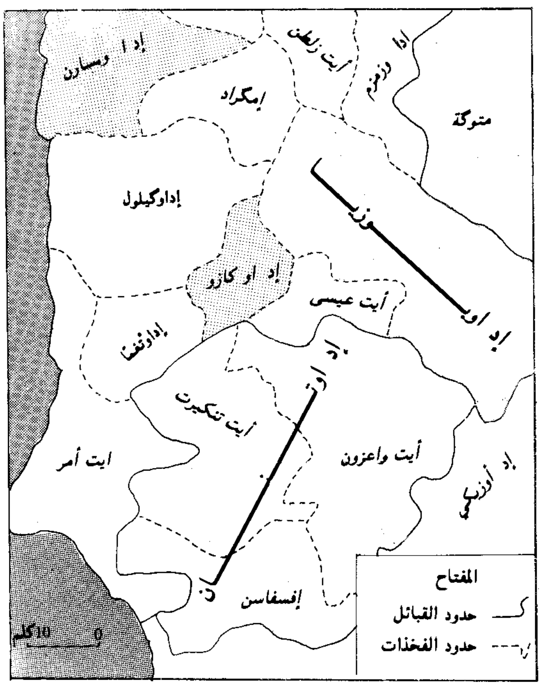


إداوسارنْ وإداوكازو

ز ـ سْميمُو : مركز قروي يتوسط القبيلة على الطريق الرئيسية إلى أگادير على بعد 40 كلم جنوب الصويرة، أنشئ فيه مقر القيادة سنة 1958 م، ومقر الجماعة بعد انتخابات 1960 م وقبل ذلك كان محطة رئيسية للقوافل التجارية القادمة من الصحراء وسوس إلى الصويرة التي كانت قاعدة التجارة في الجنوب. وأهم التجهيزات المتوفرة بمركز سميمو حاليا هي : مقر القيادة، ودار الجماعة ومركز الدرك الملكي، وناد نسوي، ووكالة بريدية، ومركز فلاحي،

ومجموعة مدرسية، وسوق قروي مبني ينعقد يومي الأحد والخميس من كل أسبوع. وسكان قبيلة إداوسارن ما يزالون محافظين على اللغة والتقاليد والعادات الأمازيغية مع شدة تمسكهم بتعاليم الإسلام وحرصهم على تعلم العربية لغة القرآن والإدارة.

ابن قنفذ، *أنس الفقير* ؛ العبدري، *الرحلة المغربية* ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ الحضيكي، *طبقات* ؛ م. م. السوسي، *إيليغ، خلال جزولة*، 2 : 125 ؛ *من أفواه الرجال*، 1 : 20 ؛ الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 150.

D. Leyris de Campredon, *Quarante cinq ans de souvenirs Marocains*, 1904 - 1948, p. 94, Imprimerie Rapide, 1949.

محند أيت الحاج

**إِدَاوْسْمْلَالْ**، من قبائل إداولتيت، موطنها بالأطلس الصغير بين أنزي وتافراوت، تعد مع إيليغ شطري منطقة تازوالت، ينسب إليها : أسملال أو السملالي. بلدهم في قمم الجبال ومنحدرات جبلية يجري عند قدمها واد تازروالت الذي يسمى في مجراه الأوسط بواد إداوسملال. وفي هذا الوادي أراضي القبيلة بينما قراها متدرجة في السفح. ومن فرقهم أيت عروس وأيت تخفيست، وكانتا في أواخر القرن الماضي متعادلتين في قوتيهما (2500 بندقية في كل) ومن الافخاذ المضافة إلى إداوسملال : أيت عباس (1500 بندقية) وفرقة من أيت وافقا الشرقيين (300 بندقية) فمجمل قوة إداوسملال في آخر القرن الماضي 8500 بندقية مع قليل من الخيل (حوالي 200).

إلى هذه القبيلة ينسب شيخ تازروالت سيدي احماد أوموسى.

م. المختار السوسي، *المعسول*، جميع الأجزاء ولا سيما 3 و5 و11 و12.

A. Le Chatelier, *Tribus du sud-ouest marocain*, Paris 1891; C. Maheut , *Les Ida ou Semlal*, Archives S.H.A, 1948 ; D.J. Meunié, *Le Maroc saharien*.

أحمد التوفيق

**إِدَاوكَازُو**، قبيلة حاحية تحتل المرتبة الثالثة في الصف الهضبي الأوسط، تحدها سفوح جبال إداوتنان الشامخة في الأطلس الكبير جنوبا. ومن الشمال تطل على سهول قبيلة إداكيلول بينما يفصلها أسيف واعزيز عن قبيلة آيت عيسى شرقا في حين نجدها متداخلة مع قبيلة إيداوتغما غربا. وتبلغ مساحة قبيلة إداوكازو حوالي 220 كلم مربع وعدد سكانها 9600 نسمة (إحصاء 1982) موزعين بين الهضاب والجبال على شكل دواوير متباعدة ومنتظمة في سبع فرق.

ولم يكن مجموع سكان هذه القبيلة في مطلع عهد الحماية سوى 254 كانون، وبالمقارنة مع سكان اليوم ندرك مقدار النمو الديمغرافي المضاعف عدة مرات بهذه القبيلة مع أن مواردها الاقتصادية في تناقص مستمر، فالسكان يعتمدون على الرعي وزراعة الشعير وتربية النحل لأن بلدتهم مكسوة بغابات الأركان في السفوح والعرعر في القمم العالية، ويتميز عسل إداوكازو وجيرانهم إداوتنان بنكهة طبيعية خاصة. وفي قبيلة إيداوكازو مآثر ثقافية دينية أهمها :

مدرسة سيدي حْسَيْنْ التي هي أقدم مدرسة علمية للقبيلة أصبحت اليوم مدرسة وبجانبها آثار مدينة قديمة تعرف بمدينة أسَّاكُو قرب مجرى وادي سَرُو.

2. مدرسة سيدي محند أُبوزيد بفرقة تاروا علي أسسها شيخ القبيلة أزّيّان محمد الكزوتي من فرقة أيت ماسفور في منتصف القرن الثالث عشر الهجري. وفرض على رجال القبيلة تمويلها بأعشارهم، وتعميرها بأبنائهم، ويبدو أن ذلك كان بإيعاز من صهره العلامة القاضي المفتي علي بن محمد الكزوتي من أكَادير نيت ماسفور (ت 1392 هـ) وهو أول من تصدر فيها للتدريس. فقام فيها على ساق الجد والحزم في تدريس بعض علوم عصره، ثم خلفه فيها الفقيه الأديب محند بن محمد أمغار التغماوي المتوفي 1318. أما المآثر التاريخية فإننا لا نجد بإداوكازو إلا أطلال أبراج تنسب لشيوخ القبيلة في عهد القائد الحاج عبد الله أبهي (ت 1284 هـ) مثل تيكَمي أَزُورْ لأزيان محمد المذكور. وتيكَمي الحسن أومنصور والتي لا تزال صامدة أمام عوامل الإتلاف رغم خلوها من السكان.

*تحريات ميدانية.*

محند أيت الحاج

## إداوكثير ← إلالن

**إِدَاوكَرْضْ**، قبيلة حاحية من القبائل الإثنتي عشرة التي ظلت محتفظة بأصالتها ونسبتها إلى قبيلة حاحا المصمودية القديمة، فكونت بينها اتحادية دعت إليها الضرورة للدفاع والغلبة على الجيران، وعززتها سلطة قيادة آل بيهي أوميلود المخزنية (1182 / 1768 . 1288 / 1871) (*الضعيف*، 172 ؛ م. السوسي، *إيليغ*، 242 ؛ الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 15، 90، 100) .

تقع قبيلة إداوكَرض على الحدود الفاصلة بين حاحا والشياظمة، انطلاقا من مدينة الصويرة، وتمتد جنوبا على شاطئ سياحي جميل يتمثل في الموقع الطبيعي لسيدي كاوكي (الكواكبي) ورأس سيم إلى حدود قبيلة إِدَاوسَارْنْ الموالية لها جنوبا، ومن الشرق تحدها قبيلة نكنافة. مساحتها 331 كلم مربع، وعدد سكانها 14547 نسمة حسب إحصاء 1982، وبذلك يكون معدل كثافتها السكانية حوالي 44 شخصا في الكيلومتر المربع الواحد. ومع ذلك تبدو الدور متباعدة متفرقة كما هو الشأن في جميع قبائل حاحة لأسباب مادية واجتماعية (Doutté, 293).

وتشكل قبيلة إداوكَرض بموقعها مدخلا لاتحادية حاحا من الشمال، ولعل ذلك هو سبب تسميتها بـ (أكَرض) الذي يعني بالأمازيغية (الشلحة) بداية الشيء أو نهايته، فيقال أكَرْضْ نْ تكَمّي أو أكَرْضْ نْ تْمْزِّينْ. وإدَا، بمعنى أولاد أو أهل ذلك المكان.

ومعظم أراضي إداوگرض سهلية بورية تزرع بالحبوب وخاصة الشعير على شكل حقول مسورة بحيطان من الحجر (أدْرَّاس) تتخللها سلاسل جميلة من أشجار اللوز والزيتون. وبها غابات مكسوة بأشجار أرگان التي تعطي منطقة حاحا لونا طبيعيا متميزا، وتساهم في توفير المراعي والعلف، وما يحتاجه السكان من زيوت ووقود. وتتميز إداوگرض عن غيرها من قبائل حاحا بما تتوفر عليه من مياه جوفية تزود مدينة الصويرة، وتمكن بعض الفلاحين حاليا من إنشاء أول لبنة لزراعة الموز في الحقول المكيَّفة.

وعلى أرض قبيلة إداوگرض تتوسع مدينة الصويرة الحالية، تحفها التلال وتعانقها جزيرة (Serne) التي وجدت بها آثار فينيقية ورومانية (بنعبد الله، *الموسوعة*، 2 : 298)، وبضواحيها ضريح سيدي مگدول الذي نسب إليه البكري هذا الميناء في قوله : مرسى مگدول، مرسى مشتى مأمون... تنزل فيه السفن من جميع البلاد... وهو ساحل أغمات وإحدى رباطات رگراگة. (*المغرب*، 73).

وعلى بعد 17 كلم جنوب الصويرة الحالية توجد مدينة أثرية قرب سوق أربعاء إداوگرض تدعى بالصويرة القديمة التي قيل إنها "من تأسيس ملوك حاحا قبل الإسلام" (الزياني، *الترجمانة*، 79). لكن البناية الموجودة بها الآن عبارة عن بقايا معاصر السكر التي أسسها الملوك السعديون على الضفة الشمالية من وادي حاحا (القصب) حيث ازدهرت زراعة قصب السكر في عهدهم (*الكانوني*، 55 ؛ *الفشتالي*، 209).

ومن المآثر الدينية الثقافية بإداوگرض : مدرسة سيدي بوعثمان إزاء الصويرة القديمة اشتهرت بتدريس العلم، ومن أساتذتها الأواخر سيدي عمر بوعلي الگرضي المتوفى 1374 / 1954. ومدرسة سيدي محمد بن عبد الله الواقعة بفرقة الحرارثة التي كانت من إداوگرض ثم ألحقتها إدارة الحماية بالشياظمة.

وتجدر الإشارة إلى أن إداوگرض يتكلمون باللسان الأمازيغي (الشلحة)، وقليل منهم من يتكلم بالعربية ممن جاور الشياظمة أو يتردد للعمل في مدينة الصويرة.

البكري، *المغرب* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ الزياني، *الترجمانة* ؛ م. م. السوسي، *إيليغ* ؛ بنعبد الله، *الموسوعة المغربية* ؛ الكانوني، *آسفي وما إليه* ؛ *مجلة البحث العلمي*، 1 : 33 - 38.

محند أيت الحاج

**إداوْكنسُوسْ**، ينسب لها أكنسوس والكنسوسي في الأطلس الصغير يوجد مركز إغرم، يذكرون أن أجدادهم جاءوا من الحجاز واستقروا بتامدولت. وهو عبد الواحد بن علي بن عيسى وكان بتامدولت كان غنيا ولكنه وغد أغزل محتقر، فتحالف مع رجل اسمه علي أمنساگ من إفران من قبيلة مجاط وعلى هذا التحالف تدور إحدى روايات أسباب خراب تامدولت، وتقول الرواية إن أكنسوس هذا لجأ أولا إلى طاطا عند إسك نينوار ثم استقر بعد ذلك بواد إلمكرت حوالي إغرم وهنالك نسل منه إداوكنسوس.

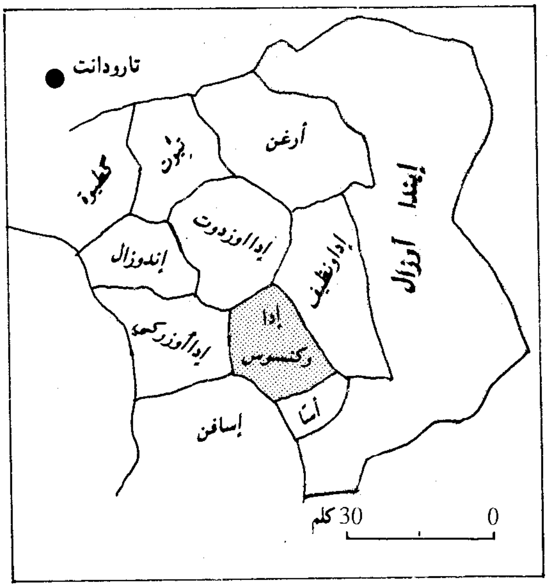


إداوكنسوس

جاء في ديوان قبائل سوس الذي أنجز في عهد أحمد المنصور "وإداوكنسوس يأخذ منهم السلطان الحركة وحررهم من الوظائف لأجل فتنتهم مع ذرية عبد الرحمان بن ملجم الذي تقدم ذكره" والمقصود بهؤلاء جيرانهم المنسوبون إلى قاتل عمر بن الخطاب ولعلهم كانوا ثائرين على السعديين.

Lumale, *Ida ou Kensous*, Arch. S.H.A, 1941 ; D.J. Meunié, *Le Maroc saharien*.

أحمد التوفيق

**إداوگنيضيف**، فرع من اتحادية إدارلْتيت من قبائل إداوبعقيل، إداوگارْسْموكسْ، وإداوسْملال. وتقع بلاد الگنيضيفيين شمال إخوْلخان وجنوب بلاد إيلالن وغرب أيت عبد الله وشرق أيت صَوَّاب.

يذكرهم ماسيينون (ص. 201) تحت تسمية إيدنْضايْف (Ydennadauf). كما يذكرهم المختار السوسي في *المعسول* دون أن يخصص لهم قسما مهما من حديثه. ويرتبط هذا الفرع اليوم إداريا بدائرة أنزي بإقليم تيزنيت.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 8 : 216.

A. Le Chatelier, *Tribus du Sud-Ouest marocain*, Paris 1891; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVI siècle*, Alger 1906 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc*, Paris 1930.

محمد مزين

**إداوُلْتيت**، تذكر بصيغة عربية هكذا (ولتيتة) اتحادية كبرى تجمع عدة قبائل في جبال جزولة (الأطلس الصغير الغربي)، تنتمي إليها قبيلة إداوبْعقيل وإداورسموك وإداوسملال، وكانت فيما مضى تضم قبيلة تازروالت وقبيلة أهل المعدر (شمال تيزنيت). يمتد موطنها على منطقة واسعة من سفح الأطلس الصغير الذي ينظر إلى المحيط الأطلسي ويشمل جزءاً من سهل تيزنيت.

يذهب بعض الباحثين إلى القول بأن إداولتيت هم الذين

ذكرهم الجغرافي الروماني پوليب Polybe في القرن الثاني قبل الميلاد باسم Scelatitos (بلين Pline، الكتاب الأول، الفصل التاسع، نقل عنه روجي Roget في المغرب عند الكتاب القدماء) وتذكر الأسطورة أن جد إداوْلتيت بأجمعهم هو سيدي زوزال الجزولي خرج من مدينة تامدولت بعد خرابها، وهو جد سيدي احماد أوموسى الولي الذي ينسب إليه رؤساء تازروالت، وتذكر الرواية أن سيدي زوزال ربما أقام أول الأمر عند إداگور سموك كما أقام عندهم ولده سيدي إدريس، ولكن حفيده سيدي موسى بن إدريس أقام عند إداوْسملال وهناك ولد سيدي احماد أوموسى المتوفى عام 1563.

وفي إحصاء القبائل الذي أنجزه إبراهيم الحساني للسلطان أحمد المنصور والمعروف *بديوان قبائل سوس* أو بالكناش نجد إداولتيت بعقيلة (إداوْبعقيل) ورسموكة (إداورسموك) وسملالة (إداوسملال) ومجموع حسابها في التقدير الضريبي لذلك الإحصاء ثلاثة آلاف سرجة ألف لكل ثلث.

وفي القرون المتأخرة انقسمت قبائل الأطلس الصغير إلى مجموعتين من أصل تاگيزولت (جزولة) : إحداهما حول تازروالت وتضم إداولْتيت والأخصاص ومجاط، والأخرى في الأطلس الصغير الأوسط حول آرغن (هرغة) وتضم إلالن وإداوزكري وإبرقاقن وإسافن وإداوكنسوس وإداونظيف.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3 : 387 ـ 389 ـ 393 ـ 396 . 15 : 209 ـ 211.

D.J. Meunié, *Le Maroc saharien* (voir index).

## إداولحاج ← الركيبات

**إداوْلوگان**، فرقة من قبيلة إدْبراهيم الكبرى بسوس، يقع موطنهم شرق تاغجيجت بالأطلس الصغير، منهم كان حرس أبي الحسن (أبو حسون) صاحب تازروالت في النصف الأول من القرن السابع عشر.

أحمد التوفيق

**إداوْمَحْمُودْ**، قبيلة تسكن في المنطقة المرتفعة من الأطلس الكبير الغربي التي تحيط بها جبال شاهقة على شكل نصف دائرة من الشمال الشرقي، وكلها مرتفعات تتجاوز 2800 م لتصل أعلى قممها تِنْرگاتْ 3555 م وهي آخر قمة عالية من الأطلس الكبير في جهة الغرب. وتخترق وديان عميقة هذه المرتفعات في اتجاه الجنوب وهي وادي إداوْمحمود الذي يبدأ من كتلة إگرْسْگاوْن 3233 م ويرفده وادي إداويزمر وروافد ثانوية، كوادي أيت تونارْتْ الذي يسمى وادي الرقيق لقلة مياهه، ويلتقي بوادي إداومحمود في أراضي قبيلة دمسيرة. وإن وادي إداومحمود هو الذي يسمى وادي إيسْنْ عندما يدخل تراب قبيلة إداوزيكي.

وتعرف المنطقة العالية من إداومحمود تساقطات الثلوج في فصل الشتاء وخاصة في تشكا التي تشكل منبسطا عاليا.

إن هذا الإطار الجغرافي لإداومحمود أثر على مسار القبيلة التاريخي، ذلك أنها تشترك في الحدود مع قبائل أعالي الأطلس الكبير الغربي سكساوة ودمسيرة غربا وإمدلاوْنْ ومنتاگة وأرگيتة وإداوزيكي وإداوزال جنوبا.

تتكون إداوْمحمود من خمس فرقا هي إشكاجَنْ، وأيت تُنارْتْ وأيت إدريس، وإداوْإزْمْرْ وإرْهالْنْ أنْ تلاتْ.

تعتبر قبيلة إداومحمود من القبائل القديمة الاستقرار بالمنطقة، فقد أشار البكري إلى إداوإزمْر بأنهم كانوا يعبدون الكبش في وقت كانت فيه حركة دينية واسعة نشيطة بالقبائل المجاورة لهم من الشيعة الروافض المعروفين بالبجليين، مما يثير التساؤل حول صحة رواية البكري، وتفيد على الأقل قدم الاستقرار لتلك القبيلة بمنطقتها الوعرة. كما أورد البيذق أيضا أن قبيلة إداومحمود كانت رافضة دعوة محمد بن تومرت إلى أن أخضعهم بالقوة، وبعد ذلك توالى عليها ما عرفته القبائل المجاورة من قوة وضعف، ولكن استمرت مختفظة بالتوازن بينها وبين القبائل المجاورة لها، وإن كان تأثير قبيلة سكساوة واضحا في علاقاتها مع السلطة، وذلك حتى بداية القرن العشرين. وحتى لما أصبح عبد الملك المتوگي يمثل القوة الكبرى في الدير فإنه مع ذلك بقيت قبيلة إداومحمود في منأى عن سلطته إذ اكتفت بتقديم هدية سنوية له في شكل بغلة.

لقد عرفت قبيلة إداومحمود صراعات داخلية تأججت أوائل القرن العشرين على غرار ما عرفته المنطقة على غداة بداية توغل النفوذ الاستعماري في المنطقة إلى أن ضمت القبيلة إلى مركز إيمي ن تانوت ثم إلى أرگانة سنة 1929.

احتفظت قبيلة إداومحمود بنظام مجالسها المعروفة بأيت أربعين بجانب سلطة الشيوخ الذين اشتهر منهم أوائل القرن العشرين الشيخ أحمد أَهَقِّيْ، كما احتفظت القبيلة بعدد من الحصون الجماعية (إگودار ـ أگادير) والتي مايزال عدد منها مستغلا. وتحتفظ قبيلة إداومحمود بأهم موسم سنوي يعقد بمنطقة الأطلس الكبير الغربي منذ أواخر القرن التاسع عشر في تافلالت عند ضريح سيدي محمد بن الحسين الذي عاش في النصف الأول من القرن التاسع عشر، واشتهر أمره كفقيه مرشد بالمنطقة حتى وفاته أوائل الستينات من القرن التاسع عشر. كما تحتفظ قبيلة إداومحمود بمدرسة عتيقة أسست بأيت تونارت سنة 1310 وارتبطت بزاوية سيدي أحمد بن علي بمزوضة يرشح رئيسها من ينتدب للتدريس بها.

إن قبيلة إداومحمود تشبه إداوزيكي وإداوزال في النشاط الاقتصادي الفلاحي مع بعض المميزات لكل قبيلة فتختص إداوزيكي بإنتاج الملح في حين تشتهر إداوزال بإنتاج الحناء وإداومحمود بإنتاج الجوز.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ أ. البكري، *المغرب* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 1، 15، 20 ؛ *خلال جزولة*، 4 ؛ *وثائق من الخزانة الحسنية* ؛ *أبحاث ميدانية ورواية شفوية*.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; Lt. Dupas, *Les*

*Igoudar Seksawa et les Ida-ou-Mahmoud*, à la Bibliothèque du C.H.E.A.M, Paris ; J. Fuchs, *Evolution d'un grand Commandement marocain* ; *Le Caid Mtouggi*, à la Bibliothèque du C.H.E.A.M, Paris ; J. Berque, *Structures Sociales du Haut Atlas*.

محمد زرهوني

**إداونْظيف**، قبيلة في الأطلس الصغير الأوسط يحدها شرقًا وجنوبيا إنداوزال وشمالا أرغن وغربا إداوزدوت وإداوكنسوس، وهو غير إداوكنيضيف التي تعد من اتحادية هلالة (الالن)، اشتهر إداونظيف باستغلال بعض المعادن بطرق تقليدية، وكانوا يصنعون منها خناجر مقوسة ذات شهر واسعة.

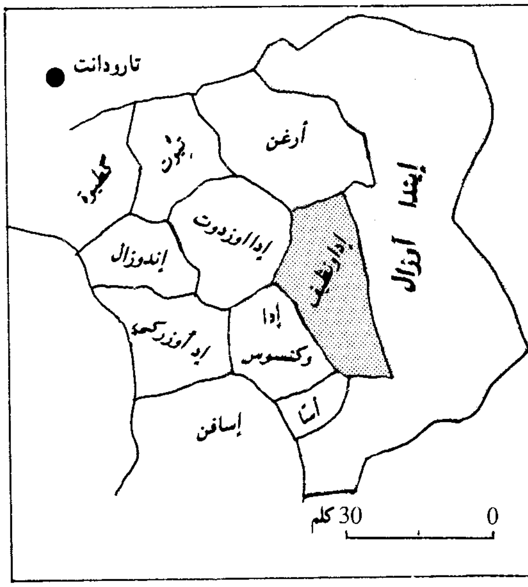


إداونظيف

أحمد التوفيق

## إداويعيش ← الرگيبات

**إدْبْراهيم**، قبيلة كبرى بالأطلس الصغير أهلها مستقرون موطنهم جنوبي إفران ومجاط يمتد غربا إلى گليميم. كانوا من المؤيدين لرؤساء تازرولت إلى أن قام السلطان مولاي الحسن بزيارته إلى تلك الجهات عام 1882 فجددوا بيعتهم له.

**الأدب المغربي**، مر بمراحل عديدة متميزة كما سنرى:

المرحلة الأولى : إذا سلمنا بصحة الخطبة التي نسبت لطارق عند فتحه للأندلس فإن الأدب المغربي يكون قد بزغ في أواخر القرن الأول.

وأقدم ما وردت فيه تلك الخطبة *كتاب الإمامة والسياسة* لابن قتيبة. ولا شك في أن عرباً صاحبوه كانوا هم القراء وفيهم شاعر مذكور في العرب الفاتحين. لقد شاعت الخطبة في نصوص مختلفة بعض الشيء إلاّ ابن الكردبوس ذكر أنه قال :"قاتلوا حتى تموتوا". وعلى كل حال فإن الشعر نابعا من المغاربة لم يُعرف إلا في القرن الثالث خافتا ثم يافعا فيما تلاه، كما نجد بداية من أوله إن سلمنا بتلك الأشعار التي نسبت إلى إدريس الأصغر والتي وردت *بالحلة السيراء*. ـ وأشك فيها ـ لابن الأبار. أما القراء المغاربة أو المعلمون للقرآن فقد حدثنا التاريخ عن رجل مكناسي منهم كان له شأن خطير جدا في الأندلس، عند القرن الثاني حينما واجه عبد الرحمان الداخل، في غرب الأندلس برجاله، ولم يستطع هذا التغلب عليه إلا بعد معاناة ومقاتلات دامت عشر سنوات استعمل الدهاء آخرها.

وكان القرآن سباقا إلى القوم واستمر معهم في نصه وعلومه، ولهذا نجد القرآن طابعاً بقوة تلك النصوص الشعرية التي عثرنا عليها بهذه المرحلة الأولى، على ما نسب إلى إدريس، ونشك في صحته. ولم نجد هذا الطابع في خطبة زياد مما يدل على أن غيرهما قد صاغهما، إن صحت نسبتها في تلك المناسبة المذكورة لهما : طارق ثم إدريس. وهذا نموذج للشعر الذي ظهر بهذه المرحلة الأولى، منه لإبراهيم بن أيوب النكوري في مدح الأدارسة.

| | |
|---|---|
| أيا أملي الذي أبغـي وسُولـي | ودنيايَ التي أرجـو وديني |
| أأحْـرَمُ من يمينـك ريَّ نفسـي | ورزقُ الخلق من تلك اليمين |
| ويُحجب من جبينك طرفُ لحظي | ونورُ الأرض من ذاك الجبين |
| وقد جُبْتُ المهامـه من نكـور | إليك بكـل ناحيـة أمـون |

والغالب أنه كان من الأندلسيين، وأن نسبته بالنكوري كانت بعد نزوله عند أمراء بني صالح أصحاب النكور، وهم كما قيل من نفزة أخوال عبد الرحمان الداخل الذى جاز إلى الأندلس منهم. ذكرت بالبكري وغيره ولعلها كانت في أمير إدريس. وكان في الأدراسة شعراء، مثل إبراهيم بن الحسن القائل في ابن أبي عامر (وكان قد وفد على المستنصر عام 363) حينما غدر المذكور بالأمير الحسن بن جنُّون، كما في البيان :

| | |
|---|---|
| فيما أرى عجبٌ لمن يتعجبُ | جلّت مصيبتُنا وضـاق المذهـبُ |
| إني لأكذبُ مقلتي فيما أرى | حتى أقول غلطت فيما أحسبُ |
| أيكون حيّاً من أميـة واحـد | ويسوس هذا الملكَ هذا الأحدبُ |
| تمشي عساكرهم حوالي هودج | أعـوادُهُ فيهـنَّ قـردٌ أشهـبُ |

فهذا "فلم بانورامتي" ملون يصور المنصور في موكبه، وهو في منتهى الدهاء والسلطة مما لا نجده في غير هذه الأبيات.

ودون هذا المستوى ما ذكره لسعيد بن هشام المصمودي في *المغرب* وغيره، وإبراهيم الأصيلي كما في *البيان*، والأحمس التُّطيلي كذلك. على أن هذا، وكان كاتبا لبني صالح، أمر به ويبدو من نسبته كونه أندلسيا. والغالب أن كاتب ابن أبي العافية كان كذلك، فلا يوخذ بتلك الرسائل المحبرة على أنها من الأدب المغربي. ومنذ أواخر هذه المرحلة التي تنتهي بالقرن الخامس صار الأدب يرتقي مع ابن بياع السبتي الشاعر وبلديه الكاتب ابن عطاء، وكذا الخطيب ابن غازي وابن القابلة أيضا الوارد ذكره في

*الذخيرة* لابن بسام وغيره. وفي شعرهم صدى للقرآن قوي أحيانا وخافت أحيانا أخرى، كما عند الزيتوني المتردد إلى الأندلس منتجعا.

المرحلة الثانية : كان الأدب قد اكتمل تماما بأدباء فقهاء مشاركين في عدة فنون وعلوم،وفي مقدمتهم القاضيان ابن زنباع وعياض. والفلك ومواقع النجوم ضروري للأدب، وخصوصا الشاعر، كما نجد في *العمدة* لابن رشيق. ويهمنا هؤلاء الذين قد انطبعت ثقافتهم الواسعة على أدبهم، فكانت فيه ملامح الفقه وعلم الفلك والهيئة وغير ذلك مما يكون عليه أمثالهم. فقصيدة ابن زنباع الربيعية بالاضافة إلى التأثير القرآني فيها، نجد من الفقه نحو قوله :

فكأنه فرضٌ عليه موقّتٌ ووجوبُــه متعـلّـقٌ بوجوبـهــا

ومن علم الهيئة ومواقع النجوم ومطالعها والميقات على وفق ذلك، قوله من قصيدة أولها :

وندّت إلى الغرب النجومُ مروعة كما نفرت عيرٌ من السيل ركّضُ

وكذلك عياض فيما له في حيز علم الهيئة ومواقع النجوم رسالة يقول فيها مخاطبا صديقين له :

فحللتما بسيطها غارة شعواء لها ما عوت أكلب "العواء"... ولم تُغن عن "السماك" الداعس، وغُودرت "النثرة" نثارا... وأشعرت "الشعريان" ذعرا... فاخذت بالحزم منها "العبير"... وحذرت اللحاق عن أن تعوق، عن منحى "العيوق"... وكأن الثريا حين تُرتم بقطينها اتَّقَتْكُم بيمينها، فجذذتم بَنَانَها وبذلتم "للخطيب" أمانهَا، فعندها استهل "سهيل" الفرار... وولى "الدبران" اثره مدبرا... وعادت العوائد بشانها، والتقت "الجوزاء" للأماني بنطاقها ونظامها...

ومن شعره قوله في مطلع قصيدة :

ياراحلين وبالفواد تحمّلوا أيُرى لكم قبل الممـات قفولُ

أمّا الفؤاد فعندكم أنباؤُهُ ولـواعـجُ تنتابـه وغـليـــلُ

ومن هذا الرعيل ابن حبوس الفاسي الذي اشتهر بالشعر،وله طليق نجد منه نموذجا طريفاً *بالمعجب* لعبد الواحد المراكشي.

ومن أمداحه في هذا العهد، ما مطلعه في أبي جعفر ابن عطية :

ألا زار من أم الخشيف خيـالهـا ومِن دونها البيداءُ يخفـف آلُـهـا

لقد أوقدت في القلب منّيَ جمرةً بدا في سواد المعرضين اشتعالُها

وهذا نموذج من شعره التقليدي في هذه المرحلة، ولا يستغرب من مبالغاته فيه، فهي ملح الطعام للذين يعيشون بأمداحهم، ومما يسجل في هذه الحقبة وجود القصائد التعليمية، كما هي عند القاضي عياض، وحركة التأليف التي كان حامل لوائها في مختلف الفنون والعلوم، يهمنا منها ما يتصل بالأدب، مثل *الفنون الستة في تاريخ سبتة*: *والشفا في حقوق المصطفى*، *وترتيب المدارك في ترجمة أصحاب مالك*، *وبغية الرائد* الذي نجد فيه دراسة مستفيضة.

كما كان بلديُّه محمد الشريف الإدريسي، يؤلف كتابه الجغرافي، الذي لم يسبق له مثيل،ولا شك أن بداية عمله كانت بالمغرب، إن لم يكن قد أنجز به. وانه لما انتهى إلى صقيلية، آنس أودعاه صاحبها إليه، وقد عرف بعمله هذا، فعهد إليه بالتأليف العملي الجغرافي،الذي ذكره بالمقدمة، في صوغ كورة الأرض، وما تحويه من أقطار وأقاليم صورها في خرائط معروفة، وعنوان كتابه عليه مسحة الجغرافيا التي عرفت منذ ابن خرداذبه وهو *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*.

وجميع هؤلاء المذكورين، إلا ابن زنباع، أدركوا العهد الموحدي، وان انتاجهم المذكور كان باكورة العهد المرابطي. وكان أدباء المغرب قد عرف بعضهم بالمشرق، كما نجد في معجم السلفي، وفي *الخريدة* للإصفهاني، ومعجم *الأدباء*، ومعجم *البلدان* لياقوت الحموي.

المرحلة الثالثة : وهي من أواسط القرن السادس إلى السابع، حصل فيها انقلاب جذري بقيام دولة الموحدين الذين أتوا معتمدين أولاً على الفكر، ثم السلاح، للقضاء على المرابطين العاملين بقوله تعالى "قاتلُوا الذين يلونكم من الكفار وليَجدوا فيكم غلظة" أما هؤلاَء فقد أتوا بالعقل الأشعري في إثبات التوحيَد، وسموا أنفسهم بالموحدين، واعتبروا غيرهم مُجسِّمة، وكانوا كالفاطميين يعتبرون انفسهم هم الخلفاء لا العباسيون الذين كانت دولتهم قائمة، وكان يدين بسلطتهم الشرعية المرابطون. ثم إنهم كانوا ماخوذين بالعظمة في كل شيء، وفي المقدمة الأدب، والشعر خاصة، وقد استمع عبد المومن إلى بعضهم موغلا في التهويل بهم، فقال : بهذا تُمدح الخلفاء، وقد كان ابن حبوس بين الشعراء، فقال من أمداحه لهم ما أطربهم به، وبذلك نال الحظوة لديهم،مطوراً للهجته، وهو الشاعر النهاز بمدحه :

بلغ الزمانُ بهديكم ما أمّلا وتعلّمـت أيامُـه أن تعـدلا

وبحسبه أن كان شيئاً قابلا وجد الهدايةَ صورةً فتشكّلا

إذَن فالَمهدية التي ادعوها لأنفسهم، كالفاطميين قبلهم، اهتدى بها حتى الزمان نفسه، وكذا خليفة المهدي المعصوم:

بخليفة المهديّ سيدنا اغتدى نهجُ العلوم مُعبَّداً ومُـذلّـلا

وتفجّرت عينُ النباهة بعدمـا قد كان خاطرُها أكلّ وأجفلا

ومن ناحية اخرى فهو البحر في العطاء وغيره، كما كان الفاطميون كذلك يغدقون الذهب على الذين يمدحونهم حتى التأليه لهم :

ألا أيهذا البحرُ جاورك البحرُ وخيّم في أرجائك النفعُ والضرُّ

وأمداح الجراوي للخلفاء الأربعة الأول يكوِّن ديوانا من شعره. ومثله العليا فيه هي : الجود في المرتبة الأولى، والسعد والإسعاد في جميع قصائده تقريبا. والنسبة لقرشية لهؤلاء الخلفاء، والفضائل التي لا يمكن حصرها لا ظما ولا نثرا، والنور الذي تستمد منه الشمس والقمر.

أما غزلياته فمنها :

مشت كالغصن يثنيه النسيم ويعدوه النسيـم فيستقيـمُ

لها ردفٌ تعلَّق في لطيف وذاك الردفُ لي ولَها ظَلُوم

ومن زهدياته قوله من مطلع قصيدة :

أيها المغترُّ بالزمن في هواه خالعٌ للرسن
حبُّك الدنيا وزينتها فتنةٌ عمتك بالفتن

وله نثر في هذه الزهديات (توفي عام 603) وكلاهما وجد آذانا صاغية عند الناس. فمن الشعر وجدنا سليمان الموحدي يعقد لها بابا كما سنرى من أبواب ديوانه، ومن النثر وجدنا ابن الزيات القاضي، كذلك، يؤلف كتابه *التشوف إلى رجال التصوف* من الزهاد كما سنرى. وإذا ذكرنا الديوان وصاحبه سليمان الموحد فهو أول ديوان شعري عرف للمغاربة، لأمير موحدي ابن عم المنصور العظيم، فهو أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المومن الخليفة الأول. ويضم ديوانه، الأمداح، والغزل، والرثاء، والزهد، والألغاز، ووصف الرياض والعتاب والتشبيهات وما إليها، وفي طليعة أمداحه للمنصور هذه العينية بمناسبة استرجاع قفصة يقول في مطلعها :

هبَّت بنصركم الرياحُ الأربعُ وجرتْ بسعدكم النجومُ الطُّلَّع
وأتت لعونكمُ الملائكُ سبقاً حتى لضاق بها الفضاءُ الأوسعُ

ومن غزلياته ما تضمنت خمريات خيامية مثل قوله :

أتاك الصبح غريدٌ على علم يقول قُمْ فاصطبح يكفيك لا تنمِ
أما ترى الليل قد مالت كواكبه وقام للصبح داعيه على قدم

أما زهدياته فمنها على أسلوب أبي العتاهية :

يا غافلاً عن ذكر مولاه وذاهلاً عن شكر نعماه
وراتعاً في غيه لا هيا قد كحلت بالنوم عيناه

إلى قوله :

ربٌّ إذا ما شئتَ أن تهتدي لقدره فاقرأ "هو الله"

وطبعا إلى جانب الشعراء الذين كانوا في ركاب الدولة، كان هناك كتابها وعلى رأسهم الأخوان أبو جعفر ابن عطية وأبو عقيل اللذان كانا من كتاب المرابطين. ومن حسن الحظ أن حُفظت لهما رسائل وهما في خدمة عبد المومن الموحد. أما فيما سلف فليس بيدنا إلاّ رسالة لأبي جعفر أمر بكتابتها على لسان والٍ موحد يخبر بالقضاء على ثائر على الدولة، فهذه كانت ـ ولا شك ـ على منواله الأول في العهد المرابطي يقول فيها :

كتابنا من وادي ماسة، بعدما تجدد من أمر الله الكريم، ونصره تعالى المعهود القديم. وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، فتح بهر الأنوار إشراقا، وأحدق بنفوس المومنين حداقا، ونبَّه للأماني النائمة جفوناً وأحداقا، واستغرق غاية الشكر استغراقا. فلا تطيق الألسن لوصف كنهه إدراكا ولا لحاقا، جمع أشتات الطلب والأرب، وتقلب في النعم أكبر منقلب،.وملأ الأمل إلى عقد الكرب.

فتح تفتّح أبوابُ السماء له وتبرزُ الأرضُ في أثوابها القُشُبِ

وهكذا نرى الجري وراء السَّجعات التي تخلق لها معاني ترتكز على الدرج التي تفضى إليها، وتقتبس من القرآن، وتستعين بالشعر، وهذا الأخير اختفى فيما بعد ولم يطرأ على الأسلوب إلاَّ ذكر المهدي المعلوم أو المعصوم في مقدمة الموحدية هكذا بعد التصلية... والرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، علم الأعلام، وذخيرة الإيمان والإسلام، وبدر الكمال والتمام،الطالع بأشرف مطالع الإشراق، الفارع عندما تطال الرؤوس والأعناق، الجامع أشتات الفضل واجناسه على الاستيفاء والاستغراق.

بعد هذا نتصل بحركة التأليف فنجد كتاباً لأبي عبد الله محمد ابن القاضي عياض معرفاً بأبيه، وكان يلي القضاء للموحدين بمدينة مالقة وتوفي عام 575.

لقد تعرض ابن عياض لأصلهم وهجرتهم التي انتهت أخيرا إلى سبتة حيث منشأ عياض وتربيته العلمية تربية تجلت بالفصل والعلم الواسع والأدب الفياض،وهو في ريعانه يشعر ويحبِّر الرسائل وينشئ الخطب، فكانت له الإمامة في الحديث وعلومه والفقه ومذاهبه والتاريخ وأنحائه. تولى قضاء سبتة للمرابطين، وفي عهد الموحدين أقرّ على قضاء سبتة، ثم تولى مقاليد أمور هذه المدينة لما ثارت على الموحدين،وبعد ذلك حمل إلى مراكش حيث مات. ثم تعرض ابن عياض لخطب أبيه ونماذج من نثره وشعره،وذكر أخباراً له وملحاً كثيرة جرت له، واجتهاده في تحصيل العلوم والمناظرة فيها. وتلاه الجراوي الذي ألف بأمر المنصور كتابه *صفوة الأدب وديوان العرب*،وهو مجموع يضم المدح والفخر والمراثي والنسيب والأوصاف والأمثال و الحكم والملح والذم والنقائض والزهد والمواعظ، مرتبة ترتيباً زمنيا، مما امتاز به عن مقلده أبي تمام. .قد خالف هذا الترتيب الزمني في شيء واحد حيث افتتح كتابه بالأمداح النبوية، ثم تابعها بأمداح أخرى جلها متقدم عليها، جاء في المقدمة "والرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعصوم، القائم بالحق بعد ظهور الفساد،الفائضة أنوار هدايته على الأغوار والأنجاد، وعن الخليفتين الإمامين المنصورين الناصرين المتكفلين لدين الله بالإعانة والإنجاد، المتولِّين في كل مأثرة على الغايات والآماد، والدعاء، بتيسير المامول وتسهيل المراد، ونجاح الإصدار والإيراد، لسيدنا أمير المومنين..."

وابن الزيات أبو يعقوب يوسف التادلي،الفقيه الأديب، الذي شرح *مقامات الحريري*، قبل ان يشرحها الشريشي الأندلسي، وألَّف كتاب *التشوف* إلى رجال التصوف اهتم فيه بإقليم خاص هو مراكش وأعمالها.

نعود إلى عموم التاليف في هذه الحقبة، فنجد كتاب *الاستبصار في عجائب الأمصار* ألف في عهد يعقوب المنصور من مجهول. وهو كتاب جامع للطرائف المختلفة في عدة أقطار، شرقية وفيها مصر وآثارها، بعد ذكر الحرمين الشريفين، ويعنينا ما جاء خاصاً بالمغرب وملوكه، وفي أولهم إدريس الأكبر الذي ذكر أنه وافق إسحاق الأوربي على اعتزاله عند بيعته، وهو بهذا على صواب، مخالفاً لمن يقول إن الأوربي تاب من اعتزاله. فالمعروف أن اباه عبد الله كان في طبقة من طبقات رجال الاعتزال، الذين كان

ضلعهم مع آل البيت لعهده.

وفي أوائل القرن السابع نجد كتاب *المعجب*، يؤلفه عبد الواحد المراكشي برغبة من وزير شرقي عراقي غالبا. وكتابه مفعم بالأدب الأندلسي والأخبار، ولم يرد فيه ذكر للمغاربة في الأدباء إلا ابن حبوس الذي ساق من شعره ونَقَدَهُ بأنه كان يقلّد ابن هانئ الأندلسي في قعقعة الألفاظ وتفخيمها.

وكما يذكر المؤلف، ضمنه أدباء المغرب للمؤلفين لتاريخ الموحدين يذكر بين الجغرافيين بسبب ما ذيل به كتابه من معلومات قيمة فيها الاقتصاد والوصف الطبيعي وغيره، ويطيل في عواصمه خصوصاً فاس كما يطيل في عواصم الأندلس ويذكر رجالها باختصار.

المرحلة الرابعة : ظهور الزهديات، كما رأينا عند الأغماتي شعراً ونثرا، وأبي الربيع، والتاليف فيهم لابن الزيات، أي في رجال الزهد والتصوف، كما ينبئ عنه *التشوف إلى رجال التصوف* الذي نجد فيه السبعية في الرجال، وهي ما وجدناه في القصيدة التي مدح بها الأغماتي الخليفة يوسف. وفي العاصمة سبعة رجال، بل حتى في صلحاء الريف حيث القسم الثالث المقصود بعينه يتضمن سبعة وأربعين فصلاً.

حقيقة أن التصوف لم يكن وليد هذه الأيام، بل ظهر من قبل في الأندلس على يد ابن العريف في مدينة "المرية" وهو مغربي الأصل، إذ كان أبوه عريفا في طنجة يقوم على حراستها ليلاً، وكاتَبَ ابنُ العريف القاضي عياض، كما في الفكر السامي، ثم كان أبو العباس السبتي الذي رسم طريقته في الإحسان إلى الضعفاء، ووجه ابنُ رشد إليه من ياتيه بخبره.

ولمّا خلع المامون ابن المنصور ربقة الطاعة للخليفة يوسف الصبحي اللاّهي، وأتى بجيش جرار من النصارى الإسبان للقضاء عليه نهائيا، إذا بكاتبه الفاسي ميمون الذي كان في ركابه مشيدا وهادرا بقصائده، يلبس مرقعة الزهاد ويبيع نفسه في عقدة يعقدها مع الله على هذه الصفقة التي أسلم فيها نفسه وجوارحه كلها إلى الله، ثم يتوجه إلى رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقصيدة أطول ما عرفت به القصائد حتى ذلك العهد، إذ تضم ما يزيد على مائة وثلاثين بيتاً يفتتحها بقوله :

حقيقٌ علينا أن نجيب المعاليا  لنُفني في مدح الحبيب المعانيا

ولعل هذا أول شعر متصوف عندنا في مدحه ـ عليه السلام ـ وملامح التصوف بادية في "الحبيب" المستعمل عندهم بدل "النبي" ثم أحمد بدل محمد. وما نُسب إلى عياض من أمداح وتوسلات من هذا القبيل، وهي مخطوطة في مكتباتنا، فلا يقطع بصحته، خصوصا أنّنا لا نجد شيئا من ذلك في تعريف ابنه به.

وكذلك نجد التصوف قد ترقى إلى مناجاة غرامية ظاهريا، كما نجد للقاضي محمد بن حسن بن عمر الفهري السبتي في قصيدة جاء فيها :

يا من أناجيه والاشواقُ توهمني  ليل الوصال كأن المشوق يوجبه

ويقول أول قصيدة أخرى :

أبُوحُ بما ألقاه فهو مباح  فقبليَ أربابُ المحبة باحوا

وواكب هذا شعر المولديات، فيها، وقد سن الاحتفال بالمولد النبوي، قاضيها أبو العابس العزفي، فكان من القائلين في ذلك الخليفة الموحدي المرتضى، حيث نجد له ما ذكره ابن عذاري في *بيانه* :

وافى ربيع قد تعطر نفحه  اذكى من المسك الفتيق نسيما

بولادة المختار احمد قد بدا  يزهو به فخرا وحاز عظيما

ولا ندعى ان الزهديات عمت هذه المرحلة من مراحل أدبنا، بل نقول إنها ظهرت فيها على حين كان غيرها بزوال، مقابلها، وهذا شيء معتاد، كما وجدنا في القديم أبا نواس يواجهه أبو العتاهية، بل الشخص الواحد يتحول من حال إلى حال، كما حصل للأغماتي والموحدي، وكما حصل في الماضي لأبي العتاهية أو أبي نواس حينما عاد من حجه فنطق بتلك القصيدة التي لم ينطق بعمقها وصفائها، غيره من الشعراء قديما وحديثا.

وهكذا نجد إلى جوار الخطابي الفاسي ابن عبدون المكناسي، يقول في مجالس اللهو والشراب من قصيدة :

ما كان اندى ظل عيشتنا  إذ كان منتظما بكم شملي

المرحلة الخامسة : تبتدئ مما انتهت به سابقتها وتنتهي عند منتصف القرن السابع. لقد حصل فيها تداخل بين نهاية العهد الموحدي وبداية العهد المريني الذي كان ما يزال يصارع الموحدين وان لم يكن له أرب كما حصل فيما قبل، وكما سيحصل فيما بعد، وبهذا مثلا إمارة العزفيين على سبتة وطنجة، بعدها، تجمع بين العهدين. لقد أحدثت هذه الإمارة في الأدب شيئا جديدا، هو أدب الموالد النبوية وما تلاها من أدب النعال كذلك. والقصة هي أن أبا العباس العزفي قاضي سبتة، لما لاحظ على المسيحيين الإسبان أنهم كانوا يحتفلون بالميلاد العيسوي عمل هو على أن يحتفل المسلمون بالميلاد المحمدي، فأخرج الفكرة إلى الجمهور وألف فيها كتابه *الدر المنظم في المولد المعظم*، ولم يتمه فأتمه ابنه المستبد بحكم سبتة أبو القاسم الذي كان يدرسه بجامع المدينة، ثم دخلت طنجة في حكمه فسارت تحتفل بهذا المولد واستمرت إلى عهدنا الذي أدركناه، وصارت باقي البلاد تقلد هذا الاحتفال في عهد مبكر، فدعا إليه الخليفة الموحدي المرتضى ونظم فيه شعرا، واستمر الشعر تحبَّر قصائده الطوال في هذه المناسبة وتقال في القصور الملكية إلى يومنا.

وممن نظموا في المولد، بهذه الحقبة، مالك ابن المرحل المتوفى عام 699، يقول في إحدى مولدياته مستهلا :

إلى المصطفى أهديت غر ثنائي  فيا طيب إهدائي وحسن هدائي

وقبل أن ننتقل إلى العصر المريني، لا بد أن نقول كلمَة في المرحلة السابقة وهي أننا نجد فيما سلف أدباً يشمل النظم والنثر في الإنشاء، ويضم إلى ذلك حركة قوية في التأليف تناولت مختلف الموضوعات،يهمنا منها ما يتصل بالأدب.

وبعد ما كان الأدب عالة على الأندلس، مقلدا في الجوهر والعرض، أو منتجا في أرض غير أرضه أو متجليا بإنتاج غير أبنائه فيه، فإنه صار منذ أواسط القرن الخامس يعتمد على نفسه ويتخذ له كيانا يتميز به عن غيره، وصار في الأخير يشق لنفسه طريقا لاحبا بين الأندلس والمشرق، حيث كانت الهجرة إليهما هجرة قوية، وخصوصا الأندلس الذي كان يبادل المغرب فيها أكثر من المشرق الذي وجدنا قلة منه تتجه إلى المغرب تتمثل في شعراء وجغرافيين ثم علماء وسفراء منه استقروا أخيرا بالمغرب، وكتبوا مذكراتهم فيه وفي رجال دولته.

أما المغاربة الذين توجهوا إلى المشرق أو كانت لهم اتصالات عن طريق المكاتبة، فقد كان منهم في العهد المرابطي مَن ورد ذكر بعضهم في كتاب معجم *السفر* للسلفي الذي كان مقره بالأسكندرية، وفي كتب الجغرافيا، وتقدم ذكر بعضهم كذلك. وأبرز هؤلاء محمد بن تومرت الذي قضى أعواما بالمشرق، ملازما لعلمائه آخذاً عنهم، وكان في هؤلاء أبو حامد العزالي الذي أُحرق كتابه *الإحياء* بالأندلس، وابن تومرت ـ كما يقال ـ ملازم له دارس عليه.

ومن الذين كانوا متصلين بالمشرق عن طريق الكاتبة القاضي عياض، الذي نجده يكاتب السلفي، ويكاتبه هذا نثرا ونظما إلى أن توفي القاضي أول العهد الموحدي.

هذا العهد الذي اشتدت فيه الصلة بين المغرب والمشرق، فقد كان من هذا شعراء قالوا في البلاط الموحدي، وخصوصا في عهد يعقوب المنصور، كما جاءه سفراء منه، وفي مقدمتهم السرخسي، سفير صلاح الدين الأيوبي، وصاحب المذكرة القيمة التي أومأنا إليها وصارت مصدرا تأريخيا اعتمد عليها المقري ونقل عنها نقولا مفيدة.

أما شكل هذا الأدب، فكان في العهد المرابطي هادئا مطمئنا ثم صار هادراً مجلبا مترفعا منذ بداية الدولة واستمرارها في أربعة خلفاء أول منها، كما نجد عند ابن حبوس والجراوي خاصة. وبعد ذلك صار ينزل عن مستواه المترفع إلى المستوى المتواضع بتواضع مضمونه الذي عملت فيه عوامل مختلفة تجلت على ساحة التصوف والزهد وما إليهما وكان لها امتداد فيما بعد.

المرحلة السادسة : تخص العهد المريني الذي ظهروا فيه على نهاية الموحدين، باحتلال مراكش عام 666 من قبل ملكهم العظيم يعقوب بن عبد الحق. وقد قامت دولتهم على دعائم الكفاح المسلح في النصف الأول من القرن السابع، منتهزين فرصة الضعف والانحلال الذي حل بالموحدين، وداعيا بعضُهم للحفصيين وهي تلفظ نفسها الأخير. وكانت أشلاء الدولة تتمزق من هنا وهناك. فجاء المرينيون من شرق البلاد ليرأبوا الصدع، وليمدوا أعناقهم إلى الأندلس الذي تكالب عليه النصارى واقتطعوا منه حواضره ولم يبق بيد المسلمين ؤلا ما كان في إقليم غرناطة،وهو في الواقع خاضع لهم بابن الأحمر. فمد بنو مرين يدهم إلى بني نصر، محاولين أن يكونوا جبهة قوية ضد الزحف النصراني العتيد، ووجدوا أولا في هؤلاء استجابة،وصار ملوكهم يجوزون إلى الأندلس ويوالون القتال، الذي كان غالباً ما ينتهي بالظفر والنصر العظيم في عهد يعقوب وابنه يوسف الذي أجاز إلى الأندلس، وقاتل في عرض البحر أساطيل النصارى، فانهزمت وتابع أسطولُه فَرَسَا بمياه "طريف" حيث نزل يوسف برجاله واشتبك في القتال، وهزم القوم ولاحقتهم إلى أسوار اشبيلية. وكان شاعر المرينيين عبد العزيز الملزوري سجل الأحداث، فقال في يعقوب :

أرى كلَّ جبارٍ بسيفك يصغُرُ وكلَّ مليكٍ من فعالك يقصر

وكان إلى جانبه ابن المرحل، الذي يمثل المرحلتين، وكان من أعيان كتاب يوسف بن يعقوب أبو محمد عبد الله بن أبي مدين العثماني. وكان هذا الملك،كما في *الاستقصا*، أول مَن هذَّب ملك بني مرين وكانت مملكته تضم غرب الجزائر الذي كان منه ـ كما يبدو ـ الكاتب المذكور. كما كان من أعيان كتاب أبي الحسن عبد المهيمن الحضرمي السبتي، وأبو المجد محمد بن أبي عبد الله بن أبي مدين، وأبو الحسن علي بن علي القباتِلي التينملّلي، الذي سيرث الكتابةَ عقبُه حتى نهاية هذه الدولة كما سنرى. وفي هذا الملك ألف ابن مرزوق كتابه *المسند الصحيح الحسن*.

وهكذا استقر الوضع في الداخل وجاء المد الفكري من الخارج، فصار رجال العلم والأدب من غرناطة وأقاليمها يعملون في ديوان الدولة ويديرون دولاب الإنشاء فيها، إلى جوار آخرين من المغاربة الذين كان أغلبهم من سبتة، وفاس العاصمة إذ كانت سبتة نفسها قد طفحت بالمهاجرة من الأندلس، خصوصا الإشبيليين منهم كان حاكمها ابن خلاص فيما سلف. أما الذين أتوا من مملكة غرناطة في هذا العهد فكان منهم ابن الحاج النميري مؤلف *فيض العباب* على عهد أبي عثمان، وابن جزي كاتب رحلة ابن بطوطة، ثم ابن زمرك، كما كان ابن الخطيب يتردد إلى المغرب سفيراً ثم لاجئا هو وملكه، ثم مقيماً بصفة نهائية. وكان وجوده بالمغرب عاملا منشطا للحركة الأدبية التي كانت قد ضعفت، بغرق فطاحل منها،على عهد أبي الحسن، الذي كان نفسه يبحر باسطوله إلى الأندلس، ليقاتل النصارى الذين يتكالبون على الأقاليم الاسلامية. وفي معركة مدينة طريف حصلت هزيمة استشهد فيها والد ابن الخطيب وابن جزي المذكورين، فقاد أبو الحسن إلى المغرب الذي ابحر بأسطوله منه إلى تونس حيث كان الغرق.

ومن مزايا هذه المرحلة ظهور أدب الرحلات،التي أعظمها حجما، رحلة ابن رشيد، أبي عبد الله محمد المولود أواسط القرن السابع قام بها إلى المشرق لاداء فريضة الحج وللتعرف عن كثب برجال العلم والأدب، واستمرت أربع سنوات نهل فيها وارتوى سماها *ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة* وهي في سبع مجلدات، لم يبق منها إلا خمس، طبع بعضها مما يتصل بتونس. كانت له لقاءات بالشام ومصر وتونس وغيرها، ومحاورات مع علماء هذه الأقطار

وأدبائها مما جعل رحلته مرجعا هاما لأعلام ذلك العهد، وبعضهم لا يوجدون إلا في رحلته، لهذا تعلقت بها تلك البلاد كما حصل في الجزيرة، هذا التعلق، فتعاور عليها العراق والشام ومصر وغيرها، وبدأنا سنة ثلاث وثمانين وستمائة وكان أديبا ناثرا شاعرا حفظت له قصائد من أهمها ما رثى بها ابنه رثاء حارا موجعا.

وتلاه محمد العبدري الحاحي المراكشي الذي ابتدأ رحلته عام 688 عن طريق البر إلى الديار المقدسة واستمرت عامين كانت له لقاءات فيها مع الأدباء أكثر مما كانت مع العلماء بالجزائر وتونس وطرابلس ومصر التي أطال بها مقامه خصوصا الأسكندرية. ومن القاهرة توجه سريعا إلى العقبة في طريق الحرمين، وعاد إليها عن طريق فلسطين. ورحلته تكاد تكون في عداد كتب الجغرافيا الوصفية، تنبض فيها الحياة، بما يصف من مشاهد قائمة واجتماعية وقد نظم رحلته فقال :

مسحتُ الأرض غربا ثم شرقا    أسائل عن عواقب كل حي

وله أشعار تسمو على هذه كثيرا مثل اللامية التي أنشأ بتونس.وبعد هذه بعشر سنوات كانت رحلة القاسم بن يوسف التجيبي السبتي عنوانها *مستفاد الرحلة والاغتراب* فكانت له لقاءات بالعلماء، وهو في طريقه إلى الحج. وعائدا منه، وغالبا ما كانت مع رجال الحديث، لأن الرجل كان محدثا قبل كل شيء، كما كان متصوفا بالإضافة إلى ذلك، ولهذا يتحدث عن بعضهم، ويذكر لباس الخرقة التي كانت معروفة في الشرق عامة بشطحاتها. وبعض هؤلاء ورد ذكرهم فيمن سبقوه مثل ابن دقيق العيد، وابن النحاس،وأبي حيان الأندلسي، وأبي الفداء وغيرهم، ترجم لهم تراجم مفيدة وذكر ما تلقاه عنهم بالمساجد أو بدورهم، كابن النحاس الذي قال فيه "قرأت عليه بمنزله من القاهرة المعزية. وياتي بكثير من الأشعار سماعا ورواية، فمن الأولى ما أنشده صاحبه أبو حيان الجياني بدكانه الذي يعقد به الشروط من القاهرة المعزية، بمقربة من مشهد الحسين... لنفسه

تمتع به لدن العواطف أهيفا    يُسيغك من عذب المراشف قرقفا

وفي أيام أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، كان محمد ابن بطوطة الطنجي يقوم برحلته العظيمة العالمية التي تكلمت عن مشاهداته العجيبة في القارات الثلاث، التي كانت وحدها الدنيا، كما تكلم عن نفسه فيما كانت له من مواقف مع شعوبها وملوكها، جالس فيها القوم وتولى مناصب السفارات عنهم والقضاء في أقصى الشرق، ووصف أحوالهم وعاداتهم وتعلم لغتهم، في مقدمتها الفارسية والتركية وأنجب فيهم، متزوجا ومتسرياً، وترك لرحلته في الدنيا دويا. ولما عاد إلى المغرب أيام أبي عنان لم يلبث أن تاق إلى الرحلة صوب أواسط إفريقيا فالتقى بأعلام منها، قضاة وحكاما إلى أن وصله أمر من أبي عنان بالعودة إلى المغرب، فعاد حيث كان في حاشيته مستشارا، وتولى قضاء تامسنا حيث كاتب ابن الخطيب. ولا نعرف من الرحالين العالميين من طالت رحلته هذه السنوات وسجل فيها ما أملاه على محمد ابن جزي كاتب الرحلة. لهذا اقتصرنا على أخبارها ولم ناث بنماذج أدبية لأنها خالية منها، فالرحلة مفيدة الإفادة التاريخية قبل كل شيء.

نعود إلى الأدباء الذين نذكر منهم للحضرمي السالف أبياتا ،من قصيدة يحن فيها إلى وطنه سبتة وهو كاتبٌ بالحضرة فاس :

سَقَى ثَرَى سبتةَ بين الوهاد    وعهدها المحمود صوبُ العهاد

وله غيرها قصائد كثيرة. ومقامة أنشأها بفاس حول حوار بين نساء منها أسلوبها متواضع.

ومما يسجل للعهد المريني في هذه المرحلة نشاط التأليف، خصوصا في التاريخ والتراجم والجغرافيا والبلاغة والنقد والعقلي عموما، فمن المؤرخين نظماً شاعرهم عبد العزيز الملزوزي، الذي له *نظم السلوك*.

أما التاريخ نثرا، وهو أهم، فنجد *البيان* لابن عذاري والأنيس لابن أبي زرع، *والذخيرة السنية لمجهول، وجنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس* وفي الجغرافيا نجد كتاب *الروض المعطار* لعبد المنعم الحميري السبتي.

أما التراجم فنجد في واَجهتها كتاب *الذيل والتكملة* لمحمد بن عبد الملك المراكشي وهوكتاب حافل في مادته قيم في متنه. وهو ممن أدرك العهد الموحدي وتوفي أوائل العهد المريني، معاصر لابن الزبير صاحب *صلة الصلة*، وكلاهما ترجم لصاحبه في كتابه المذكور قال عنه : كان نبيل الاغراض عارفا بالتواريخ والأسانيد، نقادا لها حسن التهدي جيد التصرف... أديبا بارعا، شاعرا مجيدا.

ثم ترجم له النباهي في *المرقبة*، وساق من شعره قصيدة، مطلعها :

ياعاذليَّ دعا الملامة أو سلا    من صادق في الحب مثلي هل سلا
كيف السلوُّ ولي بحكم البين في    مراكش جسم وقلبٌ في سلا
هيهات اسلو عهد خل لي بها    أسلا ابن حجر عهد جاره ما سلا

وهكذا استمر في هذا المتشابه بسلا في تسعة عشر بيتا. وله غيرها من هذا القبيل، ويقصد *بالذيل والتكملة* ما أفصح عنه بالمقدمة قال :"قصدت إلى تذييل *صلة* الراوية أبي القاسم ابن باشكوال تاريخ الحافظ أبي الوليد ابن الفرضي... في علماء أهل الأندلس والواردين عليها من غيرهم، بذكر من أتى بعدهم..."

نتصل بالجغرافيا فنجد كتاباً مهما جمع بين الجغرافيا والأدب، على نطاق واسع، لمؤلف سبتي هو محمد بن عبد الله الحميري الصنهاجي، ترجم له ترجمة وافية الحضرمي في *بلغة الأمنية* كما ترجم له غيره من الأندلسيين، والمشارقة ابن حجر في الدرر، وصاحب *اختصار الأخبار*. وتناول فيه ذكر البلاد على حروف المعجم، كما فعل فيما قبل البكري، وخلل ذلك بأخبار وطرف وآداب مثله، واتبع نظام المشارقة في هذا الترتيب ، كما فعل ابن عبد الملك معاصره. وعلى اهتمامه الخاص بالمغرب والأندلس، فانه تناول غيرهما من البلاد التي كانت معروفة للمسلمين، كما فعل ياقوت الحموي الفارسي.

المرحلة السابعة : تنطلق من أواخر القرن الثامن وتتعدى التاسع، تعرض فيها الأدب لما تعرض له في أواخر الموحدين، بل أكثر، بانقسام الدولة على نفسها وتدخل الملك النصري بعد اغتيال ابن الخطيب في شؤونها بالتقسيم للدولة وتسلط الناجمين على عرشها، وابتزاز فرضة سبتة من رقعتها، ولما استعادها المغرب احتلت من النصارى البرتغال الذين تابعوا احتلالهم وامتدوا إلى الساحل الأطلسي، كما احتل الإسبان مليلة بالريف بعد إخرابهم لمدينة تطوان قبيل احتلال البرتغال لسبتة المعزولة، بخطة بابوية قسمت العالم بينهما. ومن السبتيين الذين تناولوا مدينتهم، إثر الاحتلال البرتغالي رجلان، أحدهما في خططها مخللاً ذلك بذكر بعض أعلامها في كلمات معدودة أو ترجمة مقتضبة، وهو الأنصاري في *اختصار الأخبار*. والثاني تناولها في أعلامها من العلماء والأطبة والأساتيذ على العهد المريني، في بلغة الأمنية، وفيهم امرأة، وهو الحضرمي، وقد نشرناهما في الستينات الميلادية.

ومن أدباء هذه المرحلة عبد الرحمان المكوديَ النحوي صاحب *المقصورة* في مدح الرسول عليه السلام. وهي على ضعف حبكتها وتقليدها لا تخلو من صور جميلة.

ومن المتصوفة إبراهيم التازي العالم الزاهد المتوفى 866، له قصائد زهدية ووعظية، من ذلك التي مطلعها :

أمّا آنَ ارعواؤك عن شنار    كفى بالشيب زجراً عن عوار

وله قصائد كثيرة ذكرت بثبت أحمد البلوي، *وأزهار الرياض* للمقري، و*نيل الابتهاج* لأحمد باب السوداني.

ومن تصلياته النثرية "اللهم صلِّ صلاة كاملة، وسلم سلاما تاما، على نبينا الذي تنحلُّ به العقد، وتنفرج به الكُرب وتُقضى به الحوائج، وتُنال به الرغائب، ويُستسقى الغمام بوجهه للكريم، وعلى آله وصحبه في كل وقت وحين". فهذا أول متصوف كوّن له طريقة خاصة به لمّا عاد من الشرق، وعاشت تصلياته هذه إلى عهدنا.

وكما كان في البيت الموحدي شعراء وأدباء عامة،كان في البيت المريني مثلهم بداية من أبي سعيد بن يعقوب،غير أن أولئك، كانوا منذ البداية بعبد المومن بخلاف هؤلاء الذين نجد عبد الواحد بن يعقوب يقول مفتخرا :

أجودُ بمالي لكـل العُفـــات    وأقتحمُ الهولَ في المُعضلات

وأحمي ثغوريَ من أن تُنال    وأغزُو وأنهبُ أرضَ العدات

ولعمر بن عثمان، وأبي الحسن، وأبي عنان وأخيه عبد العزيز أشعار مروية في كتب الآدب.

المرحلة الثامنة : فيها كان العهد الوطاسي، قد خلف المريني، وكان عهداً قصيرا اشتبك فيه مع البرتغال يقاتلهم ويصدهم عن أطماعهم في باقي السواحل الأطلسية، وأهمها مصب وادي لكوس الذي احتلوا منه جزيرة مليحة المتصلة بالخرائب الرومانية. وقد نظم فيهم وفي معاركهم العديدة قاضي فاس محمد بن عبد الرحمان الكراسي التطواني الريفي أو الأندلسي الأصل، وهو المصدر الوحيد الذي بأيدينا مفصل في تاريخهم. وقد عاش هذا حتى أدرك قيام الدولة السعدية وتوفي عام 964.

نعود إلى أعلام هذا العهد فنجد في مقدمته الامام محمد بن أحمد ابن غازي المكناسي المشارك في عدة علوم وفنون، يهمنا منها البلاغة التي قال أحد تلاميذه في تمكنه منها :

تكلّمْ في الحقيقـــة والمجــاز    فما في الناس مثلُك يا ابن غازي

وله شعر وسط، ونظمٌ سماه *المولدية في خير البرية*، وآخر في تاريخ المغرب، يرمز في تاريخ أحداثه بالحروف.

كما أن له كتابا في تاريخ مكناس سماه *الروض الهتون في تاريخ مكناسة الزيتون*، وله تآليف أخرى في مختلف العلوم.

ومن أشياخه أحمد الحباك الأديب الشاعر المتصوف معاصر التازي مات في فاس مهاجرا. ومن تلاميذه الأديب محمد الكفيف. ومن معاصريه المجاهدين للبرتغال الأديب محمد المعروف بابن يجّبش (بالجيم المعقودة). من شعره منظومة يعارض بها منفرجة ابن النحوي.

وإلى جانب الأوازن العربية نشطت أوزان الموشحات الجميلة في مكناس وفاس، فيهم اثنان من الفقهاء أبو عثمان سعيد المكناسي أحَدُ العدول لفاس الجديد، والآخر علي بن موسى هارون قاضي الجماعة بفاس قلّدا كلاهما في توشيحه ابن الخطيب.

المرحلة التاسعة : عصر الملوك الاشراف السعديين. هؤلاء القوم وان كان موطنهم الأصلي في المغرب بقري الصحراء الشرقية، إلا أن قيامهم كان على أساس الجهاد للنصارى البرتغاليين المستولين على سواحل المغرب الغربية، لهذا كان في ركابهم أهل السوس وعلى أكتافهم قامت دولتهم العتيدة، التي كانت أول دولة متفتحة على العالم الأوربي، إلى جانب العالم العربي.

لقد انتعش الأدب عندنا بقيام هذه الدولة. فكان الشعراء أولا جلهم من سوس وإلى جانبهم آخرون ظهروا في الكتابة السلطانية خاصة، وان كانت لهم ضلع وفيرة كذلك في الشعر كما سنرى.

ومن حسن الحظ أن حفظت لهم مجموعة من رسائلهم السلطانية، انتهت أخيرا إلى المرحوم المختار السوسي، فطبعت في الخمسينات الميلادية بتطوان.

وكشأن الموحدين فان يعسوبهم محمد الشيخ كان أديبا ، يحفظ دواوين الشعراء الكبار وفي مقدمتهم المتنبي. وكان الحامدي الذي حفظ كثير من الجزوليين مثل الأدباء الشعراء أبي عثمان سعيد الحامدي الذي حفظ كثير من شعره وقصائده. وكان ابنه عبد الله الغالب على تذوق للشعر، وان لم نعرف له كما عرفنا لابنه شعرا. كما كان ابن أخيه محمد بن عبد القادر وزيره من الشعراء الموهوبين. وكان في حاشيته فقهاء شعراء من سوس وغيرها، مثل عبد الواحد الحميدي وأحمد المنجور وآخرون لا يكادون يحصون عددا، وهذه الكثرة من مميزات هذا العصر،خصوصا على عهد المنصور، فيما سنرى وأغلبهم من سوس. أما من غيرهم

فكان أحمد الزموري إلى جانب عبد الواحد الشريف الحسني وابنيه أحمد ومحمد، والكاتب الشاعر عبد العزيز الفشتالي، وابنه محمد، وابن عمه محمد بن علي الكاتب الشاعر، ومحمد القصري العكبري. ومن قبل في عهد محمد بن عبد الله الذي كان نفسه شاعرا، فكان منهم مثل الدغوغي صاحب القصيدة الفريدة التي جاد بها في موقعة وادي المخازن:

جنى النصر ما بين الظبي والكنائن     على سابقات المذكيات الصوافن

وكان المنصور نفسه بحرا في العلم والادب شاعراً موشحاً، من كتابه وشعرائه غير من ذكروا الملزوزي، الذي تولي الكتابة لولي عهده بفاس،وأبو الحسن علي بن منصور الشياظمي، وابنه أبوالقاسم القاضي، ومحمد بن عمر الشاوي، وعلي بن أحمد الشامي الفاسي، وإدريس بن علي ابن راشد الشاوي، والحسن بن يوسف الزياتي، وعمر بن عبد العزيز الزرهوني الفاسي الفقيه، رلى جانب محمد بن علي الهوزالي والحسن المسفيوي، ومحمد بن عيسى الكاتب السوسي، صاحب المقامة الادبية النقدية، الوارد فيها من الادباء غير ما ذكروا، الكاتب أبو الفضل يونس، والكاتب أبو العباس الغرديس، والكاتب أبو العباس أحمد بن يحيى، وأبو عبد الله محمد بن علي ومحمد بن أبي القاسم الشريف العلامة، والفقيه أبو الحسن علي بن سليمان إلى غير هؤلاء. وكان من محمد بن عيسى من الكتاب الموموقين، للمنصور ثم ابنه المامون الذي قتل في سجنه عام 990.

المرحلة العاشرة : حدوث التدهور في الأدب عامة. مات أحمد المنصور فاضطربت الأحوال وأدى تنافس أبنائه زيدان وأبي فارس والشيخ المامون على الملك إلى قيام فتن وحروب لم تهدأ حتى خارت قوى الدولة وقام عليها الثوار في مختلف الاقاليم ومعظمهم من المتصوفة المتطلعين إلى السلطة، كأبي حسون السملالي، وأبي زكرياء الحاحي، وأحمد بن أبي محلي، ومحمد الحاج الدلائي، والمجاهد العياشي. فانعكس هذا التدهور السياسي على الأدب، ومع ذلك نجد في هذه المرحلة طائفة من الكتاب والشعراء أمثال ابن أبي محلي، والحاحي، وعلي بن عبد الرحمان والسلاسي الذي مات في سجن زيدان وبكى نفسه بأبيات مؤثرة. ومحمد بن أحمد المكلاتي صاحب المقامة الزهرية في مدح المكارم البكرية، وهي في الإشادة بالدلائيين. وكان من بين السعديين المتأخرين ملوك أدباء يقرضون الشعر، مثل زيدان، وابنه الوليد.

ومن المؤلفين في عصرهم بالمرحلتين أحمد ابن القاضي الذي من كتبه الأدبية *درة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك*، *ودرة الحجال في اسماء الرجال* و *جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس* *والمنتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور*، وغيرها والمقري التلمساني خطيب القرويين مؤلف *روضة الآس*، *ونفح الطيب*، *وأزهار الرياض*، وغيرها، والجزولي مؤلف الرحلة : *النفحة المسكية في السفارة التركية*. وعبد العزيز الفشتالي، مؤلف *مناهل الصفا، في تاريخ الشرفاء* ومحمد ابن عيسى السوسي مؤلف *الممدود والمقصور في سنى أبي العباس المنصور* وغير هؤلاء، وفيهم من ألف نظما مثل محمد بن سعيد السوسي صاحب *المقنع في الميقات والمطالع*.

المرحلة الحادية عشرة : النهضة العلمية بالزاوية الدلائية. كان الدلائي يُعد نفسه للجلوس على عرش الملك بعد السعديين، واتخذ زاويته المدرسة الأولى لتربية الذين سيحملون راية العلم ليكونوا قوامين على دسته، كما فعل الفاطميون في مصر، والموحدون في تنمل، فأنجبت من الأمراء كثيرين، ومن غيرهم أعلاما فيهم الحسن اليوسي، وأبو سالم العياشي، وجميع هؤلاء أدركوا العهد العلوي، الذي سارع فيه المولى الرشيد ببناء مدرسة الشراطين فاحل بها من كان بالزاوية الدلائية وهي مكرمة ممن مكارمه حيث لم يقض على رسالتها السامية، فكان اليوسي المولود حامل لواء الطليعة، لهذا الرعيل المبارك، خفاقا في أقطار المغرب، يطوف الشمال والجنوب شرقا وغربا في موسوعته وإنتاجه في النثر والنظم والتأليف في شتى الموضوعات، ومن نظمه رائيته الطويلة في رثاء الزاوية الدلائية. وداليته الشهيرة في مدح شيخه محمد ابن ناصر. وديوانه الكبير أول ديوان للمغاربة تناولته الطباعة الفاسية عندنا. ومؤلفاته اللغوية والأدبية كثيرة شهيرة، مثل *زهر الأكم في الأمثال والحكم، والمحاضرات*.

المرحلة الثانية عشرة : فيها قامت الدولة العلوية التي وضعت حدا لأهداف متزعمي الزوايا، وقد استقر الأمر لهذا البيت العلوي، بعد نضال وحروب داخلية، فكان المولى رشيد يقضي القضاء المبرم عليها جميعا.

كان من أدباء هذه المرحلة كما تقدم، اليوسي جاحظ المغرب، وزميله أبو القاسم العياشي الذي شهر في الشرق والغرب برحلته القيمة، وأبو العباس التاستاوتي، الأديب المتصوف والشاعر المكثار، الذي يضاهي بذلك اليوسي، القائل : لو أردت ألاً أتكم إلاً نظماً لفعلت، كما كان يضاهيه في تحبير الرسائل، وكان يصغر اليوسي سنا، على عكس العياشي الذي كان يكبره بأربع سنوات.

وجميعهم خصوصاً الأولين يمثلون المرحلتين،وينتمون إلى الزاوية الناصرية بعد الدلائية. وذلك في حياة شيخها الأول سيدي محمد، والثاني سيدي أحمد، فيما يخص التاستاوتي المتأخرة وفاة كل منهما. وكان هذايقتفي اليوسي، في نظمه، فعارض داليته ولاميته بقصيدتين كذلك، دالية ثم لامية فاقتا في الطول قصيدتي اليوسي بنحو مائتي بيت.

وفي هذه الأخيرة من الافلاطونية، التي احتذاها ابن سينا، كثير من الأفكار المثالية. وكان يعاصر اليوسي أيضا من الفاسيين عبد الرحمن الفاسي، وكان مثله مشاركا نظاما إلى حد ما، كما كان موسوعيا في علوم عديدة،

ألف فيها كتابه *الأقنوم في مبادئ العلوم*، كما ألف اليوسي كتابه *القانون*. أما شعره المبكر في هذه الدولة، فمنه طائية في مدح المولى رشيد، نسج فيها، على منوال عبد العزيز الفشتالي في طائيته التي قالها في قصر البديع السعدي.

وقد خلف ابناً كان يشبهه علماً وأدباً، قام بمهمة التعليم جعلت له تلاميذ لهم وزنهم، منهم محمد الصغير الإفراني المراكشي كما سيأتي.

كما كان من بقية الدلائيين شيوخ تركوا تلاميذ لهم في الأدب والعلم : كأحمد ابن محمد الدلائي، وكالمسناوي العالم الفقيه الذي يمثل مرحلة من مراحل التشريع للمغرب، بله الادباء الكبار منهم، ذكر منهم القادري في تراجمه، ثم الحرات في تاريخه للزاوية، كثيرين، وكانت لبعضهم مكاتبات مع أحمد التاستاوتي. وفيما يخص اليوسي ومدرسته الأدبية، فإننا نجد من تلاميذه الكبار الأدباء محمد بن زاكور الشاعر الوشاح والأستاذ الذائع الصيت، من شعره ربيعيات عديدة نجدها في قصيده وتوشيحه، وموشحات جميلة قد تفوق في جمالها قصائده، وله تآليف نجدها لمؤرخي الشرفاء.

ومن تلاميذ ابن زاكور محمد بن الطيب العلمي، صاحب *الأنيس المطرب* الذي ترجم فيه الأدباء لقيهم، وشعره رائق في الربيع، ومجالس اللهو والشراب، وفي الرياض مع الطرب والغناء القيان. وإلى جانب النظم له نثر يتجلى في رسائله الإخوانية وسط لا يعلو إلى مرتبة المشهورين كما في مقاماته.

ومن أدباء العصر الاسماعيلي جماعة يتقدمهم الوزير الخطير محمد اليحمدي، ممدوح علي مصباح الزرويلي. وعبد الحق السحيمي ومحمد بن الحسن الايلاني وإبراهيم بن محمد السكتاني وأحمد بن صالح القاضي وأحمد الرسموكي ومحمد المنبهي. ومن بني اسماعيل محمد العالم، الذي له مساجلات أدبية مع أدباء سوس الذي انتقل إلى عاصمتهم تارودانت أميرا عليهم. ومنهم الشاعر محمد الرافعي التطواني، والفقيه عبد السلام جسوس، وعبد الواحد بن محمد البوعناني، ويوسف بن عمر الشوذري التطواني.

ثم نجد من الذين أدركوا العهد الإسماعيلي محمدا الصغير الإفراني صاحب التآليف العديدة في التاريخ والتراجم وهو من أولئك المراكشيين الذين حملوا لواء هذا الشأن بداية من القرن السابع كما تقدم، ومن كتبه التاريخية *نزهة الحادي* في أخبار ملوك القرن الحادي، *وصفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، وروضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، وطلعة المشتري في التعريف بمحمود الزمخشري*، وغيرها.

المرحلة الثالثة عشرة : ما بعد المولى إسماعيل، الذي ما ودع الحياة حتى قامت الفتن والحروب بين أبنائه على الملك وتشتت شمل العاصمة بهجرة علمائها وأدبائها، فكان فيهم أبو القاسم سعيد العميري الذي ترك القضاء وهاجر إلى الريف، حيث نظم عشرات القصائد متحرقا على مكناس ومتشوقاً إليها. وكان يعاصره قاضي غمارة أبو سلام أحمد الحميدي، فكان يكاتبه شعراً.

وهاجر آخرون إلى الشرق فكانوا من أعلام العلم والأدب،مثل محمد الطيب التافلاتي العالم الأديب، ومحمد بن الطيب الصميلي الشرقي. الذي وضع *حاشية على القاموس*، وكان من شيوخ الزبيدي صاحب *تاج العروس*.

المرحلة الرابعة عشر : تبتدئ بالنهضة في عهد مولاي محمد بن عبد الله وتنتهي بفرض الحماية على المغرب. فمن رجال الأدب والعلم في هذا العهد المبكر، عمر بن يوسف الفاسي القائل من قصيدة يفتخر :

إني وان فاتني صدرُ الزمان ففي ردّ على الصدر من أيامه العجز

وأحمد بن الونان صاحب القافية الشهيرة بالشمقمقية التي حوت ما كانت عليه الثقافة المغربية حينئذ ؛ ومحمد بن الطيب السكيرج الكاتب الشاعر، والتهامي بن الطيب أمغار صاحب *المقصورة* في مدينته مكناس ؛ وأحمد بن المهدي الغزال الكاتب الشاعر صاحب *الرحلة* ؛ وأحمد الراضي بن عثمان الكاتب الشاعر وسليمان الحوات العلمي الشاوني صاحب *البدور الضاوية* في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية *وقرة العيون* في الشرفاء القاطنين بالعيون *والروضة المقصودة* في مآثر بني سودة *والسر الظاهر* فيمن أحرز بفاس الشرف الباهر من اعقاب الشيخ عبد القادر، يريد القادريين، ثم *ثمرة أنسي* في التعريف بنفسي وله مذكرة خاصة برحلاته واتصالاته بالعلماء فيما توفي 1231. وأحمد الحكمي القاضي بسلا والرباط. ومحمد بن عمرو الأوسي الرباطي صاحب المساجلات الشعرية مع الحكمي المذكور.

ونبغ في هذا العهد وشاحون أمثال محمد بن الطاهر الهوزلي، تلميذ ابن زاكور الوشاح، وله كشيخه باع في القصيد العربي.

ولما توفي محمد بن عبد الله سار أولاده وأحفاده على دربه في الأخذ بيد الادب والعلم، وكان ابنه سليمان أديبا عالما. فمن الادباء في هذا العهد حمدون ابن الحاج الشاعر المكثر، من طوال قصائده ما نظمه في السيرة النبوية حيث تصل الأبيات فيها أربعة آلاف، وفي أمداح المولى سليمان ديوان سماه *السليمانيات*، ويبدو عليها الاثر العلمي، خصوصا في نونيته التي تنظر الى نونيه ابن زيدون. توفي 1232.

ومن تلاميذه محمد ابن ادريس، الذي حُفظت له رسائل سلطانية وغيرها كالمقامات، وله منه مرثية للمولى سليمان، وقصائده في المولى عبد الرحمان. وفي هذه الحقبة كان الأديب المتصوف محمد بن محمد الحراق الفاسي هاجر إلى تطوان فاستوطنها منتحلا في تصوفه الطريقة الدرقاوية، نظم في التصوف الرمزي كثيراً من القصائد. توفي بتطوان 1261. ثم كان التهامي المدغري العالم الأديب، من شعره قصيدة قالها بمناسبة ختم كتاب أقليدس وهي في

أسلوب فني جميل، بالرغم من موضوعها العلمي، وله نثر أدبي، توفي 1273.

ومحمد أكنسوس المراكشي زميل ابن إدريس في الكتابة والوزارة أيام المولى عبد الرحمان بعدما تقلد الوزارة أيام المولى سليمان، ثم أقصي عنها. وله إلى جانب نثره السلطاني والاخواني، شعر رائق أتى بنماذج منه صاحب *نظم فواصل الجمان* كما له في التأليف *الجيش العرمرم الخماسي في أولاد مولانا علي السجلماسي*. وقضى أيامه الأخيرة في مراكش زاهدا في الخدمة السلطانية إلى أن توفي عام 1294. وإدريس بن محمد العمروي الكاتب السلطاني الشاعر، كان أيام المولى عبد الرحمان وابنه محمد وحفيده الحسن، وهو من رجال الفواصل، وشعره خفيف الظل، وله قصيدة مؤثرة في الحث على الجهاد بعد وقعة إسلي المشؤومة عام 1260 / 1844.

وبعد هذا بست عشرة سنة، وقد بويع سيدي محمد بن عبد الرحمان، كانت حرب تقوم بين المغرب واسبانيا فتحتل هذه تطوان وتعجز المقاومة، ويهاجر أهل المدينة إلى القرى والمدن النائية، فتنظم قصائد تعد بالعشرات راثية لمدينة نادبة لحالها، وكان ذلك عام 1276 / 1860.

كما ألقيت خطب عديدة على منابر الجمع، خارج تطوان، التي لم يبق بها إلا قلة من الناس، فيهم من كتب *مذكرة* قيمة نشرناها بالعدد الأول *مجلة تطوان*. فترة مناسبة مؤلمة أنطقت شعراء وخطباء، وأسالت الأقلام بالمذكرات التي لا نعرف لها مثيلا.وفي عهد مولاي الحسن كان الشعراء يتهافتون على الشعر ويتبارون فيه، لدرجة أنْ قيل إنَّ مائة منهم أنشدوا قصائدهم في مناسبة واحدة،. وهذا لم نعهده في تاريخ الشعر والشعراء لا شرقا ولا غربا، وكان المولى الحسن يعجبه هذا التباري ويحض عليه حتى في النثر، فقد أهدت الملكة الانجليزية فكتوريا للمولى الحسن فيلا، فتبارى في وصفه كتابه.

ومن الأدباء الذين كان لهم شأن في الدولة محمد غرنيط من وزراء عبد الرحمان وابنه الخليفة،كاتباً شاعرا مقصِّداً ومربِّعا، وكان صديقاً للزجال قدور العلمي ومحمد أكنسوس. توفي 1280.

ومن الذين كانت لهم مقامات في أواخر هذا العهد،وهي في أدبنا ضنينة كما سبق، الطاهر بن احمد البلغيتي، وخليل الخالدي، وعبد السلام بن محمد المهدوي، أثبت منها فصلاً ابن زيدان في *إتحافه*.

كما كان محمد بن محمد بن محمد غريط في عهد مولاي محمد بن عبد الرحمان كاتبا شاعرا، من شعره دالية عامرة في مدح مولاي الحسن وكان كاتبا له. توفي 1296. نكتفي بهؤلاء ونختم هذا الرعيل بأديب ناثر ناظم مولف عظيم، أحمد بن خالد الناصري السلاوي الذي عمل للسلطان في العهود الأربعة الرحماني والمحمدي والحسني والعزيزي، وأثره الأدبي نجده في أهم كتبه *طلعة المشتري في النسب الجعفري*، وشرحه *لمنظومة الشمقمقية*، وتاريخه للمغرب منذ الفتح الاسلامي إلى عهده، وهو *الاستقصا*، استقصى فيه ـ حقاً ـ كل ما ألف فيه، من أمهات المؤلفات المعروفة لنا وغير المعروفة، مما استمده من مكتبة تامگروت الناصرية التي كانت تزخر بالمخطوطات العديدة القيمة. ولم يكتف بهذا، بل وجدناه يستعين حتى بكتاب في تاريخ المغرب، لمؤلف اسباني من القسس الذين كانوا بطنجة "منويل"، فهو بذلك أول مغربي يستعين بالمصادر النصرانية التي كانت تترجم محتوياتها له، كما يقول ولداه. وإلى جانب ذلك، نجده يستعين بسماعاته من العلماء وغيرهم كالتجار كان منهم الرزيني التطواني، وخصوصا فيما يتصل بالحرب التطوانية. ونظرته إلى الوقائع والملابسات سديدة متزنة أمينة صريحة في نقدها حتى ولو كان هذا يمس وضعيته الرسمية. ومع أن كتابه تاريخي، فإنه وسمه بالإخبارية. وغالبا ما يعتمد على ابن خلدون والكتب المعاصرة للحادثة. أما الكتب التي ألفها فانها تربو على العشرين، كما ذكر ولداه في ترجمته المنشورة بمقدمة الطبعة الثانية *للاستقصا*. توفي عام 1315.

ومما يجب تسجيله في العهد العلوي أن الادب صار يقف عند أضرحة الأولياء متوسلا بأصحابها، بعدما كان يقف إلى جوار الأحياء منهم. وهذه في الواقع بدعة سنها لنا الموحدون عند زيارتهم لضريح محمد ابن تومرت بتنملل. وفي المريني وجدنا ابن الخطيب يقف عند الأضرحة متوسلا، ولكن هذا الوقوف منه لم يكن عند أضرحة الأولياء، بل عند أضرحة الملوك المرينيين متوسلاً بهم إلى أبنائهم الجالسين على عروشهم، لا ليقرِّبوه إلى الله زلفي، كما كان يفعل هؤلاء، وفيهم حتى مؤرخنا الناصري كما نجد له قصائد لم يضنَّ بها في تاريخه الحافل.

ويبدو أن المولى إسماعيل أول من عمل على هذا في بنائه لضريح إدريس الأكبر بزرهون، وبناء ضريح إدريس الأصغر بفاس فصرنا نتوسل بهما. كما أن مراكز أدبية وجدت ولم يكن لها ذكر فيما قبل، مثل تطوان التي وجدنا فيها من المعاصرين يوسف الحوذري، وأبريل ومنضوصة والرافعي وعلي بركة. وفي البادية وجدنا اليحمدي والزرويلي وغيرهما كثير.

محمد بنتاويت

**الأدب المغربي في عهد الحماية**. اتسمت أوضاع المغرب في ظروف "الحماية التي فرضتها فرنسا على المغرب (1912 ـ 1956) بكثير من الخصوصيات، فقد استفحلت الأزمة السياسية المرتبة عن الوضع الاستعماري. وكان من ردود الفعل على تلك الهيمنة أن عملت العناصر الشابة في "المغرب الأقصى" على توعية جماهير الشعب وبدأت المواجهات بين القطاعات الشعبية والإقامة العامة الاستعمارية.

وقد اضطلعت الحركة الوطنية بهذه المهمة القائمة على أساس فضح دسائس الاستعمار، وعرض عيوبه أمام الأنظار، ولم يأل أعضاء هذه الحركة الوطنية، جهدا في

إحباط مخططات المستعمرين وإفشال مؤامراتهم التي استهدفت تارة وحدة التراب المغربي، ووحدة اللغة العربية والدين الإسلامي تارة أخرى. ومن هذا العمل تأسيس جمعيات ذات أهداف تعليمية واجتماعية (*المغرب العربي*، 359).

واتسم الوضع الاجتماعي زمن الحماية، بالتوتر والاضطراب. وذلك لتعارض تيارين فكريين كانت لهما انعكاساتهما المباشرة على الصعيد الاجتماعي، وهما تيار المحافظة والتقليد، وتيار الليبرالية والتحرر، وكان لكل تيار أنصاره وأتباعه، وقد عكست معالم هذا الصراع الاجتماعي البنى الاقتصادية داخل المغرب، وكان من مظاهر التباين المتزايد بين الاقتصاد الرأسمالي في المدن وبين الاقتصاد العتيق في البوادي، إلا أن البنى التقليدية ظلت هي المسيطرة على العموم، سواء في المجتمع أو الاقتصاد في هذه المرحلة. فلقد كانت مقولة التقليد متجذرة في الوجدان، فهي دعوة إلى استعادة أمجاد الماضي بكل معاني القوة والعراقة التي يكونها هذا الماضي القديم (*أزمة المثقفين العرب*، 41). ولقد ظهر أثر الاتجاه التقليدي في بلورة مفاهيم الهوية الحضارية المغربية الإسلامية من منطلقات الدين الإسلامي وروح مقاصده العامة، ففهمت الحرية مثلا على أنها الحرية الضامنة لأصالة الشخصية وكرم الأخلاق، لا الحرية الداعية إلى الإباحية المطلقة (*اللسان المعرب*، 167).

يصعب التمييز في عهد الحماية، بين مجالي السياسة والفكر، نظرا لذلك التداخل الواضح الذي عرفاه في كتابات المفكرين والأدباء المغاربة في هذه الفترة. فقد كان العمل الثقافي والفكري لا يكاد يختلف في أهدافه العامة وغاياته البعيدة عن استراتيجية المقاومة ذات الطابع السياسي والديبلوماسي والعسكري.

والسبب في امتزاج البعدين السياسي والفكري في مغرب الحماية، يرجع إلى تلازم صوتي الفكر والسياسة في ساحة النضال ضد المستعمر. فقد ظهرت الحركة السلفية أول ما ظهرت كحركة فكرية احتضنت الحركة السياسية الوطنية. واستمر هذا الوضع زمنا طويلا جعل بعض الدارسين يعتقد "أن الحركة السياسية في المغرب كانت تختبئ وراء الحركة الفكرية (...) ومن خلال هذا الامتزاج أو التمازج أو الازدواجية، تولدت حالة من التوأمة فيما بين الحركتين واستمرت لمدة أربعين سنة كاملة (*لمحات*، 12).

وقد نهضت الثقافة المغربية نهوضا واضحا في عهد الحماية، نظرا للعلاقات مع المشرق العربي، وكان من عوامل تأجيجها الحركة المناهضة للظهير البربري، وساعد عليها شيوع الصحافة، والاطلاع على ثمرات الفكر المتحرر في الغرب الأوروبي.

العلاقات مع الشرق : عرفت دول الشرق نهضة واسعة منذ منتصف القرن التاسع عشر. فأتت هذه النهضة ثمارها في سائر نواحي الفكر والأدب. ولقد وصلت آثار هذه النهضات المشرقية إلى المغرب. عبر قنوات أهمها، بعض المؤلفات التي كانت تدخل إلى المغرب من طرق مختلفة، وإرسال البعثات إلى مصر والشام قصد تكميل التكوين العلمي والثقافي. بيد أن أهم هذه العوامل، هو دخول الصحف المشرقية إلى المغرب وتوعية الرأي العام المغربي بمنجزات النهضة الفكرية في الشرق. هذا إلى جانب الدور الرائد الذي قام به زعماء الإصلاح في الفكر المغربي، بعد عودتهم من الشرق كأبي شعيب الدكالي.

صدور الظهير البربري : كان لصدور هذا الظهير أثر كبير في إنهاض الهمم المغربية، ودعوتها إلى لم شتات القوى المتضاربة والآراء المتعارضة من أجل توحيد الاتجاه، في سياسة نضالية تهدف إلى الردّ على مزاعم الاستعمار الذي حاول أن يخدم وحدة المغرب وفق سياسته المعهودة : "فرِّقْ تَسُدْ". فقد تكاثفت الجهود الوطنية على جميع الأصعدة في سبيل توحيد الشمل والقضاء على مضاعفات سياسة الظهير البربري المغرضة. فظهرت كثير من المقالات والخطابات التي استنكر فيها المغاربة الظهير المذكور، ورفعوا عقائرهم منادين بصيانة وحدة المجتمع المغربي.

شيوع الصحافة : عرف المغرب الصحافة منذ سنة 1236هـ / 1820 م، وهو تاريخ صدور أول جريدة بالمغرب بمدينة سبتة باللغة الإسبانية، باسم "المتحرر الإفريقي"، وفي سنة 1307 هـ / 1889 م، صدرت أول جريدة باللغة العربية بطنجة باسم جريدة "المغرب" (*الصحافة المغربية*، 7).

وصارت الصحافة في مغرب الحماية من بين أهم عوامل نضج الحركة الأدبية والثقافية، فقد ظهرت في هذه الآونة مجموعة من الجرائد والصحف المغربية اضطلعت بمهام نشر المقالات ذات الطابع النضالي والنفس التحريضي البطولي، وبالإضافة إلى المقالات الأدبية التي لا تخلو من مغزى سياسي. ومن المنابر الصحافية والأدبية في هذه الفترة : "*السلام والمغرب الجديد، ورسالة المغرب، والثقافة المغربية وسواها*" (*أحاديث*، 86).

الاطلاع على ثمرات الفكر الأوروبي : لعل من أبرز الاطلاع على منجزات الفكر الأوروبي، شروع المغاربة في الاستفادة من التطورات الحضارية الجديدة التي عرفها الفكر الإنساني في مطلع هذا القرن. فظهرت حركة تأليفية واسعة شملت سائر نواحي الفعالية الفكرية والحضارية. وكانت هذه الحركة التأليفية المنتعشة، مؤشرا على يقظة الوعي القومي، في ظل الصراع مع القوة الاستعمارية التي سعت إلى طمس معالم الهوية العربية الإسلامية في المغرب من خلال إغلاق الكتاتيب القرآنية، ومحاربة المدارس العتيقة وإحراق الكتب القديمة. ومن أبرز الكتاب في هذه الفترة : علال الفاسي، وجعفر الناصري، ومحمد العثماني، ومحمد القري، وغيرهم من ذوي الأقلام المتميزة في ميدان الكتابة السياسية والاجتماعية والدينية والأدبية.

في ظل هذه التحولات الكبرى السياسية والاجتماعية والفكرية، انتقل مفهوم الأدب مما كان عليه في سابق عهده إلى مفهوم جديد ويمكن تقديم صورة مركزة عن الأوضاع الأدبية في مغرب الحماية، وذلك من خلال الحديث عن كل فن أدبي على حدة.

فن الشعر : يصعب الحديث عن اتجاهات الشعر في عهد الحماية في المغرب نظراً لتعدد اتجاهاته وتداخلها بشكل يستدعي الانتباه. بيد أنها اتجاهات يمكن توحيدها في الاتجاه الغالب عليها وهو الاتجاه القومي الوطني. ذلك أن الحركة الشعرية المغربية طبعت في هذه الآونة بالطابع الوطني في سائر الأغراض التي طرقها الشعراء. ويمكن اختصار الحديث عن الوضع الشعري في عهد الحماية في الملاحظات الآتية :

1. -إذا كان الشعر إحدى المكونات الأساسية في التكوين الثقافي لشخصية الشاعر المغربي منذ القديم، فإن الشعر في عهد الحماية صار مجالا للتعبير عن الهموم الوطنية وانفعال الشاعر إزاء الأحداث المختلفة. ولعل الشعر في عهد الحماية ينسخ في كثير من جوانبه الشعر الذي كان قبله. وقد عبر الشاعر المغربي عن هذا الطموح إلى تجاوز المفهوم القديم للشعر والشاعر، والانفتاح على مفهوم جديد يصير فيه الشاعر مثقفا عضويا يلتزم بقضايا شعبه وأمته قبل التعبير عن ذاته وأشجانه الخاصة، وقد عبر الشاعر عبد الله گنون عن هذا الطموح الجديد في قوله:

ألا ليت شعري متى أرتقي عن الشاعر المادحِ المُعْتِبِ ؟

فالشاعر يستعجل الانتقال من طور الشاعر المادح المعتب إلى طور الشاعر الحديث الذي لا يوظف شعره في مقامي المدح والعتاب فقط وإنما يوظفه في مقام النضال الوطني ذي الواجهات المختلفة في تلك المرحلة.

2. إن اختلاف المفهوم الشعري على النحو الذي رأينا عند عبد الله گنون رافقه انتقال وتحول في مفهوم وظيفة الشعر والشاعر. ولعل دراسة لاتجاهات الشعر في عهد الحماية سوف يوضح ما نقصده بالانتقال الحاصل على مستوى الوظيفة الشعرية في الشعر المغربي الحديث.

3. يمكن حصر اتجاهات الشعر في عهد الحماية في ثلاثة اتجاهات كبرى يندرج تحت كل اتجاه منها مجموعة من التيارات : الاتجاه السياسي الوطني والقومي، والاتجاه الوجداني الرومانسي، والاتجاه التاريخي. ولعل ما يوحد بين هذه الاتجاهات كلها هو كونها مشربة بحس النضال ضد المستعمر.

أولا : الاتجاه السياسي الوطني والقومي : وهو اتجاه شعري ارتبط فيه الشعر بكلمة الوطن كمدلول سياسي جديد، اكتسى في السياسة الدولية في مطلع هذا القرن أهمية بالغة تنبع من كون العلاقات بين الدول صارت تقوم على أساس احترام الأوطان وسيادة الشعوب. ولقد أحس الشعراء المغاربة بضرورة الدفاع عن وطنهم وكيانهم السياسي عندما امتدت إليه أطماع الاستعمار الأوروبي.

وكانت أهداف الشعر الوطني في هذه الفترة متمثلة في توعية الشعب، وإيقاظ النفوس وشحذ العزائم والدعوة إلى الحرية والعيش الكريم في ظل مبادئ الديمقراطية والعدالة.

وقد طرق شعراء الاتجاه السياسي الوطني والقومي موضوعات أهمها ما نشير إليه الآن :

موضوع الإصلاح الديني : كان الاستعمار يسعى بكل الوسائل إلى تخريب الدين ومظاهره الأصيلة في المجتمع المغربي. ولهذا الغرض، جَنَّدَ طاقات هائلة وشجع مظاهر الشعوذة والابتداع فأحس الشعراء بضرورة تصحيح الوضع الديني، ونددّوا بالتخريب الاستعماري في هذا الأجانب.

موضوع الإصلاح الاجتماعي : وضع الشعراء المغاربة قصائد يبشرون فيها بوضع اجتماعي جديد. لا سيما أن الأزمة الاجتماعية بلغت أوجها بفعل ما خلقه الاستعمار من فرص الصراع بين الفئات من جهة، وبسبب الصراع القائم بين أنصار المحافظة وأنصار الليبرالية في المجتمع.

وقد ركّز الشعراء في موضوع الإصلاح الاجتماعي على عنصر المرأة حيث دعوا إلى تعليمها وتثقيفها من أجل تحقيق شروط نهضة اجتماعية كاملة. كما ركزوا على موضوع العلم، باعتباره قيمة تحقِّق للأوطان كرامتها واستقلالها الفكري والثقافي. لاسيما أن الاستعمار ما فتئ يقضي بمختلف الطرق على قيم الثقافة المغربية الإسلامية الأصيلة. وركز الشعراء كذلك على عنصر المواطن العادي، وخاصة الفلاح، الذي كان الاستعمار يسلبه أرضه، ويستخدمه بأبخس الأجور. ولقد كان مثال الفلاح مجسِّدا لفساد النظام الإداري في عهد الحماية، ولتعرض الفئات المختلفة لأنواع من الظلم الاجتماعي الذي كان وراءه الاستعمار. وقد عبر الشاعر علال الفاسي عن وضعية الفلاح في فترة الحماية أصدق تعبير في قوله :

ويحَ هذا الفلاحِ اصْبحَ عَبَداً وغدا عيشه عناءً ونكدا

(*المختار من شعر علال الفاسي*، 164). كما ركز الشعراء في إطار الشعر السياسي الوطني والقومي، على عنصر الحماس وموضوع الجهاد. فجعلوا الجهاد غاية الغايات.

ثانيا : الاتجاه الوجداني الرومانسي : وهو اتجاه، ذاتي رومانسي، إلا أنه متبطّن بوعي وطني. ذلك أن الشاعر المغربي في عهد الحماية لم ينفصل قط عن وطنه مهما قال في الأغراض الذاتية. فقد وصفوا الطبيعة، وحمّلوها من همومهم وأشجانهم ما جعلها تشاطرهم كآبتهم وأحوال نفسياتهم المتدمرة من الاستعمار وطغيانه الذي لا يعرف حداً (*مع الأدب والأدباء*، 20).

وتحدث الشعراء في هذا العهد، عن تجربتهم في المنافي والسجون، فحكوا آلام الذات ومشاعر الوجدان، غير أنها آلام ومشاعر وطنية خالصة، ومهما ارتبطت بالذات

المعدودة للشاعر. فالنفي والموت يهونان في سبيل الوطن (انظر شعرا لعلال الفاسي قاله بعد نفيه إلى إسبانيا سنة 1933، في *المختار*، 21).

ثالثا : الاتجاه التاريخي : وفي هذا الاتجاه، كان الشعراء يقولون الشعر في وصف أحداث تاريخية عرفها المغاربة في عهد الحماية. فكانت هذه القصائد تمزج الوصف بالتحميس وإذكاء روح النضال الوطني، سواء تعلق الأمر بوصف أمجاد الدول المغربية القديمة أم تعلق بوصف أحداث مشهودة في عهد الحماية. (انظر حديثا للشاعر محمد الحلوي عن أمجاد الحضارة المرينية في *ديوانه* أنغام وأصداء في قصيدة بعنوان أطلال بني مرين، 171). وعن وصف الشعراء لحوادث من زمن الحماية، انظر شعراً لعبد الله كنون، يصف فيه حادث الدار البيضاء المشهور والواقع في سنة 1947، في ديوانه *(لوحات شعرية* : 52 ـ 53).

هذا عن الاتجاهات الكبرى للشعر المغربي في عهد الحماية، وهي اتجاهات يجمع بينها الهاجس الوطني في التعبير. أما إذا تساءلنا عن بعض خصائص هذا الشعر من الناحية الفنية فقد اختصرها بعض الدارسين في السهولة والوضوح والنزعة التقريرية الطاغية، والخطابية السائدة في كافة الموضوعات، وطابع الهدفية الواضح والتركيز على الوظيفة الإبلاغية في التعبير *(أحاديث*، 68).

كما حرص الشعراء في هذه المرحلة من تاريخ المغرب على صفاء اللغة وسلامتها، واستعمال بعض الكلمات الجديدة كالنهضة والتقدم والعلم والحرية والاستقلال والوطن وغيرها من التعابير الموظفة في إطار الصراع مع المستعمر *(الشعر الوطني المغربي*، 202 ـ 203).

إذا كان الفن الشعري قد عرف نضجا واضحا في عهد الحماية، فإن الأدب المغربي في هذه المرحلة عرف ظواهر نثرية أخرى كانت تعيش مرحلة الطفولة أو البدايات كفن المقالة وفن القصة وفن الرواية وفن المسرح وسوف نخصص لهذه الفنون الأدبية الناشئة في عهد الحماية الحديث الآتي :

- من فن المقالة إلى فن القصة : في الجانب النثري ظهر تحول في الكتابة النثرية ومن أبرز كتاب النثر الأدبي في عهد الحماية، في فن المقالة والقصة عبد الحفيظ الفاسي، ومحمد الجزولي، وأحمد النميشي، ومحمد السليماني، ومحمد حركات، وأحمد سكيرج.

وقد كان الفن القصصي في بداياته ميالا إلى المحافظة على الصور الفنية لنثر المقامة وإن زاوج بعض الكتاب بين أسلوب المقامة وأسلوب المقالة في كتابتهم، كمحمد بوجندار ومحمد السليماني وأحمد النميشي. وقد تحرر هؤلاء من قيود البديع والمحسّنات البيانية في نثرهم بحيث وضعوا أسسا جديدة لكتابة نثرية لم تكن معهودة قبلهم في الأدب المغربي، وهي الكتابة الصحافية وفن المقالة الحديثة بأنواعها المختلفة.

وإذا كانت الكتابة القصصية قد استفادت من تطور الكتابة الصحافية وكتابة المقالة، فإن بعض عناصر الكتابة النثرية في المقامات، قد ساهمت في بلورة بعض جوانب الكتابة النثرية في فن القصة. إذ إن عناصر الأحداث والشخصيات والعقدة، لا تنفرد بها القصة كفن أدبي، وإنما كانت بعض المقامات الحديثة في عهد الحماية تحتوي على هذه العناصر كمقامة (الحمّام) لابن الطيب العلمي، ومقامة (الافتخار بين العشر الجوار) لعبد المهيمن الحضرمي *(النبوغ*، ج. 2 : 223).

مهما كانت الفنون النثرية القديمة تحتوي على بعض عناصر الفن القصصي، فإن هذا الفن لم تكتمل صورته إلا بعد تأثر الأدباء المغاربة بالفن القصصي في البلاد العربية والأوروبية على السواء، حيث ظهرت القصة كنوع أدبي جديد وكقناة للتعبير عن شروط الحياة المعاصرة. ومن أوائل القصاصين في المغرب في عهد الحماية : علال الجامعي وعبد الله إبراهيم وعبد الرحمان الفاسي. ويمكن التمييز بين عدة اتجاهات قصصية في عهد الحماية بالمغرب :

1. الاتجاه الرومانسي : وهو اتجاه يمجّدُ الماضي المغربي العريق، ويدعو أصحابه إلى الانكفاء على الذات والحديث عن أشجانها وآمالها، وكانت قصص هذا الاتجاه بعيدة عن المعاناة الواقعية والنضال ضد الاستعمار.

2. الاتجاه التاريخي الواقعي : وهو اتجاه يميل إلى الواقعية في الوصف. وتضم قصص هذا الاتجاه القصص السياسية والاجتماعية، ومن رواد هذا الاتجاه عبد المجيد بن جلون ومحمد الخضر الريسوني وعبد الكريم غلاب.

3. الاتجاه التأمّلي الفلسفي : وهو اتجاه مال أصحابه إلى التحلل من ربقة الواقع وقيوده، والخروج إلى فضاء الفلسفة وأجوائها التأمّلية.

ومن أبرز القضايا التي أثارتها قصص هذا الاتجاه قضايا الحرية والضمير والوجود الإنساني. والعلاقة بين الفكر والواقع، وغيرها من الموضوعات التي تنزع نزوعا فلسفيا واضحا. ومن رواد هذا الاتجاه ، عبد الكريم بن ثابت وعبد الكريم غلاب وأحمد بناني وعبد المجيد بن جلون *(فن القصة*، اليابوري، 117).

ويمكن القول إجمالا بأن الفن القصصي في المغرب عرف مرحلتين متميزتين في تاريخ الأدب المغربي في عهد الحماية هما :

1. من سنة 1905 إلى 1939 ظهرت أوليات الإبداع القصصي في المغرب، وكانت قصص هذه الفترة إرهاصات فقط *(القصة المغربية*، عفيفي، 18).

2. من سنة 1940 إلى سنة 1950، ازدهرت القصة المغربية الحديثة، وصارت من الناحية الفنية أجود من سابقتها *(القصة المغربية*، 20).

وأما من ناحية الأسلوب فقد تأثرت القصة في بداياتها في عهد الحماية، برواسب الكتابة النثرية القديمة، كشيوع المحسنات البديعية والميل إلى أسلوب التقرير المباشر *(فن القصة القصيرة*، 66).

إن هذا السير الوئيد الذي عرفته القصة في أدب المغرب

في عهد الحماية، عرفه فن نثري آخر هو فن الرواية كما سيظهر من الحديث الآتي :

من أدب الرحلة إلى فن الرواية : كان فن الرحلة، مشهورا في الثقافة المغربية منذ القديم. وفي عهد الحماية انساق المغاربة وراء هذا الهوى في التأليف الأدبي، فكتب أحمد الصبيحي رحلته الحجازية سنة 1916، وتبعه في هذا الصنيع محمد دينية في سنة 1917، وسار على نهجهما كتاب آخرون منهم محمد بن يحيى الصقلي الذي وضع رحلة سماها *"وداعا وإلى الملتقى"* سنة 1928، وإدريس الجعيدي في رحلته *الحجازية* سنة 1930 (*فن القصة*، اليابوري، 141).

وكانت هذه الرحلات تتأرجح بين الوصف الدقيق لطريق الحج أو مناسك الحج، وبين الاستطرادات المتعلقة بوصف شؤون السياسة والاقتصاد والدين والثقافة في البلدان التي يمر منها ركب الحجاج في الرحلة.

ونظراً لغزارة المادة في هذه الرحلات، استحقت أن تكون بدايات لفن الرواية الذي تطور في الكتابة الأوروبية، مستفيدا من تقنيات كتابة الرحلة والقصة ومطوِّراً أدواته الخاصة.

الرواية كفن أدبي ناشئ : يصعب الحديث في عهد الحماية عن أدب روائي مغربي، بالمعنى الكامل لمصطلح "رواية" "Roman" ذي الخصوصيات الكثيرة، التي تميّز بها هذا الفن في الأدب العالمي.

والرواية كفن أدبي، تنشأ في المجتمعات التي طبعتها تطورات مختلفة على جميع المستويات المتعلقة ببنياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما يقول منظرو هذا الفن الأدبي لوكاش (J. Luckas) في كتابه : (*Théorie du roman*). وبما أن المغرب كان يعيش في عهد الحماية، ظروف القهر والاستعباد ومصادرة الحريات العامة والخاصة، فإن بنياته الاجتماعية والسياسية والثقافية لم تكن مؤهلة لإبداع الفن الروائي واحتضانه، وتبنيه كوسيلة تعبيرية جديدة. غير أن بعض الدارسين يتحدث عن البدايات الروائية في المغرب في عهد الحماية، وذلك اعتمادا على عمل روائي يتيم في هذا الباب، هو رواية *وزير غرناطة* لعبد الهادي بوطالب التي ظهرت سنة 1950، وهي رواية تاريخية، تناول فيها المؤلف حياة لسان الدين بن الخطيب ونشاطه المتنوع في مجال السياسة والديبلوماسية والإبداع الشعري والنثري. وفي سياق الحديث عن حياة ابن الخطيب كان المؤلف يتحدث عن أوضاع المغرب والأندلس في عهد المرينيين في المغرب، وبني نصر في غرناطة الأندلسية (*فن القصة*، اليابوري، 150).

ويبدو أن الحديث عن الفن الروائي قبل الاستقلال، هو حديث تعترضه كثير من الصعوبات الناجمة عن خلو الساحة الأدبية من هذا الفن باستثناء العمل الفريد الذي أشرنا إليه سابقا، ومن الصعب تبين ملامح الكتابة الروائية من خلال عمل واحد، لا يمكن أن يمثل مرحلة عهد الحماية والصراع ضد المستعمر تمثيلا حقيقيا.


ع. گنون، *أحاديث* ؛ *ديوان لوحات شعرية* ؛ *النبوغ المغربي في الأدب العربي* (3 أجزاء) ط. 2، 1961 ؛ ع. العروي، *أزمة المثقفين العرب*، تعريب الذوقان قرقوط ؛ م. الحلوي، *ديوان أنغام وأصداء* ؛ إ. السلمي، *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية 1912 ـ 1956* ؛ ز. الكتاني، *الصحافة المغربية نشأتها وتطورها* ؛ أ. اليابوري، *فن القصة في المغرب* (1914 ـ 1966) ؛ أ. المديني، *فن القصة القصيرة بالمغرب*، دار العودة بيروت (د.ت) ؛ م. ص. عفيفي، *القصة المغربية الحديثة*، الدار البيضاء 1961 ؛ م. السليماني، *اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب*، الرباط 1971 ؛ أ. زياد، *لمحات من تاريخ الحركة الفكرية في المغرب* ؛ *لجنة من حزب الاستقلال* ؛ *المختار من شعر علال الفاسي*؛ ع. غلاب، *مع الأدب والأدباء* ؛ ص. العقاد، *المغرب العربي دراسة في أوضاعه السياسية والاجتماعية والاقتصادية*.

A. Laroui, *Histoire du Maghreb*, T. II. Petite Collection Maspéro 1970 ; G. Luckas, *Théorie du Roman*, Ed. (Sociologie et littératures) Ghontier, 1963.


محمد أديوان

**الأدب المغربي في عهد الاستقلال**، يمكن تقسيم الأدب المغربي في عهد الاستقلال إلى مرحلتين : مرحلة تمتد من بداية الاستقلال إلى أواخر الستينيات، ومرحلة تمتد من بداية السبعينات إلى الثمانينيات.

1 . المرحلة الأولى : من بداية الاستقلال إلى أواخر الستينيات.

كانت هذه المرحلة الأدبية محكومة بالمد الوطني التحرري والمد القومي كما مشروطة بالإمكانيات العلمية والمعرفية والفنية المحددة المتاحة آنذاك. وقد عرفت هذه المرحلة أهم التناقضات والصراعات التي أفرزتها الحركة الوطنية المغربية.وللتعبير عن ذلك كان على الأدب المغربي أن يرتاد أشكالاً تعبيرية معاصرة تقوى على الصياغة الجمالية للواقع الجديد.

ومن العوامل التي ساعدت الأدب المغربي في هذه المرحلة : تأسيس جامعة محمد الخامس (1957)، وتأسيس جمعية اتحاد كتاب المغرب (1961) الذي سيلعب دوراً هاماً في ترسيخ الأدب المغربي المعاصر، وظهور بعض المجلات المغربية مثل *دعوة الحق* (1957) ومجلة *آفاق* (1961) ومجلة *أقلام* (1964) و*مجلة للقصة والمسرح*، ومجلة *أنفاس* (souffles). وكذلك ماكان يصل إلى المغرب من مجلات شرقية تهتم بالأدب العربي المعاصر كمجلة *الآداب*... والدور الذي لعبه بعض الأدباء المغاربة الذين درسوا بالمشرق العربي ثم الدور الفكري الذي كان للفلسفة الوجودية والالتزام والحرية والفكر الواقعي والاشتراكي الذي كان يصل بين أوروبا وبين المشرق العربي. وسيكون الطابع المميز للإنتاجات الأدبية لهذه المرحلة هو تحكم النموذج بما لهذا الأخير من سبق تاريخي وتراكم معرفي في بعض المجالات الادبية المعاصرة، إلى جانب الاقتداء ببعض النماذج الغربية في ميادين أدبية أخرى كالمسرح مثلاً.

نجد الأدب المغربي التقليدي يواصل ممارسته من طرف بعض الأدباء الذين عاصروا مرحلة الحماية والاستقلال، أو الذين وقفوا في وجه الأشكال التعبيرية المعاصرة، أو لم يقتنعوا بها، فحافظوا بذلك على الإنتاج الأدبي المغربي التقليدي في اللغة والموضوع. وقد وجدوا في مجلة دعوة *الحق* منذ نشأتها منبراً لذلك ، ثم في مجلة *المناهل* فيما بعد. ونذكر من هؤلاء الأدباء عبد الله كنون ومحمد الحلوي وعبد القادر زمامة وعلي الصقلي.

وفي الشعر المعاصر نجد مجموعة من الشعراء الذين وضعوا أسس القصيدة العربية المغربية المعاصرة منذ بداية الستينات، نذكر منهم : أحمد المعداوي (المجاطي) ومحمد السرغيني ومحمد الخمار (الكنوني) وعبد الكريم الطبال و أحمد صبري و محمد الميموني وأحمد الجوماري وعبد الرفيع الجوهري. وقد استطاع هؤلاء الشعراء أن يواجهوا الذين كانوا يقفون ضد القصيدة المعاصرة ويثبتوا أقدامها. وقد تأسست جمعية أصدقاء المعتمد بشفشاون (1965) لتحتضن كل سنة مهرجان الشعر المغربي المعاصر. وبعض أشعار هذه المرحلة لم تُجمع في دواوين خاصة إلا في المرحلة اللاحقة. ولازال جزء منها في المجلات والجرائد فإن كانت القصة القصيرة هي الجنس الأدبي المعاصر الأنسب للواقع المتشتت فإن القصة المغربية ستعرف في هذه المرحلة ممارسة هامة وجدت في الصحيفة والمجلة مكاناً مناسبا لها، لمواصلة ماعرفه الأدب المغربي من هذا الفن منذ الأربعينيات. ومما ميز القصة في هذه المرحلة هو نزوعها الواقعي الذي يحاول تسجيل الواقع وتصويره بلغة لها جماليتها المباشرة ومزيتها أحيانًا، بطرق متباينة بين القصاصين ومن قصاصي هذه المرحلة نذكر : عبد المجيد بنجلون وعبد الكريم غلاب وأحمد عبد السلام البقالي وأحمد بناني ومحمد إبراهيم بوعلو ومحمد زنيبر وعبد الجبار السحيمي ومحمد برادة ومبارك ربيع ومحمد بيدى وإدريس الخوري ورفيقة الطبيعة ومحمد زفزاف وقد ظهرت بعض المجاميع القصصية في هذه المرحلة وأخرى لم تظهر إلا في المرحلة اللاحقة، وقصص أخرى لازالت مبثوتة في المجلات والجرائد .

وفي مجال الرواية لانجد في هذه المرحلة إنتاجا رِوائيًا كثيرا (11 رواية) ومن روائيي هذه المرحلة عبد الكريم غلاب، ومحمد عزيز الحبابي، وأحمد عبد السلام البقالي، ومحمد التهامي وعبد الرحمان المريني، والبكري أحمد السباعي، وخناثة بنونة، وفاطمة الرواي. وفي مجال السيرة الذاتية ظهرت سيرة *في الطفولة* لعبد المجيد بن جلون (1957)، التي تعتبر من النصوص السير ذاتية المغربية والعربية الهامة والتي ركزت هذا الشكل الروائي بعد تجربة *الزاوية* للوازني في الأربعينيات. والراوية المغربية مثلها مثل الرواية العربية عامة لا زالت أسيرة التاريخ الموازي للمؤلف بحيث يغلب عليها الطابع السير الذاتي، ومرد ذلك إلى أن جنس الرواية من الأجناس الصعبة التي تتطلب تجربة طويلة وعناء خاصاً .

أما المسرح فقد تعرف إليه المغاربة منذ العشرينيات من هذا القرن. ولكنه في هذه المرحلة سيعرف ممارسة هامة وتظهر أسماء سيكون لها أثر واضح على المسرح المغربي، وخاصة أحمد الطيب العلج الذي مغرب المسرح الفرنسي، والطيب الصديقي الذي أتقن هذا الفن وأعطاه مكانته في المغرب والعالم العربي. كما ظهرت أسماء أخرى مثل عبد القادر البدوي وزكي العلوي ومحمد تيمور وعبد الله شقرون. ومما يلاحظ على إنتاج المسرح على مستوى النصوص من هذه المرحلة أنه كان قليلاً بالقياس إلى الاقتباس لعدم وجود تراث درامي مغربي صرف. ويمكن أن نجمل القول في أدب هذه المرحلة بأنه حاول أن يرتاد الأشكال التعبيرية المعاصرة إلى جانب الأشكال التقليدية، بل ويؤسس بعضها ويطور أخرى.

2. المرحلة الثانية : من أوائل السبعينيات إلى الثمانينيات.

تعتبر هذه المرحلة ترسيخا وتطويرا للممارسات الأدبية التي عرفتها المرحلة السابقة. ومن العوامل التي ساعدت على الإنتاج الأدبي في هذه المرحلة، نشير إلى ظهور الفكر الانتقادي للممارسات السياسية والاجتماعية والثقافية العربية بعد هزيمة 1967. وظهور بعض الكتابات الرائدة مثل كتاب عبد الله العروي وخاصة كتابه *"الإيديلوجية العربية المعاصرة"* (1970/67)، وما خلف ذلك من نقاشات في بدايات هذه المرحلة.

كما ظهر جيل جديد من الأدباء الشباب المغاربة الذين تخرجوا من الجامعة المغربية، ورغبة هؤلاء في تحديث الأدب المغربي. ثم تأصيل بعض التقاليد الأدبية التي دأبت عليها بعض الجمعيات الثقافية الفاعلة التي اهتمت بالأدب المغربي المعاصر وبالأدب الإنساني *"كالثقافة الجديدة"* *"والزمان المغربي"* و*"الجسور"* و*"المشروع"* و*"البديل"* و*"المقدمة"* و*"خطوة"* و*"دراسات أدبية ولسانية"* و*"التأسيس"* ومجلات كليات الآداب المغربية. و*"الموقف"* بالإضافة إلى *"المناهل"* و*"الثقافة المغربية"*. وكذلك ظهور ملاحق أدبية خاصة في الصحافة الوطنية مثل : *ملحق جريدة العلم* (1969) *وملحق المحرر / الاتحاد الاشتراكي* (1975) *وملحق الميثاق الوطني* (1978) *وملحق البيان* (1982) *وأنوال الثقافي* (1984). كما ظهرت في هذه المرحلة دور وجمعيات مغربية للنشر اهتمت بنشر الكتاب المغربي.

وهكذا ظهر في السبعينيات جيل جديد من الشعراء ساهم في تطوير القصيدة المغربية المعاصر واستطاع أن يكسبها ميزاتها الشكلية واللغوية والجمالية، ونذكر من هؤلاء الشعراء : محمد بنيس وعبد الله راجع ومحمد بنطلحة وأحمد بنميمون، وعلال الحجام والمهدي أخريف ورشيد المومني ومحمد الأشعري وأحمد بلبداوي، وحسن الأمراني وأحمد المسيح الذي اهتم بقصيدة الزجل. وبإنتاجات هؤلاء وغيرهم يكون ديوان الشعر المغربي قد

وجد مكانته ضمن ديوان الشعر العربي المعاصر . وقد ظهرت جل أشعار هؤلاء في دواوين خاصة وأصبح الإنتاج الشعري يمثل الصدارة في الإنتاج الأدبي المغربي، كما ظهرت دواوين بعض شعراء المرحلة السابقة مثل *ديوان الفروسية* لأحمد المعداوي (1987) وديوان : *"رماد هسبيريس"* لمحمد الخمار الكنوني، وديوان *"ويكون إحراق أسمائه الآتية"* (1987) لمحمد السرغيني.

أما القصة القصيرة فقد عرفت بدورها في هذه المرحلة جيلاً آخر من القصاصين الذين أغنوا القصة المغربية بحكم غنى كتاباتهم وتجربتهم لتقنيات جديدة في الكتابة القصصية، كسرت بعض القيود اللغوية والفنية التي كانت تسير عليها القصة من قبل. فوظفوا الأسلوب الغرائبي وكسروا النمط الكلاسيكي للسرد القصصي. ومن هؤلاء القصاصين نذكر : محمد برادة وأحمد بوزفور ومحمد الهرادي وأمين الخمليشي، ومصطفى المسناوي، وإدريس الصغير، ومحمد شكري، وعبد الرحيم المودن، والميلودي شغموم، وأحمد المريني وأبو يوسف طه، ومحمد الدغمومي.

وفي الرواية ظهر بعض الروائيين وظهرت نصوص روائية جديدة. وإذا كان المتن الروائي المغربي لا زال قليلا في حجمه. فإن روايات هذه المرحلة حاولت بدورها أن توظف تقنيات سردية جديدة. وقد ظهرت التجارب الروائية الجديدة عند مبارك ربيع في روايته *"بدر زمانه"* وعند محمد عز الدين التازي في "رحيل البحر" وعبد الله العروي في *"الغريق"* ومحمد زفزاف في"المرأة والوردة" وأحمد المديني في *"الجنازة"* ومحمد برادة في *"لعبة النسيان"* وكذلك تجربة محمد شكري في سيرته الذاتية *"الخبز الحافي"* وفي روائيي هذه المرحلة أيضا، أحمد زياد، وسعيد علوش وحميد لحميداني ومحمد صون، ويوسف فاضل، والميلودي شغموم، وخناثة بنونة.

وفي المسرح ظهرت أسماء جديدة وإنتاجات مغربية حاولت أن تعتمد على التراث المغربي بحثا عن صياغة درامية ذاتية لاتتكىء دائما على الاقتباس. ومن أشهر الكتاب المسرحيين في هذه المرحلة عبد الكريم برشيد الذي ساهم بانتاجاته المسرحية في تطوير المسرح المغربي. ونذكر هنا كذلك أعمال محمد مسكين ومحمد شهرمان وأحمد العراقي وعبد السلام الشرايبي.

أما في مجال الدراسات الأدبية والنقدية فقد ظهرت أبحاث جامعية وكتابات نقدية تناولت الإنتاج الأدبي المغربي والعربي بمستويات مختلفة ومتنوعة من التحليل والتأطير النظري والمنهجي. منها ما سار على المناهج التقليدية في الدراسة الأدبية، ومنها التي اعتمدت على المناهج الأدبية الغربية الحديثة. وفي المرحلة الأخيرة، ظهت دراسات أدبية علمية هامة أعطت للبحث الأدبي والدرس النقدي بالمغرب مميزات خاصة على الساحة الأدبية المغربية والعربية. وتجلى ذلك في الأعمال التي اعتمدت على التحليل البنيوي التكويني والتحليل الشعري والتحليل السيميائي. ونشير إلى أن مجموعة من الابحاث صدرت بهذه المقاربات نمثل هنا بأعمال محمد برادة وأحمد اليابوري وعبد الفتاح كليطو ومحمد مفتاح.


م. أديب السلاوي، *المسرح المغربي من أين وإلى أين؟* وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق 1975 ؛ محمد برادة، *محمد مندور وتنظير النقد العربي*، دار الآداب، بيروت 1979 ؛ حسن بحراوي، *بنية الشكل في الخطاب الروائي محاولة اقتراب بنيوية في الرواية المغربية*، رسالة مخطوطة. كلية الآداب. الرباط 1988 ؛ عبد الكريم برشيد، *حدود الكائن والممكن في المسرح الاحترافي*، دار الثقافة، البيضاء 1985 ؛ إدريس بلمليح، *الرؤية البيانية عند الجاحظ*، دار الثقافة ، البيضاء، 1984 ؛ محمد بنيس، *ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب*، دار العودة، بيروت، 1979 ؛ محمد بنتاويت محمد : *الوافي بالأدب العربي المغربي*، 3 ج ، النجاح الجديدة، البيضاء 1984 ؛ أحمد بوحسن، *الخطاب النقدي عند طه حسين*، المركز الثقافي العربي بيروت - البيضاء 1985 ؛ عبد السلام التازي، الادباء المغاربة المعاصرون، منشورات الجامعة ، 1983 ؛ عباس الجراري، *الأدب المغربي من خلال ظواهر وقضاياه*، ج 1. مكتبة المعارف الرباط 1979 ؛ عبد الكبير الخطيبي، *الرواية*، ترجمة محمد برادة، م .ح .ب.ع الرباط 1971 ؛ محمد الدغمومي، *النقد القصصي والروائي بالمغرب، من بداية الاستقلال إلى سنة 1980*، رسالة جامعية مخطوطة كلية الآداب الرباط 1987 ؛ عبد الله راجع، *القصيدة المغربية، بنية الشهادة والاستشهاد*، عيون المقالات، ج 1 البيضاء 1987 ؛ إبراهيم السولامي، *الشعر الوطني في عهد الحماية*، 12 . 1956، دار الثقافة 1973 ؛ محمد المختار السوسي، *سوس العالمة*، دار بنشرة، البيضاء 1984 ؛ الحسن السباع، *نظرات في القصة والمسرحية في الأدب المغربي*، دار الكتب، دمشق 1975 ؛ أحمد الشرقاوي إقبال، *شاعر الحمراء*... مطبعة الجامعة البيضاء 1964 ؛ عبد الله العروي، *الإيديلوجية العربية المعاصرة*، دار الحقيقة، بيروت 1970 ؛ الصادق عفيفي، *القصة المغربية الحديثة*، مكتبة الوحدة العربية 1961 ؛ سعيد علوش، *الرواية والايديولوجية في المغرب العربي*، دار الكلمة للنشر ؛ نجيب العوفي، *مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية*، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدارالبيضاء، 1987 ؛ عبد الكريم غلاب، *عالم شاعر الحمراء*، دار الثقافة، البيضاء 1982 ؛ أبو بكر القادري، سعيد حجي، دار الثقافة، البيضاء 1982 ؛ محمد الكغاط، *بنية التأليف المسرحي بالمغرب* ، دار الثقافة البيضاء 1986 ؛ عبد الفتاح كليطو، *الأدب والغرابة*... دار الطليعة، بيروت، 1982 ؛ عبد إله كنون، *أحاديث عن الأدب المغربي الحديث*، ط 2 دار النهضة، بيروت 1978 ؛ لحميداني حميد، *الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي*، دار الثقافة، البيضاء، 1985 ؛ محمد مصاين، *النقد الأدبي في المغرب العربي*، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1979 ؛ محمد مفتاح، *دينامية النص*، المركز الثقافي العربي ، بيروت، الدار البيضاء، 1987 ؛ حسن المنيعي، *أبحاث في المسرح المغربي*، مطبعة صوت مكناس 1974 ؛ إدريس ناتوري، *المصطلح المشترك*، دار النشر المغربية، البيضاء 1977 ؛ عبد الجليل ناظم، *الخطاب النقدي بالمغرب حول*

موضوع الشعر، 30 ـ 1980 رسالة مخطوطة، كلية الآداب، الرباط 1987 ؛ مصطفى يعلى، *ظاهرة المحلية في القصة القصيرة المغربية*، رسالة مخطوطة، كلية الآداب، فاس ؛ سعيد يقطين، *القراءة والتجربة*، دار الثقافة ، البيضاء 1985 ؛ أحمداليابوري، *تطور الفن القصصي في المغرب*، 1914 ـ 1966، رسالة مخطوطة، كلية الآداب، الرباط .رأ /5، 1967.

أحمد بوحسن

## الأدب المغربي المكتوب باللغة الفرنسية،

على النقيض من الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية فإن الأدب المغربي باللغة الفرنسية لم يظهر إلا بعد الحرب العالمية الثانية وبشكل أكثر وضوحا خلال الخمسينات. وتعزى هذه الوضعية لنوع الاستعمار الذي لم يكن في الظاهر ذا إرادة واضحة في استيعاب الشعب المغربي بواسطة نشر اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية بشكل منظم (كما كان الحال بالنسبة للجزائر) ومهما يكن فإن أول أثر مغربي يستحق هذا الاسم لم يظهر إلا سنة 1949 (ويمكن الإشارة في هذا الصدد قبل هذا العمل، إلى عملين أدبيين للسيد قدور بن غبريط وهما : *حيلة الإنسان* *La ruse de l'homme* *والزعيم أو تعدد الزوجات العاطفي* *La polygamie sentimentale* وهما لا يتسمان بقيمة أدبية كبيرة. ويمكن أن نشير في نفس المرحلة إلى كتاب *سباق إلى النجم* (1959) للطيب جمري *Course à l'étoile* . إن العمل المشار إليه آنفا هو الذي يستحق اسم أدب مغربي مكتوب باللغة الفرنسية، هو كتاب *سبحة العنبر* *Le chapelet d'ambre* لأحمد الصفريوي والمتبوع بكتاب آخر سنة 1954 عنوانه *صندوق العجائب* لنفس المؤلف، وبكتاب *الماضي البسيط* لإدريس الشرايبي. إن الأول يعني (الصفريوي) بعد عمل آخر هو كتاب *بيت العبودية* سنة 1973 قد صمت نهائيا، في حين أن الثاني (الشرايبي) على العكس من ذلك استمر في الكتابة بحيث يعتبر اليوم أحد الكتاب المغاربة الأكثر تمثيلية أو على الأقل الأكثر عطاء. على صعيد عام يبدو التقليد الجاري هو التمييز في تاريخ الأدب المغربي المكتوب باللغة الفرنسية بين مرحلتين هما : ما قبل 1966 وما بعد هذه السنة، وهو تاريخ ظهور مجلة *أنفاس* التي كان تأثيرها سواء في المغرب أم في باقي دول المغرب العربي تأثيراً محدداً لتطور الإنتاج الأدبي في هذه البلدان. إن هذا التمييز يظل غير قابل للإحاطة به ولذلك لا يمكن لنا إلا أن نتبناه محاولين تصحيح بعض الأخطاء أو الاختصارات التي يتضمنها بالضرورة كل تقسيم يعتمد على ظاهرة التمرحل.

I ـ قبل 1966 إن الكاتبين اللذين يسيطران على هذه المرحلة هما أحمد الصفريوي وإدريس الشرايبي، ولقد كانت أعمالهما منظورا إليها من طرف بعض المنظرين نظرة سطحية، قد اعتبرت داخلة في إطار الأدب الإثنوغرافي أو أدب الاستيلاب (انظر في هذا الموضوع *الرواية المغربية* للخطيبي، *والأدب المغربي باللغة الفرنسية* لجان دوقو، ومنوعات *الأدب المغربي باللغة الفرنسية* ضمن أعمال جامعة باريز الشمال) إن هذه الأوصاف الملصقة بهؤلاء الكتاب تحت تأثير تفكير آني له ارتباط وثيق بالحدث الاستعماري، تبدو (هذه الاوصاف) اليوم في نظر تطور الأدب المغربي بصفة عامة سطحية وموسومة بالاختزال بصراحة.

1 ـ أحمد الصفريوي : إننا نعلم مدى الغموض الذي خيم على أعمال هذا الكاتب، فقد أخذَ عليه اكتفاؤه بوصف واقع الوسط الذي يعيش فيه بعيداً عن أي نية في فضح ألاعيب الاستعمار، وذلك في لحظة من أحسم لحظات الحركة الوطنية. إننا لا ننوي هنا المساهمة في ذلك الجدل الذي استؤنف منذ وقت قصير من أجل رد الاعتبار للصفريوي (انظر لحسن المزوني) ولكننا لا نملك إلا أن نشير إلى أنه في نظر تطور إشكاليات الكتابة في المغرب تبدو صفة إتنوغرافي الملصقة بهذا الكاتب ضعيفة جدا، وعلى الأصح غير دقيقة. إن أعمال الصفريوي تهتم بالتقاليد والمظاهر المتواضعة جدا في الحياة اليومية لهذه المرحلة، وهي أعمال تهيمن عليها نزعة روحية قوية. وعلى المستوى الشكلي يعتبر هذا الكاتب بدون شك أول من سعى إلى استغلال البنيات الروائية للحكاية في أعماله. إن إشكالية من هذا النوع مرتبطة بالمعنى والشكل توجد اليوم بشكل متطور عند الطاهر بنجلون. وبدون المبالغة في التأكيد على أن الصفريوي يتوفر على نظام كتابة يستجيب لمقتضيات الحداثة ؛ يمكن القول بأن الكتابة في عصره كانت أساسا واقعية وأقل ما يمكن أن نقوله هو إن كتاباته تعرب بطريقته الخاصة عن نوع من البحث عن الهوية، وذلك هو الشكل الأساسي للأدب المغربي في تلك المرحلة ولهذا ففي نظرنا ان معاتبة الصفريوي لكونه إثنوغرافيا، إذا جاز أن يكون ذاك عتابا، كانت له أسس هي اعتبارات سياسية أكثر منها اعتبارات أدبية.

2 ـ إدريس الشرايبي : من وجهة نظر مماثلة إن مفهوم أدب الاستيلاب الذي يصنف إسحاق يثيق ضمنه نتاج الشرايبي (خاصة *الماضي البسيط*) يبدو لنا مفهوما غير ملائم لا لهذه الرواية ولا لباقي أعمال الكاتب. (الحسن الموزوني : *الاستيلاب يعني التغريب*) إذا وقفنا عند حرفية بنية الاستيلاب كما يحدده يثيق انطلاقا على ما يظهر من ملاحظات البير ميمي. "*وصف المستعمَر*" : اكتشاف خاص لثقافة الاخرو البحث عن الاستيعاب، ورفض الثقافة الشخصية وكراهية الذات والأصل والحياد ازاء الآخر وازدراؤه، الخروج من الوهم..) إن هذه الخطاطة لا تبدو لنا قابلة للتطبيق على الأقل بطريقة يقلوثية، على رواية *الماضي البسيط* *Le passé simple* في هذا العمل الذي اعتبر في عجالة اتوبيوغرافيا (Le pacte Autobio-graphique) والذي يعيد وصف واقع الكاتب، نجد تشهيرا بالتقاليد الاسروية والاجتماعية المتزمتة والقمعية. وهذا التشهير يشكل الأساس في الرواية في حين أن ثقافة الآخر

تتحول إلى سراب في مظاهرها الاستعمارية. ولنقل جملة وتفصيلا بأننا لا نرى هنا أبدا ذلك الذي يتصف به اريزقي بطل رواية *نوم العادل* لمولود المعمري والذي اعتمد عليه ياثيف، بشكل أساسي كما يبدو، لبناء نظريته حول الاستلاب.

وفي رواية *الماضي البسيط*، على الرغم من العقد الأصم الذي يوحي به الاب لابنه، يسهل تحديد الاعجاب الكبير لهذا الأخير بوضعية الأب وبخاصة فكره النقدي وجلال ونبل نظراته وبعد نظره، وهي الشمائل الحميدة التي ستظهر بشكل واضح في رواية *التعاقب المفتوح* *Succession ouverte* (1962) التي تشكل استمرارا لرواية *الماضي البسيط* *le passé simple*.

كل شيء يدعونا إلى الظن بأن اسحاق ياثيف والنقاد الذين حذوا حذوه (وخاصة جان دوجو) لم يتناولوا من عمل الشرايبي سوى بعض المظاهرالتي وقع استغلالها كثيرا من طرف بعض الجهات الصحافية وبعض الناشرين الغربيين في تلك المرحلة. ومن تلك المظاهر : عنف الأب في الوسط الإسلامي، الهيمنة على المرأة كأم... الخ، والتي صارت لتاً واجترارا للكلام، آل إلي نوع من الهلوسة المريضة

بالنسبة لما بقي من أعمال الشرايبي يبدو من العسير إدخالها بطريقة موضوعية في نموذج التحليل الذي يقدمه إسحاق ياثيف. إذن فنحن مرغمون على التخلي عن التصاميم الجاهزة والتحاليل القبلية، إذا شئنا تحليل نتاج الشرايبي وفق وجهات نظر اخرى.

وهكذا فإن ما شغل الشرايبي منذ عمله الأول : الماضي البسيط إلى آخر أعماله وهو الموسوم *بولادة في الفجر*، *Naissance à l'aube*، هو فيما يبدو التفكير في مشاكل الحضارات الإنسانية والتاريخ. وهذا التفكير تفكير عالمي بعيد عن ترسيخ تصورات منظري الاستيلاب. ويشهد على هذا التفكير العالمي عند الشرايبي روايتاه الموسومتان بـ : *صديق سياتي لزيارتك* (1967)، *وموت في كندا* (1975) وهما روايتان لا تتخذان المغرب إطارا لأحداثهما. كما أن الشرايبي يتحلل من جميع اشكال النزعة الإقليمية الأدبية. لهذا رفض وصفه بالكاتب المغربي المعبر باللغة الفرنسية معتبرا نفسه كاتبا معبرا باللغة الفرنسية بهذه الصيغة فقط (تصريح للشرايبي في لقاء الرباط، أبريل 1986).

يمكن أن ننهي الحديث عن هذه المرحلة بالاشارة إلى أعمال الأخوين بلهاشمي (عبد القادر : *السافرة* *La devoilée* (1952) وأحمد : *الأذن في الخمار* *L'oreille en écharpe* (1954). وهما مسرحيان لم يحظيا في تاريخ الأدب المغربي باهتمام خاص وقد كتب عنهما ف. أ كليمان يقول "هذان الكاتبان ليسَا مهمين، وإنهما يمثلان ما يمكن أن نسميه ارادة ثقافية طيبة... إنهما يكتبان بشكل صحيح وسليم وقد يجيدان أحيانا، إنهما تلميذان نجيبان.

II ـ من سنة 1966 إلى أيامنا : قبل الحديث عن ظهور مجلة *أنفاس* *Souffles* والكتابات التي ظهرت في كنفها، ينبغي الإشارة إلى ثلاثة كتاب هم : محمد عزيز الحبابي، وزغلول مرسي، ومحجوبي احرضان، الذين كانت أعمالهم الأدبية، القيمة في الغالب، تختلف عن تصورات أعضاء مجموعة *أنفاس*، وذلك على الرغم من أن كتاباتهم (الحبابي ومرسي وأحرضان) ظهرت بعد سنة 1966. ويبدو أنهم كانوا يستجيبون لانشغالات وهموم هي ألصق بالمرحلة السابقة منها بالمرحلة التي تلتها.

وهكذا، فإن الحبابي بمجموعته الشعرية الموسومة : *صوتي يبحث عن طريقه* (1968)*Ma voix à la recherche de sa voie* وروايته *الأمل المتشرد* (1972) *L'espoir vagabond* ودراساته، يظهر نوعا من الاضطراب خاصة في البداية، ولكنه مع ذلك يهتم بالمثاقفة L'acculturation ويمنحها محتوى "إيجابيا" بحيث تصير في نظره قادرة على إقامة حوار مع الآخر، وقادرة على التحول إلى تحقيق مهم متبادل، وإقامة تواصل مع الآخر.

أما زغلول مرسي في عمله الموسوم بـ *عن شمس حائرة* *D'un soleil réticent* (1969)، وأحرضان في عمله الموسوم : *ذاك يبقى ذاك* *Celà reste cela* (1963)، فإنهما يعتبران الشعر تعبيرا عن الجمال،ويهتم أولهما بالشكل بينما يركز الثاني على الشكل المقترن بالخيال. إذا رجعنا إلى مجلة *أنفاس* فإنه يمكن القول ـ وبقسط كاف من الموضوعية ـ بأنه لا أحد ينكر اليوم ما كان لهذه المجلة من تأثير على تطور الأدب المغربي بل والمغاربي بأقطار المغرب العربي كلها (انظر في هذا الصدد.,M. Gontard 1981 *Violence du texte* ; A. Tankoul, *Le mouvement poétique et intellectuel de la revue Souffles* : Thèse, 1982.

ففي شهر فبراير من سنة 1966، أسس عبد اللطيف اللعبي مجموعته التي كانت تضم النيسابوري وخير الدين والطاهر بنجلون وعبد العزيز منصوري ويعقوب ياك وإبراهام السرفاتي... وعبد الكبير الخطيبي الذي ساهم في عدد كبير من أعداد مجلة *أنفاس*، على الرغم من عدم انتمائه إليها بصفة رسمية كعضو في هيئة التحرير.

إن المبادئ الأساسية لهذه المجلة، كما تظهر من خلال مواقفها وواقع كتابات أصحابها يمكن اختصارها فيما يأتي:

ـ جعل النتاج الأدبي سلاحا لمحاربة البنيات المتحجرة والمستلبة، سواء كان مصدرها الثقافة الغربية أم الثقافة العربية.

ـ الدعوة إلى كتابة وجمالية جديدتين انطلاقا من الأشكال الأساسية للثقافة الشعبية كالحكاية والرموز والتقاليد الشفاهية والأقوال المأثورة بصفة عامة، وقد نشأ عن تلك الدعوة توجيه جديد للكتابة الأدبية، في ظل التزام مزدوج على مستوى المضمون وعلى مستوى الشكل (وقد ظل هذا الالتزام مستمرا إلى الآن لدى أغلب هؤلاء الكتاب).

هذا التوجيه قد أسفر عن أعمال مهمة، معقدة في نفس الوقت ومغلطة لأغلبية القراء المعتادين على الاستهلاك السلبي للإنتاج الأدبي المنبثق عن التيار الروائي الأوربي الكلاسيكي في القرن التاسع عشر.

إن المظهر المميز لأعمال مجموعة *أنفاس* ولأعمال الكتاب المتأثرين بمبادئها يكمن فيما يُدْعى بالتدليل Signification.

وانظر *La Structure absente*, Mercure de France, 1972 - Umberto Eco, *Gallimard* 1973 - *Pour la poétique* II, Henri Meshomic أي أن معنــى القصـيدة أو الرواية لا يصدر عن المحتوى فقط وإنما عن الشكل أيضا ومن خلال الأدوات اللسانية الموظفة في التحليل.

وبما أن هذه الكتابات تحمل هم التشهير والثورة، فإنها تفصح عن ذلك سواء على مستوى الدال أم المدلول.

1 ـ عبد اللطيف اللعبي : هذه الطريقة في الكتابة تظهر بشكل نموذجي لدى اللعبي. فكتاباته كما يقرر مارك گونتار (نفس المرجع 27. 41) مبطنة كلها بالعنف. وهذا الأخير يظهر في نصوص الكاتب في شكلها ومن خلال مجموعة من الوسائل منها كسر اللغة الشعرية وتراكم الجمل الاسمية والانقطاعات التركيبية... الخ. وباقي الأشياء التي من شأنها أن تمنح القصيدة إيقاعا سريعا وصداميا وفوضويا يفصح عن الموضوعية التي تشكل محتوى النصوص وهي موضوعية التشهير.

وعند اللعبي (كما هو الشأن عند الكتاب الآخرين زملائه في الاتجاه) لا يكمن التدليل فقط في التحديد الدقيق للوسائل اللغوية وإنما يكمن أيضا في تأثيره على جانب الصور وتوظيف بعض المظاهر الأساسية في الثقافة الشعبية مثل : المأثورات الشفاهية، توظيفا خياليا. وتتميز القصيدة عند اللعبي بنوع من الهزل العتيق الذي يثير الجماهير.

وأسلوب التصوير يوجد أيضا في روايته *العين والليل* *L'œil et la nuit*، 1969، التي يحاكي تركيبها من الناحية الشكلية بنية خط السير المتبع مثلا في سرد الأسفار عند كتاب الصوفية.

2 ـ النيسابوري ولوكيرة. نجد هذه الممارسة الهادفة في الكتابة أيضا تحت أحدَ أشكالها أو باقي أشكالها لدى شعراء مجلة *أنفاس* الآخرين، كما هو الحال بالنسبة للطاهر بنجلون في أشعاره الموسومة بـ "*أشجار اللوز ماتت تحت وطـأة جـراحـهـا* *Les amandiers sont morts de leurs blessures* (1976)، حيث يعكس تنظيم اللغة الشعرية موضوعة التشهير وفضح عدد من الحقائق الاجتماعية والسياسية القمعية كجرح المرأة والهجرة... الخ.

وهذا هو الشأن بالنسبة للنيسابوري أيضا في كتبه *أعلى ذاكرة* *Mémoire plus haute*، (1968) وكتابه *ألف ليلة وليلتان* *Mille et deux nuits* (1975). فعنده يواكب التشهير بالحاضر نوعاً من الحوار مع الماضي والتاريخ.

ويدخل ضمن هذا السياق أيضا محمد لوكيرة بمجموعته الشعرية *(الافق من فخار* *L'horizon est d'argile* (1971) *ومراكش* *Marrakech* (1975) *وأغان متقابلة* *Chants superposés* (1976) *والعين المثلومة* *L'œil ébrèché* (1980). وقد حاول لوكيرة أن يُحيي مجموعة من مظاهر الثقافة الشعبية وذلك من خلال استمداد إيقاعاته الشعرية من مختلف التقاليد الموسيقية الشعبية. ولذلك صرح في مجلة *لاماليف* *Lamalif* قائلا : "قد نظمت مقطوعات (مراكش) اعتمادا على أغنية شعبية هي الملحون (...) ونصي الجديد يتأسس من خلال الاستمداد من موسيقى شعبية كالدقة وگناوة، وأنهى المؤلف حديثه قائلا : إنه بالنسبة له يتعلق الأمر بنوع من الفرار ما أمكن بعيدا عن الاستلاب الذي تفرضه عليه اللغة الفرنسية " (عدد 184 غشت ـ سبتمبر 1983).

إن إحدى مزايا حركة مجلة *أنفاس* هو كونها قد بينت أن الالتزام إما أن يكون شاملا وإما أن لا يكون إطلاقا. وهذا المشكل عجز الأدب المغربي المدعو أدب النضال، عن حله في سنوات الخمسينات. ويقول اللعبي عن هذا الأدب : "إن إحدى مفارقاته الظاهرة هي أن هذا الادب كان يذيع وينشر رفض الكتاب الوطنين والثوريين أحيانا في أشكال قديمة وسيطية وأرستقراطية " (مجلة أنفاس ع 5 ص 18).

إن المبادئ الأساسية لحركة *أنفاس* ظهرت بشكل قوي في المجال الشعري على الرغم من كون أصحاب هذه الحركة يرفضون فكرة التمييز بين الأنواع الأدبية، وذلك ربما نظرا لأن هذا "الشيء" الذي يجب تبليغه لا يوافقه نص دون آخر ونظرا أيضا لإيجابية هذا النوع الأدبي أي الشعر في التبليغ.

ماذا عن تطور هذه الحركة الشعرية ؟

إن الشعراء الشباب الذين ظهروا قبل هذه المرحلة كان رصيدهم لا يتجاوز في الغالب نظم مجموعة شعرية أو بعض القصائد المنشورة في الصحافة، في حين أن أصحاب مجلة *أنفاس* تطوروا بصور مختلفة : فالنيسابوري توقف عن الكتابة، وخير الدين ظل وفيا للإشكالية التي انطلق منها. ولكن لم يكن الأمر كذلك بالنسبة للطاهر بنجلون في عمله الموسوم بـ *ما غاب عن الذكرى* *L'insu du souvenir* (1980). واللعبي في عمله الموسوم بـ *شجرة الحديد تزهر* *L'arbre de fer fleurit* (1974) وعمله الموسوم بـ *أخبار قلعة المنفى* *chronique de la citadelle d'exil* (1978) وعمله الموسوم بـ تاريخ مصلوبي *الأمل السبعة* *Histoire des sept crucifiés de l'espoir* (1980) وهي أشعار كتبها في زمن اعتقاله.

هكذا كان مارك گونطار يأخذ على هؤلاء الكتاب تخليهم عن المبادئ الجمالية التي دعت إليها مجلة *أنفاس*، كما أخذ عليهم أيضا انسياقهم وراء الوضوح في كتاباتهم، وهو وضوح يعبر عن التزام إيديولوجي يتجاوب مع هموم تربوية وهو يواخذهم أيضا بما كان اللعبي نفسه يواخذ به

كتاب أدب النضال في المرحلة السابقة عن مجلة *أنفاس*. (انظر المرجع السابق 115 ـ 123)

يشير گونطار إلى أن هذه الوضعية تقودنا إلى وضع نظرية للنص تنطلق من إيديولوجيا مجموعة أنفاس وتنتهي إلى تحليل معرض لها فيما يتعلق بالإنتاج الأدبي. (المرجع السابق 116) ولم يعتمد گونطار في الحكم السابق على التحليل الدقيق لمجموعة من المقاطع في الكتابات المشار إليها فقط، وإنما اعتمد أيضا على التصريحات المباشرة للعبي الذي كتب في *أخبار قلعة المنفى* يقول : "إنني أتساءل كيف استطعت أن أقبل في لحظة ما أن هذا الإنتاج يمكن أن يضيف أي شيء للمعرفة، أو أن يغني الواقع أو أن يخلقه inéditions barbares, 101. وقد توسم گنطار من هذا التوجيه نوعا من الرجوع إلى الأشكال الأكاديمية في الكتابة بل نوعا مما يسميه "خروج الكتابة". وقد استنتج گونطار أن هذه الكتابات تتبرأ من مبادئ مجلة *أنفاس*. وهذا الاستنتاج رفضه اللعبي، فعبر عن ذلك في مقدمة الطبعة الجديدة لروايته *عين الليل* حيث أشار في البداية إلى أنه بدون أن يقصد إلى ذلك وبدون أن يتعمد ذلك ؛ فإنه يعتبر اعادة طبع هذه الرواية جوابا عمليا عن الاتهام الذي ألصق به والذي مفاده أنه تخلى عن كتاباته الأولى الملتزمة. وقد أضاف اللعبي رادا على هذا الاتهام قائلا بأن إنكار الكاتب لعمل من أعمال أو مرحلة من نشاطه الإبداعي ؛ إنما يعني أنه ينظر لنفسه نظرة مشوهة.

إن النقاش لم يحسم بعدُ فيما يبدو، لأنه إذا كانت الطبعة الجديدة لهذه الرواية قد أظهرت تهافت الأطروحة القائلة بأن اللعبي تخلى عن التزاماته وتنكر لمواقفه السابقة فإنها لم توضح قط طبيعة الكتابة المتهمة، لأن اللعبي لم يشرح موقفه من تلك النصوص التي كانت موضوع الاتهام ومثار الجدل. ولا يمكن أن نحصر بصورة نهائية كاتبا في اطار اشكالية معينة لا سيما وانه كائن حر في اختياراته. ويبدو لنا أيضا أن ما تحبل به أشكال الكتابة لا حصر له من الناحية النظرية.

وعلى مستوى آخر، هو مستوى النص الروائي (سواء تعلق الأمر بالروايات، أم الروايات الشعرية)، يحسن بنا أن نلاحظ، أنه بصورة عامة ظلت المبادئ الإديولوجية والجمالية لحركة *أنفاس* لا حية فقط وإنما كانت تغتني بحسب مراحل الإنتاج الأدبي، لمجموعة من الإشكاليات التي أملتها ظروف اجتماعية وثقافية جديدة.

3 ـ محمد خير الدين : انطلاقا من عمله الموسوم بـ *أگادير* Agadir (1967) إلى حدود عمله الموسوم بـ سيرة *اگونشيش وحياته* (1984) *Légende et vie d'Agounchich*، ظل خير الدين وفيا لتصوراته الإديولوجية والجمالية، وظل كتاب *أگادير* بالنسبة له، هو العمل الأساسي، الذي يشكل باقي أعماله امتدادات له، بحيث يمكن أن نقول عنه ما قيل عن كتاب *نجمة* لكاتب ياسين، وهو أنه قد ظل يردد في كتاباته الأخرى ما قاله في هذا الكتاب.

فثبات ممارسته يظهر سواء على مستوى المضمون أم على مستوى الشكل. والالتزام عنده لا يكمن في الصراع من أجل الانتصار لهذه الاديولوجية أو تلك، وإنما يكمن في التشهير الشامل بكل ما يزري بالإنسان أو يقمعه وهو يقول "لا يتعلق الأمر بالدفاع عن إديولوجية خاصة في كتاب معين. وإنما يتعلق الأمر بوضع عمل يحمل الرفض الجذري" *Algérie actualité* n° 135, mai 1968.

وبالفعل فإنه في جميع أعماله يظهر هذا الرفض في صورة إدانة عنيفة وثائرة على ما يحد تفتح الانسان كالسياسة والأسرة والظلم والتقاليد بل والتاريخ البعيد للوطن الذي يستنطقه من أجل فك رموز الحاضر وتحكمه. بل إنه يدين الأسلاف ويدعوهم لتفسير الوضعية، ويعاتبهم على كونهم لم يهيئوا المستقبل كما ينبغي.

يتعلق الأمر هنا بثورة عميقة Viscerale لا تعرف أي لون من التنازل. وهذا هو الجانب الأهم فيها، ويتعلق الأمر أيضا بإصلاح معين : فالأرض والمكان "الجنوبي" Sudique يمارس تأثيرا قويا على محمد خير الدين. وهذا يظهر بوضوح أكثر في عمله السردي الأخير الذي يعود فيه ليستوحي ذلك المكان الذي تحول بفعل الحداثة الطارئة عليه من الشمال. فأمام الحاضر الذي لا يبعث على الأمل، أعاد الأديب الماضي بكل أساطيره وحكاياته.

على المستوى الشكلي، يعتبر خير الدين، وبدون شك الكاتب المغربي (ومعه نبيل فارس في بعض أعماله) الذي خرق حدود الأنواع الأدبية، وتعامل بحرية مع البنيات السردية الكلاسيكية. فالشعر والسرود، والمقاطع المسرحية، والدراسات، تتدافع وتتقاطع في أعماله مغلطة لأكثر القراء نباهة.

أما على مستوى المضمون الذي لا يكون واضحا دائما، فإن الكاتب يستمده من السيرة الذاتية، أو الخيال. ويتميز خير الدين بميل شديد إلى أسلوب التصوير.

4 ـ عبد الكبير الخطيبي : كان الخطيبي يتبع تجارب مجلة *أنفاس* باهتمام بالغ. وكان بدوره مساهما فيها. غير أنه تميز تدريجيا بصياغته نوعا خاصا من التفكير في قضية الهوية، التي ظلت مثار اهتمام جماعة *أنفاس*، فميزة الخطيبي قد ظهرت بوضوح بعد نشره لعمله الموسوم : *الذاكرة الموشومة* (1971) *La mémoire tatouée* الذي لا يشكل مقاربة أصيلة لقضية "السيرة الذاتية" فقط، وإنما يمثل نوعا من "العمل ـ البرنامج" المحتوي على إرهاصات لسائر موضوعات أو انشغالات الكاتب كذلك. وهي موضوعات وانشغالات طورها الكاتب في كتاباته الأخرى، كقضية الثقافة الشعبية التي ستشكل محور كتابات الخطيبي الأخرى : *الاسم العربي الجريح* (1976) *La blessure du nom propre* وقضية الإديولوجيا في أعماله (1974) *Vomito blanco*، *والمناضل الطبقي على الطريقة الطاوية* *Le lutteur de classe à la manière taoiste* (1977)، *والمغرب بصيغة الجمع* (1983) *Maghreb pluriel*،

وقضية الهوية والاختلاف والازدواجية اللغوية في أعماله ككتاب الدم *Le livre du sang* (1979)، *الحب المزدوج اللغة* *L'amour bilingue* (1983). ونظرا لأهمية المكانة التي يحتلها الخطيبي في الحقل الثقافي المغربي والمغاربي، فإننا سنقدم هنا ملخصا عن بعض مواقفه الفنية والثقافية، كما تظهر لنا من خلال روايته *الذاكرة الموشومة* وروايتيه : *كتاب الدم والحب المزدوج اللغة*.

في *الذاكرة الموشومة* يمكن أن نقف على عدد كبير من الاستعمالات والتقنيات في الكتابة الحديثة بالمغرب، مثل نظام التعميم النصي والسيامة الاستعارية. L'ordination métaphorique بالإضافة إلى بعض الاستعمالات والأشكال الجمالية المشهورة عند العرب مثل، أسلوب السخرية، (انظر : *L'auteur et son double*) وتقنيات الحكاية الشعبية، وتنظيم المادة الاتوبيوغرافية على طريقة الكتابة الصوفية).

إن هذا المزج بين هذين الصنفين من الوسائل الفنية المنحدرة من ثقافتين مختلفتين، هو الذي يمنح للكتاب دلالته الحقيقية : إن المشروع الأتوبيوغرافي قد نظر إليه باعتباره تيهانا بين مظاهر الثنائية التي غيرت شخص الكاتب وحياته.

إن هذا التفكير، له استمرارية في عمل الخطيبي الموسوم بـ كتاب الدم حيث رد الكاتب الاعتبار إلى نفس المظاهر الثقافية معتمدا من جهة على البنية الصوفية لمفهوم "التوحيد" أي تحقيق الوحدة في الألوهية، ومن جهة أخرى، على الأسطورة الغربية : الخنثى L'androgyne من أجل توضيح العلاقات الجدلية بين الهوية والاختلاف. وذلك من خلال حكاية *"ملجأ الذين لا يجدون من يعزيهم"* *L'asile des inconsolés* التي تشكل محور الحكاية في الرواية.

وقد لاحظ الخطيبي في النهاية، أنه لا يمكن أن "نفصل الاختلاف عن الهوية، أو بتعبير آخر، إن الهوية الكاملة لن توجد بدون اختلاف".

وهذه الطريقة ذاتها في تشغيل الخيال الدال وذي المغزى، نجدها مستعملة في كتاب *الحب المزدوج اللغة* وهي هنا مطبقة على المشاكل اللغوية.

ففي هذا العمل وضع الخطيبي بصورة نهائية حدا لتصور (كان مهما إلى حدود زمنه) يرجع إلى ما يُدعى بالتدمير Saccage الانتقامي للغة الفرنسية الذي يكون الأدباء المغاربة من ورائه. ومن آثار ذلك التدمير والخراب ؛ تعبيرهم غير المستقيم ! وقد بين الخطيبي بأن مثل هذا التعبير ليس في الحقيقة سوى نتيجة للغة المزدوجة bilangue (أي مضاعفات الصراع داخل ضمير الكاتب، وهو صراع بين اللغة الأم واللغة الغربية)، وفضّل الخطيبي اعتبار مغاض هذه اللغة المزدوجة متعة. ودعا أيضا إلى الانفتاح على اللغة المتعددة *La plurilangue* من أجل التعرف على فكر آخر، وتجاوز الصراعات.

5 ـ الطاهر بن جلون : يدخل بن جلون بدوره، في هذا الإطار نفسه، من حيث استعماله لمعطيات الميراث الثقافي. ومن الملحوظ أنه يهتم أكثر بالثقافة الشفاهية، وهو يستغل التأثيرات الفنية المختلفة، مازجا بين ذلك كله في انسجام تام مع بعض تقنيات الكتابة الغربية (أو التي اشتهرت بأنها غربية)، وذلك من أجل بناء نظام للكتابة يحمل في طياته مغزى. وهذا النظام يصور واقع البلاد من زاوية التزام الكاتب.

إن الجانبين الأساسيين للثقافة الشعبية، المستغلين من طرف الطاهر بن جلون في كل كتاباته هما تقنيات الحلقة والحكاية.

ـ فتقنية الحلقة توفر للكاتب تعددية الأصوات *plurivocité* التي تسمح له، لا بالاستفادة من آثارها الفنية والاستيتيقية في كتاباته فقط (ومن هذه الآثار : حيوية السجلات الخطابية وتنوعها، والحوارية والجدل...) وإنما تسمح له أيضا، بأن يلتحق بركب تطور التقنيات الحديثة للكتابة، وتبسيط وضع الشخية الروائية، وإنجاز سرد مِجَسِّي (Tentaculaire) ومنفجر.

ـ تعد بنية الحكاية معمقة، لوجهة النظر السابقة، وبنفس الطريقة التي رأيناها في شعرية الحلقة ؛ استعمل الكاتب بنية الحكاية في إطار التصورات الجديدة، في المجال الروائي ـ عكس خطية السرد وذلك باللجوء إلى تعديد المستويات الحكائية والمفارقات التاريحية الدياجيتية (diegétique).

هذان الجانبان، يظهران بقوة في جل كتابات المؤلف، ويعضدهما أسلوب التصوير والمثل المشهور في (الثقافة الشفاهية). وهذه الأساليب توظف للتعبير عن الفترة وهي في نفس الوقت تقنيات خيالية تعكس البعد المرجعي لهذه الأعمال، وذلك على الرغم من محتواها التشهيري والعنيف أحيانا.

هذه هي العناصر الأساسية للنظام الذي يحكم أعمال الطاهر بن جلون فكيف تتوالى هذه الكتابات وما هي الإشكالية العامة التي حاول المؤلف أن يبلورها في هذا النظام ؟.

ـ بصفة عامة، تبدو أصوات الشخصيات متكلمة باسم غيرها، كما أنها تنقسم إلى نوعين : أصوات تمثل الماضي وأصوات تمثل الماضي وأصوات تمثل الحاضر. وهي تعيش في ظل علاقات صراع ظاهر أو خفي.

ـ في إطار إوالية المستويات الحكائية، إن الدياجيتي Le diegétique الذي يرتبط بالحاضر (في الروايات) يتعارض تقريبا دائما مع الميتادياجيتي métadiegétique، المتعلق بالماضي. وكل مستوى تهتم به فئة من الأصوات المطابقة له. وبحسب نفس التركيب structuration، يتعارض فضاءان في الأعمال الأدبية وهما : الفضاء الحضري المرتبط بالحاضر، والفضاء القروي المرتبط بالماضي. إن تداخل هذه العناصر المختلفة يسمح باستخراج النظام العام الآتي : التقابل الضدي، بين الحاضر، فضاء الحضارة والعمران،

والماضي فضاء البداوة. يكمن هذا التقابل في كون الثنائية الأولى قد نظر إليها من زاوية سلبية كئيبة غير مرحة dysphorique باعتبارها مصدرا للظلم والإذلال، والانحطاط... ؛ في حين أن الثنائية الثانية، اعتبرت من زاوية إيجابية ومرحة، (بمثابة مجموعة من القيم مثل : البطولة الكرامة والعظمة وتفتح الإنسان....

ويعكس نظام المؤلف نفسه، هذا التقابل : فهو واقعي مجرد، وقريب من الاستطلاع الصحافي، عندما يتعلق الأمر بالحديث عن الحاضر. وهو شاعري كثير الصور وغنائي، عندما يتعلق الأمر بالحديث عن الماضي.

6 ـ إدمون عمران المالح Edmond Amran El Maleh، التحق المالح مؤخرا بالكتابة، فقد ولد سنة 1917، ولم يبدأ الكتابة إلا منذ سنة 1980. وحصيلة إنتاجه إلى حد الآن، ثلاثة أعمال هي : *المسار الساكن* *Le parcours immobile* *وأيلان أو ليل السرد* : *Aïlen ou la nuit du récit*، *وألف عام ويوم* *Mille ans un jour*. ويشبه المالح الشرايبي من زوايا عديدة، لا لأنهما معا ينتميان إلى نفس الأحداث (فالشرايبي قد ولد سنة 1927). فكلاهما ينقل في أعماله الأحداث والوقائع، وأنما أيضا بسبب القريحة الفنية التي تميزهما معا، وتلك السخرية الهادئة التي يصفان بها الأشخاص والأشياء.

إن أول مركز للاهتمام عند المالح، (كما هو الشأن عند أغلب الكتاب المغاربة بصفة عامة)، هو ذو طبيعة أتوبيوغرافية أي أنه يدور حول السيرة الذاتية.

يقدم لنا المالح شخصيته بعد أن ينفصل عن ذاته الأصيلة، باللجوء إلى ازدواجية في الخطاب. وهو يشبه في صنيعه هذا صنيع ألبرْ ممِّي Albert Memmi في عمله الموسوم : "*تمثال الملح*" *La statue de Sel*، منفتحا على الثقافة الفرنسية، ومحافظا في الوقت ذاته على جذوره، وهو يختلف في ذلك مع ممي. فاليهود والمسلمون قد اجتمعوا ـ في جماعة ـ واحدة ومنذ ذلك الحين، ظهرت اليقظة السياسية وضرورة النضال ضد الاستعمار، والانتماء إلى الحزب الاشتراكي، وبدأت الحياة السياسية السرية للمناضل والاختلافات الضرورية مع العناصر الفرنسية للحزب التي لم تكن لتفهم المطالب الوطنية لزملائها المحليين (انظر Frantz Fanon, *Les Damnés de la terre*) وعلى هامش هذا المسار السِّير ـ الذاتي، الذي تمت إعادته بصورة متقطعة ؛ يوجد كشف لخفايا المجتمع الاستعماري، والتدابير والرهانات السياسية في تلك المرحلة.

غير أن أهم ما يلفت النظر في أعمال المالح، هو كونه، قد قدم شهادة نفيسة جدا عن حياة اليهود المغاربة الذين عاشوا سواء في المدن أم في المناطق الجبلية النائية. إننا نرى هؤلاء اليهود المغاربة الذين لا يعرف جلهم كلمة من العبرية ـ (وبعضهم يجهل حتى اللغة العربية الدارجة، ولا يتحدث إلا بالبربرية) ـ ، يعيشون وفق إيقاع تقاليدهم العريقة، متمسكين بشكل متين جدا بأحيائهم وأراضيهم وحياتهم المطبوعة بالنشاط والجدية في العمل. وهذه الروابط قد رسختها قرون طويلة من التاريخ. هذه الروابط هي التي ستنقطع بعنف في يوم هو ذلك اليوم الذي اسرعت فيه المنظمات الصهيونية بتهجير اليهود إلى أرض فلسطين المحتلة. مهددة اليهود بمختلف الوسائل بما فيها التهديد المباشر والمساومة.

ولقد استطاع المالح أكثر من غيره من الكتاب أن يستنتج الآثار الناجمة عن ظاهرة الازدواج اللغوي التي حللها الخطيبي. وعلى العكس من الاستعمال الذي هو فولكلوري شيئا ما، لبعض الأمثال والأقوال المأثورة أو بعض الكلمات أو الصيغ الدارجة، عند الطاهر بنجلون ؛ فإن المالح يقحم هذه العناصر بقوة في تعبيره الأدبي بحيث يتحول النص تحت ثقلها تحولا ملموسا. ويظهر من جراء ذلك تنوع التعبير في مواطن مختلفة من النص يصعب اختزالها، إذ أن هذه التظاهرات اللهجية، تشكل بؤرا ترصع النص بمجموعة من المظاهر لخيال يصعب صياغته باللغة الفرنسية.

أما بنية أعمال المالح، فهي تتميز كما هو الشأن عند الكتاب الآخرين، بكونها بنية هدمية، تقطيعية. وهما صفتان تشبهان في هذا المستوى، الإشكالية العامة المنبثقة عن جماعة *أنفاس*.

7 ـ عبد الحق سرحان، أحد المغاربة الروائيين الشباب، ذو مهارة، يهتم بالاتجاه الجديد للأدب المغربي (وذلك ربما لتعميقه، وهذا ما نتمناه). ولد سنة 1950. ولم ينتج إلى الآن، سوى عملين روائيين هما : *مسعودة* *Messaouda* *وأطفال الأزقة الضيقة* *Les enfants des rues étroites* فعلى مستوى الموضوعات، لم يات الكاتب بعد بجديد، وكل ما عنده الآن : رفضه لبعض التقاليد، ورفض السيطرة على المرأة، والثورة ضد الأب، وتصوير عالم الطفولة المتروكة لنفسها دون رعاية... وقد سئل سرحان بصدد هذا الموضوع، فأجاب، بأن هذه المشاكل تؤثر دائما في مجتمعنا، وينبغي للكاتب الذي يحس بها بحدة، أن يعالجها (أن يقضي عليها في نفسه)، قبل أن يلتفت إلى شيء آخر.

وهذه الموضوعة قد عولجت من طرف السابقين بما فيه الكفاية ولكنها قد أخصبت ببراعة من طرف سرحان بواسطة التعبير (الخاطف) لخيال تظهر فيه الأساطير والأوهام المكونة للغفايا (المقنعة شيئا ما) للإنسان المغربي.

وإذا كان سرحان أقل تمثلا لهذا البعد من التونسي عبد الوهاب مدِّبْ في روايته *الطلسم* *Talismano* ؛ فإن هذا البعد هو أكثر ضبطا من الناحية الفنية عند سرحان، مما هو عليه عند الطاهر بن جلون الذي يحشو به نصوصه بطريقة غير مهذبة، فيكون ذلك مصدر إزعاج وارتباك.

في نهاية هذا النص عن الأدب المغربي باللغة الفرنسية بم اختم الكلام ؟

إن ما يظهر للوهلة الأولى، بشكل جلي، هو أنه قد آن الأوان، لإعادة النظر في بعض التصورات النقدية لهذا الأدب، لا سيما تلك التصورات التي تواثرت إلى هذا العصر، دون أن تخضع لاختبار، وهذه التصورات تميل (حتى بعد مرور ثلاثين سنة على الاستقلال) إلى اعتبار ممارسة الأدب المغربي أو المغاربي، بصفة عامة، بمثابة جواب (وربما ردّ فعل) على الحدث الاستعماري. إن مثل هذا التصور قد كان له بدون شك أساس واقعي في المرحلة المعنية، ولكنه أساس لا يكفي لتفسير كل شيء. والدليل على ذلك مثلا، ممارسة الازدواج اللغوي المعلل من طرف الخطيبي والذي تم تأويله بسذاجة من طرف انصار هذا التصور (ونقصد هنا : جاكلين آرنو Jacqueline Arnaud وجون دوجو Jean Dejeux إذ اعتبروه كمجابهة خادعة ضد اللغة الفرنسية. والدليل عل ذلك أيضا معنى التطور الذي عرفه انتاج بعض الكتاب (كالشرايبي)، وهو تطور بين، بالنظر إلى الماضي، إن أعمالهم الأولى ثم تاويلها من زاوية نظر اكثر اتساعا من تلك التي تربطهم بالظرفية الاستعمارية لا غير.

إذن، يصير من الضروري الآن، ان لم نقل نسيان تصورات هذا النقد، فعلى الأقل، الحد من تأثيرها، بوضعها مدة اخرى في السياق التاريخي الذي أنتخبها. وفي جميع الحالات ينبغي نحت نقد جديد يأخذ بعين الاعتبار الجوانب والملموسة للأعمال وإشكاليتها الحقيقية.

وهناك ملاحظة اخرى تفرض نفسها أيضا وهي أننا نشهد نوعا من تجريد مبادئ *أنفاس* الموجهة، من محتواها الدرامي.

إن الأعمال الجديدة تحمل بعدا تشهيريا، بيد أن أهم ما في إشكاليتها يبدو كامنا في تعبيرها عن نوع من التحول (وذلك بواسطة اعادة الاعتبار لبعض مظاهر الثقافة الشفاهية سواء الكلاسكية أم الشعبية) وإحداث هذا التحول، لا يتم في صورة معارضة للثقافة أو الجمالية الغربية، وإنما في صورة جهد يرمي إلى تشغيل الثقافات، وهو جهد واعد بمردوديته الإيجابية (*Légende et vie d'Agounchich* ص 13). في هذا المستوى لم نعد أمام إثبات عدواني للهوية المعتبرة مطلقة، وإنما أمام ظهور تصور للهوية، يقبل الحوار بخصوص معطيات ثقافته في ضوء المكتسبات المنبثقة عن ثقافات اخرى.

إن كل المؤشرات، تدعونا إلى التفكير بأن التطور المستقبلي للأدب المغربي، سيعمق وجهة نظر التفاعل الثقافي، التي تنشد نوعا من العالمية.

A. Kilito, *L'auteur et son double*, éd. Seuil, coll. poètique, Paris 1985 ; F. Fanon, *Les damnés de la terre*, éd. F. Maspero, Paris, 1968 ; P. Lejeune, *Je est un autre*, éd. Seuil, coll. poètique, Paris, 1980 ; A. Laabi, *Chronique de la citadelle d'exil*, inédition Barbares, 1975 ; T. Jemri, *La course à l'étoile*, 1949 ; J. Déjeux, *Littérature maghrébine de langue française*, Ottawa ; éd. Naaman. 1973, reed 1978 ; A. Tenkoul, *Le mouvement poétique et intellectuel de la revue souffles* (soutenue à Aix en provence. 1982 ; G. Genette, *Le nouveau discours du recit*, éd. Seuil, coll. poètique, Paris 1983 ; Laabi, *L'œil et la nuit*, éd. Smer, Rabat 1982 ; P. Lejeune, *Le Pacte autobiographique*, éd. Seuil, coll. Poètique, Paris, 1975 ; G. Genette, *Palimpceste*, éd. Seuil, coll. poétique, Paris, 1982, A. Memmi, *Portrait du colonisé*, payot, Paris, 1973 ; H. Meschomic, *Pour la poétique II*, éd. Gallimard, coll. N.R.F. Paris, 1973 ; A. Khatibi, *Le Roman Maghrebin*, éd. Maspéro, Paris, 1968 ; réed Smer. Rabat, 1979 ; Umberto Eco, *La structure absente*, éd. Mercure de France, Paris, 1972 ; I. Yetiv, *Le théme de l'aliénation dans le roman maghrebin d'expression française*, Sherbrook, Celer, 1972 ; M. Gontard, *Violence du texte*, éd. l'harmattan, Smer, 1981 ; Algérie Actualité n° 135, mai 1968, Lamalif n° 184, Août \ Septembre 1983 ; M. Riffaterre, *in Litterature et réalité*, éd. Seuil, coll. Points, Paris 1982 ; F.A. Clément, *Panorama de la littérature Marocaine d'expression française* in *Actes de l'université de Paris - Nord*, éd. de la francité, Paris 1974 ; Souffles n° 5.

عبد الله ميميس. تر. : محمد أديوان

**أدْخْسانَ**، كلمة بربرية، مفردها أدْخسْ، من معانيها، اللّبأ، وبصيغة الجمع إدْخْسَانَ، بكسر الهمزة : أي اللّباءات. ولعل هذا راجع إلى وفرة قطعان المواشي بالمنطقة، بسبب كثرة الخصب والنماء ؛ الشيءالذي ينتج عنه وفرة المراعي وبالتالي تعدد اللبا.

وقد اعترى اللفظ تصحيف وتحريف. فكتبت، أدْخسَالَ، وأدْخيس ودَخيسانْ (*وصف إفريقيا* 1 : 188 و2 : 267)، (*تاريخ خنيفرة*، 21)، (*الاتحاف*، 5 : 532)، (*الروضة السليمانية*، 63)، (*الترجمان*، 14 ـ 22). وأصبحت تكتب، فيما بعد، على الشكل التالي : أدْخْسَان (*الاستقصا* 6 : 18 ـ 19 ؛ 7 : 58، 80، 81 ؛ 8 : 134 ؛ 9 : 199). وهو الشكل الذي عم مختلف الكتابات المتأخرة، سواء منها العربية أوالاجنبية.

وأدسخان مدشر يقع وسط السهل الفسيح الذي يحمل نفس الاسم، في الاطلس المتوسط الغربي، على بعد حوالى اثني عشر كلم جنوب شرقي مدينة خنيفرة. يعزو الزياني بناء قلعة أدخسان إلى يوسف بن تاشفين. ومن المعلوم أن هذا الاخير بنى عددا من القلاع ، خاصة في دير الأطلس المتوسط ؛ اتخذها قواعد لفتح بعض القلاع البربرية الحصينة. ومن هذه القلاع قلعة فازاز، المعروفة في المصادر التاريخية بقلعة مهدي بن تَوالى اليحْفُشي (*أخبار المهدي*، 50) فقد حاصر يوسف بن تاشفين هذه القلعة تسع سنين دأبا من 456 إلى 465 / 1065 إلى 1073. (*القرطاس*، 141). مما يفضي إلى الاعتقاد أنها كانت قوية، شديدة التحصين. وهذه القلعة تقع شرقي أدخسان، ماتزال بعض أطلالها قائمة إلى الآن، يقول عنها صاحب *تاريخ خنيفرة* : وعهدي بأطلال هذه القلعة الحصينة قائمة إلى سنة 1328" (*تاريخ خنيفرة* 20).

ولعل بناء قلعة أدخسان تمّ من طرف يوسف بن تاشفين، ليتخذها قاعدة، ينطلق منها لتمهيد تلك الجهات؛ سيما وقد حدثت بالمنطقة الانتفاضات التي كانت قلعة مهدي قاعدة لها، في العهدين المرابطي والموحدي (*أخبار المهدي*، 50 ـ 84)، (*القرطاس*، 141). (*العبر*، 6 : 180، 245 ـ 246).

ورغم أهمية أدخسان في الطريق الرابط بين مراكش وفاس، وبين هذه الأخيرة وسجلماسة ؛ عبر الأطلس المتوسط ؛ فإن مصادر العصر الوسيط لاتذكرها (البكري،

البيذق، ابن أبي زرع، ابن خلدون...) وقد يعزى هذا الإهمال لأحد السببين :

1 . شهرة قلعة فازاز، مما يجعل اسم قلعة أدخسان، يأفل ويخفت، إزاء اسم القلعة الشهيرة.

2 . عدم قيام قلعة أدخسان بأي دور لافت للنظر، بالنسبة لكتّاب ذلك العصر، الأمر الذي جعلهم يهملونها.

وأول مصدر يتحدث عنها ـ فيما نعلم ـ هو كتاب *وصف إفريقيا* حيث ذكرها كسهل وكجبل (1 : 20 . 42 . 300 . 2 : 267...) لكنه لم يذكرها كقصبة أوقلعة. مما يبرهن على أنها كانت مهجورة، أوخربة. ووردت لدى مارمول : أدكسوم، أثناء حديثه عن وادي أم الربيع، وهو يخترقه كسهل (*إفريقيا*، 1 : 34).

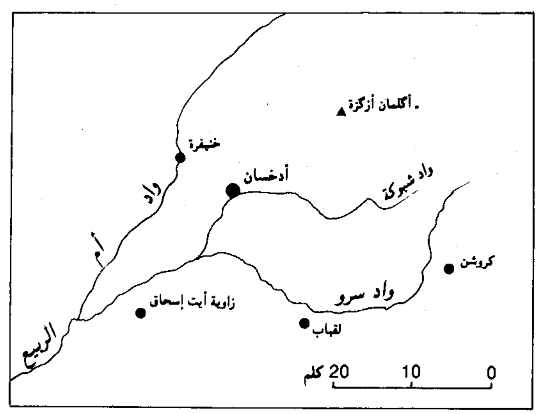


أدخسان

وفي سنة 1019 / 1610 أنزل بها السلطان زيدان محلته لما توجه إلى فاس قصد استرجاعها من يدابن أخيه عبد الله ابن المامون. ويفهم من كلام الافراني أنه يقصد المنطقة لا القلعة (*النزهة* 240) مما يؤكد ماذهبنا إليه أعلاه.

وأثناء قيام السلطان المولى إسماعيل بالحركة إلى جبل فازاز، سنة 1099 / 1688، أقام ببسيط أدخسان، سنة كاملة. وهنالك أمر بتحديد قلعة بمحل القصبة القديمة التي بناها يوسف بن تاشفين وخربت. وترك بها إدالة من ألف وخمسمائة فارس من عبيد البخاري ؛ من أجل تطويق برابرة أيت وُمَالُو، ومنعهم من النزول إلى السهل (أزغار) (*البستان* 36). فأصبحت قلعة أدخسان، منذئذ، قاعدة لمنطقة، حيث رفع السلطان إدالتها إلى أربعة آلاف فارس (*الاستقصا*، 7، 58) . أي أنها أضحت مركزاً متقدما في تلك المناطق. وفي سنة 1104 / 1703 اجتمع بها نفس السلطان بقواده الثلاثة الكبار، أثناء الحركة الكبرى التي وجهها لجبال فازاز.وبها استقبل الوافدين عليه لأداء واجب الطاعة (*الاستقصا*، 7 : 79 . 81).

وبعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل، شهدت منطقة ادخسان اضطرابات واسعة النطاق استوقفت أحد شيوخ الناصريين الذي مر بها سنة 1140 / 1728، في طريقه إلى فاس (*الدرة الجليلة*، 1 : 132) . مما كان له ، بدون شك ، أثر على القصبة السلطانية . وفي سنة 1146 / 1733 ـ 1734، نزلت محلة القائد قاسم بن ريسون الموجهة من قبل السلطان عبد الله بن إسماعيل. لتطويع قبائل أيْتْ وُ مَالو، ببسيط أدْخسان. (*الاستقصا*، 7 : 135) أي أن القلعة قد أضحت مهجورة. ومما يؤكد هذا الرأي مايذكره الناصري. لما نهض السلطان محمد بن عبد الله لغزو أيْت ومالو، سنة 1186 / 1772 ؛ وكان بصحبته أبو القاسم الزياني ؛ مروا بقصبة أدخسان "فلم يجدوا بها نافخ نار" ورغم ذلك فقد أقاموا بها (*الاستقصا*، 8 : 42) وخيم بها السلطان مولاي سليمان أثناء حركته إلى المنطقة سنة 1234 / 1818. لكن لم ترد الاشارة إلى القلعة (*الاستقصا*، 8 : 134) لكن السلطان مولاي الحسن توقف بقصبة أدخسان التي بناها المولى اسماعيل سنة 1305 / 1887 . 1888، أثناء حركته إلى المنطقة، حيث وفدت عليه القبائل لبذل الطاعة وإظهار الخضوع ؛ وتقديم الهدايا للسلطان، والميرة للمحلة (*الاستقصا*، 9 : 199). وتجدر الإشارة إلى أن الصلات قد توثقت بين المخزن وبين هذه المنطقة في عهد السلطان مولاي الحسن، عن طريق حمو والدموحا أو حمو (أو محمد أوحمو) الزياني الذي استصرخ بالسلطان المذكور، على قبيلتي أيْت سْخْمَانْ وأيْت إشقرْنْ، اللتين كانتا تُضيِّقان على سكان سهل أدخسان (*تاريخ خنيفرة*، 46) لذلك جهز السلطان الحركة المشار إليها ووجهها إلى المنطقة. ولعل السلطان، في هذا الاطار، قد سعى إلى تعمير القصبة من جديد، ليترك بها إدالة تدعم القائد محمد أوحمو الزياني. ومما يؤكد هذا الرأي ما أدلى به أحمد بلقاسم الزياني حيث قال: "ولم تزل به الجنود الحسنية تحت قائد الرحي السيد التهامي البخاري إلى سنة 1332" عهدي المولي عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ ؛ خاصة وأن محمد أوحمو قد صاهر السلطان المولى عبد الحفيظ ببنت له تدعى رابحة، تزوجها بعد نصره بمراكش. لذلك فقد ناصر قائد زايان المولى عبد الحفيظ، الشيءالذي مهد له الطريق على قبيلته وعلى بني مْكَيلد وبني مْطير حتى فاس (*تاريخ خنيفرة*، 46).

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ *الذخيرة السنية* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ج. 1؛ مارمول كربخال، *إفريقيا* ج. 1 ؛ م. الإفراني، *نزهة* ؛ م.الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ .الزياني، *الروضة السليمانية* ؛ *الترجمانة الكبرى* ؛ *الترجمان المغرب* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الاجزاء (2 .6 .7 .8 .9) ؛ أ.الزياني، *تاريخ بلدة خنيفرة* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 5.

أحمد عمالك

**إدَّا** بْن عْمار بن مولود، ولد سنة 1928 بالساقية الحمراء، وانضم إلى جيش تحرير الصحراء المغربية سنة 1956. وشارك في عدة معارك ضمن الفرقة التاسعة التي كان مركزها في تافودارت بقيادة صالح بن عسو إلى أن استشهد في معركة الدشيرة سنة 1957.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**أدّادْ**، أو شوك العلك ويسمى أيضا أسد الأرض وقُرْنيحْ، هو أطْرَاكْتيليسْ گُومِّيفيرَا Atractylis gummifere. وهو ينتمي إلى فصيلَة المركبات Synantheraceae.

إنه نبات معمر وعديم الساق، ذو أرومة غليظة ووتدية، تحتوي على سائل أبيض. أوراقه تشبه في الشكل أوراق الخرشوف، شوكية وملقاة على الأرض. أزهاره على هيئة رؤيس يتراوح قطره ما بين 5 و10 سنتمترات ذو زهيرات أرجوانية اللون. قُنَّابه مولد الصمغ ويحتوي على قُنَّابات شوكية.

يصادف أدّادْ في جميع انحاء شمال افريقيا وخاصة في المناطق البيومناخية الجافة وشبه الجافة في أنواع مختلفة من الأتربة.

يعرف أدّاد كنبات يعطي رُؤَيسا وصمغا لهما طعم حلو. أما جذوره فهي تحتوي على مواد سامة كانت السبب في قتل العديد من الناس الذين يتناولون العروق، نظرا لكون مذاقها حلوا مما يسهل استعمالها في الإطعام بالكسكسو وذلك لأغراض اجرامية.

ولهذا فإن أدّادْ هو أخطر النباتات السامة بالنسبة للإنسان المغربي لأنه يقتل العديد من الناس كل سنة.

يستعمل أدّادْ كذلك في التطبيب التقليدي كإيقاف النزيف، وتسهيل الولادة، وضد الهذيان، وللإجهاض، وفي حالات كثيرة من أمراض الجلد. كما يستعمل لتحضير الجبن التقليدي.

R. Négre, *Petite flore des régions arides du Maroc occidental*, C.N.R.S, Paris 1961 ; J. Bellakhdar, *Médecine traditionnelle et toxicologie*.

عبد المالك بنعبيد

**أدّار**، معناه الجرف، وفيه جبل أدّار الذي يظهر فيه جبل صقيلة (البكري، *المغرب*، 84) ويرد اسم مكان لعدة مواقع وعمارات ولا سيما في جهات إمّي نتانوت، ولعل واحدا منها في تلك الجبال التي كانت لهرغة هو المقصود بأدار المذكور في تاريخ الموحدين عندما اعتصم به الرشيد لما فر أمام أنصار يحيا بن الناصر، وقد وصف أدار هذا بأنه كان مخزن مال وذخائر وكان به بنو أمغر : أبو إسحاق وبن أخيه أبو محمد وابن أخته الطالب أبو زيد الگدميوي.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، (قسم الموحدين) ص. 324.

E. Laoust, *Contribution*, p. 31 ; *Répertoire*, p. 148.

أحمد التوفيق

## أدْرارنْ درن ← الأطلس الكبير

**أيْت إدْرَاسْنْ**، هي اتحادية قبلية كبرى، تنحدر أغلب فروعها من مسوفَة، إحدى قبائل صنهاجة اللثام التي كانت قبل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، تضرب في عروض الصحراء الغربية جنوب جبال درن. وقد انشقوا عن القبيلة الأم، في أوائل نفس القرن، واتجهوا نحو الشمال الشرقي ودخلوا جبل درن مع قبائل أخرى شاركتهم في هذا الزحف. وقفنا على هذه الإشارة، عند صاحب *الروضة السليمانية*، في سياق حديثه عن قبائل الأطلس. وفي مخطوط بزاوية سيدي بوكيل، ورد الحديث عن استيطان أيت إدْراسن في أعالي زيز وغريس، منذ أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. (*La vie*, 14 *Pastorale*). وحسب نفس المصدر، فإن هذا القبيل قد وفد على تلك المنطقة قادما من تافيلالت حوالي سنتي (1012. 1013م). وبعد هذا التاريخ، أشار البيذق في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، إلى وجود الإدْرَاسيِّينْ في نفس المنطقة المشار إليها في المخطوط المذكور (*المقتبس*، 55). وكانوا في هذا العهد، يمثلون فرقة من صنهاجة القبلة ضمن جماعة أهل تيارت التي كانت تضم أهل فركلة وتودغة وغريس وملوانة. وكانت مواقعهم، في هذا الوقت، في المصبات الجنوبية للأطلس الأعلى. وعندما خرج عبد المومن الموحدي من تينمل لغزو قبائل الشرق، ونزل بوادي غريس، ذكر البيذق الذي رافقه في هذه الحملة العسكرية، أن «الخليفة» قدم على موطن ملوان (فرقة من أيت إدْراسن)، كانت تنتشر في ذلك الوقت في ضواحي غريس (*أخبار المهدي*، 51).

إن المعلومات والإشارات العابرة الواردة في الحوليات التاريخية وكتابات الرحالين والجغرافيين، لاتمكن من تتبع أخبار أيت إدْراسن بعد رحيلهم من الجنوب الغربي واستقرارهم في أعالي زيز وغريس. فالجغرافي الإدريسي الذي تعرض بالوصف لنواحي سجلماسة، لم يذكر هذا القبيل. واكتفى بالإشارة، إلى وجود قرى متصلة، وعمارات متقاربة، ومزارع كثيرة، على نهر سَجلماسة، ينزل بها أخلاط من البربر، يزرعون الحناء، والكامون، والكروياء، والنيلج (*نزهة المشتاق*، 38). وحتى تاريخ ابن خلدون الذي يعتبر مرجعا هاما في معرفة مواطن القبائل وتفريعاتها، لم يذكر قبيل أيت إدْراسن ولا مكان استيطانهم. إلا أن إشارات وردت في مصادر متأخرة، تفيد أن الإدْراسيين، بعدما انتقلوا من الصحراء، استقروا على ضفاف وادي زيز وغريس، وبنوا القصور وامتهنوا الزراعة والحرف. فقد ذكر صاحب *الإحيا والانتعاش*، عند ترجمته لجده الأعلى يوسف العياشي الذي لانعرف مع الأسف تاريخ ميلاده أو وفاته، أن أيت إدْراسن أيام هذا الأخير، كانوا ينزلون في قصر أيت يعقوب. وحسب نفس المصدر، كان هذا القصر، قاعدة أيت إدْراسن، فيه ينزل عامل المخزن، وتقصده السيارة لعمارته، وتأوي إليه أهل الحرف والبضائع، لحصانته (*الإحيا*، 7) وعند تعرضه لحياة موسى العياشي الذي لم يذكر أيضا تاريخ ازدياده أو وفاته، أشار إلى أن منطقة تازرفت أيام هذا الأخير، كانت تضم قرى كثيرة تنزل فيها قبائل بربرية من بينها فصائل من أيت إدراسن، مثل ملوان، وأيت سادن، وأيت عياش. (*الإحيا*، 8).

فمن خلال هذه المعطيات، يتضح أن أيت إدْراسن، بعد رحيلهم من الصحراء الغربية في أوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، واستقرارهم في أعالي زيز

وغريس، قد تخلوا نهائيا عن نمط عيشهم القديم. وتحولوا من رعاة متنقلين، إلى مزارعين مستقرين، اشتغلوا بالاضافة إلى الزراعة وغرس الأشجار، بالحرف والتجارة. وقد ظلوا على هذه الحال، إلى نهاية القرن السادس عشر، حيث استأنفوا رحلتهم من جديد نحو الشمال الشرقي، بسبب ضغوط مجموعات قبلية أخرى، بدأت في هذا الوقت، بتشكيل الاتحاديات القبلية الكبرى، تحت ضغوط اقتصادية وبشرية. فأمام ضغط بني معقل الزاحفين على واحات ما وراء الأطلس في تنقلهم من الشرق إلى الغرب، وزحف اتحادية أيت عطا التي تكونت سنة 1550، نحو الشرق والشمال تحت ضغط الزحف المعقلي، وأمام تقلص نفوذ الدولة وعجزها عن ضبط الأمور في تلك الناحية من البلاد، اضطر أيت إدْراسن وسكان واحات الجنوب الشرقي عموما، إلى استئناف رحلتهم نحو الشمال. (*آثار التدخل الأجنبي*، 16. 20). لانعرف شيئًا عن علاقة أيت إدْراسن بالسلطة المركزية في العصور السابقة للدلائيين، بسبب ندرة المعلومات التاريخية التي وصلتنا عنهم في الفترة المذكورة. إلا أنه بعد هذا التاريخ، وبعد أن اقتربت فصائل هذه الاتحادية من مركز الحكم، صار الملوك والأمراء، يعتمدون عليهم ويسخرونهم في تنفيذ الكثير من أغراضهم السياسية والعسكرية. فقد أصبح أيت إدْراسن، في إمارة محمد الحاج الدلائي، يشكلون عصبية الدولة وحميتها. وقد أنزلهم هذا الأمير، منزلة خاصة وأسكنهم في مدينة الدلاء. وتمكن بواسطتهم من امتلاك أهم مناطق المغرب لمدة تنيف عن ربع قرن. (*الزاوية الدلائية*، 153).

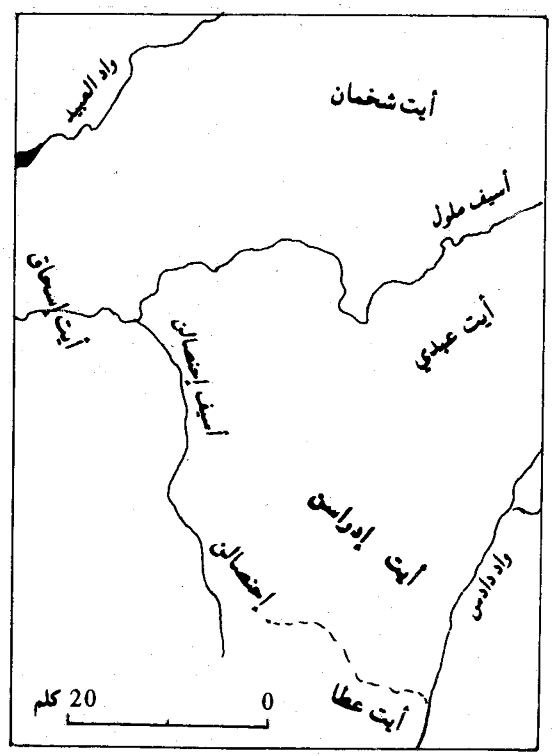


**أيت إدراسن**

أيت إدراسن عضد الدولة العلوية وعصبيتها. قاومت قبائل أيت إدْراسن في بداية الأمر، سلطة المخزن في هذا العهد، ووقفوا إلى جانب محمد الحاج الدلائي وتعصبوا له، وشدوا عضده في حروبه مع السلطان مولاي رشيد. ولم يتمكن مولاي إسماعيل من إخضاعهم، إلا بعد أن جرد على المنطقة عدة حملات عسكرية (*آثار التدخل الأجنبي*، 21). ومنذ ذلك التاريخ، اضطروا إلى الخضوع والاستسلام للقوة الإسماعيلية، وانحازوا إلى المخزن العلوي، وأصبحوا شيعة الدولة وعصبيتها. فصارت هذه الأخيرة، تعتمد عليهم وتسخرهم لتنفيذ أدوارها السياسية والعسكرية في المنطقة. ففي سنة 1104 / 1694 ساهموا في الحملة التي جردها السلطان المذكور لتطويع إخوانهم قبائل أيت أومالو، تحت قيادة علي أو بركة اليموري (*الاستقصا*، 7 : 80). وبعد هذه الحملة، صاروا يشكلون حزامًا واقيا يحول دون نزول قبائل أيت أومالو إلى السهول والهضاب الخصبة، وكانت مواقعهم في هذا التاريخ، تنحصر فيما بين أم الربيع والحوض الأعلى لوادي گيگو وفيما بين منخفض تَگْرَاگْرَا وحوض ملوية العليا.

بعد وفاة مولاي إسماعيل، شايع أيت إدْرَاسْنْ ابنه مولاي عبد الله وناصروه، وشدوا عضده، خلال الحروب والفتن التي أعقبت وفاة أبيه. فكلما تمت تنحيته عن العرش ونصب العبيد غيره من إخوته، كان السلطان المذكور يلجأ إلى حلة أيت إدْراسن الذين أصبحوا يشكلون قوة سياسية وحربية لا يستهان بها، إلى جانب عبيد البخاري وجيش الودايا. وبسبب هذا التأييد، حظي أيت إدْراسن بمنزلة خاصة لدى السلطان. فأجزل لهم في العطاء، وقربهم منه. وفي عهده، انتقلت الرئاسة من أيت إدْراسن، إلى قبيلة بني مطير، بعد أن كانت في عهد أبيه، في قبيلة أيت إيمور. (*آثار التدخل الأجنبي*، 22. 23). وصارت القيادة موقوفة على بيت محمد واعزيز المطيري. وتشيد كل الحوليات تقريبا، بالعلاقة الحميمة التي كانت قائمة بين محمد واعزيز والسلطان عبد الله. وقد بلغت رابطة الود والصداقة بين الرجلين، إلى درجة أن السلطان كان لايخاطب زعيم أيت إدْراسن هذا، إلا بـ : (ياأبتي). (*إتحاف*، 4 : 438). وعندما تولى سيدي محمد بن عبدالله الملك، انحاز إليه أيت إدْراسن وناصروه. إذ هم شيعة أبيه وعصبيته. فأنزلهم على غرار والده، منزلة خاصة. فقد ورد في تاريخ الضعيف الرباطي، أن سيدي محمد قد أدخل هذا القبيل، ضمن ديوان الجيش، إلى جانب أيت إيمور، وأسكنهم بضواحي مكناس. تاريخ الضعيف، 165. وقد اعتمد عليهم السلطان المذكور، وفي عهد مولاي سليمان، صار لأيت إدراسن نفس الشأن الذي كان لهم أيام مولاي عبد الله وابنه سيدي محمد. إذ هم «رعيته وشيعته وشيعة والده من قبله». (*الاستقصا*، 8 : 115) فعندما قامت الفتنة بينهم وبين أعدائهم أيت أومالو، وغدر إگروان بإخوانهم أيت إدْرَاسْنْ، جهز السلطان العساكر وبعث بها لنصرتهم.

(*الاستقصا*، 8، ص 115). وقد لعب محمد بن محمد واعزيز المطيري، نفس الدور الذي قام به أبوه في دولة السلطان عبد الله. فقد تولى هذا القائد، بالإضافة إلى أيت إدْراسن، حكم قبائل آيت أُومالو. وصارت له منزلة كبيرة في الدولة. (*تاريخ الضعيف*، 430) إلا أنه بالرغم من هذه الحظوة غدر أيت إدْراسن في معركة ظيان الشهيرة ( 1234 / 1818) بالسلطان مولاي سليمان، وإنحاز كبيرهم حمو واعزيز إلى أبناء جلدته. وتحالف مع الحاج محمد بن الغازي كبير زمور وسائر أيت أومالو، وتوجهوا نحو مكناس، تحت القيادة الروحية لأبي بكر أمهاوش، والزعامة العسكرية لكل من حمو واعزيز وابن الغازي الزموري، وحاصروا المدينة، واستمروا في قطع الطرق.

فعندما تولى مولاي عبد الرحمان العرش في البلاد وعزم على دخول مكناس، اتفقوا على محاربته ومنعه من دخول المدينة. وقد مكث السلطان في مراكش، ستة أشهر، يدبر الحيلة للوصول إلى تلك الجهة من البلاد. ولم يتمكن من بلوغ هدفه إلا بمساعدة القائد محمد بن يشو المالكي الغرباوي الذي رتب له القبائل من وادي سبو إلى باب مكناس، ويسر دخوله إلى المدينة. (*اختصار الابتسام*، 381) وبمجرد أن استقر في المدينة، واستقامت له الأمور فيها، نقل ملوان وآيت يمور عن بلدهم إلى الحوز، بحيلة دبرها القائد بنيشو. (*اختصارالابتسام*، 381). وبذلك وهنت عصبية أيت إدْراسن وتصدع حيهم وافترقت كلمتهم ولم تعد قبائلهم تقوم أو تقعد تحت لواء واحد.

م. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ أ. البيذق، *المقتبس* ؛ *أخبار المهدي*؛ م. العياشي، *الإحيا والانتعاش* ؛ أ. الزياني، *الروضة السليمانية* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 8 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف* ؛ م. الحجوي، *اختصار الابتسام* ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ ع. كنينح، *آثار التدخل*.

J. Couvreur, *La vie Pastorale dans le Haut Atlas Central*, R.G.M., n° 13, 1968.

العربي كنينح

**أدراق**، أسرة سوسية الأصل، استوطنت مدينة فاس أواخر القرن العاشر أو أوائل القرن الحادي عشر، واشتهر أفرادها بالصلاح والتطبيب. وكلمة "أدراّق" التي غلبت على نسبتهم صيغة شلحية لكلمة "دَرّاق" العربية التي تعني الترياق. أو هي - حسب مؤلف *الإعلام بمن غبر* - تصحيف لكلمة "دَرْق" - مخففة - إذ كان جدهم يصنع التروس قبل أن يشتغل بالطب. وقد يستعاض في النسبة عن الهمزة بالألف واللام فيقال "الدرّاّق" وفي فاس حتى اليوم سوق معروف بسوق الدراقين.

وربما كان أول من تصدر منهم لعلاج المرضى بفاس هو أبو عبد الله محمد أرداق آتي الترجمة الذي طال عمره إلى أواخر القرن الحادي عشر / 17 م. وتوارث آل أدراّق هذا العلم فكان منهم عدد من الاطباء المرموقين انتقل بعضهم في عهد الدولة العلوية إلى مكناس حيث كان منهم الطبيب الخاص للمولى إسماعيل ثم لأولاده وأحفاده.

**أدراق، أحمد** طبيب سيدي محمد بن عبد الله، لم يذكر مترجموه اسم أبيه ونصُّوا أنه ليس من نسل عبد الوهاب أدراق طبيب المولى اسماعيل، وإنما هو من عشيرته الأقربين. وسماه الضُّعيف في *تاريخه* (ص 164) - خطأ - عبد الوهاب أدراق مع أن هذا الأخير توفي قبل بيعة سيدي محمد بن عبد الله بثلاث عشرة سنة، إلاّ أن يقصد اتصاله به أثناء فترة نيابته عن والده مولاي عبد الله بمراكش.

كان لأحمد أدراق منزلة عالية عند السلطان، يطلع إلى بلاطه صباحا ومساء لتفقد أحواله الصحية وأحوال أهل دولته، ويصحبه في الأسفار فتُحمل أمتعته الطبية على أزيد من ثلاثين بغلا. وقد عالج السلطان سيدي محمد بن عبد الله لما نزل به مرض شديد في حركته إلى تادلا وقام بتطبيبه في القصبة التي على نهر أم الربيع إلى أن عوفي فأعطاه ألفي دينار.

لم نقف على تاريخ وفاته.

م. أكنسوس، *الجيش*، ج 1 ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام* 2 : 370 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 9.

**أدراق، أحمد بن محمد** السوسي الفاسي الطبيب ابن الطبيب الشهير أبي عبد الله محمد ووالد الطبيب عبد الوهاب آتي الترجمة. حلاه القادري في *نشر المثاني* (3 : 156) بأنه كان "ماهرا في الطب عارفا بأنواع العلاجات، من وجوه أهل زمانه، ومن أعيان أقرانه". توفي سنة ست عشرة ومائة وألف / 1704 . 1705.

م. القادري، *نشر*، ج 3.

**أدراق، عبد الوهاب** بن محمد بن أحمد السوسي الفاسي، عالم أديب وطبيب ماهر، انتهت إليه رياسة الطب في زمانه "يحق أن يخضع له بقراط فمن دونه، وكذلك ابن سينا وجالينوس، مع همة ووقار، وسمت وعلو مقدار" (نشر، 4 : 53) قرأ على الحسن اليوسي، وعبد السلام بن الطيب القادري، وأخيه محمد العربي القادري، وأخذ التصوف عن الشيخ أحمد بن عبد الله معن، والطب عن والده أحمد وبرع فيه. اشتهر ذكره في الآفاق فقصده الناس للعلاج. وفاق أهل عصره في فروع الطب من مفرد ومركب ونبات. وكانت له حانوت أمام باب مولاي إدريس ياتيه الناس هناك. واستخلصه السلطان مولاي إسماعيل لنفسه لا يفارقه حضراً وسفراً. وكان مضربه ومنزله في الأسفار أعظم من مضرب أكابر العمال. وقد منحه السلطان مولاي إسماعيل مستفاد ميزان العطارين بفاس بظهير مؤرخ في عام 1107 / 1695. كما أنعم عليه بظهير آخر مؤرخ في 4 صفر عام 1137 / 23 أكتوبر 1724 خوّله به جزية يهود مكناس، ثم أقطعه المولى عليّ بن إسماعيل داراً بمكناس (نصوص الظهائر الثلاثة في *الإتحاف*، 5 : 401 . 403) وبعد مبايعة مولاي عبد الله عام 1141 / 1726 أصبح عبد الوهاب أدراق طبيبه الخاص ونال لديه الحظوة التي كانت له عند أبيه.

إلى جانب الطب كان عبد الوهاب أدراق قويّ الملكة في النثر وقرض الشعر، يساجل ويمدح وينشئ منظومات تعليمية وتاريخية وطبية. من مؤلفاته : *أرجوزة ذيّل بها أرجوزة ابن سينا* الطبية. *أرجوزة في الداء* المسمى عند العامة بذات الجنب، ذكر فيها حب الإفرنج، والعشبة وأحكامها. *أرجوزة في صالحي مكناس* على غرار *أرجوزة محمد المدرع الأندلسي* في صالحي فاس. *أرجوزة في المرض الكبير، تعليق على النزهة* لداود الانطاكي. *منظومات صوفية، منظومات في الأعشاب والفواكه*، إحداها في النعناع، *هزّ السمهري فيمن نفى عيب الجُذري*.

توفي عن ثمانين سنة في 28 صفر عام 1159 / 12 مارس 1746 ودفن في روضة سيدي محمد الطالب بالقليعة داخل باب الفتوح من عدوة فاس الأندلس.

م. القادري، *نشر*، 4 : 53 ـ 55 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، 112 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 34 ؛ ع. *الإعلام*، 6 : 541 ـ 543 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 400 ـ 407 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 9.

**أدراق، محمد** أبو عبد الله السوسي الفاسي (الجد). كان فقيها صوفيا يحضر مجالس الشيخ الصالح أحمد بن دريهم (ت 1045 / 35 ـ 1636) ثم صحب بعده الشيخ عبد القادر الفاسي (ت 1091 / 1680) الذي ألف له الكتابين الشهيرين *العقيدة، والفقهية*.

كان محمد أدراق إلى ذلك حاذقا صناع اليد، يداوي المرضى بشطارته دون دراسة لعلم الطب، خاصة الفقراء، ولا يأخذ منهم شيئا. وعالج مرة فقيرا من الصالحين "فدعا له وأمره بصناعة الطب ففتح عليه فيه، وانتفع به الخلق" (*الإعلام بمن غبر*) انقطع محمد أدراق للتطبيب فاشتهر أمره وذاع صيته، وظل على كرمه وحسن خلقه رغم تقدم سنه، فكان عامة الناس يطرقون بابه في الليل والنهار لعيادة مريض منهم، "وربما أخرجوه أكثر من عشر مرات في الليل ومع ذلك لم يسئ خلقا مع أحد".

ترجم القادري في *نشر المثاني* لشخصين سمى أولهما أبا عبد الله أدراق ضمن وفيات عام 1017، والثاني محمد أدراق في جملة المتوفين عام 1090. ولعل ذلك مجرد سهو والمترجم واحد كما جاء عند عبد الله الفاسي في *الإعلام بمن غبر* : أبو عبد الله محمد أدراق. توفي بفاس مطعونا ضحوه يوم الأربعاء سابع ذي القعدة سنة 1090 / 10 دجنبر 1679 ودفن في العصر بازاء سيدي مسعود الدراوي خارج باب الفتوح في سفح مصلى العيد.

ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر* ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 106 و 253 ؛ *التقاط الدرر*.

محمد حجي

**أدركو**، محمد الحاج المراكشي كان فقيها متمكنا يستظهر *مختصر خليل*، وله مشاركة في علوم اللغة وخاصة النحو. أخذ عن جماعة من علماء عصره من أبرزهم أحمد المنجور. وكان حيا سنة 999 هـ / 1590 م. ولا نعرف تاريخ وفاته.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال* 2 : 231 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 180 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية* 9/4.

حسن جلاب

**أدرن ← البلوط**

**أدْرُوتيال** أبراهام، ربِّي أرخ لعملية طرد اليهود من اسبانيا. كان يبلغ من العمر عشرة أعوام سنة 1492 يوم حل بفاس حيث تابع دراسته. له كتاب عنوانه : *تشلوم سفرها ـ قبالة*، واصل فيه كتابة تاريخ اليهود الذي شرع فيه أبراهام بن داود، من 1180 إلى 1525. وذكر أدروتيال أبراهام في مصنفه طرد اليهود من إسبانيا ونزولهم بسلا وأصيلا والقصرالكبير والعرائش. وكذا حفاوة الاستقبال الذي لقوا لدى مولاى الشيخ بفاس ومولاي المنصور ببادس.

كان المؤلف بمدينة فاس واحداً من قادة الجالية اليهودية الملقبة بالمغوراشيم، يعني اليهود الذين طردوا من إسبانيا، وشارك في الخلاف الذي كان قائما بين هذه الجالية وبين اليهود المحليين الملقبين بالبلديين. في موضوع طقوس الذبائح.

طوليدانو، *نير حما عرب* ؛ بناعيم، *ملخ ربنان* ؛ لاريدو، *أسماء يهود المغرب*.

شمعون ليڤي

**أيت إدريس ← إداومحمود**

ابن **إدريس**، أسر تطوانية إحداها شريفة من أولاد ابن عبد الوهاب، وأصلها من قبيلة بني عروس الجبلية ؛ وثانيتها عربية حميرية ؛ وثالثتها شريفة من قبيلة بني سعيد الغمارية.

ومن هذه الأخيرة المعلم أحمد بن إدريس الذي تعاطى حرفة الدباغة بتطوان ثم انتقل إلى مدينة الجديدة حيث أقبلت عليه الدينا وصار ينفق أمواله على العلماء والشرفاء والمساكين إلى أن وافته المنية بالجديدة عام 1308 / 1891.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 10 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuàn* 1921 (I) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (I) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* (I) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (1949) (I).

محمد ابن عزوز حكيم

**إدريس بن إدريس بن إدريس** (المثلث)، ربما كانت ولادته بعد موت أبيه، فيكون أصغر أبناء إدريس الأزهر الاثني عشر، ولذلك لم يذكر له معظم مؤرخي الدولة الإدريسية ولاية حين قسم محمد بن إدريس مناطق المغرب على إخوته بإشارة من جدته كنزة، إلا ابن الخطيب في *أعمال الاعلام* فإنه ذكر أن شالة كانت من نصيب إدريس

الثالث. وحتى هذه الرواية قد تؤيد افتراض صغر سنه لأن شالة مدينة صغيرة بالنسبة للمناطق المخصصة لسائر الإخوة، فيكون ذلك ـ إن صح ـ من باب مراعاة محمد بن إدريس جانب التسوية بين إخوته، عهد بهذه المدينة إلى أخيه عيسى صاحب سلا وأزمور وتامسنا حتى يكبر إدريس ويستطيع تقلد زمام أمورها. على أن ابن الخطيب ولو أنه جعل شالة من نصيب إدريس، فإنه ذكر كسائر المؤرخين أنها كانت مشمولة بحكم عيسى بن إدريس.

لم نقف على تاريخ وفاة إدريس الثالث.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال الاعلام* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 11 و 159 . 165 ؛ إ. العربي، *دولة الادارسة* ؛ المريني العياشي، *الفهرس*.

محمد حجي

**ابن إدريس، إدريس بن محمد** الوزير العمراوي نسبا ، يلقب بابن ادريس ويرتفع نسبه إلى محمد بن ادريس بن عبد الله الكامل، فهو ادريسي علوي. أقام أسلافه بقبيلة زمور، في بني عَمْر منهم، من عهد قيام مغراوة على الأدارسة واختفائهم في أغمار القبائل، لذلك يدعى أيضا الزموري. ولد بمدينة مراكش، غير أن المصادر لا تذكر تاريخ ولادته، ولاظروف تربيته ودراسته ومكان هذه الدراسة، لكن بحكم المقام العلمي والأدبي الذى كان عليه والده، وكذلك مقامه السياسي كوزير، فلا شك أن الولد إدريس نشأ تحت عناية فائقة، مما جعل المصادر تصفه بألقاب علمية وأدبية رفيعة، وكفاءة سياسة عالية، مستشهدة على ذلك بالقصائد الشعرية الكثيرة التي جمعت له في ديوان ضخم احتوى على مختلف فنون الشعر، وبالرسائل النثرية التي كتبها لأسباب رسمية أوخاصة .

بدأ حياته المهنية بنسخ الكتب، فكان له خط جميل، مما جعل الإقبال على مُنتسخاته، وقد كتب نسخا عديدة من *صحيح البخاري* وغيره وباعها ، فحصل من وراء ذلك على ثروة محترمة، كما استفاد من ذلك قيمة عملية هامة، ووسع مداركه الأدبية والشعرية، فكانت مهنة النساخة تُدر عليه المال والعلم.

ولما توفي والده الوزير محمد بن ادريس (1264 / 1848) ، عينه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام ، كاتبا بالقصر الملكي ، فانخرط بذلك في السلك المخزني بنفس الطريقة التي ترقى بها والده في هذا المنصب.وفي عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (محمد الرابع) أصبح إدريس وزيراً للشؤون الخارجية. وفي إطار هذه المهمة، أرسله السلطان المذكور سفيراً إلى فرنسا ، فتوجه إليها بتاريخ 13 قعدة الحرام 1276 / 1860، وكان وصوله إلى باريس عشيته الأربعاء متم الشهر، وأقام بالعاصمة الفرنسية اثنين واربعين يوما، استقبله فيها الأمبراطور الفرنسي نابوليون الثالث (1852. 1870) بعد حوالى أسبوع من وصوله إليها. ويظهرمن خلال العرض الذي قدمه عن مهمته أمام الأمبراطور، أن ادريس كان يتمتع بحنكة ديبلوماسية كبيرة : فقد عرف كيف يجمع في خطاب التحية للأمبراطورية بين تحديد الأسباب التي تزيد من تنمية العلاقات والمشاكل التي تهدد هذه العلاقات، بعبارة رفيعة، مما أثار إعجاب الأمبراطور به. وكان يشير بهذه المشاكل إلى (إسلي الثانية) التي وقعت بين قبائل الحدود المغربية، والجيش الفرنسي خلال شهر أكتوبر من سنة 1859. وفي نفس الوقت كان يهدف من تنمية العلاقات الحصول على الدعم الفرنسي ضد الغزو الاسباني في حرب تطوان ، وبالتالي يريد أن يؤكد للفرنسيين حسن إرادة السلطان المغربي الجديد سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859. 1873) ، الذي كان الفرنسيون يتخوفون من سياسته باعتبار المواقف الصارمة التي كان يقفها معهم لما كان وليا للعهد. فظروف المغرب العسيرة بين مشاكل إسلي الثانية وحرب تطوان ووفاة السلطان المولى عبد الرحمان هي التي جعلت السلطان الجديد سيدي محمد يختار إدريس ابن إدريس لهذه السفارة، بحكم الكفاءة الديبلوماسية التي كان يتمتع بها. وإلى جانب الفوائد السياسية التي حققها في هذه السفارة حصل على فوائد علمية وجلب معه أفكاراً جديدة للبلاد ، ضمنها رحلته التي دونها بعد رجوعه وسماها *تحفة الملك العزيز بمملكة باريز* والتي وصف فيها ماشاهده من : السكك، والسلاح، والسياسة، والنظام، ودور الآثار والمنتزهات، والصنائع والمخترعات الجديدة، ومظاهر التطور التي كانت تزخر بها فرنسا وهي في بداية الثورة الصناعية، والمدن التي دخلها، والعوائد والأخلاق التي رآها وصفا كاشفا.

إن تدوين هذه الرحلة يدخل بدون شك في إطار تعريف الرأي العام المغربي بظروف الحياة التي كانت تعيش عليها فرنسا كشعب أوربي حديث، والتطورات العلمية والتكنلوجية التي كانت تشهدها. وعلى المستوى الخاص حاول السفير أن يقدم إلى المثقف المخزني أربعة نماذج أساسية ربما كان يعتبرها في مقدمة الأمور التي يجب اقتباسها وهي : طبيعة الحياة السياسية النيابية التي قدم عنها ارتسامات تفيد إعجابه الشديد بها. ثم آلة التلغراف التي وصفها بإعجاب كبير أيضا باعتبارها من المخترعات الجديدة غير المعهودة في المغرب. وأكثر من ذلك كله آلة المطبعة التي أبدى شغفه الكبيربها باعتبارها : "معينة على تكثير الكتب والعلوم، وقد اتخذوها في جميع بلاد الإسلام، واغتبط بها مشاهير العلماء الأعلام، ويكفيك من شرفها وحسن موقعها، رخص الكتب التي تطبع بها، وقد اعتنوا بتصحيحها، وبالغوا في تهذيبها مع جودة الخط، وإيضاح الضبط" (*التحفة*، 54). فلما قدم مايقنع بمزاياها، طالب السلطان باقتنائها : « ... ونطلب من الله بوجود مولانا أمير المومنين أن يكمل محاسن مغربنا بمثل هذه المطبعة، ويجعل في ميزان حسناته هذه المنفعة ...»

(*التحفة*، 55). غير أن القطاع العسكري، ومظاهر تطوره في فرنسا استأثر بالحيز الأكبر في هذه الرحلة، وذلك طبيعي، لما كان المغرب يعانيه من ضعف عسكري وتهديد أجنبي، جعله يهتم بوصف هذا القطاع اهتماماً يفوق غيره، من أجل تقديم صورة كاملة للمسؤول المغربي حتى يهتدي إلى ما يجب فعله في هذا المجال، وكان طبعا مما أدى إلى التفكير في إرسال بعثات دراسية إلى أروبا. وهكذا يكون إدريس ابن إدريس، قد حقق فوائد علمية وفكرية من هذه السفارة إلى جانب الفوائد السياسية والديبلوماسية. وبسبب هذه الكفاءة التي أظهرها بعثه السلطان مرة اخرى سفيراً إلى إسبانيا، غير أننا لم نعثر على أثر سجل فيه ارتساماته عن هذه السفارة الثانية .

ولكن يبدو أن تجربته السياسية على المستوى الداخلي كما هي على المستوى الخارجي، كفاءته، أصبحت راجحة في السلك المخزني، مما جعل السلطان الحسن الأول يكلفه بُمحاولة إصلاح جهاز القضاء. وقد احتفظت المصادر برسالة في المجال بعث بها إدريس إلى القضاة في مدينة مراكش، ومنها يتبين الفساد الشديد الذي أصاب هذا الجهاز، الذي شبهه بقطاع تجاري، لتفشي الارتشاء به، وتزوير الاحكام، والظلم، وضياع الحقوق، وتسفيه المراتب المعظمة، وتجاوز القضاة لحدود سلطتهم، مبرهنا على هذاالفساد بمظاهر الغنى والترف والرفاهية التي يوجد عليها القضاة، مؤكداً القول المأثور : "من ولي القضاء ولم يفتقر فهو سارق".

وعموما كان إدريس ابن إدريس شخصية سياسية وديبلوماسية وعلمية وأدبية متميزة في عصره، فكان مثل والده، حتى في رقة الحسّ ونبل العواطف، كما يعبر عن ذلك شعره الذي يعكس أفكاره في مختلف فنون الأدب. وقد بلغ قمة مجده السياسي في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، ثم أخذ يفقد شيئا فشيئا ماكان له من نفوذ حتى نزل على عهد السلطان المولى الحسن الأول من درجة وزير إلى درجة كاتب، وتوفي على ذلك مطعونا في مدينة الرباط يوم 17 جمادى الثانية 1296 / 5 يونيو 1876، ودفن بضريح سيدي فاتح. ومن آثاره : *ديوان* في مختلف فنون الشعر. ورحلته الى فرنسا التي سماها *تحفة الملك العزيز لملكة باريز*. وله *تقييد* في الشرفاء القادريين سجله سنة 1287 حسب المراكشي.

م. غريط، فواصل الجمان ؛ م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 2 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام* ؛ م. دنية، *مجالس الانبساط* ؛ م. الاخضر، *الحياة الادبية*.

أحمد العماري

**إدريس الأزهر**، لا شك أن هارون الرشيد بات مطمئنا من جهة العلويين بعد تدبير اغتيال إدريس الأول سنة 177 / 793، لاعتقاده بأن نسل الأدراسة انقطع من المغرب. ولكن إدريس ما توفي حتى ترك جارية له اسمها كنزة حاملا. وتربص راشد مولاه ومن حوله من البربر حتى يروا المولود المنتظر فإن كان ذكرا ولوّه مكان أبيه وإلا اختاروا لأنفسهم ما يليق بهم.

وحالف الحظ الأسرة العلوية، إذ وضعت كنزة ولدا ذكرا يوم الاثنين 3 رجب 177 (14 أكتوبر 793) ضمن للأسرة الإدريسية استمرارها، وهي الأسرة الكبيرة التي سيلمس وجودها في كثير من منعطفات تاريخ المغرب، قديمه وحديثه.

ويُفيض *القرطاس* في ذكر تربية إدريس وتكوينه، فيصفه بأنه كان "عارفا بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصول الأحكام". ولا شك أن راشدا مولاه سهر على ذلك التكوين، لأن ترشيحه لمنصب الإمامة كان يقتضي معرفة مدققة بالعلوم الدينية واللغة العربية حتى يكون منافسا عن جدارة واستحقاق للخلفاء العباسيين المعاصرين. وهو ما يؤكده نفس المصدر متحدثا عن دور راشد :"وأقرأه القرآن فحفظه وله من السنين ثمانية أعوام، وعلمه السنة والفقه والنحو والحديث والشعر وأمثال العرب وحكمها وسير الملوك وسياستها وعرفه أيام الناس ودربه مع ذلك على ركوب الخيل والرمي بالسهام ومكايد الحرب" (ص 25).

وهذا التكوين جدير بأن يثير اهتمام المؤرخ للسبب الذي ذكرنا ولسبب آخر هو أن إدريس نشأ بين قوم كانوا مازالوا حديثي عهد بالإسلام وكانت بضاعتهم من العربية قليلة. فكان الحفاظ على الدين يتطلب أن يكون الإمام ذا علم وثقافة متينة. كما أن شعوره بهويته كفرد من آل البيت كان يقتضي مثل ذلك التكوين.

ولم يتول إدريس الثاني، بالطبع، مهام الإمامة أثناء هاته الفترة من طفولته، بل ظل تحت وصاية مولاه راشد الذي اغتيل سنة 188. فتولى حينئذ مهمة الوصاية أبو خالد يزيد بن إلياس العبدي. فسارع بأخذ البيعة من جميع قبائل البربر في 1 ربيع الأول سنة 188 (16 فبراير 804 م) لإدريس وهو ابن إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر. وقد اعتمدنا أشهر الروايات في ذكر هاته التواريخ لأن هنالك اختلافات بين المصادر.

والظاهر أن إدريس لم يبتدئ بمباشرة شؤون الدولة بنفسه إلا بعد سنة 190. فالمصادر لا تذكر له أي عمل بيّن قبل ذلك التاريخ الذي بدأ يعمل فيه من أجل نقل عاصمة دولته من وليلي إلى فاس. وكل ما يمكن الإشارة إليه هو أن صمود الدولة الفتية للمكايد والصدمات أكسبها سمعة في جهات متعددة من بلاد الإسلام. فاتجهت إليها الأنظار وقصدتها الوفود والمهاجرة من أفريقية والأندلس بالخصوص فيذكر القرطاس هجرة خمسمائة فارس من القيسية والأزد ومدلج وبني يحصب والصدف وغيرهم. وترتب عن تلك الهجرة نتيجتان :

1 ـ إدخال العنصر العربي للدائرة المحيطة بإدريس لأنه "كان فريدا بين البربر ليس معه عربي". حسب تعبير *القرطاس*.

2 ـ تضخم عدد السكان بمدينة وليلي الشيء الذي دفع بإدريس ومستشاريه إلى التفكير في الانتقال إلى فاس.

**هل كان إدريس الثاني هو المؤسس لمدينة فاس كما تؤكد ذلك رواية *القرطاس* أم الذي بدأ بتأسيسها هو إدريس الأول كما تؤكده حجج تاريخية أخرى لا سبيل لتجاهلها ؟**

**الظاهر من البحث التاريخي الحديث أن إدريس الثاني إنما كان مؤسسا لمدينة ثانية تحاذي المدينة الأولى وهي عدوة القرويين التي استقر بها مهاجرة أفريقية من مدينة القيروان وهي المدينة المدعوة العالية في مجموعة من الدراهم حدث سكها بعد بيعة إدريس الثاني. وقد شرع في بناء عدوة القرويين في 1 ربيع الأول 193 (22 يناير 809 م). وعن تفاصيل هذا الموضوع التاريخي الهام من الأفضل الرجوع إلى مادة فاس في هاته المعلمة.**

ولعل القالب الجديد الذي دخلت فيه الدولة الإدريسية بتوافد عدد كبير من العرب إليها وخروجها شيئا فشيئا من الروابط القبلية الأولى التي شاهدت ميلادها أحدث نوعا من الاستياء لدى قبيلة أوربة القوية. فإذا أضفنا إلى ذلك الدسائس التي كان يدبرها ابن الأغلب لإضعاف الدولة الإدريسية إن لم يكن للقضاء عليها، والتي منها إثارة التنافر بين إدريس والبربر لأسباب عرقية ، فهمنا كيف تعرضت الدولة آنذاك لبعض المشاكل التي لم يمكن حسمها إلا بالقوة. وقد ربط ابن الأغلب خيط الاتصال مع إسحاق الأوربي الذي كان من المؤسسين الأوائل للدولة، وحرضه على إدريس الثاني، متذرعا بميل هذا الأخير إلى الوافدين العرب الجدد. فأثار حفيظة إسحاق وقومه، الذين أخذوا يتآمرون عليه. فما كان من إدريس إلا أن تصدى للمتآمرين بقمعهم وقتل زعيمهم إسحاق سنة 192 هـ.

والظاهر أن إدريس لم يكن يريد استبعاد أوربة أو الاستغناء عنهم ، كما يفهم من تأويل *القرطاس* لأنه رغب من بعد في استمالتهم من جديد. وإنما كان قصده أن يحول دولته من الإطار القبلي إلى الإطار الإسلامي بالاعتماد على مساعدين لهم علم وخبرة بالنظم الاسلامية وتقاليدها. ولذلك، فإنه اتخذ من عمير بن مصعب الأزدي وزيرا له، ويذكر عنه *القرطاس* أنه ينتمي لأسرة عريقة في خدمة الدولة الإسلامية. كما عين عامر بن محمد القيسي، قاضيا "وكان رجلا صالحا ورعا فقيها سمع من مالك وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرا" (ص 20) واتخذ من عبد الله بن مالك الخزرجي الأنصاري كاتبا له. ولا شك أن هناك أسماء أخرى غفلت عن ذكرها المصادر.

ومن المعلوم أن الأدارسة قاموا بمناوأة الخلافة العباسية. فكان لا بد لهم من أن ينظموا دولتهم على غرارها وأن يتخذوا لأنفسهم دواوين يضعون على رأسها رجالا ذوي خبرة وسمعة في المجتمع الإسلامي المعاصر. وطبيعي أن لا تروق هذه السياسة أنصار الدولة الأولين من أوربة وغيرهم وأن تحدث من جراء ذلك مصاعب وأن يحاول ابن الأغلب استغلال التناقضات التي برزت في صفوفهم. وليس من المستبعد أن يكون القيروانيون الذي غادروا أفريقية وقصدوا إدريس من العناصر المعارضة للخلافة العباسية ولولاتها الأغالبة، وهذا ما زاد في حنق إبراهيم على إدريس ودفعه إلى الكيد به.

وتجلى ذلك في خطة لا تخلو من أسلوب الجاسوسية، إذ أخذ يتصل سرا بأقرب رجل إلى إدريس بهلول بن عبد الواحد المدغري، الذي كان وزيره المخصوص بثقته و"القائم بأمره" فأخذ يوغر صدره على إدريس ويزين له الثورة عليه ويغريه بالمال ويحثه على "ترك طاعة إدريس إلى طاعة هارون". وعلى إثر مراسلات عديدة بين الرجلين، تخلى بهلول عن إدريس والتحق بالقيروان عند ابن الأغلب الذي عد الحدث انتصارا وطير به الخبر إلى الرشيد في بغداد.

حاول إدريس عبثا أن يستعيد ولاء بهلول إليه، فتضايق من دسائس ابن الأغلب وكتب إليه يستعطفه ويرجوه أن يكف عنه. والظاهر أن حاشية ابن الأغلب كانت تضم عناصر يعطفون على آل البيت وينصحون أميرهم بالاعتدال والكف عن إذاية إدريس.

وفي نفس السياق، يمكننا أن نتساءل عن مصير شخص آخر مهم وهو أبو خالد يزيد العبدي الذي رأيناه يحل محل راشد في الوصاية على عرش إدريس. والظاهر أن أيامه لم تطل في الوفاق مع هذا الأخير بعد أن تسلم مقاليد الأمور.

كل هاته المشاكل لا يصح إلقاء المسؤولية فيها كاملة على الأشخاص، بل هي ناشئة، قبل كل شيء، عن مشروع مهم وجديد، ألا وهو المحاولة الجريئة التي تصدى لها كل من إدريس الأول وإدريس الثاني ألا وهو بناء دولة كبيرة بالمغرب على النسق الإسلامي. وطبيعي أن يصطدم مشروع كهذا بنظام اجتماعي متقادم مبني على القبلية وبعادات وأعراف وعقليات مختلفة عن التصور الجديد الذي أتى به الإسلام.

ومع ذلك، فقد نجح المشروع إلى حد كبير إذا اعتبرنا أن نموذج الدولة الإسلامية بالمغرب انطلق من تلك التجربة الأولى وأن المغاربة سيستوعبون درسها جيدا بعد أن خرجوا من طور المفاجأة الأولى.

وتشير الروايات التاريخية، من جهة أخرى، إلى أن إدريس تحرك هو، أيضا، بجيشه لتوطيد نفوذ دولته بالمغرب، وتجاوز الحدود التي كان قد وصل إليها والده. فتقدم نحو الأطلس الكبير، واستولى على مدينتي نفيس وأغمات وأقام نفوذ الدولة في بلاد مصامدة الجنوب، وكان ذلك في سنة 197 / 812. ثم اتجه بعد ذلك إلى الشرق نحو نفزة وتلمسان التي دخل إليها وأنجز فيها بعض البناءات وأقام بها ثلاث سنين.

وتؤكد لنا دراسة البقايا من النقود الإدريسية الأماكن التي بلغ إليها نفوذ الدولة في عهد إدريس الثاني، وهي الأماكن التي وجدت بها دور السكة. إذ نجد عددها يبلغ ستة عشر وفيها مدن مثل أصيلا والبصرة وتدغة وتلمسان وتهليت وسبو وطنجة والعالية (فاس) ومريرة (مريرت الحالية). وورغة ووازقور (ناحية أم الربيع) وطيط ووليلي وإيكّم. هذه الأسماء تدلنا ، ، ولونسينا ، على مدى اتساع

المملكة التي كان يحكمها إدريس الثاني، وتبين لنا أن هذا الأمير كان يسير بخطى وئيدة في تنفيذ خطة أبيه الذي كان يهدف إلى تأسيس دولة كبيرة ينافس بها دولة العباسيين.

إلا أن هؤلاء كانوا واعين بخطر الأدراسة وحذرين منه أشد حذر، ولذلك، فإنهم ظلوا يحرضون الأغالبة على الكيد لهم. وهكذا مات إدريس فجأة في 10 جمادى الآخر سنة 213 (29 غشت 828) في العهد الذي كان فيه زيادة الله بن الأغلب واليا على أفريقية، وكان سن إدريس عند وفاته ستا وثلاثين سنة.

ولئن ذكر *القرطاس* أن سبب موته هو أنه شرق بحبة عنب، فإن مصادر أخرى مثل البكري وابن عذاري تذكر أنه مات مسموما. بل إن ابن الأبار يؤكد أن "زيادة الله احتال عليه حتى اغتاله" (*الحلة السيراء*).

وبموت إدريس ينتهي طموح الأدارسة إلى تأسيس دولة قوية موحدة، ويدب إليهم الانقسام والتشتت شيئا فشيئا. فتبدأ صفحة غير وضيئة في تاريخهم.

أ. البكري، *المغرب*، الجزائر 1985 ؛ ا، ابن عذاري، *البيان* ج 1، بيروت 1948 ؛ ع، ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1973 ؛ أ. ابن الأبار، *الحلة السيراء*، القاهرة 1963 ؛ أ. الجزنائي، *زهرة الآس*، الرباط ؛ ل، ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، الدار البيضاء 1964 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت 1959 ؛ النويري، *تاريخ المغرب الإسلامي*، الدرا البيضاء 1984 ؛ م. إسماعيل، *الأغالبة*، فاس 1978 ؛ إ. العربي، *دولة الأدارسة*، بيروت 1983.

E.I., 2e éd. ; D. Eustache, *Le corpus des dirhams Idrissides*, Bulletin de la Société d'histoire du Maroc n° 2, 1969.

محمد زنيبر

**إدريس الأول**، منذ أن تولى العباسيون الخلافة سنة 132 / 750، أصبح أبناء عمهم العلويون في نزاع شديد معهم، لأنهم اعتبروهم غاصبين للمنصب الأعلى في الدولة الاسلامية وأن الحق في توليه يرجع إليهم بالأسبقية. فصاروا يتحينون الفرصة للثورة عليهم.

كان أول من تزعم الحركة محمد بن عبد الله بن الحسن، المدعو النفس الزكية الذي ثار بالمدينة، لكن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور قضى على ثورته سنة 145 / 762 كما قضى على الثورة الموازية لها التي قادها أخوه إبراهيم بالبصرة في نفس السنة، وكان محمد النفس الزكية فكر في تبليغ الدعوة إلى كل الأقاليم الإسلامية شرقا وغربا، آملا في كسب المزيد من الأنصار للقضية، فوجه بعض إخوته، ولعل منهم إدريس، إلى بلدان إسلامية مختلفة.

وبعد مرور أربع وعشرين سنة على هاته الثورة أي في سنة 169 / 786، قامت ثورة أخرى بقيادة الحسين بن علي بن الحسن المثلث في ناحية مكة بمكان اسمه فخ. ولم تنجح هاته الثورة بدورها حيث قضى عليها الخليفة الهادي ابن المهدي في معركة كانت شديدة وقتل فيها كثير من العلويين.

واستطاع إدريس، عم الحسين، وأخو محمد النفس الزكية. أن ينجو من القتل ويفر من المكان باحثا عن ملجأ يأوي إليه. فكم يكون سنه يومئذ ؟

لا تسعفنا المصادر بجواب واضح عن هذا السؤال. ولكن إذا صدقنا ما أشار إليه البعض منها من كونه ساعد أخاه محمد النفس الزكية، فيمكننا أن نقدر سنه بين الأربعين والخمسين عند نشوب معركة فخ.

وأما نسبه، فهو إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه السلام. وأمه عاتكة بنت الحارث ابن خالد بن العاص بن هاشم بن المغيرة المخزومي. فهو إذن، قرشي من الأبوين، ومنزلته وجيهة في الأسرة العلوية.

كانت أنظار العلويين، وهم في حالة المراقبة والاضطهاد التي يعانون منها، تتجه بالخصوص إلى المغرب، لبعده عن مركز الخلافة العباسية ولاشتهاره برفع راية العصيان والمعارضة لتلك الخلافة. وقبل العلويين اتجهت أنظار الخوارج لنفس المنطقة. وأمكنهم أن يؤسسوا بها دولتين مشهورتين في تاهرت وسجلماسة، مما يدل على أن البلاد كانت مرشحة لتكون مركزا لثورة مضادة وربما لقيام خلافة مناهضة للخلافة العباسية.

فالتجاء إدريس إلى المغرب صحبة مولاه راشد بعد أن حصل على مساعدة والي مصر وأفلت من مراقبة الشرطة العباسية، يفسره عزمه على الأخذ بثأر العلويين، من جهة، وطموحه إلى تأسيس دولة قادرة على مناوأة الخلافة العباسية والقضاء عليها إذا ما ساعدت الظروف على ذلك، من جهة أخرى.

حينما وصل إدريس إلى المغرب توجه، أولا، إلى طنجة التي كانت تعتبر آنذاك حاضرة المغرب الكبرى. وكان لا بد له، ولا شك، من وقت للاطلاع على أحوال البلاد وسكانها وجس نبض أهلها، على المستوى السياسي. فأخذ يتصل بنفسه أو بواسطة مولاه راشد ببعض رؤساء القبائل الكبرى في المغرب لإسماع كلمته ونشر دعوته. وقد احتفظت لنا بعض المصادر بوثيقة مهمة، يرجع الفضل في نشرها إلى علال الفاسي الذي نقلها عن مخطوط يمني. وهي عبارة عن نداء وجهه إدريس إلى المغاربة. وهو نص طويل نكتفي هنا بايراد فقرة منه :

"وقد خانت جبابرة في الآفاق شرقا وغربا، وأظهروا الفساد وامتلأت الأرض ظلما وجورا. فليس للناس ملجأ ولا لهم عند أعدائهم حسن رجاء. فعسى أن تكونوا معاشر إخواننا من البربر اليد الحاصدة للظلم والجور، وأنصار الكتاب والسنة، القائمين بحق المظلومين من ذرية النبيئين. فكونوا عند الله بمنزلة من جاهد مع المرسلين ونصر الله مع النبيئين.

واعلموا معاشر البربر أني أتيتكم، وأنا المظلوم الملهوف، الطريد الشريد، الخائف الموتور الذي كثر واتره وقل ناصره، وقتل إخوته وأبوه وجده وأهلوه فأجيبوا داعي الله. فقد دعاكم إلى الله..." (*الوثائق* : المجموعة الأولى ص 43)

وأدت الدعوة والاتصالات إلى نتائج إيجابية في أمد قصير، مما يدل على ذكاء إدريس ودهاء مولاه راشد وهكذا لبت جملة من قبائل البربر الدعوة وقبلت أن تلتف حول إدريس. ولا شك أن انتماءه للأسرة النبوية كان له أثر قوي في هذا الاقبال، سيما والعلويون يومئذ كانوا يمثلون العنصر الثائر والمعارض. فالارتباط بدعوة إدريس معناه التحرر من كل تبعية للخلافة العباسية وضمان الاستقلال السياسي للمغرب.

وترتب عن هذا الموقف الجماعي لقبائل البربر أن حصل اتفاق بين إدريس بن عبد الله وزعيم أوربة القبيلة ذات الشوكة في المنطقة، إسحاق محمد بن عبد الحميد الأوربي. وتحول إدريس إلى مدينة وليلي، حيث تمت بيعته يوم الجمعة 4 رمضان سنة 172 هـ، الموافق لـ 6 فبراير 789 م. وكانت قبيلة أوربة أول من بايعه من قبائل المغرب، نظراً لمنزلتها الكبرى في المنطقة. ثم تلتها قبائل زناتة وأصناف من قبائل أخرى مثل زواغة وزواوة ولماية وسدراته وغياثة ونفزة ومكناسة وغمارة الخ.. وكان للقبائل في ذلك العصر أهمية أكبر من اليوم، نظرا لكون البادية كانت أكثر سكانا من المدن ولكون ظاهرة العصبية كانت ذات تأثير خطير، على المستوى السياسي.

ويحدد *القرطاس* شروط البيعة، إذ يقول :"بايعوه على الامارة والقيام بأمرهم وصلواتهم وغزوهم وأحكامهم" (ص 20). وكان الحدث في حد ذاته ذا أهمية قصوى في تاريخ المغرب لأنه يرمز إلى قيام الدولة المغربية المستقلة لأول مرة في حياة البلاد، بحيث كانت الدولة الإدريسية بما خلقته من تقاليد ونظم لتسيير البلاد أول صورة لدولة حقيقية في المغرب تكيف المعطيات البشرية المحلية مع تعاليم *الإسلام* وتراثه السياسي.

وما أن بويع إدريس حتى كوَّن جيشا من قبائل زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وقاده لفتح أقاليم مغربية أخرى وتوسيع مملكته. فاستولى على شالة، ثم على سائر بلاد تامسنا وتادلا.وعمل على نشر الاسلام بها. ثم عاد بجيشه إلى وليلي في آخر ذي الحجة من سنة 172. وتوقف مدة قصيرة بقصد إراحة الجنود.

ثم خرج في سنة 173 لمواصلة نشر الإسلام بالمعاقل والجبال والحصون المنيعة، مثل حصون فندلاوة وحصون مديونة وبهلولة وقلاع غياثة وبلاد فازاز أي الأطلس المتوسط. وتوصل إلى نتائج إيجابية عند قيامه بتبليغ الدعوة، حيث استجاب السكان لدعوته بالقبول. ثم عاد من حملته العسكرية تلك في جمادى الأخيرة سنة 173 إلى مدينة وليلي بقصد إراحة جيشه.

وفي نصف رجب من السنة ذاتها (8 دجنبر 789)، توجه إدريس بجيشه صوب الجهة الشرقية من المغرب الأقصى، فوصل إلى مدينة تلمسان وخيم قبالتها. فخرج إليه أميرها محمد بن خزر بن صولات المغراوي فطلب منه الأمان، فأمنه إدريس، فقدم له محمد بن خزر بيعته، ودخل إدريس إلى تلمسان بعد أن بايعته قبائل زناتة بتلك الجهات.

هكذا حصل إدريس على نتائج كبيرة في أقل من سنتين، بفضل جده ومثابرته وشجاعته، وأصبح يضم تحت سلطته مملكة تمتد من تامسنا غربا إلى تلمسان شرقا، مارة بتادلا والأطلس المتوسط. كل هذا أثار مخاوف الخليفة هارون الرشيد، سيما وهو يلاحظ أن إدريس في تحركاته العسكرية الأخيرة أخذ يتجه نحو الشرق وبات يشكل خطرا وشيكا على ولايتها الأمامية في الغرب : أفريقية، التي كانت يومئذ في وضع قلق وتعاني من اضطرابات مختلفة. فلم ير الرشيد بدا من التخلص من إدريس بأية وسيلة.

ولا فائدة من الدخول في تفاصيل الرواية المتداولة عن اغتيال إدريس عن طريق السم التي وقع فيها بعض الاختلاف والزيادات القصصية. والمهم في ذلك هو أن الرشيد لما رأى صعوبة توجيه جيش من العراق إلى المغرب وأدرك أنه لا يستطيع أن يعتمد كثيرا على جيشه بأفريقية، قرر اللجوء إلى أسلوب الاغتيال على يد رجل ماهر في الكذب والتلبيس والجاسوسية ـ كما يحدث إلى يومنا هذا في قضايا الاغتيال السياسي ـ وبمساعدة إبراهيم بن الأغلب الذي كان من الرجال الثقاة عند الرشيد على الصعيد المحلي وكان مرشحا لتولي منصب الولاية على أفريقية. هل الشخص المكلف بهاته المهمة كان هو الشماخ أو سليمان بن جرير ؟ سؤال يستحيل الجواب عليه. وكل ما يمكن تأكيده هو أن ذلك الشخص تمكن من اغتيال إدريس عن طريق السم سنة 177 / 793.

تلك، على وجه الاجمال، هي ترجمة إدريس الأول الذي أصبح شخصا مقدسا عند المغاربة له ضريح كبير في مدينة زرهون، يقام له فيه موسم كبير في كل سنة . هنالك قضايا تتعلق بترجمته لا بد من التعرض لها، ولو بإيجاز :

1 ـ اختلاف في تاريخ قدوم إدريس إلى المغرب ؛ هناك رواية تقول إن مجيء إدريس الى المغرب حدث في عهد أبي جعفر المنصور أي إثر ثورة محمد النفس الزكية في سنة 145. ولكن أغلب الروايات تقول إنه جاء بعد موقعة فخ سنة 169. وهو التاريخ المعتمد عند جل المؤرخين القدماء والمحدثين.

2 ـ ورد في بعض المصادر الزيدية أن إدريس قصد المغرب داعيا لأخيه يحيى بن عبد الله الذي فر إلي الديلم. فلما بلغه موت أخيه في سجن الرشيد، دعا إلى نفسه. وهي رواية يصعب البت فيها. وهي، على أي حال، لا تتنافى مع ما حدث من بعد.

3 ـ مذهب إدريس : الرائج عند بعض الباحثين المغاربة المعاصرين أن إدريس كان سنيا ومالكيا، وهو قولٌ لا يثبت أمام النقد التاريخي. فالسنة كانت، في عهد إدريس، موجودة كممارسة لا كمذهب. فالمذهب السني لم تكن وقعت بعد صياغته النهائية وحررت مبادئه وجمعت نصوصه كاملة. ويجب انتظار عصر الأشعري وتلامذته، ابتداءً من القرن الثالث الهجري ليظهر المذهب بقواعده

وأحكامه. كما أن دخول المذهب المالكي إلى المغرب مع إدريس بعيد الاحتمال، إذا اعتبرنا القنوات التي مر بها المذهب المالكي ليصل إلى أفريقية ثم إلى الأندلس، واعتبرنا شخصية العلماء الأولين الذين تذكر المصادر الموثوق بها أنهم كانوا أول من أدخل المذهب إلى المغرب. فهنالك أزيد من قرن بين هؤلاء وإدريس.

ولا ننس، في الأخير، أن إدريس نشأ في بيئة زيدية وأنه بسلوكه وثورته على العباسيين طبق أحد مبادئ الزيدية الذي يقول بأن الإمامة هي حق لمن قدر عليها من العلويين. وقد ثبت من مصدر معروف هو *مقاتل الطالبيين* لأبي الفرج الإصبهاني أن عبد الله بن الحسن، أبا إدريس وكذلك أخوه الحسن بن الحسن قد اعتنقا مذهب الزيدية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعن هذه المدرسة تخرج أولاد عبد الله الذين ثاروا على العباسيين، مثل محمد النفس الزكية وإبراهيم ويحيى وإدريس وسليمان. ومن المعلوم أن المذهب الزيدي لا يختلف كثيرا عن المذهب السني ويلتقي في بعض الأفكار مع المعتزلة، الشيء الذي ربما يفسر التعاطف الذي حصل بين إدريس وإسحاق الأوربي الذي قيل عنه إنه كان معتزليا.

ومهما يكن، فلم يرد في المصادر التاريخية التي نعتمد عليها أي إشارة بأن إدريس كان سنيا أو مالكيا، وإنما هو تخمين واجتهاد من بعض الباحثين المعاصرين. والمصادر التي نعتمد عليها تتحدث عن التردد الذي وقع بين المذاهب بالمغرب والأندلس في الفترة الأولى من دخول الاسلام قبل أن يقع الاختيار النهائي على السنة والمذهب المالكي.

4 ـ تأسيس فاس : كانت الرواية المتداولة والمنقولة عن *القرطاس* هي أن إدريس الثاني هو المؤسس الأول لمدينة فاس. لكن، بعد العثور على قطع نقدية إدريسية والاطلاع على نصوص الرازي والبكري وابن سعيد وغيرهم،وبعد الدراسة المهمة التي قدمها المستشرق ليڤي بروفنصال في هذا الصدد، يتضح أن المؤسس الأول لمدينة فاس كان هو إدريس بن عبد الله، أي إدريس الأول وأن إدريس الثاني أضاف إليها عدوة القرويين بعد مرو عشرين سنة على البناء الأول. وكانت المدينة الثانية تحمل اسم العالية حسب شهادة النقود.


ع. الأشعري، *مقالات الإسلاميين*، القاهرة 1969 ؛ أ. الأصبهاني، *مقاتل الطالبيين* ؛ أ. البكري، *المغرب*، الجزائر 1857 ؛ م. الشهرستاني، *الملل والنحل*، القاهرة 1961 ؛ م. ابن الأبار، *الحلة السيراء*، القاهرة 1963 ؛ أ. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1972 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 4، بيروت 1958 ؛ ع. النشار، *نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام*، القاهرة 1965 ؛ *الوثائق*، المطبعة الملكية بالرباط المجموعة الأولى 1976 ؛ م. إسماعيل، *الأغالبة*، فاس 1978 ؛ إ. العربي، *دولة الأدارسة*، بيروت 1983 ؛ ر. لوتورنو، *فاس قبل الحماية*، بيروت 1986.

E. I ; E. Levi - Provençal, *La Fondation de Fès*, Paris 1939.


محمد زنيبر

**إدريس الأول** (سد ـ )، يقع سد إدريس الأول على واد إنّاون، على بعد 33 كلم من مقرن إناون وسبو، و35 كلم شمال فاس. ويبلغ ارتفاع الحاجز 62 مترا عند سرير الواد و72 مترا فوق أساسه وهذا الحاجز من النوع المستقيم مع دعامة تعطي مقطعه العرضي شكلا شبه مثلث بعرض يساوي 62 م في القاعدة و 2,50 متر في القمة.

أقيم هذا الحاجز بين عرفين كلسيين يختفيان عند سرير الوادي تحت توضعات نهرية يناهز سمكها 10 أمتار، وهذا ما فرض تعميق أساس الحاجز لكي يستقر على الركيزة الكلسية. ومن الخصائص الصخارية والميكانيكية لهذا الكلس أنه شديد المقاومة من حيث صلابته وقساوته، إلا أنه يطرح مشكل النفاذية خاصة على الضفة اليسرى حيث تكثر التصدعات، مما استوجب التفكير في بعض الحلول التقنية لحفظ المياه على عمق كبير يصل إلى 20 متر.

عند عالية السد يجري وادي إناون في سهل فيضي عريض نسبيا تحفه صخور معظمها من النوع الهش أي تلك التي تشكل أكبر نسبة من رحاب منطقة مقدمة الريف. وهذه الصخور الطفلية، والشستية والميكاشستية والفليشية تعتبر من الصنف الأكثر عرضة إلى التعرية بجميع أساليبها.

سعة وأبعاد بحيرة السد : وصل حجم الادخار خلال الفترة الأولى من تشغيل السد إلى 92 مليون متر مكعب ثم انتقل إلى حد أقصى يقدر بـ 1.100 مليون متر مكعب بعد إتمام الأشغال في تحويل مسار الخط الحديدي والطريق الرئيسية رقم 1 بقرب سيدي عبد الجليل إلى مستوى أعلى من المستوى الذي يوجد به والذي كان يقع تحت المنحنى الأقصى لامتلاء السد.

تبلغ مساحة بحيرة السد الإجمالية حاليا 56 كلم مربع وهو رقم يشكل 1,68 ٪ من المساحة الكلية لحوض إناون، وتمتد هذه البحيرة من الحاجز إلى أبواب قرية سيدي عبد الجليل على مساحة 24 كلم ويبلغ عرضها في بعده الأقصى 3 كلم.

أهداف السد : تم ملء بحيرة سد إدريس الأول خلال شهر يناير 1973، وقد كان يحمل اسم سد عربات إلى حدود يوم تدشينه. ويندرج هذا السد الذي قام تشييده على دراسة دقيقة ومطولة شملت كل أرجاء حوض سبو، في إطار سياسة ثلاثية الأبعاد : أولا الوقاية من الفيضانات، ثانيا الري، ثالثا توليد الطاقة.

بشأن الفيضانات، وهو الهدف الأساسي الذي من أجله أقيم السد، يعتبر واد إناون ثاني أخطر روافد سبو بعد ورغة. وفيضانات سبو وروافده تخل بالنشاط ويكفي التذكير بفيضانات 1963 للتأكد من خطورة الفيضانات حيث غمرت المياه في ظرف 5 أيام (10 إلى 14 يناير 963) 180.000 هكتار !

تبلغ مساحة حوض التدفق لنهر إناون 3322 كلم مربع ويصل التدفق فيها إلى 774 مليون متر مكعب كمتوسط،

أما الحد الأقصى فغالبا ما يتجاوز 1000 مليون متر مكعب، وهذا الرقم إن كان بعيدا عن حجم مياه الفيض لواد ورغة أو واد سبو فإن خطورته تبقى غير مستبعدة.

ومن أجل الوقاية من هذه الفيضانات تم تجهيز السد على أسس استيعاب فيض محتمل يقدر بـ 2500 متر مكعب/ ث، حيث يتوفر على عتبة علوية تمكن من تفريغ يصل صبيبه إلى 2400 متر مكعب / ث. وفي العمق أقيمت تجهيزات خاصة تمكن من تفريغ السد من الأسفل للتقليص من آفة التوحل التي تهدد السدود المغربية والتي سيأتي ذكرها.

دور السد الثاني هو توفير المياه الكافية لتنفيذ الشطر الثاني من سقي سهل الغرب. وهذا يتم بواسطة تفريغ متستمر ومنتظم يقدر صبيبه بـ 3,50 متر/ث إلى جانب المياه المستعملة في توليد الطاقة.

وهذه المياه لا يتم تصريفها بواسطة قنوات كبرى، كما هو الشأن بالنسبة لجل الأحواض المسقية المغربية، بل عن طريق التفريغ المنتظم في مجرى الواد الذي يتبع كوسيلة مثلى في بعض الحالات التي يستحسن فيها اللجوء إلى طريقة الضخ (سبو واللكوس) أو السقي المباشر (زيز).

يتم توليد الطاقة الكهربائية بسد إدريس الأول بواسطة المركز الكهربائي الذي شغل منذ سنة 1978 وينتج حاليا 47 مليون كيلوات / ساعة بواسطة مساقط مائية يبلغ ارتفاعها 53 متر تصرف صبيبا بقدر 3,40 متر/ث. ومن المنتظران يرتفع هذا الإنتاج بعد إتمام الأشغال في نفق مطماطة إلى 90 مليون كيلوات / ساعة.

مشكل توحل بحيرة السد : تتجه معظم الدراسات المتعلقة ببحيرات السدود في المغرب إلى تحديد مدى حدة مشكل التوحل. وقد قامت مديرية هندسة المياه بدراسة متتالية لقياس بحيرة سد إدريس الأول تبين من خلالها أنه في نهاية سنة 1986 بلغ المتوسط الإجمالي للتوحل 2 مليون متر مكعب في السنة من المواد الصلبة (2,7 مليون متر مكعب / سنة في سد عبد الكريم الخطابي الذي يعتبر أكثر السدود المغربية توحلا) جرفتها 774 مليون متر مكعب من المياه كمتوسط سنوي للتدفق في حوض إناون.

وتعزى هذه الظاهرة إلى خصوصية حوض تدفق واد إناون الذي يوجد بمنطقة مقدمة الريف المعروفة بارتفاع معامل قابلية صخورها للتعرية.

وتقدر التعرية النوعية في هذا الحوض بـ 1200 طن / كلم مربع / سنة (5900 طن / كلم / س في حوض النكور).

ولعل ما يخفف من حدة هذا التوحل هو التجهيزات السفلية للسد التي تمكن من تفريغ نسبي للمواد المترسبة بنسبة 10 ٪ كحمولة صلبة للمياه المفرغة، خاصة في فترة الفياضانات.

رغم ما أدخله السد على المنطقة المجاورة له من عنصر إيجابي يتمثل في تغيير معالم البيئة بسبب وجود بحيرة ضخمة ورغم أهميته الاقتصادية الكبرى على الصعيد الوطني، فإن الاستفادة المحلية منه لازالت لم تبرز بعد في استصلاح الأراضي المجاورة بواسطة الضخ أو طرق أخرى أو تعويض بساتين سيدي عبد الجليل التي غمرتها المياه جزئيا.

*بحث ميداني.*

محمد رحو

**إدريس بن سليمان** بن محمد الثالث، بن عبد الله، بن إسماعيل بن الشريف العلوي. عالم ومحدث وصوفي. لا يعرف تاريخ ولادته، ولا ظروف نشأته ودراسته. ولكن مما لاشك فيه أنه تلقى تعليما مهما، وعناية خاصة من طرف والده السلطان المولى سليمان الذي كان شديد العناية بأولاده. أخذ عن شيوخ العلم بمكناسة الزيتون مختلف الفنون، حتى تكونت له ثقافة هامة في العلوم الشرعية، واللغة، والصرف. ويظهر أن نبوغه في علم الحديث كان واضحاً على غيره من العلوم حسب إشارة ابن زيدان (*الإتحاف*، 2 : 20) وصفه بالعلامة، صاحب اليد الطولي في فنون العلم. ويظهر أن غلبة الحديث عليه، ترجع إلى تأثره بوالده السلطان سليمان الذي كان أيضاً مبرزاً في هذه المادة.

كما أخذ عن والده أيضا الورد الناصري، و*دلائل الخيرات* وما معه من الأحزاب. لذلك صنفه الزياني في *جمهرة التيجان*، (566) من أخص تلامذة والده السلطان المذكور. يظهر أن ميوله العلمية والصوفية، جعلته يعزف عن الحياة السياسية نهائيا. على خلاف بعض اخوانه (عبد الله، إبراهيم، علي ..) وهذه الميول العلمية، هي التي ميزت اخلافه العالية ، وصفاته النبيلة، وسلوكه الفاضل، واشتغاله بالعبادة والتلاوة والذكر والتدريس.

كان يدرس العلوم بداره ويطيل دروسه، ومن عادته إحضار أواني الشاي وقت الدرس، فإذا رأى من الطلبة مللأ، أوسوء فهم، أمر خادمه بمناولتهم كؤوس الشاي، حتى تنشط أذهانهم، ويزول مللهم، ثم يعود للدرس. وقد أخذ عنه عدد من الناس، منهم : أحمد قدور بن إدريس أجانا، الفقيه العدل. والحاج محمد زغبوش.

كما كانت له صداقة حميمة مع الشيخ العربي بن السائح، إلى درجة أنه كان لا يمر يوم واحد دون لقائهما، وكانت دار المترجم مكان هذا اللقاء، للمذاكرة، ومدارسة العلم وطرق القوم وسير الصالحين.

توفي المترجم على إثر اصابته بالوباء. يوم الجمعة أوائل شعبان من سنة 1271 هـ / 1855 م ، ودفن بضريح جده المولى إسماعيل بمكناس.

أ. الزياني، *جمهرة التيجان*، مخطوط؛ م. بن رحمون، *الدر والعقيان فيما قيدته من جمهرة التيجان*، مخطوط ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 2 .

أحمد العماري

**إدريس بن عبد الحق** المريني، أكبر أبناء أبيه، وربما كان مرشحا للخلافة إذ تشير المصادر إلى مكانته بين إخوته الثمانية، وخاصة قيادته، صحبة أبيه، للمعارك التي خاضها المرينيون خلال تحركاتهم الأولى بالمغرب. وقد قتل إدريس، مع أبيه، خلال المعركة الشهيرة التي دارت بين بني مرين وعرب رياح المناصرين، آنذاك، للموحدين، وذلك «بمقربة من وادي سبو وعلى أميال من تافرطاست» وذلك سنة 614 / 1218 ـ 1219 (*القرطاس*، 286).

ونعتقد بأن ترشيح إدريس لخلافة أبيه كان دافعا سياسيا في قيام أبنائه بتمرد ضد عمهم يعقوب بن عبد الحق، أي بعد أزيد من خمسين سنة على وفاة إدريس، كما أن هذا التمرد هو الذي جعل يعقوب يتخلص من منافسيه بإرسالهم إلى الأندلس على رأس فرقة عسكرية عرفت باسم الغزاة.

قاد أبناء إدريس بن عبد الحق، بمعية بعض أبناء عمهم عبد الله، تمرداً ضد يعقوب بن عبد الحق امتدت وقائعه بين سنة 660 / 1261 ـ 1262 وسنة 670 / 1271 ـ 1272. فخلال هذه الفترة قام أبناء إدريس، وعلى رأسهم محمد وعامر بمناوءة حكم عمهم متخذين من منطقة الريف مركزا لتمرُّدهم، ويبدو أن حركة هؤلاء الاقرباء هي إحدى تجليات مشكلة توارث الحكم داخل الأسرة المرينية التي لم تستطع قاعدة إسناد ولاية العهد للا بن البكر أن تحسم فيه. (A. Khaneboubi, *Les premiers Sultans*, 95).

وقد أبرزت المصادر علاقة تمرد أبناء إدريس بمشكلة توارث الحكم وموقع إدريس بن عبد الحق داخل هذه العلاقة سيما وأن "احتجاج" هؤلاء الأقرباء تفجر لدى تولي يعقوب للحكم وظهور مؤشرات تنم على محاولات قام بها السلطان قصد إسناد ولاية العهد لأحد أبنائه بعد ماتداول على رآية بني مرين أربعة من بني عبد الحق. وقد أشار ابن خلدون إلى أن السلطان: «أهمه شأن أخيه إدريس بما كان فيهم من الترشيح والمنافسة لبنيه (*العبر*، 7 : 762) ويوضح الناصري هذه المنافسة بقوله : "رأوا الرأي (أبناء إدريس) أنهم أحق (بالملك) من يعقوب لان أباهم هو الاكبر من ولد عبد الحق" (*الاستقصا*، 3 : 23) هكذا قام أبناء إدريس بثلاثة تمردات ضد عمهم. ففي سنة 660 / 1261 ـ 1262 اجتمع بنو إدريس على كبيرهم محمد واعتصموا بجبال غمارة فنهض إليهم السلطان يعقوب. (*الذخيرة*، 98 ؛ *العبر*، 7 : 762) وحاول يعقوب بن عبد الحق التخلص من هؤلاء المنافسين عن طريق ترحيلهم إلى الأندلس، لكن هذه المحاولة فشلت في بدايتها إذ ما لبث الأقرباء أن قادوا تمرداً جديداً بقصر كتامة سنة 663 / 1264 ـ 1265 واضطرالسلطان إلى استرضاء أبناء أخيه (*الذخيرة*، 109 ؛ *العبر*، 7 : 763). أما الانتقاض الثالث فقد جاء على إثر أخذ يعقوب البيعة لابنه عبد الواحد، وكان التمرد أكثر قوة من سابقيه، حيث لجأ الثوار إلى جبل أمرگو بمنطقة الريف، واضطر السلطان إلى إرسال ثلاث حملات قاد الأولى الأمير يوسف وقاد الثانية ولي العهد عبد الواحد. ثم اضطر يعقوب بن عبد الحق إلى الزحف بجيوشه إلى معقل الثوار، حيث حاصرهم لمدة يومين استسلم بعدها المتمردون الأقارب وأمِّنوا واشترط عليهم السلطان الارتحال إلى تلمسان ومنها إلى الأندلس، وذلك بعدما اضطرته الثورة إلى مهادنة بني زيان.


ع .ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ *الذخيرة* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 7 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 3.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris 1986 ; A. Khaneboubi, *Les premiers Sultans Mérinides*, 1269-1331, Paris, 1987.


عمر بنميرة

**إدريس بن عبد الرحمان** بن سليمان العلوي الحسني. أصله من تافيلالت، ولعله أحد حفدة السلطان المولى سليمان، الذي كان مستقراً بتافيلالت قبل أن يتولى الملك.

لانعرف شيئاً عن نشأة إدريس بن عبد الرحمان، يبدأ أن تلك النشأة لن تشذ عن المتعارف عليه بالنسبة لأمثاله، الذين كانوا يوجهون لحفظ القرآن الكريم، والاهتمام بالعلوم العربية والفقهية. وفي الفترة التي سيتكلف فيها إدريس بالنيابة عن السلطان مولاي عبد العزيز(1905 ـ 1907). كان الفيلاليون في جهاد ضد الفرنسيين المتوسعين في الحدود الجنوبية الشرقية المغرب .

كان سن هذا الشريف يُقارب الستين حين قُدر له أن يلعب أدوارا خطيرة بجانب المخزن تحت قيادة السلطان مولاي عبد العزيز، ومن المعروف أن هذا الأخير أصبح يواجه منذ 1904 ضغطا فرنسيا متصاعدا، يهدف إلى فرض قبول الهيمنة الفرنسية على المغرب. وليس بخاف أن تلك الضغوط لم تكن ديلوماسية واقتصادية فحسب، بل كانت عسكرية أيضاً، تعمل السلطات الاستعمارية الفرنسية بجد على التوسع شمالاً انطلاقاً من السنغال، وغربا انطلاقا من الجزائر، لتضم إليها شيئا فشيئا طرفا من المملكة المغربية. وقد عرفت سنة 1905 تصاعداً في الواجهة بين الفرنسيين والمغاربة. ففي الوقت الذي كان السفير الفرنسي بالمغرب يحاول دفع المخزن إلى قبول نوع من الحماية المبكرة، كانت القوات الفرنسية المنطلقة من السنغال قد شرعت في احتلال بعض النقط في أدرار وتگانت.

ورداً على هذا التوسع، حملت القبائل الصحراوية لواء الجهاد ضد الفرنسيين. وبتنسيق مع الشيخ ماء العينين، بعثت تلك القبائل وفداً إلى السلطان بفاس، تطلب منه التدخل لكف الفرنسيين عن محاولاتهم أو إرسال من يقود المجاهدين لطرد الغزاة.

وقد وقع اختيار السلطان على إدريس بن عبد الرحمان، لكون بيئة تافيلالت شبيهة بالبيئة التي عين فيها، ولكونه يمتاز بصفات تؤهله لمهمته: بنية قوية، وقامة أطول من المعتاد، وعمر يناهز الستين سنة، ولحية بيضاء تضفي على صاحبها الوقار والاحترام .

وكخليفة للسلطان، عُين معه مساعدان، أحدهما هو

الفقيه المدني بمثابة وزير، والآخر الفقيه الغرفي بصفته كاتبا. كما خصص له السلطان حرسا مكونا من اثني عشر جنديا.

ركب إدريس والوفد المرافق له، سفينة ألمانية أقتله من العرائش إلى الصويرة، وركب سفينة أخرى حملته إلى طرفاية ومنها انتقل إلى اسمارة. وفيها التقى بوفود القبائل الصحراوية : قبائل الحوض وأدرار وتگانت ووادي الذهب والساقية الحمراء.

كان أول عمل قام به إدريس بن عبد الرحمان هو تسليم ظهائر التولية لحوالي 14 قائداً على القبائل، ثم شرع بتنسيق مع الشيخ ماء العينين في توزيع الأسلحة التي أرسلها المخزن للمجاهدين، وفي تنظيم القبائل للجهاد. وقد واجهته بعض الصعوبات في البداية، لكنه تمكن من التنسيق بين القبائل ونظّم قوة قوامها 500 محارب تولى هو قيادتها، كانت تضم عناصر مجاهدة من أولاد بوسبع وإداوْيعش والمشنطوف. وكان حسانة ابن الشيخ ماء العينين يساعده مع اثني عشر رجلا من أتباع الشيخ .

لقد تميز نشاط إدريس في الأقاليم الصحراوية بالفعالية والتأثير، إذ سرعان ما انتشرت حميَّة الجهاد في سائر القبائل، وقد أثارت أعماله ردود فعل شديدة من طرف الفرنسيين، وخاصة بعد الهزائم التي تكبدتها قواتهم في إقليم تگانت.

فلما احتل الفرنسيون مركز تيجكجة، عسكر إدريس قريبا منهم في عين كشلة، وفصل المركز المذكور عن المناطق المحتلة في الجنوب، ثم أنذر قائد المركز الفرنسي بإخلائه والانسحاب فوراً من تگانت. لكن قرار القائد الفرنسي كان هو الهجوم علي قوات المجاهدين. فجرت معركة نيملان يوم 6 نوفمبر 1906. وهي معركة شديدة أسفرت عن هزيمة القوات الفرنسية واستيلاء المجاهدين على أسلحتها ودوابها. وإثر هذه المعركة تدخل الفرنسيون بقوة لدى المخزن وحمّلوه مسؤولية ما يجري بالأقاليم الصحراوية وطلبوا منه سحب ممثله من هناك، لكن المخزن استطاع أن يدافع الفرنسيون ويحملهم على التفاوض.

بيد أن احتلال وجدة في مارس 1907، وضع في يد الفرنسيين أداة ضغط قوية ضد المخزن، إذ كان من جملة الشروط التي اشترطوها للخروج من المدينة وإيقاف ضغطهم العسكري هواستدعاء خليفة السلطان إدريس بن عبد الرحمان، ومنع إرسال الأسلحة للقبائل الصحراوية والشيخ ماء العينين. وبعد محاولات تمَنُّع اضطُر السلطان للخضوع لشروطهم لتحرير مدينة وجدة. وبالفعل وجهت رسالة سلطانية مؤرخة بـ 8 ربيع النبوي 1325 / 21 أبريل 1907، إلى إدريس بن عبد الرحمان، تأمره بالعودة حالا ألى العاصمة فاس.

هكذا انتهت هذه المهمة التي قام بها المترجم خير قيام. ولا شك في أنها لم تكن المهمة الوحيدة داخل المخزن، إلا أننا لا نعلم هل كُلف إدريس بمهام أخرى أم لا، كما أننا لا نعلم المصير الذي انتهى إليه. فقد سقط المخزن العزيزي في سنة 1908. وعوضه مخزن مولاي عبد الحفيظ الذي اعلن الجهاد ضد الفرنسيين، فانضم إليه وفد من الفيلاليين بقيادة محمد ولد مولاي رشيد.

*كناش مكاتب الطابع الشريف*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ؛ م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*.
*Documents diplomatiques français*, Affaires du Maroc, 1905-1908.

علال الخديمي

ابن **إدريس، عبد العزيز** الزموري القبيل العمراوي الحسني النسب. ولد بفاس عام 1325 / 1907 - 1908. وهو من آل ابن إدريس الاديب الكبير، الوزير السفير. كان والده عبد الرحمان عالما عدلا موقتا بجامع الأندلس. وعنه أخذ المترجم علم التوقيت والفلك أولاً، ثم لازم دروس إمام التوقيت والتعديل بفاس الشيخ محمد العلمي فتخرج على يده رياضيا فلكيا، وحصل على عالمية القرويين سنة 1930 في خضم أحداث الظهير البربري الذي شارك مشاركة فعالة في مظاهرات استنكاره، فكان من أول سجناء الوطنين على يد الجلاد ابن البغدادي باشا فاس.

تميزت حياة عبد العزيز بن إدريس بشيئين، عقيدته السلفية التي أخذها أساسا عن الشيخ محمد بن العربي العلوي وجعلت منه أحد دعاة الإصلاح المحاربين للشعوذة والخرافات والضلالات ؛ وكفاحه الوطني الذي استمر منذ قيام كتلة العمل الوطني، إلى الحزب الوطني بعد انشقاق الكتلة، ثم التوقيع على عريضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944 والعمل في صفوف حزب الاستقلال كأحد قادته المناضلين البارزين. وامتاز بابتكار طرق للاتصال بالوطنين المقيمين في المناطق المعزولة أيام الاستعمار، خاصة في الأطلس فكان يذهب إلى أسواقها متنكراً في غمار البهلوانيين ليقص العنترية وما أشبهها من القصص الشعبية في "حلاقي" تمكِّنه في النهاية من الاتصال بمن يرغب في لقياهم. وفي هذه المسيرة الطويلة عرف السجون والمنافي والتعذيب والتنكيل على يد المستعمر.

لم تترك مشاغل الكفاح السياسي لعبد العزيز بن إدريس وقتا للاشتغال بالمسائل الثقافية، اللّهم إلا ما كان من إدارته لمؤسسة تعليمية حرة بفاس، مدرسة سيدي بناني داخل المدينة، وتطوعه بإلقاء دروس في الرياضيات بالمدارس الحرة التي لا أساتذة لهذه المادة بها، وعمله في

تحقيق أجزاء من كتاب *العبر* لابن خلدون بالمشاركة مع شكيب أرسلان وعلال الفاسي. وقد طبع منها جزآن بمطبعة النهضة في القاهرة عام 1355 ـ 1936 بعناية الناشر محمد المهدي الحبابي. وله *كتاب في السيرة النبوية* بالأمازيغية (بست لهجات منها) ألفه خلال السنتين اللتين قضاهما بسجن أَغْبالونْكردوس حيث كان يقوم في نفس الوقت بتدريسه للسجناء الوطنيين الأمازيغ؛ *محاضرات* كان يلقيها بالاذاعة المغربية بعد الاستقلال جُمعت بعد وفاته وطبعت بمطبعة الرسالة بالرباط.

وبعد انشقاق حزب الاستقلال في 25 يناير 1959 انحاز إلى جانب علال الفاسي،مبدياً حماسا كبيراً في مناوأة المنشقين. فكان لذلك كثير الحركة من أجل الاتصال بفروع الحزب في مختلف الجهات. وفي إحدى تنقلاته إلى الجنوب توجه إلى تحنّاوت بضاحية مراكش لترأس تجمع حزبي كان من المقرر أن يعقد يوم الجمعة 15 شوال 1378 / 25 أبريل 1959، لكن أفراداً من خصومه السياسيين اعترضوا سبيله وقتلوه هناك بعد أن شدخوا رأسه بالحجارة ـ رحمه الله ـ ونقل جثمانه إلى فاس حيث دفن في مقابر آل ابن إدريس بالقباب خارج باب الفتوح.

*مذكرات شخصية*؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد ابراهيم الكتاني

**إدريس عَلُوما** (أو ألُوما)، سلطان مملكة برنو الواقعة غربيّ بحيرة تشاد. كانت هذه المملكة حتى أواخر القرن الثامن / 14 م. خاضعة لجارتها مملكة كانم، ثم استقلت عنها بعد معارك طاحنة طويلة. ولم تلبث برنو أن بسطت نفوذها على معظم مناطق السودان الأوسط، وأصبحت كانم أحد الأقاليم التابعة لها.

ينتسب مايات برنو (الماي = الملك) إلى عرب حمير اليمنيين وملكهم الشهير سيف بن ذي يزن، ومن ثم عرفوا بالسيفيين. وإدريس ألوما هو الماي الثاني والخمسون من السيفيين، ينسب إلى بحيرة أَلُو بمنطقة أوجي، كما ينسب إلى أمه ـ على عادة السودانيين ـ فيدعى إدريس بن عائشة، ويلقب بالحاج إدريس لأنه أدى هذه الفريضة في السنة التاسعة من حكمه. مات أبوه الماي علي وهو ما يزال صغيرا، فاستولى على الحكم عبد الله بن دونامة إلى أن مات حوالي عام 971 / 1563 فحكمت البلاد الماجيرا (الملكة الأم) عائشة حتى عام 978 / 1570 وكانت تتسم بالحزم وحسن التدبير، فبثّت في إدريس روح الشجاعة والعدل والعمران.

باشر إدريس ألوما حكم برنو ثلاثاً وثلاثين سنة (979 ـ 1012 / 1571 ـ 1603) تعدّ أزهى عصور هذه المملكة سعة رقعة وانتشار أمن ورخاء، وظل طوال هذه الفترة يمهد البلاد ويقوم بحملات عسكرية في مختلف الواجهات، ضد المنتزين من الكانميين في الشرق، والطوارق والكاواريين في الشمال، والقبائل العربية وقبائل الصو في الجنوب، ويجاهد في نفس الوقت الوثنيين في جزر بحيرة تشاد. هذه التحركات العسكرية الضرورية لضبط أطراف إمبراطورية واسعة أصبحت تماسّ في تخومها الغربية والشمالية الشرقية مناطق نفوذ السعديين والأتراك العثمانيين، دفعت بإدريس ألوما إلى اتخاذ موقف التودد تجاه جاريه القويين ملك مراكش وخليفة اصطنبول، فكان يبعث إليهما بالسفارات والهدايا مؤكدا رغبته في حسن الجوار وتيسير سبل التجار وغيرهم من المتنقلين بين هذه الأقطار الإسلامية المتجاورة، وطالبا في نفس الوقت العون بالأسلحة النارية لجهاد الوثنيين السود.

وإذا كنا لم نطلع ـ لحد الآن ـ على نصوص الرسائل التي بعث بها إدريس ألوما إلى كل من مراد الثالث وأحمد المنصور، فإننا نستشف من أجوبتها المحفوظة بأرشيف استانبول، وبـ*مناهل الصفا* للفشتالي أن موقف سلطان برنو لم يكن موحدا تجاه الأتراك والسعديين. فهو إذ يطلب من الخليفة العثماني أن يتنازل له عن بعض القلاع في حدوده الشمالية مع مصر، يعرض خدمته وتبعيته للشريف السعدي شفويا بلسان سفيره وكتابيا (*مناهل الصفا*، 67 ـ 68). وهكذا نجد في رسالة مطولة غير مؤرخة للخليفة العثماني يرفض بلباقة طلب تسليم القلعة بعد أن حلّى في الديباجة إدريس ألوما بصفات تشريفية منسوبة على طريقة الأعاجم:

«هذا كتابنا الشريف السامي السلطاني، وخطابنا المنيف العالي الخاقاني ... أرسلناه إلى جناب الكريم الأميري الكبيري الأكرمي الأفخمي الأمجدي الأرشدي الأكملي الأولوي الإمامي الهمامي نصير الغزاة والمجاهدين، ظهير الملوك والسلاطين، المختص بمزيد عناية الملك المعين، ملك إدريس الوالي يومئذ بولاية بورنو، أدام الله سعده، وأنجح قصده. يهدي سلاما جميلا، وثناء جزيلا، وينهي أنه قد وصل كتابكم الشريف إلى سدتها السنية... ولا يخفى عليكم أنه ليس من قواعد آبائنا العظام، وديان أجدادنا الكرام، أن يعطوا قلعة من القلاع التي كانت في أيديهم...»

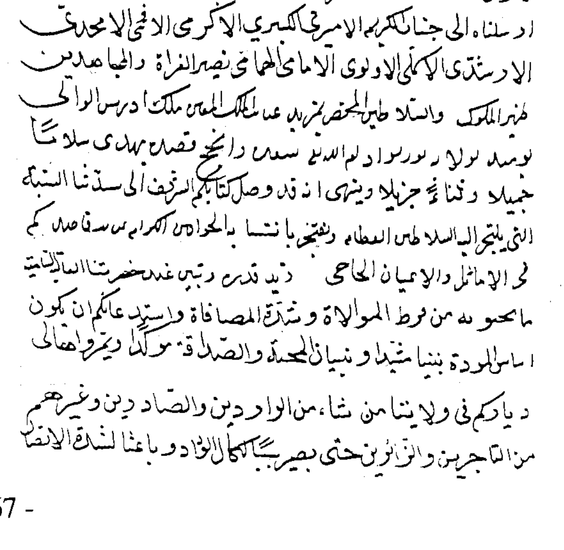
هذا كتابنا الشريف السامي السلطاني وخطابنا المنيف العالي الخاقاني

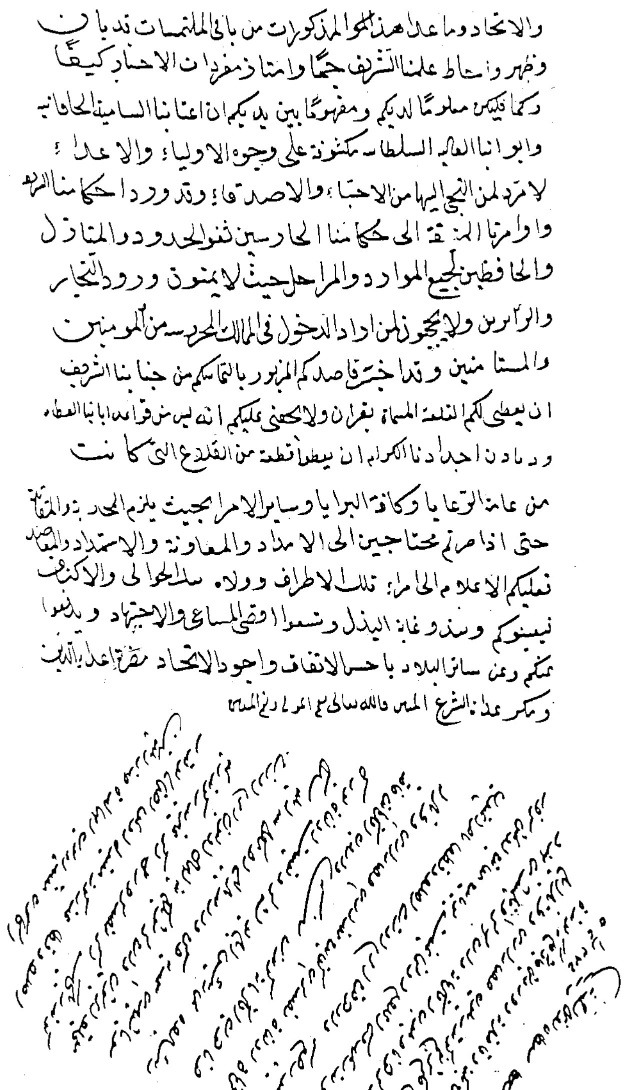

**رسالة موجهة من الخليفة العثماني إلى إدريس ألوما.**

(أرشيف رآسة الوزراء ـ اسطنبول، دفتر المهمة رقم 30)

وربما كان اختلاف موقف إدريس ألوما راجعا إلى الأسباب التالية :

أولا : اقتناعة بوجهة نظر الشرفاء السعديين الذين ظلوا ـ منذ عهد محمد المهدي الشيخ ـ يَدَّعون لأنفسهم أحقية الخلافة لنسبهم الشريف وينكرون خلافة العثمانيين الأعاجم الأغزاز.

والثاني : أن جيوش الشرفاء أصبحت على أبواب مملكة برونو بعد أن احتلت بلاد تيگورارين وتوات، متوغلة في الصحراء متأهبة لامتلاك ماوراءها من بلاد السودان. ولم يكن الخلاف بين أحمد المنصور والأسكيا إسحاق الثاني بسر. بينما لم يكن لإدريس اتصال بالإمبراطورية العثمانية إلا من جهة الحدود المصرية ـ الليبية، ولم يكن الحاكم التركي في القاهرة يتحرك نحوها إطلاقا، ولا يهتم ـ كنظرائه دايات طرابلس وتونس والجزائر ـ إلا بسيف البحر في الشمال.

والثالث : العداء القائم منذ زمان بين إمبراطوريتي مالي وسنغاي اللتين كانت كل منهما تطمع في توسيع منطقة نفوذها على حساب الأخرى، فكان المنصور عدوٌ الأسكيين حكام سنغاي حليفاً طبيعيا لملك برنو.

وصل سفير إدريس ألوما إلى المنصور، لأول مرة، أواخر عام 990 / 1582. وهو يومئذ في معسكره برأس الماء من ضاحية فاس، حاملا رسالة يطلب فيها مددا حربيا يستعين به على جهاد الذين يلونه من الكفار، فاعتذر المنصور بأنه بصدد تهييء حملة الصحراء. ثم رجع السفير مرة أخرى إلى مراكش وأعرب إذ ذاك عن قصده ومراده، فطالبهم المنصور بمبايعته والدخول في طاعته، وعلّق الإمداد على الوفاء بشرط قيامهم بأمر دعوته وجهاد الكفار باسمه، فالتزم السفير ذلك وزعم أنه يلتزم أيضا عن سلطانه بالقبول، وطلب أن تحرر له البيعة "مخافة الإخلال ببعض شروطها" فكتبت له واستصحبها معه". وقد احتفظ عبد العزيز الفشتالي بنص البيعة التي هي من إنشائه في *مناهل الصفا* (ص. 69 ـ 73)، وهي تتضمن التزام البرنويين وسلطانهم إدريس ببيعة الإمام الشريف السعدي أحمد المنصور. ومما جاء فيها : "... فانتدب لهذه الآثار، وصحيح الأخبار، وصرف إلى رضى الله العناية، ووقف مع الشرائع المشروعة حيث مركز الراية ومنتهى الغاية، الرئيس أبو العلاء إدريس ـ أكرمه الله ـ انتداب من وقفت به مطية التوفيق، على حضرة الإخلاص والتصديق... إلى تقلد بيعة إمام الجماعة مولانا أمير المومنين المنصور بالله ـ زاده الله قدسا وتشريفا ـ التي تتأسس إن شاء الله على تقوى من الله ورضوان، وتشهد عقدها الكريم ملائكة الرحمان. وآثر ـ أسعده الله ـ أن يؤدي فرضها المعدود من فروض الأعيان، وحكمها الذي توجه به خطاب الشرع العام إلى القاصي والدان، وينشر سنتها المشروعة في صقعه وما يليه من البقاع والأصقاع بالسودان..." (مناهل، ص. 71).

وعاد سفير برنو مرة ثالثة إلى المغرب يحمل بيعة مخدومة موقعة من طرفه، لكنه اعتل عندما وصل إلى تيگورارين ومات بها، فأشخص حكام المنطقة رفقاءه في السفارة مع ما يحملون من البيعة والهدايا إلى مراكش فقدموها للمنصور أواخر عام 991 / 1583.

ثم لا تتحدث المصادر عما آلت إليه العلاقات بين المغرب وبرنو إلا أن ثمت قرائن عدة تنبئ عن استمرار حسن الصلات بينهما. فأحمد المنصور تمكن من تحقيق غرضه بالاستيلاء على مملكة سنغاي التي طلما نافسته في ممالح الصحراء وكانت ـ في اعتقاده ـ مصدر ذهب السودان. تمكن من ذلك وهو آمن من أي تدخل ضده سواء من طرف رؤساء إمارات المنطقة الغربية الذين انقادوا له وسالموه أو من مملكة برونو الشرقية التي بايعته. وكأن المنصور لم يكن يهمه إلا ذلك من هؤلاء وأولئك. أما إدريس ألوما فإنه نشط خلال السنوات العشرين الأخيرة من حكمه في حركاته العسكرية مما يدل على أنه تلقى من العاهل المغربي ما

طلب من مدد، خاصة المدافع والأسلحة النارية التي كانت تصنع بمراكش أو تحمل من أوربا إلى الموانئ المغربية. فقام بحملات مظفرة في التخوم الغربية للأمبراطورية ضد سراكنة الحَوْصَا واستولى على كثير من بلادهم الواقعة في شرق نيجريا الحالية. كما تمكن من مهاجمة إقليم دارفور من بلاد النوبة المسيحية، وخرَّب ما به من كنائس وحمله كرها على الإسلام.

ومن غريب الاتفاق أن إدريس ألوما توفي في نفس السنة التي مات فيها أحمد المنصور، 1012 / 1603. اغتاله نبَّال وثني في إحدى حركاته الجهادية، ودُفن وسط بحيرة "ألُو" بمنطقة أُوجي قرب تَمدُّگري.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، طبعة وزارة الأوقاف د.ت. ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 5 ؛ إ. طرخان، *الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي*، أم درمان، د. ت. ؛ *إمبراطورية برنو الإسلامية*، القاهرة، 1975 (الفصل السادس) ؛ م. الغربي، *بداية الحكم المغربي في السودان الغربي*، الكويت 1982 ؛ *موريطانيا ومشاغل المغرب الإفريقية*، الرباط 1964 ؛ أحمد فَرْتوا، *تاريخ مملكة برنو في عهد الماي إدريس ألوما*، بواسطة الترجمة الإنجليزية لبالمر Palmer (Sir Richmond) لاگوس، 1929 ؛ *وثائق أرشيف رآسة الوزراء*. استانبول، دفتر المهمة رقم 30، حكم 494.496.

محمد حجي

**إدريس المامون**، تاسع الخلافاء الموحدين، تولى الخلافة ما بين 626 / 1129 وسنة 629 / 1232. اسمه الكامل : إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي الگومي. ولد بمالقة سنة 581 / 1184 من أم أندلسية الأصل تدعى صفية بيت الأمير محمد بن سعد بن مردنيش، وتلقى تربيته الأولي هناك. ذكره ابن الخطيب في (*الإحاطة*، 1 . 440) معجبا بعلمه وثقافته وذكائه وفطنته ونبله وهو لم يزل يافعا حسب قوله، وتُجمع المصادر التاريخية على أن المامون كان فقيها حافظا للحديث، عارفا بالقراءات متضلعا في علم العربية وآدابها ؛ وباختصار كان عالما بأمور الدين والدنيا. أما علمه بأمور الدين والاداب فقد برهن عليه في عدة مناسبات، منها على سبيل المثال، توجيه الرسائل إلى ولايات الإمبراطورية وعمالاتها يحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومنها عقده للمناظرات الفقهية والمجالس العلمية أثناء ولايته في الأندلس، وحفظه لأشعار العرب وتأليفه لقصائد شعرية أوردت المصادر نماذج منها.

لكن علمه بأمور الدنيا قد جانبت فيه المصادر الصواب: إذ تولى المامون عدة مناصب سياسية في الأندلس كان موفقا فيها لما كان واليا على قرطبة أثناء بيعة أخيه العادل في مرسية سنة 621 / 1224، وحينما انتقل العادل من الأندلس إلى مراكش في السنة الموالية نقل المامون إلى ولاية إشبيلية، وفيها حاصره أحد المتمردين على الموحدين المعروف بعبد الله البياسي، مستعينا في حصاره بجيش النصارى القشتاليين الذين اشترطوا عليه أن يتنازل لهم عن مدينة بياسة وقيجاطة من مدن شمال شرق الأندلس.

أظهر المامون كفاءة عالية ومقدرة حربية حينما تمكن من فك الحصار عن إشبيلية والانتصار على البياسي في 25 صفر 623 / 1226. وفي هذه السنة ثار سكان قرطبة على البياسي الذي كان قد استولى عليها فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى المامون في إشبيلية عربونا عن ولائهم على البيعة الموحدية، فأرسله المامون بدوره إلى الخليفة العادل في مراكش لإظهار نفس المعنى. فكافأه هذا بتعيينه واليا على قرطبة. وهكذا جمع المامون بين ولاية الحاضرتين (إشبيلية وقرطبة)، واستمر في هذا المنصب إلى أن تمرد ضد أخيه فخلع بيعته علناً ودعا بالخلافة لنفسه. وانفرد ابن الخطيب بذكر تولي المامون على مدينة مالقة ناقلا ذلك عن ابن عسكر المالقي إذ قال : "دخل مالقة من قبل أخيه... وهو شاب حدث" (الإحاطة، 1 : 410)، ونسب إليه بناء رياض السيد على الوادي بمالقة وأضاف أنه كان عظيم الولاية إلى أن نقل منها إلى قرطبة".

يمكن القول إنه خلال فترة تقلبه في المناصب السياسية هذه كان عالما بأمور دنياه. أما في الفترة التي تلتها وهي فترة توليه الخلافة فقد ظهر منه عكس ذلك.

تمرد على أخيه العادل وهو على رأس ولايتي قرطبة وإشبيلية، وكان ذلك بإيعاز من أخيه أبي زيد أمير بلنسية، فتمت له البيعة بإشبيلية أوائل شوال سنة 624 / شتنبر 1227. وبايعته كذلك طنجة وسبتة، ثم بايعه الموحدون بمراكش، وبعدما أرسلوا نص البيعة مع البريد، ندموا على ذلك لتخوفهم من صرامة المامون واحتمال انتقامه منهم بسبب قتلهم لعمه عبد الواحد الذي بايعوه من قبل ثم قتلوه سنة 621 / 1224 وقاموا بنفس العمل مع أخيه العادل 621 / 1224 . 624 / 1227. ثم بايعوا ابن أخيه يحيي ابن الناصر.

لما وصلت بيعة الموحدين بمراكش إلى المامون وهو بإشبيلية سر بها وأخذ يستعد للعودة إلى المغرب قاطعا بذلك متابعة الحرب ضد الثائر ابن هود، فوصل إلي الجزيرة الخضراء لكنه فوجئ بوصول خبر نكث الموحدين بمراكش لبيعته وتحولهم نحو ابن أخيه يحيى، فسقط في يده والتجأ إلى حل أثار نقمة الموحدين وغير الموحدين عليه. ذلك أنه استنجد بالنصارى القشتاليين فقبل ملكهم مساعدته عسكريا مقابل شروط قاسية، منها أن يسلمه المامون عشرة حصون في الأندلس يختارها هو بنفسه، وأن يبني بمراكش عند دخولها بالكتيبة القشتالية كنيسة يمارس فيها أولئك النصارى شعائرهم الدينية، ومن الشروط كذلك أن لا يقبل الخليفة إسلام أي جندي من المسيحيين، فقبل المامون ذلك كله. أما الأوضاع في مراكش فكانت غير مستقرة لأن أشياخ الموحدين حاولوا أن يلحقوا يحيى بعبد الواحد والعادل، ففر إلى تينمل في جمادى الآخرة 626 / 1229. عندئذ تراجع الأشياخ عن بيعته وعادوا لمبايعة المامون لما

تبين لهم عزمه واستعانته بالنصارى فكتبوا يخبرونه بذلك، كما بايعه أمير قبيلة الخلط هلال بن حميدان، لكن يحيى عاد إلى مراكش بعد أربعة أشهر ليقتل العامل الذي نصبه أشياخ الموحدين باسم المامون بها، ثم خرج في استعداد عسكري كبير إلى ظاهر مراكش ينتظر قدوم خصمه المامون الذي كان قد اجتاز المضيق إلى سبتة ومعه جنود النصارى في ذي القعدة 626 / 1229 فكان أول خليفة موحدي استعان بالنصارى وأدخلهم إلى المغرب. ومن سبتة انتقل إلى مراكش فاشتبك مع جيش منافسه يحيى الذي انهزم أمامه وفر إلى الجبل ودخل المامون مدينة مراكش ظافرا لكن بسلاح النصارى الذي لعب دورا بارزا في المعركة ضد يحيى.

ترتب عن خروج المامون الغير المنظم من الأندلس، فراغ سياسي استغله خصوم الموحدين هناك وعلى رأسهم الثائر ابن هود الذي أصبح سيد الأندلس في مدة وجيزة، إذ تتابعت مختلف جهات الأندلس في الدخول تحت نفوذه وقامت ثورة عارمة ضد الوجود الموحدي في الأندلس أدت إلى انفصالها عن الإمبراطورية. لما دخل المامون مدينة مراكش بويع فيها بيعة أخرى. وبعد استراحة قصيرة، جمع بعض أشياخ الموحدين، لأن الكثيرين منهم كانوا قد فروا مع يحيى خوفا من بطش المامون، وعقد لهم شبه محاكمة أثار فيها مسألة البيعة ومن له الحق فيها، ومسألة تلاعبهم بالخلفاء والأمراء من بني عبد المومن وحمّلهم مسؤولية تدهور الدولة وأقام عليهم الدليل ثم حكم فيهم القرآن. وبلغت نقمة المامون على الزعماء الموحدين أنه لم يتردد في قتل طفل منهم جيء به إليه بعد أن نفذ حكمه في إعدام أزيد من مائة منهم.

لم يلبث المامون أن اتخذ إجراء آخر أكثر عنفا زاد من تدهور الأوضاع السياسية وتفكك أواصر العصبية، ذلك أنه ضرب المذهب الموحدي في أحد ركائزه ومقدساته، وشن حملة شعواء ضد المهدي ابن تومرت، وقام في الناس خطيبا يلعنه ويدعو إلى سبه، وكتب الرسائل بذلك إلى الجهات وأتبع عمله هذا بإجراءات تقضي بمحو كل ما يمت إلى المهدي بصلة على المستوى الرسمي. ولعل عمل المامون هذا كان يرمي إلى التخلص من ضغط أشياخ الموحدين الذين طالما مارسوه على الخلفاء منذ تأسيس الدولة. وبالتالي فقد كان له مخطط إصلاحي لهياكل الدولة إلا أنه لم يختر الوقت المناسب، فجر عليه الكثير من المتاعب، خاصة وأنه لم يكن الخليفة الوحيد، إذ كان منافسه يحيى ما زال في عنفوان ثورته. فسرعان ما جمع جيشا من أنصاره والخارجين عن المامون الذين ازداد عددهم، ودخل بهم في معركة أخرى ضد المامون، لكنه انهزم أيضا يوم السبت 25 ربيع الأول 627 / 1230.

وأكبر رد فعل ضد إجراءات المامون كان انفصال شرق الإمبراطورية الموحدية عن مركز الخلافة في مراكش، فقد استقلت إفريقية وشرق المغرب الأوسط في نفس السنة وأعلن أحد حفدة الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي - أحد الزعماء التاريخيين للحركة التومرتية - أعلن نفسه خليفة في المنطقة وأنه الوارث الشرعي للدولة الموحدية التي ضربها المامون في أقدس مقدساتها. ومن هذه السنة بدأ تاريخ الدولة الحفصية التي حكمت تونس وبعض المغرب الأوسط إلى حين دخول المنطقة ضمن الامبراطورية العثمانية.

من نتائج سياسة المامون كذلك فتح الباب على مصراعيه أمام كل طامع في السلطة، فبالإضافة إلى ثورة يحيى المستمرة، قام ضده أخوه أبو موسى بمدينة سبتة وتلقى البيعة من أهل سبتة وتلقب بالمؤيد وذلك سنة 627 / 1230.

وبعد سنتين اعتقد المامون أن ثورة ابن أخيه قد فشلت ريحها بسبب توالي الهزائم عليه. فقرر التوجه إلى سبتة لإعادتها إلى طاعته والقضاء على أخيه، وأثناء استعداده لذلك جاءته استغاثة من مكناسة التي حاصرتها قبائل الأطلس المتوسط الفزازية والمكلاتية، فعرج وهو في طريقه إلى سبتة على مكناسة واستطاع أن يفك عنها الحصار، ثم استأنف سيره نحو سبتة فحاصرها في نفس السنة دون أن ينال منها بسبب تحصينها وموقعها وموقف أهلها الرافض لسلطة المامون.

أثناء حصاره لسبتة فر منها أخوه أبو موسى إلى الأندلس ودخل في طاعة ابن هود ملحقا بذلك المدينة بمنطقة نفوذ ابن هود، فعين هذا واليا عليها من قبله يعرف بالغشتي الذي سرعان ما رفضه أهل سبتة وبايعوا مكانه أحد الزعماء منهم يدعى أحمد بن محمد اليانشتي الذي تلقب بالموفق بالله. كل هذه الأحداث جرت والمامون محاصر للمدينة إلى أن جاء الخبر من مراكش بعودة يحيى إلى المدينة واستيلائه على الأمتعة والذخائر السلطانية، وأحدث في المدينة من النهب والقتل ما أزعج المامون ودفعه إلى رفع الحصار والعودة مسرعا إلى مراكش، لكن تكاثر الأحداث عليه وفشل خططه وسياسته جعلته يموت غما وكمدا وهو في الطريق إلى مراكش.

أ. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، 1979 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى* ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج.2.

محمد الطويل

ابن إدريس، **محمد** حفيد محمد بن عبد الرحمان العمراني المراكشي المعروف بالدرقاوي. درس بفاس، وكان عالما فاضلا.ركز المترجمون له على علاقته بشيخه في التصوف محمد العربي الدرقاوي، وأخذه عنه في زاويته ببوبريح (بني زروال)، وخدمته له على عادة المريدين مع

شيخوهم. وذكروا أنه أبدى في ذلك خضوعا وطاعة تجعله ينفذ أصعب المهام وأقساها دون تردد. وأذن له بالذهاب إلى مراكش بعد مدة طويلة من الخدمة. فأسس فرعا للزاوية الدرقاوية بالقصور (حومة أعيان المدينة) بفحل الزفريتي منها. وقد عرفت الطريقة الدرقاوية انتشارا واسعا بالمدينة وتأسست بها زاويا عديدة من طرف تلامذة الشيخ هي : العمرية بباب الخميس (هي الزاوية الأم) والفتحية بثلاثة فحول، والبدوية بسيدي بولعبادة من حوة بنصالح، وزوايا باب أيلان وروض الزيتون القديم وازيرط وباب دكالة والقصبة. وتعتبر زاوية ابن إدريس بالقصور أكثرها نشاطا في الوقت الراهن.

وقع اختلاف في تاريخ وفاته فعند ابن إبراهيم أنه توفي في حياة شيخه (*الإعلام*، 6 : 218). والمعروف أن العربي الدرقاوي توفي سنة 1239 / 1823. بينما جعل ابن المؤقت وفاة ابن إدريس أواسط القرن الثالث عشر الهجري / 19 م (*السعادة*، 2 : 85). ودفن بقبة زاوية القصور يسارا، وقد حاولنا حل الإشكال في عين المكان، إلا أنه توجد شاهدة عند قبر ابن إدريس المحاط بدربوز خشبي.

وقد نسبت له ـ كغيره من أشياخ الطريقة ـ كرامات في حياته وبعد مماته، كانت سببا في إصلاح السلطان ـ ولعله محمد بن عبد الرحمان ـ لزاويته، وإجراء الماء لها.

م. ابن الموقت، *السعادة*، 2 : 85 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 6 : 218؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 16 : 40.

حسن جلاب

**إدريس بن محمد بن عبد المؤمن**، آخر الخلفاء الموحدين، كنيته أبودبوس. ولقبه الخلافي : الواثق بالله والمعتمد على الله . لم يتول أحد من أسلافه منصب الخلافة غير عبد المؤمن جدّ أبيه، وهو المؤسس للدولة الموحدية التي تعرف أيضا بدولة بني عبد المؤمن.

ظهر الحديث عن إدريس صاحب الترجمة منذ حصار المرينيين لمراكش سنة 663 / 1265 في عهد الخليفة الموحدي عمر المرتضى الذى جعل أبادبوس قائداً للجيش المحارب للمرنيين، وانتهى الحصار بعد موت ابن الأمير المريني وقبول الخليفة المرتضى دفع إتاوة سنوية له وكان الطرفان اتفقا على اعتبار واد أم الربيع حداً بينهما (*الذخيرة*، 94 ؛ *القرطاس*، 302).

ويبدو أن هذا الموقف من طرف المرتضى لم يلق تأييدا في نفس قائد جيشه إدريس الذى وصف بالحزم والعزم والجرأة والدهاء والهمة العالية. فرفعت إلى المرتضى عنه أشياء أراد قتله من أجلها (*القرطاس*، 260).

ويذكر صاحب *الذخيرة* (109) اتهامه بتدبير انقلاب ضد المرتضى بتعاون مع المرينيين. وسواء صح هذا أم لم يصح فإن ادريس شعر بنقص الاحترام له في مجلس الخليفة (*البيان*، 441). فقصد أمير المرينين بفاس، وطلب منه الإمداد ليفتح مراكش، على أن يكون ملكها مُناصفة بينهما، ويقال إنه عاهده على أن يكون في خدمته وأن يقاسمه مايجده من الأموال والذخائر. فأمر يعقوب المريني أتباعه من عرب الخلط وبربر هكسورة بمناصرة أبي دبوس، ومنحه من جهته أموالا وطبولاً وأعلاماً وجنداً. فاستقر مدة بجبال هسكورة ينظم أمره ويراسل أنصاره من حاشية المرتضى إلى ان دخل مراكش على حين غفلة منه في محرم سنة 665 / أكتوبر 1266. وفر المرتضى إلى مدينة أزمور، فقبض عليه واليها ابن عطوش، ثم قُتل بأمر أبي دبوس.

بعد الدخول إلى مراكش، حصل أبو دبوس (الواثق بالله) على بيعة الوزراء والفقهاء وأشياخ المصامدة والعامة. وكان عليه أن يواجه عدة مشاكل = المشكل المالي، وثورة ابن يدّر بالسوس. فقد وجد بيت المال فارغا مما استلزم محاسبة عدد من المسؤولين وإغرامهم، ورغم ذلك ألغى ماوجد من مكوس في الأبواب والرحاب (*البيان*، 455-456)، فلم يف بالشروط التي قطعها على نفسه للمريني، بل قيل إنه أرسل إليه يخاطبه كأحد ولاته، مما استلزم حركة مرينية نحو مراكش أمكن ردها بتوسط أحد شيوخ هسكورة وبهدية من الواثق إلى الأمير المريني. فاستغل الواثق هذا الظرف لمواجهة مشاكل أخرى، فقد كانت طاعة هسكورة مشكوكا فيها خاصة وأن أحد أبناء الخليفة الموحدي السعيد حاول الاستعانة بهسكورة للانقلاب ضد الواثق، فاكتُشف أمره وقُتل، وقبل الواثق الطاعة الشكلية من شيخ هكسورة، ليتفرغ لحرب ابن يّدرْ بالسوس وأنصاره من قبائل المنطقة البربرية وبعض عرب معقل، وتمكن من فرض طاعته عليه بحملة قادها الواثق بنفسه إلى نواحي تارودانت في قعدة 665 / 1267. وهناك تلقى بيعة وفود قبائل المنطقة الجنوبية بما فيهم شيوخ الساقية الحمراء (*البيان*، 466) هذا الانتصار الجديد رفع معنوية الواثق ليواجه المرينين الذين عزموا على محاربته خاصة عندما وثق من حلف بني زيان بتلمسان بل توصل ببيعتهم، بينما كان بنو مرين يتلقون الدعم المادي والمعنوي من الحفصيين بإفريقية ضد الموحدين. فلما اقتحم بنوزيان منطقة نفوذ المرينين اشتبك معهم هؤلاء في أراضي ملوية فتراجعوا شرقا بينما عاد المرينيون للتضييق على مراكش حتى اضطر الواثق إلى الخروج لمقاتلتهم. فتظاهر هؤلاء بالفرار أمامه إبعاداً له عن عاصمته، ثم اشتبكوا معه في معركة كانت فيها نهايته في محرم 668 / سبتمبر 1267 واضعين بذلك حداً نهائيا للدولة الموحدية.

هكذا لم تكن جرأة إدريس الواثق ودهاؤه كافيين لإعادة الروح إلى الدولة الموحدية التي دخلت في مرحلة الاحتضار سنوات طويلة قبل ذلك.

ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ *الذخيرة السنية* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، المجلدان 6، 7 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ خ. الزركلي، *الأعلام* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*، القسم الثاني.

أحمد عزاوي

ابن **إدريس، المكي** العمراوي، ابن الوزير محمد بن إدريس الأديب الشهير. اشتغل في الطباعة الحجرية بفاس في طورها الثاني بعد أن تخلت عنها الدولة وأصبحت بيد الخواص. فكان المكي بن إدريس، إلى جانب الطيب الأزرق والعربي الأزرق، ينشر فيها كتبا فقهية وصوفية. وابتداءً من عام 1292 / 1875 كان له طابع مستدير يحمل اسمه ويختم به مطبوعاته. توفي بعد عام 1294 / 1877.

طابع المكي ابن إدريس العمراوي

م. المنوني، *مظاهر يقظة*، 1 : 274 ـ 275 ؛ *ختم بعض المطبوعات الحجرية التي أنجزها المترجم.*

محمد حجي

**إدريس، مؤلف الابتسام** ما يزال هذا الشخص مجهولا إلى الآن، رغم مكانته العلمية، والوظائف المخزنية التي شغلها ، والرحلات الكثيرة التي قام بها للمشرق والمغرب. ويظهر أن انطماس اسمه ونسبه هو السبب الأول في كونه مايزال مجهولا عند الدراسين الى الآن. غير ان كتابه الذي سماه : *الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمان بن هشام*، أو : *ديوان العبر في ذكر أخبار القرن الثالث* عشر يعتبر بحق ترجمة وافية للمترجم وعصره، ومنه استطعنا أن نتعرف على بعض أخباره.

كانت له صداقة حميمة مع محمد بن إدريس العمراوي، وزير السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، وكان الوزير يداعبه كثيراً ومما جاء في ذلك قول المترجم : ـ "وكانت لي أمة أتسرى بها، فكان الفقيه ـ ابن إدريس ـ يظن أني مغرم بها، فأنشد ممازحاً لي :

إدريس ماذا التغالي    في حب هذي الأمية

وهي أبيات ثلاثة (*الابتسام*، 117)، فتبين من ذلك أن اسمه (إدريس). وهو ما ذكره الحجوي ولم يذكر لقبه (العبيد)، لأن هذا اللقب سقط من النسخة التي اعتمدها على مايظهر.

وقد ورد لقب (العبيد)، خلال الابتسام أيضا (264) ضمن بيت من الشعر هو آخر الأبيات الخمسة التي قالها المترجم بمناسبة تقديمه حلوى (الكنافة) لاصدقائه الكتاب، بمقصورة القصر الملكي بفاس الجديد سنة 1264 / 1848، كما يحكي المترجم ذلك بنفسه فيقول : "وكنا يوما مجتمعين في مقصورة الكتاب سنة أربع وستين، فاشتهوا الكنافة، وهي من المحالي التي يصنعها المشارقة، تكون من صفي الدقيق واللوز والسكر، فقلت لهم أنا أصنعها لكم، فصنعناها في البيت، ثم رفعتها لدار الإمارة بفاس الجديد، وحضرتني أبيات شعر عند ذلك فقلت :

هذي الكنافة يا للقوم قد حضرت    مغمورة في بحار السمن والعسل

الى أن قال في البيت الخامس والأخير :

كلوا هنيئاً مريئاً واشربوا أتيـاً    قد ساقها لكمُ العبيد في خجـل

فربما كان يدعى (العبيد) أي (إدريس العبيد). وتم شكل العبيد في النسخة بالتصغير (بضم العين) وقد سقط هذا البيت الأخير من نسخة الخزانة (الملكية). بينما يوجد بالنسخة الأصيلة التي هي في ملك الوافي العراقي ولم يطلع عليها الحجوي وإنما اطلع على نسخة أخرى سقط منها البيت الذي يتضمن كلمة (العبيد). مثل نسخة الخزانة الحسنية التي سقط منها البيت المذكور أيضا. ورغم كل هذا يظل نسب المترجم مجهولا إلى الآن، حتى يكشف عنه البحث. وهناك معلومات في كتابه *الابتسام* يمكنها أن تيسر البحث عن اسمه الكامل ونسبه، وسنستغلها في تحقيق ذلك عندما تسمح الظروف بحول الله.

رحل إدريس العُبيـد هذا إلى المشـرق ثلاث مـرات :
ـ الرحلة الأولى هي التي رافق فيها والده إلى الحج سنة 1225 / 1809.

وقد ذكر هذه الرحلة خلال حديثه عن مضايقة الوهابيين ومنعهم الحجاج من زيارة قبرالرسول عليه السلام بالمدينة المنورة، كان والده ممن أوذوا بسبب ذلك، غير أنه استطاع أن يتسلل صحبة ولده إدريس هذا، ويتمكنا من الزيارة لكن عندما ما كان والده يشتري شيئا من عطار، وقع في خلاف معه، فقال والده للعطار : يا هذا ! صل على النبي، فما أتمها حتى ضربه رجل وهابي كان وراءه بعصا، وقال له: يا مشرك ! لم تقول صلِّ على النبي؟ فرجع والد المترجم مذعوراً يرتعش خوفا على نفسه.

أما الرحلة الثانية، فكانت طويلة لأنها كانت من أجل الدراسة وتحصيل العلم، ولم يذكر متى خرج فيها من فاس. إلا أنه ذكر تاريخ وصوله القاهرة ودخوله الأزهر سنة 1236 / 1820، ومن حينه بدأ يتردد على حلق العلم فتتلمذ على عدد كبير من شيوخ الأزهر، الشافعية منهم والمالكية، وترجم لهم جميعا، كما تعرض للحياة العلمية والنظام الجامعي بالأزهر بشكل دقيق يثير الإعجاب. أما العلماء الشافعية الذين أخذ عنهم فهم : ـ الشيخ الحسن القُويسيني (ت : 1254 هـ) والشيخ حسن العطار (ت : 1250 هـ) والشيخ إبراهيم الباجوري (ت : 1277 هـ )، والشيخ عبد الغني الدمياطي والشيخ محمد بن العروسي (ت: 1244 هـ)، وغيرهم.

ومن المالكية الذين أخذ عنهم : الشيخ عبد الواحد الشاسي والشيخ حسن الأبطح، والشيخ مصطفى البولاقى (ت : 1263 هـ) والشيخ محمد حبيش، والشيخ علي الميلي (ت : 1248 هـ )، وغيرهم. وخلال 1238 / 1822، خرج من القاهرة إلى مكة المكرمة صحبة شيخه المغربي الفاسي محمد بن بدر الحمومي (ت: 1266 هـ) الذي أدركه بالقاهرة وصحبه إلى الحج. وبمكة المكرمة أخذ المترجم عن الشيخ محمد صالح، والشيخ عبد الله سراج، والشيخ أحمد بن

إدريس المغربي الميسوري الذي ذكر بأنه هاجر من المغرب إلى مكة واستقر بها نهائيا، وكان من العلماء المجتهدين هناك، وقد زاره المترجم هو وجماعة من أهل فاس في بيته، واستمعوا له في عدد من الأمور العلمية.

رجع إدريس إلى جامع الأزهر، وبقي به إلى سنة 1243 / 1827، ثم توجه إلى تونس، ودخل جامع الزيتونة، فأخذ به عن الشيخ إبراهيم الرياحي (ت 1266 هـ) بعض علوم التفسير والحديث والفقه والبيان. وترجم له منوها بعمقه العلمي، ودوره السياسي البارز، كما ذكر سفارته للمغرب مرتين بأمر واليها الباي أحمد (1837 ـ 1855 م). ولم يذكر متى رجع بالضبط، لكنه أشار إلى اجتماعه بشيخه عبد القادر الكوهن في جامع القرويين سنة 1245 / 1829، ويظهر أنها السنة التي رجع فيها لبلدته فاس. كما أنه لم يذكر جميع شيوخه بالمغرب، وإنما ذكر عرضا، مثل الكوهن المذكور، والشيخ حمدون بن الحاج (ت 1232) وغيرهما. وانخرط في الطريقة الدرقاوية على يد الشيخ محمد الحراق (ت 1261 هـ) بتطوان سنة 1261 / 1845. كما اتصل بعدد كبير من الشخصيات العلمية بالمغرب، واستفاد من عدد من المناظرات والمساجلات التي كانت تجرى في هذه اللقاءات حسب قوله.

يظهر من كل ذلك أن المترجم تكونت لديه حصيلة علمية هامة، وقدرة أدبية ولغوية وشعرية لا بأس بها، حسبما تعكسه النماذج التي عرضها في كتابه *الابتسام* سواء في علوم القرآن والحديث والفقه، وفي علوم اللغة والأدب والشعر، وقد قدم تقريراً عن النقاش الذي دار بين شيخه عبد القادر الكوهن وشخص آخر بالقرويين سنة 1254 هـ حول علاقة النفس بالإيمان والمؤثرات السلبية التي تنتابها أحياناً، أبان فيه عن قدرة علمية وفلسفية لا بأس بها. وكذلك بالنسبة للمفاهيم التي عرضها حول إعجاز القرآن، وبعض المصطلحات اللغوية، والنوازل الفقهية، والقطع الشعرية التي نظمها. أخبر المترجم بأنه انخرط في سلك الكتاب الملكي بالقصر منذ سنة 1254 / 1838، حيث كان مكلفا في البداية بكناش الداخل والخارج، ثم أصبح ضمن سلك كتاب المراسلات. وكان صديقا حميما للوزير ابن إدريس، لذلك خصه بترجمة طويلة، عرض فيها أطوار حياته السياسية، بما فيها النكبات التي تعرض لها. وذكر في هذه الترجمة بأنه كان له بمنزلة الوالد، مستشهداً بعدد من المواقف التي وقف فيها ابن دريس بجانب المترجم، والتقدير الكبير الذي كان يحظى به عنده، حتى إن ابن إدريس كان يقوم من مجلسه ليجلس فيه المترجم عندما يدخل عليه.

ولم يغفل علاقته بسلك الكتاب الذين كانوا معه، فقد ترجم لهم واحداً بعد آخر، كما ترجم للكتاب الذين سبقوه على عهد السلطان المولى سليمان، وترجم كذلك لجهاز العلماء في العصر السليماني، وعصر السلطان المولى عبد الرحمان ابن هشام. وعلماء المشرق الذين زاروا المغرب، إلى جانب علماء الأزهر الذين شاهدهم بنفسه، سواء درس عليهم أولم يدرس عليهم، موضحا الفوارق بين النظام التعليمي في الأزهر ونظيره بالقرويين.

ويظهر أنه زار جميع مدن المغرب تقريبا، لأنه كان يتنقل مع تنقل السلطان، فذكر زيارته لمراكش، والرباط، وتطوان، وطنجة، والعرائش، والقصر الكبير، ومكناس.... الخ وفي 1262 / 1846، شارك مع بقية الكتاب في تنظيم الخزانة الملكية بمراكش. ثم اختاره السلطان، وعين معه الكاتب محمد السطي، وأدخلهما إلى مكتبة ملكية ثانية، كانت بداخل القصر بمراكش، فرتب المترجم هذه الخزانة "حسب أنواع العلم".

قرر إدريس أن يقوم برحلة ثالثة للمشرق ابتداء من سنة 1266 / 1850، فقد كان على ما يبدو من كلامه ميالا إلى الزهد والعبادة، قلقا من الحياة السياسية والإدارية، ففضل الجوار حسب قوله، خصوصا لما : "خالط سوادَ الشباب بياضُ المشيب، وأسرع الوهنُ في العراقيب، وتدانى البعيد، وتوالت عيوب الكبر في مزيد : تاقت النفس لمربع تحطم فيه الذنوب، وتتناثر فيه العيوب، حيث نزل الوحي منْ علام الغيوب. واختارت مجاورة من يؤمن جارُه، ولا تُخذل أنصارُه، وهو رب الأرباب، ومُعتق الرقاب، ميسر الحساب، وما يذكر إلا أولو الألباب... ونبذت ورائي جميع الأوطار، وتخليت عن خدمة ملك الأرض، ملتجئاً بجناب ملك الملوك..." (ص. 256)، موضحا أن عدداً كبيراً من المثبطات الاقتصادية والبشرية والنفسية حاولت منعه القيام بهذه الرحلة، لكنه تغلب عليها. وقد ذكر مراحل هذه الرحلة، ومشاهداته فيها منذ خروجه من مدينة فاس، حتى دخوله مصر، غير أن الخروم الكثيرة الواسعة التي أصابت نهاية الكتاب، لم تسمح بمعرفة نهاية هذه الرحلة، ولا ما بعدها، ولا كيف ختمت، وإلى أين انتهى إدريس هذا في حياته.

قدم لنا إدريس خلال رحلته الثانية، معلومات قيمة عن وضعية العالم العربي، سواء بالنسبة للحركة الوهابية بالحجاز، وكيف تمكن الوالى المصري من القضاء عليها. أو بالنسبة للأنظمة الجديدة التي اقتبسها محمد علي من أوربا كتنظيم الجيش، وإدخاله للصناعات المختلفة، وخصوصا صناعة النسيج، وتطوير القطاع الزراعي، وشبكة الري، وتحديدالجهاز الاداري ..الخ وعرض معلومات قيمة عن حروب الباب العالي مع الروس، واستقلال اليونان، والحروب التي دارت بين محمد علي والسلطان التركي، وتدخل الدول الأوربية فيها، واحتلال فرنسا للجزائر وغيرذلك.

وخلال رحلته الثالثة كان يذكر بدهشة كبيرة التغيرات التي حدثت بعده في مصر وتركيا والحجاز، وخصوصا دخول القوانين الوضعية الجديدة لبعض بلدان العالم العربي، مثل المطالبة بجواز السفر عند الدخول إلى مصر مثلا والتي عانى منها هو نفسه، حتى سجن من أجلها، ثم أطلق

سراحه على أساس أن يضمنه شخص مصري. ومثل الألبسة الأوربية التي أصبح يلبسها الجيش المصري والتركي، والتي حكم المترجم على أصحابها في البداية بالكفر، واعتبرها بدعة سيئة، ثم تراجع عن ذلك، معتقداً أن العلماء ربما أباحوا ذلك لضرورة شرعية. وهكذا يظهر أن الرجل على الرغم من رحلاته الكثيرة واتصالاته المكثفة، كان يجهل عصره، وخصوصا اندفاع الحركة الاستعمارية الأوربية، ومعها الحضارة اللاتينية الجديدة، وتسربها عبر الأسباب التجارية والعسكرية والاستعمارية للعالم الإسلامي كله، ولو أنه كان يسافر في سفن نارية أنجليزية، ويلاحظ مظاهرها المتطورة، وعقلية الانسان الأوربي الذي احتك به في جبل طارق ومالطة وإيطاليا، وهي المراكز التي يقضي بها أكثر من أسبوعين أحيانا. ورغم ذلك، فان دعوته للتجديد والتنظيم واضحة من خلال كتابه لكن هذه الدعوة كانت عنده مبهمة نتيجة جهله بالتطورات التي كانت تعرفها أوربا.

إدريس، *الابتسام*، مخطوط ؛ ومنه اقتبس محمد الحجوي في بداية *اختصار الابتسام* مخطوط .

أحمد العماري

**إدريس، بن يعقوب المنصور** بن يوسف بن عبد المومن الموحدي، كنيته أبو العلاء وأبو العلي، ولقبه الخلافي المامون ، أمه بنت أمير شرق الأندلس سابقا محمد بن سعيد بن مردنيش.

كان ذا معرفة بالفقه والحديث "لم يزل أيام خلافته يقرأ *الموطأ وكتاب البخاري وسنن أبي داود*" (*القرطاس*، 249) كما كان" كاتبا أديبا فصيحا بليغا" (*الإحاطة*، 1 : 410 - 411).

جمع إدريس المامون حوله مجموعة من مشاهير الكتاب أيام ولايته ثم خلافته، أمثال أبي زكرياء الفازازي، وابن عميرة، وأبي الحسن الرعيني، وأبي عبد الله بن عياش، وأبي العباس بن عمران وغيرهم (*البيان*، 255). ومع هذا فقد كان يتصدى بنفسه أحيانا إلى كتابة الرسائل مثل رسالته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد بيعته بالخلافة في إشبيلية (*الاحاطة*، 412). ورسالته العتابية إلى أهل اندوجر، ثم رسالته من مراكش في موضوع إلغاء رسوم المهدي (*الاحاطة*، 1 : 413 ؛ *البيان*، 266 - 268، *الحلل*، 164 - 165). وسيتضح موقفه الديني في بعض الإجراءات أيام خلافته.

وُصف إدريس بالحزم والشجاعة والجرأة، وأن همة الملوك ظهرت عليه منذ اشتغاله بمهام الولاية. منها ولايته على مالقه في عهد المستنصر ابن اخيه الناصر، ومن مآثره فيها "قصر السيد" على ضفة الوادي (*الاحاطة* 1 : 411، *الحلل*، 164). ثم أصبح واليا على قرطبة خلال عهد الخليفة عبد الواحد المخلوع سنة 621 / 1224 (*البيان*، 248)، ودعَّم أخاه عبد الله (العادل والي مرسية في طلبه للخلافة ضد عمه عبد الواحد، وعندما تمت بيعة العادل واستقر بمراكش جعل ولاية إشبيلية لأخيه إدريس (621 / 1224 - 624 / 1227). وخلال هذه الفترة ثار والي قرطبة الموحدي عبد الله البياسي (نسبة الى مدينة بياسة التي تحصن بها). وتحالف مع ملك قشتالة وهدد باحتلال إشبيلية أكثر من مرة إلى أن تمكن إدريس من التغلب عليه بمساعدة أهل قرطبة فأضافها الخليفة العادل إلى ولايته بإشبيلية. ويظهر أن العادل منحه تفويضا في مراقبة شؤون الأندلس ، حتى إننا نجد له ظهيراً عيّن بمقتضاه أحد الولاة بالأندلس. هذه السلطة الواسعة مع ظروف المغرب الأقصى خاصة شجعت إدريس على طلب الخلافة لنفسه، فبويع بإشبيلية في 2 شوال 624 / 15 سبتمبر 1227. وقتل أشياخُ الموحدين بمراكش أخاه العادل وأرسلوا اليه بيعتهم ثم تراجعوا عنها لصالح ابن أخيه يحيى بن الناصر الملقب بالمعتصم.

حاول إدريس المامون إقرار الأمور بالأندلس وجمع الأنصار بالمغرب قبل الجواز إليه. وكان أخطر ثائر عليه بشرق الأندلس هو ابن هود، فعلى الرغم من تراجعه عن غرناطة ظل متمسكا بمرسية. أما بالنسبة للمغرب فقد استمال إليه عرب الخلط وبربر هسكورة وبعض مشايخ الطرق الصوفية، حيث كان يظهر أو يتظاهر بالاهتمام بأمور الدين ومحاربة الانحرافات (*المغرب*، 1 : 296 ؛ *والرسالتان* 14 و28 من المجموعة الجديدة ...) ولما كان الجيش الموحدي منقسم الأهواء فقد استعان المامون بفرقة من المرتزقة القشتاليين تمكن بها من دخول مراكش سنة 626 / 1229 بعد هزيمة المعتصم ولجوئه إلى جبال المصامدة.

وواجه المامون أعداءه من الأشياخ المصامدة بأسلوبين : أسلوب الإعدام لتلاعبهم بالخلفاء، وأسلوب ثان هو إلغاء الأساس المذهبي الذي يرتكزون عليه، أعنى المذهب التّومرتي، فأنكر مهدوية ابن تومرت وعصمته وحذف اسمه من الخطبة والسكة والمراسلات. غير أنه حطّم بذلك شرعية حكمه، ومكّن منافسه المعتصم من الصمود إلى سنة 633 / 1235 - 1236. كما أعلن الحفصيون الاستقلال بإفريقية وبنو عبد الواد الاستقلال بمنطقة تلمسان وثار عليه أخوه بسبتة وتحركت بعض القبائل تعبث في أحواز مكناسة، كما خرجت الأندلس عن نفوذ الموحدين وتقاسمها بعض الزعماء المحليين الذين لم ينجحوا في إيقاف الزحف المسيحي على مدن الوادي الكبير.

وهكذا لم تكن جرأة المامون كافية للتغلب على الظروف التي أصبحت تتجاوزه سواء الظروف الداخلية أو الخارجية. وكانت وفاة المامون في آخر ذى الحجة 629 / أكتوبر 1232.


ابن عذارى، *البيان المغرب* ؛ ابن ابى رزع، *القرطاس* ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ع.ابن خلدون، *العبر*، 6 : 528 - 532 ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع . ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 5 - 12 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين* ؛ أ. عزاوي، *مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية*، رسالة دبلوم في التاريخ نوقشت بكلية الآداب بالرباط سنة 1985.


أحمد العزاوي

**إدريس بن يوسف** بن عبد المومن الموحدي، يكنى أبا العلاء الكبير تمييزا له عن ابن أخيه أبي العلاء الصغير إدريس بن المنصور المشهور بلقبه الخليفي المامون. وكثيراً ما يقع الخلط بينهما في المراجع. ذلك أن المعلومات محدودة نسبياً حول أبي العلاء الكبير. فقد تولى منصب الولاية في ثلاث جهات : في سبتة، وإشبيلية، وإفريقية على التوالي، وإن كانت هناك إشارة غير مؤكدة أوردها الناصري حول ولاية أبي العلاء لإشبيلية في عهد خلافة أبيه الناصر ثم إشبيلية أيام المستنصر ثم إفريقية في أواخر عهد هذا الخليفة.

بالنسبة لولايته على سبتة ترد ضمن ترجمة للشيخ الصالح أبي الحسين يحيي ابن الصائغ المتوفي بها سنة 600 / 1204 في عهد واليها "الشديد البأس على الناس" أبي العلاء إدريس بن يوسف الذي كان يحترم ابن الصائغ، ويقبل تدخله لصالح سكان المدينة (*الذيل*، 8، ترجمة 200). كما يذكره ابن سعيد ضمن ترجمة علي بن خروف القرطبي المتوفي سنة 610 / 1213 - 1214 حيث يقول إنه "مدح بسبتة ملكها إدريس بن يوسف بن عبد المومن بقصائد" (*المغرب*، ترجمة 69) وكان أبو العلاء هذا هو الذي ترأس الأسطول لفتح جزيرة ميورقة، واشترك معه في العملية الشيخ أبو سعيد بن أبي حفص. كان غزوها في أواخر ذي الحجة سنة 599 / سبتمبر 1203 (*الروض المعطار*، مادة ميورقة ؛ *المعجب*، 314 - 315، *البيان*، 216)، وعاد بعد فتحها بمجموعة من الأسرى تدخل الفقيه ابن الصائغ للرفق بهم (ترجمة *الذيل* المذكورة).

لا ندري تاريخ نهاية ولاية أبي العلاء على سبتة ولا بداية ولايته على إشبيلية، وإنما تتحدث بعض المصادر عن نهاية الولاية على المدينة الأخيرة سنة 618 / 1221. ذكر صاحب *الذخيرة السنية* ضمن أحداث سنة 618 / 1221 أنه "فيها جدد سور إشبيلية، وبُني الحرم البرّاني، وصنع حوله الحفير الدائر به على يد السيد أبي العلاء ابن يوسف بن عبد المومن الذي بنى برج الذهب" (ص 55)، انظر أيضا *القرطاس*، 273) .ويتحدث المراكشي عن عزله عن إشبيلية وتعويضه بأخيه عبد العزيز بن يوسف (331)، غير أن ابن خلدون يضيف إلى العزل وصوله إلى مراكش مسخوطا عليه من قبَل الخليفة المستنصر (6 : 588) .

وَفي هذه الأثناء مات الشيخ الحفصي أبو محمد عبد الواحد وتوسط الوزير ابن مثني لدى الخليفة المستنصر لصالح أبي العلاء الكبير فعقد له على ولاية إفريقية سنة 618 / 1221 وبقي بها إلى وفاته سنة 620. كان المستنصر عزم على عزله إلا أنه مات، فأقره الخليفة المخلوع بمكانه إلى وفاته. وأورد ابن عذاري رواية مفادها أن تعيين أبي العلاء على تونس حدث قبل وفاة الشيخ الحفصي، فكان لأبي العلاء الإمارة وقيادة الجيش، وللشيخ الحفصي النظر في الأشغال أي الأمور الجبائية خاصة، وهي نفس المهمة التي تولاها ابنه في ظل إمارة أبي العلاء ثم إمارة يزيد (ص. 273 - 274). ويصف ابن عذارى السيد أبا العلاء بكونه "ذا نظر سديد ورأى مبارك رشيد" (273). كانت مدة ولايته بأفريقية مليئة بالصراع مع بني غانية يساعدُه في مواجهتهم وتتبع تحركاتهم ابنُه عبد الرحمن الوالي بعده على المنطقة من قبل الخليفة المخلوع (*العبر*، 6 : 589 - 590).

ومن المشآت العمرانية المنسوبة إلى أبي العلاء الكبير البرجان على باب المهدية وحصنها (*الاستقصا*، 2 : 227)، ولعل هذا كان بهدف حمايتها من السقوط بيد بني غانية.

ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابن سعيد المغربي، *المغرب في حلى المغرب*، الترجمة عدد 69 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة* (السفر 8 ترجمة 200) ؛ ابن عذارى، *البيان المغرب* ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار* (مادة ميورقة) ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ *الذخيرة السنية*، 6 ؛ ع . ابن خلدون، *العبر* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 .

أحمد العزاوي

**الإدريسي**، أسرة شريفة كبيرة من أعرق بيوتات المغرب حسبا وأكثرها عددا تشمل أصلا جميع المنحدرين من إدريس الأزهر بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - ثم اشتهر بهذه النسبة ابتداءً من أواخر القرن الهجري العاشر فرع أهل دار القيطون من العمرانيين، بينما عُرف آل إدريس الآخرون بأنساب فرعية غلبت عليهم كالجباريين والدباغيين والشبيهيين، والطالبيين والطاهريين والعلميين والعمرانيين والغالبيين والوزانيين.

ودار القيطون التي ينتسب إليها الأدارسة القيطونيون هي الدار المتصلة بجامع الشرفاء التي سكنها إدريس الأزهر بعد وفادة القرويين حينما انتقل لبناء هذه العدوة من مدينة فاس. وهم ينتمون إلى القاسم بن إدريس الأزهر المعروف بالزاهد، الذي كانت طنجة وسبتة وبلاد الهبط من نصيبه لما قام الخليفة محمد بن إدريس عام 213 بتقسيم أقاليم المغرب على إخوته الاثني عشر بإيعاز من جدتهم كنزة، إلا أن القاسم تنازل عن ولايته لأخيه عمر وآثر النسك والعبادة إلى أن مات، وضريحه مشهور على شاطئ المحيط بين طنجة وأصيلا.

وبعد المحنة الكبرى التي عاناها الأدارسة على يد موسى بن أبي العافية وخلفائه، وتشتتهم في جبال المغرب وسهوله متنكرين لنسبهم إبقاء على حياتهم، استعادوا اعتبارهم ومكانتهم مع المرينيين الذين كشفوا عن ضريح إدريس الأزهر بعد أن ظل مطموسا مهملا قرونا عديدة وشيدوا قواعده بفخامة لائقة. وعاد حينئذ إلى فاس - في جملة من عاد إليها من الأدارسة - فرقة من العمرانيين سكنوا دار جدّهم (دار القيطون) وأصبحت لهم زعامة هذا البيت الشريف، وتمتعوا بحظوة كبيرة لدى الملوك وعامة الناس وخاصتهم، بينما احتفظ بالنسبة العمرانية إخوانهم الذين بقوا بقبيلة سماتة من بلاد الهبط حيث توجد قلعة

حجر النسر الملجأ الأكبر للأدارسة بالشمال. وإلى ذلك يشير عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي في الأقنوم بقوله :

وشاع في الزمان عمرانيون ومنهـم وُلاة دار القيطــون

اختص العمرانيون الفاسيون أهل دار القيطون هكذا منذ صدر المائة الثامنة بخطتين : النقابة، وولاية ضريح جدهم، حتى إذا انقرضت دولة بني مرين بمقتل عبد الحق بن أبي سعيد، بويع نقيب الأدارسة محمد بن علي العمراني القيطوني المعروف بالحفيد يوم الجمعة 27 رمضان عام 869 /

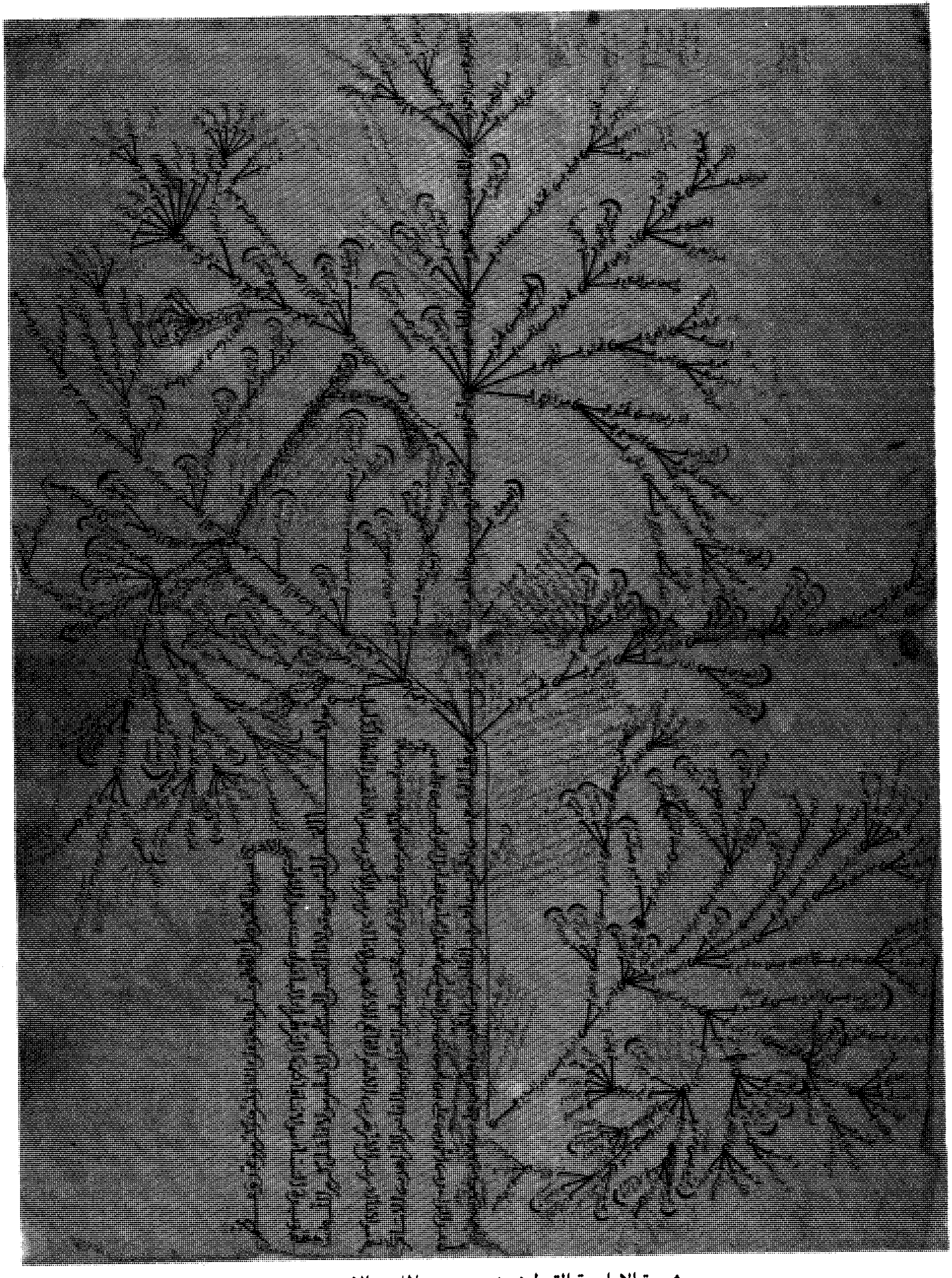

شجرة الادارسة القيطونيين من وضع الماحي الادريسي

23 ماي 1465. واستمر ملكه سبع سنين إلى أن تغلب عليه محمد الشيخ الوطاسي ودخل فاساً في شوال عام 876 / مارس 1471 فخرج منها الحفيد مع أهله إلى تونس ملتجئا عند ملوكها الحفصيين.

وفي عهد أحمد المنصور الذهبي السعدي، رجع الأدارسة من تونس إلى فاس واستعادوا دار القيطون والنقابة والولاية على ضريح جدهم إدريس الأزهر. وأخذ الناس يدعونهم بالتونسيين، فكرهوا ذلك واستبدلوا به الإدريسيين. وهي النسبة التي ظلوا يحتفظون بها حتى اليوم. وقد أشار إلى ذلك محمد بن عبد الرحمان الدلائي في *درة التيجان* بقوله :

وهم ولاة الحرم الإدريسي    قد عُرفوا بجدهم إدريس
وفضلهم في النسب العمراني    والشمس لا تخفى عن العيان

وقد ذكر إدريس الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 39) أن نسبة الإدريسيين القيطونيين إلى جدهم إدريس بن أحمد بن علي بن علي بن محمد بن محمد بن عمران (جد العمرانيين كلهم). وبذلك فإن للإدريسيين القيطونيين نسبتين : عامة لإدريس الأزهر يشاركهم فيها سائر الأدارسة، وخاصة لإدريس بن أحمد المذكور آنفا. وقد بلغ عدد الإدريسيين القيطونيين في تاريخ تأليف *الدرر البهية* (أواخر عام 1313 / 1896) سبعة عشر ومائتي نسمة. ثم تكاثروا خلال القرن الحالي بحيث كان عددهم في الموسم الإدريسي الأخير في ربيع الأول عام 1409 / أكتوبر 1988، ثمانمائة وإحدى وستين نسمة حسبما أخبرني بذلك نسابتهم الأستاذ عبد الوهاب ابن إدريس بن الماحي الإدريسي الذي يتابع بدقة ما قام به قبل أبوه وجده من ضبط قعدد الإدريسيين القيطونيين وإضافة كل ما جد إلى شجرتهم.

ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ م. ابن زرع، *القرطاس* ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس* ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ ع. الفاسي، *الأقنوم*، مخطوط ؛ م. بن عبد الرحمان الدلائي، *درة التيجان*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ إسماعيل العربي، *دولة الأدارسة* ؛ ابن علي الإدريسي، *الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية*، بيروت، 1986 ؛ المريني العياشي، *الفهرس في عمود نسب الأدارسة*، طنجة 1986 ؛ الماحي الإدريسي، *شجرة الأدارسة القيطونيين* ؛ *ظهائر وتقاييد تتعلق بالأدارسة*.

**الإدريسي، أحمد بن إدريس** الحسني القيطوني، المعروف بالنقيب. من الشرفاء الأدارسة الراجعين من تونس إلى المغرب أيام أحمد المنصور الذهبي. ولاه عبد الله بن محمد الشيخ المامون نقابة الأدارسة عام 1027، فكان أول نقيب إدريسي بفاس ـ في هذه المرحلة الغانية ـ بعد اجتماع شمل الشرفاء في مدينتهم القديمة. لم أقف على تاريخ وفاته.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 190 ؛ الماحي الإدريسي، *شجرة الأدارسة القيطونيين*.

محمد حجي

**الإدريسي أحمد بن القاسم ← گنون**

**الإدريسي، أحمد بن محمد** الحسني الزوهوني. علامة مشارك مطلع له *إعلام البشر بالسلطان المنتظر*، ألفه عند بيعة السلطان مولاي عبد العزيز وجعله في ثمانية فصول، استنبط فيه من اسم السلطان المذكور عدة وفوائد وعلوم مثلما فعل الشيخ نجا الأبياري المصري في كتابه *سعود المطالع*. وتوفي أحمد الإدريسي بمسقط رأسه زرهون عام 1330 / 11 . 1912.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، عام 1330 ؛ *دليل*، 1 : 128.

لطيفة بناني سميرس

**الإدريسي، أحمد مزوار** بن علي حيدرة بن محمد ابن إدريس الأزهر. لم يتول الملك بعد أبيه علي، وعاش بفاس عيشة كفاف وعفاف إلا أنه لم يسلم من إذاية موسى ابن أبي العافية المستولي على فاس، فخرج أحمد مع أهله إلى قلعة حجر النسر من بلاد سماتة بالريف قرب جبل العلم. وهي قلعة حصينة شاهقة شيدها ابن عمه الأمير محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن إدريس الأزهر. ولما تلاحق الأدارسة بهذه القلعة زحف إليهم موسى بن أبي العافية سنة 317 / 29 . 930 وحاصرهم بها مدة يريد استئصال شافتهم لولا أن عذله رؤساء المغرب فرجع عنهم. وهناك مات أحمد مزوار عام 350 / 61 . 962 ودفن بقلعة حجر النسر، وهو جد القطب عبد السلام بن مشيش وسائر الشرفاء العلميين والوزانيين. وإليه ينسب الحرم المزواري الذي يضم قبائل سماتة، وآل سريف، وبني يوسف، في جبال غمارة وقد ظلت دول المغرب المتعاقبة ترعى حرمة هذا الحرم الآمن، وكان لأحمد المنصور الذهبي به مزيد اهتمام ورعاية.

م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ م. السنوسي، *الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية*، مصر 1349 هـ ؛ مجهول، *الدر النفيس في ذرية الإمام إدريس*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج.1 ؛ إ. العربي، *دولة الأدارسة*، بيروت 1983 ؛ المريني العياشي، *الفهرس في عمود نسب الأدارسة*، طنجة، 1986.

**الإدريسي، إدريس بن عبد العلي** الودغيري الرباطي. أصله من أولاد ابن الحسن المعروفين بفاس. كان ذا مسكة من علم يعرف الطبوع الموسيقية ويتعاطى السماع، ثم ادعى المشيخة وسمى طريقته "العلية" وبنى لنفسه زاوية يجتمع فيها أتباعه، وهم من العامة البسطاء، ومعظمهم من قبيلة زعير المقيمة بضواحي الرباط. كان يقيم مواسم يستعمل فيها حيلا لإشاعة تحول الماء لبناً "ببركته"، فدعي لذلك "سقيقيَّة" ـ تصغير سقاية ـ وانحاز في إبان الأزمة السياسية إلى جانب المستعمر ضد الحركة الوطنية فكان في ذلك هلاكه عفا الله عنه.

ألف كتاب *المنتخبات الموسيقية* (طبع بالرباط عام 1353 / 1935) ***وكشف الغطاء عن سر الموسيقى ونتائج الغناء***، (طبع بالرباط أيضا عام 1357 / 1939) ***والأسرار الربانية في أذكار الطريقة العلية***، (طبع بالرباط عام 1361 / 1942).

قتل إدريس بن عبد العلي برصاص الفدائيين أوائل رجب عام 1374 / فبراير 1955.

ع. ابن سودة، *اتحاف المطالع*، مخطوط ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 18.

**الإدريسي، إدريس بن عبد الله** بن إدريس بن الطائع الحسني القيطوني، فقيه مشارك وأديب كاتب. تخرج بالمتأخرين من علماء القرويين، ودرس بها مدة. كانت دروسه سهلة نافعة للمبتدئين بصفة خاصة إلى أن أقعده عنها مرض عضال.

توفي يوم السبت 13 ذي القعدة عام 1388 / فاتح فبراير 1969.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

**الإدريسي، إدريس بن علي** بن إدريس الحسني القيطوني، علامة مشارك محقق متواضع يميل إلى الخمول، أخذ عن شيوخ القرويين في عصره، أمثال محمد القادري، والتهامي گنون، وعبد الله البدراوي، وعبد السلام الهواري، وشيخ الجماعة محمد گنون. كان ملازما للتدريس بجامع صغير قرب داره بسويقة الذهب بفاس، ومن الآخذين عنه عبد السلام ابن سودة.

توفي يوم 27 شعبان عام 1340 / 25 أبريل 1922 ودفن بالضريح الإدريسي بفاس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ *سل النصال*، مخطوط، رقم 39.

**الإدريسي، إدريس بن الماحي** الحسني القيطوني الجوطي الفاسي. عالم شغوف بالبحث والتقييد في المسائل التاريخية واقتناء المخطوطات النفسية وانتساخها وتتبع حركة المطبوعات المغربية. ولد بفاس الإدريسية في 27 شعبان عام 1327 / 13 شتنبر 1909، ودرس في القرويين على عدد من شيوخها قبل النظام وبعده، ذكر منهم ثمانية وأربعين في *فهرسه*. وأحرز على شهادة العالمية من القسم الأدبي بالقرويين بتاريخ 25 الثاني عام 1354 / 27 يوليوز 1935 واشتغل مدة بالشهادة في سماط عدول القرويين مع ابن عمه القاضي إسماعيل الإدريسي، قبل أن ينخرط في سلك التعليم الرسمي أستاذا بثانوية مولاي إدريس بفاس.

كان في أيام الطلب يُصدر جريدتين خطيتين في قالب متوسط، الأولى سنة 1927 باسم *السيف القاطع* والثانية سنة 1929 باسم *اللواء*. تحتوي على موضوعات أدبية واجتماعية وأخبار طلابية ومحلية. وعمل في صفوف الحركة الوطنية فسجن سنة 1944 على إثر المطالبة بالاستقلال، ثم في سنة 1953 لما امتنع - في جملة من علماء فاس - من مبايعة ابن عرفة واعتصموا بالحرم الإدريسي، فأخرجوا منه قهرا ونقلوا إلى الرباط حيث سجنوا وعذبوا.

اهتم المترجم اهتماما كثيرا بنسب الأدارسة القيطونيين، وتحقيق تُعددهم وامتداد فروعهم انطلاقا من الشجرة الجامعة التي وضعها لهم والده الفقيه العدل الماحي بن محمد الإدريسي، فأضاف إليها الابن معلومات قيمة تتعلق ببعض مَن ذُكر فيها من علماء الأدارسة مما لم يقف عليه الوالد.

ألف إدريس بن الماحي عدة كتب لم يطبع منها لحد الآن سوى اثنين كتاب *المنهاج الشرعي* لطلاب البكالوريا، الجزء الثالث طبع بالدار البيضاء سنة 1967 في 292 صفحة. وبقي الجزآن الأول والثاني مخطوطين.

*معجم المطبوعات المغربية*، طبع في سلا سنة 1988 في 438 صفحة ؛ *مختصر معجم المطبوعات المغربية*، رقن على الآلة الكاتبة في حياة المؤلف بطلب من اليونيسكو. وسحبت منه عدة نسخ ؛ *تقييد في بني مرين*، في نحو كراستين ؛ *فاس دليل تاريخها*، وما ألف عنها وقيل فيها لها أو عليها ؛ *مجموع فتاوى فقهية*، كتبها إبان اشتغاله بالعدالة ؛ *معجم القراءات بالمغرب*، اشترك في تأليفه جماعة من الأساتذة بتكليف من وزارة التربية الوطنية، وأنجز منه المترجم حروف الدال والذال والراء والزاي ؛ *ما تعلق به الغرض من أيام المرض*، وهو شبه مذكرات كتبها في المرحلة الأخيرة من حياته.

توفي بفاس يوم الاثنين 25 شوال عام 1391 / 13 دجنبر 1971.

ادريس بن الماحي الادريسي

وكانت خزانته من أغنى الخزانات الخاصة وأشهرها لما اشتملت عليه من مخطوطات نفيسة ذكر بعضها زميله عبد السلام بن سودة في كتابه *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*.

إدريس بن الماحي نفسه، *كتبه ومقيداته* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، عام 1391 ؛ *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* ؛ *ظهائر وكنانيش بحوزة أسرة المترجم*.

**الإدريسي، إدريس بن هاشم** بن إدريس بن علي الحسني العمراني القيطوني فقيه ناسك، من أعيان الأدارسة بفاس في وقته. ولاه السلطان سيدي محمد بن عبد الله خطة نقابة الأدارسة ونظارة الضريح، ويعرف بآخر النقباء.

كان إدريس بن هاشم ممن وقَّع على بيعة السلطان مولاي سليمان بالضريح الإدريسي بفاس عام 1207 / 1792 بصفته نقيب الأشراف، وبعد وفاته عرضت النقابة عى ابنه أحمد، وكان ذا مال وفير ووجاهة عند أهل فاس، فوكَّل تسيير شؤون ضريح جده إلى أحد المحبين في آل البيت يدعى الحاج إدريس الرامي، وطلب من السلطان أن يقره على ذلك، فصدر ظهير بتسمية الرامي مقدما على الضريح الإدريسي، وظل أبناء الرامي يتوارثون هذا التقديم حتى اليوم، وبذلك كان إدريس بن هاشم آخر النقباء الأدارسة. ولعل وفاته كانت في الوباء الجارف الذي ذهب بالعدد من أهل فاس عام 1215 / 1800.

وثائق الأدارسة، *ظهائر وتقاييد* ؛ الماحي الإدريسي، *شجرة الأدارسة القيطونيين* ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

**الإدريسي، إسماعيل** بن المامون الحسني القيطوني، فقيه متضلع في المذهب المالكي، ولي قضاء قبيلة شراكة بناحية فاس، ثم تازا ووجدة قبل أن يصبح قاضي الجماعة بمقصورة السماط بفاس حيث بقي يقضي أزيد من عشرين سنة. وبعد فتنة غشت 1953 أصبح وزيراً للعدل بالرباط فكان ذلك بداية محنته، إذ عزل بعد الاستقلال وبقي مغتماً إلى أن أدركه الأجل.

ألف عدة كتب، منها : *نبذة بهية وطرفة شهية في ولادة خير البرية*، طبع على الحجر بفاس د. ت ؛ *تقاييد في الأنساب*، مخطوط ؛ *تقاييد في نسب أبي الشتاء الصنهاجي وأخيه*، مخطوط ؛ *فتاوى وأحكام متفرقة* تُكوِّن لو جُمعت مجلداً ضخماً.

توفي بفاس صباح يوم الاثنين 4 ذي القعدة عام 1379 / 30 أبريل 1960 ودفن بالضريح الإدريسي.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، عام 1379 ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، ص 17.

**الإدريسي، أبو بكر** بن زيان الحسني الجوطي الفاسي، شيخ الجماعة في التوقيت والتعديل والحساب والفرائض، مع المشاركة في غير ذلك من العلوم الشرعية واللغوية. أخذ عن الشيخ حمدون بن الحاج وطبقته، وتخرج عليه جماعة من أعيان علماء فاس، مثل المهدي ابن سودة، والطالب الحاج. وألف عدة كتب في الفلك.

توفي في ذي الحجة من عام 1243 / يونيه - يوليوز 1828.

ع. السجلماسي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد حجي

**الإدريسي، أبو بكر الشريف** الحسني الإدريسي، يكنّى أبا يحيى. من فقهاء سبتة الذين كاد يسدل عليهم الستار لولا العثور على *بلغة الأمنية* التي خصت هذه الشخصية بترجمة ضافية. يبدو أن شهرة الفقيه العلمية قد انحصرت بين أسوار سبتة والأماكن المجاورة لها، كقاض محنك نزيه، وكأستاذ كفء بالمدرسة الجديدة منذ وفاة القاضي أبي يحيى بن السكاك، وكخطيب محمود السيرة بجامعها. اشتهر بتعدد معارفه : العربية والفقه وعلم القراءات والتفسير والتصوف والحساب وغيرها من العلوم. عرف أيضا بعنايته باقتناء الكتب العلمية والبحث عن أصولها. قضى أواخر أيامه بقصر كتامة الذي التحق به بعد أن استعفي من قضاء سبتة على إثر منازعة وقعت بينه وبين حاكمها. فانصرف إلى كتب التصوف، منكبًّا على دراسة نصوصها دون أن يستغني عن مهمة القضاء بالقصر إلى أن وافته المنية في شهر رمضان من سنة 809 / 6 . 1407.

*بلغة الأمنية ومقصد اللبيب* فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، تحقيق محمد بن تاويت، مجلة تطوان عدد 9، 1964، ص. 184 - 185 ؛ ع. بن منصور، *أعلام*، 1 : 255.

زليخة بنرمضان

**الإدريسي، الحسن** بن الحسن الحسني القيطوني، عالم مشارك ولوع بالتريخ والأنساب، عارف بكثير من الأسر العالمة بفاس. اشتغل مدة طويلة بنظارة الأوقاف في صفرو، وتوفي بفاس يوم الجمعة 20 شعبان عام 1386 / 4 دجنبر 1966 ودفن بالضريح الإدريسي.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، عام 1386.

محمد حجي

**الإدريسي (الشريف الجغرافي)** محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني السبتي. اهتم به من العرب في هذا العصر جرجي زيدان (1913) وظهرت خريطته (صورة الأرض) بالأحرف العربية سنة 1931 بعناية بهجة الأثري وجواد علي.

ومن القدامى حقق ابن أيبك الصفدي (ت 764 هـ) نسبه ونقله ابن سعيد (ت 685 هـ) كثيرا ولم يتعرض لحياته، وقدمه ابن أبي أصيبعة (ت 668 هـ) من بين علماء النبات والصيدلة. وذكره ابن خلدون عند ذكر الجغرافية في المقدمة. وذكره أبو الفدا (ت 732 هـ) ونقل عنه، أما الأكفاني المصري (ت 749 هـ) فقد توهم أنه جاب الآفاق وأخذ عليه كون كتابه وصفيا عارض علم الفلك. أما المستعربون من الدارسين فقد عنوا به أكثر من عنايتهم بأي جغرافي آخر من العرب.

اضطربت الأقوال في مكان ميلاده، والغالبية على أنه ولد بسبتة عام 493 هـ. وكادوا يتفقون على أن تاريخ وفاته هو عام 560 هـ. والمحقق هو أنه انتهى من تأليف كتابه *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق* عام 548 هـ.

ويذكر مترجموه أنه جال مدة عامين أو ثلاثة أعوام بشبه جزيرة إيبريا وعلى امتداد شواطئ فرنسا الأطلنطية وانكلترا وآسيا الصغرى ومصر إلخ. والمؤكد هو أنه زار مدنا إيبرية ومغربية. ولا يوجد بين أيدينا الآن مخطوط بيد الإدريسي فنتأكد منه أن العبارات التي تفيد زيارته لبعض

الأماكن ليست إضافات من النساخ.

هاجر الإدريسي عام 533 هـ. وكان على ما يبدو نافرا كعدد من أهل سبتة من الأوضاع الجديدة بعد تولي الموحدين. وكان بنو عمه الحموديون وهم من أمراء الطوائف قد تشتتوا في بلاد المغرب والمشرق وصقلية. ويبدو أن الإدريسي قصد صقلية لكونها أمل دار الإسلام، وكان بها من بني عمومته، وكان منهم القائد المشارك في الجهاد ضد روجر الثاني (485 / 1093 . 549 / 1154) وكان من أفراد رعية الملك الصقلي النصراني بعد تغلبه، وهو الذي أخبره بالإدريسي وباهتماماته، ويذكر أن روجر استدعاه اهتماما منه بالجغرافية وذلك بعدما علم نفوره من الموحدين أعداء النورمانديين بإفريقيا.

خريطة الكرة الارضية للشريف الادريسي (عن كتاب الرواد )

ويرى F. Pons Boigues أن سكوت الكتاب العرب عن الإدريسي مرده إلى الأسلوب البارد الذي تحدث به عن الغزو الصليبي وإلى ما حلى به أمراء النصارى من عبارات التعظيم. وبعد موت روجر قسا ابنه غليوم على المسلمين وفر منهم من نجا من القتل ومنهم الإدريسي. ومعلوم أن هذا الأمير النصراني الجديد كان متعصبا بخلاف والده الذي اشتهر بإعطاء الحرية للمسلمين في صقلية وبإعجابه بالحضارة الإسلامية واقتباسه من فنونها وظهر تسامحه خاصة في المكانة الرفيعة التي حظي بها لديه الإدريسي.

أحصى بعض الباحثين ستة عشر عنوانا لمؤلفات الإدريسي، وهي في الواقع عناوين مترادفة أو جزئية لثلاثة كتب.

*نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، ويعرف بكتاب آجار أو بالكتاب الرجاري لأنه ألفه لأمير صقلية روجر الثاني Roger II النورماندي. وهو موسوعة جغرافية دقيقة، وقد ألفه الإدريسي لشرح ما أنجزه أو أشرف على إنجازه من خرائط وهي سبعون خريطة على القماش بنسبة خريطة لكل جزء من الأجزاء العشرة لكل إقليم من الأقاليم السبعة.

وقد صنع الإدريسي إلى جانب الخرائط القرص أو الكرة الأرضية الفضية التي تمثل العالم المعروف آنذاك. وقد ضاعت عقب اضطرابات العامة سنة 555 / 1160. توجد من كتاب *نزهة المشتاق* ست نسخ كاملة على الأقل. وقد اكتشفت نسخة مبتورة منذ سنة 944 / 1538 بنابلس وهي محفوظة بباريس. وهي أول كتاب عربي في غير علوم الدين طبع بأوروبا عام 1001 / 1592 بروما في مطابع المديتشي المشهورة. ثم ترجم إلى اللاتينية من طرف مارونيين هما جبرائيل الصهيوني ويونس هورونيت فنشر في باريس عام 1619 تحت عنوان "جغرافية النوبة"، وترجم إلى الإيطالية عام 1600. وكل هذه النسخ لا تشير إلى اسم المؤلف.

طبعت منه مقتطفات عام 1793 حيث ترجم إلى الإسبانية ثم إلى الألمانية عام 1828، وطبعت خرائطه عام 1931 على يد ميلر. وطبع المجمع العلمي العراقي خريطة الإدريسي عام 1951 بطول مترين وعرض متر وهو القياس المناسب للأصل. وقد ترجمت إلى الفرنسية في نهاية القرن التاسع عشر عن مخطوط واحد فأتت رديئة. وقد تمت طبعة نقدية كاملة على أيدي مجموعة متعددة التخصصات والجنسيات برعاية المعهد الإيطالي للشرق الأوسط والأقصى بروما، وظهر الجزء الأول منها عام 1970 والجزء الأخير عام 1978. تحت عنوان "تأليف جغرافي" Opus géographicum، وقد اعتمدت أربع عشرة نسخة ما بين كامل ومبتور.

وقد ورد في مقدمة *نزهة المشتاق* أن ملك صقلية روجر هو الذي أمر بتأليف الكتاب، وقد حظي وصف المغرب وبلاد الإسلام بدقة أكبر ثم تأتي الأجزاء الأخرى من أوربا ما عدا البلطيق وروسيا والبلقان، ويرى جل الباحثين أن وصف إفريقيا جنوبي الصحراء وآسيا الجنوبية الشرقية اعتمد فيه الإدريسي على بطليموس وأضاف معلومات قيمة حول التجارة مع السودان والمراكز الثقافية الإسلامية بغانة وتكرور. إن أهمية كتاب الإدريسي تكمن في ما حاوله من التوفيق بين الجغرافية الرياضية والوصفية وفي شموليته ودقة الخرائط التي يشرحها.

ويقترن اسم الإدريسي بكتاب آخر هو *روض الأنس ونزهة النفس*، كان قد ثار جدل بين الباحثين حول نسبته للإدريسي. وقد عثر المستشرق نروفيتسي بمكتبة أوغلي باشا في إسطنبول على مخطوط هذا الكتاب منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، وقد استغل ميلر خرائطه وأخرجها ضمن أطلس. ويرى فؤاد سزكين أن الكتاب من تأليف الإدريسي بالرغم من أن بعض نسخه قد ذكر فيها ابن سعيد وهو قد عاش بعد الإدريسي، كما أنه يعتبره كتابا قائما بذاته لا تلخيصا لكتاب *نزهة المشتاق*، ومنه نسخ بتركيا ونسخة بلندن انتقلت من حلب.

أما الكتاب الثالث فهو *الجامع لأشتات النبات* أو *الجامع لأشتات المفردات*.

عشر ريتر على مخطوطه بخزانة فاتح بإسطنبول عام 1928. وقد أخرجه مايرهوف وترجم مقتطفات منه. ضمنه أوصافا نباتية دقيقة، واعتمد في جانب منه كتب الأقدمين ولا سيما كتاب ديسقوريدوس اليوناني. وتضمن أيضا كثيرا من أنواع الحيوان والمعادن والأشجار المتخذة للعقاقير.

ا. أبي أصيبعة، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء* ؛ م. ابن جبير، *الرحلة* ؛ جرجي زيدان، *تاريخ آداب اللغة العربية* ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر* ؛ إ. أبو الفداء، *تقويم البلدان* ؛ الإدريسي الشريف، *أنس المهج وروض الفرج*، إصدار ومقدمة فؤاد سزگين، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية، فرانكفورت، المجلة 7، 1984 ؛ الإصفهاني، *خريدة القصر* ؛ أ. ت. المدني، *المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا* ؛ ص. الصفدي، *الوافي بالوفيات* ؛ حاجي خليفة، *كشف الظنون* ؛ ف. سزگين، *قضية نشأة الخرائط المنسوبة إلى بطليموسى وعلاقتها بالأطلس المأموني*، محاضرة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 27 أكتوبر 1988 / 1409 ؛ م. الحاج صادق، *المغرب العربي في كتاب نزهة المشتاق للإدريسي*، تحقيق ونقل إلى الفرنسية، پوبليسود، بلجيكا، 1983 ؛ أ. كراتشكو ڤسكي، *تاريخ الأدب الجغرافي العربي* ؛ ح. مؤنس، *الجغرافية والجغرافيون العرب في الأندلس*، مجلة الدراسات الإسلامية، مدريد، ج. 9، 1961، ج. 10، 1962، ص. 257 ـ 371.

مصطفى عياد

**الإدريسي (الشريف الريفي)**. عندما تسلم سيلفستري Silvestre قيادة قوات الاحتلال الإسبانية بقطاع مليلية في فبراير 1920، كان معظم الريف مايزال ينعم بالاستقلال. إذ منذ وفاة الشريف محمد أمزيان في 15 ماي 1912 على نهر گرط، لم يتقدم الإسبان شبراً واحداً من هذه الواجهة، حيث ظل المجاهدون مرابطين بجبل ماورو المنيع واكتفى المستعمرون بالتقدم البطئ والحذر في الأراضي المنبسطة نحو الجنوب . لكن سيلفستري المندفع والمتعجرف بطبعه، استبدل هذه الخطة بأخرى تعمد فيها إظهار تحديه للريفيين. فاكتسح أرض الريف على رأس جيش جرار بلغ عدده عشرين ألف جندي مجهز بكل أنواع الوسائل الحربية، من غير القوات التي كانت موجودة بالمراكز المحتلة، ومجندي القبائل المحتلة. وفرق البوليس الأهلي.

أما سكان الريف فوقفوا مشدوهين حائرين لعدم وجود قيادة تبلور إرادتهم في الوحدة والحرية. إذ أن أسلوب مواجهة القبائل للاحتلال منفردة لا يجدي شيئا أمام تفوق جيش الاحتلال عدة وعدداً. ومع ذلك فإنهم كانوا يتوفرون في تجربتهم مع الشريف أمزيان على الزاد الروحي والمعنوي، وعلى الحل العملي لمواجهة الموقف الخطير. لكن هل كان الريف يتوفر على شخصية في مثل مستوى أمزيان، تستطيع مواصلة ما بدأه هذا؟

لقد جاء الجواب من أجدير إذ اتجهت الأنظار إلى أسرة الخطابي عندما انقلب زعيمها الفقيه عبد الكريم الخطابي ضد الإسبان خاصة بعد احتلالهم لقبيلتي بني توزين وتمسمان المجاوتين لقبيلة بني ورياغل، وهما درعها الواقي من جهة الشرق. وبينما هو منكب على توحيد صفوف المقاومة وتنظيمها توفي فجأة يوم 7 غشت 1920. وفي هذا الظرف الدقيق والخطير، وبينما كانت القبائل الريفية منشغلة في البحث الحثيث عمن يملأ مكان الزعامة الشاغر، ويجمع شملها ويبلور طموحها نحو الحرية، ظهر بقبيلة بني وليشك شخص ادعى الشرف، وتقدم أمام الناس باسم الإدريسي يدعوهم إلى الالتفاف حوله واتباعه من أجل مقاومة الاحتلال الإسباني. وأثيرت الشكوك حول هويته الحقيقية لكونه مجهولاً في الريف لم يسبق لأحد أن سمع به أو تعرف عليه وبالأحرى معرفة طويته. وغلب الظن بأنه ربما كان صنيعة فرنسية أرسل لخلق المتاعب للإسبانيين والانتقام منهم بسبب ما ظهر منهم من غض الطرف عن النشاط الألماني المعادي لفرنسا في منطقة احتلالهم خلال الحرب العالمية الأولى وذلك بواسطة كل من محيي الدين بن عبد القادر الجزائري، وهامان الألماني وعبد الكريم الخطابي.

ومع ذلك فقد استمال بعض الناس بوعده إياهم بالمال والسلاح، فاتبعوه. وأسس مركزاً للمقاومة في مكان يدعى "تَاوَرْضَا" ومن هناك بدأ الاتصال بالقبائل، يدعوها للانضمام إلى حركته للوقوف في وجه الجيش الإسباني خاصة بعد سقوطً "تَافَرْسِيتْ" في قبضة المستعمر، فأصبح الطريق بذلك مفتوحا أمامه إلى قبائل بني وليشك وبني توزين وبني سعيد. فاستجابت هذه القبائل. إضافة إلى قبائل أخرى، لدعوته مادام العدو واحدا. فبعثت كل واحدة بمن يمثلها في الاجتماع الذي ترأسه الشريف الإدريسي المذكور في مركزه بتاورضا، وتم الاتفاق على أن تتولى كل قبيلة من القبائل الثلاث المذكورة تكوين فرقة من المقاتلين بأرضها، ولعل هذا الاتفاق لم يكن إلا صيغة ضمنية لفشل "الشريف الإدريسي" في إقناع الممثلين الحاضرين بأهليته للزعامة والقيادة. إذ في هذا التاريخ، كان محمد بن عبد الكريم الخطابي قد جمع حوله قبيلة بني ورياغل، وجلب إليه أنظار القبائل الأخرى. فلم يبق "للشريف" المذكور أمل في كسب ثقة الناس، فتوارى عن الأنظار عندما استأنف الجنيرال سيلفستري Silvestre زحفه ابتداء من 5 دجنبر 1920، محتلا بالتوالي "تاورضا" مقر "الشريف الادريسي" وبن الطيب وجزءاً من بني وليشك ثم جبل "ماوْرو".

G. AYACHE, *Les origines de la guerre du Rif* ; *Servicio Militar de Historia de las Campañas de Marruecos*, Madrid 1981, T. III, pp. 379, 395 et 619.

مصطفى أربيب

**الإدريسي الشريف السلوي**، أبو القاسم محمد ويكنى أبا الفضل. من أكبر تلاميذ الإمام عرفة التونسي وأحمد بن إدريس البجائي. ألف كتابا في التفسير في مجلدين قيَّد فيه ما سمعه من شيخه ابن عرفة، مثلما فعل

رفيقه في الطلب عبد الله البسيلي، فكان كتاباهما يعدان معاً *تفسير ابن عرفة* وقد أمر أحمد المنصور الذهبي بعض علماء مراكش باستخراج تفسير هذا الإمام من تقاييد تلميذه الإدريسي والبسيلي.

وألف الإدريسي كذلك كتاباً آخر شرح به *صحيح مسلم* سماه *إكمال الاكمال* اعتمد فيه على أبحاث ابن عرفة وأصحابه، قال عنه أحمد باب "نفيس إلى الغاية". ومعلوم أن الإكمال أو *إكمال المعلم* هو للقاضي عياض الذي تمم به شرح محمد بن علي المازري لصحيح مسلم *المعلم بفوائد كتاب مسلم*. وقد علق على شرح عياض عالمٌ آخر من تلاميذ الإمام ابن عرفة الذي كان شغوفا بشرح عياض مداوما على إقرائه، وهو محمد الأبّي الذي سمى شرحه *إكمال إكمال المعلم*. ولمعاصرهما عيسى بن مسعود الزواوي المكلاتي شرح لصحيح مسلم يحمل نفس العنوان *إكمال الإكمال*. إلا أنه جمع فيه أقوال الأئمة النووي وعياض والمازري.

وقد أخذ عن الإدريسي السلوي كثيرون، منهم : عبد الله بن ناجي شارح *المدونة* الذي نقل عنه فيها كثيرا. ولا يعرف تاريخ وفاة الإدريسي، وإنما يقدر أنه مات أواخر القرن الثامن الهجري / 14 م.

أ. باب السوداني، *نيل*، 225 ؛ مخلوف، *شجرة النور*، 250 ؛ م. ابن علي الدكالي السلوي، *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 16 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 141.

محمد حجي

## الإدريسي، عبد الرحمان بن عبد الله بن محمد،

ينتهي نسبه، حسب ما ورد في كتاب *الدر النفيس*، إلى علي بن أبي طالب. ولد بمراكش سنة 610 هـ/ 1213 م .

وأخذ على مشاهير علماء عصره، كابن عمه القاضي أبي القاسم بن عبد الرحمن، درس عليه *الأحكام الصغرى* لعبد الحق، *والموطأ* ؛ وأبي الحسن علي بن قطرال، سمع عنه *صحيح مسلم* بمراكش، وحدثه به عن أبي عبد الله ابن سعادة الشاطبي ؛ وأبي مروان الباجي، درس عليه *صحيح البخاري* بسبتة، بقراءة أبي الفتوح بن فاخر. كما كان دائم الحضور لمجلس أحمد العزفي بسبتة.

أوردت له المصادر مجموعة أنظار في أغراض مختلفة، منها قوله في مذهبه:

أيَا سَائلي عَن مذهَبي، إنّ مذهَبي ... تجنُّبُ خَلْقِ الله كُلَّ التَّجنُّــب

وصدْقٌ وصَبْرٌ دائــمٌ وقَنَــاعَــةٌ ... وإخلاص ود للصديق المهذب

وسَادِسُه تَرْك الجِــدَال بأسْــــره ... وسَـابِعُه ألاّ أبوح بمذهَبِــي

ومن هذه الأنظام مقطوعة في معارضة قصيدة لأبي الحسن الرعيني، مطلعها:

أقَلَّ لَوْمي لمّا قد رأى وَلَهــي ... وكفّ لمَّا رآني كاسف البــال

توفي عبدالرحمان الإدريسي بعد سنة 682 هـ / 1383 م.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال* ؛ أ. الحلبي، *الدر النفيس والنور الأنيس في مناقب الإمام إدريس*، ط. حجرية، 1299 ؛ ع ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 89 - 91 ؛ 9 : 128 - 134.

حسن جلاب

## الإدريسي، علي بن عبد الواحد الحسني

الزرهوني. فقيه مدرس مفت، له مجموعة فتاوى، وختمات عدة كان يؤلفها عند إنهاء تدريس بعض الكتب، منها ختمة على شرح بنيس الهمزية، وختمة على شرح ميارة *للمرشد المعين*. توفي في سابع وعشري ذي الحجة من عام 1357 / ودفن بالضريح الإدريسي بزرهون.

## الإدريسي، عمر بن إدريس الحسني (الدكتور ـ)

ولد بفاس سنة 1925، وتابع دراسته الابتدائية بفاس بمدرسة الدوح "سيدي الخياط" والتحق بالمدرسة الإسلامية الإدريسية (ثانوية مولاي إدريس) سنة 1938، وفي سنة 1944 حصل على شهادة الباكلوريا، ثم انتقل إلى الجزائر ليدرس الطب، ومنها إلى باريس سنة 1945 حيث أحرز على شهادة الاختصاص في أمراض الأنف والحلق والحنجرة سنة 1952.

أجرى تداريبه الأولى بمستشفى ابن الخطيب (كوكار سابقا) بفاس ثم بمستشفى الزربطانة (ميرا سابقا) بفاس أيضا. ومنذ سنة 1954 أخذ يعمل بمستشفى سيدي الصوفي بالدار البيضاء، هناك حاليا جناحان يحملان اسمه. وفتح عيادة مع الدكتور محمود التازي، لا تزال العيادة قائمة الى اليوم في شارع يحمل اسم عمر الإدريسي بالدار البيضاء. كان يتهيأ للتزوج قبيل اغتياله.

ينتمي عمر الإدريسي إلى المجموعة الأولى من تلاميذ المدرسة الإدرسية العاملين في صفوف الحركة الوطنية. اعتقل سنة 1944 وهي السنة التي اجتاز فيها امتحان الباكلوريا ـ نظرا لمشاركته في المظاهرات التي أعقبت تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال. وفي الجزائر تعرض لرفض تجديد تسجيله بالجامعة نتيجة الملف الأسود وهو عبارة عن تعليمات الإقامة العامة الفرنسية التي كانت تلاحق الطلبة العاملين في صفوف الحركة الوطنية.

وفي باريس أصبح عضوا في جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين، ثم أسس نواة لجمعية الطلبة المغاربة كان مقرها بالمقاطعة الخامسة بباريس بغرفته وكانت تعرف "بدرب الكباص".

في 21 أبريل سنة 1956 / 1375 وفي طريقه نحو العيادة بعد خروجه من المستشفى تعرض عمر الإدريسي لعملية اغتيال أثارت كثيرا من التساؤلات حول مصدرها، خاصة وأنه كان على علاقة مع منظمة الهلال الأسود.

وقد رفع أخوه محمد مجموعة من البرقيات إلى الحكومة المغربية التي تكونت بعد الاستقلال، كما استقبل من طرف السلطان محمد الخامس. وكتب أخوه الشريف رسالة مفتوحة الى جريدة "الأيام" يتهم فيها بعض الجهات باغتيال أخيه تحت عنوان " ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... وتعتبر أسرته أن الحكم على أحمد الطويل بالإعدام

كان من أجل إغلاق ملف اغتيال عمر الإدريسي. وحمل منذ ذلك الحين لقب الشهيد عمر الإدريسي.

**الإدريسي، الفاطمي** بن **الهادي** بن محمد الفضيل الحسني الجوطي. فقيه مشارك مطلع، اشتهر إلى جانب علمه بدماثة أخلاقه. له *تأليف* في الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ومجموعة من الدعوات والأذكار توفي بمسقط رأسه فاس في ربيع الثاني من عام 1296 / ودفن بالضريح الإدريسي.

**الإدريسي، محمد** بن **عبد الواحد** الحسني الزرهوني. ولد عام 1250 / 34 . 1835 بزرهون، ودرس بفاس ثم رجع الى بلده عام 1276 / 59 . 1860. كان علامة مشاركا مطلعا شاعرا، له تآليف وتقاييد كثيرة منها *حاشية* على صحيح البخاري توجد مخطوطة عند حفدته، صورت على الميكرو فيلم في جائزة الحسن الثاني عام 1988. *ورسالة* في زيارة الأولياء في ثلاثة كراريس، *ورسالة* في جواز الاكل قبل آذان الفجر في رمضان.وروضة الأكياس وتحفة الجلاس وبغية الانفاس في قعدود شيخنا المرى أبي العباس، وهو نظم في نحو 300 بيت في نسب السوديين وترجمة الشيخ أحمد بن الطالب بن سودة. وكانت وفاته عام 1324 / 6 . 1907.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، عام 1324؛ حاشية المترجم على الصحيح، مخطوط.

لطيفة بناني سميرس

**الإدريسي، يوسف** بن **عابد** الفاسي الحضرموتي، من آل أبي الوكيل الشرفاء الأدارسة المعروفين حتى اليوم ببلاد أنگاد (يكتبها المترجم بالقاف : أنقاد) من المغرب الشرقي. وبذلك فإن نسبته الإدريسية عامة كسائر آل إدريس الأزهر غير القيطونيين. ولد بقرية الفيضة في أنگاد حوالي عام 966 / 1559، وخرج منها وهو ابن إحدى وعشرين سنة إلى فاس طلبا للعلم، حيث مكث ست سنوات مقيما بالمدرسة المصباحية قرب جامع القرويين أو بمدرسة الوادي القريبة من جامع الأندلس، آخذا عن عدد من الشيوخ القرآن الكريم وعلومه، والتوحيد والفقه والسيرة وقواعد اللغة، إضافة إلى الحساب والتوقيت والنجوم، وتعاطى السيمياء ثم تخلى عنها. كان يخرج عندما تتوقف الدروس في فصل الربيع، لزيارة الصالحين الأحياء والأموات ويتردد على مدن مكناس وسلا، وأسفي، ومراكش وتارودانت، وقرى درعة وتافيلالت. وفي عام 988 / 1580 أصابت بلاد أنگاد ريح أهلكت الزرع فنزح أهله إلى وادي اللبن على بعد مرحلة ونصف من فاس، إلا أن وباء تفشى في هذه المنطقة هلكت فيه أمه وأخواه وأخته وأكثر من عشرين شخصا من أقاربه، فجزع يوسف لذلك كثيرا حتى خيف عليه الهلاك. وبعد انتهاء الدراسة في ربيع عام 990 خرج من فاس آخر صفر/مارس 1582، فقام - كعادته - بسياحة صوفية في مختلف جهات المغرب، إلاأنه لم يعد إلى فاس وإنما عبر الصحراء إلى قابس وجربة بتونس ومصراته بليبيا، فالقاهرة حيث لقي كبير شيوخ الشاذلية محمد بن الحسن البكري، والحجاز حيث أدى فريضة الحج عام 991 / 1583، ومن جدة توجه إلى اليمن لزيارة الشيخ أبي بكر بن سالم في قرية عينات بحضرموت. وقد احتفى الشيخ بلقائه "وجعله شيخاً مربياً، ثم لم يلبث أبو بكر أن مات في السنة الموالية، فخلفه يوسف الإدريسي مدرسا ومربيا، واشتهر أمره هناك، وتزوج وأنجب الأولاد والبنات، وألف عدة كتب لم نطلع إلا على واحد منها هو *ملتقط الرحلة* التي أملاها بحضر موت 1036 / 1627، وقد أناف عمره على سبعين سنة، يذكر فيها أسرته وحياته بالمغرب وانتقاله إلى اليمن. وقد نشر أخيرا *ملتقط الرحلة* من المغرب إلى حضرموت بتحقيق أمين توفيق الطيبي. وهي غنية بالإشارات المفيدة في مختلف الجوانب الدينية والعلمية والاجتماعية المتعلقة بتاريخ المغرب في القرن العاشر الهجري / 16 م. ولو أن أسلوبها يقرب أحيانا من العامية. وللمترجم مؤلفان آخران ذكرهما في *ملتقط الرحلة*، *الدرة الفاخرة* في ذكر من لقيته من رجال الآخرة، *وكتاب لبس الخرقة*. ولم نقف على تاريخ وفاته.

يوسف بن عابد الإدريسي، *ملتقط الرحلة*، الدار البيضاء، 1988.
أ.ت الطيبي، *مقدمة ملتقط الرحلة*.

**الإدريسية**، عائشة بنت أحمد بن عبد الله الحسنية الشفشاوية من ذرية الأمير محمد بن إدريس الأزهر. تكنى أم أحمد، وهي والدة محمد ابن عسكر مؤلف *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*. وقد خصها ولدها في هذا الكتاب بترجمة مطولة في نحو خمس صفحات تتلخص في أنها كانت صالحة صوامة قوامة، صوفية ذاكرة. أخذت عن عدد من شيوخ العلم والتصوف أمثال عبد الله الغزواني، وعبد الله الهبطي صاحب زاوية الجبل الأشهب بالريف، وصهره أبي القاسم ابن خجو، وعبد الوارث بن عبد الله اليالصوتي والشريفين العلميين علي وعبد الرحمان ابني ريسون، وغيرهم.

كانت لها زاوية بمدينة شفشاون تربّي فيها المريدات، وتقيم فيها حلقات الاذكار على طريقة متصوفة الشاذلية الجزولية التي تمتاز بمزيد من المحبة في الرسول الكريم والإكثار من الصلاة عليه والتسليم. وتعرف هذه الزاوية أكبر احتفال سنوي ليلة المولد النبوي الشريف حيث تطعم عائشة الطعام لنساء المدينة وصبيانها على عادة فضلاء أهل المغرب.

كان زوج عائشة علي بن عمر بن الحسين بن مصباح الحسني صالحا مثلها، مجاهدا في سبيل الله، أسره النصارى في طنجة وبقي بها مدة سجينا مع رفيق له في مطمورة. وبعد وفاته وتعيين ولدها محمد ابن عسكر قاضيا بالقصر الكبير، انتقلت عائشة إلى هذه المدينة مكرهة، أزعجها إليها أمير شفشاون محمد بن راشد، وكان

بينه وبين ابن عسكر منافسة ومشاحنة، وبها أدركتها الوفاة يوم الأربعاء 12 ذي القعدة عام 969 / 14 يوليوز 1562. ودفنت خارج باب سبتة أخذ أبواب القصر الكبير "وقبرها هناك، مشهور والناس يستشفون بترابه".

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، 23 ـ 27 ؛ م، المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، 93 ؛ ع. كحالة، *أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام*، 3 : 5.

**أدَفال**، أو أدْوَافال، قصر صحراوي من قصور اكتاوة التي ينيف عددها على الخمسين وتنتشر على ضفاف نهر درعة بأسفله في واحة مستطيلة من النخيل. يبعد قصر أدفال عن تَكُونيت المركز الإداري لاكتاوة بنحو ثلاثة كيلومترات إلى الجنوب كما يبعد عن زاگورة بنحو ثمانية وخمسين كيلومترا.

يستمد قصر أدفال اسمه من أسرة شريفة استقرت به "أواخر القرن التاسع / 15 م. ذلك أن آل أدفال الحسنيّين كانوا قد هاجروا قبل ذلك من موطنهم الأصلي بفكيگ إلى سوسانة بتونس ورجع محمد بن أحمد أدفال إلى اكتاوة واستوطنها، وبها ولد له الفقيه محمد بن محمد أدفال صاحب المراسلة العلمية في التوحيد مع إمام فاس أحمد المنجور. وربما كان لاستقرار آل أدفال علاقة بقيام دولة الشرفاء السعديين. ومن المؤكد وجود صلات متينة بين قصر أدفال وقصر زاوية سيدي علي بتمگروت جارة تگمادَّارْت دار السعديين الأولى بدرعة. كما أنه من المؤكد أيضا اتحاد المشرب الصوفي لكل من الأدفاليين والسعديين مريدي الشيخ أحمد بن موسى السملالي. ويحتفظ الأدفاليون اليوم في قصرهم بظهير لعبد الله الغالب مؤرخ بأواخر رمضان عام 973 / أبريل 1566 يتضمن تعظيم هذه الأسرة وتوقيرها.

**أدْفال، أحمد** بن محمد الحسني السوساني الدرعي. توفي والده وهو صغير فكفله الشيخ محمد بن علي التمگروتي وربّاه في زاويته. ثم خرج أحمد في طلب العلم إلى زاوية ابن مهدي في أرباض مدينة زاگورة ومنها إلى فاس حيث أخذ عن الشيخين عبد الوهاب الزقاق وعلي بن هارون وطبقتهما قبل أن يتوجه إلى سوس لسلوك طريق القوم على يد الشيخ أحمد بن موسى السملالي. وقام أحمد أدفال بعد ذلك برحلة طويلة إلى المشرق حيث لقي عددا كثيرا من العلماء والصلحاء. ثم رجع إلى مسقط رأسه بقصر أدفال عالما محصلا متوسعا في الروايات، وشيخا مربيا عارفا بأدواء النفوس وطرق علاجها، واشتغل بالتدريس والتربية مدة طويلة إلى أن أدركته الوفاة سنة 1023 / 1614.

خلّف أحمد أدفال ثلاثة أشياء : 1. *كتاباً* في ترجمة شيخه أحمد بن موسى السملالي، يعد ـ على صغر حجمه ـ من المصادر الأساسية لحياة هذا الشيخ الذي طبقت شهرته الآفاق. 2. خزانة علمية غنية جمع نفائسها خلال رحلاته الطويلة بالمغرب والمشرق. 3. وصية لأبنائه بالمحافظة على الكتب وعدم بيع شيء منها، والابتعاد عن الوظائف المخزنية وعدم مخالطة علماء الدنيا ومبتدعة الفقراء.

محمد حجي

**أدماي**، جبل في إقليم مراكش، ذكره الوزان في *وصف إفريقيا* (ص. 113)، ويغلب على الظن أن الكلمة مصحفة من "أنْماي" التي ذكرها، وهي قصبة كانت قرب سيدي رحال بموطن زمران حاليا، لأن الجبل الذي يصفه إنما هو واقع وراءها منسوب إليها، وهو الممتد من تيزي ن تْلُوات إلى جهة تاسَوْت.

أحمد التوفيق

**إدْمُونْدو دي أمِسيس**، E. di Amicis كاتب إيطالي شهير (1846 ـ 1908) تجول بمختلف ثغورا لمغرب سنة 1875 ووضع عن رحلته كتابا سماه Marocco نشر بميلانو سنة 1876 وترجم إلى الفرنسية عام 1882 بباريس وإلى الانجليزية سنة 1886 بلندن. وقد ضمنه معلومات مفيدة عن المغرب.

م. بوشعراء : *الهجرة من المغرب وإليه* (مخطوط).
J. L. Miège, Le Maroc et l'Europe.

مصطفى بوشعراء

**أدْمِيرْكُوري** Ad Mercuri يعتبر الدليل الانطونيني Antonini Itinerarium لحد الآن المصدر الوحيد الذي يذكر هذه العبارة اللاتينية (Cuntz, *Itineraria romana*, pp. 1,3 ; Miller, *Itineraria Romana*, pp. Lv, 945-948) Ad Mercurios إلا أنها استعملت كاسم مشترك لمحطتين بموريطانيا الطنجية : الأولى جنوب طنجة وتبعد عنها بـ 18000 خطوة وعن زيليس Zilis بـ 6000 خطوة، والثانية جنوب سلا Sala وتبعد عنها بـ 16000 خطوة.

للتمييز بين هاتين المحطتين ـ أطلق شارل تيسو Charles Tissot على الأولى اسم أدميركوري Ad Mercuri وعلى الثانية اسم أدميركوريوس Ad Mercurios (Recherches, pp. 267 - 271) وبقي هذا التقليد معمولا به إلى الآن.

في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، زار هذا الديبلوماسي الفرنسي قرية الدشر الجديد الواقعة على بعد 31 كلم جنوب طنجة وتعرَّف بالقرب منها على خرائب اعتبرها آثاراً لمحطة أدميركوري (Recherches, pp. 269 - 271)، وقد جاراه في هذا الزعم هنري دولاماتينيير Henri De La Martinière (Notes, pp. 277 - 280) وروني كانيا René Cagnat (L'Armée, p. 276) ولوي شاتولان Louis Chatelain (Le Maroc, pp. 44-46) وريموند روجي Raymond Roget (Index, pp. 13-15) وميگيل طارديل M. Tarradell (Guia, pp. 33-34). وخلال فترة طويلة ظن معظم المهتمين بهذا الموضوع ان الدشر الجديدهو أدميركوري وزيلس هي أصيلة الحالية.

غير أن موريس أوزينا Maurice Euzennat أعاد النظر في هذه القضية سنة 1960 (Les voies, pp. 595 - 610)

وخلص من خلال تحرياته إلى أن الدشر الجديد هو زيليس وأدميركوري محطة صغيرة يجب البحث عنها في الجهة الشمالية ما بين الدشر الجديد وطنجة، وذلك لأن المساحة التي تضم آثار الدشر الجديد تتعدى بكثير تلك التي يمكن أن تنسب لأدميركوري ولأن مسافة 31 كلم التي تفصل طنجة عن الدشر الجديد تفوق مساحة 18000 خطوة ( 27 / 26 كلم) الواردة في الدليل الأنطونيني ولا تختلف كثيراً عن المسافة ما بين طنجة وزيلس حسب نفس المصدر دائما (24000 خطوة = 6000 خطوة + 18000 خطوة أي 36 كلم على وجه التقريب).

ومع حلول صيف 1977، وتحت إشراف مصلحة الآثار المغربية آنذاك شرعت بعثة مختلطة مغربية ـ فرنسية في إجراء حفريات بالموقع الأثري للدشر الجديد ومازالت هذه التنقيبات مستمرة لحد الآن بمعدل شهر كل سنة. وقد تكللت خلال صيف 1986 بنتائج مهمة تتمثل أساساً في الكشف عن ست نقائش تشريفية أخذت من مكانها الأصلي واستعملت كحجارة للبناء في الجزء المدور من البرج الشمالي للباب الشمالي ـ الغربي. وتفيدنا قراءة النقائش الثانية والثالثة والرابعة والسادسة بأن الدشر الجديد، هو بالفعل المكان الذي أقام فيه الإمبراطور أوغسطس Augustus المستوطنة الرومانية زيليل Zilil ما بين سنة 33 ق.م وسنة 25 ق.م وحسب الخريطة الطوبغرافية الخاصة بمنطقة المنزلة ذات المقياس 50000 / 1 فان إحداثيات لامبير Lambert لهذا الموقع هي : 453,100 / 546,950 (Fouilles, BAM. XIV, pp. 169 - 246)، بمعنى أن الدشر الجديد لا علاقة له بمحطة أدْميركُوري التي من المفروض على ضوء كل هذه الاعتبارات أن توجد شمال زيليل على طول الطريق الرومانية القديمة المؤدية إلى طنجة، وربما في مكان يناسب نقطة التماس بين دائرتين اثنتين : الأولى مركزها طنجة وشعاعها 18000 خطوة،والثانية مركزها زيليل أي الدشر الجديد وشعاعها 6000 خطوة.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, "Mélanges présentés par divers savants à l'Academie des Inscriptions et Belles lettres de l'Institut de France", 1ère série, IX, 1878 ; H.P. De la Martinière, *Notes sur les ruines de Ad Mercuri*, dans BCTH, 1889, pp. 277-280 ; R. Cagnat, *L'Armée romaine d'Afrique*, Paris, 1912 ; K. Miller, *Itineraria Romana*, Stuttgart, 1916, p. LV et pp. 945-948 ; O. Cuntz, *Itineraria Romana*, 1, *Itineraria Antonini Augusti et Burdigalense*, Leipzig, 1929, pp. 1,3 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc*, dans PSAM, IV, 1938 ; L. Chatelain, *Le Maroc des Romains*, Paris, 1944 ; M. Tarradell, *Guia arqueologica del Marruecos español*, Tetuan, 1953 ; M. Euzennat, *Les voies romaines du Maroc dans l'Itinéraire Antonin*, "Hommages à Albert Grenier", coll. Latomus 58, 2, Bruxelles, 1962, pp. 595-610 ; M. *Lenoir* et alii, *Fouilles de Dchar Jdid 1977-1980*, dans BAM. XIX, 1981 - 1982, pp. 169-246.

محمد مقدون وعلي واحدي

## إدناسن ← زناتة

**أدْوَال**، صيغة أمازيغية لكلمة الدَّولة بمعنى المداولة والتناوب، وهو اصطلاح معروف في الأطلس الكبير وحوز مراكش وسوس. وفي أماكن أخرى يطلق على جولة الطلبة الحافظين للقرآن في قرى القبائل للحصول على ما به يستعينون على حياة الطلب والاعتكاف بالمساجد لإتقان القراءات القرآنية خاصة، حيث يجمعون نقودا وزرعا ورؤوس أغنام.

والعنصر الأساسي في نجاح دورة من دورات أدْوال هو وجود طالب مقدم يكون يعسوب الجماعة المتفقة على الجولة تأتمر بأمره في الانضباط والخدمات من حين خروجها إلى ساعة إيابها، وعددها اثنان فأكثر. ومن صفات المقدّم إتقان الدعاء وإحسان التصرف وتوفر النشاط والإقدام، وهي صفات قلما تتوفر في الطلبة. ومن الطلبة من صار شغله الشاغل هو أن يتقدم على طلبة أدْوال فلا يعود من جولة مع مجموعة حتى يؤلف مجموعة جديدة لجولة أخرى.

وتبدأ الجولة التي تُختار لها مواسم مواتية للفلاحين بحسب المناطق بأن ترسل الجماعة رسائل إلى القرى بقصد الإخبار وإعداد الضيافة، ويكون السفر على الأقدام، وإذا تم الوصول إلى قرية قصدت جماعة الطلبة إلى مسجدها حيث تجتمع عليهم جماعة فلاحي القرية المتبركين فيأتون بأفضل القِرى من أجود أطعمتهم. وبعد صلاة العصر أو المغرب (حَسب وقت الوصول) يقرأ الطلبة الوافدون الحزب الراتب من القرآن لذلك اليوم ثم يتحلقون حول صواني الشاي الذي تتلوه المأكولات، ويقومون بقراءة أحزاب من القرآن بصيغة بدوية خاصة ترفع فيها الأصوات وتدغم الحروف وتكون بإيقاع يشبه السيل المندفع الجارف يتخللها الوقف الممدود فيه الصوت أو المنقطع بعنف، وتسمى هذه الصيغة من القراءة بتاحَزّابْن (أي الطريقة الخاصة لقراءة الحزب) وهي صيغة عدها كثير من الفقهاء بدعة، ولكنها تعبير عن الطاقة المتدفقة لهؤلاء الشباب المتحمسين المعتزين تنطوي على بعض الفخر والزهو بحفظ كتاب الله. وقد تكون الجلسة والمأدبة بدار أحد أعيان القرية من القواد أو الشيوخ أو المقدمين أو غيرهم، وقد يكون المبيت عنده أو بمسجد القرية، وقد لا يستجيب أهل القرية لرغبة الطلبة فلا يكون استقبالٌ ولا قرى وإنما يبيتون جوعى إلى الصباح فيغادرون. ولما كان لَلفلاحين اعتقاد راسخ بأن دعوة طلبة أدْوَال دعوة مستجابة فإن إهمالهم أو نهرهم لا يحدث إلا نادرا. وفي آخر كل جلسة يقوم مقدم الطلبة بإلقاء أدعية تستنزل الخيرَ والبركات على المضيفين فيؤمن عليه الطلبة الآخرون. وفي الغد تجمع لهم التبرعات فإذا كان فيها حبوب باعوها وإذا كانت فيها أغنام عينوا من بينهم من يقوم برعيها إلى أن تباع في الأسواق.

ومن الطريف أن نزول طلبة أدوال بقرية قد يكون وبالاً على المعلم بمسجدها حيث يتجرأ بعضهم على امتحان حفظه، وقد يكون محل تعيير واستهزاء وقد يرحل أو تفسخ عقدته، ولأدوال صيغة مكبَّرة تتمثل في النزهة السنوية للطلبة بسوس على النمط الذي وصفه محمد المختار السوسي في كتابه *مدارس سوس العتيقة* (38 ـ 43).

*معاينة ميدانية.*

محمد سامي ـ أحمد التوفيق

**أدُوزْ**، قرية بأرض بقوية، منضوية تحت فرقة نگيديت واقعة في أقصى الشمال من تراب الفرقة عند قدم الجبل المعروف بنفس الاسم (552 م). وتتصدر الأهمية بين القرى المجاورة كأيت مرشون وإمرابط واخنتورن وأيت بويدير.

وأدوز معروفة منذ القرن السادس الهجري بشيخها المتصوف الحاج بن عبد الحليم الأدوزي، أحد تلامذة أبي داود التمسماني (المتوفى 578 هـ)، وبها زاويته المشهورة وعقبه.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 63، 64 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية*، الخريطة الطبوغرافية (1972) مقياس 1/100.000، ضابط القبائل لنيابة الأمور الوطنية، ص. 85، تطوان 1952.

Moulieras, *Le Maroc inconnu* 2 : 93 ; 245-246 ; *Geografia de Marruecos* ; *Mision de los campanas de Marruecos*, T. II, p. 232, Madrid 1936.

حسن الفكيكي

**أدُوزْ**، قرية بقبيلة إِدَاوْلْتيتْ، بأرْض إِداوْ بعقيلْ في جبال الأطلس الصغير على الطريق الممتدة من مدينة تيزنيت إلى أنْزي. وقد أنجبت كثيرا من العلماء وبخاصة من أسرة اليعقوبيين الأدوزيين.

ومعنى أدوز باللسان الأمازيغي : الربوة، على ما يبدو. وتوجد قرى بالمغرب بهذا الاسم نعرف منها (أدوز ـ نْ ـ سعود) بقبيلة هشتوكة قرب دائرة بيگرا بسهل سوس، و(أدوز ـ نْ ـ سيدي منصور) و(أدوز ـ نْ ـ سيدي محمد أوشّن) وكلاهما بقبيلة (إداگيلول) من قبائل حاحا قرب دائرة تمانار على ساحل البحر.

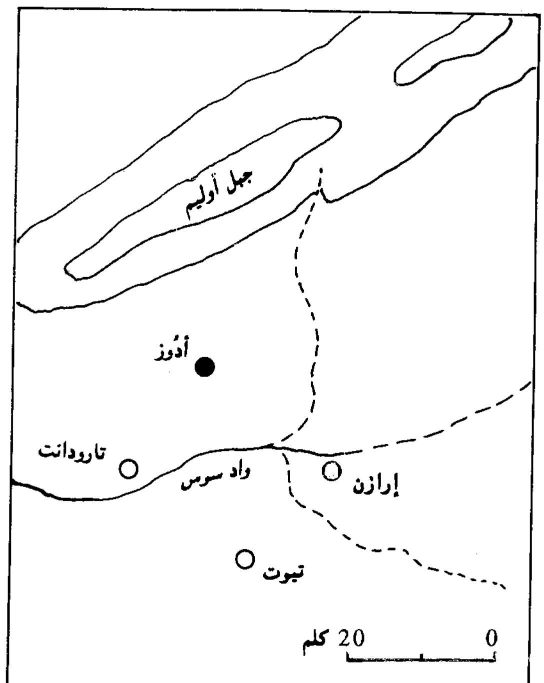


وكانت أدوز تسمى قبل القرن الثاني عشر الهجري (18.م) (إداوتسانا)، ثم عرفت بأدوز، وتنقسم الى أدوز الشمالية (تيشوقار) وأدوز الجنوبية (تيسگدال) وبالقرب منها قرى من بينها (تاوريرت) سكنى البومهديين إلى الآن، وقرية أيت حساين، وفي غربها أَگَالْ مْلُّولْنْ قرب أَسَگَا أَوْيْلاَغْ. غير أن أدوز لم تشتهر إلا في القرن الثامن عشر. عندما انتقل إليها جد الشرفاء اليعقوبيين الأدوزيين، السيد محمد بن عبد الله بن يعقوب بدعوة من البومهوديين الذين تربطهم بوالده أوثق الأواصر، وقد (شارط) محمد بن عبد الله في مسجد أدوز مدة ثم انتقل إلى قريته الأصلية (تازْمُوتْ) بقبيلة سملاله، وفيها توفي، بعده أصبحت أدوز مقرا للشرفاء اليعقوبيين من نسله، حيث خلّف بأدوز ستة من أبنائه، وكان من بينهم خليفته في المدرسة ابنه السيد إبراهيم بن محمد جد آل تيشوقار. كما كان أخوه السيد محمد جد أيت أگْرامْ عالما ترك مؤلفات في فنون شتى، أما ابنه الثالث السيد على بن محمد ـ جد أيت الفقيه ـ فلم يعرف عنه أن له معارف، فضلا عن التآليف.

وقرية أدوز ذات عيش شحيح، ولذلك كان مورد سكانها يعتمد على التوظيف، إما بتعليم القرآن في المساجد، أو بتعليم العلوم العربية في المدارس أو بالفصل بين الناس ومعالجة مختلف النوازل، فنبغ عدد من العلماء الأدوزيين، ولعل الشهرة التي حظى بها مسجد "تاماشت" بأدوز لدى سكان جبال جزولة تعود إلى تقدير العلماء العاملين الذين أنجبتهم هذه الجهة.

أما حال قرية أدوز الآن، فإن أغلب سكانها أصبحوا ـ منذ عهد الاستقلال حينما فتحت أمامهم أبواب التوظيف والعمل ـ يهاجرون مع أسرهم إلى مختلف المدن، فتحولت القرية مسكنا للمسنين، وأصبح أبناء المهاجرين يألفون الوسط الحضري، رغم محاولة الآباء ربط الصلة بقرية أدوز، حيث يقضون بها أيام العطل السنوية مع أبنائهم، فيرممون منازلهم أو يحدثون منازل جديدة، فان أبناءهم الشبان استأنسوا بالوسط الحضري مما ينبئ باحتمال وقوع قطيعة مع مثل هذه القرى التي لها دور فعال في مرحلة من مراحل تاريخ هذه الجهات من البلاد.

**أدوز**، (مدرسة ــ) من المدارس العلمية العتيقة بسوس، تأسست أوائل القرن الحادي عشر للهجرة 17 م ويمكن أن نسميها ـ بحق ـ المدرسة اليعقوبية لأنها تأسست على يد الأسرة اليعقوبية، وكان أغلب الذين تعاقبوا على حلقات الدرس في أدوز من هذه الأسرة، فقد تأسست في تازموت بقبيلة سملالة على يد جد اليعقوبيين قبل أن تنتقل إلى أدوز ـ وهو العلامة عبد الله بن يعقوب الذي رجع من رحلته العلمية من تارودانت بعد عكوفه لمدة سبع عشرة سنة لأخذ العلم عن علمائها، من أمثال شيخ الجماعة عيسى السكتاني خريج جامعة القرويين، والعلامة سعيد الهوزالي، والشيخ سعيد بن عبد الله السملالي وغيرهم.

"وأحيى الله به البلاد والعباد" على حد تعبير المؤرخ الحضيكي، وبعد وفاته سنة 1052 / 1642. انتقل ولده محمد بن عبد الله بن يعقوب إلى قرية أدوز في قبيلة بعقيلة، وكان قد تخرج بأبيه وبأخيه إيبورك بن عبد الله، وقد أرسى قواعد التدريس بمدرسة أدوز. ولعلمه وصلاحه ولاه السلطان مولاي رشيد العلوي قضاء الجماعة في جزولة وفوض له في تولية القضاة وعزلهم، وما أن توفي سنة 1082 / 1671 بعد رجوعه إلى تازموت حتى توالى على خلافته في مدرسة أدوز أبناؤه واحفاده من بعده، وعلى أيديهم استمر عطاء هذه المدرسة.

وقد تعاقب على تسيير المدرسة علماء من الأدوزيين آخرهم مسيرها عام 1985 عبد العزيز الأدوزي، وقد جعلوها كعبة القصاد، فورد إليها الطلبة من جميع أنحاء جزولة وسوس، وقد يفدون عليها من أرجاء حاحا والحوز والصحراء. ويبلغ عدد طلبتها أحيانا 200 طالب، وهو عدد هام بالقياس إلى امكانيات مثل هذه المدارس، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

يتلقى هؤلاء الطلبة العلوم والمعارف الشائعة، التي كانت تدرس في جامعة القرويين، فإلى جانب الاعتناء بحفظ القرآن، تدرس القواعد اللغوية بما في ذلك النحو والصرف، يدرس البيان والبديع والعروض، وكذلك تفسير القرآن والحديث، والفقه والأصول والحساب والفرائض. وقد انتشرت بين الطلبة كتب الأدب واللغة، وكتب التفاسير وشرح البخاري والفتاوى الفقهية وشرح خليل وكتب الأصول. وللمدرسة مكتبة هامة تضم كثيرا من هذه الكتب التي يتسابق الطلبة إلى قراءتها واستنساخها وحفظها واستيعابها، وكان أغلب تلك الكتب من تأليف علماء هذه المدرسة، ومعها كتب محبسة من قبل بعض الأسر الجزولية.

وقد تخرج من المدرسة الأدوزية عدد كثير من العلماء البارزين، وعلى الرغم من عدم وجود أحصاء دقيق لهؤلاء فإننا نكتفي - كأمثلة - بما ذكره المختار السوسي، فقد استطاع أن يسجل أسماء من تخرج على يد ستة فقط من مدرسيها فكان عددهم يقارب 400 من الخريجين ممن نالوا شهرة فائقة. وقد كان السكان يقصدون هذه المدرسة للسؤال عن شؤنهم الدينية، والاستفتاء عن أمورهم المادية، وكل من احتاج في أي قبيلة إلى فقيه لتعليم القرآن في المساجد، أو أستاذ لتعليم العلوم في المدارس، أو التمس فتوى في نازلة، فإنه يقبل على مدرسة أدوز فيجد ضالته في رحابها، وقد انتشر خريجوها في مختلف القبائل، قضاة وأساتذة وفقهاء.

ولا بد لإدارة مثل هذه المؤسسة التعليمية من موارد مادية تستطيع بواسطتها - على الخصوص - إعالة الطلبة المقيمين بها، ويكمن تصنيف موارد مدرسة أدوز إلى أربعة أصناف :

1. «شرط الفقيه» أي أجرة أستاذ المدرسة التي يتقاضاها سنويا من سكان القبائل، وتنحصر في مقدار من الشعير يبلغ نصف عبرة : وهي كَيْلٌ معروف تدفعه كل أسرة، بشرط أن تكون السنة سنة خصب، فإذا أجدبت الأرض تبقى الأجرة معلقة إلى أن تتبدل الأحوال، وكان عدد القبائل التي تؤدي «شرط الفقيه» محدودا، يزيد أحيانا وينقص، وكانت القبائل التي تؤدي غالبا هي إدبجمان وأيت أنزي وأيت عامر وأيت إيسمن، وجميع أيت أوزور باستثناء أيت تيغمي، وبعض أيت تيوارگان، وبعض أيت ويجان والعين. وأسكا وأوبلاغ والأعيون والمداشر المجاورة لها. ويُجمع من ذلك كله مقدار من الشعير لا يستهان به، وعليه يعتمد الفقيه في تسيير شؤون المدرسة.

2. غلات الأملاك العقارية المحبسة على المسجد / المدرسة / الزاوية، وتشكل مورداً هاماً من موارد المدرسة. ومن أملاك هذه المدرسة : حقول مسقية في تازروالت وحقل كبير في توگاك، وآخر في مجگاگة به زياتين ونخل، ولها حقول في ويجان وتانگيست وفي ماسة، وتستفيد المدرسة من موارد هذه العقارات طوال السنة بما تغله من الخضر والزيتون والفواكه والحبوب.

3. الأعشار : ويرجع مقدار ما تتلقاه المدرسة سنويا من أعشار، إلى أحوال الزراعة من خصب وجذب، وإلى أريحية الناس، بحيث لا يدفعها - عادة - إلا قبائل إدبجمان وأيت إيسين وأيت أنزي. وهي غير منضبطة في مقدار معين ولكنها تكفي أحيانا لمدة تزيد على السنتين.

4. هبات الزوار وهداياهم للمدرسة، فهم يتبرعون ببعض محصولاتهم على المدرسة (وتضم مفهوم المسجد والزاوية وبعض الشرفاء) كما أن النساء يقدِّمن في الأعوام الخصبة، أثناء إقامة موسم في فصل الربيع مقادير من الزبدة، يتجمع منها مقدار كبير من الإدام يدّخره الفقيه ويستعين به.

وهكذا فإن الفقيه كان يجمع الموارد المتحصلة من (الشرط) وغلات الأملاك المحبسة، والأعشار والهبات، ويدخر ما تجمع من الحبوب في مطامر المسجد، وينفق منها بمقدار، دون أية مراقبة من أحد، وكان ما يتجمع من موارد، يكفي أحيانا لسنة واحدة أو سنتين إلى ثلاث سنوات، وأحيانا تقل الموارد، ومع ذلك، فإن المدرسة كانت تحصل دائما على الاكتفاء الذاتي سنويا دونما حاجة إلى موارد أخرى.

تلك هي المدرسة الأدوزية التي أمدت البلاد بأجلة العلماء زهاء أربعة قرون، كرسوا حياتهم لا لخدمة العلم واغناء مجالاته من التأليف في مختلف الفنون فحسب، بل كرسوها أيضا لخوض غمار الجهاد والدفاع عن حوزة البلاد، فقد كان لهم دور كبير في القضاء على الثائر بوأحلاس في عهد السلطان مولاي سليمان، وقادوا حركة الجهاد، والمقاومة الاستعمارية، بعد أن رفضوا الحماية الفرنسية المفروضة على المغرب، وقد ذهب البعض منهم ضحية مكايد الحماية، أمثال العلامة سيدي المحفوظ الأدوزي، ولعل هذه المكانة المرموقة للمدرسة هي التي أملت على

مؤلف كتاب *المعهد الإسلامي* أن يقارن بين دور جامعة القرويين بفاس وجامعة ابن يوسف بمراكش ودور مدرسة أدوز بجنوب المغرب.

غير أن الأحوال تبدلت، منذ العقد الثالث من القرن العشرين، فبدأت وضعية المدرسة تتدهور، وتقلص إشعاعها شيئا فشيئا، وقد تجمعت لذلك عوامل منها عامة، كالتي تعرض لها المغرب من جراء الضغوط التي مارستها الحماية الفرنسية على التعليم عموما، ومنها الخاصة، مثل موت سيدي المحفوظ الأدوزي أحد أساطين المدرسة، ثم ما أقدمت عليه الحماية من التضييق على المدرسة الأدوزية بالاستيلاء على بعض أملاكها العقارية باسم وزارة الأوقاف سنة 1345 / 1927، وخاصة الأراضي المسقية التي تملكها المدرسة في ويجان وفي تانكيست وفي ماسة، بدعوى أنها من أملاك الأوقاف، وهذا الوضع شجع بعض الأسر الأدوزية على التسابق نحو الانفراد ببعض الأملاك المشتركة، مما أفقد المدرسة موارد هامة هي التي كان عليها مدار الحركة العلمية بها، وتقلص بذلك عدد الطلبة، ووقع إهمال المكتبة التي أحصى منها المختار السوسي تسعين كتابا. ولم تزد حالة المدرسة - طوال عهد الحماية - إلا تدهورا. وبعد إعلان الاستقلال، ورغم محاولة النهوض بهذه المدرسة، فقد وقع استمرار نفس التقلص، نظرا لتدني مستوى فقهاء المدرسة ونظرا لوقوع الميل نحو التعليم العصري، واكتفت المدرسة بالاعتناء بحفظ القرآن وبعض المتون، كما هو الحال سنة 1985.

ع. الأدوزي، *انساب اليعقوبيين*، مخطوط (نسخة خاصة) م. الأدوزي، *نزهة الجلاس في أخبار بوحلاس*، الخزانة الحسنية بالرباط رقم 4625 ؛ م. الأكراري، *روضة الافنان في وفيات الاعيان*، مخطوط خ. ع. بالرباط رقم 1322 د ؛ م. الحضيكي، *طبقات الحضيكي* ؛ ع. الساحلي، *المعهد الإسلامي بتارودانت، والمدارس العلمية العتيقة بسوس*، ج 3 ص 88 وما بعدها من النسخة الأصلية ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 157، 190، 196، 205 ؛ *باقة ريحان من روضة الافنان*، ص 41 - 44... ؛ *مدارس سوس العتيقة*، 198، 102؛ *المعسول*، ج 5 ص 5 - 247 ؛ *خلال جزولة*، 26 - 79 ؛ م. العثماني، *الفقهاء المجاهدون السوسيون: العلامة سيدي المحفوظ الأدوزي* (حديث إذاعي) أذيع بإذاعة أكادير بتاريخ 1986/6/21؛ أ.اليعقوبي، *سجل* يتضمن تقاييد عن أدوز والأسرة، وعن أحوال المدرسة (نسخة خاصة في ملك المؤلف).

عمر أفا

**الأدوزي، إبراهيم** بن محمد السوسي، ولد سنة 1016 / 1607 ؛ وهو أول الأدوزيين الذين ارتادوا قرية أدُوز بعد أن كان مُسْتَقَرُّ الأسرة وجدِّها الأعلى عبد الله ابن يعقوب (1052 / 1642) قرية تازموت بسملالة. وقد انتقل منها صاحب الترجمة صحبة أخيه محمد بن محمد (ت.1164 / 1749) إلى أدوز فاتخذاها دار قرار ؛ فاصبحت بهما وبأحفادهما مركزاً علميا مرموقا (*سوس العالمة*، 157).

ولم يذكر مترجموه شيئا ذا بال عن طفولته، ولكنهم سجلوا أسماء شيوخه الذين تلقى عنهم العلم والتصوف ؛ وهي نزعة بارزة في هذه الأسرة منذ جدها الأول.

لذلك فالمعتاد أنه بعدما أخذ ما تيسر له من إتقان حفظ كتاب الله وشيء من القراءات يكون قد أعد نفسه لدراسة المواد العلمية الميسرة في بيئته المحلية؛ ويذكر في هذا الصدد أخذه الأول عن أخيه محمد بن محمد ذي العلم الكثير والصلاح والعدل في القضاء والإفتاء في النوازل المتعلقة بجبال ولتيتة وهي التسمية التي أطلقها متأخرو مؤرخي سوس على بلاد جزولة. وكان أخوه هذا وأستاذه في الوقت نفسه قد أخذ عن مشاهير عصره وله مراسلات مع الشيخ اليوسي (ت. 1102 / 1690) وأحمد بن ناصر الدرعي (ت. 1129 / 1717) والعلامة أحمد بن سليمان الرسموكي (ت. 1133 / 1720).

أما ثاني أساتذة صاحب الترجمة فهو أحمد بن سليمان بن يعزى الرسموكي السوسي (ت. 1133 / 1720) الإمام الكبير الورع ذو الشهرة الواسعة والآثار المختلفة في شتى العلوم صاحب *المنظومة* الشهيرة في المواريث والفرائض وشرحيها الكبير والصغير وذو الاهتمامات الحسابية والعروضية والمشار الى تبادله المراسلة مع أخ صاحب الترجمة (*المعسول*، 18 : 330 - 331).

أما ثالث شيوخه فهو إبراهيم بن محمد التاكوشتي الصَّوابي (ت. 1136 / 1723) المنقول عنه مشاركته في الأدب والشعر والفقه والنحو مع اهتمامات صوفية بارزة يصحبها كثرة النصح للأمة باتباع السنة وإخماد البدعة مع حرص على التهجد وكثرة صيام (*المعسول*، 8 : 64 - 70).

ورابع شيوخه عبد الله الووكدمتي المراكشي السكتاني (ت. في حدود منتصف القرن 12 / 18) نزيل مراكش والجامع بين العلم والشورى والصلاح وكان قد أخذ عن علماء مراكش عصرئذ، وعن أبي علي اليوسي، وهو صاحب فتوى في عدم بطلان صلاة من زاد السيادة في الصلاة على الرسول أثناء التشهد مع مشاركة شعرية (*المعسول*، 5 : 138).

وقد ظهر من مجمل سيرة شيوخه سمة الجمع بين العلم والعمل مع الصلاح والولاية والمشاركة في المنظوم والمنثور مما ينتظر معه أن يكون له أثر في سيرة التلميذ صاحب الترجمة خصوصًا وأنهم أخذوا من بيئة مراكش التي صهرت في بوتقتها عصرئذ جوانب من التخصصات العلمية مع صبغة صوفية بارزة ؛ لذلك نجد الذين ترجموا له يذكرون من إثر هذا التلقي عليه بروز جانبين من شخصيته : أحدهما التدريس الذي لازمه أكثر من عشرين سنة في مسجده بزاوية إدوتسانا المسماة "بأدوز" ؛ وقد استتبع هذا الجهد المبذول في التدريس اشتهاره بإتقان علم العربية وخاصة فن التصريف في سوس كلها مع مشاركته في الفنون الأخرى إسلامية ولغوية وحسابية مما هو مقرر دراسي في هذه المدارس (*سوس العالمة*، 31).

أما الجانب الثاني البارز في شخصيته و الطاغي على ترجمته فهو جانب الصلاح والولاية مما استلزم أن يرحل إليه الناس من مختلف النواحي للأخذ عنه مع ما يتطلبه ذلك من تواضع وفضل وحسن عبادة. ولم تلبث هذه الشمائل أن ظهر أثرها فيما بعد على أتباعه في البلاد السوسية ويذكر في ذلك ازدحام الناس عليه للتبرك والزيارة، هذا مع حبه للتواضع وكراهية الظهور؛ ولم يشغله هذا عن التدريس من جهة وملازمة الاذكار الخاصة الموظفة على الأوقات من جهة أخرى مما يكشف عن شخصية متوازنة جدا.

ليس في أخبار صاحب الترجمة ما يدل على اتباعه طريقة معينة في التصوف، على أننا نلاحظ في سيرة شيوخه من أخذ عن الشيخين الناصريين الطريقة أحمد الناصري والحسن اليوسي ؛ وكان جده ابن يعقوب (ت. 1052 / 1642) ممن ظهر عليه الصلاح والولاية مع تصوف صافٍ وهي سمة بادية في معظم أحفاده.

ونشير إلى ما يذكر من توقيره وتعظيمه من قبل شرفاء تازروالت أحفاد الشيخ الصوفي المشهور أحمد بن موسى الجزولي السوسي (ت. 971 / 1564) يدل على هذا التعظيم والتوقير والإكبار ما ينسب إلى صاحب الترجمة من أملاك وعقار تابعة له ربما كانت من صدقة الشريف هاشم من إمارة السملاليين (ت. 1240 / 1824) أو من ولده علي بن هاشم (ت. 1258 / 1842) وذلك بعد وفاة صاحب الترجمة، وذلك جريا على عادة التصدق على مشاهد ومزارات الموقرين من صلحاء المنطقة؛ هذا إن لم تكن هذه الصدقة من الأمير علي بودميعة نفسه (ت .1069 / 1658) لآباء صاحب الترجمة ؛ ويضم كتاب *المعسول* (5 : 40 . 41) وثيقة تتضمن رسم صدقة بقطعة أرض من طرف علي بودميعة المشار إليه على أولاد الشيخ ابن يعقوب.

لم يذكر مترجمو الأدوزي إبراهيم هذا مؤلفات تنسب إليه ولعل ذلك يفسره الانكباب من جهة على آثار جده وأساتذته تدريسا وتفهيما حتى وصفه مترجموه بالعلاّمة، كما يفسره من جهة أخرى نزعته إلى الخمول وعدم الطموح إلى سمعة علمية تحصل بالتأليف. هذا مع تعويض هذا الاتجاه بتكوين أتباع ذوي سيرة عطرة يشع أثرهم السلوكي على البيئة بطريقة عملية. توفي صاحب الترجمة سنة 1160 / 1747.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 و 8 و 18 ؛ *سوس العالمة*.

**الأدوزي، أحمد** بن إبراهيم السوسي لم يذكر مترجموه تاريخ ولادته ؛ على أنه لفت نظرهم ثلاثة من أبناء إبراهيم بن محمد (ت. 1160 / 1747) والد صاحب هذه الترجمة ؛ وهم الذين استحقوا الذكر من بين أبنائه الخمسة ؛ ويظهر أن أسبقهم وفاة أخو صاحب هذه الترجمة عبد الرحمان (ت. 1163 / 1749) وينقل عنه أنه فقيه ؛ أما آخرهم وفاة فأخوه علي (ت. 1214 / 1799).

ولم يمكنا مترجمو أحمد بن إبراهيم الأدوزي هذا المتوفى عام 1168 / 1755 من أية عناصر لافتة عن طفولته وبداية دراسته الأولية ؛ على أنه استوقفهم من حياته وشخصيته عنصران أساسيان أولهما الولاية والصلاح وتربية الأتباع والمريدين مع كرامات ؛ وبهذا نزع نزعة والده الصوفية، والعنصر الثاني إتقان الفقه والأشتغال به؛ وبذلك جمع بين نزعتي أخويه.

تتجلى شخصيته كفقيه في قدرته على أن يصلنا بإنتاج أحد شيوخه الفقهاء الماهرين في الفتوى؛ ويتعلق الأمر بأبي العباس احمد بن محمد العباسي (ت 1152 / 1740) الذي سبق له أن أخذ عن أحد شيوخ زاوية «تامگروت» الناصرية في الجنوب المغربي هو الشيخ احمد بن محمد بن ناصر (ت. 1129 / 1716) وكذا عن الشيوخ في مراكش كأحمد بن سليمان الرسموكي (ت. 1133 / 1721) الفقيه الفرضي الشهير.

والذي يظهر أن التلميذ الأدوزي صاحب هذه الترجمة ملأت عليه شهرة شيخه العباسي هذا وبروزه آفاق اهتمامه، فنشأ يعكف على أعماله وإنتاجه الفكري جمعا وتحريرا ونسخا للآثار والفتاوى والإنشادات.

ولعل أبرز هذه الآثار التي عكف عليها كتابه *الأجوبة العباسية* التي قام بجمعها وتحريرها صاحب هذه الترجمة وهي في الفقه والنوازل. وهذا اللون من التأليف مما كثر الاهتمام به خلال هذا القرن (الثاني عشر / الثامن عشر) بقدر ما كثر الإنتاج والنشاط الصوفي في القرن التالي له ؛ وكان للمطبعة الحجرية فيما بعد فضل إبراز هذا الإنتاج .

وقد اهتم المترجم له أيضا *بالفوائد* المتعلقة بشيخه العباسي هذا ؛ ويظهر من سياق الحديث عنها انها مؤلف مستقل ومجموعة ثانية زائدة على ماتقدم (*المعسول* 18 : 418) وقد قدم لها الادوزي بقوله «هذه فوائد كيفما كانت : طرراً (جمع طرة وهي ما يكتب في أطراف الكتب من الفوائد والاستدراكات والانتقادات الخ) وغيرها، فقها وغيره؛ لشيخنا سيدي أحمد بن محمد... العباسي... جمعه كاتبه احمد بن ابراهيم... حسبما وجده بخط يده الكريمة للانتفاع بها راجيا من الله الثواب الجزيل» (*المعسول* 18 : 418) وقد ساق صاحب *المعسول* نماذج منها من بينها مكتوب من العباسي إلى أحد المرابطين يلتمس منه الدعاء ويوصيه بالقيام بحقوق الله في نفسه ورعيته مع استشهادات حديثية كما يوصيه بمراعاة الأصول قبل الفروع عند الاستدلال مُنَدِّداً بالغارقين في الفروع الهلكى مستشهدا بأحد كبار المحدثين. وقد ختم هذه الرسالة بتوصية المكتوب إليه بالقيام بصلاة التسبيح مفسرا له كيفيتها؛ مما يكشف عن ميول أصولية سلفية ظاهرة. ومن هذه النماذج مكتوب من الفقيه التاگوشتي (ت. 1136 / 1723) إلى العباسي في تظلم (*المعسول*، 18 : 418).

أما الأثر الثالث لصاحب هذه الترجمة فهو *إنشادات* أحمد العباسي في مَجالسه ؛ ويتضح من النسخة الموجودة منها بخزانة أبي فارس عبد العزيز الأدوزي (ت. 1336 /

1918) بمدرسة سيدي بوعبدلي بناحية تزنيت أنها إنشادات فقهية من نظم صاحب الترجمة من غير ترتيب، إلا أن بعضها قد قام بترتيبه تلميذ صاحب الترجمة محمد بن عبد الله بن أحمد السملالي الدبلاوي وصل بها إلى باب الأضحية،ورتب ما بعد الأضحية إلى الرهن عبد الواحد بن محمد ابن أحمد الحجري الرسموكي بعبارة سامية (*خلال جزولة*، 4 : 13).

أما الأثر الرابع الذي جمعه صاحب الترجمة وهو أيضا لشيخه العباسي المذكور فهو مجموعة *رسائل* معاصريه، تحتوي على جملة من الرسائل من بينها رسائل احمد بن عبد الله الصوابي (ت. 1149 / 1736) دفين ماسة بسوس، وممن تخرج عليه صاحب الترجمة (*خلال جزولة*، 4 : 43).

وآخر أعمال أحمد بن إبراهيم الأدوزي يتجلى في ميدان التصوف وهو من اهتماماته البارزة ؛ فقد تفرد بين معاصريه بجمع *أخبار السيدة مريم* بنت محمد السملالية (ت. 1165 / 1751) الصوفية ذات الكرامات والخوارق ؛ ويتضمن هذا التقييد كل ما أخبرت به تلك السيدة من الكرامات والخوارق مع حديث متكرر عن شيخ شريف قادري بالمدينة المنورة تسند إليه مريم المذكورة أقوالها باستمرار، ووُصف هذا التقييد بأنه غريب في بابه، وهو في مجلد صغير بالخزانة المسعودية بسوس ؛ وتتجلى أهميته في تضمنه مواقف قد تفيد المؤرخ بالإضافة إلى سيرة هذه السيدة ذات الكرامات والوقائع الروحانية حيث يَذكر وقائع لها مع أرواح من الموتى البعيدين عن قطرها وسكناها (*سوس العالمة*، 213 *والمعسول*، 5 : 140).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 و18 ؛ *خلال جزولة*، 2 و 4 ؛ *سوس العالمة*.

**الأدوزي، عبد العزيز** بن محمد، ولد سنة 1268 / 1802 في فترة أدرك فيها جده لأمه العربي الأدوزي وأخذ عنه ما تيسر حسب الفترة القليلة التي واكب فيها هذا الأخير 1286 / 1869، كما أدرك خاله محمد بن العربي (ت.1323 / 1905) وتلقى عنه كل مقروءاته ولم يفارقه حتى تضلع؛ كما تلقى بعض دراسته عن عبد الرحمان السالمي الإيسي (*المعسول*، 18 : 432) وأخذ بعض أمهات العلوم عن محمد الشريف نزيل ماسة ؛ وذكر عنه أنه تشوف إلى المهدوية ناشراً لجملة من العلوم إلى أن نزل السلطان العلوي المولى الحسن بسوس (1299 / 1881) فرحل حينئذ إلى الشرق العربي (*المعسول*، 5 : 70). وذكر من أشياخه بالإجازة محمد بن عبد الرحمان (ت. 1326 / 1908) من تلامذة والده محمد بن محمد بن أحمد (ت. 1276 / 1859) وجده المتقدم أعلاه. ومن هذه الحصيلة انطلق إلى التدريس متنقلا بين مدارس جزولة وسهول سوس زمنا إلى أن استقر بمدرسة سيدي بوعبدلي ناحية تزنيت منذ 1331 / 1912 وقد أكسبه ذلك فيما يظهر مراساً في علوم المنقول والمعقول مع دؤوب على النسخ والتأليف وتقييد الشوارد لم يشاركه في ذلك إلا خاله السالف الذكر أعلاه ؛ مضيفا إلى هذه المزايا جودة في الخط في أشكال هندسية قلما تيسر لمعاصريه بسوس أن يوهبوها، جامعا إلى ذلك من آداب الطلب ملازمة القلم باستمرار (*المعسول*، 5 : 74) موشحا منسوخاته من الكتب بالحكم والأمثال (*خلال جزولة*، 1 : 118) مضيفا إلى ذلك كله الإعداد الجيد المستمر للدروس قبل إلقائها مع العكوف على مقدار معين من مختصر الشيخ خليل يوميا يكتبه على اللوح ويطيل التأمل فيه ملتزما بذلك الى آخر عمره، ولعل هذا ما يفسر سرعة استحضاره للنصوص والشواهد عند الحاجة؛ وقد كلل ذلك كله بأسلوب جدلي سجالي عقلاني سلكه مع الجميع شيوخا وتلامذة قلما وجد في سلفه من اتصف به.

ولصاحب الترجمة إلى جانب هذه الخصال العلمية توجهات صوفية، وهو أول من اعتنق من الأدوزيين الطريقة الدرقاوية، وكان على الطريقة الاحمدية التجانية في صغره. ومن آثار تصوفه لزوم اللباس المتواضع، وقد زاره أحد ذوي النفوذ صيفا فإذا عليه قميص خلق بال لا ينتظر من مثله أن يستقبل به الضيوف. وينقل من تواضعه هذا أمور مستغربة (انظر قصته مع أحد أتباع الطريقة الدرقاوية في *المعسول*، 5 : 82) ولعل من آثار هذا الاتجاه *تأليفه* على شرح التاموذرتي (ت. 1316 / 1898) على نظم الجشتمي (ت. 1298 / 1853) وكذلك مجموعة *الخواطر والسوانح* في نحو ثمانية كنانيش مخطوطة (*المعسول*، 5 : 88) وكذا مؤلفه في *شرح الأسماء* الإدريسية وهو في الذكر المعلوم : سبحانك يا ربٌ كل شئ ووارثه ورازقه وراحمه الخ... في نحو 13 ورقة في خزانته بسيدي بوعبدلي قرب تزنيت بسوس (*خلال جزولة*، 13:4).

ومن نتائج ممارساته الاجتماعية والقانونية التي يظهر أنها لم تحتل إلاّ حيزا ضيقًا من نشاطه مجموعة *فتاويه* المخطوطة في نحو ثمانية كنانيش، وتمثل نماذج منها أسلوبا عربيا غاية في الجزالة وحسن الاسجاع (*المعسول*، 5 : 72 ؛ 79 ـ 80) كما ينسب إليه كتاب لطيف الحجم *في كيفية (سنة العيد)* وهو في كل ما يفعل يوم عيد الفطر في أزيد من 13 ورقة ألفَه عام 1297 / 1879 في شبيبته بإذن أستاذه العربي المذكور وتضم خزانته بسيدي بوعبدلي بناحية تزنيت نسخة منه (*خلال جزولة*، 4 : 14).

أما الاهتمامات التاريخية فيظهر أنها لم تحظ منه إلا باليسير في كنانيشه حول رجالات علماء سوس، ولعلها الواردة ضمن مجموعة كنانيشه التي تضمها خزانته السالفة الذكر وقد أورد صاحب *المعسول* نحو 30 ترجمة وجيزة جدا منها (5 : 90 ـ 92).

إلا أن أبرز جوانب شخصيته تتجلى في ميوله اللغوية والأدبية فبالإضافة إلى إنشائه الجزل المسجوع ورسائله المديحية ومقطعاته الشعرية، توجد له أعمال مستقلة حول بعض الآثار الأدبية الشهيرة ؛ من ذلك شرحه *لمعلقة امرئ القيس* في نحو 23 ورقة بخط جيد أتمه في (1322/5/22 / 1904) وهو بخزانته السالفة الذكر وكذا شرحه لقصائد

عربية جاهلية أخرى وهو مخطوط (*سوس العالمة*، 205) وشرحه *للرسالة الهزلية* لابن زيدون (463 / 1070) مختصرا إياه من شرح ابن نباتة (768 / 1366) وزاد عليه وهو في نحو 18 ورقة، أتمه سنة 1322 وهو بخزانته المشار إليها قبله (*خلال جزولة*، 4 : 13) ومن ذلك شرحه *للشمقمقية* وهي قصيدة لأحمد بن محمد الحميري الشهير بابن الونان (1187 / 1773) المعروفة بجزالة اللغة إلى حد الإغراب فاهتم صاحب الترجمة بإعرابها وشرح كلماتها وأتم هذا الشرح سنة 1315 في 110 ورقة وهمش نسخته بزيادات وهي في خزانته السالفة الذكر (*خلال جزولة*، 4 : 14) واطلع عليها صاحب *المعسول* ونسخ منها (5 : 75). ومن هذه الاهتمامات اللغوية *رسالة حول (لو)* في زهاء 10 ورقات بخزانته (*خلال جزولة*، 4 : 13). أما مراسلاته فيبدو منها متانة أسلوبه وجمعه بين المنظوم والمنثور (انظر نموذجين منها في *المعسول* 5 : 77) الأول رسالة الإلغي علي بن عبد الله (تـ.1347 / 1928) والثانية إلى الشيخ أحمد الهيبة وهو في مستقره بكردوس قرب تزنيت (*المعسول*، 5 : 81 ـ 82). وتضم كنانيشه المخطوطة بخزانته أيضا نماذج من اختياراته الشعرية، ويكشف بعضها عن محبته للكتب واقتنائها. كما يندرج في هذا الاتجاه اهتمامه بالأدب الشعبي السوسي وتسجيل جملة منه في كنانيشه المخطوطة الملمح إليها، وتشتمل على حكم وقصص سوسية وعلى أمثال مغربية عامية ساق منها صاحب *المعسول* طرفا لا بأس به (5 : 92 ـ 97).

ولم يفته مع ذلك التفاته إلى أصول الحديث والشريعة، إذ ينسب إليه في الفن الحديثي شرح على *قصيدة غرامي صحيح* في المصطلح وهو في نحو أربع ورقات أتمه سنة 1329 / 1911 ونسخه متعددة ترجع إلى نسخة أم بخزانته المذكورة (*خلال جزولة*، 414). وقد كتب في مجال أصول الفقه شرحًا على *التنقيح* في أصول الفقه للقرافي (تـ. 684 / 1285) وتوجد منه نحو ستين ورقة بخطه في خزانته؛ وكان جمعه حين تدريس *التنقيح* المذكور وإن لم يتمه (*خلال جزولة*، 4 : 14).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 و18 ؛ *خلال جزولة*، 1 و4 ؛ *سوس العالمة*.

**الأدوزي، العربي بن إبراهيم.** ولد في فترة زمانية ولحظة حرجة، فما إن ودع والده إبراهيم بن عبد الله الحياة (تـ . 1210 / 1795) وقبل مواراته التراب حتى ولد صاحب هذه الترجمة من أمه عائشة بنت محمد بن يحيى المعدري اليعقوبي العالم ذي الخزانة العامرة مع الولاية والصلاح، والمؤلف في تعداد اليعقوبيين من هذه الأسرة الأدوزية. وينقل عن والد صاحب هذه الترجمة أنه حين احتضاره (فتح عليه) فكان يرى الصالحين يردون عليه فيشاركهم الدعاء ثم يرد عليه آخرون وهكذا (*المعسول*، 5 : 113).

رَقَّ لليتيم المترجم قلبُ أحد العلماء من قرابته وهو محمد بن أحمد الأدوزي الشهير (تـ . 1221 / 1806) حيث أدركه في فترة تمتد إحدى عشرة سنة فاعتنى به ووجهه إلى الدراسة الأولية (*المعسول*، 5 : 63) وبعد أن حفظ القرآن الكريم تلقى علوم العربية والشريعة وما إليها على جملة من الأساتذة منهم محمد بن إبراهيم بن مبارك الوشاني (جمع أوشن وهو الذئب بالسوسية) ؛ وتنقل عن صاحب الترجمة نكتة عندما سئل : لمن ستترك المدرسة بعدك؟ فأجاب سأتركها للذئب على سبيل التَّوْرِية في الكلام (*المعسول*، 5 : 64). ثم إنه التحق بالأستاذ علي بن سعيد بالمدرسة اليعقوبية في قبيلة إيْلاَنْ بجزولة وبقي عنده مدة طويلة، كما تعلم بمدارس أخرى لأن مترجميه يذكرون أنه كان يعيش على قشور البطيخ التي يلقيها الطلبة بعد أكل اللب ولم يكن البطيخ منتشرا بسوس في هذه الفترة إلا بطيخ هشتوكة بالسهول السوسية خاصة قرب سهل ماسة. ثم إن صاحب الترجمة اتصل فيما بعد بشيخ زاوية تمگيدشت الناصرية أم المدارس الحوزية (حوز مراكش) وهو أحمد بن محمد (تـ. 1274 / 1857) فأخذ عنه جملة من العلوم التي ستصبح لصاحب الترجمة اليد الطولى فيها كالنحو اذ كان هذا الشيخ يعتني به وبـ*تسهيل* ابن مالك (تـ. 672 / 1273) خاصة وهو من أجل ما يدرس في هذا الباب مع شروحه ؛ ومن العلماء الذين أجازوا صاحب الترجمة عبد الرحمان الجشتمي (تـ. 1269 / 1853) بعد أن ورد عليه أول شوال 1239 / 1852 حين توجهه لزيارة أحد صلحاء ناحية أگْشْتِيم قرب تافراوت بجزولة، وبعد هذه الجولة رجع إلى أدُوزْ فابتدأ بالتدريس في عدد من مدارس الناحية حتى طلب منه أن يتولى التدريس بمسقط رأسه «أدوز» بعد أن خلت المدرسة من العلماء مدة فاشترط على قبيلته شروطا زائدة على الشروط المعهودة عندهم في نظام «المشارطة» هناك. وكان ذلك في نحو 1245 / 1829 (*المعسول*، 5 : 115) فتفرغ للتدريس وأعاد إلى المدرسة سمعتها التاريخية في نحو مائتي طالب ملتزم في شبه نظام داخلي.

وقد جمع إلى هذا النشاط التربوي والعلمي اهتمامات صوفية وأخرى اجتماعية فكانت له مراسلات مع "الشيخ" بزاوية تيمگديشت الناصرية حيث توجد رسالة من شيخه المتقدم أحمد بن محمد مؤرخة بسنة 1283 / 1866 يخبره فيها بأحوال الطريقة ويشعره بوصول الأمانة الموجهة إلى الزاوية وعددها سبعون مثقالا مع الإذن له في تلقين أذكار الطريقة الشاذلية الناصرية لمن أراد مع إعطاء الأولوية للطلبة فأهل الصناعات والأشغال من بعدهم فالنساء المتجالآت المتفرغات مع رواية هذه الأذكار بحسب كل صنف (*المعسول*، 5 : 116) كما يذكر ما كتب به إلى صاحب الترجمة الشيخ الصوفي محمد المهدي الدرقاوي المراكشي عام 1284 هـ يوصيه بالتقوى والدعوة إلى الله والسنة كما يمنحه الإذن في التربية وفق هذه الطريقة في كلام طويل (*المعسول*، 5 : 123) ويتصل أيضا بهذا الاهتمام الصوفي

عناية صاحب الترجمة بأوراد كثيرة وأذكار جمعها فيما بعد ولده محمد بن العربي (ت. 1249 / 1833) وسماها *أوراد سيدي العربي الأدوزي* ؛ حيث قام ولده المذكور بتحقيقها وبيان مصادرها وخرج أسانيدها وذكر ما يعرف لها من الثواب عند الله تعالى (*المعسول*، 5 : 116) وقد نسب إلى صاحب الترجمة في هذا السياق أيضا شرح *لنصيحة أبي العباس أحمد بن محمد التمگدشتي* (ت. 1274 / 1857) باللسان البربري السوسي وهو مخطوط (*سوس العالمة*، 196).

وشارك صاحب هذه الترجمة بجانب من قواه في المجال الاجتماعي والقانوني. وينسب إليه في هذا الصدد ثلاثة أعمال يندرج أولها في نشاطه في الفتوى وهو بعنوان *مجموعة فتاوٍ* (*سوس العالمة*، 196) وهو مخطوط، أما الثاني فيضم فتوى خاصة بأرض هناك تسمى أرض «إيسچ» إلى جانب اجتهاد معاصريه في حل نازلة هذه الأرض (*سوس العالمة*، 196) ويتصل أثره الثالث برسالة كتبها يستنكر فيها ما سمي بـ (تاحْزّابْتْ) وهي الطريقة الجماعية التي اختارها طلبة سوس في تلاوة القرآن في المناسبات والمباريات المتعلقة بالحفظ الجماعي للقرآن الكريم في مجموعات متنافسة ؛ وقد وصفها صاحب *مدارس سوس*، (34 . 35) محمد المختار السوسي بتفصيل مبرزا جملة من الاحتفالات والطقوس التي كانت تحيط بها حتى خرجت بذلك عن المعهود من القراءة الجماعية بالمساجد المغربية ؛ لذلك أنكر العلماء الأدوزيون هذا الصنيع وأنكر ذلك العلماء الجشتميون بتلك الناحية مع إطلاق المنادي في الأسواق والمواسم بتحريم (تاحْزّابت) هذه وإن لم تجد هذه الدعوة آذانا صاغية في ذلك الحين رغم ما له من نفوذ، فقد اتصل بالسلطان الحسن الأول (1290 / 1873) وكتب إليه في شأنها.

أما أبرز آثار العربي الأدوزي صاحب الترجمة فانصبت على اللغة نحوا وتصريفا وبلاغة وبيانا ؛ وله في هذا المجال شرح على *استعارات ابن كيران* (ت. 1227 / 1812) المشهور تدريسه في المدارس المغربية الأصيلة إلى عهد قريب، ومن هذا الشرح الذي أنجزه صاحب الترجمة نسخة خطية في خزانة «سيدي بوعبدلي» جنوب تزنيت وهو بخط صاحب هذه الخزانة أبي فارس عبد العزيز (ت. 1336 / 1918) (*خلال جزولة*، 4 : 9). كما ألف صاحب هذه الترجمة زيادات وذيولا على منظومة *لامية الأفعال* في التصريف لمحمد بن مالك صاحب *الالفية* الشهيرة في النحو. و*لامية الأفعال* هذه مما يبدأ به في سوس بعد متن الأجرومية في النحو لمحمد بن آجروم (ت. 723 / 1323). أما مؤلفه الهام المتميز فهو شرحهُ لالفية ابن مالك المشار إليه وقد سمى شرحه هذا *أيْسَرُ المسالك إلى ألفية ابن مالك* رَدّ فيه النقول وعزاها إلى مصادرها، وضبط الأشياء الغريبة واعرب ما أشكل من المسائل وفسر المبهم من الأمثال مع عبارة شارحة يفهمها أقل الطلاب إلماما بالعربية في هذه البيئة المنطبعة بالسوسية غالبًا ؛ وقد عمد إلى شرح علي بن محمد الأشموني (ت. نحو 900 / 1494) فاختصره وزاد عليه تفصيلات أخرى ؛ ولما أتم هذا العمل ترقب فرصة إبرازه لطلبته حتى وصلوا إلى دراسة العطف في *ألفية ابن مالك بشرح السيوطي* (ت. 911 / 1505) فانتهز الفرصة وأخرجه للتدريس فاستغنى طلابه عن شرح السيوطي الوجيز جدا، وقد استحسن هذا الكتاب من طرف معاصريه ونال تقريظاتهم (*المعسول*، 5 : 120 . 121 وقارن بمدارس سوس 63) ومخطوطاته متعددة بخزانات سوس وغيرها.

وينسب إلى صاحب الترجمة مساهمة في جمع انساب اليعقوبيين مع وفرة في الآخذين عليه. وليس ما ذكره ابن سودة في نسبته إلى المسمى عبد الله بن إبراهيم صحيحًا (*دليل*، 1 : 90).

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 5 ؛ *سوس العالمة* ؛ *مدارس سوس*.

**الأدوزي، العربي بن محمد**، ولد سنة 1291 / 1874 ؛ وهو ابن محمد بن العربي الأدوزي الشهير ذي المؤلفات العديدة بالنسبة إلى بقية الأدوزيين. العربي هذا من بين الرعيل الغزير نسبيا الذين تخرجوا على والده المذكور فحملوا مشعل التوعية والمسؤوليات بنواحي سوس، وقد ذكر منهم صاحب المعسول نيفا وثمانين تلميذا (*المعسول*، 5 : 208 . 210).

حفظ القرآن عن المسمى محمد أشوبير وعن أحمد بن عبد الله الإيگلاني المجاطي (المصدر أعلاه) ثم ما لبث أن انتقل إلى الدراسات الأخرى آخذا عن والده وعن الأستاذ المحفوظ بن عبد الرحمان (ت. 1351 / 1932) الذي يوصف بأنه خاتمة الأدوزيين العظام، وذلك عند تدريس هذا الأخير بمدرسة سيدي بوعبدلي جنوب تزنيت. ويذكر عن صاحب هذه الترجمة أن والده الأستاذ ابن العربي قدم عليه وهو في هذه المدرسة يتلقى عن شيخه وقريبه المحفوظ آنف الذكر فأراد صاحب الترجمة أن يفرح والده بإظهار حسن تقدمه في الدراسة وفي يده شرح *السعد التفتازاني* (ت. 712 / 1312) على *تلخيص القزويني* (ت. 739 / 1338) في علوم البلاغة طالبا من والده ابن العربي أن يوضح له عبارة من الشرح المذكور ؛ والكتاب وشرحه في قمة التعقيد وكثرة التفريعات والاحترازات ويتطلب مجهودا استثنائيا ولا يدرس به إلا في نهاية الأشواط الدراسية غالبا ؛ ويظهر أنه كان من بين مقررات الدراسة، اذ يذكر عنه الأستاذ المحفوظ آنف الذكر ولوعه بمثل هذه المؤلفات إلى درجة التكلف والإيغال في ذلك، الا أن والد صاحب هذه الترجمة جَابَهَ ابنه ـ وهو يعرف مستواه وامكاناته ـ بقوله : أو تضحك عليّ يا عربي!؟ فربما تستشكل عبارة من *الكفراوي* (ت. 1202 / 1788) على *متن الأجرومية*، وأما السعد فمالك وله!؟ أو أنك تغيرت عما كنت أعرفه منك بسرعة!؟ (*المعسول*، 5 : 212).

والذي يظهر من الخطوط العريضة في حياته أن ظن والده في محله إلى حد كبير؟ فرغم اتصاف صاحب الترجمة بشئ من الجرأة والخوض في كل فن ؛ وهي صفة يمكن أن تكون قد انتقلت إليه من أستاذه المحفوظ ذي الميول الجدالية حتى كان يتناول المواد التدريسية المختلفة بأسلوب النظار لا بأسلوب الفقهاء، فإن صاحب الترجمة لم يكتب له أن يبلغ ما بلغه أسلافه من الأدوزيين البارزين.

ومع ذلك فله مشاركة في التدريس ؛ إذ يذكر أنه تولى التدريس بأدوز بعد وفاة والده محمد بن العربي سنة 1323 / 1905 ولكنه سرعان ما انتقل منها إلى إحدى مدارس تلك الناحية كما قضى سنة في مدرسة «بُويْزَكَارْنْ» بعيدا عن منطقته بعض الشيء ؛ ويظهر أنه شُغف بالرحلة إلى الحواضر والمدن المغربية وغيرها ؛ إذ يذكر عنه أنه زار إحدى القرى القريبة من أدوز هي قرية إلغ وكان بها والد المختار السوسي الشيخ علي بن أحمد الإلغي. وقد حدث له حادث طريف كاد يودي بحياته هناك إذ كان صاحب الترجمة على أحد أسطح الزاوية الإلغية الدرقاوية أثناء تدريب الشيخ الإلغي المذكور بعض الرّجال على استعمال بندقية ؛ وفي إحدى المحاولات نفذت رصاصة من البندقية كادت تودي بحياة صاحب الترجمة لولا لطف الله تعالى (*المعسول*، 5 : 212) ومن تقلبات صاحب الترجمة ورحلاته التي لم يصلنا عنها شيء زيارته لتونس، وكذا زياراته المتكررة لمدينة مراكش التي توفي بها مريضا غريبا عن بلدته وقد صادفت إحدى زياراته بها وجود صاحب *المعسول* بها وذلك سنة 1340 / 1921 الذي تعرف عليه من قبل في بلدة إلغ بسوس ؛ ويرجح صاحب *المعسول* أن وفاته كانت سنة 1346.

ولعل أهم ما يذكر عن صاحب هذه الترجمة أمران : أحدهما ما يذكر من مشاركته علماء سوس في حل النوازل والمشكلات وهو بمدينة تزنيت وذلك أثناء وجود العالم الثائر على الاستعمار الفرنسي آنذاك أحمد الهيبة (ت. 1337 / 1919) ؛ وقد كان والده محمد بن العربي رئيسا لعلماء سوس بتزنيت في هذه الفترة بأمر من الشيخ أحمد الهيبة المذكور ؛ فربما كان صاحب الترجمة في رفقة والده منضما إلى لفيف العلماء المترددين على هذه المدينة في هذه الفترة.

أما الأمر الثاني فيتعلق بما نسب إليه من محاولة في جمع أخبار والده المذكور (*سوس العالمة*، 206) والظاهر أن محاولته هذه لم يكتب لها الاستمرار. وإن دل هذا على شيء فيدل على إعجاب وتقدير من قبل الابن بوالده دفعاه إلى هذه المحاولة وإن كانت بعض القرائن تدل على بعض المرارة التي أحس بها صاحب الترجمة ؛ والحظوظ الفكرية والمواهب لم تسعفه في أن يكون في الصف الأول من بين الأدوزيين (*المعسول*، 5 : 212).

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 5 ؛ *سوس العالمة*.

**الأدوزي، المحفوظ** بن عبد الرحمان. ولد سنة 1277 / 1860 وهو يعد خاتمة الأدوزيين المحققين ؛ كما يذكرمقارنا بمعاصره وقرينه محمد بن مسعود المعدري السوسي (ت. 1330 / 1911) وبابن العربي الأدوزي (ت. 1323 / 1905) من أسرته وأسلافه وكذا باحمد بن عبد الرحمان الجشتمي (ت. 1327 / 1909) من علماء سوس الذين أدركهم.

وقد عرف صاحب هذه الترجمة اليتم صغيرا ؛ لذا نشأ نشأة فيها كثير من الاعتماد على النفس، فعرف الصبر والتحمل مع بساطة في الملبس إلى الحد الأدنى، واستغناء عن المرافق، مع العيش على النزر اليسير من الطعام مكتفيا بأكناف المسجد ومرافقه العامة في التدفئة والإنارة؛ ويظهر أن لهذه النشأة الاضطرارية أثرا فيما عرف عنه وهو أستاذ من تدبير واقتصاد إلى الدرجة القصوى مخالفا في هذا النهج مسلك أسلافه من أحفاد عبد الله بن يعقوب. وقد حفظ القرآن الكريم من المؤدب الصالح محمد اشوبير التيغزارني البعقيلي (ت. 1325 / 1907) بقريته أدوز مقتصرا عليه، ثم التحق بالعلامة أبي فارس عبد العزيز (ت. 1336 / 1918) من قرابته في بداية دراسته العلمية، فصاحبه والتصق به منذ أواخر القرن 13 / 19 ولم يتجاوزه إلى غيره إلا في أخذه في فترات عن محمد بن العربي من قرابته وعن المسمى ابن عمرو (*المعسول*، 5 : 222).

وبعد تخرجه عن المذكورين من الأساتذة التحق بالتدريس وكان في بدايته بإحدى مدارس أيت الرخا بناحية أدوز التي ازدهرت بما قام به من جهود في سنتي 1311 . 1312 / 1893 . 1894 وسرعان ما انتقل إلى مدرسة سيدي بوعبدلي بناحية تزنيت ليمكث بها من نحو 1314 / 1896 إلى 1331 / 1912 وفي هذه المدة الطويلة نسبيا تعرف عليه طلبة سوس الذين كان عددهم يصل إلى نحو مائة طالب منقطع في شبه نظام داخلي حتى ضاقت المدرسة المذكورة بهم مما اضطروا معه إلى شراء حق السكن أحيانا من سالفيهم بثماني ريالات للغرفة الواحدة ذات الحجم الضيق جدا ؛ وكان يعاصر صاحب الترجمة ويتصل به قريبا من المدرسة المذكورة الأستاذ محمد بن مسعود المعدري (ت. 1330 / 1911) القائم بدوره بالتدريس في مدرسة (بونعمان) القريبة فنشأت بين المدرستين بحكم الجوار وبين الاستاذين اتصالات لم تخل من فوائد ومحاورات في أمور فقهية وأصولية وغيرها (*المعسول*، 5 : 224). وعن هذه الفترة تذكر واقعة بين طلبة صاحب الترجمة وبين بستاني في القرية عرف عنه الحرص على بستانه وألح على الطلاب الذين دبروا مؤامرة لتجريد بستانه ليلا من ثمراته بكيفية جماعية خاصة ؛ إذ دخلوا إليه ما بين راكب ومركوب عليه، فتمكن الراكبون من قطف الثمار وحمل المركوب عليهم الحصيلة وانسحبوا في هدوء. ولما أصبح الصباح قامت ثائرة رب البستان الذي اعتقد أن الطلبة هم السبب فشكاهم إلى صاحب الترجمة فكان الراكب منهم يحلف أنه ما وطئت قدمه خط البستان وكان الحاملون منهم يحلفون أن أيديهم

ما مست خط أشجار البستان، وبهذه الحيلة نجوا من العقاب. ثم إن الأستاذ عرف فيما بعد القصة فضحك لذلك وعجب وراضى صاحب البستان بعوض وسكت عن الطلبة وكان يقول : لعمري لو كان السلسلة المذكورة في حكاية الدرة والعصا الاسرائلية ما تزال مدلاة من السماء لارتفعت بمثل هذه القضية إلى السماء (*المعسول*، 5 : 225).

غير أن صاحب الترجمة غادر بعد مدة هذا المكان إلى مدرسة أدوز مسقط رأسه فأمضى بها بقية حياته التدريسية وأحيا بها جملة من التقاليد العلمية حتى صارت في حدود 1345 / 1926 المدرسة الوحيدة المكتظة بالطلبة باستمرار ؛ ولصاحب الترجمة في طريقة تدريسه منهاج تتكامل فيه الدراسات اللغوية والدراسات الفقهية والأصولية والدراسات الإسلامية عامة من تفسير وحديث على غير المعهود بهذه الفترة من إهمال لهذه الدراسات الأخيرة، وقد كتب إليه أستاذه عبد العزيز آنف الذكر يحثه على الجمع بين التدريس والأنشطة الدينية مع الحفاظ على إقامة الإمامة بالمسجد طالبًا منه نوعا من التضحية بالجانب المادي شاكيا إليه من مخصصات القبيلة للمدرسة وأستاذها حتى إنه تحمل نفقتها وتغذية الطلبة من عنده ثلاثة أعوام (*المعسول*، 5 : 225) ويظهر أن صاحب الترجمة لم يتمكن من هذه التضحية حيث إن الطلاب غادروها سنة 1336 / 1945 إثر الجفاف الذي أصاب سوس حتى لم يبق بها إلا بضعة عشر طالباً التزموا بالمرابطة معه إلى حين وفاته سنة 1351 / 1932 واستمروا إلى نهاية الجفاف المذكور.

وقد امتاز صاحب الترجمة بشخصية علمية أدبيّة جمعت إلى جانب المراس التعليمي البالغ الاقتصاد والتدبير إلى درجة الشظف والتقتير في النفقات مع عزوف كلي عن الانتماء إلى أي طريقة صوفية أو تكوين أتباع من القبيلة قد يساعدون المدرسة ماديا، وهو في ذلك منفرد بين أسلافه اليعقوبيين ذوي الميولات الصوفية المتعددة، ويحكي عنه أحد أبنائه وهو عيسى بن المحفوظ الذي سيخلفه بعد وفاته أنه استشاره في الالتزام ببعض أذكار الصوفية فأجابه باقتضاب : إن الأولى محبة الجميع مع ترك الجميع. تُنقل عنه إنشادات وابتهالات تدل على إيمان مستقر متزن (*المعسول*، 5 : 231).

على أن هناك جانبا بارزا في شخصيته، وبه عرف أكثر بين عامة السوسيين وخاصتهم، تجلى في نشاطه على مستوى الإقليم في القضايا والفتاوى الكبرى حتى سلم له بالرآسة في تلك الناحية وهو في ذلك على خلاف شخصية شيخه عبد العزيز التي تتميز بالإعراض عن الظهور وتتجلبب بجلباب الخمول والعزوف عن كل شهرة.

لذلك تصدر صاحب الترجمة في المجامع العامة إلى جانب الرؤساء وكبار العلماء ؛ قصد أحمد الهيبة 1337 / 1919 مراكش في مقاومته للدخيل الأجنبي عن المغرب ووصل إلى سوس، تلقاه علماؤها فطلب منهم الانضواء تحت لواء صاحب الترجمة بتزنيت. كل ينقل عنه في هذا الصدد اتخاذه حكما من قبل الشيخ أحمد النعمة (ت. 1339 / 1921) في نازلة تتعلق بالشفعة، وقد كان حكم فيها بعض علماء سوس فعورض فيها وصادف أن كان تلميذا لصاحب الترجمة، فلما انعقد المجلس أدلى المعارضون بوجهات نظرهم إلا أن صاحب الترجمة كشف لهم أن وجهة اجتهاد تلميذه أرجح، مستشهدا بفتوى شبيهة يضمها *معيار الونشريسي* (ت. 914 / 1508) فيها نص جلي مفصل في المسألة، فجنح الجميع حينئذ إلى رأي صاحب الترجمة وترجيحه (*المعسول*، 5 : 230).

كما كانت لصاحب الترجمة جولات بين جيوش القبائل بسوس وذلك ما بين السنة 1303 / 1885 إلى حين وفاته سنة 1351 / 1932 وينقل عنه بذلك ما يدل على شموخه في الفتوى، ويذكر أنه كان ذات مرة في إفران قرب بويزكارن في مجلس غاص بالعلماء وقد تجاذبوا البحث في مسائل آثر فيها صاحب الترجمة الصمت وكان يردد بين الفينة والأخرى : هل جاء الفقيه؟ يقصد الاستاذ علي بن عبد الله الإلغي (ت. 1347 / 1928) وعلى رأس صاحب الترجمة يومئذ قلنسوة حمراء ؛ وكان يحب أن يجادل هذا الأستاذ ويحاوره وربما قصد إليه من مسافة بعيدة حاملا معه نصوصا وشواهد ليحاجه بها في مسألة بعينها لا يستريح صاحب الترجمة إلا إذا وصل فيها معه إلى حل أو ترجيح (*المعسول*، 5 : 331).

أما الجانب الثاني الذي برز فيه صاحب الترجمة فهو التعمق في التحليل والشرح أثناء ممارساته التعليمية إلى درجة أن بعض معاصريه اتهمه بالتقعر والتكلف في ذلك ؛ خاصة وأن صاحب الترجمة ربما لم تسعفه العبارة السلسة الحاضرة الفصيحة أحيانا فهو يستعمل مع الحديث حركات يديه لتوضيح ما يريد توضيحه حتى ليخرج بذلك أحيانا عن حد الاعتدال ؛ وربما غلبت هذه السمة في تدريس المنطق والصور الأصولية والتحليلات البلاغية لشدة عنايته بهذه العلوم خاصة حتى إنه ليستعين على حسن تفهيمها والتغلب على صعوباتها بالبداية بها صباحًا على خلاف كل معاصريه سالكا في ذلك مسلك التشعيب والتفريع وإثارة الإشكالات ليبهم الأمرعلى متتبعيه من الطلاب فينقطع نفسهم عن مجاراة الأستاذ. ومن مظاهر هذه النزعة في تدريسه كتابته العديد من الطرر والتعليقات بخط مدمج دقيق على الكتب المرجوع إليها أثناء التدريس. وكمثال على ذلك تعليقاته على شرح جمع *الجوامع* للسبكي (ت. 770 / 1368) و*تسهيل* ابن مالك (ت. 672 / 1273) في النحو فإنه يبرز أيضا في محاوراته مع معاصريه حتى شهد عليه أستاذه عبد العزيز الأدوزي (ت. 1336 / 1918) بأنه يترك الجادة ويسلك طريقا لا أنيس بها ولا أثر ؛ مما نتج عنه نوع من عدم التفاهم مع معاصريه وإن كان الإنصاف يقتضي الشهادة له بأنه لا يكاد يخرج في ذلك عن آداب المناظرة المعروف عند علماء المسلمين في مجال الحجاج. ولا تعدو تعليقاته أحيانا عبارة موجزة يعلق بها على سبيل الرد

كقوله : الجواد قد يكبو والصارم قد ينبو والانسان محل النسيان..... ومع هذا لم يكن يسلّم لمعاصريه أحكامهم ويرجع هذا إلى أمرين احدهما اطلاعه على النصوص والتفريعات حتى كانت حواشي *مختصرخليل* وفتاوي *معيار الونشريسي* لا تغيب عنه، وأيضا قدرته الجدالية الحجاجية على إثارة القضايا على طريقة النظار والمتكلمين لا على طريقة الفقهاء مما كان غريبا على تلك البيئة التي يغلب عليها المنقول والمحفوظ (*المعسول*، 5 : 229).

وهذا كله صرف صاحب الترجمة عن التأليف إلا ما نقل له مما اجتمع من فتاواه وأحكامه التي حررها والنوازل التي كتب حولها وإلا ما نسب إليه من انتقاد على كتاب احد العلماء المغاربة المسمى الراضي الحنش الفاسي (*المعسول*، 5 : 232) في الأوراق البنكية وهل تجب فيها الزكاة، ويظهر أن صاحب *المعسول* قد اطلع على هذا الرد وإن ترك فيه انطباعا باستغلاق كلام صاحب الترجمة وعقلانيته المفرطة وكثرة الاحتمالات والصور التي أثارها (المعسول، 5 : 233). وهناك رسالة أخرى ناقش فيها أحمد بن المامون البلغيثي (تـ. 1345 / 1929) حول الهجرة من دار الكفر (*سوس العالمة*، 205).

أما كتاباته الشعرية والنثرية فكانت تبعا لما تقدم ذات طابع علمي محض رغم اهتمامه بدراسة *ديوان المتنبي* (تـ. 354 / 965) *وقلائد العقيان* في النثر المسجوع وهو للفتح بن خاقان (تـ. 528 / 1133) *بحاشية ابن زاكور* (تـ. 1120 / 1708) وقد ساق صاحب *المعسول* نماذج من نظمه ونثره. منها إجازته لأحد طلبته (5 : 233)، *ورسالة في الحث على الجهاد* إلى أحد علماء تازروالت عند محاصرة العدو لناحية "وجان" (*المعسول*، 5 : 234) أما سبب وفاته فقد قيل إنه سياسي إذ ربما دس له الاستعمار الفرنسي المطوق للمنطقة آنذاك أحد عملائه فسمه ؛ وقد اجتمع البعقيليون في السوق أثر وفاته على رجل فأجهزوا عليه لاعتقادهم أنه الفاعل. وقد رثاه تلامذته بعد وفاته ؛ واستغرقت فترة التدريس معظم حياته، وكان يتولى التدريس في بعض السنوات وهو بمنزله لم يلتحق بمدرسة بعينها بعد. وقد ترك جملة وافرة من التلاميذ ذكر منهم صاحب *المعسول* نيفًا وثمانين (5 : 237. 239).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 ؛ *سوس العالمة*.

**الأدوزي، محمد بن أحمد** بن إبراهيم، ولد عام 1154 / 1741 ؛ ولم يلفت نظر مترجميه عن حياته في طفولته خاصة ما يستحق الذكر. إلا أنهم ذكروا من شيوخه الذين تلقى عنهم العلوم والسلوك الصوفي كلا من أحمد بن محمد المرابط الأدوزي (تـ. 1190 / 1776) ذا الولاية والصلاح والكرامات مع البراعة في الفقه حتى أنه ختم مختصر *خليل* ذي التفصيلات المعقدة اثنتي عشرة ختمة (المعسول، 5 : 62) كما ذكروا من بين شيوخه أيضا العالم الشيخ محمد بن أحمد الحضيكي (تـ. 1189 / 1775) صاحب *طبقات علماء سوس* والمؤلفات العديدة في مختلف العلوم (الزركلي، 6 : 15) ؛ ونقل أيضا أنه اتصل في مدينة تارودانت بالشيخ أحمد العباسي (تـ. 1152 / 1740) المفتي الشهير (*المعسول*، 5 : 147).

وقد نقلوا من صفات شخصيته البارزة ما يجعله في عداد علماء عصره المشهود لهم بحسن السمة والهيئة مع العكوف على ما يرضي؛ كما لوحظ فيه عزوف عن المخالطة إلى درجة أثارت الاستغراب، حيث كان يفر من كل سؤال يشتم منه التعمق في الأمور الفقهية التي يمكن أن تفيد السائل في المخاصمات ورفع الدعاوى ؛ ولا يكاد يقبل على شخص إلا إذا سأله في أمور بعيدة عن الشبهات.

بعد تخرجه بمن ذكر من العلماء أقامه عمه علي بن إبراهيم الأدوزي المتوفى قبل وباء 1214 / 1799 ذو الولاية والتربية والقائم في وجه الثائر بوحلاس مقامه في المدرسة الأدوزية للتدريس لكل من يرد على المدرسة لمّا كثر عليه الناس ومنعوه من ملازمة المدرسة المذكورة وشغلوه عنها ؛ فقام صاحب الترجمة بالتدريس نيابة عن عمه المذكور احسن قيام وسن طرقا تربوية غاية في التنزه والعفة والاحتياط من الشبهات. فمن ذلك أنه لم يكن يقبل من الطلبة إلاَّ كبار السن الراشدين دون الأحداث، كما ينقل عنه شدة الاعتناء بهؤلاء الطلبة إلى درجة المرابطة بالمدرسة إلى أن تصلى العشاء.

ومن نشاطه الصوفي قيام الليل للتهجد والعبادة حتى شهد له عمه علي بن إبراهيم السالف الذكر بأن الشيطان لا يكاد يجد له طريقا للإغواء أو الإلهاء.

ومن معالم شخصيته تمكنه من التحقيق العلمي فيما قيل وكذا من التفوق على معاصرية في العلوم العقلية خاصة (المعسول، 5 : 147) وهو أمرٌ قلّما يشاهد في هذه البيئة التي يغلب عليها علوم المنقول مع نزعة تسليمية صوفية بقيت آثارها إلى اليوم.

والآثار العلمية المنسوبة إليه تدور حول خدمة اللغة العربية من جهة، والعناية بالفقه والفتوى من جهة ثانية؛ فمن هذه الآثار فتاويه المجموعة (*سوس العالمة*، 196) ومن ذلك في مجال اللغة العربية أثران : أحدهما على مستوى التأليف للتعليم في مراحله الأولى في موضوع *المبنيات* ؛ وهو موضوع استقل بالتأليف نظما ونثرا وقد عكف السوسيون على العناية بتدريسه بعد استكمال تدريس *متن الأجرومية* مع شروحها ؛ لذلك شرح المبنيات كل من سيدي إبورك الأدوزي (تـ. 1058 / 1648) في نحو 44 ورقة كما شرحها صاحب هذه الترجمة، وكلا شرحيهما من محتويات الخزانة الأدوزية (*خلال جزولة*، 20 : 55).

أما ثاني أعماله في خدمة اللغة العربية فيتعلق بشرح أكثر عمقا *لمنظومة* عبد العزيز الرسموكي البرجي (*سوس العالمة*، 196) لكتاب *مغني اللبيب* لابن هشام (تـ. 761 / 1359) وكان ممن اهتم بهذا الكتاب القيم من أسرته محمد بن أحمد المرابط. وقد قام بدوره بشرح منظومة *معين الطالب النجيب في حلِّ ألفاظ تحفة الحبيب* والتي هي عبارة

عن نظم متن مغني *اللبيب* من قبل إبراهيم التاگوشتي (ت. 1136 / 1723) كما في (*خلال جزولة*، 4 : 11). ولأحد العلماء البعقيليين الجزوليين أيضا حاشية على مغني *اللبيب* في مجلد من 141 ورقة في خزانة أدوز (*خلال جزولة*، 2 : 62).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 ؛ *خلال جزولة*، 2 و 4 ؛ *سوس العالمة*.

**الأدوزي، محمد بن أحمد المرابط.** ولد سنة 1164 / 1751 وقد أطلق لقب المرابط على والده أيضا (*المعسول*، 5 : 61). ذكر كتاب ترجمته أنه كان طويل القامة مشوبا بحمرة مع ملاحة وحسن وامتلاء الساقين والذراعين ونقاء في الملبس والعرض (المعسول، 5 : 61).

كما تحدثوا عن أساتذته الذين أخذ عنهم العلم والدين وتأثر بهم في التكوين والسلوك ؛ وقد ذكر من بينهم والده أحمد بن محمد (ت. 1190 / 1776) الذي عاصره أكثر من ثلاثين سنة، كما يبدو من سنة وفاة صاحب الترجمة 1221 1806. ووصف محمد بن أحمد الأدوزي بالصلاح والاجتهاد في العبادة مع كرامات جامعا بين ذلك وبين نزعة فقهية من اثر تلمذته على المفتي المشهور أحمد العباسي (ت. 1152 / 1740) الذي ختم عليه مختصر *خليل* في الفقه المالكي المستقصى نحو اثنتي عشرة ختمة (*المعسول*، 5 : 62).

ومن شيوخ صاحب هذه الترجمة ابن عمه علي بن إبراهيم الأدوزي (مات قبل وباء 1214 / 1799) ويتجلى من ترجمة هذا الأستاذ الصلاح والولاية إلى درجة القطبانية فيما قيل (*المعسول*، 5 : 141) مع كرامات متواترة وكثرة أتباع حتى اتخذ الناس موضع بغلته مكانا للحلف وأداء اليمين ؛ وكان ابن أم ولد سمراء من الإماء السود ؛ وهو الذي قام مع تلميذه التاسگاتي (ت. 1291 / 1874) في وجه الثائر الباعمراني الغامض الأطوار والملقب ببوحلاس أي صاحب البردعة أول سنة 1207 / 1792 ؛ وقد جمع صاحب الترجمة أخبار ثورته في مؤلف مستقل سماه : *نزهة الجلاس في ذكر واقعة بوحلاس*.

ويذكر من بين شيوخ صاحب هذه الترجمة ؛ على سبيل الاحتمال فقط؛ المؤلف المؤرخ محمد بن أحمد الحضيگي الجزولي السوسي (ت. 1189 / 1775) صاحب *طبقات علماء سوس* والمؤلفات الوفيرة في ألوان من العلوم الإسلامية والعربية (*أعلام الزركلي*، 6 : 15).

وهذه العناصر التثقيفية مجتمعة، مع مسعى خاص، ساعدته على البروز بشخصية جامعة بين حسن الخلق والاستقامة والبشر من جهة وبين الممارسة التدريسية والاجتماعية التنفيذية من جهة ثانية، مع غلبة الجانب العلمي عليه حتى قيل : إن رآسة العلم في بلاد "ولتيتة" (اطلاق متأخري المؤرخين على جزولة) انتهت إليه.

تجلى هذا الجانب في حرصه على أن يتقن طلابه العربية معتبراً ذلك أساس ومفتاح الفهم في العلوم وانها كانت الطريق الذي (فتح عليه) أبواب الفهم والتفوق. ولا غرابة في هذا فالبيئة السوسية إلى عهد قريب لم تعرف التعريب حتى في هذا النطاق الضيق حتى إن العلوم لتدرس وتشرح بطريقة يزاوج فيها بين العربية والبربرية في الغالب.

وكان من أثر هذا الاهتمام اللغوي مؤلفاته في هذا الاتجاه، منها مؤلف في *إعراب بعض القرآن* وهو مخطوط (*سوس العالمة*، 196). وينسب إليه أيضا *شرح اليوسفية* في النحو وكان يعتمد للتدريس في هذه الفترة بمدارس سوس، وتوجد منه نسخة بخزانة "أدوز" في نحو 12 ورقة (خلال جزولة، 5 : 55). وله أيضا مؤلف مخطوط وهو عبارة عن شرح المنظومة المسماة *معين الطالب النجيب في ألفاظ تحفة اللبيب* التي نظمها إبراهيم التاگوشتي الصوابي (ت. 1149 / 1736) كمختصر لكتاب *مغنى اللبيب* لابن هشام ؛ وهذا الشرح مما يدرس به في سوس في هذه الفترة وما بعدها (*سوس العالمة*، 196) ومنه نسخة بخزانة عبد العزيز الأدوزي (ت. 1336 / 1918) بخزانته بسيدي بوعبدلي قرب تزنيت بسوس (خلال جزولة، 4 : 13).

ومن بين اهتماماته العلمية المتصلة بممارساته الاجتماعية ما نقل من أعماله في الفقه، مثل شرحه على *المرشد المعين* لعبد الواحد ابن عاشر الفاسي (ت. 1040 / 1631) في الفقه والتصوف والكلام ؛ وهذا الشرح مما يبدأ به في سوس إلى جانب شرح محمد بن أحمد ميارة (ت. 1072 / 1661) على المنظومة المذكورة ؛ وتوجد نسخة من شرح صاحب الترجمة بخزانة أبي فارس المتقدم وعليها تقريظ التاسگاتي ( 1136 / 1723) وتقريظ آخر (*خلال جزولة*، 4 : 13).

أما ممارسته التنفيذية فتتجلى في قسمة التركات وفق الشريعة مع إصلاح بين الخصوم ومسائل من النصح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسط القبائل السوسية بناحيته، وقد نتج عن هذه الممارسة *مؤلفات* يتعلق بعضها بأحكام المغارسة ويتعلق الثاني بمسائل في الضمان وسمي *بالضُّمَّان الستة* - جمع ضامن - أو *الحملاء الستة* - جمع حميل - (*سوس العالمة*، 196) ويظهر أنه ترك فتاوى أخرى في أمور متفرقة هي المسماة *بالفتاوي المتفرقة* المخطوطة (*سوس العالمة*، 196). كما نسب إليه جملة من التعليقات والطرر المنتشرة في كل كتبه وصفت بأنها تعادل عند تجميعها أسفاراً كاملة (*المعسول*، 5 : 13).

أما مؤلفه المتفرد الهام فهو *نُزهة الجُلاَّس في ذكر واقعة بوحلاس*، وتوجد منه نسخة خطية في خزانة عبد العزيز الأدوزي بمدرسة سيدي بوعبدلي بناحية تزنيت (*خلال جزولة*، 4 : 11) وهو يضم أخبار هذا الثائر وجملة من ممارساته الانتقامية في نواحي أيت باعمران وأگليميم وبويزكارن وإفران وناحية تزنيت مع ما حصل للناس بسببه من اندهاش وأتباع القبائل له والقيام بأمور سحرية واتخاذه القناع على وجهه وإحدى عينيه وافعاله مع الطلبة والعلماء واليهود بتلك النواحي إلى أن قام العالمان الشهيران محمد بن أحمد التاسگاتي (ت. 1211 / 1796) نزيل ماسة وأحد

تلامذة والد صاحب الترجمة وشيخه علي بن إبراهيم الأدوزي (مات قبل وباء 1214 / 1799) مع بعض القبائل وتمكن من الفتك بهذا الثائر بقرية العوينة القريبة من مدينة تزنيت غربا بنحو 10 كلم، حيث أحرقت جثته في مطمورة (حفرة واسعة تتخذ للحبوب أو تخزين الماء) ؛ لا تزال قائمة بهذه القرية (قارن *المعسول*، 5 : 142 و*خلال جزولة*، 4 : 27 ـ 28).

وقد ترك صاحب الترجمة جملة من التلاميذ من بينهم من درس أو أفتى أو تولى القضاء (*المعسول*، 5 : 64 ؛ 14 : 29 ؛ 5 : 146).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 ؛ *سوس العالمة* ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*.

**الأدوزي، محمد بن العربي** السوسي. ولد سنة 1249 / 1833 وحفظ القرآن الكريم عن أحد أشهر مقرئي تلك الناحية ثم عكف بعد ذلك على الأخذ ودراسة علوم العربية والعلوم الإسلامية وما إليها عن والده العربي : وقد زوجه والده في حياته التي صاحبه فيها نحو أكثر من ثلاثين عاما؛ ويذكر أنه أخذ أيضا عن أحد مشاهير علماء مراكش أثناء بعض أسفاره إليها وهو محمد الأمين الصحراوي، ولعل ذلك كان في مقدم صاحب الترجمة لمبايعة المولى الحسن العلوي سنة 1276 / 1859، وقد نظم صاحب الترجمة قصيدة بالمناسبة (*المعسول*، 5 : 149 ـ 188) كما يشير في أبيات من رحلته المنظومة إلى هذا العالم مادحًا وذاكرا إجازته له (المرجع أعلاه 156) ؛ كما يذكر أن الشيخ الحسن التمگدشتي (ت. 1297 / 1879) ذا الاتجاه الصوفي الشاذلي أجازه (*المعسول*، 5 : 158).

وبعد وفاة والده (1286 / 1869) الذي خلف تلامذة متفوقين ذكر من بينهم نيفٌ وخمسون (المرجع أعلاهُ 118) تعاهد الطلبة ألا يغادر أحد منهم المدرسة الأدوزية الا بعد سنتين حتى يكتب لها الاستمرار، وكان الظن أن يخلف الأستاذ المتوفى أحد نبغاء التلامذة واسمه الحسن بن مبارك التامودزتي (ت. 1316 / 1898) لكن هذا الاخير رشح صاحب الترجمة بإصرار، ولم تمض فترة حتى ظهرت مقدرته وسلم له الجميع ؛ ومنذ سنة 1286 / 1869 أكب على التدريس مع رفق بالطلاب وسهولة معاملة لاحترامه كل منتسب إلى العلم أو القرآن حتى إنه ليعكف على الأوراق الملقاة في الطرف يلتقطها احترامًا للحرف العربي (*المعسول*، 5 : 178) وقد انفرد عن غيره من معاصريه بكثرة النقول والمقيدات فلا يجلس إلاّ والدواة عن يمينه، لذلك تعددت أعماله العلمية ما بيَن اشتغال بعلوم اللغة العربية *كحاشيته على شرح والده أيسر المسالك إلى ألفية ابن مالك*، وكمؤلفه *أنوار الربيع بأزاهي البديع* وهي منظومة، كما نسب إليه شرح القصيدة الكبرى في البديع في نحو كراسة، وهي غير تامة (المرجع أعلاه 186) وله أيضا في ذلك *الرسالة المختصرة في فرائد الاستعارة المحررة*، منظومة في نحو 27 بيتا، و*شرحها* في ورقات تامة (*المعسول*، 5 : 186).

كما اهتم بالتاريخ فنظم في السيرة كما كتب في مسألة ابتداء النبوة قبل الوحي أو بعده على إثر مذاكرة بينه وبين المحدث الصحراوي محمد يحيى الولاتي في مقدمه إلى إيلغ سنة 1313 / 1895 وقد أطال القول فيها، وقد اطلع عليها العالم المشار إليه فرد عليه *برسالة* معززة بأدلة من السنة والكتاب والإجماع ناعيا على الأدوزي اعتماده على نقول الصوفية المجردة من الدليل. ويظهر أن ابن العربي اغتاظ لذلك فكتب إليه رداً سماه *صخرة العصر على بعض أهل العصر*، ولكن صرف عنه فلم يفعل (*المعسول*، 5 : 175). وينسب إليه في نطاق السيرة أيضا *كتاب في فوائد حديث الإفك* وهو بالخزانة الأدوزية في صفحات بخطه المدمج، ويَضم نحوا من 137 فائدة مبينة ؛ ومن اهتماماته التاريخية أيضا *مؤلفه* الذي ذيل به كتاب والده في أنساب اليعقوبيين وتوجد نسخة منه بخزانة العلامة المختار السوسي، يضاف إلى ذلك كله مؤلفه في الأشراف السملاليين وغيرهم وكان هيأ مواده ولكنه لم يحرره فضاع. ويظهر أن الدافع إليه ما عرف عنه من حبه للأشراف، على أنه وجد بخطه أشياء نبه فيها على شرفاء بسوس (المرجع أعلاه) ومن هذا الصنيع التاريخي *أرْجوزة* في نحو مائة بيت في الحث على العلوم عامة والتاريخ خاصة، وهي بخزانة أدوز (*خلال جزولة*، 2 : 59) ويذكر له *كتاب في الموالي في صدر الإسلام*، وأنواع الولاء، وكان الباعث عليه ما رآه من بعض قواد گليميم من احتقار لموالي أحد شرفاء إيليغ محمد بن الحسين بن هاشم (ت. 1335 / 1916) بحضرته (*المعسول*، 5 : 178). وله أيضا *ترجمة محررة* للشيخ الشهير بناحية مراكش رحال البودالي (ق 10 / 16) وهو بالخزانة بأدوز (*خلال جزولة*، 2 : 57). ومن ذلك *رحلته المنظومة إلى مراكش* وتضم إشارات تاريخية وجغرافية واجتماعية مفيدة في نظم طويل وقد أتبعها بشرح لم يتم (انظر نماذج منها في *المعسول*، 5 : 158) وبخزانة أدوز نسخة منها مع الشرح المذكور (*خلال جزولة*، 2:65) وهي في خزانة المختار السوسي أيضا بخط يده.

وإلى جانب هذه الآثار المفيدة صرف صاحب الترجمة شطرا من اهتمامه إلى الإصلاح، ويوثر عنه في هذا الباب مؤلفه في حكم اللحن في القرآن سماه *براءة الذمة من قول بعض الأئمة* وهو في خزانته بأدوز بخطه المدمج في نحو 37 ورقة، وقيل إنه ردٌ به على أحد القراء المشهورين آنذاك بسوس (*خلال جزولة*، 2 : 53) بسبب ما كان يرتكب في الإمالة من انحراف بها إلى الكسرة الخالصة حتى يستحيل المعنى أحيانا بسبب ذلك. والطريف أن عبد العزيز، وهو من قرابته، رأى أن الصلاة صحيحة في رد له على المسألة (*المعسول*، 5 : 159). ولصاحب هذه الترجمة أيضا *مؤلف في حكم البسملة في الصلاة* في نحو 16 ورقة منكراً لها، وهو في خزانة قرية أزاريف بسوس (*خلال جزولة*، 2 : 79). ومن هذه الاهتمامات الإصلاحية *مؤلف في جهة القبلة في الصلاة*، وقد ألفه بعدما رأى بعض المساجد أثناء رحلته

إلى مراكش وفيها انحراف في القبلة ظاهر ؛ وفي هذا السياق أيضا كتابه *العكاز المضروب به من افتى للأب بعد موت ابنته بأخذ الجهاز*، وهو مطبوع ؛ ويندرج في هذا الاتجاه أيضا *مؤلفه في بيع الثنيا* الذي ألف فيه غير واحد من علماء عصره (*المعسول*، 5 : 185) وكذلك *مؤلفه في بيع المساغب*، وتضم خزانة الطاهر الإفراني نسخة منه، في موضوع البيع إلى أجلٍ زمن المجاعة بأزيد من الثمن المعتاد، وهي في نحو إحدى عشرة صفحة، وهي فريدة.

ومن اهتماماته الإصلاحية دخوله في سجال مع اتباع الطريقة الدرقاوية التي برز نشاطها بسوس في هذه الفترة، وكانت قد تميزت ببعض المظاهر التي لم يرضها، فقاوم ذلك بعنفٍ خاصة بعدما رأى بعض زملائه في الدرس وبعض تلامذته قد اعتنقها، وله في ذلك مواقف وأشعار ذكر طرفا منها صاحب *المعسول* (5 : 160). وقد كتب صاحب الترجمة في هذا الصدد حول السبحة التي تتخذ للذكر بعد أن لاحظ وهو بمراكش أن بعض مريدي الطريقة الدرقاوية واتخذ له سبحة غليظة الحبات جدا (*المعسول*، 5 : 180) وإن لم يمنعه هذا كله من مصاهرة أحد أبرز شيوخ هذه الطريقة بسوس ومن ملاقاة رجالها ومجالستهم.

ومن أهم ما انفرد به ابن العربي بين معاصريه بسوس اهتمامه بالقاعات والبناء والزخرفة والنجارة والتجليد والمحاولات الطباعية، وتنسب إليه في ذلك بعض المنشآت الطرقية والجسور والطواحن واستجلاب المياه ونحت الرخامات ؛ كما ألف *كتاب الحيل في الميكانيكا*، وفي خزانة أدوز نسخة منه (*خلال جزولة*، 2 : 65) بالإضافة إلى اهتمامه وبدون تحرج بشرب الشاي وبأدواته وآدابه، وله *منظومة في الأتاي* مستقلة تُستصلح (*المعسول*، 5 : 189) وقد مات عن نيف وثمانين تلميذا بارزا (*المعسول*، 5 : 210).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 ؛ *خلال جزولة*، 2.

محمد البايك

## أدوسكا ← إلألن

**أديب** و أوديبا، اسم يحمله يهود أصلهم من بلاد البرتغال وطردوا منها عام 1496 فلجؤوا إلى مدينة أزمور.

وجاء في *الموسوعة اليهودية*، (1 : 193). "أن يهود أزمور أجلوا عن هذه المدينة ونزحوا إلى أسفي وفاس. إلا أن جالية يهودية كانت موجودة بأزمور خلال الاحتلال البرتغالي. ،من هذه الأسرة :

**أديب موشي**، أحد يهود أزمور الذي كتب صك الاتهام المؤرخ بعبورة 18 يناير 1537، وذلك بعدما ارتدّ أديب موشي عن المسيحية التي اعتنقها مكرها، وعاد إلى الديانة اليهودية.

**أديب يعقوب**، في عام 1513، حاصر الجنود السعديون أزمور، فبارحتها قوات الاحتلال البرتغالي ذات ليلة، لكن هؤلاء اليهود بقوا فيها. وفي هذا الموضوع، كتب داميا وگويش يقول :

"عندما أخذت قوات الاحتلال البرتغالي تغادر المدينة ليلاً والظلام حالك، قام يهودي من الذين يقطنون أزمور، اسمه أديب يعقوب، بتدخل لدى الدوق دوبراكانسا، قائد الحامية البرتغالية، يلتمس الأمن على حياته ومصالحه والحفاظ على حياة وممتلكات اليهود القاطنين بالمدينة، مقابل الأخبار والمعلومات التي كان ينقلها إليه عن المدينة وأهلها إبان الاحتلال".

**أديب يوسف**، لعب دور الوساطة بين ملك البرتغال وقبائل الشاوية، وقال داود لوبيز في كتابه *الجامعة البرتغالية* : إن اليهود قاسوا المحن من السلطات البرتغالية التي أقصت من البلاد كل الذين ليسوا مسيحيين.

داميا دي گويش، *أخبار الملك دون مانويل*، 67. 1566. ترجمه إلى الفرنسية ريكار ودوبير بعنوان *البرتغاليون في المغرب*، الرباط، 1937 ؛ لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، مدريد 1978، ص 229.

شمعون ليڤي

## إديكل ← أرز

**الإديكلي**، محمد بن أحمد (ت. 1214 / 1899) أحد أحفاد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد بن محمد المعروف بالقاضي، أسرته أسرة علمية كبرى تولت التعليم والقضاء والإرشاد والإفتاء نحو ثلاثة قرون ؛ من تلك الأسر الركراكية السوسية في أملن وتميگدشت ورسموكة ظهر فيها علماء مشهورون كالشوشاوي (*المعسول*، 17 : 17)

وقد عاش جد هذه الأسرة المشار إليه أواخر القرن 7 / 13، كما يعتبر الفقيد سيدي عبد القاضي (1323 / 1905) خاتمة رجالها. أخذ محمد هذا عن العلامة عبد الله بن محمد جد الجشتميين المتأخر الذي أحيى الدراسة في أگشتيم أوائل القرن الثاني عشر / الثامن عشر (*المعسول*، 17 : 16).

أخذ عن العلامة عبد الواحد بن محمد الأمزاوري العلامة الجليل من أشياخ أبي زيد الجشتيمي، وكان الجشتيمي يكاتبه (*المعسول*، 17 : 19).

ومن أشياخه محمد بن الحسين الأسغركيسي المتوفى بطرابلس ثالث رمضان 1126 / 1714.

وبعد تخرج صاحب الترجمة على يد من تقدم عُين في مدرسة أغيغا في جانب الكست ؛ وبقي بهذه المدرسة سنوات ثم انتقل إلى مسجد امسنات. وقد اشتهر بالإفتاء في النوازل وبإصدار الأحكام، مع ميل إلى أسلوب الصلح بين المتداعين حتى غلب عليه ذلك وعرف به (*المعسول*، نفس المكان).

كما كان معنيًّا بخزانته، يبذل جهده في اقتناء الكتب من جهة، وفي ممارسة النساخة من جهة ثانية ؛ وقد اشتهرت الأسرة بكثرة منسوخاتها وتآليفها الرسمية وغيرها ؛ ولا يكاد يشذ عن ذلك أي فرد من أفرادها ؛ بيد أهل تلك الناحية وثائق ورسوم تشهد بهذا الاهتمام ؛ مع تفاوت أفراد هذه الأسرة في تجويد الخط ؛ وقد ذكر صاحب

*المعسول* طائفة لا بأس بها من النماذج التي شاهدها في أيدي الناس وفي خزانة هذه الأسرة تشهد كلها بهذه العناية (*المعسول*، 17 : 6 . 31).

ومن أعماله *تقييد للمتوفين بالوباء* في القرى بتلك الناحية إلى حدود سنة 1214 / 1799 وذلك الاهتمام كوّن لديه معرفة خاصة بأنساب السلف والخلف من المتوفين انتفع به الناس في الحصول على شهادات الإراثة وعدد الوارثين؛ وكان الجهد فيما يظهر سببا في إصابته فتوفى في السنة المشار إليها (*المعسول*، 17 : 19)، كما نسب إليه جزء من *شرح الخرشي على مختصر خليل* في الفقه المالكي بخط يده وقف عليه صاحب *المعسول*. ونسب إليه مجموع يتضمن ما وقف عليه من الفوائد الفقهية من فتاوى السوسين وغيرهم، وقف عليه صاحب *المعسول*. ويذكر عنه أيضا أنه عمل *حاشية على شرح ابن بطال على صحيح البخاري* وإن لم يعثر عليها عند أسرته. كما ذكر له أيضا *رسالة حول الحديث القدسي : كنت كنزا لم أعرف* إلخ، وهو موجود مخطوط (*سوس العالمة*، 1188) ظن صاحب المرجع المذكور أنها تكون من تآليفه.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 172 و 19 ؛ *سوس العالمة*.

محمد البايك

**أديكيس**، أو حَدِيكيس : مدينة صغيرة في سهل حاحا غيرَ بعيدة عن أسفي، كانت عامرة مزدهرة حتى أوائل القرن العاشر الهجري، تحيط بها أسوار متينة ذات أبراج عالية، ويمر بداخلها نهر تقوم على حافيته كروم معروشات في غاية الجمال، ويسكنها قوم من الأعراب في نحو سبعمائة دار جيدة البناء. كان أهل أديكيس نشيطين في تجارتهم وصناعتهم يلبسون الثياب الأنيقة ويمتلكون الخيل الفارهة لاشتغالهم بالتجارة وضربهم السكة الفضية في مدينتهم. وكان لهم سوق سنوي يدوم خمسة عشر يوما ويقصده سكان جبال المنطقة بمنتجاتهم الفلاحية والحيوانية والمعدنية والمنسوجات المحلية. وفي أحد أطراف المدينة حي لليهود يشتمل على أزيد من مائة وخمسين دارا، يعيشون أحرارا في معتقدهم وتجارتهم.

زار الحسن الوزان أديكيس عام 922 / 1516 وأقام شهرا عند فقيه المدينة الذي وصفه بالخشونة والغلظة مع شدة الاهتمام بالعربية وقواعدها، غير أنه لم يكد الوزان يخرج من أديكيس حتى هاجمها حاكم أسفي البرتغالي نونيو فيرنانديس دي أطايدي مع حليفه يحيى بن تعفوفت واحتلها بعد أن فر السكان إلى الجبال. وسبي من نسائها طائفة بعث بهن إلى لشبونة فكن أجمل إماء دخلن إلى البرتغال. وقد استرد أحمد الأعرج أديكيس في جملة ما استرد من المدن والقرى ببلاد حاحا والشياظمة ودكالة خلال الحرب الطويلة التي خاضها ضد البرتغاليين، وانتهت بإخلائهم مدينتي أسفي وأزمور سنة 946 / 1541. واستعادت مدينة أديكيس عمرانها ورجع إليها سكانها وعاشوا في ظل دولة الشرفاء السعديين بسلام آمنين.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 101 . 102 ؛ ك. مارمول، *إفريقيا*، 2 : 16.

محمد حجي

**أديوان**، سعيد بن عبد الرحمان. ولد بتمنار بقبيلة حاحا حوالي 1932، حفظ القرآن ببلده وانتقل إلى زاوية المحصر بإنكنافن حيث قضى سبع سنوات في دراسة العربية والفقه والمنطق والحساب فضلا عن علوم القرآن والحديث، وكان أكبر شيوخه فيها سيدي الطيب التلظي والفقيه محمد أوبلا، وكان لهذين الشخصين أثر في شخصية أديوان من جهة العلم والروحانية. وكان نظام التعليم بتلك الزاوية على النمط العتيق المتين. ولأديوان تقاييد وصف فيها مرافق الزاوية ونظام الدروس بها. وقد أجيز سعيد أديوان فيما كان يدرسه شيوخ زاوية المحصر ونال رعايتهم وإعجابهم بمحفوظه من العلوم المدرسية وبغزارة محفوظه الأدبي عامة.

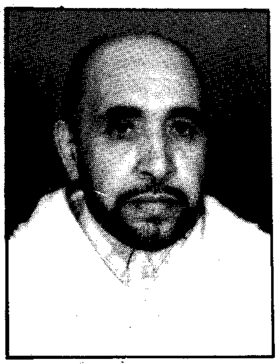

سعيد أديوان

ولما حصل المغرب على استقلاله كان أديوان من جملة العدد الغفير من طلبة الزوايا العتيقة في القبائل الذين رحلوا إلى المدن للانضمام إلى جامعاتها بمراكش وفاس وتطوان أو للتدريس بمدارسها الحرة والرسمية، وسعيد أديوان من نماذج هذا الجيل وهذه الفئة، وقد حل بمراكش ودخل معلمًا في مدرسة حرة للبنات بحي القصبة بمراكش هي مدرسة "الفضيلة"، ثم دخل مدرسة تكوين المعلمين بحي المشور بمراكش. وبعد التخرج منها في شهر يوليوز 1961 عين في التعليم الرسمي في المدرسة التطبيقية الملحقة بمدرسة المعلمين، وحصل على شهادة البكالوريا عام 1963 والتحق بالمعهد التربوي بالرباط ليتخرج أستاذاً للسلك الأول في التاريخ والجغرافيا، ثم عين مدرساً بمراكش وانتسب إلى كلية اللغة العربية التي فتحت أبوابها بهذه المدينة فحصل منها على الإجازة، وأدمج على أساسها في أساتذة اللغة العربية بالمدارس الثانوية بمراكش.

كان عصاميا يمضي جل أوقاته في القراءة، وقد تمكن من تحصيل مستوى ملحوظ في اللغة الفرنسية. ومن آثاره المخطوطة *مذكرات* عن حياته و*ديوان شعر*، وكانت تتنازع نفسه طرافة الأدب ونفحات التصوف. ألم به مرض ألحقه بجوار ربه في شهر دجنبر 1987.

س. أديوان، *تقاييد*، مخطوط ؛ *ديوان شعر*، مخطوط.

محمد بن سعيد أديوان

**الإذاعة الوطنية** المغربية، كسائر الوسائل السمعية البصرية في العصر الحاضر، أداة تواصل تقوم بمهام الإعلام والتربية و الترفيه من خلال الوظائف التي تشمل الميادين السياسية والثقافية والفنية.

نشأت الإذاعة المغربية سنة 1928 من عهد الحماية تحت اسم "راديو ماروك" أو راديو المغرب في أحضان إدارة البريد والتلغراف والهاتف حيث كانت مصلحة عمومية عادية يديرها موظف فرنسي وتذيع باللغتين العربية والفرنسية واللهجة العامية وبعض اللهجات الأمازيغية.

في سنة 1947 أعيد التنظيم الإداري للإذاعة فمنحت القدرة القانونية، والاستقلال المالي، لكنها ظلت في مبنى وزارة البريد، وكانت عبارة عن ثلاثة استوديوهات للإنتاج والإرسال. ثم شُيد مبنى جديد خاص بها، وهو الواقع الآن في زنقة البريهي بالرباط، فضم المديرية العامة والمصالح الإدارية والتقنية ومصالح الإنتاج وستة استوديوهات للإنتاج والتذييع.

أما شبكة الإرسال فكانت تضم جهازي إرسال في الرباط والدار البيضاء. وفي سنة 1950 تم تشييد مركز سبع عيون وأقيم به جهازا إرسال قويان نسبيا.

إلى جانب الإذاعة في المنطقة السلطانية التي كانت مشمولة بالحماية الفرنسية كانت طنجة تتوفر قبل الاستقلال كذلك على إذاعة ذات صبغة دولية تساير النظام الدولي لهذه المدينة، كما كانت في المنطقة الخليفية المشمولة بالحماية الإسبانية إذاعة إسباينة - عربية وهي إذاعة درسة. اتجهت عناية الحكومة المغربية منذ الاستقلال أول ما اتجهت إلى مغربة الإذاعة التي أصبحت تحمل اسم "الإذاعة الوطنية" وجعلها في خدمة المجتمع. ذلك بالاهتمام ببرامجها من شتى الوجوه لتؤدى الوظائف التي تدخل في اختصاصاتها ولتكون في مستوى الطموحات الوطنية. وإلى جانب تقوية الإنتاج الإذاعي وقع التفكير في إنشاء محطات جهوية لتعطي صورة عن المنجزات في مختلف الأقاليم. وازدادت العناية ببرامج الترفيه، وذلك بتشجيع الآلة الأندلسية والملحون والموسيقى العصرية والشعبية التي شهدت منذ ذلك الوقت تقدما ملحوظا. كما أدخلت برامج تثقيفية، تشارك فيها جميع الدوائر الرسمية والأوساط الفكرية وبدأت البث باللغتين الأنجليزية والإسبانية زيادة على العربية والفرنسية.

ثم زودت الإذاعة بمحطات جهوية في كل من طنجة وفاس ومراكش والدار البيضاء ثم وجدة وأكدير، وطرفاية بعد تحرير هذا الإقليم، ومحطتين في العيون والداخلة بعد المسيرة الخضراء لتغطية الأقاليم الصحراوية المسترجعة.

وفي نطاق المخطط 1965 - 1968 جددت التجهيزات القديمة كما أنشىء مركز قوي للإرسال في إقليم أزيلال وعزز هذا العمل ضمن المخطط الخمسي 1973 - 1977. بتجهيزات حديثة أخرى في أيت ملول وسيدي بنور طنجة وسبع عيون لتغطية جزء مهم من التراب الوطني.

في سنة 1962 أصبحت الإذاعة تابعة للأنباء، كما بدأ البث التلفزيوني في نفس السنة حيث توسع مبنى الإذاعة بالرباط واستقر التلفزيون في جناح منه. ومنذ ذلك الوقت والأجهزة التلفزيونية تتطور بصورة مطردة خصوصا بعد ظهور آلات الفيديو والتلفزيون الملون، فتم اقتناء حافلات كبيرة خاصة بذلك وسيارات كثيرة مجهزة أحدث تجهيز للروبورطاج.

وفي هذا النطاق كذلك أنشئ معهد للاتصال السمعي البصري في عين الشق بالدار البيضاء لتكوين الأطر التقنية لتسيير تجهيز إنتاج الاذاعة والتلفزيون، كما جد استوديو تلفزيوني بالدار البيضاء وجهز بأجهزة حديثة. واكب ذلك تغطية أكبر جزء من التراب الوطني بصورة مطردة بفضل إقامة شبكة إرسال قوية في كل من ورزازات ووجدة وبوعرفة وإفني والعيون زيادة عن أجهزة متوسطة القوة من مختلف المناطق.

ومنذ سنة 1982 تم تشغيل المحطات الأرضية للاتصال عبر الأقمار الاصطناعية بهدف توسيع الشبكة التلفزيونية أكثر فأكثر ومدها إلى الأقاليم الصحراوية المسترجعة فأقيمت لهذه الغاية مراكز جديدة في كل من طاطا وبوجدور وسمارة وزاكورة. زيادة عن المراكز التي أنشئت في الدار البيضاء والرباط وزرهون وأوكايمدن وبوكراع وكاب سبارطيل وتازكا وتزارين.

ويمكن القول بأن الإذاعة والتلفزيون أصبحا يغطيان معظم التراب الوطني، ويبثان أغلب الأوقات ويتناولان شتى الأنشطة الوطنية مما يدخل في دائرة الاهتمامات العامة.

تتوفر الإذاعة والتلفزيون في الوقت الراهن للقيام بهذه المهام على مجموعة من الصحفيين والإذاعيين والمتخصصين في البث التلفزيوني، بالإضافة إلى التقنيين والمتخصصين في شتى الأغراض التي يهتم بها هذا المرفق الحيوي من مرافق الدولة. كانت الأغلبية الساحقة من المتخصصين من الأجانب لدرجة أنهم حاولوا شن إضراب عام لشل صوت الإذاعة، بعد الاستقلال احتجاجا على تدابير اتخذتها الحكومة. فأحبطت المحاولة بعد طرد عشرات منهم. ومن ذلك الحين وقعت العناية بتكوين الأطر اللازمة.

ومما ساعد على توفير ما تحتاج إليه الإذاعة من الأطر معهد الحسن الثاني للاتصال السمعي والبصري. وهي مؤسسة متخصصة تابعة لدار الإذاعة والتلفزيون، هدفها التكوين والتدريب والإنتاج في ميدان الاتصال. وتتخرج من المعهد الأطر المتوسطة والعليا في التصوير بالفيديو والإنارة والرسم والديكور وضبط الصوت والتصوير والإنتاج الفوتغرافي والتحميض الخ .. بجانب تلقي تعليم نظري.

وفعلا منذ التصميم الخماسي 1981 - 1985 تخرج الكثير من هذا المعهد الذي مازال يعطي لتوفير الأطر لهذا المرفق الذي هو في توسع مطرد .

ق. الزهيري، *الإذاعة عملاق القرن العشرين*، جريدة "*العلم*" 2، 4 فبراير 1957؛ *تجربة ميدانية*؛ (من أرشيف الإذاعة)؛ *التنمية والتعبئة*، 25 سنة من الاستقلال، وزارة الاعلام والشبيبة والرياضة.

قاسم الزهيري

**أذْمَام**، (أو ذْمام = زعرور = إغْريس = بُورُوتو) يطلق على جنس نباتي هو كْرَاتِيگُوسْ Crataegus من فصيلة الورديات Rosaceae.

يحتوي هذا الجنس على نوعين في المغرب وهما الزعرور الثلاثي أو كْرَاتيگُوسْ مُونُوجِينَا Crataegus monogyna والزعرور الخماسي أو كْرَاتِيگُوس لاَسِينْيَاتَا Crataegus laciniata.

الزعرور الثلاثي جنبة أو شجرة جد متفرعة وذات أشواك. أوراقها مثلثة الشكل ومفصصة إلى ثلاثة فصص. أزهارها صغيرة بيضاء ومجتمعة على هيأة سنمة. ثمارها تساوي في حجمها حجم حبات الجلبان وهي ذات لون أحمر، وكروية الشكل وهي مما يؤكل.

يوجد هذا النوع من الزعرور في السهول والجبال المنخفضة الواقعة في بيومناخات شبه جافة وشبه رطبة ورطبة ذات الشكل الحار والمعتدل والبارد. وهو لا يبالي بنوعية التربة لكنه يحبذ الاراضي الطينية الحمراء أي الأراضي الغنية بالعناصر النسيجية الدقيقة.

ينمو الزعرور الثلاثي منعزلا في غابات العرعار البربري (أَزُوكَا) والزيتون البري (أزمور) والبلوط الفليني والبلوط القرمزي والبلوط الاخضر.

يتحمل الزعرور الثلاثي التقليم ولهذا يستعمل في تشكيل سياجات حية. كما يمكنه أن يُطَعَّم من طرف البرقوق أو الإجاص.

أما الزعرور الخماسي فهو شجيرة أو جنبة مشوكة ومتفرعة. أوراقها ذات قاعدة مسحوبة، ومفصصة من ثلاث إلى سبع فصص. أزهارها بيضاء مجتمعة على هيأة ازهرار عذقي. ثمارها كروية الشكل وذات لون أحمر ومذاق عذب.

يعيش الزعرور الخماسي في غابات الأرز والشوح وأنواع البلوط النفضية، في المناطق الجبلية من الريف والاطلس المتوسط والأطلس الكبير ما بين 1000 و 2500 متر من الارتفاع. وهو يتطلب بيومناخات شبه رطبة ورطبة ورطبة جدا. ذات الشكل البارد والقارس والقارس جدا. ويكثر في الأراضي الغنية بالعناصر النسيجية الدقيقة. يمكنه أن يُطَعَّم من طرف الكرز (حب الملوك).

E. Jahandiez et R. Maire, *Catalogue des plantes du Maroc*, Paris 1931. 1934.

عبد المالك بنعبيد

**أذْميم**، أو أذْمين "المكان المهجور" باللهجة البربرية. ويطلق على غابة مكونة من أرگان بسهل سوس.

تمتد غابة أذْمِيم شرق أيت مَـلُّول على مساحة تبلغ ما يقرب من 22.000 هكتار من الضفة اليسرى لوادي سوس، في مجال علوي يقع ما بين 20 مترا في حدودها الشمالية الغربية، و 280 مترا في حدودها الجنوبية الشرقية. إن القرار الوزاري المؤرخ بثاني مارس 1931 الخاص بتحديد أذميم يخوِّل قبائل گسيمة وهشتوكة وهوارة حق الانتفاع في هذه الغابة.

أما من الجانب الإداري، فإن غابة أذميم تمتد على مجالات خمس جماعات قروية منها: أيت ملول وتامسية وسيدي بيبي وبْيوگرة التابعة لإقليم أگادير والگفيفيات في إقليم تارودانت.

تُدار أذميم من طرف الفرع الغابوي لأولاد تايمة التابع للمصالح الغابوية لأگادير.

تعيش غابة أذميم في بيو مناخ شبه جاف في أجزائها الغربية، وجاف في أجزائها الشرقية، وتقطن أتربة طميية حمراء من النوع الكستنائي يتراوح سمكها عموما ما بين 40 و 60 سنتمترا.

تعتبر أذميم من شجراءات أرگان النقية لأن هذا النوع الشجري ينفرد أساسا في تنظيم هذه التشكيلة النباتية بناحية أيت ملول، إذا استثنينا مصادفة بعض الأفراد القليلة من الطلح المغربي المنتشر هنا وهناك. أما نبتها الحراجي فهو يتكون من عدة أنواع شجيرية.

إن أكثر ما يثير الانتباه هو الحالة الحالية لغابة أذميم التي لم تعد "مكانا مهجورا" كما كانت في الماضي القريب. لقد كانت أذميم غابة كثيفة تعيش فيها أنواع كثيرة من الوحوش نذكر منها الحيوانات المفترسة، والزواحف السامة التي كانت تقنص لاستعمالها للشعوذة بساحة "جامع الفنا" بمراكش. أما الآن فهي تعرف تدهوراً خطيراً ناتجا عن الضغط المستمر من طرف الإنسان وحيواناته الداجنة. وتتمثل أسباب التدهور في استغلال الغابة للمرعي طوال السنة. واجتثاثها لفائدة اتساع الدائرة السقوية لزراعة البواكر، مما جعل معالم التصحر تظهر في جل أرجاء سهل سوس. أشجار أرگان الباقية بدون حاشيتها النبتية تبدو مشوهة بسبب استكلاء أوراقها من طرف قطعان الماعز التي تتسلقها، والأتربة التي فقدت بنيتها بعد تعرضها لأشعة الشمس بعد الاجتثاث، أصبحت شبه عقيمة، وأعطت تراكما للكثبان الرملية، هذا بالإضافة إلى أن الاستغلال المفرط للمياه الجوفية لسقي البواكر أدى إلى انخفاض جد خطير لمستوى الطبقة المائية الجوفية، إذ أن سطح هذه الأخيرة في الماضي القريب يصادف على عمق يقارب عشرة أمتار، أما الآن فهو يتجاوز في بعض الأماكن 100 متر.

M. El Yousfi, 1988, *La dégradation forestière dans le sud marocain : exemple de l'arganeraie d'Admine (Souss) entre 1969 et 1986* - mémoire de 3^e^ cycle forestier - I. A. V. Hassan II - Rabat 123 p + annexes.

عبد المالك بنعبيد

أيت **إراتّنْ**، من الأسماء التاريخية الغامضة المدلول، التي نصادفها في بعض كتب التاريخ المحلي. الغموض هنا يشمل المدلول اللغوي لـ إراتّنْ، والمضمون السوسيولوجي لـ أيت إراتن.

أما من حيث المدلول اللغوي، فإننا نرجح أن يكون مأخوذا من مادة إيرْتي التي تعني من بين ما تعني الخلط والاختلاط، سواء تعلق الأمر بالأشخاص أو الحيوانات أو الأشياء. وتعني مجازاً الإنسان - أو الجماعة أو البلد - المضطرب المشاغب : (De Foucauld, *Dictionnaire*, 4 : 1673).

ويبدو أنهم كانوا فعلا أخلاطا من أصول مختلفة، عرفوا كحلف أو "لفّ" في منطقة وادي نفيس وشرق جبل سيروا. كما أن سلوكهم التاريخي يُظهر أنهم كانوا بالفعل مشاغبين مضطربين ومخادعين. والجدير بالذكر أن فرقا منهم لعبت في بداية القرن الثامن عشر دورا هاما في مساعدة باشا مراكش، عبد الكريم بن منصور، عامل المولى إسماعيل على الجنوب الغربي، على الدخول بحركته إلى وادي نفيس، وقد اتهم شيوخها صراحة بالغدر والخيانة من قبل شيوخ اللف المنافس. (الزرهوني، *رحلة*، ص. 21، 51، 72، 78، 107، 122).

أما من حيث المضمون السوسيولوجي، فيبدو أنهم لم يكونوا يكونون قبيلة بالمعنى المعروف في الأطلس الكبير وسوس الأعلى. وإذا كان مؤلف *رحلة الوافد* يعدهم قبيلة تارة، ولفًّا تارة أخرى، فإنما ذلك منه خلط يمكن تفهمه (نفس المرجع والصفحة). أما روبير مونتاني R. Montagne فقد اعتبرهم لفًّا، سواء منهم الموجودون بجبل سيروا أو المقيمون بوادي نفيس.

هناك مشكلة أخرى لا بد من إثارتها هنا، وتتعلق بوجود اسم أيت إراتن في مكانين متباعدين ؛ أي في وادي نفيس وشرق جبل سيروا. في حين لا نجد له أثرا في المناطق الفاصلة بينهما، أي في أونايْنْ وتيفْنُوتْ وزاگْمُوزْنْ. نعم، نحن نعرف أن التشابكات اللفية تشمل مناطق واسعة ومجموعات بشرية متباعدة، ولكن الأسماء تختلف من منطقة إلى أخرى. فحلفاء لف أيت زُوليطْ، الموجود جنوب تيزِي نْ - تَاسْتْ مثلا، لا يحملون نفس الاسم في وادي نفيس.

هل يتعلق الأمر بانتقال فعلي لمجموعات بشرية من أيت إراتن بسيروا إلى وادي نفيس، واحتفظت باسمها الأصلي ؟ يمكن افتراض ذلك، لسبب واحد، هو أن اسم أيت إراتن لم يرد في كتاب البيذق. في حين ورد فيه اسم أيت عثمان وهم فخذ من إگْدْميونْ أو گدميوة (البيذق، *أخبار*، 41). وأيت عثمان هو اسم اللف المنافس للف أيت إراتْنْ، كما هو واضح في *رحلة الوافد* وكتاب روبير مونتاني : *البربر والمخزن*.

أيت إراتن هم الوافدون ؟ إن عناصر الجواب عن هذا التساؤل ليست متوفرة الآن. ومع ذلك يمكن أن نذكر فقط بأن أهل تينمل في الترتيب الموحدي، كانوا مكونين في الدرجة الأولى من مجموعات بشرية تنتمي إلى منطقة سوس الأعلى ومنطقة جبل سيروا (نفس المرجع والصفحة) بقي أن نشير إلى أن آخر نزاع مسلح وقع بين أيت إراتن وأعدائهم أيت عثمان، يرجع إلى منتصف القرن التاسع عشر. وقد انتهى بانتصار أيت إراتن بزعامة عائلة الگنتافي التي حكمت منطقة وادي نفيس منذ ذلك الوقت إلى استقلال المغرب في بداية النصف الثاني من القرن العشرين. وقد اندثر اسمهم كلفّ في بداية النصف الثاني من القرن العشرين (R. Montagne, *Les Berbères*, 276, 301, 327) وقد اندثر اسمهم كلفّ في الوقت الحاضر، بقي اسما لقرية على الضفة اليمنى لوادي نفيس : تارگانْ - أيت إراتن.

أ. البيذق، *كتاب أخبار المهدي* ؛ ط. ليڤي، بروفنسال ؛ عبد الله بن إبراهيم الزرهوني، *رحلة الوافد*.

Ch. De Foucauld, *Dictionnaire Touareg - Français* ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; *L'Aghbar et les Hautes Vallées du Grand Atlas*, Hespéris, T. VII, 1927, 1er trimestre.

علي صدقي أزايكو

**أرارُو**، محمد بن القاسم بن محمد بن أحمد بن علي المرابط العلمي الخالدي، عرف بأرارو، من الشرفاء العلميين المستوطنين بمدشر أراروريش بسفح جبل العلم من قبيلة بني عروس، انتقل هو أو والده إلى بني خالد من قبائل غمارة، وجاء في إجازته : "العلمي الدار الخالدي النسب"، والعبارة معكوسة، فهو العلمي النسب، الخالدي الدار، كما لا يخفى.

حفظ القرآن بكتّاب مسقط رأسه وأتقن رسمه وضبطه. وشدا شيئاً من حروفه، ثم رحل إلى فاس، وتردد على حلقات العلم ومجالس القراءات، خاصة مجلس الشيخ إدريس المنجرة، فقرأ عليه ست ختمات بالروايات السبع عرضا من صدره - على حد تعبير الشيوخ - وأدرج في ذلك الادغام الكبير لأبي عمرو بن العلاء بطريق *التيسير* ومختصره *حرز الأماني*، وأجازه إجازة عامة ووصفه بالفقيه النبيه، الأنوه الوجيه، الخير المتبتل العفيف النزيه، الحافظ اللافظ.. وقال فيه إنه من أهل التجويد للقراءات مع الضبط لأحكامها. كما أجازه في قصيدة الشاطبي. *حرز الأماني*، ورجز ابن بري. *الدرر اللوامع*، *ومورد الظمان* للخراز، *وإنشاد الشريد* لابن غازي، وشرح المجيز إدريس المنجرة على *دالية ابن المبارك النهج المتدارك*، قال في الإجازة : "قرأ عليَّ هذه الكتب كلها، وأذنت له في ذلك كله إذنا عاما".

وقد وقفت على هذه الإجازة عند بعض حفدته، كتبت في رق بخط دقيق جيد جميل وزينت حواشيها برسوم ملونة وخطوط مذهبة. مقياسها 78 x 66 سم، ومسطرتها 61 سطراً في كل سطر نحوه 80 كلمة، تخللتها سطور كتبت بماء الذهب، تضمنت اسم المجيز والمجاز وألقابهما. وقد حشر فيما المجيز ما رواه عن شيوخه في المشرق والمغرب، وطرق

كل شيخ إلى الرسول عليه السلام. وقد وقَّع على هذه الإجازة واحد وعشرون عالما، من بينهم : محمد المسناوي الدلائي، والعربي بردلة، والحسن بن رحال المعداني، ومحمد بن الطالب ابن سودة المري، ومحمد بناني، وعلي بن أحمد الشرادي، ومحمد بن إدريس العراقي، وأحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي، ومحمد بن عبد الرحمان الفاسي، وإدريس المهدي المشاط في آخرين. وعلى الجملة، فهي تحفة نادرة، ونموذج رائق من الشهادات التي كانت تسلم للطلبة عند إنهاء دراستهم.

ولم نقف على ترجمة محمد بن القاسم أرارو على جلالة قدره. عاش في النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي.

إ. المنجرة، *الإجازة*، مخطوط في ملك أحد حفدة المترجم ؛ س. أعراب، *محمد بن القاسم العلمي أرارو*، جريدة *الميثاق*، 1972، ع 54.

سعيد أعراب

**أربعاء إدويران ← سكساوة**

**أربعاء أولاد علي ← سطات** (إقليم ـ )

**أربعاء أيت أحمد ← تزنيت** (إقليم ـ )

**أربعاء بني فتح ← تازا** (إقليم ـ )

**أربعاء تاوريرت ← الحسيمة** (إقليم ـ )

**أربعاء تيغدوين ← مراكش** (إقليم ـ )

**أربعاء خطازكان ← أسفي** (إقليم ـ )

**أربعاء دويران ← مراكش** (إقليم ـ )

**أربعاء الساحل ← تزنيت** (إقليم ـ )

**أربعاء السهول ← سلا** (إقليم ـ )

**أربعاء صباح زيز ← الرشيدية** (إقليم ـ )

**أربعاء العونات**، ينتسب هذا المركز إلى قبيلة العونات المنتمية إلى مجموعة دكالة المتاخمة لمجموعة الرحامنة. ولا يزال يعتبر أهم مركز بالقبيلة وعاصمتها الروحية، رغم تقسيمها إداريا إلى ثلاث جماعات قروية تابعة لدائرة سيدي بنور بإقليم الجديدة وتحت أسماء خميس القصيبة وأربعاء العونات، وأحد العونات. في الوقت الذي لم يستطع فيه الدواران الأول والأخير الارتقاء إلى درجة المراكز القروية، أصبح أربعاء العونات يتبوأ تلك المكانة وظل يحتلها بمفرده داخل كل الوسط الشرقي من سهل دكالة منذ 1971.

يبدو أن موقع المركز في تقارب بعض الاتجاهات التقليدية الأساسية وعند التقاء مجموعة من المعطيات المختلفة قد خول له القيام بدور المدينة الصغيرة المستقطبة للمجال الريفي المحلي. ويتمثل هذا الموقع الوسط في وجود المركز عند الحد الشمالي لجماعته وعلى بعد كيلومترات من جماعات المشرق نحو الغرب، وسبت بني هلال نحو الشمال، وخميس متوح نحو الشمال الشرقي، وأحد العونات نحو الجنوب الغربي. كما يتمثل في وجوده عند ملتقى المحور الرابط بين عبدة والشاوية، والآخر الرابط بين الرحامنة وأزمور والجديدة، أي على الطريق الثانوية رقم 124 المؤدية إلى سيدي بنور وخميس الزمامرة وأربعاء العونات وبولعوان وسطات من جهة، والطريق الثلاثية الرابطة بين صخور الرحامنة وأربعاء العونات وأحد أولاد فرج وأزمور من جهة أخرى. لكن المسالك الرئيسية العشرة المُشعّة من المركز في جميع الاتجاهات هي التي تبلور أكثر تجذُّرَ المركز العميق في الوسط الريفي. إضافة إلى ذلك يتمتع أربعاء العونات بموضع سهلي (على ارتفاع 180 م) في الضفة اليسرى من مجرى واد الفارغ الأوسط الذي يحاذيه، وعلى بعد كيلومتر واحد جنوب قناة الري الرئيسية وبعيدا عن حادورات الرحامنة المحمّلة بالقشرة الكلسية والمكسوة بالتربة الهزيلة. هذا الموضع المتميز جعل المركز يبسط نفوذه على محيط ريفي ذي قاعدة اقتصادية متينة تعتمد على رعي الأغنام وممارسة زراعة متنوعة تجمع بين التين والكروم أساساً على التربات الرملية الممتدة بين واد الفارغ وسيدي بنور، والحبوب بمختلف أنواعها والقطاني على التربات الغرينية الغنية.

إلا أن الكثافة السكانية المحلية المرتفعة والنشاط الزراعي المحلي الموروث منذ عدة قرون لم يكونا كافيين قبل عشر سنوات مضت للنهوض بأربعاء العونات ديمغرافيا واقتصاديا وتجهيزا حيث لم يشهد سكان المركز بين 1960 (423 نسمة) و 1971 (446 نسمة) إلا نموا إجماليا بمقدار 23 نسمة، وذلك بسبب النزوح العكسي خارج الدوار بمجموع 90 نسمة، بينما قفز عدد السكان سنة 1982 إلى 1875 نسمة، وبذلك يكون قد تضاعف الحجم السكاني بما يقرب من خمس مرات، حيث استطاع المركز أن يجلب إليه بين 1971 و1982 عدد 1173 نسمة تضاف إلى نسبة التزايد الطبيعي، أي أن التزايد الإجمالي يرجع إلى الهجرة بنسبة 83 ٪ من مجموعه.

يعزى هذا النمو السريع للمركز بالدرجة الأولى إلى التهيئة الفلاحية التي شملت سهل دكالة وما خلفته من عوائد اقتصادية وتجهيزية بأريافها ومراكزها. في أول الأمر، كان الدوار مجرد سوق يتناثر حوله حوالي 50 كوخاً للسكن ومؤسسة صغيرة للأشغال العمومية أنشئت سنة 1952 لمعالجة الحصى والرمال. أما النظام الزراعي المحلي فكان يشهد ركودا بسبب خروجه عن قطاعات الري وبسبب استحواذ قليل من الملاكين على أراضي شاسعة بالمنطقة المجاورة للمركز. وهكذا كان يملك شرفاء الزاوية التونسية أكثر من 4000 هكتار بالفخدة المسماة باسمها. وأراضي

بجماعة أحد العونات وأخرى بفخدة أولاد حميد جنوب المركز وأخرى بفخدة أولاد يوسف التي ينتمي إليها المركز. أما ورثة القايد تسيريس فكانوا يملكون بالمنطقة أكثر من 3500 هكتار تمّ توسيعها بعد الاستقلال. إلا أنه مع انطلاق مشروع الري في ذلك التاريخ وبعد توسع القطاع المسقي لبولعوان والفارغ وزحفه نحو أربعاء العونات أخذت تتعدد وتتنوّع الأنشطة والتجهيزات حول السوق (الحمام، الفرن، المسجد، الصيدلية، المدرسة، مقر القيادة، محلات إصلاح السيارات...) بالرغم من تلك البوادر التهيئية ظل نمو الدوار متواضعا بالمقارنة مع النمو الذي عرفته مراكز أخرى وسط السهل كأحد أولاد فرج وخميس الزمامرة وسيدي بنور حيث بقي أسلوب الإنتاج الفلاحي بعليا بسبب تقلص مدرجات واد الفارغ وتعمق المجرى من دار القايد التونسي على بعد 15 كلم جنوباً إلى شمال أربعاء العونات، كما أن القناة السفلى الوافرة في سد إمفوت بأم الربيع والمحاذية للمركز لا تمكّن إلا من سقي مساحات ضعيفة مباشرة شمال المدينة.

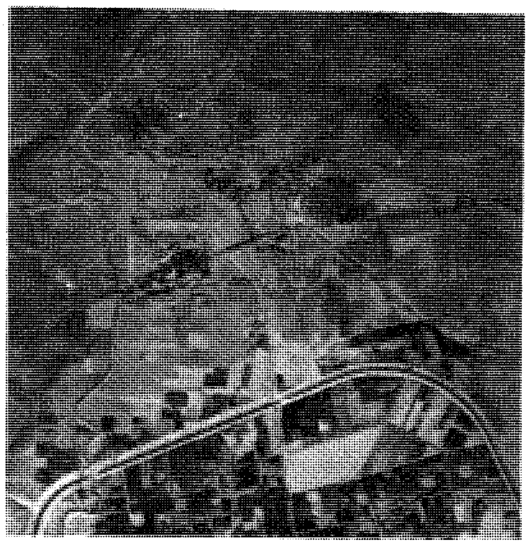

أربعاء العونات : صورة جوية

في مرحلة لاحقة انطلقت من نهاية الستينات ومطلع السبعينات عقب إنعاش الفلاحة المسقية بإدخال مزروعات صناعية جديدة كالشمندر، ثم قرار دراسة مشروع ري الجزء الجنوبي من منطقة أربعاء العونات، بدأ الدوار يتخذ ملامحه القروية الحالية، وذلك بإحداث كثير من المرافق والتجهيزات الأساسية كالمدرسة ومحطة النقل ومحطات البنزين والمقاهي والكهرباء والماء الصالح للشرب والمركز التجاري والمركز الصحي ومركز البريد والملعب الرياضي ومركز الاستثمار الفلاحي... قد أضيفت إليها في بداية الثمانينات إعدادية (994 تلميذا سنة 1988) ثم ملحقة داخل الجماعة (396 تلميذا سنة 1988).

رغم أن سرعة الوتيرة الديمغرافية واستمرار إقامة التجهيزات الأساسية واتخاذ أنشطة التجارة والإدارة والخدمات الأخرى طابعا شبه حضري لم تواكبه تحولات ملموسة في تشكيل المركز والمشهد المبني، رغم تصنيفه ضمن المراكز منذة سنة 1971، إذ يبدو التوسع الحالي عشوائيا مع انعدام تجزئات البناء الخاضعة لتصميم توجيهي محكم خارج المحور الرئيسي والمنشآت الإدارية والحي الذي أنشئ في إطار البرنامج العالمي للتغذية في بداية التسعينات. كما يبدو السكن الحالي متواضعا في شكله، حتى إن الفرق في الشكل يكاد ينمحي بينه وبين السكن في الدواوير المتجمعة المحيطة بالجزء الجنوبي للمركز : الغوالمية وأولاد المكي، ولُونَازرَة ومَسْمَارة والحصبة أولاد التونسي. تعد القرية المتعددة النويات قرية بدون مركز حقيقي، حيث إن الوحدات المبنية تتناثر على شكل نجمي حول السوق بفراغات واسعة فيما بينها..

إن أمام أربعاء العونات مستقبلا تهيئياً واعداً، رغم خروجه حاليا عن المنطقة الصناعية الغذائية في الوسط الغربي للسهل وبعده عن المشروع الحضري الصناعي الشاطئي شمال دكالة. إن إعادة النظر في تنظيم المجال داخل المركز ستتحتم بدون شك في ارتباط مع إنجاز الشطر الأخير من التهيئة المائية حول المركز. ويتعلق الأمر بري قطاع 2500 هكتار محصورة بين دار القايد التونسي وأربعاء العونات بواسطة "القناة العليا" وبمياه سد المسيرة على أم الربيع وسد واد الفارغ في عالية دار القايد التونسي. لقد أنجزت دراسات المشروع ابتداء من أواسط السبعينات وستستمر التجهيزات المائية التي بدأت سنة 1986 إلى حدو 1997.

*استطلاع ميداني*، قسم الخرائط، *صورة لأربعاء العونات*، الرباط، 1981.

*Dar Caid Tounsi*, Carte topographique, Carte régulière du Maroc, 1/50000, Division de la Carte, Rabat. Direction de la Statistique, Ministère du plan, documents divers des recensements de 1960, 1971, 1982, Rabat ; R. Fosset, *Société rurale et organisation de l'espace. Les bas plateaux atlantiques du Maroc Moyen*, université de Montpellier III, 1978, 2 t, 942 p., ronéo ; M. Fourot, *Vers une organisation de l'espace rural dans les Doukkala*, R. G. M, nº 8 Rabat, 1965, p. 75-82 ; J. Loup, *L'Oum Er Rbia*, travaux de l'Institut Scientifique Chérifien, nº 9, Rabat, 1960, 251 p, Ministère de l'habitat et de l'Environnement, *Schéma d'armature rurale, Région du Centre*, Rabat, 1972. O.N.I (P. Pascon, rapporteur), *Les structures agraires dans le périmétre des Doukkala*, Rabat, 1961, 77 p. ronéo.

مصطفى عياد

**أربعاء عياشة** ← **تطوان** (إقليم -)

**أربعاء الغرب** ← **سوق ...**

**أربعاء كازط** ← **السراغنة** (إقليم -)

**أربعاء المعادنة** ← **خريبگة** (إقليم -)

**أربعاء واقبلي** ← **أزيلال** (إقليم -)

**أربعاء واولي** ← **أزيلال** (إقليم -)

أيت **أربْعين**، أو رَبْعين. عبارة تطلق في مجموع المغرب الناطق بالأمازيغية على مجلس القبيلة الذي يكون المؤسسة الأساسية في الكيانات الجبلية الحاكمة نفسها

بنفسها، ويختلف عن لْجْمَاعْتْ أو جماعة القرية بكون هذه الأخيرة تضم جميع ممثلي عائلات القرية، في حين لا يضم مجلس "أيت ربَّعين" إلا ممثلا واحدا عن كل فرقة أو إخْصّ أو عن كل قرية أحيانا. هذا من الناحية المبدئية، أما من الناحية العملية، فيبدو أن العضو الممثل في مجلس أيت ربَّعين يكون عادة من الموسرين والمحنكين سياسيا، ومن القادرين على تناول الكلام بحذق أثناء اجتماعات المجلس.

ومع أن عبارة أيت ربَّعين مستعملة بالمعنى المذكور في كل الجبال المغربية، فإن أصلها غير معروف بالضبط. وقد اقترح بعض الباحثين تفسيرا لهذه المسألة يمكن قبوله مؤقتا. هذا التفسير يمكن تلخيصه كما يأتي : لقد أطلق هذا الاسم على تلك المجالس لأن عدد الأعضاء المكونين لها كان أربعين عضوا. ثم احتفظ بالاسم بعد ذلك دون أن تكون المؤسسة التي يطلق عليها مكونة من العدد المبدئي. وبالفعل فإن عدد أعضاء هذه المجالس لم يكن يصل إلى أربعين في الفترات الأخيرة المعروفة.

والشيء الذي يرجِّح التفسير السابق هو أن الموحدين كانوا يميزون المجالس بعدد المكونين لها. فكان لديهم مجلس العشرة (أَيْت مْرَاوْ ؟) ومجلس الخمسين...

كما أن العبارة قد تكون بديلا عربيا لمجلس إِنْفْلاَسْ التي تستعمل محلها في كلام الناس لأن أعضاء مجلس أيت ربَّعين يعرفون عند الناس باسم إِنْفْلاَس وذلك حتى الأمس القريب.

ع، بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 19، 20، 182.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, 220 - 221 ; E. Laoust, *Contribution...*, 130.

علي صدقي أزايكو

**الإِرْبْيَانْ** (أو القَمْرون) ينتمي إلى فصيلة القشريات التي تتميز، وكما يدل اسمها على ذلك، بجسم محاط بقشرة، وهي عبارة عن غشاء مشبع بمادتي الكلس والغراء، كما ينتمي إلى عشاريات الأرجل التي تختص بخمسة أزواج من الأرجل الصدرية، إلى السابحات نظراً لتوفره على زوائد بطنية تسمح له بالبقاء عالقا في الماء، وتلعب عنده دور الزعانف عند الأسماك.

يعتبر الإِرْبْيان، كباقي عشاريات الأرجل من أكثر القشريات تطورا، فهو ذو جسم مضغوط جانبيا يلتحم فيه الرأس نسبيا بالصدر مما يعطى عضوا واحداً (نطلق عليه اسم "الصدراس") محميا بدرع يحفظه من الواجهة الظهرية ومن الجانبين ويمتك من الجهة الأمامية (انظر الرسم). بطنيا، ومن الجهة الأمامية يحمل الصدراس، بالإضافة إلى زوجين من الزباني وزوج واحد من السويقات العينية، أحد عشر زوجا من الزوائد تحيط الستة الأوائل منها بالفم تتكون من ثلاثة رأسية محضة وثلاثة صدرية تحولت إلى ما يمكن تسميته بأرجل ماضغة. أما في الجهة الخلفية يحمل الصدراس خمسة أزواج ذات دور تنقلي تنتهي الثلاثة الأولى منها إما بمقابض وإما بأظافر.

يحمل البطن ستة أزواج من الزوائد، تتكون كل زائدة من فصيلة قاعدية ومجذافين اثنين ورقية الشكل وتلعب نفس الدور الذي تلعبه الزعانف عند الأسماك، أي دور سباحي بالأساس. يتغير شكل الزوج الأخير من هاته الزوائد لتكون مع الذنب عضوا مروحي الشكل يتلاءم وحياة الإربيان السباحية.

الجهاز الهضمي : يتكون من ثلاثة أجزاء ذات أصل مختلف. أما المعي الأمامي والمعي الخلفي فأصلهما من الأدمة الباطنية، وأما المعي الأوسط فأصله من الأدمة الخارجية. لا تختلف بنية الجهاز الهضمي عند الإربيان عنها عند الحيوانات الأخرى حيث يتكون من فم محاط بزوائد ماضغة ثم من مريء ثم من معدة قبل أن نجد المعي الأوسط حيث تكثر الإفرازات الهضمية وخاصة منها افرازات الكبد والبانكرياس (تكونان عند الإربيان عضوا واحدا) وحيث يتم امتصاص مواد التغذية. أما المعي الخلفي فبفضله تساق العضلات الغذائية إلى السرج ومن ثم إلى خارج الجسم. إلا أن خصوصية هذا الجهاز الهضمي تكمن في وجود صفيحيات كلسية على جدار المعدة وهو ما يطلق عليها "المطحنة المعدية" والتي لها دور في طحن المواد الغذائية.

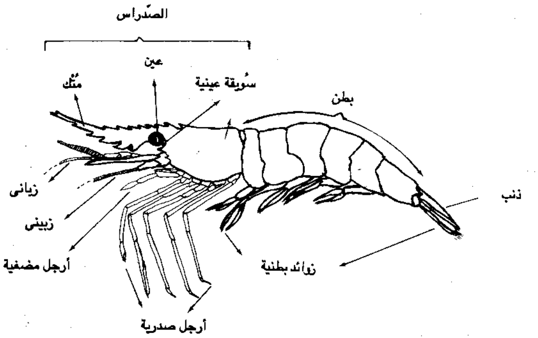


الجهاز التنفسي : كباقي الحيوانات المائية يتكون الجهاز التنفسي عند الإربيان من عدة خياشم داخل جيوب على جانبي الصدراس.

الجهاز الدموي : يوجد القلب والجهاز الدموي من الناحية الظهرية للجهاز الهضمي. نتيجة للتقلصات القلبية يخرج "الدم" من القلب إلى الفجوة الشغفية بواسطة ثلاث فتيحات، ومن ثم ينقل بواسطة شرايين عديدة ومتشعبة إلى الفجوات المحيطة بالأعضاء حيث يحمل بالفضلات فينقل بواسطة الجيوب الوريدية إلي الخياشيم حيث يصفى ويزود بالأكسجين قبل أن يعود إلى القلب مستكملا بذلك دورة دموية كاملة.

الجهاز التناسلي : الإربيان حيوان أحادي النسل إلا أنه عند بعض الأنواع يمر الفرد من مرحلة جنسية أولى تكون فيها المناسل ذات خصائص ذكورية تنتج خلالها حيوانات منوية، تتحول فيما بعد لتكتسب خصوصيات أنثوية وتبدأ

في انتاج البويضات. تتجلى ازدواجية الشكل الجنسية عند هاته الحيوانات في حجم جسمها الذي يكون أكبر عند الذكور، وكذلك في حجم مقابضها الذي يكون أكبر أيضا عند الذكور.

يتكون الجهاز التناسلي عند الإربيان من منسلين اثنين يمتدان على طول البطن تقريبا ليجتمعا فيما بعد ويكونا مسلكا واحدا (مسلك مبيضي أو مسلك منوي) يصب بواسطة فتحة جنسية توجد في الفصلة القاعدية الأرجل الصدرية الثالثة عند الإناث والخامسة عند الذكور. والجدير بالذكر أن إناث بعض الأنواع يمكنها أن تلد أكثر من خمسمائة ألف بويضة. أحيانا تتوفر الإناث على أعضاء مستقبلة للحيوانات المنوية حيث يضع الذكر خلاياه المنوية فتحتفظ بها الأنثى في انتظار نضج البويضات قبل تلقيحها. أما عن مصير البويضات الملقحة فهي إما أن تطلق في الماء فتحملها التيارات وتواجه بذلك مصيرها بنفسها، وإما أن تبقى عالقة بالزوائد البطنية للأنثى إلى حين تفقسها. وفي كلتا الحالتين تمر البويضة من مراحل أريقية ثلاث قبل أن تصل إلى سن النضج.

تعيش الأرائق حياة عالقة حوالي ثلاثة أسابيع قبل أن تلتحق بالساحل، خاصة بالمياه الأجاجة، تعيش خلالها حياة قعرية يكتمل فيها نموها قبل أن تلتحق من جديد بعرض البحر حيث تقضي معظم حياتها.

الجهاز العصبي : بكل اختصار يمكن القول إن الجهاز العصبي للأخطبوط يتكون من الأمام إلى الخلف من عقدة عصبية فوق المريء يطلق عليها "المخ" تعصب الزوائد ما قبل الفم، ثم من عقد أخرى تحت المريء تعصب زوائد الفم. تتصل العقدة ما فوق المريء بالعقد الأخرى بواسطة موصلين جانبيين يكونان طوقا حول المريء.

تستمر العقد ما تحت المريء إلى الخلف بسلسلة بطنية تتكون من عدة حلقات تحمل كل واحدة منها عقدتين اثنتين تعصب الأعضاء والأرجل.

التصنيف : يعد الإربيان من الحيوانات المتعددة الخلايا، من المفصليات والقشريات عشاريات الأرجل، اكتشف منها حتى الآن في العالم كله حوالي ألفين وخمسمائة نوع. تتوفر شواطئ المغرب على أكثر من أربعين نوعا، من بين أهم هاته الأنواع يمكن أن نذكر Palaemon Kerathurus التي تكثر بشكل طبيعي والتي تربى في أحواض خاصة ببحيرة الناظور وكذلك Palaemon Japonicus ، التي لا توجد في المغرب أصلا إلا أنها تجلب من الخارج من أجل تربيتها في أحواض خاصة بنفس البحيرة بالناظور. تنقسم هاته الفصيلة إلى مجموعتين اثنتين اعتماداً على بنية الفصلة البعيدة للزوج الثالث من الأرجل الصدرية، فهي إما حاملة لمقابض أو حاملة لأظافر.

البيئة : يعيش الإربيان في المياه القارية، في المياه الأجاجة إلا أنه يكثر في البحار. يقطن جميع البحار وجميع المحيطات من خط الاستواء حتى القطبين الشمالي والجنوبي ومن منطقة المد والجزر حتى عمق ستة آلاف متر من العمق تقريبا. أغلب الإربيانات من القعريات إلا أن هناك أنواعا قليلة تنتمي إلى فئة العوالق. تعيش القعريات منها على دعامات متعددة كالطحالب والضخور والرمال الطينية كما تتغذى بالطحالب وبعض الحيوانات الصغيرة كالقشريات والرخويات...

استعمالاته : إن ثلاثمائة من الأنواع المعروفة فقط هي التي تعتبر ذات أهمية اقتصادية، واستناداً إلى تقارير هيئة الأمم المتحدة للتغذية والزراعة فإن الكمية المصطادة من هاته الحيوانات سنة 1978 تقدر بحوالي مليون وأربعمائة ألف طن.

M. J. Forest (1974), *Les Mandibulates*, coll. les Sciences : La grande encyclopédie des Sciences et des Techniques-Fasc. 30: 215 - 224 ; D. Guinot (1980), *Les animaux*, l'Encyclopédie des animaux dans la nature, vol 6, *Panorama du monde animal* : *Crustacés*. Hachette. (deuxième édition) : 1003-1015 ; J. P. Lagardere, (1971) *Les crevettes des côtes du Maroc*. Trav. inst. Cherif, Rabat 36 : 140p. ; Y. Leroy, M. R. Dajoz et M. J. Forest (1974), *Les Mandibulate*, coll. "Les sciences : La Grande Encyclopédie des Sciences et des Techniques-Fasc. 31 : 225-233; Ministère du pêches et du Océans du Canada (1981), *Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche atlantique Centre - Est. Crevettes*, 77 p ; R. Zariquiey Aivarez (1968), *Crustaceas décapodos ibericos*, Inves. p. 209, T. 32, 510 p.

علي منيوي

**الأرْجامْ**، أو لارْجام بتسهيل الهمزة، اسم قرية على الضفة اليمنى لوادي نفيس بعد خروجه من الجبل على بضعة أميال فوق سد تاكركوست جنوبي مراكش. تذكر رواية محلية أنها سميت بذلك من الرجم، تقول إنها المكان الذي رجم فيه مهدي الموحدين أصحابه الذين اتفق معهم على أن يدفنهم ويسألهم أمام الملأ أسئلة يسنبط منها تأييد أمره من عالم الأموات، فلما تم له ماأراد أمر الحاضرين برجم الشياطين وردمت بذلك قبور المستعملين في تلك الحيلة، وهذه القصة لم يكتبها أحد قبل صاحب *القرطاس* الذي ألف كتابه على عهد الدولة المرينية، فلا يستبعد أن تكون مختلقة على أساس مثل الرواية الشفوية المرتبطة باسم الأرجام، ولابد من الاشارة إلى أن بلده أخرى تحمل اسما مماتلا في ناحية تيزنيت، ومما يرجح الاصل العربي للاسم ان لاوست E. Laoust لم يبدرجه في تأليفه حول أسماء الأماكن في جبل درن.

ع. ابن ابي زرع، *القرطاس*، 182 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 96، *Repertoire alphabétique*, p. 542.

أحمد التوفيق

**الأرْجامُ**، بوادي درعة. الأرجام لغة هي المقابر، ومفردها الرَّجَمُ وقد سمي القبر رَجَما لما يجمع عليه من الحجارة (*لسان العرب*) وتنتشر هذه الأرجام، المقابر في عدة مناطق بالجنوب المغربي، ويمتد مجال انتشارها من جنوب تافيلالت (الطاوس على واد زيز، وواحة غريس) شرقا، إلى جبل سيروا غربا مرورا بأودية إمطر وتودغة وسْكورة وإمغران من تودغة شمالا إلى وأَحَة محاميد الغزلان جنوبا، مرورا بتازرينْ وتَرْنَاتَة واكْتاوة بوادي درعة.

بالرغم من كثرة الأطلال والخربات القديمة على طول واحات وادي درعة وعرضها، فإن أبرز الآثار التاريخية القديمة بالوادي، تتجلى في هذه الأعداد الهائلة من الأرجام - المقابر التي لاتزال قائمة إلى اليوم بواحات اكْتاوة والمحاميد بالإضافة إلى بعض الأرجام المتناثرة هنا وهناك بواحتي ترْناتة وفزْواطة، ولا بد من التذكير بأن هذه الأرجام لايعرف لها مثيل في الواحتين الشماليتين : تينْزولين ومَزْڭطة.

تقع أرجام اكتاوة والمحاميد في السفوح الجنوبية بجبل بن سلمانْ، الذي يفصل بين هاتين الواحتين، وتنتشر بشكل خاص في الضفة اليمنى لنهر درعة عند منعرج الوادي، ولا تبعد هذه المنطقة إلا بحوالي أحد عشر كيلو مترا جنوب مدينة تاڭنيتْ الحالية. ونستشف من بعض الدارسات أن أرجام جبل بنْ سلمان تعتبر أهم مجموعة للمقابر القديمة المعروفة لحد الآن ليس في الجنوب المغربي فحسب، وإنما في مجموعة بلدان المغرب العربي (*Le Maroc Saharien*, 182) ذلك أن هذه الأرجام تغطى مساحة شاسعة وتمتد بشكل متصل أحيانا ومتقطع أحيانا أخرى على طول عدة كيلو مترات، كماأنها تعد بالآلاف من مختلف الأحجام والأشكال.

وأهم مجموعة للأرجام توجد بين تيزي - نْ بن سَلمان شرقا وتيزين الأرجام غرابا، وتتمركز مجموعة أخرى أقل عددا في بعض أعراف جبل مڭاڭ في الضفة الشرقية لنهر درعة بالقرب من أطلال تاَوريرْت نتيدري. بالرغم من أعدادها الهائلة وماتغطية من مساحة شاسعة فإن هذه الأرجام ظلت مهملة كأنها لم تثر انتباه أحد من كتاب المناقب وأصحاب الرحلات من أهل وادي درعة وغيرهم إلي حدود سنة 1946، حيث قامت جاك موني Dj. J. Meunié بإجراء بعض الحفريات على عينات مختارة من أرجام جبل بن سلمان، وقد نشرت نتائج أبحاثها في مجلة هسبريس Hesperis, 1 et 2e tri. 1958.

ونستفيد من دراسة جاك مونيبي أن أرجام بن سلْمانْ لاتختلف من حيث الشكل العام عن الأرجام الأخرى المنتشرة في شمال إفريقيا والمناطق الصحراوية وخاصة أرجام موريطانيا وفزان. وقد صنفت هذه الأرجام إلى مجموعتين:

1. المجموعة الأولى : وتمتاز بشكلها المخروطي وضخامة حجمها إذ يقدر قطر دائرتين بحوالي اثنى عشر مترا فأكثر، كما أن اتفاعها يتجاوز أربعة أمتار في بعض الحالات، وهذه المجموعة أقل عددا. ويبدو من مدافنها الكبيرة المستطيلة الشكل أنها مقابر خاصة بفئة اجتماعية متميزة. وتتسع هذه المدافن لأسر من خمسة إلى ستة أفراد (*Enigmes*, 154) يتوسطهم رب العائلة ويحيط به أفراد أسرته الآخرون، وغالبا ما تكون أرجام هذه المدافن الخاصة محاطة بسور صغير من الحجارة لتمييزها عن المدافن العامة.

2. المجموعة الثانية : وتشكل أكبر عدد من الأرجام، وجلها مخروطي الشكل كما أحالت عوادي الزمان بعضها إلى شكل كروي، ويظهر أن أرجام هذه المجموعة تشكل مدافن عموم الناس.

وبالرغم من الجهود التي بذلتها جاك مونيبي لتحديد الفترة الزمنية التي بنيت فيها أرجام جبل بن سلمان والكشف عن المجموعات البشرية التي خلفها، فإن نتائج هذه الدراسة تبقى تخمينية وغير مؤكدة في غياب مصادر مكتوبة أو دلائل قاطعة يمكن الاعتماد عليها (*La nécropole de Foum Larjam*, 137)

وهذا يعني أن هذه الأرجام لاتزال بحاجة إلى التنقيب للكشف عن أسرارها وإزاحة الغموض عن ماضي المجموعات البشرية التي تعاقبت على تعمير منعرج وادي درعة، خاصة وأن أطلال وخربات المدن القديمة بفم تيدري وفم الأرجام لاتزال تشهد على ما عرفته المنطقة من نشاط عمراني وازدهار حضاري في العصور الغابرة.

تعتبر مجموعة أرجام فزواطة المنتشرة على طول الطريق الرابط بين زاڭورة وتامڭروت أقل أهمية من أرجام جبل ابن سلمان، ذلك أن عددها لايتجاوز رؤوس الأصابع وتتمركز بشكل خاص بين قصرى أغلا ودْرَارْ وتمتيڭ.

أما أرجام ترناتة فتتمركز في سفح جبل زاڭورة على جانب الطريق الرابط بين زاڭورة وبني صولي (زولي) في الضفة الشرقية لنهر درعة، وتتشكل من ثلاثة أو أربعة أرجام في طريقها إلى الاندثار. أما المجموعة الثانية بترناتة فهي مجموعة النَّبْش غرب مقر الدائرة بزاڭورة. وقد بدأ بعْضها يختفي تحت الرمال الزاحفة.

ويظهر من خلال الرواية الشفوية المتداولة أن أرجام فزواطة وتزناتة لاترقى من الناحية التاريخية إلى مستوى أرجام جبل بن سلمان، ونستنتج من أحاديث الشيوخ المسنين بالمنطقة أن هذه الأرجام قد أحدثت في فترات قريبة جدا أي إبان زحف قبائل أيت عطا على واحات وادي درعة وماصاحب ذلك من لصوصية وسفك للدماء في بعض الأحيان، ولربما كان السكان يقيمون هذه الأرجام كتذكير للأجيال بما عرفته أمكنة هذه الأرجام من أعمال اللصوصية، وسفك للدماء.إلا أن هذا التفسير الشفوي، في غياب الدراسات العلمية وما يصحبها من أعمال الحفر والتنقيب تبقى من باب التخمينات لا أقل ولاأكثر.

II - أرجام المناطق الأخرى المجاورة لدرعة.

أهم هذه الأرجام مجموعة تازرين ومجموعة سكورة.

1 . أرجام تازَرينْ : تنتشر هذه المجموعة بالقرب من أطلال قديمة بالقرب من مقر قيادة تازْرينْ، وتشبه هذه المجموعة أرجام بن سَلْمان. وقد أجرت جاك مونيبي (D. J. Meunié) بعض التنقيبات على عينات مختارة من هذه الأرجام ولكنها لم تتوصل إلى نتائج مؤكدة ويقينية كسابق عملها بأرجام جيل بن سلمان.

2 . أرجام سكورة : أقل أهمية من أرجام تازرين

وأرجام وادي درعة. وتنتشر أرجام سكورة في مجموعتين الأولى حول الطريق الرابط بين سكورة وتينذوت، والثانية بالقرب من قصر أولاد مرزوگ في الضفة اليمنى لنهر دادس، ولاتزال هاتان المجموعتان قائمتين إلى اليوم ولم تتعرضا بعد لأي أعمال دراسية.

وهكذا يمكن القول إن أرجام وادي درعة وتازرين وسكورة كانت تُتخذ مدافن في عصور قديمة جدا وقد تكشف لنا في يوم من الأيام عن أسرارها وغوامضها.

DJ. Jacques - Meunié, *La nécropole de Foum Lerjam*, Hespéris 1 et 2e trimestres, 1958 ; *Les Oasis des Ktawa et des Mehamid*, Hespéris nº 27, 1947 ; *Le Maroc Saharien* ; Mazel, *Enigmes du Maroc*, Paris, 1971.

أحمد البوزيدي

## إرْجَان ← إرگان

## إرْحَالن ← تسولة (الأطلس)

**أرْدُوزْ**، اسم لأحد جبال السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي جنوبي أمزميز. واسم لأحد أودية هذا السفح ولأحد أفخاذ قبيلة إگدْميونْ، وبه مناجم الأطلس الكبير.

تتكون منطقة من صخور أساسها المصفحات والكلس الانقشاري الناتجة عن تحول المنشقات الكلسية والشستية من الزمن الأول، تعرضت للالتواءات الهرسينية والألبية أو الأطلسية مما أدى إلى تكون مجموعة قمم عالية من بينها قمة جبل أرْدُوزْ (حوالي 3579 متراً) وهو ثاني جبل بالمنطقة من حيث الارتفاع. وينتمي جبل أردوز إلى خط توزيع المياه بين أودية ظهير أمزميز (أنگال وأسيف المال) ووادي نفيس. وهو في نفس الوقت أحد الجبال الفاصلة بين مجال أگدْميونْ ومجال إگنْدافنْ. وهو واد شديد الانحدار والتعمق يتحوّل اتجاهه عند اختراقه لهضبة لمدينات من جنوب شمال إلى شمال شمال شرق، هذا بالإضافة إلى كونه يحمل اسم وَادَاكَرْ شمال أزگُرْ. وهو في موطن قبيلة إيگدميون المصمودية وفخذ أردوز منها. تقع إليه بعض الإشارات في *رحلة* مرابط تاسافت، فهو على ما يبدو من أقدم أفخاذ قبيلة إگدميون استقرارا بمنطقة جبل الوسط. في إحصاء 1936 - يتألف من سبعة مداشر عدد سكانها 1368 نسمة، بينما يبلغ سكان منطقة أردوز ضعف هذا العدد في احصاء 1982. لا تتوفر منطقة واد أردوز إلا على إمكانات ضعيفة تكمن بالأساس في ضيق الرقعة الزراعية المستغلة الناتج عن قساوة المعطيات المناخية وسيادة المنحدرات غير الصالحة للزراعة بعالية الوادي، من جهة، وعن ندرة المياه بسافلته من جهة أخرى. وربما لهذا السبب كانت الفلاحة ولا تزال تعتمد في الدرجة الأولى على الجمع بين زراعة الحبوب البورية وزراعة البقول المسقية وبين تربية الماشية المعتمدة على الانتجاع. وهي مقومات لم تستطع التكيف مع تزايد وتيرة النمو الديمغرافي وانفتاح المنطقة على الاقتصاد التجاري الحر. وقد يعتبر استغلال منجم أرْدُوزْ من أهم العوامل التي ساعدت على هذا الانفتاح.

وبالفعل فقد كان يوجد بعالية واد أردوز منجم للرصاص والزنگ شارك في استغلاله الدمناتي بمشاركة شركة بَنَارُويَا ما بين 1926 و 1949 ثم "الشركة المعدنية للأطلس الغربي" ما بين 1949 و 1972 تاريخ إغلاق المنجم. وهو منجم كان يعتمد في تصريف إنتاجه نحو أزگر على طريق غير مزفتة طولها 12 كيلومترا يربطها بمنجم السفح الشمالي تلفريك طوله 2535 مترا. وكان يشغل حين إغلاقه 156 شخصا من أطر وعمال.

ومن الطبيعي أن يكون لتوقف العمل بمنجم أردوز أثر سلبي على اقتصاديات المنطقة التي اضطر سكانها ولا شك إما إلى تعاطي أنشطة جديدة كالتجارة أولا، أو إلى العودة إلى النشاط الفلاحي ثانيا، وإما إلى الهجرة ثالثا.

*تحريات ميدانية*

أحمد بلاوي

**أرْزْ**، يطلق على جنس سيدْرُوسْ Cedrus ويسمى أيضًا إديل = إدْگل = إنْگل = إبْلَزْ = أبَاوَلْ وهو نبات ينتمي إلى فصيلة الصنوبريات Pinaceae، ويحتوي على أربعة أنواع وهي : سيدْرُوسْ دِئُدَارَا cedrus deodara وهو يقطن في جبال هيمالايا الغربية. وسيدْرُوس لِيبَانِي cedrus libani وهو يقطن في جبال لبنان وطوروس. وسيدْرُوس بْرِيفِيفُولْيَا cedrus brevifolia وهو يقطن في جبال جزيرة قبرص. وسيدْرُوسْ أطْلاَنْتِيكَا cedrus atlantica وهو يقطن في جبال الجزائر والمغرب، وهو النوع الذي يهمنا هنا.

إن أرز الأطلس أنبل الأشجار الغابية ببلدان المغرب العربي. إنه شجرة خلابة يتراوح ارتفاعها ما بين 30 و 50 مترا، وأكبر أرزة بالمغرب بلغ ارتفاعها 67 مترا. ويفوق محيط جذع الشجرة 3 أمتار في أغلب الأحيان. قد يعمر هذا النوع طويلا إذ لوحظ أن عمر أرزة بالأطلس المتوسط اقترب من ثمانية قرون.

الصفات النباتية : للأرز جذور قوية تمكنه من الصمود في مواجهة الرياح العاصفية ومن امتصاص الماء والأملاح المعدنية المغذية من أعماق الارض. قشرة جذعه مشققة طولانيا وحرشفية وذات لون بني. أما أغصانه فهي رمادية اللون وتنمو أفقيا. تاج الأرز مخروطي في الصغر ومسطح في الكبر. أوراقه إبرية وطولها يتراوح ما بين 10 و30 مليمترا ذات لون أخضر غامق وفي بعض الأحيان فضية، مجتمعة على شكل باقة في نهاية أغصان جد قصيرة. أزهاره وحيدة الجنس ووحيدة المسكن. وتظهر في الخريف حيث يتم تلقيح الأزهار المؤنثة من طرف الأزهار المذكرة. الأزهار المذكرة ذات لون أخضر مائل إلى الاصفرار بينما تكون الأزهار المؤنثة أرجوانية اللون. ينضج المخروط بعد سنتين من التلقيح، إذ يصبح حجمه أكبر بقليل من بيضة الدجاج، وهو مسطح القمة. في فصل الشتاء التالي تتفتح الحراشف المكونة للمخروط لتتمكن البذور المجنحة من الانتشار.

التوزيع البيوجغرافي : تمتد غابات الأرز الأطلسي على مساحات تبلغ حوالي 120.000 هكتار بالمغرب موزعة على

جبال الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير الشرقي. ففي الريف تظهر تشكيلات الأرز بصفة متناثرة فوق بعض قمم جبال الناحية الغربية من السلسلة، في حين يكثر انتشارها في الناحية الوسطى حيث توجد كل الظروف البيئية الملائمة لها. وتقدر المساحة المكسوة بغابات الأرز في الريف بـ 20.000 هكتار. ويكسو نفس المساحة بالأطلس الكبير الشرقي، لكن أشجاره هنا ليست نقية إذ تختلط في أغلب الأحيان بالبلوط الأخضر وحتى على الواجهة الشمالية. أما غابات الأرز بالأطلس المتوسط فإنها تمتاز بامتداد مساحاتها على 80.000 هكتار، والمنطقة الوسطى من هذه السلسلة الجبلية هي التي تستوعب القدر الأكبر من هذه المساحات.

تعيش تشكيلات الأرز الأطلسي على الواجهة الشمالية والغربية لهذه الجبال ابتداء من ارتفاع 1.500 متر في الريف و1.600 متر في الأطلس المتوسط، و1.800 متر في الأطلس الكبير، إلى حدود 2.800 متر، أي في الطوابق النباتية ما فوق المتوسطي والجبلي المتوسطي، وما فوق الجبلي المتوسطي. أما من حيث البيومناخ فإن غابات الأرز تقطن في المناطق الشبه الرطبة، والرطبة، والرطبة جدا، القارسة منها والقارسة جدا.

أما من حيث التربة فإن الأرز الأطلسي لا يبالي بنوعيتها، فهو يكسو أراضي مختلفة لكن يبدو أنه يصادف بكثرة فوق الصخور الحمضية مثل الشيستية والحثية بالريف والبازلتية بالأطلس المتوسط. والأتربة الأكثر ملاءمة له هي من أنواع الأتربة المُتَحَدْلِسَة الحمراء والسمراء، والأتربة السمراء الغابية.

إن غابات الأرز تختلف عن بعضها من طابق إلى آخر ومن منطقة بيومناخية إلى أخرى. ولهذا تصادف عشائر أرزية متنوعة من حيث التركيب والهيأة النبتية. فالأرز يختلط في الطابق السفلي مع أنواع البلوط وينفرد في الطابق الأوسط ثم يختلط مرة أخرى في الطابق العلوي مع العرعار الفواح (أوأل).

الاستعمالات : إن الأرز شجرة ثمينة عرفت مزاياها منذ أقدم العصور. ولقد كان الفراعنة والفينيقيون واليونانيون والروم يأخذون خشبه من الجزائر والمغرب ومن لبنان وتركيا. وما زال حتى الآن يلعب دورا اقتصاديا واجتماعيا هاما في المناطق الجبلية المكسوة بغاباته أو المجاورة لها. خشبه متين وذو رائحة زكية يستعمل في النجارة كأحسن خشب محلي إذا استثنينا خشب الجوز الذي هو نادر جدا. ولكونه يدوم مدة طويلة فقد كان خشب الأرز يستعمل بكثرة في تشييد أسقف القصور والمساجد والمنازل وفي صناعة أبوابها وركائزها وخزاناتها، كما هو الشأن في المدن العتيقة المغربية والجزائرية. كما يستخرج القطران من جذوره. وتستخرج مادة راتنجية من خشبه وأوراقه.


إ. نحّال، *أساسيات علم الحراج*، منشورات جامعة حلب، 1983.

L. Emberger, *Les Arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris 1938 ; R. Maire, *Flore de l'Afrique du Nord* ; Paris 1952 ; A. Benabid, *Les Ecosystemes forestiers, préforestiers et présteppiques du Maroc*, Forêt méditerranénne, t. VII, 1985 : 53-64.


عبد المالك بنعبيد

**أرْز** أو الأرُزّ أو الرُّزّ واسمه العلمي أوريزَا سَتِيفَا Oryza sativa نبات ينتمي إلى فصيلة النجيليات التي تشمل القمح والشعير والذرة...

إنه يعتبر من أهم المنتجات الفلاحية في المناطق الحارة من العالم ولا سيما في بلدان جنوب شرق آسيا مثل الصين والهند واليابان حيث يحل محل كل النجيليات الأخرى كغذاء رئيسي لا غنى عنه.

الأرز نبات حولي يتراوح ارتفاعه ما بين 50 و 120 سم، ذو نورة عثكولية، مشكلة من أفرع يحمل كل منها حبة واحدة محاطة بأغلفتها التي تنفصل عنها بعد درسها.

بالإضافة إلى هذا النوع الشائع، تصادف أنواع كثيرة منها المزروعة، ومنها البرية التي لم تدجن بعد. أما من حيث تصنيف أوريزَا سَتِيفَا فإننا نجد عددا لا يحصى من الضروب المزروعة.

عرفت زراعة الأرز عند الصينيين منذ أقدم العصور. وموطنه الأصلي هو الجنوب الشرقي لآسيا ومنها انتشر بعد بدء زراعته إلى كل المناطق الحارة من العالم.

أما في المغرب فقد كانت أول تجربة لإدخال زراعة الأرز سنة 1934 بأولاد عامر ومحطة سيدي سليمان. ولم يشرع في ممارستها بصفة فعلية إلا بعد خمس عشرة سنة أي عام 1949، وذلك على مساحة تبلغ 65 هكتاراً، كلها بسهل الغرب حيث تتوفر الظروف البيئية الملائمة لهذه الزراعة. وحتى الآن لم تمتد إلى السهول المغربية المسقية الأخرى. والسبب في إدخال زراعة الأرز بالغرب هو أنها تعد من أحسن الوسائل لاستثمار الأراضي المنقعية.

ومنذ 1949 مرت هذه الزراعة من عدة مراحل :

- مرحلة اتساع المساحة المزروعة من 65 هكتارا سنة 1949 إلى 7000 هكتار سنة 1955.
- مرحلة تقلص المساحة المزروعة من 7000 هكتار سنة 1955 إلى 4000 هكتار سنة 1967.
- مرحلة تأرجح المساحة ما بين 3000 و 6000 هكتار إلى حدود سنة 1974.
- مرحلة اتساع المساحة من جديد إلى 7000 هكتار إلى حدود سنة 1980.
- مرحلة ركود بسبب الجفاف ما بين 1980 و 1985.
- وأخيرا مرحلة اتساع وتطور الزراعة ابتداء من سنة 1986 إذ أصبحت المساحة المغطاة حاليا تقارب 12000 هكتار.

وفيما يخص معدل الإنتاج السنوي بالمغرب فهو يبلغ 186500 قنطار، وكان أعلى إنتاج هو 430000 قنطار سنة 1969. وهذا الإنتاج السنوي يكاد يلبي طلبات السوق الداخلية التي تبلغ 350000 قنطار ولم يكن المغرب يستورد الأرز من الخارج إلا ابتداء من سنة 1981 بسبب الجفاف.

أما في آفاق سنة 2000 فسوف تغطي زراعة الأرز مساحة تفوق 19000 هكتار. وسيبلغ إنتاجها السنوي 870000 قنطار وذلك بمقدار مردودية تعادل 45 قنطارا لكل هكتار. وهذه الكمية سوف تغطي جل حاجيات المغرب من هذه المادة.

تمارس زراعة الأرز بالغرب لمدة ثلاث سنوات متوالية وتتبعها في السنة الرابعة زراعة مُجَفِّفَة مثل عباد الشمس أو الذرة ، وذلك لتفادي انتشار الأعشاب الضارة الأليفة لكثرة المياه.

أما ضروب الأرز المزروعة في المغرب فهي ثمانية، فمنها المستديرة الشكل : تريونف Triomphe التي تستعمل على أكثر من 70 ٪ من المساحة الاجمالية. وسيگالون Cigalon ومنها طويلة الشكل : كنز Kanz حياة Hayat دينار Dinar ر. ب. R. B ربيع Rabiï .

إن أهم استعمال للأرز هو استعماله كغذاء. كما تستعمل أغلفته ونخالته في تغذية المواشي.

لكن مستوى استهلاك مادة الأرز بالمغرب ضعيف جدا. فهو لا يتجاوز كيلوغراما واحدا في السنة لكل مغربي. وتعد هذه النسبة أضعف نسبة في العالم.


ألبرت هيل (1962) (ترجمة عبد المجيد زاهر وآخرون)، *النبات الاقتصادي*، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك.

Office Regional de Mise en Valeur Agricole du Gharb, 1988, *La riziculture dans le Gharb, Situation actuelle et perspectives* (ronéotypé).


عبد الملك بنعبيد

**إرزَان**، علم على منطقتين بالأطلس الصغير ؛ إحداهما بعيدة بنحو عشرين كلم من تارودانت في الجنوب

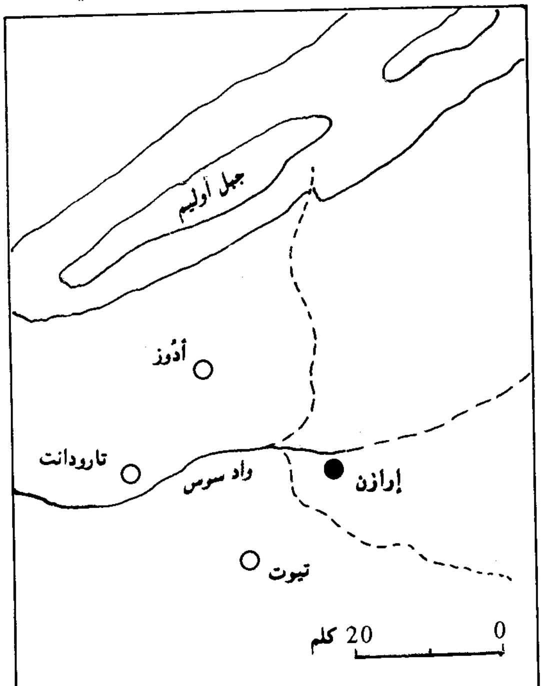


الشرقي ؛ وهي التي اشتهرت بالعلم والتصوف ؛ ويذكر عن هذه القرية العظيمة احتواؤها على حمامات ومساجد مع اشتهار أهلها بشدة البأس والاستعصاء على العدو (*المعسول*، 6 : 202) غير انهم انقاذُوا طوعا لشيخ الطريقة الناصرية أبي العباس أحمد بن محمد الميموني التمگدشتي (*المعسول*، 6 : 202) وكانوا يأتمرون بأمره في المهمات وهو الذي أسس وسط قريتهم زاوية ومدرسة غطت شهرتها على ما عرف به أهل إرزَان من العصيان واللصوصية في بعض الأحيان ؛ ولا زال يقام هناك موسم أو موسمان سنويان أحدهما في شهر غشت صيفا والآخر في مارس ربيعا ؛ وكان نظام هذه الزاوية المدرسة يعتمد على ما يصل إليها من أعشار وزكوات بعد أن أذن بذلك المولى عبد الرحمن بن هشام العلوي للشيخ أبي على الحسن التمگدشتي ابن مؤسس الزاوية (*المعسول*، 6 : 204) كل يذكر ان الأعشار هذه كانت تؤخذ من قبل الجهات الرسمية بها سنة 1329 / 1911 (*المعسول*، 19 : 95).

**الإرزَاني**، الحسن بن أحمد (1231 - 1308 / 1815 - 1890) جمع بين علمي الظاهر والباطن، وُلد بقرية تَلْكَنْزَا من قبيلة أَمْلْن. تربّى في كنف العلامة أحمد بن محمد التِّمگدشتي ولم يتجاوزه، وجّهه شيخه المذكور بعد تخرجه إلى بلدة إرزَان بنواحي تارودانت، وأمره بتعليم الناس وإرشادهم، فأقبل على ذلك إقبالا عظيما مدة تزيد على الخمسين عاما، التحق بالطريقة الدرقاوية فأصبح من مشايخها المربين، وبنى له زاوية لا زالت مقصودة إلى اليوم.

نظم بالأمازيغية نظما حمل فيه على البدع في البلاد السوسية، توفي الشيخ الإرزاني عن شهرة طنانة.

وإذا كان تأسيس هذه الزاوية قبل سنة 1270 / 1853 على يد التمگدشتي المشار إليه فإنها لم تشتهر بتعاطي العلوم إلا في عهد الحسن بن أحمد التيملي الأصل الإرزاني السكنى (ت 1308 / 1890). وقد دفعت به أمه وهويتيم إلى الشيخ أحمد بن محمد التمگدشتي مؤسس الزاوية الإرزَانيَّة فرباه صحبة ولده الحسن المشار إليه آنفا، فلما تعلما وجه أحدهما إلى إرزَان فبنى بها صاحب هذه الترجمة بعد وصوله داراً مستقلة له عن زمليه الحسن الذي عين بالزاوية بعد أن وقع بين الزميلين خلاف بسبب جريمة قتل اتهم فيها التيملي وطلبته (*المعسول*، 19 : 45)

وقد استطاع الحسن بن محمد صاحب هذه الترجمة بعد أن استقر بمدرسة إرزان أن ينمي في طلابه حب العلم وإتقان الفنون من جهة رغم أنه لم يتح له الوقت الكافي للتعمق في دراسته الأولى ؛ كما استطاع أن يتجاوز التقاليد الصوفية الناصرية بعد أن أذن له شيخها التمگدشتي بالبحث عن الطريق الصوفي المتجلي في الشيخ المربي ؛ وكان من الصدف السعيدة على الإرزاني قدوم أحد شيوخ الطريقة الدرقاوية من المعدر قرب تزنيت إلى إرزَان والذي استطاع

بحكمته ولباقته إقناع الأستاذ الإرزاني باعتناق هذه الطريقة حتى أصبح من دعاتها النشيطين ناشراً لها بين طلبته بعد ذلك (*المعسول*، 19 : 46) وقد وصف بمحبته للطلبة حتى صار عدد أتباعه في حياته يصل إلى نحو الثمانمائة (*المعسول*، 19 : 51) مع الدؤوب على المذاكرة في التصوف وغيره والإكرام الكثير وعدم التشدد في الدين، محافظا على تقديم الأكل للرائدين والزوار وغيرهم أربع مرات تقريبا في اليوم مع إضافة شراب الشاي إليه ؛ وقد كانت هذه العادة في الشراب قليلة بسوس آنذاك ؛ مع اتخاذ موسم للمتعلمين والعلماء في شهر ربيع النبوي تسرد فيه الأمداح النبوية وتقام فيه حفلات الإطعام الفاخر مع تقديم فطور بالسفنج والعسل والشاي كل صباح (19 : 54) يضاف إلى ذلك موسم عام للمريدين في عاشوراء مع ما يتصل بد من تنظيم حلقات السماع والذكر ؛ وقد اشتهر بسرعة الكشف عما في ضمائر طلابه فلا يكاد الطالب ينطلق بما في خاطره حتى يبادره الشيخ بالجواب. ويذكر من بين علماء سوس البارزين الذين زاروا الإرزاني كل من عبد العزيز الأدوزي والشيخ علي الإلغي الدرقاوي والشيخ الحسن التامودزتي وذلك في نطاق الرباط والرفقة الصوفية الدرقاوية (المعسول، 19 : 47) وقد كان لتدخل أحد هؤلاء العلماء أثر في المصالحة بينه وبين رفيقه في الدراسة الحسن التيمگدشتي بعد استعمال أسلوب الكشف الصوفي في الدفع بهما إلى الصلح (نفس المرجع).

ويظهر أنَّ من بين تلامذته الذين كان لهم اتصال كبير به والتصاق المسمى أحمد بن عمر الذي رآه سنة 1286 / 1868 وشهد له بالمبالغة في الاتصاف بمكارم الأخلاق وعفة اللسان والرقة البالغة في معاملة الطلاب وعدم الغضب عليهم متخذا لهم يوما يتلقى فيه شكاواهم ويحل مشكلاتهم (19 / 55) مع المصابرة على البقاء بالمجلس المخصص لتلقي الطلاب طيلة يومه متجنبا الاستناد إلى الحائط والجلوس إلى غير القبلة والالتفات حتى إنه لم يكن يعرف من طلبته إلا القليل مسائلاً عن اسم من إراده لأمر منهم ؛ مع استعفاف عن شرب الشاي بمحضر الطلاب على أنه طالما ذم البدع في مجالسه هو غضب على أهلها ناظما في ذلك منظومة باللغة البربرية في اكثر من خمس عشرة مائة بيت على نحو مانظمه محمد بن علي اگبيل الجزولي مستقصيا في ذلك بدع سوس وغيرها (*المعسول*، 19 : 57-58) ويتصل بهذا كله ماذكره أحمد بن عمر تلميذه عنه من اتصال بعالم الجان على سبيل التعليم والخدمة ؛ وقد اعترف الأستاذ لتلميذه ابن عمر بهذا وانهم يحضرون مجلسه في الصفوف التي خلف الاستاذ للإقراء : أقر له بذلك سنة 1292 / 1875.

ومن تلامذة الإرزاني الفقيه العلامة المحجوب المسفيوي الذي عمل فيما بعد ببلدته أغمات قبل نهاية القرن 13 / 19 محافظا على زيارة الزاوية الارزانية مرة أو مرتين في السنة مع بعض طلابه مع حمل كسوة إلى أهل دار شيخه ؛ وحين اعتنق الطريقة الدرقاوية صحب معه بالإضافة إلى طلابه جملة من المريدين (*المعسول*، 19 : 58) ومن تلامذة الإرزاني محمد بن عبو الفحصي الذي لزم الدرس عند الشيخ الإرزاني إلى أن أصابه مرض شكاه إلى الشيخ الذي أمره بزيارة أحد صلحاء تاگوروط واسمه سيدي ابن عيسى ولكن التلميذ خوفا من اللصوص مال إلى الاكتفاء ببعض صلحاء مراكش ولم يُجْدِه ذلك إلى أن نفذ وصية شيخه عام 1281 / 1864. ومن تلامذته محمد بن علي اليوسفي السكتاني (*المعسول*، 19 : 63) وقد استاذنه في الاستنادة من علماء مراكش مع زميله أحمد بن عمر آنف الذكر فأذن الشيخ لليوسفي ولم يأذن لابن عمر فلما راجعاه مرة ثانية وجدا نفس الموقف ؛ وكان من حدب الشيخ على طلابه المتزوجين أن خصص لهم أرضا لبناء دورهم على الرغم مما وجد في ذلك من مقاوة من أهل البلدة حتى اضطر إلى أن يخبرهم بأن هذه الأرض ستبنى ولا محالة عندما يصير أهل قرية إرزان بمثابة الدجاج فكان الأمر كذلك بعد مرور الزمان.

ومن تلامذته الذين وافقوه في التسمية الحسن بن أحمد من عنق الأحد (*المعسول*، 19 : 66) وكانت طبيعتهما من جنس واحد ؛ واتحدت مشاعرهما إلى درجة أن التلميذ ما كان يجلس أمام شيخه ويرفع بصره إليه إلا وأجهش بالبكاء.

ويذكر عن تلميذه الفقيه أحمد بن الحاج الحنگيري اختلاطه الوثيق بالشيخ الإرزاني إلى درجة أنه كان يستلف منه الشيخ ولم يكن التلميذ يستطيع أن يفاتح شيخه في الموضوع لانصراف الشيخ إلى أمور أخرى تاركا مسألة إرجاع الديون لولده محمد ؛ وقد جرب الحنگيري يوما شيخه صحبة جملة من الطلاب في مشكلة من غرائب شروح مختصر *خليل* في الفقه المالكي وذلك لاختبار مقدار مكاشفاته فلما أجابهم بما يوافق مقصودهم عجبوا من ذلك (*المعسول*، 19 : 55) ورغم أن أحمد بن الحاج الحسن الحنگري هذا من تلامذة الإرازاني الأولين فقد فضل أن يأخذ منه الطريقة الدرقاوية حين اعتنقها الشيخ معتقدا أن العالم لا يأخذ الطريقة عن الأمي ؛ وفي ذلك إشارة إلى سيدي سعيد أوهمُّو المعدري الأُمي ناشر الطريقة المذكورة بسوس.

ومن تلامذته المسمى الحسن التاگنتي (*المعسول*، 19 : 59) وقد أخذ عنه التصوف ثم انتقل إلى الطريقة الأحمدية؛ وقد نازع بعض تلامذة الشيخ الإرزاني في ادعاء الفطنة لشيخهم (*المعسول*، 19 : 52-67) وخلف الشيخ بعد وفاته في مركزه ابنه محمد فعَلَّم وأرشد كوالده وتوفي سنة 1325 / 1907 (*المعسول*، 19 : 69).

ومن تلامذته الشيخ محمد الأملولي الاغزيري (1320 / 1902) وكذا عبد الله بن محمد عبد الله السامگني وقد أجازه الشيخ سنة 1279 / 1862 إجازة عامة (*المعسول*، 19 : 68).

ومنهم حفيده عبدالكريم بن محمد (1339 / 1920) وكان أحسن حظا في المعارف ودرس وعلم بالزاوية.

ومنهم أحمد بن عمر الأملولي ولعله المذكور آنفا.

وممن أشرف عل الزاوية حفيده عبد السلام بن محمد ولم يكن له حظ من العلم امتد عمره إلى ما بعد 1360 / 1941.

كما اشرف علي الزاوية ايضا محمد بن السلام ولد المذكور قبله .

ويذكر من متأخري مدرسة الزاوية عبد الله الإرازني وقد أخذ عن المدرسة الإغلالنية.

عمر الأندوزالي، *مناقب الشيخ التملي* (مخطوط) ؛ أحمد التاجكالتي، *مناقب الشيخ التملي* (مخطوط). م. المختار السوسي، *سوس العالمة* : 204. *المعسول*،19 : 45 ؛ *رجالات*.

محمد البايك

**الإرسالية الكاثوليكيّة**، لم تظهر الكنيسة الكاثوليكية بشكل منظم ومهيكل منذ انتشار الإسلام بالمغرب إلاَّ عند بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وكانت الجالية المسيحية تتكون من الميليشيات المسيحية التي تخدم أمير المؤمنين، والمسيحيين الأسرى، والمجموعات الصغيرة للتجار القادمين من أوربا (انظر *الأسرى. الكنيسة*).

إن الصراع الذي خاضه السعديون منذ القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، ضد التغلغل البرتغالي والإسباني في البلاد، كان أحد عناصر الضعف الذي لحق بتنظيم الجالية المسيحية. ومع مرور الزمن توثقت العلاقات مع أوربا وكثر الأسرى وعاد التجار، وسمح السلطان عبد الملك بن زيدان سنة 1040 / 1636 بدخول الفرنسيسكاني خوان دي برادو Juan de Prado ليهتم روحيا بالأسرى. ورغم أنه لم ينجح في تحقيق هدفه، إلا أن السلطان محمداً الشيخ الأصغر ( 1045 ـ 1060 / 1636 ـ 1655) سمح لفرنسيسكاني آخر، نيكولاس دي بيلاسكو Nicolas de Velasco الذي كان يقوم بمهام ممثل البابا وسفير ملك إسبانيا ليقيم كنيسة للمسيحيين الأسرى في مراكش، ودار سكن لرجال الدين.

وانطلاقا من ذلك، حُفظت بعض وثائق البابوات التي كانت تعين مسؤولي الإرسالية الكاثوليكية وعدة ظهائر سلطانية تسمح للفرنسيسكانيين بإدخال كتب وملابس وأدوات خاصة بالطقوس المسيحية ومساعدات مادية للأسرى إلى البلاد. وبذلك أصبحت للإرسالية الكاثوليكية وضعية رسمية عمليا.

يظهر مصطلح "الإرسالية الكاثوليكية" في عدة وثائق تحت أسماء متنوعة ولكن بمعنى واحد :"الإرسالية الكاثوليكية"، "الإرسالية الكاثوليكية الفرنسيسكانية"، "الإرسالية الكاثوليكية الإسبانية" الخ. سميت "الإرسالية الكاثوليكية" لأنها هي الكيان المنظم للجالية المسيحية الكاثوليكية داخل بلد كل سكانه ينتمون لدين آخر، "الإرسالية الكاثوليكية الفرنسيسكانية" لأن رجال الدين القائمين على هذه الإرسالية كانوا ينتمون إلى رهبانية الفرنسيسكانيين (تيار روحي أسس من طرف سان فرانسيسكو دي أسيس San Francisco de Asis داخل الكنيسة الكاثوليكية)، الإرسالية الكاثوليكية الإسبانية" لأن هؤلاء الفرنسيسكانيين كانوا إسبانيين ولهذا كانوا يسمون "فرايلية" (إخوان) وهومصطلح نجده في ظهائر السلاطين.

كان هدف الإرسالية، أساسا، هدفا دينيا فقط فاتخذ شيئا فشيئا أشكالاً إنسانية وديبلوماسية وأحيانا سياسية. كان أول الأمر، كيانا مؤسسا من طرف البابا ومرتبطا به. وبالإضافة إلى مهمتها الدينية أصبحت الإرسالية مضطرة لأن تلعب دورا إنسانيا تجاه الأسرى، وفي بعض الأحيان لخلاصهم من الأسر. ومن هنا كان ملوك إسبانيا يساعدونها ماديا بواسطة جمعيات خيرية دينية. ولهذا السبب كانت السلطات المغربية وقوى أوروبية أخرى تعتبر الإرسالية ككيان للكنيسة ولكن مرتبط بإسبانيا.

ومن السهل أن يُثبت عن طريق عدة ظهائر العلاقة الوثيقة بين مولاي إسماعيل وفرنسيسكانيي الإرسالية الكاثوليكية. ففي عهده وبسبب نقل الأسرى إلى مكناس وبالإضافة إلى وجود كنيسة في مراكش تمكنت الإرسالية من فتح كنائس أخرى في فاس ومكناس، عادة في مكان وجود الأسرى. كما فتحت الإرسالية في مكناس مستشفى للأسرى كان يتردد عليه حتى السكان المسلمون. وقد استعمل السلطان رجال الدين عدة مرات لأجل ربط علاقات مع الدول الأوروبية، خاصة إسبانيا.

وتحت حكم سيدي محمد بن عبد الله (1170 ـ 1204 / 1757 ـ 1790) اختفى العبيد الأوروبيون من المغرب. أمام هذا الواقع غيرت الإرسالية الكاثوليكية نشاطها، فقد كان الفرنسيسكانيون مطلوبين من السلطان ومن طرف الحكومات الأوروبية ليلعبوا دور الوساطة في النزاعات، ومن جهة أخرى كان الانفتاح الذي بدأه هذا السلطان على أوروبا، وتعيين عدة تمثيلات قنصلية في المغرب مساعدا على دخول عدد من المسيحيين من دول مختلفة وبأعداد متزايدة (ديبلوماسيون وتقنيون وتجار الخ). ولم يكن المسيحيون في مراكش وفاس ومكناس فقط بل كانوا أيضا في المدن الساحلية وعلى الخصوص في الصويرة الحديثة العهد وفي أسفي والرباط وسلا وطنجة وتطوان الخ. وفي كل هذه المدن سمح السلطان للإرسالية الكاثوليكية بإقامة دار لها وكنيسة، كما فتح مدارس لتعليم أبناء هؤلاء المسيحيين ومعهم مغاربة. في 1204 / 1790 طرد مولاي اليزيد الفرنسيسكانيين من المغرب لكنهم عادوا بعد أربع سنوات من ذلك.

وفي عهد مولاي سليمان ومولاي عبد الرحمان (1206 ـ 1276 / 1792 ـ 1859) كادت الإرسالية الكاثوليكية تختفي من المغرب نظراً لعدم تمكنها من تجديد دمها بعد أزمة

الكنيسة في إسبانيا. ففي أواسط القرن التاسع عشر لم يبق سوى فرانسيسكاني واحد في طنجة. وفي النصف الثاني من نفس القرن، انبعثت من جديد الإرسالية التي توافقت مع توارد عدد من الأوروبيين للمغرب. في سنة 1894 كانت دار وكنيسة الإرسالية في تطوان وطنجة والعرائش والرباط والدار البيضاء والجديدة وأسفي والصويرة. وكان مسؤول الإرسالية الأب خوصي ليرشوندي José Lerchundi الذي كان وراء إحيائها بخلق مدارس جديدة ومستشفى ومدرسة للطب ومطبعة ومراكز لمساعدة الفقراء الخ. وكان يمكن للمغاربة الاستفادة من هذه المراكز.

أرسل السلطان الحسن الأول أعضاء من جيشه ليتكونوا في مدرسة الطب (انظر ليرشوندي)، كما ساهم في هذاالعهد فرنسيسكانيون في مناصب ديبلوماسية، منهم الأب ليرشوندي الذي تمتع بتقدير السلطان الحسن الأول وشارك كمترجم في عدة سفارات لدى السلطان، الأمر الذي أهله ليكون ضمن أول سفارة تاريخية للمغرب لدى البابا في سنة 1305 / 1888 (انظر البابوية).

فيما يتعلق بهذه الأنشطة أكد بعض السياسيين والمؤرخين أن أعضاء الإرسالية، بالإضافة إلى مهامهم الدينية والتعليمية، كانوا يتدخلون في السياسة ويساعدون تسرب الاستعماريين الأوروبيين، خاصة الإسبانيين، وهذا ما لا يمكن إثباته، ولا يمكن أيضا نفي كون بعض أعضائها قدموا الدليل على عقليتهم الاستعمارية خلال هذه الفترة.

وما هو أوضح هو أن الفرنسيسكانيين لم يقوموا قط بما يسمى بالتبشير بين المسلمين المغاربة، وهذا ما تؤكده المراسلات السرية للديبلوماسيين وتصريحات السلطات المغربية. كما أن النشاط الإحساني وبساطة حياة الفرنسيسكانيين خصال كانت تنال تقدير الشعب المغربي. وهذا ما جنب في عدد من المناسبات تـرد المغـاربة العنيف على بعـض مـواقـف الأوروبـيـين بالبـلاد. قـدم الفرنسيسكانيون، حسب الدكتور مييج، صورة للمسيحية مختلفة عن تلك التي قدمها بعض التجار الأوروبيين القليلي النزاهة الذين أقام الكثير منهم في المدن الساحلية، وأيضا عن الصورة التي قدمها بعد ذلك بعض دعاة سياسة استعمارية مغرضة.

تزايدت الجالية المسيحية بالمغرب مع بداية القرن العشرين وخاصة مع الحماية الفرنسية والإسبانية وقد هيكلت السلطات العليا للكنيسة الجالية المسيحية بشكل يمنح كل جنسية خاصة الفرنسية والإسبانية ممارسة الديانة. وقد تطورت الإرسالية الكاثوليكية إلى خلق أسقفية واحدة في الرباط وأخرى في طنجة. وارتفع هذا الهيكل بعد الاستقلال سنة 1956 إلى درجة الأبرشية (archevêché) وهو الذي يمثل الآن الكنيسة بالمغرب.

وفي منطقة شمال البلاد، حيث كانت التقاليد الفرنسيسكانية الإسبانية أكثر تجذرا، مازال الشعب والسلطان يسمي الكنيسة باسمها القديم "الإرسالية الكاثوليكية". وفي الحقيقة يتعلق الأمر بتغيير الاسم فقط، حيث ظل الواقع كما كان، غير أن الجالية الكاثوليكية في مغرب اليوم ينتمي إليها أفراد من عدة دول ويخدمها رجال دين من جنسيات مختلفة.


ـ *الظهائر السلطانية* ؛ *أرشيف الإرسالية الكاثوليكية بطنجة* ؛ *الظهائر الشريفة المنعم بها على الرهبان الإسبان من 1637 إلى 1794*، *مجلة دار النيابة*، العدد الثالث 1984 (ص 63 ـ 68) العدد الرابع 1984 (ص 60 ـ 63) العدد الخامس 1985 (ص 15 ـ 18) ؛ ع. ابن زيدان، إتحاف ؛ ع. بنمنصور، *مع جلالة الملك الحسن الثاني في حاضرة الفاتيكان*، المطبعة الملكية 1980 ؛ خوصي اكيليرا، وثائق تتعلق بالسفارة المغربية إلى الباب ليون الثالث عشر 1887 ـ 1888، مجلة تطوان العدد الثاني 1957 ؛ ع. التازي، *صقلية في مذكرات السفير ابن عثمان*، المحمدية 1978 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. المكناسي، *الإكسير* ؛ م، الفاسي، *محمد بن عثمان المكناسي وصفحات من تاريخ المغرب الدبلوماسي في القرن الثامن عشر* ؛ أ. الغزال، *نتيجة الاجتهاد* ، تح. الفريد البستاني، العرائش 1941 ؛ م. الغساني، *رحلة الوزير في افتكاك الأسير*، تح. الفريد البستاني، طنجة 1940.

Documentacion de la Mision publicada en las revistas "Archivo-Ibero-Americano" Madrid 1914 - 1921 y "Mauritania" Tanger 1928 - 1963 ; F. San Juàn del Puerto : *Mision historial de Marruecos*, Sevilla 1708 ; Matias de San Francisco : *Relacion del viaje espiritual de Juàn de Prado*, Madrid 1644 (Edicion José Lopez, Tanger 1945) ; Manuel Castellanos, Apostolado seràfico en Marruecos, Tanger 1896 ; Henry Koehler, *L'Eglise Chrétienne du Maroc et la Mission Franciscaine*, 1221 - 1790, Paris 1934 ; Atanasio Lopez, *Obispo en Africa septentrional desde el siglo XIII*, Tanger 1941 ; José Lopez, *La Orden Franciscana en la asistencia a los cristianos cautivos en Marruecos*, Larache 1939 ; Manuel R. Pazos, *Mision Franciscano - Españole en Marruecos - La Historia de un siglo (1859 - 1959)* - Tanger 1959 ; J.L. Miége, *Le Maroc et l'Europe (1830 - 1894)*, Paris 1961, II 461 - 67, Iv 312 - 315 ; R. Lourido, *La abolicion de la esclavitud de cristianos en Marruecos*, Cuadernos de Historia del Islam (Granada) 8 (1977) 5 - 46 ; R. Lourido, *La obra redentora del sultan Sidi Mohamed Ben Abdellah entre los cautivos musulmanes en Europa*, "Cuadernos de Historia del Islam", 11 (1984) 139-184 ; E. Hugues et J.L. Miége, *Les Européens à Casablanca au XIX Siècle 1856 - 1906* - Paris, Larose 1954 ; A. Adam, *Histoire de Casablanca des origines à 1914* - Paris 1968 ; R. Le Tourneau, *Fès avant le Protectorat* - Casablanca 1949 ; A. Amine et col. *Histoire du Maroc* - Paris - Casablanca 1967.


رامون لوريدو

## أرسلان ← شكيب ...

**أرْض المغرب** ، تقع في الزاوية الشمالية الغربية من إفريقيا وتمتد على شكل جزيرة بين البحر والصحراء، بين خطي عرض 21 و36 شمالا وخطي طول 1 و17 غربا. والمغرب بلد قريب من أروبا لا يفصله عنها إلا مضيق اتساعه 14 كلم يصل بين البحرين اللذين يحدان المغرب، البحر المتوسط والمحيط الاطلنتي.

الميزات الاساسية متعددة : طول السواحل (3500 كلم) وامتداد المجالات الجافة التي تغطي حوالي 62 ٪ من المساحة الإجمالية، وارتفاع الجبال التي تشغل قسطا مهما من الأقاليم الشمالية. ولكن هذه المعطيات القاعدية التي يبدو بعضها سلبيا تخفف من وطأتها ميزات أخرى . فرغم امتداد الصحاري يتضح بأن الاتصال بين المجالات الشمالية

المتوسطية والجنوبية الجافة أقل ثقلا مما هو في الأقطار المجاورة وذلك بسبب الدور الذي يلعبه المحيط الأطلنتي والذي يسمح بنزول المؤثرات البحرية جنوبا حتى العروض السفلى. أي حتى جنوب الأطلس الصغير. كما أنه، رغم ارتفاع قمم أعلى الجبال واتساع مجالها، فإن المناطق السهلية المنخفضة، تبقى ذات امتداد كبير، الشيء الذي أتاح اتساع الرقعة الزراعية الصالحة والأراضي الخصبة : أما طول السواحل الكبير والذي يعتبر ميزة أساسية وخاصة في الميدان المناخي (تعديل الجو) وعلى مستوى الثروات السمكية والسياحية، فإنه يُقابل بجانب سلبي لا يستهان به، وهو ندرة المواقع الصالحة لتشييد الموانيء الطبيعية ذلك بسبب اشتداد عنف العباب وخاصة على طول الساحل الأطلنتي، وبسبب مرفلوجية الساحل الصخرية عادة. كما أن الساحل المتوسطي يشكو من صعوبة ربطه بداخل البلاد بسبب تقطع التضاريس المطلة على البحر والمتمثلة في جبال الريف المتكتلة .وهو شيء لا يلاحظ على الساحل الاطلنتي الذي تحده ـ عكس ذلك ـ سطوح منخفضة سهلة الاجتياز.

من الناحية الجيولوجية والجيوفزيائية يمكن كذلك استخلاص عدد من المميزات العامة . فالمغرب يكون ميدان التقاء بين مجالات بنيوية مختلفة تماما. فهو قبل كل شيء مجال اتصال بين الميدان المتوسطي الذي يتمثل في السلسلة الريفية الشمالية، كما تظهر بعض معالمه في باقي الأقاليم الشمالية الى خط عرض اگادير ، والميدان الافريقي الذي يبتدىء من الاطلس الصغير ويشمل الاقاليم الصحراوية برمتها. والميدان الاول خصائصه عدم الاستقرار الى الفترات الحديثة بينما يمتاز الثاني بالهدوء منذ اقدم العهود.

والمغرب، كذلك، مجال اتصال بين البنيات المرتبطة بالبحر المتوسط من جهة، والتايخ الجيولوجي للمحيط الاطلنتي الذي انطلق انفتاحه في الزمن الثاني من جهة ثانية.

وبسبب هذه الاتصالات البنيوية المختلفة، فالمغرب يشغل مجالا غير مستقر من الناحية الزلزالية. فهو يعيش الحركات المرتبطة بالحزام الألبي المتوسطي حيث يوجد عند حدود صفيحتين قاريتين كبيرتين الإفريقية والأوراسية. كما تهمه الحركات الناشئة فوق الظهر الوسط أطلنتي أوعلى الانكسارات المتفرعة عنه. الصفيحتان الأوروبية والإفريقية تعرفان حاليا تقاربا بطيئا قياسه حوالي نصف سنتمتر في السنة. لكنه تقارب كافٍ لاحداث حركية زلزالية هامة. وهكذا نجد في المغرب ثلاث مجالات حيث الزلازل تسجل بتردد كبير: الريف حيث يسجل أكبر عدد طبقا لاتجاهين، المتوسطي شرق ـ غرب ، والأطلنتي شمال شرقي ـ جنوب غربي. ثم سلسلة الأطلس وخاصة على مقربة من الحوادث الكبرى كالحادث الجنوب أطلسي الذي تسبب مثلا في زلزال أگادير سنة 1960. وأخيرا المجال المتوسطي غرب مضيق جبل طارق، على شريط اتساعه حوالي 150 كلم يربط المضيق بجزر الأصور.

نستخلص من سرد هذه المظاهر العامة شدة التنوع على المستويين التضاريسي والمرفوبنيوي .

فطبغرافيا يمكن التفريق بين ثلاث مجالات كبرى : مجال جبلي يتألف من سلاسل الأطلس ومن الريف ؛ مجال أطلنتي مفتوح على المحيط ومحدود نحو الداخل بمدرج جبلي واسع، يتكون من هضاب وسهول تمثل أغنى مناطق المغرب من الناحية الفلاحية ؛ وأخيرا مجال واسع مكون من أرصفة منضدية ممتدة تعلوها مرتفعات ومحليا سلاسل لمختلفة الاتساع ؛ ويضم هذا النطاق الأخير مجموع المغرب الشرقي وكل المغرب الصحراوي انطلاقا من قدم الأطلس الصغير.

إلا إن هذا التقسيم التضاريسي، وإن كان مهما باعتبار نتائجه البشرية والاقتصادية، فانه لا تعتمد على واقع طبيعي ملحوظ ولا على معايير جيولوجية مضبوطة.

وهكذا فالتقسيم البنيوي مغاير لهذا ويسمح بالتفريق بين المجالات التالية :

ـ مجال مستقر منذ عهود قديمة، يمتد من موريتانيا جنوبا الى الحادث الجنوب أطلسي شمالا. وهو يشمل الأطلس الصغير وهضاب الحمادات وكل الصحراء الغربية.

ـ ميدان أطلسي، يوافق سلسلتي الاطلس الكبير والمتوسط كما يضم اجزاء من المغرب الشرقي، يتألف من سلاسل مرفوعة، ركائزها ملتوية ومكسورة منذ بداية الثلاثي، وعرفت عدة دورات تكتونية تلت كل واحدة منها دورة تعرية سمحت محليا بتسوية السطح.

ـ ميدان رصيفي (مسيطي) يمتد على هضاب وسهول المغرب الأطلنتي ويضم الأراضي العليا من المغرب الشرقي. وهو عبارة عن مجال عرف التكتونية الالتوائية في نهاية الزمن الأول، وتمت تسويته بعد ذلك قبيل الترياس ثم بقي مستقرا منذ ذلك الوقت بحيث لم يعرف التقبُّب في بعض اجزائه التي اصبحت عرضة للتعرية ، بينما استقبلت اجزاؤه المتهدلة ببطء رواسب وتوضعات بعضها بحري .

ـ ميدان ريفي شمالا ، يكون جزءاً من الشريط المتوسطي التلريفي. وهو مجال متهدل منذ الزمن الثاني ظل مغمورا إلى الثلاثي وعرف خلال الميوسين ضغوطا بنائية قوية جعلت ركيزته تفقد استقرارها وينزلق بعضها على شكل طيات زاحفة نحو الجنوب، اي في اتجاه الأخدود الجنوب الريفي.

الميدان الجنوبي أو الصحراوي، هو رصيف قديم يرتبط بالدرع الإفريقي بحث لم يعرف إلا تشويهات ضعيفة منذ ما قبل الكمبرى. وتظهر القاعدة القديمة التي ترجع بعض اجزائها إلى أكثر من مليارين من السنين ملتوية بشدة ومسطحة داخل بهرات هي عبارة عن تقبُّبات للغطاء الرسوبي الأحدث تم فتحها من طرف التعرية. وهذه القاعدة القديمة تتكون من گرانيت وريوليت وشست. الرواسب التي تغطيها تعود للزمن الأول وتمتاز بسمكها من جهة، وبغلبة الطبقات الكلسية في مرحلة أولى، ثم الشستحْية في

مرحلة ثانية. وقد سمح هذا التغاير الصحاري في إطار بنية مائلة نحو الجنوب أو ملتوية من تشكيل تضاريس أبلاشية أساسها أعراف حثية واضحة كأعراف باني أو واركزيز وأحواض شستية واسعة كسهول تافلالت أو درعة.

وتنحني هذه الرواسب الاولية تحت الغطاء الحديث للحمادات والذي ينتمي للنيوجين (حمادات الساقية الحمراء ـ درعة ـ تندوف وگير) وهي عبارة عن هضاب كلس بحيري يعود للبليوسين. وتظهر تحتها حمادات اقدم تعود للطباشيري اكثر تقطيعا وتخديدا (حمادة العيون وحمادة تافلالت).

جنوبا، ترتفع القاعدة القديمة من جديد، وتبدو من جديد المظاهر الابلاشية قبل المرور الى هضاب من الگرانيت والصخور المتحولة تمتد حتى موريتانيا

هذا المجال الصحراوي الثابت، عرف على طول الساحل غمرا حديثا خلال البليوسين سمح بتغطية شريط واسع بطبقة من الحث والكلس. ما عدا ذلك ، يعتمد تطور السطح على النزعة التكتونية المحلية. فالمجالات المقببة معرضة للتعرية، بينما تعرف المنخفضات مثل منخفضات درعة تراكم مواد فتاتية قارية.

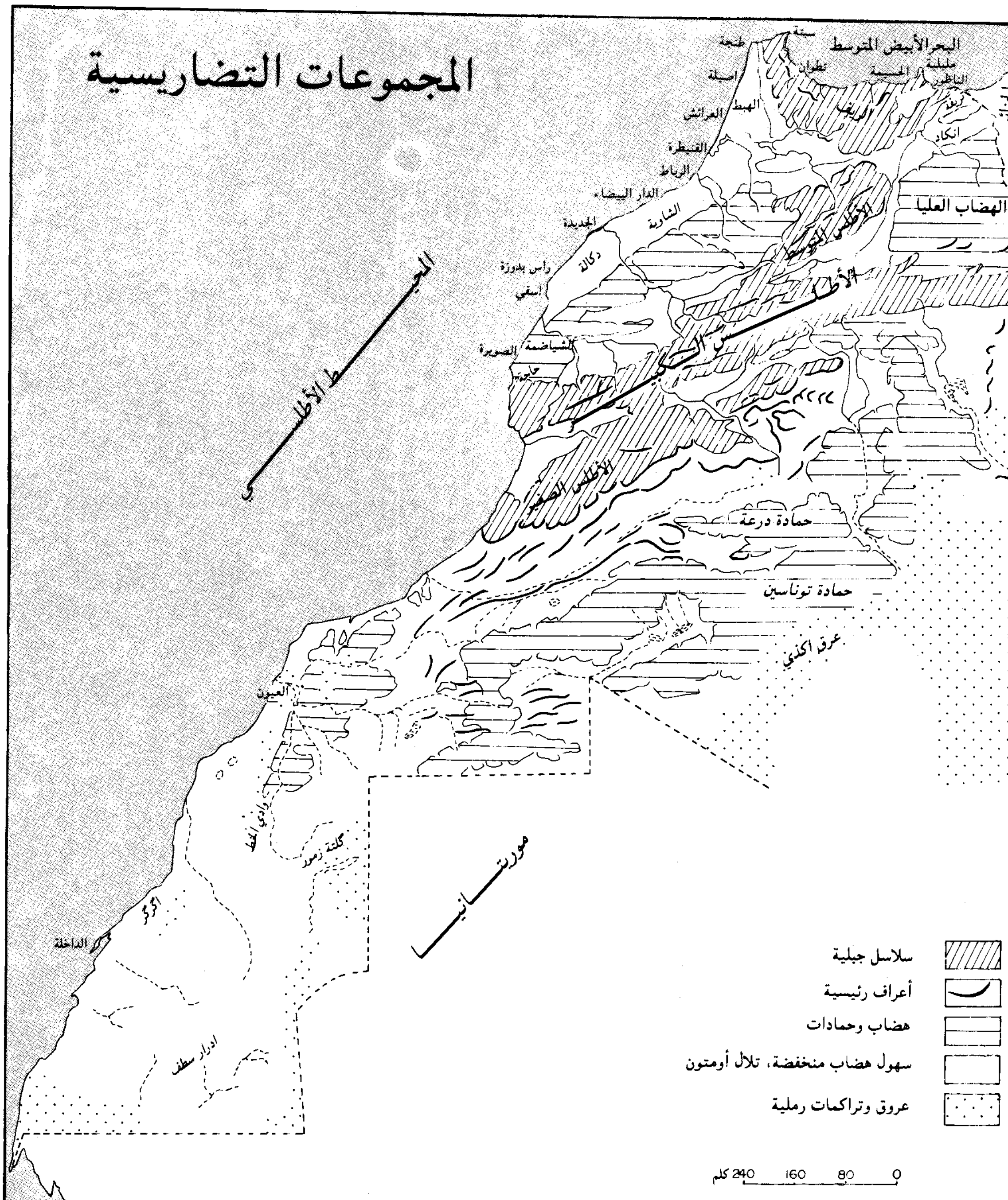


أرض المغرب

وبسبب الجفاف فان التشكيل يتخذ ميزة خاصة تتمثل في وضوح معالم الاجراف والسفوح، العارية من كل غطاء فتاتي أو ترابي، وتشكيل حادورات ممتدة عند قدم هذه السفوح والمرتفعات وتراكم المواد في المنخفضات التي تصبح عرضة امام التعرية الريحية واخيرا تكوين بعض الاحواض المغلقة الماء ريحية والتي ينزل بعضها الى مادون مستوى البحر (سبخة طاح).

الميدان الأطلسي، يمثل المجال الذي يتوسط المغرب. وهو عبارة عن حفر شريطية تكونت منذ بداية الزمن الثاني ارتباطا بالارتخاء الترياسي والجورسي الذي عرفته أرض المغرب. هذه الحفر غمرها البحر الميزوجي أي المرتبط بالبحر المتوسط القديم فرسب داخلها سمكا هائلا من المواد تطغى فيها السحنات الكربوناتية . وبعد تراجع البحر منذ نهاية الجوراسي انطلقت مرحلة بنائية بلغت أوجها في الانضغاط خلال الأيوسين. هذه الضغوط التكتونية هي المسؤولة عن تكوين سلاسل الأطلس الكبير والمتوسط وجبال شمال شرق المغرب إلا أنه حسب الصخارة والوضع التكتوني يمكن التفريق بين اربعة انواع من المرفوبنية.

فهناك مجالات ظلت مستقرة وطبقاتها أفقية أو متموجة لكن معرضة لحوادث انكسارية عنيفة. هذه حالة الأطلس المتوسط الغربي، والاطلس الكبير الاطلنتي، وكذا الكتل الانكسارية المكونة لجبال جرادة - دبدو. وسطوح هذه الهضاب مشكلة تشكيلا كارستيا في المجالات حيث تطغى الصخور الكلسية.

وهناك مجالات مكونة من أعراف ضيقة معزولة وسط منخفضات واسعة بعضها مقعرات حقيقية وأخرى قبات محدبة تم إفراغها. البنية عبارة عن التوءات واسعة الآفاق تتخللها محليا طيات ضيقة مرتفعة. هذه حالة الاطلس الكبير الشرقي شرق مركز الريش.

غرب هذا المركز يتخذ الاطلس الكبير شكل كتلة مرفوعة بشدة تصل قممها إلى أكثر من 3500 م ومكونة من محدبات ملتوية بشدة ومنكسرة. في الاطلس المتوسط الشرقي نجد نفس الوضعية البنوية متمثلة في عرفين ضخمين متوازيين يفوق ارتفاعهما 3000 م.

أقوى ارتفاعات الاطلس الكبير نجدها في ناحية مراكش. وترتبط هذه الارتفاعات ببنية خاصة تتمثل في قاعدة قديمة أولية قبل كمبرية، رفعت بشدة بحيث تمت تعريتها من الغطاء الرسوبي الجوراسي والطباشيري في الشريط الأوسط، بينما يظهر هذا الغطاء على شكل بقايا على الجانبين الشمالي والجنوبي.والقاعدة القديمة مجزأة الى كتل من طرف انكسارات متقاربة لها مدى مهم جدا. وبسبب التجانس النسبي للصخور التي تمتاز بصلابتها وتماسكها بسبب تعرضها لعدة مراحل التواء وتحول، فان اشكال التعرية الانتقائية نادرة، وتغلب أشكال الأعراف متماثلة الجوانب والمتفرعة في كل الجهات حسب تخطيط الأودية وروافدها. هذه الأخيرة تمتاز بعمقها الخاص وضيق تعدها.

بسبب الارتفاع الشديد وقوة الانحدار، تعد الجبال الاطلسية مجالاً له ميزات مرفلوجية خاصة : أولا أهمية التشكيل الموروث عن الفترات الرباعية الباردة والمتمثل في عدد من الحلبات الجليدية وحفر الارتاج، والعديد من الاشكال المرتبطة بالصقيع. ثانيا عنف التعرية فوق السفوح خاصة في المجالات المشكلة في صخور رطبة. أهمية الأشكال المرتبطة بالجريان النهري في قعور الأودية داخل الجبل وعند قدمه وذلك بسبب الصبيب المرتفع لهذه المجاري التي تتلقى تغذية مائية مرتفعة.

الميدان الميسيطي، غرب الأطلس وشرقه يمتد مجال يمتاز بضعف التشويه الحديث. سهول وهضاب المغرب الشرقي تكون رصيفا مستقرا منذ الزمن الأول أي منذ الدورة البنائية الهرسينية مستقرا منذ نهاية الزمن الأول أي منذ الدورة البنائية الهرسينية لم يسجل إلا محليا آثار التكتونية الأطلسية والريفية.

في المغرب الاطلنتي يمكن التفريق بين ثلاثة أنواع من الأوضاع البنيوية وذلك حسب التصرف الذي عرفته القاعدة القديمة المسطحة قبيل الترياس على أثر الحركات الهرسينية.

في الكتل القديمة عرفت هذه القاعدة تقببا بطيئا جعلها عرضة للتعرية. السطوح العليا بقايا التسوية التي حدثت عدة مرات منذ بداية الزمن الثالث، فترة الانتهاض. تحت هذه السطوح نجد التضاريس تختلف حسب نوعية الركيزة:

فهي تبقى كتلية إذا كان التركيب الصخري متجانسا كما هو الحال في الجبيلات أو في بعض أجزاء الهضبة الوسطى ؛ كما أنها تتخذ مظاهر ابلاشية إذا كان التركيب متنوعا عبارة عن توالي طبقات صلبة وهشة (الجهة الشرقية من الهضبة الوسطى - الخطوات)

بين الكتل القديمة المقببة نجد القاعدة قد عرفت منذ الطباشيري حركة نزول تدريجي توقفت في أواسط الزمن الثالث. هذه المجالات النازلة احواض رسوبية رتيبة ، جوانبها عبارة عن حافات مشكلة في إطار بنية وحيدة الميل. وتشتهر هذه الأحواض الرسوبية باحتوائها على مجموعة الطبقات الفوسفاطية في الطباشيري الأعلى والايوسين الأسفل (هضاب خريبگة واليوسفية) الشكل التضاريسي الثالث يتمثل في سهول عرف سطحها نزولا قويا خلال المراحل البنائية الحديثة . وتوجد هذه السهول على طرفي الهضاب الاطلنتية المرتفعة على شكل شريط ساحلي وآخر داخلي. الشريط الداخلي عبارة عن سهول قرب أطلسية عند قدم الجبل تمر بها أنهار هامة (أم الربيع وتانسفت وروافدهما) وتتلقى من الجنوب بمواد فتاتية هامة شكلت مخاريط تراكم. والشريط الساحلي اكثر تعقيدا حيث تحده هضاب لاتمده الامواد نشر دقيقة السمك، بينما مده البحر برواسب هامة تنتمي للبليوسين والميوسين. وقد تم تشكيل الفتاتات الرملية على شكل كثبان ريحية موازية للساحل، جلها أصبح مستقرا ومتصلبا.

في المغرب الشرقي، الوضعية اقل بساطة بسبب التأثر الواضح بالتكتونية الحديثة. فعلى جانب الاطلس المتوسط يمتد شريط من السهول المتهدلة (سهول ملوية) تشرف عليها شرقا هضاب مستقرة يغطي مجالاتها المنخفضة كلس بحيري نيوجيني لكن محليا تنبعث وسط هذه السطوح تضرسات ضيقة محدبية اصلها تشوه القشرة خلال مراحل الانضغاط الثلاثي.

يحد المجالين الأطلسي والميسيطي شمالا، مر ممتد هو عبارة عن حد فاصل بين المغرب الافريقي والمغرب المتوسطي التلي هذا الحد أخدود حديث تهدل بين الريف من جهة والمغرب المستقر من جهة اخرى فتلقى رواسب بحرية نيوجينية كما وصلته طيات زاحفة منزلقة من الريف. بعض اجزاء هذا الاخدود مازالت تعرف النزول إلى الآن (سهل الغرب).

المجال الريفي، هو قوس ممتد بموازاة البحر المتوسط تتكون بنيته من فرشات زاحفة من الشمال نحو الجنوب. وقد تم هذا الانزلاق خلال الميوسين. والسلسلة من النوع الألبي تتكون من عدة مجالات بنيوية على شكل اشرطة موازية للبحر . وهو أصلا أخدود انطلق تكوينه منذ الزمن الثاني وتلقى رواسب سميكة يغلب فيها الفليش. وتعود الحركات الى الميوسين الاوسط والاعلى حيث تقدمت الى الجنوب فرشات من الفليش اومن الصلصال وتراكبت بعضها فوق بعض.

هذه السلسلة المكونة أساسا من صخور هشة تعرضت لتعرية عنيفة بسبب اشتداد رفعها وتعمق الأودية فيها.

J. Despois et R. Raynal, *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest*, Payot, Paris 1965 ; A. Michard, *Elément de Géologie marocaine*, Notes et Mém. Serv. Géol, nº 252, 1976.

عبد الله العوينة

**الأرض بالمغرب** (الملكية والاستغلال)، إن دراسة مسألة الأرض تتطلب بالضرورة تحليل الروابط السوسيو - قانونية الموجودة بين الناس (فرادى أو جماعات) وملكية الأرض، وهي روابط تتحكم فيها العلاقات الاجتماعية والسلطوية بين الجماعات البشرية، والأنظمة القانونية السائدة (عرف وشرع وقانون حديث) والوسط الطبيعي. كما تتطلب هذه الدراسة أيضا تحليل العلاقات الموجودة بين مالكي الأرض ومستغليها وأشكال استغلال الأرض (رساتيق مزروعة Terroirs، مراعي، غابات...).

يتمتع المغرب بتنوع مناطقه الطبيعية (سهول، جبال، نجود...). وتتميز ست عشرة جهة طبيعية في مجموع البلاد هي :

1 ـ الريف، 2 ـ ما قبل الريف، 3 ـ متوسط سبو، 4 ـ هضبة الأطلنتيك، 5 ـ سهل الأطلنتيك، 6 ـ السهول الداخلية، 7 ـ سهل ملوية، 8 ـ الأطلس المتوسط، 9 ـ الأطلس الكبير، 10 ـ الأطلس الصغير، 11 ـ الهضاب العليا، 12 ـ جبل باني ـ درعة، 13 ـ 14 ـ حمادة و الصحراء، 15 ـ هدب الأطلنتيك، 16 ـ هدب البحر المتوسط.

موازاة مع هذا التنوع الطبيعي بالمغرب، نلاحظ أيضا تنوعا في قانونه العقاري (Ducroux, Bouderbala, Pascon) نتيجة وجود أنظمة قانونية متعددة تحكم علاقة الإنسان بالأرض، واختلاف العمران، وتباين الثروات الطبيعية والبنيات الاجتماعية. وتتداخل هذه الأنظمة القانونية فيما بينها إلى حد يصعب معه دراسة مختلف تطوراتها، خصوصا وأنها غير محددة بما فيه الكفاية، وأن المعطيات المتوفرة حول توزيع الملكية العقارية لا تخلو من عيوب.

لا تمكن الاحصائيات الوطنية الرسمية بهذا الصدد من القيام بمقارنة فيما يخص تطور الملكية العقارية. وهكذا فإن الإحصاء المتعدد الأهداف (1961) اهتم على الخصوص بملكيات الأسر القروية في الوسط التقليدي، أما التحري الأولي (1969) فقد اهتم بالاستغلاليات الزراعية في الوسط "العصري"، أما التعداد الفلاحي (1973 ـ 1974) وهو المصدر الرئيسي في الوقت الراهن، فيركز على الاستغلاليات الفلاحية.

ومهما يكن فسنحاول بلورة بعض العناصر الأساسية المرتبطة بعلاقة الإنسان بالأرض، وكذا تداخل العلاقات بين مختلف الأشكال السوسيو ـ قانونية المنظمة لاستغلال الأرض. وفي هذا الإطار تتطرق لموضوع الأرض قبل الحماية وخلالها، ثم في مرحلة الاستقلال لنختم بالحديث عن بنيات استغلال الأراضي.

1 ـ الأرض قبل الحماية :قبل الفتح الإسلامي، لم تكن الأرض، التي كانت في ملك القبائل البربرية، تعرف الحدود القارة، وكان استعمالها خلال هذه الفترة يعتمد بالأساس على تربية المواشي والزراعة المتنقلة Culture itinérante كما كان النظام العقاري محكوما بالظروف الطبيعية أكثر مما تتحكم فيه العلاقات الاجتماعية (بودربالة، 1977).

ومع الفتح الإسلامي حيث أصبحت جميع الأراضي، مبدئيا، في ملك الأمة، لم تعد القبائل المحلية تتمتع إلا بحق الانتفاع فقط، غير أنه ظهرت أشكال أخرى جديدة من الملكية نذكر منها :

ـ أراضي الملك : وهي التي كانت في ملك الفاتحين العرب.

ـ أراضي الخراج : وهي التي كانت لبعض القبائل.

ـ أراضي الدولة : وهي تلك التي لا مالك ولا وارث لها أو تمت مصادرتها. وتجدر الإشارة إلى أنه في بعض المناطق (فحص طنجة مثلا) لم يكن هناك تمييز واضح بين أملاك الدولة وأملاك السلطان. وهذه الأراضي هي التي تحولت فيما بعد إلى إقطاعيات لبعض الأعيان أو الشرفاء أو المؤسسات الدينية، أو حتى لأراضي الجيش.

يميز الكراوي (1985) بين ثلاثة مناطق كبرى فيما يخص ملكية الأرض :

أ ـ مناطق الملكية الجماعية : (أراضي شبه قاحلة في الجنوب والنجود الداخلية) كانت المجتمعات المحلية المنظمة

بشكل انقسامي Segmentaire (قبيلة، فخذة، عظم ..) تعيش بالأساس على تسيير وتنظيم مواردها الطبيعية وأراضيها الفلاحية. وبما أن الماشية كانت وسيلة إنتاجية أكثر أهمية من الأرض، فإن تمركز ملكية المواشي في أيد محدودة، كان يؤدي عمليا إلى حرمان باقي الجماعة من حقوقها في الرعي.

ب ـ مناطق الملك العائلي : (مناطق جبلية) من ميزاتها أن الأرض والماء كانا على الدوام موضوع صراع ونزاع بين مختلف الجماعات، وكان ملك الأرض العائلي على الشيوع وغير قابل للتفويت، لكن الجماعة كانت تمارس حق المراقبة على شكل استغلالها، بتملكها لكل أرض لا وارث لها أو غير مستغلة. وتجب الإشارة هناك إلى أن تملك الأرض لم يكن عامل تمايز اجتماعي بين العائلات.

ج ـ مناطق الملكية الفردية :(السهول، أحواز المدن...) كانت الأرض التي تمون المراكز الحضرية محل معاملات عقارية، هذا الشكل من الملكية أقل أهمية نسبيا نظرا لما يلي :

- إن النمط الجماعي لاستغلال المجال يفرض تجانسا قبليا كبيرا يحول دون ظهور أي سلطة شخصية.
- حق السلطان البارز في الملكية، الذي لا يشجع على وجود سلط محلية أو تملك خاص للأرض (Lazarev، 1968).
- مستوى الاندماج الضعيف للاقتصاد المغربي في اقتصاد السوق.

لقد كان التمتع بالأرض، سواء بالنسبة للقبائل أو العائلات أو الأفراد يخضع لعدة عوامل من بينها : الانتماء للجماعة والمراقبة الاجتماعية التي تمارسها هذه على الأرض (إلزامية الاستغلال، المشاركة في الأشغال الجماعية).

وعموما، نجد قبيل التدخل الكولونيالي أشكالا متعددة من الملكية :

ملكية المخزن ؛ ملكية الزعماء المحليين (قياد...) ؛ الملكية الخاصة (أفراد) ؛ ملكية الجماعات ؛ ملكية الزوايا (غالبا ما كانت تستغل بواسطة الخماسين) ؛ ملكية الجيش ؛ ملكية الحبس، وترعاها مؤسسات دينية أواجتماعية، تحول دون تقسيم الأرض وتفتيتها بين الورثة أو مصادرتها، كما قد يتوخى منها الرفع من المركز الاجتماعي لمحبِّسيها.

إن أشكال الملكية هاته هي بشكل عام نفس والأشكال التي نجدها حاليا في المجال القروي والحضري المغربي.

2 ـ الأرض خلال فترة الحماية : اهتمت السلطات الكولونيالية بالمسألة العقارية، واعتبرتها من الأولويات لأنها كانت مفتاح تكوين ثروة عقارية ووسيلة مراقبة سياسية شديدة على العالم القروي وضمانا لإعادة إنتاج الملكية الكولونيالية في أحسن الظروف. أما أدوات هذه السياسة العقارية، فكانت متعددة وتختلف حسب درجة مقاومة السكان. غير أن الوسيلة الأساسية هي التي تمثلت في إدخال قواعد الملكية كما صاغها القانون الحديث المغربي.

وتجدر الإشارة إلى أن تملك الأراضي من طرف الشركات الأوروبية والمعمرين قد بدأ قبل سنة 1912 (Lazarev 1977) غير أنه ازداد اتساعا مع التدخل الاستعماري في إطار نظام الحماية.

لقد مرَّ مسلسل نزع الملكية الذي نهجه الاستعمار عبر عدة قنوات، كالحجز وإرغام بعض القياد الكبار على تسديد ديونهم في شكل أراض، والعمل على تصفية أراضي الجيش، ومصادرة أملاك الأشخاص أو الجماعات المناهضة للتدخل الاستعماري، ونزع ملكية الفلاحين مع حصرهم في أراض جماعية خاضعة لوصاية الحماية وذات مردودية هزيلة.

وخلال هذه الفترة بدأت بوادر تفكيك الأراضي الجماعية نتيجة للنمو الديمغرافي واقتسام ملكية الأراضي أو توزعها بين المعمرين والشركات الأوروبية والأعيان.

ويشير الخياري (1987) إلى أن الحماية عزت إلى أراضي "الجموع" وظيفة مزدوجة : فهي في آن واحد مجال لتثبيت الاستعمار ودرع واق لتجنب أي نزع معمّم لملكية الفلاحين.

هكذا كانت الأملاك العقارية الكولونيالية (الخاصة والرسمية) التي استحوذت على أجود الأراضي تناهز 750000 هكتار سنة 1956. وقد كانت موزعة ما بين المعمرين وبعض الشركات ممّا أدى إلى تمركز في الملكية العقارية وتكوين أملاك عقارية واسعة. كما كان تحفيظ الأراضي أحد أهم وسائل تغلغل الرأسمالية الزراعية في البادية المغربية مع ما تتطلبه من حرية التصرف بيعا وشراء واستغلالا.

ويذكر پول باسكون في *أطروحته* في موضوع حوز مراكش أن الاستعمار الفلاحي استحوذ أيضا على أراض خلاء غير موزعة لا مالك لها سوى الدولة.

وممّا تميَّزت به المرحلة الاستعمارية أيضا، إدخال الغابة في نظام الأملاك العامة وتحديد قواعد استغلالها بعدما كانت تعود في السابق إلى الجماعات المحلية. ونتج عن كل هذا أن الجماعات غالبا ما كانت تجد نفسها محرومة من تسيير مواردها ممّا ساعد على الانقراض في المجال الغابوي، خصوصا وأن هذه المرحلة عرفت تزايدا مطردا للسكان وانخفاضا في مردودية الأراضي الزراعية والمراعي.

3 ـ مرحلة الاستقلال : تميزت هذه المرحلة بعملية توزيع الإرث الكولونيالي، وتدخل الدولة المغربية في المناطق السقوية. ويجب أن لا يحجب عنا تنوع الأنظمة العقارية وتضعضع بعض أشكال الملكية، المجهودات التي تبذلها المجموعات القروية في تنظيم مجالها وتسييره، وبالفعل، فإن هذه الجماعات تتمتع ـ خصوصا في المناطق الجبلية والنجود ـ بموارد مختلفة ومتكاملة (رساتيق زراعية مسقية

وبورية ومراع وغابات ومراع جبلية).

يمكن التمييز بين خمسة أنظمة عقارية أساسية :

أ ـ أملاك الدولة الخاصة : كانت مساحة هذه الأملاك تقدر منذ الاستقلال بما يناهز المليون هكتار مصدرها كما يلي :

| | |
|---|---|
| ـ أراض مسترجعة كانت في حوزة الاستعمار | 739278 هـ |
| ـ نزع الملكية | 26115 هـ |
| ـ إسقاط الأملاك العامة للدولة | 18318 هـ |
| ـ حيازة بطرق أخرى (هدايا، حجز) | 7151 هـ |
| ـ حيازات سابقة | 102525 هـ |

وقد عرفت مختلف هذه الأملاك منذ 1973 تقسيما جديدا شمل بالأساس عمليات توزيعها على بعض الشركات والإدارات التابعة للدولة في إطار "الإصلاح الزراعي".

يتضح لنا أن هذا التقسيم الجديد كان فعلا محل صراع ورهان، فقد وصل مجموع مساحات المالكين الخواص (الحضريين وكبار الملاكين) 230000 هكتار، في حين لم يتجاوز توزيع الأراضي على صغار الملاكين والعمال الزراعيين في إطار الإصلاح الزراعي نسبة 10 ٪.

يشمل قطاع الإصلاح الزراعي مساحة إجمالية تقدر بـ 327000 هكتار موزعة على 23600 مستفيد، موطرين في 708 تعاونية. وهو يتكون أساسا من أملاك الدولة الخاصة والأحباس والجيش وكذا أراضي الجموع عند تغيير نظامها. وكان توزيعها يتم على شكل قطع أرضية قابلة للاستغلال ومؤطرة تقنيا وماليا من طرف الدولة، ويلتزم المستفيد باستغلال هذه القطع بشكل شخصي.

وبالإضافة إلى هذا القطاع، تجلّى تدخل الدولة على مستوى البنيات العقارية في "ضم الأراضي" أي تجميع الرقع الأرضية في استغلالية واحدة، وهي عملية تمت في المساحات السقوية والمناطق المعتبرة "بورية" ويقدر مجموع ما تم ضمه 641000 هكتار تقريبا سنة 1985.

ـ إصلاح نظام الإجارة في المساحات السقوية، حيث أصبح الكراء الطويل الأمد، وحده المسموح به، وذلك من أجل تحقيق استقرار أكبر للمكترين.

ـ تشجيع تمليك أراضي الجموع، وتحفيظ العقارات. غير أن هذا النوع من تدخل الدولة لم يشمل حتى نهاية سنة 1980 سوى 2223486 هـ بما فيها الملكية الحضرية.

ـ تفويت أراضي الحبس إلى الدولة.

لقد كانت هذه الإجراءات جزئية ومحصورة في المناطق السقوية، كما أنها لم تتعرض لمشكل توزيع الملكية العقارية وتصفية أنظمة الاستغلال وأشكاله التي كانت تحول دون استعمال أفضل للأرض.. ولربما كانت هذه الأنظمة تشكل احتياطا عقاريا قادرا على امتصاص التوترات الاجتماعية الخاصة بالمسألة العقارية.

ب ـ أراضي الجموع : إن موقف الدولة من هذا النظام غير محدد بما فيه الكفاية. فبينما تقر بعض الإدارات أن التصفية التامة لنظام هذه الأراضي سيساهم في عصرنة القطاع الفلاحي، تذهب أخرى إلى اعتبارها وسيلة من وسائل الحد من الهجرة القروية. ومهما يكن فإن هذه الأراضي تطرح أكثر من مشكل فيما يخص استغلالها العقلاني والزيادة في مردوديتها، وفي هذا الإطار نلاحظ :

ـ أن صغر القطع الأرضية الجماعية يحد من كل استعمال للآلات الفلاحية الكبرى ويحول أيضا دون اللجوء إلى عملية تعاقب المزروعات Rotation بل وحتى من الحصول على القروض الفلاحية.

ـ أن امتلاك عقد تسجيل عقاري أو رسم ملك أشهد عليه العدول هو الشرط في الحصول على قرض للأمد القصير أو المتوسط أو الطويل من طرف صندوق القرض الفلاحي.

ـ أن النمو الديمغرافي الذي عرفته البلاد منذ الاستقلال أدى إلى حرمان بعض العائلات الشابة من حقها في استغلال هذه الأراضي مما دفع بها إلى الهجرة، وبالتالي إلى حرمان الوسط القروي من ثرواته البشرية.

ـ لا يتمتع المستفيد، حتى في حالة اقتسام هذه الأراضي، إلا بحق الانتفاع دون الملكية، وهذا ما يحد من استثمار أفضل.. غير أن هناك بعض الأراضي، خاصة في الحوز والغرب، شبه مملّكة وتستغل بشكل مكثف، ولكن أغلبها يستعمل كمراع.

وتقدّر هذه الأراضي بعشرة ملايين هكتار أي ما يناهز 1/7 المساحة الصالحة للزراعة. ولكن هذه المساحة تتناقص يوما عن يوم بسبب تزايد مساحات الملك الخاص.

ج ـ أراضي الملك : تعتبر "ملكاً" كل أرض محفظة أو معترف بها برسومٍ عدلية أو عن طريق الجيـرة. وتقدر بـ 74،3 ٪ من المساحة الصالحة للزراعة، ويمكن أن تكون النسبة أكثر بسبب انتشار "الملك" على حساب الأشكال الأخرى كالجموع والجيش وأملاكَ الدولة.

يتخذ الملك أشكالا متعددة منها الشراء والهبة والإرث وقانون "السبَقة" (تصبح الأرض في ملكية شخص إن كان أول من استغلها ولمدة عشر سنوات بدون انقطاع) والتمليك من طريق العدن Eppierge أو الاجتثاث Defrichement.

د ـ أراضي الجيش : تقدر مساحة هذه الأراضي بـ 319200 هكتار حسب الإحصاء الفلاحي لسنة 1973 ـ 1974، وتعتبر من ضمن أملاك الدولة الخاصة وهي تعرف نفس ظروف عدم الاستقرار واستمرارية الاستغلال مثل أراضي الجموع (انعدام المعاملات العقارية).

هـ ـ أراضي الحبس : تقدر مساحة هذه الأراضي بـ 83700 هـ (إحصاء 1973) موزعة على الصعيد الوطني ومجزأة إلى حوالي 195609 بقعة. وتتكلّف وزارة الأحباس والشؤون الإسلامية بتسييرها (كما كانت تفعل سابقا مع أحواز المدن) وبتقسيمها قطعا أرضية بالنسبة للمراكز الحضرية. ومن خصائص هذه الأراضي التغير المستمر لمكتريها مّما يحول دون أي استثمار منتج. الملاحظ أن حبس

الأراضي أو وقفها أصبح نادرا في الوقت الراهن.

بنيات استغلال الأرض. إذا كانت الأنظمة أو القوانين العقارية محددة بعوامل اجتماعية وتاريخية وسياسية (الإسلام، الاستعمار، الاستقلال...) فإن طرق الاستغلال يحددها بالأساس حجم الوحدات الإنتاجية والعوامل الطبيعية (مناخ، تضاريس)

تُبيِّن المعطيات الإحصائية الرسمية أن :

- المساحات الصالحة للزراعة تقدر بـ 7،2 مليون هكتار أي ما يقارب 1 ٪ من المساحة الاجمالية للتراب الوطني.

- معدل مساحة "الاستغلالية" Exploitation يقدر بـ 4،9 هكتار موزعة على ست بقع Parcelle (تشير معطيات مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية لسنة 1978 - 1980 إلى أن 8 ٪ فقط من المالكين يتوفرون على بقعة واحدة).

- حوالي 70 ٪ من الاستغلاليات لا تتجاوز مساحتها 5 هكتارات وتمثل 23،4 ٪ فقط من المساحة الصالحة للزراعة، بينما 4،4 ٪ من الاستغلاليات تشمل 32،2 ٪ من هذه المساحة.

توزيع عدد المستغلين والمساحات المزروعة (1981 - 1982 اعتماداً على وثائق مديرية الاستثمار الفلاحي).

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| أقل من 5 هكتار | 963500 | ٪ 68،8 | 1861000 | ٪ 23،4 |
| من 5 إلى أقل من 20 | 374600 | ٪ 26،8 | 3528000 | ٪ 14،4 |
| من 20 إلى 50 | 48900 | ٪ 3،5 | 1349100 | ٪ 17 |
| 50 هكتار فما فوق | 12400 | ٪ 0،9 | 1213800 | ٪ 15،2 |
| المجموع | 1399400 | 100 | 7951900 | 100 |

- إن نمط الاستغلال المباشر هو السائد، إذ يشمل 87،4 ٪ من المساحة الصالحة للزراعة، بينما نجد نمط الاستغلال غير المباشر متمركزا على الخصوص في ضواحي المراكز الحضرية. وهذا ما يؤدي إلى تنوع في عقود الشراكة (بيزرة، Métayage إكارة fermage، الخماسة...)

وتتنوع مساحات تملك الأراضي حسب إحصاء 85 / 1986 على الشكل التالي :

| المساحة بالألف هكتار | | النسبة |
|---|---|---|
| الأراضي الصالحة للزراعة | 7720 | 11،2 |
| تشجير الخواص، الدولة، الجموع | 345 | 0،5 |
| غابة طبيعية | 4750 | 6،9 |
| نبات الحلفاء | 2650 | 3،8 |
| المراعي | 20900 | 30،3 |
| أراضي غير زراعية | 32635 | 47،3 |

يُبين الجدول أعلاه أن الأرض الصالحة للزراعة لا تمثل سوى 11،2 ٪ من المساحة الإجمالية للبلاد، وهي تستغل أساسا في زراعة الحبوب والبقوليات (91 ٪) مع العلم بأن 50 ٪ من زراعة الحبوب تتم فيما يسمى بالمناطق البورية الصالحة bour favorable.

أما المساحات الغابوية فهي ضعيفة وذلك ناتج عن استغلالها المفرط (تموين المتروبول وخصوصا خلال الحرب العالمية الثانية، النمو الديمغرافي...).

لا يمكن للقطاع الغابوي أن يستمر محفوظا بدون تكثيف عمليات التشجير ومحاربة انجراف التربة (والملاحظ أن عملية التشجير عرفت نشاطا ملحوظا نسبيا من 1956 إلى 1980 وذلك بمعدل 17000 هكتار سنويا، ويأمل مخطط البرنامج الوطني للتشجير الوصول إلى معدل 25000 هكتار سنويا.

ومن جهة أخرى، شملت عملية المحافظة على التربة وتقويتها (D-R-S) خلال سنوات 1956 / 1981 ما قدره 227.173 هكتار موزعة كما يلي :

| | |
|---|---|
| تهيئة الغابات - المراعي | 28258 |
| الدكات Banquette الغابوية | 80891 |
| دكات الشجر والحبوب | 76891 |
| تثبيث التلال الرملية | 18902 |
| أشغال مختلفة | 22528 |

المصدر، *المياه والغابات*، 1981 ؛ *مديرية الاستثمار الفلاحي*، 1986، *الفلاحة في أرقام*، منشورات وزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي.

J. Berque, 1945, *La question agraire au Maroc, nouvelle politique rurale de la France au Maroc*, C.H.E.A.M, Paris ; A. Benabdellah, 1988, *Gestion de l'espace et systémes de production chez les Aït Ougondid (haut Atlas Central)*, I.N.A.U, Rabat ; N. Bouderbala, 1977, *Formation du système foncier au Maroc in "La question agraire nº 2*, Bulletin économique et social du Maroc nº 133-134 ; T. El Khyari, 1987, *Agriculture au Maroc*, Ed. Okad, Rabat ; D. Guerraoui, 1985, *Agriculture et développement au Maroc*, Ed. Maghrebines, Casablanca, Publisud Paris ; Collectif, 1985, *Conditions socio-juridiques de l'utilisation des ressources naturelles et des terres cultivées* - U. E. 3. Projet FAO / P.N.U.D, Rabat ; G. Lazarev, 1968, *"Les concessions foncières au Maroc - Contribution à l'étude des domaines personnels dans les Campagnes marocaines"*, in B.E.S.M; G. Lazarev, 1977, *Aspects du capitalisme agraire au Maroc avant le Protectorat, in les Problèmes agraires au Maghreb*, Ed. du C.N.R.S ; Paris ; P. Pascon et M. Ennaji, 1986, *Les paysans sans terre au Maroc*, Ed. Toubkal, Rabat ; P. Pascon, 1977, *Le Haouz de Marrakech*, Tome 1.

عبد المجيد بنعبد الله / تر. عز الدين العلام

**أرعاه** مولاي محمد ← يرعاه

**أرْغَنْ**، ترد في الكتب العربية باسم هرغة وهو اسم مجموعة بشرية، تقع مساكنها اليوم جنوبي تَافِينْگُولْتْ وشرقي تارودانت. وتجاورها المجموعات البشرية الآتية :إيداوْنِيضِيفْ و إيدَاوْزْدُّوتْ جنوبا، وإِينْدَاوْزَالْ شرقا، والمنابهة شمالا، وإِيْدَاوْفِينِّسْ غربا.

ويبدو أن موقعها المذكور هو نفس الموقع الذي كانت تحتله منذ القرن السادس الهجري (12 م) على الأقل. وكانت إِيگلي المعروفة في الكتب التاريخية واقعة داخل ترابهم، وهي التي كانت تعرف - حسب عبد الواحد المراكشي مؤلف المعجب إيگلي ن - وارْغَنْ.

اشتهر أرْغَنْ في التاريخ، لأن محمد بن تومرت، مؤسس الدولة الموحدية، كان منهم. ولأنهم كانوا أول من استجاب لدعوته وناصروه. وحينما استقر بـ تينملّ في وادي نفيس، استقرت معه فيها مجموعة منهم، واحتفظت

بنفس الاسم. وتعرف برْغَنْ أو هرغة نفيس، تمييزا لها عن هرغة سوس.

وقد كان مقامهم في الترتيب الموحدي مقاما رفيعا، خصوصا بعد أن قوي الإمام المهدي بن تومرت صفوفهم، بمن أضاف إليهم من "قبائل " ـ كان ينتمي جلها إلى إيمي نْ ـ واسيفْ أو سوس الأعلى حيث يوجد "أرْغنْ" كذلك ـ وبمن آخى معهم من شخصيات موحدية بارزة كالخليفة عبد المومن بن علي وغيره.

وتجدر الإشارة إلى أن محمد المختار السوسي ذكر في الجزء الرابع من *خلال جزولة*، أن عائلات من أرْغنْ سوس، ما زالت تحتفظ بذكرى انتمائها النسبي إلى الإمام المهدي بن تومرت.

واذا كانت هرغة سوس قد خبا ذكرهم، بعد سقوط الدولة الموحدية ـ وربما قبل ذلك، فإن "أرغنْ" نفيس برزوا في القرن الثامن عشر الميلادي ـ حسب كتاب *رحلة الوافد* ـ برئاسة، شيخهم يحيى بن عبد الكريم الهرغي صديق شيخ زاوية تاسفت، بروزا ليلعبوا دورا هاما في الأحداث التي وقعت بين سكان المنطقة وباشا مراكش من قبل المولى إسماعيل، عبد الكريم بن منصور التكني.

البيذق، *كتاب أخبار المهدي*، ص. 37 ومابعدها ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، 262 ؛ ابن خلدون، *تاريخ البربر* ( ترجمة دوسلان، 2 : 258 ومابعدها) ؛ عبد الله بن إبراهيم، *رحلة الوافد*، 18، 21، 58؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 83 ومابعدها ؛ ع. بنمنصور، قبائل *المغرب*، 1 : 326 ؛ م. السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 163 وما بعدها.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, 30, 63, 201.

صدقي علي أزايكو

**الأرْغِي، عمر** بن عبد العزيز بن عبد المنعم الكرسيفي أصلاً، الأرغي استيطانا وإقبارا، العثماني نسبا، زينة عصره وفريد دهره.

كان من المشاركين المحققين في فنون العلوم فقها ونحوا ولغة وبلاغة وتفسيرا وحديثا ومنطقا وتصريفا، حيسوبياً فرضيا أدبيا بليغا بارعا شاعرا مفلقا مفوها له قصائد ومقطعات وفتاوى وأجوبة. وفي *سوس العالمة* (ص 195 ـ 196) ، لائحة بأسماء مؤلفاته.

ومن مساجلته قرينه الأديب محمد بن عمر الإسغركسي قوله : وقد حضرت أبيات ظالعة المشية، فارعها بارك الله فيك النهية، واستر إن بدا لك نقد ، ففي الفكر من الشيب، ومن همٍّ هذا الزمان الصعب وقد نصها :

نفثت بأذنى السحر أو شعرك الصرفا ... ولفظك هذا أم مكالمة الذلفا
لقد أخذت منى قوافيك مأخذا ... عظيما كأنّي قد سُقيت بها صرفا

أخذ عن العالم الصالح المحدث محمد بن أحمد الحضيكي صاحب الطبقات المتوفي عام 119 / 1775. وهو من أجلِّ من تخرج بالشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي المتوفي عام 1175 / 1761 ومن أعظمهم قدراً، وأشهرهم ذكرا. فقد ذكر في بعض تآليفه أنه لازمه في زاويته مدة وطويلة، وأنه كان يخصه من بين طلبته بأشياء ـ لم بشر حتى لنوعها ـ وقد أمضى عمره بمدرسة إرْغ بلده في التدريس والتأليف والإفتاء به العامة والخاصة من الطلبة لاسيما في الحساب والفرائض، وقصده للأخذ عنه الجمُّ الغفير من آفاق سوس وغيره، وتخرج على يديه أفواج كثيرةمن جلة العلماء .

وكثيراً ماكان يوصى طلبة مجلسه على وجه النصيحة بالإعراض عن خطة القضاء وينشدهم الأبيات الآتية ويحضهم على حفظها وعلى استحضارها عند الاقتضاء وهي :

ألا فاعتبر يوم القضاء وفصله ... إذا حشر اللهُ الخلائقَ أفذاذا
فدع خطة القضاء ويحك لا ترم ... ولو كنتَ قد ولّيتَ مصراً وبغداذا
إذا قيل مَنْ هُو أحمقُ الناس كلّهم ... أشرتُ إلى القاضي وقلتُ لهم هذا

ولم يزل مشمرا عن ساق الجد والاجتهاد في نفع العباد إلى أن ختمت أنفاسه الطاهرة بالطاعون الواقع عام 1204 / 1800. وقد بنيت عليه وعلى ذويه قبة في إرْغ من قبيلة إداوكنصيف تقام حولها حفلة سنوية تخليداً لتلك الأعمال الجليلة التي كان يقوم بها هذا العلامة الصالح.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 195 ؛ *المعسول*.

رشيد المصلوت

**أرْغِي، محمد** بن الجيلالي. ولد سنة 1922 بتامجولت بملحقة أجدير دائرة أكنول، عمالة تازا.

انخرط في جيش التحرير حيث ألحق بفرقة بوسكورة سنة 1955. فانتظم داخل الوحدة التي كانت تحت قيادة السيد عمر الحريزي، ومن هذه الجبال كان يقوم بجانب رفاقه الثوار بهجومات منسقة ضد مراكز العدو ودورياته المتنقلة ما بين تيزي وسلي وبورد، أو بتعبير آخر منطقة مثلث الموت الذي كان يثير الهلع في صفوف القوة الاستعمارية. وخلال هذه الهجومات والاشتباكات كان الشهيد يتعرض لعدة جروح بالغة بجسمه بسبب نيران العدو أو إصابته بشظايا القنابل، فتوفي متأثراً بجروحه وذلك في أوائل سنة 1956.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومة وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**أرفالة**، وهرفالة (إرْفالْنْ؟)، فخدة من قبيلة هنتيفة الدير، تتكون من عناصر صنهاجية انضوت قديما تحت لواء اتحادية هسكورة، تقع مواطنها جنوبي مركز أولاد عَيَّاد، على بعد حوالي 46 كلم غربي بني ملال. (*الدرة الجليلة*، 1: 42، هامش 142). وقد اشتهرت أرفالة في المنطقة، خلال القرن 12 / 18، بسبب إقامة أحد تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي وهو المدعو أحمد بن الحسين الهرفالي بها، والذي قدمه الشيخ المذكور لتلقين الأوراد الناصرية بأيت وازْرت، إحدى فرق أرفالة (*الدرة الجليلة*، 2 : 344).

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ *تحريات ميدانية*.

أحمد عمالك

**أرفود**، واحة كبيرة من واحات إقليم الرشيدية (تافيلالت). وأرفود اسم لجبل صغير أطلق في بداية عهد

الاستعمار على الواحة التي لم تكن تعرف قبلاً إلاّ باسم تِيزِيمي.

تنبسط واحة أرفود شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، وتحيط بها من الشرق والغرب كثبان رملية كثيرة يقصدها السواح الأجانب للاستشفاء من أمراض المفاصل : رمال مرزوقة شرقا على بعد 15 كلم، ورمال إرْدِي غربا على 8 كلم. جوّها صحراوي شديد الحرارة صيفا شدِيد البرودة شتاء.

تتصل الواحة من شرقها الغربي بواحة الجرف المشهورة بمياهها العذبة وبحقولها الخضراء، وعلى جنوبها واحة تافيلالت. أما شمالها ففيه واحة الرتب. تكثر أنواع النخيل وبعض الفواكه بواحة أرفود، ويتميز ماؤها بدرجة من الملوحة مما يجعله غير مستساغ للشرب، وبشمالها الشرقي تفجرت أخيرا "عين الله".

تشتمل أرفود على عدة قصور، أشهرها قصر المعاضيد والهِبِيبَات والشياحنة. يتكلم سكانها باللسان العربي ويرجعون في أنسابهم إلى عرب الصباح، ويوجد منهم الصنف المدعو بالحراطين وهو قليل. ويتميزون على العموم بالذكاء والفطنة والفطرة السليمة والجدية، والاستقامة والسلوك الطيب. ويعتمدون في كسب عيشهم على الفلاحة، والتجارة، وبعضهم يضطرّ إلى الهجرة خارج المغرب وداخله.

ص. بلعربي، *المغرب* ؛ *استطلاع ميداني*.

محمد العلوي الأوفوسي

**أرگازْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث توجد أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Orgaz نسبة لمدينة تقع بناحية طليطلة، ويبدو أن هذه الأسرة عندما جاءت من الأندلس استقرت أول مرة بقبيلة الحوز المجاورة لتطوان قبل أن تنتقل إلى هذه المدينة، والفرد الوحيد الذي حفظ لنا التاريخ اسمه هو الفقيه محمد بن محمد أرگاز الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1204 / 1790.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 23 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan 1921* ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929, (A) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español 1949* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**أرگانْ** ، ـ نبات ـ اللوز البربري، نوع نباتي هو أرْگَانْيَا سْپِّينُوزَا Argania Spinosa. وأرگان ينتمي إلى فصيلة السبوتيات Sapotaceae التي تنتشر أجناسها بالمناطق المدارية. لكن أرگان، هذا النوع المحلي الأصيل يميز في الواقع دون غيرها المنطقة الوسطى من الساحل الاطلسي المغربي. وكان ابن البَيْطار قد أشار إلى وجود هذه الشجرة بالمغرب الاقصى، حيث سماها باللوز البربري، وذلك في القرن السابع الهجري (13 م).

الصفات النباتية : أرگان شجرة ذات تاج كبير ومستدير، لكن جذعها قصير وغير مستقيم، ومكسو بقشرة مشققة تشبه جلد التمساح. فروعه كثيفة وذات أشواك متعددة وصلبة. أوراقه ملعقية الشكل وشبه نفضية، إذ أنها تتساقط بعد مدة طويلة من الجفاف. أزهاره صغيرة وذات لون أبيض وتظهر في فصل الربيع لتعطي ثمرات عنبية، وحجمها أكبر بقليل من ثمرة الزيتون.

التوزيع البيوجغرافي : يغطي أرگان حاليا حوالي 700.000 هكتار موزعة ما بين الصويرة وإِفْني، على سهول عبدة والشياظمة وحاحا وسوس وماسة وسفوح الأطلس الكبير والاطلس الصغير الغربيين. وبعيدا عن هذه المنطقة تصادف محطتان لأرگان لا تتعدى مساحتهما بعض الهكتارات ؛ الأولى بوادي گرو شرقي الرُّمَّاني، والثانية ببوغريبة غربي بركان. والجدير بالذكر هنا هو أن تشكيلات أرگان كانت تغطي إبان الزمنين الثلاثي والرباعي مساحات شاسعة. والسبب في تقلصها هو كثرة أمطار الرباعي من جهة، وتأثير عوامل التدهور من جهة أخرى.

تظهر تشكيلات أرگان ابتداء من مستوى سطح البحر إلى حدود 600 متر من الارتفاع. ويمكن أن تصادف حتى إلى حدود 1.300 متر من الارتفاع على الواجهة الجنوبية لجبال الأطلس الكبير والأطلس الصغير. وهذا يجعلها تعيش في الطابقين ما تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ.

أما من حيث البيومناخ فإن أرگان يقطن بالمناطق الجافة وشبه الجافة واستثنائيا الجافة جدا. وفي هذه الحالة الأخيرة فهو لا يخرج عن مجاري الوديان الموسمية. ويجب أن تكون هذه المناطق البيومناخية حارة في أغلب الاحيان أو معتدلة.

تتكيف تشكيلات أرگان مع جميع أنواع الصخور والأتربة باستثناء الرملية منها وهي غير مستقرة. وأهم الأنواع المصادقة هي التربة الكستنائية والتربة الرمادية السهبية.

ونظرا لكون أركان يمتد على مساحات شاسعة فإن هذه الشجرة تنظم عشائر نباتية متعددة تختلف حسب الظروف البيئية لكل منطقة من المغرب. فعلى الساحل نجد تشكيلات أرگان محتوية على عدة أنواع مكارونيزية مثل الدغموس اليوفربيوم الصباري. وفي منطقة الحوز يترك أركان المجال للسنط المغربي. وفي اتجاه المناطق الأكثر رطوبة نسبيا يظهر العرعار البربري.

الاستعمالات : يلعب أركان دورا مهما جدا في الميدان الاجتماعي والاقتصادي للناحية التي يوجد بها. فخشبه وإن كان صلبا فإنه يستعمل في النجارة، وفي التدفئة، ويعطي فحما ممتازا. أما أوراقه التي تكون مرعى معلقا فهي تعتبر المصدر الوحيد لتغذية الماعز في الفصول الجافة. وحتى ثماره تدخل في تغذية الماشية كعلف رفيع لكن البذور الملقاة أو الملتقطة تعطي زيتا يستعمله الإنسان في مأكولاته.

وبالإضافة إلى كل هذه الخدمات فإن المُشَرِّع أباح للقبائل التصرف في تشكيلات أركان المجاورة، والحرث فيها لزراعة الحبوب بشرط أن تكون الأرض منبسطة.

L. Emberger, *Les Arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Benabid, *Les Ecosystèmes forestiers, préforestiers et presteppiques du Maroc*, Forêt méditerranéene, t. VII, 1, 1985 : 53-64.

عبد المالك بنعبيد

**أرْگانْ.** - زيت -. بعد الإعلان عن موسم جني ثمار الأرگان المدعوّة تافْياشْتْ يهرع الأهالي في البوادي الجنوبية (منطقة حاحا) إلى جمع الثّمار. ويتم توزيعها بالقسط حسب الأعراف المتبعة في هذا الشأن. تُجمع الثمار الطازجة والخضراء التي لم يكتمل نضجها بعد، وتعرضُ في الشمس لتجفّ. وبعد ذلك تفصل النساء القشور الخارجية المدعوة "آليـگ" عن الثمرة، وتقدم هذه القشور طعاما للبقر والغنم والإبل. في حين تشقُّ الثمار أو الحبّات المدعوة "أقيْنْ" لاستخراج النّوى البيضاء الموجودة بداخلها.

وتتم عملية الشق على أحجار يكون الواحد منها على شكل سندان صغير الحجم يدعى بـ "أسْرُكْ"، تضعه المرأة أمامها، وهي جالسة، فتضع حبّة الأرگان على سندانها الحجري فتشقها بحجرة أخرى صغيرة تملأ قبضة يدها، وتدعى هذه الحجرة ب "تاوْنْتْ" وتُسفر ُعملية الشق عن استخراج نوى بيضاء هي لبّ الثمرة. وتدعى هذه النوى بـ "تزْنينْ". وتعزل هذه الأخيرة عن القشور المدعوّة بـ "إرْكَن" الصالحة لإشعال نار الأثافي في المطبخ.

وتؤخذ هذه النوى البيضاء أو تزنينْ. فتجمعُ في آنية نظيفة، توضع بعدها في إناء فخاري يدعى "بتافْلُونتْ" للقلْي. وأثناء تحركُ النوى بعظم كتف الخروف عادة وهذا التحريك ضروري لكي لا تلتصق النوى بقعر الإناء فتحترق المادّة الزيتية التي تنطوي عليها كل نواة.

بعد عملية القلي تُجمع النوى وتضعُ في طبق خاص من الأسل يدعى بـ "إسْگي" وتتم غربلتها لفصل النوى عن قشورها الرقيقة وشغافها المحترق. وأثناء الغربلة، تتطاير تلك القشور والشغاف في إيقاع رتيب حسب تحريك المغربلة للطبق من أسفل إلى أعلى ومن أعلى إلى أسفل في حركة دائبة. وهي في حركتها تلك لاتنتي تُصفر، دافعة القشور المتطايرة في الهواء بعيدا عن الطبق حتى لاتقع فيه ثانية. وتدعى الغربلة بهذه الصورة بـ "أزواي" لدى أهالي المنطقة.

بعد عملية الغربلة تؤخَذَ النوى إلى الرّحى المدعوة ب "أزرك" وتهيء الطاحنة رحاها حتى إذ تأكد ت من سلامة الرحى من أي عيب "كالصدوم والانشقاقات والخدوش والأخاديد التي قد لا تساعد في طحن النوى طحنا تامّا ؛ يتم التأكد من سلامة العمود الخشبي الغليظ والقصير المثبت عادة في الشق الأعلى من الرحى في جانب من جوانبها. ويراعى في هذا العمود الخشبي الذي يدعى يد الرحى أو أفوس "أوزرك" أن يكون ثابتا في مكانه صالحا للإمساك به. وتضع الطاحنة سورا قصيرا من عجين الدقيق والماء على حافة الحجرة السفلى من الرَّحَى تحسُّباً لأي فيضان للعصير الذي ستسفر عنه عملية الطحين بما بعد.

ويوضع إناء في أسفل الرحى عند مجراها، لكي يستقبل العصير المطحون.

وبعد هذه العمليات الأولية الضرورية تبدأ الجالسة إلى الرحى عملية الطحن في ظروف عادية، فتحمل حفنة من النوى المقلية من طبق الأسل وتضعها في فوهة الجزء الأعلى من الرحى، وتحرك يدها في حركة دائرية، فتحدث الرحى صوتا خشناً ناجما عن أصطكاك أحد الشقين بالآخَر. وتوضع حفنة أخرى من النوى المقلية في فوهة الرحى، ثم توضع حفنة ثالثة فرابعة إلى أن ينساب سائل بنّي اللون من مجرى الرحى نحو الإناء الموضوع أسفلها. وهذا السائل يكون ثقيلا ويستمرُّ سقوطه في الإناء إلى نهاية عملية الطّحن.

وبعد الطحن تبدأ عملية العصر إذ تأخذ العاصرة هذا السائل الثقيل، فتمزجه بالماء النقي، وتخلطه وتحركه بقوة في الإناء. ويستمر العجن إلى أن يطفو الزيت على الماء في الإناء، ويواكب ذلك هبوط كُتل العجين إلى قعر الإناء. وتؤخذ هذه الكتل من العجين إلى قعر الإناء. وتؤخذ هذه الكتل وتضغطها العاصرة بين قعر الإناء. وتؤخذ هذه الكتل العجينية صافي في اللون. وبعد استخلاص الزيت من ذلك العجين تضع العاصرة هذا الأخير على شكل كرات مفلطحة في إناء آخر، قصد تقديمها للإبل والبقر طعاما مامستساغا يدعى بتازگمّوتْ وتستمد عملية العصر بهذه الصورة إلى أن يفصل الزيت البني ذو الرائحة الزكية، عن كتل العجين البنية الفاقعة.

يوضع زيت الأركان المصفّى في قدور فخّارية تُدعى"بتگدّار". وقد يوضع في القنينات أيضا كما هو الشأن لدَى البعض في الوقت الحالي. بيد أن الحفاظ على هذا الزيت في القدور الفخارية يمنحُه من الطَعم والعتاقة ما لا تمنعه له القارورات المطاطية والزجاجية.

وتختتم عملية تهيئ زيت الأرگان، باحتفال صغير يتمثل في تحلُق أهل البيت حول العاصرة، ولاسيما الأطفال والعجائز والنساء عموما وبعض الرجال الحاضرين فتوزع على الحاضرين كريات صغيرة من عجين زيت الأرگان بطحين الشعير البذق الباكر المقلي المدعو بـ "أزنْبُو" ويدعى ذلك الخليط المقدم ، بـ "لْفْسيسْ" وبعد هذا الاحتفال الصغير تنتهي مراسيم عملية تهيىء زيت الأركان في المناطق الحاحية، في جو الحبور وتبادل لأحاديث عن جودة الزيت المهيأ.

ولزيت الأرگان استعمالات شتى في الحياة اليومية، لأهالي المنطقة الحاحية، فهو غذاء أساسي في طعام الإفطار ويدخل في تهييء طاجين الغذاء ويدهن به كسكس المساء كما تدهن به فتائل قنادل الإنارة، وتدهن به بعض الأخشاب والحطب لتسهيل عملية اشتعال النار في الأثافي، ويدخل في كثير من عادات المنطقة الحاحية، فهو

دهن للشعر عند الغيد، وهو رمز الخير الذي تحمله العروس إلى بيت زوجها.

مؤلف مجهول، *الاستبصار*، ص222 ؛ م. الزهري، *كتاب الجغرافيا* تح. الحاج صادق ضمن مجلة Bulletin des Etudes Orientales, t. 21, p. 189, Ed. 1968 Encyclopédie de l'Islam, (Nouvelle Edition), *Argan* ; Brunot, *Textes arabes de Rabat* II *Glossaire*, Paris 1952, 6-7. Monteil, *Contribution à l'Etude de la flore du Sahara occidental*, II Paris, 1953, n° 409 (avec une bibl.) ; A. Roux, *La vie berbère par les textes*, I Paris, 1955, p. 34-36.

المعاينة المباشرة هي معتمدنا الأساسي.

سعيد أديوان

**أرگانة**، مكان يشكِّل نقطة مهمة تاريخيا في الأطلس الكبير الغربي عبر الطريق الرئيسية التي تربط سوس بالحوزعبر إيمي نْتانوت، فقد ظلت دوما محلا لنزول القوافل على واد إيسن، فعرفت بنزالة الوادي. وتلتقى عندها طريقان تتجه إحداهما نحو تَمْزاوْرت فماسة التي ورد ذكرها عند البكري في القرن الخامس الهجري، والأخرى عبر بيباول نحو تارودانت.

إذن دور أرگانة كملتقى طريقي سوس جعل منها مركزا تحافظ السلطات المركزية والإقليمية على تأمينه، وكان المولى الحسن قد نزل بنزالة الوادي ـ أرگانة ـ لما كانت حركته إلى سوس سنة 1280 ـ 1863. وقد ظل المتُوگيُّون يعنون بنزالة أرگانة التي يتقاضون عندها الرسوم من المارة، وهي المكان الذي استقبل فيه خليفة المتُوگي، السيد العربي، أحمد الهيبة لما كان في حركته إلى مراكش سنة 1912. وقد تمكن المتُوگي من استعادة نفوذه على أرگانة منذ 1913 بمساعدة القوات الفرنسية إلى أن قررت السلطات الاستعمارية إقامة مركز إداري بالمنطقة فبدأت بإقامة مركز پيگودين جنوب أرگانة في يوليوز 1928 لكن اختارت أخيراً أرگانة، وأقامت فيها المركز الإداري ابتداء من شتنبر 1929، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت أرگانة مركزاً إداريا يضمّ مصالح مختلفة.

وأرگانة هي القيادة الحالية لثلاث قبائل من الأطلس الكبير الغربي وهي إداوْزيكي، وإداوْزَال، وإدا ومحمود.

J. Fuchs, *Evolution d'un grand commandement marocain, Le Caïd Mtouggi*, Bibliothèque du C.H.E.A.M.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 20 ؛ *تحريات ميدانية*.

محمد الزرهوني

**أُركَة**، جنس حيوان لبون من الحوتيات يمتاز بجسم ضخم. يعيش في أعالي البحار ويعد من أخطر الحيوانات البحرية. يتميز هذا الجنس عن باقي الحوتيات التي تضم الدلافين والتّخس والبال والهركول، بالزعنفة الظهرية والمتك الذي يحمل من 11 إلى 12 زوجة أسنان صغيرة وقوية تربطها عروق متينة.

من بين الأنواع التي توجد في البحارالمجاورة للمغرب نذكر الأركة Porcinus orca وشبه الأركة Pseudorca crassidens ويعرف كل منهما في المغرب باسم الأركة وهو مأخوذ من اسمها العلمي.

يمتاز نوع Porcinus orca برأس صغير وبزعنفة صدرية مسطحة وطويلة. الزغنفة الظهرية سوداء وتبلغ من العلو 1.80 مترا. الظهر أسود لامع، البطن أبيض ويمتد هذا اللون على الجوانب الخلفية كما يظهر ذلك على الرسم. توجد بقعة بيضاء وراء كل عين وكذلك خلف الزعنفة الظهرية. يتعدى طول الذكور أحيانا 9 أمتار بينما تبقى 6 أمتار هي الطول الأقصى للإناث. يتراوح الوزن مابين 900 و400 كلغ.

يسبح عادة غير بعيد عن سطح البحر وذلك بسرعة تتراوح ما بين 10.20 كلم في الساعة وتبلغ هذه السرعة عند الهجوم أو الإزعاج 64 كلم في الساعة وذلك في مسافات قصيرة. يعيش هذا الحيوان وسط مجموعات تتكون من خمسة الى عشرين فردا وأكثر. يتناجى أعضاء المجموعة بواسطة أصوات فوقية وصيحات حادة تفزع باقي الحيوانات المجاورة التي تولي مدبرة وتجتنب كل لقاء بهذا الحيوان الشرس الذي لا يقدر على مواجهته أحد. تهجم المجموعة أحيانا على البال فتقتلها (Dekeyser, 1955).

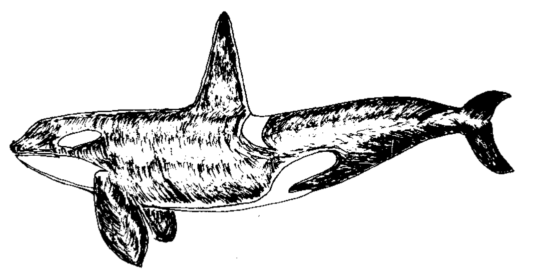

أركة

يتكون قوت هذا الحيوان اللاحم من الأسماك والفقم والرخويات وصغارالدلافين وأحيانا الطيور كالبطريق. يأكل في كل يوم من 50 كلغ من الأسماك. وجدت في بطن ذكر، في البحر الشمالي، 32 فُقمة ويبلغ من الطول 8 أمتار.

تدوم مدة الحمل مايقرب من 12 شهرا تضع الأنثى خلاله صغيرا واحدا يتراوح طوله ما بين 2 و2.5 أمتار. يبلغ سن الرشد بعد 3 سنوات ويعمر 20 سنة.

شوهد هذا النوع عدة مرات على السواحل الأطلسية المغربية وخاصة منها بين مضيق جبل طارق وطنجة وفي أعالي البحار بين الرباط والدار البيضاء ونواحي أگادير ولگويرة. لحد الآن لم يذكر هذا النوع على سواحل البحر المتوسط المغربية. يمتاز نوع Pseudorca crassidens بزعنفة صدرية مستدقة الرأس وزعنفة ظهرية صغيرة. يحمل كل فك من 8 إلى 11 زوج أسنان دائرية الشكل. الجسم أسود اللون والطول أقل من طول الأركة السابقة الذكر: 6 أمتار هو الطول الأقصى للذكر و5 أمتار للأنثى. الوزن الأقصى هو 1500 كلغ.

يعيش في جميع البحار إلاأنه يخشى المياه الباردة القطبية ـ إنه كباقي الدلافين يتنقل وسط مجموعات عديدة الأفراد. يأكل الأسماك الصغيرة والكبيرة وخاصة منها جنس النون.

يشتهر هذا النوع بكثرة جُنوحه على الشواطىء ويبقى هذا السر غامضا عند العلماء الذين ما زالوا لم يجدوا له تفسيرا. تضع الأنثى صغيرا واحدا يبلغ من الطول مابين 1,70 م ومترين، يصل سن الرشد بعد بلوغه 3,30م من الطول .

شوهدت مجموعة تتكون من 5 أفراد بين طنجة والجديدة سنة 1978، وقد أُخذت لها صور تذكارية وذلك لأنها ذكرت لأول مرة على السواحل الأطلسية المغربية .

A. Sayed et C. Beaubun, 1987, *Les Mammiféres marins du Maroc, Inventaire préliminaire*, Mammalia, S1 (3) : 437-446 ; M. Burton, 1976, *Tous les mammiféres d'Europe*, Ed.Elsevier, Paris ; J. Cadenat, 1949, *Notes sur les cetacés observés sur les côtes du Sénégal de 1941 à 1948*, B.I.F.A.N, XI (1-2) ; A. Cabrera, 1925, *Los grandes cetaceos del estrecho de Gibraltar, supesca y exploitacion*, Trab. del museo Sciencias natureles, Serie Zoologica, 52. P.L Dekeyser, 1955, *Les Mammiféres de l'Afrique Noire Française*, I.F.A.N. (I), 2e ed. Dakar.

محمد رمضاني

**أركْسيسْ**، مكان يقع على ساحل المحيط الأطلسي، جنوب سيدي إفني على الحدود بين قبيلتي مستي وصبويا الباعمرانيتين.

ارتبطت شهرة هذا المكان بالتنافس الأوروبي على احتلال المغرب أثناء النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ففي سنة 1880 / 1881 نزل بالمكان التاجر الانجليزي كرتيس Curtis ممثل "شركة أفريقيا وسوس"، مستنداً إلى موافقة بعض أعيان قبيلة صبويا.

استفاد كرتيس من توالي خمس سنوات عجاف، فأقبل على تصريف الأرز في قبائل أيت باعمران انطلاقا من أركسيس. وقد كان شروعه يتمثل في التمهيد لإبرام اتفاقية تجارية مع أعيان المنطقة تخول له حق تأسيس مركزتجاري يتولى حماية الأمن به جماعة من الوجهاء.

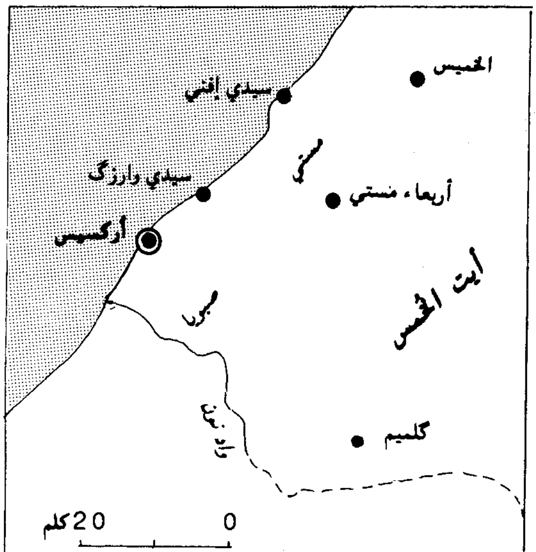


**أركسيس**

مارست الحكومة الإسبانية ضغوطا متوالية عى السلطة المركزية المغربية، مستندة إلى ما كانت تخوله لها معاهدة 1860 من امتيازات بسانتاكروز، التي ظل الخلاف قائما حول موقعها على القسم الجنوبي من الساحل الأطلسي. اختار ممثلو المخزن أركسيس ليكون مرسى مفتوحا للتبادل مع الأجانب تحت مراقبة المخزن، إذا لم يكن هناك بد من الاستجابة لرغبة الدول الأوروبية من جهة، وأعيان أيت باعمران وتكنة من جهة ثانية. غير أن الأهمية التي حظي بها أركسيس لم تلبث أن اختفت نتيجة التطورات التي عرفتها المسألة المغربية والتوسع الأوروبي في أفريقيا السوداء.

ع. ابن زيدان، *اتحاف*، ج 2.
E. Gerenton, *Les Expéditions de My El Hassan dans le Sous*, in Renseignements Coloniaux, nº 9, 1924.

علي المحمدي

**إرْگان**، ومنهم من يكتبها بجيم أو بقاف معقودة (*الإتحاف*، 1 : 233 / 5 : 277) ؛ وهي لفظة بربرية، معناها البخار، بصيغة الجمع المتصاعد من الأرض أو من الإناء (*التشوف*، 213، هامش 472). كما تطلق أحيانا على المنخفض من الأرض، في المناطق الجبلية. وإرگان مقر سكنى ومدفن الصالح المشهور ، أبي يعزي يلنور بن ميمون الهزميزي (*التشوف*، 213 ـ 222 ؛ *الجذوة*، 2 : 584). لذلك ارتبط ذكره بأبي يعزى. يقع غربي مدينة خنيفرة، ويعرف الآن بمولاي بوعزة. يذكر ابن زيدان أن سيدي عبد الرحمان المجذوب، لما رحل من تيط ؛ استقر بنواحي مكناس، "ونزل بموضع يقال له إرگان" (*الاتحاف*، 5 : 277).

ي. التادلي، *التشوف* ؛ أ. ابن القاضي، جذوة ؛ ع. ابن زيدان، الاتحاف، ج. 1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج.1.

أحمد عمالك

**أرگو**، اسم أمازيغي مشتق من إرُوگانْ، وهو البخار المتصاعد من الأرض أو الإناء. ويطلق على المنخفض من الأرض أو من الإناء. ويطلق على المنخفض من الأرض في المناطق الجبلية.

وأرگو مدشر يقع شرقي مدينة خنيفرة، على بعد حوالي عشرين كلم. وبما أن الاسم يحمل مضمونا طبيعيا، فإن إطلاقه قد جرى على أكثر من موقع. ومن ثمه عرفت في نفس المنطقة ثلاثة مواقع تحمل نفس الاسم : (أرگو أيت إحاندْ، أرگو اشْبُوكَة، بالإضافة إلى أرگو الذي نحن بصدد التعريف به. وهذا الأخير هو أشهرها. تشير رسالة بعث بها الشيخ محمد ابن ناصر المتوفي سنة 1085 / 1674 إلى فقراء أرگو، إلى وجود علاقة وثيقة بين الناصريين وبين أتباعهم، من سكان هذا المدشر، خاصة وأن الشيخ كان قد استناب ـ هناك ـ مقدما، لإعطاء العهد وتلقين الورد. (*رسائل ابن ناصر*). ولعل نسبة سكانه إلى التصوف قد أسهمت مبكرا، في تكاثر عمرانه ؛ كانت من بين الشروط التي جعلته من بين أقدم مراكز الاستقرار في منطقة سادتها حياة التنقل والنجعة. وفيما أورد أبو القاسم الزياني، بصدد

الحديث عن كيفية انتقال جده الشيخ علي بن ابراهيم من أرگو إلى مكناس، حوالي 1099 / 1687 ما يدل على أنه كان من بين مراكز الاستقرار اللافتة للانتباه (*الاستقصا*، 1 : 70) لما نزل السلطان مولاي إسماعيل بأدخسان قصد مدشر أرگو، وهناك اجتمع به شرفاء هذا المدشر (*البستان*، 36). وبه قرأ الشيخ الحسن اليوسي الروايات السبع على جد الزياني (*الترجمانة*، 58) . وبه أيضا توفي أحد الناصريين وهو محمد بن موسى ابن ناصر سنة 1138 / 1726 (*الدرة الجليلة*، 1 : 162). وهذا دليل على أنه بمثابة نزل للناصريين، نتيجة وجود فرع تابع لزاوية تامگروت هنالك. بالإضافة إلى أن بالقرب منه يوجد المجاز الوحيد على نهر أم الربيع ، في تلك الطريق التي كانت مطروقة كثيرا من طرف الناصرين (*تاريخ خنيفرة*، 21).

إذن ترجع أهمية أرگو إلى كونه مركزا صوفيا، وإلى استقرار بعض الشرفاء به. الأمر يفضي إلى الاعتقاد بأن العنصرين قد عملا، كل على حدة أو مجتمعين، على الاسهام في استتباب الأمن، وتربية المجتمع، وبالتالي تهيئ ظروف الاستقرار ويعرف أحمد بلقاسم الزياني أرگو قائلا : "بعد الجبال الخمسة المحيطة بخنيفرة ... جبل يدعى قبلة من خنيفرة ... كله عيون متدفقة تنبعث من خلاله في عذوبة وبرودة ... وبه مدشريسكنه شرفاء علويون ... ويتكون من هذه العيون جعفر صغير ... (تاريخ، 19 ـ 20) يبدو من خلال هذا النص أن أرگو قد عرف حياة مزدهرة بسبب وجود المياه بكثرة، مما يتناسب مع مصدر البخار المستديم الذي يعرفه ذلك المنخفض، والناتج عن كثرة الرطوبة بالمنطقة.

محمد ابن ناصر، *الرسائل* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ. الزياني، *البستان* ؛ *الترجمانه الكبرى* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ، 7 ؛ أ. بلقاسم الزياني، *تاريخ بلدة خنيفرة*.

أحمد عمالك

**إرگلاون**، اسم تحمله قبيلتان أمازيغيتان من مجموعة أيت مگليد، تستوطن الأولى منطقة تمتد من ملوية العليا وعلى طول الواجهة الجنوبية من الأطلس المتوسط، وتقطن الثانية بالمناطق الممتدة من الجهة الشمالية لهذا الأخير إلى نهاية سهل أزرو المعروف بتيگريگرا.

يتبين من الدراسات القليلة التي اهتمت بهذه المجموعات أن أول ذكر لها جاء في رسالة محمد بن عبد الجبار العياشي الذي ذكر وجودها ببلاد ملوية وذلك عند كلامه عن آثار الجفاف العنيف الذي ظهر بالمغرب سنة 1661 ميلادية. وبعد ذلك ببضع سنوات نجد بعضها بالواجهة الشمالية للأطلس المتوسط حيث أخذوا مكان بني عمومتهم قبائل إگرْوَان بعد أن أخرجوهم من هذه المناطق وأنزلوهم نحو سهل سايس الغربي (منطقة مكناس). ويؤكد الأستاذ العربي مزين أن إركلاون لم يكونوا في البداية سوى قبيلة واحدة قبل أن يتم انتقال نصفها في اتجاه المناطق الغربية السالفة.

وتنقسم إركلاون الشمالية هذه إلى ثمانية فروع هي : أيْتْ فاسْكا، وأيت عَرْفَا تيگريگرا، وأيت بن الصْميم، وأيت إحْيا أوعلاّ، وأيت عَلاَّ، وأيت حمُّو أوبُوهُو، وأيت قسُّو أوحدُّو، وأيت عمْرو أوعلي. وتتوسط منطقتها مدينة أزرو، أكبر قرى عمالة يفرن، كما يدخل ضمنها سهل تيگريگرا الغني، وجزء من منبسط أزغار الذي يأوي صيفا الماشية تبعا لنظام الانتجاع المعروف لدى قبائل الرعي إلى إقامة أول تجربة لتربية البقر على الطريقة الأمريكية بها، خصصت لها أراضٍ شاسعة تمتد على عدة كيلومترات بالجهة المعروفة بأدَرُوش.

ع. العياشي، *الإحيا والانتعاش*، مخطوط خ. ع ؛ أ. الزياني، الترجمان، مخطوط.

*Répertoire alphabétique des tribus* ; G. Beaudet, *Les Beni Mguild du Nord*, In R.G.M., 15, 1969 ; L. Mezzine, *Le Tafilalet*.

عبد العزيز توري

**إركْمان** جول J. Erckmann ضابط فرنسي مستعرب كان رئيسا للبعثة العسكرية من سنة 1879 إلى 1883. له كتاب قيم نشر سنة 1885 بباريس بعنوان : المغرب الحديث : *Le Maroc Moderne*، كما أن له مقالات كانت تنشر ببعض الجرائد.

م. بوشعراء ، *الهجرة من المغرب وإليه*، مخطوط.

J.L. Miége, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 105.

مصطفى بوشعراء

**أرْمَاز**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما تزال توجد أسر إسبانية تحمل هناك نفس الاسم Armas، وكان من بين أفرادها بعض الفقهاء والعدول، مثل المبارك بن المبارك أرماز الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1287 / 1970، والمختار بن عبد الرزاق أرماز الذي كان يدرس بمدرسة لوقش سنة 1307 / 1889. وما زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 838 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**أرنب**، من الثدييات العاشية المنتمية إلى فصيلة مزدوجات الأسنان . يسمى علميا . Lepus capensis علوه عند الغارب 30 سم وطوله يتراوح ما بين 40 و51 سم جمعا بين الرأس والجسم. يفوق وزنه أحيانا 6،5 كلغ وتزن الأنثى عامة أكثر من الذكر. أذناه طويلتان (10 سم) ومنحدرتان إلى الأمام. يكسوه شعر ناعم رمادي مصفر على الجوانب والظهر وأبيض على بطنه وعلى الجهة الداخلية لقوائمه . ذيله قصير ومسود على مؤخرته .

تنتهي قوائمه الخلفية بأربعة أصابع وهي أطول من القوائم الأمامية التي تنتهي بخمسة أصابع صيغة أسنانه كالتالي :

1 / 2 قوارض 0/0 أنياب ، 2/3 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 28 سنا. ترجع تسمية الفصيلة بمزدوجات الأسنان لتثنية القوابض بالفك العلوي عند هذا الصنف من الحيوانات .

يعيش الأرنب في المناطق المنبسطة والمرتفعات التي لاتتعدى 2000 م وكثيرا ما يلازم المكان الذي ولد فيه طول حياته. يتناول نباتات المزارع والحقول ويتخذ حفرة لا يفوق عمقها 10 سم ليستريح فيها وينام طول النهار مفتوح العينين ويستأنف نشاطه طول الليل.

أعداؤه كثيرون يتخلص منهم بسرعته الفائقة التي تتعدى 80 كلم في الساعة وقيامه بعدة منعرجات أثناء الفرار. يساعده لونه الشبيه بمكان معيشته عن صعوبة مشاهدته. كثيرا مايقطع النهر سابحا أو يدخل قطيع الغنم للتخلص من متابعة الكلاب.

إنه شديد الحذر واليقظة، وحاسة سمعه حادة حيث إن سقوط ورقة شجرة في إمكانها أن توقظه. تسمى ورقة عكرشة. تضع أربع مرات في السنة ونادرا خمس مرات وذلك خلال فصل الربيع والصيف، يتكون الحمل الأول من صغيرين والثاني من 3 إلى 5 صغار والثالث من صغيرين. رمن صغير إلى صغيرين في المرة الرابعة. تختار العكرشة مكانا هادئا ومؤمنا لتلد صغارها المفتوحة العينين والمكسوة بالشعر. تعتني الأم برضاعة صغارها أسبوعا واحدا ثم تغيب عنهم ولا تعود إلا نادرا لتتخلص من حليبها.

يصل الخرنق (صغير الأرنب) سن الرشد بعد 15 شهرا ونعمر من 6 إلى ثمان سنوات.

يمتد توزيعه الجغرافي على جميع أنحاء المغرب ما عدا المرتفعات الباردة التي يفوق ارتفاعها 2000 مترا. الأرنب حيوان مهدد بالصيد. يؤكل لحمه وتستعمل جلوده لصناعة أثواب الفرْو .

J. Dorst et P. Dondelot (1972), *Guide des grands mammiféres d'Afrique* ; A. Menagaux, *Les Mammiféres, La vie des animaux illustrée*, T. 2 ; F.H Vanden Brink (1967), *Guide des Mammiféres d'Europe, Les Guides du Naturaliste*.

محمد رمضاني

**أرنب البحر**، يتكون جسم أرنب البحر أو مايعرف بـ "أبليزيا" الذي يمكن أن يبلغ طوله ثلاثين سنتمترا ووزنه كيلوغراما واحدا، من ثلاثة أجزاء (انظر الرسم)

يحمل الرأس فماً مسلحا بعدة أسنان على شكل صفوف متراصة وعينين اثنتين وزوجين من الحَجَاسّ .

وراء الرأس ومن الناحية الظهرية توجد العرمة الحشوية التي كما يدل على ذلك ـ تحمل كل الأحشاء مغطاة بقوقعة صغيرة مسطحة وشفافة .

أما وراء الرأس ومن الناحية البطنية وتوجد الرِّجل التي تمتد على طول الجسم والتي يدب بها أرنب البحر فوق الطحالب أو الصخور . يحمل الرجل فصين جانبيين مثنيين فوق الجسم ، تتمكن بهما أرنب البحر من السِّباحة وتلعب بذلك دور الزعانف.

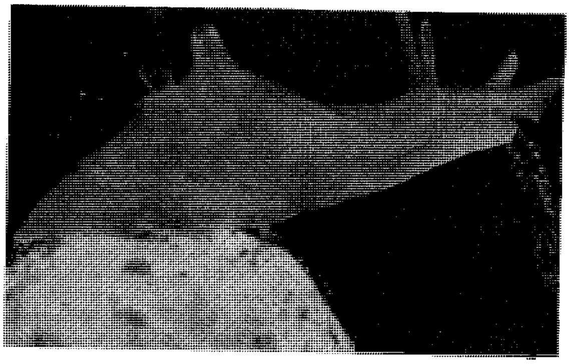

أرنب البحر

تعتبر أرانب البحر من الحيوانات المتعددة الخلايا، فهي، كالأخطبوط وكالبزاق، تنتمي إلى فصيلة الرخويات، كالحلزون إلى معديات الأرجل، إلا أنها زيادة على الاعوجاج الذي أصيبت به أماميات الخياشيم مما جعل الخياشم تشغل مركزاً أماميا بالنسبة للقلب، فإن أرنب البحر قد أصيبت باعوجاج ثانٍ معاكس مما جعل الخياشم تشغل مركزا خلفيا بالنسبة للقلب، من أجل ذلك فهي تنتمي إلى معديات الأرجل خلفيات الخياشم.

أرانب البحر حيوانات بحرية قعرية تقضي معظم وقتها تدب فوق الصخور وبين الطحالب إلاّ أنه غالبا ما ترى وهي تدب فوق الرمال وكأنها تقطع الصحاري بحثا عن الطحالب التي تكون غذاءها الأساسي، عندما تحس أرنب البحر

بكل اختصار يتكون الجهاز العصبي عند أرنب البحر من عدة أزواج من العقد العصبية، نذكر من بينها العقد المخية التي تعصب الرأس وزوائده، والعقد الوجلية التي تعصب الرجل، والعقد الحشوية ...

لايختلف الجهاز الهضمي في جوهره عند أرنب البحر عن الحيوانات الأخرى . في الناحية الأمامية يوجد الفم مسلحا بعدة أسنان صغيرة ومتراصة على شكل صفوف متبوع بمَرِىء ثم بحوصل ثم بمعدة وأخيرا بمعي.

تتم عملية التنفس عند أرنب البحر بواسطة خيشوم واحد على شكل ريشة طير من جهة اليمين يمتص به الأكسجين الذائب في ماء البحر.

يتكون الجهاز الدموي من قلب وفجوة محيطة بالقلب . ويمتص القلب (الذي يتكون من أذن واحدة وبطين واحد) الدم الصافي المحمل بمادة الأكسجين من العروق الخيشومية ليوزعها على جميع أعضاء الجسم بواسطة عدة شرايين.
تعتبر أرانب البحر كأغلبية الرخويات من الحيوانات الخنات يحمل كل فرد أعضاء تناسلية أنثوية وأخرى ذكرية إلا أنه لايمكن الفرد أن يلقح نفسه بنفسه. ففي فصل التوالد (فصل الربيع) تكوِّن أرانب البحر بأجسامها سلسة من عدة أفراد يتصرف كل فرد كأنثى بالنسبة للذي يليه. بعد التناسل تتفرق المجموعة ليبيض كل فرد أعداداً هائة من البيض (عدة آلاف) داخل بريم قد يبلغ عدة أمتار من الطول.

بخطرما، وعلى طريقة الأخطبوط، يفرغ بغتة سائلا بنفسجي اللون ويحجبه عن أعين مطارديه .

تتوزع أرانب البحر في محيطات العالم وهي أنواع عديدة، إلا أن الأنواع الأربعة التي تسكن مياه المغرب يقتصر توزيعها على البحر المتوسط وعلى الساحل الشرقي للمحيط الاطلسي، خاصة بين الشواطىء الانجليزية وأقصى شواطىء المغرب الجنوبية.

R. Boue He Chanton (1962), *Biologie animale zoologie - Invertébrés*, t. 1, Doin et Cie édit. 732 p. ; G. Bitar (1987), *Etude du peuplement benthique de la côte Atlantique méditerranéennes du Maroc, Impact de la Pollution comparaisons biogéographiques*. Thèse Doct. Et et Univ. Marseille, 286 p. A. Campbell et Nicholls (1986) *Guide de la Faune et de la Flore littorales du mers d'Europe* coll. "Le guide du Naturaliste" Delachaux et Niestte, édit. 322 p. ; M. Menioui, *Contribution à la connaissance des peuplements infralittoraux superficiels de la côte méditerranénnes du Maroc*, Etude faunistique, écologique et biogéographique, Thése Doct. Et. et Univ. Mohamed V, 256 p ; A. Pruvot-Foh (1953), *Etude de quelque episthobranches de la côte atlantique du Maroc et du Sénégal*. Trav. Inst. Sci. Chérif, Rabat (Zool.) 2 : 105p.

محمد منيوي

**أرُوكَارِيَا**، Araucaria، اسم جنس نباتي ينتمي إلى فصيلة الاروكاريات Araucariaceae وهي من المخروطيات. يحتوي الجنس على ستة أنواع تعيش أصلا في المناطق الدافئة من النصف الجنوبي للكرة الأرضية. ولكن الإنسان أدخلها في معظم أنحاء العالم الدافئ حيث استعملت للزينة. والنوع السائد في الاستعمال للزينة بالمغرب هو أرُوكَارِيَا إكْسِيلْسَا Arucaria excelsa.

إن هذا النوع شجرة جميلة جدا ودائمة الاخضرار يمكن أن يبلغ ارتفاعها 60 مترا. جذعها جد مستقيم. أغصانها كوكبية. قشرة جذعها رمادية اللون. أوراقها شبه إبرية. الأزهار مذكرة أو مؤنثة على شجرة واحدة أو على اشجار منفصلة. ثمارها بيضوية الشكل ذات قطر يبلغ 15 سنتمترا وحراشف مخشبة.

إن الموطن الأصلي لهذا النوع هو جزيرة نُورْفُولك الواقعة شرقي أستراليا. حيث يَعيش في بيئة مناخية مدارية. ونظرا لجماله وسرعة نموه فقد أدخل إلى جل المناطق الدافئة. وقد عرفت السواحل المغربية هذه الشجرة منذ مطلع القرن العشرين.

يُغْرَس أرُوكَارِيَا في بيومناخات شبه جافة وشبه رطبة ورطبة ذات الاشكال الحارة والمعتدلة إذ أنه لا يتحمل البرد الشديد. أما من حيث التربة فإنه لا يبالي بتركيبها الكيماوي لكنه يحبذ الاتربة الرملية.

يستعمل أروكاريا للتزيين. ولهذا فلقد انتشر في الحدائق في المناطق الساحلية. ولا يستعمل في التشجير في المغرب إلا بصفة استثنائية بالرغم من جودة خشبه وسرعة نموه ومقاومته للرياح الشاطئية.

إ. نحّال، *أساسيات علم الحراج*، منشورات جامعة حلب 1983.
A. Métro et Ch. Sauvage, *Flore des Végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

**أرْوِي**، أو لَرْوِي ويسمى أدَاد، حيوان مجتر من فصيلة الضأنيات المسمى باللاتينية Ammotragus lervia (Pellas) 1777. إنه حيوان جبلي يفوق علوه عند الغارب المتر الواحد ويصل وزنه إلى 120 كلغ. يتراوح طوله ما بين 140 و 200 سم جمعا بين الرأس والجسم، وطول ذيله 25 سم. يحمل رأسه قرنين سميكين مربعي الشكل في قاعدتها ومنحنيين إلى الوراء في مؤخرتها. يكسوه شعر متصلب أبيض جهة البطن والقوائم وأشقر على ظهره. أظلافه طويلة ورقيقة وعيناه مصفرتان.

إنه الضأن الوحشي الوحيد الذي يعيش في إفريقيا وهو يشكل الممر من المعز إلى الضأن ويقترب من الضأن من حيث الهيئة والقامة إلا أنه يختلف عنها فيما يخص الحفيرة الدمعية وقصبة الأنف المعروفتين عند الخروف. يحمل الذكر لبدة كثيفة تمتد من العنق إلى القوائم الأمامية كما هو في الصورة، جمجمته قوية وطويلة وصيغة أسنانه كالتالي:

0/4 قوارض، 0/0 أنياب، 3/3 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 32 سنا.

تتكون أغذيته من الأعشاب الخضراء واليابسة كما هو الشأن بالنسبة للمعز والضأن والغزلان. يتسلق الاشجار بسهولة ويقف أحيانًا على قدميه الخلفيتين ليَقْطع أوراق وثمار الأشجار والأدغال. يستطيع تحمل العطش عدة أيام ويقترب من أماكن الشرب بكامل الحذر ولا يدنو منها حتى يتأكد من أمنه. كثيرا ما تصعب مشاهدته إذا كان واقفا بين الصخور أو فوقها وذلك لتشابهه بألوان الصخور المحيطة به. يقضي أوقات حرارة النهار تحت ظلال الأحجار والأشجار.

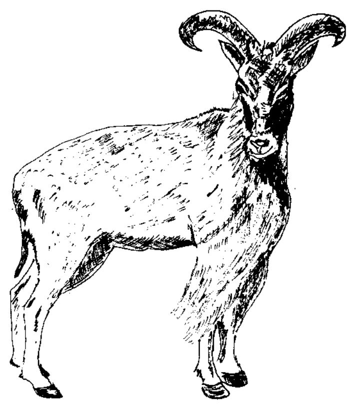

أروي

في حالة إزعاجه، يحكى أنه يلقي بنفسه على رأسه من أماكن عالية لينجو من الخطر وهذه الملاحظة يعززها سُمك جلده جهة الرأس بعدة سنتمترات.

لا يُكَوِّن الأروي قطيعات كما تفعل باقي الضأنيات بل يعيش وسط جماعات عائلية أوْ منعزلا وخاصة الأفراد المسنة والأنثى الحامل. تجتمع ثلاث أو أربع إناث حول ذكر واحد في بداية الحرارة الحيوانية التي تبتدئ غالبا في شهر

نونبر فإذا ما اقترب ذكر آخر من هذه المجموعة يواجهه رئيسها بضربات رأسية قوية تُسمع من بعيد، وقد تدوم المعركة يوما كاملا وتبقى رؤوس المختصمين ملتصقة مدة طويلة. يلقب الذكر عند البربر بالفشتال والأنثى بالمعزة والصغير بالخروف. تدوم مدة الحمل 154 ـ 161 يوما وتضع الانثى صغيرا أو صغيرين كل سنة في بداية فصل الربيع عامة وفي فصل الشتاء نادرا. يفارق الصغير أمه في فصل الخريف أثناء استئناف الحرارة الحيوانية.

يعيش هذا الحيوان في جبال الأطلس الكبير والمتوسط والصغير وقرب فگيگ وكذلك في الصحراء المغربية. يوجد أيضا بجبال الأوراس بتونس والجزائر وفي مرتفعات الصحراء الكبرى.

يعد من الحيوانات النادرة بالمغرب وهو الآن تحت الحماية في عدة مخالف بجبال الأطلس إلا أنه يخلف خسائر في أشجار الغابات والمستندات.

يصاد لعذوبة لحمه الذي يشبه لحوم الابل في المذاق ويستعمل شعره في نسيج الزرابي والملابس وغيرها ويستعمل جلده في السخاتة (Maroquinerie).

A. Cabrera, 1932, *Los Mamîferas de Marruecos*, trabajos, Mus. Nac. Siencias. Ser.Zool. 57 : 1-361 p ; P. L. Dekeyser, *Les Mammiféres de l'Afrique Noire Française*, I.F.A.N. (1), 1 - 426 P. ; J. Dorst et P. Dandelot, 1972, *Guide des Grands Mammiféres d'Afrique*, Paris, 286 p ; J. B. Panouse, 1957, *Les Mamminféres du Maroc*, Trav. I.S.C., Serv. Zool (5) : 1-206p.

محمد رمضاني

**أزَاريفْ،** قرية ـ مدرسة ـ خزانة، كلمة أزاريف أمازيغية تعني "الشب" وقد أطلقت اسماً لأكثر من قرية في البوادي المغربية، ففي شمال المغرب يوجد مدشر أزاريف في أراضي مثّيوة بقبيلة بني مسارة الصنهاجية شرق مدينة وزان، وفي جنوب المغرب توجد قرية أزاريف التي نحن

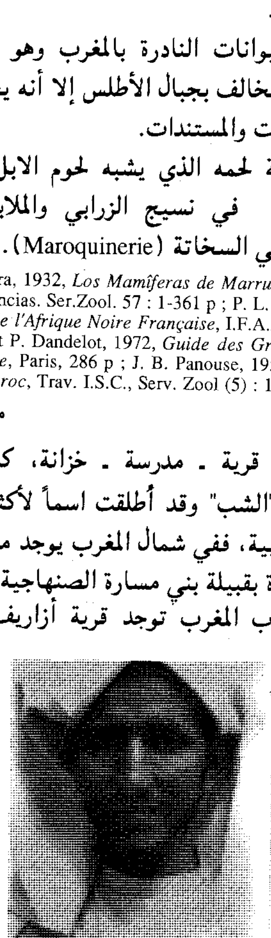

محمد بن الحسن الازاريفي الشبي
من متاخري أساتذة مدرسة أزاريف.

بصددها، وتقع في الأطلس الصغير بقبيلة أيت حامد قيادة أنزي إقليم تزنيت. تتصل أزاريف بمركز أنْزي بطريق غير معبد، وقد أسست على قمة جبلية منعزلة تطل على واد عميق خال من جريان الماء في غير أوقات الأمطار.

توجد في قرية أزاريف هذه مدرسة عتيقة أخرجت الكثير من العلماء، تعرض المختار السوسي لتراجم كثير منهم. ولعلها تأسست قبل العهد السعدي لأننا نجد لدى الأسرة الأزاريفية التي اشتهر علماؤها بالقيام بالتدريس فيها مجموعة من الظهائر يرجع بعضها إلى عهد السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي، ومن ألمعهم في العهد الأخير الحسن بن الحسين بن أحمد الأزاريفي الذي كان أستاذا للمدرسة في الثلاثينات من القرن العشرين، وقد صادف عهد الحماية الفرنسية وأبدى نشاطا علميا مزدوجا. فإلى جانب حلقات الدرس يقوم بالإفتاء والفصل في مسائل القضاء. له عدة أبناء : منهم الفقيه الحاج محمد بن الحسن الأزاريفي وهو ما زال يدرس بهذه المدرسة حتى الآن.

توجد بمدرسة أزاريف خزانة هامة اطّلع محمد المختار السوسي على جميع كتبها سنة 1375، واستعرض نماذج منها في كتابه *خلال جزولة*، وهي تتضمن مئات من المخطوطات النفيسة في مختلف الفنون لمؤلفين سوسيين وغيرهم. غير أن هذه الخزانة الموجودة في المدرسة تقلص حجم كتبها نتيجة تقسيمها بين الإخوة، ولم يبق الآن منها بالمدرسة، سوى حظ الفقيه محمد بن الحسن المذكور، وهي كتب نفيسة تستحق أن تشد إليها الرحال، وقد فتحها الفقيه المذكور للباحثين.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 8 : 60 ـ 61 . 11 : 152 ؛ *خلال جزولة*، 2 : 75 ـ 94 ؛ زيارة لعين المكان.

**الأزاريفي، أحمد بن عبد الله** الأديب صاحب المقامة الأزاريفية آتي الترجمة. له منظومة صغيرة في تصريف الأفعال.

عمر أفا

**الأزاريفي، أحمد بن مَحمد** (فتحا) بن أحمد، يعرف بالشبي، وهو تعريب أزاريف، علامة كبير تخرج بوالده ولم يتجاوزه، ثم خلفه في مدرسة أزاريف بعده، له مشاركة في الحساب والهيئة وعلم الحديث. وكان يتعاطى فضّ النوازل ويجري فيها بالإصلاح بين المتخاصمين، مذكور بين المؤلفين السوسين *بمؤلف في الحساب* وآخر هو عبارة عن رجز *في العمل بالاسطرلاب*، توفي عام 1263 / 1846.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 558 ؛ *سوس العالمة*، 197.

**الأزاريفي، عبد الله بن مَحمد** (فتحا) بن يحيى، نسبة إلى قرية أزاريف الحامدية، عالم بياني فصيح، له *المقامة الأزاريفية*، التي تشهد على تضلعه في الادب، تخرج على والده محمد بن يحيى، كما أخذ عن محمد بن إبراهيم التاسگدلتي، توفي أواسط القرن الثاني عشر الهجري.

م. المختار السوسي، *المعسول* 8 : 32 ؛ *خلال جزولة* 2 : 82 ؛ رجالات.

**الأزاريفي، محمد** بن يحيى بن الحسن الحامدي (1102 ـ 1164 / 1690 ـ 1750) اشتهرت به أزاريف في العصور المتأخرة، علامة مشارك، صوفي زاهد، ذو مناقب اشتغل بالعلم والتعليم والإرشاد والتأليف، تخرج عليه كثير من علماء بلده، منهم الشيخ الحضيكي الشهير، له تآليف عديدة منها : *العزيمة في سلوك الطريقة المستقيمة*،

*والقمع في تهذيب الطبع*، *ومختصر المدخل*، *وفتاو فقهية*، *ومؤلف في الوعظ بالشلحة*. وله في الطب ستة مؤلفات منها : *فوائد في الطب*. وبفضله اتسعت الخزانة الأزاريفية وصارت قبلة لطلاب العلم.

الحضيكي، *الطبقات* ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 191 ؛ *المعسول*، 8 : 30 ؛ *خلال جزولة*، 2 : 71 ؛ *رجالات*.

عبد الله درقاوي

**أزال** ← **الحديد**

**أَزْجَن**، أو أَسْجن وربما كتبت أيضا أزَاجْن أو أزَاجِين أو إمْزان (الصغير بالبربرية) : قرية تقع ببلاد مصمودة شمال المغرب بين جبل وزان وجبل العلم. ويظهر أن معنى أزجن باللهجة المحلية النصف (وأزگن أو أسگن نعني أيضا حظيرة الماشية). كل هذه التسميات تطلق على تلك القرية المصمودية. وليست هي أزغان التي ذكرها البكرى وابن غازي، والتي لا نعرف موقعها بالضبط، وهي قرية تقع في بلاد بني يازغة في المجال الواقع بين فازاز (الأطلس المتوسط) وملوية الوسطى.

ذكر الحسن الوزان أن أزجن شيدت من طرف الأفارقة، يعني أهل البلد البربر، ويظهر من خلال ما جاء في كتاب *وصف إفريقيا*، وما يستشف من حديث صاحب الدوحة أن القرية كان يسكنها الشرفاء الأدارسة وأن عددا منهم كان يتوفر على ثروة طائلة، وحدد الوزان عدد سكانها في بداية القرن السادس عشر الميلادي في خمسمائة كانون أي حوالي ألفين وخمسمائة من السكان. كانت القرية تساهم في عمليات الجهاد ضد المسيحيين، لكن سمعتها لم تصل إلى ما وصلت إليه سمعة الشاون أو تطوان. وقد دفن بالقرية أو بالقرب منها عدد من الأولياء كابي موسى عمران بن عبد الله الحسني، ومحمد الغزوي "بجبل وزان على بعد أميال من قرية ازاجن" (*الدوحة*، 139) وحسب مارمول كانت هذه القرية تتوفر على ملاح يسكنه اليهود. انظر ماسينيوس الذي اعتمد على تقييد ربي مؤرخ بعام 1728م.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ مارمول، *إفريقيا*، 1.

L. Massignon, *Le Maroc dans les premiéres années du XVI siècle*.

محمد مزين

**الأزْد**، قبيلة عربية كبرى من عرب اليمن القحطانين، من بطون كهلان الذي تنسلت منه ومن أخيه حمير جل القبائل القحطانية، وطلعت الأزد إلى شمال الجزيرة العربية بعد تحطيم سد مأرب وشاركت في الفتوحات الإسلامية أيام الخلفاء الراشدين، وأول من استقر من الأزد بالمغرب الأقصى طائفة وفدت على إدريس الأزهر بمدينة وليلي من جبل زرهون في جملة جماعات من قبائل عربية أخرى جاؤوا من إفريقية والأندلس، وذلك عام 189 .

وإذا كان إدريس قد أحسن استقبال هؤلاء الوافدين جميعا وأكرم مثواهم فإن الأزديين والقيسيين نالوا لديه حظوة زائدة، حيث اختار منهم كبار مساعديه في تسيير شؤون البلاد، فكان عمير بن معصب الأزدي أول وزير في الدولة المغربية الإسلامية وهو "من فرسان العرب وساداتها، ولأبيه مصعب مآثر عظيمة بإفريقية والأندلس ومشاهد في غزو الروم كثيرة" - *القرطاس*، 29 - .وإلى عمير بن مصعب الأزدي يرجع فضل ارتياد موقع مدينة فاس، وإليه تنسب عين عمير الشهيرة خارجها.

وقد تفرق الأزديون في جهات مختلفة من بلاد المغرب، وعرف بعضهم بكنى وألقاب طارئة، أشهرهم بنو الملجوم بفاس الذين ينسبون إلى جد لهم كانت به حبسة في لسانه. ويعدون من البيوتات الفاسية الكبرى المعروفة بالعلم والثروة والجاه.

ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب* ؛ ع. الفاسي، *بيوتات فاس الكبرى*.

محمد حجي

**أيْتْ إزدگْ**، قبيلة تصنَّف ضمن مجموعة صنهاجة، كثيرة الفروع، يمتد مجالها الآن من واحة مدغرة على وادي زيز إلى منطقة ملوية العليا عبر فج تيزي نْتَالْغمْتْ بالآطلس الكبير الشرقي على ما يزيد عن 150 كلم في خط الطول، ومن وادي زيز إلى وادي گيرْ على ما يزيد عن 50 كلم في خط العرض. قد يكون أسمها مشتقا من الجذر الأمازيغي المكون من الأحرف الثلاثة ز. د. گ والذي يفيد الصفاء. ويعتقد أن لهذا الاسم علاقة محتملة بالعقيدة، وفي الحياة الدينية لمغرب القرون الوسطى في هذه المنطقة ما يدفع إلى قبول هذا الاحتمال. وقد يكون لهذا الاسم كذلك علاقة بوضعية سياسية تصالحية بين القبائل في نفس الفترة. وفي اسم أيْتْ يَافْ لْمَانْ (الناس الذين يتوفر في بلادهم الأمن) باللغة العربية وهو الحلف الكبير الذي تتصدره هذه القبيلة والمتأخر الإحداث (ق 16 - 17) ما يرجح هذا التفسير. وقد يكون هناك تكامل بين التفسيرين: صفاء في العقيدة ووضعية صدارة بين القبائل ناتجة عنه.

والواقع أن قبيلة أيت إزدگ قديمة الذكر في المنطقة. فالبيذق في القرن السادس الهجري / 12 يذكرها من بين قبائل صنهاجة القبلة ويحدد مجالها في منطقة تُودْغَة الآن وهذا ما تحتفظ به كذلك الرواية الشفوية التي تشير وبصفة أكثر دقه إلى أن منطقة تَانْگَارْفَا هي المحل الأصل للقبيلة. وتانگارفا اسم لا يزال يطلق على أسفل وادي تودغة. وحينما تتحدث عنها النصوص في القرون 17 و18 و19 نجدها في الموقع الذي تحتلته الآن، وهذا يعني أن القبيلة عرفت نزوحا نحو الشمال الشرقي وحوض زيز فيما بين القرن 12 و 17 الميلاديين. وقد يكون لهذا النزوح علاقة بوصول القبائل المعقلية إلى جنوب شرق المغرب في القرن 13م وما ترتب عنه من تحرك للقبائل الصنهاجية في ذلك المد الشامل نحو الشمال والمناطق الأكثر خصوبة. وإذا كانت منطقة زيز وإلى حدود القرنين 15 و 16 الميلاديين مقرا لقبائل معقلية عبرت بعد هذا بصفة نهائية نحو الأطلس

المتوسط والهضبة الوسطى، فإنه يعتقد أن لتكوين حلف أيت عطا في القرن 16 م، ولسياسة استتباب الأمن واستخلاص الضرائب للدولتين الشريفتين السعدية خلال القرن 16 م والعلوية من بعد، في منطقة يمر بها خط من أنشط الخطوط التجارية المغربية إذاك، وكذلك لسياسة الدلائيين بالمنطقة في بداية القرن 17 م لكل هذه العوامل علاقة باستقرار قبيلة أيت إزدگ بحوض زيز. وقد يكون لتكوين حلف أَيْتْ يَافْ لْمَانْ الذي ظهر كرد فعل للضغط الذي عانت منه بعض قبائل الأطلس الكبير الشرقي (أيت إزدگ، أيت حْديدُو، أيت مْرْغَادْ...) من حلف أيت عطا، ولاستعماله من طرف المخزن من بعد، علاقة باستقرار أيت إزْدگْ بحوض زيز. إلا أنه من المؤكد أن هذا الاستقرار قد تم على مراحل، وبعدما مرت هذه القبيلة بمنطقة أعلى غريس وأعلى زيز، وأنه قد تم على حساب قبائل إيگْرْوَانْ و أيت عياش وأَيْتْ حديدو التي كانت تقطن بجبال حوض زيز قبل القرن 18 م.

وإذا كان تحالف المخزن والقبيلة من باب الاستنتاج الفرضي المعقول إلى حدود القرن 18 م، فإننا لا نتوفر على معلومات دقيقة في هذا الشأن إلا ابتداء من القرن 19 م. وقد صادف ذلك احتلال الفرنسيين للجزائر وما ترتب عن هذا الحدث من تزايد اهتمام السلطة المغربية بما يحدث في المناطق المغربية المتاخمة للجزائر. فقد عين السلطان مولاي عبد الرحمان سنة 1271 / 1854 - 1855 أمغار إبراهيم أوسُومُور شيخ قبيلة أيت إزدگ عاملا على المناطق الصحراوية لما بدا منه من قوة في قيادة حلف أيت ياف المان والدفاع عن شرفاء تافيلالت أمام مدِّ أيت عطا نحو واحات هذه المنطقة. وقد بقيت قبيلة أيت إزدگ وشيخها إبراهيم أوسُومُور في خدمة السلطان إلى أن ظهر من هذا الشيخ ما دفع المخزن إلى نزعه وحبسه بسجن الصويرة حيث لاقى حتفه. وبقيت العلاقات متوترة بين القبيلة والمخزن بعد هذا الحدث، فلما قام الشيخ سيدي محمد العربي الدرقاوي يدعو إلى الجهاد بالمنطقة حوالي 1876 م ضد الفرنسيين الذين حلوا بالجنوب الوهراني وأصبحوا يهددون قبائل التخوم المغربية الجزائرية وجد في قبيلة أيت إزدگ وفي شيخها محمد ابن الشيخ إبراهيم أوسومور الهالك السند القوي لدعوته. وقد كان موقف القبيلة هذا تمليه إلى جانب الصراعات المحلية بين حلف أيت ياف المان الذي تتزعمه قبيلة أيت إزدگ وحلف أيت عطا خيبة أمل أيت إزدگ مما أصابها وشيخها من جفاء السلطة المركزية وما ترتب عنه من مقتل لشيخها. وكان في الطابع الجهادي لحركة سيدي محمد العربي الدرقاوي ما يبرر هذا التشيع الجديد. وفي سنة 1888 لما تأزمت العلاقات بين سيدي محمد العربي الدرقاوي وبين المخزن بسبب دعوة الدرقاوي قبائل جنوب شرق المغرب إلى الجهاد وما ترتب عن هذه الحركة السياسية من مشاكل مع فرنسا، فأرسل السلطان مولاي الحسن خطابا إلى الأقاليم يعلن فيه عن سحب كل شرعية عن حركة محمد العربي الدرقاوي ويدعو إلى محاربتها. فخرجت قبيلة أيت إزدگ من ضمن شيعة محمد العربي الدرقاوي وأعلن شيخها ذلك. فعينه السلطان مولاي الحسن مباشرة بعد ذلك قائدا مخزنيا على قبيلة أيت إزدگ وعلى مجموع قبائل أيت ياف المان ولكنه اغتيل بعد هذا من طرف أحد إخوانه لموقفه من الدرقاويين.

شاركت قبيلة أيت إزدگ قبائل أيت سغروشن وأيت عيسى في مواجهة المد العسكري الفرنسي في جنوب شرق المغرب تحت زعامة مولاي لحسن السبع في معركة بودنيب سنة 1907. ولم تتوقف إلا بعد ما أقامت سلطات الاحتلال مركزها الإداري والعسكري لما كانت تسميه إذاك بـ "أراضي تافيلالت" "Les Territoires du Tafilalt" بقرية قصر السوق التي كانت تعد أهم مركز اقتصادي في مجال قبيلة أيت إزدگ.

وخلال فترة الحماية حاولت السلطات الفرنسية استمالة أعيان القبيلة لتبني سياستها التفريقية للشعب المغربي ولكن موقف أبرز أعيانها عدّي أُبِهي المساند لحركة التحرر خيب ظنها.

تجاوز عدد سكان قبيلة أيت إزدگ في إحصاء 1971 : 16.000 نسمة. وتعرف أفخاذها الآن تطورا مهما نحو الاستقرار. ويوجد أهمها في الوقت الحاضر في المناطق التابعة لمراكز الرشيدية (قصر السوق قديماً) والريش وگرامة وميدلت.

أ. البيذق، أخبار المهدي ؛ أ. الناصري، الاستقصا، 7، 8، 9 ؛ وثائق محلية.

العربي مزين

**الأزدي ← ابن الملجوم**

**الأزدي، أحمد بن عبد الله** المراكشي، ولد بمراكش حوالي عام 650 / 1252 وبها تخرج عالما نحويا مشاركا، فيلسوفا متصوفا ثم انتقل إلى الشرق وعاش في القاهرة متعبِّداً يتعيش من نسخ بعض الكتب، *كالفتوحات المكية* لمحيي الدين ابن عربي، *والتنزلات* لظهير الدين علي بن محمد الكازروني.

وكان يلثغ بالراء غينا كالفاسيين، لا يخلو طبعه من حدة وشزاسة "وعرض عليه علاء الدين القُونوي أن ينزل بالخانقاة فأبى" - *الدرر الكامنة* - حدث بينه وبين شيخ النحاة أبي حيان الأندلسي نزيل القاهرة (تـ 745 / 1344) نفرة أدت إلى منافسة وتنابز، فكان أبو حيان يرميه بالزندقة، وهو يرميه بالظاهرية حتى في النحو، وألف أحمد الأزدي كتباً. ومات بالقاهرة حوالي عام 730 / 1330 وهو ابن ثمانين سنة.

أ. ابن حجر، *الدرر الكامنة*، 1 : 197 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 211. كحالة *معجم المؤلفين*، 1 : 298.

محمد حجي

الأزدي أحمد بن محمد ← ابن البنا

**الأزْدي، أحمد بن محمد** بن أحمد بن الطاهر المراكشي، ولد آخر العقد الأول من القرن 13 هـ / 19 م، على وجه التقريب. وبعد دراسته الأولية، رحل إلى فاس طلبا للعلم. ونزل بالزواية الصقلية بحي سبع لويات بمراكش.

أخذ عن شيخها أحمد بن محمد بن أحمد الصقلي، وعن بدر الدين الحمومي، وأحمد ابن بونافع، ومحمد بن عبد الرحمان الحجرتي، وعبد القادر بن أحمد الكوهن، والعباس بن محمد بن كيران، وعبد الواحد بن أحمد بن التاودي بنسودة، ومحمد بن حمدون بن الحاج ....وغيرهم. وقد بقي بفاس نحو اثنتي عشرة سنة، ثم عاد الى بلدته مراكش مليء الجراب بالعلم، ريان بالادراك والفهم، (*الاعلام*، عن اتحاف الحفيد) وأجازه من المغاربة في هذه الفترة : أبو حامد العربي بن محمد الدمناتي، وراوية المغرب الأوسط عبد القادر بن عبد الله المشرفي المعسكري.

اشتغل بتدريس الحديث والفقه. وروى صاحب *الاعلام* عن شيخه محمد بن إبراهيم السباعي أن الأزدي كان يدرسه بمراكش وقطع الدرس حتى يحج، قائلا للطلبة : اذهبوا فإني لا أقرئ مختصر الشيخ خليل إلا إذا حججت واتقنته فعلا (*الاعلام*، 2 : 415) وكان له اهتمام بالعلم، وإقبال عظيم عليه، إذ أنه أخذ خلال رحلته إلى الحجاز عن علماء أمثال: مصطفى بن رمضان البولاقي، وحسن القويسني، وفتوح البحرمي، وأحمد المرزوقي. وقد حلاه الشيخ احمد السقا بلفظة "أستاذنا"، وطلب منه الإجازة .

له مجموعة نفيسة في أسانيده وإجازات مشايخه، قال عنها عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (وقفت بالمدينة المنورة من أحباس شيخنا أبي الحسن بن طاهر) (*فهرس الفهارس*، 1 : 23 م) .

وأغلب هذه الإجازات مؤرخ بين 1247 هـ و1248 هـ / 1831 ـ 1832 م.

ونظرا لأهمية هذه المجموعة وما تحويه من أسانيد، اهتم بها الكتاني، فقال : (نروي مجموعة إجازته وماله من المرويات عن أبي الحسن على ظاهر الوتري المدني ، عنه رحمه الله . وأروي *دلائل الخيرات* عن المعمر أبي عبد الله محمد بن رشيد الامغاري المدني بها ، عنه باسانيد . وهي واسعة ) .

**بالإضافة إلى مختصر** *خليل* **الذي كان يدرسه قبل حجته الاولى، اهتم بتدريس الحديث، وكان له مجلس حافل بضريح ابي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي .**

وكان فاضلا، صريحا، شجاعا، أمينا، كلفه المولى عبد الرحمن بالإشراف على الحرم السبتي بمراكش، وتوزيع مداخيله على مستحقيها بالعدل. وهي مهمة لم تكن تُسْنَد إلاَّ للثقاة من القضاة .وجاء في رسالة وجهها أبو عبد الله أكنسوس للوزير العربي الجامعي في هذا الموضوع : (فأوصل الحقوق إلى محلها، وانتزعها من غير مستحقيها، ولم يخف في ذلك لومة لائم ) وقد جلب له عمله هذا المتاعب، إذ لم يكن عدله في مصلحة جماعة من المستغلين "للفتوحات"، فكادوا له ووشوا به لدى الخليفة. وقد جاءت الرسالة السابقة الذكر لتوضيح الأمر واظهار الحق. (*الاعلام* 2 : 415) .

وقد أفصحت المصادر عن بعض هذه المكايد : إذ كان الأزدي يلقي درسه المعتاد في *صحيح البخاري* بضريح الجزولي فدخل عليه السلطان، وجلس بجواره، فلم يقطع الشيخ درسه . وسعى أعداؤه به إليه وعظموا القضية. كما وسعوا الهوة وزادوا في خلاف بين الأزدي واحد أعلام التصوف : العربي الوزاني. وقد كان الأزدي جزوليا كما هو معروف. ويعتقد البعض أنه انتصر على الشيخ الوزاني بكرامات رووها عنه.

ولعل هذه الخلافات كانت وراء مغادرته للبلاد، واتجاهه إلى الحجاز وكان ذلك بعد سنة 1269هـ / 1852 ـ 1853 م تاريخ صدور رسالة أكنسوس في خصومته مع حفدة أبي العباس السبتي.

توفي بالمدينة المنورة سنة 1287 / 1870، ودفن بالبقيع الأنور. ولم يخلف من المؤلفات الامجموعة في أسانيده وإجازات مشايخه.

ع . الكتاني ، فهرس الفهارس، 1 : 122 ؛ ع . ابن إبراهيم، الإعلام، 2 : 413 ؛ خ الزركلي، الأعلام.

حسن جلاب

**الأزْدي، أبوبكر** يحيى بن محمد بن يوسف الفاسي، دخل الأندلس، فلقي بالمرية أبا عبد الله محمد بن موسى بن وضاح، وروى عنه كتاب *تنبيه الغافلين* في الوعظ لأبي الليث السمر قندي ، كما لقي أبا القاسم عبد الغفور بن أبي محمد النفزي وروى عنه تأليفه المسمى *المشاهد في الوثائق*. لقيه أبو عمر بن عباد بأنتيات من أعمال شاطبة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، فأجاز له الكتابين المذكورين وهو ابن خمسين أو نحوها (أي سن الأزدي). كان الأزدي ذا عناية بالطريقة الوعظية عاكفا عليها، مكثرا من رواية المصنفات فيها . قال ابن القاضي في الجذوة : ذكره ابن الأبار ولم يذكر وفاته "

ابن الأبار، *التكملة*، الترجمة رقم 2781 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة* (السفر الثامن، الترجمة 201 ص. 420) ؛ ابن القاضي، *جذوة*.

أحمد عزاوي

**إزْرْزَايْنْ**، أو زَرْزاية، هم الحمالون الذين كانوا كثيرين في مدينة فاس إلى عهد غير بعيد وأصلهم من وادي گير (أسيفْ نْ گير) الذي يحيط به جبل مسروح شمالا، وجبل عاشر شرقا، وجبل ضايت جنوبا، ويضم عدة قرى، أهمها : توزاگين، طيط ـ نْ ـ علي، أموگر، تالهريت، الهري، تاگيرت، إگرامن، تافنداست، تلال، املاحن، باكنو، ايرار.

ينتمي إزرزاين (ج. إزرزاي) إلى قرية اموگر، ويكونون طائفة هامة منذ قرون (انظر حسن الوزان ومارمول).

إن أيت اموگر، حسب رواية بربرية، وفدوا في دولة إدريس الثاني، إلى فاس بعدد كثير ليشتغلوا. ولكن جلهم تألموا بعد مدة من عواقب البطالة. فانتدبوا جماعة منهم إلى العاهل ليعرضوا عليه شكواهم. فخاطبهم الملك بقوله : "لا ينبغي أن تكون هذه الأزمة المؤقتة سببا لرجوعكم إلى بلادكم أقيموا هنا وكونوا مثل جمال الصحراء، ستستخدمون في نقل جميع ما سيشتريه الناس من مواد أو أشياء. إنها اقطاعة أخصصها لكم ولأحفادكم إلى يوم القيامة". ومنذ ذلك العهد يزاول الحمالون هذه الحرفة خلفا عن سلف.

وحسب رواية فاسية، بمجرد ما وقع اختيار مولاي إدريس على الموقع الحالي للمدينة، وشرع الناس في بناء منازلهم. بدأ القرويون الرحالة أو الحضريون يتوافدون على هذه الحاضرة الجديدة لإكراء سواعدهم. وتضاعفت اليد العاملة، وفتر البناءُ في فصل الشتاء، وأصيب العمال أكثر فأكثر بعواقب البطالة، حتى إن الجوع أدى بالعديد منهم إلى أن أصبحوا لصوصا. فاشتكى أهل فاس من هذه الحالة إلى مولاي إدريس الذي أمر بإحضار ممثل عن كل مجموعة عرقية. واتفق الكل على إقصاء جميع الغرباء الموجودين بفاس، باستثناء الذين نالوا حقوق المواطنة. وبفضل السمعة التي اكتسبها إزرزاين كعمال مستقيمين، حصلوا على الإذن بالإقامة المستمرة بفاس، وخصص لهم مكان معين بساحة عين عَلُّو، ورحبة القيس، ثم ساحتي قنطرة بورروس وسويقة ابن صافي، وعينوا أمينا لهم كان المنتدب الوحيد المؤهل لتمثيلهم لدى المحتسب، إضافة إلى أنه كان يفصل بينهم في النزاعات التي قد تنشب بينهم. كانت حرفة إزرزاي موروثة، لا يمكن أن يزاولها إلا الشبان الذين يثبتون كتابة أو شهادة أن جدهم كان حمالا ويدلون بضامن مقبول. وتضرب الأمثال بأمانة إزرزاين حتى إنه إذا خان أحدهم الأمانة، ألزمت طائفتهم بأداء المبلغ المختلس بكامله، وصودرت أموال المختلس حتى في بلاده، ثم طرد من قريته، ولم تقبله القرى الأخرى.

كما كانت تسند إليهم أحيانا مهام دقيقة، كحمل العروس إلى المنزل الزوجي على عمارية، وتسليمهم جهازها، وإيصال الولد الذي سيختن إلى الضريح الذي ستتم فيه العملية.

ويساهم إزرزاين بقدر كبير في جميع الاحتفالات الرسمية، كدخول الملك، ويمتازون بأغانيهم ورقصاتهم البربرية، وكذلك بالمهمة الخطيرة أحيانا التي تقتضي، ذلك اليوم، رفع وحماية الدُّمَى العظيمة (أبياضي) التي زينتها الشيخات والنگافات بأنفس حلاهن وأجملها. ورغم أنهم يسكنون المدينة فزيهم بسيط جدا : شبه قميص (أجلاب) فوقه حائك (أعبان) يلف على الجسم ويثبت بجراب (أقراب) على الكتف، وعلى الرأس عمامة (ترزيت) أو شريط من الوبر (أفولون كوبر)، ولحاجيات الحرفة كيس (تاخنشيت) يوضع دائما على الكتف و حبل (طوال) معلق به، والحذاء التقليدي (إدوكا) في الرجلين.

إن ولي إزرزاين هو مولاي إدريس بدون شك. فكل سنة يكتتبون لشراء ثور يذبحونه بابهة في ضريح الصالح.

وفيما يلي القبائل التي يزاول أعضاؤها حرفة تازرزايت والموقع المخصص بفاس لكل مجموعة : أيت بنحيون، ساحة النجارين ؛ اوطاط أولاد الحاج، الجوطية، الشماعين ؛ أيت گير، رحبة القيس، سويقة ابن صافي قنطرة بورروس ؛ أهل تينرست وأولاد سيدي عيسى، قنطرة سيدي العواد، قنطرة الرصيف، المدارج، رحبة الزبيب.

وهناك أيضا حمالون يهود بالملاح، ينتمون هم الآخرون إلى مناطق بربرية،ميدلت، أوطاط الحاج.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *إفريقيا* ؛ *روايات شفوية*.

محمد الأخضر

**إزْرف**، كلمة تنطق في بعض الأحيان أيضا : أَزْرْفْ بفتح الألف، وتستعمل عند القبائل الأمازيغية لوسط المغرب وجنوب شرقه (الهضبة الوسطى، الأطلس المتوسط، ملوية العليا، الأطلس الكبير الشرقي، واحات جنوب شرق المغرب) للدلالة على القوانين العرفية التقليدية والسلطة التي تتولى تطبيقها. وتفيد نفس الكلمة في اللغة الأمازيغية المستعملة عند قبائل التوارگ في الصحراء الكبرى معنى "معدن الفضة" وتبعاً العملة الفضية، وكل كمية مالية سواء كانت معدنية أو من الورق. كما نجد في نفس اللغة فعل إزْرْفْ ezref الذي يفيد معنى الترصيص بالحجر حينما يتعلق الأمر بحائط البئر ويلاحظ أن كل هذه الكلمات مشتقة من الجدع الثلاثي ز. ر. ف الذي نجده كذلك في كلمة أزاريف التي تعني الشب في اللغة الأمازيغية، كما نلاحظ أن هذا الجدع يعادل على المستوى الصوتي جذع ز. ر. و. الذي نجده في كلمة أزرو، التي تعني الحجر. وهذا ما يجعلنا نستنتج بالنسبة لجدع ز. ر. ف. معنى الحجر المعدني البراق الشديد البياض. وقد لاحظ إميل لاووست E. Laoust التشابه الموجود في اللغة الأمازيغية بين إزْرْفْ = القانون العرفي، وأزْرْفْ = معدن الفضة، وقال إنه من المحتمل أن يكون المعنى الأصلي في إزْرْفْ هو الغرامة. وإذا صح هذا الاحتمال يكون إزْرْفْ يمثل مستوى تعامل قانوني بعكس مرحلة تطور اجتماعي متقدمة بالنسبة لمرحلة القصاص البدني كأسلوب تعامل قانوني في العقاب. وهذا ما يرجح كذلك أن يكون إزرف قانونا نابعا من مجتمع مستقر ذي رواج اقتصادي متطور يستلزم استعمال العملة المعدنية. تستعمل كلمة إزرف بالمغرب الآن لتعني كل الأعراف التي تنظم المجتمع ولا تستمد بالضرورة أصلها من نص الشرع، ومن هنا جاء ما قد تحمله هذه الكلمة من معنى قدحي قد رأى فيها بعض المفتين ضربا من الكفر سيما ما يتعلق في أزرف بعدم

توريت الزوجة وبعض التقاليد مثل تقليد أَمَازَالْ الذي يجعل المرأة التي تفقد زوجها تستعين برجل أجنبي يعيش معها ويتكلف بتسيير أمورها دون زواج، وقد زادت فترة الحماية الفرنسية التي حاولت أن تكرس قانونيا واقع إزْرْفْ في المناطق الأمازيغية للمغرب في هذا الطابع القدحي، والواقع أننا أمام تنظيم قانوني كان يشمل أغلبية سكان المغرب قبل انتشار تعاليم الإسلام وأن هذا التنظيم حصيلة تطور المجتمع في هذا المجال الإفريقي انطلاقا من معطيات طبيعية وتأثيرات حضارية خاصة. ولا يمكن أن يفهم بقاؤه في مجتمع اعتنق الإسلام والكثير من تعاليمه الشرعية إلا كمؤشر على طابعه العضوي والوظيفي في المجتمع.

وإذا كنا نجهل الكثير عن إزْرْفْ في تاريخ المغرب فإن ما تحتفظ به الرواية الشفوية في بعض القبائل المغربية مثل أَيْتْ عْطًا يجعلنا نعتقد أن الاستقرار هو الذي مكن من بلورة هذا النوع من القانون على غرار ما نرى ذلك في اقتران ظهور تِيعْقِّيدِينْ أو أعراف أيت عطا بإنشاء إِغْرْمْ أَمَازْدَارْ وهو مَخزن الحبوب الذي اجتمعت لتأسيسه قبائل جبل صاغرو الرعوية في القرن 16 م الذي أصبحت تقنيناته هي تقنينات القبيلة. وقد يفسر هذا التطور ما يعتقده إميل لاووست E. Laoust من اقتران إزْرْفْ بالغرامة المؤداة نقدا بالفضة. والغالب في إزْرْفْ أن يكون غير مكتوب ولا يكون محفوظا إلا بالتواتر في ذاكرة القدامى من القبيلة أو القرية وتبعاً لذلك يوجد مجلس مختص في قانون إزْرْفْ، وكل الحالات التي تستدعى البت في نطاق هذا القانون يختار لها شيخ القبيلة عشرة أفراد من قدامى القبيلة يسمون بأَيْتْ زْرْفْ أو إِمْزُورْفَا فيبتون في الحالة التي استدعوا للبت فيها انطلاقا من الأعراف المطبقة في القبيلة وكذا في التشاور. وإذا لم يفلح هذا المجلس الأول في إيجاد الحل الناجع للمشكل المطروح اختار الشيخ مجلسا ثانيا ثم مجلسا ثالثا. وإذا تعذر الحل بُت في المسألة في مجلس أعلى يكون هو المرجع بالنسبة لأفخاذ القبيلة أو المجموعة من القبائل. وتكون قرارات هذا الأخير نافذة وغير قابلة للطعن.

ينص تنظيم إزْرْفْ كذلك على وجود شخص يسمى أَنْحْكَامْ أو أَرقَّاسْ، وقد يطلق عليه أيضا في بعض الأحيان اسم الوكيل، وهو معين من طرف شيخ القبيلة وباتفاق مع المتنازعين، ويشترط فيه أن يكون على علم بأعراف القبيلة. ومهمته إثبات رفض أحد المتنازعين الدعوة الموجهة إليه في نزاع مًّا أو رفع النزاع إلى المجلس الأعلى.

ويتصف قانون إزْرْفْ بكثير من المرونة في حل المشاكل، وكان تكوين مجلس خاص لحل كل مشكل ظهر من الضمانات الناجعة في إيجاد الحل العادل له إلا أنه يشكل كذلك عنصر عتاقة لا يمكن معها تطويره.

العربي مزين

**إِزْرْفْ**، عرف قبلي يتنوع بتنوع الجهات، يندرج البعض منه في العادات المحكمة طبقا لقاعدة تحكيم العرف ومبدأ المصالح المرسلة، توارثه المغاربة منذ القدم خلفا عن سلف، بعضه تدوينا، وأغلبه مشافهة.

يغلب على الظن أن المغاربة كانوا قبل مجيء الإسلام، يقضون في النوازل بمختلف أنواعها بالأعراف، وكانت هذه الأعراف تدون في "جرائد" يتوارثونها، وفيما لم يدون منها كان الحاكم يلجأ إلى القياس، ويدوِّن القضية الجديدة. ولكل منطقة أوراق وتقاييد خاصة بأعرافها وتقاليدها تتعرض للتعديل كلما تقلبت الظروف. وذلك باجتهاد كبار القوم العارفين بالأعراف، ولا تزال هذه الاوراق بيد كبار شيوخ بعض القبائل حتى الآن (الهلالي : *مجلة الفتح*، عدد 302).

وبعد الفتح الإسلامي. صارت هذه الأعراف تتأثر بتعاليم الإسلام، فكان شيخ القبيلة (أمْغار) إذا حلت به النازلة يستشير من يأنس فيه القدرة على فهم الشريعة الإسلامية ليعلم وجه الحكم فيما يخالفها من الأعراف، فيعدل منها ما خالف، ويبقي ما وافق على ما كان عليه... وممن اشتهر من فقهاء المغرب بإدخال التعديلات عليها في العصور المتأخرة : أبو سالم العياشي (ت 1090 هـ) فقد كان الشيوخ يقصدونه في النوازل بقصد الاستشارة في مقره بزاوية سيدي حمزة بالأطلس الكبير؛ وأبو علي الحسن اليوسي بقبيلة أيت يوسي وغيرهما... الأمر الذي كان من شأنه أن دونت بعض القبائل المغربية مختصر خليل وغيره من كتب الفقه باللغة الأمازيغية....

وعلى الرغم من أن هذه العوائد تلتقي في كثير من المسائل مع أحكام الشريعة، إلا أنها تختلف معها في كثير منها. وقد أطلق على هذه الأعراف المحلية أَزْرَف أو أَبْرِيد، ومعناه الطريق في بني يزناسن والأطلس المتوسط، وفي بلاد سوس تعرف بالألواح. والمرجوع اليهم فيها يسمون أَنْفْلاس والضُمَّان والشيوخ والعرفاء. وأهم العادات التي يتبعها غالبية المناطق العرفية هي : النظام القبلي، والقضاء التحكيمي.

ويختلف النظام التحكيمي في المناطق العرفية باختلاف القبائل، وأنواع القضايا، وأصول المحاكمة فطرية عندهم تمتاز بالسرعة والبساطة، فالمُحكَّمون يسمعون من الخصمين غالبا ويدققون في جميع أنواع الأدلة من شهود وقرائن وفراسة وأيمان، والظاهرة الغالبة عليهم أنهم يلجأون أولا إلى الصلح فيحاولون استرضاء المتعدَى عليه أو أقربائه، فإن توفقوا وإلاَّ فرضوا الدية اللازمة أو أصدروا الحكم الذي يوافق تقاليدهم، وما يرونه في كل قضية. وإذا لم ينفذ المحكوم عليه هذا الحكم أمره زعيم القبيلة (أمغار) بذلك، واعتادوا إرسال الوفود بطلب تخفيف الدية، وشيخ القبيلة هو الذي ينصب الحكام بطريق الانتخاب، ويظل الحاكم في منصبه سنة كاملة، ويشترط فيه أن يكون مسنًا ذكيا ذا مكانة اجتماعية وسيرة حسنة، ملمًا بأعراف قبيلته وغيرها، شديد التمسك بتقاليد قريته. وللمحكوم عليه الحق في استئناف حكم شيخ القبيلة إذا لم يرقه لدى أشهر العارفين بالأعراف، لكن بعد تراضي الخصوم عليه. كما أن

الأحكام تصدر علنا وبمحضر أعيان القبيلة. أما التنفيذ فكانت القبيلة كلها تضمن نفاذ الحكم متى أصدره الحاكم، وكانت كل قبيلة بمثابة إمارة يمثلها أعضاء يختلف عددهم، وفي الغالب يكونون أربعين، ومن ثم أطلقوا عليهم (أيت أربعين) وهم بدورهم ينتخبون رئيسهم ويطلقون عليه (أمغار)، ومعناه شيخ القبيلة، وكانت لهم طرق خاصة يسيرون عليها في انتخاب شيخ القبيلة. فالأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية والمشاكل العقارية قد تسند إلى الفقهاء لكي يتولوا الفصل فيها بطريق التحكيم والتراضي. وصورة التحكيم هذه : أن يتفق المتداعيان على رفع دعواهما تحكيما إلى بعض الفقهاء، فيكتب التراضي بحضور الاعيان، ويشهد الضُّمان (إنفلاس) فيه بذلك عليهما، ويسلم للمُحكِّم، أو يختار كل منهما محكما مستقلا، وللمحكوم عليه بعد صدور "الحكم الابتدائي" اذا لم يرقه الحق في الاستئناف إلى فقيه آخر في ظرف سنة أو شهر أو ستة أشهر، الأمر هنا يختلف من قبيلة إلى أخرى ومن عرف إلى عرف. (*سوس العالمة*، 26) وبمجرد انتهاء هذا الاجل لا يحق للمستأنف أن يرفع دعواه من جديد، وإن طعن أحد الخصمين في الحكم الصادر عليه من المسنأنف إليه، فان له الحق أن يطالب محكما ثالثا ويسمى هذا مفتيا. (*المعسول*، 9 : 252) ويلاحظ هنا أن دور الفقهاء غير مستقل، فهم حتى في هذه الحالة يكونون محاطين بأعيان القبيلة، فكأنهم هم المسؤولون عن تطبيق الأحكام، ودور الفقهاء هذا لا يعدو كونه دوراً استشاريا...

أما الأحكام المتعلقة بالجنايات وشؤون الأسواق والمسائل المدنية فيتولى الفصل فيها أعيان الجماعة. وهؤلاء الأعيان المختارون يفصلون بواسطة قانون أعدته الجماعة وصادقت عليه بالإجماع سموه لوحا. (*ألواح جزولة*، 7) واللوح فيه كل ما يتعلق بالمخالفات والعقوبات، ودور الأعيان هو تطبيق ما ورد في الألواح، وأحكام الفقهاء إن كانت تتعقب ويجرى عليها الاستيناف مرة أو مرتين، فان أحكام الأعيان على النقيض من ذلك لا تتعقب فيما يفصلون فيه (*العرف والعمل*، ابتداء من ص. 228). أما وسائل الإثبات لديهم فعلى نوعين : حجج إشهادية وهي قاطعة لأنها صادرة عن شهادات اختيارية أتى بها رجال بالغون عقلاء عارفون، وحجج إشعارية وهي أقل قيمة من سابقتها، ومعناها أن المتهم إذا حنث وشعر بنفسه أنه معرض لسخط الله، وأن أقاربه يشاركونه ذلك، لجأ إلى الاعتراف وذهب إلى الحكام يشعرهم بذلك.

والحجج الإشهادية تختلف باختلاف القضايا، ففي بعض العقود يجب الإكثار من عدد الشهود، وفي بعضها الآخر يكتفى بعدد قليل، إلا أنه في الغالب يكون التعاقد بحضور اثني عشر شاهداً، ويستحب أن يكون فيهم بعض (إمْقران) وهم أعيان القبيلة (أشبه بالعدل المزكّى)، والقَسَم الجماعي كوسيلة للإثبات منتشر انتشاراً كبيراً عند أهالي المناطق العرفية (*العرف والعمل*، ابتداء من ص. 231).

ولابد من الإشارة إلى أن كثيرا من الأعراف المحلية صادق عليها الملوك باقتراح الأشراف المحليين والفقهاء كالظهير الحسني الصادر في شأن الأعراف الجنائية بزمور الشلح، والظهير الذي أصدره في شان الأعراف السوسية، والذي يقول فيه إنه أقر السوسيين على عاداتهم وأعرافهم التي عندهم عليها ظهائر أسلافه، واشترط على العلماء والأعيان والحكام منهم أن لا يخرجوا على ما تقرر لديهم من الأعراف (عبير الآس، بواسطة *ألواح جزولة*)، كما أن المنصور السعدي أصدر ظهيراً في هذا الشأن يحثُّ فيه ولاته على المحافظة على ما عهد لدى القبائل من عادات وأعراف واستمرت جارية عندهم بحيث لا تخرق لهم، ولا تغير حالة من أحوالهم في قليل الأشياء وكثيرها (*خلال جزولة*، 2 : 138).

يتضح مما سبق أن هذه الأعراف فيها ما هو مساير للتشريع الإسلامي ولا يتناقض معه، ولا يصدم أصلا من أصوله، وفيها ما هو مخالف للنصوص القطعية التي أتت بها الشريعة. وأبسط مثال ضربناه لذلك هو حرمانهم المرأة من الإرث خشية أن يدخل زوجها في أملاك عائلة الزوجة، وكذا العقوبات التي كانوا يفرضونها على الجناة التي خالفت ما هو منصوص وعقود الأنكحة على وجه غير شرعي، والمغالاة في الأيمان، ومشاركة أقارب المتهم في تأدية القسم وتغليظه، وأخذ الولي صداق البنت لنفسه، وغيرها من الأحكام التي تصادم الشرع مصادمة صريحة... وفيها ما كان وسطا بين هذا وذاك، وهو الذي حاول بعض العلماء أن يوجدوا له مخرجا ويخلقوا له مسوغا... وهكذا و قف العلماء من هذه الاعراف مواقف مختلفة، فمن الذين أيدوا هذه الأعراف والأحكام والتنظيمات (بالنسبة لاعراف سوس خاصة) الشيخ الحسن ابن عثمان الجزولي التملي تلميذ الشيخ أحمد الونشريسي والشيخ ابن غازي والذي قال في شأن الألواح : مسائل ألواح القبائل منها ما وافق الشرع وهو أكثرها لكن على غير مذهب مالك (*ألواح جزولة*، ص 106) ؛ وعمرو بن أحمد ابن زكرياء البعقيلي الذي أصدر منشورا مؤرخا بجمادى الثانية عام 964 هـ ويعدُّ نموذجا للأعراف التي في سوس ؛ والشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عمرو التمنارتي ت 971 هـ وعبد الله بن مبارك الأقاوي ت 1015هـ وهما أول من أحدث الخلاف وأمرا بكتبها في ألواح القبائل من هلالة وهشتوكة وتابعهما أهل عصرهما ؛ والفقيه عبدالله بن شعيب الهلالي، له بحث في مسائل الألواح والنفاليس ؛ والشيخ محمد البعقيلي الهلالي وهو الواضع للوح حصن زاوية سيدي يعقوب وغيرهم. ومن المحدثين محمد المختار السوسي الذي دافع عنها في كتابه *المعسول* (3 : 26). وفي مقابل هذا الفريق نجد فقهاء آخرين من القبائل نفسها التي كان يطبق فيها هذا العرف يشجبون هذه الأعراف ويندّدون بأصحابها والقائمين عليها. ومن هؤلاء : أبو عبد الله الهشتوكي الذي وصفها بالضلال

المبين، وكذلك عبد الرحمن التمنارتي الذي قال في شأنها "إنها من باب التحاكم إلى الطاغوت الذي أمرنا أن نكفر به" والشيخ مَحمد بن ناصرالدرعي الذي سئل عنها فأجاب في حق أصحابها بأنهم عصاة (*الاجوبة الناصرية*)، والشيخ عبد الرحمن الجزولي الذي وصفها بالبدعة التي أماتوا بها السنة (*شرح لامية الزقاق*) وهو الموقف الذي وقفه محمد بن عمر الهشتوكي إذ ذهب إلى أن الضوابط التي اتفق عليها الشيوخ والضمان ضلال مبين وكفر صراح (*أجوبة أحمد باب السوداني*) وهو الرأي الذي ذهب إليه قاضي سوس في عصره عيسى بن عبد الرحمان السكتاني الذي قال في شأن الالواح : "إنها ألواح شيطانية، وهم بذلك انما ينبذون الكتاب والسنة ويحكمون بغير ما أنزل الله متحاكمين إلى الطاغوت".

أما الذين وقفوا منها موقفا وسطا، فقد نظروا إلى هذه الأعراف نظرة واقعية، فما رأوه مخالفا للشريعة ومصادما لأصولها ومبادئها أنكروه، وما كان غير ذلك أجازوه. وهذا الموقف عبر عنه أكثر العلماء. إن الذي أيد هذه الأعراف ورآها قريبة من أحكام الشرع وسائرة على مبادئه وتعاليمه نظر فقط إلى بعض الأعراف التي كانت في جهات معينة وتهم بالدرجة الأولى منطقة سوس، أما المناطق الأخرى كتلك الأعراف المنتشرة في قبائل الأطلس المتوسط وما انضاف إليها والتي تعرف "بأزْرْف" فكثير منها مخالف للشرع مخالفة صريحة.

أحمد باب السوداني، *أجوبة*، مخطوط خ. ح.5813 ؛ م. ابن ناصر، *الأجوبة الناصرية*، مخطوط خاص ؛ م. ميارة، *شرح لامية الزقاق*، مخطوط خ. ح. 44 ؛ ت. الهلالي، *مجلة الفتح*، عدد 302 ؛ م. المكي الناصري، *مجلة الفتح*، عدد 294 ـ 295 ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 5 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة* ؛ *سوس العالمة* ؛ *المعسول* ؛ م. العثماني، *ألواح جزولة* ؛ ع. الجيدي، *العرف والعمل*.

عمر الجيدي

**الأزرق**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حسان الجبلية. ويعرف من أفرادها الجنود الآتية أسماؤهم : أحمد بن سلام الأزرق ومحمد بن الهاشمي الأزرق، وعبدالرزاق بن المختار الأزرق، وأحمد بن مصطفى الأزرق، والملازم أول محمد بن أحمد الأزرق، كلهم كانوا بحامية تطوان عام 1292 / 1875. ولازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*،2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 8 : 353. م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 ; (A) *Vademecum de intervenciones (año 1931)* (A); M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**الأزْرَق**، أسرة فاسية اشتهرت بالتجارة في الخارج والداخل خلال القرن التاسع عشر، وكانت فرقة منهم هاجرت إلى الخارج. ومن أفرادها :

الأزرق، الحاج الطالب بن الحاج حمادي استقر مدة طويلة بمدينة مَنْشيسْطر ولا سيما سنة 1866 للتجارة هناك. وبعدها رجع إلى المغرب.

الأزرق، الحاج عبد الحي بن محمد، كان يتاجر بمصر سنة 1888.

الأزرق، الحاج محمد بن الحاج حمادي اتجر بانجلترا في القرن التاسع عشر، لا سيما بين 1887 و 1893 وكانت له دار تجارية بالقاهرة.

الأزرق، محمد بن عبد الواحد كان يتاجر بمصر سنة 1888.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية، 1 : 111 ـ 116.

مصطفى بوشعراء

**الأزرق، أحمد** بن الطيب الفاسي. اشتهر بالحاج أحمد، واشتغل بالطباعة مساعداً لأبيه في "المطبعة الفاسية" ابتداء من عام 1308 / 1890، ثم في مطبعته الجديدة بدرب الحمام، حيث كان يُذكر في آخر المطبوعات الحجرية كنائب لوالده. وبعد اختفاء اسم الطيب الأزرق حل محله اسم الحاج أحمد الأرق واستمر حتى عام 1326 / 1908. وبذلك كان أحمد ثالث أفراد آل الأزرق الذين ارتبط اسمهم بالطباعة الحجرية الفاسية منذ ظهورها. ولا يعرف تاريخ وفاته.

**الأزرق، الطيب** بن محمد الفاسي، اشتهر بالحاج الطيب، واشتغل في المطبعة الحجرية منذ دخولها إلى فاس في ربيع الثاني عام 1282 / شتنبر 1865، وفيها تعلم الطباعة على يد الطبيع المصري محمد القياني بن إبراهيم الذي جاء به القاضي محمد الطيب الروداني مع المطبعة الحجرية التي اشترها من المشرق ثم أهداها للسلطان محمد بن عبد الرحمان. ولما أتقن الطيب الأزرق مهنته ونجح في الامتحان حصل على إجازة الخبير في شؤون الطباعة عبد القادر الشفشاوني بتاريخ 3 ذي القعدة عام 1285 / 15 فبراير 1869.

وبعد أن توقف عمل المطبعة الحجرية السعيدية أو المحمدية سنة كاملة أجَّرتها الحكومة على إثر رجوع الطبيع المصري إلى بلاده آخر عام 1287 / 1871 إلى جماعة من الفاسيين أسندوا مهمة تسييرها إلى الحاج الطيب الأزرق، وذلك منذ أوائل 1289 / 1872 فأصبحت تدعى "المطبعة الفاسية". وحوالي 1310 / 1892 أسس الطيب الأرق مطبعة حجرية جديدة في درب الحمام قرب الجوطية من عدوة القرويين بفاس. كان ساعده الأيمن فيها ابنه أحمد.

نشر الطيب الأزرق خلال نحو ثلث قرن عدداً كثيراً من المطبوعات الحجرية، ونال بذلك ظهائر التوقير والاحترام من محمد بن عبد الرحمان والحسن الأول. ويعتبر رائد الطباعة بالمغرب. وكانت وفاته بعد عام 1313 / 95 ـ 1896.

**الأزرق، العربي** بن محمد الفاسي. أخو الطيب

الأزرق لأبيه، ومساعده في "المطبعة الفاسية" منذ عام 1293 / 1876. وقد ورد اسمه في مجموعة من المطبوعات الحجرية الفاسية التي أنجزها بنفسه، ثم أسس مطبعة حجرية جديدة ورد ذكرها في آخر شرح *العمل الفاسي للسجلماسي*، الذي تم طبعه في 14 ربيع الثاني عام 1298 / 16 مارس 1881. وحوالي عام 1323 / 1905 أسس مطبعة حجرية ثانية باسمه ورد ذكرها في آخر رسالة للشيخ ماء العينين تم طبعها في سادس رمضان عام 1324 / 24 أكتوبر 1906. وكانت في درب حسان من حي البليدة بعدوة القرويين بفاس.

نشر العربي الأزرق - كأخيه الطيب - عدداً عديداً من المطبوعات الحجرية الفاسية، وطال عمله في هذا الميدان أكثر من أربعين سنة، تمتع خلالها بالتقدير من جانب المخزن الذي كان ينفِّذ له سنويا الكسوة والصلة بواسطة أمناء دار عديل بفاس. وكانت وفاته بعد 1332 / 1914.

محمد المنوني، *مظاهر*، ج 1 ؛ *مطبوعات حجرية*.

محمد حجي

**الأزرق، يحيى بن عمر** بن زيان الوطاسي أبو زكرياء، سمي كذلك لزرقة عينيه. تولى الوزارة في عهد السلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني 823 - 869 / 1420 - 1464. عمل على تثبيت نفوذ الوطاسيين بالبلاط المريني، وبذل جهودا كبيرة بمساعدة الحفصيين - سنة 830 / 1426 لاستعادة سبتة. تمكن في سنة 846 / 1442 - 1443 من إخضاع قبائل الشاوية "وكانوا قد تمردوا على الدولة واعضل داؤهم" (*الاستقصا*، 4 : 96) . فأخذ جمعهم، وخرب منازلهم، ولكنه قُتل طعنا بالرماح غدراً، قدِم على مدينة فاس قتيلا، ودُفن بالقُلة خارج باب الجيسة .

م. السخاوي، *الضوء اللامع*، 10 : 225 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 535 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 96 .

**الأزرق، يحيى بن يحيى** الوطاسي أبو زكريا تولى الوزارة في عهد السلطان المريني عبد الحق بن أبي سعيد 823 - 869 / 1420 - 1464. حاول أن يستمر في العمل الذي ابتدأه أبوه بتثبيت نفوذ الوطاسيين داخل البلاط المريني، فأقصى لهذا الغرض عددا من الولاة وكبار الجند والقضاة، لكن السلطان انتبه الى نواياه بسرعة، إذ لم يدم في الوزارة سوى سبعين يوما، اعتقل على إثرها هو وبعض أفراد أسرته وأعدموا ذبحا. وقد تجنب السخاوي ذكر أي شيء عن ذلك ، في حين تعرض الناصرى إلى تصرفه قائلا : "كانت ولاية هذا الوزير هي مبدأ الشر ومنشأ الفتنة، وذلك أنه لما استقل بالحجابة أخذ في تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة، وزاد ونقص في الجند ونقص جل ما أبرمه قبله الوزراءُ، عامل الرعية بالعسف. ومن جملة ما نقم عليه أنه عزل قاضي فاس الفقيه أبا عبدالله محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي وقدّم مكانه الفقيه يعقوب التسولي ... فلما رأى السلطان عبد الحق فعل الوزير واستحواذه على أمور الدولة وتبين له أن الوطاسيين قد التحفوا معه رداء الملك وشاركوه في بساط العز وكادوا يغلبونه على أمره، سطا بهم سطوة استأصلت جمهورهم إلاّ من حماه الأجل منهم.

وكانت وفاة يحيى عام 866 / 1461 .

م. السخاوي، الضوء اللامع، 10 : 264 ؛ أ . الناصري، الاستقصا، 4 : 97.

محمد رزوق

**أزْرْقَانْ**، محمد بن محد بن عبد الكريم، ينتمي إلى أسرة أولاد الحاج المنحدرة من الولي الصالح سيدي الحاج يحيى الإدريسي دفين مدشر تيغْنامين بفرقة إزْمُّورْن بقبيلة بَقِّيوَة الريفية، وكان جد المترجم له أوَل من لُقب بأزرقان.

ولد محمد أزرقان سنة 1310 / 1892 بمدشر أجْدير بفرقة أيت يوسف وعْلي بقبيلة بني ورياغل حيث كان عَمه علي أزرقان يتولى مشيخة فرقة أيت علي وْعيسى من نفس القبيلة. ويبدو أن دراسة أزرقان اقتصرت على تعلم الكتابة والقراءة بكتَّاب مسقط رأسه، ثم اشتغل بتربية الماشية والزراعة، وعندما توفي عمه علي حل محله في مشيخة الفرقة. تقول الوثائق الإسبانية إنه كان يتردد على جزيرتي النكُّور وبادس المحتلتين من طرف إسبانيا، كما كان يسافر من حين لآخر إلى مليلية وجنوب إسبانيا من أجل التجارة، الشيء الذي جعله يتصل بالإسبانيين ويتكلم لغتهم. وقد ازداد تردده على مليلية خلال المدة التي كان يوجد بها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي من سنة 1907 إلى سنة 1918.

واتصال أزرقان الوثيق بالإسبانيين هو الذي جعلهم يلقبونه بالبَّاخاريطو (El pajarito) بحيث لم نجد أي وثيقة إسبانية تشير إليه دون إضافة اللقب المذكور لاسمه، بل هناك عدد من هذه الوثائق اكتفت بذكره بلقبه فقط، وكلمة "الباخاريطو" تعني الطائر الصغير في اللغة الإسبانية، وهي تطلق على الشخص الذي لا قيمة له ولا يستقر على حال، أو على السياسي المعروف بدهائه وذكائه ونباهته وحيله.

وعندما تقلد الأمير الخطابي أمام الثورة الريفية سنة 1921 م. كان أزرقان من الذين ساندوه منذ اللحظة الأولى، وكيف لا وهو زوج إحدى أخوات الأمير، وهكذا نجد أزرقان يحضر المؤتمر الأول للثورة المنعقد بمدشر إزْمُّورْن بقبيلة بني ورياغل يوم 12 جمادى الثانية 1339 / 21 فبراير 1921، والمؤتمر الثاني المنعقد بجبل القاما بقبيلة تمسمان يوم ثاني رمضان 1339 / 10 ماي 1921. والمؤتمرين الثالث والرابع المنعقدين بمدشر امزاورو بنفس القبيلة يومي 16 و 19 شوال 1339 / 9 و 12 يونيو من نفس السنة.

وكان الأمير الخطابي يعتبر أزرقان الرجل الثالث في قيادة الثورة بعد أخيه مَحمد الخطابي وعمه عبد السلام الخطابي، حيث كان يكلفه بمهمات سرية لدى السلطات

الإسبانية بمليلية، وأرسله إلى الجزائر وفرنسا سنة 1922 لأجل شراء طائرات وسيارات ومدافع.

وعندما عين الخطابي أميراً في شهر جمادى الأولى 1340 / يناير 1923 وألّف حكومته الأولى بأجدير أسند منصب ناظر (بمثابة وزير) الشؤون الخارجية إلى أزرقان الذي احتفظ بهذا المنصب إلى أن انتهى أمر الثورة الريفية سنة 1344 / 1926، وبهذه الصفة كان أزرقان يتولى المفاوضات مع الإسبانيين بخصوص الأسرى، وقد دامت هذه المفاوضات سنتين إلى أن انتهت باطلاق سراح الأسرى الإسبان يوم 9 جمادى الثانية 1341 / 27 يناير 1923 مقابل فدية قدرها أربعة ملايين بسيطة.

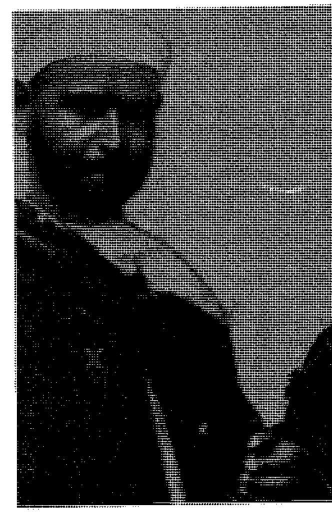

محمد أزرقان (الباخاريطو)

وأزرقان هو الذي ترأس الوفد الريفي الذي تفاوض مع الوفد الإسباني برئاسة الكولونيل كاسطرو خيرونا (Castro Girona) بشأن الصلح في شهر شعبان 1341 / أبريل 1923، غير أن هذه المفاوضات لم تسفر عن أية نتيجة لأن الأمير الخطابي كان يطالب بالاعتراف بالاستقلال التام للريف في حين كان الإسبانيون يعرضون عليه الاستقلال الداخلي.

وبطبيعة الحال فإن جميع المذاكرات التي كان يجريها الأمير الخطابي مع الفرنسيين قبل إعلان الحرب عليهم في شهر رمضان 1343 / أبريل 1925 وبعده كانت بواسطة أزرقان، الذي يقول عنه القبطان الفرنسي ليون غبريلي (Leon Gabrielli) إنه كان باتصال وثيق معه منذ شهر مارس من سنة 1925 بغية الوصول إلى حل سلمي للمشاكل القائمة آنذاك بين الثورة الريفية وإدارة الحماية الفرنسية بجنوب المغرب بخصوص الحدود المصطنعة بين المنطقتين.

وفي يوم 18 رمضان 1343 / 13 أبريل 1925 هاجمت قوات الثورة الريفية المراكز الأمامية الفرنسية الواقعة على الحدود، وعلى إثر ذلك قدم القبطان غبريبلي إلى الريف حيث تقابل مع الأمير الخطابي بقبيلة تمسمان، وكانت المذاكرات معه بحضور أزرقان يوم 6 ذي الحجة 1343 / 28 يونيو 1925.

ويقول القبطان المذكور إن أزرقان هو الذي تسلم منه بتوريرت شروط الصلح التي أملتها فرنسا على الأمير الخطابي يوم 23 مارس 1926 والتي لم يقبلها الأمير.

وأزرقان هو الذي ترأس الوفد الريفي المكوّن من أحمد والقائد حدو بن حدو البقّيوي الذي شارك في مؤتمر الصلح المنعقد بملتقى الويدان يوم 17 أبريل وبمدينة وجدة من يوم 22 أبريل إلى يوم 6 ماي. وقد كان يرأس الوفد الفرنسي في هذا المؤتمر الجنرال سيمون (Simon) والوفد الإسباني السفير لوبيث أوليفان (Lopez Olivan)، غير أن هذا المؤتمر لم يسفر على أية نتيجة بسبب تعنت الوفد الإسباني، لأن الحكومة الإسبانية لم تكن ترغب في انعقاد المؤتمر المذكور، وقد قبلت المشاركة فيه ترضية لفرنسا وحتى لا يقال عنها إنها لا ترغب في السلم.

وخلاصة القول أن أزرقان لعب دوراً مهما في علاقات الثورة الخارجية، كما كانت له مشاركة فعالة في تدبير شؤونها الداخلية حيث نجده بجانب الأمير الخطابي في أهم وأخطر المواقف. وعندما استسلم الأمير الخطابي للفرنسيين يوم 17 ماي 1926 كان أزرقان ممن استسلم معه، غير أنه لم يرافقه إلى منفاه بجزيرة لاريونيون (La Reunion) وإنما فرضت عليه الإدارة الفرنسية الإقامة الإجبارية بمدينة الجديدة التي ظل بها إلى أن استقل المغرب سنة 1956 واستعاد أزرقان حريته الكاملة.

وقد امتاز أزرقان عن باقي قواد الثورة الريفية بأنه هو الوحيد الذي ترك لنا الرواية المغربية المعاصرة للأحداث، ونعني بذلك ما قصه على الفقيه أحمد سكيرج بالجديدة سنة 1345 / 1926 ودوّنه الفيه المذكور نقلاً عنه في تأليف أطلق عليه اسم الظل الوريف في محاربة الريف، هذا المخطوط الذي يوجد أصله بالخزانة العامة بالرباط، كما توجد نسخة منه كتبت يوم فاتح محرم 1367 / 15 نوفمبر 1947 وكانت في ملك رئيس قسم المخابرات بنيابة الأمور الوطنية بتطوان في عهد الحماية الكومندار فالينطين بينيطيث (Valentin Beneitez) وقد ترجمها إلى اللغة الإسبانية عبد الرحيم جبور، وأهداني الكومندار المذكور سنة 1951 صورة من النسخة العربية ونسخة من الترجمة الإسبانية. تمتاز هذه النسخة العربية الغير المعروفة عند الباحثين بالنسبة للأصل بأنها تحتوي على عدد كثير من التعاليق والهوامش المفيدة جداً، والتي لا توجد في الأصل. فإذا قال الفقيه سكيرج في مقدمة الأصل إنه ما له في ذلك "إلا مجرد النقل عن أزرقان" فإننا نجهل من هو هذا الشخص الذي قام بنسخ النسخة التي بين أيدينا فزاد على الأصل أشياء جد مهمة تشهد على أنه كان على اطلاع كبير بشؤون الثورة الريفية العلنية منها والسرية.

لم نقف على تاريخ ومكان وفاة محمد أزرقان.

أ. سكيرج، *الظل الوريف في محاربة الريف* (مخطوط) بالخزانة العامة بالرباط ؛ م. م. عمر القاضي، *أسد الريف*، محمد بن عبد الكريم الخطابي (مذكرات عن حرب الريف) تطوان 1979 ؛ م. ابن

عزوز حكيم، *معركة أنوال 21 يوليوز 1921*، الرباط 1981 ؛ *ومضات مضيئة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني*، الرباط 1986.

محمد ابن عزوز حكيم

**إزرگيين**، إذا كان المعنى الراجح لهذا الاسم هو لون الزرقة، فهل معنى هذا أن تاريخ هذه القبيلة التكنية يرتبط أساسا بالمد الأعرابي على المنطقة منذ سبعة قرون ؟ الواقع أن العصر العربي الوسيط لم يكتشف اسم هذا اللون إلا بصورة جد متأخرة. كما أن الاستعمال الأروبي للكلمة لم يتخذ مساره العادي إلا منذ نهاية القرن الثامن عشر (A. Bouhdiba, 348) لقد قامت هذه الحضارات على مختلف مشاربها بتحميل اللون الأزرق من القيم السلبية ما جعل تجنبه يتم بشكل محكم. فنجد اللهجة الحسانية مثلا تعوضه باللون الأخضر مضيفة بذلك إلى الإشكال الذي تصادفه التسمية. يبقى إذن أن نتساءل عن موقف الصنهاجية والمصمودية والزناتية كلغات محلية من هذه القيم ؟ يكشف استجلاء هذه النقطة عن الارتباط الوثيق بين المرادفين أزرق وأزروال الذي يؤنث على تازروالت ويجمع على تيزروالين (م. شفيق : 333) ويزيد من أهمية الرؤيا أن الزراولة يمثلون تجزئة أساسية من بين تجزئات فصيلة أيت سعيد الأزرگية. هذا علاوة عن كون الرواية الشفوية المحلية ترد مدشري زريويلة وأوزرولت بوادي نون إلى إزرگيين قبل سطو أزوافيط عليها. على أن استقرار هؤلاء لم يحل دون بعض العائلات والتشبث بتسمية أهل إزريگين وأهل بومزيريگ.

يتضح من جهة أخرى أن الصراع بين قبيلتي إزرگيين وازوافيط حول مراقبة المجال شكل السبب التاريخي في مغادرة أولى القبيلتين لف أيت عثمان إلى لف أيت الجمل الساحلي. وهي إشارة تفيد أقدمية الوجود الزرگي متيحة بذلك فرصة استنطاق علاقة القبيلة ببني زروال كما ورد ذكرهم في مؤلفات أبي بكر البيدق (*أخبار*، 53)، لقد كانت فصائل بني زروال تستقر على عدوتي وادي ورغة شمال مدينة فاس بينما توحي أسماء الأماكن بكل من تازروالت إداوْسْمْلالْ ومدشري وادي نون بحجم الانتشار. بالإضافة إلى ذلك فإن بني زروال يندمجون في قبيلة أهل ستين بموريطانيا قرب ما يسمى هناك بالبيض (*الوسيط*، 454) وإذا كنا لا نعلم علاقة هؤلاء بالبرزگانيين الذين ورد ذكرهم لدى البكري (*المغرب*، 342)، فإن القاسم المشترك بين مختلف هذه الفصائل هو انتماؤها إلى الأمة الصنهاجية. ورذا كان معنى الكلمة الواردة لدى البكري يفيد طول القامة باللغة الفارسية، فإن الأمر يستدعي استنطاق نصوص القرن الثاني قبل الميلاد. وهنا نشير إلى أن وجود أسماء مقاربة لدى كل من Pline L'Ancien و Polybe و Strabon تعد من أهم الإشارات الموجهة للبحث.

وتأكيدا لما ورد نضيف بأن قرية بني زراولو الغمار ية الصنهاجية تعد من بني زرقت بمنطقة السراير (*معلمة*، 109) هذا علاوة على أن كتاب الأنساب يضع ايليزرگن من بقايا هزرجة المصمودية (*معلمة* 213). غير بعيد عن تيزرگين (*المعسول*، XII : 34). وغير بعيد أيضا عن هذه الأخيرة. تشهد تازوالت الأطلس الصغير وزريويلة على أهمية الوجود اللمطي منذ القرن الخامس الهجري على الأقل. إننا كنا لا ننوي الوقوف عند المقدرة الحربية للقبيلة من خلال المعنى اللغوي لكلمة مزراگ (E. Michaux Bellaire, *Mzrag* ; V. Dozy, *Z. R. Q*) لا بد من تأكيد التزكية الجماعية التكنية لأهمية القدرات العسكرية الإزرگية. فقواعد الأعراف ترجع بذاكرتها إلى حمو أوسعيد منذ نهاية القرن السابع عشر الذي لبى نداء السلطان إسماعيل العلوي سنة 1720 بتوجهه على رأس 500 فارس لحماية علي شندورة أمير الترارزة من تهجمات أولاد دليم وأولاد رزق. ولم تحل تطلعات الأمير الترارزي نحو منطقة الوالو وتحالفه مع A. Brüe الفرنسي على أداء سبع نياق سنوية كعادة استمرت إلى حدود سنة 1930.

ندرك من هنا كيف استطاعت القبيلة منذ التحاقها بلف أيت الجمل أن تسلك نمط العيش الترحالي بصورة نهائية. لقد استطاعت أن تختط لنفسها مجالا استراتيجيا عبر الساحل الأطلسي ابتداء من وادي درعة إلى ما وراء بئر تكنة جنوب الساقية الحمراء. هذا ما يؤكده وجودها بآوريورة منذ بداية القرن الثامن عشر (V. Monteil, 17) ولا أدل على مقدرة الحادية تكنة في مراقبة هذه المناطق حتى منتصف القرن الماضي منذ استعمال إزرگيين الفلاحي لكل من زيني وإيدار والگعدة والمريكلي بعد أهم التساقطات الموسمية، فمن حيث هي كقبيلة تكنية ساحلية، استطاعت هذه القبيلة التوفيق بين الطابع الترحالي والزراعة الموسمية. لقد كان اقتصادها يقوم بالإضافة إلى منتجات الحرث الرسمي، على تربية الجمال والغنم والمعز. هذا علاوة على أهمية حجم المنتجات التي يوفرها محميو القبيلة.

لقد جاءت العوامل الطبيعية والسياسية سببا هيكليا جعل إزرگيين ومحمييهم يعيشون في إطار من الخصوصيات. ويضيف المجال هنا عن دراسة التطور التاريخي للبنية القرابية والسياسية والاقتصادية للقبيلة. لذلك سنكتفي بنبذة وصفية تورد الخطوط العريضة لتماسك القبيلة حتى منتصف هذا القرن. تعتبر أهم فصيلة حجما ووزنا سياسيا هي اشتوكة التي تتكون من لگوانه وأهل احماد أسعيد حامبيي أهل الگندوز. تاتي بعد ذلك فصيلة لگراح وفصيلة أيت سعيد. يعد أهل حمو أسعيد ـ قائد السلطان إسماعيل العلوي ـ من بين تجزءات هذه الفصيلة التي تعتبرها الرواية الشفوية أحق الفصائل بالانتماء إلى تكنة (V. Monteil, 11)، وعلى حدة العوامل الطبيعية الفاصلة بين اشتوكة ولگراج وأيت سعيد، فإن تماسكها البنيوي يتجلى خلافا لما تروجه المنغرافيات العسكرية الفرنسية في شبكة علاقاتها الحمائية مع فصائل قبيلة مجاط المحلية. فنجد أهل لخديم يرتبطون بتحركات

اشتوكة. بينما يتبع لبيوض تجزئات لكراج وأهل علي أسالم تجزئات أيت سعيد. هذه التحالفات تشكل شبكة يصل تعداد خيماتها 1200، ينضاف إليها سكان عبودة من أيت حسين (200 عائلة) والزناقات (60 عائلة) والفيكات (صيادون - 50 خيمة) ولميار (70 خيمة) وتوبالت (30 خيمة) ونرى بذلك كيف تتجسد أهمية شبكة الحماية الإزرگية شمال وجنوب وادي درعة كقاسم مشترك بين تجزئاتها الثلاث. علاوة على ذلك، فإن اشتوكة التي تعد أكبر تجزئة في القبيلة، تتصدر شؤون التسيير من خلال أهل سيدي يوسف الذين يترأسهم إبراهيم ولد سيدي يوسف خلال الثلاثينات من هذا القرن. أما أهل يحيا من فصيلة أيت سعيد فيتزعمها رمضان ولد علوات، ويتزعم لعروسي ولد سليمان أهل بوجمعة ولد الجيلالي (أهل العياشي) من فصيلة لكراج. ويتسم الوجه الآخر لهذا التلاحم في هيأة أيت أربعين أنفلوس الذي يربط بين مجمل الفصائل. يعفي هذا المجلس الأعلى لفيكات ولميار ونوبالت خلافا لباقي المحميين من المشاركة في الملاحم العسكرية. وهي مهمة تستلزم وحدة التقارب البنيوي بين أعضاء المجلس والتحامه التام في أساليب التعامل مع الغير. ولا شك أن صلاحية تعيين وتحديد مأمورية قاضي القبيلة من بين القوانين الأساسية التي تتخذ وفقا لمنطق سلطة المجلس الأعلى (La Chapelle, 87 - 88).

هكذا ندرك كيف يتم التوفيق بين الفصائل الثلاث ومشاركة كل واحدة منها في الترابط الوظيفي المنسق لمسار القبيلة. إن سيطرة التقاليد والمعايير الاجتماعية تتطلب إعطاء الأولوية في العلائق والفعاليات الاجتماعية لتلبية الحوافز الطبيعية واتباع الاحتياجات الحياتية. ولعل من أبرز صفات هذه الفعاليات هو موقف القبيلة من الوجود الإسباني على امتداد الساقية الحمراء وشمال وادي درعة منذ الفصل الأخير من القرن الماضي. لقد جسدت مصالح قبائل المحور الساحلي لتكنة مخطط التعامل التجاري مع المسيحيين، فلم تدخل حماية القبيلة لمصالح الشركة الجغرافية التجارية الإسبانية بين وادي درعة ورأس بوجادور ابتداء من 1886، إلا في إطار التعامل المرحلي. لقد استطاع Don Alvarez Perez مبعوث الشركة انتزاع حماية إزرگيين وأيت موسى أوعلي لمشروعه. وهذه الحماية لا تعني أكثر من سذاجة الرؤيا القبيلية الداعية إلى تحقيق أكبر الأرباح عبر مبدأ سياسي لا يتجاوز فكرة المبادلات التجارية المرحلية. على أن الإسبان لم يلبثوا أن استعملوا محميي القبيلة برأس جوبي (طرفاية) من أجل توفير ما يكفي من الأرباح لأداء الضرائب المفروضة من طرف شيوخ إزرگيين. وقد زاد من التحام هؤلاء بالوجود الإسباني تحصيلهم على الأسلحة والمساندة ضد محاولات لف أيت عثمان العدائية، على أن هذا التحالف لم يكن يعني السماح للإسبان بالاستقرار داخل التراب كما يثبت ذلك انعدام التسربات العسكرية بعيداً عن التكنات الشاطئية.

وهو أيضا ما تثبته ردود فعل الشيوخ المحليين حتى الثلاثينات من هذا القرن. ومما لا يدع مزيدا للشك حول رؤية القبيلة التحررية أن مجنديها في إطار ما سمي بالگوم لم تكن مهمتهم تتجاوز متابعة قبيلة أيت أسا حتى الثلاثينات قصد تصفية محاولاتها ضد المحور الساحلي ومستقطبيه من المسيحيين. لقد كانت أجرة إبراهيم ولد سيدي صالح رئيس گوم إزرگيين تصل إلى 450 بسيطة سنة 1928. في حين كانت أجرة خطاري تتجاوز 300 بسيطة شأنه في ذلك شأن صالح ولد بيروك من أيت موسى أوعلي. ولعل في هذا من الإشارات ما يكفي لتوضيح الغاية السياسية من جلب وإغراء أبناء القبائل المحلية.


أ. البكري، *المغرب*، 1965 ؛ أ. البيذق، المقتسب ؛ *أخبار المهدي*؛ ع، بنعبد الله، *معلمة الصحراء*، ملحق ؛ م. شفيق، *في أن أسماء الأماكن جلها أمازيغية*، مجلة البحث العلمي، عدد 27 : 329 - 358 ؛ م. ناعمي : *الصحراء من خلال بلاد تكنة*، 1988 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 12.

E. Michaux Bellaire, *Les Coutumes Berbéres dans les Tribus arabes*, R.M.M.9, 1909, 224 - 234 ; P. Marty, *Les Tekna du Oued Noun*, in *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, Publications du Comité. A.O.F, 1915, 60-91 ; F. De La Chapelle, *Les Tekna du Sud Marocain*, L'Afrique Française, Bulletin du Comité du Maroc, 1934, 109 p ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, I.H.E.M. Larose, 1948, 58 p ; P. Pascon, *Les ruines d'Agouitir de Khnifis, province de Tarfaya (Santa Cruz de Mar Pequena)* Ministère des Affaires Etrangères, Rabat, 1936, 29p. ; A. Boudhiba, *Les Arabes et les Couleurs*, in *l'Autre et l'Ailleurs*, Paris, Berger-Levrault, 1976, 347-355 en particulier 348.


مصطفى ناعمي

**أزْرُو**، - جغرافيا - مدينة تتميز عن غيرها في مجموعة مدن الأطلس المتوسط الشمالي الغربي لكونها تحتل موقعا جغرافيا استراتجيا وسهل الاتصال، إذ تشكل ممر عبور تاريخي على طول الطريق التقليدي الرابطة بين فاس ومراكش من جهة ومكناس وتافيلات من جهة أخرى.

تحتل هذه المدينة موضعا منفتحا على سهل تيگريگرة (اسم الواد الذي يمرّبه) الممتد على 1000 - 1200 م من العلو في اتجاه الجنوب، تشرف عليه من الواجهة الشرقية والجنوبية الشرقية قمم بوطاعة والأجراف الصخرية لخرزوزة على مدى ارتفاع يصل إلى 1637 م. يتميز هذا الموضع بمناخ متوسطي جبلي تكثر فيه التساقطات (أزيد من 700 مم في السنة) وتكون على شكل ثلوج في الفصول الباردة، وتعزز فيه المجاري والعيون العذبة مثل عين أغبال. ويعرف فصل الصيف عواصف رعدية تخفف من شدة جفاف هذا الفصل، إلاّ أن طابعها العنيف يهدد أحيانا بفيضانات خطيرة الأحياء المنتصبة فوق المرتفعات مثل حي الصباب، وحي القشلة، وحي تيزي مولاي الحسن، وحي سيدي عسّو (مثل ما وقع في شتنبر 1980). ومما يزيد في خطورة هذا الوضع انتشار ظاهرة التعرية بالمنطقة، وهي ناتجة عن تدهور الغطاء النباتي الطبيعي المكون من غابات الفلّين الأخضر والأرز. وعملية التشجير التي تقوم بها مصالح المياه والغبات بطيئة، ويتطلب إنجاحها إدخال تغييرات عميقة على نمط عيش الساكنة الريفية التي تعتمد في

نشاطها الرعوي على استغلال المراعي الطبيعية، ومنها الغابة. إلاّ أن الرعي ليس هو السبب الوحيد في تراجع هذه الثروة، بل إن استغلال الخشب الذي عرف ازدهاراً كبيرا منذ القدم قصد تزويد المراكز الحضرية مثل فاس ومكناس، ومايزال يساهم في بناء ثروات ضخمة يعتبر من العوامل الأساسية المساهمة في الإخلال بالتوازن بهذه المنطقة .

يرجع تاريخ ذكر مدينة أزرو إلى عدة عدة قرون . وقد جعل منها مولاي إسماعيل قلعة سنة 1670 م يحرسها العبيد قصد الحد من حركة الهجرة الواسعة النطاق التي عرفتها القبائل البربرية الشبه ترحالية من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي للمغرب، وذلك منذ نهاية القرن السابع عشر، ومنها قبائل زمُّور وگروان وبين مطير. ويعتقد أن اسم حي القشلة المشرف من منحدرات بوطاعة يرجع إلى هذا الحدث التاريخي .

ويعود بناء أول نواة أول لأزرو الحالية إلى القرن التاسع عشر عند استقرار فرقة أيت اعْمَر بالمنطقة المنتمية إلى قبائل بني آ مْگيلْد الآتية من أعالي ملوية. تقع المجمعة الصغيرة في جبل بوطاعة وجبل بُو إغْيال، وكان يطلق عليها اسم إغْرم أقْديم أي الحصن القديم، وتعتبر محطة تبادل حيث كان تقام بها سوق أسبوعية تقصدها القبائل المجاورة .

استقطب هذا المركز منذ البداية عناصر من المهاجرين القادمين من تافيلالت من شرفاء واد غريس الذين أصبحوا يمارسون التجارة والحرف (خاصة صناعة الأقْدية.

وقد أعطى قدوم مولاي الحسن نفساً جديداً للمركز حيث بنى السلطان مسجداً و"قصراً" لإسكان الوافدين من الجنوب، ويعرف القصر حاليا بدرب أيت غريس.

عملت الإدارة الاستعمارية على تعزيز مدينة أزرو بهدف جعلها مركز مراقبة عسكرية وسياسية وإدارية لهذه المنطقة منذ أن تمّ القضاء على المقاومة العنيفة التي واجهتها جيوش الاستعمار من طرف مجموعة القبائل. كما حظيت باهتمام خاص من طرف سلطة الحماية التي جعلت منها مركزا لتطبيق سياستها البربرية التقسيمية حيث عملت على بناء الثانوية الفرنسية - البربرية سنة 1924، كما شيد دير الرهبان فوق مرتفعات تيومْليلينْ. وأصبح أزرو يتوفر على مصالح جديدة للإدارة والخدمات والتجارة تُوفر شروط استقرار المعمرين الذين تعاطوا أنشطة مختلفة مثلا استغلال الغابة والفلاحة وغيرها.

وإثر هذه التغييرات أصبح أزرو يمثل مركزا استقطاب للمهاجرين من مختلف مدن وأرايف المغرب، وتزايد بذلك عدد ساكنتها إذ انتقل من 1953 نسمة سنة 1926 إلى 6.726 سنة 1952، و14.143 نسمة في 1960 وبلغ عدد الأجانب من أوروبيين وغيرهم 463 نسمة في نهاية عهد الحماية. وظهرت أحياء جديدة من نمط جديد تتميز بطابع معماري أوروبي يتكون من الشوارع الفسيحة بالأشجار والحدائق الأنيقة والبنايات المغاطاة بالقرميد الأحمر، زادتها رونقا وجمالا محاسن هذا الوضع المتميز بالصخرة العظيمة التي منحت أزرو اسمها. كل هذا أبدعت فيه الإدارة الاستعمارية لإثارة الإغراء والانبهار في الوقت الذي لم تُدخل فيه أي تغيير على أحياء الساكنة المحلية التي بقيت تفتقر أغلبيتها في ظروف النمو السريع إلى كثير من التجهيزات، حيث نشأت أحياء أخرى مثل : القشلة، وتيزي نْ سيدي عسُّو، وبواغْيال، وأحَدَاف، و على الشكل التقليدي المتميز بدور صغيرة ومنخفضة مشيدة بالطين أو "الركز" تعلوها سطوح منبسطة مغطاة بالشيست المدكوك حسب تقنيات بناء مستوردة من المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية .

إلى حدود الخمسينات وبداية الستينات وبالرغم من التوسع الذي سجلته المدينة بقيت أزرو تمثل مركزا جبليا صغيرا متميزا بهدوئه حضرته لكثرة الغابات المشرقة عليه ولامتداد بساتينه وغزاة عيونه، إلاّ أن هذا قد تغير كثيرا ودخلت على مدينة أزرو تحولات غيرت ملامحها .

هكذا استمر التزايد الديمغرافي الذي انطلق في عهد الحماية وانتقل عدد السكان الى 31471 في سنة 1982 ويرتقب أن يفوق 40.000 نسمة في نهاية الثمانينات ، ذلك ما جعلها تصنَّف ضمن فئة المدن المتوسطةالمغربية تاركة وراءها مجموعة المراكز الحضرية المنتمية للأطلس المتوسط الغربي مثل عين اللوح (4.202 نسمة) وميدالت (24.578 نسمة) وإفران (7.717 نسمة) وإموزار (7.018 نسمة) باستثناء خنيفرة التي تفوقها بقليل 38.840 نسمة) ومما يفسر هذه الدينامية الديموغرافية لأزرو كون ما يقرب من نصف سكانها أصلهم من مناطق مختلفة مثل المناطق المجاورة والريف والأطلس الكبير وتافيلالت. ويمكن تفسير التوافد المستعمر على مدينة أزرو بكون المنطقة تتوفر أكثر من غيرها في منطقتها على مؤهلات طبيعية واقتصادية هامة تمنح إمكانيات لعيش بالرغم من كون هذه الأخيرة محدودة وغير مستقرة في كثير من الحالات، وذلك لأنها مرتبطة بالاستغلال الغابوي والفلاحة وبعض الأنشطة المنتمية إلى التجارة والخدمات .

ويُعتبر أزرو مركزا اقتصاديا هاما، وتمثل التجارة والخدمات الوظائف الأساسية للمدينة حيث إن موقعها عند مفترق الطرق وانفتاحها على مجموع الأقاليم المغربية يؤهلها لتقوم بدور التبادل واستقطاب خدمات اقتصادية واجتماعية مختلفة. (حسب إحصاء 1971 يشتغل السكان النشطون بنسبة 36،7 ٪ من أنشطة إنتاجية (صناعية تقليدية خاصة) ، 14،4 في التجارة ، و27،3 في الخدمات. البطالة 16،9 ٪ من اليد العاملة).

عرف النشاط التجاري ازدهارا مرموقا وتنوعت فروعه منذ الستينات لتلبية الحاجيات المتزايدة الجديدة مثل : التجهيز المنزلي العصري وبيع الحلي والعطور والملابس والبذور والأسمدة والمبيدات وقطع الغيار.كما أن الخدمات توسعت ليس فقط على مستوى التعليم والصحة حيث ظهرت مؤسسات تعليمية ابتدائية وثانوية أخرى، واستقر

أطباء (حاليا سبعة) وصيادلة (أربعة) جدد، بل حتى على مستوى قطاعات أخرى مثل إصلاح السيارات والآلات المنزلية وغيرها والمقاهي والمطاعم التي أصبحت تستقطب الشباب الذي يعاني من الفراغ المهيمن على حياته (توفر حاليا أزرو على تجهيزات تعليمية مكونة من 5 مدارس ابتدائية وإعداديتين وثانوية، وكذا على تجهيزات صحية عمومية مكونة من مستشفى ومركز صحي ومستوصف ومستشفى في طريق عين أغبال. فيما يخص البنيات السياحية لم تشهد أي تحسن ولازال عدد الفنادق لا يتعدى الخمسة منذ فترة الاستعمار).

أزرو : صورة جوية

تتوفر مدينة أزرو على ملعب صغير لكرة القدم وبعض التجهيزات الثقافية إلى جانب هذا يشكل قطاع البناء نشاطا هاما ساهم في إنعاشه خاصة العمال المهاجرون، حيث إن أول استثمار يقومون به هو شراء قطعة أرضية لبناء المنزل العائلي.

أما الصناعة فتنحصر في بعض معامل الخشب، وتعاونية للصناعة التقليدية تعتبر أهم وحدة مشغلة بالمدينة إذ تشغل أزيد من 300 عاملة من كبار وصغار في قطاع نسيج الزرابي المشهورة بجودته.

تصدّر رزابي أزرو إلى مناطق مختلفة من المغرب، استطاعت أن تعبر الحدود في اتجاه دول اوروبا (المانيا بالخصوص). كما تشغل التعاونية صناعا لإنتاج أدوات فنية منحوته على الخشب.

وبعيدا عن المدينة يشتغل عدد مهم من السكان في أنشطة استغلال الغابة (الحطابة)، وكذا الأشغال الفلاحية التي عرفت نوعا من التكثف نتيجة التحول الجذري الذي عرفته الفلاحة بسهل تيگريگرة حيث تراجعت زراعة الحبوب وأخذت مكانها مغارس الأشجار المثمرة التي تتطلب عناية مستمرة (أشجار التفاح والإجّاص والخوخ وحب الملوك). ويتهافت بذلك ملاكو الضيعات على يد العاملة من أزرو نساء ورجال وأطفال خاصة في مرحلة "النقاشة " و"الزبارة".

وباعتبار هذا الدور الاقتصادي الجهوي والتزايد الديمغرافي في الذي سجلته مدينة أزرو تعيش هذه الأخيرة توسعاً مجالياً هائلا يتمركز أساسا في اتجاه الشمال الغربي أي بحي أحاذَافْ بالإضافة إلى امتداد الأحياء المنتصبة التي لا زالت تتسلق أعالي المنحدرات في ظروف تعميرية لا تلائم قواعد التعمير العصرية. كما في أحياء القشلة وسيدي عسو وتيزي نْ مولاي الحسن والصباب، فانتشر البناء على الاراضي المنبسطة آكلاً بذلك المزارع . والمغارس الجميلة. ويزيد التهافت القوي للسكان على الأرض في إنعاش المضاربة العقارية. فالمدينة تنمو وتتوسع بشكل قد لا يتناسب وموضعها الجميل المتميز.

G. Beaudet, *Les Beni Mguild du Nord, Etude Géographique de l'évolution récente d'une confédération semi-nomade*, R.G.M. n°16, 1969 ; A. El Belghiti, *Urbanisation et domination du monde rural, l'exemple d'Azrou*, Thèse de doct. de Spécialité, Etude Urbaines, faculté des Lettres de Toulouse 1978 ; *Plan d'Aménagement de la ville d'Azrou, note de présentation* ; Recensement 1960 - 1971 - 1982, Carte topographique d'Azrou au 1/50.000.

عائشة البلغيثي العلوي

**أزْرُو** . تاريخ . مصطلح أمازيغي معناه "الحجرة والصخرة" له انتشار واسع في الطوبونيميا المغربية وخصوصا في المناطق الجنوبية من البلاد، ضبطه لاووست (Laoust, *Contribution*, p. 31) أكثر من ثلاثين مرة، مشيراً إلى أن "صيغة الكلمة تكون أحيانا مؤنثة أو مركبة كتُوزْرُت ودُوزْرُو بمعنى "تحت / أسفل الحجرة". وعندما تستعمل وحدها فالكلمة تشير إلى قرى يميزها وجود صخرة كبيرة بها أو بمقربة منها. ومن أهم التجمعات السكانية الحاملة لهذا الاسم مدينة أزرو بالأطلس المتوسط، وقرية أزرو ببلاد سوس.

يرتبط اسم بلدة أزرو الأطلس المتوسط بالصخرة الضخمة التي تتوسط مساحتها والتي تعرف عند أهالي المدينة والمنطقة باسم "أَقْشْمِير" وهو مرادف لكلمة أَزْرُو (بزاي مفخمة) التي تعني الصَخرة كما سبق.

لكن الملاحظ بهذا الخصوص هو أن كلمة "أزرو" هذه غير معروفة بمدلولها المرتبط بالدلالة عن الصخرة العظيمة الضخمة، عند "أيت مگيلد" وهم قبائل المنطقة، الشيء الذي أدى ببعض الباحثين أمثال "لاووست" إلى القول بأن هذا الأمر يمكن اعتباره في غياب غيره من الحجج الواضحة، حجة عالقة بالأصل الأجنبي لهذه المجموعة القبلية عن المنطقة (*L'Habitation*, 95) .

ومهما يكن فإن بهذه الصخرة العظيمة البارزة على شكل جبل شاهق، كهوفاً استوطنها الإنسان من عهود ما قبل التاريخ، اكتشفت بها في بداية الأربيعنات، مواد

حجرية مصقولة ومنحوتة. على أن أول ذكر لأزرو في النصوص التاريخية - فيما نعلم - هو ذلك الذي ورد في أخبار المهدي للبيذق، حيث جعلها من المراحل التي توقف بها الخليفة عبد المومن بن علي الموحدي واتخذها "نزلة" ومرحلة له ولجيوشه عند ملاحقته لجيوش المرابطين، وذلك سنة 535 / 1140 - 1141. وفي معرضه عن الحصون التي بناها المرابطون سماها البيذق حصن آصرو (والصاد هنا مشمومة زاياً مفخمة) ومتاع عبد الله، أو متاع بني عبد الله (*أخبار المهدي*، 92).

هذا وبقيت وظيفة الدفاع والتحصن عالقة بأزرو على مدى تاريخها الطويل، حيث اعتصم بها غير واحد من المتمردين ومن أدعياء الإمارة، أمثال طلحة بن محلي النطوئي الثائر على الأمير المريني يعقوب بن عبد الحق سنة 674 (*الذخيرة*، ص 160).

ولعل ما احتفظت به بعض النصوص التاريخية من كون قلعة "أزرو" من بناء السلطان العلوي المولى إسماعيل الذي أمر فعلا بذلك سنة 1093 هـ لا يعني إحداث الحصن في مكان خال من كل بناء محصن بقدر ما يعني إعادة بناء القلعة الأصلية المندثرة كلا أو جزءاً.

ومهما يكن فقد أدى وجود حصن أزرو إلى نشوء قرية لاصقة به، لعبت إلى جانبه دورا هاما في فترات مختلفة. فإليها مثلا خرج الأمير محمد الحاج الدلائي في صفر 1074 / شتنبر 1664 وضرب خيامه حولها، حيث مكث نحو شهر ينظر في شؤون الرعية ويتخذ الإجراءات الكفيلة بتأمين السبل وحفظ النظام في الأقاليم التابعة له (*الزاوية الدلائية*، ص 241) وشارك قاضيها وعلماؤها في بيعة بعض الأمراء كما حدث سنة 1158 هـ عند مبايعة الأمير العلوي زين العابدين بن المولى إسماعيل (*الترجمان المعرب*، 49).

وقد كانت هذه القرية في بداية القرن العشرين النواة الوحيدة لقيام مدينة بمجموع تراب الأطلس المتوسط الذي تستوطنه قبائل أيت مگيلد. وكان البناء آنذاك منحصراً في رقعة تمثل اليوم سُبع المساحة العامة للمدينة منظما على الطريقة التقليدية، يحيط به سور وقائي يتوسطه مسجد عتيق وتتفرع الأزقة تفرعات عديدة في اتجاه عين الماء الجارية المعروفة باسم تيط الحصن (أي عين ماء الحصن).

ونظراً لما كان لأزرو من أهمية استراتيجية فقد اتخذتها سلطات الحماية بعد احتلالها في أبريل - يونيه 1913 قاعدة من قواعدها الأساسية للسيطرة على جبال الأطلس المتوسط والتحكم في الطريق الرئيسية الواصلة ما بين مكناس وتافيالت من جهة وفاس ومراكش من جهة أخرى. ثم تعززت هذه الوظيفة العسكرية والإدارية بوظيفة ثالثة هي وظيفة التعليم، إذ أحدثت مدرسة خططت لها السياسة الاستعمارية لتعليم اللغتين الفرنسية والأمازيغية دون اللغة العربية وذلك سنة 1927. إلا أن هذا المرمى الهادف في ذهن المستعمر إلى زرع بذور التفرقة لم يكن لينجح، إذ سرعان ما أصبحت هذه المدرسة معقلا من معاقل بث روح الوطنية وساهمت في إضرابات ومظاهرات بداية الثلاثينات.


أ. البيذق، أخبار المهدي ؛ ابن أبي زرع، الذخيرة السنية ؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج 8 ؛ م. حجي، الزاوية الدلائية، ط. 2، 1988.

E. Laoust, *L'Habitation chez les transhumans ; Répertoire alphabétique* ; G. Beaudet, *Les Beni Mguild du Nord*, R.G.M, 15, 1969, PP. 3 - 80.


عبد العزيز توري

**أزرو أقَشّار**، جبل يعني اسمه باللهجة الريفية "الحجر الأقرع" ويقع بقبيلة بني توزين الريفية، ويكون حلقة مهمة في سلسلة جبال الريف، حيث يعلو سطح البحر بـ 2011 مترا. وتوجد به منابع وادي الكرت الذي يصب في البحر المتوسط، وهذا الجبل هو الذي أطلق عليه الوزان الفاسي اسم جبل بني توزين.


Ministerio de la Guerra, *Accion de España en Africa* 1930, 2 : 36 ; Domenech Lafuente (Angel) *Geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos* 1942, p. 27 ; Cabello Alcaraz (J), *Apuntes de geografia de Marruecos* 1951, p. 72.


محمد ابن عزوز حكيم

**أزروال ← الزروالي**

**أَزَاضْن**، مفـرده أَزَضْ : لفـظ بـربـري يـذكـر بقبيلة مصمودية كبيرة تضمنت مسفيوة وماغوس وغيرهما. ومعنـاه حسـب E. Laoust صخـرة الطحـن (*Contribution*, 115) وتطلق بالتحديد على الشق الأعلى للرحى اليدوية. ويدل اللفظ عامة على الطحن، طحن الدقيق، أو الزيتون. إلاَّ أن بعض العرفاء في اللغة المصمودية يقررون أن له معنى : النسج.

وأَزَاضْن مدشر يقع ضمن فرقة گيمي، إحدى فرق قبيلة هنتيفة "الوطا" على بعد حوالي 140 كلم شرقي مدينة مراكش، في دير الأطلس الكبير الأوسط. ويوجد بالقرب من مقلع مشهور منذ القديم تستخرج منه حجارة لصنع الرحى قصد طحن الحبوب وعصر الزيتون. ولعله من ثم اشتقت هذه التسمية. بالإضافة إلى ذلك فإن المنطقة قد اشتهرت بتربية الماشية، وخاصة الغنم. ولعل هذا ما جعل أزَاضن تدل أحيانا على النسج وهو من معانيها القليلة التداول. وكانت أزاضن من بين المراكز الناصرية في دير الأطلس في القرن 12 / 18 (*الدرة الجليلة*، 2 : 356) ومن بين أقدم مراكز الاستقرار في تلك المنطقة.

وأَزَاضْن فرقة من قبيلة گندافة، تستوطن حاليا وادياً يحمل نفس الاسم يخترقه أحد الروافد اليمنى لواد نفيس، عند سفح جبل تَزَغَارْتْ، بالأطلس الكبير، جنوب مراكش (*Le Haouz*,166) وكانت أزاضن ترد في كتب التاريخ باسم صادة، والصاد فيها مشمومة زايا، ومثلها صُودة وزُوضة، ومن ثم يمكن إرجاع نسبهم إلى مصمودة الجبل المعروفين (*التشوف*، 86 و 266).


ي. التادلي، *التشوف* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*.

E. Laoust, *Mots et choses* ; *Contribution* ; P. Pascon, *Le Haouz*.


أحمد عمالك

**أزاضن، واد** من أودية جبل درن، ينبع من السفح الشمالي الغربي لهضبة تازاغارْتْ (3847 م) ويتلقى مياه شعاب جبال أگلزيم (3547 م) وأدرج (3129 م) وتاسْغيموتْ (2664 م) وأوْرِيرْنْ ارگ (3171 م) وتاخْرْخورْتْ (2309 م) وهو من أهم روافد وادي نفيس حيث يصب في ضفته اليمنى بعد أن يمر بقرى ويرگان ويسمى في طرفه خلال هذه القرى بوادي ويرگان.

وعلى هذا الأساس ينقسم المقطع الطولي لوادي أزاضن إلى جزءين : الجزء العلوي الذي يوافق عالية الوادي فوق تساويرگان : والجزء السفلي الموافق للسافلة تحت نفس الدوار. ولعل أهم ما يفرق بين الجزءين، عنصرا الانحصار والبنية، وبالتالي الإمكانات التي يوفرانها على مستوى المجال الفلاحي.

فالعالية التي تعرف بأزاضن منطقة يغلب عليها الطابع الجبلي لولا وجود منخفض عال شبيه من حيث البنية بمنخفض ويرگان / مريغة مساحته حوالي 7800 هـ. استطاع تثبيت عدد لا يستهان به من الدواوير تعتمد في اقتصادها على الجمع بين الزراعة والغراسة في إطار المدرجات وبين تربية الماشية كما هو الحال بالنسبة لغالبية أودية الأطلس الكبير جنوب مراكش. إلا أن هذه المنطقة عرفت في السنوات العشر الأخيرة ثورة فلاحية حقيقية تمثلت بالخصوص في تنويع الإنتاج الفلاحي، وذلك بإدخال مزروعات جديدة كزراعة البطاطيس وزراعة شجر التفاح من جهة والرفع من مكانة تربية الأبقار من جهة أخرى، إلى جانب زراعة الحبوب وأشجار الجوز وتربية الماعز طبعا.

وأزاضن أيضا، قبيلة واقعة على وادي أزاضن في عمق الأطلس الكبير، وهي منطقة قديمة التعمير كما تشهد على ذلك كتابات بعض المتقدمين من مؤرخين وجغرافيين، ذلك لأن كلمة أزاضن - التي عربت على صيغة صادة - ورد ذكرها أول الأمر على لسان أبي عبيد البكري على صيغة أصاده مرة عند الحديث عن الطريق الرابطة بين سبتة وفاس ومرة عند حديثه عن مملكة برغواطة. ولعل أهم ما يمكن استنتاجه من كلام البكري هو أن أصادة المدينة التي قال عنها بأنها قريبة من "مجاز الخشبة على وادي ورغة" ربما كانت هي مدينة وزان الحالية من جهة، وأن مجال أصادة القبيلة يشمل غرب جبال الريف من جهة أخرى. وإذا ما انتقلنا إلى القرن الثاني عشر الميلادي وجدنا أن صادة ورد ذكرها على لسان البيذق عدة مرات : مرة في عداد القبائل المضافة، ومرة في عداد أفخاذ هسكورة الظل، ومرة عند الحديث عن غزوات المهدي بن تومرت.

وإذا سلمنا بأن مجال الظل لا يمتد إلى الريف إطلاقا وأن مجال غزوات المهدي اقتصر بالأساس على الأطلس الكبير جنوب مراكش أصبح لزاما طرح التساؤلات الآتية : ما هي العلاقة بين صادة البكري وصادة البيذق ؟ هل هو اسم لاتحادية كبيرة : بعض قبائلها بالريف وبعضها الآخر بالأطلس الكبير الغربي ؟ ولا يزداد المشكل إلا تعقيدا عندما نقرأ عند ابن عذاري وابن خلدون أن "بطون مصمودة تتشعب من أربع قبائل : دغاغ، وأصاد، وبني سمغرة، وكتامة" وأن " من بطون أصادن ومصفاوة وماغوس، ومن مصفاوة دغاغة ويوطنان... ويقال إن غمارة ورهون وأمل من اصادن والله أعلم."

ولعل القول بأن صادة صادتان : صادة الريف وصادة الأطلس الكبير الغربي أقرب إلى الصواب. وحجتنا في ذلك ما جاء في كتاب *الأنساب* المجهول المؤلف :"وفي تاساوت من بلاد هسكورة جماعة كثيرة من صادت.. ونزلت طائفة منهم بقرب گيگ عند تاگموت وهم الذين ترك عندهم عقبة بن نافع اثنى عشر رجلا من المرضى كانوا في عسكره حين جاز إلى سوس، ونزل رجل آخر منهم من أهل تاساوت في واد نفيس ببلد هزميرة، وهذا كله قبل الإسلام".

ومن المعلوم أن تساوت وگيك ونفيس وبلد هزميرة كلها مجالات من جبل درن. وفي مكان آخر : "قصر صادة.. صادة الذين كانوا بقرب طنجة وسبتة وعين الشمس قبل الإسلام". وقد نذهب إلى القول بأن صادة مجرد صيغة أخرى لمصمودة !.


البكري، *المغرب* ؛ البيذق، *المقتبس* ؛ ابن عذاري، *البيان* (قسم الموحدين) ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر* ؛ مجهول، *كتاب الأنساب*.

E. Laoust, *Contribution.*


**أزْگَرْ**، ومعناه المجاز أو مكان التعزيب بالماشية. دوار بفرقة أردوز على بُعد حوالي عشرين كلمترا إلى الجنوب من أمزميز. تنسب إليه جماعة قروية، وارتبط اسمه بأحد مناجم الأطلس الكبير الغربي العديدة، وهو في مجال قبيلة إگدميوْنْ المعروفة منذ العهد الموحدي على الأقل، وهو مجال بين وادي أسيف المال غربا ووادي نفيس شرقا. والمنطقة هضبية ملائمة للاستقرار بها دواوير صغيرة.

كان يُستغل بأزگرْ منجم يحتوي على المُوليبْدينْ والفولفرام والنحاس، وكانت تسهر على استغلاله "شركة المُوليبْدينْ" وقد توقفت عن العمل أربع مرات مابين 1930 و1971. ففي سنة 1936 كان عدد سكان أزْگرْ 274 نسمة بينما كان عدد سكان المركز المنجمي به 385 نسمة من بينهم 30 أجنبيا و5 يهود. ولكن تناقص سكان أزْگرْ فيما بعد يعود إلى توقف النشاط المنجمي وإلى وجود تقاليد في منع الحمل غير معلن عنها في المنطقة، كما يرجع إلى الهجرة التي شهدتها الأرياف المغربية عامة منذ بداية هذا القرن.


الزرهوني، عبد الله بن ابراهيم، *رحلة الوافد*.

J. Dresch, *Documents sur les genres de vie.*


أحمد بلاوي

**أزْطُوط**، بوسلهام بن علي العرايشي. فقيه سياسي، اشتغل مدة في حكومة المخزن، بدأ كمساعد لعبد السلام السلوي عامل طنجة. ثم أصبح عاملا على مدينة العرائش.

وفي 16 رمضان 1256 / 11 نونبر 1840 عينه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام عاملا على مدينة طنجة وشملت منطقة نفوذه جبال الريف الغربي وبلاد الهبط باستثناء تطوان، ثم كلّفه بأن ينوب عن المخزن إزاء الدول الأجنبية حين تقرر إقامة ممثلي هذه الدول بطنجة، وأسند إليه النظر في القنصلية المغربية بجبل طارق، فاكتسب بذلك حنكة سياسية أهلته لأن يفاوض مندوبي الحكومة الفرنسية بعد هزيمة إسلي ويمضي معهم في طنجة يوم 25 شعبان 1260 / 10 شتنبر 1844، بتفويض من السلطان، معاهدة الصلح المغربية - الفرنسية التي كانت منطلق متاعب عديدة للمغرب مع الدول الأروبية الطامعة فيه خاصة فرنسا واسبانيا . وفي السنة الموالية أمضى أزطوط معاهدة أخرى مع دولتي السويد والدانمارك لم يكن حظ المغرب فيها أحسن من المعاهدة السابقة. وفي الوثائق الملكية مآت المراسلات الرسمية المتعلقة بهذا الموظف تلقي أضواء على الحالة الداخلية والخارجية بالمغرب في منتصف القرن التاسع عشر.

مات أزطوط وهو يزاول مهامه بطنجة أواسط عام 1267 / 1851.

ع.ابن زيدان، *الإتحاف*، 2 : 179 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ م داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 387 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 2 : 188 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 27 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2، : 439 و673.

محمد حجي

**أزْغَارْ**، مصطلح جغرافي أمازيغي معناه السهل أوالهضبة ؛ وعدم الجزم الدقيق ما بين الدلالتين يوحي بأن الكلمة كانت تطلق عموما على كل منبسط بالمقارنة مع الأماكن العالية المجاورة، دون أي تمييز بين البنيات التضاريسية المتميزة : السهل، الهضبة، الوادي، وإن كان بعض الباحثين أمثال إ. لاووست E . Laoust يرون أنها "تدل على الوادي، وعلى منطقة منبسطة تتخللها هضاب، أكثر من دلالتها على السهل".

كان هذا الاسم شائعا بالمغرب حيث أطلق على كثير من الأماكن، فكان هو الاسم التاريخي لسهل الغرب وحوز مراكش، وسهل تزنيت سوس، وحققه إ. لاووست E. Laoust السالف الذكر بتحريفات طفيفة في دراسته لطوبونيميا الأطلس الكبير حيث وجده بتركيبة ترغجت مرتبطا بهضبة عارية، قاحلة وكثيرة الاحجار يتراوح علوها ما بين 3800 و3980 متر مجموعة وانكريم الجبيلة وبتركيبة أزغار وتزغرين (أي السهول الصغرى). على أن نفس الباحث وجد الكلمة مقرونة بمجموعات سكنية على شكل قرى أزغار بغيغاية، وأزكاغ ببلاد تفنوت، وفي جبال غمارة بشمال المغرب. ضبط موليبراس Mouliéras اسم أزغار مرتبطا كذلك بقرى سكنية منها أزغر بني هليل على الضفة اليمنى لواد بني هليل، وأزغار الصغير على الضفة اليسرى بحيرة حاملة لاسم إيزوغار - وهو صيغة جمع لأزغار - ومنها ينبع نهر تاساوت، وهو مثال فريد لا قتران هذا الاسم بمساحة مائية لكن المرجح أنه كان دالا على المنطقة التي بها البحيرة قبل أن يقترن بهذه الاخيرة.

وفيما يخص ارتباطها بالسهول الكبيرة، فقد تقلصت رقعة انتشار اسم آزغار ولم تبق عالقة مشهورة إلا بالهضاب المحادية لجبال الأطلس المتوسط الممتدة عموما ما بين سهل السايس شمالا ومرتفعات الأطلس عند خط يساير مناطق الدير ما بين أزرو وتادلا في اتجاه شمالي - شرقي - جنوبي غربي.

وتمتاز هذه المنطقة بارتفاعها المتوسط حيث لاتفوق في أعلى جهاتها 1200 (ناحية أزرو) وبكثرة مواردها المائية إذ تخترقها أودية كبيرة (أم الربيع، درنت، واد العبيد) وتسقيها مياه عيون متعددة الشيء الذي يجعل منها منطقة ذات عشب وخضرة، ومناخ أكثر اعتدالا من مناخ الجبال المجاورة، خصوصا إبان فصل الشتاء حيث تكثر الثلوج والبرد القارس.

بناء على هذه المعطيات، اشتهرت أزغار بنشاط رعوي عماده الانتجاع ما بينه وبين الجبل، وكان الانتجاع الطريقة الاقتصادية التي اعتمدتها قبائل المنطقة طوال قرون سواء منها قبائل آيت يوسي بالشمال، أو آيت مگليد بالوسط أو آيت عبيد بالجنوب .

وتظهر ظاهرة الانتجاع هذه في الطوبونيميا العالقة حتى بأطراف الهضبة، العليا منها والمنحدرة، للفصل بينهما حيث نجد أزغارفّال بمفهوم "الهضبة العليا" (فال = أفلاّ، أي العلي أو الأعلى) وأزغارْ إرْس أي "الهضبة السفلى (إرّسْ = إرْسْ أي نزل أعلى) هذا وتحفظ بعض الأغاني الأمازيغية القديمة التي ترددها النساء في الأعراس بمنطقة وادي دادس، جنوب الأطلس الكبير، بكلمة أزغار بمعنى المكان الخصب الكثير العشب.

والملاحظ أخيرا أن استعمال الكلمة شائع في أواسط المجموعات القبلية المصمودية والصنهاجية بينما لا تعرفه القبائل الزناتية.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 301 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي*، ط 2، ص 97.

A. Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, II, Paris, 1899, p. 333-334 ; S. Nouvel, *Nomades et sédentaires au Maroc*, Paris, 1917 ; J. Célérier, *"la transhumance dans le Moyen-Atlas"*, Hesperis, VII, 1927 1er trim, p. 53-68 ; E. Laoust, *l'Habitation chez les transhumans du Maroc Central*, coll. Hesperis, VI, Paris 1935, p. 94-99 ; E. Laoust, *Contribution à la toponymie du Haut Atlas*, ext. de la revue des Etudes Islamique, Paris, 1942, p. 33.

عبد العزيز توري

**أزغارنيرس** ← **تارودانت** (إقليم -)

**ازْغَنْغَنْ**، نثبته كما هو مسجل في وثائق قديمة. وحسبما يتم النطق به حاليا. يطلق على جماعة قروية ببني يفرور من قبيلة قلعية، وهي على بعد ستة كيلومترات من مدينة الناظور مما يلي جهة الغرب.

تكونت نواتها نتيجة الهجرة خلال العصر المريني من جواهرة وإكسرون وإسكاجن، واحتلت آخر منحدرات الفوهة البركانية البارزة من جبل قلعية (أگرگور) بوادي أزغنغان الذي تشرف عليه هضبة إثلاثن (أزْرُو أحَمَار).

وخلال القرن العاشر الهجري (16م) عمم هذا الاسم ليشمل جميع جماعات وفرق بني يفرور التي امتدت حدودها إلى واد كرط غربا وسهب كرط جنوبًا وسهب بوعرگ شرقا. وقد أمر عبدالله الغالب ببناء قلعة للسكان على هضبة إثلاثن حماية لبراقة الأحلاف الذين كانوا يتجولون على ساحل البحر الصغير، من غارات القراصنة الإسبان وأتراك الجزائر.

تتألف الجماعة علاوة على السكان الأقدمين من آيت بديديت وأولاد عمر بن يحيى والزاوية والحي العصري.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*.

Marmol Carvajal, *L'Afrique* ; A. Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, p. 166 ; Carte du Maroc, 1/50.000, Melilla.

حسن الفكيكي

**أزگرة** ← **أگلمان**

**أزْگارْ** أو السدرة (= نْبَگْ = عُنَّابْ = تازُوگّارتْ) : نوع نباتي، واسمه العلمي هو زِيزِيفُوسْ لُوتُوسْ Ziziphus lotus الذي ينتمي إلى فَصِيلة النبقيات Rhamnaceae. ويحتوي نفس الجنس على نَوع شجرة الزفزوف أو العناب أو زيزيفُوسْ ڤُلگَاريسْ Ziziphus vulgaris، وهو شجرة صغيرَة شوكية تعطي ثمرا أكبر من ثمر السدرة، لحمي وذو لون بني داكن ولب أبيض هش. والموطن الأصلي للعناب هو الصين، وقد انتشرت زراعته في جميع المناطق الحارة وشبه الحارة مثل المغرب.

الصفات النباتية : إن السدرة جنبة أو جنيبة في غالب الأحيان، غير أنه من الممكن مصادفتها ممثلة بأشجار قصيرة القامة إذ أنها لا تتعدى ثمانية أمتار. جذورها قوية وجد متشعبة تمكنها من احتلال الأرض بسهولة وبسرعة فائقة. وهذا يلحق ضررا بزراعة الحبوب في المناطق الجافة وشبه الجافة. أغصانها متعددة ومتشابكة وكثيرة الأشواك وذات لون أبيض يميل إلى الرمادي. أوراقها صغيرة بيضوية الشكل وملساء، تتساقط في فصل الشتاء. أزهارها جد صغيرة وصفراء. ثمارها نووية وكروية في حجم حبة حمص.

التوزيع الجغرافي : يمتد موطن السدرة في شمال غربي إفريقيا وجنوب البلدان الأوروبية المتوسطية. ففي المغرب مثلا تقطن السدرة أصلا في الطابق المتوسطي الدافئ وما تحت المتوسطي بسهول وهضاب المناطق الجافة وشبه الجافة مثل المغرب الشرقي وتادلة والحوز وسوس؛ ولكن الإنسان أدخلها بصفة عضوية في بعض المناطق شبه الرطبة. وتعيش السدرة في البيومناخات المذكورة : الحارة والمعتدلة والباردة. وفي كل هذه الحالات تتكيف السدرة مع أتربة طينية وخصبة ذات لون كستني.

لا تنظم السدرة عشائر أوجية وإنما ترافق أنواعا أخرى مثل البطم الأطلسي أو السنط المغربي أو أرگان أو العرعر البربري في مجالاتها الطبيعية. وعند إزالة معالم التشكيلات الأوجية تسود السدرة بسهولة في تجمعات نبتية يمكنها تغطية بقع هامة من التربة.

الاستعمالات : إن منافع السدرة كثيرة. فهي تلعب دورا كبيرا في محاربة التعرية بسبب الرياح في المناطق الجافة حيث تتكون النبخات وهي عبارة عن كثبان تراكم الأتربة حول التجمعات النبتية. والنبخات هذه تعتبر ملجأ هاما جدا لتكاثر أنواع النبات الرعوية وأنواع الحيوانات الزاحفة والقاضمة، وذلك بفضل وجود مناخ محلي وذبال ملائمين.

ويمكن للإنسان أن يقطع السدرة ليستعملها كسياج للحقول ولمستقرات الماشية (الزريبة). كما يمكنه أن يأكل ثمارها القليلة الأهمية بالمقارنة مع ثمار العناب.

R. Négre, *Petite flore des régions arides du Maroc occidental*, C.N.R.S, éditions, Paris 1961.

عبد المالك بنعبيد

**أزگان**، جبل مجاور لمدينة صفرو، عرف بهذا الاسم منذ القديم، لعل أزگان لغة في أسگان، أي الأسود كانت فيه عمارة وزروع بالرغم من قراسة برده، نسب إليه بعض الصالحين منهم أبو عبد الله بن موسى الأزگاني تلميذ أبي إسحاق الميورقي، وهو مذكور في *المستفاد* للتميمي وفي *التشوف* للتادلي.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 281.

أحمد التوفيق

**أزكدور** ← **مراكش** (إقليم -)

**أزْلا**، **مرسى** تقع بشاطئ قبيلة بني حُزْمر الجبلية، وبها تصب مياهه في البحر المتوسط. النهر الذي يحمل اسم المرسى المذكورة ويعرف كذلك بنهر هليلة.

وقد أشار إلى هذه المرسى الشريف الإدريسي في *نزهة المشتاق* (ص 110) حيث سماها مرسى انزلان.

وكانت هذه المرسى مثل مرسى مرتيل ومرسى قاعسراس ومرسى ترغة ومرسى تغاصة من أهم المراسي المغربية على شاطئ البحر المتوسط حيث كانت مَرْفَأً للسفن الجهادية، وكان بها ترسانة لصنع تلك السفن وإصلاحها.

**أزْلا**، نهر يُعرف كذلك بنهر هليلة وينبع بجبل بوزيتون بفرقة الجبل من قبيلة بني حزمر الجبلية، ويصب ماؤه بالمرسى التي تعرف باسمه، وكانت السفن الجهادية الصغيرة تختفي فيه عند الضرورة، كما كانت بضفتيه ترسانة لصنع السفن وإصلاحها.

الشريف الادريسي، *نزهة المشتاق*. ص : 110.

Ministerio de la Guerra, *Accion de España en Africa*, 1930, T. II p. 44 ; A. Domenech Lafuente, *Geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, 1942, p. 40 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, 1951.

محمد ابن عزوز حكيم

**أزلمزة** ← سمك

**أزْليف**، الباتول بنت مبارك، ولدت سنة 1927 بتلوين. انضمتَ الى صفوف جيش التحرير بايت باعمران فكانت تُمد فرق الجيش بالمؤونة وتساهم في نقل السلاح إلى أن استشهدت في معركة تلوين سنة 1957.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**أزْمُور**، لفظ أمازيغي يطلق على شجرة الزيتون البري ويسمى أيضًا بَرِّي، وزبُوج. يحتوي على نوعين بالمغرب وهما أولِيَا أورُوبِيَا ضرب سِيلْفِيسْتْرِيسْ Olea europaea var. Sylvestris وأولِيَا سَالِيسِيفُولْيَا Olea salicifolia الذي ينحصر مجاله فيَ المناطقَ المنَخفضة من الأطلس الكبير الغربي حيث يصادف بصفة منعزلة في تشكيلات أرگان والعرعر البربري.

أما الزيتون المغروس فهو أصناف عديدة منها ما تم اختياره منذ أقدم العصور من ضروب الزيتون البري (انظر زيتون) وخاصة ضروب سوريا.

الصفات النباتية : إن الزيتون البري العادي شجرة لها جذع قصير. أغصانها الغضة قطنية. أوراقها متقابلة مَثْنَى مثنى، بسيطة، صلبة، رمحية أو بيضوية الشكل، وجهها الأعلى أخضر داكن، والأسفل رمادي فضي. إزْهرَارَاتها عنقودية، وأزهارها صغيرة رباعية وبيضاء. ثمارها نووية بيضوية أو كروية الشكل، خضراء ثم سوداء بعد نضجها.

التوزيع البيوجغرافي : الموطن الأصلي للزيتون البري هو حوض البحر الأبيض المتوسط وآسيا الصغرى. إنه ينتشر بصفة منعزلة في غابات البلوط القرمزي، والبلوط الأخضر، والبلوط الفليني، والعرعر البربري وأرگان، وذلك في جميع أنحاء المغرب. غير أنه يكون تشكيلات نقية على كل الأراضي الطينية والصلصالية المنخفضة، في المغرب الشمالي الغربي، أي في سهول الغرب وسايس، ودكالة وعبدة. لكن هذه التشكيلات النقية قد دمرها الإنسان بأكملها منذ أقدم العصور ليستغل أراضيها الكثيرة الخصوبة. ولم يبق منها إلا باقات نادرة تصادف في الأماكن المحترمة كالمقابر وغيرها.

كانت مواطن هذه التشكيلات النقية في بيومناخات شبه جافة وشبه رطبة حارة ومعتدلة، ما بين سطح البحر و500 متر من الارتفاع ؛ أي في المستوى الأسفل من الطابق المتوسطي الدافئ.

أما بالنسبة للزيتون البري المصادف بصفة منعزلة في غابات أنواع أخرى، فإنه ينمو ما بين سطح البحر وألف متر في الشمال أو ألف وستمائة متر في الجنوب.

يصادف الزيتون البري على أراض طينية خصبة وسمكية من نوع الشرساء (الرِّيْنْزِين) أو الترس أو التربة الحمراء.

الاستعمالات : خشب الزيتون البري صلب جدا، ولونه أصفر يميل إلى الأسمر. يستعمل قليلا في النجارة وفي النحت لصناعة بعض العلب الصغيرة وبعض اللعب أو الحيوانات للزينة. كما يعطي الحطب للتدفئة أو لصناعة الفحم. ولكون ثماره صغيرة وقليلة المردودية من حيث إنتاج الزيت فإن أهم استعمالاته هي أنه يصلح بواسطة التطعيم كشجرة أم لأصناف الزيتون المثمر. وهذه الطريقة تعطي أشجارا تتحمل الأمراض وخاصة الناتجة عن مكروبات الأرض، وتتلاءم أكثر مع الظروف البيئية الصعبة. ولهذا فكثير من مغارس الزيتون في الريف انجزت بواسطة تطعيم الأشجار البرية بواسطة الصنف المثمر.

L. Emberger, *Les Arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris 1938 ; A. Benabid, *Les Ecosystèmes forestiers, préforestiers et presteppiques du Maroc*, Forêt méditerranéenne, T. VII, 1985, 53-64.

عبد المالك بنعبيد

**أزمور**، - جغرافيا - تنفرد مدينة أزمور وسط المدن العتيقة المغربية بالكثير من الخاصيات. ذلك أنها لم تنتعش وظيفيا بشكل ملموس رغم المؤهلات المحلية الوافرة ورغم التحولات المختلفة التي شهدها المغرب، وخاصة منها التي همت المنطقة الساحلية القريبة من الدار البيضاء. ولم تساير النمو الديموغرافي المعاصر، كما هو الشأن بالنسبة لجل المدن المرتبة في الصنف الذي تنتمي إليه، كما أن بنيتها الحضرية لم تتغير وكأن المدينة كانت غائبة عن المرحلة الاستعمارية التى أدت إلى ازدواجية في شكل المدن المغربية بين مدينة قديمة ومدينة عصرية.

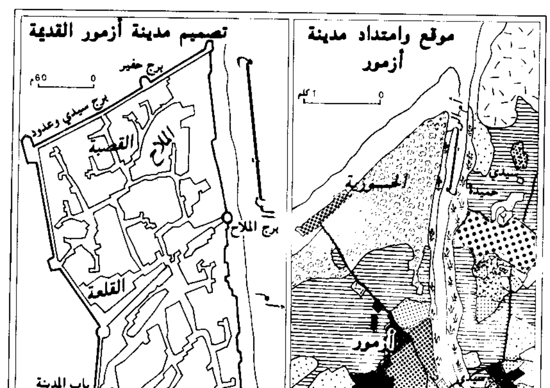


مدينة أزمور : الموقع والامتداد والتصميم

على بعد حوالي 80 كلم من الدار البيضاء و15 كلم من الجديدة، استقرت أزمور قريبا من البحر بثلاثة كيلمترات، وعلى حد الهضبة المكونة من الكثبان المتصلة التي تشرف على الضفة اليسرى من أم الربيع. مما جعلها تحتل دوما أحد أهم الممرات الاستراتيجية على النهر المتعمق بين شمال وجنوب المغرب. بل كانت أزمور عند احتلالها من طرف البرتغال سنة 1530 المدينة الوحيدة في دكالة، وكان إشعاعها يصل كل المنطقة وقراها. حتى إن الحسن الوزان قد عدّها من بين أكبر المدن المغربية في بداية القرن 16 بحوالي 5000 نسمة، أي أنه عدها أكبر من أسفي 4000 ن وفي حجم تازا وأقل بقليل من مكناس 6000 ن. إلا أن تقلبات الأوضاع المختلفة بدكالة وبأزمور ستخلف وتيرة متذبذبة للنمو السكاني يطبعها عموما ركود وأحيانا تراجع وبطء.

لقد تولدت عن الحيوية التجارية والثقافية التقليدية لمدينة أزمور قوة جاذبة تجاوزت الإطار الإقيلمي إلى حدود العشرينات الأولى من القرن 20، فأصبحت تشكل إقيليميا أهم قبلة للهجرة الريفية مع الجديدة والدار البيضاء، وكانت تستقبل بانتظام أفواجا من الفلاحين المطرودين بالمجاعات والأوبئة. غير أن النمو الإجمالي للسكان ظل بطيئا بسبب الهجرة المعاكسة نحو الجديدة وعلى الخصوص نحو الدار البيضاء. بل سجل النمو نسبة متناقضة بين 1926 (9127 ن)و 1931 (8708 ن)، 1936 (7830 ن)، حيث فقدت المدينة 14,2 ٪ من سكانتها، والتي تتكون في غالبيتها من الفئات الحضرية الميسورة والملاكين والفلاحين الكبار القاطنين بأزمور، في حين أنها استمرت في استقبال الريفيين، بعد هذه المرحلة الراكدة، وبعد ظهور زراعة البواكير والحوامض سنة 1930 وازدهارها وتجذرها في الولجة القريبة من أزمور، تجددت حيوية المدينة وانتعش نموها الديمغرافي. غير أنه سرعان ما ازداد تنافس الدار البيضاء حدة تثبيت السكان ابتداء من 1940 نتيجة التوسع السريع للصناعات والخدمات بها، فأصبح يمثل القادمون من أمورر 5,4 ٪ من مجموع أرباب الأسر النازحين إلى الدار البيضاء سنة 1952، لما كان عدد سكان أزمور 9816 نسمة. وبما أن تزايد السكان بين 1960 (12449 ن) و1971 (17182 ن) كان ضعيفا (2,88 سنويا) فإن حصيلة الهجرة كانت السبب الرئيسي في ذلك، مما جعل النمو السنوي للهجرة لايتعدى 0,58 ٪ إلى حد 1971 يمثل السكان غير المزدادين بمدينة أزمور نسمة 38,8 ٪، ويمثل مجموع أرباب الأسر القادمون من خارج أزمور 62 ٪ من مجموع أرباب الأسر.

إضافة إلى ذلك، ونظرا لتقلص القوة الجاذبة للمدينة، فإنها لم تتكمن من استقطاب سكان ينتمون إلى مناطق بعيدة، واقتصرت على دورها "القبلي" الذي جعل منها عاصمة محلية تقليدية للحوزية والشتوكة. هكذا فإن 74 ٪ من سكان أزمور سنة 1971 المولودين خارجها قدموا من دكالة. وفي نفس التاريخ فإن 27,3 من مجموع أرباب الأسر النازحين إلى أزمور ينتمون إلي قبيلتي أولاد بوعزيز وأولاد فرج، وينتمي 54 ٪ إلى قبيلتي الحوزية والشتوكة و9 ٪ إلى باقي إقليم دكالة. لكن مدينة أزمور قد شهدت في أواسط السبعينات ظهور بعض الأنشطة الصناعية والسياحية في الهوامش الحضرية، كما أدمجت في المشروع الحضري والصناعي الضخم للجرف الأصفر والجديدة، فقفز عدد سكانها إلى 24774 ن سنة 1982 محققا بذلك نسبة نمو سنوية إجمالية تبلغ 3,25 ٪ بين 1971 و1982، ونسبة نمو سنوية للهجرة تبلغ 1,37 ٪. وهكذا أصبحت تعد من بين الصنف الأسفل للمدن المتوسطة الأكثر استقطابا للهجرة القروية. ومع ذلك، فإن صفها حسب حجم السكان ضمن لائحة المدن المغربية أخذ يتدهور تدريجيا بين الصف 37 سنة 1960 و 40 سنة 1971 و 50 سنة 1982. مقابل ذلك، وفي نفس الفترات لم تتغير مرتبة الجديدة تقريبا حيث انتقلت من الصف 14 إلى 15 ثم 16. وأصبحت تقاس الآن بمدن مثل سوق أربعاء الغرب وميدلت وبنسليمان وشفشاون وسيدي بنور على الخصوص. وقد أوشكت هذه الأخيرة أن تحتل المكانة التي كانت تتبوأها دائما أزمور كثاني مدينة إقليمية في دكالة بعد الجديدة، حيث تضاعف عدد سكانها 4,3 مرات بين 1960 و 1982.

إن هذا التذبذب السكاني لابد أن يؤثر مباشرة على بنية الأنشطة الاقتصادية بالمدينة وتطورها. بل تلازمت تلك الظاهرتان في علاقة سببية وثيقة عبر المراحل التاريخية. وهكذا فإن الدينامية التجارية لأزمور تلاشت في النصف الثاني من القرن 19 لصالح مينائي الجديدة والدار البيضاء اللذين انطلقا في مرحلة توسعية لرواجهما، ثمظل النمو الاقتصادي للمدينة متباينا إلى بداية الأربعينات من القرن 20، حتى ترسخت الأزمة الوظيفية بها نهائيا وأصبح البون شاسعا بينها وبين الجديدة.

من أنشطة أزمور التقليدية التي اشتهرت بها، كصناعة "الحايك" والنسيج والجلد والخزف والتجارة والصيد، لم تحتفظ المدينة إلا بنشاط الطرز المتميز بأشكاله الخاصة والمشهورة على الصعيد الوطني، وعلى مصنع صغير للنسيج والشمع. كما أن الثروة السمكية التي كان يزخر بها مصب أم الربيع كالشابل قد انقرضت بعد بناء سد سيدي سعيد معاشو سنة 1929، ولاتتوفر المدينة اليوم إلا على 20 قارب غير آلية تستعمل في الصيد الصغير واجتياز النهر قصد زيارة الولية للاعيشة البحرية. كما احتفظت أزمور بسوقها الأسبوعي المنعقد كل ثلاثاء والمشهور ببقلياته وخيوله العربية المحلية (الشتوكة) التي تجلب إليها المختصين في تربية وتجارة الخيول من الدار البيضاء والرباط.

إن أهيمة الفلاحة في تشغيل النشيطين بأزمور تعد أكبر دليل على الركود الاقتصادي بالمدينة. ولا توجد مثيلتها في هذه الخاصية على الواجهة الأطلنطية سوى في أصيلا. إذاً في غياب الأنشطة الحضرية الصرفة والكافية

لسد طلب الشغل، يلجأ 25 ٪ من المشغلين إلى مزاولة العمل الفلاحي المأجور أساسا بمنطقة أزمور أو حتى داخل المدار الحضري في حيازات جد متقلصة. ويتكون غالبية الفلاحين الموسميين من الإناث. ويعمل بالقطاع الثاني 34،6٪ من مجموع المشغلين بما في ذلك الحرف والصناعة العصرية المتمثلة بالخصوص في معمل للزجاج ومعليمن للصناعات الغذائية، أحدهما للحوامض والآخر للطماطم. أما باقي النشيطين المشغلين فيعملون بالقطاع الثالث، وخصوصا في التجارة. وتجدر الإشارة إلى أن 26 ٪ فقط من مجموع المشغلين لهم أجر قار، مقابل أغلبية تعمل في مهن وحرف متواضعة موسمية أو جزيئة أو غير مشكلة. مما يترتب عنه في المداخيل وعدم استقراها، حيث إن أكثر من نصف الأسر لها دخل دون 500 درهم و20 ٪ منها نعيش بمردود الهجرة الوطنية أو الخارجية.

إن القرب من الدار البيضاء كان السبب الرئيسي في التدهور الوظيفي لأزمور والجديدة لمدة طويلة. وهو الذي يحقق اليوم بهما حيوية اقتصادية وانتعاشا عمرانيا نسبيا. ذلك أن اختناق الدار البيضاء دفع بسلطات التهيئة إلى فك اكتظاظها بتدشين مشروع صناعي وحضري سنة 1974 يمتد على الساحل بين أزمور والجرف الأصفر بمسافة 33 كلم. ويتعلق الأمر أساسا بإنشاء أول ميناء إفريقي بالجرف الأصفر ومركب صناعي للفسفاط. إلاّ أن موقع أزمور المتطرف بالنسبة لحقل المشروع وبالنسبة للقطاع المسقي بدكالة سيعزل المدينة عن المشاريع الصناعية الفسفاطية والغذائية التي أخذت تزدهر ببعض مدن الأقليم (الجديدة وسيدي بنور وخميس الزمامرة).

ورغم توقع تضاعف عدد سكان أزمور مرتين بين 1980 و2000، فإن 48 ٪ من الأشخاص المستطلعين سنة 1980 في اطار تهييء التصميم المديري لمجموعة الجديدة الحضرية قد أجابوا بالنفي حول عوائد مشروع الجرف الأصفر على توسع مدينة أزمور.

M. Ayad, *L'Organisation de l'espace rural dans le Sahel d'Azemmour et le plateau d'El Jadida*, Rabat, 1982, 2 tome ; D. Benjelloun, *La médina d'Azemmour, une cité marocaine en péril*, mémoire de maîtrise, Institut de Géographie, tours 1977-78; J. Darlet, *Monographie d'Azemmour*, bibliothèque générale, Rabat, 1950 ; R. Fosset, *Le réseau urbain des bas-plateaux atlantiques moyens*, C.N.R.S, Tours 1977 ; Ch. Le Coeur, *La décadence économique d'Azemmour entre 1907 et 1937*, Institut des Hautes Etudes Marocaines, Rabat 1938 ; *Villes et Tribus du Maroc, Région de Doukala Azemmour et sa banlieue*, vol XI, T2, Honoré, Champion, Paris, Edition 1936.

مصطفى عياد

**أزمور**، ـ تاريخ ـ مدينة على الضفة اليسرى لأم الربيع، على بعد ثلاثة كيلومترات من المصب، بمنطقة دكالة. بلغ عدد سكانها سنة 1982 : 24774 نسمة. وكانت أزمور، كما هو الحال اليوم، تنسب إلى دفينها الولي أبي شعيب أيوب السارية (ت 561 / 1166)، وتعدُّ حتى نهاية القرن 9 / 15، من أكبر الحواضر الدكالية وأنشطها. وارتبط مصير المدينة بنهر أم الربيع. ففضلا عن الميناء الذي كان موجوداً إلى حين التحولات الملاحية التي عرفها النصف الثاني من القرن 15 م، يتلاءم وحجم السفن المقبلة عليه، استفادت أزمور كذلك من وفرة أسماك الشابل بالنهر ومن إقبال التجار الإيبيريين على صيده وشرائه. كما استفادت من غنى سهول دكالة والشاوية وخصوبتها. ونتج عن وفرة المنتجات الزراعية والحيوانية، وعن وجود ميناء، إقبال الأزموريين المبكر على التجارة وركوب البحر لنقل سلعهم إلى الأندلس. وهكذا عاين ابن الخطيب بالمدينة طبقة تجارية نشيطة تعرف أعلى مظاهر المضاربات والمنافسة وترفل في النعيم. وتحسنت أوضاع المدينة خلال القرن التالي لاستفادتها من تخريب مدينة أَنْفَا سنة 1469. ومن التحولات التجارية الكبرى التي أحدثها تغلب الملاحة البرتغالية على الصعوبات التي كان يطرحها رأس بوجدور (846 / 1343) وتنظيم التجارة البرتغالية بغرب إفريقيا. ومعلوم أن هذه التجارة عززت مكانة سهول الشاوية ودكالة لدى البرتغاليين لأن الحصول على التبر والعبيد كان يلزمهم باقتناء مجموعة من السلع كانت المنطقتان كثيرة الإنتاج لها كالحبوب والخيول والأنسجة الصوفية الخ. وتؤكد الإيصالات ووثائق برتغالية أخرى (أ. بوشرب، دكالة : 281 ـ 324) وكذا كتب الرحلات البرتغالية العلاقة بين الرواج الذي كانت تعرفه أزمور وبداية اتجار البرتغاليين بغرب إفريقيا. وانعكس هذا الرواج على المدينة وسكانها. فلقد أكد كل من الوزان والإخباري (دوگويش) على غنى الأزموريين قبل احتلال مدينتهم. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الرواج صادف استقلال المدينة عن فاس المرينية ومراكش الهنتاتية. غير أننا نجهل تاريخ إعلان ذلك الاستقلال. وأصبحت إدارة المدينة بيد مجموعة من أعيانها الذين كانوا منقسمين إلى حزبين متنافسين (الوزان 1 : 124، مرمول 2 : 97)

ومرت أزمور في تعاملها مع البرتغاليين بمرحلتين مختلفتين : فخلال الأولى (890 ـ 919 / 1486 ـ 1513) اكتفى هؤلاء بفرض نوع من الحماية على المدينة، بينما اضطروا في مرحلة ثانية (919 ـ 948 / 1513 ـ 1541) إلى احتلالها عسكريا قبل أن تكرههم الأوضاع الجديدة بالمغرب على إخلائها بدون حرب. ويمكن إرجاع التجربة السياسية الأولى التي خاضها البرتغاليون إلى اعتبارات تجارية محض. وهكذا وقع الطرفان معاهدة سنة 890 / 1486 التزمت أزمور بمقتضاها بالإعتراف بسلطة التاج البرتغالي وأداء ضريبة وفتح أسواقها في وجه تجارة الملك البرتغالي ورعاياه... وتعهد الجانب البرتغالي بحماية أعيان أزمور ضد الأخطار المحلية أو الأجنبية. واحترم الأزموريون هذه المعاهدة لمدة ست عشرة سنة، إلا أن العلاقات تأزمت بين الطرفين، الأمر الذي أرغم الملك البرتغالي على تنظيم حملة ضد أزمور سنة 914 / 1508 انتهت بالفشل. وبما أن البرتغاليين نجحوا في احتلال أسفي سنة 913 / 1508 واستطاعوا بين 916 ـ 918 / 1511 ـ 1513 نشر نفوذهم بدكالة وقسم من الشياظمة والحوز،

فإن احتلال أزمور عسكريا أصبح ضروريا لحماية تلك المكتسبات ولنشر النفوذ البرتغالي بالشاوية ومنطقة مراكش. وهكذا جهز أمنويل الأول أسطولا يضم 430 قطعة نقلت 15000 محارب. ووصلت الحملة إلى مَازِيغَنْ يوم 24 جمادى الثانية 919 / 27 غشت 1513. وبعد مقاومة عنيفة سقطت أزمور يوم 2 رجب 919 / 3 شتنبر 1513. ونتج عن هذا الاحتلال إخلاء المدينة وتحولها إلى مجرد ثكنة عسكرية يعمل جنودها على العيش مما اصطلح على تسميته "باقتصاد الغارة" واضطر البرتغاليون إلى الاستغناء عن قسم كبير من أسوار المدينة واكتفوا بتحصين الجزء المشرف على النهر. وعرفت أزمور خلال احتلالها تنظيمات عسكرية وإدارية وتجارية تشبه ما كانت تعرفه باقي الثغور المحتلة. وكان على رأس هذه التنظيمات القبطان الذي كان يمثل الملك، وبيده السلطة العسكرية والإدارية والقضائية. وتعاقب على حكم أزمور بين سنة 919 ـ 948 / 1513 ـ 1541 عدد من الحكام برتبة قبطان وصلتنا أسماء أحد عشر منهم. وكلفت أزمور بتهدئة القسم الشمالي من دكالة والشاوية ومراقبته. وكانت حامية المدينة تنسق عملياتها أحيانا مع حامية أسفي خصوصا في الأوقات الحرجة. ولأسباب مرتبطة بالتحولات التي عرفتها دكالة بعد 921 / 1515 (هزيمة المعمورة الكبرى، اهتمام الوطاسيين بالمنطقة، قتل يحيى أُتَاعْفُوفْتْ)، نقل برتغاليو أزمور عملياتهم العسكرية ضد قبائل الشاوية، فاستطاعوا بين 1518 ـ 1519 أسر أكثر من ألفي شخص والاستيلاء على كميات هائلة من الغنائم.

وزاد من هذا التفوق العسكري والسياسي رواج تجاري مهم تؤكده قيمة الضرائب الجمركية المحصل عليها والمبالغ المالية الهائلة التي كان المسؤولون التجاريون يروجونها بالمدينة (*دكالة*، 297 ـ 324) إلا أن ذلك لم يدم طويلا، فقد أضحت المدينة بعد أقل من عقد على احتلالها تعاني من الحصار المستمر ومن الركود التام، وأشرفت عدة مرات على المجاعة. وتزايدت هذه المشاكل بتزايد النفوذ السعدي وبتراجع النفوذ البرتغالي وتفاقم مشاكل الخزينة البرتغالية. وبما أن احتلال أزمور كان لأسباب تجارية محض اختفت بعد العشرينات من القرن 16 م، وللتخفيف على خزينة الدولة، وإسهاما في الدفاع في ظروف أحسن عن الثغور الشمالية التي تكتسي أهمية استراتيجية قصوى، قرر الملك البرتغالي سنة 935 ـ 936 / 1529 إخلاء أسفي وأزمور وأگادير إلا أن معارضة النبلاء حالت دون ذلك. وهكذا بقيت أزمور محتلة حتى رجب 948 / أكتوبر 1541 حيث اضطر البرتغاليون إلى إخلائها بعد هزيمتهم بأگادير. ونتج عن هذا الإخلاء تحصين مازيغن. ولم تعد أزمور بعد تحريرها ولو إلى المستوى الذي كانت عليه قبل الاحتلال. فقد ذكر الرحالة مارمول أنها أضحت ملجأ للحيوانات الضارية. ويمكن إرجاع هذه الوضعية إلى عامل طبيعي وآخر سياسي. يتمثل الأول في صعوبة استعمال ميناء المدينة لضيق مصب النهر وكثرة الحواجز الرملية به، خصوصا بعد أن مالت السفن إلى الضخامة. ونتج عن تحصين مازيغن منذ 920 / 1514 هجرة السفن لميناء أزمور. غير أن الغارات المتكررة والمفاجئة التي كان برتغاليو هذا الثغر ينظمونها ضد أزمور حالت دون إعادة تعميرها وانتعاشها.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 ؛ أ. بوشرب، *دكالة*.

*Les Portugais et l'Afrique du Nord*, extraits des *"Annales de Jean III"* de Louis de Sousa, Paris 1940 ; Marmol, *L'Afrique*, Vol. 2 ; P. De Cenival, *Sources inédites de l'histoire du Maroc*, Série *saadienne*, Portugal ; D. Pires de Lima, *Azamor, os precedentes de conquista e a expediçao do Duque Dom Jaime*. Lisbone, 1930.

أحمد بوشرب

انتهى طبع هذا الجزء من معلمة المغرب
بمطابع سلا يوم الجمعة 8 محرم 1410 / 11 - 8 - 1989

مطابع سلا
الحي الصناعي لتابريكت
الهاتف: (07) 887.02 سلا

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

2

من إنتاج

الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

نشر

دار الأمان - الرباط

الطبعة الأولى / 1410 هـ - 1989م
الطبعة الثانية / 1435 هـ - 2014م

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984/629



ردمك 7-000-03-9981 (المجموعة)
ردمك 3-002-03-9981 ( الجزء 2 )

**دار الأمان - الرباط**

المملكة المغربية - 4، زنقة المأمونية - الرباط
هاتف: 87 37 26 37 5 212+ / 76 32 72 37 5 212+
فاكس: 55 00 20 37 5 212+
بريد الكتروني : libdarelamane@yahoo.fr

# معلمة المغرب

## المغرب الأقصى

# المشاركون في تحرير مواد حرف الهمزة

محمد **الأخضر**، وزارة التربية الوطنية
محمد **أديوان**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **أربيب**، وزارة التربية الوطنية
شفيق **أرفاك**، باحث، الرباط
محمد **أزهار**، كلية الآداب، المحمدية
سعيد **أعراب**، المعهد الأصلي، تطوان
عمر **أفا**، كلية الآداب، الرباط
عبد اللطيف **أكنوش**، كلية الآداب، الدار البيضاء
محمد **ألحيان**، المركز الوطني لتنسيق البحث العلمي، الرباط
علي **أمهان**، وزارة الشؤون الثقافية
محمد **أوجامع**، كلية الآداب، مراكش
محمد **البايك**، كلية اللغة العربية، مراكش
ثريا **برادة**، كلية الآداب، القنيطرة
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب، المحمدية
سعيد **برقاد**، مهندس بمكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية
محمد **بريان**، كلية الآداب، الرباط
محمد أمين **البزاز**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **بلاوي**، كلية الآداب، مراكش
محمد **بلعربي**، باحث، الرباط
عائشة **البلغيتي العلوي**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب، القنيطرة
البضاوية **بلكامل**، كلية الآداب، الرباط
محمد الأمين **بلگناوي**، باحث، الرباط
محمد **بنتاويت**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بنجلون أندلسي**، باحث
الحسن **بنحليمة**، كلية الآداب، أگادير
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب، المحمدية
محمد **بنشريفة**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد العزيز **بنعبد الله**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد المجيد **بنعبد الله**، مهندس بوزارة الفلاحة
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين، سلا
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب، بني ملال
عمر **بنميرة**، كلية الآداب، الرباط

لطيفة **بناني سميرس**، كلية الآداب، فاس
عبد المجيد **بنيوسف**، الخزانة العامة، الرباط
أحمد **بوجداد**، وزارة الشؤون الإدارية
أحمد **بوحسن**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بوخبزة**، قسم المخطوطات بالخزانة العامة، تطوان
فاطمة **بوخريص**، كلية الآداب، الرباط
رحمة **بورقية**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب، فاس
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب، فاس
مصطفى **بوشعراء**، مديرية الوثائق الملكية، الرباط
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **بوعصاب**، المركز التربوي، القنيطرة
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب، الرباط
أحمد شوقي **بينبين**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **التمسماني خلوق**، كلية الآداب، الرباط
محمد **تميم**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد العزيز **توري**، وزارة الشؤون الثقافية
أحمد **التوفيق**، كلية الآداب، الرباط
حسن **جلاب**، كلية الآداب، مراكش
الحسين **الجهادي**، وزارة التربية الوطنية
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية، الرباط
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية
محمد **حجي**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب، وجدة
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب، الرباط
عبد الجليل **الحسيني**، مهندس بشركة إسمنت المغرب الشرقي
حمادي **حضيكي**، مهندس بمفاحم المغرب
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب، فاس
محمد أيت **حمزة**، كلية الآداب، الرباط
محمد **أبو حميد**، وزارة التربية الوطنية
علال **الخديمي**، كلية الآداب، الرباط
سعيد **خليل**، كلية الآداب، أگادير
مارية **دادي**، كلية الآداب، وجدة

محمد **دحماني**، كلية الآداب، وجدة
عبد الله **درقاوي**، مركز تكوين المفتشين، الرباط
حميد **الديوري**، وزارة الشبيبة والرياضة
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب، مراكش
عبد الرحمان **رحو**، كلية الآداب، فاس
محمد **رحو**، كلية الآداب، فاس
حسن **رحيوي**، مهندس بمفاحم المغرب
محمد **رزوق**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي، الرباط
محمد **زرهوني**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
مبارك **زكي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط
محمد **زنيبر**، كلية الآداب، الرباط
قاسم **الزهيري**، باحث، الرباط
عبد الله **ساعف**، كلية الحقوق، الرباط
عبد الأحد **السبتي**، كلية الآداب، الرباط
عبد الجبار **السحيمي**، صحافي، الرباط
كلود **سلطان**، مفتش التعليم الإسرائيلي، الدار البيضاء
عبد اللطيف **الشادلي**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
أحمد **الشرقاوي إقبال**، باحث، مراكش
محمد **شفيق**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
محمد **شقرون**، كلية الآداب، الرباط
محمد **الشياظمي**، باحث، الرباط
فاطمة الزهراء **الصبيحي ـ العلوي**، متحف الآثار، الرباط
علي **صدقي أزايكو**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرزاق **الصديقي**، كلية الآداب، المحمدية
خالد **بن الصغير**، المدرسة العليا للأساتذة، الرباط
فاطمة الزهراء **طموح**، كلية الآداب، الرباط
محمد **الطويل**، كلية الآداب، القنيطرة
امحمد **بن عبود**، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **ابن عزوز حكيم**، باحث، الرباط
عز الدين **العلام**، المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير
محمد **العلوي الأوفوسي**، وزارة التربية الوطنية
عبد الله **العمراني**، باحث
أحمد **عمالك**، كلية الآداب، مراكش
أحمد **العماري**، كلية الآداب، فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب، الرباط
محمد **عياد**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب، الرباط
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب، القنيطرة
حسن **الفكيكي**، كلية الآداب، القنيطرة

خالد **القادري**، وزارة المالية
عبد الرحمان **القادري**، كلية الحقوق، الرباط
محمد مصطفى **القباج**، أكاديمية المملكة المغربية
محمد إبراهيم **الكتاني**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
علي **كريمي**، كلية الحقوق، الرباط
عبد الله **كنون**، عضو أكاديمية المملكة المغربية ورئيس رابطة علماء المغرب
العربي **كنينح**، المدرسة العليا للأساتذة، فاس
محمد **الكير**، وزارة التربية الوطنية
أحمد **لقمهري**، كلية الآداب، الرباط
رامون **لوريدو**، باحث، طنجة
شمعون **ليفي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **المازوني**، كلية الآداب، أگادير
محمد **ماگامان**، كلية الآداب، مراكش
الملكي **المالكي**، وزارة التربية الوطنية
أحمد **متفكر**، باحث، مراكش
الحسين **المجاهد**، كلية الآداب، الرباط
الحسن **المحداد**، كلية الآداب، أگادير
علي **المحمدي**، كلية الآداب، الرباط
العربي **مزين**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **مزين**، كلية الآداب، فاس
محمد **مستاوي**، باحث، الرباط
خديجة **المسدالي**، كلية الآداب، الرباط
رشيد **المصلوت**، باحث، أگادير
محمد **مطيع**، كلية الآداب، مراكش
آمنة **معطى الله**، وزارة التربية الوطنية
الصديق **معنينو**، وزارة الداخلية والإعلام
محمد **مقدون**، كلية الآداب، فاس
عبد الرحمان **الملحوني**، باحث، مراكش
محمد **المنصور**، كلية الآداب، الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب، الرباط
محمد **منيوي**، المعهد العلمي، الرباط
عبد الرزاق **مولاي ارشيد**، كلية الحقوق، الرباط
عبد الله **ميميس**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **ناعمي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط
الحبيب **نوحي**، كلية الآداب، أگادير
محمد عبد الجليل **الهجراوي**، متحف الآثار، الرباط
المختار **الهراس**، كلية الآداب، الرباط
عثمان **هناكا**، كلية الآداب، أگادير
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب، مراكش
علي **واحدي**، كلية الآداب، فاس
سالم **يفوت**، كلية الآداب، الرباط

# اختصارات

تـ . = توفي
تح. = تحقيق
تر. = ترجمة
خ. تـ = خزانة تطوان
خ. ح. = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص. = الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع. = الخزانة العامة بالرباط
خ. ق. = خزانة القرويين بفاس
خ. ي. = خزانة ابن يوسف بمراكش
د. تـ = دون تاريخ
د. د. ع. = دبلوم الدراسات العليا
د. م. = دون مكان
ط. = طبعة
← = انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

**أزمور بعد الجلاء البرتغالي** سنة 948 / 1541.
أول قائد عين على رأس المدينة هو ابن مالك الذي أنجز عدة تحصينات خوفا من عودة البرتغاليين الذين كانوا مايزالون بالبريجة. وفي شهر دجنبر 1542، قام حاكم هذه المدينة دُونْ لُويسْ دي لُوريرُو في خمسين فارساً، بهجوم خاطف على أزمور، فزحزحَ القائد ابن مالك عن موقعه، ودخل المدينة وأحرق القصر وعدة بيوت وهدم أبواب المدينة وخرب المراكب التي كانت راسية في النهر قبل أن يعود من حيث أتى. وكان جوار البرتغاليين يشكل خطرا دائما على أزمور، حتى أشيع أن سلطان مراكش عازم على دكِّ هذه المدينة حتى لاتبقى عرضة لهجومات النصارى.

وفي شهر يناير 952 / 1546 وقعت القصة المعروفة بقصة المرابطين الذين كانوا مقيمين بأزمور بقصد الجهاد، وهي أن الحاكم البرتغالي خرج من البريجة ليلاً وباغت أزمور في الصباح الباكر، ففرت غالبية السكان وعثر النصارى على بعض المرابطين المتعبدين، فساقوهم الى البريجة مع عدد من المجاهدين، ولم يطلقوا سراحهم إلا بعد أداء فدية مالية. وهم عبد الله بن ساسي ومحمد كانون ومحمد الدقاق. وهكذا فالبرغم عن جلاء البرتغال عن أزمور ظلوا يترددون على نواحيها، ويظهر أنهم حصلوا على حق الصيد في مصب نهرأم الربيع، دون مغادرة مراكبهم أو الدخول إلى المدينة.

وفي نهاية القرن السادس عشر، كان يوجد بأزمور، إضافة إلى أهل البلد حامية من مائتي جندي مسلحين بالبندقيات، ويُبَدَّلُونْ مرتين في السنة. وكان للقائد ستمائة رجل من حملة الرماح منهم من أمدَّه بهم السلطان ومنهم من جندهم هو في عين المكان ليكونوا دائما على أهبة القتال لكنه عندما كان يهاجم البريجة، فإنه كان يأخذ معه أكثر مايمكن من حملة الرماح بالإضافة إلى عدد من القربينيين الذين يرابطون في الحميَّة.

وفي سنة 1013 / 1604، قدم المجاهد مَحمد العياشي من سلا إلى أزمور، بأمر من شيخه عبد الله بن حسون لمجاهدة البرتغال. فاستقر بأولاد بوعزيز، قاطعاً المواصلات بين البريجة والقبائل المجاورة. وأصبحتْ بذلك أزمور تشكل مركزاً من أنشط مراكز الجهاد. وذاع صيت العياشي واستطاع ان يستقطب عددا كثيرا من المجاهدين الذين قدموا للعمل تحت إمرته. ولما توفى قائد أزمور، عين السلطان زيدان المجاهدَ العياشي خلفا له. فلم يزل مثابرا على الجهاد إلى أن أصبح السلطان يرتاب في أمره، بوشاية من بعض أفراد الحاشية. فبعث السلطان 400 فارس تحت قيادة محمد السنوسي لإلقاء القبض على العياشي، غير أن هذا الأخير أخبر بذلك ففر إلى سلا (1614 م).

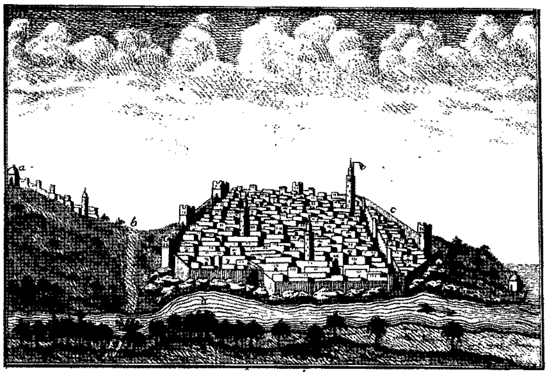

مدينة أزمور في القرن الثامن عشر (عن كتاب Hörst)

وفي عام 1028 / 1619 م. جاء السلطان زيدان إلى أزمور لبناء سدٍّ قيل إنه سيقضي على الحاجز الرملي الذي يمنع السفن المتعدِّدة السطوح من دخول نهر أمِّ الربيع. فلما وصل إلى (أمِّ الغرس) بدكالة، تلقى هدية فاخرة من عامل البريجة ثم دخل مدينة أزمور تحت طلقات المدافع تحية لقدومه ومن أزمور ذهب لزيارة قلعة البريجة حيث استقبل بحفاوة كبيرة، وفشل مشروع بناء السد بسبب كيد أحد الجواسيس الفرنسيين الذي كان يعمل، على ما يقال، لحساب اسبانيا. وكان قائد أزمور في ذلك العهد هو يحيى بن زيد.

وحوالي 1045 / 1636، عاد المجاهد العياشي إلى الظهور بمدينة أزمور بعد أن أصبح زعيما لإمارة سلا. وتميز رجوعه ببعث روح الجهاد ضد البرتغال، ففي 11 أبريل 1640، كبّد

العياشي البرتغاليين إحدى هزائمهم الكبرى، إذ من بين 139 فارسا برتغاليا لم ينج في هذه المعركة سوى ثلاثة فرسان، أما الباقون فقد قتلوا باستثناء ثمانية عشر أسيراً سيقوا إلى مدينة سلا.

واختفى ذكر أزمور في العهد الأول للدولة العلوية، حتى مُوِّيتْ Mouette لم يذكر هذه المدينة إلا عندما زعم أن عدد الأموات فيها، أثناء الوباء العظيم الذي انتشر في المغرب من 1678 إلى 1680، بلغ ثماينة آلاف شخص، وهو بطبيعة الحال عدد مبالغ فيه. ويسجل دي كونه Da Cunha بعض هجومات مسلمي أزمور على قلعة البريجة، إذ بالاضافة إلى الهجومات التي كانت تنطلق من أزمور، فإن هجومات أخرى كانت تنطلق من مركزين شهيرين هما : "فحص الزموريين" الذي ماتزال آثاره بادية للعيان بقرب منار سيدي مصباح، غير بعيد من حلبة سباق الخيل بالجديدة وفحص أولاد دويب الذي مازال يعرف الآن " بالمُجَاهْدِين" واستمر الجهاد على أشده إلي أن تحررت البريجة على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله 1183 / 1769 وفي عام 1189 / 1775 . 1776 قام هذا السلطان بنقل 500 من عبيد دكالة إلى أزمور، وبعد ذلك انحازت المدينة والناحية كلها إلى مولاي هشام، غير أن مولاي سليمان استرجعهما وحضر بنفسه إلى أزمور سنة 1210 / 1796 حيث قدمت له البيعة من جديد.

وفي عهد مولاي عبد الرحمان، أصبحت المدينة والناحية مع تامسنا تحت حكم القائد محمد بن الطيب، ومنذ 1276 / 1859، صار باشا أزمور عاملا كذلك على الجديدة وعلى هشتوكة والشياظمة وعلى جزء من دكالة. وفي عام 1289 / 1873 ثار الأزمورين على خليفة عاملهم محمد بن المؤذن الفرجي وقتلوه. ومرت على ذلك ثلاث سنوات جاء بعدها السلطان لزيارة أزمور وضريح مولاي بوشعيب وسيدي محمد وعدود، كما أمر بترميم القلعة الصغيرة التي تواجه الميناء.

ثم كان لأزمور دور في الخلاف بين السلطانيين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، إذ كانت من المدن السباقة إلى مبايعة مولاي عبد الحفيظ في غشت 1907. ولم تمض إلا فترة وجيزة حتى ألقي القبض على قائد أزمور بأمر من مولاي عبد الحفيظ، فثار السكان وتظاهروا، غير أن وحدات من الجنود الحفيظية أعادت الهدوء إلى نصابه وفرضت القائد حسي الاگلاوي، وأصبحت بذلك أزمور منفصلة عن الجديدة التي كان يسيطر عليها أنصار مولاي عبد العزيز والتي صارت التجارة معها ممنوعة. وفي شهر يونيه 1908، عمل الجنرال دَامَادْ على احتلال مدينة أزمور لتأمين الحدود الشمالية الغربية للشاوية، فخرج يوم 27 من هذا الشهر طابور فرنسي من الدار البيضاء والتحقت به جنود أخرى يوم 29 كانت آتية من قصبة برشيد. ووصل دَامَادْ يوم 30 أمام أزمور، فوجد أبواب المدينة مغلقة والمراكب التي تستعمل في عبور النهر مربوطة على الضفة اليسرى. وكانت المدينة قد هوجمت في صباح نفس اليوم من قبل وحدات عزيزيّة، لكن المدافعين عن المدينة ردوها على أعقابها واستولوا على ماكان معها من مدافع. وكانت طرَّادة فرنسية راسية على مصب النهر. وفُتحَت المفاوضات في الحين، واضطرُ القائد حسي الاگلاوي إلىَ مغَادرة المدينة مع جنوده والانسحاب إلي مراكش، كما عزل الجنرال الفرنسي قائد الجوزية محمد التريعي وعيَّنَ خلفا له. ودخلت الجيوش الفرنسية إلى أزمور بدون قتال. وفي 6 يوليوز، انسحب الجنرال الفرنسي بجيوشه بعد أن كلف بحراسة المدينة 200 من الجنود المغاربة القادمين من الجديدة والذين كانوا بطبيعة الحال من أنصار مولاي عبد العزيز وبعد أن اتخذ قراراً بتعيين"جماعة بَلَديَّة " تولت اختيار عامل جديد للمدينة هو الجيلالي ولد الوَعدودي. لكن قام مولاي الحفيظ بتعيين ولد التريعي من جديد قائداً على الحوزية، وتَمَّ اغتيال القائد الجيلالي الذي فرضه الجنرال دَامَادْ على أزمور، وعُلِّقَ رأسه على أبواب المدينة. وحاول الفرنسيون إلقاء القبض على ولد التريعي. فاحتلوا قصبته التي كانت توجد على بعد عشرة كيلومترات من أزمور وخربوها، غير أن ولد التريعي تمكن من الفرار إلى الجديدة.

أما الحالة الاقتصادية لأزمور على عهد الحماية فقد مرت بثلاث مراحل :

أولاً : من 1912 إلى 1924، ظلت أزمور ممراً مُهمّاً بين الشمال والجنوب وعلى الخصوص بين الدار البَيضاء والجديدة ، إذ كان المسافرون مضطرين إلى التوقف عند أمّ الربيع، لعبور النهر إما بواسطة الزوارق الصغيرة أو بواسطة " المعديّة" مما كان ينعش على السواء الصناعة التقليدية والتجارة المحلية بالمدينة، هذا بالاضافة إلى صيد الشابل الذي كان منذ أقدم العصور من أهم موارد أزمور.ثم ازداد هذا النشاط ازدهاراً عندما شرع في تشييد قنطرة أزمور، سنة 1920، بسبب توافد التقنيين والعمال على المدينة بحيث ارتفع عدد السكان في 1921 إلى 13.900 بعد ان كان لايتجاوز 12.700 سنة 1919.

ثانيا : ابتداء من 1924 عندما تمَّ بناء القنطرة وغادر العمال والتقنيون المدينة، انهار النشاط الاقتصادي للمدينة بغتة، خصوصاً وأن المسافرين أصبحوا يمرون في الحافلات والسيارات على القنطرة الجديدة بدون توقف، فتعطلت المراكب وكسدت التجارة. ورغم مؤهلات المدينة السياحية، لم يبذل أي مجهود لتنشيط هذا القطاع. أضف إلى ذلك أن هذه الفترة صادفت استيراد المنتجات الأجنبية التي أخذت تنافس منتجات الصناعة التقليدية المحلية، كما أن الطبقة الميسورة الأزمورية اعتادت أن تقتني ماتحتاج إليه من الدار البيضاء . ويتجلى بوضوح هذا الانهيار من الانخفاض الذي طرأ على عدد السكان في هذه المرحلة إذ أنه هبط في 1926 إلى 8970 نسمة ليصبح 8580 في 1931 و7745 في 1936 ! .

ثالثا : في سنة 1932 ازداد تدهور أزمور عندما انخفضت أسعار الحبوب والحناء التي كانت من المنتجات الرئيسية لهذه الناحية، وتضاءل صيد الشابل الذي كان يعد من عوامل ازدهار أزمور في الماضي بسبب تشييد سد ابن معاشوعلى نهر أمّ الربيع، الذي أصبح يحول دون حركة أسماك الشابل أثناء وضع بيضها . ومازالت أزمور إلى اليوم تعاني من هذه الوضعية، ولاسيما بعد تشييد قنطرة أخرى خارج المدينة.

أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ *مدينة أزمور وضواحيها*، سلسلة "مدن وقبائل المغرب " (ترجمة محمد الشياظمي).
J. Dutheil, *Azemmour* ; Ch. Lecoeur, *Métiers et classes sociales d'Azemmour* in Bulletin économique du Maroc, Vol. 4 nº 16 Avril 1937, pp. 166-169.

محمد الشياظمي

**إزَمُّورَنْ**، في الأمازيغية جمع، مفرده أزمور، ويعني شجر الزيتون. اختصت بحمل هذا الاسم فرقة من قبيلة إبْقُّويْنْ (بقوية)، من الريف الأوسط، تحتل موقعاً جغرافياً واقعاً بشمال شرق القبيلة وتشرف أراضي الفرقة على خليج الحسيمة، ابتداء من ساحل "تيزرين" (الجزيرات) المقابل لصخرة النكور المحتلة. وإلى أراضي الفرقة ينتمي ساحل بقُّوية الممتد من رأس العبيد الى قمة إمسيَنْ غرباً يحيط بها من الفرق البقِّيوية : فرقة أزغال بجنوبها الغربي، بينما تحد أراضيها الجنوبية والجنوبية الشرقية على التوالي فرقتا : أولاد عبد الله وأيت يوسف من فرق بني ورياغل.

ويطلق هذا الاسم أصلاً على أهم مداشر الفرقة ، وهو واقع بالقسم الجنوبي الأوسط بين إزَفْزافَنْ وجبل عزّاً .

وبالفرقة تقع مدينة الحسيمة عند قدم رأس العبيد في أقصى الشمال الشرقي. وتبعا لذلك فان للفرقة مكانة في الاقتصاد الاقليمي ، خاصة في مجال الصيد البحري.

*ضابط القبائل لنيابة الأمور الوطنية*، ص. 85، تطوان 1952؛ *خريطة المصلحة الطبوغرائية*، الرباط، 1972.

حسن الفيگيگي

**الأزمُّوري** ← **الزموري**

**الأزَمي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث توجد عدة أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Aceme. وقد كان منهم عدة فقهاء وعدول، مثل عبدالله بن مصطفى الأزَمي الذي كان حيا سنة 1262 / 1846، والهاشمي بن ميمون الأزمي الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1296 / 1879، وعلال بن عبدالله الأزمي الذي كان يزاول خطة الفتوى سنة 1304 / 1887، ولازالت هذه الأسرة بتطوان كما توجد أسرة أخرى اسمها اليزمي ولا علاقة بينهما.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.
Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abotengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* (A); M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**الأزَمي**، أسرة فاسية يَنتسب جدودها ـ جغرافياً ـ إلى أولاد أزَام بقبيلة صنهاجة، ومن حيث السلالة إلى إدريس الأزهر مؤسس مدينة فاس عن طريق ابنه عبد الله بصفتهم من الشرفاء السباعيين. اشتهرمنهم :

**الأزمي، عبد السلام** بن الطيب الحسني الإدريسي الفاسي . تخرج على يد كبار شيوخ عصره كالتاودي ابن سودة، وعمر الفاسي، والشريف القسنطيني. ثم تصدر للتدريس بالقرويين متفرغاً له ، يبتدئ القراءة قرب شروق الشمس ويستمر إلى الزوال، ثم يجلس للدرس مباشرة بعد الصلاة ويستمر إلى العصر. وقد "أحيى الله به الفقه في المغرب في زمانه، ونفع به الجم الغفير من أهل دهره وأوانه " (*سلوة*، 3:15).

عمّر عبد السلام الأزمي طويلا وكثر تلامذته فعُدَّ شيخ الجماعة بفاس. ولم يذكر له في التأليف إلاَّ *شرح للأربعين النووية*.

توفي عشية الأحد 13 شعبان 1240 / 20 مارس 1826، ودفن يوم الإثنين الموالي بروضة أولاد بنيس بالقباب.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 :15 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

محمد حجي

**إزْناسن** ← **بني ازناسن**

**أزْنَاگ**، أو أصْنَـاك. وكتبـه الإفـراني في *النزهة* بما يشبه أزيك، هو علي بن أبي بكر الحاحي أحد الرجال الأقوياء الذين خاضوا إلى جانب الشرفاءالسعديين غمار الجهاد، وأخلصوا لهم العمل في المراحل الطويلة التى قطعها تأسيس الدولة السعدية منذ أن كانت في أفوغال إلى أن استقرت بمراكش ثم وحدت المغرب كله. ونظراً للمزكر الهام الذي كان يحتله علي بن أبي بكر لدى محمد الشيخ وابنه عبد الله الغالب فإن بعضهم عدّه وزيراً، وبعضهم سماه حاجباً بينما ذكر مارمول أنه رقي إلى درجة «وليّ الدولة أو وكيلها وهي الرتبة المقابلة لرتبة رئيس الوزراء في بلدان أخرى، أو رئيس الحكومة، ويدخل في اختصاصه تعيين خلف الملك بعد وفاته» (افريقيا ، 1 : 493) والواقع أنه كان أقرب الناس إلى محمد الشيخ المهدي بعد أبنائه، يشاركه في قيادة الجشي عند تكوين الكتائب وتوزيع المهام في الوقائع الكبرى، ويستخلفه أحيانا في حاضرة ملكه.

ولما خرج محمد الشيخ المهدي للمرة الأخيرة من مراكش لإخضاع قبائل الأطلس الكبير الثائرة عليه، استخلف على حاضرة ملكه ابنه عبد المومن. وجعل معه علي بن أبي بكر كخليفة له . فلما اغتيل الشيخ بأگلاگل من قبل حرسه الأتراك، يوم 26 محرم 964 / 29 نونبر 1556 وبلغ خبر الاغتيال إلى العاصمة خرج عبد المومن لاقتفاء أثر القتلة الأتراك، وبقيت مراكش تحت إمرة علي بن أبي بكر أزناكَ الذي بادر بإخراج أحمد الأعرج من السجن وقتله مع أهله،

ومن بينهم ولدان لزيدان بن أحمد الأعرج من زوجته مريم بنت محمد الشيخ المهدي، خشية أن يبايع المراكشيون أحدهم في غيبة وليِّ العهد عبد الله الغالب الذي كان آنذاك بفاس.

وينفرد مارمول وديييگو دي طريس بذكر قصة طويلة تبين ظروف مقتل علي بن أبي بكر بمراكش من طرف عبد الله الغالب سنة 966 / 1559 بمكيدة من أخته مريم انتقاماً لابنيها اللذين قُتلا مع أحمد الأعرج.

م.الإفراني، *نزهة*، 36 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 37 ؛ ك. مارمول، *إفريقيا*، 1 492 ـ 494 ؛ د. دي طويس، *تاريخ الشرفاء*، 219 ـ 229.

محمد حجي

**أزْنَاگ، عمر** بن علي الصنهاجي، أحد أعضاء الجماعة الموحدية التي تضم أصحاب المهدي بن تومرت العشرة المقربين. ويذكره البيذق في كتاب الأنساب في المرتبة الثانية بعد عبد المومن عند استعراضه لأصحاب المهدي، نقلا عن الشيخ أبي سعيد يخلف بن الحسن الذي كان من قادة الموحدين وأشياخهم المعدودين.

وترجع علاقته بالمهدي إلى بداية دعوته، إذ هو حسب رواية البيذق، أحد الرجال الثلاثة الأولين الذين سبقوا إلى بيعة المهدي تحت شجرة الخروب إلى جانب عبد المومن وأبي إبراهيم الهزرجي، ثم تلاهم الآخرون، فهو، إذن، شخصية ذات منزلة ممتازة في الهرمية الموحدية. فكانت له أدوار سياسية وأخرى عسكرية فنجده، مثلا، إلى جانب عبد المومن يقود جيش الموحدين في حملة ثالثة على المرابطين انتهت بهزيمة هؤلاء أمام أبواب مراكش واعتصامهم بالمدينة حيث ضرب عليهم الموحدون الحصار طوال أربعين يوما، واستمروا في مناوشتهم. وكانت تلك المعارك مقدمة لمعركة البحيرة المشهورة 538 / 1130.

وعندما مرض المهدي مرضه الذي سينتهي به إلى الموت كان عمر أزناگ أحد أصحابه الخمسة الذين أذن لهم بالجلوس معه بعد أن قرر أن يعتزل الناس وينزوي إلى بيته. ودام هذا الأمر ثلاث سنين إلى حين وفاته عام 524.

عندئذ وضعت قضية بيعة عبد المؤمن التي لم تكن سهلة، بل أثارت مشاكل. ويذكر *المعجب* أن عمر أزناگ كان ضمن ثلاث شخصيات رئيسية بادرت إلى بيعته وقدمت المثال من المصامدة، هم عمرأزناگ وعمر إينتي وعبد الله بن سليمان. سواء في قضية بيعة المهدي أو بيعة عبد المومن يتضح لنا أنه كان مسموع الرأي ومشاركا في القرارات الحاسمة التي كان لها انعكاس على مصير الدولة الموحدية : اختاره عبد المومن وزيرا له في الوقت الذي كان فيه مازال يواجه المشاكل، أي الفترة الأولى من عهده. ثم أجلاه عن الوزاره "وربأ بقدره عنها"، حسب تعبير *المعجب* الذي يضيق أنه "كان عندهم فوق ذلك" واستوزر مكانه أبا جعفر أحمد بن عطية، وهي إشارة كافية لتبين لنا مكانة الرجل عند الموحدين. والمصادر، لسوء الحظ، لا تقدم لنا مايكفى من التفاصيل عن هذا الموضوع.

ومن الدلائل على ذلك ماحظى به أولاد عمر أزناگ من الأولوية عند العرض العسكري الذي كان يقوم به الموحدون قبل أهل الجماعة. ولاشك أن تلك المنزلة التي حظي بها ترجع إلى إخلاصه في خدمة الدولة ووفائه لعبد المؤمن. ويكفى أن نورد ما ذكره البيذق عن الكيفية التي مات بها، إذ يقول إنه مرض بناحية الريف وهو سائر في جيش عبد المومن عند مطاردته لتاشفين بن علي اللمتوني. ولما أحس بدنو أجله أراد أن يعظ الموحدين فحاذاه عبد المومن من يمينه وأبو إبراهيم من يساره ليساعداه على الوقوف ويسانداه." فكان يعظ الموحدين. وكانت وصيته من ضحوة النهار إلى الظهر. وكان يأمر بالطاعة للخليفة، ومات في ليلته تلك. ويمكن تحديد تاريخ الوفاه فيما بين عام 536، عام 538 هـ .

البيذق، *أخبار المهدي* ؛ المراكشي، *المعجب* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

**أزَنْكُوط**، أسرة يهودية عاشت في مراكش وطنجة، حيث إن مختلف تراجمة السفارات كانوا منهم في القرن التاسع عشر أمثال حايم أزنكوط وابنه داڤيد، في السفارة الفرنسية، وابنه الأخر ساسون، كعون قنصلي للولايات المتحدة بالرباط والعرائش، الخ ... ومنهم يهودا أزنكوط، الذي كان حبرا أعظم بطنجة في عهد النظام الدولي، وموسى أزنكوط الذي كان يتيما فرباه الآباءالفرنسيسكان، وحمل إلى إسبانيا حيث عُمد تحت اسم فيرناندو ازنكوط حوالي 1820. وربما زاول بعض المهام في حاشية بابيل الثاني، فرجع بصفته هذه إلى المغرب مع المتفاوضين في معاهدة 1860.

**أزَنْكوط موسيس** ابن حايم. ولد بطنجة، وهاجر وعمره أحد عشر عاما إلى ڤينزويلا، حيث قام بدراسات وعين أمينا عاما لإقليم ماراكايبو. ولدى عودته إلى طنجة، اشتغل بمسائل عمومية وكان المؤسس ورئيس الغرفة التجارة الدولية، ونائب رئيس الجماعة الاسرائيلية بطنجة، وعضوا في المجلس التشريعي، ومحاضرا، وصحفيا. وألف كتبا باللغة الاسبانية، منها : *حوار ديني للدفاع عن اليهود*؛ *في الاساليب المتوسطية المستعملة من طرف النازيين الألمان*. مجريط، 1931 الخ ...

أ. لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، ص 249 ـ 260.

شمعون ليڤي

**أزْنيط**، أسرة علمية أصلها من سكسيوة، استوطنت مراكش وأنجبت عدداً من العلماء والأدباء، منهم :

**أزنيط، أحمد** بن محمد بن محمد بن أحمد المراكشي. كان والده محمد بن أحمد أزنيط مدرسا مفتيا من صدور علماء

الحضرة، اختاره المولى عبد الرحمان لمناظرة أحد علماء شنقيط الوافدين على المدينة، فأفحمه ونال بذلك رضى الخليفة وجائزته. أخذ أحمد أزنيط عن والده المذكور، وعن غيره، واشتهر بالاستظهار الكامل *لشرح الخرشي على المختصر* واطلاعه الواسع على مسائله. حج عام ثمانين ومائتين وألف، وتوفي حوالي سنة 1290 هـ / 1873 - 1874م.

ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 2 : 417 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 1:41

**أزنيط، مَحمد** بن محمد بن أحمد المراكشي، أحد علماء مراكش ومفتيها المشاهير. أصله قبيلة سكسيوة.

ولد في أواسط القرن 13 هـ/ 19 م. ودرس بمراكش على علمائها، منهم : والده محمد، وشقيقه الأكبر أحمد بن محمد، وأحمد ابن الطاهر المراكشي، وهاشم بن محمد المدغري، وشيخ الجماعة محمد گنون، وعبد الله الضرير، وسعيد جيمي. وكان يحتفظ بإجازات أشياخ هذا الاخير.

حج ثلاث مرات : الأولى مع والده قبل سنة 1273هـ / 1856م، والثانية سنة 1276 هـ / 1859 م، حيث أخذ عن بعض مشايخ الحرمين ومصر كإبراهيم الباجوري، والشيخ عليلش، وكانت حجته الثالثة في آخر عمره.

اتفقت المصادر على وصفه بأوصاف مثل : حسن الخلق والخلق، والتواضع، وحسن المذاكرة والذكاء، والفصاحة، وركزت كثيراً على علمه وتفوقه في التدريس، فهو (أعجوبة الزمان في صناعة التدريس، وحسن الالقاء والتفهيم) (الإعلام، 7 : 12)

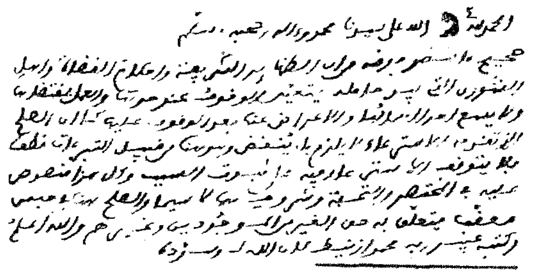

**فتوي بخط محمد أزنيط**
**(من الوثائق البوعمرية)**

وقال صاحب *الإعلام* أيضا إن تلامذته كانوا يفهمون دروسه كيفما كان مستواهم الفكري، لانفراده بمنهج خاص متميز، لم يكن متبعا من طرف سائر العلماء ويقوم على :

- تقرير الرأي بعبارات واضحة (مسلك البيان والتصريح والإطناب)
- ثم تقريره ثانيا محصلا له (مسلك المساواة أو الإيجاز)
- ثم إجماله ثالثا بحيث لايفهمه إلاّ نقّاد الطلبة (مسلك الإلغاز)

ابتدأ التدريس في شبابه سنة 1273 هـ / 1856 م ولازمه أزيد من أربعين سنة، ما تركه قط (الاعلام 7 / 115). وكان يدرس علم الكلام والفقه والنحو والمنطق بمسجد ابن يوسف. ودرس بمسجد تامصلوحت في عشرة الثمانية من القرن 13 / 19.

أخذ عنه طلبة العلم بمراكش، من أشهرهم : أبومحمد عبد الله وقاص ومحمد بن محمد الماسي ومحمد بن المهدي بن شقرون المراكشي وعباس بن إبراهيم المراكشي والهاشمي بن أحمد بوعبولة وعلى بن مبارك الروداني وعبد القادر بن قاسم. أورد صاحب *الاعلام* بتفصيل أسانيد ابن ازنيط :

- في مختصر *خليل* عن سعيد جيمي متسلسلا إلى مؤلفه.
- في *صحيح البخاري ومسلم، وشفا عياض* عن الشريف مولاي عبد الملك.
- ودلائل *الخيرات* عن الحسن بن الشاذ العلوي إلى مؤلفه.

أما مؤلفاته فهي : *تقاييد وأجوبة* و *ختمة* سيدي خليل و *ختمة* الألفية و*حاشية على المرشد المعين / شرح عقيدة* سيدي عبد القادر الفاسي.

قال صاحب *الاعلام* (7 / 115) "وقفت على ذلك كله".

بالإضافة إلى التدريس، كان ابن أزنيط إماما وخطيبا بجامع الشيخ الجزولي، يخطب خطبا مختصرة، تدور حول ثلاثة احاديث نبوية. كما كان له إسهام في الافتاء بمراكش.

وقد وقفت على نماذج من فتاويه : نمثل لها بالنازلة البوعمرية التي أفتى فيها إلى جانب محمد بن إبراهيم السباعي ومحمد الجرناوي وغيرهما وهي في موضوع النزاع بين حفدة أبي عمرو القسطلي *المراكشي وحفدة أخيه* الوالي دفين زعير، حول المستفادات والمداخيل (*الوثائق البوعمرية بمراكش*).

انتسب أزنيط للطريقة الناصرية، وأخذ عن أبي بكر الناصري. ولازم مسجد الجزولي في آخر عمره. توفي عند ظهر يوم الثلاثاء 12 شوال عام 1317 / 13 فبراير 1899 م. ودفن 1899 م. ودفن بضريح الجزولي على يسار الداخل من باب السقاية.

*الوثائق البوعمرية القسطلية بمراكش*، ظهائر ورسائل وفتاوى وكنانيش (تواريخها من 970 - 1361 / 1562 - 1942) ؛ م.ابن الموقت، *السعادة الأبدية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 111 - 119؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* (مخطوط) ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 40.

حسن جلاب

**الأزهر**، أحد مساجد الأحياء المرينية بفاس الجديد، بناه السلطان أبو عنان سنة 759 هـ / 1357 م، قبالة سور القصر. هذا المسجد هو الوحيد بفاس الذي يتوفر على مدخل رئيسي مشيد بالحجر المنجور والمنقوش؛ وتجعل منه زخرفته الداخلية، أحد أجمل مساجد المدينة على الاطلاق.

قسمت المساحة الداخلية، وهي مربعة الشكل، إلى رواقين رئيسيين موازيين لجدار القبلة، وثلاثة أروقة عمودية

متجهه نحوه. واحتل الصحن المكشوف المربع الشكل كذلك (6.60 X 6.60 متر) أول قسم من أوسط هذه الأروقة، وعليه يفتح الباب الرئيسي. واختيرت لتغطية أرضية قاعة الصلاة، التي تقع بما يناهز السبعين سنتمتر تحت مستوي أرضية الشارع، قطع من المزَهْري المثمنة، وهو نوع من الزليج غير المطلي، بينما كسيت أرضية الصحن بقطع الزليج الصغيرة المربعة المختلفة الالوان، تتوسطها نافورة ماء من مرمر ناصع، نُحتت على شكل صدَفة.

وتحيط بالمحراب زخَرفة جصّية جميلة جمعت عناصرها مابين فن التوريق، والاشكال الهندسية المتداخلة، والكتابة. كما يتكئ قوس هذا المحراب على عمودين من المرمر لا قاعدة لهما، يعلوهما تاجان زُيِّنابنبات الأقَنْثة. ويرى «مَاسْلُوُف» أن شكل هذين التاجين ينحدر مباشرة من التاج المركب الكلاسيكي.

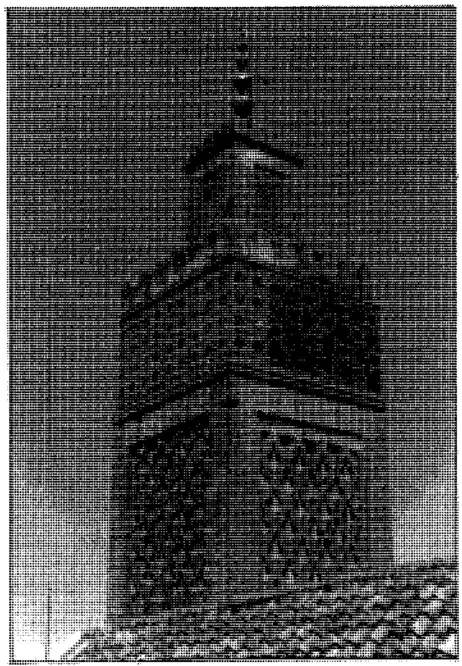

صورة صومعة مسجد الأزهر بفاس الجديد

يشمل مسجد الأزهر، على صغره، على المرافق التي نجدها عادة في المساجد الكبرى، وهي على وجه الخصوص، الكتاب والصومعة وبيت المؤذن وبيت للوضوء. فأما الصومعة فمربعة الشكل يساوي كل ضلع منها 3.50 أمتار، ويصل علوها الى16.86 متراً. وأهم مافي هذه الصومعة زخرفتها الجميلة التي تكسو واجهاتها الأربع، وهي زخرفة هندسية قوامها المعيَّنات المتشابكة؛ على أن الواجهتين الغربية والشرقية تحملان التشكيلة المعروفة عند الحرفيين بدَرْج - و - كْتَفْ مُزدَوِج البُجَات بالوَرْدَة، بينما نجد على الواجهتين الشمالية والجنوبية التشكيلة التي يطلق عليها اسم دَرْج - وْ- كْتَفْ مغرغَرْ.

أما بيت الوضوء، فنجد بها سقاية جدارية مزينة كما هي العادة، بقطع الزليج الصغيرة المختلفة الالوان. ويعلو بيت الوضوء هذا كل من الكتاب الذي كان حفظة القرآن يَأوون إليه، وبيت المؤذن.

B. Maslow, *Les mosquées de Fès et du Nord du Maroc* ; Paris 1937 ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris 1954.

عبد العزيز توري

**أزْوَافيطْ**، بمنطقة وادي نون حيث تستقر اتحادية قبائل تكنة تعتبر كلمة أزوافيط اسماً يطلقه أبناء إحدى أهم القبائل على أنفسهم. على أن الناطقين بالأمازيغية يعوضونه بكلمة إزفاضن. وهي تسمية يَرُدُّ النص الشفوي مفردها إلى زطٌّ بدل زفاطي أو أَزَفَاط. وتضيف الرواية الشفوية بأن كلَمة زط تفيد جيلا من العرب عرفوا بمميزاتهم العسكرية المتفوقة غير أن رواية محلية أخرى تعيد أصل التسمية إلى جد أسمى قادم من كندة ببلاد فارس. وبذلك يقترب الانتماء من مدينة صَفَد حيث يقيم الصفديون. على أن الصورة المستبدة بالرواية المحلية تفسر معنى التسمية بصيغة" تزطيطُ القوافل كمرتكز دلالي. لقد حاولت جاهداً أن أحلل المعنى الدلالي للتسمية الزاخرة بممكنات كثيرة. ولكن الرؤية الواضحة لايمكنها أن تحدد إلا من خلال الدوافع الموضوعية. وهنا لابد من الوقوف عند استنتاج مفاده أن البنية العميقة لمختلف التفسيرات اللغوية مرتبطة أشد مايكون الارتباط بالتجربة العسكرية للقبيلة. فمختلف الأغراض تدور حول هذه التجربة كمحور يتكرر ويعلن عن نفسه بشكل لافت للملاحظة لا على المستوى الدلالي وحده، بل على مستوى الصورة والمعجم. أخلُصُ بذلك إلى عدة أبعاد متشابكة تشكل في مجموعها رؤية ذاتية خالصة. فلا أكون مغاليا إذا استنتجت أن هذا التصور مبتوت الصلة بالبواعث والغاية والقول بوحدة الصورة التي هي وحدة الإحساس والعاطفة. يبقى بذلك أن الصورة بكل أشكالها المجازية وبمعناها الجزئي والكلي وسيلة لتحليل تطور القبيلة.

في المحور التجاري الرابط بين منطقة شنقيط ومدينة مراكش شكلت الوحدات العسكرية المتخصصة في حماية " تجار كل قبيلة " نواة أزوافيط خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي. وتضيف الرواية الشفوية بأن مولد القبيلة قد تم على يد أبي الوليد بن رشد قاضي القضاة بأمر من أحد الملوك الذي قد يكون هو علي بن يوسف بن تاشفين. فيتجلى بذلك الدور العسكري على واجهة الأحداث كعامل استراتيجي في بلورة المعطيات السياسية والإثنية التي لم تسمح الرواية الشفوية بتحديد معالمها. على أن من شأن أي تراكم للنصوص الشفوية في غياب المقروء أن يحدد بصورة موضوعية الأجوبة التي تطرحها أبعد الاشكالات وأكثرها تعقيدا. وتجدر الإشارة إلى إمكانية الربط بين دورهذه الوحدات كقوات مساعدة والدور الإداري والعسكري لعثمان بن مندي عامل المرابطين على نول لمطة عاصمة وادي نون اذاك. هل من قبيل المصادفة أن يكون عثمان بن مندي هو الجد الأسمى للف أيت عثمان

الذي يمثل أزوافيط ركيزته الأساسية بنفس المكان المجسد لبقايا نول لمطة ؟ مهما يكن فإننا نجد أسماء مشابهة كأيت عثمان وأيت صفادت متوزعة بقبيلة گدميوة الجبل خلال هذه الفترة (البيدق : *المقتبس* : 45). ونجد قبيلة گنداف‌ة حيث إنصفاتن ونجد زناتة تيفسرن ودكالة حيث يجاورون بني صفادة (*المقتبس*، 47).

ويمكن للمدقق الذي لايمكنه استيعاب الاستراتيجيات التحالفية المزامنة، أن يدرك لماذا لم يكن الانحدارالأبوي المثالي يشكل قبل الغزو المعقلي اختياراً إجبارياً يتم على أنه الاختيار المثالي. ذلك أن القبيلة على أهميتها المتميزة وإرادتها القوية في فرض هذا التمييز ستحتضن بعد سيطرة بني حسان جعفر بن الطيار وحسان بن معقل جدين اسميين متنافيين كما هو شأن باقي القبائل المحلية. إلا أن هذه الإباحة تظل محدودة إذا ماتتبعنا مراحل تطور القبيلة حسب مقولتها الشفوية. يجب أن نعطي هنا لبلّة ما يستحقه من الأهمية . ذلك أن أيت بلة تعتبر أهم تجزئة في لف أيت عثمان وثاني اسم لقبيلة أزوافيط. فهل يمكن اعتبار بلة جداً اسميا أم حقيقيا ؟ تفيد الرواية الشفوية أن المقيم التي حددت أهميته تتجلى من خلال ممارساته التاريخية. ويمكن إجمال هذه الممارسات حسب المقولة المحلية في سلوكه الحربي تجاه الجماعات النسبية الموجودة قبل وصوله بعين المكان. فقد وصل على رأس مجموعة نجهل أهميتها إلى تامدولت قادما إليها من توات. وقد مكنه تحالفه مع القائد بن صاكَ جد القائد الجزولي التمنارتي من الوصول إلى تكَجكَالت وتغاجيجت. هنا نتساءل عما إذا كان القائد بن صاكَ هو نفسه أمنصاكَ شيخ قبيلة مجاط تيزلمي الذي هدم ميدنة تامدولت أقا خلال القرن الرابع عشر الميلادي (80 ـ 79 : Justinard) فيتبين لنا أن خلاف بلة مع أبي حسون السملالي حول مراقبة المجال بتغاجيجت يدفع بالأحداث إلى بداية ظهور أبي حسون بتكَجكَالت قبل استقراره بإيليغ عاصمته الجديدة خلال القرن السابع عشر. فقد انتهى الخلاف بإخراج جند أبي حسون من تغاجيجت عنوة. ولعل هذا ما يؤكد أن أبا حسون قد يكون فعلا وراء فكرة تأسيس أمكَار موسم جديد بتراب أيت لحسن لمنافسة موسمي گويرة السوق وخميس تغمرت وأسرير بتراب أزوافيط. هذه الفترة كانت تعرف من بين شيوخ وادي نون شيخي مدشر وعرون الشيخ ميليد والشيخ با يحيا محمد. لعل هذين الأخيرين قد باعا المدشر إليغ كما تؤكد ذلك الرواية الشفوية. مهما يكن فإن أحد العقود المثبتة بكناش أبي حسون تفيد أن الشيخ يحيا بن احماد الوعروني قد باع جميع ممتلكاته لصاحب الكناش سنة 1043 / 1633 م. (P. Pascon, *La Maison* : 22) من هنا نتأكد من أن القوة التوسعية لأيت بلة تعتبر ساعتها وسيلتهم الوحيدة للإستقرار والتكيف مع الحياة الزراعية. على أن الرواية الشفوية لاتوفي هذا الجانب الهام حقه من الإيضاح مكتفية بربط الفصائل الأساسية بشخص بلة دونما أي اعتبار للتفاوت البين في أسماء الأجداد الحقيقيين. وهكذا فإن التحالفات الحمائية تبدو المحدد المحوري لتسرب "أبناء" بلة نحو تلك الأرض والساقية. نستسيغ كون قواعد المعاملات السياسية تعكس محليا وقواعد الاندماج الفعلي بين الحامين والمحميين. هذا النسق القيمي لايكفي في حد ذاته لتحديد العلاقات القرابية بقدر ما يجملها كما وكيفاً. يبقى إذن أن نتبين استحالة أي جرد تاريخي لتبلور العلاقات الإثنية مكتفين بمغرافية القبيلة حاليا، تعتبر فصيلة آيت احماد أو على أكبر فصائل القبيلة حجما وأهمها سياسيا وعسكريا. وتعتبر عائلة أهل المعطي سيدة الفصيلة منذ القرن الماضي على الأقل حتى مقدم القوات الفرنسية سنة 1934 (*طاقة ريحان* : 28، 96 ـ 95 ؛ P. Marty, 68 ; La Chappelle) إلا أن القيم التي تحدد أهمية شيخ الفصيلة القبلية لا تتجاوز عند أزوافيط حدودها إلى ماعداها من الفصائل. وهكذا فإن لأهل حايين وأيت لخنوس وأيت محند ألحسن وأولاد بلحويلات وأيت مسعود شيوخا تقاس أهميتهم بأهمية فصائلهم. أما إذا سلمنا بعمومية هذا القانون الوظيفي، فإن تطبيقه كان سائدا بالخصوص لدى قبائل الرحل ذوي النجعات الصغيرة واللامحدودة. أما قبيلة أزوافيط فتعد حضرية مستقرة في وبين مداشرها حيث تبرز أهيمة موقعها وحجمها السياسي والعسكري داخل اتحاديتها.

لقد بلغ الشيخ الكوري رئيس فصيلة أيت الخنوس خلال حقبة يصعب اليوم تحديدها من السلطات العسكرية والاقتصادية ما أهله لتصدر الأحداث بتغمرت. فلا يزال ذكر قلعته المحمية يثبت حجم وأهمية تجارته مع بلاد شنقيط. فالرواية الشفوية بموريطانيا ماتزال تعتبره أول تكني مارس التجارة بالمنطقة. وهو أمر يذكر بالدور الذي لعبته تغمرت في نفس المكان الذي ماتزال تجثم فيه مآثر نول لمطة. فإذا كانت استعدادات الشيخ الأولية لم تمهد لبنية سياسية متميزة، فإن دور استقلالية الفصائل تعد شروط قيام علاقة محلية ثابتة.

لقد أثبتت إحدى الوثائق المتعلقة بأسرير أن عملية السطو المنظم على أهم الأراضي قد كان جاريا إلى سنة 1142 / 1729 على الأقل. كما أن الرواية الشفوية تفيد بأن احماد أمسعود إتصان (الضحاك) هو أول من حكم أراضي تغاط الفلاحية حيث ماتزال أحجار داره تدعى أَزَكْ سلِّيف (عرف الحلاب). وقد أظهر فيما بعد حفيده علي أعبد الله بن احماد للسطان إسماعيل العلوي وثيقة تثبتط ملكية الأرض. هكذا تكون حساسية تملك الأرض كمشكل آني قد فرضت التحكم في تقنيات التوثيق وأساليب الاستغلال. لم يكن انخراط علي أعبد الله في سلك الجيش المخزني إلا أحد الأسباب المدعمة لموقفه أمام السلطة. وهي فترة صادقت تطور ظاهرة غزو وتملك الأراضي (A. Hammoudi : *Sainteté* : 622) إن المتأمل لتراب أزوافيط يلاحظ أنها من الناحية الشمالية الغربية

إلى أزدار ـ مْكيطع الصفا ـ قبر أوجانا الدويلالي ـ تاوعرونت (كَليب الكانية). وأنها تتجاوز من الناحية الجنوبية خنيك السدر ـ اعريف أوكسة ـ تامسوغت ـ فريكَ بواللابدة ـ حويسى اللكّاح. ويتضح من مالكية وعرون التي اشترى بموجبها أبو الحسن السملالي هذا المدشر أن الحدود الشرقية تمتد إلى ما وراء آوكسة وكَويزة السوكَ. عندما ينتسب أزوافيط جزءا من ترابهم إلى البكم المعاصرين لأبي حسون السملالي، فإنما يفرضون على المحلل اعتماد القرن السابع عشر كمرحلة حاسمة في بلورة الشكل النهائي لقبائل تكنة جملة وعموما. وهي ضرورة تقتضي التأريخ لأساليب التحكم في المياه والأراضي والخبرة الميدانية في بسط النفوذ. فتظهر بذلك الصرامة في تطبيق الصبغة الإلزامية لهذا التقليد.

لعل أول ما يستلفت الانتباه عندما نراجع الواقع التاريخي والاجتماعي لهذه القبيلة سمة الاختلاط السكاني في ظل الروابط القرابية. فسمة الاستقرار داخل وحوالي مداشر وعرون، أسرير، تغمرت، دوبيان، أيت احماد، أيت بكو، تالمكَيست، أوزرولت، زريويلة، سركس قد طبعت التطور على مدى ثلاثة قرون. لقد تصدرت لدى أزوافيط المحددات الجغرافية والأيكولوجية وجسدت تبعا لذلك نموذجا معيشا متعارضا إلى حد بعيد وما ارتكزت عليه الحياة القبلية جنوبي وادي درعة. على أن هذه الحقيقة المحورية يجب ألاّ تنسينا سيادة الطابع الحربي وحركية أزوافيط الواسعة النطاق وممارستها العسكرية التي كانت تكتسي بدون شك طابعا اقتصاديا وسياسيا. لقد كان عليها كركيزة أساسية في لفها وكجارة مباشرة لأيت لحسن غريمتها الأولى في اللف المقابل، خلق الترابطات الضرورية لحفظ النظام وضمان الاستمرار الاجتماعي. من هنا تجلت أهميتها الحربية كوسيلة محورية تستهدف إعادة إنتاج العلاقات القرابية السائدة وتكريس الولاءات الرمزية والاجتماعية وتوطيد التحالفات السياسية. على أن أهم مشكل بنيوي يميزها هو عدم انتمائها إلى لف المحور الساحلي الذي يحتكر تجارة الصحراء عبر مدينة كَليميم، ذلك أنه بالرغم عن حفاظ القبيلة على مؤسساتها التجارية الأساسية بوادي نون بسوق خميس تيغمرت وسوق أسرير الموسمي يقوم اقتصادها أساسا على تربية الأغنام والأبقار والفلاحة وتنظيم العلف كوسيلة لإعادة توزيع الإبل. فإذا كانت أراضي القبيلة تعد بالإضافة إلى مداشرها الاستراتيجية الهامة مؤشرا للقوة، فإن لف أيت الجمل قد استمد تسميته من احتكار جانب تربية الإبل والماشية الأخرى. وقد تسبب اقتران ملكية الماء بالارض في الحد من الرؤيا التجارية للقبيلة. وحتى يمكن أن نتصور حجم الصراعات القائمة حول عنصري الماء والتربية يكفي أن نوضح بأن القبيلة قد عملت جاهدة على إبعاد السوق الموسمية والأسبوعية عن مجالها خوفا من التسلط المنتظم على حقولها المسقية . فلم يجد عبيد الله أسالم شيخ قبيلة أيت موسى في نهاية القرن الثامن عشر أية صعوبة في تأسيس سوق كليميم مكان كَويرة السوق علي تراب أزوافيط. فكلما طرحت مسألة الموسم على تراب أزوافيط إلا وتصدي لها هؤلاء أنفسهم موظفين سلطاتهم الحربية في تسهيل مأمورية أيت موسى أعلي بكَليميم. على أن ما كان يرفض من طرف القبيلة هو تجمع السلع بالسوق الجديد معتدين بذلك مرات متكررة على أمان السوق. ولايمكن التأكد من هذا التصور إلا بإرجاعه إلى غياب التقاليد التجارية لدى أزوافيط بعد وفاة الشيخ الكوري الخنوسي. فالعائلات القليلة التي بقيت متمسكة بهذا المجال الحيوي تربطه بالمجال الفلاحي والرعوي دونما سند لها في واقعها المحلي.

إن اعتبار الجانب الاستقراري يقودنا كما نرى إلى تحليل دور مراقبة الماء والأرض في بلورة الجانب الحربي للقبيلة. هذا ماتؤكده معارك حصن كَيوارة المحادي لقرية وعرون الأثرية . بل إن المتتبع للأحداث كما توردها الرواية الشفوية، يستخلص أن المقدرة الحربية تعتبر القناة الأولى المجسدة لسلطة أزوافيط على حساب استراتيجية اقتصادية أو سياسية موحدة. لقد مارست فصائل القبيلة سلطاتها في فرض حرمة الأماكن التي اقتلعتها من بعض الفصائل التكنية الأخرى. لذلك فقد عمل "البارود" علي تقييم مسألة المشروعية منذ تأسس الاتحادية. فلا نفاجأ أنه باستثناء السواعد وأولاد موسى، فإن باقي فصائل اتحادية الركَيبات تعتبر محمية من طرف أزوافيط بالإضافة إلى لميار وأولاد تيدرارين. لقد ركز الطالب أحمد المصطفى بن طوير الجنة في مخطوطه *رحلة المنى والمنة* خلال بداية القرن التاسع عشرعلى دور أزوافيط في القيام بتزطيط (بخفر) القوافل عبر الساقية الحمراء إلى حدود أرض أولاد دليم بوادي الذهب. وهذه الحقيقة تنفي بشكل تام اقتصارالقبيلة على مجالها شمال وادي درعة. ذلك أنها مطالبة لحماية مكانتها بين القبائل، بالحضور المستمر داخل لعبدة التنافس السياسي بالصحراء. هذا ماتشهد عليه طبيعة العلاقات بين القبيلة وأولاد بو السبع. فقد سبق لأزوافيط أن طردوا هذه القبيلة من ديارهم لدى عودتها منهزمة أمام جيش السلطان محمد بن عبد الله العلوي (*إليغ*، 7، *الضعيف*، 10 ـ 222). وكان سبب هذا الطرد هو محاولة أولاد بوسبع التنكر لحفاوة وكرم أزوافيط بالسيطرة على أسرير. وبعد أزيد من قرن على هذه الأحداث دخلت قبائل الزوايا الممنوعة من حمل السلاح والمحمية من طرف تكنه في صراع سببه نزوح هؤلاء إلى ناحية وادي درعة بعد أن تفككت البنيات التجارية من جراء سيطرة التجارة الأوروبية. وكان أن ظهرت اتحادية الركَيبات كقوة عسكرية جديدة استطاعت القضاء على غريمتها من أولاد بو سبع والعروسيين وتجكانت. وصلت قبيلة أولاد بو السبع ساعتئد مطرودة من الصحراء إلى وادي نون فلم تجد إلا أزوافيط كحلفاء. وبذلك عادت إلى أسرير تحت حماية أزوافيط الذين وفروا

لها شروط الاستقرار رغم مافي ذلك من مشاكل مع الركَيبات. فلم يتوان هؤلاء عن تهديد أزوافيط الذين علموا يومها بما في المعطيات الجديدة من خطر على وجودهم الأمني. فكان بديهيا أن يعترفوا بميزان القوى الجديد عندما قرروا التخلي عن حمايتهم لأولاد بو السبع حوالي سنة 1921 م. ونستخلص من ذلك أن لهذا الحضور العسكري للقبيلة انعكاسات بنيوية تتجلى في العلاقات السياسية والاجتماعيةالسائدة بين الحامين والمحميين. أريد هنا أن أؤكد على أهمية هذا التغير البنيوي في صياغة مفهوم الاتحادية ككل متكامل. ذلك أن ميزان القوى الجديدة لم يكن يعني غياب حضور أزوافيط دون غيرهم من القبائل التكنية . فإن كانت المعطيات السياسية الجديدة تفيد تطور اتحادية الركَيبات، فذلك على حساب مجمل القبائل التكنية دون أي استثناء. وهي حقيقة تاريخية تبلور مايمكن أن تُطلق عليه تكييف الهياكل المحلية مع قانون التطور. فلا شك أن للبنيات القبلية من مرونة التكيفية ما يدعوها للوجود باستمرار على ساحة الأحداث السياسية بشكل قابل للتطور والنماء. ماتزال القبيلة رغم تطورها تحافظ على مؤسساتها وممارساتها ولوبصفة متوثرة. فهي تعزز باستمرار ترابطاتها العشائرية حيث تطرح كجهاز سياسي متمايز ومشتمل في طياته على تعارضات جعل منها الاستعمار لوهلة وجيزة أداته الأولى، وقد مكنت الفترة الاستعمارية من إبراز التطلعات الزفاطية إلى الميدان التجاري، فأصبحت بذلك جالية بموريطانيا تعد في الوقت الراهن أقوى الجاليات التكنية. كما أن الهجرة إلى الخارج قد أطرت خلال الستينات والسبعينات والثمانينات المعطيات الإحصائية حول واقع الأسر.


أ.البيدق، *المقتبس من كتاب الأنساب* ؛ م . المختار السوسي، *إيليغ قديما وحديثا* ؛ *طاقة ريحان من روضة الأفنان*، الرباط، 1984 ؛ م . الضعيف، *تاريخ الضعيف*، الرباط ، 1986 ؛ م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة* ؛ *تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.

P. Marty, *Les Tekna du oued Noun* in *Les Tribus de la Haute Mauritanie* Publications du comité de l'Afrique Occidentale Française, 1915-91 ; F.C. de la Chappelle, *esquise d'une histoire du Sahara occidental, Etudes, notes et documents sur le Sahara occidental*, VIIe congrés de l'IHEM, Hesperis, XI, 35-96, Rabat-Paris, 1930 ; *Les Tekna du S.O Marocain, Etude geographique, historique et sociologique*, l'Afrique Française, Bulletin du comité de l'Afrique Française et du comité du Maroc, 1934, 109 p; Cl. Justinard, Archives Marocaines, Vol. XXIX, Paris Champion, 1933 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, I.H.E.M, notes et documents, III, 1948, 59 p, Larose, Paris ; A. Hammoudi, *Sainteté, pouvoir et société, Tamgrout aux XVII et XVIIIe siècles*, Annales E.S.C, nº 3-4, Aout 1980, 615-641 ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh et l'Histoire sociale du Tazerwalt*, SMER, Rabat, 1984, 223 p.


*مصطفى ناعمي*

**أزْواگ**، خروج الرجل من بين ظهراني أهله وعشيرته متغربا لائذا بغيرهم، سواء كان خروجه إراديا أو حكمت عليه الجماعة بذلك عقابا له على جريمة ارتكبها. ولبعض القبائل أعراف تقضي بالنفي من الأرض عقابا. ويستعمل فعل هذا المصدر الأمازيغي وهو : زُوگْ في معنى طلب الرجل الحماية من الآخر أو طلب الدخول في كنفه استعطافا له وطلبا لعفوه، وبهذا المعنى دخلت هذه المادة إلى العربية العامية في مثل عبارة : "أنامْزَاوگْ" أي أنا لائذبك، طالب الدخول في كنفك، في موقف التذلل والضعف الذي يكون فيه المغترب عن أهله طالب الحماية من ضامن يُقبل عن طريقه في عيشرة، وليس لدينا ما يؤكد أن أزواگْ كان يقتضي نوعا من التبعية أو درجة من الرقية وإن كانت العبارة توحي بذلك، وإنما المعروف هو أن الغريب لم يكن يندمج بسهولة في القبيلة التي يلوذ بها، ويكون دخوله من باب حماية بعض أعيانها، الشيء الذي يفترض عمليا المرور بمرحلة انتقالية تقترن في الغالب بخدمة المغترب مدة معينة، ومن آفاق البحث في هذه المادة النظر في علاقة جذر الفعل "زگ" بصفة : إزوغْ التي تعني "أحمر" على مذهب من يرى أن إزْوغْنْ تعني حميرَ، لما كانوا قد تغربوا إلى المغرب فقد اشتق من صفتهم وصف كل لاجيء أو متغرب وإزواگن عامة هم اللاجئون، ومنهم زواغة الغرناطيون الذين كانوا في جهات فاس حتى حل محلهم بنومطير.

*أحمد التوفيق*

**أزُوكا**، أو عَرْعَر أو عَرْعَر بربري (= أمَلْزي = تَازُوت) أو العرعر، يطلق عامة على نوع نباتي وهو تيتْراكْلينيسْ أرْتيكُولاَتَا Tetraclinis articulata أو على أنواع جَنَس يُونيپيرُوسْ Juniperus. والجنسان ينتميان إلى فصيلة السرويات Cupressaceae.

الصفات النباتية : أزوكا أو العرعر البربري شجرة متوسطة القامة لا يتعدى علوها 15 مترا. تاجها كثير الأغصان لكنه لا يعطي ظلا كثيفا. جذعها غير مستقيم ومشقق طولانيا. براعمها مخبأة بواسطة أوراقها. وهذه الأخيرة حرشفية متراكبة فوق بعضها ومتقابلة مثنى مثنى. أزهارها وحيدة الجنس ووحيدة المسكن وتظهر في الخريف على هيأة إزهرارات هرية. ثمارها مخروطية شبه مكعبة وتحتوي كل واحدة منها على 4 حراشف متخشبة. بذورها مجنحة.

التوزيع البيوجغرافي : العرعر البربري شجرة من المخروطيات القلائل التي إذا قطع ساقها أعطت فسائل من أرومتها. وهذه الميزة هي التي ساعدته على عدم الانقراض وعلى البقاء في مناطق شاسعة من شمال إفريقيا. فإذا استثنينا محطتين للعرعر البربري، الأولى في جزيرة مالطا، والثانية في جنوب شرقي إيبريا، وجدنا أن هذه الشجرة تنظم تشكيلات منتشرة على 30.000 هكتار في تونس، و160.000 هكتار في الجزائر و950.000 هكتار في المغرب أي أن هذا النوع النباتي يبقى مرتبطا بالناحية الجنوبية للشطر الغربي من المنطقة المتوسطية. ففي المغرب وهو البلد الأكثر ملاءمة للعرعر نجد هذا الأخير يشكل ثلاث كتل من

غاباته، الأولى تكسو قسطا وافرا من شمال المغرب الشرقي والريف الشرقي، والثانية تمتد على مساحات واسعة من الهضبة الوسطى، والأخيرة توجد في مجال أرگان مابين الصويرة وإفني على واجهات الأطلس الكبير الغربي والأطلس الصغير.

يعيش العرعر البربري في البيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب السفلي، الحارين والمعتدلين أي أنه لا يتحمل البرودة. وهو يصادف مابين سطح البحر و1.000 متر في الشمال و1.500 متر في الجنوب، أي أنه يقع في الطابق المتوسطي الدافئ واستثنائيا في الطابق ما تحت المتوسطي.

إنه يوجد على أنواع مختلفة من الأتربة كيفما كان سمكها أو صخرتها الأم ماعدا المالحة منها. لكن أحسن غاباته تعيش فوق التربة الحمراء المتحدلسة.

إن هذه الظروف البيئية التي يتطلبها العرعر البربري تجعله ينظم عدة عشائر نبتية أوجية.

الاستعمالات : يعطي جذع العرعر البربري خشبا متوسط الجودة لكن خشب أرومة أشجاره المعمرة ثمين جدا إذ يستعمل في صناعة كثير من أدوات الزينة وأثاث المنزل مثل الموائد والعلب التي يمكنها أن ترصع بخشب الليمون. ونجارة خشب العرعر هذه تكاد أن تكون مصدر الشغل الوحيد للصناع التقليديين في مدينة الصويرة.

كما يستخرج من قشرة الجذع مادة راتنجية، ومن الأشجار الحية مادة أخرى تسمى محليا الصَّلْبَان تصدر للخارج ليصنع منها برنق رفيع.

ومن بين المنافع الأخرى للعرعر البربري التي تستحق الذكر هنا، الفحم ذو الجودة المتوسطة، والقطران، وأوراقه التي تستعمل في التطبيب التقليدي.

L. Emberger, *Les Arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris 1938 ; R. Maire, *Flore de l'Afrique du Nord*, Paris 1952 ; A. Benabid, *Les Ecosystèmes forestiers, préforestiers et présteppiques du Maroc*, Forêt méditerranéenne, t. VIII, 1, 1985 : 53-64.

**أَزُوكْنِّي**، أو الزعتر (إيزُوشْنْ = إيزُوشَنِّي = تيزُوكْنْت = تَازُوكَنْت = أَزُوكَنُّو = أَزْوي = أَزْوِيرْ = زْعيتْرَة = سَعْتَرْ = صَعْتَرْ.) تطلق على كل الأنــواع النباتية المنتمية إلـى جنسـي أوريگانُـوم Origanum وتيمُوسْ Thymus وهما من فصيلة الشفويات Lamiaceae.

يحتوي جنس أوريگانُوم على خمسة أنواع برية بالمغرب منها المحلية ومنها الموجودة أيضا في بلدان أخرى من المنطقة المتوسطية. ونجد نوعا سادسا دخيلا يزرع لأجل صناعة بعض الأدوية. إن كل هذه الأنواع أعشاب معمرة ذات أوراق صغيرة وقلبية الشكل، وأزهار بيضاء أو وردية.

تعيش هذه الأنواع البرية في بيومناخات وطوابق مختلفة وعلى أراض جد متنوعة لكنها تصادف بكثرة فوق أتربة صخرية وفقيرة.

أما جنس تيمُوس فهو ممثل في المغرب بحوالي أربعة وعشرين نوعا بريا موزعة على جميع أرجاء البلاد. أوراقها أصغر من أوراق الجنس السابق. ولهذا فإضافة إلى اسم الزعتر سميت أنواع عديدة من تيموس بزْعيترة لأن أوراقها صغيرة جدا. وأزهار تيموس إما بيضاء وإما وردية.

الموطن الأصلي لهذين الجنسين هو منطقة البحر الأبيض المتوسط. وقد عرف الإنسان مزايا أنواعهما منذ أقدم العصور، ولازال يستعملها كبخور أو نقيع مطبوخ أو في بعض المأكولات أو في العطور أو في كثير من الأدوية لعلاج الزكام والربو...الخ

ويعتبر عسل النحل الذي يعيش على أزهار الزعتر من أهم الأدوية في التطبيب التقليدي مع العلم أن هذا العسل رفيع جدا.

*بحث ميداني.*

E. Jahandiez et R. Maire, *Catalogue des plantes du Maroc*, Paris, 1934.

عبد المالك بنعبيد

**أَزُولاي**، أسرة يهودية كثيرة العدد، برز منها في المغرب العديد من الأحبار ذوي الكتابات والمؤلفات الأدبية اليهودية. وقد هاجر بعض هؤلاء إلى المغرب من إسبانيا على إثر النكبة الأندلسية سنة 1492. واستوطنوا مدينة فاس وشغلوا فيها مناصب دينية عليا، ونذكر من بينهم : أبراهام أزُولاي وابنه مردخاي وحفيده أبراهام بن مردخاي الذي ولد بفاس وتوفي بفلسطين وهو من أكبر القبلانيين. كان له عدد من الأولاد والأحفاد، اشتهر منهم ولده إسحاق، صاحب كتاب في القبلانية وحفيده زراع بن اسحاق، والحاخام اليسع بن زارع بن إسحاق الذي وافاه الأجل بالقدس سنة 1732. ونزح إلى فلسطين من هذه الأسرة أحبار آخرون من فاس أمثال مسعود أزولاي الذين سكن الصفدية خلال القرن 17، وميمون أزولاي الفاسي أصلا، الذين رجع إلى فاس عام 1691، لجمع التبرعات لفائدة " المغاربيبم " أي اليهود المغاربة الذين أوقفوا حياتهم على الدراسة والتعبد في ربوع الأرض المقدسة (راجع بناحيم، صاحب كتاب ملوك الربيين).

وحوالي عام 1724، وُلد بالقدس حيون يوسف داود أزولاي أحد حفدة أبراهام أزولاي، كان مشهورا باسم الربي حيدا، وهو لفظ يتركب من الحروف الأولى لاسمه الطويل. جال عبر أقطار أوربا ثم زار المغرب ومصر وغيرهما، وترك مؤلفات أدبية هامة عددها واحد وسبعون، يوجد من بينها قاموس لترجمة وبيليوغرافية بعض مشاهير الأسماء. ومن بين مولفاته : شم باجيدوليم (أسماءالعظماء) الذي نُشرمراراً (في ليفورن 1774، وفارسوفيا 1876، وفيينا 1853).

وفي صفرو : تفرع عن اليهود الحاملين اسم أزُولاي سلالة من الأحبار، منهم : يهودا، وابنه إيشُوشواع (القرن 18) وحفيده شمعون (القرن 18 والقرن 19) وحفيد إيشُوشواع، الياهو (القرن 19) وشلوم أزولاي (1851-

1932) الحاخام الأكبر بصفرو، كان شاعرا واعتُبرت آثاره جديرة بالنشر، وفي سلا ، صامويل أزولاي (القرن 18 والقرن 19). وفي مراكش : إسرائيل وأبراهام أزولاي، حاخامان عاشا أواخر القرن 18 وأوائل القرن 19. وقد كان أبراهام أزولاي أشهر حاخامات المدينة حتى إنه مضى يحمل لقب حاقادوش، أي القديس القبلاني، مؤلف كتاب *مقداش الملخ* (زواية الملك) وله كتاب يحمل عنوان شرح *الزهار*، اي كتاب الجلال الذي يعد المرجع الأساس في القبلانية. ويقال عن هذا الحاخام إنه أتى ببعض الخوارق. كانت وفاته سنة 1745. وفي بوگلماد وهي قرية تقع جنوب مراكش، يوجد قبر عوباديا أزُولاي الذي يحج إليه عدد هام من الزوار اليهود من مختلف الجهات.

**أزولاي أبراهام** بن مردخاي. ولد بفاس حوالي سنة 1570 وانتقل إلى فلسطين حوالي سنة 1600 بعد مصاعب ومحن في الطريق رواها في مقدمة ترجمته ب ـ *أور. ها ـ حمّا*، التي تعرض فيها الى الحياة الثقافية اليهودية والمؤسسات التعليمية والأدبية بمدينة فاس المجيدة. وقد أنهى كتابه هذا سنة 1618، وضمّنه المراحل التي يقطعها القبلاني وضرورة تخطي العالم المحدود الذي تشكله القوانين المكتوبة (التوارة) وغير المكتوبة (المشنة والتلمود)، وذلك قصد إدراك عالم القبلانية اللامتناهي، عالم الحكمة والحقيقة، عن طريق التصوف.

عاش هذا الحاخام حياته في الأرض المقدسة منغمسا في التصوف، وعرض نظريته في مولفاته المطبوعة تحت عنوان قرية أربع (الجزء الاول : *أور. ها ـ لبناه* ، أي نور القمر، برزميسل 1898 ؛ الجزء الثاني : *أور .ها ـ حمّاً*، أي نور الشمس ـ القدس 1876. برزمسيل 1898 ؛ *أور ها ـ* كنوز، غير مطبوع بل مفقود. وهو عبارة عن شرح مطول لكتاب الزهار الذي اعتبره المثقفون اليهود عملا أساسيًا للتصوف عندهم (سولزباخ 1695، امستردام 1685، فالنا 1887) ويتضمن تأملات في القبلانية، تتمحور حول مفهوم شامل للتناسل والعلاقات الزوجية الخاصة : *زها حمّا*، " جلال الشمس " ( البندقية 1654، برزمسيل 1882 ـ 1883 ـ 1896). وفيه يختم المؤلف آراءه الصوفية، بعال بروت أبرام أي أنصار الطريقة الإبراهيمية، ألفه سنة 1620. نشر بفالنا سنة 1873 ـ 1874، يتضمن شرحا للتوراة، على ضوء تعاليم القبلانيين المغاربة كورديفيرو وحريا وسليمان أوحنًا.

مات أبراهام أزولاي سنة 1643 وبقيت بعض أعماله مخطوطة وحسب ماأورده لاريدو (ص 214) فإن هذه المخطوطات آلت إلى اليسع بن زراع بن اسحاق، ابن حفيده الملقب بـ الربّي حيدا، وقد تكون هذه المخطوطات مبعثرة بين مختلف الخزانات.

لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، ص 243 ـ 245 ؛ حييم الزعفراني، *القبلانية*، باريز 1986 ص 212، 234 ـ 238 ؛ مالكه ربان، *يهود المهجر* ؛ *الموسوعة اليهودية*، ج 2 ص 875.

**أزْويلُوص**، اسم تحمله أسر يهودية متفرعة عن اليهود النازحين من إسبانيا، ومنهم :

**أزويلوص أبراهام** من أحبار الطائفة اليهودية بإقليم قشتالة (مغراشيم أو عجميون ) استوطن مدينة فاس وهو الذي وقّع على بعض المرسومات عام 1543، وخلال عام 1556 إلى جانب بعض الأحبار.

وخلال القرن السابع عشر، كان أحد القادة الدينيين اليهود بفاس يدعى أزويلوص يعقوب.

ي . بناحيم، *مالخ ربنان* ؛ *طوليدانو، حما عراب*.

شمعون ليفي

**أزير**، أو يَزير (= إكليل الجبل = حصالبان) اسم أمازيغي يطلق على جنس نباتي يسمى بالعربية بالحصالبان أو بإكليل الجبل وذلك لكثرة أزهاره في فصل الربيع. واسمه العلمي هو رُوسْمَرِينُوسْ Rosmarinus وهو ينتمي إلى فصيلة الشفويات Lamiaceae. إنه جنيبة دائمة الخضرة لا يزيد ارتفاعها عن المتر ونصف المتر، وذات أوراق شريطية وأزهار زرقاء.

يحتوي هذا الجنس على نوعين وهما إكليل الجبل الطبي أو رُوسْمَرِينُوسْ أُفّيسيناليسْ Rosmarinus officinalis وإكليل الجبل الوبري أو رُوسْمَرِينوس تُورنْفُورْتِيي Rosmarinus tournefortii

إن إكليل الجبل الوبري ينتشر في منطقة تشمل الشمال الشرقي من المغرب والشمال الغربي من الجزائر. أما إكليل الجبل الطبي فهو يصادف في أغلب أنحاء البلدان المتوسطية، وخاصة في مجالات الصنوبر الحلبي أو العرعر البربري. يعيش النوعان في بيومناخات شبه رطبة وشبه جافة ذات الشكل الحار والمعتدل والبارد، وفوق أراض كلسية.

عرفت مزايا أزير منذ أقدم العصور. فأوراقه تستعمل في الطبخ أو كدواء تقليدي. وبتقطير أوراقه يستخلص زيت ذو رائحة قوية مستعملة في كثير من الأدوية. كما يعتبر أزير من أهم الأزهار في تربية النحل إذ أنه يعطي عسلا رفيعا.

ولكون أزير يتحمل التقليم فقد يستعمل بكثرة للزينة في الحدائق على شكل سياج حي قصير القامة، وذلك بجانب الممرات.

E. Jahandiez et R. Maire, *Catalogue des plantes du Maroc*, Paris 1931-1934.

*بحث ميداني.*

عبد المالك بنعبيد

**أزيك ← تكنة**

**أزيلال**. ـ جغرافيا ـ مكان يدل في مفهومه التداولي المحلي وفي منطقة جبلية على جزء هضبي مرتفع ومنبسط يشرف على كل ماحوله. ونادراً ما يستعمل هذا الاسم بمفرده، تبعاً لتقليد كان يدفع المجموعات البشرية في

الأرياف المغربية إلى إطلاق أسمائها دوما على الأمكنة التي تريد التملك بها. ويتعلق الأمر في حالة هذه المدينة بأزيلال آيت مساض، نسبة إلى القبيلة التي تقطن هذه الهضبة والتي تَتَفَرَّعُ إلى خمس فخذات : أيت خليفت وإباراغن وأيت أوفزا وأيت بركا وأيت عبد الله.

لقد شهدت أزيلال حدثا فريداً من نوعه في المغرب بتاريخ 23 أبريل 1975، لما تحوّلت وضيعتها من مرتبة دوار إلى مرتبة مدينة، وقفزت بذلك إلى صف عاصمة إقليم، وهذا التغيير القانوني الإداري مرتبط ولاشك بالتغيرات الطارئة على سهل تادلا الكبير وتقدم الري به وخروج أزيلال عن وصاية إقيلم بني ملال السابق. ويمكن تأويل حدث إنشاء هذا الإقيلم الجبلي الصرف، الذي توافق حدوده في الدّير حدود قطاع تادلا المسقي بخطة ترمي إلي إنعاش وتنمية منطقة الأطلس الكبير الأوسط المرتكزة على نظام زراعي ورعوي من النوع التقليدي، وفي نفس الوقت يمكن تأويل ذلك بإرادة عزل هذه المنطقة عن السهل الذي يمكن رؤياه من مطل بين الويدان، الذي يشهد منظره الزراعي على عصرنة متقدمة به. وفي كلتا الحالتين تظهر مدى أهمية تدعيم التركيز الإداري الموكول لمدينة أزيلال .

فضلا عن ذلك، تعدّ حيوية مركز أزيلال حقيقة ملموسة. لقد عرف المركز تطورا ديمغرافيا ملحوظا بالمقارنة مع تطور مجموع الإقليم، إذ تضاعف عدد سكانه5،7 مرات بين 1936 و 1982 مقابل 1،58 مرة بالنسبة للإقيلم .

وقد تحقق هذا النمو على مرحلتين : بين 1961 و1971 حيث سجل المركز نسبة جدّ عالية في نموه الديمغرافي السنوي13،1 ٪ وبين 1971 و1982 حيث ظلت تلك النسبة مرتفعة رغم تراجعها النسبي لعدة أسباب 10،3 ٪ وبالتالي انتقل عدد سكان مدينة أزيلال من 2686 نسمة سنة 1971 (حيث كان مجرد مركز قروي) إلى 7849 نسمة سنة 1982. وكان لتوافد الموظفين عليها كمقر دائرة أو إقليم الدور الأول بدون شك في تفسير هذه الوتيرة السريعة من النمو الديمغرافي، إلا أنه يخشى الآن من أن تكون مدينة أزيلال قد بلغت حد الإشباع في تلقّيها لمجموعة من التجهيزات العمومية ولأفواج من الموظفين بدون أية مسايرة من حيث التجهيزات الإنتاجية أو التحويلية للمنتجات الزراعية والرعوية الواردة من باقي مناطق الإقيلم.

يمكن قياس درجة وزن مدينة أزيلال داخل الشبكة الحضرية الإقيليمية باستحواذها على معظم التجهيزات العمومية الإقليمية من جهة وبتنويعها لنسبي لهذه التجهيزات من جهة أخرى. ذلك أن المدينة تحتضن ملحقات غالبية المصالح الوزارية التي يبلغ عددها 38 مؤسسة. وتشغل 870 موظفا سنة 1985، كما تتوفر المدينة على 50 نوعا من وحدات الخدمات والتجارة الحرة، إلا أن حيوية المركز مرتبطة أكثر بنشاط سوق الخميس الأسبوعي الذي يتدفق عليه التجار والفلاحون من كل حدب وصوب منذ يوم الأربعاء لترتيب الإجراءات المتعلقة بتجارة الجملة حتى ساعة متأخرة من الليل. أما تجارة التقسيط فتترك لليوم اللاحق، أي ليوم السوق الرسمي، حيث تتحول بالفعل مدينة أزيلال إلى مركز قروي حقيقي يحتكر فيه السوق وبدون منازع كل الصفقات الأساسية تقريبا. أما في باقي أيام الأسبوع فتقتصر تجارة وخدمات المدينة على تلبية الحاجيات اليومية للسكان المرتبطين أساسًا بقطاع الإدارة.

إن النشاط المزدوج لمدينة أزيلال والمتمثل في الدور الاقتصادي والإداري ينعكس إلى حد كبير في مرفلوجيتها. يشرف الحي الإداري، حول المقر الأصلي للدائرة، على باقي أجزاء المدينة حتى أعلى التل الذي يبلغ ارتفاعه 1430 م. ويخترق مركز المدينة شارع ثنائي الاتجاه تصطف على طوله إدارات (نيابة التعليم والقرض الفلاحي والمكتب الوطني للماء الصالح للشرب ) ومتاجر ومقرات خدمات حرة وكذا بعض العمارات للإيجار. وأخيرا في منتهى الشارع نحو الجنوب الغربي نجد سوق الخميس على علو 1320 م. يفصل الشارع الرئيسي عن السوق سور قديم جعله يولي ظهره لمنطقة التمدين الحالي، غير أن السوق يوفر لزبنائه المتكونين غالبا من الفلاحين عدة مطاعم ومقاهي متواضعة وبيوتا مفروشة بالحُصر، تستعمل للطعام والمبيت ليلتي الأربعاء والخميس.

إن عملية التمدين بمركز أزيلال تنمو بصفة خاصة حول العناصر الثلاثة السابقة التي تعمل على هيكلة المدينة، لكن دون أن تتمكن من حل مشكل الشغل والتجهيز الاجتماعي والثقافي الذي يتخبط فيه عدد كبير من مقرات الدوائر والأقاليم المغربية، إذ أن مدينة أزيلال تشكل في نفس الوقت نقطة اجتذاب المواد الفلاحية ونقطة توزيع المنتجات الصناعية أما الدور الاقتصادي لتحويل المواد المحلية وتنشيط التنمية فهو جد ضعيف إن لم يكن منعدما، بل حتى مدّ المدينة بقنوات الماء الصالح للشرب وبشبكة الواد الحار أصبح أمراً مستعصيا. زد على ذلك غلاء الكراء في مركز المدينة، بالنظر إلى مستوى الراحة الذي يمكن للمنازل الحديثة أن توفره. وفي الخلاصة، يمكن القول إن الدينامية القانونية التي عرفتها موخراً أزيلال لاتكفي وحدها لتحقيق ما كان متوخى بإلحاح للنهوض باقتصاد المدينة وبتنمية مظاهرها الاجتماعية والثقافية .

*دراسة ميدانية.*

محمد تميم (ترجمة مصطفى عياد)

**أزيلال** ـ تاريخ ـ أو أَزَيْلاَلْ : يجمع على إِزِيلاَلَنْ، لفظة بربرية من معانيها : الممر بين خيمتين. وبهذا المعنى كانت تستعمل إلى زمن قريب، لدى رُحل الهضبة الوسطى وما حواليها. وترادف لفظة الفايجة. ومن ثم أطلقت على الممرات الفاصلة بين جبل باني وسلسلة جبال الأطلس الصغير. وفي نواحي فيگيگ تعني الممر الخالي من الرمال، الفاصل بين الكثبان. أما في الأطلس الكبير فأزيلال تعني الهضبية الطولية المرتفعة بمثابة مطل

بـين جبلـين، ينسرح منه النظر إلى مسافات بعيـدة (E. Laoust, 32).

وبما أن كثيرا من القبائل والفخدات قد اقتبست أسماءها من خصوصيات البيئة ـ كالتضاريس والنبات أو الحيوان ـ فإن إطلاق لفظة أزيلال قد تردد عدة مرات في المناطق الجبلية، حتى أصبح يشمل فخدات مثل أيت أزيلال (J. Meunié, 357)، وقبيلة أيت أزيلال الواقعة غربي جبل سروًا، بالأطلس الصغير (J. Meunié, 386) وينطبق هذا المَعنى على موضع أزيلال القديم المقصود في هذا التعريف، حيث يوجد في غربي المدينة الحالية عرف طولي، يدعوه بعضهم "الدراع" ماتزال فوقه بعض الأطلال المندرسة لقصر قديم (إِغْرَمْ). لعله قصر أيت خليفت، قبل هبوطهم إلى السهل المجاور، حيث استقروا حوالي زواية سيدي عبد الله الخليفتي. هذا لايعني أن القصر قد اعتوره بعض الإهمال، بسبب ظهور نواة سكنية جديدة، تمثلت في الزواية . بل لقد ظل قائما، كما تفيد إشارة وردت في كتاب *الدرة الجليلة*، حيث انتقل يوسف الناصري ذات مرة ليلا من زاوية عبد الله الخليفتي إلى أزيلال من أجل المبيت هنالك، *الدرة الجليلة* (1 : 144) أي أن العلاقة ظلت قائمة بين "القصر" والزاوية ولعل "القصر" الحصين قد أضحى أحيانا مخزنا جماعيا لسكان الزاوية ومَن إليهم. وبسبب مناعته قد يسهل الدفاع عنه أثناء هجوم الرحل على المنطقة.

وعلى الرغم من وقوع أزيلال على مقربة من طريق كانت مطروقة بكثافة منذ القديم، فإن المصادر التاريخية لاتذكرها إلا نادرا. لذلك يبقى كتاب *الدرة الجليلة*، حتى الآن أهم مصدر لبعض الاشارات حول أزيلال، من خلاله نستطيع أن نميز بين الزاوية وبين القصر. فهما يقعان معا وسط فرقة أيت خليفت ـ وهي إحدى فرق قبيلة أيت مَسَّاضْ ـ فهناك زاوية أيت خليفت وقصر أيت خليفت. (*الدرة الجليلة* 1 : 143، 2 : 267) ويطلق على هذا الأخير أحيانا أزيلال. ولم تخل العلاقات بين الجانبين من توتر، كما يفهم من رسالة وجهها يوسف الناصري إلى أيت خليفت يدعوهم "إلى توقير" عبدالله الخليفتي صاحب الزاوية". *الدرة الجليلة* (2 : 293 ـ 302).

وفي نهاية المطاف يختفي لفظ أزيلال ـ فيما هو مكتوب على الأقل ـ ليحل محله اسم الزاوية. لعل هذا راجع إلى المكانة التي أصبحت تتبوأها الزاوية في تلك المنطقة، خلال القرن الثاني عشر / 18.

لكن لما مر شارل دو فوكو بالمنطقة لم يتحدث لاعن الزواية ولاعن أزيلال، بل ذكر "سوق خميس أيت خليفت من بين أسواق أيت مساض" (*Reconnaissance*, 265). ولعل اسم أزيلال لم يسد من جديـد إلا بعد احتلال الفرنسيين للمنطقة سنـة 1916، علـى إثر حملة الجنـرال (De Lamothe, Drague, 176) ومن المحتمل أن الفرنسيين بعدما احتلوا المنطقة شيدوا إحدى قلاعهم فوق العرف (أزيلال) الواقع غربي المدينة، على أنقاض القصر القديم، لأنه بمثابة مرصد. ولعل تلك القلعة كانت منطلقا للدولة الحامية من أجل تطويع قبائل المنطقة مثل أيت عطا وأيت بويكنيفن، وأَمْسَمْرِيرْ، وأيت بُوكَمَّاز وإحنصالن وغيرهم.

تحتل أزيلال موقعا هاما في منطقة الاتصال بين الأطلس الكبير الأوسط ومؤخرة الأطلس المتوسط . لايتعدى ارتفاع الأعراف القريبة منها 2000 م. ومن الناحية البشرية تعتبر منطقة انتقالية من مجال تاشلحيت، في الغرب إلى مجال تمزيغت في الشرق والشمال الشرقي. (*إينولتان* : 96).

وقد وفرت المنطقة المحيطية بأزيلال للسكان، إمكانيات للاستقرار ولممارسة الأنشطة الفلاحية، بسبب وفرة بعض المساحات المنزرعة، كما تحيط بها غابة هي عبارة عن أحراج غير كثيفة، تمنح إمكانيات لتربية المواشي، وتقع غير بعيد عن طريقين تجاريين معروفين منذ القديم : طريق مراكش ـ فاس، عبر الدير، والطريق الرابط بين الجنوب والشمال (درعة أو تدغة ـ فاس) عبر ممر دادس ـ أحنصال، كما كانت أحد أكبر أ سواق المنطقة.

كانت هذه الوضعية الممتازة التي احتلتها بلدة أزيلال ـ بالنسبة لمحيطها ـ من بين الأسباب التي ساعدت على تعميرها مبكرا. بالإضافة إلى الوضعية الاقتصادية، كانت لأزيلال أهمية استراتيجية فهي تشكل قلب كتلة بشرية، ولم يكن بها حضور المخزن حضورا كثيفا، في غالب الأحيان (*إينولتان* 588) من هذا المنطلق أولاها الفرنسيون أهمية خاصة، واتخذوها قاعدة لتطويع القبائل المحيطة بها.

م.الخليفتي، *الدرة لجليلة* ؛ أ. التوفيق، *إينولتان*.

Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc*, 1883-1884 ; E. Laoust, *Contribution* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc* ; D. J. Meunié, *Le Maroc saharien*.

أحمد عمالك

**أزيلال** ـ إقيلم ـ من النادر جدا أن نعثر في المغرب على إقليم واسع ينحصر كله في منطقة جبلية مرتفعة كما هو الشأن بالنسبة لإقليم أزيلال الذي أسس سنة 1975. لقد كان عزله عن إقليم بني ملال يبشر بإرادة الدفع بالاقتصاد الجبلي والسماح للإقليم الآخر بالانصراف إلى تسيير منطقته السهلية المسقية. لكن اليوم لازال اقليم أزيلال يعتبر أكبر إقيلم في الجهة الوسطى بحوالي 9600 كلم مربع. وأفقر واحد بها. لذلك تم في أواسط الثمانينات القيام بتحضير مشروع أزيلال الدراسي بتمويل من المنظمة العالمية للتغذية وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية، قصد وضع برنامج عمل وملفات حول الاستثمارات المختلفة، لجعل الإقليم نموذجا للتنمية المندمجة في المناطق الجبلية المعتمدة في اقتصادها على استغلال الثروات الطبيعية بالأساس.

يتاخم إقليم أزيلال أقاليم ورزازات والرشيدية وبني ملال وقلعة السراغنة ويضم حاليا ستة مراكز حضرية، منها واحد مستقل (دمنات)، وأربعة دوائر و28 جماعة قروية

منبثقة عن قبائل تحمل اسمها (أيت عتاب وآيت امحمد وإحنصالن وفطواكة)، أو قبائل تتخذ أسماء اخرى مع تغيير طفيف إلى كبير في رسم الحدود (قبائل أيت بوزيد وأيت عطا - ن - أمالوا وأيت حمزة وأيت أوتفركال وأيت بوكماز وأيت بو إكنيفن وأيت عباس) وقبائل كبيرة قسمت إلى عدة جماعات (نتيفة و ولتانة وفطواكة).

المواشي وحدها 2،9 ٪ في الغابة. كما أن الإقليم يعرف أضعف كثافة سكانية ريفية في الجهة الوسطى (37 نسمة في كلم م)، حيث تنزل كثيرا في المناطق الجبلية الداخلية إلى حدود 6،6 ن/ كلم م (إنركي) بينما ترتفع بشكل ملموس في الدير والأحواض إلى مستوى 131 ن / كلم م في إمليل دمنات. ويتوزع السكن في المناطق الأخيرة على

| دائرة | جماعة | مساحة كلم م | كثافة 1982 ن / كلم م | عدد السكان (ألف) 1960 | 1971 | 1982 | التزايد السنوي (٪) 71.60 | 82.71 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| أزيلال | أيت محمد | 526 | 29 | 9،3 | 13،17 | 15،26 | 1 | 1،3 |
| | سقاط | 267 | 23،9 | 4،1 | 5،37 | 6،38 | 2،4 | 1،7 |
| | تابانت | 353 | 24،2 | 6،8 | 7،41 | 8،55 | 0،7 | 1،3 |
| | أباشكو | 397 | 14،5 | 4،2 | 4،95 | 5،77 | 1،5 | 1،9 |
| | أزيلال | 418 | 39،8 | 12،7 | 17،87 | 16،64 | 3،07 | 0،6 |
| | زاوية احنصال | 900 | 8،1 | 5،7 | 6،18 | 7،26 | 0،73 | 1،5 |
| بزو | آيت عتاب | 402 | 8،3 | 27،7 | 31،09 | 33،2 | 2،48 | 0،6 |
| | تزگيت | 148 | 116 | 9،2 | 14،2 | 17،17 | 3،88 | 1،7 |
| | بزو | 240 | 50،8 | 13،2 | 14،15 | 12،18 | 0،63 | 1،4 |
| | رفالة | 274 | 41،3 | 8 | 10،39 | 11،31 | 2،36 | 0،9 |
| | فم الجمعة | 169 | 93،6 | 14،2 | 17،34 | 15،81 | 1،8 | 0،8 |
| | تابية | 305 | 41،4 | 9،8 | 11،89 | 12،63 | 1،75 | 0،8 |
| دمنات | تانانت | 203 | 67،1 | 11،3 | 13،61 | 13،63 | 1،6 | 0،01 |
| | أربعاء واولا | 370 | 50،9 | 11،8 | 14،43 | 18،82 | 1،5 | 2،4 |
| | خميس ماحطن | 177 | 68،7 | 9،1 | 10،72 | 12،16 | 1 | 0،9 |
| | تيفني | 393 | 43،6 | 11،8 | 14،49 | 17،12 | 1،5 | 1،5 |
| | إمليل | 88 | 131 | 8،6 | 9،9 | 11،53 | 1،1 | 1،4 |
| | أيت تامليل | 948 | 25،1 | 14،9 | 18،48 | 23،82 | 1،8 | 2،3 |
| | تيديلي فطواكة | 396 | 81 | 20،1 | 24،64 | 32،08 | 1،8 | 2،4 |
| واويزغت | أفورار | 103 | 73،4 | 6 | 9،07 | 7،56 | 3،7 | 1،7 |
| | اثنين تيمولت | 78 | 65،9 | 3،6 | 4،52 | 5،14 | 2،06 | 1،2 |
| | أنركي | 541 | 6،6 | 2،6 | 3،2 | 3،57 | 1،87 | 1 |
| | بين الويدان | 204 | 85 | 6،6 | 7،99 | 8،59 | 1،7 | 0،7 |
| | فم أودي | 112 | 73،2 | 6،8 | 8،19 | 10،65 | 1،3 | 2،4 |
| | واويزغت | 103 | 73،2 | 4 | 5،39 | 7،54 | 2،7 | 3 |
| | أربعاء أقبلي | 371 | 11،1 | 2،8 | 3،47 | 4،13 | 1،94 | 1،6 |
| | تاگلفت | 369 | 21،7 | 5 | 6،63 | 8،01 | 2،5 | 1،7 |
| | تلوگيت | 843 | 14،8 | 8،7 | 10،88 | 12،45 | 2 | 1،2 |
| المجموع | 28 | 9600 | 37 | 258،447 | 319،573 | 354،776 | 1،92 | 0،094 |

لقد شهدت ساكنة الإقليم تزايدا ضئيلا في العدد أثناء العقود الأخيرة، وبصفة خاصة بين 1971 و1982 حيث اضطر جزء من السكان إلى الهجرة المؤقتة أو النهائية إلى أقاليم مراكش وبني ملال وخريبگة والدار البيضا، وخارج المغرب. وتم ذلك بسبب الموارد الاقتصادية المتواضعة التي توظف 67،3 ٪ من النشيطين المشغلين في الفلاحة ثم 13،3 ٪ في الخدمات و7،8 ٪ في الصناعة التقليدية و6،7 ٪ في تربية

شكل دواوير متجمعة كبيرة، خلافا لمناطق التلال والهضاب التي يتفرق فيها السكن ولباقي المناطق التي تعرف توازنا بين السكن المتجمع في دواوير صغيرة والسكن المقحم.

يلاحظ في هذا الجدول أن بعض الجماعات قد عرفت نموا سلبيا بين 1971 و 1982، ويرجع ذلك بالأساس إلى ارتفاع بعض القرى إلى صف المراكز الحضرية (واويزغت وأزيلال وبزو وفم الجمعة وأفورار)، أما دمنات فيعد أقدم

مركز حضري والمركز المستقل الوحيد بالإقليم، إلا أن نسبة التمدين الاجمالية لازالت جد ضعيفة في الإقليم (8.35 ٪) وتعرف وتيرة للتزايد بنسبة ضعيفة إلى جد ضعيفة، كما يظهر من خلال الجدول الآتي.

السفوح التي تشكو من موقعها القاري والأدنى من حيث العروض كما تعاني قوة الارتفاعات بالمقارنة مع السفوح الشمالية الغربية الأوفر تساقطات والأكثف غابات والأكثر اعتدالا في الشتاء،رغم ذلك، تظل الحرارة الدنيا المطلقة

| مراكز | السكان | | | النمو الإجمالي | | النمو السنوي (٪) | | النزوح الإجمالي | | النزوح السنوي (٪) | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | 1960 | 1971 | 1982 | 71.60 | 82.71 | 71.60 | 82.71 | 71.60 | 82.71 | 71.60 | 82.71 |
| دمنات | 6222 | 7140 | 9339 | 918 | 2199 | 1.24 | 2.4 | 786 | 366 | 1.06 | 0.4 |
| أزيلال | 1340 | 5727 | 7849 | 4387 | 2122 | 11.2 | 2.8 | 3486 | 612 | 8.9 | 0.81 |
| أفورار | 2405 | 3618 | 5018 | 1213 | 1400 | 6.63 | 2.91 | 445 | 439 | 1.33 | 0.91 |
| واويزغت | 1305 | 2978 | 4164 | 1673 | 1186 | 7.05 | 2.99 | 1127 | 392 | 4.45 | 0.99 |
| فم الجمعة | 2521 | 3068 | 3399 | 547 | 331 | 1.77 | 0.92 | 166 | 388 | 0.53 | 1.08 |
| بزو | 2295 | 2466 | 2570 | 171 | 104 | 0.65 | 0.37 | 436 | 456 | 1.65 | 1.63 |
| مجموع | 16088 | 24997 | 32339 | 8904 | 7342 | 3.91 | 2.3 | 3670 | 965 | 1.61 | 0.3 |

إن المرد الرئيسي للتزايد الديغرافي الضعيف هو الارتباط الاقتصادي والاجتماعي الوثيق بأرضية طبيعية محلية قاسية، حيث تحصر كل المنطقة في مؤخرة الأطلس المتوسط الجنوبي الغربي (في الشمال) والأطلس الكبير الأوسط في باقي الأجزاء. ويتكون الإقليم أساسا من جبال كلسية وكلسية ـ طفلية جوراسية وكريتاسية ملتوية بانتظام وفي اتجاه شمالي شرقي ـ جنوبي غربي لمحاور الالتواء التي تخترقها المجاري المائية علي شكل أفاجيج، لاتبرز التكوينات الأولية والصخور البركانية إلا في البهرات الجنوبية الغربية (كونغلوميرا وحيث وطفل وشيست). إن الجبال المتوسطة (1000 ـ 2000 متر) تغطي 50 ٪ من المساحة الإجمالية، تشكل الجبال الوعرة المتقطعة الموجودة في الجنوب والشرق والتي تتجاوز ارتفاع 2000 م حوالي 25 ٪ من المساحة، مع وجود أحد أعلى الجبال المغربية بها (أزوركي : 3690 م) بين مركزي أحنصال وتابانت. أما الربع الأخير فيشمل مجموع المخاريط والحادورات الهامشية ومنخفضات الردم والأحواض النباتية ذات القعور المنبسطة والتلال المتوسطة والأودية التي لا يتعدى ارتفاعها 1000 متر. ومن أهم العوائق الطبيعية التي تعرفها المنطقة حدة التعرية القوية على 40 ٪ من الأراضي واعتدالها على 35 ٪ من المساحة الإجمالية. ويقدر ما يزداد اجتثاث الغابة وتدهورها بسبب الرعي وقطع الأخشاب للتدفئة بقدر ما يزداد الانجراف.

يتواصل استغلال الغابة دوما لأنها تشكل المورد الرئيسي في إقليم أزيلال الذي يغطي 49.8 ٪ من المساحة الغابوية بالجهة الوسطى، ذلك بمساحة350667 م، منها 5700هـ مشجرة و 224000 هـ من البلوط الاخضر، والباقي يتكون أساسا من العرعر والصنوبر والشنط ثم الأنواع الأخرى المختلفة ما عدا الأرز والفلين. وتنتشر الغابة في كل المنطقة بنوع من التقطع في السفوح الجنوبية الشرقية، هذه

جد ضعيفة (2°- إلى 5°) والقصوى جد مرتفعة (43° ـ 45°) تستقبل الهضاب والأودية والمنخفضات الهامشية مابين 450 و600 ملم سنويا، بينما تسقط على الجبال المتوسطة والعليا 600 ـ 900 ملم (جزء منها ثلوج) ماعدا في بعض الأحواض والأودية الداخلية التي ينزل فيها المستوى إلى 250 ملم (واويزغت وتاكلفت وتيلوكيت وتابانت). غير أن الطبيعة الصخور وحجم التضاريس يجعلان من المنطقة خزانا من أهم الخزانات المائية بالمغرب، حيث يتراكب الإقليم على ثلاثة أحواض فرعية لحوض أم الربيع : حوض وادي العبيد الذي يبلغ صبيبه 35.8 م مكعب / ثانية وتبلغ مساحته 520990 هـ ، (بما فيه واد أحنصال وأسيف الغازي وأسيف اغدو وأسيف إكاسن)، وحوض واد الأخضر (بصبيب 9.05 م مكعب ومساحة 261000 هـ) مع روافده (برنات وسرست وأباشكو وبوكماز وحوض تاساوت (بصبيب 10.7 م مكعب / ث ومساحة 149100 هـ) إلا أن جل المياه الواردة محليا تُستَغل خارجيا في الري وإنتاج الكهرباء، وأينما يتوفر الماء والتربة تكون الزراعة منتشرة وجزئياً مسقية. تكون التربة غنية نسبيا في مخاريط الانصباب وحادورات وأقدام الجبال، ومختلفة الأنواع والمؤهلات في الهضاب وهيكلية ومضطربة في السفوح الوعرة.

وسط هذه الأرضية الطبيعية العسيرة يقوم استعمال التربة على استغلال أدنى المساحات المنبسطة والقابلة للزراعة في إطار الملك الخاص أو الجماعي. ونظرا لتقلصها، فإن الحيازات تتفتت ويضيق معدل حجمها بالنسبة للعائلة الفلاحية (4.04 هـ). ولا يبلغ معدل المساحة المزروعة الصافية سوى 3.09 ولكل عائلة، مع تفاوت بارز في البنيات الزراعية حسب مختلف الفئات، كما يظهر ذلك على الجدول التالي، حيث يملك 22 ٪ من الفلاحين 56 ٪ من مجموع الأراضي ويحتكرون قطعان الماشية.

| البنيات العقارية ومعدل القطعان | فئات الفلاحين | | | |
|---|---|---|---|---|
| | 2،0 هـ | 5،2 هـ | 20،5 هـ | + 20 هـ |
| نسبة الفلاحين (٪) | 40 | 38 | 21 | 1 |
| نسبة المساحة المستغلة (٪) | 11 | 33 | 49 | 7 |
| نسبة المساحة المسقية (٪) | 16 | 34،5 | 42 | 7،5 |
| معدل قطيع الأغنام | 7 | 12 | 18 | 60 |
| معدل قطيع الماعز | 9 | 14 | 19 | 35 |
| معدل قطيع الأبقار | 1 | 1 | 2 | 5 |

وهذا التفاوت ينعكس أيضا في خصائص الإنتاج الفلاحي من العالية إلى السافلة. إضافة إلى ذلك تتميز الفلاحة على العموم من حيث البنيات التقنية بقلة استعمال وسائل الإنتاج وهشاشة أسلوب الإنتاج وضعف التأطير، لقد أنشأت مديرية إقليمية للفلاحة سنة 1979 لأن هناك جماعتين فقط تنتميان إلى المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بتادلا وتتفرع المديرية إلى خمس مراكز للأشغال الفلاحية (واويزغت وأزيلال، ودمنات وأيت عتاب وتنانت). إلا أن التدخلات العمومية متواضعة بالإقليم، وتوجه أهم المساعدات التقنية والمالية إلي الزراعات الشجرية. ويهم القرض الفلاحي 21700 زبون موزعين على الصندوق الجهوي بأزيلال رالصناديق المحلية الأربعة (أزيلال وبزو ودمنات وواويزغت ) والشبابيك الموسمية الأربعة (دار الشاوي، أيت عتاب، وتانانت وتيديلي فطواكة). أما تنظيم العمل فلم يستطع تأسيس أكثر من 12 تعاونية تضم حوالي 500 فلاح فقط، أغلبها تابع لمكتب تادلا (6 للخدمات و3 لجمع الحليب و 2 لاستعمال الالآت الفلاحية وواحدة لتربية النحل).

لذلك تحتفظ بنيات التدخل التقليدية في تسيير المجال الزراعي والرعوي بكل فعاليتها على جميع المستويات الاجتماعية المجالية المتداخلة (القبلية والفخذة والمجموعة الصغيرة والدوار .... والأسرة)، وتعتمد للتحكم في هزالة الموارد على تنويعها طبقا لمبدأ تكامل الرساتيق حيث تشغل المجموعة البشرية الواحدة أو الشخص الواحد في آن واحد رساتيق الزراعة البعلية والزراعة المسقية والمنتجعات والمراعي والأراضي الجرداء 40 ٪، والباقي مخصص للزراعة والأراضي المستريحة، أما الأراضي المزروعة سنة 1986 فبلغت 170000 هـ موزعة على المغارس 21757 هـ والقطاني 1808 هـ والبقليات هـ 1606 والشمندر السكري الذي أدخل مؤخرا في الأراضي المسقية في دير واويزغت وبزو. ماتبقى من المساحة المزروعة مخصص بتوازن بين الحبوب (الشعير) والعلفيات (الفصة). وضمن المغارس، وتجدر الإشارة إلى سيادة مغارس اللوز (3،1 مليون قدم ) ثم الزيتون (1،35 مليون) فالتين والجوز (0،1 مليون) والأنواع المختلفة الأخرى، لكن المردود يبقى ضعيفا بالنسبة لكل المزروعات، وبالتالي يكون الإنتاج ضعيفا وغير كاف لسد الحاجيات المحلية. يقدر معدل مردود الهكتارالواحد المزروع بحوالي 3042 دهـ سنويا ،ويقدرمعدل مردود الأسرة الواحدة بحوالي 9400 د هـ سنويا. لذلك تعتبر الزراعة أحيانا الركيزة الأساسية لتربية المواشي وأحيانا أخرى مجرد مورد تكميلي له، اذ يمارس تربية الماشية 75 ٪ من مجموعة المزارعين ويتوفر الإقليم على قطيع متوسط من الأغنام (508717 رأس ) والأبقار (49265 رأس) وأول قطيع إقليمي للماعز في المغرب (545950) إذ يمثل 40،35٪ من مجموع رؤوس الماعز بالمغرب و 75 ٪ من مجموع رؤوس الماعز بالجهة الوسطى.

انطلاقا من شروط الإنتاج والمساحات الفلاحية يمكن تقسيم إقليم أزيلال إلى ثلاث مجموعات من الوحدات المتجانسة الرئيسية : المنخفضات والهضاب (والتلال) والجبال، تنتشر المجموعة الأولى في أقدام الجبال، حتى تسود الزراعة والرعي (إمليل وتيدلي وفطواكة وفم الجمعة) وفي دير بزو ورفالة وتزگيت وأفورار حيث تسود الزراعة على المخاريط (حبوب وعلف تحت مغارس الزيتون) في اشتراك مع رعي الماعز والأغنام التي تنتقل بين الدير والجبل. ويعرف حوض واويزغت زراعة الحبوب مع قليل من الزيتون واللوز في السفوح السفلى الجنوبية ورعي خفيف في الغابة المتدهورة، في حين أن الغابة والمراعي تاخذ أهميتها الكبيرة في حوض ناگلفت مع زراعة محدودة للشعير. أما المجموعة الثانية فتشمل هضابا وتلالا فقيرة وأخرى متوسطة إلى غنية نسبيا. يمثل الوحدة الأولى الجزء الأوسط الغربي من الإقليم (تنانت وأزيلان واربعاء واولا،......) حيث يظهر المشهد الزراعي خفيفا يعكس بالأساس زراعة الشعير وقليلا من اللوز والزيتون ورعيا مستقرا على مراعي صخرية يكثر فيها العناب مقابل تلك المناطق، وخارج التلال التي تعمل عليه التعرية بشدة، تتسع أراضي هضبية شاسعة (خصوصا في أيت عتاب) محملة بغابات كثيفة في السفوح الشمالية الغربية وبزراعات وافرة للحبوب واللوز والزيتون في أقدام التلال، وأخيرا في المجموعة الثالثة تكون الجبال المتوسطة أكثر قابلية للزراعة (أيت محمد) وللري في الأودية (مغارس وعلف) مع قليل من الغابات وكثير من المراعي، أما الجبال العالية التي تحيط بالاقليم في الجنوب والشرق (أيت تامليل وأباشكو وتانانت وزاويةأحنصال وأنزگي) فتتعمق فيها الأودية جدا، حيث يتعمم الري والزراعة المتنوعة، وتتدهور فيها الغابات نظرا لأهميتها البالغة في النظام الرعوي الجماعي للأغنام .

تشكل الغابة والشهب أيضا المادة الأولى لستة معامل للألياف النباتية الجافة تشغل حوالي 1500 عامل، تتوزع اهم هذه المعامل على أزيلال (إنتاج 430 طن سنويا) وتامدة (400 طن) وتاودانوست (دائرة دمنات : 180 طن). لكن الخشب يتحول خارج الإقليم في الدار البيضاء، وبني ملال، ومراكش، ولا يوجد سوى مصنع واحد بتيلوگيت، أما باقي الوحدات الصناعية الفلاحية فتتمثل في معاصر الزيتون التقليدية وذات إنتاج الزيت للاستهلاك المحلي بالدرجة الأولى. في حين أن الإقليم يمتاز ـ بإنتاجه 43،5 ٪ من

الطاقة الكهربائية المائية على الصعيد الوطني، أي 246،1 مليون كلواط / ساعة، بواسطة سدي واد العبيد ومعملي أفورار (209،6 مليون) وبين الويدان (35،9 مليون) ومولاي يوسف (على تاساوت : 0،6 مليون سيرتفع هذا الإنتاج بعد إنجاز ثلاثة مشاريع لبناء محطات كهربائية بأموگز على سد سيدي إدريس وتيلوگيت على سد مستفران وتامدة في سافلة واد أحنصال. لكن جل المنتوج الكهربائي يحول خارج الإقليم.

إذا استثنينا معامل الألياف النباتية والمحطات الكهربائية، ليس هناك صناعات تذكر إطلاقا بل حتى في قطاع استخراج المعادن، توقفت بعض المناجم الصغيرة لعدم مسايرتها السوق العالمية ونظرا للصعوبة القصوى للمواصلات، أهمها منجم الحديد بانسريفت (دائرة واويزغت) الذي أغلق أبوابه سنة 1979. في المقابل، فتح منجم صغير للرصاص أبوابه سنة 83 - 1982 بأباشكو، إلا أن إنتاجه رغم العوائق المحلية، أهمها منجم الملح بتيزغت (دائرة دمنات) الذي يشغل 170 عاملا وينتج 5700 طن سنويا، ومنجم صغير للباريتين بأيت شيتاشن بنفس الدائرة، ومنجم ثانوي للرصاص وقليل من الزنك باگرضن نتازولت (دائرة واويزغت) الذي يشغل 60 إلى 100 عامل ويتمكن من انتاج 12000 ط سنويا من الرصاص.

لوتوفرت جميع الشروط التحتية لإنعاش القطاع السياحي لكان من الممكن استغلال جميع المؤهلات الطبيعية التي يمتاز بها الاقليم كشلالات أوزوض والأودية المتعمقة (أيت بوگماز والعبيد) وبحيرة سد بين الويدان والقنطرة الطبيعية في إمي - نْ - إفري (بدمنات) وصخرة "الكاتدرائية" بتامگا في تيلوگيت، غير أن مجموع الليالي السياحية المقضية بالاقيلم (7700 ليلة سنويا) جد ضعيف ويعبر عن تجهيز فندقي هزيل (74 غرفة و148 سرير) بفندق تازركونت بأفورار (نجمة واحدة) وبنزل بين الويدان (3 نجوم)، يمكن أن تتحسن الوضعية السياحية بالإقليم في المستقبل القريب مع الانتهاء من إنجاز المركب السياحي بجانب بحيرة بين الويدان.

وفي الأخير، يمكن استنتاج أن إقليم أزيلال يتوفر على موارد اقتصادية ضعيفة من جهة، يحتاج لكل تهيئة عمومية حقيقية وملائمة تهوّن العوائق وتؤمن السكان وتدعم المؤهلات. وتعد التجهيزات التحتية والجماعية الضعيفة أهم هذه العوائق والمحددة بشكل حاسم لكل عملية تنظيمية داخل الإقليم. تمر الطريق الرئيسية رقم 24 (التي تربط مراكش وفاس) بشمال الإقليم على مسافة 27 كلم فقط لاتخلف أيْ مفعول في النقل مثلما تخلفه الطريق الثانوية رقم 508 التي تربط مراكش وقلعة السراغنة وبني ملال والتي تقطع كل الإقليم على مسافة 144 كلم. أما الطريق الثلاثية فهي عبارة عن 825 كلم من المسالك غير المعبدة، ثلاثة أرباعها صعبة الاستعمال وبالتالي، خارج جماعات تامليل (دمنات) وتيموليلت وأفورار، وفي درجة ثانية باقي الجماعات الشمالية التي تتجمع بمراكز أهم الخدمات والأسواق، تبقى المناطق الداخلية، وخصوصا الجبلية المرتفعة منها في عزلة كبيرة وشبه تامة في فصل الشتاء. وخير دليل على تدني مستوى النقل بالإقليم هو ندرة وسائل النقل المسجلة بالمركز الوحيد للتسجيل (أزيلال في السنوات الأخيرة، إذ تم تسجيل 131 وحدة فقط سنة 1986 (58 سيارة خاصة و48 شاحنة و25 جرارا).

من جهة أخرى، يحصل تزحزح كبير بين المؤهلات الهائلة من الماء والكهرباء بالإقليم من جهة واقتصاده للتجهيزات الأساسية لاستخدامها من جهة أخرى. حيث لايستفيد من شبكة الماء الصالح للشرب سوى 4 ٪ من مجموع السكان، أما الباقي فيستعمل الحنفيات العمومية ( 10 ٪) أو الآبار والمنابع والمجاري المائية والخزانات المنزلية. كما لم يستهلك الإقليم سنة 1986 في قطاع الكهرباء، إلا 25،8 مليون كيلواط في الساعة، أى أكثر بقليل من أصغر إقليم بالجهة الوسطى (بنسليمان : 16،9 مليون) التي تستهلك مليارين ونصف كيلواط. ولايزود إلا حوالي 12 مركزا بالكهرباء، يوجد أغلبها في شمال الإقليم. تلجأ بعض المراكز الجبلية الداخلية إلى استعمال مولدات كهربائية، كما هو الشأن بالنسبة لتانانت وتاگلفت وتيلوگيت وزاوية أحنصال.

ويشهد القطاعان الاجتماعيان الأساسيان أيضا ضعفا في التجهيز ونسبة الاستفادة منها. يتعلق الأمر بالقطاع الصحي الذي تمكن من بناء مستشفى إقيلمي بمدينة أزيلال سنة 1988 (186 سرير). وكانت التجهيزات من قبل تشتمل فقط على صيدليتين و28 مستوصفا ريفيا و7 مراكز صحية تضم 186 سرير موزعة على واويزغت ودمنات وأزيلال. ويشرف على تلك المؤسسات 15 طبيبا عمومي وطبيبان خاصان و35 ممرضا و 1666 عونا صحيا. كما يتعلق الأمر بقطاع التعليم الذي يأتي في المرتبة الآخيرة داخل أقاليم الجهة الوسطى من حيث عدد التجهيزات والتلاميذ، حيث ينعدم التعليم الحر في الإقليم، وتنزل فيه نسبة الاطفال (5 و19 سنة) إلى أقل مستوى 32،9 ٪ عند الذكور و11 ٪ عند الانات) ويشمل التعليم 390 تلميذا في مؤسسات التكوين المهني و9124 تلميذ في المؤسسات الثانوية : أربع ثانويات في واويزغت وأزيلال ودمنات وأفورار، وسبع إعداديات : في أزيلال (اثنتان) وبزو وفم الجمعة وواويزغت وافورار ودمنات.


قسم الخرائط، *خريطة إدارية لإقليم أزيلال*، 1/250.000، الرباط 1978 ؛ مديرية الاحصاء، *السكان القانونيون بالمغرب حسب الإحصاء العالم للسكان والسكن*، الرباط، 1960، 1971، 1982 ؛ مديرية الإحصاء، *النشرة الاحصائية السنوية للمغرب*، الرباط، 1987.

M. Ayad, A. Sijilmassi et A. Benabdeljalil, *Etudes des architectures régionales, région du centre*, M.H.A.T, Rabat, 1985, 2t. ronéo ; C.E.R.F, M.U.H.E, *Schéma d'armature rurale, région du centre*, Rabat, 1972 ; J. Dresch, *Migrations pastorales dans le Haut Atlas calcaire (Régions de Demnate et d'Ouaouizarht), in Mélanges géographiques Arbos* t. II, 1953 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc*, 2t ; *Projet Azilal*, Rapport intérimaire, M.A.P.A, F.A.O, PNUD, Rabat, 1986, 2t. ronéo.


مصطفى عياد

**أزيّات، محمد بن عبد الله** بن موسى، يدعى الفقيه قاضي القصر الكبير. كل ما نعرف عنه هو ما أخذه صاحب *نشر المثاني* عن كتاب *مرآة المحاسن* لمحمد العربي الفاسي، أو عن *ابتهاج القلوب*.

ويظهر أن الفقيه محمد أزيات من أسرة الزيّاتيين الذين جاؤوا من تلمسان أواخر القرن السابع وبداية الثامن للهجرة. ولو أنه من الصعب ضبط ذلك. لأن الزياتيين يحملون التسمية بصيغتها العربية (الزياتي) بينما يحمل صاحب الترجمة نفس التسمية على الصيغة البربرية. لكن ما هو معروف هو أنه عاش بالقصر حيث كان قاضيا لمدة طويلة، ورافق الشيخ أبا المحاسن الفاسي عندما كان هذا الأخير بالقصر. وتذكر المصادر التاريخية أن أبا المحاسن هذا كان قد زوج ابنته لأحد الزياتيين وهو أبو الطيب الحسن والد عبد العزيز صاحب كتاب *الجواهر المختارة*. وقد جاء في *مرآة المحاسن* أنه كان يحضر، رفقة أبي العباس أحمد بن العالم الصالح أبي الحسن علي، عند شيخهما معا أبي الطيب الحسن بنمهدي، وحسب شهادة أبي العباس فإن أبا عبد الله كان يستقبل «القواد أهل الدولة» وكانوا يحضرون بكثرة في مجلسه، حتى إن أحمد بن علي هذا، أي صاحب الشهادة، كان لا يحبذ السلام عليه... حتى كشف صاحب الترجمة عن سبب علاقاته بأهل الدولة والقواد. وقد جاء في *المرآة* نص كلامه :" لا تَعُدْ إلى البعد منا فإن لك حقا وأولئك الذين رأيت أهل بعد عن الحق، فإن قابلتهم بالغلظة انفضوا وزادوا شروداً عن جانب الله... ».

وقد عايش صاحب الترجمة حادثة تمكين محمد الشيخ حصن العرائش للنصارى، ولم تذكر المصادر موقفه آنذاك. لكن الواضح من القصيدة الطويلة التي تركها (130 بيتا) حول فقدان مدينة العرائش يبين عدم رضاه عما وقع. وحسب صاحب *ابتهاج القلوب*، فإن له تآليفا في السير والتاريخ «بلغ في جزء منه إلى أخبار بني أمية والشرفاء بعد انتهاء مدة الحسن رضي الله عنه، قال في آخره «وكان الفراغ من نظمه وتأليفه عشية يوم الجمعة السادس والعشرين من المحرم فاتح ستة وعشرين بعد الألف. والغالب أنه لم يكمل وأنه مات بالقرب من تاريخه». لكن هذا يناقض ما جاء في *المرآة* من أن فقيه القصر توفي في الواحد والعشرين وألف 1021 حسب ما عثر عليه في إحدى التقاليد وهذا أصح.

م. ع. الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني*.

محمد مزين

**أزيّات محمد المفضل** بن الحسن بن عبد الله ابن الحاج أحمد الخرشفي الحسني . أصله من بني جافن بقبيلة الأخماس، انتقل جده إلى شفشاون، وبها ولد محمد المفضل عام 1270 / 1860 بحومة الصبانين، وقد توفي والده وعمره بضعة أشهر، فلما كبر أرسلته والدته إلى أخواله أولاد المقدم بالأخماس حيث بدأ تعلمه، ثم انتقل إلى مدشر أغبالو، وثمة حفظ القرآن وأتقن رسمه وضبطه، ثم عاد إلى مسقط رأسه شفشاون، فصادف خروج الشيخ عبد القادر بن عجيبة - في إحدى جولاته - إلى قبائل غمارة، فاصطحبه وتتلمذ له وكان من مريديه المخلصين. أخذ عنه - إلى جانب علم التصوف - العربية والفقه وسواهما، وتذكر بعض الروايات أنه قرأ عليه ألفية ابن مالك، ولما وصل إلى " النائب عن الفاعل " - قال له : يكفيك هذا، أنت نائب عن الفاعل . فكان له باع طويل في علوم العربية، وعلوم اللسان بعامة.

ولما توفي الشيخ ابن عجيبة سنة 1313 / 1895 تتلمذ لولده أحمد الأكبر وكان عالما عاملا، شهد له أهل عصره بالفضل والصلاح، ختم عليه تفسير البحر المديد لابن عجيبة الجد، وكان ينوب عنه في تسيير شئون الزاوية وفي أموره كلها، وعندما توفي سنة 1333 / 1914 خلفه في المشيخة، وأصبح له تلاميذ ومريدون بشفشاون وغمارة وسواهما.

يعد محمد أزيات خاتمة شيوخ التصوف بهذه الجبال، وكان إلى ذلك عالما أديبا فقيها مفتيا، وأُجبر على ولاية القضاء بقبيلة بني سعيد بإيعاز من الصدر الأعظم ابن عزوز التطواني، وكان يقدره ويعرف فضله وعلمه ... ومن غرائب الصدف أن نجد شيخا متصرفا يتولى خطة القضاء، ولذا كان يضرع إلى الله أن يدفع عنه البلاء، ولم يلبث أن استعفى فأعفي، على أنه لم يكن يرى نفسه أهلا لذلك، ومن شعره في هذا الصدد قوله:

لعمر أبيك ما افتقر القضاء

إلى مثلي وفي الدنيا بصير

ولكن الفهاهة حيث غالت

عقول القوم قادهم الضرير

وخلف آثارا علمية وأدبية، منها : *الكوكب النوري، في تنقيح الجمع الحقيقي والصوري* تحدث فيه عن الجمع بين الصلاتين على كلا المذهبين : مذهب أهل الظاهر، و مذهب أهل الباطن، ولعله أول تأليف له فرغ من كتابته عام 1298. وقفت على نسخة منه وعليها تقريظ ابن عجيبة ؛ *لبابة العقائد*، وهي منظومة في العقيدة الأشعرية؛ *رسالة في حقيقة الإنسان وأطواره* ؛ *رسالة في المشاهدات الربانية والتجليات الشيطانية*، رد فيها على بعض متفقرة العصر الذين خلطوا بينهما، فوقعوا في مهاوي الزندقة وحبائل الشيطان ؛ *مصة من التصوف*، حلّل فيها حديث : أين كان ربك قبل أن يخلق الخلق. توجد نسخة منها عند بعض تلاميذه بشفشاون ؛ *رسالة في السماع*، أورد فيها أدلة الإباحة وما ورد في ذلك من آثار وأقوال السلف ؛ *الزجر والاقماع، والنصح لذوي الاستماع، لمن استرعى حقوق الأمة فأضاع*، قصيدة على غرار منظومة ابن الوردي، ضمنها نصائح وحكما وإرشادات لمن ولاه الله أمر العباد ؛ مجموعة *رسائل* كان يوجهها من حين لآخر لتلاميذه بشفشاون يدعوهم فيها إلى الله ويشرح لهم آداب السلوك

وكيف يجب أن يكون الفقير مع الله ومع العباد.

توفي عام 1360 / 1941 عن سن تناهز التسعين.

م. أزيات نفسه، *كناش*، مخطوط، مؤلفاته ورسائله. ع. الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ أ. ابن الصديق، *التصوير والتصديق*، مخطوط؛ م. القلالوسي التطواني، *كناش*، مخطوط.

سعيد أعراب

**أيت أسا**، من خصوصيات تاريخ المنطقة التي ستنشأ أيت بها قبيلة أيت أسَا أن الرواية الشفوية تتسع لتربط الحبشيين بالفنيقيين. هذا ماتدل عليه أنقاض فنيقس بتزگي سلام وأگادير ـ ن ـ فنيقس بفم الحصن. وتوكل الرواية إلى هذا الغور السكاني بالإضافة إلى إداوقيس مهمة شرب وتبادل الخمور التي كانت تنتجها كرومهم حول أنقاض إدَّالن. مهما يكن فإنه اعتباراً لمحتوى النصوص القديمة يغلب على الظن أن العنصر الحبشي هو أصل الغور المسمى حاليا بالحراطين. أما تحديد هوية إداوقيس الذين مازالت تشهد عليهم أنقاض أدروم (حوالي 2 كلم شمال أسا) وتيزگي الرمث حول وادي أسا، فيدعو إلى ربطهم بقبيلة إلميضن (لمطة) الصنهاجية. ولعل مما يدعو إلى تقبل هذه الفرضية أن المنطقة لم تعرف من الأسماء سوى ما معناه بالصنهاجية جبل النحاس ثم الثغرة (أسا) (V. Monteil, *Notes*, 17 ; *Chronique*, 82) نخلص من ذلك إلى أهمية المعطيات الشفوية على قلتها في استنطاق المعطى الخارجي للأحداث.

ننتقل بعد ذلك مرغمين مباشرة إلى سنة 130 هـ / 748 م حيث تسجل مدونة زاوية أسا وصول مؤسسها أحمد الشبكي كأول علم إسلامي. فقد استقر بتكردات على أمل استجابة إدَا وْقيس لندائه بدخول الدين الجديد .فهل نجحت الزاوية على قدَمها في إدْخال الإسلام إلى المنطقة ؟ الواضح خلال هذه الفترة أن المنطقة كانت استراتيجية من حيث موقعها التجاري بين مسالك الصحراء المتطورة يومئذ والمسالك الأطلسية .

لقد قام عبد الرحمان بن حبيب عامل إفريقيا ثلاث سنوات قبل وصول أحمد الشبكي من أرض الحجاز بحفر مجموعة من الآبار لعل أقربها إلى أسا هوبئر الجمالين كما سماه البكري. وهو يقع بمنطقة جبلية تسمي أزور تبعد عن تامدولت بمسافة يوم واحد (البكري : 165 ـ 296). ولعل من أهم الإشارات إلى أهمية الموقع هو وصول سيدي جعفر سليل أبي بكر الصديق إلى أسا صحبة زوجته وأبنائه وقطيعه من الإبل المتكون من 180 رأسا. على أن تدخل الكوارث الطبيعية في الحد من نجاح مأمورية الزاوية يبدو من بين تلميحات المدونة الكثيرة إلى ترادف الإبهامات. كما أن تغطية الأحداث بهذا الشكل لن ثلبت أن تتضح مع هدم المسلمين قرى ومداشر إداوقيس سنة 500 هـ / 1107 م. وهو تعاطف واضح مع الموحدين على حساب المرابطين. فنحن نعلم أن بداية الحملات الموحدية قد انطلقت في هذه الفترة لتنتهي بأكبر حملة على يد أبي حفص القائد الأعلى للقوات الموحدية سنة 548 / 1153 (البيدق، *أخبار* : 77). وإذا علمنا بأن الجد الاسمي لتكنة بما فيها قبيلة أيت أسا عثمان بن مندي عامل المرابطين على المنطقة. فإن موقف المدونة يظل مدعاة للاستغراب ما لم نستوعب العلاقة بين المدونة وظروف كتابتها.

تعد هذه المدونة من بين النماذج التي ظهرت مع زمن الموحدين. فمن خلال معالجة النص تتضح التحولات الانتقالية الكبرى التي ستعرفها الفترة. لقد تجلى دور تعريب أسماء القبائل والأشخاص والمصطلحات في أوجه الاقتباس المختلفة والمتشعبة. وهو جانب أساسي لفهم الفارق بين هذا النموذج ومصدر انطلاقه. لقد كتبها إعَزّى ويهْدَى المؤسس الحقيقي لزاوية أسا والمؤطر لبنياتها سياسيا وحضاريا. بل أكثر من هذا، يعتبر إعزّى ويهْدَى الجد الأسمى لقبيلة أيت أسا والمصلح الديني الأَسمى الأول بالمنطقة.

إننا هنا أبعد من أن نقصد إلى التركيز على الأبعاد التاريخية لهذه المدونة. ولكننا نكتفي بذكر أهميتها كشهادة ميلاد قبيلة انبثقت من صميم التفاعلات الإثنية المحلية. فانطلاقا من وفاة إيعَزّي ويهدى يوم فاتح ربيع الأول 726 / 1326، تقرر اعتبار الثاني عشر من نفس الشهر موسم رباطه وملتقى أتباعه (*المعسول*، 10 : 172). وتتجلى أهمية هذه النقطة في التركيز على الدور السياسي والتاريخي لأيت إعزّى ويهدَى. ذلك أن تطورهم يفضي بنا حتما إلى تطور القبيلة. إن الأهمية التي تكتسيها حتى اليوم فصيلة إداومليل الأساسية لا تبرزعلى حقيقتها إلا من خلال تفصيل تجزءاتها. فأيت واعيان ينتمون تلقائيا إلى إداوقيس في حين تردها الرواية الشفوية إلى الحبشيين القدماء. هذا ما يمكن ملاحظته بخصوص أيت إدير من حراطين إيمي أوگادير. أما إيمگلاي وأنفاليس فينتمي الأولون إلى كنته والأخيرون إلى إلميضن (لمطة). حتى إذا صح أن إداوتيان من أصل معقلي كما تضيف الرواية الشفوية. فإن مجمل تجزءات الفصيلة يرتبطون بالماضي القديم.

ندرك بذلك دورهم كنواة تاريخية تجسد الثأر من الضغوط التي ولدها الامتزاج الإثني الذي سببته هجرة بني معقل والتفاعلات التي ولدها المد المسيحي. لقد طمع أيت إعَزّى ويهدَى إلى التمتع بالسلطان الديني والدنيوي مبلورين بنيات القبيلة التي لن تأخذ صيغتها النهائية إلا خلال القرن السابع عشر.

غير بعيد عن زاوية أسا بنى أهل حمو أوعلي مسجد أسا لدى مقدمهم من تونس عبر إفران وتخاجيجت في بداية القرن السابع عشر. وقد أدخلوا معظم تجزءات إداومستر تحت حمايتهم. وللمزيد من التوضيح تؤكد الرواية الشفوية بأن أهل مسعيد أو سعيد ـ لغزونة يعتبرون فرعا من أهل بوجمعة أو مسعود القادمين أصلا من اكتاوة. أما فصيلة إداونگيت فتعتبر من جهتها تجسيدا لتحالف عدة وحدات

صنهاجية بالأساس خلال بداية القرن الثامن عشر. لقد تحالف أجواكين المتفرعون عن قبيلة تجكانت وأگواگرير القادمون من مزهارة بتينيمون في منطقة الگورارة الجزائرية وأهل بوجمعة أو مسعود المتفرعون أصلا عن قبيلة مجاط ذات الفصائل والوحدات الموزعة بين قبائل الأطلس الصغير والساقية الحمراء.

من أهم خصوصيات هذه القبيلة أنها تمثل عصبة من التحالفات تحدد الصلات بين الوحدات المنشقة عن قبائل أخرى. ولايمكننا التأكد من هذه الميزة إلا إذا ركزنا على وحدة ترابها الفلاحي ومجالها الرعوي كأساس مادي يقوم عليه التحام تجزءات فضائلها أمام أي خطر خارجي. ففي إطار اتحادية تكنة التي تتكون من أيت الجمل وأيت عثمان تعتبر هذه القبيلة أكبرقبائل الاتحادية عددا وأهمها حجما وأبعدها توغلا في الصحراء. وتتميز أهميتها العسكرية بعدد محمييها من أولاد تيدرارين ولميار وتوبالت ولفيكات ومجاط وأولاد بوعطية وَتُرُكُزْ علاوة على بعض فصائل قبيلة الرگيبات كالقواسم وبعض الوحدات المرابطية الأخرى. ولا يستعصي لمس هذه الأهمية الاستراتيجية عن المدقق. ذلك أن انتقالها من لف إلى اللف الآخر يعتبر عملية تدعيمية هامة للمتحالفين معها. وتثبت إحدى وثائق أيت بلة أن انتماء أيت أسا إلى لف أيت عثمان قد وقع سنة 1299 / 1879. فقد جاءت خلافات القبيلة مع أيت لحسن الأساسية بلف أيت الجمل عامل دعم للف الآخر الذي وجد بذلك سنده الصحراوي المفتقد . وبالرغم من محاولات أبناء بيروك شيوخ قبيلة أيت موسى أو علي لاستدراك الموقف، فإن انفصام تحالف أيت أسا بلفها الأسبق يعد نتيجة لتناقض وظيفي فرضته الحتمية المكانية للحد من اختلال التوازن القائم قبل ذلك. هذا ما يمكن أن نلمحه من خلال اشتداد الصراع بين أيت أوسا وأيت لحسن وإزرگيين عبر المحور الساحلي.ويزيد من الدور العسكري والاستراتيجي لقبيلة أيت أسا انتصارها المتواصل على مجمل قبائل لفها الأول حتى سنة 1910. لقد تدخل الوجود الإسباني على المحور الساحلي للحد من هذه الهيمنة مضيفا بذلك إلى أهمية التحالفات المحورية بين الشرق والغرب. لقد أدى انفصال أيت أسا عن لف أيت الجمل إلى نزوحها التدريجي نحو الجهة الشرقية حيث عرفت علاقتها العدائية مع عريب وأيت عطا نوعا من التحسن.

ولا شك أن من بين الاشارات الدالة على أهمية أيت أسا العسكرية كون قبيلة الرگيبات بالرغم من تطور قوتها الحربية بشكل حاسم، اعتبرت من باب الصواب الالتزام بدفع الهدايا التقليدية لضيوفها من فصائل أيت أسا وتجزئاتها. كما أن من بين هذه الإشارات الدالة استمرارية الطابع العدائي بين القبيلة وأولاد دليم بوادي الذهب وأيت أمريبط كدليل على حساسية الصراع حول مراقبة المجال. على أننا لا ندري بالضبط ما هو السبب الذي جعل Furst يؤكد علي أن التطور العسكري للقبيلة لم يتم بصورة حاسمة إلا منذ تحالفها مع لف أيت عثمان (*Etude*, 2). فلربما كان الطابع الانعزالي للقبيلة بعيدا عن حليفاتها الجديدات المستقرات بمداشر وادي نون سببا في ضرورة الاعتماد على النفس.

على أن الطابع الترحالي المتميز لهذه القبيلة في إطار لفها لا يتناقض مع وجود بعض وحداتها بمدشري أسا وعوينة أيت أسا. لقد حدّد F. C. De La Chappelle مواطن ترحالها عموما في البطانة والساقية الحمراء جنوبا والفايجة الفاصلة بين سلسلة جبال باني والأطلس الصغير شرقا. فقطعان أيت أسا توجد عادة في الإگيدي واصلة أحيانا إلى ما وراء وادي درعة. أما من الناحية الغربية فقد أدى انفصالها عن المحور الساحلي إلى اقتصار إبلها على الگعدة. ومما يدل على أن نمط العيش الترحالي يعتبر المقياس الأساسي لا الكلي، كون معدل حجم كل قطيع إبل يصل 100 رأس. هذا العامل لا يمنع حجم قطيع القبيلة من أن يكون أكبر قطعان قبائل تكنة الساحلية بمنطقة الحمادة. نرى إذن أيت أسا لا ينتمون إلى كبار الرحل بالرغم من أن عدد خيامهم قد وصل حسب إحصائيات La Chappelle سنة 1934 إلى 1500 (*Les tekna* 97 ـ 8) وهنا لابد من الإشارة إلى أن الأراضي الفلاحية للقبيلة تحد في منطقة وادي درعة بمدشري أسا والعوينة. أما بمنطقة زيني فإن معادر أفرا حتى معدر كارا. أحد روافد الساقية الحمراء تظل مخصبة طول السنة. وتتعدد نقط استجمامهم بواحات أكناري بإموگاي وجنوب وادي درعة (100 ـ 99 La Chappelle ) كما أن من بين الإشارات التي تميزهم عن كبار الرحل كالرگيبات مثلا هي عدم اقتصارهم الغذائي على منتجات تربية الإبل وغيرها من المواشي. فهم ملزمون دوما بتحصيل ما لا توفره فلاحتهم من حبوب بأسواق ومواسم وادي نون. ولاشك أن استغلال سبختي وادي درعة وتندوف كانت توفر لهم فائضاً في مادة المقايضة مضيفة إلى أهمية موقعهم الاستراتيجي فإذا كان ثلثا القبيلة يمارسون النجعات المحدودة، فإن أهمية مجالهم القروي تميز أهمية الثلث المتبقي حول عوينة أيت أسا وادي درعة ووادي نون. ففي مسار أفرا وغانيم وواد درعة تمتد الأراضي الصالحة للزراعة مضيفة إلى مميزات واحة أسا . هذه الأخيرة تتوفر حسب La Chappelle على 30000 نخلة (*Les tekna*, 54) وهكذا يكون بإمكان إداومليل وإداونگيت الانتشار نحو الجنوب بالنسبة للأوائل والشرق بالنسبة للأواخر. ولا ينبغي أن يفهم من هذه النقطة أن ما استأثر باهتمامنا هو جعل أيت أسا قبيلة ذات خصوصيات متميزة على باقي قبائل الاتحادية. إذ من الإنصاف التذكيربأن الخصوصيات تختلف بين قبيلة وأخرى حسب عدة مؤشرات تتحكم في مقدرات القبائل وتحدد خصوصياتها المميزة.

م. المختار السنوسي، *المعسول*، 10 : 166 ـ 211 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ؛ البيدق، *أخبار المهدي* ؛ م.

ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة : تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.

P. Marty, *Les tekna du oued Noun in les tribus de la haute Mauritanie*, publications du comité de l'Afrique occidentale Française, 1915, 60-91 ; F.C. De La Chappelle, *Esquisse d'une histoire du sahara occidental* ; *Etudes, notes et documents sur le sahara occidental*, VIIe congrés de l'IHM, Hesperis, XI, 35-96, Paris 1930 ; Id, *Les tekna du S.O.Marocain, Etude geographique, historique et sociologique*, L'Afrique Française Bulletin du comité de l'Afrique Française et du comité du Maroc, 1934, p. 109 ; Le Capitain de Furst, *Etude sur la tribu des Aït Oussa*, Archives du service historique de l'Armée, 1939, 47 p. ; V. Monteil, *Notes sur les tekna*, IHEM, Notes et documents III, 1948, 59 p., Larose, Paris ; *Chronique de la zaouia d'Assa*, in *Melanges Mohammed El Fassi*, Université Mohammed V, 1967, 81-90.

مصطفى ناعمي

**إسابيل الأولى**، Isabel I وُلدت هذه الملكة الإسباينة المعروفة بإسابيل الكاثوليكية بمدينة مادريغال دي لاس طوريس يوم 22 أبريل 145 وتربت في أحضان والدها ملك قشتالة (Castilla) خوان الثاني (Juan II) المتوفى يوم 20 يوليوز 1454، وفي يوم 19 أكتوبر 1469 تزوجت بملك أراغون (Aragon) دون فيرناندو (Don Fernando) المعروف بالكاثوليكي. واعتلت عرش قشتالة على إثر وفاة أخيها من أبيها الملك أنْريكي الرابع (Enrique IV) يوم 12 ديسمبر، وهي التي استولت يوم ثاني يناير 1492 على آخر معقل للإسلام ببلاد الأندلس مدينة غرناطة، وفي يوم 31 مارس من نفس السنة أمرت بنفي جميع اليهود المقيمين ببلادها. وهي التي أعانت البحّار كريسطوفال كلومب (Cristobal Colon) على اكتشاف أمريكا، وفي عهدها استولى دوق مدينة سيدونيا على مدينة مليلة يوم 17 سبتمبر 1497.

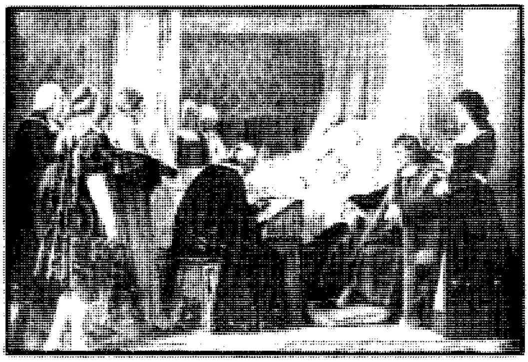

إسابيلا الكاثوليكية تملي وصيتها المشهورة على فراش الموت

وقد اشتهرت صاحبة الترجمة بعدائها للإسلام والمسلمين، ومن أجل القضاء على الوجود الإسلامي بالاندلس أنشأت محاكم التفتيش(Inquisiciòn) بإسبانيا سنة 1480. وذلك بعد أن حصلت على صك الباب سيكْسْطو الرابع (Sixto IV) يوم فاتح نوفمبر 1478.

ولم تكتف بذلك بل إنها أرادت أن تتعدى حملتها ضد الإسلام حدود بلادها، ومن أجل ذلك أصدرت يوم 12 أكتوبر 1504 وصيتها المشهورة التي أوصت فيها بنتها خوانا الحمقاء (Juana la loca) بمتابعة الحرب ضد المسلمين بالمغرب والعمل على احتلال الأراضي المغربية وتنصير سكانها.

وكانت وفاتها بمدينة ديل كامبو يوم 26 نوفمبر 1505، وتنفيذا لوصيتها دفنت بمدينة غرناطة.

J.B.H. Raymond, *Isabelle de Castille*, Paris 1869 ; E. Martinez de Velasco, *Isabel la Catolica*, Madrid 1883 ; I. Pluncket, *Isabel of Castile*, N York 1915 ; Juana Dieulafoy, *Isabelle la Grande*, Paris 1921 ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, Tomo 28 ; Cesar Silio Cortes, *Isabel la Catolica*, valladolid 1938.

**إسابيل الثانية** Isabel II ولدت بمدريد يوم 10 أكتوبر 1830 واعتلت العرش الإسباني يوم 8 نوفمبر 1843 على إثر وفاة والدها الملك فيرناندو السابع Fernando VII وتزوجت بابن عمها الامير فرانتيسكو يوم 10 أكتوبر 1846.

وقد امتاز ملكها بكثرة الانقلابات العسكرية التي جرت بإسبانيا في عهدها لدرجة أنه على إثر أحد الانقلابات تم خلعها ونفيها من بلادها يوم 26 سبتمبر 1868 فتوجهت إلى باريس وأقامت هناك تطالب بعرشها إلى أن أرغمت على التنازل عنه لصالح ولدها الملك ألفونصو الثاني عشر Alfonso XII يوم 26 يونيو 1870.

إسابيلا الثانية ملكة اسبانيا
في عهدها أعلنت إسبانيا الحرب على المغرب.

هذه الملكة هي التي جعلها الجنرال أودونيل O'donell تعلن الحرب ضد المغرب يوم 22 أكتوبر 1859 حيث قيل عنها إن القدر أراد أن يجعل منها أداة فعالة لتنفيذ وصية نظيرتها الملكة إيسابيل الأولى Isabel I التي أوصت بمحاربة المغرب واحتلال اراضيه وتنصير سكانه.

ولم تتردد صاحبة الترجمة في وضع مجوهراتها بيد الحكومة العسكرية لتُصرف قيمتها في مآرب الحرب المغرب. واعترافاً لها بالجميل قرر الجنرال المذكور أن يتم غزو المغرب انطلاقا من سبتة في اليوم الذي تحتفل فيه الكنيسة بيوم القديسة إسابيل Santa Isabel وهو يوم 19 نوفنبر.

توفيت صاحبة الترجمة بباريس يوم 9 أبريل 1904.

Castillo, *la guerra de Africa*, Madrid 1861 ; P. A. Alarcon *Diario de un testigo de la guerra de Africa*, Madrid 1860 ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, tomo 28, Servicio Historico militar, *Historia de la Campañas de Marruecos*, Madrid 1947-1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**أسَاره ـ تُوراَه**، يبدو أن تأسيس منظمة تدعى " أساره ـ توراه"، بمدينة نيويورك بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بقليل يرجع إلى الاهتمام بإعطاء جماهير اليهود السفرديين، أي الذين يرجع أصلهم إلى بلدان البحر المتوسط، تكويناً دينيا متينا قائما على معرفة الشريعة المكتوبة والشفوية. ترأس المنظمة المذكورة، بمجرد تأسيسها، سفري سوري الأصل، اسمه إسحاق شلوم. وبعدها أنشأت منظمة "أساره ـ تُوراَه" مدارس تابعة لها في بلدان الشرق الأوسط شرعت في أنشطتها بالمغرب، وذلك عام 1947.

إن اليهود الأرتودوكسيين الأمريكيين الذين أحسوا بحزن عميق بعد تدمير المراكز اليهودية في أروبا الوسطى عامة، وبولونيا وليتيانيا بالخصوص، سعوا في الأواسط اليهودية المغربية التي نجت من النازية وباتت متشبثة أكثر من غيرها بالديانة اليهودية وبالتقاليد العتيقة ليعيدوا إنشاء مركز لاشعاع التعليم اليهودي الذي تقلص ظله في جهات أخرى من المعمور.

إلا أن مدرسة أساره ـ توراه أضحت مضطرة، شأنها شأن مدارس "التلموذ ـ تواره" الخاصة بالطوائف اليهويدية ومدارس إم ـ حابنيم، إلى تخصيص قسم من برامجها للمواد الغير الدينية مع تزايد مستمر في حصص هذه المواد والاستعانة بالتجربة والمساعدة الفعلية للرابطة الاسرائلية العالمية التي كانت مع ذلك تضمر لها عداء بينا (...).

بلغ عدد التلاميذ اليهود الذين كانوا يترددون عام 1951 على مدرسة أساره ـ توراه بالدار البيضاء، 650 تلميذاً موزعين على 15 فصلا، و4000 تلميذ مسجلين بـ 47 مؤسسة بالقرى. وكان التعليم الملقن في هذه المؤسسات الأخيرة، عبريا ودينيا لاغير.

أخذت أنشطة "أساره ـ توراه" تنمو بسرعة في المغرب وتشمل جميع مناطقه. مضت هذه المدارس في بدايتها تلقن تعليما يهوديا وعاما من المستوى الابتدائي ثم فُتحت أقسام دراسية فيما بعد لتلاميذ الطور الثانوي. وفي عام 1955، شرع بطنجة في تنظيم حلقات دراسية مستمرة لتكوين المعلمات وتأهيلهن لتدريس الدين اليهودي. وهكذا شهد المغرب لأول مرة في تاريخه، فتيات يهوديات يقمن بدراسة النصوص التوراتية والرِّبية ويكتسبن معرفة جيدة في اللغة العبرية.

تأسس كذلك بطنجة، سنة 1957، "كوليل" (أي مدرسة عليا تلمودية) الهدف منه تكوين أطر "أساره ـ توراه" حتى يمكن تأهيلهم لقيادة أنشطة هذه المؤسسة في المدن المغربية الأخرى التي كانت توجد بها مدارس ابتدائية وثانوية تهيء تلاميذها إلى شهادة دراسات الطور الأول وإلى البكالوريا مع تلقيهم تكوينا دينيا تقليديا.

يبلغ اليوم عدد تلاميذ المدارس اليهودية 600 بالدار البيضاء، و150 بين مراكش وفاس، ويدخل في هذه الأعداد، تلاميذ، "اتحاد ـ المغرب".

وكلما تقلص عدد التلاميذ في مركز من المراكز، تأسست فيه جمعية ادارية وتربوية لتسيير المدارس، وهي الجمعيات التي أنشأها " اتحاد ـ المغرب " و"أتزار حبرة ". هكذا تزاول اليوم مدارس مكناس وفاس ومراكش أنشطتها تحت هذه الرعاية المزدوجة.

كلود سلطان

**إسافَنْ**، معناها : الأودية. قبيلة كبرى على السفح الجنوبي للأطلس الصغير شرقي أيت عبد الله، موطنهم على واد أقّا وهم في شمال شرقي قرى أقا، ويسمى ذلك الوادي عندهم واد إسافّن. وهم بأعلاه تربطهم ممرات طبيعية بواحات باني وبتارودانت ووادي سوس، ويقام سوق إسافّن قريباً من قمة الأطلس الصغير .

تذكر روايات تاريخ أهل إسافّن أن أحد أنبياء بني إسرائيل وهو حزقيال نزل عندهم بعد طرد اليهود على يد بوختنصر، ويذكرون كذلك أن أصل عدد من سكان القبيلة هاجروا من تامدولت بعد خرابها.

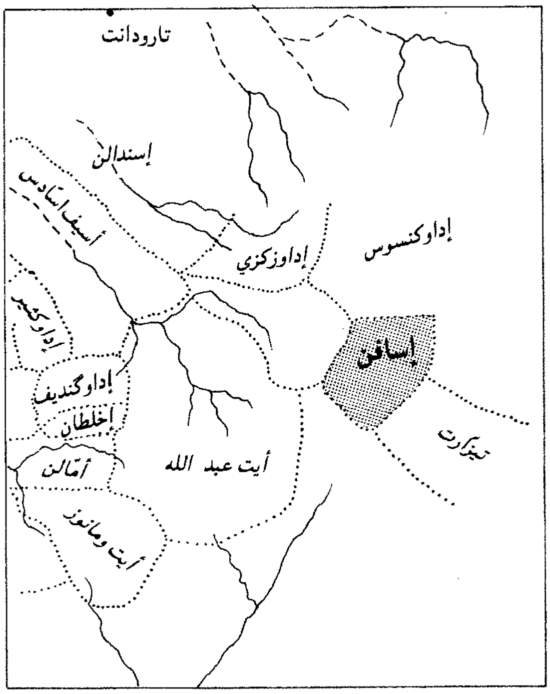


موقع إسافن

أيت **إسافَنْ**، كانوا في عهد السلطان مولاي الحسن يعد مجندوهم بأربعمائة بندقية، وكانوا من لف تاگيزولت، وبلدهم هضاب بين واد أولغاس وواد تازروالت وهم على غير وفاق مع رؤساء تازروالت، وكان مجلسهم الأعلى يتكون من عشرة من إنفلاس لكل أفوس (يد) أو فرقة. وهم فرقتان أيت جرود وأيت تسليتن، وكانت لهم خدمة

لسيدي مسعود البونعماني من قبيل أيت إبراهيم، ويعطون أعشار غلاتهم لطلبة مدرسة هذا الأستاذ.

D. J. Meunié, *Le Maroc Saharien*. A. Le Chatelier, *Tribus du Sud-Ouest Marocain*, Paris 1891.

**أساكا**، وادٍ بالصحراء المغربية، عنده وقعت معركة رد فيها المغاربة محاولة إسبانية غازية تستهدف إقامة تحصينات عند مصب أساكا قادها على رأس أربعمائة جندي من جزر كناريا الحاكم العام لإفريقيا ألونثو فيرنانديث دي لوگو Alonso Fernandez de Lugo وذلك عام 1500. وكان الإسبانيون قد خططوا لإقامة ثلاثة من المراكز المحصنة في الشاطئ المغربي المقابل لجزر كناريا تعزيزاً لمركز سانطاكروز. وقد تصدى له سكان القبائل فترك في قتالهم ثلاثمائة من رجاله ونجا مع مائة آخرين لان أهل بوعيدة من تـگاوست ساعدوه إلى أن ركب سفنه في

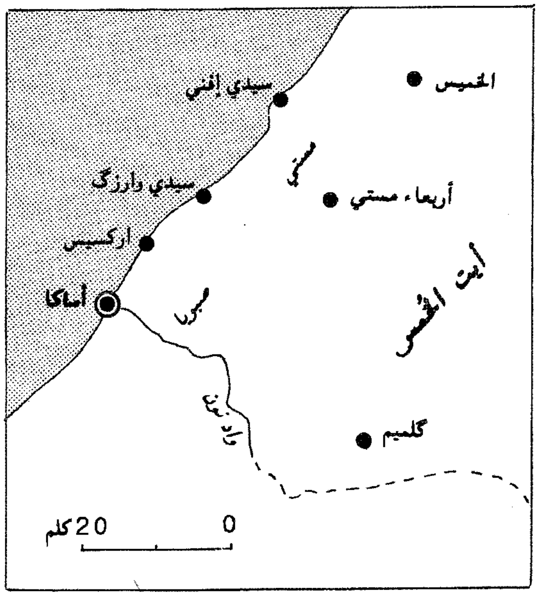


سانطا كروز والتحق بكناريا، وقد رفض التاج الإسباني تعويضه عن الخسائر وترتب عليه دين كبير بعد هزيمته النكراء.

T. Hodges, *Historical Dictionary*.

أحمد التوفيق

**إساگْنْ** ـ جغرافيا ـ اسم يطلق في السلسلة الوسطى لجبال الريف على عدد من المنخفضات العالية، يتعدى ارتفاعها ألف متر، وكثيرا ما تكون شاخصة فوق مستوى المجاري المائية المتعمقة. أكبرها وأهمها إساگْنْ مركز كتامة الممتد على مسافة 4 كم من الشرق إلى الغرب و1,5 كم من الشمال إلى الجنوب، على ارتفاع متوسطه 1500 م. وتشرف على هذا السطيح سفوح جبلي دحدوح، إموفراغ غربا وجنوبا، بينما لا تتعدى القمم الشرقية 1600 م. شمالا ينتهي السطيح بأجراف تطل على أودية متعمقة تكون المجاري العالية لواد إورنـگة، ويصل تعمق هذه المجاري إلى عدة مئات من الأمتار، أما السطيح نفسه فهو مستوى لا تعلوه إلا بعض التلال الصغرى المنعزلة ببضع عشرات الأمتار. والانبساط يفسر رداءة تصريف المياه، حيث يتحول إساگن في فصل الشتاء إلى مجال مغموربالمياه الراقدة.

هذا السطيح الشاخص فوق مستوى الشبكة المائية يعتبر تركة مرفولوجية دالة على سطح تحاتي جزئي قديم، تكون تحت مستوى أعلى القمم، في وقت لم تكن فيه المجاري متعمقة. هذه الطبغرافية القديمة نلاقي منها في ناحية كتامة عدة شواهد متناثرة على طول الطريق الرئيسية الشاون ـ الحسيمة، كلها على ارتفاع متقارب (1500 إلى 1600 م) جلها لم يحتفظ بأي بقايا رسوبية. لكن ارتفاعها بالنسبة لسيلان المجاري جعل المؤلفين (Maurer, *Les montagnes du Rif Central*) يخلصون إلى فكرة قدم هذه السطوح، بحيث اعتبروها تنتمي الى نهاية الميوسين، أي بعد الأزمة التكتونية المسؤولة عن التواء السلسلة، وقبل الحركات الانتهاضية العمودية التي عرفتها في نهاية الثلاثي وخلال الرباعي. ويعتبرون بأن هذه الحركات العمودية هي السبب في تعمق الشبكة المائية وبالتالي شخوص هذه السطوح في المجالات التي لم تمسها التعرية. إساگن اذن درجة تضاريسية انتقالية، بين القمم العليا وسيلان الأودية، أصلها تسطيح جزئي تم خلال الميوسين الأعلى، ثم تعمق للأودية فيما بعد ذلك.

لكن بخلاف السطوح الجزئية الصغرى، تمتاز إساگن كتامة بحفاظها على مجموعة من التوضعات، فانبساط السطح وامتداده جعلا منه مجال تراكم لمواد سفحية، ومواد نشر سيلية، وذلك عبر مراحل تطورية متعددة.

ـ أول مرحلة امتازت بتوضع عناصر حصوية وجلموذية مد ملكة نسبيا، داخل لياط أحمر أو مسمر، ترتفع فيه نسبة الطين، بينما تظهر فيه لطخات فاتحة مبيضة .هذا التوضع يغمر طبغرافية متموجة، تبرز وسطها بعض الاكمات الصغرى. ودملكة العناصر دليل على نقلها من طرف سيول هامة نازلة من سفوح جبل دحدوح. لكن قصر المسافة يعني أن الدملكة اكتسبت خاصة بسبب تطورات كيماوية فسخية أفقدت الحصى زواياه الحادة. كما أن المقاطع المتطينة يظهر فيها الحصى متآكلا، محاطا بهالة مبيضة. ويعتبر المؤلف (Maurer) أن هذه المواد حصيلة نشر تم على إثر تفسيخ طويل استمر خلال نهاية الثلاثي وبداية الرباعي، كانت الظروف فيه تتسم بالعدوانية.

ـ المرحلة الثانية تم خلالها إرساب مواد فتاتية حادة تدل على تعرية عنيفة تقع فوق السفوح المشرقة. وتوضع هذه المواد كتلي بدون ترتيب وسط لياط احمر .

ـ أما المواد الحديثة فتمتاز بدقتها، وبتداخلها على شكل جيلين اقدمهما أحمر والآخر رمادي.

تراكم هذه المواد الرباعية المختلفة، يفسر عدم بروز الركيزة الصخرية ما عدا في الاكمات الناتئة. وهذا مايفسر

امتداد وكثافة الغطاء العشبي فوق السطيح، بينما السفوح تغطيها الغابة. وهذا كذلك ما يفسر أهمية الاستقرار البشري رغم قسوة الظروف المناخية.

G. Maurer, *Les montagnes du Rif Central, étude géomophologique*, Thèse d'Etat, Univ. de Paris, 1968.

عبد الله العوينة

**إساگن** ـ تاريخ ـ يقع بقبيلة بني سدات، وإن كان البعض يظن أنه يوجد بقبيلة كتامة، وقد أطلق عليه الإسبان اسم يانو أماريو Lano Amarillo (السهل الأصفر) منذ أن بدأوا ينظمون به مناورات جيوشهم السنوية.

وبمناسبة المناورات التي جرت به في صيف سنة 1935 اتفق الضباط الاسبان على القيام بالانقلاب العسكري الذي أطاح بالجمهورية الإسبانية يوم 17 يوليوز 1936. ولتخليد تلك المؤامرة شيدوا بأساگن نصباً تذكارياًظل قائما هناك إلى أن استقل المغرب، وحينئذ تم فسخه ونقله إلى مدينة سبتة حيث أعيد تركيبه بأعلى جبل الميناء، ويعرف بنصب الحركة الوطنية.

ويوجد باساگن فندق سياحي يعرف بفندق كتامة.

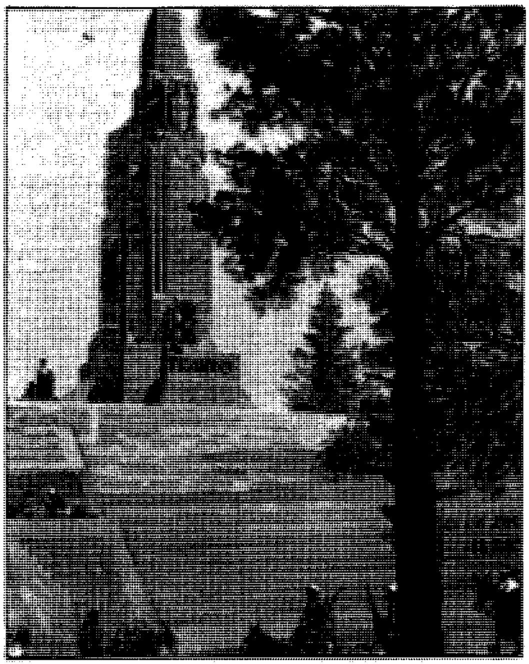

تمثال في سهل إساگن يذكّر بانقلاب فرانكو

Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa* 1930 (G) p. 70 ; Domenech Lafuente (Angel), *Geografia de la zona Norte del Protectorado de Espana en Marruecos* 1942 p. 66 ; Cabello Alcaraz (J), *apuntes de geografia de Marruecos* 1951, p. 55.

محمد ابن عزوز حكيم

**أساتا ← أناتيس**

**أسْبَاتي**، عبد الله بن علال. ولد سنة 1925 بقصبة تادلا، وانضم الى المقاولة السرية بالدار البيضاء وعمل ضمن الفرقة التي كانت تحت مسؤولية المهدي الهرموشي مقدم المقاطعة السابعة. وقد كافح بكل اخلاص، وأنجز عدة عمليات فدائية من بينها وضع القنابل ونقلها بين تادلا وبني ملال ووادي زم إلى أن ألقي عليه القبض واستشهد تحت التعذيب سنة 1955.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**إسبانيا والمغرب**، كان للمعركة التي انتصرت فيها قوات قشتالة (Castilla) على القوات المغربية بوادي الملح (Rio Salado) بالقرب من مدينة طريف (tarifa) الأندلسية يوم 8 جمادى الأولى 741 / 30 أكتوبر 1340 أثر فعال في العلاقات التي كان من المفروض أن تكون قائمة بين الدولة المغربية والدولة الإسبانية بعد أن تتمكن قشتالة من استكمال وحدتها الترابية بالقضاء على مملكة غرناطة المسلمة، بعد أن تخلت الدولة المغربية عن آخر معقل كانت تحتفظ به في أرض الأندلس وهو مدينة جبل طارق.

ومما لاشك فيه أنه بانسحاب القوات المغربية عن جبل طارق سنة 775 / 1374 أصبحت أرض المغرب عرضة للأطماع المسيحية، الإسبانية منها والبرتغالية، إلا أن الدولة الإسبانية لم تكن قادرة آنذاك على غزو المغرب بحكم خوضها غمار الحرب ضد المسلمين بالأندلس، فتولت هذه المهمة الدولة البرتغالية التي كانت قد استكملت وحدتها الترابية على إثر انتصارها على قشتالة في معركة الخوباروطا (Aljubarrota) يوم 7 رجب 787 / 14 غشت 1385.

انتظرت البرتغال إلى أن أصبحت الدولة المرينية تلفظ أنفاسها الأخيرة لتعمل على تنفيذ مخططها الرامي للقضاء على المغرب، حيث قام الملك البرتغالي خوان الأول (Juan I) بتنظيم أول حملة صليبية استهدفت أرض المغرب وانتهت هذه الحملة بسقوط مدينة سبتة بيده يوم 14 جمادى الثانية 818 / 21 غشت 1415.

وقد تلت هذه الحملة الصليبية حملة ثانية مكنت البرتغال أيضا من الاستيلاء على مدينة القصر الصغير يوم 14 ذي الحجة 862 / 23 أكتوبر 1458 ثم كانت الحملة الثالثة التي انتهت باحتلال مدينتي أصيلا وطنجة في يومي 7 و 11 ربيع الأول 876 / 24 و28 غشت 1471 في الوقت الذي كانت فيه الدولة المرينية قد انتهى أمرها .

لم تستطع الدولة الوطاسية الفتية أن تحول دون تنفيذ المخطط المسيحي بأرض المغرب خصوصا بعد أن أصبحت الدولة الإسبانية تشارك جارتها البرتغال في تنفيذه لما قضت على مملكة غرناطة المسلمة يوم فاتح ربيع الأول 897 / 2 يناير 1492، وكانت أول بقعة احتلها إسبانيا بأرض المغرب هي الأرض الواقعة بقرب مصب وادي الشبيكة بشاطئ المحيط الأطلسي والتي شيد بهاالإسبانيون سنة 881 / 1476 برجا أطلقوا عليه اسم سانطاكروث ذي ماربيكينيا (Santa Cruz de Mar Pequenã) أي الصليب المقدس للبحر الصغير، وبعد 21 سنة تمكنت من الاستيلاء

على خرائب مدينة مليلية في ليلية 19 محرم 903 / 17 سبتمبر 1497. هذا الاعتداء الإسباني على التراب المغربي الذي تقول عنه جميع المصادر الإسبانية إن سببه يرجع إلى أمرين : الأمر الأول الانتقام من العمل الذي قام به القائد المغربي طارق بن زياد عند احتلاله لأرض إسبانيا سنة 92 / 711، والأمر الثاني القضاء على القرصنة التي بدأ يستفحل أمرها بعد أن لجأ إلى الشاطئ المغربي الموالي لإسبانيا آلاف المسلمين الذين فروا بدينهم من أرض الأندلس وصاروا ينتقمون ممن طردوهم من ديارهم .

ومما يؤكد ذلك الوصية المشهورة التي أملتها الملكة الإسبانية إسابيل الكاثوليكية (Isabel la Catolica) يوم 3 جمادى الأولى 910 / 12 أكتوبر 1504 وقد جاء فيها :

"وصيتي إلى الأميرة ابنتي وزوجها الأمير وإلى من يأتي بعدهما أن يعملوا على متابعة الجهاد المقدس ضد الكفار بأرض إفريقيا (أي المغرب) ونشر ديننا الحنيف بين سكانها ".

وتعترف جميع المصادر الإسبانية أنه قد أصبح أمر تنفيذ الوصية المذكورة من أهم مهمات زوج إيسابيل الكاثوليكية الملك فيرناندو الكاثوليكي (Fernando el Catolico) وبنته خوانا الحمقاء (Juana la loca) وكذلك جميع الملوك الإسبانيين الذين تعاقبوا على عرش إسبانيا واعتبروا الوصية أمانة في عنقهم يجب عليهم تنفيذها، بدليل أنه إلى عهد قريب كان رئيس الدولة الإسبانية الجنرال فرانكو (Franco) ينادي هو الآخر بوجوب تنفيذ تلك الوصية إلى آخر يوم في حياته .

وهذا ما جعل علاقات إسبانيا بالمغرب منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي إلى يومنا هذا يهيمن عليها شبح الوصية المشؤومة، والسبب في ذلك هو الاحتلال الإسباني للجيوب التي لازالت تحتلها بشمال المغرب، هذا الاحتلال الذي ظل طيلة خمسة قرون يكوّن حجرة عثرة تحول دون أن تكون تلك العلاقات على نمط العلاقات التي يجب أن تكون بين دولتين وشعبين متجاورين، خصوصا وأن الاعتداء الإسباني على أرض المغرب لم يكن يستهدف فقط الاستيلاء على الأرض بل إن الأمر كان يعني كذلك تنصير المغاربة والقضاء على دينهم ولغتهم وشريعتهم .

هذه الغاية التي كانت إسبانيا تتوخاها من احتلالها لمدينة غساسة يوم 24 ربيع الثاني 912 / 13 سبتمبر 1506 وجزيرة بادس والقلعة المجاورة لها يوم 24 ربيع الأول 914 / 23 يوليوز 1508، وإن لم تستطع إسبانيا الاستيلاء على مدن وجزر مغربية أخرى فذلك لأن البرتغال كانت لها بالمرصاد بدعوى أن "حق" احتلال المملكة المغربية كان البابا قد اعترف لها به في عدة صكوك أصدرها لصالح البرتغال دون غيرها من الدول المسيحية، بما في ذلك دولة إسبانيا .

على أن هناك شيئا آخر حال دون تمكن الإسبانيين من تنفيذ وصية إسابيل الكاثوليكية وهو أنه في الوقت الذي أصبحت فيه إسبانيا قادرة نوعا ما على تحقيق فكرة إيسابيل حلت بالمغرب محل الدولة الوطاسية دولة جديدة هي الدولة السعدية التي برهنت على عظمتها وقوتها باسترجاعها جل الجيوب التي كانت تحتلها البرتغال بالشاطئ المغربي الموالي للمحيط الأطلسي، حيث لم يبق بيد البرتغال هناك سوى مدينة ما زاكان (الجديدة)، كما برهنت على قوتها عندما قضت على أحلام الملك البرتغالي دون سيباستيان (Don Sebastian) في معركة وادي المخازن يوم 30 جمادى الأولى 986 / 4 غشت 1578.

وكان في استطاعة المغرب آنذاك أن يصفي حساباته مع اسبانيا لو أعار السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي الجيوب المحتلة من طرفها قليلا من الاهتمام، لكنه أهملها وأتاح لإسبانيا فرصة ضم كل من سبتة وطنجة إلى الجيوب الأخرى التي كانت تحتلها في شمال المملكة.

صحيح أن المنصور الذهبي كان مشغول البال بالخطر العثماني الذي كان يهدد مملكته وكان يسعى إلى أن تكون علاقته مع جاره الملك الإسباني فيليب الثاني Felipe II علاقة ودية إن لم نقل أنه كان يفكر في التحالف معه ضد الأتراك في حالة ما إذا تعرضت بلاده إلى هجوم عثماني. وصحيح كذلك أنه في نفس الوقت كان المنصور الذهبي يتفاوض أيضا بصفة سرية مع ملكة بريطانيا العظمى الملكة إليزابيت (Elisabet) على أساس إبرام حلف ضد إسبانيا، ومن أجل ذلك كان العاهل المغربي يساعد في الخفاء الأمير البرتغالي دون أنطونيو (Don Antonio) على استرجاع عرش بلاده والذي كانت الملكة البريطانية تناصره هي الأخرى ضد الملك الإسباني الذي استولى علي عرش البرتغال بالقوة.

ولم يكن ملك إسبانيا بغافل عن ذلك الأمر حيث نجده هو الآخر يتفاوض مع المنصور الذهبي ويحتفظ في بلاده بالأمير المغربي مولاي الناصر أخ السلطان المتوكل الذي لقي حتفه بمعركة وادي المخازن بجانب دون سيباستيان، والدليل على ذلك هو أنه عندما تيقن فيليب الثاني من عدم صدق علاقة المنصور الذهبي معه، ساعد مولاي الناصر على إشعال نار الفتنة بالشمال الشرقي من المملكة انطلاقا من مدينة مليلية .

وانتهت هذه المرحلة بوفاة فيليب الثاني سنة 1006 / 1598 وبوفاة المنصور الذهبي سنة 1012 / 1603 حيث حل محل العاهل الإسباني ولده فيليب الثالث (Felipe III) في حين تنازع أبناء المنصور على الملك وكان من بينهم محمد الشيخ المامون الذي انتهى به الأمر إلى اللجوء إلى فيليب الثالث يطلب منه مساعدته ضد أخيه زيدان، ومن أجل ذلك توجه الشيخ إلى إسبانيا وهناك وقّع مع العاهل الإسباني يوم 9 جمادى الثانية 1018 / 9 سبتمبر 1609 اتفاقية تعهّد فيها بتسليم مدينة العرائش مقابل إمداده بالسلاح والمال، وعاد الشيخ إلى شمال المغرب حيث سلم المدينة المذكورة إلى رئيس الأسطول الإسباني يوم 4 رمضان 1019 / 20 نوفمبر 1610 وكان ذلك سبب مقتله بالمكان المعروف بفج الفرس.

كان هذا الاعتداء الاسباني الجديد على التراب المغربي سببا في الموقف العدائي الذي اتخذه السلطان مولاي زيدان من الدولة الإسبانية حيث نجده يحث القراصنة المغاربة على الجهاد البحري ضد السفن الإسبانية والشواطئ الواقعة بجنوب إسبانيا، وذلك من أجل مساعدة الموريسكوس (Moriscos) على الثورة ضد فيليب الثالث الذي اضطر إلى إقامة مايزيد عن أربعين برجا للمراقبة على طول الشاطئ الجنوبي من بلاده، بل إنه تمكن من الاستيلاء على مدينة المعمورة (المهدية ) يوم 29 جمادى الثانية 1023 / 6 غشت 1614.

وظلت العلاقات المغربية الإسبانية على هذا الحال إلى أن حلت الدولة العلوية محل الدولة السعدية واعتلى عرش المغرب السلطان مولاي إسماعيل سنة 1082 / 1672، هذا يعني أنه لم يكن هناك أي اتصال تجاري أو غيره بين الشعبين الإسباني والمغربي بدليل أنه لم يكن مسموحا لأي مغربي أن يطأ أرض إسبانيا دون تعرضه للأسر أو القتل. وأما بخصوص الإسبانيين فقد كان البعض منهم يلتحق بأرض المغرب ( خصوصا الفارين منهم من الجيوب المحتلة) معلنين اعتناقهم لدين الإسلام، كما كان يسمح للقسيسين الإسبان بدخول أرض المغرب بحجة الاعتناء بشؤون الآلاف من الأسرى الإسبانيين الموجودين في البلاد وخاصة في تطوان وسلا ومكناس.

وازدادت هذه الحالة تفاقما عندما اعتلى عرش المغرب السلطان مولاي إسماعيل واحتلت إسبانيا جزيرة النكور يوم 15 جمادى الأولى 1084 / 28 غشت 1673 حيث أمر العاهل المغربي بإنشاء جيش المجاهدين من رجال الريف وعهد إليهم بأمر محاصرة الجيوب التي كانت بيد إسبانيا (المهدية والعرائش وسبتة وجزيرة بادس والقلعة المجاورة لها وجزيرة النكور ومدينة مليلية) ومدينة طنجة التي كانت تحتلها إنكلترا ومدينة مازاگان (الجديدة) التي كانت بيد البرتغال.

وتمكن الجيش المذكور من استرجاع مدينة المعمورة يوم 11 ربيع الثاني 1092 / 30 أبريل 1681 ومدينة طنجة يوم 18 صفر 1095 / 5 فبراير 1689 ومدينة العرائش يوم 28 محرم 1101 / 11 نوفمبر 1689 وقلعة بادس يوم 3 رمضان 1113 / فاتح فبراير 1702، كما قام بمحاصرة مدينة سبتة للمرة الأولى من سنة 1084 / 1673 إلى 1100 / 1689 وللمرة الثانية من يوم 3 ربيع الأول 1106 / 22 أكتوبر 1694 إلى يوم 14 رجب 1139 / 7 مارس 1727.

والجدير بالذكر أنه بالرغم من عدم وجود أي اتصال بين الشعبين المغربي والإسباني خلال هذه الفترة فقد كانت هناك مراسلات ودية ، بل وسفارات بين مولاي إسماعيل والملك الإسباني كارلوس الأول Carlos I، وسبب ذلك يرجع إلى أمر تحرير الأسرى الإسبانيين (الذين تكاثر عددهم بالمغرب على إثر استرجاع المعمورة والعرائش) والأسرى المسلمين (بعضهم مغاربة) الذين كانوا بإسبانيا، ومن أجل ذلك توجه سنة 1102 / 1690 إلى مدريد أول سفير مغربي وطئ أرض إسبانيا هو محمد الغساني، كما جاءت إلى المغرب عدة سفارات إسبانية تمكنت من تحرير عدد كبير من الأسرى.

وباعتلاء السلطان محمد بن عبد الله عرش المغرب سنة 1171 / 1757 أصبحت العلاقات المغربية الإسبانية تكتسي صبغة سلمية لم يسبق أن عرفتها من قبل أي منذ أربعة قرون، حيث فتحت أبواب المغرب وإسبانيا في وجه التجارة والملاحة بين الشعبين، خصوصا بعد أن استقبل الملك كارلوس الثالث Carlos III السفير المغربي أحمد الغزال واستقبل سيدي محمد بن عبد الله السفير الإسباني خورخي خوان (Jorge Juan) فيما بين سنة 1178 و1180 / 1765 و 1767 وكانت النتيجة أن أبرمت أول معاهد صلح وتجارة وملاحة بين البلدين وذلك بمراكش يوم فاتح محرم 1181 / 28 ماي 1767 وبمقتضاها فتحت إسبانيا أول قنصلية عامة لها بالمغرب وكانت بالعرائش والقنصل طوماس بريموند Tomas Bremond هو الذي أشرف على تنفيذ الاتفاق الذي بمقتضاه أصبحت إسبانيا تحتكر صادارت الحبوب من ميناء الدار البيضاء إلى الخارج.

غير أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان يرى بحق أن السلم بين المغرب وإسبانيا لايمكن أن تكون على حساب الجيوب المغربية المحتلة من طرف إسبانيا لأنها تكوِّن جزءاً لايتجزأ من التراب المغربي، وحيث إنها أُخذت بالقوة فللمغرب الحق الكامل في استرجاعها كذلك بالقوة دون أن يعتبر عمله هذا مناقضا للسلم المتفق عليه في معاهدة مراكش.

وبناء على ذلك قرر العاهل المغربي القيام بعملية تصفية الحساب مع الاستعمار البرتغالي المتمثل في آخر معقل كانت تحتله البرتغال بأرض المغرب وهي مدينة مازاگان (الجديدة) وتم له ذلك باسترجاعها يوم 3 ذي القعدة 1182 / 11 مارس 1769.

وفي يوم 15 رجب 1188 / 21 سبتمبر 1774 وجه إلى الملك الإسباني كارلوس الثالث رسالة يخبره فيها بعزمه الأكيد على استرجاع الجيوب المحتلة من طرفه بشمال المملكة، وكان رد فعل العاهل الإسباني أنه أعلن الحرب على المغرب يوم 17 شعبان 1188 / 23 أكتوبر 1774، الشئ الذي لم يحل دون أن يقوم سيدي محمد بن عبد الله بمحاصرة مدينة مليلية بنفسه من يوم 5 شوال 1188 / 9 ديسمبر 1774 إلى يوم 13 محرم 1189 / 16 مارس 1775. غير أن هذا الحصار لم يأت بأية نتيجة لسببين :

الأول الأسطول المحمدي لم يشارك في الحصار لأسباب نجهلها، في حين أنه لو شارك لتمكن من الحيلولة دون تمكن الأسطول الإسباني من مدِّ يد المساعدة للمدينة المحاصرة التي استطاعت المدفعية المغربية أن تدكها دكا.

والسبب الثاني هو عدم وفاء داي الجزائر بالوعد الذي كان قد قطعه على نفسه بمحاصرة الإسبانيين بمدينة وهران

في نفس الوقت الذي كان السلطان يحاصر مدينة مليلية.

واضطر سيدي محمد بن عبد الله إلى التخلي عن مشروعه إلى حين حيث سعى إلى استئناف علاقته الودية مع الملك كارلوس الثالث فارسل إليه السفير محمدابن عثمان الذي وقع بأرانخويث (Aranjuez) معاهدة الصداقة ليوم 26 جمادى الأولى 1194 / 30 ماي 1780. وبعد سنتين حل بالمغرب السفيرالإسباني سالبناس (Salinas) فعادت التجارة والملاحة بين البلدين إلى ماكانت عليه منذ سنة 1178 / 1765.

وعندما اعتلى عرش المغرب مولاي اليزيد وتربع على عرش إسبانيا الملك كارلوس الرابع توترت من جديد العلاقات بين البلدين وذلك على إثر الموقف الذي اتخذه السلطان من الاحتلال الإسباني للجيوب المغربية، حيث إنه جعل من تصفية الاستعمار بها شرطا أساسيا لتجديد معاهدة الصلح المبرمة سنة 1181 / 1767 وليبرهن عن عزمه الأكيد في استرجاع الجيوب المذكورة قام بمحاصرة مدينة سبتة طيلة المدة القصيرة التي قضاها على العرش ، وكان رد فعل العاهل الإسباني أنه أعلن الحرب ضد المغرب يوم 19 ذي الحجة 1205 / 19 غشت 1791. ورغم أن حالة الحرب دامت تسع سنوات فإنها لم تحل دون استمرار التجارة والملاحة بين البلدين، بدليل أن الجالية الإسبانية المقيمة بالموانئ المغربية ظلت تتجر بها في الوقت الذي غادر القنصل العام الإسباني مدينة طنجة، كما استمرت الجالية المغربية المقيمة بالموانئ الإسبانية كما كانت من قبل، بل صادف الحال عند إعلان الحرب وجود السفير المغربي محمد ابن عثمان بمدريد فظل هناك مدة طويلة إلى أن قتل مولاي اليزيد وبويع أخوه مولاي سليمان سلطانا على المغرب.

كان أول عمل قام به مولاي سليمان هو تصفيه جو العلاقات مع إسبانيا حيث بعث له الملك كارلوس الرابع سفيره خوان مانويل كونثا ليث سالمون (Juan Manuel Gonzalez Salmon) وأبرمت معاهدة مكناس ليوم 24 رمضان 1213 / فاتح مارس 1799. والتي اعتبرتها الدبلوماسية الإسبانية بمثابة "أكبر معلمة في تاريخ العلاقات الإنسانية".

ولم تمر على المعاهدة المذكورة سوى ثلاث سنوات حتى عاد البلاط الإسباني إلى التفكير في بسط نفوذه على أرض المغرب، ومن أجل ذلك أرسل إلى طنجة المغامر الإسباني دومينكو باديا (Domingo Badia) الذي جاء متنكرا في صفة أمير عثماني اسمه بديع ابن عثمان العباسي، وكانت مأموريته تستهدف الاتصال بالعناصر المغربية المعادية للسطان مولاي سليمان والاتفاق معها على مدّ يد المساعدة لها في ثورتها ضد السلطان على أساس أن تلتزم بمساعدة إسبانيا على احتلال الجزء الشمالي من المملكة، غير أن المغامر انكشف أمره واضطر إلى مغادرة المغرب قبل أن يلقى عليه القبض، وذلك سنة 1218 / 1803.

وبالرغم من أن العاهل المغربي كان على علم تام بما كانت الحكومة الإسبانية قدْ فكرت فيه عند إرسالها للمغامر باديا، فإن مولاي سليمان فضل الوقوف بجانب العرش الإسباني عندما احتلت الجيوش الفرنسية أرض إسبانيا سنة 1223 / 1808 ثم تنصيب أخ نابليون (Napoleon) على عرش مدريد،حيث بعث الأمبراطور الفرنسي القبطان بوريل (Burel) إلى مكناس ليعرض على السلطان فكرة تسليمه الجيوب المحتلة من طرف إسبانيا مقابل الاعتراف بأخيه ملكا على إسبانيا، وكان جواب مولاي سليمان أنه من المستحسن أن ينتظر إلى أن يصفو الجو السائد بإسبانيا.

وفي عهد السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام تميزت العلاقات المغربية الإسبانية بتعدد وتشعب المشاكل بين البلدين نتيجة للحوادث اليومية التي كانت تقع بين القبائل المجاورة وحاميات الجيوب المغتصبة التي أصبحت لاتطيق الحصار المضروب عليها منذ قرون، في الوقت الذي كانت ترى كيف أن الجيوش الفرنسية بمجرد ما احتلت عاصمة الجزائر في منتصف سنة 1830 تمكنت من توسيع رقعة احتلالاتها بالقطر الجزائري، فكيف يعقل أن تظل إسبانيا مكتوفة الأيدي وقواتها محاصرة داخل أسوار سبتة ومليلية طيلة مئات السنين وهي ترى الأسطول الفرنسي يقنبل مدينتي طنجة والصويرة والجيوش الفرنسية تنتصر على القوات المغربية في معركة إسلي سنة 1260 / 1844 في حين أن اسبانيا هي التي "لها وحدها حقوق تاريخية" للسيطرة على المغرب !.

هذا ما كان يفكر فيه المستبد بالحكم في إسبانيا الجنرال نارفايث (Narvaez) الذي أراد أن تستغل الحوادث العديدة التي تقع على الحدود الوهمية للجيوب المحتلة، فوجه إلى سلطان المغرب إنذارا في شهر ربيع الثاني 1260 / ماي 1844 يطالب بجعل حد لتلك المشاكل، وذلك بالموافقة على توسيع رقعة الأرض المحتلة في كل من سبتة ومليلية، ويهدد في الإنذار بأنه سوف يستعمل "لغة المدافع" في حالة ما إذا رفض السلطان طلبه.

وكان جواب مولاي عبد الرحمان الرفض بالرغم من أن الظروف الصعبة التي كانت تجتازها البلاد لم تكن تساعده على اتخاذ مثل ذلك الموقف، حيث إن الحكومة الإسبانية بدأت غداة توصلها بالجواب تقوم باستعدادات عسكرية هائلة وحشد قواتها بالموانئ الجنوبية بمقاطعة أندلسيا (Andalucia) غير أن بريطانيا العظمى لم تكن ترى بعين الرضى نشوب حرب في منطقة البوغاز حيث توجد قاعدتها بجبل طارق، وهذا ماجعلها تتدخل في النزاع القائم بين إسبانيا والمغرب وتفرض على المغرب أن يستجيب لبعض طلبات إسبانيا حيث وقعت يوم 10 شعبان 1260 / 25 غشت 1844 الاتفاقية التى بمقتضاها حصلت إسبانيا على توسيع رقعة الأرض المجاورة لمدينة سبتة والتي تم تحديدها يوم 24 رمضان / 7 أكتوبر وعلى إثرها أبرمت الاتفاقية النهائية ليوم 28 ربيع الثاني 1261 / 6 ماي 1845.

لم تضع هذه الاتفاقية حدا للمشاكل المترتبة على الوجود الإسباني بالجيوب المذكورة، خصوصا بعد أن قامت إسبانيا باعتداء جديد على التراب المغربي باحتلالها جزر كبدانه والبرهان يومي 29 محرم وفاتح صفر 1264 / 8 و6 يناير 1848.

وقد احتج السلطان على هذا الاعتداء السافر على حوزة الوطن حيث طالب بانسحاب القوات الإسبانية من الجزر المذكورة، ولكن الحكومة الاسبانية لم تكتف بعدم الاستجابة لذلك الطلب بل إنها عندما رأت فرنسا تنال مبتغاها على إثر قنبلة أسطولها لمدينة سلا في شهر محرم 1268 / نوفمبر 1851 قامت يوم 6 ربيع الأول / 30 ديسمبر بإعداد مخطط يستهدف غزو المغرب واحتلال أراضيه على غرار ما فعلته فرنسا بأرض الجزائر غير أن الحوادث الخطيرة التي وقعت بالشرق الأوسط عل إثر إعلان روسيا الحرب ضد تركيا حالت دون تمكن الحكومة الإسبانية من تنفيذ مخططها مؤقتا. ونقول مؤقتا لأننا نجدها تفكر في تنفيذه من جديد بعد ثلاث سنوات حيث بدأت تحشد قواتها بالموانئ الجنوبية من بلادها في شهر شعبان 1260 / ماي 1854، وجيمع القرائن تدل على أنها كانت عازمة على تنفيذ مخططها لولا وقوع الحركة الانقلابية التي جرت بمدريد يوم 2 شوال / 28 يونيو برئاسة الجنرالين أودونيل O'donnell ودولثي Dolci واستمر جو التوتر يسود العلاقات المغربية - الإسبانية طوال أربع سنوات أي إلى أن تمكن الجنرال أودونيل من السيطرة على الحكم في بلاده يوم 18 ذي القعدة 1274 / 30 يونيو 1858 في عهد الملكة إيسابيل الثانية Isabel II وفي الوقت الذي كانت فيه الحالة الداخلية بإسبانيا جد مضطربة حيث لم يكن في استطاعة الجنرال المستبد أن يسطير على الحالة الراهنة في بلاده إلا بصرف اهتمام الشعب الإسباني وشغله بحرب خارج الوطن وهذا مايفسر الإنذار الذي وجهه إلى السلطان يوم 14 ربيع الأول 1275 / 22 أكتوبر 1858 يطالب فيه بجعل حد للمشاكل القائمة على الحدود المصطنعة بمدينة مليلية وذلك بتوسيع رقعة الأرض المحتلة هناك على غرار ما حصل عليه الجنرال نارفايث Navarez بخصوص سبتة سنة 1261 / 1845.

ولم تكن حالة المغرب آنذاك تسمح للسطان مولاي عبد الرحمان بالوقوف في وجه إسبانيا، وهذا ما جعله يريد أن يوفر على مملكته هزيمة مماثلة لهزيمة إسلي في حالة ما إذا قامت إسبانيا بغزو التراب المغربي انطلاقا من مليلية أو سبتة، الشيء الذي يفسر إبرام المعاهدة الإسبانية المغربية ليوم 25 محرم 1276 / 24 غشت 1859 التي بمقتضاها تمت الموافقة على توسيع الأرض المحتلة بمليلية.

وأخطأت التقديرات لأنه تبين من بعد أن الجنرال أودونيل لم يكن يسعى من وراء إنذاره ليوم 14 ربيع الأول 1275 / 22 أكتوبر 1858 الحصول على ما حصل عليه في المعاهدة المذكورة، بل إنه كان يحتاج إلى سبب يخوله حق إعلان حرب يشغل بها الرأي العام في بلاده، والدليل على ذلك هو أنه في الوقت الذي كان فيه ممثله بطنجة يتفاوض بخصوص المعاهدة كانت وزارة الدفاع الإسبانية تقوم بحشد قواتها بمقاطعة أندلسيا (Andalucia) وتعمل على كراء السفن من بعض الدول لنقل تلك القوات الهائلة إلى أرض المغرب.

ودليل آخر على ذلك هو أن حكومة أودونيل قد استغلت حادثا بسيطا وقع على حدود سبتة على إثر بناء مخفر هناك لتُوجِّه إلى السلطان ابتداء من شهر محرم 1276 / غشت 1859 إنذرات وتهديدات بالحرب في حالة ما إذا لم يوافق على مزيد من التوسع في الأرض المحتلة بضواحي المدينة المذكورة.

ومرت عدة أسابيع في القيل والقال إلى أن توفي مولاي عبد الرحمان فاستغلت حكومة مدريد ذلك لإعلان الحرب ضد المغرب يوم 25 ربيع الثاني 1276 / 22 أكتوبر، هذه الحرب التي اعتبرتها الأبواق الاستعمارية الإسبانية حربا صليبية جديدة حيث قيل للملكة إيسابيل الثانية إنها هي التي قُدر لها أن تكون المنفذة لوصية إيسابيل الأولى التي كان قد مر عليها أكثر من ثلاثة قرون ونصف.

وفي يوم 23 ربيع الثاني 1276 / 19 نوفمبر 1859 غزت القوات الإسبانية أرض المغرب انطلاقا من مدينة سبتة، بعد وقوع عدة معارك انهزمت فيها القوات المغربية احتلت الجيوش الإسبانية مدينة تطوان يوم 6 رجب 1276 / 6 فبراير 1860.

وكان في استطاعة إسبانيا أن تحتل كذلك مدينة طنجة لولا وقوف بريطانيا العظمى في وجهها وإرغامها على إبرام الصلح مع المغرب يوم 4 رمضان 1276 / 26 أبريل 1860. تم التوقيع على معاهدة كانت تتضمن شروطا مملاة من دولة منتصرة على دولة منهزمة، لأن إسبانيا نالت بمقتضى المعاهدة المذكورة مالم تنله قط من قبل، وقد تلت هذه المعاهدة معاهدتان أخريَان وقَّعهما الأمير مولاي العباس أثناء سفارته بمدريد يومي 25 ربيع الثاني / 30 أكتوبر و17 جمادى الأولى 1278 / 20 نوفمبر 1861، هذا بالإضافة إلى أن الحرب المذكورة كلفت خزينة المغرب عشرين مليون من الريالات التزم السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بادائها كتعويض لخسائر الحرب الإسبانية.

ونشأت إثر تطبيق هذه المعاهدات الثلاث مشاكل جديدة بين الدولتين لأن الفصل الثامن من المعاهدة الأولى جعل المشاكل القائمة، بين إسبانيا والمغرب تمتد إلى المناطق الصحراوية المغربية بسبب تعهد السلطان بمنح إسبانيا قطعة أرض هناك بالمكان الذي كان يوجد به البرج المعروف بسانطا كروث ذي مار بيكينيا Santa Cruz de Mar Pequenã أي الصليب المقدس للبحر الصغير.

وليس من المبالغة أن نقول إن قضية هذا البرج كانت هي محور العلاقات المغربية الإسبانية في عهد السلطان مولاي الحسن الأول، خصوصا بعد أن أقدمت الحكومة

الإسبانية على القيام باعتداء جديد على التراب المغربي عندما أصدرت يوم 8 ربيع الأول 1302 / 26 ديسمبر 1884 مرسوما يقضي ببسط حماية إسبانيا على جزء من الصحراء المغربية الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض.

ومما يدل على أن إسبانيا كانت تخطط لغزو المغرب في أول فرصة تراها مناسبة، أنها عندما علمت بمرض السلطان مولاي الحسن الأول أخذت تحشد قواتها في الموانئ الجنوبية من ترابها خلال شهري ذي الحجة 1304 ومحرم 1305 / سبتمبر وأكتوبر 1887. وفي شهر ربيع الأول (نوفمبر) قامت باحتلال جزيرة الثورة المعروفة بجزيرة المعدنوس، غير أن القوات المغربية أرغمت القوات الإسبانية على الانسحاب .

وبعد ثلاث سنوات وقعت حوادث مليلية الأولى التي كانت بداية الحرب التي اندلعت هناك من شهر ربيع الأول إلى شهر رجب 1311 / من سبتمبر 1893 إلى يناير 1894 بسبب المحاولة التي قامت بها إسبانيا من أجل إحداث تغيير في الحدود المصطنعة. ومما يدل على أن الحكومة الإسبانية كانت تريد غزو المغرب انطلاقا من مليلية (كما فعلت سنة 1276 / 1860 انطلاقا من سبتة) أنها أخبرت الدول الأوربية بعزمها على أخذ "حقها" بالقوة فأرسلت إلى المدينة المذكورة عشرين ألفا من الجنود برئاسة الجنرال مارطينيث كامبوس Martinez Campos.

لم يكن الوضع في المغرب يسمح بخوض حرب جديدة مع إسبانيا، فكان على مولاي الحسن الأول أن يسلك الليونة حيث انتهى الأمر بإبرام معاهدة مراكش ليوم 27 شعبان 1311 / 5 مارس 1894 والتي التزم فيها السلطان بأداء تعويض مالي قدره أربعة ملايين من الريال. ولم تتمكن الخزينة المغربية من أداء المبلغ المذكور في عهد السلطان مولاي الحسن ولذلك ما إن خلفه مولاي عبد العزيز حتى وجهت له الحكومة الإسبانية إنذاراً تطالب فيه بأداء المبلغ وتنفيذ مااتفق عليه في معاهدة مراكش بخصوص تعديل الحدود المصطنعة بكل من مليلية وسبتة، ومن أجل الوصول إلى حل سلمي للمشكل بعث السلطان إلى مدريد في شهر شعبان 1312 / فبراير 1895 سفيره الحاج عبد الكريم بريشة الذي لم يستطع أن يحصل على تخفيض في قيمة التعويض الحربي إلا بعد أن لطمه جنرال إسباني عندما كان يتوجه إلى ملاقاة الملكة الإسبانية ماريا كريسطينة (Maria Cristina)

وفي سنة 1313 / 1896 كان الجميع يتوقَّعُ حدوث حرب أوربية بسبب النزاعات القائمة بين فرنسا وألمانيا وبين فرنسا وبريطانيا العظمى وبين فرنسا وإيطاليا وبين روسيا وبريطانيا، وحيث إنه كان من المنتظر أن تظل إسبانيا في الحياد فقد اقترحت الحكومة الإسبانية على كل من فرنسا وبريطانيا أن تقوم هي باحتلال مدينة طنجة لتضمن حرية الملاحة عبر البوغاز، ظناً منها بأن هذه الحيلة ستتيح لها فرصة تحقيق نواياها التوسعية بأرض المغرب برضى الدولتين اللتين كانتا تتنازعانها في ذلك. وفي هذه الأثناء كانت إسبانيا تتفاوض مع فرنسا من أجل اقتسام الصحراء المغربية فيما بينهما، وبعد أربع سنوات توصلا إلى حل المشكل القائم بينهما بإبرام معاهدة باريس ليوم 28 صفر 1318 / 27 يونيو 1900 والتي بمقتضاها اعترفت فرنسا بـ "حق" إسبانيا في بسط نفوذها على مقاطعة وادي الذهب الممتدة من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض، فكانت هذه هي المعاهدة الأولى المبرمة بين الدولتين المذكورتين بخصوص اقتسام المغرب، تلتها محادثات جرت في سنة 1320 / 1902 من أجل إبرام معاهدة ثانية لم تتجرأ إسبانيا على توقيعها خوفا من انكلترا.

وهذا التقهقر لم يمنع الحكومة الإسبانية من مدِّ يد المساعدة للثائر بو حمارة عندما ثار بالناحية الشرقية من المملكة، والدليل على تواطؤ حاكم مليلية معه هو أن بو حمارة اختار في آخر مطافه قصبة سلوان القريبة من مليلية ليجعلها مقرا له يسهل عليه فيه الحصول على ما كان يحتاج إليه من سلاح وعتاد لمحاربة القوات المخزنية من سنة 1322 / 1904 إلى سنة 1326 / 1908.

وفي يوم 23 رجب 1322 / 3 أكتوبر 1904 أبرمت المعاهدة الإسبانية الفرنسية الثانية بخصوص اقتسام المغرب بين الدولتين والتي بمقتضاها اعترفت فرنسا بـ "حق" إسبانيا في بسط نفوذها على شمال المغرب من وادي ملوية إلى وادي لوكس وعلى المنطقة الجنوبية الممتدة من رأس غير (أگادير) إلى رأس بوجدور حيث أصبح من "حق" إسبانيا احتلال الأراضي المغربية الممتدة من أگادير إلى الگويرة.

وعندما فكرت الدول الأوربية في عقد مؤتمر يقرر فيه التدخل الأجنبي في شؤون المغرب الداخلية، وقع الاختيار على مدينة الجزيرة الخضراء لينعقد فيها ذلك المؤتمر الثاني حول القضية المغربية، وذلك لأن المؤتمر الأول الخاص بقضية الحماية القنصلية بالمغرب كان قد انعقد هو الآخر بالتراب الإسباني بمدريد سنة 1297 / 1880.

انعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء من يوم 20 ذي القعدة 1323 / 16 يناير إلى يوم 12 صفر 1324 / 7 أبريل 1906 حيث وقع الاتفاق على احترام الوحدة الترابية المغربية تحت سيادة السلطان، وهذا لم يمنع الحكومة الإسبانية من الاشتراك مع الحكومة الفرنسية في الاعتداء على مدينة الدار البيضاء في شهر جمادى الثانية 1325 / غشت 1907 ومن احتلال جزيرة بوعرگ بالقرب من مليلية يوم 11 محرم 1326 / 14 فبراير 1908، ومن الاستيلاء على رأس سيدي البشير بالقرب من مصب وادي ملوية يوم 8 صفر / 12 مارس من نفس السنة، ومن غزو التراب المغربي انطلاقا من مليلية في شهر جمادى الثانية 1327 / يوليوز 1909 ومن احتلال مدينتي العرائش والقصر الكبير يومي 10 و12 جمادى الثانية 1329 / 8 و10 يونيو 1911.

نتج عن هذه الاعتداءات المتوالية على حوزة الوطن إبرام المعاهدة الثالثة بخصوص اقتسام المغرب بين فرنسا

وإسبانيا والتي وقعت بمدريد يوم 17 ذي الحجة 1330 / 27 نوفمبر 1912.

وخلاصة القول أن العلاقات بين إسبانيا والمغرب طيلة أربعة قرون ونيف كانت علاقات توتر وحرب سببها الأطماع التوسعية الإسبانية بأرض المغرب الناتجة عن إصرار إسبانيا على تنفيذ وصية الملكة إيسابيل الكاثوليكية المشؤومة، في حين كان المغرب مصراً هو الآخر على عدم السماح بتنفيذها مهما كلفه ذلك من متاعب وتضحيات وخسائر، ففي المدة المتراوحة بين سنة 897 / 1492 وسنة 1330 / 1912 لم تكتس تلك العلاقات طابعا سلميا نوعا ما إلا من سنة 1181 / 1767 إلى سنة 1188 / 1774 ومن سنة 1205 / 1791 إلى سنة 1276 / 1859.

والغريب هو أنه بعد انتهاء عهد الحماية سنة 1956 واعتراف إسبانيا باستقلال المغرب وتعهدها باحترام الوحدة الترابية المغربية يوم 25 شعبان 1375 / 7 أبريل 1956 عادت إسبانيا إلى سيرتها القديمة في معاكسة المغرب على استكمال وحدته الترابية حيث إنها لم تسلم له منطقة طرفاية إلا يوم 20 رمضان 1377 / 10 أبريل 1958 وذلك بعد إرغامه على توقيع اتفاقية سينطرا (Cintra) ليوم 11 رمضان / فاتح أبريل من نفس السنة، ولم تسلم له منطقة إفني إلا يوم 14 ربيع الثاني 1389 / 30 يونيو 1969 وذلك على إثر معاهدة فاس ليوم 14 ذي القعدة 1388 / 4 يناير 1969، كما أنها لم تعترف بمغربية الصحراء الغربية (الساقية الحمراء ووادي الذهب) إلا يوم 10 ذي القعدة 1395 / 14 نوفمبر 1975 حيث وقعت اتفاقية مدريد.

وأما الجيوب الواقعة بشمال المغرب وهي مدينتا سبتة ومليلية وجزر كبدانة وبادس والنكور والبرهان فإن إسبانيا مازالت مصرة على الاحتفاظ بها ترفض إعادتها إلى الوطن الأم بدعوى أنها تكون جزءا لايتجزأ من التراب الوطني الإسباني، في حين أنها هي التي كانت تعترف بمغربيتها عندما كانت تحتل شمال المغرب في عهد الحماية.

م.ابن عزوز حكيم، *لماذا نطالب باسترجاع مدينتي سبتة ومليلية ؟* تطوان 1979 ؛ *سبتة ومليلية في عهد الحماية*، الرباط 1988 ؛ تراجع البيبلوغرافيا المفصلة في آخر الكتابين المذكورين.

محمد ابن عزوز حكيم

**استعمار**، إن المغرب نظرا لموقعه الجيو - استراتيجي بين جميع القارات، ونظرا لاندماجيته المحتومة بين شعوب وبلدان العالم القديم (المتوسطي)، وما تتبطنه جباله وأراضيه من معادن وخيرات وما يمتاز به، فضلا عن كل ذلك، من تعددية المناخ واعتداله عموما، وما له من إمكانات ومجالات فلاحية... كان دائما ومنذ القدم، محط الأطماع الخارجية والتكالبات الهيمنية. إنه مسرح للمد والجزر بين شمال البحر المتوسط وتأثيرات الشرق، وكانت بذلك سياسته وتاريخه وثقافته بوجه أشمل مصبوغة ومطبوعة بهذا القدر المتكرر، إن نشاطه الدبلوماسي والسياسي، وتبادلاته الثقافية والتثاقفية تُلخص بناء على هذا، في اتجاهين رئيسيين تكون جوهر تفاعلاته وانفعالاته وأفعاله : اتجاه عمودي يخرق إفريقيا وأوروبا، واتجاه أفقي عابر لشمال إفريقيا نحو البلاد المشرقية. إن المغرب بذلك شجرة متجدرة في إفريقيا، تلفها تأثيرات المشرق (الإسلام ... ) وعواصف أوروبا (الاستعمارات المثاقفة). وإن تقاطع الاتجاهين في الهوية المغربية هو ما يشكل اليوم واقعا له مكانته داخل الذات المغربية.

ليس همنا، أن نقوم بجرد تاريخي لكل الاستعمارات القديمة التي مرت بأرض المغرب، وإنما نلمح هنا إلى أن تلك الهيمنات الخارجية لا تزال بصماتها، إلى حد ما، واضحة المعالم، وإن تم إدماجها واستيعابها من طرف هوية مغربية، وأصبحت بذلك من البديهيات التي لا تلفت الانتباه.

لقد عرف المغرب، ككل الحضارات الإنسانية، مراحل وهن اتسمت بالضعف ومراحل قوة وانتعاش، وكثيرا ما استغلت المراحل الأولى من طرف «الآخرين» لبسط نفوذهم واستغلالهم للبلاد. لقد أتى الفينيقيون إلى المغرب الأقصى وأسسوا مرافئ للتجارة، وأثروا من خلال تفاعلاتهم مع مراكز حضرية متفتحة على البحر. وتأثروا بدورهم بخصوصيات محلية، وخلفهم فيما بعد القرطاجنيون الذين مكثوا بشمال إفريقيا إلى حين انهزام قائدهم "هانيبال" أمام الرومان (146 ق.م). إن الاستعمار الروماني المؤسس على استغلال الأرض والإنسان هو أول استعمار حقيقي للمغرب، لأنه قد جعل من المغرب مخزن حبوب روما "Grenier de Rome"، وحاول أن يدمج ويحتوي السكان البرابرة ثقافيا ودينيا. ورغم كون الرومان لم يتوغلوا في داخل البلاد ما وراء "الليمس" Limes فإن تأثيرهم لم يتجاوز المناطق المطلة على البحر إلا نادرا، وذلك بتعاملهم مع زعماء محليين. لقد ساهم المغاربة الأفارقة في الحضارة الرومانية (القديس أوغسطين، أبولي Apulée، أفلوطين Plotin، زعماء عسكريين...) ؛ لكن المغاربة، مع كل ذلك لم يرتاحوا قط لكل أنواع الاستغلال، والنهب الذي خضعوا له وأرضهم.

بعد ضعف الرومان وأفول نجمهم، تعاقب على استعمار المغرب الوندال والبيزنطيون الذين ساروا على نهج الرومان؛ إلا أن الفتح الإسلامي، واندفاع البرابرة في نشر الإسلام الذي ساعد على اضمحلال وتدهور البيزنطيين والروم عموما، (وذلك مما هو في صالح البرابرة)، قد ساعدهم على إجلاء الاستعمار المسيحي من بلادهم وأحسوا من خلال تجاوبهم مع تعاليم الدين الحنيف الذي هو ثورة إنسانية في زمانهم، أن كرامتهم منسجمة مع كل ما جاء في الكتاب المقدس. وبفضل ما أمدهم الإسلام من سنن وقوانين تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية، أصبح المغاربة، بعد مجيء المولى إدريس، يحققون كيانهم وخصوصيتهم واستقلاليتهم، وفتحوا باسم الدعوة الإسلامية نفسها، أيام قوتهم وعزتهم تخوما بعيدة عنهم، جنوب الصحراء وبلاد الأندلس.

ثم عاد التنصير الروماني مرة أخرى، كالمد، باسم الحروب الصليبية ليحتل جيوبا شواطئية بالمغرب أيام أصيب المغرب بوهن ظرفي، ولقد قام الشرفاء السعديون والعلويون فيما بعد، بمحاربة ذلك التنصير الإديولوجي بكل الأساليب الحربية والدبلوماسية رغم كون أوروبا أصبحت منذ القرن الخامس عشر تتضح قوتها ونواياها الاستعمارية بكل جلاء، إن الاستعمار الأوروبي هو حلقة من حلقات الصليبية والميركانتيلية والرأسمالية التي فتحت أجواء لبروز حركة متحمسة لاحتلال بلدان ما وراء البحار مع العصر الإمبريالي (1878 ـ 1880) أفضت إلى الاستعمارات الفعلية والحمايات الحديثة (1880 ـ 1912 / 1956).

محاولة تحديد مفهوم الاستعمار (Essai de définition) : «إن الاستعمار كما يُعتقد، ليس إلا جانبا من جوانب الغزو، ويعني في الوقت ذاته الاستسلام والخضوع Soumission لقوة مسلحة. إن تأسيس وامتداد المستعمرات ليس إلا نمطا من أنماط العنف Violence الذي سنبين في مسار هذه الدراسة مظاهره وتجلياته في حالة المغرب الذي تعرض لتأثيرات الظرفية الاستعمارية من 1900 إلى 1955 / 1956. إنه من المتعذر الكلام عن الاستعمار دونما تركيز على جوانب الغزو والعنف. كيف يمكن لباحث ما أن يقارب ظاهرة التهدئة القبلية (1900 ـ 1934) مثلا بغض الطرف عن تلك الجوانب؟ ليس هناك استعمار بدون غزو عنيف يتوخى الاحتلال بجعل الحرب هدفا في حد ذاته» (René Meunié, *social*. Coll, 1932, p. 18) إن الاستعمار يعني بصريح العبارة، خدمة وإعداد الأرض من طرف المعمرين Colons الأوروبيين، وبواسطة أياد عاملة أهلية Indigéne (العبيد المستخدمون، العمال الفلاحون) ولمدة طويلة من تاريخ الاستعمار لم يتم تجاوز هذا المنظور للاستعمار نظرا لارتباطه أصلا بالاستغلال العقاري والفلاحي.

أما فيما يخص تصنيف المستعمرات ذاتها، فيرى «رونيه مونيي» (1932) أن بالإمكان تمييز نوعين من المستعمرات، من خلال تاريخ الاستعمار نفسه. هناك ما يمكن أن نسميه بمستعمرات التعمير أو الإسكان، وهي في العادة توجد بمناطق تشبه إلى حد ما، ومن حيث مناخها، مناطق أوروبية إنها مستعمرات تشجع على التعمير السكاني أي على الهجرة .

إن الاستعمار بهذه البلدان يظل دائما من بين الأعمال المنوطة بالأقليات المتْرُبولية، التي تشبه الخميرة "Ferments" التي تدخل بين الكتل الأهلية، إنه إنجاز الآلاف وليس الملايين(R. Meunié, 1932, *ibid*, p. 24) إن المغرب يدخل ضمن هذا الصنف من المستعمرات لأنه بلاد متوسطية، كان موقعها الجغرافي بالنسبة لأوروبا يغري كل المستثمرين ماديا ومعنويا، وقد كان نظراً لمنافسات دولية أمبريالية آخر مسألة لم يتم معالجتها وتجاوزها بالنسبة لفرنسا إلا بعد تقديم تعويضات وتنازلات دبلوماسية واقتصادية بافريقيا (ليبيا لإيطاليا / مصر للأنجليز / الكونغو للألمان / الصحراء المغربية ومنطقة الشمال لإسبانيا).

وهناك نوع ثان من المستعمرات هو ما يسمى عادة في الأدبيات الكولونيالية بمستعمرات الاستغلال Colonies d'exploitation وهي موجودة، عادة، بمناطق استوائية ومدارية رطبة وحارة لايسمح مناخها بالهجرة الإنسانية. إنها كما يرى جورج هاردي مستعمرات للتأطير Colonies d'encadrement، يوجد بها أوربيون قليلون، يحكمونها أو يتاجرون بها إلاّ أن المُزارع يكون دائما من بين الأهالي Les indigènes. إن حياة المعمِّر Colon بهذه البلدان الأخيرة مرهونة بما يؤديه الأهلي من خدمات. ولعل جل المستعمرات الإفريقية من هذا الصنف.

الاستعمار كعنف Violence : جدلية البنية Structuration وإعادة البنية Restructuration وتحطيم البنية Destructuration.

1. العنف العسكري : استهدف العنف العسكري والإداري للاستعمار (1900 ـ 1934) القضاء على أواصر المقاومة التي تتزعمها القبائل، لذا بادر الاستعمار خلال التهدئة إلى عملية تحطيم القبيلة Détribalisation وتفكيك الأطر الاجتماعية القديمة داخلها مثل "إخْص" "Ikhs" (العظم)، بتشجيع وغرس النزعة الفردانية individualisme المنافية كلية لكل الروح الجماعوية L'Ame communautaire والأسس السياسية الديموقراطية لمؤسسة "الجماعة" كإطار لبلورة الشورى الاسلامية (تشويه مؤسسة الجماعة القبلية وإفراغها من محتواها التمثيلي الحقيقي...) والمنافية كذلك لكل ما تتطلبه مظاهر الاقتصاد المعتمد على التعاضد والتضامن الاجتماعيين الذين يؤطران عملية الانتاج والاستهلاك معا. إن ذلك العنف الاستعماري الذي مُورس على التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية المغربية قد اخذ مظاهر وتجليات أخرى أدت إلى زعزعة التوازنات التقليدية. واضطلع هذا العنف بعدد من الوظائف أدت كلها إلى الحركية البدائية لقوة العمل، فنشأت منذ سنة 1898، مجموعة تضم رجال المال والأعمال بغرض احتلال المغرب. وقد عبر أحد رؤساء هذه المجموعة (التجمع أو الحزب الكولونيالي) أوجين إتيين Eugène Etienne بصراحة عن رغبة المجموعة في "تونسة" Tunisification المغرب بالقوة إذا اقتضى الأمر ذلك : «إن عدم تهيئة أنفسنا لدعم نشاطنا السلمي الشرعي الذي يؤهلنا وضعنا لممارسته في المغرب عن طريق القوة، معناه جهل التاريخ». وفي ادبيات ودعايات جريدة هيئة إفريقيا الفرنسية (B.C.A.F) نجد ما يحرض على مثل هذه المبادرات، كما أن "الماركي ذي سيغونزاك" Le Marquis Segonzac في معرض مقدمة كتابه (*رحلة الى سوس* : *Excursion au Sous*" 1901")، خاصة أثناء تناوله للمسألة المغربية Question Marocaine ينصح بضرورة غزو المغرب بالعنف والقوة. وفي 1902، نجده لايزال يلح ويشدد على

ذلك النهج التدخلي":لكي ينهار المغرب لابد من القضاء عليه، وهذا الوضع لن يرهبنا" (Cité par A. Ayache, *Le Maroc, bilan...*, 1956, p. 61)

إن نهاية المرحلة الامبريالية مع (1912 / 1914). كانت تستلزم تطورا جديداً في وسائل وطرق نهب الشعوب المستضعفة، وكان العنف الية من آليات إرساء دعائم الاستغلال المباشر(الاستعمار). إن روجيه هومو Roger Homo يشير إلى هذا المغزى البرجماتي مؤكدا بأن الحرب في المستعمرات "ليست هدفا بذاتها، إذ لا ينبغي للجيوش أن تكون أكثر من الوسيلة الاخيرة لفرض النظام، فكل معركة تنطوي على مغزى وغاية سياستين".

2 . العنف الإداري : لقد ارتبط هذا العنف الاداري منذ بدايته بمحاولات استقطاب القبائل الحدودية المغربية في منطقة الجنوب الوهراني ؛ ولقد أدى تأسيس مراكز عسكرية لمراقبة التحركات القبلية وتأمين تجارة القوافل وبعثات الاستكشاف إلى إرساء نوى (جمع نواة) إدارية فيما بعد، وكانت مسألة انشاء الشرطة الحدودية، ومد الطرق الحديدية من 1900 إلى 1907، التي رافقتها من الامور التي خلقت توترات بين تلك القبائل والاستعمار من جهة وبينها والمخزن، الذي لم يعد بفعل افتعال السيبة وتحريضها من طرف الاقامة الفرنسية بالجزائر يتحكم فيها. إن ذلك ما أبان عن ضعف المخزن وعجل استنزافه بتوريطه في قضايا تتطلب غرامات متكررة وعديدة، إن افتعال السيبة، بهذا الشكل، كان من بين الدواعي التي أرغمت المخزن تحت ضغوط متعددة، على قبول سياسة التعاون حوالي 1902 رغم ما نجم عن احتلال توات من توترات دبلوماسية، وإن العنف الاداري قد ادى إلى تفكيك الكيانات القبلية وبترها، بحيث كان لمسألة الحدود وطرح مشكل السيادة اثر فجائي وعنيف على تقسيم الجماعات الانسانية التقليدية على الدوائر والمراكز الادارية، بل وحتى على البلدين المجاورين المغرب والجزائر. ففي المغرب، كما حصل في افريقيا الفرنسية كلها، استفيد من أدوات السيطرة من الدوائر السياسية من أجل تسهيل إعادة توجيه البنى القديمة توجيهاً يؤدي إلى إخضاعها إخضاعًا مباشراً للرأسمالية في المتربول ؛ وكان مركزا فگيگ ووجدة بالمغرب الشرقي من 1903 إلى 1907 / 1912، ومنطقة طنجة بالشمال، والشاوية 1907 إلى 1912 قبل الحماية قد لعبت دورا حاسما في ذلك الاستقطاب الرأسمالي للقبائل، وكان ذلك، حسب دوتي (1911) إحدى الوسائل المهمة للتعجيل بتهيئ برنامج سياسي اقتصادي للتدخل السلمي، «إنه لا يمكن إدراك سيرورة تحرير قوة العمل في المغرب دونما عودة إلى التنظيم الذي فرضته الدولة الاستعمارية، إذ حل محل الدولة المركزية التي كانت ملزمة بقبول مبدأ الاستقلالية النسبية للقبائل، دولة استعمارية مطلقة، كان هدفها الرئيسي يكمن في فرض اندماج البنى القديمة (بشكل تابع ومشوه) في أسلوب إنتاج جديد ناضج قادم من الغرب" (جمال الدين التباع، *تفكك البنى*.... م. مذكور 1987، ص. 60) ألم يكن الاستعمار نفسه علاوة على ما يتضمنه من غزو وعنف منذ بدايته إلى نهايته، تحولا للحماية القانونية والإصلاحية التي ينص عليها أساسًا عقد الحماية، إلى إدارة مباشرة سرعان ما أبانت عن نيات سيئة ومجازفات لم تعد تتمشى مع مصالح الفئات التي تعاطفت مع الحماية 1912 ؟ إذا كانت الحماية هي ما اصطلح على تسميته بالإدارة الغير المباشرة واللامركزية، فإن الأمر الواقع والعمل الفعلي قد ابان منذ نهاية الحرب العالمية الأولى (1918) وخاصة مع ذهاب ليوطي (1925) عن تحول الحماية، بهذا المعنى إلى استعمار واضح توازى مع العمل العسكري التهدئوي وإرساء الدعائم الاساسية للاستعمار العقاري (1919) داخل القبائل نفسها، وعاش المغرب منذ احتلاله في حالة حصار.

3 . العنف الاقتصادي : ليس الاستعمار مقتصراً على المعمرين والعسكريين فحسب، إن بجانبهم ومن ورائهم رجال أعمال وأصحاب أبناك ومضاربين «فمع سنة 1903، أنشئت هيئة المغرب بباريس بدافع من حيوية النائب الوهراني، أوجين إتيين Eug. Etienne، شارك فيها البنوك وكبار الشركات المهتمة بالمغرب (الكبير) "Maghreb" (P.Guillen, *Les milieux d'affaires français et le Maroc à l'aube du XXe siècle*, in Rev. d'hist., Avril - Juin 1963, pp. 397-422).

ولعل أزمات 1906/1905،1911/1909، تشكل خصوصا، تعبيراً عن مخاض ساعد على البحث والخروج باجماع محدد واضح المعالم بين البنوك العالمية، حتى تتمكن بالتالي كل منها، من المساهمة في القروض الخاصة بالاستغلال المنجمي والمزايدة Adjudication التي تهم الأشغال العمومية. بمجرد الوصول إلى الاتفاق، اصبحت مسألة تحمل المسؤوليات السياسية مسألة ثانوية، بدت على الأقل، ظرفية (A. Laroui, *Hist. du Maghreb*, T. II, p. 106, 1970) إن الديون السلطانية لسنة 1904 (62،5 مليونا) و1910 (101 مليون) قد مُنحت من طرف التجمع البنكي Consortium de Banques ؛ وفي سنة 1913 صادق البرلمان الفرنسي على منح إدارة الحماية فرصة إصدار قرض خاص لإخماد ذلك الدين. بعد ذلك تتابعت المصادقات والرخص : 1914 (170 مليون) 1916 (70 مليون إضافية)، 1920 (744 مليون) 1928 (819 مليون). كل النشاط الاقتصادي المغربي أصبح معلقا تماما بهذه الترخيصات. إن الديون المضمونة من طرف الحكومة الفرنسية والمقدمة فوائدها من طرف الميزانية المغربية - كانت مرصودة لتمويل الأشغال العمومية الكبرى (المواني، والسكك الحديدية) غالبا ما تمنح للشركات الفرنسية الكبرى (Hersent, Schneider ...) ؛ رغم شروط معاهدة الجزيرة الخضراء ويقظة الأنجليزيين والأمريكيين. وبالضبط، لكي لا يضطر ليوطي Lyautey. بالاعتراف لألئك بحق

المشاركة في استغلال الفوسفاط، الذي اكتشف حوالي 1907. بمنطقة مراكش، عمد المقيم العام من 1912 إلى 1925 إلى تأسيس المكتب الشريف للفسفاط سنة 1920 ؛ ولم يكن الهدف هنا ـ كما يقال دائما ـ هو الدفاع عن حقوق الدولة المغربية (A. Ayache, *Le Maroc, Bilan...* 1956)

إن الشركات الفرنسية الكبرى، قد بسطت أياديها أيضا، خلال فترة ليوطي، وفيما بعده، على مساحات شاسعة من الأراضي، ويمكننا أن نتساءل مع عبد الله العروي : ما هو المعنى الذي يجب منحه لهذه الصدارة التي أعطيت لرجال الأموال بالمستعمرات المغاربية ؟ إن الرأسمال الضروري لتجهيز البلاد قد مُنح إما من طرف التوفيرالفرنسي وإما من طرف ميزانيات فرنسا والبلدان المغاربية ؛ ومع ذلك فهو مسيَّر بواسطة ابناك وبدون التعرض لأي خطر، إن الفائدة intérêt تدفع من طرف الميزانيات المغاربية، في حين يُضمن السلف من طرف الدولة الفرنسية (المتربول)، لكن كلفة Coût الاشغال ليست دائما مضبوطة لأن المنافسة بين المتنازلين المحتملين Concessionnaires potentiels لا تؤدي علميا أي دور، نظرا للتأثير المحدد لبعض الشركات الفرنسية الكبيرة بشمال إفريقيا. وبماأن الابناك تسيطر أكثر فأكثر على القطاع الأوربي، فإن جانب المضاربات قد طغى على المناحي الإنتاجية، إن ذلك القطاع، أصبح بالتالي أكثر قابلية للعطب والتأثير السلبي ؛ وتطلب بذلك حاجة إلى دفاع وحماية الإدارة الفرنسية : الأسعار تابعة للسوق الداخلية المحلية المغاربية؛ الكلفات محفظة بواسطة الاعفاءات الضريبية والحد الادنى لمستوى الأجور، الذي احتفظ به عن طريق ممارسة العنف،(A. Laroui, *ibid*, 1976, p.107) ففي الوقت الذي أصبح فيه هذا الجانب المالي اساسيا، كان القطاع الاقتصادي، الذي يقدم على أنه قطاع عصري وناجع مدعماً أكثر فأكثر من طرف الاقتصادين الفرنسي والمغاربي، بواسطة الإعانات المالية الممنوحة، مما أعطاه صبغة الاصطناعية ذات الطابع السياسي، ويقدر ما يتضح هذا الاتجاه، تتبدل وضعية ومكانة المستعمرة الخارجية. إنه ينتقل من البوادي ليتمركز بالمدن، ويغطي بذلك القطاع الثالث : إن عدد الوسطاء والموظفين، يسحق عدد الملاكين الحقيقيين، إلا أنه في الفترة التي أحس بها هؤلاء الوسطاء والمستخدمون بأهميتهم، وبمدى ثقل السيطرة المنزلة عليهم، بدأوا يطالبون بضرورة التمتع بالسلطة السياسية التي لابد أن يحظوا بها وحدهم مع إرجاع مركز الثقل وتحويله من باريس إلى البلاد المغاربية نفسها (A. Laroui, *ibid*, 1976, p. 108). وبعد 1930 عرف الاقتصاد المغربي في ظل الاستعمار نماءً كميا، إذ توافدت الملايير من الخارج لتوظف بالمغرب، بعدما أصبحت القاعدة العقارية واسعة أكثر من ذي قبل بواسطة تشجيع النهب والتسجيل العقاري واستغلال الأراضي المشتركة للقبائل. إن كل الحظوظ التي أعطيت للمتربول للحفاظ على وجوده بالأرض الإفريقية قد قلصت من ناحية أخرى كل إمكانية تحقيق الاستقلالية من طرف المستعمرة La Colonie لأن هدف الاستعمار كان هو النهب والابتزاز ومقاومة كل التغيرات والمتغيرات التي تلتقي مع رغبة الخروج من وضعية التبعية الشاملة.

4 . العنف السياسي : لم يكن هدف الاستعمار هو نقل القيم الديموقراطية والانسانية في حد ذاتها، الى المستعمرات والشعوب المخالفة Les peuples différents كما كان يتبجح بذلك الخطاب الايديولوجي والدعائي المبرر للوجود الاستعماري نفسه. إن هدف الرأسمال على حد تعبير"روزا ليكسمبورغ" Rosa Luxembourg هو «ابتزاز المجتمعات البدائية من وسائل انتاجها، واخذ قوى العمل منها، وتحويلها إلى زبناء إنتاجاته (Cité par Med. Salahdine, *Le Maroc* 1985, p. 129) إن ما يسمى عادة بالرسالة الحضارية والانسانية لأروبا كان فقط وسيلة من وسائل المبررات التي رافقت عمل الغزو، وساعدت على تمويه الجوانب اللا منطقية واللا إنسانية فيه، في أعين الأهالي والرأي الدولي المتربولي. إن العنف السياسي للاستعمار كان يتحمور أساسا حول القمع والردع وذلك ماكان يستجيب له عمل المراقبة Contrôle والضبط الاجتماعي Régulation sociale اللذين كان ليوطي دائما يلح عليهما باستمرار.

الأساس العقاري للاستعمار الفرنسي بالمغرب : إن الاستنفاع بتراكمات التجربة الاستعمارية «المتروبولية» والكونية ضرورية بالنسبة للإقامة العامة الفرنسية بالمغرب، وقد حملتها معها شخصيات لها اضطلاع بالمسائل الكولونيالية بآسيا وافريقيا والشرق الاوسط، وكانت التجربة التونسية والجزائرية خصوصا، سنداً جوهريا واساسيا بالنسبة للادراة الاستعمارية بالمغرب الاقصى فيما يخص تنظيم الحماية واستثمار الارض.لقد تم نقل تجربة قانون "وارنيي" Loi Warnier التي تم التصويت عليها 1873 وتعديلها على التوالي سنة 1887 و1897 بالجزائر إلى بلاد المغرب (A. Laroui, *Hist. du Maghreb*, T. II, 1970 et 1976, p. 102) وكان قانون "وارنيي" تعبيراً حقيقياً على نوايا النزعة الاستعمارية التي يجسدها ويفصح عنها بكل جلاء انتزاع الاراضي بالقوة من الأشخاص والقبائل. «ويتعلق أحد الظهائر التي أصدرت تحت ضغوط الإدارة الجديدة (الاستعمارية) بالمغرب (بمسألة) التسجيل العقاري 12 غشت 1913 ؛ الذي فتح المجال للتصديق على تملك 30000 هكتار بنواحي وجدة والدار البيضاء خلال 1907 ـ 1912، عندما فر أصحابها الشرعيون أمام زحف الجنود الفرنسيين. وفي سنة 1916 تم إنشاء هيئة الاستعمار Comité de Colonisation تلتها في سنة 1919 لجنة تكلفت بالبحث في (قضية) الأراضي "الدومينية" العمومية : كانت الغاية منها ابتداع وسيلة ملتوية لأخذ الأراضي المزروعة منذ أجيال من طرف الجماعات

Communautés التي ساعدت المخزن. لقد ساعد ظهير 27 أبريل 1919 على تحديد الأراضي الجماعية Terres collectives لأجل كرائها بعد ذلك للمعمرين، وبما أن الأمر يقتضي السير بسرعة لتجاوز واستدراك التأخر الحاصل بالنسبة للقطرين المغربيين المتجاورين، فإنه قد تم أخذ إجراءات لتشجيع الاستعمار الفلاحي Colonisation agraire : مساعدة من أجل استصلاح للأرض غالبا ما يكون نظريا، إعفاء ضريبي ومالي، قرض عقاري، تعاونيات التجهيز الخ...إن هذه الإجراءات كانت تقصد منع تكرار الازمات الظرفية التي ضربت الاستعمار (سابقا) بالجزائر. وكانت نتيجة ذلك: التطور السريع (المسلسل) الملكية العقارية الاوربية : فمنذ 1932، شمل الاستعمار (أو التعمير) الحر والاستعمار الرسمي (ما يناهز) تقريباً 837000 هكتار، ويمكن أن نلاحظ علاوة على ذلك، كما هو الشأن بالنسبة للجزائر، مساسا بالملكية الخاصة، إذ مع 1927 ستصبح مساحات أراضي "الملك" الخاص منزوعة من أصحابها الأصليين لتمنح للأوربيين كما وقع مثلا بمنطقة "تادلا" التي صدرت بها وحدها خلال مدة سنتين فقط ما يعادل 62000 هكتار، ولقد كان منطق الكبت هنا ـ كذلك منذ البداية عنيدا وقاسيا. وحوالي 1930 مرتحت مراقبة سكان يشكلون أقل من سُبع (1/7) السكان المحليين، ما يعادل 3800000 هكتار في مجموع الأقطار المغاربية الثلاثة (المغرب ـ الجزائر ـ تونس) وتشكل هذه المساحات العقارية، تقريبا ثلث الأراضي المزروعة حقيقة.

إن هذه الركيزة العقارية كانت تعتبر، كما لو أنها ضرورة سياسية، ومن تم كانت تتلافى مع الايديولوجيا الرومانية القديمة ؛ التي لاتزال مؤثرة على الأذهان رغم الدعاية السانسونية وسياسة "المملكة العربية" Royaume Arabe (A. Laroui, T. II, *ibid*, pp. 103-104) ورغم محاولة جعل برنامج الحماية اصلاحيا وسياسة محافظة عبر عنها البحث باستمرار عن توازنات لا إخلالية. هذا مايبدو كله واضحا في تصريح ليوطي : «نحن لانسعى إطلاقا للاحتلال والتوسع (...)، فنحن نريد احتلال المغرب النافع (المفيد)، وهذه المناطق التي يعتبر الحصول عليها ضروريا لتهيئة المغرب الاقتصادي وتجهيزه تجهيزا كاملا بسبب ماتزخرُ به (هذه البلاد) من موارد طبيعية وقوى مائية وغابات ومواش ومراع" (تصريح 1 يناير 1922 لليوطي ورد في (*Rennaissance du Maroc*, R.R.F.M) إن المشروع الأخير، كان في الحقيقة، منذ 1900 إلى 1912 مشروعا يجمع بين معطيات السياسة القبلية وسياسة التعاون مع المخزن. كان من دعاة الاولى الحزب الاشتراكي، في حين يتمسك الحزب اليميني، بزعامة "إتيين"Eug. Etienne وبعض معمري الجزائر بالسياسة التعاونية. وكانت كلتا السياستين نتيجة تساؤل جوهري طرح في أوساط الرأسماليين المتربولين من بين رجال الاعمال والشركات والاموال. وكان محط نقاش وجدل برلماني حاد بباريس :

« هل سنحتل المغرب انطلاقا من تعاملنا مع القبائل ام انطلاقا من استعمال المخزن كأداة ؟» للاستنفاع بخيراته. إن ليوطي، هو الذي حصل له كرجل ملائم مع 1912، تطبيق بعض افكار "غالييني" Galliéni، "ألفريد لوشاتوليي" Alfred Lechatelier ، كفكرة رقعة الزيت Tache d'huile وسياسة القبيلة بواسطة سياسة المخزن "Politique tribale par la politique makhzanienne" وقد نجم المنطق العدواني للنظام العقاري، إبان المرحلة الاستعمارية عن الضرورتين التاليتين.

- وضع الصيغ القانونية التي تسمح بتدعيم الاستعمار، مع ضمان سلامة الملكية الاستعمارية.

- تبني نظام ملكية عقارية يسمح بنمو الاستثمارات الرأسمالية (التباع 1987 م.م. ص 60 ـ 61) لقد كانت سيطرة القيمة الاستعمالية للأرض في المغرب خلال حقبة ما قبل الاستعمار، تشكل عائقا سميكا أمام التملك الخاص والتمركز العقاري الناجمين عن علاقات التبادل. وكان التركيز العقاري يتم قبل ذلك، بفعل عوامل ما فوق ـ اقتصادية Supra - économique ولم تكن عملية التداول تلعب دورها في التملك الخاص للأراضي في القرن التاسع عشر إلا في المناطق المجاورة للمدن (الأحواز)، ويشكل محدد جداً، أما أراضي "الملك" فإنها لم تكن أكثر من "أراضي ملك تصرف" أي أنها لم تكن ملكية خاصة بالمعنى الرأسمالي. ولم يتم فرض منطق إعادة انتاج جديد قائم على حرية الصفقات العقارية، وعلى ضمان سلامتها بما يسمح بتوسيع الملكية الرأسمالية، إلا بعد اصدار ظهير 1913، الخاص بتسجيل العقارات، وكذا النص الخاص بخلق مصلحة خاصة بالصيانة العقارية (كما أسلفنا). ويعترف "بانكيك" Y. Banquec وهو كاتب استعماري أن "الوضع القانوني للأملاك الريفية المستند إلى الشريعة القرآنية، ظل غامضا حتى تاريخ فرض الحماية على المغرب. وقد ادى نظام تسجيل الاراضي إلى الغموض وسهل نقل الملكية الريفية إلى الأوربيين (Y. Banquec, *La propriété rurale et la colonisation dans la zone française du Maroc* in BESM, nº 26, Juillet 1945)

لقد ساهم نظام التسجيل، في خلق مفهومين جديدين يتعارضان كليا مع منطق إعادة إنتاج النظام القبلي / المخزني، ساعد على قلب البنى "التقليدية" القائمة خلال مراحل طويلة.لقد برز بذلك ، مفهوم الحدود Bornes ومفهوم حقوق الحيازة Droits possessoires، تزامنا مع اختلالات جديدة ـ كانت بمثابة التناقضات البدائية لحركية الملكية العقارية السريعة ـ اهمها الربا والمضاربات الفاحشة (P. Montfert, BCAF / RC, 1934, pp. 150-152)

من ناحية أخرى "بدأت الإصلاحات" العقارية الاستعمارية تؤثر على المجال المشترك للجماعات القبلية سلبا، بحيث إن الملكية وتركيزها قد ساهما في تقليص المجال الرعوي والتوازنات الايكولوجية والديموغرافية

التقليدية بين القبائل من جهة وبين الحواضر والقرى القبلية من جهة أخرى .ففي الوقت الذي تنكب رؤوس الأموال على أراضي القبائل المشتركة والخاصة معا، بدأنا نلاحظ، توازيا مع ذلك، انكبابا ديموغرافيا للبدويين في الحواضر، هم أصلا من الذين لم يستطيعوا بعد فقدان ممتلكاتهم أن يعيشوا إلا ببيع قوة عملهم، على أن الآثار المترتبة عن التسجيل لم تكن آنية؛ إذ كان الفلاحون يصرون على عدم بيع أراضيهم كما اعترف بذلك احد الكتاب في عام 1918 :« إن من الصعب الحصول على أراضي الملك ... ففي كل مناطق المغرب تقريبا، كان الأهالي يرفضون البيع» (C. Ancey, *Nos intérêts économiques au Maroc*, Paris 1918, p. 43) وقد نجم من ناحية أخرى عن هذا الاستحواذ المرافق للتنظيم العقاري الاستعماري تحطيم توازنات اخرى أساسية، مما ساهم وعجل بتدمير البنية القبلية ؛ وهذا ما ولد الحركة البدائية لقوة العمل (التباع، م مذكور ، ص 63).

ظاهرة التبعية والاستعمار الجديدة : «إن العلاقات بين الأمم من خلال موازين القوى التي تحدد، بالدرجة الأولى، العلاقات الدولية، قد زكرت داخل عديد من الأمم التأثيرات الخارجية، وسببت حسب تعبير ك.بوردي C. Bourdet (1951)، نوعا من انتشارية وامتداد الحدث الكولونيالي" حسب "جورج بلانديي" ,G. Balandier) *Sens et puissance*, éd. P.U.F., Paris 1951, pp. 151-152) قد تكون لفظة التبعية dépendance، التي يحاول البعض أن يشرح بها جزءا من أوضاع الاستعمار ومخلفاته الراهنة، ناقصة، لما تحتوية من شحنات انفعالية، ذاتية، لا تجدي موضوعيا لنقد أوضاع ما بعد الاستعمار بالبلدان المستعمرة سابقاً. لذا فإنه من الأفضل، إيجاد وصياغة جواب لسؤال مهم : كيف يمكننا أن نعرف ونحدد وضعية التبعية Situation de dépendance وكيف يمكن تشخيصها موضوعيا ؟ (G. Balandier, ibid, p. 152)، لأنه إذا كان صحيحا أن كل حرية انسانية هي حرية مواقفية Liberté située، مقيدة، و"مؤطرة في الواقع" Encadrée dans le réel و"تحت شروط"، و"نسبية" (ج. گورفيتش 1951)، فإن علينا ان نعترف بأن درجة معينة من الخضوع لحتميات اجتماعية وشكل من اشكال التبعية، كلاهما يكونان خصوصية واساس كل وجود اجتماعي، كما يتعين ذلك على مستوى التربية داخل العائلة، من خلال بنية العلاقات التي تربط الاطفال بالوالدين، حسب أنواع التربية المعمول بها. إن هاته العلاقات "الاولية" تعكس في كل المجتمعات (حسب منظور التحليل النفسي) نوعا من التبعية البدائية Dépendance primaire. علينا أن نتساءل عن العلاقة بين هذه "التبيعة الأبوية البدائية" والنموذج العلائقي الذي يفرضه المعمرون إزاء الأهالي. أليست الإيديولوجية الاستعمارية، من خلال ما يسميه جورج هاردي (1929) بالغزو المعنوي والأخلاقي Conquête morale تثبيتا وتكريسا لتفوق الأوربي على الأهلي الذي لازال في أمس الحاجة إلى من ينقده من البدائية والتوحش؟ وبنينة وعي ألفئات الأهلية المغربة والمدمجة في إطار مسلسل التعاون الحمائي، وفق مستلزمات لا تمس بمصالح المتربول الأساسية؟!


ن، بودربالة، *من أجل رؤية هادئة حول الاستعمار* (إدراك الاستعمار في حقل الفكر المتخلص من الاستعمار) حالة المغرب. تعريب : محمد شقرون ؛ ح. التباع، *تفكك البنى ما قبل الرأسمالية، وحركية قوة العمل في المغرب* (1900 ـ 1980)- مجلة الاقتصاد والمجتمع ،3، 1987 ؛ م. الكير، *القبلية والاستعمار* (من 1900 إلى 1934) بحث في اطار د.د.ع. (في طور الانجاز).

E. Doutté, *Des moyens de développer l'influence française au Maroc. 1er Partie, Analyse des moyens généraux d'influence*, Rapport à Mr. Le Gouverneur général d'Alger, F. Levé, Paris 1900, 120 p + 2 cartes ; H. Lyautey, *Paroles d'action* ; J. Célerier, *Les mouvements migratoires indigènes au Maroc*. Bull. écon. et social du Maroc 1934 ; J. Célerier, *Chez les berbères du Maroc : de la collectivité patriarcale à la coopérative*. Annales d'Hist. économique et sociale nº 39, mai 1936, pp. 217-273 ; A. Ayache, *Le Maroc* ; P. Guillen, *Les milieux d'affaires français et le Maroc à l'aube du XXe siècle*. Revue d'Hist., Avril-Juin 1963, pp. 397-422 ; D. Rivet, *Ethnographie et conquête du moyen Atlas*, pp. 159-178 ; J. Tebbaa, *La pénétration commerciale et financiére au Maroc 1850-1912*, Mémoire D.E.S en Science Eco., Grenoble 1976 ; Belguendouz, *La colonisation agraire au Maroc et ses méthodes de pénétration*. R.J.P., Nº 4, 1978.


محمد الكير

**الاستقلال**، حزب برز بإعلان وثيقة 11 يناير 1944 وقد انضمت فيه شخصيات حرة الى اعضاء الحزب الوطني الذي سبق تأسيسه في أبريل 1937. والراجح أن اسم "الاستقلال" سبق اختياره من لدن اللجنة التنفيذية للحزب الوطني والشخصيات الحرة قبل ذلك حين كانوا يحضرون الوثيقة. وحزب الاستقلال هو الحزب الذي طالب باستقلال المغرب ثم قاد مع بقية الحركات الوطنية في ظل جلالة محمد الخامس كفاح الشعب المغربي في سبيل هذا المطلب. وواصل العمل السياسي ولازال إلى يومنا هذا.

أول عمل قام به حزب الاستقلال هو تقديم وثيقة 11 يناير 1944 الشهيرة الى جلالة محمد الخامس ومقيم فرنسا العام بالمغرب و ممثلي الدول الكبرى : الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفياتي. وتنص الفقرات العامة من هذه الوثيقة على مايلي :

أ ـ فيما يرجع للسياسة العامة. أولاً : يطالب باستقلال المغرب ووحدة ترابه تحت ظل صاحب الجلالة ملك البلاد المفدى سيدنا محمد بن يوسف نصره الله وأيده. ثانيا : يلتمس من جلالته السعي لدى الدول التي يهمها الاعتراف بهذا الاستقلال وضمانه، ولوضع اتفاقيات تحدد ضمن السيادة المغربية ما للأجانب من مصالح مشروعة. ثالثاً : يطلب انضمام المغرب للدول الموافقة على وثيقة الأطلنتي، والمشاركة في مؤتمر الصلح.

ب ـ فيما يرجع للسياسة الداخلية ـ رابعاً يلتمس من جلالته أن يشمل برعايته حركة الإصلاح الذي يتوقف عليه المغرب في داخله، ويكل لنظره السديد إحداث نظام سياسي شوري شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الإسلامية في

الشرق تحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب المغربي وسائر طبقاته وتحدد فيه واجبات الجميع.

وقع هذه الوثيقة ستة وستون شخصاً منهم تجار وصناع وفلاحون وموظفون وعلماء وأساتذة ومعلمون ومهنيون أحرار، فبينوا في ديبجاتها أن المغرب تمتع دائما بحريته وسيادته الوطنية إلى أن فرض عليه نظام الحماية الذي تعهد لتبرير وجوده بإدخال الإصلاحات دون مساس بالسيادة المغربية وبنفوذ جلالة الملك. ثم أوضح الموقعون على الوثيقة أن الحماية بّدلت النظام الشرعي بنظام مبني على الحكم المباشر الذي توصلت بمقتضاه إلى الاستحواذ على مقاليد السلطة واحتكار موارد البلاد، وحاولت تحطيم الوحدة المغربية . وذكروا بتغير الظروف التي أسست فيها الحماية وبمشاركة المغرب في الحروب العالمية في سبيل الحرية إلى جانب الحلفاء، واعتراف هؤلاء في ميثاق الأطلسي بحق الشعوب في حكم نفسها بنفسها وخلصوا إلى أن الأمة المغربية تكون وحدة متناسقة الأجزاء تشعر بحقوقها وواجباتها وتقدر الحريات الديموقراطية حق قدرها. ولهذا تطالب بالاستقلال.

مما لاشك فيه أن الحرب العالمية الثانية كان لها أثر بالغ في زيادة تعميق الوعي الوطني في المغرب، وكان لإعلان مبادىء الحلفاء من وراء محاربتهم لدول المحور، ودستور الأطلسي ثم لتأسيس هيئة الأمم المتحدة وانعقاد دورتها الأولى في سان فرانسيسكو صدى عميق في النفوس مما أمل القيادة الوطنية في تحرير البلاد من قبضة فرنسا التي

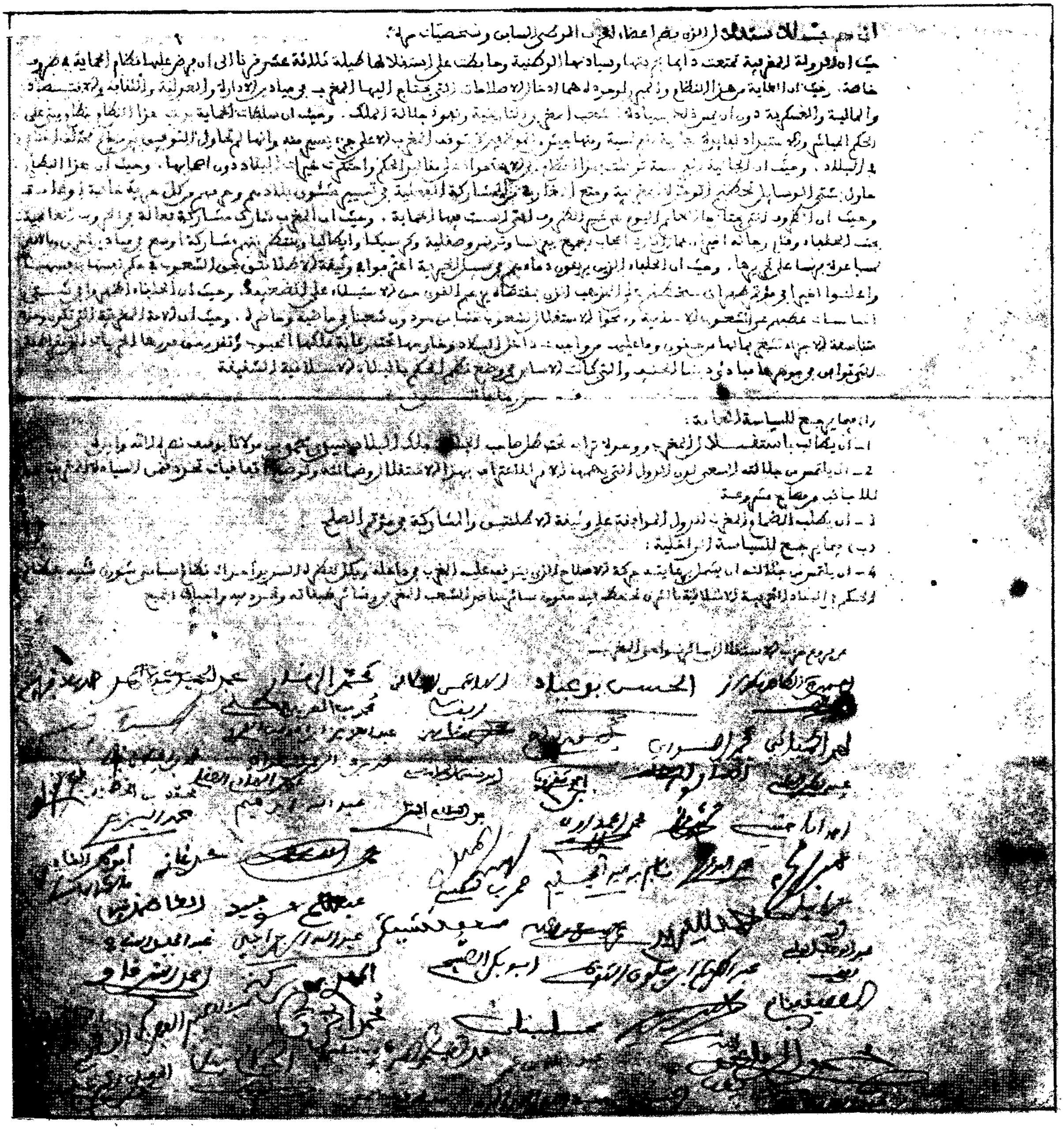

إن حزب الاستقلال الذي يضم أعضاء الحزب الوطني السابق وشخصيات حرة:

حيث إن الدولة المغربية تمتعت دائما بحريتها وسيادتها الوطنية وحافظت على استقلالها طيلة ثلاثة عشر قرنا إلى أن فرض عليها نظام الحماية في ظروف خاصة.

ا - أن يطالب باستقلال المغرب ووحدة ترابه تحت ظل صاحب الجلالة ملك البلاد المفدى مولانا سيدي محمد بن يوسف نصره الله وأيده.

(ب) فيما يرجع للسياسة الداخلية:

صورة وثيقة المطالبة بالاستقلال - يناير 1944

سبق أن هزمت في بداية الحرب فمن العبث أن ينكر تأثير أجواء الحرب... ونزول الحلفاء بالمغرب واستقلال سوريا ولبنان، ومن العبث أن ننكر ما أحدثه ذلك من تفاعل في نفوس الوطنيين شجعهم على اتخاذ السياسة الصريحة في مطالبهم.

جاء حزب الاستقلال بديلا للحزب الوطني لتحقيق المطالب المغربية الذي سبق في أعقاب الانشقاق الذي طرأ على "كتلة العمل الوطني" في يناير 1937 والتي كانت تضم جميع العاملين وتفرع عنه " الحزب القومي "كذلك . وكان للكتلة وللحزب الوطني ماض طويل في النضال منذ سنة 1930 حين صدر ظهير 11 ماي المعروف بالظهير البربري الذي كانت الحماية تهدف من ورائه إلى "فرنسة المغرب لغويا وسياسيا وقضائيا وتتخذ لذلك وسائل التفرقة بين عنصرين كبيرين في البلاد فتعمد الى من نظنه أقرب إليها فتحول بينه وبين الثقافة الإسلامية والعربية" وبذلك يكون حزب الاستقلال امتداداً طبيعيا للحركتين اللتين تقدمتاه. وقد سبق أن تعرضتا إلى قمع شديد على فترات متعددة حيث نفي قادتهما واعتقل كثير من أعضائهما في الحواضر والأرياف احتجاجا على السياسة البربرية وغيرها من الأعمال التعسفية وسعياً لتحقيق الإصلاحات. خاصة منها دفتر المطالب المغربية المقدم من لدن كتلة العمل الوطني للسلعات المغربية والفرنسية في الرباط وباريس في ديسمبر 1934، ثم المطالب المغربية والمطالب المستعجلة المقدمة من لدن الحزب الوطني في 1936.

من الملاحظ أن الحركات السياسية قامت في المغرب بعدما نفد زاد المقاومة المسلحة وكادت تلفظ نفسها الأخير بعد معارك طاحنة جرت في الأطلس الكبير والاطلس المتوسط وبعد الحرب الريفية التي قادها محمد بن عبد الكريم من سنة 1921 إلى 1926 وضعت كل من فرنسا وإسبانيا ثقلهما العسكري للقضاء عليها. وبذلك جاء النضال السياسي بديلا واستمراراً للمقاومة المسلحة.

ومهما اختلفت وسائل التعبير والممارسة في المقاومة المسلحة وفي النضال السياسي الذي تمثل في الحركات الوطنية، فإن أهدافهما تبقى واحدة. "إن الحزب الوطني وكتلة العمل الوطني من قبله لم تكن حركة إصلاحية تستهدف تطور المغرب في ظل الحماية، ولكنها كانت حركة استقلالية منذ البداية، وما كانت تتقدم به من مطالب إصلاحية إنما هي لتبرير الوجود الرسمي من جهة، ولتعجيز الإدارة الفرنسية من جهة أخرى" فاستجاب المغربي ولم يفتأ يحن إلى استرجاع حريته واستقلاله. والمطالبة بالإصلاحات التي كان يعرب عنها قادة الحركات السياسية، إنما كانت وسيلة لبلوغ تلك الغاية. فلئن كانوا يلجأون إليها لأسباب ظرفية، فإن الهدف لم يكن يخفى حتى على سلطات الحماية حيث كان يطفو على سطح الأحداث فتضطر تلك السلطات إلى استعمال العنف الذي يؤدي الى ردود الفعل من وسط الضحايا. وذلك ما جعل الوطنيين ييأسون في النهاية من كل مطالبة بالإصلاح. وهكذا فـ "إن تجارب السنين الطويلة الماضية في نظام الحماية وتجارب رجال الحركة الوطنية في سياسة المراحل بعثت كلها في نفوس الوطنيين في الداخل والخارج شعوراً بالحاجة الى عمل حاسم ومصارحة ظاهرة بحقائق الاشياء ... إن المغاربة لم يعودوا يرون في اسلوب الحماية الا الاستعباد الواضح البين".

في سنة 1942 بدأ انحسار المد النازي وظهرت المؤشرات الأولى لهزيمة دول المحور، فأخذت الأفكار في المغرب تتبلور في اتجاه التحرير لدى فئات المغاربة، والنفوس تتهيأ لما بعد الحرب والاستفادة من الأهداف التي نادى بها الحلفاء في حربهم ضد النازية. فما كادت القوات الأمريكية تنزل بالدار البيضاء يوم 8 نوفمبر 1942 حتى كانت النفوس متطلعة لما قد سيحدث. كانت تتطلع بالخصوص لعاهل المغرب جلالة محمد الخامس وللقادة الوطنيين.

انعقد مؤتمر في يناير 1943 حضره رئيس الولايات المتحدة فرانكلان روزفلت ورئيس الحكومة البريطانية ونسطن تشرشيل وأعلن الحلفاء خلاله استمرار الحرب إلى أن "تستسلم دول المحور بدون قيد ولا شرط". وتمت خلال المؤتمر مقابلة بين رئيس الولايات المتحدة ومحمد الخامس الذي كان يرافقه سمو ولى العهد مولاي الحسن. وجرى حديث مهم بين رجلي الدولة، فكان اللقاء منعطفاً مهماً فيما أعقبه من أحداث في المغرب، وفي طليعتها تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال على النحو الذي أسلفنا.

ما كاد وفد من حزب الاستقلال يقدم الوثيقة يوم 11 يناير إلى محمد الخامس حتى استدعى جلالته مجلساً وزارياً موسعاً حضره بالإضافة إلى رجال الحكومة المغربية بعض كبار شخصيات الدولة وأعيانها عرض عليهم الوثيقة مستمزجاً رأيهم فيها. وقد تبين بعد ذلك أن توقيت وثيقة الاستقلال قد تم باتفاق مسبق بين العاهل وقيادة الاستقلال لتكون متزامنة مع الزيارة الأسبوعية التي يؤديها المستشار الفرنسي لجلالة الملك، وانها هيئت من لدن الطرفين في عدة جلسات سرية. وكان لمحمد الخامس دور كبير في ما امتازت به الوثيقة من وضوح في الرؤية والاتزان والواقعية. نفذ الاتفاق على تقديم الوثيقة للجهات الرسمية بين الملك وحزب الاستقلال بمنتهى الدقة والضبط . فأخذ ممثل الإقامة العامة علماً بمضمونها، وتحدث المجلس الوزاري ثم قرر تشكيل لجنة تتألف من وزيري العدلية والمعارف ورئيس التشريفات الملكية للإبقاء على الاتصال باللجنة التنفيدية للحزب والتباحث معها في أنجع السبل لإقناع الإقامة العامة الفرنسية بتنفيذ محتوى الوثيقة.

أجريت محادثات مع الإقامة العامة مدة ثلاثة أيام فيما كانت الوفود تتوارد إلى العاصمة المغربية من أقصى جهات البلاد والبرقيات والخطابات تنهال على القصر الملكي واللجنة التنفيدية لحزب الاستقلال معبرة عن التأييد والدعم. لكن المتحدثين باسم الإقامة العامة ظلوا على

موقفهم من رفض أي تغيير في معاهدة الحماية مكتفين بإبداء الاستعداد لإنجاز "إصلاحات" سياسية واجتماعية مبينين النية على تحييد الحلفاء في المشكلة الناشئة مع حزب الاستقلال تمهيداً للاجهاز عليه. وتحسباً لذلك وجه الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلافريج خطابا لجلالة يوم 11 يناير 1944 معلنا تشبثه بمضمون الوثيقة ورفضه التفاوض في أي برنامج للإصلاحات مع الإقامة العامة إلا إذا قبلت بمبدأ الاستقلال.

بعد مضي ثمانية أيام على تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، قابل المقيم العام الفرنسي السيد غابريال بيو جلالة الملك وأبلغه عدم موافقة لجنة التحرير الوطني الفرنسية التي كان يرأسها الجنرال دوگول على محادثات تستهدف تغيير وضع الحماية وإن من حق فرنسا وحدها اقتراح الإصلاحات التي ترى ضرورة اتخاذها. وأعلن ممثل فرنسا ان كلمة استقلال ينبغي أن تحذف من الألسنة بل وتنتزع من القلوب كذلك. وشرعت إدارة الحماية بعد ذلك في أخذ العدة لقمع الحركة الاستقلالية بادئة بمطاردة الوفود التي تواردت على العاصمة ثم بإنزال قوات عسكرية مكثفة في أهم المدن، خاصة منه فيالق الجنرال لوكير التي سبق لها أن خاضت معارك في طرابلس الغرب وتونس إلى جانب القوات البريطانية ضد الجيش الالماني. وفعلاً قام هؤلاء الجنود بقمع شديد في الرباط وسلا بوجه خاص.

وفي يوم 20 يناير 1944 ألقت السلطات الفرنسية القبض بتهمة ملفقة ـ تهمة الاتصال بالسلطات الألمانية ـ على الأمين العام لحزب الاستقلال الحاج أحمد بلا فريج، وكذلك على السيد محمد اليزيدي، فقامت تظاهرات شعبية عنيفة في كثير من الحواضر، خاصة منها الرباط وسلا وفاس، دامت عدة ايام وزهقت فيها أرواح كثيرة من المتظاهرين وبعض أعوان السلطة فرنسيين وأهالي. وانتظمت أكبر مظاهرة في الرباط كان ابتداؤها في المدينة الأهلية وآخرها في المشور. واضطرت السلطات الفرنسية إلى إطلاق سراح السيد محمد اليزيدي لتهدئة الخواطر. وبعد ذلك سيق آلاف الوطنيين إلى السجون والمنافي وصدرت أحكام بالإعدام نفذت في الحين على سبيل الزجر وأخرى بالأشغال الشاقة وعقوبات متفاوتة فعانت الحركة الوطنية محنة قاسية دامت أزيد من سنتين.

وبرز المقيم العلم الفرنسي ببرنامج "إصلاحات" وألف أربع لجان لدراستها، ثم عرضها على جلالة الملك لاستصدارها. لكن رفض محمد الخامس تذييلها بطابعه أحبطها، وظلت الحالة متأزمة في المغرب، وكانت لجنة التحرير الوطني الفرنسية بالجزائر منشغلة بتعبئة الجنود للمساهمة في الشوط الأخير من الحرب، وخاصة في تحرير فرنسا لضمان عودة مركزها بين الحلفاء.

وبعد تحرير فرنسا واستسلام ألمانيا وتأليف الحكومة الفرنسية الموقتة برئاسة الجنرال دوگول واستقرارها في باريس، استدعى هذا الأخير جلالة محمد الخامس لزيارة فرنسا، فأسفرت المحادثات التي جرت بينهما على انفراج في الأزمة السياسية، وتقرر نقل المقيم العام غابريال بيو من المغرب، وحل محله في مارس 1946 إيريك لابون. تجلى الانفراج في عودة القادة الوطنيين من المنافي وتسريح المعتقلين، والتخفيف من التضييق على الحريات العامة بما فيها حرية الصحافة وحرية الاجتماع، وانتهز حزب الاستقلال كبقية الأحزاب الأخرى هذه الفرصة لتنظيم صفوفه.

وهكذا أقر الحزب في سنة 1946 نظامه الأساسي الذي نص على تحديد الغايات والشروط التي يجب توفرها في أعضائه، وهيآت الحزب من القاعدة إلى القمة : الخلايا، ثم الفروع والمؤتمر العام الذي يتألف لمدة سنتين من أعضاء منتخبين من الفروع، والمجلس الأعلى الذي ينتخب لمدة سنتين من لدن المؤتمر العام، ثم اللجنة التنفيدية وتنبثق عنها الامانة العامة التي اسندت منذ البداية الى السيد بلا فريج بينما احتفظ السيد علال الفاسي بزعامة الحزب على الدوام، وبعد الانشقاق الذي حدث سنة 1959 أصبح رئيس الحزب إلى أن وافاه الأجل في ماي 1974.

حين برز المقيم العام الجديد إيريك لابون ببرنامج إصلاحاته أمام القسم الفرنسي لمجلس شوري الحكومة في يوليوز 1946 وهو المجلس الذي كان يستشيره ممثلو فرنسا في شتى القضايا خاصة القضايا الاقتصادية والاجتماعية أثار زوبعة من المعارضة سواء من طرف الحركة الوطنية خارج المجلس أو ممثلي الجالية الفرنسية في داخل المجلس : الأولى لانها اعتبرت برنامج إيريك لابون لا يختلف عما سبقه حيث يدخل في نطاق الحماية، بينما المغرب يطالب بالاستقلال "إذ أن جميع الأفكار التي أعرب عنها تدل انه ما يزال يفكر في دائرة نظام الحماية الذي أثبتت تجربة ثلث قرن أنه بما يشتمل عليه من أوضاع وظروف هو السبب الرئيسي في مشكلة الإدارة المغربية وفي خيبة الشعب الذي لم يجد في ذلك النظام أمناً اجتماعيًا ... وحماية مخلصة لحرية هذه البلاد واستقلالها " وقام الحزب بحملة تشهير ومقاطعة لبرنامج ايريك لابون داخل المغرب وفي فرنسا بواسطة الصحف والتجمعات. أما ممثلو الجالية الفرنسية فقد رأوا البرامج مساً خطيراً بما لهم من المصالح والامتيازات. "لكن الفضل الأكبر يرجع لجلالة الملك الذي رفض رفضاً باتاً المصادقة على مشروعات الظهائر ..".

ولما بدأت الدعوة في فرنسا على عهد رئيس الجمهورية إذ ذاك فانسان أوريول للاتحاد الفرنسي واقحام المنطقة المشمولة بالحماية في هذا الاتحاد. أصر جلالة محمد الخامس على أن يقوم برحلة إلى طنجة عبر المنطقة الخليفية الواقعة تحت الحماية الاسبانية . وذلك للإعلان على الملأ أن المغرب يكوّن وحدة إقليمية على اختلاف مناطقه تحت سيادة مشروعة واحدة . وقد أدت هذه الرحلة التاريخية التي تمت في الأسبوع الأول من أبريل 1947 والمواقف التي اتخذها العاهل وولي عهده في خطبهما وتصريحاتهما

مطالبين بإلغاء نظام الحماية والتفاوض من أجل الاستقلال إلى استبدال إيريك لابون بالجنرال جوان، فدخلت العلاقات المغربية ـ الفرنسية في أزمة بتصدي المقيم العام الجديد الى العاهل المغربي وحزب الاستقلال معاً. وبلغت الأزمة أوجها بطرد أعضاء حزب الاستقلال في مجلس شورى الحكومة من لدن الجنرال جوان في ديسمبر 1950، واثارة بعض العملاء وعلى رأسهم باشا مراكش التهامي الأكلاوي ضد محمد الخامس. ثم طلب المقيم العام من العاهل أن يتبرأ من الحزب، وإذا كان الجنرال جوان لم يصل إلى مبتغاه رغم افتعاله لأزمة 26 فبراير 1951 حيث حاصر القصر الملكي وأرغم العاهل على إمضاء بروتوكول اتفاق. فقد خلفه الجنرال گيوم في خطته عندما عين مقيماً عاماً في اكتوبر 1951. وسرعان ماصرح أنه " سيطعم التبن لحزب الاستقلال" وبدأ بمناوشته. ثم نفّذ خطة سلفه على مرحلتين : الأولى بقمع الحزب ابتداء من يوم 8 دسمبر 1952 في أعقاب الإضراب الذي قامت به هذه الحركة، بمناسبة اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحت حشاد. والمرحلة الثانية بخلع جلالة محمد الخامس في 20 أغسطس سنة 1953 ونفيه إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر. بهذا الاعتداء الأخير على المشروعية، لم يعد سبيل للشعب المغربي سوى الثورة مطالباً بعودة محمد الخامس إلى عرشه. وبقي صامداً في المقاومة والفداء إلى أن عاد العاهل مظفراً في 16 نوفمبر 1955.

جمهور المواطنين يستقبلون جلالة محمد الخامس عند رجوعه مبشراً بالحرية والاستقلال

عانى حزب الاستقلال بقيادته وجميع أطره محنة المنافي و المحاكمات والسجون والمعتقلات بشتى أنواعها ، ولقي كثير من العاملين في صفوفه أشد أنواع العقوبات من أعمال شاقة وغيرها . بينما نشأت حركة المقاومة والفداء واستفحل أمرها حتى عجزت إدارة الحماية عن إخمادها. وتصدت هذه المقاومة إلى كبار المسئولين في الإدارة وعملائهم ابتداء من ابن عرفة الدعي الذي نصبوه على العرش والتهامي الأكلاوي. وعجزت هذه الإدارة على مواجهتها رغم توالي أربعة مقيمين، ورغم ما بذلته من محاولات في سبيل التهدئة . وظلت الحركات الوطنية على كلمة واحدة : إعادة المشروعية وعودة صاحبها.

لم تر الحكومة الفرنسية بداً من دعوة حزب الاستقلال وبقية الأحزاب وشخصيات مغربية أخرى إلى عقد مؤتمر في ايكس لي بان يوم 4 أغسطس 1955 للبحث عن حل مشكلة العرش، فكانت بداية حل الازمة المغربية ـ الفرنسية التي انتهت بعودة محمد الخامس إلى باريس وإجراء مفاوضات مع الحكومة الفرنسية أفضت إلى صدور بيان مغربي ـ فرنسي يوم 2 مارس 1956 اعترف باستقلال المغرب، تلته مفاوضات مع الحكومة الإسبانية صدر في أعقابها بيان مشترك يعترف باستقلال ووحدة الجزء الشمالي الذي كان تحت حمايتها.

وشارك حزب الاستقلال في الحكومة الائتلافية التي ألفها السيد مبارك البكاي عقب عودة، محمد الخامس في نوفمبر 1955 إلى عرشه. وأسهم في المفاوضات السابقة. ثم ألف السيد الحاج أحمد بلا فريج الأمين العام للحزب حكومة منسجمة، بعد الأزمة الوزارية التي نشبت بتاريخ 16 أبريل 1958 ، قدم على أثرها اعضاء حزب الاستقلال السبعة استقالتهم لكن سرعان ما أخذت بوادر الانشقاق تبدو في صفوف حزب الاستقلال. ولما سقطت حكومة بلا فريج تولى الوزارة الأولى السيد عبد الله إبراهيم من قادة الحزب المنشقين. تم الانشقاق في فبراير 1959 حيث نشأ حزب جديد بقيادة عبد الرحيم بوعبيد والمهدي بن بركة والفقيه محمد البصري (عن المقاومة وجيش التحرير) والمحجوب بن الصديق (عن الاتحاد المغربي للشغل).

وظل حزب الاستقلال بالتنظيمات والأطر التي لم تنشق في ميدان العمل السياسي. وقد أسهم بحظ وافر في إقرار مشروع الدستور الأول سنة 1962. ثم أصدر وثيقته المعروفة بالتعادلية يوم 11 يناير 1963 بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة للمطالبة بالاستقلال. وشارك عدة مرات في الحكومة المغربية. وكانت آخرها سنة 1977 لفترة طويلة. كما أن له تمثيلا في البرلمان المغربي.

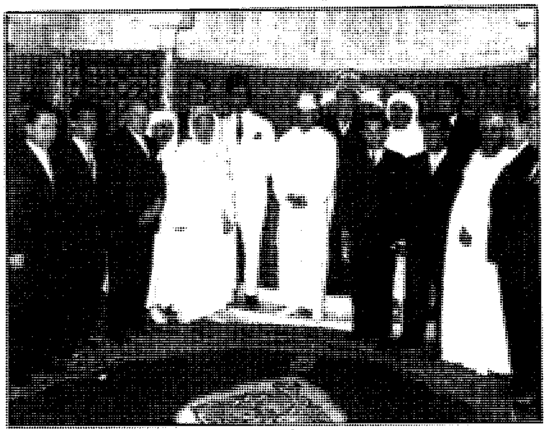

الحكومة المغربية الأولى بعد الاستقلال 1956

في 13 ماي 1974 توفي زعيم حزب الاستقلال السيد علال الفاسي، وعاد الحزب إلى نظامه القديم بانتخاب أمين عام يرأس لجنة تنفيذية هي أيضاً منتخبة من لدن المجلس الوطني. والأمين العام الحالي هو السيد محمد بوستة.

**الاستقلال واسترجاع المناطق المحتلة**، غداة إعلان البيان المغربي ـ الفرنسي المشترك يوم 2 مارس 1956 وابرام الاتفاق المغربي ـ الإسباني يوم 7 أبريل من نفس السنة هاتين الوثيقتين اللتين تم بموجبهما الاعتراف باستقلال المغرب، ورثت الدولة المغربية أرضاً ممزقة ووجدت نفسها أمام إصرار الاستعمار على إبقاء سيطرته على بعض أجزاء البلاد، فتوجب عليها أن تسعى بكل الوسائل لاسترجاعها.

باختصار لما استتب الأمر للحماية ضمت فرنسا تندوف إلى ما كانت تسميه بالتخوم الجزائرية المغربية " التي كان يرجع أمرها إلى والي الجزائر العام. وبعد حصول الجزائر على استقلالها سنة 1962 سلمت فرنسا كل هذه المناطق للسطلة الجزائرية .

أما في الشمال، فقد احتفظت إسبانيا ومازالت بمدينتي سبتة ومليلية والجزر الجعفرية التي احتلتها منذ القرن الخامس عشر وكافح المغرب لاسترجاعها.

واما في الجنوب فقد بقي الوجود الفرنسي في موريتانيا، بينما تشبثت اسبانيا بمقاطعتي طرفاية وإفني والصحراء الغربية.

وإذا كانت موريتانيا حصلت على استقلالها في 28 نوفمبر 1960، ووقع تطبيع العلاقات بينها وبين المغرب عند أنعقاد القمة الاسلامية الاولى في سبتمبر 1969، فقد بقي النزاع قائماً بين المغرب واسبانيا على المناطق المغربية الأخرى التي كانت تحت الاحتلال الإسباني مع أن الدولتين اجرتا مفاوضات منذ شهر سبتمبر 1957 لاسترجاع تلك المناطق. وبذل جلالة الملك الحسن الثاني كثيراً من الجهد عن طريق التفاوض والحوار من جهة، والاحتكام إلى هيئة الامم المتحدة من جهة أخرى لاستعادتها.

وقد أدت المفاوضات المغربية. الاسبانية التي جرت بالبرتغال إلى معاهدة " سينترا" في 12 ابريل 1958 أستعاد المغرب بموجبها مقاطعة طرفاية. وأكد وزير خارجية المغرب وهو يوقع على هذه المعاهدة أن عودة طرفاية لاتعتبر حداً فاصلاً لمطالبة المغرب ببقية أراضيه التي ماتزال تحت الاحتلال، واضعاً بذلك مشكلتي إفني والصحراء المغربية على بساط التباحث.

لقد شهدت العلاقات المغربية الإسباينة بعد ذلك أطواراً كثيرة من التوتر كان العاهل المغربي يسعى بكل ماعرف عنه من حنكة سياسية ورغبة في الحوار أن يعالج الخلاف بطريق التفاوض. فبعد عرض قضيتي إفني والصحراء الغربية على هيئة الامم المتحدة التي اتخذت في شأنها عدة ملتمسات أهمها الملتمس رقم 2072 في 1965 والذي طالب بإجراء مفاوضات بشأن المقاطعتين، وبعدما أبدت إسبانيا استعدادها للتفاوض حول إفني، أجريت مفاوضات بفاس أفضت إلى معاهدة 1969 بتحرير هذه المنطقة.

لكن النزاع على الصحراء الغربية شكّل بعد ذلك أكبر خلاف بين المغرب وإسبانيا. وقد بذل المغرب ـ ملكا وشعبا ـ جهداً متواصلاً في سبيل استرجاعها، وأبان العاهل المغربي بالخصوص كثيراً من الدهاء السياسي في تسوية المشكلة. هذه المشكلة التي نشأت في الحقيقة منذ إبرام اتفاقية 7 أبريل 1956 التي اعترفت إسبانيا بموجبها باستقلال المغرب ووحدة ترابه. لكنه لم يحتدم ويشهد تطورات شتى، متوترة أحياناً وأقل حدة أحياناً أخرى، إلا منذ 1966 حين عرض المغرب قضية الصحراء على أنظار هيئة الأمم المتحدة.

فاتخذت الجمعية العامة ملتمساً مهماً دعت فيه إسبانيا لإجراء استفتاء في الصحراء بالاتفاق مع الأطراف المعنية، وحددت الظروف التي ينبغي أن يتم الاستفتاء في ظلها، وذلك : بخلق جو سياسي يسمح بإجرائه على قواعد ديموقراطية حرة وبدون تحيز، وألا يشارك في الاستفتاء إلا سكان المنطقة ، وأن تمتنع اسبانيا عن كل ما من شأنه أن يؤخر تحرير الصحراء، وتمنح كل المساعدات الضرورية لوفد هيئة الأمم المتحدة من أجل تنظيم الاستفتاء وتنفيذه.

وحيث سبق للجزائر أن أعلنت نفسها طرفاً معنياً بحل النزاع لاعتبارات جغرافية. سياسية وبحكم جوارها للصحراء، وبما أن موريتانيا كانت تطالب بهذا الاقليم، فقد وجدت اسبانيا مبرراً للمماطلة في تنفيذ قرار الأمم المتحدة. فأصبح من الضروري إحباط اللعبة الاسبانية بالدعوة لاتخاذ موقف موحد من لدن الدول الثلاث : المغرب والجزائر وموريتانيا. فبذل المغرب مساعي حثيثة في هذا السبيل.

في يوم 15 يناير 1969 انعقد اجتماع مغربي ـ جزائري بمدينة إفران وبحضور جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس هواري بوميدن وتم التوقيع على معاهدة أخوة وحسن جوار وتعاون .

وفي 14 سبتمبر 1970 تم لقاء بين رؤساء الدول الثلاثة : جلالة الملك الحسن الثاني، والرئيس هوراي بومدين، والرئيس المختار ولد دادة في نواديبو على حدود وادي الذهب من الصحراء المغربية، واتفقوا على تكثيف تعاونهم لتحرير الصحراء طبقاً لقرارات الامم المتحدة.

لكن هذه الجهود ذهبت سدى حيث بقيت موريتانيا تصر على المطالبة بالصحراء لنفسها، بينما كانت الجزائر تؤمل وتسعى لقيام دولة صحراوية مستقلة . فاستغلت اسبانيا الخلاف وشرعت تنشئ مؤسسات سياسية إدارية لتخويلها السلطة عند الحاجة . في ماي 1967 أسست "الجماعة" من الأعيان ومنحتها اختصاصات محدودة بحيث تبقى المنطقة تدور في الفلك الإسباني في حال ما إذا حصل تغيير في

نظامها السياسي. ثم قررت الحكومة الاسبانية أن تقوم منفردة بالاستفتاء وأخبرت الأطراف المعنية بذلك.

حينذاك قام المغرب برد فعل قوي، منددا بالمبادرة الإسبانية التي تتنافر مع قرارات هيئة الأمم المتحدة ولا تعير اعتباراً للأطراف المعنية. وفي نفس الوقت ولإحباط هذه المبادرة رفع المغرب طلباً إلى محكمة العدل الدولية لتبدي رأيها في إقليم الصحراء الغربية هل كان أرضا خلاءً أو كان تابعاً لدولة ما عندما احتله الاستعمار الإسباني.

ثم صدر عن الجمعية العامة للامم المتحدة ملتمس يحمل رقم 3292 في ديسمبر 1974 يطلب من إسبانيا تأخير استفتائها إلى صدور قرار محكمة العدل وبت الأمم المتحدة في شأن مصير الصحراء بمقتضاه.

وفي 16 أكتوبر 1975 أصدرت محكمة العدل الدولية حكمها مؤكدة أن علاقات قانونية بين المغرب والصحراء الغربية كانت موجودة حين أقدمت إسبانيا على احتلال هذا الإقليم، وذلك بوجود روابط البيعة بين سلطان المغرب إذ ذاك والقبائل التي كانت تعيش في الصحراء الغربية (الفقرة 162 من الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية).

أصبح موقف المغرب معززاً بهذه الحجة التاريخية فقرر جلالة الملك الحسن الثاني في نفس اليوم القيام بمسيرة شعبية سلمية أطلق عليها « المسيرة الخضراء» تتألف من 350000 شخص للدخول إلى الصحراء. وتم ذلك وفق خطة محكمة.

اضطرت الحكومة الإسبانية تحت ضغط التأثير المعنوي لهذه المسيرة أن تجري مفاوضات مع كل من المغرب وموريتانيا أفضت إلى إبرام اتفاقية يوم 14 نوفمبر 1975 بمدريد، ونصت هذه الاتفاقية من جهة على إنشاء إدارة ثلاثية موقتة مغربية - اسبانية - موريتانية يعهد لها بتسيير الصحراء إلى انسحاب إسبانيا منها في 28 فبراير 1976، ومن جهة أخرى إلى استشارة الشعب الصحراوي بواسطة "الجماعة".

اختصت موريتانيا بالقطاع المسمى بوادي الذهب بينما اختص المغرب ببقية الإقليم الصحراوي لكنه عاد فضم وادي الذهب بعد البيعة التي عقدها سكانه لجلالة الملك الحسن الثاني. لكن قضية الصحراء بقيت مسجلة في جدول أعمال هيئة الامم المتحدة بعد اتخاذ الجزائر موقفاً معارضاً للمغرب ومساندتها لجبهة " بوليساريو" التى نشأت بتشجيع منها فأخذت تطالب بالأقاليم الصحراوية.

استعانت هيئة الأمم المتحدة بمنظمة الوحدة الإفريقية لإيجاد تسوية هذه القضية بعدما عجزت بمفردها عن العثور عن حل. وقد تعاون المغرب مع هذه المنظمة وقبل في النهاية مبدأ الاستفتاء على لسان جلالة الملك الحسن الثاني في مؤتمر القمة الافريقية بنايروبي في شهر يونيو 1981.

لكن بعدما أعلنت جبهة بوليساريو عن إنشاء «الجمهورية العربية الصحراوية الديموقراطية » وبعد المناورات التي قام بها أمين منظمة الوحدة الافريقية السابق إذيم كودجو لقبولها في هذه المنظمة في فبراير 1982 انسحب المغرب من عضويتها بحجة خرق ميثاق المنظمة وتجاوز الصلاحيات وظل مع ذلك متشبثا بمبدأ الاستفتاء وبالشرعية الدولية المتمثلة في هيئة الأمم المتحدة وأمينها العام.

وقد قام السيد خافير دوكويلار بعدة مساع لإيجاد تسوية عن طريق الاستفتاء. وانتهت مخابراته بوضع برنامج نال مصادقة المغرب وموافقة جبهة بوليساريو.

وفي تلك الأثناء تم تطبيع العلاقات المغربية - الجزائرية في أعقاب اجتماع القمة العربية بالجزائر في ربيع 1988 وقد حضر عاهل المغرب في هذه القمة. وتم الاتفاق بين رؤساء الدول الخمس : المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا على القيام بالخطوات الأولى لبناء المغرب العربي والفكرة سائرة بخطى شاسعة إلى الأمام.

بينما مسألة الاستفتاء في قضية الصحراء المسترجعة مازالت موضوعة على بساط البحث.

*وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال* ؛ ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، ص 245 ؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركات الوطنية بالمغرب*، 1 : 219 ؛ *الأزمة الوزارية أسبابها ونتائجها* : مطبوعات دار "العلم" ؛ ق. الزهيري، *محمد الخامس الملك البطل*.

Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux imperialismes* ; A. Ayache , *La Grande Encyclopédie du maroc, histoire*, p 220 ; *institutions*, p. 175.

قاسم الزهيري

**أسْتيتُو**، محمد ولد سنة 1924 بالريف بدوار تمركيست تيلوين. انخرط في صفوف جيش التحرير وأبلى البلاء الحسن في الكفاح المسلح ضمن الفرقة 13 بقيادة المجاهد ابن المختار حتى سقط في ساحة الشرف خلال معركة أيت باعمران بجبل بوجريفن يوم 2 دجنبر 1957.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**أيت إسحاق**، أو زاوية أيت إسحاق، قرية واقعة عند قدم الأطلس المتوسط على الطريق الرابطة بين خنيفرة

وقصبة تادلا، تبعد عن الأولى بنحو 35 كلم وعن الثانية بنحو 64 كلم. كانت في منتصف القرن الحادي عشر / 17 حاضرة الإمارة الدلائية، أسسها محمد الحاج الدلائي لتكون عاصمة إمارته الناشئة بعد أن ضاقت الزاوية الدلائية القديمة الجبلية بالسكان وامتلأت السبل المؤدية إليها على وعورتها بالواردين والصادرين. فشرع في بناء المدينة الجديدة يوم الأحد 16 ربيع الأول عام 1048 / 28 يوليوز 1638، وأحاطها بأسوارعالية مسنّنة كأسوار فاس، واتخذ لنفسه قصراً وديوانا عظيمين داخل المدينة الجديدة أحاطهما بسور داخلي ما يزال بعضه ماثلا للعيان حتى اليوم، أجرى المياه إلى القصر والدور والمساجد في قنوات تحت الأرض على نحو مايوجد بفاس .

أسكن محمد الحاج معه في عاصمته الجديدة خمس قبائل بربرية من أكثر سكان الأطلس المتوسط عصبية وحمية، وهي قبيلته مجاط، وأيت يمور، وأيت نضير، وگروان، وأيت إسحاق. وبذلك استكمل محمد الحاج الدلائي مظاهر الأبهة والسلطان، وتكونت لديه أهم قوة حربية بالبلاد صال بها وجال وامتلك أهم أقاليم المغرب مدة تنيف عن ثلث قرن.

وقد اتخذت مدينة أيت إسحاق عند تأسيسها أسماء متعددة، فدعاها بعض المؤرخين قصبة الدلاء أو مدينة الدلاء، وسماها بعضهم مدينة أزغار أو الزاوية البكرية لانتقال الدلائيين آل الشيخ أبي بكر إلى السكنى بها. لكن هذه الأسماء كلها اختفت بعد سقوط إمارة الدلائيين وتحطيم المولى الرشيد بن الشريف الزاويتين القديمة والحديثة عام 1079 / 1668. وأصبحت القرية التي قامت على أنقاض مدينة محمد الحاج أو الزاوية الدلائية الحديثة تدعى زاوية أيت إسحاق باسم القبيلة التي تمتد مواطنها في ذلك المنبسط من الأرض.

وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت أسوار مدينة محمد الدلائي المسننة كأسوارفاس ماتزال قائمة في زاوية أيت إسحاق، وكذلك المسجد الأعظم ومناره الشامخ وباب مجاط الكبير المُطل على وادي أهل زمور (أسيف نايت زمور) وقنطرته، لكن جنود الاحتلال الفرنسي حطموا خلال سنوات 1941 - 1944 هذه الآثار واستخدموا أنقاضها في بناء الثكنات العسكرية والمكاتب الإدارية. وقد اكتشفوا أثناء حفر الأسس قنوات المياه التي كانت توزع المياه على مرافق المدينة فطمسوها. ولما زرت زاوية إسحاق في ربيع 1381 / 1962 لم أجد من بقايا المدينة القديمة إلا آثار أسوار عظيمة كانت تحيط بالمدينة الدلائية ممتدة على مسافات شاسعة، ترتفع أحيانا عن سطح الأرض وتساويه أخرى أو تختفي تحت ركام التراب، إضافة إلى بقايا أسوار داخلية ماتزال قائمة بأبراجها كانت تحيط بالقصر، ومسجد جدد سقفه أخيراً وبقايا أقواس الديوان.

ع. العياشي، *الإحيا والانتعاش*، مخطوط ؛ م. القادري ، *نشر* 1 : 376 . س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ أ. الزياني، *البستان*، مخطوط. أ. الناصري، *الاستقصا* ج 6 ؛ أ. المنصوري الزياني، *تاريخ زيان* ، مخطوط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* (ط 2 ) ص 36 - 41 و 165 - 166.

R. Henry, Hespéris, t 36, 1944, p 49.

محمد حجي

**إسحاق** بن **علي** بن يوسف بن تاشفين. لما سقط تاشفين بن علي بن يوسف صريعا في وهران سنة 539 إثر الحرب الطويلة التي شنها عليه عبد المومن بن علي انطلاقا من المغرب ، بادر المرابطون بمراكش إلى مبايعة ابنه إبراهيم خلفا له. لكن سرعان ماتبين لهم أن الخلف لم يكن في مستوى الظرف العصيب الذي كانت تجتاز منه الدولة بل ظهر منه ضعف وتخاذل.

وهذا ما حدا بعمه إسحاق بن علي إلى الخلاف عليه ونقض بيعته والدعوة لنفسه. وهنا نجد اختلافا بين المصادر. فبينما يذكر ابن خلدون مامعناه أن المرابطين نحوا إبراهيم بالمرّة وبايعوا إسحاق، يشير ابن عذاري وصاحب *الحلل الموشية* إلي استمرار "الخلاف والتدابر بينهم إلى انقطاع دولتهم ودخول الموحدين عليهم".

ومهما يكن فالشخص الذي برز في ساحة الأحداث عند استيلاء الموحدين على مراكش وكان بيده الأمر والنهي هو إسحاق . ولعل الصراع الذي قام بسبب هاته القضية لم يكن بين المرشحين لخلافة تاشفين لأنهما كانا صغيري السن آنذاك، بل بين فئتين من كبار المرابطين. ولاشك أن الفئة التي ناصرت إسحاق اعتبرت أن والده عليا رشحه في أواخر أيامه لولاية عهده، إذ خاب ظنه في تاشفين الذي كان أسند إليه ولاية العهد و"جاءت الأيام بخلاف ما أمل فيه فتشاءم به وعزم على خلعه وصرف عهده إلى ولده الأصغر إسحاق" (ابن عذاري، *البيان*، 4 : 99) واتخذ كل التدابير الضرورية لإنقاذ أمره فاستدعى ولده تاشفين للعودة بجيشه إلى مراكش، واستدعى عامله إلى إشبيلية عمر ليجعله شيخ ابنه إسحاق ومدير أمره لكن حدثت أحداث مروعة لتاشفين وهوعائد في طريقه، إذ صادف أمطارا غزيرة وهو مخيم بظاهر فاس، وكثر السيل والوحل، فمات كثيرمن الناس والدواب وفشا البرد والجوع في جيشه لانقطاع الطريق عنهم، فلم يستطع أن ينفذ ما عزم عليه إذ أدركه الموت بعد ذلك بقليل. ويظهر من رواية ابن خلكان أن المرابطين، بعد وفاته، أخذوا بحل وسط إذ جعلوا إسحاق "نائب أخيه تاشفين على مراكش".

هاته الاختلافات البسيطة التي نعثر عليها في المصادر تدل، قبل كل شيء، على أن المعكسر المرابطي كان منقسما على نفسه وأن أنصار إسحاق تمكنوا من فرض مرشحهم بعد مقتل تاشفين بوهران الذي جرى بالضبط في ليلة 27 رمضان 539 / 22 فبراير 1145، وكان إسحاق آنذاك لايتجاوز أربع عشرة سنة. ولم يستمتع حقيقة بالملك ولاصادف حظا سعيدا في أي يوم من حكمه، إذ كانت الدولة المرابطية في النزع الأخير تتكبد هزيمة إثر أخرى في

كل المعارك التي دارت بينها وبين الموحدين، وهكذا استولى عبد المومن على وهران ثم تقدم نحو تلمسان فنكّل بأهل تاگرارت وعفا عن أهل تلمسان وظل بها سبعة أشهر ثم استأنف طريقه نحو المغرب ، فتلقى بيعة سجلماسة . وقصد فاس واستولي عليها بعد مقاومة من المرابطين ، دامت سبعة شهور ، في أواخر سنة 540 ثم استولى على مكناسة فسلا وتقدم في طريقة نحو مراكش التي ظلت هي المعقل الأخيرللمرابطين.

وضرب الموحدون حصارهم لمراكش ابتداء من فاتح محرم سنة 541 / 13 يونيو 1146 وبنوا مدينة أو محلة حول جبل إيجليز إيذانا باستعدادهم لعملية حصار طويلة. وأصبح المرابطون داخل عاصمتهم في وضع حرج لايراودهم أمل كبير في اجتناب الكارثة. ومع ذلك فقد صمدوا صمودا يدل على استماتة ورجولة.وحاولوا القيام بمعركة حاسمة مع الموحدين لكنهم لم يوفقوا وتكبدوا خسائر لوقوعهم في كمائن أعدائهم.

ويظهر أن إسحاق كان له دور فعال في تصميم المرابطين على المقاومة، إذ طارد كل من ظهر منه ضعف وتخاذل من المرابطين مثل عمر بن ينتان الذي اضطر إلى الفرار والالتحاق بمعسكر الموحدين. ويذكر ابن عذاري مامضمنه أن اللمتونيين كانوا بمراكش "في عدة من كبارهم وبقية من أحشادهم وأميرهم إسحاق بن يوسف، وكان صبيا صغيرا، فأمرهم بالخروج إلى حزب النازلين عليهم" (*البيان*، 3 : 27)، طال الحصار تسعة أشهر وثمانية عشر يوما حتى هلك المرابطون بالجوع وانعدمت الأقوات. فتمكن الموحدون من الدخول إلى المدينة في تاريخ 18 شوال541 / 24 مارس 1147. وحاول إسحاق أن يواصل هو وصحبه مقاومتهم داخل القصبة المدعوة "قصر الحجر" لكن سرعان مااقتحم الموحدون عليهم المكان. وهكذا وقع إسحاق آخر ملوك المرابطين في قبضتهم. ورق له عبد المومن لما رأى صغر سنه وحاول أن ينقذه من الموت، لكن أحد شيوخ الموحدين "من أهل خمسين، أبا الحسن بن واجاج، اعترض بشدة على موقف عبد المومن الذي غادر المكان مغضبا فقام حينئذ بقتل "الصبي" إسحاق، وهو مايزال في السادسة عشرة من عمره بمحضر الشيخ الهنتاتي.

وكان لابد من القضاء على آخر رمز لدولة المرابطين، سيما إذا اعتبرنا مبلغ قساوة الموحدين عند اقتحامهم لمدينة مراكش إذ قتلوا بها على ماتذكر بعض المصادر ما لا يقل عن نيف وسبعين ألف رجل وهلك من الجوع أزيد من مائة وعشرين ألفا من سكانها.

البيذق أ، *أخبار المهدي* ؛ ع. ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ع. ابن عذاري، *البيان المغرب* (قسم الموحدين) ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن خلدون، *كتاب العبر* ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ابن الأبار، *الحلة السيراء* ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*.

محمد زنيبر

**إسحاق بن ويعزان**، أبو إبراهيم، ذكره التادلي في *التشوف* وعده من الأولياء الأخفياء، من أهل رباط تاسماطت، تُطوى له المسافات فيحج في أيام قليلة. وهو من أهل القرن السادس الهجري، مات بأغمات وريكة.

التادلي *التشوف*، 235.

أحمد التوفيق

**إسحاق بن يوسف** بن عبد المومن، أحد أولاد يوسف بن عبد المؤمن الثمانية عشر وهو، حسب *روض القرطاس*، شقيق ليعقوب المنصور. لا تتحدث عنه المصادر كثيرا. وكل ما نعلم أنه كان واليا على غرناطة. وقد أشار إليه ابن الخطيب في *الإحاطة* كأحد ولاتها. وأثناء ولايته حدثت وفاة والده بالأندلس سنة 580 / 1184 وبيعة أخيه يعقوب المنصور بالأندلس الذي رجع إلى المغرب في موكب فخم وهيئة حافلة. وحضر السادة إسحاق وأبو زيد وأبو يحيى لوداعه في شاطئ البحر عند صعوده للسفينة العائدة إلى عدوة المغرب. مما يدل دلالة كافية على أنه كان ملحوظا وأن منزلته كانت عالية بين رجال الدولة الموحدية.

والظاهر أن ولايته على غرناطة امتد أمدها زمانا طويلا من عهد أبيه إلى عهد المستنصر الذي نقله من الولاية على غرناطة إلى الولاية على فاس واستبد له في غرناطة بعمه إبراهيم بن يعقوب المنصور. وتعيينه الجديد يدل على أنه كان موفقا كرجل سلطة إذ أن فاس وإقليمها تعد من أصعب الولايات، سيما في ذلك الظرف الدقيق الذي بدأت فيه الدولة الموحدية تنزل في منحدر التدهور.

ولعله عاد مرة أخرى إلى الولاية على غرناطة إذ نجده يتوج ولايته في آخر عهد المستنصر بمنشآت عمرانية رفيعة، من بينها القصر الذي شيده خارج غرناطة قرب نهر شنيل المعروف باسم قصر السيد، الذي تصفه *الحلل الموشية* "بالقصر الكبير الذي على نهر شنيل" وتضيف بأنه بنى رابطة أمامه سنة 615. ولا أدل على جمال هذا القصر من كون ابن الخطيب يذكر أن الأمير أبا عبد الله الغالب بالله ابن نصر اتخذ من قصر السيد "دار ضيافته خارج حضرته وهو آثر قصوره لديه" (*الإحاطة* 1 : 324). ومازالت بقايا هذا القصر قائمة إلى اليوم، ويدعوه الإسبان قصر شنيل Alcazar Cynil.

وهكذا يكون هذا الأمير يتحلى بنفس الصفات التي وجدت عند شقيقه الكبير يعقوب المنصور. فهو، في آن واحد، رجل سياسة وإدارة وصاحب ذوق كبير في المنشآت المعمارية.

ولا ننس، في الأخير، أن نذكر أن عبد الواحد المراكشي كان متصلا به ويروي عنه أخبار أبيه. كما أنه هو والد الخليفة المرتضى الذي يأتي في قائمة الخلفاء الموحدين هو الخليفة ما قبل الأخير أي أبي دبوس.

ع. المراكشي : *المعجب* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ أ. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ م. ع عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

**الإسحاقيّ**، أبو محمد عبد القادر أو *الجيلالي* الشرقي أو عبد القادر بن محمد اختلفت المصادر التاريخية في الاسم الشخصي المركب للفقيه الإسحاقي كاتب السلطان المولى إسماعيل ووزير ابنه السلطان المولى عبد الله، غير أن الاسم المشهور مع كنيته هو أبو محمد عبد القادر بن محمد الشرقي الإسحاقي، ويزداد تساؤل الباحث عندما أضاف إليه محمد القادرى في *نشر المثاني*، اسم الجيلالي ليصبح عبد القادر الجيلالي، لعل ذلك تيمنا بغوث بغداد، وانتشار الطريقة القادرية بالمغرب، إلى جانب الشاذلية ذات الرواج الواسع، يؤكد هذا الافتراض اهتمام الإسحاقي بالطرق الصوفية سواء منها الباعلوية أو القادرية أوالشاذلية ، وحضوره مجالس الأذكار خلال رحلته الحجازية، حيث تلقى الذكر ولبس الخرقة على طريقة القادرية الجيلالية ووقف على اتصال الباعلاوية بمولاى بوعزة.

وأما اسم الشرقي، فغالبا ما يكون تكميليا وخاصة في منطقة تادلا تيمنا بالعارف بالله أبي عبيد محمد الشرقي (×) دفين أبي الجعد، وإذا تتبعنا البحث لتوضيح الإسم الحقيقي لهذه الشخصية التي عرفت في مجال الدولة أكثر من مجالس العلم، نلاحظ اختلافا بسيطا في اسمها، فالمشارقة يسمونه محمد الشرقي في حين ورد اسمه في *رحلته الحجازية* : أبو محمد سيدي الشرقي بن محمد الإسحاقي، وحتى في النسخة الزيدانية لم يعط النقيب عبد الرحمان بن زيدان من خلال ماكتبه على ظهرها الاسم الكامل المتعارف عليه واقتصر على تسمية : الوزير الإسحاقي. وأما المدني بن الحسني الرباطي فأشار إليه مرتين في نفس الصفحة من كتابه *مقدمة الفتوحات الإلهية الكبرى*، بالكاتب الوزير الشرقي الإسحاقي ومرة أخرى قال بأن السلطان المولى عبد الله أمر كاتبه الإسحاقي بتدوين الرحلة.

وإذا بحثنا عن اسمه في الإجازات التي منحها له علماء المشرق، نجد الشيخ محمد عقيلة يسميه محمد الشرقي، ونفس الاسم ورد كذلك في إجازة الشيخ محمد بن تاج الدين الحنفي له.

ويظل هذا الإبهام ملازما لترجمته حتى في المراسلة التي وجهها له صديقه محمد المسناوي الدلائي للتوسط في قضاء بعض الأغراض الشخصية وذلك عام 1122 / 1710، فاكتفى بدوره بتسميته سيدي الشرقي الإسحاقي، وهذه المراسلة تشهد على استمرار روابط المودة بينه وبين أبناء منطقته وعلى دوره ومكانته كموظف سام، أنجبته قبيلة أيت إسحاق الواقعة بعمالة خنيفرة وعلى بعد كلمترات من مركزها.

وبعد هذا البحث في اسمه ونسبه، نقف على مكانته العلمية ومهامه في الدولة ؛ غير أن الكتب التي ترجمت له لا تتجاوز في التعريف به بضعة سطور ولا تقدم لنا معلومات كافية عن حياته العلمية بالمغرب وتبقى *رحلته* المصدر الأساسي للتعرف على معارفه واتجاهاته وميوله، كما تعتبر من جملة مصادر تاريخ المغرب، خصوصا في مجالي التاريخ والدراسات الإسلامية مع غلبة طابع السرد. وهي في نفس الوقت، تبين مدى مشاركته العلمية وحصيلته من كل فن، غير أن معلوماتنا قليلة عن مسيرته في طلب العلم بالمغرب، فلم يحدثنا عن المراحل التي قطعها في هذا الشأن ولا عن شيوخه ولا عن ترجمته الذاتية. ولعله سلك هذا الاتجاه في كتابة رحلته لكونه مأموراً بتدوين أخبار رحلة الأميرة خناثة، ولهذا لم يخصص حيزاً مناسباً في الكتابة عن نفسه باستثناء ما تعلق باتصاله بعلماء المشرق أثناء سفره، غير أننا نلاحظ من خلالها أنه تتلمذ على الشيخ اليوسي الذي ورد ذكره عند وصفه لمستوى الحركة العلمية بهذه الديار، وهو مستوى لم يكن متوقعا لما أصابها من نقص وضعف في رأيه. وقد اعتبر عبد الهادى التازي أن الشرقي الاسحاقي من جملة المتخرجين من القرويين، غير أننا لانقف له على شيوخ ولاتلاميذ ولامؤلفات من غير الرحلة ، ذلك أنه قضى فترة طويلة من حياته في خدمة الدولة التي التحق بها سنة 1104 / 1691 عقب الحملة التأديبية التي قام بها السلطان المولى إسماعيل إلى جبال فازاز.

وبعد وفاة السلطان المولى إسماعيل انحاز إلى ابنه السلطان المولى عبد الله فاستوزره وظل في مهامه الى أن توفي بعد سنة 1150 / 1727.

ونظراً لمكانته عنده فقد اختاره لمرافقة والدته الأميرة خناثة بنت بكار وولده الأمير محمد، الذي كان دون الحُلم لأداء فريضة الحج، وذلك سنة 1143 / 1731. وعهد إليه بتدوين الرحلة، فانتهز الإسحاقي هذه المناسبة للتعبير عن عواطفه والكشف عن مذاكره العلمية وسلوكه الروحي والاعتزاز بمغربيته والإشادة بمقومات البلاد، من مذهبها المالكي وعقيدتها الاشعرية ونقاء تصوفها الشادلي ووحدتها السياسية. واعتباراً لمهامه في الحكومة فقد عرف بالشرفاء العلويين وقصة قدومهم من الينبع إلى تافيلالت وأشار إلى دور الأميرة خناثة بنت بكار في السياسة ومكانتها العلمية إلى جانب عطاياها وهداياها بالمشرق، وسعى في كتابته ليكون رحالة واصفا وملاحظاً وناقدا بأسلوب مرسل.

وتحدث عن الحفاوة التي استقبل بها الموكب الأميري في مختلف الأقطار العربية وما قيل في هذه المناسبة من قصائد وما قدم من مؤلفات هدية لسلطان المغرب وما حصل عليه من لقاء العلماء واستجازته نخبة منهم ومن ضمنهم عمر البار الباعلوي الحسني وزين العابدين المنوفي مفتي الشافعية وعبد الله السكندراني الضرير ومحمد بن أحمد عقيلة المكي ومحمد الطبري امام المقام الخليلي وتاج الدين الحنفي وعبد الله بن يحيى فندي بن جعفر الواعظ.

ومما يلاحظ في رحلته كونه انتقد واقع المجتمعات العربية نظرا لتفشي الظلم والبدع والتخلف بها، فتصدى

للرد عليه من ليبيا أحمد بن عبد الدائم الأنصاري في قصيدة له، والمؤرخ ابن غلبون الطرابلسي.

ومن الملاحظ أن *رحلة* الإسحاقي لازالت مخطوطة وفي خزانة القرويين النسخة الأصيلة التي حبسها السلطان المولى عبد الله سنة 1156 / 1743 وهي تحت رقم 253، والنسخة الزيدانية وهي منقولة ومبشورة الأخير وهي بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 1428.

ع . الإسحاقي، *الرحلة الحجازية*، مخطوط ؛ م القادري *نشر المثاني* ؛ أ. الناصري ، *الرحلة الحجازية* ، مخطوط ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ المدني بن الحسني، *مقدمة الفتوحات الإلهية الكبرى* ، ص 3 ، دار النشر السلطانية سنة 1945 ؛ ع. التازي، *جامع القروين*، 3 : 801.

محمد مكامان

**أَسَد، أو سبع**، وإزَم بالبربرية من الحيوانات اللاحمة المنتمية إلى فصيلة السِّنَوْريات والمسمى باللاتينية (Linné) Panthera (Leo)leo. يبلغ طوله مترين ونصفاً بدون ذيل وعلوه عند الغارب متر. يتراوح وزنه ما بين 125 و 130 كلغ.

يكسوه شعر قصير رمادي وبُنِّي داكن جهة الرأس وفاتح جهة البطن. ذيله طويل وينتهي بخُصلة شعر سوداء تُميزه عن باقي أصناف السنوريات.

تسمى الأنثى اللبُؤَة، وهي منعدمة اللبدة وصغيرة الحجم بالنسبة للذكر. يميل لون شعرها إلى البياض جهة البطن . يطلق على الصغار اسم أشبال، وهي مرقطة ومخططة أحيانا. شعرها كثير الصوف بالنسبة للكبار. تندثر الخطوط تدريجيا مع تقدم السن ولا يبقى منها إلا البعض على الجانب والقوائم عند الأنثى بالخصوص.

تظهر اللبدة عند ذكور الأشبال في سن متقدمة وتصير قوية بعد 4 أو 5 سنوات.

لوحظ أن الأسود التي تعيش في مناطق مرتفعة تحت مناخ بارد تمتاز بقامة كبيرة ولبدة مكثفة وداكنة.

صيغة أسنانه كالتالي :

3 / 3 وقـوارض، 1 / 1 أنيـاب، 3 / 2 أضراس أمامية ، 1 / 1 أضراس = 30 سنا.

يعتبر الأسد من الحيوانات المُخَالطة ولا يعيش وحيداً إلا نادراً. تتكون المجموعات العائلية عمًّا يزيد عن 30 فرداً منها عدة إناث وأشبال يترأسها ذكر واحدٌ أو أكثر. تتنقل كُلُّ مجموعة في مساحات شاسعة حيث بإمكان الأسد أن يقطع 30 كلم في الليلة الواحدة. كثيرا ما تقتنص المجموعة فريستها ليلا إلاَّ أن الأسد يُعد من أكثر السِّنوريات نشاطا خلال النهار.

يقضي الأسد أوقات حرارة النهار تحت الأدغال والأشجار وهو معروف بكسله وخاصة بعد شبعه ويبدو أن الحيوانات التي تكوِّن فريسته تحس بهذا فترعى بجوار المجموعات بدون خوف.

يتمتع الأسد بحواس قوية وخاصة منها الشم والسمع والبصر. تسمع صيحته على بعد 8 كلم ويصيح غالباً قبل شروق الشمس وعند الغروب. يتكون غذاؤه من جميع الثدييات العاشبة والتماسيح والأفاعي. كثيراً ما تصاد الفريسة بواسطة مجموعة من الأسود التي تحيط بأماكن الشرب بكيفية منتظمة. فهي تقترب من الواحات زاحفة على بطونها حتى تفاجىء القطيعات وتنقض على ظهر الفريسة وتكسر عنقها بقوائمها الأمامية القوية أوتخنقها. أحياناً تختبىء اللبؤة في مكمن وتنتظر من أفراد مجموعتها أن تسوق الفريسة نحوها جارية وراءها. لوحظ في أغلب الحالات أن الأنثى هي التي تقتل الضحية. الصيد لايتم كل يوم والمعدلَ السنوي لايزيد عن 20 فريسة لكل فرد.

الأسد متعدد الزوجات وتدوم مدة الحمل 105 ـ 119 يوما، وتستأنف اللبؤة حرراتها الحيوانية بعد بضعة أسابيع من وضع صغارها الذي يتراوح عددها ما بين 2 و4 ونادراً 7. توضع الأشبال فوق الأعشاب اليابسة في أماكن محمية. يزن الصغير بعد الولادة كلغ واحداً وتهتم الأم بتربيته وحمايته، ويتم فطامه بعد عشرة أسابيع. يصير الشبل حرا بعد سنة ولا يغادر أمه إلا بعد 18 شهراً.

يَرتفع عدد الوفيات عند الأسد في الأعمار المتراوحة بين سنة وسنتين وخاصة عند الذكور. 3 سنوات هي سن الرشد عند الأسد ويمكنه أن يعمر 30 سنة بمعدل يتراوح ما بين 15 و25 سنة.

يعتبر الأسد من أقوى الحيوانات اللحمية ويوضع في قمة سلسلة التغذية وعدوه الوحيد هو الإنسان.

يعيش الأسد في السهول الكثيرة العشب والمرتفعات التي لايفوق علوها 3000 مترا.

أصبح أسد الأطلس، الذي يُفتخر به في معارض الوحوش، مجرد ذكريات تُذكر في الكتب وفي الفلكور البربري والعربي حيث يشكل هذا الحيوان بطل معظم الحكايات والأساطير نظرا لشجاعته وإقدامه. وجد الأسد في بلاد المغرب بيئته الملائمة لمعيشته مما أدى إلى تعميره طويلا في هذه البلاد. يقول CABRERA (1932) PANOUSE (1957) إن هذا الحيوان تكاثر في جميع أنحاء المغرب خلال العصر الروماني، وقد تم انقراضه على السواحل في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ولوحظ قبل 80 سنة أنّ عدة مجموعات كانت تعيش في الأطلسين المتوسط والكبير، إلا أن تطور رعي الماشية ومتطلباته من حماية من طرف الرعاة جعلت هذا الحيوان غير مرغوب فيه، وكذلك تطور الأسلحة النارية جعلت منه غنيمة للصياد الأوروبي. وهكذا يرجع تاريخ آخر أسدٍ بالمغرب إلى سنة 1920 أو 1925.

تضم حديقة الحيوان بتمارة حاليا3 ذكور و8 إناث أصيلة، وذكرين و11 أنثى هجينة مع أسود أفريقيا الوسطى.

A. Cabrera, (1932), *Los Mamíferos de Marruecos*. Trabajos Mus. nac. Ciencias Ser. Zool., 57 : 1 - 361 ; J. Dorst et Dandelot, P. (1972), *Guide des grands Mammifères d'Afrique*. édit. Delachaux et Niestle, Neuchatel, Paris, 286 pp. ; J. B. Panouse, *Les Mammifères du Maroc*. trav. Inst. Sc. Chérifien, Ser. Zool., nº 5 : 206 p.

محمد رمضاني

**أسْدْرمْ**، معناه الفج والممر الجبلي الذي بين جهتين أو قبيلتين، وتسمى به قرى عديدة كالتي بفرقة أيت نهاريت إغرْمْ من عمالة تارودانت والتي بفرقة مسناكة بإداولتيت والتي بفرقة إنفلاسْ بناحية الصويرة الخ. وقد أورد البيذق في *تاريخ الموحدين* (ص. 77 من النص العربي من طبعة ليفي بروفنسال) ذكر أسْدْرمْ انْ الغزى، أي فج الغزو، وعنده كان اللقاء بين الموحدين الطامعين في الخروج إلى السهل وبين جيوش المرابطين والقبائل الموالية لهم كأهل كيكْ أي أهل الهضبة الخصبة التي ما تزال تعرف بهذا الإسم وتقع وراء القرية التي بها ضريح مولاي إبراهيم الأمغاري بناحية مراكش، فيكون الموقع المقصود بأسدرم هو الممر الذي بين تاگموت (إيماريغن) وبين كيك، وهو الجبل الذي على يمين القاصد إلى سوس على الطريق 501 من مراكش عندما يكون على مسافة 58 كلم من هذه المدينة.

البيذق *أخبار المهدي* ؛ *تحريات ميدانية*.

E. Laoust, *Contribution*, p 74 ; *Repertoire alphabetique*, p.305.

أحمد التوفيق

**أسديف** ← **ورزازات** (إقليم ـ)

**الأسْرَى في المغرب**، مشكلة الأسرى مرتبطة ارتباطا وثيقا بمسألة الاسترقاق التي كانت عند ظهور الإسلام قد انتشرت انتشارا فاحشا في الدولتين العظميين آنذاك، وهما فارس وبيزانس، كما استفحلت في بقية أنحاء العالم وخاصة جزيرة العرب. وقد تدرج الإسلام في تشريعاته للتقليص من لأواء الرق واعتبر العتق من أوليات التكفير عن بعض المخالفات الشرعية، بل وحتى هفوات طفيفة ضد عبيد وإماء. وقد ورد أن الرسول عليه السلام ـ دعا عبدالله بن عمر إلى التكفير عن تعنيفه الكلامي لأحد عبيده بعتقه كشرط وحيد للتخلص من الذنب. وقد جاء الإسلام بمبدإ أساسي هو أن الإنسان يولد حراً. واستنكر الخليفة عمر بن الخطاب أعمال الجاهلية عندما تساءل في غضب قائلا : «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟».

فالاسترقاق في الإسلام لا يعدو أسر غير المسلمين في الحرب، وما سوى ذلك كله لا يعتبر استرقاقا. ولذلك نص كثير من الفقهاء وفي طليعتهم أئمة الإسلام في المغرب العربي أمثال شيخ الإسلام إبراهيم الرياحي التونسي على عدم حلية نكاح المستولدات بدون صداق إذا كن قد صرن ملك يمين بالاسترقاق غير المشروع ، ويكون الإسلام قد سبق ما ادعته أوروبا في العصر الحديث من إبطال العمل بالاسترقاق.

وقد منع السلطان مولاي سليمان استرقاق من لا يحل تملكه شرعا، وهو سبي بلاد العدو ولو أسلم بعد ذلك بخلاف من سبي في بلاد الإسلام فلا يصح تملكه. (*سلوة*، 3 : 231)

ومازال العالم يعرف إلى اليوم استرقاقا حربيا يدخل في سياسة الأسر المعترف بها في القانون الدولي حيث مازال أسرى الحرب العالمية الثانية يرزحون في قيود الأسر في أقطار أوروبية.

على أن أوروبا قد شجعت الاسترقاق في مستعمراتها الإفريقية، كما خلقت استرقاقا جديدا في حركاتها القرصنية في البحار وخاصة البحر المتوسط. وقد حاول سلطان المغرب الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي تشكيل ميليشية بحرية لمحاربة هذه القرصنة منذ القرن السادس الهجري، حيث كان «لصوص البحار» يجدون في ذلك تجارة مربحة انضافت إلى أسواق النخاسة في القارة السمراء، بل و أسواق النخاسة البيضاء التي مازالت مستمرة إلى اليوم. وقد تحدث كايي في كتابه حول *أوفاق ومعاهدات السلطان سيدي محمد بن عبد الله* عن الجهود التي بذلها محمد الثالث هذا لفرض معاهدات واتفاقيات على أقطار أوروبية من أجل التقليص من الاسترقاق القرصني غير المشروع سابقا بذلك أوروبا ـ كما يلاحظ كايي ـ بتشريعاته الحكيمة التي شكلت قسطًا جوهريا من (التشريع الدولي في القرن العشرين).

ومع ذلك فإن دولا مسيحية ظلت طوال قرون تمد مستعمراتها في أمريكا بزنوج أفارقة معظمهم مسلمون وخاصة في البرازيل حيث قاموا بثورات مابين عام 1807 ـ 1835 (E.I,I:34).

كما استمر القرصان المسيحيون والمسلمون معا في ممارسة الأسر في البحر المتوسط حيث اعتقلوا مآت الأحرار من الديانتين، وقد باعت هيئة فرسان مالطة المسيحية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر للملاحة الفرنسية رجالا استعملتهم هذه الملاحة لتجديف مراكبها. وقد تمرد بجزيرة مالطة عام 1749 أزيد من عشرة آلاف من العبيد المسلمين حرر منهم بونابارط عام 1798 نحو الألفين، وكذلك بالنسبة للمسحيين الذين استرقهم المسلمون في إفريقيا وغيره، ومعلوم أن جنوة هاجمت طرابلس الغرب في منتصف القرن الثامن الهجري وأسرت نحو سبعة آلاف مسلم ما بين رجال ونساء وأطفال حرر الكثير منهم سلطان المغرب أبو عنان كما افتك طرابلس نفسها بفدية مالية ضخمة. ويتحمل مسؤولية هذه العمليات اللاإنسانية المسلمون والمسيحيون معًا. وقد أسهم القرصان الأفارقة في تشجيع هذا الصنف من الاستعباد الذي ـ إن كان يبرره أحيانا الانتقام ورد الفعل ضد حركة الغزو الإيبيرية Reconquista بعد سقوط غرناطة ـ فهو مع ذلك مناف للفضيلة الإنسانية ولمبادئ الإسلام. على أن البعض من عامة المسلمين قد خالفوا في تصرفاتهم نصوص الشريعة الإسلامية فاستعبدوا الأحرار وفتحوا أسواق النخاسة

وسموها في المغرب العربي (بركة) وهي في الأصل مكان تبرك فيه الجمال الحاملة للزنوج الذين كانوا يُختطفون من بين أحضان أمهاتهم من السودان وبُرنو والتكرور وغيرها ليباعوا علانية في أسواق رسمية في كثير من أقطار العالم الإسلامي.

ومعنى هذا أن العالم الحديث قد لطخ أيديه شرقا وغربا بهذا الاسترقاق الخسيس الذي أبطلته حرفية النصوص التشريعيةَ الإسلامية والقوانين الحديثة، ولكن رعته المصالح الخاصة والروح الاستعمارية التي كانت تدعي إصدار قوانين لإلغائه. وإذا كانت القارة السمراء هي أولى ضحايا هذا الشذوذ الأثيم فإن النخاسة البيضاء ظلت مفتوحة في أوروبا وأمريكا بالإضافة إلى النخاسة السوداء.

وقد انطلقت الحركة الهادفة إلى إلغاء الرق منذ قرن تقريبا حيث حرر الخليفة العثماني منذ عام 1246 / 1830 كل العبيد البيض الذين هم من أصل مسيحي، كما أصدرت تونس عام 1263 / 1846 قراراً بتحرير العبيد. وأصدر سلطان المغرب المولى سليمان قبل ذلك بعقود من السنين القرار الذي ندد بالاسترقاق غير المشروع، وتجدد في المغرب هذا القرار عام 1341 / 1922.

وقد كابد المغرب الأمرّين من هذا الاسترقاق الأبيض الذي نكب به من جراء تعسفات الاستعمار الناشئ منذ القرن العاشر الهجري أي منذ العهد السعدي، حيث كان للمغرب أسرى في الخارج، كما كان أجانب يعيشون في الأسر داخل المغرب بسبب القرصنة البحرية، فلم يسع ملوكنا وخاصة العلويين وفي طليعتهم المولى إسماعيل إلا السعي لافتكاك هؤلاء الأسرى أو استبدالهم. وكانت اتصالات أمير سلا عبد الله بن عائشة مع لويس الرابع عشر ملك فرنسا لهذه الغاية. وأنفق المولى محمد بن عبد الله أموالا طائلة لفكاك الأسرى من «بلد الكفار» حتى لم يبق بها أسير من المسلمين لا من أهل المغرب ولا من أهل المشرق ولا من الترك، وقد بلغ عددهم عام 1200 / 1785 ثمانية وأربعين ألف أسير (*الجيش*، 1 : 176).

ونشر دوكاستر (*مصادر*، الدولة الفيلالة، السلسلة 2 : 6 :53) لائحة الأسرى المغاربة الذين كانوا بفرنسا ما بين 1700 و 1727 م ومعظهم من عائلات عريقة بالمغرب. ولاتخلو أعداد أخرى من نفس المصادر من لوائح إضافية (سلسلة العلويين ـ فرنسا 5 : 53 ـ 84). وفي عام 1213 / 1798 كان تاجران تطوانيان هما عبد السلام عمار وعبد الغفار إسماعيل أسيرين بباريس في الوقت الذي كان مجلس الإدارة Directoire يشرف على الحكم بفرنسا. وقد توجه التاجران من تطوان في نونبر 1797 واعتقلا في ليفورن Livourne في 19 يناير 1798. (Hespéris,1960, vol. I. Fasc III, 552) وكان المولى إسماعيل يطالب بمائتي دوكا (مثقال ذهبي) الذي كان يساوي حوالي نصف دينار، والدينار يعادل أقل من خمسة گرامات ذهب، وأسير مغربي عن كل أسير فرنسي.

ولعل هذا النوع من الأسر في المغرب لم يكن في غالب الأحيان سوى رد فعل لما كانت تقوم به آنذاك دول أوروبية مثل : فرنسا، وإسبانيا، والبرتغال، وهولندا (*مصادر* هولندا، 7 : 50) وكان المغرب يعاملهم بالحسنى ولايكلفهم ما لا يطيقون، ويتلقون خبزتين اثنتين كل يوم.

وقد لاحظ گودار (*وصف*، 1 :20) أن استرقاق المسيحيين ألغي في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله أيام ملك فرنسا لويس السادس عشر، ثم أكثر من ذاك في عهد نجله السلطان المولى سليمان معاصر لويس الثامن عشر. ومهما يكن فقد لاحظ رينو (ص 22) أن الأسرى المسيحيين كانوا يحترمون وأن مراسيم دفن موتاهم لم تتعرض قط لأي اضطراب وقبورهم لم تدنس. وقد نقل گودار (*وصف* 2 : 505) ما أحصاه الأب دان (Pére Dan) الذي كان مكلفا بالأسرى المسيحيين بالمغرب فأوصل عددهم إلى ما بين ثلاثة وأربعة آلاف في تطوان وخمسة إلى ستة آلاف بفاس ومثلها بمراكش وألف وخمسمائة إلى ألفين في سلا. وقلما كان ملوكنا يقتصون من مرتكبي الجرائم من بين هؤلاء الأسرى المسيحيين. فقد لوحظ (*استقصا* 3 : 24) أنه كان بقصبة مراكش مسيحيون منذ عهد السلطان السعدي أحمد الأعرج وأخيه محمد الشيخ فحاكوا مكيدة ضد المصلين بملء حفرة بالبارود تحت الجامع ربطوها بفتيل تسري فيه النار على مهل فنفطت الميناء وانهدت قبة المسجد وانشق المنار وذلك عام 981 / 1573 وقد ظلت الصومعة مائلة إلى أوائل هذا القرن. وقد وصف هذا الحادث عن مشاهدة دييگو دي طريس في كتابه *تاريخ الشرفاء*، وكان هو مكلفا من قبل ملكي إسبانيا والبرتغال بافتداء الأسرى المسيحيين ومفاوضة الشرفاء السعديين في ذلك. وفي موضوع الأسرى أساسا ألف كتابه المذكور. كما كان بسلا ومراكش أسرى هولنديون تم تحريرهم عام 1621 من طرف المولى زيدان بن المنصور السعدي وكان قد وعد بتحرير أسرى تطوان (دوكاستر السلسلة الأولى ـ السعديون، 3 : 177) وعندما ورد الكونط دوبرونيون Comte de Breugnont عام 1767 إلى المغرب للتفاوض من أجل إمضاء معاهدة 28 ماي 1767 دفع مبلغا قدره 1.077.533 ليرة أي أزيد من 407 مليون بصرف عام 1952 لافتكاك الأسرى.

وفي عام 1156 / 1751 ورد على المولى عبد الله بن إسماعيل بفاس السفير الإسباني صحبة وفد تطواني ومعه ألف ريال وما يناسبها من الحرير والملف والكتان بقصد فكاك الأسرى الإسبان فطالب السلطان كمقابل بإطلاق سراح المسلمين المعتقلين في إسبانيا (*الجيش* 1 : 125 ؛ *الاستقصا*، 4 : 185 ؛ *إتحاف* ابن زيدان 4 : 453). وقد بلغ عدد الأسرى الإنجليز بالمغرب ثلاثمائة، عام 1133 / 1720 (*رحلة* وندوس Windus)

والواقع أن هذه الصفقات إنما كانت لتصفية الواقع المر الذي ذهب ضحيته أفارقة مسلمون وأروبيون مسيحيون

بسبب القرصنة الملاحية الأثيمة بعد أيام المنصور السعدي الذي انتصر على البرتغاليين في معركة وادي المخازن. وقد وجه ابنه زيدان رسالة إلى ملك فرنسا لويس الثالث عشر بخصوص الأسرى الفرنسيين (دوكاستر ج 2 7 : 109، فرنسا ص 141 2 ف 1 : 597) وكذلك الأسرى البرتغاليون (دكاستري ج 1 ف 2 فرنسا ص 567) أما بخصوص الأسرى الألمان بالمغرب فيوجد كتاب نشرته Hachette في الموضوع بباريس عام 1917 كما أن الأسارى الأتراك بالمغرب قد أشير إليهم في وثائق دوكاستري (السلسلة الأولى ـ السعديون ـ 3 : 249 ـ 675).


م. أكنسوس ، *الجيش* ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج3.

Caillé, *Les Accords internationaux du Sultan Sidi Mohamed ben Abdellah* ; Godard, *Description et Histoire du Maroc* T 1. p 20 ; Renaud, *Etude sur l'hygiène et la Médecine du Maroc*, Alger, 1902 ; Bompard, *Législation de la Tunisie*, texte arabe ; Le père Nolasque Néant, *Rédemption de la congrègation de Paris*, Paris, 1724. *Relation de la captivité de sieur Mouette* ; Ch Penz, *les captifs français de Maroc au XVIIe (1577 - 1699)* Rabat, 1944 ; *Lettres inédites sur la captivité de Bidé de Maurville à Marrakech, 1785 - 1767*, Hesperis, 1 - 2 Trim 1949. Hesperis, 1956 ; Chénier, *Journal du consulat de France* ; J. Windus, *Journey to Mequinez*, London, 1725 ; *E. I2* ; *S. I. H. M*, série Saadienne, *Bibliothèques de France*, *Bibliothèques des Pays-Bas* ; D. de Torres, *Histoire des Cherifs*.


عبدالعزيز بنعبدالله

**الإسرائليون ← اليهود**

**الأسرة المغربية**، تعني كلمة "أسرة" لغويا أهل الرجل وعشيرته. ويعطي هذا المفهوم من الناحية السوسيولوجية ثلاثة أبعاد تعكس نوعا من العلاقات بين أفرادها أكثر مما تعكس طبيعة روابطهم القرابية. لهذا فإن الأسرة الممتدة هي تلك الجماعة المنزلية التي هي في نفس الوقت، وحدة إنتاج ووحدة ملكية ووحدة لإعادة الإنتاج الاقتصادي والبيولوجي والرمزي. وتتميز هذه الجماعة بالتراتب تحت سلطة زعيم الأسرة وتنتظم بكيفية تسمح بضمان إعادة الإنتاج ونقل التراث الأسري (الاقتصادي والرمزي والاجتماعي والثقافي). ويتحقق داخل هذه الأسرة من هذا النوع الوحدة بين ملكية تراث منتج (اقتصادي أو رمزي )واستعمال هذا التراث عبر ممارسات الإنتاج وممارسات إعادة الإنتاج والطقوس العملية المرتبطة بهما والعلاقات التي تنتج عنها.

ـ الأنماط القرابية في الأسر المغربية : إذا انطلقنا من فرد وهمي يمكن استخراج المستويات المختلفة للقرابة للأسرة المغربية كما يتبين مما يلي :

أ ـ القرابة المنزلية : نجد في القرابة المنزلية مستويين :

* مستوى القرابة الأولية : بالنسبة للفرد هناك الأسرتان الأوليان اللتان ينتمي لهما : أسرة يكون فيها ابناً وأخاً، وأسرة يكون زوجاً وأباً.

* مستوي القرابة الثانوية : يوضع الفرد هنا بالنسبة لعمه وخاله.

وسوف يتعلم من خلال الممارسات التربوية الاعتراف بأولوية القرابة العصبية على القرابة الأمومية (الخال). ويعتبر هذا أساسيا في التمييز الاجتماعي بين المتناسبين.

ب ـ القرابة الأمومية : تتشكل القرابة الأمومية من أفراد أسرة المرأة (الخال، الخالة، الجد أو الأب للمرأة، الخ.....) ويتم إبعاد هذه القرابة عندما تكون المرأة / الأم/ الزوجة من نسب آخر . ويتم تقليص العلاقة إلى الأب والأم والأخ والأخت للمرأة / الزوجة / الأم .

جـ ـ القرابة النسبية : وتتشكل من المنحدرين من جد واحد ويعتبر أعضاؤها الورثة الشرعيين لأسرة دون خلف ذكر.

د ـ بنو العم : وهم الأعضاء الموجودون في الجماعات النسبية المكونة للعشيرة والذين يعتبرون أنفسهم منتمين إلى جد واحد.

2 ـ أهم نماذج العلاقات داخل الأسرة المغربية : بعد هذا الوضع السريع للأسرة داخل نظام القرابة سوف نمر الآن إلى توضيح القواعد والأعراف والسلوكات الأكثر أهمية في تحديد العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة مع الإشارة إلى أهم التغيرات التي طرأت على هذه العلاقات الناتجة عن دخول نمط الإنتاج الرأسمالي الذي كسر توازن الوحدات القرابية خصوصا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

لقد سبق أن أشرنا إلى أن طبيعة العلاقات بين الأعضاء هي التي تحدد التجمع المنزلي وبالتالي فإنها تعبر عن الظروف المعاشية للاسرة على المستوى الديموغرافي والاقتصادي والسوسيو ـ ثقافي والإيديولوجي. ويجب على المغربي البالغ، الذي يحظى بمركز داخل القرابة، أن يعترف ضمنيا بالقيم الأسرية، وأن يسلك حسب تعاليمها لكي يبقى داخل الجماعة. إن الصف داخل القرابة شرط ضروري ولكنه غير كاف للانتماء إلى الجماعة المنزلية، أما المركز القانوني فيضمن إمكانية الابتعاد عن الجماعة والتفرد بالحق من الملكية الجماعية ولايلزم البقاء داخل الجماعة. لهذا فإن التحليل القانوني مثله مثل التحليل الإيكولوجي أو اللفاظي، لايسمح بتحديد مدى وطبيعة العلاقات الأسرية.

إن التشريع الإسلامي يعطي مكانة هامة للأسرة. لكن عددا من الباحثين لاحظ أن هناك تعارضا بين التقاليد والفقه الإسلامي وإن كانا ينتسبان كلاهما إلى الشريعة الإسلامية (بيرك، 1955، ماهر، 1974). زيادة على هذا، يجب التذكير بأنه كان بالإمكان تعريف العلاقات الأسرية انطلاقا من الحقوق والواجبات، فإن جزءا من هذه العلاقات فقط يمكن كشفها من خلال القانون العرفي والتشريعي. إن هذه القوانين تشير فقط للعناصر التي تستحق العقوبات المشروعة. في حين أن الأسرة المغربية غالبا ما تحل بنفسها الخلافات والمشاكل الداخلية. لذا فإنه غير كاف الاعتماد على مقاربة قانونية لفهم الواقع الأسري. إن القانون أو الشريعة لا تهم إلا العلاقات الشكلية والمعيارية بين الأقارب ولا تفسر إلا جزئيا أسس الأسرة.

أ ـ تمييز العلاقات حسب السن والجنس : تحدد العلاقات

داخل الأسرة انطلاقا من القرابة والسن والجنس. إن الموقع داخل القرابة يشير مسبقا إلى جيل الانتماء وكذا إلى اختلاف السن. وعلى العكس فإن المركز سوف يختلف حسب الجنس إذا تعلق الأمر بروابط قرابية مشابهة. ولذا وجب التعرض أولاً وقبل كل شيء إلى طبيعة العلاقة بين الرجال والنساء داخل الأسرة.

تقتضي التقاليد أن تكون العلاقة بين الرجال والنساء داخل الأسرة مقتصرة على ماهو ضروري. وتحقيقاً لهذا المبدأ، فإن التفرقة بين الجنسين هي أول ما يمكن ملاحظته : لا يمكن للرجل أن يجتمع بنساء الأسرة أو يتحدث إليهن. ولازالت وجبات الأكل ، في أغلب الأوساط القروية، تؤخذ على افتراق ، لأنه ليس من اللائق أن تتناول المرأة البالغة الطعام في حضور رجال الأسرة ما عدا ابنها. وبصفة عامة يجب على النساء أن يتخذن موقفا متحفظا من الرجال وأن يتجنبن كل سلوك أومظهر أو لفظة يمكن أن تدل على نوع من الألفة في عين أقارب أزواجهن.

هناك إذن صراع خفي يميز العلاقات بين الرجال والنساء في الأسرة المغربية. إن مصير الأسرة مرتبط بالأشكال التي يتخذها هذا الصراع. ويتم إرجاع أغلب الخلافات الأسرية الى انعدام التفاهم بين النساء (الزوجة وأم زوجها مثلا). ويتم اعتبار الرجل الذي يصغي لزوجته بأنه قليل الرجولة.

ويعتبر من اللائق أيضا أن لا يميز الطفل بين نساء الأسرة : الأم، العمة، أم الأب، بنات العم، زوجات العم. وهذا لايعني أن هناك تمييزا في العلاقات مع مختلف أقاربه من النساء. هناك بعض الاختلافات الطفيفة التي تؤدي به إلى أن يتعامل معهن حسب سن كل واحدة منهن.

أما فيما يتعلق بالأقارب النساء من نفس الجيل (الأخت وبنت العم) فلا يمكن للطفل الذكر الاستئناس إليهن. وتتمُّ تفرقة الأخ عن الأخت في سن مبكر. ويهتم الرجال بالأطفال الذكور. في حين ينتمي الأطفال الإناث إلى مجموعة النساء. ويتم تفريق الإناث عن الذكور بواسطة المهام المخصصة لكل جنس على حدة داخل الأسرة: تتعلم الإناث الأشغال المنزلية في سن لازال يعتبر سنا للعب بالنسبة للولد. ومازال حتى الآن في أغلب الفئات الاجتماعية يتم التعبير العاطفي بين الأخ والأخت بعد زواج كل منهما، إذا لم يبعد الزواج الأخت عن الأسرة.

ولكن إذا تزوجت بابن عمها، فيسمح لها بإقامة نوع من الألفة مع أخيها وذلك لاعتبار أن تربيتها قد انتهت.و بالتالي لم يبق هناك خطر في أن تبعد الأخت عن الجماعة الأسرية .

إن التربية الأسرية تعد الشاب المغربي منذ سن مبكر للالتزام بأنواع السلوك الصادرة عن الأسرة تجاه النساء خصوصا تلك التي يجب أن ينهجها أمام العامة عندما مايصبح زوجا. ولايوجد هناك اختلاف في سلوك الزوج نحو زوجته ولا سلوكه نحو نساء الأسرة الأخريات.

تتميز العلاقة بين أعضاء الأسرة المغربية بصفة عامة بنوع من الاحترام والخوف : احترام تام لأنماط السلوك المعترف بها من طرف الجماعة الأسرية. والخوف الدائم من لوم عندما لاتحترم هذه القواعد والدور المخصص حسب السن والجنس والوظيفة. يشكل تعلم هذا النوع من العلاقة أساس التربية كلها. إن المشاعر الفردية ليست غائبة ولكنها يجب أن تبقى خفية . يجب أن يبقى كل سلوك متعلم خارج الأسرة غريبا عن الأسرة (بورديو، 1974).

وتعتبر علاقة الأب بابنه نموذجية بالنسبة لعلاقات انعدام التكافؤ : يجب على الابن أن يحترم أباه ويطيعه وأن يقبل رأي أبيه وأوامره مهما كان سنه دون نقاش. ويجب على الأب أن يظهر الشدة نحو ابنه وليس الحنان.

أما الأم فنظراً لوضعيتها فإن سلطتها أقل من زوجها وتابعة له، ولا تعبر عن هذه السلطة إلا بكيفية عاطفية. إنها لا تتوفر في جزء كبير من حياتها إلا على مركز أدنى من مركز زوجها. ويمكن لوضعيتها أن تختلف شيئاما حسب الفئة الاجتماعية التي تنتمي إليها الأسرة (الراضي، 1977). إن للأم الحق الأولي في رعاية أطفالها حتى زواج البنت وبلوغ الولد، في حالة ما إذا توفي زوجها أو طلقها.وتبين الحضانة التأثير الذي يمكن أن تمارسه الأم داخل الجماعة الأسرية. زيادة على هذا فإنها تلعب دورا كبيرا في اختيار الزوجة لابنها. وتحظى بمركز عالٍ في وسط زيجات أبنائها إذ أنها تراقب أفعالهن ولسانهن وتشرف على تقسيم العمل فيما بينهن.

إن أثر المرأة الخفي في الأسرة وفي علاقتها بالرجل كزوجة أو أم أو أخت أو جدة هو أثر عميق ولكن لم يعترف به نظراً للميل العفوي إلى الإفراط في تضخيم دور الرجل والتقليل من أثر المرأة (شرابي، 1980). وهذه ميزة من مميزات المجتمع القائم على سيطرة الرجل. إن سلطة الوالدين داخل الأسرة لا يمكن تفسيرها إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار السلطة المعنوية ذات الركيزة الدينية التي توجه سلوك الأطفال.إن سخط الوالدين يمكن أن يتم في الدنيا قبل الآخرة في اعتقاد المغربي.

لقد أشار عدد من الباحثين وخصوصا باسكون والراضي والمرنيسي إلى الطابع البطريركي للأسرة المغربية ووقفوا عند هذا الحد، دون أن يأخذوا بعين الاعتبار الشروط التاريخية والاجتماعية لتكوِّن هذا المفهوم.

إن مركز الأب كما وصفه هؤلاء الباحثون يستحضر بطبيعة الحال الأسرة البطريركية، وتوحي بهذه المقارنة الشكلية سيادة مركزه والجمع المتكرر لدوري الأب وزعيم الأسرة. عندما تكون الأسرة المقتصرة على الجد الحي وأولاده وأحفاده فإن التشابه يزيد بين الأسرة المغربية والأسرة البطريركية. ولكنه رغم هذا لا يمكن أن يعتبر النظام الأسري المغربي على أنه بطريركي لأنه من الوجهة الشرعية يعتبر الإسلام الأب كوالد أي منجب وليس كزعيم مالك لشيء مًّا متمتع بالقداسة. لقد أعطت الشريعة الإسلامية الأب بعض السلطات التي كان يتمتع بها زعيم

الجماعة النسبية على أطفال الجماعة الأسرية في المرحلة الماقبل الإسلامية. وحتى إن بقيت هذه السلطات كما هي فإن طبيعتها قد تغيرت. إن سلطة الأب سلطة معنوية وليست سلطة زعيمية. إن البطريق هو مالك وزعيم وتتشكل هذه العلاقة على أساس قانوني/ قدسي. بينما الأب في الأسرة المغربية هو منجب أي أن العلاقة تتشكل هنا أساسا على المستوى البيولوجي والنسبي. إن سلطة الأب مهما كبرت فإنها تعتبر غير مطلقة وتبقى معدلة من طرف التعاليم الشرعية. وليست سلطة سيد أو مالك ولكنها سلطة الحماية والوصاية.

إن التغييرات التي عرفها المجتمع المغربي إثر احتكاكه بالنظام الاقتصادي والاجتماعي العصري كان لها أكبر الأثر على الأسرة المنظمة بهذا الشكل. لقد تم اقتلاع أغلب الجماعات الأسرية من جذورها وقطعها عن أسسها الاقتصادية التي كانت تشكل أساس التنظيم العام للعلاقات السائدة داخلها وأصبحت ممارسة السلطة من طرف الأب أو ممثليه عملية صعبة. ومن أهم النتائج التي ترتبت عن تفكك هذا النظام الأسري هو أن المرأة ـ الأم أصبحت متحررة في أغلب الحالات من سيطرة أم زوجها ومن ضغط الجماعة العصبية. وأصبح جل أعضاء الأسرة تابعين لسوق العمل الخارج عن الأسرة ولم يبق الأب وحده هو الكفيل بأن يعول وأن يحمي الأسرة. وأصبح هو بدوره متحررا من سلطة أب أو أخ أكبر أو عم كان يفرض سلطته على أعضاء الأسرة الموسعة كلها. إلا أنه أصبح يحس أكثر من أي وقت مضى بعقم محاولاته في السهر على التشبث بالعلاقات كما كانت سائدة من قبل حسب السن والجنس، وأصبح وجوده في البيت يتميز بسكوت يرد عليه الأطفال والزوجة بالسكوت. وأصبحت الزوجة والابن الأكبر العنصرين الذين يستحملان التناقضات الناتجة عن الأوضاع الأسرية التي تعيشها الأسرة حاليا.

وقد أصبح عدم الانقسام الذي كان سائدا في الماضي يعرف تراجعا. وأصبح من بإمكانه تقديم أكبر مساهمة نقدية لميزانية الأسرة هو رب الأسرة مهما كان سنه. ويبين لنا تحليل الأوضاع الملموسة تعدد أشكال العلاقات الممكنة المتعلقة بالمحافظة على سلطة الأب التقليدية وبالقلب الشامل للعلاقة العرفية القديمة. وقد ترتب عن هذا عدة نتائج أهمها : ظهور تعددية المداخيل النقدية المقاسة والمحسوبة التي تتضمن بالقوة قطيعة وتهديدا لسلطة رب الأسرة. ومن جهة أخرى تقل تبعية الشباب للآباء بمجرد ما يبدؤون في الحصول على دخل نقدي خصوصا إذا كانوا أكثر تكيفا مع العالم الاقتصادي الجديد بسبب تمدرسهم. ولا توجد هناك أسرة في المغرب لا تعرف صراعا حضاريا يتمثل في الصراع بين جيل الاباء وجيل الأبناء.


محمد شقرون، 1987. *نظام القرابة والعائلة في المجتمع المغربي*، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية، الرباط، ص. 59 ـ 86 ؛ هشام شرابي، 1980. *مقدمات لدراسة المجتمع العربي*، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت.

A. Radi, 1977. *Adaptation de la famille au changement*, in B. E. S. M., nº 135, P. J. Berque, 1974. *Structures sociales du Haut-Atlas*, P. U. F., Paris. V. Maher, 1974. *Woman and property in Morroco*, Cambridge University Press, London. P. Bourdieu, 1974. *Sociologie de l'Algérie*, "Que Sais-je ?", P. U. F., Paris.


محمد شقرون

**أسْرْدُونْ،** (عين) توجد بمدينة بني ملال، ويرجع أصل تسميتها حسب رواية شفهية مشهورة إلى أن المنطقة التي توجد بها العين حاليا، كان يرعى بها أحد الرعاة الذي اكتشف المنبع الأصلي للمياه وظل يحتفظ به لنفسه. وذات يوم قامت مشاجرة بينه وبين إحدى القبائل، بشأن عدم الرعي بالمنطقة، إثرها إلتجأ ذلك الراعي إلى المنبع الأصلي للمياه والذي لا تعرفه القبائل وحبس الماء عنهم. يقال إنه وضع في مكان بروز الماء كمية مهمة من الصوف، فانقطع الماء في المنطقة وتضررت القبائل من جراء الجفاف، عندما طلب الراعي من القبائل، أن تقدم إليه أسردون أي بغلا محملا بالذهب والفضة وهناك من يقول بالنقود الحسنية، ليدلهم على مصدر الماء الذي كان يجري بالمنطقة وهددهم بأنه هو الوحيدالذي يعرفذلك، فلبتالقبائل طلبه وانتزعت الصوف التي كانت بمثابة الحاجز ورجعت الحياة بالمنطقة.

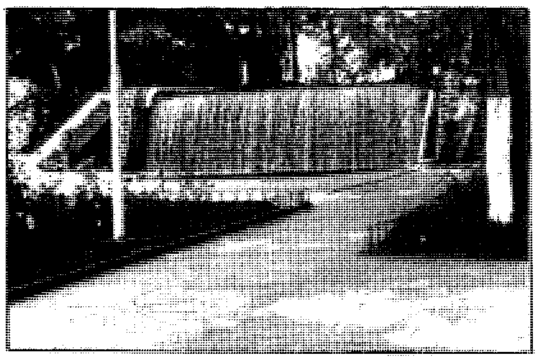

عين أسردون

بعض المعطيات الطبيعية : يمكن إرجاع مميزات هذه العين الى خاصتين.تركزها في المنطقة الجبلية، خصوصا في قدم الاجراف الصخرية.وظهورها على ارتفاع متباين في التكونات اللياسية. وارتفاع صبيبها، يتضح أن معدل الصبيب السنوي سجل 1460 ل / ث.

ترتبط خصائص وظروف تكوين عين أسردون أساسا بعوامل مناخية وبنيوية تسمح بتغذية وتصريف المياه الجوفية.

تتمثل العوامل المناخية في دور التساقطات (ثلوج وأمطار) في تغذية الفرشات المائية. وفعلا فالمنطقة الجبلية تتلقى كميات مهمة من التساقطات 650 ملم في الدير. إلا أن كمية التساقطات لوحدها غير كافية لتغذية الخزانات الباطنية وبالتالي تفسير اختلاف صبيب العين، بل ترتبط أيضا بخصائص الصخارة والبنائية.

إجمالا تتكون المنطقة من صخور دولوميتية وكلسية، تتميز بنفاذيتها المرتفعة، الشيء الذي يسمح بتسرب المياه نحو الاعماق. ومن صخور طينية وصلصالية تلعب دور الركيزة للمياه المتسربة، كما أن المنطقة عرفت حركات تكتونية (التواءات وانكسارات)لعبت دورا مهما في تكوين الخزانات وتوجيه الجريان الباطني.

تظافرت هذه العوامل جميعها لتفسير هذا الينبوع الذي ارجعناه إما لسبب تطابقي (الاتصال بين طبقة صخرية منفذة وأخرى غير منفذة )وإما لسبب بنيوي (انكسار).

وظيفة عين أسردون : هذه العين تقوم بدور أساسي من الناحية البشرية والاقتصادية، فهي تمد مدينة بني ملال والمناطق المجاورة بالماء الصالح للشرب، وبفضل هذه العين تسقى كذلك المغروسات الشجرية (الزياتين) التي توجد بضاحية بني ملال. والدور الثاني الذي تقوم به عين أسردون هو دور ترفيهي، فهذه العين لم تبق على حالتها الطبيعية بل تدخلت السلطات في المنطقة وأقامت عليها مجموعة من الشلالات الاصطناعية والحدائق والمقاهي، مما أضفى على عين أسردون طابعا سياحيا.

*بحث ميداني.*

عبد الرحيم بنعلي

**أسْرِيرْ** - فركلة - ومؤنثه تَاسْرِيرْتْ، اسم أمازيغي يطلق على عدة أماكن في المجال المعنى باللغة الأمازيغية. والكلمة تطلق الآن عند التوارگ على "كل بسيط كبير أو صغير مكون من أرض صلبة خالية من الأحجار والنباتات" ويعتقد أن الجذر في الكلمة هو ر. و. ر. وهو الذي أعطى فعل رو. يعني جرى، مما يعطى لكلمة أسرير، وهو صيغة اشتقاق، معنى ميدان الجري. ونجد أن هذا المعنى ينطبق

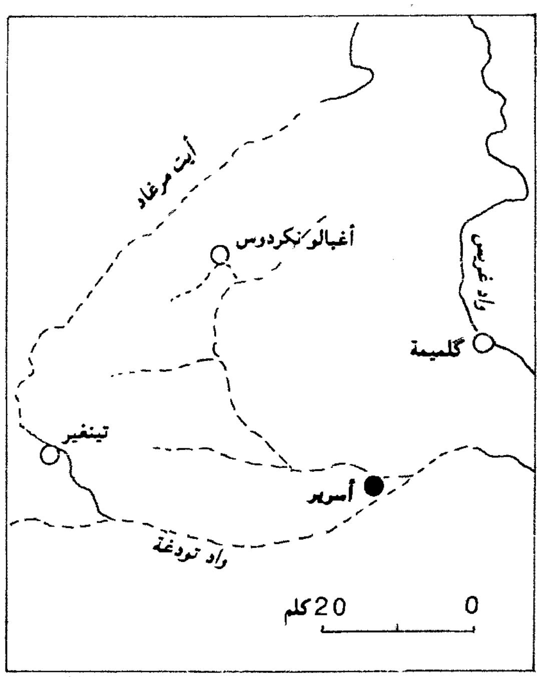


أسرير فركلة

فعلا على كل من موقع أسرير وهو اسم قصر من قصور واحة فركلة في حوض وادي غريس ومنطقة تاسريرت عند أيت باعمران.

وقد اشتهر من بين هذه الأماكن كلها قصر أسرير فركلة الذي يعد المركز الرئيسي لواحة فركلة الخصيبة التي تسكنها قبيلة أَيْتْ مْرْغَادْ.

وأول إشارة لهذا القصر في النصوص التاريخية نجدها في وثيقة الصلح الذي عقد بين العلويين والدلائيين بعد معركة الگارة سنة 1056 / 1646 وقد نص هذا الحكم على إبقاء هذا القصر تحت النفوذ الدلائي نظراً لأهميته الاستراتيجية

أ. الناصري *الاستقصا*، ج 7.

Ch. De Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*, IV ; 1856.

العربي مزين

**أسرير**، - سوس - على بعد حوالي عشرة كلمترات مدينة گليميم جنوب الأطلس الصغير يجسد مدشر أسرير عاصمة المداشر الأثرية القديمة. وتفيد الكلمة السهل الذي يتوسط مجموعة هضاب أو الملازم لواد كبير الحجم. إلا أن اسم الموقع هذا يخالف هيئة المدشر الممتد على أسفل الهضاب الموازية لوارگ النون أحد أكبر روافد وادي نون، إذا كان أسرير غير محاط بسور فذلك يجسد مجموعة قصبات صغيرة تتميز كل واحدة بحجم سورها وباستقلالية مسجدها. ولعل أقدم هذه القصبات بالترتيب قصبة أمازيغ وقصبة أيت بلقاسم ثم قصبتا أيت مسعود.

تؤكد التحريات الميدانية التي قام بها العسكريون الفرنسيون خلال النصف الأول من هذا القرن على أن مآثر نول لمطة (مدينة لمطاطة) يرقد جزء منها تحت أنقاض أسرير وتيشيشت بتغمرت المجاورة (*NOTES* : 21).

وبالرغم من أننا نجهل تاريخ بناء مدينة نول المنصوص عليها في مدونات الجغرافيين العرب، إلا أنها تبدو مرتبطة بأهمية نظام السقي، إن أسلوب التحكم في المياه عبر الخطارات يربط زراعة هذه المناطق الشبه صحراوية باستيطان الفينيقيين. هذا الاحتمال يقتضي الحديث عن أساليب التحكم الفينيقية واستعراض العناصر المكونة بين تغمرت وأسرير ووعرون وتگاوصت وتسگنان لشبكة تقليدية من حجم كبير جدا. وما من شك في أنه باستطاعة البحث الميداني والتنقيب أن يجيب على هذه الاحتمالات . لقد تجلت مدينة نول لمطة خلال العصر الوسيط من بين أهم مدن ضفة الصحراء الشمالية، وقد بلغت ازدهارا كبيرا مع وصول المرابطين إليها. هذا ما يؤكده تأسيس معمل سك الدينار المرابطي الذي جعل من نول ثالثة مدينة بعد سجلماسة وفاس من حيث عدد الدنانير الموجودة حاليا بمتاحف باريس ولندن والجزائر والرباط (J. Devisse : I : 68 - Bréthes, 282 - 284). على أن ما يهمنا هنا هو الحيز المجالي المخصص من المدينة لما سمي

بمدشر أسرير، فقد ورد هذا الاسم لأول مرة على مانعلم في كتاب *التشوف* (344). فقد أشار منذ بداية القرن السابع الهجري إلى وجود زاوية سيدي محمد بن عمرو اللمطي بأسرير. وإذا كانت هذه الزاوية من أقدم المساجد ببلاد لمطة، فإن الرواية الشفوية تثير الانتباه إلى مسجد قصبة أگويدير أسرير حيث تتلاشى بشكل ملحوظ قصبة عسكرية من حجم هام وموقع أهم. وهنا لابد من الوقوف عند أهمية الموقع الدفاعي لتأكيد الصعوبات التي واجهت الموحدين حتى سنة 550 / 1155 م. لقد عمل أبو حفص حسب كتاب *البيان المغرب* على غزو المنطقة مستعملا في ذلك ثلاثة جيوش . وقد كان ساعتها أهگار اللمتوني أميرا على وادي نون. فما كان منه إلا أن توجه بطلب المساعدة إلى القائد اللمتوني يحيى الصحراوي الذي عاد من الصحراء ملبيا النداء. فلم تلبث قبيلتا جزولة ولمطة في غزو المناطق المجاورة حيث استقر اللمطيون بين سوس الأعلى ووادي درعة (L. Provencal : 193 - Huici - Miranda : 168) وبظهور بوادر تطور مدينة تگاوصت بالمحور الساحلي، يكون القرن الثالث عشر قد أطل ومعه جموع المعقليين. وقد جاءت تنمية الموارد التجارية للمدينة خير منافس لازدهار نول لمطة ومداشرها المجاورة (La Chappelle : 33).

ونجهل حتى سر علاقة مجاهدي أيت إعزّى ويهدي بالهلاليين ولاسبب وجود قبور هؤلاء بأسرير. على أننا نعلم مدى ما سببته الحرب المرينية المعقلية من خراب للمجال القروي زاد من حدة الكوارث الطبيعية التي تكالبت على المنطقة خلال القرن الرابع عشر. فالأوضاع ستظل على ما هي عليه من تدهور إلى قيام السعديين الذين جسدوا دولة حلف إگزولن التاريخي. فقد اتخذوا جيشهم المركزي وحكامهم وقضاتهم من أهل سوس (*الاستقصا*، 4 : De Castries : I : 110 ; *Chronique Anonyme* : 25 - 105, 554 - 201 : II : 635).

وتدل بعض الوثائق المحلية على توفر عائلة بوشبوك اللمطية على ما كان يتمتع به حملة الكتاب من ظهائر توقير واحترام . الواقع أن هذه العائلة المرابطية لم تكن تمثل يومها إلا امتدادا للتقليد العلمي القديم بأسرير. فالرواية الشفوية تنسب مولد وگاگ بن زلو اللمطي منظر دولة المرابطين وأستاذ عبد الله بن ياسين إلى عين المكان. وهو أمر يبدو غير مستبعد خاصة إذا علمنا أن مقر هذه الشخصية التاريخية الأول قد كان بتزروالت وأن الازدهار الاقتصادي للمنطقة قد أهلها أيضا لنشر المعرفة الدينية، فجاء بذلك من بين أبناء أسرير عدد وافر من ألمع فقهاء سوس . وهكذا يمكن أن نذكر الشيخ أبا سليمان بن داود علي الحيحائي، وهو عالم اضطلع محليا بتدريس مادتي الحساب والفرائض بطريقة موسعة على ما أفاد به الأستاذ المنوني (*إمارة* : 140 ـ 141). ففي سنة 663 / 1264 كان عبد الله بن أبي بكر بن يحيى الجذميوي الصودي تلميذه في الحساب وكتاب *الكافي* والفرائض، فهو يشير بوضوح إلى أن الشيخ أبا سليمان يعتبر أستاذه الأول والأهم (المنوني، *دليل* 38 ـ 39 ـ 40) وقد تضلع التلميذ في الدراسة لحد تأليف ثلاثة كتب في الفرائض يحمل أكبرها اسم *نهاية الرائض في خلاصة الفرائض* (مخطوط بتمگروت أول مجموع رقم 1647).

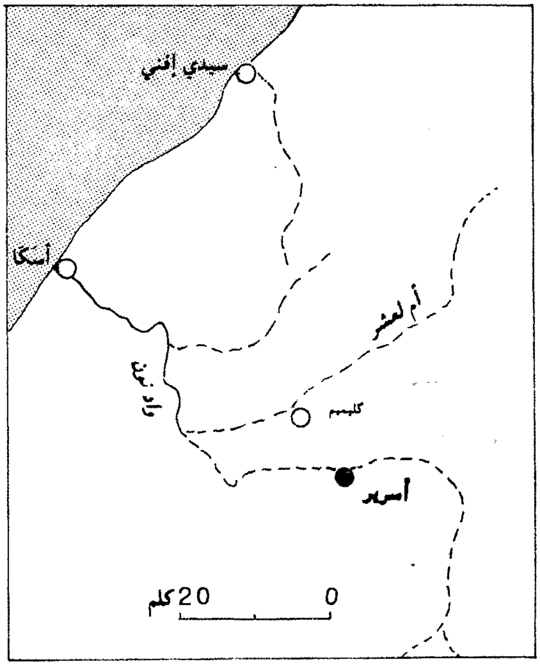


أسرير (كليميم)

ولاشك أن ارتباط هذه المنطقة بالحساب مرده إلى علاقته الوثيقة بعلم الفرائض المتعلقة بقسمة التركات التي هي من وظائف الفقهاء. نذكر من هنا أهمية هذا الجانب الذي يقود إلى تحليل دور الفقيه .ومن بين الفقهاء الكبار الذين عرفهم مدشر أسرير فيما بعد عبد الواحد بن الحسين الرگراگي الوادنوني. فقد كان من بين القلائل الذين يتعاطون في سوس لدراسة وتطبيق الأصول (*سوس العالمة* : 43 ـ 50). وله شرح على *المدونة* *وأرجوزة* في زهاء مائتي بيت معروفة *برسالة في ترحيل الشمس* (*سوس العالمة*، 178).

ي.التادلي، التشوف ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة* ؛ م. المنوني، *المؤسسات التعليمية الأولى بسوس وخصائص المدارس العتيقة بالمنطقة*، المناهل، ع. 34، يوليوز 1986، 35 ـ 52 ؛ *دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمگروت*، الرباط 1985 ؛ م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.

L. Provençal, *Documents inédits d'histoire almohade*, Coll. de textes. ar. relatifs à l'occident musulman, I, Paris, 1928 ; Frederic De La Chappelle, *Les Tekna Du Sud-Ouest Marocain, Etude Géographique, Historique et Sociologique*, A. F, 1934, 109 p ; G. S. Colin, *Chronique anonyme de la dynastie Saadienne*, Rabat, 1934, déjà traduit par Fagnan, *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, 360 - 457 ; J. P Brethes, *Contribution de l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques. Monnaies Inédites ou très rares de notre collection*, in fol., 275 p., Ann.

Mar., Casablanca, 1939 ; H. De Castries, *Les Saadiens, A. n* ; vol I, 110 - 635 ; II, 201 - 554 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna du Sud Marocain*, IHEM, Notes et Doc, III, 1948, 59 p, Larose, Paris ; D. Eustache, *les ateliers monétaires du Maroc*, H. T, 1970, fasc. Unique ; J. Devisse, *"Routes de Commerce et Echanges en Afrique Occidentale en relation avec la Mediterranée. Essai sur le commerce africain medieval du IX au XVIe siècles"*, R. H. E. S. L. Vol année, 1972, nº 1.

**مصطفى ناعمي**

**أسرير** مدرسة في قرية على بعد حوالي عشرة كيلومترات من مدينة گليميم جنوب الأطلس الصغير ؛ وهي في أرض فلاحية خصبة يقام بها موسم تجاري سنوي ؛ ومعناها بالبربرية الفناء والباحة. أهلها عرب صحراويون على ضفاف وادي نون وكانت نشيطة خلال القرنين 9.10 / 15.16 وقد درس بها فقهاء من أسرة آل عمرو وغيرهم ؛ كما عرفت أسرير بالعلم والصلاح منذ القرن 7 / 13.

وأسرة آل عمرو هذه بكرية عند بعض النسابين، وعلوية عند آخرين (*المعسول* 12 : 189.190) تنسب إلى محمد بن عمرو الأسريري أبي عبد الله بدر الدين حوالي القرن 6 / 12 وهو يذكر في *التشوف* وعند الحضيگي موصوفا بأنه الإمام العابد الناسك المقصود إليه بالتبرك حيا وميتا ؛ وقد زاره صاحب *الطبقات* بسبب خلاف بين أهل بلدته رجاء الدعاء لهم فاستجيب الدعاء ؛ كما وصف ابن عمرو بالتهجد وختم القرآن كل ليلة مع أهل تلك الجهة من شهر رمضان ؛ وقد أجيز من شيوخه ؛ كما دفن داخل مقبرة أسرير وبقيت زاويته بعد وفاته هناك ؛ مع وجود ظهائرسعدية في احترام هذه الأسرة الشريفة التي تمت بصلة إلى أسرة أخرى موفرة في سوس هي أسرة (إِعَزِّى ويهدى ) البكرية الصديقية (*المعسول* 12 / 189).

وقد تفرع حفدة ابن عمرو فرعين، أحدهما في أسرير والآخر في گليميم كما اتخذ على مقبرة الشيخ ابن عمرو مشهد يزار ويقام عليه موسم سنوي ؛ وممن ذكر بعد الشيخ ابن عمرو بهذه الناحية : عبد الواحد بن الحسن الرگراگي (ادرك أوائل القرن 10 / 16) واعتبر شيخ الجماعة بوادي نول لما درس عليه السوسيون والصحراويون من علوم القرآءات، والفلك، والتوقيت ؛ وألف كتابا غريبا في الصرف والأصوات والتجويد حول طاءات القرآن وظاءاته وذالاته، كما ألف *أرجوزة* في الفلك (حجي 2 : 621 ).

غير أن التعليم تقهقر بعد عبد الواحد بن الحسن الرگراگي بمدرسة أسرير، لذلك قام الشيخ عبد الله بن يعقوب السملالي (ت 1025 / 1643) جد الأسرة الأدوزية الشهيرة بالعلم والصلاح والتأليف في سوس، قام بتوجيه عناية خاصة إلى ناحية أسرير إحياء للنشاط العلمي والتربوي بها، وذلك بارسال نخبة من طلبته المخلصين، وهو بتازموت بقبيلة سملالة الأطلس الصغير، إلى مدرسة أسرير؛ ومن هؤلاء المبعوثين :

محمد إبراهيم الأسريري (1049.1639) وهو تلميذ ابن يعقوب، وتخرج على يده في تازموت بسملالة ؛ فصار بذلك فقيها متمكنا ؛ فلما عين بمدرسة أسرير قام بالتدريس والإفتاء إلى أن أدركته الوفاة (*المعسول* 5 : 31) وقد ذكر في مكان آخر باسم محمد بن أحمد ابن إبراهيم (*المعسول* 5 : 31 ) ونسبه الحضيگي إلى جده إبراهيم.

ومن تلاميذ ابن يعقوب الذين وجههم إلى مدرسة أسرير : أحمد بن سعيد التملي الودنوني (ت 1052 / 1652)، وهو من المتخرجين في (تازموت ) أيضا، وقد صحب شيخه ابن يعقوب نحو ثمانية عشرعاماً لايفهم ولايحفظ شيئا ولايكاد يرفع بصره للسقف ولا للسماء حياءً وهيبة وخشوعا إلى أن عمد الشيخ مرة إلى نزع اللوح الذي يكتب عليه من بين يديه داعيا له، فبسبب هذا رجع اليه كل ماسمع حفظا وفهما ؛ وحينذاك شيعة مودعا إلى أسرير (حجي 2 : 622) حيث اجتهد فيها بالقيام بالتدريس وأداء الأمانة على نحو ما تربى عليه عند شيخه ابن يعقوب.

ومن الذين درسوا بمدرسة أسرير بحسب التسلسل التاريخي لوفياتهم أحمد بن علي المصلوحي الوادنوني (ت نحو 1062 / 1652) ؛ وقد وصف بالفقه والمشاركة في مختلف العلوم، مع توليته منصب القضاء في وادي نون ؛ إلى نشاط في التدريس بجامع أسرير كنشاطه في الأحكام والفتوى (حجي 2 : 622).

ومن بين من يذكرون من علماء الأسرة البنعمرية الأسريرية في هذه الفترة أحمد بن محمد بن عبد الله (كان حيا عام 1152 / 1739) وقد وصف بالفقيه الأجل في رسائل رسمية مؤرخة بالتاريخ المشار إليه أعلاه (*المعسول* 12 : 190).

ومن العلماء الأسريريين عبد الرحمان بن علي وقد وصف بالقاضي الفقيه وباسمه وباسم أفراد هذه الأسرة صدر ظهيران سليمانيان علويان سنة 1112 / 1700 وسنة 1217 / 1802 وآخران رحمانيان : نسبة إلى المولى عبد الرحمان العلوي عام 1242 / 1826 وعام 1261 / 1845 لذلك ربما تكون وفاته قد تأخرت إلى ما بعد 1261 / 1845 ؛ كما أن محررات بخط يده في أمور المعاملات والقضاء متداولة بكثرة في وادي نون.

ومن علماء الأسرة الأسريرية : المسمى عبد الواسع بن محمد بن عبد الله أخو أحمد المتقدم (امتد به العمر إلى 1172 / 1758) وقد وصف بالفقيه الأكمل ؛ كما أذن له ولأخيه أحمد من قبل السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل في القضاء ؛ كما ذكر اسمه في ظهير صادر من السلطان محمد بن عبد الله العلوي سنة 1172 / 1758.

ومن علماء هذه الأسرة محمد أگليد = السلطان (كان حيا سنة 1261 / 1845 ؛ وقد وصف بالفقر في مشجر بأنساب الأسرة ولقب بأبي الشبوك (12 / 191).

ومنهم علي بن محمد أگليد ولد المتقدم قبله وقد وصف بالفقر في مشجر أنساب الأسرة (المتقدم) (*المعسول* 12 : 191).

ومنهم أيضا عبد الرحمان بن علي ولد المتقدم وقد وصف بالقضاء والفقه (تقدمت ترجمته ).

أما محمد بن عبد الرحمان ولده فمات قبل 1261 / 1845، وقد وصف بأنه فقيه صالح ؛ وقد انتقل من أسرير إلى ناحية الشياظمة فدفن بـ (مسكالة ) وعليه مشهد هناك (*المعسول*، 12 : 191).

وأما محمود بن عبد الرحمان أخو المتقدم كما يظهر من تسلسل النسب في هذه اللائحة فامتد به العمر طويلا حتى استوفى 118 سنة فمات سنة 1333 / 1914 ؛ لذلك أتيحت له الفرصة للتعليم والإفتاء والإرشاد بعد أن تخرج بالشريف الكثيري ؛ ثم أقبل على الزاوية الأسريرية ؛ فملأ الفراغ بعلمه وفضله وديانته ؛ وقد ترك محررات ورسوما بخط يده مما تمتلىء به تلك الناحية لدى الأسر الوادنونية ؛ وكان ثقة عدلا، يعتمد خطه في الرسوم التي حررها ؛ كما اعتمدت أحكامه في القضاء أيضا.

اما ولده أحمد بن محمود (ت. 1367 / 1947) فقد تخرج من بعض مدارس سوس والتحق بعد ذلك بفاس ؛ ولما رجع منها خلف والده المتقدم، واشتهر كثيرا بسبب اتصاله السياسي بأحد قواد تلك الناحية المسمى دحمان بن يبورك ؛ حيث كتب له، كما اتخذ حكما في النوازل عنده إلى حين مجيء الاحتلال الفرنسي إلى تلك الناحية عام 1352 / 1933 فاضطر إلى الاعتزال بالزاوية الأسريرية (*المعسول*، 12 : 191).

ويذكر من أولاد عبد الرحمان المتقدم، المسمى عبد العزيز بن عبد الرحمان، وصف بالفقه والتحصيل ؛ كما أنه التحق بالصحراء (توفي صدر القرن 14 / 19). كما يذكر من أحفاد عبد الواسع المتقدم الذكر حفيده المسمى أحمد بن محمد بن عبد الواسع بن محمد بن عبد الله ؛ وقد وصف بأنه فقيه منشيء خطاط، كتب شجرة أنساب أسرته (*المعسول*، 12 : 192).

أما أخوه عبد القادر بن محمد بن عبد الواسع (ت. 1369 / 1949) فدرس وتعلم بزاوية (بونعمان ) القريبة من تزنيت ؛ ويظهر انه بقي بها طويلا بعد أن أخذ القرآن عن الحسن الباعقيلي، أرسله والده مع ثلة من أبناء عمه إلى بونعمان فدخلوا إليها وعلى رؤوسهم قلانس طويلة من الشعر على عادة بلدهم وذلك حوالي 1300 / 1882 وقد قدر له البقاء هناك إلى حين وفاته حيث أصبح محور المستفيدين من الطلبة، وذلك قبل أن ينقبض عن الناس قبل سنة 1361 هـ وكان قد حبب إليه شرب الشاي مع نزعة إلى التصوف الدرقاوي الإلغي مع ممازحة لمن يثق بهم.

ولم يعد يسمع اليوم عن هذه المدرسة شيء يستحق أن يذكر باستثناء بعض الطلبة الأسريريين الذين ذكروا من بين تلامذة الحاج مسعود الوفقاوي (*المعسول*، 12 : 192) كما يذكر أحد الأسريريين بالفقه والصلاح واسمه محمد الغزال، درس بسوس وفاس وتوفي بمراكش ( المعسول، 12 : 192).

م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*.

محمد البايك

**الأسريريُّون** (علماء) ← **أسرير** (مدرسة)

**أسّا**، تردُّ الرواية الشفوية أصل كلمة أسا إلى تيسيت التي تفيد المنخفض الجبلي وهنا لا يمكن فصل تاريخ القصبة البعيد عن أهمية موقعها التجاري والمجالي بين المحيط ومشارف الصحراء. فالجانب الغربي من سلسلة جبال باني حيث تجثم القصبة يعتبر إحدى المعالم البارزة لضفة الصحراء الأطلسية جنوب سوس الأقصى. ويحد السلسلة جنوبا وادي درعة الذي لا يبعد عن القصبة إلا بحوالي 121 كلم. فبإعلان هذا الوادي عن بداية الصحراء تكون القصبة أقرب محطة إلى طرق القوافل المحلية. فالمجال عبارة عن أحواض سهلية محاصرة بين تجاعيد تضاريسية لا تعبرها إلا فائجات ضيقة بينها بحيرات تسقي أفواهها الضيقة الأراضي المحيطة بأسّا في نهاية المنعرجات الجبلية المطلة على الصحراء. هذا ما يُبرزه فم تيسينت وفم طاطا حيث يشج الفج العميق لوادي أسّا فجأة حقلا رمليا صحراويا للتصفية، وهو واد ضيق يمتد على أزيد من كلمترين ونصف من الأراضي المسقية والبورية التي تظللها حوالي 30.000 نخلة بالإضافة إلى أشجار الزيتون والرمان والحناء. وهنا تجدر الإشارة إلى انه في وقت لم تعرف فيه المنطقة أوراق النعناع أو التبغ كانت غابات الزيتون السبب في تسمية درعة الزيتون. ولا شك أن دور هذه الغابات التي كانت تغطي سهولا صحراوية شاسعة قد أسهم بشكل كبير في ظهور القصبة. ذلك أنه سواء كان السكان الأولون للقصبة هم القرع الغربي لأبناء كوش بن حام بن نوح أم لا، فإن الملامح المعمارية للقصبة تعلن عن طابع اليمن وحضرموت. ذلك أن استعمال الحجارة كمادة أساسية في البناء يزيد من انسجام الأشكال الفرعية لهيئة القصبة الخارجية. لقد أكسب التنضيد الدقيق لهذه الحجارة إفريزها المدعم وجلياتها المزينة شكلا متناسق الأبعاد. هذا علاوة على أن الأهمية الإستراتيجية للموقع تبرز بجلاء كبير من خلال هيئة برجها الدفاعية. هذه الميزات التي تخص أسّا كقصبة صحراوية عما عداها شمالا تجعل منها أقدم بناء أثري بمجمل الضفة الشمالية الغربية للصحراء على الأقل.

في انتظار ما ستأتي به الحفريات في هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى أن مما يزيد من صلاحية هذه الاحتمالات هو ربط الرواية الشفوية أصول السكان الأقدمين للقصبة بالأكاديين والكنعانيين (*المعسول*، 9 : 13). وتفيد بعض المخطوطات اليهودية الهامة التي نشرها جان كاطفوسي J. Gattefossé بأن مقدم اليهود إلى درعة الزيتون خلال القرن الثامن قبل الميلاد قد صادف امتلاء المنطقة من الحبشيين (الحراطين) والأمازيغيين. على أن محاولة تشخيص هذا التقسيم الإثني عن طريق أدلة البقايا الأثرية هي حاليا على درجة مفرطة من الحدسية بحيث لا يمكن الإعتماد عليها. كما أنه ليس بإمكاننا أن نستخلص

استنتاجات معينة عن الحضارات القديمة من مقارنة للمعطيات اللغوية. فهذا العامل يبرز إلى أي مدى اندمج الحراطين والصنهاجيون المسيطرون لغويا في تيار مشترك. كما أن التعابير القرابية المحلية تحيل الباحث مباشرة على مفهوم المؤسسات القبلية الأميسية. ومهما يكن فإن الوجود الهام ودور الحراطين في تركيب المجتمع وتطوير القصبة كان أساسيا. ذلك أنه من الواضح الجلي أن الحبشيين الدراتيت الذين أشارت إليهم الكتابات الأروبية قبل المسيح كانوا يتوفرون على برنامج سياسي يتعلق بالتطورات الاقتصادية والاجتماعية سهل عليهم مأمورية التبادل عبر الساحل الأطلسي مع أقربائهم القرطاجنيين. فقد كان بأسا وقتئذ موسم دوري يسمى <<عيد الأكيال>> تصل إليه قوارب الفينيقيين عبر وادي درعة. وكان الحبشيون يبادلونهم جلود الحيوانات الأليفة وكذا أنياب الفيلة والخمور مقابل المرمر والفخار المصري والأواني الخزفية والأكيال. على أن الرواية الشفوية لم تحتفظ من تاريخ العلاقات مع الفينيقيين إلا بكلمة <<فنيقس>> التي ما تزال تشهد على انتشار هؤلاء عبر مختلف أرجاء سوس الأقصى. هذا الاستقرار يدعو إلى إعادة تركيب صورة أصل الأعراف الشفوية التي لن تلبث أن تضيف قبائل صنهاجة إلى حضارة الشرق الأوسط. ذلك ما أكده من جهته السواد الأعظم من الجغرافيين ومدوني الأحداث العرب منذ وصول عقبة بن نافع إلى مشارف المنطقة. نرى إذن أن مجمل المراجع الشفوية والأروبية والعربية تصب في اتجاه الأصل المشرقي لسكان أسا حبشيين كانوا أم صنهاجيين. لقد تمكن الحبشيون كما هو معلوم من تمسيح جزء من اليهود المحليين خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين معتمدين في ذلك على كنيسة روما وجماعات مسيحية وافدة على المنطقة من المحيط. ومن جهة أخرى فقد مر على دخول الدين الإسلامي أزيد من خمسة قرون قبل التمكن من تغيير البنية الدينية والاجتماعية للمنطقة. لقد وصل يحيى بن إدريس الأصغر بعد وفاة أبيه كمرشد ديني، لكن تشبث المحليين بنظامهم القرابي ومبادئهم الدينية حد من نجاح مهمته. وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه ليس من الغريب أن يغيبَ اسم أسا عن مدوني الأحداث والجغرافيين خلال القرنين الحادي والثاني عشر الميلاديين. ذلك أن المنطقة ظلت مجهولة من طرفهم جميعا بالرغم من ازدهارها الاقتصادي. لذلك فإنه من الضروري انتظار القرن الثالث عشر ليتغير وجه القصبة مع الغزو المعقلي وظهور رجل مبجل هو يِعْزَّوهْدَى مؤسس زاوية أسا.

لقد اكتسح المرابطون كما نعلم مدن تامدلوت وإفران وتمنارت وتغاجيجت ونول لمطة، فهل لعبت الطبيعة والتضاريس دورا ما في عزل أسا عن مسرح الأحداث؟ لا يمكننا هنا إلا أن نضيف إلى هذا السؤال سؤالا آخر حول دور الطابع المغلق لطبقات الحراطين في عزل القصبة. فإذا كان ظهور نول لمطة في فترة نجهلها وتامدولت وسجلماسة قد حد من أهمية أسا الاستراتيجية، فإن حجمها التجاري والحضاري سيختفي مؤقتا كذلك خلف الدور التاريخي لنول قاعدة اللمطيين وملوكهم اللمتونيين بوادي نون. لقد اندحرت تغاجيجت أمام الجيش الموحدي سنة 548 / 1153، كما أخفقت مساعدة يحيى اللمتوني العائد من الصحراء في حماية نول وملكها أهگار اللمتوني سنتين بعد ذلك. وكل ما نعلمه عن أسا يومها هو قيام قبيلة لمطة بغزو المنطقة الواقعة بين سوس الأعلى ووادي درعة. فانضاف هذا العامل إلى الإبادة الجماعية الموحدية والغزو المعقلي ابتداءا من سنة 614 / 1218 لتكون أهم الأحداث المحلية التي ستبرز معالم تسرب التصوف الشعبي كظاهرة استقرائية للأحداث. ولئن استطاعت الجيوش الموحدية بيع نساء لمطة وجزولة وأطفالهم بأبواب مراكش، فقد أعلنت القبيلتان بداية مرحلة استقرارية سوف يكون من شأنها تهميش نهائي للغور السكاني المحلي الأقدم.

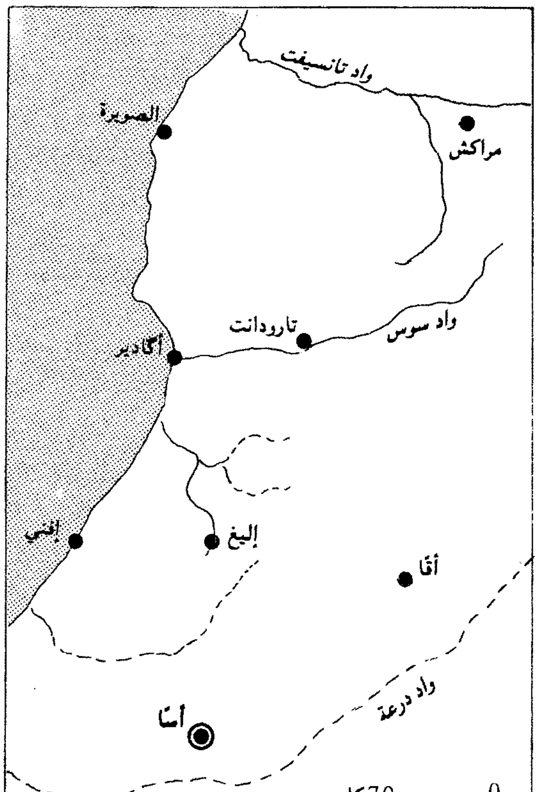

أسّا

في هذا السياق ولتوضيح الواقع البنيوي القرابي والديني فإن ظهور المصلح الصوفي إعَزَّى ويهدَى سيبرز بوضوح حدود الإصلاحات المرابطية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر. وقد أورد المختار السوسي بهذا الشأن نصا هاما (*المعسول*، 10 : 166 ـ 167) على لسان إعَزَّى ويهدَى نفسه. لقد كانت ولادة الشيخ 646 / 1249 بين عَشيرتين محليتين تحتل فيهما المرأة، على ما يبدو، المكانة

الأساسية من حيث دورها في التسمية والتربية وتوزيع الميراث. كما أن تعابير القرابة المستعملة تورد مصطلحات يستهدف منها التعبير عن العلاقات المميزة لمجتمع تنتسب فيه العشائر إلى الأمهات. من هنا فإن الأهمية المطلقة لهذا النص تتجلى في مقدرته على إبراز بعض ملامح الصراع بين المحاولات الإصلاحية للمرابطين، أصحاب الزوايا ومقاومة البنيات الاجتماعية القديمة. ولا شك أن المد الأعرابي المعقلي الذي سبق مولد إِعَزِّي ويهدَى بثلاثين سنة قد شكل يومها عاملا أساسيا آخر لشحذ حملة هذا الشيخ وأتباعه على كل من اعتبروه خارجا عن العقيدة الحقة. من هنا وانطلاقا من شعار الإصلاح الديني المسلح سوف يمتزج اسم إِعَزِّي ويهدَى بأسًّا سابغا بذلك على استيطان الأتباع صفته المميزة.

هذا الاستيطان يتجلى بوضوح من بقايا المسجد والحي الملاصق له وطابعهما الديني المميز. فالمنازل مبنية من الحجر العاري الغامق اللون حيث يتجلى الطابع الصوفي من بساطة التكوين وغياب الزخرفة. وتقسم الأزقة الضيقة أسا إلى قسمين أسفل وأعلى محاطين بسور يشهد على تماسكه الوزان الإفريقي سنة 1510. (*وصف*، 1956، II : 209 - 210). ففي هذه المرحلة بالذات شكل عنصر أصحاب الربط أداة لتعزيز الموقف الموحد حول الشيخ إِعَزِّي ويهدَى رمز المقاومة المسلحة. ومنذئذ أصبح من المستحيل مقاومة المد الصوفي الذي جعل من وفاة الشيخ سنة 746 / 1346 خلال المولد النبوي ذكرى تجعل منه جدا اسميا لقبيلة أيت أَوْسًّا. ذلك أن شخصيته التاريخية ترمز إلى القوه المولدة لسمات التحالفات القبلية بعد اشتداد القمع الموحدي والمعقلي. إن من شأن انغراس أسلوب الجهاد وما يرافقه من متطلبات دينية تستجيب لحاجيات الغور السكاني الأقدم، أن تؤدي لا إلى السيطرة النسبية على الصيرورة التاريخية فحسب، بل حتى إلى مقاومة مختلف أنواع الهيمنة الخارجية لأي سيرورة مغايرة كميا ونوعيا.

من هذه البوثقة الحركية تتبلور زاوية أسا كقاعدة أولى للتقاليد الجهادية بمجمل منطقة سوس والساقية الحمراء. على أن هذا التطور لا بد أن يكون قد استغرق من الوقت والجهد ما يكفي لتحقيق صياغته بالشكل الذي سيراه الوزان الإفريقي وكما ستبرزه مستندات المختار السوسي ومدونة زاوية أسا الهامة. لقد قدر الوزان عدد منازل أسًّا في بداية القرن السادس عشر بأربعمائة في وقت غطت فيه الأهمية الإقتصادية والروحية للموسم خلال المولد النبوي بأسًّا على باقي المواسم المحلية. ذلك أنه بالإضافة إلى امتداد فترة الموسم عبر شهرين صار لزاوية أسا خطها الروحي الذي يميزها عن باقي الزوايا بما فيها تمنارت وأسرير وتازروالت. فالشكل الذي غطى به أتباع الشيخ - أيت إِعَزِّي ويهدَى - قصة الجهاد ضد المد المسيحي وتحالفاته المحلية جعل من الزاوية الأرضية الأولى لرابطة إِيكُزُولَنْ (جزولة) الدينية. وهي وضعية لن تتغير إلا بظهور سيدي احماد وموسى بتازروالت الذي قضى حفيده ابو حسون السملالي (بودميعة) آخر أيامه مع أيت أوسا بعد أن فشلت إمارته.

إن تسارع وتيرة انتصار تجارة السواحل الأوروبية قد زاد بالطبع من حدة الأزمة المتجذرة في المنطقة. فكان من نتائج اختلال تجارة المسالك أن تضاعفت وتيرة دفوقات النازحين من المنطقة خلال مدة لم تكن ظرفا عابرا. وإذا كان فانسان مونتاي V. Monteil قد عد سنة 1948 م حوالي 100 منزل آهل بأسًّا، فإن هذا العدد يظهر كتعبير عن العلاقة بين الماضي والمستقبل. إن الحجم القديم الذي تشهد عليه وفرة الأنقاض يبرهن على أن أزمة المجتمع خلال أربعة قرون قد بلغت من التناقض درجة أضحت معها الكوابح التي كان يضعها التنظيم الاجتماعي التقليدي عاجزة على أن تلعب دورها المعتاد. على أن استقرار الرحل وظاهرة الهجرة إلى أوربا منذ الاستقلال قد أسهما في الانتعاش النسبي الذي تعرفه حاليا. فنجد بالقسم الأعلى إِدَاوْمْليلْ حول المسجد والزاوية وأيت أُونْگيتْ بالقسم الأسفل. ويعتبر الرحل عموما من ذوي صغار النجعات حيث إن لكل فرع منهم مقرا سواء بأسًّا أوبالعوينة. وقد تحول الكل إلى معربين رغم عدم انقراض لغتهم الأم تماما.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 20. 1962.

Marmol, *L'Afrique*, t. III, p. 6 ; J. Gattel, *Ouad Noun et la Takna*, B. S. G, Paris, Mars - avril, 1871, pp. 85 - 89 ; P. Marty, *Les Tekna (oued Noun)*, in *Les tribus de la Haute Mauritanie*, Publications du Comité de l'Afrique Occidentale Française, 1915, p. 65 ; L. Gentil, *A travers l'Anti Atlas et les Deserts du Drà, A. F.* mars, 1924 ; L. Provençal, *Documents Inédits*, p. 193 ; F. C. De La Chappelle, *Les Tekna du Sud Ouest marocain, A. F*, 1934, pp. 29 - 30 ; J. Gattefossé, *Juifs et Chrétiens du Drà avant l'Islam*, B. S. P. M, nº 3 - 4, 3 et 4ème trim., 1935, 1936 ; O. du Puigaudeau - Sénonnes. *Peintures rupestres du Tagant*, J. Soc. Afr., 1939, t IX, fasc. I ; A. Ruhlmann, *Les recherches de préhistoires dans l'extême Sud marocain*, P. S. A. M, 1939, fasc. 5, pp. 58 - 60 et 88 - 89 ' R. Mauny, *Note sur les grands voyages de Léon l'Africain*, Hesp. 1954, 3 - 4 trim., pp. 380 - 394 ; J. L. L'Africain, *Description de l'Afrique*, t. I, pp. 209 - 210, t. II, pp. 419 - 420 ; J. Meunié, *Hiérarchie Sociale au Maroc présaharien*, Hesp. 1958, 3 - 4 trim., pp. 239 - 269 ; O. Puigaudeau, *Arts et Coutumes des Maures (II)*, H.T, Vol. IX, fasc. 3, 1968, pp. 329 - 458 ; J. Meunié, *Le Maroc Saharien*.

مصطفى ناعمي

**أسَّامَّر**، اسم سفح الجبل المقابل لجهة شروق الشمس، يقابله أنامَّرْ، وأسَّامَّر اسم لعدة قرى في جبال الأطلس أما أسَّامَّرْ بني سنان الذي يذكره البيذق (ص 90) فيقع في جهات تدغة.

أحمد التوفيق

**الأسطرلاب** بالمغرب، آلة فلكية قديمة اختلف في مخترعيها أهم الصينيون أم الإغريق. وكلمة أسطرلاب Astrolabe أطلقت على أصناف مختلفة من الالآت الفلكية بحسب ماتمثله من مسقط الكرة السماوية على سطح مستو أو كروي وقد نقل العرب الأسطرلاب في جملة ما نقلوا من علوم الإغريق أثناء حركة الترجمة الشهيرة على عهد العباسيين وسموه أيضا بميزان الشمس وميزان الكواكب وألفوا فيه منذ أواخر القرن الثاني الهجري / 8 م. أيام أبي جعفر المنصور وشرحوه وطوروه عبر القرون في مختلف المراكز العلمية الاسلامية. وأهم تحوير عرفه الأسطرلاب في

المغرب الإسلامي هو تحويله من عامّ إلى خاصّ في الأندلس أيام ملوك الطوائف على يد الفلكي إبراهيم بن يحيى النقاش الطليطلي المعروف بابن الزرقالة (ت 493 / 1100) ويدعوه اللاتينيون Azarquiel، فعرفت آلته بالصفيحة الزرقالية والشكازية، كما دعيت بالعبّادية نسبة إلى ابن عباد ملك إشبيلية. وعرف الأسطرلاب بعد ذلك أنواعا من التبسيط والتركيب بحسب مايستعمل له من استخراج حساب النجوم والعروض، فكانت هنالك أسطرلابات ذوات صفيحة، وأخرى ذوات صفائح، تداولها علماء المغرب كلها وألفوا فيها واستعملوها فيما وضعوه من أزياج واخترعوه من آلات لمعرفة ارتفاع النجوم وما انقضى من ساعات الليل والنهار.

وربما كانت مدينة سبتة، بحكم قربها من الأندلس، سباقة الحواضر المغربية إلى الدراسات الفلكية والأسطرلابية ، غير أن خطوب الزمن عفّت عن معظم آثارها العلمية. ولايذكر الآن من الأعمال الفلكية للسبتيين القدامى إلاصورة القبة السماوية التي صنعها الشريف الإدريسي (473 ـ 560 / 1080 ـ 1164) لروجار ملك صقلية قبل أن يرسم له الخريطة الأرضية.

وتاتي بعد سبتة في هذا المضمار مدينة مراكش حاضرة المرابطين والموحدين التي عاش في رحابها خلال القرن السادس الهجري / 12 م كبار علماء المغرب والأندلس من مختلف التخصصات، واشتهرت فيها مخترعات فلكية مما يدخل في نطاق الأسطرلاب، مثل المجانة الشمسية العظيمة التي كانت على باب جامع الكتبيين" ارتفاعها في الهواء خمسون دراعاً تنزل فيها عند انقضاء كل ساعة صنجة وزنها مائة درهم تتحرك بنزولها أجراس يسمع وقعها من بعد " ـ *مسالك الابصار*، غير أن أقدم المؤلفات الفلكية الأسطرلابية الباقية لعلماء مراكش لايرقى تاريخها إلي ماقبل القرن السابع / 13، مثل كتاب :

*جامع المبادئ والغايات في الآلات الفلكية*، ومنها الأسطرلاب، للحسن بن علي المراكشي (ت 660 / 262) قال عنه حاجي خليفة في *كشف الظنون* (1 : 572) :" وهو أعظم ما صنف في هذا الفن " وذكر أنه رتبه علي أربعة فنون الأول في الحساب، والثاني في وضع الالآت الفلكية، والثالث في العمل بهذه الالآت الفلكية، والرابع في مطارحات تحصل بها الدراية والقوة عن الاستنباط. ولم يبق من هذا الكتاب إلا نتف متفرقة، نشر المستشرق الفرنسي سيديو L. P. Sédillot بباريز ماوقف عليه منها في جزءين سنة 1834 ـ 1835 (النص العربي والترجمة الفرنسية).

*رسالة في أصول علم الأسطرلاب*، لابن الشاط المغربي ولم يذكر اسم المؤلف كاملا في المخطوط، وربما كان هو قاسم بن عبد الله ابن الشاط السبتي ( ت 723 / 323) أشهر من عرف بهذه الكنية في المغرب، ولو أن مترجميه لم ينصوا على هذ ا الكتاب في مسرد مؤلفاته. وقد ترجم إلى الاسبانية، ونشر بغرناطة سنة 1884، النص العربي والترجمة.

*مقالة في علم الأسطرلاب*، لأحمد بن محمد ابن البناء المراكشي (654 ـ 721 / 1256 ـ 1321) ولهذا العالم الرياضي الكبير غير هذه المقالة مؤلفات فلكية عديدة في ميدان الرصد والأسطرلاب، منها : *رسالة في العمل بالصفيحة المشتركة على الآلة الشكازية الزرقالية*. وأخرى على الكرة، واختصار *رسالة أبي القاسم ابن الصفار في آلة الاسطرلاب والأسماء الواقعة عليها*. *والمستطيل واليسارة في تعديل السيارة*، *منهاج الطالب في تعديل الكواكب*. وهذا الكتاب الأخير اعتمد فيه اساسا على :

*كراريس في الحركات والتعاديل*، لأحمد بن علي التميمي التونسي المراكشي الذي عاش بحاضرة الموحدين أواسط القرن السادس / 12، وخلّف أبحاثا فلكية شخصية مبعثرة في أوراق رتبها أحمد بن البنا وأخرجها في ثلاثة كراريس إضافة إلى الجداول، وانطلق منها في وضع زيجه *المنهاج* الذي نسخ الأزياج السابقة كلها.

وقد كثر تلاميذ الإمام ابن البنا المراكشي في الفلكْ وتفرقوا في مختلف جهات المغرب بسوس وأسفي وسلا ومكناس وبلاد الهبط وغيرها. وكان حظ مدينة فاس من ذلك عظيما مع أشهر تلاميذ ابن البنا عبد الرحمان بن سليمان اللجائي (تـ 771 / 69 ـ 1370) شيخ الجماعة في الفلك بها، قصده الطلبة حتى من أقطار المغرب الأخرى. ومن أغرب أعماله الفلكية " أنه اخترع أسطرلابا ملصقا في جدار والماء يدير شبكته على الصفيحة فياتي الناظر فينظر إلى ارتفاع الشمس كم هو وكم مضى من النهار، وكذلك ينظر ارتفاع الكواكب بالليل". ـ *أنس الفقير*، 68 ـ وقد وقف ابن الخطيب القسنطيني زمان قراءته على اللجائي بفاس على هذا الأسطرلاب المائي وقال عنه "إنه من الأعمال الغريبة"، ولابن الخطيب هذا *أرجوزة في الأسطرلاب* وكتبٌ فلكية أخرى. وقد تعطلت هذه الآلة في وقت غير محدد وماتزال صفيحة الأسطرلاب قائمة حتى اليوم في مربع من 71 سم، عليها شبكة تدور حول محور يبلغ قطرها 42 سم. وذلك في حجيرة بالركن الجنوبي الغربي من الغرفة الصغيرة المطلة على صحن جامع القرويين المخصصة للموقتين والمؤذنين. وإلى جانبها في الغرفة بقايا ساعة مائية أخرى علقت تحتها ورقة تقول :" صنعت هذه المنجانة مع أسطرلابها الذي هو من تمامها عن أمر مولانا السلطان أبي سالم بن مولانا أبي الحسن بن مولانا أبي سعيد بن مولانا أبي يوسف بن عبد الحق المريني. وكان تمام صنعها وتركيبها في الواحد والعشرين من محرم الحرام فاتح 763 هجرية (20 نونبر 1361) ـ *مذكرات* ، 3 : 67 ـ 68 ..

وإذا كان عدد الساعات المائية المبتكرة في فاس على عهد المرينيين كثيراً فإن أعظمها ساعة المدرسة البوعنانية الشهيرة بين الطالعتين الكبرى والصغرى، التي باشر صنعها الفلكي علي بن أحمد التلمساني الملقب بابن الفحام سنة 758 / 1357 "بطيقان وطسوس من نحاس مقابلة لباب المدرسة ... وجعل شعار كل ساعة أن تسقط صنجه في

طاس وتنفتح طاق، وذلك في أيام آخرها الرابع عشر لجمادى الأولى عام ثمانية وخمسين وسبعمائة" ـ زهرة الآس، ص 40 من ط.الجزائر ـ ومازال زوار فاس يشاهدون حتى اليوم هذه الطيقان والطسوس النحاسية والدعامات والمساند والأفاريز الخشبية المزخرفة، التي تكوِّن ـ رغم قدمها وتعطيلها ـ لوحة فنية رائعة ويقوم الآن أحد أبناء فاس، هو المهندس ع. الحلو، بمحاولة إعادة استخدام هذه الآلة بطريقة تقنية حديثة.

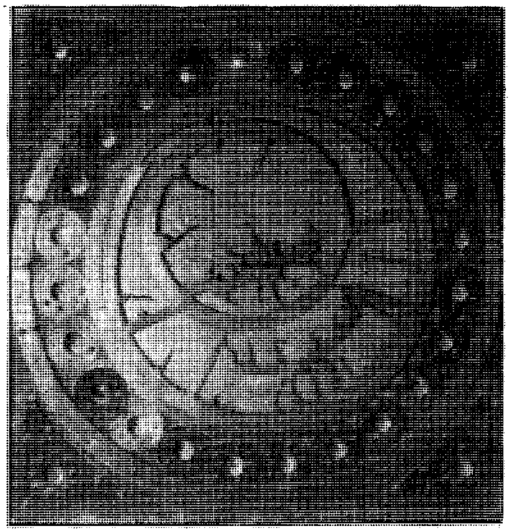

وإذا وصلنا إلى عهد الشرفاء السعديين والعلويين الذي انتعشت فيه العلوم العقلية وتطعمت بهجرات الأندلسيين والتلمسانيين وغيرهم إلى فاس ومراكش ومراكز علمية أخرى ألفينا مزيد عناية بالفلك عموما وبالأسطرلاب على الخصوص، تدريساً وتأليفا. ومن أشهر المؤلفين في الأسطرلاب ومختلف الالآت المعدنية المتفرعة عنه لهذا العهد : أحمد بن حميدة المطرفي المراكشي (ت 1001 / 1592)، صاحب *رسالة في آلة الأسطرلاب*؛ وعبد الرحمان بن عمر البعقيلي السوسي المعروف بابن المفتي (ت 1020 / 1611) وأحمد بن قاسم ابن معيوب الأندلسي المراكشي (ت 1022 / 1613) الذين شرحوا آثار أحمد ابن البنا في تعديل الكواكب السيارة. وبلغ من اهتمام أحمد المنصور الذهبي أنه كلف سفيره إلى انجترا عبدالواحد بن مسعود عنون الأصيلي (ت ـ بعد 1009 / 1601)، وكان رياضياً فلكيا، أن يقوم بمهمة ثقافية إلى جانب مهمته السياسية، وأمره أن يتصل بالعالم الانجليزي ادوارد ـ وريعت Edward Wricht وهو رياضي فلكي أيضا اشتهر بتآليفه العلمية وآلاته التطبيقية، ليحصل منه على كرات فلكية وساعات ومزاول وأسطرلابات، وطُلب من وريغت أن يُطلع السفير المغربي على جميع ماالديه ويصنع له كل الالآت التي يطلبها من نحاس أو فضة على أن يترك موضع الكتابة والأرقام فيها فارغا لينقش بعد بالعربية. وقد مكث عنون في انجلترا سنة أشهر لتحقيق مرغوب مخدومه المنصور .

وقد اخترع العالم المغربي محمد بن سليمان الروداني (ت ـ 1094 / 1683) آلة فلكية كروية تيسر وتبسط ما يمكن أن يقوم به الأسطرلاب المسطح. وقف عليها الرحالة أبو سالم العياشي ووصفها بأنها " مستديرة الشكل منعمة الصقل، مغشاة ببياض الوجه المموّه بدهن الكتان .... مسطرة كلها دوائر ورسوم، قد ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف لدوائر البروج وغيرها، مستديرة كالتي تحتها مصقلة مصبوغة بلون أخضر ، فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها منظر رائق، ومخبر فائق. وهي التي تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيئة، مع سهولة المدرك لكون الأشياء فيها محسوسة، والدوائر المتوهمة في الهيئة والتقاطع الذي بينها مُشاهد فيها، وتخدم لسائر البلاد على اختلاف أعراضها وأطوالها". ـ *الرحلة العياشية* 2 : 38 ـ.

وألف محمد بن سليمان الروداني رسالة في كيفية العمل بهذه الكرة سماها *النافعة على الآلة الجامعة* في مقدمة وخمسة وأربعين بابا وعشرة فصول وخاتمة، حققها وترجمها إلى الفرنسية الأستاذ شارل بيلا من جامعة السربون، ونشر النص العربي والترجمة في مجلة الدراسات الشرقية بدمشق(ج 27 و28، سنة 73 ـ 1975) وقارن الاستاذ محمد الأخضر في *الحياة الأدبية* (ص 108 ـ 109) بين محمد بن سليمان الروداني في ذهنيته العلمية واختراعه العجيب بمعاصريه العالمين الأوربيين، الرياضي الفرنسي باسكال مخترع الآلة الحاسبة، والفيزيائي الأنجليزي نيوتن مكتشف الجاذبية الأرضية .

وعرفت فاس بدورها عالما موسوعيا أربت مؤلفاته على مائة وتسعين كتاباً، هو عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (ت ـ 1096 / 1685) منها *المنتقى من علم الاسطرلاب* لخّص به نظماً *تحفة الطلاب في عمل الأسطرلاب* لأبي القاسم بن الصفار القرطبي (ت ـ 426 / 34 ـ 1035) إضافة إلى تناوله جميع المطالب الفلكية التي يتوصل إليها بالأسطرلاب في معلمته الكبرى *الأقنوم في مبادئ العلوم*. وقد شرح *المنتقى* محمد بن عبد السلام بناني (ت ـ 1136 / 1750) بشرحين كبير فصَّل فيه القول في مهمات علم الاسطرلاب، ومختصر اقتصر فيه تلبية لرغبة بعض الطلبة ـ كما جاء في المقدمة ـ على أهم المسائل الأسطرلابية.

كما اشتهر من المؤلفين الفلكيين الحسن بن عيسى المجاصي صاحب *تذكرة الألباب في عمل صناعة الأسطرلاب*. وصالح بن محمد المعطى الشرقي البجعدي (ت 1139 / 1726) مؤلف *تحفة الطلاب في كشف ماخفي من الأسطرلاب*. وسليمان بن أحمد الفشتالي الفاسي (ت 1208 / 1794) صاحب *النبذة اللامعة فيما يتعلق بالصفيحة الجامعة*. ومحمد العربي بن عبد الرحمان مفرج الشفشاوني(ت . بعد 1143 / 1730) صاحب *رسالة في العمل بآلة الاسطرلاب*. ومحمد بن علي الحميدي (ت 1179 / 1765) صاحب *رسالة في آلة الرصد ذات الكرسي*. ومحمد بن الطيب سكيرج (ت ـ 1194 / 1780) مؤلف *معينة الطلاب على التوصل للأسطرلاب*.

وكان هذا الشيخ يولي اهتماما خاصاً لكتب ابن الصفار القرطبي وابن البنّا المراكشي في الأسطرلاب فألّف أحد تلاميذه (لم يذكر اسمه) *مفتاح غوامض الأسرار في تهذيب رسالة ابن الصفار*، أتمه عام 1189 / 1775، *والنجم الوهاج في حل عقدة المنهاج*، كما ألف معاصره أحمد بن علي البلغيتي الفاسي (ت . 1208 / 1794) *شرح منهاج الطالب في تعديل الكواكب*. وممّنْ برع في ميدان الأسطرلاب في القرن الثالث عشر/ 19 أحمد بن العربي عاشور الرشاي الرباطي (ت ـ 1250 / 1834) صاحب *الرسالة الكافية في كيفية العمل بالآلة الشكازية* وهي الزرقالية التي طورت العمل بالأسطرلاب وهذبته كما تقدم.

أما أشهر الفلكيين المتأخرين بمدينة فاس فياتي في طليعتهم عبد السلام بن إدريس الأوديّي (ت ـ بعد 1288 / 1871) صاحب *الرسالة في عمل الاسطرلاب* المسماة *نزهة الزمن وهدية لمولانا الخليفة سيدي الحسن*. ومحمد بن علي الأغصاوي (ت ـ 1340 / 1922) صاحب *الدرة المختارة في تقويم الكواكب السيارة*. *والزيج المستوفي* وغيرهما من المؤلفات التعديلية، ومحمد بن محمد بن إبراهيم العلمي (ت ـ 1373 / 1954) صاحب كرسي التوقيت والتعديل بجامع القرويين وشيخ جماعة الفلكيين الذي ناهزت مؤلفاته الفلكية خمسة عشر كتاباً بين مطول ومختصر. منها : *منحة الوهاب في رسم الأسطرلاب*. وقد وضع شبه تاريخ للعلوم العقلية سماه *إنهاض الهمم العالية للاستطلاع على بعض الكتب الرياضية، في التوقيت والتعديل والهيئة والجغرافية*، استعرض فيه مآت المؤلفات الفلكية وضمنها كتب الاسطرلاب مما وضعه علماء المغرب وغيرهم. وانتهى من تحريره عام 1354 / 1935.

هكذا يتجلى اهتمام الفلكيين المغاربة بالأسطرلاب عبر العصور وإسهامهم في تطويره والتأليف فيه واختراع آلات زمنية بواسطته. وهو اهتمام نال من عناية الدولة ودعمها منذ عهدالموحدين والمرينيين والسعديين كما رأينا. وتضاعف اهتمام الملوك العلويين بالالآت الفلكية المتطورة والمؤلفات الأوربية المستجدة كما يتجلى من عمل السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (1276 ـ 1290 / 1859 ـ 1873) الذي أشرف على تعريب موسوعة فلكية فرنسية في ثلاثة أجزاء ضخام بعنوان : *الجامع المقرب النافع المعرب* ذكر مؤلفها أنها ثمرة عمل دام أربعين سنة، حاوية لما تحصل من علم الفلك منذ 2500 سنة . وكان الكتاب قد طبع بفرنسا سنة 1764 ثم 1771. وكتب السلطان نفسه مقدمة الترجمة مبيناً الداعي إلى نقل الكتاب إلى العربية وهو التطور الذي حصل في الرصد الفلكي بسبب تقدم العلوم في أوربا.

ونشير في الختام إلي أن الخزائن العلمية بالمغرب، سواء منهـا العامـة والخاصة، مازالت تضم عـدداً من آلات الأسطرلاب النحاسية والفضية من مختلف العصور لم يوفق بعدُ أحد من الباحثين إلى الكشف عنها وتصنيفها وتحديد تواريخها باستثناء محاولات محدودة لبعض الفرنسيين، مثل رينو H. P. J. Renaud الذي عرّف بأحد الأسطرلابات التي عثر عليها أيام الحماية في جامع الأندلس بفاس. وهو يحمل تاريخ 1789 وتوقيع لونوار Lenoir مهندس الملك لويس السادس عشر Louis XVI. وقد تبين للباحث من خلال المراسلات المتبادلة بين وزير البحرية الفرنسية وقنصل فرنسا بسلا والتاجر سيكار J. Sicard ممثل مصالح فرنسا بالصويرة أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله سلّم سنة 1200 / 1786 أسطرلابا إلى نائب القنصل مور H. N. Mure قبل سفره إلى فرنسا كنموذج ليُصنع أسطرلابان آخران على شكله، فأنجز العمل بإتقان في باريز وأعيدت الأسطرلابات الثلاثة إلى السلطان بعد ثلاث سنوات. ولاشك أن سيدي محمد بن عبد الله وزع هذه الآلات على المراكز التعليمية فكان من حظ جامع الأندلس هذا الأسطرلاب.

أ. العمري ، *الاستبصار*، مخطوط ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ ع. الجزنائي، جني *زهرة الآس*، ط. الجزائر ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ م. العلمي ، *إنهاض الهمم العالية للاستطلاع على بعض الكتب الرياضية في التوقيت والتعديل والهيئة والجغرافية*. مخطوط ؛ كوركيس عواد، *الأسطرلاب وما ألف فيه من كتب ورسائل*، بغداد. 1955 ؛ علوش والرجراجي، *فهرس المخطوطات العربية بالرباط*، ج 2 ؛ م، المنوني، *العلوم والآداب والفنون* ؛ دليل *مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت* ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية*، 4 ؛ م. حجي ، *الحركة الفكرية* ؛ *الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*، *صلة الخلف* للروداني ؛ ر.لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، ج 1 ؛ م. العربي الخطابي ، *فهارس الخزانة الحسنية*، المجلد 3 ؛ ع. التازي ، *الساعات المائية بالمغرب*، *مذكرات من التراث المغربي*، ج. 3 ؛ ع. الحلو، *اقتراح مشروع لاستخدام الساعة المائية بالمدرسة البوعنانية بفاس*، مجلة الجواهر، ع 13، مارس ـ أبريل 1989، ص 24 ـ 26.

X. Hartner, *Asturlabe*, E. I[2] ; H. De Castries, *Les Sources inédites*, Angleterre, T. 2, pp. 159 - 168 ; H. P. J. Renaud, *Astronomie et astrologie marocaines*, Hesp. 1942, pp 41 - 63 ; *Le Mouvement Scientifique au Maroc*, in *Initiation au Maroc*, pp 185 - 188 ; H. P. J. Renaud, *Identification des astrolabes de la mosquée des Andalous*, Hesp. 1957, 1 - 2, pp 128.

محمد حجي

**الأسطول المغربي**، ظل أسطول بيزانس أول أسطول في البحر الأبيض المتوسط إلى أن ظهر الإسلام. وقد دشن العرب فتوحهم البحرية عام 21 / 641 باحتلال الإسكندرية، فانفتح بذلك عهد جديد في المتوسط حدا الفاتح العربي الكبيـر عمـرو بـن العـاص إلى اعتبـار هذه المنطقة الملاحية بمثابة حظيرة دفاعية زحزح عن مينائها الكبير (الإسكندرية) عملاق (الاستانة) البيزنطي بعد أربع سنوات من الزحف العربي. وفي عام 128 / 648 زحفت 1700 وحدة بحرية عربية فاحتلت قبرص وإفريقية، وما لبث الأمويون أن استولوا على مجموع الشمال الإفريقي في انتصار ساحق عام 76 / 695، وخاصة مدينة قرطاج، فكلف موسى بن نصير بإقامة قاعدة بحرية أو دار صناعة في

المكان الحالي لعاصمة تونس حيث زج في الورشة الجديدة بنحو مائة قطعة بحرية، فأمست هذه المنطقة الإفريقية الشمالية عام 85 / 704 ثالثة المناطق الأمامية في هذا البحر الدولي بعد منطقتي مصر والشام، مما فسح لابن نصير مجال اكتساح سردينية والبليار عام 90 / 708 حيث حاصر ثلثي الشواطئ.

كان الأسطول العربي آنذاك ثلاث مجموعات مستقلة بعضها عن بعض ضمن وحدة خاضعة للأسطول المصري في البحر الأحمر وتحت إمرة موحدة لأميرال الكنانة تكفل تنسيقا رائعا بين القوات العربية التي واصلت تصاعدها بقيام مملكة أموية بالأندلس عام 139 / 756، وانبثاق أخرى إدريسية بالمغرب سنة 172 / 788، ومملكة الأغالبة بإفريقية عام 184 / 800. وبعد نحو العشرين سنة استكمل الأسطول العربي احتلال صقلية عام 209 / 820 بقطع بلغت وحداتها المائة والسبعين بانضمام أسطول الأندلس. وفي هذا الخضم المتكامل فرض الشمال الإفريقي تفوقه الاقتصادي بظهور أول درهم كعملة مستقلة عام 185 / 801 هو الدرهم المغربي الذي سك بمدينة فاس ومازال نموذج منه مودعاً في متحف كاركوفKarkov بالاتحاد السوفياتي. وقد استطاع المغاربة وضع اليد بسهولة على جزيرة إقريطس منذ عام 224 / 838 فقضوا على الأسطول البيزنطي بعد سنتين، ورابطت قواتهم عام 257 / 870 في مالطة ثم إيطاليا الغربية عام 290 / 902 وأمسى أسطول الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث مالكا لزمام المنطقة بأكملها فاحتل عام 319 / 931 مجموع القواعد البحرية على طول سواحل فرنسا الجنوبية، وبذلك انهارت أعشاش القرصنة الأوروبية لا سيما بعد الهزيمة المنكرة التي مني بها أسطول روسي عارم ضم ألف قطعة انبرى لتحرير جزيرة اقريطس عام 338 / 949.

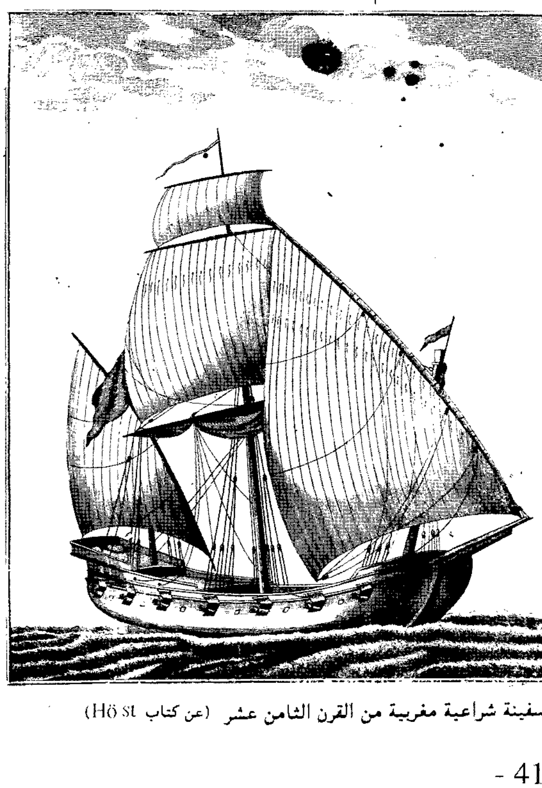

سفينة شراعية مغربية من القرن الثامن عشر (عن كتاب Hö st)

وقد استمر الأسطول الإسلامي في تصاعد طوال أزيد من مائة سنة فرض خلالها الغرب الإسلامي في البحر المتوسط سياسة اقتصادية جديدة بلورها (الدينار العربي) منذ عام 335 / 950. فكان هذا الجهاز الجديد رائداً لتطور اقتصادي متصاعد تكلل في العدوتين (الأندلس والمغرب) بظهور المرابطين وانتصارهم في الزلاقة ووصول أسطولهم إلى ساحل الشام خلال فترات من الحروب الصليبية. وسيطر الإسلام آنذاك بأسطول كان الأول في البحر المتوسط على شبكة التبادل بين شقي العروبة والإسلام (الشرق والغرب) حيث أمسى العيار النقدي هو الدينار العربي بقيمة تتراوح بين 4،25 و 4،79 غرامات للدينار، وقد ازدوج هذا المسار اقتصاديا وعسكريا رغم تهديدات النورمانديين لصقلية. وقد زجت إمارة مهدية عام 418 / 1027 بأربعمائة قطعة لإنقاذ الجزيرة التي تغلغلت في رحابها معالم الحضارة الإسلامية عزز إشعاعها أسطول أمير الأندلس مجاهد العامري المتوفى عام 436 / 1044، وتكتلت آنذاك قطع إغريقية مع حراقات جنوة وبيزة ومجموع الساحل الشمالي الغربي لإيطاليا، غير أن الأسطول الإسلامي ما لبثت أن التحق في انهيارات متوالية بالأسطول البيزنطي المنهزم، فتساقطت عام 494 / 1100 جزر كرسيكة وسردينية وصقلية وسواحل إيطاليا وحتى الشام. وزاد هذه الهزيمة شناعة زحف أعراب بني هلال وبني سليم على المنطقة ناشرين الدمار الذي وصف بعض ويلاته ابن خلدون في *مقدمته*، فاضطرت إمارة مهدية بإفريقية إلى الاستسلام لملك صقلية روجر ROGER عام 468 / 1075.

وكان من عناية الله أن ظهر على مسرح المنطقة يوسف بن تاشفين للحد من هذا التدهور منذ عام 479 / 1086 تحت ضربات بيزة عام 480 / 1087 وملك قشتالة الذي احتل قرطبة عام 478 / 1085 وأخضع لسلطانه المعتمد بن عباد وتتابعت ثلاثة أرباع القرن مظلمة قاتمة استرجع الأسطول العجمي بعدها صقلية عام 483 / 1090 واستعرت أول حرب صليبية عام 490 / 1096.

وفي هذه الغضون السوداء برز يوسف بن تاشفين من الصحراء المغربية فأطلق العنان لأسطول فتي مخر عباب الشق الشرقي المتوسطي الذي احتله الصليبيون فكان لهذا الأسطول الصحراوي المغربي جولة وصولة حدثنا عن روائعها خصمه ألفونس السابع ملك قشتالة، واتحدت أقاليم المغرب الكبير منذ عام 479 / 1086 بانتصار ابن تاشفين في معركة الزلاقة على ألفونس السادس. وقد خلدت أغاني رولان Chansons de Roland ما حققه أسطول ابن تاشفين من أمجاد في البحر المتوسط بقيادة الأميرال عبد الله بن ميمون بن الأميرال على بن ميمون. وحدثنا ابن جبير في *رحلته* (ترجمتها، ص 66، طبعة عام 1949) عن الملاحم التي خاض غمارها البحارون المغاربة في بطولة نادرة ضمن أسطول صلاح الدين الأيوبي. وظل الأسطول المرابطي يصول ويجول إلى عام 537 / 1142 حيث انبرى عبد المومن بن علي

الموحدي فعزز هذا الأسطول بأربعمائة قطعة، رابطت مائة وعشرون منها في مرسى المعمورة (المهدية في مصب نهر سبو) ومائة في طنجة وسبتة وبادس وباقي الريف، ومائة في تونس ووهران، وثمانون في الأندلس (*القرطاس*، ص 28) وهكذا ظهر أسطول مغربي جديد ليواصل الكفاح تحت ظل الوحدة الإسلامية ماخراً عباب هذا البحر الدولي بين أقطار المغرب الثلاثة وجاعلا من جبل طارق في سنة الأخماس 555 هـ أول قاعدة استراتيجية متوسطة جهزها بأقوى عتاد دفاعي في ممر حيوي بين المتوسط والمحيط الأطلنطيكي.

ما لبث هذا الأسطول أن أمسى كما يقول المؤرخ أندري جوليان الأول في البحر المتوسط مما حدا الزعيم المسلم الأمير صلاح الدين الأيوبي إلى الاستنجاد به لإيقاف الزحف الصليبي على طريق الشام، وأصبح المغرب آنذاك بقوته وثروته وذيوع صيت جيشه وأسطوله رائداً اشرأب المسلمون في القاهرة والإسكندرية إلى الاحتماء به (حسب *رحلة* ابن جبير)، وأصبح لمراسي المغرب دور طلائعي في النشاط الاقتصادي الذي انطلقت روافده بين بيزة وجنوة والبندقية ومرسيلية، لأن الموحدين عرفوا - كما يقول أندري جوليان - كيف يتخذون المبادرة لخلق أشكال جديدة للشبكة التجارية طبقا لمقتضيات المبادلات الدولية مع تحديث أساليب استلهمت أوروبا الناشئة روائعها التي ازدوج بها التسامح والأمن وحسن التنسيق مع السهر على رعاية أقصى نقطة في الشواطئ العربية من البحر المتوسط ولهذا قفز عبد المومن بن علي مرة إلى شاطئ عاصمة تونس حيث كان الأميرال الموحدي ينتظره بسبعين سفينة حربية، وكانت مرسى سلا هي المركز العام لأسطول عبد المومن يعمل ورشها المبدع تحت حماية الحاجز الطبيعي Barre الذي أولاها الله إياه (*الموحدون*. ص 80 - ميليي Millet).

غير أن هذا الأسطول المغربي بدأ يفقد قواه تدريجيا بعد قيام بني مرين بالرغم من استمرار الإشعاع الفكري والحضاري في ربوع الشمال الإفريقي الذي ظل خاضعا لنفوذهم فترة تزامنت نهايتها مع بداية سقوط معاقل الفردوس المفقود.

وإزاء هذا الخطر الداهم اضطر المغرب إلى دعم قواه العسكرية براً وبحراً لإيقاف الزحف الإيبيري "Reconquista" خاصة في عهد أبي الحسن الذي بلغ ذروة القوة المرينية، فكان - كما يقول أندري جوليان - "أقوى ملك في القرن الرابع عشر" بلغت قطعه البحرية التي دافعت عن شواطئ تونس أزيد من خمسمائة وحدة، وامتدت معالم حصونه من أسفي إلى الجزائر العاصمة، توقد النار في أعلامها للإيذان خلال ليلة واحدة بالخطر في مراكز تقطعها القوافل في ظرف شهرين (*المسند لابن مرزوق*، هسبريس عام 1926).

غير أن الاقتصاد الإسلامي الذي ظل الأسطول المغربي يرعاه على طول سواحل المتوسط بدأ يذبل تحت ضربات المغير الذي احتل الموانئ الكبرى مثل أنفا وأصيلا ثم مليلية وحجرة بادس، لكن الشعب المغربي الذي لم يعرف خلال تاريخه الطويل أنه أقام على ضيم هبّ في طفرة عارمة من أقصى الجنوب لخلق مغرب جديد بزعامة السعديين الذين أوقفوا التيار البرتغالي في معركة وادي المخازن التي انهزم فيها أسطول رابطت ألفان من قطعه في ميناء العرائش، وبذلك انهزم أعظم أسطول أوروبي هو الأسطول البرتغالي الذي كانت قطعه تحتل آنذاك الخليج العربي. فحرر المغرب هذا الخليج بكيفية غير مباشرة عندما قضى على استقلال البرتغال التي اندمجت في المملكة الإسبانية طوال أزيد من ستين سنة، ودخل المغرب في زمرة الدول الكبرى التي بدأت أوروبا تخطب ودها. ومع ذلك فإن قوة المغرب البحرية تضاءلت بالرغم عن هذه الانتصارات التحريرية التي شملت أگادير وجنوب المغرب.

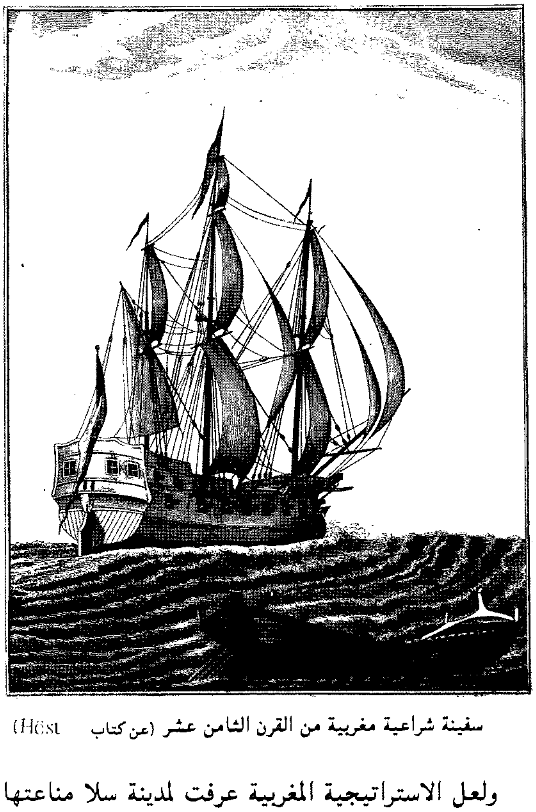

سفينة شراعية مغربية من القرن الثامن عشر (عن كتاب Höst)

ولعل الاستراتيجية المغربية عرفت لمدينة سلا مناعتها فأقام السلطان السعدي مولاي عبد المالك دار صناعة في كل من سلا والعرائش، وأصبح مصب أبي رقراق منذ عام 1614 م الميناء الإسلامي الوحيد في المغرب الأطلنتيكي الأقرب إلى أوروبا (*تويريخ الرباط* - ص 92 - كايي Caillé)، وظل ميناء سلا طوال قرن كامل أنشط مركز بحري بعد أن تمتعت بالزعامة كقواعد ملاحية مراسي أسفي وأگادير وماسة.

وفي إطار هذا النشاط الدفاعي عن حوزة المغرب وفي بحبوحة الدسائس الأوروبية - التي تكتلت للتقليص من قوة المغرب البرية والبحرية - اضطلع المولى إسماعيل، وهو العاهل العلوي الفذ، بمهمة تحرير المراكز الملاحية التي

احتلها الخصم وتأطير حامياتها بأبطال عرفوا كيف يدافعون عن شواطئ المغرب كمجموعة وطنية متحمسة شكلت كتيبة مومنة حررت المعمورة عام 1681، وطنجة عام 1684، والعرائش عام 1689، وأصيلا عام 1691. ولم تمر بضع عقود من السنين حتى انبرى حفيده محمد الثالث وهو محمد بن عبد الله ليحرر الصويرة ويتخذ منها منطلقا لمسار اقتصادي جديد وتعزيز عسكري يشمل المحيط الأطلنطيكي قضاء على حركة التهريب الأوروبي على شواطئ بحر الظلمات. واتجه إلى الدول الأوروبية البروتستانية لمدافعة دسائس بعض أوروبا اللاتينية المستعمرة، فأقام - دعما لأسطوله وجيشه كعاملين جوهريين لحماية البلاد - علاقات مع انجلترا والسويد والدانمارك وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية التي عقد معها معاهدة تجارة وملاحة لخمسين سنة في يوليوز 1786 تجددت عام 1836. وقد وجه السلطان محمد بن عبد الله ثلة من رعاياه الأوفياء إلى كل من انجلترا والسويد للتضلع في تقنيات صناعة السفن (*تويريخ الرباط*، 132 كايبي)، وكان المواطنون الذي اختارهم لهذا التأهيل من قلب الصحراء المغربية، من بينهم ستمائة شاب من أيت عطة وأربعمائة من عبيد تافيلالت الذي أرسلوا إلى طنجة للتدرب في أوراشها على المناورات البحرية (*المؤسسات*، ص85، سوردون ...Surdon - *Institutions*)، وفي نفس الفترة وردت على المغرب بعثة من الخبراء الأتراك لتكوين طائفة من الرماة المحنكين.

هذا العمل المتئد هو الذي ساعد المولى محمد بن عبد الله على تكوين أسطول بلغت وحداته الخمسين، منها ثلاثون حراقة فرگاطة جاعلا على رأسه ستين من كبار الضباط الرياس معززين بخمسة آلاف بحار وألفين من الرماة.

والواقع أن نجله المولى سليمان استطاع أن يحتفظ بقوة هذا الأسطول رغم الدسائس، فكان له عشر حراقات وخمس وثلاثون سفينة وزورقا حربيا مدعومة بستة آلاف بحار مختص (*تاريخ ووصف المغرب*، ص 156 - گودار Godard).

وازداد الأسطول المغربي تضاؤلا تحت ضربات الحلف المقدس الأوروبي لانكباب المولى الحسن الأول على دعم الوحدة الداخلية وتجديد الجهاز العسكري، فوجه طلبة لدراسة الهندسة العسكرية في مونبليي (Montpellier) وحواضر أوروبية أخرى، بل أنشأ سكرتارية للأشغال العمومية وما يشببها من أجهزة. لذلك تزايد تقليص قطع الأسطول حتى أصبح عددها لا يتجاوز عام 1902 وحدات محدودة حملت أسماء عربية هي "الحسنى" و "سيدي التركي" و "التريكي" و "البشير".

وبينما كان الأسطول المغربي يتولى ضمان سيرورة المبادلات مع أوروبا أصبحت الأساطيل الأوروبية هي التي تضطلع بهذه المهمة حيث وصل عام 1911 (أي سنة قبل الحماية الفرنسية) إلى ميناء الصويرة وحدها لنقل الصادرات المغربية إلى الخارج 463 سفينة كانت صادراتها إلى الخارج عن طريقها تشكل ثلاثة أضعاف الواردات.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن جبير، *الرحلة* (الترجمة)، طبع 1949 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند* ؛ ابن خلدون، *المقدمة* ؛ هسبريس 1926، ص 61 .

Godard, *Histoire et description du Maroc* ; Caillé, *La Petite Histoire de Rabat* ; Surdon, *Institutions* ; Millet, *Les Almohades*; André Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord.*

عبد العزيز بنعبد الله

**أسْغَرْكيسْ** (مدرسة) تقع هذه المدرسة في قرية أسْغَرْكيسْ في منطقة شتوكة الجبل بالأطلس الصغير، كما أن هناك مكانا بهذا الاسم في قبيلة أيت صواب. وقد أسست بهذه القرية مدرسة علم وإرشاد منذ أواخر القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي (*سوس*، 163 - 173) كما اشتهرت بخزانتها العلمية.

**الأسغركيسي، إبورك** بن حسين مؤسس هذه المدرسة وخزانتها (ت. 953 / 1575) اشتهر بالإرشاد والتدريس والرحلة في طلب العلم ؛ وهو من أصحاب الولي الصالح أحمد بن موسى الجزولي (ت. 983 / 1575) دفين تازروالت. فبعد أن أتقن القرآن ببلدته بالروايات المتداولة أخذ عن القطب أحمد بن موسى المذكور وعن الصوفي أحمد السائح وعن ابن عبد الواحد المسگرادي، وتصدر للتدريس والإرشاد فأخذ عنه ولده وخلائق لم تذكر أسماؤهم، مع شهرته بالكرامة حتى تبرك الناس به في حياته وبعد موته (*المعسول* : 278) ويذكر من أحفاده الذين درسوا في مدرسة أسغركيس :

**الأسغركيسي، أحمد** بن إبراهيم بن إبُورك (ت. 1073 / 1662) الذي عرف بالمشيخة والإفتاء والتدريس بمدرسة جده آنف الذكر (*المعسول* 14 : 279) ومن علماء هذه الأسرة : محمد بن الطيفور (ت. 1267 / 1850) ويظهر أنه انتقل بخزانتهم إلى مدينة تزنيت، حيث بقي بها إلى وفاته تاركا خزانته لولده الآتي الذكر وهو : محمد بن محمد بن الطيفور (ت.1297 / 1879) الذي ترك له والده هناك بتزنيت بعد انتقاله إليها خزانة عامرة مشهورة، ولحسن الحظ فقد حبّس ووقف وتصدق بطرف منها على جامع تزنيت، وكان والده محمد بن الطيفور قد نقل كثيرا من هذه الكتب ونسخها بخطه. وقد أشاد بذكرها أحد علماء سوس معتبرا إياها من بين الخزانات الشهيرة بسوس حيث جمعها علماؤهم الأولون حتى بلغت في القرن الحادي عشر / السابع عشر مالم تبلغه إلا القلائل من إخواتها بسوس (*المعسول* 3 / 322) كما أشاد بها المختار السوسي نفسه في محل آخر مشيرا إلى ما نالها بعد ذلك من ضياع غير أن في خزانته سجلاً مبتور الأول يشتمل على جملة مما كان فيها في عهد صاحب هذه الترجمة سنة 1266 (*خلال جزولة* 4 : 196) كما سرد قائمة أخرى بمحتويات خزانة جامع تزنيت مما يعتبر نموذجا من بقية ما حبسه المذكور ( *خلال جزولة* 4 : 195 - 196) وقد ذكر المانوزي محمد بن أحمد (1336 / 1945)

في رحلته بسوس وسيرته الذاتية أنه لفت نظره عند زيارته للخزانة الأسغركيسية بتزنيت سنة 1345 / 1926 ماتشتمل عليه من كتب عتيقة وخطوط شرقية قديمة من بينها خط الإمام علي وان استبعد ذلك بعد مقارنة الخط المزعوم بغيره (*المعسول* 3 : 322).

ويذكر أن الشيخ أحمد الصوابي كان يأتي إلى المدرسة الأسغركيسية لتدريس *صحيح البخاري* بها ( *سوس*، 163).

كما يذكر أن من الذين غادروا هذه الزاوية - المدرسة - فرع الوالياضيين الذين ينتمي إليهم العلامة المشهور عبد الله بن إبراهيم اليوفتارگائي (ت.1314 / 1896) شيخ الجماعة في عصره (*المعسول* 14 : 310) وهو الذي أخذ عنه جملة وافرة من علماء سوس ذكر منهم صاحب *المعسول* قائمة تحتوي على نحو الأربعين (14 : 310 . 32). ومن الذين أخذوا عن اليوفتارگائي هذا أحد علماء الأسرة الأسغركيسية واسمه عبد الرحمن بن عمر، توفي بعد عام 1345 / 1926، وقد عرف عنه العبادة والصلاح ومعاناة التعليم والمشارطة في بعض مدارس سوس (*المعسول*، 14 / 287).

كما أن من بين من ذكروا أنهم علّموا بمدرسة أسغركيس المسمى أحمد بن محمد من بني الطالب الإسگيني التملي الفقيه النوازلي ؛ وقد أخذ عن العلامة الإيديكلي التملي وعن عبد الله بن عبد الرحمن الجشتمي (*المعسول* 17 : 21) وتوفي سنة 1335 / 1916.

م . المختار السوس ، *سوس العالمة* ؛ *خلال جزولة*، 4 ؛ *المعسول*،14 و 17.

محمد البايك

**الأسّغركيسي، الحسين** بن محمد، فقيه أخذ عن والده ثم عن أخيه محمد ثم عن الشيخ العربي الأدوزي، ديدنه التدريس ومزاولة الإفتاء. له مشاركة في العلوم الشرعية واللغوية خاصة الأدب والعربية، درس في مدرسة إرْسْ نْكَارْفْ وفي مدرسة تيزي ن الأولياء وفي مدرسة أَخْريب. مذكور بين المؤلفين السوسيين بشرحه *للقصيدة الدريدية والوتريات البغدادية*، وله إجازة ذكر فيها أشياخه. توفي عام 1321 / 1903.

**الأسْغَركيسي، محمد بن الطيفور**، من الفقهاء السوسيين المرموقين بعد الصدر الأول من القرن الثالث عشر إلى مبدأ الربع الأخير منه. من مشايخه محمد بن عبد السلام الناصري وعبد الله الطاطائي البرحيلي. مذكور بين المؤلفين السوسيين بفهرس إجازات أشياخه وبشرح *للأجرومية*.

توفي تقديراً قبل عام 1267 / 1800.

**الأسْغركيسي، محمد بن عمر**، فقيه أديب منكب على التعليم، مشهور بالصلاح، من مشايخه الكبار الإمام الحضيكي والشيخ محمد بن الحسين الأسْغركيسي، مذكور بين المؤلفين السوسيين *بفهرس* حسن بيّن فيه حياته و *إجازات أشياخه* و*ديوان شعر*.

أ.الجشتيمي، *الحضيكيون*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 198 ؛ *المعسول*، 14 : 283، *رجالات العالم العربي بسوس*.

عبد الله درقاوي

**إسفنجيات**، قد يجهل الإنسان أن الإسفنجيات الطبيعية التي يستعملها من أجل نظافته ماهي إلا هياكل حيوانات بحرية ظلت ولمدة طويلة تعتبر كأنها نباتات، إلا أن الدراسات العلمية، أثبتت أن خصائص الإسفنجيات هي خصائص حيوان نمط رغم أنها الأقل تطورا من كل متعددات الخلايا، وبالفعل توجد الإسفنجيات في قاعدة سلم التطور مباشرة بعد أحاديات الخلية.

ظهرت الإسفنجيات قبل الزمن الأول، ويبلغ حجمها ما بين بضعة ملمترات وأكثر من متر تقريبا، كما يبلغ وزن بعضها أكثر من خمسين كيلو غراما.

الشكل الخارجي : تتخذ الإسفنجيات لنفسها أشكالا عديدة وذلك حسب الأنواع حيث إن هناك أشكالا قصبية، كروية، كيسية، قشرية أو على شكل شجيرات، إلا أن الإسفنجيات بالمقارنة مع متعددات الخلايا الأخرى، فقدت كل فرديتها أو "شخصيتها" وبعبارة أخرى، إنه إذا أخذنا فردين اثنين من نوع واحد في طور النمو ووضعناهما جنبا إلى جنب، قد يمكنهما التلاحم الكلي دون أن نعرف فيما بعد حدود أولهما من الآخر.

للتعريف بهاته الفصيلة من الحيوانات نتخذ كشكل نمط الشكل الكيسي وهو الأكثر تبسيطا : يتوفر الإسفنج على طرفين، طرف قاعدي من حيث يثبت على الدعامة وطرف ثان بعيد يحمل ثقبا مركزيا يصل جوف الحيوان (وهو ما يسمى بالجوف المعدى) بالعالم الخارجي ، يلعب هذا الثقب عند الإسفنجيات دور الشرج لادور الفم. أما دور الفم فتلعبه تلك الأعداد الكبيرة من الفتيحات التي تُرى على الجدار الخارجي للكيس من حيث يُمْتَصُّ الماء فيدخل إلى الجوف المعدي ليخرج فيما بعد من الثقب المركزي.

البنية الداخلية : يتكون الجسم عند الإسفنجيات من ثلاث طبقات : أدمة داخلية، أدمة خارجية، ونسيج حشوي .تتكون الأدمة الداخلية من طبقة واحدة من الخلايا تغطي من الداخل الجوف المعدي وتحمل كل خلية بضعة سياط لها دور في إنشاء تيار مائي داخل الجوف المعدي. أما الأدمة الخارجية فهي كذلك عبارة عن طبقة واحدة من الخلايا الفطساء تغطي الإسفنج من الخارج. أما في ما يخص النسيج الحشوي فهو عبارة عن سائل يحمل عدة أنواع من الخلايا تختص كل واحدة منها بمهمة داخل الجسم كالخلايا المفرزة للأشواك، والخلايا الصانعة للفتيحات، والخلايا المَنَسية، والخلايا العضلية، والخلايا العصبية.

ومن خلال هذا الوصف يتضح أن الإسفنجيات لا تتوفر على أجهزة منفردة فليس للإسفنج جهاز هضمي ولاجهاز

تنفسي ولاجهاز دموي ولاجهاز عصبي ولاجهاز تناسلي حيث تتم كل الوظائف بطريقة بدائية.

يتم الهضم عند الإسفنجيات مباشرة عن طريق خلايا الأدمة الداخلية ذات القدرة البلعمية العالية يساعدها في جلب المياه والتقاط مواد التغذية منها، حركات السياط والتي كما ذكرنا، تخلق داخل الجوف المعدي تيارا مائيا . أما عن الوظيفة التنفسية، يتم امتصاص الأكسجين مباشرة عن طريق خلايا الجسم كله. يتخلص الجهاز العصبي في عدة خلايا متفرقة داخل النسيج الحشوي. أما فيما يخص الوظيفة التناسلية فالإسفنجيات إما أن تكون أحاديات الجنس أو تكون خناثا. يتم التلقيح داخل الطبقة الوسطى لجسم الأنثى حيث توجد البويضات وذلك عن طريق إحدى خلايا الأدمة الداخلية التي يتحول شكلها فتفقد سياطها وتحمل بعد ذلك حيوانا منويا واحدا من الخارج أي من الجوف المعدي حتى مُلامسة البويضة، يجب التذكير فقط بأن هناك طرقاً نسلية أخرى كالتعضية والتبرعم.

التصنيف : فيما يخص الإسفنجيات البحرية يقدر عدد الأنواع المكتسبة حتى الآن بحوالي أربعة آلاف نوع، اكتشفت على شواطئ المغرب حتى الآن حوالي مائة وأربعين نوعا منها. أما أكثر الأنواع انتشارا في المغرب فيمكن أن نذكر على سبيل المثال Crambe crambe من الإسفنجات الصوئية و Cycon Ciliatum من الاسفنجلت الكلسية التي يمكن العثور عليها على طول الشواطئ المغربية.

يعتمد هذا التصنيف أساسا على البنية الداخلية وخاصة على طبيعة ونوعية وشكل الأشواك، هكذا تنقسم الإسفنجيات إلى ثلاث مجموعات : 1 ـ الإسفنجيات الكلسية تتميز بأشواك ثلاثية الشكل عموما ذات طبيعة كلسية. 2 ـ الإسفنجيات الصونية ذات أشواك في أغلب الأحيان ثلاثية الشكل إلا أنها صونية الطبيعة . 3 ـ الإسفنجيات سداسيات الأشواك ذات أشواك صونية إلاّ أن كل شوكة تحمل ستة رؤوس.

تنتمي أغلب أنواع الإسفنجيات المكتشفة حتى الآن على الشواطئ المغربية إلى المجموعتين الأوليين أي الكلسية والصونية بخلاف المجموعة الثالثة التي تعيش في أعماق كبيرة يصعب الوصول إليهاوالحصول على عينات منها.

البيئة : حيوانات بحرية بالأساس إلا أن القليل منها يعيش في المياه القارية. في البحر تتغذى الإسفنجيات ببعض الحيوانات الصغيرة وتعيش على أعماق تمتد من منطقة المد والجزر الى عمق 8600 متر تقريبا.

الاستعمالات : بالإضافة إلى استعمالاتها في النظافة المنزلية والتي بدأت تتعرض إلى منافسة حادة من طرف الإسفنجيات الاصطناعية ، تعتبر الإسفنجيات ذات أهمية كبيرة في الميدان الطبي وذلك اعتمادا على قدرة هيكلها الهائلة على تجميع وحبس الماء. فهي تستعمل في ميدان الجراحة الطبية كما تستعمل للتداوي في حالة الإصابة بحرق جلدي. أما عن أماكن استخراجها فهي تكثر وتستغل بكثرة في البحر المتوسط (تونس) وفي البحر الكراييب.

R. Bitar (1987) *Etude de peuplements benthiques littoraux des côtes atlantiques et méditerraneennes du Maroc ; Impact de la pollution - comparaisons biogéographiques*. Thèse d'Etat Univ. Marseille II. 286 p ; H. Boue, R. Chanton (1962) *Biologie animale, zoologie. I. invertébrés Tome I. Doin et Cie edit ; Brien P, Tuzet O, Sara M, Vacelet J et Livi Cie (1974) Spongiaires in Grasse P.P. Traité de zoologie* ,tome III, Masson.

محمد منيوي

**أيت إسْفُولْ**، أو أيت **سْفُولْ** تكوّن من مجموعة من القبائل الصحراوية بالموطن والمحتد، إذ لا يعرف لهذه القبائل أي تجمع فرعي بمناطق الأطلس المتوسط أو الأطلس الكبير الشرقي، كما هو الحال بالنسبة لبعض قبائل أيت عطا. وتجتمع قبائل أيت إسفُولْ في خمس واحد مع قبائل أيْتْ عَلْوَانْ ضمن الإطار التنظيمي لاتحادية أيت عطا، كما تجمعها بقبائل أيت أونيرْ اتفاقية تَفَرْݣَانْتْ الأمر الذي كان يسمح لهذه القبائل بمؤازرة بعضها البعض إبان الأزمات الاجتماعية بمناطق وادي درعة وتازرين وصاغرو.

بالرغم من أن صنهاجيـة قبائـل أيـت إسْفُول واضحة لا غبار عليها، كما تدل عـلى ذلـك عاداتـهـا وتقـاليدها وطبيعة حياتها، فإن الأصـول التـاريخيـة لهـذه القبائل غامضة ومبهمـة، وهنـاك مـن يعتقـد أنهـا تنسـب إلى جـد علـواني تـرعرع وتربّى في خيام قبائل أيْتْ عَلْوَانْ (*Les Ait Atta du Sahara* : 85)، ورغم أننا لا نتوفر على من يسمح لنا بتأكيد هذا الزعم أو نفيه، فليس من المستبعد أن يكون التشكيل الأول لقبائل أيْتْ إسْفُولْ، المتكونة أساسا من قبائل مترحلة، كما يوحي بذلك اسمها (أيْتْ سْفُولْ = أيْتْ الرحيل)، قد تم بمباركة أحد الأشراف.

كانت قبائل أيْتْ إسْفُولْ من بين أوائل القبائل التي ساهمت في وضع الأسس الأولى لتشكيل إتحادية أيْتْ عَطَّا، وذلك بمشاركتها إلى جانب قبائل خمس أيْتْ وَاحْلِيمْ في بناء حصن إغْرَمْ أَمَزْدَارْ لتخزين الأقوات بجبل صاغرو (*Le TAFILALT* : 276). وفي أواخر القرن 17 م، شرعت قبائل أيْتْ عَطَّا في الانطلاق من المواطن الأولى لتشكيل الاتحادية، فاندفعت في عمليات غزو وانتشار بالمناطق المجاورة بجبل صاغرو، خاصة مناطق الواحات الخصبة بأودية تودغة، وتافيلالت، ودرعة، وتازرين وغيرها. ولا مشاحة إذا قلنا أن قبائل أيت إسفول، التي كان مركز ثقلها بالسفوح الجنوبية لكتلة وگنات (منطقة أم سيسي)، كانت من القبائل الأولى من أيت عطا التي اندلقت كالسيل الجارف في اتجاه الواحات بالأودية الخصبة، وقد تمت عمليات الانتشار هذه، التي عرفت أوجها خلال القرنين 18 و 19 م، عبر محورين أساسين :

1 ـ المحور الأول : تمت عمليات انتشار قبائل أيت إسفول عبر هذا المحور في اتجاه أفقي من جبل بغداد في السفوح الجنوبية لكتلة جبل صاغرو نحو بلاد تافيلالت عبر منطقة ألنِّفْ، ليغطي واد أم سيسي حتى معدر أيت خباش ومن هناك إلى المناطق الجنوبية لواحات تافيلالت الممتدة بين

ذراعي واد غريس ونهر زيز. وقد وصلت قبائل أيت إسفول في أقصى انتشار لها عبر هذا المحور إلى ما وراء الضفة الشرقية لنهر زيز في الأراضي الممتدة بين مركز الراشدية شمالا والتخوم الصحراوية جنوب بلاد تافيلالت.

انطلق المحور الثاني من السفوح لكتلة وكَنات في اتجاه واحات درعة عبر واد الرگ، ووأد خْصيَّة، فبلاد تازرين وتاغبالت ليأخذ نهايته بالواحات الجنوبية من درعة وخاصة واحتي فزواطة ولكتاوة. أما فيما يتعلق بالظروف التي كانت وراء وصول قبائل أيت إسْفُولْ إلى وادي درعة، فلا تزال الرواية الشفوية تحتفظ ببعضها أخبار هذه القبائل، فقد كانت الواحات الجنوبية من درعة تتعرض باستمرار لهجومات القبائل الصحراوية من بقايا بني معقل مثل الغنَانْمَة وبني مَحمد، وكانت هذه القبائل تلحق أضرارا كبيرة بالمنتجات الزراعية بواحتي محاميد الغزلان واكتاوة، فسافر الشيخ عْمَامُو، من شيوخ اكتاوة إلى جبل صاغرو، وتعاقد مع قبائل أيْتْ عَطًا على حماية المدخل الشمالي لواحة اكتاوة ورد هجومات قبائل الغنانمة وبني مَحمد، وبعد القرعة أرسلت قبائل أيت عيسى وأبراهيم من خمس أيت واصْليمْ إلى درعة، ولما عجزت قبائل أيت عيسى وأبراهيم عن توفير ظروف الحماية لواحة اكتاوة، وقعت القرعة على قبائل أيت إسفول (*Les cités rurales du ktawa* : 8). كان نزول أيت إسْفُولْ بعد وصولهم إلى درعة بقصر أولاد إبراهيم بالمدخل الجنوبي من واحة فزواطة، ونستشف من بعض الإشارات أن وصول هذه القبائل إلى فزواطة كان في بداية القرن 18 م.

وتدل كل القرائن على أن قبائل أيت إسْفُولْ، قد نجحت في التصدي لهجومات القبائل الصحراوية، خاصة أن قبائل أيت علوان قد هبت لمناصرة أيت إسفول التي يجمعها وإياها خمس واحد كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وبعد هذا النجاح الذي حققته قبائل أيت إسفول على الأرض، تحولت بعض عناصرها إلى الاستقرار والارتباط بالأرض، فظهرت لها قصبات خاصة بالمدخل الجنوبي لفزواطة وشمال واحة اكتاوة.

ومن أهم قصور قبائل أيت إسفول بدرعة قصرا أولاد إبراهيم ولَمْگارْبَة بفزواطة، وقصبة أيت إسْفُولْ وقصبة عمامو وقصور البْليدَة وأولاد عمر وأولاد يوسف، إضافة إلى مجموعة من القَصور المحسوبة على أيت إسفول بواحة اكتاوة.

وبالرغم من تحول بعض عناصر أيت إسْفُولْ إلى الاستقرار والارتباط بالأرض بمجالات انتشارها، بتُدغة وتازرين وأم سيسي ووادي درعة، فإن جل هذه القبائل ظلت تمارس الرعي في مجال يمتد من وادي درعة غربا إلى واد الداورة شرقا، ومن السفوح الجنوبية لجبل صاغرو إلى التخوم الصحراوية، ولا تزال أقلية منها على طبيعتها الرعوية إلى اليوم.

وتتداخل مواطن قبائل أيت إسْفُولْ بوادي درعة وتازرين وأم سيسي، مع مواطن قبائل أيت علوان، وأيت أونير، وأيت واحْليمْ وأيت يُعَزى ثم أيت خباش.

وتنقسم قبائلَ أيت إسْفُولْ إلى أربع فرق كبرى وهي : أيْتْ حَمِّي وأيت بابا غيفْ وأيت يَشو ثم أيت إبراهيم أحمي. وكل فرقة من هذه الفرق تنقسم بدورها إلى مجموعة من الفروع. وكعادة قبائل أيت عطا بالجنوب المغربي، فإن كل فرقة من هذه الفرق موزعة على مختلف مواطن انتشار قبائل أيت إسْفُولْ في المجالات التي حددناها، وعندما تتكاثر عناصر فرقة من هذه الفرق فإنها قد ترقى إلى مستوى القبيلة، خاصة عندما يتعلق الأمر بعقد اتفاقية بين إحدى هذه الفرق وإحدى قبائل القصور بدرعة أو تازرين.


الناصري، *نعت الغطريس*، مخطوط ؛ التقي العلوي، دور *الاتحاديات الأطلسية*، البحث العلمي، عدد 23، 1974.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draa*, A. M., Volume 9, Tome II, Paris, 1931 ; G. Spillmann, *Les Ait Atta du Sahara et la pacification du haute Draa*, Rabat, 1936 ; *Repertoire Alphabetique des confédérations des tribus* ; Pierre Azam, *Les cités rurales du Ktawa*, C. H. E. A. M., Paris, 1964 ; Pierre Azam, *La Structure Politique et Sociale de l'Oued Draa*, C. H. E. A. M., Paris, 1947 ; D. J. Meunié, *Les Oasis des Lektawa et des Mehamid*, Hesp. nº 27, 1947 ; L. Mezzine, *Le Tafilalt*, Casablanca, 1987.


أحمد البوزيدي

**أسْفِي**، - جغرافيا - يعتقد أن كلمة أسفي من الكلمة البربرية أَسِيفْ التي تعني "الوادي" أو "النهر" وقد يكون هو ذلك المَجرى المائي الذي يعبر المدينة من الشرق نحو الغرب والذي يدعى حاليا "واد شعبة ".

إن انفتاح أسفي على البحر جعلها تتأثر بشكل عميق اقتصاديا ومجاليا بموقعها عبر كل مراحل تطورها، ولازالت هويتها البحرية تسيطر على أنشطتها وتوجه نموها. ومما ساعد على إبراز هذه الهوية فقر أريافها وضعف وقعها الاقتصادي على المدينة، إذ تتميز أرياف أسْفي بضعف ملاءمتها الفلاحية. ويرجع السبب في ذلك إلى تفاعل عدة عوامل طبيعية وبشرية. فالتربة هزيلة والموارد المائية نادرة حيث التساقطات طبيعية ولاتصل إلى 100 مم إلا على مستوى الشريط الساحلي، أما في الداخل فهي تقل عن 300 مم، كما أن ملكية الأرض تتميز بتفاوتات كبيرة وأساليب إنتاج عتيقة، ومن المعلوم أن الأنشطة الفلاحية بقيت إثر ذلك تعتمد أساسا على زراعة الحبوب (الشعير) وعلى تربية الماشية بصفة ثانوية. وتتأثر هذه الأنشطة بتقلبات الأمطار وبعدم انتظامها، ويعتبر متوسط الإنتاج بها من أضعف المعدلات الوطنية مما يصنف المنطقة ضمن المناطق الفقيرة بالمغرب، هذا في الوقت الذي تعرف فيه ضغطا بشريا هائلا يتمثل في كثافة سكانية : بين 20 و 40 ن / كلم 2، وقد تصل إلى 100 ن / كلم.

لقد بقيت أرياف أسفي في معزل عن أهم المنجزات التنموية الفلاحية التي عرفتها البلاد منذ بداية القرن

وخاصة في عهد الاستقلال. (نذكر على سبيل المثال الإنجازات السنوية الكبرى التي استفادت منها السهول المغربية . دكالة والحوز والسراغنة وتادلا وسوس والغرب وملوية السفلى والتي أدت إلى خلق أقطاب فلاحية دينامية ذات إنتاجية عالية). إلا أن تقهقر الأوضاع ووطأة الجفاف الذي عانت منه في بداية الثمانينات مجموع الأقاليم الفلاحية البورية وعلى وجه الخصوص إقليم أسفي دفع بالمصالح المختصة إلى القيام ب"مشروع تنمية سهول عبدة" (1987)، يهدف إلى تنشيط المنطقة وإخراجها من عزلتها الاقتصادية عن طريق تطوير الأساليب التقنية الفلاحية وتنويع الإنتاج وإدخال بعض التجهيزات الاجتماعية من طرق وصحة وتعليم (لا يتدخل المشروع في مسألة البنيات العقارية التي تطرح مشكل الملاكين الصغار الذين يشكون أغلبية المنتخبين والذين لا يتوفرون على المساحة الأدنى التي تمكن من رفع الإنتاجية (78 ٪ من الفلاحين يملكون 40 ٪ من الأراضي ) وبرفع مستوى الإنتاج الفلاحي يرمي المشروع إلى تعزيز وتكثيف علاقة التبادل بين المدينة وأريافها والتخفيف من تبعية أسفي لمناطق فلاحية أخرى فيما يخص تزويدها.

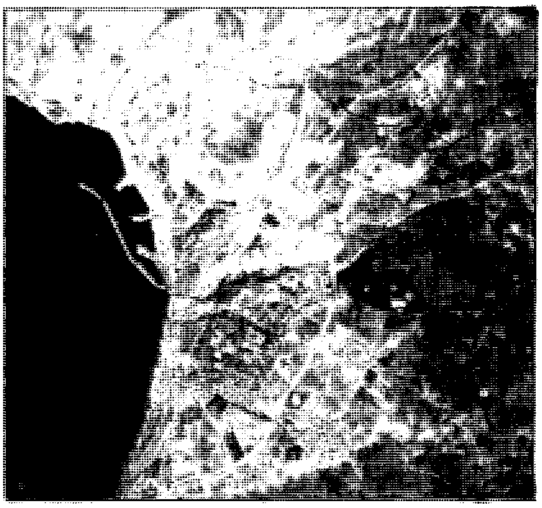

صورة جوية لمدينة أسفي

إن ما يميز أسفي هو كونها تتسم بطابع يطغى على مشاهدها ويخص أغلبية الشغيلة بها، (أزيد من 45 ٪ من اليد العاملة النشيطة تشتغل بالصناعة في الوقت الذي لايتعدى فيه المعدل العصري للمغرب 28 ٪. ويركز هذا النشاط على قطاعين أساسيين.

- صناعة تصبير السمك .

تأسست الصناعة التصبيرية في عهد الحماية إبان الثلاثينات وعرفت ازدهارا مدهشا لما وفرته لها المدينة من ظروف ملائمة تمكن في غزارة الثروة السمكية التي تزخر بها سواحلها وفي وفرة يد عاملة بأجور بخسة ، بالإضافة إلى عامل الإعفاء من الضرائب الجمركية الخاصة بالتصدير (تتميز سواحل أسفي بالخصوص بوفرة السردين الذي جعل من المغرب أول منتج لهذا النوع من السمك). فاهتم العديد من الرأسماليين الأجانب بالاستثمار في صناعة الصيد البحري وصناعة تصبير السمك. وتعددت المصانع إلى أن وصلت أزيد من ثمانين مؤسسة في بداية الخمسينات تزود منتوجاتها جزءا مهما من صادرات المغرب الموجهة نحو السوق العالمية وخاصة الأوروبية بالإضافة إلى مايوزع على السوق الداخلية ، إلا انه سرعان مابدأت تلوح بوادر أزمة تهدد مصير الصناعة السمكية بأسفي وترجع أسبابها إلى الانخفاض المستمرللإنتاج السمكي الناتج عن هجرة السمك نحو السواحل الجنوبية الغربية (الصويرة وأگادير).

فبعد ما كان ميناء أسفي يمثل أول ميناء مصدر للسردين في العالم، وأول ميناء للصيد البحري بالمغرب أصبح حاليا يشغل المكانة الثالثة بعد ميناء أگادير (147095 طن في السنة والصويرة 43315 طن في السنة) ويصل حجم إنتاجه إلى 29378 طنا. ويرتقب أن ينزل هذا الرقم إلى أقل من ذلك باعتبار التحولات التيارية التي يعرفها الساحل المغربي ، كما أن تقلبات السوق العالمية وظروف الصيد غير المتطورة (ضعف التجهيز والتأطير) تعتبر من العوامل التي ساهمت في خلق هذه الأزمة التي أدت الى إفلاس أزيد من 50 مؤسسة ( حسب تصريحات بعض المسؤولين انخفض عدد المعامل إلى حوالي 20 سنة 1986).

بالرغم من الصعوبات التي يعيشها هذا القطاع فإنه لازال يعتبر المشغِّل الأول بالمدينة حيث يشغل ما يقرب من 10000 شخص يعلمون في أنشطة مرتبطة بالصيد وصناعة السمك. إلا أن ما يقرب من 90 ٪ من اليد العاملة تشتغل بصفة موسمية ومتقطعة بالصناعة بارتباط مع تقلبات الإنتاج السمكي الذي يعرف مرحلة انتاج عال من ماي إلى اكتوبر، ومرحلة إنتاج منخفض من نونبر إلى ابريل، وأغلبية الشغيلة مكونة من النساء. كما أن البحارة يعانون من نفس المشكل بنسبة تعادل 40 ٪.

بقي معدن الفوسفاط إلى نهاية عهد الحماية موجها إلى السوق الخارجية حيث يصدر كله كمادة خام، وبعد الحصول على الاستقلال جاء أول تصميم خماسي 1961 / 1964 عرفه المغرب بتوجيهات اقتصادية تهدف إلى بناء صناعة وطنية تعتمد على تقويم وتحويل الموارد المعدنية الطبيعية التي تزخر بها البلاد من بينها الفسفاط ومعلوم أن أهم المدخرات العالمية للفوسفاط توجد بالمغرب وتقدر ب 24 مليار م 3). ففي هذا الإطار أنشئ المركب الصناعي لتحويل الفوسفاط وهوأضخم مشروع صناعي عرفه المغرب الجديد. وكان لمدينة أسفي الحظ في احتضان هذا المركب الكيماوي الهام نظرا لما لها من إمكانات لاستقبال المشروع ومنها:

- وفرة الفوسفاط والبيريت (le pyrite) على مقربة من المدينة، الأول باليوسفية، والثاني بقطارة .
- وفرة الغاز بإقليم الصويرة .
- إمكانية استعمال مياه البحر للتبريد ووفرة الماء الشروب عن طريق سد إمفوت، كل هذه العوامل ساهمت

في إقامة الصناعة الكيماوية بهذه المدينة وتأسست الوحدات الأربع، مغرب كيمياء I ومغرب كيمياء II ومغرب فوسفور I ومغرب فوسفور II، ولو تم إنجاز المشروع الأول للمركب لكان المغرب أول منتج للأسمدة على الصعيد العالمي .) لقد شرع منذ 1965 في إنتاج الحامض السولفوري (acide sulfurique) والحامض الفوسفوري (Acide phos-phorique) قصد تصدير الجزء الأوفر. يهدف الإنتاج إلى تحويل ما يقرب من 6.5 مليون طن من الفوسفاط عند استغلال الطاقة التقنية الكاملة للمركب.

تشغل هذه الصناعة ما يزيد عن 400 شخص وبذلك تحتل المرتبة الثانية من حيث توفير فرص الشغل (إلا أن هذا العدد يظل متواضعا باعتبار ضخامة المركب وارتفاع قدر الاستثمارات التي تطلبها، غير أن مثل هذه الصناعات تعتمد على أساليب تكنولوجية جد متطورة ولا تحتاج إلى يد عاملة وافرة. وتجدر الإشارة إلى كون آفاق توسعها بمدينة أسفي غير مضمونة وغير مرتقبة بعد إنجاز مغرب فوسفور III ومغرب فوسفور I بالجرف الأصفر جنوبي مدينة الجديدة.

تتوفر مدينة أسفي على صناعات أخرى مثل النسيج والصناعات الغذائية (إنتاج الزيوت والمشروبات الغازية والطحين) وصناعة الفخار. وبفضل وجود مؤسستين هامتين (معمل الخيوط "أسافيل" والشركة الشريفة للنسيج) تحتل صناعة النسيج مكانة مرموقة حيث توفر ما يقرب من 750 منصب شغل، غير إن إمكانية نموها بالمدينة جد محدودة نظرا لكون المستثمرين بهذا القطاع يفضلون مدنا أخرى حيث النسيج متطور مثل الدار البيضاء وفاس والرباط وطنجة.

أما صناعة الفخار التي اشتهرت بها المدينة منذ القديم فقد بقيت تتميز بطابع تقليدي في أساليبها التقنية، ولمواجهة غلاء أثمنة المواد الأولية عمل أغلبية الصناع على تأسيس تعاونيات تساعدهم على تفادي هذا المشكل. أما التسويق فقد بقي غير منظم ويفرض ظروف بيع قاهرة على الصناع خاصة الصغار منهم، هذا في الوقت الذي انتعشت فيه وازدهرت منتجات هذا القطاع "تجارة طرقية" في مختلف أقاليم المغرب. هناك فئة من المنتجين الذين يتعاطون الفخار الفني وهو عبارة عن منتجات ثمينة ونادرة من إبداع فنانين مرموقين ولا تتوفر إلا في الأسواق الممتازة.

تلعب التجارة والخدمات رغم ثقل الصناعة دورا هاما في تنشيط اقتصاد أسفي. وأهمية هذه الأنشطة ترجع إلى كون هذه المدينة تشكل أهم قطب ديمغرافي وحضري بالإقليم تستثمر فيها أهم المؤسسات التجارية والخدمية من إدارة وتعليم وصحة وتربية .... ويشغل هذا القطاع ما يقرب من 44 ٪ من النشطين في أسفي وهي نسبة محدودة بالمقارنة مع المتوسط الحضري المغربي والذي يصل إلى 56 ٪.

تحتل التجارة الخارجية دورا أساسيا في النظام الاقتصادي بأسفي ويعتبر التبادل من الأنشطة التقليدية للمدينة، إذ مثلت عبر تاريخها الطويل مركز تبادل بين الداخل والخارج واعتمد هذا النشاط على الميناء وهو من أقدم الموانيء المغربية، ويحتل حاليا المرتبة الثانية بعد ميناء الدار البيضاء الذي يحتفظ بالصدارة. ويقوم الرواج التجاري على تصدير معدن الفوسفاط والباريت والجبص والرصاص والزنك ومصبرات السمك والحوامض الكيماوية وكذا على استيراد الحبوب والكبريت والورق ومادة القنب (le jute) لصناعة الأحبال والأكياس، ويمثل تصدير الفوسفاط الوارد من اليوسفية أزيد من 60 ٪ من حجم الصادارات، إلا أنه قد لوحظ تراجع ملموس في تصدير هذه المادة منذ 1974 حيث تم بيع مايقرب من 4.8 مليون طن وهو أعلى حجم وصل إليه الميناء، ويرتقب أن يستقر حجم الفوسفاط المصدر في رقم 3 مليون طن في الوقت الذي سيرتفع فيه هذا العدد بميناء الجرف الأصفر إلى 20 مليون طن، وبالرغم من هذا الانخفاض فإن بعض الصادرات تعرف نوعا من الارتفاع مثل الباريث والجبس، إذ سجل تزايد في استهلاكهما في السوق الخارجية وصدر ما يقرب من 450.000 طن من الجبص و 220.000 طن من الباريت سنة 1983.

تستفيد مدينة أسفي من بنيات إدارية واجتماعية عمومية وشبه عمومية وخاصة، جديرة بمكانتها الإقليمية فهي منذ 1965 عاصمة لإقليم يصل حسب إحصاء 1982 عدد سكانه إلى 706.618 نسمة أغلبيتهم يقطنون بالأرياف (439.456 نسمة) ولذلك نجدها تستقطب أهم المؤسسات التعليمية والصحية والترفيهية مما يُوفر فيها دون غيرها من المراكز الحضرية الأخرى، مثل اليوسفية (10.848 نسمة) ظروف عيش أفضل، الشيء الذي جعلها مركز اجتذاب لفئة واسعة من المهاجرين من قبائل عبدة واحمر وغيرها.

لم تستثن حركة التمدين السريع التي نشطت بالمغرب منذ فجر هذا القرن مدينة أسفي، فعزلتها عن الأقطاب الاقتصادية الكبرى وموقعها شبه الهامشي داخل التراب الوطني منحاها خصوصية بارزة طبعت سيرورة نموها الحضري وامتدادها المجالي.

لم تسجل مدينة أسفي، على عكس ما عرفته أغلبية المدن والمراكز الحضرية ، في السنوات الأولى من عهد الاستعمار، تزايدا لساكنتها، فحسب إحصاء 1962 كان عدد سكان المدينة يصل إلى 26.914 نسمة (21.347 مغاربة مسلمون و 4.172 مغاربة يهود و 1.395 من الأجانب). وبعد عشر سنوات سجل إحصاء 1936 تراجعا لساكنة أسفي حيث انخفض العدد الإجمالي إلى 26.533 نسمة (19.694 من المسلمين و3.634 من الأجانب) فإلى نهاية الثلاثينات تميزت الساكنة المحلية بنوع من التراجع الملموس. فطيلة هذه المرحلة لم تعرف المدينة إقامة أنشطة من شأنها أن تساعد على استقرار السكان بها وجلب الوافدين من الأرياف على غرار ما حدث بمدن الساحل الاطلسي : الدار البيضاء

والمحمدية والرباط والقنيطرة...... ولم تنته أشغال بالميناء التي انطلقت منذ 1923 إلا في سنة 1938. كما أن الأنشطة الاقتصادية بقيت تعتمد على التجارة والصناعة التقليدية والخدمات الجديدة، لم تنطلق حركة تصنيع أسفي إلا في نهاية الثلاثينات، وخاصة في بداية الأربعينات حيث دفعت الحرب العالمية الثانية المدمرة بالكثير من الرأسماليين الأجانب إلى البحث عن مجالات استمارات مربحة بعيدا عن بلدان أوروبا.

وتشكل بذلك مرحلة الحرب وما بعدها انطلاق ازدهار صناعي ارتكز أساسا على المذخرات السمكية الوافرة، فتوسعت أنشطة الصيد البحري وتعددت معامل التصبير السمكي نحو الخارج. وانتشار الصيد والتصبير بالاعتماد على ميناء عصري أصبح يحتل المكانة الأولى على الصعيد الوطني، كان من شأنه أن يخلق دينامية جديدة عززت سوق التشغيل وخلقت فرصا متزايدة للعمل. وسجل بذلك تكاثر ديمغرافي بين 1936 و1952 حيث وصل عدد سكان المدينة إلى 56.751 نسمة من بينهم 49.404 من المغاربة المسلمين و 3.469 من اليهود و 3876 من الأجانب.

وتميزت مرحلة الاستقلال باستمرار في وفرة التزايد للساكنة الحضرية مماجعل أسفي تقتحم صف كبريات المدن المغربية منذ 1971.

| الأصل / السنة | 1960 | 1971 | 1982 |
|---|---|---|---|
| المغاربة المسلمون | 76.871 | 127.863 | 196.521(*) |
| المغاربة اليهود | 1.996 | 200 | |
| الأجانب | 2.605 | 1.050 | 786 |
| المجموع | 81.472 | 129.113 | 197.307 |

(*) لم يتم التمييز بين المسلمين واليهود في الإحصاء الأخير.

وتساهم الهجرة بقسط وافر من ارتفاع الساكنة حيث إن مايقرب من ثلث السكان ينتمون إلى مناطق أخرى وخاصة مثل التي تنتمي اليها قبائل عبدة واحمر والشياظمة. وترتفع هذه النسبة في الأحياء الفقيرة التي تشكل في بعض الحالات نوى شبه حضرية على هوامش المدينة في اتجاه الجنوب الشرقي.

والجدير بالذكر أن البنيات الاقتصادية لم تأخذ نفسا جديدا منذ إنشاء المركب الكيماوي، فحتى المنشآت الصناعية التي ظهرت لاتكون نسيجا مترابطا ومتفاعلا وقادرا على تعميق وتقوية مسلسل التصنيع بالمدينة. ومن مشاكل المدينة إيجاد الشغل للشباب الذين يتعاطون أكثر فأكثر شبه أنشطة في ا لتجارة الصغرى والخدمات.

عرفت أسفي منذ بداية هذا القرن توسعا حضريا هائلا جعلها تمتد بسرعة كبيرة في اتجاهات مختلفة وخاصة نحو الجنوب والشرق حيث انتشرت التجزئات وتعددت الأحياء شبه الحضرية.

ويتميز شكلها العام بكونه إشعاعيا انطلاقا من الساحل تتخلله فراغات ناتجة عن الحواجز الطبيعية وآليات المضاربة العقارية، هذا ما جعله يطبع بالتشتت وعدم الترابط بين المجالات الوطنية والقطاعات الحضرية وتبرز ثمة القطاعات التالية :

- المدنية العتيقة التي تتموضع فوق مصب واد شعبة وهي النواة الماقبل استعمارية وتمثل تراثا معماريا وحضريا متميزا عن باقي الأحياء، تعرف حاليا تشبعا ديموغرافيا وتكدسا بشريا، وتكون الرباط والتراب الصيني في الجنوب أهم مركز تجاري بأسفي.

- المدينة الحديثة، تمتد فوق الهضبة المشرفة على المدينة العتيقة من الواجهة الشرقية : بنيت على نموذج المدن الاستعمارية لتستقبل البنيات الاقتصادية التسييرية للنظام الجديد. تختلف عن النواة الأصيلة من حيث مبادىء تنظيمها ووظائفها حيث تتسم بهندسة تصميمها واتساع شوارعها وخضرة مجالاتها، وتتمركز فيها أهم الخدمات الإدارية والاجتماعية المحلية والإقليمية من عمالة وبلدية ومؤسسات تعليمية وصحية.

- قطاع بياضة وسيدي عبد الكريم في الشمال الشرقي والجريفات وسيدي واصل في الجنوب، وهوعبارة عن تجزئات اقتصادية انطلقت سيرورة توسعها منذ بداية هذا القرن ولازالت مستمرة إلى عهدنا . تتميز هذه الأحياء برتابة مجالية ومعمارية وبضعف التجهيزات والترفيهية .

- أحياء السكنى الهزيلة التي ظهرت على وجه الخصوص بالهوامش الجنوبية الشرقية بالقرب من منطقة التشغيل أي المنطقة الصناعية، هي عبارة عن تمركزات للكادحين الذين هاجرت أغلبيتهم من الأرياف المجاورة واستقروا في ظروف سكنية قد تنعدم فيها التجهيزات الضرورية والاجتماعية.

- المنطقة الصناعية تمتد على طول الساحل في اتجاه الجنوب. تتجمع فيها أهم المعامل والمؤسسات الصناعية المقامة بأسفي نظرا لما يوفره هذا الموضع من إمكانية تصريف النفايات نحو البحر واستغلال مياه المحيط وسهولة الاتصال بالخط الحديدي والميناء. وتظهر هذه المنطقة على شكل متقطع لكون المركب الكيماوي استقر بعيدا عن الأحياء السكنية (3 كلم نحو الجنوب) نظرا لكونه جد ملوث. إلا أن ابتعاده هذا عن المدينة يحميها من خطر التلوث والتسمم الناتج عن تسرب بعض الغازات المضرة بالحياة بجميع أصنافها في الهواء. ومما يزيد من خطورة الوضع هو قلة المجالات الخضراء بهذه المدنية التي شهدت توسع العديد من أحيائها في غياب التنظيم المجالي الشمولي وقصور التسيير الحضري، هذا في الوقت الذي تعاني فيه أسفي منافسة شديدة على المستوى الجيواقتصادي إثر ازدهار الصيد بأكدير وإقامة الصناعة الكيماوية بالجرف الأصفر وتشييد ميناء فوسفاطي به.

Plan Urbain de Safi, 1977 ; Zones Industrielles au Maroc, O D I, 1980 ; Recensement Géréal de la Population et de l'Habitat, 1960 - 1982. Schèma directeur d'aménagement urbain de Safi, Ministère de l'Habitat et de l'Aménagement, Aout 1983.

عائشة البلغيتي العلوي

**أسْفي**، - تاريخ - يقدم شكل تسمية المدينة بثلاث صيغ: بفتح ثانيه (أسَفي) أو تسكينه (أسْفي) وبمد أوله (آسْفي). والمتداول هو الشكل الثاني (أسْفي). وأصل التسمية فيما يرجح بربري، مرتبط بمعنى المصب أو حوض الناعورة أو بمعنى المنار، ولا أساس لما ذهب إليه من ربط الاسم بمادة "أسف" العربية (*نزهة المشتاق*، 87). ونرجح أن يكون اسم المدينة مرتبطاً بالوادي الذي يخترقها ويصب في المحيط الأطلسي.

لا يعرف بشكل أكيد أصل بناء المدينة : فقد أرجع البعض بناءها إلى القرطاجي حانون (Marmol.3،78). وحاول البعض ربطها بمركز قديم هو Mysocaras، في تمحل غير مقنع (Roger,36). والمرجح أنها من بناء البربر. ويظهر أنها كانت مركزا بسيطا لم يحتك بالحضارات الأجنبية التي اتصلت بالمغرب، ولم نعثر في الكتابات القديمة على ما يمكّن من تتبع أطوار تاريخها القديم. وترتبط أقدم إشارة إلى مدينة أسفي في الفترة الإسلامية بعقبة بن نافع قائد الجيوش الإسلامية التي فتحت المغرب سنة 62 هـ/ 681 م. فقد وصل إلى ساحل المدينة وأدخل قوائم فرسه في ماء المحيط في قصة معروفة، (*استقصا*، 1 : 82) ويظهر أن المدينة عرفت مضايقة كبيرة من قبل مصامدة برغواطة حيث خربت في عهدهم. وظلت مع ذلك مطروقة خلال القرن الخامس الهجري / 11 م، حيث كانت تشكل محطة ومرسى، وإن كان بناؤها بسيطا ؛ حيث لم تسور ولم تكن تقام بها صلاة الجمعة دليلا على قلة ساكنيها طيلة أيام المرابطين.

وبدأت المدينة تعرف بعض الحركة ابتداء من القرن 7 هـ/ 13 م واهتم بها الموحدون وبنوا عليها سورا، كانت بعض بقاياه ظاهرة للعيان في بداية القرن الحالي، حسبما تدل على ذلك شهادة الكانوني (أسفي، 79) ويظهر من خلال نفس الشهادة أن دائرة السور كانت أوسع بكثير من السور البرتغالي الذي لازال قائما إلى اليوم، مما يدل على تزايد عدد سكان المدينة وازدهار نشاطها، سواء منه التجاري المرتبط بالمرسى أو الديني والفكري المرتبط باستقرار الشيخ أبي محمد صالح الماكري (ت 631 / 1233) بالمدينة. حيث اتخذ رباطا والتف حوله الأتباع والمريدون، وكان لرباطه وطائفته صيت وشهرة.

وقد اهتم المرينيون بالمدينة وشيدوا بها مدرسة ومارستانا، وبنيت بها دور واسعة محصنة وقصور، وجمعت في نشاطها بين فلاحة المنطقة وصناعة أهم عناصرها نسج الصوف وحياكته. حتى اعتبرها ابن خلدون حاضرة البحر المحيط.

بدأ البرتغاليون يهتمون بمدينة أسفي من بداية العقد الثامن من القرن 15 م. ومن بين أسباب ذلك الاهتمام وجود صناعة نسيج نشيطة في المدينة تنتج الحنبل الصوفي، وهو إنتاج يدخل في لائحة المواد التي تستعملها التجارة البرتغالية مع إفريقيا الواقعة جنوب الصحراء.

وهكذا استقر بالمدينة عدد من التجار والوسطاء والوكلاء، واتخذوا بها الدور الحصينة. وقد استغل البرتغاليون بعض مشاكل المدينة، فأوعزوا إلى بعض عملائهم أن يطلبوا حماية الملك البرتغالي ألفونصو الخامس (ت 885 / 1481). وعرفت المدينة بعد هذا التاريخ اضطرابات كثيرة بين سكان المدينة وبين البرتغاليين، وبين عدد من الطوائف الممالئة للبرتغاليين أو المناهضة لهم، إلى أن احتلت عسكريا سنة 913 / 1508. ولم تنقطع مقاومة المغاربة للوجود البرتغالي في أسفي، خصوصا بعد أن تصدى السعديون لقيادة عمليات الجهاد، إلى أن خرج البرتغاليون من المدينة سنة 948 / 1541. ومن الآثار البرتغالية بالمدينة السور وعدد من الأبراج وكنيسة لا تزال قائمة إلى اليوم.(3 : 4).

منظر عام لأسفي في القرن الثامن عشر (عن كتاب Host)

اهتم السعديون بعد تحرير المدينة بتعميرها، وهكذا رجع سكان المدينة النازحون عنها هروبا من البرتغال، وأسس السلطان محمد الشيخ السعدي قصبة أسفي ومسجدها الكبير، وغدت المدينة في عهد السعديين مرفأ مهما حصلوا من خلاله على الأسلحة ولوازم السفن، واتسعت تجارة المدينة عبد المحيط إلى أن غدت هي وأكادير من أهم موانئ البلاد في آخر القرن العاشر / 16، وزادت تلك الأهمية مع القرن الحادي عشر / 17 عندما غدت المدينة المنفذ الوحيد للسلطة السعدية بمراكش، ترسو بها سفن أنجليزية وفرنسية وهولندية.

ثم عرفت المدينة في عهد السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله (ت 1204 / 1790) كثيرا من الحيوية بعد أن ناصرته بعض قبائل عبدة وآزره قائدها عبد الرحمن بن ناصر العبدي (ت 1214 / 1799) فبنيت بالمدينة عدة مآثر (القصبة والقصر السلطاني والمسجد) ونشطت حركة التجارة بعد أن استعان السلطان بالتجار الأوروبيين في الحصول على مواد بناء السفن وجعل بقصبة المدينة حامية مكونة من مائتين من الطبجية ومثلهم من البحرية. وابتداء من القرن 13 / 19 م استقرت بالمدينة شركات تجارية وأبناك فرنسية وأنجليزية وألمانية. وأخذت المدينة شكلها الجديد

ابتداء من سنة 1904، بإقامة نشاط اقتصادي معتمد على البحر والصيد والتصبير وتصدير المواد المعدنية وبالخصوص منها الفوسفاط.

أ. البكري، *المغرب* ؛ م. ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ خ. الوزان، *وصف أفريقيا* ؛ الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ الصبيحي، *باكورة الزبدة*، مخطوط.

Marmol, *De l'Afrique* ; R. Montagne, *Colonie berbère ancienne : Safi*, Hes. 1923 ; J. Bouquerel, *le Port de Safi de l'Antiquité aux Temps Modernes*, Revue de La Chambre de Commerce, nº 35, Janvier 1969.

عبد اللطيف الشادلي

**أسفي**، - إقليم - ينتمي إلى الجهة الاقتصادية الكبرى "تانسيفت" تأسس كوحدة إدارية استقلت عن إقليم مراكش سنة 1965، وهي السنة التي سجلت إقلاع المركب الكيماوي بمدينة أسفي. وامتدت حدوده منذ ذلك الحين من جنوب دكالة إلى جبال الأطلس الكبير الغربي شاملا بذلك الهضاب الساحلية من عبدة والشياظمة وحاحا إلى أن انعزل عنه بدوره إقليم الصويرة سنة 1975 في إطار تطبيق سياسة اللامركزية ومتابعتها.

يشغل إقليم أسفي مساحة 7285 كلم2 على مجموع 38.445 كلم2 التي تشكل مساحة مجموع تانسيفت، ويضم إلى حظيرته ثلاث دوائر هي : دائرة أسفي، ودائرة عبدة، ودائرة احمر، وسبع عشرة جماعة قروية.

مؤهلات فلاحية ضعيفة : يمثل إقيلم أسفي وسطا جغرافيا تظافرت في تحديد ملامحه عوامل متعددة. ويمكن اعتبار أن للطبيعة دوراً أساسيًا في رسم هويته بالرغم من كونه يتميز بتضاريس هضبية متوسطة الارتفاع من (0 إلى 500 م) وقليلة التقطع فإن الظروف البيومناخية والبيدولوجية المميزة له تبقى قاسية وغير ملائمة للقيام بنشاط فلاحي مكثف. فالتربة فقيرة وهيكلية (سيادة الرمل والحمري على الساحل وفي اتجاه الشرق ووجود بعض أراضي الترس في الشمال) ولاتساعد التساقطات على تطورها حيث نجد هذه الأخيرة تتراوح كميتـها بين 350 و400 مم في السنوات العادية في المناطق الأكثر أمطاراً وهي الواقعة عن قرب من الساحل، وقد ينزل هذا الحجم كلما اتجهنا نحو الداخل وفي فترات الجفاف حيث لم يتعد الرقم الاجمالي المسجل سنة 1981، مقدار 136 مم. أما المجاري المائية فهي هزيلة وموسمية بما فيها واد تانسيفت المنطلق من الأطلس الكبير والذي يصب جنوب مدينة أسفي بما يجعل هذا الإقليم يعاني من ضعف الموارد المائية. ويشكل هذا العجز القائم العائق الاساسي في وجه التنمية الفلاحية وتكثيف الإنتاج وتتأثر منه الساكنة الريفية إلى حد أنها تلجأ لتغطية حاجياتها الضرورية إلى تجميع مياه الأمطار داخل خزانات باطنية.

وإضافة إلى قساوة الوسط الطبيعي وعدم ملائمته تعتبر العوامل البشرية حاجزا آخر يحول دون تطوير الفلاحة والرفع من مستواها الإنتاجي، فالبنيات العقارية متباينة ومعقدة، ويتجلى ذلك في تنوع الأنظمة القانونية لتملك الأرض وتمركز الملكية : 58 ٪ من الأراضي فقط يخضع إلى الملك الخاص والباقي ينتمي إلى أنواع أخرى مثل الملك الجماعي 35 ٪ وملك الدولة وملك الحبس، كما أن توزيع الملكية الخاصة يتسم بفوارق كبيرة إذ نجد أن 78 ٪ من الملاكين لايستغلون إلا 38 ٪ من مجموع الأراضي الفلاحية في اطار استغلاليات صغيرة تتراوح بين 0 و 10 هـ في الوقت الذي يستفيد فيه 1،2 ٪ من الملاكين 15،5 ٪ من مجموع الأراضي تفوق فيها الملكية الواحدة 50 هـ . وتزيد أساليب الإنتاج المتأخرة الشائعة لدى أغلبية الفلاحين تعقيداً لهذا الوضع.

ونتيجة لما سبق وبالرغم من أهمية مساحة الاراضي الصالحة للزراعة (ما يقرب 400.000 هـ ) بقيت الإنتاجية هزيلة والمردودية مرتبطة بالتقلبات المناخية لكون الزراعات السائدة هي زراعات بورية مثل الحبوب (القمح الصلب والقمح الطري خاصة الشعير) والقطاني. كما أن تربية الماشية لازالت خاضعة لنفس المؤثرات ويتناولها معظم المستغلين كنشاط تكميلي للزراعة، الشيء الذي يعبر عن مدى هشاشة القاعدة الاقتصادية والمادية لفئات واسعة من الساكنة الريفية بهذا الإقليم.

وللحد من مخاطر الأوضاع بهذه المناطق التي عانت من الإهمال والتهميش كسائر الأراضي البورية في الوقت الذي احتكرت فيه الدوائر السقوية معظم الاستثمارات التنموية، انكبت المصالح المعنية بوزارة الفلاحة على برمجة عدة تدخلات تهدف إلى إدخال تغييرات تقنية وتنظيمية تساعد على تنشيط هذا القطاع :

- خلق دائرة سقوية بجمعة سحيم بشمال الإقليم عن طريق استعمال مياه واد أم الربيع كامتداد للقطاع السقوي المنتمي لدكالة.

- انجاز مشروع التنمية الفلاحية بسهل عبدة. يعتبر هذا المشروع من أهم التدخلات الفلاحية التي تقوم بها الدولة في الإقليم، شرع في تطبيقها سنة 1987 بمعنى أنه حديث العهد يشمل مجاله سهل عبدة الذي يستفيد نسبيا بظروف طبيعية من شأنها أن تساعد على ضمان النجاح له. ويهدف البرنامج الذي جاء به المشروع الرفع من مستوى الإنتاجية الفلاحية بما فيها الزراعية والرعوية عن طريق تحديث وتحسين أساليب الإنتاج التقنية والتسييرية والتمويلية... إلا أن تحقيق مساعي هذه التدخلات يبقى رهينًا بالوضع العقاري المتباين . هذا في الوقت الذي يعرف فيه هذا الاقليم كثافة سكانية مرتفعة نسبيا باعتبار مؤهلاته المحدودة : 40 نسمة في كلم م الواحد بالنسبة للساكنة الريفية وأزيد من 100 نسمة إذا ما اعتبرنا الساكنة الحضرية وهو أعلى رقم يسجل داخل جهة تانسيفت. واستمرار الأوضاع الفلاحية على ماهي عليه بأرياف هذا الإقيلم لمن شأنه أن يعزز تيارات الهجرة نحو مناطق أو مراكز أكثر حيوية ودينامية.

ثروات معدنية مهمة ومتنوعة : فإذا كان لقساوة الوسط الطبيعي أثر عميق على النشاط الفلاحي بإقليم أسفي فمن جانب آخر نجد أن هذه الطبيعة منحته ثروات باطنية هائلة تتمثل في وجود الفوسفاط والباريت Baryte والملح والجبس.

اكتشف معدن الفوسفاط في العشرينات بهضبة الگنتور الواقعة على بعد 70 كلم شرق مدينة أسفي. وشرع في استغلاله سنة 1931 عن طريق المكتب الشريف للفوسفاط. وقد أدى استخراج هذا المعدن إلى خلق أنشطة شكلت مركزا جيداً ليد عاملة وافرة لم تعد الفلاحة إثر التزايد الديمغرافي السريع قادرة على تشغيلها (أزيد من 4000 عامل ) وقد وصل حجم استخراج الفوفسفاط بمنطقة اليوسفية سنة 1986 إلى مايفوق أربعة مليون طن على مجموع وطني يصل إلى 24 مليون طن.

| المكان / السنة | 1982 | 1984 | 1986 |
|---|---|---|---|
| المغرب | * 21.621 | 21.517 | 24.028 |
| اليوسفية | 600 | 5.212 | 4.389 |

(*) الانتاج بالمليون طن.

والملاحظ أن هذا الإنتاج غير مستقر وقد تجاوز الستة ملايين في بداية الثمانينات. ويرجع سبب هذا التراجع الملموس إلى صعوبة تصريف مادة الفوسفاط ومشتقاتها نحو السوق الخارجية. والجدير بالذكر أن جزءاً وافراً من إنتاج اليوسفية يخضع لعملية التحويل إلى حامض فوسفوري وحامض كلوريدري بالمركب الكيماوي بأسفي.

يتوفر إقليم أسفي كذلك على معدن الباريت وهو معدن يستعمل في عمليات التنقيب على النفط ويستخرج من جبل إغود من طرف الشركة المغربية للباريت التي تنتج ما يقرب من ثلث إنتاج المغرب. ويعكس تقلص حجم الإنتاج منذ بداية الثمانينات، الأزمة العالمية للنفط.

| المكان / السنة | 1982 | 1984 | 1986 |
|---|---|---|---|
| المغرب | 515.672 | 561.321 | 179.881 |
| اليوسفية | 186.923 | 128.412 | 61.080 |

الإنتاج بالطن

كما يحتوي إقليم أسفي على موارد هامة من الجبس تصل مذخراته إلى ما يقرب من 5 مليارات من الاطنان يستخرج منها سنويا مايقرب من 300 إلى 400.000 طن. يستخدم الجبس لإنتاج الاسمنت وبعض المواد الصيدلية وكذا في صناعة الخزف البديع، ويصدر جزء منه نحو دول مختلفة مثل اليابان والبرتغال والكنگو.

أما مادة الملح المستخرجة من بحيرة زيما على يد الشركة الشريفة للملح فتعرف تزايدا في حجم انتاجها على عكس ماعرفته مادتا الفوسفاط والباريت حيث ارتفع من 7.493 طن سنة 1982 إلى 19.400 طن سنة 1986 على مجموع إنتاج وطني يعادل حاليا 118.814 طن.

فالحديث عن أهمية الثروات المعدنية التي يزخر بها إقليم أسفي يرمي إلى إبراز مدى تأهله حاليا أو مستقبلاً للتشييد الصناعي ليس فقط على أساس تحويل أولي لمعدن الفوسفاط بل بناءً على إعادة تقييم محلي لمجموع الموارد الطبيعية.

- إقليم لازالت ملامحه ريفية : فبالرغم من كون إقليم أسفي لايمثل منطقة فلاحية غنية وبالرغم كذلك من كونه يتمتع بموارد معدنية متنوعة وهامة أدت إلى خلق أنشطة استخراجية بارزة بقي يحتفظ بطابع ريفي واضح ويتجلى ذلك في كون أغلبية ساكنته لازالت تقيم بالأرياف حيث إن أزيد من 60 ٪ من السكان ينتمون إلى الوسط الريفي وهي نسبة تفوق المتوسط الوطني الذي لايتعدى 57،3 ٪ في الإحصاء الأخير.

| السنة | 1960 | | 1971 | | 1982 | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الساكنة | العدد | ٪ | العدد | ٪ | العدد | ٪ |
| الريفية | 347702 | 79.14 | 392462 | 70.77 | 439492 | 62.2 |
| الحضرية | 91693 | 20.86 | 162083 | 29.23 | 267161 | 37.8 |
| المجموع | 439395 | 100 | 554545 | 100 | 706653 | 100 |

ويعطينا الجدول رقم 4 لمحة مفصلة عن توزيع هذه الساكنة وتطورها داخل الدوائر والجماعات القروية المنتمية لاقليم اسفي، حيث يظهر جليا من خلال هذه الأرقام أن أغلبية المناطق تعرف تزايدا ديموغرافيا بطيئا يرجع أصله إلى انتشار الهجرة بين صفوف الريفيين.

الساكنة الريفية بإقيلم أسفي حسب الدوائر والجماعات.

| الدوائر الجماعات | عدد السكان 1960 | 1971 | 1982 | نسبة التزايد العام (٪) 1971 - 1960 | 1982 - 1971 |
|---|---|---|---|---|---|
| دائرة احمر | | | | | |
| - الشماعية | 5.560 | 6.548 | 6.736 | 17.8 | 2.9 |
| - رأس العين | 22.717 | 26.446 | 30.445 | 16.4 | 15.1 |
| - سيدي أحمد | 29.036 | 31.382 | 27.953 | 8.1 | 10.9 |
| - سيدي شيگر | 18.232 | 23.375 | 29.397 | 28.2 | 25.8 |
| - ثلاثاء أويغود | 18.680 | 23.423 | 27.678 | 25.4 | 18.2 |
| - اثنين جنان بوية | 22.876 | 26.379 | 29.883 | 15.3 | 13.3 |
| مجموع الدائرة | 117.101 | 137.553 | 152.902 | 17.5 | 10.6 |
| دائرة أسفي | | | | | |
| - أربعاء ازكاون | 20.790 | 22.301 | 27.103 | 7.3 | 21.5 |
| - احد حرارة | 17.336 | 19.326 | 21.416 | 11.5 | 10.8 |
| - احد توابت | 16.358 | 18.851 | 21.467 | 15.2 | 13.9 |
| - سبت كزولة | 17.706 | 16.284 | 17.453 | 8.0 | 7.2 |
| - سوق اير | 14.585 | 17.203 | 21.573 | 17.9 | 25.4 |
| - اثنين غيات | 18.494 | 20.249 | 22.323 | 9.5 | 10.2 |
| مجموع الدائرة | 105.269 | 114.214 | 131.335 | 8.5 | 15.0 |
| دائرة عبدة | | | | | |
| - حد بخاتي | 20.394 | 22.504 | 23.660 | 10.3 | 5.1 |
| - خميس نگ | 22.520 | 25.293 | 29.046 | 12.3 | 14.8 |
| - مول البرگة | 19.817 | 20.403 | 22.057 | 3.0 | 8.1 |
| - سيدي عيسى | 8.161 | 13.733 | 14.603 | 68.3 | 6.3 |
| - سيدي كور | 15.953 | 18.164 | 20.528 | 13.9 | 13.0 |
| - سيدي يحيى | 20.702 | 22.914 | 26.528 | 10.7 | 15.8 |
| - ثلاثاء سيدي بوگدرة | 17.104 | 17.684 | 19.643 | 3.4 | 11.1 |
| مجموع الدائرة | 124.651 | 140.695 | 156.065 | 12.9 | 10.9 |
| مجموع الإقليم | 347.702 | 392.462 | 439.492 | 12.87 | 11.98 |

وتمثل المجموعات الحضرية مراكز استقطاب لقسم مهم من المهاجرين الذين أصبحوا يمثلون نسبة مهمة من الساكنة. ويعرف بذلك إقليم أسفي زحفا سريعا لظاهرة التمدين خاصة منذ بداية الاستقلال إذ نلاحظ أن نسبة سكان الحواضر تتزايد باستمرار ارتفعت من 20،8 ٪ في 1960 إلى 67،8 ٪ في 1982 كما أن وتيرة التكاثر العام رغم التراجع الحاصل تبقى مرتفعة إذ تفوق 76،8 بين 60 - 1971 و64،8 بين 71 - 1982. تلعب مدينة أسفي في جلب الوافدين من الأرياف دوراً رئيسيًا باعتبار أنها تشكل قطبا اقتصاديًا وصناعيًا ذا أهمية إقليمية ووطنية، كما أن اليوسفية المدينة المعدنية تساهم في خلق دينامية اقتصادية وتساعد على توفير الشغل لفئة واسعة من اليد العاملة المهاجرة. أما باقي المراكز الحضرية (انظر جدول 5) فتمدينها حديث ووقعها الاقتصادي والاجتماعي محدود لكونها تعتمد على أنشطة التبادل التجاري والخدمات الإدارية والاجتماعية الأساسية من تعليم وصحة وغيرها.

تطور الساكنة الحضرية بإقليم أسفي.

| المراكز الحضرية | عدد السكان | | | التزايد العام | |
|---|---|---|---|---|---|
| | 1960 | 1971 | 1982 | 1971-60 | 1982-71 |
| أسفي | 81072 | 129113 | 197309 | 59،3 | 52،8 |
| اليوسفية | 8302 | 22435 | 42195 | 170،2 | 88،1 |
| الشماعية | 2319 | 5611 | 10848 | 141،9 | 93،3 |
| جمعة سحيم | - | 2482 | 5157 | - | 107،8 |
| سيدي أحمد | - | - | 7098 | - | - |
| سبت جزولة | - | 2442 | 4554 | - | 86،5 |
| المجموع | 91693 | 162083 | 267161 | 76،8 | 64،8 |

فرغم كون ظاهرة التمدين لازالت مستمرة في زحفها السريع تبقى نسبة الساكنة الحضرية باقليم أسفي ضعيفة بالمقارنة مع المتوسط الوطني 37،8 ٪ مقابل 42،7 ٪ حسب إحصاء 1982. تعتبر العزلة الطويلة للإقليم رغم انفتاحه على البحر والتهميش الفلاحي الذي عانى منه من الأسباب التي حدّت من أهمية سيرورة توسع المدن خاصة الصغرى منها.

Schéma Directeur d'Aménagement Urbain de Safi. Document nº 2, Analyse Economique. M. H. A. T 1982 Safi et sa région ; Recensement de la Population Légale du Maroc, 1960 - 1971 - 1982 ; Annuaire Statistique, Direction de la Statistique 1987; Carte Topographique de Safi 1/100.000.

عائشة العلوي البلغيثي

**اسقالة**، أصل الكلمة طلياني، كما في المعاجم الاسبانية والتركية، فهي "SCALA" تدل على معان كثيرة. ولعل المغرب أخذ الكلمة من التركية، التي كانت تكتبها "اسكالة" و"إسقالة"، غير أن قاموس شمس الدين، وهو من القواميس المعتمدة، يفرق بينهما في المعنى، فالمكتوبة بالقاف، آلة موسيقية، والمكتوبة بالكاف عبارة عن قصبة تواجه البحر، تعدّ للحرب كما تعد للجمرك والأعمال التجارية، ومدخلا ومخرجا للبحر. ويبدو أن هذه التفرقة جاءت متأخرة، وإلاَّ فإن الاسقالة التطوانية، أنشئت أو جددت في عهد مولاي عبد الرحمان بن هشام، لمهمة حربية، حينما زار تطوان، فاهتم بإصلاح الأبراج أو إنشائها، وكان من ذلك الإسقالة المذكورة، تم انجازها عام 1246، كما في الرخامة المثبتة فوق باب الاسقالة، حيث كتب ما يلي :"بسم الله الرحمان الرحيم النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا عبد الرحمان أمير المومنين. بُني هذا البرج المبارك على يد خديمه ولي نعمته محمد أشعاش سنة 1246".

فاسقالة هنا مذكورة بالبرج والبناء، إنشاء وهو المتبادر، أو إصلاحاً، كان بأمر عبد الرحمان الذي زار تطوان وأمر بذلك عام 1243، فيكون العمل قد استغرق ثلاث سنوات أصلح خلالها البرج المقابل له والمطل عليه من الجبل (جبل درسة). وكان قد بُني أواخر أيام المولى عبد الله، وكان حاكم تطوان "امحمد لوقاش" ابن عمر المستبد بتطوان. وقد كانت لتطوان عناية خاصة بالأبراج، لدرجة أن ريع الأوقاف كان مخصصاً لها. ولا شك أن الإسبان كان لهم ضلع فيما حدث بعد المولى يزيد، فإنهم، وقد ضيق عليهم الخناق في حصار سبتة، صاروا يدسون له، فخرج عليه أخوه هشام في مراكش، وخلعت بيعتهَ في تلك الجهات، فترك هو الحصار، وخف في إخماد هذه الفتنة وكان ذلك بعد مبايعته بسنتين، فقتل مجروحا بعيار في المعركة سنة 1206. ونشير إلى وجود اسقالات كثيرة منتشرة في ثغور المغرب كالعرائش وسلا وأسفي.

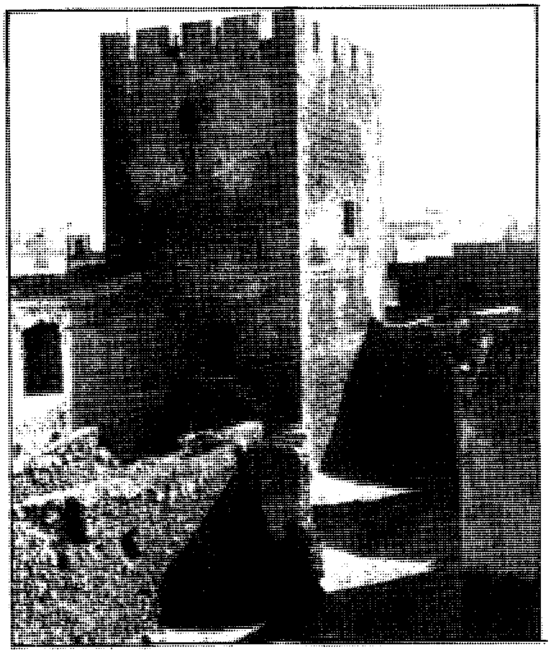

إسقالة في أسفي

ومنذ بويع المولى عبد الرحمن بن هشام أخذ يأمر بالتحصينات، استعداداً لمواجهة الفرنسيين الجاثمين على الجزائر. وتوفي وهو يحض على الاستعداد لملاقاة الكفار الإسبان، الذين أعلنوها حربا إثر تولية أبيه، فكان احتلال

تطوان سنة 1276، ودخولهم إلى تطوان من باب العقلة، التي أسموها باب الملكة. وهي الملكة ڤكتوريا، بعد أن تصدت للجيش الزاحف لقصبة إسقالة ببطرياتها، كما نجد ذكرها في الاطلس مرقمة بـ 1184، وهي عن يمين الداخل إلى المدينة. ويبدو من الأطلس المذكور أنه كانت هناك تحصينات في الناحية المقابلة لها يمينا قضت عليها الجيوش الزاحفة أو أبطلتها، كما نجد ذلك في التعليق المرقم بـ 31، من نفس اللوحة.

م. داود، *تاريخ تطوان* ؛ م. بنتاويت، *تاريخ سبتة* ؛ *وثيقة تاريخية عن تطوان*، والتعليق عليها وعلى ظروفها، مجلة تطوان العدد 3 سنة 1960 ؛ س. شمس الدين، *قاموس عثمان* ؛ *الأطلس* الذي ألف في تطوان ووقائعها خلال الاحتلال الإسباني لها سنة 1960.

Diccionario Salvat y Caen C. Editores (Barcelona), Dictionnaire Français - Italien, Italien - Français (Collins, Gallimard) (London and Glasgow) ; R. Dozy, *supplement aux dictionnaires arabes*, Beyrouth, 1981.

محمد ابن تاويت

**أسقمري** (كابايْلا) ← **سمك**

**إسگ** ← **أگادير** (إقليم ـ)

**الأشكاري** ← **الهشتوكي** موسى بن إبورك

**أسكاليس** (Ascalis) تقتصر معلوماتنا عن هذه الشخصية على مصدر واحد من مؤلف بلوتارخوس (Plutarqus) المعنون تحت اسم : *تراجم مشاهير الرجال* (*Les vies des Hommes illustres*) ولكن بلوتارخوس لم يفرد كتابا خاصا بالشخص، فهو يتعرض له بالذكر بصفة غير مباشرة عندما يترجم للقائد الرماني سرطوريوس (Sertorius) قائد ماريوس الذي كان يحارب بإسبانيا بين سنتي 81 ـ 372 م.

يقول بلوتارخوس (Sertorius 7،4) "لقد قطع البحر ووصل إلى إفريقيا عند الموروزيين ..." لقد كان هذا أول اتصال له بالأرض الإفريقية فقد انطلقت من قرطاجنة وبالتالي كان بإمكانه الرسو في سيگا (Siga) العاصمة القديمة لسفاكس (Syphax) أو بالساحل الريفي. وكيفما كان الحال فإن هذه العملية فشلت لأن الأهالي قاموا بطرد قواته وأفلح سرطوريوس في العودة إلى إسبانيا بمساعدة قراصنة سليسيين ( Ciliciens ).

يقول بلوتارخوس في فقرة أخرى(الفقرة 912 Sertorius) إنه عاد مع القراصنة السليسيين إلى إفريقيا. وسبب اتجاه القراصنة السليبين إلى إفريقيا هو رغبتهم في إعادة ملك المورأسكاليس ابن إفطاس ( Iphtas) إلى عرشه والذي تمت الإطاحة به في ظروف نجهلها.

وربما كانت لهذه الفرق السليسية قواعد بإفريقيا اغتصبوها من ملك المور الشرعي بوخوس الأول، وساعدهم في عملهم هذا الثائر أسكاليس.

ويضيف بلوتارخوس (Sertorius 9،2 ) بإن سرطوريوس مال إلى جانب الثوار الذين استقبلوه بحفاوة .وهزم سرطوريوس أسكاليس وحاصره بالمدينة التي كان قد تراجع إليهامع فلول جيشه. وقد أرسل القائد الروماني سيلا (Sylla) فرقة عسكرية لمساعدة أسكاليس يتزعمها القائد (Paccianus) ولكن سرطوريوس قضى عليه وأخضع باقي جيشه، ثم إنه تمكن من الاستيلاء على طنجة التي كان أسكاليس قد احتمى بداخلها.

يثير نص بلوتارخوس العديد من التساؤلات حاول بعض الباحثين الإجابة عنها. ومن هذه التساؤلات سبب انقلاب سرطوريوس ضد القراصنة السليسيين. ويحلله أندري جودان A. Jodin باتجاه سرطوريوس المارياني (Marianiste) فيما أنه من أتباع القائد الروماني ماريوس (Marius). لذا كان من البديهي أن يرفض مساندة مغتصب العرش أسكاليس بدل صاحبه الشرعي بوخوس الأول. ولنتذكر بأن هذه الأحداث تدور ببلاد المور (المغرب القديم) خلال الربع الأول من القرن الأول قبل الميلاد. وهذه المرحلة توافق حكم بوخوس الأول الذي ابتدأ حكمه سنة 105 ق ـ م . واستمر إلى حدود سنة 70 ق ـ م.

والتساؤل الثاني الذي يثيره النص يتعلق بالسبب الذي دفع القائد الروماني سيلا (Sylla) لإرسال دعم عسكري لأسكاليس وأصدقائه السليسيين تحت زعامة (Paccianus) ونحن نعرف أنه سبق أن بعث سنة 79 ق ـ م. القنصل سرفليوس Servilius إلى ولاية سليسيا (Cilicie) لمهاجمة هؤلاء القراصنة أنفسهم في معاقلهم. وفسر أندري جودان سبب مساعدة سيلا لأسكاليس والسليسيين برغبته في القضاء على القائد المارياني سرطوريوس.

أما النقطة الخاصة باحتفاء الأهالي بسرطوريوس، فنعتبرها تعبيرا عن الخلاص من ضغط أسكاليس فيكون سرطوريوس بالنسبة للأهالي بمثابة المنقذ.

أما كاركوبينو (Carcopino) الذي استوقفته قضية الحكم ببلاد المور خلال ثلاثة الأرباع الأولى من القرن الأول قبل الميلاد فقد ذكر بدوره أن هذه المرحلة توافق حكم بوخوس الأول وأضاف أن هناك عدة دلائل ثابتة تؤكد استمراريته على العرش ببلاد المور، خلال سنة 70 ق. م. عندما انفصلت الموريطانيتان أصبح بوخوس الثاني (Bocchus II) ملكا على القسم الشرقي من موريطانيا وأصبح بوغود (Bogud) ملكا على قسمها الغربي ـ وفي اعتقاد كاركوبينو قد يكون بلوتارخوس ومعه سالوست (Salluste) حوّلا أميرا محليا إلى ملك أو خلطا بين مصطلحي أمير (Regulus) وملك (Rex) وبذلك يكون أسكاليس قد حكم طنجة إما بصفة أمير مستقل أو تابع بصفة اسمية لبوخوس الأول، فتكون طنجة لوضعيتها البحرية مدينة مستقلة عن باقي المناطق التابعة للتاج الموريطاني.

Carcopino, *Le Maroc antique,* Gallimard, Paris 1943 ; S. Gsell, *Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord*, VII, Hachette, Paris 1928 ; A. Jodin, *Volubilis Regia Jubae, contribution à l'étude des civilisations du Maroc préclaudien*, Paris, 1987 ; Plutarque, *Les Vies des Hommes illustres vie de sertorius*, texte etabli et traduit par G. Walter, Gallimard, Paris, 1951. Tome II ; Plutarque, *Vie paralleles*, ed. R. Flacelière et E. Chaubry, VIII. Paris 1957 - 1983.

عبد العزيز بلفايدة البيضاويه بلكامل

**إسكتان ← سكتانة**

**أَسْكُور**، أحمد. ولد سنة 1907 بقبيلة أيت بنعيسى. انخرط في صفوف جيش التحرير بالشمال بتاريخ 2 أكتوبر 1955 وقد شارك مشاركة فعالة إلى أن استشهد بإحدى المعارك التي خاضها جيش التحرير بإموزار مرموشة سنة 1955.

*وثائق المندوبيةالسامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير - الرباط.*

عز الدين العلام

**أسكور** (فندق سلا) ← **مارستان أبي عنان**

**أَسْكُونْتي**، زايد من أيت عيسى إِزِم. أبرز قواد معركة جبل بادو المطل على أغبالو نْكردوس جنوب إقليم الرشيدية (قصر السوق سابقا) حيث تجمّع المجاهدون من أيت حديدو وأيت مرغاد وأيت عيسى إزم بعد انتهاء معارك جبل صاغرو وبُوگافر، وانضم إليهم مجاهدون من مناطق أخرى، وقد استعد الفرنسيون لهذه المعركة الحاسمة استعداداً خاصاً، وقادها منهم أربعة جنرالات جيرو، وكاترو، ولوسطال، وكودو، بإشراف الجنرال هيرو الذي جعل مقر قيادته في تينغير.

دامت المعركة حوالي شهر أظهر فيها زايد أسكونتي بطولة نادرة، ولم يستسلم آخر المقاومين هناك إلاّ يوم 29 غشت 1933.

*الذكرى الأولى لمعتقل أغبالو نكردوس*، 22 - 24.

محمد حجي

**أَسْكِيَا** أو (سُكْية) وكتبها بعضهم بالقاف (أسْقيا) ويجمع جمْعا سالما ومكسرا فيقال أسكيون وأساكي. لَقب تشريفي يعنى المَلِكَ عند السراكوليين التكروريين حكّام دولة سنغاي الذين خَلَفوا آل سنِّي أواخر القرن التاسع / 15. والسراكوليون سودانيـون أقحاح كانوا مستقرين في حوض السينغال إلى أن أجلاهم المرابطون في منتصف القرن الخامس / 11 م أثناء حركتهم الشهيرة للدعوة إلى الاسلام بقيادة عبد الله بن ياسين ويحيى الگدالي، فتفرق السراكوليون طرائق قِدداً، واستقر معظمهم حول نهر النيجر مختلطين بقبائله.

ولما استقل آل سني من أسرة ضياء الليبية بدولة سنغاي وانفصلوا عن إمبراطورية مالي عام 735 / 1335 انخرط بعض السراكوليين في جيشهم، واشتهر منهم في عهد سني علي بير قائد شجاع يدعى محمد تورى، أبلى البلاء الحسن في جميع المهام العسكرية التي أنيطت به، لكنه ثار حينما مات مخدومه سني علي، حارب ابنه سني بارو وهزمه في معركة (أنگو) الفاصلة، ودخل منتصرا إلى العاصمة "كاغو" عام 898 / 1493 وبذلك أصبح الملك الأول في دولة الأسكيين، ولُقب بمحمد الكبير، ثم حج فصار يدعى أسكيا الحاج محمد الكبير. وقد أصبحت امبراطورية سنغاي في عهده تضاهي في عظمتها أو تفوق امبراطوريتي مالي وغانا القديمتين، ودام سلطانها 102 سنة، تعاقب على الحكم خلالها تسعة ملوك.

احتك الأسكيون بالشرفاء السعديين منذ الطور الاول لنشأة دولتهم وهم ما يزالون في سوس، وكانت ممالح تَغَازَي وتاوَدْني في وسط الصحراء نقطة الالتقاء يرغب كل من الجانبين في استغلالها لما تُدره من مداخيل مهمة. وذلك بعد أن أخذت القوافل التجارية الصحراوية تسلك من جديد الطريق الغربي المفضي إلى أقّا فتيدْسي وتارودانت أو المحمدية على إثر عودة الاستقرار والأمن إلى هذه المناطق مع الشرفاء منذ مُطلع القرن العاشر / 16 م.

تأرجحت العلاقات بين الأسكيين والسعديين فكانت تحتد أحيانا وتصفو أخرى، ولم يُعرف - لحد الآن - من المراسلات بين الفريقين إلا ما أثبته منها عبد العزيز الفشتالي في *مناهل الصفا*، أو أشار إليه عبد الرحمان السعدي في *تاريخ السودان*، ومحمود كعت في *تاريخ الفتاش*. وقد تبودلت الرسائل بين أحمد الأعرج بن محمد القائم بأمر الله والأسكيا إسحاق الاول (946 / 1539 - 955 / 1549)، وبين أحمد المنصور الذهبي والأسكيا داود بن الحاج محمد الكبير (955 / 1549 - 990 / 1582) والأسكيا محمد بن داود (990 / 1582 - 994 / 1586)، ثم الأسكيا إسحاق بن داود أو إسحاق الثاني الذي انتهت دولة الأسكيين الأولى بانهزامه أمام جيش أحمد المنصور بقيادة جوذر باشا في معركة "تونديبي" الحاسمة شمال العاصمة كاغو، وذلك في 17 جمادى الاولى عام 999 / 12 مارس 1591.

ثم كان للأسكيين دولة ثانية أطول عمراً وأكثر عدداً من الأولى دامت أزيد من مائة وستين عاماً، تعاقب فيها على الإمارة ستة عشر أسكيا، معظمهم من حفدة أسكيا الحاج محمد الكبير، لكنهم كانوا جميعا تحت نظر الباشوات المغاربة. وقد فصل القول في هؤلاء الأسكيين وحدّد تواريخ توليتهم أو عزلهم القاضي محمود كعت في كتابه *تذكرة النسيان* (ص 180 - 185). وترك الباشوات المغاربة للأسكيين عاصمتهم كاغو، واستقروا هم في تنبكتو.

كان أول الأساكي في المرحلة الثانية سليمان بن داود بن الحاج محمد الكبير، ولاّه الباشا محمود زرقون عام 1000 / 1592 على إثر مقتل أخيه أسكيا إسحاق، واستمر سليمان في منصبه إلي أن توفي في صفر عام 1013 / يوليوز 1604 فخلفه ابن أخيه أسكيا هارون بن أسكيا الحاج بتولية من الباشا محمود بن زرقون، ومكث في منصبه أربعة أعوام ثار عليه بعدها أهل سنغاي فعزله الباشا محمود بن زرقون، وولّى أسكيا آخر من أقاربه ... كان آخر الأسكيين الذين أرخ لهم محمود كعت هو أسكيا الحاج بن أسكيا أبي بكر حفيد أسكيا الحاج محمد الكبير، ولاه الباشا عبد الله بن الحاج العمراني أواخر عام 1142 / 1730 وبقي في الإمارة تسعة عشر عاما إلى أن عزل عام 1161 / 1748 واستبدل به الباشا أبو بكر بن منصور الدرعي أسكيا محمود بن كن فاري عمار أواخر هذا العام، قال عنه كعت (ص 185): "وهو الذي فيها اليوم في البراري لكن سمعنا أنهم عزلوه"

ولم نقف بعد *تاريخ الفتاش* الذي انتهى في 25 شعبان 1164 / 1751 على ذكر للأسكيين، ولعلهم بقوا يتوارثون إمارة كاغو إلى حين سقوط دولة الباشوات على إثر دخول الجيوش الفرنسية إلى تنبكتو عام 1311 / 1894. عندما لم يتمكن الحسن الأول من إنجادهم بسبب المشاكل الداخلية والدولية العويصة التي كانت تواجهه.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ م. كعت. *تاريخ الفتاش* ؛ م. الإفراني، *نزهة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ج. فيج .دي. *تاريخ غرب افريقيا*، ترجمة ي. نصر. بوفيل، *الممالك الاسلامية في غرب افريقيا وأثرها في تجارة الذهب*، ترجمة : زاهر رياض ؛ ع. زيادة ، *مملكة سنغاي في عهد الأسقيين* ؛م. الغربي، *بداية الحكم المغربي في السودان الغربي* ؛ *موريطانيا ومشاغل المغرب الافريقية في القرن السادس عشر*.

M. de Lafosse, *Les relations du Maroc avec le Soudan à travers les âges*, Hespéris, 1924, pp. 153 - 174. Unesco, *Histoire Générale de l'Afrique*, t. 5, chapitre.

**أسكيا، إسحاق** بن داود بن الحاج محمد الكبير.

تولى ملك سنغاي على إثر مصرع أخيه أسكيا محمد باني في 3 جمادى الاولى عام 996 / 10 أبريل 1588، وكان حادّ المزاج سيئ الطالع، لم يلبث أن ثارت عليه تنبكتو وبايعت أسكيا آخر اضطر إسحاق إلى محاربته طوال سنة. كما ثار عليه أخوه أسكيا علي بن داود - حسب *مناهل الصفا* - فحاربه إسحاق أيضا إلى أن تمكن من القبض عليه وسجنه. فتدخل في شأنه منصور بن الفلالي، وهو شيخ أولاد سالم من عرب القفر كان أحمد المنصور بعث به إلى كاغو ليكون عيناً له فيها، فمكث ثلاث سنين، سُجن أثناءها حين استرابوابه، ثم أطلقوا سراحه وقربوه لما أبدى لهم من تزلف وإخلاص.

نصح ابن الفيلالي أسكيا إسحاق بإبعاد أخيه الثائر إلى المغرب "حسماً لداء الفتنة ودفعاً لما يحذر من مغبته" فقبل إسحاق ووكل أمر تغريب علي إلى ابن الفيلالي الذي سلمه إلى من أوصله مقيداً إلى حاكم تغازى، ومن ثم نُقل فورا إلى مراكش، فوصلها في جمادى الاولى عام 997 / أبريل 1589 والمنصور يومئذ بفاس فسر بخبر مقدم هذا (العيص من أبناء سكية)، ويسمى السعدي في *تاريخ السودان* (ص 137) هذا الواصل إلى مراكش :" ولد كرنفل من خدام أمراء سغي" غضب عليه أسكيا إسحاق وبعثَ به سجيناً إلى تغازى فهرب إلى مراكش وكتب إلى المنصور الذي كان يومئذ بمراكش يغريه بفتح السودان. ولم يشر السعدى إلى ثورة أسكيا بن داود. ولعل الرجلين معا وصلا إلى مراكش. وكتبا إلى المنصور في نفس الموضوع.

وجه أسكيا على إلى المنصور خطابا يطلب منه المساعدة بالمقاتلة والسلاح للإجلاب على أخيه حاكم كاغو. فكتب المنصور حينئذ رسالتين إلى أسكيا إسحاق، من إنشاء الكاتبين عبد الواحد الحسني وعبدا العزيز الفشتالي، ( *مناهل الصفا*، 122 - 125) ألاَنَ له القولَ في الأولى طالبا منه أن يمتثل لما أمر به من توظيف مثقال تبراً على كل حمل جمل يصدر عن مملحة تغازى، وأصحب هذه الرسالة فتاوى فقهاء المغرب بإسناد الشرع حكم المعادن إلى الإمام لاستغلالها في الصالح العام، خاصة ما كان المنصور بصدده من جهاد الكفار في البر والبحر. وأغلظ له القول في الرسالة الثانية التي يخبره فيها بطلب أخيه عليّ الإمداد للإجهاز عليه في عقر داره.

اختار المنصور من رجاله المحنكين رسولاً لم تفصح المصادر عن اسمه وسلمه الرسالتين مع الخطاب الذي حرره الأسكيا علي، وطلب من الرسول أن يقدم أولاً إلى إسحاق الرسالة الليِّنة، فإن استجاب وإلا قدّم اليه الرسالة الثانية، فإن استكبر قدّم له رسالة أخيه علي. غضب أسكيا إسحاق للرسائل التي سلمها إليه رسول المنصور، وأجاب عنها بخطاب غير لائق أرفقه بزُبَر من حديد إشارة إلى استعداده للحرب. فكان رد فعل المنصور أن وجّه حملة عسكرية بقيادة جوذر باشا التقت بجموع أسكيا إسحاق في تَنكُنْدُبُعُ القريب من تُنْدبي شماليّ كاغو. وذكر السعدي أن جيش أسكيا إسحاق كان " اثني عشر ألفاً وخمسمائة من الخيل (= الفرسان) وثلاثين ألفا من أرباب الرجل (= الراجلين) وجرت المعركة يوم الثلاثاء 17 جمادى الاولى عام 999 / 12 مارس 1591 "فكسروا جيش أسكيا طرفة عين".

فر إسحاق إلى ما وراء النيجر بعد أن أمر قومه بالهروب مثله، ودخل جودر إلى كاغو فتلقاه خطيبها محمود دْرَامي والطلبة والتجار بالترحيب "واضافهم - الخطيب - ضيافة فاخرة كبيرة " ولما دخل دار إسحاق لم يجد فيها شيئا يذكر.ثم تلقى جوذر من أسكيا إسحاق طلب الصلح على أن يؤدي للمنصور مائة خديم، فأبلغ جوذر ذلك إلى المنصور الذي عزله بمحمود زرقون. وجرت معركة ثانية بين هذا القائد وأسكيا إسحاق وراء النيجر في مكان يدعى زَرْزَنْ في 25 ذي الحجة عام 999 / 14 اكتوبر 1591 فانهزم إسحاق وفر موغلا في الجنوب، وتعقبه محمود زرقون إلى أن وصل إلى كوكيا العاصمة القديمة لدولة سنغاي. ولم يلبث القواد المهزومون أن عزلوا أسكيا إسحاق أوائل محرم عام 1000 اكتوبر 1591. وولوا مكانه أسكيا محمد كاغ، لكن هذا لم يمكث سوى أربعين يوماً حتى ألقى عليه القبض محمود زرقون ونحّاه عن السلطنة. أما أسكيا إسحاق فضاقت به السبل والتجأ إلى تَنْفني عند خصوصه كُرم الوثنيين، فقتلوه في جمادى الآخِرة عام 1000 / مارس - أبريل 1592.

ع.الفشتالي، *مناهل الصفا*، ص 136 - 139 ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان*، البابان العشرون والواحد والعشرون ؛ م . الإفراني ، *نزهة* ؛ م. كعت، *تذكرة النسيان* ؛ أ.الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. زيادة، *مملكة سنغاي* ؛ م. الغربي، *موريطانيا ومشاغل المغرب الإفريقية*، *بداية الحكم المغربي في السودان الغربي*.

محمد حجي

**اسكيرج ← سكيرج**

**الإسلام**، - في المغرب - . المراد بالإسلام في المغرب الكلام على حياته وقيامه في هذا الجناح الغربي من العالم

الإسلامي المسمى بالمغرب الأقصى لبعده عن بلاد المشرق، موطن تنزل الإسلام، ومبعث نبيه عليه السلام.

وقد دخل الإسلام رسميا إلى المغرب، مع عقبة بن نافع عام 62 للهجرة عندما ولاه يزيد بن معاوية على الشمال الإفريقي الذي كان قد فتح من قبل، وهي ولايته الثانية التي بنى فيها مدينة القيروان، وجعلها عاصمة المغرب الكبير، ومنها زحف إلى المغرب ومضى يحتل مواقعه، الواحد بعد الآخر، من طنجة إلى سوس، واستنزل كبراءه وزعماءه على طاعته والدخول في دولة الخلافة الإسلامية تبعية وحكما... وهذا لا يعني أن المغرب لم يعرف الإسلام إلا في هذا التاريخ، فمن غير المعقول أن يصل الفاتحون الأولون إلى المغرب الأدنى ثم إلى المغرب الأوسط أعني تونس والجزائر في خلافة عثمان (ض) وولاية عمرو بن العاص على مصر، ولايكون لذلك صدى في المغرب الأقصى ولا اهتمام بهذا الحدث الكبير وتطلع إلى ما أتى به أولئك الفاتحون من ملة ودين، ورغبة في اعتناقه واستعداد لقبوله... وفعلا فقد جاء في *كتاب الجمان في أخبار الزمان* للشطيبي أن نفرا من البربر قدموا على عمر (ض) بالمدينة بعد فتح مصر على يد عمرو بن العاص فسألهم من هم وما الذي جاء بهم؟ فقالوا نحن أبناء مازيغ، وهو الاسم الذي يعرف البربر به أنفسهم، وجئنا رغبة في الإسلام الدين الحق الذي أوصانا به آباؤنا وأجدادنا، فعجب عمر منهم، والحكايات من هذا القبيل تدور على الألسنة كثيرا، والشطيبي ما سجل إلا ما سمع أو رأى في بعض المراجع التي لم تصلنا.

وبعد أن أنهى عقبة فتح المغرب عطف على ساحل البحر المحيط، وفي مدينة أسفي وقف وقفة تأمل بشاطئها وأدخل قوائم فرسه في الماء وقال : "اللهم اشهد أني بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت أقاتل في سبيلك حتى لا يعبد في الأرض أحد سواك".

وكان سكان المغرب آنذاك ليسوا على دين، إلا القليل منهم كانوا على المجوسية، وما يزعمه بعض المؤرخين الأجانب من أنهم كانوا على المسيحية لم يصح ونعني بالمغرب هنا المغرب الأقصى. ويمكن أن يقال إنه كان لليهود وجود في المغرب، وخاصة في بعض القبائل التي يأتي ذمها في الشعر بأصلها اليهودي. نعم كان يوليان الغماري والي سبتة وطنجة مسيحيا ولكنه خضع لعقبة وأظهر الطاعة للحكم الإسلامي وبه انتهت السيطرة المسيحية على المغرب التي كان يوليان يستمدها من ملوك القوط الإسبانيين.

وبعد عقبة توالى على تدبير شؤون المغرب العربي ولاة متعددون طوال العهد الأموي ثم من العهد العباسي إلى أيام هارون الرشيد، والإسلام يهيمن على البلاد، ومدينة القيروان التي بناها عقبة هي العاصمة التي يستقر بها الولاة العامون ويبعثون منها نوابا عنهم وقوادا يشرفون على الحكم والإدارة وحفظ الأمن، ولكن هذا لم يمنع من ظهور بعض الحركات المناوئة للنظام العام كالشيعة والخوارج وهما من المذاهب السياسية الواردة من المشرق، إذ كان للخوارج والشيعة هناك تنظيمات قوية، طالما واجهوا بها الخلافتين الأموية والعباسية ونشبت بينهما وبين الدولة حروب ومصادمات كان أتباعها يتسربون إلى المغرب عند انهزامهم محاولين بذلك إيجاد أنصار وإقامة عصبية مغربية يستندون إليها في توثباتهم على الخلفاء، وقد بلغ الأمر إلى تأسيس دولة خارجية صُفرية بسجلماسة وهي دولة بني مدرار التي استمرت إلى أوائل القرن الرابع، حين قيام دولة الفاطميين الشيعية. وإلى هذه النحل التي ينتمي أهلها إلى الإسلام، كانت تظهر بعض المذاهب الضالة المناهضة للدعوة الإسلامية من الأساس كالبرغواطية، وهي دين انتحله صالح بن طريف الذي ادعى النبوة بتامسنا من المغرب الأقصى على ساحل المحيط فيما بين سلا وأسفي، وبرغواطة بطن من المصامدة، وكان صالح هذا من أهل العلم والخير كما قال ابن خلدون :" ثم انسلخ من آيات الله وشرع لأتباعه الديانة التي عرفت به، وهي تشتمل على مخرقات تضاد تعاليم الإسلام وتمسخ تشريعاته من صلاة وصيام وغيرهما ووضع لهم قرآنا زعم أنه وحي نزل عليه وقال إنه صالح المومنين المذكور في *القرآن* "(6 / 207) واستمرت هذه الضلالة منتشرة في المغرب إلى قيام الدولة الإدريسية التي قاتلت أصحابها ولم تنقرض إلا في أيام المرابطين الذين قضوا عليها نهائيا.

ولعل هذه البدع والضلالات هي التي عنى ابن أبي زيد القيرواني بمقولته الشهيرة :"ارتدت البربر اثنتى عشرة مرة من طرابلس الى طنجة ولم يستقر إسلامهم حتى عبر موسى بن نصير البحر إلى الأندلس وأجاز معه كثيرا من رجالات البربر برسم الجهاد فاستقروا هنالك، فحينئذ استقر الاسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه وتناسوا الردة" وما ينبغي أن يحمل عليه هذا الكلام هو الردة الجهوية والجُزئية التي لم تعم البلاد كلها، وأنها لا تختص بالمغرب الأقصى، لاسيما وان ابن أبي زيد كان من أهل القيروان فهو إنما يتحدث عن إقليمه وجُوار مدينته، ثم إن ذلك كان قبل ولاية عمر ابن عبد العزيز للخلافة، لأنا نجده قد بعث للمغرب عشرة من فقهاء التابعين لتعليم المغاربة وتفقيههم في دينهم حين بلغه صدى هذا الارتداد مع ما يعلم من أن الولاة مشتغلون بتأمين البلاد وتوطيد أركان الدولة، فربما كانت هناك نواح لم تصلها الدعوة ولم تتفهم رسالة الإسلام، فمن السهل على أهلها أن يراجعوا جاهليتهم ويتمسكوا بمظاهر الوثنية التي كانوا عليها. ويؤيد ذلك قوله إنه لما عبر موسى بن نصير البحر إلى الأندلس استقر الإسلام بالمغرب وتناسوا الردة. وإذا كان هذا في المغرب الذي هو أقصى نقطة في هذه الأرض المفتوحة فبالأحرى أن يكون المغرب الأدنى والأوسط قد استقر الإسلام فيهما قبل ذلك.

ونحن نعلم أن حملة طارق بن زياد مولى ابن نصير على الأندلس كانت تتكون من اثنى عشر ألف مقاتل أغلبيتهم من المغاربة، ولم يكن بينها وبين فتح المغرب الأقصى إلا

نحو ثلاثين سنة، وهي مدة قليلة بالنظر إلى استقطاب هذا العدد الكبير من المسلمين المغاربة الذين فتحوا الأندلس ومكنوا فيها للإسلام مما يجعلنا نعتقد أن الإسلام توطد في المغرب بعد فتح عقبة وصار هو الدين الغالب على أهله، ولاسيما مع ما قدمناه من أن المغاربة لم يكونوا في غيبة عن زحف الإسلام على المغربين المجاورين الأوسط والأدنى ولا بد أن الكثيرين منهم دخلوا فيه تلقائيا بحكم الاحتكاك القبَلي والجوار.

نخلص من هذا إلى أن الإسلام غطى الشمال الإفريقي بجميع أقطاره حتى آخر نقطة فيه بسوس، في القرن الاول الهجري، فماذا عن المذهب الذي كان متبعا من أهله ؟

جاء في *الاستقصا* (1 : 60) كان المغاربة في صدر الإسلام على مذهب جمهور السلف من الأمة واعتقادهم وهو المذهب الحق... وهذا طبيعي إذ لم تتقرر المذاهب المعروفة حينذاك ولا كان هناك أتباع لغير بعض النزعات السياسية من شيعية وخروج على ما ألمعنا إليه سابقا. وفي أيام الخلافة العباسية أخذ المغاربة بمذهب أهل العراق في الأصول والفروع لأن ذلك المذهب يومئذ هو مذهب الخلفاء بالمشرق والناس على قدم إمامهم. واستشهد الناصري بقول القاضي عياض في *المدارك* :"ظهر مذهب أبي حنيفة بإفريقية (تونس وما والاها) ظهورا كثيرا إلى قرب أربع مائة سنة فانقطع منها ودخل منه شيء إلى ما وراءها من المغرب قديما بمدينة فاس والأندلس، وكذا ظهر بالأندلس مذهب الإمام الاوزاعي فقيه أهل الشام، وكان ذلك عند قيام الخلافة الأموية بها، ولا شك أنه تسرب أيضا إلى المغرب، ثم تحول الأندلسيون والمغاربة إلى مذهب الإمام مالك أولاً على يد بعض الفقهاء من أتباعه كأسد بن الفرات وسحنون من الأفارقة وزياد بن عبد الرحمان المعروف بشبطون الذي كان أول من أدخل كتاب *الموطأ* إلى المغرب والأندلس وأخذه عنه يحيى بن يحيى الليثي الطنجي إلا أبوابا، منه فرحل إلى المدينة وسمعه كاملا من الإمام مالك ورجع وحدث به الناس، وكان بمنزلة كريمة عند السلطان فكان يستشيره في ولاية القضاء فيشير عليه بقضاء من تلامذته وأتباع المذهب المالكي فتوطد هذا المذهب حينئذ في الأندلس واختفى ما سواه.

أما في المغرب الأقصى فعند قيام الدولة الإدريسية به، وبناء إدريس الثاني لمدينة فاس وتنظيمه لمصالح الدولة، كان يعين في مناصبها فقهاء من أتباع المذهب المالكي في الوزارة والقضاء وغيرهما، وكان الأدارسة في أصلهم من الحجاز، ومالك هو فقيه الحجاز وعالم المدينة، وناصر الدعوة العلوية على الدولة العباسية، وبسبب هذه المناصرة امتحن وضرب من أجل قوله بأن طلاق المكره لا يجوز، وهو يعني بذلك أن البيعة بالإكراه باطلة وهي التي قامت عليها الخلافة العباسية أولا، فكانت هذه الدواعي مجتمعة باعثة على انتشار المذهب المالكي بالمغرب واعتماد الدولة له وقطع النظر عن غيره.

واستمر الأمر على هذا الاتجاه في الأصول والفروع إلى قيام الدولة الموحدية التي أنشأها المهدي بن تومرت في القرن السادس الهجري، وكان قد رحل في طلب العلم إلى المشرق ووافق انتشار المذهب الأشعري في العقيدة واعتناق أئمة من أهل العلم له والدفاع عنه كالغزالي والطرطوشي وابن فورك وتلك الطبقة، فتلقاه عن أهله وتمذهب به، وعاد إلى المغرب ولما أنشأ دولته كان قد اتخذ شعارا لها الطعن في دولة المرابطين ووصفهم بالتجسيم اذ كانوا على مذهب السلف من عدم تأويل المتشابه من النصوص القرآنية والحديثية كالوجه واليد والعين والاستواء والنزول وما إلى ذلك، فيعتقدون اتصاف الباري بها ويفوضون في كيفيتها كما قال الإمام مالك لما سئل عن استواء الله على العرش كيف هو فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة. أما الأشاعرة فكانوا يقولون إن المراد بالوجه الذات وباليد القدرة وبالعين البصر وما إلى ذلك، فيؤولون، والتأويل عند السلف مرفوض لأنه يخرج النصوص عن مدلولها، وكان يسمي أصحابه بالموحدين ويسمي المرابطين بالمجسمين ويكفرهم لذلك، وحين تمت السيطرة للموحدين على المغرب حملوا الناس بالقوة على المذهب الأشعري وقربوا من التزمه ودعا إليه، فتحول المغرب حينئذ إلى هذا المذهب.

كما حاول الموحدون أن يحملوا الناس على الأخذ بمذهب أهل الحديث والإعراض عن مذهب مالك وأحرقوا كتب المالكية واعتسفوا في ذلك اعتسافا كبيرا (*المعجب* للمراكشي) ولكن هذا الأمر لم يتم، إذ رجع الناس إلى مذهب مالك ولاسيما عند قيام الدولة المرينية، وعادت كتب المذهب إلى الانتشار والتأليف فيه والاقتصار على دراسته في جامعة القرويين وغيرها إلى وقتنا هذا.

أما العقيدة الأشعرية فقد وقع التمسك بها والتأليف فيها من المغاربة ودراستها في المعاهد الدينية. وإن كان السلطان محمد بن عبدالله العلوي جنح إلى عقيدة السلف وكان يؤيدها ويدعو للرجوع إليها، وفي تآليفه كان يصف نفسه بالحنبلي عقيدة المالكي مذهبا، ولكن من أتى بعده من ملوك العلويين لم يأخذوا برأيه هذا وبقي الأمر على ما كان قبل وبعد.

والكلام على الإسلام في المغرب يدعونا للإشارة إلى ما كان للدولة المغربية من الحرص على شعائر الإسلام وإظهارها والحكم بشريعته والتزامها في الشؤون العامة والخاصة، ولا ننسى اليد البيضاء التي كانت للأدارسة في مقاومة ضلال البرغواطيين وللمرابطين في نشر الإسلام بالقارة الإفريقية وحماية الأندلس من السقوط في القرن الخامس الهجري، والحروب الطاحنة التي واجهوا بها الحملات الصليبية على مختلف الجبهات في المغرب كمعركة وادي المخازن وفي الأندلس كوقعة الزلاقة والأرك وغيرهما.

أما دور المعاهد الدينية وعلى رأسها جامعة القرويين

التي تعد اليوم أقدم جامعة في العالم، فإن جهود علمائها في نشر العلم ورفع رايته جعلتها كعبة القصاد من أقاصي البلاد. كان عدة علماء مغاربة من أساتذة جامعة القرويين وغيرها من المعاهد العلمية المغربية في مراكش وسبتة ينشرون العلم ويؤخذ عنهم بمثل ما كان علماء الأندلس يفعلون في المغرب، ومنهم يحيى بن يحيى الليثي راوي موطأ الإمام مالك مباشرة عن الإمام. والأمر بالنسبة إلى إفريقيا الغربية بالخصوص أكبر وأشهر، فبواسطة بعثاتها الطلابية إلى القرويين انتشر مذهب مالك فيها وعلوم العربية والخط المغربي وقراءة القرآن برواية ورش عن نافع.

وكذلك الطرق الصوفية التي نشأت في المغرب لها أتباع كثيرون في هذه الأقطار، وتقوم بربط علاقات متينة بين السكان هنا وهناك، وكثيرا ما تكون حافزا لتبادل الزيارات وشد الرحلة إلى مقامات أصحابها للتبرك وتجديد العهد. فالمغرب المسلم له دور رائد في القارة الإفريقية دينيا وعلميا وسياسيا كذلك، وهكذا لما ظهرت حركة المقاومة للاستعمار والمطالبة بالاستقلال في المغرب كان لها صدى بعيد في أقطار إفريقيا وارتجت شعوبها وتراخت العلاقة التي كانت تربطها بفرنسا وما كان يسمى بفرنسا وما وراء البحار، والوزارة المختصة به أصابها الوهن وانحلت تلقائيا، لأن المغرب وهو القدوة المتبعة فيها ثار على التبعية لفرنسا وضرب بعقد الحماية عرض الحائط، وكان استقلاله إيذانا باستقلال إفريقيا فتتابع الاعتراف بحرية تلك الشعوب. وخروجها من ربقة الرق التي ترزح تحتها زمانا طويلا.

ولا جدال في أن هذه الريادة الإسلامية التي يتمتع بها المغرب في الوسط الإفريقي، هي التي كانت تجلب له عدة مشاكل وتعرضه للمؤامرات التي ترمي إلى إضعافه وكسر شوكته والتقليل من مكانته الدولية، ففي المجال الديني كانت مؤامرة السياسة البربرية وما تهدف إليه من فصل البربر عن الحكم بالشريعة الإسلامية ومنع تعليم العربية في المدارس المنشأة بالأقاليم البربرية إنما يراد بها تقسيم المغرب إلى مناطق عربية وأخرى بربرية والتضريب بين العنصرين عملا بقاعدة فرق تسد، وقد كان التصميم الذي وضع لتلك السياسة يمهد لجعل البربر خاضعين للحكم الفرنسي المباشر ويحارب في نفس الوقت الدين الإسلامي ويعمل للقضاء عليه، وقد فوتت الحملة العارمة التي شنت على هذه السياسة وأفشلتها، فرصة لقيام حرب صليبية في القرن العشرين تشهرها فرنسا اللائيكية، وكان فشلها دليلا على أن الإسلام مهما كان الحال ما يزال يملأ الساحة برغم الاستعمار وسيطرته على إفريقيا.

وفي المجال الديني أيضا فشلت حملات التنصير التي كانت تعمل في كل مكان من مجاهل إفريقيا وتنفق بلا حساب على تكوين مراكز التبشير بالنصرانية مما يمولها به أغنياء أوروبا والمنشآت الإدارية والمالية في عواصم الغرب، مدعين أنهم يقومون بإنقاذ الوثنيين ونشر المسيحية بينهم، وهم لا يقصرون حركتهم على الوثنيين، ففي المغرب الرائد الإسلامي وموطن جامعة القرويين، كان لهم نشاط ملحوظ في المدن والقرى ومراكز في صميم بلاد البربر وجبال الأطلس يستضيفون فيها الطلبة ويمكنونهم من الإقامة بها للمطالعة والمذاكرة وتلقين العقيدة المسيحية والطعن في الإسلام، ولكن بعد الاستقلال تمكنت الحكومة المغربية من إغلاق هذه المراكز وطرد أصحابها إلى حيث لارجعة، وكان لهذا العمل أثره في خمود الحركة التنصيرية أو توقفها بالمرة، لاسيما لما ظهر أن أولئك القائمين بها كانوا يستغلون الإعانات المالية المتدفقة عليهم لأنفسهم ولمصالحهم الخاصة، فافتضحوا ونضبت موارد التبرعات.

وفي المجال السياسي عامل الاستعمار الأوروبي المغرب بما لم يعامل به أي قطر آخر، إذ قسم المغرب إلى ثلاث مناطق : منطقة تخضع لحماية فرنسا وهي المغرب الكبير الذي يضم عواصم فاس ومراكش والرباط التي يقيم بها الملك ولم تكن عاصمة من قبل، ومنطقة تخضع للحماية الإسبانية وهي تقع في الشمال وتشمل تطوان والعرائش والقصر الكبير وبلاد الريف إضافة إلى منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب في أقصى الجنوب. ومنطقة دولية وهي مدينة طنجة..

لقد تمكن المغرب والحمد لله من القضاء على هذه العوامل التي كادت تفضي إلى محو كيانه الدولي وإسدال الستار على وجوده السياسي، وفي ذلك إنهاء لدوره الحضاري وإطفاء لإشعاعه الإسلامي وما كان يقوم به في إفريقيا من ريادة علمية ودينية طالما سدت في وجه دعوات التغريب والتنصير الأبواب.

... والآن يحسم المغرب المستقل الموقف سواء في الميدان الروحي أو الزمني ويحصن المجتمع المسلم في القارة بإعلان الاسلام دينا رسميا للدولة والتزام مذهب أهل السنة والجماعة ومد يده الى مختلف البلاد الإسلامية معززا وحدتها وصحوتها بالمؤتمرات العامة التي دعا إليها، وبإنشاء المؤسسات العلمية والاقتصادية والاجتماعية ووضع القوانين والتشريعات لحمايتها وحسن استثمارها. وما المجلس الإسلامي الأعلى الذي يترأسه جلالة الملك بنفسه ويضم عدة مجالس إقليمية للعمل الدؤوب الدائم إلا واحد من هذه المؤسسات التي تعلق عليها أكبر الآمال بتوفيق الله عز وجل.

القاضي عياض، *المدارك*، ترجمة شبطون، ويحيى بن يحيى الليثي، وعبدالله بن أبي زيد ـ ط. بيروت ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، ط. مصر الأولى. ج. 2، ص 37 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*. ط. مصر، ص : 245 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ط. فاس الحجرية ؛ ع. ابن خلدون، كتاب *العبر*، ج 6. ط. المصرية القديمة ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 51 .55 .50 . الطبعة الاولى، مصر.

عبد الله كنون

**الإسلامي، عبدالحق** بن سعيد بن محمد المكناسي،أبو محمد، فقيه مالكي متمكن أخذ الفقه بتلمسان عن عالميها الكبيرين أبي موسي وأبي زيد ابني الإمام، وتصدر لتدريسه في مسقط رأسه " وكان من أهل المعرفة والفصاحة قائما على كتاب ابن الحاجب ممتازاً به " (*الروض الهتون*). أخذ عنه لسان الدين بن الخطيب وأجازه. ولي قضاء مدينة مكناس وألف كتباً منها : *الجازمة على الرسالة الحاكمة* لأبي بكر ابن العربي المعافري في الفتاوى، *والسيف الممدود في الرد على أحبار اليهود*، وقد طبع هذا الأخير على الحجر بفاس دون تاريخ. ويرد في بعض المصادر بعنوان مغاير قليلا : *الحسام المحدود في الرد على اليهود*.

توفي بعد عام 761 / 59 ـ 1360.

م.ابن غازي، *الروض الهتون* ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 185 ؛ إ.باشا البغدادي، *إيضاح المكنون*، 1 : 348 ـ 349 ؛ *هدية العارفين*، 1 : 502 ؛ ي. سركيس، *معجم المطبوعات*، 1272 ؛ ع. رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، 5 : 91 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 19.

**الإسلامي يوسف** بن عبد الله الروداني، كان هذا الرجل من أحبار اليهود فأسلم وحسن إسلامه، وألّف في منتصف القرن الحادى عشر/ 17 م كتابا في الرد على اليهود ومآخذهم على الإسلام سماه : *النور الباهر في نصرة الدين الطاهر*، ولم تكن عربيته سليمة فراجع الكتاب وهذّب أسلوبه قاضي تارودانت عبد الرحمان التمنارتي (ت حوالي 1060 / 1650).

ع.التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ حجي، *الحركة الفكرية*،

محمد حجي

**الإسلاميون ← البلديون**

**الأسلحة القديمة**، إذا صنّفنا الأسلحة المغربية إلى أسلحة بيضاء وأخرى نارية فإننا نجد أن الأولى تتكون من الخناجر والسيوف في حين تتكون الثانية بالخصوص من البنادق.

تمكّن صناعة الأسلحة التقليدية المغربية من استنباط العناية التي وجهها الصناع التقليديون لفن الزخرفة عبر العصور. فبإلقاء نظرة تاريخية على تطور هذه الصناعة في المغرب، نجد أن المغاربة تمكنوا منذ القرن السادس عشر من إنتاج مدافع متطورة بعد أن كان البحث عن الأسلحة النارية يتم عن طريق الاستيراد من المدن الإيطالية على الخصوص (البندقية).

اشتهرت مدينة فاس بصناعة الدروع والخناجر والسيوف والقاذفات، وتطورت هذه الصناعة في أواخر القرن التاسع عشر حين أمر السلطان الحسن الأول بتشييد "ماكينة" لصنع الأسلحة وإصلاحها بفاس الجديد قرب قصره، مكّنت من إنتاج بنادق ذات مؤخرات خشبية مرصعة بالأصداف عُرفت ببنادق الشمال، وسيوف ذات أغماد مرصعة بالفولاذ ومزودة بثلاث عارضات منحنية جهة الشفرة.

أ ـ الأسلحة البيضاء : الخناجر، بإمعان النظر في الخناجر رغم تشابهها نستطيع إدراك الفرق الذي يطرأ على أصنافها وهي " السُّبُولَة"، "الكُمِّية" و"الخنْجر".

" فالسبولة " خاصة المصنوعة بمنطقَة الريف أو جبال الأطلس المتوسط تُعرف باستقامة شفرتها ورقتها، كما تعرف في مكناس بشفرتها العريضة والقصيرة.

أما سبولة جهة دمنات فتتغير شيئا مّا لتصير ذات شفرة مقوسة ومقبض مصنوع من العظم أو الخشب، قد يصنع في بعض الأحيان من العاج أومن قرن وحيد القرن، كما تزين بغمد فضي مرصع بالأحجار الكريمة.

أما الكُمِّية، فتنتشر صناعتها في جنوب المغرب خاصة مناطق الأطلس الكبير والصغير ومنطقة سوس، باعتبارها زينة رجالية يتفنن الصانعون في تحلية مقبضها وغمدها بالنحاس المنقوش بسبائك فضية أو ذهبية تزيَّن بالأحجار الكريمة كالزمرد، كما يعمدون لتزيين الوجه الخارجي للغمد بنسبة أكثر من الوجه الداخلي.

هذا ويمكن التمييز بين العديد من أصناف الكميات

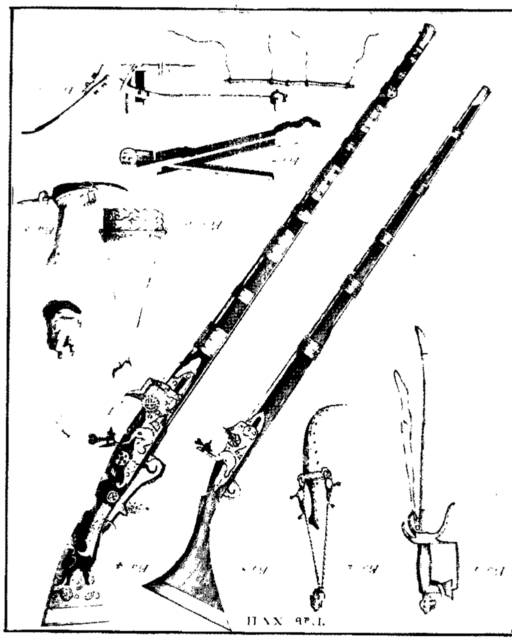

أسلحة مغربية من القرن الثامن عشر
(عن كتاب Höst)

فهناك النوع الذي كان منتشراً في منطقة إغْرم ووادي نفيس والمعروف بمؤخّر مقبضه الذي يشبه "قبعة الدركي" الذي قد يزين بأحجار كريمة وبغمده ذي المسامير الفضية الذي يغير شكل وسطه، فيستبدل بحجر كريم أو كتابة منقوشة لآية قرآنية مثلا.

أما النوع الثاني من الكميات فهو ذاك النوع الذي عرف في منطقة الأطلس الكبير الغربي، وبالضبط عند قبائل مسفيوة وتوگانا، وهو صنف أطول من سابقه يتوفر

غمده الشديد الانحناء على حلقات كبيرة تُستعمل لتعليقه، وكذا على زر كبير في مؤخرته.

ويتميز النوع الثالث المنتشر في الجهة الشرقية والجنوبية للمناطق الآنفة الذكر خاصة عند الأكلاوين والغجداميين ومنطقة ورزازات بشكله الدقيق والقصير، كما يزين غمده بصفائح نحاسية محلاة برصائع فضية. ورغم قلة أهمية هذا النوع، فإن دقة صنعه تُكسبه تفوقا عن باقي الكميات .

الخنجر، يختلف الخنجر عن الكمية ابتداءً من غمده المركب من قطعتين خشبيتين مغلّفتين إما بالجلد أو الحرير أو القطيفة، ومن قبضته الكبيرة التي تحلى بترصيعات فضية دقيقة.

السيف، كانت صناعة السيوف في المغرب منتشرة في فاس وتطوان ومكناس ومراكش وكذا جنوب المغرب، وتعرف السيوف المغربية بقبضتها المصنوعة من الخشب أو من قرن وحيد القرن، هذه القبضة تكون غالبا ذات عوارض ثلاث منحنية جهة الشفرة.

أما غمد السيوف المغربية فغالبا ما يكون مصنوعا من الفضة المرصعة أو من الخشب المغشى بالقطيفة والفضة أو بالجلد فقط. هذا حتى زمن قريب، كان المغربي فخوراً بحمله لكمية أو سيف فوق الجلباب مربوط بضفيرة حريرية تدعى "الحراف" وكانت هذه العادة تعبر عن الرجولة، إذ كان أول ما يقتنيه الشاب هو الكمية التي كانت تعد لازمة للظهور في حفلات الزواج، ونفس التصرف تبديه النساء في أحزمتهن، إذ الحزام كان رمزاً للأنوثة.

ب . الأسلحة النارية : البنادق، يميز في المغرب بين ثلاثة أنواع من البنادق :

بندقية الشمال، وهي المعروفة في مجموع البلاد، وخاصة في المناطق الشمالية، بمؤخرتها الخشبية السميكة التي قد تحلى ببعض الترصيعات والكتابات.

بندقية إداوْلتيت (الأطلس الصغير) المعروفة في جنوب المغرب ذات المؤخرة الخفيفة التي تكاد تكون أسطوانية الشكل والمتميزة بدقة صنعها، إذ ترصع بالعاج أو العظام أو الصدف وتزين بالفضة المنقوشة أو المطلية.

وأخيرا، البندقية المصنوعة في جنوب المغرب ذات المؤخرة العريضة المغلفة في أغلب الأحيان بسبائك من الفضة المرصعة بالعاج، كما ترتبط بين الفوهة والخشب حلقات فضية مزخرفة.

هذا ولم تكتف صناعة الأسلحة في المغرب بما سبق ذكره، بل تعدتها لصناعة المسدسات والمدافع . وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى القطعة النادرة التي يحتضنها متحف الأسلحة بفاس، وهي مدفع طوله خمسة أمتار، يزن حوالي عشرة أطنان، نقش عليه اسم صانعه الحاج أحمد الغمقي واسم السلطان الذي أمر بصنعه وهو "أمير المومنين أبو محمد عبد الله الغالب بالله" وكذا تاريخ صنعه 978 / 1570.

أخيرا يمكن القول إن الأسلحة المغربية رغم اهتمام المختصين بها، فهي لازالت مجهولة عند عامة الناس، مع أنها تعكس جانبا من التنوع الإقليمي للبلاد ووحدتها العميقة.

علي أمهان

**إسْلي** ـ جغرافيا ـ أحد المجاري المائية بالمغرب الشرقي، يصرف سلسلة جرادة التي تشرف على مدينة وجدة، وسهل أنگاد، قبل أن يتصل بنهر تافنا، أحد المجاري الكبرى في الناحية الوهرانية. ويتم هذا الالتقاء مباشرة شرق الحدود المغربية ـ الجزائرية . وبذلك يكون إسلي النهر الكبير الوحيد في المغرب الشرقي الذي لايدخل ضمن حوض تصريف ملوية. أما موارده المائية التي يمد بها حوض تافنا فهي هزيلة إذا اعتبرنا أنه يفقد جل مياهه عند اجتيازه لسهل أنگاد، جزء منها يستعمل للسقي والباقي يضيع بسبب قوة التبخر.

صبيب إسلي المعدل، حوالي 0،80 متر مكعب في الثانية، وذلك بمحطة گنفودة قبيل مخرجه من السلسلة الجبلية. لكن النظام الجرياني يمتاز بشدة التغير. فصبيب الشح ينزل إلى 0،12 م 3، بينما يرتفع الصبيب خلال الفيضانات ليتعدى معدل الفيض والذي يقدر بستمائة متر مكعب في الثانية. ذلك أنه سجلت في شهر ماي 1963 قياسات ظرفية واستثنائية اقتربت من 1100 م 3 /ث. هذه التغايرية الحادة تدل على أن الموارد الأساسية للجريان، أصلها التهاطلات، ومعدل هاته 300 مم في السهل و50 في الجبل. وهي أمطار ميزتها الأساسية عدم الانتظام من سنة إلى أخرى ومن فصل لآخر، تنزل خصوصا على شكل رخات عنيفة. كما أن نوعية الحوض تفسر هذه التغايرية في الصبيب. فهو حوض متراص، متشعب الروافد لكن مع تناسب في امتداد كل منها. لذا فالمحور الرئيسي يتلقى مياه كل الروافد في وقت وجيز، ليرتفع صبيبه بسرعة وبنسبة فائقة. ويتدخل أخيراً التركيب الصخارى والبنيوي لمجال التصريف ليفسر عدم الانتظام في الجريان. فالظهورات الكربوناتية السميكة محدودة الامتداد، وبالتالي يتضاءل دور العيون في تزويد النهر بالمياه، بينما الظهورات الأولية غير المنفذة واسعة.

ينطلق المجرى المحوري لإسلي من السفح الشمالي لمحدب جرادة الذي تبرز فيه القاعدة القديمة الشستية لعهد الفحمي. ثم يقطع مجموعة من الأحواض المفرغة والأعراف البارزة، مشكلاً وادياً ممتدا عند اجتيازه للأولى، وخانقا ضيقا عند قطعة للثانية. ويتلقى بعض روافده من الهضاب الكلسحثية الجوراسية المكونة للمرتفعات الانكسارية الممتدة جوار الحدود مع الجزائر، وعلى مقربة من مخرجه من الجبل، غرب عرف متسيلة، يتعمق وسط طفوح بركانية تنتمي لنهاية الثلاثي، بعضها يتبع مجراه وسط السهل مما

يدل على قدم هذا الوادي. في سهل بني وكيل تستعمل جل مياه إسلي لسقي قطاعات ري، ممتدة علي الضفتين، انطلاقاً من قنوات عصرية مشيدة عند سافلة سدود صغيرة. وهكذا يصل إسلي ناحية وجدة وقد فقد جل مياهه، ولم يصر جريانه متيسراً إلا في أوقات الفيض، أي على إثر حدوث التهاطلات الحادة والمستمرة. وشمال وجدة، يحمل إسلي اسم واد بونعيم، ويصبح المصب الرئيسي للفائض من مياه الفرشة الباطنية. لكنه يبقى مجرى مؤقتا حتى وصوله إلى الحدود مع الجزائر حيث يتحول من جديد إلى مجرى دائم، وفي نفس الوقت متعمق، يحمل اسم واد مويلح.

عبد الله العوينة

**إسلي**، ـ تاريخ ـ اسم بسيط قرب مدينة وجدة، دخل التاريخ واشتهر اسمه فيه، مثلما اشتهر اسم "الخزيرات" جنوب إسبانيا، لاقترانه بحدث عسكري كما اقترنت الخزيرات بحدث سياسيّ (المؤتمر) فاشتهر الحدث بالمكان واشتهر المكان بالحدث. ولابد من التمييز هنا بين ثلاث مسميات : إسلي الوادي، وإسلي المنطقة، وإسلي المعركة.

أ ـ إسلي الوادي. يمر وادي إسلي قرب مدينة وجدة شمال شرق المغرب الأقصى، على الحدود المغربية الجزائرية، فهو يطوق وجدة من جهة الغرب والشمال فالشمال الشرقي، حيث يمر في هذا الجزء بمنطقة سهلية تقريبا، بينما يدخل في منطقة متموجة شمال مغنية وشرقها، إلى أن يتصل بوادي تافنا شرقا قرب تلمسان. ومجراه بالمنطقة السهلية الغربية غير عميق، بل يكاد يكون مستويا مع السطح. وهيدروغرافيا فإن مجراه ناشف في هذا المقطع الغربي خلال معظم الأوقات باستثناء وقت نزول المطر.

ورغم قصر طوله فمجراه يحمل أسماء متعددة، بحسب الروافد التي تصب فيه، أو بحسب الأماكن التي يمر بها : فهو واد (إسلي) حول وجدة، وواد (بورايا) حول مغنية. وأما شمال شرق مغنية فهو وادي (المويلح) الذي سجل اسمه في وثائق المفاوضات التي دارت بين الإدارة العسكرية المغربية والإدارة العسكرية الفرنسية قرب الحدود قبل معركة إسلي ببضعة أسابيع.

تتصل بإسلي كذلك عدة روافد صغيرة على ضفتيه اليمنى واليسرى، عبارة عن مسيلات ناشفة في معظم الأحيان، بحيث لاتجري إلا في موسم الأمطار، أهمها وادي (كيس)، الذي قررت فرنسا أن تسير الحدود مع مجراه حتى مصبه في البحر المتوسط قرب قرية السعيدية، ورغم قصر هذا الوادي فإن مجراه الداخلي يحمل اسم واد كيس، ومجراه الساحلي عند مصبه في البحر المتوسط يحمل إسم واد (عجرود)، وقد ورد الاسمان معًا في اتفاقية مغنية للحدود سنة 1845 م. وهكذا يتضح أنّ إسلي (الوادي) بكل أسمائه وفروعه، دخل في الاستراتيجية العسكرية والسياسية الفرنسية، ومن ثم دخل التاريخ.

ب ـ إسلي المنطقة. يمر وادي إسلي عبر منطقة تاريخية جد مهمة، هي منطقة الشريط المعتدل الواقع بين الصحراء جهة الجنوب والبحر المتوسط جهة الشمال. ولكونه محصوراً بين الصحراء والبحر، فقد أصبح هذا الشريط بمثابة قنطرة للعبور من جهة الشرق إلى جهة الغرب، أو العكس، وظل عبر التاريخ، وحتى الآن، يمثل الممر الأساسي الذي يربط بين المغرب الأقصى، والجهات الشرقية من بقية المغرب أو المشرق. وعبر هذا الممر (القنطرة)، مرت المجموعات البشرية التي توجهت نحو المغرب الأقصى، أو منه نحو بقية بلدان المغرب والمشرق، فمن هذا الممر عبرت مجموعات السلم والحرب : الفينيقيون، والرومان، والوندال، والبزنطيون، والفاتحون المسلمون نحو المغرب والأندلس، ومنه دخل الأتراك، ومنه عبر الفرنسيون من الجزائر الى المغرب الأقصى بعد ما فتحوا بابه بالقوة في موقعة إسْلي. فإسلي اذن يقع ضمن المدخل الاستراتيجي التاريخي للمغرب لذلك شهد معارك كثيرة في التاريخ.

ج ـ إسلي المعركة. هناك ثلاث معارك في تاريخ المغرب تحمل كلها اسم معركة إسلي، اشتهرت من بينها معركة 1260 هـ / 1844 م لأنها أحدثت انقلابا حقيقيا في مجراه التاريخي. ونستعرض تعريفا بهذه المعارك حسب تسلسلها التاريخي.

1 ـ معركة إسْلي التي دارت بين يعقوب بن عبد الحق المريني ويغمراسن بن زيان عام 670 هـ / 1272 م، وهي واحدة من المعارك التي قادها المرينيون، دفاعًا عن وحدة المغرب الكبير، ضد الانفصال الذي تزعمته إمارة بني عبد الواد الزيانية بتلمسان.

2 ـ معركة إسْلي التي دارت بين الجيش المغربي والجيش الفرنسي خلال 1260 هـ / 1844 م وهي التي اشتهرت بهذا الاسم في تاريخ المغرب، نظراً للتغييرات والعواقب التي ترتبت عنها. ورغم أن الأسباب العامة لهذه المعركة يختزلها مضمون واحد هو الخلفية الاستعمارية، إلا أن داخل هذا المضمون، يمكن تحديد أسباب منهجية مباشرة تتلخص كما يلي :

ـ اهتمام فرنسا الكبير بتوقيف العمل بعقيدتي الوحدة والجهاد في الموقف المغربي : لأن الاحتلال الفرنسي للجزائر عمل على إبعاد السلطة التركية، كما جعل الشعب الجزائري يتجه نحو سلطان المغرب ويبايعه، فجسدت هذه البيعة عقيدة الوحدة. وكونت هذه الوحدة قوة سياسية عسكرية أصبحت تهدد الوجود الفرنسي بشمال إفريقيا، فظهر كأن الاحتلال الفرنسي للجزائر، مثّل حافزاً ايجابيا في تاريخ المغرب الكبير، مما جعل فرنسا ـ وهي التي وقفت ضد محاولة الأتراك لتوحيد المغرب الكبير في القرن السادس عشر الميلادي ـ وصرحت خلال محاصرتها لمدينة الجزائر سنة 1830 م، بأنها تنوب عن بلدان الجامعة الأوربية في تدمير وغزو مركز عقيدة الجهاد بالمغرب.. مما جعلها تهدد المغرب الأقصى إذا لم يسحب جيشه وإدارته من المغرب الأوسط،

ويلغي سلطان المغرب العمل بنص البيعة التي قدمها له الشعب الجزائري، ويتخلى عن الجزائر. وقد فشلت سفارة الضابط (أوڤراي Ouvrey) في نقل هذا التهديد أولا، لكن سفارة الضابط (شارل دومورناي Ch. de Morney) إلى مكناس (مارس 1832 م) حققت نتيجتها عندما تمكن من إرغام سلطان المغرب على سحب جيشه وإدارته من المغرب الأوسط، وحقق بذلك توقيف العمل بعقيدة الوحدة بين المغربين الأقصى والأوسط، وكان هذا أول تنازل مغربي تحت التهديد الفرنسي.

غير أن توقف العمل بعقيدة الوحدة أدى إلى ظهور العمل بعقيدة الجهاد، فالجهاد الذي تزعمه عبد القادر الجزائري، يرجع قيامه ودعمه إلى تدبير الإدارة المغربية، "فهذه الإدارة، قبل خروجها من غرب الجزائر سنة 1832 م، رشحت عبد القادر ابن محيي الدين، ودعمته لقيادة الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي" (كور A. Cour : 41) "فعبدالقادر لا يمكن فصله عن المغرب، ولا يمكن دراسة حركته الجهادية، إلا في إطار الموقف المغربي من الاحتلال الفرنسي، ومن زاوية عقيدة الجهاد عند الشعب والسلطة المغربية"، (برنارد A. Bernard : 41).

وهكذا تبين لفرنسا أن توقيفها العمل بعقيدة الوحدة يعتبر سياسة فاشلة، إذا لم يتحقق معها توقيف العمل بعقيدة الجهاد ـ التي تحمل في بعدها عقيدة الوحدة أيضا ـ لما يترتب عن العمل بعقيدة الجهاد من نتائج خطيرة على الوجود الفرنسي بشمال إفريقيا. وهذا ما جعلها تبعث بسفارة جديدة برآسة الضابط (دولارو De la Rue) إلى مكناس سنة 1836 م، حيث انتزع من السلطان المغربي اتفاقية تنص بنودها على توقيف العمل بعقيدة الجهاد : (التخلي عن عبدالقادر، والاعتراف بالسيطرة الفرنسية على الجزائر)، وتؤكد على احترام بنود اتفاقية 1832م. غير أن المغرب استمر في دعمه لعبد القادر، مما أكد لفرنسا أن توقيف العمل بعقيدة الجهاد لا يمكن تحقيقه عن طريق الاتفاقيات والضغوط الديبلوماسية، خصوصًا وأن سياسة الأرض المحروقة التي شرعت فيها فرنسا منذ 1840 ضد عبد القادر، حركت العلماء بالدعوة للجهاد من جديد، وأخذت القبائل تضغط على السلطان وتطلب منه السماح لها بالدخول إلى جانب حركة الجهاد الجزائرية. فقررت فرنسا أن تقوم بغزوة عسكرية قوية وحاسمة، ترغم المغاربة على التخلي عن عقيدة الجهاد، وتقنعهم بعجز القوة العسكرية التي يستندون إليها، كما ترغم العلماء على تغيير أحكامهم حول الجهاد، وتلطيفها، وبالتالي تغيير موقفهم من الغزو الفرنسي لبلدان المغرب.

ـ إرغام فرنسا للمغرب على نهج سياسة التنازلات في علاقته معها، كبعد سياسي لاحتوائه بالوسائل الديبلوماسية في النهاية : ففي الوقت الذي شرعت فرنسا في ممارسة سياسة الأرض المحروقة ضد عبدالقادر سنة 1840 م، تجاوز الجيش الفرنسي خط الحدود المغربية الجزائرية بوادي تافنا، وامتد إلى أسوار مدينة وجدة غربا على عمق 60 كلم داخل الأراضي المغربية وتركز ما بين 1842 ـ 1843 في حصني للامغنية، والغزوات، باعتبار أن الحصن الأول يوجد على أبواب وجدة، ويسمح بالدفاع عن تلمسان من موقع بعيد عنها، كما يسمح بمراقبة التحركات العسكرية بمنطقة وجدة حتى الخط المتصل بالمناطق المتصحرة نحو الجنوب. وباعتبار أن حصن الغزوات يوجد على البحر المتوسط، بحيث يراقب المنطقة الساحلية حتى مدينة مليلية غربا، ومدينة الجزائر شرقا.

فلما رفضت فرنسا التراجع عن التراب المغربي إلى وادي تافنا، تأكد للمغاربة بأن المغرب هو الهدف في السياسة الفرنسية بعد الجزائر، كما اكده العلامة التسولي (ت 1258 هـ / 1842 م) في رسالته المفتوحة إلى السلطان بقوله :"فأيقظوا أنفسكم من وسن الغفلة، فإنكم إن لم تستعدوا فهم لكم بصدد الاستعداد، والوقوف لكم بالمرصاد، ولاتتكلوا على ما يخبركم به ضعفاء العقول، من وفائهم باستمرار العهود، وعدم نقضهم للميثاق المعقود، فان ذلك كله مردود، إذ لاميثاق ولاعهد لأعداء الدين وأهل الفساد."، مما جعل السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام يرفض التنازل عن حصني مغنية والغزوات، فقررت فرنسا سحق جيشه في معركة حاسمة، لأن فرنسا أدركت أن مسلسل سياسة التنازلات في الموقف المغربي أصبح مهدداً، خصوصا في هذه الظروف بالذات التي أصبح فيها عبدالقادر لاجئا مع قوته داخل المغرب، مما جعلها تصرح لبريطانيا بأنها أصبحت في حاجة شديدة إلى معركة حاسمة وسريعة مع المغرب لإنهاء مشاكلها معه.

ـ الخلاف حول موقع الحدود : بمجرد ما تركزت فرنسا بحصني مغنية والغزوات، رفعت للمغرب مذكرة تطالبه فيها بتعيين الحدود معها غرب مغنية، فأجاب المغرب بأن الحدود معروفة بوادي تافنا منذ قرون، وبذلك توترت المشكلة بين البلدين، ونجحت فرنسا في خلقها كمشكلة تستطيع أن تتجاوز بها جميع الحقوق التي يمكن أن يواجهها بها المغرب، ففكرة الحدود في السياسة الفرنسية كانت تختزل مجموع الحقوق المغربية وتشطب عليها آليا : لأن الحدود الجديدة بوادي كيس غرب مغنية، تلغي تلقائيا مطالب المغرب بمغنية والغزوات، وتجعل الجيش الفرنسي بمغنية يرابط عند أبواب وجدة، بدل أن يكون الجيش المغربي بواد تافنا يرابط عند أبواب تلمسان. كما أن الاتفاق على الحدود يجعل عبدالقادر لاجئا عسكريا بالمغرب، ويجعل الدعم المغربي لعبدالقادر تعديا على السيادة الفرنسية بالجزائر. كما أن قانون الحدود يشطب آليا ونهائيا على حقوق بيعة الشعب الجزائري لسلطان المغرب، ويلغي العمل بعقيدة الوحدة بينهما، ويلغي كذلك حقوق العمل بعقيدة الجهاد، وبذلك تبين لفرنسا أن مشكل الحدود، مشكل استراتيجي هام جدا، باعتباره لاغياً لمجموعة هامة من العقائد والواجبات في الموقف المغربي تجاه فرنسا، ويظهر

أن السلطان المغربي أدرك خطورة الأبعاد السياسية التي ينطوي عليها مشكل الحدود، مما جعله في النهاية يرفض فكرة الحدود نهائيا، فاستغلت فرنسا هذا الرفض، وبه أقنعت بريطانيا بعداء المغرب لها، وتهديده لمصالحها، واستعداده للحرب ضدها، فوافقت بريطانيا على غزوه.

فعلا مع شروق يوم 14 غشت 1844 م، فاجأ الجيش الفرنسي برآسة المارشال بيجو Bugeaud، الجيش المغربي الذي كان يقوده الأمير سيدي محمد بن السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، ورغم أن عدد الجيش الفرنسي كان لايتجاوز ثلث الجيش المغربي، إلا أن التنظيم الذي كان عليه، والأسلحة المتطورة، والطرق العلمية التي مارسها في القتال، إلى جانب خطة المفاجأة، كل ذلك جعله يشتت الجيش المغربي ويحقق انتصاراً حاسمًا عليه في أقل من يوم واحد. ورغم الاعتبارات التقنية والتنظيمية التي كان عليها الفرنسيون، إلا أن رئيس الجيش المغربي في رسالته إلى (بيجو)، اعتبر خطة المفاجأة من الأسباب الحاسمة في انهزام جيشه، في حين اعتبرت المصادر المغربية الأسباب الفوضوية، المرتبطة بالانقسامية الطائفية (القبلية)، إلى جانب الأسلحة العتيقة، وطرق القتال التقليدية من أهم أسباب هذا الانهزام.

من نتائج معركة إسلي : أن المغرب أدرك بالممارسة لأول مرة التفوق التقني والعسكري الأوربي، وفشل هياكله العسكرية التقليدية وضعف جدواها، وأخذ يعيد النظر في المعطيات التقنية والتنظيمات العسكرية التقليدية، وبالتالي أخذ يفكر في الاقتباس من أوربا.

أما النتائج بالنسبة لفرنسا، فكانت أهم وأخطر، وتلخصها معاهدة طنجة (10 شتنبر 1844 م) واتفاقية مغنية (18 مارس 1845 م)، بحيث تختزل بنودهما جميع الحقوق والواجبات التي كانت للمغرب تجاه شقيقته الجزائر : فقد شطبت على حق العمل بعقيدة الوحدة، وحقوق البيعة، وحقوق العمل بعقيدة الجهاد، وألغت دور عبدالقادر كحركة جهادية، وألغت حقوق المغرب الترابية غرب وادي تافنا، وأعطت لفرنسا نوعا من السلطة والنفوذ على المغرب، وجعلت الحدود بوادي كيس على أبواب وجدة التي أصبحت تحت مراقبة الجيش الفرنسي، بحيث حققت معركة إسلي نتائج سياسية وترابية، إلى جانب البعد الإيديلوجي والحضاري لهذه النتائج السياسية، كما توضحها هذه الفقرة من رسالة الجنرال (دولارو) رئيس الوفد الفرنسي في مفاوضات الحدود بمغنية، كتبها إلى وزير الخارجية الفرنسي (گيزو) بتاريخ 22 ماي 1845، يقول فيها :".. يمكن أن نبتهج بالنتائج التي حققناها في هذه الاتفاقية : فقد استطعت أن أجر المفاوضيْن المغربييْن إلى حصن للامغنية ليكونوا تحت أفواه المدافع الفرنسية، حتى يوقعوا على اتفاقية تقسم لأول مرة في التاريخ ترابا إسلاميا، وأكثر من ذلك شعبا مسلمًا واحداً." (Faujas : 33)، هذا بالنسبة لأهم النتائج العاجلة.

أما نتائجها الآجلة فكانت أخطر، وقد ارتبط تحقيق هذه النتائج الآجلة بسياسة الحدود، ومعناها : أن فرنسا أصبحت تسخر الضغط العسكري على الحدود لتحقيق هدفين هما :

- التغلغل العسكري البطئ نحو الجنوب تجاه توات التي وصلتها في نهاية القرن التاسع عشر، وسيطرت عليها نهائيا في مطلع القرن العشرين (1902)، وبذلك ربطت بين مستعمراتها الشمالية في الجزائر، ومستعمراتها الجنوبية في السودان الغربي، وتمكنت بذلك من تطويق المغرب وتصغير حجمه، في إطار البعد الذي كانت تهدف اليه من هذا التصغير، وهو جعل المغرب حجما جيو - سياسيا صغيراً، ليكون قوة صغيرة، حتى لايعود إلى دوره التاريخي في الحوض الغربي للبحر المتوسط، أو تجاه السودان الغربي وغرب إفريقيا عموما.

- التغلغل السياسي والتجاري والمالي داخل المغرب، في إطار احتوائه النهائي نتيجة التنازلات التي كان يقدمها المخزن المغربي بسبب معاناته من الضغط العسكري على الحدود، كما جاء ذلك مفصلا في المذكرة التي بعثتها فرنسا إلى ألمانيا قبيل انعقاد مؤتمر الخزيرات سنة 1906 م. وهكذا نجد أن البعد السياسي لإسْلي يمتد إلى تاريخ عقد الحماية على المغرب سنة 1912 م. كما أنه في عمقه يتجاوز الأهداف الاقتصادية والاستراتيجية للحركة الاستعمارية، إلى الأهداف التاريخية والحضارية والإيديلوجية - التي لم تنته إلى الآن. - لهذه الأسباب كلها، تكون معركة إسلي (1844 م) أكثر خطورة وشهرة في تاريخ المغرب من غيرها.

3. إسْلي الثالثة. وهناك معركة ثالثة تحمل اسم (إسلي)، وقعت سنة 1859م، بين الجيش الفرنسي، وقبائل المغرب بدائرة وجدة، قادها أربعة ضباط تحت قيادة الجنرال (مارتيمبري Martimprey)، وشارك فيها 25.000 جندي فرنسي، أي حوالي ثلاثة أضعاف عدد الجيش الفرنسي المشارك في معركة 1844 م. ويرجع العنف الذي تميزت به هذه المعركة، إلى شعار الجهاد الذي رفعته القبائل المغربية، واستطاعت أن تحرك به مجموع قبائل المغرب الأوسط تقريبا ضد فرنسا، بحيث لو توفرت الزعامة الملائمة لتحقق تحت شعارالجهاد حلف من جميع قبائل شمال افريقيا، إلى درجة أن عدداً من القبائل الصحراوية شاركت في هذا الجهاد. كما يرجع عنفها إلى كونها تزامنت مع حرب تطوان (1859 . 1860 م).

انقسم الجيش الفرنسي في هذه المعركة إلى أربعة أقسام، وطوق دائرة وجدة من جميع الجهات ثم قام بمسح شامل لقبائل المنطقة انتهى فيه إلى موقع معركة إسلي الشهيرة، حيث جمع في هذا الموقع مئات من رؤوس زعماء القبائل، بناها على شكل هرم، واحتفل عليها بذكرى معركة إسلي الشهيرة، وردد أشعاراً تمجد بطولة المارشال (بيجو). والعجب أن هذه المعركة رغم هولها، فإن المصادر المغربية لم تذكر عنها شيئا، وربما يرجع ذلك إلى طغيان

أحداث تطوان على الرأي العام المغربي، فلم تنتبه المصادر إلى ما كان يجري بمنطقة وجدة، خصوصا وأنها تزامنت مع وفاة السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام.

إدريس، *الابتسام*، مخطوط ؛ أ. الناصري : *الاستقصا* ـ الجزء التاسع ؛ م. المشرفي : *الحلل البهية*، مخطوط ؛ م. أكنسوس، الجيش العرمرم... الجزء الثاني ؛ ع. بن زيدان : *إتحاف*، الجزء الخامس ؛ ع. التسولي : *الجواب البسيط* ـ طبعة حجرية بفاس ـ الملزمة 8 ؛ أ. العماري : *مشكلة الحدود الشرقية*، رسالة السلك الثالث، كلية الآداب بالرباط ؛ *مجلة الوثائق* التي تصدرها مديرية الوثائق الملكية _ بالرباط العددان الاول والثاني. *وثائق مخطوطة تتعلق بإسلي* (50 وثيقة بالعربية والفرنسة) عن المكتبة الوطنية بباريس.

Anonyme, *La Bataille d'Isly*, Paris, 1844 ; G. Azan, *Bugeaud et l'Algérie*, [s. d] ; J. Hess, *La Question du Maroc*, Paris, 1903 ; M. Faugas, *La Frontière Algero-Marocaine*, Thèse, Grenoble, 1906 ; A. Bernard, *Les Confins Algero-Marocains* Paris, 1911 ; L. Voinot, *Le Developpement et les résultats de la crise de 1859 dans les confins algero-marocains*, Alger, 1918 ; *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912 ; Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique contemporaine*, Paris, 1964.

أحمد العماري

**اسْلِيم** بن اسْويدي بن عمر. من مواليد سنة 1926 بالساقيةِ الحمراء، انخرط في صفوف جيش التحرير منذ أوائل ماي 1956 إلى غاية 15 دجنبر 1957.

وشارك في عدة عمليات فدائية ضمن فرقة تيرش بالمقاطعة الثامنة تحت قيادة الهاشمي بن عثمان، وتابع كفاحه المسلح إلى أن استشهد في معركة العرگوب يوم 15 فبراير 1957 قرب واد الذهب.

*وثائق المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**اسماتن** ← **تطوان** (إقليم ـ)

**اسْمَارَة**، مدينة مغربية صحراوية أسسها الشيخ محمد المصطفى بن الشيخ محمد فاضل ولد مامين المعروف بالشيخ ماء العينين، وذلك في الوقت الذي كان يقوم مقام الخليفة السلطاني بالصحراء الغربية المغربية، حين اضطر إلى الاستقرار بناحية الساقية الحمراء ليتمكن من مقاومة الغزو الأجنبي الذي كان يقوم به الاسبانيون انطلاقا من الجزر الخالدات والفرنسيون انطلاقا من السنغال.

ـ صورة جوية لمدينة اسمارة في عهد الاستعمار

كان الشيخ ماء العينين قد اختار في أول الامر المكان الذي شيد فيه سنة 1288 / 1871 زاويته الأولى المعروفة بالدارالحمراء القريبة من ضريح الولي سيدي أحمد العروسي، غير أن عدم وجود الماء الصالح للشرب الكافي للعدد الهائل ممن استقر بجانب الشيخ هناك من المجاهدين والأتباع جعله يبحث عن مكان يوجد فيه بكثرة نبات الأسل المعروف عند المغاربة بـ " اسمارة" الذي لايوجد إلا بالأماكن ذات المياه الجوفية الغزيرة، فوجده بالقرب من واد سلوان أحد روافد الساقية الحمراء، حيث شرع في بناء المدينة التي أطلق عليها اسم "أسمارة" وذلك سنة 1316 / 1898.

شرع الشيخ في بناء مدينته اعتمادا على وسائله وامكانيته المحدودة، الشيء الذي جعله يشعر بأن العمل الذي أراد القيام به يفوق طاقته ويتطلب مساعدة ملك البلاد السلطان مولاي عبد العزيز، وهذا ماجعله يتوجه إلى عاصمة مراكش سنة 1317 / 1899، حيث منحه السلطان إعانة مالية مهمة وأمر بأن يزوَّد بكمية هائلة من معدات البناء وأدواته كانت ترسل اليه بحراً إلى ميناء طرفاية ومنها تنقل إلى اسمارة على متن 1200 جمل.

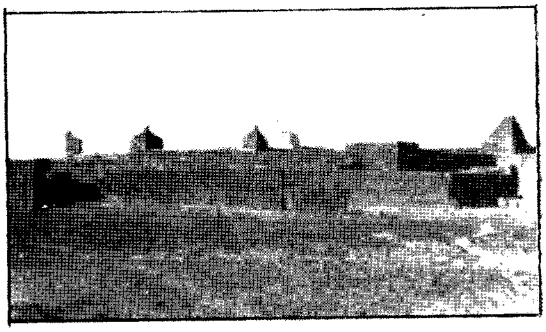

ـ سور مدينة اسمارة

تتفق جميع المصادر على أن البنائين الذين اعتمد عليهم الشيخ كان جلهم من مدن شمال المغرب مثل طنجة وتطوان وفاس مراكش، ورأسهم المعلم الحاج علي الوجدي والمعلم حماد بن علي الفاسي والمعلم الحسين الواد نوني والمعلم عبد القادر الفكيگي.

وفي السنة التالية (1318 / 1900) توجه الشيخ ماء العينين مرة أخرى إلى عاصمة مراكش حيث حصل على مزيد من الدعم المالي والمادي لإتمام بناء المدينة التي كلفته أكثر من عشر سنوات من العمل المستمر .

وأما القصبة الرئيسية فقد تم بناؤها في سنتين حيث جعلها الشيخ مقرا لسكناه وسكنى ذويه، وكانت تحتوي على عدة دور ومسجد وزاوية وحمّام وإصطبلات وكانت عبارة عن مربع يحيط به سور حصين طوله شمالا 54،67 متراً وشرقا 60،13 متراً وغربا 57،60 متراً.

وكان للقصبة خمسة أبواب تحمل الباب الرئيسية منها الواقعة بالجنوب اسم الهجن، والواقعة بالسور الشرقي

تسمى بباب الشرق، والواقعة بالسور الغربي تعرف بباب الساحل. واما السور الشمالي فقد كان به بابان هما الباب الكبير وباب الزاوية.

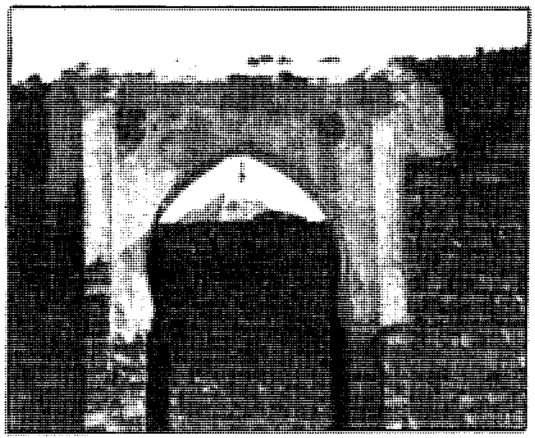

ـ الباب الرئيسي لاسمارة

وقد بُني خارج القصبة 28 دارا لسكنى أبناء الشيخ وأتباعه، وفندق كبير وسوق ومخازن عديدة، كل ذلك يوجد وصفه الدقيق عند دومينيش Domenech (ص 38.41) وطيراس Terrasse (ص 289 ـ 292).

كانت المدينة لازالت في طريق البناء عندما بدأ المجاهدون ينطلقون منها لمقاومة الغزو الفرنسي ـ الإسباني للصحراء الغربية، حيث تمكنوا من إرغام الإسبانيين على عدم مغادرة المركز الوحيد الذي استطاعوا احتلاله بشبه جزيرة الداخلة، كما تمكنوا من جعل حد للزحف الفرنسي بموريطانيا، وذلك على إثر اغتيال المتصرف الفرنسي كوبولاني Coppolani في الاشتباك الذي جرى بينه وبين مجاهدي اسمارة يوم 12 ماي 1905.

وفي مدينة اسمارة استقر الامير مولاي ادريس عندما بعثه ابن عمه السلطان مولاي عبد العزيز إلى الصحراء سنة 1323 / 1905 من أجل تسليم ظهائر تعيين قواد جدد بالصحراء.

ـ قصبة اسمارة

وفي السنة التالية توجه الشيخ ماء العينين من جديد الى عاصمة فاس حيث استقبله السلطان وزوده هذه المرة بالمال والسلاح الذي مكن المجاهدين المنطلقين من اسمارة من هزم القوات الفرنسية بناحية المروان يوم 13 أبريل 1907 وبناحية الدمان يوم 5 أبريل 1908. وظل الشيخ ماء العينين بمدينة اسمارة إلى أن احتلت القوات الفرنسية برآسة الجنرال گورو Gouraud ناحية ايجيل في اكتوبر سنة 1909 حيث اضطر الشيخ إلى مغادرة مدينته متوجها إلى تزنيت حيث وافته المنية يوم 23 شوال 1328 / 28 أكتوبر 1910.

وبعد موت الشيخ انطلقت جماعة من المجاهدين من قبيلة الرگيبات من مدينة اسمارة فقضوا على كتيبة فرنسية بناحية البويرات يوم 2 يناير 1913، وكان رد فعل رئيس جيش الاحتلال الفرنسي لموريطانيا أنه أرسل كتيبة أخرى بقيادة الكولونيل موري Mouret الذي وصل إلى اسمارة يوم 28 فبراير من نفس السنة وقام بنسف القصبة وتحطيم جزء من سورها.

ومما يدل على أن اسمارة تعد مدينة فريدة من نوعها في الصحراء أنها كانت تتمتع بشهرة كبيرة في أوربا لدرجة أن شاعرا فرنسيا شابا اسمه ميشل فيوشانج Michel Vieuchange أراد زيارتها حيث غادر بلاده وتوجه إلى أگادير ومنها إلى اسمارة التي دخلها متنكرا في زي امرأة صحراوية في الساعة الثانية عشرة زوال يوم فاتح نوفمبر 1930 وغادرها في الساعة الثالثة مساء من نفس اليوم عائدا إلى اگادير حيث توفي يوم 30 من الشهر المذكور فتحققت أمنيته التي كان يعبر عنها بقوله :" مرحى بالموت بعد مشاهدة اسمارة".

ويبدو أن اسمارة ظلت مهجورة إلى أن احتلتها الكتيبة العسكرية الإسبانية التي كان يرأسها گاندارا Gandara يوم 15 يوليوز 1934، ولم يهتم الإسبانيون كثيراً بالمدينة طيلة مدة احتلالهم لها إلى أن عادت إلى حظيرة الوطن الأم يوم 26 فبراير 1976.

م. ابن عزوز حكيم، *السيادة المغربية بالأقاليم الصحراوية من خلال الوثائق المخزنية*، الدار البيضاء 1981.

Gatell, Joaquin - *Viajes por Marruecos, El Sus Uad Nun y Takna* - Memorias Sociedad Geografica de Madrid, y. I año 1977 ; Cervera, Julio - *Expedicion al Sahara : de Rio de Oro a Iyil* - Revista de Geografia Commercial Madrid t. II num. 25 - 30, julio - sept. 1886 ; Al-Moutabassir - *Ma El Ainin Ech Chenguity* - R. M. M, t I (1907) p. 343 - 351 ; Almonte, Enrique d'- *ensayo de una breve descripcion del Sahara Español* - Boletin Real Sociedad Geografica Madrid t. 56 (1914) p. 129 - 347 ; Marty, Paul - *Les Fedalia* - R. M. M t. 31 (1915 - 16) p. 135 - 219 ; La Chappelle, F. de - *Esquisse d'une histoire du Sahara Occidental* - Hesperis, t. 11 (1930) p. 35 - 95 ; Vieuchange, Michel - *Chez les dissidents du Sud Marocain et du Rio de Oro, Smara. Carnets de route*. Paris 1932 ; Mahmadou Ahmadou Ba -

*A propos de Smara* - A. F, 2 (fev. 1934) p. 95 - 97 ; Garcia Figueras, Tomas - *Santa Cruz de Mar Pequeña, Ifni, Sahara Madrid* 1941 ; Domenech Lafuente, Angel - *Algo sobre Rio de Oro* - Madrid 1946 ;Flores, Angel - *El Sahara Español* - Madrid 1946 ; Gobierno del Sahara - *Breve reseña historica del Territorio.* Ayun, 1949 ; Carnero, Ismael - *Vocabulario geografico Sahariano.* Madrid 1955 ; Caro Baroja, Julio - *Estudios Saharianos.* Madrid 1955 ; Gaudio, Attilio - *Sahara Espagnol. Fin d'un mythe colonial.* Rabat 1975 ; Terrasse, Henri - *Note sur les monuments de Smara.*

**إسماعيل**، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر، ومن أفرادها نجد الفقيه أحمد بن محمد إسماعيل الذي كان يتعاطى خطة العدالة من سنة 1190 / 1776 إلى سنة 1207 / 1793، كما نجد محمد قائد المخزنية بحامية تطوان الذي كان من بين الموقعين على وثيقة بيعة مولاي سعيد ابن السلطان مولاي اليزيد بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821. ولازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط خاص ؛ أ. الرهوني، عمدة الراوين ، 3 : 24 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 2 : 299. 7 : 242. 259 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan.* Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (I). *Vademecum de Intervenciones (ano 1931)* (I). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* (I).

ابن **إسماعيل، أحمد** بن سعيد. ولد سنة 1898 بدوار دولاسن ـ أيت النص أيت باعمران ـ دائرة إفني إقليم تزنيت. شارك في صفوف جيش التحرير حتى استشهد في معركة تبلكوكت وهو حامل سلاحه دفاعا عن حوزة الوطن في 23 / 11 / 1957، وهو اشتعال ثورة قبائل أيت باعمران للاستيلاء على المركز الإسباني بسيدي إفني حيث كانت تعسكر قواته.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 2 : 34.

عز الدين العلام

**إسماعيل بن الشريف العلوي**، إن كان المولى محمد بن الشريف هو الذي وضع الحجر الأساس للصرح العلوي وكان المولى الرشيد بن الشريف هو الذي مهد البلاد لإقامته، فإن الذي شيده وأرسى معالمه للأجيال هو السلطان الأعظم أبو النصر المولى إسماعيل بن الشريف، ثالث الإخوة الأمجاد الأفذاذ، الذي منه تنسل سلاطين الدولة إلى يومنا، فاستحق أن يضاف اسمه نعتاً لها فهي الدولة العلوية بالنسبة إلى الجد العربي، الإسماعيلية بالنسبة إلى الجد المغربي.

كان المولى إسماعيل أعظم رجالات دار الإسلام في عصره يعلو الجميع بما كان يتحلى به من بعد الهمة وخصال الأمير المسلم، وآية من عظمته أنه ما أن دخل التاريخ حتى تجاوزه إلى ميدان الأساطير بحيث باتت حركاته وسكناته لاتنقل إلا بصيغة الإجلال والإكبار وتهافت على بلاطه سفراء أوربا ومراسيلها واعتنوا بذكر أوصافه العامة ورسم ملامحه على طول عهده بما يخلص منه المؤرخ بصورة لاتخلو من الدقة. فلقد وصفه مويط Mouette الفرنسي الذي كان أسيرا لديه إلى سنة 1682 قائلا :"يبلغ المولى إسماعين (كذا) ملك فاس ومراكش وتافيلالت سبعا وثلاثين سنة وهو إلى الطول شيئا ما، رشيق القد بالرغم مما يبدو عليه من البدانة بسبب لباسه، لونه أسمر مفتوح ومحياه إلى الطول مليح التقاطيع وله لحية طويلة مفروقة ". ووصفه السفير الفرنسي دي سانتولون ( Pidou de Saint-Olon) سنة 1693 قائلا: "إنه بين الثامنة والأربعين والخمسين من العمر، أسمر البشرة أسود الشعر بدا عليه الشيب، متوسط القامة مستطيل المحيا، غائر الوجنتين غائر العينين أسودهما، تبرق منهما النار، صغير الأنف أقنى الذقن في حدة، غليظ الشفتين جميل شكل الفم". وكان الأنجليزي "جون ويندس" John Windus كاتب السفارة البريطانية إلى مكناس سنة 1721 هو آخر من وصفه من الأوربيين، قال :"يناهز الأمبراطور السابعة والثمانين من العمر، لكنه مازال خفيف الحركة بالرغم من تقدم السن به، قامته متوسطة ومازالت ملامحه تحمل بقايا الحسن والدقة، ولاأثر فيها من أوصاف الزنوج وإن كانت والدته سمراء، له أنف أقنى ملحوظة بين حاجبيه بألطف صورة، ولقد سقطت جميع أسنانه وقصر تنفسه كأن رئتيه في حالة غير جيدة، فهو يسعل ويبصق بكثرة، لكن بصاقة لايصل أبداً إلى الأرض اذ يتلقفه في المناديل باستمرار رجال معدون لذلك، لحيته دقيقة شديدة البياض ويبدو أن عينيه كانتا متعودتين على إبراق النار، لكن شدة برقهما أصابها الفتور من جراء السنين وغارت بشكل مدهش [ ... ] أما لباسه فلم يكن بمخالف على العموم لما يلبسه باشاواته في غير حضوره، قوامه حائك دقيق الصنع ورأسه معمم بعمامة مركبة من عدة دورات من الموصلي تغطي الجزء الأكبر من جبينه".مما يخرج منه المؤرخ بصورة رجل متوسط القامة بارق النظر، غير جسيم، شديد التوثب ممتلئ الشفتين عربي السحنة، صورة أحد أبناء الصحراء المغربية من جهة الأبوين حيث كانت والدته من بنات الأوداية، قبيلة الساقية الحمراء آنذاك، كان أبو حسون السملالي أهداها للمولى الشريف يوم كان مقيما لديه بالغلبة، ولقد نقل المؤرخون أنه وُلد سنة 1646 ميلادية، مما يدل على أنه كان لايتجاوز السادسة والعشرين من العمر يوم انعقدت له البيعة .

آراؤه السياسية : لم يَسْعَ المولى إسماعيل في الملك، لكن الفاجعة التي أودت بحياة أخيه السلطان المولى الرشيد ووقوع الإجماع على مبايعته دون الأمراء الآخرين، كانا أمرين يوحيان باتفاق مشيئة الخالق ورغبة المخلوق، بحيث أيقن المولى إسماعيل أن ما أنيط بعنقه من الأمانة الكبرى كان من المكاتيب وأن ما كتبه الله له من أسباب الملك لايمكن لأحد أن ينتزعه منه، ولما اطمأن كل الاطمئنان إلى

قدسية مهامه، فإن الرعية انقادت له بشكل من الطاعة لم يسبق له مثيل في تاريخ المغرب الكلاسيكي.لقد قال عنه الكاهن الفرنسي بوسنو Busnot : إنه لايستشير إلا مع نفسه [...] ولاينطق بما يختلج في صدره إلا بصيغة الأحكام المقررة وعندئذ ينحصر رأي تلك الحاشية في كلمتين : نعم سيدي". وكان المُلْكُ في القرن السابع عشر لا يتصوره الناس، بالمغرب وخارج المغرب، إلا بشكله المطلق، ولقد كان المولى إسماعيل ينوه بحكم لويس الرابع عشر الفرنسي، يستصغر حكم غيره من ملوك أوربا الذين كانوا لا يمارسون شؤون الحكم بأنفسهم، نقل السفير الفرنسي "دي سانتمان" عنه أنه قال: : في علمي أن إمبراطور فرنسا أعظم وأقوى إمبراطور في أوربا وأنه منفرد بحكم مملكته وأنه يقود جنوده بنفسه لمحاربة أعدائه وأنه يكون هو السباق إلى ساحة القتال، وفي علمي أن ملك إنجلترا على غير هذه السيرة وأنه يترك البرلمان يقوده كأنه امرأة عجوز، وأن امرأة هي التي تتولى حكم إسبانيا".

وتلك آراء كانت تعكس واقع المجتمع المغربي في ذلك العهد، حيث كانت الأوضاع العامة مازالت تحت سيطرة الفطرة والجبلة الأولى، وكانت القبيلة هي الهيئة التركيبية الأساسية فكانت الماشية هي أساس الثورة وكان المجتمع في حركة دائبة وكانت القبائل مسلحة أو بوسعها أن تحمل السلاح، فكانت السلطة حتما على الرماح .

لكن المولى إسماعيل كان يعلم أن العنف المجرد مع ضرورته لايكفي فكان لايحرك ساكنا إلا بمقتضى الشريعة، لأن الشريعة هي وسيلة الدولة وغايتها في الإسلام، ولأن واجب السلطان هو صيانتها وحماية النطاق الترابي لنفوذها ، وما الشريعة إلا جهاد مستمر لإماطة أسباب الظلم والضلال في الداخل وهي في الخارج جهاد النصارى المتغلبين على بعض الثغور وحماية شواطئ البلاد من غزواتهم، ولقد جاء في إحدى رسائله لولده المأمون قوله : "وهذه مسائل الدين وأمور المسلمين قلدها الله لنا فضلا منه وامتنانا، والله والله حتى أعض عليها بنواجذي ولا وليت أحدا منها شيئا إلا الذي يعيننا على حق من حقوق الله ويقوم لنا بوظيف كبير نثق به فيه".

وسائل الحكومة الإسماعيلية :

- الجيش : لعل أوضح ما يصور آراء المولى اسماعيل في السياسة عنايته بإقامة جيش نظامي من عبيد المخزن، وكانت الدولة إلى ذلك الحين لاتجند إلا باستنفار عند الاقتضاء أو بالاعتماد على القبلية، علما بأن تلك العصبية كانت تحتاج مع ذلك إلى شعار ديني يقوي التحامها، لكن الاستنفار والشعارات مهما بلغ صداها كانت من الأمور المعرضة للزوال، وكانت الأسرة العلوية الفتية في حاجة إلى جيش مخلص ثابت. ولذلك فكر المولى إسماعيل في توسيع نطاق عبيد السلطان إلى مستوى جيش الدولة، وهدف بذلك إلى ثلاث غايات، إذ كان جيش العبيد قائما على عصبية عسكرية لاعلاقة لها بخصومات القبائل، وكان الجيش الجديد ملزما بأوثق طاعة للسلطان لأنه صَنيع إرادته، وكان إلى ذلك كله معبأ روحيا بما كان يؤديه أفراده من قسم الإخلاص على *صحيح البخاري*. وكان ذلك القسم يلزم الجنود حيال السلطان ويلزم السلطان حيال الجيش ويلزم الجميع حيال الشريعة.

المولى اسماعيل بن الشريف

ولقد أمر المولى إسماعيل بحشد جميع العبيد الذين وجدت أسماؤهم مدرجة بسجل خاص كان تاريخه يعود إلى عهد السلطان أحمد المنصور، فاجتمع لديه منهم أو من ذريتهم حشود وافرة من الذكور والإناث، فأمر بزواجهم فصاروا ينجبون لفائدة المخزن شباباً متكاثرا طيعا مرنا نشأ على الولاء والإخلاص، وكانت الفتيات يلتحقن بالقصور السلطانية ليتعلمن الأشغال المنزلية وكانت بعضهن يدربن على العزف والغناء، وأما الذكور فإنهم كانوا يتعلمون أول الأمر بعض الحرف، ثم عند بلوغ العاشرة. كانوا يدربون على سياسة الدواب لينتقلوا بعدها إلى سياسة الخيول، ثم في السادسة عشر من العمر كانوا يشرعون في التمرين على السلاح فيتخرج منهم حرس سلطاني يتحول بعد اكتمال البلوغ جنودا بواسل يأمر المولى إسماعيل بزواجهم وتوجيههم إلى حيث حاجة الدولة بهم. ولقد بلغ عددهم في نهاية العهد مائة وخمسين ألف جندي.

ولم يفرط هذا السلطان مع ذلك في وسائل الاستنفار القبلي فإنه استقدم قبائل الأودابة من الساقية الحمراء وكان يعتبرهم أخواله وجعلهم من الجيش المخزني الرسمي.

- بيت المال : كان المولى إسماعيل يحتاج إلى بيت مال وافر لإقامة صرح الدولة الفتية على أسس متينة، وإنه نهج في هذا الصدد نهجا شرعيا خالصا مع مراعاة الطوارئ والمستجدات. فكانت أولى المداخيل مما فرضته الشريعة من زكوات وأعشار، تأتي بعدها الجزية التي كان على الطائفة اليهودية المغربية المتعددة الأفراد المتنوعة النشاط أن تؤديها لبيت المال مقابل حماية الدولة لها سيما وأن بعض الأعمال المربحة مثل الصرافة وسك النقود كانت حكرا عليهم.

لكن حاجيات الدولة المغربية كانت تتجاوز هذه المداخيل، وذلك لتفاقم النفقات بسبب ضرورة اقتناء الأسلحة النارية من أوربا، فغدا من اللازم جعل ما كان استثنائيا من الجبايات أمرا ثابتا مستمرا، وجرى هذا على المكوس بوجه خاص، تلك الضريبة التي كانت جبايتها مقياس ميزان القوى السياسي بين الدولة والرعية وكان استخلاصها في العهد الإسماعيلي دليلا عن رجحان كفة الدولة آنذاك.

وارتفع مستوى الرسوم على التجارة الخارجية ابتداء من ذلك العصر ووضعت من يومئذ بعض القواعد للنظام الجمركي المغربي سارت عليها الدولة إلى منتصف القرن التاسع عشر، مفادها أن البضائع تعشر في الصدور والورود، نقدا أو عينا، بحسب إرادة السلطان ووفرة السوق وميزان العرض والطلب وحالة العلاقات الديبلوماسية مع الدول المعنية، وأن بعض المواد مثل الشموع كان يؤدي عليها لدى تصديرها في عهد هذا السلطان 25 ٪ من قيمتها، وتَعَوَّدَ المخزن أن يُشارك مباشرة في الأعمال التجارية لأسباب مالية وسياسية، إذكان احتكار الدولة لبعض المواد أحسن وسيلة لملء بيت المال وكان من واجب السلطان أن يتتبع أحوال التجارة الخارجية بعد أن أضحت تدور في معظمها مع تجار النصارى الذين لم تخف لا أطماعهم ولاما يتوفرون عليه من الوسائل.

وأخيرا كان فيْء الجهاد في البحر من أهم مداخيل بيت المال حيث بادر المولى إسماعيل إلى احتكار ماكان يقع بيد المجاهدين لفائدته، وبخاصة أسرى النصارى، ليستفيد المخزن من خبرتهم إن كانت لهم خبرة أو ليفتدي بواسطتهم أسرى المسلمين كلما وقعوا في أسر قرصان النصارى، ولقد ظل الإنسان في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى نهاية القرن الثامن عشر بضاعة متداولة، وكانت كل ملة تسعى في فداء أبنائها.

خدام المخزن الإسماعيلي : كانت طبيعة الحكم في ذلك العصر تجعل من علاقات المخدوم بخدامه علاقات ولاء وتبعية مطلقة، بل كانت صلات المالك بملكه أو السيد بعبده، ولذلك كان كبار القواد والخدام - من ذوي الحظوة العليا لا ينتخبون إلا من عبيد البلاد المقربين، وكان منهم مرجان الكبير قائد عبيد الدار الذي كان مكلفا إلى جانب ذلك بمسك سجلات الجبايات، وكان عامل الرباط سنة 1688 عبدا بخاريا، اسمه سعد الله بولعوان.

وكان الباشا علي بن عبد الله الحمامي الذي انفرد بحكم شمال المغرب سنين عديدة متصلا بالمولى إسماعيل بروابط شخصية، وكان ينتسب إلى قبيلة تمسمان، وربما كان يشتغل بالنقل على البغال في أول أمره، وتوثقت صلات الولاء بينه وبين السلطان حتى أصبح من أمس خدامه صلة به، يدخل عليه ولاتصيبه دهشة، ولم يواخذه السلطان بفشله في حصار سبتة، وبعد وفاته خلفه ولده أحمد بن علي بنفس الرتبة وبنفس المهام.

ويذكر أيضا من الخدام المقربين الأخوان أحمد وعمر ابنا حدو وكانا أيضا من تمسمان وكان لهما الفضل في استرجاع المعمورة وطنجة والعرائش إلى حظيرة السيادة المغربية.

واحتكرت أسرة آل الروسي على امتداد ثلاثة أجيال، عمالة فاس وكان رئيسها الأول حمدون الروسي من أصول متواضعة، عينه المولى إسماعيل، أول الأمر على توات، ثم حظي لديه ولده عبد الله بن حمدون الذي عينه السلطان عاملا على فاس سنة 1677، وناب عنه بها مدة حياته ولده عبد الخالق وخلفه ولداه أبو علي ومسعود.

وكان الباشا بلشقر قائدا على زرهون ومكلفا بأعشار قبائل المغرب من بني حسن وسفيان، وكان القائد على بن يشو لايفارق البلاط والسلطان مع أن عمالته كانت، على حد قول السفير دي سانتولون :"توجد بين مكناس وتلمسان وهي إلى شساعتها وافرة الريع" فكان هذا القائد لايعرف شؤون عمالته إلا بإنابة بعض القواد ينوبون عنه في عين المكان.

وكان أحمد بن حدو العطار، من أسفي، من أكبر حجاب المولى إسماعيل، لقد مارس كذلك مسؤولية عمالة السهول الأطلسية جنوب سلا، وبعث به السلطان سفيرا إلى أنجترا سنة 1682، فعاد ناقما على دولة الانجليز بما ألزموه به من تعرية رأسه لدى مثوله بين يدي الملك شارل الثاني، وانتقاما من جانبهم مما كان سفيرهم قد أرغم عليه سنة 1680 من نزع أحذيته قبل المثول بين يدي المولى إسماعيل.

وكان القائد عبد الله بن عائشة أمير البحر وقائد الأسطول ومن أشهر رجالات السيف في عصره وذاع صيته على إثر سفارته لدى لويس الرابع عشر حيث احتفى به الفرنسيون بكثير العناية وشديد الفضول.

أما وظائف القلم فإنها كانت على العموم من نصيب الأدباء والفقهاء من أبناء الأسر الأندلسية، وباستثناء رئيس الكتاب وأول وزراء المولى إسماعيل الفقيه أحمد اليحمدي الذي كان من قبيلة غمارة، لكن محمد تميم السفير إلى فرنسا سنة 1982 كان أندلسي الأصل، وكذلك كان الشأن بالنسبة لمحمد بن عبد الوهاب الغساني السفير إلى مدريد سنة 1690، وكان معظم الوظائف الدينية والتوثيقية بيد أبناء بعض الأسر التي ذاع من يومئذ صيتها مثل آل الفاسي وآل بني سودة وغريط وبلقاضي وملين ولوقاش.

القصر السلطاني بمكناس : لم يفت المولى إسماعيل، بما جُبل عليه من الدهاء السياسي وما تربى فيه من سيرة الملوك، أن عظمة الدولة تتصور في عظمة ما تقيم من البناء الفاخر، وكانت هذه الضرورة السياسية تتفق وما كان لديه من شديد العناية بشؤون البناء، حيث كان البناء من هواياته المفضلة، وكانت الدولة العلوية الفتية في حاجة إلى تشييد ما يثبت للأجيال أمجادها، ولذلك اختار السلطان عاصمة جديدة هي مكناس ليقيم بها مخزنه الجديد، ولقد كتب القنصل الفرنسي "اسطيل" سنة 1698 قائلا عن قصور مكناس :"إن أوصاف الكتاب الذين سيكتبون عن هذا القصر سوف تختلف بسبب مايدخل عليه من التغيير على رأس كل ست أو سبع سنوات، وذلك لأن أحب شيء لدى ملك المغرب أن يأمر بتقويض البناء بمجرد مايتم بناؤه أو حسبما يروج بين الناس هنا، أن رغبته أن لاتقف الأعمال عند أي نهاية لتظل الرعية منهكة القوى، حيث يكون عشرة إلى اثني عشر ألف عامل يعملون باستمرار ويأتون من جميع الجهات بالتناوب ولامناص في إطعامهم".

وفي اختيار مكناس عاصمة إشارة واضحة إلى ماكان يشغل بال السلطان إذ كان اللازم جعل العصمة متوسطة في البلاد، لإحكام وحدتها ومراقبة شواطئها الأطلسية والمتوسطية التي لاتبعد عن هذه المدينة بأكثر من ثلاث إلى خمس مراحل.

سياسة المولى إسماعيل في الداخل : كتبت الصحيفة الفرنسية "الميركوركالان" معلقة على نبأ وفاة المولى الرشيد قائلة :" لقد شهرت القبائل السلاح بكل ناحية، ووجد المولى إسماعيل نفسه ملزما بتجديد فتح (الأقاليم) على رأس عبيده وبعض الفرق الأخرى من الجند [...] وإن ماقام به من الأعمال البطولية أثناء هذه الفتوحات وما أبداه من إقدام كبار القبطانات وتبصرهم ليعتبر أعلى درجة مما أكسب المولى الرشيد ما أكسبه من الشهرة". وقال أبو القاسم الزياني من جهته إن المولى إسماعيل لم يقض سنة كاملة في قصره فيما بين 1672 و 1696 وأنه كان في حركة مستمرة لتمهيد البلاد بهدف إعادة الحرية الكاملة للدولة، في الداخل بقمع الشغب القبلي، وفي الخارج بردع الأطماع الأوربية.

توطيد أركان الدولة : كان للمولى إسماعيل حساسية خاصة بأمر وحدة الدولة ونفوذ سلطانها، وذهب حرصه القوي على ذلك إلى حد البطش الفظيع بكل من رام المس بهما وإن كان من أولاده. ولقد قاتل في بداية عهده ابن أخيه المولى أحمد بن محرز الذي كان قد عاد إلى مراكش بمجرد ماسمع بوفاة المولى الرشيد، مطالبا بخلافته لما كان له بحاضرة الجنوب من سابق العمل، فاندلعت بسبب ذلك بينه وبين المولى إسماعيل حرب دامت ثلاث عشرة سنة متقطعة بالكروالفر، يفر المولى أحمد من الحوز كلما زحف المولى إسماعيل إليه، وينتقل بأنصاره وثورته إلى ناحية تازة، ولما كان المولى إسماعيل يعود مسرعا إلى جهة الشمال الشرقي كان الأمير الثائر يتسلل من جديد إلى الأقاليم الجنوبية ليقيم لنفسه هناك إمارة مستقلة، حتى إن السلطان ملَّ تلك اللعبة الدموية وقبل مبدأ التخلي لابن أخيه عن إمارة سوس، ورفض المولى أحمد ذلك العرض إلى أن قتل في ظروف مجهولة بالأطلس الصغير سنة 1685.

تمهيد قبائل الأطلس : شرع المولى إسماعيل يمهد القبائل الصنهاجية وهو مازال يقاتل ابن أخيه الثائر، وكانت القبائل مستعصية بالأطلس المتوسط والأطلس الكبيرالشرقي وكانت مازالت لم تفقد شيئا من قوتها الطبيعية ولا من ضغطها وتشويشها على سفوح معاقلها، وذلك بالرغم من تصفية الزاوية الدلائية المجيدة. ولقد أمر السلطان بعدة حركات توغلت في ثنايا الجبال لإشعار رؤوس الفتنة والعصيان أن لاَ مفر لهم من العقاب، وانطلقت الجيوش المخزنية من سايس وتادلا وتافلالت ومن جهة الشرق أيضا فأرغمت القبائل الصنهاجية على الإذعان والاستسلام، ولقد كان للمدفعية النارية الحديثة دور كبير في تغلب جيش البخاري،وأقيمت سلسلة من القصبات أحاطت بالأوعار الصنهاجية إحاطة السوار بالمعصم، ابتداء من قصبة تادلا في الجنوب الغربي إلى وطاة بالشرق وتافلالت بالجنوب الشرقي مرورا بأدخسان(خنيفرة) وعين اللوح وأزرو وگيگو.

أما قبائل التلال المطلة على سهول الغرب وسايس، مثل گروان وأيت يدراسن فإن السلطان أمر بتجريدها من السلاح وبمصادرة خيولها، لكنه أمر في المقابل بأن يوزع ستون ألف رأس من الغنم مصحوبة ببعض الإعانات ليشتغلوا بريعها ويكفوا عن الشغب.

السياسة الدينية : كانت الزوايا مؤسسات تأطيرية تدعم وحدة عقيدة الشعب المغربي ووحدة مذهبه ببعض أسباب التباين الشكلي والأصالة الجهوية، فكانت مقبولة لدى الدولة المركزية كلما وقفت عند أدوار التأطير، منبوذة لديها كلما تجاوزتها إلى ما بعدها من التطلعات السياسية، وهكذا ما أن أطاح المولى الرشيد بالدلائيين والسملاليين حتى جاء المولى إسماعيل بعده للعناية بالوزانيين والشرقاويين والحنصاليين والناصريين ،بل أصدر عفوه عن الدلائيين بعد سنوات قليلة من جلوسه على العرش، لكنه على النقيض من ذلك كان أمر بدكِّ رباط الحاج إبراهيم بن محمد شيخ زاوية تاسافت لمجرد امتناعه عن المثول بين يدي حضرته. وفيما عدا ذلك فإن المولى إسماعيل كان يبدي لحملة العلم الشريف وللصلحاء والفقهاء منتهى آيات الاحترام والتقدير مثلما فعل مع الشيخ عبد القادر الفاسي وابنه وخلفه محمد وكذلك مع الشيخ الحسن اليوسي.

واعتنى المولى إسماعيل عناية خاصة بالأسر الشريفة وبالأسرة الإدريسية بالدرجة الأولى، وأمر بتوسيع الضريح بفاس وبأن يتنافس الصناع في زخرفته وكان بذلك يرسم الطريق ويسعى في أن تقتدي الرعية بأعماله، قال الفرنسي

"مويط" يصفه خارجا من قصره للاستسقاء : "ويوم 17 مارس ارتدى كساء باليا وسخا وتعمم بعمامة رديئة وخرج حافيا من القصر رفقة حاشية بلاطه حفاة عراة الرأس يتبعهم جمهور المدينة على هيئة مماثلة، فزار في هذا الموكب جميع أضرحة أولياء ملته ودام ذلك من الصباح إلى الرابعة عشية !!.

السياسة الخارجية : تحرير الموانئ المحتلة : ماكان المولى إسماعيل ليتغافل عن واجب استرجاع الموانئ المغربية التي كان الأوربيون قد انتزعوهما في العهود السابقة، ولقد تم تحرير المعمورة منذ 1681، وتحرير طنجة سنة 1684 و تحرير العرائش سنة 1689، ويروى أن المغاربة عادوا من يومئذ إلى احتداء "البلاغي" الصفراء بعد أن كانوا يحتذون اللون الأسود من يوم باع الأمير السعدى ذلك الميناء من الإسبان سنة 1610.

وسنة 1694 أمر السلطان الباشا علي بن عبد الله بمحاصرة سبتة وامتد الحصار زهاء ثلاثين سنة بدون جدوى، لما أصبح للمضيق من الأهمية البالغة في الملاحة الدولية، حتى إن أنجلترا اغتنمت فرصة الحرب الأوربية التي اندلعت من أجل العرش الإسباني ابتداءمن 1700 لتحتل جبل طارق سنة 1704، فاشتد من يومئذ تمسك إسبانيا بسبتة وردت الهجومات المغربية بكل عنف.

الجهاد في البحر وافتداء أسرى المسلمين : اعتنى المولى إسماعيل بشؤون الجهاد في البحر لأسباب دينية وسياسية واقتصادية، وأما الأسباب الدينية فإنها كانت مترتبة على ضرورة حماية دار الإسلام الغربي، يوم أصبحت جرأة النصارى تزداد بفضل تفوقهم المطرد في الملاحة والمدفعية، فكان لامناص من الاستعداد لهم وكيل الضربات لهم، ولما كان كبار المجاهدين هم أبناء الأسر الأندلسية اللاجئين بالموانئ المغربية، فان الدولة العلوية الناشئة كانت في حاجة إلى مراقبة غزواتهم لما كان لها من العواقب في الداخل وفي الخارج، وحيث كان خمس الغنائم من الجهاد لبيت المال شرعا، فإن المولى إسماعيل حرص حرصا شديدا على أن تكون مقاليد الجهاد في البحر بيده، سيما وأنه كان مسؤولا بصفة كونه الإمام والقائد الأول، عن افتداء المسلمين الذين كانوا يقعون أسرى ببلد القراصين الأوربيين، سواء كانوامغاربة أو من غير المغرب ، مما نتج عنه جدل حاد بينه وبين لويس الرابع عشر الذي كان لا يقبل أن تجري المفاداة بين فرنسا والمغرب إلا بشأن رعية المولى إسماعيل فكانت الحمية الإسلامية تثور لذلك في نفسه.

العلاقات مع أوربا : تصدى المولى إسماعيل لتهافت التجار الأوربيين على شواطئ البلاد بما كان يفرضه الواجب الديني والمصالح السياسية والاقتصادية، فاحتاط منهم بجميع الوسائل وأوقفهم عند حدهم بالعنف تارة يوم انتزع منهم ماكان قد وقع بقبضتهم من الموانئ، وبالسياسة تارة أخرى بتتبع نزاعاتهم وحروبهم وضرب بعضهم ببعض، ودليل إدراكه التام للأوضاع السياسية (الأوربية) علمه بما كان لفرنسا من التفوق على باقي الدول آنذاك فكانت صداقة فرنسا مفضلة لديه، لا لصدارتها وحسب، ولكن لتحالفها مع الدولة العثمانية، مما كان يجعل التقرب منها في نظر المولى إسماعيل، والسلطان المؤمن الصادق، واجبا معنويا ،وذهب به الأمر إلى مد الرغبة في مصاهرة لويس الرابع عشر في إحدى بناته الأميرة دي كونتي (De Conti) ولم يتم من الأمر شيء لتنافر الطباع واصطدام الأنفتين ، فكانت العلاقات بين الأميرين محمومتين باستمرار ولكنها ظلت قائمة إلى أن توفي لويس الرابع عشر سنة 1715، وتهاون الوصي على العرش بعده بصداقة المولى إسماعيل فانقطعت الصلات الرسمية بين الدولتين ابتداء من سنة 1718 ودامت القطيعة إلى سنة 1767.

استقبال المولى إسماعيل بقصره بمكناس سفير فرنسا سنة 1693

وعلى النقيض من ذلك نشطت العلاقات المغربية الأنجليزية بما استقر من أوضاع أنجلترا الداخلية ابتداء من العقد الأخير من القرن السابع عشر، وسبب احتلال الأسطول الأنجليزي لجبل طارق سنة 1704 وحاجة أنجلترا من يومئذ إلى تزويد تلك المستعمرة من الموانئ المغربية ولتلك الغاية أبرمت معاهدة ود وصداقة بين الدولتين سنة 1721 ووضعت ضمنها واجبات كلتيهما وحقوقهما المتبادلة بكل دقة.

وأما العلاقات مع إسبانيا فلقد دخلها كثير من الفتور بسبب انهيار عظمتها منذ معاهدة وستفاليا (Westphalie) سنة 1658، وعجزها عن مسايرة التوسع الرأسمالي، وضعف شخصية ملكها كارلس الثاني ( Carlos II ) الذي ما إن وافاه الأجل المحتوم سنة 1700بدون خلف من صلبه، حتى قامت حرب عامة حول ولاية عهده، وفاز بالعرش في النهاية بعض أحفاد لويس الرابع عشر، وما كان ليغفر للمولى إسماعيل محاصرته لسبتة منذ 1694. ولكن سوء العلاقات بين الدولتين كان لايحول دون اتصال شواطئ

البلدين لجوارها وامتداد اتصالها عبر التاريخ ونشاط ميناء قادس على الخصوص في المبادلات التجارية العامة بين المغرب وأوربا.

وهكذا سار المولى إسماعيل مع باقي الدول، يتصدى لنوابها وتجارها كلما خرجوا من نطاق حرمة الدولة والسلطان ، ولايرى بأسا بمعاملتهم بالتي هي أحسن كلما وقفوا عند تلك الحدود.

المولى إسماعيل، *إلى ولدي المامون* ؛ م. الغساني، *رحلة الوزير في افتكاك الأسير*، حققه وترجمه إلى الإسبانية الفريدو بوستاني، طنجة 1940 ؛ م. الإفراني، *روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ أ. الزياني، *الترجمان المغرب*. م. الضعيف، *التاريخ* ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ إ.بوطالب، *العصر العلوي الأول*، ضمن مذكرات من التراث المغربي، الرباط 1985.

*S. I. H. M. la dynastie filalienne* (Série France, série Angleterre) ; Busnot, *Histoire du Régne de Moulay Ismail* (Rouen 1714) ; J. Windus, *A journey in Mequinez* (London 1725) ; H. De Castries, *Moulay Ismail et Jacques II, un sultan du Maroc* (Paris 1903) ; Chantal de la Veronne, *Tanger sous l'occupation anglaise en 1674*, (Paris 1972).

إبراهيم بوطالب

**إسماعيل بن عبد الملك** المعتصم السعدي، من أم تركية بنت باشا الجزائر مراد إدريس تزوجها عبد الملك خلال إقامته بالجزائر بعد فراره من المغرب عند تولي أخيه عبد الله الغالب عام 964 / 1558.

ولم تتحدث المصادر التي رجعنا إليها بتفصيل عن حياة هذا الأمير الذي ولد في أيام أبيه الأخيرة، حيث لم يصبح شابا يطمح إلى السلطة إلا أواسط عهد عمه المنصور (1578 ـ 1603).

كل ما يعرف عن هذا الأمير أنه لم يصحب أباه في حملته للدخول إلى المغرب عام 984 / 1576. وقد أرسل عبد الملك في طلب ابنه وزوجته (التركية) ليلتحقا به غداة انتصاره على المتوكل ابن أخيه. غير أن توقيت الطلب كان يوافق حالة من التوتر السياسي التي خيمت على علاقاته بباشوية الجزائر في إطار الصراع الثلاثي : الإيبيري / السعدي / العثماني. وحدث أن بقيت الزوجة في الجزائر بينما نقل ابنها إلى القسطنطينية قبيل وفاة عبد الملك في معركة وادي المخازن. ففي رسالة وجهها أحد متجسسي فيليب II (اسمه مورا) إلى ملكه بتاريخ 16 نوفمبر 1580 يتضح ما كان يمثله إسماعيل هذا في إطار العلاقات الصعبة بين الأطراف الثلاثة السابقة الذكر. (انظر نص الرسالة في مجلة *المناهل* عدد 14، ص 57 ـ 58). وتبين هذه الرسالة خلافا لما جاء في المصادر أن إسماعيل كان بالمغرب مباشرة بعد معركة وادي المخازن أي عام 988 / 1580، وأن الأتراك كانوا يريدون تنصيبه سلطانا بدل المنصور، ويشفع لذلك ما ذكره الفشتالي من أن ثورة عساكر النار الأندلسيين الذين ثاروا على المنصور مباشرة بعد المعركة كانت بإيعاز من الأتراك الذين كانوا يريدون تنصيب إسماعيل . قال صاحب *تاريخ السودان* إنه وقع :"الشغب بين أوساط الجند والعامة وأخذوا ينادون بأحقية الأمير الصغير إسماعيل بن المعتصم الموجود بالجزائر (؟) في الخلافة مستغلين سمعة المعتصم الملك الشهير الأمر الذي حذا بالمولى أحمد إلى الفرار..." خوفا من أن يقتلوه.

ونعرف كذلك أن الباشا حسن أغا تزوج أرملة عبد الملك وساند حق ابنها إسماعيل في وراثة الإمارة السعدية بعد أبيه، ودخل باسمه في نزاع مكشوف مع المنصور.

وتفاديا لذلك أرسل المنصور رسالة إلى ابن أخيه مؤرخة في 986 / 1578 يعترف له فيها بحبه له. وقد أرفق الرسالة بأنواع من الهدايا. يقول المنصور في تلك الرسالة :"فثق ـ حفظ الله شبابك، ويسر في أبواب الخيرات أسبابك ـ بأنك أحد أولادي وأخص من يحنّ إليه جأشي وفؤادي..." (*رسائل سعدية مخطوط* خ. ع ـ ك 278).

وكان إسماعيل قد بعث برسالة قبل ذلك، يشكره فيها على الهدايا التي أرسلها إليه مع أبي العباس أحمد بن يحيى الهوزالي. ولم نعثر في المصادر التي رجعنا إليها على تاريخ وفاته.

مجهول، *رسالة سعدية*، مخطوط، ح. ع. ك 278، ص 37 ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ ح. الطاهري، *تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان*، المطبعة الحجرية بفاس، 1324 / 1906 ؛ إ. شحاتة، *وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب*. الدار البيضاء 1979.

Delphin. *Journal Asiatique*, Avril - Juin 1922 p. 201 ; Ch. De la Veronne, *ROMM*. Nº 13 - 14 p. 397.

محمد مزين

**إسماعيل بن عبد المؤمن**، هو احد أولاد عبدالمؤمن الثمانية عشر وأمه بنت ماكسن بن المعز فهو يجمع رفعة النسب من الجهتين ولاشك أنه تلقى تربية مناسبة وتعليما على يد أساتذة مختارين، إذ أن الخلفاءالموحدين منذ عبد المومن كانوا معتنين غاية الاعتناء بتعليم أبنا ئهم.

وفي سنة 561 عينه أخوه الخليفة يوسف بن عبد المومن واليا علي أشبيبلية في إطار الحركة الإدارية الواسعة التي عزم عليها والتعيينات التي خص بها عددا من السادة إخوته. وبما أن إشبيلية كانت في الواقع هي عاصمة الأندلس لما أصاب قرطبة من انتكاسات، فإن تعيين إسماعيل بها يعني أنه كان عميد الولاة بالأندلس. ولاأدل علي منزلته من كون الخليفة لما قرر أن يقوم بتجديد البيعة له كأميرالمؤمنين سنة سنة 563 أسند إليه بكتاب رسمي أن يشرف بنفسه على أخذ البيعة من جميع جهات الأندلس. وكما ورد عند ابن صاحب الصلاة، أمره "أن يأخذ الناس بإشبلية وجميع الموحدين من الذين بها وببلاد الأندلس التي تحت طاعة التوحيد أدامه الله كقرطبة وأغرناطة ومالقة وغرب الأندلس لعقد البيعة الرضوانية التي بها يكمل دينهم ويصدق يقينهم" (*المن* ص 339) وقام إسماعيل

بالمهمة خير قيام إذ وردت على مراكش نصوص البيعات المختلفة عن مدن الأندلس الكبرى

وفي سنة 465 استدعي إسماعيل هو وجميع ولاة الأندلس إلى حضرة مراكش حيث أقاموا بضعة شهور ثم عاد إسماعيل إلى مقر ولايته في أوائل 565 هـ. وكان الوضع آنذاك بالأندلس لايخلو من صعوبات ومخاطر. فبالإضافة إلى ثورة ابن مردنيش كانت عمليات حرب الاسترداد نشيطة من جهة النصارى سواء في الجبهة القشتالية بوسط الأندلس أو الجبهة البرتغالية بغربها. وهذا ما حذا بالخليفة يوسف إلى دعوة ولاة الأندلس وقادتها العسكريين ليدبرمعهم خطة عسكرية تكون قمينة بردع الأعداء ووضع حد لضغوطهم على الثغور الأندلسية. وعاد إسماعيل هو وأخوه إبراهيم كل إلى مقر ولايته بالأندلس في صفر 564 هـ ورافقهما أخوهما أبو الحسن علي الذي عينه يوسف واليا على سبتة وأنظارها وجبال غمارة وأقطارها، مما يدل على اهتمام الخليفة بتأمين الطريق إلى الأندلس في الوقت الذي كان يخطط فيه لحملة كبرى لمواجهة هجمات النصارى بإسبانيا.

وفي سنة 565 هـ عرفت الأندلس زلازل كثيرة تهدمت من جرائها دور ومساجد، وبلغت هجمات النصارى إلى الجزيرة الخضراء واشتد حصارهم لمدينة بطليوس. فتوجه السيد ابو حفص إلى الأندلس لمواجهة الموقف الخطير هنالك، وكانت حملاته العسكرية في تلك البلادمقدمة لحركة الخليفة يوسف بالأندلس في سنة 566.

واتجه الجند الحربي الذي بذل قبل هذا التاريخ إلى القضاء على ابن مردنيش الذي رفض الخضوع للموحدين وقاومه أشد المقاومة. لكنه أصيب بمرض خطير وهو تحت حصار الموحدين بمرسية ومات، فما كان من ابنه هلال إلا أن استسلم للموحدين سنة 567 وجاء في موكب كبير من أعيان بلده وأنصار أبيه إلى إشبيلية وذهب السيدان إسماعيل ويحيى ابنا عبد المومن مع عدد من أشياخ الموحدين لاستقباله على أميال من المدينة وتميز إسماعيل أيضا بمزاياه كقائد عسكري ورجل حرب فنجده يشارك في الحملة على الكونت خمينو المعروف في المصادر العربية بالاحدب، وهو حاكم آبلة، ومنهاتوجه بجيشه لاختراق ربوع الأندلس العربية والعيث بمدنها ومزارعها ونهب ماشيتها في سنة 568. واستطاع الموحدون أن يحققوا نصرا حاسما على خصمهم قتل فيه الكونت خمينو قائد الحملة النصرانية.

ونجد إسماعيل في معركة وبذة يقود جند قبيلة جنفيسة، إذ وقع توزيع القيادات في تلك الموقعة حسب القبائل. وكان هو وأخوه أبو زكريا بتلمسان أسرى النصارى إثر الانتصار الكبير الذي أحرزه الموحدون على الكونت خمينو، المذكور آنفا وقام بتدشين الجامع الكبير الذي بناه الخليفة يوسف بإشبيلية وخطب فيه أول خطبة يوم الجمعة 24 من ذي الحجة سنة 577 وألزم الناس الصلاة فيه وكان المسجد الجامع بإشبيلية فيما سبق هو المسجد الذي بناه عمر بن عدبّس، الذي كان قاضيا بإشبيلية أيام عبدالرحمن بن الحكم الأموي، ولانجد بعد ذلك ذكرا لإسماعيل في المصادر فلعله قتل في إحدى المعارك الحامية التي جرت بالأندلس فيما بين 775 و 580 والتي حضر فيها الخليفة يوسف بنفسه وقتل في نهايتها. ويشير ابن عذاري إلى كثرة من مات من أعيان الموحدين في المعركة الأخيرة بقوله واستشهد في أثناء هذا الموقف جملة من أعيان الموحدين ورؤساءالأندلسيين فلعل إسماعيل كان من بين القتلى.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن الخطيب،*الإحاطة* ؛ م.ع. عنان ، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

**الإسماعيلي، التهامي** بن محمد. ولد في أواخر القرن التاسع عشر، هو من الطلبة الذين لم تساعدهم ظروفهم لإتمام دراستهم العلمية، فقد حفظ القرآن واعتنى بتلاوته وتعليمه حتى رُشح لتعليم القرآن بالمدرسة العصرية الاستعمارية المعروفة بمدرسة أبناء الاعيان. وكان يميل الى التزويق والتسطير والرسم، وله ألواح رائعة في الزخرفة والتنميق، بل له إلمام حتى بصناعة النجارة اذ كانت حرفة أبيه. يضاف إلى هذا صوته الحسن بالمديح النبوي فكان يحفظ صنائع موسيقية، الشيء الذي جعله يدرب بعض تلاميذه على بعض الطبوع الموسيقية في الحفلات المدرسية .وكان منخرطا في الزاوية التجانية وعرف بسمته الحسن، وتوفي بالرباط في 24 غشت 1938.

ع .الجراري، أعلام *الفكر المعاصر*.

عبد الإله الفاسي

**إسْمْكَينْ**، إبُورْكْ. لغويا : إسمكَين جمع إسْمْكْ، وهو الأسود أو العبد فيكون بيبورك إسمَكين هو المكلف بالعبيد أو صاحب العبيد في حاشية ابن تومرت. ذكره البيذق من جملة الأشخاص الأولين الذين بايعوا المهدي بن تومرت تحت شجرة خروب إلى جانب عبد المومن الكومي وإسماعيل الهزوجي وعمر أصْنَاگْ والبشير الونشريشي وغيرهم. لكن لم يرد له ذكر بعد ذلك في أخبار الموحدين، ولعله كان من العبيد.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*.

محمد زنيبر

**الإسْمَنْت**، CIMENT قطاع يحتل مركزا هاما في النسيج الصناعي الوطني ويمثل جانبا أساسيا في النمو الاقتصادي والاجتماعي للمغرب. فهو يمثل أحد المؤشرات الأكثر تعبيرا عن مستوى نمو الاقتصاد وذلك من خلال استعمالاته ودوره كمنشط لمجموع القطاعات الحيوية في اقتصاد البلاد كالفلاحة (سدود ـ قنوات ) والتجهيز (طرق ـ موانئ) والبناء (سكن) والصناعة. وهذا الدور يزيد عبرة في بلدان العالم الثالث حيث حاجيات التجهير أكثر أهمية. من هنا يأتي التزايد المطرد في استهلاك الإسمنت.

كان هذا حال المغرب الذي عاش هذا التزايد في وتيرة حاجياته خلال المخطط الخماسي 1973 ـ 77 وخاصة منذ 1974. فلمعالجة الخصاص، لجأ المغرب إلى استيراد كتلي (102000 طن سنة 1971 ـ مليون طن 1977). ولوضع حد لهذا الخصاص، وقصد توفير اكتفاء ذاتي من هذه المادة الأساسية، انطلقت الدولة في برنامج نشاط يسعى إلى إرساء مقدرات جديدة وذلك بتوسيع الوحدات المتوفرة وإنشاء وحدات جديدة كمصانع وجدة وتمارة وبوسكورة. وهكذا توقف تيار الاستيراد وصار السوق في وضعية توازن بل بفائض للعرض بالنسبة للطلب.

وقد ساهم في هذه الوضعية الجديدة نوع من التوقيف عرفته حركه البناء ابتداء من سنة 1984. ونورد كمثال لاستهلاك الإسمنت سنويا من طرف الفرد الواحد سنة 1986، نجد أن مقدار هذا الاستهلاك يصل إلى 523 كيلو في البرتغال، 392 في فرنسا، 350 في تونس و170 فقط بالنسبة للمغرب.

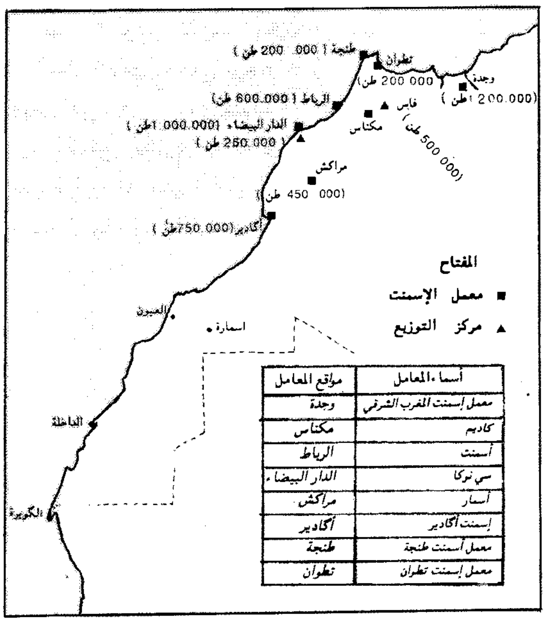


**مواقع معامل الإسمنت بالمغرب**

والإسمنت مادة ظهرت لأول مرة في أواسط القرن التاسع عشر حيث قبل ذلك كان الجبس والجير والخشب هي المواد القاعدية لكل تشييد. فالرومان مثلا كانوا يستعملون في بناياتهم لحاماً هو عبارة عن خليط من الجير والرماد البركاني.

وقد اكتشف الإسمنت من طرف أنجليزي، استطاع بعد خلط الرمل والمادة المكتشفة أن يحصل على حجارة ملحومة صلبة. شبيهة بالحجارة المستخرجة من مقالع جزيرة يورطلند. ويكون الكلس والطين العناصر الأساسية لهذا الإسمنت، يخلطان ويعرضان للطهي والاحتراق. وقد أدخل الإسمنت إلى المغرب من طرف الإسبان قبيل سنة 1900، لكن استعماله لم يعمم إلا بعد 1912.

تاريخ الإسمنت في المغرب : منذ 1912 انطلق تيار استيراد هام للإسمنت قصد تشييد ميناء الدار البيضاء. وفي السنة الموالية تم إنشاء أول مصنّع في ضواحي البيضاء. طاقته 10000 طن. وفي هذا الوقت كان تحضير المادة يدوياً، بينما كان النقل يقع على ظهر الجمال، والطهي في أفران عمودية. إلا أن تزايد الحاجيات جعل المسؤولين يقدمون على توسيع هذه الوحدة سنة 1914 لتصل الطاقة الانتاجية إلى 70000 طن سنة 1930. وفي سنة 1931 قررت عصرنة المعمل وذلك بتعويض الأفران الأصلية الصغرى بفرن رحوي، وإضافة ثلاثة أفران جديدة. وهكذا ارتفعت الطاقة الإجمالية إلى 600000 طن، مما سمح بتصدير الإسمنت نحو الجزائر وتونس. وغداة الحرب العالمية الثانية، انطلق معملان جديدان، أولهما سنة 1952 بأگادير والثاني سنة 1953 بمكناس، ثم معملان آخران في الأقاليم الشمالية في طنجة وتطوان.

وهكذا صارت الطاقة الإجمالية قبيل الاستقلال تساوي 900000 طن من الإسمنت، يتم إنتاجها في 5 معامل مغربية.

في وسط الستينات وتحت ضغط حاجيات متزايدة ارتفع الاستهلاك ليصل إلى 2 مليون طن سنة 1974، وقد انطلق استيراد كتلي وصل إلى مليون طن سنة 1977 دون أن يشبع مجموع الحاجيات.

لذا ففي إطار التصميم الإسمنتي، تم توسيع الوحدات القديمة وإنشاء ثلاثة معامل جديدة (مراكش سنة 1974 بطاقة 450000 طن، تمارة سنة 1979 بطاقة 550000 طن ووجدة كذلك 1979 وبطاقة 1200000 طن). هكذا توصول المغرب سنة 1979 إلى الاكتفاء الذاتي بل تم التفكير في تصدير الفائض. وفي سنة 1983 وقع إحداث معمل بوسكوره. بطاقة مليون طن سنويا، وذلك لتعويض المعمل البيضاوي القديم، الذي أغلق لما كان يتسبب فيه من تلويث حضري، وبسبب استنفاذ المواد الأولية. حاليا، صارت الطاقة الاجمالية تساوي 5,5 مليون طن، بينما لايتعدى الاستهلاك 4,3. ويتم هذا الانتاج في 8 معامل موزعة توزيعا متوازنا داخل البلاد.

| المعمل | سنة الإنطلاق | عدد الأفران | الطاقة الإنتاجية بالأطنان | طريقة الصنع |
|---|---|---|---|---|
| لافارج * | 1913 | 5 | 950.000 | الرطبة |
| مكناس | 53 | 2 | 650.000 | الجافة |
| أگادير | 52 | 3 | 420.000 | نصف الجافة |
| تطوان | 54 | 2 | 250.000 | نصف الجافة |
| طنجة | 53 | 1 | 240.000 | رطبة |
| مراكش | 76 | 1 | 500.000 | جافة |
| المغرب الشرقي | 79 | 2 | 1.200.000 | جافة |
| تمارة | 79 | 1 | 600.000 | جافة |
| بوسكورة | 83 | 1 | 1.000.000 | جافة |

معامل الإسمنت المغربية

* معمل متوقف سنة 1987

تعريف الإسمنت ونموذج إنتاجه : الإسمنت عادة مصنوع من خليط من الكلس (بنسبة 80 ٪) والطين (بنسبة 20 ٪). تختلف تقلبات الصنع حسب صفاء المواد الأولية ونوعيتها. ويمكن التفريق بين ثلاث تقنيات :

- الطريقة الرطبة هي الأقدم، يتم التخلي عنها لأسباب طاقية. تقتضي مزج مواد المقالع في الماء بعد تهشيمها قبل تصفية وتجنيس العجين النيء.
- الطريقة نصف الجافة تعني تصفية العجين من الماء أو خلطه مع مسحوق جاف للحصول على نفس النتيجة.
- الطريقة الجافة الأبسط والأقل تكلفة، حيث يتم تجنيس المواد المسحوقة دون تبليلها.

ويتم الطهي في أفران رحوية، تختلف حسب تقنية التحضير وتتوالى عدة عمليات خلال الطهي. في البداية تبخر الماء. ثم نزع الكربون ابتداء من 750 درجة. وأخيراً بين 990 و1450 درجة تتكون مركبات حديد ـ ألمينية، الميئات وسلكاتات الكلس التي تعتبر قواعد مادة "الكلنكر".

عند مخرجه من الفرن، هذا الكلنكر يمر عبر مبردات، قبل أن يتم تهشيمه إلى مادة حبيبية تنقل إلى مخازن خاصة ومنها إلى مطاحن حيث تخلط مع عناصر إضافية تدخل في تركيب الإسمنت هي الجبس بنسبة 5 إلى 7 ٪ والرماد البركاني.

وتتضمن المادة النهائية عدة أنواع، كل منها له استعمالات خاصة، وتستجيب هذه الأنواع لقوانين تصنيع مضبوطة. وقد وضع هذا التقنين سنة 1970.

حاليا الأنواع الثلاث المصنوعة هي الإسمنت 45 و35 و25. أولها يستجيب لمتطلبات صلابة عالية ويتكيف خاصة مع صنع الخرسانة المسلحة ويستعمل لبناء السدود والموانئ والعمارات الكبرى، ويستعمل النوع 35 للبنايات العادية وخاصة الدور الفردية. أما النوع 25 فهو يخصص للتغطية. كما تستورد أنواع مثل الإسمنت الأبيض.

*وثائق شركة إسمنت المغرب الشرقي.*

عبد الجليل الحسني

**أسمير**، نهر ينبع من جبل زمزم بقبيلة الحوز قرب تطوان، ويسقي مساحة تفوق ألف هكتار، وتصب مياهه بالبحر الأبيض شمال رأس الطرف أي بين قرية المضيق ومصب نهر النكرو. وقد ذكره بهذا الاسم الجغرافي البكري الذي قال إنه ينبع من جبل الدرقة (جبل درسة حاليا)، وفي حين أن الشريف الإدريسي أطلق اسم أسمير على نهر بورقراق الذي يفصل بين مدينتي سلا والرباط. وكان نهر أسمير في الماضي يكون فصل الشتاء مستنقعات هائلة، تشهد على ذلك البحيرة التي توجد بالقرب من مصبه، ومساحتها 500 هكتار، بسبب هذه المستنقعات اضطر الجيش الإسباني الذي خرج من سبتة غازيا أرض المغرب سنة 1860 أن يظل متوغلا فى أوحال الطين مدة أسبوع كامل من يوم 4 إلى يوم 11 يناير دون أن يتمكن الأسطول من مده بما كان يحتاج إليه من مؤونة ومعدات، فانتشر الطاعون في صفوف الجيش وهذا ما جعل الصحافة الإسبانية في ذلك العهد تطلق على المكان اسم معسكر الجوع.

أ. البكري ، *المغرب في ذكر إفريقية والمغرب* ؛ م. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ م.داود ، 6،47. *تاريخ تطوان*، 4. 17.

Alarcon (P. A.) *Diario de un testigo de la guerra de Africa*, 1t. 1p. 238 Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa* 1930, t. 2. p 49. Domenech Lafuente (Angel) *Geografia de la zone norte del protectorado de Espana en Marruecos* 1942 p 41 Cabello Alcaraz (J) *Apuntes de geografia de Marruecos.*

محمد ابن عزوز حكيم

**أسمير** (كونت ـ) Conde de Asmir أحد الألقاب الشرفية التي منحتها الملكة الإسبانية إيسابيل الثانية (Isabel II) لبعض الجنرالات الذين شاركوا في الحرب ضد المغرب يوم 22 اكتوبر 1859. وصدر المرسوم الملكي بمنح اللقب المذكور إلى الجنرال خوسي دييث إمارطينيث Jose Diez y Martinez يوم 29 يونيو 1866. ذلك أن الجيش الإسباني كان قد غزا أرض المغرب انطلاقا من سبتة يوم 19 نوفمبر من السنة المذكورة، وفي يوم 6 يناير من السنة التالية وصل الجيش إلى وادي أسمير بقبيلة حوز تطوان فلم يستطع عبور النهر المذكور لكثرة مياهه وأوحاله الناتجة عن الأمطار الطوفانية والعواصف الشديدة التي عرفتها تلك الناحية يوم وصوله إليها ، لدرجة أن هذا الجيش ظل هناك محاصرا من طرف المغاربة دون أن يتمكن من الرجوع إلى الوراء ودون أن يستطيع الأسطول إمداده بما كان يحتاج إليه من مؤونة، إلى غاية يوم 13 من نفس الشهر، وهذا ما جعل الإسبانيين يطلقون على المعسكر الذي ظلوا فيه اسم معسكر الجوع، Campaments del hambre

وعندما انقطع المطر وهدأت العاصفة لم يكن من السهل على القوات الإسبانية عبور النهر لكثرة الأوحال وغزارة المياه، ورغم ذلك تطوع الجنرال صاحب الترجمة وهذا ما جعله يستحق في نظر دولته لقب كونت أسمير.

ولد صاحب اللقب سنة 1810 وتوفي يوم 24 أبريل 1871.

Castillo. *La Guerra de Africa*, Madrid 1861, Garcia Figueras (T) *Recuerdos centenarios de la guerra de Africa*. Madrid 1961.

محمد بن عزوز حكيم

**اسنادة**، قصبة توجد بالمدشر الذي سميت عليه بفرقة الواديين من قبيلة بني يطفت الريفية ، وكانت تعرف ب "تران بادس" (عين بادس) وذلك لأن منها كانت تجلب المياه الصالحة للشرب إلى مدينة بادس، ووجود هذه القصبة في العهد السعدي ينفي ما يدعيه البعض أنها من القصبات التي أمر السلطان مولاي إسماعيل ببنائها، وكل ما في الأمر هو أنه في عهد السلطان المذكور تم ترميمها وإقامة حامية عسكرية بها.

وقد لعبت قصبة "تران بادس" دورا مهما في الحرب الأهلية التي عرفها المغرب بعد موت عبد الله الغالب،

ومهاجمة محمد المتوكل من طرف عمه عبد الملك الغازي، وظل المتوكل يحارب من أجل استرجاع عرشه أكثر من سنة إلى أن اضطر إلى اللجوء إلى قصبة "ثران بادس" يوم 9 رمضان 985/20 نوفمبر 1577. وفي اليوم التالي وجه إلى الحاكم الإسباني بجزيرة بادس خوان دي مولينا Juan de Molina رسالة يطلب منه فيها إخبار الملك فيليب الثاني Felipe II بوصوله إلى القصبة المذكورة.

وبعد ثلاثة أيام أي في 23 نوفمبر وجه المتوكل رسالة أخرى إلى العاهل الإسباني يطلب منه مساعدته لاسترجاع عرشه ، وعلى إثر ذلك اجتمع مجلس الحربية الإسباني بمدريد يوم 13 ديسمبر 1577 وقرر منح المتوكل حق اللجوء إلى جزيرة بادس صحبة أفراد أسرته وإحاطة ملك البرتغال دون سيبستيان Don Sebastian علما بذلك .

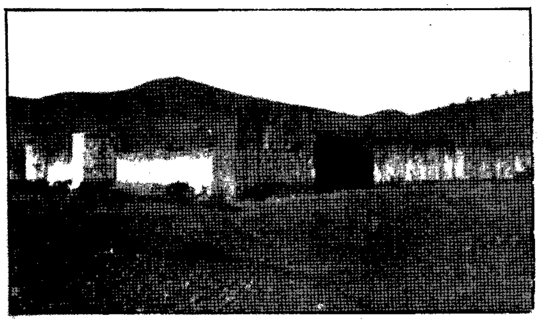

قصبة اسنادة بقبيلة بني يطفت

وبعد ستة أيام أخبر الملك فيليب الثاني سفيره بلشبونة بوجود المتوكل بقصبة "ثران بادس"، وبأنه طلب منه المساعدة، غير أنه لم يوافقه على ذلك لأن إسبانيا قد اعترفت بأن التدخل في المغرب هو من حق البرتغال وحدها.

وأجابه الملك البرتغالي يوم 30 ديسمبر قائلا إنه يجب على الحاكم الإسباني بالجزيرة المذكورة أن يعامل المتوكل معاملة الملوك ويرحب به في الجزيرة في حالة ما إذا لجأ إليها مع إشعار العاهل البرتغالي بذلك ، وهو ماأمر به عاهل إسبانيا حاكمه بالجزيرة يوم 20 يناير 1578. كان المتوكل لازال بقصبة "ثران بادس" عندما وصلت إلى جزيرة بادس ست سفن تحمل معدات حربية أرسلها ملك البرتغال إلى المتوكل، وفي القصبة المذكورة استقبل المتوكل يوم 25 يناير المبعوث البرتغالي الكومندار باسطياوُ كَونثا لفيث Bastiao Gonzalvez الذي جاء لإخبار المتوكل بأن دون سيباستيان على استعداد تام لإعانته ضد عمه مولاي عبد الملك ، وقد ظل المبعوث البرتغالي بالقصبة إلى يوم فاتح فبراير.

ومن قصبة " ثران بادس" وجه المتوكل رسالته المشهورة إلى علماء وشرفاء وأعيان المملكة يحاول فيها تبرير طلبه المعونة من العدو ضد عمه يقول فيها إنه لم يقم بطلب المعونة من النصارى إلا رغبة منه في حماية المسلمين من طغيان مولاي عبد الملك ، هذه الرسالة التي نشرها بعض الباحثين بدون تاريخ. وقد استطعنا ضبط تاريخها وهو يوم 17 ذي القعدة 985/ يناير 1578 بفضل فهرسة الشريف الحسن بن محمد بن علي ابن ريسون المتوفي سنة 1055/1645 التي توجد النسخة الوحيدة منها بخزانة گارثيا فيگراس Garcia Figueras بمدينة شريش بإسبانيا.

وظل المتوكل المذكور إلى يوم 14 فبراير 1578 حيث توجه إلى الشاطىء الموالي لجزيرة بادس ليكون هناك مع ثلة من أتباعه تحت حماية المدافع الإسبانية، وذلك إلى غاية يوم 26 مارس حيث توجه بأمر من الملك البرتغالي إلى مدينة سبتة عن طريق البحر.

وقرية اسنادة مشهورة بوجود زاوية الشرفاء الوزانيين بها . وقد لعبت هذه الزاوية دوراً مهماً في تاريخ المقاومة المسلحة الريفية ضد الغزو العسكري الإسباني لشمال المغرب في أوائل عهد الحماية. وبها توجد المقبرة اليهودية الوحيدة بناحية الريف.

الحسن ابن ريسون، *فهرسة*، مخطوط.

ملف 38 و395، Archivo General de Simancas (España) guerra antigua.

محمد ابن عزوز حكيم

**أسْنُوس**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر الجبلية، اشتهر أفرادها بالعلم، فكان منهم العالم المؤقت العدل عمر بن النادي، وابنه العالم الأديب الشاعر مَحمد بن عمر النادي، ولم يبق اليوم أحد من هذه الأسرة بتطوان.

ع. سيكرج ، *نزهة الاخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 24 و26 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *familias ilustres de Tetuan* 1921 (A) Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo* 1929 (A). *vademecum de intervencionnes* (año 1931) 1932 (A). M. Ibn Azuz Hakim *Apellidos Tetuanies de origen español* 1949 (A).

**أسنوس، عمر** بن النادي. عالم وفقيه بقبيلة بني حزمر الجبيلة، ومنها انتقل إلى تطوان حيث كان مؤقتا بالمسجد الأعظم ويتعاطى في نفس الوقت العدالة من سنة 1235 / 1820 إلى سنة 1242 / 1827، ولم يخلف إلا ولداً واحداً اسمه امحمد . ولايعرف تاريخ وفاته .

م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : ص 248.

*Vademecum de intervenciones* (año 1931 (A). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen* espanol 1949 (A).

**أسنوس، مَحمد** بن عمر بن النادي عالم وفقيه وأديب وشاعر، ابن العالم عمر بن النادي، ولد بتطوان حيث نجده يتعاطى خطة العدالة من سنة 1271 / 1855 إلى سنة 1298 / 1881، وفي سنة 1312 / 1894 كان إماما ومدرسا بالزاوية الناصرية، وفي السنة التالية ناب عن قاضي تطوان، وعليه قرأ قاضي قضاة الشمال الفقيه احمد الرهوني.

توفي بتطوان في شهر ربيع الأول 1315 / غشت 1897 ودفن بالزاوية الحراقية.

الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : ص 114 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 5، ص 231 و 272، 7 : ص 252.

Delegacion de Asuntos *Indigenas, familias ilustres de Tetuan* 1921 (C) Isidro de las Cagigas *familias tetaunies de abolengo* 1929 (A). *Vademecum de intervencion (año 1931)* 1932 (A). M. Ibn Azzuz Hakim, *apellidos tetunies de origen espanol* 1949 (A).

محمد ابن عزوزحكيم

**أَسْنِي**، يطلق على حوض فلاحي يمتد على ضفاف وادي غيغاية بالأطلس الكبير جنوب مراكش، يخترقه الطريق الثانوي 501 الرابط بين مراكش وتارودانت عبر تِيزِي نْ تَاسْتْ. كما يطلق هذا الإسم بنفس الحوض على مَرْكَز إداري وسوق أسبوعي، وعلى دوار كبير يعرف بقصبة أسني، ويقع بالطرف الجنوبي لهذا الحوض عند نقطة يضيق فيها ليتحول إلى واد ضيق هو وادي غيغاية الأعلى، كما يطلق على جماعة قروية تابعة لدائرة تحناوت بإقليم مراكش تبلغ مساحتها 367 كلم2 وسكانها 12.308 نسمة (1982).

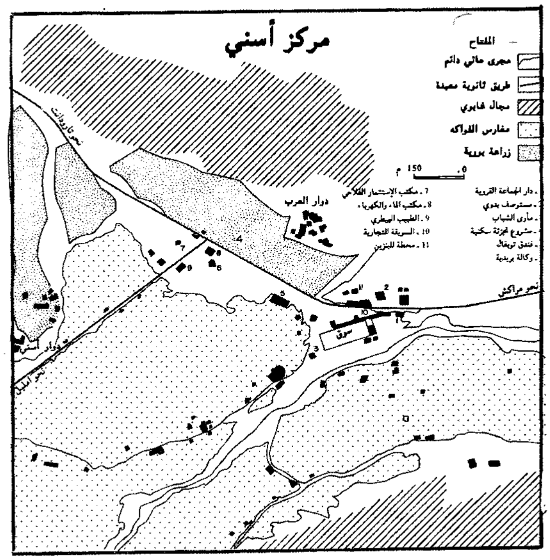


قرية أسني : يعتبر دوار أسني منطلق التسمية، وهو يقع بموضع يجمع بين ميزات فلاحية واستراتيجية ودفاعية. فهو يقع عند التقاء مجالين فلاحيين متكاملين، هما حوض أسني المسقي، الذي يمتد أسفله، وتلال مسطحة القمم ضعيفة الانحدار تقع عالية عند عاليته، تستغل في الزراعة البورية للحبوب والرعي، كما تشرف عليها جبال غنية بغاباتها، وتشرف من موضعها المرتفع على مدخل وادي غيغاية، وعلى الطريق المار أسفلها نحو إمليل وسيدي فارس بجبل إفغان، وتراقب من بعيد الممر التاريخي العابر للأطلس الكبير عبر تيزي نْ تَاسْتْ، لاتزال قرية أسني متسمة بالطابع الريفي، إذ تتكون من سبعة تجمعات سكنية تنتشر على منحدر متموج تقطعه مسيلات وأخاديد. يتميز بينها تجمع سكني قديم يوجد بأعلى المنحدر هو القصبة، ويعتبر النواة الأصلية للقرية، لازال يطغى على جل المنازل الطابع الجبلي فهي تتكون غالبا من طابقين، يخصص الطابق الأرضي للمواشي والعلف وأدوات العمل، ويخصص الطابق العلوي لسكن الأسرة، وتتخلل القرية أزقة ملتوية، تختلف في اتساعها من جهة أخرى، ولاتحظى من وسائل التمدين الحديث سوى بالكهرباء التي وصلتها منذ سنة 1960، لكنها تتوفر على بعض مظاهر التمدين التقليدية، مثل الحمام والفران والمسجد والكتّاب بالإضافة إلى عدد من الدكاكين (26). أما الماء الشروب فيحصل عليه السكان من الواد أو من بعض العيون.

يعمر القرية وكذلك الحوض ساكنة بربرية مصمودية متجانسة من صلب قبيلة غيغاية تتكلم لهجة "تاشليحت"، كما استوطن القرية منذ القديم بعض اليهود لما وجدوا بها من امكانيات تجارية مهمة. وقد وصل عددهم قبل هجرتهم الجماعية في بداية الخمسينات إلى 30 أسرة. ويجهل السكان المحليون دلالة التسمية، ويفسرها بعضهم بشمع النحل، كما يفسرها آخرون بالعقدة أو الرباط أو الرُكوب، باعتبار أنَّ القرية مرحلة مهمة تلتقي فيها عدة طرق ومسالك. لقد أضفت وظيفة العبور ومناعة الموضع وسعة الحوض الزارعي أهمية اقتصادية، واجتماعية على قرية أسني منذ القديم.

صورة جوية لوادي أسني

لقد كان للتحولات الاقتصادية الحديثة انعكاسات على قرية أسني، فعرفت توسعا عمرانيا لتزايد سكانها وظهور مداخيل وأنشطة حديثة، مما جعلها تحتفظ بدورها كقرية كبيرة، رغم أن تزايد سكانها كان متوسطا، خلال العقود الثلاثة الأخيرة، 795 ن سنة 1960 و910 ن سنة 1982. وجل

السكان من أسر الفلاحين الصغار الذين يمتلكون بقعا مجهرية تقل عن نصف هكتار بالمجال المسقي بالحوض، لكنها تتسع في المجال البوري بالتلال، وينمو مسلسل رسملة الإنتاج والعلاقات بتحول عدد متزايد من السكان إلى عمال زراعيين في البساتين العصرية كما يهاجرون إلى خارج المنطقة.

حوض أسني : هو بهرة تمتد على طول واد غيغاية لمسافة 6 كلم من الشمال نحو الجنوب، تتكون من صخور هشة : طين وطفل وحث برموترياسي، حفرها الواد مستغلا وجود فالق طولي، كون منطقة ضعف صخرية، يشرف عليه من الجهة الغربية على علو 300 م إفريز هضبة كيك الكلسي. ومن جهة الشرق حافة هضبة إفغان، ويتميز الحوض بتربة سمراء غنية. تقدر مساحة الحوض بحوالي 1300 هـ، يتراوح ارتفاعه بين 1200 م بالعالية و1100 م بالسافلة يتميز باعتدال أمطاره : 486 ملم/ سنة ورطوبته النسبية وجودة مناخه، وقد فقد غطاءه الغابوي بسبب قدم الاستغلال البشري، وكان يستغل سابقا في إطار زراعة تقليدية واسعة للحبوب مع العناية بأشجار قليلة للزيتون وتربية المواشي، لكن جودة مناخه ووفرة مياهه وقربه من مراكش جعله أول هدف للاستغلال الفلاحي الاستعماري بالمجال الجبلي للأطلس الكبير، إذ حصل عدد من المعمرين على أجود الأراضي وأوسعها بضفاف الواد، وأقاموا مزارع عصرية شجرية ثمينة، أهمها التفاح الذي انتشر من هنا إلى باقي الأودية والأحواض الجبلية بالأطلس الكبير الغربي.

وبعد الاستقلال عرف مسلسل التحولات الاقتصادية الرأسمالية دفعة قوية، فتحولت أكبر ضيعتين استعماريتين إلى مزرعتين نموذجيتين تحت إشراف شركة التنمية الفلاحية (صودية) وشركة إدارة الأراضي الفلاحية (صوجيتا) وامتلك عدد من الملاكين الحضريين وأعيان المنطقة مزارع عصرية للفواكه. كما تحول الكثير من الملكيات الصغيرة التقليدية إلى زراعة الفواكه خاصة التفاح، الذي أحدث بوادر "ثورة خضراء" بالمنطقة. ويعتبر هذا من خصوصيات حوض أسني.

ونظرا لارتفاع أثمنة الأرض الزراعية، إد تكاد تعادل أثمنة البقع المخصصة للبناء، لأن مدخولها من التفاح يعادل مدخولها من كراء السكن لو بنيت، فإن حركة دمج الأراضي تسير ببطء كبير، ولازالت البساتين الصغيرة والمجهرية منتشرة بأطراف الحوض.

المركز الإداري والتجاري الحديث لإسني : لقد عملت السلطات الإستعمارية على تحويل مركز النّقل الاقتصادي والاجتماعي من قرية مولاي إبراهيم القريبة (5 كلم) بهضبة كيك، إلى حوض أسني خاصة بعد بناء وترصيف الطريق الثانوي 501، فأقامت عددا من المنشآت الإدارية والإقتصادية منها مركز الدرك ومستوصف ومأوى الشباب وفندق ومتاجر، كما نقلت إليه السوق الأسبوعي الذي كان يعقد سابقا بمولاي إبراهيم، وبذلك ظهر مركز أسني الحديث المرتبط بالطريق في مكان يتوسط الحوض بعيدا عن القرى القديمة التي تنتشر بهوامش الحوض. وقد تدعم هذا المركز بعد الإستقلال ببناء عدد من الإدارات والمصالح التقنية وتجديد منشآت السوق الأسبوعي الذي صار يعتبر من أنشطة الأسواق بالمنطقة، مصنف بالدرجة الثانية. كما ظهر ببابه سويقة دائمة النشاط، تتكون من 8 مقاهي شعبية وعصرية و56 دكانا، كلها مبنية بالإسمنت بطريقة عصرية ومجهزة بالكهرباء والماء الشروب.

وبدأ ينتشر حول هذا المركز سكن متفرق، إما للملاكين الحضريين أو أرباب المهن غير الفلاحية كالإداريين والفنيين أو بعض الملاكين المحليين والعمال الزراعيين.

*بحوث ميدانية.*

أحمد هوزالي

**أَسُول**، قصر من قصور قبيلة أيت مرغاد في السفح الجنوبي للأطلس الكبير الشرقي بحوض وادي غريس، والكلمة واردة في أسماء الأماكن في صيغة الجمع إيسْوَالْ ولكن الصيغتين غير مستعملتين الآن في التداول اليومي في اللغة الأمازيغية. ويعتقد إيميل لاووست (E. Laoust و *Contribution*,16) أن الكلمة صيغة أخرى لإسلي الذي يعني الصخر. وينطبق هذا التفسير بشكل كبير على موقع قصر أَسُولْ الصخري وكذلك على موضع آخر يحمل اسم إيسوال صيغة الجمع لأسول والذي يوجد بالسفح الشمالي للأطلس المتوسط شمال غربي قرية عين اللوح.

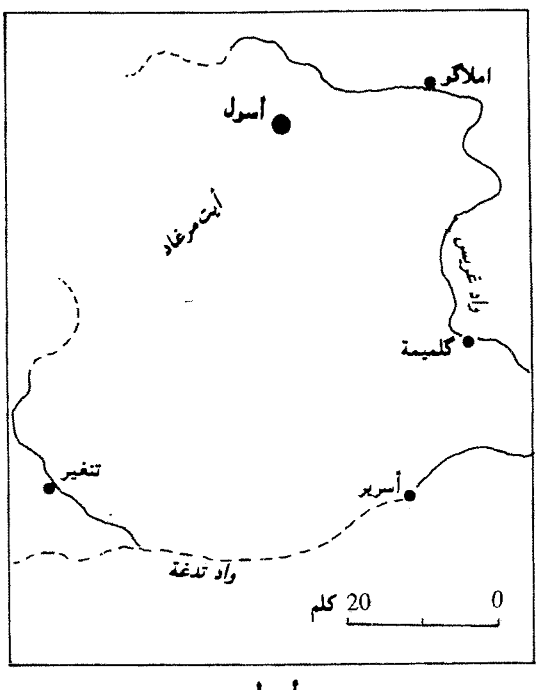


**أسول**

وقد اشتهر قصر أسول بكونه مقر ضريح الشيخ سيدي أبي يعقوب وزاويته، وهو أحد أبناء مولاي عبد الله أمغار

الصغير الذي هو بدوره أحد حفدة مولاي عبد الله أمغار الشريف الإدريسي الذي أسس رباط تيط بمنطقة دكالة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. وقد بلغ تأثير هذا الشيخ في المنطقة إلى حد ظهور فخدة تحمل اسمه بالمنطقة وتشتهر بقداستها في حوض غريس كله. ومولاي عبد الله أمغار الصغير والد أبي يعقوب هو شيخ سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي مؤسس الطريقة الجزولية في المغرب في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، وهذا ما يجعلنا نحدد تاريخ تأسيس زاوية سيدي بويعقوب التي اشتهر بها قصر أسول في نهاية القرن 15 أو بداية القرن 16 الميلاديين وبهذا تكون الزاوية قد أسست في فترة اتسمت بانتشار الحركة الصوفية بالمغرب. ولكن الشهرة التي اكتسبها أبناء الشيخ سيدي أبي يعقوب في المنطقة لا تفهم إذا لم نأخذ بعين الاعتبار الوضعية التي يقوم بها الشيخ الصوفي والسلالة المقدسة المنحدرة عنه في تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان. وقد عظم نفوذ سلالة شيخ أسول في هذا المجتمع حتى إن كل القوات السياسية المغربية في القرون 17 و18 و 19 م تعتمده في سياستها التهدئية لدى قبائل هذه المناطق. وقد ظهر هذا الأمر بصفة جلية لما بسط أهل الدلاء نفوذهم في منطقة غريس في القرن 17 م وفي سياسة المولى إسماعيل تجاه كتلة أيت أومالو في نهاية القرن 17 وبداية القرن 18 الميلاديين.

De la Chappelle, *Moulay Ismail et les Sanhaja du Moyen Atlas* ; L. Reynier, *Le Document de Sidi Brahim* ; C. Henry, *Les Ait Sidi Bouyagoub*, C. H. E. A. M. ; *Les Ait Morghad* ; E. Laoust, *Contribution* ; L. Mezzine, *Le Tafilalet.*

العربي مزين

**أسُول**، مُعتقل من المعتقلات الصحراوية التي حشر فيها الفرنسيون الوطنيين المغاربة إبان الأزمة السياسية لسنة 1953. يَقع شمال أَغْبَالُو نْكردوس ويَبعد عن أَمَلاَّكُو بنحو ثلاثين كيلوميترا. يسقط فيه الثلج بغزارة أيام الشتاء. وقد نُفي إليه محمد الرشيد ملين رئيس حزب الأحرار في أوائل سنة 1953، حيث حُبس في بيت ضيق لا هواء فيه ولا نور، ولم يكن قد استعدَّ لمثل لذلك الطقس البارد، على ضعف بنيته واختلال صحته فقاسى من أهوال البرد والجوع وسوء المعاملة ما سجله في كتاب *فصل الشتاء في أسول* أو الكفاح السياسي لحزب الأحرار.

كانت أسول ـ حسب مشاهدة المؤلف ملين ـ تحتوي على سوق تحيط به دكاكين وقليل من المنازل، ومدرسة صغيرة يقصدها بعض الأطفال ومستوصف لم يره المؤلف يوماً مفتوحا، ومحكمة بربرية يأتي إليها أعضاء الجماعة يوم الجلسة في ثياب فضفاضة بهيجة. إضافة إلى دار الحاكم العسكري الفرنسي ومكتبه وإصطبله، ومعسكر وكنيسة وسجن. وكان من الوطنيين المنفيين بأسول آنذاك أيضا مصطفى نحوسة الخنيفري من عائلة موحا وحمو الزياني.

م. الرشيد ملين، *فصل الشتاء في أسول* أو الكفاح السياسي لحزب الأحرار، (القسم الأول) الرباط (د.ت) ؛ م. المختار السوسي، *معتقل الصحراء*، 25.

محمد حجي

**أسولين أبراهام**، كبير أحبار مراكش (القرن 18 ـ 19).

**أسولين ليفي**، حبر بسلا، ثم بالقسطنطينة، مؤلف *سفر ربحي إلهيم*، حول قواعد الاضحيات (طبع بتونس) ومواعظ (ي . بنايم، مالخي ربانان) توفي عام 1903.

**أسولين، موشي**، حبر عاش بفاس وتارودانت في القرن السادس عشر. مؤلف *سيفير ديراشوط*، وهو مجموعة مواعظ (انظر ي . مالخي ربانان)

**أسولين، موشي**، متصرف جمارك طنجة، في عهد مولاي سليمان.

**أسُولين** ميمون، حبر بمراكش (القرن 18 و 19).

شمعون ليڤي

## أسيفاغ ← سمك

**أسيف أدودو** واد ينبع من جهة الأخصاص جنوبا ويمر جنوب غربي تزنيت ثم يمر بعد ذلك بأكلو حيث يصب في المحيط عند ضريح سيدي موسى. وصل إلى جهاته وجهات واد والغاس كل من السلطان مولاي إسماعيل، ومولاي الحسن، ومولاي يوسف (نونبر 1926)

أحمد التوفيق

**أسيف المال**، أحدُ أودية السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي في الحوض الهيدروغرافي لواد تانسيفت، وتعرف باسمه فرقة من قبيلة گدميوة ودوار منها وجماعة قروية. ومجال هذا الوادي مجاور لمجال سكساوة ولكنه تابع إدارياً لدائرة أخرى هي أمزميز. ويمتد أسيف المال على حوالي أربعين كلمتراً في مناطق جبلية متباينة المعطيات. وينبني اقتصاد السكان فيه على الزراعة وتربية الماشية كما هو الشأن بالنسبة لجميع أودية جبل درن.

وفي هذه المنطقة توجد إين ماغوس التي ذكرها البكري أو بلاد ماغوس كما عند البيذق. وفيه أيضا أماكن ذكرت في تواريخ الموحدين مثل أيت عثمان وأيت تبكاوْ، وذكر الوزان ومارمول أسيف المال وذكرا معاً أنه أسيف نوال أي واد الضوضاء، وهذا التأويل المبني على وضع النون مكان الميم غير مؤكد. والأكيد أن بهذا المجال آثاراً لرؤسائه الهنتاتيين مثل الجمعة الجديدة التي بناها إدريس الهنتاتي وبه أيضا مدينة تينزا وهي قديمة، وأسيف نوال عند ليون الإفريقي هو نفس أسيف المال وليس واد إمينْتانوت. والأصل في اسمه كما عند الزرهوني في *رحلة الوافد* هو أسيف مال على نحو أزْرومال أحد دواوير فخذة أيت گاير بعالية هذا الوادي نفسه. وفي هذا المعنى قد يكون ألْ أو ألاًّ هو العمق بمعنى واد الأعماق الدّاخل في الجبل. وقد

يكون "أسيف المال" أي وادي المال إذا كانت تستخرج منه فيما مضى معادن تصلح لسك النقود.

وبالمقارنة بين تعداد 1936 واحصاء 1971 نجد أن عدداً من دواوير أسيف المال أصبحت تابعة إدارياً لفخذة سيدي بوعثمان. ومركزها زاوية ذات إشعاع علمي وديني، زاد من أهميتها اكتشاف معدن الزنك والرصاص واستغلاله في هذه المنطقة.

أ. البكري، *المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب* ؛ أ.البيذق، *المقتبس من كتاب الأنساب* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ ح. *الوزان، وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *إفرقيا* ؛ ع. الزرهوني، *رحلة الوافد* ؛ أ. بلاوي، *بلدان أدرارن درن، دراسة جغرافية للأطلس الكبير جنوبي مراكش*، دكتوراه الدولة، جامعة تور، فرنسا.

M. Quedenfeldt, *Division et répartition de la population berbère au Maroc*. S. A. R. *Tensift*, MHAT -DAT-DEE, Rabat, 1981.

أحمد بلاوي

**الإسيكي**، علي بن أحمد. ولد عام 1288 / 1871 بقرية تاگضيشت من إساگنْ بكاف معقودة، من قبيلة أيت صواب، أخذ القرآن عن والده المعدود من القراء المعلمين في المساجد، وعن أستاذ مقرىء بهوارة. وحين أتم مراده من ذلك توجه لأخذ العلم عن أساتذة عصره، فافتتح عند العالم الشهير بالحاج عابد (عبد الرحمان ) التيفراسني البوشواري (ت. 1350 / 1932) المبادئ الضرورية لكل مبتدئ، ثم استكمل مرغوبه عن الفقيه الحسين الأسغركيسي، والعلامة الحاج علي التوفلعزتي والشيخ المنقطع النظير الحاج احمد بن عبد الرحمان الجشتيمي والعلامة الكريم الرباني الحاج الحسين الإفراني. وكل واحد من هؤلاء الأعلام كان في مدرسة خاصة تحيط به فيها ثلة من الطلبة العطاش للارتواء من حياض علومه وزبدة فهومه. ولما طفح للمترجم وعاؤه وامتلأ له إناؤه تصدر لنشر العلم وبذله لطالبيه في مدارس متفرقة : سيدي بومزگيدا وتوعلات وسيدي مسعود أفلوس وسيدي ابن هارون وسيدي مزال البودرقي وإساگن.

وهذه المدارس العتيقة كان أساتذتها يجمعون بين علوم الشريعة والحقيقة في الغالب إن كان بينهما فرق.

أخذ عن المترجم عدة مستفيدين صار لهم من بعد شأن كبير، منهم الأديب الكبير داوود التغاتيني الرسموكي، وللمترجم *مؤلف* حول زكاة ما هو للأحباس، ضمنه سبع ملاحظات وثلاثة مباحث، راجع فيه معاصره سيدي محمد ابن أحمد البزياوي الهشتوكي المشهور بتيفغرار. *وحاشية* على شرح السيوطي لألفية ابن مالك، *وطُرَرٌ* على مختصر السعد *وكتاب صغير* في ترجمة شيخه الإفراني الذي أذن له في التقديم لتلقين اوراد الطريقة التجانية لمريديها، كما أجازه بذلك الحاج الأحْسْن البعقيلي، وله *رحلة إلى الحج* في 4 قعدة عام 1351 رجع منها في 20 محرم فاتح 1352 محررة بخطه لم يزد فيها على ذكر ماقام به من أعمال الحج والزيارة. وحين رجع من هذه الرحلة هنأه تلميذه داوود بن عبد المنعم الرسموكي المذكور آنفا بقصيدة دالية في 31 بيتا من بحر الطويل مطلعها:

بمقدمك الميمون ياقمر السعد     تعطرت الارجا من الغور والنجد
وعم الهنا والسعد واليمن هذه     البقاع بمسراك المتاح على القصد

ولم يزل المترجم مقبلا على مايعنيه صارفا أوقاته في الأذكار وأنواع الطاعات إلى أن أجاب داعي ربه في الساعة 9 من نهار يوم السبت 22 شوال 1364 / 2 اكتوبر 1945 بداره إساگن رحمه الله. ورثاه تليمذه المذكور بقصيدة ميمية في 51 بيتا بنفس البحر مطلعها:

أسَالَ الآسى من شان عينيَّ عندما     وأودع أحْشائي لهيباً تضرّما
وأظلمت الآفاق واغبر لونُها     وعبّسَ وَجْه الكوْن أدكن أفحما
وغابت بُدُور المجد واحلو لك الهَوَا     وأوحش ربْعُ الفَضْل والدِّين مُظلما
غداة قضى الشيخ الأسيكي نحْبَهُ     وأقفر منْ رَسْم الهُدى ذلك الحما
إبو الحسنِ الرَّاكي عليٌّ بن أحمدٍ     إمامٌ جليَل فضلُه الكوْن أفعما

*مقيدات سوسية خاصة.*

رشيد المصلوت

**إسِينْ** (معدن ــ) منجم قديم كان يستخرج منه النحاس، موقعه بجهة إفران الأطلس الصغير عند قدم السفح الجنوبي لهذا الجبل. كان أهل إفران يستعملونه في بداية القرن السادس عشر لصنع أواني نحاس مطلوبة في أسواق السودان. وقد أكد مارمول بعد الوزان أن معدن النحاس المعروف عند السعديين بالصيني لجودته وصفائه كان يستخرج من هذا المكمن. وبموقعه كان للشريف السعدي محمد الشيخ حصن يسمى أفنسو (الحجر) وفيه يحصي المخزن السعدي المعدن المستخرج ويوزعه بمقادير معينة. وهذا ما يؤكد مراقبة السعديين لهذا المعدن.

ولربما كانت آثار هذا المكمن المعدني بادية اليوم في آثار بأكَجْگال (إسَّانْ) عند أيت تكني، وتقع هذه القرية شمال غربي فم الحصن على بعد 25 كلم شرق جنوب شرق إفران، إذ توجد بقايا معدنية للأورانيوم والنحاس وكذا آثارأشغال معدنية قديمة.

ح.الوزان، *وصف افريقيا* ؛ مارمول، *أفريقيا*.

B. Rosenberger, *Les Anciennes exploitations minières* ; D. J - Meunié, *le Maroc Saharien*, 2 : 742.

أحمد التوفيق

**إشْ**، كلمة أمازيغية معناها "قرن" جمعها "أشَّاوَنْ"، وتطلق عادة على قمة جبل حادة، وتكتب أيضا "إيش" وتنطق محليا "ييش"، وهي واحة صغيرة في أقصى شرق المغرب على مسافة حوالي 100 كلم شرق بوعرفة عبر طريق معبدة وعلى مسافة حوالي 70 كلم شمال فگيگ عبر مسالك وعرة.

وتحتل هذه الواحة موضعا على ارتفاع 1175 مترا في وادي إش وهو أحد روافد وادي الرمال الذي يمر قرب فگيگ في اتجاه رمال العرق الغربي شرق وادي زوز فانة. ويشرف على هذه الواحة عدد من التلال والجبال ذات القمم الحادة التي قد تكون مصدر تسميتها "إش"، وهي جبال كلسية وحثية توجد في قلب المنعطف الذي يصل بين

الأطلس الكبير الشرقي والأطلس الصحراوي. ويتميز هذا الوسط بمناخ قاحل ينعكس على غطاء نباتي هزيل لايحمي التربة من التذرية الريحية التي تحولها إلى كثبان رملية منتشرة حول الواحة.

تتكون الواحة من بساتين أقيمت على مدرجات في شكل شريطين على ضفتي الوادي، وقصر بني فوق مصطبة مشرفة على هامش الضفة اليسرى خارج المجال الزراعي. وتتميز واحة إش بوفرة المياه في شكل عيون يصرفها الواد على الدوام وبضيق المساحات المزروعة والمغروسة، ويعتمد في هذه الفلاحة على الري التقليدي بواسطة سواق تنطلق عبر البساتين من سدين تقليديين صغيرين يحجزان مياه الوادي. وقد اشتهرت هذه البساتين بجمالها وغناها، وخاصة بالأشجار المثمرة مثل التفاح والرمان والخوخ والتين والمشمش واللوز والجوز، إضافة إلى النخيل الذي تعتبر ثماره أقل جودة بحكم موقع الواحة في الحد الشمالي لنطاق التمر.

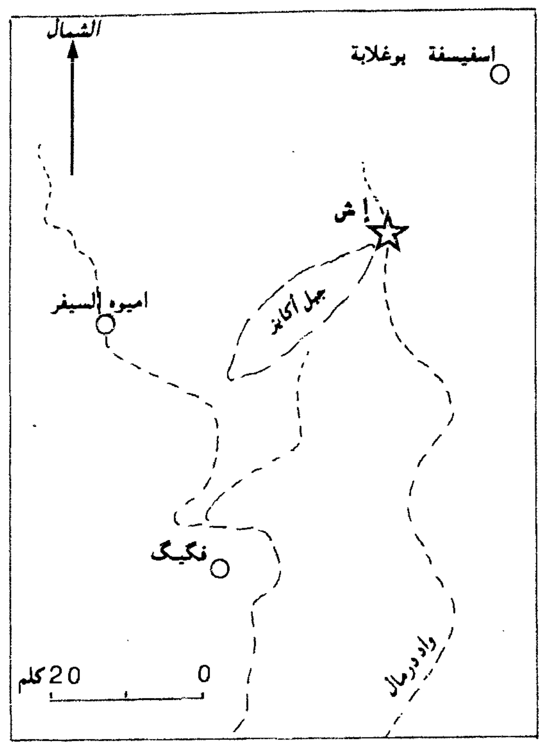


إ ش

أما سكان إش فيشكلون "جزيرة" من المستقرين، وسط بدو رحل من قبائل العمور، ويتكلمون الأمازيغية بلهجة فيگيگية، وهذا ماقد يرجع انتسابهم لبعض قصور فگيگ كما هو شائع في كثير من الروايات، وكما يتجلى ذلك أيضا في ارتباطاتهم التاريخية بأهل فگيگ.

عرف هؤلاء السكان الهجرة نحو البلاد المجاورة والبعيدة منذ القديم، وقد احتدت في العقود الأخيرة بشكل لافت للانتباه يؤكده تناقض عددهم بين الإحصاءات الرسمية : 476 ن سنة 1960 و445 ن سنة 1975 و 278 ن سنة 1982.

وقد ارتبطت هذه الهجرة أول الأمر بعلاقات اقتصادية كانت سائدة وخاصة مع فگيگ وعين الصفراء، ثم تطورت بعد ذلك في اتجاه بوعرفة - التي عرفت نموا كبيرا - ووجدة ومكناس والدار البيضاء، بل وحتى باريس. وتتمثل هذه العلاقات الاقتصادية في التبادل التجاري الذي كان مرتكزا على تصدير البقول والفواكه والماشية والمنتجات الصوفية، إلى جانب الاشتغال في عدد من الأوراش.

وقد عرفت اقتصاديات إش تدهورا محسوسا، نتيجة لحركة الهجرة وتقلص المنافذ والمجال مع تطورات الأحداث التي رافقت وأعقبت استقلال الجزائر.

يتميز الوسط الاجتماعي في إش بمتانة الروابط العائلية في إطار وحدة متماسكة تتجسد في قصر وحيد يتسم بالتجانس على كثير من المستويات. ويأوي هذا القصر أضرحة عدد من الأولياء : سيدي عبد القادر محمد وسيدي الشيخ وسيدي إبراهيم وسيدي بوعزة وسيدي عبد الله، كما أنه لم يخل من تأثير بعض الزوايا ولاسيما الكرزازية والقادرية.

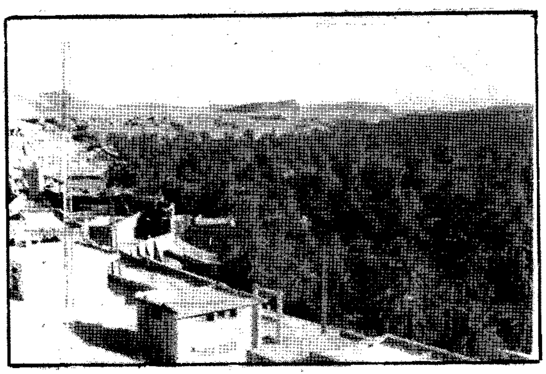

جانب من قرية إش

يتكون قصر إش من بضع عشرات من المساكن التقليدية المتراصة، تفصل بينها أزقة ضيقة ومغطاة في أغلب الحالات بسقف يقي من الحر صيفا ومن القر شتاء. وتستعمل في البناء مواد محلية تشمل الطين والجير والطوب والحجارة وأعمدة وألواحاً من خشب الأشجار والنخيل والدفلى والقصب، وقد انضم إليها الإسمنت في الآونة الأخيرة، وتحتوي هذه المساكن عادة على فناء وعدة غرف ومرافق يخصص بعضها للدواب والماشية.

وتقتصر المنشآت والتجهيزات الجماعية في هذه الواحة على مسجد عتيق وآخر حديث في طور البناء وقسم مدرسي وحيد ومستوصف صغير ومولد كهربائي وشبكة وأنابيب الماء ومقر لخليفة القائد.

*استطلاعات ميدانية. روايات شفوية.*

عبد الرحمان الحرادجي

**أشْبَار**، ويرد أحيانا بصيغة أشْبارُو، وهو اسم لعدة قرى ومعناه : حصن المراقبة أو برج الرماية أو المكان الطبيعي المشرف الصالح للمراقبة أو الرماية. وأشبار الذي

نزل به عبد المومن بن علي الموحدي وهو يتعقب تاشفين بن علي (*البيذق*، 89) كان يقع بدون شك في دير الجبل بجهات دمنات بين وادي تاساوت والوادي المعروف اليوم بالأخضر.

البيذق، *أخبار المهدي*.

أحمد التوفيق

**ابن الإشبيلي**، علي بن محمد بن خليل اللخمي المراكشي، ويكتب في بعض المصادر "خليد" بالدال ولعله تصحيف. وأصله من الأندلس وبها درس وتخرج عالما كبيرا "وكان حافظا للفقه نافذاً في أصوله متحققا بعلم الكلام خطيباً بليغاً" (*الذيل والتكملة*) ألف كتاب *المعراج* وقدم به على عبد المومن بن علي وهو يحاصر أغمات أريكة سنة 541 / 46 ـ 1147 فأكرم وفادته وحظي عنده حظوة رفيعة إذ كان داعية للموحدين متحمسا لتعاليم المهدي ابن تومرت، يدرس كتبه *المرشدة*، و*أعز ما يطلب*، وغيرهما في مساجد مراكش إلى جانب مؤلفات المتكلمين والأصوليين المشارقة ككتاب *الإرشاد* في الكلام لإمام الحرمين، وأخذ عنه هذه العلوم عدد غير قليل من طلبة مراكش وفاس، وفي مقدمتهم عثمان السلالجي.

اتخذه عبد المومن الناطق باسمه والخطيب بين يديه عند حضور الوفود، فانهالت عليه الدنيا وملك ثروة عظيمة وجاها رفيعاً. ونال نفس الحظوة عند الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن إلى أن ادركته الوفاة بمراكش سنة 567 / 71 ـ 1172.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، طبعة الرباط. 19، 228 ـ 231 ؛ الزبير، *صلة الصلة*، 101 ؛ م. ابن الابار، *تكملة الصلة*، 2 : 668 ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 5 : 304 ؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، 200 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 479 ـ 480 ؛ ع.ابن ابراهيم ، *الإعلام*، 9 : 59.

محمد حجي

**أشتوكن** ← **هشتوكة**

**أَشْجَع**، إحدى قبائل غطفان العدنانية. وهي المقصودة هنا، إذ توجد قبيلة أخرى باسم أشجع بن عزوز بن عمرو، وهي قحطانية، كما توجد قبيلة شجع من بني عذرة.

كانت أشجع تقيم بضواحي المدينة وتبدو ضمن المجموعة الغطفانية في حركات تمرد، فانساقت مع حركة الردة ونسبت إلى الشغب في بعض الفترات اللاحقة إلى أن رافقت جموع منها عرب بني هلال ومعقل إلى مصر ثم إلى بلاد المغرب. وسهرت الدولة الموحدية منذ أوائل النصف الثاني من القرن السادس الهجري / 12 م على ترحيل أعداد كبيرة من قبائل العرب انطلاقا من أفريقية إلى المغربين الأوسط والأقصى. وأثناء الرحلة الطويلة لهذه القبائل، اختلطت أشجع الداخلة إلى المغرب مع بني معقل الذين يرجع ابن خلدون نسبهم إلى الكتلة القحطانية (اليمنية). وكانت معقل بالنظر لقلة أعدادها تعتز بهذا التحالف مع أشجع وغيرها من المجموعات العربية التي انضمت إليها. بالرغم من كثرة أعداد أشجع نسبيا، فيظهر أنها حافظت على حلفها مع معقل لفترة طويلة وأنها اختارت في غالبيتها مساكنة فرع ذوي منصور المعقلي الذي انتشرت أعقابه على مساحات شاسعة تمتد من ملوية إلى درعة. وكان منهم قسم كبير حول سجلماسة. وهكذا اختاروا نمط الحياة الواحية شأن أسلافهم حول المدينة. وبعد قرنين من قدوم أشجع ومن كان معهم من معقل، إلى أطراف الصحراء الجنوبية، ينوه ابن خلدون بكونهم كانوا لا يعرضون لقوافل سجلماسة والسودان بأذى ويذكر أنهم كانوا يحظون بإقطاعات من الموحدين ثم الزناتيين. ومن الواضح أن أشجع، شأن المجموعة المعقلية الموسعة كلها تقريبا، بالجنوب قامت بدور الوساطة التجارية بين المغرب وأقطار إفريقيا الغربية، وكانت مسوفة تقوم بنفس الدور، لا سيما منذ الحكم المريني.

كان في أشجع فريق يظعن فيما بين أنگاد وضواحي تلسمان مع جماعات عربية أخرى. فلما تولى مولاي رشيد العلوي، انضم إليه هؤلاء العرب مع قبائل من البربر، وكلهم كانوا يعرفون بشراقة (أي قبائل المغرب الشرقي والمجاورة له شرقا)، فأنزلهم بأحواز فاس، فتضرر منهم سكانها كما يذكر الناصري في *الاستقصا*، ونقلهم بعد ذلك إلى منطقة تجاور صدينة وفشتالة بين سبو وورغة. وأمدهم بالمال لبناء قصبة عرفت بقصبة الخميس وجعل منهم قبيلة واحدة فانصهر بعضها في بعض، ومن تم ذابت المجموعة الأشجعية داخل هذه البوتقة التي مقرها الحالي قرية بأمحمد. لكن توجد بضواحي فاس حتى الآن قبيلة باسم "الشجع" وأخرى بنفس الاسم بـ "العيون" من المغرب الشرقي. وهذه بالأخص لا يشك في انتمائها إلى "أشجع".

الجوهري، *الصحاح* مادة (شجع) ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* 76، 3 ؛ ج. القلقشندي، *صبح الأعشى* 1 : 344 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 ؛ ع. كحالة، *معجم قبائل العرب*، المادتان : أشجع وشجع ؛ الصديق ابن العربي، *المغرب*، 142 ـ 143.

إبراهيم حركات

**أشجع**، اسم يطلق اليوم على ثلاث مجموعات قبلية مغربية، متباعدة الاستقرار فيما بينها بالرغم من كونها ترجع في الأصل إلى مجموعة واحدة، لأن الحركة التاريخة قسمتها إلى ثلاث مجموعات، وفرقت بينها في الاستقرار بمسافات تبلغ مئات الكيلومترات.

المجموعة الأولى هي أشجع (الأصل)، وتستقر بالمغرب الشرقي، حول عيون سيدي ملوك، على الضفة الشرقية والغربية لوادي ملوية، عند نهاية سهول أنگاد، باعتبار أشجع أصبحت، بعد الاستقرار النهائي، تمثل في الأصل قسما واحداً من التقسيمات البشرية لسهل انگاد.

المجموعة الثانية، وهي فرع من الأولى، انفصلت عنها، واندرجت ضمن قبائل اشراگة التي تستقر اليوم حول القرية

(قرية ابا محمد)، على بعد حوالي ستين كيلومتراً شمال مدينة فاس. وكان السلطان المولى الرشيد العلوي (ت : 1082 هـ / 1672 م) قد اتخذ من قبائل اشرا گة هذه، جيشا نظاميا، لما استقدمها معه من نواحي تلمسان، وكانت آذاك من أشجع وبني عامر ومديونة وهوارة وبني سنوس، فأشجع الشرگية اليوم، شمال مدينة فاس، هي فرع من أشجع الأصل، لأسباب عسكرية واستراتيجية تم استقرارها في مكانها الحالي شمالي فاس، منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، كما تقدم.

إلى فرع أشجع شراگة هذا، ينتسب حميدة الشجعي، الذي كان رئيساً للوفد المغربي في مفاوضات مغنية للحدود، سنة 1261 هـ / 1845، ولذلك كانت الرسائل الملكية تسميه تارة حميدة الشجعي، وتارة حميدة الشرگي، نسبة إلى أشجع الشرگية.

المجموعة الثالثة، وهي فرع من الأولى أيضا، وقد انفصلت عن الفرع الثاني، واستقرت اليوم بسهل سايس، على الطريق الرابط بين فاس ومكناس. وهي عبارة عن فرع صغير جداً كان يندرج ضمن مجموعات متنوعة من قبائل الجيش.

وهكذا يتبين أن مجموعات أشجع الثلاث كانت في الأصل مجموعة واحدة، ثم انفصلت وتباعدت فيما بينها لأسباب تاريخية بالأساس. ولكن ما هو أصل مجموعة أشجع الأولى.

هي عبارة عن مجموعة قبلية عربية الأصل، ظهر اسمها في التاريخ لأول مرة خلال الفتح الإسلامي الأول : فقد كانت أشجع، تمثل مع غطفان، وفزارة، حوالي سبعمائة مجاهد، ضمن الجيش الذي قاده عبد الله بن سعد لفتح افريقية سنة 270 هـ / 649 م (*قبائل المغرب*،351)، ثم رجع هذا الجيش إثر ذلك. ثم دخل أشجع مع بني هلال إلى المغرب، لما عبروا النيل بايعاز من الوزير الفاطمي الحسين اليازوري الذي فكر في إجازة العرب إلى المغرب، لينتقم من المعز بن باديس، فكانت بطون بني هلال، أول من عبر النيل وسار اليه، وكان فيهم مع غيرهم : أشجع وفزارة، وجشم وسلول ومعقل وعمرة وبني ثور وعدوان وطرود، اندرجوا جميعا في الأثبج خاصة، وصاروا وإياهم شيئا واحداً.

ولما طلع الزناتيون من (بني مرين، وبني عبد الواد) إلى منطقة التل، وأسسوا مملكتهم بفاس وتلمسان.. تفرد عرب المعقل بالصحراء، ونموا فيها نمواً كبيراً بمن انضاف إليهم من القبائل من غير نسبهم. مثل : أشجع والعمور والشظة والمهايا والصباح وبني سليم، كونت هذه القبائل العربية بالصحراء منطقة نفوذ واسعة تمتد ما بين المحيط الأطلسي غربا وتيديكيلت شرق توات، شرقا (*قبائل المغرب*، 415). وفي إطار عملية التدافع بين مختلف المجموعات، أخذت تمتد هذه القبائل نحو الشمال، وساعدهم على الانجذاب نحو منطقتي وجدة وتلمسان، الملوك المرينيون، وملوك بني عبد الواد معا، حيث كانوا يخضعون تارة لفاس، وتارة لتلمسان، واستعان بهم هؤلاء الملوك على مراقبة غارات القبائل البربرية وحصرها في الجبال. ومع هذا التدافع، والتحالف، والتداخل الذي وقع بين مختلف المجموعات بمنطقتي وجدة وتلمسان، تكونت مجموعة قبلية جديدة، من عدة فصائل، استقرت بسهل أنگاد وأصبحت تضم : المهايا وأشجع والاحلاف وبني وكيل وهوارة .... وغيرها من البطون العربية والبربرية التي انضمت إليها واختلطت بها عبر التاريخ، وكونت مجموعات أنگاد الحالية ؛ لأن انگاد في الأصل اسم مكان، فهو حسب ياقوت الحموي (*معجم البلدان*، 1 : 323) اسم لمدينة قرب تلمسان، كانت لعلي بن أحمد قديماً، ذات سور من تراب في غاية الارتفاع وواديها يشقها نصفين، منها إلى تاهرت بالعرض مشرقا ثلاث مراحل.

يتضح من هذا أن أشجع قبيلة عربية دخلت المغرب رسميا مع بني هلال. كما يقال أيضا بأنها من عرب معقل، منهم من جعلها كبقية المعقليين، من ذرية جعفر بن أبي طالب (*العبر*، 6 / 36 وأماكن أخرى). وقد وصلت إلى المغرب الشرقي مع المجموعات التي صحبتها مابين القرنين: السادس والسابع الهجري / الثالث عشر والرابع عشر الميلادي. غير أن استقرار أشجع بعيون سيدي ملوك، على وادي ملوية، غرب سهل أنگاد، لايرجع إلى ما قبل نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، بل هناك من أرجع هذا الاستقرار إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر (A. Bernard : 17). وقد اندمج بهم في نهاية القرن (13 هـ / 19 م) فصيلة هامة من أولاد سيدي الشيخ، وبعض العناصر المختلفة التي جاءت مع الثائر بوعمامة.


ع . ابن خلدون ، *العبر*، الجزآن 7، 8 ؛ ع .بن منصور، *قبائل المغرب*، 1 ؛ أ . العماري ، *مشكلة الحدود الشرقية*،1.

H. De la Martinière et N. Lacroix, *Document sur le nord-ouest Africain*, G/G de l'Algerie ; Service des Indigénes 1894 - 1897. (Vol. I) Ch. R. Leclerc, *Les Régions Nord et Sud de la frontière Algero - Marocaine*, Tanger, 1909 ; A Bernard, *Les Confins Algero - Marocains*. Paris 1911.


أحمد العماري

**الأشراف ← الشرفاء**

**أشْرقي**، أسرة تطوانية لم نجد في الوثائق ما يدلنا على أصلها، ويقول عنها الفقيه الرهوني إنها انقرضت بتطوان سنة 1074 / 1762، وهذا لايتفق مع الواقع، لأننا نعلم أنه في سنة 1246 / 1830 كان يعمل كمقدم بحي البلد (حي جامع القصبة) المسمى أحمد أشرقي، وفي سنة 1289 / 1872 كان هناك شخص آخر اسمه عبد المجيد بن أحمد يتعاطى خطة العدالة بتطوان.


ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 28 و 175 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 3 : 286 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Famillias Ilustres de Tetuan* 1921 (A) Isidro de las Cagigas, *familias Tetuanies de abolengo* 1929 (A) *vademecum de intervenciones* (año 1931) 1931 (CH). M. Ibn Azzuz Hakim, *apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).


محمد ابن عزوز حكيم

**أشرْقي، محمد** بن العربي التلمساني ثم الفاسي.
عالم مشارك، أخذ عن شيوخ فاس في عصره، أمثال محمد بن رشيد العراقي، ومحمد القادري، وعبد السلام الهواري وأضرابهم. درس في القرويين قبل التنظيم، ثم كان من أول المنخرطين في التدريس النظامي بها. وكان حسن الطريقة التعليمية لاسيما مع المبتدئين حيث اشتهر بتلقين *الأجرومية* وتفهيمها في يسر.

توفي في الساعة الخامسة من عشية الاثنين رابع ذي الحجة متم عام 1363 / 20 نوفمبر 1944 ودفن بروضة أولاد ابن البشير قرب سيدي علي بوغالب وجامع الأندلس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ *سل النصال*، مخطوط ؛
إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

محمد حجي

**أشرُوطة**، معركة جرت بالجماعة المعروفة بهذا الاسم من فرقة بني مهرون من قبيلة بني حسان الجبلية الواقعة بين تطوان وشفشاون. كان ذلك يوم 19 نوفمبر 1924 على النحو التالي :

على إثر الانقلاب العسكري الذي جرى بإسبانيا في شهر سبتمبر من سنة 1923 حيث تقلد الحكم بها الجنرال بريمو ذي ريفيرا "Primo de Rivera" قررت القيادة العسكرية انسحاب الجيش الإسباني من بعض المراكز الأمامية المحتلة بالناحية الغربية من شمال المغرب.

وبدأت عملية الانسحاب في شهر سبتمبر من سنة 1924 م بالجلاء عن المراكز الشاطئية بناحية غمارة، ثم توبعت العلمية في عدد كبير من المراكز الأخرى بناحية جبالة والهبط.

كان أهم وأخطر هذه العمليات الجلاء عن مدينة شفشاون الذي جرى يوم 17 نوفمبر من نفس السنة قام بالعملية الجنرالان كاسطرو خيرونا Castro Girona وسيرانو أروييي Serrano uribe.

لم يكن من السهل على القوات الإسبانية مغادرة المدينة المذكورة التي كان قد احتلها الجيش الغازي يوم 14 أكتوبر 1920، وهذا ما يفسر ما قاله الكولونيل فرانكو الذي أصبح فيما بعد رئيسا للدولة الإسبانية في مذكراته أنه غادر شفشاون على رأس فرقة اللفيف الأجنبي في الصباح الباكر من اليوم المذكور في هدوء وصمت تامين حتى لا يشعر المغاربة بخروجهم، وأن جنوده صنعوا مئات من الدُّمى على شكل رجال ووضعوها فوق أسوار الثكنات العسكرية .

لم يتعرض المغاربة لمسيرة الجيش الإسباني طيلة يومي 17 و18 حيث كانوا ينتظرون وصوله إلى جماعة اشروطة، ولكنه عندما بدأ الجيش يغادر الجماعة المذكورة في الصباح الباكر من يوم 19 وجد نفسه محاصراً من طرف المجاهدين، وعندئذ حاول فك الحصار فجرت المعركة التي كانت في مستوى معركة اغريبن المعروفة بمعركة أنوال حيث قتل فيها الجنرال سيرانو وستة من الكولونيلات، وثمانية من الكومندرات، ومائة وخمسة وسبعون ضابطا وسبعة عشر ألفاً من الجنود، واثنان وعشرون من المدنيين الإسبان، كما جرح فيها نحو ستمائة من الجنود والضباط. هذا ما تعترف به الوثائق الإسبانية السرية. وأما الخسائر المعلن عنها رسميا والمنشورة بالصحف آنذاك فقد جعلت القتلى سبعة آلاف جندي فقط. وتُعرف هذه المعركة عند الإسبان بمعركة (خندق الموت)

م .ابن عزوز حكيم ، *معارك الثورة الريفية* ، الرباط 1983 ؛ *معركة تازروت*.

*T.* Garcia Figueras, *Marruecos*, Madrid, 1944 Goded (General) *Marruecos : las etapas de la pacificacion*, Madrid, 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

**أشْطو**، عبد الله. أحد قواد قبيلة هنتيفة (إنتيفت) من العهد الحسني إلى أن فرضت الحماية. وأشطو يعني ابن امرأة اسْمها شطو، ودار أيت أشطو بقرية تنانت الواقعة على حدود هنتيفة مع أيت مجاطن غير بعيد عن قنطرة طريق أزيلال على وادي الأخضر. وقد تمكن رؤساء هذه الدار من اجتياز أزمات الانتفاضات القبلية 1894 و 1908.

*تحريات ميدانية.*

أحمد التوفيق

**أشعاش**، أسرة تطوانية غنية نبيهة تقلدت مناصب مخزنية في القرن التاسع عشر مثل الولاية والأمانة والسفارة. وكان منها :

**أشعاش، عبد الخالق** (الحاج) كان سنة 1830 عاملا على الصويرة. وكان قبل ذلك أمينا ببعض المراسي مثل طنجة.

م.الصديقي، *إيقاظ السريرة*، ص 64 ؛ م. داود ، *تاريخ تطوان*، 8 : 42 ؛ م.بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، 3 : 1059.

مصطفى بوشعراء

**أشْعَاش، عبد الرحمان** بن عبد القادر حكم تطوان ثلاث مرات ـ حسب مصادر تاريخية مغربية كتاريخ الضعيف ـ كانت أولاها على يد مولاي اليزيد عام 1204 / 1789، ثم ولي عليها قائدا حوالي عام 1210 هـ، دامت ولايته الثانية اثني عشر عاما. وفي هذا الإطار، ذكر الفقيه أحمد الرهوني أن ولايته هذه كانت عامة على تطوان وطنجة ونواحيهما. أما ولايته الثالثة على تطوان فكانت عام 1231 هـ، وتم عزله سنة 1236 هـ.

ويتعين القول بأن الوثائق المخزنية تتحدث عن الحالة الاجتماعية للطائفة اليهودية بتطوان في عهد حكمه، مبرزة ما تمتع به اليهود المغاربة من حقوق في ظل المغرب الإسلامي. ويمكن أن نقف على ذلك من خلال الرسالة التالية الموجهة من مولاي سليمان إلى عبد الرحمان أشعاش في فاتح جمادى الأولى عام 1222، وهي تتكلم عن بناء الملاح الجديد ليهود تطوان :

"إلى خديمنا الأرضي القائد الحاج عبد الرحمان بن عبد القادر أشعاش أعانكم الله والسلام عليكم ورحمة الله، وبعد فموجبه إعلامكم أننا بهذا الظهير قد عينا الملك المعروف بالرياض من تطوان، والذي هو من أملاك المخزن بجميع حدوده، ومنحناه ليهود تطوان ليقيموا فيه الملاح ويبنوا فيه دورهم وحوانيتهم... فنأمركم بتنفيذ ذلك دون زيادة ولا نقصان، ومن خالف تنفيذ أمرنا فعاقبوه أشد العقاب، كما نأمركم أن تجمعوا جميع علماء تطوان ليشهدوا بأننا قد أنبناكم لتعيين المحل الذي يخصص لإقامة ملاح اليهود. وليعلموا أن هذا الأمر إنما هو لصالح الجميع...).

أ. الرهوني، *خلاصة عمدة الراوين*، مخطوطة المكتبة العامة بتطوان، رقم 3 / 912. 82 ـ 88 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، المجلد الثالث، القسم الثاني، 180 ـ 267 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، 367.

عبد العزيز التمسماني خلوق

**أشعاش، عبد القادر** بن محمد، ولي على تطوان عام 1261 / 1845 بعد وفاة والده القائد محمد. كان ذا شخصية قوية. يقول عنه الفقيه أحمد الرهوني في مخطوطته *خلاصة عمدة الراوين* "سار سيرة أبيه، وأدرك مكانة عند السلطان (مولاى عبد الرحمان بن هشام) حتى وجهه سفيرا لفرنسا في مهمة من مهمات مملكته. وكان معه في الأحكام بصفة خلفاء أو شركاء إخوته الحاج عبد الله والحاج عبد الرحمان والحاج محمد، ولكل واحد أصحاب وأملاك، واستمروا على هذه الحالة إلى أن قبضهم السلطان عام 1267 عن آخرهم ووجه القباج لاستصفاء أموالهم وأملاكهم".

اختار مولاي عبد الرحمان بن هشام عبد القادر أشعاش على رأس سفارة بروتوكولوية إلى فرنسا بعد نجاحها في إزالة هيبة المغرب عسكريا في معركة إيسلي، وفرضها معاهدة للامغنية عليه. وصل عامل تطوان إلى باريس عام 28 دجنبر 1845، فقابل الملك فيليب لويس، رافقه في هذه البعثة نخبة من الموظفين، من بينهم محمد اللبادي والحاج العطار وأحمد العياط. كذلك صحب هذه السفارة محمد بن عبد الله الصفار الذي كتب عن رحلته مخطوطة هامة توجد في الخزانة الحسنية بالرباط.

ويتعين القول بأن المؤرخ محد داود أسهب في الحديث عن نكبة عبد القادر أشعاش، فقد عزل وسجن يوم الأحد 12 جمادى الأولى عام 1267 هـ.

وتشير الوثائق المخزنية إلى أنه تولى حكم تطوان، من جديد، بعد استرجاعها من يد الإسبان عام 1278 هـ. ويضيف أحمد الرهوني في مخطوطه السابق :"ولما رجعوا إليها (مدينة تطوان)، ولى عليها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان قدس سرهما الحاج عبد القادر أشعاش مرة ثانية، وأصلح هو والسكان بعض ما خرب منها وعمروها العمارة التي توجد الآن، واستمر عاملا إلى أن عزله عام 1279 وقبض عليه ثم استعمله أمينا على الصائر إلى أن توفي بمكناس عام 1282".

أ. الرهوني، *خلاصة عمدة الراوين*، مخطوط، 90 ـ 93 ؛ داود، *تاريخ تطوان*، المجلد الثالث، القسم الثاني. 294 ـ 355 ؛ جاك كايي، *السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا*، مجلة تطوان 1961، العدد 6، 179 ـ 180.

عبد العزيز التمسماني خلوق

**أشعاش، محمد بن عبد الرحمان** ، ولي عاملا على تطوان حوالي عام 1241 / 1827. تطلع إلى حكم نافذ يعم كل الشرائح الموجودة داخل منطقة نفوذه، فضرب على أيدي المجرمين وسهر على أمن الطرق، وسعى إلى بث هيبة المخزن في النفوس، فكان الخادم الأمين للسلطة المركزية، والمدافع المخلص عن وجهة نظرها، مستعملا في ذلك وسائل الزجر والإكراه.

وفي هذا السياق، ذكر أحمد الرهوني في مخطوطه *خلاصة عمدة الراوين في تاريخ تطاوين* أن أيامه كانت:"زاهرة وأحكامه صارمة حتى عم الأمن جميع العمالة، وبلغ من أبهته ما أحفظ السلطان (مولاي عبد الرحمان بن هشام) عليه لأن جواسيسه كانوا يخبرونه بأنه سلطان في خفاء، وبأن الجيوش والخيول التي عنده ليست عند السلطان، ومع ذلك لم يقدر على مسه بسوء حتى مات".

بيد أنه عندما كانت تصدر من محمد أشعاش نزعة استبدادية لممارسة العسف الضريبي ببلاد جبالة، كان مولاي عبد الرحمان بن هشام يتدخل لوضع حد لمناهجه المتشددة، وفي رسالة وجهها السلطان في هذا الشأن إلى العامل المذكور نقرأ :"اعلم بأن قبيلة غمارة قليلة الجدوى ولا في جبايتها كبير فائدة... فساعدناهم في غرضهم القائل لأمور لا تخفى عليك، منها ضعف بلادهم وصعوبتها ولا طائل تحت ذلك، فلا تنفع في مثل هؤلاء إلا السياسة".

وفي رسالة أخرى :"فغير خاف عليك أن غمارة قبيلة قليلة الجباية.. وقد ولينا عليهم القائد أحمد بن مرزوق حيث أرادوه، فكن معه يدا واحدا ونفسا متحدة، واستمله بخفض الجناح ولين الجانب..".

وتذكر المصادر التاريخية المغربية أنه "أسس هيئة سلطانية من كثرة المخازنية والطبجبة والبحرية، وألبس الكل بلباس بهي باهر يخصه ويتميز به، وعين لكل حومة مقدما من خاصة أهلها يكون واسطة بينه وبينهم".

أدركه أجله بتطوان يوم 24 محرم 1261 هـ. ودفن بزاوية سيدي عبد الله الحاج البقال الواقعة بساحة الفدان.

أ. الرهوني، *خلاصة عمدة الراوين*، مخطوط، 89 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، المجلد الثالث، القسم الثاني، 276 ـ 294 ؛ المجلد الثامن، ص 244 و 279 ؛ *الوثائق* 1 : 454، الهامش 1.

عبد العزيز التمسماني خلوق

**أشعاش، محمد بن محمد** (ثلاث مرات)بن عبد الرحمان. ولد بتطوان عام 1314 / 1896 وبعد أن حفظ القرآن الكريم في الكتّاب أقبل على الفلاحة لما لم يجد قابلية لمواصلة الدراسة، فظهرت كفاءته وحزمه، وعُين محتسبا بتطوان في 22 شتمبر 1934. فنظّم الأسواق وحارب الغش والتطفيف والتدليس وراقب السلع والأسعار وقام بأعمال تذكر فتشكر.

محمد أشعاع باشا تطوان

وفي فاتح أبريل 1937 أعفي من الحسبة، وعين يومه باشا عاصمة تطوان فظهرت نجدته، وتجلى للناس حزمه ونباهته، وتصدى للمفسدين واللصوص والفساد فقطع دابرهم وحدّ من غُلوائهم. وكان نزيها في أحكامه صارماً في معاملته لايحابي ولايجامل ولايقبل تدخل أحد، وقد اصطدم بسبب موقفه هذا بعدد من الأعيان فلم يبال بهم، فهابه الناس جميعا. وتحاموا التعرض له. ومن إنصافه وتورعه أنه كان يختار خلفاءه من العلماء، لاستشارتهم فيما يعرض عليه من نوازل ويقع من حوادث ، واستمر في الباشوية إلي أن عزل بسبب مواقفه الوطنية التي لم تعجب الإدارة الإسبانية خصوصاً بعد أن توترت الصلاتُ بينها وبين حزب الإصلاح بسبب منعها الطريس من دخول تطوان وما أعقب ذلك من حوادث ومظاهرات وقتل وسجن ونفي، كان الباشا خلال ذلك يميل لجانب الوطنيين ويسعى للتخفيف عنهم وتبرئة ساحتهم مما يلصق بهم المتعاونون من تهم. كان عزله يوم 11 يوليوز 1951 فانطوى على نفسه ولم يعش بعد ذلك إلا ثلاثة أشهر إذ توفي يوم الثلاثاء رابع محرم 1371 / 8 / 10 / 1951م ودفن بحوشهم خارج باب المقابر من تطوان قريبا من ضريح القائد الفاتح أبي علي الحسن المنظري الغرناطي.

*وثائق عائلية ومعلومات شفوية.*

محمد بوخبزة

**الأشعرية والمغرب**، يعتبر المذهب الأشعري من أبرز المذاهب الكلامية في الإسلام وأكثرها انتشارا. ولعل مرجع ذلك أن رؤوسه يصنفون أفكارهم ضمن أفكار أهل السنة والجماعة. وهذا ما يتبين من الكتب المؤرخة للفرق، والتي من الملاحظ أن كل كتابها أشاعرة، فهي تنطلق جميعا من الرغبة في بيان "الفرقة الناجية" وتمييزها عن سائر الفرق الأخرى التي تنعت بأنها ضالة وهالكة أو ما شابه ذلك.

ويعني هذا من بين ما يعنيه، أن محاكمة الفرق الأخرى تتم انطلاقا من مرجعية أو نسق إسناد، هو الفرقة الناجية والتي هي "أهل السنة والجماعة". وهو شيء يتم انطلاقا من الحديث المأثور القائل بافتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة منها واحدة ناجية.

هذا ما يؤكده مؤرخو الفرق الإسلامية مثل البغدادي في *الفرق بين الفرق*، والاسفراييني في *التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين*. والشهرستاني في *الملل والنحل*.

والحقيقة أن مفهوم أهل السنة والجماعة يطلق عامة على كل من يتمسكون بعقيدة السلف، وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل والإمام مالك، وغيرهما من الأئمة المشهورين. وكانت إضافة الإمام الأشعري هي توثيق العقيدة السنية بالاستناد إلى البرهان ومناقشة أهل الكلام.

أبو الحسن علي بن إسماعيل ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري، ولد بالبصرة سنة 260 هـ وكان شافعي المذهب في الفقه. بدأ حياته الكلامية بالاعتزال، ثم تحول عنه إلى المذهب الجديد الذي أسسه هو معارضا به مذهب المعتزلة، وثمة اختلاف في أسباب ذلك التحول الذي تمخض عن ظهور مذهب جديد، ليس هنا موضع للإسهاب فيها، وهو تحول جاء ليوفق بين تيارين متطاحنين كان هو نفسه ينتمي إلى أحدهما : المعتزلة التي تجعل العقل رائدا، وتعتبره "قبل ورود السمع"، والجنابلة وأهل الحديث عامة وأهل النص الذين يتخذون من القرآن والأثر رائدين، معتبرين "السمع قبل ورود العقل".

ونجد أن هاته الوسطية انعكست على مواقفه من كبريات القضايا الكلامية وعلى موقفه من علم الكلام نفسه. فقد ظل الأشعري ينظر إلى التزام حرفية النص وتحريم استعمال العقل علامة كسل وجهل، كما ظل يعتبر الجري وراء العقل دونما احتياط بالشرع وبخاصة في الآراء التي تتصل بالعقيدة أمرا خاطئا وخطرا على الشرع. وإن ميل الأشعري إلى الوقوف وسطا بين مذهب أهل الحديث ومذهب المعتزلة الذي تربى في أحضانه، جعلت أفكاره تعكس تيارين فكرين ظلا متعايشين في مذهبه : تيار أهل السنة والحديث، وتيار كلامي متأثر بالأسلوب الاعتزالي. من هنا إبهامية المذهب الأشعري وازدواجيته إلى حد يدفع إلى الاعتقاد بأننا أمام عقيدتين للأشعري، عقيدة تضمنها كتاب *الإبانة عن أصول الديانة* التي هي أقرب إلى عقيدة السلف وعقيدة الإمام أحمد بن حنبل الذي يشيد به الأشعري في المقدمة، وعقيدة *مقالات الإسلاميين* التي هي أقرب إلى الأساليب الكلامية الاعتزالية. وهذا ما قاد إلى مشكل هام في تاريخ الفكر العقائدي والكلامي في الإسلام وهو : ما حقيقة موقف الأشعري ؟ هل كان مجرد تابع لأهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث، أم كان صاحب موقف توسطي، كما يرى ابن خلدون في *المقدمة* ؟ إذا كان

موقفه موقفا توسطيا، فما موقع كتاب *الإبانة* من تطوره الفكري ؟.

الظاهر أن أهل الحديث لم يتقبلوا أفكار الأشعري يوم ظهر بمذهبه محاولا التوفيق فيه بين النقل والعقل، وبين أهل السنة والحديث من جهة، وأصحاب الكلام والمعتزلة من جهة أخرى. لم يتقبلوها بحماس، بل توجسوا منها خيفة نظرا لأصول الأشعري الكلامية الاعتزالية التي ظلت آثارها عالقة بأسلوبه في النظر وبعقائده، رغم تحوله، هذا فضلا عما اتسم به موقف أهل السنة والحديث من معاداة لعلم الكلام ومقت لمذاهب أصحابه ولعباراتهم وطرق معالجتهم للقضايا الدينية والعقدية. بل يذهب "ابن الجوزي"، وهو من الحنابلة المتأخرين، إلى اعتبار الأشعري أحد المسؤولين عن تلبيس العقائد "إن الأشعري ظل على مذهب المعتزلة زمانا طويلا ثم تركه وأتى بمقالة خبط بها عقائد الناس" (تلبيس إبليس ـ القاهرة 1368 هـ. ص 22).

وهذا ما يفسر لنا الخصومة الشهيرة بين الحنابلة والأشاعرة ببغداد والنفور الذي قوبل به أتباع الأشعري في القرن الرابع ثم الخامس الهجريين، وقد اتخذ كل ذلك أبعادا سياسية خطيرة، كما تحول إلى قتال دموي اضطر معه الكثير من الأشاعرة إلى ترك بغداد.

ونعتقد أن جوهر الخصومة يرجع إلى الاختلاف حول "الشرعية الدينية" لعلم الكلام، وهل هناك حاجة إليه ؟ ذلك أن الموقف الذي تبناه الأشعري، كان هو الدفاع عن تلك "الشرعية" خلافا لموقف السلف وأهل الحديث الذي وقفه الحنابلة وأهل السنة القائم على تحريم الكلام والنظر في كتب أهله وكراهية الجدال في الدين، وهذا الموقف الأخير هو الذي سار فيه ابن حزم وابن عبد البر القرطبي وجل فقهاء وأصوليي الأندلس، بل حتى مفكريه.

والملاحظ أن المغرب ظل لأسباب تاريخية، بعيدا عن الاختلافات والصراعات المذهبية والكلامية التي عرفها الشرق. بل اختار ذلك كنهج يميزه عن المشرق. وهو شيء ينطبق حتى على الأندلس، فبعد انقراض العقائد المنحرفة التي ظلت لها بعض الجيوب بالمغرب، بقيت السيادة لعقيدة السلف التي كانت في الحقيقة تمثل الوجه الآخر للمذهب المالكي وللعقيدة السنية التي عرفها الإسلام في بدايته، قبل أن يتقوى علم الكلام ويتخذ صورته وهيئته المذهبية مع المعتزلة ثم الأشاعرة.

وقد عمل الأدارسة والمرابطون على تكريس الاتجاه السني المعادي لعلم الكلام والجدال في الدين، وعلى التحصن بالمذهب الفقهي الذي يعد الترجمة الأمينة الوفية لذلك الاتجاه في الفقه والمعاملات ألا وهو المذهب المالكي.

فقد حارب الإمام مالك، بضراوة، الكلام خصوصا في مسألة الصفات وعلاقتها بالذات. إذ كان معاصراً لواصل ابن عطاء وعمرو بن عبيد أي للاعتزال في بدايته القوية. كان مالك، حسب القاضي عياض، يغلب التنزيه في الصفات، ويأمر بأن تفهم الآيات المتحدثة عن الصفات "كما جاءت"، لا بمعنى إجرائها على ظاهر النص فحسب، وبشرط ألا يؤدي ذلك إلى مشابهة الله بالمخلوقين، من هنا كان حرصه على التنزيه وفي نفس الوقت كراهيته للتأويل، إيمانا بأن "طريق النجاة" هو إمرار النصوص كما جاءت. وكان يقول "إنما أهلك الناس تأويل ما لا يعلمون". كما كان يرفض الرد العقلي على البدع، لأنه في رأيه رد بدعة ببدعة، ويرى ضرورة الرد عليها بالنقل، فإذا جاءه بعض أهل الأهواء، كان يقول :"أما أنا فعلى بينة من ربي، وأما أنت فشاك، فاذهب إلى شاك مثلك فخاصمه".

وفي هذا الصدد يحدثنا القاضي عياض عن رسالة ألفها مالك "لابن وهب" في *القدر والرد على القدرية*، وقد وصفها القاضي عياض بأنها "من خيار الكتب الدالة على سعة علم مالك".

ففيما يتعلق بالإيمان، قال مالك :"الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وبعضه أفضل من بعض بدليل الآية :"ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم". أما العلم الإلهي، فقد قال عنه :"الله في السماء، وعلمه في كل مكان". وفيما يخص مسألة خلق القرآن : "القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس في الله شيء مخلوق... ومن قال :القرآن مخلوق فهو كافر يستتاب وإلا ضربت عنقه". وسئل عن الاستواء، فقال "الاستواء منه معلوم والكيف منه غير معقول والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالا".

قال مالك :"أهل الأهواء كلهم كفار، وأسوأهم الروافض". "سئل عن أهل القدر من طرف أحد المغاربة، أنكف عن كلامهم ؟ فقال : نعم إذا كان عارفا بما هو عليه. قال : ونأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر ونخبرهم بخلافهم ولا نواصل القول ولا يصلى عليهم وتشهد جنائزهم، ولا أرى أن يناكحوا".

قال مالك :"الفواحش كتبها الله علينا قبل أن يخلقنا". وسئل عن القدرية من هم، فقال "هم الذين يقولون إن الاستطاعة إليهم، إن شاؤوا أطاعوا وإن شاؤوا عصوا". وقيل له :"وإن أهل الأهواء يحتجون بحديث : كل مولود يولد على الفطرة، فقال احتجوا عليهم بآخره :"الله أعلم بما كانوا عاملين".

يتبن من كل هذا أن الإمام مالك بلور اتجاه عقيدة السلف القائم على مقاومة البدع وعدم الرد عليها إلا بالنقل لا الاحتجاج عليها والمجادلة فيها بالعقل.

وقد حاول ابن أبي زيد القيرواني (المتوفي سنة 386 هـ) أن يصوغ هذه العقيدة في رسالته الشهيرة التي جعلها مختصرة تجمل "*واجب أمور الديانة*" ؛ ومع أن البعد الزماني عن الإمام مالك، الذي يتعدى القرنين، فعل فعله، من حيث تسرب المصطلح الكلامي الأشعري المتأخر إلى *الرسالة* كالصفات... فإن القيرواني حاول جهد المستطاع أن يعكس عقيدة الإمام بأمانة، ويمكن إجمالها فيما يلي :

1 ـ "القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد".

2 - "الإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره، وكل ذلك قد قدره الله ربنا، ومقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه، علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره. لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به".

3 - "يضل من يشاء فيخذله بعدله، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله، فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وإرادته عن شقي أو سعيد، تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد، أو يكون لأحد عنه غنى، أو يكون خالق لشيء إلا هو".

4 - "الإيمان بالبعث".

5 - "يغفر لمن يشاء إلا للمشرك".

6 - "إن الله خلق الجنة فأعدها دار خلود، وأكرم فيها أولياءه بالنظر إلى وجهه وإن الله خلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وجعلهم محجوبين عن رؤيته. إن الله يجيء يوم القيامة والملك صفا صفا لعرض الأمم".

7 - "الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها".

والملاحظ أن العقيدة التي شاعت بين المغاربة هي عقيدة السلف هذه، التي اقترنت بمذهب مالك الفقهي. والملاحظ كذلك أن الدولتين الإدريسية والمرابطية، شأنهما في ذلك شأن الدولة الأموية بالأندلس، تمسكتا بالاتجاه السني المتشدد المبني على تلك العقيدة الخالية من أساليب المتكلمين ومصطلحاتهم وعلى كراهية الفرقة والتشتت ؛ فإذا كان العباسيون في الشرق قد عملوا على تكريس علم الكلام ودعمه، بل وجعل أحد مذاهبه مذهبا رسميا لهم، والذي هو المذهب الاعتزالي في أول الأمر، ثم المذهب الأشعري مع المعصتم بالله، والمذهب الحنبلي المعادي لعلم الكلام في عهد القادر، صاحب البيان المعروف *بالبيان القادري* الذي يتضمن دعوة إلى عقيدة السلف... فإن دول المغرب والأندلس تشبثت بعقيدة السلف وبالمذهب المالكي وضيقت الخناق على "البدع" بما في ذلك الدولة الموحدية، فالمذهب الظاهري الذي حاولت نشره في ميدان الفقه قد يفوق في تمسكه بالسنة وتشدده المذهب المالكي، كما أن العقيدة التي سطّرها المهدي ابن تومرت في *أعز ما يطلب* جوهرها عقيدة السلف، رغم ما يقال عادة من أنها أشعرية متأثرة بالأساليب الكلامية المتأخرة، بما فيها الأساليب الاعتزالية، لا سيما في تناوله لمسألة الصفات الإلهية،. فجل الدارسين، القدامى والمحدثين لا ينتبهون إلى أن قوله بالتنزيه جاء لأغراض السجال والرد على من اعتبرهم يوغلون في التشبيه والتجسيم، وهم في نظره المرابطون ؛ لا ينتبهون كذلك إلى أن موقفه الحقيقي من المسألة هو أن الصفات أسماء يسمي بهاالله نفسه يجب الاعتقاد فيها بلا كيف ودون السقوط في مزالق المتكلمين الذي اختلفوا حول ما إذا كانت زائدة على الذات أو هي عين الذات... هذا فضلا عن التفسير المغلوط الذي تعرض له كتاب *أعز ما يطلب* على يد الشراح الذين نسبوا إليه العديد من المفاهيم التي لا تجد مكانها الطبيعي إلا في المذهب الأشعري، مثل القول بجواز كرامات الأولياء والخوارق على أيديهم، وهذا مافعله على سبيل المثال شارح مجهول لكتاب *أعز ما يطلب* (يوجد مخطوطه بخزانة ابن يوسف بمراكش رقم ي 401 - ص - 13 ظ)، فقد قرأ الأفكار الواردة في هذا الأخير قراءة أشعرية متأخرة، هذا مع أن ابن تومرت يؤكد بالنص أن الكرامات والخوارق، الله وحده فاعلها على يد أنبيائه ؛ وربما ما جعل الكثيرين يميلون إلى مماثلة أفكاره بالأفكار الأشعرية في هذا المضمار، هو ما يروى عنه من أنه كان يأتي الخوارق ويكلم الموتى، وهي أشياء كانت وراءها اعتبارات سياسية ولا علاقة لها بمذهبه. بل إن عددا من الدارسين المعاصرين ينطلقون من أشعرية ابن تومرت وانتقائية أفكاره على أنه أمر بديهي (عبد الله العروي مثلا، *تاريخ المغرب*، باريس 1970، ص. 163).

وقد حدث نفس الشيء، مع *رسالة* ابن زيد القيرواني التي أصر الشارحون على قراءتها قراءة أشعرية متأخرة. وأشهر هؤلاء، النفزاوي المالكي (المتوفي سنة 1125 هـ) الذي أبى في تعليقه عليها إلا أن يضمنه عقائده الأشعرية الكلامية التي هي في في نظره عقيدة السلف، مثل القول بأن الأعمال لا تشكل ركنا من الإيمان، كما اشترط ذلك مالك والقيرواني، بل يعتبرها زيادة أو كما قال "شرط كمال" مع أن *نص الرسالة* واضح في هذا الصدد ولا غبار عليه. وتنطبق هذه الملاحظة أيضا على "البيجوري" الذي قام هو الآخر في "*تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد*" بقراءة أشعرية كلامية متأخرة *لجوهرة التوحيد* وشرحها في حدود كلامية أقرب إلى مذهب الباقلاني، وعلى أحمد المقري المغربي المالكي الأشعري في أرجوزته "*إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة*" (منشورة بشرح الشنقيطي، بيروت، د. ت).

كيف انتشرت الصيغة الكلامية الأشعرية المتأخرة لعقيدة السلف ؟.

يقتضي الجواب عن هذا السؤال استحضار الظرفية والتوازنات السياسية للخارطة الجيوسياسية للعالم الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجري، واستحضار الاختيارات العقائدية التي فرضت نفسها على الدول الحاكمة فيه وعلى الخصوص الدولة العباسية والدولة الفاطمية والأمويين والأدارسة بالمغرب والأندلس.

فقد كان العباسيون يعملون بكل الوسائل على خلق أتباع لهم في تونس والمغرب يأخذون بالأشعرية مذهبها آنذاك، ويكونون حصنا واقيا من انتشار الاتجاه الإسماعيلي الفاطمي، لذا حدث تقارب ما بين مالكيي القيروان ثم الغرب الإسلامي عامة فيما بعد، وبين الأشعرية، وهذا ما جعل فقهاء وعلماء الأندلس الذين كانوا يتوجهون إلى القيروان ليدرسوا بها، يتلقون العلم على تلامذة مباشرين لابن أبي زيد القيرواني. وفي القرن الرابع بالذات، حدث التقارب المشار إليه، فالمعروف عن

القيرواني، ويظهر ذلك من *رسالته* في عقيدة الإمام مالك، كراهيته للكلام والجدال في الدين وميله إلى إثبات كل ما وصف الله به نفسه دون تأويل وبلا كيف ؟ إلا أنه في آخر حياته تبنى المذهب الأشعري إلى حد أن ابن عساكر في *"تبيين كذب المفتري"*، ينسب إليه أقوالا فيها إشادة بأبي الحسن الأشعري. ومما يقوي هذا التأكيد الجازم باعتناقه للصيغة الأشعرية لمذهب السنة أنه، حسب ما يرويه الدباغ، تخلى عن الكثير من الآراء التي كان يؤمن بها والتي لا تنسجم وما يقول به الأشاعرة، فقد كان في الأول يبطل جواز الكرامات على الأولياء والصالحين، وينفي خرق العادة على يدهم، لكنه رجع عن ذلك وألف كتابا في جوازها. (انظر الدباغ ـ *معالم الإيمان*، تونس ج 3. ص 140).

لم يحدث هذا التقارب صدفة ؛ إن ثمة أسبابا سياسية وراء ذلك أهمها أن الأشاعرة كانوا متصدين لنقد عدوهم وعدو الدولة العباسية : الدولة الفاطمية، صيغتها العقائدية : الإسماعيلية الباطنية، وهو شيء صفق له مالكية الغرب الإسلامي، والقيروان خاصة، لا سيما وأن من بين كبار الأشاعرة الذين ناهضوا الباطنية وكشفوا فضائحهم، شخصيات تنتمي فقهيا إلى المذهب المالكي، من أمثال الباقلاني (ت 403 هـ) الذي قاوم التشيع بضراوة مما خلق له أتباعا قيروانيين. وتجدر الإشارة بهذا الصدد إلى أن أبا عمران الفاسي المغربي رحل إليه إلى بغداد ليأخذ عنه، ودرس عليه الفقه والأصول ثم عاد إلى القيروان حيث وافته المنية.

ومن المؤكد أن ثمة أهدافا سياسية واضحة وراء نشر الأتباع في القيروان، فقد أنيط بهم كأشاعرة مالكيين بالغرب الإسلامي، دور دعاة للخلافة العباسية بالمشرق، والتي هي خلافة، كانت تسعى إلى أن تزيل من نفوس المغاربة ذلك "التصلب" النفسي الذي تركهم، حتى في ميدان أصول الدين، متمسكين بمواقف مالك المعادية لعلم الكلام، كخطوة لتخليصهم من الارتباط بمالك، حتى في مستوى الفقهيات، لأنه بالذات، ارتباط لعبت عليه الدولة الأموية بالأندلس ودولة الأدارسة بالمغرب وجعلتاه أحد دعائم وركائز دوليتهما.

والملاحظ أن جل العلماء الأندلسيين الذين رحلوا إلى الشرق، اعتنقوا المذهب الأشعري، لاحتكاكهم هناك برؤوسه، وبأهم مصنفاته، فالباجي الأندلسي من الذين درسوا على أحد كبار الشافعية والأشاعرة وهو "الخطيب البغدادي" (ت 463 هـ) وعملوا على نشره بالأندلس، ومناظراته مع ابن حزم في هذا المضمار معروفة.

وقد أخذ الارتباط بين المذهب المالكي والمذهب الأشعري يتقوى، وأخذ يطرح نفسه كأمر واقع، وأصبح ارتباطا وثيقا. فنجد عبد الواحد بن عاشر الفاسي، وهو من كبار فقهاء القرن الحادي عشر / 17 م يقرن في *المرشد المعين* بين العقيدة الأشعرية، والفقه المالكي، وتصوف الجنيد، كمذاهب متجذرة في المغرب جار بها العمل :

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك

غير أن محاولات هامة، عرفها التاريخ المغربي الحديث، كانت ترمي إلى فك ذلك الارتباط وإرجاع الأمور إلى نصابها، أي الرجوع بالعقيدة إلى صفائها الأصلي، ويتحدث المؤرخون عن محاولة السلطان العلوي سيدي محمد ابن عبد الله (1757 ـ 1790) الذي كان يقول بضرورة "الاعتقاد المأخوذ من ظاهر الكتاب والسنة بلا تأويل". كما كان ميالا إلى مواقف الحنابلة في الاعتقاد :"فطريق الحنابلة في الاعتقاد سهلة المرام، منزهة عن التخيلات والأوهام، موافقة لاعتقاد الأئمة كما سبق مع السلف من الأنام، أعاشنا الله على ما عاشوا عليه وأماتنا على ما ماتوا عليه".

كما أن السلطان العلوي سليمان بن محمد (1792 ـ 1823)، ذهب أكثر من والده سيدي محمد بن عبد الله في الدفاع عن السنة الخالية من الأساليب الدخيلة، متأثراً في ذلك بالحركة الوهابية على الخصوص. وقد ضمَّن مجموع أفكاره في خطبة وضعها بهدف القضاء على "البدع" ومقاومة الطرقية والصوفية والأولياء. وهذا ما جعل السلفيين المغاربة المعاصرين يعتبرون تلك الخطبة بمثابة ميلاد السلفية المغربية المعاصرة، ويعملون على نشرها سنة 1935 وتوزيعها، ومن بين من لعب دورا هاما في ذلك المرحوم علال الفاسي، والأستاذ محمد إبراهيم الكتاني...


أ. الأشعري، *الإبانة عن أصول الديانة*، نشر محب الدين الخطيب، القاهرة 1397 هـ ؛ أ. الأشعري، *رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام*، منشورة ضمن مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ج 1، بيروت 1978 ؛ أ. الأشعري، *مقالات الإسلاميين*، نشر محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1950 ؛ أ. الاسفرابيني، *التبصير في الدين*، بيروت 1983 ؛ الشهرستاني، *الملل والنحل*، بيروت 1975 ؛ ع. البغدادي، *الفرق بين الفرق*، بيروت 1977 ؛ *أصول الدين*، استانبول 1928 ؛ *الملل والنحل*، بيروت، 1970 ؛ ابن أبي زيد القيرواني، *الرسالة*، بيروت (د. ت) ؛ أ. المقري، *إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة* بشرح الشنقيطي، بيروت (د. ت) ؛ البيجوري، *تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد* للقاني، بيروت، 1983 ؛ القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، ج2، الرباط 1966 ؛ الراعي الأندلسي، *انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب مالك*، بيروت 1981 ؛ ع. ابن الجوزي، *تلبيس إبليس*، القاهرة 1368 هـ ؛ ابن حنبل والبخاري والدارمي، *عقائد السلف*، جمع علي سامي النشار، الإسكندرية، 1971 ؛ ابن عبد البر القرطبي، *جامع بيان العلم وفضله*، بيروت ، (د. ت) ؛ ابن عساكر، *تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري*، بيروت، 1979 ؛ مالك بن أنس، *الموطأ*، مع شرح الجلال السيوطي، بيروت (د. ت) ؛ الدباغ، *معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان*، تونس 1320 هـ. س ؛ يفوت، *ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس*، الدار البيضاء، بيروت، 1987 ؛ ج. كاني، *بعض مشاهير الحركة السلفية في المغرب*، تعريب زبيدة بورحيل، سعيد النجار، مجلة البحث العلمي، عدد 35، 1985 ؛ السلطان سليمان العلوي،

*الانتصار للسنة ومحاربة بدع الطوائف الضالة*، المطبعة الجديدة، فاس.

H. Laoust. *la profession de foi d'Ibn Batta*, Damas 1958 ; *Essai sur les doctrines sociales et politiques d'Ibn Taimiya*, le Caire, 1939.

سالم يفوت

**الأشقر**، أسرة تطوانية أصلها من ناحية جبالة بالقرب من القصر الكبير، وكان منها بتطوان المسمى المصطفى المهدي الأشقر الذي كان يزاول مهنة قائد الجيش بحامية المدينة سنة 1247 / 1830. كما كان منها الفقيه العدل محمد ابن يعقوب الأشقر الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1281 / 1864، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ م، داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 300 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* 1.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *familias ilustres de Tetuan* 1921, (A) Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) *Vademecum de intervenciones* (ano 1931) (A). M. Ibm Azzuz Hakim, *apellidos tetuanies de origen espanol* (1949) (A).

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **الأشْقَر**، أسرة صنهاجية عاشت في سبتة وتازا وفاس، وخدم بعض رجالها الدولة المرينية، عُرف منهم :

ابن **الأشْقَر**، **أحمد** بن محمد الصنهاجي، كان ناظراً للأحباس بمدينة فاس أيام أبي الحسن المريني. وهو الذي أشرف على بناء قبة الجبس المتقنة الصنع بالبلاط الأوسط المقابل لباب الكتبيين من جامع القرويين التي علقت فيها الثريا النحاسية العظيمة المصنوعة من الناقوس الكبير المستجلب من جبل الفتح (جبل طارق) حين فتحه أبو الحسن المريني عام 733 (ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس* 75 - 76) وكان تمام بناء القبة وتعليق الثريا في منتصف شوال عام 737 هـ.

ابن **الأشْقَر**، **عبد الرحمان بن إبراهيم** الصنهاجي التازي، كاتب أبي الحسن المريني، أديب شاعر ناثر، لقيه إسماعيل بن الأحمر وترجم له في *نثير فرائد الجمان* وحلاّه بنعوت علمية سامية وذكر عن حاله أنه"رُشح للعلامة، مع من وسم لها بالعلامة، لشروطها الموفرة فيه، من القدرة في أسبابها والترفيه، من أدب يقتني،و وكتب به يعتنى إلى صباحة الشيبة، وجميل الحضور والغيبة" (ص 346) وأورد له مقتطفات من قصيدة تائية طويلة مدح بها أبا الحسن المريني مطلعها :

| | |
|---|---|
| نوالُك مُزنٌ للغمائم باعثٌ | ووجهك خدنٌ للمنيرَيْن ثـالـثٌ |
| وبابُك كهفٌ للأنام وملجأ | إذا ناب خَطب أو تفاقم حادثٌ |

ع. الجزنائي، *جني زهرة الآس*، 75 - 76 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 134 - 135.

محمد حجي

ابن **الأشْقَر**، **عبد الرحمان بن محمد** الفاسي أصلا وسكنى. من أدباء وشعراء الدولة المرينية، إلا أنه لم يصلنا إبداعه. قال عنه ابن مرزوق إنه صدر من الصدور، واحد كتاب أبي الحسن المريني. وكان يشارك أبا علي بن تدرارت في كتابة الكتب الملوكية وأشباهها، فينشئ ويجيد.

كما وصفه بأنه وقور، منقبض إلا فيما لا بد له منه، ديّن، سليم الصدر.

درس بفاس على أكبر شيوخها، وأشهرهم ابن أجروم، وإلى جانب اللغة والأدب، كان لابن الأشقر اهتمام بالتاريخ وأيام الناس. وهي العلوم الضرورية لمن رغب في تقلد منصب الكتابة.

وكان له ابن اسمه عبد العزيز شاركه في الكتابة بالبلاط المريني. توفي المترجم له بفاس. ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته.

تحدث ابن الأحمر عن أحد كتاب أبي الحسن المريني وشعرائه يدعى ابن الأشقر عبد الرحمان بن إبراهيم التازي، وليس في حديثه ما يشير إلى أنه نفس الشخص الذي نترجم له، وإن التبس الأمر على ناشر كتاب *الإعلام* (8 : 104).

م، ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن* ؛ القسم الذي نشره ليفي بروفنصال في مجلة هسبريس 1925، ص 1 - 82 ؛ م. ابن الأحمر، *نثير فرائد الجمان* ؛ تحقيق محمد رضوان الداية، ط. بيروت 1967 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام* 8، 103 - 104.

ابن **الأشقر**، **عبد الله** كان فقيها عالما، خطيبا. تولى قضاء عدوة القرويين بفاس مدة طويلة، وصرف بالقاضي عبد الرحيم بن إبراهيم اليزناسني.

وقد تولى اليزناسني قضاء فاس في الفترة الأخيرة من عمر الدولة المرينية على عهد عبد العزيز بن أحمد المريني المتوفى سنة 799 / 1396، وبقي في منصبه إلى عهد عبد الحق الثاني، إذ كانت وفاته سنة 834 / 1430.

وبذلك يكون ابن الأشقر قد تقلد قضاء فاس في الربع الأخير من القرن الثامن الهجري. ولا نعرف تاريخ وفاته.

أ. ابن القاضي، *جذوة* 2 : 417 - 424 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية* 1 : 41.

حسن جلاب

**الأشقر**، **محمد** السبتي، أستاذ مجود حسن الصوت نيّف على المائة سنة ولم يتغير لرؤيا صالحة رآها في منامه وهو مايزال في ابتداء الكهولة، أوردها مفصلة التميمي في *المستفاد* ونقلها ابن القاضي في *الجذوة*.

تنقل محمد الأشقر في عدة مدن يقرئ القرآن الكريم وحصل على ثروة هامة. سار من سبتة إلى القصر، ثم إلى فاس وأغمات حيث شارط نحو ثلاثة أعوام وخرج منها بسبعمائة دينار. لايُعرف تاريخ وفاة محمد الأشقر إلا أنه كان معاصراً للتميمي الذي روى عنه مشافهة .وبذلك فهو من رجال القرن السادس.

أ. القاضي، *جذوة*، 134 - 135 ؛ ع بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 69.

محمد حجي

**أشقار** - تاريخ قديم - يضمُّ مجمع أشقار ستة مواقع أثرية. قام بالبحث فيها عدد كثير من الباحثين منذ نهاية القرن الماضي إلى يومنا هذا، ويوجد هذا المجمع على بعد بعض كلمترات جنوب مدينة طنجة (انظر الرسم 1 و2)، وهو يضم ست مغارات أثرية. أطلق على ثلاثة منها اسم مغارات الخيل، وتوجد على الضفة الشمالية لنهر أشقار. وقرب رأس سبارتيل توجد مغارات هرقل، العالية، والتماثيل ( idoles ) (انظر الرسم رقم 2).

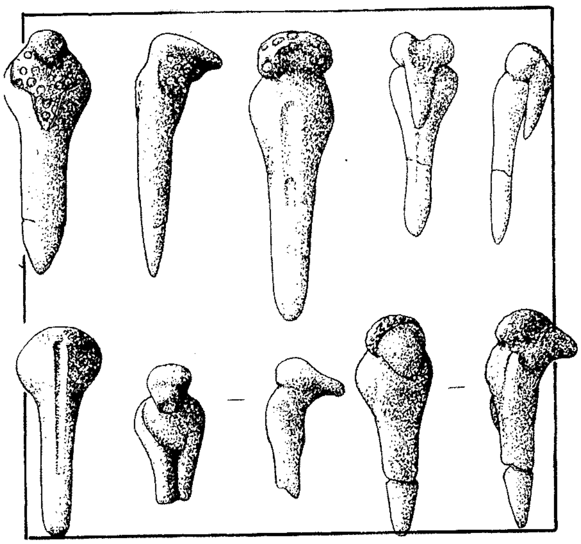

تماثيل طينية بأشقار : مغارة التماثيل (كامبس 1974)

يرجع البحث في هذه المغارات إلى أواخر القرن الماضي. لعل أهميتها العلمية بدأت منذ سنة 1875 حينما بدأ التنقيب بها على يد الباحثين بلايشير وزميله شارل تيبو (Bleicher et Ch. Tibot) كما تابع الأبحاث بوشي Buchet وكان هو أول من أطلق اسم "مغارة التماثيل" على إحدى المغارات وذلك نظراً لوفرة التماثيل "Idoles" التي تم استخراجها منها. ومن ثَم عرفت المنطقة عدة باحثين آخرين نذكر منهم بيارناي (سنة 1940) S. Biarnay وهانري كولير Henry Koehler ما بين 1922 و1927 ثم ناهون ودوليتل Nahon et Doolittle ما بين 1936 و 1939 وهيكن سنة 1947 H. Henken الذي تابع الأبحاث خاصة بالمغارة العالية. كما اهتم بالمنطقة كذلك جودان (1958 - 59) Jodin وخاصة مغارات الخيل، كما استأنف هذا البحث دوكا J. P. Daugas سنة 1984. ولعل اهتمام هذا العدد الكبير من الباحثين في حقل ماقبل التاريخ بهذه المواقع لأكبر دليل على أهميتها فيما يخص تاريخ المنطقة بصفة خاصة وتاريخ علاقات دول البحر المتوسط بصفة عامة.

الأدوات التي تم العثور عليها : إن أهم المخلفات الأثرية التي تم استخراجها بمختلف مغارات أشقار يعود تاريخها إلى العصر الحجري الحديث. أما الأدوات التي تعود إلى الحضارات السالفة الايبيروموروسية والعتيرية فهي جد نادرة نجتزئ منها بذكر مايلي :

مكاشط 3،6 ٪ Grattoirs. مثاقب 4،1 ٪ Perçoirs. شفرات وشظايا مظهرة 2،6 ٪ Lames et éclats à dos. مسننات 16،9 ٪ coches et denticulés جيوميتريات 3،6 ٪ Géométriques حجر مصقول 1،5٪ Haches polies قاقمة 0،5 ٪ Herminettes مختلفات 20،1 ٪ Divers تصنيف 195 قطعة أثرية : مغارات الخيل، الطبقة الجيولوجية الثالثة (كامبس 1974) أما بالنسبة لأدوات العصر الحجري الحديث فأهمها الأدوات الفخارية والعظمية والمصنوعة من طين.

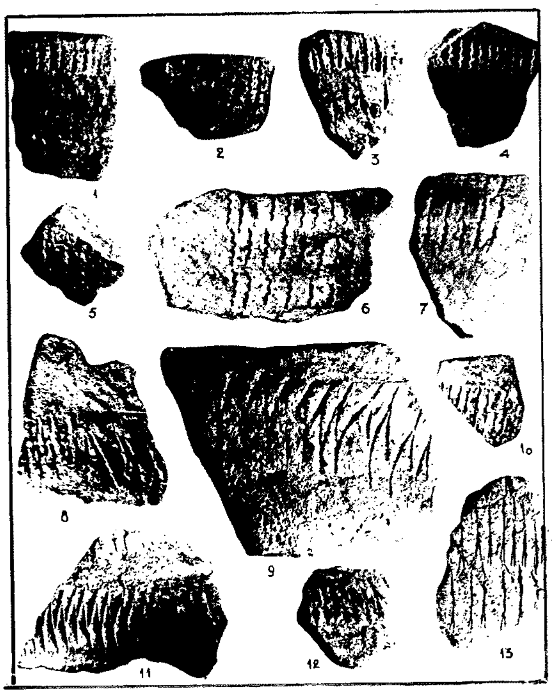

فخار الكارديال المطبوع بأشقار (جردان 58-1959)

الأدوات الفخارية : انظر الرسم (3 و4). لقد أعطت مغارات أشقار أواني فخارية عديدة وجد متنوعة، أقدمها فخار الكارديال نسبة إلى الكارديوم وهو نوع من الصدف البحرية Cardium استعمل كثيرا لزخرفة هذه الأواني. ومن مميزاتها الأقداح المخروطة الشكل، أما الزخرفة فتكون في كثير من الأحيان دائرية (Pivotant) وفي بعض الأحيان استعمل منقار هذه الصدف(Crochet de la coquille). ولعل أول محاولة لتأريخ هذا المستوى الأركيولوجي كان خلال سنة 1984 (دوگا 1985). بحيث أرجع تاريخه إلى 6050 + 120 سنة قبل الحاضر. بالإضافة إلى ذلك كان النقش إما أخدودياً Cannelé أو مطبوعا Impressionné.

الأدوات الطينية : لعل أهم الأدوات الطينية التي تم استخراجها من هذه المواقع وخاصة المغارة العالية التماثيل الطينية (انظر الصورة رقم 5).

الأدوات العظيمة : تتجلى الأدوات العظيمة خاصة في وجود عدة مثاقب ومخارز وأنابيب Poinçons, Perçoirs et Tubes.

ترجع أهمية مواقع أشقار إلى موقعها الجغرافي الهام، بحيث إنها لعبت دوراً هاما في انتقال الحضارات وخاصة

خلال العصر الحجري الحديث بين المغرب وشبه الجزيرة الإيبيرية. كما أن وفرة المواد الأركيولوجية التي تم استخراجها ساعدت على تتبع كل هذه التنقلات، وفي هذا الإطار كان يعتقد كثير من الباحثين أن حضارة الكامبانيفورم ظهرت بالجزيرة الإيبيرية ومنهاانتقلت إلى

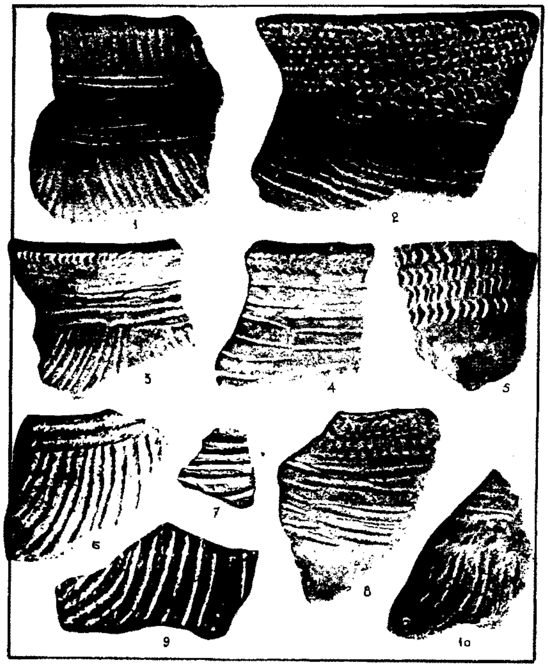

الفخار المخطوط (جودان 58 - 1959)

المغرب غير أن الأبحاث التي قام بها مؤخرا الباحث دوكا (1985) بدارسته لموقع الصخيرات الروازي ومراجعته لأدوات أشقار استنتج أن من بين أصول حضارة الكامبانيفورم نفسه موجود بالمغرب.


م.ع. الهجراوي، *أهم هجرات منطقة غرب البحر المتوسط خلال فترة ماقبل التاريخ* (مرقون).

R. P. Koehler (1929) : *Le vase néolithique de la grotte d'Achakar. B. S. P. M*, 3, nº 4, pp. 32 - 34 ; A. Jodin (1958 - 59) : *Les grottes d'Elkhils à Achkar,B. A. M*, 3 pp. 249 - 313 ; G. Camps (1974) : *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara.* Paris, Doin, 366 p ; G. Souville (1984) : *Achakar (Maroc) Enc, Berb.* I, Aix en - Provence pp. 107 - 111; P. Daugas (1985) : *Eléments pour une approche du néolithique Marocain, première table ronde sur la préhistoire Marocaine à Bordeaux.* Sous presse.


محمد.ع. الهجراوي

**أشقّار**، رأس يقع غرب مدينة طنجة على 35 درجة 47 دقيقة و 14 ثانية من خط العرض، و 5 درجة 55 دقيقة و 30 ثانية من خط الطول گرينيش ويفصل مياه بوغاز جبل طارق عن مياه المحيط الأطلسي.

وهو الذي أشار إليه الجغرافيون القدامى وأطلقوا عليه اسم أمبيلوسيا (Ampelusia). وأما أبو عبيد البكري فقد سماه جبل اشبرتال وهو الاسم الذي يعرف اليوم عند الأجانب "Espartel".

ويطلق اسم أشقّار بين سكان شمال المغرب على الحجر الصلب، وذلك لأنه كان يستخرج من رأس أشقار حجر الرحى الموجودة بالناحية.

وبالقرب من الرأس توجد مغارة تعرف بمغارة هرقل، كما يوجد بأعلى الرأس منارة يرى ضوؤها على بعد 23 ميلا، وكانت أول منارة أحدثت بالمغرب على إثر تعهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ببنائها في المعاهدة التجارية المبرمة مع إسبانيا بمدريد يوم 20 نوفمبر 1861 (الفصل 43).

وبمقتضى المعاهدة الدولية المبرمة بطنجة يوم 31 ماي 1865 اتفقت دول إسبانيا وفرنسا والنمسا وبلجيكا وبريطانيا وإيطاليا والبرتغال والسويد وهولاندا والولايات المتحدة الأمريكية مع المغرب على كيفية إدارة وصيانة المنارة المذكورة، وقد انضمت ألمانيا إلى هذه المعاهدة يوم 4 مارس 1878. وفي يومي 27 و 29 يناير 1891 وقعت كل من بريطانيا العظمى وفرنسا بلندن على اتفاقية خاصة بصيانة ملوّحة المنارة، ووافقت باقي الدول على ذلك فيما بعد.

وفي يوم 24 نوفمبر 1936 أصدرت إدارة طنجة الدولية قرارا برسم حدود أرض رأس أشقار بصفتها ملكا عموميا.


أبو عبيد البكري، بترجمة دوسلان :

*Description de l'Afrique Septentrionale*, p 113 Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa* 1930 (G) p 70 Domenech Lafuente (Angel), *Geografia de la zona norte del protectorado de Espana en Marruecos* 1942 p 63. Cabello Alcaraz (J), *Apuntes de geografia de Marruecos* 1951 p 43. Ibn Azzuz Hakim *Repertorio diplomatico marroqui*, Rabat, 1961.


محمد ابن عزوز حكيم

**أشقّار**، معركة تعرف بمعركة رأس أشقّار Espartel المعركة التي جرت بمياهه يوم 20 أكتوبر 1782 بين الأسطول الأنجليزي المكون من 34 قطعة حربية برآسة الأميرال الورد Howe وبين الأسطول الفرنسي - الإسباني الذي كان يتكون من 46 قطعة حربية ويرأسه الجنرال لويس دي كوردوبا Luis de Cordoba.

ودامت المعركة من الساعة السادسة مساء إلى العاشرة والنصف ليلا غير أنها لم تسفر عن أية نتيجة حيث لم يكن فيها لا غالب ولا مغلوب.


Sotomayor (Ernesto), *Nuestra marina de guerra.* مدريد1917 ص. 218


محمد ابن عزوز حكيم

**الأشقوبية**، اسم لعملة مغربية لم نقف على تاريخ بداية استعمالها بالضبط غير أنها كانت مستمرة الرواج الى بداية العهد العلوي، حيث ألغيت نهائيا، أثناء الاصلاح النقدي الذي قام به السلطان مولاي رشيد سنة 1670.

ويرجع هذا الاسم إلى نتائج التأثيرات المتبادلة بين المغرب والأندلس و بشبه جزيرة إيبيريا عموما في مجال العملة. فقد استعمل الإسبان مصطلحات مغربية منها مصطلح المرابطي للدلالة على عملة حسابية إسبانية من العهد المرابطي إلى القرن التاسع عشر بينما استعمل المغاربة مصطلحات إسبانية متعددة منها على الخصوص : الأشقوبية والدبلون والريال والدورو، والبليون "القرش".

اشتقت الأشقوبية من اسم مدينة أشقوبية ( segoia) التي اشتهرت بضرب النقود حتى الآن، تقع في الشمال الغربي من مدريد، وكان المسلمون قد احتلوا هذه المدينة لمدة نصف قرن ولم يستول عليها الإسبان إلا بعد موت المنصور بن أبي عامر.

وباعتبار أن القطع النقدية نادرا ماتكتب عليها أسماؤها وخاصة منها الفضية والنحاسية، فقد كان من العسير أن نعثر على قطع ذاتية تحمل اسم الأشقوبية ضمن المجموعات النقدية، فأغلب القطع إنما كانت تحمل اسم المدينة أو دار السكة التي ضربت فيها وتاريخ الضرب، وأحيانا أسماء الملوك أو عبارات أخرى ذات مضامين دينية غالبا.

ومما يحمل على الظن بأن بداية استعمال الأشقوبية يعود إلى العهد الموحدي، وجود بعض القرائن خاصة "الشكل المربع" الذي يجمع بين النقود الموحدية والأشقوبية، لكن الراجح، حسب ما هو ثابت في المصادر، أن مصطلح الأشقوبية شاع استعماله في الفترة الممتدة بين عهد الدولة السعدية وبداية الدولة العلوية، وقد راجت في فاس أيام الدلائيين، وانتشر استعمالها نحو الجنوب إلى الأطلس الكبير، ولم نعثر علي مايدل على استعمال هذا المصطلح في سهل سوس والأطلس الصغير - كما هو الشأن في كلمة دورو - إلا نادرا.

ومن حيث تحديد ماإذا كانت الأشقوبية عملة فضية أو نحاسية، فان الترتيب الزمني للمعلومات حسب المصادر التي رجعنا إليها، يفيد بأن الأشقوبية كانت عملة فضية قبل القرن السابع عشر ثم تحولت إلى مجرد نقود نحاسية مربعة، فصاحب *الاقنوم* يؤكد بأنها قطعة فضية، وقد حدد وزن الدرهم الأشقوبي بعشرين حبة وأربعة أسباع الحبة أي 20,57 حبة من حبوب الشعير.

والقدر في درهمنا الأشقوبي ... عشرون حبة من الحبوب
وزيد أربعة أسباع بأن ... أردت أدنى الصدقات لزمن

وهذا الوزن يساوي حوالي 1,2 غ من الفضة وهو أقل من نصف الدرهم الشرعي، وعلى أساس هذا الوزن ضربت موزونة مولاي رشيد التي قامت مقام الأشقوبية.

وكانت الموزونة الفضية "الأشقوبية" تصرف بثمانية وأربعين فلسا نحاسيا، ولكن إصلاح مولاي رشيد جعل صرف موزونته بأربعة وعشرين فلسا فقط، أما المصادر المتأخرة التي جاءت بعد *نشر المثاني*، مثل *الجيش العرمرم*، *والاستقصا*، *والاتحاف* فانها لا تذكر سوى الأشقوبية النحاسية المربعة التي وقع الغاؤها نهائيا سنة 1670.

ع. الفاسي، *الأقنوم في مبادىءالعلوم*. مخطوط الخزانة العامة رقم 15ك، ص 424 ؛ *العمل الفاسي*، شرح الرباطي، مخطوط الخزانة الصبيحية رقم 261 / 3 ؛ م. القادري، *نشر المثاني* 2 : 86. 87 ـ 191 ؛ م.اكنسوس، *الجيش*، 91.1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 41 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 3 : 12 و3 : 55 ؛ م. السراج، *الحلل السندسية في الأخبار التونسية*، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس ، 1970، 111 : 360 ؛ م حجي، *الزاوية الدلائية*، ص. 212 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 69 .

J. Gautier - Dalché, *Monnaie et économie dans l'Espagne du nord et du centre, VIIIe - XIIIe siècle*, H. T ; 1962, Vol. 3. P. 73 ; R. S. Veoman, *catalog of modern world coin*, 1950 - 1960, USA, 1972, pp 438 - 439.

عمرأفا

**إشْقيرنْ**، هي اتحادية قبلية صغرى، تشتمل على أيت إمزّاتن، وأيت بويعقوب أعيسى، وأيت عمرو أعيسى. (*البحث العلمي*، 24 : 80) ويمتد موطنهم حاليا بين وادي سبو أحد روافد أم الربيع وأعالي ملوية. وتتصدر قرية القباب مراكز نشاطهم الاقتصادي، لموقعها في ملتقى الطرق الآتية من أحواض ملوية وأم الربيع ووادي العبيد. ولانعرف بالضبط التاريخ الذي استوطن فيه الشقيريون في هذا المجال. ففي مخطوط بزاوية سيدي حمزة وردت إشارة تفيد أن قبيلة إشقيرن كانت تعيش في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي. في المنحدرات الجنوبية لجبل العياشي (Reynier.94) وعندما ترجم صاحب *الإحيا والانتعاش* لجده الأعلى موسى العياشي الذي لانعرف مع الأسف تاريخ ميلاده أو وفاته، ذكر أن إشقيرن كانت تعيش أيام هذا الأخير، في تزرفت، إلى جانب قبائل زمور، وملوان، وتزد، وأيت إلياس، وأيت سادن. وأيت عياش. وغيرهم من القبائل الصنهاجية. وكانت كل قبيلة تقيم في قرية خاصة بها (*الإحيا*، 8) وقد اتفقت تلك القبائل، حسب نفس المصدر، علي إقامة صلاة الجمعة في قرية واحدة، وبنوا خزينا مشتركا لحفظ المؤن (*الإحياء*، 8) وقد ظلوا على تلك الحال، إلى أن وقع الطاعون في تلك الديار ومات بها خلق كثير (*الإحيا*، 8) ولانعرف مع الأسف تاريخ تلك الآفة التي حلت بكثير من قرى المغرب. إلا أن إشارة وردت عند صاحب *مباحث الأنوار* تذكر أن الطاعون المذكور قد حدث زمن أبي بكر الدلائي (943 ـ 1021 هـ) وبالرغم من كوننا لا نتوفر سوى على أخبار متأخرة عن إشقيرن، إلا أنه يظهر أن القبيلة، قدمت إلى تلك المنطقة مع فصائل اتحادية أيت إدْرَاسْنْ التي خرجت من الصحراء الغربية مع أوائل الحركة المرابطية واستقرت هناك حوالي (1012 ـ 1013 م ) (*أثر التدخل الأجنبي* 12 ـ 13) ويمكن استنتاج ذلك من خلال إشارات صاحب *الإحيا والانتعاش* الذي ذكر أن إشقيرن كانت تعيش في منطقة تازرفت السالفة الذكر في وئام تام مع قبائل هذه الاتحادية. وقد ظلت إشقيرن وغيرها من القبائل الصنهاجية في الجنوب الشرقي، تمتهن الحرف والتجارة إلى أواخر القرن العاشر الهجري / السادس الميلادي، حيث استأنفوا رحلتهم نحو الشمال الشرقي، تحت ضغوط مجموعات قبلية أخرى بدأت في هذا الوقت تتطلع إلى الهجرة نحو الشمال تحت ضغوط اقتصادية وطبيعية. فقد ورد في *مخطوط* إبراهيم الناصري الذي نشره رينيي أن إشقيرن زمن المولى إسماعيل كانت تعيش في منطقة تُونْفِتْ إلى جانب قبائل أيت

شخمان وأيت إحند ( Un document., 38). وحسب نفس المصدر، فقد كانت هذه المنطقة موالية للمخزن وكانت تخضع لحكم القائد الشهير علي أبركة اليموري الذي عينه السلطان مولاي إسماعيل خليفة له في أغْبَالاً ( Un document., 38) وقد شاركت إشقيرن، إلى جانب الكثير من القبائل، في الحركات الإسماعيلية التي جردها لتطويع الأطلس المتوسط. ولعب بويعقوب الولالي دورا مًّا في تأليف قبائل المنطقة حول الحركة الإسماعيلية( 38. Un document., 40).

إن المصادر المتأخرة، تصنف إشقيرن ضمن أيت أَمَالُو. فقد ذكر صاحب *منظومة الأقنوم* (ص. 263) وبعده أشار الضعيف الرباطي إلى أن إشقيرن تنتمي إلى نفس القبيلة (*تاريخ الضعيف* : 349) ولا نعرف تاريخ دخول إشقيرن في هذا الحلف الذي وقف طيلة تاريخه في وجه السلطة المركزية لايذعن للخضوع .

إن الإشارات الواردة في المصادر المتأخرة تتحدث عن أيت أمالو أي القبيل الكبير الذي يضم إشقيرن وغيرها من القبائل. ولا نعثر على أخبار تتعرض لتاريخ هذه القبيلة إلا في سياق التأريخ لأيت أَمَالُو والقبائل التي تنحدر تحت لوائها. لذا نرى أنه من الأنسب إدراج تاريخ هذه القبيلة ضمن التاريخ العام لاتحادية أيت أَمَالُو منذ انضمامها إليها.

إلى جانب إشقيرن الأطلس، توجد قبيلة أخرى في الريف تحمل نفس الاسم، لا نعرف شيئا عن تاريخ رحيلها أو ترحيلها إلى هناك.

ع. الفاسي، *الأقنوم* ؛ ع. العياشي، *الاحيا* ؛ الضعيف ، تاريخ، العلوي التقي، *أصول المغاربة* ؛ اتحادية أيت إدراسن، *البحث العلمي* 24 ، 1975 ؛ كنينح، *آثار التدخل*.

Reyniers *Un Document sur la politique de Moulay Ismail dans l'Atlas* A. M, vol XXVIII, Paris 1931.

العربي كنينح

**إشكاجن إمي ← إداومحمود**

**أَشْكَلاَنْطْ**، وتكتب أيضا بدون همز، وبالسين المهملة ( شكلانط، أسكلانط، سكلانط) أسرة تطوانية، ورباطية، وسلاوية، أصلها من الأندلس حيث توجد أسر إسبانية تحمل نفس الاسم. Escalante، وكان جل أفرادها بتطوان يتعاطون الجهاد (القرصنة) في البحر المتوسط انطلاقا من وادي مرتيل، غير أن هذه الأسرة انقرضت بتطوان حوالي سنة 1194 / 1780.

وتوجد هذه الأسرة الأندلسية أيضا في سلا ورباط الفتح. ومن أشهر أفرادها :

**أشكلانط عبد الله** الفقيه الصوفي الرباطي المتوفي عام 1134، وكذلك :

**أشكلانط الهاشمي** محمد الفقيه المفتي الشاعر الرباطي السلوي.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ م.الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، 52 و145 و156 ؛ م بوجندار، *الاغتباط*، ص 464 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* (تحت الطبع ) ؛ م.حجي، *فهرس الخزانةالعلمية الصبيحية* بسلا، 325.

Delegacion de asuntos Indigenas, *Familias ilutres de Tetuan* 1921 (E) Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1928 (E) *Vedemecum de Intervenciones* (año 1931) (E). M. Ibn Azzuz Hakim, *apellidos tetuanies de origen espanol* (E).

محمد ابن عزوز حكيم

**أَشْكينازي**، يعقوب حبرٌ متجول وفد على المغرب أواخر القرن الثامن عشر أو أوائل التاسع عشر، وتوفي أثناء تطوافه قرب أنماي بضاحية مراكش، وأصبح قبره مزارة لليهود يحجون إليه من مختلف الجهات.

لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، ص 386.

شمعون ليفي

**أَشْمَاخ**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر الجبلية. وكان من بين أفرادها الفقيه محمد بن علي أشماخ الذي كان يتعاطى خطة العدالة من سنة 1188 (1774) إلى سنة 1210 (1796)، ومحمد بن محمد أشماخ الذي كان يتعاطى نفس المهنة سنة 1179 / 1983، ولازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 24 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 2 : 299 و 300. 7 : 244 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* (تحت الطبع).

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias illustres de Tetuan* 1921 (A) Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A). *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (A). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*. 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**أُشْنَة**، أو حَزَازَ، وليكْن Lichens، كائنان نباتيان مكونان من طحلب وفطرة يعيشان معا متكافلين، فالطحلب تنمو خلاياه بين هيفات الفطر. وهو بما لديه من كلوروفيل يصنع المواد العضوية بعملية التخليف الضوئي، بينما يمتص الفطر المواد الغذائية والماء ويعطي النبات شكلا محددا ويحميه من الجفاف.

الأشْنَات عديدة في المغرب، حيث تصادف على قشرة جذور الأشجار والأسوار والصخور. أما من حيث التصنيف فإن الأشنات تنقسم إلى ثلاثة أصناف :

- أشنات شجيرية : نباتات شجيرية الشكل متفرعة، تكون قائمة أو تتدلى من الأغصان التي تنمو عليها.
- أشنات ورقية : تكون أجسام النباتات على هيئة أوراق زاحفة فوق السطح الذي تنمو عليه دون أن تلتصق به.
- أشنات قشرية : تكون أجسام النباتات ملتصقة بقشرة جذوع الأشجار أو الصخور، ويصعب نزعها من هذه الأخيرة.

وتعتبر جميع أنواع الأشنات أشد تحملا من أي نوع

آخر من النباتات، فهي قادرة على النمو على الصخور، وفي ظروف بيئية جد قاسية مثل تلك التي تصادف في قمم الجبال الشاهقة.

إنها تأخذ غذاءها من الماء والهواء وغبار الجو، غير أنها لا تتحمل تلوث الجو. ولهذا فإن أحياء المدن الملوثة بالغازات السامة والأدخنة تكاد تخلو من الأشنات. وكانت لهذه الملاحظة تطبيقات جد هامة ومنها القيام ببلورة خرائط حالات تلوث أجواء المدن، إذ أن الغازات السامة تقتل الأشنات، كما هو الحال في وسط مدينة كبيرة.

خليل، *النبات*، كتاب المعرفة (3). الجزء الأول، كلية العلوم، جامعة القاهرة ؛ *بحث ميداني*.

عبد المالك بنعبيد

**أشهبار، الحاج علال** بن قدور. ولد سنة 1915 بدوار ويسلي بالمنطقة الشمالية . التحق بصفوف جيش التحرير يوم 2 أكتوبر 1955، وحمل السلاح بجانب إخوانه المجاهدين ضمن الوحدة التي كان يرأسها مسعود أقجوج، إلى أن ألقي عليه القبض من طرف قوات العدو التي نفذت في حقه حكم الإعدام بجبل المرج.

*وثائق المندوبية السامية للمقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**الأشولية**، ـ حضارة قديمة ـ تنتمي الحضارة الأشولية إلى فترة العصر الحجري القديم، وتعتبر ثاني حضارة عرفها المغرب بعد حضارة الحصى. وسميت بالأشولية نسبة إلى موقع سانت أشول الموجود بفرنسا حيث اكتشفت لأول مرة.

1) مميزات الفترة الأشولية : تشكل الفترة الأشولية محطة هامة في تاريخ الإنسانية، بحيث إن الإنسان أصبح يتقن أكثر فأكثر طريقة نحت أدواته ويتحكم في الشكل النهائي للأداة، وبذلك يمكن له أن يصور ويحدد الشكل والحجم في ذهنه قبل بداية النحت. كما أصبح قادرا على نحت الحجر من جهتين وبصفة كاملة، مما أدى إلى ظهور الأدوات المسماة بالمحفر "Bifaces" وذلك عكس ما كان متداولا في الحضارات السابقة، حيث كان الإنسان يكتفي بإزالة بعض الشظايا فقط من جهة واحدة ليعطينا "الحجر المعدل" "Chopper" أو من جهتين وبصفة غير كاملة ليصبح الحجر المعدل "حجرا قاطعا" "Copping - tools". ويعتبر هذا التطور تقدما كبيرا في تقنية طريقة النحت، وهذا ما أدى إلى ظهور الأدوات المميزة لهذه الفترة وهي "المحافر" "Bifaces" بالنسبة لأوروبا وإفريقيا وجنوب إسبانيا. كما عرفت هذه الحضارة الأدوات فوق الشظايا والعظام.

وقد تبين من خلال بعض الأبحاث الحديثة أن قبائل عايشت الإنسان الأشولي، كانت في غنى عن المحافر، أولم تستعملها إلا نادرا كالقبائل التي تم العثور على بقاياها بموقع سيدي عبد الرحمان امتداد ناحية الدار البيضاء (A. Debenath,1982 ) وموقع الضاية الحمراء قرب مدينة تفلت (الهجراوي، 1985)، وقد تكون هذه المواقع عبارة عن "مصانع" للنحت. ولعل الأبحاث المستقبلية ستزودنا مما لا شك فيه بمعلومات جديدة تقربنا من الحقيقة. ومثل هذه القبائل كمثل المسؤولين عن حضارة اللوفالوازيان والطايسيان بأوروبا.

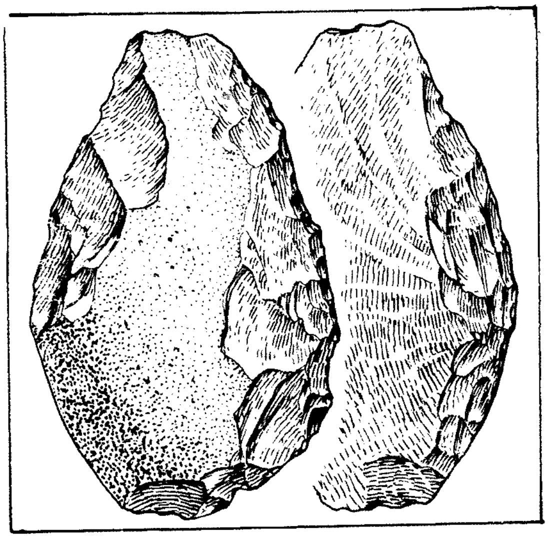

الحضارة الأشولية : محك عثرعليه بموقع الضاية الحمراء.

ومن مميزات الحضارة الأشولية كذلك، استعمال الإنسان لأودات نحت رطبة "كالخشب وقرون بعض الحيوانات" عكس ماكان سائدا في الحضارات السالفة، وهذا الاكتشاف مهم أيضا، لأن استعمال أدوات نحت رطبة، من شأنه أن يسهل على الناحت التحكم أكثر فأكثر في الشكل والحجم الذي ينوي الوصول إليه، كما أنه في هذه الحالة يكون النحت جد مستقيم ومنظم.

2) الحضارة الآشولية بالمغرب : لقد عرف المغرب الإنسان الأشولي خلال الفترة الممتدة ما بين 1000000 إلى 80000 سنة تقريبا، وتوجد مخلفاته بعدة مواقع أهمها مواقع سيدي عبد الرحمان، مقلع طوماس، الضاية الحمراء، ترسبات وادي بهت، ووادي ملوية. وأهم البقايا العظمية للإنسان الأشولي التي تم اكتشافها : فك عثر عليه بموقع سيدي عبد الرحمان (200000 سنة) فك إنسان الرباط (165000 سنة). ولعل تشابه الأدوات الأشولية الموجودة بالمغرب وكذا التي تم العثور عليها بإسبانيا وخاصة بموقع طورالبا، 100 كلم شرق مدريد ليعتبر خير دليل على انتقال هذه الحضارة بمميزاتها الإفريقية إلى إسبانيا عبر المغرب وخاصة خلال الفترات الجليدية بحيث كان مستوى البحر المتوسط ينقص عن الشكل الحالي، وبالتالي كانت عملية اجتياز مضيق جبل طارق تتم بسهولة. ومن أهم الأبحاث التي أجريت على الحضارة التي نحن بصددها، ما قام به الباحث الفرنسي (بيبيرسون P. Biberson, 1961) والذي استطاع أن يقسم هذه الحضارة إلى ثمانية مراحل، لكل واحدة منها مميزاتها الخاصة بها، وذلك اعتمادا على الترسبات البحرية وكذا تطور الأدوات.

2 ـ 1) الفترة الأشولية القديمة : تتميز المرحلة الأولى بمحافر بدائية، خشنة الشكل منحوتة بصفة غير دقيقة وغير

منظمة، مثلثة الشكل في بعض الأحيان، ومتعددة الجوانب أحيانا أخرى، هذا زيادة على الحصى المعدل والحصى القاطع المعروفين في الحضارة التي سبقت الحضارة الأشولية وكذا التي ستأتي من بعد.

أما في المرحلة الثانية والثالثة، فقد أصبحت المحافر الثلاثية الشكل أكثر عددا بالنسبة للمرحلة الأولى.

2 ـ 1 ـ 1) الفترة الأشولية الوسيطية : خلال الفترة الأشولية الوسيطية أي المرحلة الرابعة ثم الخامسة والسادسة نلاحظ تنوع شكل المحافر وتجددها مع اندثار الشكل المثلث. أما الفؤوس الحجرية فقد اتخذت أحجاما مختلفة، كما ظهرت الأدوات فوق الشظايا (محكات، مكاشط..) وتقنية النحت المسماة "بلوفالوا" والأدوات العظمية.

2 ـ 1 ـ 2) الفترة الأشولية المتطورة : مع المرحلة السابعة، ازدهرت تقنية النحت وظهرت محافر جديدة أحسن تهذيبا وأجمل شكلا، كالمحافر الرمحية أو البيضوية الشكل،. أما فيما يخص الفؤوس الحجرية، فلقد أصبح عددها جد ضئيل عكس الأدوات على الشظايا التي تنوعت وكثرت (محكات، مكاشط...)

أما في المرحلة الأخيرة أي الثانية، فقد أصبحت المحافر صغيرة الحجم، قلبية الشكل تذكرنا بمحافر الحضارة المونستيرية التي تأتي مباشرة بعد الحضارة الأشولية، كما ظهرت أدوات فرق شظايا لوفالوا.

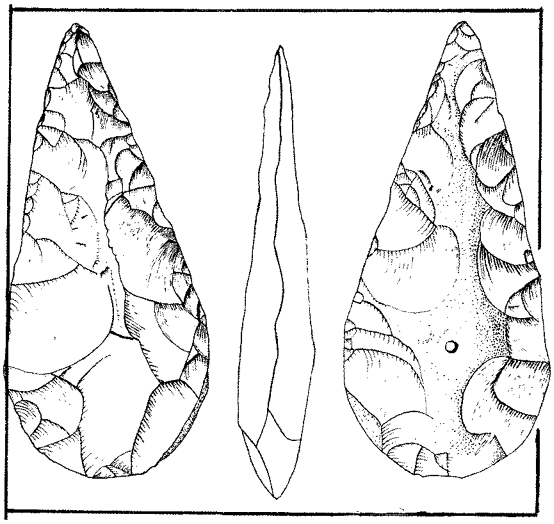

II آلات حفر عثر عليها بمقلع طوماس

ومن خلال هذه النظرة للحضارة الآشولية يتبين بأن من مميزاتها ظهور المحافر والفؤوس الحجرية وكذا تقنية لوفالوا والأدوات على الشظايا والعظام، كما استعمل الإنسان لأول مرة أدوات نحت رطبة. ويعتبر المغرب من أهم المناطق في العالم التي مكنت الباحثين من الوقوف على تطور وتسلسل الحضارة الأشولية، وذلك بفضل تعدد الترسبات البحرية بموقع سيدي عبد الرحمان، واختزانها لمختلف مراحل هذه الحضارة، هذا هو ما أعطى للموقع شهرته العالمية، كما عرف الإنسان الأشولي عدة مناطق مغربية.

Biberson, P. (1961), *Le Paléolithique inférieur du Maroc atlantique*, P. S. A. M, n° 17, Casablanca ; Bordes, F. (1968), *Le Paléolithique dans le monde*, ed. Hachette, l'univers des connaissances ' Debenath, A. et al. (1981 - 1982), *Mission préhistorique et paléontologique française au Maroc*, Rapport d'activités ; EL Hajraoui, M. A. (1985), *Les industries préhistoriques de la région de la Mamora dans leur contexte géographique et paléopedologique*, Thèse de 3 ème cycle, Université de Bordeaux I.

محمد عبد الجليل الهجراوي

**الأشياخ**، (جامع ـ ) بناه إدريس الأزهر عام 192 / 808 في مكان كان يدعى برحبة البئر من عدوة فاس الأندلس، وهو أول ما بنى بها بعد أن أدار عليها السور، وأقام به الخطبة، فكان هو المسجد العتيق بمدينة فاس، واستمرت فيه الخطبة طول عهد الأدارسة إلى أن نقلها منه إلى جامع الأندلس حامد بن حمدان الهمذاني عامل أبي عبد الله الفاطمي الشيعي المتغلب على فاس عام 321 / 933. ويرى لوطورنو أن الأشياخ الذين ينسب إليهم الجامع هم أعيان البربر أنصار إدريس أمثال أوربة وزواغة الذين كانوا يجلسون في المساء بالمسجد يتداولون.

وقد تهدم جامع الأشياخ منذ مدة ويدعى اليوم جامع النوار، وهو واقع بأعلى عقبة الصفاح من حومة گرواوة عند مدخل زنقة سيدي بوجيدة من عدوة فاس الأندلس.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ ر. لوطورنو، *فاس قبل الحماية* ـ ترجمتنا العربية ـ ج 1.

محمد حجي

**أشْيُوق**، أحمد بن محمد. ولد عام 1911 بدوار توداك، فرقة المرابطين، زناگة، اصبويا، كان ينتمي لعائلة معروفة بالكفاح والنضال، وقد انخرط في صفوف جيش التحرير بصحراء المغرب منذ سنة 1957، وتدرب على حمل السلاح وخاض معارك منها المعركة التي دارت رحاها بأحد قبيلة صبوية، قيادة أيت باعمران، واستشهد على إثرها بتاريخ 26 نونبر 1957.

*وثائق المدوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.*

عز الدين العلام

**أصاصاي**، إبراهيم بن موسى، أبو إسحاق، واسم أصاصاي ـ بصادين مشمومتين زايا ـ ذكره صاحب *التشوف* وعده من العباد الصالحين وكان ممن تجاب دعوته على الظالمين، ويظهر من معنى لقبه أنه كان من البله لأن أصاصاي تعني الثقيل في سمعه أو فهمه، وموته بدكالة سنة 615 هـ.

التادلي، *التشوف*، ص420.

**أصَّادة**، هي بالتأكيد صيغة معربة لأصَّادنْ، وهو جمع، والصاد فيه مشمومة زايا، والفعل الذي اشتق منه الاسم يعطي لأزاضن معنى أهل الأرحاء الحجرية أو أهل النسيج. ذكر البكري (ص. 114) أصادة على أنها مدينة قرب ورغة ببلاد بني مسارة، وذكر البيذق (ص 43) أن أصَّادنْ قبيلة الموحدين، ولا شك أنه يعني بها تلك التي في عمق جبل درن في واد تحت قمة تُبكالْ، غربيها، تتكون من

عدة قرى على نهر يسمى في شطره الأسفل بنهر ويرگان. أما ابن خلدون فيرى أن أصادة لها بطون في شمال المغرب وفي جبال درن وقد لا يكون للاتفاق في الاسم معنى الارتباط بالنسب ضرورة.

أحمد التوفيق

**أَصِقّال**، وترد معرفة في بعض الوثائق "الصِّقال" أسرة مكناسية، أقدم من عرف منها في القرن العاشر الهجري/16 م. أحمد الصيقال الذي نقل عنه المنجور في *فهرسه* (ص 44) تاريخ ولادة ابن غازي. وجاء عن أصل هذه الأسرة في الديوان الإسماعيلي، أولاد أصقال، سؤال. وفيه أيضا، أولاد أصقال، أهل زقاق الحجامين، من الأندلس،. وفي وثيقة تعريف بشهود (عام 1115 هـ) تعريف بالفقيه العدل الرضي على أصقال. وفي وثيقة ثالثة (18 رجب 1152 هـ) تعريف بعائشة بنت قدور أصقال ووارثها ابن عمها الحاج حدو بن عبد الرحمان أصقال.

أ. المنجور، *الفهرس* ؛ *الديوان الإسماعيلي*،مخطوط ؛ وثائق عدلية خاصة ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 : 341.

محمد المنوني

حزب **الإصلاح** الوطني، أول حزب سياسي وطني تأسس بالمغرب في عهد الحماية، وكان نشاطه بشمال المملكة الذي كان آنذاك خاضعا للحماية الإسبانية، وكان مقره بتطوان حيث أعلن عن تأسيسه يوم ثالث شوال 1355 / 18 ديسمبر 1936. اختير يوم ثالث شوال بالذات لأنه اليوم الذي توفي فيه أبو الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة سنة 1353 / 9 يناير 1935.

وحيث إن حزب الإصلاح الوطني كان هو الحزب الوطني الوحيد الذي اعترفت إدارة الحماية بمشروعية وجوده، فقد ظلت حقيقة أمره مجهولة بسبب عدم نشر الوثائق المتعلقة به، الشيء الذي جعل بعض الكتاب يصدرون أحكاما مسبقة لا سند لها لكونها مبنية على الأوهام، أو يضعونه في قفص الاتهام، لا لشيء إلا أن نشأته تزامنت مع الانقلاب العسكري الإسباني الذي أطاح بالنظام الجمهوري في إسبانيا، فقالوا عنه إن صانعه هو الجنرال فرانكو الذي تزعم الانقلاب المذكور.

يقول في هذا الصدد الطيب بنونة في كتابه *نضالنا القومي* (ص 317، تعليق 2) إن "الجماعة الوطنية في تطوان كانت تفكر في تأسيس الحزب المذكور قبل أربع سنوات من إعلانه، وليست فكرة الحزب السياسي وليدة حركة فرانكو كما يدعيه بعض الكتاب الذين يهدفون إلى التعريض بحركتنا الوطنية بالباطل والبهتان".

ويؤكد كلام بنونة هذا ما وجدناه في *مذكرات* الأستاذ عبد الخالق الطريس ليوم 18 أكتوبر 1932 حيث يقول إنه في اليوم المذكور بدأ في وضع مشروع النظام الأساسي للحزب الوطني الذي كان يفكر في تأسيسه، وهذا المشروع الذي نتوفر على نسخته الأصلية بخط يد صاحبها وتحمل تاريخ 11 نوفمبر 1932، بل إننا نتوفر على وثائق تشهد على أن الفكرة بدأت تراود الطريس وهو لازال طالبا بجامعة القاهرة حيث نجده يقول في رسالة وجهها لصديقه الطيب بنونة المذكور الذي كان يتابع دراسته بنابلس (فلسطين) يوم 7 مارس 1930 :"متى سيعلم الناس عندنا قيمة التعليم والثقافة فيمدون يد المساعدة ويقبلون على إدخال أولادهم لما ينشأ من المدارس الوطنية الحرة، وعلى إنشاء صحيفة وتأسيس جمعية وطنية تكون نواة لحزب سياسي يضم جميع العناصر الحية في وطننا".

وفي يوم 5 سبتمبر 1930 شارك الطريس مع جماعة من الوطنيين بتطوان وعلى رأسهم الحاج عبد السلام بنونة في تأليف أول هيئة وطنية سرية بناء على توصيات الأمير شكيب أرسلان الذي كان قد زار تطوان في أواسط شهر غشت من نفس السنة.

وفي يوم 23 نوفمبر قام الطريس بتأسيس أول جمعية وطنية مغربية بالخارج هي جمعية الدفاع عن القضية المغربية التي تأسست بالقاهرة. والطريس هو الذي أشرف على تأسيس هيئة وفد مطالب الأمة التي حلت محل الهيئة الوطنية الأولى، وذلك يوم 19 يونيو 1931 بتطوان، هذه الهيئة التي أصبحت ابتداء من فاتح أبريل 1932 تحمل اسم الهيئة الوطنية بشمال المغرب وكان يرأسها الأستاذ الطريس.

وفي 16 يناير 1933 تألفت بتطوان هيئة وطنية خاصة أطلق عليها اسم الهيئة التحضيرية لنظام حزب الإصلاح الوطني، وكان يترأسها الفقيه محمد الصفار، وقد سبق لي أن نشرت محاضر جلساتها في *وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب* (ص 73) ومن ضمن هذه المحاضر المحضر الخاص بالجلسة الختامية ليوم 11 فبراير من نفس السنة التي اتفقت فيها الهيئة على غايات حزب الإصلاح الوطني.

وللطريس يرجع الفضل في أنه أنشأ يوم 20 نوفمبر 1933 هيئة العمل الوطني بشمال المغرب التي كان يرأسها والتي قررت في جلستها الأولى أن "تكون هيئة سرّية يمكن في وقت من الأوقات أن تعلن عن نفسها تحت اسم حزب الإصلاح". وفي جلستها ليوم 18 ديسمبر من نفس السنة ناقشت الهيئة مشروع القانون الأساسي لحزب الإصلاح الوطني ثم وافقت عليه في جلستها المنعقدة يوم 26 يوليوز 1934.

وفي 26 سبتمر 1934 قبل الأستاذ الطريس منصب مدير عام للأوقاف الإسلامية في الحكومة الخليفية شريطة أن توافق الحكومة الإسبانية على تأسيس حزب الإصلاح الوطني، وبناءً على ذلك عرض مشروع النظام الأساسي للحزب على أنظار الإقامة العامة يوم 18 ديسمبر وفي 6 يناير 1935 تمت مناقشة المشروع المذكور بين الطريس والإقامة العامة بتطوان.

وحين علم الطريس أن الحكومة الإسبانية غير مستعدة للموافقة على تأسيس الحزب حيث احتفظت بمشروع نظامه

الأساسي دون أن تتخذ في شأنه أي قرار، قدم الطريس يوم ثاني سبتمبر 1935 استقالته من منصب المدير العام للأوقاف الإسلامية، ورغم ذلك توجه إلى العاصمة الإسبانية للاتصال برجال الجمهورية في قضية الاعتراف بالحزب. وتستخلص نتيجة هذه الرحلة من مذكرات الطريس ليوم 22 نوفمبر 1935 :"إننا لم نجد فيهم أي استعداد لإرضائنا في هذا المطلب خوفاً مما يمكن أن يترتب عنه بخصوص علاقاتهم مع فرنسا".

وما إن عاد الطريس إلى تطوان حتى قررت الهيئة الوطنية أن تعلن عن نفسها كمنظمة سياسية اسمها "كتلة العمل الوطني بشمال المغرب"، وكان ذلك يوم فاتح فبراير 1936. وفي يوم 4 يونيو من نفس السنة وافقت الهيئة المذكورة على نظامها الأساسي الذي نص على أنه من غايات الكتلة "السعي لإعلان حزب سياسي وطني لخدمة الغايات السابقة بشكل قوي يناسب تطور المغرب وفناء الكتلة فيه". (المادة الأولى. الغاية الخامسة)، كما نصت المادة 47 منه على أن "هذا النظام مؤقت ريثما يتم نظام الحزب".

وشاءت الأقدار أن تتحقق أماني الوطنيين بعد وضع هذا القانون بشهرين حيث وقع الانقلاب العسكري الذي قاده الجنيرال فرانكو وأطاح بالجمهورية الإسبانية في 17 يوليوز، وفي يوم 26 من نفس الشهر اتصل الكولونيل بيكبيدير (Beygbeder) ممثل الحركة الانقلابية في تطوان بالأستاذ الطريس وأخبره بأن الجنيرال فرانكو مستعد للموافقة على تأسيس حزب الإصلاح الوطني مقابل التزام الحركة الوطنية الحياد في النزاع القائم بين العسكريين والجمهوريين الإسبان.

وفي يوم 5 غشت كتب الكولونيل المذكور يقول للطريس إنه يمكنه أن يتقدم بطلب الإذن في تأسيس الحزب لكل من الخليفة السلطاني والإقامة العامة، فقدم الطريس بالفعل الطلب وأجاب عنه بيگبيدير بالموافقة يوم 7 ديسمبر.

وفي يوم 14 من نفس الشهر تألفت اللجنة التنفيذية المؤقتة لحزب الإصلاح الوطني من السادة التهامي الوزاني (وكيل ومفتش) وعبد السلام ابن جلون (كاتب عام) وحمد طنانة (أمين) ومحمد أفيلال (حاسب) والطيب بنونة (مساعد الكاتب العام) وعبد السلام التمسماني (مساعد إداري) والأعضاء السادة : عبد الخالق الطريس وأحمد غيلان ومحمد بناني ومحمد الطنجي ومحمد الصفار.

وفي يوم 3 شوال 1355 / 18 ديسمبر 1936 تم الإعلان عن تأسيس حزب الإصلاح الوطني في بلاغ نشر بجريدة الريف وفيه نص النظام الأساسي للحزب المذكور :

المادة 1 يسمى الحزب "حزب الإصلاح الوطني".

المادة 2 مركزه الرئيسي عاصمة تطوان.

المادة 3 غايات الحزب الرئيسية :

أ) إيصال الأمة المغربية إلى جميع حرياتها وكامل استقلال أراضيها.

ب) تحقيق الوحدة المغربية سياسيا ولغويا.

ج) اكتساب سائر الحقوق الضائعة.

د) ابلاغ الأمة المغربية إلى مركز سام من الحضارة والقوة.

المادة 4 الوسائل التي يتوصل بها الحزب إلى غاياته الرئيسية هي :

أ) التعاون الشرعي مع الحكومة في سائر الاصلاحات والأعمال التي تتفق مع غايات الحزب.

ب) استغلال ملكات الشعب وثروة البلاد الطبيعية.

ج) تحرير الفكر المغربي من الرجعية في حدود الديانة الإسلامية.

د) العمل على رفع المستوى الأخلاقي في الشعب.

هـ) خلق المواطن المغربي الذي يشعر بحقوقه ويعرف واجباته.

و) محاربة الأمية ونشر التعليم على اختلاف درجاته.

المادة 5 الخطة التي يتبعها الحزب في أعماله كلها لا تخرج عن الخطط التي تتبعها الأحزاب السلمية الأخرى التي منها :

1 - نشر الدعاية بكل الوسائل.

2 - جمع الأنصار وتنظيمهم تنظيما جديا.

3 - إصدار برامج بين آن وآن لتبيين وجهة النظر في المسائل القائمة.

4 - تنظيم المؤتمرات والاجتماعات العامة.

المادة 6 تتكون اللجنة التنفيذية من رئيس ووكيل وأمين وحاسب وكاتب عام ونائب عنه ومفتش خارجي ومفتش داخلي وأربعة أعضاء، وتبين اختصاصاتهم في النظام الداخلي للحزب.

كان لحزب الإصلاح نظام داخلي ونظام الجهاز الإداري ونظام مالي ونظام الانتخابات ونظام العضوية، فكان أول حزب في المغرب اتخذ لنفسه عدة طقوس مثل : التحية برفع اليد المبسوطة مع قول : الله أكبر، والشعار المتمثل في الطربوش الأبيض والأسود، والرمز المثلث به عبارة الله أكبر، والعلم الأبيض والأسود به عبارة الله أكبر، والنشيد المعروف بـ "فتيان قومي".

وكان للحزب : 1) مجلس أعلى يتكون من اللجنة المركزية واللجان الفنية الفرعية. 2) لجنة مركزية تتألف من رئيس الحزب ووكيله وأمين عام وناظر وأمين الصندوق وحاسب وعدة أعضاء. 3) لجان فنية هي لجنة المالية ولجنة الشؤون الخارجية ولجنة الشؤون الداخلية واللجنة الاقتصادية واللجنة الثقافية ولجنة الشؤون الاجتماعية واللجنة القانونية ولجنة التنظيمات الحزبية، ولجنة الدعاية والنشر. 4) لجان فرعية تتألف من رئيس وأمين عام وأمين الصندوق وحاسب وعدة أعضاء في المدن التالية : تطوان والقصر الكبير والعرائش وأصيلا وشفشاون والحسيمة والناضور وطنجة، وهذه اللجان الفرعية كانت لها شعب، وللشعب حلقات، والحلقات هي التي كانت تتصل بالأنصار.

كما كان للحزب عدة منظمات مثل منظمة الفتيان (الكتائب) ذات النظام شبه عسكري، وجمعية الطالب المغربية، والجمعية الرياضية، والاتحاد النسائي، واتحاد الطلبة. ومنذ تأسيس الحزب كان له لسان حال يتمثل في جريدة *الحرية*. التي حلت محلها جريدة *الأمة*. وفي ثالث شوال من كل سنة الذي أطلق عليه اسم عيد الجهاد الوطني كان الحزب يعقد مؤتمرا عاما بتطوان تحضره جميع اللجان المركزية والفنية والفرعية بجميع أعضائها.

أما الأهداف والغايات التي عمل من أجلها حزب الإصلاح الوطني من سنة 1936 إلى سنة 1956 فهي :

- الإصلاح (الوطنية والحزبية والاتحاد).
- الدين الإسلامي ومحاربة الرجعية.
- اللغة العربية والعمل على استعمالها في جميع مرافق الحياة.
- الوحدة (الترابية والقومية والمغاربية والعربية والإسلامية).
- التحرير (معارضة نظام الحماية والعمل على استقلال البلاد).
- النظام (المحافظة على النظام الملكي والعمل على إيجاد دستور للبلاد مع فصل السلطات واستقلال القضاء).
- العدالة الاجتماعية (تحرير المرأة والاعتناء بالشباب والدفاع عن حقوق العمال والصناع والاهتمام بشؤون الفلاح والمحافظة على ملكيته وتعميم التعليم مع تعريبه ومغربته ومحاربة الأمية وتوفير وسائل الصحة للجميع).
- المجال الخارجي (حضور الحزب في جميع المؤتمرات العربية والإسلامية ووجوده باللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية بصفة رسمية ومشاركته في مكتب المغرب العربي وفي لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة وإنشاؤه مكتب المغرب بنيويورك ودفاعه عن القضية الفلسطينية الخ).

وقد ظل حزب الإصلاح الوطني يعمل من أجل تحقيق الأهداف والغايات المذكورة إلى أن توحد مع حزب الاستقلال في حزب واحد يحمل اسم حزب الاستقلال (الجديد) وذلك يوم 5 شعبان 1375 / 18 مارس 1956.

ع. الطريس، *مذكراته الخاصة* الموجود جزء منها بربائد مؤسسة عبد الخالق الطريس والجزء الآخر برېائد ابن عزوز حكيم ؛ م. ابن عزوز حكيم، *وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب* ج 1 : تطوان 1980 ؛ وثائق تشهد (ج 1) الرباط 1980 ؛ *وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب*، تطوان 1980 ؛ *نضال الطريس في ساحة الوحدة* (الرباط 1980) ؛ *من مذكرات الزعيم*، ج 1 الرباط 1982. ط. بنونة، *نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة* (طنجة 1980). *مجلة الوثائق الوطنية* (تطوان ع. 1 مارس 1988) ؛ ح. الصفار، *حزب الإصلاح الوطني* 1936 - 1956. (دراسة تحليلية) مذكرة لنيل دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، نوقشت في كلية الحقوق بالرباط سنة 1988.

محمد ابن عزوز حكيم

**إصلاحات**، تعرض المغرب كبقية الشعوب التي لم تتمكن من إحداث ثورتها الصناعية إلى تسلط الحركة الإمبريالية الأوربية خلال القرن التاسع عشر. وتمثلت ردود فعله في إنجاز بعض المحاولات الإصلاحية. فإلى أي حد كان الجهاز المخزني ببنياته العتيقة قادرا على اتخاذ مبادرات إصلاحية فعلية، لتهييئ البلاد لمواجهة، أصبحت تبدو غير متكافئة ومستحيلة للحفاظ على مكتسباته السياسية والاقتصادية والحضارية ؟. وإذا كان مفهوم الإصلاح ينطوي في حد ذاته، على دلالات واسعة ومتداخلة في الوقت نفسه، فإن معالجة مسألة الإصلاحات في المغرب تقتضي القيام بذلك من زاويتين متعارضتين ؛ رؤية للإصلاحات من وجهة داخلية مرتبطة بالواقع المغربي الإسلامي وبجهاز المخزن، ورؤية للإصلاحات من وجهة خارجية أوروبية صرفة. فهل كان بإمكان النخبة المغربية غير المتجانسة، من كبار موظفي المخزن، وتجار وعلماء، أن تكون مؤهلة لتقديم اقتراحات إصلاحية انطلاقا من إمكانات محلية ؟ إن ما تقدمت به عناصر النخبة المغربية من دعوات إصلاحية مكتوبة في معظمها ردود فعل تميزت بطابعها الجزئي بل السطحي في بعض الأحيان. ولم تتجاوز في مجموعها مستوى الترقيات التي كان من الصعب إدخالها في مشروع إصلاحي منسجم ومتكامل.

ويبدو أن الرؤية الخارجية الأوروبية للإصلاحات قد كانت أقوى، وهي التي شكلت بداية انطلاق للمحاولات الإصلاحية للمخزن على علاتها وما انطوت عليه من مجازفات ومن مخاطر تفتيت لسيادة المخزن. ونعني بهذا مختلف التجهيزات والإجراءات التنظيمية التي قام المخزن بإحداثها وإدخالها، بعد الضغوط المتوالية من طرف قوى أجنبية كانت أنجلترا وفرنسا من أهمها.

وإذا كانت جل الكتابات التاريخية تجعل من السنوات التي تلت هزيمة إسلي في 1844 م منطلقا لعزم المخزن على الشروع في بعض الإصلاحات التي اقتصرت في بدايتها على الجانب العسكري، فإننا نميل إلى اعتبار المقترحات والدعوات الإصلاحية التي وجهتها أنجلترا إلى السلطان عبد الرحمان (1822 - 1859) ابتداء من 1853، في إطار التهييئ لإقناعه بتبني بنود اتفاقية 1856، كأول دعوة أجنبية إلى المغرب لتدشين سياسة "إصلاحية" شاملة. وكانت موافقة المخزن تحت الضغط والتهديد على بنود 1856 بمثابة اعتراف قسري وقانوني منه، بضرورة إحداث تغييرات و"إصلاحات" في سياسته التجارية. وسبق لأنجلترا أن استغلت أزمة سياسية لدى العثمانيين لتفرض عليهم اقتراحات مماثلة، من خلال اتفاقية بالطاليمان Balta liman (1254 هـ / 1838م)، فتمكنت من فتح أسواق الإمبراطورية على مصراعيها في وقت كانت تبحث فيه الصناعات الآلية الأنجليزية عن منافذ لتصريف منتجاتها. وقد نجحت بريطانيا في إرغام المخزن على نهج سياسة تجارية تستقي مبادئها من الليبرالية الغربية، حيث تخلى

عن ظاهرة الاحتكارات، وخطا خطوة هامة في طريق تحرير الصادرات والواردات واكتفى بتعرفة جمركية ثابتة لا تتجاوز 10 ٪ من قيمة البضائع. واتسعت دائرة المقترحات الإصلاحية الأنجليزية إلى مخزن السلطان محمد بن عبد الرحمان، فتجاوزت شؤون التجارة لتشمل الجهاز الإداري والعسكري ومختلف المحالات الاقتصادية. خاصة وأن الظرفية العامة التي تلت خرب تطوان قد كانت جد مواتية بالنسبة لبريطانيا لتوجيهها لتلك الدعوات، حيث عينت هذه الأخيرة قناصلة محترفين بالمراسي المغربية وزودتهم بتعليمات صارمة للسهر على تطبيق بنود 1856، وأمرت إسبانيا وكلاءها بالجلوس في المراسي لتحصيل ما تبقى من الغرامة الحربية. وكانت للمخزن رغبة ملحة في محاربة التلاعب الذي كانت تعرفه الجمارك في وقت أصبح فيه المغرب ملزما بتسديد ديون ثقيلة وتحمل عبء مصاريف الإصلاحات. فارتأت أنجلترا حث السلطان محمد بن عبد الرحمان -(1859 - 1873) على إحداث تغييرات أساسية في إدارة المراسي. وتم ذلك من خلال المذكرة التي وجهها إليه جون دريموندهاي J. D. Hay في 30 أكتوبر 1861، والتي نصت على منع الأمناء من ممارسة أي نشاط تجاري لفائدتهم، وتعيين أمينين في كل مرسى اشترط أن يكون أحدهما أجنبيا عنها، وتعيين ناظر متنقل لمراقبة جميع الأمناء، مع تحديد أجورهم، وفرض عقوبات قاسية عن كل مخالفة. وتكفي مقارنة الظهير السلطاني الصادر في رمضان 1278 هـ / 1861 م مع المقترحات الأنجليزية للتأكد من مدى اقتناع المخزن بنصيحة الأنجليز في الموضوع. وخلف ذلك التغيير الذي دخل حيز التنفيذ في كل المراسي ارتياحا في أوساط التجار الأجانب على وجه الخصوص، كما ساهم إلى حد ما في ردع الخروقات المعهودة، وتوفير الأموال الضرورية لإصلاح الأحوال العسكرية للبلاد.

اعتمد المخزن في إصلاح الجهاز العسكري قبل هزيمة إسلي على العثمانيين كدولة إسلامية ذات قاعدة عسكرية أكثر تطورا، فزودته بمدربين أمثال علي والخوجة التونسيين، وحمودة الجزائري. كما أرسل طلبة مغاربة للتدرب في صفوف الجيش المصري أيام إسماعيل باشا. إلا أن معركة إسلي أكدت فشل جهود المولى عبد الرحمان في تعزيز جيوشه التقليدية واتضح بأن اعتماده على الأتراك لم يُمكن عساكره لا من مواجهة التفوق التكنولوجي والتنظيمي للجيوش الفرنسية برا وبحرا، ولا من السيطرة على الوضع الداخلي. وزادت هزيمة تطوان، أمام قوات إسبانيا من تأكيد نفس النتائج لدى محمد بن عبد الرحمان (1859 - 1873) بعد أن رسم أمامه جون دريموندیهاي صورة قاتمة عن الجهاز العسكري المغربي. واستغلت أنجلترا الشعور الذي ساد بعد فاجعة تطوان في أوساط العلماء لتدعو المخزن إلى إحداث نظم عسكرية على النمط الأوروبي. واقتصر دور الأوروبيين والأنجليز خاصة في ذلك على جلب الأسلحة بواسطة التاجر الأنجليزي فورد Ford الذي قام بالنيابة عن السلطان بالحصول على السلف من أنجلترا، وبواسطة التاجر المغربي محمد الدكالي. واستمر الاعتماد على مختلف الدول الأوروبية لتزويد الجيش المغربي بالسلاح والذخيرة رغم إنشاء دار السلاح بمراكش. كما دشن محمد بن عبد الرحمان بتوجيهه لشبان المغاربة إلى جبل طارق فكرة توجيه البعثات الطلابية إلى الخارج، هذه العملية التي شكلت أبرز اهتمامات المولى الحسن الإصلاحية.

ولم تكن إمكانيات المخزن المالية جيدة بالشكل الذي كان من الممكن معه تحقيق الإصلاحات العسكرية على النحو المطلوب. وزاد استفحال مشكل الحمايات من تقليل المداخيل الجبائية، فحاول السلطان محمد بن عبد الرحمان إعادة النظر في امتيازات المحميين والمخالطين، معتمدا في ذلك على مساندة أنجلترا، واعترفت تسوية بكلار Beclard بتاريخ 19 غشت 1863، نظريا بمساهمة المخالطين في أداء ضريبة مطابقة لحصتهم من المحاصيل والماشية. لكن صعوبة تحديد الحصة الفعلية للمخالطين وتحول العديد من الفلاحين إلى مخالطين جدد، ضاعف من خسائر المخزن. وفشلت سفارة الزبدي في 1876 إلى أوروبا في حل مشكلة الحمايات، ولم تكن الدول المشاركة في مؤتمر مدريد (1880)، على استعداد لتقديم أي تنازلات قد يكون من شأنها حرمانهم من تعزيز وسائل التغلغل في البلاد المغربية. ولما وافقوا على مبدإ تعميم الضريبة الفلاحية على الأجانب والمحميين، اشترطوا أن يتم أداؤها على يد القناصلة، وحصلوا مقابل موافقتهم تلك التي كانت نظرية فقط، على شيء ملموس وخطير هو حرية امتلاكهم للعقارات. وساهم الأجانب والقناصلة في تحريض المحميين والمخالطين على عرقلة ما سمي "بترتيب" 1881 وإفشاله. وكان هذا "الترتيب" من المحاولات الإصلاحية في ميدان الجباية. وأمام تأزم الأحوال المالية من جديد قام الأمين محمد التازي ومحمد الجباص في 1884 بتهييئ مشروع إصلاح جبائي انطلاقا من المبادئ المعترف بها من لدن الدول العظمى في سنوات 1863 و 1880 و 1881 فسمي بالترتيب الحسني، الذي كانت من بين خصوصياته استثناء الأجانب من أداء الضرائب ومطالبة المحميين وبقية المغاربة بها، وكذا العودة إلى الضرائب الشرعية التي أصبحت تفرض على أساس الإنتاج الفعلي للفلاح وليس حسب حاجيات المخزن. وكان الترتيب الحسني، في الوقت نفسه، إصلاحا إداريا وجبائيا. حيث قلل من انفراد العمال والقواد ومن استئثارهم بعملية تحصيل الضرائب، فأصبحوا يقتسمون تلك المهام مع الأمناء والعدول. ومع ذلك اعتبرت الهيئات الدبلوماسية أن ذلك الإصلاح يمس مباشرة بامتيازات المحميين والمخالطين، رغم اكتفاء المخزن بفرض الزكاة والأعشار عليهم، وإعفائهم من السخرة والخدمة العسكرية. وتدخل القناصلة باستمرار أثناء عملية الخرص وإحصاء ممتلكات المحميين، وحرضوهم على عرقلة أعمال الأمناء ورفض أداء أي ضرائب، هذا في الوقت الذي كانت

مساهمتهم، بحكم عددهم المتزايد في البوادي، ضرورية لإنجاح الإصلاح الجبائي. وشكل اعتراض بعض الزوايا على سحب المخزن لامتيازاتها القديمة عرقلة إضافية أمام الترتيب الحسني، فلم يجد السلطان بدا من التخلي عن مشروعه الإصلاحي ابتداء من 1887.

وبالرغم من العراقيل المالية التي كان المخزن الحسني ملزما بمواجهتها، فقد نالت الإصلاحات العسكرية اهتماما واضحا من طرف المولى الحسن الذي ورث عن والده مشروعية متابعة نفس النهج دونما أي عناء. وتأكد من أهمية الجيش النظامي مباشرة عند توليته، حين نجحت المدفعية في القضاء بسرعة على تمرد أهل فاس، فعمل على الرفع من عدد المنخرطين، ومن مستوى تكوينهم وتدريبهم وتزويدهم بالأسلحة المتطورة. وتم الاعتماد على خبرة الأجانب لتدريب عناصر الجيش النظامي أمثال الأنجليزي ماكلين Mac Lean، والفرنسي اركمان Erckman. وتأسست في 1888 تحت إشراف الإيطالي بريجولي Bregoli "ماكينة" بفاس ولو أن عملية الإنتاج لم تبدأ فيها إلا في سنة 1893، واكتفت بصنع 340 بندقية إلى حدود 1903. وبالإضافة إلى الشكوك التي كانت تحيط بجودة المصنوعات، فإن المقادير المصنوعة كانت بعيدة عن الوفاء بحاجيات المخزن وارتفع عدد المدافع التي جلبت من أوروبا إلى أزيد من مائة قطعة، وتم تجديد حصون المدفعية على السواحل وخاصة بالنسبة للرباط التي جهزت بمدفعين من حجم 260 ملم صنف كروب Krupp، وطنجة التي زودت بمدافع من حجم 18 طنا صنف ارمسترونغ Armstrong. وفيما بين 1873 و 1878. تلقى حوالي 500 مغربي تداريبهم العسكرية في جبل طارق. وفيما بين 1874 و 1875 توجه خمسة عشر طالبا في أول بعثة طلابية مغربية إلى أوروبا، حيث قاموا بدراسات وافية في شاتهام Chatham أنجلترا (1876 - 1879) وبمونبليي Montpellier في فرنسا (1885 - 1888)، وبالأكاديمية العسكرية في تورينو Torino بإيطاليا (1879 - 1898). ونذكر من بين الأسماء المشهورة محمد الجباص، والزبير سكيرج، وإدريس بن عبد الوهاب، والحسين الزعري السلاوي، والطاهر بن الحاج الأوديي وغيرهم كثير. إلا أن الهدف المنشود من تكوين هذه العناصر لم يتحقق إلا بصفة جزئية نظرا لطبيعة التكوين المتعدد الاتجاهات الذي حصل عليه الطلبة المغاربة، والذي كان من المتعذر إقحام نتائجه في إطار برنامج تطبيقي متكامل ومستجيب للحاجيات المغربية. ولم يتمكن المولى عبد العزيز (1894 - 1907) بالرغم من محاولاته ونياته الحسنة لا من تطوير جشيه ولا حتى من الحفاظ على ما بناه المولى الحسن طوال فترة حكمه.

ونظرا للعلاقة بين الفلاحة وتجارة تصدير الحبوب والصوف والماشية فإن أنجلترا قد أثارت انتباه المخزن إلى ضرورة النهوض بالميدان الفلاحي، ورغبت في خلق اهتمامات جديدة لدى الفلاح المغربي بالمزروعات الصناعية كالقطن والحرير وقصب السكر. فأبدى مولاي عبد الرحمان استعداده للقيام بتجارب لزراعة القطن في أراضيه، ووزع محمد بن عبد الرحمان من بعده بذورا على الفلاحين لتشجيعهم على زراعته، كما جلبت آلات لتنظيفه. لكن رفض المخزن لمحاولات الأوربيين التي كانت تهدف إلى امتلاك الأراضي الواسعة قصد زراعته على مستوى واسع، قد حال دون تطوير زراعته. في حين شهدت زراعة قصب السكر تطورا نسبيا.

أصبحت التجارة الخارجية بعد 1856، المصدر الأساسي لمداخيل المخزن، وكانت التجارة هي المحرك الأساسي، إلى جانب الاهتمامات الاستراتيجية والسياسية، لاهتمام الدول الأوروبية بالمغرب خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وإذا كان البند الخامس من اتفاقية 1856 يعطي للمخزن حق إصدار المنع على تصدير بعض المواد الأساسية كالحبوب والصوف، فإن التجار الأجانب قد رأوا في ذلك عرقلة للسير العادي لمصالحهم التجارية. فدأبت أنجلترا على توجيه دعواتها باستمرار إلى المخزن لتحرير وسق الحبوب والصوف، وجعل جون دريموندهاي سلامة المغرب رهينة بذلك فخاطب المخزن بقوله :"[...] إذا كنتم مريدين الخير لهذه الإيالة قبل هلاكها، هو التسريح في الحين لوسق الزرع والحبوب والصوف [...]". إلا أن محمد بن عبد الرحمان ظل متمسكا بحرية تصرفه في موضوع الموسوقات، ولم يكن يسمح بتصدير المنتاجات الأساسية إلا في الوقت الذي كانت تسمح فيه ظروف البلد بذلك. ورغم العواقب الوخيمة المترتبة عن تزايد حجم المبادلات المغربية الأوروبية، كتفاقم مشكل الحمايات وانهيار قيمة العملة المغربية والخلافات اليومية بين القناصلة وموظفي المخزن، وبين التجار الأجانب والرعايا المغاربة، بالرغم من كل ذلك اقترحت أنجلترا في 1879 على المولى الحسن تبني المزيد من الإجراءآت الليبرالية لفتح السوق المغربية على مصراعيها على مستوى التصدير والاستيراد، مع تخفيض إضافي للتعرفة الجمركية إلى 5 ٪ من قيمة البضاعة. وعند زيارة جون دريموندهاي لفاس في 1879 أكد للسلطان مدى أهمية تحسين علاقاته التجارية مع الدول الأوروبية، وحذره من المشاكل العديدة التي يمكن أن يثيرها فرض المخزن لإجراءات غير ليبيرالية على المعاملات الاقتصادية، وتحولت تلك المقترحات في 1881 إلى مشروع لتجديد اتفاقية 1856، حين حرر هاي مسودة للاتفاقية المقترحة، وألح لدى النائب السلطاني محمد بركاش على أنه، من الأهمية بمكان "[...] عدم عرض المقترحات التي قُدِّمت من أجل تطوير الفلاحة والمبادلات التجارية على أنظار العلماء [...]"، بدعوى أنهم "[...] لا يتوفرون على أي تجربة أو معرفة بشؤون التجارة [...]" لكن المخزن رفض تهميش العلماء وأفضت استشارته لهم إلى اعتراضات صارمة، تعكس إلى حد بعيد مدى التطور الذي حصل في

تعامل المخزن مع المشاكل المستعصية التي نتجت عن التغلغل الأجنبي فأعلن رفضه لتخفيض الرسوم الجمركية إلى أقل مما كانت عليه، وتسريح صادرات الحبوب بصفة مستمرة، وإلغاء احتكار المخزن لجلب الأسلحة والبارود ومادة الكبريت، ورفض كذلك تصدير الماشية والدواب لحاجة الرعية إليها. وبذلك فشلت أنجلترا في إملاء برنامجها الإصلاحي على انفراد.

وفي أعقاب الأزمة التي احتدت بين المغرب وفرنسا، نتيجة لحماية هذه الأخيرة للشريف الوزاني سنة 1884، اقترح جون دريموندهاي على وزارة الخارجية البريطانية بذل جهودها لتحقيق إجماع الدول الأوروبية على الدفع بالمخزن إلى القيام "بالإصلاحات" فقال :"[...] أليس من اللازم على هذه الدول التي يدين لها السلطان باستقلال بلاده، أن تطالبه بلهجة ودية لا تخلو من الصرامة، وتلح على جلالته ليقوم بإصلاح للإدارة [...] وتحسين أحوال التجارة [..]" وأدت تلك الضغوط الجماعية إلى موافقة المخزن على الدخول في مفاوضات مع ممثلي أنجلترا وفرنسا وألمانيا في طنجة. وأمام تكتلهم وانفراد المخزن تم تبني المقترحات الإصلاحية الأوربية التي لم تكن في عمقها سوى ترجمة لما سبقت أنجلترا أن اقترحته على انفراد ورفضه المخزن. ومرة أخرى عرض السلطان مقترحات الأوروبيين الإصلاحية على أنظار العلماء والأمناء والعارفين بشؤون التجارة في كل من فاس وسلا، فمالت أجوبتهم على اختلاف تفاصيلها، إلى رفض كلي، فوجه المخزن إلى ممثلي تلك الدول جوابا يعبر عن موقف المغاربة بالعبارات التالية :"[...] إن الداعي لما أشرتم به [...] من الإصلاحات التجارية، هو السعي في الخير لهذه الإيالة [...] وأن تلك الإصلاحات ظهر لكم الخير فيها بالنسبة لإيالتكم. وكل من استشير من أهل هذه الإيالة في ذلك لا يستحسنه ويجيب عنه بأن فيه الضرر لإيالتهم [...]". ومما لا شك فيه أن ذلك الرفض قد ساهم بشكل من الأشكال في إذكاء مناورات الدول الأوروبية لإفشال الإصلاح الجبائي المعروف بالترتيب الحسني حيث تخلى عنه المخزن في نفس الظروف أي 1887.

وتعقدت المشاكل المالية للمخزن، فتأثرت الحركة الاقتصادية بمشاكل السكة وانهيار قيمة الصرف. وفشلت كل الإصلاحات النقدية بدون استثناء. سواء منها محاولة 1852 التي تمت بهدف تحديد صرف العملات المغربية والأجنبية، أو محاولة 1862 التي حددت سعرين رسميين للريال، أحدهما سعر البلد ب 32،5 أوقية، والثاني سعر المرسى بـ 19 أوقية للحفاظ على مداخيل جمركية عالية. أما ظهير 22 يناير 1869 فقد كان أكثر طموحا ونص على العودة إلى الدرهم الشرعي. إلا أن سعر الريال استمر في الانهيار وبلغ 50 أوقية في 1873. وفشل المولى الحسن في إصلاح 1877 الذي نص على رد صرف الريال إلى سعره الرسمي أي 32،5 أوقية، بسبب اعتراض التجار المغاربة والأجانب على السواء. فوصل سعر الريال إلى 90 أوقية، وكان من الطبيعي أن تستفحل أمور السكة في عهد المولى عبد العزيز رغم استمرار عمليات الضرب في أوروبا، وذلك نتيجة لتشديد الخناق على الاقتصاد المغربي على عدة مستويات.

وتمت العودة من طرف المخزن العزيزي إلى ترتيب 1884 على أمل ضمان مداخيل مالية لمواجهة الإصلاحات التي لم يتوقف الأنجليز عن الدعوة إليها بواسطة ماكلين Mac lean. وتم إدخال الأجانب الذين استثناهم ترتيب 1884، في الترتيب العزيزي لسنة 1901. فاتجه المهدي المنبهي إلى لندن وبرلين للحصول على مساندة الحكومتين للترتيب المرتقب. ورغم الموافقة المبدئية لأنجلترا وألمانيا على ذلك الإصلاح الجبائي، فإن المفاوض المغربي بناصر غنام وجد نفسه منعزلا خلال المفاوضات بطنجة. وانتهت تسوية 1902 بالاعتراف بضرورة تساوي الأجانب والمحميين أمام الضرائب الواجب أداؤها على الأشجار المثمرة وأراضي الحرث والدواب. وحددت نسبة الترتيب الواجب أداؤه بالعملتين العزيزية والإسبانية، وكذا تفاصيل إجراءات الأداء التي ألحت على ضرورة الاعتماد على مساعدة القناصلة في تحديد الواجبات الجبائية المفروضة على الأجانب والمحميين، إلا أن دسائس الهيئات القنصلية وتعنت المحميين والأجانب وحرص الزوايا على امتيازاتها وخاصة شرفاء وزان، دفعت جميعها بمولاي عبد العزيز في نهاية الأمر إلى التخلي عن مشروعه والعودة من جديد إلى مطالبة القواد بالضرائب دفعة واحدة وحسب حاجيات المخزن. فكان "الترتيب" العزيزي من بين الأسباب التي دفعت بالكثيرين من الرعية إلى البحث عن مزيد من الحمايات ما بين 1901 و1903، والزيادة في متاعب المخزن الداخلية والمالية، وبعد الاتفاق الودي بين فرنسا وأنجلترا في أبريل 1904، انتقلت الدعوات الإصلاحية التي لم تتوقف أنجلترا عن تقديمها إلى المخزن طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلى الفرنسيين، حيث ترتب عن تخلي أنجلترا كحليف تقليدي للمغرب اعتراف أنجليزي لفرنسا بإمكانية تقديم مساعداتها للمغرب للقيام "بإصلاحات" في الإدارة والاقتصاد والجيش. وفي هذا الإطار تدخل سفارة سان روني طايانديي Sain-René Taillandier إلى فاس سنة 1905 لتقديم مشروع إصلاحي فرنسي إلى مولاي عبد العزيز. إلا أن هذا الأخير ألح عند استقباله للسفير الفرنسي في 11 فبراير 1905 على ضرورة عرض مقترحاته أمام أنظار مجلس الأعيان، والذي سبق أن اجتمع المولى عبد العزيز مع أعضائه الأربعين في 20 دجنبر 1904 قبل وصول طايانديي إلى فاس، فاستشارهم قبل اتخاذ أي قرارات مصيرية، وافق السفير الفرنسي على الاجتماع بمجلس الأعيان ولو بنوع من الامتعاض، فاتضح أن المشروع الإصلاحي الفرنسي قد تضمن إصلاحات عسكرية لتنظيم جيش منظم لحماية الأمن، وإصلاحا اقتصاديا ركز على الاهتمام بأحوال المراسي وتجهيزاتها المتنوعة، وإصلاحا

لإدارتها، ووضع جهاز الشرطة، وإصلاحا ماليا نص على إيقاف ضرب النقود وإنشاء بنك لضبط صرف السكة على أساس العملة الفرنسية أو الأنجليزية، ومنح امتياز إحداث بنك المغرب إلى بنك باريس والبلاد الواطئة، وإحداث ضرائب على البنايات إلخ. وبعد مناقشات طويلة بين السفير الفرنسي ومجلس الأعيان، أعلن في 28 ماي 1905 عن رفض المغرب لأي إصلاحات من النوع الذي تقدمت به فرنسا لما كانت تنطوي عليه من مس بالسيادة، ولأنها كانت في حقيقتها بمثابة تطبيق لحماية فرنسية على البلاد. وكانت ألمانيا من وراء دفع المخزن العزيزي إلى المطالبة بعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 الذي انتهى تحت غطاء إدخال "الإصلاحات" إلى جعل المغرب تحت الوصاية الدولية.

وبهذا تكون الدعوات التي وجهتها الدول الأوروبية إلى المغرب بصفة منفردة أو جماعية قد فشلت هي الأخرى في إحداث إصلاحات حقيقية في كل المجالات التي حاولت إصلاحها. وإن كانت في عمقها لا تهدف إلا لخدمة المصالح الاستعمارية بالدرجة الأولى. فإذا استثنينا الإصلاحات العسكرية التي كلفت مالية البلاد مصاريف باهظة، ومكنت المخزن الحسني على الأقل من تقوية سلطته داخليا فإن ما عرفته المجالات الأخرى قد ظل سطحيا وناقصا. والأهم من ذلك هو أن الدول الأوروبية التي وجهت دعواتها الإصلاحية إلى المخزن، لم تحاول قط إرشاده إلى السبيل القويم لإحداث الإصلاح الحقيقي، وقد فطن إلى ذلك محمد المشرفي حين رد على الدعوات الإصلاحية الأنجليزية للمغرب فقال :"[...] ولو أرادت (أنجلترا) النصيحة الحقيقية دون دسيسة لأشارت عليها بإدخال العلوم الرياضية لوطنها، وبناء المدارس لقراءتها وتدريسها والاجتهاد في تحصيلها وبثها في المدن والقرى، حتى يتأدب الجاهل ويستأنس المتوحش، فتكتسب الدولة حينئذ رجالا يدفعون عنها بما علموه من العلوم [...]". وهذا ما لم تشر إليه أي من الدول الأوروبية في تقديمها لدعواتها "الإصلاحية". ووصل المشرفي إلى اقتناع أكد من خلاله أنه "[...] من اتكل على غيره في القيام بأمره خاب أمله وضل عن طريق الصواب [...]".


ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ م. المشرفي، *الحلل البهية* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث* ؛ ن. التوزاني، *الأمناء بالمغرب* ؛ *ندوة الإصلاح المغربي في القرن 19*، كلية الآداب ـ الرباط ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب*.

British Documents in The Public Record Office, London ; Brooks, L. A. E., *Memoir of sir John Drumond Hay*, London, 1896 ; E. Aubin, Le Maroc d'Aujourd'hui, Paris, 1904 ' Taillandier, R. S., *Les Origines du Maroc Français : Récit d'une mission 1901 - 1906*, Paris, 1930 ; F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Casablanca, 1948 ; L. Arnaud, *Au temps des mehallas*, Casablanca, 1952 ; J. Caille, *Quelques renseignements sur le Capitaine Erckman*, in Hesp., vol XI - I, 1954 ; J. L. Miege, *Le Maroc et L'Europe*, 4 vol, Paris, 1961 - 1963 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967 ; Burke III Edmund, *Prelude to Protectorate in Morocco : Precolonial Protest and Resistance*, 1860 - 1912, Chicago, 1976; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912)*, Paris, 1977 ; G. Ayache, *Etudes d'histoires marocaine*, Rabat, 1979 ; M. Kenbib, *Les protections étrangères au Maroc, 19e début 20e siècle*, Paris, 1980, (thèse inédite) ; W. J. Rollman, *The "New Order" in a Precolonial Muslim Society : Military Reform in Morocco (1844 - 1904)*, 2 Vol., University of Michigan, 1983, (thése inédite) ; Encyclopédie de l'Islam, T. IV, Articles *Imtiyazat et Islah*.


خالد بن الصغير

**الأصُور**، ضد إعصار، يمثل إحدى الحلقات التي يتشكل منها شريط الضغط المرتفع شبه المداري المحيط بالكرة الأرضية في الشطر الشمالي. يحمل اسم جزر الأصور البرتغالية التي تقع شرق المحيط الأطلنتيكي في عرض شبه الجزيرة الإيبيرية، نظراً لتمركزه شبه الدائم فوقها.

تعتبر هذه العالية مركزاً من مراكز الضغط الأساسية الدائمة "إحصائيا" في المكان والزمن. مجالها، نطاقيا، هو المحيط الأطلنتيكي بين عرض 30 وعرض 35 شمالا، أي بالتقريب بين جزر الأصور والجزر الخالدات. شكلها عموماً أهيليلجي، طول محورها الكبير ما بين 2500 و 4000 كلم، مائل بالنسبة لخطوط العرض واتجاهه من شرق ـ الشمال الشرقي إلى غرب ـ الجنوب الغربي، يرجع استقرارها شبه الدائم في نفس المجال إلى كون نشأتها دينامية أصلاً، أي مرتبطة بالحركات الهوائية الناتجة عن دوران الأرض حول نفسها، والاختلاف الحراري الحاصل بين جو العروض العليا وجو العروض البيمدارية. ولذلك فإنها لا تتلاشى نهائيا في أي فصل من فصول السنة كما هو الشأن بالنسبة لمراكز الضغط ذات النشأة الحرارية.

وفعلا، فإن تكدس الهواء في هذه العروض يرجع إلى كونها منطقة التقاء الكتل الهوائية المدارية الحارة المتحركة نحو الشمال بالكتل الهوائية القطبية الباردة المتجهة نحو خط الاستواء، وكذلك لكونها مسلكا للتيار السريع الغربي شبه المداري الذي يهب في الأجواء العليا لهذه العروض.

تهدل الهواء القطبي البارد القادم من الشمال والهواء المداري الدافئ القادم من الجنوب في هذا الموقع يجعل هذه العالية تدعم باستمرار طوال السنة ليبقى فيها الضغط مرتفعا (ما بين 1015 و 1025 ميليبار في المتوسط) بالرغم من انسياب الهواء من القاعدة ومغادرته إياها في شكل حلقة تدور مثل عقارب الساعة، ليعطي، شمالا، الرياح العكسية (رياح غربية) وجنوبا الرياح التجارية (رياح شرقية) وما يتفرع عنها من رياح محلية.

بالإضافة إلى العامل الدينامي المذكور، هناك أيضا عاملان حراريان يزيدان من تعميق الضغط في هذه الحجيرة، وهما تيار الكنرياس البارد الذي يطعمها من القاعدة بالهواء البارد من الناحية الجنوبية، ثم "قطرات" الهواء البارد القطبي التي تصل إليها من الناحية الشمالية.

من المعلوم أن شريطي الضغط المرتفع شبه المداري جنوبا وشمالا يعرفان تحركا فصليا تبعا لحركة الشمس الظاهرية، أي أن كلا منهما يبتعد عن العروض الاستوائية في فصل

الصيف بينما تقترب منها عاليات الشطر الآخر أي الشطر الشتوي. ولهذا فإننا نجد أن ضد إعصار الأصور يبلغ أقصى وضعياته شمالا في شهر غشت وأدناها في شهر فبراير. أما نطاقيا فإن المركز ينتقل ما بين جزر الأصور وجزر الأنتي في الكرايبي ويلاحظ أحيانا انشطار هذه العالية إلى خليتين في فصل الشتاء، إحداهما تتمركز فوق جزر الأصور والثانية فوق جزر البرمود. كما يقع كذلك أن تتوغل هذه العالية داخل القارة الأوروبية وأفريقيا الشمالية والبحر المتوسط، لكن هذه الوضعية لا تعمر طويلا نظرا للاختلاف القائم بين حرارة سطح القارة والمحيط.

علاقة ضد إعصار الأصور بمناخ المغرب : تتميز المناطق شبه المدارية عامة بجفافها، إذ أن أهم الصحاري العالمية توجد في هذه العروض. مرد ذلك إلى كون مناطق الضغوط المرتفعة تتميز باستقرار الجو وصفاء السماء في غالب الأحيان، مع مدى حراري مرتفع. قد تتدخل بعض العوامل المحلية كالتضاريس والتوجه والقرب من البحر للتقليص من أهمية هذه الظاهرة، لكن بصفة عامة يبقى الجفاف هو السائد.

ووجود مرتفع الأصور في عرض السواحل المغربية من جهته الشمالية الغربية، جعله يتحكم في مناخ البلاد بصفة مباشرة وغير مباشرة، لذلك فإنه يمكن ربط التقلبات الجوية، وأنواع الطقوس التي يعرفها المغرب بوضعية هذا المرتفع ومدى قوته حسب فصول السنة.

في فصل الصيف : يعرف ضد إعصار الأصور أقصى وضعية شمالية له، ويتحول مركزه نحو الشمال أو الشمال الغربي، الشيء الذي يجعله يصد من بعيد الإعصارات الغربية ويمنعها من الوصول إلى شرق المحيط في العروض شبه المدارية. وبما أنها هي المسؤولة عن التهاطلات فإن الفصل يبقى جافا (شكل 1).

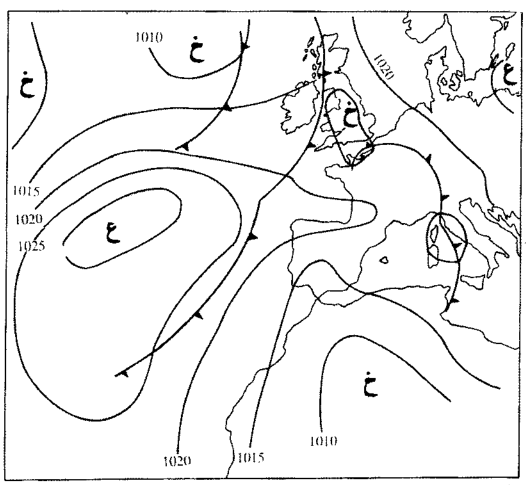


شكل 1 - توزيع الضغط الجوي عند سطح البحر بالمليبار ليوم 5 يوليوز 1985.
- مركز ضد إعصار الأصور في عروض متقدمة شمال جزر الأصور، مانعا الأعاصير الغربية من الوصول الى شبه الجزيرة الإيبيرية وإفريقيا الشمالية.
- المنخفضة الصحراوية تقترب من السفوح الجنوبية لسلسلة جبال الأطلس.

(عن النشرة اليومية للمعلومات الرصدية)

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ابتعاد هذا المرتفع داخل المحيط يفسح المجال أمام المنخفضات الجوية السطحية الصحراوية لتقترب من السفوح الجنوبية الشرقية لسلسلة جبال الأطلس. وفي هذه الحالة تتوالى على المغرب طقوس مختلفة : إما سيادة مؤثرات المنخفضة الصحراوية، فترتفع درجات الحرارة تناقصا من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي، مع هبوب الرياح الشرقية والجنوبية الشرقية الجافة، وإما يهب على البلاد هواء قطبي ملطف مستغلا الضعف النسبي للضغط في الهوامش الشرقية لعالية الأصور. عند ذلك تكون الحرارة معتدلة وتظهر بعض السحب العالية وتسود الغيوم الصباحية على الشواطئ.

في فصل الخريف : يبدأ التراجع العام والتدريجي للضغوط شبه المدارية نحو الاستواء بصفة عامة، لكن عالية الأصور تحتفظ بقوتها ولا تسمح إلا بمرور بعض الدفعات من الهواء البارد القطبي عبر الممر الذي يفصلها عن الضغط المرتفع الذي يغطي في الأجواء العليا الصحراوية، الشيء الذي ينتج عنه نشأة بعض الأعاصير محليا وتنشيط جبهة الأليزي التي تعطي أمطارا عاصفية محدودة كماً ومجالا. وفي المقابل، فإن المنخفضة الصحراوية تتراجع إلى الجنوب الشرقي ويقل تأثيرها على المغرب

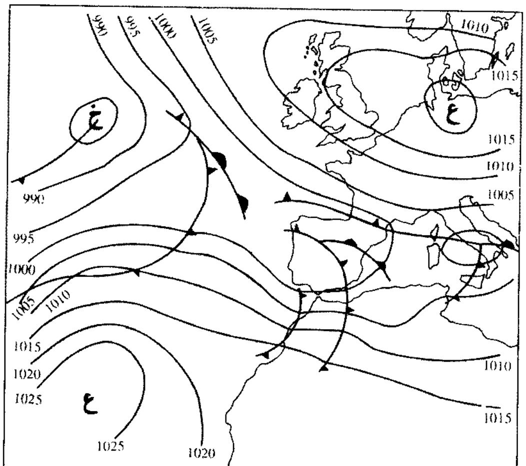


شكل 2 - حالة جوية على سطح الأرض ليوم 30 يناير 1987.
انسحاب ضد إعصار الأصور نحو الجنوب يسمح للأعاصير الغربية بالمرور فوق بلدان غرب البحر الأبيض المتوسط .
(النشرة اليومية للمعلومات الرصدية )

في فصل الشتاء يتحرك شريط الضغوط المرتفعة شبه المدارية نحو خط الاستواء، ويتحول مركز ضد إعصار الأصور إلى جنوب الجزر التي يحمل اسمها، فيصبح الطريق مفتوحا أمام سلسلة الاضطرابات الغربية لتصل إلى عروض المغرب، وتعطي أهم تهاطلات السنة (شكل 2). أما إذا تلقى هذا المرتفع مزيدا من الهواء القطبي الكثيف فإنه يقوى من جهته الشمالية الشرقية وتنشأ دورة ضغطية بينه وبين المرتفع الصحراوي والمرتفع الوسط. الأوروبي الفصلين

لتكون ممرا هائلا يندفع عبره الهواء القطبي البارد نحو البلاد. وبالتالي يسجل انخفاضا مهما في الحرارة، لكن مع سماء صافية في غالب الأحيان خصوصا إذا كانت الرياح الشمالية الشرقية هي السائدة. وهذا النوع من الطقوس هو الذي يعطي الأيام الصقيعية في السهول الغربية الداخلية، ويتواتر أقل في السهول الساحلية.

في فصل الربيع : مع أواخر فصل الشتاء يبدأ من جديد تحرك حجيرات الضغط المرتفع شبه المداري نحو الشمال، فتتقلص فرص وصول الأعاصير الغربية إلى المغرب، إذ تضطر إلى تجنب العالية من ناحيتها الشمالية، فلا تهم سوى أوروبا، ومن حين لآخر تمر مؤخرتها على الشمال الغربي من البلاد ولا تعطي إلا أمطارا ضعيفة.

وفي المقابل فإن جبهة الأليزي تعرف نشاطا أهم في وسط البلاد، وتتكون من حين لآخر أعاصير محلية تعطي تساقطات إما جبهية، لكن محدودة مجاليا، وإما على شكل عواصف رعدية كما هو الشأن بالنسبة لفصل الخريف.

خلاصة : يظهر أن لوجود ضد إعصار الأصور على الواجهة الشمالية الغربية للمغرب تأثيرا كبيرا على مناخه. فلكل أنواع الطقس التي تهم البلاد ارتباط بوضعيات هذا المرتفع مهما اختلفت. فابتعاده نحو الجنوب يواكبه طقس ممطر، واقترابه من الساحل يعطي طقسا معتدلا، أما ابتعاده نحو الشمال، والشمال الغربي فيفسح المجال أمام المؤثرات الصحراوية.

ويتوسط هذه الحالات الرئيسية عدد كبير من أنواع الطقس التي يمكن دائما ربطها بوضعية ضد إعصار الأصور.


ع. العوينة، *المظاهر المناخية للقحولة، الجفاف في المغرب والبلدان المجاورة للصحراء*، مجلة *جغرافية المغرب*، ع. 6 السلسلة الجديدة 1982. ص 11. 34.

P. Pedelaborde, (1957) : *Le Climat du Bassin Parisien*, Ed. Génin-Paris ; A. Bellichi, (1983) , *Les Climats thermiques du Maroc Nord Occidental.* Thèse de 3cycle. Univ. d'Aix-Marseille II ; C. Calvet et Y. Legoff, (1977) *Régimes pluviométriques au Maroc. Notes d'Information Technique* Nº 6. Service de la Météorologie Nationale.


أحمد لقمهري

**أصوفي**، أسرة تطوانية نجهل أصلها، وقد انقرضت، ويبدو أنها كانت غنية بدليل أن هناك قوساً يحمل اسمها، ويقع بالقرب من الدار المنسوبة إلى نفس الأسرة. وتوجد الدار والقوس بزنقة النيارين، والحالة هذه أن الأقواس الأخرى الموجودة بتطوان تحمل اسم الشارع الذي توجد فيه.


ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 352 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (A); M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol*. 1949 (A).


محمد ابن عزوز حكيم

**الأصول** بالمغرب. ويعبر عنها أيضا بالأصلَيْن لأنهما في الواقع علمان متميزان، أصول الدين أو "الكلام" وهو علم يبحث في الألوهية والنبوّة وسائر العقائد الدينية وطرق إثباتها بإيراد الحجج عليها ودحض الشبه عنها، وأصول الفقه الذي يبحث في أدلة الفقه الإجمالية وكيفية الاستفادة منها. وإذا كان المغرب قد أخذ المذهب المالكي - كسائر أقطار الغرب الإسلامي - من تلاميذ مالك المباشرين وتلاميذهم كمذهب فقهي وكعقيدة سنية تنبذ الرأي والتأويل في الأحكام الفقهية والمسائل الاعتقادية، فإنه مع ذلك لم يكد يتبلور علم أصول الدين أو علم الكلام بعد انفصال الأشعري عن المعتزلة وعودته إلى صفوف أهل السنة أواخر القرن الهجري الثالث حتى اعتنقه المغاربة، وأصحبوا يتدارسونه كعلم مستقل بذاته "يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعه المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف أهل السنّة والجماعة (*المقدمة*، 821). وقد أخذ المتكلمون المغاربة الأول عن أشهر شخصيات المدرسة الأشعرية، كأبي ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي (تـ 357 / 967)، الذي رحل إلى الشرق وأخذ عن تلاميذ الأشعري ؛ وعن دراس بن إسماعيل أخذ ابن أبي زيد القيرواني مؤلف *الرسالة* ومقدمتها في أصول الدين، وهي من أقدم الكتب التعليمية التي وقع الإقبال عليها بالمغرب. وكأبي عمران الفاسي (تـ 430 / 38 ـ 1039) الذي تتلمذ للقاضي أبي بكر الباقلاني (تـ 403 / 12 ـ 1013) في بغداد، وكان محط تنويه الشيخ وإعجابه. وكأبي القاسم عبد الرحمان بن محمد المعافري شيخ القاضي عياض والأصوليين في سبتة (تـ 502 / 8 ـ 1109) ومحمد المهدي ابن تومرت (تـ 524 / 1129) تلميذ أبي حامد الغزالي (تـ 505 / 1111) الذي شنها حربا شعواء على المرابطين الذين كانوا مازالوا متشبثين بظاهر النصوص معرضين عن العقل والتأويل، ورماهم بالميل إلى التجسيد، بل اتخذ من ذلك تعلة للإطاحة بدولة المرابطين وإقامة دولة جديدة على أصول الدين سماها دولة الموحدين. وألف المهدي عدة عقائد على مذهب الأشعري أهمها *أعز ما يطلب*. وهو عبارة عن مجموعة من كتب العقائد المختلفة الأحجام ألفها ابن تومرت لأصحابه وغيرهم من عامة الناس، مثل *المرشدة*، *والعقيدة الكبرى* التي استعمل فيها الاستدلالات العقلية، *ورسالة في توحيد الباري*، *ورسالة في أن التوحيد هو أساس الدين*، *وكتاب في التوحيد* باللسان البربري في سبعة أحزاب، *وكتاب القواعد* الخ.. لأنه كان يلزم أصحابه بدراسة أصول الدين إلزاماً "وكان الموحدون على العموم يعتبرون من لم يعرف العقائد على سبيل التفصيل وعلى طريقة الأشعري بالأخص يعتبرونه كافرا ليس معه من الإسلام إلا الاسم" (*النبوغ*، 1 : 121). وتجذرت الأشعرية أكثر في المغرب وبصفة نهائية على يد عثمان السلالجي آتي الترجمة دارس كتاب *الإرشاد في علم الاعتقاد* لإمام

الحرمين أبي المعالي الجويني (ت 478 / 85 . 1086) ومؤلف *البرهانية*. وظل المغاربة منذ القرن السادس وإلى أيامنا هذه يؤلفون من الكتب المطولة والمختصرة في أصول الدين ما لا يكاد يحصى عدداً.

أما أصول الفقه فالشائع في تاريخ العلوم الإسلامية أنه من وضع الإمام محد بن إدريس الشافعي صاحب *الرسالة الأصولية*، لكن يبدو أن في ذلك تجاوزا للحقيقة، وأن الإمام مالك بن أنس سبق تلميذه الشافعي في وضع أسس علم الأصول ولو أنه لم يؤلف فيه كتابا خاصاً. وممن تنزل لهذه المسألة بكثير من البسط والتحليل فقيهان مغربيان نابهان هما الإمام عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت 392 / 1002) في كتابه *الآثار والدلائل* الذي شرح به *الموطأ* وتتبع أصول خلاف مالك وأبي حنيفة والشافعي ؛ والقاضي أبو بكر ابن العربي الفاسي (ت 543 / 1148) في *كتابه القبس في شرح موطأ مالك بن أنس*.

وكان لموقف الموحدين المناهض لفقهاء المالكية ومنعهم الاشتغال بفقه الفروع وإحراق كتبه، أثر في الإقبال على أصول الفقه لاستنباط الأحكام الشرعية مباشرة من القرآن والسنة. ولابن تومرت نفسه *رسالة في أصول الفقه* تكلم في مطلعها عن العموم والخصوص والمطلق والمقيد والمجمل والمفسر والناسخ والمنسوخ.. كما ألف ابن رشد الحفيد (ت 596 / 1199) *بداية المجتهد*. وظهر بفاس ومراكش أصوليان كبيران هما علي بن محمد بن خليل المعروف بابن الإشبيلي (ت 567 / 1171)، ومحمد بن إبراهيم المهري المعروف بالأصولي آتي الترجمة، صاحب *التقييد على مستصفى الغزالي*.

ودخل إلى المغرب في أوائل القرن الثامن / 14 كتاب *مختصر منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل* أو *المختصر الأصلي* لابن الحاجب على يد الشيخ سليمان اللجائي الفاسي، ثم كتاب *التنقيح* لإدريس القرافي، وجمع *الجوامع* لتاج الدين السبكي، فأغنت هذه الكتب مادة أصول الفقه بالمغرب إلى جانب *ورقات* إمام الحرمين و*موافقات* الشاطبي، وأقبل عليها المغاربة يتدراسونها ويكتبون حولها شروحا وحواشي أو ينظمونها أو يختصرونها بعد أن غلب ذلك النوع من التأليف على كُتاب القرون المتأخرة. ولكثرة اشتغال بعض علماء المغرب بالأصلين اشتهروا بالأصوليين.

ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ جلال الدين المحلي، *شرح جمع الجوامع*، المطبعة الحجرية بفاس ؛ ح. خليفة، *كشف الظنون*، ج 1 ؛ ع. الفاسي، *الأقنوم*، مخطوط ؛ ع. گنون، *النبوغ المغربي*، ج 1 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 4 : 72 ؛ ع. النجار، *المهدي ابن تومرت*، بيروت،. 1983.

**الأصولي، عبد الرحمان** أبو القاسم الفاسي "كان من أهل الفضل والعلم والفقه شريف النفس صواماً قواماً مع أدب بارع وعقل رزين" (*جذوة*، 393). تدل نسبته على تبريزه في أصول الدين وأصول الفقه، لكن مترجميه لم يعيروا هذا الجانب العلمي اهتماما خاصاً سوى عبارات عامة مبهمة، لأنهم نقلوا ترجمته أساساً عن كتاب *المستفاد* الذي اهتم مؤلفه محمد التميمي بجمع أخبار عُباد فاس وأعمالها دون أن يعبأ بالجانب العلمي، ولو أنه أشار عرضاً إلى قيام عبد الرحمان بتدريس أصول الفقه. وقد أدركه التميمي وهو في حد الصبا، فكان إذا لقيه في الطريق قال له : تذكر يا محمد قول الله تعالى : تلك الجنةُ التي أورثتموها، فيقول التميمي : بِمَا كُنْتُم تَعْمَلون، فيعقب الأصولي : وأين العمل ؟

كما ذكروا له ـ نقلا عن التميمي أيضا ـ كرامات في حياته وبعد مماته، ولم يتعرضوا لتاريخ وفاته لأنه لم يرد في *المستفاد*. وتقدر وفاة عبد الرحمان الأصولي بأواخر القرن السادس / 12 م.

أ. ابن القاضي، *جذوة*، 393 ـ 394 ؛ م، الكتاني، *سلوة*، 3 : 295.

**الأصولي، عثمان** بن عبد الله القيسي، يكنى أبا عمرو ويدعى السلالجي، نسبة إلى جبل سليلجو (بالقاف المعقودة) بضاحية فاس، كانت لديه أملاك فيه يتردد إليها. وبيت بني السلالجي من بيوتات فاس العريقة الثرية. ولد حوالي عام 521 / 27 . 1128، ودرس على كبار علماء فاس أمثال الفقيه المشاور محمد بن عيسى التادلي، وصالح الفقهاء علي بن إسماعيل ابن حرزهم، والقاضي محمد بن الرمانة. وحاول القيام برحلة دراسية للمشرق لكنه رجع من بجاية إلى فاس في قصة طويلة.

كان في بداية أمره يدرس عقيدة *رسالة* ابن زيد القيرواني ـ على عهد الدولة المرابطية ـ وهي عقيدة سنية خالية من البراهين المنطقية إلا إشارات خفيفة كما هو معروف. فلما آل الملك إلى الموحدين وفرضوا العقيدة الأشعرية كان عثمان السلالجي في مقدمة المتحولين إليها، فاستبدل *بالرسالة* كتاب *الإرشاد* في الكلام لإمام الحرمين الجويني، وانتقل إلى مراكش ولازم مجالس إمام الأصوليين بها علي ابن الإشبيلي حتى بلغ درجة المجتهدين والنظار المتقنين، وأصبح يحضر مجالس السلطان عبد المومن بن علي، ويعلّم أبناء بعض الرؤساء من أرباب الدولة.

أدرك السلالجي شفوفا لدى الموحدين وأرادوا ترقيته بإسناد أحد المناصب السامية إليه لكنه أبى ورجع إلى فاس حيث انقطع للتعليم، واختص بتدريس أصول الدين وأصول الفقه، فعم النفع به وعظم إقبال الناس عليه لعلمه وصلاحه، حتى قالوا عنه "إنه منقذ أهل فاس من التجسيم". وما ذلك إلا من أثر الجو العلمي ـ السياسي السائد آنذاك الذي كان ينبز المرابطين وفقهاءهم وعامة الناس بالتجسيد، يعنون به مذهب السلف السني البسيط. وبذلك يعد السلالجي، من الناحية التاريخية، الإمام الذي ركّز عملياً المذهب الأشعري بالمغرب، وحوّل الناس إليه مما كانوا عليه من عقيدة السلف، فاشتهر من أجل ذلك

بالأصولي. ولا يعرف له من التآليف سوى عقيدة أشعرية صغيرة تدعى *البرهانية* ألفها لامرأة أندلسية فاسية صالحة تدعى خيرونة. وقد وُضعت *للبرهانية* عدة شروح، أشهرها *شرح المديوني*، وعرفت انتشاراً واسعا في العدوتين المغرب والأندلس. وقد نص ابن قنفذ القسنطيني على أن للسلاجي كتبا غير *البرهانية* لكنه لم يسمها. وأخذ عن السلاجي عدد من المتكلمين والأصوليين المغاربة والأندلسيين وترك أولاداً اشتهروا بعده كأصوليين وأطباء.

توفي بفاس ليلة الأحد، لثلث الليل، من ليلة واحدة وعشرين من جمادى الأخيرة عام 574 / 4 دجنبر 1178. وهذا هو الصحيح الذي حققه عبد الله گنون اعتماداً على ما ذكره تلاميذ السلاجي. ولا عبرة بالتاريخ المخالف (564) الوارد في *التشوف* الذي نقله كل من ابن القاضي في *الجذوة*، والكتاني في *السلوة*. ودفن خارج باب الجيزيين (باب الفتوح) من عدوة فاس الأندلس مجاوراً لقبر دراس ابن إسماعيل. وقبره مزارة شهيرة للعلماء والصالحين.

المديوني، *شرح البرهانية*، مخطوط ؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، 198 ـ 201 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة* ؛ ابن الأبار، *تكملة الصلة* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 266 ؛ أ. ابن قنفد، *شرف الطالب، ألف سنة من الوفيات*، 64 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 458؛ أ. ابن عطية السلوي، *التفكر والاعتبار*، مخطوط ؛ م. ابن عيشون، *الروض العاطر الأنفاس*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 183 ؛ ع. گنون، *ذكريات مشاهير رجال المغرب*، العدد 11 ؛ *النبوغ*، 1 : 149.

**الأصولي، محمد** بن إبراهيم المهري ـ بالميم ـ وفي بعض المصادر "الفهري" بالفاء. أصله من بجاية ودرس بالأندلس ومصر "وكان متحققا بعلم الكلام متقدماً في معرفة أصول الفقه حتى شهر بالأصولي... وعُني طويلا بمستصفى الغزالي فأصلح مختله، وصحح معتله، وعلّق عليه" (*الذيل والتكملة*). وكان صديقا ملاطفا لابن رشد الحفيد، وامتُحن معه بقرطبة سنة 593 لاشتغالهما بعلوم الأوائل (الفلسفة). وولي القضاء بمسقط رأسه أكثر من مرة ثم ببعض مدن الأندلس قبل أن ينتقل إلى مراكش ويتقلد بها نيابة قضاء الجماعة ويصبح ممن يحضرون مجالس السلطان. وقد اشتغل إلى جانب القضاء بالتدريس والتأليف، وكتب علاوة على *التعليق على مستصفى الغزالي*، *تقييداً في الشرفاء العمرانيين* يشتمل على معلومات مهمة تتعلق بوفيات بعض الأعيان. ولحدة طبعه وصرامته كان يشتد على الولاة ويبالغ في النكير والاعتراض، فكان في ذلك هلاكه ذبيحاً ببجاية أواخر سنة 612 / 1216.

أ. الغبريني، *عنوان الدراية*، طبعة الجزائر، 1910، 121 ـ 132 ؛ أ. بابا السوداني، *نيل*، 228 ؛ إ. القرافي، *توشيح الديباج* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 4 : 169 ـ 172 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1 : 87.

محمد حجي

**أصيلا** ـ جغرافيا ـ. مدينة تقع على مقربة من العاصمة الشمالية طنجة، وترتبط بذلك بمجموعة المدن الشمالية التي تعد من أقدم الشبكات الحضرية المغربية. يكتشف المسافر المتجه نحو طنجة، عبر الطريق الرئيسية رقم 2 تجمعا حضريا صغيرا يمتد على طول الساحل الأطلنتي، يلفت النظر بطابعه المعماري الإسلامي والمتوسطي، ودوره البيضاء المتراصة وسط البساتين والجنان. غير أن الزائر لا يلبث أن يلاحظ كذلك أن هذه المدينة الصغيرة قليلة الحركة والنشاط، إلا إذا قدم إليها صيفا حيث تتحول إلى محطة سياحية تضم من السكان ضعف ما تحتويه باقي السنة.

1 ـ مدينة صغيرة تعاني من ركود اقتصادي واضح باحتضانها ساكنة تقدر حسب إحصاء 1982 بـ 18.781 نسمة. تنتمي مدينة أصيلا إلى مجموعة المدن الصغرى، وقد برزت فئة المدن الصغرى والمتوسطة خلال العقد الأخير، نتيجة التوسع الحضري الذي اكتسح العالم القروي. غير أن مدينة أصيلا سابقة لهذه الحركة، إذ تنضم داخل المدن الصغرى والمتوسطة، إلى مجموعة المدن العتيقة السابقة للفترة الاستعمارية. وقد كانت هذه المدن التقليدية الصغرى والمتوسطة كمولاي إدريس زرهون، وصفرو والصويرة وتارودانت وأصيلا تعرف حياة حضرية نشيطة، تحولت إلى ركود اقتصادي وعمراني على إثر الاضطرابات التي ألحقها التدخل الاستعماري بالنسيج الحضري العتيق. غير أن هذا التدهور الاقتصادي استمر فيما بعد، يرافقه ركود ديمغرافي نسبي. فمدينة أصيلا سجلت تزايدا ديمغرافيا بطيئا بنسبة 2.4٪ ما بين 1960 و 1971 و 2.6 ٪ ما بين 1971 و 1982، في حين بلغ التزايد الديمغرافي السنوي خلال العقد الأخير بالنسبة لمجموع المدن الصغرى (من 10.000 إلى 20.000 نسمة) 7.1 ٪.

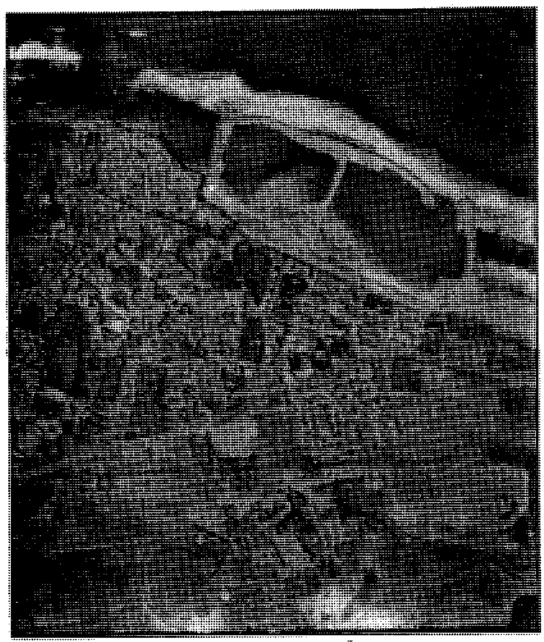

أصيلا : صورة جوية

ويمكن ربط هذا التزايد البطيء بأهمية الهجرة الخارجية في اتجاه البلدان الأوروبية وخاصة هولاندا، وضعف جاذبية المدينة بالنسبة لسكان الأرياف. وتتجلى المشاكل الاقتصادية وضعف إمكانيات التشغيل من خلال المعطيات التي تتوفر لدى المجلس البلدي حول مداخيل سكان المدينة، اعتمادا على التحري الذي جرى سنة 1984. وهكذا يتبين أن 41 ٪ من مجموع أرباب العائلات لهم مدخول يقل عن 300 درهم شهريا، بينما لا تتعدى النسبة للعائلات التي تتوفر على دخل شهري يفوق 1000 درهم، 15 ٪.

أما أسباب هذا الركود فهي متعددة، فالتراجع الاقتصادي الذي تعاني منه أصيلا يعود أولا إلى فترة الاستعمار الإسباني. غير أن المدينة نظرا لموقعها الساحلي القريب من أوروبا والذي جعل منها منذ القدم مركزا تجاريا هاما، كانت معرضة بصفة شبه دائمة إلى أطماع مختلفة وعاشت توافد قوى متعددة قبل أن ترضخ تحت السيطرة الإسبانية.

كان للمستعمر الإسباني موقفان تجاه مدينة أصيلا. ففي مرحلة أولى ظهرت أهمية المدينة لإقامة صناعة تحويلية خفيفة مرتبطة بإسبانيا. غير أن المستعمر وجه اهتمامه في مرحلة ثانية إلى مدينة العرائش التي كانت توفر ظروفا أكثر ملاءمة : وجود ميناء وبنية صناعية لا بأس بها. وهكذا ركز الوجود الإسباني كل مجهوداته بالعرائش مهملا مدينة أصيلا التي لم تتلق أي تجهيزات تذكر.

أما بعد الاستقلال فإن الجهود المبذولة تواجه ضعف البنيات الاقتصادية. فغياب ميناء مجهز يعرقل الحياة الاقتصادية وخاصة نشاط الصيد. كما أن الاقتصاد الحضري ظل مرتكزا على أسس أصبحت متجاوزة في المغرب الحديث : وظيفة فلاحية سائدة، حرف تقليدية تعاني من أزمة خانقة وغياب النشاط الصناعي، يرافق كل هذا تضخم للمهن الصغرى والتجارة الغير المهيكلة. وبالإضافة إلى منافسة العرائش في بداية القرن فإن أصيلا تعاني اليوم من قرب مدينة طنجة التي تلعب دور العاصمة الإقليمية جاذبة بذلك القوى الإنتاجية المحلية المحتملة.

2 ـ الأنشطة : لازال القطاع الفلاحي يشغل 15 ٪ من مجموع السكان النشيطين بأصيلا (عن باشوية المدينة). ويرجع هذا إلى ارتباط المدينة بظهيرها ووجود مجال فلاحي داخل الدائرة الحضرية (انظر الخريطة). ويمتاز القطاع الفلاحي بطابعه التقليدي ومردوديته الضعيفة.

ـ ويعاني قطاع الصيد، رغم الثروات البحرية المهمة المجاورة لساحل أصيلا من عدم توفر ميناء مجهز. ولذا فإن الصيادين الذين لا تتعدى نسبتهم 7 ٪ من مجموع الساكنة النشيطة يزاولون الصيد بطرق تقليدية وفي فترة محدودة لتزويد المدينة بحوالي 100 طن من السمك سنويا، تكفي لسد حاجياتها. وقد حاولت الدوائر المختصة العمل على إنشاء تعاونية للصيد، غير أن النتائج تبقى جد محدودة أما الميناء الذي شرع العمل في إنجازه فيظهر أنه سيوجه بالخصوص إلى النشاط السياحي والاستجمامي، أكثر منه إلى قطاع الصيد.

ـ وككل المدن الصغرى يتميز القطاع التجاري بتضخم نسبي حيث يشغل 14 ٪ من السكان النشيطين (الباشوية). غير أنه يسجل غلبة المؤسسات الصغرى (البقالة تناهز نصف المؤسسات) أو التجارة المنتمية إلى القطاع الغير المهيكل. كما أنه يعاني من نفس السكون الذي تعيشه المدينة إذ بلغ عدد المحلات التجارية سنة 1984، 426 مقابل 400 سنة 1963 (J. F. Troin).

ـ إلا أن هذا الركود العام الذي يطبع المدينة الصغيرة طيلة السنة ينقلب خلال فصل الصيف إلى نشاط ملموس يرافقه رواج في التجارة والخدمات. فمدينة أصيلا تتحول طيلة شهري يوليوز وغشت إلى قطب سياحي يكون مقصد تيارات سياحية داخلية تنطلق من المدن الكبرى حاملة مواطنين من كل الأوساط والجهات لتعمر المدينة صيفا. فحسب المصادر يقدر عدد زائري المدينة ما بين 10.000 و 20.000 شخص. ونظراً لحجم هذه السياحة الوطنية، وطول مدة إقامتها وتوجهها المباشر إلى سكان المدينة لتلبية حاجياتها من السكن (ظاهرة الكراء الصيفي تهم كل الأحياء) والتغدية، تساهم في الاقتصاد الحضري لهذه المدينة. ويعمل المجلس البلدي ومثقفو المدينة على استمرار هذه الظاهرة بتكثيف التنشيط الثقافي والفني بواسطة مهرجان أصيلا السنوي الذي انطلق لأول مرة في صيف 1978، والذي أصبح اليوم من أبرز التظاهرات الثقافية والسياحية. ويبقى أهم عامل يساعد على جلب الزائر المغربي هو مستوى العيش الذي يمكن عائلات ذات مدخول متوسط من ممارسة السياحة الصيفية. غير أن المشاريع السياحية الضخمة والطموحة التي تنجز حاليا (ميناء استجمام ترافقه بنيات إيواء من الطراز الممتاز) غير موجهة إلى هؤلاء الزبناء، ويخشى أن تنعكس هذه المشاريع على طاقتهم الشرائية فتجعلهم مجبرين على التوجه إلى محطات أخرى.

3 ـ النسيج الحضري : (الشكل رقم 1 : تصميم المدينة الحضري) رغم أن أصيلا لا تسجل أي إقلاع اقتصادي فإن رقعة المدينة تعرف اتساعا ملحوظا انطلق ببداية الاستقلال ويستمر حاليا. ويرجع هنا التوسع إلى عدة عوامل نذكر منها تيارات الهجرة القروية التي تلقتها المدينة بعد الاستقلال والاستثمارات العقارية التي يقوم بها أبناء المدينة الذين هاجروها للعمل بالخارج، فقد وصلت نسبة رخص البناء التي سلمت للعمال بالخارج سنة 1985 مثلا، إلى 30 ٪ من مجموع الرخص المسلمة. كما أن المدينة استفادت من ثلاثة برامج إسكانية هي تجزئة "أنيسة" (246 قطعة أرضية) وتجزئة "المنزه" (172 قطعة) وبرنامج ياسمينة (100 مسكن اقتصادي).

تمتد المدينة على مساحة 30 كلم بين الطريق الرئيسية رقم 2 والمحيط متسعة بالجنوب، بينما تتقلص بالشمال إلى شريط ساحلي ضيق. وتتكون كباقي المدن التاريخية الأخرى من نواتين : المدينة العتيقة والامتدادات الحديثة.

3. 1 ـ المدينة العتيقة : تتجمع داخل الأسوار البرتغالية، محاذية للساحل، وقد عرفت عدة عمليات تخريب وإعادة البناء على ضوء الأحداث التاريخية التي عاشتها. غير أن الأصيليين توصلوا إلى صيانة معمارها التقليدي. فبخلاف المدن العتيقة الأخرى، ورغم كثافات سكانية نسبيا مرتفعة (360 نسمة في الهكتار)، لا يلاحظ تدهور كبير في المباني أو الأزقة. وما من شك في أن المهرجان السنوي يوفر مناسبة سانحة لصيانة هذا التراث المعماري الإسلامي.

ب ـ منذ الاستقلال وحتى يومنا هذا اتسعت رقعة المدينة جنوب حي "بارادا" والمدينة العتيقة بانتشار أحياء شعبية وسكن اقتصادي على حساب البساتين والحقول. وقد اتبعت محورين رئيسين ؛ انطلق الأول في اتجاه الشرق متخطيا الطريق الرئيسية رقم 2 ومنتهيا بحي الصفيح الزرقطوني، واتجه الثاني نحو الجنوب ابتداء من حي لالة رحمة المحادي للمدينة مرورا بحي مولاي إدريس على طول شارع الحسن الثاني، ومنتهيا بتجمع مرج أبي الطيب. ويعتبر هذا الأخير أكبر وأقدم حي للصفيح بالمدينة حيث يرجع تاريخ نشأته إلى الأربعينات.

ج ـ أما القسم الثالث فيرتبط بالنشاط السياحي الذي أخذت تعرفه المدينة في السنوات الأخيرة، وهو عبارة عن مجموعة من المخيمات وبعض الفنادق وقرية سياحية تتناثر على طول الساحل شمال المدينة.

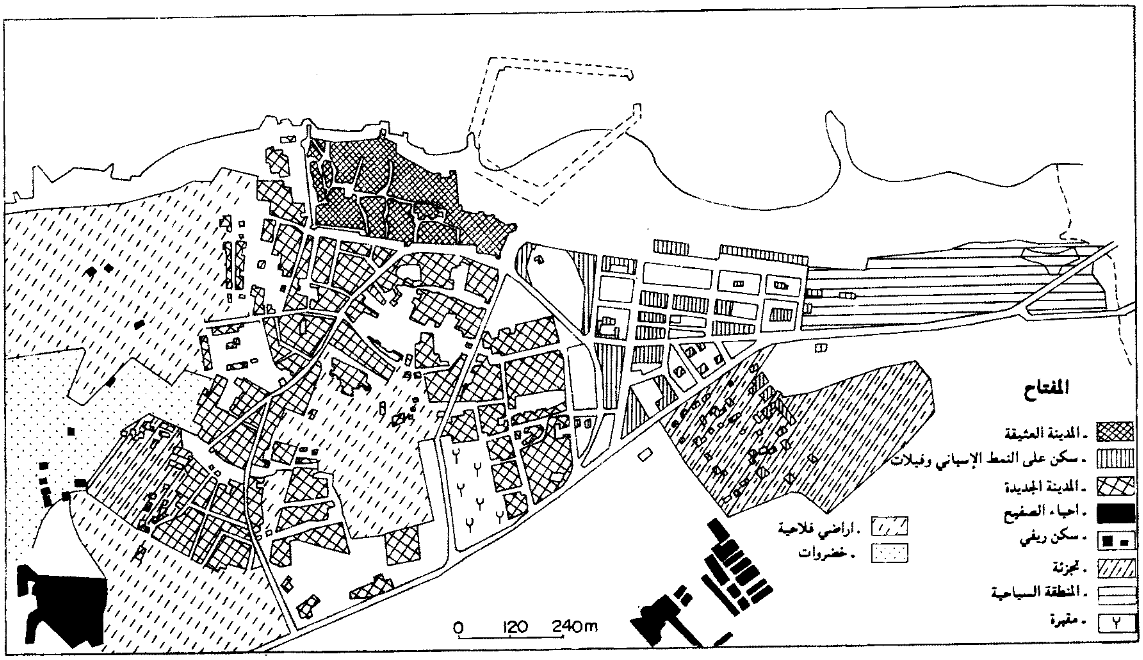


النسيج الحضري لأصيلا

تحتضن هذه النواة الأصلية 2500 ساكن وتعرف إقبالا كبيرا من طرف السواح المغاربة الذين يتجهون إليها بحثا عن وسائل الإيواء العائلية، ومن طرف السواح الأجانب الذين يتوقفون لزيارة معالمها العمرانية.

3. 2 ـ الأحياء الحديثة، ويمكن تبويبها إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ خلال فترة الاحتلال الإسباني ظهر شمال ـ غرب المدينة العتيقة حي بارادا Parada أو الحي الإسباني. وهو نسيج حضري مخالف للأول، يخضع لمعايير عمرانية خاصة. ويلعب هذا الحي الحديث اليوم دور المركز الحضري حيث تتركز المصالح الإدارية إلى جانب السكن الفردي. ويمكن أن نضيف إلى هذه الوحدة الأولى تجزئة "أنيسة" التي توجد شرق الطريق والتي صممت لإيواء سكن فردي من نوع الفيلات انتشر ببطء نسبي منذ 1976.

تعرض مدينة أصيلا نموذجا يمكن معاينته في أنحاء أخرى من المغرب. فهي مثال للمدينة الصغيرة ذات التاريخ العريق والتي ألحق بها الاستعمار خللا في توازنها الاقتصادي والاجتماعي. غير أن هذا الاضطراب يستمر رغم جهود ملموسة. ويواجه هذه المشاكل الاقتصادية اتساع في الرقعة المبنية لم يتبع أي تخطيط أو تصميم مسبقين، اللهم إلا عمليات نقطية لتجهيز بعض التجزئات.

كما أن هذا التطور للمساحات المبنية وقع على حساب الأراضي الفلاحية وخاصة الاستغلاليات المخصصة للخضراوات (انظر الخريطة) حارما المدينة من أحد الركائز التقليدية لاقتصادها.

أحمد الجسر، ارحيمو حسين، عبد النبي كندال، *انعكاسات السياحة الوطنية على اقتصاد أصيلا*، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1987 ـ 1988.

M. Berriane, *Le tourisme et la petite et moyenne ville au Maroc*, in *"petites villes et villes moyennes dans le Monde Arabe"*, Fascicule de Recherche Nº 16 et 17, U.R.B.A.M.A. Tours, 1987 I.N.A.U. *Habitat et foncier à Asilah.* Rapport de stage de première Année, Rabat, 1985 ; A. Lehzam, *Propriété foncière et marché foncier dans les villes à faible croissance démographique, l'exemple d'Asilah*, Revue Marocaine de Droit et d'Économie ou Développement, Université Hassan II, nº 12, 1986 ; J. F. Troin, *Les souks marocains, Marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc*. Edisud, Aix-en-Provence, 1975.

محمد بريان

**أصيلا**. - تاريخ - مدينة على الساحل الأطلنتيكي، جنوب طنجة، يبلغ عدد سكانها 18781 نسمة في إحصاء 1982. ولم يفصل المؤرخون والأثريون بعدُ بشأن تاريخ تأسيس المدينة. ويعود هذا الغموض إلى تعارض المصادر الإغريقية واللاتينية من جهة، والعربية من جهة أخرى، فقد ورد اسم أصيلا في الأولى تحت صيغ متقاربة، ziliz, zelis, zilia (R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*) واكتشفت عُملة محلية تحمل اسم Aslith، لذا اعتقد البعض أن تأسيس أصيلا يعود إلى العهد الفينيقي. أما الحسن الوزان ومن اعتمدوا معلوماته فقد أرجعوها إلى العهد الروماني. وأرجع البكري تاريخ التأسيس إلى سنة 229 / 844 وربطه بهجمة نورماندية على موقع المدينة دفعت السكان إلى تأسيس رباط توسع فيما بعد ليعطي مدينة مسورة وسوقا عامرة. وحسبما يقترحه البعض، اعتمادا على نتائج الحفريات التي أنجزت بقرية "الدشر الجديد" الذي يناسب المستوطنة الرومانية zilis، لا يوجد أي تناقض بين الروايات الإغريقية واللاتينية ورواية البكري، إذ يتعلق الأمر بموقعين مختلفين. فربما كانت zilis بالموقع الحالي "للدشر الجديد" قبل أن يعطى اسمه للرباط المشيد بالموقع الحالي لأصيلا. وقد يؤكد هذا الاحتمال خراب أصيلا بعد الهجمة المجوسية المذكورة لمدة ثلاثين سنة، وإحياؤها بأمر من ملوك قرطبة الذين أعادوا بناءها وجعلوها أحسن حالا وأكثر مناعة من سابقها (*الوزان*، 1 : 242).

ويعد ابن حوقل أول من اهتم بـ "أزتلي" في العهد الإسلامي. فقد أشار إلى موقعها وغنى ظهيرها، وإلى أسوارها ورواج أسواقها (*صورة الأرض*، 80). أما البكري، فقد ذكرها كأول مدن العدوة من جهة الغرب، وحدد موقعها على الساحل، ووصف سورها وأشار إلى أمن مينائها ورواج أسواقها. وبعد أن أشار إلى ظروف إنشاء أصيلا ربط ازدهارها باستقرار أبناء المولى إدريس وحفدته بها إلى أن استولى عليها حكام قرطبة (*المغرب*، 111 - 112) غير أن ما أورده الإدريسي، الذي نعتها بالمدينة الصغيرة المخربة، يوحي بتراجع مكانتها خلال القرن الثالث عشر. وابتداء من القرن التالي، بدأت سفن الجنويين والكَطَلَنيين والميورقيين تفد على ميناء أصيلا. ففي سنة 706 - 707 / 1307 أوفدت خمس شركات تجارية من برشلونة ممثلين لها بأصيلا بينما كان للجنويين "فنادق" بالمدينة. وكان هؤلاء التجار يقتنون بها التبر والحبوب والصوف ويعرضون بها سلعا كانت التوابل والعقاقير الشرقية أهمها. ومما يؤكد كثرة إقبال الإيطاليين على أصيلا تعرض Pegolotti في مؤلفه الشهير للمكاييل المعتمدة بهذه المدينة. وبقيت التجارة الجنوية مزدهرة بأصيلا حتى بعد احتلالها من طرف البرتغاليين. ومن جهة أخرى احترف الأصيليون الجهاد البحري.

وبعد نكسة الوطاسيين على يد السلطان عبد الحق المريني استقر محمد الشيخ بأصيلا وبقي بها إلى أن احتلها البرتغاليون يوم 7 ربيع الأول سنة 876 / 24 غشت 1471، أي بعد احتلال كل من سبتة (818 / 1415)، والقصر الصغير (862 / 1458) وبعد تعرض طنجة لثلاث محاولات انتهت بهزيمة برتغالية كبرى. وكان الهدف الرئيسي من الهجوم على أصيلا إكراه طنجة على الرضوخ لإحكام السيطرة على المضيق وللتحكم في الملاحة بالسواحل المغربية. ومعلوم ان هذا التحكم أصبح ضروريا بعد أن استوطن البرتغاليون جزر الآصور - خلال النصف الأول من القرن 15 م - وشرعوا في التبادل التجاري بغرب إفريقيا. فليس من قبيل الصدف، والحالة هذه، أن يناسب احتلال أصيلا اكتشاف البرتغاليين لمركز (لامينا La mina) بساحل الذهب الذي أصبح فيما بعد أهم مركز لشراء التبر والعبيد بغرب إفريقيا. وقد أكد مؤلف *حوليات أصيلا* بعد أن عاش بها طويلا، على أهمية هذه الدور الاستراتيجي (Anais, I / 3 - 4)، ونظرا لأهمية المشروع تم الإعداد له بسرية كبرى. وتختلف المصادر البرتغالية بشأن حجم الحملة. فحسب الإخباري دوبينا (R. De Pina) بلغ الغزاة 30000 نقلتهم إلى الساحل المغربي 477 سفينة، بينما جعل دوكويش (D. De Gois) عدد المحاربين 24000 وعدد المراكب 338 (D. Lopes, *Histoira*, 35).

وبهذا تكون هذه الحملة أهم ما نظمه البرتغاليون ضد المغرب. وكان على رأس الحملة الملك ألفونسو الخامس وولي عهده وكبار نبلاء البلاد. ووصل البرتغاليون قبالة أصيلا يوم 4 ربيع الأول 876 / 21 غشت 1471، إلا أن عنف الأمواج وصعوبة الدخول إلى الميناء أخر الإنزال وأديا إلى موت 200 برتغالي واستطاع المهاجمون لكثرتهم وقوة مدفعيتهم اقتحام أسوار المدينة وقتل ألفين وأسر خمسة آلاف من سكانها. ويعتقد أن الضحايا من الجانب البرتغالي كانوا كثيرين رغم سكوت النصوص عن ذلك (*مارمول*، 2 : 220). وكان ابن محمد الشيخ وولي عهده المعروف بمحمد البرتغالي ضمن الأسرى. ولم يستطع الوطاسي إنجاد المدينة لانشغاله بمحاصرة مدينة فاس، ووصله خبر دخول البرتغاليين إلى أصيلا وهو بالقصر الكبير. لذا فضل التفاوض حتى يتفرغ لإقامة دولته. وهكذا أمضى مع ألفونصو الخامس معاهدة لمدة عشرين سنة اعترف بموجبها باحتلال أصيلا وسبتة والقصر الصغير وبتبعية ضواحي تلك المدن للتاج البرتغالي. كما سمح لهم باحتلال ما شاءوا من الثغور الساحلية. ونتج عن احتلال أصيلا إخلاء سكان طنجة لمدينتهم ودخول البرتغاليين إليها بدون حرب، كما أخليت العرائش وعدد كبير من القرى. ولم تتوسع أصيلا خلال احتلالها إذ كانت النصوص البرتغالية تنعتها "قرية

أصيلا" (Vila de Arsila). وتعاقب على إدارتها من سنة احتلالها إلى حين إخلائها (956 / 1550) واحد وعشرون قبطانا رسميا أو مؤقتا.

ونظرا لموقعها، تحملت أصيلا القسم الأكبر من المجهود العسكري الذي بذله البرتغاليون بشمال المغرب، هجوما ودفاعا، فقد كلفت حاميتها بإكراه قبائل غمارة والهبط على الرضوخ وبنشر مناطق النفوذ البرتغالي للتقليل من مصاريف تسيير الثغور الشمالية والدفاع عنها. ومعلوم أن هذه الثغور الأربعة كانت تبتلع خمس ميزانية الدولة البرتغالية، كما كلفت حامية أصيلا بقطع الطريق على كل الإمدادات التي قد ترسلها باقي المناطق، وخصوصا منها فاس، لتهديد المكتسبات البرتغالية. وهكذا قام برتغاليو أصيلا بغارات خاطفة ووحشية وصلت عدة مرات إلى أزجن والقصر الكبير وجبل الحبيب بضواحي تطوان. وكانت هذه الغارات تنتهي في الغالب، لمفاجاءات للسكان ولانعدام قوة رادعة في بداية القرن العاشر / 16، بأسر مئات المغاربة والاستيلاء على أنعامهم. غير أن المقاومة الشعبية المؤطرة من لدن الفقهاء والمتصوفة من جهة، وقواد القصر الكبير والشاون، (بنو راشد) وتطوان (المنظري)، سرعان ما أكرهتهم على الانكماش داخل أسوار أصيلا. وزادت الحركات الوطاسية في عهد محمد البرتغالي من مفعولية هذا الجهاد. فقد عرّض هذا السلطان أصيلا وطنجة لاثنتي عشرة حركة كادت إحداها أن تنتهي بتحرير المدينة بعد أن استطاعت جيوشه الدخول إلى أصيلا وإكراه المدافعين عنها على الالتجاء إلى القلعة وانتظار وصول الإمدادات من البرتغال وإسبانيا (*الوزان*، 1 : 313 ; De Gois, 43-53).

وتسمح كتب الحوليات البرتغالية، وخصوصا منها *حوليات أصيلا* التي كتبها أحد سكان المدينة بعد إخلائها، بتتبع الحروب التي دارت بين البرتغاليين والمغاربة لتلك المناطق.

ولم يقتصر نشاط أصيلا خلال احتلالها على هذا الدور العسكري. فقد كانت أيضا سوقا رائجة تقبل عليها القوافل والسفن كما يؤكد ذلك محمد العربي الفاسي (*مرآة*، 142) وعدد كبير من الوثائق البرتغالية (*دكالة*، 164). ولتعزيز هذا الدور المربح أنشأ الملك البرتغالي وكالة تجارية بأصيلا كانت مهمتها ترويج السلع الملكية كالصمغ والعقيق والأثواب، وشراء السلع المغربية، وكان لهذه الوكالة فرع بفاس.

إلا أن الإشعاع العسكري والتجاري لأصيلا تراجع بعد الثلاثين من القرن السادس عشر، واستفادت أصيلا كغيرها من الثغور المحتلة من تناحر الوطاسيين والشرفاء السعديين. غير أن دخول محمد الشيخ السعدي إلى فاس يوم 29 ذي الحجة 951 / 29 يناير 1549 أكره البرتغاليين على التخلي عن أصيلا بعد أن تم التفكير في التنازل عنها لأبي حسون الوطاسي (رجب 956 / 24 غشت 1550). وعادت أصيلا من جديد تحت النفوذ البرتغالي قبيل معركة وادي المخازن بعد أن سلمها لهم صهر السلطان المخلوع محمد المتوكل. ولعبت المدينة دورا أساسيا في إنزال الجيوش البرتغالية. ولم تعد المدينة إلى السيادة المغربية إلا سنة 997 - 998 / 1589 بعد اتفاق بين فليب الثاني والمنصور السعدي، (*مناهل*، 114)، وتراجعت أصيلا كثيرا بعد هذا التاريخ.


ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ أ. البكري، *المغرب* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ ع. الفشتالي، *مناهل*.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila, Cronica inedita de sécule XVI*, Coimbra, 1915-1919, 2 vol ; P. Ricard, *Les Portugais au Maroc de D. de Gois*, extraits de la chronique du Roi Don Manuel de Portugal, Rabat 1973 ; *Les Portugais et l'Afrique du Nord*, extraits des "annales de Jean III" de Luis de Sousa, Paris 1940 ; C. De Marmol, *l'Afrique*, trad : fr. 1665 tome 2 ; P. de Cenival (et al... ) *Sources Inedites de l'histoire du Maroc*, série sa'dienne, 1934 - 1953, 5 vol. D. Lopes, *Historia Arzila O dominie portugues* (1471 - 1550 / 1577 - 1589) Coimbra 1924.


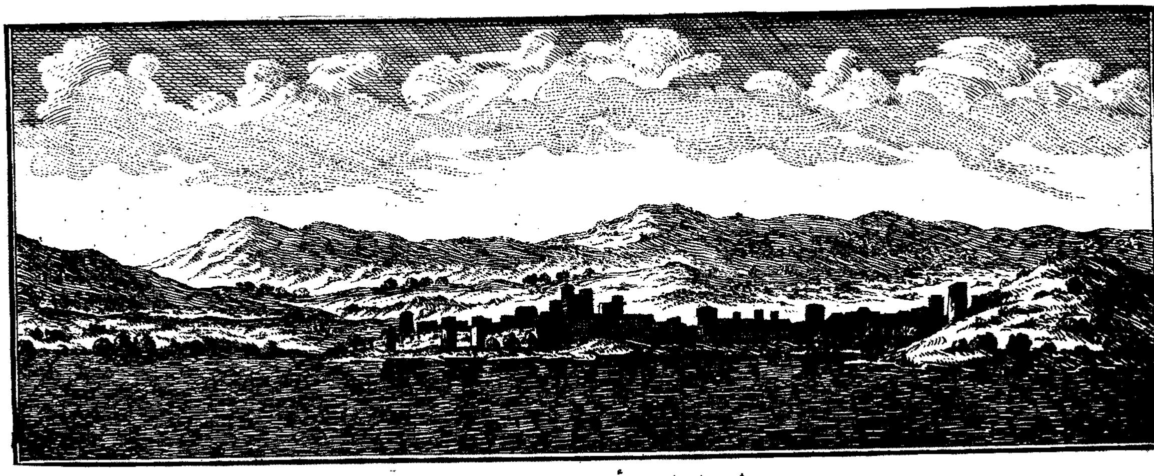

منظر عام لمدينة أصيلا في القرن الثامن عشر

(عن كتاب Höst)

**الأصيلي، إبراهيم** بن محمد، والد الفقيه عبد الله الأصيلي، من شعراء المغرب الأولين، لا تُعرف له ترجمة، وإنما تذكر المصادر القديمة مقطعات من شعره تدل على تمكنه من اللغة العربية وقواعدها، وأنه كان مداحا هجاء سليط اللسان. من ذلك قصيدة قالها في بني زياد من

هوارة الذين كانوا يقطنون بجوار أصيلا، مع قبائل لواتة في الجهة القبلية بينهم كدية رمل عالية، أورد منها صاحب البيان المغرب (1 : 235) هذين البيتين :

سقى غربيَّ أرضِ بني زياد سحائبُ ما يجف لها غروبُ

ولازال النعيـم يعـمُّ قومـاً إزاؤهمُ من الشرق الكثيـفُ

ولما دخل مصالة بن حبوس قائد عبيد الله الشيعي عام 308 مدينة فاس بعد أن هزم أهلها الذين أرادوا مدافعته قال إبراهيم الأصيلي معرضاً بها وبهم :

دخلت فاساً ولي شوقٌ إلى فاس والحَيْـنُ ياخذُ بالعينـين والراس

فلست أدخلُ فاسا ماحييتُ ولو أعطيتُ فاساً بما فيها من الناس

وتنسب إليه أبيات بذيئة في الهجاء والمجون، ولعل وفاته كانت بعد عام 326 / 937.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، تحقيق كولان وبروفنسال، 1 : 183 و235 ؛ ياقوت، معجم *البلدان*، 6 : 331 ؛ م. بن تاويت، *الوافي بالأدب العربي*، 1 : 21 ؛ ع. بنعبد الله، *الشعر والشعراء بالمغرب الأقصى عبر العصور* (مخطوط).

**الأصيلي، عبد الله** بن إبراهيم، ولد عام 324 بمدينة أصيلا المعروفة قرب طنجة ـ لا بأصيلا الأندلس كما اشتبه ذلك على بعضهم ـ وأصل جدوده من الجزيرة الخضراء أو من كورة شذونة بالأندلس، وقيل إن أباه من مسلمة أهل الذمة. والمقصود بأبيه أحد أجداده الأعلين ولا شك، لأن نسبه ـ كما عند عياض وغيره ـ هو عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر.

نشأ عبد الله بأصيلا وتعلم بها قبل أن يقوم برحلة علمية طويلة قادته إلى الأندلس حيث أخذ عن كبار فقهاء قرطبة أمثال اللؤلوي وابن الشاط وأبي سليم وأبان بن عيسى، ثم إلى أفريقية فلقي شيوخها ومنهم ابن أبي زيد القيرواني الذي روى عن الأصيلي وشيوخه الأندلسيين. ثم توجه إلى المشرق فلقي شيوخ مصر ومنهم النيسابوري، وحج سنة 353، فلقي بمكة عبد الرحمان المروزي وسمع منه *صحيح البخاري*، وأبا بكر الآجري، وبالمدينة قاضيها أبا مروان المالكي. ومن ثم سار إلى العراق فأخذ عنه فيها أبو بكر الأبهري حامل لواء المذهب المالكي بالعراق صاحب التآليف الكثيرة. وطالت رحلته المشرقية ثلاث عشرة سنة استكمل فيها علمه دراية ورواية.

بعد ذلك رجع عبد الله الأصيلي إلى المغرب وقد بلغ أشده، والأوضاعُ السياسية في غاية الاضطراب بين مغراوة وزناتة ومَن وراءهم من الفاطميين والأمويين، فجاز إلى العدوة سنة 366 حيث "انتهت إليه الرآسة بالأندلس في المالكية وكان متفنناً نبيلاً عارفاً بالحديث. قال الدارقطني: حدثني أبو محمد الأصيلي ولم أر مثله" (*الديباج*، 139).

ألّف عبد الله الأصيلي عدة كتب تعدّ أمهات في موضوعاتها، منها : شرح الموطأ سماه *كتاب الدلائل إلى أمهات المسائل* ذكر فيه خلاف مالك والشافعي وأبي حنيفة؛ *ونوادر الحديث* في خمسة أجزاء ؛ *والانتصار* ؛ *ورسالة المواعد المنتجزة* ؛ *ورسالة من استحل عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ* ؛ *ورسالة الرد على ما شذ فيه الأندلسيون*.

بلغ الإمام الأصيلي درجة الاجتهاد إلا أنه اجتهاد داخل المذهب المالكي، فكان يتكلم في الأصول ويترك التقليد، واحتهاداته وفتاواه مبثوثة في *المدارك* وفي *المعيار*، وولي الشورى بقرطبة، والقضاء بسرقسطة. ويعدون من كرامته ـ ولو أنه ينكر الغلو في كرامات الأولياء ـ أنه كان كثيراً ما يذكر الفتن التي ستقع في الأربعمائة ويدعو الله أن يقبضه قبلها، فتوفي يوم الخميس 19 ذي الحجة عام 392 / 29 أكتوبر 1002.

ع. ابن الفرضي، *تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس*، 1 : 291 ؛ الضبي، *بغية الملتمس*، 127 ؛ م. الحميدي، *جذوة المقتبس*، 239 ؛ عياض، *المدارك*، 7 : 135 ـ 145 ؛ م. الحافظ الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، 3 : 1024 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج المذهب*، 138 ـ 139 ؛ ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، ج 1 و6 (مادتا أصيل وفاس) ؛ أ. البكري، *المسالك = المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب*، 117 ؛ ع. ابن العماد، *شذرات الذهب*، 3 : 140 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، ج 1ـ2ـ7ـ8ـ10 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، 1 : 100ـ101؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 3 : 117.

**الأصيلي، عبد الواحد** بن مسعود بن محمد المدعو **عَنُّون**. شخصية علمية وسياسية فذة ربما لم يكن له نظير في عصره، إذ كان عالما فلكياً رياضيا وأديبا بارعا عارفاً بعدة لغات أجنبية، صناع اليد في الرسم والنساخة، إلى نباهة وحذق ولباقة في الشؤون السياسية، اجتباه المنصور وائتمنه على بيت ماله وأسرار دولته، وبعث به سفيراً لدى ملكة أنجلترا إليزابيط الأولى عام 1008 / 1600 في أخطر مهمة كُلف بها سفير مغربي في ذلك العهد. والعجب أن شخصية نابهة كهذه لم تنل من عناية المؤلفين المعاصرين له سوى ترجمة بسيطة في *درة الحجال*. وأكثر ما نعرف عنه مصدره الوثائق الأنجليزية، وبعض المخطوطات الباقية من منتسخاته.

مكث عبد الله عنون في لندن ستة أشهر يتصل بالملكة ويراسل مخدومه بطريقة الزِّمام، وهي كتابة سرية شبة "شفرة" اخترعها المنصور للاتصال مع عماله في الداخل وسفرائه في الخارج. وقد أسندت إلى عنون في هذه السفارة ثلاث مهمات : مهمة سياسية حملها عنون سراً مكتوما في صدره ليلقيه إلى الملكة إليزابيط مباشرة من أجل إقامة حلف مغربي ـ أنجليزي ضد إسبانيا لإخراجها من الهند وطردها من الشواطئ المغربية قبل مهاجمتها في عقر دارها. وأخرى اقتصادية لدراسة السوق الأنجليزية بالتعرف على الموازين والمقاييس ومدى رواج البضائع المغربية خاصة السكر للتأكد من مقدار أرباح الوسطاء الأنجليز بغية وضع أسعار جديدة لصالح المغرب، واستخلاص ديون مترتبة في ذمة الشركة البربرية ـ الأنجليزية وشراء كميات من الأحجار الكريمة. ومهمة علمية عن طريق الاتصال بالعالم الأنجليزي

إدوارد وريغت E. Wright، وهو رياضي مهندس اشتهر بتآليفه العلمية وبحوثه التطبيقية في ميدان الملاحة. كُلف بأن يحصل منه على كرات فلكية، وساعات، ومزاول وأسطرلابات، وآلات مغناطيسية وفلكية لقياس ارتفاع الأجرام السماوية وتحديد اتجاه القوافل في الصحراء. وقد طُلب من وريغت أن يصنع لعنون كل ما يرغب فيه من آلات من نحاس أو فضة، ويترك موضع الكتابة والأرقام فارغاً لينقش بالعربية في المغرب أو أنجلترا.

وتختفي أنباء عنُّون بعد رجوعه إلى المغرب من هذه السفارة الطويلة فلا يُعرف لوفاته تاريخ ولا مكان.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 385 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 387 - 388.

H. De Castries, S. I. H. M., Angleterre, I. 2 : 159-160 et 164-165.

محمد حجي

## الأصيلي علي بن محمد ← ابن هذيل

**الأطرَش**، أسرة من يهود حلب هاجر أفرادها إلى مختلف الأقطار (فرنسا وإيطاليا والهند وجبل طارق والمغرب) للتجارة في شتى أنواع البضائع، كالحرير والصوف وتقديم الخدمات. وكان منهم إخوة عقدوا شركات بينهم ومع غيرهم، وارتبطوا بالسلطات المغربية في القرن التاسع عشر. كانت تجارتهم تدور حول تصدير البضائع الفلاحية والإقراض والنقل البحري، وكانوا يعدون بمرسيليا من أغنى التجار إذ بلغت أرقام أشغالهم الملايين. منهم :

**الأطرش، إميل** نمساوي لم ينل الجنسية الفرنسية إلا سنة 1868. وقد ظل يتابع نشاطه التجاري بالصويرة منذ سنة 1854 حتى مات بها سنة 1889.

**الأطرش، جاك** أكبرهم الذي استوطن مرسيليا ثم سافر إلى المغرب ونزل بفاس مرات متقطعة سنة 1856 و 1858 و 1862. وفي سنة 1864 رحل من الصويرة إلى العرائش حيث مات مفلساً بها سنة 1866، لأنه كان يوظف أموالاً باهضة يغامر بها ويقدمها للحكام أو يسلفها للفلاحين والتجار ثم لا يسترجع منها إلاً قليلاً، ولأن السلطات المغربية بدأت تتوجس منه خيفة سنة 1863، بعد أن كانت خولته رخص التصدير ورخص نقل الحجاج من الرباط وطنجة سنة 1856 و1857.

**الأطرش، جول** استوطن الصويرة سنة 1855 وعقد صلات مع الولاة لا سيما عامل مركش أحمد بوستة. وكان هو وأخوه السابق الذكر محميين فرنسيين.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. 2 et 3.

مصطفى بوشعراء

**الأطرَنْكَات**، حي بتطوان أنشأه الأندلسيون الذين طردهم الملك الإسباني فيليب الثالث Felipe III سنة 1609م. وهذا ما يفسر كون الاسم الذي أطلقوه على حيهم الذي كان قبل بنائهم له محلا ترمى فيه الردّم، فسموه الأطرنكات من كلمة Atrancar بمعنى ردم، وهذا لا يتفق مع ما قاله الفقيه الرهوني بأن "معنى الكلمة بلغة الروم "قرب" حيث يقولون اطرنك أي قريب".

ونتوفر على قائمة أعدت في منسلخ جمادى الأولى 1257 / 1841 تحتوي على الفقراء الذين كانوا آنذاك بالحي المذكور وبلغ عددهم 1957 فقيرا.

الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 18 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 298، 8 : 350.

L. Fernandez de Lara, *Nomenclator callejero de Tetuan 1941*, 94.

محمد ابن عزوز حكيم

**إطّـو**، علم مؤنث كثير الاستعمال عند القبائل الأمازيغية الصنهاجية المستوطنة بجبال الأطلس المتوسط.

اشتهر جغرافيا باقترانه بمكان يقع بين مدينتي الحاجب، وأزرو، على بعد 12 كلم من هذه الأخيرة. وهو منبسط يطل على هضبة "أدروش" ذات التضاريس "الأبالاشية" التي تجعل منها منطقة جذابة بمنظرها العام، وقد أصبحت جملة "منظر إطو" متداولة معروفة لهذا السبب.

واقترن اسم إطو تاريخيا بالأحداث الهامة التي طبعت تاريخ المغرب الحديث، وهو واقعة 1913 بين المحتل الفرنسي وجموع قبائل أيت مگيلد وإخوانهم من أيت نظير (بني مطير) وإگرْوان، ففي 24 مارس 1913 حلت العساكر الفرنسية بهذا الموقع تحت قيادة العقيد هانريس Cl. Henrys وكان قائدا عاما لفرقة الخيالة الفرنسية قبل أن يكلفه المقيم العام ليوطي Lyautey بمحاربة قبائل الأطلس المتوسط في هذا المكان. فطردت منه من كان به من السكان ونهبت ماشيتهم، قبل البدء في إطلاق المدافع لجلب مقاتلي القبائل خدعة. وأمام عدم توازن القرى وخاصة علي مستوى السلاح المستعمل استطاع العقيد المستعمر هزم المدافعين الذين خسروا 70 رجلا. ورغم ذلك لم يهدأ الصراع بل تواصل إلى حدود 28 أبريل 1913.

منذ ذلك التاريخ أقام العقيد هانريس بموقع إطو مركزا عسكريا أساسيا جعله إحدى القواعد الثلاث لمتابعة عملياته ضد أيت مگيلد وأيت يوسي، وأيت صغروشّن المستوطنين بناحية إموزار، وهي قواعد إفران وأگوراي وإطو.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الذاكرة الشعبية ترى في إطو اسما لامرأة شجاعة كانت ابنة أحد شيوخ إحدى قبائل إركلاون المقيمة بناحية أزرو، والتي يحكى عنها أنها شاركت بني قبيلتها في معركة دارت بينها وبين قبيلة أخرى بنفس المكان أوشكت نتيجتها أن تكون وخيمة على القبيلة الأولى لولا دور إطو هذه التي حملت بكل ثقلها وعن طريق الحث بالشعر وغيره من الأقوال المهيجة على القتال والصمود حتى النصر. واعترافا بهذا الدور، سمي المكان باسمها.

Gl. A. Guillaume, *Les Berbères marocains et la pacification de l'Atlas Central* (1912 - 1913), Paris, 1946, p. 128 - 134 ; G. Beaudet, *Les Beni Mguild du Nord*, R.G. M., nº 15, 1969, p. 3 - 80.

عبد العزيز توري

**أطلس**. - تاريخ قديم - اتخذ صبغتين : صبغة شخصية أسطورية، فكان ككل آلهة وأبطال الميثولوجيا الإغريقية - الرومانية ينتمي لعائلة، وأنيطت به وظائف، له موطن سكن. وهذه هي الصبغة التي عرف بها في بدايته من خلال كتابات المؤلفين القدامى *Histoire Naturelle*, (V. 7).

لكن أطلس أضحى في عصور متأخرة معلمة جغرافية. وهذه الصبغة المكتسبة هي التي اشتهر بها عند الكتاب الكلاسيكيين وهي التي نعرفه بها إلى يومنا هذا. فكيف تم هذا التطور ؟

أطلس كشخصية أسطورية : يتفرق الرواة للأساطير شيعا وأحزابا في نسبه :

فمجموعة أولى تعتبره ابن جابي Japet وكليمين Clymene، ومجموعة ثانية تنسبه لإيطر Aether وجي Gé، ومجموعة أخرى تعتبره ابنا لإله البحر نبتون Neptune من زوجته كليو Clio. ومهما اختلفت الآراء وتشعبت حول نسبه، فإنها تجمع على اعتباره أحد التيتان Titans.

وتضاربت آراء الرواة أيضا حول وظيفته، فاعتبرته مجموعة أولى ملكا لأكاديا. وساد بين مجموعة ثانية وعلى رأسها صاحب أنساب الآلهة Théogonie هزيود Hesiode الاعتقاد بأن منطقة نفوذ أطلس تقع في أقصى حدود الأرض، جهة الغروب، وبذلك يكون أصحاب هذه المجموعة، منهم هزيود، قد ساهموا في نقل مملكة الأطلس من شمال البحر المتوسط إلى جنوبه، وبالتالي حولوا مسرح الأحداث من أوروبا إلى إفريقيا.

ويبلور أوفيد Ovide في كتابه *Métamorphoses*, (628 هذه الفكرة، عندما يذكر أن أطلس ملكَ منطقة خصبة ومشهورة بثرائها حيث تسرح فرق مروجها الخضراء آلاف قطعان الماعز والأبقار، وبهذه التربة أشجار الهسبريد Hesperides الآمنة لأنها محروسة من لدن ثنين مهول، لن يقوى على التصدي له وقطف التفاحات الذهبية إلا هرقل القوي.

ويجزم ديودور الصقلي Diodore de Sicile في كتابه (*Bibliothèque historique*, 27) بأن أطلس المختص في الرياضيات هو مخترع الكرة La sphère. ومنحه رواة آخرون خاصيات جديدة تتمثل في علمه بالفلك، بل منهم من حشره ضمن زمرة الفلاسفة.

وهكذا أصبح أطلس الكائن الحي جمادا أو أحيل الإنسان إلى جبل، كيف تم هذا التحول؟ و ما هي أسبابه؟

حول هذا "المسخ" نملك روايتين : الأولى صاحبها الشاعر الإغريقي هزيود الذي يفسر سبب التحول كما يلي : يذكر أن الأطلس باعتباره أحد التيتان شارك معهم في الحرب الضروس التي شنوها ضد الآلهة، ومشاركته هذه أثارت ضده حنق كبير الآلهة جوبيتير Jupiter الذي عاقبه على عمله بأن أجبره على حمل قبة السماء فوق رأسه. هذه الصورة التي رسمها هزيود بالكلمات : إنسان يحمل فوق رأسه قبة السماء، نجد لها صدى في مجالات فنية متعددة من نحت ونقش ورسم كشفت عنها الحفريات في عدة مواقع بالعالم القديم تحفظ بالمتاحف الأثرية.

والرواية الثانية للتحول أوردها الكاتب الروماني أوفيد الذي يفسر سبب التبدل تفسيرا آخر مخالفا لتعليل هزيود. يذكر أوفيد (*Métamorphoses* : 632-662) بأن رفض أطلس إكرام وفادة ضيفه برسي Persee أثارت سخط هذا الأخير فواجه أطلس برأس ميدوزا Meduse التي تحيل كل من يحدق فيها حجارة، وهكذا أصبح الإنسان جمادا.

أما أطلس الجبل، فيتفق المؤلفون الكلاسيكيون على اعتباره عماد السماء Pilier du ciel، هذه العبارة أوردها هيرودوث Hérodote في كتابه (*Histoire*, 186) وذكر أيضا بأن السكان المحليين هم الذين نعتوه كذلك، وتناقل رعيل الكتاب اللاحقين نفس هذه العبارة، إذ نقرؤها عند ديون كاسيوس Dion Cassius في كتابه (*Histoires Romaines*) وأوفيد في (*Métamorphoses* : 174) وبومبنيوس Pomponius في كتابه (*De Chorographia*, III, 10) وتبين هذه العبارة علو الأطلس الشاهق، وهي البذرة التي نفخ فيها الإغريق من روحهم فاتخذت شكل عملاق محكوم عليه بحمل قبة السماء إلى الأبد.

وحاول المؤلفون الكلاسيكيون توطين الأطلس في منطقة محددة ولكنهم لم يفلحوا. وشهادة ليكريس Lucréce هي خير دليل على هذا الأمر. يقول في كتابه : *De Natura* v (36) بأن المعرفة بالأطلس كانت ناقصة نقصا بينا خلال القرن الأول ق.م. ويضيف بلين Pline قائلا بأن معرفة أطلس كانت تقتصر على الوصف الأسطوري المستمد من مؤلفين قدامى أورد إشارات عنه خلال حكاياتهم عن البطلين هرقل وبرسي (*Histoire Naturelle*) واستمرت حالة نقص المعارف حول أطلس إلى عصر أغسطس Auguste، فمع إطلالة عصره بالأساس خلال مرحلة إلحاق الرومان لموريطانيا (القرن الأول م) تتضح معلوماتنا عنه.

فإذا كان هيرودوت مؤرخ القرن الخامس ق.م يكتفي بقوله إن أطلس بليبيا (*Histoire*, 184) وإذا كان سترابون Strabon الجغرافي المشهور (القرن الأول ميلادي) يخلط بين الأطلس والريف فيموضع الأطلس مباشرة بعد اجتياز أعمدة هرقل، (*Géographie*, XVI, 3,2) وإذا كان ليكان Lucain ينقله للضفة الأخرى من البحر المتوسط فيجعله بمدينة قادس (*Pharsales*, IV, 670-676) فإننا مع بلين المؤرخ المشهور بتحريه للحقيقة نقترب من الصواب، فهو الذي يعتبر أطلس أكثر جبال إفريقيا إثارة، والوصول إليه لن يتأتى إلا بعد اجتياز شعب الأطولول (Autololes) (*Histoire Naturelle*, V. 5) ولكننا نفاجأ عندما يظهر لنا

عجز بطليموس Ptolemee وهو من جغرافيي القرن الثاني للميلاد عن تحديد موقع الأطلس بشكل محدود ومضبوط (R. Raymond in *Description de la terre*, p. 36) وينقل بلين عن بوليب Polybe فيلاحظ أن هذا الأخير قد جعل أطلس بأقصى حدود موريطانيا بالمجال المحصور بين منطقة جبل طارق ونهاية رحلته بنقطة ليس من السهل تحديدها(*Histoire Naturelle*, V. 10).

ويعود بوليب في فقرة أخرى من كتابه المفقود ـ والذي نستقى عنه المعلومات استنادا لروايات بلين ـ ليموضع الأطلس بحدود موريطانيا وبمواجهة سيرنه (*Histoire Naturelle*, V. 120-121).

يبين بوزنياص (Pausanias : 184) أن شعب الناصامون (Nasamons) المعروفين عند هيرودت (*Histoire*, V. 184) تحت اسم الأطلنتيس Atlantis والمعروفين عند غيره تحت اسم ليكسيت Lixites يستوطنون أقصى حدود الأطلس.

ويذكر ديون كاسيوس (*Histoires romaines*, IXXV) أن أطلس يوجد ببلاد الماكنيت Macenites ويجعل مجال سكني هذا الشعب بموريطانيا العليا على ساحل المحيط إلى الشرق منه. وهو تحديد كما نرى مبهم وغير دقيق.

وإذا كانت معلوماتنا حول موقع الأطلس تتسم بالإبهام والخلط الذي مرده كما بينا إلى تناقض المصادر الكلاسيكية التي نستمد منها معلوماتنا فإننا نتوفر على معطيات ثمينة حول التسمية. يذكر سترابون (*Géographie*, XVII : 3-2) بأن أصل الكلمة إغريقي وبأن الاسم المحلي للجبل هو Diris وهذه المعلومات يزكيها نسبيا صولان Solin (*Polyhistor*, XXIV, 15) ومارتيانوس كابيلا (Martianus Capella, VI, 667) ولكنهما يرسمانه هكذا Adiris.

ويعني مصطلح أطلس ذلك الذي يطيق حمل أثقاله و Dyris. أو Adiris تعني الجبل، ولكن المعماري الروماني فيتروف Vitruve في كتابه : (*De Architectura*, VIII : 2-18) يعتبر Dyris مجرد مجرى مائي ينبع من الأطلس ويغذي بمياهه النجير (گير ؟) والنيل.

ووقف المؤلفون الكلاسيكيون طويلا عند مورفولوجية الجبل، وهكذا ميز بلين (*Histoire Naturelle*, V.6 et 99) بين واجهتين للأطلس : واجهة محيطية محددة وصعبة المسالك ،وواجهة داخلية وافرة الخصب، وقدم بومبونيوس ميلاً وصفا مشابها لما جاء به بلين.

وهذه الخاصية المقترنة بالغنى والخصب التي تتميز بها بعض وديان الأطلس تفترق بها قريحة الشعراء. وفي هذا الصدد نقرأ نصاً لإليان Elien نقله لنا الباحث المعاصر Des anges وهو نص يقارب في مضمونه ما جاء به بلين حول خصوبة الأطلس.

هل هذه الأوصاف الواردة عند المؤلفين تنطبق على جهة من الجهات المغربية ؟. هذا ما حاول القيام به باحثون محدثون. فرأى بديش Pedech بأن الواجهتين المتناقضتين للأطلس هما من خصوصيات جبل بويبلان، وبيَّن توفنو Thouvenot بأن المنطقة المعينة هي موگادور مع مجموعة التلال القاحلة الموازية للشاطئ، ونقيضها منطقة الحوز، وهي واجهة خصبة ذات مياه وافرة وزراعات متنوعة.

سبق أن ذكرنا أن معلوماتنا عن الأطلس بدأت تغزر مع إلحاق الرومان للمغرب ضمن مستعمراتهم . وبالفعل ، فالاتصال المباشر للقواد الرومان بالجبل تم خلال هذه الفترة.

وكانت ثورة أيديمون Aedemon هي المنافسة الموازية لذلك، فعندما أعلن هذا العبد المعتق العصيان كانت ثورته فرصة سانحة للقواد الرومان لملاحقته والوصول إلى الأطلس، وهذا ما يؤكده بلين (*Histoire Naturelle*) عندما يقول بأن عددا من النبلاء والفرسان منذ مقتل بطليموس سيد أيديمون، وابن يوبا الثاني، قتله الإمبراطور كَرَاكَلاً (ق 1 م). توغلت داخل الأطلس وأصبحت البلاد معروفة لديهم. ولكن بلين لم يفته أن يقف موقف الشك من أقوال النبلاء والفرسان، فلم يقبل إلا المعلومات القريبة من الصواب موضحا بأن الأخطاء الشائعة مصدرها هذه النخبة التي لا تتورع عن قول الكذب لتواري جهلها عوض الحقيقة. وبلين هو الذي يحدثنا عن القنصل سيطونيوس بولينيوس Suetonius Paulinus الذي قام بحملة لإخضاع بعض القبائل المورية، فكان أول من له السبق في الوصول إلى الأطلس، بل أول من استطاع أن يتجاوزه ببعض الأميال (*Histoire Naturelle*, V. 14) واقتدى به القواد الرومان إذ أنهم ليتجنبوا أن يعيد الثوار الكرة، فضلوا ملاحقتهم في عقر دارهم إلى حد جعل بلين يعرب عن اندهاشه من كونهم وصلوا إلى أطلس أثناء متابعتهم للثوار. وأضاف بلين قائلا بأن سيطونيوس Suetonius وهو قائد روماني بلغ الأطلس بعد قطعه لعشر مراحل (*Histoire Naturelle*, V. 15) وتابع سيره في اتجاه واد يعرف تحت اسم غير، وعبر الصحارى ذات الغبار الأسود.

وصفة الأطلس انطلاقا من مشاهدات عيانية ومباشرة تنطبق مع ما جاء به العاهل يوبا الثاني. وبلين نفسه ينقل لنا تقرير يوبا (*Histoire Naturelle*, V. 16). ويذكر بأن عشبا يعرف تحت اسم فربيون Euphorbe لا ينبت إلا بالأطلس، ويقول ديوسكوريد Dioscoride عن هذا النبات الطبي العديد المنافع بأنه يبدو بأراضي الأطولول وهي قبيلة بموريطانيا الطنجية. وهذه القبيلة يحدد بلين (*Histoire Naturelle*, V. 97) منطقة سكناها بين سلا والأطلس.

ويدعم يوبا الثاني الاعتقاد السائد قبله الذي جاء فيه بأن النيل ينبع من الأطلس (Dion Cassius, *Histoires romaines*, LXXV. 13) إلا أن بول أوروز Paul Orose يصحح هذا الاعتقاد عندما يبين في كتابه (*Contre les paiens*) بأن هناك واديا كبيرا بالمنطقة شبيها بوادي النيل يسميه البرابرة عند منبعه درعة Dara، ويطلق عليه المستقرون على ضفافه نوهول Nuhul (أونوخول Nuchul حسب بومبونيوس ميلاً). ويعتقد توفنو بأن النهر المقصود

الذي كانت له خاصيات مماثلة للنيل وتعيش به حيوانات شبيهة بتلك التي كانت تحيا بوادي النيل هو وادي نون (O. Noun).

هل تركت أسطورة أطلس بصماتها فوق الأرض المغربية؟ لم تقدم لنا الحفريات الأثرية أي أثر مادي متعلق بالأطلس، ولكن المحيط الذي يلف أرض الغروب من شمالها إلى جنوبها اكتسب خاصية أطلسي Atlantis بالنسبة للجبل (*Histoire Naturelle*, V. 6 et 99). كما أن السلسة الجبلية تحتفظ إلى يومنا هذا بالتسمية الإغريقية وإلى جانبها التسمية المحلية.

ونكتشف أيضا قصة أطلس من خلال حدائق الهسبيريد التي تحتفظ بذكراها لوحة بيضوية بفيسفاء منزل أعمال هرقل بوليلي. فتفاحاتها الذهبية مكنت العملاق أطلس من أن يستريح بعض الوقت من حمله عندما ذهب لإحضارها لضيفه هرقل مقابل حمل هذا الأخير لقبة السماء. وأراد أطلس أن يحمل بنفسه التفاحات الذهبية لابن عم هرقل أوريستي Eurysthee لأنه هو الذي طالب بها هرقل ليتملص من المسؤولية، ولكن مكر هرقل جعل الثقل يعود له. ومن يومها وأطلس يرزح تحت ثقل قبة السماء.

Diodore de Sicile, Bibliothèque historique d'après J. Ramin, *"Le Périple d'Hannon"* dans Bar (British Archeological Reports) Supplementary series 3, 1976 ; Herodote, *Histoires*, Texte établi et traduit par Ph. E. Le Grand, éd. Les Belles-Lettres, Paris, 1946 ; Lucain, *Guerre civile*, éd. Belles-Lettres, Paris, 1926 ; Lucrece, *De la nature*, traduit par A. Emout, G. Bude, Paris, 1937 ; Ovide, *Métamorphoses*, établi et traduit par G. Lafay, éd. Belles-Lettres, Paris, 1957 ; Pline L'Ancien, *Histoire Naturelle*, éd. par J. Desanges, Belles-Lettres, Paris, 1982, Livre V. p. 1-46 ; Pomponius Mela, *De Choregraphia*, établi et traduit par G. Lafay, éd. Belles-Lettres, Paris, 1957 ; Vitruve, *De Architectura VIII*, texte établi, traduit et commenté par L. Callebat, éd. les Belles-Lettres, Paris, 1973 ; Darenberg Saglio, *"Atlas"*, Dictionnaire des antiquités Grèques et Romaines I (1), 1877, p. 526-528 ; R. Raymond, *Le Maroc chez les anciens*, éd. les Belles-Lettres, Paris, 1924 (pp. 4, 22, 36, 39, 42) ; F. De Lachapelle, *"L'expédition de Suetonius Paulinus" dans le sud-Est du Maroc*, Hespéris XIX, I - II, 1934, pp. 107-124 ; R. Thouvenot, *La connaissance de la montagne marocaine chez Pline l'Ancien*, Hespéris XXVI, 1939, pp. 113-121 ; *Deux mosaïques romaines de Volubilis à sujets mythologiques*, Psam, VI, 1941, pp. 67-81 ; J. Ramin, *Le Périple d'Hannon*, Bar supplementary series 3, 1976 ; S. Gsell, *Connaissances géographiques des Grecs sur les côtes africaines de l'Océan*, études sur l'Afrique antique, Scripta Varia, Lille III, 1981, pp. 175-194 ; A. Jodin, *Volubilis Regia Jubae, contribution à l'étude des civilisations du Maroc antique préclaudien*, éd. CNRS et Casa de Velasquez, éd. De Boccard, Paris, 1987.

بلكامل البيضاوي وعبد العزيز بلفايدة

**الأطلس** - أقسام - من المعطيات المساعدة على تحديد هذا الجبل قول Strabon «عندما نمرُّ بمضيق الأعمدة، وليبيا على شمالنا، نجد الجبل الذي يسميه اليونان الأطلس»، إلا أن الجغرافي الروماني لم يسمّ بدوره هذا الجبل، بل اكتفى بالقول بوجود "خط جبلي مكون من عدة سلاسل متوازية ما بين رأس كورتس والسّرت» من بينها من الغرب إلى الشرق جبل الاخوة السبعة، جبل القردة وأخيرا جبل أبيلا، وهي جبال تشكل حسب Besnier "الساحل الإفريقي لمضيق جبل طارق".

إلا أنه يظهر من خلال حديثه عن أعمدة هرقل التي تدل على "كالبي" (على الساحل الإسباني) وأبيليك (على الساحل الإفريقي) "أن أطلس وأبيليك اسمان لنفس الجبل ؛ وهذا بالطبع إذا سلمنا مع Berard أن كلمتي أطلس وأبيلا يقصد بهما العمود.

ومهما يكن فكلمة أطلس كانت عند الإغريق، على ما يبدو، تطلق على الجبال المطلة على مضيق جبل طارق من جهة الجنوب الممتدة بين سبتة شرقا وطنجة غربا، مما يدل على أن المعرفة الجغرافية لدى هؤلاء كانت تقتصر على البحر الداخلي (البحر الأبيض المتوسط) من جهة وعلى أنها لم تكن تتعدّى مضيق أعمدة هرقل من جهة أخرى.

غير أن كلمة أطلس أصبحت لها دلالات أخرى لدى الجغرافيين الرومان الذين كانوا يطلقونها على جبال توجد في أغلبها خارج منطقة مضيق الأعمدة. وأقدم هؤلاء Polybe الذي وضع الأطلس على حد تعبير Thouvenot "وسط المجال الممتد بين قرطاجنة ونهر السينغال أي أمام جزيرة سرني وفي الحد الجنوبي لموريتانيا". وهو موقع أقل ما يمكن أن يقال عنه : إنه مخالف لموقع الأطلس لدى الإغريق. إلا أنه يوافق الموقع الذي حدده بلين القديم لهذا الجبل حيث قال : «وهذه المدينة [مدينة شالة] المجاورة للصحاري، تغزوها قطعان من الفيلة وأكثر منها شعب الأوطولول الذي يتعين اجتيازه للوصول إلى جبل أطلس، أغرب جبال إفريقيا».

ولعل أهم ما يسترعي الانتباه عند بلين القديم من جهة أخرى، ذكره لكلمة ديريس Dyris التي تعني الأطلس عند الأهالي. وهو اسم ورد ذكره بعد ذلك على لسان بطليموس بصيغة ديور Dior والذي كان يقصد به "الكتلة الجبلية الواقعة شمال وليلي"، لعلها زرهون أو الريف.

غير أن بطليموس لم يقف عند هذا الحد بل ذهب إلى التمييز بين ما سمّاه بالأطلس الصغير Atlas minor الذي ينفذ إلى المحيط بعد مصب نهر دياس الذي قد يكون هو وادي الملح (Besnier) وبين الأطلس الكبير Atlas major الذي قد يكون هو جبل إيداوتنان (Besnier).

ولعل أغرب ما جاء على لسان بطليموس ذكره لعدة أسماء من نفس الجذر تشبه إلى حد بعيد كلمتي ديورديريس، وهي دُورْدوس Durdus الذي ينبع منه وادي ملوية ؛ ماندروس Mandrus الذي تنبع منه الأنهار الساحلية الصغيرة الواقعة بين سوبوس (سبو) ودراس (درعة)، وهي في نفس الوقت تذكر باسم درن. ومهما يكن من أمر فإنه يبدو واضحا :

1. أن كلمة أطلس كانت تعني لدى الإغريق الجبال المتواصلة على طول ساحل البحر المتوسط.
2. أن استعمالها امتدّ لدى الرومان إلى الجبال الأطلسية الواقعة جنوب مدينة شالة.
3. أن مقابلها لدى الأهالي هو ديريس أو درن.

مما يدل على أن التأريخ لكلمة "أطلس" لا يختلف كثيرا عن التأريخ للمعرفة الجغرافية لدى كل من الإغريق

والرومان. ويتبين من خلال ما سبق أن الرومان أعرف من الإغريق بالمجال المغربي ؛ وهذا ليس بغريب إذا علمنا بأن الرومان أمدوا سيطرتهم على شمال المغرب تحت اسم "موريتانيا الطنجية" وأن جيوشهم وصلت إلى قدم السفح الجنوبي للأطلس الكبير بقيادة سويطونيوس باولينوس.

إلا أن كلمة أطلس اختفت تماما بعد الفتح الإسلامي لتحل محلها كلمة درن المحلية التي عرفت رواجا كبيرا على لسان المؤلفين العرب. ولربما يعود الفضل في ذلك إلى الجغرافي الأندلسي أبي عبيد البكري الذي أعطى وصفا عن جبل درن تناقله من بعده جل المؤرخين والجغرافيين العرب.

يقول البكري في وصف جبل درن : «وهو جبل معترض في الصحراء معمور بقبائل صنهاجة وغيرها، وهو الجبل الذي يقال أنه متصل إلى المقطم بمصر ... ويقال أنه أكبر جبال الدنيا وهو يتصل بجبل أوراس وبجبل نفوسة المجاور لأطرابلس». وإذا علمنا أن ذكر جبل درن جاء عند حديثه عن الطريق الرابطة بين أغمات وسوس أصبح من الواضح أن جبل درن يقصد به الجزء الغربي من الأطلس الكبير الحالي ؛ وهذا شيء جديد بالنظر إلى الغموض الذي كان يحيط بكلمة أطلس لدى الإغريق والرومان.

غير أن الجغرافي الأندلسي سرعان ما يتجاوز هذا المعنى ليجعل من درن مجموع السلاسل الجبلية الأطلسية الواقعة جنوب وشرق مراكش وفاس، ويظهر هذا عند حديثه عن جبل أزرو الذي ورد ذكره عند كلامه عن الطريق الرابطة بين تامدولت وأوداغشت والذي قال عنه انه "جبل متصل بجبل نفوس من جبال أطرابلس وأحسبه جبل درن" من جهة وعن "جبل درن المعروف "بسنجفوا" عند وصفه للطريق الرابطة بين سلجماسة وفاس.

وهو تعميم لا يختلف عن التعميم الملاحظ لدى الإغريق والرومان إلا بكون كلمة درن لم تعد تشمل جبال الساحل المتوسطي.

وتجدر الإشارة إلى أن تمييز جبال عن غيرها من باقي الجبال المغربية ازداد وضوحا بعد ذلك، فقد ورد عند ابن سعيد المغربي مثلا ذكر جبل دارن أو درن إلى جانب جبال أزرو وگزولة وصنهاجة ومديون الواقع شرقي فاس والذي يختلط "من جنوبه بجبل درن ومن شماله بجبل تازا وجبال غمارة"، وأخيرا جبلي تازا وغمارة. فيكون جبل درن على هذا الأساس هو جبل الأطلس الكبير الغربي الذي يشكل حسب ابن سعيد نفسه موطن قبائل "هسكورة وهزرجة وهرغة وهنتاتة وتينملل وگدميوة وجنفيسة وحاحة ورگراگة".

وهو تحديد نجده من جهة أخرى عند ابن خلدون الذي عاد، بعد التذكير بامتداد جبال درن «من ساحل البحر المحيط عند أسفي وما إليها وتذهب في المشرق إلى غير نهاية» لينعت جبال درن بجبال المصامدة إيمانا منه بأن المصامدة بطون ثلاثة : "برغواطة وغمارة وأهل جبل درن".

ولكنه لا يتردد أحيانا أخرى في أن يطلق اسم درن على الجبال الواقعة خارج هذا المجال كقوله في شأن الطبقة الثالثة من صنهاجة «فمنهم الموطنون بالجانب الشرقي من جبال درن ما بين تازا وتادلا ومعدن بني فازان» وهم "المعروفون باسم صناگة".

لا شك أن النتيجة التي تتبادر إلى الذهن هنا هي كون المؤرخين والجغرافيين العرب كانوا يطلقون اسم درن على مجموع الجبال الأطلسية، وهو تعميم ظل قائما على الأقل إلى حدود نهاية القرن الثامن عشر الميلادي.

ولعل أغرب ما كتب حول جبل درن ما جاء في كتاب *الأنساب* بقوله : «وكان هذا الجبل الذي هو في قبلة أغمات كان الأوائل يسمونه خشكوا من ما ردت ملوية إلى إيغير أن يطوف وسمي في المغرب الأوسط درن ويسمى أيضا ببلد هوارة بجبل أوراس ويسمى في المغرب الفوقي المقطم، يقال أنه أكبر جبال الدنيا». لربما كانت كلمة خشكوا في عداد أسماء الأماكن الغابرة والتي كان يقتصر استعمالها على مجال محدود.

وقد يكون ظهور أسماء محلية مرتبطة بأسماء القبائل من العوامل الرئيسية التي ساهمت في اختفاء كلمة درن أو على الأقل في تراجع مجال استعمالها بعد القرن 18 الميلادي. ذلك لأن اسم أدرارن درن (جبل درن) لم يعد يطلق على حد تعبير شارل دوفوكو إلا على "الجزء الغربي من الأطلس الكبير" أو على المجال الممتد بين تيزي نتشكا شرقا وتيزي نماشو غربا جنوب مراكش أي المنطقة التي أسماها Jean Dresch "الكتلة القديمة للأطلس الكبير". بل يذهب بعضهم، وخاصة سكان سوس، إلى حصر هذه التسمية على الجزء الأكثر ارتفاعا من الأطلس الكبير من جهة أو على جبلين اثنين فقط أحدهما بأعالي تيفنوت (ويبلغ ارتفاعه 3851 م) والثاني بأعالي إرگيتْنْ (وارتفاعه 3025 م) غرب جبل أولْيم من جهة أخرى. وهو اختفاء ساعد عليه تدريس مادة التاريخ والجغرافيا باللغة الفرنسية إبان الحماية من جهة، ولم يفلح في تجاوزه تعريب هذه المادة بعد الاستقلال من جهة أخرى.

ومهما تكن الحال فإن البحث في تاريخ كلمة أطلس أو درن لا يختلف البحث في أسماء الأماكن الأخرى. ومن البديهي أن يشمل هذا البحث زيادة على الجانب التاريخي الجانب اللغوي لهذه الأسماء.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن معنى كلمة أو أدرارن درن لا يزال غامضا، بدليل تعدد المعاني التي أوردها كل من الألماني ماكس كدَنْفَلْدْت وعلى إثره اللغوي الفرنسي إميل لاووست.

فقد جاء على لسان ماكس كدنفلت في هذا الموضوع أن كلمة أدرارن درن تعني "جبل الرعد أو الضجيج، الجبل المتكلم" ؛ وينفي في نفس الوقت أن يكون "درن اسم علم بدون معنى" كما جاء على لسان دوفوكو.

ويرى إميل لاووست أن جبل درن أو ادرارن تدرن معناه

جبل الجبال (إدرارن إدرارن) أو جبل البلوط (أدرارن درنان) أو الجبل الذي يتحسر (أدرار إندّرن) أو جبل الرعد. إلا أن أقرب هذه المعاني إلى واقع جبل درن هو جبل الجبال. إذ يعتبر جبل درن بحق أعلى الجبال المغربية على الإطلاق.

إن الرحالة والمستكشفين الأوروبيين قد لعبوا دورا هاما من انبعاث كلمة أطلس بعد القرن 16 : وقد يكون مرد ذلك الوقع الذي خلفه مؤلف *وصف إفريقيا* الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي لدى المهتمين بجغرافية شمال إفريقيا. ذلك لأن هذا الأخير يعتبر على ما يبدو أول من استعمل كلمة أطلس بدلا لكلمة درن من بين المؤلفين العرب.

إلا أن الأوروبيين سرعان ما انتبهوا إلى أن جبال الأطلس تحمل أسماء تتغير بتغير أسماء الأقاليم أو المناطق التي تقع فيها. ويعتبر التقسيم الذي خلفه شارل دوفوكو أول محاولة حقيقية في هذا المجال. فيقول بعد تمييزه عن الأطلس الجزائري، والأطلس التونسي "بأن الأطلس المغربي يتألف أساسا من ثلاث سلاسل متوازية"، وهي الأطلس الكبير، والأطلس الصغير جنوب هذا الأخير، وأخيرا الأطلس المتوسط شماله. وهي أسماء - يقول دوفوكو - مستمدة من لغتنا ولن يفوتنا هذا التذكير بأن هذا التقسيم لا يختلف عن التقسيم الذي لمسه بعض المؤرخين والجغرافيين العرب أمثال البكري وابن سعيد. إلا لكونه يتبنى على معيار الارتفاع من جهة وبأنه لا يزال قائما إلى الآن، كما هو معروف من جهة أخرى.

أ. البكري، *المغرب* ؛ مجهول، *كتاب الأنساب*، مخطوط خ. ع. ك 1275 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 6 ؛ ع. ابن سعيد، *كتاب الجغرافيا* ؛ أ. الزياني، *الترجمانة الكبرى*.

Strabon, *Géographie* ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; M. Quedenfeldt, *Division et répartition de la population;* V. Bérard, *Les Phéniciens et l'Odyssée*, t. 1, Paris, 1902 ; M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc*, Archives Marocaines, Vol. I, 1904, pp. 301-365 ; F. De La Chapelle, *L'expédition de Suétonius Paulinius dans le Sud Est du Maroc*, Hespéris, Vol. XIX, 1934, p. 107-124 ; R. Thouvenot, *La connaissance de la montagne marocaine chez Pline l'Ancien*, Hespéris, t. XXVI, 1939, p. 113-121.

أحمد بلاوي

**الأطلس الصغير** - تاريخ - ← **جزولة**

**الأطلس الصغير**- جغرافيا - اسمه القديم أنكيس (Meunié, *Le Maroc Saharien*, 347) سلسلة جبلية تمتد جنوب الأقاليم المتوسطية من المغرب، عند حدود المجالات الصحراوية. وتنتمي للقارة الإفريقية من الناحية البنيوية، إذ توجد بها أقدم صخور المغرب وكذا أقدم البنيات مشكلة لسلاسل عتيقة، أتت عليها التعرية وسوتها عدة مرات بينما لم تتجدد الحوادث الانضغاطية والالتوائية التي تمثل أصالة التضاريس في الأقاليم الشمالية المتوسطية. فالأطلس الصغير إذن جزء من الصحراء أو على الأصح هامشها الشمالي مناخيا وبنيويا.

تمتد هذه الكتلة الجبلية على مسافة 725 كم من المحيط الأطلنتي إلى حدود تافلالت، بينما يتراوح اتساعها بين 25 كم كأدنى (عند مستوى أكنات) و 130 كم كأقصى في الجهة الوسطى والغربية. وهي سلسة متميزة عن التضاريس العليا المجاورة، ماعدا في جهتها الوسطى حيث يربطها بركان سيْرواَ بجبال الأطلس الكبير، مكونا بذلك قنطرة شديدة الارتفاع (3304 م) بين السلسلتين.

وتتكون كتلة الأطلس الصغير من مرتفعات محورية تحيط بها أحواض متنوعة التشكيل. المرتفعات عبارة عن هضاب عليا شديدة التقطع، مشكلة في صخور قديمة، تنتمي لبداية الزمن الأول، يغلب فيها العنصر الكربوناتي، وتمتد حول بهرات عادة جبلية تمثل أنوية محدبات تم إبراز قاعدتها القبلكمبرية القديمة. وتحيط بهذه المرتفعات أحواض عدة محورة شمالا على طول الحادث الجنوبي الأطلسي (مجموعة الأحواض القبلافريقية) ومتمثلة جنوبا في منخفضات طولية على واد درعة الأسفل والأوسط، ودائرية شرقا ناحية تافلالت.

أقوى ارتفاعات تسجل داخل الأنوية القبلكمرية، حيث تصل قمة صاغرو بجبل أمالو - ن - منصور إلى 2712 م، وقمة أكليم قرب إغرم إلى 2531 م، وقمة لكست قرب تافراوت إلى 2370 م. جل القمم تتوافق مع صخور شديدة المقاومة هي عبارة عن كتل كوارتزيتية ضخمة. أو طفوح ريوليتية أو من الأندزيت. ويمتاز تشكيل جل هذه الأنوية القديمة البارزة بتقطع حاد للسطح، يجعل المرتفعات تتجزأ إلى متون لها قمم حادة وسفوح وعرة، لكن تتخللها منخفضات تتوافق مع بروزات صخرية أقل مقاومة مثل السلسلات الشستية والظهورات الگرانيتية المتفسحة. ومن أشهر هذه الأحواض الداخلية، حوض تافراوت الگرانيتي، على مقربة من عرف لكست المرتفع.

وتحيط بهذه التضاريس الجبلية البارزة هالة من الهضاب توافق الغطاء الرسوبي الذي يغشي القاعدة القبلكمبرية. وهذا الغطاء تغلب فيه الطبقات الكربوناتية الكلسية والدولومية وصلابة هذه الضخور وتجانسها هما المسؤولان عن تجانس سطح هذه الهضاب الممتدة. إلا أن استواءها ليس مرتبطا بظروف بنيوية مباشرة، بل يرجع إلى تسطيح تحاتي أصاب الهوامش الرسوبية لكلتلة الأطلس الصغير، في عهود قريبة، تنتمي لنهاية الزمن الثالث.

وقد امتد هذا التسطيح بعيدا نحو الجنوب في اتجاه الأحواض العالية لدرعة، ونحو الشمال تجاه سوس. إلا أن تدخل التعرية الانتقائية على حساب الصخور الهشة بعد الكمبرية، والتدخل المحلي لحوادث بنائية هامة، كل هذا أدى إلى تحول هوامش الجبل إلى منخفضات، تمثل السهول المحيطة حاليا بالسلسلة الجبلية، فجلها، وخاصة منها الجنوبية الممتدة على طول واد درعة، نتاج التعرية الانتقائية التي أتت على الطبقات الشستية السميكة. وتتوسط هذه أشرطة طولية بارزة هي عبارة عن أعراف تتوافق مع الدكات الحثية والكوارتزيتية. أما سوس، ومنخفض ورزازات فهما أساساً ناتجان عن حركة التهدل

التي عرفها هذا المجال المحور على طول الأخدود الجنوب أطلسي.

وقد تزامنت مع آثار التعرية الانتقائية جنوبا، والتهدل البنائي شمالا، تعرية عمودية تتجلى في التعمق الشديد الذي عرفته الأودية النازلة من المحاور الجبلية في اتجاه المنخفضات المجاورة، أو الأودية التي تقطع السلسلة كليا مثل واد درعة. بينما في المراحل السابقة كانت هذه المجاري تجري عند سطح الهضاب التحاتية، تساهم في تحقيق التسوية الشمولية التي بقيت آثارها إلى الآن. وفي عدد من المنخفضات المحلية، تركت هذه المياه توضعات كربوناتية بحيوية، تشهد على التطور الكارستي للهضاب الهامشية للأطلس الصغير. هذه المياه المحملة بالمحلولات، هي المسؤولة عن تكوين الحمادات في الحدود الجنوبية للمرتفعات الجبلية، وتغطيتها بطبقة ممتدة من الكلس البحيري.

وتوقفُ هذا التوازن الذي دام خلال النيوجين، يعزى إلى الأحداث البنائية التي وقعت في نهاية البليوسين، والتي ارتفعت بموجبها سلسلة الأطلس الصغير فوق المنخفضات المحيطة بها. كل الأودية صارت تنحت عمودا، فتخطت بتعامد المحاور البنائية القديمة، راسمة خوانق عميقة في الصخور الكلسية، وموسعة مجراها عند اجتيازها للطبقات الصلصالية والشستية اللاحقة (جيورجي أعلى وأكادي). وهذا يشير إلى موازاة التضاريس والتشكيل للمعيار الضخاري قبل غيره.

حقيقية، لكن تم تأريخ بعضها اعتمادا على عدد من العناصر الكيماوية الإشعاعية. ويتضح أن هذه القاعدة تتضمن في جذورها أقدم الصخور الظاهرة في شمال إفريقيا حيث تعود بعض البقايا الأركية إلى ما قبل 2.5 مليار سنة قبل الحالي.

هذه الصخور القديمة لا تنمتي إلى جبل واحد، بل هي مكونة على الأقل من ثلاث دورات متوالية. والتفريق بينها يعتمد أساسا على تحديد مستويات التنافر التي تفصلها. ذلك أن كل دورة تتكون من رواسب شديدة الالتواء تخترقها صخور باطنية بركانية وگرانيتية، تعرضت لتعرية عنيفة قبل تغطيتها من طرف المجموعة الصخرية للدورة اللاحقة.

وداخل هذه السلسلات الصخرية المعقدة، تنفرد بعض المجموعات، بسبب الدور المتميز الذي تلعبه عند السطح. ومن بينها الكوارتزيت السميك (أكثر من 1000 م) المنتمي للقبلكمبري الأوسط الذي يشكل أغلب الأعراف العليا في السلسلة. من بينها كذلك بعض الظهورات الگرانيتية التي تشكل فيها أجمل الأحواض المفرغة داخل ركيزة جد متفسخة كما هو حال ناحية تافراوت. ومنها أخيرا طفوح بركانية سميكة وصلبة، من ريوليت وأندزيت، تضاريسها شديدة التقطع كما هو الحال في وسط كتلة كردوس وشمالها وكتلة إفني وجبل صغرو.

- ثانيا الغطاء الرسوبي الأولي : هذه القاعدة القديمة المتعددة المراحل، تغطيها بتنافر زاو واضح، سلسلة رسوبية

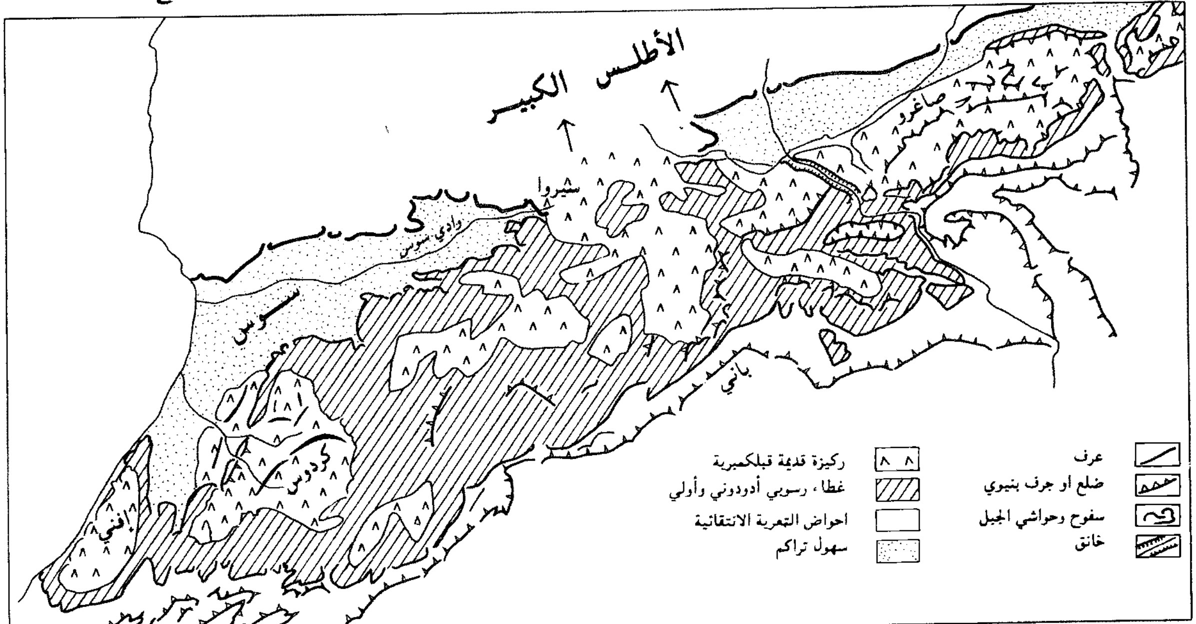


**الأطلس الصغير : رسم مرفوبنيوي**

جيولوجياً، يمكن تقسيم السلسلة إلى ثلاثة أوساط من النواحي الصخارية والتطبيقية والتكتونية.

- أولها المحدبات المشتقة القبلكمبرية : هي مكونة من صخور غابرة في القدم، غالبا لا تحتوي على مستحاثات

جد سميكة، تنطلق من ما قبل الكمبري، من فترة الأدودوني، لتنتهي في حدود السلسلة الجبلية الأولى في الأسفل، بينما تستمر بعيدا عنها حتى العصر الفحمي في جبل واركزيز قرب حمادة درعة.

المستويات الرسوبية الأساسية داخل السلسلة تعود لعهدي الأدودوني والجيبورجي وتتكون قبل كل شيء من مواد كربوناتية، قد تتخللها بعض الطبقات الصلصالية. ويصل سمك السلسلة الرسوبية ألى أكثر من 1000 م، خاصة الأجزاء الغربية من الأطلس الصغير. وفي نهاية الجيورجي خلال الأكادي، تتوضع طبقات فتاتية أقل صلابة، تمتاز بالتناوب، حث وشست، لتصبح هذه القاعدة مستمرة بعد ذلك خلال العهود اللاحقة من الزمن الأول. وفي هذا التناوب الصخاري يكمن السر في التضاريس الأبلاشية، المرتبطة بالتعرية الانتقائية التي تتميز بها الهوامش الجنوبية بين سلسلة الأطلس الصغير. كما أن المرور المفاجئ من الصخور الكاربوناتية الأدودونية والجيورجية، إلى المجموعات الهشة الأكادية هو السبب في اتضاح معالم الحدود الجبلية، وفي التناقض الصريح بين التضاريس الجبلية والأحواض الهامشية.

من الناحية التكتونية، يعتبر الأطلس الصغير جزءا من القاعدة الإفريقية قليلة التشويه. ذلك أن أهم المراحل البنائية في السلسلة، قديمة جدا، همت الركائز القبلكمبرية، بينما الدورات التكتونية الأولية والثلاثية أقل عنفا. فهي أساسية في منحها للتضاريس مظاهرها الجبلية، لكنها لم تتميز بشدة الانضغاط وقوة التشويه، كما هو الحال في الأقاليم الشمالية من المغرب.

فالتكتونية الهرسينية قد اتخذت طابع التقبب الشامل، جعلت السلسلة تكون طية عميقة كبرى، تبلغ أقصاها في مراكز منفردة تصاعدت بقوة، تتوافق حاليا مع الأنوية القبلكمبرية البارزة. وعلى جوانب هذه القبات المعرضة للتعرية وإزالة الغطاء الرسوبي الأولي، تنحدر الطبقات الرسوبية شمالا وجنوبا، مشكِّلة الهوامش الهضبية المنحوتة.

وقد تعرضت السلسلة من جديد لآثار التكتونية خلال بداية الثلاثي، في الوقت الذي كان فيه الأطلس الكبير في طور النشوء. إلا أن الحركات الأطلسية كانت هناك جد مخففة ولم تتخذ قط طابع الالتواء. أهم ما وقع، معاودة الرفع الشمولي للسلسلة، ومعاودة أهم الانكسارات، مع ظاهرة عدم تماثل بين جانبي السلسلة الشمالي والجنوبي. جنوبا تنحني الطبقات ببط، الشيء الذي سمح بوضوح آثار التعرية الانتقائية وبتشكيل تضاريس أبلاشية هي عبارة عن أعراف بارزة حتية وأشرطة سهلية محفورة في الطبقات الشستية السميكة. شمالا، على مقربة من الحادث الجنوب - أطلسي، كانت التكتونية أعنف، تتمثل غربا في نزول مفاجئ للقاعدة القديمة تحت تراكمات سوس، وشرقاً في ميل قوي للطبقات الرسوبية على هامش صغرو وأوكنات، وفي الوسط بروز صخور بركانية ثلاثية في جبل سيروا.

جغرافيا، يوجد الأطلس الصغير ضمن النطاق الجاف، إلا أن الارتفاع يقلل من الخصاص المائي، خاصة في القمم الوسطى للسلسلة المتميزة بانخفاض حرارتها خلال فصل طويل من السنة. إلا أن أهم شذوذ يلاحظ في الجهة الغربية المحيطية من الأطلس، حيث سبب رطوبة الجو، وحدوث اضطرابات قوية ومترددة في بعض السنوات، تنفرد منطقة تمتد على حوالي 100 كم نحو الداخل، تمتاز باعتدال حراري، وكثافة نسبية للغطاء النباتي، وسمك خاص للتربة.

عبد الله العوينة

**الأطلس الكبير** - تاريخ - ← **مصمودة**

**الأطلس الكبير**. - جغرافيا - سلسلة جبلية عرفت لدى المؤرخين المغاربة بجبال "درن" وهي كلمة مشتقة من التسمية المحلية "إدرارن" ج "أدرار" أي الجبل. وعرفت لدى الجغرافيين الأوروبيين منذ قرون بالأطلس، ويرجع بعض الباحثين أن الإغريق هم الذين أوجدوا هذا الاسم، وهو تحريف مخفف على الطريقة الإغريقية للتسمية الشائعة لدى البربر : أدرار، والتي وصلت إليهم عن طريق الفينيقيين، لكن البعد والغموض دفعهم إلى إلصاق أساطير بهذه الجبال، حيث جعلوا منها ماردا جبارا، اسمه أطلس يحمل قبة السماء على كتفيه. واستعمل بعض المؤرخين والرحالة الإغريق والرومان التسمية المحلية "درين" بينما استعمل آخرون مثل بطليموس كلمة "أطلس" وظلت كلمة "أطلس" تتنازع مع الكلمة المحلية "درن" لدى الجغرافيين الأوروبيين إلى بداية استعمار شمال إفريقيا حيث تغلب اسم "أطلس" في الجغرافيا الحديثة.

التوطين وأهم المميزات : الأطلس الكبير سلسلة جبال ضخمة، تفوق كل مثيلاتها بالشمال الإفريقي، تمتد جنوب المغرب بين خطي عرض 31 و 33 شمالا، على طول 700 كم من سواحل المحيط الأطلنتي إلى المغرب الشرقي، يتراوح اتساعها بين 50 و 120 كلم. وهي عبارة عن طية أرضية كبيرة رفعت القاعدة الهرسينية إلى ارتفاع كبير يتجاوز 4000 م في 8 قمم و3000 م في كتل ضخمة مثل توبگال ومگون والعياشي، مما جعلها تتعرض في فترات أكثر برودة ورطوبة إلى تعرية جليدية. والسلسلة ذات تاريخ جيولوجي قديم انطلق بالالتواء الهرسيني. لكن التعرية اللاحقة سوت المنطقة وحولتها إلى سهل تحاتي غمرته البحار ورسبت عليه طبقات رسوبية، ثم تعرض لحركات رفع في نهاية الزمن الجيولوجي الثاني وبداية الثالث متفقة مع الحركة البيرينية أدت إلى ارتفاع الكتلة إلى غطائها الرسوبي وظهور فوالق عميقة، كونت مناطق ضعف، استغلتها عوامل التعرية في تكوين أحواض وأودية وفجاج، كما نتج عنها تدفقات بركانية. وفي الزمن الرابع الجيولوجي اتخذت السلسلة شكلها الحالي بعد أن غيرت معالمها جزئيا فترات متقطعة من التعرية المرتبطة بالجليد والصقيع. كما تعمقت الأودية لتهدل السهول المجاورة. يحدها من الجنوب سلسلة فوالق تمتد من أگادير إلى أقصى شرقها. أما من الجهة الشمالية والغربية، فتحدها ثلاثة سهول هي الحوز وتادلا وملوية وما بين السهلين الأخيرين، تلتحم بسلسلة الأطلس

المتوسط على طول 100 كلم (P. Schwell, *L'Atlas marocain*, Paris, 1890)، وتكون السلسلة حاجزا طبيعيا يفصل بين السهول المعرضة للمؤثرات المحيطية والمغرب الجنوبي المعرض للمؤثرات الصحراوية، مما يخلق تباينا كبيرا بين سفوحه الشمالية الغربية الرطبة، وسفوحه الجنوبية الشرقية الجافة، وينعكس هذا بالتالي على أنماط الإنتاج والمشاهد الجغرافية، إلا أن هناك عوامل مشتركة كالشكل القببي للقمم ووجود هضيبات معلقة وأحواض داخلية وأودية متعمقة، جزأت السلسلة وعاقت التنقل على طولها، لكنها سهلت التغلغل داخلها وعبورها من الفجاج الكثيرة بها.

لقد استوطن الإنسان الأطلس الكبير منذ العصر الحجري الأوسط، كما تدل على ذلك النقوش الحجرية بهضبيتي ياگور وأوكايمدن وفج تيزى ن تيرغيست، كما كان ملجئا لسكان السهول المجاورة عند حلول أزمات الجفاف أو لاضطرابات بشرية. وجماعات الصيادين الرعاة القادمين من الصحراء الكبرى بعد استفحال جفافها. وقد تكيف السكان مع هذا الوسط الطبيعي الصعب بابتكار أساليب فلاحية تقوم على الجمع بين زراعة مسقية للحبوب والأشجار بقيعان الأودية والمدرجات وتربية الماشية.

إلا أن عوامل الاختلاف بالأطلس الكبير كثيرة، ويرجع ذلك لعوامل طبوغرافية ومناخية وبشرية واقتصادية، مما حدا بالجغرافيين إلى تقسيمه إلى ثلاث وحدات متباينة :

I - الأطلس الكبير الغربي : يمتد من المحيط الأطلنتي إلى فج تيزى ن تيشكا، ونظراً لاختلاف البنية الجيولوجية بين طرفيه فإنه ينقسم بدوره إلى قسمين :

أ - قسم غربي : يتكون من هضاب كلسية متموجة **(إداوتنان)** يتراوح ارتفاعها بين 700 و 900م. في هذا المجال، كان الرفع البنائي متواضعا بحيث لا تظهر ليات قوية سوى بالهوامش الشمالية خاصة في جبل "أمسيتن" (900 م) والجنوبية، حيث نجد كأعلى قمم سلسلة محدبات منكسرة ذات اتجاه ج. ج غ - ش - ش ش يبلغ أعلاها 1800 م. تنتمي الصخور إلى فترة الجوراسي والكريتاسي، لكنها تختفي في الهوامش الغربية، تحت غطاء من الرمل والحث البليورباعي. تقطعها أودية متسعة تجف في معظم السنة، أهمها وادي القصب وأيت اعمر. يشرف هذا الجزء على المحيط الأطلنتي بساحل قوي الانحدار كثير الرؤوس أهمها: تانفْلي وكَير. وينتهي شرقا عند المنخفض الترياسي لأسيف أيت موسى (حوض أرگانا) حيث تنتشر صخور هشة من الطفل والطين والحث، وفج تيزى امعاشو (أوماشو) : 1100 م.

ب - قسم شرقي : يمتد من حوض أرگانا غربا إلى وادي غدات وتيزى ن تيشكا (2206 م) وهنا يصل الأطلس الكبير أقصى علوه إذ يتضمن أعلى قمم إفريقيا في سلسلة ضيقة (50 كلم) جنوب أمزميز، مما يجعله كجدار يفصل بين شمال المغرب وجنوبه. وقد درج الجغرافيون على تسميته بالأطلس المركزي أو المراكشي.

تتميز بنيته بالتعقيد الجيولوجي، إذ تظهر هنا القاعدة القديمة، التي ترجع إلى الزمن الأول والقبلكمبري.، وقد أزالت عوامل التعرية غطاءها الرسوبي، بحيث لم يعد يظهر سوى بالهوامش الجنوبية والشمالية بصفة خاصة متأثرا بحركات اللّيْ أو شكل دكات ضيقة بالهضيبات المعلقة. وهو يتكون من طبقات متوالية للشيست والكلس والحث والطين، ترجع إلى الزمنين الثاني والثالث. كما تعرضت البنية لانكسارات ذات اتجاه شرقية - غربية تنطبق على المجاري العليا لروافد واد نفيس مثل أوگدمت وأگنديس، وأخرى شمالية جنوبية، تظهر بالمجاري الوسطى لوديان نفيس وغيغاية وأوريكا.

وأهم وحدة تتميز بأصالتها ، هي : حوض وادي نفيس الذي في قلب الكتلة المركزية حيث توجد طبقات رسوبية سميكة هشة من البرموترياس، مما أفسح المجال لفتح أحد المحاور الأساسية لعبور الأطلس، عبر تيزى ن تاست (2092م). وعلى جانبي الحوض، توجد كتلتان عاليتان : كتلة غربية (إگديت - أردوز) يتجه خط قممها بعيدا نحو الجنوب، أهم قممها : أردوز (3580 م) إگديت (3616 م) و أوليم (3550 م)، مما يجعلها تشرف بعنف على سهل سوس. تتكون في معظمها من الشيست والحث الباليوزيكي تتخللها كتل اندفاعية من الگرانيتو تظهر بوضح في هضبة تيشكا.

وإلى شرق نفيس يوجد أضخم جزء من القاعدة هو كتلة توبكال التي كانت تعرف بأدرار ن إدرارن يتكون من صخور اندفاعية كالگرانيت ومواد صهيرية متنوعة كالأندزيت والريوليت. أعطت لهذه الكتلة لونها القاتم. وقد ارتفعت القاعدة البلورية هنا في بعض أجزاءها إلى علو 4000 م مشكلة أعلى القمم مثل توبكال (4166,20 م) ووانوكريم (4086 م) وهضيبة تازاغارت (3890 م). وتنخفض تدريجيا نحو الجنوب على شكل سلم متدرج ينطبق على فوالق وثنيات يندس بينها حوض "أونايْن" وتختفي جزئيا تحت غطاء رسوبي ضعيف الالتواء قبل أن تلتحم بكتلة جبل سيروا البركاني (3304 م) الذي يصلها بالأطلس الصغير. ويتميز بهذه الكتلة التي تقابل منظرين جغرافيين متباينين هما : الجبال العالية : (+ 2800 م) عالم القمم الشاهقة المستوية السطح والهضيبات المعلقة، والصخور العارية الداكنة، خلفت بها التعرية الجليدية والصقيعية آثارا واضحة : حلبات وبحيرات أطمرت بالرواسب وتحولت إلى مروج، ولم يبق منها سوى بحيرة إفني (2328 م) التي تندس في وادي ضيق جنوب قمة توبكال خلف سد انهيالي وركامي لجلادة صخرية، كما نجد أودية منفرجة مستوية القعر عمودية الجوانب أهمها وادي توبكال (غيغاية الأعلى) طوله حوالي 5 كلم.

الجبال المتوسطة : تتكون من قمم محدبة أقل علوا وأودية عميقة، وأحواض تتسع في صخور البروترياس

الهشة تعلوها أحواض وهضيبات معلقة، تعتبر المجال المفضل للانتجاع الصيفي.

2 ـ الشبكة المائية : تتكون من مجموعة وديان تتجه شمالا نحو واد تانسيفت يبلغ عددها 13 من أهمها واد نفيس وغيغاية والزات وأغدات وأوريكا وهو أغزرها ماء (170 م. م. 3 / سنة). وتتجه المجموعة الثانية جنوبا نحو واد سوس، تتميز بالقصر والجريان الموسمي أهمها واد تيفنوت. وهناك مجموعة ثالثة غربية تتجه رأسا إلى البحر أهمها واد القصب.

3 ـ المناخ والنباتات : يتميز الجزء الغربي الأطلنتي بقلة أمطاره (300 ـ 500 م / سنة) وترتفع التهاطلات قليلا على الواجهات الشمالية الغربية لبعض القمم، حيث تصل إلى 700 ملم، لكنها تنخفض في حوض أرگانا وبعض الأودية إلى مادون 300 ملم. أما الحرارة فإنها تتصف بالاعتدال النسبي إذ تتراوح معدلاتها بين 15 شتاء و 26 صيفا. لكن حوض ارگانا يعرف درجات حادة سواء في البرودة شتاء أو الحرارة صيفا. ويغطي هذا الجزء في معظمه غابات شجر الأرگان بالمناطق السفلى والعرعر بالمناطق المرتفعة. لكنها تعرف تدهورا بسبب الرعي المستمر والاستئصال. أما في الكتلة المركزية، فإن عامل الارتفاع والتعرض للرياح الشمالية الغربية يجعلها تتلقى أمطارا تتزايد مقاديرها من الهوامش الشمالية (400 ملم / سنة) إلى الجبال المتوسطة (600 كلم) وبعض القمم تتلقى حوالي 900 ملم / سنة. لكنها تتناقص بعد علو 2800 م إلا بالأودية التي تنحبس بها السحب شتاء وتعرف عواصف رعدية صيفا. كما تتناقص الأمطار كثيرا في بعض الأحواض الداخلية مثل حوض ثلاث ن يعقوب (- 300 ملم / سنة). وتسقط معظم الأمطار في بداية فصل الشتاء ثم في فصل الربيع، أماوسط فصل الشتاء (يناير) فيتميز غالبا بجو صحو قارس البرودة. ويكون التساقط بعد علو 2000 م مزدوجا ما بين أمطار وثلوج، أما بعد 2500 م فإنه يكون على شكل ثلوج تبقى على السطح عدة أسابيع وبتغذية مستمرة تدوم على السفوح عدة أشهر، وتبقى في الأماكن المحمية من الرياح وأشعة الشمس إلى يوليوز وغشت. وهناك أماكن تبقى فيها ثلوج صلبة على شكل (إرتاح) طيلة السنة. وأهمها "ممر الثلوج الدائمة" بسفح جبل تازاغارت.

أما الحرارة فإنه يطغى عليها الطابع الجبلي والقاري، وتعرف تقلبات عادة ما بين 5 ـ 10 تحت الصفر كنهايات دنيا شتاء بالأودية العالية والقمم، إلى 40 في الأحواض والأودية العميقة كنهايات عليا صيفا، وعموما يسود المناخ الجبلي البارد شتاء والمعتدل صيفا، إذ قلما يتجاوز نهارا 27 ! مع وجود مدى حراري يومي كبير سواء في الصيف أو الشتاء. ويمكن تصنيفه في مستوى أوسط بين المناخ الشبه الجاف ودون الرطب.

ويلاحظ بالسفوح الجنوبية تناقص معدلات الأمطار، وزيادة في الحرارة، اللهم إلا في السنوات التي تعرف أعاصير جنوبية ممطرة في بداية الشتاء. ويقابل هذا التنوع المناخي غطاء غابوي تختلف كثافته وأشجاره من جهة لأخرى، يلعب الارتفاع والمواجهة وميل السفوح دورا مهما في توزيعه وتحديد نوعية أشجاره، وتنتعش الغابات على المنحدرات التي تتوفر على تربة غنية نسبيا ورطوبة أكثر. وجل الأشجار من البلوط الأخضر والصنوبريات يضاف إليها عينات محلية نادرة كسور نفيس. وهي تغطي حوالي 50 ٪ من المساحة الكلية. ومن العوامل المتحكمة في توزيعها التنطيق حسب العلو الذي يغلب عليه الترتيب التالي : من 900 إلى 1300 م : الثويا، وتختلط في طبقاتها العليا بالعرعز الأحمر. بعد علو 1300 م : البلوط الأخضر وهو أكثر الأنواع انتشارا رغم ما تعرض له من استئصال. وبعد 1800 م : العرعر الفواح الذي يصل في بعض الجهات إلى علو 2600 م. ويظهر بعد ذلك طبقة الأعشاب الألبية التي تتكون من نباتات شوكية قصيرة وأعشاب. ولا نجد بعد علو 2800 ـ 3300 م سوى أراضٍ صخرية موحشة تغطيها الشظايا ومفتتات الصخور.

وتتخلل هذه الأنواع السائدة في نطاق أشجار محلية الخروب والحور الأرجواني والبستاكيا وغيرها وشجيرات ثانوية كالقبار وغيره.

ويلاحظ بالمنحدرات الجنوبية ارتفاع هذه النطاقات بحوالي 200 ـ 300 م مع تناقص الأشجار وتدهورها، فتنتشر على شكل بقع متفرقة.

4 ـ السكان : لقد تحقق في هذا الجزء من الأطلس الكبير أفضل الظروف ليكون جبل اعتصام لسكان مستقرين، ولا زال النشاط الفلاحي يحتل الأولوية، سواء من حيث التشغيل (80 ٪ من النشيطين) أو المداخيل.

ينتمي السكان إلى البربر المعروفين بالشلوح. وهم قبائل مصمودية. تنتظم حياة السكان بالأودية وأحواضها، وهي التي تحدد الانتماءات القبلية فنجد قبائل گدميوة في وادي أسيف المال وأنكال، وگندافة بواد نفيس وغيغاية وأوريكا، وگلاوة في حوض أغذات، وأيت واوزگيت في وادي تيفنوت. ولا يشذ عن هذا سوى امتوگة وإداوتنان الذين ينتشرون فوق الهضاب الغربية الأطلنتية.

ـ السكن : يتوزع في قرى على طول الأودية بالسفوح الدنيا مشرفة على محاطاتها، وتكثر حيث يتسع الوادي واغزر المياه بصفة خاصة. لكن حدود السكن الدائم لا يتجاوز علو 2200 م. وقد عرف الجبل انفجارا ديمغرافيا، يتجلى في نمو الكثير من القرى التي تجاوز سكانها 500 نسمة بل 1000 نسمة، وتحويل بعض العزيان إلى قرى تابعة، وظهور سكن متشتت في بعض الجهات المحظوظة زراعيا، وقرى جديدة وأسواق على الطرق المهمة، هذا مع العلم أن المنطقة تعرف نزوحا كبيرا، وتتراوح كثافة السكان (سنة 1982) بين 60 و 100 ن / كم مربع في الجماعات القروية بالسفوح الشمالية، وترتفع بصفة خاصة عند فم الأودية، لكنها تتناقص كثيرا بالجماعات القروية المنتشرة فوق القمم

والسفوح الجنوبية حيث تنحصر بين 20 إلى 40 ن / كم مربع.

ورغم مظاهر التحديث التي تتجلى في استعمال الإسمنت والأصبغة وتوسيع المنازل، فإن السكن لازال يحتفظ بطابع القديم، خاصة في الجهات العليا، فالطابق الأرضي يخصص عادة للمواشي والعلف وأدوات العمل، بينما يخصص الطابق العلوي للسكن، أما تلك البنايات الجماعية "أگادير" التي كانت تستغل في خزن أقوات سكان القرية فقد اندثرت.

الاقتصاد الزراعي : يقوم النظام الزراعي على زراعة الشعير والذرة بالسفوح الدنيا شتاء والسفوح العليا ربيعا، وأشجار الجوز التي تتسلق الأودية إلى علو 2200 م. وتعتبر ثروة الجبل سواء بثمارها أو خشبها، كما تزرع أشجار الزيتون واللوز في الأودية الوسطى ومنحدراتها (1600 م) وكذلك الخضر وأشجار الفواكه التي عرفت توسعا كبيرا. وازدادت أهمية الأشجار كثيرا بعد انتشار الفواكه الحديثة خاصة التفاحيات التي أحدثت ثورة خضراء في بعض الأودية والأحواض مثل أسني، وقد دفعت زراعتها إلى الانتفاع على الأساليب الحديثة واستثمار أموال كثيرة، مما طوّر معالم الاقتصاد الزراعي بالمنطقة.

تربية الماشية : تكتسي أهمية كبرى إذ بها يمكن الاستفادة من معظم المساحات الجبلية وتعتبر النشاط الأساسي لأغلبية الأسر بالأودية العليا والمتوسطة لقلة الأراضي الزراعية واتساع السفوح المعشوشبة والغابات، وتعطي الأولية للماعز الذي يتكيف جيدا مع البيئة الطبيعية لكنها تتحول الآن إلى الأغنام. أما تربية الأبقار فثانوية (10 ٪ من الرؤوس) تعتمد على الرعي بالبساتين والعلف. وتعتبر تربية المواشي نشاطا تكميليا في الأودية السفلى التي حققت نجاحا في زراعتها الشجرية إذ تقتصر على بضع بقرات تعتمد على إنتاج البساتين. وتوفر المناطق العليا مراعي صيفية جيدة. والكثير منها في حوزة سكان السفوح الجنوبية، ويلاحظ أن حركة هبوط المواشي إلى المراعي الشتوية بالدير والسهول المجاورة، كادت تتلاشى لانتشار الزراعة وتعميم الملكية الخاصة بها، مما أحدث ضغطا متزايداً على المراعي الجبلية والغابات، وتقضي الماشية فصل الشتاء بمراعي متنوعة حول المحاط كما تعتمد على العلف المخزون.

ورغم مظاهر التحديث فإن الاقتصاد الفلاحي لازال يتسم بطابعه المعاشي لكنه غير مغلق إذ يتم تبادل المنتجات المحلية مع الحبوب المستوردة، إلا أن الفائض لازال ضعيفا لضعف الإنتاجية، وهذا ما يدفع بعض أفراد الأسرة إلى الهجرة للعمل بالمدن الكبرى أو الخارج أو البحث عن مهن غير فلاحية كالعمل في المناجم وغيرها، فالمساحات الزراعية لا تزيد عن 6 ٪ من المساحة الكلية، والملكيات عرفت تفتتا خطيرا بفعل التقسيم المتوالي بين الورثة ولا يزيد معدل نصيب الأسرة عن 0،4 هـ. مجزأة إلى عدة بقع، وتضيع مساحات ومياه كثيرة بتكاثر السياجات، وتعقد شبكة الري.

II. الأطلس الكبير الأوسط : يمتد من وادي غدات إلى هضبة البحيرات شرقا، وهو عبارة عن قبة ضخمة تتكون من طبقات كلسية ملتوية ترجع إلى الزمنين الثاني والثالث الجيولوجيين، تختفي أسفلها القاعدة القديمة التي لا تظهر إلا في بعض المحدبات المفرغة بالجزء الغربي، كما يظهر فوقها دكات من الطين والطفل، وأحيانا تكوينات قارية تغطي بعض الأحواض مثل واويزغت. وتتوالى فيها مقعرات تكون أحيانا أحواضا وهضابا داخلية، ومحدبات ضيقة منكسرة غير متماثلة الجانبين، إذ تتكون سفوحها الشمالية من حافات، تنطبق غالبا على خطوط انكسار، أو تتدفق مكونة طيات زاحفة، وتكون أعرافها الطويلة سلاسل جبلية متوازية، يبلغ عددها ستة تزداد ارتفاعا من ش. غ نحوج. ش حيث توجد أعلى قمة : جبل مگون (4071 م) التي تحتفظ بمخلفات التعرية الجليدية. ويبلغ الأطلس الكبير الأوسط أقصى اتساع له : 120 كلم من أزيلال وتنغير. يلتصق شمالا بالأطلس المتوسط وسهل ملوية وتشرف حافته الجنوبية بعنف على الممر الأطلسي الجنوبي العالية، ولا يعبره أي طريق مهم، رغم وجود بعض الفجاج العالية. وتتميز الشبكة المائية بتعمق أوديتها، وأهم وديانها مگون ودادس وهما من روافد واد درعة، وتاساوت والأخضر والعبيد روافد أم الربيع. ونظرا للبنية الكلسية السائدة فإ المياه تتسرب مخلفة أودية جافة، وتنبثق عبر عيون بالسافلة، تظهر بعض المظاهر الكارستية مثل السطوح المشخرية والجوبات والدارات، التي تكون أحواضا معشوشبة أو تستقر بها بعض "الضايات".

2 . المناخ : يسود هنا مناخ أكثر جفافا وقارية، بسبب البعد النسبي عن المؤثرات المحيطية، إلا أن تنوع البنيات يخلق مناخات محلية متباينة. فالجهة المشرفة على سهل تادلا تتميز بحرارة وأمطار معتدلة (500. 700 ملم / سنة) وكذلك القمم، أما المنخفضات والهضاب الوسطى فتعرف أمطارا أقل (400. 600 ملم) وتنخفض كثيرا في الجهات الشرقية (إملشيل : 303 ملم) بينما تشتد البرودة وتصل معدلاتها بإملشيل الواقعة على علو 2200 م : 5 شتاء و26 صيفا. وبينما تعترض بعض القمم السحب فتتلقى حوالي 1000 ملم، فإن قمما أخرى تقع في ظل المطر تتلقى أقل من 400 مل. وتسقط معظم الأمطار في آخر الخريف وبداية فصل الربيع، كما تسقط أمطار إعصارية محلية بالمناطق العالية صيفا، وتكون التساقطات صلبة فوق علو 2000 م، وتدوم الثلوج فوق الجبال العالية من نونبر إلى ماي. وتظهر المؤثرات الصحراوية بالسفوح الجنوبية الشرقية وأوديتها السفلى، فتعرف شتاء قارس البرودة قليل الأمطار 177 ملم في بومالن مع مدى حراري يومي وسنوي كبير.

3 . النباتات الطبيعية : يتحكم فيها التنطيق والمواجهة وعوامل محلية. ففي علو 900. 1500 م : طبقة شبه جافة : الثويا والعرعر الأحمر يختلطان في بعض الأماكن بالعرعر الأرزي وصنوبر حلب، الذي توجد له أفضل التجمعات

بوادي أحنصال الأوسط، ونجد في هذه الطبقة بعض الأشجار النفضية.

من 1500 إلى 2200 م : طبقة المناخ دون الرطب : بلوط أخضر، خاصة بحوض تاساوت من 2200 إلى 2600 طبقة المناخ الشبه الجاف البارد : العرعر الفواح، يتعرض للاندثار بفعل تغذية الماشية لفروعه واستعمال أخشابه في النجارة.

فوق 2600 م : طبقة الأعشاب الألبية، تتناقص مع الارتفاع إلى أن تندثر وتوجد هنا نباتات محلية لا نظير لها في المغرب.

ويلاحظ بالسفوح الجنوبية الشرقية، أن البلوط الأخضر يكاد يختفي وكذلك الصنوبريات التي تحل محلها نباتات سهبية والدوم والنخيل الذي يصعد مع بعض الأودية لا نجد هنا سوى الأشجار الخاصة بالطبقة الشبه الجافة الباردة، مثل العرعر الأحمر والعرعر الفواح الذي يصعد إلى 3000 م. ولا توجد الغابات إلا في بقع منزوية محظوظة.

4 . السكان والأنشطة : لازالت المنطقة قليلة السكان، فالكثافة البشرية بالجماعات القروية المنتشرة بالهضاب الوسطى والمنحدرات الجنوبية تتراوح ما بين 10 إلى 40 ن / كم مربع لكن الجماعات القروية المشرفة على الدير الشمالي ارتفعت كثافتها إلى 40 . 60 ن / كم مربع (1982) كونت الأودية العميقة بالجهة الغربية ملجئا لفلاحين مستقرين ينتمون إلى المصامدة يتكلمون لهجة "الشلحة الدمناتية" ويسكنون قرى كبيرة تشبه مثيلاتها بالأطلس الكبير الغربي، وأهم قبائلهم : أيت بوگماز وادي تاساوت والأخضر ومگونة بوادي مگون وإحنصالن بوادي أحنصال يهتمون بزراعة الحبوب المسقية بقعور الأودية والمدرجات والأشجار، وخاصة الجوز في الأجزاء العليا، واللوز وفواكه أخرى بالأجزاء السفلى من الأودية. إلا أن ضيق الأودية وقلة الأراضي الزراعية، يدفعهم إلى الاهتمام بتربية المواشي، يشجعهم على ذلك وفرة المراعي بالمقعرات الواسعة والأحواض المعلقة إلا أن هذه المراعي اجتذبت عناصر أخرى من خارج المنطقة من برابر صنهاجة. وقد بدأوا يتغلغلون في المنطقة منذ قرن. أما الإقامة الدائمة في بعض الأحواض والأودية، أو امتلاك بعض المراعي التي يقصدونها في فصول معينة، ويدخل ذلك في ضمن الضغط الذي مارسته قبائل المناطق الصحراوية والشبه الجافة، للتقدم نحو الشمال الغربي في القرون الأخيرة. وهكذا استقر الكثير منهم بالأحواض الغنية مثل حوض واويزغت وفي بعض الأودية. ومن هذه القبائل : أيت أومالو الذين تجزأوا إلى قبائل صغرى، وأيت عطا الذين انطلقوا من جبل ساغرو واستقروا ببعض الأحواض وجنبات الأودية مثل وادي أحنصال، حيث يمارسون زراعة بورية للحبوب، وبنوا قرى حول المخازن الجماعية "إغرم". وكلا المجموعتين المصمودية والصنهاجية تتميز باختلاط بشري كبير، فسكان الأحواض التي تعرف برودة كبيرة شتاء وجفافا في الصيف، في حاجة ماسة إلى موارد تكميلية لتعويض نقص المحاصيل الزراعية، يجدونها في الرعي، وهذا ما كان يدفعهم إلى تنقلات مزدوجة : تنقلات شتوية أفقية، يقطعون فيها مسافات كبيرة (60. 120 كلم) نحو حضيض الجبل (أزغار) وبعض المنخفضات الدافئة أو المنحدرات الهامشية للكتلة الجبلية، ويشارك في هذه التنقلات معظم أفراد العائلة الذين يسكنون الخيام ويتركون أمتعتهم الثقيلة في "إغرم" وتنقلات رأسية للنجعة بالمراعي العليا، يشارك فيها الرعاة فقط وجزء من القطيع، ويشاطرهم في هذه التنقلات الأخيرة سكان الأودية مثل أيت بوگمار الذين يصعدون إلى مراعي مگون حيث توجد "عزبانهم" فتتكاثر المواشي فوق بقع صخرية، مما يدعو إلى سن تنظيمات لتجنب الازدحام والمشاكل.

5 . تراجع حياة البداوة والترحال : عرفت العقود الأخيرة تحولات مهمة، وقد تقلصت التنقلات الشتوية كثيرا، كما تناقصت أعداد المواشي، ويرجع ذلك إلى أسباب اقتصادية اجتماعية أهمها ضغط النمو الديمغرافي، وانتشار الملكية الخاصة والزراعة بالسهول وبكثير من السفوح والأحواض متى ساعدت الأمطار أو السقي على ذلك، كما أن الأسر صارت تفضل الإقامة في منزل حسن التجهيز بمركز سكني يوفر الخدمات خاصة تمدرس الأطفال، كما أن السلطات تعمل على تثبيت السكان. وهكذا صارت الزراعة تكون المورد الأساسي لعيش 85 ٪ من السكان النشيطين، وقد توسعت مجالاتها كثيرا خاصة بحوض تاساوت والعبيد. وتوسعت زراعة الأشجار كثيرا خاصة اللوز. كما تكاثرت أشجار الجوز والتفاح والفواكه بالأودية المعتدلة. ولازالت المواشي تكتسي أهميتها لكن في إطار اقتصادي جديد، حيث يعمد سكان الأودية والسفوح الشمالية إلى تربية الأبقار والأغنام اعتمادا على زراعة العلف والمراعي المحلية، أما التنقلات فقد اقتصرت على الانتجاع الصيفي، ومراعي هضبة البحيرات التي لازال يقصدها جماعات من أيت عطا بجبل ساغرو. بينما تراجعت كثيرا تربية المواشي في السفوح الجنوبية الفقير.

III . 1 . الأطلس الكبير الشرقي : يمتد من هضبة البحيرات إلى "تلسنت" بالهضاب العليا الشرقية، يتكون من التواءات كلسية متوازية تفصل بينها منخفضات واسعة تشكل أحيانا سهولا داخلية، ونجد أعلى القمم بالحافة الشمالية الغربية، تشرف على سهل ملوية وهي جبل العياشي (3757 م) ومسكر (3270 م) وتصطف وراء هما سلاسل تفصل بينها مقعرات تتدرج من 2000 إلى 1000 م على طول واد زيز، تتعمق فيها الأودية مكونة خوانق عند عبورها للمحدبات أو خروجها من الجبل وسهولا واسعة مثل سهل الريش. وباعتبار البنية الكلسية فإن المياه تتسرب لتغذي بعض العيون بالأودية وغيرها. وتشرف السلسلة على السهول الصحراوية الجنوبية بحافة عالية مستقيمة لانطباقها على الفالق الجنوبي الكبير، ولكنها من الجهة الشرقية والشمالية الشرقية تتجزأ وتكاد تختفي بعد مركز "تلسينت" لالتحامها بالهضاب العليا الشرقية.

2 . المناخ : إن وجود أعلى القمم على الحافة الشمالية الغربية المواجهة للرياح الرطبة، يجعل هذه الأخيرة تتلقى مقادير معتدلة من التساقطات التي تنزل على شكل ثلوج فوق علو 2500 م يبلغ معدلها السنوي بجبل العياشي ومسكر 700 ـ 800 ملم، بينما تبقى السلاسل والأحواض الموجودة خلفها في ظل المطر، فلا يزيد معدلها السنوي عن 350 ملم، بل تنخفض في سهل الريش إلى ما دون 200 ملم وعند فم الزبل (مخرج واد زيز) إلى 120، ويسود هنا مناخ صحراوي بسمائه الصافية وندرة أمطاره وارتفاع حرارته ودرجة قاريته.

3 . النباتات الطبيعية : إذا كانت الواجهة الشمالية الغربية تحظى بغطاء غابوي جيد من أشجار الأرز التي تنمو على السفوح الوسطى لجبلي العياشي ومسكر إلى علو 2350 م فإن الغطاء الغابوي ينعدم في كل السلاسل الموجودة خلفهما، ليحل محله نباتات سهبية كالحلفاء والشيح، ولا نجد الثويا والبلوط الأخضر إلا على شكل بقع منفصلة متفرقة على المنحدرات الشمالية، ولا تنتعش سوى بالمجرى الأعلى لواد أنسغمير رافد ملوية.

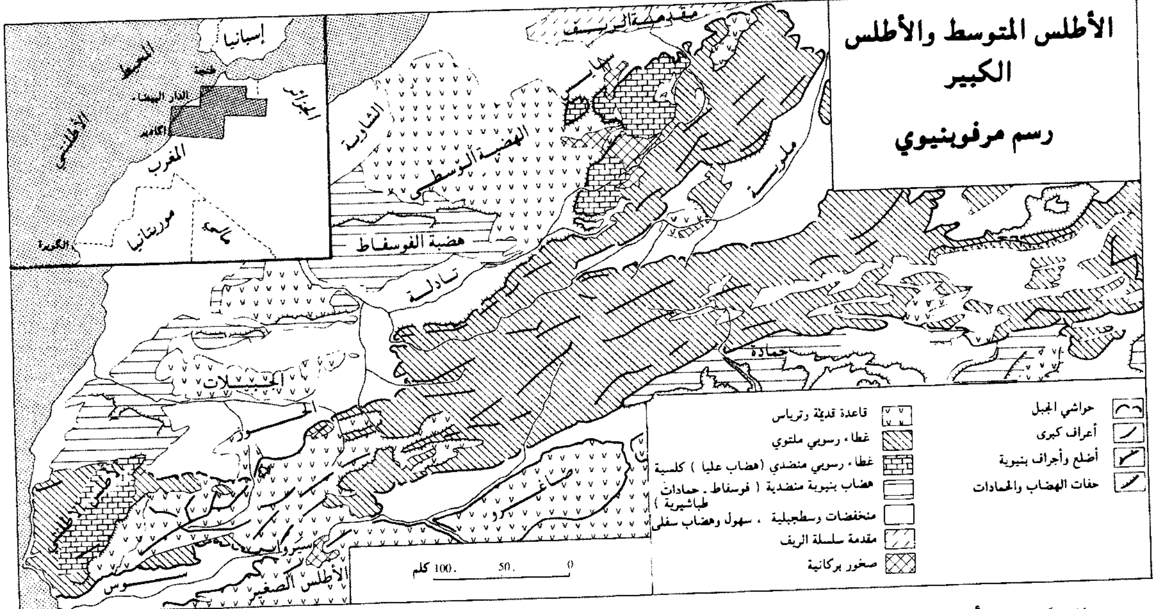


4 . السكان والأنشطة : تزداد الحرارة والجفاف بشرق هضبة البحيرات وتتدهور المراعي أو تنعدم ولا تقوم الزراعة البورية إلا على بعض السفوح الشمالية، ولهذا يتجمع السكان بكثافة في قعور الأودية القابلة للسقي ولا يستثنى من ذلك سوى السفوح الشمالية التي تظهر بها أودية صغيرة بجبل العياشي ومسكر تسمح لساكنيها بزراعة مسقية بورية على المنحدرات. بينما تعتبر بقية الأحواض والسلاسل مجالا رعويا لقبائل صنهاجية لازالت تمارس تنقلات واسعة، وهي أيت حديدو التي تتنقل مواشيها مع بعض أفراد من العائلة ما بين المراعي العليا لجبل العياشي ومسكر والمنخفضات الشرقية بسهل الريش ودير ميدلت، وأيت يافلمان الذين يتنقلون بين السهول الصحراوية بمنطقة الراشدية والدير الشمالي عبر السلاسل الشرقية، وكلاهما يمتلك أراضي زراعية وسكنا دائما ومراعي جماعية. إلى أقصى الشرق توجد عناصر زناتية من أيت سغروشن تتنقل بمواشيها على جانبي عرف جبل حمزة "بتلسينت" وبالهضاب الشرقية الانتقالية نحو الصحراء.

ويبدو أن توازنا قد حل بين الفلاحين المستقرين الذين يوزعون بقعا مروية، ويمتلكون مراعي جماعية مجاورة، ومربي المواشي الذين يتنقلون بين السهوب والمراعي والقمم العالية. ويلاحظ أن كثافة السكان هنا لازالت ضعيفة، تنحصر بين 10 و 20 ن / كم مربع وتعتبر المنطقة منطقة طرد للسكان.

التحولات الحديثة بالأطلس الكبير : يعتبر الأطلس الكبير خزانا هاما للماء بالمغرب، منه تنبع أنهار كثيرة، وقد بني على الكثير منها سدود لخزن المياه وإنتاج الكهرباء، وهي سدود لالة تكركوست على واد نفيس، وأيت عادل على واد تاساوت، وسيدي إدريس وشواريت على الواد الأخضر، والحسن الداخل على واد زيز، والمنصور الذهبي على واد درعة، وأيت موسى على واد أسيف نايت موسى، وأخيرا سد أولوز الذي يبني على واد تيفنوت الأسفل. وقد أدت هذه السدود إلى إعادة تنظيم المجال بالأحواض وسافلتها. مما وفر مناصب شغل غير فلاحي، وأوجد منشآت اقتصادية وعمرانية جديدة، كما أن توسيع شبكة المواصلات وعبور طرق مهمة للمنطقة مثل طريق ميدلت الراشدية عبر تيزي ـ ن ـ تلغمت وطريق تيزي ـ ن ـ تيشكا وتيزي ـ ن ـ تاست وطريق إمين تانوت أگادير، قرّب قراها من المدن الكبيرة وسهّل تحركات السكان والنزوح، وفتح المنطقة لأنشطة جديدة غير فلاحية، مثل الأنشطة المعدنية التي عرفت توسعا بفتح مناجم جديدة خاصة مناجم البرتين ومقالع الموزايك والرخام وتوسيع بعض المناجم القديمة

مثل أحولى ميبلادن للرصاص بحوض ملوية العليا وإيمنيي للمنغنيز قرب تيزي ن تيشكا، وإن كان الكثير من المناجم القديمة قد أغلق لنفاد معدنه أو لتغير الظروف الاقتصادية والتقنية لاستغلاله مثل مناجم أزكور أردوز وكندافة، لكن أهم نشاط حديث يساهم في تنمية مداخيل السكان هو النشاط السياحي الذي يعرف انتعاشا متزايدا وتنوعا فهناك محطة التزلج بأوكايمدن والتجول بكتلة توبكال انطلاقا من إمليل، أو كتلة مگون انطلاقا من أزيلال، وكتلة العياشي انطلاقا من ميدلت. كما تقام مهرجانات سياحية بإميلشيل وقلعة مگونة، وتحولت كثير من المواسم السنوية التقليدية إلى مهرجانات شعبية تجتذب بدورها سواحا مغاربة وأجانب، وتكاثرت الأسواق الأسبوعية خاصة على المحاور الرئيسية للمواصلات، وتعززت أجهزة الخدمات الإدارية والاجتماعية، وتحولت كثير من الأسواق القروية إلى مراكز حضرية مثل أزيلال وواويزغت ومولاي إبراهيم وغيرها بالإضافة إلى مدن الدير التي عرفت توسعا كبيرا، كل هذه العوامل ساهمت في إفراز حركة تمدين واسعة النطاق.

ح. عوض، *الجبال المغربية*، كلية الآداب الرباط 1971 ؛ أ. هوزلي، *التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي*. د. د. ع. كلية الآداب بالرباط 1987.

J. Drech, *Le Massif du Toubkal*, guide Alpin, Rabat 1938 ; A. Fougerolles, *Le haut Atlas Central*, guide Alpin, Casablanca 1982 ; Despois et Raynal, *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest* ; J. Martin et autres, *Géographie du Maroc* ; C. Dominelli, *Ski dans le Haut Atlas de Marrakech*, Andarra 1984.

أحمد هوزالي

**الأطلس المتوسط** ـ تاريخ ـ ← **صنهاجة**

**الأطلس المتوسط** ـ جغرافيا ـ كتلة من الأراضي العالية، امتدادها شمالي شرقي ـ جنوبي غربي، من سهل گرسيف إلى حوض السراغنة. وتلتحم هذه السلسلة في جزئها الجنوبي الغربي بجبال الأطلس الكبير، بينما تفترق عنها ابتداءً من ميدلت وعالية ملوية لتفصل بينهما منخفضات ممتدة على طول هذا النهر.

هذه الكتلة تتوسط المغرب وتكون قنطرة عالية بين سلسلتي الريف شمالا والأطلس الكبير جنوبا، بينما تكون مجالا بارزا فاصلا بين الجهتين الشرقية والأطلنتية من المغرب. ويتمثل دور الفاصل في كون السلسلة تعلو بحافات واضعة وأعراف المنخفضات الهامشية المحيطة بها. ويؤدي هذا البروز التضاريسي إلى خلق تغاير واضح على المستوى البيئي بين الهضاب الأطلنتية من جهة، وسهول ونجود المغرب الشرقي من جهة ثانية.

وحدود السلسلة أكثر وضوحا من الجانب الجيولوجي. فهي تمتاز بعموم الظهورات الجوراسية وغلبة الصخور الكربوناتية، بحيث لم يتم الحفاظ على المجموعات الصخرية الأحدث والأهش إلا في بعض المقعرات البنيوية الخطية والضيقة. بينما المحدبات المعرضة للتعرية أوسع، تتكون عامة من الطبقات الصلبة الجوراسية، وتبرز فيها محليا القاعدة الأولية. وترتكز عند هذه المحدبات القمم العليا للسلسلة والتي تقترب، بل تتعدى محليا 3000 م كجبل بوإبلان (3190 م) وبوناصر (3490 م). إلا أن البنية الملتوية ليست عامة ؛ فالجهة الوسطى والشمالية من السلسلة عبارة عن هضاب منضدية.

هذه السلسلة في الحقيقة، مجال مرفو بنيوي معقد التركيب، شديد التنوع حسب الأقاليم، ويمكن تقسيمه إلى ثلاث وحدات كبرى :

ـ نهاية جنوبية غربية، متصلة بالأطلس الكبير، تشرف بوضوح على سهل تادلا، ومكونة من طيات متراكبة، زاحفة نحو الشمال، تترك وراءها مقعرات ممتدة يصرفها واد العبيد ؛

ـ هضاب شمالية غربية كلسية ومتدرجة، تنحني نحو الشمال، وتشرف على الهضبة الوسطى وعلى السايس بحافة متقطعة ؛

ـ وأخيراً في الشمال الشرقي مجال ملتو مكون من محدبين كبيرين متوازيين، لهما نواة كلسية لياسية، يشرفان على مقعرات تلتوي بها سلسلة سميكة صلصالية تنتمي إلى الجوراسي الأوسط ؛ وتبرز القاعدة الأولية في النهاية الشمالية لهذه السلسلة في مجموعة جبلية متميزة تدعى كتلة تاريحا المطلة على مدينة تازا.

التركيب البنيوي والأشكال المرفلوجية : تطغى في الأطلس المتوسط الظهورات الصخرية الكربوناتية المنتمية للجورسي الأسفل والأوسط، إلا أن هذا لا يمنع من ظهور محلي لمجموعات صخرية أخرى. فالقاعدة القديمة الأولية، أساس الحاشية الغربية للسلسلة وكذا لنواة بعض المحدبات مثل جبل كندر أو سلسلة تازكا. وتغلف هذه القاعدة تكونات ترسباتية هشة طينية أو بركانية متفسخة. ودور هذ التكونات مهم. فهي تمثل قاعدة زحف بعض الطيات المتراكبة ؛ وهي تفسر، بسبب تركز الأملاح فيها، عددا من الظواهر الكارستية (كانهيار قعر بعض المنخفضات) والمائية (ملوحة عدد من الينابيع كعيون أم الربيع مثلا).

وتغطي اللياس الكربوناتي، مجموعة متنوعة تنتمي إلى الجوراسي الأوسط والطباشيري، تمتاز بغلبة الطبقات الهشة، تتوسطها دكات صلبة هي الأصل في الأشكال المرفوبنيوية التي تمتاز بها المقعرات الواسعة.

ويرتبط التغاير الواضح بين جزئي السلسلة الهضبي غربا والجبلي شرقا، بنوعية الأحداث البنائية التي عرفتها كل من المنطقتين. فالهضاب الشمالية الغربية مجال طبقات لياسية ضئيلة السمك، متأثرة لهذا السبب بقرب القاعدة الهرسينية وما عرفته من حوادث بنائية قديمة. وتجدد هذه الحوادث هو المسؤول عن تموج الغطاء اللياسي على شكل قبات واسعة ومقعرات ممتدة، تبرز وسطها حوادث متميزة على شكل أشرطة انكسارية. أما في الجهة الشمالية الشرقية، فإن الغطاء الرسوبي السميك، المتوضع في حوض

رسوبي شديد التهدل، سجل خلال المراحل التكتونية الثلاثية آثار بنائية انضغاطية جعلت الطبقات تلتوي بشدة.

لكن الانبساط النسبي للمجالات الغربية من الأطلس المتوسط لا يرتبط فقط بنوعية الحركات التكتونية، بل كذلك بآثار التعرية التي سمحت بتسوية السطح فالمتون العليا المتقطعة ناتجة عن تجزؤ سطح تحاتي قديم تكون على إثر أول الحركات البنائية الأطلسية. وتندرج تحت مستوى هذا السطح القديم، سطوح جزئية أكثر استواء، تمت فقط في المجالات المقعرة. ويشهد الكلس البحري الطرطوني شمالا، ناحية صفرو، على تاريخ تكوين هذه السطوح الجزئية. إلا أن آثار هذه التعرية التسطيحية لا تظهر جلية في المجالات الشرقية من الأطلس، وذلك بسبب التجدد العنيف الذي عرفته الحوادث التكتونية بعد الميوسين. ويلاحظ نفس الشيء في النهاية الجنوبية الغربية المشرفة على بني ملال، حيث تشطر الانكسارات الحديثة رواسب الميوسين، بل كثيرا ما نجد الطيات الجوراسية، زاحفة فوق هذه التكونات الحديثة.

أما التعرية الانتقائية فآثارها محدودة في المقعرات المكونة من سلاسل رسوبية متنوعة، وتختفي في الهضاب الكربوناتية وفوق قمم المحدبات. هذه المجالات، تشهد عكس ذلك تأثير التعرية الكارستية وخاصة منها الأشكال السطحية (شخاريب - أحواض مغلقة - ضايات - أودية جافة). أما المغارات الجوفية فهي خاصة بالمجالات حيث يقوى سُمك الطبقات الكربوناتية كما هو حال الجزء الشمالي الشرقي من السلسلة. بالإضافة إلى هذا نجد القمم الأطلسية معرضة لآثار التعرية الصقيعية وذلك بسبب قاريتها ورطوبتها الخاصة.

الجوانب البيئية : من الناحية المناخية يمكن أن نفرق بين ثلاث نطاقات متداخلة، يتميز كل واحد منها بتشكيلة نباتية خاصة.

النطاق الأول تختص به الجبال والهضاب الوسطى والرطبة التي يرتفع معدلها المطري حتى 1000 أو 1100 مم، بينما تبقى حرارتها معتدلة. جل تهاطلاتها مطرية، بينما لا يتعدى عدد أيام الصقيع المائة يوم.

النطاق الثاني يعم المرتفعات والقمم العليا الباردة والرطبة. وهو نطاق أقل رطوبة من الأول، يتلقى في المعدل أقل من 800 مم من التهاطلات، جلها على شكل ثلوج.

أما النطاق الثالث فيهم المنخفضات الداخلية المحمية وكذا السفوح الجنوبية الشرقية للسلسلة. وخاصيته جفاف واضح وارتفاع الحرارة صيفا، بينما تبقى حرارات الشتاء شديدة الانخفاض.

تغطي النطاق الأول غابات كثيفة من البلوط والأرز. أما القمم العليا فهي مجال الأرز ثم العرعر التورفيري في السهوب الباردة، بينما المنخفضات والسفوح الجافة نباتاتها متفرقة، متكيفة مع القارية وندرة التهاطلات.

وتفسر الأمطار والثلوج وكذا غلبة الصخور الكربوناتية المنفذة أهمية الأطلس المتوسط من الجانب المائي. فمنه تنطلق مجار مائية غزيرة ودائمة، تعتبر أكثر أنهار المغرب انتظاما. وتتقاسم السلسلة ثلاثة أحواض نهرية : حوض سبو في اتجاه الشمال الغربي، وأم الربيع في الجهة الجنوبية الغربية، بينما تنزل شرق الأطلس مجموعة من روافد ملوية أهمها واد ملولو. وتعود هذه الأهمية الهيدرلوجية إلى عدة أسباب : عموم التسرب وندرة السيل السطحي، غزارة الفرشات المائية الكارستية التي تغذي عيونا دائمة، وأخيرا أهمية التهاطلات الثلجية.

الإسكان والاستغلال البشري : لأسباب مناخية وتضاريسية من جهة وتاريخية من جهة ثانية، ظل الأطلس المتوسط مجالا جغرافيا قليل الاستصلاح من طرف الإنسان. فما عدا بعض الجيوب الضيقة حيث تتكاثف الفلاحة المسقية المعلالة، تبقى جل المجالات تغطيها الغابات أو السهوب وتتنقل فوقها الماشية، أو تشغلها زراعات بورية مقلالة.

ولسبب حداثة الإسكان، فإن الكثافة البشرية تبقى ضعيفة رغم تنوع الثروات الطبيعية ورغم موقع المنطقة كمجال عبور من المدن الكبرى التي تتوسط السهول الشمالية في اتجاه الجنوب الصحراوي. فقد بقي الرعي المنتجع يمثل أهم النشاطات البشرية وخاصة في الجزء الهضبي من السلسلة. إلا أن تدخل التعمير الفرنسي كان عنيفا في المنطقة بسبب شدة مقاومة القبائل. ولذا فلقد أدى التدخل إلى تحطيم بنية النظام الرعوي. هذا التنظيم الأصيل مبني على الامتلاك الجماعي لأراض شاسعة تتنقل فوقها الماشية والقبائل، حسب قواعد مضبوطة. فالجبل كان يمثل المرعى الصيفي بسبب حفاظه على الخضرة وقت الجفاف، بينما كانت تمثل الحواشي المنخفضة مراعي شتوية. وقد كان هذا التنظيم مبنيا على مبدإ الحفاظ على توازن تام بين حاجيات السكان والماشية من جهة، وإمكانات البيئة من جهة ثانية. كما كان التكامل في الثروات وفي ما بين مختلف المجالات الطبيعية (جبل - سهل - غابة - سهوب - مزارع - مجالات مسقية) ضمانا للحفاظ على هذا التوازن. ولذا فقد كانت حدود أراضي القبائل قابلة للتمدد حسب الظروف وخاصة في اتجاه المناطق المنخفضة الهامشية. كما تشخصت بعض الأودية المحلية للاستغلال المكثف المستقر، هي عبارة عن قطاعات مسقية، وفي القرون الأخيرة تكونت مراكز متعددة على هامش الجبل، بعضها قصبات مخزنية دورها الحد من حركة القبائل نحو الشمال الغربي، وبعضها زوايا، وأخرى عبارة عن مراكز تجارية يتم فيها التبادل بين بضائع الجبل (ماشية) وبضائع السهل (حبوب).

هذه الوضعية المتوازنة ظهر فيها خلل مع بداية الفترة الاستعمارية. فقد واجه الفرنسيون المقاومة التي أبدتها القبائل الأطلسية، ولذلك سعوا إلى تحطيم النظام الرعوي

الأصيل. وقد تم لهم هذا بإغلاق عدد من محاور التنقل، ومضايقة التوازن التقليدي بين الجبل وحاشيته، فاضطر جزء هام من الماشية إلى البقاء شتاء في الجبل مما أدى إلى تناقص أعدادها بسبب ارتفاع نسبة الوفيات. وقد أسهم الاستحواذ على أراضي السهل الخصبة وتحديد الأراضي الغابوية والجماعية في التضييق على حركة الانتجاع التي أصبحت لا تهم إلا بعض القطعان تحت قيادة رعاة عزل، بينما استقر موطن جل القبائل.

هذا الاستقرار أدى إلى تفقير هام للسكان الذين أصبح بعضهم عمالا فلاحين بينما بحث البعض الآخر عن أعمال غير زراعية. كما تضخمت نسبة المعدمين والملاك الصغار بينما ظهرت حركة هجرة نحو المراكز الحضرية الأطلسية وكذا نحو خارج الأطلس المتوسط.

وقد ساهم النمو الديمغرافي المتزايد بعد الاستقلال في تأزم اقتصاد الانتجاع. وقد تضاعف عدد السكان ثلاث مرات بين سنتي 1936 و1982 ونتج عن هذا تمديد الأراضي المزروعة على حساب المراعي والغابة. وأدى التدخل الإداري المباشر إلى تأزم العلاقات الاجتماعية التقليدية، حيث لم تحتفظ القبائل بسلطة القرار التي كانت بيدها وأصبحت أهم القرارات تتخذ خارج المنطقة وبدون مشورة السكان المحليين المعنيين بالأمر (جنان، *التحولات الحديثة في بوادي الأطلس المتوسط وحواشيه*، ميدتراني، 4، 1986).

وهكذا تضاءلت نسبة نمو السكان في بوادي الأطلس المتوسط (1,2 ٪ سنويا)، بينما تضاعفت نسبة سكان المراكز الحضرية بين سنتي 1960 و 1982. فنتج عن هذا إفراغ عدد من المجالات، وحدث عكس ذلك تمدن سريع. فقد أحصي سنة 1982 ما لا يقل عن 34 مركزا بها ساكنة تقرب من 300.000 نسمة (دون إدخال بني ملال). وأغلب هذه المراكز هامشية، دورها إداري وتجاري.

الأطلس المتوسط حاليا، مجال مطموع فيه، تتدخل فيه إلى جانب الدولة عدة شركات ومؤسسات رأسمالية. والسبب أنه منطقة تحتوي على ثروات عدة، أهمها الثروات الغابوية والمائية والسياحية. وبعض المشاريع التي تقام، تقدم على أنها حلول للحد من مشكل الهجرة ومن تعرية التربة. إلا أنها أساسا مشاريع تسعى إلى استغلال الثروات الطبيعية الضخمة والزيادة من مردوديتها. وتنوع المساعي والوسائل المستعملة من طرف المتدخلين يفسر تنوع النتائج المحصل عليها. فهناك المجالات التي بقيت منكمشة وهي الأراضي الجماعية غير المسقية، وتطورها بطيء جدا. وهناك المجالات المسقية التي تجزأت بها الملكية الفردية. وهناك أراض شاسعة استولت عليها الرأسمالية الحضرية، فحولت مظاهرها باستعمال تقنيات متقدمة لتنقية الأرض وغرسها وتجهيزها. فالأطلس المتوسط، إذن، مجال ريفي في تحول. أصبحت توازناته الأصلية في خلل. بينما تنشأ توازنات جديدة تحت ضغط تأثيرات مختلفة تلعب فيها الدولة والقطاع الخاص دورا فعالا.

J. Martin, *Le Moyen Atlas Central, étude géomorphologique*, Notes et Mém. Ser. Géol., nº 258 bis, 1981 ; *Les potentialités agro-postorales du Moyen Atlas Central*, R.G.M, nº 10 spécial, 1986 ; L. Jeannau, *Mutations récentes des campagnes du Moyen Atlas et de ses bordures*, Méditerranée, nº 4, 1986.

عبد الله العوينة

**الأطلنتي**، ثاني محيط في العالم من حيث الامتداد (82 مليون كلم مربع)، بينما واجهته أهم واجهة بحرية للمغرب بسبب حدة تأثيرها المناخي والاقتصادي (موانئ - صيد بحري).

هذا المحيط له خصائص عدة، أولا حداثته بالمقارنة مع المحيطات الأخرى واستمرار امتداده إلى الآن، ثانيا دوره الأساسي في تحديد وتنويع مناخات القارات المشرفة عليه وذلك بسبب شدة تنوع التيارات التي تحرك مياهه، وأخيرا تجدد مياهه الدائم بسبب استقباله لمياه المحيطين الجنوبي والشمالي، ومياه أنهار عديدة تعتبر أهم أنهار العالم.

يمتد المحيط الأطلنتي بين القارتين الأوروإفريقية من جهة والأمريكية من جهة ثانية، باتساع معدله 5000 كلم، ويبلغ أدناه عند الاستواء، بينما يبلغ الامتداد الطولي 14000 كلم بين المحيطين القطبيين الشمالي والجنوبي (70° ش و 55° ج).

يختلف الجزآن الجنوبي والشمالي من المحيط من عدة جوانب.

أولا من حيث شكل الساحل والتداخل مع القارات، إذ ترتبط بالأطلنتي الشمالي عدة بحار جانبية، من أهمها بحر الكرايبي، وخليج المكسيك وبحر البلطيق، والبحر الشمالي والمانش والبحر المتوسط، بينما المحيط الجنوبي له سواحل خطية أكثر وتشرف عليه قارات كتلية قلما تتقدمها جزر.

ثانيا من حيث طبغرافية القعر. فالمحيط الجنوبي بسيط التركيب، مُكوَّن من أحواض محيطية كبرى، ممتدة على جانبي تضرس محوري في الأطلنتي الشمالي، نجد نفس النتوء المحوري، تحيط به أحواض عميقة لكن مجزأة وتعلوها تضرسات هامة تبرز محليا على شكل جزر كبرى كالبرمود والآصور وجزر الرأس الأخضر.

ذلك التجعد المحوري الممتد من أقصى المحيط إلى جنوبه هو ما أكد حداثة المحيط الأطلنتي واستمرارية توسعه، فهو عبارة عن ظهر واسع، ينحني شرقا وغربا، على جانبي أخدود محوري يمثل شقا من أهم فوالق الكرة الأرضية. وقد نشأ هذا الشق خلال الترياس في بداية الزمن الثاني، في وقت كانت فيه القارتان الأوروإفريقية والأمريكية متلاصقتين ومن ثم انطلقت عملية تتلخص في تباعد القارتين وانفتاح المحيط وذلك بسبب صعود مستمر لمواد باطنية من المعطف، تلتصق بجانبي الشق، وتتحول إلى قشرة حديثة تساهم في توسيع المجال المحيطي. وقد أثبتت الأبحاث الجيوفزيائية هذه النظرية.

- الظهر مُكوَّن من عُرفين متوازيين، ارتفاعهما النسبي حوالي 1500 م، واتساعهما 2000 كم، ينحنيان تجاه الأحواض

العميقة أي تحت رواسب تزيد سمكا، بينما قمم الأعراف عارية، وكذا الأخدود الأوسط. وانعدام الرواسب هذه دلالة على حداثة القعر.

- يتكون الظهر من صخر بزلتي يشبه في تركيبه مواد المعطف، ويغلف هذا البزلت قشرة سمكها 5 كم، تعتبر قشرة محيطية كثيفة. ويمكن تجزئ هذه القشرة إلى أشرطة متوازية ومتناظرة على جانبي الأخدود، أحدث هذه الأشرطة ملتصق بالشق الأوسط، بينما تتقادم كلما ابتعدنا عنه. وهذا يدل على الانفتاح التدريجي، مع سرعة تباعد على جانبي الشق تقدر بمعدل 1 إلى 5 سم في السنة.

- الظهر مجال تحرك تكتوني عنيف، يتمثل في شدة الزلازل وأهمية التضاريس البركانية.

هذا التنوع الجيولوجي، الناتج عن انفتاح المحيط، يرافقه تنوع في البيئة الرسوبية لقعر البحار. فالمجالات العميقة، البعيدة عن الهضبة القارية يمكن تقسيمها إلى نوعين من الأوساط الرسوبية. التضرسات فقيرة من حيث الرواسب الدقيقة بسبب دينامية المياه وتعذر الهدوء اللازم لتصفيتها، فتتلقى خاصة مواد رملية، جلها من أصل أعضائي، كما تتلقى في المجالات الباردة مواد جليدية - بحرية قدمت ضمن الجليد الذي كان يغطي هذه البحار في الفترات الباردة من الرباعي، لكن الرواسب تغيب كليا عندما نقترب من الظهر المحوري، وذلك بسبب حداثة قعر هذا المجال.

في السهول العميقة رغم ذلك، تتركز الرواسب بسمك متزايد كلما ابتعدنا عن التضرس الأوسط، وفي هذه الأعماق التي تتعدى 4000 م وتصل أحيانا 6000 م، مع انحدارات غير محسوسة تقل دائما عن 1/1000، كل الرواسب عبارة عن فتاتات دقيقة تتهاطل بسرعة جد بطيئة إلى القعر، بسبب الهدوء الكبير للمياه الباطنية. بعض هذه الرواسب عبارة عن رمال قارية منقولة من طرف الرياح، وتتوضع بسببب الرطوبة الخاصة لجو المحيط. لكنها قادرة على التنقل بعيدا عن الساحل الإفريقي مثلا. فقد وجدت في السهول المحيطة القريبة من البرازيل، رمال سافرت من موريتانيا، مع الرياح التجارية الشرقية. وتغطي جل أعماق المحيط مواد أعضائية، هي عبارة عن قواقع مجهرية لنباتات وحيوانات العلق أغلبها كلسي، يمتد على أكثر من نصف قعور الأطلنتي. وأخيرا، تغطي بعض السهول - وخاصة على مقربة من الساحل الأمريكي - مواد وحلية حمراء، تغص الأعماق الكبرى التي لا يترسب فيها الكلس. هذه الأوحال عبارة عن أطيان خاضعة من الناحية العدانية لطيف الأطيان القارية الخاص بالنطاق المرفومناخي الذي تنتمي إليه سهول الإرساب. فهي من أصل قاري، تحركت طويلا في مياه البحر، دون أن تحدث فيها تطورات أساسية تذكر، وترسبت في المجالات العميقة الهادئة.

هذه القواعد الرسوبية العامة لا تنطبق على المجال القربقاري والمكون للهضبة القارية والحافة التي تحدها. هذه المجالات لها خصوصيات، تتلخص في ضعف عمقها، في ديناميتها المرتفعة، وفي تردد انحسار البحر عنها خالا مراحل هزهزية من الرباعي، بحيث تم تشكيلها آنذاك من طرف آليات قارية.

الهضبة القارية الأطلنتية واسعة العروض الوسطى وخاصة في الأطلنتي الشمالي، بينما تضيق أمام السواحل المدارية الإفريقية. وبالنسبة للمغرب، يبلغ امتدادها 150 كلم جنوبا بين بوجدو ولگويرة، 100 كم من ساحل الأطلس الكبير إلى طرفاية، بينما لا يتعدى اتساعها 50 كم شمال رأس غير. وينتهي امتدادها عادة عند عمق 150 أو 200 م لكنها تظهر محليا مخددة من طرف خوانق عميقة، تزيد عمقا وانحدارا على جانب الحافات المنحدرة التي تحد الرصيف القاري. ومن أهم هذه الخوانق التحتبحرية، خانق الهدسون جنوب شرق نيويورك، وتظهر على الساحل المغربي خوانق لها أهمية متواضعة، أهمها خانق سبو الذي يكون امتدادا للأخدود الجنوب الريفي وخانق ثان أمام أگادير يمثل استمرارية لوادي سوس.

الهضاب القارية تمتاز باستواء قعرها وضعف انحداره. لكن بعض التجعيدات قد تبرز محليا وترتبط بآثار التعرية الانتقائية حسب صلابة الصخور. فالرصيف المغربي أمام ساحل الهضبة الوسطى وأمام الأطلس الكبير، تشوهه تجعيدات توافق استمرار الدكات الصخرية القارية ماعدا هذه البروزات، تختفي ركيزة الرصيف تحت توضعات، توضع عادة على شكل أشرطة موازية للساحل، وتمتاز بفرز واضح، بعضها رملية خشنة، وبعضها دقيقة وحلية.

فإذا أخذنا كمثال الرصيف القاري شمال المغرب، بين طنجة ومخرج أم الربيع، نجد أن الهضبة تنقسم إلى ثلاثة أشرطة متوازية، الشريط الأول، بين الشاطئ وعمق 70 م، يعني على امتداد 7 إلى 15 كم، مجال رملي محض، لا تساهم الفتاتات الدقيقة ضمن مكوناته إلا بنسبة تقل عن 10 - 15 ٪. هنا الحركية الدائمة للمياه تمنع من ترسيب الدقاقات الطينية. بعد ذلك نجد شريطا ثانيا اتساعه حوالي 18 كلم حتى عمق 120 - 150م، خاص بالأوحال، ومصدرها الإتايات النهرية، لكنها تبقى عالقة حتى اجتياز الشريط الأول الشديد الحركية. وابتداء من عمق 150 م إلى حافة الرصيف نجد من جديد مواد رملية تشكل الشريط الثالث. لكنها في الغالب رمال أعضائية الأصل أي ناشئة في الوسط البحري وتختلط بها دقاقات وحلية، في هذه الأعماق المهمة نسبيا، يصبح الفرز إذن ضعيفا، جنوب أزمور، نسبة الأوحال تصبح ضعيفة فوق الرصيف القربقاري، والسبب في ذلك مزدوج. أولا قلة الأنهار الكبرى القادرة على تزويد المحيط بكميات هامة من المواد الدقيقة. وثانيا استمرارية حركة مائية صعودية، تجعل الدقاقات التي تنزع إلى الرسوب، تصعد من جديد لتتحول مرة أخرى إلى مواد عالقة.

ترتيب التوضعات تبعا للعمق وديناميه المياه، دلالة على الأهمية القصوى للعامل الهدرولوجي في تشكيل قعر المحيطات وخاصة في المجالات القريقارية. إلا أن العامل الهدرولوجي تتعدى أهميته تأثيره على القعر، ليعم مختلف المظاهر المحيطية، بل ليعم كذلك القارات، وذلك عبر تحديده لكثير من الظواهر المناخية.

فتنوع حرارات الماء البحري، وتنوع الواردات النهرية من حيث مقدار المياه العذبة والإتايات الكيماوية والفتاتية، يخلق تغايرات واضحة على مستوى كثافة مياه البحر. وهذا التغاير في الكثافة هو مصدر التيارات المعقدة، الأفقية منها والعمودية، والتي تسعى إلى خلق توازن حراري وكثافي.

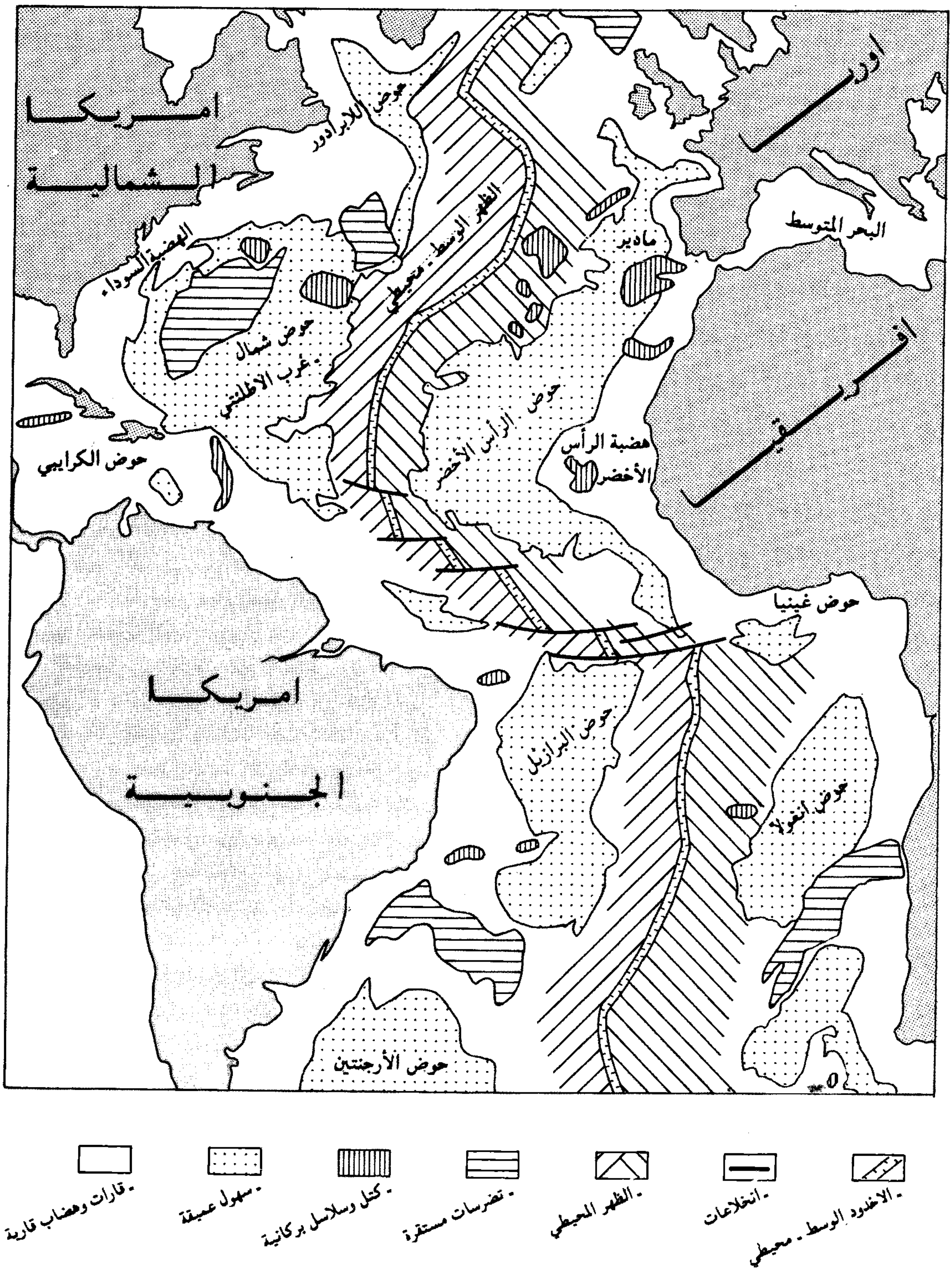


المحيط الاطلنتي الوحدات التضاريسية

ففي العروض الاستوائية، معدل حرارة المياه السطحية 25° ومحليا 28°، لكن أهمية الأمطار والواردات النهرية العذبة تجعل الملوحة تبقى في حدود 35 غرام في اللتر.

وتبعا للرياح التجارية الشرقية، تنتقل المياه من خليج غينيا إلى شاطئ الگويان بأمريكا الجنوبية، كما يتكون صيفا تيار معاكس قرب إفريقيا، وهو تيار مواز للرياح الموسمية المضادة للأليزي. أما التيار النطاقي الشمال استوائي، فهو يصل إلى القارة الأمريكية فينحرف نحو الشمال ليكون تيار الگولف ستريم. ثم بعد ذلك يبتعد عن ساحل الولايات المتحدة، مدفوعا من طرف تيار الأبرادور القادم بموازاة الساحل الكنادي يصبح لهذا التيار الساخن إذن اتجاه عام من ج. غ. إلى ش. ش. إلى أن يصل إلى حدود القارة الأوربية، حيث يؤدي إلى تسخين غير عادي لسواحلها، إلا أن جزءاً من هذه المياه التي وصلت عروضا عليا، تتحرك من جديد نحو الجنوب، فتتوازى مع الساحل البرتغالي والمغربي، مكونة تيار الكناري، هذه المياه القادمة من عروض عليا هي المسؤولة عن تبريد سواحل المغرب وخاصة منها سواحله الجنوبية.

فعلى الساحل المغربي، تبلغ حرارة المياه السطحية ما بين 15 و 23° حسب المواقع والفصول. أما حرارة المياه العمقية فهي أضعف وتتراوح بين 14 و 18°. وتصل هذا الساحل مياه قادمة من الأطلنتي الشمالي سرعتها حوالي 0،2 م / ثانية. لكن هذه المياه القادمة من بعد ليست وحدها مسؤولة عن تبريد الساحل. بل هناك بالإضافة إلى ذلك حركة محلية صعودية تجعل مياه العمق الباردة، تبرز عند السطح بينما الطبقات العليا المعتدلة تدفع من طرف الرياح التجارية القادمة من القارة. هذا التظافر بين عاملين أحدهما أجنبي والثاني محلي هو المسؤول عن شذوذ مياه البحر على سواحل المغرب. وهذا ما يفسر اعتدال حرارات الصيف حتى عروض صحراوية على مقربة من الساحل. وما يفسر كذلك الوضعية المستقرة للجو في جنوب غرب البلاد، بسبب تبريد الغلاف الجوي من قاعدته بعد ملامسته الطويلة لمياه بحرية باردة. هذا الغلاف الجوي المستقر، يعرف عكس ذلك رطوبة جوية مفرطة وتكاثفات تخص الطبقات الدنيا، ينتج عنها استمرار حالة الضباب والسحب المنخفضة، كما أن تبريد المياه القريقارية بسبب صعود المستويات العمقية يؤدي إلى إغناء دائم ومتجدد لمستويات السطح بالأملاح المعدنية المحلولة، أي بالمواد الغذائية، فيسمح هذا بانتشار نباتات وحيوانات العلق المجهري. وهذا هو السبب في غنى هذه السواحل بالأسماك والحيوانات البحرية المختلفة.

نفس الوضعية الدورانية للتيارات، نشهدها في الشطر الجنوبي إلا أنها معاكسة لعقارب الساعة. فالتيار الاستوائي الجنوبي، ينحرف عند وصوله إلى الساحل البرازيلي، ليصبح موازيا له، قبل الالتقاء جنوبا، بتيار هام قادم من المحيط القطبي الجنوبي. هذا التلاقي يدفع بالمياه إلى الاتجاه نحو الشرق إلى أن تصل ساحل جنوب إفريقيا حيث تنعرج من جديد لتكوّن تيار بنگلا الموازي للساحل الإفريقي.

هذا بالنسبة للتيارات السطحية والقريسطحية على المستوى الإقليمي. أما إذا اعتبرنا ميزانية المحيط بأكمله فإننا نجد أن الأطلنتي الذي ينفتح بوضوح على المحيط القطبي الجنوبي، يتلقى جل موارده من هذا الجانب. ولذا فإن الحركة جنوب - شمال هي الأساسية عند السطح وعلى مقربة منه. وتُعوض هذا التيار الإجمالي، حركة عكسية تتم في الأعماق الوسطى تحت مستوى 2000 م، تجعل مياه الشطر الشمالي ترجع في اتجاه القطب الجنوبي.

أما عن التيارات المحلية، فإن من أهمها تلك التيارات التي تتلخص في التبادلات المائية التي تتم بين المحيط والبحار المحدودة التي تتفرع عنه، سنأخذ كمثال التبادلات بين البحر المتوسط والمحيط الأطلنتي عبر مضيق جبل طارق. هذا التبادل ناتج عن الاختلاف في الكثافة بين مياه البحر والمحيط، واختلاف المستوى إذا اعتبرنا أن البحر المتوسط يفقد من الماء عن طريق التبخر أكثر مما يستقبله من الأنهارّ. لذا فهناك تيار أساسي يجعل مياه المحيط تندفع إلى الشرق، في المستويات السطحية حتى عمق 100 م وبسرعة تصل إلى 150 سم / ثانية، إلا أن هذه المياه الساخنة والعذبة نسبيا، يعوضها تيار معاكس يحدث في الطبقات السفلى، ويتكون من مياه باردة وكثيفة تنصب نحو المحيط بسرعة أقل (5 سم / ثانية). هذه المياه المتوسطية تتفرع بعد اجتيازها المضيق إلى فرعين، أحدهما يتوازى مع الساحل البرتغالي والثاني مع الساحل المغربي.

أما تراقص مياه المحيط فهو عادة من النوع النصف يومي بحيث تعرف السواحل مرحلتي المد والجزر مرتين خلال أربع وعشرين ساعة. ويصل مدى هذا التراقص عادة إلى مرتين، مع اختلاف بين فترات المياه الحية (بداية ووسط الشهر القمري) والمياه الراقدة (فترات الربع الأول والثالث من الدورة القمرية). فخلال مراحل المياه العليا، يصل مدى التراقص حتى 2،9 م في أگادير والبيضاء لينزل إلى 0،4 م خلال المياه الراقدة.

بالنسبة للعباب، فإنه يتكون في المجالات التي تدوم فيها الاضطرابات، ومنها المحيط الشمالي بين الآصور وإسلندة. من هناك تنطلق الأمواج نحو الساحل الإفريقي بارتفاع عادة متواضع بالنسبة لناحية المغرب (أمواج عادة لا تتعدى ارتفاع 2،5 م) وتنتج عن العباب تيارات ساحلية هي المسؤولة عن نقل الفتاتات بموازاة مع خط الساحل.

A. Guilcher, *Précis d'hydrologie marine et continentale*, Paris, 1965 ; G. Boillot, *Géologie des marges continentales*, Masson, 1978.

عبد الله العوينة

**أطّوبي**، أو طُوبي - بحذف الهمزة - أو الطّوبي - بزيادة أل - أسرة سلوية عريقة، أنجبت عددا من الفقهاءَ والقضاة والعدول والمدرسين ورؤساء البحر خلال القرنين الثالث عشر

والرابع عشر / 19 .20. وخرج بعض الأطوبيين في أواخر القرن الماضي إلى مصر طلباً للعلم أو التجارة، وانتقل آخرون منهم إلى السكنى بالرباط . من أشهرهم :

**أطُوبي، عبد الهادي** بن محمد بن الهاشمي السلوي، فقيه أديب كاتب، ناسك متصوف، ولد بسلا عام 1301 / 1884 وقرأ على أعلام العدوتين ولازم بصفة خاصة شيخه وصهره المحدث الحافظ أحمد بن موسى السلوي أكبر تلاميذ الشيخ العارف بالله سيدي العربي بن السايح الشرقي الرباطي.

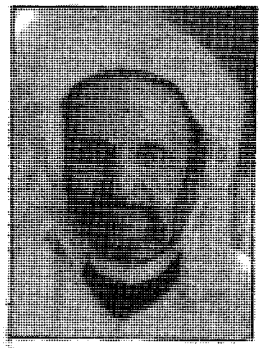

كان عبد الهادي أطوبي من عدول سلا المنتصبين للشهادة، يلقي دروسا ببعض المساجد. قرأت عليه في أول عهدي بالطلب طرفاً من *مقدمة ابن أجروم* بمسجد النميلة تحت عقبة المكودي إحدى العقبات الأربع المفضية إلى المسجد الأعظم بسلا، وبقي عالقا بذهني طوال حياتي تقريره عن التركيب المزجي وأحكامه، وذلك لحسن إلقائه وقدرته على الشرح والتوضيح.

انتسخ بخطه الجميل ختمات الشيخ أحمد ابن موسى وشيخه سيدي العربي بن السائح *لصحيح البخاري* وغيره، وجمع في *كناشته العلمية* أشعار السيد ابن السائح، واستخرج مقيدات عدة من خط الشيخ ابن موسى مما سمعه من إملاءات سيدي العربي ابن السائح وإفاداته، إضافة الى فتاواه وأجوبته العلمية المختلفة، وفتاوى فقهاء سلويين آخرين، أمثال محمد الطيب الناصري، وأبي بكر بن الطاهر زنيبر، وأحمد بن الحاج بنعاشر ابن عبد النبي، وإدريس بن محمد الجعيدي. وفي هذه *الكناشة* مساجلات أدبية، وفوائد تاريخية، وإجازات، منها إجازة الشيخ أحمد بن المامون البلغيثي بخطه لعبد الهادي أطوبي بتاريخ ثاني وعشري محرم فاتح عام 1340 / 25 شتنبر 1921.

توفي ـ رحمه الله ـ في حادثة سير ببلاد زمور هلك فيها جماعة من علماء مدينة سلا وهم في طريقهم إلى مولاي ادريس زرهون عام 1354 / 1936 (ولا عبرة بما ذكرت ـ خطأ ـ في *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية* من أنه توفي عام 1355 / 1941).

**أطوبي، محمد** بن عبد الواحد، فقيه رحالة، درس بسلا وانتقل الى مصر في حدود عام 1305 / 87 . 1888 لإتمام دراسته، ثم رجع إلى مسقط رأسه ليشتغل بالعدالة، وكان عام 1311 / 1894 من بين الفقهاء الذين توزع عليهم الصلة الملكية.

**أطوبي، محمد الهاشمي**، فقيه عدل، ولي قضاء مدينة سلا عام 1236، وهو معاصر للفقيه المفتي عبد السلام ابن عبد الله حركات الذي ألف عدة رسائل في نوازل فقهية مما عرض على القاضي أطوبي، منتقدا أحكامه في الغالب. توفي محمد الهاشمي أطوبي بسلا عام 1254 / 38 . 1839.

**أطوبي، محمد بن الهاشمي** لعله ابن القاضي السابق الذكر، كان منتصبا للشهادة ضمن عدول سلا عام 1275 / 58 . 1859.

**أطوبي، الهاشمي** أقدم من عرفت ترجمته من فقهاء هذه الأسرة، اشتغل بخطه بالقضاء منذ عام 1214 كنائب لقاضي العدوتين أحمد الحكمي (ت 1226 / 1811) ثم استقل بقضاء مدينة سلا حين أعفي الحكمي من ولايته في 23 جمادى الثانية عام 1219. وقد أخر الهاشمي أطوبي عن القضاء ثم رجع إليه سنة 1223 واستمرت ولايته الى عام 1226 حيث خلفه القاضي أحمد السدراتي.

**أطوبي، الهاشمي بن عبد الوهاب** فقيه متمكن ، وأديب شاعر، درس في مسقط رأسه على المؤرخ الشهير أحمد بن خالد الناصري، وقاضي القضاة عبد الله ابن خضراء وأضرابهما قبل أن ينتقل إلى فاس ليوسع دائرة معارفه الشرعية واللغوية والأدبية.

كان متين الأسلوب، جميل الخط طويل النفس في الشعر، تبلغ احدى قصائده 147 بيتا وهي مولدية سينية. اشتغل في عهد الحسن الاول كاتبا في بنيقة الصائر بمراكش، ثم عين عدلا في المراسي قبل أن يرجع الى الكتابة في البلاط الحفيظي ثم اليوسفي. وكان مكلفا بنسج أمهات الكتب النادرة، وخلّف إضافة إلى ذلك عددا من التقاييد والكناشات العلمية.

توفي صبيحة يوم الثلاثاء في سابع وعشري ربيع الثاني عام 1343 / 25 نونبر 1924.

ع.أطوبي، *كناشة*، مخطوطة ؛ م. بن علي، *الإتحاف الوجيز* ؛ م. المريني، *كناشة المريني*، مخطوط ؛ جعفر الناصري، *تقييد في قضاة سلا*، مخطوط ؛ م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ ع. ابن سودة، *اتحاف المطالع*، مخطوط ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، ج.2 ؛ م.حجي، *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج. 3 ؛ *ذيل الاتحاف الوجيز* ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، مخطوط.

محمد حجي

**أطُولُول**، (Autololes) تحدثت مجموعة من الكتاب الكلاسيكيين عن الأُطولولْ نذكر من بينهم بلين الشيخ Pline l'Ancien الذي أفاض في الحديث عنهم فخصص لهم أكثر من فقرة ضمن مؤلفه *التاريخ الطبيعي* (الكتاب الخامس، الفقرات 5، 9، 17)، وأشار إليهم أيضا في كتابه

السادس، الفقرة 201. وهناك من الكتاب الكلاسيكيين من أشاروا للأطولول إشارات عابرة، فلم تتعد معطياتهم فقرة أو جملة، ونعني بهم الجغرافي بطليموس Ptolemée الذي تحدث عنهم في مؤلفه *Géographie* (الكتاب IV، الفصلين 6 ـ 7، الفقرة 14). وتحدث عنهم أيضا سيليوس إيطاليكوس (Silius Italicus) في كتابه *Punicas* (الكتاب II، الفقرة 63)، وپول ـ أوروز (Paul Orose) في كتابه *Adversus Paganos* (الكتاب الأول الفصل 2 : الفقرة 94).

ونعرف أيضا اعتمادا على الباحث الفرنسي Tissot، أن هناك كتابا آخرين متأخرين تحدثوا عن الأطولول، نذكر منهم أيتيكوس Aethicus وإزودور الإشبيلي Isodore de Seville إلا أن أيتيكوس أطلق على الأطولول اسم أولوليس Auloles وذكر أنهم كانوا يعرفون في عصره تحت اسم Galaudae، أما إزودور الإشبيلي الذي استقى معلوماته من الجغرافي أيتيكوس فيكتفي بتسميتهم Galaules هذه التسمية التي نجدها أيضا عند پول أوروز (1، 2، 94).

وتجمع المصادر على جعل موطنهم على شاطئ المحيط الأطلسي ولكنها تختلف في تحديد المنطقة على شاطئ الأطلسي التي كانت مستقرهم، فهناك من الكتاب القدامى من يجعلهم جنوبي سلا، وآخرون يوطنونهم في أقصى الجنوب الغربي. إن بلين الشيخ لم يوطن الأطولول توطينا محددا ضمن فقرات : يقول في فقرة أولى (V. 7) بأن سلا كانت مستهدفة لغارات الأطولول ومهددة أيضا بالفيلة. على كل، فهو يجعلهم جنوب سلا. لكننا لا نعرف مدى امتدادهم في اتجاه الجنوب. وحسب بلين، يلزم اجتياز أراضيهم للوصول إلى الأطلس (V. 7) فهل تعني هذه الجملة بأن منطقة نفوذهم محصورة بين سلا والأطلس؟

في فقرة ثانية (V. 9) يوطنهم بين Rusadir (أگادير) ووادي سوس. وفي فقرة ثالثة يجعل موطنهم في ضواحي موگادور مقابل جزر Purpuraires (V. 201) . ويعود في فقرة أخيرة ليوطنهم في أقصى الجنوب المغربي قرب موطن الأثيوبيين Aethiopas (V. 17).

أما الجغرافي بطليموس فيوطنهم بجنوب غرب موريطانيا (IV. 6 ـ 7 ـ 14) ويضيف أن هناك مدينة تدعى أطولاطا Autolata (IV. 6، 7) توجد فوق أراضي الأطولول. ولكننا لا نعرف هل شكلت عاصمة لقبيلة الأطولول أو كانت إحدى مدنهم المهمة. ويحدد المؤرخ S. Italicus مقرهم في منطقة غابوية.

يعد الأطولول فرعا من الجيتول Getules على حد قول بلين الشيخ (V. 17) ويعتبرهم هذا الأخير، ومعه S. Italicus من أقوى القبائل الجيتولية خلال القرن الأول الميلادي حلّوا محل المورين (Mawres) والماسايسيليين (Massaesyles) واستوطنوا أراضيهم، ولكننا لا نعرف الكيفية التي تمكن بها الأطولول من الاستيلاء على أراضي القبائل المذكورة.

ويتبين من خلال مصدر بلين الشيخ (V. 17) أن الأطولول هم مجموعة قبائل Confédération وليسوا قبيلة واحدة، ويظهر هذا بوضوح حينما يشير إلى كون قبيلة Vesunes فرع من هذه المجموعة الكبرى انفصلت عنها وكونت شعبا مستقلا استقر بجوار الاثيوبيين Aethiopas. وجعلنا الجغرافي Pausanias في كتابه Description de la Grèce (XLIII، 3). نعتقد أنه يقصد بحديثه عن الصراع الذي جمع الرومان بالمورين الرحل، الكلام عن الأطولول، وإذا سلمنا بهذه الفرضية فإننا نعتبر الأطولول من القبائل الرحل.

وقد تقلصت أهمية الأطولول ومكانتهم خلال القرن الثاني الميلادي فأصبحوا حسب شهادة بطليموس (IV. 6. 6) مجرد قبيلة صغيرة، ونعلم أنه في عهد أنطونان الورع (Antonin le pieux)، أحيطت سلا بسور لحفظها من غارات القبائل، ومن خلال الدراسات يعود تاريخ هذا السور لسنة 144 م. ولا شك أن ظاهرة التسوير بالإضافة إلى بناء الخندق (Fossatum) جنوب سلا رافقتهما ظاهرة تراجع القبيلة في اتجاه الجنوب بسبب ضغط الرومان عليها.

ولكنه لم يتم القضاء عليهم بصفة نهائية حيث يذكرهم پول أوروز (P. Orose) خلال القرن 7 م لكن بتسمية جديدة هي (Galaule) (1، 2، 47).

ولا ننتهي من خلال استعراض المعطيات الواردة في المصادر لتحديد دقيق لموطن الأطولول ولنمط عيشهم. ولقد ترتب عن هذا تضارب آراء الباحثين المعاصرين : فإذا كانت كل الآراء تتفق على حصر منطقة الأطولول على شاطئ المحيط الأطلسي بين سلا وموگادور فإنها تختلف في التفاصيل. ويوطنهم گزيل Gsell في ضواحي سلا، ويذهب معه كاركوپينو Carcopino نفس المذهب، ولكنه يضيف بأنهم أصبحوا مستقرين بعد عهد بلين الشيخ عند حدود الأطلس وحل محلهم بضواحي سلا البكوات Baquates، وقد دعم رأيه بسكوت المصادر الكلاسيكية خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد عن ذكرهم. ويضع كامبس Camps مواطن الأطولول في المنطقة الفاصلة بين سلا والأطلس الكبير، وهو توطين كما نلاحظ غير مضبوط.

M. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, (Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles - Lettres), Paris, 1877 ; P. Orose, *Adversus Paganos*, Livre VII, éd. C. Zangemeister, Leipzig ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens* ; S. Gsell, *Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord*, livre V ; J. Carcopino, *Le Maroc Antique, Paris 1943* ; G. Camps, *Aux origines de la Bérberie, Masinissa ou les débuts de l'histoire* ; M. C. Sigman, *The Romans and the indigenous tribes of Mauritania Tingitana, Historia*, XXVI, Heft 4, 1977, pp. 415-439 ; Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle*, Livre V, 1-46, texte établie et traduit par J. Desanges, Belles-Lettres (CUF), Paris 1980.

بلفايدة عبد العزيز وبلكامل البيضاوية

**اعْبَابُو** ـ (أسرة) ـ هناك روايتان حول مدلول كلمة (اعبابو) تقول الأولى إن أصل القبيلة من ناحية گزنّاية بالريف، ومعناها في لهجة هؤلاء : الذرة البيضاء"؛ وتقول

الثانية إن أصلهم عربي من ناحية الساقية الحمراء ويدعون هناك : أيت عباب (من عباب البحر). والمؤكد أن آل اعبابو استوطنوا قديما بلاد الجاية بناحية فاس، وبناحية تازا كذلك. وفي عهد السلطان الحسن الاول كان قائد قبيلة الجاية هو :

**اعبابو، أحمد** الذي تعرض لغضب السلطان بعد أن نُهبت قافلة لليهود في قيادته، فأمر بالقبض عليه، لكنه استجار بمولاي إدريس إلى أن شفع فيه بعض العلماء، فعفا عنه بعد أن "تركه" أي صادر كل أملاكه، وأهمها ما كان في سهل بوطاهر، واتخذه فقيها لأبنائه.

وهناك روايتان تتفقان على القول بأن حادث القافلة التجارية اليهودية المنهوبة لم يكن سوى فرصة تحينها المخزن للقبض على أحمد اعبابو. وان كانتا تختلفان حول السبب الحقيقي لغضب السلطان عليه، تقول إحداهما : إن أحمد اعبابو ، الذي كان فقيها متضلعا في علم الأسماء، رفض أن يبوح بسر "الكبريت الأزرق"؛ وتدعي الأخرى أنه رفض الضرائب المفروضة على القبيلة بمناسبة إحدى الحركات العسكرية لعدم شرعيتها.

استقر أحمد اعبابو بفاس في حي " الطالعة". وصَاحَبَ مولاي الحسن في حركته الأخيرة، وتوفي بعد وفاة السلطان (سنة 1312 هـ ) بمدة قصيرة . وقد خلف عدة أبناء وبنات.

ثريا برادة

**اعْبَابُو، أحمد بن مولود** أمُوح، ولد سنة 1911 بدوار تامجونت بورد ناحية إقليم تازا، والتحق بصفوف المقاومة ضمن الفرقة التي كان يرأسها سي العباس والتي كانت ملكفة بالاستعلامات حيث كان يعمل على نقل الأخبار سراً إلى رؤسائه، كما كان يقوم بتهريب الأسلحة من المنطقة الخاضعة للسيطرة الإسبانية إلى رفاقه الثوار في المنطقة الجنوبية. وأثناء ذلك اعتقل بتهمة مخالفة القوانين الاستعمارية، وظل يجاهد بعد أن فر من معتقله وينفذ خطط رؤسائه إلى أن استشهد في معركة هجومية على القوات الفرنسية بمركز بورد ببوزينب بتاريخ 30 أكتوبر 1955.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.*

عز الدين العلام

**اعبابو، التهامي** كان من المقربين للسلطان مولاي يوسف. وصار حاجبا في عهده. وكان السلطان يسميه "بالفقيه" ويلعب الشطرنج معه. وحصلت له حظوة كبيرة لديه حتى كان يسكن بدار المخزن. ومازال إلى الآن جناح بدار المخزن بالرباط يحمل اسم "دويرية اعبابو" ومنها كان السلطان يخرج لكل أسفاره.

كان التهامي اعبابو يظهر العداء للفرنسيين وللصدر الأعظم الحاج محمد المقري. ولما توفي السلطان مولاي يوسف خرج قاصدا مدينة مراكش لأخذ البيعة لمولاي إدريس أكبر أبناء مولاي يوسف، لكن السلطات ألقت عليه القبض، و"ثقفته" في فندق السلام Hôtel de la Paix بالرباط إلى أن تمت البيعة لسيدي محمد بن يوسف. واتهم فيما بعد بأنه استغل مدة إقامته بدار المخزن لنهب أثاثها. وعُين ولد المعلم، قائد الروا - الذي صار فيما بعد باشا الصويرة - لتفتيش داره. ونصَّب التهامي اعبابوللدفاع عنه محاميا فرنسيا هو Millerand، وهو رئيس سابق للجمهورية الفرنسية، وانتهت القضية بتسوية حبية : تنازل المخزن عن متابعة اعبابو بتهمة النهب والسرقة، مقابل دفع هذا الأخير ستة ملايين فرنك، وتنازله عن ملكية حي درب الحاجب بالدار البيضاء، وبقي محتجباً في داره بالسبيج بفاس إلى أن توفي سنة 1942 م.

**اعبابو، حمو** (محمد) كان أمينا في عهد حجابة أخيه التهامي.

**اعبابو، عبد السلام**، أمه من بني زروال اشتغل في المضايفيين أثناء المدة التي كان فيها أبوه مغضوباً عليه، ثم صار أمينا على دار المخزن ودار الشريفات بفاس في عهد حجابة أخيه التهامي. وتوفي أثناء أحد أسفاره للديار المقدسة، ودفن ببيروت.

*روايات شفوية.*

Charles-André Julien, *Le Maroc face aux impèrialismes 1415*, 1956, p. 141.

ثريا برادة

**أعْبيدي**، بن خطاري بن أحمد. ولد سنة 1924 بدوار شرير التابع لإقليم گليميم وسط عائلة متواضعة. انخرط في صفوف جيش التحرير فتأطر مع الوحدة التي كانت متمركزة بمنطقة أيت باعمران والتي كان يقودها السيد إدريس الحارثي، وتدرب على استعمال السلاح. قام بأعمال جليلة حيث أظهر روحاً قتالية عالية إلى أن استشهد في معركة أمْلو التي خاضها جيش التحرير ضد القوات الإسبانية بمنطقة أيت باعمران سنة 1957.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**الاعتزال بالمغرب**، فرقة من أهم الفرق الكلامية في الإسلام، زعيم مذهبها واصل بن عطاء (80 - 141 هـ) الذي كان على اطلاع واسع بمقالات الفرق والملل والنحل وكلامهم، يتقن الحجج والأدلة للرد عليهم، فأسس مذهب الاعتزال الذي يُنعت أتباعه أحيانا بالواصلية نسبة إليه. وقد شاركه الزعامة عمرو بن عبيد الذي يعدُّ هو الآخر مؤسسا للمذهب بصحبة واصل، وقد عاشا في نفس الفترة.

يذهب بعض الباحثين إلى أن المغرب عرف الاعتزال منذ النصف الأخير من القرن الثاني الهجري ، في خضم المذاهب والتيارات السياسية والمذهبية التي عرفها واتسمت أحيانا بالغلو والتطرف أو الاعتدال والتساهل، كالصفرية والإباضية، والمذهب الحنفي. ويقولون إن قبيلة "أوَرَبَّة" التي آوت المولى إدريس الأكبر كانت - مثله - تتبنى الآراء الاعتزالية، لكن وفود المولى إدريس على المغرب سيعقبه

اختيار المغاربة لتيارات أخرى تركز دعائم الوحدة المذهبية : أعني مذهب مالك في الفقه ومذهب أهل السنة والجماعة في العقائد.

أما عن اعتزال إدريس الأكبر فإنه في الحقيقة كان من الشيعة الزيدية وهي فرقة معتدلة، درس إمامها زيد الاعتزال على يد رؤسائه خاصة واصل بن عطاء، وتأثر بهم وانعكس ذلك على مواقف الشيعة الزيدية عموما. ومن أهم المبادئ التي يبرز فيها اعتدالهم، قولهم بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، أي أن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان جائزة رغم أن عليا كان أجدرهم بها.

فهل يعني هذا أن الاعتزال تسرب إلى المغرب مع الشيعة الزيدية وبقيت آثاره فيه رغم اختيار المذهب السني؟ ذلك ما يستنتج مما ذكره الشهرستاني في كلامه عن الواصلية الاعتزالية :"وبالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة من بلد إدريس بن عبد الله الحسني الذي خرج بالمغرب في أيام أبي جعفر المنصور (*الملل والنحل*، 1 : 46).

ويذهب العديد من الدارسين للفكر التومرتي إلى أن هذا الأخير تطغى عليه الصبغة الانتقائية التي يعكسها تنوع الأصول والمصادر التي نهل منها، ومن بينها الاعتزال الذي يعثرون على مظاهره في ميل ابن تومرت إلى نفي التشبيه نفياً مطلقاً عن الذات الإلهية، وقوله بأن الله لا يكلف العباد مَا لا يطيقون، وقوله بأن مرتكب الكبيرة فاسق.

إلا أن المنهج الذي يسلكونه في دراسة فكر ابن تومرت، يغلب عليه الطابع التفكيكي التجزيئي الذي يركن إلى البحث لكل عنصر عن أصل له خارج الفكر المدروس، ولعل الأجدر كان هو دراسة فكر ابن تومرت في وحدته ككل وفي إطار شروطه التاريخية، عندئذ يبدو لنا لِمَ أَغْرَقَ في التنزيه، فهو لم يفعل ذلك إلا رغبة منه في معاكسة المرابطين الذين اتهمهم بالغلو في التشبيه. أما قوله بفسق مرتكب الكبيرة فلا أظن أنه يحيد به عن الموقف السني في المسألة الذي يعتبره فاسقا أو منافقا أو مؤمنا يُرجأ حكمه إلى الله، ولا يقول بكفره...

ثم لا نجد بعد الموحدين أثراً للاعتزال في العقائد بالمغرب.

الشهرستاني، *الملل والنحل*، بيروت 1975 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. النجار، *المهدي بن تومرت*، بيروت، 1983 ؛ ع. الجراري، *وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ*، الدار البيضاء 1976؛ *بحوث مغربية في الفكر الإسلامي*، الرباط 1988.

سالم يفوت

**أَعْـجْلِي**، محمد بن إبراهيم الباعقيلي. تعلم ببلده، ثم انتقل إلى قبائل (جبالة) بشمال المغرب لأخذ القراءات، وكانت ظهرت هناك مدرسة الحطيات، فأخذ عن مشايخها، وتفنن في أوضاعها، وعاد إلى مسقط رأسه إماماً في هذا الفن، ولعله أول من أدخل فنّ الحطيات إلى قبائل سوس، وله فيه مؤلفات سنتحدث عنها بعد.

كان محمد أعجلي على جانب من الفضل والصلاح منذ صغره، لا يقرأ لوحه إلا وهو على وضوء كما يشهد بذلك شيوخه. وكان للناس فيه اعتقاد كبير يقفون عند إشارته ولا يتخطون أمره، كما يخرج مع طلبته للسياحة وإصلاح ذات البين بين الناس.

قضى أعجلي الشطر الأكبر من حياته في تعليم الروايات، وأذاع في الجنوب فن الحطيات، فأخرج جمهرة كبيرة من المقرئين والحطاطين، وبعد موته خلفه ولده الطاهر، فكان عدد طلبته يفوق المائة.

خلّف أعجلي مؤلفات في فن الحطيات منها : *الاتصال الكبير*، وهو مجموع متداول بين الناس، وقفت على عدة نسخ منه تختلف عن بعضها البعض اختلافاً بيناً. *ميم الجمع*، رتبه على حروف المعجم. *هاء الضمير*، رسالة صغيرة ضمنها هاء الضمير المذكر طرفا، مرتبة على حروف المعجم. *والتنوين*، وهو تقييد في التنوين الذي جاء في آخر الكلمات في القرآن العظيم، وهو ثلاثة أنواع : المرفوع والمنصوب والمجرور، رتبه على الحروف الهجائية. الكلمات الموقوف عليها وتسمية بعض الفهارس *بالهداية لمن أراد الكفاية، على ضبط أواخر الكلمة مما صح بالرواية*.

وتوجد *وقفيات* أحصت وقوف الهبطي مرتبة على حروف المعجم، بينت عدد الوقوف لكل حرف، فالهمزة - مثلا : 237 وقفة، والياء 329، والتاء 550 وهكذا، فمجموع وقوف القرآن - على خلاف في ذلك - 8877. ولا ندري هل هذه الوقفيات هي نفس كتاب *الهداية* أو غيره.

توفي محمد أعجلي عام 1271 / 1854.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة* ؛ *المعسول* ؛ س. أعراب، *جريدة الميثاق*، ع 136 ؛ *دعوة الحق*، 1976، ع 6.

سعيد أعراب

**ابن اعدادة**، محمد بن محمد. ولد سنة 1921 بقبيلة بني يخلف، ناحية تاغزوت، انتظم داخل المقاومة وبشهادة بعض رفاقه فإن ابن اعدادة كان يجلب السلاح من مدينة الدار البيضاء ويوزعه على التنظيمات الموجودة بمدينتي الرباط وفاس، لكن عندما افتضح سره ألقت عليه قوات الأمن القبض وأودعته بمعتقل تابع لها بمدينة فاس، وعلى

محمد ابن اعدادة

إثر التعذيب البشع والتنكيل الوحشي الذي تعرض له أثناء اعتقاله لفظ أنفاسه الأخيرة بالسجن بمدينة فاس وذلك يوم 20 شتنبر 1954.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**أعديل** ← عديل

**أعـراب**، أسرة تطوانية أصلها من قرية تغاصة بقبيلة بني گرير الغمارية، وقد كان جل أفرادها يعملون بحّارة في حامية تطوان، حيث نجد منهم عبد الخالق بن محمد، وأحمد بن عبد الرزاق، والمختار بن ميمون ومحمد بن عبد السلام، وعبد الرحمان يعملون كبحارة سنة 1246 / 1830. كما يوجد أفراد من هذه الأسرة بمدينة مكناس منذ القرن العاشر / 16.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 11 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 211 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias illustres de Tetuan 1921 (A)* ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo 1929 (A)* ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español 1949 (A)*.

محمد ابن عزوز حكيم

**أعراب، عبد الرحمان** بن قاسم بن محمد بن عبد الله، ولد بمكناس عام 962 / 54 . 1555 وبها بدأ تعليمه ثم رحل إلى فاس فأخذ على كبار شيوخها، خاصة إمام المعقول والمنقول أبا راشد يعقوب اليدري، ولازم أكثر مجالس شيخه وصهره أحمد المنجور حتى كان هذا الشيخ في آخر عمره يخرج إلى القرويين متكئاً على أعراب ليلقي دروسه على كراسيه الوقفية.

تخرج عبد الرحمان أعراب فقيها متمكناً يستظهر مختصر *خليل* ويحيط بفروع المذهب، مشاركاً في العلوم الشرعية الأخرى، من قراءات وتفسير وحديث، وفي المعقولات من حساب ومنطق. ثم رجع إلى مسقط رأسه يدرس ويفتي ويفيد.

توفي بمكناس عام 1003 / 94 . 1595 ودفن خارج باب عيسى.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 363 ؛ إ. الكلالي، *تنبيه الصغير* (مخطوط) ؛ م. الطيب الفاسي، *مطمح النظر*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 279.

محمد حجي

**الأعرج** ← **أحمد** بن محمد القائم بأمر الله السعدي

**الأعرج، إسحاق** بن يحيى الورياغلي، أبو إبراهيم بن مطهر، المعروف عند أهل فاس بإبراهيم العالم، مودع الحجاج بفاس. ولقب الأعرج لعرجه بسبب إصابته في رجله عندما دخل عليه اللصوص في مسجد ببلاد سدارة لما كان طالبا بها. وهو من ذرية مولاي عبد السلام بن مشيش.

ترك الأعرج مستقر أهله بنواحي سبتة وارتحل إلى الريف وأقام بجبل حَمام على إحدى ضفاف وادي المزمة (غيس حاليا)، بفخذة بني يملك من قبيلة بني ورياغل. وقد خلف بها ذرية كثيرة من حفيده الشيخ العالم سيدي عبد العزيز بن موسى، تعرف بالغلبزورين، نسبة إلى موضع إقامتهم وهو "أغيل أبزور" بنفس القبيلة.

وقد تفرعت هذه الأسرة وانتشرت في هذه النواحي خاصة بالحسيمة، وبرز فيها رجال عرفوا بالعلم والصلاح، منهم خريجون وذوو مناصب أحياء، ومنهم أيضا محمد بن محمد عمر القاضي. أحد أخوال محمد بن عبد الكريم الخطابي ومرافقه في الكفاح، وسجل ذكرياته عن الحرب التحريرية الريفية في كتاب سماه، *أسد الريف : محمد عبد الكريم الخطابي*...

كان الشيخ إسحاق الأعرج، ذا أخلاق عالية، خاليا من النفاق، ارتحل عن الريف، بعد أن ترك به نسلا كثيرا، وأقام بفاس أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني، وتولى الإمامة بجامع الشطة الكائن بالقرب من المدرسة البوعنانية.

وقد أخذ عن الشيخ أبي محمد صالح الهسكوري، صاحب الشرح على *الرسالة*، المتوفى سنة 653 / 56 . 1255 وهو غير المدفون بأسفي. وكان متضلعا في تدريس *المدونة* حيث وضع عليها *الطرر*. وتولى تدريس *تهذيب البرادعي* في كل من جامع بادس الكبير ومساجد فاس. وممّن تخرج على يديه الشيخ أبو يعقوب البادسي الشهير والشيخ أبو الحسن الزرويلي وجماعة.

ومن مناقبه، ما وقع له من منازعة في مسألة فقهية مع فقهاء فاس، فلما كان الصواب فيها إلى جانبه، تجمعوا ضده، وأوعزوا إلى السلطان يعقوب المريني بأن طلبة البربر - بمن فيهم المترجم له - يعتزمون الخروج عليه، فأمر بإخراجهم، وتولى صاحب الشرطة المدعو أبا العطور تنفيذ الأمر. وحدث أن أصيب هذا بحكة في جنبيه إلى أن مات. ويبدو أن السلطان تبين له بعد ذلك بأنها مؤامرة دبرت ضدهم، فعدل عن قراره وأمر بإرجاعهم، وصار يعظم الشيخ إسحاق ويعترف بفضله ويسعى للقائه وهذا لا يستجيب له.

ويحكى أيضا أن هذا الأمير قدم على الشيخ إسحاق بعد صلاة الجمعة بجامع القرويين فعانقه ثم جلس معه يسأله عن بعض المسائل، فرفض الإنصات له قائلا له بأن لا فائدة في السؤال لأنه لن يعمل بالجواب، ولم يعدل عن إعراضه بالرغم إلحاح السلطان واكتفى بالدعاء له ثم انصرف.

ويروى أيضا عن بركة دعائه ما كان من أمر الشيخ أبي إسماعيل بن أحمد عندما أسر القراصنة عياله بمرسى ياليش (مدينة خربها الإسبان أواخر القرن الثامن الهجري، كانت تبعد عن تطوان بحوالي 70 كلم شرقا)، فقصد السلطان للحصول منه على مال يفتدي به عياله، فزار إسحاق وحكي له مصابه، فأعطاه كل ما كان يملك وهو نصف دينار. وعندما عاد لزيارته في اليوم الموالي، زاده ستة وعشرين ديناراً ذهبياً، مخبراً إياه بأنها من بعض المحبين، فدعا له بقضاء الله لحاجته وانصرف قاصداً السلطان، فدفع له هذا ألف دينار، ثم توجه بعد ذلك إلى كدية غساسة (قلعة غساسة الواقعة بقلعية، غرب مليلية، خربها سكانها حتى لا يحتلها الإسبان) ويسر الله له خلاص عياله من الأسر، ورأى الشيخ أبو إسماعيل أن ذلك ببركة الشيخ إسحاق وحسن مشاركته.

وقد توفي إسحاق الأعرج بفاس سنة 683 / 1284، ودفن بباب الگيسة قبالة الباب.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 110 ـ 112 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية*، 226 ـ 231 ؛ القاضي محمد بن محمد عمر، *أسد الريف محمد عبد الكريم الخطابي*، تطوان 1979، 1 ـ 8 ؛ ابن الريف البخلاخي، *الظل الريف بتلخيص المقصد الشريف، والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف*، طنجة 1987، 33 ـ 34.

مصطفى أربيب

ابن **الأعرج** ← **السليماني** محمد بن عبد القادر

**الأعرج** ← **علي** بن إسماعيل العلوي

**الأعرج، محمد** بن علال. ولد سنة 1930 بمراكش وكان نشيطا في المنظمة السرية التي يعمل بها، ويتلخص عمله في التحريض على المظاهرات، وقطع الأسلاك الهاتفية وإحراق متاجر الدخان والخمور وتعبئة جمهور

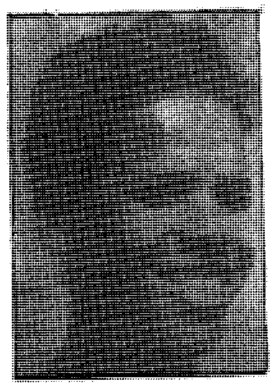

**محمد بن علال الاعرج**

المؤمنين وسط المساجد يوم الجمعة. وآخر عمل قام به إلقاء قنبلة على منزل الجنرال بساحة الكتبية، وهناك رماه أحد الجنود السنغاليين الحارسين لمنزل الجنرال بالرصاص فأصابه لحينه، وذلك خلال سنة 1955.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**الأعرج** ← ابن **مطر** إسحاق بن يحيى الورياغلي

**أعَرّاص**، (أولاد ـ) أو إعرَاصْن، أسرة ريفية من بقُّويَة بناحية بادس، ورد انتماؤها إلى صنهاجة، وأشير إلى أنها هاجرت من الأندلس واستقرت جنوب مدينة بادس بجوار منبع عرف باسم "تلا بادس" أي منبع رافد واد كركر الحالي، الذي تجري مياهه نحو ساحل بادس. وتعرف الأسرة أيضا بأولاد البادسي، ويذكر أن لها سلفا في الصلاح، ولذلك كانوا يسمون باللهجة البربرية الريفية "إصرَّامَنْ" و"إقرَّامَنْ" ومعناه : العلماء. وما يزال مدشرهم محتفظا باسم الأسرة بنفس المكان من قبيلة بني بوفراح.

نجد أصداء هذه الأسرة في المصادر المغربية والأجنبية، لما كان لها من دور بارز في المغرب السعدي وبداية العهد العلوي، بنى لهم عبد الغالب القصبة المعروفة باسمهم بتلا بادس (اسنادة حاليا)، إثر استيلاء الإسبان على الصخرة سنة 972 / 1564، فكان منهم قواد الريفين الشرقي والأوسط، وتمكن منهم أحمد أعرَاص آتي الترجمة من تأسيس إمارة استمرت من 1046 / 1636 إلى 1076 / 1665. وما تزال آثار نفوذ أسرة أعراصن ممثلة على الخريطة بمداشر تحمل اسم الأسرة ودالة على ما كان بيد أفرادها من الأملاك، خاصة بقبيلة قلعيّة.

*وثيقة نسب قبيلة قلعية*، 164 ـ 168، مخطوط خ. ع. ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية الدرعية*، 92 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، 19، مخطوط خ. ع. ؛ ابن سودة، *إزالة الالتباس*، 68، مخطوط خاص ؛ ح. الفكيگي، *قلعية ومشكل الوجود الإسباني بمليلة*، 1 : 135 ؛ *خريطة مليلة*، مقياس 250.000 / 1 (1936) ؛ *خريطة بني بوفراح*، مقياس 100.000 / 1 (1973) ؛ *خريطة منطقة الحماية الإسبانية بالمغرب 1934*، تطوان مقياس 500.000.

**أعَرّاص، أحمد** يصعب الآن التعرف على الرابطة الأسروية الموجودة بينه وبين غيره من أولاد أعراص. وقد استفاد من الأوضاع التي آلت إليها مملكة فاس، خاصة بعد وفاة عبد الله بن الشيخ المامون (1033 / 1623)، مما دفعه إلى إعلان استبداده بمنطقته، متأثرا بالحركات التي كانت تسعى إلى نفس الغاية بالأطلس المتوسط وبسلا ومراكش نفسها وسوس. هذا ما أظهره سنة 1046 / 1636.

وآنذاك بدا أن نفوذه امتدَّ على الريف الأوسط وعلى القسم الغربي من بطوية الريف الشرقي، مما يجاور حوض النكور. واحتفظ بهذا النفوذ إلى حين ظهور المولى الرشيد، وذلك بعد أن وجد هذا الأخير في الشيخ عمر بن محمد الحمامي البطوئي، شيخ قبيلة تمسمان، خليفا له ومناوئا لأعراص.

زحف المولى الرشيد نحو بني توزين فاستولى على قصبة تفرسيت وهدمها سنة 1074 / 1663. ثم عاود حربه فاستولى على مدينة المزمة عاصمة إمارة أعراص وهدمها وقبض على ولده عبد العزيز (عزوز)، بينما فر هو إلى قصبة "تلا بادس"، وهي قصبة أولاد أعراص التي سمح لهم عبد الله الغالب ببنائها إثر احتلال الإسبان لصخرة بادس وتخريب المدينة. (القصبة المعروفة حاليا باسنادة). مما دفع أعراص إلى طلب الصلح، لقاء إصهار المولى رشيد إليه في ابنته "طامة" وتسريح ابنه عبد العزيز. غير أن أحمد أعراص لم يتوان عن إظهار خلافه بمجرد وصول المولى مَحمد إليه، والزحف نحوه لمحاصرة حلفاء المولى الرشيد من أولاد حمامة التمسمانيين. وحينما قتل المولى مَحمد سنة 1057 / 1664، توجه المولى الرشيد نحو قصبة أولاد أعراص بتلابادس (اسنادة)، وتمكن من هدمها، التجأ أحمد أعراص إلى صخرة بادس تحت حماية الإسبان، بينما فر أتباعه إلى الرئيس غيلان. ولم يلبث أحمد أعراص أن نزل عند رغبة ابنه عبد العزيز لقبول الصلح ثانية، وهو ما تم سنة 1076 / 1665.

الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، مخطوط ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، 2 : 106 ؛ *نشر المثاني*، 2 : 363.

R. Frejus, *Relation d'un voyage dans Mauritanie*, S. I. H. M., 2e Série - France 1/124-128 ; S.I.H.M. 2e Série, 1/80 - 18/87 ; G. Mouette, *Histoire de Mulay Erchid*, 23-24, 27-28.

**أعراص، عبد الله** - في العهد السعدي - كان قائدا للجيش بمدينة فاس، كما كان شديد الخدمة لأبي المحاسن الفاسي، إلى درجة أنه وضعه في منزلة القرابة إذ أنه كان كثير التردد عليه للإقامة. قضى مدة في السجن بأمر من أحمد المنصور، وقد واتته فرصة الخروج منه بتدخل من أبي المحاسن على ما يظهر، حينما أعد أحمد المنصور جيشه لمواجهة ثورة ابن أخيه الناصر بن عبد الله الغالب في رمضان 1003 هـ . وبعد وفاة أحمد المنصور وبداية النزاع بين زيدان ومحمد الشيخ المامون انحاز عبد الله أعراص إلى هذا الأخير، فكان من جملة قواده، عينه على مراكش بعد إجلاء زيدان عنها وفراره إلى تلمسان (1012 هـ ) غير أن أهل المدينة ثاروا على عبد الله أعراص بمجرد عودة زيدان سنة 1015 هـ . وتمكنوا من قتله.

ع. الفاسي، *ابتهاج الغلوب*، مخطوط ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ ابن عجيبة، *أرباب المذاهب*، مخطوط.

حسن الفكيكي

**أعْراصْ، عبد الله** - في العهد العلوي - ينتمي إلى الأسرة القيادية الشهيرة بمنطقة الريف. وتتشابه أخباره بأخبار أحمد أعراص سابق الترجمة. إذ يذكر عنه أنه ظهر بهذه المنطقة على مقربة من قلعة بادس خلال مرحلة التمزق السياسي التي عرفها المغرب خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، واستطاع أن يمد سلطته لتشمل القبائل الريفية الموجودة بحوضي النكور وغيس، وأن يقيم شبه إمارة مستقلة حسب ما ذهبت إليه المصادر الأوربية المعاصرة.

ونظراً للاهتمام الذي أولاه مؤسسو الدولة العلوية للمناطق الشمالية من البلاد لتوطيد سلطتهم وفتح قنوات الاتصال بالأوربيين، فإن القائد أعراص أصبح يحتل دوراً هاماً ضمن المشروع السياسي للدولة العلوية الناشئة. وإذا كان أعراص قد ساند المولى محمد بن الشريف فإنه تردد في مبايعة أخيه المولى الرشيد بعد أن وصل هذا إلى الحكم في سنة 1664، وربما كان هذا القائد يتوق إلى الاحتفاظ باستقلاله والاستفادة من ربط علاقات تجارية مع الأوربيين. وفعلا فإنه منح في سنة 1666 امتيازات هامة للتجار الأنجليز وسمح لهم بإقامة منشآت تجارية بخليج الحسيمة.

وعند بداية تلك السنة، وحتى قبل أن يستولي العلويون على مدينة فاس، قرر المولى الرشيد أن يُخضع منطقة الريف، وهو ما تحقق له بعد أن هزم أعراص وألقى عليه القبض. وحتى يضمن ولاءه فإنه تزوج من إحدى بنات القائد ونقله إلى مدينة فاس ليقيم بها مع عائلته. هذه الرواية التي توردها الوثائق الفرنسية تقابلها رواية مختلفة لصاحب *الاستقصا*. فالناصري يذكر أن المولى الرشيد بعد أن قبض على أعراص سرحه واستبقاه على قبائل الريف. ويشير الناصري كذلك إلى أن السلطان المذكور استعمله لإتمام عملية إخضاع البلاد فأرسله في سنة 1671 على رأس حملة عسكرية إلى ناحية سوس. أما علاقته بالمولى إسماعيل (1672 - 1727) فلا نعلم عنها إلا القليل، وما تذكره المصادر الفرنسية بهذا الشأن هو أنه حدث ما جعل هذا السلطان يتشكك في ولاء القائد أعراص، الشيء الذي دفعه إلى قتله وقتل عائلته بفاس في سنة 1675.

أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء 7.

H. De Castries, *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc*, Série France - Dynastie Filalienne, 1922 - 1931.

محمد المنصور

**أعراص، علي** أول من ظهر من أولاد أعراص على المسرح السياسي إلى جانب الوطاسيين أولا. في 25 فبراير 1549 / 956 كان قائد قبيلة قلعية ورئيس المجاهدين. غير أننا نجده في مارس الموالي يتحول إلى جانب السعديين ويبادر إلى لقاء محمد الشيخ السعدي الذي كان قد وصل إلى أكرسيف، حيث تلقى التعليمات الخاصة لمضاعفة الحراسة على حدود مليلة. وكان هذا سببا للتضييق على المدينة المحتلة خاصة في فترة التجاء أبي حسون إليها (17 أبريل 1549) وعمر بن يحيى المريني، حاكم دَبْدُو (12 غشت 1550 م).

استمر علي أعراص قائدا على قلعية إلى بداية غشت 1551 حينما وصل الأمر السعدي بالانتقال إلى بادس، لمواجهة الصعوبات التي خلقها هناك القائد الزرهوني المعتصم بحجرة بادس. وقد نجح علي أعراص في استنزاله في أكتوبر 1553. وحينما تمكن أبو حسون الوطاسي في السنة الموالية من السيطرة على الحجرة بمساعدة الأتراك تلقى علي أعراص دعوة من بني شكر القلعية لتمكنه من القيادة، ولذلك بادر إلى الإبحار إلى غساسة بسفنه سنة 1554 م. حيث بقي إلى أن نقل لبادس مرة أخرى في نوفمبر 1558. ومنذ ذلك الحين لا نعرف عنه شيئا.

*مجموعة الأرشيف العام بسمنكاس* A.G.S. رسائل موجهة من مليلية في ملفات : 475 و 476 و 477 و 479 مؤرخة بما بين 25 فبراير 1549 و 16 نونبر 1552 ؛ حسن الفكيكي، *قلعية، مشكل الوجود الإسباني بمليلية*، 1 : 187 - 194.

**أعراص، يحيى** من بين أولاد أعراص الذين قربهم إليه المولى الرشيد، بعد طاعة القائد أحمد أعراص سنة 1076 / 1665، حينما أمره السلطان بالإشراف على بناء قصبة حجرة النكور، طبقـا للرسـم الذي قبض بيد التاجر الفرنسـي "رولان فريجـو" (Roland Frejus) سنـة 1077 / 1666 الذي تظاهر بالبحث عن ربط العلاقات بين لويس الرابع عشر ومولاي الرشيد.

أشرف القائد يحيى أعراص على البناء بمساعدة شيخ بطوية عمر بن محمد الحمامي التمسماني، إلى أن اكتملت الحجرة بالبناء، فشحنت بالأقوات والزاد، وعمرت برجال

الحراسة إلى أن سقطت القلعة بيد الإسبان في بداية حكم المولى إسماعيل.

شغل يحيى أعراص منصب قائد مراكش حين أن استردها المولى إسماعيل من يد ابن أخيه أحمد بن محرز سنة 1083 / 1672، وحينما استرجعها هذا الأخير فرّ منها يحيى أعراص والتجأ إلى زاوية "أبي يعزى"، ومكث هناك إلى أن ضاق به الحال فسار إلى أزمور واعتصم بضريح أبي شعيب إلى أن لحق بأحمد بن محرز الداخل إلى مراكش، خائفا على نفسه من عقاب المولى إسماعيل الذي كان في طريقه إلى مراكش. ومنذ ذلك اختفى عنا أمره بعد أن تمكن المولى إسماعيل من فتح المدينة سنة 1088 / 1677 على إثر انسحاب ابن أخيه الثائر منها.

الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي، زهر الأكم، مخطوط.

حسن الفكيكي

**الأعرش**، الميلودي بن الجيلالي. ولد سنة 1934 بدوار الابْراهمة مشيخة الخوازم ناحية وادي زم، إقليم خريبكة. شارك في الثورة الشعبية التي اندلعت بمدينة وادي زم ونواحيها يوم 20 غشت 1955. وخلال قيامه بأعمال فدائية ضد بعض المستعمرين واجهه رجال الدرك الفرنسي بالنار ففارق الحياة وهو مازال شابا أعزب في نفس اليوم.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**أعروي، قرية** تقع بقبيلة بني بويحيي بناحية الكَرت (إقليم الناظور) وكان المكان الذي بنيت فيه يعرف بكدية القنفذ، ثم أطلق عليها اسم أعروي (هناك من يكتبه : العروي، خطأ). وأما الإسبانيون فقد سموها بمونطي عروي Monte Arruit (جبل أعروي) وكان احتلالهم لها للمرة الأولى يوم 18 يناير 1912 وفي يوم 24 يوليوز 1921 لجأت إليها فلول الجيش الإسباني الفارة من أنوال برآسة الجنرال نابارُو Navarro غير أنها أصبحت محاصرة من طرف المجاهدين الذين أرغموها على الاستسلام يوم 9 غشت حيث استرجع المغاربة القرية المذكورة، فلم يحتفظوا بها إلا أسابيع قليلة، وذلك لأن الجيش الإسباني تمكن من احتلالها مرة ثانية يوم 24 أكتوبر 1921 م وظلت بأيديهم إلى أن استقل المغرب سنة 1956 م.

Goded (général), Marruecos, *Etapas de Pacification*, 73, 1932, Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa* (G). 73, 1930 ; Domenech Lafuente (Angel), *Geographia de la zona norte del protectorado de Espana en Marruecos*, 64, 1942 ; Cabello Alcaraz (J), *Apuntes de geografia de Marruecos*, 185, 1951.

محمد ابن عزوز حكيم

**أعروي، معركة** جرت بالقرية التي كانت تعرف بكدية القنفذ، وتعرف اليوم بأعروي بقبيلة بني بويحيي (إقليم الناظور)، وذلك على إثر لجوء بقايا الجيش الإسباني المنهزم بمعركة إغريبن (المعروفة بمعركة أنوال)، وفيما يلي تفاصيل معركة أعروي :

في يوم 21 يوليوز 1921 انهزمت القوات الإسبانية الغازية بمعركة إغريبن وأخلت معسكر أنوال عندما انتحر قائدها الجنرال سيلفيسطري Silvestre، وما أن علم خليفته الجنرال نابارو Navarro الذي كان يوجد بمليلية بوقوع الكارثة حتى توجه إلى أرض المعركة ليطلع على الحالة بعين المكان، غير أنه لم يتمكن من اجتياز مركز دار الدريوش حيث وجد بقايا الجيش الهارب من المراكز الأمامية. وعندما تأكد من وفاة رئيسه أخذ نابارو زمام الأمر وبدأ يفكر في إنقاذ الموقف الحرج الذي أصبح يوجد عليه الجيش، إلا أنه بالرغم من الأوامر التي أصدرها إليه المقيم العام بتطوان الجنرال بيرينگير Berenguer فإنه لم يستطع البقاء بمركز دار الدريوش حيث أصبح محاصراً من طرف المجاهدين، وهذا ما جعله يغادر المركز المذكور ويتوجه يوم 23 يوليوز إلى مركز باطيل على رأس بقايا القوات المكونة من 2566 رجلا.

وما إن وصل نابارو إلى باطيل حتى وجد نفسه محاصرا هناك من طرف المجاهدين، الأمر الذي جعله يغادر المركز المذكور ويلتجئ إلى مركز تيزطوطين يوم 27 يوليوز ثم إلى مركز أعروي بعد يومين.

وفي نفس اليوم الذي وصل فيه نابارو إلى أعروي وجد نفسه محاصرا من طرف المجاهدين وكانت حامية المركز تتكون آنذاك من طرف 2907 جندي و 110 ضابط بالإضافة إلى عدد كبير من الجرحى والمرضى.

واستمر حصار المغاربة للمركز المذكور مدة أحد عشر يوما تعرض خلالها المركز إلى قصف المدافع الإسبانية التي غنمها المجاهدون، وهذا ما جعل عدد القتلى والجرحى يرتفع يوما بعد يوم، وكان من بين القتلى الكولونيل بريمو دي ريفيرا Primo de Rivera المتوفى يوم 30 يوليوز.

وفي يوم 6 غشت وجه المجاهدون إلى الجنرال نابارو رسالة يطلبون منه فيها الاستسلام، وفي نفس اليوم عقد بمليلية برئاسة المقيم العام الجنرال بيرينگير مجلسا حربيا لدراسة الحالة الراهنة بأعروي واتفق الجميع على أنه من المستحيل مد يد المساعدة للجيش المحاصر، وعندئذ قبل الجنرال نابارو الدخول في مفاوضات مع المجاهدين ولكن دون جدوى لأنه لم يقبل الاستسلام بدون شرط.

وأخبر نابارو المقيم العام بذلك فكان جواب الجنرال بيرينگير يوم 8 غشت بأنه يتعين عليه أن يتفاوض مع المغاربة على أساس تسليم السلاح.

وكلف نابارو الكومندار ڤيار Villar بالتفاوض مع المجاهدين، وفي اليوم التالي حضر إلى المركز وفد مغربي يتكون من عدة قواد وعلى رأسهم الفقيه بولحية والفقيه محمد بن علي الغماري والقائد بن شلال القلعي والقائد بورحايل والقائد عبد الله العبادي والشريف سيدي الحسن أگزناي.

وقع الاتفاق على : تسليم السلاح والذخيرة الحربية، وحراسة القافلة الإسبانية إلى أن تصل إلى مليلية واحتفاظ الضباط بمسدساتهم.

وعلى هذا الأساس خرجت الفرقة الأولى من المركز بعد

تسليم سلاحها يوم 9 غشت وكان أغلبها من الجرحى والمرضى، غير أنه ما أن غادر الجنرال نابارو المركز مع القافلة الأولى حتى تمرد بعض الضباط الذين لم يشاطروه رأيه في تسليم المركز وحرضوا الجنود على عدم تسليم سلاحهم والفتك بالوفد المغربي الذي كان يستلم السلاح داخل المركز.

واضطر المغاربة للدفاع عن أنفسهم فوقع قتال بينهم وبين المتمردين الإسبان، الشيء الذي جعل المغاربة الموجودين خارج المركز يقتحمونه ويفتكون بمن كان به من الجنود والضباط الإسبان، وكانت النتيجة أنه لم ينج من المذبحة سوى 165 جنديا و 15 ضابطا استسلموا في أول وهلة بحيث لم يقوموا بأي مقاومة.

وهكذا أسفرت معركة أعروي عن مقتل 2742 جنديا و 95 ضابطا، أي ما مجموعه 2837 رجلا، وأسر 165 جنديا و 15 ضابطا أي ما مجموعه 180 أسيرا، والمجموع بين القتلى والأسرى 3017 رجلا وهو عدد الرجال الذين كانوا بالمركز في اليوم الأول من المعركة : 2907 من الجنود و 110 من الضباط. وكان من بين الضباط الأسرى جنرال واحد هو الجنرال نابارو وكولونيل واحد وكومندران و4 قباطن و7 ملازمين.

ولا صحة لما تقول بعض المصادر الإسبانية من أن المغاربة هم الذين خانوا العهد وفتكوا بالجنود الإسبان بعد أن سلموا أسلحتهم حسب ما نبينه في دراسة وثائقية توجد تحت الطبع بعنوان "معركة أعروي".

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*، الرباط، 1983 ؛ *معركة أعروي*.

J. M. Arauz de Robles, *Por el camino de Anual*, s.d. Basallo (Francisco), *Memorias del cautiverio*, s. d. ; Berenguer (General), *Campanas del Rif Yebala*, Madrid, 1923 ; *Memorias de la Campanas del Rif Yebala*, 1944 ; Garcia Figueras (Tomas), *Marruecos*, Madrid, 1944 ; Hernandez Mir (F), *Del desastre al fracaso*, Madrid, 1922.

محمد ابن عزوز حكيم

**إعَزّى ويهْدَى**، أو إعَزّى أوهْدَى، قطب أسا الأكبر، ولد في دار الأمير يعقوب المنصور المريني بمراكش بتاريخ 646 هـ / أبريل 1248 م. وكان مستقره بزاوية أسا حيث دفن في 1 ربيع النبوي 727 / 7 مارس 1326. وتعتبر *مدونة أسا والكراستان* اللتان نشرهما محمد المختار السوسي المصادر الوحيدة الموجودة حاليا حول ترجمته. ويعود الفضل في ترجمة شذرات من *المدونة* إلى اللغة الفرنسية لفانسان منصور مونتاي. لقد كان إعَزّى ويهْدَى حسب ما ورد على لسانه في الكراسة الأولى يعتبر أباه ميتا منذ اليوم السابع لولادته. ويضيف بأن هذا الوالد قد أوصى بثلث تركته للمؤذنين، واعتبر أمه وصية على ابنه مخافة غضبها. والملاحظة التي نخص بها هذه البداية هو الاهتمام الذي أولاه النص لقواعد ومظاهر القرابة والزواج. فدور أم الأب يدل منذ البداية على عدم رسوخ أولوية القرابة الأبوية. هذا ما ترتكز عليه بصفة أساسية صعوبة دلالة العلاقات المكانية جماعة أم الأب وجماعة أم الأم. فيوضع بذلك إعَزّى ويهْدَى من خلال ما ورد على لسانه في موقع يعترف بأولوية القرابة الأمومية. إن الشكل الذي ورد به نظام التسمية يعتبر أم الأم وحدها جدة حقيقة. فهي تتمسك بحقها في تسمية الوليد وتربيته مما عزّز موقعها لدى الراوي. ويمكن أن نلاحظ انطلاقا من هذا الرسم أن شهادته المسندة إليه كتابة تعتبر في حد ذاتها أداة عملية لتحديد مفهوم الحقوق والواجبات العائلية. ينطلق بعد ذلك إلى سرد كراماته طفلا وشيخا. فيتدخل أحد الرواة المجهولين ليضيف بأن أشهر رواته هم أبو يعقوب يوسف بن عمر بن يسار الأزرق المصري وأبو الأزهري عبد الرحمان بن عبد الصمد ابن عبد الرحمان البغدادي وأبو بكر بن عبد الرحمان الأصبهاني الأعرابي (*المعسول* : x : 171).

وتفيد الكراسة الثانية أن صاحبها محمد بن سعيد المرغيثي قد رأى كتابا منسوبا إلى إعَزّى ويهْدَى وآخر عن كراماته (*المعسول* : 173 ـ 4). على أن أهمية الكراسة تكمن في سردها الأسس العملية التي ارتكزت عليها سمعة الشيخ الرمزية. فقد أنشأ مدرسة عسكرية يعلم فيها إلى جانب الفروسية مجمل الفنون الحربية بما فيها استعمال الأسلحة المتطورة. بل إن من أسباب شهرته معرفته للكيمياء التي كان يستعملها في الأغراض الحربية. وهذا أمر لا يعني أنه مكتشف البارود بقدر ما يفيد توفره على أكثر الوسائل نجاعة للتسيد على المنطقة. وهو ما تؤكده الوثيقة عندما تشير إلى اتجاه مساعيه نحو الجهاد ضد من يعتبرهم كفارا. وفي هذا الإطار تنجلي ممارساته وأبنائه وأتباعه في مراقبة السواقي والعيون. ولا نشك في أن هذا التملك كان رهينا بحجم وأهمية الأراضي المسقية. لذلك تتضح لائحة أسماء الشيخ وتباعه كأداة تقاس من خلالها أهمية الأراضي المراقبة وحجمها (*المعسول* : x : 175 ـ 176). فحيثما كانت تقام عادة الأبراج بين المداشر المتصارعة يمكن أن نستخلص الجانب العسكري القاضي بمراقبة المواقع الاستراتيجية فوق أراضي سوس والأطلس الصغير وباني حتى الساقية الحمراء. إن هذا الجانب الذي لا يخلو من انعكاسات على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للقبائل يعزز كما نرى من سلطات إعَزّى ويهْدَى. بل ويجعل من الصعب الفصل داخل القبائل المحلية بين التنظيم الاقتصادي والتنظيم السوسيوسياسي. هنا نتساءل عن موقف إعَزّى ويهْدَى وأتباعه من الهجرة المعقلية. فنكتشف أنه لا يمكن فصل الأولوية التي أعطيت للنشاط العسكري عن الصراعات التي واجهت الأعراب لدى مقدمهم. ولا شك أن لحمل السلاح دوره الفعلي في تقييم التقاليد الشفوية حول أيت إعَزّى ويهْدَى حتى القرن السادس عشر. هذا الاعتبار يعد مظهراً للتربية الدينية التي مارستها مدرسة أيت إعَزّى ويهْدَى على جميع المستويات. لذا فإن من الواجب الاحتفاظ لعلاقة إعَزّى ويهْدَى بأتباعه بمكانتها الخاصة ونمط سلوكها.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 10 : 166 ـ 211.

V. Monteil, *"Chronique de la zaouia d'assa,* in Mélanges Mohammed El Fassi, publiés à l'occasion du dixième anniversaire de l'université Mohammed V, 1957-1967, Rabat, 81-90.

مصطفى ناعمي

**إعزّاتّن**، جماعة قروية ببني جافر من قبيلة قلعية واقعة بهضيبة الانفاص المشرفة على واد غساسة، وعلى مدينة غساسة (القلة) المرينية المعروفة، ينتمي السكان إلى بني وعزان الزناتيين العبد الواديين، المستقرين في منتصف القرن الثامن الهجري حول تلمسان. وقد هاجرت أسرة وعزانية إلى قلعية بعد حصار أبي الحسن المريني للمدينة واستقرت بالمكان المعروف لها الآن. وسوق الجماعة هو يوم الثلاثاء وهو سوق بني بوجافر كلها.

يعتمد السكان على الصيد البحري لفقر الأراضي وندرة المياه.

*تقاييد نسب قبيلة قلعية* ؛ مخطوط لمجهول، رقمه في خ. ع : 1275 ك ؛ *خريطة الناظور*، مقياس 50.000، إنجاز 1967 خ. ع بالرباط ؛ *استطلاع شخصي في عين المكان* سنتي 1976 و 1978.

حسن الفيگيگي

**الأعْشَاش**، جماعة ضمن قبيلة المهاية (إقليم وجدة)، تستوطن بسيط أنگاد جنوب غرب مدينة وجدة، ولا يمكن فصل تاريخ الأعشاش عن قبيلة المهاية، وهم من أصل عربي، ينتسب بعضهم إلى أولاد الحاج الذين كانوا ينتجعون في هضاب ملوية العليا، وبعضهم يتصل نسبهم بقبيلة بني عامر بناحية سيدي بلعبّاس (الجزائر) والبعض الآخر يردّ أصلهم إلى أهل تافيلالت. وقد اعتبر المخزن المغربي الأعشاش في القرن التاسع عشر ربعاً من أرباع قبيلة المهاية، وكانوا آنذاك يتكونون من سبعة أفخاذ وهي: الخراريب، والحرميون، والمدافعية، وأولاد ابراز، واللواحك، والمهارير، والزوايد. لا يختلف هذا التقسيم عن التقسيم الذي أوردته المصادر الفرنسية في نهاية القرن الماضي، غير أن أول إحصاء في القرن العشرين (1926) سجل تقلص أفخاذ الأعشاش إلى ثلاثة.

كان الأعشاش ضمن قبيلة المهاية ينتجعون منطقة ممتدة من أنگاد إلى الظهرا، لكن التوسع الفرنسي واحتلال عين بني مطهر سنة 1904 أجبرهم على الاستقرار ببسيط أنگاد ضمن مهاية الشمال.

*تقييد ايالة وجدة ونواحيها وبعض القبائل المجاورة لفاس سنة 1309 هـ*، *كناش في خ. ح.* رقم 192.

De la Martinière et N. Lacroix, *Documents...*, t. 1 pp 179 - 184 ; Voinot, *Oujda et l'Amalat*, 183 - 184 ; *Résultats statistiques du recensement de la population...*, 1926, 277 ; *Liste des confédération, des Tribus..*, 1935

برحاب عكاشة

**الأعشاش**، قبيلة كبيرة بالشاوية، لعبت دوراً مهماً ضمن اتحادية الشاوية خلال القرن الماضي وبداية القرن الحالي، وكانت إلى أواخر القرن التاسع عشر، تعتبر فرقة من فرق قبيلة مزّاب الكبرى، التي كانت تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي : أمْلال، وأولاد مْراح، والأعشاش. ونظراً لشدة مراس الأعشاش الذين تقع أراضيهم في شمال شرقي الشاوية، وهي أراض تتميز بوعورة التضاريس وانتشار الغابات، فسرعان ما ظهروا في أواخر القرن الماضي وبداية القرن العشرين قبيلة قوية ما لبثت أن استقلت عن مزاب. يستفاد من الروايات المختلفة، أن أصول الأعشاش يغلب عليها الأصل العربي. فمعظمهم ينتمي لعرب بني سليم بن منصور، الذين كانت مواطنهم الأصلية بالجزيرة العربية، وهاجروا لنواحي برقة، ومن هناك دخلوا المغرب مع عرب بني هلال، الذين أنزلهم يعقوب المنصور الموحدي حوالي 1194 م بمنطقة تامسنا. ثم إن يعقوب بن عبد الحق المريني، أنزل أقواماً آخرين منهم خلال القرن الثالث عشر الميلادي بالمنطقة نفسها. والغالب على الظن، أن أصل الأعشاش ـ مثلهم في ذلك مثل معظم قبائل الشاوية ـ يرجع لأصول عربية بقدر ما يرجع لعناصر بربرية محلية من برغواطة وعناصر زناتية من القبائل التي أنزلها المرينيون بالمنطقة.

الظاهر هو أن التسمية، وقد تعني الخيام الصغيرة، تعود لقرون ماضية، لا نعرف خلالها شيئاً عن أحوال هذه القبيلة. فقد ورد اسم الأعشاش عند المؤرخ الضعيف الرباطي، عندما كان يتحدث عن قتال عمال المولى سليمان لقبائل مزاب سنة 1798 م. إذ حدد اسم الأعشاش، كما هو اليوم، في معرض كلامه عن انهزام مزاب وطلبهم العفو من السلطان مولاي سليمان حيث قال :

"وفي 20 صفر 1213 هـ أهدت قبيلة مزاب وهم الأعشاش، والأعشاش فيهم : الخزازرة وابن يمان (بني يمان) وأولاد محمد".

إن الضعيف يشير هنا إلى واقع اندماج الأعشاش ضمن مزاب، ذلك الاندماج الذي بدأ يختفي شيئاً فشيئاً.

الأعشاش خلال القرن XIX : يبدو أن موقع بلاد الأعشاش في الحدود مع قبائل زعير في الشمال الشرقي، وورديغة في الجنوب الشرقي، زيادة على طبيعة بلادهم التي تتميز بوعورة التضاريس وانتشار الغابات، من العوامل التي ساهمت في نمو قوتهم سواء من الناحية العددية، أو من ناحية اكتساب الصلابة والشجاعة. وهكذا ظهرت أفخاذ كثيرة ما لبثت أن استقلت وأدت إلى توزيع فرق الأعشاش خلال القرن التاسع عشر. وقد طرأت عدة تغييرات على ذلك التوزيع نتيجة للأحداث التي جرت بالقبيلة. وقد كانوا مع امزاب وأولاده حريز والمذاكرة وأولاد علي يمثلون نصف الشاوية، في ديوان المخزن، وكان يطلق على هذا النصف اسم : أولاد بوعطية في مقابل النصف الآخر الذي يسمى أولاد بورزگ. وعندما وقع تكثيف الحضور المخزني في أوساط القبائل على عهد مولاي الحسن تمَّ تقسيم الأعشاش إلى خمس قيادات، ثم طرأ توزيع جديد على الأعشاش نتيجة للفتن التي جرت بينهم وبين مزاب من جهة وبينهم وبين ورديغة من جهة أخرى.

فتنة 1311 / 1894 : خلال حركة السلطان مولاي الحسن لتافيلالت حدثت فتن عديدة بين الأعشاش والمذاكرة من جهة، وامزاب خاصة إخوان القائد محمد بن أحمد المزابي من جهة أخرى، ذلك أن الأعشاش هاجموا دواوير إخوان القائد المذكور، ونهبوا لهم الزروع والمواشي، وقد اشتكى القائد المزابي للسلطان عند عودته لمراكش سنة 1311، فأرسل مولاي الحسن محلة برآسة ابنه مولاي بلغيث نزلت قرب الأعشاش ومزاب، واضطر قواد الفرق المتهمة من الأعشاش والمذاكرة إلى أن يدفعوا الذعائر التي فرضها عليهم السلطان كتعويض لأمزاب.

ويبدو أن الحزازات التي نتجت عن جل هذه القضية ساهمت في تجديد الفتن بين الأعشاش وايالة القائد محمد بن أحمد المزابي.

فتن 1313 ـ 1314 / 1896 ـ 1897 : تجددت الفتنة بين الأعشاش ومزاب سنة 1313، حيث هاجم الأعشاش قصبة ابن أحمد ونهبوها، فكانت هذه الحادثة مناسبة للوزير الصدر أحمد بن موسى ليقوم بحركة كبيرة لبلاد الشاوية، بهدف تأديب الأعشاش كما أدَّب قبائل الرحامنة، قبل ذلك بقليل.

وقد خيمت المحلة السلطانية وجيوش القبائل بصخرة الدجاجة، بين الأعشاش وورديغة، وكلفت قبائل الحوز بقيادة مولاي محمد الأمين، وقبائل الغرب بقيادة محمد الأمراني، بالتضييق الشديد على الأعشاش وخاصة على أولاد محمد منهم، كما استنفرت قبائل الجوار : ورديغة وزعير لحصار الأعشاش. وقد انتهت هذه الحركة بمصادرة أموال الأعشاش وماشيتهم وإلقاء القبض على العديد من رجالهم الذين سيقوا إلى سجون مراكش والصويرة. وتعرضت فرقة محمد للتنكيل الشديد، إذ كانوا هم الهدف حسبما يبدو من الوثائق المخزنية (رسائل عديدة من الصدر أحمد بن موسى لعمال الرباط ومكناس وفاس).

وعلى الرغم من هذا العقاب الشديد، أو نتيجة له، تجددت الاضطرابات بالأعشاش سنة 1902. وصادف الحال ـ هذه المرة ـ انتفاضة عمت الشاوية كلها ابتداء من 1903 إلى 1908. وقد اتخذت الانتفاضة بالأعشاش صفة صراع بينهم وبين ورديغة. لكن سرعان ما وجدت انتفاضة قبائل الشاوية عامة، وضمنها اضطرابات الأعشاش، سبيلها الطبيعي لـمَّا تَحَوَّلت إلى جهاد حقيقي ضد التدخل الأجنبي ابتداء من سنة 1906.

أثر الفتن على الأعشاش : الواقع أن الفتنة بين قبيلتين أو فرقتين وتعسفهم في الجباية كانت تنشأ أحيانا لأسباب بسيطة شخصية أو جنائية، بيد أنه في أواخر القرن التاسع عشر، أضيفت أسباب أخرى تتعلق بدور التدخل الأجنبي والاستغلال الرأسمالي للشاوية من طرف التجار الأروبيين، ومن طرف المحميين والمخالطين لأولئك التجار. والمؤكد أن سعايات التجار والمحميين، إذا لم تكن سببا رئيسيا للخلافات داخل القبائل، فإنها كانت تزيد في حدتها وتستغلها بشكل يسمح للتجار بالصيد في الماء العكر. يدل على ما ذهبنا إليه أن الرواية المحلية ترجع سبب بعض الفتن بين القبائل إلى دس التجار اليهود المحميين بين القبائل، إذ كانوا يطلقون أسماء تحقيرية أو مدحية على بضائعهم التي ينسبونها لهذه القبيلة أو تلك.

ومهما يكن الأمر، فإن الاضطرابات التي عرفها الأعشاش، كانت لها نتائج هامة على مصير القبيلة نفسها، إذ تعرضت للنهب والتنكيل تارة، ووزعت إدارتها إلى قيادات صغرى تارة أخرى.

ففي سنة 1315 / 7 ـ 1898، وزع أحمد بن موسى الأعشاش إلى سبع قيادات.

وفي بداية الاحتلال الفرنسي للشاوية، أي حوالي 1907 / 1908 كانت إدارة الأعشاش موزعة كالتالي :

1 ـ المعاريف، ايصوف مكارطو، بني يمان، القائد العربي بن الفكاك.

2 ـ الخلط أولاد شعيب، أولاد عبد الله، القائد عبد السلام بن العربي.

3 ـ أولاد حمامة، القائد محمد بن بوشعيب.

4 ـ الخزازرة، القائد صالح ولد بوعزة .

5 ـ أولاد عطو، القائد الشرقي بن الحاج.

6 ـ أولاد الزيرق، القائد إدريس ولد زريول.

7 ـ الأولاد، القائد إبراهيم بن الحاج.

8 ـ أولاد عريف، القائد الحاج أحمد ولد حجاج.

وهكذا تعرضت إدارة الأعشاش، باستمرار إلى التعديل والتوزيع بحيث أصبحت كل فخذة تابعة لقائد، مع ملاحظة أن المخزن كان يسند الإشراف على الجميع لقائد مزاب، القاطن بقصبة ابن أحمد، وآخر قائد كان يزاول هذه المهمة هو العربي ابن الشرقي المزابي الذي انحاز للفرنسيين مما جعل الأعشاش يهاجمون قصبته ويخربونها انتقاماً منه، لأنهم اتهموه بالخيانة والانضمام للعدو.

الأعشاش ومقاومة الاحتلال الفرنسي 1907 ـ 1909 : توحدت كلمة قبائل الشاوية، إثر تدخل الأسطول الفرنسي وقيامه بقنبلة الدار البيضاء في غشت 1907، وهكذا بادرت قبيلة الأعشاش كغيرها من القبائل إلى حمل السلاح لأجل الجهاد وطرد المحتلين من الدار البيضاء، وقد خيمت محلة الأعشاش ومزاب قرب قصبة مديونة، ومن هناك، كانوا يهاجمون الفرنسيين، حيث خاضوا عدة معارك حول الدار البيضاء.

وقد برز الأعشاش ومزاب في معركة دار بوعزة التي جرت في ضواحي الدار البيضاء يوم 28 غشت 1907 ففي تلك المعركة تمكن الفرسان المغاربة من إفشال خطة الضباط الفرنسيين وكبدوا قوات الجنرال درود Drude خسائر هامة، وقد تحدثت تقارير الضباط الفرنسيين عن مهارة زعماء الجهاد الذين قادوا تلك المعركة، وكان من أشهرهم محمد ولد بوعبيد، مقدم مزاب والأعشاش عامة، وقائدهم في جهاد الشاوية. ينتمي ولد بوعبيد لفرقة أولاد عطو

بالأعشاش، وقد ظل زعيما للجهاد إلى أن احتلت القوات الفرنسية بلاد الأعشاش فانتقل لفاس.

وتجدر الإشارة إلى أن الأعشاش، مثلوا أكثر قبائل الشاوية صلابة في مقاومة جيش الاحتلال الفرنسي، فبعد انضمام قائد مزاب العربي بن الشرقي للفرنسيين في 10 فبراير 1908، هاجم الأعشاش قصبته (قصبة ابن أحمد) وخربوها في 18 فبراير انتقاما من القائد الذي انضم للأعداء. وفي 10 مارس وقعت معركة شديدة استولى الفرنسيون إثرها على القصبة المخربة، وحاولوا مد نفوذ القائد العربي على كل مزاب والأعشاش، لكن المحاولة فشلت، ولم يتمكنوا من تأسيس مركز عسكري بها إلا في 29 أبريل. وعلى الرغم من المحاولات العديدة التي بذلها الفرنسيون بمساعدة العربي بن الشرقي الذي أعادوا له سلطاته الأولى، لإقناع فرق الأعشاش بوضع السلاح والخضوع للفرنسيين، فإن الأعشاش استمروا في مقاومتهم لجيش الاحتلال الفرنسي. وتركزت المقاومة عند أعشاش الغابة، وعلى رأسهم فرقة أولاد محمد، الذين استمروا في المقاومة إلى نهاية 1908، بل نجد مجموعات من المجاهدين ظلت تقاوم حتى سنة 1909. الأمر الذي أثار إعجاب المغاربة وأكسب الأعشاش الثناء والمجد. وقد قاد مقاومة الأعشاش زعماء اشتهروا على نطاق الشاوية جميعها من أمثال محمد ولد بوعبيد، ومحمد ولد المعطي ولد كابا الحمامي، والجيلالي ولد زريول. إن صمود الأعشاش وشدة مراسهم أمور دفعت المحتلين إلى إيلاء الأعشاش عناية خاصة من الناحية الإدارية.

وضعية الأعشاش الإدارية تحت الاحتلال : لمراقبة الأعشاش بفعالية، وُضعوا في بداية الاحتلال تحت إشراف القائد العربي بن الشرقي المزابي، لكن سرعان ما تبين رفض الأعشاش لتلك المراقبة، فعمل المحتلون على إضعاف قيادات الأعشاش شيئاً فشيئاً وتركيز إدارتهم في يد قائد واحد. وقد اختير قائد المعاريف وبني يمان، العربي بن الفكاك، ليلعب دور المشرف على إدارة فرق الأعشاش، بحيث أضيفت إليه قيادات أخرى بالتدريج، وأصبحت الوضعية الإدارية للأعشاش سنة 1918، تتميز بتقسيمهم إلى ثلاث قيادات هي :

أولا : قيادة العربي بن الفكاك، وتشمل معظم أعشاش السهل الذين يتكونون من حوالي 3376 خيمة. وتضم الفرق الآتية : المعاريف - إيصوف مكارطو - بني يمان - أولاد عريف - الأولاد - الخزازرة - أولاد شعيب - الخلط.

ثانيا : قيادة محمد بن بوشعيب، تضم حولي 1053 خيمة وتشمل الفرق الآتية : أولاد حمامة - أولا عبد الله - أولاد الزيرق.

ثالثا : قيادة الشرقي بن الحاج، وتضم حوالي 310 خيمة وتشمل أولاد عطو فقط.

وتكون القيادة الثانية والثالثة ما يسمى بأعشاش الغابة.


الضعيف، *تاريخ* ؛ *وثائق مخزنية مختلفة*.

*Ville et Tribus du Maroc, Casablanca et Chaouia*, 2 T ; E. Miège, *Notes sur les Mzab et les Achache*, in Archives Berbères, Vol 3, 1918.


علال الخديمي

**أعْطَار**، محمد بن حدو، أحد رجال الدولة المغربية الذين احتلوا مكانة متميزة في عهد المولى إسماعيل (1672 - 1727). وكل ما نعرفه عن هذه الشخصية أتانا عن طريق الوثائق الأوربية، بينما لا تشير إليه المصادر المغربية بالمرة.

يظهر من الوثائق الفرنسية والأنجليزية التي نشرت لحد الساعة أن محمد بن حدو أعطار (وهو غير أحمد بن حدو الحمامي أحد رجال الدولة الإسماعيلية كذلك) كان كاتبا بالبلاط الإسماعيلي حيث أسندت إليه مهمة تدبير الشؤون الخارجية. ومن التقاليد المخزنية التي تطورت في عهد الدولة العلوية أن يكون عامل الثغور الشمالية (تطوان أو طنجة) وسيطاً بين الدولة المغربية وممثلي القوى الأوربية، وهذا ما أدى إلى قيام منافسة وعلاقات متوترة بين أعطار وقائد تطوان (عمر بن حدو الحمامي ثم أخيه أحمد الذي تولى نفس المنصب بعد وفاة الأول في سنة 1681).

ينتمي محمد بن حدو أعطار، حسب ما ذكره هو نفسه في إحدى رسائله، إلى عائلة عريقة تمرست على الخدمة المخزنية لعدة أجيال. فجدُّه كان خادما ببلاط أحمد المنصور السعدي وابنه زيدان، بينما اشتغل والده مع الأمراء السعديين المتأخرين. ويظهر من نفس الرسالة التي كتبها أعطار إلى ملك أنجلترا في سنة 1681 أنه كانت لجده ووالده صلة بالأوربيين واطلاع على شؤونهم، بل إن والدته كانت من العلوج وإن كنا نجهل جنسيتها الأصلية بالضبط. ولا شك أن انتماء محمد بن حدو أعطار إلى وسط متفتح على الأوربيين خلق لديه استعداداً للاهتمام بالعلاقات الخارجية وجعله مؤهلاً أكثر من غيره لمحاورة الأوربيين، وهذا ما حمل المولى إسماعيل على أن يُسند إليه مهمة الكلام مع ممثلي الدول المسيحية في كل ما يتعلق بمشاكل العصر من أمور البحر وافتكاك الأسرى وغير ذلك.

كانت مسألة طنجة واحتلالها من طرف الأنجليز في طليعة القضايا المعلقة بين المغرب وأنجلترا عند بداية العقد التاسع من القرن السابع عشر، في وقت جعل فيه المولى إسماعيل من تحرير الثغور الشاطئية هدفاً أساسياً من أهداف سياسته. وفي سنة 1681 قدم مبعوث أنجليزي (Leslie) إلى مكناس، وبعد مفاوضات أجراها مع القائد عمر بن حدو الحمامي توصل الطرفان إلى عقد هدنة بشأن طنجة مدتها أربع سنوات. لكن المولى إسماعيل قرر في آخر نفس السنة أن يبعث سفيراً إلى لندن للتفاوض حول اتفاقية سلم بين البلدين، تحل محل اتفاقية الهدنة المذكورة. ويظهر أن السلطان أصبح في ذلك الوقت يتعرض لضغوط متزايدة من طرف العثمانيين من أجل الدفع به

لتصفية الوجود المسيحي بالمغرب، ولم يعد بالتالي راضياً بمجرد اتفاقية هدنة كالتي أبرمها ليسلي مع عمر بن حدو الحمامي في مارس 1681. ووقع اختيار المولى إسماعيل على محمد بن حدو أعطار ليكون سفيره إلى لندن.

وصل أعطار إلى أنجلترا خلال شهر دجنبر 1681 وبقي هناك ما يزيد على ستة أشهر، حيث إنه لم يرجع إلى المغرب إلا في شهر يوليوز 1682. وخلال مقامه بأنجلترا استُقبل من طرف الملك وأعيان الدولة، وأظهر من اللباقة والكياسة ما ترك انطباعا حسناً لدى كل الذين تعرفوا عليه. وقد أعجب المجتمع الأرستقراطي الأنجليزي بما أظهره أعطار من فروسية وشهامة ونبل أخلاق ؛ وتجلى هذا الإعجاب في الاستقبال الذي خُص به من طرف الجمعية الملكية للعلوم (The Royal Society) التي قبلته في صفوفها كعضو شرفي. وفي شهر مارس 1682 توصل السفير المغربي ومفاوضوه الأنجليز إلى مشروع "اتفاقية سلم وتجارة" كان من المفروض أن تدخل حيز التنفيذ بمجرد المصادقة عليها من طرف عاهلي البلدين.

إلا أن المولى إسماعيل رفض التوقيع على مشروع المعاهدة الذي رجع به أعطار من لندن، وأظهر استياءه من الطريقة التي اتبعها سفيره في تعامله مع الأنجليز لأسباب نجهلها بالتحديد. فأعطار نفسه يُلقي المسؤولية على منافسه أحمد بن حدّو الحمامي الذي كان يخشى أن تُفلت من يده مهمة تدبير العلاقات مع الأوربيين، ولذلك فإنه حاول بكل الوسائل أن يُفسد سُمعة أعطار لدى السلطان، فاتهمه بأنه تساهل في تفاوضه مع الأنجليز وربما ذهب بعيداً في صداقته لهؤلاء. وكانت النتيجة أن غضب المولى إسماعيل على أعطار وأبعده عن خدمته، بل كاد يفتك به، حسب ما صرّح بذلك أعطار نفسه في مراسلاته. إلا أن موقف السلطان سواء من سفيره إلى لندن أو من المعاهدة التي أبرمها مع الأنجليز لا يمكن أن يفسّر فقط على ضوء الصراع الشخصي الذي كان قائما بين محمد بن حدو أعطار ومنافسه أحمد بن حدو الحمامي. فالسلطان كان في ذلك الوقت مستاءً من الأنجليز بسبب تعامل تجارهم مع المتمردين في جنوب البلاد، كما أن رفض المولى إسماعيل لإبرام الصلح مع الأنجليز جاء كنتيجة للضغوط التي أصبح الباب العالي يمارسها عليه. لذلك فإن تصوره للسلم الممكن بين المغرب وأنجلترا تغير تحت تأثير هذه الضغوط وأصبح المولى إسماعيل يطمح إلى تحديد جديد لوضع طنجة يكون فيه الأنجليز حسب تعبيره "أهل ذمة" خاضعين لحكم المسلمين، مثلما كان الحال بالنسبة للمسيحيين الموجودين تحت حكم السلطان العثماني. ومهما كانت الأسباب وراء تشدد المولى إسماعيل فإن الأنجليز أعلنوا تشبثهم بمشروع اتفاقية لندن (1682) ورفضوا الدخول في مفاوضات جديدة، الشيء الذي أدى إلى تصلب في موقف الطرفين، وإلى اقتناع الأنجليز في النهاية باستحالة الوصول إلى تجديد الهدنة بخصوص طنجة. وهذه القناعة هي التي كانت دون شك وراء قرار شارل الثاني في سنة 1683 بإخلاء المدينة.

أما محمد بن حدو أعطار فإنه تمكن من استعادة المكانة التي كان يحتلها بالبلاط الإسماعيلي، وذلك بفضل وساطة أحد القواد المخزنيين الذي كانت تربطه به علاقة المصاهرة. ومن جديد أصبح أعطار من جملة المقربين إلى السلطان بل أصبح من "أهل ديوانه وخاصته". وهكذا نجده خلال العقد الأخير من القرن السابع عشر المحاور الرئيسي للسفراء الأوربيين الذين كانوا يفدون على المغرب. ويظهر أنه اكتسب المزيد من السلطة والنفوذ بعد الإبعاد الموقت الذي عرفه إثر رجوعه من أنجلترا في سنة 1682. وقد وصفه القنصل الفرنسي إيستيل (J. B. Estelle) في سنة 1693 بأنه "الشخص الذي يحكم المملكة كيفما يشاء". واستمر أعطار في خدمة المولى إسماعيل إلى حدود سنة 1722 على الأقل عندما استقبل السفير الأنجليزي ستيوارت (Stewart)، وهو التاريخ الذي يفتقد بعده كل أثر لهذا الرجل.

H. de Castries, *Sources Inédites de l'histoire du Maroc*, Série France-Dynastie Filalienne, 1922-1931 ; J.F.P. Hopkins, *Letters from Barbary*, 1576-1774, The British Academy, 1982 ; P.G. Rogers, *A History of Anglo - Moroccan Relations to 1900*, London, n.d.

محمد المنصور

**الأعْظَم، محمد** الرحماني، وينطق به أيضا "لَعْظَم" ـ بدون همز ـ . قائد من قواد الرحامنة السبعة على عهد السلطان مولاى الحسن. ويشار إليه في بعض المستندات بالقائد "ولد الاعظم" أو "ابن الاعظم". وقد عينه السلطان المذكور سنة 1292 / 1875 م على فريق من الرحامنة في إطار سياسة تكثيف الحضور المخزني في القبيلة حيث أصبحت مجموعة سلاَّم (بتشديد اللام) إلى نظر ثلاثة قواد، قائدين منهم كانا على سلاَّم الأعراب وهم فريق من سلام حديث النزوح والاستقرار، في حين كان محمد الاعظم متوليا على سلام الغَرَّابة (بتشديد الراء)، ويقصد بلفظ الغرابة النازحون القدامى من مجموعة سلام. وقد أشار السباعي في *القول الجامع* إلى أن مولاى الحسن "ولَّى على سلام الغرابة ولد الاعظم" في التاريخ المشار إليه أعلاه. وتشير وثيقة مخزنية بتاريخ 21 ذو حجة عام 1293 / 1875 م إلى الدواوير التي كانت إلى نظر القائد الاعظم وهي : أولاد بوعسون، وأولاد بلة، والمتاكيل، وأيت اتليل، وأيت امغان، وأولاد بن عَنُّ، وأولاد أحمد بن إبراهيم، وأولاد موسى، وأولاد حريز.

استمرت فترة حكمه من 1292 / 1875 إلى ما قبل 3 صفر 1301 / 1884 وهو التاريخ الذي ظهر فيه القائد مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحماني الذي أصبح على رأس الإيالة المشار إليها. وتشير المستندات إلى أن محمد الاعظم كان حيا بعد تولية خلفه مما يفيد أنه عزل من طرف المخزن المركزي.

**الاعظم (نزالة ـ )** قرية توجد حالياً بقبيلة الرحامنة تحمل اسم القائد محمد الاعظم السابق الذكر وتدعى (نزالة الاعظم) وهي بين بنگرير وسيدي عثمان.

م. السباعي، *القول الجامع* ؛ *رسائل مخزنية*.

عبد الرزاق الصديقي

**أعْلالُو**، أسرة تطوانية أصلها من قرية دار اعلالو من فرقة معدان بقبيلة بني حزمر، وقد اشتهر أفرادها بتطوان بمهارتهم في تسيير المطاحن حيث كانوا يشرفون على جل مطاحن تطوان وضواحيها، ويبدو أن هذه الأسرة قد انقرضت بهذه المدينة.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* (año 1931) 1932 (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**أعلوج** (قصبة ـ) ← **المحاميد**

**أعْلِيلْ**، اسم موقع بالأطلس المتوسط، بين مدينتي صفرو وبولمان شمال شرق ألْميسْ گيگو، على الطريق السلطاني الرابط بين فاس وتافيلالت. ومعنى الكلمة غير معروف ولا يعتقد أن يكون أمازيغيا رغم بنيتها المطابقة لمذكر هذه اللغة. ونجد هذه الكلمة في صيغة جمع في تيعلالين : اسم واحة في أعلى حوض وادي زيز قرب مركز الريش، ويعتقد أن يكون لها علاقة بالعلو وهو ما يطابق موقعها في الحالتين وما في هذا الموقع الذي عرف عبور قبائل معقلية خلال القرون الوسطى من حوض تافيلالت إلى السهول المغربية الشمالية (سايس) الهضبة الوسطى، الغرب.

وقد اشتهر موقع أعليل بالقلعة التي أسسها به السلطان مولاي إسماعيل سنة 1096 / 1685 ضمن القلاع الهادفة إلى تطويق ثورة كتلة أيت أمَالُو القبلية. (*الاستقصا*، 7 : 68) وقد أنزل بها السلطان إذ ذاك 400 من خيل العبيد بعيالهم، وأصبحت كل الامدادات العسكرية المتجهة إلى تافيلالت تمر على طريقها ؛ ففي سنة 1104 / 1693 مر على طريق أعليل عسكر الطبجية بالمدافع والمهاريس وسائر آلات الحرب يجره نصارى العرائش لإمداد القائد على أُريشِّي بملوية العليا بالقوة الضرورية لمواجهة ثورة أيت أمالو. (*الاستقصا*، 7 : 80).

ولا نعرف كيف تطورت هذه القلعة بعد موت السلطان مولاي إسماعيل سنة 1727 م. والغالب أن هذا الموقع العسكري قد ضعف إذ ذاك وأن عدد جيش عبيد البخاري قد تقلص به بعد اندلاع ثورة أيت أمالو وانقطاع الأمن في الطريق الرابطة بين فاس وتافيلالت، وقد رجعت الحياة لهذه القلعة مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله نظراً لحرص هذا السلطان على تأمين طريق تافلالت حيث نظم حملتين نحو هذه المناطق الجنوبية التي بدأ أيت عطا يهددون بها قصور الشرفاء. وقد مر بأعليل أبو القاسم الزياني لما ولاه السلطان سيدي محمد بن عبد الله عمالة تافيلالت في نهاية القرن 18 م. ولكن ثورات أيْتْ أمَالُو وأيْتْ إدْرَاسَنْ أيام السلطان مولاي سليمان في بداية القرن التاسع عشر الميلادي أرغمت مرة أخرى قوة المخزن على مغادرتها وخاصة بعد الهزيمة التي أصابت جيشه قرب أعليل سنة 1218 / 1803. ولم يرجع لأعليل نفود المخزن إلا مع السلطان مولاي عبد الرحمان، وبقي النفوذ المخزني بهذه القلعة بشكل متصل خلال أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان والسلطان مولاي الحسن اللذين كان لهما وجود قوي بمنطقة تافيلالت رغم ما تخلل عهديهما من ثورات همت كتلة أيت أمالو. ولم ينته دور أعليل كمقر حامية عسكرية إلا مع فترة الاستعمار الفرنسي حيث ركز هذا الأخير وجوده على مراكز ذات طابع أكثر استراتيجية في المنطقة مثل الحاجب وصفرو وبولمان وميدلت وأزرو.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 7، 8، 9.

العربي مزين

**اعْليوَاتْ**، عبد الكبير بن عبد المجيد الكثيري، ويكتب أيضا بدون ياء : (اعلوات) غماري من بني زجل، لم يترجم له أحد من أصحاب كتب التراجم التي وقفنا عليها، وإنما استنبطنا بعض أخباره من كتابه *سراج الغيوب*. كان عليوات فقيهاً متكلما صوفيا صالحا، صحب الشيخ عبد الله الشريف بن إبراهيم العلمي مؤسس زاوية وزان، وخدمه مدة طويلة كان يقوم خلالها بالتدريس في هذه الزاوية ويستقبل العلماء الوافدين عليها بعد أن تكاثر المريدون على عبد الله الشريف ولم يتركوا له وقتاً لمجالسة رجال العلم ومحادثتهم. وكان من بين الوافدين على زاوية وزان العالم الكبير الحسن اليوسي الذي قضى معه اعليوات فيها ليلةً يتذكران حول الأبيات الرمزية المنسوبة لأبي القاسم الجنيد :

توضَّأ بماء الغيب إن كنت ذا سر    وإلا تيمَّمْ بالصعيد وبالصخر...

فكان ذلك منطلق المترجم لتأليف *سراج الغيوب في أعمال القلوب*، وهو كتاب ضخم في 669 صفحة، ضمنه كثيراً من المسائل الصوفية والعقدية، وخص الباب الثاني بعد الباب الجامع بمقام الإيمان وذكر الشهادة متوسعا في الرد على الطائفة الأندلسية التي أنكرت ذكر اسم النبي مع اسم الجلالة، وسماها : (الطائفة الخاسرة، والزمرة الفاجرة) وأورد فيه مناظرة وقعت بينه وبين أحد دعاة هذه الفرقة أثبتناها بتمامها في *الحركة الفكرية* ( 1 : 244 ـ 245) لطرافتها وحيويتها ودلالتها على كثير من زيغ أولئك المبتدعة.

ذكر عليوات في هذا الكتاب أن له مؤلَّفاً آخر اسمه: *السيف المتين في الرد على من كفَّر عوام المسلمين*، لم نقف عليه، كما لم نقف على تاريخ وفاته ومكانها، وإنما نقدر أنه مات في أواخر القرن الحادي عشر أو أوائل القرن الثاني عشر / 17 ـ 18 م. وربما كان مدفنه بوزان.

ع. عليوات، *سراج الغيوب* (مخطوط) ؛ ع. ابن السايح، *بغية المستفيد*، 117 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 4 : 81 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 244 ـ 245. 2 : 474.

**اعْمَار**. ـ بسكون العين وتخفيف الميم المفتوحة الممدودة ـ أسرة سلوية نبيلة تنتسب إلى الشيخ أحمد بن محمد بن عمرو ابن عاشر الأندلسي الشميني السلوي (ت 765 / 63 ـ 1364) صاحب الضريح الشهير بجوار السور المطل على البحر غربي المسجد الأعظم بسلا. ولا يعرف على سبيل التحقيق وجه لهذا الانتساب، إذ لا يُذكر للشيخ ابن عاشر ذرية، غير أن أولاد اعمار هم القَوَمة على الضريح منذ عهد بعيد، المتصرفون في فتوحاته بدون منازع. وربما كانوا من أبناء عمومته منتسبين لجده عمرو، قدموا معه أو بعده من الأندلس. وتحريف عمرو إلى اعْمَارشائع في اللسان المغربي الدارج. كما يمكن أن يكونوا من حفدة الولي الصالح أبي علي عمر النفزي السلوي (ت 764 / 62 ـ 1363) من أكبر مريدي الشيخ أحمد ابن عاشر وخدامه. فقد ذكرت كتب التراجم أنه كان ذا عيال ينفق عليهم من كدِّ يده في فلاحة بستان له بأسمير من ولجة سلا. ومهما يكن فإن لهذه الأسرة حرمة الانتساب لهذا الشيخ وخدمة حماه منذ أجيال. وأقدمُ من يعرف في الوثائق من مقدّمي ضريح الشيخ ابن عاشر هو أحمد اعمار الذي أنعم عليه السلطان المولى الرشيد بن الشريف العلوي ( 1075 ـ 1082 / 1664 ـ 1671) بظهير التوقير والاحترام وأصدر في شأنه وشأن آل اعمار خطاباً إلى عامل سلا أحمد بن يمُّون يأمره بأن يسلم إلى المقدم أحمد اعمار عُشر وزكاة ست خيم من أولاد سبيطة بقبيلة عامر المستوطنة بضواحي سلا. وجدَّد الملوك العلويون لآل اعمار ظهائر التوقير والاحترام.

عرف من آل اعمار في القرنين الأخيرين فقهاء وعاظ وعدول، وتجار وصناع مهرة، ويتخرج اليوم من شبابهم مهندسون ومتخصصون في العلوم الحديثة... من أشهرهم :

**اعمار، أحمد** فقيه متصوف كان من الوعاظ الذين يتقاضون أجرا معلوما من مرتبات الأحباس بسلا أوائل ربيع الأول عام 1245 / شتنبر1820.

**اعمار الطاهر** بن بناصر، فقيه ناسك واعظ دمث الأخلاق حسن الهيئة نشط كثيراً في حركة التعليم الحر إبان

الطاهر اعمار

الحماية، واشتغل في آخر عمره بالتدريس والخطابة في جامع الشهباء. وقد ترك مجموعة خطب منبرية، وتقاييد مختلفة.

توفي بسلا في 12 رمضان 1398 / 16 غشت 1979.

**اعمار، محمد**، من كبار تجار المدينة في النصف الأول من القرن الثالث عشر / 19. توفي بسلا عام 1262 / 1846.

**اعمار، محمد بن الحاج العربي** بن أحمد. كان ـ مثل جده أحمد ـ فقيها عدلاً منتصبا للشهادة. توفي بعد عام 1312 / 94 ـ 1895.

*مقيدات خطية في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا* ؛ *ظهائر* عند أفراد الأسرة ؛ بلقاسم عشاش، *عائلات سلا*، مخطوط ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*.

K. L. Brown, *People of Sale*.

محمد حجي

**أعمدة هرقل**، أطلق هذا الاسم على جبلي أبيلا Abyla بشمال موريطانيا الغربية (أي المغرب الحالي) وكالبي Calpé بإسبانيا، وهما جبلان يشرفان على ما يسمى حاليا مضيق جبل طارق أو "مضيق قاديس" "Fretum Gaditanum" عند القدماء. واعتبر حداً أقصى للأراضي المسكونة.(Besnier, 362, Polybe, III, 35, 37, 39, 57 ; X, 7 , 40 , XVI, 29 ; Diodore de Sicile, IV 18 ; Strabon, II, 21 ; II, 67 ; Strabon, III, 170 ; Pomponius Méla, I, 27 ; II, 95, Pline l'Ancien, II, 242 ; III, 4 ; V, 2.)

وتحكي الأسطورة أن جبلي أبيلا وكالبي كانا في الأصل جبلا واحداً، ففرق هرقل بينهما ليصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي. وقد أورد ديودور الصقلي رأيين في هذا الشأن : أولهما أن هرقل أقام هذه الأعمدة لتخليد حملته على غرب البحر المتوسط وذلك بتقريب طرفي القارتين المتباعدتين (إفريقيا وأوروبا). وثانيهما أن القارتين كانتا في الأصل قارة واحدة ففصل هرقل بينهما مكونا بذلك المضيق.Diodore, T. 1, pp. 285 - 286.

ونجد صدى فكرة ارتباط إفريقيا بأوروبا عند بعض الكتاب القدماء وهذا ما نستفيده من سالوست حيث يقول : اعتاد الناس حينما يقسمون الكرة الأرضية أن يجعلوا إفريقيا القارة الثالثة من العالم، وبعض الكتاب لا يعدون سوى قارتين هما آسيا وأوروبا ويربطون إفريقيا بهذه الأخيرة (*حرب يوغورطة*، ص 105).

نلاحظ إذن أن ظاهرة تزحزح القارات فسرها القدماء تفسيرا ميثولوجياً. وتضاربت الآراء حول تحديد موقع جبل أبيلا من الباحثين المعاصرين، فيرى Tissot و Besnier و Gsell أن جبل أبيلا هو جبل أكو Acho القريب من مدينة سبتة، يقابله العمود الثاني المتمثل في جبل كالبي أي جبل طارق (Roget, *Index*, p. 9) في حين يرى Joh Schmidt أن أبيلا هو جبل القرود الحالي.

والواقع أن القدماء الذي تحدثوا عن أعمدة هرقل لم

يحددوا موقعها فنجم عن هذا الأمر تضارب آراء المعاصرين. ولازال البحث الأثري لحد الآن لم يتمكن من تحديد الموقع الحقيقي لعمودي هرقل المقامين على شواطئ البحر المتوسط. ويطلق على هذه الأعمدة أيضا أعمدة ملقارت Melgart.

يتضح من الإشارة إلى هرقل وفلول جيشه التي التحقت بأفريقيا الشمالية بعد موته بإسبانيا (سالوست، حرب *يوغرطة*، ف 18. ص 106) أن الرواية الإغريقية تلمح إلى الرواية الفنيقية. فهرقل الإغريقي هو ملقارت. إله مدينة صور وحامي البحارة الفنيقيين باعتبار هؤلاء أول شعب أقام مراكز تجارية على طول الشواطئ المتوسطية، وخصوصا مدينتي قادس بإسبانيا وليكسوس بالمغرب.

Diodore de Sicile, *Bibliothèque historique I*, trad, fred. Hoefer, 1912. Géographie de Ravin, dans Raymond Roget, *le Maroc chez les auteurs anciens*, Société d'Edition "Les Belles Lettres" Paris, 1924, p. 42 ; Hérodote, *Histoire*, livres IV, 43, éd et trad. de Ph. Legrand, coll. G. Budé, Paris 1949 ; *Itinéraire d'Antonin*, dans K. Miller, *Itineraria Romana*, Stuttgart, 1916.v. aussi R. Roget, op cit, pp 39 - 40 ; *Périple d'Hanon* in R. Roget, op cit, p. 17 ; Pline l'Ancien, *Naturalis Historia* éd. C. Mayhoff, coll. Teubner (5 vol) 1892 - 1909 ; *Histoire Naturelle*, Livre V, 1 - 46, Texte établit, traduit et commenté par Jehan Desanges, coll. G. Budé, Paris, 1980 ; Polybe, *Histoire*, Trad Française de D. Roussel, coll "La Pléiade" Paris 1970 v. surtout L. II, 1 ; L III, 37, 39 et 57. LX, 7 et 40 ; L. XVI, 29 ; LXXXIV, 4, 6 et 9; Salluste, *Bellum jugurthinum* ed. et trad. Ernout, coll. G. Budé, Paris, 1946 ; Strabon, *Géographie*, éd. HL. Jones, Loeb, 1917 - 1949 ; Besnier (M), *Lexique de géographie ancienne*, Librairie C. Klincksieck, Paris, 1964, p 2 et 362 ; J. Carcopino, *Le Maroc Antique*, Gallimard, Paris, 1947. p, 57 ; F. Decret et M.Fantar, *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, des origines au Vè s., Payot, Paris, 1981 ; J. Desanges, Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, T. V, Paris 1980, commentaire, surtout p. 82 pour Herculis columnee, p. 111 pour Gaditanum fretum et pp. 147 - 149 pour Abila ; M. Euzennat, *Les voies romaines du Maroc dans l'Itinéraire d'Antonin*, in Mélanges. Grenier II, Coll. Latomus, Vol L VIII, Bruxelles, 1962, pp 595 - 610 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. I, Paris 1913, p. 467; Roget (R), *Index topographique antique du Maroc*, P. SAM IV, 1983. pp. 8 - 10 ; R. Thouvenot, *la côte méditerranéenne du Maroc d'après le géographie, Ptolémée.* (II : S. après J.C), in R.G.M., XXVIII, 4, 1944, p. 7 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, paris 1877.

علي واحدي، ومحمد مقدون

**اعْمَر بن الحاج محمد**. ولد عام 1940 بقبيلة السماعلة، وادي زم، إقليم خريبگة، وكان ينتمي لمنظمة اليد السوداء، ينفذ أوامرها ويقوم بعدة اتصالات بين أفرادها. ولما أخبر بمعركة 20 غشت 1955 بوادي زم شارك فيها مشاركة فعالة بدوار أيت عمار بني خيران، وكان حاملا لنبدقية صيد، ظل يضرب بها أثناء المعركة إلى أن استشهد.

**اعْمَرو، علي أحمد**، من مواليد سنة 1915 بأيت حمى، أيت حسان قبيلة أولاد علي ناحية إموزّار مرموشة، انخرط في صفوف جيش التحرير المغربي ضمن التشكيلة التي كانت مرابطة بمسقط رأسه إموزّار مرموشة تحت إمرة القائد الباشا ميمون أعقّى، فشارك بإخلاص كبير في الهجومات التي كان يقوم بها جيش التحرير ضد جنود الاحتلال بالمنطقة، وخصوصا الهجوم الذي خططت له قيادة جيش التحرير والذي كان هدفه المركز العسكري التابع للقوات الفرنسية، فأصيب بنيران جنود الاحتلال وسقط شهيدا أمام دار حارس المياه والغابات بإموزّار مرموشة، وذلك بتاريخ 2 أكتوبر 1955 على الساعة الحادية عشرة صباحا.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

ابن **الأعْمَش**، محمد المختار الصحراوي، المعروف بالأكبر تعلم على والده، ثم نزل بالشيخ المختار الكنتي، فلازمه حتى صارعالما متمكناً. وكان الشيخ يستخدمه في انتساخ الكتب ففُتح عليه، ودوي صيته في كل الجهات، وشاع ذكره في مختلف العلوم والقراءات بوجه خاص.

وهو الذي أسس مدينة (تينْدُوف) في حدود سنة 1270 / 1853 وساعده على تشييدها أخواله أبناء قبيلته (تاجاكانت) فكان الرجال يخدمون نهارا والنساء ليلا، وكان حجر الزاوية لهذه المدينة المسجد الأعظم، وهو أول ما بني منها، ثم تتابع سير البناء ، وتفرغ الشيخ بالجامع الأعظم لتدريس القرآن وعلوم الحديث فتتلمذ له كثيرون، من بينهم الشيخ محمد محمود الشنقيطي علامة عصره في اللغة والأدب، مرَّ في طريقه إلى أقطار المشرق على الشيخ ابن الأعمش، فتلقى عنه جملا من الحديث. وكان ابن الأعمش، إلى جانب تدريسه لمختلف العلوم، يفصل بين الخصوم، وقد تصدى لمحاربة أصحاب السطو من القبائل، وأصدر فتوى لمحاربتهم وقتالهم باعتبارهم قطاع الطريق يسعون في الأرض فساداً. وكان له تسعة أولاد علماء أفذاذ، خلفوه في مهامه بعد موته عام 1285 / 1868 وله بتيندوف مشهد بنيت عليه قبة على شكل قباب حواضر المغرب.

ألف ابن الأعمش كتباً في مختلف العلوم والفنون منها: *نصيحة ذوي الرسوخ. وشرح على إضاءة الدجنة، في عقيدة أهل السنة* لأحمد المقري. وله *مؤلف في رسم المصحف*.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 18 : سوس *العالمة* ؛ أ. الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط* ص 321 ؛ س. أعراب، *مجلة دعوة الحق*، السنة 17 ع و ص 79 ـ 80.

سعيد أعراب

**أعْمو**، أحمد بن أحمد. ولد بتزنيت في ذي الحجة عام 1321 / مارس 1904، ينتمي إلى أيت مَحمد الشرفاء السملاليين من بني عمومة أيت عمرو الوجَّانيين وأولاد سيدي إبراهيم بن علي التِّنانيين، استتم حفظ القرآن وبعض المتون ببلده وبتيمَجَّاض عام 1342 ثم انتقل إلى مدرسة دُودرار حيث تلقى عن علماء منهم أبو الحسن بن الطاهر الرسموكي، وفي مدرسة أدوز، ومن أشياخه فيها المحفوظ الأدوزي. وخلال عشر سنوات حصل الفنون المتداولة بمدارس سوس، ثم انتقل إلى فاس حوالي عام 1352 هـ حيث أخذ

عن محمد العلمي الفلكي والطائع الفاسي وعباس بناني وغيرهم من علماء القرويين ممن أجازوه.

فتح مدرسة بتزنيت عام 1357، كان هو من مدرسيها، وتولى أثناء ذلك النشاط التعليمي وظيفة ناظر الأحباس بتزنيت بعد تنظيمها الجديد خلف فيها الحسين الساموكني، واشتهر في قيامه بوظيفته بالنزاهة والعفاف. وبعد الاستقلال انتقل من نظارة الأحباس إلى منصب القضاء، وكان فيه أخوه محمد المتوفى عام 1372، واستمر قاضياً إلى أن أحيل على المعاش بتاريخ 7 مايو 1983.

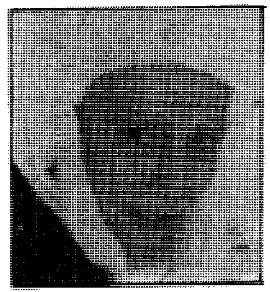

أحمد أعَمو

جمع أحمد أعمُّو بين العلم والعمل وحمل أعباء شئون الجماعة في بلدته وظهر تفتحه في توجيه أبنائه إلى التكوين الأصيل والعصري معاً حيث صاروا من المحامين والأطباء.

من تآليفه المخطوطة *هوامش على تفسير "في ظلال القرآن"*، *وتقاييد وأشعار رائقة*، وقد صنفه المختار السوسي وهو الخبير بأحواله في جهابذة الأصوليين السوسيين.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 : 222 و 223، 13 : 199 ، 206، و 234، 14 : 53 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 11 ؛ *رواية شفوية* تلقاها كاتب هذه المادة.

عمر أفا

**إعَمّين**، إحدى أكبر فصائل أيت سگوگو، المستوطنة المناطق المجاورة لبلاد زيان من الأطلس المتوسط والتي تعتبر مدينة مريرت مركزها الحضري والإداري.

ومركز إعَمِّين بصيغة الجمع تحريف أمازيغي لكلمة العامِّين أي المنحدرين من غير السلالة الشريفة. ومرد ذلك إلى كون مجموعة أيت سگوگو مكونة من قبائل جلها ينتسب إلى الشرف عن طريق الولاية والقطبية، وذاك ما يعرف عند قبائل الأطلس المتوسط بامْرَابْطن أي المرابطين المنقطعين إلى عبادة الله تعالى، فتبقى ذريتهم تنتسب إليهم بنفس الاسم أو باسم جدهم.

وتبقى قبيلة إعمين أكبر فصائل أيت سگوگو من حيث العدد بعد كل من أيت عمرو وأيت سيدي علي.

*Répertoire*, 1939, p. 15 et 30.

عبد العزيز توري

**الأعيان**، تنتمي هذه الكلمة إلى قاموس التراتب الاجتماعي، وهذا القاموس يضعنا أمام مسألتين منهجيتين :

تتصل المسألة الأولى بالموقف الذي اتخذه التاريخ الاجتماعي، بشكل عام، إزاء التصنيفات الإيديولوجية التي أنتجتها المجتمعات التاريخية. فالباحث يميل إلى عدم التقيد بهذه التصنيفات لأنها تحمل تصورات معينة حول المجتمع ، وقد صيغت في معظم الأحيان لتثبيت نظام التراتب والأدوار، وتأكيد مشروعية القوى السائدة. بيد أن المؤرخ يسعى إلى تحليل البنية الاجتماعية في ضوء هرمية الدخل وموقع مختلف الشرائح ضمن علاقات الإنتاج. وفي آن واحد يتزايد الاهتمام بالكلمات والمفاهيم، على اعتبار أن اللغة تمدنا بمؤشرات تفيد معرفة الممارسة الاجتماعية. ثم إن المجتمعات لم تكن دائماً مجتمعات طبقات بالمعنى الاقتصادي، إذ قبل النمط الرأسمالي كثيراً ما نجد مجتمعات المراتب حيث يصعب الفصل بشكل واضح بين المستوى الاقتصادي وغيره من المستويات، بل إن العوامل السياسية والفكرية ساهمت بقدر لا يستهان به في هيكلة المجموعات والعلاقات.

أما المسألة الثانية فهي أننا بصدد مصطلح تداوله المغاربة للتعبير عن أشكال التفاوت والامتياز، مع أنه جزء من معجم عربي - إسلامي تم توظيفه في مجتمعات متباينة، وهذا المعجم يتسم بخصوصيات تلفت الانتباه. فخلافاً لما حدث في ثقافات أخرى، صمد المصطلح الاجتماعي العربي عبر العصور والتحولات، مما يدفعنا إلى التساؤل : ألا يمكن رصد بعض الثوابت التي اجتازت المراحل المتعاقبة ورافقت خصوصيات كل مجتمع عربي على حدة ؟ وحين نستعرض عناصر قاموس التراتب، نجده يتوزع إلى ثنائيات، مثل أعيان / عامة، خاصة / عامةِ وأشراف / عامة. ليست هناك منظومة متماسكة، فالشريف قد لا يكون من الأعيان، ولفظ العامة يوقع القارئ في الالتباس إذا ورد في سياق لا يتضح فيه مجموع الثنائية المقصودة، فعلى سبيل المثال يمكن للأعيان أن يسمُّوا عامة إذا كان النص يعني ثنائية الأشراف / العامة.

باختصار، من الأفضل أن نميز بين تاريخ الكلمة وتاريخ مضمونها الاجتماعي، ولا بد من تحديد مكاني وزماني. لقد اخترنا التركيز على أعيان مدن المغرب، وعلى الفترة المعاصرة التي بدأت انطلاقاً من القرن التاسع عشر، لأن هناك وفرة وثائقية نسبية، ولأن بداية التراكم المونوغرافي تساعدنا على الاقتراب من ملامح مجتمع الأعيان.

اللفظ وارتباك الدلالة : لنبدأ بالتعريف اللغوي. نقرأ في *اللسان* :"عين كل شيء : خياره"، و "أعيان القوم : أشرافهم وأفاضلهم، على المثل بشرف العين الحاسة". للكلمة إذن معنى عام يشير إلى الشهرة والتقديم، وقد استُعملت عبر العصور الإسلامية بمعنى النخبة والصفوة. لا غرابة في أننا نلتقي بتعابير مثل "أعيان العلماء"، "أعيان الطلبة" و "أعيان الجيش"، فلكل فئة أعيانها. ولا غرابة في أن النصوص تحمِّل الكلمة دلالة ترتبط بالمقياس الضمني للشهرة، وهذا المقياس يختلف من جنس أدبي إلى

آخر. فكتب التراجم مثلا تعتبر أن الأعيان هم الأشخاص الذين استمدوا شهرتهم من العلم أو الصلاح، لأن كتب التراجم والوفيات شكلت عند المسلمين تاريخاً للنخب الثقافية التي جسدت قيم المجتمع وحافظت على استمرارها. ويظهر نفس النزوع عند مؤلفي التاريخ المحلي، إذ خصص هؤلاء بعض أو كل فصول مصنفاتهم (*كالروض الهتون* لابن غازي *واختصار الأخبار* للأنصاري) لأعلام المدن التي أرخوا لها. وحين تعرض كتب الأنساب لبيوتات هذه الحاضرة أو تلك، فهي تحصي الفروع والأحساب، وتسجل ضمنيا مفاخر الأعيان من منظور سلالي يؤكد الاستمرارية العائلية.

أما الأخباريون فقد تعاملوا مع الأعيان تعاملاً يعكس علاقة هذه الفئة بالسلطة المركزية. فعلى امتداد تاريخ الدول المغربية، يرد ذكر الأعيان في سياقات متشابهة مثل البيعة والخروج لملاقاة السلطان عند وفوده ومراسيم الأعياد الدينية واحتفالات العائلة المالكة، ولحظات التفاوض أو التشاور التي يفرضها تأزم الأوضاع واتخاذ قرار شائك. في كل هذه الظروف، يحتل الأعيان مكانة المحاورين والناطقين باسم سكان المدينة. وعندما يراسل السلطان مدينة من المدن، فإن الأعيان يُذكرون في الغالب ضمن ترتيب محدد للفئات التي تحتل الصدارة. نجد مثلا نماذج من مراسلات مرابطية وجِّهت إلى "الأشياخ والأعيان والكافة من أهل فلانة"، ونماذج موحدية موجهة إلى "الطلبة والأعيان والكافة"، ونماذج سعدية تخاطب "الشرفاء والفقهاء وكافة الأعيان"

وفي وثائق البيعة يُذكر الأعيان بجانب مجموعات أخرى، غير أن هناك فائدة إضافية، وهي أن هذه الوثائق معززة بأسماء ترفق أحياناً بنوعية المناصب التي تشغلها الشخصيات الموقعة. سوف نتوقف عند سرد أحداث بيعة السلطان الحسن الأول (1290 / 1873) في كتب الحوليات، وعند صيغة ورود الأعيان في نصوص بعض البيعات. كتب السباعي بصدد وصول السلطان الجديد إلى عاصمة الجنوب :"تلقاه أعيان مراكش من شرفاء وعلماء ورؤساء وقضاة..." (*بستان*، 162 ـ 163). وكتب الناصري :"اجتمع أهل الحل والعقد من كبار الدولة وقواد الجيش والقضاة والعلماء والأشراف وأعيان مراكش وأحوازها..." (*استقصا*، 9 : 128). ونقرأ في بيعة نفس المدينة :"واجتمع أهل الحل والعقد علماء وشرفاء وقواد الأجناد وغيرهم..."، وفي وثيقة تتضمن قائمة أسماء أشخاص أشهدوا على أنفسهم بمبايعة السلطان، هناك أصناف من بينها :"أهل مراكش"، "أعيان أهل فاس التجار"، و"أعيان أهل مراكش" (*وثائق*، 3 : 11 ـ 22). أمّا بيعة فاس فهي تقول :"فبايعه من أهل فاس الخاصة والجمهور ومن والاهم من الناس الصدور والأعيان وأهل الوجاهة في هذا الزمان وذوي الحل والعقد (...) من علماء وعظماء أشراف كرام وسلالة أمراء ورماة ورؤساء جيوش وأجناد...". وتنتهي الوثيقة بأربع قوائم : فإلى جانب الشرفاء العلويين والشرفاء الأدارسة وقواد الجيش، تأتي "اللائحة الثالثة التي يبلغ عدد أعضائها مائة وخمسة عشر، وهي تمثل ضمنيا الأعيان، يتصدرهم قائد المدينة إدريس السراج والأمينان محمد بن المدني بنيس وإدريس بنيس والمحتسب المهدي بناني (در، 105 ـ 129). وننتقل إلى بيعة السلطان عبد الحفيظ، فنجد بها :"جميع أهل فاس الإدريسية، لازالت مصونة محمية، وسائر أشرافهم ورماتهم وعلمائهم وقضاتهم وكبرائهم ونقبائهم ومرابطيهم وصلحائهم وأعيانهم، وخاصتهم وعامتهم، وكذلك أهل فاس الجديد، لشمول التوفيق لهم والتسديد" (*مظاهر*، 2 : 350).

عندما نمعن النظر في هذه المقتطفات، فإننا نخرج باستنتاج أول، وهو أن منطق البيعة يقتضي ذكر الأعيان كفصيل من "أهل الحل والعقد"، وفق ما سنته مؤلفات الأحكام السلطانية. فإلى جانب رجال الدولة والعلماء، يحتل الأعيان موقعاً بين "أهل الاختيار" الذين تنعقد الإمامة ببيعتهم، فيتعين الانقياد والطاعة على كافة الأمة. فالأعيان يساهمون في التأسيس الرمزي لسلطة العاهل الجديد، على أن تعيينه الفعلي يخضع لواقع موازين القوى داخل الدوائر العليا للمخزن.

ويلازمنا انطباع آخر، وهو أن النصوص غير منسجمة في تعريفها الضمني للأعيان. يبدو لأول وهلة أننا أمام استعراض لفئات مختلفة الواحدة تلو الأخرى، ثم نلاحظ أن التصنيف والترتيب يختلفان من نص إلى آخر، ومن الصعب أن نميز في هذا الاختلاف بين خصوصيات المدن واجتهادات المؤلفين. فنحن نلتقي بسيل من المصطلحات، وتؤدي متطلبات الإطناب والسجع إلى استخدام ألفاظ غير محددة المعنى، مثل "الصدور" و "أهل الوجاهة" و "النقباء" و "الكبراء"، وتلك ألفاظ قد ترادف الأعيان. كما أن الحيرة تنتابنا حين يتأرجح الأعيان بين تعريف واسع يشمل العلماء والأشراف وتعريف محدود يضع الأعيان بجانب الأشراف والعلماء. ما مدلول هذا التعامل الفضفاض مع المصطلح ؟ إن عدم التزام المحررين بتصنيف وترتيب ثابتين يعني، ولا شك، أن الأمر يتعلق بحقل دلالي يتسم بالتداخل، وربما كان في ذلك صدى للوسط الاجتماعي الذي هو موضوع التسمية.

النفوذ المحلي ومجتمع الأعيان : إذا استثنينا الأشراف الذين يحددهم عامل النسب، فإن الفئات ذات الامتياز لم تكن تخضع لضوابط قانونية قارة. وكل فئة يتسع معناها أو يضيق حسب التعريف الذي يُمنح للفئات الأخرى. يمكن أن نحصر الأعيان في كبار التجار ورؤساء الحرف (Origines, 104)، أي في النخبة التي ينبني نفوذها على تفوقها داخل المجال الاقتصادي الحضري. بالنسبة للقطاع التجاري مثلا، يتعلق الأمر بتجارة المواد الرفيعة وتجارة الجملة والاستيراد والتصدير. لكن مقياس الانتماء المهني يخفي ظواهر تكشف عنها الممارسات الفعلية والبنيات

العائلية. فقد يتعاطى العالم للتجارة، أو يقتني الضياع فيصبح من الملاكين العقاريين الذين يجنون إنتاج البادية. وقد يكون التاجر مزوداً برصيد ثقافي محترم دون أن يحمل لقب العالم. وحين نتفحص بعض مؤلفات الأنساب، فإننا نكتشف أن الخريطة العائلية لوسط الأعيان بعيدة كل البعد عن الانفصال الذي قد نتصوره بين النخبة الاقتصادية والنخبة الثقافية.

نتعرف على مشاهير العائلات الفاسية من خلال كتاب الكبير الكتاني (زهرة). لنأخذ مثال أولاد بن جلون، فهم يكونون أكثر من ثلاث عشرة فرقة. نلتقي داخل الفرقة الأولى بالعالم محمد بن أحمد (ت. 1136 هـ) ، وداخل الثانية بالولي الصالح عبد الجليل. ومن بين رجال الفرقة الثالثة تصادفنا حالة المحتسب علي بن أحمد الذي مارس التجارة خمسة من أبنائه، بينما احتل ابنه الآخر منصب ناظر أملاك جامع القرويين، وكان آخر قاضيا بمدينة الصويرة في عهد الحسن الأول. وهناك ثلاث فرق أخرى من نفس السلالة أنجبت حرفيين من صناع الشواشي والحرارين والصفارين. هذا البيت يشخص إذن نموذج "القبيلة" الحضرية :فوراء النسبة الموحدة تتعدد المهن، وتتفاوت الأوضاع المعاشية دون أن تنقطع أواصر القرابة، بل تساعد البنية الأبوية وعادات الكفالة والتحبيس العائلي على توطيد التضامن تحت شارة الأجداد. ومن الملاحظ أن جد الفرقة الذي يترجم له النسّابة حسب الإمكان، لا يكون في معظم الأحيان أقدم اسم في عمود النسب، بل هو أقدم رجل اشتهر داخل السلالة المعنية. كما أن ترتيب الفرق يبدأ بتلك التي انطلقت من ولي أو عالم (*Artistocratie*, 185 - 190). وبذلك مهما اختلفت وسائل الإثراء، فإن التراكم المادي يبدو وكأنه من ثمار بركة الجد الموسِّس.

وفي نطاق أوسع، تتوثق الصلات بين العائلات عن طريق المصاهرة، وبفضل "الصحبة" فيستفيد التاجر من هيبة الشريف أو العالم، ويستثمر العالم والشريف مكانتهما الرمزية. وهكذا يتخذ مجتمع الأعيان صبغة كتل مبنية على تبادل المصالح. وتتجلى نفس الظاهرة في وسط الأعيان السلاويين في القرن الماضي (*People*, 58 - 65). فهو وسط لا يعرف استقرار المواقع، بل يضطر أعضاؤه لتثبيت نفوذهم عن طريق صيانة العلاقات وشبكات الحلفاء. هذه البنية لم تكن في الواقع وليدة ظرفية جديدة، إذ يؤكدابن خلدون أن "أهل الأمصار كثير منهم ملتحمون بالصهر، يجذب بعضهم بعضاً إلى أن يكونوا لحماً لحماً، وقرابة قرابة، تجد بينهم من العداوة والصداقة ما يكون بين القبائل والعشائر مثله، فيفترقون شيعاً وعصائب" (*مقدمة*، 672). للمدينة إذن "عصبياتها" الخاصة، وبالتالي فمجتمعها يتسم بنوعين من التضامن، أحدهما أفقي تحدده مستويات العيش والمواقع الاقتصادية، والثاني عمودي ينتج عن رابطة النسب وعلاقات الحلف والتبعية الشخصية والاصطناع، وهي "علاقات الزبونية" حسب اصطلاح علم الاجتماع المعاصر.

تتطلب هذه الفرضيات مزيداً من الاختبار والمناقشة على ضوء المزيد من المعطيات الموثقة، لكنها توفر لنا مفاتيح لفهم بروز الزعامات وتحركات الأعيان عبر تاريخ المدن المغربية. نسوق بعض النماذج : فترات الحكم الذاتي (بنو العزفي بسبتة، وما سمي بجمهورية أبي رقراق وإمارة آل النقسيس بتطوان)، والصراعات التي دارت بين الأحياء، أو بين الأعيان مثلما حدث بين عائلتي الفنانشة والزنابرة بسلا خلال القرن الثامن عشر، وحركات الاحتجاج التي نظمها أو انضم إليها الأعيان (تمرد أعيان الرباط ضد العامل محمد السويسي سنة 1845، مساندة أعيان فاس لحركة الدباغين عند رفض المكوس في أوائل حكم السلطان الحسن الأول) مثل هذه المواقف تدل على التعقد الذي اتسمت به علاقة النخبة الحضرية بجهاز الدولة.

الأعيان والخاصة " بإمكاننا أن نضع الأعيان - بجانب الشرفاء والعلماء - داخل الخاصة إذا اعتبرنا أن هذه الكلمة تشمل مجموع الفئات التي تحظى بالتقدير والامتياز" (*Origines*, 108 - 109). لكن للخاصة معنى آخر ينحصر في نخبة السلطة. فالوثائق المخزنية تستعمل أحياناً مصطلح "بيوتات الخدمة والرئاسة" في نفس الاتجاه. صحيح أن عائلات من الأعيان تقلدت مناصب التسيير المحلي كالحسبة والقضاء ونظارة الأحباس، وصحيح أن بيوتات حضرية شغلت منصب قائد المدينة مثل عائلة السويسي التي احتكرت هذا الموقع خلال النصف الثاني من القرن الفارط (*أعيان*، 1 : 144). إلا أن هذه المعطيات لا تنفي إجرائية التمييز بين الأعيان كنخبة منبثقة من الكيان الحضري، والخاصة كنخبة ينبع نفوذها من الأعلى، وتتمثل في العائلة المالكة وفي الجناح القبلي - العسكري للدولة (فئة الوصفان من عبيد البخاري، وقيادات الگيش). إن هذا التمييز يساعد على تبيان علاقة السلطة المخزنية بالاقتصاد الحضري.

منذ العصر الوسيط، قامت دول المغرب على مراقبة شبكات التجارة البعيدة المدى، وخلافاً للبورجوازية الأوروبية التي برزت على هامش النسق الفيودالي، فإن كبار التجار المغاربة ظلوا باستمرار تابعين للأوليغارشية الحاكمة، وذلك ما عبر عنه ابن خلدون حين تحدث عن "حاجات المتمولين من أهل الأمصار إلى الجاه والمدافعة" (*مقدمة*، 655 - 656). وفي القرن التاسع عشر، كان التجار عاجزين عن تحقيق تراكم ملحوظ في غياب سند وحماية المخزن. فالنخبة التجارية تتكون من "تجار السلطان" المسلمين واليهود، لأن هؤلاء يستفيدون من القروض المخزنية والتسهيلات في أداء الواجبات الجمركية، كما أنهم يتحكمون في تسويق المنتجات التي تخضع للاحتكار المخزني (*Merchants*, 1 : 186 - 193). ونلاحظ أن إمارة ركب الحج مكنت بعض التجار من الانطلاق نحو التراكم السريع، نذكر من بينهم الطالب بن جلون وعائلة برادة بفاس. وفي مستوى أعم، كان "ظهير التوقير والاحترام" أداة يتحكم بواسطتها السلطان في إنتاج الامتياز.

مع مسلسل المعاهدات اللامتكافئة تفاقمت سيرورة "الانفتاح"، حيث ازدادت تبعية الاقتصاد المغربي للرأسمال الأوروبي، وتأزمت الأوضاع المالية، واحتدت الفوارق الاجتماعية، وكان التجار المستفيدين الرئيسيين من تحولات النصف الثاني من القرن الفارط. فقد اتسع حجم الثروات، وتكيفت كبريات العائلات التجارية مع تغير خريطة المبادلات، فترى مدينة الصويرة تجتذب تجار الشمال، والفاسيين يبعثون ذويهم إلى الدار البيضاء، بل يقيمون شبكات من الوكلاء داخل المغرب وخارجه. ونتيجة لاتساع الحمايات القنصلية، أصبحت أحوال وممتلكات أعداد من الميسورين في مأمن من التدخل المخزني ـ ضرائب ومصادرة ـ . كما أن سياق سياسة الإصلاح دفع الدولة إلى الاستعانة بكفاءات التجار في ميداني المالية والدبلوماسية ممّا قوى نفوذ الفصيل الحضري داخل أجهزة الحكم. هكذا ارتقت بيوتات مثل بنيس والتازي (فاس) وفرج وبرگاش (الرباط) والخطيب وبريشة (تطوان).

السيطرة الفرنسية والأعيان : مع بداية القرن الحالي، انتقل المغرب من مرحلة التنافس الأوروبي إلى مرحلة الاستحواذ الفرنسي التدريجي. وبمجرد أن ارتسم أفق إبعاد القوى المنافسة، اختطت فرنسا سياسة "التغلغل السلمي" التي تبنّت مبدأ الحفاظ على الهياكل المخزنية من أجل كسب الشرعية الدولية وتحقيق استعمار تقل كلفته عن كلفة التجربة الجزائرية. ورغم التدخلات المسلحة التي مهدت لمعاهدة فاس (1912)، فإن نظام الحماية سار على نفس النهج، وهو نهج وجد صيغته النظرية في تصور ليوطي لما يجب أن يكون عليه أسلوب الإدارة غير المباشرة. سوف يكون الاعتماد على الأعيان جزءا من هذه المنظومة المتكاملة.

لقد كان ليوطي أرستقراطي الميول، يشده الحنين إلى "النظام القديم" الفرنسي، وكانت وراءه تجربة استعمارية طويلة. فهو أعلن عن رغبته في المحافظة على المغرب التقليدي، واعتبر أن المغاربة شعب تقوده "نخبة طبيعية" وكما أن الأعيان لعبوا فيما مضى دور صلة الوصل بين العامة والمخزن، فإن المصلحة تقتضي أن تحكم فرنسا "معهم لا ضدهم"، بمعنى أن الأعيان أداة يمكن أن تخفف من مفعول الصدمة الاستعمارية، وتقوم بدور المشورة والحوار نيابة عن "الأهالي"، في إطار نظام التراتب الموروث.

كانت هذه السياسة مسلحة بمعرفة الميدان. فالإقامة العامة جنت ثمار الأبحاث التاريخية والسوسيولوجية التي تم تخطيطها منذ إنشاء "البعثة العلمية". وسارع ليوطي إلى خلق أجهزة جديدة لتطوير نفس العملية. فحين نقرأ سلسلة *مدن وقبائل المغرب*، نلتقي بفصول تحصي بدقة عائلات الأعيان في كل المدن المدروسة، وتشير إلى عمقها السلالي ونوع النفوذ الذي بنت عليه شهرتها. وألف المراقب المدني جان كوستي مونوغرافيته التي تحمل عنوان "كبريات عائلات الأهالي بسلا".

شكلت مدينة فاس حقلا لتجريب خطة استمالة الأعيان. فبجانب شعار احترام "المدينة العتيقة" وعدم المس بمناخها الأخلاقي ومقدساتها الدينية، انطلقت تجربة "المجلس البلدي" في خريف 1912 م. كان جل أعضاء المجلس من التجار والعلماء، وحددت له مهمة استشارية تتصل بالقضايا المحلية، وقد اعتبره أحد المسؤولين "مقياس حرارة ممتاز" يساعد السلطات الفرنسية على تتبع ما يروج عبر المدينة من آراء ومواقف، ويبدو أن انتخاب المجلس أثار الحماس في وسط الأعيان. وفي نفس الوقت أعيد تنظيم خطة العدالة، وأحدث "المجلس الأعلى للأحباس"، وسلكت الإقامة أسلوب الإغراء تجاه عدد من العلماء المرموقين الذين أسندت إليهم مسؤوليات داخل الجهاز المخزني. واحتفظت بورجوازية فاس ببعض مواقعها التقليدية في القطاع التجاري (النسيج والشاي والسكر)، بل سمح لبعض الأثرياء المغاربة بأن يساهموا في المؤسسات الاقتصادية الجديدة مثل "المكتب الشريف للفوسفاط".

لم تكتف الإقامة العامة بالتقرب من الأعيان، بل قررت التحكم في إعادة إنتاج النخبة على المدى البعيد، بواسطة سياسة تعليمية أعلنت عن مراميها بدون التباس. فبعد فترة تردد دامت إلى حدود بداية العشرينات، قررت الإدارة الفرنسية استراتيجية تتلخص فيما يلي : إبعاد المتمدرسين المغاربة عمّا تتضمنه طرق وبرامج التعليم الفرنسي من أفكار وقيم تحررية والحرص على تكريس الأوضاع الطبقية السائدة، وعرقلة أي ترقية اجتماعية قد تخل بالتوازنات التي تتماشى مع مصالح الحماية. وعلى هذا الأساس احتُفظ بالتعليم التقليدي، وأحدثت مدارس حديثة مفصولة عن التعليم الفرنسي وتنقسم في المدن إلى صنفين. هناك "المدارس الإسلامية الحضرية" التي تستقبل أبناء الأوساط الشعبية، ويلتحق هؤلاء، بعد إكمال الدراسة الابتدائية، بمدارس تؤهلهم للمهن اليدوية. وهناك "مدارس أبناء الأعيان"، غير المجانية، والتي تجد امتدادها في "الثانويتين الإسلاميتين" اللتين تم إنشاؤهما بفاس والرباط. ويتلقى التلاميذ في هذا النمط تكوينا يسمح لهم بولوج المناصب الإدارية والمهن الحرة، كما أن هذا التعليم يوفر للبورجوازية المحلية أطراً تساهم في تطوير الأساليب التجارية. وانتهجت الإدارة الفرنسية سياسة مشابهة إزاء القوى الاجتماعية السائدة في البوادي، فقد افتتحت مدرسة "الدار البيضاء" بمدينة مكناس لتكوين ضباط مغاربة، وكان جل تلاميذها من أبناء القواد وبيوتات المرابطين والأشراف.

لقد شهد الميدان التعليمي بداية التحرك الجماعي الذي لجأت إليه النخبة الحضرية لمجادلة المخططات الفرنسية. ففي سنة 1921 م انطلقت "المدارس الحرة" التي أطرها مثقفون من خريجي جامعة القرويين، يجمعهم العزم على مواجهة الاستلاب اللغوي وتأكيد الهوية العربية ـ الإسلامية ونشر الفكر السلفي، وهم نفس المثقفين الذين سوف يؤسسون

الجمعيات السرية ابتداء من 1926 م، أي في مناخ انتكاس المقاومة الريفية. ولا أدل على ذلك من أن مؤسسي أول جمعية بفاس كانوا من أطر "المدرسة الناصرية" وهم المختار السوسي ومحمد غازي وعلال الفاسي وإبراهيم الكتاني. وكانت هذه السيرورة موازية لبروز تناقضات نظام الحماية. فوراء شعار "الاشراك"، اتضح الاتجاه نحو أسلوب الإدارة المباشرة، واكتسح الرأسمال الفرنسي القطاعات الاقتصادية الاستراتيجية. وفي آن واحد لم يتم تعميم المجالس البلدية، وعبر النظام التعليمي عن نفس الارتباك، فقد حضر ليوطي مشروع قسم "التعليم الإسلامي" وقسم الدراسات التجارية بالمعهد العالي للدراسات المغربية بالرباط، وذلك من أجل تكوين أطر مغربية عليا في مجال الإدارة والتجارة، لكن هذين المشروعين لم يصلا إلى مرحلة التنفيذ.

ما هي إذن العلاقة بين الأعيان ولحظة الاختمار الثقافي للحركة الوطنية ؟ أنحن أمام حركة مثقفين استطاعت أن تكسب تعاطف الأعيان وتضامنهم ؟، أم أن الحركة الثقافية كانت تعبيرا عن خيبة النخبة الحضرية بشكل عام ؟ إلى أي حد أثرت بنية الأعيان في تشكل الحركة الوطنية وممارستها؟ وهل تجاوز العمل الوطني الاستراتيجية التي صاغتها إدارة الحماية لإعادة إنتاج مجتمع الأعيان، أم أن هذه الإستراتيجية تركت آثارها على المدى البعيد ؟ هذه أسئلة ترتبط بإشكاليات أوسع، وتتطلب الإجابة عنها أن يفتح ملف التاريخ الاجتماعي لمغرب الحماية.

ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط ؛ م، السباعي، *البستان الجامع*، مخطوط ؛ الكتاني، *زهرة الآس*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب* ؛ *الوثائق* (دورية) العددة 3 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط*.

J. Halstead, *Rebirth of a nation* ; M. Chapi, *Quelques grandes familles du Makhzen* ; K. Brown, *People of Salé* ; A. Laroui, *les Origines* ; N. Cigar, *Société et vie politique à Fès sous les premiers Alawites* 1660 - 1830) Hespéris Tamuda, 1978 - 79. p : 93 - 172 ; M. Kenbib, *les protections étrangères* ; A. Sebti, *Aristocratie citadine* ; D. Shroeter, J, *Merchants and Pedlars of Essaouira ; D. River, Lyautey.*

عبد الأحد السبتي

**أعيسى عَقَّا**. ولد سنة 1922 بأيت إبراهيم أيت لحسن بمرموشة بإقليم بولمان. شارك في صفوف جيش التحرير والمقاومة ضمن تشكيلة السيد علي بُزيّانْ أثناء ثورة أكتوبر سنة 1955 بعد ما أغارت فرقة من القوة الفرنسية على مركز مرموشة. استشهد وهو يشارك في هجوم على المركز المذكور، وكان ذلك يوم 2 أكتوبر من سنة 1955.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**أعياش ← العياشي**

**الأغالبة والمغرب**، من المعلوم أن دولة الأغالبة عاشت أزيد من قرن من سنة 184 إلى سنة 296 هـ، فكانت معاصرة لدولة الأدارسة، وأنهم كانوا موالين للعباسيين، برغم تمتعهم بنوع من الاستقلال في توليتهم الإمارة على أفريقية. وظهر ولاؤهم بالخصوص، في مراقبة أعداء الدولة العباسية بالغرب الإسلامي، إذ من المعلوم أن الأندلس وبلاد المغرب الأوسط والأقصى أعلنت انفصالها عن الخلافة العباسية وقامت فيها عدة دول يهمنا منها ها هنا تلك التي تأسست بالمغرب الأقصى وهما الدولة المدرارية بسجلماسة ودولة الأدارسة بفاس.

وليس من المستبعد أن الخلافة العباسية بالمشرق كانت تسعى إلى بسط نفوذها على مجموع الغرب الإسلامي، معتمدة في ذلك على الأغالبة. لكن هؤلاء لم يستطيعوا تحقيق أمنيتها، وإنما اكتفوا بمساعدتها عن طريق الكيد لأعدائها ومضايقتهم والحيلولة دون توسعهم في البلاد. وقد توصلوا في ذلك إلى بعض النتائج.

فيما يخص علاقات الأغالبة بالمدراريين تضاربت آراء المؤرخين، فمن قائل إنه حصل اتصال وتوادد بين الطرفين، ومن قائل إن المدراريين كانوا تابعين للأغالبة، ومن قائل بالتقاطع والعداء بينهم. ولربما كان الواقع أشد تعقيداً من ذلك. إذ من المحتمل أنه كان يحمل تناقضات وتحولات.

فعلى المستوى المذهبي، من المؤكد أن أسباب العداء كانت قوية. فالمذهب السائد بأفريقية منذ عهد الأغالبة كان هو المذهب المالكي. ومالبثت أفريقية أن أصبحت أحد المراكز الكبرى لذلك المذهب، تدافع عنه ولا تقبل غيره، في حين أن المذهب القائم بسجلماسة على عهد المدراريين كان هو المذهب الخارجي على الطريقة الصفرية. وموقف الإمام سحنون، زعيم المذهب المالكي بأفريقية من الصفرية أمر معلوم، إذ كان يندد بهم ويكفرهم ويضطهدهم متى ظهر لهم أثر. والسياسة العامة للدولة العباسية التي كان الأغالبة يطبقونها بالغرب الإسلامي كانت هي قمع الخوارج والحيلولة دون ظهورهم وإيقاف كل نشاط لدعوتهم.

وأما من الناحية السياسية، فقد سبق أمويو الأندلس إلى ربط الاتصال مع المدراريين لسببين كبيرين : أولهما البحث عن حلفاء في المنطقة لمواجهة الأغالبة الذين كانوا يمثلون الخلافة العباسية. وقد استمر الموقف نفسه بعد أن حل الفاطميون محل الأغالبة بأفريقية. وثانيهما الرغبة في الحصول على فوائد التجارة مع أفريقيا السوداء عن طريق سجلماسة. ويتضح من كل ذلك أن العلاقات ما كانت لتصفو بين المدراريين والأغالبة صفاء حقيقيا. ومجمل القول إن سجلماسة وإيالة المدراريين، بوجه عام، سلمتا من عدوان الأغالبة، نظرا لموقعهما ولكونهما تقعان وراء مملكة الرستميين الخارجية التي كانت هي الأخرى، تناصب العداء للدولة الأغالبية.

لكن الدولة التي استأثرت باهتمام الأغالبة كانت هي الدولة الإدريسية، التي تأسست بالمغرب الأقصى ابتداء من سنة 172 / 788. ذلك أن إدريس الأول مؤسسها كان حفيدا للرسول ولعلي بن أبي طالب، فكان يعتبر نفسه هو وأسرته

أحق بالخلافة والإمامة من العباسيين. مما جعل استقراره بأقصى المغرب وتأسيسه لدولة فتية تحديا وتهديدا للعباسيين وسعيا لأخذ ثأرالأسرة العلوية التي طالما نكلوا بها وكانت آخر وقعة تصدوا لهم فيها بالتقتيل والإبادة هي وقعة فخ (169 هـ) بناحية مكة، التي تمكن إدريس من الفرار منها سالما.

ولذلك حرص الخليفة هارون الرشيد على أن يتتبع بكل حذر ويقظة تطور الدولة الإدريسية بالمغرب، وكلف بذلك إبراهيم بن الأغلب الذي لم يكن بعدُ تولى الإمارة بأفريقية، وإنما كان أحد القادة المعدودين والمرموقين بالمنطقة، وكان يحظى بثقة الرشيد. ويتضح من عدة قرائن أن إبراهيم بن الأغلب كان عضوا أساسيا في المؤامرة التي دبرها الرشيد لاغتيال إدريس، إذ وجه إليه أحد الأعوان الدهاة سليمان بن جرير. وقد ورد في رواية ابن الآبار :"فلما ولي الرشيد دس إلى إدريس من أنس به، واطمأن إليه، وكتب له كتابا إلى إبراهيم بن الأغلب عامله على أفريقية فاحتال حتى سمه" (*الحلة السيراء* 1 : 52).

فاغتيال إدريس بالسم جرى سنة 177 / 713 بمساعدة إبراهيم بن الأغلب الذي لم يكن تولى على أفريقية بعد.، إذ لم يتم له ذلك إلا في سنة 184، بعد أن قدم للرشيد كل البراهين على كفاءته وإخلاصه في خدمة الدولة. كما أن خبرته بالمغرب وأهله كان لها دور كبير في الثقة التي حظي بها عند الخليفة العباسي.

كان اغتيال إدريس مأساة كبرى بالنسبة للأسرة العلوية التي توالت عليها النكبات، لكنه لم يحل المشكل المطروح على العباسيين، لأن الدولة الإدريسية استمرت في شخص إدريس الثاني 177 ـ 213 / 793 ـ 828 الذي ناب عنه في تدبير شؤون الدولة أثناء صباه راشد مولى إدريس الأول. ومن المعلوم أن راشد كان ذا رأي وحيلة وتجربة، وكان له دور أساسي في فرار إدريس الأول من وجه العباسيين وتأسيس الدولة الإدريسية بفاس. فاستطاع أثناء وصايته على الصبي إدريس أن يقوم بأعباء الدولة ويوطد كلمتها، الشيء الذي لم يرق لا العباسيين ولا ولاتهم على أفريقية الأغالبة. ولذلك، فإن إبراهيم بن الأغلب لم يتوان عن الاستمرار في كيده للأدارسة وظل يتربص الفرصة براشد إلى أن حانت له الفرصة فقام باغتياله في تاريخ لم تتفق المصادر على تحديده، إذ تختلف بين سنتي 178 و 186 هـ. والراجح أن الاغتيال جرى بعد مرور سنوات على مصرع إدريس الأول، بعد أن عاد إلى النفوس الاطمئنان، وتخلى رجال البلاط الإدريسي عن الحذر والاحتياط.

ولم يستفد لا العباسيون ولا الأغالبة من مقتل راشد، إذ وجد الصبي إدريس من يعضده ويؤازره بالرأي والنصح في شخص أبي خالد يزيد بن إلياس العبدي وسارت الدولة الإدريسية في طريق النمو والترعرع. وكل هذا فت في عضد إبراهيم بن الأغلب الذي فكر في شن الحرب على إدريس الثاني. إلا أن خاصته ثنوه عن إنفاذ مشروعه.

فرجع إبراهيم إلى خطة الدس والكيد. وفكر في طريقة لعزل أنصار إدريس من البربر عنه. فاتصل سرا بوزيره بهلول المدغري وأغراه بالمال والوعود إلى أن جلبه إلى جهته، وحاول أن يثير عليه أوربة، أنصار الأدارسة الأولين بإثارة العصبية القبلية واستغلال توافد أعداد كبيرة من العرب على فاس وركون إدريس إليهم، وتمكن من تدبير مؤامرة معهم ضدا على إدريس لكن هذا الأخير فطن بذلك ولم يتردد في معاقبة الأوروبيين المشاركين في المؤامرة وفي مقدمتهم إسحاق ابن عبد الحميد الأوربي، زعيم أوربة ونصير إدريس الأول عند مقدمه إلى المغرب، وجرت الحادثة في سنة 192 هـ. وحاول إدريس أن يخلق جوا من المصالحة والتوادد مع ابن الأغلب وراسله في هذا الشأن لكنه لم يحصل على طائل.

وفي هذه الأثناء توفي إبراهيم ابن الأغلب سنة 196 وحل محله ولده عبد الله ( 196 ـ 201 / 811 ـ 816) ويظهر أن عهده القصير لم يحدث فيه شيء يتعلق بالمغرب سيما وأن سوء سيرته أثار عليه مشاكل في أفريقية ثم تلاه أخوه زيادة الله ( 201 ـ 223 / 816 ـ 837) فوجد أمامه مشاكل داخلية لم يوفق إلى حلها بسهولة، إذ انهمك في مواجهتها ما لا يقل عن إحدى عشرة سنة أي إلى غاية 212 وتنفس إدريس الثاني الصعداء وزاد في توسيع مملكته، إذ تمكن من مدها في اتجاه الشرق وضم إليها تلمسان. كما وطد نفوذه في أقاليم الجنوب المغربي بين سوس ودرعة وفي جهات أخرى من الأطلس الكبير والأطلس المتوسط.

لكن زيادة الله ما لبث أن تخلى عن توانيه في محاربة الأدارسة ورجع إلى خطة أبيه في الكيد لهم، فتمكن من اغتيال إدريس الثاني سنة 213 وتتفق عدة مصادر على أنه مات مسموما.

هكذا استطاعت الدولة العباسية بواسطة الأغالبة أن تهد كيان الدولة الإدريسية الناشئة وتحطم طموحها وتكسر وثبتها. فبعد موت إدريس الثاني دخلت الدولة الإدريسية في أطوار من الانطواء والانكماش والفتن الداخلية وتراجعت عن طموحها الكبير الذي كان يراود مؤسسها، ألا وهو تأسيس خلافة علوية والقضاء على الدولة العباسية.

لكن العلاقات بين المغرب وأفريقية في عهد الأغالبة لم تنحصر في النزاعات بين الأسر الحاكمة، بل كان هنالك تبادل تجاري بين البلدين فالقوافل التجارية كانت تتحرك بين البلدين إما لنقل بضائع الشرق إلى المغرب والأندلس أو لنقل بضائع المغرب إلى أفريقية وإلى الشرق، ومن بينها الذهب والفضة والرقيق الأبيض والأسود. كما أن أفريقية كانت محطة مهمة في طريق الحجاج المغاربة وفي طريق طلاب العلم.

لكن هذا الجانب لا يمكننا أن نتحدث عنه إلا بشيء من الإجمال لأن مصادرنا لا تمدنا بما يكفي من المعلومات.

إ. الاصطخري، *المسالك والممالك*، القاهرة 1916 ؛ أ. البكري، *المغرب*، باريس 1911 ؛ أ. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ م. ابن

الأبار، *الحلة السيراء* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ع. الجزنائي، جنى زهرة الآس ؛ ابن الأثير، *الكامل* ج 5 ؛ سعد زغلول عبد الحميد، *تاريخ المغرب العربي* ؛ السيد عبد العزيز سالم، *تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس*، القاهرة 1962 ؛ محمود إسماعيل، *الأغالبة*، فاس 1978.

*Encychlopédie de l'Islam.*

محمد زنبير

**أَغْبَار**، مفرد مذكر. يجمع على إيغْبَارَنْ، وصيغة التصغير منها هي تاغْبَارْتْ وتجمع على تيغْبَارينَ، اسم لعدة أمكنة، يوجد المعروف منها حتى اليوم في وادي نفيس الأعلى وبلاد تيفنوت بأيت وَاوْزْگيتْ الجنوبيين.

أما المدلول اللغوي للكلمة، فيبدو أنه مستمد من الوضع الطبوغرافي للأماكن التي تحمل هذا الاسم. إذ يلاحظ أنها تقع كلها في أعلى جزء من وادٍ مّا. أي في المنطقة التي تتجمع فيها المياه الأولى التي تكون رأس مجرى مائي. فهي إذن تعني أعلى حوض النهر.

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن ثلاثة من أربعة أماكن تحمل الاسم المذكور، توجد بها مناجم معدنية، منها ما عرف من عهد الموحدين. فقد ذكر البيذق أن عبد المومن بن علي عاقب أيت واوزگيت حينما "حصروا العدّانيين في أغبار" تيفنون. كما أشار مؤلف *رحلة الوافد* إلى "أن بلدة أغبار (بوادي نفيس الأعلى) فيها كثرة المعادن من حديد وغيره"، وأضاف بأنه أخبر بأن هذه المعادن كانت تستغل منذ عهد الإمام المهدي بن تومرت.

وفي عهد الحماية نجد أن معادن تاغبارت بأعلى وادي أگنْضيص - أحد روافد نفيس العليا - كانت تستغل من قبل شركة معدنية عصرية، واستمر ذلك إلى وقت قريب.

ويعتبر أغبار وادي نفيس، ذا أهمية خاصة نظرا لميزاته المتعددة. ومن بينها تغلغل الواديين المكونين له - وهما أسيفْ ن - إيجَانَاتْنْ وأسيفْ نْ - مْسُورْ - تغلغلا عميقا في كتلة تيشكا الجبلية. مما جعله على اتصال مباشر بالمجموعات البشرية المجاورة لها، والتي تعتبر من أقوى المجموعات الجبلية وأشدها مناعة وأكثرها غيرة على استقلالها منذ أقدم العصور. وتزداد أهمية هذا الموقع خصوصا إذا علمنا أن الموسم الرعوي الذي ينعقد كل صيف بمراعي تيشكا يلعب دورا هاما في شتى مجالات حياة سكان المنطقة. أضف إلى ذلك أن التغلغل جعل بلاد أغبار قريبة جدا من سوس الأعلى، مما سهل الاتصال وتبادل المصالح بينهما.

إن الناظر إلى بلاد أغبار، سيلاحظ بسرعة أنها منعزلة وسط قمم جبلية عالية، وقراها تنبث على جوانب أودية عميقة وضيقة، ولا تصلها بالخارج إلا مسالك جبلية شديدة الارتفاع وصعبة العبور ومعددوة على الأصابع.

ولهذه الأسباب تمكن سكان أغبار من الاحتفاظ باستقلالهم السياسي ونظامهم المجتمعي الجماعي حتى زمن قريب. ولم يتمكن القائد الگنتافي من إخضاعهم لنفوذه - رغم قوته - إلا غداة موت السلطان الحسن الأول، وبعد معارك عنيفة بين الطرفين.

وأخيرا تجدر الإشارة إلى أن شيخ زاوية تَاسَافْتْ لم يجد ملجأ يلتجئ إليه هو وعائلته، حين داهمت حركة باشا مراكش عبد الكريم بن منصور، وادي نفيس سنة 1715، إلا بلاد أغبار التي كانت كذلك ملجأ لجزء من سكان الوادي الهاربين لنفس الأسباب.

أ. البيذق، *كتاب أخبار المهدي*، (1928) النص، ص 127، الترجمة، ص 217 وتعليق رقم 2 ؛ عبد الله بن إبراهيم، *رحلة الوافد*، 124، 125، 129 وما بعدها، وأماكن أخرى.

Ch. De Foucauld, *Dictionnaire*, 1 : IVm P. 1690 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, pp. 12, 18 134, 162, 186 et passims ; *L'Aghbar et les hautes-vallées du Grand-Atlas*, dans Hespéris, Année 1927, 1er Trimestre, pp. 1 - 32 ; E. Laoust, *Contribution*, p. 34.

علي صدقي ءازايكو

**أَغْبَال**، صيغة لكلمة أَغْبَالُو الأمازيغية، ومعناها عين ماء.

جغرافيا يرتبط اسم أغبال، إما بهذه الصيغة أو بتحريف ضئيل، بأماكن وقرى متعددة بمختلف مناطق المغرب. فقد أحصى إ. لاووست E. Laoust ما يقرب من عشرين مكانا بهذا الاسم (*Contribution*, 58).

ومن المراحل التي ذكرتها كتب الأخبار : أغبال ببلاد زمور بعد المرور بالمعازيز في الطريق من مكناس إلى الرباط، وبه حلت محلة السلطان المولى الحسن الأول سنة 1294 هـ في طريقها نحو مراكش.

وبناحية أزرو، على بعد ثلاثة كيلومترات من هذه المدينة إلى الغرب، توجد عين ماء جارية غزيرة تعتبر من أهم مصادر مياه واد بهت، تعرف بعين أغبال، وهذا الاسم كما يلاحظ، مركب من كلمتين أولاهما عربية (عين) والثانية أمازيغية (أغبالو)، وكلاهما تدل على نفس المعنى، فيكون مفاد الاسم "عين العين"، وهذا فيما نعلم هو المثال الوحيد لهذا الترادف والاندماج اللغوي فيما يخص تسمية منبع مائي.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 2 : 167 ؛ *استطلاعات محلية*.

E. Laoust, *Contribution.*

عبد العزيز توري

**أَغْبَالَة**، ترجع تسمية هذه القرية في الأصل إلى عين كبيرة اشتهرت بها هذه القرية، يصطلح عليها باللهجة المحلية (أَغْبَالُو) وقد سمي سكان المركز بأَغبالة.

الانتماء القبلي : ينتمي سكان أغبالة إلى قبيلة أَيْتْ سُخْمَانْ، التي تفرعت إلى قبيلتين هما : أيت حمامة وأيت عبدي نسبة إلى حمامة وعبدي، وهما من إخوة كوّنوا قبائل مستقلة، فمركز أغبالة ينتمي إلى قبيلة أيت حمامة.

الانتماء الإداري والموقع : يخضع مركز أغبالة إدارياً لدائرة القصبة التابعة لعمالة إقليم بني ملال. وتقع أغبالة

في الشمال الشرقي لإقليم بني ملال على الطريق الثانوية رقم 1902 الرابطة بين القصبة والقباب، وبالضبط بين منبع نهري ملوية وواد العبيد. يحدها من الناحية الجنوبية قبيلة أيتْ حْديدو، وغربا أيت داود وعْلي وأيت ويرا، وشمالا أيت هودي وأيت إسحاق، وشرقا أيت حنيني.

- بعض المعطيات الطبيعية : أغبالة تدخل في ميدان الأطلس المتوسط، الصخور الغالبة في هذه المنطقة هي الصخور الكلسية التي تمتاز بنفادية كبيرة، ومن صخور غير نافدة، صلصال أساسا، يلعب دور الركيزة. لهذا السبب برزت مجموعة من العيون أهمها عين أغبالة المشهورة. ومن الناحية المناخية : تنتمي منطقة أغبالة إلى النوع الجبلي القاري الجاف والحار صيفا والرطب والبارد شتاء. وبالرغم من ارتفاع المنطقة وقربها من الأطلس الكبير حيث الثلوج تدوم أكثر من أربعة أشهر، أي من دجنبر إلى مارس، والتي تعطي الرياح الجنوبية الشرقية الباردة برودة كبرى، فالحرارة تبقى نسبيا مرتفعة، ويخضع تذبذبها كما هو الشأن في الأمطار لنظام الفصول. الأشجار السائدة بالمنطقة هي بعض الأشجار المثمرة كجشر التفاح والخوخ وأشجار العرعر والبلوط الأخضر. أما باقي المنطقة فتعرف تدهورا مستمرا للغابة بفعل الاستغلال البشري المكثف.

يعرف مركز أغبالة تطورا ديموغرافيا ملحوظا ويبلغ عدد سكان المركز 4200 ن. وتتخذ القرية شكلا طوليا، إذ أن السكن يقع على طول الطريق الثانوية المؤدية إلى القباب. وهذا المركز يخضع لتصميمين : الأول موروث عن الاستعمار الفرنسي، والثاني حديث العهد قامت به السلطات المختصة.

يتكون المركز من أحياء أساسية : الحي الإداري، حي الموظفين، الحي الصناعي، الحي الجديد. كما أن مركز أغبالة يتوفر على مجموعة من التجهيزات والمرافق العمومية الضرورية.

الأنشطة الاقتصادية المحلية : النشاط السائد بالقرية هو الفلاحة التي ترتبط بأقدام السفوح وبعض المنخفضات المغلقة، وتربية الماشية المتمثلة في الماعز أساسا وبعض الأغنام.

خصوصيات القرية : لعب هذا المركز دوراً تاريخيا مهما، تجلى في استقباله لعدد كثير من المهاجرين الذين مثلوا بعض القبائل المتضررة من الاستعمار الفرنسي (كدكالة وعبدة وبني عمير وزيان...) مما زاد في إشعال نار المقاومة بالقرية، إلى أن تم استسلامها سنة 1932.

عبد الرحيم بنعلي

**أغْبَالُو نْكرْدوس**، جماعة قروية بدائرة كلميمة تقع في الجهة الغربية من إقليم الراشدية (قصر السوق سابقا) تحدّها شمالا جماعة أسول وجنوبا إقليم ورزازات. تشتمل على منطقة جبلية ممتدة من جبل بادو في الشمال الشرقي إلى جبل حمدون في الشمال الغربي، ومنطقة سهلية يخترقها واد كبير من الشمال إلى الجنوب. مناخها قاري بارد جاف، وتتساقط الثلوج في مرتفعاتها.

ولهذه المنطقة ماض مجيد في مقاومة الاستعمار الفرنسي التي استمرت أكثر من عقدين من السنين اشتهرت فيها معركة وادي إفيغ القريب من أغبالو نكردوس. وكانت معركة عنيفة دامت من 11 إلى 16 يبراير 1932. وفقدت فيها القوات الفرنسية المهاجمة كثيراً من المقاتلين والأسلحة، واضطرت إلى الاستنجاد بعسكريين شاركوا في معارك الريف. ولم يتكمن الفرنسيون من الاستيلاء على أغبالو نكردوس إلا يوم 11 غشت 1933 على إثر معركة جبل بادو التي قادها خمسة جنرالات واستخدمت فيها الطائرات وأحدث الأسلحة الفتاكة. وتجدر الإشارة كذلك إلى أن المنطقة لعبت أدواراً مهمة في مختلف حقب تاريخ المغرب، وعثر في إفيغ أخيراً على اثنتي عشرة قطَعة ذهبية موحدية من سك عبد المومن بن علي (525 ـ 558).

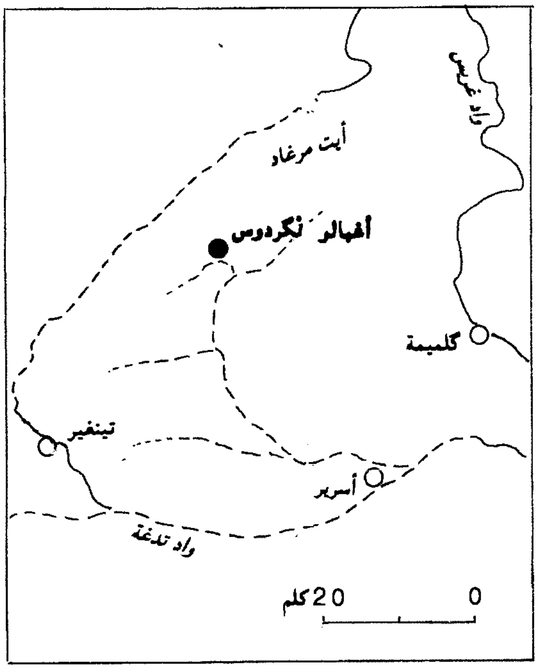


**أغبالو نكردوس**

ونظراً لإيغال موقع أغبالو نكردوس داخل الصحراء وانعزاله وبعده عن الطرق المطروقة بنى المستعمرون فيه سنة 1953 معتقلا كبيرا حشروا فيه طائفة من الوطنيين من مختلف الجهات "وهو قلعة مسورة في مستوى توجد في غربيّه قرية تعلو على المعتقل وهي متصلة به اتصالاً مباشراً، وفي الجنوب الوادي الذي فيه القرى والحقول التي تطل عليها. وفي الشرق من المعتقل المسور ديار منتشرة يسكنها المراقب ومن إليه في مغروس جميل بأنواع الأشجار المثمرة... وفي شرقي هذه الديار منحدر يتصل بالوادي الذي تطل عليه في الجنوب. وفي الشمال بين المعتقل وبين جبل حمدون مضيق غير متسع إلا بضعة أمتار فيه بستان مستطيل.." (*معتقل الصحراء*، 165).

وقد خلّد محمد المختار السوسي اسم أغْبالو نْكردوس في تاريخ الحركة الوطنية المعاصرة، وكان ممن اعتقلوا فيه، بكتاب *معتقل الصحراء* في جزءين، طبع أولهما بعد وفاته، مشتملاً على وصف ممتع للموقع والسكان والمعتقلين، وأدبيات طريفة شاهدة على أحداث وانطباعات. أما الجزء الثاني فإنه ما يزال مخطوطا ويحتوي على تراجم المعتقلين في أغبالو نكردوس الذين ينيف عددهم على السبعين. وفي نونبر 1987 حج بعض قدماء المعتقلين في أغبالو نكردوس إلى هذه القرية وزاروا معتقلهم القديم الذي أصبح - منذ الاستقلال - مدرسة يتعلم فيها أطفال المنطقة نهاراً، وكبارها ليلاً في نطاق محاربة الأمية. وألقيت في هذا التجمع كلمات قيمة للأستاذين محمد إبراهيم الكتاني ومحمد الفاسي وغيرهما نشرت ملخصاتها في كتيب بعنوان : *الذكرى الأولى لمعتقل أغبالو نْكردوس*.

ص. بلعربي، *كتاب المغرب*. بيروت، 1989 ؛ م. المختار السوسي، *معتقل الصحراء*، ج 1 . الرباط 1982 ؛ *الذكرى الأولى لمعتقل أغبالونْكردوس*، الرباط 1988 ؛ ع. توري، *حول كنز صغير حديث الاستكشاف*، مجلة المناهل، ع 30، 1984.

محمد حجي

**أغربي**، أسرة تطوانية أصلها من ناحية الغرب استوطنت تطوان فكان من بين أفرادها بعض الفقهاء والعدول، مثل الفقيه محمد بن العربي الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1214 / 1800، والفقيه أحمد بن القاسم الذي كان يتعاطى الفتوى من سنة 1248 / 1832 إلى سنة 1257 / 1841.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 م ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.
Delegacion de Asuntos Indigenas, *familias ilustres de Tetuan* 1921 (G). Isidro de las Cagigas Familias tetuanies de abolengo 1921 (A). *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* (G). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**إغْرِيْبَنْ**، قرية بفرقة الفوقاني من قبيلة تمسمان الريفية بالقرب من تل أنوال، احتلها الجيش الإسباني الغازي لأول مرة يوم 7 يونيو 1921 حيث تمركز وأقام بها تحصينات كانت تفوق تحصينات مركز أنوال، وهذا ما جعل قائد الثورة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي يولي إغريبن اهتماماً أكثر من اهتمامه بمركز أنوال. فبدأ يحفر الخنادق حول إغريبن يوم 14 يونيه. وفي يوم فاتح يوليوز أقام الحصار الفعلي على هذا المركز واستمر إلى يوم 21 من نفس الشهر حيث تمكن من تدميره والقضاء على حاميته المكونة من 639 مقاتلاً ما بين جنود وضباط برئاسة الكومندان بينيطيث Benitiz

وأثناء هذه المدة قام الجنرال سيلفيسطري بعدة محاولات من أجل فك الحصار المضروب على إغريبن، وذلك بإرسال القافلة تلو الأخرى، ولكن دون جدوى، لأن المجاهدين كانوا لهم بالمرصاد يسحقون القافلة بعد الأخرى، وهذا ما أدى إلى حدوث عدة معارك أثناء الحصار الذي دام من يوم فاتح يوليوز إلى يوم 21 منه. وكان النصر حليفاً للمجاهدين في جميع هذه المعارك.

م. ابن عزوز حكيم، *معركة أنوال*، تطوان 1981، ص 77.
Servicio Historico Militar, *Historia de las Campañas de Marruecos*. Madrid 1947 - 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**إغْرِيْبَنْ** (معركة بالريف). يتوقف المؤرخون لدى تناولهم حرب الريف التحريرية عند المعارك الطاحنة التي جرت من 14 إلى 21 يولويز 1921 بإغريبن، الواقعة بين قبيلتي تمسمان وبني توزين، على الجنوب الغربي لكل من أمزاورو وأنوال. وأهمية هذه المعارك الدامية تكمن أولا في شدة ضراوتها وهولها، وثانيا في الحصار الذي ضربه مجاهدو الريف على حامية المركز الذي يبتعد عن الماء الصالح للشرب بحوالي 4 كم.

لقد احتل الجيش الإسباني إغريبن يوم 7 يونيو 1921 بقيادة العقيد موراليس Morales، وتحصن فيه دون أن يتعرض في البداية لأي مجابهة، ودون أن يتكبد أي خسائر. بيد أن هذا الاحتلال ترك وقعا سيئا في نفوس الريفيين، فقرروا استرجاعه. وهكذا، قاموا بحفر الخنادق بالقرب من إغريبن لعزله عن باقي المراكز الأخرى المحتلة وخصوصا أنوال لكي لا تتمكن قافلات التموين من الوصول إليه. وفي هذا السياق، تحدث محمد بن عبد الكريم الخطابي عن الظروف التي كانت تحيط بحصار إغريبن :

"كنت على علم بأن تموين الجيش الإسباني كان غير منظم وأن حامية المراكز المحتلة لم تكن تتوفر إلا على ما تحتاجه لمدة أربعة أيام لا أقل ولا أكثر، كما أنني كنت على علم بالحالة النفسية التي كان يعيش عليها الجندي الإسباني وهو يشاهد بأعينه الأعمال التمهيدية التي كنا نقوم بها استعدادا لمهاجمته من حين لآخر".

ابتدأت عملية الحصار في منتصف يوليوز 1921، شدد أهل الريف الخناق على حامية إغريبن فحاصروها، وأخذوا يشنون عليها هجومات متتالية. وتشير الوثائق العسكرية الإسبانية إلى أن هذا الحصار المضروب أصبح، يومي 19 و 20 يوليوز، جحيما لايطاق. وهكذا تقدم المجاهدون إلى مركز إغريبن فهاجموه يوم 21 يوليوز دفعة واحدة. وتذكر نفس الوثائق أن عدد الذين غادروا المركز كان يفوق ثلاثمائة رجل، لم يصل إلى أنوال إلا أحد عشر، وأما الباقي، فمنهم من قتل، ومنهم من سقط في يد المجاهدين.

أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية* 2 : 87 ؛ م. د عمر القاضي، *أسد الريف عبد الكريم الخطابي*، تطوان، 1979، ص 117.

L. Casada Escudero, *Iguerriben*. Madrid, 1923. "*Historia de las Campañas de Marruecos*", Madrid, 1981, 417 - 430.

عبد العزيزالتمسماني خلوق

**إغـرم**، مصطلح أمازيغي واسع الانتشار، إذ نجد استعماله في مجال جغرافي يشمل مناطق تمتد من جنوب الأطلس الكبير والجنوب الشرقي إلى الريف، وإن كان استعماله عند بعض القبائل يتخذ صيغة المؤنث تغْرمتْ، ويطلق حينئذ على المنزل الكبير ذي الغرف المتعددة المتكون أحيانا من عدة طبقات يخصص بعضها لخزن المواد، لذلك نجده منزلا محصنا، في كل زاوية خارجية منه برج قوي.

أما صيغة المذكر إغْرم، فيحيط معناها الشائع بالقرية المحصنة التي يطلق عليها بالدارجة المغربية اسم القصر، والمنتشرة خصوصا في واحات الجنوب والجنوب الشرقي وعلى طول أودية درعة ودادس وتدغة وغريس...

تمتاز هذه التجمعات السكنية ببنيانها المتراص، المجتمع، المحصن بسور أو سورين وقائيين، لا يفتحهما على الخارج سوى باب رئيسي كبير وقوي يقوم بحراسته حارس دائم، ويتميز السور الداخلي بأبراج عالية تحتل زواياه. بينما يكون السور الخارجي بناءً عادياً لا يميزه سوى علوه.

أما النظام الداخلي للقرية فيحتوي على أزقة ضيقة، معظمها مغطى، تتوسطها في الغالب ساحة رئيسية واحدة، نجد بها البئر الجماعية. أما المسجد فيحاذي الباب الرئيسية وقد يستعمل لموقعه هذا، في الدفاع وردّ كل مهاجم خارجي، لذلك نجد بجدرانه فتحات توجه منها طلقات البنادق نحو الخارج.

وقد لاحظ "لاووست" أن خاصية الدفاع هذه تقرب ما بين إغرم وأگادير وهو البناء المحصن المخصص لخزن المواد والمذخرات. وانطلاقا من ذلك أشار إلى أن من خلال تمعّن دقيق في انتشار البناءين والكلمتين يتضح أن منطقة تيزي - ن - تلْوات بالأطلس الكبير هي "الحد الفاصل بين منطقتين لغويتين كبيرتين تستعمل الغربية منهما لفظ أگادير والشرقية كلمة إغرم... لكن انتشار إغرم عبر مناطق گنْدافة، وگدميوة، وغيغاية يدفع بذلك الحد شيئا ما إلى الغرب (*Contribution*, p. 71) ولاحظ كذلك نفس الباحث أن كلمة "إغرم لا تجهلها القبائل التي تستعمل لفظ أگادير، فهي تشير بها للجدار المنحدر والعريض المبني من الأحجار المرتبطة بدون لياط، والمستعمل كحاجز لتربة المسطحات الصغيرة المحوثة"، كما أن مستعملي لفظة إغْرم للدلالة على القرية أو الدار المحصنة يستعملون كذلك كلمة أگادير إشارة للحائط العادي.

ومن أشهر القرى التي بقي مصطلح إغرم عالقا بها قرية إغرم امزدار بقبائل أيت عطّا، وإغرم العلام بناحية بني ملال.

E. Laoust, *Mots et Choses*, p. 1. 2 ; *Contribution*, p. 70 - 71 ; L. Mezzine, *Le Tafilalt*, p. 194 - 95, note 36 ; A. Touri et Hammam, "*Tradition écrite et architecture*", *Hespéris Tamuda*, 1986, p. 213 s.

عبد العزيز توري

**أغريتم ← لوغاريتم**

**أغريس ← غريس**

**الإغريسي ← الغريسي**

**اغزاوة ← اغصاوة**

**الأغزاوي ← الأغصاوي**

**إغْزَرْ أشّن**، معركة من أعنف المعارك التي خاضها سكان الريف بقيادة الشريف محمد أمزيان (من 9 لوليوز 1909 م إلى 15 ماي 1912) ضد قوات الاحتلال الإسبانية.

وقد وقعت في المكان الذي صارت تعرف باسمه وهو "إغزر أشن" أو أُخَنْدُوقْ أشّنْ ومعناه في اللهجة الريفية، وادي الذئب. ويعرف عند الإسبانيين بـ "El Barranco del labo". يقع بمدشر أيت عيسى ببني أنصار من قبيلة مزوجة المكونة لإحدى القبائل الخمس لقلعية.

ويبدو سطح المكان لناظره من بعيد في شكل هضبة قليلة الانحدار (150 مترا). لكن الواقع هو غير ذلك ؛ فأرضيته صعبة المسلك، تتخللها خوانق ضيقة وصغيرة تنزل نحو مجرى "إغزر أشن"، لا ترى إلا عند الاقتراب منها، من فوق الهضبة. وتغطيها صخور كثيرة من مختلف الأحجام تجعل حركة السير بها صعبة، لكنها تعتبر بالنسبة للسكان خطاً طبيعياً ممتازاً للدفاع ضدّ أي هجوم يأتي من هذه الجهة، يمنحهم التفوق في الميدان.

كان الجنرال "خُوصي مَرِينَا José Marina"، الحاكم العام لمليلية، يعتقد إلى غاية هذا التاريخ (27 يوليوز 1909 م)، بأن هذا المكان هو أقرب ممر يفتح الطريق لاحتلال جبل أگرگور (گوروگو) المتحكم بموقعه في كل قبائل قلعية، والذي يهدد مدينة مليلية إذا ما توفرت به للمغاربة مدافع متطورة.

ولم تكن هذه الامتيازات الاستراتيجية لهذا الموقع خافية عن الريفيين، لذا تمركزوا به منذ بداية المعارك، ،حفروا به الخنادق، ينطلقون منه لمهاجمة قوافل تموين الجيش الإسباني الغازي ثم يعودون إليه دون أن تنال منهم المدافع الإسبانية شيئاً.

وقد حاول الجنرال "مرينا Marina" احتلال هذه المنطقة بمباغتة الريفيين وإنزال الضربة القاضية بهم خلال يومي 22 و 23 يوليوز، إلا أن المقاومين الريفيين تصدوا ببسالة لقوات الغزو الإسبانية فألحقوا بها هزيمة شنعاء، مما أحدث موجة من السخط والاحتجاج على هذه الحرب لدى الرأي العام الإسباني. أما الحكومة الإسبانية فقد دفعها اندهاشها وفزعها إلى إرسال مزيد من الإمدادات والنجدات إلى مليلية "لإنقاذ شرفها الوطني"، واختارت لذلك أحسن ما تتوفر عليه من الجيوش تدريباً وتسليحاً(La Brigada Mixta de Madrid) بقيادة الجنرال بِينْتُوسْ (Pintos) الشهير الذي اقترن اسمه بالأمجاد الاستعمارية، وكأنها أرادت بذلك إحياء الحلم الذي لم يحالف الحظ الماريشال "أودونيل O'Donnell" لتحقيقه في حرب تطوان سنة 1859م.

وبوصول هذا الجيش، أصبح مجموع القوات الإسبانية بمليلية حوالي ثمانية عشر ألف رجل، مدججين بكل أنواع الأسلحة، ينتظرون الإشارة من الجنرال مرينا Marina لاكتساح أرض الريف.

أما فيما يخص الريفيين، فإن القبائل استجابت لاستنفار المشاعل، فبعثت كل واحدة بما نابها من المقاتلين بسلاحهم وذخيرتهم وما ينفقونه على أنفسهم. فتجمع لدى الشريف أمزيان يوم 26 يوليوز، حوالي سبعة آلاف مجاهد، تمركزوا بالمكان المذكور. وأخبرهم أمزيان بأن قائدا قويا - يقصد پينتوس Pintos - قد وصل إلى مليلية قادماً من إسبانيا للقضاء على مقاومة الريفيين، لذا وجب عليهم الاستعداد لمواجهته. وفي نفس اليوم، وجه أمزيان جماعة قامت باقتلاع جزء من السكة الحديدية عند الكيلومتر الثالث من مليلية لقطع الطريق على قوافل تموين المراكز الأمامية المحتلة، التي كانت تفضل استعمال القطار. بينما أحاط الباقي بالمراكز المحتلة ينتظرون خروج القوات الإسبانية.

لم يخطئ الريفيون في تقدير الوضع، إذ في زوال يوم 27 خرجت من مليلية فرقتان من الجيش لحماية قافلة للتموين، اتجهت بمحاذاة السكة الحديدية شرقاً ؛ بينما خرج الجنرال "پينتوس Pintos" بعد ساعة من ذلك، على رأس جيش ضخم، متجهاً جنوباً صوب "وادي الذئب"، المعقل الرئيسي للمقاومين.

ويبدو من فحص أحداث هذه المعركة، أن الخطة الإسبانية، كانت تهدف إلى تقديم الفرقتين الأوليين كطعم لاصطياد الريفيين واستدراجهم للنزول من مواقعهم المحصنة إلى بسيط سيدي موسى، حتى يستفيد الجيش الإسباني من تفوقه في سلاح المدفعية، فينزل بالريفيين الضربة القاضية، بعدما يكون پينتوس قد استغل هذا الظرف فيحتل المعاقل المحصنة من إغزرأشن. وعندما لم تنجح هذه الخطة، قرر الجنرال پينتوس Pintos المتغطرس الذهاب بنفسه والبحث عن هؤلاء الريفيين "البدائيين" في مخابئهم واستئصال مقاومتهم "الأسطورية". وقدم لزحفه بإمطار المنطقة بوابل من قنابل المدافع التي كانت تشتت أشلاء أجسام المقاومين في السماء، ويخنق دخانها أنفاسهم داخل الخنادق. ومع ذلك فإنهم لم يحركوا ساكنا امتثالاً لأوامر أمزيان بانتظار قبائل الجيوش الإسبانية منهم. ولم يبدأوا في إطلاق النار إلا عندما أصبح معظم الجيش مكشوفاً تحت رحمة بنادقهم. وكادت الهزيمة تقع على المقاتلين الريفيين عندما اضطر جناحهم الأيسر، تحت ضغط الهجومات العنيفة للإسبانيين، إلى الانسحاب نحو المرتفعات، لولا تصدي أمزيان وباقي رؤساء القبائل لهؤلاء، شاهرين سيوفهم في وجوههم، فأرغموهم على الرجوع إلى مواقعهم. وتوزع هؤلاء الزعماء على جبهة القتال التي تجاوز طولها الكيلومتر، يحثون الريفيين على الثبات في مواقعهم بمختلف الأساليب. وهكذا استعاد الريفيون نظامهم وتفوقهم، فانقلبوا مهاجمين بعدما كانوا مدبرين، ومن بين هؤلاء، من كان سلاحه خناجر تقليدية فقط !.

استمرت المعركة على هذه الحال إلى حوالي الثالثة بعد الزوال، حيث زادت كفة الريفيين رجحانا بمقتل الجنرال "پينتوس Pintos"، واضطرار الجيش الإسباني إلى الانسحاب بشكل فوضوي بعدما فقد معظم رجال قيادته وجنوده وسلاحه وذخيرته وخيوله...

وقدرت خسائر القوات الإسبانية رسمياً بـ 1046 بين قتيل وجريح، من بينهم 68 ضابطا ورئيساً للجيش، إضافة إلى خسائر كبيرة في العتاد والذخيرة...

وقدر الجنرال مرينا Marina خسائر الريفيين بمائة قتيل ومثله من الجرحى من بينهم عدد من صناديد رجال الريف الشجعان.

كان هذا الانتصار، الذي قام أمزيان بالدور الحاسم في تحقيقه، حافزاً لكثير من سكان الريف الذين لم يشاركوا في هذه المعركة للالتحاق بصفوف المقاومة. كما كان أيضا تأكيداً لزعامة الشريف أمزيان لكل القبائل الريفية. ويعدُّ عربوناً على تشبع هذه المنطقة بالروح الوطنية، انضاف إلى السجل الحافل لبطولاتها وتضحياتها في سبيل الوطن. بينما أضاف هزيمة أخرى إلى قائمة هزائم القوات الإسبانية في الريف، خاصة منذ 18 يوليوز الأخير، مما زاد في تأزم الوضع السياسي بإسبانيا وانفجاره، فلم تجد الحكومة الإسبانية بداً من تجميد مخططها التوسعي ريثما يتم توفير الشروط السياسية والمادية لضمان إمكانية تنفيذه بأقل ما يمكن من الخسائر البشرية على الخصوص.

ع. ح. الورياشي، *الكشف والبيان* ؛ م. أزرقان، *الظل الوريف*.

*Informe de la Primera Seccion de la Oficina Central de Intervencion y Tropas Jalifianas*, servicio Historico Militar - Madrid, L 8, C 13, Año 1909 ; Ramos, *Eduardo Gallego* ; *La Campana del Rif* (1909), Madrid 1909, pp. 141 - 163 ; Général de Torcy : *Les Espagnols au Maroc en 1909*, Paris, Nancy, 1910, pp. 72 - 82 ; X, el Capitain. *Verdades amargas, La Campana de 1909 en El Rif*, Madrid 1910, pp. 67 - 81 ; Riera, Dugusta, *Espana en Marruecos. Cronica de la Campana* de 1909, Barcelona 1913, pp. 63 - 102 ; Estado Mayor Central del Ejercito (S. M. M.), *Historia de las Campanas de Marruecos*, Madrid 195, T, I ; G. Ayache, *Les Origines de la guerre du Rif*.

مصطفى أربيب

**إغشان ← تافراوت**

**اغْصَاوَة**، أو اغْزارة. أصل عين الكلمة صاد مشمومة بالزاي، لذلك تكتب بهما. وقد اخترنا الصاد لأنها الأصل. اغصاوة : قبيلة صنهاجية من قبائل جبال الزبيب في غمارة شمالي وزان. تقع فيها زاوية الحرائق الشهيرة بآل البقال الأغصاويين، وهم حسنيون ينتسبون إلى إدريس بن عبد الله الكامل من طريق حمزة بن إدريس الأزهر. وكان آل البقال ينتسبون قبل القرن الثاني عشر إلى اغصاوة، ثم غلبت عليهم نسبة البقالي بعد أن غادروا مقر زاويتهم بغمارة كما سياتي. وقد أنجبت اغصاوة عدداً من العلماء والصلحاء خلال القرون السبعة الأخيرة.

إ. بن الماحي الإدريسي، *تقاييد تاريخية*، مخطوط ؛ ص. بلعربي، *المغرب* ؛ المريني العياشي، *الفهرس في عمود نسب الأدارسة*، 66.

**الأغصاوي، أحمد** بن علي الحاج البقال. نشأ بفاس، وربما كان محمد الشيخ المامون السعدي أزعجه فيمن أزعج من آل علي الحاج الأغصاوي إلى فاس بعد أن قُتل هذا الأخير على إثر معارضته في تسليم مدينة العرائش إلى النصارى. وكان أحمد الأغصاوي مقيما بالمدرسة المصباحية متعيشاً من نساخة الكتب. ومازالت بعض منتسخاته محفوظة ببعض المكتبات العامة.

توفي في صدر الدولة العلوية.

م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 471.

**الأغصاوي، عبدالعالي**، أبو محمد. عالم صالح، قضى نصف عمره في التعليم ونصفه في العمل الصالح. عده الحضرمي آخر رجال الطبقة الأولى من الصالحين المترجم لهم في *السلسل العذب*، وحلاه بصفات عالية، وقال عنه إنه كان منقطعا إلى عبادة الله في خلوة ببلاد آغصاوة، لا يأذن إلا لقليل من الزوار بالدخول عليه فيها، ومع ذلك كانت مجالسه العلمية شيقة لا تمل. "إذا أخذ في باب من العلم سرد جميع مسائله فيقال إنه لا يحسن غيره لفقهه فيه وحسن تعليمه ووضعه. وربما كان يتكلم فيسترسل به الكلام في أبواب من العلم لم يسمع بمثلها، ثم يعطف فيرجع لما كان بسبيله" (ص 55).

توفي، وقد نيف على الثمانين، سنة 769 / 67 - 1368.

م. الحضرمي، *السلسل العذب*، 55.

محمد حجي

**الأغصاوي، علي الحاج** بن البقال. ينتمي إلى بيت الأغصاويين بجبال غمارة، وهو بيت عظيم كما ذكر صاحب السلوة (1 : 265). ينتسبون لبيت الشرف الحسني، ويرفعون نسبهم لإدريس الأزهر باني فاس من طريق ولده حمزة.

انتقل علي الحاج بعد أن درس في بلاده إلى المشرق طلباً للعلم، وبقي هناك ست عشرة سنة، حيث اتصل بالمشايخ ومنهم محمد الخروبي السفاقسي. ثم أخذ عن الشيخ عبد الله الهبطي. واستقر بزاوية اغضاوة، فطار صيته إلى كل الجهات، وقصده الطلبة والمريدون. وكان من أتباع الطريقة الجزولية.

ساند علي الحاج السعديين في سياستهم الجهادية والوحدوية. ويذكر ابن عسكر الذي عاصره أن الشيخ عليا الحاج "وفد على السلطان الغالب مرتين، فقام بحقه أحسن قيام، وخرج إلى لقائه بظاهر فاس، وقضى حوائج الناس على يده، ووفى له بكل ما سأله في قضائه، فكثر أتباعه، وفتحت أبواب عليه من كل جانب، فتنزل منزلة الأمراء في الأمر والنهي ونفاذ الإرادة وشمخت به نفسه عن الإنصاف.." (*الدوحة*، 403) ذلك ما قاله عنه أحد منافسيه وهو ابن عسكر، حيث كثر اللجاج بين العالمين حول قضايا مختلفة وبالخصوص حول قضية حكم إقامة صلاة الجمعة في قرى البادية، ولم تذكر له كتابات. توفي حوالي عام 981 / 1573، ودفن بزاويته من بلاد اغصارة.

م. ابن عسكر، دوحة ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*. 2.

محمد رزين

**الأغصاوي، محمد بن أحمد**، من الفقهاء المخضرمين الذين عاشوا في القرنين التاسع والعاشر، متمكن من أصول المذهب المالكي وفروعه، حافظ ضابط، معروف بالصلاح ومتانة الدين. معدود في طبقة الإمام ابن غازي. قرأ بفاس وتصدر للتعليم في بلاده اغصاوة.

توفي حوالي عام 920 / 14 - 1515.

م. ابن عسكر، دوحة، 139 - 140 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 470.

**الأغصاوي، محمد بن علي**، إمام التعديل والتوقيت بفاس في عصره، تخرج على يده جماعة من أعلام هذا الفن، كالفلكي الشهير محمد العلمي صاحب التآليف العديدة المطبوعة على الحجر بفاس، المقررة في نظام القرويين إلى عهد قريب.

ألف محمد الأغصاوي عدة كتب في التوقيف، منها :

- *إتحاف المباشر لنظم ابن عاشر في التوقيت*، طبع على الحجر بفاس عام 1317 / 1899. *الدرة المختارة في تعديل الكواكب السيارة*، لخصها من *الروض العاطر* لابن زريق، ومن *المطلع السعيد* للشيخ حسين زايد. *والدرة المختارة في تقويم الكواكب السيارة*. *وأرجوزة* في مسائل الميقات باللوغاريتم، وشرحها بعنوان : *رغبة أولي الألباب لمسائل*

*الميقات بلوغاريتم المستطاب*. وشرح *الوافية بالمطلوب في العمل بربع الجيوب* لعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي.

توفي بفاس عام 1341 / 1922، حسب ما ذكره تلميذه محمد العلمي وكرره مرارا. ولعل ما عند ع. ابن سودة من أنه توفي عام 1340. سبق قلم.

م. العلمي، *إنهاض الهمم العالية* (مخطوط) ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* عام 1340 ؛ م. حجي، *الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*.

**الأغصاوي، محمد بن علي الحاج**، تُجمع كتب التراجم على أنه كان مجذوبا وصاحب حال. وتربط ذكره بمولاي أبي الشتاء (ت عام 997 / 1589)، الذي اشتهر كذلك كولي صالح يجمع حوله المريدين...

فصاحب *الممتع* اعتبره "من أصحاب سيدي أبي الشتاء". وفي التأليف المنسوب لابن عيشون جاء أن صاحب الترجمة "كان مرة عند سيدي أبي الشتاء في سلسلة، وكان يعتريه في بعض الأوقات أحوال تخرجه عن حسه". بينما أكد بعضهم الآخر على المكاشفات والكرامات والإخبار بالمغيبات عند حديثه عن صاحب الترجمة.

ويستفاذ من كل هذا أن الشيخ محمد الأغصاوي لم يشتهر بالعلم والتدريس كما اشتهر به سائر أفراد أسرته من الأغصاويين، بل تأثر بالمجاذيب وأصحاب الحال المنتشرين في سائر بقاع المغرب خلال القرن العاشر الهجري نتيجة ما أسماه الهبطي :بتبدل الأحوال والزندقة والابتعاد عن الطريق السوي".

اشتهر محمد بن علي الأغصاوي كذلك بمعارضته عندما أراد محمد الشيخ المامون تسليم العرائش وأصيلا للنصارى مقابل مساعدته ضد إخوته. وقد وجه إليه رسالة طويلة (انظر ها في *نشر المثاني* 1 : 140 - 142) يعاتبه فيها ويؤكد له سخطه عنه "وقد أغلظ له فيها القول"، ودعا إلى نقض بيعته، ونعرف عبر مصادر أخرى مواقف علماء المغرب عامة من هذه القضية، حيث يذكر *صاحب النزهة* أن المامون طالب علماء المغرب بفتوى تبيح له ذلك، فاضطرب أمر العلماء واختلفوا في الموضوع. فبعضهم، أجابوه لذلك خوفا من بطش السلطان كالقاضي محمد بن أحمد بن إبراهيم الدكالي ومن تبعه، وبعضهم امتنع. والممتنعون افترقوا على ثلاث فرق، فرقة : منهم فرت من فاس كالإمام العربي الفاسي وأخيه الحافظ أحمد، وفرقة اختفت حتى انجلى الأمر كالقاضي ابن أبي النعيم الغساني وعبد الواحد ابن عاشر وأبي الحسن البطوئي، وفرقة ناقشت السلطان وأغلظت له في القول كالأغصاوي. توفي صاحب الترجمة بفاس مسموماً من طرف أعوان محمد الشيخ المأمون عام سبعة عشر وألف، ودفن بوطا ابن فرقاشة المعروف اليوم بالسياج، وبنيت عليه قبة. وقبره بها مشهور حتى اليوم.

م. الافراني، *صفوة* ؛ أ. المقري، *روضة الآس* ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، الجزء الثاني ؛ نشر المثاني، الجزء الأول ؛ م. م. الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2.

محمد مزين

**الأغصاوي موسى** ← ابن العقدة

**أَغْطَاس، أسرة** تطوانية أصلها من الأندلس، انقرضت سنة 1088 / 1677، حيث لم يبق من أثرها سوى الساحة الكبيرة التي ستُذكر بعد. ولاعلاقة لهذه الأسرة بأسرة غطيس التي لازالت بتطوان.

**أغطاس، ساحة** بتطوان تدعى "فدّان أغطاس" وهي أكبر ساحة داخل أسوار مدينة تطوان القديمة، تقع بين باب التوت وباب النوارد. وهي منسوبة لأسرة أغطاس التي كانت تملكه، ويوجد بالسور الذي يحيط بالفدان برج يعرف ببرج أغطاس .

وأثناء الاحتلال الإسباني لتطوان سنة 1913 م حُولت هذه الساحة إلى ثكنة لفرقة المدفعية. وأقدم وثيقة ورد فيها ذكر هذه الساحة مؤرخة بسنة 1174 / 1761.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان* ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 1 : 104، 2 : 339 و353؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1921 (A) ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) (G) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز الحكيم

**الأغضف محمد** ← ماء العينين

**أغفار**، ضريبة أمنية لحماية تنقل السلع عبر مجال ترابي لقبيلة معينة، فقد كان هذا الواجب يُدفع عينا أو نقدا من طرف تجار القافلة لمراقبي المسالك التجارية بالصحراء. وقد كان أغفار يأخذ في بعض الأحيان طابع الذعيرة، وفي كلتا الحالتين فهو يتميز بمواكبته التطور لنظام التحالفات المحلية في معزل عن التبعية أو الزبونية.

**أغفير**، في إطار التعارض المصلحي بين لفين تُعقد عادة التحالفات بين قبائل متعادلة القوة. غير أن مرونة نظام التحالفات المرحلية يضمن لصغريات القبائل حق الحماية من طرف أحد اللفين. تسمى هذه الحالة على ندرتها أغفير حيث تقوم القبيلة الحامية بتسخير مجموعة من أسرها كرهينة عند طالبي الحماية. وكتعويض عن مهمتها الدركية هذه تحصل الأسر المعينة على خروف بين كل ثلاثين. تنطبق هذه الممارسات على قانون المعاملات بين قبائل الصحراء عموما. وهكذا لا يمكن فصل الأولوية التي أعطيت لممارسة الرعي كنشاط اقتصادي محوري عن البنية السياسية التي بلورتها مجابهة القبائل فيما بينها.

م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.

مصطفى ناعمي

**أغلان**، يجمع على إغلالَنْ وإغلانَنْ. من أسماء الأعلام الأمازيغية، وهو اسم علم مذكر من فئة الأسماء التي تبتدئ بالهمزة فتحا أو كسرا كأداة للتعريف في اللهجة الأمازيغية (*البينة*، 87).

ويسود هذا الاسم بمعان متقاربة في غير ماجهة من شمال إفريقيا، كما أن نونه تتحول إلى لام بعض الأحيان. وهكذا اسم أغْلانْ بمعنى القناة الكبيرة أو الساقية بمنطقة الأوراس في الجزائر (Contribution, 35) ونستفيد من إشارة لابن أبي زرع، أن الاسم كان سائدا أيضا بنفس المعنى بمنطقة فاس (*القرطاس*، 39 ـ 46). ولاتزال الكلمة إلى اليوم متداولة على نطاق واسع بين سكان واحات درعة، وتعني مصرف الماء المتفرع عن إحدى السواقي الكبيرة (Maghreb et Sahara, 187).

وقد صار هذا الاسم علماً لقصرين بواحة تزناتة من وادي درعة :

ـ قصر أغْلان نُوفلاً : (قصر أغلان الفوقاني)، وقد بُني القصر في زمن غير معروف بالمدخل الشمالي لواحة تزناتة في الضفة الشرقية لنهر درعة، يبدو واضحا من موقع هذا القصر أنه استعار اسمه من أحد الجداول المائية المتفرعة عن ساقية تَفْرودَسْتْ إن لم نقل إنه استعار اسمه من هذه الساقية نفسها والتي لاتزال تعرف بساقية أغلانْ (Les pays inaccessibles, 48).

ـ قصبة أغْلانْ : هذا هو القصر الثاني الذي ارتبط باسم أغْلاَنْ، وقد بنيت هذه القصبة بالقرب من قصر أغْلاَنْ الفوقاني. واستعارت اسمها أيضا من أحد الجداول المائية المتفرغة عن ساقية إِفْلي الكبيرة والتي تعرف محليا بواد إفْلي (Les pays inaccessibles : 48).

ـ الدورالسياسي لقصبة أغْلانْ : كان ولاة المخزن بواحة تزناتة في عهد السعديين ينزلون بالقصبة القديمة داخل قصر ترْغلّيلْ، ثم تحولوا عنها إلى قصر بني صُولي (بإشمام الصادزايا)، الذي استحدث سنة 987 هـ، بأمر من السلطان أحمد المنصور ليكون مقرا جديدا لولاته على المنطقة، وقد كان هذان القصران يجاوران قصبة أغْلانْ، وإن دل هذا شيء فإنما يدل على عهد السعديين، وظل دروها آنذاك منحصرا فيما تقدمه من تشجيع لأسرة الناصريين المقيمين بجوارها على نشر العلم والقيام بوظيفة التدريس (*الحركة الفكرية*، 2 : 536) وبعد سيطرة أبي حسون السملالي على وادي درعة ابتداء من سنة 1039 / 1629، اتخذ ولاته بتزناتة قصبة أغْلانْ مقرا لهم تجنبا للاحتكاك ببقايا أنصارالسعديين بقصري ترغلّيلْ وبني صولي، إضافة إلى ماكانوا يجدونه من تأييد الناصريين المقيمين بزاوية أغْلانْ (*الدرر المرصعة*، 269). هكذا يمكن القول بأن الدور السياسي لقصبة أغْلانْ قد بدأ مع سيطرة السملاليين على وادي درعة، وقد تطور هذا الدور بشكل كبير في عهد الدولة العلوية وخاصة إبان ولاية مولاي الشريف بن اسماعيل على المنطقة خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن الثاني عشر الهجري.

ومع بداية العقد السادس من القرن الحادي عشر الهجري، تكبد أبو حسون السملالي سلسلة من الهزائم بواحة تزناتة على يد قوات مولاي مَحمد بن الشريف العلوي، وقد تمكنت هذه القوات من الاستيلاء على قصبة أغْلانْ بعد حصار قصير (*الدرر*، 120). وبالرغم من أن ولاة العلويين على واحة تزناتة، طيلة النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، كانوا ينزلون بقصبة أغلاَنْ فإن دورها السياسي كقصبة مخزنية لم يتأكد إلا بعد أن أحدث السلطان مولاي إسماعيل عمالة درعة وفصلها إداريا عن عمالة سجلماسة، وهكذا عين السلطان ابنه مولاي عبد الملك سنة 1111 / 1699، عاملا على درعة وأنزل معه آلافا من الخيل بقصبة أغْلانْ (*الاستقصا*، 7 : 90).

لم تمض إلا ثلاث سنوات على استقرار مولاي عبد الملك بقصبة أغْلان، كعامل لأبيه على وادي درعة، حتى فوجئ بثورة أخيه أبي النصر، وقد تمكن هذا الأخير من السيطرة على قصبة أغْلانْ بعد فرار الأمير عبد الملك سنة 1114 / 1702، فعين السلطان ابنه مولاي الشريف على عمالة درعة وجهزه بحملة عسكرية قوية لاسترجاع الوادي من أخيه أبي النصر. وبعد قتال عنيف التجأ أبو النصر إلى قصبة أغْلانْ في أربعمائة من أصحابه فحاصره مولاي الشريف، ولم تنته الحرب بين الأخوين إلا بتدخل شيخ زاوية تامگروت سيدي أحمد بن ناصر الخليفة، الذي يظهر أنه نجح في إقناع مولاي الشريف بالسماح لأخيه أبي النصر بمغادرة قصبة أغْلاَنْ والرحيل عن وادي درعة (*الدرر*، 52). وفي سنة 1124 / 1712 عين مولاي الشريف للمرة الثانية على رأس عمالة وادي درعة فنزل بقصبة أغْلانْ ثم جدد أسوارها وبني بها دارا شامخة البناء واسعة الفناء على حد تعبير صاحب الدرر، فصارت قصبة أغْلاَنْ في عهده مقصدا للعلماء من مختلف أنحاء وادي درعة مثل أحمد بن صالح الأكتاوي، وعبد الكبير التنفوي قاضي قضاة وادي درعة وغيرهم (*الدرر*، 139 ـ 140). ولاتزال آثار قصر مولاي الشريف بن إسماعيل بقصبة أغْلاَنْ قائمة إلى اليوم بجانب الطريق بين مدينة زاگورة وقصر بني صولي في الضفة الشرقية لنهر درعة.

وقد ظلت أغْلاَنْ تتخذ مقرا لولاة المخزن بوادي درعة طيلة القرن الثاني عشر الهجري وردحا كبيرا من القرن الثالث عشر الهجري، ونستشف من بعض الظهائر السلطانية أن ولاة المخزن تحولوا عنها في نهاية القرن الثالث عشر الهجري إلى قصر بني صولي، المقر القديم للعمال المخزنيين بالمنطقة. وبانتقال ولاة المخرن إلى بني صولي تراجع دور قصبة أغْلاَنْ وأصابتها عوادي الزمان، ولم يبق منها اليوم إلا الأطلال التي تحكي في شموخ ماعرفته هذه القصبة من أمجاد سياسية وحركة علمية مزدهرة خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين.


ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ م.م. الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ م. الفاسي، *من وحي البينة*، 1970 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*.

G. Spillmann et L.Pennes, *Les Pays inccessibles du Haut Draa*, R.G.M. n 1 et 2 . 1929, E.Laoust, *contribution* Dj J. Meunié, *Magheb et Sahara*, dans *études géographiques offertes a Jean Despois*, Paris 1973.


أحمد البوزيدي

**أغمات**، أصل الكلمة في اللسان المصمودي ، ونطقها الصحيح هو : غْمَاتْ ـ بتسكين أوله وآخره، وقد تُنطق الغين وكأنّ عليها سكوناً وضما : غْمات وليس فيها همزة القطع، وبذلك فهي فعل أمر. وهذه الصيغة ليست بالغريبة في مجالها الجغرافي، عكس من يرى بأنها مركبة من : "خذ + مات" وإنما ذلك من باب التأويل المقصود به التندُّر عند من يريد ذم أهل البلد بالبخل ، فقال إنها مركبة من "غ" وهو الأمر من فعل أخذ بالأمازيغية ومن الفعل العربي: مات، أي أن العطاء مات عندهم (*الذيل والتكملة* 8 : 348) والمرجح أن أغمات أمرٌ جمع من فعل "غْم" الذي يعني عند الأمازيغ خضب (*التشوف* : 84). وأغمات مدينتان : أوريكة وأيْلان.

I ـ **أغْمَاتْ أورِيكَة** : تقع أغمات أوريكة عند قدم السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي على بعد أقل من 30 كلم جنوب شرق مراكش. تدل معطيات مجالها الجغرافية والتاريخية على ماتوفر لها من شروط مواتية لإنشاء مدينة منذ القرون الإسلامية الأولى. فالموقع وسط على مستوى المغرب، ونقطة التقاء من جهة لموارد السهل والجبل، ومن جهة ثانية لمجموعات قبلية متنوعة (*Le Haouz* ، 1 : 157) ومحطة بارزة في خريطة المسالك التجارية الإفريقية المتوسطية خاصة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والاثني عشر الميلايين (*Géo. économique*, carte nº 2 et 3) أما الموضع فجمع بين انبساط السطح مع ارتفاع محدود، وتربة خصبة ومصادر مائية غنية ومتعددة. كل هذه العناصر ساهمت في جعل المجال مهيأ لكي تتأسس به مدينة في الدير استطاعت بنجـاح إنجاز مختلف الوظائف المطلوبة من مدينة مغربية في العصر الوسـيط (*Le Haouz*,1 : 157).

لاتمكن المصادر المتداولة من تحديد ظروف تأسيس أغمات وتاريخ هذا التأسيس، خاصة وأن المدينة كمجال تبدو عنصراً طارئًا في حياة مصمودة الأطلس الكبير الغربي والحوز، إذ في مدة ثمانية قرون لم تتأسس بالمنطقة سوى خمس مدن هي : أغمات أوريكة، وأغمات أيلان، ونفيس، ومراكش، وتنمْل، لم تجابه منها عوادي الزمن إلا مراكش.

على أن الحركة التجارية الهامة التي عرفتها المنطقة، والتي ألحقتها بشبكة مسالك تجارية مع الشمال والجنوب. تبدو كعناصر لها حضور في هذا التأسيس، خاصة وأن المصادر أعطت أهمية خاصة للجانب التجاري في أنشطة أغمات. لذلك فمن غير المستبعد أن تكون هذه الوضعية حافزاً للقبائل الأكثر استفادة من هذا الرواج أي أوريكة وأيلان بأخذ المبادرة من أجل الحفاظ على النشاط المذكور وتطويره بإنشاء مراكز حضرية (*اينولتان*، 73)، ما يؤيد ذلك من جهة كون أوريكة وأيلان كانتا من بين القبائل الاولى التي سارعت إلى مبايعة الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر (*الحلل*، 23). ومن جهة ثانية تنازع أيلان مع هزميرة حول اختيار مكان تأسيس مراكش (*البيان*، IV – 19) وان هذه الأخبار لا تستبعد حضور المصالح المشار إليها كدافع من دوافعها.

وقد شكلت مصمودة الإطار القبلي الواسع كمعظم سكان اغمات خاصة أوريكة وأيلان. ويبدو أن الثانية كانت تتوفر على طاقة بشرية ذات أهمية بالمقارنة مع الأولى، يتجلى ذلك من خلال الامتداد الجغرافي لكليهما. فإيلان امتد مجالها من شرق مراكش ـ حيث باب أيلان ـ إلى ما وراء اغمات ونفيس، بينما تركز وجود أوريكة بشرق وغرب اغمات (*نزهة المشتاق*، 45).

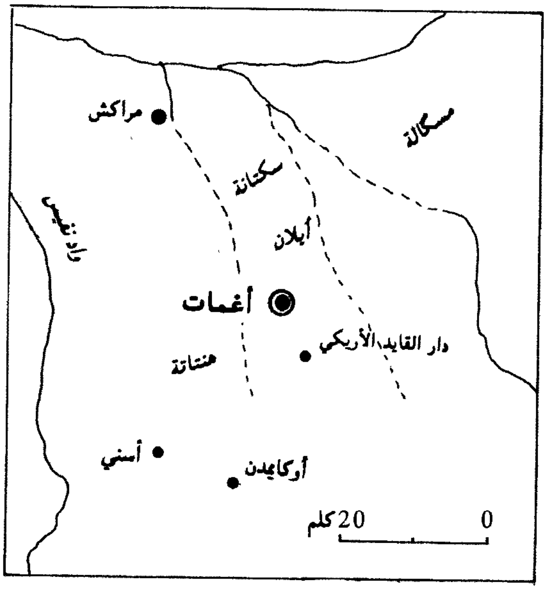


**أغمات**

ويبدو أن هذه القبائل كانت لها مساهمة في تطوير التجارة القائمة بالمنطقة، الشيء الذي يتجلي في أهمية عائداتها على السكان. ومن المؤشرات إلى ذلك ممتلكات زينب النفزاوية، ووفرة عبيد السودان (*البيان* 4، 18 ـ 84) وعادة إظهار علامات الغنى على أبواب المنازل (*نزهة*، 42).

مكونات المعمار : يتأتى من مراجعة الإشارات ذات الصبغة العمرانية والمتفرقة في المصادر، أن تصور اغمات أوريكة مدينة متوفرة على المستلزمات الضرورية التي تضمن تطورها بل استمرارها لمدة أطول بعد تأسيس مراكش بجوارها، فهناك :

منشآت منسية : تتجلي في إقامة السور حول المدينة «ودورها محصر الترب، سجع الجلدة مندمل الخندق» (*نفاضة*، 55) وكان السور يتوفر على أبواب لاندري عددها ولا اسماءها والمعروف حاليا هو باب وانيرني الذي يبدو من موقعه أنه كان في شمال المدينة (*إثمد*، 1 : 247) وهناك بناء منازل تحت الأرض (*البيان*، 4 : 18)، وحلوني مجال أخضر داخل المدينة (*نفاضة*، 57) لا تستبعد مساهمته في تلبية الحاجيات المحلية خاصة في أوقات الشدائد.

منشآت مخزنية : متمثلة في القصبة ودور المخزن (*نفاضة*، 56 ـ 57) علما بأن اغمات كانت قاعدة إمارة مستقلة قبل المرابطين (Marrakech 1 : 45) وأصبحت على عهد الموحدين مقرا للعامل والقاضي (*التشوف*، 270)، وفي أوائل عهد المرينيين كانت مقر الوالي والقاضي (*إثمد*، 1 : 173).

منشآت دينية : أساسها مجموعة من المساجد أقيمت بالمدينة، من أقدمها مسجد الفيل (*القبلة*، 16)، على أن الذي حظي بشهرة أوسع خاصة من القرن الخامس إلى السابع الهجري / الحادي عشر ـ الثالث عشر الميلادي، هو جامع وطاس، باعتباره المسجد الجامع ومركز التعليم (*أخبار المهدي*، 170)، ومكانا ارتبطت به أول طائفة صوفية عند المصامدة. وقد قدم ابن الخطيب وصفا لهذا المسجد ولمئذنته الفريدة التي أثارت استغراب وزير غرناطة حتى قال فيها : « فقبحت حتى ملحت » (*نفاضة*، 55 ـ 56)، تضاف إلى ذلك الزاوية التي بناها الغماتيون بها.

وعلى اعتبار هذه المراكز مؤسسات تربوية وعلمية، فتجب الإشارة إلى المدرسة التي بنيت على عهد السلطان أبي الحسن المريني (*المسند*، 406).

منشآت اقتصادية : توفرت اغمات على معمار اقتصادي ساير متطلبات السكان ووظائف المدينة، وهكذا يمكن تسجيل وجود مراكز إنتاج حرفية مثل دور الدباغة (*إثمد*، 1 : 247) وسلسة من الأرحاء الخاصة بطحن الحبوب (*نزهة*، 42)، وأسواق للتبادل التجاري الواسع مثل سوق الأحد (*المغرب*، 153) إضافة إلى الدكاكين الموجهة اساسا لتلبية الحاجيات اليومية للسكان مثل حوانيت الگزارين (*التشوف*، 162)، ومن غير المستبعد أن أغمات كانت بها كذلك دار لضرب السكة. ومما يؤيد ذلك وجود دينار مرابطي ضرب بها سنة 496 هجرية / 1096 ميلادية. (*Memorial* , 2 : 123).

السكن : يبدو أن اغمات عرفت تجمعا بشريا كثيفا، يلاحظ ذلك من خلال تعدد مساجدها، والضيق الذي عانت منه عقب وصول المرابطين إليها (*البيان* 4 : 19)، وأهمية كمية اللحوم التي كانت تستهلك بها (*المغرب*، 153)، وارتفاع احتياجاتها من الماء التي قدرت بـ 4/5 ـ مياه النهر الذي يخترقها مقابل 1/5 واحد لتلبية حاجيات الأراضي الفلاحية المحيطة بها (*نزهة*، 43).

كل هذا يفترض وجود دور ومنازل يبدو أنها كانت تساير إمكانيات مختلف سكان المدينة (*التشوف*، 153)، وهكذا نجد الدور والمنازل التي كانت متباينة حسب مكتسبات الجاه والمال، كدور الشرفاء (*إثمد*، 1: 185) والأغنياء كانت من الفخامة بمكان لأن أهلها كانوا «مياسير أغنياء لهم نخوة واعتزاز» (*نزهة*، 42) وهذا واقع تدل عليه بقايا الأخشاب والحصون الحاملة لنقوش وزخارف تعود إلى فترة ماقبل المرينيين (*نفاضة*، 56)، ومقابل ذلك السكنى المتواضعة، والصغيرة الحجم مثلا : المصرية (*إثمد*، 1 : 232) علما بأن المساجد والزاوية الموجودة باغمات كانت تقوم مكانا لإيواء الغرباء (*إثمد* : 235).

ومما يلاحظ أن البناء كان يتم بواسطة الأجور والطين والطوب (*نزهة*، 42 ـ 43)، والعنصر الفني كل حاضرا كذلك: الزخارف والنقوش والنافورات (*نفاضة*، 56 ـ 57).

بهذه المكونات المعمارية، نكون إذاً أمام مدينة متكاملة متوفرة على الشروط الضرورية لمجال حضري كأغمات في العصر الوسيط.

عناصر الاقتصاد : توفرت اغمات على إمكانيات طبيعية متمثلة في أرض سهلية وفيرة المياه، غنية التربة، سمحت بإقامة فلاحة كانت بارزة سواء في الزراعة وتربية الماشية. إن هذه المعطيات جعلت جعلت جهة اغمات من أبرز المناطق الفلاحية بالجنوب. (Géo-économique. cartes nº : 8-9-10) وهي ملاحظة أكدتها أوصاف الجغرافيين والرحاليين بدءاً من اليعقوبي إلى الحسن الوزان.

وبالرغم من وفرة المياه يبدو أنها كانت خاضعة لتنظيم يضبط توزيعها علي أساس حاجيات المدينة ومجالها الحيوي بناء على قاعدة متفق عليها، من عناصرها "النوبة". وكان الماء يصل الى مراكز الإنتاج عبر قنوات للسقي، منها ماهو جماعي، ومنها ملك خاص، وقد بلغ ثمن بناء ساقية خاصة قرب اغمات خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي : مائة دينار (*التشوف*، 187).

ومن غير المستبعد أن مساحة هذا المجال الفلاحية كانت شاسعة، وهو ما يُشتم من أهمية حجم الإنتاج وصيغ الكثرة التي كانت ملاصقة لأسماء المناظر الزراعية في أوصاف الجغرافيين والرحالة مثل : قولهم «متعددة البساتين ـ بساتين كثيرة ـ جنات محدقة.»

كل هذه الإمكانيات مكنت من إنتاج فلاحي مهم ومتنوع جمع بين المغروسات والمزروعات، من أبرز محاصيله : الشعير والتمور. (*المغرب*، 153).

ويبدو أن الاهتمام بالنشاط الزراعي كان متزايدا عند فلاحي المنطقة، وهي مسألة نجد انعكاساتها في أهمية المردود بشكل خاص (*وصف افريقيا*، 1 : 107)، في نفس الوقت احتلت تربية الماشية مكانة متميزة في النشاط الفلاحي، نظراً لأهميتها في الاستهلاك الغذائي للسكان «فسوق اغمات وريكة يقوم يوم الأحد بضروب السلع وأصناف المتاجر يذبح فيها أكثر من مائة ثور وألف شاة وينفد في ذلك اليوم جميع ذلك». (*المغرب* : 153) يضاف إلى ذلك ارتباطها العضوي بحرفتي الدباغة والنسيج حيث كانت تنتج « الأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر» (*نزهة*، 142)، سواء لأجل الاستهلاك أوالتجارة السودانية.

وقد ساهمت الأهمية الاستراتيجية لموقع اغمات في جعل هذه الأخيرة محطة أساسية ضمن شبكة خطوط تجارية جمعت بين منتجات ومحطات متوسطية وافريقية، وكانت

تعرف رواجا اقتصاديا متزايدا على المستوى المحلي والبعيد المدى (Géo économique, cartes nº 1-2) إلى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

في هذا الإطار تجمع المصادر على اتساع أسواقها ووفرة المنتجات ورخاء الأسعار وارتفاع حجم مساهمة تجار اغمات في تجارة السودان وانعكاس ذلك على يُسْر حالة السكان وغناهم، وهي أوصاف فترة ازدهار واضحة.

ومن غير المستبعد أن تكون أقدمية هذا الرواج بالمنطقة وأهمية فوائده قد ساهمت في تشكيل تقاليد للاذخار والاستثمار بين سكان هذا المجال. من عناصر الاستئناس في هذا الجانب : تشجيع النساء والأطفال على التكسب «وأهل السوس واغمات أكثر الناس تكسبا وأطلبهم للرزق، يكلفون نساءهم وصبيانهم التحرف والتكسب» (*المغرب*، 163).

وقد شكلت اغمات مركزا من مراكز الدعوة الإسلامية إذ كانت احدى المحطات البارزة في خريطة الفتح الإسلامي (*البيان*، 1 : 27)، وبها تأسست مجموعة من المساجد في إطار محاربة بورغواطة (*اينولتان* 16، 77)، وشكلت قاعدة بارزة لأهل الصلاح والولاية (*التشوف*، 145، 153 ...) ومركز ثقل أول طائفة صوفية بالحوز والأطلس الكبير المغربي (*إثمد*، 1 : 89 ـ 93).

كل هذه الوظائف ساهمت في جعل اغمات مهيأة لتكون ملتقى ثقافات من الغرب الإسلامي، خاصة الأندلس (*لذيل*، 2 : 410، 439) والقيروان (*التشوف*، 82، 92 ..) ومركز إشعاع ديني وثقافي بارز في الجنوب المغرب بشكل خاص.

II ـ **أغمات أيلان** : نسبة إلى قبيلة أيلان أو هيلانة، مركز حضري عرف منذ بداية دخول الإسلام إلى المغرب حيث أسس به مسجد سنة 85 هجرية / 704 ميلادية (*البيان* 1 : 43).

تقع أغمات أيلان شمال شرق أغمات أوريكة على بعد ستة إلى ثمانية أميال من هذه الأخيرة (*المغرب*، 153 ؛ *نزهة*، 45). ونظرا لاختفاء المدينة منذ فترة مبكرة تعود إلى ما بعد منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وأمام غياب مخلفات أثرية، فقد طرحت مشكلة تحديد الموقع.

في هذا السياق انطلقت الاجتهادات المستندة إلى البحث في أسماء الأماكن القريبة من أغمات أوريكة التي تحمل معها صفة أو نعت أيلان. كما استندت إلى ماذكر من المسافة الفاصلة بين المدينتين، وموقع الثانية بالنسبة للأولى.

ويمكن اختصار النتائج في افتراض Ed . Doutté الذي حدد الموقع في : إيغيلْ نْوايْلاَنْ (Marrakech, 1 : 44)، ثم في اجتهاد الأستاذ أحمد التوفيق الذي اقترح الموقع المعروف بـ «أوخْرِبِينْ نَايْتْ وايْلاَنْ» (*التشوف*، 142). وكلا الاقتراحين يتحدد جهة تسغيموت ناحية أيت ورير.

ويبدو أن اغمات أيلان كانت مدينة ذات مجال حضري محدود حيث كانت محرمة على الغرباء (*المغرب*، 153) ووصفها الإدريسي بالصغر على عهد الموحدين (*نزهة*، 45)، ومن غير المستبعد أن لتضاريس المنطقة علاقة بهذه الحالة.

ويلاحظ أن المدينة بقيت موجودة إلى منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، حيث وردت عنها أخبار عند ابن الزيات تتعلق ببداية القرن السابع الهجري، والخاصة بالاطلس الكبير الغربي (*رحلة العبدري ومسالك الأبصار*).

ومّا يلاحظ على الجانب البشري هو أهمية حضور اليهود في المدينة. فقد سكنها هذا العنصر بكثرة على عهد الادارسة (Contribution,109) وكانت على عهد الموحدين المجال المفضل لاستقرار يهود الأطلس الكبير الغربي (نزهة، 45). ومما شجع هذه الحالة تحريم المرابطين على اليهود المبيت في مراكش . ومن غير المستبعد أن حضور هذه الطائفة التي كانت لها تقاليد تجارية عريقة، أمر كانت له أهميته في جعل المدينة محطة تجارية معتبرة، أعطتها وضعية اقتصادية متميزة "كثيرة الخصب كاملة النعم" (نزهة، 45).


البكري، *المسالك والممالك* ؛ البيذق، *أخبار المهدي* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ م. عبد الملك، *الذيل والتكملة*، ج 8، العبدري، *الرحلة* ؛ ابن عذاري، *البيان*، مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ابن تكلات، *اثمد* ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*؛ ابن مرزوق، *المسند* ؛ أ. التوفيق، *إينولتان*.


**الأغماتية** أو الغماتية. طائفة صوفية نشأت باغمات ونواحيها في منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي (*إثمد* 1 : 75) تحت إشراف أسرة الهزميريين التي عرفت بالولاية والصلاح قبل هذه الفترة (*التشوف*، 422، 400). وهي امتداد لظاهرة الطوائف التي بدأت تتكون جنوب وادي أم الربيع منذ منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. وبذلك تمثل أول طائفة صوفية ظهرت بالحوز ودير الأطلس الكبير الغربي.

ويعتبر أبو عبد الله الهزميري الشيخ المؤسس للطائفة، خلافا لما ذهب اليه ابن قنفد عندما نسبها لأبي زيد الهزميري (*أنس الفقير*، 66).

ويبدو أن ظهور الاغماتية ارتبط بظرفية محلية مرت بها اغمات خلال الفترة أساسها أزمة دينية واجتماعية، انعكست في شيوع الاعتقاد بظهور الشيخ المنقذ، وفي تركيز عمل الطائفة فيما بعد على تصحيح المعتقدات، والاهتمام بتحقيق التوازن وتقوية التضامن(*إثمد*، 1 : 78، 95 ـ 99، 170). كل ذلك تزامن مع بداية فترة المرينيين التي عرف فيها الجنوب المغربي حالة عدم الاستقرار.

امتدت فترة إشراف أبي عبد الله على الطائفة إلى وفاته سنة 678 هجرية / 1265 ميلادية وخلفه أخوه أبو زيد

إلى سنة 706 هجرية / 1307 ميلادية، وبعدها لا نعرف أي شيء عن أحوال الطائفة والمشرفين (*إثمد* 1 : 79).

حدد الاغماتيون أسس طائفتهم في خمسة عناصر هي : اجتناب المحارم وأداء الفرائض، وترك الدنيا، والصدق، والاخلاص. تشكل المالكية وتعاليم الجنيد وآراء الغزالي وبعض عناصر الملامتية الإطار المرجعي لهذه القاعدة. وإذا شارك الاغماتيون باقي طوائف الجنوب المعاصر لهم في العناصر الثلاثة الأولى من هذه القاعدة فإنهم انفردوا لوحدهم بالرابع.

عرفت الاغماتية مجموعة من التقاليد والممارسات عكستها طقوس ومواقف العناصر البشرية المكونة لها. ويمكن تحديد الطقوس في الأوراد والأذكار والخرقة والاعتناء باللون الأبيض والأخضر، والخلوة والمصاحفة والسياحة. ويبدو أن التضامن داخل الطائفة يُعتبر قاسما مشتركا بين مختلف هذه الطقوس.

أما مواقف الأغماتيين فيمكن تحديدها من جهة في القول بضرورة الشيخ في النشاط الصوفي، وثبوت كرامات الأولياء، وممارسة الإطعام، والتحفظ من السماع، واشتراط الاستئذان في الذهاب إلى الحج. ونلمسها من جهة ثانية في موقف الاحترام من الطوائف المعاصرة خاصة طائفتي أبي محمد صالح، وأبي زكرياء الحاحي، بينما نلاحظ موقف عدم الرضا من المخزن المريني (*إثمد* 1 : 173- 174 ؛ *أنس الفقير*، 66).

ويمكن أن نميز في هياكل الطائفة التكوين البشري الذي أثر فيه الإطار الجغرافي بشكل قوي، وهو ما تجلى في غلبة العنصر البربري خاصة المصمودي منه، وفي سيطرة الطابع القروي (*إثمد* 1 : 87) يضاف إلى ذلك تباين التركيب الاجتماعي للأتباع. فهناك الفلاح والحرفي والمعلم والمسؤول المخزني، وما ترتب عن ذلك من تفاوت بين الأتباع على مستوى الجاه (*المسند*، 361، 362) والمال (*إثمد* 2 : 408 + *أنس* 67 - 68) والتكوين (*إثمد* 1 : 217).

كما نميز جانب التنظيم الداخلي الذي يلاحظ فيه وجود هرمية قمتها القطب، وقاعدتهاالتلاميذ، تجمع فيهما علاقة الاحترام وعفوية التضامن (*إثمد* 1 : 88 - 89).

وقد تركز نشاط الأغماتيين بشكل بارز في الجنوب، خاصة اغمات مركز ثقل الطائفة وإيغيلْ نَوَايْلانْ وأمغيوز ورباط شاكر وماسة ومراكش. وإذا علمنا استقرار أبي زيد بفاس ووصوله إلى تلمسان في آخر حياته، فهذا يؤكد أهمية مجال الجنوب.

وقد أولت الطائفة اهتماما خاصا للوسط القروي، الأمر الذي انعكس في ضعف إشعاعها داخل المدن، وهو مايتجلى في نقص الأخبار المتعلقة به في إثمد *العينين*، وفي تركيز الأغماتين على البادية. وفي هذا السياق تتبين أهمية العنصر المصمودي الذي كان مسيطرا على المجال، وانعكست في وفرة عناصره المنتمية للطائفة.

وإذا كان اختيار هذا المجال قد يفسر من بعض الجوانب بابتعاده عن مركز حكم المخزن المريني وعن مناطق زناتة، ثم استمرار حالة عدم الاستقرار بالجنوب المغربي طول مدة حكم المرينيين، فإن المساهمة من جانب في إعادة لمِّ شتات وحدة قبلية أنتجت دولة وأصبحت تعيش حالة ضياع الجاه والسلطة مسألة تبدو غير مستبعدة.

وأخيرا يمكن القول إن الأغماتية كمشروع، استهدف تنظيم جانب كبير من مجتمع مصمودة على أساس تصوف طائفي، كان محاولة غيرموفقة. من قرائن ذلك : سرعة فتور الطائفة باختفاء أبي عبد الله وأبي زيد، ثم محدودية إشعاعها الجغرافي، يضاف إلى ذلك دخول هذا المجال تصوف بديل طائفي شكله الحاحيون (*أنس الفقير* 64) وفردي لعزيزة السكسيوية (*أنس الفقير* 96).

التادلي، *التشوف* ؛ ابن تكلات، *الإثمد* ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*؛ ابن مرزوق، *المسند*.

محمد رابطة الدين

**أغْمير**، محمد بن أحمد. ولد سنة 1900 باخْوَانَا، إقليم تازا، ونشأ بقبيلة جزناية ببورد بنفس الإقليم. انضم إلى صفوف جيش التحرير وعمل تحت مسؤولية السيد عبد الله بن حسن الزكريتي ابتداء من فاتح أكتوبر 1955، وكان مهيئاً للمشاركة في انطلاق العمليات الأولى لجيش التحرير بتازا ضد قوات الاحتلال الفرنسي بجبال الريف وبمراكز أخرى.

وخلال اشتباك في معركة بير بلوطة، استشهد - رحمه الله - يوم 18 أكتوبر 1955 بعد أن فرغت بندقيته تحت وابل من رصاص الجيش الفرنسي.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 2 : 61.

عز الدين العلام

## أغْنْجَة ← سمك

**أغْنَاج**، محمد بن يحيى، كان خليفة للقائد عبد الملك بن محمد أبهي، لكن شهرته إنما ارتبطت بالأحداث التي عرفتها سوس أوائل القرن التاسع عشر، وكان له دور فيها. فقد ازداد نشاطها التجاري مع جنوب الصحراء مما نجم عنه ظهور قُرى محلية جعلت السلطة المركزية توليها الاهتمام، فكانت حركة السلطان المولى سليمان إلى سوس سنة 1222 / 1807 فوصل إلى وادي نون، وأوقع بقوى أگلميم بإلقاء القبض على عبد الله الذي لم يسجن طويلا، في حين لم يمس السلطان المولى سليمان قوى إليغ بزعامة هاشم بن علي الذي أعاد لإليغ مركزها في سوس منذ أوائل القرن التاسع عشر.

لقد ظهر مركز إليغ السياسي والاجتماعي بطموحات سياسية مستقلة لهاشم بن على مما جعل السلطان المولى سليمان يوحد سوس تحت قيادة عبد الملك بن محمد أبهي ومحمد بن يحيى أغناج أوائل سنة 1225 / 1810. وقد شاركت قوى مختلفة من القبائل في هذه الحركة كالحيانية

وبني حسن من الغرب، وقبائل حوز مراكش بالإضافة إلى جيش العبيد وشراگة. نزلت الحركة على وادي ولغاس حيث واجهتها القوى المشكلة من قبائل ولتيتة (إولتيتن) وسملالة (إسملالن) وبني رسموكة (إرسموكن) وبعض من إداوبْعقيل وبني مجاط، وانضاف لهم أهل المعدر، وانضمت بعض القبائل المحلية لحركة المخزن كبني زلالة وأبلاغ.

كانت الواجهة بين القوتين على وادي ولغاس، وحاولت كل منهما الضغط على الأخرى إلى أن انهزمت قوى هاشم الذي انسحب مع القبائل المرافقة له، فاقتحمت القوى المخزنية بقيادة أغنّاج المنطقة فوصلت إلى إليغ ثم انسحبت منه واتجهت نحو تارودانت عبر الأطلس الصغير، فمرت بإيلالن وأساطس ثم تارودانت، وألحقت هزائم بالقبائل، وقد أتلفت في طريقها عددا من الثروات وحطمت عدداً من الحصون. وقد تمكن أغناج الذي كان يقود الحركة من نيل ثقة السلطان المولى سليمان فوفد عليه بمراكش أوائل سنة 1226 / 1811 فعينه عاملا على تارودانت، وكان فيها من قبل خليفة لأبهي، واستمر بها إلى حوالي 1236 / 1820، أواخر أيام السلطان المولى سليمان.

*وثائق مخزنية من الخزانة الحسنية* ؛ *الضعيف التاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 و9 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 4 أجزاء.

R.Montagne, *Les Berbéres et le Makhzen* ; P. Pascon, *La Maison d'Illigh.*

محمد زرهوني

**اغوينية ← وادي الذهب** (إقليم .)

**إغيلْ**، اسم مكان، معناه : الذراع، ويطلق على التل الممتد على هيئة عُرف جبلي وكثير من أسماء الأماكن المعربة باسم الذراع تعرف أصلا بإغيلْ. ويقرب أغمات أوريكة مكان بهذا الاسم معروف إلى الآن. وكذا إغيل ن وايْلانْ (ذراع هيلانة) على مقربة منه.

*التشوف*، 161 ؛ *أخبار المهدي*، 113.

H.Terrasse, *Sanctuaire et Forteresses almohades*,377.

أحمد التوفيق

**إغيلاَلْنْ** (مدرسة). تقع بقبيلة مسگينة بناحية إنْزگانْ على بعد نحو 20 كلم منها، وذلك في الطريق إلى تارودانت عبر الأطلس الكبير فوق هضبة مرتفعة.

وقد أسسها المسمى يحيى أحد أصحاب الحضيگي وتوفي سنة 1205 / 1790 ودفن قريبا من هذه المدرسة ؛ وقد اشتهر في عصره بالتعليم والصلاح ؛ وساعده على القيام بمهمة إيواء الطلبة وإطعامهم ما اشتهرت به ناحية إغيلالن آنذاك من حقول وغلال مع تخصيص أهل تلك الناحية أعشار غللهم للمدرسة وفق أسلوب (المشارطة) بمدارس سوس. وهو يقتضي أن تكون ثلث زكوات القبيلة أو ربعها أو نحو ذلك بحسب قلة أفراد القبيلة وكثرتهم مخصصا للمدرسة (*المعسول*، 3 : 275، 276).

ويذكر من بين الأساتذة الذين درسوا بهذه المدرسة قبل أن يبرز بها الحاج مسعود الوقفاوي الآتي الذكر كل من : الأستاذ مبارك البورزگي الملولي الگسيمي ؛ كان ذلك سنة 1340 / 1920 وقد توفي مبارك هذا بأيت ملول سنة 1355 / 1936 (*خلال جزولة* 4 : 64).

كما درس بهذه المدرسة أيضا سعيد الهشتوكي المتوفي حوالي1379/ / 1959 (المرجع أعلاه) ودرس بها أيضا أحمد الكشطي وهو ممن درس بالريف، وفاس وقد توفي سنة 1366 / 1946 (المرجع اعلاه).

غير أن شهرة المدرسة لم تظهر إلا عندما عين بها **الأستاذ الحاج مسعود بن أحمد بن إبراهيم الوقفاوي** (عام 1366 / 1946) **وذلك بعد تجربة تربوية وتعليمية طويلة بجملة من مدارس سوس**، وبالرغم من أنه اضطر إلى مغادرتها بسبب خلاف مع أحد المسؤولين بتلك الناحية، فقد رجع إليها ثانية ؛ وقد أتيح له من الإمكانات العلمية والسلوكية ما جعله يتمكن من استقطاب عدد مهم من الطلبة ؛ فهو من تلامذة أبي العباس الجشتمي وممن أخذ من مدرسة تانكرت بإفران. وانتقل في مدارس أخرى بسوس ونواحي مراكش ورحل إلى الحج وجاور سنة وأجازه الشيخ شعيب الدكالي. كما أخذ الطريقة الدرقاوية عن الشيخ علي الإلغي (*المعسول*، 3 : 60 - 161) ؛ فاستقام له من سعة الأخلاق وحسن المواظبة ما جعله محترما محبوبا عند العامة والخاصة.

أما طلابه فقد أخذهم بحدب كبير وإكرام باد، حيث كان يحتفل بهم كل خميس بمنحهم ذبيحة أو اثنتين تشجيعاً على الاستمرار والجد في الدرس.

وقد استغل الأستاذ الوقفاوي أوقاته كلها طيلة السنة في خدمة الطلاب منذ الصباح الباكر إلى أن يحين المساء مع إشراف تربوي على سلوكهم الشخصي يتخلله عتاب المقصر وتشجيع المجد ؛ كما كان يشرف على شراء ما يلزم الطلبة ولا سيما المجتهدين منهم هدايا تشجيعية خاصة ؛ ويظهر أنه كان لنشأته فقيراً في صغره أثر في رقة عاطفته وشعوره بحاجات طلابه المادية، مازجا بين هذا الاهتمام المادي، وبين الحرص على أن ينشأ الطلاب محافظين على الشعائر الدينية وخاصة صلاة الصبح التي كان يشدد على بعض الطلاب في شأنها إلى درجة التبكيت والإزعاج (*المعسول*، 3 : 66).

أما طريقته في التدريس فيظهر من خلال ترجمة أحد تلامذته وقرابته المسمى أحمد الوقفاوي مدى حرص الأستاذ الحاج مسعود على تفوق طلابه في إتقان المتون والنصوص ؛ فقد درس هذا الطالب *الألفية* لابن مالك بشروحها أكثر من أربع عشرة مرة (*المعسول*، 6 : 91) كما أن أحد تلامذته المسمى عبد الله الوقفاوي حصّل عنه غالب فنون الدراسة من نحو ولغة وفقه وفرائض وحساب وحديث وتفسير وأدب (*المعسول*، 3 : 97 - 98) مما كشف عن اهتمام تكاملي بمختلف المواد الدراسية المتداولة بسوس آنذاك.

أما قائمة طلبة الحاج مسعود الذين أخذوا عنه بهذه المدرسة خاصة أو بمدارس أخرى بكيفية عامة فتكشف عن تنوع في الانتماء المكاني وتعدد في الوظائف التي سيمارسها هؤلاء الطلاب بنواحي سوس في مختلف الميادين.

وقد تولى التدريس بمدرسة إغيلالن بعد الأستاذ الحاج مسعود آنف الذكر بعض تلامذته فمنهم : أحمد بن محمد المافماني ومنهم المسمى ابراهيم الباعمراني ؛ وقد أخذ عنه أحد أبناء الحاج مسعود المذكور وهو ابنه عبد الله ابن مسعود المشتغل حاليا بالتعليم.

كما ذكر من بين تلامذته الذين درسوا بمدرسة (إغيلالن) أحد ابناء الشاعر الكبير الطاهر الإفراني وهو المسمى عبد الله بن الطاهر (ولد نحو 1318 / 1900) وذلك بعد أن أخذ عن أخيه محمد بن الطاهر وعن والده الشاعر وعن الحاج مسعود بعد ذلك (*المعسول*، 7 : 231) وقد مارس التدريس بمدرسة (إغيلالن) ابتداء من سنة 1382.

وقد استمرت الدراسة بها بعد ذلك بواسطة أحمد البويضي الهواري إلى جانب الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال وفق نظام المدرسة المزدوج.

م.المختار السوسي، *المعسول* 3 ؛ *خلال جزولة*،22.

محمد البايك

**أغيول**، عبد العزيز بن محمد، يلقب بيَا هْلَ اللّه لكثرة جريانها على لسانه. كان صالحاً ملامتياً، وموسيقيا ماهراً يعرف الآلة وطبوعها وصنائعها. كما كان صناع اليد يجيد تسفير الكتب وصنع المناسج، ويغضب لمن يصفه بالصلاح. صحب من شيوخ فاس العربي بن عبد الله معن الأندلسي، ولازم مجالس محمد جسوس في حكم *ابن عطاء الله*، وعبد المجيد الزبادي في *النصيحة الكافية* لأحمد زروق.

اهتم بإشهار قبور الصالحين المندثرة بفاس، وأدركته الوفاة عام 1199 / 84 ـ 1785 فدفن قرب سيدي أحمد اليمني ويوسف الفاسي خارج باب الفتوح.

م. الزبادي، *سلوك الطريق الوارية*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 361 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد حجي

**أَفَا**، معناها في اللسان الأمازيغي : القمة أو المرتفع. وتوجد بالمغرب قرى عديدة تحمل اسم "أفا" وغالبا ما تكون الأسماء منسوبة إلى الأماكن أو الأشخاص. وأهم هذه القرى: أفا نايْت عباس بقبيلة مسكّينة شرق مدينة أگدير ؛ أفا، نْدْعيسى، قرب مدينة إفني بأيت باعمران، وهو من المراكز التي انجلى عنها الإسبان سنة 1957 أمام جيش التحرير المغربي ؛ أفا، نْتَاگانْت، قرب أفلاَ أوگنس بقبيلة* إدا وباعقيل بالأطلس الصغير ؛ أفا، نتيقي، بقبيلة مجاط قرب إفران بالأطلس الصغير ؛ أفا، نايت دواد، جنوب تاسريرت بقبيلة تافراوت شرق أگرسيف. نافات : مؤنث أفا، للدلالة على التصغير، وهي قرية بقبيلة أيت برايم جنوب مدينة تزنيت غرب العوينة، وقد انتقل أغلب سكانها فتأسست قرية أخرى بنفس الاسم في منطقة سهلية بعيدة عن الأولى بحوالي تسعة كلمترات، نتيجة وعورة الموقع الأول.

ويتجلى أن أغلب هذه القرى تقع في سلسلة جبال الأطلس الصغير باستثناء أفانايْت عباس فهو يقع على سفوح الأطلس الكبير المواجهة لسهل سوس، على بعد 12 كلم من مدينة أگادير شرقا، وينتسب إلى قرية أيت عباس من قبيلة مسگينة.

وقد توصلنا إلى وجود علاقة بين أفا نايت عباس وأفا أودْرَار بإداوْسملال، لأن سكان أيت عباس بقبيلة مسگينة إنما انتقلوا من إداوسملال حيث توجد قرية باسم أيت عباس التي ينتسب إليها العلامة أحمد العباسي السملالي صاحب *النوازل* المشهورة، ويوجد في قبيلة مسگينة اليوم من المسنين من يذكر سلسلة أجداد إلى الأصول الأولى المهاجرة من قبيلة إداوسملال في العهد السعدي في القرن السادس عشر، وهو الفقير إبراهيم ميشت بقرية إيمي نتغزوت بمسگينة.

وأفانايت عباس يرجع تأسيسها إلى هذه الحقبة حيث كان السكان ينتقلون من جهات سوس والصحراء إلى أحواز أگادير لمقاومة الاحتلال البرتغالي. وقد وقع الاستقرار النهائي لأيت عباس في القرن السابع عشر حيث تأسست قرية أفا وكانت مسكنا لأسرتين : أسرة أيت سعيد أعمر وأسرة أيت الحسين أمحمد، وتنتميان معا إلى أصل واحد. وإلى هذه الأسرة الأخيرة ينسب الفقيه العربي وأفا. وهو العربي بن الحسين بن محمد بن محمد، ولد بأفا، ودرس بمدرسة إگيلالن على يد شيخه أحمد العباسي من قرية والحورِّي، وذلك قبل أن ينهض بهذه المدرسة الحاج مسعود الوفقاوي. ويذكر المختار السوسي أن كثيراً من أخبار هذه الجهة قد ضاع. ولم يعرف عن سيدي العربي غير كونه من المجيدين لكتاب الله حفظا، والمداومين على تلاوته، خاصة عندما انكف بصره في أواخر حياته. وقد توفي رحمه الله سنة 1370 هـ / 1951 م، ودفن بمسجد أگرض بقبيلة مسگانة.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 1 : 37 ؛ *المعسول* 3 : 59. 7 : 20 . 78. 10، 24. 266. 12 : 173 ؛ *عقود عقارية* لأسرة أيت الحسين أومحمد أوافا، *الرواية الشفوية* للفقير الحاج أحمد نايت محمد بقرية تاباطكوكت قبيلة مسگينة.

عمر أفا

**أَفْرَا** (قصر ـ) ← **طاطا**

ضاية **إفراح**، اسم يطلق على ضاية دائمة (بحيرة) موجودة في الأطلس المتوسط الشمالي الغربي، جنوب مدينتي صفرو وإموزار، وكذا على المنخفض الواسع الذي تتوسطه هذه الضاية. هذا المنخفض مثال نموذجي للسهول الكارستية الممتدة، خاصة وأن هذا الشكل نادر في الهضاب الشمالية للأطلس المتوسط ويرتبط وجوده هنا

بظروف بنيوية مساعدة، تتجلى في انكسارات عدة تجزئ الطبقات الدولومية اللياسية، بحيث سمح هذا بتركز آثار التحليل الكيماوي في نطاق ضيق.

يمتد المنخفض في اتجاه ش - ج على مسافة 5 كم، بينما لا يتعدى اتساعه 2 إلى 2,5 كم. ويوجد مستوى البحيرة المركزة شمال المنخفض عند 1613 م أي على عمق 45 م تحت سطح مستو يشرف على الحوض. ويمتاز بعدم تماثل الجانبين، حيث يحده شرقا السطح المستوي "الظهر" عند ارتفاع 1700 م. بينما تشرف عليه غربا متون مرتفعة قد تتعدى 1900 م وتنتمي إلى عرف تايللوت الذي يكون استمرارية لانكسارات أساسية في الأطلس المتوسط، اتجاهها ش ش، ش - ج ج غ.

أما عن حواشي الحوض فيمتاز رسمها بالانعراج الشديد خاصة في الجهة الجنوبية، بينما تصبح مستقيمة في الشمال على شكل قوسي، ذلك أن أصل المنخفض مزدوج. فهو حوض كارستي شمالا، محدود في المجال الذي تشغله فرشة مائية بارزة، وينتخر عن هذا الحفر الكيماوي تكوين شواطئ بحيرية، شاطئ حالي وآخر شاخص يعلو المستوى المائي بعشرة أمتار، يدل على سطح قديم للتآكل الكيماوي. أما جنوبا، ومع انعراج الحواشي، يتضح بأن التعرية السيلية كان لها الأثر الأساسي في تعميق المنخفض. فعدة مجار تخدد جوانب الحوض، متجهة نحو البحيرة، وتاركة في طريقها مخاريط انصباب تنتمي للرباعي الأوسط الحديث.

أما نشأة وتطور المنخفض فقد وردت حولها عدة افتراضات (Martin, *Le Moyen Atlas Central*, 1981)، مبنية على شواهد ميدانية مضبوطة.

أولها الوضع البنيوي جد المتشوه بسبب انكسارات متقاربة وتموجات انقعارية هذا وضع يعم هضبة أمقلة ما بين ضاية إفراح جنوبا وحتى ضاية أفورگاح شمالا. ويكون ظروفا سهلت تشكيل ممرات تحاتية واسعة.

ذلك أن ضاية إفراح يشرف عليها مستوى تحاتي جزئي ممتد على جانبها الشرقي خاصة. ويظهر أن هذه السطوح الجزئية الشاخصة تنتمي لنهاية الزمن الثالث ؛ إلا أن أصلها غير واضح، هل هي سطوح كارستية أو حادورات مفتوحة. خاصة وأنه في هضبة أمقلة لا تتوفر المرتفعات المشرفة الكافية لتركيز المياه والسماح بتشكيل حادورات قدم جبل حقيقية. ولذا فالأرجح أن هذه السطوح من أصل تطور كارستي قديم دام مدة استقرار طويلة. ويفترض أن هذه الكرستة قد تمت في ظروف مدارية خلال الميوسين والبليوسين.

أما المنخفض (ضاية إفراح) فهو يتعمق على حساب هذا السطح القديم، في مكان حيث الظروف البنيوية مساعدة، قرب انكسار أساسي ووسط طية انقعارية.

وانطلاق التعميق ناتج عن بروز الفرشة المائية وسط المنخفض التكتوني خلال أول الفترات المطيرة من الرباعي، بسبب الزيادة المسجلة في التهاطلات. هذه الفرشة أدت إلى بداية عملية التحليل الكيماوي على حساب الصخور الكربوناتية الدولومية للياس الأسفل. وعلى جوانب البحيرة الناشئة، تشكلت شواطئ يتم فيها قرض الصخر وتوسيع المجال البحيري.

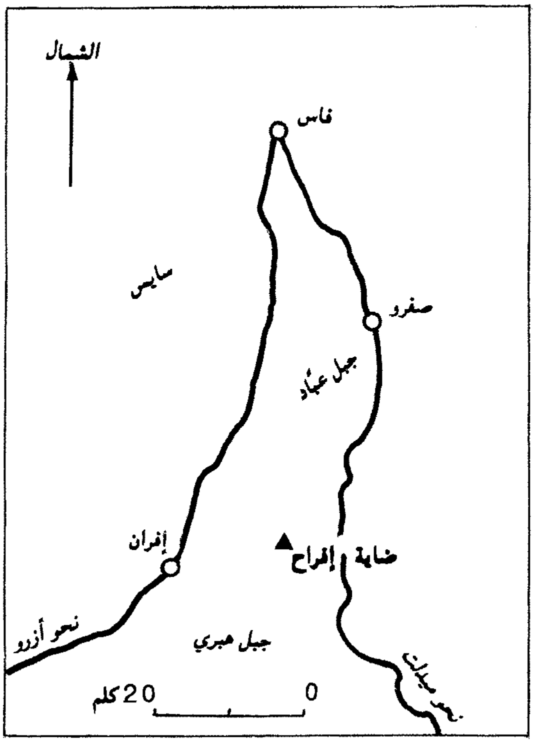


**ضاية إفراح**

في المراحل البيمطيرة، يتم تجفيف الضاية، فتتعرض السفوح للتخديد ؛ فتتكون فيها خوانق تجعل جوانب الحوض تتراجع وعلى الخصوص جهة الجنوب حيث توجد أهم المجاري المائية.

وعندما تعود الظروف المطرة، يتيسر من جديد تكوين بحيرة، لكن ناتج عند مستوى أقل من البحيرة الأولى. هذا ما يفسر وجود شاطئ قديم شاخص، على ارتفاع 10 م في الجهة الشمالية من البحيرة الحالية. أما المجاري الجنوبية فتلعب دورا أساسيا في كونها الأصل في دفع البحيرة تجاه الشمال وذلك بسبب الموارد الفتاتية التي تكون حمولتها والتي شيدت بها عددا من المخاريط الانصبابية.

ضاية إفراح إذن، منخفض كارستي معقد، ذو تطور مرفلوجي طويل، لكن أساسا عن التحليل الكيماوي. هذا التحليل يكون سطحيا في فترات الفيض فيؤدي إلى توسيع البحيرة في وقت تكون فيها مسام القعر منغلقة بسبب تراكم المواد الطينية غير المنفذة، ثم يصبح عمقيا في فترات التجفيف، عندما تنفتح هذه المسام وتتسرب المياه.

J. Martin, *Le Moyen Atlas central, étude géomorphologique*, Notes et Mém. Serv. Géol. nº 258 bis, 1981.

عبد الله العوينة

**أفراگ**. ـ لغة ـ اسم لفعل متصرف في اللغة البربرية، مشتق لغويا من الفعل الثلاثي فَرْكْ الذي يعني بصفة عامة: أحاط، سوّر، سيّج بستانا بأغصان شائكة... تُفهم من الفعل أيضا معان أخرى مثل قسم، فرق... إن تأصيل الكلمة في مجموع المجال البربري في منطقة شمال غرب إفريقيا (سوس، الريف، القبائل، الشاوية، الطوارق..)، ينفي إطلاقا أن يكون للكلمة أصل سامي وإن كنا نلمس اختلافا فيما يخص النطق بها من منطقة إلى أخرى على مستوى المغرب الأقصى. مثلا تنطق الكلملة إفْرِكْ (ج. إفْرگَانْ) عند برابرة سوس، في حين تنطق (أفْرَايْ) (ج، إفْرَايْنْ) بمنطقة الريف الشرقي، حيث يستعمل ـ عادة وفي كثير من الحالات ـ حرف الياء محل الگاف.

إذا كان يستفاد من الفعل "فَرْكْ" حركة معينة تفيد في الأصل قيمة مجردة (حركة أو فعل القيام بالتسييج) فإنه يستفاد من الاسم "أفراك" حقيقة فعلية يفهم منها شيئان بصفة عامة :

1 ـ السور أو السياج في حد ذاته سواء كان جدارا أو أغصانا شائكة أو غيره. فيظهر كمرادف لهذه الكلمة وبهذا المعنى، مصطلح آخر وهو أفْرا.

2 ـ الأرض أو البستان سواء كان في حالة مسيجة أو غير مسيجة، وكمرادف لهذه نجد مصطلح أزكْري.

تطور مفهوم أفراگ بمنطقة المغرب على العهد الوسيط، ليشمل معنى سياج الكتان أو غيره يحيط عادة، ومع مرور الزمن أصبحت الكلمة تعني مقر إقامة السلطان وأتباعه، في الحل والترحال.

Ibn Khaldun, *Kitab Al Ibar...*, Trad. Fr. De Slane : T. IV p. 201, nº 1 ; G. Hyghe, *Dictionnaire chaouia-arabe-kabyle et français* ; A. Jordin, *Dictionnaire berbère-français*, p. 17 ; E. Destaing, *Vocabulaire français-berbère : Etude sur la tachelhit du sous*, p. 108 ; Ch. De Foucauld, *Dictionnaire touareg - français*, p. 343 ; G. S. Colin, *Afrag*, *E. I. 2*, p. 243 ; E. Bernus, *Afrag*, *Encycl. berb.* ; S. Chaker, *Afrag*, *Encycl. ber.*

**أفْراگ**. أو أفَـرَاگ (سياج خيام السلطان) مصدر يعد جذراً مشتركاً بين كل المناطق واللهجات البرابرية لفعل "فْرگ"، ويعني بشكل عام : السياج والحاجز. ولفظة فرگ مرتبطة أيضا بفكرة التوفر على القدرة، وفكرة التغلب على شخص أو جماعة. إن هذا الفعل فرگ ينتمي إلى العمق المعجمي الشامي ـ السامي، بحيث إن "فرق" في اللغة السامية تدل على معنى جزءاً وقسم، كما أنها تشير إلى أشكال أخرى مماثلة قريبة أو متجاورة، كما يبدو، في استعمال نفس الدلالة بكل المجال المتوسطي، إذ أصبحت قريبة جدا من معاني Parc أو Park (أي الأرض المسورة) في بعض اللغات الهند ـ أوروبية والتي غالباً ما بدا مصدرها وأصلها إلى حد الآن يكتنفه غموض كبير.

إن صيغة جمع "أفراگ" واحدة في كل هاته الفضاءات البرابرية بالشمال الإفريقي. وهي : إفرگان. ويبدو معنى "الحديقة" لأفراگ وحده لدى الطوارق كما يشير إلى ذلك شارل دو فوكو، وهو معنى حديث العهد وثانوي (*Dictionnaire*, 343).

إن أصل الكلمة أمازيغي، له علاقة بالمجتمع الزراعي ـ الرعوي والترحالي والقبلي العشائري الذي تبلور في إطاره. ويمكن افتراض ارتباطه كذلك ببداية بروز الملكية الخاصة لإخْص أو العشيرة Clan. إن كلمة "أفراگ" تعني في الاستعمال العادي بمنطقة سوس الحواجز المشتركة لاتقاء مخاطر خارجية طارئة أو ممكنة. وتوضع عادة هاته "الأشواك" Ifergan في السطوح أو فوق جدران قصيرة. وذلك لمنع كل تسلق محتمل من طرف سارق أو عابر. كما أن الأشواك تستعمل كذلك في تسوير وتسييج اصطبلات البهائم بالعزائب الموجودة بالخلاء أو المراعي البعيدة عن "المواضع" أو الدواوير. ويؤكد إ. برنوس E. Bernus وهو أحد المختصين في دراسة الحياة الاجتماعية والثقافية للطوارق، بأنه "أثناء بعض الإقامات (المؤقتة) Campements تحيط الحواجز بأمكنة خاصة بالماعز والأغنام (Encycl. Berb., 2 : 207) وفي مقطع من أحد فصول (En *tribu*) 1914 Ed. Doutté يبين إدموند دوتي هذه الحالة لدى بعض قبائل المغرب بالحوز، وخاصة لدى بعض القبائل المترحلة والتي ظلت آنذاك عبارة عن قبائل متأثرة بتنظيماتها الصحراوية التي يستلزمها نمط الحياة الرعوي. إن "أفراگ" يقوم ـ هنا ـ مقام "السور" أو "السياج" ويعتبر أداة سهلة وبلا كلفة لتقسيم المجال الحيوي للإنسان المتنقل عندما يستقر، ظرفيا، في مكان ما. إنه كذلك يحمي إنتاجه ووسائل عيشه من التلف أو الضياع أو النهب. إن الماشية والأغراس والخيام هي التي تسيج عادة. إن "الزريبة" هي عبارة عن مساحات محاطة بحواجز من الأشواك (*En Tribu*, 365) إن مواد "أفراگ" أحيانا، وهي كما قلنا، عبارة عن أشواك، تستعمل في الطهي والتسخين والتدفئة، خاصة في الأوقات أو المواسم التي تدعو الضرورة إلى الانتفاع ببعض منها.

كما أن الأشواك تستعمل في ميدان الزراعة، والأغراس، وتوضع على الأغراس الجديدة من الأشجار، لتحصنها ضد كل المؤثرات الخارجية، كالبرد أو الحرارة أو من الدواب. كما تستعمل كسور دائر بالخيمة في بعض المناطق لدى الرحل وذلك لمنع تسرب الحيوانات المتوحشة أو حتى الأليفة إلى داخل الخيمة. كما أن تلك الأشواك (إفرگان) توضع كذلك على القبور لمدة أربعين يوما في جل المناطق بالمغرب القروي وذلك لمنع كل حفر لها من طرف الحيوانات الآكلة للحوم.

تؤكد كلمة "أفراگ" كذلك معنى السور أو السياج الذي يحيط بالخيام الخاصة بالسلطان في حالة التنقل. وهذه الدلالة التي انتقلت إلى الدارجة المغربية تبدو مؤكدة وواقعية منذ العصر الوسيط، حيث نجد أن كلمة أفراگ تبدو وكأنها تشير إلى المحلة أو الخيمة الملكية كما جاء ذلك عند ابن خلدون، أما المجموعة البشرية المكلفة بنصب الخيمة "أفراگ" فتسمى عادة في الاستعمال المغربي بـ "الفرايگية" (R. Mauduit, *Le Makhzen Marocain*) يقول

روني مودوي René Mauduit 1930 تتضمن هذه الحركة 300 من المشاة و 100 فارس. إن عمل "الفرايكية" جد متعب في حالة الحملة، إنهم مكلفون بنصب الخيمة السلطانية وخيام ضيوفه وخيمة الحاجب ومختلف الخيام التي تضم أثاث المنزل السلطاني. يحزمون أدوات التخييم، ويطوون الخيام ويحملونها على ظهور البغال. وعندما يحل السلطان بإحدى عواصمه، يستريح الفرايكية نسبيا ويصبحون جزءا يضم إلى مختلف مستخدمي القصر أو يوظفون في أشغال مختلفة (BCAF, *RC*, 1930, p 295). لقد ارتبطت لفظة "أفراگ" بإعداد الحركة أو المحلة السلطانية، وهي التي تحيط بالسلطان وحاشيته وحريمه، وتكون جداراً سميكا، يقيه من كل أذى خارجي. من خلال تصور "الحركة" عند كل من جول إيركمان Jules Erckmann والدكتور فريديريك وايسجربير Dr. F. Weisgerber 1898 يمكننا أن نتبين مكانة "أفراگ" في تصميم وبنية "المحلة" (انظر الرسم). وفي ملحق من ملاحق مؤلف وايسجربير *Au Seuil du Maroc moderne* يعرف هذا الأخير، "أفراگ" بأنه سياج من النسيج يحيط بالخيام السلطانية (Dr. F. Weisgerber, *Au seuil* P1 du lexique) ويؤكد بيير لوطي Pierre Loti 1890، من جهته على معنى آخر لمفهوم "أفراگ" في معرض هذه الملاحظة :"بمجرد ما تخرج الخيمة السلطانية (أفراگ) من مخازن القصر وتبدأ في الظهور وراء الجدران، ينتشر الخبر في المغرب كله، بواسطة القوافل التي تمر، وخصوصا بواسطة أولئك الراجلين السريعين الرقاصة الذين يمشون ليلا ونهارا عبر الجبال أو الأنهار ليأتوا بالرسائل أو الأخبار (P. Loti, *Au Maroc*, 1980 pp 262 - 264) ويتضح هنا أن لفظة "أفراگ" تشكل مركز المحلة، حيث يوجد السلطان وحراسه ومقربوه، ولا تدل الكلمة على خيمة السلطان الكبيرة وحدها، وإنما تدل كذلك على مَن بداخلها ومن يدورون بها مباشرة.

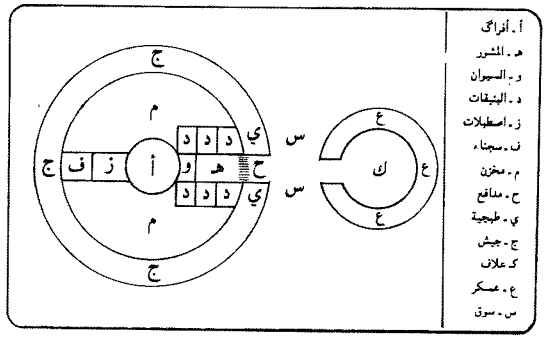


الرسم : تصميم المحلة الشريفية وموقع "أفراگ" فيها. (خططه الدكتور ـ ف ـ وايسجربير سنة 1898. طبعة الرباط 1947، ص 48.

وليس غريبا كذلك أن تحمل بعض الوحدات القبلية أسماء مشتقة من لفظة "أفراگ" وفعل "فرگ" Frg كما نجد على سبيل المثال، في منطقة الأطلس الكبير الغربي. ولقد ذكر جاك بير منا "الفروگة" (*Les Seksawa* 1955 et Fruga 1978, PP 105, 138, 285, 422 de l'éd 1978 ; J. Berque, *Struct. du haut Atlas*)

Ibn Khaldoun, *Histoire des Berbéres* , T, IV, P 201 Index 490 et 201, Paris 1925 ; F. Weisgerber, *Au Seuil du Maroc Moderne* ; Ch. De Foucauld, *Dictionnaire Touareg Français*, Vol I, P 342 ; Ed. Doutté, *Mission au Maroc*, *En Tribu* ; E. Laoust, *cours de berbère Marocain*, Paris 1921 (Ifrig, p 2 sous); R. Mauduit, *Le Makhzen Marocain*, in B. C. A. F/RC Nº 12, 1903, p. 126 ; J. Berque, *Structure du Haut Atlas, les Seksawa* 1978. PP. 105 - 138, 285, 422 ; E. Bernus, *Afrag*, in *Encycl. Berbère* ; S. Chaker, *Afrag*, in *Encycl. Berbère*.

محمد الگير

**أفْرَاگْ**، ربض من أرباض سبتة، أنشأه بنو مرين كمقر وسكنى لهم ولجندهم، غرب المدينة على مدخل شبه الجزيرة، يمين طريق فاس، بمنطقة يبلغ علوها 70 مترا، وليس على جبل آشو، كما يعتقد البعض.

يعرف الحي بأسماء متعددة في النصوص التاريخية. يعرف عند ابن خلدون والأنصاري باسم أفْرَاگْ، وعند ابن مرزوق يعرف بالمنصورة. أما المؤرخ البرتغالي أزورَرَا G. E. De Azurara فيشير إليه باسم "الجزيرة" La Isla. ظل الحي يعرف عموما باسم أفراگ خلال الحقبة الإسلامية للمدينة كما تدل على ذلك معظم المصادر العربية. عقب الاحتلال البرتغالي للمنطقة، أصبح يشار إليه باسم الجزيرة La Isla وتنطق أَغْسِلَ Arcile. أما الإسبان فيطلقون عليه حاليا اسم سبتة القَدِيمة Ceuta la Vieja.

دخل أفراگ في حكم المركز الحضري لمدينة سبتة منذ سنة 729 / 1328 على إثر بنائه من طرف السلطان أبي سعيد المريني الذي كان يهدف من وراء ذلك إلى تثبيت وتجسيد السلطة المرينية بهذه المدينة المتمردة بعد ما أزاح العزفيين منها بصورة نهائية. لقد أكملت المنشآت المعمارية بهذا الربض على يد السلطان أبي الحسن ( 731 / 1331 ـ 750 / 1351) الذي ألحق به عددا من المساجد والحمامات والفنادق. كما دعمت تحصيناته بأسوار متينة وأبراج وأبواب. مع نهاية العهد الإسلامي للمنطقة، أخذ أفراگْ كغيره من أرباض المدينة شكل خلية حضرية مغلقة تحتوي على المنشآت الضرورية. لم يبق حاليا من هذا الحي إلا أشلاء حوائط مخربة وفي حالة رديئة، باستثناء السور الغربي الذي تتوسطه باب يعتقد أن تكون باب فاس، أحد أبواب أفراگ الثلاثة الوارد ذكرها عند الأنصاري. تدعم السور أبراج عديدة مربعة الشكل. تقترب أسوار أفراگ من حيث فن البناء إلى حد كبير من تحصينات مدينة ألمرية وأيضا من الأسوار المرينية بفاس الجديد. يبدو أن أفراگ قد احتفظ بمنشآته المعمارية إلى فترة ما بعد الاستعمار البرتغالي، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الوصف الذي خصه أَزُورَرَا G. E. De Azurara لتحصينات هذا الحي ولساحات قصوره المرصعة بالرخام والأحجار المختلفة الألوان. لكن من الراجح أن يكون اندثاره قد تم بسرعة بعد هذه الفترة لتأخذ

مكانه منشآت حضرية جديدة، تعذر معها القيام بأي بحوث أركيولوجية بالمنطقة، فباستثناء بقايا أسوار أفراگ وخزان مائي كبير الحجم يذكرنا إلى حد كبير بالخزان المائي الوارد ذكره عند ف. فرناندس V. Fernandes تنعدم المآثر التاريخية ذات الطابع الإسلامي بالمنطقة مما يتعذر معه على الباحث تكوين صورة ولو مقربة عن تصميم هذا الحي السلطاني وعن طابعه المعماري.

ابن مرزوق، *المسند*، 447 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 327 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، 44 ـ 48.

E. De Vasconcellos, *Una plana de Ceuta de 1774*, sociedade de geographia de Lisboa, Boletin da V centenario da tomada de ceuta, Lisbonne, 1915 ; E. Levi-Provencal, *Un nouveau texte d'histoire merinide : le musnad d'Ibn Marzuk*, Hesp., TV, 1925, p 63, nº 4 ; R. Ricard, le *Maroc septentrional au XV siècle d'après les chroniques portugaises*, Hesp., TXXIII, 1936, fasc II,, 4 tim, p 95 ; V. Fernandes, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Senegal* (1506 - 1507), trad. fr. De Cenival et Th. Monod, Paris, 1938, p 19 ; M. Gordillo Osuna, *Geografia urbana de Ceuta*, Madrid, 1972, p 170 ; G. Camps, *Afrag* (ville), Encycl. Ber. ; Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècle, essai de reconstitution de la civilisation musulmane*, Thèse de 3eme cycle, Aix en provence, 1987, pp. 131 - 132.

زليخة بنرمضان

**إفران** ـ الأطلس الصغير ـ، مفرد هذه الكلمة هو إفري، وتصغيرها تيفريت الذي يجمع على تيفراتين حسب رأي محمد شفيق (*في أن أسماء* : 341). أما W. Vycihl فيعتبر بأن الإفري هو اسم شعب يعد السبب في إطلاق اسم إفريقيا على قارة السمر. فهو يعتبر أ ـ فر (جمع ا ـ فرن) مصدر لأفري مؤكدا أن الشكل هو الانحراف عن الهيروغليفية. ومهما يكن، فالتسمية تفيد الكهوف التي تؤدي تحت سطح الأرض إلى سراديب، وربما دلت على أولى مظاهر العمران البشري أو قد تفيد حجم المد الفينيقي من خلال بحثه عن الذهب والفضة، (Castries: S.I.H.M, Angl. I, 31). يربط هذا المدشر ومناطقه المجاورة بين منطقتي وادي نون وإداوسملال بالأطلس الصغير. ويعد وادي إفران مجالا استراتيجيا للرعي والفلاحة البورية وللربط بين شبكتي مسالك الأطلس ومسالك الصحراء المجاورة.

ليس من الغريب أن تعود الرواية الشفوية بتاريخ هذا المدشر إلى الهجرة اليهودية زمن نبوخضنصر خلال القرن الخامس قبل الميلاد. فقد عرفت المنطقة عموما هجرة الجاليات السامية القادمة من اليمن وفلسطين عبر مصر وليبيا. ولا شك أن دور الفينيقيين في التنقيب المنجمي قد أسهم بشكل حاسم في تركيز بعض هذه الجاليات. لقد دلت بعض الحفريات على أهمية الدور الفينيقي في تهييء قنوات الري بما في ذلك الخطارات. وهو أمر يتطلب المزيد من التأكيد خاصة وأن كل المعطيات التاريخية تظل حتى الآن في طي الكتمان. لقد دلت التحريات القليلة التي قام بها V. Monteil في عين المكان سنة 1946 على ما يؤكد استمرار الوجود اليهودي منذ القرن الأول الميلادي على الأقل (*Les Juifs* : 158 - 159). وعلماً منا بما قامت به المجموعات اليهودية المحلية في تطوير المبادلات بين ضفتي الصحراء، فإن مجمل المؤشرات تزيد من صلاحية الاحتمال. وهنا لا بد من أن نشير إلى أنه ليس من الغريب أن تصمت مصادر الجغرافيين العرب في مختلف الفترات عن نشاط وأهمية سكان المدشر في وقت لا يرد فيه ذكر اليهود إلا نادرا. وإذا كان هذا أيضا شأن المصادر المسيحية فإننا ندرك لماذا لم يرد ذكر المدشر إلا منذ بداية القرن السادس عشر مع كل من Léon Don Ramusio، V. Fernandés وMarmol، وV. De Paradis لقد جاءت بعض الإشارات المقتضبة لدى F. C. De La Chapelle لتفيد بأن ملكا يهوديا يسمى Euphrati كان قد اتخذ إفران قاعدة لمملكته في فترة بعيدة. ولكن مشكل التوثيق يظل أصعب إشكال أمام هذا النوع من المعطيات . على أن امتداد الوجود الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لإفران يبدو واضحا وجليا من خلال وثيقة 1499 الهامة التي يعود الفضل في ترجمتها للفرنسية إلى F. C. De La Chapelle و P. De Cenival، وهي مرحلة تاريخية عرفت مداً إيبيريا على المنطقة استطاعت من خلاله إسبانيا أن تفرض شروط أمنها على المنطقة. وقد ساهم الوجود الأعرابي لذوي عامر بعين المكان في مراقبة المجال الشامل لمجمل مداشر ومدن وقرى الأطلس الصغري، تخلص فيما بعد إلى الدور التاريخي الذي لعبه يهود إفران في تطوير مدينة الصويرة ابتداء من سنة 1765 م. وهي فترة واكبت الانتصار النهائي خلال القرن التاسع عشر للتجارة الأوروبية على تجارة القوافل.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 57 ؛ *إيليغ*، 5، الهامش 18 ؛ م. شفيق، *في أن أسماء الأماكن في المغرب جلها أمازيغية*، مجلة *البحث العلمي*، السنة 14، العدد 27، يناير ـ يوليوز 1977، ص 329 ـ 358 خاصة 341.

F. C. De La Chapelle, *Les Takna du Sud Ouest Marocain*, *A.F.*, Paris, 1934, 28 ; F. C. De La Chapelle, Pierre de Cenival, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique : Santa cruz de Mar pequena et Ifni*, Hesp., 1935, 2 - 4 Trim., P 19 - 77 en particulier 55 ; Vincent Monteil, *Les Juifs d'Ifran*, Hesp., 1948, 1º et 2º trim. pp 151 - 162 ; Charles Monteil, *Problème du Soudan Occidental : Juifs et judaïsés*, Hesp., 1951, 3 - 4 trim, pp 265 - 298 en particulier 271 ; J. Desanges et S. Lancel, *Bibliographie Analytique de l'Afrique Antique*, Paris ; E. De Bouard, Vol VII, 1970, 6, -Id, VIII, 1971, 7 ; W. Vycihl, *Onama*, XIX, 1975, 486 - 488.

مصطفى ناعمي

**إفْران**، ـ تاريخ ـ ذكرت مونيي(ص 176) أن اليهود ينطقونها بضم الهمزة، وقد اختار ليفي بروفنصال هذا النطق (*مؤرخو الشرفاء*، 82). تقع إفران على السفح الجنوبي للأطلس الصغير ناظرة إلى الصحراء، وتتكون من أربع مدن صغيرة هي في الحقيقة أربعة قصور (قرى صحراوية مسورة) قديمة البناء بين الواحدة والأخرى مقدار ميل على وجه التقريب، وفيما بينها قرى صغيرة، تحيط بالمجموعة مغارس نخيل. تقع مجموعة إفران على واد صغير هو واد إفران الذي لا يسيل ماؤه إلاّ شتاء.

يُذكر أن الطائفة اليهودية الموجودة بإفران إلى قرننا هذا كانت أول مجموعة من اليهود المهاجرين من فلسطين

عبر مصر وتخوم الصحراء إلى الغرب في القرن السادس قبل الميلاد بعد أن خرب بخت نصر معبد سليمان، وأن هذه الطائفة سكنت مغارات إفران في هذا الوادي وكوّنت إمارة انقرضت في حروب مع قبائل البربر.

تميز تاريخ إفران بنشاط تجاري واسع يرجع إلى مرور طريق رئيسية بها ضمنت المبادلات بين بلاد السودان وشمال المغرب وموانئه الغربية. كما يرجع نشاطها إلى وجود صناع يعالجون معدن النحاس المستخرج من الجبال المجاورة فيصنعون منه أواني تصدر إلى السودان، وكان لهذا النشاط آثار إيجابية على السكان بما ظهر عليهم من علامات اليسر حسب شهادة مارمول، كما كان بها في النصف الثاني من هذا القرن السادس عشر جامع يلتقي فيه العلماء للمذاكرة، وكانت جماعة إفران تنظم شئونها العامة بصفة مرضية، لكن أهل إفران كانوا دائما في حاجة إلى الحبوب.

تُعقد بافران سوق أسبوعية تقصدها قبائل جزولة من جهة الشمال (إلآن) وقبائل زناگة من جنوب واد نون، ولعل تخوُّف أهل إفران من استحواذ الجزوليين على مقدراتهم جعلتهم ينضمون إلى اللف الموازن للف الجزوليين وهو لف تاحگات وهو لف السهل الذي يضم أولاد جرار وأيت أمريبض وغيرهم من أهل نواحي تزنيت. والخارج من إفران إذا قصد الشمال عبر جبل الأطلس الصغير مرَّ بتازروالت وإيليغ في السفح الشمالي، وهاتان المدينتان مع عدد من المدن الأخرى في هذه الجهات الغربية لتخوم الصحراء كانت موانئ صحراوية وتوالت عليها الحوادث التي أملاها التغلب والتقلب.

Léon, L'Africain, *Description* ; Marmol, *L'Afrique* ; V. Monteil, *Les Juifs d'Ifrane*, Hesp., 1948, 1 - 2, p 152 ; Meunié, *Le Maroc Saharien*.

أحمد التوفيق

**إفران** - مدرسة - تقع في تَانْكَرْتْ بإفران القريبة من مدينة بْويزكَارْن بسوس الأقصى. ويعتبر نظامها وتأسيسها امتداداً للمدرسة الجيشتمية بسوس. وقد أسسها في أوساط القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي المسمى محمد أباراغ الذي ينقل عنه إلى جانب هذا الاهتمام العلمي والصوفي خوارق وكرامات مثل ما زعم من تعليمه الإنس والجن بهذه المدرسة، وكذا تسلط الجن على نواحي حماه قرب المدرسة حتى بعد وفاته (*خلال جزولة* 26 : 239)، وللمؤسس المذكور مشاركة في ميدان التأليف برجز *في المبنيات* مع شرح له، يذكر أنهما مما كان يعتمد لتدريس موضوع الكلم المبني بسوس.

ويذكر ممن تسلسل في هذه المدرسة من مدرسيها وخريجيها بعد مؤسسها محمد أباراغ المسمى محمد بن بلقاسم الأكماري، (توفي قبل 1280 / 1863) وقد وصف بالفقه والتجويد فيه، مع تعاطي النوازل بهذه المنطقة زمنا ليس باليسير، مع عكوف على التدريس بمدرسة إفران المذكورة وفق نظام المشارطة أي على شروط يقع الاتفاق عليها بين أعيان القبيلة والبارزين بها وبين الفقيه المنتدب للتدريس تجدد عند الاقتضاء (*المعسول* 6 : 275 - 276).

وممن درس وعلم بالمدرسة المذكورة المسمى عبد الله الأساكي (أواسط القرن 13 / 19). ودرس بها أيضا ولده محمد بن عبد الله الأساكي.

ثم برز للتدريس بها ابتداء من (1280 / 1863) العلامة محمد بن إبراهيم الشيخ (*المعسول* 8 : 60) ذو الشهرة العلمية في القرن الماضي ومن ذوي الإفتاء الكبار بسوس، وقد وصف بالإقبال على التدريس إقبالا أصبحت معه مدرسة تانكرت بإفران من المدارس العامرة في عهده، ويظهر أن طريقته الحازمة في تربية الطلاب وتهذيبهم جعلت بعضهم عديم الصبر على الاستمرار، فكان ذلك سببا في مغادرة جملة من الطلبة للمدرسة قبل أن يستكملوا المنهاج المرسوم آنذاك من قبل الأستاذ الذي أعطى كليته للتدريس مقتصرا عليه في أيام العطل وأوقات قليلة يستغرقها في قطع الطريق الممتدة من داره إلى المدرسة يخصص ذلك لاستقبال أصحاب النوازل وطلب الافتاء.

كما يذكر بعد ذلك من جملة المدرسين بهذه المدرسة المسمى محمد بن إبراهيم اللكوسي الصديقي التيمي (*المعسول*، 6 : 93).

ولعل أبرز مدرسي تانكرت بعد العلامة إبراهيم الشيخ أحد حفدته المسمى الطاهر بن محمد الإفراني (1284 / 1867 - 1374 / 1954) والذي يُذكر أن والده محمداً درس بها قبله (*المعسول*، 7 : 78)، ابتدأ الطاهر المذكور التدريس بهذه المدرسة منذ 1307 / 1889 في فترة امتدت إلى سنة 1328 / 1960، وقد غلبت عليه النزعة الأدبية فكان ذلك سببا في اشتهار هذه المدرسة بعد ذلك بهذا الاتجاه في سوس حتى سمي وادي إفران بوادي الأدباء (*خلال جزولة*، 2 : 251). وذلك من أثر شاعرية الطاهر الإفراني وكثرة إنتاجه في القريض إذا ما قيس بغيره من أدباء سوس، ويظهر أنه ربما كان لنشأته في اليتم من جهة وأخذه العلوم من مدرسة إلْغْ بسوس التي غلب على متخرجيها الاتجاه اللغوي والأدبي، كان لذلك أثر في إثارة شاعرية الطاهر الإفراني حتى عد شاعر سوس في عصره بدون منازع، ولذلك جاء ديوانه المخطوط في نحو مجلدين، كما *نظم الحكم العطائية* وهو مخطوط وله أيضا *نظم رسالة العضد* (مخطوط) *ونظم بعض مختصر خليل* (*سوس العالمة*، 209).

وقد وصف صاحب *المعسول* طريقته التعليمية التي اعتمدت على أسلوب الحوار والبحث في المصادر مع انتداب بعض الطلاب للقيام بإعداد الأرضية التي ينطلق منها الحوار في صورة إحضار نص من نصوص التراث المختارة ليتخذ منطلقا للتحليل والاستشهادات وما يتبع ذلك من الإحاطة بلغة النص ومشكلات إعرابه ومعانيه مع الاستطراد إلى كل ماله علاقة بالنص من الشواهد والإنشادات من المحفوظ الجيد، مما خلق لدى الطلاب حساً أدبياً ولغويا قويا (*المعسول*، 7 : 88)، يضاف إلى ذلك كله

سعة صدر الأستاذ في قبول انتقادات الطلاب والاعتراف لهم بالخطإ إن صدر خطأ من الأستاذ (*المعسول*، 7 : 92)، ومن توابع هذا الجو الأدبي المتميز بالعطاء أن دار الأستاذ نفسها مما لم يكن يستثنى من معاطاة الحوار وذلك في جو يجتمع فيه غالبا طلاب العلم إلى جانب مريدي الطريقة الصوفية المتبعة في هذه المدرسة وهي الطريقة الأحمدية التيجانية، يضاف إلى هذا كله الانفتاح على المدارس السوسية الأخرى من قبل الأستاذ والطلبة، ويتجلى ذلك في المراسلات الشعرية والنثرية المتبادلة، وكذا في المطارحات مع معاصري الأستاذ (*المعسول*، 7 : 91)، وقد طار صيت الأستاذ واشتهر بعد صحبته للشيخ أحمد الهيبة، وله في ذلك إنتاج أدبي في مدحه وفي حضه على الجهاد (الزركلي، 3 : 223) كما أقيم للأستاذ الشاعر عند زيارته بمراكش 1354 / 1935 حفل تكريم أنشدت فيه قصائد لا يزال صداها يتردد.

لذلك كله كثر تلامذة الأستاذ الشاعر فنبغ منهم في الأدب أمثال الحسن الكوسالي وأحمد بن عبد الله الأساكي (*المعسول*، 7 : 90) وقد ذكر صاحب المعسول سجلا لأبرز الطلاب الذين أخذوا عن الأستاذ وتخرجوا في مدرسة تانكرت بإفران في مدى العشرين سنة تقريبا التي عكف فيها الأستاذ على التدريس المتصل، وتضم هذه القائمة نحو السبعين طالبا (*المعسول*، 7 : 220 ـ 222).

ويتجلى من مبادرة جملة من تلامذته للقول في أستاذهم في باب الرثاء والتعازي بعد وفاته مدى الطابع الخاص الذي طبع به الأستاذ ثقافتهم، كما يتجلى إلى جانبه مدى العلاقة الصوفية الخاصة التي كانت تربط الشيخ بالطلبة، بالإضافة إلى هالة من السمعة الحسنة التي كونها الشيخ الأستاذ المربي في جولاته ورحلاته (انظر بعض انتاجهم في المعسول، 7 : 220 ـ 230).

ويظهر أن الأستاذ الطاهر، وقد كثرت ارتباطاته الاجتماعية والسياسية والعائلية، اضطر بعد هذه الفترة من حياته في التدريس إلى أن ينيب عنه ابنه محمد بن الطاهر (1306 / 1888 ـ 1377 / 1957) بعد أن لازمه فترة وناب عنه أثناء غيابه غير ما مرة حتى سلَّم له والده أمور التدريس والإشراف كلية على المدرسة ابتداء من سنة 1331 / 1912 فقام بمهام تدريسية وتربوية وعائلية متعددة طيلة ستة وأربعين عاماً حتى وُصف بأنه أكثر الناس استحضاراً للأبيات الشعرية والأمثال وألفاظ اللغة فضلا عن المسائل النحوية والفقهية، يضاف إلى ذلك اهتمامه بعلم الفرائض جامعاً بين هذه الشخصية العلمية وبين شخصية الفرسان الذين مارسوا ركوب الخيل مع قيامه أيضا بخدمة ضيوفه وضيوف والده وشأن الأسرة الداخلية كلها.

ومن أثر هذا الاهتمام بوالده التفاته إلى جمع ديوانه المشار إليه، وأنه في مجلدين، مع اقتفاء أثره في تعاطي الشعر ونظم القريض، ورغم ما قيل من عدم رضى والده عن بعض أشعاره ومن شكوك معاصريه في ألا تصل شاعريته إلى مستوى والده الشاعر الفذ آنذاك (*المعسول*، 7: 240) فقد تعاطى مع والده مع ذلك فنون القول، وكذا مع قرنائه من تلامذة والده مديحا واعتذارا وتهنيئات وغيرها (*المعسول*، 7 : 243، 245، 247) والذي شجع طلابه أكثر على الإقبال على الأدب وتعاطيه، بالإضافة إلى التقاليد التي رسخها سلوك والده الدراسي قبله، استغلال محمد بن الطاهر مختلف المناسبات التدريسية لتجربة فن القول من مثل ما اعتاده مع الطلبة عند ختم دراسة متن من المتون العلمية أو افتتاحه بأبيات شعرية مناسبة (*المعسول*، 7 : 255)، كما جرت بينه وبين تلامذة والده قصائد متبادلة، (المصدر قبله، 260 ـ 269، 270، 271) وحظي عند وفاته بمثل ذلك من قبل تلامذته وزملائه (277 ـ 278). ويظهر أن طريقته المباينة لطريقة والده في الإشراف التربوي والتي اتسمت بكثير من الدقة والأريحية ورفع الكلفة جعلته يحظى بشرف تخريج عدد مهم من أطر الثقافة والفكر والإدارة في سوس آنذاك، ذكر منهم صاحب *المعسول* قائمة تمثل من جهة النواحي التي ينتسبون إليها كما تشير أحيانا إلى المهام التي تولوها بعد التخرج (*المعسول*، 7 : 284 ـ 285).

وممن ذكر بالتعليم بهذه المدرسة بعد محمد بن الطاهر آنف الذكر المسمى إبراهيم ابن مبارك الامسرائي (كان حيا سنة 1382 / 1926) وقد أخذ عنه أحد أحفاد الشاعر الطاهر الإفراني المتقدم وهو المدني الآتي الذكر.

وتولى بعده تلميذه المدني بن محمد بن الطاهر الإفراني (1336 / 1917 ـ 1370 / 1950) التدريس بهذه المدرسة بعد ملازمة والده، كما أخذ عن جده الشاعر وعن إبراهيم بن مبارك الامسرائي المذكور قبله، وغلب عليه الاتجاه الأدبي على غرار بقية أفراد الأسرة.

وممن يذكرون من مدرسي هذه المدرسة المتأخرين الأستاذ الحسن أولگوض الذي بقي بها مدة قبل وقوع خلاف بينه وبين أحد أخفاد الطاهر الإفراني وذلك في الستينات من هذا القرن العشرين، ثم انقطعت بها الدراسة إلى أن أُعيد إليها الاهتمام سنة 1988 م من قبل وزارة الأوقاف.

م. المختارالسوسي، *المعسول*، 6 و 7 و 8 ؛ *سوس العالمة*.

محمد البايك

## إفران - الأطلس المتوسط - ← يَفرن

**الإفراني**، الطاهر بن إبراهيم البكري التمنارتي، ثم الإفراني (1284 ـ 1374 / 1867 ـ 1954) من الشخصيات المساهمة في إغناء الحياة الثقافية عامة والحياة الأدبية بصفة خاصة في جنوب المغرب من أواخر القرن الماضي إلى منتصف القرن العشرين. ولد بإفران الأطلس الصغير في أحضان أسرة علم ودين وإرشاد، نشأ يتيم الأب، إلا أن أصحاب والده أحاطوه بالعناية الكافية، وهكذا حفظ القرآن في بلدته "تانگرْت" ثم التحق بالمدرسة الإلغية الحديثة العهد بالتأسيس، فلازمها حتى تخرج على أستاذها محمد

ابن عبد الله الإلغي، ثم على أخيه علي ابن عبد الله، فكان أبرز المتخرجين من تلك المدرسة على الإطلاق، والتحق بعد ذلك بالمدرسة الجشتيمية، كما عقد الرحلة إلى القرويين بفاس. تزود الطاهر في رحلته العلمية تلك بثقافة فقهية ولغوية هيأته للاضطلاع بأدوار يتصدرها أمثاله عادة في البادية المغربية، وهكذا انخرط في سلك الأساتذة بالمدارس العلمية العتيقة في مستهل العقد الثالث من عمره، وقضى في ذلك ما ينيف على عشرين سنة خرّج خلالها عشرات العلماء والأدباء. وإلى جانب ذلك زاول الإفتاء وفض النوازل، وقد شهد له معاصروه بالتفوق في مذهب الإمام مالك. ولا بد من الإشارة أيضا إلى نشاطه الصوفي من خلال انتمائه للطريقة الأحمدية التجانية، إذ أصبح من مشايخها المرموقين في سوس. وإلى جانب ذلك كله كان في طليعة المجاهدين والمكافحين ضد الاستعمار الفرنسي بانضمامه من أول وهلة إلى حركة أحمد الهيبة، ولازمها إلى آخر مطافها يسجل بقوافيه آمالها وآلامها.

وبالرغم من ذلك كله فالطاهر الإفراني إذا ذكر فإنما يذكر لأدبه وشعره، يؤكد ذلك ديوانه الذي تجاوز ستة آلاف بيت في مختلف الأغراض من إخوانيات ونبويات ومديح ورثاء وجهاديات وطرقيات. وإنتاجه الأدبي محافظ ومخلص للتيار الكلاسيكي بناء ومحتوى. والطاهر معدود من بين المؤلفين السوسيين أيضا بنظمه للحكم العطائية، وجزء العبادات من مختصر خليل وبشرحه لإحدى قصائده إلى جانب مجموعة أشعاره.

ع. سكيرج، *تحليه الطروس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 69 ؛ *سوس العالمة*، 209 ؛*الإلغيات*، 3 : 12 ؛ *مُترعات الكئوس* ؛ ع. درقاوي، *الطاهر الإفراني، حياته وشعره*، رسالة د. د. ع. كلية الآداب بالرباط، 1984.

**الإفراني، محمد أباراغ**، التانكرتي، صاحب المشهد الذي بنيت حوله المدرسة التانكرتية، كان يسكن الخندق، ولاتزال أطلال داره مع نطفية في وسطها إلى الآن، عقبه موجود في قبيلة گدميرة بأحواز مراكش، وينتسب إليه أهل زاوية تاسافت في وادي نفيس، توثر عنه خوارق منها تعليم الجن، وهو مذكور بين المؤلفين السوسين بمؤلفين : رجز *المبنيات* مع شرحه ومؤلف *في البيان* ولا يعرف له تاريخ ميلاد ولا وفاة، وإنما استنبط من خاتمة مؤلفاته أنه عاش أواسط القرن التاسع الهجري. كان حيا سنة 856 / 1452.

ع. الأدوزي، *اليعقوبيون* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 239 ؛ *سوس العالمة*، 156 ـ 177 ؛ *مدارس سوس*، 99.

**الإفراني، محمد** بن **أحمد** بن عبد الله، استوطنت أسرته أساكا بعد أن انتقلت من (أمَّلنْ)، ولد عام 1248 / 1832. حفظ القرآن على يد والده، ثم تخرج في العلوم بمحمد بن إبراهيم التامانارتي التانكرتي، ثم تصوف على الشيخ الحاج علي الدرقاوي، كان يلازم المشارطة في مسجد تاوريرت ،وتوفي عام 1313 / 1895.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 : 230 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس*.

**الإفراني، محمد** بن **عبد الله** الأساكي. عالم أديب عاش بسوس في النصف الأخير من القرن الثالث، أخذ القرآن عن أحمد مسعود الگرموني، وأخذ العلوم الأصلية عن العربي الأدوزي وعن سعيد الكثيري، ثم شارط في مدارس تانْكُرْت وتازْروالت وتاغلول. وكان له اتصال بالرئيس الحسين بن هاشم بودميعة، وربما تولى الكتابة عنه، مذكور بخطه الحسن وعبارته الصافية، وهو جد الشاعر الطاهر الإفراني لأمة، توفي عام 1296 / 1878.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 : 227 ؛ *خلال جزولة*، 2 : 38 ؛ *رجالات*.

عبد الله درقاوي

**الإفراني، محمد الصغير** بن محمد السوسي المراكشي (1080 / 69، 1670 ـ حوالي 1155 / 42، 1743). وقد يكتب اليِفرني والوُفراني، وكلها نسبة إلى إفران بسوس. قد تسهلَ الهمزة فتكتب ياء في اليِفرني أما الوُفراني ففيها أوفْرَانْ بصيغة النسبة في اللغة المحلية مع إضافة ياء النسبة العربية.

ولد الإفراني بمراكش ودرس على كثير من العلماء، ولازم منهم شيخه الماواسي أحمد بن علي (ت 1130 / 17، 1718)، ثم ارتحل إلى فاس وأخذ عن جماعة من علمائه. ثم وعاد بعد ذلك إلى مراكش حيث خطب وأمَّ بمسجد ابن يوسف، وتصدى للتدريس متصدرا لإقراء التفسير *وصحيح البخاري*. وقد كان مجلسه حافلا متميزا بكثرة البحث والجدال، يسيره الإفراني بواسع علمه وحيوية شبابه. وقد أنكر عليه بعض الطلبة المرتبة العلمية التي أصبح يتمتع بها رغم صغر سنه، ورماه بعضهم بالزندقة ورفعوا أمره إلى القاضي ابن بوعبدلي محمد بن أحمد، ثم ناظره بعض فقهاء مركش مدة فلم يتبين لهم شيء مما وصف به. وزادته هذه المناظرة شهرة وكثر المتتبعون لدروسه. ثم ترك قراءة التفسير بالبحث واقتصر على ما هو متداول في كتب الحديث والفقه، معتمدا *صحيح البخاري*.

تجاوزت شهرة الإفراني مدينة مركش، وأخذ طلاب العلم يتوافدون عليه. ويظهر أنه نكب بعد الشهرة وأبعد بأمر ملكي عن مراكش، فقد نظم أبياتا يشتكي فيها عن بعده عن مراكش مبينا أنه لم يخرج منها بمراد نفسه متحسرا على أيام قضاها إلى أن أخرج منها دون بغيته بأمر عليه مقدر لا يرد. ثم عاد إلى مراكش من جديد قبيل سنة 1151 / 1738 ـ 1739. مترددا على زاوية أبي الجعد، متفرغا للتأليف، يعيش في ضائقة مالية إلى أن توفي بمراكش ودفن بها في الروضة القريبة من جامع ابن يوسف.

ترك الإفراني مؤلفات في الأدب والتاريخ والتراجم هي : *الإفادات والإنشادات*. ذكره الحوات في *تقييد* له

وقال عنه : هو تأليف لا كفاية له في الحسن (*دليل*، 2 : 440). *درر الحجال في مناقب سبعة رجال*، ويسمى كذلك : *زبدة الأوطاب في مناقب الأقطاب*، وهو في مناقب رجال مراكش السبعة، مشتمل على مقدمة وثلاثة وثلاثين فصلا في كل فصل سبعة أسماط، أتم منها المؤلف السمط الأول في ترجمة سيدي يوسف بن علي، ووصل للسمط الثاني في ترجمةالقاضي عياض، ولم يتمه (*أعلام*، 6 : 56). يوجد طرف منه بالخزانة الأحمدية بفاس، ووقف المراكشي عليه بخط مؤلفه. *صفوة من انتشر في أخبار القرن الحادي عشر*، فرغ من تأليفه ضحى يوم الثلاثاء 4 جمادى الأولى 1137 (يناير 1725) وهو تراجم لمائتين وخمسين من الصلحاء والعلماء المغاربة والمشارقة، جعله كذيل *لدوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*. وقد طبعت *الصفوة* على الحجر بفاس دون تاريخ، ولعله سنة 1309 - 1891. ومن نسخ *الصفوة* مخطوطات بالخزانة العامة بالرباط تحت أرقام : 1178 د، 671 د، 1128 ك، كذا بمكتبة كلية الآداب بالرباط، ومنها ثمان نسخ بالخزانة الحسنية بالرباط. *طلعة المشتري في توبة الزمخشري*. ذكره له الحوات في *تقييده*، وذكر أنه في ورقات لطيفة. *الظل الوريف في مفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف*، أو *روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف*، يشتمل على ثمانية فصول في ذكر نسب مولاي إسماعيل وولادته ونشأته، وفي من أخبره من أهل الكشف، وفي بيعته، وفي تمهيده البلاد وفيما فتح من الثغور وفي حلمه وعدله وفي مشاهير أولاده. انتهى من تأليفه سنة 1173 / 1720 - 1721. ونشر بالرباط عام 1382 / 1962. *فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث*، وهو مناقشة لرخص اللحن في الدعاء لمن يردد قراءة الحديث ولا معرفة له بالعربية وغرضه التبرك، وما اعتراه من لحن فلا يؤخذ به. مخطوط الخزانة الصبيحية، في 22 ورقة، رقم 115 / 4. *المعرب في أخبار المغرب*. ويسميه ابن سودة *المغرب في أخبار ملوك المغرب* (*دليل*، 1 : 164) وهو مفقود. *المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل*. أول مؤلفات الإفراني، ألفه سنة 1128 / 1715 - 1716. وسماه محمد الأخضر *المنهل السهل* (*الحياة الأدبية*، 234) وهو شرح لموشح ابن سهل، إبراهيم الأشبيلي (ت 649 / 1251). طبع *المسلك* على الحجر بفاس سنة 1324 / 1906 - 1907. وحقق بكلية الآداب، بالرباط كرسالة جامعية عام 1980 - 1981 / 1400. *المتنع السهل في ترجمة إبراهيم ابن سهل*. مخطوط الخزانة الصبيحية بسلا رقم 86 / 2 في 44 ورقة. *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*. أشهر مؤلفات الإفراني، تناول فيه تاريخ المغرب على عهد الدولة السعدية والدولة العلوية إلى عهد المولى إسماعيل. طبع على الحجر بفاس، ثم صدر بعناية المستشرق الفرنسي هودارس في باريس سنة 1888 / 1306 ومعه ترجمة إلى الفرنسية ، وطبع جزء منه تحت عنوان : *جملة من أخبار الدولة السجلماسية*، باريس سنة 1903 / 1321 وأعيد نشر طبعة 1888 / 1306 بالأوفسيط، دون تاريخ. *واسطة العقدين في ترتيب الكناشتين السعيدتين*. وهو تقديم للكناشتين اللتين أعدهما علماء مراكش للسلطانين مولاي إسماعيل ومولاي المستضيء، جعل لهما الإفراني خطبة، ذكر فيها فضائل علم التاريخ. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 330 ك. *الوشي العبقري في ضبط لفظة المقري*. فرغ منه قبل 1156 / 1743. ترجم فيه لأحمد بن محد المقري، وهو مفقود. *ياقوتة البيان*. أرجوزة في البلاغة. مخطوط الخزانة القرويين، ثاني مجموع رقم 1297. *شرح ياقوتة البيان*، شرح للنظم السابق. ذكر المراكشي أنه نحو نصف كراسة (*إعلام*، 6 : 57) وأورد نماذج من النص والشرح. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، سابع المجموع رقم 74 د. ومخطوط خزانة القرويين رفقة المتن المذكور.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 10 ؛ ليفي بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء* ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية* ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 2 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*.

عبد الطيف الشاذلي

**إفْرْدا**، الكلمة أمازيغية وهي جمع، مفردها أُفارْدُو، وتعريبه الهاون، وهو مصطلح يطلق على مجموعة من الجبال برزت قممها على شكل هواوين مقلوبة. ثم عرفت القبيلة بنفس الاسم وهي تابعة حاليا لقيادة ميرلْفت ومن ضمن جماعة أربعاء الساحل . يحدها شمالاً قبيلة الساحل، وجنوباً أيت بويكر، وشرقاً أيت بْراييم، وهي في الواقع تاقبيلت عدد سكانها 2300 من ضمن قبيلة الساحل الكبرى، ولاتبعد عن سوق أربعاء الساحل إلا ببضع كلمترات. وقد انضمت هذه القبيلة إلى أيت باعمران، ضد حملة حيداً ابن مَّايْس، لذلك هاجمهم فقتل وجرح رجال القبيلة كما أحرق زروعها، وذلك سنة 1917 مما جعل القبيلة تهاجر من المكان بكاملها إلى الجنوب حيث كانت المقاومة الباعمرانية بمرصاد لهذه الحملة. ويذكر البعض أن القبيلة كانت تسمى قديماً إداوبْوزيا، وهم من صميم ابن اخْلف. ومن أهم المواضع القصبات ثم تاكْسيوين ثم تاغزوت ثم تاسوليلْت .

ومزار القبيلة سيدي أبو الصدقات ، ولايعرف أصله، ويروّج له الأهالي كرامات، يقام حول الضريح موسم ديني حاليا في شهر غشت من كل سنة، ولايذبح فيه إلا جمل واحد. وبجانب الضريح المدرسة العتيقة المشهورة بمن درس فيها من أصحاب الروايات والعلماء، ومازالت تؤدي مهمتها التعليمية حتى الآن.

من أعيان القبيلة في بداية هذا القرن الميلادي أمغار القبيلة الفقير محمد ولقبه بُوجْهوض وبجانبه أنْفلوس محمد عبلاً في تاغزوت ثم أنفلوس إبراهيم بن الحسين في تاكْسيوين.

تشتغل القبيلة بالفلاحة البورية وتربية الماعز لوجود غابة أرگان بشكل كثيف، إلا أن معظم السكان يعتمدون

على الهجرة نحو أوربا، بالإضافة إلى تعاطي التجارة، ومن أهم تجار القبيلة عائلة السباعي الملقب بأعراب .

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط. *تحريات ميدانية* عام 1980.

الحسين جهادي الباعمراني

**إفْرگانْ.** أو **إفْرجَانْ.** وهو جمع إفْرگْ أو أفْرگْ وهو السياج من الشوك والأغصان. وإفْرگان : بلد البساتين المسيجة بخلاف البلاد ذات المنظر الزراعي المفتوح. ومن الأماكن الواردة في كتب التاريخ بهذا الاسم : إفرگان التي كانت بظاهر فاس القديمة الإدريسية قبليها، وإفْرگانْ التي كانت ببلد تادلا.

ي.التادلي، *التشوف*،268 ؛ م. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، 307.

أحمد التوفيق.

**إفْرگان، يعقوب إسحاق**، قبالي مشهور، تلميذ موشي بن ميمون الباز من تارودانت. كتب عنه حايم الزعفراني : "اضطر إلى مغادرة تارودانت، فالتجأ إلى أقا... حيث ألف عددا من الشروح القبلانية حول أسفار موسى الخمسة، جمعت في مجلد ضخم غير مطبوع تحت عنوان منحة حَدَشَة (هدية جديدة) توجد منه نسخة بخط المؤلف في متحف لڤرپول" وأضاف قائلا: "إن الكتاب ثمين نظراً لمراجعه العديدة والدقيقة التي تشير إلى كبار الشيوخ والمذاهب الأساسية لقبلانية جميع المدارس والعهود السالفة". ويذكر ي.م . طوليدانو :

**إفْرگان، يعقوب هياصير** (الخزفي) قبالي غادر تارودانت بسبب اضطهادات يصفها في آخر القرن السادس عشر . وربما كان السالف الذكر.

ح. الزعفراني، *قبلانية : تصوف وسحر*، ص 182 ـ 183 ؛ ي. م. طوليدانو، *نيرهما عرب*، ص 85 ـ 108.

شمعون ليڤي

**أفركت ← تكنة**

**أفروخ**، أسرة تطوانية أصلها من ناحية الريف، واسمها يعني باللهجة الريفية "الولد الصغير" كانت تشتغل بالتجارة في الداخل والخارج، وتتولى مناصب مخزنية سامية خلال القرن التاسع عشر . من أشهرهم :

**أفروخ، أحمد** الذي تولي الأمانة بمراسي المغرب ومنها الدار البيضاء سنة 1854.

**أفروخ، محمد** الذي عين أمينا بديوانة الصويرة بظهير 27 ربيع الثاني 1244 / 6 نوفمبر 1828.

**أفروخ، محمد (الحاج)** كان تاجرا بمصر كما كان يتولى منصب وكيل المغاربة هناك ولاسيما سنة 1866. أنفق على بعثة الطبِّيعين المغاربة بمصر أيام محمد بن عبد الرحمان . ولازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان* (مخطوط) .أ. الرهوني ، *عمدة الراوين*، 3 : 177 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 8 : 172 ؛ م.ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ ع. بن عبد الله، *الموسوعة المغربية* ، 4 : 90 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، 1: 108، 2 : 873 ؛ *الوثائق* (مجلة 2 : 3،420).

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espagnol*, 1949 (A).

م. ابن عزوز حكيم ومصطفى بوشعراء

**أفْرياط**، أسرة لايمكن أن يذكر اسمها ذو الرنة البربرية دون التذكير بالأساطير والروايات التي يقصها حاملوه، وعلى رأسها الإشارة إلى مملكة أسطورية أسسها بسوس يهود من قبيلة أفراييم (أفراطيون) طردوا من فلسطين أيام بخت نصّر، عند أول تحطيم لمعبد بيت المقدس. توجد تفاصيل هذه الأساطير عند فْلاماند،(*دْيَاسُورة في أرض الاسلام*، ج 2 : الروح الشعبية، ص 23 ـ 31، الدار البيضاء، حوالي 1960) وقد أدمجت في نفس النص رواية *مفخرة إفران*، أو إفران الأطلس الصغير، *والمسفرين الخمسين* (المحروقين وهم أحياء)، الذين سقطوا ضحايا الثائر أبو احلاس عام 1775. (انظر ڤانسان مونطيل، *مقبرة إفران*، هسبيريس، 1948، ج 1 و 2 ، ص 151 ـ 162).

إن قصة ونضال القتلى الخمسين منها مخطوط ومطبوع، ويوجد فيهما العديد من الأشخاص : أفرياط، خنافو، شرقي، صباغ، أمسلّم ...والحبر أفرياط يهودا.

**أفرياط أتاي**، هذا اسم مأخوذ حسب لاريدو (*أسماء يهود المغرب*، ص 360) من دار أفرياط التي كانت تتاجر في أتاي بالصويرة، والتي أسست في القرن التاسع عشر من طرف هارون وسلام أفرياط، اللذين أقاما أيضا بلندرة وركّزا ثروتهما على التجارة مع بريطانيا العظمى، إبان ازدهار الصويرة الكبير، عندما كانت تخرج منها القوافل نحو سوس ومراكش والصحراء. وتابعت أسرة أفرياط نشاطها التجاري بالصويرة (شلومو، إسحاق، الخ...) حتى أوائل القرن العشرين.

أفرياط، مسعود، كان حبراً بمراكش في القرن 18 ـ 19.

أ. لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، 360 ؛ ي. بنيمين، *مانخير ربّنان*.

شمعون ليڤي

**إفْريقش** الحميري. تتجاذب آراء المؤرخين حول الدور الذي قام به إفريقش بن أبرهة في الشمال الإفريقي انطلاقًا من اليمن. فقد ذكر ابن حزم أن إفريقش هذا هو إفريقش بن قيس بن صيفي، وأنه هو الذي نقل العرب إلى إفريقية وساق البربر إليها من أرض كنعان (*العبر*،2 : 95) وفيه أيضا إفريقش آخر هو إفريقش بن شمر (*العبر*، 2 : 108) وقد لاحظ ابن خلدون أن ابن قيس من التبابعة وكان لعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل. ولعل ذلك كان حوالي

القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وقد غزا إفريقية وأثخن في البربر حيث أطلق عليهم هذا الاسم لأول مرة حين سمع رطانتهم، وترك في الشمال الإفريقي قبائل من حمير اليمن امتزجوا بأهلها، ومنهم صنهاجة وكتامة حسب رواية الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي، وان كان نسابة البربر ينكرون ذلك.

وقبل أن نحلل أسباب هذه المجاذبات نتساءل عن "إفريقية" وأبعادها الجغرافية في ذلك العصر. فقد كان المؤرخون اللاتين يطلقون إبان الحروب البونيقية اسم "أفري" (Afri) على الأهالي الخاضعين لقرطاج، وسموا المنطقة Africa طوال العهد الروماني، وكانت مفصولة إداريًا عن نوميديا وموريطانيا (*العصور الغامضة*، 100) فكلمة افريقية إذن من Africa اللاتينية، على ما يلوح، وهي كلمة استعملت مجردة أو مضافة Provincia africa قبل سقوط قرطاج عام 146 ق. م. (*التاريخ القديم*، 7 : 2) ولايعرف أصل الكلمة اللاتينية بدقة عدا بعض التخمينات كالزعم القائل بأن Africa هي بلد أبناء Afer وهو نجل الأميرة Ly-bie بنت Jupiter أو Neptune أو Epaphus وهو ولد هرقل الليبي أو حفيد أبراهام ورئيس بعثة في ليبيا. ثم جاء العرب فخمنوا بدورهم وتحدثوا عن إفريقش كأصل لاسم الافريقيين. وقد أوغل البعض في التخمينات فزعم أن أصل الكلمة من الفرقة أو التفرقة (*تاج العروس*، *المؤنس*، 19) لأنها فرقت مصر والمغرب، أو لأنها حسب الحسن بن محمد الوزان (ليون الافريقي) مفصولة بالبحر المتوسط عن أوربا وقسم من آسيا. ومن المؤرخين من بحث عن أصل الكلمة في ألفاظ بربرية مثل (إفري) (ومعناها مغارة) أو (إفْران) وخاصة في اسم قبيلة (اوريغة). وقد اشار كاريط (*Recherches*, 309) إلى هذا الاشتقاق المحتمل انطلاقًا من كون كلمة Lybie التي استعملها الاغريق معناها (بلاد الليوم أو الواتة) ملاحظا أن قبلة (أوريغة) استوطنت في أحقاب سحيقة الأرض التي بنيت عليها قرطاج، وانمحت آثار هذه القبيلة ولم يبق منها سوى هوارة. وقد زكى هذه النظرية كل من فيفيان وتيسو (Vivien de St Martin et Tissot) اللذين أخذا انطباق (أوريغة) على الأفارقة. والواقع أن من الصعب البت في هذه المسألة نظرا لانعدام أدلة معقولة.

أما حدود (افريقية) فإنها أيضا غامضة وإن كانت المصادر المختلفة تكاد تتفق على أنها تشمل المغرب كافة ممتدة من طرابلس إلى طَنجة غربا وإلى رمال السودان جنوبا، ولم يشذ عن هذا سوى ابن خرداذبة (المتوفى عام 272 / 885) الذي خصَّ كلمة (افريقية) بمملكة الأغالبة، ولعل الحدود اختلفت باختلاف العصور كما يتبين ذلك من مراجع أخرى.

أما دخول الحميريين إلى المغرب وامتزاجهم بالأفارقة عامة (لا الشماليين فقط) فقد أنكره ابن خلدون ملاحظًا "أن السالكين من اليمن إلى المغرب لايجدون طريقا من غير السويس" وأن عدم إشارة مؤرخي الشام ومصر إلى مرورهم بهذه المنطقة يحدونا إلى عدم التصديق بذلك. وقد وهم ابن خلدون في هذا الأمر وهما فادحا لأن أقرب طريق لمرور اليمنيين إلى المغرب ليست هي (دلتا) النيل ولكن صعيده المحاذي لليمن شرقا وللصحراء الإفريقية غربا. وقد اعتمد ابن خلدون في هذا الرأي المهزوز على ابن حزم ناسيًا أن معظم القوافل التي وصفها مؤرخو القرن الثالث الهجري مثل الاصطخري وابن خرداذبة كانت تنطلق من اليمن أو المغرب مارة بسجلماسة خلال الساحل الافريقي لبحر القلزم (البحر الأحمر). وقد أكد الحسن الوزان استمرار هذا المنهج الطبيعي في القرن العاشر الهجري حيث لاحظ هو نفسه أن القوافل التجارية وإن كانت تتجه أيضا من المغرب إلى الشرق عن طريق مصر، أي أنها أصبحت تبتعد عن مسلك القراصنة وتتوغل داخل الصحراء في الطريق القديمة بين المغرب والمشرق.

وقد ورد في *الموسوعة الإسلامية* (الطبعة الفرنسية الجديدة (1 : 1208) أن نظرية الانتماء الحميري تعززت بأدلة جديدة ذات قيمة. على أن هنالك أدلة أخرى مباشرة تشهد بعكس ما يقوله ابن خلدون أدلى بها علماء جيولوجيون في تحليلاتهم للجماجم المستخرجة، وأدلة أخرى مستقاة من المظاهر الحضارية، كوحدة المجالي الموسيقية وهندسة القصور والأبنية البدوية، بل ومصطلحات خاصة. وقد تأكد من جهة حسب كتاب (الإكليل) للهمداني أن صيغة (أَفْعُول) لاتوجد إلافي اليمن في خصوص الأعلام والأماكن، وساق المؤلف أزيد من مائتي كلمة. وقد أشرنا في كتابينا : الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية إلى وجود نفس الصيغة في أسماء المدن والقبائل مثل أَكْنُول وأَسْنُوس وأَرْفُود وأَولُوز في خصوص المغرب الأقصى.

وقد لوحظ بعد استقلال المغرب تفاهم سكان الأطلس مع فرقة مغنية وردت من اليمن نظراً لوحدة كثير من الألفاظ والعبارات. ولعل كلمة صنهاجة هي التي أعطت (زنهاجة) التي انقلبت إلى (زناجة) أو زنوج ومهما يكن فإن التبادل الحضاري بين شقي (النيل) وعروتيه وما وراءهما لم يكن من المستحيل.

ابن عبدالحكم، *فتوح* ؛ البلاذري، *فتوح* ؛ أ. البكري، *المسالك* ؛ اليعقوبي، *معجم البلدان* ؛ الاصطخري، *المسالك* ؛ ياقوت، *معجم البلدان* ؛ *أحسن التقاسيم* ؛ ع. ابن خلدون. *العبر* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابن أبي دينار، *المونس* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*.
*E.I. 2* ; Gautier, *les Siècles obscurs* ; Gsell, *l'Histoire* ; Carette, *Recherches* ; Helfritz, *Le pays sans ombre*.

عبد العزيز بنعبد الله

**إفريقيا والمغرب**، عندما نتحدث هنا عن العلاقات بين المغرب وأفريقيا فإننا نعني أفريقيا الغربية والوسطى، وهي ما كان يطلق عليه بلاد السودان. والعلاقات بين هاتين المنطقتين أي المغرب والسودان علاقات كثيفة، ومتشعبة،

ومعقدة. فهي علاقات ذات أوجه متعددة، إلا أن ما يذكر عادة أو يكرر هو الجانب التجاري.

لكن إلى جانب هذه العلاقات التجارية هناك العلاقات الثقافية التي ارتبطت مع العلاقات الدينية، وجعلت المنطقتين، في غالب الأحيان، تدوران في فلك واحد، هو فلك الثقافة الإسلامية، ذات الطابع المغربي الأندلسي، تولدت عنها فيما بعد ثقافة إسلامية سودانية متشبعة بالتأثيرات الشمالية. ثم هناك العلاقات السياسية القوية التي لم تقتصر على الجانب العسكري بل عرفت مفاوضات وعلاقات دبلوماسية كثيفة ومتينة. وهناك العلاقات الحضارية العامة المرتبطة مع المبادلات التجارية من عمران تجلى في الاستهلاك والنشاط المتعدد الوجوه.

هذه العلاقات بالرغم من كثافتها وتشعبها تبقى معقدة، لأنها لازالت تطرح حزازات، وتفسيرات، وتأويلات عند قراءتها من طرف أهل الشمال أو أهل الجنوب. فإن كانت قد حظيت بعدد من الدراسات فهي لازالت بحاجة إلى مزيد من البحث والتنقيب قصد إبراز عناصر الوحدة والتكامل، حتى نستطيع أن نستوعب جيدا متانة الروابط بين المنطقتين، وفهم هذه العلاقات.

ولإعطاء تصور شامل لهذه العلاقات يمكن تقسيمها إلى مراحل، نعطي لكل مرحلة منها تسمية حسب الخصوصية التي نرى أنها الغالبة عليها :

ـ المرحلة الأولى : العلاقات التجارية السلمية. وهي المرحلة التي عرفت علاقات بين امبراطورية غانا السودانية وبين المغرب قبل استيلاء المرابطين عليها سنة 1076 م. ولهذا المرحلة مؤرخان هما ابن حوقل، الذي زار أوداغشت سنة 990 م، إلا أن المؤرخ الأهم هو البكري، الذي أعطى تفاصيل كثيرة عن حياة المنطقة، وعن تجارتها، في كتابه *المسالك والممالك* الذي ألفه حوالي 1068 م أي قبيل دخول المرابطين إلى غانا، ويرجع إليه الفضل بذلك في إعطائنا صورة عن كثافة العلاقات بين المنطقتين خلال هذه الفترة.

قامت دولة غانا على الوساطة التجارية بين المغرب والمناطق الغابوية، وقد ذكرها المؤرخون العرب منذ القرن الثامن الميلادي. فخلال هذه الفترة توجهت إليها حملة أموية مباشرة بعد فتح المغرب، وذلك حوالي 734 م، لكن هذه الحملة لم تستطع الاستيلاء على غانا، وبذلك يمكن أن نقول : إن العلاقات القوية هي أقدم بكثير من القرن الحادي عشر، الذي يصفه البكري، لأن البكري يصف مرحلة أوج دولة غانا، التي توسعت لتضم مركز أوداغشت الذي كان مركزا صحراويا وذلك سنة 990 م والذي سيصبح ثاني أهم المراكز في الامبراطورية الغانية، بعد مركز كُمْبي صالح.

وقد كانت العلاقات تجري بين المغرب والسودان عبر عدة محاور تجارية : محور تَامَدُولْتْ ـ غاما ثم سجلماسة ـ غانا ثم درعة ـ بلاد السودان. وبذلك فالسبق والأهمية كانتا للمحاور الغربية، التي تنتهي في الواحات الواقعة جنوبي الأطلس. وقد كانت هذه العلاقات تشمل عدة مواد أهمها الذهب، ألم يكن ملك غانا يسمى خايا مغان : khaya Maghan وتعني "سيد الذهب"، ثم الملح الذي كان يجلب من ممالح أوليل، واجيل، وتغزى، إلى جانب منتجات أخرى مثل التمور، والجلود والنحاس وغيرها. وكانت عاصمة البلاد كمبي صالح تضم حسب رواية البكري مدينتين تبتعد إحداهما عن الأخرى بحوالي 6 كلمترات. إحداهما مخصصة لسكنى المسلمين الأجانب، يعني التجار والمسلمين السودانيين، وهي تضم 12 مسجدا، وهذا يعكس أهمية المدينة. وهي مدينة تجارية أساسا إذ تضم الأسواق ويؤمها التجار سواء البربر أو العرب أو السودانيون. أما الثانية فيقطنها الملك وحاشيته، وبقية السكان. وتعكس هندسة القصر ومحتويات غنى الدولة المرتبط بالمبادلات التجارية. وقد كان ضمن حاشية الملك عدد كبير من الموظفين المسلمين، الذين يشرفون على سير الدولة لمعرفتهم بالكتابة. وقد بنى الملك مسجدا يؤدي فيه هؤلاء شعائرهم الدينية دون حاجة للتنقل إلى المدينة الأخرى.

نستنتج من هذا الوصف، الذي أكدته الحفريات التي تمت في كل من كمبي صالح وأوداغشت، أهمية العلاقات التجارية بين المغرب والسودان، وذلك لأهمية الجالية التجارية، وهي تتكون أساسا من المغاربة الموجودين في المنطقة، ثم الدور الحيوي الذي تلعبه في جهاز الدولة. إلا أن الاستنتاج المهم من هذا كله هو وصول الديانة الإسلامية إلى أفريقيا السوداء، عن طريق العلاقات التجارية السلمية، لأن التجار كانوا يشكلون نموذجا يحتذى. ذلك أن ارتباط التجارة بالدين في العالم الإسلامي، جعل من التجارة وسيلة لنشر الديانة الإسلامية.

ـ المرحلة الثانية : العلاقات العسكرية الدينية. وهي العلاقات التي واكبت استيلاء المرابطين على غانا، وقد استمر تأثيرتها فيما بعد خاصة العلاقات الدينية. وهذه العلاقات اتخذت في مراحل منها طابعا عسكريا، تمثل في جهاد المرابطين بزعامة عبد الله بن ياسين. وقد اختار هذا القائد مركزا لإقامة رباطه في جزيرة قرب مصب السينغال، وذلك بعد محاولاته المتعددة لتوحيد كلمة القبائل الصنهاجية (*الاستقصا*، 2 : 9). والاختيار له دلالته لأنه يعبر عن أهمية السودان في ذهن عبد الله بن ياسين. ويرتبط إسلام أهم الملوك والزعماء السودانيين بدعوة عبد الله بن ياسين. ذلك أن القرن الحادي عشر الميلادي عرف حركة واسعة للإسلام امتدت من المحيط إلى ما وراء ثنية نهر النيجر، فإلى هذه الفترة يرجع إسلام وارجابي Ouardjabi ملك التكرور (*Sekene*, 32) وكاندا دياكوسوا Kanda Dia Kassoi ملك گاو (نفس المرجع، 93) وبذلك ستصبح التكرور مركزا مهما لنشر الإسلام وترسيخه في السودان، كما أن منطقة گاو سيتركز فيها الإسلام تدريجيا لأن الحفريات التي تمت بجوار المدينة تظهر قبورا لملوك سودانيين بأسماء عربية (*Sekene*, 93).

هذه السمة سمة نشر الإسلام بالسلم في البداية ستعرف

تحولا مع التنظيم الجديد الذي اتبعه المرابطون. فبعد نجاحهم في الاستيلاء على أوداغشت سنة 1054 م، قاموا بالتوجه إلى المغرب حيث استولوا على سجلماسة مباشرة سنة 1055 ـ 1056، ومنها انطلقوا نحو الشمال. إلا أن تمرد صنهاجة دفع بأبي بكر بن عمر إلى أن يترك شأن المغرب في يد يوسف بن تاشفين وأن يتوجه إلى الجنوب أي الصحراء والسودان، وهكذا دخل في حرب مع الغانيين إلى أن استولى على عاصمتهم كمبي صالح سنة 1076 م، وبذلك سيفتح عهدا جديدا للإسلام بالجهاد، في نفس الوقت الذي سيصبح فيه السودان والمغرب تحت حكم سياسي واحد هو الحكم المرابطي. وبالرغم من كون العلاقة في هذه الفترة قد اتسمت بالعنف، إلا أنها كانت فرصة لوضع أسس ربما كانت أمتن الأسس لالتحام المغرب بالسودان، هذه الأسس التي تمثلت في نشر المذهب المالكي الذي أصبح المذهب السائد في المنطقتين منذ تلك الفترة. وهكذا تمتنت العلاقات ليس بالدين فحسب، بل بالانتماء إلى نفس المذهب.

المرحلة الثالثة : العلاقات الدبلوماسية. واكبت هذه المرحلة الحكم المريني بالمغرب، وإمبراطورية مالي في السودان. لقد عرفت استمرارا للعلاقات الدينية، فقد أكد ابن بطوطة استمرار تشبث السودانيين بالمذهب المالكي (الرحلة، 2 : 781 وما يليها) لكنها اتسمت بتراجع نسبي للمبادلات التجارية، ذلك أن سقوط غانا تحت الحكم المرابطي، والصراع الذي تلاه، أديا إلى فقدان التوازن التجاري بين المناطق الغابوية وغانا، وهكذا تحولت الطرق التجارية تدريجيا نحو الشرق، وقد تضررت بذلك المحاور الغربية، فأصبحت مدينة نيابي عاصمة مالي، تعوض مدينة كمبي صالح. وربما تدخل رحلة ابن بطوطة إلى السودان في إطار محاولة موجهة من طرف المرينيين لجلب القوافل التجارية نحو المغرب. فسواء كان تراجع العلاقات التجارية هو الحافز لهذه العلاقات الدبلوماسية، أم سمعة أبي الحسن المريني وأصداء انتصاراته، إلا أن الواقع أن الدولتين عرفتا علاقات دبلوماسية تمثلت في تبادل للسفراء والهدايا. وقد بدأت هذه العلاقات الدبلوماسية مع بعثة السلطان مانسا موسى سلطان مالي إلى السلطان أبي الحسن لتهنئته على استلائه على تلمسان سنة 1337 م. وقد رافق البعثة السودانية صنهاجي كان يقوم بدور المترجم. استقبل أبو الحسن البعثة بحفاوة، وهيأ بعثة مماثلة لمرافقتها كانت تضم بعض رجال بلاطه، كما حملها بالهدايا. توجهت البعثة إلى السودان ووصلت في عهد السلطان مانسا سليمان. وقد طلب السلطان المريني من بني معقل وهم من القبائل العربية المتنقلة آنذاك في الصحاري الفاصلة بين المملكتين، مرافقة البعثة، والحرص على سلامتها. استقبلت البعثة المغربية بحفاوة بالغة وعاد أعضاؤها برفقة بعثة دبلوماسية سودانية أخرى للمغرب، إلا أن البعثة المحملة بالهدايا لم تنطلق إلا بعد وفاة مانسا سليمان، فأرسلها خلفه مانسا زاطة. وقد خلفت هذه البعثة صدى كبيرا لأنها كانت تتضمن زرافة أثارت إعجاب الجميع. ويتحدث ابن خلدون عن الهدية لأنه حضر وصولها وكان ذلك سنة 762 هـ. وقد مكثت البعثة في المغرب ولم ترجع إلا بعد وفاة السلطان أبي سالم (*الاستقصا*، 3 : 151 ؛ *العبر*، 7 : 468). وهكذا يمكننا أن نؤكد أن العلاقات قد كانت متينة لأنها استمرت من 1337 إلى عهد السلطان أبي سالم (1358 ـ 1360). مما يعطينا فكرة عن غنى هذه الروابط التي عرفت استمرارية تزيد عن عشرين سنة. لهذه العلاقات دلالتها لأنها تعكس أوج الدولتين المغربية مع أبي الحسن المريني (1331 ـ 1351 م) والمالية، مع مانسا موسى (1312 ـ 1337 م). وقد عرفت هذه المرحلة أوج التأثيرات الحضارية المتمثلة في العمران واللباس وغيرهما.

ـ المرحلة الرابعة : علاقات الأزمة والاصطدام. وهذه المرحلة توافق العلاقات بين السعديين وإمبراطورية سنغاي. وهذه المرحلة بحاجة إلى الكثير من التريث لدراستها، لأنها لازالت تثير الحزازات لدى الدارسين لها، وذلك لعدة عوامل منها أن هذا الاصطدام ساهم في وضع حد لإمبراطورية سنغاي، وهي من أهم الإمبراطوريات التي حكمت السودان. بهذه الإمبراطورية انتهى عهد الدول القوية المركزة في السودان الغربي إلى القرن التاسع عشر، حيث برزت إمبراطوريات الجهاد. وبالرغم من كون هذه المرحلة قد عرفت علاقات ثقافية وتجارية مهمة، إلا أن الطابع الطاغي عليها هو طابع الأزمة. أزمة العلاقة السياسية بين السعديين والسنغيين. فالسعديون استمدوا شرعيتهم للوصول إلى الحكم من الجهاد ضد المسيحيين الإيبيريين الذين احتلوا شواطئ المغرب، هذا الجهاد الذي كان بحاجة إلى موارد ثابتة مما جعلهم يولون أنظارهم نحو مملحة تغازى. فكانت الأزمة المرتبطة بالصراع حول تغازى سببا في حملة أحمد المنصور الذهبي العسكرية إلى السودان سنة 1591 م. وقد انتهت باستيلائه على العاصمة گاو، وعلى تنبكتو. وقد أثارت هذه الحملة ردود فعل واسعة كانت محط اهتمام المؤرخين، سواء المعاصرون لها، أو الذين جاءوا فيما بعد. لذلك فهي تحظى بتغطية لا بأس بها، سواء من طرف المؤرخين المغاربة، كالإفراني والفشتالي، أو المؤرخين السودانيين، وعلى رأسهم محمود تعت، وعبد الرحمان السعدي، وسلط المؤرخون المعاصرون أضواءهم عليها وعلى رأسهم زكري دراماني Dramani وأحمد الغربي. كما كتبت حولها الكثير من المقالات والدراسات وأعطيت عدة أسباب للحملة منها : البحث عن الذهب أو العبيد، أو نشر الإسلام، أو مشكل الخلافة. وللحلمة بلا شك أسباب متعددة.

لقد سبق تنظيم الحملة فترة أزمة دبلوماسية بين الدولتين حول مملحة تغازى، ومن المعلوم أن من استولى على المملحة كأنه استولى على الذهب، لأن الملح كان يستبدل بالذهب : و هكذا طالب أحمد الأعرج السعدي،

إسحاق الأول السنغي بالتخلي عن الملحة، إلا أن هذا الأخير رفض الطلب السعدي. وعندما تولى محمد الشيخ أرسل من جديد إلى إسحاق يطلب التنازل عن المملحة فكان جواب هذا الأخير هو إرسال 2000 راكب من الطوارق للإغارة على درعة (السعدي، 100). وانتهى الصراع حول المملحة باستيلاء السعديين عليها سنة 1557 م (*مناهل*، 144)، لكن السوادنيين قاطعوا ملح تغازى فاضطر السعديون إلى التفاوض معهم من أجل التنازل عن جزء من مدخولها (*مناهل*، 120) ثم استولى عليها السنغيون فيما بعد لتوجه السعديين نحو توطيد دعائم حكمهم. واستمر الوضع هكذا إلى أن وصل أحمد المنصور الذهبي إلى الحكم، وقد وافق وصوله انتصار المغاربة في معركة وادي المخازن. إلا أن أحمد المنصور رغم انتصاره في معركة وادي المخازن وقدرته على إيقاف التوسع العثماني كان يدرك جيدا استحالة توسعه في الأندلس وفي المغرب الأوسط لقوة أعدائه، وشهادة الإفراني واضحة في هذا المجال، لذلك حاول أن يبحث عن مجال للتوسع بشكل طبيعي نحو الجنوب، لاستحالة التوسع في المغرب. ويمكن أن نضع هذا التوجه في سياقه التاريخي لأن القرن السادس عشر هو قرن الإمبراطوريات، فأحمد المنصور يعتبر نفسه خليفة، كما أنه أثبت قدرته على المواجهة فبدأ يصبو إلى تشكيل إمبراطورية على منوال الإمبراطورية العثمانية.

واستعد قبل أن يرسل الحملة، وقد كان متأكدا من انتصاره مسبقا لأنه يملك التفوق في الأسلحة، لأن المغاربة كانوا يستعملون الأسلحة النارية، بينما كان أهل السودان لا يستعملون إلا الرماح. لكن مخاوفه كانت منصبة على مشاق السفر، وصعوبة اختراق الصحراء بجيش عرمرم.. وهذا ما يفسر الاستعداد الطويل لهذه الحملة إذ استمر حوالي ثلاث سنوات يشرف عليه بنفسه. وكانت حملة المنصور وراء بداية مرحلة جديدة من العلاقات المغربية السودانية.

بالرغم من أن الطابع الذي ميز هذه الفترة أو المرحلة هو الاصطدام فإنها عرفت استمراراً للعلاقات التجارية رغم تحول الطرق نحو الشرق أكثر، لأن إمبراطورية سنغي تتمركز حول عاصمتها گاو التي تقع شرق ثنية نهر النيجر. هذه العلاقات التي ركزتها الطريق التي تربط تنبكتو بجنوب الأطلس عبر مملحة تغازى، فالمملحة كانت هي المحطة الرئيسية والحيوية في الطريق لأن أهم ما تحمله للسودان هي مادة الملح.

وإلى جانب العلاقات التجارية عرفت هذه المرحلة علاقات ثقافية متينة، وإن كانت منطقة السودان قد بدأت تعرف ميلاد ثقافة سودانية محضة، حيث يمكن الحديث عن مؤرخين سودانيين، وعن كتابة سودانية. لأن مدينتي تنبكتو وجني أصبحتا من أهم المراكز الثقافية والعلمية، وأكبر دليل على ذلك هو نبوغ أمثال العالم أحمد باب التنبكتي، وشهادة ليون الإفريقي عن تجارة الكتب في السودان.

ـ المرحلة الخامسة : العلاقات بين التراجع والتجديد.
وهذه المرحلة تشمل فترة طويلة تمتد من حملة أحمد المنصور إلى القرن التاسع عشر. وتمتاز هذه المرحلة ببداية تراجع تدريجي للعلاقات التجارية، وذلك نتيجة استغناء أوروبا عن المغرب كواسطة بينها وبين إفريقيا إثر تحول الطرق التجارية من البر إلى البحر.

لكن هذا التراجع كمي وليس كيفيا، لأن القوافل ظلت تربط طرفي الصحراء طيلة هذه المدة بل كانت عائدات تجارة القوافل وراء تطور كل المراكز المغربية المتاخمة للصحراء آنذاك، وقد استمرت هذه العلاقات إلى نهاية القرن التاسع عشر (انظر Tamouh). إلا أن تراجع العلاقات التجارية عوض برباط آخر زاد في تمتين العلاقات بين المنطقتين، وهو رباط الرماة. ذلك أن حملة المنصور خلفت وراءها ميلاد أرستقراطية جديدة تحكم تنبكتو وهم الرماة. وتتكون هذه الأرستقراطية من قواد وباشوات الحملة، ثم من أبنائهم فيما بعد. وقد استمرت في حكم تنبكتو إلى سنة 1833، سنة صعود إمارة ماسينا (انظر Abitbol). وبذلك سيدخل السودان مرحلة العلاقة السياسية المباشرة أحيانا، وغير المباشرة أحيانا أخرى مع المغرب، إذ كان يدعو في الصلوات للسلطان المغربي. وقد عرفت تنبكتو في عهد الرماة صراعات دامية حول الحكم مما أسهم في قلة الأمن، وتراجع التجارة.

وربما كان ما يميز هذه الفترة هو استمرار العلاقات الثقافية، التي طبعها الطابع المغربي، ولا سيما طابع الزوايا. وذلك ابتداء من القرن الخامس عشر، وتعتبر زاوية كنتة من أهم الزوايا التي لعبت دورا في تمتين العلاقات الثقافية بين المغرب والسودان. وقد أخذت هذه الزاوية نفسا جديدا، خاصة خلال القرن الثامن عشر مع الشيخ المختار الكنتي، الذي كان يتحرك في الصحراء الرابطة بين السودان والمغرب، ليركز تعاليم الطريقة القادرية ويرتبط اسمها معه لتصبح الطريقة المختارية الكنتية.

وازداد تركيز العلاقات الثقافية ومتانتها مع القرن التاسع عشر الذي شهد امتداد خطين طرقيين يربطان المنطقة: وهما خط الطريقة التجانية وخط الطريقة المختارية. فالطريقة التجانية انطلقت من فاس على يد الشيخ سيدي أحمد التيجاني، المتوفي سنة 1815 م. ووصلت إلى بلاد شنقيط على يد الشيخ محمد الحافظ العلوي الشنقيطي، المتوفي سنة 1830 م. وقد جعل منها هذا الشيخ شعارا لقبائل إداَ وْعَلي، التي حملت مشعل الطريقة التجانية وسط مجال المد القادري. وساعد استقرار العلويين في عدة مراكز على نشر الطريقة، كما أن وجود عدد مهم منهم في بلاد الترارزة، وارتباطهم اليومي مع السودانيين، أسهم في نشر الطريقة بالسودان. وقد بلغت الطريقة أوجها باعتناق الحاج عمر الفوتي التوري لها لأنه سيكون أول إمبراطورية تجانية عن طريق الجهاد وذلك ابتداء من سنة 1848، واستمرت إلى استيلاء الفرنسيين عليها سنة 1894

وامتدت من فوتاتورو إلى ثنية نهر النيجر.

أما الجيل الثاني فيأتي من الجنوب، وإن كانت أصوله شمالية، وهو جيل الطريقة المختارية. تنتمي عائلة المختار إلى كنتة بتوات، إلا أن أحفاده استقروا في أزواد، بجوار تنبكتو، خلال القرن التاسع عشر. ومن أزواد ربطوا علاقات متينة مع المغرب عبر نشر الطريقة، فقد تعددت الزوايا المختارية، إذ كانت توجد في أزمور ومكناس ومراكش وغيرها. كما أن السلاطين المغاربة أقاموا علاقات مع المختاريين حيث اتصل بهم السلطان عبد الرحمان بن هشام (1822 ـ 1859) كما أن السلطان محمد بن عبد الرحمان (1859 ـ 1873) كان من أهم مريديهم، بل كان حاميا لكل المختاريين في المغرب. وأقام المختاريون أيضا علاقات مع مختلف القوى السياسية في المنطقة اتسمت أحيانا بطابع المودة كعلاقتهم مع أمراء الحوصه أو بالعنف كعلاقتهم مع الفولانيين أمراء ماسينا. ورغم الطابع المختلف لهذه العلاقة، فإنهم بلا شك أثروا في قيام حركة الجهاد القادرية، سواء في الحوصه أو ماسينا.


ابن بطوطة، *الرحلة* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. الإفراني، *نزهة* ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ م. كعت، *تاريخ الفتاش* ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*.

J. Devisse, *Routes de commerce et échanges en Afrique Occidentale en relation avec la Méditerranée. Un essai sur le commerce africain médiéval du XIe au siècle.* R. H. E. S., L, 1, 3, (1972) pp. 42-43, pp. 357-397 ; M. Abitbol, *Tombouctou et les Armes*, Paris, Maisonneuve et Larose, 1979 ; Z. Tamouh, *Le Maroc et le Soudan au XIXe Siècle*, Thèse du doctorat de 3ème cycle, Paris I - Sorbonne, 1982 ; A. El Alaoui, *Le Maghrib et le commerce transsaharien (milieu du XIe - milieu du XIVe S.)*, Thèse du doctorat de 3ème cycle Bordeaux, 1983.


زهرة طموح

**أفريقيا والمغرب** في القرن العشرين. يبدو أن أقطار أفريقيا السمراء لم تحظ باهتمام قادة الحركة الوطنية يوم كانوا يناضلون في سبيل الاستقلال، إذ أنهم مضوا خلال كفاحهم يوجهون أنظارهم نحو المشرق وكأنه العالم وما فيه. وبالفعل، فإن الأحداث التي توالت على مسرح الساحة العربية، أيقظت في نفوس الزعماء المغاربة، وعلى رأسهم علال الفاسي، وعيا دوليا. ويلاحظ أنه رغم نفي عدد من قادة الحركة الوطنية إلى أقطار القارة السمراء، ورغم ما شاهدوه في منافيهم من تشابه في أنظمة الاستعمار والنزعات الوطنية المحلية، فإنهم لم يحفلوا بالأفارقة. وربما يعزى إعراضهم عن إخوانهم السود إلى صعوبات وعراقل حالت دون إدخال القارة السمراء في تفكيرهم وعملهم السياسي.

قد يرجع هذا إلى تباين الأوضاع المجتمعية والسياسية بين شمال أفريقيا وما يقع منها جنوب الصحراء، وإلى اختلاف أساليب الكفاح هنا وهناك، وإلى المواقف "الثقافية" التي اتخذها الأفارقة أنفسهم، ولو أنه وجدت بعض المبادرات والمحاولات لتوحيد النظر على مستوى العمل النقابي.

أما بعد الاستقلال فقد تغيرت الأوضاع، ومرت العلاقات بين المغرب وأفريقيا جنوب الصحراوية بثلاث مراحل :

ـ الفترة المتراوحة بين 1956 و1961 تعتبر عامةً فترة حافلة ونشيطة، تُجسمها العلاقات المتميزة بين المغرب وغانا مع إرادة البلدين في النهوض بالتعاون بينهما في المجال السياسي والمجتمعي والاقتصادي والتي أعرب عنها في التصريحات السياسية، مثل تصريح وزير الشؤون الخارجية المغربي الذي أكد على ضرورة توحيد بلدان المغرب العربي المعرض بكيفية مباشرة وآنية الى الأطماع الامبريالية مع القارة السمراء لأن "الهيمنة الاقتصادية أخذت تتطور لتحل محل الاستعمار السياسي". علاوة على هذا التصريح، شارك المغرب بوفد هام يرأسه الوزير الأول في مؤتمر مانروفيا (غشت 1959) وقد ترأس المغرب جلسته الافتتاحية.

كل هذه العناصر كشفت عن رغبة المغرب في الانفتاح على أفريقيا. وأهم دليل على ذلك. تدخل المغرب عام 1960 في الكونغو، في إطار مساعداته العسكرية والتقنية والإدارية للأقطار الافريقية وإلى حركات التحرير، مثل حركة تحرير أنگولا وحركة الموزنبيق ...في عام 1961، انعقد بالدار البيضاء مؤتمر "ضد الاستعمار" و"تقدمي" اعتبر فوزاً مغربيا دبلوماسيا كبيرا يشكل أعظم حدث في هذه السياسة.

إنها المرحلة التي تتوفر لدينا عنها معلومات أكثر من غيرها ولئن كانت متفرقة وجزئية، لكنها تبقى مع ذلك في حاجة إلى الدراسة العميقة والبحث الدقيق.

ـ تبتدئ المرحلة الثانية مع استقلال الجزائر، عام 1962 وبمساندة الجزائر لمحاولات تأجيل اجتماع مجموعة الدار البيضاء وانشاء منظمة الوحدة الافريقية. في عام 1963، صادق المغرب على ميثاق المنظمة مع الإعراب عن تحفظاته في موضوع الحدود الموروثة عن الاستعمار. ومن ثم فإن علاقاته مع مختلف البلدان الافريقية ستبقى مرهونة بموقف كل بلد من مطالب المغرب الترابية. وهكذا ستنحلُّ تدريجيا علاقات المغرب مع أعضاء مجموعة الدار البيضاء وستتلاشى نهائيا في بعض الأحيان كما حدث مع مصر.

ـ ابتداء من عام 1969، ستقع أحداث تساعد المغرب على استرجاع مكانته على الساحة الافريقية. من هذه الأحداث : الاعتراف باستقلال موريتانيا عام 1969، وأوفاق يفرن والرباط مع الجزائر عام 1972، وترأس المغرب لمنظمة الوحدة الإفريقية من 1972 إلى 1973....

لكن المغرب سيواجه ابتداء من 1976، ورغم مساندته من طرف بعض الدول الافريقية "المعتدلة"، محاولات عزله دوليا بسبب قضية الصحراء. ويرى خصوم المغرب أنه تخلى عن نزعته الافريقية ووجه أنظاره نحو أوربا، وفرنسا بالخصوص، ونحو الشرق الأوسط. ومع ذلك، فان التعاون المغربي ـ الافريقي استمر ونما بصورة هامة في المجالين

السياسي والعسكري، ولا يزال يتطور إلى الأمام متخذا أبعاداً كبرى. إن بعض الدراسات الجاهزة حول العلاقات المغربية ـ الزاييرية، والمغربية ـ الگابونية، والمغربية ـ الغنية، تثير الإعجاب وتبرهن عن ثراء روابط التعاون القائم بين الجانبين، ذلكم التعاون الذي مافتئ يتقدم طوال الأعوام الأخيرة.

م. ب. سيرو، *علاقات المغرب السياسية مع المجموعات الافريقية والعربية منذ الاستقلال*، رسالة جامعية نوقشت بباريز، 1967 ؛ م. البوزيدي، *المغرب وافريقيا جنوب الصحراء*، مقال ضمن كتاب المغرب وافريقيا الواقعة جنوب الصحراء، إصدار المركز الوطني للبحث العلمي، 1980 ؛ م. ميشيل، *السياسة الافريقية لدول المغرب*، مارس 1968 (المجلة الفرنسية للدراسات السياسية الإفريقية) ؛ أ. بوطار، *المغرب العربي ودول افريقيا السوداء*، مارس 1968 (المجلة الفرنسية للدراسات السياسية الافريقية)؛ و.ك.روف، *السياسة الخارجية للدول المغاربية*، مجلة المغرب والمشرق (59)، 1973 ؛ ب. فسقة، *تطور التعاون بين المغرب الأقصى ودول افريقيا السوداء*، رسالة السلك العادي، المدرسة الوطنية للإدارات العمومية، الرباط، 1983 ـ 1984.

عبد الله ساعف

**إفري واطو** : مغارة كبيرة تقع على بعد 25 كيلومتر من مدينة تازا، من الجهة الجنوبيّة الغربيّة، على الجنب الأيمن للطريق الثانويّة، رقم 311، المؤدّية من تازا إلى قرية سيدي عبد الله عبر الأطلس المتوسط في أقصى مناطقه الشماليّة المتميّزة بكثرة كهوفها. يرتفع المكان الذي توجد فيه هذه المغارة، عن سطح البحر، بحوالي 1780 م.

إفري واطو عبارة عن مجموعة من السراديب الطبيعيّة، نحتتها على مرّ الأزمان عوامل التعرية المائيّة في أرضيّة كلسيّة. يقع غوْر أقصى تلك السراديب على عمق مايقرب من مائة متر تحت سطح الأرض. وقد تكوّنت فيها «نوازل» (stalactites) و«صواعد» (stalagmites) وهيئات جيولوجيّة أخرى أضْفَتْ أشكالُها على رحاب المغارة وجدرانها جمالا طبيعيّا يسرّ الناظر، ويدعوه إلى الخشوع أمام عظمة الخالق. ولهذا كان « إفري واطو» ولازال مزاراً للسيّاح وللمُسْتَغْورينَ (مُستكشفي الأغْوار = les spéléologues)؛ يُنزل إلى جوفه بواسطة دَرَجٍ نُحِتَ في الصخر. يُكتَب اسمه في الخرائط السياحية الموضوعَة بالحروف اللاتينيّة كما يلي : Friouato.

والمدلول اللغوي لـ « إفري واطو»، في الأمازيغيّة (أي «البربريّة»)، هو«كهف النّسيم» : «إفري» هو الكهف، و«أضو» ـ المنطوق «أطو» في لهجة آيت وارين ـ هو النسيم، أو الرُخاء، أي الريح اللّينة. أمّا الواو التي تتقدمُ «واطو» فحرفٌ إعرابيٌ أوْجَبَتْ ظهوره الإضافةُ. ومّا تجدر الإشارة إليه، أنه كان من الأوربييّن المهتمّين بتاريخ المغرب، في عهد الاستعمارالفرنسيّ، منْ يميل إلى الاعتقاد أن «Friouato » تحريف لاسم إله يونانيّ قديم، وذلك جهلاً، أو تجاهلاً، منهم للمدلول الأمازيغيّ الآنف الذّكر.

*استطلاع ميداني.*

محمد شفيق

**أَفْزَاز**، أسرة تطوانية ليس لدينا من الوثائق ما يثبت أصلها، ومن أفرادها شخص يعرف بالفقيه أفزاز كان من بين سكان تطوان الذين فضلوا البقاء تحت الحكم الإسباني عندما احتلت تطوان سنة 1860 م، ولازالت هذه الأسرة بتطوان إلى يومنا هذا.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ م. داود *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 5 : 231 ؛ م ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias de Tetuan*, 1921 (F) ; Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo*, 1929 (F) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932 (F) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espagnol*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**إِفْسْفَاسْنْ**، إحدى قبائل إداوْتنان الثلاث التي تكون اتحادية فيما بينها، وتقع جهة الجنوب الغربي من الجزء الذي تحتله قبائل إداوتنان من الأطلس الكبير وتتكون قبيلة إفسفاسن من عدة فخذات وجماعات ودور متفرقة تنحدر من ستة عظام كبرى :( إخصان) وهي :

1 ـ آيت تيويلت وعدد كوانينهم سنة 1924 يبلغ 285 كانون.
2 ـ أيت أو قصري وعدد كوانينهمسنة 1924 يبلغ 340 كانون.
3 ـ ابروتن وعدد كوانينهم سنة 1924 يبلغ 190 كانون.
4 ـ أيت وانكريم وعدد كوانينهم سنة 1924 يبلغ 410 كانون.
5 ـ أيت أولماوعدد كوانينهم سنة 1924 يبلغ 116 كانون.
6 ـ أيت وتوركا = أورغا وعدد كوانينهم سنة 1924 يبلغ 260 كانون.

وبذلك يبلغ مجموع سكان قبيلة افسفاسن حوالي 1610 كانون حسب إحصاء أجراه لاتيرون : قائد دائرة حاحا الجنوبية وگسيمة شتوكة بأگادير سنة 1924 م، في حين بلغ سكان قبيلة أيت واعزون حوالي 2095، واهل تانكرت حوالي 1770 كانون، بذلك تكون قبيلة افسغاسن أقل قبائل ايداوتنان سكانا . ومع ذلك فانها غنية بالمآثر التاريخية والمعالم الثقافية والدينية حيث نجد مثلا في إبروتن بنايات قديمة وبيوتات منحوتة في الجبل على شكل كهوف يقال إنها من عمل البرتغال في عهد احتلالهم لميناء اكادير ونواحيه وقد توحدت هذه القبيلة حول مدرسة الما العتيقة منذ القديم.

راجعنا في هذه المادة دراسة مرقونة أنجزها حاكم إنزگان 1924 وموضوعها *إداوتنان* (بالفرنسية).

محند أيت الحاج

**أَفْغَال**، زاوية الشرفاء البقاليين المعروفيين بأولاد سيدي أحمد البوهالي، توجد بقرية أفغال من فرقة بني يوضْگفان بقبيلة بني سميح الغمارية، وتعد أهم زاوية بمجموعة القبائل الغمارية المعروفة بغمارة الحايلة بمعنى العتيقة.

هذه الزاوية لا تنتمي إلى طريقة من الطرق الصوفية،

شأنها شأن زاوية الشرفاء الريسونيين الكائنة بقرية تازروت بقبيلة بني عروس الجبلية.

وقد قامت زاوية أفْغال بدور كبير في مقاومة قبائل غمارة للغزو العسكري الإسباني من سنة 1913 إلى سنة 1927 م.

Cereceda (A), *Monografia de puerto Capaz*, 36 سبتة 1951 ص.

Beneitez Cantero (V), *Etnografia gomari*, 81 سبتة 1951 ص.

م.ابن عزوز حكيم

**أفْلالُو**، أسرة من يهود الصويرة، تولّت التجارة بالداخل والخارج، وكان لها اتصال بالدوائر المخزنية في القرن التاسع عشر . منهم :

**أفْلالو، إسحاق** الذي كلفه السلطان بمهمات في الخارج ولاسيما بألمانيا سنة 1829. كان تاجراً بالصويرة ثم انتقل الى لندن للتجارة بها.

**أفْلالُو، مْناحيم** : تاجر كان يقيم بلندن للتجارة بها أواخر القرن التاسع عشر.

P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc* ; J. L. Miége, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 55 - 56.

مصطفى بوشعراء

**أفْلالُو، موسى**، أو (موشي) : تاجر يهودي (من الصويرة) أقام بلندن وكان صديقاً للسيد احماد بن موسى وزير مولاي الحسن الاول مراسلا له ، ويقتبل بعض رسل المخزن، وهو مؤلف The Truth about Morocco (لندن ونيويورك، 1904).

**أفلالو، ميمون**. أعظم حبر في زاوية الدلاء. بعد ان حطمت هذه الزاوية من طرف مولاي الرشيد، أقامت الجماعة بفاس، حيث خصص لها الحبر ڤيدال هسرفتي محلا لاقامة بيعة لها (انظر طوليدانو، نير هما عرب) وكان ابنه سعاليه حبرا بفاس، كما أن أفرادا آخرين من أسرة أفلالو كانوا أحبارا : بأگادير مثل يوشواع (إشوعا)، في القرن 17 و18، ويحيى في القرن 18، مؤلف مجموعة فقهية، وبالرباط مثل عيوش (القرن 18 ـ 19) انظر يـ . بنايم، مالخي ربانان).

طوليدانو، *نيرهما عرب* ؛ بنايم، *مالخي ربّانان*.

شمعون ليڤي

**أفلاح**، شعيب بن حمادي، من قرية إحَدّوشَنْ الواقعة قرب إمْزورْن بقبيلة بني ورياغل الريفية. شارك في الثورة الريفية منذ انطلاقتها الأولى، وأبان عن مهارة وحذق في إصلاح المدافع، وأظهر كفاءة لاجدال فيها لتنظيم الجيش الريفي (النظامي)، وحنكة عسكرية مشهوداً له بها، ومقدرة عالية على التخطيط للمعارك وقيادتها، وذلك من خلال العمليات الحربية التي شارك فيها خاصة في الجبهة الغربية ضد الإسبانيين، وفي الجبهة الجنوبية ضد الفرنسيين تحت قيادة البطل مَحمد بن عبد الكريم الخطابي، وفي الفترة المتراوحة بين 1923 و 1925.

تعرف عليه محمد بن عبد الكريم الخطابي بعد انتصارات أنوال سنة 1921، ولمس فيه حذقا ومهارة في إصلاح المدافع، فألحقه بوحدة إصلاح المدافع التي غنمتها الثورة من الجيش الإسباني. وقد أظهر في ذلك كفاءة عالية أثارت إعجاب وتقدير الزعيم ابن عبد الكريم، فأسند إليه مهمة الإشراف على تجنيد جيش نظامي.

وفي غضون 1922 أنشأ أفلاح النواة الأولى للجيش النظامي الريفي الذي تكلف بتدريبه القائدان محمد بوحوت القلعي واحديدان الأجديري وذلك بأول مركز للتدريب بأجدير. وترأس أول فوج لهذا الجيش البالغ خمسين رجلا. وبفضل جهود أفلاح وزملائه من قادة الثورة، توسعت قاعدة هذا الجيش بسرعة، فأصبح يضم ثلاثة طوابير منظمة وفق القواعد العصرية المعروفة وقتذاك بأوروبا، وأشرف أفلاح على تعزيز صفوف هذا الجيش بفتح باب الانخراط أمام المتقاعدين من الجيش الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى، وأسند إليهم مهمة تدريب الجيش الريفي الذي أصبحت له كفاءة عالية خاصة بعد تزويده بالمدفعية.

أظهر أفلاح كفاءة جيدة لا كقائد عسكري محنك فحسب، بل أيضا كسياسي يقظ، وذلك من خلال مساهمته الفعالة في إفشال المؤامرات التي كانت تدبرها ضد الثورة الريفية المخابرات السرية الإسبانية بتعاون مع بعض زعماء غمارة وبعض شيوخ الزوايا.

وقد رافق أفلاح هذا الجيش في جميع تحركاته، فخاض معه جل المعارك التي شهدتها الجبهة الغربية ضد الإسبانيين والجبهة الجنوبية ضد الفرنسيين، وجرح في إحدى هذه المعارك بالضفة الشرقية لوادي لاو.

وساهم بدور أساسي في تحرير مدينة شفشاون، بحيث كانت مهمته في هذه العملية تتمثل في الصعود بالجيش النظامي والمتطوعين بتنسيق مع اخْرِيرُو إلي جبال شفشاون وانتظار وصول القوات الأخرى للقيام بهجوم منسق على قوات الاحتلال. لكن القائدين بادرا بالهجوم قبل الموعد المحدد فتصدى لهم الإسبانيون، فقتلوا منهم خمسة وسبعين من رجال غمارة، وعددا من رجال جيش أفلاح منهم القائد عمر اليَدّار الورياغلي.إلا أن هذا الخطأ لم يؤثر على الخطة العسكرية المرسومة في شموليتها التي نجحت في تحرير المدينة.

وانتقل بعد ذلك إلى ضفاف ورغة، فشارك سنة 1925 في قيادة الجيش النظامي والمتطوعين ضد المواقع التي كانت تحتلها الجيوش الفرنسية، نجح هذا الجيش في تحرير معظمها، وغنم عددا من المدافع والمعدات الحربية.

ونظرا لما عهد فيه من دقة في رسم الخطط الحربية وتنفيذها، فقد اختاره ابن عبد الكريم لمهمة تحرير حصن مركز " البيان" بدلاً من عبد السلام معراش الغماري الذي لم يفلح في الاستيلاء على الحصن المذكور نظراً لمناعته وعنف مقاومة الفرنسيين. ونجح أفلاح في تحرير هذا المركز في اليوم الموالي لتكليفه بهذه المهمة (3 يونيو 1925). وقد

سر محمد الخطابي لهذا الانتصار، فبعث لأفلاح بمبلغ مائتي ريالا مكافأة له على إنجازه الناجح، مشفوعة برسالة تنويه.

وبعد ذلك، انتقل على رأس طابوره (400 رجل تقريبا) إلى بني زروال وشارك في المعارك التي وقعت هناك لينتقل في حوالي منتصف يونيو إلى قبيلة البرانس مع القوات النظامية الأخرى حيث وجد المتطوعين يحاصرون قشلة سوق الخميس، فانضم بقواته إليهم إلى أن تم الاستيلاء عليها بعد معارك عنيفة.

وبعد التحالف الفرنسي ـ الإسباني ضد الثورة ، انتقل بجيشه مع مَحمد ابن عبد الكريم إلى شواطئ غمارة ووادي لاو لمواجهة احتمال نزول القوات الإسبانية هناك، فاستعد لذلك بوضع المدافع والرشاشات في مواقع استراتيجية يصل مداها إلى ضواحي تطوان، فضلا عن تحكمها في الواجهة البحرية لهذه المناطق.

وفي خريف 1925 التحق مع مَحمد الخطابي بأجدير للدفاع عن عاصمة الثورة ضد الجيوش الإسبانية التي نزلت بخليج الحسيمة في سبتمبر 1925، فأشرف على سلاح المدفعية، لكنه اضطر إلى الانسحاب بجيشه إلى"تَرگيسْتْ" بعد احتلال الإسبانيين لأجدير. وقد استمات في مقاومة الغزو الأجنبي بشجاعة نادرة إلى تاريخ استسلام الزعيم الخطابي في ماي 1926.

وكان أفلاح من رجال المهام الصعبة في الثورة الريفية، لايكاد يفرغ من مهمة حتى يكلف بأخرى، لما عهد فيه من إخلاص وإقدام ودقة في العمل وسرعة في التكيف مع التغيرات الطارئة.

ر. فورنو، *عبد الكريم أمير الريف*، ترجمة فؤاد أيوب، دمشق ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية، مراحل النضال* 2 : 176 ـ 200، 363 ـ 374 ـ 417. طنجة 1975 ؛ القاضي، *أسد الريف : محمد عبد الكريم الخطابي* 162 ـ 163، 181 ـ 187.

J. R Mathieu, *Mémoires d'Abd el-Krim*, 15e édition, Paris 1927, pp. 110-147 ; L. Gabrielli, *Abd el-Krim et Les événements du Rif*, Casablanca 1953, pp. 41-212 ; D. Woolman S : *Abd el-Krim y La Guerra del Rif*. traduit en espagnol par Margarida Gratacos, Barcelona 1971, pp 145-1600 , 179-242.

مصطفى أربيب

**أَقْلأَن واسيف** (أعلى الوادي) ← **درعة**

**أَقَـنْـسو** ← **إسين**

**إِفْـنِـي**، ـ جغرافيا ـ مدينة تقع جنوب أگدير على الساحل الأطلنتي، وتعرف أيضا باسم سيدي افني نسبة إلى دفينها الولي الصالح سيدي علي افني. تنتمي إداريا إلى إقليم تزنيت، ترتبط بمدينتي گلميم في الجنوب الشرقي وتزنيت في الشمال ـ الشرقي بطريقين ثانويين.

هذه المدينة الحديثة تم تشييدها حول مصب أحد أودية الأطلس الصغير الغربي الموسمية وهو أَسِفْ ـ ن ـ افْني الذي يقطع هضبة ساحلية مستوية عبارة عن شريط ضيق لا يتجاوز متوسط عرضه 1000 م، ينحصر عند ارتفاع متوسطه 50 م بين الجرف الساحلي وجبال بولعلام وبيگرس. ويتميز ساحل إفني بكونه من نوع السواحل البنيوية الأصلية، تخطيطه مستقيم يعطي أجرافا صخرية تحادي هضبة قارية ذات عمل ضعيف أقل من 50 م وتواجه عبابا عنيفا في أغلب الأوقات. وهذا الوضع لا يسمح بتراكم الرمال إلا عند مصب الوادي المذكور الذي يشكل وضعا محميا يوفر شاطئا ضيقا.

تتمتع إفني بخصائص ومظاهر حضرية متميزة داخل المغرب تجعل منها "مدينة ثكنة"، وهذا لا يمكن تفسيره إلا بظروف نشأتها وتطورها التي ارتبطت بدخول الاستعمار الإسباني إلى منطقة أيت باعمران سنة 1934. ذلك أنه نظرا لموقعها الاستراتيجي الذي سمح بالإنزال البحري ويوفر أرضا مستوية صالحة لإقامة مدرج للطائرات، تم التخطيط لها لتكون قاعدة عسكرية تمكن من مراقبة قبائل أيت باعمران والمستعمرات الإسبانية الأخرى بأفريقيا الغربية والطريق المؤدية إليها. وهكذا تم الشروع في بناء المدينة التي اكتمل نسيجها سنة 1949 وأخذت وظيفة وتشكيلا حضريا يعبران عن هواجس المخطط العسكرية لم تستطع مدينتنا التخلص منها رغم عودتها إلى الوطن الأم منذ سنة 1969 وعلى الرغم من كون المستعمر لم يعمر بها طويلا.

قبل الاستقلال : خلال هذه الفترة اتخذت المدينة وظيفة عسكرية تتمثل في عدد الثكنات المتوفرة بها، وفي المساحة الهائلة والتوزيع المحكم الذي تحتله داخل النسيج الحضري. وفي غياب المعلومات الكافية، يبدو من خلال ضخامة الثكنات أن عدد أفراد الحامية العسكرية الإسبانية كان كبيرا.

انطلاقا من سنة 1947 بدأت مدينة إفني تشغل وظيفة سياسية وإدارية إذ أنها اعلنت عاصمة "لحكومة أفريقيا الشمالية الإسبانية" التي تضم مستعمرة أيت باعمران ومستعمرة الصحراء المغربية فأصبحت تكون مقرا للحاكم العام. لكن هذه الوظيفة لم تدم طويلا إذ تحولت المدينة على إثر تدخل جيش التحرير المغربي واسترجاعه لأراضي قبائل أيت باعمران سنة 1957، إلى ثكنة عسكرية حقيقية لا تدافع إلا عن نفسها. وقد أظهر هذا الأمر أن مدينة إفني لم تستطع أن تتقلد غير الوظيفة التي نشأت من أجلها وهي الوظيفة العسكرية إضافة إلى ما ارتبط بها من أنشطة تجارية وفلاحية محدودة يزاولها فلاحون صغار على طول أسيف ـ ن ـ إفني وأما البحر الذي يوفر ثورة سمكية هائلة فإن إفني لم تتمكن من الاستفادة منه بسبب غياب التجهيزات اللازمة فبقي حكرا على صيادي جزر كناريا.

إن إفني التي يمكن حصر عدد سكانها عند الفترة الأخيرة من مرحلة الاستعمار في حدود 26000 نسمة، 50 ٪ منها عن الجيش و 30 ٪ منها من المغاربة، كانت مدينة منقطعة عن الأراضي المغربية المحيطة بها وهي بذلك تشكل مدينة اصطناعية، أنشأت صدفة، تدعم ميزانيتها الدولة الإسبانية بنسبة 80 ٪.

بعد الاستقلال : عند مطلع سنة 1969 تخلت إسبانيا عن مصالحها الاستعمارية بمنطقة إفني (Santa Cruz de mar pequena) فعادت المدينة إلى الوطن الأم ورحلت عنها الحامية العسكرية الإسبانية وهجرتها الجالية الأوروبية، فانخفض عدد سكان المدينة بشكل مفاجئ إذ بلغ فقط حسب إحصاء 1971 حوالي 650 نسمة. وظهر منذ الوهلة الأولى مشكل إعادة هيكلة المدينة ودمجها في الاقتصاد والتراب الوطنيين. وهكذا اتخذت تدابير عاجلة تمثلت في إعفاء ضريبي لمدة 5 سنوات و تزويد البلدية ببعض الإعانات المالية و إعطاء بعض الامتيازات للسكان الأصليين، كما تم إعلان مدينة إفني جماعة حضرية وعاصمة إدارية لقبائل أهل الساحل وأيت باعمران التي كانت تابعة في السابق لمدينة گلميم. وفي نفس الوقت تم العمل على وضع مخطط للتنمية انطلق من الرصيد العقاري المهم والتجهيزات الأساسية العصرية المتوفرين : الثكنات العسكرية التي تحتل مساحة مهمة داخل النسيج الحضري : مستشفى، 3 مستوصفات، 4 مدارس، مدرج للطائرات، مرسى صغير عبارة عن منصة حديدية داخل البحر تربطها باليابسة ناقلات محمولة، إضافة إلى تجهيزات ترفيهية مختلفة... وقد تم العمل أيضا على فك الحصار الذي كان مضروبا على المدينة، فتم ربطها بتزنيت وگلميم بواسطة طريقين ثانويين. إضافة إلى هذا تم توسيع قطاع التعليم عن طريق خلق مؤسسات ثانوية، وظهرت محاولة لانعاش السوق العقارية فأنجزت بعض التجزئات السكنية... لكن هذه التدابير لم تكن كافية لخلق النشاط الاقتصادي المتوخى، كما أنها لم تمكن من دمج المدينة بصفة كلية في المجال الوطني. لذلك سجلت مدينة إفني نموا ديموغرافيا ضعيفا لا تتعدى نسبته 1,56 ٪ في السنة. بحيث انتقل عدد السكان خلال 11 سنة (1982) من 13560 نسمة إلى 12600 فقط. ويعزى هذا الوضع إلى كون المدينة بقيت بعيدة عن محور العبور إلى الصحراء المغربية كما أنها لم تستقبل أي مشروع يمكنه أن يكون محركا حقيقيا للتنمية وإن كان قد شرع مؤخرا في بناء ميناء جديد من أجل استغلال الثروة السمكية المذكورة وتم في نفس الوقت التفكير في خلق وحدات صناعية ترتبط بهذا المشروع.

أصبحت إفني منذ 1971 تشكل العاصمة الإدارية لقبائل أيت باعمران بعدما انتزعت من يد الاستعمار الإسباني. هذه القبائل هي : الخمس، صبويا، امستتن، أيت بويكر، وأيت عبد الله. تتوزع إداريا إلى 4 جماعات قروية هي : اثنين أملو، ثلاثاء صبويا، أربعاء مستي، وخميس تويفزة. تنحصر بين قبائل أيت لحسن وأولاد بوعيطة من جهة الجنوب الأخصاص من الشرق وأيت برييم وأهل الساحل من الجهة الشمالية.

المجال الذي تستوطنه هذه المجموعة البشرية يتوافق من الناحية الطبيعية مع الوحدة الجغرافية المعروفة باسم كتلة إفني التي تشكل النهاية الغربية للأطلس الصغير الغربي.

وهي عبارة عن منطقة ذات مشهد تضاريسي جبلي وارتفاعات متوسطة (جبل فوكو 1250 م) تتخلله منخفضات داخلية ضيقة مثل منخفض تگراگرا، ومنخفض مستي، وتحاذيه على طول الساحل الأطلنتي هضبة ضيقة ومستوية تشرف على البحر بجرف واضح، وتقطعها مجموعة من الأودية، إضافة إلى هذه التضاريس الجبلية الوعرة تتميز المنطقة بمناخ جاف يرتبط بندرة التساقطات (إفني مثلا 147 مم / سنة) ويتركزها في عدد قليل من أيام السنة. ولعل هذه الظروف الصعبة هي المسؤولة عن فقر التربة وندرة المياه، وهي التي تفسر قدم وأهمية الهجرة الداخلية والدولية التي تضم أبناء المنطقة داخل المغرب.

إن الاستراتيجية العسكرية التي حددت شروط ظهور إفني نجدها تطبع المدينة وتحدد تصميمها ومرفلوجيتها، ذلك أن أسيف - ن - إفني الذي يشكل مجالا مغروسا داخل النسيج الحضري يفصل المدينة إلى شطر جنوبي وشطر شمالي جاء ليفك التكدس الذي يعرفه الشطر الأول.

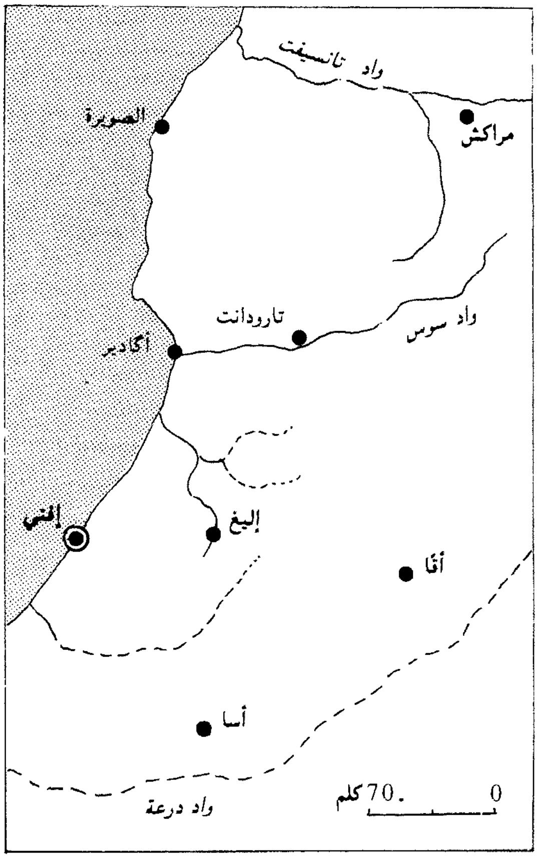


**إفني**

يمتد الشطر الجنوبي من المدينة على مساحة مستوية مهمة يشغل منها المطار والثكنات العسكرية الملحقة به أكثر من 3/4 مجموع مساحة المدينة، وبذلك فإن هذا المطار لم يترك بينه وبين الوادي إلا مجالا ضيقا ووعرا تخترقع مجموعة من الشعاب الضيقة بنيت فوقه الأحياء المختلفة المكونة للنسيج الحضري هذه الأحياء تخضع في توزيعها

لنوع من الترتيب بين البحر والجبل حسب مدى صلاحية الأرض للبناء. وهكذا فإن الحي الإداري شيد على موضع يشرف على البحر مباشرة، وخلفه تستقر الأحياء السكنية العصرية والحي التجاري، ثم نجد الأحياء السكنية التقليدية المتصلة بالجبل مثل حي "برابر" أو المشيدة عنه الشعاب المذكورة مثل "درب الكوز".

إن هذا الشطر الجنوبي من المدينة يضم الأنشطة المتوفرة كما أنه يضم كل التجهيزات الأساسية مثل المطار والميناء.

أما الشطر الشمالي فإنه يحتوي على حي عسكري عبارة عن ثكنة منعزلة تشرف على البحر شيدت على مساحة واسعة تتجاوز مساحة ثكنات الشطر الجنوبي إضافة إلى هذا يتكون هذا الشطر من حي سكني عصري يسمى حي للامريم (حي كلومينا سابقا) يفصله عن الثكنة مجال واسع وفارغ يجعل هذا الشطر مؤهلا لاحتضان مشاريع توسيع المدينة في المستقبل. ونظرا لتركز كل الأنشطة بالشطر الجنوبي من المدينة فإن سكان الشطر الشمالي يتحتم عليهم التنقل باستمرار إلى هناك الأمر الذي دعا إلى ربط الشطرين بالحافلة.

يبدو إذن أن إفني مدينة نشأت صدفة، فقدت ديناميتها فجأة بعدما تمت إزالة أسباب ظهورها التي كانت عابرة، فوجدت نفسها بعد جلاء الاستعمار عنها أمام عوائق كبرى تحول دون إعادة تنشيطها رغم تعدد مجالات دمجها وربطها بباقي أجزاء التراب الوطني ولعل أهم هذه العوائق يكمن في عزلتها وفي ندرة المياه بها و بالمجال المحيط بها.

P. De Cenival et Al, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale de l'Afrique*, Hesp., T XXI, Fasc. 1 et 2, pp 19 - 66 ; P. Oliva (1971), *Note sur Ifni*, R.G.M, Nº 19, pp 85 - 96 ; S. Heraute (1934), *Les conditions de l'occupation espagnole à Ifni*, A. F., Juin 1934, pp 338 - 341 ; F. Hernandez - Pacheco (1958), *Caractéricas generales geografico - geologicas del territorio de Ifni*, Archivos del instituto de Estudio Africanos, año X, Nº 45.

الحسن الحداد

**إفني**، ـ تاريخ ـ في سنة 1475 كان الإسباني دييگو گارسيا هيريرا Diego Garcia Herrera يبحث عن نقطة ارتكاز بالشاطئ المغربي المقابل للجزر الخالدات ليتخذها محطة صيد بحري ومركز متاجرة مع المغرب، وتمكن ـ في ساعة غفلة ـ من احتلال قلعة مغربية سماها : الصليب المقدس للبحر الصغير. Santa Cruz de mar pequena وهو موقع لم يعرف بالضبط، ولا وجود له بالخرائط الجغرافية المعتمدة. وعلى الرغم من ذلك، ظلت الحكومات الإسبانية تطالب به في كل مناسبة، لكن دون جدوى، إلى أن تمكنت بتواطئ مع الحكومة الفرنسية من احتلال منطقة إفني في أبريل 1934، ونشر الإسبان حمايتهم على المنطقة، وبدون سابق إنذار أو أية استشارة ألغوا الحماية وجعلوها منطقة سيادة Sobernia إسبانية، وكيفما كان الحال، فإدارتها كانت خاضعة لسلطات تطوان مقر خليفة جلالة السلطان.

ويجدر بالملاحظة أن إسبانيا لم تتمكن من احتلال كل المنطقة التي كانت تطالب بها في المعاهدات، معاهدة حرب تطوان، والمعاهدة الودية مع أنجلترا 1904، ومعاهدة الحماية مع فرنسا 1912 بل ظلت منطقة هامة في أقصى الشمال وفي أقصى الجنوب الشرقي، غير خاضعة للسلطة الإسبانية.

كان من المنتظر استعادة إفني إلى حظيرة الوطن، بعد اعتراف إسبانيا باستقلال المغرب (أبريل 1956) ولكن حكومتها في معاهدة مدريد المبرمة في ذلك الشهر، أبت ذلك، فاندلعت ثورة في نوفمبر 1957 أسفرت عن استرجاع المغرب للمنطقة في ثلاثين من يونيو 1969.

ع. العمراني، *اقتصاديات المغرب* (مخطوط).

Alcaraz, J. Cabello ; *Apuntes de Geog. de Marruecos*. Tetuan, 1950 - 51, La Fuente ; A. Domenech, *Del Territorio de Ifni*, Madrid, 1946.

عبد الله العمراني

**إفني**، اسم لأحد أولياء أيت باعمران، الذين كان ترابهم ممتدا بين خطي عرض "3 '54 °28 و"10 '38 °29 ش. محاذيا للمحيط الأطلسي على مسافة 65 كلم. كانت الدولة الإسبانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تعتبر أن إفني هو سانتاكروز دي ماربيكنيا الذي كان الإسبان يعرفون به مركزا تجاريا كان قد تم لهم احتكار التبادل التجاري به بين 1476 / 1524. غير أن هذا التأويل كان من جملة دواعي الخلاف بين الدولة الإسبانية والدولة المغربية، في تنفيذ البند الثامن من المعاهدة التي فرضت على المغرب سنة 1860، والذي كان يخول لإسبانيا امتيازات سانتاكروز.

في سنة 1912 اعترفت فرنسا بما تدعيه إسبانيا من حقوق في منطقة أيت باعمران، غير أن الاحتلال الفعلي لم يتم إلا في أبريل سنة 1934، حيث تمكن الجنرال كاپّاس من إنزال جيشه بمرسى سيدي إفني، بمقتضى اتفاقية أبرمها مع بعض أعيان المنطقة.

وابتداء من سنة 1934 غدا اسم سيدي إفني ينسحب إداريا على أرض أيت باعمران، التي هي ممتدة على مساحة تقارب 1500 كلم 2. كانت هذه المساحة موزعة بين سبع قبائل مستقرة، تضبط مختلف جوانب حياتها أوفاق عرفية. وينظم علاقتها بالسلطات الإسبانية الاتفاقية المبرمة سنة 1935. كان إنتاجها الفلاحي يعاني من حدة الجفاف وضعف المساحة الصالحة للزراعة، ومن تم كان اللجوء إلى أساليب من شأنها ضمان محصول سنوي كاعتماد تكامل زراعة الحبوب وغرس الأشجار، وتربية النحل والماشية.

منذ 1935 أخذت معالم مدينة ذات طابع إسباني تتبلور في أرض منخفضة تنحصر بين الساحل والجبل، كان من أهم معلماتها ضريح سيدي إفني الذي أصبح يميز هذه المدينة الناشئة. أسس بها ميناء لَأحْكَامْ يربطها بكل من جزر

كناري وإسبانيا والقسم الشمالي من المغرب. نظرا لضعف الإمكانيات الاقتصادية للمنطقة ظلت وظيفة مدينة إفني منحصرة في الحفاظ على استمرار الحكم الإسباني بأيت باعمران.

إذا كان الاحتلال الإسباني لم يحدث تغييرا واضحا على مستوى الانتاج الاقتصادي، فإن تأسيس الميناء جعل المنطقة أكثر انفتاحا على إسبانيا وجزر كناري والقسم الشمالي من المغرب، وكانت تربطها بخليفة السلطان الذي كان مقيما به تبعية اسمية. هذا الارتباط الوثيق بالقسم الشمالي، مكن أعيان أيت باعمران سنة 1947 من الوعي بمرامي مشروع التجنيس، الذي كان يهدف إلى تغيير الوضعية القانونية لسكان المنطقة. وهكذا عقد أعيان أيت باعمران - بمن فيهم المثلون الرسميون - اجتماعا بمدينة إفني، أعلنوا على إثره رفضهم لسياسة التجنيس التي كان الحكم الإسباني بصدد تنفيذها.

لم تغير سياسة القمع من موقف الباعمرانيين حيال الحكم الإسباني. لقد تأجج رفضهم للحكم الإسباني من خلال ملتمس، قدمه وفد باعمراني إلى الملك محمد الخامس في يونيو 1957، يحث على استرجاع الحكومة المغربية لما بيد إسبانيا من سلط بالإقليم.

وفي نونبر 1957 حوصرت إفني من جميع الجهات، بعد أن استولى جيش التحرير على جميع المراكز التي كانت محتلة من قبل الجيش الإسباني. وتمثل رد فعل الحكم الإسباني في المواجهة المسلحة وفي تغيير التنظيم الإداري عبر فصل منطقة إفني عن الأقاليم التي كانت منضوية تحت اسم الصحراء المغربية.

ومنذ 1965 أخذت المساعي الدبلوماسية للحكومة المغربية تؤتي ثمارها، كما يستفاد من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي دعا الحكومة الإسبانية إلى الإسراع بتصفية قضية إفْني. وقد نتج عن تنوع الضغوط وتواليها، إبرام اتفاقية مغربية - إسبانية في يناير 1969 تنظم عودة المنطقة إلى حوزة المملكة المغربية.

ع، المحمدي، *المجتمع الباعمراني*، ر د د. ع، كلية الاداب، الرباط.

P. De Cenival et F. De la Chapelle, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale de l'Afrique*, Hesp. vol XX - XXI, 1935, p. 68 ; T. G. Figueras, *Santa Cruz de mar pequena, Ifni, Sahara*, 1941 ; R. Pelissier, *Les Territoires espagnoles d'Afrique*, 1963.

علي المحمدي

**أفُورَارْ**، ترجع التسمية في الأصل إلى كلمة (تافورارت) أي الأرض القاحلة والجرداء، وهي التي أصبحت تشكل منطقة الحزام السقوية العصرية الممتدة من بني عياط الى تيموليلت والتي ارتبط تاريخ ظهورها مع الشروع في بناء سد بين الويدان والقناة الباطنية من سد أيت وعرضة الى دوار الثلاث ابتداء من سنة 1948 إلى 1953.

أصل السكان : يرجع سكان مدينة أفورار إلى قبائل أيت بوزيد وأيت الغم وتنقسم هذه القبائل إلى 3 أقسام : أيت الغم الجبلية وأيت اسعيد وأيت اعزة (أيت عمو، أيت اشعيب، أيت الفتاك).

وقد نزحت أغلبية هذه القبائل من بين الويدان ومن الجبال الواقعة مابين بين الويدان وأفورار.

وتنتمي هذه القبائل كلها لايت بوزيد، أما قبائل أيت عطا فهم سكان واويزغت، ومعظم سكان المركز هم من قدماء المحاربين، والموظفين.

وقد عرفت أفورار هجرة بنى اعياط، ذلك ان هذه الأخيرة تفتقر الى التجهيزات التي من شأنها ان تتحكم في استقرار السكان.

الموقع وبعض المعطيات الطبيعية : ينتمي مركز أفورار إداريا إلى دائرة واويزغت التابعة لإقليم أزيلال، وتقع على الطريق الثانوية رقم 524 الرابطة مابين طريق فاس مراكش وأزيلال مرورا ببين الويدان. كما تخترقه طريق ثلاثية تربط مابين أفورار وتيموليلت والمؤدية إلى واويزغت.

تقع أفورار على دير أطلس بني ملال الذي ينتمي بدوره للأطلس الكبير الأوسط بحكم الطيات المتراكبة التي يتميز بها هذا الجزء من الأطلس دون باقيه (الأطلس المتوسط) الصخور السائدة هي الكلس والدولوميت المنتميان للجوراسي الأسفل (اللياس)

فالجماعة يطغى عليها الطابع الجبلي، الذي تشرف بواسطته على سهل تادلا الفسيح.

يميل المناخ إلى الجفاف، والحرارة تكون مرتفعة خلال فصل الصيف تتعدى أحيانا 40 درجة بينما تنخفض في فصل الشتاء إلى 12 درجة، أما الغطاء النباتي فهو عبارة عن أحراش متدهورة، تتكون خاصة من بعض شجيرات العرعار وكومات الدوم والزقوم التي تستخدم في رعي النحل سواء المحري منه أو الذي يتم نقله إلى المنطقة بطريقة حديثة، اي في صناديق خاصة من المناطق المجاورة كسهول تادلا وبني عمير.

إن كون منطقة أفورار منطقة جبلية لايعني أنها مكسورة بالغابة، فالغابة لا تضم سوى أنواع محدودة من الأشجار كالعرعر في الدرجة الأولي ويليه البلوط الأخضر والخروب، أما باقي المنطقة فهي تعرف تدهورا للأشجار لعدة أسباب نذكر منها الاستغلال البشري المكثف في جلب مواد تسقيف البيوت، وصنع الفحم الخشبي وفي استغلالها كمراع.

- السكان : ظهور هذا المركز رهين بسد بين الويدان والقناة الباطنية، لذا فإن عدد السكان به كان ضعيفا، ولكن في السنوات الأخيرة عرف تزايدا ملحوظا بفعل الهجرات المتوافدة إليه، ارتباطا بالتجهيزات الاجتماعية الضرورية التي أصبح يتمتع بها.

إذا كان عدد السكان لايتعدى 1562 نسمة عام 1971، فقد أصبح يعادل 5018 سنة 1982. إن المدينة تتخذ شكلا نصف دائري وتتوفر على تصميم التهيئة سنة 1982 وتتنوع فيه الوحدات الحضرية علي أحياء المكتب الوطني للكهرباء وفي القشلة والدوار الجديد وأفورار المركز.

إن المركز يتوفر على بعض التجهيزات الجماعية الأساسية والمرافق العمومية الضرورية. كما أنه يستفيد من وجود قناتين للري : الأولى في اتجاه بني عمير والثانية في اتجاه بني موسى.

- الأنشطة الاقتصادية المحلية : إن النشاط السائد هو التجارة المتمثلة في عدد كبير من الدكاكين والسوق الاسبوعي. كما تعرف المنطقة نشاطا أساسيا يتجلى في تربية النحل لإنتاج عسل صباريات الزقوم، وتربية الطيور الداجنة بالإضافة إلى تربية المواشي التي يطغى عليها الماعز بحكم الطابع الجبلي. وتجدر الإشارة إلى أنه يقام سنويا بالمركز موسم الولي الصالح مولاي عبد الله.

لقد شهد مركز أفورار خلال السنوات الأخيرة تطورا عمرانيا ونموا ديموغرافيا بسبب توفر التجهيزات التحتية الأساسية من إنارة و قنوات الواد الحار والماء الصالح للشرب، وكذا لتوفر عدد من المصالح الاقتصادية والإدارية.

*تحريات ميدانية*

عبد الرحيم بنعلي

**أَفُوسْ**، أو"إيفس" أو " فُوسْ " جمعه إفاسْنْ يدل في كل مكان من المناطق البربرية على اليد بكاملها. على غرار اللغات الأخرى، تشير اليد في الأمازيغية أصلا، إلى كل الأماكن التي تُؤخذ أو تمسك منها أو بها الأشياء، كما نجد مثلا في «يد الابريق...» أو إلى بعض أجزاء الأدوات والأواني التي تصلح للقبض، وتستعمل لفظة اليد (أفوس) كذلك للدلالة على كم اللباس، وتدل على صعيد المجردات أو المجازات على معنى الهبة أو العطاء والقدرة والاستعداد أو التأهب وإلى السلطة .

ويمكننا أن نقول مع شاكر (*Encycl. berb.*, 225) إن استعمال هذه القدرات الطبيعية والخارقة لليد (أفوس) يتطلب أحيانا «تشجيعا» «ومكافأة» أو «إكرامية» حيث نجد لدى القبايل وبسوس جملة : «تيسنْتْ أوفُوس» تشير إلى معنى تلك الإكرامية أو المكافأةَ التي تُعطى للحصول على توسط أو تدخل أو شفاعة من طرف صاحب سلطة روحية، ويمكننا أن نقف في هذا الصدد على مجموعة من الدلالات الرمزية تتمحور كلها حول المساعدة والتعاون المشترك والمتبادل والتضامن والوحدة .

إن كل هذه القيم والمفاهيم الرمزية المتعلقة بمعنى التآزر والتضامن، مستقاة، على ما يبدو، من صورة اليد المفتوحة التي رُبطت بها كل الأصابع الخمسة.

أَفُوس كبنية ووظيفة سوسيو سياسية وإدارية : تشير لفظة "أفوس" كما رأينا، إلى حد الآن، لدى تجمعات الطوارگ وغيرهم إلى التضامن والتماسك الاجتماعيين ؛ وهي من السمات المنظمة للمجتمع الجماعوي الأمازيغي والافريقي اجتماعيا وسياسيا وثقافيا. ومما لاشك فيه أن هذا التنظيم للمجموعات البشرية داخل القبيلة، تستلزمه ظروف دفاعية وأمنية ووقائية ضد كل مخاطر كثيرا ما تأتي من الخارج. إن التضامن والتآزر - هنا - يستدعي الكلام، جدليا، عن نقيضها أي التفكك أو الانشطار الذي يؤدي، من جهة أخرى، إلى تشكيل انصهارات جديدة لمجموعات قبلية داخل أخرى، لأننا، والقانون العام هنا هو الاحتماء بالجماعة، لازلنا في مجتمع شبه ترحالي في غالبيته لم يعرف الاستقرار إلا مع نهاية فترة التهدئة القبلية الرسمية في المغرب (1934). إن التضامنات والأحلاف بين القبائل يعني في حد ذاته وجود صراعات بين الاحلاف القبلية الموجودة في الميدان. وذلك ما يفسره ابن خلدون من خلال دينامية العصبية القبلية ؛ مازلنا نجد له أصداء في الطروحات الانقسامية بلغة أخرى .

إن لفظة «أفوس» إذن مرتبطة بجدلية الانشطار fission والانصهار fusion، أي بمحاولات السلطة المركزية لتحقيق توازنات قبلية تمكنها من تحقيق ذلك التوحيد الإسلامي في وحدة الرعايا المسلمين، باسم الاندماجية والاحتواء المخزني، في وقت أصبح فيه جسم المغرب مهددا بالتصدعات التي تحرضها وتحفزها القوى الامبريالية والكولونيالية بالتعامل المباشر مع زعامات محلية قبلة هوامشية [بالحدود] متجاوزة بذلك المؤسسة المخزنية التي تسعى كل هذه المناوشات الخارجية بالإسراع بإنهاكها وإضعافها، مرحليا، لكي تمهد بذلك لاحتلال فعلي للبلاد، كما طرأ فعلا بصفة ملحوظة خلال عهد الاستعمار.

ويدل "أفوس" من جهة أخرى على صيغة تعكس سعي المخزن لتنظيم المجموعات القبلية تنظيمًا جبائيا، وذلك ما يبدو واضحا من خلال فكرة أوردها روبير مونطاني (*البربر والمخزن*. ص. 155) : "إن اتحادية Confédération حاحا نفسها مكونة من 12 قبيلة، ولاتزال خصوصا بالمنطقة الأقل عرضة للتغير بواسطة هيمنة المخزن، محتفظة بتقسيمات داخلية صغيرة (...) فكل قبيلة، مقسمة، فعلا، إلى أخماس Khoms، لها رقعتها الخاصة، تمتد على 50 كلم2 تقريبًا، وسكان يناهزون في جملتهم 500 إلى 600 كانونًا feux مجمعة في عدة "جماعات" وفي الحقيقة، إن شمال نفس البلاد، كما لاحظ ذلك ادموند دوتي (يحتوي كذلك على أخماس)، وكل خمس ليس فقط إلا تقسيما إداريا، يمكننا أن ندرك، لأول نظرة، بأنه مؤسس من طرف المخزن لغرض وحيد هو الاستفادة من الضرائب والمساعدات. لكن تجب الإشارة هنا من جانبنا إلى أن التقسيم الخماسي لايهدف فقط إلى هدف وحيد هو كما لاحظ "دوتي" جمع الضرائب. إن له جوانب وغايات مختلفة سنقتصر فيما بعد على ذكر أهمها. إن الخمس أو "أفوس" إذن يؤكد لنا حضور المخزن بالقبائل التي شملها ذلك التقسيم الإداري الذي هو في الحقيقة تقسيم يفيد من الناحية الجبائية والعسكرية كذلك، ما دامت بعض القبائل تُمد السلطة المركزية بالجند عندما تستدعي ظروف تهيئ الحركة ذلك. ولقد كان القياد وهو الممثلون المخزنيون محليا بالقبائل مسئولين دائما عن هاتين المهمتين، كما تؤكد ذلك جل المراسلات المتبادلة بينهم وبين السلاطين المغاربة.

. إن التقسيم الإداري/الجبائي للقبائل يتم من طرف السلطة المركزية وفق اعتماد أسس ومعايير تتدخل فيها المحددات الجغرافية والبيئية والسكانية والاقتصادية؛ وذلك مايفسر تقسيم بعض المجموعات القبلية إلى "إفاسن" (أخماس) وأخرى إلى أرباع. والملاحظ أن بعض قبائل الريف (أيت ورياغل) والجنوب مقسمة إلى أخماس وخاصة "أيت عطا" الذين كانوا إلى حدود نهاية القرن التاسع عشر أقوى وحدة قبيلية مغربية.

إن بعض المجموعات القبلية البربرية، خصوصا بمنطقة سوس، تعطي لكلمة "أفوس" معنى جد تقني في مجال التنظيم الاجتماعي والسياسي. وتدل لفظة "أفوس" على تضامن خمس عشائر أو إخصان (Jordan 1934, p. 16 et E. Laoust 1921, p. 240). كما أن "تاوسيت" أو "تيدكلت" paume de la main تشير، عند الطوارگ إلى مفهوم القبيلة، أي إلى تجمع عشائري (إخصان) (De Foucauld, 3 : 1953).

ولاشك أن "أفوس" يدل أحيانا على مفهوم القبيلة في بعض القبائل التي عرفت تقسيما أو تنظيما خماسيا إداريا، كما رأينا بصدد أيت عطا (G. Spillmann 1936) أيت وارياغل (D. M. Hart. 1967) وحاحا.(Ed. Doutté 1904)... لكنه الأداة المسهلة لضبط المجموعات السكانية داخل القبائل والتحكم فيها من جهة، وهي كذلك الطريقة التي تنسجم مع التقسيمات الجبائية والواجبات الدفاعية والعسكرية التي تلتزم بها بعض القبائل إزاء السلطة المركزية مقابل حفاظ المخزن على أمنها والدفاع عن كل المخاطر الخارجية التي تهدد مصالحها ووجودها.

S. Chaker, *Afus*, in *Encycl. Berbère*, t. 2, 224 - 226; J. Couleau, *La Paysannerie marocaine*, 26 - 27, Paris 1968; Ch. de Foucauld, *Reconnaissance* ; R.Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, 155 ; D.M. Hart, *Segmentary systems*, R.O.M.M , 1967, 1,3, p 65 - 95.

محمد الكَير

**أُفُوغَال**، قد يرد مؤنثا كما في تافُوغالْت التي بجبل بني إزْنَاسَنْ بالمغرب الشرقي أو في صيغة الجمع : إفوغالْنْ، كما في حالة إحدى قرى وادي أغبار أحد روافد وادي نفيس. ومعنى أفوغال : الموضع العالي الذي يكون الإشراف منه على بسيط ممتد وأفق واسع. أما أفُوغَالْ الذي دفُن فيه الشيخ أبو عبد الله مَحمد بن سليمان الجزولي ثم السلطان أبو عبد الله القائم السعدي قبل نقلهما إلى مراكش، فكان معدودا من أرض حاحا وصار اليوم من أرض الشياظمة في أرض فرقة أيت دْرَامنهم وذلك على مقربة من قرية تانكرت المعروفة على مسافة خمسة وثلاثين كلم من مدينة الصويرة.

E. Laoust, *Contribution*, 135. Drague, *Esquisse*, 51.

أحمد التوفيق

**أَفُوقَاي**، أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي، وأفوقاي تحريف عجمي لـ " أبو القاسم" لأن الاندلسيين يكنُّون من اسمه بأبي القاسم. ويلقب أفوقاي ببيخارانو" Bejarano" وهو موريسكي ولد بقرية الحجر الأحمر من ضاحية غرناطة حوالي عام 978 / 1570، نشأ بإشبيلية مسلماً في الباطن مسيحيا في الظاهر. تعلّم ماتيسر من القرآن واللغة العربية والشريعة الاسلامية من أفراد أسرته. كما أتقن الإسبانية والبرتغالية، وعرف الإنجيل والديانة المسيحية، والتوراة واليهودية. وإلى ذلك كان أفوقاي عالماً بالتنجيم والفلك والجغرافيا. وقد كتب لنفسه ترجمة مفصلة في كتابه المطوّل *رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب* الذي يعد اليوم ضائعاً باستثناء نقول منه في بعض الكتب المغربية، وفي مختصره *ناصر الدين على القوم الكافرين* الذي نشر أخيراً. وفي خاتمة كتاب *العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع* الذي نقله من الإسبانية إلى العربية. تحدث عن نفسه منذ كان في الأندلس إلى أن خرج منها متنكرا في ربيع عام 1007 / 1599 على ظهر سفينة تحمل المؤن إلى حامية البريجة المحتلة آنذاك (مازيغن أو الجديدة)، منها انتقل إلى أزمور فمراكش حيث انخرط في سلك الكتاب كمترجم ببلاط أحمد المنصور ثم ببلاط زيدان فابنيه عبد الملك والوليد.

زار أفوقاي فرنسا وهولاندا كسفير للسلطان زيدان مطالباً بإنصاف المهاجرين الأندلسين الذين سطا على أموالهم وأمتعتهم البحارون الفرنسيون ورؤساء السفن التي أقلتهم من الشواطئ الإسبانية على إثر قرارالطرد الذي أصدره فيليب الثالث عام 1018 / 1609. وفي هذه الرحلة تعرف أفوقاي على المستشرقين الهولانديين إربَنْيُوس وگوليوس Erpenius et Golius وجرت له معهما ومع غيرهما من علماء أوروبا مناظرات ومكاتبات خلّدت ذكره هناك. وجاء في رسالة باللغة اللاتينية بعث بها إربّينيوس من باريس مؤرخة في 28 شتنبر 1611/ 20 رجب 1020 إلى المستشرق إسحاق كازابون : " ووراء كل ما كنت أتوقع فقد وصل إلى زيارتي تاجر مغربي مسلم اسمه أحمد، وهو رجل متحضر وذكي، وكان قد درس الأدب في شبابه ويتكلم العربية الفصحى بصورة جيدة ولكن متواضعة ... وقد تناقشنا دائما في الدين، وصدّقني فإن بعض "ضلالاتهم" لايمكن دحضها بسهولة كما يتصور كثير من الناس، فهم يمقتون "مسألة ألوهية المسيح". وقد علق جيرار فيجرْز الهولاندي الذي نشر قسماً كبيراً من هذه الرسالة بنصها اللاتيني وترجمها إلى اللغة الانجليزية مبيناً خطأ بعض المستشرقين الذين وصفوا أفوقاي بالتاجر، وإنما هو عالم مسلم غيرت مناقشته آراء إربّينيوس عن الإسلام. ومن المعلوم أن أفوقاي لما زار هولندا أقام في منزل إربنيوس وهو أستاذ كرسي اللغة العربية في جامعة لايدن أنشأ بداره - لعلها نفس الدار التي أقام بها أفوقاي - مطبعة عربية تطورت فيما بعد وأصبحت دار بريل "Brill" الشهيرة حتى الآن. وفيها طبع كتاب "*المقدمة الآجرومية في قواعد اللغة العربية*" باللاتينية الذي ألفه إربينيوس بمساعدة أفوقاي، ووقع إقبال عظيم على هذا الكتاب وطُبع بعد ذلك مراراً في لايدن وباليرمو وباريس وغيرها، وظل يُدْرَس بأوروبا زهاء قرنين.

وفي عام 1046 / 1636، حج أفوقاي وعرج على مصر في طريق عودته الى المغرب، فتعرف على أعلامها، ومنهم شيخ المالكية بالأزهر عليّ الأجهوري الذي أُعجب بمغامراته ومحاوراته للقسيسين الأحبار، وطلب منه أن يسجل ذلك في كتاب، فألف *ناصر الدين* المشار إليه آنفا. ويحيط الغموض بالمرحلة الأخيرة من حياة أفوقاي، ولايعرف عنه إلا أنه أتم ترجمة كتاب *العز والمنافع* بتونس عام 1048 / 1638، ونسخ بخطه كتاب *ناصر الدين* بتونس أيضا عام 1051 / 1041. ثم لاندري سنة وفاته ولا المكان الذي أقبر فيه.

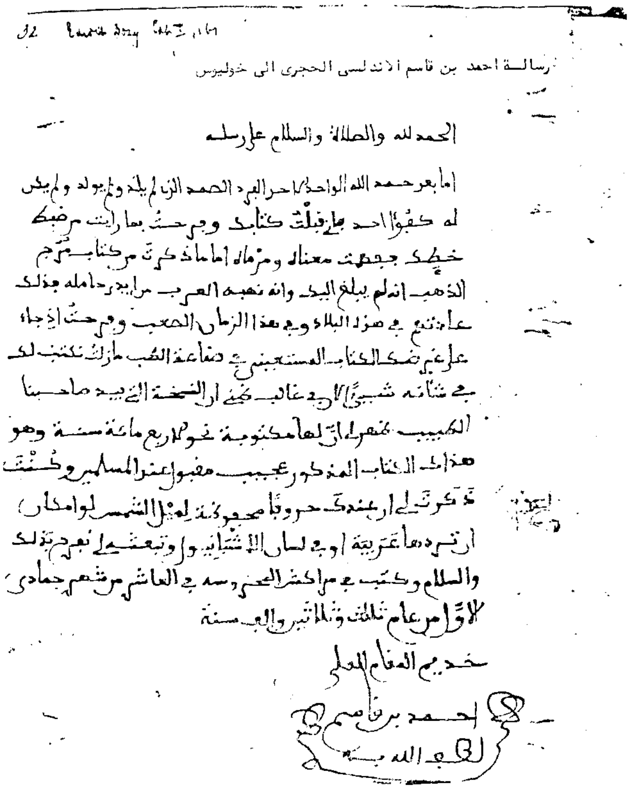
رسالة احمد بن قاسم الاندلسى الحجرى الى خوليوس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسله

خديم المقام العلي

احمد بن قاسم

رسالة أفوقاي بخطه الى گوليوس الهولاندي


أفوقاي، *العز والمنافع*. (مخطوط )؛ *ناصر الدين*، الدار البيضاء 1987 ؛ م. الإفراني، *نزهة* ؛ م العياشي، *أزهار البستان* (مخطوط) ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال* ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام* ج 1 ؛ م الفاسي، *الرحالة المغاربة*، *دعوة الحق*،ع 3. دجنبر 1958 ؛ م. المنوني، *ظاهرة تعريبية*، *دعوة الحق* ،ع 3.1967 ؛ *مناقشة أصول الديانات*، *البحث العلمي*، ع 13. 1968 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية* 2 : 403 ؛ *رحلة أفوقاي إلى هولندا أوائل القرن 17*. (مرقونة) ؛ ق. السامرائي، *معرفة أربينيوس وخوليوس بالعالم المسلم أحمد بن قاسم* (مرقونة).

Levi - Provençal, *Les Historiens des chorfa* ; G. A. Wiegers, *A Learned Muslim, Acuaintance of Erpenius and Golius : Ahmed B. Kasim Al-Andalusi*. (Memoire dactylographié U. Leyde 1988).


محمد حجي

**أفـيْلال**، أسرة تطوانية شريفة يتصل نسبها بالقطب مولاي عبد السلام ابن مشيش دفين جبل العلم بقبيلة بني عروس الجبلية، وأصلها من قرية الجبلية بفرقة الحيط الفوقي من قبيلة جبل حبيب، وأول من سُمي بأفيلال هو الشريف إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أحمد بن علي بن أبي بكر بن محمد بن يوسف بن أحمد بن أحمد بن مولاي عبد السلام ابن مشيش.

وأول شخص من هذه الأسرة استوطن تطوان هو الشريف الهاشمي بن الهاشمي بن محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم أفيلال المذكور. وسبب ذلك هو أن أهل تطوان طلبوا من السلطان مولاي إسماعيل سكنى الشرفاء بها تبركا بآل الرسول - صلى الله عليه وسلم - فانتدب لذلك واحداً من كل فرع من فروع الشرفاء العلميين، فكان الذي خرج فيه سهم من شرفاء أولاد أفيلال هو الهاشمي بن الهاشمي المذكور الذي عاش ما تيسر بتطوان ثم عاد إلى قريته الأصلية بجبل حبيب، وبها توفي سنة 1196 / 1782.

وإلى هذه الأسرة ينتمي عدد غير قليل من علماء تطوان وفقهائها وعدولها وقضاتهاأمثال :

**أفيلال، أحمد** بن المفضل، عالم تطواني ولد بمدينة شفشاون سنة 1276 / 1860 حيث كانت توجد أسرته منذ أن احتلت الجيوش الإسبانية مدينة تطوان، وبعد الجلاء عنها انتقل المترجم له إلى تطوان مع أبيه العالم المفضل أفيلال، فأخذ العلم عن جل شيوخها، ثم ذهب إلى فاس للدراسة بالقروين سنة 1298 / 1881. ولم يعد إلى تطوان إلاَّ سنة 1303 / 1886 حيث زاول خطة العدالة ثم عمل في ديوانة طنجة من سنة 1304 / 1887 إلى سنة 1306 / 1889. وفي السنة التالية عين بديوانة مليلية إلى سنة1310 / 1893 ومن سنة 1311 / 1894 إلى سنة 1313 / 1896 عمل أمينا للصائر بدار اعديل بفاس.

وفي سنة 1358 / 1939 عاد بصفة نهائية إلى تطوان حيث وافته المنية يوم 29 شوال 1367 / 3 سبتمبر 1948. ودفن خارج باب المقابر.

**أفيلال، التهامي** بن محمد. عالم فقيه، ولد بتطوان يوم 12 محرم 1260 / ثاني فبراير 1844. وصفه الفقيه الرهوني بـ "عالم الشرفاء وشريف العلماء قاضي الجماعة بتطوان الذي عمت عدالته الدنيا، والمدرس الأحفل، المشارك النزيه الأكمل، والمفتي المحرر الأنبل".

وبعد أن أتم دراسته تعاطى خطة العدالة من سنة 1285 / 1868 إلى سنة 1298 / 1881، ثم اشتغل بالتدريس بالزاوية الريسونية ابتداء من سنة 1304 / 1887 وفي سنة 1321 / 1903 تولى الإمامة والخطبة بالمسجد الأعظم، كما تولى القضاء بمسقط رأسه من سنة 1313 / 1896 إلى 23 صفر 1327 / 16 مارس 1909، ومن 14 جمادى الثانية 1328 / 23 يونيو 1910 إلى أن وافته المنية في 28 جمادى الأولى 1339 / 7 فبراير 1921. ودفن بزاوية سيدي علي بركة بالسوق الفوقي.

**أفيلال، الحسن** بن المفضل عالم ولد بتطوان عام 1283 / 1866. وبعد أن أخذ عن جل شيوخها ذهب إلى فاس حيث أتم دراسته بالقروين من سنة 1307 / 1890 إلى سنة 1312 / 1894.

وفي سنة 1317 / 1897 عين موظفا بديوانة مليلية، وفي السنة التالية عاد إلى تطوان حيث تعاطى خطة العدالة واشتغل بالتدريس في عدة مساجد وزوايا بالإضافة إلى تولّيه الإمامة والخطبة بالمسجد الأعظم ابتداء من سنة 1317 / 1899. وفي السنة التالية حج بيت الله الحرام.

وفي سنة 1334 / 1916 عين خليفة قاضي تطوان إلى أن عين سنة 1345 / 1926 كاتبا بالصدارة العظمى في الحكومة الخليفية بشمال المغرب، ثم تولى القضاء بمدينة القصر الكبير، وأخيراً كان عضوا في المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي. وكان لازال على قيد الحياة سنة 1358 / 1939.

**أفيلال، عبد الله** بن المفضل. عالم وفقيه، ولد بتطوان سنة 1285 / 1868 وبعد أن أخذ عن شيوخ مدينته توجه إلى فاس حيث تابع دراسته بالقروين من سنة 1310 / 1892 إلى سنة 1316 / 1898. وفي سنة 1318 / 1900 عين موظفا بديوانة الجديدة. وبعد عودته إلى مسقط رأسه تعاطى خطة العدالة إلى أن وافته المنية سنة 1367 / 1948 ودفن بالزاوية الريسونية.

**أفيلال، علي** بن المفضل، فقيه تطواني ولد سنة 1281 / 1864 وبها أخذ العلم عن أشهر علمائها، وكان إماما وخطيبا بالزاوية الريسونية، ويقول عنه الفقيه الرهوني إنه "كان يبكي في الخطبة ويُبكي الحاضرين".

تعاطى خطة العدالة مدة ثم عين موظفا بديوانة مليلية من سنة 1313 / 1895 إلى سنة 1314 / 1896، وحج بيت الله الحرام سنة 1322 / 1904. وقد توفي بتطوان سنة 1362 / 1943 ودفن بالزاوية الريسونية.

**أفيلال، المامون** بن النادي الحسني. وصفه الفقيه عبد السلام سكيرج بـ " العالم الراسخ والشيخ المعتبر المتمسك بالحق والآخذ بالجد والصدق والمشتغل بالعلم والعمل والقاضي الذي أعطى كل ذي حق حقه".

وبعد أخذه عن علماء تطوان وفقهائها توجه إلى فاس حيث التحق بالقروين وقضى بها بضع سنين إلى أن عاد إلى مسقط رأسه سنة 1214 / 1800 حيث تعاطى خطة العدالة إلي أن عين نائبا للقاضي في ربيع الثاني من سنة 1222 / يونيه 1807، فزاول هذه المهمة إلى أن عينه السلطان مولاي سليمان قاضيا في شهر رمضان 1231 / أبريل 1816.

يقول الفقيه أحمد الرهوني : كان المامون أفيلال شديد الشكيمة على الولاة فتضايق منه باشا تطوان القائد عبد الرحمان أشعاش وأوعز الى جماعة من أهل المدينة بتاليف وفد يتوجه الى فاس ليطلب من السلطان عزل القاضي، فكان الأمر كذلك وعزل أفيلال ترضية للباشا. وهذا غير صحيح لأن عزل القاضي أفيلال كان في أ واخر سنة 1236 / 1821 أي في الوقت الذي لم يكن فيه القائد عبد الرحمن أشعاش باشا بتطوان، والغالب علي الظن أن سبب العزل يرجع إلي كون أفيلال كان من علماء تطوان الذين وقّعوا على وثيقة مبايعة الأمير مولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 11236 / 17 مارس 1820.

تقييد بخط القاضي المامون أفيلال

توفي المامون أفيلال بتطوان يوم الاثنين 13 ربيع الثاني 1245 / 12 اكتوبر 1829 وترك *كناشة* تتعلق بأحداث تطوان من سنة 1207 إلى سنة 1221 / 1792 ـ 1806.

**أفيلال، محمد بن التهامي**. عالم وفقيه، ولد بتطوان يوم 21 جمادى الأولى 1301 / 19 مارس 1884، وبها أخذ عن أشهر شيوخها، ثم تابع دراسته بالقروين بفاس من سنة 1322 / 1904 إلى سنة 1329 / 1911. وعند عودته إلى مسقط رأسه تعاطى خطة العدالة والفتوى، واشتغل بالتدريس، وتولى الإمامة والخطبة بالزاوية الريسونية والمسجد الأعظم.

وقد شغل منصب وزير العدل في الحكومة الخليفية بشمال المغرب أثناء عهد الحماية من سنة 1350 / 1932 إلى أن وافته المنية بطنجة يوم 19 صفر 1388 / 18 ماي 1968 ودفن بزاوية سيدي الحاج علي بركة الأندلسي بتطوان.

تراثه لم يُنشر بعدُ منه سوى كتابه المسمى *تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والأعراس*، طبع بتطوان بعد وفاته سنة 1976.

**أفيلال، محمد بن الهاشمي**. عالم تطواني، وصفه الفقيه سكيرج بـ "الفقيه البارع، الكوكب الساطع، والعالم المشارك النحرير، العديم النظير، ذي الفهم الثاقب والإدراك المصيب، والمدرس الخطيب"، كما قال عنه الفقيه

الرهوني بأنه كان ذا خط جميل "مولعا بكتب الفقه ونسخها" ووصفه بونشريسي وقته.

ولد بتطوان عام 1194 / 1780 وبعد دراسته الأولية بها انتقل إلى القرويين بفاس سنة 1225 / 1810 وعاد منها سنة 1230 / 1815 حيث اشتغل بالتدريس والعدالة، وكان ينوب عن قضاة تطوان في الأحكام والفرض للنفقات، كما تولى الإمامة والخطبة بجامع السويقة إلى آخر عمره. وهو أبو العالمين المفضل والتهامي أفيلال. وتوفي بتطوان سنة 1264 / 1848 ودفن خارج باب المقابر.

**أفيلال، المفضل** بن محمد بن الهاشمي. عالم فقيه أديب، قال عنه الفقيه الرهوني "كان في عصره مفضلا على غيره وفائقا له في العلم والحلم والسخاء والرفعة وعلو الهمة والأدب والنظم والنثر والفتوى"، كما وصفه الفقيه داود بـ "العالم والأديب المشارك في مختلف العلوم، وقد امتاز على علماء عصره بتطوان بغزارة إنتاجه وكثرة تقاييده".

ولد بتطوان يوم 6 جمادى الثانية 1239 / 7 فبراير 1824، وبعد أن أخذ العلم بها عن جل شيوخها ذهب إلى فاس في صفر 1260 / مارس 1844 وبسبب مرض أبيه عاد إلى مسقط رأسه في أواخر شعبان 1262 / غشت 1846 حيث تولى الإمامة والخطبة والتدريس بجامع للافريجة بالسويقة مع اشتغاله بالتجارة.

وفي جمادى الأولى 1266 / أبريل 1849 توجه من جديد إلى فاس لمتابعة دراسته بالقرويين، ثم رجع إلى تطوان في شعبان من السنة التالية (يونيو 1851) حيث تولى الإمامة والخطبة بمسجد الزرزيني وتدريس العلوم بمختلف المساجد والزوايا دون أن يترك التجارة لدرجة أنه من أجل ذلك انتقل إلى مدينة وزان في رجب 1270 / أبريل 1854 وكان له بها دكان لبيع الصوف.

وبعد عودته لتطوان في جمادى الثانية 1273 / فبراير 1857 تولى الخطبة والتدريس بالزاوية الريسونية، مع مزاولته خطة العدالة بسماط العدول.

وعند نشوب الحرب الإسبانية المغربية لعام 1276 / 1859 كان يوجد بتطوان فكان من بين السكان الذين أرسلوا عيالهم إلى مدينة شفشاون في ربيع الثاني (نوفمبر). وظل هو بتطوان مع من أراد الدفاع عن مدينته، ولم يغادرها إلا بعد انهزام القوات المغربية في معركة مرتيل ليوم 4 فبراير 1860 حيث التحق بأولاده بشفشاون، وهناك تولى التدريس بجامعها الأعظم.

وفي مدة إقامته بشفشاون قام بعدة رحلات إلى مولاى عبد السلام بن مشيش بجبل العلم، وطنجة، ومنها توجه عن طريق البحر إلى الجديدة ثم إلى مراكش خلال سنة 1277 / 1860.

وفي محرم 1278 / يوليوز 1861 انتقل مع أسرته إلى مدينة القصر الكبير حيث تولى الإمامة والخطبة والتدريس بالمسجد الأعظم. ولم يعد إلى مسقط رأسه مع أسرته إلا بعد أن غادرته قوات الاحتلال الإسبانية في شهر شوال 1278 / ماي 1862، وكانت أول صلاة أقيمت بالمدينة بعد استرجاعها الجمعة التي صلاها صاحب الترجمة بالزاوية الريسونية، هذه الزاوية التي ظل يعمل فيها كإمام وخطيب ومدرس إلى أن وافته المنية.

كان يقوم من حين لآخر برحلات سياحية حيث زار أهم مدن المغرب، وفي سنة 1290 / 1873 حج بيت الله الحرام، وبعد رجوعه وظف بديوانة تطوان دون أن يترك التدريس في المساجد والزوايا، وذلك لكثرة ولوعه به لدرجة أنه لم يكن يترك الدرس ولو في سفر أو نزهة.

ومما يشهد على مكانته المتازة بين علماء تطوان وشرفائها وأعيانها أنه كان من بين الموقعين على بيعة تطوان للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان يوم 12 صفر 1276 / 10 سبتمبر 1859. وعلى بيعة السلطان مولاي الحسن الأول في 3 شعبان 1290 / 26 سبتمبر 1873.

وتوفي بتطوان يوم فاتح رجب 1304 / 12 مارس 1887 ودفن خارج باب المقابر، ويعد من أهم ما تركه من تقاليد *مذكراته الفريدة عن حرب تطوان*، توجد تحت الطبع بتحقيق الأستاذ ابن عزوز حكيم.

م. أفيلال، *مذكرات حول حرب تطوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ ع. سكريج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 163 و 7 : 177 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*، مخطوط.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* 1932 (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espagnol*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**أقاريض** ( = الفلس) قبيلة تقع بأيت صواب على بعد خمسة عشر كلم من تانالت في الطريق الواصل بين تافراوت وأيت باها بالأطلس الصغير يقام بها إلى اليوم سوق الثلاثاء الأسبوعي ؛ وإليها ينسب الفقيهان : محمد بن عبد الله اليحيوي الصوابي الأقاريضي، وأخوه أحمد بن عبد الله الأقاريضي وهما أخوان ضمن أسرة يحيى الأقاريضي (القرن 12 / 18) الذي ينسب إليه أيت يحيى وقد اشتهر بالصلاح والعلم.

**الأقاريضي أحمد** (ت 1365 / 1945) نشأ مع أخيه محمد في نفس المسيرة التعليمية على أنه اختار المشارطة والتعليم بعد ذلك في الموضع المسمى إكيبلن إزاء مشهد محمد بن علي إندوزال ؛ وهو الذي يرجع إليه الفضل وإلى أخيه في تزويد الخزانة الأقاريضية بجزء هام من الخزانة الجشتمية بسبب مصاهرته للأسرة الجشتمية وذلك بعد وفاة الفقيه عمر بن أحمد الجشتمي (*المعسول*، 3 : 335 - 336).

**الأقاريضي محمد** بن عبد الله (ت. حوالي 1352 / 1933) حفظ، القرآن ببلده ثم لازم هو وأخوه أحمد الشيخ داوود الگرسيفي بمدرسة تانالت وغيرهما، كما أخذا عن العلامة أحمد الجشتمي وغيره، ثم شارط سنة 1315 / 1897 في قرية (وتگاديرت وغيرها إلى أن انتقل سنة 1330 / 1911 إلى مدرسة فوگرض بأيت يحيى مسقط رأسه حيث قضى بها بقية عمره ؛ وقد وصف بدماثة الخلق والزهد مع عناية بالمحفوظات وتكرار استظهارها، وأضاف إلى ذلك الاشتغال بالنساخة.

**الأقاريضية** ـ مدرسة ـ بقبيلة أقاريض من أيت صواب. انتقل إلى خزانتها كثير من كتب الخزانة الجشتمية بفضل مؤسسيها الأخوين أحمد ومحمد الأقاريضيين. وقد كانت بنتا أبي العباس الجشتمي تحت يدي الفقيهين الأخوين الاقاريضيين وذلك بعد وفاة عمر المذكور سنة 1349 (*المعسول* 3 : 327) ؛ وكان قد اجتمع في المدرسة الجشتمية من نفائس الكتب بسبب النفوذ الروحي للزاوية على عموم المغرب واتصال أبي العباس بالدولة العلوية حتى إنه قسم هذه الخزانة إلى شطرين أحدهما في وطنه إمي أوكشتيم والآخر في تيبوت بناحية تارودانت (*المعسول* 3 : 326 ـ 327).

يضاف إلى ذلك كله ما نسخه محمد بن عبد الله الأقاريضي ليبرق وهو الذي اشتهر بتعاطي نسخ الكتب.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3 و8 ؛ *سوس العالمة*.

محمد البايك

**الإقامة العامة** ـ بالجنوب ـ نظمت فرنسا "حمايتها" بالمغرب بمقتضى وفق فاس الذي فرضته بتاريخ 30 مارس 1912. نص هذا الوفق على أن تعين الدولة الفرنسوية مندوبا مقيما عاما يكون نائبا عنها لدى جلالة السلطان ومستودعا لتفويضاتها بالمغرب. وقد نص الفصل الخامس من الوفق المذكور على هذا التعيين، ووصفت الفقرة الأولى منه المندوب المقيم العام بكونه الساهر على القيام بإنجاز مقتضيات معاهدة فاس.

ولما كان نظام الحماية قد سلب المغرب سيادته الخارجية بعد عهود زاهرة من التعامل الدبلوماسي الدولي البارز فقد جاء في الفقرة الثانية من نفس الفصل أن المندوب المقيم العام هو الواسطة الوحيد بين جلالة السلطان ونواب الأجانب، والمقيم العام هو مخاطب هؤلاء النواب (السفراء) في معاملاتهم مع الدولة المغربية.

أما الفقرة الثالثة من الفصل المذكور فنصت علي أمرين: أحدهما أن المندوب المقيم العام يكون مكلفا بسائر المسائل المتعلقة بالأجانب في الإيالة المغربية الشريفة، وثانيهما أن المندوب المقيم العام يتولى التفويض والمصادقة والنشر باسم الدولة الفرنسوية لجميع القوانين الصادرة من جلالة السلطان.

وهكذا أريد للمقيم العام أن يكون ممثلا للدولة المستعمرة لدى جلالة الملك وممثلا لجلالة ملك المغرب لدى الدول الأجنبية ولدى فرنسا . وقد كانت له بمقتضى مرسوم مؤرخ بـ 11 يونيو 1912، معدل بتاريخ 3 أكتوبر 1926، سلطات المراقبة على الحكومة الشريفة، وبتلك الصفة يوافق على القوانين ويصدرها سواء كانت ظهائر سلطانية أو قرارات وزارية، ويتوفر إضافة إلى ماذكر، على سلطة مباشرة في الحكم والإدارة تمارس بقرارات تصدرها الإقامة العامة تنظم كل ما يتعلق بالجالية الأوربية المقيمة في المغرب وكذا بإدارة المراقبة، وقد كان بإمكانه ان يطرد إلى خارج المغرب كل شخص فرنسي غير مرغوب فيه.

والمقيم العام هو قائد القوات العسكرية المقيمة بالمغرب والقوات المغربية العاملة معها. وهو المسئول عن حفظ الأمن والنظام . ويساعده في هذه المهمة ضابط عام يسهر على التحضير والتنفيذ في ميدان الإجراءات التي يتوقف عليها استعمال القوات البرية والبحرية والجوية.

يساعد المقيم العام في مهامه :

1 ـ الدواوين التي تهيئ قراراته وتقوم بتبليغها.

2ـ مندوب لدى الإقامة العامة ينوب عنه عند الاقتضاء، وهو مفوض في المراسلات مع وزارة الخارجية الفرنسية التي كان المغرب تحت نظام الحماية تابعا لها . يقوم بالتنسيق في بعض المهام الموكلة إليه.

3 ـ الكاتب العام للحماية، وهو المكلف بتسيير الإدارة الفرنسية بالمغرب ويساعده مفتش عام للمصالح الإدارية، وهو المنتدب لتوقيع مالا يختص الكاتب العام بتوقيعه، كما يؤشر في حالة غياب الكاتب العام أو حصول عذر له على العقود التقنينية أو التعاقدية المعروضة عليه.

وقد جرت عدة إصلاحات في الهيكل التنظيمي للإقامة العامة ما بين 1936 و 1946 كانت الغاية منها جمع كل ماله طبيعة سياسية تحت سلطة المقيم العام وجمع كل ماهو إداري تحت سلطة الكاتب العام للإقامة العامة.

فالمصالح السياسية تضم إدارة الشؤون الشريفة والكتابة السياسية وإدارة مصالح الأمن، أما مصالح الكتابة العامة للحماية فهي : إدارة الداخلية ومصلحة الموظفين ومصلحة التشريع والقسم الاقتصادي .

أ ـ إدارة الشؤون الشريفة ـ هي صلة الوصل بين الإدارة الفرنسية وبين المخزن الذي يدعى بالإدارة الشريفة، وتمارس على هذه الأخيرة مراقبة إدارية. ويتولى مستشار الحكومة مدير الشؤون الشريفة عرض ما يقترحه المقيم العام من ظهائر على جلالة السلطان ومن قرارات على الصدر الأعظم من أجل توقيعها.

وتعتبر إدارة الشؤون الشريفة، من جهة أخرى، واسطة لابد منها في علاقة المخزن بممثليه في الأقاليم.

وتماثل بنية هذه الإدارة بنية تنظيم الوزراء الذين تساعدهم وتراقبهم، ومن هذه الإدارة دائرة الدولة المكلفة بالمخزن وشؤون القصر والإدارة المغربية، وتضم مكتب الشؤون الإدارية والتشريعية والدينية، ومكتب التشريفات

ومكتب الترجمة ومكتب شؤون اليهود. ويهتم قسم العدلية بقضاء المسلمين وقضاء ممثلي المخزن وقضاء مناطق العرف، ويشؤون العبادات والتعليم الديني. وكان في هذه الإدارة كذلك قسم مهتم بالأحباس يراقب سير وزارة الأحباس.

ب ـ الكتابة السياسية، تتولى إبراز التعليمات المباشرة للمقيم العام في ميدان العمل السياسي للحكومة. وتضم دائرة تعمل على بلورة القرارات السياسية وضمان تنفيذها، ودائرة للدراسات من أجل الإصلاحات وتحسين وسائل استغلال الثروات، ودائرة لتفتيش موظفي المراقبة العامة، ودائرة تشرف على قوات الگوم والمخازنية مستخدمي المصالح الخاصة، ودائرة للأخبار والوثائق تراقب كل ماينشر ويقال ويكتب حول الحياة السياسية بالمغرب وحول مايمس بها من الشؤون الخارجية ، ومن ضمن هذا الاختصاص مراقبة العروض السينمائية والإرسال الإذاعي.

ج ـ إدارة مصالح الأمن العمومي ـ وتضم بعد إصلاح 1946 : قسم شرطة المرور والتعريف ومصلحة إدارة السجون، كما تتولى تدبير الشؤون الادارية للفيف الأجنبي والدرك.

أما المصالح التابعة للكاتب العام للحماية فهي :

ـ إدارة الداخلية ـ وأقسامها أربعة : 1) قسم الشؤون البلدية، وله الوصاية على البلديات من حيث التدبير والإدارة والمالية، كما يراقب الصنائع والفنون التقليدية 2) مصلحة التعمير المرتبطة بمدير الداخلية، وتهتم هذه المصلحة باستصلاح المدن والمراكز الحضرية. 3) قسم الشئون القروية ويهتم في المناطق القروية بما يهتم به القسم السابق في المناطق الحضرية، وتتولى مصلحة الجماعات القروية الوصاية على الجماعات في تدبير العقارات وتحسين وسائل استثمار الأرض. 4) قسم الشئون الإدارية ويمارس مراقبة الإدارة العليا للقوانين العامة.

ـ مصلحة الموظفين، وهي تابعة للمفتشية العامة للمصالح الإدارية، تنظر في وضعيات التوظيف والأجور وتشرف على مكتب التجهيز وعلى المطبعة الرسمية.

ـ مصلحة التشريع، يسيرها المستشار القانوني للحماية، وتتولى صياغة النصوص التشريعية والقانونية وتراجع مختلف المشاريع التي تعدها المصالح القانونية.

ـ القسم الاقتصادي، يسيره المستشار الاقتصادي للحماية، ويتولى تنسيق عمل مجموع المصالح المكلفة بالاقتصاد المغربي ويراقب إجراءات التطبيق. وكان تابعا له صندوق المقاصة الذي ينظم الأسعار ويضبط الواردات والصادرات بقصد ضمان التموين.

تنطبق الهيكلة الموصوفة أعلاه على فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، إذ أن الإقامة العامة عرفت بعض التعديلات قبل هذه الفترة وبعدها. ولكن دورها، وهو الأهم، ظل هو : ضمان استكمال غزو المغرب عسكريا وسياسيا وتهييء ظروف استقرار الأجانب بالمغرب وتسهيل ممارسة الاستثمار الاستعماري لفائدتهم والاستغلال الرأسمالي للمؤسسات الكبرى. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف مالت الإقامة العامة إلى تحريف مضمون وفق 30 مارس 1912 نحو حكم فرنسي مباشر للمغرب يستبعد كل مشاركة للمغاربة، وقد اضطر جهاز الإقامة العامة في سياق هذه السياسة إلى الإخلال بعدد من التوازنات الداخلية كما اضطر إلى خنق الحريات وممارسة القمع كوسيلة للمحافظة على النظام.

تولى على المغرب مقيمون عامون من عسكريين وإداريين ودبلوماسيين، ترقوا في مهامهم بالمغرب على يد ليوطي، وعادوا إلى المغرب أو أدوا خدمات جلى في مستعمرات فرنسية بإفريقيا أو آسيا أو كانوا من كبار موظفي وزارة الخارجية الفرنسية، وربما كان بعضهم من النواب والوزراء. كانوا كلهم يشتهون هذا المنصب لأنه موات للمارسة حكم واسع الصلاحيات يتيح فرصة ثمينة لتحقيق المجد الشخصي بإظهار المؤهلات الفردية، لا تكبح فيه المبادرات إلا احتجاجات ذوي المصالح الكبرى من الأجانب أو تدخلات الحكومة الفرنسية. وحتى الحكومة الفرنسية كانت في كثير من الأحيان تحدد نظرتها السياسية تجاه المغرب من خلال آراء المقيمين العامين. وقد حاول غير واحد منهم أن يسير على أثر ليوطي، لكن في ظروف مختلفة وبوسائل شخصية دون ما توفر لذلك المنظر العملي الأول.

لائحة بأسماء المقيمين العامين الفرنسيين بالمغرب في عهد الحماية 1912 ـ 1956 :

- أوجين رينيو Eugene Regnault، 30 مارس ـ 27 أبريل 1912
- هوبير ليوطي Hubert Lyautey، 27 أبريل 1912 ـ أكتوبر 1925 (تولى منصب وزير الحرب في فرنسا ما بين دجنبر 1916 ومايو 1917 وناب عنه في الإقامة العامة بالمغرب الجنرال گورو Gouraud)
- تيودور ستيگ Theodore Steeg، أكتوبر 1925 ـ يناير 1929
- لوسيان سان Lucien Saint، يناير 1929 ـ غشت 1933
- هنري پونصو Henri Ponsot، يوليوز 1933 ـ مارس 1936
- مارسيل پيروتون Marcel Peyrouton، مارس 1936 ـ شتنبر 1936
- شارل نوگيس Ch. Nogues، شتنبر 1936 ـ نونبر 1942
- گابرييل بيو Gabriel Puaux، 5 يونيه 1943 ـ مارس 1946
- إيريك لابون Erik Labonne، 16 مارس 1946 ـ 13 مايو 1947
- ألفونس جوان Alphonse Juin، 14 مايو 1947 ـ 20 شتنبر 1951
- أوگوستان گيوم Augustin Guillaume، شتنبر 1951 ـ 14 يونيه 1954
- فرانسيس لاكوست Francis Lacoste، 14 يونيه 1954 ـ 20 يونيه 1955

جيلبير گرانفال Gilbert Grandval، 21 يونيه - 27 غشت 1955

بوايي دولاتور Boyer De Latour، 21 غشت - 12 نونبر 1955

لوي أندري دوبوا Louis-Andre Dubois، 12 نونبر 1955 - 2 مارس 1956

تنظيم الإقامة

المقيم العام

↓

مندوب الإقامة العامة

↓

الكتابة العامة للحماية

مصالح الإقامة العامة

↓

| الدواوين | الكتابة السياسية | إدارة مصالح الأمن العمومي | الكتابة العامة للحماية |
|---|---|---|---|
| الديوان المدني<br>الديوان الديلوماسي<br>الديوان العسكري<br>والكتابة الدائمة<br>للدفاع الوطني | القسم السياسي<br>قسم "الدراسات"<br>قسم التفتيش وموظفي<br>المراقبة المدنية<br>قسم القيادة الگوم<br>وتفتيش حرس المخزنية<br>وموظفي المصالح الخاصة | قسم الشرطة العامة<br>(الشرطة العامة وشرطة<br>المرور وشرطة التعريف<br>العام)<br>إدارة السجون<br>فيلق الدرك | إدارة الداخلية<br>الشئون البلدية<br>الشئون القروية<br>الشئون الإدارية<br>مصلحة الموظفين<br>مصلحة التشريع<br>القسم الاقتصادي |

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي* ؛ م. بن الحسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد* ؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية*. (ببيليوغرافية وافية في كتاب شارل أندري جوليان : *المغرب في مواجهة الامبيرياليات*).

*Encyclopédie coloniale et maritine*, *Maroc*, sous la direction d'Eugène Guernier, Paris, 1948 ; Ch. André-Julien, *Le Maroc face aux impérialismes* ; D. Rivet, *Lyauty*.

أحمد التوفيق

**الإقامة العامة - بالشمال -** Alta Comisaria de España en Marruecos ، كان يوجد مقرها بمدينة تطوان في عهد الحماية (من سنة 1913 إلى سنة 1956) وكانت مهمتها مراقبة جميع المصالح والمؤسسات الحكومية والإدارية المغربية، بالإضافة إلى تسيير جميع المصالح والإدارات الإسبانية المحدثة في شمال المغرب وجنوبه الموضوع تحت الحماية الإسبانية بمقتضى المعاهدة الفرنسية - الإسبانية المبرمة يوم 27 نوفمبر 1913 والمصادق عليها بظهير السلطان مولاي يوسف بتاريخ 6 جمادى الثانية 1331 / 14 ماي 1913. ذلك لأن الفصل الأول من المعاهدة المذكورة ينص على أن المنطقتين الموضوعتين تحت الحماية الإسبانية بشمال المغرب وجنوبه سيتولى تسييرهما خليفة يعينه السلطان باقتراح من الحكومة الإسبانية يكون مراقبا في عمله من طرف مقيم عام إسباني Alta Comisaria تعينه حكومة مدريد.

وقبل أن يتم التصديق على المعاهدة المذكورة أصدرت الحكومة الإسبانية مرسوما ملكيا بتاريخ 27 فبراير 1913 يحتوي على "التعليمات التنظيمية للعمل الإسباني بالمغرب التي يجب تطبيقها إلى أن تتم المصادقة على معاهدة الحماية"، هذه التعليمات تنص على أن الحاكم العسكري العام بمدينة سبتة هو الذي سيتولى منصب المقيم العام الإسباني بالمغرب. ولم يصدر هذا المرسوم الإسباني إلا بعد أن كان الحاكم العسكري العام بسبتة الجنرال ألفاو Alfau قد احتل تطوان يوم 19 فبراير من نفس السنة وجعل منها عاصمة منطقة الحماية الإسبانية.

وبعد أن تمت المصادقة على معاهدة 27 نوفمبر 1912 أصدرت الحكومة الإسبانية مرسوما ملكيا بتاريخ 24 أبريل 1913 يحدد اختصاصات المقيم العام المدنية والعسكرية. وفي 4 أكتوبر من نفس السنة مُنح المقيم العام درجة قبطان جنرال لتكون رتبته فوق رتبة سائر الجنرالات رؤساء مقاطعات سبتة والعرائش ومليلية.

وفي يوم 24 يناير 1916 صدر القانون الإسباني لإدارة منطقة الحماية الإسبانية، وفي 25 يناير 1919 صدر مرسومان ملكيان، الأول يقضي بوضع مناطق "السيادة" الإسبانية بالمغرب تحت نظر المقيم العام، والثاني يخول المقيم العام درجة وزير الدولة في الحكومة الإسبانية. كما صدر يوم 12 مارس من نفس السنة مرسوم ملكي آخر خاص بالنظام الداخلي للإقامة العامة والمصالح التابعة لها. وفي يوم 15 غشت صدر المرسوم الملكي الذي بمقتضاه حددت من جديد اختصاصات المقيم العام العسكرية والمدنية. وبمقتضى المرسوم الملكي الصادر يوم 18 يناير 1924 وسعت دائرة اختصاصات المقيم العام حيث لم يعد ملزما بأخذ رأي الحكومة إلا فيما تكون هذه الأخيرة مسؤولة عنه أمام الرأي العام الإسباني، وهذا ما أقره القانون المصادق عليه بالمرسوم الملكي الصادر يوم 12 يوليوز من نفس السنة الذي ظل العمل جارياً به إلى أن تمّ تغييره بالمرسوم الجمهوري ليوم 29 ديسمبر 1931، ومرسوم 15 فبراير 1935.

أما النظام الأساسي النهائي الذي سارت عليه الإقامة العامة خلال الحكم العسكري فقد صدر به قانون الجنرال فرانكو Franco ليوم 8 نوفمبر 1941 وظل العمل جاريا به إلى أن استقل المغرب يوم 17 أبريل 1956. كان المقيم العام تابعا لرآسة الحكومة الإسبانية مباشرة، وذلك عن طريق المديرية العامة للمغرب والمستعمرات Direccion General de Marruecos colonis التي تم إنشاؤها يوم 15 ديسمبر 1925، وكان ينوب عن المقيم العام في غيابه الكاتب العام الذي أصبح يعرف بالنائب العام ابتداءً من سنة 1941.

ومن أهم اختصاصات المقيم العام أنه كان هو الذي يصادق على الظهائر الخليفية ويأمر بنشرها في الجريدة الرسمية، كما كان نائبه في الأمور الوطنية يصادق على قرارات الصدر الأعظم في الحكومة الخليفية. وتجدر الإشارة إلى أنه منذ سنة 1919 أصبح المقيم العام هو الذي

يمثل حكومة بلاده فقط في منطقة الحماية بشمال المغرب وجنوبه بل كذلك في النواحي والمدن التي كانت إسبانيا تعتبرها تابعة لسيادتها مثل : مدينتي سبتة ومليلية والجزر المتوسطية في الشمال، ومقاطعات إفني والساقية الحمراء ووادي الذهب في الجنوب، وذلك بمقتضى مراسيم 25 يناير 1919 و 10 أبريل 1930 و 19 يوليوز و 29 غشت 1934.

وفيما يلي قائمة بأسماء المقيمين العامين الإسبانيين الذين تعاقبوا على كرسي الإقامة العامة منذ 13 أبريل 1913 إلى 7 أبريل 1956، وعددهم 22 مقيما عاما، مع العلم بأن ثلاثة منهم زاولوا نفس المهمة مرتين وهم الجنرال سانخورخو Sanjurjo والجنرال أورگاث Orgaz والمدني موليس Moles.

أ - في العهد الملكي :

1 - الجنرال ألفاو Alfau 1913

2 - الجنرال مارينا Marina (1913 - 15)

3 - الجنرال خوردانا Jordana (الأب : 1915 - 18)

4 - الجنرال بيرينگيز Berenguez (1919 - 22)

5 - الجنرال بورگيطي Burguete (1922)

6 - الدبلوماسي سيلفيلا Silbela (1923)

ب - في عهد الحكم العسكري :

7 - الجنرال أيثبورو Aizpuru (1923 - 24)

8 - الجنرال بريمو ذي ريفيرا Primo de Rivera (1924 - 25)

9 - الجنرال سانخورخو Sanjurjo (للمرة الأولى: 1925 - 28)

10 - الجنرال خوردانا Jordana (الابن : 1928 - 31)

ج - في العهد الجمهوري :

11 - الجنرال سانخورخو Sanjurjo (للمرة الثانية : 1931)

12 - الدبلوماسي لوبيث فيرير Lopez Ferrer (1931 - 33)

13 - المدني موليس Moles (للمرة الأولى : 1933 - 34)

14 - المدني ريكو أفييو Rico Avello (1934 - 36)

15 - المدني موليس (للمرة الثانية : 1936).

د - في العهد الديكتاتوري :

16 - الجنرال فرانكو Franco (1936)

17 - الجنرال أورگاث Orgaz (للمرة الأولى : 1936 - 37)

18 - الكولونيل بيگبيدير Beygbeder (1937 - 39)

19 - الجنرال اسينسيو Asencio (1939 - 41)

20 - الجنرال أورگاث Orgaz (للمرة الثانية : 1941 - 45)

21 - الجنرال فاريلا Varela (1945 - 1951)

22 - الجنرال فالينيو Valiño (1951 - 1956)

والمصالح المركزية التابعة للإقامة العامة التي كان مقرها بتطوان ولها مصالح جهوية ومحلية في جميع أنحاء المنطقة كانت تعرف في أول الأمر بالمديريات ثم تحولت إلى نيابات على النحو التالي :

1 - النيابة العامة Delegacion General

2 - نيابة الأمور الوطنية Delegacion de Asuntos Indigenas

3 - نيابة المالية Delegacion de Hacienda

4 - نيابة الأشغال العمومية والمواصلات Delegacion de Obras Publicas y Cominicacion

5 - نيابة الاقتصاد والصناعة والتجارة Delegacion de Sunomia, Industria y Comercio

6 - نيابة التربية والثقافة Delegacion d'Educacion y Cultura

7 - مفتشية القوات الخليفية Inspeccion de Fuegaz Jalifinas

8 - مراقبة البحرية العامة Inspeccion Principal de Marina

9 - المحاكم الإسبانية الخليفية Tribunales Hispano - Jalifianos

وقد سلمت جميع هذه الإدارات باستثناء الإقامة العامة إلى السلطات المغربية بمقتضى التصريح المغربي الإسباني ليوم 7 أبريل 1956، واحتفظت إسبانيا بالمصالح الجهوية والمحلية التي كانت توجد بمنطقة طرفاية بجنوب المغرب والتي لم يتم تسليمها إلا في شهر أبريل من سنة 1958.

*Buletin Oficial de la Zona de Protectorada de España en Marruecos*. Madrid-Tetuan 1913 - 1956 ; Lopez Olivan, Julio. *Legislacion vigente en la Zona de Protectorada Española en Marruecos*. 4 vol, Madrid 1931 ; Velez Villanueva, *Jaaquin Recopilacion legislativa de Marruecos*. Madrid 1917 ; Ruiz-Bravo, *Estanislo / Udice legislativo de la Zona de protectorada de España en Marruecos*. Madrid 1945 - 1956.

**أقْجَاوُجْ**، أسرة تطوانية، أصلها من ناحية جبالة. وكان منها المسمى الحسن أقجاوج الذي كان يلبس المرقعة ويظل يذكر الله في الأسواق، إلى أن توفي في حدود سنة 1290 / 1873، بطنجة. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 187 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 337 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (Q) Isidro de las Cagigas, *Familia tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932 (Q). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**الأقرع**، محمد بن سليمان اللمطي. أحد زعماء فاس خلال فترة الاضطراب التي تلت وفاة أحمد المنصور السعدي (1012 / 1603) وتنازع أبنائه على الملك. تزعم الأقرع أهل فاس القديم بعد مقتل الزعيمين الشريف سليمان والفقيه المربوع في 5 صفر 1026 / 12 فبراير 1617، بينما كانت فاس الجديد تحت نظر الأمير عبد الله بن محمد الشيخ المامون، وكان يحاول استمالة أهل فاس القديم. فيميلون إليه تارة ويقدمون أحد أعيانهم تارة أخرى. وقد خرج محمد بن سليمان لقتال فاس الجديد، فثارت عليه فاس القديم وتخلت عن دعوته. وفي هذه الحركة قتل محمد بن سليمان سنة 1029 / 1619 / 1620.

م. القادري، *نشر المثاني*، 1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 6.

عبد الطيف الشاذلي

**أقرمود**، اسم مكان يقع بساحل الشياظمة، ببلاد أيت عيسى أو أولاد عيسى، وبه دفن أبو بكر الشماس وولده صالح من رجال ركراكة.

وبيدو أن هذه الكلمة مأخوذة من "القرمد" وهو لفظ رومي تكلمت به العرب قديما كما جاء في *لسان العرب*. وربما كان أقدم اسم من هذه المادة أشارت إليه مصادر التاريخ الإسلامي بالمغرب هو "القرمدة" أو "المقرمدة" وهو المكان الذي نزل به إدريس الأزهر بعدوة القرويين بعد أن أتم بناء عدوة الأندلس. وتوجد به الآن دار القيطون وجامع الشرفاء والضريح الإدريسي. وهناك أيضا في ضواحي فاس قرية "المقرمدة" التي تردد اسمها كثيرا في تاريخ المغرب الوسيط والحديث. كما اشتهر "رأس القرمود" وهو بطن من بطون قرية بّا محمد بناحية فاس.

أنبتت بلدة أقرمود بالشياظمة عدداً كثيراً من العلماء والأولياء المشهورين، والنسبة إليها بحذف الهمزة : قرمودي.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 221 ؛ ع. بنبعد الله، *الموسوعة*، 4 : 101.

*Nomenclature des tribus*, Rabat, 1956, p 15.

محمد الشياظمي

**أقْرِيش**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لازالت هناك أسرة إسبانية تحمل نفس الاسم Acriz. وقد انتقلت من الأندلس إلى ناحية الريف، ومن هناك جاءت إلى تطوان في أواسط القرن الثالث عشر الهجري، ومنها التاجر محمد بن عبد العزيز أقرِّيش الذي كان حيا سنة 1296 / 1879.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين* 3. 26 ـ 27 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2. 330 ؛ *تاريخ تطوان*،8 : 212 و 352 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

**أقْسُو**، علي. ولد سنة 1924 بأيت تُودْرت، أيت إبراهيم، أيت لحسن مرموشة، إقليم بولمان. شارك في صفوف جيش التحرير والمقاومة ضمن تشكيلة السيد ميمون أُعَقّ في الهجوم على مركز لصد المحتل الفرنسي اثناء الغارة التي قامت بها فرقة من القوات الفرنسية على المركز المذكور، وأثناء الهجوم عاد إلى منزله لجلب بندقيتين، فاغتاله الجنود الفرنسيون رميا بالرصاص وذلك يوم 4 أكتوبر سنة 1955.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير ـ الرباط.*

عز الدين العلام

**أقْشَار**، أسرة تطوانية أصلها من الريف ومعناه باللهجة الريفية "الأقرع"، وجل أفرادها كانوا يعملون بالجيش كضباط أو جنود سنة 1246 / 1830، مثل القائد عبد السلام بن عمر، والقائد سليمان بن حمو والجندي في البحرية عبد السلام بن الهاشمي والجنود أحمد بن محمد وعبد القادر بن عبد السلام وعلال بن أحمد، وكلهم كانوا بفرقة المدفعية. وهناك فقيه اسمه عبد السلام ابن عبد السلام أقشار كان يتعاطى خطة العدالة ويؤم ويدرس بمسجد المصِيمدي بحي النيارين إلى أن توفي سنة 1339 / 1921.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراورين* ؛ 3 : 26 ـ 27 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان* 8 : 212 و352 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

**أقْشَار**، بوشعيب بن محمد، ولد ببني ورياغل سنة 1921. وفر من صفوف الجيش الإسباني والتحق بجيش التحرير المغربي بأيت باعمرأن، وشارك في عدة هجومات على مراكز الجيش الفرنسي بسيدي إفني، إلى أن استشهد في إحدى الهجومات التي شنها المجاهدون على أحِد مراكز العدو وذلك سنة 1957.

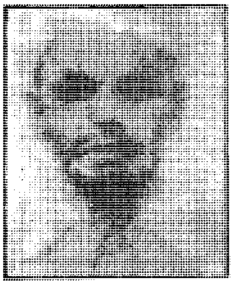

بوشعيب أقشار

**أقَشَار**، عبد الله بن عمر. ولد سنة 1920 ببني بوجطو بناحية تازا. انخرط في جيش التحرير ضمن الفرقة التي كان يرأسها محمد العجوري والتي كانت متمركزة بتيزي وسلي إلى أن استشهد بمعركة قرب هذا المكان، وذلك بتاريخ 22 أكتوبر سنة 1955.

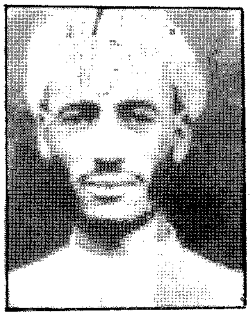

عبد الله اقشار

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير ـ الرباط.*

عز الدين العلام

**أقشوشو**، أسرة تطوانية يقال إنها بقية أسرة آل النقسيس التي حكمت تطوان مدة طويلة وتعرضت لعدة نكبات، وكان من أسرة أقشوشو الفقيه محمد بن عبد المجيد الذي اشتهر بمهارته في تسفير الكتب، وكان حيا سنة 1301 / 1884. ولا زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين* 3 : 26 ـ 27، م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330، *تاريخ تطوان*، 8 : 212 و352 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (Q) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* 1932 (Q) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espagnol*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**أقصبي، عبدالرحمان**، كان أمينا بمرسى الدار البيضاء بمعية الأمين العربي فرج خلال السنوات 1285 ـ 1288 / 1868 ـ 1871. ولهما مراسلات كثيرة مع وزيري المالية والخارجية، وتقاييد تاريخية مفيدة، على ضعف أسلوبهما، إذ يبدو أنهما كان تاجرين لا طالبين. ويتجلي من خلال المراسلات المشار إليها الثقة التي كانت للمخزن في الأمين عبد الرحمان أقصبي ورفيقه، في وقت بلغ فيه تلاعب الأمناء بمداخيل المراسي واستحواذهم على أموال الدولة منتهاه. ومما يؤكد هذه الثقة توكيل المخزن الأمينين أقصبي وفرج في استصفاء أموال الحاج محمد أملاح أمين مرسى الصويرة بعد استغراق ذمته.

*وثائق الخزانة الملكية* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج. 2 و 3.

**أقصبي، محمد بن الحسن**، عالم مشارك محقق، من تلاميذ الشيخ الطيب ابن كيران، اشتغل طوال عمره بالتدريس والتأليف. من مؤلفاته : *شرح مشارق الأنوار* للصغاني، وشرح *مختصر السعد*، وشرح *أرجورة الاستعارة* للطيب ابن كيران، و*حاشية على شرح قدورة* للسلم إلى غير ذلك. مات بالطاعون في 16 شعبان عام 1250 / 18 دجنبر 1834 من غير عقب، ودفن بالقباب من مطرح الأجلة (أو الجنّة) خارج باب الفتوح بفاس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، عام 1250.

محمد حجي

**أقصبي، محمد بن عبد المجيد**، صهري وشيخي، صحبته سنين طويلة في فاس والرباط وكانت له محبة بالغة في آل البيت، واعتقاد في وفي أولادي، وتقدير كبير لتضحياتي في سبيل وطني، ولو أني ـ والحمد لله ـ لم أدع قط كرامة ولا خصوصية. وقبل وفاته أوصى أولاده أن يعتبروني كوالدهم ويرجعوا إليّ في ملماتهم.

وقد طلبت منه يوما أن يملي علي ترجمة حياته، فلبى طلبي، وسجلت ما سمعته منه في دفتر جيب، وهو المادة الأساسية لهذه الترجمة.

ولد بمدينة فاس في العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر ـ حوالي 1295 / 1878 تقريبا ـ وبها حفظ القرآن الكريم، وتعلم القراءات وأتم ذلك بمدينة القصر الكبير، حين صحب والده لما عين ناظرا للأوقاف بها عام 1307 / 1899. والتحق بجامع القرويين أول مرة في ربيع الأول عام 1311 / 1893 ومكث فيها اثنتي عشرة سنة يأخذ عن علمائها المبرزين، أمثال الحاج مَحمد ـ فتحا ـ گنون المعروف بگنيون ـ، ومحمد القادري، وأحمد بن الخياط، وأحمد بن الجيلاني، وعبد السلام الهواري، وحماد الصنهاجي، ومحمد بن التهامي الوزاني، وأحمد بن المامون البلغيثي، وعبد العزيز بناني، وقرأ كثيرا على العم محمد بن جعفر الكتاني، وأخذ علم التوقيت عن العالمين الكبيرين : المكي ابن سودة، ومحمد بن علي الأغزاوي، كما درسه على أحمد ابن موسى السلوي أيام توظفه بفاس.

محمد بن عبد المجيد أقصبي

لم يكد أقصبي يتخرج من القرويين عالما فقيها مشاركا حتى تصدى للتدريس فيها وفي مختلف المساجد ـ كما هي عادة العلماء ـ وعندما تأسست المدارس المزدوجة اللغة، بعد الحماية، عين معلما بمدرسة أبناء الأعيان ـ بدرب بني عدس ـ ومدرسا بالثانوية الإدريسية، ثم انتقل للرباط لما اختاره السلطان المولى يوسف لتعليم أبنائه الأمراء. وبعد وفاة السلطان عاد لفاس مدرسا بالقرويين والثانوية الإدريسية، ثم أعاده محمد الخامس ـ رحمه الله ـ إلى الرباط عضوا بمجلس الاستيناف الشرعي، ومعلما داخل القصر للحريم والأمراء. وكان جلالته يوليه عناية فائقة، ويتفقد أسرته كل يوم.

امتاز الفقيه أقصبي بقوة العارضة، والقدرة الفائقة على التفهيم، لاسيما في المعقولات، والنحويات، والرياضيات من حساب وتوقيت وتعديل، والفقهيات. وكانت دروسه في الشرح (المطول) لسعد الدين التنفازاني لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة مشهورة بين نجباء الطلبة، والذين درسوا المطول من بعد كانوا يتباهون بها بين طلبتهم.

وهو آخر من درس مدونة سحنون بالقرويين ـ بعدما انقطع تدريسها أجيالا عديدة، وذلك عندما أسند له التدريس بالكرسي المواجه لخصة العين بالبلاط الأول من الجامع بعد وفاة شيخه سيدي أحمد بن الجيلاني الذي كان يدرس به *مختصر خليل*. إلى دماثة أخلاق، واستقامة وبعد عن الشبهات.

وقد حضرت دروسه في مغنى اللبيب لابن هشام، وشرح *ابن القاصح على الشاطبية* في القراءات، وشرح *التاودي ابن سودة على لامية الزقاق* في علم القضاء.

وخلف المترجم عددا من المؤلفات لها علاقة بما تلقاه عن شيوخه بالقرويين وتلقاه عنه طلبته بها، منها :

1 ـ *اتحاف الفئة المبتغية، لحل أقفال شرح الرسالة الفتحية*، وهي حاشية على الفشتالي على *الرسالة الفتحية* لسبط الماريني في الربع المجيب في التوقيت، في عشرين كراسا.

وقد قال عنها شيخنا الذي أحيا الله به هذا العلم سيدي محمد بن محمد العلمي في حاشيته على الشرح المذكور : "والمقام يسع كلاما عريضا في بقية مبادئ هذا العلم، وقد أوسع فيه وأشبع، وأفاد وأجاد وأقنع، صاحبنا العلامة المحقق، أبو عبد الله محمد بن عبد المجيد أقصبي في حاشيته الحفيلة على هذا الشرح. المسماة *باتحاف الفئة المبتغية*... فعليك بها، ولولا إسعاف بعض الراغبين في كتابة هذا التعليق المختصر المناسب لإدراك المتدئين، لم يكن للكتابة بعد على هذا الشرح فائدة ! سيما والحاشية لم تظهر بعد للوجود، ولا زالت في حكم المفقود، يسر الله على مؤلفها في نشرها، ونفع العموم والخصوص بها (ص. 9) وناهيك بها شهادة من خبير !.

2 ـ *النور اللائح، على شرح ابن القاصح* ـ على *الشاطبية* في القراءات في مجلد.

3 ـ *حاشية على شرح منية الحساب* لابن غازي.

4 ـ *تاريخ ملوك المغرب*، في نحو ثمانين ورقة.

5 ـ *النصفية، للألفية*، وهي أرجوزة في النحو اختصر فيها ألفية ابن مالك في خمسمائة بيت فقط : *(المنحة الوفية)*.

6 ـ مع *تعليق* عليها.

7 ـ *القواعد النحوية*، أو التمارين القرآنية في النحو في نحو أربعين ورقة.

8 ـ *منظومة في التوحيد* في 70 بيتا تشتمل على العقائد موضحة بدون دليل.

9 ـ *شرح منظومة في أمثلة التوافق والتداخل والتماثل والتباين* (في علم الفرائض) ـ ولم يذكر لي اسم الناظم ـ.

10 ـ *تعليق* على موانع ظهور الإعراب.

11 ـ *أوراق في السواك*.

12 ـ *تحرير المقال، في الإنشاء والخبر على الإجمال*، في نحو أربع ورقات.

13 ـ *تعليق على المطول* في مواضع متفرقة.

14 ـ *بهجة الجنان وتنوير الصدر، بقصة يوم الفرقان وشرح أهل بدر*. خ. ح. 7036 / 7062.

15 ـ *بيان صور الكواكب* (نبذة في ...) خ. ح. 7044.

16 ـ *تخميس البردة وتلخيص نشر الوردة*، خ. ح 7725.

17 ـ *تمهيد الدروس النحوية على الخلاصة الألفية*، خ. ح. 7052 ـ 7048.

18 ـ *تعليق على الفتوحات القيومية* لأبي العباس السوداني، خ. ح. 7061.

19 ـ *تعليق على كشف الأسرار* للقلصادي. خ. ح 7042.

20 ـ *تعليق على الشرح الكبير لبحرق على لامية الأفعال*. خ. ح. 7040.

21 ـ *حاشية على شرح حرز الأماني*. خ. ح. 7041.

22 ـ *حاشية على شرح لامية الزقاق* للتاودي ابن سودة. خ. ح. 7033.

23 ـ *حاشية على شرح القصيدة الخزرجية* للزموري. خ. ح. 7034.

24 ـ *حاشية على شرح حرز الأماني*. خ. ح. 7038.

25 ـ *دروس في التصريف*. خ. ح. 7054.

26 ـ *دروس فقهية* محاذية لتحفة ابن عاصم. خ. ح. 7051.

27 ـ *شرح منظومة في موانع ظهور الإعراب* لمحمد بن عبد المجيد بن كيران. خ. ح. 7043 / 1348 د.

28 ـ *شرح أبيات في انكسار السهام على نصفين*. خ. ح. 7091.

29 ـ *شرح السلم* المرونق للأخضري. خ. ح. 2220.

30 ـ *العقائد المهمة* لنفع صغار الأمة (رجز في العقائد) خ. ح. 7030 / 7058 / 9457.

31 ـ *محاضرات في الأخلاق*، خ. ح. 7047 ـ 7046.

32 ـ *محاضرات في التاريخ الحديث*. خ. ح. 7057.

33 ـ *محاضرات في التعليم*، خ. ح. 7060.

34 ـ *المنحة الوفية التي هي لخلاصة ابن مالك تصفية* مع تعليق عليها، خ. ح. 7031 ـ 9542.

35 ـ *نبذة في تاريخ المغرب الأقصى*، خ. ح. 7039.

36 ـ *نصيحة في الحض على العلم*، خ. ح. 7065 ـ 7064.

37 ـ *ختمة نظم لابن بابا الشريف العلوي*، خ. ح. 7063.

وبلغني أن أولاده أهدوا مؤلفاته لصاحب الجلالة الحسن الثاني الذي أمر بوضعها في الخزانة الحسنية بالرباط.

توفي ـ رحمه الله ـ بالرباط ثاني عشر شعبان عام أربعة وستين وثلاثمائة وألف / 23 يوليوز 1945 ودفن بمقبرة مولاي أحمد بن علي الوزاني المقابلة لضريح مولاي المكي بزنقة سيدي فاتح.

الحسن الثاني ملك المغرب، *التحدي*، ص. 32 ؛ *كناشة خاصة* من إملاء المترجم، وكان أحد أقاربه قد ألقاها في صباح القبر، ونشرت بجريدة السعادة غير منسوبة، وعنها أخذ بعض من سيذكرون بعد ؛ ع. ابن سودة، *اتحاف المطالع* 1364 مرقون ؛ *دليل*، ج. 1 ؛ ع. الجراوي، *أعلام الفكر المعاصر*، ج. 2 ؛ محمد العلمي، *حاشية على شرح الرسالة الفتحية*، ص. 9 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 101 ـ 102.

محمد إبراهيم الكتاني

**أقصري** ← **أگادير** (إقليم ـ )

**الإقطاع**، نمط من أنماط امتلاك الأرض خاص بالعالم الإسلامي. إنه إنعام قصد الاستغلال يخضع للعشر كأي ملك إسلامي، ويكمن في وضع الإمام تحت تصرف المقطع (بضم الميم وفتح الطاء) قطعة أرض قصد استغلالها والانتفاع بمواردها. ولا يجوز الإقطاع إلا فوق الأراضي الخراجية التي تخلى عنها أصحابها أو التي فتحها المسلمون عنوة. ومن شروطه الإحياء، وذلك بحفر بئر بالقطعة، أو بناء سكن بها، والعمل على ريها، وتجفيفها إن كانت مستنقعة، وغرسها وما إلى ذلك. وتكون تكاليف هذا الإحياء على المُقطَع. وعند عدم إحياء الأرض فانها تعود لبيت المال ؛ ذلك أن الإقطاع يبقى تحت رقابة الدولة ويخضع لتدخل الإدارة القضائية والضريبية، وينبغي أن يكون مستحقا.

الإقطاع نوعان : إقطاع استغلال وإقطاع تمليك. أما إقطاع الاستغلال، فموضوعه الخراج والجزية، ويستفيد منه أهل الجيش دون سواهم .ويمكن أن يستمر أكثر من سنة في حالة الخراج، أما في حالة الجزية، فلا يجوز ذلك، إذ بإمكان الذمي أن يعتنق الإسلام .وعند موت المقطع، يعود الإقطاع لبيت المال، ولا يرثه أبناؤه الذين "يدخلون في عطاء الدراري" (صبح ، 13 : 116).

أما إقطاع التمليك، فموضوعه الأرض مواتا كانت أوعامرا، وكذلك المعدن، وتصبح الأرض بعد إقطاعها، خاضعة، كأي أرض في ملك المسلمين، لضريبة العشر، وقابلة للتفويت. وتعتبر مواتا كل أرض هلك أربابها أو تخلوا عنها فخربت وأصبحت عاطلا، أو لم يسبق أن كانت في ملك أحد. ومن شروط تمليكها الإحياء. وأما الأرض العامر، فلا تقطع متى عرف أربابها، وفي حالة ما إذا لم يعرفوا، أو هلكوا دون ترك وارث يستغلها، فإنها، تصبح ملكا لبيت المال، ولا يجوز أن تقطع أوتباع إلا من أجل مصلحة عامة.

أما المعادن، فيميز الفقهاء بصددها بين معادن ظاهرة ومعادن باطنة. والظاهرة هي "ما كان جوهرها المستودع فيها بارزا كمعادن الكحل والملح والقار والنفط" (*الأحكام*، 174) وإقطاعها لا يجوز، مثلها مثل الماء كل الناس فيه سواء يأخذه من ورد إليه."فإن أقطعت هذه المعادن الظاهرة لم يكن لإقطاعها حكم، وكان المقطَع وغيره فيها سواء، وجميع من ورد إليها إسوة مشتركون فيها، فإن منعهم المقطَع منها كان بالمنع متعديا، وكان لما أخذه مالكا، لأنه متعد بالمنع لا بالأخذ" (ن .م، 174). وأما المعادن الباطنة، وهي "ما كان جوهرها مستكنا فيها لا يوصل إليه إلا بالعمل كمعادن الذهب والفضة والصفر والحديد" فيرى بعض الفقهاء أن إقطاعها جائز، ويتعلق الأمر في رأي فريق بإقطاع تمليك، وفي رأي فريق آخر بمجرد "إقطاع إرفاق لا يملك به [المُقْطَع] رقبة المعدن، ويملك به الارتفاق بالعمل فيه مدة مقامه عليه، وليس لأحد أن ينازعه فيه ما أقام على العمل، فإذا تركه زال حكم الإقطاع وعاد إلى حالة الإباحة" (ن. م، 175).

ابتداء من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، أخذ إقطاع الاستغلال يتحول إلى إقطاع تمليك، وبذلك "صارت الإقطاعات ترد من جهة الملوك على سائر الأموال من خراج الأرضين، والجزية، وزكاة المواشي، والمعادن، والعشر، وغيرذلك، ثم تفاحش الأمر وزاد حتى أقطعوا المكوس على اختلاف أصنافها" (صبح، 13 : 117)، وذلك لا لفائدة الجند فحسب بل لفائدة ذوي السلطان من أبناء الإمام ومن أمراء وغيرهم.

لم تبق هذه الإقطاعات خاضعة لمراقبة بيت المال، بل أصبحت تنتقل إلى ذرية المقطَعين أو غيرهم عن طريق الميراث، والبيع، والهبة، والوقف، والإجارة، والمزارعة، وغير ذلك من الوجوه التي تنتقل عليها الأملاك. وكل ما صار يشترط على المقطع هو التأهب لخدمة السلطان، والطاعة له، ودفع أجرة سنوية عن القطيعة.

الإقطاع بالمغرب : اختلف الفقهاء فيما إذا كانت أرض المغرب فتحت عنوة أو صلحا أو مختلطة. ويرى مالك أنها فتحت عنوة ؛ من ثم لا يجوز بيعها. وهذا ما يفسر حق الرقابة التي يمارسها المخزن على مجموعة من الأملاك لا يمكن بيعها أو شراؤها إلا بإذنه كالغابات، وأراضي الجيش، والأراضي المهملة التي لامالك لها، والأراضي الجماعية، وأملاك الأحباس، وكذا المعادن.

واعتبار أرض المغرب فُتحت عنوة يفسر إخضاعها للخراج، وأول من ألزم الخراج بالمغرب عبد المومن بن على، كما يفسر جواز إقطاعها.

وترجع بداية الإقطاع بالمغرب إلى يعقوب المنصور، ثم نهج نهجه من تبعه من مرينيين وسعديين وعلويين. وكانوا يقطعون الأرض لبعض القبائل ـ وهي التي صارت تعرف بقبائل الجيش (الگيش) ـ على شكل انتفاع مقابل خدمة عسكرية، وأحيانا لأسباب سياسية، كأن يشطب على بعض هذه القبائل من لائحة الجيوش، فتنقل إلى أماكن أخرى، أو تتحول إلى مجرد قبائل نائبة (النائبة ضريبة تقوم مقام الخراج، أول من أحدثها محمد المهدي الشيخ).

كان الإقطاع وسيلة لمجازاة القبائل الموالية للمخزن، كما كان كذلك وسيلة لكسب القبائل التى تخشى شوكتها ولإدماجها في النظام القائم، إلا أن هذا الإقطاع، الذي هو في الأصل عبارة عن إنعام، سرعان ما كان يتحول، في حالة ضعف الحكم، إلى حق تطالب به القبيلة المخزن. وهكذا، شيئا فشيئا، أخذ إقطاع الاستغلال يتحول إلى إقطاع تمليك، وهذا ما يفسر أن مناصب الجيش أصبحت وراثية، الشيء الذي أدى إلى ظهور أسر مخزنية صارت تمتلك إقطاعات شاسعة.

بجانب الإقطاع لفائدة الجند، كان بعض السلاطين يقطعون الأرض، كذلك للزوايا ـ التي ازدهرت انطلاقا من عهد السعديين ـ وذلك مرة أخرى لأسباب سياسية، إما

لمكافأتها على وقوفها بجانب المخزن، أو اتقاءً لشرها وكسبا لخدمتها له واعترافها به. هكذا، صارت كثير من الزوايا تملك عزائب شاسعة، تقطع لها بواسطعة ظهائر تتحدث عن الإنعام. كما كان يستفيد من الإقطاع أفراد الأسر الحاكمة، حيث يقطع السلطان نواحي بأكملها لأفراد معينين من عائلته، أو لبعض المقربين إليه.

الإقطاع والفيودالية : يمكن ملاحظة بعض التماثل بين المقاطعة التي يقطعها الإمام لعامل يمثله بمنطقة ما والقطيعة الفيودالية le fief، وكذلك بين تمليك الإقطاع وميراث القطيعة الفيودالية L'hérédite vassalique. ومع ذلك، فليست هناك أي علاقة بين الإقطاع في معناه الإسلامي وبين الفيودالية التي عرفتها أوربا. وبالفعل، لا وجود في الإسلام لليمين ولا للولاء اللذين يطبعان العلاقات التي تربط السيد الفيودالي بأتباعه. كما أن امتلاك الأرض في المجتمع الفيودالي يتميز بحركة تصاعدية، إذ يتنازل المزارع عن أرضه بل وحتى عن شخصه لفائدة سيده، بينما يمثل الإقطاع حركة تنازلية، إذ أن الإمام - مبدئيا، وفي الأصل - يقطع الأرض لمن يحييها و"من قرابة رسول الله (ص) وذوي دين وفقر وكثرة عيال وغناء في الإسلام من صلح أو رأي وشجاعة وإمامة وقضاء وتعامل ومؤذن ومن ولي شيئا من مصالح المسلمين" (*الإمتاع*، 20).

القلقشندي، *صبح الأعشى*، 13 ؛ الماوردي، *الأحكام السلطانية* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإمتاع بأحكام الإقطاع*، مخطوط، خ. ع رقم 13.

J. Berque, *Etude d'histoire rurale maghribine* ; M. Bloch, *La société féodale* ; C. Cahen, *l'Evolution de l'iqta du IX au XIII siècle*, in A. E. S. C., janvier-février 1953, nº 1 ; A. Halim, *l'Iqta et l'appropriation de la terre au Maroc*. D. E. S., Rabat, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, 1978 ; A. Laroui, *Histoire du maghreb* ; P. Pascon, *le Haouz de Marrakech* ; A. N. Poliak, *la féodalité islamique*, in Studia islamica, 1938.

عبد الجليل حليم

**أقا**، اشتهرت بهذا الاسم إحدى واحات جنوب جبل باني الواقعة عند خروج الواد الذي يحمل نفس الاسم من الجبل، وهي إحدى دوائرعمالة طاطا (حوالي 14 ألف نسمة)، تحدها غربا دائرة فم الحصن (إمِي أگّادِيرْ) وشمالا دائرة (إسَافَنْ)، وشرقا دائرة طاطا، وجنوبا وادي درعة .

ويتكرر استعمال اسم أقّا في عدة جهات من الجنوب المغربي (مثلا : أقّا إزَنْكَاضْ جنوب طاطا، وأقّا إكْبّرِينْ بين طاطا وتسيتت، وأقا أغالن شمال طاطا ...) ولكلمة "أقا" في الأمازيغية السوسية عدة معان، فهي تعني "حبة" تمر أو عنب أو زيتون أوما أشبه ذلك من عقيق وغيره، وتعني كذلك عمق الشيء كالوادي والكهف، كما تطلق على الخانق الذي يحدثه الوادي عند اختراق الجبل فتكون آنذاك مرادفة للفظ "تيزكي" (*Hespéris*. T. 33,1946 p. 397) ويستعمل لفظ (أقا) للدلالة على الممر بين جبلين أو على أي معبر فيصبح إذ ذاك مرادفا للفظ "تيزي"، ولا يستبعد أن يكون المقصود بأقا التي تعنينا هو الخانق أو الممر حيث تقع قراها مباشرة عند اختراق الوادي لجبل باني، أي عند خروجه من "فم أقا" ليحمل إذ ذاك اسم (واد أقا) وهو ينحدر من وسط الأطلس الصغير ويصب في وادي درعة.

يجري واد أقا بعد اجتيازه جبل باني في سهل منخفض (حوالي 350 م فوق سطح البحر) يشرف عليه جبل باني من ثلاث جهات ولا ينفتح إلا نحو الجنوب في اتجاه جريان الواد. وتكسو معظم هذا البسيط غابة كثيفة من النخيل، تقع أغلب قرى أقا الحالية على جنباتها بمحاذاة جبل باني. أما المناخ فهو ذو طابع صحراوي جاف وحار حيث لا يتعدى معدل الأمطار 50 ملم في السنة، وتزيد درجة فصل الصيف على 40°. وهذا يفسر اعتماد السكان على المياه الجوفية : العيون - الآبار... وفقر الغطاء النباتي الذي يتلخص في بعض الشوكيات ...

أما السكان فيقدر عددهم بحوالي عشرة آلاف نسمة، وهم سكان مستقرون، يشكل السود وذوو البشرة المائلة إلى السواد (الحراطين) نسبة عالية منهم، وهي خاصية مشتركة مع سلسلة من الواحات جنوب باني من تمنارت حتى واحات درعة. وما زال أصل هؤلاء "الحراطين" غامضا، فهناك كمن يجعلهم حفدة العبيد المجلوبين من السودان، وهناك من يرى أن أصلهم من الشرق، فهم امتداد للكوشيين. أما الأقلية البيضاء فهي خليط من البربر المنحدرين من الأطلس الصغير ومن الرحل الذين استقروا بالمنطقة أمثال "أولاد جلال" وهم عرب جاؤوها منذ أواسط القرن السادس عشر، وأيت أمريبْط، وهم بربر انتشروا جنوب جبل باني منذ بداية القرن التاسع عشر (Monteil, op. cit, p. 388). وقد كانت تعيش ببعض قرى أقا إلى عهد قريب أقلية يهودية (34 أسرة عام 1941) يبدو أن أفرادها استقروا هناك منذ بداية القرن. يجتمع سكان أقا حاليا في عدد من المداشر يقع أغلبها على سفح جبل باني (عشر قرى) ولا يغادرون دورهم المبنية بالتراب المدكوك إلا موسميا عند جني تمور الواحة أو في فترة الحصاد في وادي درعة. أما الترحال فقد انقرض بعد استقرار قبائل أولاد جلال وأيْتْ أمْريبْطْ. يتحدث أغلب سكان أقا اللغة الأمازيغية السوسية، وينحصر استعمال العربية في قرى أولاد جلال العرب : قريتي أولاد عنتر والقباية، هذا مع انتشار الازدواجيةاللغوية. أما يهود أقا فكانوا يستعملون اللغتين : العربية والبربرية إضافة إلى لهجة اصطلاحية خاصة بهم منبثقة عن العبرية.

يعتمد سكان أقا في معاشهم على الفلاحة فيمارسون زراعة مسقية في حقول متواضعة بين أشجار نخيل الواحة، وهي زراعة معاشية تتجه أساسا لإنتاج الحبوب (شعير، قمح، ذرة) والخضر وبعض الفواكه (تين، رمان، عنب ...) وتعتمد على مياه عدد من العيون التي تنبع من فم أقا وتسقي غابة النخيل والحقول المجاورة لها. إلا أن التقلبات المناخية وانعدام الصيانة جعلت بعض هذه العيون يندثر والبعض الآخر يوشك على النضوب. وهذا ما يفسر استمرار

انحسار المساحة المسقية وتقلص رقعة غابة النخيل (لم يبق في أقا سوى تسعة عيون جارية)، ولكل عين دورة زمانية من أسبوع إلى ثلاثة أسابيع. تنقسم إلى عدد معلوم من النوبات اليومية، كل نوبة تحمل اسم أسرة من الأسر التي لم يعد أغلبها معروفا بين السكان الحاليين، وتجزأ إلى أسهم (حصص من ساعة واحدة). ولكل عين مقدم يسهر على تعيين حصص الماء لمالكيها ويُرجع إليه في حالة نشوب أي نزاع.

تمتد واحة النخيل (حوالي ستين ألف نخلة) من فم أقا محاذية جبل باني على ضفاف الوادي على طول حوالي ستة كلم وعرض كلمتر واحد تقريبا. وقد جزئت أراضي الواحة إلى عدد كبير من الحقول الصغيرة المسيجة، وهي ملكية فردية، أو عائلية، مثلها مثل ملكية أشجار النخيل وحصص مياه العيون. ويستغل مالكو النخيل والحقول أملاكهم بطريقة غير مباشرة بواسطة عقد الخماسة الذي يكون أساسا بينهم وبين الحراطين.

أهم إنتاج في أقا هو التمور المختلفة الأنواع، أغلبها من نوع قليل الجودة يسمى محليا (سايرو) وأجودها (بوسكري) و (بوفقوس) وكانت منذ القديم وإلى عهد قريب هي عماد معيشة السكان (ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 2 : 117، 118). أما الحبوب من شعير وقمح وذرة، والخضر والفواكه المنتجة في الحقول فهي موجهة أساسا للاستهلاك الفردي حيث تقتصر عملية التسويق على التمور وعلى الحبوب المنتجة في أراضي (المعدر)، وهي أرض تقع على ضفاف وادي درعة تزرع اعتمادا على فيضان مياه الواد أو روافده وتبعد عن أقا بحوالي 40 كلم نحو الجنوب. ويتم تسويق المنتجات المحلية والتزود من المواد الاستهلاكية الضرورية في سوق تقام مرتين في الأسبوع (الأحد / الخميس) قرب المركز الإداري بعد أن كانت تقام قبل الاحتلال الفرنسي عام 1934 في بعض المداشر.

وتدل الرسوم والنقوش على الأحجار المكتشفة في المنطقة على أن الإنسان وجد بأقا منذ أقدم العصور (حوالي 2500 ق. م) وتتحدث بعض الرويات اليهودية عن سكنى اليهود منذ القرن السادس ق. م في مدينة Vaqqa قرب وادي درعة (D. J. Meunié, op cit. 1 : 176 et Note 2) ولا يستبعد أن تكون هي أقا الحالية، لكن الراجح أو أقا قد عمرت منذ القرن الثاني عشر للميلاد، وازدادت عمارتها بعد خراب جارتـها (تُمْدولْت) الإدريسية في القرن XIVم (م.م. السوسي، *خلال*، 3 : 68؛ B. Rosemberger, *Tamdult*, p. 103) ويبدو أن أقدم قرى أقا هي القصبة التي كانت تسمى بالأمازيغية (أگادير أمْغَارْ أي حصن الشيخ). ثم قام الولي الصالح محمد بن مبارك الأقاوي (ت 924 / 1518) بتأسيس زاويته بفم أقا (Meunié, 1 : 277) وبعده اتخذ ابنه عبد الله بن محمد (ت 971 ـ 1563) خلوته في سفح جبل، فتطورت حتى أصبحت قرية سميت أگادير أزْرُو (حصن الحجر).

ولعل هذه القرى الثلاث التي أشار إليها الحسن الوزان (*وصف إفريقيا*، 2 : 117 ـ 118) في بداية القرن السادس عشر وذكر أن أهلها كانوا في حرب مستمرة حتى قام ولي صالح بإحلال الهدنة والأمن فيما بينهم وأن السكان فقراء يعيشون على تمور الواحة.

وفي منتصف القرن السادس عشر الميلادي توافد على أقا بعض قبائل أولاد جلال العرب الرحل الذين شرعوا في الاستقرار أسفل أقا ثم اتخذوا لهم قرى أغرور (كانت تقع قرب أگادير أزرو واندثرت بعد أن كانت من محطات *طريق السودان*) وقرى أولاد ابن فضايل وأولاد ابن يحة وأولاد عنتر والقبابة (وقد تغير موقع هذه الأخيرة عدة مرات بسبب إجلاء أهلها من طرف سكان أگادير أزرو. وكانت ببسيط أقا (أمسكدما) التي يبدو أن قائد المنصور السعدي العائد من السودان بأسرى تنبكتو نزل بها وهي الآن مندثرة (م. م. السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 70). وقد توافد على المنطقة سكان استقروا في قرية (إرحالن) أي الرُّحل، ومنها انتقلت إحدى الأسر البربرية فأسست قرية تگديرْت (عام 1144 هـ) أي الحصن الصغير، غير بعيد عن قرية تاوريرت (الربوة). وقد ورثت أقا بعض نشاط جارتها تامدولت التي خربت أوائل القرن الرابع عشر ميلادي. وأصبحت في القرن السادس عشر إحدى محطات طريق السعديين نحو السودان، واستمر آل مبارك الأقاويون يدعمون الحكم السعدي حيث كان الشيخ عبد الله بن مبارك الأقاوي (1015 / 1607) من شخصيات البلاط السعدي في عهد المنصور (ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة*، 69 ـ 71) كما عمل سنة 1604 م في الصلح بين ابني المنصور: أبي فارس، وزيدان الذي زاره بزاوية أقا. وبعد انهيار السلطة السعدية دخلت أقا ـ على ما يبدو ـ تحت سلطة أبي حسون السملالي الذي امتد نفوذه إلى تفيلالت والسودان حتى قضي عليه الرشيد بن الشريف العلوي وأخضع المنطقة لنفوذه في حركته التوحيدية الشاملة. وعندما نزلت قبائل أيت أمريبط بأقا في بداية التاسع عشر الميلادي وأصبحت تيزونين مركزا لتجارة القوافل الصحراوية تنتقل منها سلع السودان (عبيد، ذهب، أثواب) إلى داخل المغرب، كانت أقـا آنذاك مشهـورة بصيـاغـة الحلـي الذهبيـة الرفيعـة (Ch. de Foucauld, *Recon.*, p. 151).

يملك بعض رؤساء تيزونين رسائل وظهائر تعود إلى عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام والحسن الأول، وتدل على استمرار تبعية المنطقة للمخزن بشكل أو بآخر حتى مجيئ الاحتلال الفرنسي الذي لم يصل إلى أقا إلا عام 1934 م فأسس المركز الإداري الحالي.


ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. م. السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 42 ـ 88 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 614 ـ 616.

Ch. De Foucauld, *reconnaissance au Maroc* ; V. Monteil, *Choses et gens du Bani*, in Hesp., 1946, T. XXIII, p. 386-405; B. Rosenberger, *Tamdult, cité minière et caravanière*, in H. T. 1970, Vol. XI, pp. 103-140 ; D. J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982.


محمد حبيب نوحي

**أقّا** (مدرسة) تقع زاوية الشيخ عبد الله بن مبارك (تـ 1015 / 1606) بمحاذاة الجبل من قرية تاووريرت بأقا جنوب الأطلس الصغير ؛ (*خلال جزولة*، 3 : 42).

وهذه الزاوية التي تنسب إليها قرية تاووريرت أقدم من كل قرى أقا على الإطلاق هي وقرية إرحالن (*خلال جزولة*، 3 : 56) وتحتل مع مقبرتها التاريخية سفح الجبل. ويوجد بهذه المقبرة كل من الشيخ محمد بن مبارك (تـ . حوالي 924 / 1518) آتي الذكر الذي وسم قبره بشيء من الجص علامة عليه، وفي مقابله قبر والد عبد الله بن مبارك المذكور أعلاه ؛ كما يوجد معهما قبر عبد الله أيضا (*خلال*، 3 : 54).

غير أن المدرسة التي كانوا يدرسون بها ويعملون فيها بقيت قائمة هناك حتى جرفها السيل ؛ وهما سيلان معروفان وقع الثاني منهما سنة 1261 / 1845 ويعتبر أولهما أقدم وقد تسبب فيما يظهر في إتلاف تراث هذه المدرسة - الزاوية - فيما يدعي أحفاد هذه الأسرة (*خلال*، 3 : 82).

ويمكن ترتيب تسلسل علماء هذه الأسرة وهذه الناحية تاريخيا سلفا ثم خلفا وفق التدرج الآتي :

مبارك عبد الله الجد الأعلى المشار إلى مكان دفنه بمقبرة الزاوية آنفا ؛ وقد نازع ابن عم له في الرآسة حتى سلم له هذا الأخير وانتقل عنه إلى مكان آخر يسمى (أگادير أزرو) فاستقل مبارك بهذه الناحية مع أبنائه وأحفاده الآتية أسماء بعضهم ؛ فمنهم :

محمد بن مبارك (تـ 924 / 1518) الأقاوي السوسي من المصامدة ؛ أحد الممهدين الأولين لتأسيس الدولة السعدية بالمغرب ؛ وقد اشتهر بالولاية والصلاح واحتكمت إليه القبائل نازلين عند حكمه حتى إنه عين لهم أياما حُرُما لا يحمل فيها سلاح ويجتمع فيها الرجل بقاتل أبيه أو ولده ؛ سميت أيام سيدي محمد بن مبارك (*المعسول*، 18 : 147) كما نسبت إليه كرامات (نفسه 168) حتى أنه أمر قبائل سوس بالانقياد إلى السلطان الشريف أبي العباس أحمد الشيخ السعدي وأخيه أبي عبد الله محمد الشيخ آمرا إياهما بالعدل والجهاد عندما تغلب الصليبيون على سواحل البلاد ؛ وتوجد تفصيلات عن علاقته بالدولة السعدية عند الإفراني في *نزهة الحادي* تدل على زهده في الرئاسة حين طلب منه ذلك ؛ بالإضافة إلى تخصيصه لثلاثة أيام في الأسبوع والشهر تحترم فيها الأحياء حتى الحشرات.

ويظهر أنه أول من انتقل من أسرته إلى الزاوية بعد أن تكاثر عليه الطلبة في قرية القصبة ؛ فاضطر إلى بناء الزاوية في المحل الذي أضحى يسمى قرية الزاوية ؛ فلما كثر تنقله إلى هذه الزاوية للتدريس نقل سكناه من قرية القصبة إلى هناك ؛ فكثر طلابه ومريدوه كثرة كاثرة مع إغفال المؤرخين الواضح لتسجيل أسمائهم ؛ على أن أسانيد صاحب هذه الترجمة تتصل بشيخه مَحمد بن سليمان الجزولي الشهير (تـ .870 / 1465) كما يذكر أن العلامة على التيلكاتي المتوفى بأقا في نحو 900 / 1494 قد يكون له اتصال بصاحب هذه الترجمة (*المعسول*، 18 : 171).

أما علي بن محمد بن مبارك أحد أولاده فقد تولى أمر الزاوية موسعا من دائرتها مع تحصيل جملة من الممتلكات التي تعود عليها بالدخل في نواحي سوس كسهل هوارة وتارودانت، كما غير من أسلوب والده في التدريس والمشيخة والتربية مستغلا في ذلك منزلة الأسرة عند الدولة السعدية حتى صارت الزاوية في عهده من أكبر زوايا جزولة بما توفر لها من الرعاية، وإن لم ينقل لنا تفصيلات عن سلوكه التعليمي بهذه المدرسة التي يظهر أن مشاغله التنفيذية ربما جعلته ينيب عنه في تسييرها إلى أن توفي في مكان يسمى (تيدسي) فأقبر هناك.

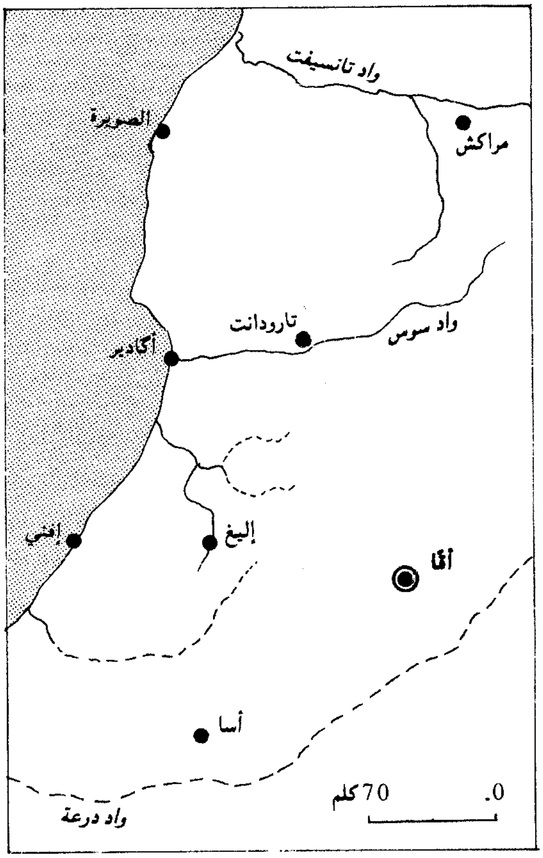


**أقّا**

وأخوه عبد الله بن محمد بن مبارك الملقب بالأعرج كان حيا سنة 971 / 1563، وكان أصغر منه ؛ فقد تخرج بوالده في العلم والسيرة والسلوك ؛ ولكنه حببت إليه العبادة وغلبت عليه فاعتزل في أكمة أصبحت فيما بعد محل سكناه في القرية المدعوة (أگادير أزرو = حصن الحجر) متعبدا هناك طيلة حياة والده مع إضافة مسجد صغير إليها ؛ ولا يزال الناس اليوم يتحاشون أداء اليمين به. ولما امتلأت عليه هذه القرية اتخذ خلوة له بعيدة عنها بنحو ساعتين سيرا على الأقدام في قمة (وينسين) وتوجد بها عين جارية تنسب له كرامة في استنباطها هناك ؛ ويحمل رسم وقفيّ مؤرخ بسنة 971 اسم صاحب هذه الترجمة (*المعسول*، 18 : 171).

ومن أفراد هذه الأسرة المتسلسلين منها بالنسب :

مبارك بن علي بن محمد بن مبارك ؛ وقد تولى أمر زاوية جده كما اشتهر بالصلاح ؛ وولده محمد بن مبارك الذي وصف بالعلم والتصوف. ويظهر أن خلافا بينه وبين أخيه الآتي الذكر عبد الله جعله يهجر قرية الزاوية إلى بلدة ماسة على نهر أمرزگون.

أما أخوه عبد الله بن مبارك فقد أصبح من أعلام علماء الدولة السعدية ؛ إذ انتهت إليه رئاسة الأدب ؛ مع الجمع بين علوم الظاهر وعلوم التصوف مع صدق فراسة ؛ وقد أخذ عن فقيه جزولة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عمرالتمنارتي وعن أحمد بن سليمان الرسموكي المزواري وغيرهما، وحكى عنه أحمد تلامذته ممن اتصلوا به أنه توفي في رمضان سنة 1015 / 1606 وولادته سنة 936 / 1529. وكانت له إلى جانب هذا كله عناية بزاوية أقا ومصاهرة مع شيخه التمنارتي آنف الذكر (*المعسول*، 18 : 173 - 175).

وقد تولى بعده أمور الزاوية المسمى محمد بن علي بن محمد بن مبارك ؛ إذ أجمع الحاضرون على تقديمه.

أما أحمد بن محمد بن علي ولد المذكور قبله فهو أيضا ممن تولى أمر الزاوية إلا أن خلافا دب بينه وبين ابن عمه مبارك بن عبد الله بن مبارك بسبب أمور الزاوية كاد يؤدي إلى اغتيال صاحب هذه الترجمة حتى حسم الأمر خال زوجته الأمير علي بوميعة الذي أرغم صاحب الترجمة حسما للنزاع على الانتقال إلى مكان آخر ؛ وبذلك انقطع العلم في آل عبد الله بن مبارك بعد أن غلب عليها الصلاح بواسطة تعاطي الطريقة التمگدشتية الناصرية إلى أن وقع الخلاف بين رجالاتها فلم تعد تعرف عند الأجيال المتأخرة إلا بالحروب مع أثارة من صلاح وبصيص من علم قليل (*المعسول*، 18 : 191).

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج. 3 ؛ *المعسول*، ج. 18 و ج. 19 ؛ *مدارس سوس العتيقة*، ص. 122.

محمد البايك

## أقا اكرن ← طاطا (إقليم —)

## الأقاويون (العلماء الصلحاء) ← أقا

**أقلا**، احماد بن علي. ولد سنة 1921 بقبيلة مسفيوة، إقليم مراكش وسط عائلة متواضعة الحال، انخرط ضمن تشكيلة المقاومة السرية بمراكش بقيادة حمان الفطواكي،

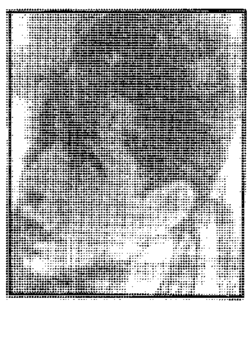

أحمد أقلا

وقام بأعمال فدائية جريئة من أهمها وضع قنبلة بمسجد بريمة بمراكش لاغتيال ابن عرفة الذي نصبه الفرنسيون وقد كان مسلحا بمسدس، وأثناء هذه العملية سقط شهيدا بباب المسجد رميا بالرصاص، وذلك يوم 20 غشت، وقبل استشهاده كان قد تناول قرص سم حتى لا تتمكن منه السلطات الاستعمارية.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**أقلال**، رقصة غنائية تعرف أيضا برقصة زاگورة نسبة إلى المكان المعروف بهذا الاسم بواد درعة وبرقصة السبق وبها يشارك إقليم ورززات في مهرجان الفنون الشعبية بمراكش كل عام.

وأصلها من جهات ورززات حيث تمارسها قبائل بودلال وسكورة وأيت عامر وأهل المحاميد وأهل دادس وأيت عطا وأيت حمو، وربما كان انتقال رقصة *أقلال* إلى ورززات من منطقة تافيلالت. ولما كانت هذه المناطق الفيلالية والدرعية ملتقى نازحين من الصحراء جنوبا ومن جبال الأطلس شمالا، فلا يدري بالضبط العنصر الذي أبدع هذه الرقصة. وأنواع أقلال هي : رقصة الركبة، ورقصة الوسطي، ورقصة العوادة، ورقصة الحصاد (وتغنى بحفلات جمع التمر) ورقصة الحاذي، ورقصة العير، ورقصة الاستسقاء....

وتعني كلمة أقلال، الرأس، وسميت بذلك لتحريك الرأس بها، فهو الأصل وتفرعت عنه حركات بأعضاء الجسم الأخرى. وهي تؤدى بألحان محلية مصحوبة بأناشيد دينية وتراتيل صوفية معهودة، ولا تقتصر مزاولتها على الأوساط القروية، بل هي معروفة في أوساط حضرية كذلك. ومناسباتها استقبال ضيف أو تقديم ولاء أو الاحتفال بانتصار أو بعيد ديني أو موسم زراعي أو في أسفار القوافل. وقد تصحب أنغامها *ببراول* وهي ألوان من النظم لها تفاعيل موسيقية عند منشدي طرب *الآلة* وعند بعض منشدي الطوائف الصوفية وأهل الملحون.

وفي طابع رقصة *أقلال* سمات من البيئة الصحراوية، ونغم مرسل، وعفرية وبساطة. وهي إلى الآن تعتمد في أنغامها على الآلات القديمة كالدف والبندير والعوادة والگوال والسيف.

والجماعة الراقصة في *أقلال* تتراوح عادة بين سبعة من الرجال وواحد وعشرين. ولها شوطان تتحول في الثاني منهما من ترتيل الأدبيات الدينية إلى أناشيد في وصف الطبيعة وإلى براول ومقطعات في الغزل أو الحكم والأمثال.

ولم يبق من سماتها العتيقة عند الشيوخ اليوم إلا النزر القليل، وقد جمعنا من أذكارها جملة قيمة أدرجناها في برامج أذيعت من الرباط ومراكش بين عام 1969 و 1986.

ع. الملحوني، *أدب المقاومة من خلال الشعر الملحون والمرددات الشفاهية*، مخطوط، وزارة السياحة، *منشورات مهرجان الفنون الشعبية بمراكش* 80 ـ 1983.

عبد الرحمان الملحوني

**أقلعي**، أسرة تطوانية أصلها من مجموعة القبائل المجاورة لمدينة مليلية والمعروفة بـ "قلعية" (تنطق گلعية). وكان جل أفراد هذه الأسرة يعملون في الجيش، وسبب ذلك هو أنه عندما أصدر السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام سنة 1261 / 1845 أمره بإنشاء بعض الفرق من الجنود في مدن المغرب، كلف بتأليف فرقة تطوان الأغا الحاج عبد السلام أقلعي الذي أنشأ طابورا من نحو مائتين من الجنود ورتبهم ترتيبا تركيا، غير أن أهل تطوان لم يُقبلوا على ذلك لما كان عليه أقلعي المذكور من الأخلاق الغير المرضية، الشيء الذي جعل الأغا يعتمد في تكوين الفرقة على أفراد أسرة أقلعي، اشتهر اسم واحد منهم : أحمد بن محمد أقلعي الذي كان ملازما ثانيا سنة 1292 / 1875.

وأسرة أقلعي كانت تحمل اسم "أياسين" في الأصل، وكان بتطوان شخص اسمه محمد أياسين يتعاطى التجارة، ممن وقعوا على وثيقة بيعه أهل تطوان لمولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد يوم 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 1 : 182 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 3 : 26 و 6 : 169 و 8 : 270 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (Q) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)*; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**إقليم**، يجد الإقليم بمعالمه الرئيسية الحالية جذوره في التقسيم الإداري الذي قامت به الحماية الفرنسية ابتداء من سنة 1912 للمنطقة الخاضعة لها، والحماية الإسبانية في شمال المغرب ابتداءً من سنة 1913. إلا أن هناك من يقول بأن المغرب كان يعرف تقسيما إداريا قبل دخول الحماية، وهناك من ينفي ذلك وهم أنصار الحماية.

قبل الحماية كانت سلطة المخزن، وإن لم تكن له الوسائل الكافية لمراقبة الرقعة الترابية الكاملة للمملكة، تشمل امتدادا جغرافيا مقسما إلى ثلاث مناطق رئيسية : فاس، مراكش، تافيلالت. وكان يمثل السلطات علي رأس كل منطقة "خليفة" للسلطان. أما المكلف بحكم المنطقة إداريا وعسكريا فهو "الباشا".

في عهد الحماية : منذ دخول الاستعمار الفرنسي إلى المغرب شرع في تنظيم وجوده وسيطرته على البلاد، وهكذا صدرت قرارات بالجريدة الرسمية المغربية منذ 1912 بتقسيم المغرب إلى جزئين : المغرب الغربي، والمغرب الشرقي.

يمثل الأول ستة أقاليم أو جهات régions هي : الشاوية والرباط ومكناس وفاس ودكالة وعبدة ومراكش. أما المغرب الشرقي فقسمه إلى منطقتين : الأولى شمالية تتكون من : إقليم وجدة ومقاطعه تاوريرت، والثانية غربية. وكانت هذه المناطق ذات طابع عسكري. كل منطقة تتكون من مقاطعات، ودوائر، وملحقات ومكاتب للاستعلامات أطلق عليها فيما بعد مكاتب الشؤون الأهلية. أما الأقاليم المدنية فلم يشرع في تأسيسها إلا ابتداء من سنة 1919 وهي : الرباط والدار البيضاء ووجدة وخنيفرة.

وفي سنة 1923 أصدر المقيم العام بالمغرب قرارا يقضي بتقسيم المغرب إلى أربعة أقاليم أو جهات مدنية هي : الرباط والدار البيضاء والقنيطرة ووجدة. وثلاثة عسكرية هي : فاس ومكناس ومراكش.

وهكذا يلاحظ بأن تنظيم الحماية الإداري للمغرب أملته أساسا الاعتبارات العسكرية والأمنية، التي كان يهدف من خلالها إلى ضمان استمرار وجوده وتحكمه في البلاد. لهذا كانت الجهة أو الإقليم هي الإطار الملائم للمراقبة السياسية للسكان ودعم سيطرته وتركيزها في السلطة المركزية.

بعد الاستقلال اختفت كلمة الجهات وحلت محلها الأقاليم، وحل العمال محل رؤساء المناطق، بحيث لم يدخل المسؤولون المغاربة أي تعديل جوهري على التقسيم الإداري للمغرب.

إن الإقليم في النظام المغربي الحالي يعتبر جماعة محلية مثله مثل العمالات والجماعات الحضرية والقروية، وقد نصت على هذا التعريف كافة الدساتير المغربية الثلاثة الصادرة على التوالي في 1960 ـ 1970 ـ 1972 وحددته على التوالي في الفصول 93 / 86 / 87.

أما النص القانوني المحدد للتنظيم الإقليمي ومجالسه موضوع الظهير الشريف في 12 شتنبر 1963، فقد عرف الإقليم بأنه جماعة إقليمية يجري عليها القانون العام، وتتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي. فالإقليم في هذا الإطار يتمتع باختصاصات في إطار وحدات ترابية وجغرافية تتمتع بالشخصية المعنوية تحت سلطة الوصاية المركزية.

إن أول نص قسمت بمقتضاه المملكة صدر بموجب ظهير مؤرخ في 16 دجنبر 1955، إلا أن لفظة إقليم لم ترد إلا بتاريخ 13 / 10 / 1956 وذلك بواسطة الظهير الشريف الصادر في 13 أكتوبر 1956.

وبتاريخ 2 دجنبر 1959 صدر ظهير جديد بشأن التقسيم الإداري للمملكة يلغي كافة النصوص السابقة المتعلقة بنفس الموضوع، وهو النص الذي مازال ساريا لحد الآن، والذي يقع تتميمه كلما تم إحداث أقاليم أو عمالات جديدة. وبموجبه يقسم المغرب إلى حدود سنة 1989 إلى الأقاليم التالية :

"أگادير، الحسيمة، أزيلال، بني ملال، بن سليمان،

بوجدور، بولمان، شفشاون، الجديدة، قلعة السراغنة، الراشدية، الصويرة، اسمارة، فاس، فگيگ، إفران، گلميم، القنيطرة، الخميسات، خنيفرة، خريبگة، العيون، مراكش، مكناس، الناضور، ورزازات، وادي الذهب، وجدة، أسفي، سطات، سيدي قاسم، طنجة، طنطان، تاونات، تارودانت، طاطا، تازا، تطوان، تزنيت".

ينقسم الإقليم إلى دوائر، والدوائر إلى قيادات. فالدوائر تقوم بربط الإقليم بملحقاته والتنسيق بين مختلف القيادات والتقسيمات التابعة لها.

أما الجماعات الحضرية فتشمل المقاطعات، وهذه الأخيرة تتكون من الأحياء التي يشرف عليها على التوالي القائد أو الخليفة ثم المقدمون و"الشيخ" الذي يقوم بتنسيق نشاطهم تحت إشراف خليفة القائد.

حدود الإقليم : إن حدود الإقليم يتم تحديدها بمقتضى ظهير شريف، أما الدوائر التي يتألف منها فعددها وحدودها يجب أن يتم بمقتضي ظهير شريف، ونفس الأمر بالنسبة لعدد وحدود المقاطعات التي تتشكل منها الدوائر.

تنظيم الإقليم : مستمد من الظهير الشريف الصادر في 12 شتنبر 1963 كما تم تعديله وتتميمه سنتي 1966 و1969. وتأتي أهمية المجلس الإقليمي من كون المشرع من خلال الفصل 3 من الدستور الحالي خوله صلاحية المساهمة في تنظيم المواطنين وتمثيلهم مثلها مثل الأحزاب السياسية والنقابات.

- يدير شئون الإقليم مجلس يسمى "المجلس الإقليمي" وذلك طبق الفصل 88 من الدستور. يتحدد أعضاؤه تبعا لعدد السكان القانوني المثبت في آخر إحصاء رسمي لكل إقليم. مثال ذلك إذا كان عدد سكان الإقليم لا يجاوز 200 ألف نسمة فإن عدد الأعضاء يتحدد في 11 عضوا. أما إذا تراوح عدد السكان بين 200.001 و 3 ملايين نسمة فإن عدد الأعضاء المنتخبين يتحدد في 31 عضوا.

- ينتخب أعضاء هذا المجلس لمدة ست سنوات بالاقتراع بالقائمة عن طريق التمثيل النسبي على أساس قاعدة أكبر بقية. أما أعضاؤه فينتخبون من بين المستشارين الجماعيين للإقليم بواسطة هيئة انتخابية تتكون من المستشارين الجماعيين لهذه الجماعة، كما يشارك علاوة على هؤلاء المستشارين بصوت تداولي ممثل واحد عن الغرف الفلاحية والتجارية والصناعية والصناعة التقليدية بمعدل ممثل واحد عن كل إقليم يقع في دائرة نفوذها، وينتخب بالأغلبية النسبية. يجتمع المجلس الإقليمي مرتين في السنة، الأولى فيما بين 15 ماي و15 أبريل على ألا تتجاوز الدورة 15 يوما، والثانية بين 1 أكتوبر و 30 منه، على ألا تتجاوز 3 أسابيع.

إدارة الإقليم : إن الهيئات المشرفة على إدارة الإقليم وتسييره تتركب من رئيس المجلس الإقليمي واللجان المنبثقة عنه والعامل، وتنحصر سلطات رئيس المجلس الإقليمي على سبيل المثال في تحرير جدول أعمال دورة كل اجتماع باتفاق مع العامل وتوجيه الاستدعاءات وتمثيل المجلس الإقليمي في حظيرة المجلس الإقليمي للإنعاش الوطني، ويمضي محاضر الجلسات مع العامل أو ممثله كما يتلقى استقالة المستشارين ويرفعها في الحين إلى العامل الذي يقرر فيها.

يمكن للمجلس الإقليمي أن ينتخب لجانا متخصصة لتسهيل مأموريته، من بينها لجان ميزانية الشئون الاقتصادية، والتصميم، والشئون الاجتماعية والثقافية. أما تاريخ اجتماع هذه اللجان فيتحدد باتفاق مع العامل وخلال الفترة الفاصلة بين الدورتين.

أما العامل : فهو الذي يقوم بالدور الأساسي في الإقليم إذ هو الرئيس الفعلي للمجلس الإقليمي. فهو المقرر الفعلي والمنفذ الحقيقي، يمثل المجلس الإقليمي والسلطات المركزية، خَوَّل له الدستور الحالي بواسطة الفصل 89 مهمة تنفيذ مقررات مجالس العمالات والأقاليم وتنسيق نشاطات الإدارات والسهر على تطبيق القانون.

فالعامل له سلطة مادية ومعنوية على كافة المصالح الموجودة على تراب الإقليم الموضوع تحت إمرته. كما أنه ينفذ القوانين والمقررات التنظيمية، ويضمن احترام النظام والأمن العام. إن سلطة العامل على التنظيم الإقليمي تتجاوز حدود الرقابة الرآسية، إذ يشرف على تنظيم سير انتخاب أعضاء المجلس الإقليمي ويراقبهم عند ممارستهم لمهامهم ويقوم بتحضير مشروع ميزانية الإقليم.

لوزير الداخلية وصاية على المجلس الإقليمي يمارسها من خلال العامل، وتتجلى في المصادقة على مقررات المجلس كالميزانية والنظام الداخلي. وكذلك الوزير الأول له دور في التنظيم الإقليمي، بحيث بإمكانه إصدار مرسوم بحل المجلس الإقليمي أو بالترخيص للأقاليم بتأليف نقابات بينها.

نقابة الأقاليم : يمكن للأقاليم أن تُكون فيما بينها نقابات قصد إنجاز عمل مشترك وتسيير صناديق خاصة بكل واحدة منها لتمويل الأشغال البلدية وأداء بعض النفقات المشتركة الخاصة بالتسير. ولإدارة هذه النقابة يتم انتخاب أعضائها من المجالس الإقليمية المعنية بالأمر، بحيث ينوب عن كل إقليم نائب يعين من بين أعضاء المجلس الإقليمي بالاقتراع بالأغلبية المطلقة، هذه اللجنة المسيرة تنتخب رئيساً لتدبير شئونها.

تعتبر هذه النقابا مؤسسات عمومية تتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي، كما يطبق عليها التشريع والتنظيم المتعلقان بالوصاية على الأقاليم والعمالات، وقواعد محاسبة الأقاليم والعمالات.

وبالجملة فالإقليم في النظام المغربي الحالي أداة أساسية في تأطير ومراقبة السكان وتقوية السلطة المركزية وتقريب الإدارة من المواطنين، وهو أداة وسيطة من خلاله توجه وتؤثر وتراقب محليا السلطة المركزية سياستها وتعليماتها.

- ظهير شريف رقم 1.59.351 بتاريخ 1 جمادى الآخرة 1379 (2 دجنبر 1959) بشأن التقسيم الإداري للمملكة كما تم تعديله وتتميمه بالمرسوم رقم 2.81.854 الصادر في 21 من صفر 1402 (18 دجنبر 1981). وبالمرسوم رقم 2.84.129 الصادر في 4 شوال 1404 (3 يوليوز 1984).

- ظهير شريف رقم 1.63.273 في 22 ربيع الثاني 1383 (12 شتنبر 1963) بشأن تنظيم العمالات والأقاليم ومجالسها. كما تم وعدل على التوالي في 6 غشت 1969 و30 شتنبر 1976 و6 أبريل 1966.

- مرسوم ملكي رقم 172.66 بتاريخ 7 رجب 1386 (22 أكتوبر 1966) بمثابة قانون يتعلق بتحصيل ديون الجماعات المحلية وهيآتها.

- ظهير شريف رقم 1.71.77 بتاريخ 22 ربيع الثاني 1391 (16 يونيو 1971) بإحداث المناطق كما تُمم بمرسوم رقم 2.79.408 المؤرخ في 8 رمضان 1399 (2 غشت 1979).

- ظهير شريف رقم 1.72.061 بتاريخ 23 محرم 1392 (10 مارس 1972) بإصدار الأمر بتنفيذ الدستور.

- ظهير شريف رقم 1.76.584 بتاريخ 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بمثابة قانون يتعلق بالتنظيم المالي للجماعات المحلية وهيئاتها، كما تم وعدل بمرسوم قانون رقم 2.80.557 بتاريخ 22 شوال 1400 (2 شتنبر 1980).

- مرسوم رقم 2.76.575 بتاريخ 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بتطبيق الظهير الشريف رقم 1.76.584 الصادر في 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بمثابة قانون يتعلق بالتنظيم المالي للجماعات المحلية وهيئاتها.

- مرسوم رقم 2.76.576 بتاريخ 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بسن نظام لمحاسبة الجماعات المحلية وهيئاتها.

- مرسوم رقم 2.76.577 بتاريخ 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بشأن مراقبة صحة الالتزام بالنفقات الخاصة بالجماعات المحلية وهيئاتها.

- ظهير شريف رقم 1.59.169 بإحداث صندوق التجهيز الجماعي.

- مرسوم رقم 1.76.578 بتاريخ 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بإحداث صندوق لتنمية الجماعات المحلية وهيئاتها.

- ظهير شريف بمثابة قانون رقم 1.75.168 بتاريخ 25 صفر 1397 (15 يبراير 1977) يتعلق باختصاصات العامل.

- مرسوم رقم 2.83.372 الصادر في 20 من رجب 1403 (4 مايو 1983) يقيد ويتمم بموجبه المرسوم رقم 2.73.416 الصادر في 14 رجب 1393 (14 غشت 1973) بإحداث وتعداد الدوائر والقيادات والجماعات الحضرية والقروية للمملكة وتحديد عدد المستشارين الواجب انتخابهم في كل جماعة.

- مرسوم رقم 2.84.47 الصادر في 4 شوال 1404 (3 يوليوز 1984) بتحديد عدد أعضاء مجالس الأقاليم والعمالات.

م. مرغني، *المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي*، الرباط، 1982 ؛ ع. باينة، *المختصر في القانون الإداري المغربي*، الرباط، 1985 ؛ كتابة الدولة لدى الوزير الأول المكلفة بالشؤون الإدارية، *تشريعات وقوانين تنظيمية*، الرباط، 1985.

S. Benbachir, *L'Administration locale au Maroc*, Imprimerie royale, 1969 ; A. Sedjari, *Les structures administatives territoriales et le développement locale au Maroc*, Coll. F.S.J.E.S, Rabat, 1981 ; M. Rousset, *Le Droit administratif marocain*, 4e éd. 1984 ; Ministère de l'intérieur, *Guide de l'agent d'autorité*, 2 volumes ; F. Bernard. *L'Organisation régionale du Maroc.*

أحمد بوجداد

**أقنين**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد انتقلت من هناك أولا إلى ناحية الريف ثم استقرت بتطوان في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، ولم تذكر لنا الوثائق من أفراد هذه الأسرة سوى التاجر عبد السلام بن قاسم أقنين الذي كان حيا سنة 1230 / 1815، والفقيه عبد الجبار بن المهدي أقنين الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1282 / 1866، ولا زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330، *تاريخ تطوان*، 7 : 278 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (Q) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* 1932 (Q) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espagnol*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**أقيتْ ← أحمد باب**

**أقـيتْ**، ـ بضم الهمزة التي تعني بالأمازيغية "ابن" وذلك حسب النطق المحلي ـ أسرة سودانية عالمة تنتمي إلى مسوفة گدالة من فروع قبيلة صنهاجة الكبرى. وأول من حمل هذه الكنية منهم الجد الثالث لأحمد باب : محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى المسوفي الصنهاجي. كان محمد أقيت يقطن في ماسنة جنوب غربي تنبكتو على الضفة اليمنى لنهر النيجر، وهي موطن الفلانيين الذين كان محمد أقيت يبغضهم ويستنكف عن مصاهرتهم، فرحل طالعا إلى الشمال وأقام مدة في بيرُ ثم فيما بينها وبين رأس الماء الواقعة على الطريق التجارية الرابطة بين تنبكتو وولاتة. كان راغبا في الإقامة بتنبكتو فمنعه من ذلك عداوة قديمة بينه وبين حاكمها آنذاك أكل التروگي. وأخيرا شفع له أحد أعيان تنبكتو عند الحاكم، فدخل محمد أقيت إلى تنبكتو واستوطنها هو وعقبه من بعده وأصبح منهم وجهاء المدينة وعلماؤها وصلحاؤها.

ارتبط آل أقيت التنبكتيون بتاريخ المغرب منذ أواخر القرن العاشر / 16 م، حين تراسل أحمد المنصور ـ قبيل توجيه الحملة إلى السودان ـ مع كبيرهم القاضي عمر بن محمود أقيت مؤملا أن ينشر دعوته في تلك الأصقاع ويدعو الناس إلى الدخول في طاعته باعتباره الإمام القرشي الشريف الجامع لشروط الخلافة، لكن القاضي لم يفعل ؛ بل اتُّهم بتحريض التنبكتيين على الثورة ضد جيش

المنصور، الأمر الذي دعا الباشا محمود زرقون إلى اعتقاله وسائر آل أقيت الذين كان هواهم مع الأسكيِّين أواخر المحرم عام 1002 / 1593، فسجنهم مدة في قصبة تنبكتو ثم بعث بهم مقرنين في الاصفاد إلى مراكش. "واستقروا مع عيالهم في حكم الثقاف إلى وقت انصراف المحنة عنهم فسرحوا يوم الأحد الواحد والعشرين من رمضان عام أربعة وألف ففرحت بذلك قلوب المومنين" (*نزهة*، 88).

وقد عاش آل أقيت بمراكش بعد السراح أزيد من عشر سنين متمتعين بعطف السكان وأنسهم ورعاية الدولة وإكرامها، فأدرك الأجل بعضهم فيها، ورجع البعض إلى تنبكتو.

أ. بابا، *نيل الابتهاج* ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ م. الافراني، *نزهة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 5.

**أقيت، عبد الرحمان** بن محمود، فقيه عالم زاهد متصوف، معرض عن الدنيا بكليته مقبل على التدريس والوعظ وتربية المريدين. كان ذا نية بالغة في الشيخ يحيى التادلي دفين تنبكتو ويقول : "واجب على أهل تنبكت أن يزوروا روضة سيدي يحيى للتبرك به في كل يوم ولو كانت منه [على] مسافة ثلاثة أيام" (*فتح الشكور*، 218) كما كان مولعاً بكتاب *دلائل الخيرات* لمحمد بن سليمان الجزولي، يلقّنه للطلبة ويشرحه لهم ويعرضونه عليه.

قدمته الجماعة للإمامة، وهي خطة تضاهي خطة القضاء في تنبكتو، فقام بها أحسن قيام حتى بعد أن مرض واعتقل مع آل أقيت من طرف الباشا محمود بن زرقون ونقل إلى مراكش فمات بها مطعونا يوم الخميس خامس صفر عام 1006 / 17 شتنبر 1597. ودفن مع ابن القطان بإزاء جامع ابن يوسف.

ع. السعدي، *تاريخ السودان*، 214 ؛ م. البرتلي، *فتح الشكور*، الترجمة 170، وفيها تصحيف في الطبع، ذكره في مواضع متعددة؛ م. مطيع، *دراسة كفاية المحتاج*، 1 : 22 (مرقونة).

**أقيت، عبد الله** بن محمود، ويلقب بلسان قومه : "ألفع عبد" فقيه زاهد على ما آتاه الله من ثروة عظيمة. اشتغل بتدريس *رسالة ابن أبي زيد ومختصر خليل* في مساجد تنبكتو حتى كاد يحفظهما عن ظهر قلب. أصابه شرر الفتنة التي اتقدت خلال الشهور الثلاثة الأولى من عام 1000 / أكتوبر - دسمبر 1591 حين هاجم تنبكتو رئيس الطوارق أوسنبَ التاركي مغرشن كي لإغاثة القائد مصطفى التركي المحاصر في القصبة، فكان أوسنبَ يحرق على الثوار منازلهم حتى وصل إلى باب دار عبد الله بن محمود القريبة من دار أخيه القاضي عمر. وبعد أن سكنت الهيعة وتم الصلح بين التنبكتيين والقائد مصطفى التركي، استأنف عبد الله بن محمود عمله في التدريس كعادته لكنه اعتقل من طرف الباشا محمود زرقون لما رجع من مطاردة أسكيا إسحاق، في جملة من اعتقل مع القاضي عمر بن محمود من آل أقيت، ونقل معهم إلى مراكش، حيث ظل معتقلا إلى أن أطلق سراحه مع قومه في رمضان عام 1004 / ماي 1596، ثم لم يلبث أن توفي بمراكش مطعونا يوم الاثنين فاتح شعبان عام 1006 / 9 مارس 1598.

أ. باب السوداني، *نيل*، 161 ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان*، 156 و214 ؛ م. البرتلي، *فتح الشكور*، الترجمة 155 ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 8 : 290 ؛ م. مطيع، *دراسة كفاية المحتاج*، 1 : 22 (مرقونة).

**أقيت، عمر** بن محمود بن عمر، قاضي تنبكت منذ عام 993 / 1585 إلى عام 1002 / 1593. فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، مشارك في الحديث والسير والتاريخ، ناسك زاهد، أبى أن يتولى منصب القضاء حين عُرض عليه فلم يقبله إلا بعد لأي، وحمدت سيرته فيه، فكان مسموع الكلمة عند أهل تنبكتو معظما لدى الأسكيين. حاول أحمد المنصور قبل إرسال الحملة العسكرية إلى السودان أن يستخدمه في التمهيد لها ودعوة الناس إلى الدخول في طاعته باعتباره الخليفة القرشي المستجمع لشروط الإمامة العظمى، وذلك في رسالة مطولة مؤرخة في شوال عام 1998 غشت 1590 جاء في آخرها :

"... واعتقدوا مع ذلك أن كل من أمنتموه من عساكرنا الطالعة براياتها البيض على تلكم الأقطار السودانية إن شاء الله طلوع الفجر، وكتائبنا المتلاطمة تلاطم أمواج البحر، فقد أمناه، ومن أجَرتموه فقد أجَرناه، إظهارا لمزيتكم، وإشعارا بمكانتكم لدينا ورفعة قدركم، وإيذانا بجليل منصبكم عندنا وسموِّ رتبتكم..." (*مناهل الصفا*، 133) ويظهر من هذه الخاتمة أنها تجيب عن رسالة سابقة ربما كان القاضي عمر بعث بها إلى أحمد المنصور.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الرسالة لم تحقق النتيجة المرجوة، ولم يعر القاضي عمر كبير اهتمام لقادة حملة المنصور، ولم يُكرمهم مثلما أكرمهم خطيب تنبكتو الشيخ محمود درامي، بل اتُّهم القاضي عمر بتحريض الناس على القتال في فتنة تنبكتو الدامية التي دامت شهرين (محرم - ربيع الأول عام 1000) وحوصر فيها القائد مصطفى التركي في القصبة. فكان ذلك سببا في تغريب القاضي عمر وسائر آل أقيت إلى مراكش عام 1002 / 1593 فمات بها في السنة التالية وهو في حال ثقاف، عام 1003 / 1594، ودفن بجوار القاضي عياض.

ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ الولاتي، *فتح الشكور* ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، الجزء 9 ؛ م. مطيع، *كفاية المحتاج، دراسة وتحقيق*، رسالة جامعية مرقونة.

محمد حجي

**أݣادير**، تجمع على إݣودار، من الكلمات المستعملة في المجال الأمازيغي - بجانب مرادفتها إغرْم جمع إغرْمَانْ - لتدل على الحصن أو المخزن الجماعي أو القرية أو المنزل المحصن أو القصبة، كما تدل عموما على أي جدار كيفما كان حجمه ومادة بنائه ووظيفته. والكلمة قديم استعمالها.

فقد كانت اسمًا لمدينة قادس القديمة، ولقلعة موحدية بضاحية اشبيلية ولمدينة تلمسان وربما لمدينة الصويرة كذلك (مْ ـ وْگادير = مُوگادُورْ؟ أي، ذات الحصن). بالإضافة إلى المدينة المغربية الحالية أگّاديرْ ن ـ يغيرْ.

تنتشر الكلمة بكثرةَ، اسمًا للأماكن، في الجنوب الغربي للمغرب، بما في ذلك الأطلس الكبير الغربي وسهل سوس والأطلس الصغير. في حين تحل محلها كلمة إغْرمْ في الأطلس الكبير الأوسط والشرقي والأطلس المتوسط والجنوب الشرقي من تَازَنَاخْتْ إلى تافيلالت. كما تنتشر بصيغة التصغير : تَاگَاديرْتْ / تيگيدَارْ (= تيغْرْمْتْ / تيغْرْمينْ) أو بصيغة الجمع : إگُودَارْ.

تتميز هذه المؤسسات بكونها تُبْنَى عادة على مرتفع من الأرض، يصعب اقتحامه، ويسهل الدفاع عنه. وربما كان هذا هو الأصل في تسمية الجرف كذلك بـ أگاديرْ أو بـ أجْديرْ، في كل من منطقة «القبائل» بالجزائر ومنطقة الريف بالمغرب.

أما الغاية من بنائها، فليست هي السكن الدائم للجماعة التي بنتها ـ باستثناء قصبات الأعيان أو ممثلي السلطة ـ بل لخزن ثرواتها من حبوب وزيوت وغيرها، وللالتجاء إليها في حالة الحرب. كما تكون مكانا للمبادلات التجارية ولبعض الصناعات كالحدادة والتعدين وصناعة الأسلحة أو إصلاحها والحُلي... وربما كان بعضها يستعمل منزلا (نزالَة) للقوافل، إذا كان موقعها على الطرق التجارية.

وقد تكون ملكا جماعيا لسكان قرية واحدة، أو لمجموعة من القرى المتجاورة أو لقبيلة بأكملها. كما أن بإمكان الجماعة المالكة أن تقبل لجماعة أخرى لاتتوفر على أگادير خاص بها، أن تضع مخزوناتها في حصنها، بعد اتفاق الجميع، مع احترام الأعراف الجاري بها العمل.

يُبْنَى أگادير بتعاون الجماعة، ويكون تصميمه على شكل مربع تعلو زواياه أبراج للمراقبة، أو على شكل مستطيل بدون أبراج، وقد يتخذ شكلا هندسيًا آخر، وذلك حسب المناطق، ومدى ما تتوفر عليه الجماعة من إمكانات مادية وبشرية. ويتكون من عدة طبقات، قد تصل إلى خمس. وتقسم كل طبقة إلى غرف مفتوحة نحو الداخل، وهذه الغرف هي التي توزع على المستفيدين أسراً وعشائر. وفيها يضعون خزائنهم ويغلقونها، وتسمى بالأمازيغية أگْنَارْ وجمعها إگْنَارنْ.

كما يتوفر عادة على مسجد وخزان للماء (نطفية)، ومسكن للحارس، وفضاء للمواشي يكون بين السور الخارجي، المكوّن من النباتات الشوكية، والسور الداخلي المبني بالحجر أو الطين المكبوس.

إن الاستفادة الجماعية من مؤسسات إگُودَارْ اقتضت اعتبارها شخصية معنوية، تنظم سيرها أعراف شفوية أو مكتوبة يعرفها الجميع ويحترمونها، لا لأنها تضم بنودا زجرية، تنفذ عند الاقتضاء بكل صرامة فحسب، ولكن لأن مؤسسة أگادير تحاط بهالة من الاحترام، وتكتسب في نفوس الناس هيبة الحرم، بحيث لايجرؤ أحد على ارتكاب مالا يليق داخلها.

يشرف على تسيير هذه المؤسسة والبت في ما قد يطرح بسببها من مشاكل، مجلس إنْفْلاَسْ أو أعضاء الجماعة. ومع أن الكل مسؤول على أمن أگادير، فإن الجماعة توظف شخصا بأجر، يقوم بالحراسة الدائمة، ويكون مقيما داخله. كما تفرض على كل الأسر المستفيدة، أن تعين بالتناوب فردا منها للقيام بواجب الحراسة لمدة يوم واحد.

إن وجود مؤسسة إگُودَارْ بكثرة تلفت النظر، في المنطقة شبه الصحراوية وجنوب المغرب بصفة عامة، بما في ذلك جبال الأطلس، يدعو إلى الاعتقاد بأن سبب ذلك راجع إلى أمور ثلاثة :

1 ـ ضرورة خزن المواد المتوفرة في سنوات الخصب، حتى يستعان بها على السنوات العجاف. خصوصا في منطقة تتأثر أكثر من غيرها بالمناخ الصحراوي، والدورات المناخية المتعاقبة بين الجفاف والرطوبة.

2 ـ كون المنطقة غير خاضعة تماما لسلطة مركزية قارة، مما يجعل المجموعات المتساكنة في مواجهات مستمرة فيما بينها.

3 ـ كون المنطقة معرضة أكثر من غيرها لهجمات المجموعات الراحلة التي تجوب الصحراء وتخومها.

إن أهمية إگُودَارْ لاترجع فقط إلى وجود هذه البنايات المتخصصة ـ نُوَيَات المدن المصغرة ـ عبر مناطق واسعة من المغرب، بل ترجع كذلك إلى دورها في حياة الجماعة، وإلى الكيفية التي تم بها توظيفها على المستوى القانوني، لتساهم بفعالية في بقاء الجماعة وتلاحمها. فأگاديرْ والأرض هما المركزان الأساسيان اللذان تتمحور حولهما حياة الفلاحين. لذلك نجد أن المجهودات التنظيمية انصبت كلها عليهما، مما نَمّى لدى هذه الجماعات حسا مرهفا على مستوى التقنين، وحرصا كبيرا، بلغ حد المبالغة، على تحري الدقة في تفصيل القواعد والنوازل.

J. Berque, *Structures sociales du Haut-Atlas*, p. 35, nº 1 ; G. Camps, *Berbères aux marges de l'histoire*, Ed. des Hespérides, Toulouse, 1980, pp. 280 sqq ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc*, p. 62 ; *Dictionnaire Touareg-Français*, t/ I, p. 400 ; J. Despois, *Les greniers fortifiés de l'Afrique du Nord*, C. T., Tunis, 1954, pp. 1 - 58 ; P. Dupas, *Note sur les magasins collectifs du Haut - Atlas Occidental*, Hesp., Tome IX, Année 1929, 4e tr. pp. 303 - 321 ; J. Gattefosse, *Les greniers de falaise forme ancienne d'Agadir collectif*, B. S. P. M, Rabat, 1934, nº 1 et 2, 1e et 2e trimestre ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, p. 3, n. 5 ; *L'Habitation chez les transhumants du Maroc central*, pp. 214 - 215, *Contribution à une étude de la toponymie du Haut - Atlas*, p. 70; J. Meunié, *Les Greniers - citadelles au Maroc* ; R. Montagne, *Un magasin collectif de l'Anti - Atlas, l'Agadir des Ikounka*, Hesp., Tome IX, Année 1929, 2e - 3e trimestre, pp. 145 - 2666; *Villages et Kasbas berbéres*, Paris, 1930, ch. IV ; *Les Berbères et le Makhzen*, pp. 253 sqq ; H, Nait - Balk, *Approche archéologique et architecturale des Igoudar de l'Anti - Atlas et de leur rôle socio-économique*, D. E. A., Paris 1, 1986.

صدقي علي أزايكو

**أگادير**. ـ جغرافيا ـ تعرف مدينة أگادير كباقي المدن المغربية الأخرى، توسعا حضريا سريعا، غير أن العاصمة السوسية تنفرد بدينامية حضرية تثير الانتباه. فهذه مدينة هامشية نسبيا، تتعرض إلى زلزال عنيف (شهر فبراير 1960) يأتي على 80 ٪ من بناياتها، ويجعل عدد سكانها ينخفض من 45000 نسمة قبيل الكارثة، إلى حوالي 16000 فردا بعدها، ويلحق اضطرابا كبيرا باقتصادها المحلي، ثم نجدها بعد عقد من الزمن فقط استرجعت ساكنتها التي ارتفع عددها إلى 62000 نسمة سنة 1971، كما استعادت دورها الإقليمي الذي تقوّى واتسعت منطقة نفوذه. أما اليوم فأگادير أصبحت تحتضن أكثر من 100000 نسمة منتمية بذلك إلى فئة المدن المتوسطة. وإذا ما اعتبرنا المراكز الصغرى التابعة لها والتي تُكوِّن معها ما أصبح يصطلح عليه اليوم "بأگادير الكبير" فإن ساكنة هذا التجمع الحضري تفوق 200000 نسمة. وعلى أي فأگادير غدت اليوم تفرض وزنها كقطب جهوي لأقاليم المغرب جنوب الأطلس لا من الناحية الديمغرافية فحسب، بل وعلى مستوى الأنشطة والوظائف كذلك، حيث يتعدى دور بعض هذه الأنشطة ـ كالسياحة ـ الإطار الإقليمي الضيق.

فأي تقديم لأگادير لا يمكنه أن يغفل هذا الانبعاث الذي يلفت النظر، وبالتالي يلزم إبراز بعض العوامل المفسرة لهذه الانطلاقة، قبل التعرض إلى تحليل الأنشطة الحضرية وخصوصياتها، وكذا النسيج الحضري ومميزاته.

ترتبط أهمية أگادير الماضية والحاضرة بموقعها وموضعها، وانفتاحها على الشمال والجنوب. موقع المدينة في أقصى غرب الأطلس الكبير، حيث تنخفض السلسلة الجبلية لتصبح هضابا متدرجة (هضاب إداوتنان) جعلها تحتل نقطة وصول الطريق الوحيدة العابرة للأطلس الكبير، في اتجاه الأقاليم الجنوبية، كما أن وجودها على قدم الأطلس وفر لها وضعية اتصال وتكامل بين الوسط الجبلي وسهل سوس.

أما موضعها الساحلي، جنوب النتوءات الأطلسية التي تتقدم داخل البحر، فسيلعب دورا أساسيا بالنسبة للأنشطة التي ستعتمد عليها المدينة. فرأس غير يقي الخليج من الرياح والشاطئ من عباب المحيط الأطلسي، ولذلك كان هذا الموضع من أحسن النقط الموجودة جنوب البلاد المغربية لإرساء السفن، ثم لتشييد ميناء سيبقى وحتى بداية الثمانينات ـ أي إلى أن جهز ميناء مدينة العيون وطرفاية ـ هو المرسى الرئيسي، والمنفذ الوحيد للمغرب جنوب الأطلس. وسيساهم رأس غير هذا، بعد إعادة بناء المدينة في ظهور ثم ازدهار النشاط السياحي الذي يرتكز بأگادير أساسا على منتوج البحر، وذلك بتوفيره خليجا بحريا هادئا، وشاطئا آمنا.

إن تظافر عناصر هذا الموضع وهذا الموقع سيجعل من مدينة أگادير عاصمة جهوية لكل الأقاليم المغربية الممتدة جنوب الأطلس. وتبرز أهمية هذين العنصرين من خلال المراحل التاريخية التي مرت منها المدينة :

ـ أگادير حتى سنة 1960 : من المركز التجاري حتى المدينة المنكوبة.

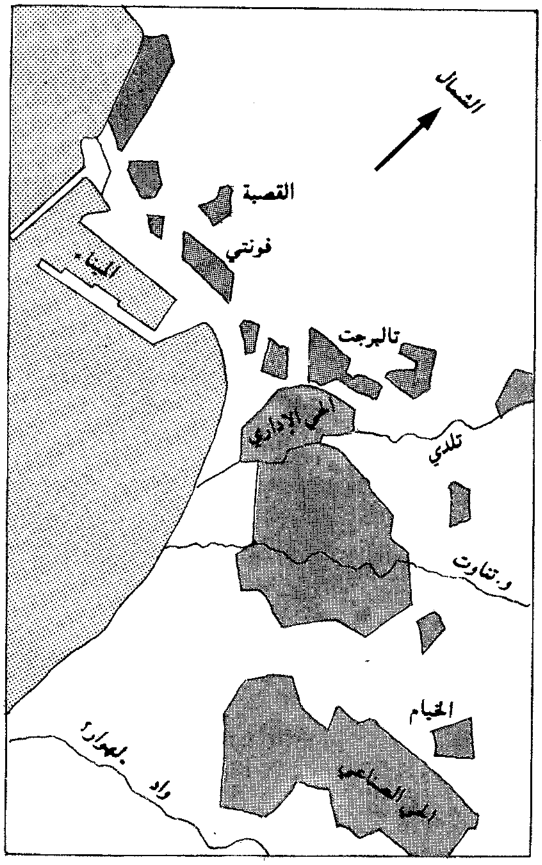


**أگادير عام 1960**

من المفترض أن الفينيقيين ترددوا على الخليج لملاءمته للملاحة البحرية آنذاك، ومما لا شك فيه أن البرتغال استقروا بنفس الخليج حيث أنشأوا أولا ميناء للصيد تحول فيما بعد إلى مركز تجاري نشيط ومحصن (Santa Cruz du Cap de Gué) تردد عليه تجار قادمون من إسبانيا وفرنسا وجنوة. ثم تُسترجع هذه النقطة الساحلية من طرف السعديين في أواسط القرن السادس عشر، لكي ينشط بها تصدير سكر سوس، ولوز وجلود الأطلس الصغير، وذهب السودان في اتجاه البلدان الأوروبية. وتدوم فترة الرواج التجاري هاته حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر حيث أنشأ السلطان العلوي محمد بن عبد الله ميناء الصويرة سنة 1774 وأوقف تردد التجار الأوروبيين على ميناء "سانطا كروز" فانهار اقتصاد الميناء، وبقيت الحالة هكذا حتى أن ظهرت أطماع التوسع الأوروبي (الفرنسي الألماني) الذي سيوجه اهتمامه إلى سوس ومنفذه الساحلي خاصة ابتداء من سنة 1909، إلى أن يتم احتلال أگادير من طرف القوات الفرنسية سنة 1913. وستبرز من جديد أهمية الميناء حينما تلقت أگادير بعد الحرب العالمية الثانية، قسطا وافرا من رؤوس الأموال التي انتقلت من فرنسا إلى

المغرب. فبالإضافة إلى الاستعمار الفلاحي بسهل سوس، استثمر المعمرون في قطاعي الصيد وتصبير السمك حيث تلقت أگادير ما بين 1947 و 1952 مثلا أكثر من نصف معامل التصبير التي أنْشئت بالمغرب.

أما في فترة الاستقلال فقد لعبت مدينة أگادير دورا أساسيا كمنفذ للجنوب وعاصمة جهوية. فقد كانت نقطة وصول جل المحاور الطرقية القادمة من الشرق (ورزازات، وتارودانت، وسهل سوس)، ومن الجنوب (طرفاية، وتزنيت)، ومن الجنوب الشرقي (الأطلس الصغير)، ومن الشمال (الدار البيضاء). كما كانت منفذ تصدير المنتجات الإقليمية (معادن الأطلس الصغير، والمنتجات الفلاحية لسهل سوس، والمنتجات التحويلية للصناعات المحلية) وتزويد الجنوب بما يحتاجه من مواد استهلاكية، كما كانت هي القطب الصناعي الوحيد والعاصمة الإدارية لإقليم كان يُعتبر أكبر الأقاليم آنذاك.

إلى وسطها، فأصبحت صلة الوصل بين الجزء الشمالي والجزء الجنوبي من التراب الوطني، سيما وأن طريقاً جديدة بحوض أرگانا جعلها تنفتح أكثر على الشمال، كما أن مشروع خطة السكة الحديدية الذي سيربط الشبكة الشمالية بمدينة العيون سيزيد من أهمية هذا الدور الذي أصبح منوطاً بأگادير. ناهيك عن اتساع منطقة إشعاعها الذي كان دائما متجها نحو الجنوب. فعلى سبيل المثال تنفرد المؤسسات الجامعية (كليتا الآداب والعلوم) التي أحدثت بالمدينة منذ 1984 بأوسع رقعة استقطاب جغرافي للطلبة من الأقاليم الموجودة بالجنوب الغربي.

بالإضافة إلى هذه المكانة التي أصبحت تتمتع بها المدينة على الصعيد الإقليمي والجهوي، تنهمك أگادير، على الصعيد المحلي، في هيكلة تجمع حضري فريد من نوعه، جنوب الأطلس. فرغم المجهودات التي بذلت في إطار إعادة بناء المدينة، فإن الإمكانيات السكنية المعروضة

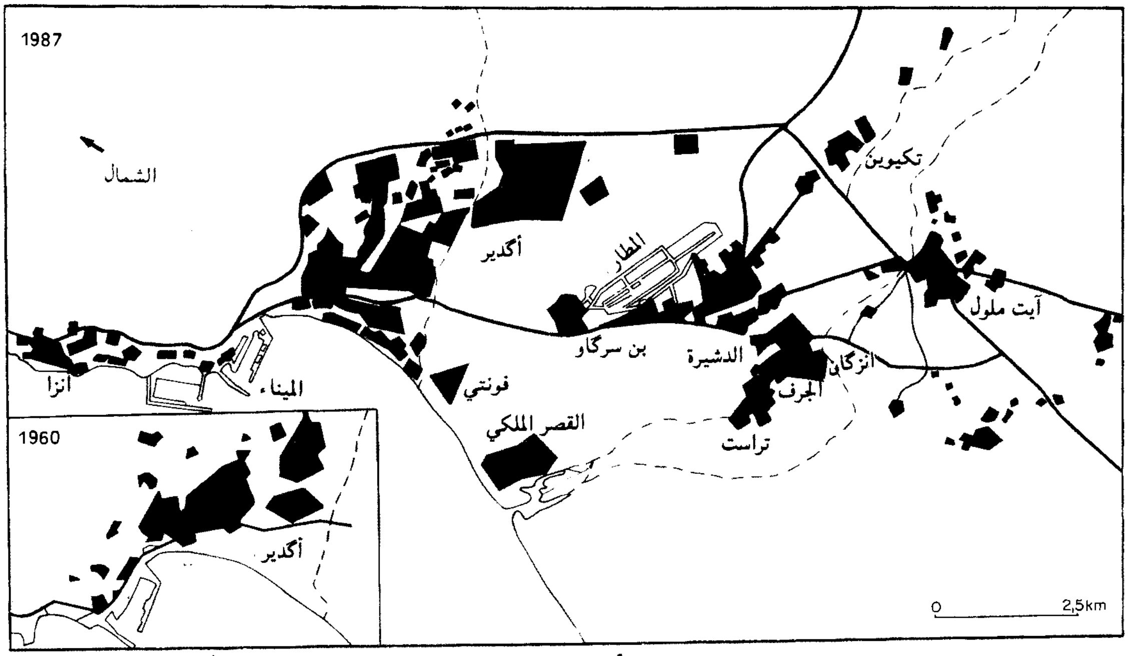


أگدير الكبير

- أگادير بعد الزلزال. أهمية هذا الدور الإقليمي هي التي استلزمت إعادة بناء المدينة، رغم أن الكارثة كانت قد دمرتها. وهكذا انطلقت أول الأوراش سنتي 1962 و 1963 لكي تنتهي المرحلة الأولى والأساسية في إعادة بناء المدينة (انتهاء الأشغال الكبرى والبنايات الإدارية، تقدم الأحياء السكنية، انطلاق الحي السياحي) سنة 1966. ثم استعادت المدينة جاذبيتها حيث ارتفع حجم تيارات الهجرة من جديد في اتجاهها.

ثم ما تلبث أن تستعيد دورها الجهوي كعاصمة ذات حيوية، مضيفة إلى الوظائف السابقة النشاط السياحي الذي انطلق منذ فترة إعادة البناء بتدشين قرية نادي البحر المتوسط سنة 1966. ويقوى دورها أكثر باسترجاع المغرب لأقاليمه الصحراوية، حيث تحول موقعها من جنوب البلاد

لم تتوصل إلى تلبية كل حاجيات الطلب المتزايد من طرف السكان القدامى الذين عادوا إلى المدينة، أو من طرف مهاجري البوادي. وبالتالي فإن مجموعة من المراكز التابعة ستنمو في ضواحي المدينة كمراكز الدشيرة، وإنزگان وأيت ملول، وبن سرگاو، وذلك خلال الستينات والسبعينات، بينما تحولت في السنوات الأخيرة مجموعة من الدواوير القروية "كالجرف" و "تراست" و "تكيوين"، إلى ضواحي حضرية. فالمدينة التي كانت لا تتعدى مع ضاحيتها 27000 نسمة، انتقلت إلى أزيد من 100.000 نسمة، لكي تفوق خلال إحصاء 1988، 200.000 نسمة. إلا أن بلدية أگادير تُمركز كل الإمكانيات الاقتصادية، والتجارية، والإدارية وكذا التجهيزات، بينما المراكز التابعة الأخرى، باستثناء إنزگان وأيت ملول اللذين يوفران بنية تجارية وخدمات لا

بأس بها، هي عبارة عن منامات لساكنة تشتغل بأكادير المركز (انظر الشكل رقم 1 والجدول رقم 1).

جدول رقم 1 ـ تطور سكان مدينة أكادير وضاحيتها.

| المركز | 1971 | 1982 |
|---|---|---|
| بلدية أكادير | 61.192 | 110.479 |
| ابن سرگاو | 6.621 | 13.517 |
| الدشيرة | 16.077 | 39.760 |
| إنزگار | 11.495 | 17.952 |
| الجرف | 3.105 | 7.188 |
| تراست | 1.809 | 19.919 |
| تكيوين | 2.943 | 8.391 |
| أيت ملول | 5.989 | 17.712 |
| مجموع الضاحية | 48.039 | 124.439 |
| مجموع أكادير الكبير | 109.231 | 234.918 |

(المصدر : إحصاء السكان 1971 و 1982)

كل هذه التطورات ستنعكس على الأنشطة التي تتنوع وتتعدد وتقوى حيوتها، والنسيج الحضري الذي يتسع ويتباين.

تستفيد مدينة أكادير من نسبة للتغشيل ( 26 ٪ من مجموع السكان) تفوق نسبيا المعدل العام للمغرب الحضري ( 22 ٪). ويعزى هذا بالخصوص إلى أنشطة الصيد، وتحويل السمك، والسياحة، والإدارة وبعض الوحدات الصناعية الخفيفة.

ارتبطت أول نواة للمدينة (مركز الصيد البرتغالي وقرية فونتي) بالصيد البحري. واعتمد اقتصاد المدينة منذ سنة 1940 (وهي سنة إنشاء عدة معامل تمليح السمك) على الصيد. وتظهر أهمية القطاع في كون أكادير قد احتلت خلال العشر سنين الأخيرة المرتبة الأولى كميناء صيد، بينما كانت مدينة أسفي تتبوأ الزعامة في هذا الميدان. ويُشغل قطاع الصيد بما في ذلك أنشطة التحويل الصناعي 20 ٪ من الساكنة النشيطة. كما يُمركز الميناء 41 ٪ من مجموع أسطول الصيد المغربي التقليدي، بينما يتلقى أكثر من نصف الحمولة التي تفرغ في مجموع الموانئ. تختص أكادير في صيد السمك السطحي (سردين أسقمري، تن) الموجه إلى التصبير والتحويل في معامل المدينة التي يشتغل بها حوالي 2500 عامل. لا تقتصر هذه المعالجة الصناعية على التصبير، وإنما تحول الأسماك إلى طحين وزيوت، كما يُجمد جزء آخر.

أمّا النشاط السياحي، وهو قطاع حديث جدا، فارتبط بإعادة بناء المدينة بعد الزلزال، غير أنه عرف تطورا سريعا، جعل المحطة التي كانت غير موجودة في أواخر الستينات تصبح اليوم أول اتجاه سياحي لتيارات السواح الأجانب المتجهين إلى المغرب. فمدينة أكادير التي كانت لا تتعدى طاقتها الإيوائية 1 ٪ من مجموع الطاقة الإيوائية المغربي، تهيمن اليوم على 21 ٪ من هذه الطاقة، وتتلقى 23 ٪ من مجموع السواح القادمين إلى البلاد، وتستفيد من 34 ٪ من مجموع المبيتات الفندقية أي ما يفوق ثلاثة ملايين مبيتة في السنة. يفسر هذا التزايد بعدة عوامل يمكن تبويبها في ثلاثة :

أ ـ ظروف طبيعية مواتية تتلخص في امتداد شاطئ رملي على طول 9 كيلو مترات، مياه هادئة، ارتفاع نسبي لدرجات الحرارة خلال فصل الشتاء، طول مدة التشميس (3250 ساعة سنويا)، وتركز أحسن الظروف المناخية في فصل الشتاء، الفصل الذي يسجل أكثر طلب لدى سواح أوروبا الشمالية.

ب ـ إرادة المخطط الإعدادي للتأكيد على السياحة كقطاع اختياري له الأسبقية في إعادة بناء المدينة. فرغم أن السياحة لم تكن غائبة من مخططات الفترة الاستعمارية، فإن التصميم الإعدادي لسنة 1962 هو الذي سيبرز هذا القطاع حيث اختاره كنشاط رئيسي. هذا القطاع سيضيف المساعدات التي خصصت لبناء المدينة، إلى التشجيعات التي نص عليها قانون الاستثمارات السياحية فيما بعد. كما أن هذا التصميم سيخصص كل الأراضي المحادية للبحر والتي توجد بين خط الشاطئ والطريق الرئيسية رقم 8 لتتلقى وبصفة إجبارية منشآت وتجهيزات سياحية. وهكذا انطلقت الأشغال في التجزئة السياحية ابتداء من سنة 1964 لكي ينجز 28 ٪ مما كان مقررا في ظرف سنتين.

ج ـ إقبال وكالات الأسفار السياحية الدولية على منتوج أكادير دون غيره. تجمع أكادير بفضل موضعها بين عناصر عدة مكونة لمنتوج يوافق الأذواق السياحية للزبناء والحاجيات التجارية للوكالات. فبالإضافة إلى شاطئ يمكن التردد عليه طيلة فصول السنة الأربعة، وظهير غني بالمآثر التاريخية والحضارية، توفر أكادير طاقة إيوائية تلبي كمّاً وكيفا حاجيات الزبون الأوروبي. ويقدم هذا الزبون إلى أكادير في إطار أسفار جماعية، بحثا عن منتوج تطغى عليه سياحة الإقامة الشاطئية، الشيء الذي ينعكس على بنية الطاقة الإيوائية. فنصف مجموع الأسرّة من نوع الفنادق الفخمة من 4 و5 نجوم، بينما يقرب من النصف الآخر عبارة عن قرى سياحية على نمط قرى "نادي البحر المتوسط" ومجموعات إقامات تختلف عن الفندق التقليدي. وبخلاف ما يحدث في الاتجاهات السياحية المغربية الأخرى، يلاحظ أن النشاط الجديد له عائدات ملموسة على الاقتصاد المحلي، إذ يشغل بصفة مباشرة أو غير مباشرة ما يقرب من 15 ٪ من اليد العاملة النشيطة. كما ينشط قطاعات الخدمات والتجارة والصناعة والفلاحة المحلية.

قطاع الصناعة والحرف التقليدية، يوفر الشغل لربع السكان النشيطين بأكادير . فإعادة بناء المدينة وحركة التجهيز الفندقي يفسران وزن مقاولات البناء، بينما تتنوع الوحدات الصناعية الأخرى مرتبطة بقطاع الصيد والفلاحات السقوية بسهل سوس (الصناعات الغذائية تحتل الرتبة الثالثة بعد الدار البيضاء وأسفي) وصناعة التعليب أو بالقطاع السياحي.

تنقسم المدينة من حيث تصميمها إلى عنصرين : القسم الذي خطط حسب ما نص عليه التصميم الإعدادي لإعادة بناء المدينة، والتوسع الحضري الحديث الذي يتجه داخل سوس متبعا الطريق الرئيسية رقم 40، وقد أعيد بناء المدينة دون الابتعاد عن اختيارات التصميم الذي وضع سنة 1961. وكان يهدف إلى إنشاء مدينة تتسع لخمسين ألف ساكن، مؤكدا على ثلاث أسبقيات بالنسبة للأنشطة، وهي الإدارة والتجارة والسياحة، ومحاولاً خلق أحياء لها ميزات خاصة حسب حاجيات وأنشطة السكان. وقد اختير نسيج حضري متعامد يرتكز على طرق رئيسية متعامدة أو موازية لخط الساحل. وتظهر نتائج هذا التصميم في الميدان من خلال المورفلوجية الحضرية وأنماط الأحياء. (انظر الشكل رقم 2).

الغرض من هذه النواة كذلك ربط الحي السياحي بباقي الأحياء الأخرى.

الأحياء السكنية : أ ـ حي تالبورجت الجديد : حاول المهندسون المعماريون خلق حي يشبه في نسيجه ووظائفه ومستواه الاجتماعي حي تالبورجت القديم الذي دمّر إثر الزلزال. وهو حي به سكن كثيف ومتصل ذو طابق سفلي ومستويين، وأزقة ضيقة، ويأوي سكانا وتجارة من النوع الشعبي. ب ـ الحي السكني الراقي : خصصت له الانحدارات الشمالية، لإشرافها على الخليج والأطلس الصغير جنوبا. ويضم سكنا فرديا عبارة عن فيلات وبعض العمارات الصغيرة. وتتضمن الأحياء السكنية الأخرى نسيجا موروثا عن تصميم إعادة بناء المدينة كحي ولي العهد، وحي الشرف، وحي الموظفين، وحي أمسرنات. وهي

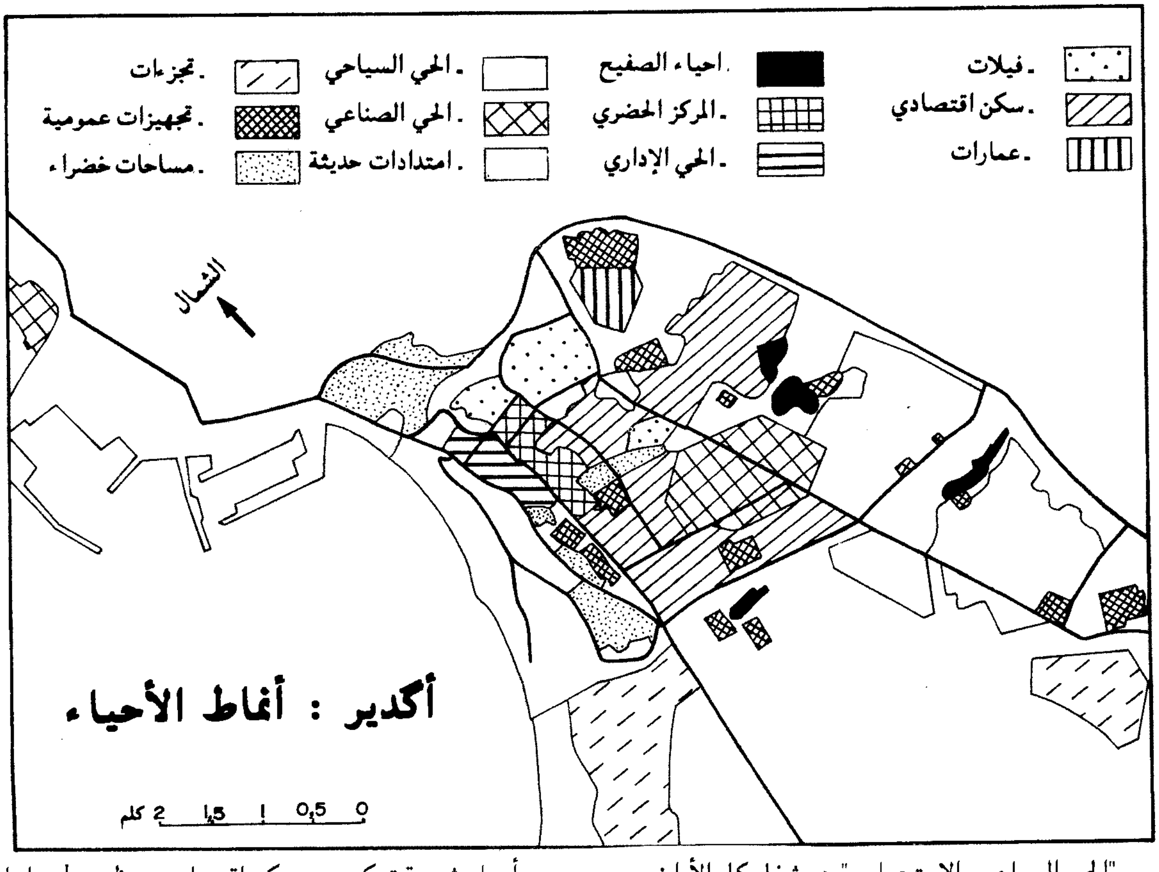


ـ "الحي السياحي والاستحمامي" : يشغل كل الأراضي المحادية للبحر حتى شارع محمد الخامس ويتسع في اتجاه الجنوب. وهو حي يختص في إيواء وتنشيط السياحة الدولية. ويركز جل الفنادق والقرى والإقامات. تمتد هذه المؤسسات وسط مجالات خضراء إما عموديا أو أفقيا ـ في أغلب الحالات ـ مستهلكة بذلك مساحات شاسعة.

يتكون المركز الحضري من عمارات لا يتعدى ارتفاعها ثلاث مستويات متعامدة أو موازية للخليج، تنتظم حول ثلاث ساحات رئيسية. يتصل هذا المركز الحضري بالحي الإداري حيث يكونان نواة تختص في الوظائف التجارية والإدارية والسكنية مع أنشطة القطاع الثالث العالي.

أحياء شعبية تتكون من سكن اقتصادي ينتظم حول ساحات صغيرة وتحتضن بعض الجزر أحياء الصفيح. كما تنتشر حاليا داخل السهل على طول الطريق الرئيسية رقم 40، على شكل تجزئات (حي القدس، حي الداخلة، حي المسيرة) تدخل في إطار برامج الإسكان التي تشرف عليها وزارة السكنى والمصالح التابعة لها، أو تجزئات حرة.

أما هذا التوسع الموازي للطريق فيُحتمه الحاجز الطبيعي الذي يتجلى في سفوح الأطلس الكبير شمالا وتخصيص الساحل للأنشطة السياحية جنوبا.

ـ الحي الصناعي ينقسم إلى قسمين : حي أنزا وهو امتداد لمنطقة الميناء شمالا، تسود به المؤسسات الصناعية

مع بعض السكن الهزيل. والحي الصناعي المزدوج الذي يجمع بين الصناعات والسكن والتجارة.

استطاعت مدينة أگادير أن تفرض هويتها كعاصمة إقليمية نشيطة. فرغم التوسع العمراني لمدينة العيون، لا زالت أگادير تعتبر المركز الصناعي ومركز الخدمات الرئيسي للجنوب الأطلنتي. وقد تضافرت عدة عوامل لتفسير هذا الوضع. فبالإضافة إلى أهمية الموقع والموضع، يجب التأكيد على ابتعادها النسبي عن الدار البيضاء

المركز التجاري الذي يهيمن على جل التراب الوطني، والمؤهلات الإقليمية المتنوعة، وإرادة الدولة في إعادة إحياء المدينة، وروح المبادرة التي يمتاز بها سكان سوس.

M. Péré, *Agadir, ville nouvelle*, R.G.M. Nº 12, Rabat, 1967 ; *Quelques aspects du tourisme au Maroc à travers l'exemple d'Agadir*, R.G.M. Nº 22, Rabat, 1972 ; M. Berriane, *L'espace touristique marocain*. Fascicule de Recherche Nº 7, E.R.A. 706 C.N.R.S. Université de Tours, 1980 ; O.D.I., *Zones industrielles au Maroc*, Rabat, 1980 ; Ministère de l'Habitat, *Shéma Directeur de l'aire urbaine d'Agadir et de son arrière - pays*, Rabat, 1982 ; M. Berriane, *Tourisme et emploi : le cas d'Agadir*, R. G.M., Nº7, Nouvelle Série, Rabat 1983.

محمد بريان

**أگادير**، - تاريخ - ينطق بها أهلها بدون مد ولكنها ترد في الكتب أگدير أو أگادير، ومعنى أگدير الجدار والحصن. لا تتوفر أدلة اركيولوجية قاطعة على ما هو مرجح مع ذلك من كون الفينيقيين كانوا يطرقون سواحل سوس ومن جملتها الجهة التي بها أگادير. بيد أن الإشارات التاريخية المكتوبة إلى عمارة أو نشاط في هذا الموقع إنما تعود إلى عام 911 / 1505 حيث أسس نبيل برتغالي اسمه João Lopes Sequeira مركزا للصيد وكان مجرد بيت من الخشب لحماية مراكب الصيد سمي فيما بعد بـ Santa Cruz du Cap de Gué (ou d'Aguer) أي رأس إغيرْ : وإغيرْ هو المنكب أو الذراع أو الجرف الشديد الانحدار، وهذه صفات تنطبق على العرف الجبلي الداخل في البحر المطل على ما يسمى اليوم بخليج أگادير إيْغيرْ أو أگادير نيغير أي حصن المنكب. وقد أسس المركز البرتغالي عند قدم هذا المنكب على ما يظهر، وقامت حول منبع ماء عمارة سميت باسم فونتي أو العين Fonte بالبرتغالية. وفي الأخبار البرتغالية أن مؤسس ذلك المركز التجاري لم يأمن على ماله فباع محله لملك البرتغال مانويل عام 1513. وقد عين الملك عاملا من قبله على هذا المحل اسمه الدون فرانسيسكو داكاسطرو، وقد قام بتحصين المكان بل استطاع على ما يبدو، إقامة علاقة طيبة مع العامل الوطاسي على تلك الجهات واسمه ابن مالك.

وقد اشتد الوجود البرتغالي في هذا الموقع وتمثلت فداحته في استغلال الأراضي الزراعية المجاورة بدرجة أثارت رد فعل السكان المتمثل في تعبئة أهل سوس وأهل حاحا لجهاد أولئك الكفار المحتلين، وهي التعبئة التي انطلق منها مشروع السعديين التگمدرتيين في الوصول إلى الحكم (الوزان، *وصف أفريقيا*، 1 : 44) ويتحدث الوزان في هذا الصدد عن الموقع تحت اسم Gartguessem، فيفهم من الشطر الثاني من هذه الكلمة أن المقصود قبيلة گسيمة التي ما تزال معروفة في هذه الجهة حول خليج أگدير. أما الشطر الأول فإما أن يراد به أگادير وهو الحصن، مع العلم بأن الحصن الذي عرف فيما بعد بني على مرتفع، والبناء البرتغالي إنما كان في الأسفل لذلك لا يستبعد أن يكون المقصود بـ Gart تلك البسائط المزروعة بجانب البحر. والمحقق هو أن المجاهدين بقيادة زعمائهم التگمدرتيين قد قضوا عدة سنين في الجهاد والحصار قبل استرداد الموقع وطرد البرتغاليين منه حيث لم يتم ذلك النصر إلا في 14 ذي القعدة 947 / مارس 1541. ولما كان هذا التاريخ مستندا إلى وثائق برتغالية فإنه يفترض أن يكون تخطيط السعديين لهذا الحصن المعروف بأگادير واقعا في الأيام القليلة الموالية للتحرير المتبقية في عام 947 حتى يتطابق مع خبر ابن القاضي الوارد في *المنتقى المقصور*، أو أن التخطيط كان متزامنا مع الأيام السابقة للهزيمة البرتغالية، أي حين الحصار الأخير الذي بدأ عام 1540. فنفهم من خلال هذا أن الحصن الذي بناه هذا القائد تيمز بأنه فوق إغيرْ أي في أعلى المنكب. ولقد عرف هذا الموقع منذئذ ازدهارا تجاريا مع الدولة الجديدة بفضل تنمية زراعة السكر في وادي سوس، فكان يتردد على مرسى أگادير تجار إسبانيون وفرنسيون وهولانديون واسكندنافيون حاملين اجواخ وأواني لمبادلتها بالجلود الخام والجلود المعالجة وسكر القصب والتبر الذي كانت تأتي به القوافل من السودان.

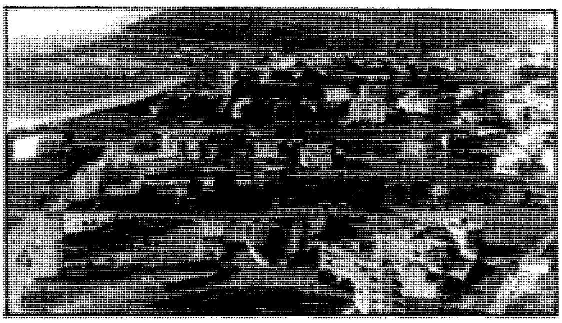

ويذكر الأسير مويت Mouette أن السلطان مولاي رشيد العلوي قام بعد توليته مباشرة، أي عام 1080 هـ / 1669 م برحلة إلى سوس في جيش قوامه ثلاثة وستون ألفا من الجنود، من بينهم خمسة وعشرون ألفا من الفرسان. ولما قرب من أگادير تلقاه أهلها وبايعوه ثم توجه إلى إليغ. ولعل المولى الرشيد قد اكتفى بإقطاع فائدة هذا المرسى لبعض الخواص من تجار مثل ما فعل عام 1081 مع محمد بن علي الرسموكي، وفي هذا الظرف بالذات تأسس بأگادير مركز تجاري فرنسي لم يكتب له الاستمرار، ويظهر أن استبداد الرؤساء المحليين بمنفعة هذا المرسى قد تجدد في الفترة التالية لوفاة السلطان مولاي إسماعيل أي ما بين 1727 و1757 وفيها ضرب أگادير زلزال هدم جزءا منها سنة

1731 (Hespéris - Tamuda 1961, 2 - 3 , 270) ومع هذه الوضعية تجدد اهتمام الأوروبيين بالتجارة في مرسى أگادير فبادر الهولانديون بإقامة محاسبة هناك عام 1743، وحاول الدانماركيون سنة 1755 احتلال أگادير وبناء حصن لهم في تلك المنطقة فاعترض السكان على عملهم، غير أن الأمير سيدي محمد بن عبد الله توجه إلى سوس سنة 1169 / 1756 وقضى على تلك المحاولات. وفي سياقها قبض على شخص عرف بالطالب صالح المجاطي كان "مستوليا على أگادير مستبدا بمال مرساه" فسجنه ورتب حامية بأگادير ورجع لمراكش منصورا (*الإتحاف*، 3 : 152). وكان والده السلطان مولاي عبد الله قد حاول فتح أگادير فأغلقها دونه الطالب صالح ورماه بالأنفاض، مع العلم أن الضعيف (ص. 135) يذكر أن عبيد البخاري دخلوها بالسيف عام 1153 وأخذوا كل ما فيها.

ولعل النشاط التجاري بأگادير لم يثر سخط المخزن على محتجني الفوائد وكفى، بل خلق على ما يبدو جوا من العداء حول ذلك المركز منظورا إليه من القبائل السوسية، وذلك ما يفسر تصرف عبد الله ومحمد الگرسيفي الذي ثار عام 1174 / 1761 ودخل أگادير بالسيف عنوة وأوقع بأهلها وقعة هائلة، نزل على معاطنهم في بونت تحت سيدي بوقنادل حتى مات الجل منهم بالعطش بالمساجد والدور وأمر الثائر بإعلان النداء في الجبال السوسية وقبائلها بالحث على جهاد أهل أگادير ويقول : إن ثلثهم نصارى وثلثهم يهود وثلثهم عصاة حطب جهنم (*الإتحاف*، 5 : 444). فقد وردت إشارة مكتوبة تفيد أن ما تحصل للمخزن من فوائد الجباية في شهرين فقط أي ربيع الثاني وجمادى الأولى عام 1179 / 1766 كان خمسمائة مثقال وثلاثة وستين مثقالا وثماني أواق ونصفا "بذمة جموع أهل الذمة بأگادير" (*الإتحاف*، 3 : 252).

ولم تمض سوى سبع سنوات على هذا التاريخ حتى قرر السلطان محمد بن عبد الله تأسيس مرسى الصويرة عام 1188 / 1774 وجلب التجار إليها واغلاق مرسى أگادير أمام المتاجرة مع الأجانب لأن ذلك الحصن "كانت تتداوله الثوار مثل الطالب صالح وغيره ويسرحون وسق السلع منه افتياتا ويستبدون بأرباحها فرأى (السلطان) أن حسم تلك المادة لا يتأتى إلا بإحداث مرسى آخر أقرب إلى تلك الناحية، وأدخل في وسط المملكة من أگادير حتى تتعطل على أولئك الثوار منفعته فلا يتشوف أحد إليه" (*الاستقصا*، 8: 20 ؛ *الإتحاف*، 3 : 331) وإذا كان تأسيس الصويرة قد أدى إلى شلل نشاط أگادير بقرار المخزن، فإنه أدى كذلك إلى توقيف تجارة الأسلحة في سوس مع ما كان لها من العواقب، كما أجبر قوافل التجارة الصحراوية على الوصول إلى مراكش (De Brisson, *Histoire*, 170) .

وقد ثبت أن مرسى أگادير مرسى ضروري يتجدد دوره، فها هو في أوائل عهد المولى سليمان ينشط من جديد حيث كانت توسق منه الحبوب إلى أروبا في السنوات الموالية للثورة الفرنسية 1211 / 1796 (*الضعيف*، 274) وقد كان العامل في تلك المدينة على هذا العهد السليماني هو مولاي عبد الملك الزيزون، وقد وفد على عمه السلطان بهدية كبيرة من جنس ما كان يتداول هناك : العبيد والإماء والنحاس والبغال، وتجددت إزاءه لدى السلطان مخاوف الاستبداد، سيما وأن الزيزون كان قد منع المولى اليزيد من دخول تارودانت، ولذلك منع المولى سليمان ذلك العامل من الرجوع إلى مقره وأرسله إلى فاس وأرسل إلى أگادير من جاء بما فيها من ماله وغيره، وذلك عام 1212 / 1797، فتوطدت سلطة المخزن عند أهل أگادير. ومما يدل على ذلك استنفار المولى سليمان أهل أگادير للمشاركة في حركة قتال أمهاوش عام 1214 / 1799. ثم إن هذا السلطان اهتم بأگادير فأمر بإعادة بنائها وجدد حاميتها حيث رحّل من الصويرة البعض من عبيد بني عنتر ليسكنوا بأگادير وكانت موضعهم القديم، كانوا طبجية فيها فنقلوا إلى الصويرة ونقل غيرهم لحماية مرساها. (*الضعيف*، 343) وقد جرى ذلك في جو من التوتر بين المغرب وبين القراصنة من الأروبيين، وكانت الإشاعات تتردد بأن النصارى سيداهمون السواحل، فأمر السلطان بحماية المراسي ومنها أگادير التي سمع في 21 ربيع الأول عام 1223 / 29 / 5 / 1807 أن النصارى نزلوا قريبا منها بتماراغت فكان الخبر غير صحيح.

ومنذ ذلك العهد وأگادير مركز للسلطة المخزنية، فقد كان حاكمها الحاج العربي الگسيمي نائبا عن عبلا بن عبد الملك الحاحي المستولي على سوس في عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام، ثم تولاها القائد حميدة والقائد بومهدي (*المعسول*، 141، 149) وقد ظل مرساها مغلقا في وجه التجارة الأجنبية في هذا العهد الرحماني وإن ظلت حاميتها تتوصل بالعدة اللازمة. ولكن المعاهدة الخطيرة بين المغرب وإنجلترا سنة 1273 / 1856 نصت في شرطها الثاني عشر على أن شروطها الجارية ستشمل مراسي أخرى مثل مهدية وأگادير إذا فتحت في المستقبل (*الاتحاف*، 5 : 192).

وعندما تولى السلطان المولى الحسن كتب إلى قائد الصويرة الحاج عمارة بن عبد الصادق بتاريخ فاتح صفر 1293 / 27 يناير 1876 يأمره بتحديد إدالة ثغر أگادير من الجيش الصويري وإرسالها إلى خديم السلطان بأگادير الحاج عمر بن سعيد المتوگي بعد اختيار أفرادها من أهل النجدة المسلحين بالعدة الصحيحة (*الوثائق*، 450)، ولقد نفذت أوامر السلطان ببعث إدالة من ستين رجلا فيهم عشرة من المدفعيين، وكان من شأن هذه الإدالة المجددة أن يتقوى بها حضور المخزن بأگادير ممثلا في عمال وأمناء من أمثال القائد أحمد الگسيمي المشرف على مستفاد أگادير منذ توليته على قبيلته بعد رحلة مولاي الحسن إلى سوس عام 1299 / 1882، ثم عبد الرحمان بن علي الراشدي الذي نازع أبوه وهو عامل تارودانت القائد الگسيمي في مهمته (1891) ثم الأمين عبد الهادي بنونة ما بين 1892 و 1893.

واستطاع القائد الگسيمي من جديد استرجاع نفوذه إلى أگادير إلى أن خلفه القائد سعيد الگيلولي ابتداء من سنة 1314 / 1897، وكان يولي عليها أصحابها الحاحيين إلى أن خلفه أنفلوس (أفا، *الأبعاد التاريخية*، 5) وقد خرجت أگادير سالمة من إعصار الأطماع الأجنبية بفضل هذه اليقظة المخزنية وتعبئة أهلها، ذلك أنها ظلت تعتبر مركزا استراتيجيا تمر منه تجارة السودان مع الشمال المغربي، ولذلك اختلقت الدعاوي المتباينة الوجود لاستحواذ هذا الطرف الاستعماري أو ذاك على منفذ بحري للتجارة في جهات سوس. ومن حلقات هذه الأطماع زوبعة الدبلوماسيين الفرنسين والإسبانيين على إثر قيام التاجر الإنجليزي ماكنسي بجهات طرفاية، فصار الآخرون يطالبون بمرسى في تلك الجهات، ومن ملف هذه القضية رسالة السلطان مولاي الحسن إلى نائبه في *طنجة* محمد برگاش وجاء فيها :«وإن ذكروا لك أگادير فأعلمهم بأن أگادير دشرة على حجرة ملتفة بالغابة وسط قبيلة إداوتنان وهم جبالة لا تنالهم الأحكام ولا يحصل لهم به الغرض لأن حكمه حكم الصويرة، والمقصود عندهم أن يكون المحل وسط سوس [...] وأظن أن صورة أگادير لا تخفاهم من الكارطة» (*الاتحاف*، 2 : 335).

إن التقليل من أهمية أگادير يقصد به المخزن دفع أطماع الأجانب بينما لم يكن يتردد هو في فتح مرساها إذا دعت الضرورة المحلية أو الوطنية. من ذلك ما أقر به السلطان مولاي الحسن عام 1300 / 1883 من جلب الأقوات إليها على يد التجار الأجانب لأن أهل سوس احتاجوا إليها لما أضر بهم من فاقة، ولكن المخزن حرص على أن يلتزم التجار المستوردون بأداء حقوق الجمارك (الأعشار) بمدينة الصويرة «لا بأگدير حيث لا موازين بها ولا ديوانة للتعشير» (*الإعلام*، 2 : 395). وقد تخوف المخزن مع ذلك من إعطاب السفن في هذا المرسى أو من مدّ يد النهب في متاع التجار، لذلك كتب السلطان إلى محمد العربي الأدوزي بتاريخ 9 رجب 1300 باحتمال إخراج البضائع من جهة أخرى غير مرسى أگادير.

وقد ترتب عن تعطيل مرسى أگادير أن صارت تابعة في حكمها للقواد الحاحيين النكتافيين ثم الگيلوليين في العهد العزيزي، وكانوا يولون عليها من ينوب عنهم في حكمها، وكان هؤلاء من أتباع الشيخ علي الدرقاوي وكان هذا الأخير «يلم بأگادير ويوصي تلميذه الحاج الحسن الگيلولي [...] بأن يتعهد المدافع الموجهة إلى البحر (*المعسول*، 1 : 304) وهذا مصداق التخوفات المشتركة على مصير تلك المنطقة الجنوبية التي ظلت محاطة بهالة من الأساطير في أذهان المغامرين من طلاب الثورة. وفي هذا السياق قامت مجموعة مانسمان Mannesman بتنقيبات عن المعادن في سوس، وتدخلت حكومة ألمانيا لحماية مصالحها بالمنطقة عندما أرسلت البارجة Pantho إلى مياه أگادير سنة 1911 فأسفر هذا الضغط بين المستعمرين عن تخلي فرنسا لألمانيا عن جزء من مستعمراتها في الكونغو يُضم إلى مستعمرة ألمانيا في الكامرون. وقد شهدت أگادير في المدة السابقة عن الحماية صعود أحمد الهيبة وتعيين نائب له في أگادير، وقد كانت بارجة فرنسية تراقب رحلته، ولما بلغ أگادير أرسلت قنابرها على هذه المدينة ومات من جراء ذلك صبيان فأرسل الهيبة أربعمائة فارس لمنع نزول الجيش الفرنسي، ولربما كان في ذلك رادع للباخرة فرجعت، وكان الفقيه عابد التغريسني ذا نفوذ في المنطقة وقائما بدعوة الهيبة، كما كان رئيس گسيمة المجاورة لأگادير محمد بن عبد الرحمان بن الحاج العربي مؤيدا للهيبة كذلك، ولكن انهزام هذا الأخير قرب مراكش أدى إلى انقلاب الموازين بمنطقة أگادير، وقام محمد بن الحاج الحسن الگسيمي من أسرة الرئيس المذكور بوصل حبله بالفرنسيين.

وفي 15 قعدة 1331 / 16 أكتوبر 1913 ضربت البواخر الفرنسية منطقة أگادير وحطمت أبراج دار الشيخ محمد بن عبد الرحمان الگسيمي الموالي للهيبة، ففر إلى إداوتنان ودخل داره بانزگان ابن عمه محمد بن الحسن المذكور وصار قائدا في گسمية ثم باشا أگادير، وشرع تحت حماية الاستعمار في مسلسل الإرهاب والفتك والاغتيال الذي ذهب ضحيته مئات الأبرياء، وقد عزل هذا الطاغية عام 1341 / 1925 ونُفي إلى البيضاء، وعين أخوه عبد المالك مكانه (*المعسول*، 14 : 191) ومات بعد مدة غير طويلة. ثم تولى قيادة گسيمة محمد بن الحسن أحشوش الإرحالي، وتولى الحسن بن إبراهيم التامري باشوية أگادير من عهد عبد الملك، وهو الذي طالب بنفي القائد محمد الگسيمي المعزول، وتوفي التامري عام 1362 / 1943.

وفي عهد الاستعمار دخلت أگادير عهدا من الركود لمدة أربع عشرة سنة، إذ كانت منطقة عسكرية بالدرجة الأولى، لأن قبائل سوس لم يسلس قيادها للمستعمرين، فظلت أگادير تحت المراقبة الشديدة ولم يرخص فيها بالمعاملات التجارية إلا في عام 1927. ويتمثل هذا الركود في عدد سكانها الذي لم يكن في عام 1913، عام الاحتلال يتعدى 760 نسمة موزعين بين حي فونتي وحي القصبة، وكان من بين هؤلاء 160 من اليهود. وبعد 1930 بدأ النشاط يدب في قطاعي النقل والصيد المحلي، ثم تكاثر صغار البورجوازيين من التجار أو موظفي الحماية ممن تطلبت حاجاتهم إنشاء مدينة صغيرة (تالبرجت) حيث بلغ عدد سكانها حوالي سبعة آلاف نسمة قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية، وبعد الحرب ازدهرت صناعة تصبير السمك حتى صار فيها عام 1950 من الصيادين الأهالي ما يقدر عددهم بـ 1500 إضافة إلى حوالي 300 من الإسبانيين والبرتغاليين، وبلغ عدد الأيدي العاملة ثمانية آلاف من العمال والعاملات، وقد هاجر معظمهم من قبائل الساحل ما بين الصويرة وإفني ومن وادي سوس.

وكان الانصهار بين هذه العناصر ما يزال في بدايته عند منتصف القرن، وكانت تواجه المدينة مشكلتان على الخصوص، تتعلق أولاهما بالتنظيم المهني للبحارين الذين كانوا في وضعية ممتازة بالنسبة لغيرهم من حيث الموارد، وتتمثل الثانية في وجود عدة آلاف من النساء اللاتي غادرن أسرهن وقبائلهن، ولا سيما من قبائل العرب الرحل ودخلن فجأة في مغامرة الحياة البروليتارية (Montagne, Naissance, 143) ومع ذلك فقد عرفت المدينة فترة ازدهار ما بين 1947 و1954، وفيها تم خلال عام 1953 بناء المرسى، وبذلك تجدد المرسى العصري الأول الذي يرجع إلى عام 1919.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الضعيف، *التاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 6، 7، 8، 9 ؛ ع. ابن زيدان، *الاتحاف*، 5 أجزاء ؛ م. السوسي، *المعسول*، 20 جزء ؛ أ. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، الوثائق ؛ ع. أفا، *الأبعاد التاريخية لاقتصاد أكادير في القرن التاسع عشر*، في ندوة أكادير الكبرى كلية الآداب أكادير 1986.

L. Massignon, *Le Maroc au début de XVI siècle* ; P. Ricard, *Le Maroc guide bleu* ; R. Montagne, *Naissance du Prolétariat au Maroc* ; G. Camps, *Agadir*, dans *Encyclopédie Berbère*, T. II.

أحمد التوفيق

**أكادير**، إقليم له موقع جغرافي متميز، يمثل صلة وصل بين شمال المغرب وجنوبه، تلتقي عنده الطرق الرئيسية القادمة من الأقاليم الشمالية (الطرق القادمة من الصويرة ومن مراكش)، وتنطلق منه الطريق الكبرى المؤدية إلى الأقاليم الصحراوية.

وهو يضم رغم صغره (5910 كلم2) ـ أجزاء من ثلاث وحدات تضاريسية شديدة الاختلاف لكن أساسية في جنوب المغرب، هي الأطلس الكبير الغربي شمالا، والأطلس الصغير جنوبا، وسهل سوس ـ شتوكة في الجهة الوسطى. والوحدة السهلية تمثل المجال النامي والنشيط داخل الإقليم، باعتبارها في نفس الوقت مكان التقاء واتصال ومجال نمو الزراعة العصرية وامتداد المدن الكبرى من الناحية الإدارية. تعتبر الحدود الحالية حديثة العهد، حيث تم تقليص مساحة الإقليم سنة 1982، ليمتد على مجال ضيق لا يتعدى 5910 كلم مربع، يشمل الوحدات الطبغرافية التالية.

ـ شمالا الجزء الجنوبي من هضبة إداوتانان، المتميزة هنا بتموج واضح للسطح، وتحد هذه الهضبة شرقا حافة منعرجة هي عبارة عن كويسطا مشكلة في الصخور الكلسية الجوراسية ـ الطباشرية، والصخور الطينية الترياسية الرطبة. كما تحد المرتفعات نحو الجنوب الغربي حافة انثناء وانكسار خطية، تعتبر الجزء الغربي من الحادث الجنوب ـ أطلسي. وهذه الحافة نشيطة تمثلت حركيتها في الزلزال العنيف الذي ضرب مدينة أكادير سنة 1960، وخربها كليا.

ـ في الجنوب الشرقي تمتد الهضاب الكربوناتية التي تمثل الحاشية الرسوبية الأولية لكتلة الأطلس الصغير. وتمتد الهضاب المستوية شمال وغرب أيت بها. بينما يبدأ المجال الجبلي المتكتل جنوب هذا المركز، مشكلا في صخور قبلكمبرية تغلب فيها السحنة البركانية المتصلبة

ـ بين الأطلسين ينفتح سهل سوس على المحيط الأطلنتي، ويمتد جنوبا في سهل شتوكة في اتجاه منخفض تزنيت. هذا السهل يصرفه نهر سوس شمالا، وواد ماسة جنوبا. ويمتد فيه على مقربة من الساحل مجال كثباني، رماله متحركة شمالا على مقربة من مجرى سوس، ومستقرة جنوبا وخاصة على ضفتي واد ماسة. في هذه المنطقة السهلية توجد أجود الأراضي وأوسعها. كما تتوفر ثروات مائية متنوعة، تتمثل في نهري سوس وماسة، في مياه المسيلات النازلة من الأطلسين، وفي مياه الفرشة الباطنية، المتوفرة داخل المواد الغرينية المتراكمة في هاته المنخفضات المتهدلة.

أما قبل 1982 فقد كان إقليم أكادير أكثر امتدادا. مساحته أصلا، كانت تبلغ حوالي 50.000 كلم مربع غداة الاستقلال، إذ كان يشتمل على أربع دوائر هي : كولمين وإنزكان وتارودانت وتزنيت. ثم صار على إثر استرجاع منطقة إفني يضم دائرة إضافية ويمتد على مساحة 53.000 كلم مربع، يقطنها حوالي 1.2 مليون نسمة حسب إحصاء 1971. وبعد 1974، انفصلت عن هذا الإقليم الكبير، ثلاثة أقاليم هي من الشمال إلى الجنوب، تارودانت، تزنيت وكولمين، فتقلصت مساحته بالتدرج إلى 18.855، ثم 17.460 وأخيرا 5910 كلم مربع.

لكن تقلص المساحة، لم يرافقه تناقص مواز في عدد السكان وكثافتهم. ففي الوقت الذي أصبحت فيه المساحة الحالية لا تمثل إلا 11٪ من المساحة الأصلية، لم يتضاءل عدد السكان بنفس القدر، بل نجد السبعين ألف نسمة الحالية (حسب تقديرات مديرية الإحصاء) تمثل 55٪ من عدد السكان الذين تم إحصاؤهم في إقليم أكادير الكبير سنة 1971. أما الكثافة فقد عرفت عكس ذلك ارتفاعا مطردا، إذ مرت من 22 ن / كلم مربع سنة 1971 إلى 110 حاليا. ويمكن تفسير هذا التناقض بين تقلص مساحة الإقليم من جهة وتزايد كثافة السكان من جهة ثانية باعتبار عاملين، أولهما الزيادة الطبيعية للساكنة، وثانيهما الكثافة الخاصة للسكان في الجماعات القروية من مدينة أكادير، وعلى الخصوص الجماعات السهلية.

يضم الإقليم حاليا دائرتين فقط، الأولى شمالية وتغطي أطلس إموزار إداوتانان وسفحه الجنوبي وضفتي نهر سوس (دائرة إنزكان) والثانية جنوبية، تشمل الأطلس الصغير الشمالي الغربي وسهل بويكرة وشتوكة (دائرة بويكرة). كما يحتوي على بلديتين (أكادير وإنزكان) وعلى 19 جماعة قروية في بعضها مراكز حضرية، أهمها المراكز التي تمثل حاليا أحياء هامشية بالنسبة لأكادير، وتدخل ضمن المجموعة الحضرية الكبرى أكادير إنزكان (انظر الخريطة والجدول).

يشمل الإقليم مجالات فلاحية غنية يمتد أهمها في السهل، بل الجبال نفسها كثيفة السكن والاستغلال رغم ضآلة الإمكانيات وقلة الثروات. فالهضاب الأطلسية المتموجة مجال فلاحة تقليدية معاشية أصيلة، تعتمد على الشعير وعلى تربية الماشية وخاصة الماعز، كقطاع تكميلي. إلا أن قلة الإمكانيات جعلت السكان يهاجرون بصفة منتظمة، نحو المدن من جهة وخارج الوطن من جهة ثانية. إلا أن هذه الهجرة لم ينتج عنها ركود الأرياف، بل بالعكس، سمحت العائدات المالية المستثمرة محليا بإعادة تحريك النشاط الفلاحي في المنطقة.

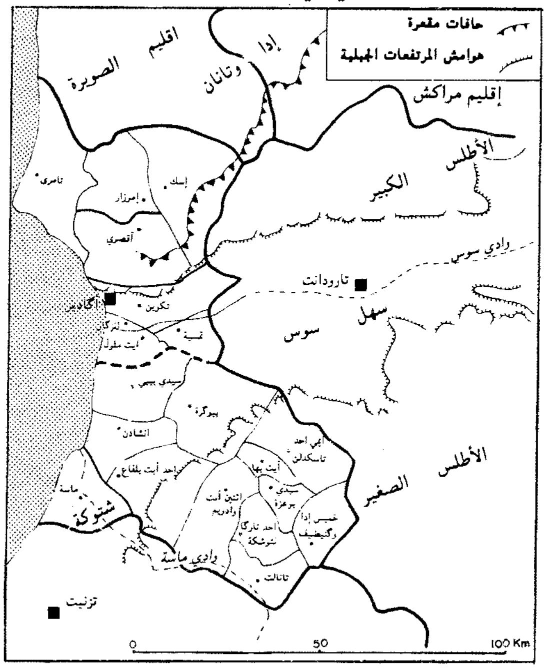


إقليم اكادير

حاليا، هذه الأنشطة التقليدية الجبلية مهددة بالتراجع بسبب منافسة القطاع السقوي. وهذه الزراعة العصرية السهلية متجهة أساسا نحو إنتاج مواد للتصدير، تطغى من بينها الخضر البواكر والفواكه في قطاعي سوس وماسة.

إلا أن مشكل الماء مطروح بحدة، خاصة وأن القسط الأوفر من مياه قدم الجبل ومياه سد واد إسن، صار مخصصا لتغذية المدن بالماء الشروب. من جهة أخرى تعرف المنطقة السهلية خطر التصحر، على إثر تمديد القطاع الفلاحي في مجالات تربتها هشة رملية، خاصة في المجال القرب ساحلي وعلى هوامش غابة أدميم. ذلك أن الاجتثات يؤدي إلى إعادة تحريك كثبان كانت مستقرة. فينتج عن ذلك تعقيم مساحات كانت مخضرة.

في نمو الفلاحة وتنويعها يكمن إذن السر في الحفاظ على ساكنة ريفية هامة، كثافتها الفعلية تقدر بستين نسمة في الكيلومتر المربع.

لكن هذا لم يمنع المدن من اكتساب حجم هام ونمو سريع، يتضح في النسبة المرتفعة للساكنة الحضرية داخل الإقليم (46.5 ٪). هذا التمدن الهام ليس دليلا على تقدم كبير في الأنشطة الحضرية، رغم تنوعها (أنشطة إدارية - تجارية - سياحية) بل ناتج أساسا عن أهمية الهجرة القروية من الأقاليم المجاورة الأطلسية والصحراوية، إلى مدينة أگادير وضواحيها أي إلى المركز الحضري الهام في المنطقة. مدينة أگادير الكبرى، أي باعتبار المراكز الحضرية المجاورة، لم تكن تضم سنة 1960 سوى 23.612 نسمة، بينما تقترب هذه القيمة الآن من 250.00 نسمة، الشيء الذي يعني نموا سريعا جدا، يتعدى بكثير مقدار التزايد المتوسط في مختلف أنحاء المغرب. فبين 1971 و 1982، تضاعفت الساكنة الحضرية لمجموع إقليم أگادير 2.4 مرات، في حين أن الساكنة القروية لم تنم إلا بحوالي 15٪ في نفس المدة.

جل الأنشطة غير الفلاحية مركزة في أگادير وضواحيها (انظر المقال الخاص بمدينة أگادير)، وتمتاز بشدة التنوع بسبب موقع المدينة على الساحل (صيد بحري - ميناء تجاري - سياحة دولية جد نامية يفسرها الاعتدال الواضح لطقس الشتاء وامتداد الشواطئ الرملية) وقرب مجال فلاحي غني (صناعات غذائية متعددة) وعند نقطة اتصال مناطق متنوعة (أهمية القطاع التجاري). كما أن المدينة تحتوي على تجهيزات أساسية للتنمية (ميناء في طريق التوسع - مطار دولي هام) وتعتبر نقطة التقاء طرق هامة من البيضاء والسهول الأطلسية الداخلية، ومن الأقاليم الصحراوية. وهي إلى ذلك نقطة تركيز رؤوس أموال مزارعي وتجار المنطقة، الشيء الذي يفسر نمو قطاع التجهيز والاستثمار.

إقليم أگادير إقليم حي، يعرف نشاطا هاما وتطورات سريعة، لكن لا تخلو من جوانب سلبية أكيدة. بعض الإشكالات تطرح على المستوى العام، منها :

- السرعة الخاصة لحركة التمدن والتضخم المطرد لمجموعة أگادير الكبرى، على حساب البوادي التي تعرف حركة هجرة سريعة.
- غلبة أنشطة القطاع الثالث (خدمات - سياحة - تبادل) بينما القطاع الصناعي يبقى مرتبطا أساسا بالمنتجات الزراعية ومواد الصيد البحري.

ويعرف الإقليم إلى جانب ذلك إشكالات تخص المناطق الجافة، أهمها :

- تنافس المدينة والأرياف على الثروات المائية القليلة مما يؤدي إلى تضاؤل هذه الثروات ويهدد بقيام مشاكل لا تحصى، تخص بالدرجة الأولى القطاع الفلاحي، ذلك أن الوسائل العصرية للضخ وتهافت المزارعين على الفرشة المائية الباطنية، جعل هاته تشح تدريجيا وتهدد عدة قطاعات سقوية بالانقراض.
- تدهور الظروف البيئية بسبب سوء السلوك البشري في المجالات الهشة، والشديدة الحساسية، والمعرضة بسرعة للإتلاف إذا تعرضت لسلوك غير لائق. ويهدد التدهور حاليا المجالات الرملية الكثبانية التي تعتبر تركات لمراحل رباعية أجف من الحالي، استعمرتها النباتات، ويقوم الإنسان حاليا باجتثاثها.

## إقليم أگادير
## سكان الأرياف

| المساحة القروية | مساحة | احصاء 1960 | 1971 | 1982 |
|---|---|---|---|---|
| أيت بهـــا | 93,7 | 4904 | 5704 | 4519 |
| بيوگـرة | 516,8 | 21750 | 29221 | 35653 |
| احد أيت بلفاع | 404,3 | 20043 | 24866 | 30539 |
| احد تارگانتوشكة | 186,2 | 11863 | 12066 | 11709 |
| ايمي احد تاسكدلت | 392,5 | 10338 | 11910 | 11812 |
| انشـــادن | 240,6 | 11671 | 14272 | 19296 |
| خميس اداوگنضيف | 237 | 6702 | 6932 | 5294 |
| مـاسـة | 331,8 | 10536 | 13987 | 12813 |
| سيدي بيبـي | 355,6 | 16438 | 20820 | 28318 |
| سيدي بوعـز | 109,3 | 4748 | 4945 | 4484 |
| ثـانـالـت | 195 | 11739 | 11068 | 10594 |
| اثنين أيت واد. ريم | 425 | 12250 | 15169 | 16123 |
| مجموع دائرة بيوگرة | - | - | - | 191154 |
| أيت ملول | 167,5 | 24371 | 22013 | 28780 |
| أقصري | 506,2 | 8161 | 9789 | 11049 |
| اموزار اداوتانان | 380 | 18500 | 9898 | 9982 |
| اسـك | 680 | 13803 | 15195 | 17619 |
| التامري | 500 | 14135 | 19146 | 23046 |
| تمسية | 128,1 | 9478 | 13419 | 18696 |
| تكوين | 341,8 | 8879 | 25029 | 33555 |
| مجموع دائرة انزگان | - | - | - | 142727 |
| مجموع الإقليم | | | 285449 | 333881 |

## إقليم أگادير
## السكان الحضريون

| | | | |
|---|---|---|---|
| بلدية أگادير | 16695 | 61192 | 110479 |
| بلدية انزگان | 6917 | 11495 | 17952 |
| مركز الدشيرة | - | 16077 | 39760 |
| مركز تراست | - | - | 19919 |
| مركز أيت ملول | - | 1989 | 17712 |
| مركز ابن سارگاو | - | 6621 | 13517 |
| مركز الجرف | - | - | 7188 |
| مجموع أگادير الكبرى | - | - | 226527 |
| مركز أيت بها | - | - | 1931 |
| مركز بيوگرة | - | - | 2974 |
| مركز ماسة | - | - | 6037 |
| مركز تكوين | - | - | 8391 |
| مجموع السكان الحضريين | - | 101374 | 245360 |

| المركز | 1971 | 1982 |
|---|---|---|
| بلدية أگادير | 61192 | 110479 |
| ابن سرگاو | 6621 | 13517 |
| الدشيرة | 16077 | 39760 |
| إنزگان | 11495 | 17952 |
| الجرف | 3105 | 7188 |
| تراست | 1809 | 19919 |
| تكوين | 2943 | 8391 |
| أيت ملول | 5989 | 17712 |
| مجموع الضاحية | 48039 | 124439 |
| مجموع أگادير الكبير | 109231 | 234918 |

عبد الله العوينة

## أگادير أكليد ← تاقجيجت
## أگادير ملولن ← تارودانت (إقليم ـ)

**أكاديمية** المملكة المغربية، أنشئت في الخامس من جمادى الثانية عام 1400 / 21 أبريل 1980 بمبادرة من جلالة الملك الحسن الثاني، وكان قد صدر ظهير شريف بمثابة قانون بتاريخ 24 شوال 1397 (8 أكتوبر 1977) أحدثت بموجبه الأكاديمية، ويتضمن الأحكام المتعلقة بأغراضها وهياكلها ونظامها الأساسي وتدبيرها المادي. ومن قراءة عامة لهذا الظهير يتبين أن دواعي تأسيس الأكاديمية تتجلى في الإشارة إلى النهضة الفكرية التي تعرفها المملكة المغربية، والمهام التي علي المغرب القيام بها اعتبارا لموقعه الجغرافي كنقطة التقاء استراتيجية، وتكاثر القضايا التي تواجهها الإنسانية مما يتطلب حوارا فكريا متعدد الأصوات والاختصاصات على أعلى مستوى.

هكذا يحدد الظهير أهداف الأكاديمية في :

- "تشجيع تنمية البحث والاستقصاء في أهم ميادين النشاط الفكري : علم العقائد والفلسفة والأخلاق والقانون ومناهج الحكم والتاريخ والآداب والفنون الجميلة والرياضيات والعلوم التجريبية وغير التجريبية والإدارة والاقتصاد والصناعة والتعمير والتقنيات التطبيقية".
- " العمل على إفراز تكافل مستمر بين هذه النشاطات في دائرة احترام القيم الأخلاقية والروحية الأساسية".
- "السهر، بتعاون مع الهيآت المختصة في الميدان المقصود، على حسن استعمال اللغة العربية بالمغرب وعلى إتقان الترجمة من اللغة العربية وإليها، وإبداء الآراء السديدة في هذا الموضوع".

توضيحا لهذه الأهداف تعرض خطاب افتتاح الأكاديمية الذي ألقاه جلالة الملك الحسن الثاني لما سيعهد به لهذه المؤسسة الملكية من مهام على رأسها :

- " الإسهام المنشود في تأليق الفكر وازدهار العرفان والتقارب بين الأفراد والشعوب، والتفاهم المفضي إلى سعادة الإنسان".

- " احتضان رجال يفدون من آفاق متباينة وينتمون إلى أجناس مختلفة وينتسبون إلى ثقافات وحضارات متغايرة، ويمتازون كلهم بالصيت البعيد، والشهرة الواسعة، والتجربة الوافرة، والحكمة البالغة".

- أن تكون المؤسسة "مستراد" فسيحا تتظافر في رحابه جهود سامية، لا للتباحث والتداول في شؤون فكرية وعلمية فحسب، ولكن لإيجاد ذلك التقارب وذلك التفاهم الخليقين بالاتساع والامتداد".

تحتضن الأكاديمية في رحابها 66 عضواً (30 عضواً مقيماً و 32 عضواً مشاركاً و4 أعضاء مراسلين)، وتتمثل أهم هياكلها في التالي :

- المكتب، ويتكون من أمين السر الدائم وأمين السر المساعد ومدير الجسات.
- اللجنة الإدارية (وهي لجنة تنظيمية ومالية).
- لجنة الأعمال (وهي لجنة علمية).
- يمكن للأكاديمية أن تشكل لجانا مختصة دائمة أو ظرفية، وهكذا تم تمثيل اللجان التالية : لجنة التراث، لجنة اللغة العربية، لجنة القيم الروحية والفكرية، لجنة التربية والعلوم والتكنولوجيا، لجنة المطبوعات.

تعقد أكاديمية المملكة المغربية دورتين في السنة على الأقل (أبريل ونوفمبر)، داخل التراب الوطني أو خارجه، ويشهد مقر الأكاديمية اجتماعات قارة في جلسات عادية أيام الخميس (مرتين في الشهر)، تلقى خلالها بالإضافة إلى المداولات التنظيمية أحاديث يعرض فيها الأعضاء تقييمهم للكتب الصادرة أو مشاريع الأبحاث التي تأخذ باهتمامهم أو المؤتمرات العلمية التي يحضرونها، كما تعقد اللجان اجتماعات دورية (مرتين في الشهر) وتنظم الأكاديمية محاضرات عمومية وأياما دراسية مختصة.

تصدر الأكاديمية مطبوعات تنتظم في أربع سلاسل صدر منها حتى نهاية 1988 إثنى عشر كتابا في سلسلة "الدورات" وأربعة في سلسلة "التراث" و ثلاثة في سلسلة "الندوات والمحاضرات".

إضافة إلى عدد افتتاحي وأربعة أعداد من مجلة الأكاديمية.

*ظهير شريف بمثابة قانون رقم* 229 ـ 77 ـ 1 في 24 شوال 1397 / 8 أكتوبر 1977. *العدد الافتتاحي لمجلة الأكاديمية.*

مصطفى القباج

**إكَاسَاس**، يرجح أن يكون معنـاه، بنـي مجـروح أو المجروحين. وورد اسم مكان شرقي تطوان قريبا من الساحل، كان بأرض بني نائل.

*البيذق*، 93.

أحمد التوفيق

**أكَاوْس**، تكشف إحدى الوثائق الإسبانية لسنة 1499 عن وجود قصبة أكَاوْس بجانب قصبة تگاوست وتسگنان جنوب الأطلس الصغير. ومعلوم أن موقع گليميم حوالي 8 كلمترات شرق هذه القصبات قد أهلها ابتداءً من نهاية القرن السابع عشر للحلول محل تگاوست كعاصمة اقتصادية لمنطقة وادي نون، ندرك من هنا لماذا أخذ المدشر الحالي الواقع على مقربة من أنقاض تگاوست وتسگنان اسم القصابي. تعتبر هذه الوثيقة التاريخية معاهدة سياسية تتعهد بموجبها إسبانيا بحماية قرى ومداشر وادي نون وإفني وإفران وتمنارت بطلب من شيوخ قبيلة بني عامر الأعرابية. وقد ترجمها إلى الفرنسية الباحثان الفرنسيان P. De. Cenival و F. C. De. La Chapelle سنة 1935. وإذا كان أگاوس هو مذكر تگاوست، فإن معجم الصنهاجية الموريتانية يوضح بأن معنى التسمية هو الكثيب الممتد (Colin : 294). على أننا نجهل علاقة التسميتين بأگا التي تفيد الأداة المستعملة في استخراج الماء. كما أنه يصعب ربطها بفعل آوگس الذي يعني التوجه نحو الجنوب (Colin : 318). مهما يكن فإن الجهل التام بتاريخ هذه القصبات يقتضي كما نرى البحث الميداني والأركيولوجي.

لقد لعبت هذه القصبات وخاصة منها تگاوست ذات الحجم العمراني والاقتصادي الكبير، دوراً أساسياً في تقوية المبادلات بين المناطق المحيطة والمد المسيحي على شواطئ المنطقة. هذا ما تفيده العلاقات القرابية والسياسية بين شيوخ القصبات الثلاث. فعلاوة على انتمائهم إلى نفس القبيلة كان محمد بن أحمد شيخ أگاوس صهر كل من محمد ميمون شيخ تگاوست وعلي بن أينو شيخ تسگنان. كما أن قصبة أگاوس كانت تحتضن مقر المقيم العام الإسباني على جزر كناريا. وقد تميز شيخ أگاوس بمعرفته اللغة الإسبانية مضيفا بذلك إلى حجم علاقته التحالفية مع حاميه وحامي قبيلته. على أن المنحني الإسطوغرافي للوثيقة يميز شيوخ هذه القصبات الثلاث عن باقي شيوخ القبيلة بالاستقرار والمراقبة الفعلية. وهو بعد دلالي يؤكد الاختلاف البين مع الغور الأمازيغي في المواقف إزاء إسبانيا، ويكشف عن عدم استقرار باقي الشيوخ الأعراب داخل المداشر. فمن خلال الاستعراض والمقارنة لبنود المعاهدة يتضح أن صراع أولاد عامر مع الغور الأمازيغي صاحب الأرض والمداشر على أشده. وإذا كانت تحالفات أولاد عامر بالإسبان تدل على وحدة المصالح فذلك دليل على أهمية الاستراتيجية العسكرية في مراقبة المنطقة سياسيا وتجاريا. واعتبارا للتوجهات الإيبيرية نحو الساحل الأطلسي للصحراء، أصبحت ساعتها تگاوست عاصمة المنطقة بدلا من تيخمرت العاصمة الأمازيغية لمملكة بوطاطا Vutata (*الصحراء*، 113 ـ 114). وهي حقيقة ترمز إلى أهمية الخسارة السياسية والعسكرية والتجارية والديمغرافية التي كان يعاني منها يومئذ الغور الصنهاجي المحلي. فالمعاهدة الحمائية تقتضي في جوهرها توزيع الامتيازات بين الحامين والمحميين في وقت انجرفت فيه التيارات التجارية بفعل الغزو الإسباني والمعقلي المتواصل على المداشر. نتبين بذلك طبيعة الصراع مع الغور الأمازيغي المتزعم للحركة الدينية التي لن تلبث أن تلقي بالوجود الإيبيري إلى البحر.

م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.

P. De. Cenival et F. De. La Chapelle, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique : Santa cruz de Mar Pequena et Ifni*, Hespéris, 1935, 2 - 4 trimestres, 19 - 77.

مصطفى ناعمي

**أكَبّار**، لا يمكن الحديث عن العلاقات بين المغرب وبلاد السودان دون الحديث عن القوافل. وكان يُطلق على هذه القافلة الكبرى العابرة للصحراء اسم أكَبّارْ. فالقافلة هي الوسيلة الوحيدة والناجعة التي كانت سببا في التحام هاتين المنطقتين، وفي ميلاد وتطور حضارات على تخوم الصحراء، سواء الحضارات التي عرفها المغرب أو التي عرفها السودان الغربي، وهي حضارات تدين بالكثير للتجارة الصحراوية.

مع دخول الجمل واستعماله في الصحراء، ابتداء من القرن الرابع الميلادي، دخلت القارة في مرحلة جديدة من الاتصال، يمكن أن نطلق عليها عصر الجمل. فالحرارة المفرطة والظروف الطبيعية القاسية لم تبق عائقا مع دخول الدابة الجديدة التي تتلاءم مع هذه الظروف.

لا يمكن إرجاع الفضل للجمل، لأن القافلة إنما عرفت تمركزا وأهمية مع وصول الإسلام إلى إفريقيا الشمالية، لأنه كان وراء نقل تقاليد متينة في تجارة القوافل وتنظيمها، وفي حفر الآبار في الصحاري، وفي البحث عن المواد التجارية، وتجاوز الصعاب للوصول إليها، كل ذلك كانت ترافقه قوانين تعكس تصورا متكاملا للمعاملات التجارية، يضاف إلى ذلك ضبط هذه المعاملات عن طريق التوثيق، ووحدة المقاييس والموازين والعملة كلما أمكن ذلك.

هذا التنظيم المحكم والتصور المتكامل كانا وراء البحث عن المواد التجارية في بلاد السودان، خاصة المعدن النفيس، أي الذهب. وهكذا وضعت المعرفة الإسلامية رهن إشارة مناطق غنية لتتكامل من أجل تأسيس القوافل العابرة للصحراء وتطويرها، والتي كانت وراء علاقات تعتبر من أزهى العلاقات في تاريخ البشرية. فالقافلة لم تقتصر على الجانب التجاري بل كانت حافزا للتبادل الثقافي والسياسي.

ولإعطاء نظرة موجزة ومعبرة عن القافلة، هذه الوسيلة التي "دجنت" الصحراء، سنحاول تتبع خطواتها مرحلة مرحلة. سنبدأ من مرحلة الاستعداد للخروج، ثم بطريقة سير القافلة، وتسييرها، ثم المشاكل التي تواجهها أثناء تحركها، وأخيرا سنرى القافلة في مرحلتها الأخيرة أي رجوعها.

الاستعداد : كانت القافلة التجارية المتوجهة للسودان تشكل حدثا، سواء عند انطلاقها أو بعد رجوعها. بالنسبة للمراكز التي تنطلق منها كان الانطلاق يتم من أحد المراكز التجارية الكبرى المتاخمة للصحراء سواء سجلماسة أو گليميم أو توات أو تندوف، وتختلف أهمية المركز والقافلة حسب أهمية المحاور التجارية.

ويسبق الانطلاق استعدادات طويلة ودقيقة، كان يشرف عليها الأعيان من كبار التجار، وممثلي السلطات الدينية أو السياسية. فالرحالة Lenz عندما مر من تندوف في أواخر القرن التاسع عشر لاحظ الأهمية التي يوليها الأعيان لعبور الصحراء لأن الاستعداد لسفره أشرف عليه شيخ المدينة وشريفها معا (*Tamouh*, 32). وهذه المراقبة هي وليدة المخاطر التي ترتبط مع السفر كما أنها وليدة حرص الجميع على إنجاح العملية، لأن خسائرها ستعود بالضرر على المنطقة، يضاف إلى ذلك أن تجارة القوافل كانت من اختصاص كبار التجار.

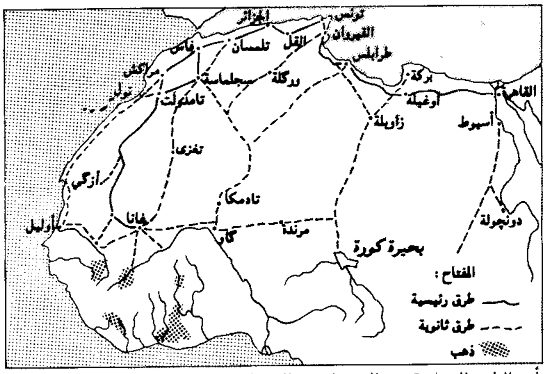


أهم الطرق التجارية عبر الصحراء من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر

(D' après R . Mauny, *Tableau Géographique de l'Ouest Africain au Moyen Age* .)

كان الاستعداد يشمل عدة أشياء منها أولا وسائل المواصلات. وقد كانت المهمة أحيانا من اختصاص التجار، إذ يتكفل كل تاجر بشراء عدد معين من الجمال ويقوم برعيها استعداداً للسفر، كما فعل ابن بطوطة الذي اشترى جماله من سجلماسة (Alaoui, 58). إلا أن هذه المهمة سيتم التراجع عنها تدريجيا في إطار نوع من توزيع العمل بين الرحل والمستقرين، لأننا خلال القرن التاسع عشر نجد قبائل بكاملها تقوم بكراء الجمال، والإشراف على عملية النقل (Tamouh : ص 62 ومايليها) وإلى جانب المواصلات كان التجار يهتمون بإعداد الزاد والماء الذي سيكفيهم لهذه الرحلة الطويلة الشاقة. وقد كان الزاد يشمل المواد القابلة للإذخار. أما بالنسبة للماء فقد كانت تهيأ له الحبال والدلاء وكذلك تطلى القراب بالقطران الذي يحفظ الماء من التبخر، هذا إلى جانب شراء السلع التي ستباع في السودان، وتتمثل أساسا في الملابس والحلي، والبخور، والخزف.

وقد أكدت الحفريات التي قام بها الأستاذ Devisse في أوداغشت أن نصف الخزف الموجود بها أصله من سجلماسة. هذا إلى جانب الخيول ومعدن الفضية، وقد كانت المواد تتغير حسب السوقين السودانية والمغربية وحسب السوق الأوروبية التي تصدر موادها للسودان عبر القوافل العابرة للصحراء Alaoui, *Le Maghrib* ; Tamouh, *Le Maroc et le Soudan* ; Abitbol, *Tombouctou*... وأهم مادة تنقلها القوافل هي الملح الذي كان يؤخذ في الطريق من المملحات خاصة مملحتي تغزي ثم تاودني فيما بعد. وقد كانت

الجمال المخصصة لحمل الملح ترافق القافلة بدون حمولة إلى المملحة. وقد يصل عدد هذه الجمال نصف مجموع القافلة.

يصبح المركز التجاري الذي تنطلق منه القافلة الكبرى أو أكبار، خلال فترة الاستعداد عبارة عن مصب، تصب فيه مجموعة من القوافل الصغرى، التي انطلقت سواء من المراكز الأخرى المتاخمة للصحراء، أو القوافل الآتية من المدن الكبرى، كفاس، أو مراكش والتي تنوي الاتجاه إلى السودان. وهكذا تتجمع أطراف القافلة الكبرى تدريجيا وينهي التجار الأجانب عن المركز استعداداتهم هناك في انتظار خروج القافلة.

التسيير : كانت القافلة تضم عدة آلاف من الجمال، وعدة مئات من المسافرين، من تجار وخدم وسواقين، يقال عنها إنها عبارة عن مدينة متحركة. هذه المدينة المتحركة تقوم بسفر يدوم ما بين ستة أشهر وتسعة أشهر. مما يفترض وجود قوانين وأعراف لضبط تحركها، قد تتغير حسب الظروف، لكنها تفرض نوعا من مركزية القرار لضمان نجاح السفر. لذلك كانت القافلة تضع مصيرها بين يدي الدليل، الذي يشرف على تسيير القافلة وسيرها. وقد أصبحت مهمة قيادة القوافل مهنة من أهم المهن في المراكز التجارية. إلا أن القيام بهذه المهنة كان صعبا، لأن المسؤولية ثقيلة، وبالتالي فشروط اختيار الدليل كثيرة : أولها قيام الدليل بالرحلة عدة مرات واجتيازه الطريق الذي سيسلكه. وهكذا فاختياره يكون من القبائل التي تتحرك في الصحراء كدليل قافلة ابن بطوطة الذي كان ينتمي إلى قبائل مسوفة (Alaoui, 59) ويشترط فيه معرفته الدقيقة بالظروف الطبيعية التي تمر منها الطريق وذلك لتحديد الآبار، أو ترقب العواصف الرملية، وتحرك الكثبان. كما يشترط فيه قدرته على السير والتوجه تبعا للنجوم، أو النباتات، والتربة، (Daumas, 23) هذا إلى جانب حدسه، وسرعة بديهته، وذلك لتفادي الكمائن التي قد ينصبها قطاع الطرق، وللتوجه إلى أماكن الآبار، خاصة المطمورة بالرمال. كما يشترط فيه قدرة على الحوار، والمفاوضات، لأنه مطالب بالتفاوض مع رؤساء المراكز التي تمر منها القافلة أو مع الساهرين على حماية الطرق التجارية، وذلك لتحديد واجبات المرور، أو واجبات دخول الأسواق التجارية.

ولم يكن باستطاعة الدليل أن يتحمل المسؤولية وحده، لذلك كان بجانبه طاقم من المساعدين، وعلى رأسهم الحراس، الذين كانت لهم ثلاث مهمات : مجموعة منهم تسبق القافلة لتقصي أحوال الطريق، وعند اقتراب القافلة من الوصول تسبق للإخبار بوصولها (Alaoui, 62). أما المجموعة الثانية فمهمتها السهر على سير القافلة، وذلك لتفادي الازدحام، أو التكدس والبلبلة. أما المجموعة الثالثة فمهمتها مراقبة القافلة من الخلف، وذلك لحث المتأخرين، ومساعدة المتعبين. إلى جانب الحراس كان هناك المنادي ومهمته إبلاغ أوامر الدليل، يضاف إلى ذلك جهاز ديني وقضائي يرافق القافلة ويشمل المؤذن والإمام والعدول لتوثيق المعاملات والأحداث التي ترافق سير القافلة (Daumas, 189, 300, 301).

وقد كانت القافلة تقوم بسفرها غالبا في فصل الشتاء لتفادي الزوابع الرملية التي تغطي الآبار (ليون الإفريقي، 76). وتبدأ سيرها من الفجر إلى الضحى، إذ ذاك تتوقف، وتنصب خيامها إلى ما بعد الظهر، ثم تبدأ رحلتها من ذلك الوقت إلى الليل، كما ورد عند الإدريسي (Alaoui, 61). وهكذا فالقافلة تتوقف عند اشتداد الحرارة في النهار، وعند اشتداد البرد ليلا. وعند توقفها كانت تتخذ شكل دوائر، يحتل وسطها الجمال، وحمولتها، وذلك لضمان أمنها.

أما تحرك القافلة فقد كان على الشكل التالي :

القوافل الصغيرة تسير في شكل متراص، كوحدة، أما عندما تكون كبيرة، فإنها توزع إلى عدة مجموعات، أو قوافل صغرى، تفرق بينها مسافة محددة، حتى يسهل مراقبتها. وأما في المناطق الآمنة فتتحرك القوافل بشكل طبيعي (Tamouh, 36-39) بشرط إلا يبتعد المسافرون عن القافلة للأخطار التي قد يتعرضون لها.

المشاكل : هذه المدينة المتنقلة، التي تتحرك في إطار صحراوي، جاف، و"فارغ"، تواجهها مشكلتان أساسيتان : الأولى مشكلة الماء والثانية مشكلة الأمن.

حياة القافلة مرتبطة إلى حد كبير بضمان الحد الأدنى، على الأقل، من الماء طيلة السفر. وهكذا فالقافلة تنطلق من مناطق واحات غنية بمياهها، وتحمل معها حمولات متعددة من القرب مطلية بالقطران، لضمان شرابها، لأن الماء هو المشكلة الأولى، فعليه يتوقف بقاء القافلة على قيد الحياة لأن فقدانه يؤدي إلى ضياع قوافل بكاملها، إذ يحدثنا ابن بطوطة عن آثار قافلة اندثرت، كما أن قافلة ضاعت بكاملها سنة 1805.

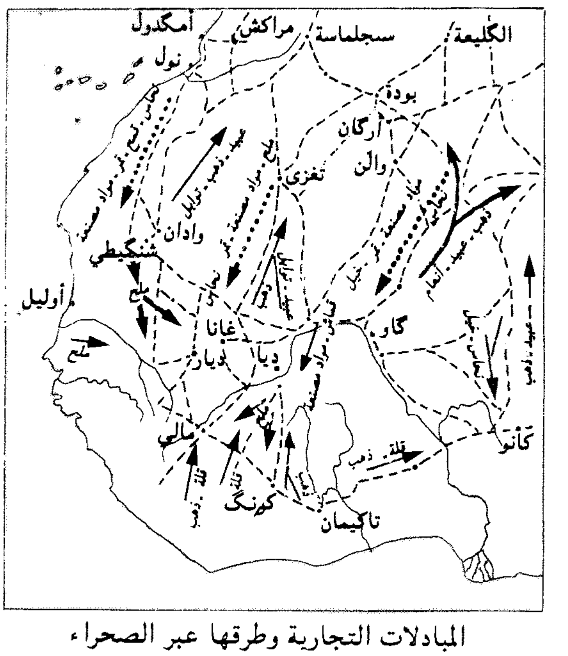


المبادلات التجارية وطرقها عبر الصحراء
في القرن الرابع عشر

وأهمية الماء هي التي جعلت الآبار تحظى بعناية خاصة في الصحراء، إذ يحدثنا ليون الإفريقي عن بنائها بعظام الجمال وتبليطها بجلودها قصد حمايتها من الاختفاء تحت الرمال (ليون الإفريقي، 76). وهذه الأهمية التي جعلت القوافل تسلك طرقا تتوفر فيها المياه على مسافة أطول، أو بوفرة أكثر، وهذا ما جعل توات مثلا أو تندوف أو سجلماسة مراكز لانطلاق القوافل التجارية، كما أن السبب الرئيسي في نجاح تنبكتو كمركز لاستقبال القوافل هو موقعها في أقصى ثنية نهر النيجر. ولهذه المراكز كلها قاسم مشترك هو موقعها المتقدم في الصحراء، فهي عبارة عن جيوب من الحياة وسط تلك القفار. أما الطريق الذي يربط واحات جنوب الأطلس بتنبكتو فترجع أهميته إلى آبـار الطليگ التي يتجـاوز عـددها 100 وتقـع قرب مملحة تاودني.

المشكلة الثانية التي تواجه القافلة هي الأمن، فالقافلة محملة بثروات عظيمة، وتخترق مناطق معروفة بغياب المركزية السياسية، لذلك فعلى القافلة أن تتجاوز هذه المشكلة، وذلك بالاحتياط والمفاوضات. وهكذا فالقافلة تكون مستعدة للمواجهة لأنها تكون مسلحة أحيانا أو يحميها حراس مسلحون، إلا أن هذه الظاهرة مرتبطة أكثر بالوضع في القرن التاسع عشر حيث ازداد المتمردون والمتذمرون من جراء تراجع تجارة القوافل. إلا أن الوضع العادي هو المفاوضات مع القبائل التي تعبر القوافل مناطق نفوذها حيث تؤدى لها واجبات للمرور. وهذه الواجبات تكون عادة معروفة أو متفقا عليها (ليون الإفريقي، 76 ـ 77 وما يليها: Tamouh) أحيانا تكون الواجبات شكلية (ليون الإفريقي، 76).

وقد لعبت الحمايات دورا أساسيا سواء السياسية أو الدينية، ونشير هنا إلى دور الزوايا خاصة ابتداء من القرن السادس عشر في حماية القوافل التجارية. ويكفي أن نشير إلى دور الزاوية الناصرية والتيجانية ودور الزاوية الكنتية سواء في توات أو أزواد.

الاستقبال : قبل وصول القرافل إلى المحطات النهائية ترسل المخبرين ليعلموا بقرب وصولها وذلك لتهييء الماء لها. وأيضا ليتم الاستعداد لاستقبالها، عن طريق توفير ظروف النقل، والنزول، أو للاحتفاء بوصولها سالمة. ويتم استقبال القافلة على مسافة بعيدة وينظم حفل كبير يكون مناسبة لاستعراض الملابس، والحلي، وللتباري في الغناء والرقص. ويصف لنا Panet الحفل الذي رافق وصول قافلة أثناء وجوده في گليميم سنة 1850 م.

وفرح استقبال القافلة يكون عاما لأنها تعنى بالنسبة لعائلات المسافرين السلامة، والربح. أما بالنسبة لبقية السكان فإنها تعني حركة اقتصادية غير عادية، يستفيد منها الكل بطريقة أو أخرى، فهي تخلق فرص عمل للنقل، ولكراء المنازل للمسافرين، كما أنها تكون مناسبة لبيع المواد الغذائية، من خضر وفواكه وحليب، يضاف إلى ذلك أن القافلة تحمل إلى جانب المواد التي تعتبر من اختصاص التجار الكبار كالذهب والرقيق، مجموعة من المواد تدخل في الاستهلاك اليومي، خاصة في نطاق الكماليات، كالأواني الخشبية، والبخور، وغيرها وبذلك فهي تمس كل سكان المراكز التجارية.

يمكننا استعراض هذه الخطوات أو المراحل من تصور هذا الوسيلة ـ أكبار ـ التي لعبت دورا أساسيا في ربط طرفي الصحراء، إلى درجة أن البعض يعتبر دخول الجمل إلى الصحراء، "ثورة في النقل". إذ أصبحت القافلة محط أنظار وآمال كل سكان المنطقة، فكل المشاريع والأحلام ترتبط بالقافلة وتجارة القوافل بما في ذلك الزواج وتكون الرأسمال والوصول إلى الملكية. كان السودان حلم الطامحين من المغاربة في المراكز التجارية المتاخمة للصحراء خلال قرون حتى إن مثلا سائرا في هذه المراكز يقول :"الجرب دواه القطران والفقر دواه السودان".

م. ابن بطوطة، *الرحلة* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*.

E. Daumas et A. Chancel, *Le Grand Desert ou Itinéraire d'une Caravane du Sahara au Pays des Négres*. (Royaume de Haoussa), Choix et cie, Paris 1848 ; Z. Tamouh, *Le Maroc et le Soudan au XIXe siècle* ; A. El Alaoui, *Le Maghrib et le Commerce tran-saharien.*

فاطمة الزهراء طموح

**أگْبيلْ** لقب لعلماء سوسيين، منهم :

**أگبيل، إبراهيـم** السوسي من كـتّـاب الإنـشـاء المرموقين لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي.

**أگبيل، محمد** بن علي بن إبراهيم الإنْدُوزالي، شيخ جليل ناصري الطريقة، من أخص تلامذة الشيخ أحمد بن ناصر. درس بتامگروت ثم بمساجد قبيلة إنْدُوزَال حتى وفاته 1162 / 1749 مخلفا تآليف منها : ترجمة لمختصر خليل إلى الأمازيغية السوسية سماه *الحوض* ؛ *وتنبيه الإخوان على ترك البدع والعصيان* ؛ *والطرق بالعصا لمن خالف ربه وعصى* ؛ *وبحر الدموع في المواعظ والرقائق* باللسان الشلحي. وله ولد اسمه أگبيل، إبراهيم السوسي مذكور في *خلال جزولة* 3 : 173 بأنه عالم جليل.

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، 164 ؛ م. المختارالسوسي، *سوس العالمة*، 191 ؛ *خلال جزولة*، 174 ؛ *المعسول*، 1 : 315 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 45 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 1 : 191؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، مجلة كلية الآداب بالرباط، 1982، ع 9، 280 ؛ عبد الرحمان الجشتيمي، *مقدمة الحوض*، الرباط، 1977.

محمد حبيب نوحي

**اكتامة** ← **كتامة**

**أكْتَاوَةْ**، وتكتب أيضا بدون همزة : كْتاوة، وباللام : لكتاوة، واحة تمتد على ضفاف وادي درعة على طول حوالي 20 كلم وعرض 6 إلى 8 كلومترات، تتكون مما ينيف على الخمسين من القصور الصحراوية، تحدها شمالا واحة

فزواطة، وجنوبا واحة المحاميد، مركزها الإداري الحالي هو تاگّنيـتْ ازدهـرت منطقـة أكتـاوة في عهد السعديين حيث كانت محطة هامة على طريق التجارة الصحراوية بعد أن كانت منطلقا لحملة المنصور السعدي على السودان، واشتهرت بها عدة قصور، أهمها تِسِرْاتْ ، وبني حيون، وبني صبيح، التي كانت بها طائفة يهودية اشتغلت بالتجارة والصياغة وسك النقود على عهد أحمد المنصور الذهبي والثائر أحمد بن أبي محلي.

كانت أكتاوة إلى جانب دورها الاقتصادي، مركزا علميا نشيطا في العصر السعدي، اشتهرت بها أسرة آل أدَفَالْ بقصر إدوافيلْ، والأسرة الصالحية الأكتاوية بقصر بني صبيح.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 552.

**الأكتاوي، أحمد** بن صالح بن إبراهيم بن عبد المومن الدرعي، عالم أديب له معرفة بالطب. ينتمي إلى أسرة علمية، ولد ونشأ بدرعة، درس على والده صالح بن إبراهيم، وهو معتمده في التصوف، كان له اتصال وثيق بالزاوية الناصرية حيث درس على عدد من أساتذتها، منهم الشيخ أحمد ابن ناصر، والأستاذ إبراهيم بن علي الدرعي السباعي، كما أخذ عن الشيخ أحمد الحبيب السجلماسي. توفي أحمد بن صالح بالأكتاوة سنة 1147 هـ حسب أغلب المصادر، ودفن بزاوية أسرته، ومازال قبره بها مزارة حتى الآن.

خلف المترجم عددا من التآليف منها : *الهدية المقبولة في حلل الطب المشمولة، وشرحها*، وديوان شعر سماه *إشفاء المريض في بساط القريض، وتجديد المراسم البالية في السيرة الحسنة العالية*، جمع فيه سيرة أبيه صالح بن إبراهيم.

أ. الأكتاوي، *الهدية* (مخطوط) ؛ ف. ع. الأكتاوي، الدرر اللامعة (مخطوط) ؛ م. م. الناصري، *الدرر المرصعة*، ص : 109 . 124 ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، رقم 35 ؛ ع ؛ ابن سودة، *دليل*، 1 : 195 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 1 : 138 ؛ م. المنوني، *دليل مخطوطات*، 19.

**الأكتاوي، صالح** بن إبراهيم بن عبد المومن بن عبد الله الدرعي، عالم مقرئ ينتمي إلى عرب الشاوية، قدم جده من الشرق واستوطن قصر بني صبيح من أكتاوة، حيث اشتهر حفدته بالعلم والصلاح طيلة أجيال. أخذ المترجم عن جماعة من مدرسي درعة (في بني صبيح وآستور وترغليل وتازارين)، ثم انتقل إلى سجلماسة فأخذ عن أعيان علمائها، أمثال محمد بن أحمد المصمودي، والشيخ محمد ابن محمد السجلماسي التجموعتي، والإمام عبد الله بن علي بن طاهر الحسني. وأخذ كذلك عن محمد الصغير بن المنيار، وعول في طريق القوم على الشيخ أحمد بن عبد الصادق، وهو معتمده في علم القراءات إضافة إلى شيوخه السابقين. لزم المترجم شيخه ابن عبد الصادق بسجلماسة حتى وفاة هذا الأخير سنة 1066 / 1955، فرجع بأهله إلى قرية بني صبيح في بلاد أكتاوة واستوطنها واشتغل بالتدريس والتربية حتى وفاته يوم السبت خامس ذي الحجة سنة 1096 / 1683. وقد خصه ولده أحمد بن صالح بتأليف جمع فيه سيرته ومناقبه وأشياخه ومروياته سماه *تجديد المراسم البالية في السيرة الحسنية العالية*.

أ. الأكتاوي، *تجديد المراسم البالية* (مخطوط) ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، ص 181 . 187 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ص 204.

محمد الحبيب نوحي

**أگْجْگالْ**، قرية في الأطلس الصغير بإسان عند أيت تگّني، على بعد 25 كلم تقريبا شمال غرب فم الحصن، وعلى بعد 35 شرق ـ جنوب ـ شرق إفران. كان فيها مناجم نحاس استغلت قديما وما تزال آثار استغلالها معروفة، وبالقرب منها كدية النحاس (تاوريرت أوأناس).

B. Rosenberger, *les vieilles exploitations miniéres et les centres metallurgiques du Maroc ; essai de carte historique*, R.G.M. nº 17 et 18, 1969 - 1970 ; D. J. Meunié, *le maroc saharien*.

أحمد التوفيق

ابن **الأكحل**، إبراهيم السويدي، هكذا يذكره مترجموه دون أية إضافة أخرى، ويبدو أن اسم الأكحل لقب لوالده أو أحد أجداده، وبهذا لا يعرف ـ بالضبط ـ اسم أبيه وجده.

أما نسبه فواضح أنه يرجع إلى أسرة "سويد" من فروع قبيل بني مالك، المستوطنين ـ الآن ـ في سهول الغرب عند إقليم القنيطرة، هؤلاء من زغبة إحدى الشعوب العربية من بني هلال المضريين (*العبر*، 956). وإلى هذا فالمترجم من مدينة مكناس، وقد يكون من مواليدها في تاريخ غير معروف، ثم كانت وفاته في ربيع الثاني عام 1006 (*منحة الجبار*) وحسب عصر السويدي فإن ثقافته تعكس ـ على العموم ـ المواد الدراسية الشائعة أيام السعديين، غير أنه تميز بتفوقه في الفلكيات، مع تضلع في الرياضيات، حيث اختص في هذه العلوم اثنان من أشياخه بفاس : محمد الصغير بن أحمد بن الحاج الزجني، وأحمد بن محمد الماواسي، على أن ابن القاضي يعقب على ذكر الشيخين بكلمة "وغيرهما" ليشير إلى شيخ أو أشياخ آخرين لا يزالون غير معروفين.

ونفس المصدر هو الذي يبرز درجة المترجم في اختصاصه، فيقدمه في *درة الحجال* (1 : 202) بحلية الفقيه الفرضي الحيسوبي، وحيد عصره في علم الفلك والهيئة والتعديل. ويوسع هذه الفقرة المؤلف ذاته في كتابه الآخر *المنتقى المقصور*، وأما مكناسة الزيتون : فأخذت بها الحساب والفلك على أبي سالم إبراهيم ابن الأكحل السويدي، داهية الإنسان، وفيلسوف الزمان، له عقل لفهم المسائل ثاقب، وعلى الحق والصواب ناقب، له قدم راسخ في التعديل والهيئة ما أظن أحدا في زماننا ـ اليوم ـ يصله، حدثني شيخنا أبو العباس المنجور أنه أخذ عليه علمه، وقال لي : كانت المسائل في فنه تشكل على محمد الصغير

ابن الحاج ويوجهها له، ويقول :"السويدي لها"، أو كلاما يقرب من هذا".

ويستنتج من هذه الفقرة - أيضا - اسمان من تلاميذ المترجم : ابن القاضي والمنجور، فيقول عنه هذا الأخير في *فهرسه* وهو يعدد أقرانه : ".... والعددي الفرضي الموقت، أبي سالم إبراهيم بن الأكحل السويدي، بل قرأت عليه وقرأ عليَّ وتعاونا".

وإذا كان السويدي لم يدون معارفه الفلكية في كتاب، فإن تلميذا ثالثا من الآخذين عنه اضطلع بالاحتفاظ بمجموعة من تعاليق أستاذه على *روضة الأزهار*. والمعني بالأمر هو العالم الفلكي : أحمد بن عبد القادر بن طاهر الحسني الجوطي المكناسي، شارح أرجوزة *روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار* للجادري، فيذكر في افتتاحية الشرح وخاتمته أنه درس هذه الأرجوزة على أستاذه المنوه به، وكان يسجل توضيحاته لتعقيداتها في جذاذات، كانت هي المصدر الأول لشرح التلميذ على *روضة الأزهار*.

أ. ابن خلدون، *العبر*، 6 ؛ أ. المنجوز، *فهرس*، ط. الرباط، 1976؛ أ. ابن القاضي، درة *الحجال* ؛ *المنتقى المقصور* ؛ م.ع. البصري، *منحة الجبار*، مخطوط خ.ح. رقم 941 (ثاني مجموع).

محمد المنوني

**الأكحل، محمد** بن إبراهيم بن قاسم الأندلسي الفاسي. اقتصرت الكتب التي ترجمت له على اسمه ولقبه دون ذكر اسم أبيه وجده ونسبه، وأضفنا ذلك اعتمادا على رواية الشيخ محمد بن عبد الله مَعْن التي أوردها كل من صاحبي *ابتهاج القلوب* و*الإعلام بمن غبر*. وفيها أن إبراهيم بن قاسم الأندلسي أخبره وهو يضحك بعد انتهائهم من قراءة حزب العشي بالزاوية الفاسية أن ابنه محمدا الأكحل قد مات في ذلك العشي ولم يكن له ولد غيره. والتاريخ يقبله، وأخبار صحبة الأكحل لأبي المحاسن وانعزاله بعد موته إلى أن قبض تؤكده.

لم يكن المترجم أسود البشرة وإنما لُقب بذلك. وكان عالما بالكيمياء فلما تصوف وصحب الشيخ أبا المحاسن الفاسي استأذنه في أن يلقن أبناءه العلماء ما يعرفه من فن الكيمياء، فلم يأذن له ونهاه عن تعاطيها فانتهى. وكان الشيخ محمد بن عبد الله مَعن تُعجبه مقالات محمد الأكحل في التصوف ويحتج بها. ويؤثر عنه قوله : "طريقتنا هذه : ما لك شيء، ما لك شيء، ما لك شيء، وطريق هؤلاء المُبطلين : لي، لي، لي، كأهل الزُفن، يعني أن طريقتهم مبنية على الفناء والغيبة عن الوجود الحسي، وطريق المبطلين على إثبات الوجود ورؤية النفس" (*ممتع*). وتُروى عنه مقالات أخرى تدل على رسوخ قدمه في التصوف، واستغراقه في الحب الإلهي.

توفي بفاس في حدود عام 1014 / 5 - 1606 ودفن بروضة شيخه يوسف الفاسي خارج باب الفتوح.

ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط ؛ *ممتع الأسماع*، 183 ؛ عبد الله الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 66 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، مخطوط ؛ م. القادري، *التقاط*، 45، *نشر*، 1 : 134 - 135 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 327 - 328.

محمد حجي

**الأكحل، محمد أگمگام**، وتكتب أقمقام - بالقاف المعقودة - صالح ذو أحوال غريبة، ومكاشفات عجيبة. كان كوشا أسود يعيش منعزلا في حومة العيون بفاس، معاصرا لمحمد الأكحل الأندلسي سابق الترجمة، مقصودا من طرف العامة والخاصة. ومن أشهر الصالحين الذين كانوا يترددون عليه ويتبركون به عبد الله الشريف العلمي صاحب وزان خلال طلبه العلم بفاس، وقاسم الخصاصي صاحب الضريح المعروف خارج باب الفتوح.

توفي أگمگام عام 1050 / 40 - 1641 على ما جزم به في *الصفوة*، وذكر صاحب *المقصد* أن وفاته كانت في العشرة الخامسة، ودفن بروضة الصالح علي أبي الذياب في حومة العيون من عدوة فاس القرويين متصلا بقبلتها. وقبره من المزارات المقصودة بفاس حتى الآن.

ع. القادري، *المقصد الأحمد* ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 93 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، 183 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، مخطوط ؛ م. القادري، *الزهر الباسم*، مخطوط ؛ *نشر*، 1 : 134 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 284.

محمد حجي

**الأكحل** (السلطان -) ← أبو **الحسن المريني**

**الأكحل** (السلطان -) ← أبو **يعقوب المريني**

**أگْدَالْ**، كلمة أمازيغية مأخوذة من فعل «گْدَلْ» الذي يفيد معنى الحماية والمحافظة والمنع أو التحريم، وتجمع على «إِگْدَالَنْ» أو «إِگْدْلاَنْ» وهي تعني بصفة عامة : المكان المحمي حماية مادية أو معنوية، مؤقتة أو دائمة، قصد تحقيق المصلحة والاستفادة المثلى منه. وهكذا تطلق على منطقة الحُرُم بضريح وليّ أو بجواره، ملجأ الخائف أو المطارد بالجبل أو بالسهل - التي يمنع الرعي فيها مؤقتا، بغية نمو عشبها وتمكن عروقه، ويباح فيها بعد استنزاف مراع أخرى / وعلى البساتين الشاسعة المسورة. وبهذا المعنى خصصت في المغرب لتدل على الحدائق السلطانية الموجودة في العواصم كمراكش ومكناس والرباط، وتطلق كذلك على المروج المتناثرة على ضفاف الأنهار الجبلية، والتي تحاط عادة بسياج من الحجر حفظا لها من الحيوانات التي قد تتسرب إليها قبل الأوان الملائم.

وقد لوحظ أن كلمة أگْدَالْ توجد بنفس المعنى في مجموع شمال إفريقيا. غير أن أسماء الأماكن التي لاتزال تتسمى بها في المغرب، تفوق عدداً غيرها في مناطق أخرى. والكثير منها في المغرب يوجد في الأطلس الكبير الغربي. وفي هذه المنطقة على الخصوص لعبت المراعي الجبلية العليا دوراً هاما في حياة المجتمعات الجبلية، سواء في علاقاتها مع بعضها البعض، أو في روابطها مع التي

تجاورها من ناحية الأراضي السهلية. وهذا راجع إلى أهمية الأنشطة الرعوية وتربية المواشي، في جبال تقل فيها الأراضي الزراعية، ويتطلب فيها ما وُجد منها جهدا كبيرا ومستمرا، مع ضعف كبير في المردودية الزراعية.

وتزداد أهمية هذه المراعي العليا بصفة خاصة، في عصور الأزمات المختلفة، التي يضطر معها سكان الجبل إلى عدم مد أنشطتهم الفلاحية في اتجاه السهول الشمالية - الغربية، والتي كانت تكون دوما امتدادا طبيعيا لمجالهم الحيوي. تزداد أهميتها حينذاك فيقع عليها التهافت، مما يؤدي أحيانا إلى وقوع نزاعات بين المستفيدين. لهذا أحدثت طقوس وأعراف وعقود، تنظم استغلال هذه الأماكن الحيوية استغلالا جماعيا، دون أن يؤدي ذلك إلى وقوع اختلافات قد تضر بالجميع.

اشتهرت كلمة أݣدالْ عند سكان بعض المدن المغربية الكبرى على الخصوص، لأنها تطلق على البساتين السلطانية في كل من مراكش والرباط ومكناس. ورغم أن فاس لم تسمّ - على مايبدو - بستانها السلطاني باسم أݣدالْ، فإنه كان، رغم ذلك، موجودا منذ عهد الموحدين : المصارة، على ما ذكره ابن أبي زرع في *قرطاسه*.

إن عادة إحداث البساتين الكبيرة، وتزويدها بالمياه الجارية، بسور، ربما ظهرت لأول مرة بالمغرب في عاصمة المرابطين مراكش. ثم ترسخت واتخذت أبعادا كبيرة في عهد الموحدين، وخاصة منهم الثلاثة الأوائل. أما في العهود الموالية، فقد عرفت هذه البساتين فترات من الإهمال وأخرى من الإهتمام، حسب الظروف العامة وشخصيات السلاطين. وأهم العهود التي تم فيها الاهتمام بها بعد الموحدين هي عهد المنصور السعدي والمولى إسماعيل ومحمد بن عبد الله والمولى عبد الرحمان وابنه محمد.

أما عن الفائدة المقصودة من إنجاز هذا النوع من الحدائق والمغارس، فمن المؤكد أنها متعددة الجوانب. فبجانب المصلحة الاقتصادية الأكيدة وخاصة في أوقات الأزمات، هناك دورها في تلطيف الطقس خلال الفصول الحارة على وجه الخصوص. ثم الرغبة في توفير متنزهات للأعداد الكبيرة من حرم وحشم القصور السلطانية، بالإضافة إلى هيبة التميز التي تكسبها للحكام في عيون السكان والزائرين من الأجانب.

وتجدر الإشارة إلى أن بساتين أݣدالْ في الحواضر المشار إليها، تحولت بعض مواقعها الأولى إلى أحياء سكنية، مع احتفاظها بالاسم. وإذا بقيت خضراء، كما هو الشأن في مراكش، فالأمر يتعلق بإضافات محدثة أو بجزء صغير من البستان الأصلي.


مجهول، *الحلل الموشية*، 46 - 145 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 41 هامش 33، 407 ؛ م. ص. الوفراني، *نزهة*، 112 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 13، 115 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، 177 - 178 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 106.

E. Laoust, *Mots et choses berbères*, p. 260, 475 ; *L'Habitation chez les transhumants du Maroc Central*, p. 220 ; *Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas*, p. 45, Introduction au premier numéro de la Revue "Agdal" ; J. Dresch, *Document sur les genres de vie*, pp. 18 ; S.E. Destaing, *Vocabulaire Français - Berbère*, Paris, 1920, p.234 ; J. Berque, *Maghreb, histoire et société*, pp. 11 Sqq ; *Structures Sociales*, pp. 108 Sqq ; G. Deverdun, *Marrakech*, pp. 88, 194, 195, 204, 243, 244, 390 sq, 491 sq, 522, 527 sq.


صدقي علي أزايكو

**أݣدال** - ماسة (مدرسة)، كانت تقع هذه المدرسة في المكان المسمى أمرزݣون في الحدود الجنوبية لماسة من أعلى الوادي بها قرب قبيلة أيت أمريبط في المكان المسمى (حمَى الصوابي) ؛ ولا يزال بها إلى اليوم مقبرة كبيرة مقسَمة إلى ثلاثة أقسام : يضم أحدها طلاب المدرسة الوافدين إليها والمقيمين بها إلى أن أدركتهم الوفاة هناك لأسباب متعددة ؛ ويضم القسم الثاني المرابطين من سكان الزاوية الصوابية ورؤسائها ؛ وخصص القسم الثالث لعامة سكان الناحية وغيرهم ؛ وبهذا الموقع ما يزال قبر السيدة رقية بنت محمد الصوابي. وبعده مسجد جُدد من قبل المسمى الحاج عبد الله الحاحي (1284 / 1867) بسبب صلته بأحد علماء المدرسة آنذاك وهو محمد بن أحمد المرزݣوني مع مرافقه بالإضافة إلى سكن مقدم الزاوية ؛ يضاف إلى ذلك كله مدرسة وسطى متهدمة متداع أكثر بنائها (خلال جزولة، 4: 34).

أما مؤسس هذه المدرسة - الزاوية فهو العلامة الشهير أحمد بن عبد الله الصوابي من أيت صواب بالأطلس الكبير (1095 / 1683 - 1127 / 1715) ويظهر أنه اختار المقام بهذه الناحية البعيدة عن قرى ماسة بسبب تجارب مر بها في تنقله بين عدد من قبائل سوس مدرسا بمدارسها وقد عانى من ذلك بعض المرارة والاتهامات مما اضطر معه الشيخ الناصري من زاوية تامݣروت جنوب ورزازات إلى إسداء النصح له بالابتعاد عن مخالطة قرناء السوء إذا كان يريد النجاح في مسعاه.

وتمثل كيفية استقبال القبائل المحيطة بمنطقة ماسة له مع علمائها نموذجا ناصعا من التقاليد العلمية بسوس ومن علاقة السكان الروحية والمادية بالعلم والتصوف والشيوخ، حيث يذكر من بين الذين رحبوا بمقدمه وأشرفوا على اختيار مكان إقامته علماء مشهورون أمثال المفتي الشهير أحمد العباسي، ومحمد التاكوشتي. كما استقبلت قبائل ماسة وتيكيوت وبني ولون وأهل تاسنولت وأولاد عمرو والخنابيب وأولاد الغازي وأولاد جلول في شكل ممثلين عن أفراد قبائلهم حتى إذا ما اطمأن الشيخ إلى حسن نواياهم اختار موضعا بين ربوتين في موقع به شجرة أرݣان = هرجان يسمى بومروان قرب غابة وواد ؛ وقد تبرع بالبقعة المختارة أولاد عمرو في وثيقة رسمية فقبل منهم الشيخ ودعا لهم ووقع الاشهاد والكتابة والتصديق على جميع ما عمره الشيخ بعد ذلك من بناء وزرائب وقطع مزروعة بتاريخ 1147 / 1734 (خلال جزولة، 4 : 39).

وما كاد الشيخ أحمد الصوابي يستقر به المقام حتى شرع في صب تجاربه التعليمية والتربوية مع صغار الصبية

وكبار الطلاب وكافة من قصد إليه من أبناء المنطقة ؛ مع حذر ظاهر من التورط في المشكلات المتعلقة بالمعاملات وتحذير من القضاء وقضاة زمانه خاصة ؛ فإلى جانب إشرافه على صغار الصبية، بتعليم التلاوة والترتيل والتحذير من السرعة في القراءة المعتادة عند الطلبة آنذاك، مقاوما أحد القراء الذين قدموا إلى سوس آنذاك بطريقة الهبطي في الوقف كاتبا في ذلك الرسائل في النهي عنه لمنافاته الترتيل ومراعاة المعنى المطلوبين، صرف طرقا من جهوده إلى العناية بطلاب العلم واللغة العربية، وكان برنامجه التعليمي يبتدئ صباحا *بصحيح البخاري* ثم *بتفسير الجلالين* وتفسير ابن جزي كما كان يقرئ *الحكم العطائية* في التصوف والسلوك بشرح ابن عباد ويدرس في النحو *ألفية* ابن مالك ومتن *السلم* في المنطق مع *منظومة* ابن زكري بشرح التامنارتي مفضلا إياه على شرح المنجور (خلال جزولة، 4 : 36-37).

وقد سرد عليه أحد أبنائه محمد الطاهر (استشهد غريقا سنة 1147 / 1734 عن ثماني عشرة سنة) *صحيح البخاري وتوضيح* ابن هشام باللوح ؛ وسرد عليه *شرح المكودي* على *ألفية ابن مالك*، وكذا *شرح المرادي* عليها ؛ وقرأ معه *شرح السنوسي* على صغراه في التوحيد مرتين، وسرد عليه *حاشية* عيسى السكتاني وعبد الرحمان الفاسي؛ وكان يقرأ عليه متن *صحيح البخاري* قراءة جيدة من خط مشرقي ممزوجا بشرح القسطلاني من غير توقف (خلال جزولة، 4 : 42).

على أن الشيخ الصوابي يصل هذا الجهد المتواصل بدرس للتذكير بين العشاءين لا يتخلف عنه أحد من الطلبة ولا من سكان الزاوية رجالا ونساء إلا لعذر، مع الحرص على عدم اختلاط الجنسين ؛ متخذا لكل طائفة نقيبا يشرف عليها مع طرد كل من لا يماشي هذا المنهاج التربوي الحافل المنضبط والمتوازي مع ممارسة بعض أعمال الفلاحة والبستنة والإنتاج، موصيا بالتحلي بالسنة والمواساة والإكرام ومجاهدة النفس والحذر من الاختلاط بين الجنسين.

ومن الذين لازموا زاوية الصوابي بعد وفاته المسمى :

عبد الله بن إبراهيم الرسموكي السملالي (1147 / 1734) ويذكر عنه الورع والزهد وإتقان النحو واللغة مع جودة إدراك ؛ وقد اختص من بين طلبة هذه المدرسة بفهم *مقامات الحريري* ؛ وقد لازم الزاوية مع أسرته إلى حين وفاته.

ومن هؤلاء أيضا الفقيه أحمد بن عبد الله الماسي الفنتوري ؛ وهو الذي وصف كيف توفي الشيخ الصوابي وكيف غسل مع ذكر الخلاف الذي وقع في محل دفنه بين الإيبوركيين والأسغاركيسيين (*خلال جزولة*، 4 : 43).

ويذكر محمد بن أحمد الجزولي الحضيكي (1189 / 1775) من بين الذين تخرجوا بهذه الزاوية ؛ وقد خص الشيخ الصوابي في طبقاته بترجمة واسعة ؛ وسيرة الحضيكي حافلة بالإنتاج العلمي الذي ما يزال مخطوطا في معظمه.

ومن بين الذين علموا ودرسوا بزاوية الصوابي يذكر :

أحمد بن محمد التاسكاتي الإيلالني (1214 / 1799) تلميذ الحضيكي آنف الذكر، أرسله شيخه هذا لعمارة الزاوية الصوابية بطلب من السيدة عائشة بنت أحمد الصوابي ؛ وهو أحد العلماء الذين أسهموا في مقاومة الثائر (بوحلاس = صاحب البردعة) بسوس وقد أكب بزاوية الصوابي على التدريس مع ملازمة السنة والحفاظ على تعليم بعض الأذكار والصلوات المأثورة للعموم عقب الصلاة (*خلال جزولة*، 4 : 47) مما لا يزال الناس بسوس يحفظونه ويرددونه عقب الصلوات الخمس والتراويح إلى اليوم (*خلال جزولة*، 4 : 48).

وممن يذكر أنه تخرج بزاوية الصوابي وربما درس بها المسمى : محمد بن عبد الله المرزكوني (ت. بعد عام 1180 / 1766) الساكن بقرية الفيض برسموكة والذي تزوج فيما بعد رقية بنت الصوابي فولدت له أحمد بن محمد الآتي الذكر ؛ ويذكر عن المرزكوني أنه نال شهرة كبرى (*خلال جزولة*، 4 : 48-49).

أما ولده أحمد بن محمد فقد نال شهرة كبيرة بعد التاسكاتي (آنف الذكر) وكان ذا مكانة عام 1216 / 1801 ؛ واستظهر صاحب خلال جزولة أنه قد يكون تخرج بالتاسكاتي.

وقد قام بأمور زاوية الصوابي بعد أحمد المذكور ابنه المسمى : محمد بن أحمد المرزكوني (قد تكون وفاته سنة 1280 / 1863) ووصف بالعلامة الكبير وكان له اتصال بأحد قواد تلك الناحية وزعمائها السياسيين فساعده ذلك على تجديد ما رث من أبنية الزاوية، وقد اتصل بالسلطان المولى عبد الرحمان العلوي الذي خصه بظهير توقير يتضمن إعفاءه من الكلف والفروض العامة وكافة أسرته مع الأمر بمعاملته بما يلزم من الإجلال واعتبار زاويته من جملة الزوايا المحترمة مع الإنعام عليه بزكوات وأعشار جماعة أيت أمريبط وأيت إزويكا لأجل القيام بأمور الدين وإكرام الوافدين وذلك بتاريخ 1260 / 1844.

ويذكر من أولاد المرزكوني المسمى : محمد بن محمد، وهو فقيه زاول النوازل، وربما أخذ عن الشريف الكثيري ؛ وقد تكون وفاته أواخر القرن 13 / 19.

أما أخوه الحسين بن محمد فيذكر في ظهير محمدي عام 1290 / 1873 وأدركته الوفاة بعد ذلك عام 1314 / 1896.

وكذلك يذكر أخوهما يوسف بن محمد ضمن ظهير حسني مؤرخ بسنة 1293 / 1876 وآخر عزيزي سنة 1314 / 1896 ؛ وقد يكون أخذ عن الأستاذ الملقب بأوجمل.

كما يذكر محمد بن الحسين بعد ذلك بالدين والخيرة مع أخذ العلوم عن المحفوظ الأدوزي الذي أجازه ؛ وقد توفي سنة 1333 / 1914.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة* ؛ *المعسول*.

محمد البايك

**اگدالة ← گدالة**

**أگدْز**، تدخل تحت اسم أگدْزْ ثلاث وحدات مجالية مختلفة. فهو يشير إلى أهم مركز إداري لواحة مزگيطة، كما يشير إلى اسم الجماعة القروية. لكنه أصلا يطلق على "قصر" شمال المركز العالي بحوالي 500 متر.

يقع مركز أگدزْ عند ملتقى خط عرض 30 درجة و42 دقيقة شمالا وخط طول 6 درجة و 27 دقيقة غربا. على الضفة اليمنى لوادي درعة على الطريق الرئيسي رقم 31 الرابط بين مراكش وتاگنيت، جنوب شرق مدينة ورزازات بحوالي 65 كلومترا.

تعتبر واحة مزگيطة إحدى الواحات الخمس المكونة لوادي درعة وأولاها انطلاقا من العالية. تمتد بين جبل كيسان وجبل بني على السفح الجنوبي للأطلس الصغير.

يُعد واد درعة أهم شريان للحياة داخل المجموعة، حيث لا تسمح قساوة الطبيعة بإقامة أي نشاط زراعي خارج الواحة. فانفتاح المنطقة على الجنوب ووجودها تحت ظل سلسلة الأطلس الكبير يحجب عنها الرياح الشمالية المطرة ويعرضها للرياح الجنوبية الجافة. فالتساقطات تتميز بعدم الانتظام، ولا تتجاوز 100 ملم. والمدى الحراري جد مرتفع، وبذلك تعتبر المياه أهم عنصر تنتظم حوله كل أشكال الحياة.

سكنت المنطقة منذ زمن طويل عناصر يهودية وأخرى تعرف "بالحراطين" (دراوة) إلا أن حيوية المنطقة الاقتصادية والاستراتيجية أثارت هجومات قبائل العرب (أولاد يحيى) وقبائل أيت عطا الرعوية مما جعل أهلها يستغيثون بقبائل أيت سدرات. وقد سكنت هذه الأخيرة حسب المؤرخين قرب مكناس، وكانت موالية للأدارسة. فعمل الولي الإدريسي مولاي بوعمران على ترحيلها إلى وادي دادس. ويطلب من الوالي سيدي موسى بن سيدي منديل هاجر جزء منها نحو وادي درعة لإغاثة أهله. وبعد تحرير هؤلاء استقر جزء من الجيوش في واحة مزگيطة. مما أعطى لوحة بشرية أهم ما يميزها وجود عناصر بشرية مختلفة الأصول والعادات وسيادة علاقات بشرية متميزة بين هؤلاء.

وقد التحمت هذه العناصر وحاربت تقدم سلطة الگلاوي في المنطقة حتى سنة 1930. وفي فاتح يناير سنة 1931 تدخلت الجيوش الفرنسية فأسست مركزا إداريا وعسكريا في أگدز كمرحلة من مراحل التقدم لإخضاع قبائل أيت عطا بالأطلس الصغير. ووضعت تحت إمرة هذا المركز قبائل أيت سدرات درعة، أيت ساون، أيت تسلا، أيت سگمان.

بلغ سكان جماعة أگدزْ حسب إحصاء 1971 حوالي 20246 نسمة منهم 1960 نسمة أحصيت ضمن السكان الحضريين للمركز وقد تطور هذا العدد ليصل سنة 1982 إلى نحو 26719 نسمة منهم 3796 حضريا، أي بزيادة مطلقة قدرها 6473 في ظرف 11 سنة.

ورغم أن الإحصائيات تدخل ضمن سكان المركز أيضا سكان القصر المجاور، فإنه أصبح يشكل نواة مركز حضري ببناياته الإدارية (التكنة والقيادة) والاجتماعية (إعدادية ومدرسة) والاقتصادية (سوق ـ مركز الأشغال الفلاحية) مع الاحتفاظ بالمعالم الريفية. فإحصائيات 1971 تبين أن 38 منزلا من 324 هي التي بنيت آنذاك بالإسمنت وأن 95 منزلا من نفس العدد هي المتوفرة على الماء الشروب.

عرفت المنطقة خلال العقدين الأخيرين تغيرات هامة نتيجة ازدياد حجم ونوع الحاجيات والانفتاح على الخارج وضعف المؤهلات الطبيعية :

فواحة مزگيطة من أهم الدوائر المسقية بوادي درعة كثافة. فقد وصلت الكثافة الزراعية سنة 1978 إلى 10،6 نسمة للهكتار المسقي مقابل معدل لا يتجاوز 5 نسمة / هك على طول وادي درعة. بالإضافة إلى تباين البنية العقارية كما يبين ذلك الجدول التالي :

البنية العقارية في أگدز

| فئة الملك | نسبة المستغلين | نسبة الأرض |
|---|---|---|
| بدون أرض | 27،1 | 0 |
| أقل من 0،5 هكتار | 40،5 | 12 |
| بين 0،5 و 5 هكتار | 31،3 | 62،8 |
| أكثر من 5 هكتار | 1،1 | 25،2 |

المصدر بحث ميداني 1983

إن الملكية المجهرية المشار إليها في الجدول تزداد حدة بالنظر إلى التشتت المجالي للقطع المكونة لنفس الحيازة مما يتنافى وأي تحديث في ميدان الاستغلال.

أمام هذه الظروف تظل التقنيات المستعملة في الاستغلال عتيقة وجد معقدة. فتقنيات السقي والحرث والحصد كلها تُكَيِّف مع المناخ المحلي الذي تخلقه الواحات لنفسها حيث تتنافس على نفس القطعة الأرضية مزروعات سنوية كالحبوب والخضر والعلفيات وأصناف من الأشجار كالتمور بأنواعها والتين واللوز والمشمش والرمان والزيتون. إضافة إلى نمطين من تربية الماشية، أحدهما يتمحور حول الرعي على مسارح جماعية خارج الواحة والثاني حول تربية مستقرة للماشية داخل العريسة.

تعرض هذا النمط من الحياة لعدة ضغوط أهمها : النمو الديمغرافي السريع وازدياد حاجيات السكان بغزو نمط العيش الحضري للأرياف في وقت ازدادت فيه قساوة الطبيعة بعد استمرار الجفاف لمدة طويلة وإخلال الإنسان بالتوازنات القديمة.

فقد كان لإقامة سد المنصور الذهبي على وادي درعة وقع كبير على المنطقة، ويتجسم ذلك في حصر المياه داخل السد وبداية تصريفها حسب منطق آخر. فمن جهة تزامنت نهاية الأعمال في السد وفترة الجفاف فعجز عن تلبية حاجيات السكان حتى السنتين الأخيرتين، ومن جهة أخرى،

أدى توقف الجريان داخل سليل الواد إلى انخفاض مستوى السديمة وارتفاع نسبة الملوحة مما شكل خطرا على كل النظام البيولوجي داخل الواحة.

كما أن تدخل طرف خارجي زاد نظام الري تعقيدا، حيث اقتضى ذلك إنشاء سدود للتحويل (سد أگدز) وسواقي رئيسية، لكن تعقيد النظم العقارية للأراضي والأشجار ونظم الحقوق على الماء أدى إلى ظهور نظام جديد يتعايش فيه أسلوبان في السقي : أسلوب عصري يتجسم في التجهيزات الرئيسية وأسلوب تقليدي قوامه احترام التوزيع التقليدي للماء عبر القنوات الثانوية والثلاثية الأصلية.

في مواجهة الأوضاع الجديدة تباينت المواقف :

- موقف يساند الانفتاح الاقتصادي بالاعتماد على التكنلوجية المتطورة خاصة في ميدان السقي، حيث ازداد عدد المضخات التي أقيمت في المنطقة، وقد انفردت بهذا الموقف فئة من المحظوظين الذين ساعدتهم ظروف عملهم إما في المهجر أو في إحدى المناجم المتوفرة في منطقة أگدز على ذلك.

- موقف سلبي ويكمن في مغادرة القصر القديم للاشتغال داخل المركز بنشاط طفيلي كمرشد سياحي أو تاجر بالتقسيط، أو مغادرة المنطقة نحو المراكز النشيطة في شمال المغرب أو مباشرة نحو أوربا. وفي هذا الإطار غادر قصر أگدز حوالي 43 شخصا نحو الخارج وحوالي 108 نحو المدن المغربية دون أن يعني ذلك انقطاعاً في العلاقات مهما طال الغياب.

هكذا ورغم مضي أزيد من سبع عشرة سنة على إنشاء سد المنصور الذهبي على وادي درعة فإن النظم العقارية والتقاليد حالت دون تحقيق الأهداف المتوخاة.

فهل سيستطيع الإعداد يوما ما أن يفرض التحديث الفلاحي والتنمية التامة، وأن يُعيد التوازن المفقود إلى المنطقة ؟


ح. لعشير - غ. عينادي، *النشاط السكاني وانعكاسه على المجال في الواحات ؛ نموذج دوار أگدز*، بحث لنيل الإجازة الجغرافية، كلية الآداب بالرباط 1984.

A. Hammoudi, *Droits d'eau et société : la vallée du Draâ*, H. T. E. vol 12 nº 48 pp 105 - 126, I. A. V. sep. 1282 ; L. Ouhajou, *Cadres - sociaux de l'irrigation dans la vallée du Draâ moyen*, H. T. E. vol 12 nº 48 pp 91 - 103, I. A. V. sep 1982 ; *Espace hydraulique et société, les systèmes d'irrigation dans la vallée du Draâ moyen*, D. E. S. Montpellier III Mai 1986 ; H. Outabiht, *Aménagement hydraulique de la vallée du Draâ*, H. T. E. vol 11 nº 43 pp 80 - 94, Juin 81 ; *Fiche de tribu : aït seddrat du Draâ*, circonscription d'Agdaz 18 Fév. 1953.


محمد أيت حمزة

**أگْدِّيمْ**، من قرى الأطلس الكبير الشرقي. تقع عند قدم جبل أُزُرگي على الضفة اليمنى لواد أحنصال. ولعلها كانت من بين النوى السكنية القديمة بالمنطقة، فلما استقر بها سيدي سعيد أحنصال الكبير في القرن السابع الهجري / 13 م ؛ شهدت بعض التوسع ، خاصة لما تعدد أتباع الشيخ المذكور هنالك. (Drague, 174) وقدمت عليه الوفود من القبائل المجاورة، وتعززت مكانته ومكانة زاويته بعدما انتصر له أيت عطا، فأضحت الزاوية تلعب دورا مهما في المنطقة، حيث أسهم شيوخها، انطلاقا من أگْدِّيمْ، إسهاما مهما في تأمين التعايش بين السكان، عن طريق توسطهم في النزاعات، وبذلك غدوا حُكاما بين القبائل، تحت إشرافهم تُبرم الأوفاق، وتُعقد التحالفات ويَنصاع لهم الجميع. وبذلك عمل صلحاء أگْدِّيمْ على الحفاظ على نوع من التوازن بين بعض القبائل المتناحرة، لا سيما بين أيت عطا النازحين وبين القبائل الأصلية، ومن ثم كانت أگديم الزاوية، الأم لإحنصَالَنْ فأضحت مركز إشعاع صوفي في تلك المنطقة النائية، وعرفت منذئذ بزاوية أحنصال، وبذلك لم يعد بالإمكان الحديث عن أگْدِّيمْ دون التطرق إلى زاوية أحنصال.

وبسبب تطرف موقعها لم تذكرها المصادر المغربية ولا تحت اسم زاوية أحنصال، أما أگديم فهي غير معروفة في هذه المصادر والوثائق. وعلى الرغم من ذلك فقد عثرنا على وثيقتين - في عين المكان - تؤكِّدان على وجود علاقة وثيقة بين هذه الزاوية وبعض الأمراء. من بين هؤلاء الثائر عبد الرحمان بن سليمان بن محمد - ابن عم السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام - يتضح من خلال الرسالتين اللتين وجههما الأمير المذكور لرئيس الزاوية آنذاك سيدي احماد وحماد الحنصالي أن الصلات كانت حميمية بين الرجلين، فهو يدعوه بالحبيب، والأخ، والمحب... وأن الأمير كان يستأمنه على ممتلكات بعض أقربائه، فقد ترك عنده صهر الأمير المذكور، الشريف محمد بن سرور المكاوي وديعة مهمة، تتكون من فرس بسرجه وأمتين ووصيف. وكان الشريف قد أهدى الحنصالي زربيتين وقفطانا، وفرجيتين وبقرتين، "وذبح على ضريح جده بعيرا". (*رسالتان من وثائق أگديم*) ولم يصل إليها الرحالة والمستكشفون الأوروبيون إلا في القرن الثالث عشر 19. (Drague, 175) ولما أصبحت منطقة الأطلس الأوسط كلها مهددة بالاحتلال، بعدما غزا الفرنسيون مركز أزيلال سنة 1916، انضوت قبائل المنطقة تحت زعامة سيدي محا أو أحمد الحنصالي شيخ زاوية أگديم، قصد مقاومة الغزو الفرنسي (Drague, 176) ورغم احتلال مركز بويحيى، بأيت محمد، سنة 1918، فإن سيدي محا كان مايزال مصرا على مواجهة الفرنسيين، حتى استطاع إيقاف زحف جيوش العقيد Naugés، وحركة الأگلاوي على أيت بوگماز، في شتنبر سنة 1922 ، ولم يستسلم إلا بعدما أصبح محاصرا من مختلف الجهات، وخاصة بعد تشييد مراكز عسكرية بكل من عَتْوي، وتَاوَرْدَهْ، وأوكَرْدَةْ، وتَامْدَهْ : أي من الغرب والجنوب والشمال (Drague, 177). بالإضافة إلى ذلك أصبح أيت مَحمد وأيت حكم وأيت بوگماز خاضعين للفرنسيين في 27 يونيو سنة 1923. وفي 26 شتنبر قدم سيدي محا الحنصالي، مصحوبا بوفود من قبائل المنطقة المجاورة لأگديم، على السلطان مولاي يوسف بمراكش قصد الإهداء وتقديم الولاء

(Drague, 177) ولما أصبح مواليا للمخزن، حظي بثقة السلطات الفرنسية، التي عينته قائدا على أيت مَحمد وأيت حْكْمْ. وحتى لا يفقد نفوذه على زاوية أكديم، فقد خلف بها بعض أقربائه (أخاه وابن عمه)، للإشراف على شوونها. وبما أنهم أبدوا نوعا من العداء - ظاهريا - إزاء موقفه، فقد ظلوا يحظون بثقة القبائل المجاورة. الشيء الذي جعل أكديم تظل محافظة على نفوذها بالمنطقة، وبالتالي أجل احتلالها الفعلي من طرف الفرنسيين إلى ما بعد 1930 (Drague, 178)، حيث أصبحت بعد ذلك، مركزا لضباط الشؤون الأهلية تابعا لمراقب المدني (*وثائق الزاوية*) وقد استطاع الفرنسيون، انطلاقا من أكديم، مواصلة احتلال أعالي واد أحنصال ودادس، (Drague, 178).

وعلى الرغم من أن زاوية أكديم ضاربة في عمق التاريخ، فإنها لم تشهد إلا توسعا محدودا جدا، كما يبدو من خلال الاحصائيات التي نشرها سبيلمان، إذ لم يتجاوز عدد سكانها 85 كانونا (Drague, 181).

*وثيقتان من الزاوية* ؛ *رسالة أولى مؤرخة بـ* 5 من شعبان 1269.
*رسالة ثانية مؤرخة بـ* 23 شوال 1269 ؛ *تحريات ميدانية*.

Documents de la Zaouia : *fiches de tribus et correspondances tirés du fonds d'archives du même centre* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc* ; M. Morsy, *Les Ahansala.*

أحمد عمالك

**أكَدْمت**، إن المدلول اللغوي لكلمة أكدمت يمكن تحديده بالرجوع إلى الجذر الذي تنتمي إليه، ألا وهو "گ - د - م"، وهذا يتضمن معنى الارتفاع والعلو المشرفين على مناطق واسعة مجاورة واللذين يستعملان عادة كأماكن للمراقبة والحراسة ولإعطاء إشارات إنذارية إعلاماً للمعنيين باقتراب خطر مًا. وهذه الأماكن تقع في غالب الأحيان عند الحدود الفاصلة بين منطقتين متواريتين عن بعضهما بسبب التضاريس.

وهذا المعنى يتوفر إلى حد كبير في بلد أكدمت وبلد إكدميونْ المتواريين اللذين يستمدان اسمهما من أصل واحد.

ومن الجدير بالذكر أن المادة تعطي معنى آخر يدل على الشيء المقلوب على فمه أو على الجهة المفتوحة فيه. وقد لوحظ أن كل الكلمات التي تدخل مادة "گ - د - م" في تكوينها - وهي كثيرة في المناطق الجبلية على الخصوص - تتشابه في شكلها الطوبوگرافي وفي وظيفتها الاجتماعية.

ومن الدلائل الواضحة على المدلول الوظيفي للكلمة، استعمال لفظ "أكديم" أو "أكدِّيم" لتدل على أبراج المراقبة في "قصور" دادس وفركلة وتودْغت (تدغة) وفي بعض الأماكن بوادي درعة.

إن بلاد "أكدْمت" تقع في الحوض الأعلى لنهر نفيس. وسكانها (أيت أوكدمت) تنتشر قراهم على جوانب نهر أكدمت (أسيف - نْ - أكدمت) أحد الروافد العليا لنهر نفيس.

ويقع واد أكدمت بصفة عامة، في الجهة الغربية من تينمل، وتحده من الشمال والغرب قمم تشرف على بلاد إكَدْميون أو گدميون، ومن جهة الجنوب قمم أخرى تشرف على واد أغبار وواد نفيس الأعلى.

ينتمي سكان أكدمت، كباقي سكان الأطلس المراكشي، إلى مصامدة الجبل يتكلمون الأمازيغية ويعيشون على الزراعة وتربية المواشي.

في عهد الموحدين كانوا على ما يظهر يعدون من إكَدْميونْ أو گدميوة، لأن الاسم الذي يُعرفون به اليوم لم يرد في المصادر المعروفة.

في القرن الثامن عشر. يبدو سكان أكدمت - حسب ما ورد في رحلة الوافد - كمجموعة مستقلة بنفسها، تتحكم في حركيتها السياسية والمجتمعية الانتماءات اللفية لسكانها. ولكنها منجذبة على مستوى التحالفات السياسية نحو إكدميون أكثر من انجذابها نحو واد نفيس. ولكن موقع بلادهم الاستراتيجي يكتسي أهمية قصوى، بالنسبة إلى جيرانهم من الناحية الجنوبية. ولهذا نجد أن آخر "حركة" مخزنية وجهت إلى جبالهم في عهد المولى إسماعيل، دمرها الجبليون في أكدمت بالذات، وقتل فيها، من بين مَن قتل، قائدان من قواد المخزن.

وفي أواخر القرن التاسع عشر، تمكن القائد الحاج الطيب الگنتافي من ضم أكدمت إلى إيالته بالقوة، لأنه بدون ذلك سيكون مركزه بوادي نفيس مهدداً على الدوام من ناحية الشمال. ومنذ عهد الگنتفيين بقيت أكدمت تابعة لقيادة تالات - نْ - يعقوب بنفس المنطقة.

ع. الزرهوني، *رحلة الوافد*، 58 ـ 59، 312 وغيرها.

Ch. De. Foucauld, *Reconnaissance au Maroc*, 214 - 215 ; *Dictionnaire Touareg - Français* ; R. Montagne, *les Berbères et le Makhzen*, 18, 308 ; E. Laoust, *L'Habitation chez les transtiumants*, 245, nº 3 ; *Contribution*, 26 - 27.

علي صدقي أزايكو

**إكرار**، لغةً : جمع أگرُور، ومعناه حظيرة البهائم أو الزريبة، وهي قرية تقع بقبيلة أگلُو غرب مدينة تزنيت، تبعد عنها بحوالي 12 كلم. ينسب إليها علماء منهم : الأكراري الرفَّاكي محمد بن أحمد مؤلف *روضة الأفنان*. والحسن بن عبد الرحمان الموقّت وغيرهما كثير.

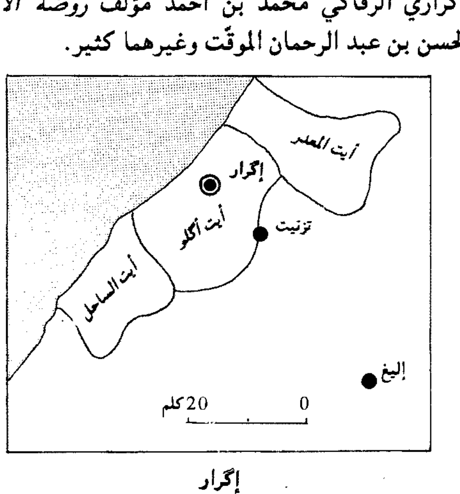


**إكرار**

م. الأكراري، *روضة الأفنان* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 13 : 265 - 435.

ت. أرفاك

**الإگراري، إبراهيم** بن محمد بن عبد الرحمان المكنى أبا سالم، رافع راية العلم لجماعة فقهاء سوس، القاضي الذي لا معقب لحكمه، كان عبقريا في الإداء والإلقاء، يقتصر في فتاويه على المحقق بإيجاز.

أخذ العلوم الشرعية بسوس ثم التحق بفاس فتخرج على ابن گيران وأضرابه حوالي 1230 هـ. وهناك أتقن معلوماته، إذ يجيد بعض العلوم النادرة في سوس كعلم الأسطرلاب.

لازم التدريس في قريته "إگرار" ودرَّس حينا "بتمگدشت" فخرَّج كبار العلماء كالعربي الأدوزي، وأحمد أجْمل، وأحمد أضارضور، والحسن التمگدشتي. وهو ممَّن له المكانة والقبول عند الخاص والعام ولذلك يتدخل للصلح بين القبائل.

لم يترك في باب التأليف إلا أربعة كراريس شرح فيها أوائل الجوهر المكنون، وبه ذكر بين المؤلفين السوسيين.

م. الإگراري، *روضة الافنان*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 198، *المعسول*، 13 : 330.

عبد الله درقاوي

**الإگراري، أحمد** بن إبراهيم بن محمد، تخرج بجماعة فقهاء سوس، ودرَّس بمدرسة تازروالت إلى أن لفظ أنفاسه ودُفن هناك. وممَّن تخرج عليه محمد بن المسعود المعدري وقد أثنى عليه فيما أخذ عنه.

من خصاله الحرص على جمع الكتب والذب عن السنة ومحاربة البدع. يتعاطى الفتوى إسوة بفقهاء سوس، ومن غرائبه أنه كان يفتي برد المطلقة ثلاثا وإجازة كراء الدراهم.

توجد بعض رسائله في *المعسول*، وقوافيه في مجموعة جمعت بإذن من الملك مولاى الحسن، معدود بين المؤلفين السوسيين "*برسالة ضد الطرقيين*".

م. الإگراري، *روضة الإفنان*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 202 ؛ *المعسول*، 13 : 41 . 306 ؛ *رجالات العلم العربي*.

عبد الله درقاوي

**الإگراري، محمد** بن أحمد بن محمد، ويعرف أيضا بلقب "أرَفَّاك" من فقهاء سوس ومؤرخيه (1279 . 1358 / 1862 . 1939) نشأ في قرية إگرار وتلقى بمسجدها مبادئه العلمية، ثم التحق بمدارس علمية عدة، أبرزها مدرسة المعْدَر، ومدرسة أدُوزْ، وانتقل من هناك إلى أحواز مراكش. وبعد رحلته العلمية هذه رجع إلى سوس، وتصدر للتدريس أولاً في المدرسة الأخصاصية، ومدرسة تالْعينْت وأيت رْخَا وتخرج على يده عشرات عن الطلبة. والإگراري فقيه مفت، وهذا الوصف من أبرز صفاته، فقد أتقن النوازل ومارسها أزيد من خمسين سنة تدريساً وإفتاء وقضاءً، وله مشاركة في الفنون المتداولة بسوس كالأصول والبيان والفقه والعربية والهيأة. وقد طال عمر محمد الإگراري حتى نال صيتاً كبيراً، وتأتى له أن يكتب في غالب معاصريه كتابة صريحة. وكتابُهُ *روضة الأفنان في تراجم الأعيان* نموذج على أسلوبه في الكتابة والتأريخ.

كانت للإگراري علاقة وطيدة بالرؤساء الجرّاريين، ولذلك اختار الإقامة بعاصمتهم تالْعينْت. ولما ظهر الهيبة في الميدان كان من الملتصقين بحركته الجهادية، أمضى أيامه الأخيرة في خطة العدلية بعد أن نُظمت تنظيما حديثا. نشر له المختار السوسي في *المعسول* مختارات من نثره وشعره، وهو معدود بين المؤلفين السوسين بمؤلفات منها *روضة الأفنان* المذكور آنفاً.

السكرادي، *تحلية الطروس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 207 ؛ *المعسول*، 13 : 13 . 316 ؛ *رجالات العلم*.

عبد الله درقاوي

**أگْرَاوْ** (ج إگْرَاوِنْ) من الكلمات الأمازيغية المؤسسية التي لم ترد كثيرا في مصادرنا المكتوبة. ويبدو أن سبب ذلك راجع إلى كونها استبدلت مبكراً بكلمات أخرى من أصل عربي هي :"الجماعة" أو« أيْتْ ربعين» أو« أيت العرف» أو «الديوان».(R. Montagne, *les Berbères*, pp. 175, 220 sqq ; Bruno, *Notes*, 135 sqq ; *Introduction*, p.136).

أقدم مصدر معروف يشير إلى هذه الكلمة هو كتاب *أخبار المهدي* (ق 12 م)، حيث وردت فيه العبارة التالية : «... فعمل لهم الخليفة [عبدالمومن بن علي] أگْرَاوْ يعظهم فيه...» (البيذق، *أخبار*، 95). ويظهر من السياق ان اللفظ يعني هنا : المجلس/اللقاء/الاجتماع... قصد التذاكر والتفاوض والتشاور وتبادل الرأي.

وبهذا المعنى ذكره مونتاني R. Montagne، حيث قال : «إن الامام المعصوم غالبا مايجمع هو بنفسه أنصاره في «أگْرَاوْ» . وهي كلمة تعني في مجموع المغرب الأمازيغي «جماعة» كل رجال قبيلة مّا، المؤسسة، قصد التداول فيما بينهم»(R. Montagne, 62) .

وفي مكان آخر يشير نفس المؤلف إلى أنه حينما يحضر كل الرجال مداولات القرية أو «الخمس» أو القبيلة وهم حاملو السلاح، فإن المجلس في هذه الحالة يحمل اسم «أگْرَاوْ» (R. Montagne, 175) وهذا يعني أن الأمر هنا يتعلق بتجمع أزمة، لاباجتماع عادي لاعضاء الجماعة.

غير أن الرجوع إلى الأصل للغوي للكلمة، يلقي أضواء كاشفة على أسرار مدلولها التاريخي، والمقاصد الأولى من المؤسسة التي كانت علمًا لها.

لقد علق روبير مونتاي على كلمة أگْرَاوْ، ذاكرا أنها أمازيغية مأخوذة من الفعل «گْرُو» الذي يعني اجتمع؛ مضيفا في الوقت ذاته أنها ترادف ما يسمى «أجْمُوعْ» أو «الجماعة» في أماكن أخرى. (R. Montagne, p. 175, note1) ونفس الفعل يستعمل اليوم بمعنى جَمَع، التقط شيئا معينا كالزيتون وأرگانْ والحبوب.... فالجمع والالتقاط ليسا هنا بالمعنى المطلق، لان شرط الاختيار متضمَّن في الفعل.

واذا رجعنا إلى المعجم، نلاحظ أنه يوضح أكثر المعاني المجردة التي تؤديها مادة «إيگْرُو» (= إيگْرَا) التي

اشتقت منها كلمة أكْرَاوْ أو تَاكْرَاوْتْ. ومن أبرز هذه المعاني ما يلي : التمييز مع المعرفة والفهم/القدرة على التمييز الدقيق بين الصحيح والخاطئ، بين الحسن والقبيح/القدرة على الحكم الصحيح على الأشياء/القدرة على تحقيق الامور والأشياء/القدرة على الانتباه مع اليقظة الفكرية/التحلي بالجدية والاناة وملازمة التصرف الوقور... (Ch. De Foulcauld, *Dictionnaire*, p. 473).

من كل ما سبق يمكن أن نستنتج إذن أن أكْرَاوْ هو مجلس الجماعة الذي يتكون من أفراد مختارين لخصالهم الحميدة، يتكلفون بتصريف الشؤون العامة على أحسن وجه.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، تحقيق ليفي بروفنسال.

Ch. De. Foucauld, *Dictionnaire* ; R. Montagne, *les Berbères et le Makhzen* ; H. Bruno, *Notes sur le statut coutumier des Berbères marocains dans les archives berbères*, vol. 1, fasc. 3, 1915 - 1916, Paris 1916, pp. 135 sqq ; H. Bruno, *Introduction à l'étude du droit coutumier des Berbères du Maroc central*, dans les Archives berbères, vol. 3, fasc. 4, 1918 pp. 306 sqq.

علي صدقي أزايكو

**إكْرَابْنْ** أو كرابة مفرده أكْرَاب. هم السقاؤون بالقرب وكان عددهم كثيرا في مختلف مدن المغرب، إلى عهد غير بعيد، ومازالوا يشاهدون لحد الآن، لكن بقلة وفي بعض المدن الكبرى كفاس ومراكش أثناء الصيف أصلهم من وادي كير، كإخوانهم إزرزاين.

يرتدي الكراب قميصا (تاقشابت) فوقه صدرة من صوف (أجلاب) تثبت على الكتف بزرين، وسروالا قصيرا (اسروال) ويضع على رأسه قلنسوة (تشاشيت) أو عمامة فوقهما مظلة (ترازة) مزدانة بمختلف الألوان "والمزون" ويتقلد في أحد الجانبين (تارفافْت)، وهي وُسيدة من الجلد أو القماش الخشن أو المطاط، تمنع الماء من بل ثيابه. ويعلق في الجانب الآخر جرابا كبيرا من الجلد، يجعل فيه نقوده وكذلك الأقداح (تطاسين) والناقوس، عندما يستعد لملء قربته بالماء.

وللقربة (تاكدِّيت) حزام (الدّيور) في طرفه كلاب (شناق) وإذا ملاها الكراب أدخل في فتحتها أنبوبا من النحاس أو الصفيح (ازنبوب) ثم انطلق وهو يدق الناقوس في كل آونة، ليعلن عن حضوره.

ليست للكراب أجرة معينة، بل يكتفي، كنظيره زرزاي، بما يجود به الشارب، وهي تزيد وتنقص حسب الفصول. ويتصدق أحيانا أحد المارة فيشتري ملء القربة الذي يوزع "كماء السبيل" على كل من طلبه، كما ترش بعض القبور بذلك الماء يوم عاشوراء. وفي عهد سحيق، كانت طائفة إكرابن تؤدي مهمة رجال المطافئ. فإذا نشب حريق، انذر أمينهم فحثهم على الإسراع إلى مكان الحريق. فيطفئونه بسرعة ويكافؤون بمبلغ هام.

إن ولي الكرابة هو مولاي يعقوب، ذلك الملك الشهير الذي ترك تاجه ليتحول إلى سقاء تواضعا لله تعالى، حسب الأسطورة. وكان جرابه بالتالي مثقوبا عمدا حتى تسقط منه حصيلته كلها.

كان إكرابن يجتمعون ويكتتبون كل عام لتحديد اليوم الذي سيقام فيه موسم مولاي يعقوب. فيشترون ثورا، ودقيقا، وسكرا وشايا، وشمعا، ثم ينطلقون من فاس إلى قرية مولاي يعقوب راجلين، ذهابا وإيابا، حتى يستحقوا أكبر بركة. وبعد قضاء يوم في الغناء والرقص، يذبحون القربان ولا يأخذون منه، كنصيب لهم، سوى فخذ، تاركين البقية للفقراء وذوي العاهات. ثم تكون ليلة كلها فرح وابتهاج قبل العودة إلى فاس.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *إفريقيا*.

محمد الأخضر

**أكْرَاس**، عبد الرحمان بن مصباح اليالصوتي السلوي، فقيه صالح أصله من غمارة شمالي فاس، ووالده الإمام مصباح (تـ 750 / 49 . 1350) المعدود من أهل فاس، وإليه تنسب المدرسة المصباحية الشهيرة هناك لكونه أول من درس فيها بعد أن بناها أبو الحسن المريني. وهو من تلاميذ حافظ المذهب المالكي أبي الحسن الصغيِّر شارح *المدونة*، وله فتاوى مبثوتة في *المعيار*. وعبد الرحمان هو أيضا ابن خالة المحدث الصالح سليمان بن يوسف بن عمر الأنفاسي الفاسي (تـ 799 / 96 . 1397) وأكراس الذي عرف به هو لقب أبيه مصباح الذي كان يحفظ كراسا في اليوم. ولعل انتقال عبد الرحمان إلى سلا كان بسبب الشيخ أحمد بن عاشر الذي أقام مدة بفاس ومكناس قبل أن ينتقل إلى مدينة سلا ويستوطنها، فانتقل معه إليها عدد من أعيان الفقهاء والصالحين من هاتين المدينتين ومن الأندلس وغيرها.

لقي أحمد بن الخطيب القسنطيني عبد الرحمان أكراس بسلا في جملة من لقي بها من الصالحين، وأثنى عليه كثيرا وقال إنه كان في العلم كأبيه إلا أنه فاقه بالاجتهاد في العبادة والإقبال على ضروب الطاعات. "وكان مبسوط أسرة الوجه لا تلقاه إلا ضاحكا مستبشرا يغلب عليه حسن الظَن بالله تعالى... منطلق اليد بالبذل، محسنا لأصحابه بالقول والفعل. وكان من قوله : رجال الدنيا هم رجال الآخرة إذا وُفقوا لحسن الظن بالله تعالى والجد في العمل له" (*السلسل العذب*، 63).

توفي عبد الرحمان أكراس بسلا سنة أربع وستين وسبعمائة / 62 . 1363 ودفن وراء الجامع الأعظم.

أحمد بن الخطيب القسنطيني، *أنس الفقير*، 84 ؛ م. الحضرمي، *السلسل العذب*، سلا 1988، ص. 63 . 64 ؛ أ. الونشريسي، *وفيات، ألف سنة من الوفيات*، الرباط 1977، ص. 124.

محمد حجي

**أكْرَامْ**، جمعها إكْرَامْن، وهي تعني في الاستعمال الأمازيغي الولي الصالح. كما تطلق تجاوزا على أبنائه وحفدته بصفة عامة.

إننا لا نعرف ـ في الحالة الحاضرة لمعارفنا ـ الأصل اللغوي للكلمة، ومع ذلك فإن الناس ما يزالون يتداولون فعلا له علاقة مؤكدة بها وهو "إسْكْرْمْ" أي حَلَق "أكْرام" أو الولي رأس الطفل ـ ذكراً أو أنثى ـ بشكل خاص. أو قص

شعره بنفس الشكل. وبالفعل فإن الآباء كانوا، حتى وقت قريب، يذهبون بمولودهم - بعد أربعين يوما من مولده - إلى ولي يختارونه ليحلق له رأسه لأول مرة. وفي هذه الحالة لا تكون الحلاقة كاملة، بل تُترك خصل من الشعر، تختلف من حيث العدد والشكل، حسب عادة كل "أكرام". ويحترم ذلك النموذج إلى أن يبلغ الطفل سنا معينا، إذ ذلك فقط يمكن تغييره إلى الشكل العادي.

إن فئة "إكُرَامْنْ" في المجتمع المغربي القروي بوجه خاص، تحتل مكانة خاصة، نظرا لأهمية دورها المجتمعي وخطورته. هذا الدور الذي أفرزه مجتمع مهدد باستمرار في موارده الاقتصادية والبشرية، نظرا لتواتر الكوارث الطبيعية، ومضطر، نتيجة ذلك، إلى التحرك الدائم، والتدافع الحتمي، في اتجاه المناطق التي تكون أكثر خصبا، وغير مستقر سياسيا نظرا لانعدام سلطة زمنية قوية،أحيانا تكون قادرة على التحكم الكامل في كل أجزاء البلاد، وضبط شؤونها، ومصاب بخوف مزمن ومزدوج : من سخط الطبيعة الملموسة والمستترة، ومن غارة الإنسان المجاور المهدد باستمرار في كيانه.

إن دور "إكرامن" هذا يمكن تحديده في أمرين اثنين : أحدهما هو ما يتكفلون به للناس من حماية لهم ولأبنائهم وأموالهم ضد كل قوى الشر المرئية منها وغير المرئية، وما يجلبه رضاهم على الناس من بركة في الأموال وصحة في الأبدان.

وثانيهما ما يضطلعون به من مهام التحكيم سواء بين الأفراد أو بين الجماعات في حالة نشوب نزاعات أو صراعات، وما تكتسبه أضرحتهم، بعد مماتهم، من قدسية تساعد على حل كثير من المشاكل المتعلقة بأمن الأفراد، وبالمنازعات الجنحية، وكثيرا ما تكون مزارات تنعقد حولها مواسم سنوية لا تخفى أهميتها الاقتصادية.

ولكي نعطي فكرة عن أهمية دور "إكرامن" في المجتمع المغربي القديم، نورد فقرة من *دوحة الناشر*، وردت في ترجمة أبي عبد الله محمد بن مبارك الأقاوي : "... وكان إذا هاجت فتن القبائل، يبعث لهم بالكف عن القتال، فمن تعدى أمره عجلت عقوبته في الوقت، صار ذلك من الأمر المتعارف عند البعيد والقريب. ثم إنه وضع أياما معلومة في كل شهر يسمونها أيام سيدي محمد بن مبارك، لا يحمل فيها أحد سلاحا، ولا يقدر أحد على المشاجرة فيها، ويجمع الرجل مع قاتل أبيه وولده وما يقدر أن يكلمه وذلك شائع عند قبائل العرب والبربر من أهل سوس وبلاد القبلة (...) ومناقبه كثيرة لا تحصى، وهو الذي أمر قبائل سوس بالانقياد إلى السلطانين الشريفين أبي العباس أحمد وأخيه أبي عبد الله محمد الشيخ، وأمرهما بالعدل والجهاد في سبيل الله تعالى لما رأى النصارى تغلبوا على سواحل تلك البلاد، وكان من أمرهما ما هو معلوم...".

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ص. 114.

G. Surdon, *Esquisses de droit coutumier berbère marocain*, Rabat, 1928, pp. 91 sqq ; E.Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris, 1920 (Rabat 1983), pp. 142 - 315 ; E. Dermenghem, *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Paris, 1954, pp. 162 sqq; J. Berque, *structures sociales du Haut-Atlas*, Paris 1955, p. 249 sqq, 434-435 ; A. Bel, *La Religion musulmane en Berbérie*, Paris, 1938, Tome I, pp. 341 sqq.

صدقي علي أزايكو

**أكرام، أحمد بن محمد**، من قبيلة أيت فلاس الودريمي، يعرف بالشارح. فقيه أديب، أخذ العلوم الشرعية عن العلامة عابد البوشواري، ثم رحل إلى مدينة فاس لمتابعة دراسته، شارط بعد رجوعه في مدرسة أو خريب الهشتوكية ثم مدرسة سيدي سعيد النكنافية الحاحية. ولعله توفي هناك بعد الاستقلال.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 17 : 316.

عبد الله درقاوي

**أكرام، أحمد بن مَحمد بن محمد** بن عبد الكريم اليعقوبي. داعية من دعاة السلفية، وأحد أنصار السنة النبوية، واعظ متمكن بناصية القول، صورة صادقة للمصلح النظيف الذي يعمل دون أن ينتظر أجرا على عمله. ينحدر من أسرة الشيخ مَحمد بن يعقوب الصنهاجي الذي عاش في القرن العاشر. نزح بعض أجداده من سوس إلى مسفيوة، وبها استقروا. ويلقب بأكَرَّام، ومعناها بالبربرية المرابط أو الصالح.

أحمد أكرام

ولد عام 1302 / 1884 بزاوية (تاسيوين) وتلقى تعليمه الأولي عن أبيه، وبعد وفاة والده سهرت أمه على تربيته تربية صالحة، فأدخلته إلى كتاب الزاوية لإتمام حفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى (مدرسة أريكة) عند العلامة الحاج علي بن بوجمعة، ومنها إلى (مدرسة فروكة) وتسمى كذلك مدرسة تولولت. وبعد أن استتم حفظ القرآن مع جملة من المبادئ العلمية، شد الرحيل إلى مراكش فدرس في جامع ابن يوسف مواظبا على مجالسة كبار العلماء والفقهاء، آخذا عنهم بالمشافهة والمذاكرة. ومن أبرز شيوخه : صالح السرغيني، وابن التاودي، والحاج عبد السلام السرغيني، ومحمد بن عمر السرغيني، ومحمد الفطواكي الضرير، وبوشعيب البهلولي الشاوي، والحاج العربي الرحماني، وأمَّان (محمد) بوستة، وأحمد العلمي، واليزيد الروداني، والحاج علي المسفيوي، والمحدث أبو شعيب الدكالي. كما أجازه بعض الشيوخ الفاسيين مثل العلامة عبد الصمد كنون.

كان أكرام مثالا للطالب المجد النشيط المثابر على

حلقات الدروس إلى أن تخرج عام 1338 / 1919، فشارط في مدرسة مولاي الجيلالي الجعيدي بالويدان ـ الرحامنة ـ فأظهر كفاءة وقدرة على نفع الطلبة، وجلب الكثير من عشاق العلم إليها. ثم عاد إلى مراكش ليدرّس بجامع ابن يوسف مادتي : الفقه والنحو، وسائر العلوم الشرعية.

وفي عام 1355 / 1936 فتح مدرسة حرة بسيدي بوحرية على غرار المدارس الحرة التي فتحها بعض زملائه العلماء أمثال : عبد القادر المسفيوي، وعبد الجليل بلقزيز، ومحمد بن عبد الرازق، ومبارك الغراس، والمختار السوسي وغيرهم. وقد وجدت هذه المدارس إقبالا كبيرا من المتعطشين للثقافة العربية التي حاول المستعمر القضاء عليها.

كما ساهم في بعض الأعمال الاجتماعية مثل : تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية التي كان من أنشط أعضائها. وذهب ضمن الوفد الرسمي الذي قدّم في رابع ذي الحجة عام 1353 / 20 مارس 1934 عريضة إلى جلالة الملك محمد الخامس تطلب منه إنشاء جمعية خيرية إسلامية مستقلة عن تدخلات بلدية مراكش نظير الجمعية الخيرية الإسلامية الرباطية. وقد نشرت مجلة "السلام" التطوانية صورة الوفد المتكون من عشرة أفراد. وإلى جانب ما ذكر خصص بعض الوقت للطبقة الشعبية، لكن سرعان ما استهوته هذه الطبقة التي أصبحت تتقاطر على مجالسه، وغدا له جمهور كبير يلازمه في كل دروسه التي تقام بمسجد ابن يوسف أو مسجد حارة الصورة أو المواسين. وقد اكتسب هذه الشهرة وهذا الجمهور بموقفه الشديد الصارم تجاه البدع، والتنديد بالطرقيين. فدروسه كانت دعوة إصلاحية بغية تنقية الأفكار، وتصفية العقيدة من شوائب البدع والخرافات التي علقت بها، والتي تنخر كيان الأمة الإسلامية، فهو متشبث بأفكار ابن تيمية، يناصر العقيدة الوهابية التي تأثر بها أثناء أداء فريضة الحج الذي ذهب إليه مرتين، ولا أريد أن أتعرض إلى موقف بعض العلماء منه، وبالأخص شيخ الجماعة محمد بن الحسن الدباغ الذي تراشق وإياه بالكلمات على المنابر.

ومن مواقفه الإصلاحية، أنه عمد مع ثلة من أتباعه إلى شجرة كانت بحارة باب دكالة فقطعها، بعد أن كانت النساء يعقدن بها التمائم والحروز وغير ذلك رجاء دفع الأذى، أو جلب الخير.

وقد حباه الله دماثة أخلاق، ولين عريكة، وطلاقة وجه، وخفض جناح لمن يقصده من ذوي الحاجات، فيقضي حاجتهم عن طيب خاطر، ويحقق مبتغاهم بوجه بشوش.

تولى خطبة الجمعة بمسجد برِيمة، وقد تخلى عنها في أخرياته تورعا منه، كما عُرض عليه تولي القضاء فرفض. ولما أسس النظام بجامع ابن يوسف عام 1358 / 1939 رفض التدريس به اعتقادا منه بأن الصندوق الذي تؤدى منه رواتب العلماء مصدره حرام، ولذا كان يسميه بالصندوق الأسود. مع أن حالته المادية يومها حالة ضيقة، بحيث لم يكن له من السعة ما يجعله يرفض مثل هذه العروض.

توفي ـ رحمه الله ـ في جمادى الثانية 1376 / 1956 فجأة، بعد أن قطع أيامه كلها في التدريس ونشر العلم، ودفن بروضة باب أغمات، فبكته مراكش وبكته منابرها.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 100 ؛ *روايات شفوية عن أسرة المترجم وتلاميذه*.

أحمد متفكر

**أكْرَامُو**، سعيد بن سليمان السملالي، ينتسب إلى أسرة الكرَامِيين بسوس لا إلى إكْرَامْن وهم المرابطون أو الصلحاء مطلقا، وقد ترد نسبته هكذا : الكرامي، من أسرة علمية في القرن التاسع الهجري ينتسبون إلى ابن العربي المعافري. ومساكن الكراميين بتازموت من سملالة بالأطلس الصغير ولاتزال قبور مشاهيرهم هنالك معروفة.

ذكر الرسموكي في *وفياته* أن وفاة سعيد هذا كانت في 16 شعبان عام 882 وأن مدفنه بمسجد تازموت. وذكره الحضيكي في *طبقاته*، ووصفه صاحب *بشارة الزائرين* بالولاية والتآليف العديدة، منها شروح على *الرسالة والأجرومية* والخراز وابن الحاجب.

واستنتج محمد المختار السوسي من عبارات بعض شروحه أنه محدث مستحضر.

وكانت مشارطته جل حياته بقرية الأحدويني إزاء سوق الثلاثاء الأگمارية المشهورة ببعقيلة.

ذكر صاحب *المعسول* أقاصيص تنسب إليه دالة على تقدير الناس له إلى حد المبالغة، وحتى إنهم ينسبون إليه قصيدة في تباري طلبة بربر وعرب على من يسكن أرفع البيوت في مدرسته، وأولها :

بسم الإله في الكلام إزْوَرْ وهو على عون العبيد إزْضَرِ

وهي ليست لأكرامو بل هي للشاعر أحمد بن محمد بن يعزى بن عبد السميح التاغاتيني الرسموكي المتوفي عام 1080 هـ.

ومما ذكر عن أكرامو أنه درس بغرناطة لا بفاس، إذ هو من أواخر من درسوا بالأندلس.

وفي أسرة أكرامو علماء آخرون ذكرهم صاحب *بشارة الزائرين* ونقل عنه صاحب *المعسول* (7 : 23 ـ 30).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3 : 212، 7 : 23 ـ 30، 8 : 244.

أحمد التوفيق

**إگرزگاغـنْ**، (البستان الأحمر) قيل إنه اسم قرية اندثرت ولم يبق منها اليوم إلا أطلال توجد بقبيلة إيداوبُـوزْيا الحاحية، وكان أهلها مشهورين بالعلم والأدب، وآخر من اشتغل منهم في خطة العدالة والقضاء والإفتاء بالقبيلة هما : الفقيه الأكرم سيدي سعيد أزطام البـوزيادي الحاحي، العارف بأحكام الشريعة وألفاظ الوثيقة والميرات والتقسيم والفريضة وأحكام الديانة (*رسالة إليه*)، وولده العلامة الأديب سيدي يدير بن سعيد أزطام البوزيادي (= البوزياوي)، عاشا معا إلى نهاية القرن الثالث عشر

الهجري، وبموتهما انقطع ذكر إگْرْگاغْنْ بين الناس، ويبدو أنها هي القرية المذكورة في *وصف إفريقيا* (1 : 81) تحت اسم إداوْ زگواغْنْ.

*تحريات ميدانية.*

محمد أيت الحاج

## أگرسيف . المغرب الشرقي . ← گرسيف

## أگرسيف . سوس . ← تافراوت

**أگَرْضْ**، لفظة بربرية معناها العنق . عنق الإنسان . أي صلة ما بين الرأس والجسد. ويعني أيضا الممر الجبلي الضيق في المناطق الجبلية القليلة الارتفاع. وفي هذا المعنى يقصر لاووست (E. Laoust) إطلاقه على الممرات الجبلية بالأطلس الصغير (*Mots et choses*, 115)، حيث يتكرر كاسم موقع، حتى عدد منها حوالي ثلاثة عشر (*Contribution*, 41-42). بينما تتكرر لفظة "تيزي" . الممر الجبلي . في جبال الأطلس الكبير والمتوسط.

وأگرض، المقصودة هنا، قرية كبيرة، تقع غربي مدينة بني ملال، على بعد حوالي تسعة وثلاثين كلم : في منطقة اتصال قبيلتي بني عْياطْ (أو أيت عْياضْ) وأيت عتاب، بدير الأطلس المتوسط الغربي. ولا يكون مع تَخْسَيْتْ (= القرع) اسما لموقع واحد، كما ظن العباس بن إبراهيم (*الإعلام*، 9 : 184 . 186)، ومن بعده محمد المختار السوسي (*المعسول*، 12 : 112). فأگرض تقع شرقي تخسيت على بعد حوالي كيلومترين. ويتكون معظم سكانها . حاليا . من البربر، من قبيلة بني عياط، بينما يتكون أغلب سكان تخسيت من العرب. ويبدو أن هذه الأخيرة أحدث من أگرض.

أول من ذكر أگرض . فيما نعلم . هو الحسن الوزان، الذي زارها سنة 921 / 1515. لكنه يدعوها مدينة أيت عْياضْ . نسبها، كما نسب مثيلاتها للقبائل التي تحيط بها . وقد كانت زمن الوزان مدينة مسورة. ذكر أنها من تأسيس الأفارقة، في موقع دفاعي حصين من مقدمة جبال الأطلس المتوسط الغربي. وقد اشتهرت آنذاك بغناها، بسبب ازدهار الزراعة، واشتغال سكانها بالتجارة والصناعة (*وصف إفريقيا*، 1 : 146). ولعل هذا الازدهار ناتج عن وفرة مياهها، بسبب موقعها في الدير، ووقوعها على مقربة من الطريق التجاري الرابط بين مراكش وفاس.

وقد اقترن ازدهارها بشهرتها، لا سيما لما ظهر بها متصوف كبير مثل سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي المتوفي حوالي سنة 957 / 1550 . 1551 (*الإعلام*، 9 : 185)، الذي ذاع صيته كرجل ديِّن صالح، تواترت عنه الكرامات. فقصده الناس من الآفاق، من أجل التبرك وأخذ الأوراد (*الدوحة*، 91).

ولعل أگرض قد أضحت منذئذ، مركزا صوفيا معروفا بين مراكز دير الأطلس. وقد نشأت بها، في بداية القرن الثاني عشر / الثامن عشر، زاوية ناصرية تابعة لتمگروت؛ أسسها أحد تلاميذ الشيخ أحمد ابن ناصر، المدعو أحمد بن البكري، من حفدة سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي (*الدرة الجليلة*، 2 : 347).

ولا يعرف سبب اختفاء الطريقة الناصرية من أگرض. فالظهائر الموجهة إلى مرابطي المنطقة لا تذكر هذه النسبة (ثلاثة ظهائر : اثنان حسنيان والثالث عزيزي). وما تزال بها زاوية قادرية قائمة حتى عهد قريب، يشرف عليها حفدة سيدي علي بن إبراهيم ويلقون أورادها (De. La Chapelle. 62).

يشير دولاشابيل إلى معركة خاضتها قبائل المنطقة . وكانت أگرض منطلقها . ضد الكولونيل (Mangin). وما يزال أهل البلدة والمناطق المجاورة يقيمون حول ضريح الصالح سيدي علي بن إبراهيم موسما سنويا يعقد يوم سابع عيد المولد النبوي.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 12.

E. Laoust, *Mots et choses* ; F. De. La Chapelle, *Un document sur la politique* ; E. Laoust, *Contribution*.

أحمد عمالك

**أگَرْضْ** (مسجد ــ) يدعى هذا المسجد : تيمْزگيداَ أوگْرْضْ، أي مسجد أگرض، ويقع في قبيلة مسگينة، فرقة أيت عباي، شرقي أگادير، بحوالي 12 كلم، ويحتوي على مدرسة عتيقة.

أگرض : المسجد والامام

ولعل تأسيس هذا المسجد يعود إلى العهد المرابطي، والمحراب القديم لمسجد أگرض ما يزال منحرفا نحو الجنوب بصورة بارزة إلى جانب المحراب المعدل، كما أن القبور كانت توجّه في سمت المحراب المنحرف.

وتؤكد الرواية الشفوية أن هذا المسجد يعد أقدم مسجد قريب إلى الساحل الأطلسي في اتجاه ميناء أگادير، كما تؤكد أنه في أثناء المعارك التي خاضها السعديون ضد البرتغال أثناء احتلالهم لحصن أگادير ما بين (1505 . 1541م) كان المجاهدون ينقلون القتلى لدفنهم في مقبرة هذا المسجد، وهناك ما يدل دلالة واضحة على مدى مصداقية هذه الرواية، منها : أن الاتساع الهائل لتلك المقبرة . وهي قديمة التعمير . لا يتلاءم والتجمع السكني لهذه المنطقة، حيث إن

قبيلة مسگينة عموما لا يبلغ مجموع سكانها في نهاية القرن التاسع عشر سوى قرابة ألف كانون، وإن بعض المداشر القريبة منها إلى المسجد لا يمكن أن يعزى إليها تعمير مثل هذه المقبرة الهائلة الاتساع. ومنها عدم وجود مسجد آخر ومقبرة بنفس الأهمية بينها وبين ميناء أگادير. ومنها قيام حصن مشابه لحصن أگادير في منطقة مشرفة على هذا المسجد شمالا قرب عين ماء غزيرة حتى الآن، ويتميز بأبنيته المخالفة للأبنية المحلية، وما تزال بعض مرافقه قائمة. ومنها كون بعض مظاهر العمارة بمسجد أگرض تحمل الطابع السعدي، وكذلك زخرفة بعض القبور التي ما تزال معروفة لدى السكان باسم "تيسعديين" مما يمكن تفسيره بأنها قبور بعض الأمراء السعديين وهي تتميز بأضرحتها المزخرفة دون سواها من القبور الأخرى المتواضعة.

هذا وقد ضاع الكثير من أخبار هذه الجهة، في غير ما تتناقله الأخبار عن أسماء من تخرج من مدرسة هذا المسجد وأسماء شيوخها، ولا شك أنها عرفت ازدهارا علميا قبل تأسيس مدرسة إغلالنْ على مقربة منها في نهاية القرن الثاني عشر / 18. وقد تحدث المختار السوسي عن إنشائها على يد سيدي يحيى بن سعيد الإلاني الجزولي (تـ 1205 / 1791) وما عرفته بدورها من تخريج علماء أفذاذ، وبخاصة في عهد سيدي الحاج مسعود الوفقاوي (تـ 1366 / 1946).

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 1 : 37. 42 و 4 : 61 ؛ *المعسول*، 3 : 59.

R. Montagne et M. Ben Daoud, *Documents pour servir à l'étude du droit coutumier du sud du Maroc*. Hespéris, 1927, p. 417.

عمر أفا

**أگرگور**، اسم قرية تقع على الحافة الشمالية الغربية لهضبة كيكْ الكائنة جنوب غرب مراكش. وهي مبنية في تراب أيَت واوزگيت، غير بعيد من بحيرة سد للاّ تاكركوست التي تتجمع فيها مياه نهري نفيس وأمزميز.

إن كلمة أگرگور معروفة في مناطق أمازيغية من شمال إفريقيا ومع ذلك فإن مدلولها اللغوي غير مضبوط لحد الآن. ويمكن أن نفترض أنها تعني المجرى الواسع الذي يكوِّنه نهرٌ ما عند خروجه من الجبل إلى السهل حيث يحط السيل أحجاراً كثيرة. ومعلوم أن أگرگور تقع على الضفة اليمنى لواد نفيس، في منطقة يتسع فيها مجراه بشكل بيِّن، خصوصاً إذا قورن بمجراه الأعلى.

لقد لعبت قرية أگرگور دوراً تاريخيا هاما في حياة سكان جبال نفيس، إذ كانت مقر إقامة قواد المخزن المركزي، المكلفين من قبل قائد أهل سوس والقصبة بمراكش، بشؤون أهل وادي نَفيس وقبيلة إغيغاين.

وبعد موت السلطان الحسن الأول، استولى عليها القائد الطيب الگنتافي، ثم نازعه عليها القائد الأگلاوي. وبعد جولة من المفاوضات بين القائدين عادت في بداية القرن العشرين إلى سلطة الگنتافيين. وكانت أگرگور بالنسبة إلى

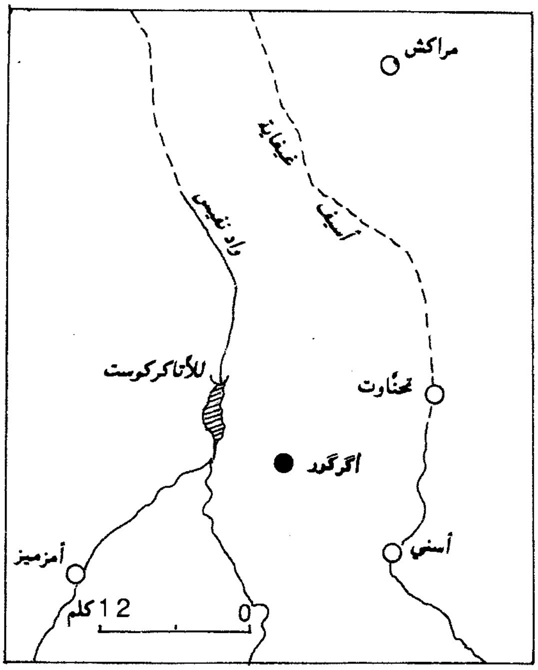


**أگرگور**

هؤلاء ذات أهمية استراتيجية كبيرة، لأنها كانت نافذتهم على الحوز والعاصمة الجنوبية مراكش، كما كانت مركزاً لمراقبة أهم طريق يربط وادي نفيس بحوز مراكش.

Ch. De. Foucauld, *Dictionnaires* t. IV, p. 1755 ; *Reconnaissance*, p. 337 ; De. Segonzac, *Voyage au Maroc* (1899 - 1901), 3ª partie, Le sous, p. 238 p. 99 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, pp. 126, 133, 275, 277, 301, 336 ; E. Laoust, *Contribution*, p. 89 ; C. Justinard, *Le Caïd Goundafi*, pp. 38, 39, 46, 47 ; P. Pascon, *Le Haouz*, t. I, pp. 28, 182, 274, 346, 348, 367.

علي صدقي أزايكو

**إكرْمَالت**، جبل يعلو سطح البحر بـ 2008 متر، ويقع أساساً بأرض قبيلة زرقات بناحية صنهاجة، ويمتد إلى قبائل بني مزدوى وبني عمارت وبني بشير، واسم الجبل مأخوذ من اسم مدشر بفرقة علال من قبيلة زرقات.

وفي هذا الجبل اعتصم المجاهدون بعد أن استسلم الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي في شهر ماي 1926. وظلوا به إلى شهر يوليوز من السنة التالية.

Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa 1930*. 2 : 36 ; Domenech lafuente (Ange), *geografia de la Zone Norte del Protectorado de Espana en Marruecos 1942*, p 26 ; Cabello Alcaraz, JO, *Apuntes de geografia de marruecos*, 1951, p. 71.

م. ابن عزوز حكيم

**إگرْوَان**، أو جروان، اسم جمع بالبربرية، مفرده أگراوْ. وهو اسم لقبيلة إگرْوَانْ التي يوجد موطنها حاليا غرب مدينة مكناس. وقد ورد ذكر هذه القبيلة لأول مرة في كتب التاريخ، في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، صاحب *المقتبس من كتاب الأنساب*. وكانت تشكل في هذه الحقبة، فرقة من بني صطاط، أحد أمجاد صنهاجة القبلة. (المقتبس، 53. 57) وكانت هذه القبائل تنتشر في هذا التاريخ، في مناطق الجنوب خلف جبال الأطلس. ولا نستطيع بالضبط، تحديد المجال الجغرافي الذي كانت تحتله

إكروان في هذه الفترة. إلا أنه من المؤكد أنها قد استقرت في أعالي زيز لمدة غير يسيرة من الزمن، حيث يوجد قصر يحمل اسمها إلي الآن. (Notes sur le Haut Ziz, 70) ويظهر أن قدومها إلى تلك المنطقة، قد تم في مرحلة متأخرة، وواكب هجرة قبائل أيت إدراسن التي خرجت من الصحراء الغربية في اتجاه الشمال الشرقي، مع قيام الحركة المرابطية. (*آثار التدخل الأجنبي*، 1 : 8 ـ 20). ومع أوائل القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، اضطر الاجروانيون كغيرهم من قبائل واحات الجنوب الشرقي، تحت ضغوط اقتصادية وبشرية، إلى استئناف الهجرة نحو الشمال. فعندما تحدث صاحب *الإحيا والانتعاش* عن مجاعة عام 1071 / 1660، ذكر أن قبيلة إجروان قد فرت مع كثير من القبائل من بلاد أزغار إلى واحات الصحراء. ولم تعد منها إلا في السنة الموالية عندما سمعت بخصب بلاد الغرب وأزغار وتادلا (*الإحيا والانتعاش*، 250 ـ 251). ويرجع تاريخ استيطان إكروان في أزغار بالضبط في مدينة الدلاء، إلى عهد محمد الحاج الدلائي (1046 / 1637 ـ 1071 / 1660). فقد أصبحت هذه القبيلة، تشكل مع أيت إدراسن ومجاط وأيت إمور وبني مطير، عصبية الإمارة الدلائية وحميتها. فقد تمكن هذا الأمير بواسطة تلك القبائل، من امتلاك أهم مناطق المغرب لمدة تنيف عن ربع قرن. (*الزاوية الدلائية*، 153). إلا أنه في سنة 1094 / 1683 على إثر الحملة العسكرية التي جردها مولاي إسماعيل على صنهاجة فازاز (الأطلس المتوسط)، اضطر الإجروانيون إلى الفرار بأنفسهم من جديد، نحو الجنوب الشرقي. فقد ورد في مخطوط نشره أحد الضباط الفرنسيين، أن إجروان أيام هذا الأخير، كانوا يعيشون في منطقة الجنوب الشرقي (*Un document sur la politique*, 40). وإلى ما يقرب من هذا، أشار مارتان (Martin)، استنادا إلى وثائق محلية، أن هؤلاء القوم كانوا، إلى عهد السلطان مولاي عبد الله، ما يزالون يعيشون فسادا في واحات تافيلالت، ويسطون على القوافل التجارية المتنقلة صوب توات (*Quatre siècles d'hist. du Maroc*, 91). ومع أوائل عهد ابنه سيدي محمد، اتجه الإجروانيون من جديد نحو الشمال، ودخلوا في منافسة شديدة مع أيت ادراسن الذين أنزلهم السلطان بأحواز مكناس، ونفذ لهم الأرض هناك (*تاريخ الضعيف*، 165). ويظهر أنهم قد استغلوا الفراغ الذي نجم عن نزول الإدراسنيين إلى السهول وصاروا يغيرون عليهم من الخلف ويتطلعون بدورهم إلى التسلل إلى المراعي الدافئة واقتطاع نصيب من أرض سايس الخصبة. وللوصول إلى هذه الغاية، استعانوا في سنة 1172 / 1761 بالأودايا وأنزلوا بجيرانهم هزيمة كبيرة. وأخرجوهم من بلادهم(الزياني، *الترجمان*، 72). ولصد إكروان وغيرهم عن المنطقة، طلب السلطان سيدي محمد بن عبد الله من والي مكناس، عقد حلف بين أيت إدراسن وأيت إمور وأمر العبيد بنصرتهم. وقد نشبت بين الفريقين في سنة 1173 / 1762، حرب فظيعة انتهت بانتصار حلف أيت إدراسن وأيت إمور والعبيد وانكسار شوكة إكروان والأودايا (*الاستقصا*، 8 : 13 ـ 14). إلا أنه عندما تجبر أيت إدراسن على السلطان وخرجوا عن طاعته في سنة 1179 / 1768، شارك الإجروانيون والودايا إلى جانب العبيد في حرب أعدائهم بالأمس واقتصوا منهم وهزموهم شر هزيمة. (*الاستقصا*، 8 : 28). وقد وردت في الحوليات التاريخية، في الفترة السليمانية أخبار كثيرة عن انتفاض إجراون وحروبها مع جيرانها أيت إدراسن. ويتضح من تلك الإشارات، أن هذه القبيلة قد وقعت في هذا العهد، بين كماشتين. فكان عليها أن تواجه ضغط قبائل أيت أمالو التي كانت تسعى إلى النزول إلى السهول من جهة. ومن جهة ثانية، كان عليها أن تصمد في وجه الحركات السلطانية ومضايقات أيت إمور وأيت إدراسن. ولم تستقر إجراون في موطنها الحالي على ما يبدو، إلا في عهد مولاي عبد الرحمان. فبعد أحداث معركة ظيان (زايان) (1234 / 1818)، واستمرار هيجان القبائل، اقدم هذا الأخير، على نقل إملوان وأيت إمور عن بلدهم إلى الحوز. وبذلك وهنت عصبية أيت إدراسن وخضعوا من جديد لسلطان الدولة. (*اختصار الابتسام*، 381). وبهذا الإجراء، خف الضغط على المنطقة، وتمكنت قبيلة إجروان من اقتطاع مجالها الحيوي وانحاشت لجانب المخزن. ولا نعرف بالضبط حدود هذا المجال الذي كان يتقلص أو يتوسع حسب قوة القبيلة أو ضعفها، إلا إشارات وردت في مصدر متأخر، تفيد أن هذه القبيلة كانت قبل سنة 1912، تنتشر على مساحة 600 كلم مربع بين جبل قفص شمالا وأكَوراي جنوبا وبين خط مكناس ـ وعين عرمة (*La Région de Meknès*, 30). وكانت هذه القبيلة حسب نفس المصدر تنقسم إلى خمس قيادات : أيت يعزم : على رأسها القائد علي بن محمد و عدد خيامها 415 ؛ أيت الحسن (أ) : على رأسها القائد الحسين بن عكي و عدد خيامها 220 ؛ أيت الحسن (ب) : على رأسها القائد عْقّ بن علي و عدد خيامها 580؛ أيت حمو : على رأسها القائد ادريس ولد بردان و عدد خيامها 600 ؛ أيت ويخليفي : على رأسها القائد مصطفى الهردي وعدد خيامها 520، (*La Région de Meknès*, 31).


البيذق، *الأنساب* ؛ ع. العياشي، *الإحيا* ؛ الزياني، *الترجمان* ؛م. الضعيف، *تاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ كنينح، *آثار التدخل*.

Oustry, *Notes sur le Haut Ziz*, in Bull. de la Soc. de Géog. et d'Archéol. d'Oran, 1910 ; Arnaud (cap), *Monographie de la Région de Meknès*, Meknès 1914 ; Reynier (Lieut.). *Un document sur la politique de Moulay Ismīl dans l'Atlas*, Archives Marocaines, vol. XXVII, Paris 1931 ; Martin (A.G.P), *Quatre siècles d'histoire marocaine.*


العربي أكنينح

**أكزناي ← الجزنائي**

**إكزناين ← جزناية**

**أكْزُول**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لا زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Gazul كما أن هناك مدينة بمقاطعة قادس تسمى قلعة أكزُولين Alcala de los Gazules. ومن أفراد هذه الأسرة بتطوان تذكر لنا الوثائق : الأمين أحمد بن محمد أكزول الذي كان ضمن الوفد الذي مثل تطوان في حفلة مبايعة السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام بفاس عام 1238 / 1823، ويبدو أنه توفي قبل عام 1249 / 1833 وهو يشغل منصب أمين الديوانة.

وهناك فرد آخر اسمه عبد السلام كان أمينا للديوانة سنة 1276 / 1859. وبتطوان زنقة تحمل اسم هذه الأسرة، وهي الزنقة التي أطلق عليها الإسبان خلال احتلالهم للمدينة سنة 1860 م اسم طلعة القصبة Subida al Castillo. ولا زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛. أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 22 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 3 : 286. 5 : 195. 8 : 285 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigena, *Familias ilustres de Tetuan* (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**أكُزول، محمد** بن أحمد بن عبد العزيز الفيلالي، فقيه مشارك، انتصب للعدالة بفاس طوال حياته. أخذ عن القاضي محمد بن محمد بن سودة، ومحمد ميارة، والخطيب حمدون الزبار. وأكثرُ أخذه عن الشيخ عبد القادر الفاسي، سمع عليه كثيراً في التفسير والحديث والأصول والكلام والمنطق والبيان، ولازم دروسه سنين عديدة ليلاً ونهاراً. ودرسٌ هو أيضا دهراً بالقروين إلى أن أصابه مرض لزم به داره وتوفي بفاس عام 1090 / 79 ـ 1680.

ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر* (مخطوط).

محمد حجي

**الأكزولي** (أسرة رباطية) ← **الكزولي**

**إكْس ـ لِي ـ بَانْ**، Aix-Les-Bains مدينة فرنسية صغيرة عاصمةً مقاطعة لاسافوا تقع على الضفة الشرقية لبحيرة لابورجي وتبعد بمسافة يسيرة من مدينة جنيف السويسرية. عدد سكانها نحو ثلاثين ألف نسمة. وهي منتجع وحمة جميلة يقصدها السياح في فصل الصيف بالخصوص والمرضى للاستجمام والعلاج من داء المفاصل وغيره من أمراض الشرايين والأعصاب فيتعالجون بالمياه المعدنية وشتى الوسائل لما تتوفر عليه من أجهزة صحية.

هذه البلدة هي التي اختارتها الحكومة الفرنسية خلال اشتداد الأزمة في العلاقات المغربية ـ الفرنسية لعقد مؤتمر أو على الأصح "اجتماع إكس ـ لي ـ بان" ما بين 22 و 27 غشت 1955 تمهيداً للخروج من المأزق الذي وقعت فيه بعد خلع جلالة محمد الخامس ونفيه إلى كورسيكا ثم مدغشقر، مما نجم عنه اشتداد المقاومة الشعبية في المغرب وبلوغ الأمة أوجها فأخذت حكومة باريس تبحث عن حل.

تمَّ خلع محمد الخامس، كما هو معلوم، قبل ذلك بسنتين في 20 غشت 1953. وخلافاً لما كان يتوقعه القائمون بهذه المؤامرة، فإن المقاومة الشعبية لم تهدأ والعمليات الفدائية لم تزدد إلاً استفحالاً معزِّزةً مطالبة الشعب المغربي بعودة المشروعية بإعادة محمد الخامس الذي ظل صامدا في موقفه مصراً على رفض التنازل عن العرش.

نظمت على مر سنتين ثورة الملك والشعب فأحبطت المشاريع الاستعمارية التي كانت تهيأ من الدوائر الفرنسية، ولم يُجد القمع في القضاء على هذه الثورة، كما لم يُجد استبدال الجنرال گيوم مدبر المؤامرة بالمقيم العام الجديد فرانسيس لاكوسط أو جيلبير گرانفال وغيرهما، مثلما لم تستطع حكومات الجمهورية الرابعة المتتالية أن تعالج المشكلة، إلى أن تولى الحكم م. إيدگار فور المعروف بقوة شخصيته. وهو الذي أبدى كثيرا من الجرأة والحنكة السياسية لمعالجة الأزمة المغربية ـ الفرنسية ممهدا بعقد اجتماع إكس ـ لي ـ بان.

كانت مسألة إحداث مجلس للعرش ليحل محل السلطان ابن عرفة الذي نصبته الحكومة الفرنسية من أهم الحلول المطروحة على بساط البحث بعدما رفض الشعب المغربي الدعي رفضاً باتا وفشلت كل المساعي لتثبيت مركزه.

انعقد مؤتمر إكس ـ لي ـ بان في ظروف بالغة الاضطراب بالمغرب : قبل يومين لقي قائد القوات المسلحة الفرنسية بالمغرب مصرعه وحصلت اضطرابات في الدار البيضاء وعقبتها عمليات فدائية في منتهى الخطورة بالحواضر والبوادي حيث أتلفت المواصلات السلكية والهاتفية مما شل حركة الجيش الفرنسي، وأوقدت الحرائق في مزارع المعمرين والمتعاونين الإقطاعيين الممالئين لإدارة الحماية، ووقعت اضطرابات قدم ممثل فرنسا گرانفال استقالته في أعقابها ولم يَمض على تعيينه أزيد من خمسين يوما.

في هذا الجو المحموم دعت الحكومة الفرنسية لمدينة إكس ـ لي ـ بان شخصيات مغربية وفرنسية من شتى الاتجاهات والهيآت للاستماع إلى آرائهم في موضوع حل الأزمة. وكانت الحكومة الفرنسية ممثلة بوفد يرأسه السيد انطوان بينى وزير الخارجية، وهو من أقوى الشخصيات الوزارية، يرافقه السيد بير جولي المكلف بالشؤون المغربية. أما الشخصيات المغربية السبعة والثلاثون الذين دُعوا للاجتماع فكان من بينهم بعض قادة حزب الاستقلال : الحاج عمر بن عبد الجليل، عبد الرحيم بوعبيد، المهدي ابن بركة، وبعض قادة حزب الشورى والاستقلال : عبد القادر بنجلون، عبد الهادي بوطالب، محمد الشرقاوي، أحمد ابن سودة. ومن الشخصيات المستقلة دُعي مبارك البكاي والفاطمي بنسليمان. كما دُعي وفد من سامي شخصيات المخزن (الحكومة المغربية) وفي مقدمتهم الصدر الأعظم محمد المقري، ووفد من كبار رجال السلطة وفي مقدمتهم

الباشا التهامي الكلاوي الذي كان على رأس المتآمرين، وكذلك عبد الحي الكتاني. كما شارك في الاجتماع ممثلون عن إدارة الحماية والجالية الفرنسية من معمرين وغيرهم.

باستثناء ممثلي الإدارة الفرنسية والموالين لها كان إجماع المتحدثين على وجود إعادة المشروعية في شخص محمد الخامس ورجوعه إلى عرشه، وكان للحجج التي قدمها المتشبثون بالمشروعية تأثير قوي على الوفد الفرنسي وخاصة على رئيسه السيد أنطوان بيني الذي لعب دورا مهما في تطور الأحداث بعد ذلك.

بعد انفضاض اجتماع إكس - لي - بان يوم 27 غشت 1955 اجتمع مجلس وزاري برآسة روني كوتي رئيس الجمهورية، وبحث الخيارات المطروحة على ضوء النتائج المستخلصة من المؤتمر. وبعد ساعات طويلة من المناقشات الحادة، تم الاتفاق على إزاحة ابن عرفة عن العرش وتنصيب مجلس بدله وتأسيس حكومة مغربية، كما تقرر الدخول في محادثات مع محمد الخامس في منفاه لأخذ موافقته. وجهت الحكومة الفرنسية الجنرال كاترو وهو من قواد فرنسا الكبار إلى انتسيرابي، حيث كان محمد الخامس منفيا، يوم 4 شتنبر 1955 وعين مقيم فرنسي جديد في المغرب لتنفيذ السياسة الجديدة. ثم وقعت أحداث جسام قبل أن تعود المشروعية إلى نصابها بعودة محمد الخامس يوم 16 نونبر 1955 إلى عرشه حاملاً معه الاستقلال الذي كافح هو وشعبه في سبيله.

ق. الزهيري، *محمد الخامس الملك البطل*.

P. July, *Une république pour un Roi*, Fayard ; C. Paillat, *La liquidation*, Robert Laffont.

قاسم الزهيري

**أكَشْتيم**، قد ينسب إليها في تراجم العلماء باسم الجشتيمي، وهي قرية بفرقة أفلاً واسيف، على بعد حوالي 7 كلم شمالاً من تافراوت، عند قدم الدير الجنوبي لجبل الكست الشرقي.

أحمد التوفيق

## إكوت ← تكنة

**إكَيگ**، أبو إبراهيم إسماعيل الهزرجي. هنالك بعض الاختلاف في ذكر هذا الاسم. *فروض القرطاس* يذكره باسم إبراهيم بن إسماعيل الهزرجي، بينما يكتفي صاحب *الحلل الموشية* باسم "أبو إبراهيم"، وكذلك ابن عذاري في الجزء الرابع. ونعتقد أن صاحب *روض القرطاس* كان مخطئا في الصورة التي قدم عليها اسم المترجم، إذ نجد أقدم المصادر وهو *أخبار المهدي* للبيذق يدعوه إسماعيل بن يسلال الهزرجي وكذلك عبد الواحد المراكشي الذي يسميه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى الهزرجي، ويسميه البيذق، أيضا، إسماعيل إيگيگ الذي يعني باللغة البربرية الرعد.

كل المصادر متفقة على أنه من أصحاب المهدي العشرة. وكان من الأولين الذين اتصلوا بالمهدي وتتلمذوا عليه. ونسبته تدل على أنه من قبيلة هزرجة التي يعدها عبد الواحد المراكشي من قبائل مصمودة القاطنة حول مراكش وهم هزميرة وهيلانة وهزرجة، كما يذكرها ابن خلدون من بين القبائل السابقة لدعوة المهدي مع هنتاتة وتينملل وهرغة. ويظهر أن هزرجة كانت من بين القبائل المعادية للمرابطين إذ أن هؤلاء، حسب رواية البيذق، بنوا حصن تاسغيموت وأسندوا قيادته لأبي بكر بن اللمطي مع مائتي فارس وخمسمائة راجل لحراسة "بلاد هزرجة".

حينما التجأ ابن تومرت إلى أغمات ن ويلان وجد معارضة من طائفة من السكان وتأييدا من طائفة أخرى وكان من بين طلبته المذكورين في المصادر سليمان بن البقال وإسماعيل الهزرجي. وقام هذا الأخير بدور مهم في حماية ابن تومرت بعد أن غادر أغمات إلى إيگلوان من بلاد مسفيوة. فقد أمر علي بن يوسف بالقبض على الفقيه السوسي، لكن إسماعيل أتاه بنجدة تتكون من مائتين من رجال قبيلته فحملوه إلى بلاد هزرجة ثم إلي إمسفيوا، ومن ثم وجد ابن تومرت نفسه في منعة فأخذ يتنقل في جبال الأطلس.

هاته الحفاوة التي أظهرها في خدمة المهدي جعلته يحتل المرتبة الثانية من بين أصحاب المهدي بعد عبد المومن. فيذكر البيذق مثلا، أن أول من بايع المهدي تحت شجرة الخروب المشهورة كان هو عبد المومن، ثم أبو إبراهيم، ثم عمر أصناگ الخ... ونجد دليلا ثانيا على هاته المنزلة في كون المهدي، حينما أسند لعبد المون قيادة گدميوة في إحدى غزواته للمرابطين وسلمه علما أبيض، عين إسماعيل قائدا علي قبيلته هرغة وأعطاه علما أصفر، كما كلفه بمهمة القضاء بين الموحدين.

حافظ إسماعيل على الحظوة التي أدركها مع الإمام المهدي إلى وفاة هذا الأخير فنجده من بين الأصحاب الخمسة الذي تميزوا بالبقاء مع المهدي في الأيام الأخيرة من حياته وهم حسب ترتيب البيذق عبد المومن و "أبو إبراهيم وعمر اصناگ ووسنار وأخته أمّ العزيز بن عيسى". واستمروا على هذه الحال بعد وفاته، وكان أبو محمد وسنار وهو الناطق باسم تلك الجماعة لدى جمهور الأنصار.

وكان لا بد لإسماعيل من أن يكون من بين أول من يتخذ موقفا محددا من بيعة عبد المومن التي أثارت، ولا شك، مشاكل بين شيوخ المصامدة وزعمائهم. ويقدم لنا البيذق صورة عن مشهد تلك البيعة قائلا :

"وصاح عبد المومن بالقبائل وضم الموحدين وجعل المجلس، فاستعمل ركائز وحال بين الرجال والنساء، ثم وعظ الناس وقال لهم في آخر كلامه : بقي عندكم عهد بيعة المهدي رضي الله عنه. قالوا : نعم. فقد تم وعد عمر أصناگ ثم سائر المشيخة - رضي الله عنهم أجمعين - ثم قال لهم : المهدي قد توفي - رضي الله عنه - فبكى الناس، ثم قال لهم : اسكتوا. فسكتوا. فقال أبو إبراهيم وعمر اصناگ وعبد الرحمن بن زكو ومحمد بن محمد لعبد

المومن: امدد يمينك نبايعك البيعة التي عقدناها مع الإمام المهدي، فمد يده وبايعوه، ثم تبعهم سائر الناس حتى إلى الليل".

من هذه الرواية يتضح لنا أن الدور الذي قام به إسماعيل كان حاسما في بيعة عبد المومن إذ كان أول من بادر إليها. ومن خلال النتف القليلة التي نقرأ عنه في المصادر، نكتشف له دورا آخر شبيها بالمؤرخ الرسمي للدولة. فقد نقل البيذق عن كتاب يسميه "كتاب المجموع" أبياتاً وأخباراً تتعلق بالمهدي ابن تومرت وفيها تاريخ وفاته وكلها مكتوبة بخط أبي إبراهيم. فالرجل كان، إذن، محصلا على ثقافة أهلته لأن يشغل مناصب مثل القضاء والكتابة وتسجيل الأحداث التاريخية.

لكنه كان في آن واحد يضطلع بمهام عسكرية منذ عهد المهدي ونظرا لما أظهره من تأييد لعبد المومن منذ البداية فقد أسند إليه هذا الأخير مهام عسكرية أخرى. فكان معه في الحرب الطويلة التي قادها من المغرب الأقصى إلى المغرب الأوسط في مطاردة الملك المرابطي تاشفين. وكان يمسك بإحدى يدي عمر أصناگ بينما يمسك عبد المومن باليد الأخرى وهو واقف في مرضه يعظ الموحدين في اليوم الذي مات فيه.

وفي هاته الغزوة الطويلة تزوج فاطمة بنت يوسف الزناتية التي كانت من أعيان السبايا التي أخذت في ناحية تلمسان هي وبنت ماكسن بن المعز ومئة بكر. وقد أجرى عبد المومن القرعة مع أبي إبراهيم من أجل فاطمة المذكورة فكانت من نصيب هذا الأخير. وما كان عبد المومن يقبل أن يجرى القرعة معه لو لا شعوره بأنه قرينه في الدعوة الموحدية، وكفء له في نظام الجماعة، بل إن المهدي سبق له وأن سوى بين الرجلين في المسؤولية العسكرية في إحدى غزواته للمرابطين حينما "أخذ علما أبيض فدفعه للخليفة الإمام عبد المومن بن علي وأخرج معه گدميوة، وأخذ علما ثانيا أصفر فدفعه لأبي إبراهيم وقدمه على هرغة" (البيذق). ونجده في طريق الرجوع في تلك الحرب الطويلة يقوم بقتال ثائر بناحية أگرسيف اسمه أبو يعلى ويقضي عليه بتعاون مع أبي بكر ويفتين.

وهكذا، نجد أوثق المصادر تبرز حضوره في عدد من الوقائع المهمة، مشيرة بذلك إلى أهمية شخصيته في الدولة. فنجده إلى جنب عبد المومن عند الدخول إلى تلمسان، وقد خرج البعض من أهلها يلتمسون العفو من الخليفة الموحدي. ونصادفه بعد ذلك في حصار فاس مع أبي بكر بن الجبر. ولا أدل على منزلته في الدولة من كون عبد المومن يجعل من الخاصة الذين يستشيرهم في أسرار الدولة، فيذكر ابن عذاري في حوادث 547 هـ أن عبد المومن لما أراد غزو بني حماد "استسر ذلك مع خاصته ووزرائه، منهم أبو إبراهيم وأبو حفص وغيرهما، وأظهر لهم ما في طي نفسه من ذلك".

ويتفرد عبد الواحد المراكشي برواية عن موت المترجم تدل على البطولة والوفاء. فقد علم أبو إبراهيم بأن بعض قرابة المهدي من أيت ومغار أرادوا أن يتسللوا إلى خباء عبد المومن ليلا ليغتالوه" فأتى عبد المومن فقال له :"لي إليك حاجة ؟" قال :"وما هي، يا أبا إبراهيم ؟" قال :"أن تخرج عن هذا الخباء وتدعني أبيت فيه" ولم يعلمه بمراد القوم، فظن عبد المومن أنه إنما يستوهبه الخباء لأنه أعجبه. فخرج عنه وتركه له. فبات فيه إسماعيل المذكور، فدخل عليه أولئك القوم، فتولوه بالحديد حتى برد. فلما أصبحوا ورأوا أنهم لم يصيبوا عبد المومن، فروا بأنفسهم حتى أتوا مراكش وراموا القيام بها..".

رواية قد تكون صحيحة، إلا أنها لم ترد إلا عند صاحب "المعجب". ويذكر هذا المؤلف بعد ذلك كيف أن مقتل أبي إبراهيم فداء له أثار في نفسه "وجدا مفرطا أخرجه عن حد التماسك إلى الجزع. فأمر بغسله وتكفينه، وصلى عليه بنفسه، ودفن". ونال ابن أبي إبراهيم الوحيد - واسمه يحيى - "جاها متسعا ورتبة عالية" في أيام أبي يوسف يعقوب وأيام أبي عبد الله محمد إذ "كانت أكثر أمورهم ترجع إليه" إلى أن مات في سنة 602 هـ.

وبالجملة، فأبو إبراهيم إسماعيل الهزرجي من الوجوه البارزة في صدر دولة الموحدين. ولا شك أن التنظيم الذي ابتكره ابن تومرت في ضبط حركته والذي استمر بعد وفاته كان سببا في بروز شخصيات من هذا النوع في بنية الدولة الموحدية.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ *كتاب الأنساب* ؛ ع. بن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

**أگلاگل**، حصن من حصون حاحا. ذكره الإخباري البرتغالي (دوگويش) تحت اسم "الجيل Algel" بينما حرف الإسباني مارمول قليلا هذا الاسم إذ كتبه الگيل Alguel. وحدد دوسنيفال (P. De Cénival) موقعه بمنطقة دمسيرة، على الطريق الرابط بين مراكش وتارودانت (عبر تيزي أو ماشُو). وتُجمع المصادر على مناعة موقع هذا الحصن المسور والمشيد على جبل تحيط به جبال أخرى لا تقل عنه مناعة. ويذكر مارمول أن سكانه كانوا يعتمدون على الزراعة وتربية الماعز وأنهم كانوا لذلك أغنياء. وأگلاگل من الحصون التي حاول البرتغاليون خلال عام 921 / 1515 طرد القائم بأمر الله وابنه أحمد منها بعد تخريب مقرهما الرئيسي بمنطقة الشياظمة : تَدْنيست، الموجودة قرب أفوغال. فبعد طرد السعديين من أمگور في صفر 921 / أبريل 1515 التجأوا إلى حصن أگلاگل، الأمر الذي أكره البرتغاليين على تنظيم حملة لطردهم من هناك إلا أن هذه الحملة انتهت بهزيمة برتغالية كبرى وبقتل عدد كبير من حلفائهم.

R. Ricard, *Les Portugais au Maroc* ; C. de Marmol, *L'Afrique* ; De Cénival, *Sources Inédites*, Portugal, T.I.

أحمد بوشرب

**الأكَلاوي**، بيت شهير في الأطلس الكبير من قبيلة أكَلاوة أو إكَليوا والمفرد أكَلاوْ. وقد يكون هذا الاسم مشتقا من أكَلو وجمعه إكَلوان. وأصبح هذا الجمع اسم مكان بالأطلس الكبير الأوسط ويعني الفج العميق وهو وصف دقيق لطوبوغرافية أعالي أودية الأطلس الكبير. ومنذ أوائل القرن الثامن عشر أضيفت صفة "المزواري" إلى الأكَلاويين آل الحاج الراضي بن أحمد الأكَلاوي المزوار. الذي قد يكون أول من حمل منهم هذا اللقب، وهو يعني نقيب عائلة مرابطية، وربما كان أول من كلف بإعادة تنظيم موسم الجد الأعلى للعائلة الولي أبي محمد صالح الماكَري دفين مدينة أسفي.

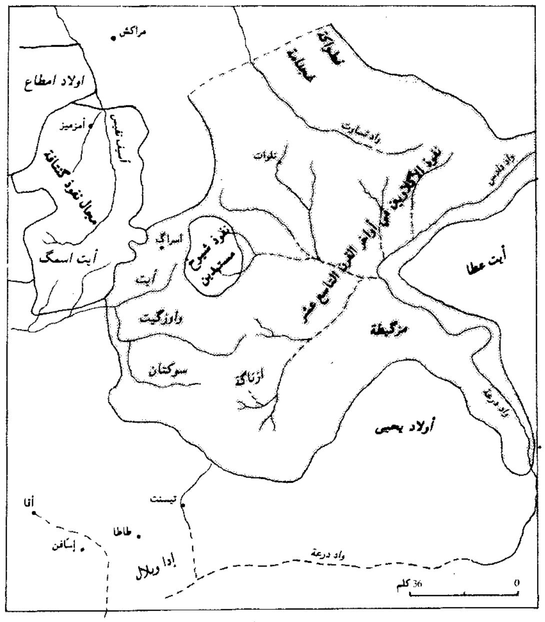


مجال نفوذ الأكَلاويين في أواخر القرن التاسع عشر

هذه هي الرواية التي كان كبار العائلة يعتمدونها، وما زال حفدتهم يبنون عليها شجرة نسبهم، كما أنها الرواية التي اعتمدها مارت وإدمون كَوفيون في سياق كتابتهما تاريخ هذه العائلة والتي انتهيا من تدوينها سنة 1923 ضمن تأريخهما لأعيان المغرب الأقصى، أي أن هذه الرواية كانت موجودة قبل الشجرة العائلية التي شهد بها كثير من زوار قصر الباشا التهامي الأكَلاوي بمراكش والتي قد تكون بدورها مبنية على نفس الرواية التي لا تزال معتمدة لدى الأكَلاويين المزواريين إلى الآن. وهي ترجع أصل هذه العائلة إلى موطن دكالة الجنوبية (عبدة الحالية) وتضعه في نسق ديني، وهو شيء معروف عبر تاريخ المغرب. تبدأ الظاهرة عادة بهذا الأصل الحقيقي أو الوهمي ثم انتقال المؤسس إلى غير موطنه الأصلي حيث يصبح بعد ذلك محايداً داخل الصراعات القبلية والعائلية لكي يصير بعد ذلك حكماً ليست له مصلحة في اللعبة السياسية الاجتماعية، لكن بعد جيل تقريبا يصبح أبناؤه أو ورثته طرفا في النسق القبلي مستغلين دور الجد أو الأب في طريقهم إلى الصعود نحو الزعامة السياسية والقبلية.

إن هذا النسق وهذا التطور هو الذي وضع فيه أغلب الدارسين لهذه الظاهرة، وضمنهما شرح ظهور عائلة الأكَلاويين المزواريين من الحاج الراضي الذي لعب دور المرحلة الأولى، ودور حفيده محمد بن الحاج أحمد بن الراضي - إيبيبض - المؤسس لزعامة العائلة في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي.

لكن هذا المنظور يتعارض مع المعلومات والأخبار التي عرفت عن هذه العائلة وتاريخها. فمنذ العشرينات من هذه القرن حين كان روبير مونطاني R. Montagne يبحث عن العلاقات بين المخزن والبربر تناقض مع هذه الأطروحة في كثير من جوانبها ومضامينها السياسية والدينية والاجتماعية. وكان أول ما ناقشه هو أصل هذه العائلة الذي قد يكون حسب زعمه ليس من شمال الأطلس الكبير (من موطن بني ماكَر إلى تلوات) لكن من تونزولين في درعة الوسطى نحو الشمال. وهذا يتطابق مع حركات الهجرات التقليدية التي عرفها المغرب عبر التاريخ (جنوب / شمال) وبذلك تكون هذه العائلة إحدى العائلات التي نجحت في الصعود إلى السلطة في إطار اللعبة القبلية التقليدية من الدور المحلي الداخلي إلى الدور الجهوي ثم المخزني في خلال قرنين من الزمان.

وإذا اعتمدنا هذه الأطروحة فإن "المزوار" اللقب الذي عرفت به عائلة الأكَلاوي يصبح له معنى الزعامة القبلية الحربية والسياسية، ويعني لغة "أمزوار" أي الأول في الأمازيغية، وقد يعنى كذلك الابن البكر أو يكون مأخوذا عن النظام الفلاحي وإنتاج البواكر، وهذا المدلول موجود في المنطقة كتصنيف للأراضي بين التي تزرع باكراً والتي تؤخر (أمازوزي - أمازْور) وانتقل هذا المعنى الفلاحي الموسمي إلى المعنى الاجتماعي السياسي والقبلي. لكن مع العلم أن هذا المفهو كان قديما في القاموس التاريخي المغربي منذ العهد الموحدي.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 14، 15 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9.

Ch. De Faucault, *Reconnaissance au Maroc* ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; M. et E. Gouvion, *A'ayan al Maghrib al Aqsa* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*.

**الأكَلاوي، إيبيْبضْ، محمد** بن الحاج أحمد بن الحاج الراضي، لا يعرف تاريخ ولادته بالضبط، لكن من المحتمل أن يكون ولد فيما بين سنتي 1820 و1825. وهذا الاحتمال يرجع بنا إلى تاريخ مساعدته لأبيه القائد أحمد الأكَلاوي المزواري ونيابته عنه، وكان عمره يقدر آنذاك بأكثر من خمسة وعشرين عاما. كما أن هذا الاحتمال يسانده تاريخ زواج محمد إيبيبض للمرة الأولى من للا تاكَرّامت (السيدة المرابطة) وإنجابها لابنه الأول محمد. وهذا كله ضمن إطار مجتمع أعيان البادية المغربية في مغرب القرن التاسع عشر الذي كانت تسيطر عليه عادة الزواج المبكر جدا. وإشراك الابن البكر في تسيير شؤون الأسرة والقبيلة.

أما "إبيبض" فتعني الذري الصغير وهو طائر نحيف ضعيف، قد يكون أطلق عليه لنحافة جسمه أو لأنه كان أقرع الرأس. وليس في ذلك أي علاقة سر سحرية أو دينية كما ذهب إلى ذهب گوفيون (Gouvion) في مقاله عن أصل العائلة ولقب المؤسس، من أن الطائر الدري كان شبه مقدس لدى سكان الجنوب ونظرا لاصول العائلة وعلى الخصوص، ميلاد محمد إبيبْض من للاَّ تاگرامت التي عرفت بللا تيبيبطت. وهذا الاحتمال الأخير يتناقض مع الرواية الشفوية والأخبار الباقية في ذاكرة مسنّي المنطقة وكذلك لدى حفدته.

وصل القائد محمد إبيبْضْ إلى زعامة قبيلة أگلاوة الشمالية خلفاً لأبيه القائد أحمد الأگلاوي المزواري في بداية العقد الخامس من القرن التاسع عشر الميلادي حيث عين في سنة 1855 قائدا على عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام. لكن هذه القيادة كانت إذ ذاك تابعة لقيادة عائلة الزمراني صاحب الدير الشمالي والجنوبي. وإذا كان تاريخ رأسة عائلة الأگلاوي قد بدأ من هذه المرحلة فإن تاريخ المراحل السابقة ما يزال يكتنفه الغموض والمعلومات التاريخية قليلة، في حين أن الآراء والأطروحات تتناقض، وأصبح اليوم من الصعب إثبات أو نفي كثير من هذه المعلومات، ولو أن أغلبها بنيت عليه دراسات وسير ذاتية عامة لأقطاب أو زعماء هذه العائلة، كالمدني والتهامي دون الوصول إلى إثبات موضوعي مبني على وثائق تاريخية معروفة.

لقد ظهر القائد محمد الأگلاوي المزواري إبيبْض على الساحة السياسية في أواسط القرن الماضي كما أسلفنا. وقبل نهاية الخمسينات أصبح قائد قبيلة أگلاوة الكبرى (الشمالية ثم الجنوبية) سنة 1855 حين عين من طرف السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام بظهير، وكان أول قائد مخزني مكلف بالجنوب في هذا العهد، وبذلك استقلت قبيلته عن قيادة عائلة الزمراني. ومعه انتقل دور العائلة من الاشتغال بالتجارة المحلية (في الملح خصوصا) ومراقبة الطرق التجارية بين مراكش وتافيلالت ودرعة ودمنات إلى الزعامة القبلية والانتماء إلى الإطار المخزني. وقد عمل على توسيع نفوذه فتأتّى له ذلك بعدما استطاع القضاء على الزعامات المحلية الأخرى المناهضة والمنافسة داخل قبائل أهل ورزازات وزگيطة (أيت واوزگيط) وفي سنة 1864 م، أي بعد حرب تطوان والمشاكل المالية الناتجة عنها، ونظراً للدور الذي لعبه في أداء أموال طائلة للمخزن، أضيفت إلى قيادته قبائل أخرى محاذية لمجال قيادته نحو الشرق وهي إمغران وأيت سدرات ودادس وتودغة (تادغوت) وهي التي تمر الطريق الرابطة بين تافيلالت ومراكش عبر أراضيها. وكانت هذه أول مرحلة توسعية في إطار القيادة المخزنية. أما المرحلة الثانية فهي تضم القبائل المجاورة لأگلاوة نحو الجنوب ونحو الغرب وهي مزگيطة وزناگة (إزناگن أو صنهاجة) وتمَّ بذلك القضاء على الزعامة القبلية المتمثلة في عائلة أيت عمرو (العمري) وعائلة القائد علي الورزازي بتامضاخت، وأصبح مجال قيادة الأگلاوي إبيبْض يمتد من تودغة إلى قمة الأطلس الكبير، ومن أعالي درعة إلى قمة توبكال، وهو أوسع ومتكامل بشريا واقتصاديا بين الصحراء والواحات والجبل، تمر عبره الطرق التجارية. وقد لعب هذا المجال دورا أساسيا في قوة هذا القائد حتى وفاته في 4 غشت 1886 وأصبح قاعدة مادية وبشرية لقوة الرؤساء من أبنائه.

وبعد وفاة القائد محمد بن أحمد الأگلاوي إبيبْض ترك عدة أبناء، منهم المدني (1853 - 1918) والتهامي (1876 - 1956) ومحمد (1851 - 1876) وحسي (ت. 1949) وحمادي (ت. 1954) وعلال (ت. 1954) وقد لعب كل واحد من هؤلاء دوراً في ترسيخ سلطة العائلة في مجالها الجهوي والمخزني وبرز اثنان منهم : المدني وزير السلطان عبد الحفيظ، والتهامي باشا مدينة مراكش.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 14، 15 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9.

Ch. De Faucault, *Reconnaissance au Maroc* ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; M. et E. Gouvion, *A'ayan al Maghrib al Aqsa* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*.

محمد أوجامع

**الأگلاوي، التهامي** بن محمد بن محمد بن حمو المدعو إبيبض المزواري ينسب إلى قبيلة أگلاوة قبيلة أمازيغية بجبال الأطلس. وهي مذكورة عند النسابين في عداد مصمودة، وزعماؤها المزواريون يقولون انهم شرفاء من سلسلة الولي أبي محمد صالح دفين مدينة أسفي، في القرن السابع الهجري. كان لهذه القبيلة اتصال قديم بالمخزن ومن ذلك أن السلطان المولى إسماعيل العلوي قد استقبل وجيشه من طرف قبيلة أگلاوة بعدما أدركتهم ثلوج جبال الأطلس أثناء رحلة ملكية من تافيلالت إلى مراكش عبر تيزي نْ تلوات. وتكررت واقعة مشابهة في القرن التاسع عشر حيث استقبل محمد بن حمو الأگلاوي "حركة" السلطان محمد بن عبد الرحمان وسهر على مرورها بسلام من أوعار جبال تلوات التي يتحكم فيها ويعرف شعابها رجاله المحنكون وذلك عام 1864 كما استقبل ابنه المدني الأگلاوي آخر "حركات" السلطان المولى الحسن في نفس الظروف وأسفرت تلك الزيارة الملكية عن تعيين المدني الأگلاوي خليفة للسلطان على أگلاوة والقبائل المجاورة لها.

التهامي هو الابن الثالث لمحمد بن حمو إبيبض ولد له بتلوات من زوجته زهرة الملقبة بأم الخير عام 1878. وتلقى دراسته الأولى بزاوية "سگر" بأوريكة قرب مراكش، فحفظ القرآن بأكثر من رواية واحدة واهتم بالفقه اهتماما خاصا حيث حفظ عن ظهر قلب *مختصر الشيخ خليل* وأخذ علوم العربية عن عدد من العلماء الكبار أمثال سيدي المدني الوفراني. ولم تشغله اهتماماته السياسية عن القراءة ومجالسة العلماء والعناية بهم والبحث عن المخطوطات وليس أدل على ذلك من خزانته العظيمة الغنية بنفائس

المصنفات. كان لشقيقه المدني الفضل الأكبر في تربيته العسكرية، فقد لاحظ فيه منذ صغره الاستعداد الكبير والمهارة النادرة ليجعل منه رجل حرب كبير. ولم يكن المدني ليخطئ في فراسته هذه بحيث تألق التهامي في أولى معاركه وهو ابن الخامسة عشرة. وقد خاض هذه المعارك ضد قبيلة أيت واوزگيت وقبيلتـي مسفيوية وغيغاية دفاعا عن قبيلة أوريكة وهو فيها إذ ذاك طالب علم. كما ظهرت خصائصه العسكرية في الحركات المخزنية ومنها محاربة كل من الروگي الطاهر بن سليمان اللاجئ بالرحامنة والروگي بوحمارة اللذين حاربهما السلطان المولى عبد العزيز. بدأ التهامي الأگلاوي حياته السياسية بتعيينه على رأس اگلاوة والقبائل المجاورة لها من طرف أخيه المدني الذي استقر بمراكش بالقرب من الخليفة السلطاني المولى عبد الحفيظ. ولما تم الأمر لمولاي حفيظ وأصبح سلطانا على المغرب في أواخر عام 1907 عين المدني الأگلاوي قائدا للجيوش الشريفية وعين شقيقه التهامي باشا على مدينة مراكش في بداية عام 1908. وبعد استتباب الأمر للمولى عبد الحفيظ واستقراره بمدينة فاس عين المدني صدرا أعظم وحرر ظهير التعيين الرسمي لأخيه التهامي باشا مراكش وهو يحمل تاريخ 19 جمادى الثانية 1327 / 8 يوليوز 1909.

ولما التفت المولى عبد الحفيظ عن زعماء اگلاوة لأسباب لا داعي لذكرها هنا نزع المدني من الصدارة العظمى وعين مكانه "المقرى" ونزع أخوه التهامي من باشوية مراكش وعين مكانه أحد المخلصين الأوفياء للسلطان هو إدريس أمنو وذلك في أواسط عام 1911 م.

التهامي الأگلاوي
باشا مراكش

وفي نهاية العهد الحفيظي استطاعت فرنسا بضغوطها أن تفرض حمايتها على المغرب، وكان على زعماء اگلاوة أن يتخذوا موقفهم من الوضع الجديد اعتبارا لنفوذهم في الحوز، وربما كان التهامي مثلا يرى في الحماية الفرنسية مؤشرا للنهوض بالمغرب وادخال اصلاحات على مستويات متعددة كان المغرب بحاجة واسعة إليها في ذلك الوقت. وعلى أي حال فإنه قام بمبادرات إيجابية اتجاه الدولة الحامية، من ذلك إنقاذ مجموعة من الفرنسيين على رأسهم القنصل ميگري (Maigret) من قبضة المتطلع إلى الحكم أحمد الهيبة وتسليمهم للقائد الفرنسي الكولونيل مانجان (Mangin). وفي شتنبر 1912 عين التهامي من جديد باشا على مراكش بأمر من المولى عبد الحفيظ بعد التوقيع على عهد الحماية باقتراح من الدولة الحامية، ومنذ هذا التاريخ والتهامي يشارك في الحملات العسكرية المتوالية بجنوب المغرب من أجل تهدئة قبائل هذه المناطق. وأولى هذه الحركات تلك التي حارب خلالها أحمد الهيبة الذي فر من تارودانت إلى جهة الصحراء، وقد عين التهامي أحد أنصاره وهو حيدا أوميس باشا على هذه المدينة وخليفة للمخزن على منطقة سوس.

وعلى الرغم من موافقة الباشا التهامي الفرنسيين على سياستهم التي يعتقد أنها اصلاحية فإن مساعداته "وحركاته" العسكرية التي امتدت إلى عام 1934 لم تكن في خدمة الحماية بقدر ما كانت من أجل تثبيت نفوذه على الجنوب وتوسيع منطقة حكمه. يظهر أن التهامي كان أقل حماسا من أخيه في خدمة الفرنسيين بحيث كان يخفي عليهم مخططاته السياسية وأهدافه العسكرية بل ربما اتصل بدول أجنبية أخرى كألمانيا وإنجلترا ليضيق الخناق عليهم ويحد شيئا ما من نفوذهم الشيء الذي جعل الوزير الفرنسي في الدفاع "دلاديي" (Daladier) يقول : "إن التهامي يشبه كلبا بلا ذنب لا نعرف أبدا ما يفكر فيه".

وفي 14 غشت 1918 توفي المدني الأگلاوي فقررت فرنسا في شخص مقيمها العام بالمغرب ليوطي منح الباشا التهامي زعامة قبائل أگلاوة بالإضافة إلى باشوية مراكش على الرغم من معارضة رئيس الإقليم الجنرال دولاموت De Lamothe الذي كان لا يحبذ أن يجمع التهامي بين المهمتين معا. ومنذ ذلك الوقت ازداد نفوذ أگلاوة امتدادا بفضل شخصية التهامي القوية ودهائه السياسي. ولم يسع الفرنسيين إلا أن يساعدوه على توسيع هذا النفوذ الشيء الذي جعل خصومه ومعارضيه أمثال القائدين الطيب الگندافي وعبد المالك المتوگي يدورون في فلكه. وفي سنة 1934 توفي ابن أخيه السيد حمو قائد تلوات الذي كان يقف حجر عثرة في وجه الامتداد الفرنسي بإيعاز من التهامي فاستطاعت الحماية أن تستكمل سيادتها على المناطق الجنوبية وأصبح الباشا الأگلاوي الحاكم المطلق على الجنوب المغربي من مراكش إلى تخوم الصحراء. انتهت إذن المعارك "والحركات" وساد نوع من الهدوء والاستقرار جعل الباشا يتفرغ للشؤون السياسية والاقتصادية حيث بدأ يشتغل بالتجارة والفلاحة فنمت ثروة أگلاوة التي كانت ثروة كبيرة منذ القرن التاسع عشر. ويستنتج ماكسويل (Maxwell) أن زعماء أگلاوة على خلاف قواد الأطلس لم يؤسسوا ثروتهم على النهب والسرقة بل كان لهم معدن ملح كبير قرب "تلوات" وكانت تأتيهم القوافل من موريطانيا والصحراء والسودان وواحات الجنوب المغربي بل وحتى من داخل المغرب لتشتري الملح، وعلى الرغم من تشغيل مائتي رجل آنذاك فإنهم لم يستطيعوا تلبية رغبات جميع هذه القوافل. فثروة الأگلاويين إذن قديمة وازدادت نموا على عهد الباشا

التهامي الذي أعطته فرنسا عددا من الامتيازات مكنته من توسيع هذه الثروة. وعلى الرغم من موافقة الباشا على سياسة فرنسا الإصلاحية فإنه كان أكثر الناس إخلاصا وأكثرهم حبا ووفاء للمخزن، ولم يكن هذا الوفاء والإخلاص إلا استمرارا وامتدادا لإخلاص أجداده وتقديرهم للأسرة الشريفة.

وإذا تمخضت الأحداث السياسية أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات عما سمي بالخلاف بين الباشا والقصر فإن الأكلاوي لم يكن على ما يبدو سوى ضحية صراع كبير متعدد الجوانب والأشكال، هو في بعض وجوهه لون من ألوان الصراع بين القديم والحديث. وقد كان باشا مراكش، ولم يكن وحده، يمثل هذا الوجه العتيق للقوة الاجتماعية في تصوره لمستقبل البلاد ولتحرر المرأة وتفتح التعليم وكانت أشد مواقفه حرجا تتمثل في قمعه لعدد من الشباب الوطنيين، ولم يكن له أن يكتسب وعيا سياسيا جديدا إلا من خلال الأحداث، لذلك بادر، بعد ضرر غير قليل، إلى التكفير عن تلك الأعمال عندما تخلى في خريف 1955 عن دور المتمرد الذي ألصقه به رجال الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب، وذلك أن الأكلاوي قد صرح يوم 22 أكتوبر 1955 بأنه يبايع السلطان الشرعي سيدي محمد بن يوسف ويطالب بإعادته فورا إلى عرشه، فنزل ذلك التصريح كالصاعقة على المتشددين الاستعماريين وقطع عليهم الطريق في مرحلة النزع الاستعماري الأخير الذي كان من المحتمل لولا موقف الأكلاوي أن ينقلب إلى فاجعة أخرى. وعلى الرغم مما قيل في هذه الفترة الحاسمة في تاريخ المغرب المعاصر فإنها لا تزال بحاجة إلى دراسات تاريخية علمية متأنية تمكن من إبراز الجوانب الحقيقية لمجرياتها وخلفيات هذه الأحداث وأبعادها.

ومما وقع عليه الاتفاق بين معاصري التهامي الأكلاوي أنه كان محبا للعلم والعلماء ولم يذخر وسعا في تشجيعهم ومساعدتهم. ومن آثاره في هذا المجال دفاعه عن إدخال النظام لجامعة ابن يوسف بعد أن كان مقتصرا على القرويين. وقد تم هذا ابتداء من شتنبر 1939 كما ألح على إحداث السلك النهائي في نفس الكلية عام 1943. ولم تقتصر عنايته على الفقهاء والعلماء بل شملت كذلك الأدباء والشعراء سواء في داخل المغرب أو في خارجه. ومن الذين امتد إليهم نواله وعطاؤه أمير الشعراء أحمد شوقي لما كان في منفاه بإسبانيا. وكان قد تم لقاء بين الرجلين في القاهرة عام 1905 لما كان الباشا في طريقه إلى الحج. كما استفاد منها كذلك أحد شعراء لبنان الكبار رشيد مصوبع الذي مدحه بقصيدة طويلة يقول في مطلعها :

دع كل شعر غابـر وعتيـد    وخذ البدائع من يراع رشيد

دع كل شعر غير شعر قلته    ليس النهيق محاكي التغريد

وإن اهتمامه بالعلم والعلماء مكنه من جمع خزانة كتب مهمة تحتوي على عدد من النوادر والنفائس، وكان قد أمر بتحبيسها على خزانة جامعة ابن يوسف، ويوجد قسم منها اليوم محفوظا بالخزانة العامة بالرباط تحت حرف ج. وكان يطبع الكتب على حسابه الخاص نذكر على سبيل المثال *إيضاح الأسرار المصونة في الجواهر المكنونة* للعلامة أحمد بن سليمان الجزولي الرسموكي والكتاب مطبوع بالقاهرة. وكان التهامي يعطف على الضعفاء والفقراء ولا سيما في الأعياد وفي المناسبات الدينية، وقد توج هذه العناية بتأسيس ملجأ خيري لأبناء المعوزين عام 1934. وكان قد أقام حفلا كبيرا وقت تدشينه فتم استدعاء الأعيان والكبار وألقى شاعره الكبير محمد بن إبراهيم شاعر الحمراء قصيدة خلد فيها هذا العمل الجليل يقول في مطلعها :

كيف المآل إذا تكون الحال    بالجوع يقضي نسوة ورجال

وقد توفي الباشا الحاج التهامي المزواري الأكلاوي يوم 21 فبراير 1956 ودفن بضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي أحد الرجال السبعة بحومة روض العروس بمراكش.

M.H. Lyautey, *Paroles d'action*, Colin, 1927 ; G. Babin, *Le Maroc sans masque "son excellence"*, G. Ficker 1932 ; M. Bernard, *La pacification du Maroc*, 1907-1934, 1936 ; Cap. Schoen, *Le Pacha de Marrakech*, (notice dactylographiée, 1938); R. Barrot, *Justice pour le Maroc*, éd. Seuil, 1953 ; R. Montagne, *Révolution au Maroc*, éd. France-Empire, 1953 ; G. Granval, *Ma mission au Maroc*, Plon, 1956 ; J. et S. Lacouture, *Le Maroc à l'épreuve*, Seuil, 1958 ; A. Juin, *Le Maghreb en Feu*, Plon, 1957, Mémoires II, Fayard, 1960 ; G. Elgey, *Histoire de la quatrième République*, T1 et T2, Fayard, 1965 et 1968 ; H. Bleuchot, *Les libéraux Français au Maroc 1947-1956*, 1973 ; S. Berriau, *Simone est comme ça*, Laffont, 1973 ; N. Nataf, *L'indépendance du Maroc*, Plon, 1975 ; Hassan II, *Le Défi*, A. Michel, 1976 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, T 2, Rabat, 1977 ; Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes* (notamment pp. 22-229).

أحمد شوقي بينبين

**الأكلاوي، حمادي** بن محمد إبيبض المزواري، أمه للا سعادة، الزوجة الثالثة لمؤسس العائلة الأكلاوية وهو أكبر إخوته من أمه : حسي قائد قصبة مراكش، وعلال قائد دمنات وأحوازها.

ومن المرجح أن يكون حمادي قد ولد في بداية العقد الثامن من القرن التاسع عشر الميلادي. وهذا الاحتمال تسانده الرواية الشفرية القائلة بأنه هو وإخوته كانوا صغارا لما توفي أبوهم القائد محمد إبيبض عام 1886 وعاشوا تحت رعاية أخيهم الكبير المدني.

عين القائد حمادي خليفة للقائد حمو على قصبة ورزازات وأحوازها القريبة من سنة 1923 إلى وفاة القائد حمو عام 1937 تم خليفة للباشا التهامي ولابنه إبراهيم الذي خلف القائد حمو في قيادة جنوبي الأطلس الكبير.

سكن القائد حمادي قصبة تَوْريرت حتى وفاته سنة 1954. ولا زال أولاده وحفدته يمثلون فرع عائلة الأكلاوي المزواري بموطنهم الأصلي ورزازات.

**الأكلاوي، حمّو** أومْحمّد بن محمد (الكبير) بن محمد إبيبض، ويدعى أيضا بلسان قومه : مُحَنْد أومْحمد، جدته لأبيه هي للا تَكْرُامْت من عائلة المرابطين المعروفين بالسعدانيين (إيدْ ويسَاعْدْن) بتلوات. أما أمه فهي للا إيجَّة بنت أحمد شيخ قبيلة أهل ورزازات وكان مقر زعامتهم بتاسافت.

ولد حمو عام 1876 بعد مقتل أبيه وكفله جده حتى وفاة هذا الأخير عام 1886 وانتقال الزعامة إلى عهد القائد المدني. وحفاظا على ترابط أفراد العائلة، وعلى عادة سكان البادية وخصوصا الزعامات المحلية تزوج القائد المدني للاّ إيجّة أحمد.

وهكذا اجتمع للقائد حمو من الحسب ما لم يجتمع لغيره من المزواريين الأگلاويين مما رفعه إلى منزلة عمه القائد المدني وهو ما يزال صغير السن. وقد استطاعت أمه أن تستغل هذا الوضع الخاص حتى تم إسناد قيادة قبائل جنوب الأطلس كلها إلى القائد حمو وهو دون سن الرشد، وذلك منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي إلى سنة وفاته عام 1937 في حين أنه لن يعيّن بصفة رسمية في هذا المنصب إلا في عام 1910 أيام السلطان المولى عبد الحفيظ بعدما تزوج أخت القائد حمو من أمه وهي للاّ ربيعة بنت المدني.

استقر القائد حمو بتلوات - المقر الرئيسي للعائلة - وبقي يسيّر شؤون قبائل الجنوب من أعلى الأطلس الكبير إلى تُدغة شرقا ودرعة جنوبا كقائد شبه مستقل.

عرف عن القائد حمو عطفه على القبائل التابعة لقيادته، وكان يدافع عنها ضد ضغوط عمه التهامي وأساليبه في القيادة والتسيير. وكان يخص بهذا العطف قبائل أخواله أهل ورزازات وأصهار عائلته وزگيطة (أيت اوزگيط) وإمغْران.

وبعد وفاة القائد المدني عام 1918 وتولي التهامي زعامة العائلة رفض القائد حمو دخول القوات الفرنسية إلى مجال قيادته للقضاء على مقاومة قبائل أيت سدْرات ودادّس وأيت عطّا، من أجل ربط تافيلالت - والجزائر - بمراكش عبر أعالي وادي درعة، وهي مقاومة اشتدت ما بين عام 1921 وعام 1929، واعتبر في حينه حسب الرواية الشفوية، هذا التدخل بمثابة نصرة النصارى على المسلمين، وتدخلا لعمه وللقوات الفرنسية في شؤون قيادته. وقد تسببت له هذه المواقف في متاعب كثيرة تجاه عمه التهامي وتجاه الجيش الفرنسي حتى سنة وفاته، 1937.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; E. et M. Gouvion, *A'yan al Maghrib al Aqsa*, pp. 33 - 352 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech.*

محمد أوجامع

**ألأگلاوي، عبد الملك** بن المدني، تولى قيادة ولتاتة وفطواكة واستقر في دمنات باقتراح من والده المدني الأگلاوي وعمه التهامي وبموافقة الدولة عام 1331 / 1913. وفي ذلك العهد دخل الفرنسيون إلى دمنات. وقد أطاع معظم فطواكة وولتاتة لعبد الملك بعد تمردهم على عمه علال من قبل. لكن أهل المرتفعات من ولتاتة برئاسة أولعيد أحساين تحركوا للهجوم على دمنات، وكان هذا الشيخ على اتصال بالمرابط الحنصالي سيدي محا. ولكن مدافع القوات الفرنسية شتتت جموع أولئك المُغيرين.

وقد عزم الفرنسيون على غزو قبائل أيت مساض وأيت محمد التي كان المرابط الحنصالي يتزعمها، فجهزوا حركة لذلك أشركوا فيها المدني الأگلاوي وعاملي هنتيفة أوراغ وأشطو ومع ثلاثتهم مقاتلو عمالاتهم. وكان عبد الملك في حركة فطواكة وولتاتة التي ترأسها محمد أبلاغ، وقد أصيب عبد الملك في ذلك القتال فمات في شوال 1336 / 1918. ودفن بضريح سيدي أحمد أمنديل بدمنات. وقد اغتم لذلك والده المدني ولما رجع إلى مراكش لم يخرج من داره حتى مات في الشهر الموالي.

**الأگلاوي، علال** بن محمد، أخو الأگلاويين الشهيرين المدني والتهامي. عند ما تولي المولى عبد الحفيظ ملك المغرب، وصار المدني الأگلاوي وزيرا في سلطته، دفعت الأسرة الأگلاوية بحدود نفوذ قيادتها على قبائل الأطلس نحو الشرق لتحقيق أطماع قديمة في الاستيلاء على دمنات، ولا سيما بعد أن تحول جزء من تجارة الواحات الصحراوية مع شمالي الأطلس إلى ممر فدغات الذي يفضي إلى دادس فرارا من العطاء في ممر تلوات والأسواق التي كان يراقبها الأگلاويون قديمة كانت أو مستحدثة.

فدبرت مؤامرات مع رؤوس الأمر في فطواكة ودمنات لتمهيد دخول علال الأگلاوي قائدا إلى دمنات التي كان يحكمها من لدن المولى عبد العزيز أحد أعيانها المدعو الحاج محمد أبلاّغ منذ 1904. وقد أفلح علال فيما رامه عام 1909 بعد قتال قضى فيه أبلاغ. وأخذ يعمل انطلاقا من قصبة دمنات لتمهيد القبائل الجبلية ولكنها استعصت عليه.

وعندما أبعد مولاي حفيظ الرئيسين الأگلاويين من الحكم تولى أمنو باشوية مراكش وعُين الناجم الأخصاصي قائدا على دمنات فخرج منها علال لمدة سنة. حتى تمكن الفرنسيون بانعقاد الحماية فعاد علال إلى دمنات، ولم يفلح في استمالة قبائل الجبال التي تحزبت ضده مستنكفة من قمعه وسوء تدبيره، وكان العصيان ضده برئاسة شيخ فوقاني من أيت بلال من ولتاتة يدعى أولعيد أحساين. حينئذ رأى المدني الأگلاوي أن يستدعي أخاه علال وأن يعين مكانه بدمنات ولده عبد الملك بن المدني.

**الأگلاوي، عمر** بن المدني، بعد مقتل أخيه عبد الملك في غزو الأطلس الكبير الأوسط (أيت مَحمد) في شوال 1336 / 1918 ووفاة والده المدني في ذي القعدة عام 1336 / غشت 1918، اقترحه عمه التهامي الأگلاوي بمرافقة إدارة الحماية ليتولى قيادة إينولتان. فاستقر في قصبة دمنات ومنها زاول حكم الجبال المجاورة في إطار النظام القائم إلى أن توفي يوم الجمعة 9 غشت 1957.

حج وغلب عليه اسم الحاج عمر وربما نُعت بالفقيه. تجانيّ الطريقة. كان له طلب سابق. اهتم بالبحث في تاريخ دمنات وجهاتها، ونسب له محمد المختار السوسي تاريخا في الموضوع (*المعسول*، 1 : 24)، وذكر ابن سودة هذا التاريخ وسماه : *الالتفات إلى تاريخ دمنات* (*دليل*، 1 : 31). وهذا

المصنِّف لم يظهر للعيان ولم يفلح من طلبه عند بعض ورثته. كانت لعمر الأكلاوي خزانة كتب بيع طرف منها بعد وفاته. وفيها عثر العدل أحمد نجيب الدمناتي على أوراق من مسودة التاريخ المشار إليه أعلاه، وأدرج ما فيها في مصنفه حول تاريخ دمنات المسمى *بالقول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع* (مخطوط).

م. الغجدامي، *التسلي* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ أ. نجيب، *القول الجامع*.

أحمد التوفيق

**الأكلاوي، المدني** بن محمد إبيبض المزواري. هو الابن الثاني للقائد محمد من زوجته للا سعادة. ولد بتلوات في الأطلس الكبير وبها تربى ودرس على يد الفقيه الهسكوري الذي استقدمه أبوه لتعليم أبنائه. وكان المدني يساعد أباه في تسيير شئون القبيلة ومجالسة أعيانها لأن الابن البكر محمدا كان ميالا للراحة. ومنذ ذلك الحين أصبح المدني على دراية بعديد من الشئون والمشاكل والعلاقات وهو دون سن الرشد.

ولما توفي أبوه القائد محمد إبيبض المزواري سنة 1886 أسند إليه السلطان المولى الحسن قيادة القبائل التي كان أبوه يحكمها. لكن المدني، الذي استفاد من انضباط عدد من القبائل داخل حكم أبيه بدأ في توسيع مجال سلطته نحو الشرق والشمال في اتجاه تافيلالت ومراكش. ولما مرت المحلة السلطانية في شتاء 1892 عبر أراضي قيادته استقبل السلطان المولى الحسن أحسن استقبال، وكانت نتيجة هذه الحفاوة هي رضى السلطان على القائد وتزويده بمعدات حربية حديثة من بنادق وأسلحة ثقيلة كان في حينها لا يتوفر عليها إلا المخزن وكان لهذه الأسلحة أثر كبير في تقوية نفوذه، وفي استعماله سر سرعة انتشار دائرة سلطته في القبائل وضد القواد الآخرين. وقد عين السلطان في تلك الأثناء القائد المدني على تافيلالت، لكن هذا المنصب الجديد رغم أهميته لم يصرف القائد المدني عن محاولات توسيع مجال سلطة عائلته في الأطلس الكبير الأوسط في اتجاه مدينة دمنات، ولا عن ضم آخر القبائل التي تفصل أراضيها بين مركز سلطته بتلوات ومراكش، وهذه القبائل هي فطواكة وغجدامة ومسيوة حيث كان مجال قيادته قبل نهاية القرن بقليل، وقد شبه روبير مونطاني مجال سلطته بمجال القواد الكبار في عهد الدولة المرينية وعهد ابن خلدون.

لقد كان منطق الأحداث إلى هذا الحد في تاريخ عائلة المزواريين الأكلاويين يسيطر عليه الطابع المحلي والقبلي والجهوي. لكن مع نهاية القرن وبداية الظرفية الجديدة المعروفة بالسير الاستعماري نحو احتلال المغرب تولد منطق جديد مرتبط أساسا بالتحولات الكبرى التي شهدها المغرب في عهد السلطان عبد العزيز وطغيان العامل الخارجي على سير الأحداث وسرعتها. وانتقل معه دور العائلة المزوارية من المستوى الجهوي إلى قالب الجهاز المخزني.

فعندما ظهرت ثورة الجيلالي الزرهوني (أبو حمارة) شارك المدني الأكلاوي وأخوه التهامي في محاولات المخزن العزيزي في إخماد هذا التمرد وساندا السلطان بالمال والمقاتلين من التابعين لقيادتهما بالجنوب. وقد أدى عدد من الملابسات الظرفية إلى تحول الأكلاويين عن تأييد مولاي عبد العزيز ولعبوا دورا في مبايعة السلطان المولى عبد الحفيظ. ويرى صاحب *الإعلام* أن دخول الفرنسيين إلى الدار البيضاء وإلى الشاوية هو السبب المباشر في هذا التحول وقد حذا حذوهم عدد من القواد الكبار في التراجع عن مساند السلطان مولاي عبد العزيز ومناصرة السلطة الحفيظة في نفس المرحلة باستثناء القائد عبد المالك المتوگي.

وكانت نتيجة هذا التحول في العلاقات والتحالفات الظرفية هي انتقال سلطة المدني الأكلاوي من مستوى القبيلة والجهة إلى مستوى المخزن المركزي، إذ عينه السلطان عبد الحفيظ وزيرا للحرب. وهذا المنصب هو أخطر منصب في الظرفية الجديدة التي دخل إليها المغرب، وأصبح بذلك المدني الأكلاوي صاحب السلطة الحقيقية اعتمادا على مجاله القبلي والقيادي الذي أصبح أكبر مجال قيادي في المغرب بعدما أضيفت إليه قبائل الدير الشمالي المحاذية للحوز ولمدينة مراكش، وكانت خريطة هذا المجال تمتد من درعة إلى نهر تانسيفت. وقد توسعت مع دخول القوات الفرنسية وبداية عهد الحماية (1912). ذلك أن سلطة المدني وأخيه التهامي، باشا مراكش، قد عرفت نوعا من التوقف ما بين سنتي 1910 و1912 لأسباب متعددة، وإن كان أهمها هو علاقة هذه العائلة بالفرنسيين، وهو الشيء الذي أغضب السلطان المولى عبد الحفيظ، سلطان الجهاد. وبعد الدخول الرسمي للمغرب تحت حماية فرنسا وإسبانيا ومبايعة سلطان جديد في شخص المولى يوسف بن الحسن، وتعيين الجنرال اليوطي مقيما عاما أدخل هذا الأخير ضمن سياسته لاحتلال المغرب استغلال عوامل القوة الداخلية والموجودة بالمغرب آنذاك، وكان أهمها سلطة القواد الكبار. ومن ثمة فكر في استعمال هذه القوى لصالحه بدل إثارتها ومحاربتها، بالمحافظة عليها وعلى سلطتها الفعلية والرمزية. وقد استجاب جل القواد الكبار لهذه السياسة، سيما وأن فشل حركة أحمد الهيبة بن ماء العينين كانت تتعارض مع مواقف ومصالح هذه "الأوليغارشية القيادية". لكن رجوع عائلة المزواريين إلى دفة الحكم وتسيير الشئون في هذه المرحلة فرضه موقف الباشا التهامي بكيفية أوضح وكان ذلك بمثابة أفول نجم الوزير - القائد المدني وظهور الشخصية الجديدة الطموحة في زعامة العائلة ومن ورائها البناء القبلي والقيادي والسلطوي. ومنذ هذا التاريخ إلى سنة وفاة المدني 1918 أصبح التهامي هو المحاور المباشر للفرنسيين من جهة كما أنه بدأ في تغيير القواد والسلطات القبلية والأعيان داخل المجال القيادي الذي أسسه أبوه وأخوه. لكن رغم ظهور قوة التهامي فإن الدور الذي لعبه

المدني هو دور بارز وأساسي في بناء قوة العائلة المزوارية - الأگلاوية. فهو الذي سنّ تعيين أبناء العائلة في مناصب قيادة القبائل التي دخلت في إطار أعمال قيادته، وهو الذي بني سلسلة من القصبات في إطار هذه القيادة، أصبحت بمثابة القلاع المحصنة ضد الهجمات من تافيلالت إلى تازارت إلى ورزازات ودادس وإيمغران ووزكيطة ومسفيوة ودمنات... وقضى على القوى الداخلية للقبائل وزعاماتها المحلية مما مكنه بعد من تسيير شئون هذه القبائل بواسطة إخوانه ونقل سلطة عائلته مما وراء الأطلس نحو الصحراء إلى الحوز ومراكش وإلى داخل المخزن المركزي وأصبح صاحب القرار السياسي والحربي في مرحلة خاسمة من تاريخ المغرب.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، الجزء الرابع.

G. Deverdun, *Glawa*, E.I. ; A. Laroui, *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain.*

محمد أوجامع

**أگلّيدْ**، اسم أمازيغي معناه الأمير أو السلطان أو الملك. استعملته النصوص الأجنبية القديمة لنعت ملوك نوميديا : ماسينيسا وأبنائه وغيرهم. والظاهر أنه كان يعني الملك أو الزعيم في مجموع إفريقيا الشمالية، لا يعرف له اشتقاق مؤكد. ولا يعرف ما إذا كان أگلّيد (وجمعه : إگلْدَانْ) يوحي في استعماله الأصلي بمعنى التغلب والقوة أو بمعنى التقديس الديني أو بهما معا. ومن الناس من يرى أن اسم أگليد يذكر باسم جالوت الذي هو عند ابن خلدون ملك البربر قبل أن يسيروا من فلسطين إلى المغرب (*العبر*، 2 : 273)، ولكن الصيغة معروفة في غيره من الأسماء مثل أصْمِّيضْ وهو البرد وأجْدِّيكَ وهو الزهرة إلخ. وقد يستعمل في جهات جبال الأطلس المتوسط اسم أجْدِّيكَ بمعنى أگلّيد.

وقد كان أگليد اسما لبعض الأشخاص أو نُسبت إلى هذا الاسم حصون أو أسوار أو مزارع في العصر الإسلامي، وتسمى بعض الزناتيين باسم گلّداسن أو جلداسن، (بمعنى: تسلطن لهم؟).

وما يزال أهل الأطلس الكبير وسوس والجنوب عامة يستعملون لفظ أگليد للدلالة على السلطان في الماضي أو الحاضر أو عند الحديث عن الملوك المذكورين في القصص، كما يستعملون هذا الاسم مجازا إذا قصدوا ملك النحل (أگلّدْنْ تيزْوَا) أو يقولون "أگليد مَقّْرْن" (الملك الأكبر أو ملك الملوك) وهم يقصدون الله، وأكثر ما يستعملونه في الحلف والاستعطاف.

Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, 1 : 61-100 ; S. Chaker et G. Camps, *Agellid in E. B.*

أحمد التوفيق

## أگلْمامْ ← أگلْمانْ

**أگلْمانْ أزگزا**، بحيرة دائمة توجد في الأطلس المتوسط، ضمن هضبة أجدير التي تشكل الجزء الجنوبي الغربي من القسط الهضبي من الأطلس المتوسط، وفي نفس الوقت الجزء الأكثر ارتفاعا حيث معدل الارتفاعات يتعدى 2000 م بينما تصل على السطوح إلى 2271 م لكن بحيرة أزگزا محاطة بارتفاعات متوسطة، معدلها حوالي 1700 م يمتاز هذا الجزء من الأطلس المتوسط بتجزئ تكتوني حاد مع انتظام كبير في الحوادث على شكل انكسارات متوازنة اتجاهها شمالي غربي - جنوبي شرقي، متقاربة بحيث لا تبعد بعضها عن بعض بأكثر من كيلومترين. إلا أن مداها يبقى متواضعا. وكثرة التضاريس سبب في كثافة آثار التعرية الخطية والكارستية فقد استغلت الكرستة هذه البنية المجزأة وشكلت فيها العديد من المنخفضات، أهمها السهل الكارستي الذي تشغله بحيرة أزگزا.

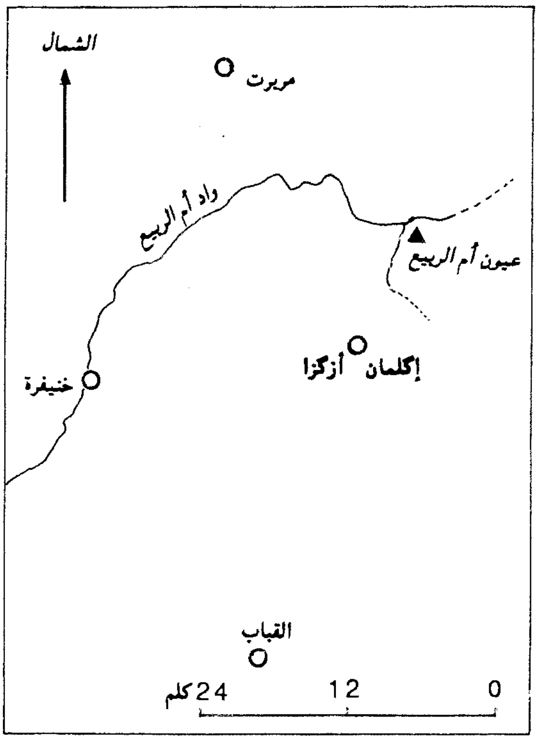


### أگلمان أزگزا

يمتد المنخفض الكارستي على مسافة 4 كلم. وهو أصلا منخفض أوسع من ذلك، تم تجزيئه من طرف سفوح جلمودية ومخاريط انصباب. أصله تكتوني حيث موقعه مقعر منكسر. وتشغل هذا المنخفض فرشة مائية تظهر على شكل بحيرة مركزة في الزاوية الجنوبية الشرقية. وهذه الفرشة المائية تعتبر انطلاق عملية التعميق في هذا الحوض المنغلق.

يَرتفع مستوى مياه البحار في فترات الإمطار الحاد والمستمر. هكذا ارتفعت المياه بعدة أمتار بعد تهاطلات سنة 1963 الاستثنائية، ودام هذا الارتفاع سنة 1964. وفي هذه الأثناء تتصل أزگزا بضاية مجاورة لها تدعى تاحْريشتْ.

وتتراجع المياه أوقات الجفاف بصفة واضحة. وينتج عن هذا النشاط التعرية السطحية في المجالات المهجورة، كاقتلاع المواد الطينية التي تغشي القعر والمتأصلة عن

عملية النزكلة.إزالة هذه الشوائب يؤدي إلى انفتاح الشقوق والمسام الواسعة فتصبح المياه قابلة للتسرب. وبما أن نزول مياه البحيرة يتوازى بعد نزول في مستوى الفرشة الباطنية، فإن بعض المغارات الباطنية المهجورة من طرف الماء تصبح قابلة للانهيار والتهدم فيتكدس السطح وتتكون إثر ذلك حفر تهدل حديثة عمق بعضها يصل حتى 20 م.

وهكذا فان الكرستة المحدودة في السطح على جوانب البحيرة والمتمثلة في حركية قرض الجوانب، وتوسيع المنخفض، تتلوها عملية كرستة متجهة نحو الاعماق، كلما نزع المناخ الى الجفاف. هذا التوالي لفترات الفيض والتراجع يسجل سنويا أو كل سنتين، لكن مظاهره أكثر وضوحا إذا اعتبرنا المراحل الطويلة الرباعية. ذلك ان البحيرة الحالية يعلوها مستوىً مسطح قديم، يظهر في الجزء الجنوبي الغربي، تكون في مرحلة فيض رباعية، وتراجعت عنه المياه، فأصابته التعرية الخطية فخددته إلى متون مستطيلة والمستوى الكارستي الحالي، عل جوانب البحيرة، تعلوه بعض الأكمات الصغرى التي تعتبر جزراً متخلفة لم تسوها آثار الكرستة .

أما فترات التراجع القديمة فتشهد عليها التراكمات المزامنة لانخفاض مستوى المياه. هذه التراكمات سيلية وتتكون من مواد طينية محمرة تحتوي على شظايا من السلكس، متأصلة عن تحليل الكلس وتراكم شوائبه غير الذؤوبة. هذه التوضعات المشكلة لمخاريط انصباب، تقطعها المجاري المائية.

أكلمان أزكزا منخفض كارستي، تطوره مرتبط بالتواتر المناخي البيسنوي والدوري وقد ساهمت العمليات الدينامية الأخرى وخاصة منها السيل في تشكيل هذا الحوض الواسع.

J. Martin, *Le Moyen Atlas Central, étude géomorphologique* - Notes et Mém serv. géol., nº 258 bis, 1981.

عبد الله العوينة

**أگلمانْ أزگّاغْ**، ومعنى أگلمانْ البحيرة، وقد تأتي في نطق بعض القبائل بميم في الأخير : أگلمامْ، وأگلمان أزگّاغ هي البحيرة الحمراء. توجد في جهة أم خنيگ مرزولي في الأطلس المتوسط على بعد 38 كلم من أزرو في طريق تيمحضيت. وهذه البحيرة واقعة في منطقة تضاريس بركانية تتعدد فيها الفوهات البركانية المنطفئة.

**أگلمان سيدي علي**، أي بحيرة سيدي علي أو محند أكبر البحيرات الجبلية في الأطلس المتوسط. على بعد 54 كلم من أزرو في طريق تيمحضيت طولها ثلاثة كيلو مترات، عميقة جدا، تقع على ارتفاع 2000 م. وهي واقعة في منخفض بركاني تنبع مياهها من عيون كثيرة، وعلى جنباتها مراعي قبائل أيت عرفة وإركلاون وقبائل من ملوية في زمن المصيف. وفي البحيرة أسماك وعلى الضفة الجنوبية جرف كلسي تغطيه أشجار البلوط وبينها قليل من أشجار الأرز الشامخة. وفي أسفل هذا الجرف يوجد قبر الولي الذي تنسب إليه البحيرة.

**أگلموس** ـ جغرافيا ـ مركز حضري ينتمي إلى تلك المدن الصغرى الحديثة العهد التي استمدت ديناميتها وحيوتيها من سهولة المواصلات معها، إذ نجدها تنتظم حول محاور الطرق التي أصبحت تشكل أماكن اجتذاب ديمغرافي واقتصادي من نوع متميز. فرغم كون هذا المركز يقع في الهضبة الوسطى ذات الطابع الهضبي الوعر (جنوب هضبة المنت) نجده يأخذ موطنه عند مفترق الطريق الرابطة بين مولاي بوعزة وامريرت والطريق المؤدية من أماس إلى خنيفرة التي تبعد عنه بخمسة وثلاثين كلم في اتجاه الجنوب الشرقي.

فبفضل هذا الموقع الجغرافي المنفتح نشأت هذه البلدة الصغيرة وأخذت مكانها على الضفة اليمنى لواد أگلموس عند قدم مرتفع يطل عليها من الواجهة الشمالية على مدى أرتفاع 1223 م ويرجع تاريخ بروزها إلى العقود الأخيرة باعتبار التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي أصبحت تعيشها المنطقة.

فالقبائل المقيمة هنا مثل أيت مِّي أگلموس وأيت مِّي إيزيار وأيت حمُّو وْحمُّو وإحْبلان وغيرهم يتعاطون نمط عيش نصَف ترحالي يعتمد على التنقل بين المرتفعات المكسوة بالغابات في الصيف والأحواض المنخفضة في الشتاء، أصبحوا يميلون إلى الاستقرار، وبعضهم إلى التموطن بالمراكز الحضرية المجاورة، من بينها أگلموس الذي أصبح يمثل مركز استقطاب حضري هام. فقد تضاعف عدد السكان من 1971 إلى 1982 حيث ارتفع عددهم من 1622 إلى 4092 نسمة، ويرتقب أن يصل هذا الرقم إلى ما يقرب من 8000 نسمة في نهاية الثمانينات إذا ما استمرت وتيرة التزايد على هذا المنوال.

كما أن التحولات الوظيفية التي سجلتها بلدة أگلموس أخيرا لمن شأنها أن تجعل منها مركزا قابلا للتطور، فبالرغم من كون القطاع الفلاحي وخاصة منه تربية الماشية لازال يلعب دورا أساسيا في اقتصادها، فإن أنشطة أخرى مرتبطة بالوظائف الجديدة التي أصبحت تتقلدها مثل التسيير الإداري والخدمات الاقتصـادية والاجتماعية بدأت تتعدد وتتنوع. فقد صار أگلموس يمثل مركز قيادة تابعا لعمالة خنيفرة، الشيء الذي جعله يستفيد في السنوات الأخيرة من تأسيس مصالح عمومية هامة توفر له خدمات تربوية وتعليمية وصحية وبريدية وغيرها. وتعزز دوره التسييري بخلق إدارة تسهر على تعميم الإرشاد الفلاحي بين صفوف الفلاحين ومربِّي الماشية. وانتعشت الأنشطة التجارية بظهور سوق دائم للمواد الغذائية والملابس والأجهزة المنزلية والميكانيكية وغيرها (ما يقرب من مائة دكان) إلى جانب السوق الأسبوعي الذي يقام يوم السبت والذي يعتبر من أهم أسواق المواشي بالمنطقة، بفضل سهولة المواصلات التي تتمتع بها. وتبرز وظيفته الهامة هاته بوجود مجزرة وعدد كثير من الجزارين (ما يقرب من ثلاثين) الذين يزاولون نشاطهم به. كما أن بعض الحرف مثل

الخياطة والحلاقة والتجارة والحدادة وطحن الحبوب بالإضافة إلى إصلاح السيارات والمقاهي ازدهرت واستمدت عناصر نموها من هذه الدينامية الاقتصادية.

وتنظم أغلبية هذه الأنشطة على طول المحور الطرقي ألماس - خنيفرة الذي أصبح يعيشه هذا المركز وصارت التجزءات والبنايات تتعدد وتتكاثر، وبدأت تبرز معالمه المجالية والعمرانية حيث نلاحظ أن التوسع الممتد نحو الأراضي المنبسطة لم يخضع لتهيئة مسبقة، وظهور القطاعات الحضرية المشكِّلة للمدينة يرجع إلى صيرورات عفوية مما جعل السكن ينتشر في غالبية الأحيان في مناطق تغيب عنها التجهيزات الضرورية، وتأخذ عادةً الأزقةُ رغم ضيقها شكلا منتظما ولا زالت غالبيتها غير معبدة. أما السكن فلا يختلف من حيث تنظيمه المعماري ومواد بنائه عن باقي السكن الشعبي المنتشر على هوامش المدن حيث نجده في غالب الأمر غير جاهز ومكونا من دور صغيرة متلاحمة وذات طابق أو طابقين باستثناء الشارع الرئيسي الذي بدأت تظهر فيه بعض العمارات الصغيرة الأنيقة المظهر والتي تأخذ إلى جانب الصومعات الثلاث مكانة بارزة داخل المشهد الحضري لهذه المجموعة التي يوحي مستقبلها بتطور سريع.

*Note de présentation du plan d'aménagement d'Aguelmous*, Ministère de l'intérieur ; *Recensement général de la population et de l'habitat*. 1971 - 1982 ; *Carte Topographique d'Aguelmous* 1973 ; *Enquête sur place*.

عائشة البلغيتي

**أَكْلْمُوس**، - تاريخ - اسم أمازيغي تحمله اليوم قريتان إحداهما بالأطلس الكبير في قبيلة أيت تمنت والثانية ببلاد زيان من الأطلس المتوسط، وتفيد الكلمة في اللغة الأمازيغية المتداولة رداءَ البُرْنس وخصوصا منه القسم الأعلى الذي يُغطَّى بهِ الرأس، لكن بعض الدراسات ترى فيها كلمة مركبة ومرتبطة بموقع كثير المياه، فيكون الشطر الأول منها "أَكَّ" بمعني فوق الشيء، وربما : أَكَّل" أي عَلِّق - بصيغة الأمر - أو عالقٌ في الأعلى ؛ ولْمُوس (أو مُوس) وهو الماء. هذا التحليلَ يعطي معنى يمكن ترجمته ب "فوق الماء" على أن الارتباط بالمعنى الأول قد يكون صحيحا كذلك ولا يتعارض مع الثاني إذ الغالب على الظن أن طوبوغرافية المكانين مخروطية الشكل وتكثر بها المياه في آن واحد.

تقطن بالقرية الثانية، وهي أكبر حجما وأهمية من الأولى، مجموعات من قبائل زيان. والقرية اليوم نقطة اقتصادية هامة بها سوق كبير يعتبر من أكبر أسواق البقر في الأطلس المتوسط.

J. F. Troin, *Les souks marocains*, 2 vol, 1975 ; E. Laoust, *Contribution*, p. 103 ; *Mots et choses*, p. 130 ; L. Mezzine, *Sur l'étymologie du toponyme Sijilmassa*, H. T., 1984, p. 19-25.

عبد العزيز توري

**أكلميم** (أيت مرغاد) ← **كلميمة**

**أكليميم** (تكنة) ← **كلميم**

**أَكْلُو**، يجسد فم تادمة أكلو على الساحل الأطلسي جنوب ميناء ماسة التاريخي إحدى النقط الشاطئية التي جمعت حول اسمها من التساؤلات ما تصعب الإجابة عليه. ومعلوم أن هذا المرسى يتجاوز موقعه ليشمل فصائل أكلو المحيطية. كما أن المعدر المعروف بنفس الاسم يقتطع حيزا متميزا داخل أزَغارنْ - تاسْرا بالمنطقة الساحلية الممتدة بين وادي ألغاس ووادي أدودو. أما فصائل أيت أكلو فتراقب أيضا سلسلة الهضاب المحيطة بما فيها المرتفعات المطلة حوالي ضفتي فم وادي أدودو على المحيط. يجسد هذا الفم مرسى أكلو التي تحد الطبيعة الصخرية للشاطئ من صلاحيتها للإرساء خاصة في فصل الشتاء (R. Montagne, 1930 : 21). وعن حدود تراب أيت أكلو فأيت ماسة وأيت المعدر شمالا وأيت تزنيت شرقا. وأما من الناحية الجنوبية الشرقية فتحدها أيت برييم إلى جوار أيت الساحل على الحدود الجنوبية.

وتجدر الإشارة إلى أنه باستثناء أهل ماسة، فإن أزغارنْ - تاسْرا يشمل علاوة على الوحدات القبلية الآنفة كلا من أيت إسافن وأولاد جرار وأيت جرار لعوينة وأيت أكريـر وأيت الكعدة والخنابيـب. ويضيف لوشاتوليـي Le Chatelier صاحب هذا التصنيف بأن أيت أكلو هي أكثر هذه الوحدات عدة وعددا. فهي تتوفر حسب تقديراته لسنة 1890 على 3000 بندقية و895 فرس مساوية بذلك ضعف كل من أيت برييم وأيت تزنيت كل واحدة على حدة. ولإبراز أهمية هذه الإشارة فهاتان القبيلتان تحتلان مباشرة الصف الثاني (Le Chatelier, 1891 : 9). تنقسم فصائل أيت أكلو إلى أربـع تجزئـات هي : أيت راغـوية أو (أيت أكلو) وأيت إمْجَّاط وأيت إمِّي نكتيرگ وأيت سيدي باركة.

الناظر في الإشارات النادرة حول نشأة وتطور هذه الفصائل يخرج بانطباع يؤكده غياب المكتوب والمروي. ذلك أن ما تمخض عنه التاريخ المحلي ما يزال أكثر عمقا وأبعد من أن يكون قد استكشف كله. فالقرون الأربعة الأخيرة تبدو وكأنها قد حولت أزغارنْ - تاسْرا إلى مسرح لتلاحم التركيبات الإثنية المتباينة اللغة والمنشأ ونمط العيش. على أن مقدرة معدر أكلو على الاستيعاب والمحافظة على بنياته الأمازيغية تعتبر عاملا فعالا مبلورا لمجمل الموجات البشرية على تداخلها وتناقض مكوناتها وفصائلها. ذلك ما يدعو إليه الوقوف عند تنظيم المجال القروي من حيث هو كرسم لخط التطور الالتفافي بين هذه الموجات.

أول شيء يستقطب الاهتمام هو الفرق الواضح بين القصور المحاطة بأسوار تميزها شكلا ومضمونا وبين المداشر المنفتحة على المجال الخارجي. ففي الوقت الذي يحد السور من توارد النازحين يرتبط تنظيم المجال داخل كل مدشر بظاهرة تمايز فصائله المؤسسة لأقسامه. من هنا فإمكانية التراكم بالمداشر يفصح خلافا للقصور عن مكنون ذاتي هش. هذا التمييز بين القصور والمداشر يحدد إشكالية هذه الأخيرة في تكريسها للتحولات التاريخية التي تتبلور في

علاقة كل قصر والمداشر المحيطة به. وهي رؤيا يقدمها لنا تناثر المداشر حول أربعة قصور. فنجد حول قصر إمجّاط أكلو مداشر القصبة وإمي نْ العينة وتيكمًّا مزين والگاع وحربي وازاض، كما نجد حول قصر إمي نْ تارگة مداشر تاگنيت وتجاريفت وتاميليت. أما حول قصر زاوية أكلو فنجد مدشري سيدي الحسين وسيدي احماد، ونجد حول قصر زاوية سيدي وگاگ تالمدات تيسمگنان وتافدنة وتالموشت وتالمودات أفلا وتاملحات وتساميرت (Le Chevalier, 22) نلاحظ بأن قصري إمجاط أكلو وزاوية سيدي وگاگ تتقاسمان أكبر عدد من المداشر التي تساهم في ترسيخ جدلية المجالين القروي والديني. على أن هذا الجرد لم يذكر مجمل المداشر التي تسهم كما وكيفا في ترسيخ التوجه الصوفي لسكان المداشر. فقرية إگرار وحدها تمثل حرارة القرون الماضية (*المعسول*، 12 : 127 ـ 277).

وتتابع قرى أماراغ واد شديد وسيدي داود (*المعسول*، 13 : 361 ـ 365) وانونتگيفا (*المعسول*، 13 : 357) في تقابل وانتظام يربطها بزاويتي أكلو وسيدي وگاگ. ولإدراك ما عسى أن يكون لهذه الجدلية من مدلول بالنسبة للبنيات المحلية يجدر التساؤل عن علاقة المجال بوگاگ بن زلو اللمطي أستاذ مؤسس الدولة المرابطية (*المعسول*، 11 : 32 ـ 37).

يمثل فحص هذه العلاقة أولى الإشكالات الوثيقة الارتباط بالانتساب الديني لفصائل أيت أكلو إلى زاوية سيدي وگاگ. وهي مقابلة نشأت بناء على وجود قبر ورباط وگاگ بعين المكان. وهنا قد نتساءل ما الذي دعا ابن خلدون إلى القول باستقرار وگاگ بسجلماسة (I : 68 ـ 117)؟ لقد أشار ابن عذاري نقلا عن البكري المعاصر لوگاگ بأن مقره كان بمالكوس قرب نفيس (البكري، 303 ـ 364). هذا الرأي وإن أيده الإدريسي (*صفة*، 73) فهو يبدو مخالفا لإشارة ابن الزيات التي لا تخلو من أهمية. فإذا كانت شدة الأمطار قد اقتضت من الوافدين على وگاگ ستة أشهر للرجوع إلى مقرهم بنفيس (ابن الزيات، 90)، فالمدة تتجلى عن مسافة ترجح أكلو أكثر من مالكوس أوتينمل (Justinard, 77-116-117) أو تادرارت بهشتوكة (*المعسول*، 1 : 39). كما أن مما يزيد من صلاحية هذا الاحتمال أن الرباط المؤسس لدولة المرابطين بالصحراء قد أنشئ بدوره بعد استشارة وگاگ على نقطة شاطئية. ولرب نقطة تنضاف إلى "ساحل ماسة" تسببت في الخطأ الوارد في نص ابن خلدون.

وهكذا تعجز المقارنات الممكنة عن فك هذا اللغز ونظل بذلك قاصرين عن تفسير انتماء أيت أكلو إلى وگاگ كجد روحي لا اسمي (*المعسول*، 11 : 37). ففي إطار الاهتمامات المخزنية بعد سنة 1956 جاء هذا القصور مبررا في إضافة مشهد وگاگ إلى الأحباس. ويزيد من تعقيد هذا الإشكال أن أهل أكلو ينسبون لسبب ما الطريقة الناصرية إلى شيخ زاويتهم مبررين بذلك هيمنتها المحلية.

مهما يكن فإن الطابع الصوفي المميز لمداشر أيت أكلو قد ساهم تاريخيا في إحباط المحاولات التوسعية للقبائل المجاورة. لقد شكل هذا الطابع السلاح الأول للطلبة والفقهاء في مواجهة ذوي السلطة العسكرية. وهكذا يمكن أن نتمعن في طبيعة الالفافات المحلية من حيث هي كتجسيد لحساسية العلاقات بين فصائل أكلو نفسها. فالطابع الديني المتميز جعل بعض الفصائل تظهر بمظهر قليلة الشوكة والعصبية. بل يمكن القول بأن هذه الفصائل لا تأبه لكل ما من شأنه تعزيز مكانتها العسكرية بين القبائل.

فنذكر مثلا أن من بين أهل تيخفيست بسملالة هاجر إد عبد الكريم منذ فترة قد تتجاوز ثلاثة قرون إلى أكلو حيث أصبحوا يمثلون وجها من وجوه الزاوية. وبتدهور علاقتهم بموطنهم الأصلي، يكون انتماؤهم إلى زاوية أكلو غير كاف للإبقاء على صبغتهم القبلية (*المعسول*، 4 : 34) وقد نزل آل حسين التمگيدشتيون الگرسيفيون بزاوية أكلو في ظروف مشابهة (*المعسول*، 13 : 277). وهو أيضا ما يمكن أن نقوله عن أهل سيدي مسعود بن إبراهيم من أنامر بأيت موسى الذين يرجع انتماؤهم إلى أهل ساموكت من أيت تيكني (*المعسول*، 9 : 103). لقد عرفت مدرسة سيدي وگاگ الجلاء الگيلوليين مما فتح أبواب الهجرة أمام سليلي الفقهاء والمتصوفة الملتزمين (*المعسول*، 10 : 208).

على أن هذه الصورة الهيكلية تنطوي على فقر كبير إن هي أهملت كيانات أيت أكلو العسكرية المتحالفة مع الفقهاء والزوايا. وتنطوي الملاحظات النادرة عن هذه الكيانات على أهمية خاصة. ذلك أن التناقضات المحلية تلعب دورها في عقد التحالفات بين الغور الأمازيغي المحلي وأيت أنومر والخنابيب ذوي الصبغة الأعرابية (*المعسول*، 9 : 103). وهكذا يلتف أيت أكلو داخل حلف تحگّات حيث تلعب العداوة بينهم وبين حلف إگزُولنْ دور المحرك. كما أن الصراع الدائم داخل نفس الحلف بين أيت أكلو وأيت تزنيت يخدم أساسا أهل أكلو في عدم أداء الضرائب والجبايات خلال مختلف الحقب. وهكذا إذا كان أيت أكلو يحملون هديتهم السنوية إلى زاوية قطب سوس الأول سيدي احماد أو موسى بتازروالت، فذلك لا يعني أكثر من الاعتراف بسلطته الروحية. وهي سلطة وإن أطرت لإعادة هيكلة حلف إگزولن فلن تحول دون أيت أكلو واستقلاليتهم السياسية والقبلية. لقد أرسل أبو حسون السملالي سلطان إگزولن عبد الرحمان بن إبراهيم قاضيا له على أكلو ومداشره المجاورة سنة 1070 / 1660. كما نزل بعض أبناء عثمان بن أحمد الإگراري قاضيا بأكلو واستقر بمدشر إگرار (*المعسول*، 13 : 266). وكان عبد الله بن محمد بن سعيد المشگدادي التيزرگيني من بين الذين أرسلهم أبو حسون للقضاء في أكلو حيث بقي نسله بمدشر أماراغ (*المعسول*، 13 : 282). كما انتشرت الأحكام الفقهية لأخيه عبد الرحمان وأخيه إبراهيم. ولا شك أيضا في أن أبا

حسون قد استعان بمرسى أكلو للتخفيف عن ميناء ماسة خلال القرن السابع عشر. إلا أن الصبغة الدينية لمداشر أيت أكلو وقصورها الأربعة قد حالت دونها وأداء الضرائب والمكوس.

فندرك بذلك لماذا تسبب خراب إليغ عاصمة أبي حسون السملالي في شتات مرسى أكلو وقضاتها مما جعل بعضهم ينزحون إلى أكادير (*المعسول*، 13 : 282).

هكذا وعلى الرغم من أن عداوة أكلو وأهل تزنيت تعد مرحلية فهي لا تفيد في تقلباتها سوى الاعتراف الشكلي بالسلطة المركزية. وهكذا يمكننا الاطلاع على الظهير الحسني الذي تعين بموجبه عبد الرحمان بن إبراهيم بن محمد قاضيا بأكلو (*المعسول*، 13 : 310). وكان لعثمان أحمد أضرضور محاضرات في القضاء تدل على مدى ما تتوفر عليه المداشر من علماء ومخطوطات طافحة (*المعسول*، 13 : 373 ـ 378 ـ 384). ويمكن أن نذكر محمد بن إسماعيل بن أحمد الإكراري قاضي أكلو ومداشره خلال النصف الأول من القرن العشرين (*المعسول*، 13 : 361 ـ 422 ـ 440). كل هذه الإشارات تروى لنا ضمنيا حقيقة العلاقة بين التلقائية الدينية وقانون التعامل مع السلطة السياسية الشرعية.

م. الإدريسي الشريف، *صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس* ـ ليدن ـ 1864 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *مدارس سوس العتيقة* ؛ أ. البكري، *كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، ترجمة دوسلان ـ باريس ـ 1965 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*؛ ي. التادلي، *التشوف*.

A. Le Chatelier, *Tribus du Sud-Ouest Marocain*, Paris, F. Leroux, 1981, 90 p. ; R. Montagne, *Une tribu berbère du Sud Marocain*, Massat, Hesp., T. IV trim., 1924, pp. 405-440 ; *Les berbères et le Makhzen*, Paris, F. Alcan, 1930, 450p. ; Cne Malval, *Les tribus dissidentes de l'annexe de Tiznit*, Archives de la direction des affaires indigènes, 1926 ; *Notes historiques sur l'annexe de Tiznit*, Archives de la direction des affaires indigènes, 1926.

مصطفى ناعمي

**الأكْلُويّي، محمد** بن علي، ينسب إلى قبيلة أكلو المجاورة لتزنيت، بعقيليّ أصلا، فقيه نحوي أصولي، له يد في البلاغة غير قصيرة، تظهر في بنات قلمه شعرا ونثرا. من كبار المتخرجين بالشيخ أحمد التمكدشتي وبابنه الحسن. زاول التدريس بمدرسة إيمي نترگا بأكلو وبمدرسة عين المزوار بهوارة. كان كلفا بالسيرة وبالصلاة على صاحبها مما حدا به إلى شرح *ألفية* العراقي في السيرة وبسببه ذكر بين المؤلفين السوسيين. توفي عام 1296 / 1878.

الأكراري، *روضة الأفنان*، مخطوط ؛ السكرادي، *تحلية الطروس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 201 ؛ *المعسول*، 13 : 209.

عبد الله درقاوي

**إكلي**، الخلط بين إكلي عاصمة منطقة وادي سوس حتى نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وجبل إكيليز القريب من مسقط رأس المهدي بن تومرت، يعد من بين الأمثلة الكثيرة التي تحتم الاهتمام بالبحث الطبونيمي. ذلك لأن هذا الخطأ وثيق الصلة بمنهجية النصوص العربية القديمة والحديثة. وهو أمر مرده إلى كون الجغرافيين ومدوني الأحداث يجهلون بأن أوسع الأعلام انتشاراً ألصقها بالذاكرة المحلية وأكثرها إفصاحاً عن مرفلوجيتها وعطائها الاقتصادي والاجتماعي. ندرك بذلك ما للخرائط المحلية من إسهام، إن هي أحسن استعمالها، في تنمية الحس التاريخي للمجال وفهم البيئة وأسباب التعددات الطبونيمة. فمثلا، إذا ماحاولنا البحث في المعجم الأمازيغي الخاص بأسماء الأماكن من خلال القوائم المتداولة سجلنا التصاق إكلي بعدد كثير منها. هذه الكلمة تفيد الدفع بالقطيع نحو مكان أكثر خصوبة. وهو مايؤيده المراكشي حين يضيف مامعناه الواجة الخضراء (*المعجب*، 187).

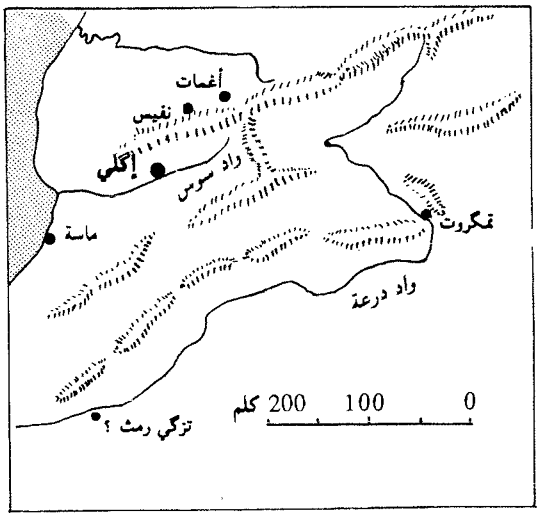


**إكلي**

إن المتأمل في موقع إكلي قاعدة وادي سوس التاريخية يدرك بسهولة ضرورة الشرح الطبونيمي كوثيقة تضاف إلى أدوات المؤرخين وغيرهم (ابن حوقل، 90 ـ 97، البكري، 161 ـ الإدريسي، 72 ـ 73). فهي تتوسط بسيط تَازكَنِّيتْ القريب من تارودانت حيث تبرهن أهمية غابات الزيتون والنخيل بما لايدع مجالا للشك على أهمية الموقع حتى اليوم في تثبيت التسمية وإذا كان ياقوت الحموي ينص على إيجلن (معجم، 415) والزركشي على إكلين (*تاريخ*، 3)، فإن مجمل النصوص الأخرى تتفق على "إكلي". ولعل أهم شهادة لخص بها كتاب *الاستبصار* مرويات سابقيه هي تلك التي أعلن من خلالها أن المدينة كانت عظيمة كبيرة قديمة أزلية أخرج منها عقبة بن نافع سبياً لم ير مثله حسنا (*الاستبصار*، 45). وقد لاحظ محمد المختار السوسي أن صاحب هذا الكتاب قد اقتصر خلال القرن الثاني عشر الميلادي على ذكر المدينة دون جارتها *تارودانت* التي اكتفى المراكشي بدوره بذكرها حوالي أربعين سنة بعد ذلك (*خلال*، 3 : 189).

على أن أسباب هذا الاختزال مهما كانت راجعة إلى اضمحلال المدينة فهي لا تكفي لخلطها بمسقط رأس ابن تومرت بتغمْرت شرقي جبل إكيلِّيز حيث متعبده ورباطه.

لقد برهنت النصوص المعاصرة للمهدي على أنه ينتمي إلى إكلي - انْ - وارْغْن، أي جبل إكيليز ببلاد أرغن (هرغة المصمودية) جنوبي وادي سوس شرق إكلي العاصمة المحلية (البيذق، *المقتبس*، 17 - *أخبار*، 32 ـ 48 ـ 90 ـ 91) على أن من مظاهر الجدة الجذرية التي أتى بها أبو بكر المكنّى بالبيذق تعريبه لأسماء القبائل والأماكن. فجاء تعامله معها تطوعيا جعله يكتفي بإكلي هرغة وإكلي سوس بدل دلالاتهما الطبونيمية الحقيقية. ومن الأكيد أن خاصية محاولته تمكن من تغيير الواقع في إطار خاص يساير مطامح الموحدين ومقاصدهم.

وإذا تساءلنا اليوم عن نتائج هذه الممارسة التي أخذ الموحدون على عاتقهم مسؤولية إنجاحها، اتضح البعد الجسيم لهذا المنعطف كإشكالية مركزية. إننا ونحن بصدد المعنى التاريخي لعلاقة الناس بمجالهم نكشف عن سر فعالية التحليل الطبونيمي. فالواضح أن علاقة الناس بظروف وجودهم تمر عبر بنية تفرض على الناس ولا تمر بوعيهم. وهي إشكالية تتداخل في بعدها الوراثي لتغدو إشكالا إبِستمولوجيا قد يعد من علامات التطور في صيغته التركيبية.

الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، تونس، 1872 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، 568 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، 1 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 254 ؛ أ. البكري، *المغرب*، 212؛ م. الإدريسي، *وصف إفريقيا والأندلس*، ليدن، 1968، 393 ؛ أ. البيذق، *المقتبس*، 60 ؛ *أخبار المهدي* ؛ ابن حوقل، *كتاب صورة الأرض*، بيروت، 1979 ؛ *الاستبصار*.

Levi - Provençal, *Extraits des Historiens arabes du Maroc*, Paris, 1948, p. 85.

مصطفى ناعمي

**أكليم** ← **وجدة** (إقليم ـ )

**الأكماري، أحمد** بن سعيد بن الطيب الأغْرْابُوئي الأكماري نسبة إلى قبيلة إدا كَاكْمارْ السوسية. العلامة الأديب والقاضي، تلقى تعليمه في مسجد قريته، ثم اقتحم العلوم على يد والده، ثم على يد سيدي محمد بن عمرو، والتحق بعد ذلك بالمدرسة الإلغية حيث لازم الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي، ثم أعمل الرحلة إلى فاس فجاور بالقرويين، فاستتم من العلوم الشرعية ما كان يعوزه بسوس. استقر أخيرا بمدرسة تاكاتْرْت، وبعد الاستقلال عين قاضيا شرعيا في عدة محاكم. أورد محمد المختار السوسي مختارات من أشعاره ورسائله ووصفه بالأديب المتفوق.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 106 ؛ رجالات ؛ السكرادي، *تحلية الطروس*، مخطوط.

**الأكماري، الطيب** بن خالد بن محمد ولد عام 1220 / 1893 من الأسرة العلمية الأغرابوئية الأكمارية نسبة إلى قبيلة إدا كاكْمارْ، عالم جليل رباني، تغرب عن بلاده في سبيل التحصيل ثم عاد إليها ليتصدر للتعليم والإرشاد، فشرط في مدرسة بوزَكارْنْ ومدرسة تاكارْت. كان مشاركا في الفتوى وقضاء النوازل فكان محترما معظما مقبول الرأي لا يتخطى حكمه مع بركة وخير وصلاح. أصيب بالعمى قبل وفاته لمدة طويلة، وبالرغم من ذلك فإنه لم يترك التعليم والإرشاد حتى لحق بربه عام 1311 / 1893.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 93.

**الأكماري، محمد بن عبد الله بن سعيد**، من قرية أيت محمد، عالم كبير ذو مقام عال في عصره، كما تدل عليه الفتاوى والأحكام التي صدرت عنه، وربما أدرك أوائل القرن الثالث عشر، وقد وقف المختار السوسي على فتاوى له متعددة في رحلاته الجزولية، وأبوه عبد الله بن سعيد كان علامة مفتيا عاصر أحمد العباسي الشهير، وقد رد عليه العباسي، وبيتهم في قرية "إدْمْحَمَّدْ" بيت علم ويقال لهم إدْ الطالْب سعيد.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 21.

**الأكماري، محمد بن عبد الله بن محمد** البوشكيري، ولد عام 1210 / 1795. ينسب إلى قبيلة إدا كاكمار علامة جليل القدر، جال في التدريس وفي كل ميدان علمي، فقضى وافتى بنزاهة تامة، وقد أتقن السيرة كوالده وتمكن من النحو والفقه والفنون المتداولة، ودرس في تاغلول كثيرا وفي المدرسة الأكمارية. وهو صاحب *المنظومة البوشْكرية* الشلحية المشهورة. توفي عن سن عالية وعن سمعة طيبة عام 1282 / 1867.

م. المختار السوسي، رجالات.

عبد الله درقاوي

**أكْماسْ**، قرية صغيرة في منتصف الطريق بين أزرو وإفران (الأطلس المتوسط)، تستوطنها قبيلة أيت فاسْكا وهو فرع من فروع قبائل إيركلاون (أيت مْكَيلد). والكلمة الأمازيغية مركبة من لفظين : أكْ ويفيد كل ما يوجد أعلى الشيء، وماس ويرتبط بالماء الكثير، وماء السقي. فيكون معنى كلمة أكماس المكان الذي يعلو المساحات المسقية أو المكان الذي لا يصله الماء.

وتحتفظ قرية أكماس الحالية بنماذج من السكن التقليدي العتيق الحاملة لاسم إغْرْمْ وهو شبيه بالقصر المنتشر بالجنوب المغربي إذ يتوفر على سور خارجي وقائي يحيط بالدور التي تتكئ على واجهاته الداخلية لكي يبقى وسط إغرْمْ عبارة عن ساحة كبيرة تتجمع فيها الدواب. وهذا النمط اليوم في طريق الانقراض.

E. Laoust, *L'habitation chez les transhumants*, pp. 289-292;
L. Mezzine, *Sur l'étymologie du toponyme Sijilmassa*, H. T. XXII, 1984, pp. 19-25.

عبد العزيز توري

**أكمكام** ← **الأكحل محمد**

**أكْنات**، كتلة جبلية بارزة بين سهول تافلالت والمنخفضات التي تكون استمراريتها الغربية وذلك جهة الجنوب، والممر الممتد جنوب الأطلس الكبير (المنخفض قرب أطلسي) جهة الشمال. ويتكون هنا هذا الممر من سهول تدغة وغريس الأوسط (ما بين تنغير وگلميمة، مرورا بتنجداد). وهي تكون استمرارا لكتل الأطلس الصغير، إلا أنها مفصولة بوضوح عن صاغرو بفج واسع.

والكتلة مكونة من وحدة قبلكمبرية، هي جزء من الدرع الإفريقي، تم رفعها بشدة، بحيث تبلغ قمتها 1720 م. لكن هذا المحدب غير متماثل الجانبين. فبينما السفح الجنوبي طويل وضعيف الانحناء، يسمح بظهور الطبقات الرسوبية الأولية التي تكون غطاء الكتلة القبلكمبرية، نجد شمالا هذه الكتلة تشرف مباشرة على منخفض انكساري تراكمت فيه مواد حديثة. وعدم التماثل هذا ناتج للحركات التكتونية الحديثة التي رفعت الكتلة بشدة في جانبها الشمالي، الشيء الذي أكسبها هذا الانحناء العام في اتجاه الجنوب. وهذه القاعدة المرفوبنيوية ليست خاصة بأكنات، بل نجدها تعم كذلك كتلة صاغرو بأكملها.

داخل السلسلة تمتاز التضاريس بارتباطها بنوعية الصخور وتصرفها أمام عوامل التعرية الصحراوية. فالگرانيت والريوليت والگابرو صخور باطنية، قابلة للتفتت الحبيبي والتصدع. ولذا فهي تعطي سفوحا مقعرة مغلفة بمواد انهيالية خشنة، والمناخ الجاف يمنع من توفير تربة حقيقية. لذا تظهر البروزات الصخرية عارية مسودة، مغلفة بالطلاء الصحراوي، بينما أقدام السفوح مغطاة بالمهيلات.

شمالا وجنوبا، تميل الكتلة القديمة تحت الغطاء الأولي وتحت المواد الغشائية الحديثة.

السفح الشمالي هو الأوعر، حيث تختفي الكتلة سريعا تحت غطاء شديد الميل نحتت فيه التعرية أشكالا أبلاشية هي عبارة عن تجعدات وحيدة الميل كثيرا ما تجزؤها انكسارات. وكل الجبهات تنظر نحو أكنات. كل تجعد أو عرف يشرف على منخفض محفور في الطبقات الهشة. وفي هذه المنخفضات شكل السيل الرباعي حادورات تتعمق فيها حاليا الشبكة المائية.

والغريب في هذه الحاشية أن حادورات نازلة من أعراف الغطاء، تمتد لتمر فوق الهوامش الشمالية من الكتلة القبلكمبرية وخاصة الصخور الگرانيتية البارزة بين توروگ وملاب. هذا دليل على أن سطحا واحدا قطع الهوامش الشمالية للكتلة وحاشيتها الرسوبية. وهذا السطح هو الذي يفسر المجرى غير العادي لتدغة. فهذا النهر القادم من الأطلس الكبير، يتبع المنخفض الكبير الجنوب الأطلسي، ثم فجأة ينحرف ليتعمق في الهامش الشمالي لأكنات ناحية ملاب. وهذا المجرى غير العادي راجع لكون الكتلة وحاشيتها كانتا تمثلان سطحا تحاتيا واحدا أرجعه المؤلفون (F. Joly, *Etude sur le relief du SE du Maroc*) إلى الثلاثي. ويمتد هذا السطح شمالا حتى قدم الكويسطا الكريطاسية التي تكون الحدود الشمالية للمنخفض التحاتي الهامشي على جانب كتلة أكنات.

أما الحاشية الجنوبية فهي تكون الجانب العادي، ضعيف الانحناء لمحدب أكنات، حيث نجد الغطاء الرسوبي ضعيف التشويه ومكونات من طبقات متوالية من الكلس والحث والشست. هذا الغطاء المتموج على آفاق واسعة، تعرض كذلك لآثار التعرية الانتقائية التي شكلت به تضاريس أبلاشية مكونة من أعراف غير متماثلة الجوانب وممرات تملأها توضعات حديثة. وتتعدد هذه الأعراف تبعا للسلسلة الرسوبية حيث تظهر أولها ملاصقة للكتلة ومشكلة في طبقات الكلس الأدودوني ثم الجيورجي، تتبعها، أعراف حثية من الكمبري الأعلى فالديڤوني. بعض هذه الأعراف ترسم حلقات محيطة بمقعرات واسعة كما هو الحال ناحية فزو. أما الممرات فهي معرضة للتذرية الريحية وبالتالي تشكل سهولا حصوية تدعى الرگ الصحراوي.

F. Joly, *Etude sur le relief dans le S.E marocain*, Trav. Inst. Sc., Sér. Géol. et Géogr. phys. nº 10, 1962.

عبد الله العوينة

**أكنّاس، محمد** بن عيسى، ولد سنة 1912 بالماعلي ناحية تازا. انضم إلى صفوف جيش التحرير، وعمل ضمن الفرقة التي كانت بمركز بوزينب والماعلي تحت مسؤولية محمد بن علال أعبدلي. شارك في تنفيذ عدة عمليات فدائية حتى استشهد رحمه الله يوم 5 أكتوبر 1956 بمسقط رأسه.

*وثائق المندوبية السامية وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**أكناو**، عربيه : گناوي. يغلب على الظن أن معناه : الغاني، نسبة إلى غانا من بلاد السودان الغربي، ويطلق الأمازيغيون هذا الاسم على الأسمر مطلقا، كما قد ينعتون به من لا يبين في كلامه بحسب مألوف أسماعهم بأن يكون ذا مرض كلامي أو يكون أجنبيا.

أحمد التوفيق

**أكناو**، أسرة تطوانية أصلها من بني بوشيبت بناحية صنهاجة، وكل ما نعرفه عنها أن أحد أفرادها المسمى محمد أكناو كان ضمن الوفد التطواني الذي حمل إلى فاس وثيقة مبايعة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان في ربيع الأول 1276 / 1859.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 12 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 369 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (G) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (G) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

باب **أكناو**، أحد أبواب مراكش الشهيرة، اختلف في معنى اسمه حيث ربطه مؤلف *الإعلام* بلقب "الكبش الأجم"،

بينما أشار صاحب *المسالك*، كما جاء في نسخة القسطنطينية، إلى كونه مرتبطا ببركة ماء عرفت "ببركة الأقنى" كانت توجد غير بعيد منه.

إلا أن اسم أگناو، ومعناه الزنجي أو الأسود، قد يأتي من حجر النضيد (Schiste) الداكن اللون الذي استعمل في بناء الباب، على واجهته الخارجية، في نظام تناوبي مع أحجار أخرى وهو ما يضفي عليه الصفة الجمالية التي تميزه.

ويستفاد كذلك من كلام العُمري عن باب أگناو أنه هو الذي كان يطلق عليه اسم باب السقائف وهو مايتناسب مع ما جاء في تصميم برتغالي يرجع إلى سنة 1585 م، لكن مارمول يعاكس ذلك بجعل باب السقائف بعيدا إلى الجنوب.

وإذا كانت النصوص المتوفرة غير قادرة على إفادتنا في موضوع معنى الاسم وسبب إطلاقه على هذه الباب، فإنها كثيرة الحديث عن هذه الاخيرة خاصة كلما تعلق الامر بذكر أخبار الثورات والفتن التي عرفتها البلاد والمدينة في فترات مختلفة من تاريخهما والتي نتج عنها القبض عن أصحابها فيصلبون وتعلق رؤوسهم بهذه الباب، لتكون عبرة لغيرهم.

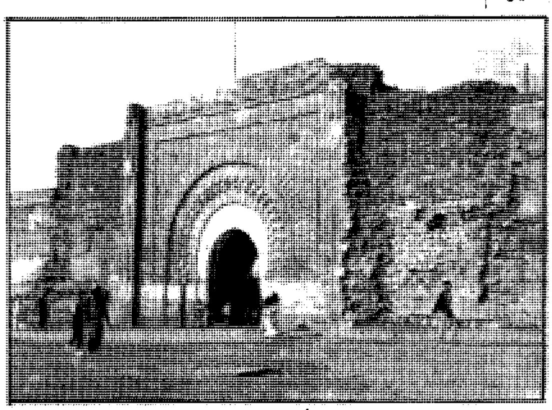

باب أگناو بمراكش

بني باب أگناو بالحجارة المنحوتة والآجر في نظام تتابعي محكم، وقد لاحظ الباحثان شارل آلان وگاستون دوڤيردان في دراستهما لهذه المعلمة والتي يعيدان إنشاءها إلى العهد الموحدي، أنها كانت تتوفر على غرار الأبواب الموحدية، على برجين جانبيين لم يبق منهما سوى أثر اقتلاعهما، ويوضح التصميم البرتغالي أنهما كانا مربعي الزوايا، وتعلوهما شرفات مثلثة الشكل وكان المدخل أصلا مدخلا ذا التواء واحد، مغطى عن آخره بسقف يصله درج أقيم في جانبه الجنوبي.

وأهم ما يميز باب أگناو اليوم، زخرفته الرائعة التي تجعل منه بابا من أجمل أبواب مدن الغرب الإسلامي، فهي قبل كل شيء باب أريد منها تمجيد المنشئ وإظهار قدرته على الإبداع والتشييد، فجاءت آية في الزخرفة، احتفظ لدورها الدفاعي بمرتبة ثانوية، يعززها تشييد باب الرب المثلث الالتواء على بعد بضعة أمتار فقط.

أما عناصر زخرفته فتجمع كل ما هو معروف في الزخرفة الإسلامية من أشكال هندسية ونباتية وكتابة منقوشة ففتحته "قوس على شكل حدوة جواد تحيط به فقرتا عقد Voussoirs بسيطتان تتوسطهما واجهة عقد Archivolte تحدها ثلاثة خطوط من الزينة المفصصة Festons متداخلة فيما بينها، تنتهي في أسفل عضادات الباب بشكل زخرفي ثعباني Serpentiforme، أما الركنيتان فتزينهما زخرفة نباتية غنية وكثيفة تتوسطها صدفة وتعلوها زهيرة رباعية الأوراق، ويحيط بمجموع هذه التنظيمية الزخرفية إطار يحمل الآيتين 46 و 48 من سورة الحجر (*Portes anciennes*, 120).

العمري، *مسالك الأبصار* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2.

Dozy, *Supplément*, II ; H. Terrasse, *Le décor des portes anciennes du Maroc*, Hesp., 1923, p. 356-392 ; *L'art hispano-mauresque*, 1932, p. 294-297 ; G. Deverdun, *Inscriptions arabes de Marrakech*, nº 59-60-61 ; Ch. Alain et G. Deverdun, *Les portes anciennes de Marrakech*, Hesp., p. 117-120.

عبد العزيز توري

**إگْنَـاوَنْ** (فرقة الرقص) ← **گناوة**

**أَكَنْسُوسْ، أحمد** بن سعيد المراكشي، من أهل العلم والورع في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري بمدينة مراكش. كانت نشأته بهذه المدينة التي بها تلقى تعليمه. لم نقف على أشياخه في العلم، ومن المرجح أن جل تحصيله كان على يد فقهاء مدينته الذين تولوا التدريس في تلك المرحلة كالفقيه محمد بن سعيد المرغيثي. فعن هذا الفقيه وغيره أخذ من العلم ما جعله مشاركا في كثير من فروع المعرفة وعد من حذاق ونجباء طلبة مراكش.

ولما استقامت له تلك المشاركة الواسعة في العلم، مارس التدريس والإمامة بأحد مساجد مدينة مراكش. وفي ذلك المسجد التقى بالشيخ محمد بن عبد الله السوسي الذي كانت ولايته قد ظهرت للناس. كان ذلك اللقاء في حدود العشرة السادسة من القرن الحادي عشر الهجري. ولم يكن أحمد بن سعيد آنذاك من المقرين لأحد بالولاية ولا من القائلين بعلم الباطن. لكن هيبة هذا الشيخ جعلته ينجذب ويرتبط به، ويسلك طريق القوم على يده، حتى صار من تلامذته المقربين.

لازم شيخه محمد بن عبد الله السوسي طيلة إقامته القصيرة بمدينة مراكش. وفي هذه المدة ظهر نسكه وصلاحه. وفي حدود سنة 1069 / 1658 خرج شيخه محمد بن عبد الله من مراكش قاصدا الديار المقدسة. فخرج هو معه ليخدمه.

وفي مكة المكرمة استقر مع شيخه وخدمه نحواً من اثنتي عشرة سنة. فكان أكنسوس هو الذي يراسل أصحاب الشيخ بالمغرب. ولما توفي هذا الشيخ بالحرم الشريف عام 1079 / 1668 قام أكنسوس مقامه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك في تربية المريدين. ويستفاد من مراسلاته ومن كلام الحجاج المغاربة الذين شاهدوه وتعرفوا إليه بالحرم الشريف أنه بلغ درجة كبرى في سلم التصوف والصلاح.

عاش أحمد ابن سعيد أكنسوس بعد وفاة شيخه نحواً من اثنتي عشرة سنة وبذلك تكون وفاته حوالي 1091 / 1680.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 324.

عبد العزيز بوعصاب

**أكنسوس، عبد الله** بن محمد بن أحمد المراكشي، وردت كنيته في بعض المصادر كنسوس أو الكنسوسي. كان أبوه مؤرخا وأديبا وكاتبا في الديوان السلطاني.

عرف عبد الله بمشاركته الواسعة في مختلف فروع المعرفة، وبرع في الكتابة والإنشاء والترسيل، فكان شاعراً ممتازاً وكاتباً فحلا. له قصائد شعرية في مواضيع وأغراض متنوعة، وكان يكتب المكاتب الطنانة البليغة. وبذلك شابه أباه في حدة الفكر والقلم. فاستكتبه السلطان المولى الحسن زمن خلافته لأبيه بمراكش، وأقره في ديوانه بعد مبايعته عام 1290 / 1873 كما مارس نفس الوظيفة أيام الوزير أحمد بن موسى الذي كان يُكرمه ويجله.

وقبل استكتابه بالديوان، كان قد مارس التدريس وأجاد فيه، حتى قال أحد الوزراء : إنه لم ير مثله علما وتحقيقا. وبالإضافة إلى تكوينه الممتاز، كانت له خصال حميدة، أشاد بها كل من عاشره أو تعرف إليه.

لا ندري هل خلف كتبا أو دواوين شعرية، وكل ما أشارت إليه مصادر ترجمته هو أن مقيداته حيزت بعد موته من لدن القصر السلطاني. ولا شك أن تلك المقيدات تعد شهادة ملاحظ واكب تجربة دولة عرفت كثيراً من التطورات في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. وكانت وفاته عام 1316 / 1898.

ع. اللجائي، *المفاخر العلية*، (مخطوط) ؛ م. غريط، *فواصل الجمان*، 171 ـ 183 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 343.

عبد العزيز بوعصاب

**أكنْسُوسْ، محمد** بن أحمد بن محمد بن يونس بن مسعود، كما وقفت عليه في إجازة أجاز بها أبا علي الحسن السوسي التنمليزي. عُرف بأكنسوس مبدوءا بهمزة مفتوحة، وبكنسوس دونها منكّرا، وبالكنسوس بدونها أيضا معرفا، وبالكنسوسي منسوبا على طريقة النسبة في العربية، وتعني هذه الكلمة أنه من (إدَاوكْنْسُوسْ) إحدى قبائل سوس العريقة. وينسب بالجعفري انتماء إلى جعفر بن أبي طالب، وهو قد كان في شك من صحة هذا النسب فتركه حينا، ثم عاد إليه للسبب الذي ذكره في *الجيش* ( 2 : 150 ).

ولد عام 1211 / 1796 ـ 1797 بقبيلة تنمرت كما أخبر بذلك في إحدى رسائله. وتيتم من أبيه وهو صغير، وما أن أدرك وميز حتى غادر مسقط رأسه إلى الزاوية الناصرية حيث أخواله، فحفظ القرآن، واستظهر الأمهات، وشدا من أوليات العلوم، ثم شد الرحلة إلى فاس طالب علم عام 1229 وفيها اتخذ مسكنه بمدرسة الصفارين، واتفق له أن يسكن منها بيتا لصق البيت الذي كان يسكنه الشيخ الجزولي صاحب *دلائل الخيرات*، وانكب على التحصيل والاستفادة واصبا دائبا، فلم يمض عليه زهاء ثماني سنوات حتى أشير إليه بالأصابع، وعد من ذوي الفهم والتحصيل.

ذكر أكنسوس مشيخته في إجازة له بما نصه : "وقد اقتضى الحال أن أذكر جملة من مشايخنا الذين أخذنا عنهم مباشرة، ولازمناهم بالخدمة والمعاشرة، تبركا بذكرهم، ووفاء ببعض ما يجب من حقهم وشكرهم، فمنهم :

الشيخ النحرير العلامة المسن البركة حافظ الدنيا بالإجماع الحاج المرابط المتعبد أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد السلام الناصري. ومنهم شيخنا العلامة القدوة المتبحر المؤلف الناظم الناثر الذي نفعنا الله به أبو الفيض سيدي حمدون بن عبد الرحمان المرداسي الفاسي. ومنهم شيخنا العلامة المتفنن في جميع العلوم، أعجوبة الزمان، معول المحصلين، أبو عبد الله سيدي محمد بن عمرو الزروالي الفاسي، ومنهم شيخنا العلامة النفاع المشارك صاحب التآليف العديدة، والأوضاع المفيدة، القاضي أبو عبد الله سيدي محمد بن منصور الشفشاوني الفاسي. ومنهم شيخنا العلامة القاضي الأجل الأشهر أبو العباس سيدي أحمد ين الشيخ التاودي ابن سودة المري الفاسي ومنهم الشيخ البركة حامل لواء المذهب المالكي بلا نزاع سيدي عبد السلام الأزمي الفاسي. ومنهم الشيخ البركة المتصوف ذو الاخلاق المحمدية أبو محمد سيدي عبد القادر بن أحمد الكوهن الفاسي. ومنهم الشيخ البركة ولي الله تعالى أويس زمانه سيدي محمد المكي السراغني المراكشي المعروف بابن مريدة. ومنهم الشيخ البركة الأستاذ سيدي الحاج عبد الله السگياطي الشياظمي. ومنهم الشيخ الأستاذ صاحب الأنوار الفياضة، والأحوال التي أثمرتها الرياضة، والانزواء عن الخلق، والايواء إلى جانب الحق، سيدي الحاج التهامي الوبيري الحمري. إلى آخرين ممن شاركناهم في الأخذ عن جل المذكورين من الفاسيين...».

ويأتي في صدارة من أخذ عنه : السلطان العلوي محمد الرابع، ونجل المترجم عبد الله، وإدريس بن الطيب بن اليماني، والصوفي المشهور العربي ابن السائح. وبعدهم محمد بن المعطي السرغيني المراكشي، ومحمد بن أحمد أزنيط، وسعيد العسري، وسعيد بن محمد أجيمي، وعبد الله بن وقاص. ومن السوسيين : الحسن بن الطيفور، وعبد الله بن محمد الأدوزي، وعبد الكريم بن عبد الرحمان الكرامي، وأحمد بن محمد الحسيني الطاطائي، والحاج الحسين بن أحمد الإفراني، وسعيد العباسي الدراركي، وعبد الكريم التناني في آخرين.

التقى أكنسوس بعامة أشياخ وطنه، ولازم الجلة منهم حتى استنفد ما عندهم، ثم أمعن بعد ذلك، في القراءة الشخصية إمعانا استغرق فراغه، وهو كان منهوما بالقراءة مشغوفا بالكتب، يقتنيها، ويستنسخها، ويستعيرها، ويتردد على أصحاب المكتبات من أصدقائه ومعارفه ليشبع

نهمه بالمعرفة، فاحتوى صدره لذلك، معارف جمة، وصارت له المشاركة الواسعة في مختلف العلوم والفنون، فذكر بين الفقهاء والفرضيين، وعد في الحيسوبيين والموقتين والمعدلين، و جعل في اللغويين و النحاة و البلاغيين، وكان أديبا ناقدا، وكاتبا شاعرا، وهو بعد مؤرخ أخباري، وصاحب نوادر ومحاضرات. وكان له نظر في المنطق وفي العلوم الروحانية من أوفاق وسر حرف وتصوف، ثم كان له شدو في الطبابة كما كانت له معرفة بالكيمياء بآية أنه ألف كتابا في الكيمياء سنذكره عند التعريف بآثاره. وتناهت مشاركته إلى أن كان له بصر بالعدانة (صناعة استخراج المعادن) نستشهد على ذلك، برسالة وردت عليه من الحاجب موسى بن أحمد عن أمر سلطاني تطلب منه تقويم كتاب في المعادن فأجاب عنها جواب العارف البصير (ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 463 ـ 465).

لا يماري أحد في أن أكنسوس منشئ مجيد، تشهد له بذلك آثاره الكتابية من رسائله الديوانية، والأخرى الاخوانية، وسائر ما كاتب به غيره، وهو كثير غزير، كما يشهد به نثره في تآليفه من *الجيش*، *والجواب المسكت*، *والحلل الزنجفورية*. ومن نماذج نثره الذي يثبت اقتداره على الكتابة البليغة المصنعة *مقامته* الطويلة النفس، وكم له من أمثالها في الصنعة البديعية بين ما كتبه من الرسائل والفصول، وذلك ما يجعله طبقة عالية بين كتاب عصره مشارقة ومغاربة، ممن ظل يكتب على النمط القديم ولا يلتفت إلى دعوة التجديد في الكتابة التي بدأ صوتها يرتفع في ذلك الحين.

ولا ينكر عارف بالشعر أن أكنسوس يمتلك، موهبة شعرية قديرة، وعندي أنه يمثل فحولة الشعر بالمغرب على عهده، ولست أحاشي في ذلك أحدا من معاصريه، ولا محمد بن إدريس الذي كان أيضا شاعرا مطبوعا. وقد ابتدأ قرض الشعر المطبوع من مطلع شبابه ولما تتجاوز سنه الثامنة عشرة، ثم تمادى ينظمه طوال ستين سنة أو تزيد، فينظم ما تدعو إليه المناسبات، وهو كثير، وفي *الجيش* منه زهاء ألف قافية، ثم ينظم ما تجيش به نفسه، وعساه أن يكون أغزر وأكثر فالمتوقع أن يكون شعره كبير المقدار.

أما التاريخ فلا مقال لأحد في أن أكنسوس كان ملمّا به، يعلل أحداثه، ويستنتج منها كأي مؤرخ حاذق بصير كما يرى ذلك في مواضع عديدة من جيشه. وعليه فمن الغبن أن يتنقص منه بعضهم كمؤرخ لفترة خاصة من تاريخ وطنه عايش أحداثها، وشارك في صنعها، وخلف من ورائه مرجعا معولا عليه فيها. ومن البخس أيضا أن يعيب عليه آخرون أنه كتب تاريخه بأسلوب جزل رصين فيه صنعة وتنميق، كأنهم يختارون الهلهلة على الجزالة، والركاكة على البلاغة. ومن التكذب عليه أن يقال عنه إنه كان يتملق ويتصيد المناسبات ليحمد الحاكمين بما لم يفعلوا مع أنه ذكر من نقائص الملوك القاصرين ومثالب الأمراء المنحرفين ما لا يجرؤ سواه على قوله، لا سيما والدولة هي التي أوعزت إليه بالتأليف فهي ترغب ـ لا شك ـ في إظهار الجميل والتغطية على القبيح.

كان الشفوف الذي ظهر به أكنسوس في الوسط الثقافي قد تأدى إلى المولى سليمان فاستدناه منه، ثم استكتبه، ثم زادت حظوته لديه فاستوزره عام 1235 والدولة يومئذ تعيش أزمات بالغة الشدة، فكان يعهد إليه بالمهمات الصعاب فيضطلع بها في حسن تأت وكمال كفاية. ولم يطل عهد أكنسوس في الوزارة إذ أدرك المولى سليمان أجله عام 1238 فخلفه من بعده ابن أخيه المولى عبد الرحمان بعهد منه إليه. وبإثر ما بويع المولى عبد الرحمان قدم عليه أكنسوس فأذن له في الدخول عليه، وانبسط له، وساءله في أشياء من أمور الدولة، ثم اتسع معه في الحديث حتى سارّه بأشياء من أموره الخاصة، وحتى شكا له ما رآه من أولاد عمه المولى سليمان حيث نفسوا عليه أن يعهد إليه بالأمر من بعده، ولكن الحاشية لم ترغب في وجوده بينهم، فسعوا به عنده بوشايات وأقاويل لم يصغ إليها العاهل في أول الأمر، ولكنهم دأبوا على المَحْل وقلّبوا الأمور حتى أفسدوا عليه قلبه، وأحس أكنسوس بما يدبر ضده فتنحي من تلقاء نفسه قبل أن يصيبه من كيدهم ما يخاف، وقد حكى في الجيش (2 : 3 ـ 5) قصة التآمر عليه، وسمى المتآمرين ضده، وذكر من بينهم صديقه القديم محمد بن إدريس، والمختار الجامعي في آخرين.

اهتم الكاتبون عن أكنسوس بأنه كان وزيرا، وتحدثوا عنه مؤرخا، واعتدوا به شاعرا مجيدا، وكاتبا قديرا، وصنفوه في الأدباء، وذكروه بالباع الطويل في علوم اللسان العربي، وعدوه في الفرضيين والحيسوبيين والمعدلين، ولكن أكثرهم سكت عنه كصوفي كان له أثر بالغ في الدعوة إلى الله بين الخاصة والعامة، والدؤوب على إرشاد الناس زهاء خمسين سنة أو تزيد، لم يَستحسر في ذلك ولم يمسّه فيه نصب ولا لغوب. كان أكنسوس من أتباع الناصرية سيرا على أثر أسلافه الذين كانوا قد دخلوا فيها من عهد شيخها محمد بن ناصر، فلما ارتحل لفاس طالب علم وجد التجانية تملأ دنيا فاس وتشغل ناسها، وكان شيخها التجاني يومئذ ما يزال بقيد الحياة، وكان مقامه إذ ذاك بفاس، فلأجل ما كان يسمعه سماعا فاشيا من الثناء عليه بكل لسان تردد عليه زائرا متبركا، ولكنه لم يأخذ عنه لأن همته كانت منصرفة إلى تحصيل العلم الذي اغترب من أجله. وكان دعاة التجانية يومئذ نشيطين ملحين في اجتذاب الاتباع، وكان أكنسوس وأمثاله من أهل الفضل ممن يعنيهم أن يكونوا في صفوف التجانية، فألحوا عليه في الانضمام إليهم حتى استجاب لهم وما كاد. وما إن انتمى أكنسوس إلى التجانية حتى صار من أحسن الدعاة إليها، ومن أقوى أنصارها المنافحين عنها، وهي إنما انتشرت في السوس بمساعيه الحميدة وعمله الدائب في الدعوة إليها، والتمهيد لها. ومن جده في ترسيخ التجانية وتثبيت أقدامها أن أسس لها بحي المواسين من مراكش سنة 1262 هـ

زاوية ذات بهجة كانت متربى المريدين، ومجمع الذاكرين، ومحجة الزائرين، فلما توفاه الله تولى أمرها ابنه سيدي العربي، ومن بعده حفيده سيدي يوسف، ويقوم بشأنها اليوم نجل حفيده سيدي أحمد بن يوسف أحد شيوخ العلم والتربية بمراكش نسأل الله في أجله وأمتع به.

كان المترجم ذا نزعة صوفية جعلته على استقامة مثالية، وألزمته كلمة التقوى، وألقت عليه سمت الصالحين، وجنبته انحرافات الساسة وباطلهم، مع أنه خاض في شئون وقته خوضا لا يكاد يسلم معه لمن خاض مثله عرض ولا دين إلا بوقاية من الله الذي يعصم من الأسواء. والشيخ الكنسوسي بعيد الغور دراك أريب، مع نقاء طوية وصفاء سريرة، وهو جَدِلٌ قوي العارضة، ناصع الحجة، وهو عف الكلمة، لا يجهر بالسوء ابتداء، ولا يجاري فيه البادئ به، ولكن يجادل بالتي هي أحسن، ويجامل المسيء، ويتلطف به، ويتودد إليه، أخذا منه بآداب الإسلام. إنه يمثل العالم المسلم الذي يحكم الشريعة في أمور الدنيا ولا يحكم الدنيا في أمور الشريعة، دون أن يكون ضيق العطن أو جامدا، يحجر من الأمور ما يتسع له الدين. وكان في خلقه ربعة أسمر البشرة أطلس، والأطلس الذي لا شعر في وجهه. وقد عاش عمره الطويل ممتعا بالسلامة، إلا أنه أصيب في كريمتيه بأخرة من حياته، فتقبل الآفة بعد طول السلامة صابرا محتسبا.

توفي يوم الثلاثاء 29 من المحرم عام 1294 / 14 يبراير سنة 1877، وجعل مدفنه بمقبرة السهيلي وعلى مقربة من ضريحه خارج باب الرب أحد أبواب مراكش القديمة في الجنوب الشرقي منها، وكان يوم دفنه يوما مشهودا.

ترك أكنسوس، آثارا كثيرة، منها : *الأجوبة التونسية*، *وتأليف في علم الكيمياء*، *وتحقيق القاموس المحيط*، *وتصحيح الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم*، *والجواب المسكت*، كتبه دفاعا عن الطريقة التجانية وردا على الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار البكاي فيما قاله بشأنها وشأن شيخها. طبع بالمطبعة التونسية الرسمية عام 1307 هـ في زهاء 40 صفحة من قطع الوسط ثم طبع ثانية بالجزائر سنة 1913 *والجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي*، كتبه بإشارة من السلطان المولى محمد بن عبد الرحمن وبتأكيد من وزيره أبي الثناء محمد الطيب بن اليماني. يوجد *الجيش* مخطوطا في عدة مكتبات عامة وخاصة. وطبع على الحجر بفاس بتصحيح عبد الكريم بن العربي بنيس عام 1336 هـ. *وحسام الانتصار في وزارة بني عشرين الأنصار*، *والحلل الزنجفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية*، طبعت *الحلل الزنجفورية* بالمطبعة التونسية الرسمية سنة 1312 هـ في زهاء 60 ص. من القطع الوسط. *وخمائل الورد والنسرين في بيت أبناء عشرين*، *والديوان*، *والرسائل*، *ورسائله إلى الوزير محمد العربي الجامعي* في مجموع خاص. وشرح على قصيدة *الزياني في مسألة قطع الفتوى بفاس ونواحيها*. وطرر على الكتب، *وكناش*، ذكره أحمد سكيرج في الربع الأول في *رفع النقاب* (ص. 171)، *والمقامة الكنسوسية*، وهي مقامة طويلة النفس تتألف من 475 قرينة تتخللها أشعار عدة أبياتها 84 بيتا.

ل. شيخو، *الآداب العربية في القرن التاسع عشر*، 1924، 2 : 23-24 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ م. ابن الموفق، *السعادة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 ؛ ع. گنون، *ذكريات مشاهير المغرب* (العدد 4) ؛ ع. المشرفي، *الحسام المشرفي*، مخطوط ؛ م. السرغيني، *حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخيار*، مخطوط ؛ أ. سكيرج، *رفع النقاب بعد كشف الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الأصحاب*، ط. تطوان، (الربع الثاني) ؛ أ. الشنقيطي، *روض شمائل أهل الحديقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة*، مخطوط ؛ م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ ع. الرندة، *الكتابة و الكتاب*، ط. فاس، 1922 ؛ ل. بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء* ؛ م. السائح، *المنتخبات العبقرية*، ط. الرباط، 1920 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية*.

أحمد الشرقاوي إقبال

**أَكْنُول**، دائرة من دوائر إقليم تازا، تقع في قلب جبال الريف الشرقية وتضم الجماعات القروية والحضرية التالية : جماعة أكنول القروية التي يبلغ عدد سكانها حسب إحصائيات 1982، 18.999 نسمة. وجماعة أكنول الحضرية : 2052 نسمة، وجماعة أجدير : 23.636 نسمة. وجماعة تيزي وسلي : 23.840 نسمة. وجماعة مزكتان : 16.232 نسمة.

تتميز هذه المنطقة الجبلية بصعوبة المسالك وقلة المواصلات، وتشتت السكان وتنقلهم المستمر، إما داخل الدائرة نفسها أو إلى أبعد من ذلك، حيث الهجرة الداخلية مرتفعة جدا في بعض الحالات. ولعل عدم توفر المساحات الأرضية الصالحة للزراعة، والاعتماد على التشجير ومنتجاته من لوز وزيتون هو الذي يفسر أسباب هذه الهجرة. وتبقى أهم الموارد الاقتصادية التي يعتمد عليها سكان المنطقة، ومداخيل العمال المهاجرين ومعاشات قدماء المقاومين ورجال جيش التحرير.

تحتل هذه الدائرة، بجماعاتها الخمس مكانة ملحوظة في تاريخ المغرب المعاصر. فسكانها وقفوا بجانب المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي حينما أعلن جهاده ضد الاحتلات الإسباني والفرنسي (انظر أجدير) كما أن قبائل هذه الدائرة احتضنت ثورة فاتح أكتوبر 1955 حيث اندلعت من جماعات أكنول، وبورد، وتيزي وسلي، وأجدير، مما عرّض القبائل الريفية إلى الاضطهاد والقهر من طرف الجيوش الفرنسية، وقد أبلت هذه القبائل البلاء الحسن، وضحت بكل صدق وشجاعة بالمال والنفس في سبيل تحرير البلاد وعودة المغفور له محمد الخامس من المنفى إلى العرش.

وقد سمّت السلطات الاستعمارية هذه المنطقة، نظرا

لبطولاتها وجهادها "بمثلث الموت" تقصد به جماعات أكنول، وتيزي وسلي، وأجدير.

تتميز المنطقة بأسلوب عيشها وبأسواقها الأسبوعية وبمحافظة سكانها الريفيين على عادات وتقاليد قبائلهم التي تعد جزءا من التراث الوطني. كما تتوفر المنطقة على عين للمياه تعرف سابقا بالعين "الحمراء"، ثم سماها محمد الخامس عين الرحمة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 2 : 39 ؛ ع. الدوائري وع. الذهبي، م. غورضو، *مقالات في مجلة المقاومة وجيش التحرير*، معلومات عن الإقليم من عمالة تازا ودائرة أكنول.

Encyclopédie d'outre - Mer, nov. 1955, p. 480 (*Aknoul*) ; Direction du Plan, *Etude d'identification du projet directeur de la planification, province de Taza*, Rabat 1976.

مبارك زكي

**إكنيون** ← **ورزازات** (إقليم ـ )

**أگُوَّالْ**، على وزن أفعَّال ـ بتشديد العين ـ وتنطق أحيانا في بعض جهات المغرب مثل جهة عبدة : "گُوَّالْ"، على وزن فْعَّال ـ بتشديد العين ـ وتنطق أحيانا في بعض جهات المغرب مثل جهة عبدة : "گوال"، بتخفيف العين، وتسمي عند الأمازيغيين أگْوَالْ (بتخفيف، حركة الواو) حاول البعض أن ينسب هذا الاسم إلى التجوال (مصدر) معتمداً أن آلة الإيقاع المسماة بهذا الاسم كانت رفيقاً لبعض الشعراء الذين تجولوا عبر القبائل والأحياء ينشدون شعرهم الزجل (الرباعي) وقد كثر عددهم منذ النصف الثاني من القرن السابع الهجري خاصة في السهول الأطلسية وما يقابلها من هضاب، إلا أن ذلك بعيد والقريب هو نسبة التسمية إلى (القول)، فيكون (گوال) إذ استعمل كمصاحب للقول. فمايزال القوالون من شعراء وأصحاب ثنائيات dialogue وأفراد monologue يعتمدون آلة إيقاع أو آلة وتر. كوسيلة لاستلفات الانتباه قبل الإدلاء بالقول جريا على ما تعود حتى في الحضارات القديمة حيث كان يسبق الإعلام أو الإخبار بدقات طبول.

فأگوال آلة إيقاع عربية الأصل، من طول متراوح بين 35 و40 سم أسطوانية مشدودة وسط المسافة ضيقة مخرج الصوت، ذات قاعدة بين10 و 15 سم يشد عليها جلد خروف أو ماعز وهو الأفضل. دخلت المغرب في القرن السابع الهجري مع العناصر الهلالية إلى جانب آلات إيقاعية ونفخية منها (الليرة) والهراج وهو آلة إيقاع استعملت لمصاحبة الذكر الصوفي الذي كان يروى على إيقاع (أقْلاَلْ) والهرَّاج أضخم وأوسع، واستمد اسمه من الضجة التي يحدثها. ونجد إضافة أداة التعريف الشلحية إلى الاسم هي من فعل الأمازيغ المغاربة كما وقع في (أنشاد) و(أعلام) بالنسبة للمنشد والمشرف الموجه في رقصات أحواش بحوض السوس ومن يدخل في حزامه، والصحيح (الگوال).

والدليل على أن (أگوال) أداة عربية هو استعمالها مصاحبة للغناء العربي فقط، كما عند قبائل هوارة قرب أولاد تايمة بسوس وكما في العيط والغناء الحوزي مع تعديل في الطول حيث يكون أقصر ويعرف بالتعريجة. ولايظهر في أحيدوس وأحواش سوى لدى قبائل تَسْگوِينْ بجبال أطلس مراكش لكن في شكل مغاير وأقصر جدا يعتبر طبلة لا تستعمل للمصاحبة بل لتنشيط الرقصة الحربية وتحريكها. وأگوال، إيقاعي يعطي جميع حروف الإيقاع من (دومة) و(سيكا) وما يتوسطهما. ويمكن الموقع البارع من (تزويق) الإيقاع به حسب ما يشاء.

محمد أبو حميد

**أكوتام**، اسم لجبل بالأطلس الصغير، وينطق محليا لدى سكان قبيلة أيت حَامْد : أكوسام بالسين عوضا عن التاء وهو مجرد تحريف في النطق، ونعرف على الأقل ثلاثة مواقع متقاربة في الاسم مع "أكوتام" وهي "كتامة" المشهورة في شمال المغرب بجبال الريف، و"قصر كتامة" وهو الاسم القديم للمدينة التي تدعى حاليا القصر الكبير، وأخيرا "گَرْجْ كْسَامة" وهو في التخوم المغربية من موريطانية كما ورد في كتاب *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*.

ويهمنا أكوتام الموجود بالأطلس الصغير، وقد زرت المنطقة التي يقع فيها شرق مدينة تيزنيت بقبيلة رسموگة غرب قيادة أنزي، وتبلغ أعلى قممه 541 مترا، ويطل جبل أكوتام على وادي تادرت الذي ينحدر نحو قريتي "بُوتُورگي" و"تُوسْلاَنْ"، ويحده شمالا الوادي المذكور، وجنوبا مدشر "أگريز"، وشرقا مدشر "أنْزَاضْ" وغربا مدشر "تُوسْلان" ومزارعها.

**أكوتام**،(منجم) يوجد بهذا الجبل " منجم أكوتام " وهو منجم قديم تستخرج منه الفضة، وقد انتبهنا إلى هذا المنجم بسبب وجود قطعة نقدية تدعى الموزونة "الكتاميَّة" أو "تَاكُوتَامْتْ" يكثر ورودها في النوازل الفقهية السوسية، وقد سميت بذلك لأنها كانت تصنع من الفضة المستخرجة من منجم أكوتام.

لقد اشتهر هذا المنجم منذ القرن السادس عشر، ومازال السكان يعرفون الجبل باسم جبل المعادن ومع ذلك فقد صادفنا عسرا في تحديد موقعه وإثبات أنه منجم للفضة.

ويبدو أن هذا المنجم هو الذي يعنيه صاحب كتاب *وصف إفريقيا* عندما تحدث عن منجم للفضة بجبال إيلالن دون أن يحدد موقعه بالضبط، وهذا الإبهام هو الذي جعل أغلب الكتاب يجتهدون لمحاولة تحديد موقعه، فقد ذهب روزان بيرجي (Rosenberger) إلى أن المنجم الذي يتحدث عنه الحسن الوزان يوجد في منطقة هلالة الحالية مابين تارودانت وتافراوت، ويعتقد أنه منجم " تَامجُوط " في منطقة تالوين، أما أوسطاش (Eustache) فيرى أن هذا المنجم يوجد بين جبال هلالة غير أن موقعه يعتبر مجهولا، وحينما مر الرحالة الإنجليزي جاكسون (Jackson) في نهاية القرن 18 م تعرض للحديث عن منجم للفضة بجبال إيلالن في هشتوكة وهذا الموقع أقرب ما يكون إلى منجم أكوتام، وذكر أن

خصام السكان حول معدنه أدى إلى تعطيله، وأن فضته أصفى من فضة الريال الإسباني.

وهكذا لم يذكر أحد اسم منجم أكوتام صراحة باستثناء الإشارة التي أوردها جوستنار (Justinard) في كتابه عن إمارة تازروالت ولكنه اكتفي بمجرد الإشارة.

ولم يرد هذا الاسم في مختلف الخرائط التي نشرت ما بين سنتي 1934 ـ 1971 وقد اطلعنا على مجموع الملفات الموجودة بقسم البيبليوغرافية والمصادر الغميسة بوزارة الطاقة والمعادن عن جيولوجية المنطقة دون جدوى.

وقد ظهر مؤخرا اسم منجم أكوسام على خريطة جديدة لم تنشر إلى الآن وقد أنجزتها مديرية الجيولوجيا حول الرواسب المعدنية بالمغرب سنة 1980 بمقياس 500.000 / 1 ورد فيها منجم أكوسام تحت رقم 352 على أنه يحتوي على معدن النحاس مما يخالف ما تؤكده الوثائق المحلية من كونه يحتوي على معدن الفضة، ولعل مافيه من عروق الفضة وقع نضوبها، وهذا مما يحتاج إلى مزيد من البحث. ومن الوثائق التي تؤكد وجود الفضة في هذا المنجم إحدى فتاوي العلامة ابن عبد السميح (ت. 1669 م) وهو من سكان هذه الناحية وقد وردت له هذه الفتوى ضمن "نوازل البرجي" حيث يقول : "ومعدن أكوتام من معادن الفضة ولا عبرة بما فيه من الرصاص لأن الحكم للغالب".

وبعد هذا كله استطعنا اعتمادا على تراكم وثائقي تحديد هذا المنجم على خريطة تافروت مقياس : 200.000 / 1 بين إحداثيي : ص 307 وس 111. وأنه كان مشهوراً بمعدن الفضة في الفترة بين القرن 16 م ونهاية القرن 18 م.

**أكوتام**، (العملة الكتامية)، ففي منتصف القرن السابع عشر كان بودميعة : أبو حسون السملالي الذي أنشأ الإمارة السملالية، يستغل منجم أكوتام في تأسيس دار لضرب السكة في الفترة مابين نهاية العهد السعدي والمرحلة الأولى من تأسيس الدولة العلوية حينما تقاسمت البلاد عدة إمارات حاولت كل منها أن تضفي على نفسها مظاهر السلطة والملك ، وبالخصوص قيامها بضرب السكة، فكما قامت الإمارة الدلائية بضرب نقودها في فاس كذلك فعلت الإمارة السملالية بجبل أكوتام بسوس . ورغم أن الوثائق لم تفصح عما إذا كان صنع النقود يتم في عين المكان أو يتم في حاضرة إيليغ عاصمة أبي حسون، فإن بعض الوثائق وبعض الأهازيج الشعبية تحتفظ بذكر بودميعة وسكته الكتامية وتسميها أحيانا "سكة مولانا علي بن محمد" كما في وثائق مدرسة أزاريف.

وكانت السكة الكتامية ترد في مختلف الوثائق والتقاليد والنوازل السوسية، تذكر صرفها كما تذكر أوزانها، ففي رسالة عن السكة لعمر بن عبد العزيز الكرسيفي أن هناك نوعين من الموزونة الكتامية :

ـ الموزونة الكتامية الأولى (الكبيرة) وتزن 27 حبة من حبوب الشعير وقد اجتهدنا في استخراج وزن حبة الشعير السوسية وتساوي 0,04411 غراما وبذلك تزن القطعة الكتامية 1,19 غراما من الفضة.

ـ الموزونة الكتامية الأخيرة (الصغيرة أو العباسية) 12 حبة من حبوب الشعير وتساوي 0,35 غ ولم نقف على مدلول العباسية باستثناء ربط الاسم بمكان شرق منجم أكوتام يدعى أيت عباس، ولم ندّخر جهدا في البحث عن قطع النقود الكتامية دون نتيجة ولعل ذلك يعود إلى المصير الذي لاقته الإمارة السملالية على يد السلطان مولاي رشيد سنة 1670 م حيث انكتم أمر الأسرة السملالية لقرابة قرن من الزمن، قبل أن يظهر أحفادها من جديد .

ونؤكد أن النقود الكتامية لم يقع رواجها في المناطق الشمالية من المغرب، ومع ذلك نجد مؤخرا في الكتاب الهام الذي أصدره بنك المغرب حول المسكوكات العلوية على يد السيد دانيل أوسطاش (D. Eustache) تأويلا يتعلق بالنقود الكتامية من حيث التسمية ودار الضرب وصاحبها، وهو تأويل موهوم ورد ضمن الشروح التي أضافها أوسطاش لرسالة عمر بن عبد العزيز الكرسيفي بعد ترجمتها بمعية السيد محمد العلاوي وهي ملحقة بالكتاب المذكور. فقد نسبت الموزونة الكتامية إلى دار الضرب القائمة بقصر كتامة ـ كمانسبت إلى الباشا أحمد بن علي الريفي في عهد مولاي المستضىء بن السلطان مولاي إسماعيل العلوي . وينطلق هذا التفسير من مجرد التقارب الموجود بين اسم كتامة والكتامية، ومن الأحداث الدائرة حول قصر كتامة، وقرية كتامة بالريف في الفترة القريبة من تاريخ تأليف الكرسيفي. ويظل هذا التفسير مجرد اجتهاد من قبل أحد خبراء المسكوكات الإسلامية، ونؤكد زيادة على ما أوردناه عن حقيقة هذه النقود وانتسابها إلى منجم أكوتام، أنها لم ترد في أية وثيقة من الوثائق بشمال المغرب وأنها إنما راجت بسوس في الفترة مابين نهاية الدولة السعدية وقيام الدولة العلوية وقد احتفظت بها التقاليد والنوازل الفقهية بسوس لحل المشاكل التي تتضمنها عقود الناس خاصة منها عقود الرهن والديون.


أ. ابن الحاج أحمد بن حمدون، *الدر المنتخب*، مخطوط، خزانة معهد تارودانت رقم م 36 ، 267 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب*، طبع 1988، 283، 298، 318 ؛ ب. محمد السملالي، *نوازل البرجي*، (مخطوط خاص) ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، طبعة 1964، 212 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ط 1962، 16 : 169 ؛ *إليغ قديما وحديثا*، طبعة 1966، 42 ؛ أ. الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، ط 1961، 451 ؛ ع. الكرسيفي بن عبد العزيز، *رسالة في أوزان النقود*، الخزانة الحسنية رقم 1877 ؛ م. الناصري، *الاستقصا* ، 7 : 13 ؛ م. الوزان الفاسي، *وصف إفريقيا* ، (تحقيق حجي والاخضر) 1 : 96 ؛ *خريطة الرواسب المعدنية بالمغرب*، قسم الجيولوجيا، وزارة الطاقة والمعادن، انجاز 1980 (غير منشورة) مقياس 1/500.000 ؛ *وثيقة مدرسة أزاريف عن استغلال معدن أكوتام.*

D. Eustache, *Corpus des monnaies alawites*, collection de la Banque du Maroc, Rabat, 1984, T.1, pp, 585 - 623 ; C. Jackson,

*Account of the Empire of Morocco and the districts of Suse and Tafilalet*, London 1968, p. 127 ; Justinard (colonel), *Le Tazeroualt, un saint berbère : Sidi Ahmed ou Moussa*, Paris 1954 pp. 52-53 ; B. Rosenberger, *Les vieilles exploitations minières et les centres métallurgiques du Maroc* (R.G.M) n° 17 p. 81.
عمر أفا

**أكودار** ← **مراكش** (إقليم ـ)

**أكوديم** ← **خنيفرة** (إقليم ـ)

**أكُوراي**، قصبة تقع على بعد 25 كلم جنوب مدينة مكناس، وتنتمي إلى الدير الشمالي الذي يشكل منطقة اتصال بين مرتفعات الأطلس المتوسط في الجنوب وهضبة مكناس في الشمال. وقد شكل هذا النطاق ـ كما هو الحال بالنسبة لنطاقات الدير بالمغرب ـ ميدانا لتبلور علاقات متباينة حسب الفترات التاريخية، بين الجماعات المتوطنة أو العابرة لهذا المجال، وبين هذه الجماعات والسلطة المركزية. وهكذا فإن قصبة أكوراي التي نشأت في ظل الصراع بين المخزن والقبائل كثكنة مخزنية، والتي فقدت هذا الدور بمجيء الحماية، صارت تبحث لنفسها عن دور جديد، بعد التحولات العميقة التي شهدها دير الأطلس المتوسط منذ بداية القرن.

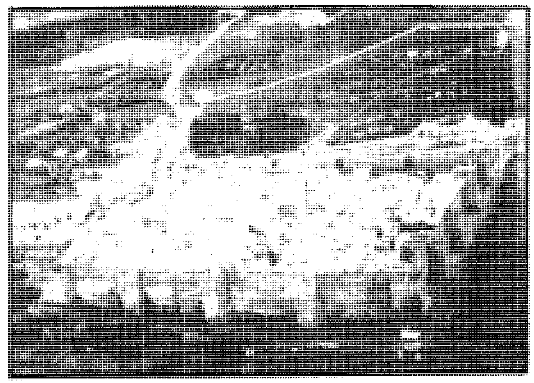

قصبة أكوراي الإسماعيلية

تُشَكِّل قصبة أكوراي موقعا عسكريا أساسيا ضمن الحزام الثالث من القصبات التي شيدها المولى إسماعيل حول مدينة مكناس بهدف تدعيم سلطة المخزن بأحواز المدينة والمناطق الجبلية المجاورة. فإذا كان الحزام الثاني يشكل خطا دفاعيا ثانيا وسكنا لبعض الشرفاء العلويين (قصبة بوفكران، قصبة حرطان، قصبة المنزه...)، فإن الحزام الثالث يقع مباشرة عند مشارف الأطلس المتوسط، (منطقة الدير) ويتشكل هذا الحزام الأخير من قصبات اكوراي والحاجب وإيموزار بالإضافة إلى القلاع التي شيدها المولى إسماعيل خلال حملته ضد أيت يوسي وأيت سغروشن سنة 1096 هـ (قلعة واد گيگو، قلعة وطواط...).

ويعتبر دير أكوراي من المجالات التي يصعب فيها تتبع حركة الاستقرار بسبب حركية السكان ـ التي ترتبط بسيادة النشاط الرعوي ـ ثم قلة المصادر التي تناولت حركة السكان في هذا المجال، باستثناء الكتابات التي تتبعت حملات المخزن ضد القبائل الثائرة، وبعض الروايات الشفوية التي سَجَّلها الفرنسيون خلال السنوات الأولى للحماية. وتشير الوثائق إلى أن دير أكوراي كان في بداية القرن السابع عشر مجالا للنزاع بين قبائل گروان وبني مطير وبني مگيلد، كما أن أول تجمع بشري كان عبارة عن قرية تتشكل من "نوايل" متناثرة على جوانب وادي الرحا (قرب القصبة الحالية)، وفي بداية عهد المولى إسماعيل تعرضت القرية لوباء أتى على معظم سكانها، في حين التحقت البقية بالقصبة التي شيدها السلطان بعين كرمة، بعيدا عن التجمع الأصلي، لتكون ثكنة لعناصر البواخر، وقاعدة الانطلاق لمواجهة القبائل المناوئة بالأطلس المتوسط وخاصة بني مگيلد وأيت يوسي وأيت سغروشن، التي تشكل العمود الفقري لحلف إدْرَاسَن. وبالرغم من صغر حجم القصبة ـ حيث لا تتعدى مساحتها 1,2 هكتار ـ فإنها استقبلت عناصر سكانية جديدة : أسر مطيرية وگروانية، بالإضافة إلى الأسرى الأوربيين الذين اعتنقوا الإسلام (العلوج) وقد استقروا على دفعات متوالية، منذ القرن السابع عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر (كانت آخر دفعة تتشكل من الأوربيين الذين أسروا بقلعية ما بين 1828 و1831. وقد اندمجت هذه العناصر لتكون الأساس السكاني للقصبة.

تطور القصبة : من الثكنة إلى المركز الحضري : يمكن التمييز على أساس التطور الوظيفي والتوسع المجالي لمركز أكوراي بين ثلاث مراحل :

ـ المرحلة الأولى وتمتد حتى أوائل عهد الحماية : لم تسجل القصبة على مدى ثلاثة قرون أي توسع خارج الأسوار، بسبب تدهور الظروف الأمنية ـ فقد كانت تعيش حالة حصار شبه دائم ـ وافتقارها لأساس اقتصادي يضمن نموها وتوسعها، حيث كانت تعتمد أساسا على الإعانات التي تتلقاها من المخزن مقابل الخدمات العسكرية، بالإضافة إلى فلاحة ضئيلة المردود وبعض الحرف التقليدية (صياغة الحلي). وكانت مرافق القصبة تنحصر في المسجد الكبير، الذي استكمل بناؤه في عهد السلطان محمد بن عبد الله، والكتاب الملحق بالمسجد، والزاوية العيساوية التي كان ينخرط فيها معظم السكان.

ـ مرحلة الحماية : أدى الاحتلال الفرنسي لمنطقة السايس (1912) والدير الشمالي للأطلس المتوسط (1914) إلى حدوث تحولات مجالية هامة شملت جميع المستويات.

ـ على المستوي الاقتصادي : أدى استحواذ المعمرين والأعيان على أخصب الأراضي الزراعية بقطاع وادي الرحا إلى تقلص الرصيد العقاري للقصبة وتحول نسبة هامة من السكان إلى عمال فلاحين لدى المعمرين (ضيعات أيت يَعْزَم بالخصوص).

ـ على المستوى الوظيفي : فقدت القصبة دورها كثكنة مخزنية لتتحول إلى مركز قروي تابع لجماعة گروان الجنوبيين.

ـ على مستوى التوسع : شهدت هذه الفترة ظهور بعض الأنوية السكنية خارج الأسوار (دوار عميمي، دوار

الصحراوي...)، غير أن النمو الديمغرافي للمركز ظل محدودا (832 نسمة سنة 1915 و1898 نسمة سنة 1960).

- مرحلة الاستقلال: تميزت هذه المرحلة أساسا بتوسع الأنشطة التالية (قطاع التجارة والخدمات) وتراجع الفلاحة كأساس اقتصادي للقصبة. كما حظي المركز على مستوى التنظيم بتصميم للنمو، لتوجيه توسعه المجالي وهو التوسع الذي اشتدت وتيرته منذ أوائل السبعينيات. وبموازاة ذلك شهد عدد السكان تزايدا مطردا نتج أساسا عن الهجرة، حيث انتقل هذا العدد من 3047 نسمة سنة 1971 إلى 4930 نسمة سنة 1982 (بزيادة سنوية بلغت 5,6٪).

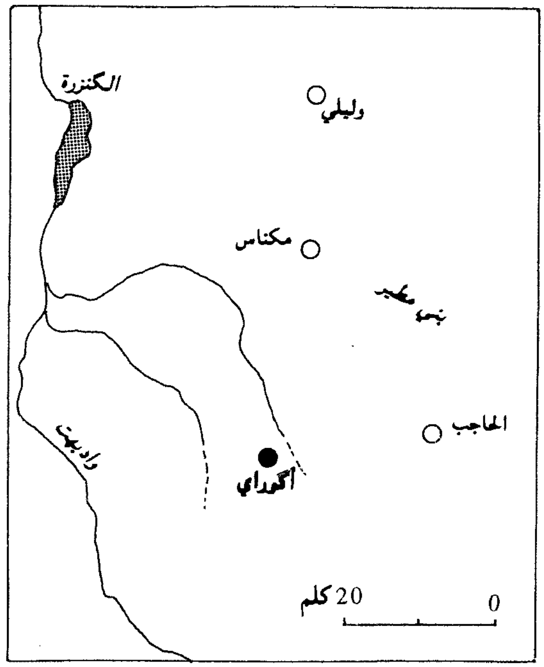


**أكوراي**

وكنتيجة لهذه التحولات بدأ المركز يفقد طابعه القروي ليتخذ صفة المركز الحضري، وقد تعززت هذه الصفة بالأساس بفضل تدعيم الدور الإداري والتأطيري لأكوراي كمقر لقيادة گروان الجنوبيين، وكمركز يضم أهم التجهيزات الاجتماعية بالقيادة (ابتدائيتين، إعدادية، مركز صحي، مركز بريدي...).

أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 68 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة* ؛ إتحاف، 1 : 170 ـ 176 ؛ م. اللحية، *الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر* ؛ ع. اكنينح، *آثار التدخل الأجنبي*؛ ح. جنان، *ميكانيزمات ومظاهر تحول العالم القروي*، مجلة كلية الآداب بفاس، ع. 1 : 109 ـ 151 ؛ *الخرائط الطوبوغرافية لمكناس والحاجب وأكوراي* ؛ وزارة السكنى، *تصميم النمو لمركز أكوراي* 1/2.000.

Abés, *Monographie d'une tribu berbère, les Ait Ndhir (Beni M'tir)*, in A. B., 1917, Ve, p. 149 ; E. F. Gautier, *Le Moyen Atlas*, Hesp., 3e trim. 1925, pp. 251-264 ; P. H. Koehler, *Quelques points sur les captifs chrétiens de Meknès*, Hesp., tome 8, 1928 ; P. Olivier, *Répartition des tribus et de la propriété dans la banlieue de Meknès*, BESM, 1936, pp. 271-275 ; J. Célérier, *L'économie montagnarde dans le Moyen Atlas*, RGM, nº 1, 1939, pp. 57-67 ; F. Joly, *Place des pays de piémont dans la vie économique et humaine du Maroc*, Notes marocaines, nº 13, 1960, pp. 97-102 ; M. Kerbout, *Les périmètres irrigués du "Dir" moyen atlassique septentrional*. D.E.S. 1981 ; *La mutation des structures agraires dans les périmètres irrigués du Dir moyen - atlassique septentrional, aspects et mécanismes*, RGM, nº 7, 1983, pp. 89-109 ; *Atlas de Sebou*, Cartes + Notices ; M.A.R.A, *Projet de développement intégré de la région d'El Hajeb (Commune du Dir)*, D.P.A, Meknès.

عبد الرحمان رحو

**أگـوز**، عاصمة منطقة رجراجة في العهد الموحدي. تقع على الضفة اليمنى لنهر تانسيفت، على بعد حوالي عشرة كلمترات من المصب، قبالة قلعة حميدوش ببلاد الشياظمة. وصفها البكري ومؤلف كتاب *الاستبصار* بميناء أغمات. ويبدو أن تراجع أگوز بعد القرن الثاني عشر يعود إلى الصعوبات التي تواجهها السفن المستعملة للنهر بين الميناء والمصب (*الاستبصار*، 207). لذا سرعان ما هجرت السفن أگوز التي عوضتها أسفي كمنفذ لمنتجات دكالة والحوز. وهكذا لم يُثر حصن أگوز انتباه الوزان الذي لم يشر إليه. كما لم تتعرض له كتب الرحلات البرتغالية والإسبانية التي ازدهرت في نهاية القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر، والتي أولت عناية خاصة للساحل المغربي. إلا أن أگوز لم تندثر. فقد كانت في بداية القرن السادس عشر محصنة وآهلة، أقطعها الملك البرتغالي لأول قبطان في أسفي سنة 913 / 1508، غير أنه لم يستقر بها لوقت قصير إلا سنة 921 / 1515. وذكر الإخباري البرتغالي أگوز ضمن القرى الخاضعة للبرتغاليين، والتي كانت تدفع لهم ضريبة سنوية. وكان صحن أگوز يكتسي بالنسبة لهؤلاء أهمية استراتيجية قصوى، خصوصا بعد استقرار السعديين بالشياظمة (918 / 1513). فقد أصبحوا يتوخون من التحكم فيها مراقبة منطقة الشياظمة، ومنع الشرفاء السعديين من تجاوز تانسيفت والاتصال بعبدة التي كانت آنذاك أهم حلفائهم بدكالة. ولتحقيق هذا الهدف أرسل قبطان أسفي خمسين فارسا للإقامة بأگوز (1515). إلا أن سكانها أخلوها حين دخول محمد البرتغالي إلى دكالة سنة 924 / 1518. وهكذا بقيت قرية أگوز فارغة إلى أن مر بها مارمول (2 : 110).

ويبدو أن تغير الأوضاع السياسية بدكالة لصالح السعديين بعد قتل أكبر قبطان بأسفي سنة 922 / 1516 ويحيى أو تعفوفت (923 / 1518)، ووصول النفوذ السعدي إلى أسوار أگوز دفع المسؤولين البرتغاليين إلى إعادة النظر في الأدوار التي يمكن أن تلعبها أگوز للحفاظ على المكتسبات البرتغالية. فخلال سنة 925 / 1519 درس البلاط البرتغالي مشروع تحصين كل من أگوز وسگياط للحد من النفوذ السعدي. وفي نهاية الأمر تقرر التخلي عن الموقع القديم لأگوز وبناء قلعة على الساحل احتفظت بنفس الاسم، وهو الحصن المعروف اليوم بـ "الصويرة القديمة". وشيد هذا الحصن على مرتفع صخري صغير يحيط به البحر من جهتين سنة 926 / 1520. غير أن الحصن سرعان ما أصبح بدوره عرضة لهجمات المجاهدين الذين ضربوا حصارا حوله

وحرموا حاميته من مياه العيون التي كانت تعتمد عليها في شربها. وأمام عجز لشبونة عن تزويد الحصن بما كان في حاجة إليه من أقوات وعتاد وأموال، تم التخلي عنه سنة 931 / 1525.

أ. البكري، *الاستبصار* ؛ أ. بوشرب، *دكالة*.
P. de Cénival [et al...], *S. I. H. M*, Série sa'dienne, Portugal, tomes 1 et 2 ; B. Rosenberger, *Note sur Kouz, Un ancien port à l'embouchure de l'Oued Tensift*. H.T., 1967, vol. III. fasc. unique.

أحمد بوشرب

**إكُونْكَا**، اسم مجموعة بشرية صغيرة (حوالي 350 كانون في بداية القرن العشرين)، تنتمي إلى اتحادية «أشْتُوكَنْ» أو هشتوكة الواقعة أراضيهم جهة الجنوب من مدينة أگادير.

أما أراضي «إكونكا» بالذات، فتقع جنوب مدينة «بُويْگْرا» وتمتد على منطقة هضبية بين الأطلس الصغير وسهل سوس. ويحدها «إيداوگاران» من الجنوب و«إيمْشْگيگيانْ» من الشرق، و«تاسْگْدَلْتْ» من الشمال، و«إداوْمحمّدْ» وإداوْمْنُّو» من الغرب.

وبخصوص المعنى اللغوي لكلمة «أكْنْكُو» في المفرد، وجمعها «إكُونْكَا»، فإننا لم نتمكن مع الأسف من التعرف عليه وتحديده الآن، اعتمادا على ما هو مكتوب من كتب اللغة.

إن موقع بلاد «إكُونْكَا» عند ملتقى الجبل والسهل، أثر كثيرا على مجرى حياتهم السياسية والاقتصادية. إذ جعلهم ذلك على الدوام بين أخذ ورد بين جاذبية السهل والسلطات التي تتحكم فيه، وضغط الجبل المائل إلى الاستقلال والتملص من سلطة المخزن التي تسود عادة في المناطق السهلية.

وقد تورطوا أكثر من غيرهم من سكان "الدير" نظرا لوجود واحد من أهم المسالك الطبيعية التي تخترق الأطلس الصغير الغربي من شماله إلى جنوبه، انطلاقا من أراضيهم.

هذا الطريق يبتدئ من «إمي مْقُّورْنْ» أو المدخل الكبير، عند الحدود الغربية لأرضهم ويمر ببلادهم ليؤدي إلى أيت بَاهَا وأيت مْزالْ ثم إلى إداوْسْمْلالْ وأمانوزْ حتى تامانارْتْ...

ومنه تمر حركات المخزن عند الضرورة في اتجاه الجبل، وإليه ينتبه الجبليون ليتحكموا فيه درءاً لحملات المخزن العسكرية.

هذه الوضعية التي تعرضهم للضغوط الآتية من السهل والضغوط الآتية من الجبل، والتي تتكرر دوريا حسب ما يقع من تغييرات على مستوى السلطة المركزية - بالإضافة إلى عوامل أخرى - اضطرتهم إلى البحث عن وسائل ناجحة، تقيهم من خطر الفناء في زمن الأزمات. ومن هذه الوسائل مؤسسة أگادير أو حصن الجماعة، والمعروف باسم «أگادير نْ - إكُونْكَا». (انظر مادة أگادير).

لقد تأسس هذا الحصن في أواخر القرن السابع، في أعلى منطقة من بلاد إكونكا وهي المسماة «أزيلالْ»، وهي التي توجد فيها أقدم قري إكونكا مع المدرسة والسوق واختيار هذا الموقع راجع بالطبع إلى أسباب أمنية. ومعلوم أن منطقة سوس عرفت في نهاية القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر اضطرابات كثيرة بسبب الثائرين على السلطان من أفراد عائلته وأبنائه.

ومنذ تأسيسه إلى نهاية القرن التاسع عشر، أدخلت عليه تعديلات متوالية قصد توسيعه وتحصينه. ويبدو أنه كان في البداية ملكا لثلاث مجموعات فقط، هي : أيت باحْمانْ وأيت صيصا وأيت مْشْراكْ، ثم انضم إليهم بعد ذلك أيت واراحْمانْ، وهذه المجموعات تكون نصف «قبيلة» إكونكا.

وفي بداية القرن التاسع عشر، بدأ الحصن يحمل اسم "أگادير نْ - إكونكا" بعد أن كان يسمى في الوثائق التي كتبت قبل التاريخ المذكور "حصن بني باحمان" وفي نفس الوقت التحقت المجموعات المكونة للنصف الآخر من "إكونكا" بالمشاركين في الحصن. وبذلك أصبح مؤسسة يستفيد منها مجموع سكان «القبيلة».

وحتى تكون مؤسسة أگادير المركز الموحد للجماعة، والمكان الآمن لممتلكاتها وأسباب عيشها، والملجأ الحصين لها حين تداهمها المخاطر، أحاطها المستفيدون منها بهالة من الاحترام والوقار، كما وضعوا قانونا يعتمد في تسييرها وفي حل ما قد يعرض من مشاكل ونوازل أثناء ذلك. كما كونوا مجلس «إنفْلاسْ». الذي يسهر على تنفيذ القانون وتأويله، وقد يضيف إليه عند الضرورة بعض البنود التي تستلزمها المستجدات من القضايا. وهذا المجلس يتجدد كل سنة، ولا يشارك فيه إلا ذوو السمعة الطيبة والأخلاق المحمودة من علية القوم.

R. Montagne, *Un magasin collectif de l'Anti-Atlas : L'Agadir des Ikounka*, Hesp., tome IX, Année 1929, 2 - 3e trim., pp. 145-266.

صدقي علي أزايكو

**إگِيدَرْ**، يطلق الاسم في الشلحة على الصقر، وقد سميت به فرقة من قبيلة أيت زلطن الحاحية، واشتهرت عندما عينت إدارة الحماية الفرنسية أحد أولادها قائدا على قبيلة أيت زلطن وأيت عيسى وهو القائد محمد السيد أزلطن، وبعده ابنه القائد المختار بن محمد السيد الزلطني الذي تولى القيادة عام 1340 / 1921. ومن خلفائه على قبيلة أيت عيسى القائد أحمد إگادْرْنْ الذي تولى عام 1340 هـ كخليفة لعمه على هذه القبيلة، فشدد عليهم في الحكم حتى ثاروا عليه ذات يوم ورموه بالبارود، فقتل أحد رفقائه دون أن يصاب هو بشيء. ومن أعماله بإگي مهند الذي هو مركز حكمه بناء حصن وبجانبه رياضه البديعة التي حشد لبنائها جميع عمال وصناع القبيلة، وكان مولعا بالتدخين والفساد، وله في التدخين ذوق خاص مع بعض سماره، وأدى ذلك إلى أن دس له فيه بعض سماره السم فمات فور تناوله، في إحدى ليالي سمره عام 1342 / 1923. فعين مكانه القائد المختار آتي الترجمة.

**إگيدْر، علال** بن أحمد إلى سنة 1354 / 1935 حيث تنازل القائد المختار عن الحكم على قبيلة أيت عيسى وفصلها عن إيالته بسبب خلاف حدث بينه وبين أفراد عائلته إگادرن وعلى رأسهم خليفته علال، وقرر أن يعزله فلم يجد وسيلة تبرر له غايته تلك غير التنازل عن ذلك الجزء من ايالته للقائد التيگزيريني. أما القائد المختار فقد ظل قائدا على قبيلة أيت زلطن إلى أواخر عهد الحماية.

**إگيدْر، المختار** بن محمد، ولد حوالي 1308 / 1890، وتولى قيادة أيت زلطن وأيت عيسى منذ عام 1920 بعد أن توفي والده القائد، وكان جده علي كاتبا خاصا للسلطان مولاي الحسن ورافقه في جميع تنقلاته، وللمختار إگدر أخ يدعى المهدي وهو خليفته وتحته بنت القائد السابق لأيت زلطن أحمد أمبارك الذي تولى بعد عبد الله أبيهي.

*تحريات مدنية.*

J. et M. Gouvion, *A'ayan al-Maghrib al-Aqsa*

محمد أيت الحاج

**إگيسْل**، معناه : المكان الذي على مجرى مائي. وقد يطلق على ساقية مرفوعة فوق الحنايا والأقواس وهو وارد اسما لعدة مواقع. وقد ورد اسم إگيسل في كتاب *التشوف* (ص. 423). وفي تامسنا موقع إگيسل آخر وهو الذي يعرف اليوم بـ گيسْرْ على بعد 28 كلم من سطات في طريق البروج، وبه أطلال عمارة قديمة.

أحمد التوفيق

**أُكيك**، محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان. وأكيك بهمزة مضمومة في أوله تفيد النسبة إلى بلده الأصلي كيك (بكافين عاديتين) وهو بلد واقع في هضبة عالية وراء قرية مولاي إبراهيم جنوبي مراكش على بعد حوالي خمسين كلمترا. فقيه متمكن "انتهت إليه الفتاوي بالبلاد الدمناتية" (*الإعلام*، 6 : 80) له كتاب *عنوان الشرعة وبرهان الرفعة في تذييل أجوبة فقيه درعة*، ذيّل به فتاوي الفقيه محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الدرعي، أتمه يوم الاثنين رابع شعبان عام 1167 / 27 ماي 1754 ويقع في أحد عشر كراساً من القالب الكبير ويوجد مخطوطا في خزانة تناغملت. وله كتاب فقهي آخر في حكم حوز القبائل سماه *مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال*، وحاشية على *نوازل العباسي*، وله كتاب في *أزواج النبي*، وكتاب مفقود اسمه : *العنوان، أن ليس الخبر كالعيان*.
درس الكيكي بمراكش وتامگروت وأخذ طريق الناصريين وعُدّ من أعلام تلاميذهم، وانتهى به المقام إلى قبيلة كرول من جبال دمنات حيث كان يرشد إلى الشرع.

توفي في شهر رجب عام 1185 / أكتوبر - نونبر 1771.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مرقون بتحقيق محمد الحبيب نوحي ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، بتحقيق أ. عمالك ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 6 : 80 ـ 81 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ أ. التوفيق، مقدمة تحقيق كتاب *مواهب ذي الجلال*.

محمد حجي

**إگيليز**، (گيليز) كلمة أمازيغية لم يضبط بعد مدلولها اللغوي. غير أن المادة المعجمية «گلز»، تحتوي على معان تقرب كثيرا مما يمكن أن يكون هو المعنى الحقيقي لـ«إگيليزْ». من بين هذه المعاني نجد ما يدل على : الشيء المتروك أو المنعزل / على البقايا أو الزوائد / على مخلفات أي شيء نصف محروق.

كما أن كلمة «إگليز» (ج. إِگْلزَانْ) أو «إِگْلگيزْ» (ج. إگْلگيزَنْ) (وهذه الأخيرة يمكن أن تنطق بقلب الگاف الأخيرة ياءً)، تستعمل حتى اليوم لتدل على الحشرة السوداء المعروفة باسم «الجُعَل».

إن هذه المعاني يمكن أن تلاحظ كلها في جبل إگيليز (گيليز) القريب من مراكش بصفة خاصة. فهو شبه متروك ومنعزل، وسط سهل الحوز الواسع، بالنسبة إلى السلسلة الأطلسية ومرتفعات «جبيلات» الواقعة على الضفة اليُمنى لنهر تانسيفت. وكأنه من بقايا الجبال المذكورة أو من زوائدها، انسحبت عنه وبقي فَضلة في شكل تل صخري شاهد وسط بسيط من الأرض. كما أن اللون الغالب عليه في عين الناظر إليه، هو اللون الرمادي المائل إلى السواد.

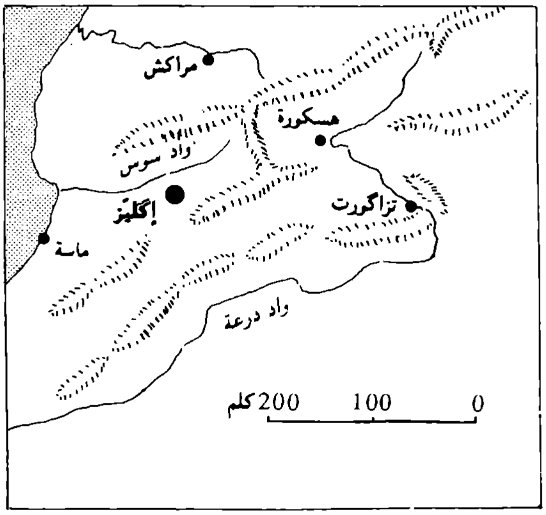


لقد ارتبطت شهرة كلمة «إگيليزْ» أو «إِگْليزْ»، بمكانين تاريخيين هامّين هما : جبل بـ«أَرْغَنْ» أو هَرغة سوس؛ كان الإمام المهدي بن تومرت، يختلي فيه للتأمل والتعبد، قبل انتقاله إلى تينملّ. وهو الذي ينعته البيذق ب «إگيليز متاع هرغة»، رفيه يقول كذلك : «... لما دخل [الإمام المهدي] الغار [إيفْري] معتكفا فيه بإگيليز برباط هرغة...». تلقى البيعة الأولى من أتباعه. وقد بويع البيعة الكبرى حين استقر بتينملّ. وبعد موت محمد ابن تومرت. اتخذ الموحدون «الغار المقدس» و«المسجد المعظم» الذي بجواره، مزاراً يحتفى به، وتشد إليه رحال الخلفاء.

ويبدو أنه بقي كذلك حتى القرن الثامن عشر، وهذا ما يفهم على الأقل من عبارة مؤلف *رحلة الوافد*. حين يقول : «... وقد سألت بعض من لقيته من أهل بلده [ابن تومرت] من هرغة سوس. على اسم بلده هناك عندهم، في

أي موضع هو فيه، فقالوا لي تأصيله من عندنا، من مدشر يقال له تفگّتْ. وله حصن عندنا في أعلى جبل يقال له إگيليز. ودَيار وأثر قصبة مشهور عند الناس، واحدق على ذلك من طرف الجبل بسور من حجر...» وقد اعتقد محمد المختار السوسي أن «إگيليز» تحريف لـ «إگلي». وهذا غير صحيح، لأن المكانين موجودان في أرْغَنْ باسميهما. ثم إن كلمة «إگيليز» توجد في أماكن أخرى غير هرغة ومراكش.

أما المكان الثاني، فهو جبل صغير منعزل (527 م)، يقع شمال غرب مدينة مراكش، لعب دورا هاما في التاريخ العسكري للمدينة، حيث كان على الدوام نقطة ارتكاز كل الجيوش التي هاجمتها. كما أثر إلى حد ما في المجال العمراني للمدينة، إذ كان يكون المصدر الوحيد القريب لأحجار البناء. ومنه اقتلع المرابطون مادة بناء قصر الحجر. وأعطي اسمه لأول حي عصري بالمدينة.

وتجدر الاشارة هنا إلى أن هذا الجبل كان كذلك خلوة الأولياء أمثال محمد بن تميم الزناتي وأبي العباس السبتي وغيرهما.

أ. البيذق، *كتاب أخبار المهدي* (طبعة باريس) 30، 40، 72 وغيرها ؛ ي. التادلي، *التشوف*، 149، 395، 459 ؛ ع. بن إبراهيم، *رحلة الوافد*، 243 ؛ م. السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 166 وما بعدها.

Ch. De Foucauld, *Dictionnaire*, 428-29 ; E. Laoust, *Contribution*, 117-118 ; C. Deverdun, *Marrakech*, 4, 19, 53.

صدقي علي أزايكو

**الإگيوازي**، أبو بكر بن محمد (1279 ـ 1355 / 1862 ـ 1936) البعقيلي أصلا الإگيوازي التمنارتي مولدا ونشأة، تلقى تعليمهِ الأول ببلدته، ثم جال في سبيل تحصيل العلوم الشرعية، فزار المدرسة الإلغية والأخصاصية والإفرانية قبل أن يلقي مراسيه بالمدرسة البونعمانية بين يدي العلامة مسعود المعدري فلازمه سنوات، شارط إثر تخرجه في مدرسة إيمي أگادير ثم في أقّا، غير أن القضاء والفتيا غلبا عليه وبهما اشتهر وعرف، موصوفا بالتواضع والعدالة، في المرتبة العليا بين الفقهاء جهة تمنارت إلى أقا، له اتصال برؤساء تمنارت آل أبلعيد، فكان يقضي ويفتي تحت رعايتهم قبل الاحتلال. له رسائل منشورة في *المعسول* مع مؤلّفين : الأول في الأمير أحمد الهيبة، والثاني في شرح قصيدة صوفية.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 9 ؛ *سوس العالمة*، 203 ؛ رجالات.

عبد الله درقاوي

**ألاركُونْ**، (بِّيدْرُو أنطونيو Pedro Antonio de Alarcon) محام وصحافي إسباني، يعتبر من أشهر الأدباء والكتاب الإسبان في القرن التاسع عشر، ولد بمدينة وادي آش بالقرب من غرناطة يوم 10 مارس 1833، ولم يكن له من العمر سوى عشرين سنة عندما أسس بغرناطة مجلة صدى الغرب (*El Eco de Occidente*) التي أصبحت من أشهر المجلات الأدبية بإسبانيا، ثم انتقل إلى مدريد حيث كان يشارك في جميع المجلات الأدبية الصادرة آنذاك بالعاصمة الإسبانية.

وفي عهد الملكة إسابيل الثانية (Isabel II) لم يكن بمدريد صحفي أشهر من ألاركون لأنه جعل من جريدة (*El Làtigo*) منبرا لمحاربة الملكة المذكورة لعدم اهتمامها بشؤون الدولة.

أنجز ألاركون عشرات المؤلفات في ميادين الأدب والقصة والمسرح. وأول إنتاج له قصته المسرحية التي تحمل عنوان الابن المبذر (*El hijo pròdigo*). أما آخر إنتاجه فهو كتابه الذي يحمل اسم تاريخ كتبي (*Historia de mis libros*) وقد نشر جميع إنتاجه سنة 1899 في 19 مجلدا ضخماً.

وازدادت شهرة ألاركون عندما التحق تلقائيا بالجيش الغازي لبلاد المغرب في أواخر سنة 1859 بهدف القيام بعمل مراسل لأهم الصحف الإسبانية التي كانت تنشر مراسلاته عن الحرب القائمة بشمال المغرب، وهذه المراسلات هي التي تم طبعها سنة 1861 تحت عنوان يوميات شاهد عيان للحرب الإفريقية *Diario de un testigo de la guerra de Africa* هذا المؤلَّف الذي أصبح اليوم يكوِّن المرجع الإسباني لتاريخ تلك الحرب، وقد طبع عشرات المرات بإسبانيا وبدول أمريكا الجنوبية.

وقبل انتهاء الحرب عاد ألاركون إلى مسقط رأسه حيث انتخب نائبا بمجلس الشيوخ، ثم عين وزيرا مفوضا لبلاده

بالسويد والنرويج. وفي سنة 1875 عين مستشارا للدولة بمدريد، وفي نفس السنة التحق بالأكاديمية الملكية للغة الإسبانية، وتوفي بمدريد يوم 10 يوليوز 1891.

P. A. Alarcon, *Obras completas*, Madrid 1899 ; *Diario de un testigo de la guerra de Africa*, Madrid, 1860 ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, tomo 4.

محمد ابن عزوز حكيم

**أَلْبَرني**، عائشة بنت علال، ولدت سنة 1938 بوادي زم إقليم خريبكة، وشاركت في حوادث الانتفاضة الشعبية التي عرفتها مدينة وادزم والنواحي المجاورة يوم 20 غشت 1955 مشاركة فعالة، تلك الانتفاضة التي واجهها الجيش الفرنسي بإطلاق النار من الطائرات الحربية على المتظاهرين فسقطت عائشة وهي حاملة العلم المغربي وصورة محمد الخامس في جملة القتلى ضحايا القمع الوحشي.

**ألبيرش الحداد**، محمد بن عمر بن الحسن. ولد سنة 1933 بالرباط وعمل في صفوف المقاومة واعتقل سنة 1952 على إثر مشاركته في قنبلة سينما الحمراء بحي العكاري حيث مكث في السجن مدة سنة. وبعد خروجه ذهب إلى الدار البيضاء وبقي هناك ستة أشهر، ثم التجأ إلى تطوان، ومن هناك كان يقوم بتهريب الأسلحة لتزويد المقاومين بالمنطقة السلطانية. وبعد الاستقلال التحق بمدينة الرباط، فاغتيل بحي العكاري يوم الاثنين 27 يبراير 1956.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**إِلْطُون** Elton أسرة إنجليزية نزحت من جبل طارق إلى المغرب حوالي 1834 للتجارة. وكان منها :

**إلطون، وليام جيمس** W. James الذي استوطن سنة 1834 مدينة الصويرة، ثم عين نائبا قنصليا بالرباط (1847 ـ 1856) والصويرة (1856 ـ 1867) ثم أسفي سنة 1867. وكانت وفاته بها سنة 1869. وله تقارير قنصلية وتجارية بالوثائق البريطانية : F. O. Consular Report.

**إلطون، وليام صامويل** W. Samuel وظف بالنيابة القنصلية بالرباط مع أبيه ثم بأسفي حيث اعتنق الدين الإسلامي سنة 1858. وكانت وفاته بها سنة 1869.

م. بوشعراء، *الهجرة من المغرب وإليه مخطوط.*

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 105 et 2 : 336.

مصطفى بوشعراء

**الألعاب الأولمبية والمغرب**، الألعاب الأولمبية تظاهرة رياضية قديمةنظمت لأول مرة ببلاد اليونان سنة 776 ق.م وكان آخر مهرجان أقيم لها سنة 393 م حيث اقترن توقف هذه الألعاب بمنع كل المناسبات والطقوس الوثنية.

وفي 25 نوفمبر 1892 قام بيير دي كوبيرتان (Pierre de Coubertin) بعرض مشروع على اللجنة الدولية العليا للرياضة لإحياء هذا التقليد الرياضي العريق وتنظيمه من جديد بكيفية مخالفة للعهد الإغريقي القديم بحيث يكتسي صبغة عالمية ويعرف تنوعا في الألعاب بعد ان كان مقتصراً على العدو والمصارعة قديما. وفي خريف 1896 كانت أثينا عاصمة اليونان نقطة انطلاق أول دورة أولمبية في العهد الحديث. وتوالت الدورات بفاصل أربع سنوات بين الدورة والأخرى كما عرفت الألعاب توقفا أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية.

وفي سنة 1960 دخل المغرب حظيرة الألعاب الألمبية وكان ذلك في دورة روما بإيطاليا. وقد توج المغرب انضمامه بإحرازه على أول ميدالية مغربية في تاريخ الأولمبياد وذلك بواسطة العداء محمد الراضي في سباق الماراطون حيث احتل الصف الثاني وراء الإثيوبي "أببي كيلا" ونال الميدالية الفضية.

ثم شارك المغرب في دورة طوكيو باليابان سنة 1964 وكذلك في دورة مكسيكو سنة 1968 ودورة ميونيخ بألمانيا الغربية سنة 1972 وغاب عن دورتي مونريال بكندا سنة 1976 وموسكو بالاتحاد السوفياتي سنة 1980.

كانت مشاركة المغرب في هذه الدورات مشاركة متواضعة حيث لم يحقق الأبطال المغاربة أي إنجاز، إلى أن جاءت دورة لوس أنجلس سنة 1984 فدخل المغرب هذه الألعاب من بابها الواسع وقلب كل التكهنات حيث استطاعت العداءة نوال المتوكل الإحراز على الميدالية الذهبية في مسافة 400 م حواجز، فكانت أول فتاة عربية إفريقية ومسلمة تحقق هذا الإنجاز، وأضاف البطل العالمي سعيد عويطة ميدالية ذهبية أخرى في سباق 5000 م مستوية. ويسدل الستار على دورة لوس أنجلس لتحمل الشعلة الأولمبية إلى سيول عاصمة كوريا الجنوبية حيث أقيمت دورة 1988 وقد كان أمل المغاربة كبيرا في تحقيق أكبر إنجاز أولمبي، لكن سوء الحظ حال دون ذلك حيث أصيب البطل العالمي سعيد عويطة بتوعك جعله يكتفي بالرتبة الثالثة في مسافة 800 م مستوية ويحرز على الميدالية النحاسية في حين حقق مواطنه إبراهيم بوطيب المفاجأة بفوزه في سباق 10.000 م مستوية ونال الميدالية الذهبية. واختتم الملاكم عشيق سلسلة التتويج بميدالية نحاسية أخرى. وعلى الرغم من كل هذا فإن الأبطال المغاربة وخاصة في ألعاب القوى قد مثلوا الرياضة المغربية أحسن تمثيل ولا أدل على ذلك من تأهلهم إلى الأدوار النهائية في كل المسافات والمسابقات وهم عاقدون العزم على الفوز في ملتقى برشلونة حيث ستقام الدورة المقبلة 1992.

الدورات الأولمبية التي شارك فيها المغرب :

| | | | |
|---|---|---|---|
| 1960 | روما | 1972 | ميونيخ |
| 1964 | طوكيو | 1984 | لوس أنجلس |
| 1968 | مكسيكو | 1988 | سيـــول |

Bernard Gillet, *Histoire du Sport*, "Que sais-je", p. 30-106; *Chronologie Universelle*, p. 21-98.

محمد بلعربي

**إلغ**، قرية ومدرسة تطلبتا من محمد المختار السوسي إلماما لا مزيد عليه يقتضي تمحيصاً للعلاقة بين المؤلف ومؤلفاته. فقد يعتقد البعض أن ارتباط الفقيه بمسقط رأسه ومدرسته هو دليل على وفرة ما يمكن أن ينجز عنها. لكن الواقع أن علاقته بإلغ موطنه الأصلي جعل مجهوداته المتواصلة تتجاوز الإلغيين إلى ماعداهم. لقد عنون أضخم إنجاز له حول هذه المدرسة و زاويتها *بالمعسول* في الإلغيين وأساتذتهم وأصدقائهم. وبذلك يكون قد تتبع أخبار من سكن إلغ ومن عاصر مدرستها من فقهاء سوس وبعض الصحراويين. وإذا تتبعنا دلالة هذا المنهج تحول كتاب *المعسول* إلى أضخم إنجاز في تراجم الأسر العلمية والسياسية السوسية. وبذلك يكون المؤلف قد وفر لباحث القرن المقبل أهم أداة مكتوبة للبحث والتنقيب في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمنطقة (*سوس*، 225 ـ *المعسول*، 1 : د ـ هـ ـ و ـ ز). ويمثل هذه الرؤيا يمكننا أن نحدد أهمية قرية إلغ ومدرستها اللتين دخلتا التاريخ من باب أوسع من أن يقتصر عليهما.

لعل أقدم إشارة إلى قرية إلغ في المصادر التاريخية هي تلك التي وردت في *ديوان* أحمد المنصور الذهبي في مختتم القرن العاشر الهجري. ولربما كان السبب راجعًا إلى انزواء القرية والبسيط الذي يحمل نفس الاسم داخل سلاسل الأطلس الصغير. فهي تعزله من الجهات الأربع فاصلة بذلك بين مداشره الإحدى والعشرين وبسيط تزنيت التي تبعد من جهة الغرب بحوالي 84 كلم. ولابد أن نشير أيضا إلى أن معدن النحاس القريب من مدشر أكجكال يعتبر أهم مورد للبسيط على اتساع أرجائه. فقلة الموارد المائية والجدب والإقلال هي التي تسبب قلة الإنتاج الفلاحي كعامل أساسي في الحيلولة دون تحقيق مشاريع علمية بحجم يستحق الذكر (*المعسول*، 1 : 27). فكيف إذن وفي أية ظروف تأسست مدرسة إلغ؟

قبل أن يتم هذا التأسيس كانت بمجمل مداشر البسيط مدرستان لم تفلح الأولى بازربي في تخريج ولاطالب واحد. أما الثانية فهي الوافقاوية التي كان يسيرها الكرسيفيون مكتفين بمسايرة سكان المداشر (*المعسول*، 1 : 41). يتضح إذن أن الوعي بضرورة مدرسة علمية بالمعنى المتوارث يستلزم معرفة المقاييس العملية الضرورية. لذلك فإن مدرسة إلغ في حد ذاتها لم تتأسس خلافا لما جرت به العادة بفضل أو مساهمة الفصائل المقيمة بعين المكان. لقد جاءت توضيحات محمد المختار السوسي حفيد المؤسس لتعبر عن إرادة هذا الأخير وطموحاته. لذلك يكون لزاما الوقوف عند خصائص محمد بن عبدالله بن صالح الإلغي المؤسس ووضعيته التي تقارب مابين إمكانياته المحدودة من جهة وطموحاته اللامحدودة من جهة أخرى. كانت ولادته سنة 1265 / 1848 بإلغ التي كان مسجد زاويتها موقوفا على طلبة دوبلالن التمليين. ولربما كان لهذا العامل صداه في نفس الشاب الذي لم يلبث أن غادر موطنه للتحصيل وتكميل تعليمه. فبعد غياب دام زهاء عشر سنوات نجده وقد أصبح عالما وقاضيا يحدد اختياراته. ومما لاشك فيه أن لهذه المرتبة الاجتماعية ميزتها التي ستميزه كأول شخصية بهذا الحجم بين أفراد أسرته وفصيلته البسيطة (*المعسول*، 1 : 161). على أن علاقته المباشرة بواقع أسرته ستظل القاعدة التي ترتكز عليها اختياراته انطلاقا من وضعيته. وهكذا نستسيغ أنه ربما يكون قد خطط لمشروعه الشخصي قبل البداية في الأشغال سنة 1291 / 1874 (*المعسول*، 1 : 163). لسنا ندري إذن كيف تم التخطيط للمشروع ولكنا نراه بصدد تحويل المسجد إلى مدرسة صغيرة تتألف من المرافق المعتادة من غرف وهري للتخزين ومطبخ ومغسل للوضوء وساحة للحطب. وقد تبنت هذه المرافق جلب الطلبة الذين أشرف المؤسس على تسيير شؤونهم وتعليمهم وتحمل نفقاتهم إلى أن غادر القرية مجدداً بعد ثلاث سنوات. وهنا يمكن أن نتساءل بحق عن السبب الذي دفع به إلى المشارطة بالمدرسة البومروانية سنة قبل مجاعة 1295 / 1879 التاريخية؟

لمدة ثلاث سنوات شمل الجفاف الأخيرتين منها جمع المؤسس مذخراته مما توصل به من شرط مسجد الزاوية البومروانية من جهة ومدرستها من جهة ثانية. وإذا لم تكن المجاعة هي مبتدعة التخطيط الذي مكنه من تطوير أساليبه في اقتناء أكبر قدر من أراضي بسيط إلغ، فإنها قد وفرت له الشروط الكفيلة باستغلال نكسة الآخرين لحسابه. نصبح من هنا أمام وضعية كفيلة بضبط مخططات استثمارية على المدى القريب والبعيد. لقد جاءت حيازة الأراضي بأبخس الأثمنة كتغيير في حجم ونوعية دوره المحلي حينما أصبح بمستطاعه في هذا البسيط المجدب انتاج 1000 غرارة من الحبوب في السنة الممطرة (*المعسول*، 1 : 168). وبإعادته تخطيط المدرسة التي ضاق حجمها عن استقبال الوافدين يكون المؤسس قد اهتدى إلى الطريقة المثلى التي تصب في مختلف الاتجاهات التي تنصرف إليها اهتماماته. هذا ما يفيده الوقوف ولو بسرعة على مجرى تطور الأحداث. فقد قرر التاكانزيون والتاجارمونيون والأغوديديون الإعانة بجزء من أعشارهم سنويا وتكفل آل أسيف مقُّورن بإمداد المؤسسة بمايلزمها من الحطب. فلم يبق إلا المرابطون الذين تعتبر الإعانات من بين الركائز المعتمدة في مداخيلهم. على أن فصلا مهما انتهى بتخصيص نصيب من أعشاره السنوية للمؤسسة وامتنع الباقون بحجة أن مدرستهم المنافسة الجديدة بإيمور لن تكون أقل أهمية (*المعسول* : 1 : 165 ـ 168).

نرى بذلك كيف يمكن لتسيير المدرسة الإلغية أن يتحول إلى نوع من الاستثمار الذي يستهدف الإبقاء على التجهيزات وتعويض المدفوعات بعد أن تتكفل فصائل إلغ بتحمل النفقات. لقد تطور أسلوب المؤسس في التعامل مع مؤسسته إلى عملية تنظيمية تتلاءم ونوعية الأزمات الطبيعية التي لن تلبث أن تعاود المنطقة. على أن المدرسة

لن تبلغ، رغم المجهودات المتواصلة للمؤسس، شأو المدارس العتيقة حيث لم يتعد عدد الواردين عليها أزيد من خمسين (*المعسول*، 1 : 166). وقد ظلت المدرسة البومروانية قدوة ومثالا يحتذى به في إلغ نظرا لما للمؤسس من ارتباط بها وبأساتذتها الذين تتلمذوا عليه. ولربما كان لمحدودية مدرسة إلغ هذه دور في انشغال المؤسس عن التعليم بالبت في النوازل وبالقضاء لأزيد من سنة ونصف في آخر حياته. ذلك أنه لما قرر العودة من جديد إلى مؤسسته لم يلبث أن توفي سنة 1303 / 1868. فقد استناب في ربيع هذه السنة ابنه علي الدرقاوي والد مؤلف *المعسول* كي يجدد زيارته للسلطان بمراكش حيث توفي باحواز تامصلوحت.

لقد تخرج مؤسس المدرسة الإلغية من المدرسة الجشتيمية وهي ناصرية المشرب (*مدارس* : 53). على أن انتماء ابنه علي إلى الطريقة الدرقاوية وانشغاله الكلي بعلوم الباطن سيحولان دونه وخلافة أبيه على المدرسة الإلغية. فكان أن تكلف علي بن عبدالله الإلغي أخو المؤسس مستعينا على ذلك في البداية بابن أخيه وبالعلامة أحمد بن محمد اليزيدي. وقد اتخذ فيما بعد من تلامذته أبي القاسم التاجارمونتي نائبا لن يلبث بدوره أن يسلمه مقالد التسيير بعد أن شغلد القضاء إلى حين وفاته سنة 1347 / 1929 (*المعسول* : 1 : 328).

لقد اعتمدت أعراف هذه المدرسة على المنهاج الاعتيادي في تدريس موادها. فنجد فن قراءات القرآن مرتبطا بالتفسير الذي لم يكن ينفصل عن الحديث والسيرة. أما النحو واللغة والتصريف فقد كانت محط انكباب السوسيين عموما. ولعل السبب في ذلك راجع إلى رغبة الأمازيغ في التقرب من لغة القرآن. فاعتبارا بأن كل ماعدا الفقه واللغة ثانوي، تندرج باقي الفنون بما فيها علم الأصول التي انقطع تطبيقها كفن منذ ماقبل القرن التاسع الهجري. وبالرغم من كون مدرسة إلغ قد تميزت باهتمامها الخاص بالبيان والتلخيص والاستعارة الكيرانية، فإن علم الكلام قد ظل بعيدا عنها (*سوس* : 42). أما اهتمامها بالفرائض والحساب فهذا أمر يدخل في نطاق تخصص السوسيين في هذين الفنين (*سوس* : 31 ـ 38 ـ 44).

لم يكن إذن من الغريب أن تبتدئ مدرسة إلغ الطور الأول بحفظ القرآن وتكرير القواعد وممارستها. فقد كانت إعادة الأجرومية والمتون والزواوي والمبنيات أمر لامناص منه لتهذيب لسان المبتدئ. أما فيما يتعلق بمادة الفقه ومشتقاتها فقد كانت *منظومة* ابن عاشر تمثل بجانب *الرسالة والمقامات* خلال الطور الثاني. يقبل الدارس بعد ذلك على *المختصر والتحفة والزقاقية والعمل والمنهج والألفية بالاشموني* والحديث والتفسير والفرائض والحساب. أما القصائد فقد كانت كلامية العجم وبانت سعاد والمعلقات السبع والدريدية والدالية لليوسي والهمزية والبردة. وكنموذج لصياغة الرسائل في مادة الإنشاء كانت *مقامات الحريري* تحتل المكانة الأولى. هذا الطور الثالث على اتساعه كان يشمل أيضا متن *التلخيص* والاستعارات *بمنظومة ابن كيران* والأصول في *جمع الجوامع* (*المعسول*، 1 : 57 ـ 58 ـ 167). ويفيدنا محمد المختار السوسي بأنه في الرمضانات لايقرأ إلا الحساب والفرائض والبخاري. وتتخلل هذه الدروس من عشية الأربعاء إلى عشية الجمعة كتب الأدب على تمايزها *كالمستظرف ومروج الذهب* وابن خلكان وسيرة *ابن هشام والمواهب اللدنية* لتقف في أعلى مقام عند *نفح الطيب* (*المعسول*، 1 : 57).

يبقى أن نشير إلى توظيف اللغة الأمازيغية كأداة أساسية في التعليم. وهو أسلوب اعتمدته المدرسة الإلغية شأنها في ذلك شأن باقي المدارس السوسية (*المعسول*، 20: 280). لقد كان هذا الأسلوب يسهل عمليتي الحفظ والاستظهار المعتمدين كمنهجية مثلى (*المعسول*، 6 : 8 ـ 18، 10 : 54) وهكذا كانت *الأجرومية والألفية* ومختصر *خليل* تحفظ بعفوية تجعل من المدرسة امتدادا للكتّاب. ومما يزيد من صلاحية التشبيه أن أوقات الصلوات كانت وحدها المجسدة الفعلية لفترات الاستراحة (*سوس*، 31 ومابعدها). على هذه الهيئة درس ما بعد محمد المختار السوسي بإلغ. ويمكن القول بأن المدرسة قد عرفت خلال فترة ما بعد الوجود الفرنسي نوعا من الاستمرارية ميزها إلى حد ما عن جل المدارس التي انقرضت قبل منتصف هذا القرن.

م. المختار السوسي، *الترياق المداوي في أخبار الشيخ الحاج علي الدرقاوي*، تطوان ـ 1960 ؛ *المعسول* ؛ *سوس العالمة* ؛ *إيليغ قديما وحديثا* ؛ *خلال جزولة* ؛ *الرسالتان البونعمانية والشوقية* ؛ *معتقل الصحراء* ؛ *حول مائدة الغداء* ؛ *طاقة ريحان* ؛ *مدارس سوس العتيقة*.

مصطفى ناعمي

**الإلغي، إبراهيم بن أحمد** الطالبي السليماني، راوية فقيه، ولد عام 1282 / 1865 وتلقى تعليمه الأول بمسجد قريته ثم افتتح المبادئ العلمية على الشيخ الإلغي في المدرسة الفوگرضية ثم البومروانية، والتحق بعد هذا بالمدرسة الإلغية فالأدوزية فلازمها شهورا وتخرج منها مكتفيا بما أخذه بعد أن حصل تحصيلا متوسطا عانى التصوف مع الشيخ الإلغي، فساح معه إلى مختلف القبائل. وبعد وفاة هذا الأخير لازم مجلس الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي يساعده في فض النوازل حتى صار نوازليا ماهرا، وفي هذا المجال طوى بقية أيامه، وحين نُفي المختار السوسي إلى إلغ استفاد من ذاكرته القوية، فقال "بأن تسعة أعشار ما في كتاب *المعسول* مما يتعلق بالإلغيين وبجيرانهم من أخبار الرؤساء والوقائع والحروب والأنساب إنما استقيته كنقطة من بحره". كانت وفاته عام 1368 / 1948.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 58.

**الإلغي، إبراهيم بن علي** الملقب برضى الله. ينتسب إلى إلغ ـ بسكون اللام وكسرها ـ بسيط فسيح على مرتفعات جبل الأطلس الصغير جنوبي إقليم أگادير ـ قيادة

تفراوت ـ تكتنفه جبال وشعاب تتناثر حولها مداشر وقرى، من بينها قرية آل عبد الله أسعيد مهد المترجم. وقد عرفت هذه البقعة النائية حركة دائبة في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي.

في هذا الوسط عرف المترجم الحياة خلال الحرب العالمية الأولى (1910) ونشأ في رعاية أبيه الشيخ الصوفي الحاج علي بن أحمد الدرقاوي الإلغي ومن أمه الفقيهة السيدة رقية بنت محمد بن العربي الأدوزي شيخ علماء مدرسة أدوز الشهيرة. مات أبوه وهو ابن عدة أشهر، ثم ماتت أمه وهو ما زال في ميعة الصبا. فكفله أخوه محمد المختار السوسي، وأشرف على تعليمه وتوجيهه إلى أن أدرك سن الرشد.

أخذ القرآن وبعض المبادئ عن معلمي الزاوية وعن بعض أساتذة بلدته، ثم انتقل إلى فاس سنة 1925 وهو دون الحلم صحبة أخيه المختار الذي أخذ على عاتقه عبء تثقيفه وتوجيهه. فكان يتلقى منه مباشرة مبادئ العلوم كما كان يحضر معه سائر مجالس العلماء الكبار المتصدرين للتدريس بجامعة القرويين كالطاهر الكتاني والعباس بناني ومحمد بن الحبيب الفيلالي ومحمد بن العربي العلوي والحسين العراقي وأحمد بن المامون البلغيتي. كما كان يحضر المجالس الخاصة التي يعقدها الشبان المتنورون ليدرسوا كتبا وفنونا لا تدرس بالقرويين. علاوة على حلقات الدروس الحديثة التي كانت تلقى بزاوية ماء العينين بدرب السراج من حومة الطالعة في فنون الهندسة والحساب والجغرافيا والآداب العربية والأجنبية من طرف بعض أساتذة ثانوية مولاي إدريس.

وبعد أن حذق جملة الفنون الرائجة في ذلك الحين انتقل مع أخيه محمد المختار إلى الرباط سنة 1928 حيث عرفت المجالس العلمية ازدهاراً كبيراً بفضل علمائها المشاهير : الشيخ أبي شعيب الدكالي، وسيدي المدني بن الحسني، والشيخ محمد السايح.. فكان ملازما لمجالسهم آخذا عنهم في الأصلين الكتاب والسنة وفي اللغة والآداب. ولما حل بمراكش سنة 1929 لازم كذلك مجالس أخيه ومجالس علمائها الكبار : كمولاي أحمد العلمي، وسيدي محمد بن عمر السرغيني.

وفي جميع مراحل تعلمه كان إبراهيم يتحلى بروح عصامية ويستكمل معلوماته الثقافية من هنا وهناك منكبا على مطالعة أشتات الكتب وبالأخص ما استجد منها وله علاقة بالتطورات الفكرية في العالمين العربي والغربي، واستطاع بمجهوده الخاص أن يقرأ اللغتين الفرنسية والإسبانية.. فحصل له بكل ذلك ملكة قوية في جملة علوم اللغة والفقه والآداب شهد له بها أساتذته الذين أجازوه ورشحوه لتولي مهام التدريس والتعليم..

وفعلا أخذ يعقد مجلسا علميا ويتصدر للتدريس في بعض مساجد مراكش وهو دون الخامسة والعشرين من عمره. وفي نفس الوقت كان يدير أول مدرسة حرة أسست بمراكش على أيدي ذوي الغيرة من تجار المدينة وهي التي صارت تسمى مدرسة الحياة ثم تطورت بعد ذلك إلى أن صارت مدرسة ابتدائية كبرى تحت اسم مجموعة مدارس محمد الخامس بمراكش. وعاد إلى الرباط سنة 1935 ليعمل كأستاذ في مدرسة محمد جسوس الحرة حيث كان من جملة أساتذتها الأوائل في الثلاثينات.

ولما اشتدت الأزمة الوطنية ونفي قادة الوطنية من الرباط وفاس ومراكش وغيرها رأى نفسه مضطرا إلى أن يلتمس له خلاصا من مغبة النفي والتشريد. فاستطاع بمساعدة بعض المخلصين أن يفلت من زمام الحصار المضروب ويلتجئ إلى منطقة الشمال سنة 1938 واستقر بتطوان التي آوته ورحبت به حيث وجد بها مناخا ملائما لمتابعة أعماله التعلمية والأدبية. فعين أستاذا في معهد مولاي الحسن وفي ربيبه معهد مولاي المهدي ثم بالمعهد الرسمي للتعليم الثانوي ومدارس المعلمين والمعلمات كما عين أستاذا في كلية المعهد الديني العالي الذي تولى إدارته عدة سنين قبل أن يعود إلى الرباط من جديد.

وفي تطوان تزوج الأستاذة آمنة اللوه، ثم التحق بالمجلس الأعلى للنقض والإبرام بالرباط من جملة العلماء المبرزين الذين اختارهم الملك المنعم محمد الخامس مستشارين به، حيث بقي يعمل بهذه الصفة كنائب عام إلى أن بلغ سن التقاعد. وفي نفس الوقت عمل أستاذا محاضرا بكلية الحقوق بجامعة محمد الخامس بالرباط، ثم انتقل إلى سلك المحاماة كمستشار قانوني، وفي نفس الوقت مكلف بمهمة في وزارة العدل. كما عين عضوا في المجلس العلمي بتارودانت عند تأسيسه سنة 1981. واعتكف أخيرا على تحرير أبحاثه ونشرها في الصحف والمجلات، كما عاوده الحنين إلى مناجاة الشعر فشدا به.

كان إبراهيم الإلغي متضلعا في علم الفقه، متمكنا من العربية، له اقتدار على صوغ المنظوم والمنثور، بالإضافة إلى مشاركته في التاريخ. واختاره الله لجواره صبيحة يوم الخميس 2 صفر الخير 1406 / 17 أكتوبر 1985، صُلي عليه بمسجد السنة ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

آثاره العلمية : *دراسات عن عبد المومن الموحدي، وخالد بن الوليد، وإقليم شنقيط*. *تاريخ الأدب العربي* في أربعة أجزاء. *سلسلة كتب تعليمية* في النحو والبلاغة والبيان والعروض وأصول الفقه، وتاريخ التشريع، إضافة إلى إنتاجه الأدبي : مجموعة *أبحاث* وأحاديث إذاعية، ورسائل، ومترجمات أجنبية، و*دواوين شعرية*.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 1 : 282 ؛ *الإلغيات*، 2 : 136 ؛ ع. بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 203 ؛ أ. اللوه، *ملامح من حياة إبراهيم الإلغي* (مرقون).

**الإلْغِي، أحمد بن الحسن** بن سعيد، من أسرة البنائيين الإيغشانيين، فقيه أديب مطلع، حفظ القرآن وتلقى مبادئ العربية بالمدارس الإكضيئية والسعيدية والإلغية والنهالية والتانكرتية الإفرانية فنهل من مناهل كبار

العلماء أمثال أقارض الصوابي وعلي بن عبد الله الإلغي والطاهر الإفراني وعن هذا الأخير ترقى في الأدب واللغة ترقيا كبيرا.

تخرج سنة 1345 هـ والتحق بميدان التدريس فزاول نشاطه العلمي بمدرسة أفيلال ثم مدرسة إيمور، وقد تكونت حوله هالة علمية وتلاميذ بإكبابه على التدريس إكباب المجدين مع الاستقامة التامة ومتانة الدين.

له مجموعة *أدبية* أودعها محمد المختار السوسي كتابه المخطوط *جوف الفرا*، ونشر منها نماذج في كتابيه *المعسول والإلغيات*.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 : 165 ؛ *الإلغيات*، 189.

**الإلغِي، أحمد بن علي** بن أحمد نسبة إلى بسيط إلغ الذي تسكنه خمس قبائل من بينها قبيلة المرابطين آل الشيخ عبد الله بن سعيد، وهو أحد أبناء شيخ الطريقة الدرقاوية بسوس، تقلب في الرئاسة القبلية قبل الاحتلال الفرنسي وبعده، وبهذا الشرط وردت ترجمته في *المعسول*، شارك في الكفاح ضد الاحتلال الأجنبي، ويعتبره المختار السوسي مصدرا موثوقا فى الأحداث التى كانت سوس مسرحا لها قبيل الاحتلال النهائي لجزولة، وهو الذي أوحى لأخيه محمد المختار بجمع كتاب في الإلغيين، فألف كتابه *المعسول* في الإلغيين وأساتذتهم وتلامذتهم وأصدقائهم السوسيين. توفي في الثالث من جمادى الأولى سنة 1356 هـ إثر مرض عضال.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 ؛ *الترياق*.

**الإلغِي، بلقاسم** بن عبد الله، عابد تؤثر عنه أخبار الفراسات، مقصود للرقى والتمائم، منزعه إلى الفرائض والحساب والتوثيق، شارط في عدة مساجد، واستقر بالصحراء حينا بإشارة من الشيخ ماء العينين، ثم زاول بعد رجوعه كتابة الرسوم العدلية تحت رعاية علي بن عبد الله الإلغي، كان ميلاده عام 1280 / 1863 ووفاته عام 1350 / 1931.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 13.

**الإلغي، سليمان** بن محمد (1130. 1199 / 1717. 1784) أول فقيه من علماء الأسرة الإلغية العالمة، لا يعرف عن أولياته شيء. من أساتذته مسعود بن محمد المرزكوني السملالي والشيخ محمد بن يحيى الأزازيفي. منزلته في عصره منزلة متوسطة لأنه لا يدلي بين معاصريه لا بإفتاء ولا بتدريس، وإنما يزاول قسمة التركات ويفتي في النوازل غير العويصة. صار في زمنه رجل إلغ المقصود من آخر القرن الثاني عشر. موصوف بالعدل والتثبت والتدين. توفي عن سن عالية ربما أوفت على الثمانين.

م.م. السوسي، *المعسول*، 1 : 138 ؛ *رجالات العلم العربي*.

**الإلغي، عبد الله** بن صالح، ولد عام 1245 / 1829 ورث الشهرة بالصلاح عن والده، وجمع الدنيا إلى الدين، ففلح وأثل وتاجر، يوثر عنه كشف كثير وآراء سديدة وحكم ماثورة. توفي إثر مرض يوم 26 ذي الحجة 1322.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 156.

**الإلغي، علي بن أحمد** بن محمد، من المشايخ البارزين في الطريقة الدرقاوية بالمغرب بصفة عامة وفي سوس بصفة خاصة. ولد عام 1268 / 1851 وتلقى المبادىء العلمية بإلغ. عانى حفظ القرآن، وحين استتم حفظه التحق بعدة مدارس سوسية، منها مدرسة المولود ومدرسة تازروالت ثم مدرسة إفران وأخيرا المدرسة الأدوزية، عند العلامة محمد بن العربي الأدوزي، فتخرج وهو يتقن النحو والتصريف والفقه والبيان والأصول واللغة والفقه وضبط الألفاظ. فاشتغل حينا يقضي في النوازل وقسمة التركات ثم راجع المشاركة والتعليم بعد ذلك، غير أن الشيخ الإلغي مالت نفسه إلى التصوف، فكان ميالا إلى العزلة، كثير التهجد، زوارا لمشاهد الصالحين باحثا عما يرضي أشواقه وروحه إلى أن تعرف على الطريقة الناصرية وهو طالب بالمدرسة الافرانية بتانكرت فانتمى إليها حينا قبل أن تستأثر به الطريقة الدرقاوية الحديثة العهد بسوس على يد شيخها سيدي سعيد بن همو المعدري ففارق مجاورة المدارس وطلب الأسباب وسلك مسلك المتصوفة المتجردين يطوف البلاد السوسية صحبة شيخه لإرشاد العباد، ولم يكتف بذلك بل صبحه إلى موطن الدرقاوية ببلاد جبالة كما زار فاسا وحاور العلامة شيخ الإسلام محمد گنون الكثير التنديد بالطرقيين، وبعد أن عاد من رحلته وجد شيخه قد توفي فقرّ عزمه على تأسيس زاوية بقريته "إلغ" فتم له ذلك سنة 1302 / 1884، فأمضى فيها أكثر من ربع قرن لم ينقطع فيها عن إرشاد العباد خاصتهم وعامتهم، يعطي لكل ذي حق حقه، فيقتصر للعامة على مايتوقفون عليه من التوحيد ومن تعليم الصلاة ومن تحري الحلال والحرام ومراقبة الله في كل أحوالهم، وأما الخاصة وهم أصحابه الذين أخذوا عنه فإنه يؤاخذهم على قاعدة التربية الاصطلاحية بالشروط المعروفة عند الصوفية، وقد اتسعت الطريقة وانتشرت حتى بلغت كل قبائل سوس بل ومناطق أخرى خارج سوس كالحوز ودرعة وتادلا وزعير والصحراء... وقد قدر مريدوه وأتباعه في حياته بعشرين ألفا وقدرت زواياه بأكثر من مائة وخمسين زاوية، غير أن الطريقة في تناقص بعد وفاة شيخها حتى لم يبق من مظهر الطريقة الإلغية إلا الموسم الذي لا يزال كل المنتسبين إليه يحرصون على أن لا يتخلفوا عنه في شهر غشت من كل سنة، وهو موسم خالص لذكر الله.

وقد ألفت حول شخصية الشيخ الإلغي مؤلفات جلها لا يزال مخطوطاً. نذكر منها *المأمول المبغي في مناقب الشيخ الشيخ سيدي الحاج على السوسي الإلغي*، للفقيه محمد التادلي ؛ وكتاب *الفتح الموهوب في مناقب الشيخ المحبوب*، للفقيه الطاهر السماهري ؛ وكتاب *السر الجلي في مناقب الشيخ سيدي الحاج علي*، للفقيه سيدي عمر المجاطي (مطبوع) ؛ وكتاب *الترياق المداوي في أخبار*

*الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي* لنجله العلامة محمد المختار السوسي، كما ألفت كتب في مشاهير مريديه وأتباعه ككتاب *منية المتطلعين إلى من في الزاوية الإلغية من الفقراء المنقطعين* ؛ وكتاب *من أفواه الرجال* لمحمد المختار السوسي.

ومعلوم أن الشيخ الإلغي ضرب أيضا بسهم في التأليف، فصدرت عنه مؤلفات ذكر بسببها بين علماء سوس المؤلفين، من ذلك كتاب مترجم الأمير في العبادات، ومترجم الحكم العطائية باللسان الأمازيغي السوسي، وكتاب *عقد الجمان* في آداب الطريقة، وكتاب *المبدئ المعيد في أخبار الشيخ سعيد*، *وكتاب في الطب*، بالإضافة إلى *رحلته الحجازية* المنظومة في حوالي ألف بيت، هذا وقد لبى الشيخ الإلغي نداء ربه يوم 28 من ذي الحجة من سنة 1328 وقت صلاة العصر فدفن في المكان الذي وضع فيه قبره في الموسم الاخير في حياته.

ع.السكراتي، *تحلية الطروس* (مخطوط) ؛ أ.الإكراري، *روضة الافنان* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 184 ؛ *الترياق المداوي* ؛ *من أفواه الرجال*.

**الإلغي، علي بن عبد الله** بن صالح. أحد الأعلام البارزين في التدريس والقضاء والرآسة والإرشاد الصوفي. ولد عام 1275 / 1858 وتلقى علومه بالمدرسة الإفرانية ثم بمدرسة سيدي همو بن الحسن حيث أتقن القراءات القرآنية، ولازم بعد ذلك أخاه محمد بن عبد الله والأستاذ محمد اليزيدي والشيخ علي الدرقاوي إلى أن تمكن، فتصدر للتدريس بالمدرسة الإلغية خلفاً لأخيه المذكور، فقام بتنشيط الدراسات اللغوية والأدبية إلى جانب العلوم الشرعية الأخرى مدة ليست باليسيرة، فتخرج من مجلسه خلق كثير من أبناء المنطقة نشروا من محاسنه ومفاخره ما ترك له ذكراً طيباً في كل الأرجاء، ولم يكتف بذلك فأضاف إلى التدريس خطة القضاء والفتيا بعد أن تلقى ظهيراً بتوليته من السلطان المولى الحسن لما حل بسوس للمرة الثانية، فصار لذلك قبلة المتقاضين، بل صار بعد ذلك رئيسا على إخوانه المرابطين الإلغيين، زيادة على مشاركته في الإرشاد الصوفي على الطريقة التجانية.

وبعد أن ظهر الشيخ أحمد الهيبة في الميدان التحق بصفوف المقاومة والجهاد، فشارك في عدد من المعارك الكبرى التي خاضتها القبائل ضد جيوش الاحتلال، وقد كانت له المكانة السامية في الاستحواذ على القلوب في كل المجامع بمواعظه العميقة وخطبه المؤثرة.

لهذا العلامة مشاركة فعالة في تنشيط الأدب العربي بسوس، بل أصبحت المدرسة الإلغية وناديها في أيامه مهبط الأدباء في سوس والصحراء. وقد صدرت منه رسائل بليغة وقصائد لطيفة تجعله في طليعة أدباء المغرب، نشر المختار السوسي مجموعة من إنتاجه الأدبي في كتبه، *المعسول*، و*مترعات الكؤوس*، و*جوف الفرا*.

توفي في السادس من ربيع الثاني سنة 1347 / 23 غشت 1928.

أ. الإكراري، *روضة الأفنان* (مخطوط) ؛ ع. السكراتي، *تعطير الطروس* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 325 ؛ *مترعات الكؤوس* (مخطوط) ؛ *جوف الفرا* (مخطوط) ؛ *المجموعة الفقهية* (مخطوط).

**الإلغي، محمد** بن عبد الله بن صالح، ولد عام 1265 / 1848 وتلقى مبادئه العلمية في قرية الزاوية، وفيها أتقن حفظ القرآن، ثم انتقل إلى مدرسة تانكرت الإفرانية عند العلامة محمد بن إبراهيم التامانارتي الإفراني حيث حط رحاله إلى أن افعوعم وطابه وأشبع ذهنه، فعاد إلى بلدته وأسس المدرسة الإلغية التي أصبحت مقصد الطلبة من كل أنحاء سوس.

وضع هذا الأستاذ للمدرسة نظاماً خاصاً انفردت به مما ساعد على حسن سيرها ونجاح مهمتها العلمية حيث قسم الدراسة إلى ثلاثة أطوار مخصصاً لكل طور مؤلفات معلومة في العلوم الشرعية مع الاعتناء الخاص بالدراسة الأدبية واللغوية وتشجيع الطالب على معاناة الترسل والقريض، فجاءت هذه الطريقة بنتائج محمودة في فترة وجيزة، ولا أدل على ذلك من عدد الأدباء المتخرجين من المدرسة، ولن نذكر منهم سوى الشاعر الطاهر الإفراني الذي لم يتجاوزها إلى غيرها.

لمحمد الإلغي علاقة وطيدة بملوك وقته ورؤسائه المولى الحسن الأول الذي أتحفه وأكرم من خلاله جميع المرابطين الإلغيين بظهير توقير واحترام، والحسين بن هاشم بودميعة

لم يخلف هذا الأستاذ آثاراً ولامؤلفات لاشتغاله الدائم بالدرس والإرشاد والفتوى وإنما تنسب له *حاشية على البهجة* لم تتم، وتصدر عنه مقتطعات ورسائل في مناسبات مختلفة غالبها إخوانية، أما فتاويه فتوجد منها نماذج بكتاب *المجموعة الفقهية*.

توفي يوم الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة 1303 بأحواز مراكش إثر مثوله بين يدي السلطان المولى الحسن، فنقلت تجاليده بعد ذلك إلى مثواه الأخير بقريته بإلغ.

ع. السكراتي، *تحلية الطروس* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 160 ؛ *سوس العالمة* ؛ *المجموعة الفقهية* (مخطوط) ؛ *جوف الفرا* (مخطوط).

عبد الله درقاوي

**ألفاوُو إي منْدُوثَا** (فيليبِّي) Felipe Alfau y Mendoza ولد سنة 1853، وبعد أن تخرج من الأكادمية العسكرية العامة التحق بصفوف الجيش ولم يلتحق بحامية مليلة إلا بعد أن كان قد حصل رتبة جنرال سنة 1909 حيث نجده يشارك في معركة خندق الذئب ليوم 27 يوليوز 1909 التي قتل فيها الجنرال بينطوس Pintos وخسر فيها الجيش الإسباني 752 رجلا مابين قتيل وجريح من ضباط وجنود. وعلى إثر هذه الحركة ثارت الجماهير بمدينة برشلونة مطالبة

بجعل حد للحرب القائمة بالمغرب، فيما عرف بالاسبوع المفجع.

شارك صاحب الترجمة في عدد كثير من المعارك التي خاضتها القوات الاسبانية ضد الثورة الريفية الأولى التي كان يقودها البطل سيدي محمد أمزيان، وقد أصيب الجنرال ألفَاوُو في معركة سوق خميس بني بويفرور يوم 30 سبتمبر 1909 بجروح نقل على إثرها إلى بلاده.

وفي سنة 1909 عين حاكما عسكريا عاماً بمدينة سبتة حيث شن عملية لاحتلال الفنيدق وأسمير وسانية الطريس والمضيق والملالين.

وفي يوم 27 نوفمبر 1912 وقعت المعاهدة الفرنسية الإسبانية الثالثة بخصوص تقسيم المغرب بين الدولتين فأصبح من "حق" إسبانيا أن تحتل مدينة تطوان، وهذا ما قام به صاحب الترجمة حيث تمكن من دخول قاعدة الشمال يوم 1913 سلمًا.

وفي يوم 3 أبريل عين ألفَاوُو أول مقيم عام لبلاده بالمغرب، وفي يوم 27 من نفس الشهر استقبل الخليفة السلطاني الأول بالشمال الأمير مولاي المهدي بن إسماعيل حفيد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان. وما أن استقر ألفَاوُو بتطوان حتى بدأ يفكر في توسيع رقعة احتلال الجيش الإسباني للتراب المغربي حيث قام باحتلال مركز اللوزيين يوم 11 يونيو 1913 غير أن قواته أصبحت محاصرة في نفس اليوم ولم يستطع فك الحصار عنها إلا بعد خوض معارك كبيرة خسر خلالها الإسبانيون 201 رجل ما بين قتيل وجريح من ضباط وجنود.

ولم يكن الشعب الإسباني مهيأ لقبول هذه التضحية الكبيرة في سبيل مركز يوجد على أبواب تطوان، حيث شنت الصحافة حملة شعواء على الجنرال ألفاوو الذي اضطر إلى تقديم استقالته يوم 11 غشت من نفس السنة.

ولم نعثر على تاريخ وفاته.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط 1981.

Martinez Campos, *España belica - Siglo XX*, Madrid 1972 ; Servicio Historico militar ; *Historia de las Campañas de Marruecos*, Madrid 1947, 1981 ; T. Garcia Figueras, *Marruecos*, Madrid 1944.

**ألْفُونْصو الثالث عشر** Alfonso XIII ينتمي إلى عائلة بوربون Borbon الملكية. ولد بمدريد يوم 17 ماي 1886 حيث بويع ملكا خلفا لوالده الملك ألفونصو الثاني عشر الذي كان قد توفي قبل ولادة ابنه بشهور، وقد تولت الوصاية على العرش أمه الملكة ماريا كريسطينا Maria Cristina ولم يتم تتويجه إلا يوم 17 ماي 1902. وتقول عنه جميع المصادر إنه في اليوم الذي ترأس فيه أول مجلس وزاري بعد تتويجه بيوم واحد "أظهر عزمه على أنه سيتولى الحكم المباشر لدولته، وكذلك كان الأمر إذ كانت له نظرة رومانتيكية لتاريخ إسبانيا، شأنه في ذلك شأن العسكريين الإسبان في عهده".

وهذه النظرة الرومانتيكية لتاريخ بلاده هي التي جعلته

الفونسو الثالث عشر.

يأخذ على عاتقه التدخل في القضية المغربية، لأنه بصفته رئيس منظمات الكهنوت العسكرية الأربعة في إسبانيا كان يرى من واجبه العمل على تنفيذ وصية الملكة إيسابيل الكاثوليكية Isabel la Catolica الخاصة بغزو المغرب والعمل على احتلال أراضيه وتنصير سكانه، ولذلك نراه يتعامل مع القضية المغربية بهذه الروح الصليبية في الاتفاقيات السرية التي كان يبرمها مع الدول الأوربية بخصوص المغرب، وفي إعانتها الخفية للثائر بوحمارة، وفي الدور الذي قام به وفده في مؤتمر الجزيرة الخضراء، وفي مشاركته في الاعتداء على مدينة الدار البيضاء سنة 1907، وفي غزو قواته لناحية الريف انطلاقاً من مدينة مليلية سنة 1909 وفي احتلال أسطوله لمدينة العرائش ثم القصر الكبير سنة 1911، وفي حرب الإبادة التي عرفها شمال المغرب من سنة 1913 إلى سنة 1927 الخ.

وتقول جميع المصادر الإسبانية إنه "كان السبب في كارثة الجيش الاسباني بأنوال "تلك الكارثة التي كانت سبب الانقلاب العسكري الذي قام به الجنرال بريمودي ريفيرا Primo de Rivera يوم 13 سبتمبر 1923 حيث أصبح الحكم بإسبانيا بيد العسكريين باتفاق تام مع صاحب الترجمة.

ولا شك أن الحروب التي خاضها الجيش الإسباني بأرض المغرب والتي كان الشعب الإسباني يرفضها ويطالب بإيقافها لفداحة الخسائر البشرية والمالية التي يتكبدها الجيش، كانت السبب الرئيسي في نتيجة الانتخابات البلدية التي جرت بإسبانيا يوم 14 أبريل وأطاحت بصاحب

الترجمة، فاضطر إلى مغادرة بلاده واللجوء إلى فرنسا ومنها توجه إلى إيطاليا حيث مكث إلى أن وافته المنية بروما يوم 28 فبراير 1941.

*Enciclopedia Espasa Calpe*, tomo 4, Manuel Rubio Cabeza ; *Diccionario de la Guerra Civil española*, Barcelona 1987 ; Servicio Historico Militar, *Historia de las campañas de Marruecos*, Madrid 1947-1981.

**ألْفونصُو العاشر** Alfonso X ولد بمدينة بورغس يوم 23 نوفمبر 1221، واعتلى عرش بلاده يوم فاتح يونيو 1252 على إثر وفاة والده الملك فيرناندو الثالث Fernando III الملقب بالقديس El Santo. ولقب صاحب الترجمة بالعالم El Sabio لاهتمامه الفائق بالعلوم ومساعدته الكبيرة للعلماء، فهو الذي أنشأ مدرسة التراجمة Colegio de traductores بطليطلة التي كانت ملتقى علماء المسلمين

الفونسو العاشر
يسلم تاجه رهينة للخليفة يعقوب المنصور المريني

والنصارى واليهود. وأشرف على تأليف الملحمة الشهيرة المعروفة بالأمداح *Lantigas* ووضع التشريع المعروف بالمدونات السبع *Siete Partidas* الذي بمقتضاه أصبحت كثير من الأشياء الخاصة والعامة في بلاد قشتالة Castilla تخضع لقوانين مضبوطة بكيفية لم يسبق لها مثيل.

وفي سنة 1282 ثار ضده ولده دون سانشو Don Sancho وكاد أن ينتزع منه الملك لولا لجوء صاحب الترجمة إلى السلطان يعقوب المنصور المريني الذي سانده وأعانه على القضاء على ثورة ابنه، وكان من بين المساعدات التي قدمها له قرض قيمته 60.000 دينار ذهبي، وذلك في مقابل تاج ملكه الذي سلمه له فظل رهينة بمراكش إلى أن كان من أمره ما لم تذكره التواريخ.

توفي صاحب الترجمة بإشبيلية يوم 4 أبريل 1284.

*جميع الكتب المؤلفة في تاريخ إسبانيا العام.*

Florian de Ocampo, *Cronica general de Alfonso el Sabio, 1541* ; Marques de Mondejar, *Memorias sobre Alfonso el Sabio*, Madrid 1845 ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, Tomo 4.

محمد ابن عزوز حكيم

بني **ألكاس**، أحد بطون بني ورتاجن المستقرة بنواحي تازا، كان السلاطين المرينيون يختارون منهم لمنصب الوزارة رعياً للخؤولة المترتبة عن زوجة عبد الحق بن محيو الورتاجنية. منهم :

ابن **ألكاس، أبو بكر** بن غازي، استوزره السلطان عبد العزيز سنة 769 / 1367. ولم يلبث أن قام مستبداً على السعيد بن عبد العزيز (774 / 1372) إلى أن ثار عليه ابن عمه محمد بن عثمان بن ألكاس، فنفاه إلى ميورقة ثم سمح له بالإقامة في غساسة (777 / 1375) إلى أن تقبض عليه وقتله (779 / 1377).

ابن **ألكاس، العباس** بن المقداد، ابن أخي محمد بن عثمان آتي الذكر. كان قد التحق إثر النكبة بتونس. ثم عاد برفقة الحسن بن المريني الطامع في الملك، وتحصن معه بغمارة في جبل الصفيحة. وقد تغلب عليهما مسعود بن ماساي وزير موسى بن أبي عنان.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 677 . 687 . 688 . 697 . 698 . 701 . 702 . 703 . 704 . 705 . 707 . 708 . 711 . 712 . 713 . 725 . 729 . 732 . 733 . 734 . 735 . 742 ؛ إ. بن الأحمر، *روضة النسرين*، 26 . 33 . 34 . 35.

ابن **ألكاس، غازي** أول وزراء السلطانين أبي سعيد وابنه أبي الحسن. توفي في معركة طريف سنة 741 / 1314.

ابن **ألكاس، محمد** بن عثمان نشأ في رعاية الوزير أبي بكر بن غازي. كان أول ظهوره حينما كلفه ابن عمه الوزير بحماية سبتة من طمع محمد ابن الأحمر المخلوع. وهنالك بدا له انتداب أحمد بن أبي سالم، أحد أحفاد أبي الحسن، من ضمن القرابة المرينية بطنجة، للبيعة وتسلم الملك. فاستوزره السلطان أحمد، إلى أن نافسه مسعود بن ماساي الفودودي، وكانت نكبته سنة 786 / 84 . 386).

حسن الفكيكي

**ألكست** ← جزولة

**إلأنْ**، كلمة بربرية تطلق على نوع نباتي من فصيلة النجيليات Poaceae شبيه بالذرة، لذلك سمّي بالذرة البيضاء أو الذرة الرقيقة. كما يسمى تَافْسُوت وعْبَابُو، وله عدة أسماء علمية لكن الأكثر مداولة هو صُورْغُومْ ڤُولْكَاري Sorghum Vulgare.

إنه نبات ذو ساق يمكن أن يصل ارتفاعه إلى متر ونصف، تبلغ أوراقه 45 سنتمترا. أزهاره على شكل عُثكُول أسطواني وهو جد كثيف. برّته شبه كروية وذات لون رمادي لُؤلُئي (الذرة البيضاء) تظهر الأزهار في فصل الصيف.

الإِنّ، نبات يجهل موطنه الأصلي، وقد كان يزرع في آسيا وإفريقيا المدارية منذ عصور ماقبل التاريخ أما في المغرب فإن زراعته انتشرت في المناطق الجنوبية في البلاد التي أدخل إليها من إفريقيا السوداء.

إن حبوب إلأن غنية بالكالسيوم والفوسفور. ولهذا فإنها تستعمل في التطبيب التقليدي والحديث، إذ يتناوله الإنسان في حالات عديدة كطور النقاهة أو عند المرأة المرضعة أو التي وضعت حملها، كما يتناوله المصاب بكسر (إنجْبار).

Maire René, *Flore de l'Afrique du Nord* ; J. Bellakhdar, *Médecine traditionnelle et toxicologie ouest-sahariennes.*

عبد المالك بنعبيد

**أَلْمَا**، (مدرسة ــ) إحدى المدارس الأربع المشهورة بتدريس القراءات والعلوم منذ القدم بقبيلة إِفْسْفَاسْنْ، إِدَاوْتْنَانْ مع مدرسة إيسيمنا بقبيلة تانكرت، ومدرسة سقالة بقبيلة أيت واعزون، والمدرسة الرابعة هي العظمى في محل الولي الصالح سيدي إبراهيم بن علي التغانيميني (ت 989 / 1581) تجتمع عليها قبيلة إِدَاوْتْنَانْ كلها، ويدفعون فيها الشعير والإدام ويغرمون كلهم أجرة الإمام.

أما مدرسة أَلْمَا فهي خاصة بثلث إفْسفاسن، وهي عامرة من قديم الزمان، فلا تخلو من عالم مدرس ومتعلمين، يقوم سكان القبيلة بدفع مؤنتهم وأجرة الامام إلى الآن، ويقال بأن موضع مدرسة ألما كان رباطا قديما للمجاهدين الذين يحاربون العدو البرتغالي المستولي على حصن (فونتي) بأگادير الذي لا يبعد عنه إلا بحوالي 20 كلم جهة الشمال الشرقي عند سفح جبل الأطلس الكبير، ولا زالت هناك عدة قبور للشهداء، مزارة ومعتقدة، لذلك أسست القبيلة حولها مدرستها العلمية لتكون في حماها كعادة جميع القبائل، ومن أشهر أساتذة هذه المدرسة :

1 ـ الفقيه النوازلي المشهور بالتدريس سيدي إبراهيم بن الحسن التنكرتي التناني (ت 1296) شارط فيها مدة بعد تخرجه على العلامة سيدي أحمد أجْمِّل بمدرسة هشتوكة السوسية، فملأها تدريسا وافتاء وقضاء بين الناس.

(الكشطي، التعريف بالبلدة التنانية : 47)

2 ـ العلامة سيدي محمد بن علي بن امحمد بوعزى الوركاوي التناني، وهو عالم جليل تخرج على يد العلامة العربي الأدوزي بسوس ثم عاد إلى بلدته ولازم التدريس في مدرسة ألما هذه مدة 52 سنة إلى أن توفي بها عام 1328. وقد تخرج منها على يده عدد كثير من الطلبة منهم خلفه فيها ابنه أحمد بن محمد بوعزى.

3 ـ العلامة المدرس الحاج أحمد بن الحاج علي التناني الكشطي (1310ـ1374) الذي أنهى دراسته العلمية بفاس عام 1340 فعاد إلي بلدته (كشط) ليشارط في مدرسة إغيلان ومدرسة أبي الناقة قبل أن يلتحق بمدرسة أَلْمَا عام 1345 حيث قضى ماتبقى من حياته معتكفا على التدريس فالتف حوله مآت من طلبة العلم الوافدين من حاحا وسوس إلى أن توفي عام 1374 وقد تخرج به عدد من العلماء والأدباء الذين يمثلون زينة هذا العصر في حاحا وإداوتنان، ومن بينهم صهره وخلفه في مدرسة ألما بعده الفقيه الأديب:

4 ـ سيدي الحاج محمد بن محند بن عبد الله التفگختي التناني الذي لازم التدريس بهذه المدرسة منذ وفاة شيخه المذكور إلى الآن، وكان كسلفه يلقن الأوراد الصوفية على الطريقة الأحمدية التجانية، فازداد نشاطه وقوي نفوذه لدى العامة والخاصة فتوسعت بذلك مرافق المدرسة وكثرت أملاكها وازداد إقبال الطلبة عليها إلى اليوم.

أ. الكشطي، *التعريف بالبلدة التنانية*، مخطوط.

محند أيت الحاج

**أَلْمَاس**، تمثل مدينة ألماس مركز جماعة ودائرة تابعة لإقليم الخميسات، وتعد أهم مركز في الهضبة الوسطى المرتفعة والمركز الوحيد داخل قبيلة أيت عمار المنتسبة إلى مجموعة أيت سگوگو التي تتوسط مجموعات زمور وزايان وگروان وبني مگيلد. تعكس هذه الأهمية مدى صمود المدينة أمام جملة من شروط النمو الحضري غير الملائمة في تلك المنطقة والمتمثلة أساسا في موقع العزلة وضعف الموارد الاقتصادية. بينما يمكن اعتبار المؤهلات المحلية غير معيقة إلى حدٍّ بعيد بالنظر إلى خصائص الموضع المحلّي والموقع الإقليمي. ذلك أن المدينة تأخذ موقعها التقليدي على محور المرور الاضطراري بين زايان والأطلس المتوسط من جهة وهضبة زمور وزعير السفلى من جهة أخرى. وتمر الآن بالمدينة طريق ثلاثية تؤدّي إلى مولاي بوعزة (على بعد حوالي 50 كلم نحو الجنوب الغربي) وثلاثة طرق ثانوية تربط بين مدينة ألماس ونحو الشمال الشرقي مكناس ونحو الشمال الغربي تيداّس ( على بعد 44 كلم) والمعازيز (52 كلم) والخميسات (95 كلم) ونحو الجنوب الشرقي أَگَلْمُوس وخنيفرة. ويخضع لهذا التقسيم توزيع الحافلات نفسه: ثلاث حافلات نحو الرباط وواحدة نحو الخميسات وخنيفرة وواحدة نحو الخميسات وحدها.

تقع المدينة وسط منفرج بأحد أوسع وأكثف الغابات المغربية، وتقع بالضبط في الحدّ الشمالي الشرقي للهضبة المسماة باسم المدينة، عند سفح تلّ يبلغ أوجه في 1257م. تتميز هذه الكتلة الهرسينية الغرانيتية بتخليفها تضاريس منبسطة يتراوح ارتفاعها بين 1000 و1100 متر وإفرازها تربات رملية حمراء أوداكنة متوسطة السمك. بل تزخر كل المنطقة وحتى داخل المدينة بالمياه المعدنية النابعة من صخور الغرانيت كما يمتاز محيط ألماس بتساقطات وافرة (773 ملم سنويا بالمدينة) وغابات متنوعة (فلين وبلوط أخضر وصنوبر وعرعر وضرو،...) من شأن هذه المميزات أن توفر قاعدة اقتصادية محلية ثمينة، وسط منطقة تكون فيها الموارد ضعيفة والأراضي القابلة للزراعة شبه مفقودة بالفعل، تشهد الزراعة حول المركز توسعاً ملموساً يتمثل في تنويع المزروعات وممارسة الزراعات الاكثر تأقلما مع المناخ الجبلي والتربة الرملية، خصوصاً بعد انطلاق المشروع

الفلاحي المندمج لزمور وألماس في أواسط الثمانينات. ويتعلق الأمر بتطوير الفلاحة المتنوعة عامة وتطوير الزراعات الشتوية على وجه الخصوص. وقد نجد مغارس التفاح حتى داخل المدينة ومعملا لتلفيفه بيد شركة "أربور". من جانب آخر، تستغل الغابة لأغراض صناعية (الفلين والخشب المتنوع) ورعوية بالأساس . يظهر هذا الانتعاش الفلاحي جليا في كثرة المنتوجات الزراعية والرعوية المعروضة كل يوم ثلاثاء في السوق الاسبوعي الضخم والوحيد بالمنطقة. وهو الذي جلب صندوقاً محلياً للقرض الفلاحي فتح أبوابه سنة 1987 لينضم إلى التجهيزات الفلاحية الأخرى كمركز الأشغال الفلاحية ومصلحة المياه والغابات واسطبل تربية الخيول.

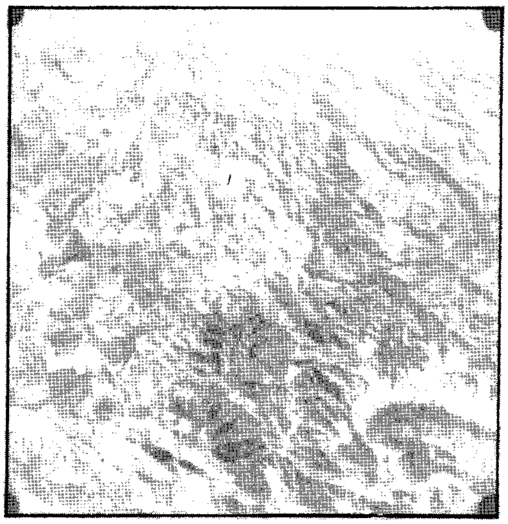

ألماس : صورة جوية

لاشك أن الموضع والموقع، وبالتالي مخلفاتهما الاقتصادية قد لعبت دوراً أساسياً في وتيرة الحركية السكانية للمدينة. وبالفعل فقد انتقل عدد سكان المدينة من 2089 ن سنة 1960 إلى 2922 ن سنة 1971 (بنسبة نمو 3 ٪ سنويا) و5253 ن سنة 1982 ( بنسبة نمو 5،13 ٪ سنويا). وتشكل الهجرة القروية إلى المدينة وحدها نسبة 66،1 ٪ من مجموع النمو الإجمالي، مثلما يحدث في تيداس التي تشبه ألماس في حجم السكان ونسبة التزايد السكاني. وبالطبع فإن استيعاب التزايد السكاني الهائل يتطلب إحداث مرافق جديدة وتوسيع حمولة المرافق السابقة، كما هو الشأن بالنسبة لإحداث مركز القرض الفلاحي مؤخراً ودار الشباب وروض الأطفال ومجمع الصناعة التقليدية (للزرابي)، بالإضافة إلى التجهيزات والمرافق السابقة: السوق ومقر الدائرة والدرك ومركز البريد والصيدلية ومدرستان ومركز صحّي ومصلحة المياه والغابات والكهرباء والماء الصالح للشرب والنادي النسوي ... أما ثانوية ولي العهد فقد شهدت بدورها تزايداً كبيراً في أعداد التلاميذ (1082 سنة 1988).

إن هذه التحولات الديمغرافية والتجهيزية والاقتصادية لم تنعكس بشكل ملحوظ في تطور المدينة نفسها. لقد جاءت لمحاولة إخراج المركز الفلاحي والإداري من الأزمة التي تبدو واضحة على أنشطته وشكله. ولو أن عملية القضاء على أجزاء السّكن الأكثر هشاشة قد انطلقت مؤخراً، فإن المشهد المبني لا زال يتسم بطابع شبه ريفي خارج المنشآت الإدارية ووسط المدينة وحي "برنامج التغذية العالمية" وفي "الأراضي المخزنية". تتوزع الأجزاء السكنية والفراغات بنوع من العشوائية وتربطها أزقة ترابية في أكثر الحالات تتخذ المدينة شكلاً خاصاً يتمثل في مثلث شبه منتظم متوجّه نحو الشمال الشرقي ومحصور بشكل هندسي بين التلّ الغابوي الذي يشرف على المدينة في الواجهة الغربية والطريق الثانوية نحو الجنوب والطريق الثلاثية نحو الشمال الغربي، وهذا يخلق مشكلاً كبيراً أمام توسع المدينة التي خنقتها التضاريس والحيازات الفلاحية في الواجهة الجنوبية والشرقية، حيث توجد مغارس شركة "أربور" ويتجلى ركود الأنشطة في محدودية المركز التجاري خارج السوق الأسبوعي وقلة الخدمات غير الإدارية وانعدام الأنشطة الصناعية وأكبر دليل على ذلك الجمود يتمثل في تجميد مجمع الصناعة التقليدية الذي أحدث مؤخراً. ولعل المشكل الكبير الذي لم تتوصل بعد المدينة إلى تجاوزه هو عائق العزلة والانفراد في مركز الجزء المرتفع من الهضبة الوسطى، إذ قريباً من المدينة تحيط بالهضبة الغرانيتية المنبسطة تضاريس وَعْرَة على شكل حلقة مكوّنة من الأجراف وأعراف حادّة وأودية قوية التعمق، ناتجة عن كثافة الشبكة المائية وتصلّب صخور الكوارتزيت والحث والشيست في تكوينات حقبة الأردوفيسي، ممّا يزيد حدّة صعوبة التنقل وقلة وسائل النقل وضعف شبكة الطرق. كما أن المدينة تظل منعزلة عن النشاط الصناعي الممارس بمقربتها، حيث توقف منجم القصدير بالكاريت (المعروف بأيت عمار) منذ ما يزيد عن 20 سنة، ويتم استخراج وتكييف المياه المعدنية بمعزل عن المدينة من حيث العوائد التشغيلية والتنظيمية.

إن تسمية ألماس تعني أيضاً اسم العين المعدنية المعروفة. بل عند عامة الناس، يكون المدلول المعدني هو الأشهر أو الوحيد. توجد عين تَاسّْمَرْ الحية (للاحية) في قصر واد أكّنُود الذي يشكل المجرى الأعلى لوادي أبي رقراق بمنطقة صغيرة تدعى تارميلات. ويقع المجمع الصناعي والفندق (من درجة 3 أ) على بعد حوالي 15 كلم من المدينة. إن المعمل يشغل بين 150 و 200 عامل وينتج أكثر من 30.000 م3 سنويا من المياه المعدنية ( 32.050 م3 سنة 1986). تنبثق الينابيع المعدنية الرئيسية الثلاثة من شقوق انكسار داخل الكتلة الغرانيتية، لكنها الآن محمية من كل احتمال للتلوث بواسطة سقف وجدران اسمنتية تغوض داخل السفح. تستعمل مياه الينابيع الثانوية (4 لترات في الثانية) في المسبح الصغير والحمامات المقامة بعين المكان في قعر الوادي، وتحوّل مياه الينابيع الرئيسية

في المعمل بصبيب قار طول السنة (20 لترا في الثانية وحرارة 42،8). بعد جلب الماء والغاز إلى المصنع على ارتفاع 550 م ومسافة 3 كلم تتمّ عملية الخزن والتّلبّد والتصفية. وكانت نفس القنوات مع ناقلة هوائية تزوّد محطة استشفائية معدنية بالفندق لمدة طويلة. فعلاً، ظهرت نتائج إيجابية ملموسة ضد تصلب الشرايين وبعض أشكال داء المفاصل وإصابات المعدة والأمعاء، إلا أن التجربة توقفت نظراً لبعد الفندق عن المنبع الذي يفقد جزءاً من خصائص المياه الدافئة والمنعشة المعدنية ( خصوصا الحديد والسيليس).

حول العين الرئيسية ومركز ألماس هناك ينابيع معدنية أخرى نابعة في الصخور المتحولة (شيسْت وحث مع كلس) التي تعلو تكوينات الغرانيت، وهيَ شبيهة بها من حيث المميزات الكيماوية. لكن صبيبها أضعف بكثير من صبيب عين للاحية. أقربها إلى المحطة تبعد عنها بحوالي 6 كلم نحو الجنوب الشرقي (تنات أوراش)، والأخرى بحوالي 12 أو13 كلم (تنات بورو في الغرب وتنات تاوارت في الشمال الشرقي وترنارا - ن - الشريف في الشمال الشرقي. أما عين سيدي علي فقد بدأ استغلالها منذ أواسط السبعينات وتوجد في عالية ثلاث نبعات بين مدينة ومحطة ألماس وتنبع هي أيضًا من التكوينات المتحولة.


قسم الخرائط، *صورة جوية لألماس*، الرباط، بعثة 1970.

G. Beaudet, *Le plateau central marocain*, Rabat, 1969 ; M. Combe, *Ressources thermo - minérales du Maroc*, Rep. 23 Intern. Géd. Congr, Prague, 1960 ; M. Combe, M. Ferre, J. P. Thauvin, *Meseta centrale et meseta côtière, Ressources en eau du Maroc* , T. 2 , Ed , serv. géol. du Maroc, Rabat 1975, p. 147 - 171 ; Division de la Carte, *Carte topographigue de Moulay Bou Azza 1/100.000* Rabat, 1946 ; M.A.R.A, *Plan Directeur de Vulgarisation, enquêtes*, Rabat, 1986, D. Noin, *La Population rurale du Maroc*, P.U.F, Paris, 1970, 2T.


مصطفى عياد

## أيت ألمان ← بولمان (إقليم -)

**ألمانيا والمغرب**، مرت العلاقات المغربية الألمانية بعدة محطات ولحظات تاريخية متميزة منذ حرب تطوان حتى الآن. كما أن هذه العلاقات تتميز بكونها هادئة ويسودها التعاون المتبادل بين الطرفين، رغم أنه غير متكافئ. ولذلك فإن الرغبة الجامحة للطرف الأقوى تنزع دائمة إلى الهيمنة متى سمحت الظروف الدولية بذلك.

وهكذا فإن العلاقات السياسية بين المغرب وألمانيا مثلا ما بين 1870 أي بعد الحرب الفرنسية الألمانية حول «الألزاس واللورين»، وبين 1912 وقت إبرام معاهدة الحماية بين فرنسا والمغرب تثير عدة إشكالات وتساؤلات كبرى تهم بالأساس موقع ومركز الطرفين في النظام الدولي للقرن التاسع عشر، حيث تسود سياسة توازن القوى. والمسألة المركزية المتحكمة فيها على الرغم من الاختلاف في تفسير محتواها، أن كلا منهما يهدف من ورائها إلى خدمة مصالحه الخاصة، المناقضة تماما لمصالح الطرف الثاني. فمن جهة تهدف ألمانيا إلى الحصول على امتيازات وعلى موانئ في المغرب، وربما لها مطالع استعمارية أكثر طموحا. ومن جهة ثانية يهدف المغرب إلى تقوية الدعم الألماني من أجل منع فرنسا أو على الأقل من أجل منع تسريع عملية سيطرتها على المغرب وفرض الحماية عليه.

ويبدو أن رصد هذه العلاقات ومواكبة تطورها قد يسفر عن التشابك الحاصل فيها خلال القرن التاسع عشر، وحتى قبل الحماية بين ما هو ذو طابع سياسي واستراتيجي وبين ما هو ذو طابع اقتصادي. فإذا خفت الجانب الاستراتيجي جزئيا أو كليا في الفترات اللاحقة وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، فإن الجانب الاقتصادي بقي مشعا وهاجا حتى الآن.

1 - المرحلة الأولى 1870 - 1912 : بدأت الاهتمامات الألمانية بالمغرب مباشرة بعد حرب تطوان 1864، فمنذ سنة 1869 عملت ألمانيا على التفكير في تعيين قنصل عام لها بالمغرب، غير أن حربها مع فرنسا سنة 1870 من جهة، ووفاة سيدي محمد بن عبد الرحمان من جهة ثانية قد أخرت التمثيل الدبلوماسي بين البلدين حتى سنة 1873 حيث عينت بشكل رسمي "ويبر" Weber وزيرا مفوضا لها في طنجة. وسوف يعمل هذا الأخير على تركيز نفوذ دولته في المغرب عبر تدخلاتها الواضحة سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي.

ومن المعلوم أن العلاقات التجارية آنذاك تتم بين المغرب وألمانيا بشكل غير مباشر انطلاقا من جبل طارق أو من البرتغال، ولكنها تتسم بكونها ضعيفة ومتقطعة بل حتى المنتجات الألمانية المروجة داخل المغرب يتم بيعها تحت علامات تجارية إنجليزية.

وقد يتداخل خلال هذه الفترة ما هو اقتصادي بما هو سياسي في العلاقات الألمانية المغربية، وسوف يستمر هذا التداخل حتى فرض الحماية على المغرب. ولكن قد يطغى في بعض الأحيان البعد الإستراتيجي على الاقتصادي، فبعد حرب 1870 بينها وبين فرنسا ورغبة منها في الحفاظ على التوازن الجديد الناتج عن كونها القوة الثانية على الصعيد الأوروبي والدولي قد دفع بها للمحافظة على هذا الوضع خارج أوروبا لمواجهة النفوذ الفرنسي، لذا كان لا بد لها أن تهتم بالمغرب المجاور للجزائر الفرنسية لمراقبة نفوذها هناك أو محاصرته.

ولم تخرج السياسة الألمانية إزاء المغرب عن هـذه الجادة حينما كان يؤطرها بسمارك ما بين 1870 - 1890، على الرغم من شعوره بأن قيام الوحدة الألمانية قد خلق في النظام الإقليمي الأوروبي موجة من الخوف والحقد تجاه ألمانيا. ولذلك لجأ إلى حمايتها من الأخطار المحتملة بإقامة حزام أمني من التحالفات والصداقات على المستوى الأوروبي لعزل فرنسا. ومع ذلك لا بد من التفكير في ترضية فرنسا والتخفيف من هزيمتها بدفعها إلى تنمية نفوذها خارج أوروبا مع غل يدها جزئيا في المغرب. والسبب في ذلك يكمن في كونها قد أصبحت بعد وحدتها دولة صناعية.

وأصبحت في حاجة إلى صرف منتجاتها، لذلك بدأت تفكر بجدية في اتباع سياسة استعمارية في المغرب مع التمسك بشدة بالتفوق داخل النظام الأوروبي. فسياسة بسمارك تنطلق من ضرورة الحصول على أجزاء من التراب المغربي ليمارس بواسطتها نوعا من الضغط الدبلوماسي في إطار المساومات مع القوى العظمى، وخاصة فرنسا وبريطانيا ذات المصالح القوية في المغرب. وربما أن ذلك قد تحقق لألمانيا في مؤتمر مدريد عام 1880 وبشكل لم يثر الدول الأوروبية بحيث خرجت من هذا المؤتمر بحقوق مهمة بفضل سياسة وكياسة بسمارك.

فبعد مؤتمر مدريد سوف يلاحظ تكاثف العلاقات التجارية مع المغرب، إذ ان التجارة الألمانية ستركز على السوق المغربي لدراسة حاجياته. سواء عبر عرض بعض المنتجات في المدن المغربية كالدار البيضاء أو ربط علاقات تجارية مع التجار المغاربة ابتداء من سنة 1886. ولخدمة هذه المصالح التجارية سيعزز نشاط الدبلوماسية الألمانية بالمغرب وسوف تتقمص دور الصديق الأول والنصوح للمغرب. وإذن ستعمل ألمانيا على تغيير وزيرها المفوض في طنجة، وذلك بتعين طسطا Testa بحيث سيتم التشديد بعد ذلك وفقا للمتطلبات الجديدة لهذه المرحلة المتزامنة مع تقوية العلاقات السياسية والاقتصادية، والمواكبة لتكالب القوى الاستعمارية على المغرب والتي استشعر المغرب خطورتها منذ سنة 1878، حينما أرسل أول سفارة إلى برلين برآسة عامل أسفي السيد الطيب ابن هيمة، وكان موضوع هذه السفارة مطالبة المغرب لألمانيا بأن تزوده بالسلاح وبالسلع المختلفة. ومقابل ذلك طالبت ألمانيا ببناء في شمال المغرب أو على شواطئ المحيط الأطلسي. وقد فشلت هذه السفارة لعدم توصلها إلى اتفاق حول الأمور المتفاوض حولها.

لذلك أرسل المغرب سفارة ثانية إلى الديار الألمانية يرأسها الحاج محمد برگاش ابن وزير خارجية المغرب آنذاك والمرافق للبعثة الطلابية الحربية إلى ألمانيا. ومن ثمة ستلح ألمانيا تحت ضغط الظروف الاقتصادية بالنسبة لها، والضغوط العسكرية بالنسبة للمغرب على ضرورة إبرام اتفاقية تجارية مع المغرب، وقد دخلت مع السفارة المشار إليها في مفاوضات حول هذه الاتفاقية، لكن المفاوضات تعثرت بسبب ما يطلبه الجانب الألماني من تصدير للحبوب والحيوانات من المغرب إلى ألمانيا وعلى الرغم من فشل المفاوضات آنذاك فإن الحسن الأول قرر سنة 1887 الاعتماد على المصانع الحربية الألمانية لتجهيز جيشه وخاصة مصانع "كروب" وبذلك أصبح المغرب زبونا مخلصا لألمانيا. بحيث إن العلاقات المغربية ستتقوى خاصة بإرسال المغرب سفارة جديدة إلى برلين برئاسة عبد السلام بن رشيد قائد أولاد حريز، وذلك بغية التفاوض حول الاتفاق التجاري المشار إليه آنفا، وشراء مدافع كروب "لتقوية ثغري طنجة والرباط".

وفي هذا الإطار كذلك أرسلت ألمانيا سفيرا لها إلى المغرب في شخص "طاطنباخ" الذي استطاع أن يتصل بالمولى الحسن الأول، كما استطاع أن يقنع المخزن بضرورة إبرام الاتفاقية التجارية بين الطرفين وتم ذلك فعلا بتاريخ 1890/6/1. وقد جاءت هذه الاتفاقية في وقت كانت فيه الأسواق التجارية الدولية شبه مغلقة أمام التجارة الألمانية، لذلك نجد أنها شديدة التمسك بأن تبقى السوق المغربية مفتوحة في وجهها، خاصة وأن الاتفاقية قد منحت لها حق الدولة الأولى بالرعاية.

لكن سياسة ألمانيا المغربية ليست فقط ذات بعد اقتصادي، فبعدها الاستراتيجي السياسي واضح خاصة بعد عزل بسمارك سنة 1890 ومحاصرة فرنسا لها على المستوى الأوروبي مما أدى إلى إضعاف نفوذها على الصعيد الدولي.

ولمواجهة الحصار الفرنسي المضروب عليها لا بد من زعزعة، أو على الأقل عرقلة السياسة الفرنسية في المغرب بمساندتها للمغاربة في مقاومة فرنسا وذلك لهدفين واضحين، وهما : الحصول على جزء من المغرب أو إرغامها على قبول تعويضها في الكونغو والكمرون. تلك إذن هي دواعي التدخل الألماني في المغرب، وما ادعاؤها بالحرص على استقلال المغرب وسيادة ملكه إلا مجرد ذريعة لخدمة مصالحها الدولية الاستعمارية. وسوف يتضح ذلك جليا عندما حركت فرنسا سنة 1905 مشروع الإصلاح الذي تنوي الدول الأوروبية تطبيقه في المغرب، واعتبرته ألمانيا مخالفا للوضع الراهن وتحملت مسؤولية إحباطه بالزيارة التي قام بها غليوم الثاني إلى طنجة في نفس السنة.

ولمواجهة المشروع الذي حركته فرنسا نادت ألمانيا بعقد مؤتمر دولي حول المغرب، وقد حبذ المغرب هذه الفكرة شريطة أن يكون محل المؤتمر طنجة، غير أن الدول الأوروبية الأخرى فضلت الجزيرة الخضراء.

وقد تمخض هذا المؤتمر عن ميثاق الجزيرة الخضراء المعتبر كهزيمة للسياسة الفرنسية ولكي تتحرر فرنسا من قيود الجزيرة الخضراء لا بد أن تدفع الثمن غاليا لألمانيا، فجاءت نتيجة لذلك الاتفاقية الألمانية الفرنسية في فبراير 1909 حول المغرب. وربما أن هذا الاتفاق هو الذي جعل ألمانيا تغض الطرف جزئيا عن غزو فرنسا للشاوية 1907-1908. ولكن علي الرغم من ذلك فإن ألمانيا كانت تساند حركة المولى عبد الحفيظ وتدعمه بالسلاح.

غير أن اتفاق 1909 قد فشل في حل كل القضايا العالقة بين فرنسا وألمانيا ولذلك لم يطبق نهائيا، الشيء الذي دفع بالدولتين أن توقعا على اتفاقية أخرى في نفس الاتجاه بتاريخ 4 نونبر 1911. جاء فيها أن المصالح الألمانية في المغرب سوف تتم حمايتها وخاصة المصالح الاقتصادية والسياسية. ومقابل ذلك فإن ألمانيا لن تعرقل عمل فرنسا في المغرب، ولها أن تدخل الإصلاحات الاقتصادية والمالية والإدارية والعسكرية شريطة المحافظة على المساواة الاقتصادية. ومقابل ذلك حصلت ألمانيا على تعويضات في

القارة الإفريقية وخاصة في الكونغو. وقد كان ذلك خاتمة إطلاق يد فرنسا في المغرب الذي توج بعقد اتفاقية الحماية بتاريخ 30 مارس 1912.

وهكذا يلاحظ أن المغرب لم يكن، انطلاقا مما سبق، هدفا مباشرا للسيادة الألمانية ما بين 1870 ـ 1912 بقدر ما كان مجرد وسيلة يمكن استخدامها من أجل الضغط للمحافظة على التوازنات داخل الساحة الأوروبية والدولية وقد عبرت الدبلوماسية الألمانية عن ذلك عدة مرات. فعندما تقوت المصالح الألمانية في المغرب، لوحظ أن هذا البلد أصبح موضوع مساومات بين الدبلوماسية الألمانية والفرنسية قصد الحصول على تعويضات في مناطق أخرى من العالم.

2 ـ المرحلة الثانية 1912 ـ 1956 : إن هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى سوف تضع حدا لمصالحها وامتيازاتها التي كانت تتمتع بها في المغرب بموجب اتفاقية 1911، وقد أكدت اتفاقية فرساي في متن مادتها 141، أن ألمانيا قد انتزعت منها جميع الحقوق والامتيازات التي تتمتع بها في المغرب. وبموجب هذه المادة تنازلت ألمانيا لفرنسا عن جميع امتيازاتها في المغرب الناتجة عن عقد الجزيرة الخضراء سنة 1906، وعن الاتفاقية الفرنسية الألمانية حول المغرب لسنة 1909، وعن الاتفاقية الفرنسية الألمانية لسنة 1911. كما تم إلغاء كل الاتفاقيات والمعاهدات والعقود المبرمة بين المغرب وألمانيا ابتداء من 3 غشت 1914.

وتبعا لهذا بقيت العلاقات وخاصة التجارية بين ألمانيا والمغرب "المحمي" متوقفة بسبب الحرب، ولم تأخذ مجراها إلا بعد مرور عدة سنوات على الحرب العالمية الأولى بشكل بطيئ، ولكن في ذات الوقت تصاعدي. وقد نظمت هذه العلاقات بموجب ظهائر ملكية، أهمها ظهيران، وأولهما بتاريخ 11 يناير 1920 المنظم للتجارة بين الطرفين، ويضم هذا الظهير عشر مواد، كما صدر ظهير آخر في نفس اليوم ينظم وضعية الرعايا الألمانيين في المغرب، ويشتمل على خمس مواد، تنص المادة الأولى منه على أن "الدخول والإقامة، وممارسة الحقوق في المنظمة الفرنسية للرعايا الألمان يكون خاضعا لتسليم رخصة بشأن ذلك وتعتبر هذه الرخصة شخصية".

وبالنظر إلى هذين الظهيرين يلاحظ أنهما متشددان إزاء ألمانيا إذا ما قورنا بظهائر لاحقة، بحيث سيسمح لألمانيا شيئا فشيئا بأن تمارس النشاط التجاري بشكل متحفظ ثم فيما بعد بشكل حر. وقد صدر ظهير شريف آخر بتاريخ 11 غشت 1927 حاملا بعض التخفيف، إذ نصت المادتان (40 و41) منه على السماح للسفن التجارية الألمانية بالدخول والرسو في المراسي المغربية من أجل أن تحمل أو أن تفرغ البضائع والركاب. كما صدر ظهير 11 مارس 1933 متضمنا تخفيفا لما جاءت به اتفاقية فرساي، فالمادة الرابعة منه نصت على إمكانية التجار والشركات التجارية الألمانية في حق التعاقد والتصرف وامتلاك العقارات.

وقد بدأت أبواب المغرب مرة أخرى تفتح أمام التجارة والمصالح الألمانية خلال ما بين الحربين بفعل هذه الترسنة القانونية المعبر عنها بالظهائر المشار إليها. وقد ساهمت في التطور التجاري بين الطرفين ما بين 1921 و1938 على الشكل الآتي :

| السنة | الواردات | الصادرات |
|---|---|---|
| 1921 | 2617 | 4208 |
| 1934 | 1216 | 54062 |
| 1938 | 42427 | 56512 |

ولكن ابتداء من سنة 1939 سوف تتوقف هذه العلاقات بفعل الحرب العالمية الثانية وبالخصوص إلى ما بعد الاستقلال حيث سيبرز إطار جديد للعلاقات الاقتصادية الألمانية، وقد شجع في تنامي هذه العلاقات بعد الاستقلال انتفاء العراقيل ذات الطبيعة السياسية بين الطرفين. فلا مواقف بين ألمانيا والمغرب سياسية متجمدة تفرض ضرورة تذويبها، ولا جروح بين الطرفين يجب تضميدها. وقد ساعد كل ذلك ومن جديد في فتح السوق المغربية أمام ألمانيا.

3 ـ المرحلة الثالثة من 1956 حتى الآن : بعد استقلال المغرب ازدادت علاقاته مع ألمانيا تمتينا، ذلك أن هذا البلد قد تبنى مباشرة بعد الاستقلال التوجه الليبرالي على المستوى الاقتصادي والسياسي، وكان ذلك حافزا مهما بالنسبة للمستثمرين والشركات والبيوت المالية الألمانية، وحتى للمسؤولين الألمان لتطمينهم ضد التخوفات الناشئة عن التأميم وفرض الحراسات الجاري بها العمل في مختلف الدول المستجدة الاستقلال وخاصة في الدول العربية المجاورة. ولتنظيم إطار هذه العلاقات أبرمت عدة اتفاقيات للتعاون الاقتصادي كإطار لاتفاقيات أخرى ذات طابع قطاعي متخصص. وهكذا فعندما أبرمت الاتفاقية التجارية المغربية الألمانية سنة 1959 لوحظ أن ألمانيا ساهمت في المؤسسات المالية المغربية ذات الطابع التنموي.

ومن المعلوم أن التعاون الألماني المغربي الذي واكب دخول ألمانيا كمساهم في هذه المؤسسات، قد دفع بتسهيل إبرام اتفاقيات هادفة لتسوية العلاقات بين الطرفين. ولكن رغم كثافة الجهاز الاتفاقي آنذاك فإن الاستثمارات الألمانية في المغرب بقيت هزيلة على الرغم من كونها طالت جل المجالات الاقتصادية ـ المجال المعدني والفلاحي والصناعي والسياحي.. الخ.

وتجدر الإشارة إلى عدة معطيات ساهمت في تنامي التعاون الألماني المغربي منذ منتصف الستينات، من بينها رغبة المغرب في أن تدعمه ألمانيا أمام المجموعة الاقتصادية الأوروبية. والأزمة المالية التي عانى منها المغرب ما بين 1963 ـ 1964، وأزمة العلاقات المغربية الفرنسية ابتداء من أواخر سنة 1965 وكذلك تطبيق المخطط الثلاثي لسنوات (64 ـ 1967). هذه المعطيات كلها حفزت المغرب ليشدد على الدعم الألماني، وضرورة تنظيمه بشكل

دائم. وقد مهد لذلك بالاتفاقيات المشار إليها خلال سنوات 1961 حتى سنة 1963، وبالزيارة التي قام بها الممثل الشخصي لجلالة الملك السيد أحمد بلفريج. وإذا كانت معالم التعاون الألماني المغربي قد رسمت إطاراته اقتصاديا فلا بد من تحرك سياسي ينعشه ويدفع به إلى الأمام، لذا تم التفكير في زيارة ملكية إلى بون قصد تعميق وتطوير حقل التعاون المغربي الألماني، وقد سمحت هذه الزيارة الممتدة ما بين 29 نونبر 1965 و 2 دجنبر 1965 على الرغم من الخلاف الألماني العربي، بتطوير العلاقات المغربية الألمانية إذ أكد المسؤولون الألمان على الرغبة في المساعدة على تطوير الاقتصاد المغربي في السنوات اللاحقة، ولذلك يمكن القول إن التعاون الألماني المغربي قد تطور بشكل ملموس بفعل الوفاق السياسي بين الطرفين. وسوف يترجم هذا الوفاق السياسي من الجانب الألماني بالزيارة الرسمية التي قام بها الرئيس الألماني Lübke في شهر مارس سنة 1966، مدى اعتماد المغرب على ألمانيا في الوقت الذي توترت فيه العلاقات المغربية الفرنسية بفعل قضية بنبركة. إذ خلال هذه الفترة سوف تتواثر الزيارات المتبادلة بين الطرفين. ففي فبراير سنة 1968 استدعي "ولي براند" وزير خارجية ألمانيا للقيام بزيارة للمغرب، وأكد على أهمية ،وضرورة التعاون التجاري والاقتصادي واهتمام ألمانيا بالمساهمة في مشاريع المخطط الخماسي. وبعد ذلك زار الوزير الألماني المكلف بالتعاون المغربي ليبين هذا الاهتمام الألماني. ومقابل ذلك زار وزير خارجية المغرب أحمد العراقي ألمانيا سنة 1971 قصد الدفع بهذا التعاون قدما.

وقد كان لهذه الزيارات المتبادلة وقع سياسي أثر بشكل مباشر على الجانب التجاري والمالي والاقتصادي بصورة لم تكن منتظرة من قبل. فخلال سنة 1973 لوحظ تدفق الأموال الألمانية على المغرب بشكل قروض ومساعدات. ففيما بين يناير ودجنبر من سنة 1973 وقّع المغرب وألمانيا على ثلاث اتفاقيات تهم التعاون المالي. كما أن سنوات 1974 ـ 1975 ـ 1976 عرفت تكاثف العلاقات الاقتصادية والمالية بين الطرفين، وعبر عنها بمجموعة من الاتفاقيات. وقد لوحظ خلال سنوات 1978 ـ 1979 اعتماد المغرب على ألمانيا والمجموعة العربية بشكل كبير في تمويل مشاريعه التنموية، وقد تجلى ذلك من خلال الاتفاقيات المالية الألمانية المغربية آنذاك.

إن هذا المد القوي في العلاقات الاقتصادية المغربية الألمانية في منتصف أواخر السبعينات سوف يلمس ثقله من كلا الطرفين، فمن المعلوم أن في سنوات 78 ـ 1979 ارتفعت قيمة التجارة المغربية الألمانية بمقدار 10,5 ٪ لكي تقفز من 824,5 م مارك إلى 910,9 م مارك. وكان ميزان المبادلات في صالح المغرب، لذا أصبحت ألمانيا تحتل الرتبة الرابعة سنة 1979 من بين الدول المزودة للمغرب، واحتل المغرب الرتبة الثانية ضمن لائحة الدول المزودة لألمانيا بالفوسفاط.

ولتقوية هذا النشاط التبادلي قام المستشار الألماني هلموت شميت بزيارة رسمية إلى المغرب يومي 6 ـ 7 يناير 1981. وقد تباحث مع جلالة الملك من جهة ومع الوزير الأول المعطي بوعبيد في شأن العلاقات الاقتصادية وضرورة تطويرها. ولذلك نجد هذه العلاقات قد عرفت قفزات نوعية ما بين 80 ـ 1984. ففي سنة 1980 أبرمت اتفاقيات للتعاون المالي بلغت قيمتها 75 م مارك، وذلك قصد تمويل مجموعة من المشاريع الفلاحية. بالإضافة إلى اتفاقيات أخرى في نفس السنة، منها اتفاقية القرض البالغ 24,9 م مارك، واتفاقية القرض البالغ 62,4 م مارك. وكذلك في سنة 1981 منحت ألمانيا للمغرب قرضا بلغ 75 م مارك قصد تمويل مشاريع زراعية بالإضافة إلى منحة تقدر ب 10 م مارك.

وقد توالت هذه القروض ما بين سنوات 1982 ـ 1983 ـ 1984. لتساهم في تنمية عدة قطاعات كتمويل مشروع اللكوس، الشطر الأول، أو تهم التعاون التقني بشكل عام، أو تموين بعض المدن بالماء الصالح للشرب مثل سيدي إفني وخنيفرة ومريرت، وتزنيت وبني ملال وخريبگة ووادزم.

ويمكن إجمال الأموال المتدفقة على شكل قروض ما بين 1982 ـ 1984 فيما مجموعه 307,2 م مارك. ويتضح مما سبق أنه إذا كانت العلاقات المغربية الألمانية ما بين 1870 ـ 1912 مبنية على الاعتبارات الاستراتيجية السياسية بالإضافة إلى اهتمامها بالاعتبارات الاقتصادية فإن هذه العلاقات بدأت تركز على العنصر الاقتصادي لوحده منذ الحرب العالمية الأولى حتى الآن. وقد تعاظم الطرح بعد الحرب العالمية الثانية حيث منع ألمانيا الانغماس في سياسة التسابق نحو التسلح، فوجهت تبعا لذلك كل جهودها إلى الجوانب الاقتصادية والتكنولوجية. فأصبحت منذ الستينات قطباً اقتصادياً دولياً منافساً لدولتي القمة الدولية حتى في فترة الثنائية القطبية المرنة بفضل ما تدره من مساعدة اقتصادية وليس عسكرية لفتح أسواق العالم الثالث أمام اقتصادها الراغب في أسواق كبرى لصرف فائض انتاجه. وفي هذا الإطار تندرج العلاقات الألمانية لما بعد الاستقلال.

ج. عياش، *دراسات في تاريخ المغرب*، الرباط، 1986 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 1280 ـ 1311 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 ؛ ع. بنشنهو، *البيان المطرب لنظام حكومة المغرب*، ط.2.1951، 45 ؛ ع. بن سلامة، *التقليد المغربي في الحكم : الوضع الدستوري قبل الحماية*، البحث العلمي، ع27، سنة 1977، 63 ؛ ع. كريمي، *النظام القانوني لانتقال رؤوس بين الدول العربية*، 1، المقدمة سنة 1987 كلية الحقوق بالرباط.

J. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1830-1894*, 4 : 14-19 ; Bulow, *La politique Allemande*, p. 34 ; L. Maurice, *La politique Marocaine de l'Allemagne*, Paris 1916, p. 5 ; V. Berard, *Affaire du Maroc*, Paris, Armand Colin 1906, p. 58 ; P. Renouvin, *L'histoire des relations internationales*, T. VI, *le XIX siècle* p. 90 ; A.F., Février 1920, nº 2, p. 71 ; *Les relations internationales : Le Maghreb et l'allemagne*, Maghreb, nº 13, Janvier-Février 1966, p. 4-5 ; Bulletin de l'information de l'ambassade du Maroc à Paris, Décembre 1965, p. 1 ; A. Berramdane, *Le Maroc et l'occident 1800-1974*, éd. Karthala, 1987, p. 260-261 ; Maroc Document, nº 3, Juin 1968, p. 78 ; Le monde, 25 Mai 1971 ; Borm (3243) 25/12/1974, p. 1746. (3387) 27/7/77 p. 871. (3491) 26/9/79 p. 754. Marchés

tropicaux et mediteranéens, nº 1836, 16/1/1981. (3583) 1/7/81, p. 318. A.A.N. 1981, (3642) 18/8/82, p. 431. (3646) 15/9/8, p. 449 (3701) 5/10/83 p. 83. (3729) 18/4/84, p. 157. (3749) 9/591984 p. 358. (3760) 21/11/84.

علي كريمي

**الألْمَنْتي**، إبراهيم الرسموكي، فقيه مشارك تخرج من مدرسة أَزَاريف، وتولى فيها التدريس. من مشايخه محمد ابن المواز حين رحل إلى سوس مع المولى الحسن، أخذ عنه المقولات، وكان إلى جانب التدريس يزاول الإفتاء في النوازل بقبيلته، توفي عام 1340 / 1921، وهو مذكور بين المؤلفين السوسيين بمؤلف في *أخبار الهيبة*.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 209 ـ 222 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 118.

عبد الله درقاوي

**ألْمُوسْنِينُو، حاسْدَايْ**، حبر بتطوان، ومؤلف *مشْمِيروث حا ـ قَدِيش* "الأمانة المقدسة" وهو تعليق على شَرحِ راشي حول أَسفار موسى الخمسة (*ليڤورم*، 1826)، و*مواعظ*.

توفي سنة 1728.

**ألْمُوسْنِينُو، موشي** بن حاسداي السابق الذكر. مؤلف *بأورينْ بَ ـ تَنَاخْ*، وهو تفسير لأسفار موسى الخمسة.

توفي أواسطَ القرن الثامن عشر.

طوليدانو، *نير حما عرب*، 158.

شمعون ليڤي

**أَلميس مرموشة ← بولمان** (إقليم ـ)

**الألواح**، تسمية للأعراف القبلية المكتوبة عند جزولة خاصة، وقد تسمى في قبائل أخرى العرف أو القانون أو الديوان أو الشروط أو تيعقّدينْ أو إزْرَفْ. وهي من وضع القبائل قصد تدبير شؤونها الداخلية والحفاظ على أمنها الخارجي، وقد تتعدد القبائل أو الفرق أو مجموعات الأسر. ولم يعثر لحد الآن على لوح من ألواح جزولة يرجع إلى ما قبل عام 904 / 1498، أو إلى ما بعد عام 1348 / 1929، وقد يكون توقف إنتاج هذه الأعراف بسبب السيطرة الفرنسية التي تمت في هذا التاريخ الأخير تقريبا.

تكتب الألواح بحضور مقدمي الجماعة المعنية بها وهم المسمَّون بإنْفْلاسْ في سوس، وقد يحضر كتابتها إمام المسجد أو فقيه المدرسة أو شاهد عدل القرية، وفي بداية اللوح ترد مثل هذه العبارة :"اتفقت ورضيت قبيلتنا (...) عامتهم وخاصتهم وطلبتهم وفقراؤهم..." أو عبارة :"اتفقت الجماعة كلها بمحضرهم جميعا على ..." أو عبارة : "هذا العرف بينهم كلهم برضاهم ورضى شيوخهم بأمرهم من غير إكراه لواحد منهم". ومن العادة أن تقرأ الألواح على الملتزمين بها في جمع يحضره الرجال والنساء، وتشرح مقتضياتها باللغة المحلية (الأمازيغية)، وينص على هذا الإعلان كتابة في اللوح بمثل عبارة : "ما ذكر أعلاه برَّحوا به كله فوق مسجدهم ليسمعه الداني والبعيد"، ولمنع أي زيادة أو نقصان في نص اللوح يتم إيداعه في مكان مصون لدى أمين الحصن (أگادير) الجماعي إن وُجد أو عند إمام المسجد، وقد تكتب منه نسخ بعدد العرفاء (إنفلاس) في القبيلة ليكون عند كل واحد منهم، ولا يتم استخراجه للاطلاع عليه إلا بمحضر الجماعة إذا ما حدثت نازلة تقتضي ذلك.

وقد صنف العثماني الألواح إلى ثلاثة أنواع :

ـ نوع ينظم مرفقا في داخل قبيلة كأن ينظم ساقية الري وصيانتها والاستفادة منها أو من عيون الماء أو حراسة الغلات والثمار وجنيها أو اذخارها في حصن الجماعة أو استغلال المطاحن التي تدور بماء الساقية أو النهر أو استغلال معاصر الزيت أو تنظيم رعي الماشية بالتناوب أو تنظيم الأسواق الأسبوعية أو الموسمية أو أمن الطرق أو العرف في التعامل مع أحياء سكنى اليهود أو رعاية المساجد والزوايا والأضرحة.

صدر رسم طويل من ألواح سوس يتحدث عن قضاء أنفاليس

ـ نوع ينظم حياة قبيلة في مختلف جوانبها، فهي ألواح جامعة تنسب إلى القبائل، ومن نماذجها لوح ماسة ولوح إفران (سوس) ولوح إكُونْكَا.

ـ نوع ينظم علاقة التحالف أو التصالح بين قبيلتين أو أكثر.

ويضاف إلى بنود اللوح ما تقتضيه الضرورة، وهي بصفة عامة تحدد واجبات الأفراد نحو الجماعة في شأن ما يهم الحياة الزراعية أو التعاضد أو الدفاع، كما تحدد الجنح والجنايات وما يترتب عنها من العقوبات، وهي تتراوح بين

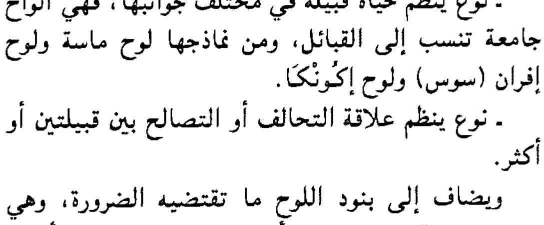

صدر لوح من ألواح سوس

أداء اليمين وإعطاء غرامة مالية تسمى "النصاف" (الإنصاف) أو تانفكورت، وقد ينص فيها على استقبال إنفلاس في ضيافة، أو على تخريب دار الجاني أو مصادرة أمواله أو نفيه من أرض القبيلة. ومقاصدها في الجملة هي

توزيع منظم للخدمات ولاستغلال المجال الزراعي والرعوي وحفظ أمن الأشخاص والممتلكات، ولا يخلو تطبيقها من تجاوزات قد يستفيد منها القائمون عليها وهم الشيوخ والأعيان أو العرفاء (إنفلاس).

جانب من لوح خشبي ملولب

إن الأعراف المسجلة في الألواح نمت في القرون الأخيرة بسوس على مرأى ومسمع من الفقهاء الساهرين على تطبيق الشرع الإسلامي، وقد صار الفقهاء في بعض الأحيان من المحررين لتلك الألواح مادام ما يرد فيها غير متناقض مع نص شرعي صريح. وفي بعض الأحيان يرد في اللوح نصح من الفقيه إلى العرفاء المنفذين للألواح كما ورد في لوح أيت وادريم : "وليكن وقوفكم (أيها العرفاء) مع الضعيف أكثر مما تقفون..." (العثماني، 236) وكان للفقهاء فضل تنمية الجانب الموافق للشرع في ألواح جزولة، وقد جاء ما يفيد ذلك في *لوح ماسة* (نسخته الأصيلة بمكتبة معهد محمد الخامس بتارودانت) ووقع النص في لوح آخر على أن "كل ما حكم به (الفقيه) وأفتى به لا يفتش فيه أحد لا بالنفود ولا بالمضاد لأنه أنفذه وأمضاه هو بينهما (بين الخصمين)" (لوح أيت عمرو بإداوْباعْقيل، نسخة خاصة، والمقصود هو الفقيه أحمد أمزوغ). وبقدر ما كانت تتقوى في القبائل القيادات الشخصية المعززة بالنفوذ المخزني ازداد تدخل السلطة في شؤون الجماعات وأشغالها وأحلافها وأحكامها، فضعفت بذلك الحاجة إلى إنتاج الألواح وصارت تنعدم شروط العمل بها وهواستقلال الجماعة القبلية في الممارسة "الجماعية" للأحكام.

م. العثماني، *ألواح جزولة والتشريع الإسلامي*، د. د. ع.، الرباط، 1970 (يتضمن المظان بالعربية).

R. Montagne, *Un magasin collectif de l'Anti-Atlas : L'Agadir des ikounka*, Hesp. IX, 1929, 145-267 ; *Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc* ; Ben Daoud, *Recueil du droit coutumier de Massat*, Hesp. IV, 1924, 405-39.

عمر أفا

**إلياس** بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع. كان للأسرة التي ينتمي إليها دور كبير ببلاد المغرب. فعقبة أول فاتح مسلم لعموم هذه المنطقة، وحبيب كان قائدا كبيرا قتل في حرب الخوارج بضواحي طنجة. وقد استولى نجله عبد الرحمان على الحكم بإفريقية سنة 127 / 745 م بينما كانت الخلافة الأموية تقترب من نهايتها. غير أن مروان الجعدي أقره على ولاية بلاد المغرب. وظهر أخوه إلياس قائدا على جيوشه التي حاربت الخوارج بإفريقيية الذين رفضوا السلطة الأموية. وهكذا واجه إلياس عرب الساحل وبربر الجبال وثورة باجة، وساير أخاه عبد الرحمان في إخضاع سكان هذه البلاد بالقوة. وقاد عبد الرحمان بنفسه جيشا انتهى إلى تلمسان ثم دخل المغرب ووصل إلى إكّلي بسوس حيث أنشأ بها معسكراً ظل قائما إلى عهد البكري على الأقل. والأرجح أن إلياس بن حبيب رافق أخاه أو التحق به في هذه الحملة، لأن أخاه عينه في البداية على طرابلس لكن تسرّع بإعدام رئيس الإباضية بها مما أدى إلى عزله. ثم إن عبد الرحمان في حملته عبر المغرب الكبير ترك ابنه حبيبا ينوب عنه بالقيروان، فلابد أن يكون إلياس سندا له. وتوغلت الحملة جنوبا باتجاه أودغشت وهي تقوم بحفر آبار ظلت أماكنها معروفة بضعة قرون على الأقل. ثم عادت مثقلة بالسبي والغنائم التي اشتملت على كميات كبيرة من الذهب.

وعندما آل الأمر إلى الدولة العباسية أعلنت أسرة ابن حبيب ولاءها لأبي العباس السفاح، ثم لأبي جعفر المنصور، كما تواقد على القيروان عدد من أمراء بني أمية، وكانت تلك فرصة سنحت لإلياس، فتزوج من البيت الأموي، لكن عبد الرحمان ارتاب ببعض الأمراء منهم، فقتلهم، كما أعلن سحب بيعته للمنصور الذي هدده بعد أن استقل هدية ابن حبيب إليه. عندئذ دبر إلياس وأخوه عبد الوارث مؤامرة لاغتيال عبد الرحمان كانتقام لقتل بعض أصهاره من أمراء بني أمية، ولأن عبد الرحمان كان يعتمد على إلياس في فتوحه، فإذا كتب إلى الخليفة نسبها إلى نفسه ونجله حبيب. وقرر إلياس بعد نجاح المؤامرة ضد عبد الرحمان أن يستولي على الحكم لنفسه، لكن مقاومة حبيب بن عبد الرحمان ألجأته إلى أن يشاطره الحكم، فتخلى له عن بعض مراكز إفريقية، وتخلى لأخيه عمران عن جزء آخر منها واستبد هو بباقي إفريقية وسائر المغرب.

على أن إلياس بن حبيب عاد إلى الدعوة العباسية بعد استيلائه على السلطة سنة 137 / 754 وحاول أن يتخلص من أخيه عمران بقتله أو نفيه إلى الأندلس مع عبد الوارث. وكان عمران على ولاية تونس، فتخلص منه إلياس غدرا حسب ابن خلدون. ثم إن ابن أخيه حبيبا استولى على تونس ودخل وإياه في صراع جديد انتهى بقتل إلياس على إثر مبارزة ثنائية بينهما. وقد قضى إلياس في ولاية بلاد المغرب سنة ونصف سنة، ولكن لا يعرف شيء عن شكل تعامل سكان المغرب معه. والأرجح أنه لم يشمل المغرب بنفوذ يذكر لأن حركة الصفرية وحركة برغواطة كانتا تتشاطران النفوذ على أهم مناطق المغرب إلا ما كان من أجزاء محدودة لا تدين هي أيضا بالولاء لأحد ؛ خصوصا بعد انسحاب حملة عبد الرحمان بن حبيب التي كانت لها أهمية ظرفية عبر المغرب الكبير وإفريقيا الغربية.

ع. ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية والأندلس* ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر إفريقية والمغرب* ؛ ابن عذاري، *البيان المعرب*، 1 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 4 : 404 - 409 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ، 1 : 120 - 122.

إبراهيم حركات

**ألْيان** الغماري، (أويُلْيَان) شخصية تاريخية قيل عنها الكثير، لدرجة أن هناك من يشك في وجودها

الحقيقي، وذلك لكثرة الأساطير التي تحوم حولها منذ أكثر من اثني عشر قرنا، والسبب في ذلك يرجع إلى كون أقدم مصدر أثبت وجودها أطلق عليها اسم "أورباني" (Urbani) أو "أوربانوس" (Urbanus) بدلا من أليان، ونعني بذلك التاريخ الذي كتبه القسيس إسيدورو دي بيخا (Isidoro de Beja) الذي يعرف بـ "تاريخ الباثينسي" (*Cronica del Pacense*)، ويرجع تاريخه إلى سنة 754 م. أي أنه وضع بعد الفتح الإسلامي للأندلس بـ 43 سنة.

وقد وصف القسيس المذكور أليان بـ "الرجل النبيل الذي كان يزاول سلطة اكسارخوس (وال) بإفريقيا البيزنطية. ومما زاد في الطين بلة أن الذين كتبوا عن الفتح الإسلامي للأندلس بعد القسيس أسيدورو وهم قسيس اللبيلدة (Monge de Albelda) صاحب التاريخ المعروف بتاريخ البيلدينسي (*Cronica Albeldense*) والمؤلف سنة 976 م، والقسيس سيباسطيان ذي سالامنكا (Sebastian de Salamanca) الذي ألف كتابه حول حياة الملك الإسباني ألفونصو الثالث (Alfonso III) سنة 866 م. لم يذكروا حاكم سبتة آنذاك لا باسم أورباني ولا أوربانوس ولا أليان، وأول من ذكره باسم خوليان (Julian) هو الراهب سيلوس (Monge de Silos) الذي ألف كتابه المعروف بتاريخ سيلينسي (*Cronica Silense*) سنة 1115 م. وهـذا ما جعل المؤرخين من بعده يطلقون على أليان اسم الكونت دون خوليان (Conde don Julian).

وكان ابن عبد الحكم أول مؤرخ عربي أثبت وجود أليان وسماه يليان وياليان وتبعه في ذلك كل من ابن حوقل واليعقوبي وابن عذاري والمقري وغيرهم.

وطال الجدل بين المؤرخين حول شخصية أليان هل هي حقيقة تاريخية أم مجرد أسطورة، إلى أن اعتنى المؤرخ الإسباني كوديرا (Codera) بالموضوع ونشر في مجلة أراغون (Revista de Aragon) سنة 1902 بحثا دقيقا أكد للجميع وخصوصا لمن كانوا يزعمون أن شخصية أليان ما هي إلا أسطورة على أنها أطروحة لا أساس لها من الصحة.

ولم يقتصر كوديرا على إثبات الوجود التاريخي لأليان، بل إنه أكد بالحجج الدامغة أنه "كان شخصية بربرية بارزة تنتمي إلى غمارة واسمه الحقيقي هو أوربان (Urban) أو أولبان (Olban) وكان مسيحيا".

وجاء العالم الإسباني مينينديث بيدال (Menendez - Pidal) ليؤكد ما أثبته كوديرا حيث قال "إن اسم أليان هو أولبان (Olban) وأصله بربري من قبيلة غمارة بل إنه كان أمير غمارة في زمنه "وهكذا حسم مينينديث بيدال الخلاف القائم بين المؤرخين عندما أصدر كتابه الذي يحمل عنوان "أسطورة آخر ملوك القوط" (*Leyenda del ultimo rey godo*).

ولكل من كوديرا وبيدال يرجع الفضل في شرح الأسباب التي جعلت أليان يفتح باب سبتة في وجه طارق بن زياد ويساعده على فتح الأندلس، وكذلك هذه المسألة كانت هي الأخرى موضوع جدل بين المؤرخين نتيجة لوجود الأسطورة القائلة بأن أليان أراد بذلك أن ينتقم من الملك القوطي دون روديريكو (Don Rodrigo) الذي اعتدى على شرف بنت أليان المسماة فلوريندا (Florinda)، هذه الأسطورة التي كان أول من أثارها من المؤرخين العرب هو ابن عبد الحكم في القرن التاسع الميلادي، ثم أخذها عنه المؤرخون الإسبان والراهب سيلوس (Monge de Silos) في القرن الثاني عشر الميلادي. والجدير بالذكر أن هذا الراهب هو أول من لقب فلوريندا بنت أليان بـ "لاكابا" (La Cava) أي القحبة.

يقول كل من كوديرا وبيدال عن أسباب الفتح الإسلامي للأندلس إن موسى بن نصير عندما جاء إلى شمال إفريقيا للمرة الأولى لمحاصرة أليان بمدينة سبتة ولم يستطع فتحها فتوجه إلى طنجة واستولى عليها، وفي سنة 708 م. توفي الملك القوطي فيطيثا (Witiza) وأقصي ابنه أرشيلا (Archila) من الملك الذي استولى عليه دون رودريگو (Don Rodrigo) وحيث إنه كانت بين أسرة فيطيثا وأمير سبتة أليان علاقة عائلية هناك من يقول إن زوجة أليان المسماة فالدرينا (Faldrina) كانت بنت الملك فيطيثا فقد لجأ كل من الأمير أرشيلا وأخيه الأسقف دون أوپّاس (Obispo don Oppas) إلى أليان وطلبا منه أن يتوسط لهما لدى طارق بن زياد من أجل أن يعينهما على استرجاع عرش أبيهما، وقد استجاب طارق لطلبهما على أساس أن تفتح له أبواب سبتة القريبة من بلاد الأندلس، فكان الأمر كذلك وكان من أمر الفتح ما هو معروف.

وأما قصة الاعتداء على شرف فلوريندا من طرف الملك دون رودريگو فقد قال كل من كوديرا ومينينديث بيدال إنهما لا يستبعدان وقوعها بدليل ما قاله أسقف طليطلة (Obispo de Toledo) عندما أكد في كتابه "تاريخ الملك دون روديريكو مع هلاك إسبانيا وكيف استولى عليها العرب" (*Cronicas del Rey don Rodrigo con la destruccion de Espana y cano los Moros la ganaras*) إن أليان رافق طارق بن زياد في حملته وأنه هو الذي قتل بيده الملك دون رودريگو انتقاما لشرف ابنته.

بقي أن نقول إن الصواب في كتابة اسم صاحب الترجمة هو أليان وليس يُليان أو يوليان، بدليل أن الجغرافي أبا عبيد البكري ذكر في القرن الحادي عشر الميلادي نهر أليان وبقربه قصر أليان على شاطئ بوغاز جبل طارق بين سبتة وطنجة، وفي يومنا هذا لا زال النهر المذكور يعرف بوادي أليان كما تعرف المرسى المجاورة له بمرسى أليان.

أ. البكري، *المسالك والممالك*.

Sebastian de Salamanca, *Cronicon de Alfonso II* ; Obispo de Toledo, *Cronicas del Rey Don Rodrigo con la destruccion de España y cano los moros la ganaras*, Toledo 1549 ; Isidoro de Beja, *Cronica el Pacense*, Pamplona 1615 ; Monge de Albelda, *Cronica Albeldense*, Madrid 1663 ; Monge de Silos, *Cronica silense*, Revista de filosofia literatura y ciencia de Sevilla, t. VI, 1875 ; F. Codera, *Estadios criticos* ; Revista de Aragon, mayo-junio 1902 ; *Sitadios criticos de historia arabe* (*el llamado Conde Don Julian*), Zaragoza 1903 ; J. Menendez Pidal, *Leyenda del ultimo Rey Godo*, Madrid, 1906 ; M. R. Codola, *Historia de España*, t. I Barcelona ; A. Salcedo, *Historia de España*, t. X, Madrid.

**أَلْيَان**، نهر ينبع من عين الحمرة بجبال أَنْجرة، وطوله 24 كيلومترا. تصب مياهه في بوغاز جبل طارق بين مدينة طنجة والقصر الصغير، واسمه نسبة لحاكم سبتة عند الفتح الاسلامي المعروف بـ "أليان الغماري". وقد ذكره البكري حيث قال إن بقرب مصبه كان يوجد قصر أليان.

أبو عبيد البكري، 108.

Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa*, 1930 (G), p. 47 ; A. Domenech Lafuente, *Geografia de la zona norte del protectorado de Espana en Marruecos, 1942*, p. 42 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*.

محمد ابن عزوز حكيم

## إليزابيط الأولى ← إنجلترا والمغرب

**إليغْ**، المدينة والإمارة. يمكن إعادة العوامل الأساسية لظهور مدينة إليغ عاصمة إمارة تازروالت ابتداءا من 1021 / 1612 إلى ثلاثة مؤشرات أولية متكاملة الأبعاد.

1. التمركز الكبير لتجارة الصحراء الأطلسية منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي بالسوس الأقصى وعاصمته التجارية تَكَاوْصْتْ (*وصف*، 1 : 95). فقد كان من شأن هذا الاحتكار التجاري أن تأهلت المنطقة لاستقطاب التجارة البحرية الأروبية التي فتحت مرافئها المتعددة على شواطئ المنطقة (*Les ruines*, 16). فجاء لذلك تحالف الأعراب المحليين مع هذا التسرب الاقتصادي المسيحي كعامل من بين العوامل الأساسية القليلة التي بلورت الحركة الصوفية الشعبية واستقرار ظاهرة الزوايا من حيث هي وسيلة لردع هذا المد الأجنبي.

2. إن ربطنا هنا بين أهمية العاملين الاقتصادي والسياسي في محور الجانب الديني لحلف جزولة التاريخي، يجب أن يعزز بالقيمة الروحية لسيدي احماد أو موسى المتوفى سنة 971 / 1565. فإذا كنا نحن اليوم لا نعرف أي بوادر خاصة للقوة الروحية المميزة لهذا الصوفي الكبير عن باقي الأقطاب المعاصرين، فإن مؤلفات الفترة لكل من البعقيلي وأدَفال الدرعي ومحمد العربي الفاسي والسكتاني والتمنارتي والحضيكي والرسموكي والإفراني تبرز كلها بما لا يدع مجالا للشك أن سلوكيته قد جعلته فوق جميع الاعتبارات وعكست حول اندفاعاته شخصية ذات انفجار بطولي يميزه عما اسواه. إذا استثنينا نص التمنارتي، فإن مجمل هذه النصوص توضح أن انفراد تازروالت دون تَكَاوْصْتْ أو تَمَنَارْتْ أوتارودانْتْ العاصمة العلمية لسوس، بزاوية سيدي احماد أوموسى جعل منها القاعدة الروحية الأولى لرابطة جزولة. لقد قضى سيدي احماد أوموسى النصف الثاني من عمره الطويل في عين المكان يتصدر باقي الأقطاب الذين كانوا يلتفون حول زاويته شأنهم في ذلك شأن قوافل التجار والحجيج. فوطدت بذلك السوق الموسمية المحلية المكانة الاستراتيجية لتازروالت ولعائلة الشيخ. هذا العامل البنيوي الحاسم سيشحذ خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين من همة القبائل المحلية في محاولة لإنشاء سلطة سياسية مركزية يعتبر السوس يومها من أكثر المناطق تأهلا لها. لقد برهن پول پاسكون من خلال دراسته حول هذه الإمارة، على أن ما يحمل القبائل السوسية خلال هذه الحقبة على صياغة نظرية الارتباط السياسي والاقتصادي، هو تحصيلهم المشروعية من سلطتهم الروحية منذ المرابطين. وبعبارة أخرى، فإننا نتبين كيف انطلقت دولة سوس من حقيقة تاريخية تعكس منذ ظهور السعديين الواقع المعيش . لقد اتضحت معالم الشروع السياسي أمام أبناء سيدي احماد أوموسى منذ 1006 / 1597، حيث رأينا ابنه معتقلا بتارودانت من طرف السلطان احمد المنصور الذهبي. وهو حدث عمل دونما شك دوره في تقوية الأسس العلمية لمقارنة سياسة نافذة المفعول.

3. لقد أثبتت دراسات پول پاسكون القيمة حسن استعمال آل سيدي احماد أوموسى لتركته الروحية كأسلوب ظرفي يتلاءم ومقتضيات المرحلة التاريخية التي سخرت كل مواردها لرصد الأهداف السياسية المنشودة. ذلك أنه قبل إعلانهم عن سلطة سياسية مستقلة، استهدف حفدة الشيخ إحداث تكييف هيكلي يعتمد أساسا تقويم الموارد الترابية والمائية قصد تدعيم شبكة من التحالفات المحلية (*La Maison*, 21). بهذا الصدد، فإننا نكاد نجهل كل شيء عن الصدفة التي أهلت أبا حسون السملالي المؤسس التاريخي لإمارة إليغ، للقضاء على منازعيه من باقي حفدة الشيخ في حق التسيد على بسيط تازروالت. يعتبر مخطوط *بشارة الزائرين* للكرامي بالرغم من انتمائه إلى نهاية القرن الثامن عشر، من أقرب المصادر من ظروف نشأة وتطور المدينة. فهو يورد باقتضاب المراحل الأساسية التي مر منها بناء المدينة، مفيدا بأن مؤسسها قد اختط الأزقة والسوق وأبواب السور الأربعة. فعلى مشارف بسيط تازروالت يجثم حصن تَاجْگْجَالْتْ الذي شكل المقر الأول لأسرة أبي الحسن علي بن امحمد بن امحمد ابن الشيخ سيدي احماد أوموسى، المكنى ببودميعة والمشهور بأبي حسون السملالي. ويبدو أنه قد جرب عدة مواقع قبل أن يستقر رأيه على بسيط إليغ كمكان أليق لبناء عاصمته الجديدة. يبعد هذا الموقع عن تزنيت شرقا بحوالي 84 كلم تحيط به جبال أمغسو وتوگال وجبل الايغشانيين. وتفيد الرواية الشفوية أن أصل كلمة إليغ مشتق من لفظ أمازيغي - أعرابي مشترك هو إليق الذي يقابله الفعل العربي لاق، يليق. ومما يدل على أن الكلمة هناك تفيد لياقة المكان للاستقرار أن ثلاثة مواقع سوسية، على الأقل، اشتهرت بنفس الاسم هي: القرية الواقعة بإدا أوزكري وأخرى شرق طاطا غير بعيد عن تاتْلْت وقرية إلغ ندّو گادير بأيت عبد الله أوسعيد شرق أيت وفقا. (*المعسول*، 16 : 12). وقد يدل معنى إليغ بالاستناد إلى اللغة الأمازيغية على الموقع الذي في العمق أو في الحد الأقصى إذ يقولون مثلا : إليغ وَانُو بمعنى عمق البئر، وقد يُنعث بإليغ ما هو واقع تحت بالنسبة لنقطة أخرى. ومعلوم بهذا الصدد، أن للممارسة والعادات دورا

كليا في تعريف الملامح الجيومرفلوجيه وتسميتها بمجمل الصحراء والشمال الإفريقي.

لقد جاءت المدينة مستطيلة الشكل تخترقها طولا وعرضا شوارع رئيسية تصل أبواب سورها الأربعة بعضها ببعض. أما حجمها، فقد كان يشمل ما بخارج السور من أحياء استحدثت لاستقرار الفصائل الجزولية والأعرابية المجلوبة (*إليغ*، 61). ومما يرجح فرضية الجلب هذه أن بعض العقود العقارية بسجل العائلة، يأخذ شكل إطباق سياسي وعسكري (*La Maison*, 22). كما أن الدور الذي قام به مسجونو البحارة المسيحيون في بناء المدينة يعتبر هاما خلال عشر سنوات من العمل ابتداء من 1012 / 1612 (*إليغ*، 66-67).

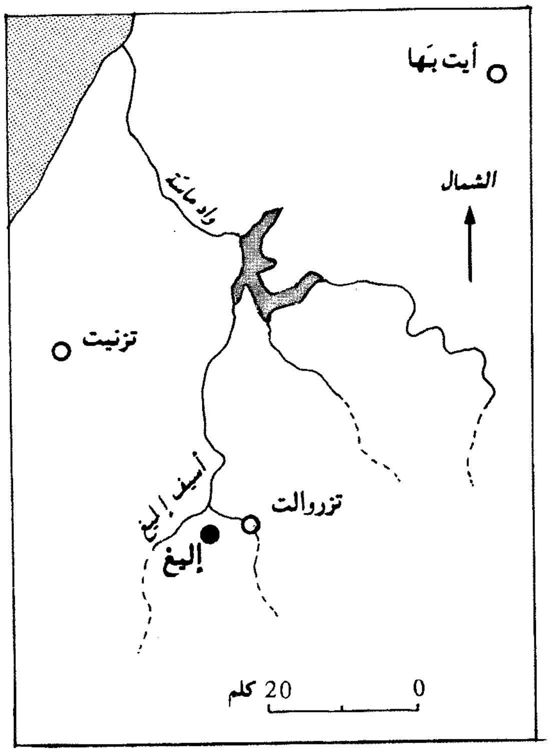


**إليغ**

أما من حيث حجم المدينة الديمغرافي، فمما يرجح احتواءها على حوالي 14.000 عائلة، أن أهمية طائفتها اليهودية تبرز معالم مدينة تجارية وحرفية من الحجم المتوسط (*La Maison*, 113). لقد استطاع أبو حسون السملالي باحتكاره ميناء ماسة الذي كان يومها أهم من ميناء أكادير (فونتي)، أن يجلب إليه تحالفات تجارية ودبلوماسية مع القوى الأوروبية وخاصة منها هولندا وفرنسا (*S.I.H.M., Pays Bas*, 3 : 400, 4 : 2 ; *Angleterre*, 3 : 138) غير أنه لن يصل إلى مبتغاه كسلطان على كافة أرجاء سوس الا بعد وفاة سيدي يحيى الماسي سنة 1035 / 1626 (*نزهة*، 2 : 346. 475). وقد جاء احتلاله ميناء أكادير ومدينة تارودانت كمؤشر على ضرورة التوجه كليا نحو الجهتين الشرقية والشمالية. نلمس بذلك ظروف توجهه إلى درعة للاستيلاء على أهم مسلك تجاري حل يومها محل الطريق الرابط بين فاس والصحراء عبر سجلماسة. على أن هذه الخطوة كانت تعتبر بدورها انتقالية اذا ما قورنت بضرورة إحلال الأمن بمراكش وأحوازها التي كانت تعرف في هذه الأثناء تقوية إمارة الشبانات بزعامة عبد الكريم بن أبي بكر الشباني المعروف بكروم الحاج (*نزهة*، 394 ؛ *S.I.H.M., Pays Bas*, 3 : note 2 : 411-412).

هل يمكن اعتبار تطلعات أبي حسون السملالي إلى محاربة كروم الحاج أمرا واردا ؟ (*نزهة* ؛ *S.I.H.M, Pays Bas*, 3 : 393-394 : 2). إن دل ما أوردناه من العوامل التأسيسية للإمارة على معنى، فإنه سيدفعنا إلى التمييز بين إليغ وباقي الإمارات الموجودة يومها بمراكش وبالدلاء وأبعادها المتفاوتة (*Le Tafilalet*, 308 à 315). إن المتتبع لأخبار تافيلالت واستصراخ الشرفاء العلويين بإليغ ضد أعدائهم الزبيريين من أهل تابوعصامت، يدرك أن إصراخ أبي حسون للشريف بن علي كان يكفي إمارة سوس لتصدر الزعامة (*إليغ*، 95. 96. 97). وقد كان حريا بأبي حسون الا يتباطأ في مواجهة الشبانات كأفضل وسيلة عسكرية لتأمين طرقاته التجارية على الأقل. ولكن مراده وذويه لم يكن «إلا غنيمة سلامة الأعراض ونجاة سلب النفوس» كما شهد بذلك خصومه السياسيون من الدلائيين (*نزهة*، 254). ندرك من هنا أهمية الفرصة المتاحة للعلويين. لقد تحرك هؤلاء منذ سنة 1044 / 1635 مدججين بفعالية الحنكة السياسية التي تميز بها كل اللاجئين السياسيين من ذوي الانتساب إلى السلالة النبوية. فبعد أن تمكن المولى امحمد من إخراج والده مولاي الشريف من سجن الإمارة السوسية الذي عرف مولد المولى إسماعيل (*الضعيف*، 8. 9)، كانت نواة السلطة العلوية قد تأسست (*استقصا*، 4 : 8).

هكذا وبعد وفاة أبي حسون السملالي بإحدى عشرة سنه عرفت الإمارة نهاية المرحلة الأولى من تاريخها. ففي سنة 1081 / 1670 دخل المولى الرشيد المنطقة ليثأر لأبيه فدمر المدينة التي عرفت هروب محمد بن أبي حسون وإخوته إلى حيث آوتهم قبيلة أيت أوسا التكنية (*La Maison*, 48). على أن ردود الفعل المحلية تقدم لنا مصادر السلطة بسوس على أنها تقتضي مقاييس مبنية على مسلمات تاريخية ثابتة، ذلك أنه بالرغم من كون الفصائل المحلية قد اغتنمت فرصة اندحار العائلة الأميرية لاسترجاع مياهها وأراضيها، فإن المرحلة الثانية من حياة الإمارة ستبدأ بعد خمس وستين سنة من الركود. ففي كثير من الاحتياط عاد يحيى بن احماد بن محمد بن أبي حسون السملالي سنة 1117 / 1695 ليحاول إعادة أمجاد أسرته. لكن التاريخ يسجل لعلي ابنه التجاءه إلى ما اختزنته الذاكرة المحلية لإبراز ملاحم الإمارة من جديد. وسوف تتوضح الأمور أكثر مع مجيئ هاشم بن علي سنة 1216 / 1801 الذي لم يجد أي صعوبة في تصدر الشؤون المحلية بسوس على عادة جده أبي حسون. وهي وضعية أهلته لاسترجاع ممتلكات عائلته وتصدر الشؤون المالية والتجارية. هكذا ظهر الحسن بن هاشم الذي سيمثل أهم وجه في تاريخ هذه المرحلة الثانية من حياة إليغ . لقد

استأثر هذا الأمير بسمعة جده أبي حسون بعد أن أتم بناء إليغ الجديدة غير بعيد من انقاض القديمة.

وخلال هذه المرحلة من عمر الإمارة تأتي مجمل المنغرافيات والدراسات الأروبية باهتمام الأمير بالمنحنى التجاري كموضوع أساسي للحفاظ على استقلاليتها ومشروعيتها التاريخية كعاصمة لحلف جزولة وما حواليه. لقد ظلت الإمارة محتفظة بمكانتها كمؤسسة تراثية لها رقابتها على القبائل للحيلولة دون أي تسرب خارجي مناوئ للتقاليد السوسية العريقة التي لم تكن تتنافى مع مشروعية السلطة الدينية لأمير المؤمنين. وقد تتضح هذه الصورة اكثر في فترات احتداد التنافس بين إليغ وگلميم حول رغبة كليهما في الانفراد بمشروع الميناء الساحلي تحت حماية إحدى القوى البحرية. وتجدر الاشارة بهذا الصدد إلى أن الأسباب الاقتصادية وعلاقتها بضرورة استعمال لغة التخاطب مع القوى الأروبية، هي السبيل الأمثل يومها لإعادة النظر في خطط سيرها على المدى القريب والمتوسط. ولاشك أن أهم ما يمكن ان نقف عنده من آثار هذه المرحلة هي مراسلات المخزن مع إليغ التي درسها پول پاسكون ومحمد الناجي. فقد واكبت هذه المراسلات قسطا وافرا من مواقف رؤساء سوس ومجمل العوامل المكانية التي تعكس مفهوم الاستقلالية المحلية.

لقد سجل الخميس : 10 : 1303 / 8 : 7 : 1886 انتهاء المرحلة الثانية من تاريخ هذه الإمارة بوفاة الحسين بن هاشم. على أن هذه الوفاة لم تكن هي السبب الحاسم في الحد من حياة الإمارة. فقد بلغ نبأ الوفاة مسامع محمد بن الحسين بن هاشم وهو في موكب السلطان المولى الحسن الذي لم يلبث إذاك ان سلمه ظهير تعيينه قائدا على قبائل تازروالت وسملالة ورسموكة والمعدر وأيت رخا وتانكرت وإداوْشگرا. وغير خاف ما في هذا التعيين من معان سياسية حيث يرد أهمية وارث الحسين بن هاشم إلى رتبة قائد مخزني. لقد سبق أن أسفرت زيارة السلطان إلى تزنيت أربع سنوات قبل هذا التاريخ، عن مخاوف الحسين ابن هاشم الذي التجأ إلى جبل سملالة تحسبا لأي محاولة عسكرية. ولكن مرونة السلطان وحنكته الروحية وذهاب ابن الحسين إلى الحضرة السلطانية، فجاء بذلك تعيين هذا الأخير كعملية تخفيفية تبقي لكل طرف هيبته وسلطاته. على أن هذا التحول الحاسم الذي طرأ على شكل الإمارة ليس براجع لمجرد زيارة سلطانية إلى عين المكان، لقد أدى انكسار البنية الاقتصادية من جراء انحراف تجارة القوافل نحو مرافئ الصحراء الجنوبية بأرگان وسان لوي وغيرهما، إلى تصدع الهيكل السياسي والاقتصادي بمجمل المناطق السوسية والصحراوية. هذا ما تجلى بوضوح تام من خلال المصاعب التي سببها البعقليون للحسين بن هاشم في الحقبة الصعبة والأخيرة من حياته.

هكذا ومع محمد بن الحسين بن هاشم تبتدئ المرحلة الثالثة من تاريخ الإمارة. وهنا لا بد أن نشير إلى أن محمدا لم يكن أقل شجاعة في مواجهة الأحداث من أبيه. فبالرغم من تغير المعطيات الأساسية، استطاع تصفية الأجواء بأن حطم قبيلة بعقيلة عسكريا معيدا بذلك للإمارة بعض رونقها السالف. وبالرغم من تردده على مراكش لأداء فروض الطاعة، فإن البعد الأميري لإليغ كان ما يزال محافظا على جوهره. ولا أدل على ذلك من أن حلفي إيگُزُولَنْ وتَحْكَاتْ الرئيسيين في سوس قد بادرا، بزعامة محمد بن محمد بن الحسين بن هاشم، إلى مجابهة الجيش السلطاني الذي أصبح يسيره بَّا حماد باسم المولى عبد العزيز. بعد ذلك كان لحفيد الحسين بن هشام، وهو احماد بن محمد، دور طلائعي إلى جانب أبيه في الذوذ عن بقاء الإمارة حرة أمام تراكم المصاعب وبداية الزحف العسكري الفرنسي. وهنا لا يمكننا إلا أن نفسر حياد الإمارة أمام حركة الشيخ ماء العينين وأبنائه الذين حاولوا إنشاء نواة سياسية باسم الجهاد، بمنطق المنافسة. فعدم السماح للمنافسين السياسيين بالتسرب جاء اساسا بمساعدة سملالة الذين أبدوا تحفظا متوقعا. والمتتبع لأخبار حفدة الحسين بن هاشم خلال الحضور الفرنسي بالمنطقة يسجل بوضوح عدم استفادتهم سياسيا ولا اقتصاديا من المرحلة. بل الأوفى من ذلك أن رئيس العائلة الحالي يعد من أكثر المحافظين على صلابة التقاليد المحلية وأعرافها.


الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة* ؛ *خلال جزولة* ؛ *الإلغيات* ؛ *إليغ قديما وحديثا* ؛ الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ الضعيف، *تاريخ*.

H. De Castries, *S.I.H.M*, 1ère Série ; L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XIXe siècles*, Hesp., 1925, t. V, 3, p. 265-276, 1926, TVI, 4 et p. 351-364 ; *Un Petit Royaume Berbère : Le Tazeroualt, Un Saint berbère Sidi Ahmed Ou Moussa*, Paris, 1954, 125 p. ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*; P. Pascon, *Les ruines d'Agouitir de Khnifis, province de Tarfaya (Santa Cruz de Mar Pequena)*, Ministère des Affaires Etrangères, Rabat, 1963, pp. 16 à 20 ; *La Maison d'Illigh et l'histoire sociale du tazerwalt* ; M. Ennaji, *Le Makhzen et le Sous al Aqsa* ; L. Mezzine, *Tafilalet*.


مصطفى ناعمي

**إليغ**، (مدرسة ــ) السؤال الذي يتبادر إلى الذهن بشأن هذه المدرسة هو بماذا استطاعت أن تتميز خلال نصف قرن الذي يمثل حياة إليغ القديمة، عن زاوية تازروالت الأم ؟ من المعروف محليا أنه قبل الانتهاء من بناء مدينة إليغ سنة 1031 / 1623، كانت زاوية سيدي احماد أو موسى قد تحولت إلى مدرسة لا نعلم عنها إلا القليل. فنحن نجهل مثلا من من حفدة الشيخ المؤسس، عين الفقيه مسعود بن احماد بن عبد الله السَّمُوگْنِي المتوفى سنة 1048 / 1623 مشرفا عليها. لقد بنى أبوحسون السملالي قبة الزاوية ثم مدرستها وعين عيسى بن محمد العيني مشرفا على أحباسها (*خلال*، 2 : 26 ؛ *إليغ*، 289).

أما عندما اكتمل بناء عاصمة الإمارة فقد كان مسجدها الجامع يتصدر معالمها الرئيسية بشكل تبرزه الملامح الأثرية بما لا يدع مجالا للشك. والملاحظ أساسا هو أن المصادر المعاصرة والقريبة تشير بوضوح إلى الازدهار

الذي ميز أجواء إليغ إلى أن دكتها أنفاض المولى الرشيد سنة 1081 / 1670. فعندما نعلم أن الازدحام الشديد الذي طبع أوقات الوعظ قد بلغ حد مقتل أحدهم (*إليغ*، 57)، فإن الطابع المشترك بين مختلف فصائل سوس يبدو في حد ذاته أخطر منافس على تارودانت عاصمة العلم بالمنطقة. لقد أحيطت أسوار إليغ العامرة بمداشر اعتبرت امتدادا لها. ولعل الدور الاستشاري الذي ميز العلماء لدى أبي حسون السملالي خير دليل على عناية هذا الأخير بالمدرسة وعناصرها من طلبة وأساتذة. وهنا لابد أن نشير إلى المحاور الهامة في مجال الإنتاج الأدبي والفقهي والقضائي التي أوردها كتاب *إليغ قديما وحديثا* وما اتسم به الجو الثقافي والأدبي من حيوية ونشاط.

I . غير أنه على الصعيد المدرسي العلمي الملموس، تقودنا بعض المخطوطات نحو الدور الطلائعي لمدرسة تازررالت في ارتياد ميدان الفنون الحربية. فمؤرخو المدارس العسكرية العتيقة يكادون أن يتفقوا على دور سيدي احماد أو موسى المجدد في هذا الميدان. ذلك أنه بالرغم من نكران حفدته الحاليين، إلا أن كل الدلائل تفيد بأنه كان من ذوي المهارات والخبرات الذين مارسوا الفنون الحربية. وكانت أغلب ممارساته تمرينات رياضية اتسمت فيما بعد بميسم التهريج الذي يُلْصَقُ بصورته طفلا. من هذا المنطلق، فإنه لا يمكن أن يقوم لمدرسة إليغ دور وراثي في هذا الميدان ولا أن تكون لها مكانع تربوية، إلا إذا أقامت تصورا مدرسيا للفنون الحربية. وهو ما تثبته المجموعة الهامة من الكتب المخطوطة الموجودة حاليا بخزانة آل أبي حسون السملالي. وهكذا نجد منها ما نسخ محليا مما يتعلق بالرماية وصناعة الأسلحة والبارود. كما أنها تفيد بأن سيدي علي بناصر وسيدي سعيد بناصر من آل حمر قد أخذا الرماية عن الشيخ سيدي احماد أوموسى خلال مرافقتهما له أثناء رحلته المشرقية (*خلال*، 2 : 33). وهنا لا بد أن نضيف أن تخصص مدرسة احمر في هذا الميدان ربما كان مرده إلى وفرة الخيول العبدية الشهيرة بهذه المنطقة. مهما يكن من أمر، فقد جاء تهافت عبيد البخاري بأمر من المولى إسماعيل للتعلم في عين المكان كخير دليل على تطور مدرسة سيدي احماد أو موسى خارج سوس. ومعلوم أن أمراء وملوك الدولة العلوية قد اعتادوا قضاء فترة من شبابهم في المثابرة بهذه المدرسة التي كان من بين تلامذتها المولى عبد الحفيظ (*خلال*، 2 : 33 .34). لنا إذن أن نقرر بأن المميزات الخاصة بإمارة تازررالت ومدرستها العسكرية تدلنا بوضوح على أن مجمل الشروط العملية المتوفرة كانت تبدو يومئذ موازية لإمكاناتها الفكرية الوجدانية، إذ عندما تشتد العقيدة ضد المد الأجنبي وتتقوى وحدة الإمارة تصبح المدرسة خير نواة للتنظيم الحربي العسكري المنظم.

II . يمثل الجانب العلمي الثقافي الزاخر ثاني وجه للمقارنه بين مدرسة إليغ وزاوية سيدي احماد أوموسى الأم، ذلك أن التفاف أدباء جزولة وعلمائها حول أبي حسون السملالي منذ ما قبل الاحتفال بالمدينة الجديدة، يعكس أكبر شاهد صدق على تخصص المدرسة الجديدة في علوم الظاهر التي تتجاوز واحدا وعشرين علما يطغى عليها الطابع الفقهي (*سوس العالمة*، 31 وما بعدها). كما أنه علاوة عن كون هذا الطابع يميز جامع إليغ عما عداه من المدارس العادية (*مدارس*، 57)، فإن الوجه الذي يطغى على أي مقارنة بينها وبين الزاوية الأم هو تخصص هذه الأخيرة في علم الباطن. ففي وقت استمدت فيه مدرسة تازررالت شرعيتها من قطبها المؤسس، انطلقت مدرسة إليغ لتواكب صيرورة التراث الفقهي والأدبي وعلوم المنطق والحساب من حيث ارتباطها بالفرائض. هذا وبالرغم من أن الاعتناء بالتأريخ والوفيات كان يعتبر محط استهزاء الفقهاء والعلماء (*إليغ*، 74)، فإننا نجد أبا حسون السملالي نفسه يطلب من ابن يعزى احمد بن محمد الرسموكي أن ينهج هذا السبيل. وهو ما جعل هذا الأخير يكتب *الجمهرة السوسية* في انساب سوس. ولعل هذه الفكرة ناتجة عن الرغبة في توسيع حقل الأفكار والإنقاذ من طغيان التقليد. هذا ما يمكن أن نستشفه من مؤلف *تاريخ سوس ورجاله* في ثلاثة أسفار لمحمد بن أحمد السوسي المانوزي المتوفى سنة 1366 / 1948.

من أوضح الإشارات إلى أهمية مدرسة إليغ ما قاله الحسن بن مسعود اليوسي المتوفى سنة 1102 / 1692، عن منهجية أستاذه عبد العزيز بن بكر بن أحمد الرسموكي البرجي (*سوس*، الباب الرابع ؛ *إليغ*، 67). فارتكازا على المسيرة التكاملية بين التشريع والقضاء والتعليم يتراءى أن هذا العالم الكبير قد عمل على جمع وتدوين فتاوي مجمل علماء القطر السوسي فيما سمي *بالفتاوي البرجية*. وهو عمل يجسد أهمية المقارعات الفقهية والفكرية وفحواها عموما. وقد جاءت المناقشة حول جواز أو عدم جواز بناء بيعة يهودية بإليغ كنموذج للتأكد من حجج المدرسة الإليغية في ميدان الممارسات المحلية (*إليغ*، 62 ؛ *الاستقصا*، 3 : 132). كما تكشف المواقف المتباينة عن الالتحام الموجود داخل حقل الفتاوي بين القضاء والتعليم، على أن البعد التأسيسي لهذا الالتحام يتطلب تنسيقا ينبغي تأسيسه على مستوى الأجيال التي استفادت من المدرسة وأفادتها.
لقد جاء العالم الكبير بناصرليجعل من إليغ أشهر مدارس سوس. فقد ساهم بقسط وافر في تكوين كبار علماء هذا القطر خلال العقود الثلاثة التي سبقت نهاية إليغ القديمة سنة 1081 / 1670. بل الأوفى من ذلك أن ازدهار العلوم الدينية انما يرجع في نظر محمد المختار السوسي خلال القرنين اللاحقين إلى هذه المساهمة القيمة (*مدارس*، 52 . 53). لقد كان أول قاض للقضاة بعلمنا هو محمد بن سعيد بن علي من أسرة أبناء عبد العزيز الأزاريفيين (*مدارس*، 113 . 114). وقد توفي سنة 1043 / 634 (*المعسول*، 8 : 137). وإذا كان عدد القضاة يومها أكبر من أن نلم به، فإنه يكفي أن نذكر من بينهم : عبد الله بن علي بن محمد بن امحند

أو إبراهيم الشيخ التمنارتي الذي توفي سنة 1074 / 1664 (*المعسول*، 7 : 54). كما أن هناك عبد الرحمن بن محمد بن سعيد (*مدارس*، 113 ـ 114) والنوازلي سيدي عبد الواسع بن أبي القاسم المرابط البعقيلي من أهل أغرابو المنتمين إلى ابن رشد (*وفيات*، 14).

من هنا نكون أمام حلقة وصل تربط بين بداية إليغ القديمة ونهايتها. فالاتصال على مستوى الأجيال التي تقاسمت حياة المدرسة منذ عبد العزيز الرسموكي البرجي تلميذ عبد الله بن يعقوب وأبي عيسى السكتاني بتارودانت، إلى تلميذه الحسن اليوسي معاصر الرعيل الأول من تلاميذ الشيخ ابن ناصر (*المعسول*، 7 : 20). الا أن مقتضى الدفاع عن الجانب المتكامل الأبعاد لمدرسة إليغ الأولى يقتضي الدفاع عن أهمية الجانب الأدبي. لقد كان من بين الذين تألقوا في هذا الميدان العالم الأديب محمد بن الحسن بن بلقاسم اللكوسي كاتب أبي حسنو السملالي. فقد نظم بالإضافة إلى *نقاية* السيوطي، قصائد مشهورة في أساليب متنوعة (*المعسول*، 7 : 6 ؛ *إليغ*، 84 : 85). من أبرز إنتاجاته الأدبية مراسلات أبي حسون السملالي مع محمد بن الشريف العلوي (*الاستقصا*، 3 : 111) ومع يحيى الحاحي (*إليغ*، 82). وهي رسائل تمثل نوعا من التأليف الذي يهتم فيه مؤلفه بالنقل والاختيار ويعمد فيه إلى إبراز جوانب من ثقافة الخاصة. يظهر من هذا الجانب أمر هام للوضعية الثقافية التي يتأدى فيها التعليم الإسلامي إلى أهل اللسان الأمازيغي السوسي. وهنا لا بد أن نضيف للتوضيح، بأن اللغة المستعملة بمدرسة إليغ للتعليم شأنها شأن باقي مدارس سوس العتيقة، هي الشلحية. فاللغة العربية تدرس قواعدها عادة باللغة الشلحية مثل *الأجرومية والألفية* وكذا بالنسبة للفقه مثل *مختصر خليل* كما يفيدنا محمد المختار السوسي (*المعسول*، 20 : 280). لقد كان اكتظاظ البرنامج اليومي من صلاة الصبح إلى ما بعد العشاء، مع فترات استراحة تمثلها أوقات الصلاة، ينضاف إلى الاعتماد الكلي على الحفظ والعقاب كطريقة تربوية، ليبرز المنهج الأمثل في التعليم على كل المستويات (*المعسول*، 3 : 270، 10 : 155). على أننا سوف لن نستقصي القول في هذا الجانب لأنه قد يلزمنا عرض المناهج التربوية وتاريخها إلا أنه يبرز بجلاء تام الجانب الذي كان يميز أسرة الأمير أبي حسون كأسرة عالمة. إن عددا من علماء جزولة المشهورين ينتمون إلى هذه الأسرة. ويكفي أن نشير من بينهم إلى محمد بن علي بن الحسين بن احماد أو موسى الذي تتلمذ على عيسى السكتاني وعبد العزيز الرسموكي البرجي وتلميذ هذا الأخير يعقوب السملالي وعلي بن أحمد السموگني، وقد أشار الحضيكي إلى أن وفاته كانت سنة 1066 / 1658 مما يفيد بأنه كان أستاذا بإليغ القديمة. كما كان العالم الحسن بن علي بن الحسين بن القطب احماد أوموسى هو أيضا تلميذا لكل من عبد الله بن يعقوب وعلي بن أحمد السموگني (*المعسول*، 12 : 57). وعلى الرغم من أن هجرته إلى مراكش وحاحة قد تكون هربا من سيد إليغ، إلا أن وفاته عشر سنوات بعد هذا الأخير قد تفيد قدومه إلى المدينة.

بوضوح هذا الجانب عن ارتباط هذه العائلة بالعلم والتدريس، لم نعد في حاجة إلى المقارنة السريعة والتوفيق الحدسي بين ما يميز إليغ القديمة والجديدة. فهذه رؤيا تدفعنا لفصل القول بالامتداد العضوي عبر الأجيال اللاحقة للمدرسة وملامحها التاريخية (*إليغ*، 289 ـ 261 ـ 296 ـ 297). ومما لا شك فيه أن الصورة الحقيقية التي ستطبع الآفاق المحلية للإمارة هي اختياراتها التي تستند على العمل التجاري والتربوي بالذات لتجديد أمر الدين والدنيا وتنشيط معالمها. هذا بالضبط ما يبينه كتاب *إليغ قديما وحديثا* والجزء الثاني من *خلال جزولة* (26 وما بعدها). على أن الإشارات الكثيرة من خلال كتاب *المعسول* توضح أهمية المدرسة خلال القرن التاسع عشر. لا سيما وأن الحسن أوهاشم قضى حياته في الاقتداء بمؤسس الإمارة ( *سوس* 159 ـ 162). والواقع أن ثمة تحولا واضحا في مسيرة هذه المدرسة خلال هذا القرن. ذلك أنه بالرغم من كون تلامذة العربي الأدوزي قد ملأوا المدرسة (*المعسول*، 8 : 157 ـ 282 ـ 288)، إلا أن نسبية المقارنة مع الفترات السابقة تكشف عن المضاعفات القياسية لانهيار إليغ تجاريا وسياسيا.


اليوسي، *فهرس* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *سوس العالمة* ؛ *خلال جزولة* ؛ *الإلغيات* ؛ *إليغ قديما وحديثا* ؛ *مدارس سوس العتيقة* ؛ *مناقب البعقيلي* ؛ *وفيات الرسموكي*.

M. Tozy, *De quelques lieux de la competition politique au Tazeroualt, Colloque International sur le devenir de la société rurale au Maroc*, BESM, nº 159-160-161, 1978, pp. 155-182.


مصطفى ناعمي

**الإليغي، الحسين بن هاشم** بن علي بن يحيى بن احماد ابن محماد بن علي المشهور بأبي حسون السملالي المكنى ببودميعة، بن امحمد بن امحمد بن سيدي احماد أوموسى دفين تازروالت وقطب الجنوب المغربي كافة. ومعلوم أن مكانة هذا الأخير قد مهدت الأمور أمام ظهور إمارة تازروالت، فقد بنى أبو حسون السملالي مدينة إليغ عاصمة الإمارة بعد أن أسس الإمارة في بداية القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي. وهي إمارة تنفرد من بين إمارات هذا القرن بالاستمرارية في ظل الدولة العلوية المركزية. فقد انتهت النكسة التي سببها المولى الرشيد للإمارة سنة 1727. بعودة يحيى إلى عين المكان ليمهد استقرار ابنه وحفيده هاشم والد الحسين. وهكذا عمل هاشم بجد منذ 1810 على تثبيت دعائم الإمارة مغتنما فرصة ضعف مخزن المولى سليمان. لقد حاول جهده استعادة جزء من الأراضي الأميرية التي كان جده محماد بن أبي حسون السملالي قد تخلى عنها خلال نفيه. كما عاد تنظيم موسم سيدي أحماد أوموسى التجاري محييا بذلك الشبكة

الرابطة بين إليغ ومحيطها البعيد والقريب. وقد كان من نتائج هذه المحاولة أن تكررت الحملات السلطانية على إليغ الجديدة بقيادة محمد بن يحيى أغناج وهروب هاشم غير ما مرة إلى أحماد بن صالح الأسكاوري من إيد عيسى حيث ولد له الحسين سنة 1224 / 1809 من أم أمانوزية تدعى باكة بنت عبد النعيم (*إليغ*، 245). كما تجلى تحالف خصوم العائلة التقليديين كنتجة منطقية انتهت بتدبير موت هاشم أثناء موسم تازروالت سنة 1825 (*La Maison*, 91). جاءت بذلك خلافة علي بن هاشم لأبيه أمرا عاديا لم يلبث أن كشف عن عجزه في الأخذ بثأر أبيه ومواجهة الضغوط المتراكمة ممهدا بذلك السبيل إلى وصول الحسين إلى السلطة سنة 1258 / 1848. وهنا تسجل الأحداث بأنه إذا كان هاشم قد سعى إلى الاستمرار في الخط الرائد الذي رسمه أبو حسون السملالي سعيا في تثبيت دعائم الإمارة، فإن ابنه الحسين يعد بحق أكبر مدعم خلال القرن الماضي لاستقلالية الإمارة ووجودها.

لقد نشأ الحسين نشأة الأمراء الذين توفرت لهم مجمل المؤهلات العلمية والعسكرية والترفيهية، فجاء متميز الشخصية قويها (*إليغ*، 249 ـ 250). يصفه الناس بشدة الوطأة والشجاعة والحرص على الانتقام وحب الرئاسة. وبالرغم من أن سلطته الملموسة لم تكن تتجاوز بسيط تازروالت وإليغ، فإن استراتيجية السوق المحلية ودورها الاقتصادي خلال هذه الحقبة الزمنية قد سهلت مأموريته كما سنرى. وقد عُرف بنفسيته المتعالية وتطلعاته السياسية التي تعتبرها الرواية الشفوية من أشهر مميزاته الفطرية، ولن تلبث الإشاعات أن تجعل منه قاتل أخيه علي. والفكرة هنا قد تواكب بعض مستخلصات الرواية الآتية التي تبرز مكانته بين أعلام العالم القبلي منذ استحواذه على الإمارة. فقد استضاف بطلب منهم سنة 1260 / 1844 آل سيدي امحند أوبراهيم الشيخ التمنارتي وأبناء أمغار التمنارتي للفصل بينهم في قضية مقتل أمغار (*إليغ*، 252). ولكن حيرته وتماطله الكبير أمام استعصاء الفتوى اضطرت طرفي النزاع في نهاية المشكل إلى الوصول للحل المناسب في غيابه. فجاءت بذلك الصياغة الزمانية لمشكل عادي من هذا الحجم محملة بالتساؤلات حول خلفيات هذا التماطل. ذلك أنه علاوة على تحكم الحسين في موقف كهذا، فإن التماطل يكشف في مراميه دلالة أساسية عن رغبة السيد الجديد في القيام بأكبر دعاية حول أهميته كسلطة راسخة المعالم. والمحلل لمثل هذا المنحنى من الفرضيات السياسية لا يمكنه إلا أن يلمس التخطيط والبحث الناطق عن السمة التاريخية المتميزة. بالإضافة إلى ذلك فإن الجانب البرتكولي الذي سيميز موكبه عن سابقيه والهالة التي سيضر بها حول تحركاته هي مؤشرات إضافية تبلور الجنوح الواضح للسلطة ومستوى تعبيري، يجب أن نركز على المدرسة التي أطرته منذ طفولته من حيث مرتكزها التنظيري والتطبيقي في الاتجاه السياسي الذي يتوسل بالصراع على مختلف ملامحه. فما هي المنهجية المعلنة خلال 45 سنة من الرئاسة وإلى أي مدى سينجح الحسين بالفعل في استنباط اختصاصاته المتميزة بالاستناد إليها ؟

لقد كان الالتفاف الجزولي حول زاوية القطب سيدي احماد أو موسى بتازروالت رمزا اعتياديا تابثا للرغبة الجماعية. هذا التعريف الديني ذو النبرة السياسة توظفه التشكيلات القبلية بشكل تركيبي في علاقتها مع تازروالت وعاصمتها إليغ. ففي إطار العلاقة بين الشرعية المركزية للدولة العلوية والإمارة تطرح مسألة المراجعة الدائمة بناء على ما يقتضيه التحالف القبلي الجزولي حول بنيته السياسية المحلية. وهكذا فإن النواة التي تتحكم تجاريا ودينيا في المعطيات السياسية والاجتماعية تتأسس على فكرة الالتحام بتازروالت وعاصمتها. ذلك ما تبرزه بجلاء المراحل التي أعقبت غزو المولى الرشيد لإليغ سنة 1081 / 1670. إن الاستعادة الصورية للأحداث توضح تحكم هذا الثابت البنيوي الذي سيتبناه الحسين بن هاشم في شكله المهيمن (*إليغ*، 278 ـ 279).

وهو أمر صادف الاستقرار النسبي الذي كانت تعرفه الإمارة يومها نظرا لعامل رئيسي. ذلك هو إرساء الهيكل التأطيري لتجارة القوافل بمواسم تازروالت ووادي نون السنوية. هذه المواسم كانت توفر للقبائل جملة من الاختيارات للإبقاء على إمكانية المقايضة كأفضل وسيلة لتبادل المصالح والحاجيات. لقد كان على سيد إليغ أن يرتب جملة من الامتيازات الممنوحة بشروط خاصة تهم علاوة على طبيعة القروض ومدة صلاحيتها، ترصيص شبكة من التحالفات المدعمة لسلامة السوق وأمنها ؛ هذه المهام التجارية والسياسية تجعل وحدها من سيد إليغ حامي حركية الرواج السلعي والمتوفر على مطلق الصلاحيات لتنفيذ ما يراه جديرا بتخطي عراقيل الأمن والرواج التجاري.

ومن بين الدراسات القيمة التي قام بها پول پاسكون حول إليغ الجزء التمهيدي لدفاتر بيوعات *الحسين بن هاشم*. فقد لاحظ في دراسته *إعادة شراء تازروالت من طرف إليغ* بأن كلمة بيوعات لم تكن تعني إلا الملكيات التي تم شراؤها نقدا. كما لاحظ بأن عقود شراء هذه الملكيات تتوزع في ثمانية من بين عشرة سجلات دوَّنها النساخ. وبالرغم من كون الراحل پاسكون لم يتمكن من إتمام مشروعه الدراسي، إلا أنه تساءل عن وتيرة هذه المشتريات وعلاقتها بالعمليات التجارية. وقد سجل بأن تحصيل ممتلكات القاصرين أو محميي إليغ غالبا ما تأخذ شكلا نهائيا. كما أن تملك الأراضي المرهونة أو المدفوعة مقابل قروض محددة الأجل، تعتبر أمرا معمولا به واعتيادا تبرره بعض النوازل الفقهية المتساهلة حتى خارج تازروالت. على أن الطابع النهائي لعمليات الشراء العادية كان يفترض بالضرورة توفر الأموال. فجاءت بذلك السياسة التمويلية

للحسين بن هاشم كأفضل وسيلة لترويج كمية لا يستهان بها من القطع النقدية من خلال اقتصاد زراعي لا يعرف الفائض الإنتاجي. لقد قامت الإمارة بالاستيلاء على أربعة أو ستة آلاف هكتار لا تمثل من بينها ممتلكات تازروالت إلا حوالي 7 ٪. ونظرا للطريقة المشبوهة التي أدت إلى الهيمنة على ما تبقى من هذه النسبة، فإن ضخامة حجم الاستثمارات التي تتطلب حوالي 70.660 درهما لتجهيز كل هكتار تطرح المزيد من التساؤلات. ما معنى هذا النهج في منطقة تعتبر فيها إنتاجية ومردودية الأرض جد محدودة؟

من هنا يتدخل حجم النشاط التجاري عبر الصحراء كمؤطر بنيوي أساسي لعمليات القرض والتمويل. لقد كان الحسين بمثابة بنك للمشاريع على طول السنة، إلا أن حركية الرواج كانت ترتبط أساسا بمناسبة المواسم الثلاثة الكبرى لسيدي احماد أو موسى في نهاية شهر مارس ونهاية شهر أكتوبر وبالأخص في نهاية شهر غشت عند وصول القوافل الكبرى. ضمن حدود هذه المعايير التحليلية فكر پاسكون في مقارنة المنحنى الشهري لتواريخ حلول آجال القروض بمنحنى التملكات العقارية لتحليل دور التجارة في القدرة الشرائية للملكيات العقارية. وإذا كان الموت قد حال بين هذا الباحث ومشروعه الضخم فإن السؤال الذي يبقى معلقا هو لماذا عمل الحسين من حيث هو كممول بنكي على حيازة الممتلكات العقارية بحجم قد لا يكون هو خير وسيلة لمواجهة النكسات الطبيعية ومراقبة أسعار واحتياطي المنتجات الفلاحية والرعوية؟

علاوة على المسار التاريخي للبنيات الزراعية للإمارة، فإن دراسة پول پاسكون تشكل مرجعا لا ينضب مركزة على الدور الاستراتيجي للتجارة في احتكار المجال الاقتصادي والسياسي. فمراقبة الشبكة التجارية هي الكفيلة وحدها بتغطية نفقات إليغ وتزويد مذخراتها. ذلك أنه إذا كانت آلاف الهكتارات تمنح دار إليغ ما تسقيه عيون سوس الشاسع والحق في التسيد على جماعات متمايزة من أهل المداشر (*La Maison*, 20 - 40)، فإن سجلات الحسين ترتكز على نشاط بنكي رهين بالضواغط المتحكمة في نشاطه كمقاول بنكي. لقد أبرز پاسكون بأن نسبة 89 ٪ من المقاولات التجارية قد تمت ما بين 1277 ـ 1289 / 1860 ـ 1872. هذه الفترة تكاد توافق تولي المولى محمد بن عبد الرحمان السلطة المركزية. وهو جانب قد يرتبط بحرص الحسين على تمويل المشاريع ليواجه بعد ذلك بضرورة حمايتها والسهر على استعمالها المربح مما يجعل لزاما عليه المجازفة في حدود معينة. تقييم هذه الحدود يغدو بالنسبة لسيد إليغ رهينا بتعدد المعايير بحيث لا تعدو الضمانات أن تكون عنصرا من بين عناصر شتى نذكر من بينها : 1 ـ "سلف الله والإحسان" الذي يمثل ربع مجموع العمليات المالية. وهو نوع من السلفات يتم عادة يوم الخميس الذي هو يوم انعقاد السوق الأسبوعي. ولا يخفى دور هذه القروض الشخصية من حيث هي كوسيلة مثلى لكسب ولاء أو حياد الأعيان المقترضين. 2 ـ تمويل المقاولات التجارية، وهي سلفات تقتضي تمويل مشروع إعادة بيع السلع الواردة عبر مختلف أسواق سوس واقتسام الربح مناصفة (*La Maison*, 60). وبمقتضى هذا النوع من العمليات البنكية المحضة تتم الاستفادة من رأس المال المستثمر مع الإخلال الضمني لا الشرعي بتحريم الربا. 3 ـ تمويل المقاولات الإنتاجية للفلاحة وتربية المواشي. 4 ـ بيوعات بالسلف المشروط. 5 ـ الكفالة أو الالتزام بالدفع للحسين من طرف غير المقترضين. 6 ـ الالتزام بالدفع المحدد في حالة ضياع العبيد أو الماشية أو البضائع المعارة. 7 ـ قروض شخصية.

هذه السياسة التمويلية تطرح كما نرى مشكل إعادة هيكلة الرواج المرتبط نوعيا بالمحيط العام لتمويل المقاولات. وهي سياسة تقتضي التوفيق بين الرغبة الأكيدة في تمويل أكبر عدد من المشاريع وبين الحفاظ على احترام ومراقبة التوازنات الداخلية مما يستدعي ضرورة إحلال التوفير الداخلي وتعزيزه على الأمد المتوسط والطويل. هذا النهج السياسي يبدو الدافع الأول إلى تخصص الحسين في هذا الجانب الاستراتيجي دون غيره. فنجاعة العمل بمقتضى تعليمات معدل الفائدة وبالتالي معرفة ما إذا كان التزايد في وسائل التمويل لتأطير القروض أمرا ضروريا، لا يمكن تحقيقه إلا بحضور نظام متكامل الأبعاد. هذه الظرفية تجعل لزاما على سيد إليغ أن يضمن لخططه القدرة على مواجهة العمليات الهادفة والمتكاثرة وذلك بطرق موثوق بها تبرهن على مردوديتها، وهكذا فكيفية التدخل قد تتخذ أشكالا متنوعة تقوم بتشخيص الحالات المعينة واستنباطها. ولعل هذا هو ما يفسر أن أغلبية القروض الممنوحة لا تتجاوز نصف سنة كمدة وسط. كما أن اتخاذ الإجراءات الناجعة فيما يتعلق بتزايد الدعم التمويلي وتلاؤمه تنبثق من تيسير المساطر وتنويع التقنيات البنكية.

لقد هيأت المعطيات الجغرافية مجمل الفرص التي مكنت إليغ وكليميم خلال القرن التاسع عشر من احتكار تجارة القوافل (*La Maison*, 67-69). فتحكم بذلك الحسين بن هاشم في المحور الرابط بين إليغ وتندوف وتنبكتو عبر تاودني. كما انفرد أهل بيروك بالطريق الساحلية الواصلة إلى شنقيط فأطار (Gatell, 24). لقد تكفل تجار قبيلة تجكانت المرابطة بتندوف بتزويد مشوار إليغ بسلع تنبكتو كخير معامل لرواج وديناميكية الحسين فلم يبق على هذا الأخير إلا الشراء حسب شروط العرض أو التدخل كوسيط لبيع هذه السلع بعد أن يتم شواؤها من طرف التجار الآخرين. بذلك يتصدر ميدان المبادلات حسب متطلبات يهود الصويرة الذين كانوا يقومون بالوساطة مع الأوروبيين. تكون بذلك إليغ محطة سلعية للتمرير من الصويرة وإليها، حيث تقوم التجارة الأوروبية بتقنين العرض والطلب (O. Lenz, 1 : 350-359). ونضيف بهذا الصدد أن الحسين كان قد سمح بدخول اليهود لأول مرة إلى موسم تازروالت (O. Lenz, 1 : 364). كما أنه سن ذغيرة إضافية

سماها أسكارلانز بنفقات الشرطة (351 ـ 350 : 1). وبذلك ندرك لماذا لم تسجل كنانيشه خلال عشرين سنة إلا جريمتين لكل سنة. يتجلى بذلك دوره المتكامل الأبعاد في استتباب أمن الأشخاص والممتلكات عبر شبكة طرقية تتجاوز السوس إلى ما عداه. وهي حقيقة تاريخية تتطلب بالإضافة إلى تكذيب مرويات الأجانب، مراجعة المفهوم الاصطلاحي لكلمة «بلاد السيبة».

لقد تحولت إليغ في عهد الحسين بن هاشم إلى مكان اندماج الأعيان وندوتهم (*إليغ*، 267 ـ 268). فجاء بذلك التعدد في المقاصد خير سمة تاريخية للكشف عن حركية الصراعات المحلية وطبيعتها. وبالرغم من أن تمنارت وگليميم كانتا تشاركان إليغ في تمثيل الهيكل التأطيري لحلف جزولة التاريخي، فإن الهالة الدينية المميزة لإليغ كانت تمثل خير سند في تزيين صورة الحسين وإظهار ألمعيته، وحينما نشدد على أهمية هذا الرئيس المتميز من حيث هو كبنية فلأن تناسل المقدرات على امتداد المجال القروي السوسي يعني أساسا انتقال التصرف من الممارسة الاجتماعية إلى الممارسة السياسية المحض. إننا إذا تناولنا الاختلافات القائمة بين الحسين وبين الرؤساء المحليين، فإنه لا داعي لخشية الوقوع في إشكالية حل اللف الجزولي. فهذا أمر لا يمكن أن يتحقق إلا من داخل المشروعية الدينية لهذه الإمارة في تزعم حلف جزولة الأكبر. إن المجال الوحيد الذي يمكن أن نستمد منه المعلومات هو مجال علاقات جميع القبائل الجزولية مع الفئات المنتمية إلى لف تْحْگَّاتْ. بل إن الحسين قد يذهب إلى حد المغالطة المقصودة كأفضل وسيلة للتسيّد بعد أن يكون قد اشتم سوء التصرف. فيكرر على النحو مداخلاته إلى أن يعثر على ما يلزمه من إصغاء. هكذا تتأرجح النزعة السياسية الأميرية بين الموقف المتشيع والموقف الانتهازي لتكرس صورة الأمير كقوة سياسية متميزة ومهابة من طرف الخاص والعام. وهي صورة تكمن كما نرى في قدرة سيد إليغ على إبراز السيرورة الداخلية التي من خلالها تتم مقاومة عوامل التغيير الجريئة. فحتى وإن تعارضت القراءات في بعض المستويات مع ما قدمه هذا النموذج من خصوصيات، فإنه يمنح مجموعة كبيرة من المعطيات حول الصيغة المتكاملة للرئيس القبلي. انطلاقا من هذا الطرح فإن سيد إليغ يمثل مرجعا لا ينضب درجت الرواية على وصفه بأكبر شخصية متميزة خلال التاسع عشر بمنطقة سوس. بل الأوفى من ذلك أن صورته ما انفكت منذ وفاته سنة 1303 / 1886 تلعب دور الخميرة مما يجعل من العسير التحدث عنه أو سماع الحديث عنه بالصفاء واللامبالاة المتجردة. ولتلمس حالة الهيبة والاحترام التي أحاطت به حتى خارج سوس والمغرب، فلننظر للرسائل السلطانية إليه. إن الدراسة الهامة التي قام بها پول پاسكون ومحمد الناجي بهذا الشأن تواجهنا بحقيقة ثابتة وهي التأكيد على الطابع المستقل لإليغ كإمارة على هامش الدولة المركزية. إن كلمة «محبنا» التي خاطب بها دائما السلطان سيد إليغ لا تفاجئ المهتمين بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي المغربي. لقد جرت العادة يومها بأن تستجلي الرسائل السلطانية مكانة المرسول إليه من خلال الباب التمهيدي الذي يبتدئ دائما بكلمة «خديمنا الأرضي». وإذا كانت المفارقة بين الخديم والمحب تبرز آثار المفاهيم الحقوقية، فإن تدرج القواعد المخزنية يومها يُبرز القوة الحقوقية المطلقة التي تميز الحسين بن هشام. إلى حدود سنة 1280 / 1863 جرت العادة بين سيد إليغ والسلطان على تبادل الخدمات الودية فجاء بعد ذلك تحالف الحسين مع أهل بيروك بگليميم حول فكرة التعامل المباشر مع الأروبيين، سببا في توتر هذه العلاقات بشكل ملحوظ (*إليغ*، 274 ؛ *المعسول*، 12 : 99). لقد جاء بناء ميناء الصويرة منذ سنة 1765 ليضيف عنصرا إلى بداية انكسار البنية الاقتصادية المحلية من جراء انجراف تجارة القوافل نحو المرافئ الجنوبية للصحراء. فجاء تضييق الخناق كقاسم بين إليغ وگليميم من حيث هما محطتان ترتبط تجارتهما بضرورة تسهيل الرواج والتوزيع عبر خط بحري مباشر. هنا وعلاوة عما تورده المنغرافيات الأروبية المعاصرة، فإن دراسة پاسكون والناجي تتدخل بشكل حاسم لتوضح عن كتب فترات احتداد التنافس بين المحطتين حول رغبة كليهما في الانفراد بمشروع الميناء البحري. ولا بد من أن نشير بهذا الصدد إلى أنه بالرغم من احتفاظ إليغ بمكانتها كمؤسسة تراثية لمواجهة التسرب الخارجي، إلا أن تقاليدها المؤسسة لم تكن تتنامى مع مبدأ التبادل التجاري والسياسي المباشر عبر شواطئ المنطقة مع القوى البحرية. نحيط من هنا بحساسية المشاكل الأساسية التي كانت تعكر صفو إليغ. فقد أنهكت التناقضات المتزايدة قوى الحسين مما أدى بأعدائه البعقليين إلى محاولة تحطيم دعائم إليغ للحد من محاولات إليغ وگليميم. وقد ارتأى الحسين بن هشام وهو في أحلك ساعاته الأخيرة أن يلجأ إلى جبل سملالة بالرغم من مرضه وتزايد أعدائه بدل المثول أمام الحضرة السلطانية بتزنيت التي لا تبعد إلا بحوالي 40 كلمتر. هذا الاحتياط من المحاولات العسكرية لم يحل دون الحسين وإرسال ابنه محمد ليؤدي مراسيم الولاء. وهكذا بلغ نبأ وفاته إلى ابنه وهو بالموكب السلطاني حيث لم يلبث أن تسلم ظهير تعيينه قائدا على قبائل تازروالت وسملالة ورسموكة والمعدر وأيت رْخَا وتانْگَرْتْ وإداوْشْقْرا. ولا شك في أنه بإمكان أي بحث منغرافي أن يثبت ما في هذا التعيين من تخفيض لخليفة الحسين ابن هشام الذي لم يلبث بدوره أن انكب على إعادة الأمور إلى نصابها.


ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 ؛ *سوس العالمة* ؛ *خلال جزولة* ؛ *الإلغيات* ؛ *إليغ قديما وحديثا*.

J. G. Jackson, *An Account of the Empire of Morocco and the District of Suse etc....*, Londres, 1809 ; Ch. Cochelet, *Naufrage du Brick Français "La Sophie" Perdu le 30 Mai 1819 sur la Côte Occidentale d'Afrique etc...*, Paris, 1821 ; J. Gatell, *Description du Sous*, Bulletin de la Société de Géographie, Mars

- Avril 1871 ; F. A. Mathews, *El Sus, El Wad Nun y El Sahara*, Boletin de la Sociedad de Geografia de Madrid, XII, 1882, pp. 513-525 ; O. Lenz, *Tombouctou*, traduction Lehautcourt, 2 tomes, Hachette, Paris, 1886 en particulier t. I, pp. 351-359 ; R. Jannasch, *Die Deutshe Handelsexpedition*, 1886, Berlin, 1887 ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; A. Le Chatelier, *Tribus du Sud Ouest Marocain, Bassins, cotiers Sous et Draa*, Publication de l'Ecole des Lettres d'Alger, Paris, 1891, pp. 34-51 ; L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XIXe Siècle*, Hesp., t. V, 1925, 2è, p. 227-238, T. VI, 1926, 4 et p. 351-364 ; *Les Aït Ba Amrane, Villes et Tribus du Maroc*, 1930, Vol. 8 ; *Notes d'histoire et de littérature*, Hesp., 1949, 3 - 4, p. 321-32 ; *Un petit royaume berbère, le Tazerwalt, Un Saint Berbère, Sidi Ahmed U-Musa*, I.H.E.M., 1954, Paris, 125 p. ; E. W. Bovill, *Caravans of the Old Sahara, An Introduction to the History of Western Sudan*, Oxford, 1933 ; *The Golden trade of the Moors*, Londres, 1958 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. I, p. 130, etc.., T. II, p. 88 etc.., p. 90 etc.. *Documents d'Histoire* ; J. Meunié, *Le Maroc Saharien*, T. II, pp. 640-733-734 ; P. Pascon, *Le Commerce de la Maison d'Illigh d'après le registre comptable de Husayn B. Hachem (Tazerwalt 1850-1875)*, Annales E.S.C, nº 3-4, Août, 1980, pp. 700-729 ; *La Maison d'Illigh et l'histoire sociale du Tazerwalt*, Smer, Rabat, 1983, 223p. ; M. Ennaji, *Le Makhzen et le Sous Al Aqsa: la correspondance politique de la Maison d'Illigh*, CNRS, Paris, 1988.

مصطفى ناعمي

## أليلي ← الدّفلى

**أمَـارگْ**، 1. لغـويا : أمـارگ (ج إيموريـگ)، حـالـة عاطفية تجمع بين الحزن والحنين والشوق إلى البلد الأم (تامازيرت) أو إلي الأحبة الغائبين، وهو إحساس ممزوج بنوع من الحسرة واللوعة والحرمان والمرارة الدفينة : (يَاغْت وُومَارْگ = ألمّ به الشوق والحنين) وتستعمل مفردة أمارگ/إيموريگ في المجالين الأدبي والفني لينسحب مدلولها على مختلف أشكال التعبير الأدبي والإبداعي وخاصة في ميدان الشعر والغناء والموسيقى، راقصة كانت أو غير راقصة.

أمَارْگ = الشعر. غالباً مالا تعني الكلمة النظم بمفهومه التقني (أي الصنعة) بقدر ماتدل على الشعر كنتاج انفعال وجداني. ويعرف الشاعر (أنْظّام، أماريرِ) أيضا بـ "بُووْمَارْگ" أو "بَابْ نُومَارْگ" (= صاحب الشعر). وفي نفس السياق يطلق المصطلح علي القصيدة الشعرية في حد ذاتها أو على الانتاج الشعري لشاعر معيّن (أمَارگ ن. سيدي حمُّو طّالب) وعلى الأغنية أو مجموعة الأغاني المتداولة في أحواش أو من قبل الرّوَايس (= أمارگ ن وحْوَاش، أمارگ ن روَايس، أمارگ ن ترُوبًا) .

ومن الواضح أن العلاقة بين مدلوليْ أمارگ، اللغوي والفني تصبح بديهية بالنظر إلى مفهوم الشاعرية في الثقافة الأمازيغية، حيث إنها ليست وظيفة متميّزة، بقدر ما هي مجموعة مواصفات ينفرد بها أنْظّام ( الشاعر) خاصة منها توفّره على موهبة فطرية وقدرة على التعبير البليغ عن تصورات إبداعية وفلسفية للأشياء. وذلك مادفع ببعض الدارسين (پوليت گالان 1985 : 115) لافتراض علاقة محتملة بين جذر كل من كلمة أمارگ وكلمة تَاوَارگا (الحُلْم) باعتبار أن أمارگ كالحلم، "مجال" للرؤى والأخيلة والأوهام".

بالنسبة للمعجم الأمازيغي بالأطلس المتوسط (تامازيغت) ينحصر استعمال الكلمة على مدلولات " الشوق والحنين واللوعة" بخلاف الجنوب المغربي، الناطق بتاشلحيت ( سوس، الأطلس الكبير والأطلس الصغيرحيث تتداول بمفهوميْها اللغوي والاصطلاحي الفني .

2. أمارگ، بمفهوم الشعر (= تانضّامْت، آوَالْ) : الشعر من أقدم الفنون والآداب الأمازيغية، واكثرها تداولا وانتشاراً في المجتمع الأمازيغي قديماً وحديثاً، وهو من أهم المكونات التي ترتكز عليها الثقافة الأمازيغية المتسمة بالشفهية والجماعية. والشعر وما يتصل به من فنون كالغناء والرقص، ليس في أصله حرفة تحتكرها طبقة معينة، بل ظاهرة جماعية وتجربة يمكن للشخص ممارستها دون الانسلاخ عن وضعيته الرئيسية وعن أنشطته اليومية كفلاّح، كسائر أبناء قبيلته. وتكون المناسبات الاجتماعية والدينية، كالأعراس والحفلات والأعياد والمواسم، فرصة يهتبلها الشعراء (أيت أومارگ) لإبراز مواهبهم، خاصة في حلقات أحواش (أسَايْس/إِسُويَاس)، حيث ينذمج الشعر في آن واحد مع الغناء والرقص الجماعيين.

وذلك ما جعل مصطلح أمارگ يفيد كلاً من الشعر والغناء والرقص في نفس الوقت، كما أدى ذلك إلى ارتباط الشعر الأمازيغي بالغناء، ممّا يجعله في أصله شعراً غنائياً أكثر منه شعراً بحتاً، والواقع الأدبي الراهن يفرض الفصل بين الشعر التقليدي (أو الغنائي) وبين الشعر "الحديث"، ذلك أن أمارگ التقليدي تحتّم عليه طبيعته الشفهية والجماعية أن يلتصق بظروف تواصلية محدّدة، يفقد بدونها قيمته الفنية لدى العامّة، إذ من تلك الظروف يستمدّ مدلوله ومقوماته ووظائفه. فالشاعر لا ينشد أشعاره (إبداعاً كانت أم محفوظات) الاّ أمام جمهور ينذمج معه عضوياً ويتفاعل معه ويتأكّد هو (أي الشاعر) من إصغائه له، مع التزام جميع الأطراف بطقوس معيَّنة تفرضها المناسبة (أحواش أو غيره). وتنعكس ظروف هذا التواصل المقنّن على مضمون الشعر نفسه، حيث يكون الموضوع ذا علاقة بالمناسبة وبالحياة اليومية للقبيلة وللإنسان في البادية عموماً، وقد تتخلل القصائد المغناة تعاليق على انشغالات الأهالي محليًّاً ووطنياً وعالمياً. وتبرز الوظيفة التواصلية في أمارگ على مستوى عبارات المقدمات والاستهلالات التي تتكرر فيها عناصر"إفهامية" مركّزة على المتلقي مثل أيْتْما (إخواني) لاَحْبَابْ (الأحبة، الحضور) الخ.

ويتجلى ارتباط الشعر الأمازيغي بالغناء أيضاً في الصعوبة التي يجدها أنظّام في قرض الشعر خارج إطاره الطبيعي، حيث يضطر إلى المرور من دَنْدَنَة وزنه وعروضه ولحنه (تالألايت) بصوت مسموع قبل نظم أبياته، وكأنه يستحضر الجوّ الأصلي الذي يتأتّى فيه ارتجالُ النظم، من ذلك كلمة لْغَا (تَالْغَات) التي تطلق على القصيدة المغناة وعلى الشعر المغنى، وهي في مدلولها العميق مزيج من النص واللحن والغناء في الشعر.

من الشفهية إلى التدوين والكتابة (التأليف) : يجد دارس الأدب الأمازيغي عامة والشعرمنه بوجه خاص صعوبة كبرى في توسيع دائرة إلمامه بكل الإنتاجات القديمة في غياب حفظتها ورواتها، وذلك راجع للخاصية الشفوية التي تطبع الثقافة الشعبية بأكملها، حيث إن عدم تدوين الشعر القديم جعله عرضةً للتلف والتشويه والانتحال. كما أنه رغم قدم هذا الفن وعراقته في المجتمع الأمازيغي، فإن الذاكرة الشعبية لم تحتفظ منه إلاّ بالقسط الهزيل المنقول بالتوارث جيلاً بعد جيل. الاّ أن هناك استثناء يخص الأشعار المنسوبة إلى سيدي حمّو الطالب (أمرير 1985) والتي عرف قسط منها طريقه إلى التدوين والجمع والتداول رغم ما يحول حول ديوانه من تضارب في الآراء، ومثلها في ذلك بعض الدواوين الشعرية ذات المضمون الديني والعقائدي التي حظيت بالتدوين وأهمها بحر الدموع والحوض للأوزالي (سيدي محمد بن علي أكبيل أوزال) ولعقائد ن دين (عقائد الدين) للصنهاجي (القرن السابع عشر). ويظهر أن هذا الاستثناء يرجع أساساً إلى الطبيعة الدينية لهذه الأشعار، حيث إن غيرها من الأشعار الأخرى لنفس الأشخاص لم يُعتَنَ بجمعها وتدوينها، فأصابها الضياع أو التحريف. وقد ساهم الدارسون الأجانب وخاصة منهم الفرنسيون إبان فترة الاستعمار بكثافة في جمع الأشعار المتداولة آنذاك سواء بين العامة أو المنظومة من قبل شعراء معاصرين. ومن أقدم المجموعات المدوَّنة كتاب دولابورت(1840) الذي يتضمن قصيدة الصبي الشهيرة، وكتاب شتوم (1895) المشتمل على أشعار غنائية من تازروالت، وكذلك مؤلفات كل من جوستينار ولاووست (1930 / 1940) وأرسين وغيرهم. ويعد مؤلف بوليت گالان (1972) المتضمِّن لأشعار الجوَّالين وفرق الروايس (الحاج بلعيد، أمنتاگ، بوبكر أنشاد، أزعري...) التي جمعتها مابين سنتي 1954 و1966 أهمّ المراجع العلمية في هذا المجال. وبعد أن عرفت الثقافة الشعبية المغربية انتعاشاً محسوساً في أواخر الستينات، اتجه اهتمام الدارسين المغاربة إلى الانتاجات الأدبية الشفوية لتأسيس تقليد جديد يرتكز من جهة على جمع مختلف أشكال التعبير الفني والأدبي المهددة بالتلف وتدوينها وذلك عن طريق تسجيل الروايات المحفوظة المجهول أصحابها، ومن جهة أخرى على تشجيع التأليف بالأمازيغية ونقل الإبداعات الشفوية إلى التقليد الكتابي. وهكذا، وبالنسبة للجمع والتوثيق ظهرت منشورات متعددة، منها أمانار (1968) لأمزال و إيمزّار (1975) لجمعية البحث والتبادل الثقافي (الرباط) التي أصدرت دورية أرَاتْنْ وهي ذات هدف مماثل إضافة إلى المجموعات الشعرية المدوَّنة التي تذيِّل الدراسات الجامعية حول الشعرالأمازيغي (أمارير، معاوي ...). وعلى مستوى التأليف، فقد ظهرت فئة جديدة من الشعراء الشباب (الجيل الجديد) تنتمي إلى طبقة المتقفين الجامعيين والموظفين، ينشرون أشعارهم بالخط العربي أو اللاتيني سواء في المجلاّت أو على شكل دواوين مستقلة. وبانتقال الشعر الأمازيغي تدريجيا من الشفهية إلى الكتابة، أصبح يدوّن حسب النموذج العربي العمودي المشطّر إلى شطرين، أو حسب النموذج الحديث عربياً أو أجنبياً، وذلك تبعاً للتيار الذي تندرج فيه ثقافة الشاعر. ويمكن القول إن هذه الظاهرة تعدّ بداية لنهضة ثقافية وأدبية طالت النثر الأمازيغي بدوره بعد أن تشبّع بآثارها الشعر لمدة طويلة، إذ أصبح الحقل الأدبي الأمازيغي يعرف إلى جانب الشعراء (مستاوي، صدقي، أخياط، إد بلقاسم، الجشتيمي بوزيد، أحرضان وغيرهم) ظهور مؤلفين للقصة (إد بلقاسم) والمسرح (المومني) والمقالة (أخياط ...). كما أصبح بتلك القفزة النوعية يميّز كيفيًّا مابين الشعر التقليدي الغنائي الذي ما زال مستمراً على أيدي الروايس وفي حلقات أحواش وأحيدوس، وبين الشعر الحديث المتداول في المجلاّت والدواوين والمحافل الثقافية إلى جانب الإنتاجات الأدبية الأخرى على الصعيد الوطني. ومن إيجابيات هذا التحوّل النوعي في طبيعة الشعر الأمازيغي تطويره وإغناؤه بمضامين وأغراض جديدة أخرجته من الدائرة المغلقة التي كان حبيسها لارتباطه أكثر بالمجال البدوي وبالغناء المبتذل بعد الانتقال به إلى الحواضر على أيدي الروايس المحترفين. إلاّ أن من المآخذ التي تسجل في حق الشعر الحديث (المكتوب) الخارج عن إطاره التقليدي الذي يضمن له تواصلية جماعية طبيعيَّة، كونه يفقد باستنساخه وتداوله عبر الكتابة أهمّ خصائصه الشفهية ،منها النبر والإيقاع والتنغيم وحيوية التواصل المباشر بين الشاعر والجمهور، فضلاً عن صعوبة إعادة أدائه كما هو، من قبل القارىء (بوكوس 1985). وهكذا كسب الشعر الحديث خصائص جديدة كتنوع المضامين ومسايرة العصر لكن مع اختزال قسري مردُّه إلى عدم كفاية تقنيات الاستنساخ الراهنة. ويرى بعض الدارسين (بوكوس، نفس المرجع) أنه بالإمكان تفادي سلبيات الاستنساخ هذه باستعمال تقنيات التسجيل والتوثيق الحديثة (الفيديو مثلاً). وعلى مستوى المبدعين، فقد أدت تجربة الكتابة والنشر إلى تصحيح الأوضاع وتكريس الشاعر كمنتج معرَّف ومحدَّد الهوية، تنسب إليه القصيدة ويصان بذلك انتاجه من الانتحال والتشويه، وأصبح في الوقت الراهن يُمَيِّزُ ما بين ما هو إبداع شخصي وما هو محفوظٌ ومتوارث. كما بدأ التراكم المسجَّل في الساحة الأدبية الأمازيغية يفرز أسس بناء مدارس شعرية ذات تقاليد متباينة.

لغة الشعر الأمازيغي : كغيرها من اللغات الشعرية العالمية، تختلف لغة الشعر الأمازيغي بشكل محسوس عن لغة التخاطب العادية، إذ تتميَّز بغنى من حيث معجمها وبغزارة في الصور البلاغية والتعابير المجازية والرموز والأخْيلة. كما تنفرد بخاصية شكلية تجعل تركيبها يخضع لقوالبَ النظم والعروض. وقد تطمس فيها الاختلافات المعجمية الموجودة بين اللهجات المختلفة، حيث تميلُ إلى

اختزالها لتكون مستساغة ومفهومة في مناطق متباعدة. وكثيراً ما تحافظ لغة الشعر على مفردات وصيغ عتيقة لم تعد متداولة في اللغة العادية، وكل هذه المواصفات وغيرها تنحو بهذه اللغة إلى أن تكون نواةً لتوحيد اللهجات المختلفة خاصة وأن الشعراء الجوَّالين يقومون بدور نشر الكلام المنظوم خارج الحدود الجغرافية للقبائل، ومن هنا يصطلح على تسمية الشعر الأمازيغي بـ "أوال أمازيغ"، أي الكلام (الشعري) الأمازيغي الذي يستمدُّ تراكيبه ومعجمه وأدواته التعبيرية من لهجات مختلفة. ومن مميِّزات القصيدة الأمازيغية التزامُها باستهلال ذي مضمون ديني توسّلي، يتبرك فيه بذكر الله والرسول والأولياء والصالحين.

الشعراء والمغنُّون : بالنظر إلى شفهية الشعر الأمازيغي وارتباطه التقليدي بالغناء والموسيقى والرقص، فالشاعر (انظَّام ـ أمارير...) هو في نفس الوقت المغني والمنشد للأشعار التي يقرضها أو يحفظها، وكثيراً ما يتولّى أيضاً مهمة قائد الفرقة الراقصة (في أحواش وأحيدوس). ذلك لأن الشعر لا يكون متكاملاً إلاّ في محفل تواصليّ تكون فيه للشاعر وظيفة الإلقاء بمحضر جمهور مهتمّ بإنتاجه ومتفاعل معه. ولذلك يشترط في الشاعر حسن الصوت واحترام قواعد الإنشاد كاللحن والإيقاع والنبر. وينطبق ذلك على الشعراء في جميع المناطق الأمازيغية، التي يختلف فيها اسم الشاعر ـ المغني حسب وظيفة هذا الأخير وحسب اللهجة المتداولة في المنطقة التي يزاول فيها نشاطه الفني : أنظَّام، أمارير، رأَّيس، أنشَّاد، أمدْياز، شِّيخْ أشرَّاف...

أنظَّام، أمارير (ج. إينضامْنْ، إيمَاريرن) : شاعر موهوب ذو حظوة وسط قبيلته (المجتمع السُّوسي بالخصوص)، وهو أصلاً غير محترف، إذ يكتفي بقرض الشعر لإلقائه في المناسبات الاجتماعية وحفلات أحواش. ويرجع العامة موهبته إلى ما يعرف ب "علْم لْكُرْش (علم البطن) أو "علم الباطن" أو علم النور"، وهو ما يقابل (أو ينافي في نظر الفقهاء) علم الدين أو علم الحق الذي يمتلكه العلماء والفقهاء. وهؤلاء على ما يظن هم الذين أطلقوا على الشعر والغناء هذا الاسم لارتباطه بأمور الدنيا واستنكاف العلماء من الاهتمام بما هو غير ديني منه. وذلك ما يفسِّر لا محالة عدم ترسيخ الأشعار الغير الدينية بالتدوين كما حدث لإنتاجات سيدي حمُّو الطالب المنظومة في أغراض دنيوية. ومن الشائع أيضاً أن "يتشيَّخ" أنظام وأمارير حيث يربط موهبته بأحد الأولياء والصالحين يستلهمه الإبداع الغزير ويتبرك بكرماته، ويفصح عن ذلك في ديباجة قصائده.

رأَّيس (ج. رُّوَايْس)، تارأَّيْسْت (ج. تارأَّيسين) : هو الشاعر المحترف الجوَّال الذي يجمع بين النظم والعزف والغناء، له فرقة (رّباعت، ربِّيعت) يتكسب بها، وهي مكوَّنة عادة من رجال ونساء، بعد أن كانت من قبل مقتصرة على الرجال والصبيان (عوض النساء) لا يقوم الرجال بالعزف على لُوتَّار (گنبري) ونَّاقوس، بينما تتولى النسوة الترديد الجماعي وأداء حركات راقصة. أما رأَّيس، فكثيراً ما يعرف على آلة رَّباب. وهناك فرق تسيِّرها تارأَّيست ويكتفى فيها الرجال بالعزف على الالآت، حيث تكون تارأَّيست هي المغنية والشاعرة والمسؤولة عن الفرقة.

أمْدْياز، أمْلْگاز، أمْرْيَاز (ج. إيمديازن، إيملگَّازن، إيمريازن) كلمة من جذر "د.ي.ز" الموجود في لهجة غدامس بمفهوم رقص : دْيْز، ومنه على الأرجح اشتقت كلمة أمدياز التي تدل أصلاً على "العنصر الأساسي في فرقة راقصة". وإيمديازن عبارة عن فرقة شبه محترفة تتكسب من إنشاد الشعر الغنائي الذي تتنقل به عبر مناطق الأطلس المتوسط. وتتألف الفرقة في الغالب من أشخاص لا يزاولون هذا النشاط الفني إلاّ في بعض فترات السنة الفلاحية، خاصة عند نهاية الخريف وبداية الصيف، حيث ينصرفون في بقية الفصول الأخرى إلى مشاغلهم اليومية كسائر أفراد قبيلتهم. ويختلف أمْدْياز التقليدي عن رأَّيس السّوسي من وجهة نظر درجة الاحتراف، إذ أن هذا الأخير فنان محترف متفرغ إلى الغناء والتكسب بفنه دون غيره. وتتكوَّن فرقة إيمديازن النموذجية من العناصر التالية : (1) أمْغَار ن يمديازن (رايس الفرقة) وهو الشاعر والمغني الرئيسي، كثيراً ما يصاحب إنشاده بالعزف على لْكَمَنْجَا (الكما، ويسمى أيضاً شيّخ أو أنْشَاد. (2) بُووْ غانيم ( صاحب القصبة = عازف الناي) وهو شخصية محورية في الفرقة، يقوم بدور المهرّج والمضحك، إذ يرتدي لباساً غريباً ويقوم بحركات بهلوانية لاجتذاب الجمهور وتسليته، ويتولى عملية جمع التبرعات التي يتعالى أمْدَياز عن القيام بها. ويرجع اسمه إلى الناي (أَغَانيمْ) المزدوج القصبتين الذي يعزف عليه (3) إيردَّادن أوَ إينشادن (المردِّدون) وهم المجموعة المردّدة الأشعار التي ينظمها ويغنيها رئيس الفرقة (أمدياز)، كما يقومون بالعزف على أدوات الإيقاع، ومن ذلك تسميتهم كذلك ب "إيدْ بُو طارّت (أصحاب الدفوف) ويعرف غناؤهم بـ "كَسْتْ". وعلى غرار الرَّوايس، فإن إيمديازن، يرجعون موهبتهم إلى الأولياء والصالحين تبركاً بهم واستلهاماً لكراماتهم. ومن الدارسين من يرى أن فرق "الشيخات" بالأطلس المتوسط تنحدر من فرق إيمديازن، حيث تم من فترة الاستعمار استبدال المرددين الذكور بمجموعات راقصة نسائية.

ويطلق اسم إيملگَّازن (م. أمْلگَّاز) في نواحي مدينة الخميسات بالأطلس المتوسط، على فرقة مماثلة لفرقة إيمديازن تضم ثلاثة أو أربعة أشخاص يرأسهم أملگَّاز، وتشارك في الحفلات والمهرجانات وألعاب الفروسية، وتتكسب بالسيّر في ركاب الفرسان مشيدة بالفائزين منهم.

وفي مناطق الريف، هناك فرق شّيْوخ (م. شّيخ) المتضمِّنة لكل من شيخ وهو الشاعر المغني وإيزمَّارن (م. أزمَّار) وهم المرافقون له، والعازفون على أميدَاز أو أزمَّار (= مزمار القربة). وتشارك هذه الفرقَ في الحفلات الاجتماعية كالزفاف والختان وغيرهما.

أنْشَادْ (ج. إينشادن) أو أمدَاح (ج. إيمْداحْن) وهو شخصية يوازي نشاطها الفني نشاط أمدياز بالأطلس المتوسط إلاّ أنه شاعر أكثر مما هو مغنّ، يقوم بنظم وإنشاد مطوّلات شعرية ذات طابع ملحميّ ومضامين دينية واجتماعية واخلاقية. له أيضاً فرقة تتألف من ثلاثة أو أربعة أفراد، يرددون أشعاره الشخصية أو محفوظاته من الشعر الجيّد (تازضايت/تيزضايين، أزضاي). ويختلف عن أمْدياز باستقراره وملازمته للقبيلة وعزوفه عن التكسّب بفنّه، كما لا تتوفّر فرقته على عازف مزمار أو مهرّج. يستعمل أحيانا الكمان لمصاحبة إنشاده مستغنياً عن أفراد فرقته.

إهياضن (م. أهياض : فرقة فنيّة متجولة في منطقة سوس تضم جموعة في الشباب المعروفين أيضاً ب "رَمَا أو بأولاد سيدي حماد أو موسى. يترأسهم "مقدّم" يتولى تنظيم حفلاتهم وعروضهم الفنية والبهلوانية في مختلف مناطق المغرب وخارجه ولهم دور كبير في نشر الأشعار والألحان والرقصات الأمازيغية بين قبائل سوس. ومن آلاتهم تالُونت (الطارة) ولَعْوَاد (الناي القصير) (انظر المادة).

أنواع الشعر الأمازيغي : يتضمن معجم الشعر الغنائي الأمازيغي عدداً مهماً من المصطلحات الدالة على مفهوم القطعة الشعرية الغنائية، ممّا يعكس ازدهار هذا الفن وتطوّره في الثقافة المحليّة لمختلف المناطق الأمازيغية بالمغرب. ويرجع الاختلاف والتنوع في التسميات إلى عوامل شكلية ووظيفية، إقليمية. ذلك أن نوعاً معيناً قد يعرف بأسماء مختلفة باختلاف المناطق التي يستعمل فيها، وقد تعرف المنطقة الواحدة أسماء مرادفة لنفس النوع. وفي الحالتين يتميّز كل صنف بخصوصياته الشكلية ومواصفاته الفنية والموسيقية. كما أن للمواضيع والأغراض والمناسبات دوراً في اختلاف الأنواع الشعرية الغنائية. وفيما يلي أهم الأنواع التي ترد في الدراسات التصنيفية والوصفية (جواد، لورتا جاكوب، أمرير، بوزيد، معاوي، أولسن...). وتُعبّر المصطلحات في نفس الوقت عن النموذج الشعري والموسيقي والغنائي :

لْغا : الشعر المغنّى بمنطقة سوس، وكذلك اللحن المصاحب ل أوراَر = الغناء) دون استعمال آلات موسيقية. ويقابله أسّنيمْر (أيت بوكّماز)، وتالْلّغات وهي قطعة شعرية مغناةَ لاتتعدى بيتين أو ثلاثة ينشدها أمارير في أحواش.

تَازْرَارت : (1) غناء فردي قصير يتخلل أحواش في إحدى مراحله، خاصة بعد أهَايُو أي توقف الغناء الجماعي والعزف على آلات الإيقاع (2) غناء فردي نسائي بالخصوص تتغنى به الفتيات في الحقول وخارج المحافل التقليدية. وهو أيضاً ذلك الغناء الجماعي للنساء أثناء مراسيم تهييء العروس للزفاف. ومن الناحية اللغوية يمكن ربط الكلمة بمفردة تَازوروت أي هدب الثوب أو حاشيته، من فعل زررْ = طرّز، رصّع. ذلك أن تازرارت عبارة عن ذيباجة للغناء في أحواش. ويتكون بيت تازرَارت من عشرة مقاطع موزعة على شكل وحدات مقطعية صغيرة تفصل بينها نغمات مطوّلة على نحو "الموال" في الموسيقي العربية، ممّا يجعلها تتطلب من المغني (ة) نفساً قوياً. إذ كلّما طالت تازرَارت وتنوعت ألحانُها (رّيح) كلما كان ذلك مستحسنا من لدن السامعين. (3) في أيت مكون : إضافة إلى المدلول الأول لتازرَارت، ينسحب المصطلح كذلك على الغناء المصحوب بالرقص مع عزف الإيقاع على آلة "البندير"، ويكون بالخصوص في مناسبة الزفاف. أما بالنسبة لمنطقه گلاوة (إيگلوا) فالكلمة تقتصر على الغناء الموقّع بالبندير فقط.

تامَاوَايت : (بالأطلس المتوسط) : عبارة عن "موّال" طويل النفس على غرار تازرَارت، وهي الشكل الغنائي الذي يظهر فيه حسن الصوت والتحكم في اللحن والأداء وبراعة المغني (ة) في تلوين النغم والميلوديا. وكثيراً ما تتخلل مطوّلاتُ تاماوايت رقصات أحيدوس.

تامواشت : لها نفس المدلول في بعض المناطق من الأطلس المتوسط. كما تعني في مناطق أخرى منه "الشعر الهجائي".

تامْدَاحْت، تامْدْيازت، تاملكازت، تامْليازت، تايفّارت : قصائد غنائية مطولة أو مجموعة قصائد قصيرة متوالية، يغنيها أمدياز وأمدَاح أثناء جولاتهما. وتكون مصحوبة أحيانا بغناء لْمَعْبُود الذي يأتي بعد الإستهلال الديني قصد طلب الضيافة ومدح المسضيف والدعوات له. ولفرق إيمديازن أنواع غنائية أخرى يمزجون بينها في أدوارهم إضافة إلى الأجناس السابقة؛ ومنها تازضايت (تيزضاي) تيغراض، تاغْيُولْت (تيغْيال).

تانْشَادْت : قصيدة غنائية مطوّلة ذات مضمون ديني وعْظي وأخلاقي، يختص بها أنشاد (إينشادن) ويقابلها في نفس السياق الديني أهْلّيل، وهو المصطلح الأكثر تداولاً في الأطلس المتوسط حين يتعلق الأمر بالأشعار الدينية الصرفة.

إزْلي، (إزْلاَنْ) : شعر مصحوب بالعزف، يردّده إردَادن بعد الشاعر المغني، أو في حلقات أحيدوس بالأطلس المتوسط.

ويتكون إزلي الواحد من بيتين أو أربعة أبيات فقط.

إزْرى (إيزران) (بدون تفخيم الراء) : في منطقة الريف: هو الأغنية، وتكون إما نسائية : إزْرانْ رْهْوَا (= أغاني عاطفية) أو رْزُور أي القصائد المغناة من قبل شيوخ في الحفلات، وقد تكون ذات مضمون هجائي.

تاحواشت : مقطوعة قصيرة يغنيها الراقصون في أحواش بعد أن يرتجلها أنظّام (الشاعر) وتتكوّن غالباً من بيتين اثنين .

تاگزّومت : تطلقت في الأطلس الكبير على أنماط شعرية مختلفة باختلاف المناطق. فهي تعني تلك الأشعار

المحلية التي نادراً ما يتجاوز تداولها حدود القبيلة، وترتبط في الغالب بحفلات الزفاف، إذ تسبق النوع المعروف بـ "تامغرا"، كما تغنى في ساحة عمومية (أسايس) أثناء المناسبات والأعياد، وتؤدّى بدون مصاحبة موسيقية، حيث يرتجل أشعارها الرجال دون النساء وذلك على شكل كورال يشكّل صفاً يقابل صف عازفي البنادر وبينهما تندرج النسوة المكتفيات بالرقص. ويغني الشعراء شطراً من البيت الشعري وتعقبهم المجموعة الرجالية لترديد الشطر الثاني.

تامغرا : لغة : "حفلة خاصة بالزفاف"، أو "الزفاف" نفسه كما تعني الكلمة "رقصة الزفاف" (أيت مگون) التي تؤديها النساء وسط صفي الرجال، كل واحدة على حدة، تبعاً لإيقاع البنادر. وأثناء الرقصة تكون المرأة ممسكة بعصا سداة نول النسج، تحتفظ بها النساء طيلة أيام الحفل. وتكون تامغرا مسبوقة بارتجالات شعرية من نوع تاگزومت.

أورَارْ : لغة وبالأطلس المتوسط "اللعب"، أما في سوس فهو الغناء بصفة عامة (تِيْرِير = غنّى) ويعنى المصطلح في أيت مگون : الغناء المجرّد من العزف الموسيقي، تؤديه مجموعتان نسائيتان بالتعاقب واحدة تلو الأخرى. ويكون ذلك في مناسبات معينة كالختان والزفاف على الخصوص. ويتكون رصيد هذا النوع من المحفوظات الشعرية المتداولة، إذ لا مجال فيه للارتجال أو الإبداع. وفي أيت مگون، يقتصر أداء أورار على السيدات المتزوجات أو المطلقات، دون الأوانس. ولهذا الصنف مقابل في الريف وهو رْغْنُوج (م.أغْنيّجْ).

أراسَالْ : جميع أشكال الشعر الغنائي (بآيت مگون)، سواء كان مصحوباً بالعزف أو بدونه (=أسِي أراسال مرادف أسِي لَغَا، أي الأداء، الغناء).

لْسَاقَ : غناء يسبق أحواش، قبل دخول النساء للمرقص يؤديه الرجال والأطفال عزفاً على أگنزا (البندير) وتكون أبياته أحياناً من ارتجال الشعراء خاصة لإبراز مستجّداتهم الإبداعية، وقد تكون أشعاره من مجموعات تيرّويْسا (نظم وغناء رّوَايس) المتداولة بسوس.

أسالأوْ : (من سّالاَ = أبْكَى) : مردّدات شعرية نسائية بالأطلس الصغير، تؤدى بدون موسيقى، أثناء مراحل إعداد العروس للزفاف فترة الحناء، وتشييع الموكب إلى بيت الزوجين. وفي نفس السياق يستعمل مصطلح تاسُوگانت، وكذلك إيزويريّگن (من زوُور = سبق) وإيبيسْميتْن (من البسملة) وكلها تدل على الأغاني الاستهلالية المتضمنة لعبارات استجلاب الفأل الحسن والطالع السعيد.

لاَذْكَارْ : (من ذْكْر) وهي أذكار وأناشيد صوفية يتغنى بها في المناسبات الدينية والمواسم المخصصة للأولياء والزوايا والأضرحة، بعضها باللسان الأمازيغي وجزء كبير منها بالعربية المغربية. وللنساء نوع مماثل يعرف بـ لاَحْوَال (الأحوال = التواجد)، وهي عبارة عن حلقات حضرة صوفية تجمع بين الإنشاد والرقص. ولا شك أن أهلّيل بالأطلس المتوسط يدخل كذلك ضمن هذا النوع الصوفي.

3 ـ النظم و"العروض" في الشعر الأمازيغي : من خلال الدراسات التنظيرية الحديثة في مجال الشعر الأمازيغي (جواد 1976 و 1982 و 1983) أمكن رصد النظام العروضي والنظمي لتامازيغت (الأطلس المتوسط) وتاشلحيت بكيفية علمية، تجاوزت حدود الاقتراضات الانطباعية السابقة. وهكذا فالنظم الأمازيغي يتأسس على عروض قوامه تِيِّات (م. تيت)، وهي وحدات صوتية من مقطع واحد يتشكلَ منها رِّيح أي اللحن والوزن. وتكوّن مجموع التّيات منظومة من الصيغ (القواعد) التي تعتمد كنماذج قارة، حصرها ح. جواد (المراجع السابقة) في سبع وثمانين صيغة عروضية. وتنقسم هذه المنظومة إلى ثلاث عشرة وحدة مقطعية، ثمان منها تشكّل النواة وهي : لاَ، دَا، لاَلْ، لاَيْ، دالْ، لايْ، دَايْ، لاَيْلْ، دايْل، تؤلّف مع الخمس الباقية، وهي أ، أيْ، لِي، لاَدْ، لايْدْ، والتي تعتبر كمتغيّرات لوحدات المجموعةالنوويّة. وتتم صياغة هذه العناصر على شكل مركّبات متفاوتة الطول يشمل أقصرها ثمان وحدات وأطولها ثمان عشرة وحدة. وتكوِّن الصيغ المتماثلة في الطول سلسلة متجاسة. ويخضع تركيب الوحدات على شكل صيغ إلى قواعد صارمة تحدّدها السمات البنيوية للوحدات ليتأتّى لها أن تندمج ضمن منظومة محكمة البناء. وهكذا يتخذ كل نوع من الأبيات الشعرية ترسيمة من المقاطع النموذجية ترتبط به وتُلزم الشاعر للانقياد بها طوال إنشاده للقصيدة. ويمكن لأي أُذُن مستأنسة بالنظم الأمازيغي أن تستخرج الصيغة العروضية للبيت بعد سماعه، والحكم على هذا الأخير بالصواب أو الخطإ عروضياً وإيقاعياً. ذلك لأن البيت الشعري كمادة لغوية (مفردات ومركّبات وجمل ...) ليس سوى تجسيد للصيغة العروضية التي تكمن وراءه، والتي تعرف تقليدياً بـ تادَالاَيت (أو تانانايت أو تالالاَيْت) ولذلك غالبا ما يبدأ ارتجال الشعر أو الإنشاد بتقديم هذه "الليْلَلة" التي ينسج على منوالها ما يتلوها من أبيات مغناة أو ملقاة بدون لحن، وهي التي يعتمدها الشعراء أيضاً لتقطيع الأبيات وتشطيرها وتقويم جودتها العروضية.

4 ـ العروض والموسيقى : تنطلق الدراسات العلمية الحديثة حول الشعر الغنائي الأمازيغي من فرضية أساسية مفادها أن العروض الشعري يُشكّل بنية الموسيقى الغنائية الآلية أو الصوتية، وهو المعتمد في تصنيف الأجناس الموسيقية الغنائية إلى ثلاثة : "الأشعار الغنائية الطقوسية". و"الشعر الغنائي العادي" و"الموسيقى الراقصة". ولذلك فالبنية الموسيقية للأغنية تعالج من وجهة نظر علاقتها بالأنموذج العروضي الذي يميّزها عن غيرها. ويفترض أيضاً أن النموذج العروضي يكون مترسخاً في ذهن الشاعر والمغني، حيث ينتمي إلى الرصيد المكوّن

لقدرته الشعرية وموهبته الفنية. وانطلاقا من الصيغ العروضية المتداولة تحدّد الموسيقى الصوتية انطلاقاً من لحن تالالايت الذي يعطي للأغنية خصوصيتها اللحنية والإيقاعية. وللصوت أهمية قصوى في الشعر الغنائي، حيث يختار كل شاعر الطبقة الصوتية التي تناسب اللحن والإيقاع المراد أداؤهما بالنسبة لقطعة من صنف معين. أما المجموعات الصوتية (الكورال) فغالبا ما تختار طبقة صوتية متوسطة تمتد بين نغمتي "لا" و"دو" في السلّم العالمي. وقد حدّدت السلاليم الموسيقية المستعملة في الغناء الأمازيغي في ثلاثة أصناف : ثلاثية ورباعية وخماسية. فتاگزومت مثلاً تغنّى في السلاليم الثلاثية الأصوات، وأورار في السلاليم الرباعية، ولَمْسَاق. وتازرّارت وأحواش في السلاليم الخماسية. وبالنظر إلي تقارب السلاليم الثلاثة يمكن إجمالها في سلم تأليفي واحد يشمل الدرجات المستعملة في الموسيقى الغنائية الأمازيغية عامة وذلك على النحو الآتي : (بـ .لورطا ـ جاكوب 1980 ص. 109، شكل 7).

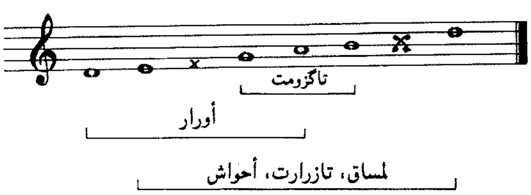


وبالنسبة للأوزان التقليدية، فيظهر أن هناك تطابقا بين أوزان الشعر وإيقاعات الموسيقى والرقص. فمن أبرز الأوزان المتداولة هناك أهْنَاقار، ودَرّست، وتَامسّوست وتابيروست وأمسرّح. ومن المقامات (ريّح) المتداولة في موسيقى تريّوسا (الروايس) بالخصوص، والتي تستعمل في أدائها آلات الرّباب ولوتار والنّاقوس، مقام كل من لمعكّل وأگناو وأشْلحي وأمْنَاصفى (بين أگناوي وأشلحي)، وهي حسب النماذج التالية كما وضعها الأستاذ بلعيد العكّاف :

أ) لْمعكّل : سلّمه الأساسي صول، لا دو، ري فا (صول) ويتوفّر على علامة شاعرة بينما تغيب فيه الدرجتان 3 و 6 وينجز على طريقتين.

ـ الطريقة الأولى : انطلاقا من "صول"

الطريقة الثانية : انطلاقا من "ري".

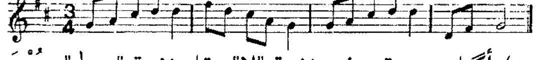

ب) أگناوي : تقوم فيه نغمة "لا" مقام نغمة "صول" ويُنْجَز بطريقتين :

الطريقة الأولى : وسُلّمها الأساسي هو : ري مي صول (دياز) لا، دو (دياز) ري. ويتوفّر على العلامة الشاعرة لكنه يخلون من الدرجتين 3 و 6

الطريقة الثانية : تعتمد بدورها على نغمة "لا" وسُلّمها الأساسي هو : ري، مي صول لاَ، سي (ري)، مع تغييب درجتي 3 و 7.

ج) أشلحي : يعتمد فيه العزف (الرباب بالخصوص) على نغمة "صول". ويؤدى على طريقتين :

الطريقة الأولى : سلمها الأساسي هو :

فا، صول، لا، دو، ري (فا)، حيث يخلو من الدرجتين 4 و 7 :

الطريقة الثانية : وتعتمد كسلم أساسي :

دو، ري، فا (دياز)، صول ، سي (دو) وهو سلم يتوفّر على العلامة الشاعرة ويخلو من الدرجتين 3 و 6 :

م. أبودرار، (1969) : *من أهازيج سوس، أحواش*، الفنون، عدد 1 : 99 ـ 102 ؛ أ. أمزال، (1968) : *أمانار*، ديوان شعر شلحي، الرباط ؛ ع. أمرير، (1975) : *الشعر المغربي الأمازيغي، لهجة سوس*، الدار البيضاء دار الكتاب ؛ ع. أمرير، (1978) : *أمَالو، ظلال من الفنون الشعبية المغربية*، الدار البيضاء ؛ ع. أمرير، (1986) : *الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمّو الطالب*، البيضاء ؛ ح. إيد بلقاسم، (1986) : *تاسْليتْ ونْزار*، مجموعة شعرية أمازيغية، الرباط ؛ ح. إيد بلقاسم، (1988) : *إيمَارَاين*، مجموعة قصصية أمازيغية، الرباط ؛ أ. بوزيد (1984): *أحواش، الرقص والغناء الجماعي بسوس*، (مرقون) (تحت الطبع)، الرباط، عكاظ ؛ م. بيزران، (1987) : *إيفراون*، ديوان، الدار البيضاء ؛ ع. صدقي، (تحت الطبع) : *تيميتار*، ديوان، منشورات عكاظ، 1989 ؛ ع. المعاوي، (1984) : *الشعر المغربي الغنائي السوسي "لقصيدة"*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا (مرقونة)، كلية الآداب، الرباط ؛ م. مستاوي، (1976) : *إيسكراف*، ديوان شعر أمازيغي، الدار البيضاء ؛ م. مستاوي، (1979) : *تاضصاد يمطّاون*، ديوان شعر أمازيغي معرّب، الدار البيضاء ؛ م. مستاوي، (1988) : *أسَايْس*، ديوان شعر أمازيغي معرّب، الدار البيضاء ؛ ع. الصافي المومني، (1931) : *أوسّان صمّيدنين*، الدار البيضاء الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، (1966) : *إيموزّار*، مجموعة شعرية بتامازيغت، الرباط. (مرقون) ؛ *الجامعة*

*الصيفية بأگادير* (1981) : أعمال الدورة الأولى، المحمدية ؛ جمعية الانطلاقة الثقافية بالناظور (1980) : *المهرجان الأول للشعر الأمازيغي* (الناظور 6ـ5ـ1979) *نماذج مختارة من الشعر الريفي* (مرقون).

A. Bounfour, (1985), *Linguistique et littérature : Etude sur la poésie orale marocaine*, thèse d'Etat, Univ. Paris III, Sorbonne Nouvelle ; (1986), *Transformations et enjeux de la poésie berbère, Nouveaux enjeux culturel au Maghreb*, p. 181-189, Paris ; A. Chottin, (1933), *Corpus de musique marocaine II, Musique et danses berbères du pays chleuh*, Paris ; (1939), *Tableau de la musique marocaine*, Paris ; P. Galand-Pernet, (1969), *Un schèma grillé de la poésie berbère, Etude de motif des métamorphoses dans les poèmes chleuhs*, Word, Vol. 25, nº 1-2-3, p. 120-130 ; (1972) *Recueil de poèmes chleuhs*, I, *Chants de trouveurs*, Paris ; (1985), *Le poème oral et ses marges : prologues berbères*, Lalies, Actes des sessions de linguistique et de littérature (Aussois, 1984), Paris ; *Littérature Orale et représentation du texte : Les poèmes berbères traditionnels, Etude de littérature ancienne*, tome 3, *Le texte et ses présentations*, p. 107-118, Paris ; H. Jouad, (1977), *Les règles métriques dans la poèsie berbère*, Cahiers de poètique comparée, III/1, p. 25-29, Paris ; (1983), *Les éléments de versification en berbère marocain tamazight et tachlhit*, (ronéotypé), thèse de IIIème cycle, Univer. de Paris III ; (1986), *Métres et rythmes de la poèsie orale en berbère marocain, la composante rythmique*, Cahiers de poètique comparée, nº 12, p. 103-127, Paris ; (1987), *La matrice rythmique, fondement caché du vers*, Etudes et documents berbères, nº 3, p. 47-59, Paris ; H. Jouad et B. Lortat-Jacob, (1982), *Les modèles métriques dans la poésie de tradition orale et leur traitement musical*, Revue de musicologie, t. 68, (1-2) p. 174-197, Paris ; J. Karpati, (1961) *Mélodie, vers et structure strophique dans la musique berbère du Maroc Central*, Studia Musicologica (Budapest) I (3-4) p. 451-473 ; E. Laoust, (1928), *Chants berbères contre l'occupation française, Mémorial Henri Basset*, Paris, p. 9-20 ; C. Lefebure, (1986), *Ousmane : la chanson berbère reverdie, Nouveaux enjeux culturels au Maghreb*, p. 189-208, Paris, CNRS ; (1987), *Contrat mensonger, un chant d'amdyaz sur l'émigration*, Etudes et documents berbéres, nº 3, p. 28-46, Paris ; B. Lortat-Jacob, (1980), *Musique et fêtes au Haut Atlas*, Paris ; L. Paul-Margueritte, (1935), *Chants berbères du Maroc*, Paris, Berger Levrault ; M. Peyron, (1985), *Une forme dynamique de poèsie orale : Les izlan et les timawayin du Moyen Atlas, (Maroc)*, Langues et littératures, nº 5, p. 161-185, Rabat, Publications de la Faculté des Lettres ; A. Roux, (1928) a, *Un Chant d'Amdyaz, l'aïde berbére du groupe linguistique beraber, Mémorial H. Basset*, p. 237-247, Paris ; (1928) b, *Les Imdyazen ou Aèdes berbères du groupe linguistique beraber*, Hesp. VIII (2), p. 231-251 ; M. Rovsing-Olsen, (1984), *Chants de mariage de l'Atlas marocain*, thèse de IIIème cycle, Paris X, (Dactylographié) ; Ph. Schuyler, (1979), *A Repertory of Ideas : The Music of Rwaïs, Berber Professional Musicians from Southwestern Morocco*, (Ronéotypé), P.H.D., Univ. of Washington.

الحسين مجاهد

**إماريغـنْ**، قد ترد في الوثائق هكذا : مريغة، قرية في الأطلس الكبير عند الكيلوميتر 58 على طريق الذاهب من مراكش إلى تارودانت عبر تيزي ـ نْ ـ تاست، واسم هذه القرية مشتق من الملح لأن بها ملاحة شهيرة يصدر ملحها إلى قبائل المصامدة في الأطلس وإلى سوس وقبائل جهات أمزميز وكذا إلى مراكش، وحتى إن لم يتأكد أنها الملاحة المذكورة عند البكري حين حديثه عن الطريق بين أغمات وسوس فإن هنالك إشارات تدل على قدم هذه الملاحة والقرية المرتبطة بها.

لم تكن القرية في موقعها الحالي على منحدر الجبل مجتنبة الطريق إلى جهات تينمل وسوس بل كانت في البسيط حيث مزارع إماريغن اليوم، وكانت تسمى تَاگْمُوتْ (من شكل الكمامة الذي ينطبق على الموقع المحاط بالجبال من كل جهة)، وهذا الاسم باق في رسوم ملكية ساقية القرية المشتقة من أسيف ـ نْ ـ وازَّضْنْ، وباق على المزارع التي كانت بها القرية واندثرت اليوم نهائيا.

ذكر صاحب *كتاب الأنساب* وهو على الأرجح ابن عبد الحليم الأيلاني العارف بذلك الميدان الحافظ لمتوارث أخبار أهله أن الفاتح عقبة بن نافع عندما كان مارا إلى سوس ترك بتاگموت هذه عددا من أصحابه المرضى، وقد حددها هذا الكاتب بأنها تاگموت التي قرب كيك، فلا يبقى مجال للشك أنها هذه التي نتحدث عنها.

وما زالت في مزارع إماريغن حقول تعرف باسم "دار أوگادير" أي عند الحصن، وهي ذكرى الحصن المركزي في القرية القديمة، وهما في الواقع حصنان. وكانت بهذه المزارع إلى منتصف هذا القرن أطلال المسجد الجامع الذي كانت تقصده عدد من القبائل بالرغم من كون المغزى الحقيقي لتقديس ذلك المكان قد تنوسي. وقد كان بعض القواد الكتنافيين في هذا القرن كلما تردد على هذه القرية، وكانت ضمن قيادتهم، يذكر لشيوخها من أيت واحمان أن هذه القرية المسماة بتاگموت تستحق أن يقام بها "موسم" و"معروف" سنوي إحياء لذكرى من دفن بها من الرجال العظام، وكان هؤلاء الگتنافيون يستندون في ذلك إلى مطالعات طلبتهم في بعض كتب خزائنهم الغنية وهم ورثة الموقع المهد الذي انطلق منه الموحدون تينمل.

ومن أهمية موقع إماريغن عند مدخل وادي نفيس الضيق والخروج إلى السهل أن المعركة الحاسمة بين الموحدين والمرابطين وهي التاسعة في ترتيب البيذق قد وقعت أمامها في فج أسدرم.

ويذكر ابن عذاري في *البيان المغرب* (قسم الموحدين، 58) نقلا عن ابن عبد الملك أن الوزير الكاتب أبا جعفر أحمد ابن عطية قد نكبه عبد المومن الموحدي فسجن عام 552 هـ ثم أخرج من سجنه هو وأخوه أبو عقيل وحملا إلى جبل درن وقتلا بموضع تاگموت قرب الملاحة وذلك في التاسع والعشرين لصفر من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، قتلا على يد من حملاهما إلى هنالك وهو رجل من گومية يعرف بيوسف بن عبد العزيز.

وقد تبدل الموقع والاسم في زمن لاحق وصارت قرية إماريغن التي ورثت نفس الأهمية حيث نجد ولد الزرهوني مؤلف كتاب *رحلة الوافد* يتحدث عن القصبة المخزنية الإسماعيلية التي كانت بهذه القرية وكان بها القائد احماد بن علي وهو المعروف عندهم ببو العصافر وقصبته معروفة إلى اليوم بأگادير ـ نْ ـ بو العصافر وجدرانها ما تزال قائمة في أعلى منحدر مشرف.

يذكر أهل إماريغن الذين يروون أخبارا عن ماضيهم أن المولى سليمان مر بها مستخفيا ذات يوم عيد فأكرمه رجل يدعى أگيلال فأعطاه بطاقة توجه بها إلى مراكش وعاد بظهير المشيخة، ولكن الأسرة التي توارثت المشيخة منذ أواخر القرن الماضي هي أيت وحمان وكان ولاؤها تارة لقواد السهل وتارة لأهل تاگنتافت إلى أن تكرس هؤلاء بسيطرة الفرنسيين.

*تحريات ميدانية* ؛ أ. البكري، *المغرب* ؛ المراكشي، *المعجب* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* (قسم الموحدين) ؛ ابن عبد الحليم (؟) *كتاب الأنساب*، مخطوط، خ. ع. 1275 ك ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ؛ الزرهوني، *رحلة الوافد* ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*.

أحمد التوفيق

**إمازيغن**، في اللغة "البربرية"، جمع، مفرده : أمازيغ. وهو الاسم الذي يسمي به "البربر" أنفسهم. مؤنث أمازيغ هو تامازيغْت، يطلق على المرأة وعلى اللغة. عند قبائل التوارگ المنتشرة في قلب الصحراء الكبرى، يسكن حرف الزاي في "أمازيغ" ويقلب إما هاء، وإما شيناً أو جيماً، بحيث تنطق اللفظة "أماهغ" عند التوارگ الجزائريين، و"أماشغ" عند التوارگ الماليين، و"أماجغ" عند التوارگ النيجيريين (*Encycl. Berb*. 4 : 563).

I - كلمة أمازيغ، من حيث صيغتهااللغوية، اسم فاعل ؛ وهي صيغة نادرة لم يوضع على وزنها إلا عدد قليل من أسماء الفاعل. وهي مشتقة، حسب ما هو متوفر من القرائن، من الفعل "يوزغ" - المنطوق "يوهغ" عند التوارگ - الذي معناه غَزَا، أو أغارَ. ويرى بعض اللغويين أن "أمازيغ" مشتق من فعل آخر اعتبروه مُمَاتاً في اللهجات كلها، قد يكون هو الفعل "إزيغ"، أو الفعل "يوزاغ" (*Encycl. Berb*., 4 : 566) وهو افتراض انبنى على الخلط بين ثلاثة أفعال أخرى، هي "ياغ" بمعنى أصاب أو اعترى ؛ و"ياغ" أو "يوغ" بمعنى أخذ، أو نال، أو سقط، أو اشتعل، أو أضاء ؛ و"يووْغ" بمعنى رعى في معنى انتجع. وعلى أي حال، "أمازيغ" اسم مُشْرَب معنى النُّبل والشهامة والإباء، سواء في المغرب أو عند التوارگ (De Foucauld, 2 : 673). قد يكون ذلك ناتجا من مجرد الاعتزاز بالنفس، من قبل إمازيغن، لأن الشعوب تتخذ عادة أنسابها عنوانا للعزة والمناعة ؛ وهو ما نعتقده.

تسمية "البربر" أنفسهم بـ "إمازيغن" ضاربة في القدم، وبها عرفهم أقدم المؤرخين ؛ وعرفهم بها أقرب جيرانهم إليهم، وهم المصريون القدماء، مع تحريف لاسمهم في النطق، ثم في الكتابة، له مبرراته اللغوية. كان المصريون القدماء، في عهد "راعامسيس" الثالث، يسمونهم "ماشوْش"، لأن اللغة المصرية في ذلك الوقت كانت تقلب الزاي شيناً، والغين شينا أيضا، بعد قلبه خاءً، وتفصل في الكتابة بالواو (واو فارقة) بين الحرفين المتجانسين (*Grammaire*, 27, 28, 29). وقد ذكر المؤرخ اليوناني هيكاتايوس Hekataios إمازيغن في القرن السادس قبل الميلاد باسم "مازييس Mazyes"، وذكرهم هيروضوتوس Herodotos في القرن الخامس ق. م. باسم "ماكسييس Maccyes". أما المؤرخون اللاتينيون فقد أوردوا الاسم نفسه محرفا إلى "مازاكس Mazasc أو Mazaces"، أو إلى "مازيكس Mazikes"، وهي أسماء جموع (Collectifs) بمعنى واحد أطلقوها على "الشعب النوميدي" (*Dictionnaire latin*, 956) ويظهر أن أول قبيلة أمازيغية كبرى احتكّت بقدماء المصريين احتكاك حرب (1227 ق. م) كانت تسمى "ليبو" وكانت مستوطنة لأراضي ليبيا الحالية (Berbères، عن هيروضوتوس،11). وقد اختلط الأمر على المؤرخين الأول، ومنهم هيروضوتس، فصاروا يسمون إمازيغن تارة باسمهم هذا، محرفا قليلا أو كثيرا، وتارة باسم "ليبيا Libyè" الدال في شعر هوميروس Homeros على الأراضي الممتدة من تخوم مصر القديمة، شرقا، إلى المحيط، غربا (*Dictionnaire grec*, 1190). ولما أنشئت المستعمرات التجارية الفينيقية على شواطئ إفريقية الشمالية وازدهرت ولفتت أنظار اليونان والرومان إلى الساحل الجنوبي للبحر المتوسط أخذ الكتاب الإغريق واللاتينيون يسمون الأمازيغيين عامة بـ "الأفارقة"، ويصنفونهم إلى ليبيين ونوميديين وموريين، انطلاقا من الشرق وانتهاء بالغرب. وكان منهم من يخلط بين هذه الأسماء Scylax في *Le Maroc chez les auteurs anciens*)، وCesar في (*La guerre d'Afrique*, 4). فصاروا يسجلون أسماء المجموعات القبلية الأمازيغية بشيء من التفصيل يصعب، بل يتعذر اعتماده في ترتيب تلك المجموعات من حيث أحجامها ولا من حيث استمرارية وجودها في الزمان حاملة اسمها الأول، ولا من حيث انتشارها في المكان ؛ وذلك نظرا لما طرأ من تحريف في النطق والتسجيل، من جهة أولى، ولكون تلك القبائل تتألف في معظمها من عشائر البدو الرحل، من جهة ثانية، ثم نظرا لاعتبار أمر لا بدّ من اعتباره هو أن من المحقق في ضوء ما هو ملحوظ إلى يومنا هذا، أن المترجمين للقبائل عن سماع عبر الزمان أو عبر المكان، كثيرا ما يخلطون بين الجزء والكل، من جهة ثالثة. وعلى سبيل الإشارة، لا الترجيح، نستعرض هنا أسماء القبائل الأمازيغية القديمة كما استقرأها الأستاذ ديزانج Desanges في تعليقة على بلينيوس الأكبر (*Histoire Naturelle*, V) مجتهدا في رسم خريطة لمواطن كل قبيلة :

1 - حسب ديزانج كانت قبيلتا "ماسايسيلي، أو ماسايسولي Masaesyli, Masaisuli" و"بانيورايي Baniurae" تستوطنان شمالي المغرب الأقصى بين المتوسط شمالا والمحيط غربا ونهر سبو جنوبا. وكانت قبيلة "أوتولولي Autololes" منتشرة في السهول الأطلنتية بين بورگراگ وتانسيفت الحاليين وكانت قبيلة "كاناريي Canarii" نازلة بناحية فگيگ الحالية.

2 - وفي المغرب الأوسط كانت القبائل النوميدية Numidia مستقرة أو شبه مستقرة في شرقي البلاد، بينما كانت قبائل "گايتولي Gaetulia" تنتجع في الأنجاد العليا Les Hauts Plateaux، وقبائل "أيثيوبيا Aethiobia" تشغل المنطقة الممتدة جنوب الأطلس الصحراوي.

3 - وفي تونس الحالية كانت القبائل النوميدية نفسها منتشرة في غربي البلاد من الساحل المتوسطي إلى ناحية

القيروان الحالية، ممثلة أحسن تمثيل في قبيلة "ماسيلي Massili، أو Massyli" أو "ماسولي Massuli"، المنطوق اسمها هكذا بسين مضعفة باعتبار النطق الفرنسي، والمنطوق اسمها حسب ما نرجح "مازولي" أو "مازيلي"، بالزاي، لأن السين المضعفة كانت بمثابة الزاي عند اللاتينيين قبل تبنيهم Y وZ اليونانيين، (*Traité de grammaire*, 33). أما أراضي "زاوگيتانا أو زاوغيتانا Zeugitana" و"بيزاكينا أو بيزاقينا Byzacena" فكانت خاضعة للنفوذ القرطاجي، قبل الاحتلال الروماني لها.

4 ـ وفي ليبيا نجد، حسب ديزانج قبيلة فزانيي Phazanii من الجهة الجنوبية الغربية للجبال المعروفة الآن بجبل نفوسة ؛ ثم نجد بالتتابع على مقربة من الساحل المتوسطي، وانطلاقا من الغرب تجاه الشرق قبيلة "ماكايي، أو ماقايي، أو ماغايي Macae" فقبيلة "ناساموني Nasamones" فقبيلة "مارماريداي Marmaridae"، فقبيلة "ماريوتاي Mareotae"، وهي الأخيرة من جهة الشرق تمتد مواطنها إلى بحيرة قرب دلتا النيل كانت تسمى باسمها. وفي عرض الصحراء الليبية، حيال الخليج من جانبه الغربي، كانت توجد مواطن قبائل "گارامانتي، أو غارامانتي، أو جرامانتي Garamantes".

من المعلوم أن المغرب الأقصى مع الجزء الأكبر من المغرب الأوسط كان يعرف عند اليونان باسم "ماوروسيا Maurusia" ؛ هم الذين سمّوا هذه المنطقة بهذا الاسم لأول مرة، فأخذه عنهم الرومان وقالوا "ماوريتانيا Mauritania". وهنا يجب لفت النظر إلى أن الاسم اليوناني Maurusia قريب من حيث مادته اللغوية من الفعل الإغريقي "ماورسو Maurso" الذي معناه "أظلم". فهل معنى ذلك أن اليونان كانوا يقصدون بـ "ماوروسيا Maurusia" أرض الظلمات، لأن الشمس تغرب فيها بالنسبة إليهم ؟ وهل لذلك علاقة بما كان العرب يسمونه "بحر الظلمات"؟ هذان تساؤلان يستحقان أن يبحث عن جواب لهما. أما الجزء الشرقي من المغرب الأوسط وما يليه من غربي تونس الحالية فكان يسمى "توميديا Numidia". وكانت الأراضي المحادية للشاطئ المتوسطي شرقا وشمالا تسمى "أفريقيا Africa"، فيما يهم الأناسي، و"أفريقانوس Africanus"، أو "أفريقوس Africus"، في الشعر خاصة، فيما يهم الحيوانات والأشياء (*Dictionnaire français-latin*, 59). وبقدر ما يمكن الفصل بأن اسمي "ماوريتانيا Mauritania، أو ماوروسيا Maurusia" و"نوميديا Numidia" ليسا أمازيغيين، بقدر ما يمكن ترجيح أن هذه الألفاظ الثلاثة "أفر Afer" و"أفري Afri" و"أفريقوس، أو أفريغوس، أو أفريكوس Africus" تنتمي من حيث صيغها إلى الحقل اللغوي الأمازيغي، وحتى من حيث مدلولاتها. لكن لا سبيل إلى الجزم في الموضوع، لأن اللغة اللاتينية كانت تلحق بالأسماء زوائد إعرابية متغيرة، تظهر حينا وتختفي حينا، من جهة، وأن حروف الهجاء في نظام الكتابة اللاتينية تطور عددها مع الزمن، فتغيرت رمزية بعضها الفونولوجية (*Traité de grammaire*, 33...). ولهذا السبب، وللأسباب الأخرى المذكورة آنفا، يكاد يتعذر على المؤرخ، حاليا، أن يقارن بين أسماء القبائل الأمازيغية التي وردت في المؤلفات اليونانية واللاتينية القديمة، وبين أسماء القبائل التي عددها ابن خلدون في عصره ؛ إلا أن اسم قبيلة "لْواتا" الشهيرة أورده بعض كتاب الإغريق واضحا لا غبار عليه : "لْواتا، أو لْواتاه Louâtah" : كما ذكروا اسم "إفوراقس، أو إفوراغس، أو إنوغاس أو إفورن Ifuraces" الذي يمكن أن يشخص في "إفوغاس" التوارگ، أو في "يفرن" (*Les Berbères*, Fournel, 98... 103). ويجوز أن نتساءل : هل من علاقة بين كاناريي "Canari" والجزر الخالدات؟ أو بين "أوتولولي Autololes" و"والال، أيت والال" ؟ وبين "گايتوليا Gaetulea" و"گودالا"؟ وبين "مازيلي، مازولي Massyli, Massuli, Massili" و"مزالا، أيت مزالا إمزيلن"؟ وبين "زاوگيتانا، زاوغيتانا Zeugitana" و"زْواغا، تزگّاغن"؟ وهل لاسم "فازانيي Phazanii" صلة بنفوسه، أو على الأرجح بالفزان الحالية، التي عرفت عند التوارگ باسم "تارگا"؟، (*Dictionnaire Touareg*, IV, 1588). أما "بانيورايي Baniurae"، فقد اقترح باحث مغربي أن نشخصها في "بني وارين" ؛ إلا أن ذلك مستبعد لأن الاسم الأمازيغي لهذه القبيلة هو "أيت وارين"، وفي العهد الإسلامي ترجمت "أيت" إلى "بني".

II ـ سبب تسمية إمازيغن بـ "البربر" : كانت الشعوب قديما قليلة التواصل بينها، وكانت تعتبر أن من لا يفصح عما يريد، في لغتها هي، لا يمكن أن ينعت إلا بالعجمة، أي بالخرس والبكامة. ولذا كان للعرب عجمهم، ولليونان عجمهم، هم "البارباري Barbari". وكان للأمازيغيين عجمهم أيضا، هم "إگناون" ؛ وقد لزمت هذه التسمية بعض شعوب إفريقية الغربية، فيما تفرع عنها من أسماء البلدان، كغينيا وغانا، اللتين كان ينسب إليهما في المغرب بـ "گناوي؛ عبد گناوي". والغين في غانا وفي غينيا مقلوبة عن الكاف المعقودة. ولا تزال فئة من سكان المغرب الذين هم من أصل زنجي يسمون "گناوا". أما اللفظة الأمازيغية الأصلية فهي "أگناو" التي تجمع على "إگناون" ؛ ومعناها الأعجم، الأبكم، الأخرس... كان اليونان إذن يطلقون اسم Barbari على غيرهم من الشعوب، بدءاً باللاتينيين، ولما أخذه عنهم الرومان صاروا يسمون به كل شعب خارج عن المجال الحضاري اليوناني اللاتيني (*Dictionnaire latin*, 207). فمن المحقق إذن أن الأمازيغيين كانوا "بارباري Barbari" في نظر الرومان، وكانوا ينعتون بذلك النعت، لا سيما أنهم قاوموا روما مقاومة شديدة، حربيا (*Rome et les Berbères*)، وثقافيا (*La Résistance Africaine*)، ولا سيما أن جل قبائلهم ظلت خارج المناطق الشمالية الخاضعة للنفوذ الروماني. فلزمهم طيلة عهد الرومان ؛ وكان من الطبيعي أن يلزمهم طيلة عهد السيطرة البيزانتية على مدن

الساحل المتوسطي الجنوبي، بما أن "الروم"، أي البيزانتيين من ورثة الإمبراطورية الرومانية. وعند الفتح الإسلامي أخذ العرب عن "الروم" كلمة "بارباري Barbari" وجعلوها "بربر". ولقد ظل الإفرنج، أي الأروبيون، يسمون إفريقية الشمالية "بارباريا، Barbaria, Barbarie" ؛ أو الدول الباربارية Etats Barbaresques إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي (*Dictionnaire Robert*) ؛ ولما احتكوا بأهالي المغرب والجزائر الناطقين بالعربية العامية سمعوا منهم اسم "لبرابر" منطوقا براءين مرققتين ونقلوه إلى لغاتهم في شكل Berbers أو Berbères.

وما سوى هذا من التفسيرات التي ذهب إليها بعض المؤرخين العرب متكلف ليس له ما يثبته بالاستدلال والمنطق. إن كل ما روي من الأشعار العربية في موضوع نسب "البربر" وإلحاقهم بقبائل العرب، من مضرية وقحطانية، لم يكن مبنيا على معرفة مضبوطة ؛ وإنما كان صادرا عن رغبات سياسية كانت تراود نفوس العرب و"البربر" معا.

وعلى أي حال لقد تجاهل الأمازيغيون اسم "البربر"، في لغتهم، طوال العصور، واحتفظوا باسمهم الأصلي "إمازيغن". ولم يتقبل منهم اسم "شلوح" الذي سموا به في المغرب - وربما لأن بعض قبائلهم كانت تقطع الطرقات على المسافرين - إلا سكان غربي الأطلس الكبير وسوس ؛ يسمون أنفسهم "إشلحين"، مع الإفراد على "أشلحي" ؛ لكن لوحظ عندهم في العقدين الأخيرين أنهم يفضلون اسم "إمازيغن". ومما يجب ذكره أن لفظة "أرومي"، أي الرومي أو الإفرنجي في اللغة الأمازيغية محملة في أصل مدلولها بمعنى القساوة وانعدام الرأفة، توازي في ذلك كلمة "بارباري Barbari" الرومية ؛ ولهذا التوازي امتداد فيما تسمى به ثمرة الصبار، الشائكة القشرة، المعروفة عند المغاربة بـ "كرموص النصارى" أي تين الإفرنج"، وعند الفرنسيين بـ "Figue de Barbarie" أي تين بلاد البربر.

III - أصل إمازيغن : كتب الكثير في هذا الباب، وملخص ما كتب أن المؤرخين العرب كادوا يجزمون، في العصر الوسيط، أن "البربر" من أصل يماني، أي من "العرب العاربة" الذين لم يكن لهم قط عهد بالعجمة ؛ وعلى نهجهم سار المنظرون للاستعمار الفرنسي الاستيطاني في القرن الماضي وأوائل هذا القرن، فأخذوا يتمحلون البراهين على أن "البربر" أوربيو المنبت، خاصة الشقر والبيض منهم. ومن الواضح أن الحافز في الادعائين كليهما سياسي، سواء أكان صادرا عن حسن نية أم كان إرادة تبرير للاستيطان. ومع تراجع الاستعمار الأروبي عن إفريقية الشمالية، أخذت هذه المسألة العلمية تفرض على الباحثين كل تحفظ لازم، لا سيما تجاه المصادر المكتوبة، ما لم تدعمها معطيات أخرى أكثر ضمانا للموضوعية. وقد عمل بجد، خلال الأربعين سنة الأخيرة، على استغلال الإمكانات الأركيولوجية والأنتربولوجية واللسنية في البحث عن أصل الأمازيغيين، أو عن أصول المغاربه على الأصح. والنتائج الأولى التي أفضت إليها البحوث أن سكان إفريقية الشمالية الحاليين، في جملتهم، لهم صلة وثيقة بالإنسان الذي استقر بهذه الديار منذ ما قبل التاريخ، أي منذ ما قدر بـ 9.000 سنة، من جهة ؛ وأن المد البشري في هذه المنطقة، كان دائما يتجه وجهة الغرب انطلاقا من الشرق، من جهة أخرى (*Berbères*, Camps, 44). وبناء على هذا، يمكن القول إن من العبث أن يبحث لـ "لبربر" عن مواطن أصلية غير التي نشأوا فيها منذ ما يقرب من مائة قرن. ومن يتكلف ذلك البحث يستوجب على نفسه أن يطبقه في التماس "مواطن أصيلة" للصينيين، مثلا، أو لهنود الهند والسند، أو لقدماء المصريين، أو لليمانيين أنفسهم وللعرب كافة، ليعلم من أين جاؤوا إلى جزيرة العرب. وكل ما يمكن تأكيده اليوم، فيما يرجع للقرابة القديمة المحتملة بين إمازيغن واليمانيين، يكمن في قرائن ثلاث :

أ - عدد لا بأس به من أسماء الأماكن التي توجد على الطريق البري الواصل بين المغرب الكبير وبين اليمن عبر القارة الإفريقية، لها صيغ أمازيغية واضحة، ولبعضها مدلولات في اللغة "البربرية". منها في صعيد مصر : أبنو، وأسيوط، وأخميم، وتيما، وتالا، وأصوان (أسوان)، وتوشكا... وفي شمالي السودان : تاراگما، وأتبارا، وتيمرايين... وفي إيريتريا : أكسوم، وأسمارا، وأگوالا، وأگوردات أو أگورضاد... لكن، لا يوجد في اليمن نفسها، حسب ما هو مرسوم في الخرائط العادية، أسماء أماكن من هذا القبيل، إلا اسم جزيرة "أنتوفاش". أيرجع تسلسل الأسماء السالفة الذكر على الطريق القارية الرابطة بين إفريقية الشمالية وبين اليمن إلى عهد هجرة قديمة تركت آثارها في الأصقاع التي عبرتها ؟ أم يرجع إلى قرابة بين اللغة الأمازيغية وبين المصرية القديمة، واللغات الكوشية؟

ب - لقد عثرت شخصيا على عدد من الألفاظ العربية التي قال بشأنها صاحب *لسان العرب* إنها "حمْيرية" أو "يمانية" ؛ وهي ألفاظ لها وجود في الأمازيَغية، إما بمدلولها "الحمْيَري" وإما بمدلول معاكس، وكأنها انقلبت إلى أضدادها. لكن عدد هذه الألفاظ قليل لا يسمح بجزم في الموضوع، إلا إذا تمت دراسة مقارنة ميدانية بين اللهجات الأمازيغية واللهجات اليمانية الحالية من حيث معطياتها المعجمية والصرفية والفونولوجية.

ج - بين حروف "تيفيناغ"، القديمة منها والتوارگية، وبين حروف الحميريين شبه ملحوظ في الأشكال. لكنها لا تتقابل في تأدية الأصوات، إلا في حالتين اثنتين بتجاوز في التدقيق (مراسلة شخصية بيني وبين الباحث الفرنسي كريستيان روبان Christian Robin، محرر الفصل الخاص بحضارة جنوبي الجزيرة قبل الإسلام في (l'Arabie du Sud).

ولعل طريق البحث في هذا الموضوع سيختصر في العقود الأولى من القرن المقبل، أو قبلها بقليل، لأن وسائل

المقارنة الأنثروبولوجية بين الشعوب أصبحت جد دقيقة، بفضل الاكتشافات الأخيرة التي حققها العالمان "جان دوصي Jean Dausset" و"جان بيرنار Jean Bernard" المتخصصان في فحص الكريات الحمراء على مستوى أشكال سطوحها. ولقد تمكن هذان العالمان من اقتفاء آثار شعوب هاجرت مواطنها الأصلية منذ خمسة عشر ألف سنة (*Le sang et l'histoire*).

IV ـ خصوصيات الأمازيغيين ومميزاتهم : هل للأمازيغيين خصوصيات، بصفتهم "بربرا" ليس غير ؟ ـ لقد ذهب كثير من المؤلفين في تاريخ إفريقية الشمالية، والأوربيون خاصة منهم، إلى أن الأمازيغيين كانوا دائما، ولا يزالون يميلون إلى الفوضى، وبالتالي إلى التخلص من قبضة كل سلطان يريد تنظيم أمورهم. فنتج من ذلك تتابع الثورات والفتن، بغير انقطاع، في مواطنهم، وتعرضها المستمر للهجمات الآتية من الخارج. ويعزى ميلهم هذا، في نظر أولئك المؤلفين إلى... طبيعتهم الأمازيغية التي انفردوا بها. وهذا ليس بتفسير علمي، بل هو تفسير نظري محض صادر عن حسن نية أو عن رغبة سياسية. والواقع الملموس، الذي يلمسه كل من أتيح له أن يدرس تواريخ الأمم مقارنة من زوايا مختلفة، هو أن طبيعة إفريقية الشمالية الجغرافية هي التي كيفت في العمق المجتمع الأمازيغي وجعلت منه مجتمعا أقرب إلى البداوة منه إلى الحضارة والتمدن، وذلك بحكم عاملين اثنين، أولهما اختلاف المناطق خصبا وجدبا، وبرودة ودفئا، وغزارة أو قلة في الماء، باعتبار تتابع الفصول، ثم وجود "هامش" صحراوي شاسع وراء الأطالس الثلاثة، ونجود داخلية شبيهة بالجرداء. وثانيهما هو اجتياح القحط والجفاف مناطق معينة لمدة معينة، أو مناطق مترامية الأطراف على مدى سنوات، وهو مايسمّيه صاحب *الاستقصا* بـ "توالي المجاعات والانتجاعات" (4 : 67). هذان العاملان هما اللذان تسبّبا في استمراريّة نمط العيش الانتجاعي، الذي تسبّب بدوره في استمراريّة النظام القبلي في جلّ الأقاليم، لأن النظام القبلي هو المواتي لحياة الحلّ والترحال الجماعيين. وعلى النظام القبلي ترتّب ما ترتب من الخصوصيات في التقاليد الاجتماعية، التي تؤثّر بدورها في طباع الأفراد. من تلك الخصوصيّات مثلاً الميْل إلى التقشّف ورفض حياة البذخ والتنعم. ومن تلك الخصوصيات الحرص على إقرار مبدإ المساواة بين أفراد العشيرة، وبين العشائر في نطاق الكيان القبلي، وعلى إقامة أعراف يتعارف عليها في التساكن والتعايش والتعامل في سياق الانتجاع المستمر، ثم على مراعاة العصبيات التي هي ضمان القدرة على الدفاع عن المصالح المشتركة، في حدود آفاق القبيلة المكانية والزمنية، أو على أحسن تقدير، في حدود آفاق حلف من القبائل المتجاورة ومن هذا كله يحصل توازن اجتماعي نسبي وغير قار يكون في أغلب الحالات هو الحائل دون قيام نظام سياسي قوي، مركز في المكان، طويل البقاء في الزمان. وفي ضوء هذه الاعتبارات يفهم تاريخ الأمازيغيين، ويفهم تاريخ شعوب أخرى. وفي ضوء هذه الاعتبارات أيضا يبحث عن أسس الديموقراطيات المحلية "البربرية"، وعن سر قدرة الأمازيغيين على مواجهة القوى الأجنبية بعدم الاستسلام لها حتى عند توالي انتصاراتها الحربية أو السياسية. وفي ضوء هذه الاعتبارات يدرك السبب الذي من أجله كان "البربر" في العهد الإسلامي، يرغبون عن إتخاذ الحَكَم من ذويهم وبني جلدهم، ومن أجله كان كل ذي طموح سياسي منهم يتنكر لانتمائه القبلي ولانتمائه الأمازيغي (*Histoire politique du Maroc*).

الديموقراطيات المحلية كانت قائمة على مبدإ المساواة بين أفراد العشيرة وبين العشائر التي تجمعها قرابة الدم، ثم بطون القبيلة الواحدة أو بين القبائل المتجاورة، ولكن مع مراعاة توازن القوى. ولا ينتدب لتمثيل الجماعة في دواليب هذا الحكم الديموقراطي نواب يعينهم الاقتراع، ولكن ينتدب له الشيوخ الذين ترشحهم مكانتهم الاجتماعية وقدراتهم. كان رؤساء العشائر عادة يتهربون من تحمل المسؤوليات نظراً لما يتبعها من التكاليف التي لا يجزى عليها بأي تعويض. ولذا كانت مجالس الشورى تحار لا في الفصل بين مرشحين للمناصب بانتخاب أحدهم، ولكن في إيجاد من يقبل تحمل المسؤولية ؛ وكان المجلس يضطر أحيانا إلى اختيار عضو غائب عن قصد أو عن غير قصد، فيأتيه في بيته للإلحاح عليه كي يقبل منصبا ما. كانت المناصب الرئيسية، عند قبائل الرحل وأنصاف الرحل هي الآتية : القيادة في الحرب، والريادة في الانتجاع، وعضوية مجلس القضاء ؛ وكانت ريادة الانتجاع تعوض عند أهل المدر بالأمانة على شؤون القرية. كان الرائد يسمى "أمغار ن توگا = شيخ المرعى" ؛ والقائد "أمغار ن تيريت = شيخ الاستنفار" ؛ والعضو في مجلس القضاء "أمزارفو" أو أنزارفو" ؛ والقضاء الجماعي "أزرف" ؛ والأمين على شؤون القرية "أنفلوس". كان القائد يعين عند نشوب الحرب، وتنتهي مهمته بانتهاء الحروب. وكان الرائد يعين لمدة سنة، من فصل ربيع إلى فصل الربيع الذي يليه. أما عضو مجلس القضاء فكان يعين لمدة غير محددة لا تنتهي عادة إلا بوفاته أو باستقالته لعُذر مقبول. كان تنظيم الانتجاع يقتضي من "شيخ المرعى" أن يكون عارفا لأماكن الكلأ في تسلسلها بين الجبال والسهول، أو النجود والبراري، ولأهمية مساحتها ونوعيتها وما هو ملك خاص وما هو مشاع (أمردول = المرعى الشاسع ؛ ألمو = المرعى الخصب المخضر ؛ أزنيگ = البقعة فيها كلأ ؛ أگدال، أو أودال = المرعى المحظور). وكان فوق هذا ينبغي له أن يكون ديبلوماسيا قادرا على التفاوض بنجاح مع شيوخ القبائل الأخرى عند المنازعات. أما القائد "شيخ الاستنفار" فكان ينتخب، لا بالتصويت المرجح لرأي الأغلبية، ولكن بالتعيين المتفق عليه بالإجماع، من بين الشجعان الذين لهم

سوابق في إصابة الظن والإشارة بالخطة الحربية المناسبة، كان يفوض إليه الأمر كله يوم القتال ؛ أما شؤون التعبئة والاستعداد فمن اختصاص مجلس الشورى وكان من المفروض في كل مرشح للعضوية في مجلس القضاء أن يكون ملما بتفاصيل الأعراف والتقاليد التي تستن بها القبيلة، وملما كذلك بالشريعة الإسلامية في خطوطها العريضة، قادرا على الاجتهاد حتى يسهم مع زملائه في حسم القضايا التي هي من باب النوازل حسما يغني "فقه" الأعراف.

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض القبائل كانت تتفق على إنشاء مجالس مشتركة بينها تقوم مقام محاكم الاستئناف، وأن التقاضي كان يوجب على المتقاضين استعمال تعابير معينة لإشعار المجلس الابتدائي، في لباقة، بأن حكمه مرفوض، واستعمال تعابير أخرى لإشعار مجلس الاستئناف بأن عليه المعول بصفته المرجع النهائي. كانت أحكام مجلس الاستئناف تنفذ غالبا، بفضل ضغوط أعيان القبيلة على المحكوم عليه. كانت المنازعات التي تعرض على مجلس القضاء لا تختلف في شيء عن المنازعات التي تشجر في المجتمعات الرعوية، أو في المجتمعات القروية من أجل الكلإ والماء والخصومات المتعددة الأسباب، وحراسة البساتين وتحديد الحقول المزروعة. كانت قضايا القتل العمد وغير العمد من أكثر المسائل استعصاء على الحل ؛ وكانت تعالج بالطريقة التي تعالج بها عند البدو الرحل في كثير من مناطق المعمور (*Le prix du sang*.., 8 à 14). كان القضاة يجتهدون في تقدير التعويض عن الجروح اجتهادات تختلف من قبيلة إلى أخرى ومن سنة إلى سنة باختلاف الأوضاع الاقتصادية. كان التعويض عن الجرح في الوجه يحدد عند "أيت عطا"، مثلا، بالطريقة الآتية : يقف أحد القضاة أمام الجريح - بعد أن يكون الجرح الذي في وجهه قد التأم - ثم يسير القهقرى رويدا رويدا إلى أن تتعذر عليه رؤية النَّدَبَة، أي أثر الجرح ؛ فيتوقف، ويقيس أحد القضاة الآخرين ما بينه وبين الجريح من عدد الخطوات. ثم يصدر مجلس القضاء حكمه بأن يعوض المجني عليه عن جرحه. فإن كان رجلا حكم له بأخذ ما يساوي عدد الخطى غنما ؛ وإن كان امرأة حكم لها تأخذه بقرا.

هذه الأوضاع القبلية كانت سائدة في المجتمع التقليدي الأمازيغي إلى منتصف القرن العشرين ؛ والغالب أنها لم تتغير كثيرا منذ العصور القديمة. ولقد كانت مصدر قوة وضعف في آن واحد. كانت مصدر قوة لأنها حالت دون قيام أي نظام فيودالي كالذي عرفته أوربا، ودون قيام أي نظام طاغوتي كالذي عرفه وادي النيل لمدة ثلاثة آلاف سنة، ودون قيام أي نظام قيصري ولاكسروي. ولذا لم يستعبد "البربر" قط استعبادا جماعيا. وحتى إذا برزت لهم في الأفق قوة تدّعي الجبروت ناوشتها القبائل بدون انقطاع أو رحلت عن منطقة نفوذها متحينة الفرص للانقضاض عليها وكسر شوكتها عاجلا أو آجلا. وكانت مصدر قوة نسبية مكنت الأمازيغيين من مواجهة الهجمات الاستعمارية التي توالت على إفريقية الشمالية ابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد. ذلك لأن حياة البداوة تمنع الشعوب من الركون إلى التنعم والاسترخاء، من جهة، ولأن المهاجمين كانوا يجدون أمامهم دائما مقاومة سريعة التنقل من ناحية إلى ناحية، غير ملتزمة بقرار رئاسة مركزية ؛ فإذا استسلمت قبائل لاذت قبائل أخرى بالجبال أو بالصحراء لتنطلق منها بعد حين وتنغص على المستعمر مقامه وتجعله دائما في موقف الدفاع إلى أن تذهب ريحه مع الزمان وتبقى الأرض لأهلها. ومما لا شك فيه أن الشعور المبهم بالانتماء العرقي أو اللغوي المشترك كان يضمن مستوى أدنى من التآزر بين القبائل في مواجهتها للأجنبي الدخيل. وكانت مصدر قوة نسبية أيضا لأنها عاقت عمليات المثاقفة التي تلاحقت على أرض المغرب الكبير عن بلوغ مداها في أي عصر من العصور، رغم طول الزمن، فمكنت اللغة الأمازيغية من البقاء. مكنتها من البقاء في حالة متردية، لكن في حالة قابلة للانتعاش، بينما صارت إلى خبر كان عشرات اللغات التي عايشتها وعاصرتها في القديم، كالمصرية القديمة، واللاتينية والفينيقية والغالية وغيرها.

لكن، من جهة أخرى، كانت تلك الأوضاع مصدر ضعف ملحوظ، لأنها أولا جعلت الأمازيغيين، بصفتهم أمة، في مواقف الدفاع عن النفس في جل حقب التاريخ، مع ما كان يتوفر لهم من القوة الحربية الكمينة في عدد قبائلهم وفي تعودهم حياة الشظف. كانوا يهاجمون في عقر دارهم، ولم يكونوا قادرين على التكتل العسكري الذي تنبع منه الرغبة في التوسع على حساب الغير. وكانت مصدر ضعف لأنها منعت قيام أي دولة مركزية قوية يسمح لها طول بقائها بتنظيم الأمة في عمق كيانها، ولو مع مصادرة جزء مهم من الحريات، وبإنشاء حضارة مادية رفيعة متميزة. وكانت مصدر ضعف، بما أن امتناع "البربر" عن السماح لأية فصيلة منهم بالسيطرة والتعالي كان يضطرهم إلى تحكيم غيرهم في شؤونهم، إما على مستوى الدول وإما على مستوى الأفراد، إلى أن صار ذوو الطموح السياسي منهم، بسبب ذلك، ينتحلون الأنساب غير الأمازيغية كي يستتب لهم الأمر ؛ فعل ذلك ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي والسلاطين المرينيون وغيرهم، كما فعله من قبلهم يوبا الثاني إذ كان يدعي ويرسخ في أذهان الناس أنه من سلالة البطل اليوناني الأسطوري "هرقل Hercule, Hêraklês" (Gsell, VIII : 237). وكانت تلك الأوضاع مصدر ضعف لأنها حالت بين الثقافة الأمازيغية الذاتية وبين النمو والازدهار، وأبقتها على حالتها المناسبة لنمط العيش القبلي المائل إلى البداوة. فوجدت تلك الثقافة نفسها في تنافس وتبارٍ مع ثقافات أكثر نموا وسلمت لها بالتعاقب على شغل مجالات التحضر والتمدن.

وهكذا يمكن القول إن "البربر" لم يكن لهم الاختيار بين المسار الذي ساروا فيه منذ فجر التاريخ إلى اليوم وبين مسارات أخرى، ولكن جغرافية مواطنهم الطبيعية هي التي رسمت لهم معالم ذلك المسار، بما فرضته من أساليب الاسترزاق وما يترتب عليهامن ظواهر الدور والتسلسل بين تقاليد المجتمع وطباع الأفراد في التفاعل مع بيئة ليست بصريحة الخصب ولا بصريحة الجدب، تجود حينا وتبخل أحيانا، تضاريسها متجزئة، ومناخها مائل إلى الجفاف مطبوع بالمتناقضات التي من جرائها يستمر انجراف التربة، إذ لا غطاء نباتي ينظم توزيع المياه بين الانصراف والتسرب إلى الجوف، ولا "أُفُق أول Premier horizon" يسمح بظهور غطاء نباتي متماسك ذي شأن. وما على المرء، إن هو أراد أن يلمس هذه الظواهر، والمظاهر شاخصة للعيان، إلا أن يمعن النظر في المناظر التي يمكنه أن يشاهدها من الطائرة، في تتابعها من وسط أوربا إلى جنوبي المغرب، إذا ما أتيح له السفر من أوربا إلى المغرب يوم صحو من أيام الصيف أو الخريف أو الشتاء.

أما ما نبت فوق الأراضي "المغاربية" من حضارات مستوردة، فيرجع سبب ازدهاره ازدهارا نسبيا إلى كونه نقلة فصلت عن حضارات احتضنت نشأتها وترعرها أراض أخرى بطبائع جغرافية أخرى. ربت شعوبا أخرى، إما بخصبها المتواصل ووفرة أسباب التكاثر والتماسك والتكاثل فيها، وإما بقساوتها الداعية إلى التطلع والتشوف إلى سواها.

ويبقى لنا مع ذلك أن نلتفت ونلفت الأنظار إلى خصوصيتين أمازيغيتين، علاقة إحداها بالبيئة ونمط العيش ظاهرة، وسبب وجود الأخرى غير واضح. الخصوصية الأولى هي الجنوح إلى التمسك بالراديكالية في الاختيار والسلوك والنظر ؛ ومنها نتج تبني الدوناتية المسيحية في العصر القديم، ثم تبني مذهب الخوارج في العصر الوسيط، والانفراد بالمالكية ؛ وبها يمكن تفسير صرامة ابن تومرت وصرامة تلامذته من الموحدين الأول، ويمكن تفسير ميل أفراد إلى الصلاحية والنسك المفرطين وميل آخرين إلى الشعوذة والنصب والسطو والتشغيب. والخصوصية الثانية هي ازدراء الإطناب في القول والفخفخة والتبجح، شأنهم في ذلك شأن الإسبارطيين القدماء (*التاريخ العالمي للتربية*، *L'histoire mondiale de l'éducation*, I : 142...). وعنها صدر موقف يوسف بن تاشفين إذ أمر كاتبه بأن يقتضب الجواب على الرسالة المطولة التي كان ملك أستوريا "ألفونسو" السادس قد بعث بها إليه محذرا له قبيل يوم الزلاقة. هذه الخصوصية قد تبلورت عند الأمازيغيين في مثل سائر قديم يقول "المتبجِّح القوَّال لاَ يفْعَل، والفَعَّال العَامل لا يقول = وْنَّايْتْنين وْرايْتْكّا، وْنَّا يْتْكّان وْرايْتّيْنِي".

ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية* ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ ابن عبد العظيم الأزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. شفيق، *الشعر الأمازيغي*... ع. 4، 1408 / 1987 ؛ ع. محمود إسماعيل، *الخوارج في بلاد المغرب*.

R. Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, "Les Belles Lettres", Paris 1924 ; Pline L'Ancien, *Histoire Naturelle*, Livre V, texte établi et commenté par Jehan Desanges, "Les Belles Lettres", Paris 1980 ; Salluste, *Bellum jugurthinum*, texte établi par Alfred Ernout, Les Belles Lettres, Paris 1971 ; Silius Italicus, *La guerre Punique*, tome I, livres I-IV, texte établi et traduit par Pierre Minoconi et Georges Devallet, Les Belles Lettres, Paris 1979 ; Cesar, *Guerre d'Afrique*, texte établi et traduit par A. Bouvet, Les Belles Lettres, Paris, 1949 ; Louis Rinn, *Les origines berbères*, éd. Adolphe Jourdan, Alger 1889 ; H. Fournel, *Les berbers*, tome I, Paris 1875 ; S. Gsell, *Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 volumes, Hachette, Paris 1920-1928 ; DJ. J. Meunié, *Greniers - Citadelles du Maroc*, 2 volumes, Arts et Métiers, Paris 1951 ; M. Rachet, *Rome et les Berbères*, Latomus, R.E.L, Bruxelles 1970 ; G. Camps, *Berbères aux marges de l'histoire*, éd. des Hespérides, Toulouse 1980 ; M. Benabou, *La Résistance Africaine à la Romanisation*, Maspéro, Paris 1976 ; F. Decret, M'hamed Fantar, *l'Afrique du Nord dans l'Antiquité*, Payot, Paris 1981 ; A. Mandouze, *Prosopographie de l'Afrique Chrétienne*, C.N.R.S, Paris 1982 ; J. Bernard, *Le Sang et l'Histoire*, Buchet - Chastel, Paris 1983 ; *Encyclopédie Berbère*, volume IV, Edisud, Aix-en-prevence 1987 ; L. de Saint - Quentin, *3000 ans avec les Berbères*, Edition Delagrave, Paris 1949 ; M. Chafik, in Französich heute, nº spécial sur le Maghreb, Juin 1984) Frankfurt, (en ce qui concerne les noms de Masinissa et Jugurtha) ; M. Ferro, *l'Histoire sous surveillance*, Calmann-Levy, Paris 1985.

محمد شفيق

**أمازيغية**، تنتمي اللغة الأمازيغية إلى ما يسمى بالأسرة الحامية ـ السامية، التي تشتمل على الفروع الآتية: الفرع السامي، والفرع المصري ـ القبطي، والفرع الكوشي، والفرع التشادي، ثم الفرع الليبي ـ الأمازيغي. ويتكون هذا الفرع الأخير من اللغات الليبية والأمازيغية والغوانشية. يرجع بعض مؤرخي اللغات التقاربات الملحوظة بين اللغات المنتمية إلى هذه الفروع إلى العلائق البنيوية الموجودة بينها، وكذلك إلى الاتصالات الحاصلة بين الشعوب التي تنطق بها لمدى عشرات القرون. ويذهب بعضهم إلى القول بوجود أسرة تشمل اللغات الإفريقية والأسيوية.

التاريخ : يكاد يكون تأريخ اللغة الأمازيغية عملا عسيرا لندرة الوثائق. فتلك التي يعتمد عليها في مراجع التاريخ القديم إنما تنحصر في بعض أسماء الأعلام البشرية وأسماء الأمكنة. إن أهم مرجع نتوفر عليه يتمثل في النصوص الليبية ـ الأمازيغية التي ترجع إلى ما قبل ميلاد المسيح بحوالي قرن ونصف قرن. وهذه النصوص منحوتة على نصب مأتمية برموز تشبه كثيرا رموز تيفيناغ، وعددها يفوق ألفا وثلاثمائة نص. إلا أنها لا تزال تحتفظ بسرها، إذ أن رموزها لم تفك بعد. أما عن المرحلة الإسلامية فإن المؤرخين، وخصوصا منهم مؤلفي الحوليات والسير، يتحدثون عن عديد من المراجع المكتوبة باللسان الأمازيغي، منها على الخصوص الأدبيات الدينية للخوارج والبرغواطيين والموحدين، ولكن جلها اندثر، ولم نعد نملك منها سوى بعض أسماء الأعلام البشرية وأعلام الأمكنة وبعض الجمل المتناثرة. وحتى أشعار سيدي حمو الطالب التي قد تساعد على استقراء السمات العامة لأمازيغية القرن الثامن عشر (؟) لم تصل إلينا إلا عبر الرواية الشفوية. وهكذا يكون أقدم متنين بالأمازيغية هما كتابا الفقيه محمد أعلي أوزال : (الهوزالي) كتاب *الحوض*

وكتاب بحر *الدموع*، وكلاهما في قواعد الفقه على المذهب المالكي. لقد ألفا في القرن الثامن عشر بلسان تاشلحيت وكتبا بالحروف العربية، والجدير بالذكر أن لغة هذه النصوص لا تختلف في شيء عن الأمازيغية الحديثة من حيث صرفها ومعجمها وتركيبها.

الخط ـ تشكل رموز تيفيناغ النظام الخطي الأمازيغي الأصيل. ويعود استعمال هذه الرموز إلى ما يزيد عن ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. إنه نظام يقوم على الصوامت أساسا، تتخذ فيه الكتابة اتجاها غير ثابت، قد يكون عموديا وقد يكون أفقيا. والرموز أحادية عموما، إلا أن الرموز التي تدل على الأصوات المركبة تكون ثنائية. وإضافة إلى الرموز الصوامت تستعمل بعض الرموز لبيان حدود الكلمات والجمل. لا يزال هذا النظام الخطي يستخدم في بعض المجالات والكتب والأبحاث وحتى في التعليم. يتم توافق هذا النظام مع الخاصيات الصوتية للمتغيرات اللسانية المحلية سواء عن طريق إعادة تأويل الرموز الأصلية أو عن طريق اختراع رموز جديدة.

| الحرف العربي | قيمته الصوتية | رمز تيفناغ | الحرف العربي | قيمته الصوتية | رمز تيفناغ |
|---|---|---|---|---|---|
| گ | g | ⴳ | ـُـَ | a | ȯ |
| گري | ḡ | ⴴ | ـُ | u (ou) | 8 |
| "دج" | "dj" | ⧖ | ـَـِ | é | ⴼ |
| ج | j | I | ـِ | i | Ɛ |
| ش | ch | ⵛ | و | w | U |
| "تش" | "tch" | ʒ | ي | y | ∩ |
| ت | t | ⵜ | هـ | ḥ | ⵀ |
| ث | ṯ | ⵝ | هـ | ẖ | ⵃ |
| "تس" | "ts" | t | ع | "ع" | ⵄ |
| ط | ṭ | y | ق | q | ⵇ |
| د | d | ʌ | غ | ġ (gh) | ⵖ |
| ذ | ḏ | V | خ | ḫ (kh) | ⵅ |
| ظ | ḏ̣ | E | م | m | ⵎ |
| ض | ḍ | ⴹ | ب | b | ⴱ |
| ص | ṣ | ⵚ | پ | ḇ (v) | ⴲ |
| ر | r | O | ف | f | ⊐ |
| س | s | ⵙ | ک | k | ⴽ |
| ز | z | ⵣ | کش | ḵ | ⴾ |
| "صز" | ż | * | ل | l | ⵍ |
| | | | ن | n | ⵏ |

المصدر : مجلة أمازيغ عدد 7 ـ 1981، ص. 39.

الخريطة اللغوية : تشمل المنطقة اللغوية التي تستعمل فيها الأمازيغية أقطارا شاسعة تمتد من مصر شرقا إلى ساحل المحيط الأطلسي غربا، ومن الضفة الجنوبية للبحر المتوسط شمالا إلى النيجر ومالي جنوبا. توجد في مصر مجموعة سيواه ؛ وفي ليبيا مجموعات أوجلة وسوكتة وزوارة ونفوسة ؛ وفي تونس هناك مجموعات ساقية ومجورة وسند وتامزرات وزوارة وشنيني ودويرات وجربة ؛ وفي الجزائر مجموعات الشاوية ومزاب والقبائل ؛ وفي المغرب مجموعات الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير والأطلس الصغير وكذلك مجموعات تقطن الجنوب الشرقي والجنوب الغربي. وتوجد مجموعة التوارگ (الطوارق) جنوبي الجزائر وشمالي مالي والنيجر ؛ أما مجموعة إزناگن أو زناگة (صنهاجة) فهي توجد في التخوم الموريتانية ـ السينغالية ؛ وأخيرا هناك ما تبقى من مجموعة الغوانتش في جزر كناريا. يصعب حاليا تحديد عدد الناطقين بالأمازيغية لعدم توفر إحصائيات مضبوطة. وعموما يلاحظ أن كثافة المجموعات الأمازيغية تتضخم من الشرق إلى الغرب، وأن هذه المجموعات توجد في الأرياف أساسا وإن كانت طوائف عديدة منها تقطن الحواضر بفعل الهجرة الداخلية والخارجية. إن أهم تمركزات الناطقين بالأمازيغية توجد بالمغرب والجزائر والصحراء.

البنى اللغوية : فبالرغم من اتساع الرقعة الجغرافية التي تستعمل فيها الأمازيغية وتشتت المجموعات الأمازيغية الناتج عن هذا الاتساع من جهة، ومن عدم معايرة اللغة وتقنينها من جهة أخرى، فإن البنى اللغوية تبقى ثابتة وموحدة، أما المتغيرات المحلية فهي لا تمس إلا الأشكال الظاهرية.

الأصوات : على المستوى الصِّواتي، يتكون النظام الصامتي من الأنساق التالية : الشفوي (ب، م، ف)، الأسناني (ت، د، ض، ن)، السِّنخي (س، ز، ل، ر)، شبه الحنكي (ش، ج)، الحنكي (ك، گ)، اللهوي (ق، خ، غ)، البلعومي (ح، ع)، والحنجري (هـ). ويتميز هذا النظام بالترابطات التالية : (أ) الجهر وهو ترابط يقابل فئة مجهورة مع أخرى مهموسة أي : ب، د، ز، ج، گ، غ، ع مقابل ف، ت، س، ش، ك، خ، ح، (ب) التفخيم وهو ترابط يقابل فئة مفخمة مع أخرى غير مفخمة أي : ض، ز مقابل د، ز، (ت) الخنة وهو ترابط يقابل فئة مخنة مع فئة شفاهية أي : م، ن، مقابل ب، د، (جـ) التشديد وهو ترابط يشطر النظام الصامتي إلى فئتين متساويتين تتكون إحداهما من الصوامت المشددة والأخرى من الصوامت المرخية. وتنضاف إلى صوامت هذا النظام صوامت أخرى هامشية منها المشفهات (كو، گو خو، غو، قو) والمفخمات (ط، ب، ل، ص، ش، ج). ويلاحظ محليا تحييد المقابلة بين الصوامت المقفلة والصوامت الاحتكاكية حيث تنجر المشددات مقفلة والمرخية احتكاكية، أي پ ث ذ ک گ مقابل بّ تّ دّ کّ گّ. أما على المستوى الصوتي فالمسددات تنتج عن سيرورة المماثلة بين الصوامت المتاخمة المنتمية إلى كلمات متميزة، أما التفخيم فينتشر إجباريا من الصامت المفخم قاعديا إلى الأصوات الموجودة ضمن المقطع الواحد، وينتشر التفخيم اختياريا إلى الأصوات التي تنتمي إلى نفس الكلمة.

يشتمل النظام الصائتي على ثلاث وحدات قاعدية، هي ـَ، ـُ، ـِ، حيث المقابلات قصوى، إذ أن ت مفتوح وث متأخر وـِ متقدم. ولكل من هذه الوحدات على المستوى الصوتي بديلات تتجلى بالخصوص في إطار سياق صامتي مفخم حيث تنجر الصوائت مفتوحة. يضاف محليا إلى هذه الصوائت صائت قصير يدمج في سلسلة الصوامت لعرض صوتي - تركيبي. أما أشباه الصوائت صائت قصير يدمج في سلسلة الصوامت لعرض صوتي - تركيبي. أما أشباه الصوائت ي، و، فإنهما لا يخضعان لعملية الاستبدال مع الصوائت المغلقة ـِ، ـُ، بل إنهما في توزيع تكاملي معها على التوالي، حيث يخضع إنجاز هذه أو تلك للسياق، فالصوائت تنجز في سياق صامتي وأشباه الصوائت تنجز في سياق صائتي. وفي سياق تعاقب الصوائت تحدث إحدى السيرورتين، إما الإدغام وإما فك الإدغام. ففي حالة الإدغام يتحول الصائت الثاني إلى شبه صائت، مثال : يـَـنـَـ ـُـشـّن ينجز يـَـنـّـ وشّن "رأى الثعلب" ؛ وفي حالة فك الإدغام يدمج شبه صائت بين الصائتين، مثال : يْدّـَ ـُـشن ينجز ـدّـَ وُـشّن "انصرف ابن آوى". ونظرا للهوية الصواتية الملتبسة لأشباه الصوائت من جهة، وللصلة المشتركة بينها وبين الصوائت المغلقة من جهة أخرى، يفترض أن هذه الوحدات إنما تشكل فصيلة صوتية واحدة وأن ما يتحكم في إنجازها كصائت أو كشبه صائت إنما هو ارتباطها بالنواة المقطعية أو باستهلال المقطع وبتقفيلته، على التوالي.

يُضبط تنسيق الوحدات الصوتية في إطار المقطع مجموعة من الضوابط الصوتية - التركيبية من أهمها ضابط عدم التجانس الذي يقصي تعاقب الوحدات المتجانسة ؛ تتكون البنية المقطعية من خمس وحدات على الأكثر، تكون ضمنها النواة هي العنصر الضروري وهي إما صائت وإما صامت ؛ أما استهلال المقطع وتقفيلته فهما يتكونان على الأكثر من صامتين، ويتقيد تنسيق الوحدات الصوتية في إطار المقطع وفق مبدإ الجهورية الكلي الذي يقضي بأن المنحنى الجهوري يتنامى من الاستهلال إلى النواة ويتناقص من النواة إلى التقفيلة. أما عن التلحين فإن النبر والتنغيم لا يتسمان بوظيفة تمييزية، ويظهر أن نبر التشديد يقع على المقطع الأول في الكلمة في حين أن التنغيم يقع على المقطع الأخير منها، ويجب القول في هذا المضمار إن البحث لا يزال في مراحله الأولى، لذا نكتفي بهذه العموميات.

الصرف والتركيب، تتألف الكلمة من مصدر ومن إشارات ذاتية تتصدّره أو تلحق به. وهي تدل على الفاعل. ويتكون المصدر من جذر ومن صيغة، يحتوي الجذر على صوامت عددها يتراوح ما بين صامت واحد وخمسة صوامت، وعموما فعددها اثنان أو ثلاثة ؛ تحمل هذه الصوامت الدلالة المشتركة بين كافة الكلمات المشتقة منها. تمثل الصيغة بنية المصدر كما تحدد الهوية النحوية للكلمة، من اسم أو فعل ومن مذكر أو مؤنث ومن مفرد أو جمع. فمثلا كلمة ـِمكرـَزن "حراثون" تتكون من الجذر ك ر ز ومن الصيغة م + ص ص + ـَ + ص ومن علامة الجنس وهي ـِ وعلامة العدد وهي ن.

الفعل وصيغه، تنقسم الأشكال الفعلية إلى أشكال قاعدية وأخرى مشتقة. تكون الأشكال القاعدية متعدية أو لازمة، ولها ثلاث صيغ (أ) صيغة المبهم وهي صيغة غير مشحونة، مثال سغ "اشترى"، (ب) صيغة المبهم المضعف وهي مشتقة من الصيغة الأولى حسب سيرورات مختلفة منها تصدير تـ مشددة، مثال : ـَمز تـِـمز "خذ"، وتشديد صامت مصدري، مثال : كرز، كّرزَ "احرث"، مگر، مگّر "احصد"، وزيادة الصائت المفتوح ـَ، مثال : سكر، سكـَر "افعل"، وتركيب السيرورات السالفة، مثال : بـدّ، تّبدـَد "قف"، قْل، قـّـَل "اترك" ؛ (ت) صيغة الماضي، وهي إثباتية أو نافية تشتق الصيغة النافية بزيادة الصامت المتقدم ـِ قبل آخر صامت في المصدر، مثال : سّن، سّـِـن "علم ضد جهل". أما الأشكال فهي تنقسم إلى ثلاثة أصناف ؛ يشتق الصنف الأول بتصدير س للمصدر دلالة على السببية على وجه العموم، ويشتق الصنف الثاني بتصدير ت للمصدر دلالة على المبني للمجهول، ويشتق الصنف الثالث بتصدير م للمصدر دلالة على المبادلة. ولكل من هذه الأدوات التصديرية س تـ م بديلات سياقية تنتمي إلى نفس الفصيلة، وهي الصوافر والأسنانية والشفهية على التوالي. عموما يتخذ كل فعل الأشكال القاعدية والأشكال المشتقة، مثال : لْسْ لسّـَ، لسـِ، سّلس، تّلس، مّلس "لبس".

تشكل أفعال الصفة صنفا متميزا من الأفعال، إذ أنها من الناحية الشكلية مصدرة بالصائت ي في صيغة الأمر، ومن الناحية التركيبية فهي أساسا لازمة، وهي قابلة لجميع ما يلحق غيرها من الصيغ الفعلية ؛ أما من الناحية الدلالية فهي تعني الصفات الجسدية والأخلاقية وكذا الألوان. أما صيغة الأمر فهي تماثل الصيغ المبهمة إلا أنها تتميز عن باقي الصيغ الفعلية لكونها لا تقبل صنفا خاصا من الإشارات الذاتية، مثلا : زّنز،زّنز ـَ "بع" وأخيرا هناك الصيغة الفاعلية والمفعولية وهي تؤدي معنى الفعل ومعنى الصفة، كما تتكون على أساس الأشكال القاعدية والأشكال المشتقة، فهي تتغير حسب العدد وتبقى مبنية من حيث الجنس. ولهذه الصيغة صنف خاص من الإشارات الذاتية، مثال تـَمغـَرت لـِ (نـِ) يـُـفـَن ـَيدي "المرأة التي وجدت الكلب".

تنقسم الإشارات الذاتية إلى ثلاثة أبواب (أ) باب متكامل يضاف إلى صيغة المبهم الدالة على المضارع وإلى صيغة غير المبهم الدالة على الماضي، وهو كما يلي : غ - (ح، خ)، ت - ت، ـــ ، تـ - ، ن - ، تـ - م، تـ - مت، ن، - نت ، (ب) باب غير متكامل يلحق بصيغة المبهم الدالة على الأمر، وهو كالتالي : - Ø، - تت ، - تمت، (ت) جدول غير متكامل يضاف إلى صيغة الفاعلي - المفعولي وهو كالآتي : ـِ - ن صيغة المفرد و - ـِن في صيغة الجمع.

ترافق الصيغ الفعلية مجموعة من الأدوات المتصلة بها. فأدوات ـد، رـد، ـرـ تتصل بصيغة المبهم البسيط المضعف أداة ـر (دـ، لـ) فهي خاصة بصيغة المبهم المضعف. وتؤدي كل من هذه الأدوات صورة الغير المحقق، إذ تضع ـد الفعل في إطار اللاواقع عكس أداة ـر (دـ، لـ) التي تضعه في إطار الواقع، أما أداة رـد فهي تدل على المستقبل وقد تؤدي صيغة الماضي صورا مختلفة منها الوقتية والشروعية والنهائية ؛ أما صيغة المضارع فهي تؤدي صور الاستمرارية والتكرارية والدرجية وكذا الشروعية.

وتصحب الفعل أدوات أخري منها أدوات التوجيه وهي دون، التوجه الأولي للفعل نحو المتكلم وتوجهه الثاني نحو المخاطب، مثال : زرـد "مرّ من هنا"، زرـن "مر من هناك"، ومنها أدوات الضمائر المباشرة وغير المباشرة (انظر ما يلي).

تتموضع الأدوات المتصلة في الجملة على الشكل التالي : الفعل + الضمير غير المباشر + الضمير المباشر + أداة التوجيه، مثال : فكـغ ـس ت ـد "أعطيته إياه هنا". وإذا استعملت أدوات النفي والاستفهام مثلا يكون تركيب الكلمات كالآتي : أداة الاستفهام + الضمير الغير المباشر + الضمير المباشر + أداة التوجيه + أداة النفي + الفعل، مثال : يس ـس ت ـد ـر فكـغ "ألم أعطه إياه هنا ؟".

الاسم وصيغه، يكون الاسم مذكرا أو مؤنثا يبتدئ الاسم المذكر عموما بصائت غالبا ما يكون ـَ وأحيانا ـِ ونادرا ـُ، مثال ـفُسْ "يد"، ـمـ "فم" ـدم "وجه". ويفترض أن هذا الصائت قد يكون منتميا إلى المصدر أو مصدّرا له. أما أسماء العلم والأسماء الدالة على القرابة فهي تبتدئ عموما بصامت، مثال : بـبـ "أبي" گومـ "أخي"، ويمكن كذلك أن تبتدئ بصائت مثال : ـمّـ "أمي"، ـلتمـ "أختي". أما الأسماء المستعارة من العربية أو الدخيلة عن طريق العربية فهي تبتدئ ب ل + صامت، مثال : لقـيد أو بصامت مشدد، حين يكون هذا الصامت شمسيا، مثال : سّـق ويشتق الاسم المؤنث بزيادة ت إلى بداية صيغة المذكر وإلى آخرها، مثال : تـفرـخت "بنت"، وإلى بداية الأسماء التي ليست لها صيغة المذكر، مثال : تـخسـ "الضأن". ويكون الاسم مفردا أو جمعا. يشتق جمع المذكر عموما بإلحاق الصوامت و، ت، ن بصيغة المفرد وباستبدال لحن المذكر بلحن الجمع وهو ـَ ـ ـُ. يتم اشتقاق صيغة الجمع على أساس صيغة المفرد وفق النماذج التالية : (أ) إلحاق ن بصيغة المفرد مع استبدال لحن المفرد أي ـَ بلحن الجمع أي ـ، مثال : ـزـر، ـزـرن "سقف، سقوف" ؛ (ب) زيادة ـ إلى صيغة المفرد، مثال : ـنرفض، ـنرفـض "طحال، أطحلة"، (ت) استبدال لحن المفرد ـَ ـَ ـ بلحن الجمع ـ ـُ ـَ، مثال : ـگـدير ـگـدـر "حصن، حصون". أما اشتقاق جمع المؤنث فهو يتم على أساس صيغة الجمع المذكر بزيادة لحن خاص بالمؤنث وهو تـ حسب النماذج التالية : (أ) تصدير ت، مثال : ـسدـل، تـسدـل "غطاء، أغطية). (ب) تصدير ت وزيادة ـ، مثال : ـفـسّن، تـفـسّـن "أياد صغيرة"، (ت) تصدير تـ وزيادة تـ ، مثال : ـسلـن، تـسلـتـن "مخطويات". ويعتبر هذا النموذج الأخير أكثر شيوعا من غيره.

وتخضع صيغة الاسم كذلك لحالته التركيبية، فإذا كان في حالة الفصل فإنها لا تتغير،أما إذا كان في حالة الوصل فإن تغييرا يحدث في المقطع الأول من الكلمة وبالذات في الصائت الأول. يكون الاسم في حالة وصل إذا كان يشغل إحدى الوظائف التركيبية التالية : فاعل غير مبأر ومفعول عددي ومفعول إضافي ومفعول حرفي. وتختلف طبيعة هذا التغيير حسب انتماء الاسم إلى الصنف الذي يبتدئ بصائت مصدري أو إلى الصنف الذي يبتدئ بصائت غير مصدري. فالاسم المذكر الذي ينتمي إلى الصنف الأول والذي يوجد في حالة وصل ينجز بزيادة شبه صائت في مقدمته وتنطق شبه الصائت "و" أو "ي" حسب مخرج الصائت السابق، مثال : ـخوس، وـخس "سنّ"، ـزي، يـزي "ذبابة". أما الاسم المؤنث فهو يبقى على الشكل الذي هو عليه في حالة الفصل. وبخصوص الأسماء التي تنتمي إلى الصنف الذي يبتدئ بصائت غير مصدري فالمذكر منها يحتفظ بصائته، ما عدا ـَ حيث ينقلب ـُ أو و إذا كان مسبوقا بصامت أو بصائت على التوالي مثال : ـفرـخ ـكشم، ـكشم ـفرـخ "دخل الولد"، ـفرـخ ـدـّ، ـدـّ وفرـخ. أما المؤنث فإنه يفقد صائته الأول، مثال : تـفرـخت تدـّ تفرـخت "راحت البنت". لا تخضع أسماء العلم وأسماء القرابة والأسماء المستعارة الغير المنذمجة للتغيرات التي تطرأ على غيرها من الأسماء في حالة الوصل.

يشتق الاسم الفعلي سواء من الصيغ الفعلية القاعدية أو من الصيغ المشتقة، وهو يسلك سلوك غيره من الأسماء من الناحية الصرفية ـ التركيبية. والأسماء الفعلية ثلاثة أصناف هي اسم الفعل واسم الفاعل واسم الأداة أو المكان. (أ) يتوفر اسم الفعل المذكر على صيغتين أساسيتين : صيغة يضاف فيها صائت إلى المصدر الفعلي ويرتبط هذا الصائت بالموقع الأول وبالموقع ما قبل الأخير في الصيغة، مثلا سرم ـسرـم "برى، بري"، زض، ـزـض "طَحَن، طَحْن" طض ـضـض "رضَع، رضْع". أما الصيغة الثانية فيتم ضمنها تصدير صائت إلى المصدر الفعلي، مثلا : كـشم ـكـشم "عجَز، عجْز" زنّز، ـزنـزّ "نسَف، نسْف (الحبـوب)"، زـّ ، ـزـ "غـرَس، غرْس". وللاسـم الفعـلي المؤنث صيغتان رئيسيتان، صيغة تصدر فيها تاء التأنيث ويزاد صائت يرتبط بموقعين في الصيغة وهما الموقع الثاني والموقع الأخير، مثال : مگر، تـمگرـ "حصد، حصاد"، رز، تـرزي "كسَر، كسْر". وصيغة تضاف فيها أداة التأنيث المتقطعة ت ـ ت إلى المصدر الفعلي ويزاد صائت يرتبط

بالموقع الثاني وبالموقع ما قبل الأخير، ينجز هذا الصائت ـ في حالة تجانس الصوائت الأخرى محالفة لها، مثال : كّلّ، تـكّـلّـت "أقسم، قسم"، زّـلّ، تـزّـلّـت "صلّ، صلاة". (ب) لاسم الفاعل كذلك صيغتان أساسيتان، صيغة يضاف فيها إلى المصدر المضعف صائت يرتبط بالموقع الأول وبالموقع ما قبل الأخير، مثال : خدّم، ـخدّـم "عمل - عامل" عزّب، ـعزّـب "انتجع، منتجع"، وصيغة يضاف فيها إلى صيغة الفعل المتبادل الصائت ـَ وهو يرتبط بالموقع الأول وبالموقع ما قبل الأخير، مثال : مزّدغ، ـمزدـغ "تساكن، ساكن"، ـكومر، ـنكومر "صاد، صياد". (ت) أما اسم الأداة أو المكان فله صيغة أساسية يضاف فيها الصامت ت إلى صيغة الفعل المبني للمجهول مثال : سكرز، ـسكرز "حرث، محراث"، سكرف، ـسكرف "شكل، شكال"، سمضل، ـسمضل "قبر، مقبرة". إضافة إلى العلامات الذاتية التي تتصل بالفعل هنالك ستة أبواب من الضمائر تعود على الاسم وهي : (أ) الضمائر المباشرة أي : يـ ، ك (ش)، كم (شم)، ت، تّ، ـخ (ـح، ـخ)، كون، كونت، تن، تنت ؛ (ب) الضمائر الغير المباشرة وهي : ـ، ـك (ـش)، ـم، ـس، ـغ (ـح، ـخ)، ـود (ـكن)، ـونت (ـكّنت)، سن، سنت. تلحق هذه الضمائر (أ، ب) بالفعل ما عدا في حالة وجود أداة فعلية تجذبها (انظر ما سبق). (ت) ضمائر الملكية وهي : ـنـُ، نك (نش)، نم، نس، نغ (نّح، نّخ)، نّـن، نّـنت (نكنت)، نس، نسنت. (ج) ضمائر القرابة وهي Ø، ك (ش)، م، س، تنغ (تنح، تنخ)، تـن، تـنت (نكـت)، نسن، نسنت ؛ وتلحق هذه الضمائر بالاسم. (ح) الضمائر الحرفية هي : ـ، ك (ش)، م، س، نغ (نح، نخ)، ـن، ـنت (كنت)، سن، سنت، وهي تلحق بالفعل ما عدا في حالة الاستباق. (خ) الضمائر المستقلة وهي : نكّي (نكّ)، كيّـ (شكّ)، كمّـ (شم)، نتّـ، نتّـت، نكّنـ (نـكنـ)، كونّـ، كونّـمتـ (شنّـنت)، نتّنـ (نـهنـ)، نتنتـ (نـهنتـ).

تستعمل هذه الضمائر عادة قبل الفعل وهي متعددة الوظائف. أما أدوات الإشارة فهي أنواع مختلفة منها اللواحق ومنها الضمائر ومنها الظرفية. فاللواحق ثلاثة مبنية من حيث الجنس والعدد، فهي : ـد (ت). "هذا"، ـنّ (ينّ) "ذلك"، ـنّ "ذاك". مثال : تـخـمـت ـد "هـذه الخيمة"، ـسـف ـنّ "ذلك النهر"، ـشّن ـنّ "ذاك ابن آوى". أما الضمائر فهي : وـد، تـد، وـنّ، وـنّـ، تـنّـ للمفرد ووـد، تـد، وـنّ، تـنّ، وـنّ، تـنّ للجمع. وأخيرا الإشارات الظرفية هي غـد، دـد "هنا"، غـنّ، دـ "هناك". أما عن الأسماء العددية فهي تنقسم إلى أسماء أصلية وإلى أخرى ترتيبية. والأسماء الأصلية نوعان : نوع غير مركب ونوع مركب، فالأسماء غير المركبة هي من واحد إلى عشرة : يـن (يـن)، سـن، كرـض (شرـض)، كـز، سمـس، سضـس، سـ، تـم، تّزـ، مرـو. يشتق المؤنث منها بإلحاق تـ إلى المذكر، مثال : يـت، سنـت، إلخ.. يضاف الاسم في الصيغة العددية فيتغير حسب الجنس والعدد والحالة، مثال: سنـت تربـتـن "طفلتان اثنتان". أما الأسماء الأصلية المركبة فهي تتكون على الشكل التالي : الوحدات + د + العشرات + ن + الاسم، وهذا التركيب صالح في عملية الجمع، أما عملية الضرب فهي تصاغ كالآتي : الوحدات + ـدـ + العشرات + ن + الاسم، ويكون الاسم المضاف متغيرا حسب الجنس والحالة، مثال : سنـت دمرـوت ن تسكـرت "اثنتا عشر حجلة"، سمـس ـدـ عشرين ن وـنـ "خمسة عشرة بئراً". أما الأسماء الترتيبية فهي مركبة كالتالي : وـ (للمذكر) أو تـ (للمؤنث) + سّ + الاسم الأصلي + الاسم المضاف. ويتغير هذا الاسم حسب الجنس والعدد والحالة، ما عدا في وضعية الاستباق، مثال : تـسّ كرـطّ تمغـرـن. تّمغـرت تـسّ كرـطّ "المرأة الثالثة".

الجملة : تكون الجملة بسيطة أو مركبة، والجملة البسيطة إما اسمية مثال : هـ وشّن "هوذا ابن آوى"، وإما فعلية، مثال : ـنغـ وشّن "قتل ابن آوى". وتتكون الجملة المفيدة من فعل ومن إشارات ذاتية، يشغل ضمنها الفعل الوظيفة الحملية وتشغل الإشارة الوظيفة الفاعلية، مثال : ـدّـ "ذهب" ويمكن أن تعود هذه الإشارة على اسم سابق، مثال : علـ ـدّـ "علي ذهب" أو على اسم لاحق، مثال : ـدّ ـ علـ "ذهب علي". ويمكن أن تضاف إلى هذه الجملة فضلة تكون إما اسما، مثال : ـسغـ علـ تـسرد ـنت "ابتاع علي بغلة" وإما ضميراً، مثال : ـسغـت علـ "ابتاعها علي". وتتوسع الجملة توسعا غير مباشر بواسطة حروف تؤدي وظيفة أدوية، مثال : بضـت س تـزّـلت "قسّمه بالسكين"، أو وظيفة مضافية، مثال : ـزنزـت ـ علـ "باعه لعلي"، أو وظيفة مكانية، مثال : ـضرغ ومـن "سقط في الماء". وتتوسع الجملة كذلك بواسطة أدوات تركيبية تؤدي وظيفة زمنية (ـيلـغ، ـلـگ، غـر سـر، إلخ)، أو وظيفة قصدية (خـمـ، فـدّ، إلخ)، أو وظيفة سببية (ـشكـ مـنرـ إلخ)، أ، وظيفة شرطية (ـغ، مرـ، إلخ).

أما الجملة الموصولة فهي تضاف بواسطة أداة موصولة مثال : تـمـزـرت نّـ ـقـرن تجلـ "الأرض (التي هي) قاحلة تضيع"، ـدّـ وسرد ـن لـ ـسوـن ـمـن "راح البغل الذي شرب الماء". وقد تؤدي الجملة الفاعلية وظيفة الجملة الموصولة، مثال : ـرگـز يـسّرن "الرجل المسن". تصدّر الجملة الاستفهامية بأدوات مثل مـنـ "أين" ـس "هل"، مـن "أي".

أما التركيب العطفي فقد يتم عن طريق المجاورة المباشرة، مثال : ـدّـ ـكرز ـزّنز "راح فحصد وباع" وعن طريق روابط النسق مثل د التي تؤدي معنى الوصل، مثال: ـشّـ ـكسـم دـغرـم دوـضـل "أكل اللحم والخبز والعنب". وروابط مثل نغدّ، نـغ التي تؤدي معنى الفصل، مثال : ـسوـ ـمـن نـغ ـغـ "شرب الماء أو اللبن"،

وروابط أخرى مثل مـَشـَ، مـَشْ، مـش، وتلـَـيـنـّـ، إلخ ؛ مثال : تـُـســت مـَشْ ـضرَس "أخذته ولكنه سقط منها".

وفي إطار الجملة يمكن للمركب الاسمي أن يكون مفصولا، مثلا : نتـّـت تـَـمـَـزيـغت ـَدتـگــَ "(هي) أمازيغية هي" أو موضعا، مثال : تـَـفـّـنـَـست تدّـَ س ـُرتـِ "راحت البقرة إلى الحقل".

ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية* ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ ابن عبد العظيم الأزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، م. شفيق، *الشعر الأمازيغي*.. ع. 4، 1408 / 1987 ؛ ع. محمود إسماعيل، *الخوارج في بلاد المغرب*.

E. T. Abdelmassih, 1971, *Tamazight Verb Structure : a generative approach*, The Hague, s. d, Indiana, U.P.A, Séries 2 ; A. Akouaou, 1976, *L'expression de la qualité en berbère : Le verbe, parler de base : Le tachlhiyt de Tiznit*, thèse de 3ème cycle, Paris ; J. R. Applegate, 1958, *An outline of the structure of shilha*, New York ; (1970) *Berber languages*, Current Trends in Linguistics, 6, La Haye - Paris, Mouton, p. 586-661 ; L. Bary, 1983, *Etude syntaxique d'un parler de la langue tamazight: Le tachelhit d'Inezgane, approche fonctionnelle*, thèse de 3ème cycle, Faculté des Lettres, Rabat ; A. Basset, 1929, *La langue berbère, morphologie, le verbe, etude de thèmes*, Paris Leroux; (1952), *La langue berbère, Handbook of African languages, part I*, London, International African Institute, Dawson of Pall Mall ; F. Bentolila, 1981, *Grammaire fonctionnelle d'un parler berbère : Aït Seghrouchen d'Oum Jeniba (Maroc)*, Paris Selaf ; S. Biarnay, 1917, *Etudes sur les dialectes berbères du Rif*, Paris Leroux ; F. Boukhris, 1986, *Le verbe en tamazight : Lexique et morphologie (parler des Zemmours)*, thèse de 3ème cycle, Paris III / EPHE ; A. Boukous, 1987, *Phonotactique et domaines prosodiques en berbère*, thèse d'Etat, Paris VIII ; K. Cadi, 1981, *Le verbe en Tarifit (Maroc - Nord) : Formes, Structures et Valences*,thèse de 3ème cycle, Paris III, EPHE ; *Système verbal rifain, Forme et sens*, Paris, Selaf ; S. Chaker, 1983, *Un parler berbère d'Algérie (Kabylie), Syntaxe*, Publications de l'Univesité de Provence ; M. Chami, 1979, *Un parler amazigh du Rif marocain : approche phonologique et morphologique*, thèse de 3ème cycle, Paris V ; M. Chtatou,1982, *Aspects of the philology of a Berber Dialect of the Rif*, Thesis for degree of Doctor of philosophy, University of London ; D. Cohen, 1968, *Les langues chamito sémitiques, Le langage*, Paris Gallimard, Encycl. de la Pleiade, N.R.F, p. 1288-1330 ; C. Derkaoui, 1986, *Etude du verbe et de ses modalités dans le dialecte tachelhit*, thèse de 3ème cycle, Paris V ; M. El Medlaoui, 1985, *Segments et Syllabation dans le parler tachlhit d'Imdlawn*,thèse de 3ème cycle, Paris VIII ; E. El Moujahid, 1981, *La classe duenom dans un parler de la langue tamazight : Le tachlhiyt d'Igherm (Souss, Maroc)*, thèse de 3ème cycle, Paris V ; L. Galand, 1955, *Etat et procès : Les verbes de qualité en berbère*, Hesp. p. 245-251 ; (1956) *L'énoncé verbal en berbère : Etude des fonctions*, Cahiers de Ferdinand de Saussure, nº 21, Genève, p. 33-53 ; (1977) *Continuité et renouvellement d'un système verbal : Le cas du berbère*, B. S. L, 72/1, p. 275-303 ; M. Guerssel, 1976, *Issues in Berber Phonology*, M.A, Univ. of Washington ; (1986) *Glides and Syllabicity in Berber*, Linguistic Inquiry, 17 : 1-12 ; M.J. Harries, 1971, *Syntactic Structure of Tamazight*, Doctorat Dissertation, Univ. of California ; B. Hebaz, 1979, *L'aspect en berbère tachelhiyt (Maroc) Parler de base : Immi (Marrakech - Ouarzazate)*, thèse de 3ème cycle, Paris V ; A. Jebbour, 1988, *Processus de formation du pluriel nominal en tamazight (Tachelhit de Tiznit), Approche non concatenative*, D.E.S., Faculté des Lettres, Rabat ; T. Penchoen, 1973, *Etude syntaxique d'un parler berbère (Aït Frah de l'Aurès)*, Napoli, Centro di Studi Maghribini, V ; A. Renisio, 1932, *Etude sur les dialectes berbères des Beni Iznassen du Rif et des Senhaja de Srair, Grammaire, lentes et lexique*, Paris, Leroux ; J. Saïle, 1976, *A phonological study of tamazight Berber : dialect of the Ayt Ndhir*. Ph. Univ. of California, Los Angeles ; M. Taïfi, 1979, *Le tamazight au contact de l'arabe dialectal (étude sociolinguistique sur le parler des Aït-Mguild)*, thèse de 3ème cycle, Paris III, EPHE.

أحمد بوكوس

**أُمَالك**، أحمد، وأُمالك تعنى ابن مالك. تولي باشوية قصبة مراكش بعد موت إبراهيم الگراوي الذي وافق تاريخ موت السلطان محمد بن عبد الرحمان عام 1874. وقد كانت له حركات لتطويع بعض قواد الحوز والأطلس لسلطة المخزن منهم القائد محمد أَلحسْن الگنتافي الذي كان في جبله "أحذر من غراب وأمنع من عقاب" يهادي قواد مراكش ولا ينزل إليهم. وكان السلطان مولاي الحسن قد ولى الوصيف أحمد أمالك على الجيش السوسي وما أضيف إليه. وقد ضايق الگنتافي وكتب بأمره إلى السلطان في فاس مع العلم بأن الگنتافي إنما كان يستنكف من معاملة أمالك ولا يخرج عن الطاعة للسلطان وكان أحمد أمالك ما يزال قائدا للجيش السوسي بمراكش في شوال 1293 عندما كتب إليه السلطان لبناء قبة فارهة على باب الرئيس من الدار الكبرى بالحضرة المراكشية، ذكر ذلك صاحب *الاستقصا* (6 : 160) وقال إنه كان حينئذ يتولى إحصاء صائرها.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 146، 147، 160.

أحمد التوفيق

أيت **أمَالُو**، كلمة أمازيغية تعني الظل، وقد استعملت ضمن قاموس جغرافية المغرب لتعني السفح الظليل ubac. ونتحدث عن سكان "أمالو" مقابل سكان "أسَمّرْ" أو السفح المشمس adret .

فأيْتْ أمَالُو هم سكان السفح الظليل. غير أن هذا النعت قد لا ينطبق دائما مع الوضع الجغرافي للسفح. ظهر هذا النعت بعد التحركات السكانية التي شهدها المغرب بعد القرن الخامس عشر نتيجة تفاعل عدة عوامل. ولكن الواقع المترتب عن توزع القبائل على السفحين : المشمس المقابل للجنوب أو الجنوب الشرقي، والظليل المقابل للغرب أو الشمال، قد ظهر متميزا منذ القديم، وكان له أثر على العلاقات بين مجموعات قبائل السفحين، وفي أول كتاب معروف يتعرض لهذه القبائل الجبلية المغربية وهو *كتاب الأنساب* للبيذق نجد تمييزا، لهذا السبب ولعواقبه بدون شك، بين قبائل الظل وقبائل القبلة.

يقول صاحب *الاستقصا* (9 : 199) "أيت أمالو من برابرة فزاز، وهم بطن من صنهاجة يشتمل على أفخاذ كثيرة مثل ظيان وبني مگيلد وشقيرن وأيت سخمان وأيت يسري وغيرهم... قد عمروا جبال فازاز وملأوا قننها وتحصنوا بأوعارها منذ تملك البربر المغرب قبل الإسلام بأعصار طويلة.

كما نجد الحديث أيضا عن أيت عطة ـ نُ ـ أمالو عند "دوفوكو De Foucauld (ص. 69) حيث حدد موطن هؤلاء كالتالي : تحد بلادهم شمالا تادلة وجنوبا وادي العبيد وأيت يسري وغربا أيت بوزيد. وأهم عشائرهم أيت بويكنيفن (تالمست) وأيت أنير (برنات) ثم ممثلون للأفخاذ الأخرى بناحية واويزغت.

يبدو أن القاسم المشترك بين هذه القبائل هو حركيتها تجاه السهول وما تُحدثه من رعب وفوضى استوجب التصدي لها عدة مرات في التاريخ سواء من طرف الحكام

أو من طرف أحلاف قبائل مهددة بذلك الزحف. ولذلك وصف أيت أمالو بأنهم قطاع الطرق اشتغلوا بالفساد وإشعال الفتن وتحالفوا على معصية السلطان، وطاعة الشيطان (دوفوكو، 69 ؛ *الاستقصا*، 8 : 115 : 130).

وقد رد بعض المؤلفين هذه الفتنة إلى محاولة هؤلاء الحصول على مجالين اقتصادين متكاملين (جبل وسهل) بينما ذهب البعض الآخر إلى أن أصول هذه الديناميكية تعود إلى الهجومات التي شنها عرب معقل على مجالات هؤلاء. وبذلك دفعوا بهم نحو السهول ولربما كان التعليل الأخير مجرد دفعة عنيفة في إطار حركة بطيئة. إن هذا الدفع العنيف المخيف بجحافل من سكان الجبال نحو السهول والعواصم أقلق سلاطين المغرب. حيث بدا أيت عطة - نُ - أمالو يهددون تادلا بينما تقدمت قبائل الأطلس المتوسط نحو السهول والهضاب الأطلسية، فاستعمل معهم المخزن أحيانا سياسة لينة وأحيانا أخرى سياسة الشدة والصرامة.

فمولاي إسماعيل بعد إخضاعه أيت إدراسن "أعطاهم الغنم وألزمهم برعايتها وحفظها وأسقط عنهم الوظائف فصلحت أحوالهم". كما أمر سيدي محمد بن عبد الله سنة 1175 هـ بالعفو عن قبائل أيت عطة (1202 هـ) حيث أمرهم أن يبعثوا بستمائة رجل منهم وأربعمائة من عبيد تافلالت ليكسوهم ويسلحهم ويستعملهم في خدمة البحر وجنديته فبعثوا بهم إليه. ولم يخل هذا التعامل من القساوة والشدة في بعض الأحيان، ففي سنة 1104 هـ حاصر مولاي إسماعيل أيت أمالو فزاز من كل جهة وقتل منهم عددا كبيرا في ليلة واحدة (*الاستقصا*، 7 : 78) وفعل سيدي محمد بن عبد الله ما يشبه ذلك حيث شن غارات ضد أيت إيمور فهلك منهم ما ينيف عن ثمانمائة شخص فأمر بحز رؤوسهم وبعثها إلى فاس لتعلق على الأسوار، (*الاستقصا*، 8 : 130) وفي عهد مولاي سليمان بعث ابنه إلى أيت عطة فهاجمهم وأسر عددا منهم إلى فاس حيث قتل منهم عددا بباب المحروق.

إن هذه الحركات والمعارك تكررت في تاريخ المغرب ومجاله، حيث أدت إلى تنقل عدد من القبائل واتخاذ إجراءات مختلفة قصد تثبيتها مثل بناء قلاع لصد هجوماتها. وهكذا أمر السلطان مولاي إسماعيل ومن بعده ببناء حصون وقلاع أهمها : قلعة عين اللوح وقلعة عين أزرو وقلعة باعليل وقلعة وادي گيگو وقلعة وادي سكورة وقلعة وادي تشواكت، وقلعة دار الطمع، وقلعة تابوست وقصر بني مطير وقلعة وطواط، وقلعة القصابي، وقلعة ادخسان وقلعة واويزغت وغيرها. ولربما لم يكن هذا البناء سوى تجديد وبعث لقلاع قديمة استدعى موقع التوتر بين السهل والجبل قيامها منذ المرابطين أو حتى قبلهم.

وتذكر المصادر أن السلاطين أنزلوا بهذه القلاع فرسانا من العبيد أو القبائل الموالية للمخزن مثل دكالة والشاوية، وبذلك تم وضع حصار على أيت أمالو، ومنعوا من النزول نحو المراعي الشتوية والحرث، لكن هذه القبائل ظلت تتحرك حتى العهد القريب منا.

أ. البيذق، *كتاب الأنساب* ؛ أ. الزياني، *الترجمان* ؛ *الروضة السليمانية* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 و 9.

De Foucauld, *Reconnaissance* ; G. S. Colin, *Origine arabe des grands mouvements de populations berbères dans le Moyen Atlas*, Hesp. t. 25, p. 265-268, 2 et 3 trim. 1938.

محمد أيت حمزة

**أمَانْ مْلُولْنِين**، يعني بالشلحية المياه البيضاء، وهو عبارة عن مكان في غجدامة قرب تاساوت وقعت فيه معركتان شهيرتان : الأولى وقعت بين أبي حفص الهنتاتي وقبائل هسكورة، في إطار تمهيد الأمر للدولة الموحدية، ذكرها البيذق في أخبار المهدي في باب استفتاح مراكش (ص. 67). والثانية وقعت بين المرتضى الموحدي وأبي يحيى المريني (أبي بكر بن عبد الحق). وقد عسكر المرتضى في هذا المكان عام 1251 م بعد خروجه من مراكش. ذكر ذلك المؤرخ الإسباني ميراندا.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*.

A. Huici Miranda , *Historia politica del imperio* Almohade, 2 tomes - Tetouan 1957.

محمد مزين

**أمَانُوز**، قبيلة في الأطلس الصغير جنوبي تافراوت، أوأمّلن، شمال فم الحصن وتمانارت. وتقع إليغ إلى الغرب من أمانوز على بعد أقل من 50 كلم. كانت لشيوخ أمانوز علاقات بالشيخ احماد أوموسى، وقد وصل إليهم القائد المخزني على حاحا في بداية القرن التاسع عشر وهو أغناج قصد إخضاعهم للواجبات المخزنية.

أحمد التوفيق

**امبارك** بن محمد، بن الضو. من مواليد سنة 1914 بدوار أداي فرقة إدْياكُو، قبيلة اصبويا، أيت باعمران، إقليم تيزنيت. انخرط الشهيد المذكور في صفوف جيش التحرير ضمن فرقة السيد العلالي، شارك في عدة معارك ضد العدو.

سقط شهيدا في معركة تسمى (معركة أصدر يوم 23 / 11 / 1957) وترك أولاده الثلاثة وزوجته.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير - الرباط.*

عز الدين العلام

**أمْبِيرْكُو، محمد** اسمه الحقيقي محمد بن الحاج أحمد الدكالي واشتهر عند المطربين بالرباط باسم "حبيبي أمبيركو" ولد سنة 1311 / 1893 وتوفى سنة 1382 / 1962. وكان من حفاظ الطرب الأندلسي ومن العازفين على الرباب. فكان يستحضر معظم نوبات الآلة وموازينها، كما يحفظ الشيء الكثير من الطرب الغرناطي الجزائري والمألوف التونسي. وكان، بالإضافة إلى ذلك، يشتغل بصنع العيدان. شارك في مؤتمر الموسيقى العربية سنة 1932 ضمن الوفد المغربي ومن هنالك جلب قالب العود المصري إلى المغرب. وكان من بين أساتذته في الآلة الحاج عبد السلام بنيوسف وبامحمد گديرة والحاج المختار الأودي وعبد القادر كريش. وترأس مدة طويلة على جوق الطرب الأندلسي بالإذاعة المغربية.

ع. بنمنصور، مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى *الأندلسية*، الرباط 1977 ؛ ص. الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، المحمدية 1977.

**أمْبيركُو، المكي**، اسمه الحقيقي المكي الدكالي وانتماؤه لقبيلة أولاد فرج بدكالة. من أسرة نزحت إلى الرباط منذ أجيال. كان من أنجب الطلبة الذين تخرجوا على كبار علماء مدينة الرباط مثل عبد الرحمان بريطل ومحمد الرندة والمكي البطاوري وأحمد جسوس وأبي شعيب الدكالي فدرس الفقه والكتب الستة في الحديث والتفسير والشفا وألفية ابن مالك والشاطبية في القراءات.

كان يشتغل بالتجارة في الكتب والوراقة والنساخة ويتميز بخطه الجميل ويشتغل أيضا بتجليد الكتب. وبرغم كل مشاغله المهنية، فإنه كان شغوفا بالعلم ويحضر سائر الدروس العلمية التي كانت تلقى بمدينة الرباط. وكان دكانه مقصدا لعدد من الطلاب والعلماء، وإلى جانب كل ذلك كان له شغف خاص بالطرب ويجيد العزف على آلة الكمان. وإليه يرجع الفضل في محاولة نشر بعض نوبات الآلة المقتبسة من مجموع الحايك التطواني. وهكذا نشر في سنة 1353 / 1935 ست نوبات هي رمل الماية والعشاق والإصبهان وغريبة الحسين والرصد ورصد الذيل، وله عدة تقاييد علمية نقلها عن شيوخه. توفي في 12 ربيع الثاني سنة 1353 / 3 يوليوز 1936.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر* ؛ ي. الشامي، *نوبات الآلة*.

محمد زنيبر

**أمبلوسيا** (Ampelusia) نجد هذا المصطلح لأول مرة عند بومبونيوس ميلا (Pomponius Mela) في مؤلفه *De chorographia* الفصل الأول، الفقرة 25 والفصل الثالث الفقرة 107. وأيضا عند بلين الشيخ (Pline l'Ancien) في مؤلفه *التاريخ الطبيعي* (*Histoire Naturelle*) الكتاب الخامس الفقرة 2.

ويعتبر بومبونيوس ميلا التسمية إغريقية، ويقول إن لها مقابلا محليا. لم يورده... لكنه قال إن لكلا التسميتين معنى واحدا (1 : 25).

ويعتقد بومبونيوس ميلا بأن هذا الشناخ (Promontoire) المعروف تحت اسم أمبلوسيا هو الحد الأقصى الذي تبتدئ انطلاقا منه أرض ليبيا ويشكل في نفس الوقت الحد النهائي للمحيط الأطلسي (3 : 107).

ويردد بلين الشيخ نفس الفكرة عندما يعتبر أمبلوسيا الحد الأقصى للمحيط ويرجع بدوره التسمية لأصل إغريقي (2 : 5).

مصدر ميلا السابق الذكر يغفل ذكر التسمية المحلية إلا أننا نجد بمصادر أخرى ومنها مؤلف سطرابون (Strabon) الجغرافية *Geographie*، الكتاب (17 : 3، 2) اسم كوطاييس (Koteis) وعند بطليموس (Ptolemee) في كتابه الجغرافية (4 : 1، 1. طبعة Muller, ص. 572) نجد اسم كوطيس (Kotes)، لنفس الشناخ.

والاسم الإغريقي لهذا الشناخ يعني رأس العنب. والسائد أيضا بين الباحثين المعاصرين أن لكوطيس وكوطاييس نفس المعنى.

وحسب مجموعة من الدراسات فهذا المصطلح الأخير (كوطاييس أو كوطيس هو المصطلح الإفريقي الذي لم يذكره بومبونيوس ميلا، ولكنه حسب مجموعة أخرى مشتق من اللغة الفنيقية. والشناخ المذكور في كل هذه المصادر تتفق الدراسات المعاصرة على أنه يطابق رأس سبارطيل (Cap Spartel).

M. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, M. A. I. B. L, Paris, 1877 ; Pomponius Mela, *De chorographia*, Livre III, éd. C. Frick, Leipzig, 1880 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; J. Ramin, *Le périple d'Hannon*, Bar, supplementary Series 3, 1976 ; Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle*, V, 1-46, Texte établi et traduit par J. Desanges, Belles - Lettres (CUF) Paris, 1980 ; *Encyclopédie Berbère*, S. V. *Ampelusia* IV, 1987, pp. 605-606.

بلكامل البيضاوية وعبد العزيز بل الفايدة

**أمّثار**، نهر ينبع بجبل تيزيران بقبيلة بني خالد الغمارية، وبعد سقيه لأرض القبيلة المذكورة تصب مياهه في البحر المتوسط بالمرسى التي تحمل اسمه.

Ministerio de la Guerra, *Accion de España en Africa*, 1930, p. 55 ; A. Domenech Lafuente, *Geografia de la zona norte del protectorado de España en Marruecos*, 1942, p. 39 et 49 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, 1951 p. 63 et 88.

م. ابن عزوز حكيم

**الأمثال المغربية**، أصبحت الأمثال اليوم - أكثر من أي وقت مضى - من التراث الذي يُهتم في كل بلد بتدوينه، ويُعتنى بتسجيله ويحرص على حفظه كي لا يتعرض للضياع. لا سيما أن الأمثال أصبحت في البيئات الحضرية قليلة الاستعمال. ومما يدعو إلى تقييدها وعدها من الآثار المخلدة في الكتب المجلدة أنها تعتبر مرايا تنعكس عليها فلسفة الشعوب وقوالب تصب فيها حكمة الأجيال، ومن هنا رأينا في عصرنا كثرة معاجم الأمثال ووفرة مجامعها في جميع البلدان وبكل اللغات.

إن الأمثال المستعملة في المغرب هي إما بالعربية المعربة أو العامية وإما بالأمازيغية، وهي أمثال تنحدر من جيل إلى جيل ويرويها الخلف عن السلف وكانت تحفظ في الغالب بواسطة الرواية الشفوية إذ كان الناس قديما لا يجدون حاجة إلى تدوينها، ولا يحسون بضرورة العمل على تسجيلها ولم يكونوا يستسيغونه وقد ينتقدون من يقوم به.

ومن حسن الحظ أن هذه النظرة قد تغيرت اليوم وظهرت مجموعة من المدونات في الأمثال المغربية المسموعة في عدد من المدن والأقاليم المغربية.

أما المحاولات القديمة فمنها محاولة أبي يحيى عبيد الله الزجالي القرطبي الأصل والنشأة المراكشي المهجر والملحد المتوفى سنة 694 هـ فقد جمع هذا الأديب الحسيب حوالي ألفين ومائتي مثل من الأمثال المسموعة في عصر الموحدين. وهو عصر نضجت فيه الوحدة التي قامت أيام

المرابطين بين الأندلس وبلدان المغرب الكبير، وإن كانت لهذه الوحدة جذور تاريخية بعيدة، وكان من نتائجها أن توحدت النظم والتقاليد، وتشابهت السنن والعوائد، وكثرت الرحلات والهجرات بين الأندلس وبلدان المغرب، ولذلك وجدنا في مجموعة الزجالي أمثالاً مشتركة يستشهد بها الناس في مدن الأندلس وحواضر المغرب وما يزال بعضها مسموعاً إلى يومنا هذا.

وقد وجدنا طائفة من هذه الأمثال مستعملة في رسائل كان ابن عباد الرندي (ت. 792 هـ) يوجهها من مدينة سلا إلى بلديِّة المقيم بمدينة فاس يحيى السراج المتوفى سنة 805

وفي مطلع القرن التاسع جمع الفقيه الغرناطي أبو عبد الله محمد ابن عاصم قدراً مهما من الأمثال العامية التي كانت مسموعة في غرناطة ومملكة بني الأحمر وقد دلنا البحث على أن عدداً كبيراً منها كان معروفاً أيضاً في فاس ومملكة بني مرين.

إن هذه المجموعات الثلاث تمثل تطور الاستعمال في الأمثال وتغير صيغها عبر تلك القرون، وهو تغير يكون طفيفاً أحياناً، فالمثل الذي يورده ابن هشام كما يلي :

على قدر كسائك، مد رجليك.

يرويه الزجالي هكذا :

على قياس كسيك،مد رجليك.

ونجده عند ابن عاصم على النحو التالي :

على ساحل كسيك، تمد رجليك.

وفي آخر القرن التاسع الهجري قبيل غروب شمس الإسلام عن الأندلس ألف أبو الحسن علي ابن القفال مجموعة من الأمثال العامية دلت على ظرفه وذكائه، ورحب بها الناس في وقته وقرظها بعض الشعراء من أهل عصره، ولعلها ضاعت فيما ضاع عند سقوط مملكة غرناطة. ونجد هذا التقليد الأندلسي الحضاري الجميل - تقليد جمع الأمثال العامية - يستمر في المغرب بعد ضياع الفردوس المفقود، ونراه في القرن العاشر الهجري عند أبي العباس أحمد بن علي المعروف بالمنجور المتوفى سنة 990 هـ فقد "كان مولعاً بأمثال العامة - خصوصاً عامة الأندلس - يستحسن لغتهم ولكنتهم ويثني عليهم وعلى بلادهم الجزيرة ويستحسنها ويتشوف إليها" ومن المعروف أن هذا الفقيه كان شيخ الجماعة في العصر السعدي.

أما في العصر العلوي فإن أشهر من يذكر إذا ذكرت الأمثال هو أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي (ت 1102 هـ) فكتابه *زهر الأكم* من أهم المعاجم التي ألفت في الأمثال قديماً وحديثاً، وقد سجل فيه شيئاً من "الأمثال الوقتية" وهي أمثال العامة في وقته، ومنها على سبيل المثال :

- امش بالنعلين حتى تجد السباط -

- اترك صاحب الغاسول يسكت -

وذكر في أصله الحكاية التالية : "زعموا أن شخصين اصطحبا في طريق لأحدهما حمل من حديد أو شبهه وللآخر حمل من الغاسول - وهو طين تغسل به الرؤوس - فأصابهما مطر فجعل صاحب الحديد يتوجع ويتخوف على سلعته من البلل فقال له صاحب الغاسول ما ذكر. ومعلوم أن الحديد وشبهه لا يضره البلل شيئاً، وأما الغاسول المذكور فأي شيء من البلل خلص إليه يحلّله ويفسده فيضرٌ به، يقال فيمن يتوجع ويتألم أو يتشكى ويتظلم أو يتأسف ويتندم وثمَّ مَن هو أجدر منه".

فإذا تجاوزنا القرن الحادي عشر - وفيه عاش اليوسي - إلى القرن الثاني عشر فسنجد تأليفاً أدبياً مغربياً يشتمل على طائفة من أمثال العامة، وهو كتاب *المحكم* لأبي مدين الفاسي المتوفى سنة 1181 هـ والأمثال التي أوردها في كتابه مرتبة على حروف المعجم ونقف فيها على أمثال موجودة في مجموعة الزجالي ومجموعة ابن عاصم مع تغيير بسيط مما يدل على سيرورة المثل واستمراريته، ومثال ذلك :

حاجة بقطاع، يهودي يقضيها

ورد هكذا عند الزجالي وابن عاصم أما أبو مدين فقد أورده كما يلي :

حاجة بالدراهم، يهودي يقضيها

حلت الدراهم محل القطاع التي كانت مستعملة في اللهجة الأندلسية وإن ظلت مستعملة عند الفقهاء والموثقين المغاربة ونجدها عند ابن عاشر (ت. 1040 هـ) في متنه المعروف.

ولدينا مجموعة أمثال عامية تنتمي إلى هذا العصر يبدو أنها مصنفة منذ أكثر من قرن على الأقل. وقد امُحى للأسف في الورقة الأخيرة منها اسم مصنفها وتاريخ تصنيفها، وتمتاز هذه المجموعة بأن صاحبها لم يكن له حظ من الطلب، ولذلك فهي صورة طبق الأصل للأمثال المغربية منذ مائة عام أو أزيد ونجد فيها أثراً لا ستمرار أمثال أندلسية قديمة موجودة عند الزجالي كهذا المثل :

عرايس الزهراء واحدة تنسيك أخرى

فقد ذهبت الزهراء وأهلها، وبقي في الناس مثلها. وآخر هذه المجموعات التاريخية من الأمثال العامية هي التي ألفها الأديب الكاتب الغالي بن سليمان وقد أشار إليها في كتابه : *فواصل الجمان* ولكننا لم نقف عليها.

أما في عصرنا هذا فقد دونت مجموعات عديدة في الأمثال المغربية طبع بعضها وما يزال بعضها الآخر مخطوطاً.

هذا بايجاز ما يتعلق بتراثنا من الأمثال الدارجة بالعربية العامية، وأما ما يتعلق بالأمثال الأمازيغية فلا نعرف فيها شيئاً مدوناً في القديم، ولا شك أن عدداً منها تعرَّب بتعرُّب الناطقين بها، ويوجد في مذكرات الأمير الزيري عبد الله بن بلقين دفين أغمات نماذج من هذه الأمثال الأمازيغية المعرَّبة، كهذا المثل :

من ثور حي لا تلبس هراكيس

ونلمح منها شيئاً فيما بقي من مؤلفات البيدق مؤرخ دولة الموحدين كالمثل التالي :

الشارب إذا منع اللبن والماء يتقصص

يبدو من المسلسل الذي سقته باختصار أن لدينا تراثاً طيباً من الأمثال المغربية، ويضاف إليه ما نجده في بعض المؤلفات العامة ككتب البلدان وكتب الفلاحة وأشعار الأزجال والملحون وغيرها، فمما نجده في النوع الأول هذا المثال الوارد في *المسالك والممالك* للبكري على سبيل المثال:

فاس، بلد بلا ناس

وفي *الاستبصار* لمؤلف من عصر الموحدين :

فاس، بلد النساء والأفراس

أما الأمثال الواردة في كتب الفلاحة والتقاويم الفلاحية فهي متعددة، كما أن أزجال ابن قزمان التي قيلت في عصر المرابطين تشتمل على مجموعة من الأمثال التي استعملها ذلك الزجال الكبير.

إن لهذه الأمثال فوائد متعددة :

أولها الفائدة التاريخية والاجتماعية من حيث إنها وثيقة شعبية لها قيمتها في تصوير البيئة الاجتماعية والنفسية للمجتمعات القديمة، وفيها إشارات إلى عدد من عوائد المجتمع المغربي وتقاليده وقيمه.

وثانيها الفائدة اللغوية والأدبية فهي تعرفنا بطبيعة العامية المغربية وتفيدنا في نشأتها وتطورها وتقدم لنا ثروة من المفردات والتراكيب التي لا غنى عنها لدارس اللغات واللهجات.

م. بنشريفة، *أمثال العوام في الأندلس*، جزآن، 1971 ؛ المصادر المذكورة في هذا المرجع.

محمد بنشريفة

**أمْجَاوْ**، لفظ يدل حسب التعبير الأمازيغي الريفي، على ما في معنى الحلق الأكبر، من المؤنث "تمجًا" والاسم معروف بالغرب الجزائري، حوز تلمسان، نسبَ إلى موضعه عدد من الفقهاء والقضاة.

أمجاو فرقة : ينطبق هذا الاسم، من الجانب الاداري المحلي، على إحدى الفرق الأربع المكونة لإطار قبيلة بني سعيد الريفية وتحتل الفرقة جغرافيا الكتلة المرتفعة الممتدة شرق القبيلة، بإطلالها على الساحل المتوسطي من ناحية الشمال، ابتداء من مصب واد گرط شرقاً إلى جون واد "تشوكت"، عند سيدي عبد الجبار. ويحيط بالكتلة من حدودها الشرقية مجرى واد گرط، ومنها فرقة أمجاو على فرقة بني بوغافر القلعية. ويرسم حدود الفرقة من الوجهة الجنوبية امتداد مجرى واد البعاج، الذي يفصلها عن جارتها فرقة "أيت تمايت". تضم فرقة أمجاو 32 مدشراً و 5 جماعات.

أمجاو، قصبة : تأسست بالفرقة قصبة عرفت باسمها في وقت سابق للقرن العاشر الهجري عدها الحسن الوزان من ضمن مدن إقليم گرط، رعياً لموقعها وعدد السكان المجاورين لها. اختير لها موضع على أعلى كدية مشرفة بانحداراتها الشديدة على مجرى واد گرط، اقيمت بين مداشر : إزْعومَنْ، إوَرداَنَنْ، في شمالها، وفي شرقها يوجد القضيا وإحْميداتّن وإشبَّانَنْ، بينما يتوزع في جنوبها مدشر تَفَرْحونْت، تَماسينْتْ ولَعْزيبْ.

أمجاو، إمارة : تكونت بأراضي هذه الفرقة، في بداية القرن العاشر الهجري / 16 الميلادي، بناء على ما أورده الحسن الوزان، شبه إمارة صغيرة مدت سيطرتها على قبيلتي بني سعيد وبني توزين. كان ذلك على يد فارس شاب، ينتمي إلى إحدى الأسر الموحدية المستقرة بالفرقة، لم يذكر الوزان اسمه، وحسب رواية السكان فاسمه حدو الفارس، الذي مازال أحفاده يحملون اسم أولاد حدو الفارس. وكان مبدأ ظهور الإمارة على يد الفارس، استقلالها عن الإشراف الجبائي لمدينة بادس على المنطقة الغربية من الريف الشرقي. هذا مما تمكن منه الفارس المجاوي بمساعدة خمسين فارسا جمعهم من إقليم گرط، وبهم تمكن من الاستيلاء على قصبة أمجاو. وبعد فشل حاكم بادس من فرض طاعته عليه، أقر محمد البرتغالي حكمه على المنطقة، لقاء السهر على حماية ساحل بطوية من القرصنة الإسبانية، مما جعله يحظى بمزيد من الرعاية من طرف الملك الوطاسي ويضع رهن إشارته مائتين من اجود فرسان المنطقة. بقي الفارس حاكم بطوية إلى أن أخبرنا "مارمول كربخال" Marmol Carbajal بتولية عبد الله الغالب لأحد أبناء الفارس مكان والده.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 267 ؛ *كناش قبائل الريف*، 161 مخ. خ.ج. رقم 192 ؛ *قائمة مداشر فرقة أمجاو* (قيادة بني سعيد) ضابط حول تنظيم وسير أعمال اللجن القروية للفرق والجماعات في قبائل المنطقة 95 - 56 نيابة الأمرر الوطنية، تطوان 1953 ؛ ح. الفيگيگي، *بحث ميداني*، 29 مارس 1975.

C. Marmol, *Afrique* 2 : 292.

حسن الفيگيگي

**إمْ - حا - بَنِيم** (أمّ الأطفال) Em - Ha - Banim مؤسسة للتعليم العتيق، أدخلت عليها برامج حديثة. ويرجع إنشاؤها إلى ربي روسي اسمه ر - زيڤ هلبيران استوطن المغرب حوالي عام 1911. وقد سميت هذه المدرسة بإم حا - بنيم لأن الحبر الروسي زيڤ استعطف أمهات الأطفال اليهود لمساعدته على إنشائها بفاس، بعدما لاحظ الفقر الذي باتت تتردى فيه المؤسسات التعليمية اليهودية. فاجتمعت هؤلاء الأمهات، وأكثرهن من أزواج وجهاء المدينة وأعيانها، في شكل تنظيم يسمى "الحبرة" (الطريقة أو الجمعية) وأطلقن على هذا التنظيم اسم "إم - حا - بَنيم" وشرعن يوفرن المال من مواردهن الخاصة ومما كنّ ينفقنه على البيت، لأداء واجبات الانخراط في "الحبرة".

لم يمض إلا قليل من الوقت على ميلاد هذه المؤسسة حتى أخذت تنتشر عبر المغرب، فبعد فاس، نشأت أخوات لها بمكناس وصفرو والدار البيضاء ومدن أخرى، وصار التعليم العتيق الصرف يترك المجال أكثر فأكثر للمواد غير الدينية.

فإذا ما أخذنا مثلاً مدرسة "إم ـ حا ـ بَنيم" بصفرو، في عهد أوج ازدهارها (1956 ـ 1957)، نجد أن عدد تلاميذها كان يومئذ يبلغ 650، إناثاً وذكوراً، موزعين على 12 حجرة، يؤطرهم 15 معلماً في اللغة العبرية، يلقنونهم التوراة ويعلمونهم الصلوات، و"شلهان عدوك"، أي الشريعة الدينية، وغير ذلك. كانت برامج هذه المواد تلقن في نصف النهار، في حين كان النصف الآخر مخصصاً للغة الفرنسية والمواد غير الدينية التي عهد بتدريسها إلى معلمين تابعين للرابطة الإسرائيلية العالمية. وتجدر الإشارة إلى أن أنجب تلاميذ هذه المدارس كانوا يتابعون دراساتهم بمؤسسات تسمى "يشيباه بيت داود" أي المدرسة التلمودية العليا، التي كان يوجد منها ما يقرب من الأربعين.

أما اليوم، فإن مدارس "أسار ـ حا ـ توراة" تواصل التكوين الذي كانت تقوم به مدارس إم ـ حا ـ بَنيم.

ح. الزعفراني، *التربية اليهودية في دار الإسلام*، 1969، ص. 108.

كلود سلطان

**إمْحَـزَانْ**، عائلة شهيرة من فخذة أيت حركات في زايان في بلدة خنيفرة مركز قبائل زايان، كانت فيهم الرآسة تارة لحسابهم الخاص وتارة لحساب المخزن أو لمقاومة التدخل الاستعماري. لقب الواحد منهم : أمحْزون أو أحيزون، ولعل معناه الأعرج. وتذكر الرواية الشفوية أن أوَل تعاملهم المعروف مع المخزن كان في عهد السلطان مولاي إسماعيل (1672 ـ 1727) وكان رئيسهم إذ ذاك موسى بن الحسن بن سعيد بن يعقوب، وحفيده الملقب بأمحزون لأول مرة كان معاصراً لمولاي سليمان (1794 ـ 1822). وكان من أنصار المرابط الثائر بويكر أمهاوش في قتال 1818. وبعد تعامل ولده عقًا مع السلطان عبد الرحمان بن هشام، ثم بعد ذلك تعامل ابنه حمو أعقًا مع السلطان محمد بن عبد الرحمان وهو الذي تغلب على أصحاب خنيفرة فأقام فيها وأخضعها للغرامات.

كان لحمُّو أمحزون أولاد برز منهم سعيد الذي أخضع خلال خمس عشرة سنة جميع الزيانيين الذين يوجدون بين بني مگيلد وإشقيرن وزمور وزعير، ثم خلفه موحى أحمو أمحزون المعروف بالزياني، وقد ولد في منتصف القرن التاسع عشر. وكان وسيما للغاية، كسائر أهله، فارسا عارفا بأساليب القيادة، له من الأولاد خمسة عشر منهم أمهروق، نشؤوا على الفروسية والدهاء السياسي. وقد استعمل السلطان مولاي الحسن عائلة إمحزان لضمان الطاعة والسكينة في كتلة قبيلة شديدة المراس، فأعطى لموحى أحمو ظهيرا سلطانيا بالقيادة على زايان عام 1883 ودعمه بثلاثمائة من العساكر وبالسلاح خاصة، فاستطاع توسيع نفوذه على نطاق واسع، وكان ممن غزاهم وأثرى في نهبهم أيت زگوگو، وإن ظل بعض الزيانيين يناصبونه العداء وعلى رأسهم إشقيرن يعقوب أعيسى الذين هزمهم في ألمسيد، وبالرغم من كون الزايانيين أكثر من ثمانية عشر ألف فارس فإن موحى أحمو توصل حوالي 1885 إلى إخضاع غالبيتهم العظمى. وقد حظي بحفاوة استقبال السلطان له في فاس عام 1886، وأهدى ابنته فطومة للأمير مولاي عبد العزيز وكانت ما تزال طفلة. وقد تدخلت العساكر المخزنية عام 1889 لتطويع أيت سخمان المشاغبين من أطراف منطقة نفوذ الزياني، واقتصت منهم بعمليات في أغباله والقباب وتينتغالين، وترتب عن هذا التدخل نزاع دام عشرين سنة بين موحى أحمو وبين المرابط علي أمهاوش، وكان أسلاف هذا المرابط يباركون رآسة بيت آل أمحزون قبل انحياش أبنائه رسميا لفائدة السلطة المخزنية. وكان أمهاوش في الحقيقة يتقمص إرادة أيت سُخمان وغيرهم من أيت أمالو في معارضة توسيع نفوذ إمحزان.

وبعد موت السلطان مولاي الحسن ظهر من موحى أحمو سلوك استبدادي تجاه المخزن، ولم يعد عساكر السلطان المعينون عنده سوى حراس شخصيين له. وفي سنة 1908 ناصر موحى أحمو السلطان مولاي عبد الحفيظ، وقد تزوج هذا السلطان ابنة الزياني التي كانت قد أهديت لأخيه من قبل. وفي هذه الظروف تكون تحالف جمع قبائل بني مگيلد وأيت سخمان وأيت يوسي وگروان، واستطاعوا كسر حملة مخزنية في الحاجب، واصطدموا بجيوش موحى أحمو في قتال وحشي رهيب بين الإخوة الأشداء، وفي 1909 هزم علي أمهاوش في معركة أزرونايت لحسن فتخلى عن قيادة إمزيناتن من إشقيرن لمصلحة موحى أحمو. و لما تقدم الجيش الفرنسي لغزو الأطلس المتوسط عام 1909 عادت للمتنازعين وحدة الصف، وأعلن موحى أحمو الجهاد ضد التدخل الاستعماري في الشاوية، وتأسس حلف لمنعهم من الدخول إلى الأطلس ضم زايان بقيادة أمحزون، وأيت أمالو بقيادة أمهاوش. وأيت زگوگو بقيادة القائد أگبلي، وكان نفوذ هذا الأخير يشمل مريرت وألماس وأزرو، وقد استطاع إمحزان تحقيق نصر عسكري على الغزاة في معركة لَهْري يوم 13 نوفمبر 1914. ولهري قرية صغيرة قرب خنيفرة قتل من الغزاة فيها أكثر من ثلاثين ضابطا، وبذلك بدأت ملحمة مقاومة الأطلس المتوسط.

إن التحول الاجتماعي الذي ترتب عن استتباب السلطة لموحى أحمو على قبائل زايان كقائد مخزني منذ 1877، لا يختلف عن التحول في القبائل الأخرى التي خضعت في ظروف مماثلة لسلطة القواد المخزنيين الكبار، ومن أبرز مظاهره صعود هؤلاء القواد فوق الأعراف الجاري بها العمل في تلك القبائل ولا سيما القضاء على نظام الحماية والإيواء للأفراد بحسب طقوس خاصة منها تقديم الذبائح، إذ لم يعد هذا النمط يؤدي إلى إقحام الحماة في نزاعات المحميين إلا في حالات نادرة، وحتى في هذه الحالات كان المستفيد حمو القائد الجديد. وقد كان في بيت إمحزان أشخاص حمدت سيرتهم في النظر في المشاكل الداخلية للزايانيين، ومن أشهر هؤلاء أولعايدي الذي كانوا يرشحونه لخلافة عمه موحى أحمو.

وفي خضم الصراع ضد الفرنسيين سقط أبناء إمحزان في فخ التفرقة والنزاع بين موحى أحمّو وأبنائه من جهة وبين ابن أخيه أولعايدي وأبنائه من جهة أخرى، دام هذا النزاع الدموي طيلة عام 1918 واستمر بعد ذلك، وترتب عنه إضعاف المقاومة في الأطلس بقيادة إمحزان، فقد صار موحى أحمّو شيخا يكتفي بمراقبة أبنائه في المعركة وما لبث النزاع أن قام بينه وبين أبنائه أنفسهم، وذات يوم من عام 1921 أصيب برصاصة في رأسه وهو يراقبهم في القتال من مكان مشرف، فمات وكان بعضهم قد جنح إلى الاستسلام حتى استمروا في التولية على زايان بعد غزوهم، وتركوا أيت سخمان وحدهم في المعركة لبضع سنين أخرى.

*وثائق شرقاوة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8، 9 ؛ *مجلة تاريخ المغرب*، العدد 4، السنة 4، 1404 / غشت 1984، الرباط 63 ـ 82 ؛ *رواية شفوية*، *ورقات حول إمحزان في ملكية المالكي الملكي*.

Bulletin de la société de géographie du Maroc ; R. Peyronnet, *Tadla*... 1920, Casablanca ; F. Berger, *Moha ou Hammou le Zaïani : Un royaume berbère contemporain au Maroc (1877-1921)*, Ed. de l'Atlas, Marrakech 1929 ; J. Drouin, *Un cycle oral hagiographique dans le Moyen Atlas marocain*, Imp. nationale Paris 1975.

الملكي المالكي

**أمحْلي**، أسرة تطوانية أصلها من فاس، وكان منها الولي الصالح سيدي أبو جيدة. ثم بعده بنحو قرن استوطن تطوان التاجر عبد الملك أمحلي الذي عاش إلى حدود سنة 1229 / 1814، وهو الذي بنى الحمام والفرن اللذين يحملان حاليا اسم هذه الأسرة بحي الساقية الفوقية والحصارين، وإلى عبد الملك المذكور تنسب زنقة أمْحْلي بتطوان.

وكان لعبد الملك أخ اسمه عبد القادر توفي سنة 1342 / 1923 وبه انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 4، 4 : 107 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2: 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 1 : 94 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* ; M. Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A), *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*, 1949 (A).

**أمَحْلي**، أبو جيدة، مجذوب شهير الولاية في عدة مدن مغربية مثل فاس ومكناس وتازا وتطوان، وذلك لأنه كان مقيما بفاس وعندما يرى قافلة تستعد للخروج منها يعتريه باعث السفر وينادي في الناس من يعطي له ثمن كراء الدابة التي يسافر عليها، وفي إحدى زياراته لتطوان توفي بها سنة 1138 / 1726 وبني على قبره ضريح بزنقة الخرازين يعرف بسيدي بوجيدة، تقام فيه الصلوات الخمس ويتبرك الناس بالدفن في جواره.

م. القادري، *التقاط الدرر*، 2 : 129 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط، 8 : 52 ؛ ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 10، 4 : 106 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 9 : 330، 3 :

M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

**أمْحَوْلو**، محمد بن عبد الرحمان، فقيه أديب شاعر من أهل قرية إسي، تولى منصب الكتابة الأعلى في إليغ على عهد بودميعة، وهو شاعره الخاص، نافح عنه ضد يحيى الحاحي بقصائد طنانة إثر بيعة بودميعة، له ولد يسمى أحمد، وهو شاعر أيضا، وقد خلف والده في ديوان الأمير المذكور. معدود بين المؤلفين السوسيين بمجموعة تضم ما تجاذبه مع يحيى من نثر وشعر.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 9 : 157، 18 : 308 ؛ *سوس العالمة*، 61 ـ 187 ؛ *إليغ قديما وحديثا*، 53 ؛ *رجالات العلم العربي*.

عبد الله درقاوي

**إمدلاون** ← **كنفيسته**

**إمرابْضَن**، من الأصل العربي لكلمة : مرابط، فمنها يصاغ بالأمازيغية أمرابْضْ أو أمْرِيبضْ إفرادا، وإمرابْضَن جمعاً. ويستعمل اللفظ في معنى الرجل الصالح أو المنتسب إلى الشرف. ولذلك عرفت بهذا الاسم عدد من الأسر في منطقة الريف، وبه نعتت مجموعة من المداشر.

ويطلق اسم إمرابضن حاليا على فرقة معروفة بقبيلة بني ورياغل تتألف من خمسة عشر مدشرا، موزعة على المنحدرات الممتدة على طول الضفة اليمنى لواد غيس، ما بين واد "الحد"، رافد غيس، وخندق "أكزاَنْ"، عند حدود فرقتي أيت يوسف وبني بوعياش.

ويعود وجود اسم إمرابضن إلى الأسر المنحدرة من سلالة الشيخ إسحاق بن مطهر الورياغلي، المعروف بالأعرج، والمتوفى عام 683 / 1284. وكان قد انتقل من سبتة وقصد بني ورياغل ونزل بجبل حمام على وادي غيس عند مدشر بني ملوك، ومن هناك تكاثر أفراد أسرته، منهم الشيخ عبد العزيز بن موسى الورياغلي الذي استقر "بأغيل أيرور"، ومن هناك انتشر المرابطون الغلبزوريون. ومن أبناء هذه الأسرة السيد عيسى بن عبد الكريم، صاحب الزاوية المعروفة باسمه، وأبو بكر بن عمر المتوفى عام 1080 / 1669.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 110 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 80 ـ 81 ك *ضابط القبائل لنيابة الأمور الوطنية*، 86.

حسن الفكيكي

**أمراس** ← **المرس**

**الأمـراني**، بيت كبير من الشرفاء العلويين الحسنيين انتقل جدهم الحسن الداخل إلى المغرب قادماً من ينبع بالحجاز في القرن السابع الهجري، واستقر بسجلماسة من بلاد تافيلالت. يتصل الأمرانيون بأبناء عمهم العلويين ملوك المغرب في جدهم علي بن يوسف بن مولاي علي الشريف. فجد العلويين الملوك محمد بن علي بن يوسف بينما جد الأمرانيين محرز بن علي بن يوسف. ونسبة الأمرانيين إلى زاوية الأمراني الشهيرة بسجلماسة التي قال عنها صاحب *الأنوار السنية* : "إن أهلها من الأشراف الأخيار الطيبين النجار، لا تلقى أحداً منهم إلا توسمت فيه

الصلاح، والخير والنجاح". ولهم غير هذه الزاوية مواطن عديدة في تافيلالت مثل دار مولاي الطالب بواد افلي، وقصبتي أولاد عميرة وأولاد رحٍّ بواد الرتب، وتاحسنونت وتوجدْت وترست وأخَنُّوس الصغير. وقد بدأ الأمرانيون يطلعون من تافيلالت منذ أواسط القرن الحادي عشر/17، واستوطنوا الأطلس المتوسط وما بعده من الهضاب والسهول. وربما كان محمد بن عبد الواحد بن العربي بن محرز أول من قدم منهم إلى الأطلس، في صحبة المولى الرشيد بن الشريف حين هرب من أخيه المولى مَحمد ونزلا بالزاوية الدلآئية فأقطعه محمد الحاج الدلائي (1046 - 1079 / 1636 - 1668) إفران. ثم أقره المولى الرشيد على هذا الإقطاع. وظل مستوطنا بإفران إلى ان مات حوالي 1085 / 1674 وبقي أبناؤه مقيمين هناك وانتقل بعضهم إلى المناطق المجاورة، واستقروا في الحاجب وأيت أمَالو وزمور الشلح ومكناس وزرهون وفاس وتازا.

ومن أضرحة الأمرانيين الشهيرة بالأطلس المتوسط والبسائط المتصلة به :

- ضريح الطاهر بن محمد الأمراني في أگوراي.
- ضريح أبي سالم عبد الله بن الطاهر الأمراني بالحاجب في تسگدلت.
- ضريح المدني بن عبد الله بن الطاهر الأمراني بالحاجب وكان بطلا مغواراً تأخرت وفاته إلى العشرة الأولى من القرن الرابع عشر/ أواخر القرن 18 م.
- ضريح محمد بن الطاهر الأمراني بافران.

أحاط الملوك العلويون أبناء عمهم الأمرانيين بكثير من الرعاية والإعزاز، وأصهروا إليهم ببناتهم، وولوهم خططاً سامية مدنية وعسكرية، كما برز من الأمرانيين عدد من العلماء والصلحاء شغلوا حيزاً كبيراً في كتب التراجم المؤلفة في القرون الأربعة الأخيرة.

م. الزكي العلوي، *الشجرة الشماء*، مخطوط ؛ م. العلوي، *الأنوار السنية في نسب من بسجلماسة من الأشراف المحمدية* ؛ أ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ج.1.ع.ابن زيدان، *إتحاف*، 2 ؛ ع.الفاسي، *رياض الجنة*،1.

**الأمراني**، جامع ودرب بفاس، في حومة الأقواس من عدوة الأندلس، ينسبان إلى عمر بن حفيد بن عمر بن عبد الرحمان الأمراني، من أهل الخير والدّين والثروة والجاه كان حياً أواخر القرن الثاني عشر/18. (*الدرر البهية*، 1. 132 - 133).

**الأمراني، العباس** بن بناصر بن عبد السلام الحسني. ولد بمكناس عام 1320 / 2 - 1903 وبها نشأ ودرس، ثم انتقل إلى فارس فأخذ عن أعلام القرويين أمثال عبد الله الفضيلي، وعبد الرحمان بن القروشي، والطايع بن الحاج وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، ومحمد بن العربي العلوي وأضرابهم، فتخرج منها عالما مشاركا عام 1350 / 1932 وعين مدرساً بالقرويين حيث بقي يعمل نحو خمس عشرة سنة، سمي بعدها قاضياً بوجدة فصفرو، تم عاد إلى

التدريس بالقرويين بفاس وبدار الحديث الحسنية بالرباط إلى أن أدركته الوفاة بفاس بعد مرض عضال يوم السبت 27 رمضان عام 1403 / 9 يوليوز 1983.

**الأمراني**، عبد الرحمان بن محمد الملقب بالامام، كان فقيها أصوليا مفتيا زاهدا في الدنيا راغبا فيما يقربه إلى مولاه، عاش في مسقط رأسه بسجلماسة منقطعا لإفادة الطلبة وإرشاد العامة في أمور دينهم ودنياهم. وقد عرض عليه المولى إسماعيل الزواج بابنته فأبى قائلا :"خفت أن تفتنني عن ديني". وكانت وفاته بسجلماسة في تاريخ غير محدد أوائل القرن الثاني عشر/17، ودفن بأرض له هناك حبسها على المساكين قرب ضريح سيدي بوزكري.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 132.

محمد حجي

**الأمراني، عبد السلام**. ينتمي هذا الشريف إلى بيت مخزني عريق، كان أحد قواد الجيش المغربي في العهد العزيزي. ترأس منذ منتصف عام 1902 حملة للقضاء على حركة الروگي الجيلالي الزرهوني المعروف بأبي حمارة، وأعطيت له الأوامر للعمل على استتباب الأمن في المغرب الشرقي، إلا أنه عجز عن إخماد هذه الفتنة. وتذكر المصادر المغربية أن أبا حمارة أحرز انتصارات هامة على قواته، واستولى على جميع ما لديها من الأسلحة والذخيرة وحتى "الجوارى السوداوات اللاتي اصطحبهن القائد العام مولاي عبد السلام الأمراني إلى ساحة القتال، وفر الناجون من القتل إلى فاس، وبدأوا يدخلونها عراة حفاة (*أعلام المغرب*، ج 1 : 313). ويتعين القول أن المخزن العزيزي كان أرسل حملات صغيرة أخرى لمحاربة الروگي بقيادة أخيه محمد الأمراني والأمير عبد الرحمان الملقب بمولاي الكبير.

وحول قيادة القوات العسكرية الموجهة لسحق المتمردين، ذكر المختار السوسي (*المعسول*؛ 20 : 40) أنها لم تكن موحدة، وأضاف على لسان القائد الناجم الخصاصي، وهو من الضباط الذين شاركوا في قمع فتنة أبي حمارة، أن كل واحد من القواد الثلاثة كان يطلق على انفراد في شهر رمضان مدفع الإمساك والإفطار في المحال المجتمعة في مكان واحد إشعاراً بأنه صاحب الأمر والنهي دون صاحبيه.

وتعوزنا المادة التاريخية لرصد تحركات المحلة التي ترأسها القائد عبد السلام الأمراني خلال العهد العزيزي. مع ذلك فإن الوثائق المخزنية تشير إلى أنه تولى قيادة محلة مخزنية أخرى في ربيع 1907 للقبض على أحمد الريسوني الذي رفع راية العصيان بعد عزله عن قيادة قبيلة الفحص في 28 دجنبر 1906. لقد تمكن هذا الثائر من الفرار والتجأ إلى قبيلة بني مصور لدى العياشي الزلال، ثم تابع طريقه إلى بني عروس ليقيم بتازروت، بعد أن تمكن من تأليب بعض القبائل الجبلية على السلطة المركزية، وأخيراً غادر جبل العلم وحل بقبيلة الأخماس.

وفي هذه الأثناء زحفت حملة مولاي عبد السلام الأمراني إلى الأخماس انطلاقاً من قبيلة بني يسف بالقصر الكبير بعد أن استقر الريسوني بزاوية سيدي يوسف التليدي بالأخماس ومعه الضابط الإنجليزي هاري ماكلين أسيرا. لقد تم اعتقاله يوم فاتح يوليوز 1907 بمدشر الغراف بقبيلة أهل سريف ثم اقتيد أسيرا إلى زاوية سيدي يوسف التليدي بالأخماس.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 20 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب*، 11.

*Bulletin du comité de l'Afrique Française*, avec un supplément : Renseignements coloniaux, Paris à partir de 1902 ; W. Harris, *Le Maroc disparu*, Quai d'Orsay. *Documents diplomatiques, Affaires du Maroc* (1901 - 1905).

محمد الأمين البزاز

**الأمراني، عبد الله بن الطاهر** المكني أبا سالم. ولد بيفران وبها نشأ ثم انتقل إلى الحاجب حين أقطعه إياه السلطان المولى سليمان مع أرض أزرو.وكان شيخا صالحاً عابداً ناصري الطريقة أخذها عن الشيخ علي بن يوسف الناصري، وأخذها عن الأمراني عدد من كبار صوفية العصر أمثال العربي بن السائح الشرقاوي الرباطي ومحمد الدباغ بوطربوش وعبد الكبير الفاسي.

وكانت وفاته بالحاجب في منتصف القرن الثالث عشر / 18، وضريحه مشهور بتسگدالت.

أ. الفضيلي،*الدرر البهية*، 129:1 ؛ ع.الفاسي، *رياض الجنة*، 1 : 64 ـ 65.

**الأمراني، عبد الله الكامل** بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الطاهر العلوي الحسني، علامة دراكة فهامة حافظ نحرير، ولد بفاس عام 1260 / 44 ـ 1845 ودرس بها على كبار الشيوخ : عبد الكبير بن الطاهر الفاسي، وأحمد بناني كلا، ومحمد گنون، وأحمد السلوي، ومحمد بن عبد الرحمان العلوي، ومحمد بن عبد الواحد ابن سودة، كما أخذ عن العربي ابن السايح الشرقاوي. وأجازه كما أجازه غيره. وكان ـ كأسلافه ـ ناصري الطريقة، أخذها عن محمد بن أبي بكر الناصري (لا عن أحمد الناصري كما في *الدرر البهية* لأن التاريخ لا يقبله). وقد اصهر إليه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بابنته، ونال لديه حظوة لم ينلها غيره من قرابته.

انقطع عبد الله الكامل للعلم والتعليم، فكان كثير القراءة في أوقات معينة لا يتأخر عنها، دؤوبا على التدريس متفرغا له في فصوله المعهودة بحيث ينقطع أثناءها عن المكلفين بأشغاله، مع حسن السمت والوقار، والتأنق في اللباس، وملازمة أفعال البر. فصل تلميذه عبد الحفيظ الفاسي القول في المواد التي كان يلقنها بالقرويين المشتملة على التفسير والحديث والفقه والسير والعربية، وقال عن طريقته الشيقة في التعليم : "له حفظ عجيب وعارضة قوية في التدريس، ومعرفة بتنظيمه وترتيبه، وتلخيص المسائل وسبكها وتصويرها بأبسط عبارة، مع الإعراب والفصاحة والبلاغة، وذلك مما يزيد تدريسه طلاوة ورونقا. "(*رياض الجنة*، 1 : 77).

له فهرس جامع لمقروءات وإجازات شيوخه، جمعه له تلميذه عبد الحفيظ الفاسي. وكانت وفاته بفاس يوم السبت 20 جمادى الثانية (في *إتحاف المطالع* جمادى الأولى) عام 1321 / 12 شتنبر 1903، ودفن بعرصتهم المجاورة للزاوية الناصرية التي أصبحت بعد ذلك روضة.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 130 ؛ ع.الفاسي، *رياض الجنة*، 77:2 ـ 80 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ مخطوط، *دليل*، 2 : 326 ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

**الأمراني، مبارك** بن محمد العلوي الحسني فقيه وجيه، عالم مشارك، اشتغل مدة بالتدريس، ثم أصبح رئيس المجلس العلمي بالقرويين، وبعد ذلك عين وزيراً للخليفة السلطاني بمراكش، ومات في حادثة سير بين مراكش والدار البيضاء يوم السبت 25 رمضان 1381 / 3 مارس 1962، ودفن بروضة الأشراف بمراكش.

ع.ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

**الأمراني، محمد بن عبد الرحمان** بن محمد بن الطالب الحسني. عالم فلكي مؤلف كتاب *الياقوتة العصماء في معرفة أوقات الصلوات بمنجاة إله الأرض والسموات*. ولعله ابن الشيخ عبد الرحمان بن محمد الملقب بالإمام سابق الترجمة، فتكون وفاته في أواسط القرن الثاني عشر / 17. واظن ان اسم الطالب الجد الثاني للمترجم مصحف عن الطاهر.

م. العلمي؛ *إنهاض الهمم العالية*، مخطوط.

**الأمراني، محمد بن عبد الله** بن الطاهر العلوي الحسني. ولد بيفران أوائل القرن الثالث عشر/ 18، ونشأ بزرهون، ودرس بفاس على كبار شيوخ القرويين، ثم استوطن مدينة مكناس حيث أصهر إليه السلطان المولى سليمان بابنته السيدة أم هاني، فبنى بها بعد أن ولي الملك المولى عبد الرحمان بن هشام، وأنجب منها ثلاثة أبناء عبد السلام، ومحمد، وعبد الله الكامل.

كان المترجم ـ كأبيه ـ ناصري الطريقة، أخذها عن الشيخ أبي بكر بن علي بن يوسف الناصري وغيره، وانتقل إلى فاس عام 1268. وسكن بحومة الطالعة، وأدركته الوفاة

بفاس عام 1275 / 58 ـ 1859. ودفن بالزاوية الناصرية في سويقة ابن صافي.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 129 ـ 130 ؛ ع.ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط؛ ع.الفاسي، *رياض الجنة*، 1 : 65.

محمد حجي

**الأمراني، محمد بن محمد** بن عبد الله بن الطاهر. ولد عام 1249 / 1833، وأمه أم هانيء بنت السلطان المولى سليمان. وقد سماه السلطان مولاي عبد الرحمان محمدا، حسبما جاء في رسالة منه لأمه، مؤرخة ب 23 ربيع الثاني 1249 / 17 غشت 1833.

خرج جد الأمرانيين، محمد بن عبد الواحد من تافيلالت مع المولى الرشيد في القرن السابع عشر، واستقر بالزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط، وفيها درس وتزوج، وظل مستقرا ببلاد زايان إلى وفاته.

ولقد حاز أفراد الأسرة الأمرانية، الذين لعبوا دورا كبيرا داخل المخزن، كمستشارين وكقواد عسكريين بصفة خاصة، احترام ملوك الدولة العلوية وتوقيرهم. وكسبوا ذلك الاحترام نتيجة لمكانتهم أولا، ثم نتيجة لما اتصف به محمد الأمراني وإخوته من استقامة ونزاهة.

ففي عام 1309 / 1891 ـ 1892، أصدر السلطان مولاي الحسن ظهيرا يوصي فيه باحترام وتوقير محمد الأمراني وأخويه، جاء فيه : "أقررنا حملته أبناء عمنا سيدي محمد [....] مولاي محمد الأمراني وشقيقيه مولاي عبد السلام ومولاي الكامل على ما ألفوه من جانبنا العالي بالله وجانب أسلافنا قدسهم الله، من التوقير والتعظيم والاحترام. ومزيد القرب والاحتباء والإكرام، وزدناهم على ذلك توقيرا واحتراما وعناية وتعظيما" (*إتحاف*، 4 : 287).

أعمال محمد الأمراني داخل المخزن : يعتبر محمد الأمراني من شخصيات المخزن التي اتصفت بالحزم والسياسة. وقادت نجدات عديدة، بينت أن الرجل كان يجمع في شخصه بين شجاعة القائد العسكري، ودهاء الحاكم السياسي. وقد كسب هذا التكوين، نتيجة للتجارب والتقلبات التي مر بها داخل المخزن في ظل أربعة سلاطين.

ففي صيف 1311 / 1894، كان محمد الأمراني بصحبة السلطان مولاي الحسن الذي توفي فجأة ببلاد تادلا، ولما رأى محمد الأمراني رجحان كفة الحاجب أحمد بن موسى الذي بايع الابن الأصغر للسلطان مولاي عبد العزيز، انخرط محمد الأمراني في سلك المبايعين ونصح إخوته بالسكوت ومبايعة السلطان الجديد.

كان محمد الأمراني، مقربا من السلطان مولاي الحسن، وحظي لديه بمنزلة رفيعة وعناية خاصة لما زوجه السلطان بأخته، (السيدة أم كلثوم بنت السلطان محمد بن عبد الرحمان). وكان بمثابة المستشار يرافق السلطان خلال حركاته، ويعتمد عليه في الأمور المهمة. فقد كلفه بمهام عديدة لدى القبائل المغربية. كجمع الواجبات المخزنية ومواجهة بعض الانتفاضات، والإصلاح بين القبائل، وتولية القواد. وكان النجاح حليف الرجل، لما تميز به "من حسن السياسة ولطف التدبير".

وفي عهد مولاي عبد العزيز (1896 ـ 1908)، ظلت مكانة الرجل على ما هي عليه. فقد أسندت إليه قيادة الجيوش السلطانية خلال حركة الأخماس بالشمال، وخلال حركة الرحامنة بالجنوب (1313 / 1895 ـ 1896). وخاصة حركة أحمد بن موسى لقبائل الأعشاش بالشاوية سنة 1315 / 1897 ـ 1898. فخلال انتفاضة الرحامنة، نظم الصدر الأعظم أحمد بن موسى حركة عظيمة أسند خلالها قيادة قبائل الحوز ودكالة وعبدة لمحمد الأمراني.

أما خلال حركة الشاوية، فقد كان محمد الأمراني من كبار القواد، إذ تولى قيادة قبائل الغرب. وكان من أكبر مستشاري الوزير الأكبر الذين اشرفوا على حل قضية الأعشاش حلا مرضيا للمخزن. تشهد على ذلك المراسلات العديدة بينه وبين الوزير الصدر. كما تولى حل مسألة هجوم القبائل على مكناس سنة 1902، وأصلح بين كروان وبني مطير ومجاط. (ابن زيدان، *إتحاف*، 6 مخطوط، 278).

أما في عهد مولاي عبد الحفيظ، فقد أدرك محمد الأمراني مكانة مرموقة، وترقى في الوظيف عندما عينه السلطان الجديد خليفة عنه بالدار البيضاء والشاوية وفي الوقت نفسه عينه رئيسا للجنة الدولية لتفويضات الدار البيضاء بعد أن عزل مولاي الأمين بن عبد الرحمان من الوظيفتين المذكورتين.

وقد أبدى محمد الأمراني، خلال مداولات لجنة التفويضات، غيرة وطنية واضحة، في محاولة للدفاع عن المصالح الوطنية أمام تواطؤ ممثلي الدول الاستعمارية الذين كانت لهم الأغلبية في اللجنة المذكورة.

وفي سنة 1911، تولى محمد الأمراني قيادة طرف من جيوش الحماية، خلال الحملة الفرنسية الشهيرة على فاس، وهو الذي تولى مهمة إعادة الهدوء إلى مكناس، التي كان قد بويع فيها مولاي الزين. وبعد تنازل مولاي عبد الحفيظ أقره السلطان مولي يوسف في وظيفه وأضاف إليه عمالة المدينة إلى أن توفي بالدار البيضاء، يوم 14 رمضان 1331 الموافق 17 غشت 1913.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 و4 ؛ *وثائق خ. ح.* بالرباط ؛ *كناش* مخطوط خ. ح رقم 234.

علال الخديمي

**أمرزكان** ← **ورزازات** (إقليم ــ )

**أمرصيد** ← **خنيفرة** (اقليم ــ )

**أمركو**، حصن مرابطي يرتبط اسمه بالجبل الذي بني فوقه، ويقع بضواحي قرية فاس البالي، وبالقرب من ضريح الولي الصالح مولاي بوشتا الخمار، على بعد حوالي خمسين كيلومتراً إلى الشمال الغربي من مدينة فاس.

يعد هذا الحصن من أهم وأشهر البقايا التحصينية

المرابطية، وقد اختيرت لتشييده أعلى نقطة متقدمة من الجبل الكلسي الذي يحمله، وهي بقعة يناهز طولها أربعمائة متر وعرضها مائة متر، بينما يصل علوها إلى خمسمائة متر فوق سطح البحر، وبذلك تتحكم في مراقبة سهل "ورغة" وجميع المنطقة المحاذية مراقبة تامة وشاملة.

يتبين من الدراسات القليلة التي أقيمت في موضوع هذه القلعة أن تاريخ وظيفتها العسكرية لم يعمر طويلا. فإلى جانب كونها لم تظهر في النصوص التي تحكي تاريخ الدولة المرابطية، فإن دورها في الصراعات المرابطية - الموحدية لم يبرز سوى مرتين، كانت أولاها سنة 536 / 1141 - 1142، حيث كانت هي رأس الحربة في استراتيجية محاصرة الجيوش المرابطية المعتصمة بالجبال، وكانت الثانية سنة 540 / 1145 - 1146 عندما لجأ إليها الفارون من دخول عبد المومن بن علي إلى فاس. على أن هذا الاعتصام لم يكن ليدوم طويلا إذ سرعان ما اقتحم فيلق موحدي القلعة ليخرج منها المعتصمين ويقتلهم عن آخرهم عدى عمر بن يينتان الذي نجا من الهلاك اعترافا من الموحدين بإشارة أبيه على الأمير علي بن يوسف بالعفو عن المهدي بن تومرت في بداية أمره بمراكش.

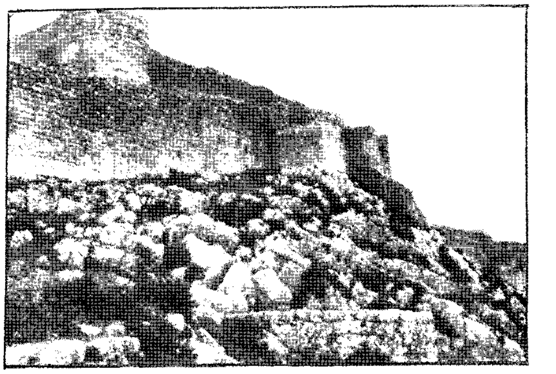

بقايا حصن أمرگو

ومنذ ذلك التاريخ لم يعد لأمرگو ذكر في المصادر اللهم إلاّ ما جاء في *وصف إفريقيا*، وهو كلام يخص القرية التي ظهرت أسفل الجبل دون أي إشارة إلى القلعة. على أن حرب الريف في بداية السنوات العشرين من هذا القرن، أعادت لهذه الأخيرة قليلا من نشاطها الماضي إذ اتخذتها لمدة فرقة من الجيش الفرنسي مركزا لمراقبة ما يحيط بها من الأراضي.

يحتل أمرگو من الناحية المعمارية مساحة طولها 225 مترا وعرضها 62 مترا في أوسع نقطة منه. وقد جاءت جدرانه ملتصقة بجوانب الجبل لكي تستفيد من الانحدارات التي تحيط بالمنبسط الأعلى. وبذلك نجد شكل البناء العام متعدد الزوايا، وقطر الأبراج مختلفا باختلاف اتساع النقط التي بنيت فوقها. عدد هذه الأبراج اثنا عشر برجا احتلت أغلبها نقط تغيير اتجاه الجدران وذلك للتحكم في الدفاع عن أطراف هذه الجدران بكيفية فعالة.

مجموع البناية مشيد بالحجارة المتوسطة الحجم المنتظمة في طبقات محكمة، يجمع بينها لياط من جير ورمل جيد "وليس في أي جهة من البناية وجود للطابية كما هو الحال بقلعة تاسغيموت أو غيرها من قلاع القرن الثاني عشر" (H.Terrasse, *La forteresse almoravide d'Amergo*, p. 395). أما سمك السور الخارجي فيختلف حسب الأماكن ليتراوح ما بين 1,35 متر و1,45 متر، بينما نجده يتراوح ما بين متر و1,40 متر في جدران الأبراج. وهذا الاختلاف في السمك مرتبط بطوبوغرافية المكان أي بقوة أو ضعف انحدار جوانب الجبل ومناعتها الطبيعية.

ما تبقى من أبواب الحصن يوحي بأن مداخيله كانت أبوابا مستقيمة، وأن المدخل الرئيسي الواقع في الجدار الغربي والذي لا شيء يميزه أو يبرز وجوده فوق الجدار (مثلا البرجان العاديان الواقعان من كل جانب في أبواب القرن الثاني عشر) يفتح على قاعة مستطيلة من جهة الشمال الغربي وعلى أخرى مربعة من جهة الجنوب الشرقي. وقياسا بما هو معروف في التحصينات المرابطية، يرجح أن يكون موقع الدرج الذي يؤدي إلى أعلى السور بإحدى هاتين القاعتين.

في وسط القلعة نظم تحصين ثان مستطيل الشكل معزز ببرجين آخرين، ويحيط بساحة داخلية فسيحة أقيمت في زاويتها الشمالية بناية من المرجح أن تكون هي مسكن القائد ؛ وقد عثر في أرضية بعض حجراتها على فتحات توحي بوجود مخازن للمؤن. أما خزان الماء الذي كانت تجمع فيه مياه الأمطار فتم حفره في القسم الجنوبي - الشرقي من الساحة الكبرى.

وإذا كانت العناصر المعمارية لقلعة أمرگو مرابطية في صلبها فإن كثيرا من هذه العناصر يميزها عن غيرها من التحصينات الصنهاجية ومن التحصينات الأندلسية - المغربية كما هي معروفة إلى اليوم. من ذلك استعمالها للبرج الدائري وحده دون غيره، واحتواؤها لمحرز يتوسطها ويحيط به سور وقائي ثان، ثم وجود جدار وقائي متقدم معزز كذلك ببرجين من جهة المدخل الشرقي وهي أضعف نقطة في القلعة.

يرى هنري طيراس أن كل هذه العناصر فيها تأثيرات أوربية استقاها المرابطون من نماذج القلاع المسيحية، وربما كان بناؤو أمرگو مسيحيين فعلا، بحكم تسخير المرابطين لكثير من المرتزقة المسيحيين في أغراض مختلفة من أغراض دولتهم وفي الشؤون العسكرية على وجه الخصوص. وإذا كانت هذه الاستخلاصات مقبولة في تفسيراتها فإن القول بها يستدعي دراسة أدق وأوضح ليتبين مقدار الحقيقة فيها مما هو من قبيل الحكم المسبق.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، 53 - 62 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 308.

Oudinot et Saladin, *Note sur Beni Tende, Mergo, Tansor et Angla*, Bulletin Archéologique, 1916, p. 118 s. ; E. Levi-Provençal, *Les ruines almoravides du pays de l'Ouergha*, Bulletin Archéologique, 1918, p. 194 s. ; H. Terrasse, *La forteresse almoravide d'Amergo*, Al-Andalus, XVIII, 1953, p. 389 s. ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954, p. 219 ; Encyclopédie Berbère, IV, Aix-en-Provence, 1987, p. 589.

عبد العزيز توري

أتاي : مغروس تحت البلوط الفليني بالعرائش

انظر صفحة 105

أتيل : (طاطا)

انظر صفحة 133

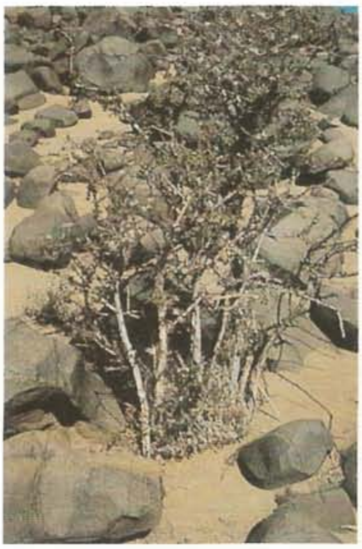

أتيل : في تيسينت

انظر صفحة 133

إجاص : المعمورة

انظر صفحة 138

أذمام

انظر صفحة 301

أذميم : غابة اركان

انظر صفحة 301

أرز : غابة تدغين بالريف

انظر صفحة 308

أرز : غابة اجدير (خنيفرة)

انظر صفحة 308

أرز أوراق

انظر صفحة 308

أرز : خشب

انظر صفحة 308

أرگان : غابة قرب تمنار

انظر صفحة 322

أرگان : شجرة ضخمة

انظر صفحة 322

أرگان أوراق و ثمار انظر صفحة 322

أرگان : قشرة انظر صفحة 322

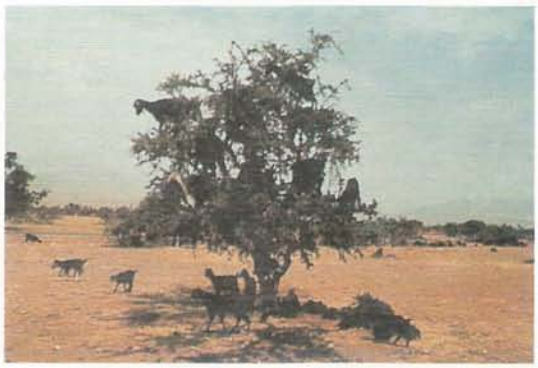

أرگان : ماعز فوق شجر الارگان انظر صفحة 322

أرگان : تهيء زيت ارگان بسهل سوس انظر صفحة 323

أرگان : تهيء زيت أرگان انظر صفحة 323

أروكاريا : كشبان الجديدة انظر صفحة 328

أزمور : غابة قرب ضريح صالح
انظر صفحة 347

أزگار : باقة من أزگار وسطها بطم
انظر صفحة 346

أزمور : بقايا من غابة أزمور بفضل وجود ضريح صالح
انظر صفحة 347

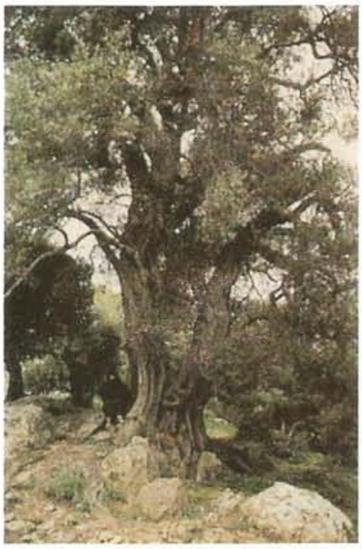

أزمور : شجرة ضخمة
انظر صفحة 347

أزوكا : غابة تمنار
انظر صفحة 367

أزوكا : غابة اوريكا
انظر صفحة 367

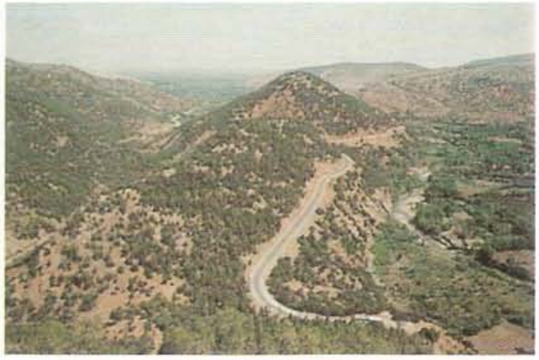

ازوكا :أوراق و ثمار انظر صفحة 367

أزوكني : جنيبات انظر صفحة 368

ازوكين : زعيترة (تارودانت) انظر صفحة 368

أزير : أوراق و أزدهار انظر صفحة 369

أزير : تقطير أزير انظر صفحة 369

أشنة انظر صفحة 471

ابن آروى انظر صفحة 73

أرنب انظر صفحة 326

أسد انظر صفحة 403

أسد انظر صفحة 403

إناء من فخار في موقع أشقار انظر صفحة 468

إناء خزفي آخر من موقع أشقار انظر صفحة 468

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

3

من إنتاج

الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر

دار الأمان - الرباط

الطبعة الأولى / 1410 هـ - 1989م
الطبعة الثانية / 1435 هـ - 2014م

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984/629



ردمك 7-000-03-9981 (المجموعة)

**دار الأمان - الرباط**

المملكة المغربية - 4، زنقة المأمونية - الرباط
هاتف: 87 37 26 37 5 212+ / 76 32 72 37 5 212+
فاكس: 55 00 20 37 5 212+
بريد الكتروني : libdarelamane@yahoo.fr

المغرب الأقصى

بسم الله الرحمن الرحيم

# معلمة المغرب

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ . | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.


نشكر الزملاء الأساتذة، والمؤسسات التالية على ما قدموا للمعلمة من صور ورسوم :

- الخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
- الخزانة العلمية الصبيحية، سلا
- خزانة الأستاذ محمد ابن عزوز حكيم، تطوان
- مديرية التراث بوزارة الشؤون الثقافية، الرباط
- قسم الخرائطية بوزارة الفلاحة، الرباط
- المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير، الرباط

كما نشكر الأستاذ عبد الرحمان الفلاذي الذي رسم الخرائط.

# إشارات

نرجع في هذه الإشارات إلى مسائل منهجية سبق أن تعرضنا إلى بعضها في تقديم الجزء الأول من *معلمة المغرب*، وذلك على ضوء التجربة والمستجدات التي تبلورت أثناء ممارسة تحرير مواد حرف الباء. فقد سرنا فيما يتعلق بمداخل الأعلام البشرية - كذي قبل - على اعتبار اسم الشهرة بدلاً من الاسم الشخصي، إلا فيما يخص الرؤساء وذوي الحيثيات المدنية والعسكرية الذين اشتهروا بأسمائهم أكثر مما عرفوا بأنسابهم وألقابهم. كما سرنا في الأسماء المضافة على إهمال كلماتها الأولى التي يكثر ورودها مثل "ابن" و"أبي"، وإدراجها في حروف بداية الكلمات التالية المضاف إليها، غير أن صعوبات شكلية استوقفتنا طويلا واقتضت منا كثيراً التشاور وتقليب وجهات النظر قبل البت فيها مع شيء من التجاوز أو التعسف.

أولاها أسماء الشهرة التي امتزج فيها "ابن" بالكلمة المضاف إليها في العقود الأخيرة، فلزم عن تطور بنيات هذه الأسماء تغيير ترتيبها، وبالتالي حدوث ازدواجية فيها قد تريك الباحث عنها في مظانّها بالمعلمة. وقر الرأي على التمييز بين الأسماء التاريخية التي اشتهرت كتابتها مفصولة في الحوليات وكتب التراجم لتبقى في *المعلمة* مفصولة كذلك مثل ابن **جلون**، ابن **الحسني**، ابن **سودة**، ابن **شقرون**، ابن **عبود**، ابن **كيران**، ابن **موسى** ولو أن بعضهم يكتبها اليوم بنجلون، بلحسني، بنسودة، بنشقرون، بنعبود، بنكيران، بنموسى ؛ وبين الأسماء المستحدثة أو التي ترد في المصادر المكتوبة منفصلة تارة ومتصلة أخرى فتندرج في *المعلمة* ممزوجة وترتب في الباء، مثل **برّشيد** (ابن رشيد)، **بلگناوي** (ابن الأگناوي أو ابن الجنوي)، **بلهاشمي** (ابن الهاشمي). وكذلك فعلنا مع أسماء الشهرة التي امتزج معها "أبو" : كتبناها مفصولة على نحو ما هي عليه في المصادر مثل أبي **شعيب** السارية (بدلاً من مولاي بوشعيب) و أبي **العباس** السبتي (بدلاً من سيدي بلعباس). وأدرجنا الأخرى في حرف الباء على صورتها التركيبية المزجية، أمثال سيدي **بنور** وسيدي **بوزيد**، ومولاي **بوعزة**، وأسرة **بوعشرين**.

ثانيتها أسماء الأماكن المبدوءة بكلمة "ابن" المنطوق بها "بن" - بدون همز - التي يتعذر التعرف عليها في غير الباء، وقد استثنيناها من قاعدة إلغاء "ابن" ورتبناها في الباء بعد أن كتبناها كما تنطق : **بن سليمان**، **بن گرير**، **بن قريش**، **بن مسيك**.

ثالثها : كلمة "بني" التي تسبق أسماء بعض القبائل، فتكتب عارية عن عوامل الإعراب بالياء تارة وبالواو أخرى. وإذا أمكن أن يفهم من استقراء مصادر تاريخ المغرب أن "بني" تعني في الغالب القبائل الأمازيغية مثل بني **سادّن**، بني **مرين**، بني **مطير**، بني **يفرن**، في حين تُطلق "بنو" على القبائل العربية، مثل بنو **جشم**، بنو **سليم**، بنو **معقل**، بنو **هلال**، فإننا بعد القيام بعملية الجرد وجدنا أنفسنا في متاهة البحث عن أصول هذه القبائل المتشابكة، علماً بأن كثيراً من قبائل المغرب الشلحية تعربت، والعربية تشلحت أو امتزجت، لا سيما في الريف والأطلس الصغير وما وراءه فضلاً عن السهول والهضاب. لذلك وحدنا مدخلها بالياء تيسيراً للاطلاع ، واعتباراً لكونها في الغالب على تقدير مضاف أو حرف جر.

وسيراً مع ما اصطلح عليه المهتمون بمداخل الأعلام العربية في الكومبيوتر من عدم اعتبار تضعيف الحرف الأول من الكلمة، اعتبرنا في *المعلمة* الأسماء الأعجمية المبدوأة بحرف P كأنها باء واحدة ولو أننا وضعنا عليها علامة "الشدة". وكتبنا الجيم المعقودة "گ" واعتبرنا في الترتيب كافاً رعياً لصورتها، كما اعتبرنا لذلك أيضاً الهمزة المكتوبة على الواو واواً، وعلى الياء ياءً، حسب اصطلاح الببليوغرافيين.

وفيما يخص تقنية التصفيف الإليكتروني أمكننا، ابتداء من الباء، أن نميز في كتابة مداخل المواد بين ما هو معتبر في الترتيب وما هو مهمل من حروف وكلمات، فنرسم "ال" و"بن" مثلا بحروف عادية لتبقى الكلمة أو الكلمات المعتبرة في الترتيب مجردة بارزة متميزة (مثلا : ال**بعقيلي**، ال**حسن** بن محمد). ولنفس السبب أخرنا الكلمات المضافة الملغاة وكتبناها بين قوسين بعد كلمات المدخل، مثل **باها** (أيت ـ)، ال**برهان** (جزيرة ـ)، ال**بيضاء** (جامع ـ)، إلا إذا كانت جزءاً من الاسم المركب تركيباً إضافياً مثل أبو **بكر**.

وقد سمحنا لأنفسنا، ونحن مازلنا في البدايات، بإدخال هذه التعديلات الطفيفة على الخطة المرسومة رغبة في مسايرة قواعد الفهرسة والتصنيف في المعاجم والموسوعات العربية التي تستخدم الحاسوب الإلكتروني، والاستفادة من مستجدات آلات الطباعة الحديثة المتطورة باستمرار.

الرباط، في فاتح رجب عام 1411 / 17 يناير 1991

# المشاركون في تحرير مواد حرف الهمزة

ميلود **أحمنّ**، كلية الآداب، مراكش
محمد **أديوان**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **أربيب**، وزارة التربية الوطنية
شفيق **أرفاك**، باحث، الرباط
محمد **أزهار**، كلية الآداب، المحمدية
أ. ح. **أُسادّن**، طبيب، فاس
سعيد **أعراب**، المعهد الأصلي، تطوان
الحسين **أفا**، كلية الآداب، أگادير
عمر **أفا**، كلية الآداب، الرباط
الحسين **أقيوح**، مهندس، الرباط
عبد العزيز **أگرير**، كلية الآداب، بني ملال
عبد اللطيف **أكنوش**، كلية الحقوق، الدار البيضاء
محمد **ألحيان**، المركز الوطني لتنسيق البحث العلمي، الرباط
إبراهيم **ألوزاد**، كلية الآداب، فاس
علي **أمهان**، وزارة الشؤون الثقافية
حسن **أميلي**، كلية الآداب، المحمدية
حمدي **أُنوش**، كلية الآداب، أگادير
محمد **أوجامع**، كلية الآداب، مراكش
مبارك **أوسديد**، كلية الآداب، الرباط
عبد الحميد محيي الدين **الباعمراني**، كلية اللغة العربية، مراكش
محمد **البايك**، كلية اللغة العربية، مراكش
ثريا **برادة**، كلية الآداب، القنيطرة
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب، المحمدية
سعيد **برّقاد**، مهندس بمكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية
محمد **بريان**، كلية الآداب، الرباط
عبد اللطيف **البرينسي**، كلية الآداب، بني ملال
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب، الرباط
الحسين **البعاوي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **البقالي يدري**، باحث
عبد السلام **البكاري**، باحث
أحمد **بلاوي**، كلية الآداب، مراكش
محمد **بلعربي**، باحث، الرباط
عائشة **البلغيتي العلوي**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **بل القايدة**، كلية الآداب، القنيطرة
البضاوية **بلكامل**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد الأمين **بلگناوي**، باحث، الرباط

محمد **بنبراهيم**، كلية الآداب، وجدة
أحمد **بنجلون**، باحث، الرباط
ماجدة **بنحربيط علمي**، كلية الآداب، بني ملال
الحسن **بنحليمة**، كلية الآداب، أگادير
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب، المحمدية
عبد اللطيف **بنشريفة**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بنشريفة**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد العزيز **بنعبد الله**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد المجيد **بنعبد الله**، مهندس بوزارة الفلاحة
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين، سلا
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب، بني ملال
عمر **بنميرة**، كلية الآداب، الرباط
عثمان **بناني**، كلية الآداب، الرباط
لطيفة **بناني سميرس**، كلية الآداب، فاس
عبد المجيد **بنيوسف**، الخزانة العامة، الرباط
أحمد **بوجداد**، وزارة الشؤون الإدارية
الزبير **بوحجار**، باحث
أحمد **بوحسن**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بوخبزة**، قسم المخطوطات في خزانة تطوان
فاطمة **بوخريص**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **بُودّة**، مهندس، الرباط
عبد القادر **بوراس**، وزارة التربية الوطنية
رحمة **بورقية**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب، فاس
عبد القادر **بوسحابة**، مهندس، الرباط
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب، المحمدية
مصطفى **بوشعراء**، مديرية الوثائق الملكية، الرباط
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب، الرباط
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب، مكناس
عبد العزيز **بوعصاب**، المركز التربوي، القنيطرة
العربي **بوعياد**، باحث، الرباط
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **بومزگو**، باحث
جامع **بيضا**، كلية الآداب، الرباط
أحمد شوقي **بينبين**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **التمسماني خلوق**، كلية الآداب، الرباط

محمد **تميم**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة الرباط
عبد العزيز **توري**، مديرية التراث بوزارة الثقافة
أحمد **التوفيق**، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط
عبد القادر **تيمول**، باحث، الرباط
محمد **جادة**، خزانة كلية الآداب، الرباط
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية، مراكش
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية، الرباط
محمد أيت **الحاج**، وزارة التربية الوطنية
جعفر ابن **الحاج السلمي**، كلية الآداب، تطوان
حسن **الحافظي**، باحث
محمد **حجي**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب، وجدة
فاطمة **الحراق**، كلية الآداب، الرباط
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب، الرباط
حمادي **حضيكي**، مهندس بمفاحم المغرب
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب، فاس
محمد **حمام**، كلية الآداب، الرباط
محمد أيت **حمزة**، كلية الآداب، الرباط
محمد **حنداين**، باحث
علال **الخديمي**، كلية الآداب، الرباط
سعيد **خليل**، كلية الآداب، أكادير
عبد العزيز **الخمليشي**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **الخنبوبي**، باحث، بوردو
إسماعيل **خياطي**، كلية الآداب، الجديدة
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم، الرباط
مارية **دادي**، كلية الآداب، وجدة
محمد **دحماني**، كلية الآداب، وجدة
عبد الله **درقاوي**، مركز تكوين المفتشين، الرباط
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب، مراكش
عبد الرحمان **رحو**، كلية الآداب، فاس
محمد **رحو**، كلية الآداب، فاس
حسن **رحيوي**، مهندس بمفاحم المغرب
محمد **رزوق**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
مبارك **رضوان**، كلية الآداب، أكادير
محمد **الرقاص**، كلية الآداب، الرباط
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي، الرباط
محمد **زرهوني**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
محمد **زكور**، كلية علوم التربية، الرباط
محمد **زنيبر**، كلية الآداب، الرباط
قاسم **الزهيري**، باحث، الرباط
عبد النبي **زين العابدين**، باحث
عبد الله **ساعف**، كلية الحقوق، الرباط
رشيد **السلامي**، كلية الآداب، مراكش
عبد اللطيف **الشاذلي**، عمادة جامعة مولى إسماعيل، مكناس
أحمد **الشرقاوي إقبال**، باحث، مراكش
أحمد **الشرقي**، باحث، مراكش
محمد **شقرون**، كلية الآداب، الرباط

محمد **الشياظمي**، باحث، الرباط
فاطمة الزهراء **الصبيحي - العلوي**، متحف الآثار، الرباط
عبد الحق **الصدق**، كلية الآداب، وجدة
علي **صدقي أزيكو**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرزاق **الصديقي**، كلية الآداب، المحمدية
خالد بن **الصغير**، المدرسة العليا للأساتذة، الرباط
محمد **طوزي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد حجاج **الطويل**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **الطيلسان**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **الطيبي**، باحث
عبد العزيز بن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة
محمد بن **عبود**، كلية الآداب، تطوان
عبد الفتاح أبو **العز**، كلية الآداب، بني ملال
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث، الرباط
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب، الرباط
عز الدين **العلام**، المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير
إسماعيل **العلوي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **العلوي الأونوسي**، وزارة التربية الوطنية
هاشم **العلوي القاسمي**، كلية الآداب، فاس
أحمد **عمالك**، كلية الآداب، مراكش
صفية **العمراني**، كلية الآداب، مراكش
أحمد **العماري**، كلية الآداب، فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **الغزالي**، كلية الآداب، فاس
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب، القنيطرة
حليمة **فرحات**، كلية الآداب، الرباط
عبد اللطيف **فضل الله**، كلية الآداب، الرباط
حسن **الفكيكي**، كلية الآداب، القنيطرة
مصطفى **فنيتر**، باحث
خالد **القادري**، وزارة المالية
عبد الرحمن **القادري**، كلية الحقوق، الرباط
محمد مصطفى **القباج**، أكاديمية المملكة المغربية
محمد **القبلي**، عمادة جامعة عبد الملك السعدي، تطوان
عبد المجيد **قدوري**، كلية الآداب، الرباط
محمد **كربوط**، كلية الآداب، الرباط
علي **كريمي**، كلية الحقوق، الرباط
عبد القادر **كعيوا**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
محمد حسن **كفناني**، باحث
العربي **كنينح**، المدرسة العليا للأساتذة، فاس
محمد **الكير**، وزارة التربية الوطنية
ميشال **لافون**، باحث
حسن **اللبادي**، باحث
محمد **لبحر**، كلية الآداب، فاس
محمد **اللحية**، كلية الآداب، أكادير
عبد الرحمن **لخصاصي**، باحث
أحمد أمزال **لعسري**، باحث
علي **لغزيوي**، كلية الآداب، فاس

أحمد **لقمهري**، كلية الآداب، الرباط
رامون **لوريدو**، باحث، طنجة
سيمون **ليفي**، كلية الآداب، الرباط
حسن **ليمان**، باحث
محمد **المازوني**، كلية الآداب، أگادير
محمد **ماگامان**، كلية الآداب، مراكش
الملكي **المالكي**، وزارة التربية الوطنية
أحمد **متفكر**، باحث، مراكش
الحسين **المجاهد**، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط
محمد **مجدوب**، كلية الآداب، المحمدية
الحسن **المحداد**، كلية الآداب، أگادير
علي **المحمدي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **مرزاق**، وزارة التربية الوطنية
العربي **مزين**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **مزين**، كلية الآداب، فاس
أحمد **مزيان**، كلية الآداب، فاس
محمد **مستاوي**، باحث، الرباط
محمد العربي **المساري**، سفير المغرب في البرازيل
عبد الله **المصلوت**، مديرية التعليم العالي، الرباط
محمد **مطيع**، كلية الآداب، مراكش
آمنة **معطى الله**، وزارة التربية الوطنية
محمد **مغراوي**، كلية الآداب، أگادير
محمد **مفتاح**، كلية الآداب، الرباط
محمد **مقدون**، كلية الآداب، فاس
محمد **الملحاوي**، باحث
عبد الرحمان **الملحوني**، باحث، مراكش
محمد **المنصور**، كلية الآداب، الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب، الرباط
محمد **منيوي**، المعهد العلمي، الرباط
جواد **المهدي**، باحث، الرباط
عبد الرزاق **مولاي رشيد**، كلية الحقوق، الرباط
المصطفى **مولاي رشيد**، كلية الآداب، الرباط
شاكر **الميلود**، باحث
محمد **الناجي**، باحث
مصطفى **ناعمي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب، الرباط
زهراء **النظام**، كلية الآداب، الرباط
محمد الحبيب **نوحي**، كلية الآداب، أگادير
عبد الجليل **الهجراوي**، متحف الآثار، الرباط
المختار **الهراس**، كلية الآداب، الرباط
عثمان **هناكا**، كلية الآداب، أگادير
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب، مراكش
علي **واحدي**، كلية الآداب، فاس
أحمد **الوارث**، باحث
عبد الرحيم **وطفة**، باحث
مصطفى **يعرف**، باحث
سالم **يفوت**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **اليوبي**، كلية الآداب، بني ملال

# أهم المصادر والمراجع المحال عليها مع اختصاراتها

ـ ملحق (1) ـ


الشريف **الإدريسي**،

ـ *نزهة المشتاق في اختراق الافاق* ـ بيروت، 1989، 2 ج. *(نزهة المشتاق)*

محمد ابن عبد العظيم **الأزموري**،

ـ *تقييد في بعض شرفاء المغرب*، مخطوط، خ ع، د 1595. *(تقييد)*

محمد الشرقي بن محمد **الاسحاقي**،

ـ *رحلة*، مخطوط خ. ق 258.

دوكلاس اي. **أشفورد**،

ـ *التطورات السياسية في المملكة المغربية*، تر. عائدة كاف وأبو حكمة، مراجعة عبد الهادي بوطالب ـ بيروت، 1963. *(التطورات السياسية)*

ا. **الإصطخري**،

ـ *المسالك والممالك*، ط. دي خوي ـ لندن، 1870.

سعيد **أعراب**،

ـ *ظهائر سلطانية*، دعوة الحق، س 13، ع 6 ـ 7، 1970 ؛ ع 268، 1988.

ـ *القراء والقراءات بالمغرب* ـ بيروت، 1990.

أ. **أفوقاي** الحجري،

ـ *العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع*، مخطوط، خ ع. *(العز والمنافع)*

الحسين **أقيوح**،

ـ *النشاط المعدني بإقليم ورزازات* : نموذج منجم بليدة. بحث لنيل الإجازة : مراكش : 1987. *(النشاط المعدني)*

محمد **أكنسوس**،

ـ *الجيش العرمرم الخماسي* ـ فاس، ط. حجرية. *(الجيش)*

ـ *حسام الانتصار في وزارة بني العشرين الانصار*، مخطوط. *(حسام الانتصار)*

أحمد **أمين**،

ـ *قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية*، القاهرة، 1953. *(قاموس العادات)*

داوود بن عمر **الانطاكي**،

ـ *تذكرة أولى الالباب الجامع للعجب العجاب* ـ القاهرة، 1309 هـ. *(تذكرة الأنطاكي)*

**الأوروبي**،

- *مناقب أبي يعقوب*، مخطوط خاص.

محمد **الباشا**،

- *العيطة الشعبية*، الفنون، ع 5 ـ 6، يبراير ـ مارس 1975.

محمد أمين **البزاز**،

- *المجلس الصحي الدولي بالمغرب 1792، 1929*. د.د.ع : تاريخ : الرباط، 1980.

*(المجلس الصحي)*

ع . **البطوئي**،

- *مطلب الفوز والفلاح*، مخطوط، خ. ح، 1667. *(مطلب الفوز)*

عبد السلام **البكاري**،

- *الإشارة والبشارة في تاريخ وأعلام بني مسارة*، الدار البيضاء، 1984. *(الإشارة والبشارة)*

نادية **بلحاج**،

- *التطبيب والسحر بالمغرب*، الدار البيضاء، 1986.

أحمد **البلوي**،

- *العطاء الجزيل*، مخطوط، خ ح 6148.

خالد بن أحمد **البلوي**،

- *تاج المفرق في تحلية علما المشرق*، ت. الحسن السائح ـ الرباط، 1977 ـ 1978. 2ج. *(تاج المفرق)*

عبد العزيز **بنعبد الله**،

- *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق* ـ سلا، 1990. *(سلا أولى)*

أ. ابن **البنا** المركشي،

- *الروض المريع في صناعة البديع*، ت. رضوان بن شقرون، الدار البيضاء، 1985.

*(الروض المريع)*

أحمد **بناني**،

- *كناشة*، مخطوط، خ ص سلا رقم 373.

عبد القادر **بناني**،

- *تلخيص ما عليه المعول من أخبار من بالمغرب من الدول*، مخطوط، خ ح 1027.

*(تلخيص بناني)*

عبد الكريم **بناني**،

- *تحفة الفضلاء الاعلام بالتعريف بالشيخ محمد البناني ابن عبد السلام*، مخطوط. *(تحفة الفضلاء)*

علي البوجمعاوي،

- *مناقب*، مخطوط.

ع. بوخزار،

- *تقييد عن أعلام قبيلة بني سلمان*، مخطوط. (تقييد عن أعلام)

أحمد البوزيدي،

- *التاريخ الاجتماعي لدرعة*، د.د.ع : التاريخ : الرباط، 1988.

محمد البوزيدي،

- *الآداب المرضية*، مخطوط، خ ع.

- *مجموعة رسائل*، مخطوط، خ. ت.

مصطفى بوشعراء،

- *السفارات المغربية في القرن 19* - مجلة *دار النيابة*، 3، 1984. *(السفارات المغربية)*

محمد بن سعيد البوصيري،

- *ديوان شعر*، ت. سيد كيلاني - القاهرة، 1955.

بوشتى بوعسرية،

- *أحداث بوفكران*، الرباط، 1990.

- *علاقات مكناس ببواديها، 1907، 1918* - مجلة *دار النيابة*، ع 21، 1989.

الحسن بن الطيب بن اليمني بوعشرين،

- *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، مخطوط. *(التنبيه المعرب)*

أحمد بوكاري،

- *الزاوية الشرقاوية*، الدار البيضاء، 1985 - 1989، 2 ج.

الحسن البونعماني،

- ترجمة *شيخ الاسلام : محمد بن مسعود البونعماني*، جريدة *السعادة*، 11 غشت 1938. *(ترجمة البونعماني)*

الطيب بنونة،

- *نضالنا القومي*، طنجة، 1980.

العربي بنونة،

- *لحن نشيد حزب الاستقلال* : مغربنا وطننا - *العلم*، 6 يونيو 1990.

أحمد بن علي البوني،

- *منبع أصول الحكمة*، مصر.

أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن البيطار،

- *الجامع لمفردات الأدوية والأغذية* - القاهرة، 1291 هـ.

ابن هيدور التادلي،

- *مقدمة التمحيص في شرح التلخيص*، مخطوط.

عبد الهادي **التازي**،

- *سفارة عن السلطان مولاي عبد العزيز إلى لندن*، *البحث العلمي*، ع 29 - 30.

**التجاني**،

- *رحلة التجاني*، قدم لها ح. ح. عبد الوهاب - تونس، 1981.

م. بن الحبيب **التمنوكالتي**،

- *العقود الجوهرية في الانباء الدرعية*، مخطوط. *(العقود الجوهرية)*

عباس **الجراري**،

- *العالم المجاهد عبد الله بن العباس الجراري*، الدار البيضاء، 1985.

عبد الله **الجراري**،

- *الحافظ الواعية محمد المدني ابن الحسني*، الدار البيضاء، 1977.

محمد رمضان **الجربي**،

- دراسات وتحقيق لكتاب *جامع العبارات في تحقيق الاستعارات* - ليبيا، 1986. *(جامع العبارات)*

إ. **الجعيدي**،

- *الابتسام عن دولة ابن هشام*، مخطوط، خ ح 104. *(الابتسام)*

حسن **جلاب**،

- *الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب : ظاهرة سبعة رجال*. دكتورة آداب، الرباط، 1987. *(الحركة الصوفية)*

حسن **جلاب**،

- *ظهائر سعدية في توقير واحترام شيوخ الزاوية البوعمرية بمراكش* - *دار النيابة*، ع 21، شتاء 1989.

- *ظهائر علوية لرعاية الزاوية البوعمرية بمراكش* - دعوة الحق، ع 278، مارس 1990.

- *وثائق حول الزاوية البوعمرية بمراكش* - *البحث العلمي*، ع 38، 1988.

عبد المجيد **ابن جلون**،

- *جولات في تاريخ مغرب أمس*، الرباط، 1974 - 1975.

عمر **الجيدي**،

- *ابن عرضون الكبير*- الرباط، 1987.

أحمد بن محمد بن حمدون ابن **الحاج**،

- *الدر المنتخب المستحسن في مآثر مولانا الحسن*، مخطوط. *(الدر المنتخب)*

حسن **الحافظي**،

- *سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن (14 م) : مساهمة في دراسة مجتمع*

*الواحات في العصر الوسيط*، د.د .ع : تاريخ : فاس، 1989. *(سجلماسة وإقليمها)*

محمد **الحجوي**،

- *تقاييد تاريخية*، مخطوط، خ ع، ح 128.

نبية **حدوش**،

- *دراسة جيومورفولوجية لمنطقة الخميسات*، د.د. ع : جغرافيا : الرباط، 1988.

ابن **حزم**،

- *طوق الحمامة في الالفة والآلاف*، ت. ل. برشي الجزائر، 1949. *(طوق الحمامة)*

- *الفصل في الملل والنحل* ـ القاهرة، 1317 هـ، 5 ج.

برهان الدين إبراهيم بن محمد **الحلبي**،

- *قلائد المرجان في الحديث الوارد عدبا في الباذنجان*.

أبو القاسم بن أحمد **الحلفاوي**،

- *شمس المعرفة في سير غوث المتصوفة*، مخطوط، خ ع د 1720. *(شمس المعرفة)*

عبد الرزاق بن **حمادوش**،

- *كشف الرموز في بيان الاعشاب*.

محمد **حمام**،

- *وثائق غميسة حول زاوية اتسفال* ـ مجلة *دار النيابة*، ع 6، ربيع 1985.

محمد **أيت حمزة**،

- *ملامح التحولات السسيومجالية بحوض اسيف امكون*، د.د.ع : جغرافيا : الرباط، 1986. *(ملامح التحولات)*

ياقوت **الحموي**،

- *معجم البلدان*، بيروت، 1955.

م. ابن عبد المنعم **الحميري**،

- *الروض المعطار في خبر الأقطار*، ت. إحسان عباس، بيروت، 1975. *(الروض المعطار)*

س. **الحوات**،

- *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي*، مخطوط، خ. ع. ك 1264. *(ثمرة أنسي)*

علال **الخديمي**،

- *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، 1894 ـ 1910 : حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية* ـ الدار البيضاء، 1990. *(التدخل الأجنبي)*

محمد العربي **الخطابي**،

- *علم المواقيت : أصوله ومناهجه*، الرباط، 1986.

ع. **الخطيب**،

- *شارل جارجير شميد*، مجلة *تطوان*، ع 7.

لسان الدين ابن **الخطيب**،

- *الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة*، ت. إحسان عباس، بيروت. *(الكتيبة الكامنة)*

أ. ابن **الخياط**،

- *مجموعة رسائل أبي عبد الله العربي الدرقاوي*، فاس، ط. حجرية.

إسماعيل **خياطي**،

- *تحول البنيات الفلاحية في القطاعات المسقية : نظام الاكارة في سهل دكالة المسقي*، د.د.ع. : جغرافيا : الرباط، 1988.

محمد **الدباغ**،

- *ابن البناء المراكشي وكتابه تفسير الاسم من البسملة* - دعوة الحق، ع 262، يناير - فبراير 1987.

المهدي **الدليرو**، محمد بوخبزة،

- *فهرس مخطوطات خزانة تطوان*، تطوان، 1981، 1984، 2 ج.

محمد بن موسى **الدميري**،

- *حياة الحيوان الكبرى*، بيروت، (د. ت).

ابن رزين **التجيبي**،

- *فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان*، ت. محمد بن شقرون - بيروت، 1984. *(فضالة الخوان)*

علي بن محمد بن عبد الرحمن **الرعيني**،

- برنامج شيوخ *الرعيني*، ت. إ. شبوح، دمشق، 1962.

أ. **الرهوني**،

- *عمدة الراوين، في تاريخ تطاوين*، مخطوط خ. ت. *(عمدة الراوين)*

ب. ج **روجرز**،

- *العلاقات الانجليزية المغربية حتى عام 1900*، تر. يونان لبيب رزق، الدار البيضاء، 1981.

علي **الريسوني**،

- *أبطال صنعوا التاريخ*، تطوان، 1975.

**الزايدي**،

- *انتفاضة الشاوية* سنة 1907، الدار البيضاء، 1986.

أحمد **زروق**،

- *الروض اليانع*.

عبد القادر **زمامة**،

- *معالم وأعلام من فاس القديمة، البحث العلمي*، ع 13.

عبد الحميد **زوزو**،

- *ثورة بوعمامة، جانبها السياسي*، الجزائر، 1983.

- *ثورة بوعمامة، جانبها العسكري*، الجزائر، 1981.

- *نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر*، 1830 ـ 1900، الجزائر، 1984.

العربي ابن **السائح**،

- *كناشة*، مخطوط، خ ع، ج 133.

ع. **السباعي**،

- *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، الرباط، 1940. *(الدفاع وقطع النزاع)*

أبو حامد أحمد بهاء الدين **السبكي**،

- *عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح*، مصر، 1927.

أبو القاسم **السجلماسي**،

- *المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع*، ت. علال الغازي، الرباط، 1980. *(المنزع البديع)*

الحاج محمد **السراج**،

- *خلاصة تاريخ سبتة بالآثار والمأثور وماجاورها حتى كدية الطيفور*، تطوان، 1976. *(خلاصة تاريخ سبتة)*

**السكاكي**،

- *مفتاح العلوم*، بيروت، 1983.

محمد بن الاعرج **السليماني**،

- *زبذة التاريخ وزهرة الشماريخ*، مخطوط، خ ع د 3657. *(زبدة التاريخ)*

- *اللسان المعرب عن تهافت المعمرين حول المغرب*، مخطوط، خ ح 297. *(اللسان المعرب)*

أحمد **سهوم**،

- *تطور كلمات ومضامين الشعر الملحون*، الفنون، ع 5 ـ 6، بيراير ـ مارس 1975.

أ. باب **السوداني**،

- *كفاية المحتاج*، ت. محمد مطيع، د.د.ع : تاريخ : الرباط : 1987. *(كفاية)*

محمد التاودي ابن **سودة**،

- *البواشرية ومقاومة الاستعمار الفرنسي بقبيلة زعير* ـ *البحث العلمي*، ع 23، ماي ـ غشت 1974.

- *قبيلة زعير : قديما وحديثا*، الدار البيضاء، 1978 ـ 1986، 2 ج.

محمد المختار **السوسي**،

- *رحلة من الحمراء إلى إيليغ*، مخطوط.

**علي السوسي السملالي،**

- *مطالع الحسن*، مخطوط، خ ع، 81.

**الحسين ابن سينا،**

- *القانون في الطب*.

**الحسن الشافعي علوي،**

- *التنظيم البلدي بالمغرب قبل الحماية : نموذج مدينة صفرو*، د.د.ع : تاريخ : فاس.

**ابن شاكر الكتبي،**

- *فوات الوفيات*، ت. إحسان عباس، بيروت، 1973 - 1974، 4 ج.

**أ. الشباني الادريسي،**

- *مصابيح البشرية في أبناء خير البرية*، الدار البيضاء، 1978. (*مصابيح البشرية*)

**أحمد الشراط،**

- تقييد، نشره محمد ابن عزوز حكيم بعنوان : *لماذا نطالب بسبتة ومليلية ؟* - تطوان، 1971. (*لماذا نطالب*)

**صالح الشرقي،**

- *المستطرف في قواعد الفن والموسيقى*، الرباط، 1972.

**محمد شفيق،**

- *المعجم العربي الأمازيغي*، ج 1 - الرباط، 1990.

**عبد الله شقرون،**

- *الفجر الجديد للموسيقى والغناء بالمغرب*، الفنون، ع 5 - 6، يبراير - مارس 1975.

**محمد شقرون،**

- *نظام القرابة والعائلة في المجتمع المغربي* - مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ع 13. (*نظام القرابة*)

**الشوكاني،**

- *البدر الطالع*.

**محمد الشياظمي،**

- *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط. (*حسن الدلالة*)

**أحمد الصبيحي،**

- *صلحاء أسفي وعبدة*، مخطوط، خ ص 418.

- *فضائح القائد عيسى بن عمر*، مخطوط، خ ص 108.

**عبد المجيد الصغير،**

- *اشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 18 و19*، الدار البيضاء، 1988.

أحمد بن قاسم **الصومعي** التادلي،

- *المعزى في أخبار أبي يعزى*، مخطوط. *(المعزى)*

*ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية*، تطوان، 1953.

مصطفى أحمد **أبوضيف**،

- *أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين* - الدار البيضاء، 1982. *(أثر القبائل)*

عيسى بن علي **العلمي**،

- كتاب *النوازل*، ت. المجلس العلمي بفاس - الرباط، 1983- 19، 2 ج. *(نوازل العلمي)*

التقي **العلوي**،

- *أصول المغاربة، البحث العلمي*، ع 27، 1977.

أبوسالم **العياشي**،

- *رحلة ماء الموائد*، فاس : م، حجرية، 1316 / 1898، 2 ج.

محمد بن **العياشي المكناسي**،

- *زهرة البستان في أخبار أخوال مولانا زيدان*، مخطوط، خ ع، د 2152. *(زهرة البستان)*

القاضي **عياض** ومحمد بن عياض،

- *مذاهب الحكام في نوازل الاحكام*، ت. محمد بن شريفة - بيروت، 1990. *(مذاهب الحكام)*

أ. **الغبريني**،

- *عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية*، ت. عادل نويهض - بيروت، 1969. *(عنوان الدراية)*

عبد الاله **الفاسي**،

- *أعيان مدينة الرباط في القرن التاسع عشر وبداية العشرين*، د.د.ع : تاريخ : الرباط، 1988. *(أعيان الرباط)*

محمد**الفاسي**،

- *معلمة الملحون* - الرباط، 1986 - 1990، 3 ج.

محمد البشير **الفاسي**،

- *قبيلة بني زروال* - الرباط، 1962.

عز الدين **فراج**،

- *الخضراوات وقيمتها الغذائية والطبية*.

محمد الحبيب **الفرقاني**،

- *الثورة الخامسة* : صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير - الدار البيضاء، 1990. *(الثورة الخامسة)*

ابن الفقيه،

- *كتاب المسالك في معرفة الممالك*، ط. دي خوي - ليدن، 1885.

حسن الفكيكي،

- *مقاومة الوجود الابيري بالثغور الشمالية المحتلة*، أطروحة دكتورة : تاريخ : الرباط، 1991. *(مقاومة الوجود الإبيري)*

مصطفى فنيتر،

- *قواد الجنوب الكبار : نموذج القائد عيسى بن عمر العبدي، 1879، 1914*، د.د.ع : تاريخ : الرباط، 1989. *(قواد الجنوب الكبار)*

ع. القادري،

- *نزهة النادي وطرفة الحادي فيمن بالمغرب من أهل القرن الحادي*، مخطوط، خ ع. د 370. *(نزهة النادي)*

م. القادري،

- *الزهر الباسم*، مخطوط، خ ع، د 177.

عبد المجيد قدوري،

- صور عن أوربا من خلال ثلاث رحلات مغربية - مجلة كلية الآداب بالرباط، ع 15، 1990.

الخطيب القزويني،

- *الايضاح في علوم البلاغة*، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، 1975.

زكرياء بن محمد القزويني،

- *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات*، مصر، 1956. *(عجائب المخلوقات)*

القلصادي،

- *شرح التلخيص*، مخطوط.

محمد الكانوني،

- *علاقة آسفي ونواحيها بملوك المغرب*، مخطوط.

إبراهيم الكتاني،

- مذكرات سجين مكافح، الرباط، 1977.

جعفر الكتاني،

- *الشرب المحتضر والسر المنتظر في معين بعض أهل القرن الثالث عشر* - فاس، ط. حجرية، 1309 هـ. *(الشرب المحتضر)*

عبد الحي الكتاني،

- *فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*، ت. إحسان عباس، ط. 2 - بيروت، 1982 - 3 ج. *(فهرس الفهارس)*

عبد الكبير بن هاشم **الكتاني**،

-- *زهر الآس في بيوتات فاس*، خ ع ك 1281.

عمر رضا **كحالة**،

- *معجم قبائل العرب* - بيروت، 1968. (*معجم قبائل*)

انستاس ماري **الكرملي**،

- *النقود العربية وعلم النميات* - القاهرة، 1939. (*النقود العربية*)

محمد حسن **كفناني**،

- *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، د.د.ع : تاريخ : الرباط، 1988. (*قبيلة أولاد أبي السباع*)

عبد الله **كنون**،

- *ابن البنا العددي*، سلسلة مشاهير رجالات المغرب. (*ابن البنا*)

روم **لاندو**،

- *أزمة المغرب الاقصى*، تر. إسماعيل علي وحسن الحوت - القاهرة، 1961 (*أزمة المغرب*)

الغالي بن محمد الحسني **اللجائي**،

- *لوحة المجد والتمكين في وزارة ونسب العالمين ابني عشرين*، مخطوط، (*لوحة المجد*)

الطيب ابن **لحبيب**،

- *تاريخ درعة*، مخطوط.

الطاهر **اللهيوي**،

- *حصن السلام بين يدي أولاد عبد السلام*، تق. عبد الله كنون - الدار البيضاء، 1978 (*حصن السلام*)

ك. **مارمول**،

- *أفريقيا*، تر. محمد حجي، م. زنيبر، م. الأخضر، أ. التوفيق، أ. بنجلون - الرباط، 1984.

**ماك كوك**،

- *الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة*، تر. محمد الحمداوي - الدار البيضاء، 1395 هـ.

مسلمة بن أحمد **المجريطي**،

- *غاية الحكيم*.

**مجهول**،

- *أحمد البيضاوي* - مجلة الفنون، ع 1، غشت 1973 ؛ ع كـ - 6، يبراير - مارس 1975.

- *أحمد الطيب لعلج : رائد الزجل*، الفنون، ع كـ ـ 6، بيراير ـ مارس 1975.
- *تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية*، ن. ج. كولان ـ الرباط، 1934.
- *الديوان الاسماعيلي لأسر مكناس*، ضمن *المنزع اللطيف* لابن زيدان، مخطوط، خ ع، ج 595.
- *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية* ـ الرباط، 1972.
- *ذكر قصة المهاجرين بفاس*، مخطوط، خ ع كـ 270 / 8 *(قصة المهاجرين)*
- *مدينة أزمور وضواحيها* ـ تر. محمد الشياظمي، الرباط، 1990 *(مدينة أزمور)*
- *مفاخر البربر*، مخطوط، خ ع د 1020.
- *نبذة العصر في أخبار بني نصر* ـ العرائش، 1940. *(نبذة العصر)*

**محمد مرزاق،**

- *الشيخ محمد بن بوزيان وزاويته بالقنادسة*، ر.د.د.ع : تاريخ : الرباط، 1988 *(الشيخ محمد بن بوزيان)*

**المريني العياشي،**

- *صور من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة*، طنجة، 1983 *(صور من التاريخ)*

**محمد مزّين،**

- *فاس وباديتها : مساهمة في تاريخ المغرب السعدي*، 1549 ـ 1637 ـ الرباط، 1986 *(فاس وباديتها)*

**أحمد مزيان،**

- *فجيج : مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر*، 1845 ـ 1903، الدار البيضاء، 1988 *(فجيج)*

**محمد المشرفي،**

- *الحلل البهية في ذكر ملوك الدولة العلوية*، مخطوط، خ ع د 1463. *(الحلل البهية)*

**علي مصباح،**

- *سنا المهتدي في مفاخر الوزير اليحمدي*، مخطوط. *(سنا المهتدي)*

**الملك المظفر،**

- *المعتمد في الأدوية المفردة*. *(المعتمد)*

**سعيد المعاشي،**

- *تحفة الحواشي في مناقب سيدي سعيد المعاشي* ـ الرباط، 1351 هـ. *(تحفة الحواشي)*

**هاشم المعروفي،**

- *عبير الزهور في تاريخ الدار البيضاء وما أضيف إليها من أخبار أنفا والشاوية عبر العصور* ـ الدار البيضاء، 1987 *(عبير الزهور)*

**م. المعزوزي وهاشم العلوي،**

- *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى1935* - الرباط، 1987. *(الكفاح المغربي)*

**محمد ابن المعطي،**

- *حديقة الأزهار*، مخطوط، خ ع ك 1287.

**أمين المعلوف،**

- *معجم الحيوان*، بيروت، (د. ت).

**رمزي مفتاح،**

- *إحياء التذكرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية* - القاهرة، 1953. *(إحياء التذكرة)*

**محمد الرشيد ملين،**

- *عصر المنصور الموحدي* - الرباط، 1946 *(عصر المنصور)*

**عبد الوهاب بن منصور،**

- *مع جلالة الملك الحسن الثاني في حظيرة الفتيكان*، الرباط، 1980.

**محمد المنوني،**

- *ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي*، دعوة الحق، س 10، ع 3. *(ظاهرة تعريبية)*

- *المصادر العربية لتاريخ المغرب* - الرباط، 1983، 1990- 2 ج. *(المصادر العربية)*

- *الوجه الثقافي للشاوية عبر العصر الحديث* - ضمن كتاب : مدخل إلى تاريخ وفنون الشاوية، الرباط، 1990. *(مدخل إلى تاريخ)*

**حسين مونس،**

- *فجر الأندلس*، القاهرة، 1959.

**علي بن ميمون،**

- *رسالة الاخوان*، مخطوط.

**محمد ميّـارة،**

- *نصيحة المغترين*، مخطوط، خ ع ك 923.

**ألدو مييلي،**

- *العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي*، تر. عبد الحليم النجار ويوسف موسى - القاهرة، 1962. *( العلم عند العرب)*

**أ بو الحسن عبد الله النباهي،**

- *المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا*، ت. إليفي بروفنسال - القاهرة، 1971. *(المرقبة)*

**عبد الله نجمي،**

- *الملامتية* - مجلة تاريخ المغرب، ع 1، 1981.

**داود بن أبي النصر الاسرائيلي،**

- *منهاج الدكان ودستور الأعيان*. *(منهاج الدكان)*

م. المكي **الناصري**،

- *الدرر المرصعة في أعيان صلحاء درعة*. ت. محمد الحبيب نوحي، د.د.ع : التاريخ : الرباط، 1988.

عبد الله **الهبطي**،

- *الألفية السنية في تنبيه العامة والخاصة على ما أوقعوه من التغيير في الملة الإسلامية*، مخطوط، خ ح 3607 ؛ *(ألفية الهبطي)*

محمد **الهبطي**،

- *المعرب الفصيح عن سيرة الشيخ الرضى النصيح*، مخطوط *(المعرب الفصيح)*

محمد الصغير **الهبطي**،

- *فوائد*، مخطوط.

أحمد **الوارث**،

- *الأولياء ودورهم في مغرب القرن السادس عشر*، د.د.ع تاريخ : فاس، 1988. *(الأولياء ودورهم)*

قدور **الورطاسي**،

- *بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني*، الرباط، 1976. *(بنو يزناسن)*

**وزارة الأوقاف**،

- *ندوة البيعة والخلافة في الإسلام*، الرباط، 1985.

التهامي **الوزاني**،

- *تاريخ المغرب*، تطوان.

محمد المهدي **الوزاني**،

- *حاشية على شرح البوري لمنظومة الطيب ابن كيران*، فاس : ط. حجرية *(حاشية)*

- *المعيار الجديد* - فاس، م حجرية، 1328 هـ - 11 ج.

أبو القاسم بن محمد بن ابراهيم **الوزير الغساني**،

- *حديقة الازهار في ماهية العشب والعقار*. ت. محمد العربي الخطابي - بيروت، 1985. *(حديقة الأزهار)*

أحمد **الولالي**،

- *مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح* - مصر، 1927. *(شرح التلخيص)*

محمد سالم **ولد الحبيب**،

- *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، مخطوط. *(جوامع المهمات)*

**اليعقوبي**،

- *التاريخ*، بيروت، 1968.

الحسن **اليوسي**،

- *رسائل*، ت. فاطمة خليل القبلي - الدار البيضاء، 1981 - 2 ج.

## Supplément
## à la bilbiographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie avec leurs abréviations


ABES - *Monographie d'une tribu berbère : les Aït N'dir, Beni Mtir - A.B*, vol 2, fasc. 2, 1917. (*Aït Ndir*)

ABOULFEDA : *Géographie*, Trad. de l'arabe en français et accompagnée de notes et d'éclaircissements par Reinaud et Stanislas Guyard, Paris, 1848 - 1883, 2vol. (*Géo*)

*L'abrogation des capitulation britanniques, A.F*, fév. 1937.

AGUILERA PLEGUEZUELO, J. *Varios documentos referentes a la embajada marroqui al Papa Leon XIII, 1887 - 1888, Tamuda*, Sem. II, 1953. (*Papa Leon XII*)

AINI, M.A - *Un grand saint de l'Islam, Abd Al-Kadir Guilani, 1077 - 1166*, en collab. avec F.J. Simore Munir, Paris, 1938, (Les Grandes Figures de l'Orient ; VI). (*Abd Al-Kadir*)

AKERRAZ, O - (et al...) - *Dchar Jdid - B.A.M*, XIV, 1981 - 1982.

AKOKA, A. *Médecine naturelle*, Paris, 1979.

AKOKA,A - *La Phytothérapie : le médical du 20ème siècle* - Paris, 1977. (*Phytothérapie* )

ALBERTINI, E (et al...) - *L'Afrique du Nord fançaise dans l'histoire* - Paris, 1937. (*A.N. Française*)

ALI BEY EL ABBASSI - *Voyage d'Ali Bey El Abbassi en Afrique et en Asie pendant les années 1803, 1804, 1805, 1806, 1807* - Paris, 1814. (*Ali Bey*)

ALLAIN, J.C - *Agadir 1911* - Paris, 1976.

ALONCLE, H. - *Note sur un cétacé du genre Zyphius Cuvier 1823, échoué sur une plage du Maroc Atlantique - B.I.P.M*, 15, 1967. (*Zyphius Cuvier*)

AMADE, Général d'. - *Campagne de 1908 - 1909 en Chaouia* - Paris, 1911. (*Campagne 1908*)

AMAR, E - *L'Organisation de la propriété foncière au Maroc* - Paris, 1913. (*propriété foncière*)

AMAT, T - *Memorias para ayudar a formar un diccionario de escritores catalanes* - Barcelona, 1836.

AMICI, E - *Le Maroc* - Paris, 1882.

AMOUROUX, H - *Quarante millions de pétainistes* - Paris, 1977.

AMROUS, M. - *Les confréries religieuses et l'islamisme au Maroc au XIX et XXe S.* - 1986. Th.3ème cycle : Nanterre : 1986. (*Confréries religieuses* )

ANTONA, A. - *La Région des Abda* - Rabat, 1931.

ARANDA Y MATA, A. - *Conferencia sobre geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular* - Tetuan, 1928. (*Conferencia* )

ARLABOSSE - *Une opération moderne en Afrique du Nord - Revue militaire*, n° 166, Avril 1935.

ARNAUD, L. - *Au temps des Mehallas ou le Maroc de 1860 à 1912* - Casablanca, 1952 - (IHEM, coll. Notes et documents ; 12). (*Mehallas*)

ARNOLD, E.N - BURTON, J.A. - *Tous les reptiles et amphibiens d'Europe en couleurs* - Paris, 1978. (*Reptiles* )

AUBERT, P. - *Le Pays des Zaers - BESM*, XXIV, 1961.

AUBLET, H - MARCENAC, L.N - *Encyclopédie du cheval* - Paris, 1980. (*Cheval*)

AUZENDE, M. - *The origin of the western mediterranean basin, J. Geol. Soc. Lond.*, 1929.

AYACHE, G - *Etudes d'histoire marocaine* - Rabat, 1979. (*Etudes*)

AYACHE, G - *Ibn Khaldoun et les Arabes* - in *Etudes d'histoire marocaine* - Rabat, 1979.

AYAD, M - BENABDELJALIL , A - SIJELMASSI . - *Architectures régionales, région du centre, approche générale* - Rabat , 1985. (*Architectures régionales*)

AZAN, P - *L'Expédition de Fès* - Paris, 1924. (*Expédition* )

AZEMA, J.P - WINOCK, M. - *La Troisième République* - Paris, 1978.

AZZAM, P - *Les Cités rurales du Ktawa* - Paris, 1946, CHEAM, n° 829. (*Ktawa*)

AL - BAKRI - *Kitab al masalik wa l-mamalik : Description de l'Afrique septentrionale*, Trad. fr. M.G. de Slane - Alger, 1913. (*Kitab al masalik*)

BARATHON, J.J - *Bassins et littoraux du Rif oriental, Maroc : évolution morphoclimatique et tectonique depuis le néogène supérieur - Et. Médit.*, 1989. (*Bassins du Rif oriental*)

BARITOU, L - *Les Grandes lignes de l'histoire des populations de Chichaoua* - CHEAM, n° 45. (*Chichaoua*)

BARRENNES, Y. - *La modernisation rurale au Maroc* - Paris, 1984 - (Publ. IHEM ; 36). (*Modernisation*)

BARRUCAND, M - *Remarques sur l'architecture militaire alaouite au Maroc - R.E.I*, XLVIII, 1980. (*arch. militaire*)

BARRY, B - *Le Royaume de Waloo : le sénégal avant la conquête* - Paris, 1972.

BASRI, D - *L'Administration territoriale : l'expérience marocaine* - Paris, 1990. (*adm. territoriale*)

BASSET, H - *Essai sur la littérature des berbères* - Alger, 1920. (*Litt. berb.*)

BASSET, H - *Les Influences puniques chez les berbères - R.A*, 1921. (*Influences* )

BASSET, R - *La Bordah du cheikh El-Bousiri*, Trad. et commentaire - Paris, 1894.

BASSET, R - *Contes arabes* - Paris, 1883.

BASSET, R - *Contes populaires berbères* - Paris, 1887. (*Conte pop.*)

BASSET, R - *Contes populaires d'Afrique* - Paris, 1903 - (Coll. Les Littératures populaires de toutes les nations, XLVII). (*Conte pop. Afr.*)

BASSET, R - *Le Dialecte de Syouah* - Paris, 1890.

BASSET, R - *Etudes sur l'histoire d'Ethiopie - J.A*, 1881 - 1882.

BASSET, R - *Fotouh El-Habacha*, de Chihab Eddine Ahmed Abd El Qader, Trad. et notes - Paris, 1897.

BASSET, R - *La Khazradjyah : traité de métrigne* par Ali El Khazradi, Trad. et comment. - Alger, 1902. (*Khazradjyah* )

BASSET, R - *Manuel de langue kabyle : dialecte Zouaoua* - Paris, 1887. (*Dialecte Zouaoua*)

BASSET, R - *Mille et un contes : récits et légende arabes* - Paris, 1924, 3 vol.

BASSET, R - *Mission au Sénégal* - Paris, 1909 - (Ecole des Lettres d'Alger. Bulletin de Correspondance Africaine ; 39). (*Mission* )

BASSET, R - *Nouveaux contes berbères* - Paris, 1897. (*Nouveaux contes* )

BASSET, R - *La Poésie arabe anté-islamique* - Paris, 1850.

BAUMANN, H - WESTERMANN, D. - *Les Peuples et les civilisations de l'Afrique* - Paris, 1948. (*Peupels Afrique*)

BAYED, A - BEAUBRUN, P.C. - *Les Mammifères marins du Maroc : inventaire préliminaire - Mammalia*, 51, 1987. (*Mammifères marins* )

BEAUDET, G - *Les Beni Mguild du Nord : étude géographique de l'évolution récente d'une confédération semi-nomade - R.G.M*, n° 15, 1969. (*Beni Mguild* )

BECKER, J - *Historia de Marruecos : apuntes para la historia de la penetracion europea, y principalmente de la española en el norte de Africa* - Madrid, 1915. (*Hist. Marruecos* )

BECQUART, M - *Porte ce festin aux pauvres* - Paris, 1970.

BEKRAOUI, M - *La Révolte de Bou Hmara : contribution à l'étude du Maroc pré-colonial* - 1980. Th. : Poitier : 1980. (*Bou Hmara*)

BEL, A - *Les Banu Ghanya* - Paris, 1903.

BEL, A - *Inscriptions arabes de Fès* - J.A, 1918. (*Inscriptions* )

BELFQUIH, M. - FADLOULLAH, A. - *Mécanismes et formes de croissance urbaine au*

*Maroc* - Rabat, 1986. (*Mécanismes*)
BELKHODJA, Kh. - *L'Afrique byzantine à la fin du 6e s. et au début du 7e s.* - *R.O.M.M*, 1970.
BELLAKHDAR, J. - *Plantes médicinales : plantes toxiques* - *Enc. du Maroc : Flore* - Rabat, 1987.
BENACHENHOU - *Régime des terres et structures agraires au Maghreb* - Alger, 1975. (*Régime des terres* )
BENBACHIR, S - *L'Administration locale du Maroc* - Rabat, 1969. (*Adm. locale*)
BEN BRAHIM, H - *Le couloir de Boudenib et ses bordures : étude géomorphologique* - 1983. Th. 3ème cycle, Paris Sorbonne, 1983. (*Boudenib* )
BENCHEKROUN, T - *Fonctionnement du complexe hydro-électo-agricole des Beni Moussa* - *H.T.E*, 56, 1984.
BENDAOUD - *Notes sur le pays Zaïan* - *A.B*, vol 2, fasc. 3, 1917. (*Zaïan*)
*Les Beni Yazgha* - *R.G.M*, n° 2, Juin 1931.
BENJELLOUN, H - *Conditions d'utilisation des équidés dans le milieu urbain : cas de la médina de Fès*. Th. : Vétérinaire : Rabat : INAV, 1990. (*Equidés*)
BENOIT, Y - *Dictionnaire des ministres, 1789 - 1989* - Paris, 1990.
BEN RAHAL, M - *A travers les Beni Senessen* - *B.S.G.A.O*, 1889.
BENRAMDANE, A - *Le Maroc et l'occident* - Paris : Karthala, 1987.
BEN RIDOUANE, O - *Etude sur le soufisme* ; trad Arnaud - *R.A*, 1887.
BERARD, V - *Les Navigations d'Ulysse*. Nelle ed. - Paris, 1971, 4 vol.
BERGNAUD - GRAZZINI, C - BARTOLINI, C - *Evolution paléoclimatique de sédiments Wurnens et postwurniens en mer d'Albourn* - *Rev. Geo. Phys. et Geo.l.* (*Mer d'Albourn*)
BERNARD, A - *Afrique septentrionale et occidentale* - Paris, 1937.
BERNARD, A - *L'Algérie* - Paris, 1929.
BERNARD, A - *Bou Amama* - *Quest. dipl. col.*, XI, 1901.
BERNARD, A - *Les Confins algéro-marocains* - Paris, 1911. (*Confins* )
BERNARD, A - *Enquête sur l'habitat rural des indigènes de l'Algérie* - Alger, 1921. (*Hab. Rural Algérie*)
BERNARD, A - *Enquête sur l'habitatation rurale des indigènes de Tunisie* - Tunis, 1924. (*Hab. Rural Tunisie*)
BERNARD, A - *L'Evolution du nomadisme en Algérie* - Alger, 1906. (*Nomadisme*)
BERNARD, A - *La France au Maroc* - Paris, 1917.
BERNARD, A - *Le Maroc* - Paris, 1932.
BERNARD, A - *La Pénétration saharienne, 1830 - 1906* - Alger, 1910.
BERNARD, A - *Une mission au Maroc* - Paris, 1904.
BERNARD, S - *Le conflit franco-marocain, 1943 - 1956* - Bruxelles, 1963, 3 vol.
BERQUE, J - *Antiquités Seksawa* - *Hesp.*, XL, 3 - trim., 1953. (*Seksawa*)
BERQUE, J - *L'Intérieur du Maghreb* - Paris, 1978. (*Intérieur*)
BERQUE, J - *Le Maghreb entre deux guerres* - Paris, 1962. (*Maghreb*)
BERQUE, J - *La Question agraire au Maroc* - 1945. CHEAM, 1945.
BERQUE, J - *Un glossaire arabo-chleuh du Deren, XVIIIe s* - *R.A*, XCIV, 3° - 4° trim., 1950. (*Glossaire*)
BERQUE, J - *Vers la modernisation rurale* - *Bull. inf. Mar.*, oct. 1945. (*Modernisation rurale*)
BERQUE, J. - COULEAU, J - *Vers la modernisation du fellah marocain* - *BESM*, n° 26, 1945.
BERRADA, T - *Quelques aspects du rôle des missions militaires européennes au Maroc* - *H.T*, XXV, 1987. (*Missions militaires* )
BERRIAU, H - *L'Officier de renseignements au Maroc : conférence faite au centre de perfectionnement de Meknès* - Casablanca, 1918.
BERRIAU, S - *Simone est comme ça* - Paris, 1973.
BIARNAY, E - *Voleurs, receleurs et complices dans les vallées inférieures de Sebou et l'Ouargha* - *A.B*, 2, 2, 1917. (*Voleurs, receleurs* )
BIBERSON, P - CHOUBERT, G - (et al...) - *Contribution à l'étude de la Pebble - culture du*

*Maroc atlantique* - *B. A.M*, III, 1958 - 59. (*Pebble - culture*)

BILLAU, P - *Les Structures panafricaines du gisement de cuivre de Bleida* - 1977. Th. 3ème cycle : Languedoc : 1977. (*Bleida*)

*Biografias de los generales de la cruzale nacional* - Madrid, 1941.

BITAR, G - *Etude du peuplement benthique de la côte atlantique et méditerranéenne du Maroc : impact de la pollution, comparaisons biogéographiques*.- . Th. : Marseille, 1987. (*Peuplement benthique*)

BLACHERE, R - *Extraits des principaux géographes arabes* - Paris, 1932 (Biblioteca arabica). (*Géographes arabes*)

BLASQUEZ Y DELGADO - AGUILERA, A - *Estudios geografico - historicas de Marruecos* - Madrid, 1913.

BONAFAS, Cne - *Une tribu marocaine en Mauritanie : Les Ouled Bou Sbaâ* - *B.S.G.A.O*, 52, L, 183 - 1929. (*Ouled Bou Sbaâ*)

BONELLI, E - *El Sahara* - Madrid, 1887.

BONJEAN, F - *L'Ame marocaine vue à travers les croyances et la politesse* - Paris, 1948. (*Ame marocaine* )

BONJEAN, F - *Cheikh Abdou l'égyptien* - Paris, 1929.

BONJEAN, F - *Confidences d'une fille de la nuit* - Alger, 1942. (*Confidences* )

BONJEAN, F - *Les contes de Lalla Touria : oiseau jaune et oiseau vert* - Casablanca, 1952. (*Lalla Touria* )

BONJEAN, F - *Mansour : histoire d'un enfant du pays d'Egypte* - Paris, 1924. (*Mansour*)

BONJEAN, F - *Le Maroc en roulotte* - Paris, 1950.

BONJEAN, F - *Notes et réflexions, 1958 - 1961* - Paris, 1968.

BONJEAN, F - *Reine Iza amoureuse : roman* - Genève, 1947.

BONJEAN, F - *Yamna* - Blanville-sur-mer, 1969.

BONNET, P - *La Banque d'état du Maroc et le problème marocain* - Paris, 1913. (*Banque d'état* )

BONS, J - GIROT, B - *Clé illustrée des reptiles au Maroc* - Rabat, 1962 - (Trav. Inst. Sc. Cherif., Série Zoologique ; 26). (*Reptiles* )

BORDEAUX, H - *Henry de Bournazel* - Paris, 1935.

BOUARFA, M - *Le Rial et le franc* - Casablanca, 1988.

BOUBE, J - *La céramique italique* - *B.A.M*, XII, 1979 - 80.

BOUBE, J - *Marques d'amphores découvertes à Sala, Volubilis et Banasa* - *B.A.M*, IX, 1973 - 1975. (*Marques* )

BOUBE, J - *Supplément au catalogue des marques de potiers* - *B.A.M*, VI, 1966 ; VIII, 1968 - 72. (*Supplément* )

BOUCROT, M - *Recherches sur A. Peyriguère écrivain* - Th. : Bordeaux III.

BOUKOUS, A - *Langage et culture populaires au Maroc* - Casablanca, 1977. (*Langage et culture*)

BOURCART, J - *La Méditerranée et la révolution du pliocène* - in *A la mémoire de Paul Fallot* - Paris, 1960.

BOURDIEU, P - *Le Sens pratique* - Paris, 1980.

BOURRAS, A - *La Guerre du Saghro, 1930 - 1933* - *Lamalif*, n° 138, Août - sept. 1982.

BOURRAS, A - *La Résistance de Baddou* - *L'Opinion*, 16 Août 1989.

BOUSQUET, G. H - *Les Berbères* - Paris 1957 - (Que sais-je ? n° 718).

BOUSQUET, G. H - *Le Droit coutumier des Aït Hadiddou des Ascifs Melloul et Isselaten : confédération des Aït Yafelmane* - *A.I.E.O*, XIV, 1956. (*Aït Hadiddou*)

BOUTAYEB, B - *La Direction Générale de la Sûreté Nationale : service public* - D.E.S. : Dir. publ. : Rabat, 1985. (*D.G.S.N*)

BOUVEROT - *Ras Moulouya* - *B.S.G.M*., II, 1, 1920.

BOYER DE LA TOUR, P - *Vérités sur l'Afrique du Nord* - Paris, 1956. (*Vérités* )

BOYLE, W.P - *Contract and kinship : the economic organization of the Beni Mguild berbers of Morocco* - Ph. D : University of California : 1977. (*Beni Mguild* )

BRAITHWAITE - *Histoire des révolutions de l'Empire de Maroc depuis la mort du dernier*

*empereur Muley Ismael* - Amsterdam, 1731. (*Révolutions* )

BRAUDEL, F - *La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II* - Paris, 1966 - 2 vol. (*Médit.*)

BREHIER, L - *Le Monde byzantin* - Paris, 1947 - 1950 - (Evolution de l'Humanité, 22). 1 - *Vie et mort de byzance* - 1947, 2 - *Les Institutions de l'Empire byzantin* - 1949, 3 - *La Civilisation Byzantine* - 1950. (*Monde byzantin*)

BRUNEL, R - *Essai sur la confrérie religieuse des Aïssaoua au Maroc* - Paris, 1926. (*Aïssaoua*)

BRUNEL, R - *Le Monachisme errant dans l'Islam : Sidi Heddi et les Haddaoua* - Paris, 1955. (*Sidi Heddi* )

BRUNO, H - BOUSQUET, G - *Contribution à l'étude des pactes de protection et d'alliance chez les berbères du Maroc central* - *Hesp.*, vol. 33, 1946. (*Pactes de protection* )

BURKE III, E - *La Mission Scientifique du Maroc : sciences sociales et politiques dans l'âge de l'impérialisme* - in Actes de Durham : recherches récentes sur le Maroc moderne, B.E.S.M, n° 138 - 139, 1979. (*Mission Scientifique* )

BUSNOT, P - *Histoire du règne de Moulay Ismaïl, roi du Maroc, Fès, Tafilalet, Sous, ....* Rouen, 1714. (*Moulay Ismaïl*)

BUSNOT, P - *Recits d'aventures aux temps de Louis XIV* - Paris, 1728. (*Aventures* )

CAILLE, J - *Ambassades et missions marocaines aux Pays-Bas* - *H.T*, IV, 1963. (*Ambassades*)

CAILLE, J - *Henri Bruno , 1888 - 1948* - *Hesp.* 1ère - 2ème trim. 1949.

CAILLE, J - *Les Marocains à l'école de génie de Montpellier, 1885 - 1888* - *Hesp.*, XLI, 1954. (*Montpellier)*

CAILLE, J - *La Mission du Capitaine Burel au Maroc en 1808* - Paris, 1953 - (Note et documents ; 3). (*Burel* )

CAILLE, J - *Quelques renseignements sur le Capitaine Erckmann* - *Hesp.*, XLI, 3° - 4° trim. 1954. (*Erckmann* )

CAILLE, J - *Sur les rapports du Maroc avec le Saint-Siège* - *H. T.* X, 1969.

CALLIES, Cne - *Les Terres collectives au Maroc* - Paris, 1939, Mémoire CHEAM, 1939.

CAMERON, A - *Byzantine Age - in Excavations at Carthage 1978* conducted by the University of Michigan, 7 - Ann Arbor, 1982.

CAMPS, G - *Aulisua* - *E. B*, 17, 1976.

CAMPS, G - *Les Bavares : peuples de la Maurétanie Césarienne* - *R. A*, XCIX, 1955.

CAMPS, G - *Rex gentium Maurorum et Romanurum : Recherches sur les royaumes de Maurétanie des VI et VII siècles* - *Ant. afr* ; 20, 1984.

CAPAZ Y MONTES, F - *Geografia de Gomara* - Xauen, 1928. (*Gomara*)

CARAS, A - *Ali Bey : vida, viages y aventuras de Domingo Badia* - Barcelona, 1943.

CARATINI, S - *Les Reguibat, 1610 - 1984* - Paris, 1989.

CARAYON, J - *Les Hemiptères - Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et Techniques, Zoologie*, 11.

*Carte topographique de Mechra Ben Abbou au 1/50000.* - Rabat : Division de la Carte, 1956.

CASSON, L - *Belisarius Expedition againts Carthage* - in *Excavations at Carthage 1978* conducted by the University of Michigan, 7 - Ann Arbor, 1982. (*Belisarius*)

CASTEJON Y MARTINEZ DE ARIZALA, R - *Por tierras del Rif : La playa de los Andaluces* - *Africa Española*, n° 33, feb. 1916.

CASTELLANOS, M. P - *Historia de Marruecos*, 3ème ed. - Tanger, 1898. (*Historia*)

CATROUX - *Achévement de la pacification marocaine* - *R.P.P*, oct. 1954.

CELERIER, J. - *Marécage de la vallée de Sebou* - *Hesp.*, 2, 1922.

CERDEIRA, C - *La Mezquita del Bacha* - *Rev. Marruecos*, Agosto 1933.

CHADLI, M. - *Physiopathologie de la malnutrition chez les bovins bruns de l'Atlas* - Th. : Agronomie : 1989. (*Bovins* )

CHAKER, S - *Documents sur les précurseurs : deux instituteurs kabyles, A.S Boulifa et M.S. Lechani* - *R.O.M.M*, 44.

CHANONE - MATAGNE, L (et al...) - *Le Guide marabout des monnaies et médailles* - Paris, 1975. (*Monnaies*)

CHARLES - PICARD, G - *La Civilisation de l'Afrique romaine* - Paris, 1959 - (Civilisation d'hier et d'aujourd'hui). (*Afrique rom.*)

CHARLES - PICARD, G - *Les Religions de l'Afrique Antique* - Paris, 1954. (*Religions*)
CHARLES - PICARD, G - *Vie et mort de Carthage* - Paris, 1970. (*Carthage* )
CHATELAIN, L - *Le Maroc des romains* - Paris, 1945.
CHAUNU, P - *L'Expansion européenne* - Paris, 1969 - (Nouvelle Clio ; 26).
CHEKROUN, M - *Crise de la société : crise de la sociologie - B.E.S.M*, 1984.
CHELHO D, J - *Les structures du sacré chez les arabes* - Paris, 1964. (*Sacré* )
CHENIER, L. DE - *Recherches historiques sur les Maures et histoire de l'Empire de Maroc* - Paris, 1787 - 3 vol. (*Maures* )
CHEVANS, H - *La Mise en valeur de l'Afrique occidentale Française* - Paris, 1907.
CHOTTIN, A - *Corpus de musique marocaine* - Paris, 1931 - 1933 - 2 vol. (*Corpus* )
CHRISTAIN, P - *L'Afrique française ; l'Empire du Maroc et les déserts du Sahara* - Paris, 1903.
CIGAR, N - *Une lettre inédite de Moulay Ismaïl aux gens de Fès - H. T*, 1974.
CLERC, M - *Massalia : Histoire de Marseille dans l'antiquité* - Marseille, 1927. (*Massalia*)
CLUDEAU, R - *Sahara soudanais* - Paris, 1909.
COEFIC, J - *Litho - géochimie des minéralisations cuprifères liées à un volcanisme acide sous-marin du protorozoique supérieur, Bleida, Anti - Atlas* - 1984 Mémoire DEA : Montpellier, 1984.
COLIN, G.S - *Les Mines marocaines et les marocains* - B.E.M, n° 13, 1936. (*Mines* )
COLIN, G.S - *Origine arabe des grands mouvements de populations berbères dans le Moyen-Atlas - Hesp.*, XXV, 2° - 3° trim. 1938. (*Pop. berbères*)
COLIN, G.S - *Sayyidi Ahmad Zarruq - Revista della Tripolitania*, 2, 1925.
COLIN, G.S - *Un projet de traité entre les morisques de Rabat et le roi d'Espagne - Hesp.*, XLII, 1955. (*Morisques* )
*Colloqne du centenaire d'A. Peyriguère* - Toulouse, 1983.
COMBS - SCHILLING - *Family and friend in a Moroccan boom town : the segmentary debate reconsidered - American Ethnologist*, 12, n° 4, Nov. 1985.
COUR, A - *L'Etablissement des dynasties des chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la Régence d'Alger, 1508, 1830* - Paris, 1904. (*Etablissement* )
COUR, A - *Notes sur la région de Berguent - BSGAO*, 1909. (*Berguent* )
CRAPANZANO, V - *Tuhami : portrait of a moroccan* - Chicago, 1980.
CRESWELL, K.A.C - *Bab - E.I 2.*
CRETE, P - *Précis de botaniquen, T 2 : Système des angiospermes* - Paris, 1965. (*Angiospermes* )
CULTRU, P - *Les Origines de l'Afrique occidentale : histoire du Sénégal du 15e s à 1870* - Paris, 1913. (*Sénégal* )
DAHLSTRÖM, P - MUUS, B.J - *Guide des poissons d'eau douce et pêche* - Lausanne, 1973. (*Poissons* )
DECRET, F - *Carthage ou l'empire de la mer* - Paris, 1981. (*Empire de la mer*)
DECRET, F - FANTAR, M - *L'Afrique du Nord dans l'antiquité* - Paris, 1981.
DECROUX, P - *La Vie municipale au Maroc* - Lyon, 1932.
DEIGA, D - *La Méditerranée occidentale - Soc. Geol. Franc.*, Mem. H.S, 10.
DELAFOSSE, M - *Les Débuts des troupes noires au Maroc - H.T*, 1983.
DELANOE, Guy - *Lyautey, Juin, Mohammed V : fin d'un protectorat : mémoires historiques, avec une annexe de Abderrahim Bouabid*, T. 1 - Paris, 1988. (*Fin d'un protectorat* )
DESJACQUES; J.P - KOEBERLE, p - *Mogador et les iles purpuraires - Hesp.*, XLII, 1955.
DESSAU, S.V - *Bavares - Real Encyclopédie*, col. 149-150.
DIEHL, Ch - *L'Afrique byzantine : histoire de la domination byzantine en Afrique, 533 - 709* - Paris, 1896. (*Afr. byzantine*)
DIEHL, Ch - *Rapport sur deux missions archéologiques dans l'Afrique du Nord - N.A.M.S.L*, 4, 1894.
DOZY, R - *Supplément aux dictionnaires arabes* - 3e ed. - Leyde ; Paris, 1967 - 2 vol. (*Dict. arabes*)
DRESCH, J - BIROT, P - *La Méditerrané et le Moyen Orient* - Paris, 1964. (*Med. - M.O*)

DUCELLIER, A - *Les Byzantins* - Paris, 1988.
DUDA, R - LUBOS, R - *La Grande encyclopédie des minéraux* - Paris, 1989. (*Minéraux* )
DUGARD, H - *La colonne du Sous, 1917* - Paris, 1918.
DUMONT, R - *Etat des modalités d'action du paysannat* - CHEAM, 1947.
DUNLOP - *Philosophical predecesors and contemporaries of Ibn Bajjah* - *Isl. Cul.*, July 1955. (*bn Bajjah*)
DUNLOP - *Remarks on the life and works of Ibn Bajjah* - in *second congress of orientalist* - Leiden : Bull, 1957.
DUNLOP, D.M - *Sources of gold and silver in Islam according to al - Hamadani* - *S.I*, VIII, 1957.
DUPAS, M - *Notes sur la confédération des Reguibats Legouacem* - Paris, 1937, CHEAM, n° 770. (*Legouacem* )
DURLIAT, J - *Les Dédicaces d'ouvrages de défense dans l'Afrique Bysantine* - E.F.R, 1981.
DUROSOY, M - *Lyautey : mon général* - Paris, 1956.
DUVAL, N - *L'Etat actuel des recherches sur les fortifications de Justinien en Afrique* - *Corsi di cultura edi Arte Ravenal Bizantine Ravenna*, 30, 1983. (*Fortifications* )
EICKELMAN, D - *Knowledge and power in Morocco* - Princeton, 1987. (*Knowledge*)
EISENBETH, M - *Les Juifs au Maroc : essai historique* - Alger, 1948.
EISENMERGER, Ch - *Région de la moyenne Moulouya* - *B.S.G.M*, II, fasc. 4, 1920. (*Moulouya*)
EL ABBASSI, H - *Essai sur la dynamique des milieux dans le bassin de Boudinar, Rif oriental, Maroc*, 1987. Th. : Strasbourg, 1987. (*Boudinar*)
EL BELGHITI ALAOUI, A - *Urbanisation et du monde rural* - 1978. Th.
EL MADANI, M - *Collectivités traditionnelles et espaces ruraux montagnards dans les zones d'arrière - pays atlasiques méridionaux : le cas des Ayt Seddrate du Dades* - 1986. Th. 3ème cycle. Aix : 1986, 2vol. (*Ayt Seddrate*)
EL MOUMNI, B - *La sédimentation au quaternaire terminal dans la partie sud de la mer d'Alboran*. Thèse : Géo : Perpignan. (*Sédimentation*)
ELGEY, G - *Histoire de la IVe République* - Paris, 1965 - 1968 - 2 vol.
EMERIT, M - *Les liaisons terrestres entre le Soudan et l'Afrique du Nord au 18e et au début du 19e s.* - Travaux de l'I.R.S, XI, 1ère sem. 1954.
ENNAJI, M - *Le Makhzen et le Sous Al-Aqsa, 1821 - 1894* - Casablanca, 1988. (*Sous Al-Aqsa*)
ESME, J. d' - *Bournazel : l'homme rouge* - Paris, 1952.
ESSADDEK; A - *Les Petites villes minières du sud d'Oujda : étude géographique* - 1989. Th. 3ème cycle : Tours : 1989. (*Petites villes*)
ETIENNE, E - *Discours parlementaires sur les questions coloniales* - Paris, 1907.
ETIENNE, H - GUESSAB, D - *La Plaine du Tadla* - in *Ressources en eau du Maroc* - Rabat, 1975, 2 vol.
EUSTACHE, D - *El - Basra : capitale idrissite, et son port* - *Hesp.*, XLII, 1° - 2° trim. 1955. (*El - Basra*)
EUZENNAT, M - *Banasa - The Princeton encyclopedia of classical sites* - Princeton, 1976.
EUZENNAT, M - HALLIER, G - *Les forums en Tingitane : observation sur l'influence de l'architecture militaire sur les constructions civiles de l'occident romain* - *Ant. Afr.*, 22, 1986. (*Forums* )
EUZENNAT, M - *Fouilles opérées à Banasa en 1955* - *B.C.T.H*, 1955 - 1956.
EUZENNAT, M - *Héritage punique et influences gréco-romaines au Maroc à la veille de la conquête romaine* - in *Actes du 8e congr. int. d'archeol. clas.* - Paris, 1963.
EUZENNAT, M - *Les Troubles de Maurétanie* - *CRAI*, 1984.
EUZENNAT, M - SESTON - *Un dossier de la chancellerie romaine : La Tabula Banasatina* - *C.R.A.I.*, 1971. (*Tabula* )
FAURE, E - *Mémoires* - Paris, 1982 - 1984 - 2 vol.
FAVRET, J - *La Segmentarité au Maghreb* - *Homme*, Avril - Juin 1966. (*Segmentarité*)
FERNANDEZ DE CASTRO Y PEDRERA, R - *El Rif : Los terrirorios de Guelaia y Quebdana*, Prologo de D. Gabriel Morales - Malaga, 1911. (*Guelaia*)

FEVRIER, P.A - *Approches récentes de l'Afrique byzantine* - *R.O.M.M*, 25, 1983.

FEVRIER, J - *Les Inscriptions puniques et néopuniques* - *I.A.M*, 1, 1966.

FOSSET - *Situation et avenir du manganèse marocain* - *R.G.M*, 15, 1969.

GALAND - PERNET, P - *Recueil de poèmes chleuhs* - Paris, 1972. (*Poèmes* )

GALINIER, C - *Les Beni Mathar de Ras El-Aïn, Berguent* - *B.S.G.A.O*, 1917.

GAQUIERE - *Les Beni Bouzeggou* - *B.S.G.A.O*, 1910.

GARCIA FIGUERAS, T - *Miscelanea de estudios varios obre Marruecos* - Tetuan, 1953. (*Miscelanea*)

GATTEFOSSE, J - *Juifs et chrétiens du Draa avant l'Islam* - *B.S.P.M*, 3 - 4, 1935.

GEROUDET, P - *Les Palmipèdes* - Genève, 1972.

GHIRELLI, A - *El Norte de Marruecos* - Melilla, 1926.

GIBBON, E - *Histoire du déclin et de la chute de l'empire romain*, trad. de l'anglais par M.F. Guizot - Nlle ed. - Paris, 1983. (*Déclin* )

GIRARD, S - *L'Alluvionnement de Sebou : premier Banasa* - *B.C.T.H.*, fasc. 178, 1981.

GODOY, M - *Memorias de Don Maruel Godoy : principe de la paz* - Gerona, 1836 - 1841. (*Godoy* )

GOGNALONS, L - *Une fraction des Ghenanema de la banlieue de Fès : Ouled Aïssa* - *B.S.G.A.O*, 27, 1906. (*Ghenanema*)

GOULVEN, J - *Le Cercle des Doukkala, au point de vue économique* - Préf. de Rey - Paris, 1917. (*Cercle* )

GOZALBES CRAVIOTO, E - *El problema de la Ceuta bizantina* - *C.T*, XXIX, 115 - 116, 1981.

GRAS, M (et al...) - *L'Univers phénicien* - Paris, 1989. (*Univers*)

GRASSET - *A travers la Chaouia avec le corps de débarquement* - Paris, 1911. (*Chaouia*)

GSELL, S - *Hérodote : textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord* - Alger, 1915. (*Hérodote*)

GUILCHER, A - JOLI, F - *Recherches sur la morphologie de la côte atlantique du Maroc* - Rabat, 1954 - (I.S.C, série géologie et géographie physique ; n° 2). (*Côte atlantique* )

GUILLAUME, A - *La propriété collective au Maroc* - Rabat, 1960. (*Propriété* )

GUILLEN, P - *Les emprunts marocains, 1902 - 1904* - Paris, 1972.

GUYOT, R - LE TOURNEAU, R - PAYE, L - *Les cordonniers de Fès* - *Hesp.*, XXIII, fasc. 1, 1936.

*L'Habitat traditionnel dans les pays musulmans autour de la Méditerrannée. I : L'Héritage architectural : formes et fonctions* - Le Caire : I FAO, 1988. (*Hab. trad.*)

HAMET, I - *Chronique de la Maurétanie sénégalaise* - Paris, 1911.

HAMMAM, M - *Coutumes inédites des qsurs Ayt Lehya* - *H.T*, vol. XXV, 1987.

HAMMOUDI, A - *La Victime et ses masques : essai sur le sacrifice et la mascarade au Maghreb* - Paris, 1988. (*Victime*)

HANOTEAUX, A - LETOURNEUX - *La Kabylie et les coutumes kabyles* - Paris, 1893 - 2 vol. (*Kabylie* )

HART, D. M - *The Aith Waryaghar of Moroccan Rif : an ethnography and history* - London, 1976. (*Aith Waryaghar* )

HART, D.M - *Dadda Atta and his forty Grandsons : the sociopolitical organisation of the Ait Atta of Southern Morocco* - Harvard, 1981. (*Dadda*)

HASSAR BENSLIMANE, J - *Salé : étude architecturale de trois maisons traditonnelles* - Rabat, 1978 - (E.T.AM., VII). (*Maisons*)

HATZFELD, D - *Etude sismo-tectonique de la zone de collusion ibéro-maghrébine*. Thèse : Geo : Grenoble.

HECTOR, P (Pseud. de A. Peyriguère) - *Essai de monographie psychologique berbère, d'après le parler familier des tentes* - Casablanca, 1933. (*Psych. berb.*)

HEINZELH - FITTER, R - PARSLOW, J - *Oiseaux d'Europe, d'Afrique du Nord et du Moyen-Orient* - Genève, 1972. (*Oiseaux*)

*Historia de las campañas de Marruecos* - Madrid, 1947 - 1951, 2 vol. (*Campañas*)

HODGES, T - *Historical dictionary of Western Sahara* - Londres, 1982. (*West. Sahara*)

HOISINGTON, W.A - *The Casablanca connection : French colonial policy, 1936 - 1943*, Caroline du Nord 1984. (*Casa connection*)

*Les Hommes du paléolithique supérieur autour du bassin méditerranéen* - *L'anthropologie* (Paris), 1986, T. 90, n° 3.

HOUZAY, J.P - *La Géologie du bassin de Boudinar* - 1982, Th. 3ème cycle: Paris VI : 1982.

HOWE, S.E - *Les héros du Sahara* - Paris, 1931.

IBN AZZUZ HAKIM, M - *La embajada del Hach Mohammed Torres al Vaticano* - *C.B.E.T*, n° 13 - 4, Junio - Dic. 1976.

IBN AZZUZ HAKIM, M - *Porque revindicamos Rio de Oro* - Rabat, 1976.

IBN AZZUZ HAKIM, M - *Una embajada marroqui en el Vaticano* - *C.E.A*, n° 5, 1949.

IBN HAUQAL - *Configuration de la terre*, trad. J.H. Kramers, G. Wiet. - Beyrouth ; Paris, 1964. (*Configuration* )

IBN TATTOU - *Les Angiospermes ou plantes à fleurs* - in *Grande Enc. du Mar.* : *Flore* - Rabat, 1987.

IDRIS, H.R - *De la réalite, de la catastrophe hilaliennce* - *AESC*, mars - avril 1968.

*Ingreso de Ben Mizian en la Academia Toledana* - *Rev. Blanco y negro*, n° 1159, Agosto 1913.

JACQUES - MEUNIE, D - *La Nécropole de Foum le Rjam : tumuli du Maroc présaharien* - *Hesp.*, fasc. 1 - 2, 1958.

JAMOUS, R - *Honneur et baraka* - Paris, 1981. (*Honneur*)

JAMOUS, R - *Réflexions sur la ségmentarité et le mariage arabe* - *A.M.S*, 1969.

JANIER, E - *Alfred Bel, 1873 - 1945* - *B.S.G.A.O.*, 1944.

JANIER, E - *Travaux de M. Alfred Bel, 14 mai 1873 - 18 février 1945* - *R.A*, 1 - 2 trim. 1945.

JODIN, A - *L'Archéologie phénicienne au Maroc* - *Hesp.*, 1966.

JOLY, A - *Le Siège de Tetouan par les tribus des Djeballah, 1903 - 1904* - *A.M*, 1905.

KERBOUT, M - *Les Mutations des campagnes du Moyen Atlas oriental : le cas des Beni Yazgha et des Marmoucha* - in *Le Maroc : espace et société, actes du colloque Maroco-Allemand de Passau* - Passau, 1990. (*Beni Yazgha*)

KHELLOUK TEMSAMANI, A - *Les coups de Raïssouni, 1895 - 1907* - *Revue Dar an Niaba* , n° 19 - 20, 1988.

KOSSOVITCH, N - BENOIT, F - *Une tribu inconnue du Maroc : Les bahloula* - *Anthropologie*, 46, 3 - 4, 1935.

LACOSTE, Y - *Ibn Khaldoun : naissance de l'histoire, passé du tiers monde*, Paris, 1966 - (Textes à l'appui). (*Ibn Khaldoun* )

KOURIMSKY, J - *Encyclopédie des minéraux* - Paris, 1986.

LADREIT DE LA CHARRIERE, J - *Le Différend marocain* - *A.F*, Déc. 1935 - Jan. 1936.

LAFON, M - *Bibliographie d'A. Peyriguère* - Bordeaux, 1986.

LAFON, M - *Le Père Peyriguère* - Paris, 1967.

LAHLOU, A - *Notes sur la Banque et les moyens d'échange commerciaux à Fès avant le Protectorat* - *Hesp.* 3e trim., 1937. (*Banque*)

LAKHDAR - GHAZAL, A - THEVENOT, M - FARTHOUAT, J.P - *Faune du Maroc : les mammifères* - Rabat, 1975 - ( I.E.R.A).

LA MARTINIERE, D, de - *Les Beni Yazgha et le poste d'El Menzel* - 1950 Mémoire de stage : ENA : 1950 Section Economique et Financière. (*El Menzel* )

LA MARTINIERE, H. de - *Souvenirs du Maroc* - Paris, 1932.

LANGRE, J de - COTTERS, A - *Etude sur les postes chérifiennes et les cachets Maghzen* - Casablanca, 1970. (*Postes*)

LAOUINA, A - CHAKER, M - *La Montagne du Boukhouali : le milieu et l'homme* - *R.G.M*, n° 1, 1977. (*Boukhouali* )

LAOUST, E - *Noms et cérémonies des feux de joie chez les berbères du Haut et l'Anti-Atlas* - *Hesp.*, I, 1ère trim. 1921 ; 3ème trim. 1921 ; 4ème trim. 1921. (*Feux de joie*)

LAOUST, E - *Siwa* - Paris, 1932.

LAPADU - HARQUES, P - *Précis de minéralogie* - Paris, 1954.

LA PAILLONNE, DE - *Notice sur la tribu des Aouled Bou Aita* - CHEAM, n° 304. (*Aouled Bou Aita* )

LAREDO, I - *Memorias de un viejo tangerino* - Madrid, 1935. (*Memorias*)

LAROUI, A - *L'Histoire du Maghreb : un essai de synthèse* - Paris, 1975 - 2 vol - (P.C.M. ; 134 - 135). (*Hist. Magh.*)

LAUGEL, M - *Les Abid de Kenadsa, B.L.S..*, IV, 13, Juin 1953.

LAZAREV, G - *Changement social et développement dans les campagnes marocaines* - in *Etudes sociologiques sur le Maroc* - Rabat, 1971. (*Chang. social*)

LAZAREV, (et al...) - *Les villages miniers de la régions de Khouribga* - *Notes marocaines*, 14.

LE CLERE - *Terres collectives de tribu* - Rabat, 1925.

LE COZ, J - *Le Rharb : fellahs et colons : étude de géographie régionale* - Rabat, 1964 - 2 vol. (*Rharb*)

LEGUAY - *Le Pays des Zemmour et les Zaer* - Archives de Vincennes, 1887.

LEHMANN, E - *Uber das vorkommen des Spanische Rothirsches : cervus elaphus bolivan Cabrera, 1911* - in Nord Marokko Säugetierk - *Mitt.*, 17, 1961.

LENOIR, M - *Aulisua : dieu maure de la fécondité* - in *L'Africa Romana, Atti del III convegno di studio Sassari, 13 - 15 Dicembre 1985, a cura di Attilio Mastino* - Sassari Gallizi, 1986.

LENZ, O - *Voyage du Maroc au Sénégal* - *B.S.G* (Paris), mars 1881.

LE PREVOT, J - *Le Paysannat et les S.M.P. au Maroc* - *Cahiers de la modernisation rurale*, n° 12, 1953. (*S.M.P, 12*)

LERICHE, A - *Notes sur les classes sociales et sur quelques tribus de Mauritanie* - *BIFAN*, 1955.

LE TOURNEAU, R - *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane, 1920 - 1961* - Paris, 1962. (*Evol. pol.*)

LEVI - PROVENÇAL, E - *Documents inédits d'histoire almohade* - Paris, 1941. (*Doc. ined.*)

LEVI - PROVENÇAL, E - *Histoire de l'Espagne musulmane* - Paris, 1950 - 1953 - 3 vol. (*Histoire Espagne*)

LHOTE, H - *Les Touaregs du Hoggar* - Paris, 1944. (*Touaregs*)

LOHMAN, H.R - *Pétain* - Paris, 1984.

LOPEZ ORTIZ, E - *Recuerdo de Anyera* - Madrid, 1951 B.N, seccion de Africa.

LOPEZ QUEIZAN, J.M - *El Padra Jose Lerchundi : biographia documentada* - Madrid, 1927. (*Lerchundi*)

LOSITE, A - *Gestas heroicas* - Tetuan, 1942.

LOURIDO DIAZ, R - *La Abolocion de la esclavitud de cristianos en Marruecos* - *C.H.I.* (Granada), 8, 1977. (*Abolicion*)

LOURIDO DIAZ, R - *Marruecos y el mundo exterior en la segunda mitad del siglo XVIII* - Madrid, 1989. (*Marruecos y el mundo*)

LOURIDO DIAZ, R - *La Obra redentora del Sultan Sidi Mohamed Ben Abdellah entre los cautivos musulmanes en Europa* - *C.H.I*, 11, 1984. (*Obra*)

LOURIDO DIAZ, R - *El Padre Lerchundi y el reformismo en el Marruecos del siglo XIX* - *Dal Al Niaba*. 8, 1985 ; 9, 1985.

LOVERIDGE, A - *Revision of the African lizards of the family Gekkonidae* - *Bul. Comp. Zool.*, LXXXVII, 5, 1959. (*Lizards*)

LYAUTEY, L-H : *Paroles d'action : Madagascar, Sud - Oranais, Oran, Maroc, 1900 - 1926* - Préf. Louis Barthou - Paris, 1927. (*Paroles d'action*)

MAATI BEN BAKKAL - *Le Mariage ches les Aït hadiddou* - *Acad. Sc. Col.*, Séance du 21 juin 1946.

MAITLAND, P.S - *Les Poissons des lacs et rivières d'Europe* - Paris, 1977. (*Poissons*)

MAITROT DE LA MOTTE CAPRON, A - *Le Rogui* - *B.S.G.A.A.N*, 1929.

MANDENILLES - *La Frontière marocaine et Figuig* - *Quest. dipl. col.*, 1ère année, 15 mars 1897, n° 6.

MARÇAIS, G - *Alfred Bel, 1873 - 1945* - *R.A*, 1 - 2 trim. 1945.

MARÇAIS, W - *Comment l'Afrique du Nord a été arabisée* - *A.I.E.O.*, V, 1939.

MARCHAL, L - *Les Principes, les méthodes et les buts de la modernisation rurale au Maroc* - Rabat, 1945. (*Mod. rurale*)

MARCY, G - *Le Droit coutumier Zemmour* - Alger, 1949 - (Publ. IHEM ; 40). (*Droit*)

MARCY, G - *Les Inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord - Cahiers de la Société Asiatique*, 5, 1936.

MARGAT, J - CAMUS, A - *La Nécropole de Bouïa au Tafilalet - B.A.M.*, 3, 1958 - 59.

MARGOT - *La Presse arabe en 1927* - Casablanca, 1928.

MARION, J - *Les monnaies de Soliennes et les villes autonomes de Mauritanie Tingitane au Musée Louis Chatelin à Rabat - Ant. Afr.*, 6, 1976.

MARTROYE - *L'Occident à l'époque byzantine : Goths et vandales* - Paris, 1904. (*Goths vandales* )

MARTY, A.J - *Le Franc marocain : monnaie satellite* - Paris, 1951 - (publ. IHEM ; 31). (*Franc mar.*)

MARTY, P - *Le Sahara espagnol - R.M.M*, XLVI, 1971.

MARTY, P - *Les Tribus de la haute Mauritanie - A.F. : R.C.*, 1915.

MASLOW, B - TERRASSE, H - *Une maison mérinide de Fès - 2ème cong. F.S.S.A.N*, T. 2, 1936.

MASSIGNON, L - *Enquête sur les corporations d'artisans et de commerçants au Maroc - R.M.M*, 58, 1924. (*Corporations*)

MATEU Y LLOPIS, F - *Notas para el estudio de los origenes del sistema monetario español - Numisma*, XIV, 67, 1964. (*Sistema monetario*)

MATHON, C.C - *Phytogéographie appliquée: l'origine des plantes cultivées* - Paris, 1981. (*Origine des plantes*)

MAUNNY, R - *L'Afrique occidentale d'après les auteurs arabes anciens - Notes Afr.*, n° 49, 1948.

MAUNY, R - *Autour d'un texte bien controversé : le périple de Polybe, 146 Av.* (*Périple de Polybe*)

*J.C. - Hesp.* XXXVI, 1° - 2° trim., 1949.

MAURER, G - *Les Montagnes du Rif Central : étude géomorphologique* - 1968. (*Montagnes du Rif* )

Th. : Paris, 1968.

*Mazagan et le Maroc sous le règne du sultan Moulay Zidane, 1608 - 1627*, Trad. R. Ricard - Paris, 1956. (*Mazagan* )

MAZARD, J - *Corpus Nummorum Numidiae Maurétaniaeque* - Préf. Jean Babelon - Paris, 1955. (*Corpus Nummorum*)

MEGE, E - *Les Achache et les Mzab - A.B*, 3, 1918.

*Mélanges René Basset : Etudes nord-africaines et orientales* - Paris, 1923 - 1925 - 2 vol. - (Publ. IHEM ; 10,11). (*Mélanges R. Basset*)

*Le Mémorial du Maroc*, sous la dir. de Larbi Essakali - Rabat, 1982 - 1985 - 9 vol. (*Mémorial*)

1 - *Naissance d'un foyer de civilisation* - 1983.
2 - *660 - 1248 : Le Sceau de l'islamisation* - 1983.
3 - *1248 - 1666 : De la consolidation aux périls* - 1982.
4 - *1666 - 1906 : de la grandeur aux intrigues* - 1983.
5 - *1906 - 1934 : morcellement et résistance* - 1983.
6 - *1934 - 1953 : Lutte du roi et du peuple* - 1984.
7 - *1953 - 1983 : Dans le concert des nations* - 1985.
8 - *Le Maroc éternel : un riche patrimoine* - 1983.
9 - *Index* - 1985.

*Mémorial Henri Basset : nouvelles études nord-africaines et orientales* - Paris, 1928 - 2 vol - (Publ. IHEM ; 17, 18). (*Mém. H. Baset*)

MERCIER, E - *Histoire de l'Afrique septentrionale, depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française, 1830* - Paris, 1888 - 1891 - 3 vol. (*Afrique septent.*)

MERCIER, E - *Les Mosquées et la vie religieuse à Rabat - A.M*, 8, 1906.

MERIC - *Etude sur le bureau des Affaires Indigènes de Tatta.* CHEAM, n° 541. (*Tatta*)

MEUNIE, D - *El Maarka : résidence princière dans une oasis au Maroc, XVIIIe s - C.A.T.A.N.*, 1974. (*El Maarka*)

MEUNIE, J - TERRASSE, H, DEVERDUN, G - *Recherches archéologiques à Marrakech* - Paris, 1952 - (Publ. IHEM ; 54). (*Recherches* )

MICHAUX - BELLAIRE, E - *Conférences faites au cours préparatoire du Service des*

*Affaires indigènes* - Paris, 1927 - (*Archives Marocaines*, 1927).

MICHAUX - BELLAIRE, E - *Le Gharb* - *R.M.M*, XVI, 1911.

MICHAUX - BELLAIRE, E - *La Mission scientifique du Maroc* - Rabat, 1925.

MIEGE, J.L - *Documents d'histoire économique et sociale marocaine au 19e s* - Paris 1969 - (CRAM ; Section Moderne et contemporaine). (*Doc. d'hist. éco.*)

MINISTERE DE L'AGRICULTURE ET DE LA REFORME AGRAIRE - *Enquête élevage : effectifs des bovins, ovins et caprins* - Rabat, 1989.

MIQUEL, A - *Ibn Battuta* - *E.I* 2.

*La Mise en valeur et équipement rural de la province de Rabat* - *BESM*, n° 6, 1956.

MODERAN, Y - *Corippe et l'occupation byzantine de l'Afrique : pour une nouvelle lecture de la Johannide* - *Ant. Afr.*, 22, 1986. (*Corippe* )

MOLAND, J - *Le régime juridique de la presse au Maroc* - Paris, 1963. (*Presse au Maroc*)

MONCHICOURT, Ch - *La Fête de l'Achoura* - *R.T*, n° 17, 1910.

*Monografia de Ali Bey* - Barcelona, 1879.

*Monographie de la province de Khénifra* - Khénifra, 1987.

MONSEMPES - *Contribution à la connaissance d'une tribu : les Zkara* , Archives CHEAM - Paris, (s. d.). (*Zkara*)

MONTEIL, V - *Notes sur les Tekna* - Paris, 1948 - (IHEM, coll. Notes et Documents ; 3). (*Tekna*)

MORAN BARDON, C - *El Paleolitico de Beni Gorfet, Marruecos* - Larache, 1941. (*Beni Gorfet*)

MORESTIN, H - *Le Temple B de Volubilis* - Paris, 1980. (*Temple B* )

MORSY, M - *Moulay Ismaïl et l'armée de métier* - *R.H.M.C*, XIV, 1967.

MOULAY RCHID, E - *Maurusia : recherches sur la géographie historique du Maroc antique* - 1987. (*Maurusia*)
Th. : Histoire : Besançon : 1987.

MOULLIERAS, A - *Une tribu zénète anti - musulmane : les Zkara* - Paris, 1905. (*Tribu zénète*)

MUNSON, H - *The House of si Abd Allah* - New Haven, 1984.

NABIL, L - *Le Haut bassin de Sif ou Lout, moyen atlas oriental : approche geosystèmique d'une montagne méditerranéenne en crise.* (*Sif ou Lout*)
Th. : 3e siècle : Toulous -

NAIMI, M - *L'apport de Gènes dans l'infiltration du commerce méditerraneén dans l'économie subsaharienne, in VIII atti de IV congresso internationale di studi storici* - Genova, 1990. (*Gènes*)

NAIMI, M - *La Politique des chefs de la confédération Tekna face à l'expansionnisme commercial européen* - *Rev. Hist. Magh.*, n° 35 - 36, Dic. 1984. (*Politique*)

NAIMI, M - *La Rive sud ouest saharienne de 1842 à 1872 dans les registres comptables de la famille Beyrouk* - in *Le Maroc de l'avenement de Moulay Abdelaziz à 1912* - Mohamedia, 1987. (*Beyrouk* )

NAIMI, M - *Les Visées des Etats-Unis d'Amérique sur le sud-ouest marocain au 19e s : à partir des rapports de Felix Matheus* - in *Commernoration of bicentennial of the treaty of Marra kech of 1789* - Norfolk, 1986. (*Felix Matheus*)

NEHLIL, M - *Lettres chérifiennes* - Paris, 1915.

NICLAUSSE - *Une tribu du sud marocain : les Aït Atta du Sahara* - 1957 CHEAM, n° 2681. (*Aït Atta*)

NOIN, D - *La Population rurale du Maroc : étude géographique* - Paris, 1970. (*Pop. rurale* )

OLIVA, P - *L'Activité minière au Maroc en 1967* - *R.G.M*, n° 15, 1969.

OLIVA, P - *Aspects et problèmes géomorphologiques de l'Anti-Atlas occidental* - *R.G.M*, 21, 1972.

OLIVET, J.T - AUZENDE, J - BONNIN, J - *Structure et évolution technique du bassin d'Albora* - *Bull. Soc. Geo.* F1, 7, 15. (*Albora*)

PLACIOS, A - *La Carta de adios de Avempace* - *Al andalus*, VIII, 1943. (*Avempace*)

PAPCIOS, A - *El Regimen del solitario* - Madrid; 1946.

PALACIO, A - *Trada a sobre la union de intelecto con el hombre* - *Al Andalus*, 7, 1942.

PANET, L - *Première exploration du sahara occiendale : relation d'un voyage du Sénégal au Maroc en 1850* - Paris, 1968. (*Relation de voyage*)

PASCON, P - *Etudes rurales : idées et enquêtes sur la campagne marocaine* - Préf. A. Khatibi - Rabat, 1980 - (coll. Atlas). (*Etudes rurales* )

PASTEUR, G - GIROT, B - *Les Tarentes de l'ouest africain : Tarentola mautitanica - Bull. Soc. Sc. Nat. Phys. Maroc*, 40, 4, 1960. (*Tarentes*)

PAXTON, R.O - *La France de Vichy, 1940 - 1944* - Paris, 1973.

*Petit guide de l'immigrant* - Paris, 1911.

PEYRIGUERE, A - Aussi loin que l'amour - Paris, 1970.

PEYRIGUERE, A - *Lassez-vous saisir par le Christ* - Paris, 1981.

PEYRIGUERE, A - *Le Temps de Nazarethe* - Paris, 1964.

PEYRONNET, R - *Livre d'or des officiers des affaires indigènes* - Alger, 1930.

PEYROUTON, M - *Du service public à la prison commune* - Paris, 1950. (*Service public*)

PEZZI, R - *Los Presidios menores de Africa y la influencia española en el Rif.* - Madrid, 1893. (*Presidios menores* )

PIETRI, F - *Mes années en Espagne, 1940 - 1948* - Paris, 1954.

PIETRI, F - *Les Finances du Maroc pendant la guerre* - Rabat, 1918.

PIETRI, F - *Finances et monnaies coloniales* - Paris, 1924.

PIETRI, F - *La Querelle du franc* - Paris, 1928.

PIETRI, F - *Veillons au salut de l'Empire* - Paris, 1937.

PINEAU, J - GIRAUD - AUDINE, M - *Les Oiseaux de la péninsule Tingitane* - Rabat : Institut Scientifique, 1979 - (Trav. Inst. Sci.).

PINES, S - *La Dynamique d'Ibn Bajja* - in *Mélange Alexandre Koyré* - Paris, 1964. (*Ibn Bajja*)

PONCET, J - *Le Mythe de l'invasion hilalienne* - A.E.S.C, sept. - oct. 1967.

PONSICH, M - *Tanger antique - A.N.R.W*, 10, 2, 1982.

*Population légale du Maroc* - Rabat : Direction de la statistique, 1982.

PORCH, D - *The Conquest of Morocco* - New York, 1983.

PRINGLE, D - *The defense of Byzantine Africa : from Justinian to the conquest* - Oxford, 1981.

*Les Problèmes agraires du Maghreb* - Paris : C.N.R.S, 1977.

PROCOPIUS - *History of the Wars*, Ed. H.B. Dewing - London, 1916. (*Procopius*)

PUAUX, G - *Deux années au Levant : souvenirs de Syrie et du Liban, 1939 - 1940* - Paris, 1952. (*Syrie et Liban*)

QUANG TRAC, N - SIMONT, M - *Le Couloir Taourirt - Oujda* - in *Ressources en eau du Maroc* - 1971 - (Notes Mem. Serv. Geol., 231). (*Taourirt* )

QUIROGA, F - *El Sahara occidental y sus moradores - Rev. Geog. Comercial*, II, n° 25 - 30, 1886.

RABINOW, P : *Un ethnologne au Maroc : réflexions sur une enquête de terrain* - Paris, 1988. (*Ethnologue*)

RACY, A.J - *Record industry and Egyptian traditional music, 1904 - 1932 - Ethnomusicology*, 20, 1, 1976.

RAIS, M - *Introduction et évolution religieuse et spirituelle de la confrérie qadiriya au Maroc* - 1986. (*Qadiriya*)

Mémoire de maitrise : Aix - Marseille, 1986.

RAYNAL, R - *Plaines et piedmonts du bassin de la Moulouya, Maroc oriental : étude géomorphologique* - Rabat, 1961. (*Plaines et piedmonts*)

RAYNAL, R - *La Terre et l'homme en haute Moulouya - BESM*, n° 86 - 87.

REBUFFAT, R - *Les Baniures ; un nouveau document sur la géographie ancienne de la Maurétanie Tingitane* - in *Mélanges offerts à R. Dion* - Paris, 1974. (*Baniures*)

REDJALA, M - *Un prosateur kabyle : Boulifa - B.L.O.A.B*, 1971.

REISSER - BACHELOT - *Notice sur le cercle de Sefrou - B.S.G.M*, n° 14, fév. 1918.

RENAUD, H.P.J - *Notes critique d'histoire des sciences chez les musulmans : Ibn Al Banna de Marrakech, sufi et mathématien - Hesp.*, XXV, 1ere trim. 1938. (*bn Al Banna*)

RENE - LECLERC, Ch - *L'armée marocaine - B.S.G.A*, 4ème trim. 1904.

RENE - LECLERC, Ch - *Les Régions Nord et Sud de la frontière algéro-marocaine* - Paris, 1909.

RENOUAR D, Y - *Les Hommes d'affaires italiens du Moyen Age* - Paris, 1968.

REYNIER, A - *La Banque d'état du Maroc et les banques d'émission coloniales* - Casablanca, 1926. (*Banque d'état du Maroc* )

RICARD, P - *Alfred Bel : Savant orientaliste vient de disparaite* - *Vaincre*, 11 marx 1945.

RICARD, P - *Maroc* - Paris, 1937 - (*Guide bleu*).

RICARD, P - *Les Métiers manuels à Fès* - *Hesp*. 2ème trim. 1924.

RICARD, P - DELPY, A - *Note au sujet de vieilles portes de maisons marocaines* - *Hesp*., XV, 1932. (*Portes*)

RICARD, R - *Instructions nautiques portugaises* - *Hesp*., VII, 1927.

RICARD, R - *Le Maroc septentional au XVe siècle d'après les chroniques portugaises* - *Hesp*., XXIII, 1936, fasc. 2. (*Maroc sept.*)

RIVET, D - *Lyautey et l'institution du protectorat au Maroc* - *Paris*, 1988 - 3 vol. (*Lyautey* )

ROCHE - *Notes provisoires sur la condition juridique des eaux dans les tribus du Moyen Dades* - *R.G.M*, fasc. 2, 1933.

RODRIGUES, B - *Anais de Arzila : cronica inedita do seculo XVI* - Publ. por ordem do Ac. das Sc. de Lisboa e sob a direcçao de David Lopes. - Lisboa, (s.d) - 2 vol. (*Anais* )

ROGET, R - *Le Maroc chez les auteurs anciens* - Paris, 1924.

ROLAND LEBEL, A - *Impôt agricole au Maroc : Le Tertib* - Paris, 1925. (*Tertib*)

ROMAN, J - *Viajes de Ali Bey el Abbasi* - Madrid, 1951.

ROMANELLI, P - *La Riconquista Africana di Guistiniano* - *Africa Romana* - XIV, 1935.

ROSENBERGER, B - *Les Anciennes exploitations et les anciens centres métallurgiques du Maroc* - *R.G.M*, n° 17 - 18, 1970. (*Anciennes exploitations*)

ROUSSEAUX - *Hannon au Maroc* - *R.A*, 1949.

ROUSSELET, T - *Sur les confins du Maroc* - Paris, 1912.

ROUTHE, E. M - *Tangier Englend's lost atlantic out post* - London, 1912.

RUBIO CABEZA, M - *Diccionario de la guerra civil española* - Madrid, 1987.

RUHLMANN, A - *Le Ténéréen* - *B.S.P.M*, 10, 1936.

RUHLMANN, A - *Une exploitation de sel à l'époque néolithique dans la vallée de l'Oued Beht* - *B.S.P.M*, 11, 1937. (*Oued Beht* )

RUIZ DE LA CUESTA, P.J - *El Padre Lerchundi arabiste y eximio misionero* - *Mauritania*, n° 103, 1 juin 1936.

RUIZ Y BENITEZ DE LUGO, R - *La Kabila de Anyera* - Madrid, 1908. (*Anyera*)

RYAN, W.B.F - O LAUSSON, E - FAIRBRIDGE, R.W - *Mediterranean sea*, in *the Encyclopedia of oceanography* - New York, 1966.

SAAIDI, E - *Lexique de géologie et de géomorphologie, français - arabe* - Rabat, 1990. (*Lexique*)

SAINT - RENE TAILLANDIER, G - *Les Origines du Maroc français : récit d'une mission, 1901 - 1906* - Paris, 1930. (*Maroc franç.*)

SALMON, G - *Les Bdadoua* - *A.M*, 2, 2, 1904.

SALMON, G - *Institutions berbères* - A.M, 1, 1904.

SALMON, G - *Quelques légendes relatives à Moulay Bou Selham* - *A.M*, IV, n° 2 - 3, 1905. (*My. Bou Selham*)

SALMON, G - *Une tribu marocaine : Les Fahçya* - *A.M*, mai 1904. (*Fahçya*)

SALVY, G - *La Crise de nomadisme dans le sud marocain* - Mémoire CHEAM, n° 1563. (*Nomadisme*)

SARI, Dj - *L'Insurrection de 1881 - 1882* - Alger, 1981.

SAULAY - *Histoire de Goums marocains , T. 1* - Paris, 1981. (*Goums* )

SEGONZAC, E. de - *Voyage au Maroc, 1899 - 1901* - Paris, 1903.

SICAR - *L'Organisation des Zaërs* - *R.M.M*, XI, Juin 1910.

SIMOU, B - *L'Içlah au Maroc : les réformes militaires de 1844 à 1912* - Th. : Paris IV : 1987. (*Içlah*)

SOLA SOLE, J. M - *La Inscripcion punico libica de Lixus* - *Sefarad*, XIX, 1959.

SOUVILLE, G - *Atlas préhistorique du Maroc* - Paris, 1973. (*Atlas préhist.*)
SOUVILLE, G - *le Tumulus de Si Allal Bahraoui* - *Lybica*, 6 - 7, 1958 - 1959. (*Tumulus*)
*Spécifités de l'aménagment hydro-agricole au Maroc* - Rabat, 1979.
SPILMANN, G - *Souvenirs d'un colonialiste* - Paris, 1936.
STEIN, E - *Histoire du Bas-Empire*, ed. franç. par J.R Palanque - Paris, 1959.
SUISSE, P - *Les Formes nouvelles de la modernisation rurale en milieu marocain* - CHEAM, 1951.
TAG, B - *La Croissance des petites villes du Maroc oriental steppique* - in *Petites villes et villes moyennes dans le Monde Arabe* - Tours : URBAMA, 1986. (*Croissance*)
TAILLARD, F - *Le Nationalisme marocain* - Paris, 1947.
TERRASSE, H - *Alfred bel, 1873 - 1945* - *Hesp.*, 1945, fasc. un.
TERRASSE, H - *La Mosquée des Andalous à Fès* - Paris, 1942.
TERRASSE, H - *Les Portes de l'arsenal de Salé* - *Hesp.*, 1922.
TERRASSE, H - *Trois bains mérinides du Maroc* - in *Mélanges W. Marçais* - Paris, 1950.
THEVENOT, M - ( et al...) - *Compte-rendu d'ornithologie marocaine* - Rabat, 1981 - (Doc. Inst. Sc., n° 6).
THOUVENOT, R - *Défense de polybe* - *Hesp.*, XXXV, 1948.
THOUVENOT, R - *Rome et les Barbares africains : à propos d'une inscription de Volubilis* - Rabat, 1945 - (PSAM, VII). (*Rome et les Barbares* )
THOUVENOT, R - *Le Témoignage de Pline sur le périple africain de Polybe* - *R.E.L*, XXXIV, 1957. (*Pline* )
THOUVENOT, R - *Les Thermes du Nord et de l'Ouest et les Thermes aux fresques* - Rabat, 1951 - (PSAM). (*Thermes* )
TISSERANT, E - WIET, G - *Une lettre de l'almohade Murtadâ au pape Innocent IV* - *Hesp.*, VI, 1ère trim. 1926. (*Murtadâ* )
TORRES BALBAS, L - *Las ruinas de Belyunas a Bullines* - *Tamuda*, V, 1957. (*Belyunas* )
TOURI, A - *L'Habitat domestique de Marrakech*. Th. : Sorbonne : Paris : 1987.
TOURNOUX, J.R - *Pétain et de Gaulle* - Paris, 1964.
TOZY, M - *Champ et contre-champ politico-religieux au Maroc* - 1984. (*Champ*)
The. : Aix - en - Provence : 1984.
TROIN, J.F - *Les Souks marocains : marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc* - Aix, 1975 - 2 vol. (*Souks*)
*Tuhfat al - Ahbab. glossaire de la matière médicale marocaine*, Texte Publ. par H.P.J Renaud et G.S. Colin - Paris, 1934 - (Publ. IHEM, 24). (*Tuhfat* )
*Un document portugais sur la place de Mazagan au début du XVIIe siècle* - Trad. R. Ricard - Paris, 1932. (*Doc. portug.*)
VALLERIE, P - *La Pénétration militaire au Maroc* - Paris, 1934.
*Viajes por Africa y Asia realizados y esplicados por don Domingo Badia y Leblich utilizando el nombre de Ali el Abbasi* - Barcelona, 1934. (*Viajes* )
VILLALTA, F - *Las Mezquitas de Tetuan* - Ceuta, 1935.
VOINOT, L - *Confréries et Zaouias au Maroc : les établissements religieux du Maroc oriental* - *B.S.G.A.O*, 1936. (*Confréries et Zaouias*)
VOINOT, L - *Les Conséquences de la lutte du Makhzen et du Rogui à proximité de la frontière algérienne, 1903 - 1905* - *B.S.G.A.O*, 1934. (*Lutte*)
VOINOT, L - *La Menace des Oulad Sidi Cheikh contre le Tell algérien et les dangers de leurs intrignes au Maroc, 1870 - 1873* - *R.A*, 1920. (*Oulad Sidi Cheikh* )
VOINOT, L - *Oujda et l'Amalat* - Oran, 1912.
VOINOT, L - *Pélerinages judéo-musulmans du Maroc* - Paris, 1948 - (IHEM, coll. Notes et documents, 4). (*Pélerinages* )
VOINOT, L - *La Situation sur la frontière algero-marocaine du Tell lors de l'insurrection des Ouled Sidi Cheikh dans le sud oranais, 1864 - 1870* - *R.A*, 1919. (*Frontière*)
VOINOT, L - *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc* - Paris, 1939. (*Traces* )
WATERBURY, J - *Le Commandeur des croyants : la monarchie marocaine et son élite* - Paris, 1975. (*Commandeur*)

WATERBURY, J - *North for the trade* - Los Angeles, 1972.

WATWAT - *Manahig Al - Fikr* - Trad. E. Fagnan in *Extraits inédits relatifs au Maghreb* - Alger, 1924.

WESTERMARCK, E. A - *Ritual and belief in Moroccao* - Reprint - New York, 1968. (*Ritual*)

WEYGAND - *Histoire de l'armée française* - Paris, 1953.

AL YAIQUBI - *Al-Buldan : Les pays*, trad. G. Wiet - Paris, 1937.

ZAFRANI, H - *Etudes et recherches sur la vie intellectuelle juive au Maroc : de la fin du 15e au début du 20e Siècle* - Paris, 1972 - 1980 - 3 vol. (*Vie intellectuelle juive*)

1 - *Pensée juridique et environnement social, économique et religieux* - 1972.

2 - *Poésie juive en occident musulman* - 1977.

3 - *Littératures dialectales et populaires juives en occident musulman : l'écrit et l'oral* - *1980.*

ZINE EL ABIDINE, A - *Application de l'analyse multidimensionnelle à l'étude taxinomique et phytoécologique du chêne Zéen et de ses peuplements au Maroc.* (*Chêne Zéen*)
Th. : Fac. St. Jerome : Marseille : 1987.

ZURARA, G.E de - *Chronique de Guinée*. Préf. trad. de Léon Bourdon, avec la collab. de Robert Ricard, notes de L. Bourdon, E. Serra Rafols, (et al...) - Dakar, 1960 - IFAN ; Mémoires, 60). (*Guinée*)

ZURITA, J - *Historia del Rey Don Hernando el catolico*, 1670. (*Don Hernando*)

## Liste des principales abréviations des périodiques

**A.A.N :** *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
**Acad. Sc. Col. :** *Académie des Sciences Coloniales.*
**A.E.S.C :** *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
**A.F :** *Afrique Française.*
**A.F : R.C :** *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
**A.I.E.A :** *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
**A.I.E.O :** *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
**A.M :** *Archives Marocaines.*
**A.M.S :** *Archives Marocaines de Sociologie.*
**And. :** *Al-Andalus*
**Ann. Rech. Forest. Maroc :** *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
**Ant. Afr. :** *Antiquités Africaines.*
**B.A.M :** *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
**B.A.R :** *British Archeological Reports.*
**B.C.T.H :** *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
**B.E.P.M :** *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
**B.E.S.M :** *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
**B.I.F.A.N :** *Bulletin de L'Institut Français d'Afrique Noire.*
**B.M.S.A.P :** *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
**B.L.O.A.B :** *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
**B.L.S :** *Bulletin de Liaison Saharienne.*
**B.S.G :** *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
**B.S.G.A :** *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
**B.S.G.A.O :** *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
**B.S.O.A.S :** *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
**B.S.P.M :** *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
**Bull. Archéol. :** *Bulletin Archéologique.*
**C.A.A :** *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
**C.A.T.A.N :** *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
**C.B.E.T :** *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
**C.C.E.J :** *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
**C.E.A :** *Cuadernos de Estudios Africanos.*
**C.H.I :** *Cuadernos de Historia del Islam.*
**C. Méd. :** *Cahiers de la Méditerranée.*
**C.R.A.I.B.L :** *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**C.R.A.S :** *Comptes Rendues des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
**C.T :** *Cahiers de Tunisie.*
**E.I.1 :** *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*

**E.I.2 :** *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
**E.T.A.M :** *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
**Et. Medit. :** *Etudes Méditerraniennes.*
**F.S.S.A.N :** *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
**Hesp :** *Hespéris.*
**H-T :** *Hespéris-Tamuda.*
**H.T.E :** *Hommes, Terre et Eaux.*
**I.G :** *Information Géographique.*
**I.H.E.M :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**I.H.E.M : N-D :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. :** *Instituto General Franco de Estudios e* ***Investigaciones Hispano Arabe***
**I.S.C :** *Institut Scientifique Chérifien.*
**Isl. Cult. :** *Islamic Culture.*
**I.S.P.M :** *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
**J.H.S.N :** *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
**M.A.I.B.L :** *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**Medit :** *Méditerranée.*
**N.A.M.S.L :** *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
**P.I.H.E.M :** *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**P.S.A.M :** *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
**P.S.H.M :** *Publications de la Section Historique du Maroc.*
**R.A :** *Revue Africaine.*
**R.A.P :** *Revue de l'Action Populaire.*
**R.C.C :** *Revue de la Chambre de Commerce.*
**R.D.M :** *Revue des Deux Mondes.*
**R.E.I :** *Revue des Etudes Islamiques.*
**R.E.L :** *Revue des Etudes Latines.*
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. :** *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
**R.G.M :** *Revue de Géographie du Maroc.*
**R.H.M.C :** *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
**R.M.D.E.D :** *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
**R.M.M :** *Revue du Monde Musulman.*
**R.P.P :** *Revue Politique et Parlementaire.*
**S.G.L :** *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
**S.I :** *Studia Islamica.*
**S.I.H.M :** *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. :** *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*
**Trav. Inst. Sc. :** *Travaux de l'Institut Scientifique.*

**أمريكا الجنوبية** والمغرب، إن التداخلات الأولى بين المغرب وأمريكا اللاتينية قد تكون ميثولوجية، بمعنى إشكالية، قبل أن تكون تاريخية، تشهد على هذا تلك المنقوشات التي عثر عليها بأمريكا اللاتينية والتي ذكر طابعها البربري. زد على ذلك طرح سؤال إذا ما كان البحارة المغاربة قد أبحروا إلى أمريكا قبل كولومبوس.

سيشرع التاريخ في إعطاء آثار يمكن تقفّيها والتحقق من صحتها مع تدفق الرقيق الأسود القادم من المغرب، كما أن هناك عائلات يهودية من أصل مغربي غادرت موگادور (الصويرة) تعد من مؤسسي الجالية اليهودية الأولى في كوراساوْ (Curaçao) في جاماكيا، والأرجنتين والبرازيل والشيلي والبيرو والمكسيك.

أما تاريخ الاستعمار فهو يشمل كذلك كلا من البرازيل وفنزويلا وكولومبيا في مسائل التنازلات، وينقل لنا وجود علاقات قنصلية مبكرة. فقد كان للبرازيل تمثيل قنصلي في طنجة منذ 1864. ويرجع تاريخ ربط العلاقات الدبلوماسية بين المغرب والبرازيل لسنة 1906. هذه بدون شك لقطات تاريخية تستحق الأخذ بعين الاعتبار ولكنها تظهر بكثافة أقل من العلاقات مع افريقيا وآسيا.

لقد بين بوغالي في كتاب *Représentation de l'espace chez l'illétré marocain* كيف أن الخرائط التي يرسمها المغاربة من غير المتعلمين تدمج أولا أسماء بلدان ومدن وقرى. فعندما نتجاوز الرفض العفوي للحديث عن العالم أو رسم التنظيم المكاني تكون أمريكا اللاتينية وبلادها غائبة. أمريكا اللاتينية على عكس أمريكا الشمالية لا تنتج أي انعكاس بامكانه أن يحمل بعداً عاطفياً.

وأمريكا اللاتينية لم تكن غائبة عن عالم غير المتعلمين فقط، بل الأمر كذلك بالنسبة للمتعلمين، فلا الثقافة الجغرافية ولا كتب الرحالين وتراجم الرحلات تبرز دور أمريكا اللاتينية. يبدو أن الجغرافيين والرحالين العرب قد استكشفوا أفريقيا وآسيا وتجاهلوا أمريكا اللاتينية.

إلى أي حديمكن كذلك للمعلومات المقررة في البرامج الدراسية على مستوى التعليم الثانوي والجامعي أن تعطي معرفة عن أمريكا اللاتينية تفوق مستوى التعريف العام المختصر ؟

يمكن تصور أمريكا اللاتينية كامتداد لإسبانيا والبرتغال مع استمرارية للعلاقات التي تجمع بين المغرب ودول أمريكا اللاتينية عن طريق الحضارة الإيبرية. ويتم التأكيد على هذا البعد مرات عديدة من الكتابات الانطباعية إلى التصريحات السياسية والأبحاث الدقيقة.

وأمريكا اللاتينية هي كذلك نقيض أمريكا الشمالية، وهي بذلك شيء من هويتنا من وجهة نظر أخرى. يتوقف عبد الكريم غلاب في كتابه *صحفي في أمريكا* على هذه الصورة ويسجل أن كوبا تمردت ضد أمريكا وحافظت على شرفها رافضة ن تكون عميلة للولايات المتحدة. هكذا فكوبا تتمتع بوضع خاص وهي تشير إلى الأشكال التي تأخذها أمريكا اللاتينية في الخطاب والهموم المغربية كمكان متميز للصراع بين الشرق والغرب، وقد يتغير هذا المكان من كوبا إلى الشيلي أو نيكاراگوا.

ونجد كذلك في مراجع الاقتصاديين المغاربة العمليين والنظريين منهم على حد سواء تاثيراً كبيرا بالإشكاليات والتصورات والمناهج التي ترجع في أصلها إلى أمريكا اللاتينية.

وهكذا فإن حضور أمريكا اللاتينية في توجيه واستيحاء السياسات الاقتصادية والمنهجية كبير جدا.

إن الخطاب السياسي الرائج في المغرب والذي يطالب بتفاهم وتعاطف أمريكا اللاتينية مع قضاياه الوطنية لم يلبث يؤكد أن المغرب يشكل ملتقى الطرق بين أمريكا اللاتينية وأوروبا وأفريقيا والعالم العربي. وأن أمريكا اللاتينية مثلنا جزء من العالم الثالث.

وباعتبارها امتداداً لإسبانيا فهي تكون بذلك وبالتالي تجسيداً لجانب من جذورها الثقافية مع التجريد من الصفة الاستعمارية وغياب صراع مباشر مع المغرب تكون اليوم في مكان أليق لتستمع إليه، لأنها هي بذاتها كانت ممزقة ومحتلة ومستعمرة ومستغلة. كل هذا يجعلها قادرة على الإصغاء إليه في الساعات الصعبة.

وهكذا عند توجه عبد الكريم الخطابي إلى أمريكا اللاتينية من خلال مقال مطول موقع باسم عبد الكريم نشر مع صورته في صحيفة *أوجورنال* ريودي جانيرو *O'Jornal Rio Dijaniro* يوم 2 يوليوز 1925، نشر الوطنيون البرازليون في صحفهم برقية من ريودي جانيرو إلى قائد المقاومة المغربية في الريف يؤكدون تضامنهم. ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي نادى فيها عبد الكريم أمريكا اللاتينية خلال حرب الريف. سيكون الإعلان عن دولة إسرائيل مناسبة لنداء آخر.

قام علال الفاسي في شهر أكتوبر 1952 برحلة طويلة إلى أمريكا اللاتينية للحصول على مساندة هذه الأخيرة أمام الهيئات الدولية في الأمم المتحدة فيما يخص القضية المغربية.استُقبل علال الفاسي في ريودي جانيرو من طرف أعضاء الحكومة البرازلية والممثلين عن الأحزاب السياسية الرئيسية في مقر البرلمان البرازيلي. واستُقبل استقبالا رسميا في مجلس الشيوخ، وألقى خطاباً حيّى فيه الشعب البرازيلي وذكّر بالصلات الثقافية التي تجمع بين المغرب والبرازيل عبر الحضارة الإسبانية. وقد أعطت الصحافة لقب "بوليفار المغربي" للزعيم علال الفاسي. وتشكلت جمعية الصحافيين البرازليين من أجل حرية الشعوب العربية. وسافر بعدها إلى الأُورُوغواي والأرجنتين.

كانت القضية المغربية في أوجها في الأمم المتحدة وكان علال الفاسي مشغولا بمسألة الاستقلال. وهل يجوز أنه لم يعر انتباهاً لما كان يروج داخل البلاد الأمريكية اللاتينية على المستوى السياسي ؟ ثم أليس يفسر هذا أوجه الشبه العديدة الموجودة بين التعادلية البرونية والتعادلية التي نادى بها بعد ذلك مُنَظّر حزب الاستقلال.

وتطرح زيارة عبد الخالق الطريس في نونبر - دجنبر 1960 لعدد من أقطار أمريكا اللاتينية (كوبا، المكسيك، فنزويلا، كولمبيا، البيرو، الشيلي، الأرجنتين، البراغواي، البرازيل.....) في إطار النقاش حول مسألة موريتانيا، تطرح نفس الأسئلة حول الأصول الإديولوجية للاستقلال. فكرة القائد المهيب أي الزعيم التي كان عبد الخالق الطريس يعزها تبدو أقرب إلى الظواهر الأمريكية اللاتنية منها إلى الفاشية الإسبانية أو الإيطالية.

عبد الله ساعف

**أمريكا الشمالية** والمغرب، يعود أصل العلاقات المغربية - الأمريكية إلى السنوات الأولى لحرب الاستقلال الأمريكية، إذ كان المغرب أول دولة خارج أوروبا اعترفت بالجمهورية الأمريكية الناشئة. ويمكن القول إن قيام علاقات سياسية وتجارية بين البلدين جاء أولا وقبل كل شيء كنتيجة لرغبة جهود السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 - 1790) في وقت كانت فيه الولايات المتحدة منشغلة بحربها ضد الإنجليز ومتطلعة إلى اعتراف الدول الأوروبية قبل غيرها.

في سنة 1777 أعلن سيدي محمد بن عبد الله أنه يفتح مراسيه لتجارة جميع الدول، حتى تلك التي لم يسبق لها أن وقعت اتفاقيات سلم مع المغرب، وكان "الأمريكان" ضمن من شملهم قرار السلطان هذا.

إن وراء اعتراف سيدي محمد بن عبد الله بالولايات المتحدة الأمريكية أسبابا متعددة، منها ما هو مرتبط بالمرامي البعيدة للسياسة الخارجية التي انتهجها هذا السلطان، ومنها ما هو مرتبط بالظرفية التي أفرزتها حرب الاستقلال الأمريكية وما كان لها من انعكاسات على موازين القوى في أوروبا وغرب البحر المتوسط. لقد تزامن استقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا مع إقدام سيدي محمد على حملة دبلوماسية واسعة كانت تهدف إلى مسالمة كل الدولة المسيحية بدون استثناء، حملة شملت حتى دولة روسيا التي كانت في ذلك الوقت ألد أعداء المسلمين من خلال تحرشها المستمر بالدولة العثمانية. وكان غرض السلطان من وراء هذا التفتح هو إفساح المجال لقيام علاقات سلمية تعتمد على التجارة التي جعل منها سيدي محمد ركيزة أساسية لنظامه المالي والاقتصادي. ولا شك أن هذا السلطان كان يدرك جدوى إقامة علاقات تجارية حتى مع الدول الصغيرة التي كانت في غالب الأحيان تقدم المصلحة التجارية على غيرها من الاعتبارات السياسية كما كان الحال بالنسبة للدول العظمى مثل فرنسا أو إسبانيا.

أما الأسباب المباشرة التي حذت بسيدي محمد بن عبد الله إلى الاعتراف بالولايات المتحدة ثم إلى عقد اتفاقية سلم معها فيمكن حصرها في نقطتين : رغبة السلطان في توضيح الوضعية القانونية للسفن الأمريكية بعد أن سحبت منها بريطانيا جوازات الإبحار. وقد أظهر حادث حجز السفينة "سوكي" في سنة 1777 من طرف البحرية المغربية المخاطر التي ينطوي عليها الغموض في هوية السفن الأمريكية، ووجود نوع من الفتور في العلاقات المغربية - الانجليزية كنتيجة للتقارب المغربي - الإسباني، علما بأن سيدي محمد كانت له مآخذ قديمة على الانجليز ترجع إلى عهد والده المولى عبد الله.

اتفاقية 1786 : مر ما يقرب من عشر سنوات بين الاعتراف الفعلي باستقلال الولايات المتحدة وتوقيع أول اتفاقية سلم بين البلدين. وخلال هذه المدة لم يكن عقد اتفاقية من هذا النوع هو الشغل الشاغل، لا بالنسبة للولايات المتحدة التي ظلت تحارب القوات البريطانية حتى سنة 1781، ولا بالنسبة للمغرب الذي كان يعيش بين 1776 - 1782 فترة ضائقة اقتصادية واجتماعية نتيجة قحط ومجاعة. لذلك فإن الاتصال بين حكومتي البلدين ظل متقطعا وموكولا أساساً إلى بعض التجار الأوروبيين أو الأمريكيين. وفي سنة 1784، وبعد ست سنوات من الاتصالات غير المباشرة التي لم تسفر عن أي نتيجة ملموسة، بدأ صبر السلطان ينفد، فأراد أن يلفت انتباه الأمريكيين إلى عروضه السلمية وإلى ضرورة الدخول في مفاوضات تؤدي إلى تطبيع العلاقات بين البلدين. في هذه السنة أمر سيدي محمد قراصنته باعتراض السفن الأمريكية، فتم حجز السفينة "بيتسي" بحمولتها وطاقمها، وتم إبلاغ الحكومة الأمريكية بأنه سوف يحتفظ بالسفينة إلى حين إقرار السلم بين البلدين. لكن السلطان أطلق سراح السفينة في السنة التالية 1785 بمجرد ما حمل الكونغريس الأمريكي على الدخول في مفاوضات مع المغرب. وفعلاً عينت الإدارة الأمريكية، في تلك السنة نفسها، توماس باركلي Tomas Barclay كسفير للتفاوض مع المغرب بقصد عقد اتفاقية سلم بين الطرفين.

وفي سنة 1786 وصل باركلي إلى مراكش وبدأ المفاوضات مع الطاهر فنيش الذي انتدبه السلطان لهذه المهمة. ولم تطل المفاوضات ولم يلح سيدي محمد على مسألة الجزية، وتم الاتفاق على مشروع المعاهدة يوم 28 يونيو 1786، التي نصت بنودها على ما يلي :

- حماية سفن وممتلكات رعايا البلدين.
- عدم حجز ممتلكات أحد الطرفين إذا كانت محمولة على سفينة معادية منتمية لبلد ثالث.
- التزام المغرب بعدم تفتيش السفن الحربية الأمريكية.
- تعهد الدولة المغربية بإطلاق سراح البحارة الأمريكيين الذين تتحطم سفنهم على السواحل المغربية.
- إضفاء الحصانة الدبلوماسية على القناصلة الأمريكيين المقيمين بالمغرب وكذا من ارتبط بخدمتهم.

وقد دخلت هذه المعاهدة حيز التنفيذ من الجانب الأمريكي بعد أن صادق عليها الكونغريس في سنة 1787.

إلا أن المصادقة على الاتفاقية السلمية لم يصاحبها قيام تمثيل قنصلي بين البلدين ذلك أن همَّ الأمريكيين

الأساسي كان هو ضمان الأمن لسفنهم المتوجهة إلى البحر المتوسط، ولم يحسوا بضرورة ملحة لتعيين ممثل دائم لهم بالمغرب. ومن جهة أخرى لم تكن الأوضاع الداخلية بالمغرب مشجعة على قيام مثل هذا التمثيل الدبلوماسي. فبعد وفاة سيدي محمد بن عبد الله 1790 دخلت البلاد مرحلة من الاضطراب السياسي لم تنته في الحقيقة إلا عندما استطاع المولى سليمان توحيد كل الأقاليم تحت سلطته في سنة 1797، وهي السنة التي وصل فيها إلى طنجة أول قنصل عام للولايات المتحدة وهو جون سيمبسون John Simpson.

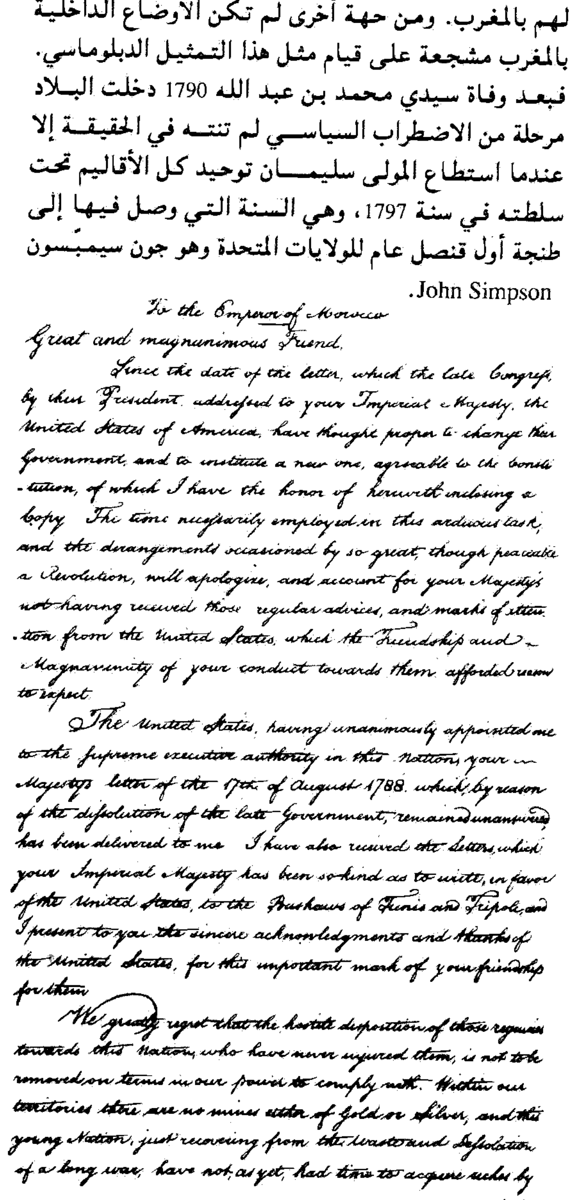

To the Emperor of Morocco

Great and magnanimous Friend.

Since the date of the letter, which the late Congress, by their President, addressed to your Imperial Majesty, the United States of America, have thought proper to change their Government, and to institute a new one, agreeable to the Constitution, of which I have the honor of herewith inclosing a Copy. The time necessarily employed in this arduous task, and the derangements occasioned by so great, though peaceable a Revolution, will apologize, and account for your Majesty's not having received those regular advices, and marks of attention from the United States, which the Friendship and Magnanimity of your conduct towards them, afforded reason to expect.

The United States, having unanimously appointed me to the supreme executive authority in this Nation, your Majesty's letter of the 17th of August 1788, which, by reason of the dissolution of the late Government, remained unanswered, has been delivered to me. I have also received the Letters, which your Imperial Majesty has been so kind as to write, in favor of the United States, to the Bashaws of Tunis and Tripoli, and I present to you the sincere acknowledgments and thanks of the United States, for this important mark of your friendship for them.

We greatly regret that the hostile disposition of those regencies towards this Nation, who have never injured them, is not to be removed, on terms in our power to comply with. Within our territories there are no mines either of Gold or Silver, and this young Nation, just recovering from the waste and desolation of a long war, have not, as yet, had time to acquire riches by agriculture

لوحة أولى من رسالة الرئيس جورج واشنطن
إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله

أزمة عابرة : شهدت السنوات الأولى من القرن الماضي تأزما في العلاقات المغربية ـ الأمريكية كاد أن يفضي إلى قطيعة بين البلدين. وتكمن أسباب هذه الأزمة في التضامن الذي أظهره المولى سليمان مع طرابلس المحاصرة من طرف البحرية الأمريكية 1801. وكان المولى سليمان أراد أن يبعث ببعض السفن المحملة بالحبوب رغبة منه في تخفيف معاناة سكان طرابلس الذين كانوا يقاسون من آثار القحط والحصار الأمريكي في آن واحد. إلا أن القنصل الأمريكي بطنجة رفض أن يسلم جوازات إبحار لتلك السفن، الشيء الذي حدا بالسلطان إلى طرد القنصل وإعلان حالة الحرب مع الولايات المتحدة، وهو ما ترجم عمليا باعتراض السفن الأمريكية الموجودة في منطقة البوغاز. لكن رد الأسطول الأمريكي كان أعنف مما كان يتوقعه المغاربة، فجنح الطرفان للسلم واستطاعا تسوية خلافاتهما سنة 1803 بفضل وساطة الانجليز، كما وقع التأكيد على اتفاقية 1786 كإطار قانوني لتنظيم العلاقات بين الجانبين.

أمريكا الشمالية خلال القرن التاسع عشر: تميزت السياسة الخارجية الأمريكية خلال القرم التاسع عشر برغبة البقاء بعيدا عن مشاكل "العالم القديم"، وذلك تمشيا مع روح "إعلان مونرو" الشهير 1823. فالولايات المتحدة كانت منشغلة أساساً بمد سيطرتهاإلى المناطق التي توجد اليوم في الجنوب والجنوب الغربي من البلاد، كما جعلت من تصفية الوجود الأوروبي في أمريكا اللاتينية هدفا أساسيا من أهداف سياستها الخارجية. وبالتالي فإن المغرب لم يكن ليحتل مكانة لها بال ضمن اهتماماتها الدولية. وحتى الصراع الأوروبي حول المغرب، الذي زاد حدة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لم يكن ليحرك ساكناً لدى الإدارة الأمريكية التي اعتبرت أن التكالب الأوروبي بشأن المستعمرات في إفريقيا "مسألة أوروبية" صرفة لا دخل للأمريكيين فيها.

ومما ساعد على تقليص اهتمام الولايات المتحدة بالمغرب غياب حضور تجاري أمريكي مهم. وحتى إذا كان الأمريكيون حريصين على حماية مصالحهم التجارية بالمغرب، أو على الأقل إبقاء الباب مفتوحاً لتنمية هذه المصالح، فإنهم لم يكونوا يرون تعارضاً بين إخضاع المغرب للهيمنة السياسية الأوروبية وضمان مصالحهم الاقتصادية فيه. وبالفعل فإن الولايات المتحدة كانت البلد الغربي الوحيد الذي بقي بمعزل عن المجموعة الأوروبية التي كان ممثلوها بطنجة يشكلون شبه هيئة للتنسيق بين مصالح مختلف الأطراف المتنافسة. وهذا الموقف هو الذي دفع بالمخزن المغربي إلى عقد آمال على الأمريكيين كي يلعبوا دوراً إيجابياً في علاقات المغرب بالدول الأوروبية. فموقف الحكومة الأمريكية المتسم بنوع من الحياد شجع السلطانين مولاي عبد الرحمان (1822 ـ 1859) وخلفه سيدي محمد (1859 ـ 1873) على طلب الوساطة الأمريكية لحل بعض الخلافات التي كانت تنشأ بين المغرب وبعض الدول الأوروبية، خاصة عندما كانت بريطانيا تتنكر لدورها التقليدي كحامية للدولة المغربية أمام أطماع كل من فرنسا وإسبانيا بشكل خاص. فخلال الخمسينات من القرن الماضي عبر المخزن للحكومة الأمريكية عن رغبته في أن تتوسط هذه الأخيرة و"توظف مساعيها الحميدة في كل القضايا التي تهم علاقات المغرب الخارجية". بل إن الأمر وصل بالسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى أن طلب من الحكومة الأمريكية بسط حمايتها على المغرب كوسيلة لإحباط الضغوط الأوروبية. فالولايات المتحدة كانت تمثل بالنسبة للمغرب الدولة الأقل خطرا على استقلاله لبعدها الجغرافي من جهة ولضعف اهتمامها السياسي به من جهة

ثانية. إلا أن الحكومة الأمريكية رفضت الاقتراح المغربي تمشيا مع النهج الذي رسمته لنفسها بعدم إقحام نفسها في شؤون النصف الشرقي من المعمور، وتلافيا لأي مواجهة مع بريطانيا التي كانت غيورة على دورها المتميز في علاقات المغرب بالعالم الخارجي.

الولايات المتحدة و"المسألة المغربية" : لعل أبرز مظاهر ما أصبح ينعت بالمسألة المغربية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر كان هو قضية الحماية القنصلية وما ترتب عنها من مضاعفات خطيرة بالنسبة للمخزن. ولم يكن القصد من عقد مؤتمر مدريد 1880 الخاص بمشاكل الحماية هوالتخفيف من متاعب المغرب، ولكن كان الغرض منه الوصول إلى صيغة توفيقية تخفف من حدة التنافس بين الدول الغربية بشأن المحميين من المغاربة. والولايات المتحدة هي الأخرى كان لها محميون بالمغرب وإن كان عددهم محدوداً نسبياً، ولذلك فإنها كانت ضمن الدول المشاركة في هذا المؤتمر، ولو أن دورها فيه كان ثانويا بحيث اكتفى المندوب الأمريكي بالتفرج على الجدل الدائر بين ممثلي الدول الأوروبية. وإذا كان المندوب الأمريكي قد عبر عن ارتياحه لنتائج مؤتمر مدريد فإنه تأسف في نفس الوقت لعدم صدور توصيات بشأن ما سماه بغياب حرية الاعتقاد في المغرب والاضطهاد المزعوم للأقلية اليهودية، وهذه النقطة الأخيرة هي التي استأثرت باهتمام القناصلة الأمريكيين بالمغرب خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر.

العلاقات المغربية ـ الأمريكية خلال القرن العشرين : كانت الولايات المتحدة من الدول التي شاركت في مؤتمر الجزيرة الخضراء 1906 وهو المؤتمر الذي جاءت نتائجه منسجمة مع السياسة الأمريكية تجاه المغرب والهادفة إلى إبقاء باب البلاد مفتوحاً في وجه تجارة جميع الدول الغربية. وعلى مقررات الجزيرة الخضراء اعتمدت الولايات المتحدة لحماية مصالحها بالمغرب طوال عهد الحماية.

مرحلة الحماية : لم تعارض الولايات المتحدة فرض الحماية الفرنسية ـ الإسبانية على المغرب في سنة 1912 ولكنها لم تعترف بها إلا في سنة 1917. فلماذا هذا التأخر في الاعتراف بنظام الحماية ؟ لقد لخص أحد كتاب الدولة الأمريكية سياسة بلاده تجاه المغرب في العبارة التالية :"إن اهتمامنا الأساسي (بالمغرب) هو اهتمام تجاري". لذلك فإن الأمريكيين لم يكونوا يكترثون بمصير المغرب السياسي طالما تحصلت لديهم ضمانات تحمي مصالحهم التجارية فيه. وبما أن عقد الحماية كان غير واضح فيما يخص مصالح الدول الغربية الأخرى فإن أفضل موقف ارتأت الإدارة الأمريكيةالتشبث به في سنة 1912 كان هو موقف "لننتظر حتى نرى ماذا سيحدث". ولا شك أن الأمريكيين كانوا يريدون من وراء تعليق اعترافهم الاحتفاظ بورقة ضغط يستعملونها ضد فرنسا في حالة ما إذا هددت مصالحهم بالمغرب. وحتى في سنة 1917، على الرغم من التحالف الذي جمع الولايات المتحدة وفرنسا في جهة واحدة ضد ألمانيا، لم يكن الاعتراف الأمريكي بنظام الحماية اعترافا مطلقاً، بل ربط بمدى احترام الفرنسيين لما سماه الأمريكيين بحقوقو الولايات المتحدة في المغرب، ومن جملتها "حق" الحماية القنصلية بالنسبة لعدد من الرعايا المغاربة.

وكان مشكل الحماية القنصلية بالذات يسبب إزعاجاً كبيراً لسلطات الحماية الفرنسية خاصة وأن بعض المحميين كانوا من العناصر الوطنية النشيطة المعروفة بعدائها لفرنسا، وقد حاولت الإدارة الفرنسية بكل الوسائل إقناع الأمريكيين بالتنازل عن امتيازاتهم بخصوص الحماية القنصلية والاقتداء ببريطانيا التي تخلت في سنة 1937 عن "حقها" في حماية المغاربة، لكن الولايات المتحدة ظلت متعلقة بامتيازاتها حتى سنة 1956.

وفي المجال التجاري استطاع الأمريكيون بفضل تشبثهم بميثاق الجزيرة الخضراء ومبدأ المساواة التجارية بين كل الدول المنصوص عليه في هذا الميثاق أن يحتلوا مكانة متميزه في مبادلات المغرب مع العالم الخارجي. فخلال العشرينات من هذا القرن كانت الولايات المتحدة تمثل المزود الأول للمغرب بمواد البترول والزيوت الصناعية، كما احتلت الرتبة الثانية بعد فرنسا فيما يخص بيع الآليات الزراعية والسيارات والدرجات. واستطاعت بعض الصناعات الأمريكية أن تغزو السوق المغربية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية.

مرحلة الحرب العالمية الثانية وما بعدها : إذا كانت الحرب العالمية الثانية قد شكلت هزة عنيفة بالنسبة للنظام الاستعماري ككل، فإن أثرها على نظام الحماية كان أقوى وأشد نظرا لعدد من العوامل، نذكر منها مشاركة المغرب الفعالة في الحرب، واستعمال أرضه كرأس جسر للقوة العسكرية الأمريكية التي حسمت الصراع لصالح الحلفاء، ثم أخيراً احتضان المغرب لمؤتمر أنفا 1943 وما تم على هامشه من لقاء هام بين السلطان محمد بن يوسف والرئيس الأمريكي روزفلت (انظر مادة "أنفا").

في يوم 8 نونبر 1942 بدأت تصل إلى شواطئ المغرب عشرات الآلاف من الجنود الأمريكيين ضمن إحدى أكبر عمليات الحرب العالمية الثانية (عملية "تورش" Torch) التي سمحت للحلفاء ، في أقل من ستة أشهر، بطرد الألمان وحلفائهم من الشمال الافريقي ككل. إن وصول الأمريكيين إلى المغرب لم يكن حدثا عسكريا محضا بل كان له أثر بالغ في نفوس المغاربة ووقع أكيد على مسيرة نضالهم ضد نظام الحماية. فالأمريكيون أظهروا للمغاربة من القوة العسكرية والتكنولوجية، بل وحتى الاقتصادية، ما زعزع هيبة فرنسا في أعينهم وجعلهم يتطلعون إلى دور أكثر إيجابية من طرف الأمريكيين لصالح قضيتهم.

أما الحدث الآخر الذي ميز العلاقات المغربية ـ الأمريكية خلال فترة الحرب العالمية الثانية فكان يتمثل في لقاء أنفا بين سلطان المغرب والرئيس الأمريكي. إننا لا نعلم بالضبط ماذا قيل خلال هذا اللقاء التاريخي الذي تم

على هامش مؤتمر أنفا، لكن يظهر أن روزڤلت اكتفى بالإشارة إلى مبادئ وثيقة الأطلسي 1941 التي تنص على حق الشعوب في تقرير مصيرها، كما عبر عن قناعته بأن نهاية الحرب لا بد أن يتبعها تغيير في وضعية الشعوب المستعمرة، وإذا كان الرئيس الأمريكي قد تجنب تقديم وعد صريح لمساندة المطالب الوطنية المغربية، فإنه أظهر استعداد بلاده لمد المغرب بالمساعدة الاقتصادية الضرورية بمجرد ما يحصل على استقلاله.

ومهما يكن محتوى الحديث الذي دار بين محمد بن يوسف وفرانكلن وروزڤلت فإن اللقاء في حد ذاته كانت له دلالة كبيرة بالنسبة للوطنيين المغاربة. فاستدعاء رئيس دولة يوجد "قانونيا" تحت وصاية دولة أخرى للجلوس مع رئيس أكبر قوة عسكرية واقتصادية في العالم كان حدثا أثر بشكل كبير على نفسية السلطان والشعب المغربي معا. وسواء قدم الرئيس الأمريكي وعودا بدعم نضال المغرب من أجل الاستقلال أم لا فإن الوطنيين المغاربة اعتقدوا ذلك، وليست المبادرة بتأسيس حزب الاستقلال في نفس السنة بغريبة على هذا اللقاء.

إلا أن الآمال التي ربطها المغاربة على الدعم الأمريكي سرعان ما تبخرت في أجواء الحرب الباردة التي طبعت العلاقات الأمريكية - السوڤياتية بعد سنة 1946، لقد تميز الموقف الأمريكي تجاه النضال الوطني المغربي بعد الحرب العالمية الثانية بنزعتين متناقضتين : كانت هناك من جهة النزعة التقليدية لدى الأمريكيين بمساندة الشعوب في تقرير مصيرها، وهو توجه تعزز بتطلع الولايات المتحدة إلى أن تلعب دوراً أكثر ديناميكية في اقتصاد مغرب مستقل، كما كانت هناك، من جهة ثانية، اعتبارات استراتيجية دولية أكثر أهمية كانت لها الغلبة في النهاية، وتمثلت في ضرورة دعم الحليفة فرنسا وتجنب كل ما من شأنه أن يضعف دول حلف شمالي الأطلسي أمام "الخطر الشيوعي" الذي أصبح الهاجس الأساسي لأمريكا في حربها الباردة مع الاتحاد السوڤياتي. وهذه الاعتبارات هي التي فرضت تعاونا عسكريا وثيقا بين الولايات المتحدة وفرنسا تجلى فيما يخص المغرب بإقدام الأمريكيين على إنشاء خمس قواعد جوية بالمغرب صالحة لانطلاق الطائرات البعيدة المدى والمحملة بقنابل نووية.

المغرب والولايات المتحدة بعد الاستقلال : شكلت مسألة القواعد العسكرية الأمريكية أهم عقبة وقفت في طريق تطبيع العلاقات بين أمريكاوالمغرب المستقل. لقد اعتبر المغرب أن بقاء هذه القواعد بعد حصوله على استقلاله أمر يتناقض مع سيادته لأنها أقيمت فوق أرضه دون أن يطلب رأيه فيها، ولأنها تتنافى ومبدأ عدم الانحياز الذي اختاره نهجا لسياسته الخارجية. وقد سلك المغرب مسلك الاعتدال والحوار لتصفية القواعد العسكرية الأمريكية. ففي سنة 1959، عندما زار الرئيس إيزنهاور المغرب، استطاع محمد الخامس أن يحصل على وعد بإفراغ تلك القواعد مع نهاية سنة 1963. إلا أن انسحاب العسكريين الأمريكيين في تلك السنة لم ترافقه تصفية كلية للوجود العسكري الأمريكي بالمغرب. ذلك أن الولايات المتحدة احتفظت بقاعدة القنيطرة وبمركزين للاتصال اللاسلكي بكل من بوقنادل وسيدي يحيى، وكانت هذه المنشآت كلها مرتبطة بالأسطول الأمريكي السادس. وعلى الرغم من الانتقادات الشديدة للوجود العسكري الأمريكي من طرف الأحزاب الوطنية المغربية فإن قاعدة القنيطرة بقيت تشكل مرتكزاً هاما بالنسبة للأسطول السادس حتى منتصف السبعينات، ولم تفرغ بصفة نهائية إلا في سنة 1978.

أما في المجال الاقتصادي فإن المصالح الأمريكية تبقى دون الأهمية السياسية والاستراتيجية التي يمثلها المغرب بالنسبة للولايات المتحدة. فقيمة الاستثمارات الأمريكية بالمغرب لا تتجاوز 60 مليونا من الدولارات (صناعة العجلات، بعض الصناعات الكيماوية)، كما أن المبادلات التجارية للمغرب مع أمريكا لا تمثل إلا حوالي 10٪ من مجموع التجارة الخارجية المغربية.

Hassan II, *Le Defi*, Paris, 1976 ; J. Bookin - Weiner, and M. el Mansour, éd, *The Atlantic Connection*, Rabat, 1988 ; J. Damis, *U.S-Arab Relations : The Moroccan dimenson*, Washington, 1986 ; Luela Hall, The United *States and Morocco, 1776 - 1956*, Metuchen, N.J, 1971.

محمد المنصور

**أمريكا الشمالية واتفاقية التعاون** بتاريخ 27 مايو 1982. يبدو أن هذه الاتفاقية تعطي الحق للقوات الأمريكية بولوج القواعد المغربية سامحة لقوات التدخل والانتشار السريع بالتوقف للتموين. ويؤكد المسؤولون من الطرفين أن هذه الاتفاقية لا تسمح سوى بتسهيلات للقوات الأمريكية في القواعد المغربية.

أما على المستوى السياسي فإن ما يشد الانتباه هو التطور الغير المنتظم أو على العكس المنتظم في مدِّه وجَزْره على وتيرة أسنان منشار. فالتقلبات عديدة بدأت غداة الاستقلال بالرفض الأمريكي تقديم المساعدة للمغرب نظراً للدعم الذي يقدمه هذا الأخير لحركة التحرر الجزائرية التي تكافح ضد فرنسا. وقد دفع به هذا مبكرا إلى الانفتاح على الاتحاد السوفياتي والاستجابة إلى محاولات تقربه. ونرى هذه التقلبات من تقارب وتباعد، وإقبال ونفور في مناسبات مختلفة : جو التعبئة العامة الذي جرت فيه المفاوضات من أجل الجلاء واخلاء القواعد العسكرية في المغرب، في محاولة التقرب المغربية إلى الولايات المتحدة كبديل عن العلاقات مع فرنسا بعد أزمة 1965 مع هذه الأخيرة، وفي التشنج الذي أسفرت عنه علاقات التبادل التجاري مع كوبا التي أبقى عليها المغرب رغم اعتراض الولايات المتحدة، وفي رفض إدارة كارتر لتسليح المغرب ودعمه سياسياً في مرحلة دقيقة من التطور العسكري والدبلوماسي لقضية الصحراء ؛ ثم التحسن المفاجئ للعلاقات بين البلدين عند نهاية ولاية كارتر، ومعاهدة

التعاون العسكري في مايو 1982 الذي تلاه نوع من البرودة إثر إبرام اتفاقية وجدة التي عقدت نوعا من التحالف المغربي الليبي.

وهكذا فإن العلاقات المغربية الأمريكية تظهر على شكل توال لفترات برود متعددة كتعدد الفترات التي تتقوى فيها أواصر التقارب. وجدلية التقارب والقطيعة هذه، هل تعبر عن شيء آخر غير وزن التحولات الظرفية في العلاقات بين البلدين ؟ . ما هو المنطق الذي يحكم هذا التوالي من فترات "فقدان الاهتمام" وثم "زيادة الاهتمام" و"التعاطف" و"النفور" ؟.

يبدو أن العامل الاستراتيجي هو الحاسم في مواقف أمريكا وسلوكها، فمنظِّرو الاستراتجية الأمريكية يذكِّرون دائما بالموقع الرفيع الذي يحتله المغرب في البحر المتوسط والمحيط على مقربة من الممر الصحراوي الذي يطل على جزر الكناري الذي يمكن أن تراقب انطلاقاً منه الصلات البحرية بين افريقيا وأمريكا والجو المغاربي من جهة أخرى، فإن كون البحر المتوسط بحراً مقفلاً فمن الصعب دخوله والابحار فيه بكل حرية للحركة. لهذا يجب تأمين حرية المرور والحصول على قواعد، وموقع المغرب يسمح بذلك. من جهة أخرى فإن الأمريكان يرون في إسبانيا والبرتغال والمغرب مواقع قادرة على وقف منافسيهم من مد قوتهم على الأطلنتي من خلال المتوسط. وهكذا فكل شيء يؤهل المغرب في أعين خبراء الاستراتيجية الأمريكان ليكون موقع أمن خطير الأهمية، رغم كونه لا يكتسي صفة الأولوية من وجهة النظر هذه. والظاهر أن هذه الأهمية الاستراتيجية للمغرب لا تعني بالنسبة للولايات المتحدة تكثيف التعاون على الصعيد العسكري (المساعدة ضئيلة نسبيا) وعلى الصعيد الاقتصادي (التبادل التجاري والاستثمارات لا تكاد تذكر). فتونس التي لها أهمية استراتيجية أقل تعرف اهتماماً سياسياً أكبر وتتمتع أحياناً بعون عسكري أكثر من المغرب، والأمر كذلك بالنسبة للجزائر ذات القيمة الاستراتيجية الأقر ظهوراً، تعرف اهتماماً اقتصادياً أكثر من المغرب ومبادلاتها مع الولايات المتحدة أكبر حجماً.

Barrett (Robert. S) *U S policy in North Africa in American-Arab Affairs*, n° *13, été 1985*. Gallagher, Charles. F, *U.S. Nort Africa*, Cambriidge, Mass, Harvard University Press, 1963 ; Parker Charles. H, *Regional tensions*, New York, Praeger 1984 ; *Appointment in Oujda, Foreign Affairs*, vol 63, n° 5, été, 1985. pp 1095-1110. Sefiani (N), *E. U. Maroc*, memoire D.E.S, Faculté des sciences juridiques, économiques et sociales, Rabat Université Med V ; Damis (J), *Les relations des Etats-Unis avec le Maroc, Maghreb-Machrek*, n° 111, Jan -Fev - Mar 1986, pp 5-23.

عبد الله ساعف

**إمْريكْلي**، ناحية طبيعية بالصحراء المغربية، تقع جنوب رأس بوجدور بين النواحي الطبيعية التالية : الحسيان ودرعة افرافير والقراب. تنقسم الناحية إلى قسمين : إمْريكْلي الأحمر، وإمريكلي الأبيض.

Camero Ruiz, Ismael, *Vocabulario geografico- sahariano*, Madrid 1955, p. 102-160.

**أمْزَاغْ**، أسرة تطوانية أصلها من صنهاجة، وقد كان جل أفرادها يعملون في الجندية حيث نجد المسمى عبد الكريم أمزاغ يعمل في فرقة المدفعية بحامية تطوان، وقد وقّع على وثيقة مبايعة مولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد في 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821. كما نجد في حامية تطوان سنة 1246 / 1830 الجندي محمد أمزاغ. ومازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان* ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*. 3 : 13 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 8 : 213 و216 و351 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* , *Vademecum*. M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**الأمْزالي**، عبد السميح الهشتوكي، نوازلي خط في النوازل محررات جمعت في مجلد ضخم، وبها ذكر بين المؤلفين السوسيين. توفي تقديراً أواخز القرن الحادي عشر الهجري.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 136 ؛ *سوس العالمة*، 186 ؛ *رجالات العلم العربي*.

**الأمْزاوْري**، محمد بن ابراهيم الإلالني، قاضي إلالن في عصره، عظيم في علمه ومكانته، من مشايخ عبد الرحمان الجشمي. توفي تقديراً في أواخر العقد الرابع أو أول الخامس من القرن الثالث عشر (19 م)، مصنِّف ضمن المؤلفين السوسيين بكتابين : *حاشية على البخاري* ومجموعة *فتاو*.

الجشتمي، *الحضيكيون*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 200 ؛ *المعسول*، 6 : 55.

عبد الله درقاوي

**أمْزلاگ**، أسرة يهودية أصلها من المغرب، هاجر بعض أفرادها إلى البرتغال منهم :

**أمزلاگ ليون**، كان أحد مسيري الجماعة اليهودية بلشبونة عام 1853.

**أمزلاگ موشي**، حبر عاش بفاس، وتوفي بها عام 1621.

**أمزلاگ موشي بن شباط**، الأستاذ بجامعة لشبونة ورئيس رهبانية المارانيين البرتغاليين الذين عادوا إلى اليهودية، بعد أن اجتازوا، في هويتهم، قرون محاكم التفتيش، ألف عدة كتب في علوم شتى.

سيمون ليفي

**أمْزميز**، مدينة من مدن دير الأطلس الكبير الغربي الواقعة عند مخارج الأودية الأطلسية جنوب مراكش، كأيت أوريرْ وإيمي - نْ - تانُوت. تقع أمزميز عند منفذ وادي أنگال إلى السهل على ارتفاع 986م وعند قدم جبل أزرو ويزام (2286 م).

يمكن القول إن ذكر أمزميز باسم أمسميصي يعود إلى البيذق عند حديثه عن غزوات الخليفة عبد المومن. لكن يبقى مشكل تحديد طبيعة موضع المدينة مطروحا إلى غاية القرن السادس عشر، إذ اكتفى ابن خلدون بدوره بالحديث عن گدميوة وعلاقتهم بالمرينيين دون ذكر بلدة أمزميز، وخصص لها كل من الوزان ومارمول وصفا قصيراً يجمع على أنها من بناء الأقدمين، وربما يعتبر الاهتمام الذي أولاه السعديون للطرق التجارية السبب الذي دفعهم إلى بناء وإعادة بناء عدد لا يستهان به من القصبات على طول المحاور التجارية الكبرى، وخاصة طريق سوس على ممر تيزي ـ ن ـ ماشو التي ازدادات أهميتها مع احتلال السودان. كما تساعد قراءة *رحلة تاسافت* على رفع الغموض عن الكثير من جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمنطقة الأطلس الكبير الغربي خلال القرن الثامن عشر. مما يسمح بالقول بأن أمزميز على الأقل ابتداء من القرن الثامن عشر أصبحت تضطلع بوظيفة مخزنية إلى جانب الوظيفة التجارية التقليدية، وكونها توجد على ممر تجاري عند قدم الجبال جعلها وسيطا مخزنيا بين السهل (حيث خليفة السلطان) وبين الجبال (حيث أشياخ القبائل) غير أن أمزميز لم تعرف خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر نمواً حضرياً يذكر، كما يبدو من خلال أوصاف بعض الرحالة الأجانب الذين أعجبوا بها أشد الإعجاب (Z. Chatinières).

أما بداية القرن العشرين فستشهد تنافسا حول المدينة بين 1903 و1911 وبين كبار قواد الأطلس (الگندافي والاگلاوي والمتوگي) قبل خضوعها إلى الإدارة الفرنسية التي جعلت منها مقر دائرة تشمل منطقة نفوذ القائد الگندافي. إلا أنها فقدت وظيفتها كمحطة تجارية في طريق سوس بتحول القوافل عنها بعد فتح الطريق الثانوية رقم 501 الرابطة بين مراكش وتارودانت عبر تاحناوت وتيزي ـ ن ـ تاسْت ما بين 1924 و1928. في المقابل أصبحت أمزميز تقوم بدور الوصل بالنسبة لمدينة مراكش في إطار العلاقات الجديدة التي تربطها بالأرياف المجاورة. وقد ساعد على تعزيز هذه الوظيفة فتح الطريق الثانوية رقم 507 بين مراكش وأمزميز من جهة، وتزايد الأهمية التجارية لسوق أمزميز الأسبوعي ولسويقتها اليومية من جهة أخرى.

ومن البديهي أن ينعكس هذا التطور على النمو الديمغرافي لساكنة هذه البلدة أولاً وعلى مجالها المبني وحجم تجهيزاتها ثانيا، بل وعلى بنياتها الاقتصادية والاجتماعية ثالثا. ذلك أن المدينة عرفت ثلاث مراحل في نمو ساكنتها : مرحلة أولى جد بطيئة تعرف نمواً ديمغرافياً سنوياً يتعدى قليلا 1٪، حيث انتقل عدد السكان من 1739 ن سنة 1936 إلى 4036 ن عام 1960، ومرحلة أخيرة أبطأ من الأولى، حيث انتقل عدد السكان من 5210 ن سنة 1971 إلى 5853 ن سنة 1982، وبينهما شهدت المدينة نمواً متوسطاً نسبيا 2,34٪. ويمكن تفسير هذا البطء والتذبذب في تزايد سكان المدينة أساساً بضعف حصيلة الهجرة وتنوعها. ذلك أن المدينة خضعت بشكل ملموس إلى عملية استقطابها لسكان الوسط القروي المجاور، خصوصا بعد 1960، إلا أنها شهدت هجرة أقوى في الاتجاه المعاكس، خصوصا بعد 1971 عندما ازداد توافد جزء من سكان أمزميز على المدن الكبرى، وهي ظاهرة من شأنها أن تساهم في تربيف المدينة وتراجع بعض مظاهر تمدنها.

ومما لا شك فيه أن تزايد حجم التجهيزات العمومية وغير العمومية كان مغايراً لنسبة التزايد الديمغرافي بالمدينة. إذ استطاعت في إطار الوظيفتين الإدارية والتجارية أن تستقطب عددا لا يستهان به من المصالح، وخاصة تلك التي يغطي نفوذها الجماعات العشر والقيادات الأربع المكونة للدائرة (قيادات گدميوة وگندافة ووزگيتة وأولاد مطاع) كالمستشفى القروي والمؤسسات التعليمية الثانوية ومصلحة المياه والغابات مثلا. وبلغ عدد هذه المصالح 15 مؤسسة عام 1980، منها 9 مصالح ذات طابع تقني. كما تعتبر الوظيفة التجارية من أقدم وظائف المدينة، ولربما شكلت منطلق تكوين مثل هذا النوع من المراكز الموجودة على الممرات الجبلية وبين مجالين تجاريين أساسيين (منطقة سوس ومنطقة مراكش).

وتتجلى أهمية سوق ثلاثاء أمزميز في كونها تتعامل مع مدينة مراكش لتصريف المواد الخام والمنتجات الريفية والحرفية، زيادة على تعاملها التقليدي مع السهل والجبل لتزويدهما بالمنتجات الصناعية الحضرية. غير أن إشعاع هذا السوق بدأ يشكو من تزايد عدد الأسواق داخل كل منطقة، إذ وصل عدد الأسواق الكائنة بدائرة أمزميز أحد عشر سوقا، أي بمعدل سوق لكل جماعة قروية. وربما كانت هذه المنافسة من بين العوامل المفسرة لتزايد أهمية السويقة التي أصبحت في العقد الأخير تتحكم إلى حد بعيد في الإشعاع التجاري لهذه البلدة بما قدره 2630 متجر. تتمحور بنية السويقة التجارية والحرفية بالأساس، مثل باقي مدن الدير المجاورة، حول قطاع الحرف والخدمات (108 متاجر) والمواد الغذائية (101 متجر). وتظهر أيضا أهمية هذين النشاطين من خلال توزيع أرباب الأسر المشغلين حسب أنواع قطاعات الشغل، إذ يعمل 186 رب أسرة بالحرف والخدمات، و142 رب أسرة بالتجارة، مقابل 104 بالعمل اليومي، و97 بالفلاحة، و86 بالوظيفة العمومية، و20 بالعمل بالخارج.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مجموع هذه التطورات كان لها انعكاس كبير على المجال المبني لبلدة أمزميز خلال العقود الثلاثة الأخيرة. ولعل أهم مظاهر هذا التحول هو بروز نوى سكنية جديدة إلى جانب النواة القديمة وإذا كان القسم المعروف بأمزميز يتألف من حي السور الجديد الذي تشغل فيه إحدى قصبات أمزميز القديمة ركنها الشمالي الغربي، وإذا كانت قصبة القائد تتموضع شمال الموضع الحالي للسوق الأسبوعية، فإن توسع المجال المهني شمل بالأساس الأحياء الآتية : درع السوق وأمادل على الضفة

اليمنى لوادي أمزميز، والحي الإداري ودوار ركراكة على الضفة اليسرى. إلا أن هذا التوسع بدأ يشكو من قلة الأراضي الصالحة للبناء نتيجة وجود عدة حواجز، منها على سبيل المثال الوادي نفسه والشعاب المنحدرة من الجبال المجاورة، وبساتين أشجار اللوز والزيتون التابعة لمصالح المياه والغابات.... وقد يكون هذا هو السبب في هيمنة الطابع القروي على السكن بأمزميز، كما يتضح من خلال نسب مواد البناء المستعملة من جهة (79٪ من الدور مبنية بالتراب المدكوك أو الطوبة مقابل 9٪ بالأسمنت و12٪ بالحجارة) والحالة التي توجد عليها المساكن من جهة أخرى (49٪ من الدور غير صالحة للسكنى و13٪ منها فقط جديدة). وهي عناصر تدل ولا شك على قدم بلدة أمزميز وعلى ضعف المستوى المعيشي لساكنتها إن لم نقل على تراجع مستواها الحضري.

وخلاصة القول، أن أمزميز تعتبر نموذجا للحواضر الصغرى القديمة التي ارتبط ازدهارها بتجارة القوافل من جهة، وبالوظائف المخزنية القديمة من جهة أخرى، والتي لم تستطع مسايرة التحولات التي أحدثها انفتاح المغرب، ومن خلاله منطقة الأطلس الكبير الغربي، على الاقتصاد النقدي التجاري.


البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 4 ؛ ع. صدقي(تحقيق) *رحلة تاسافت* ، دكتوراة السلك الثالث، باريس، 1984. ماكالي مورسي (تحقيق). ث. بلور (Th. Pellour)، باريس، 1983.

E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904 ; J. Dresch, *Documents sur les genres de vie*, Tours, 1941 ; Justinard, *Le Caïd El Goundafi*, Casablanca, 1952 ; H. Béguin, *l'Organisation*, Bruxelles, 1974.


أحمد بلاوي

**أمْزْوَارْ**، كلمة أمازيغية تجمع على إمزوارن وهي مأخوذة من فعل إزْوَارْ أو إزْوُورْ، الذي يعني : سبق / تقدم/ ترأس. فـ "أمْزْوَارْ" إذن تعني : السابق أو الأول / المتقدم أو المقَدَّم / الرئيس أو المترئس... في كل شيء ومن كل شيء، في الزمان والمكان، سواء تعلق الأمر بالإنسان أو الحيوان أو الجماد أو المعاني المجردة.

نجد أمزوار في المصادر المكتوبة بالعربيـــة مرسومة هكذا : مزوار بحذف حرف "أ"، أو معربة أحياناً بلفظ مقدم أو نقيب.

إن الانتشار الواسع لكلمة أمزوار في المجال الأمازيغي، في مجموع شمالي إفريقيا، دليل على قدمها، وقدم المؤسسات الجماعية التي وظفت فيها.

وكلمة أمْزْوَار لا تظهر، على مستوى الجماعات المحلية أو التجمعات الدينية أو الحرفية. ككلمة محملة بمضامين السلطة المخيفة أو القهر الجائر، بل محملة بمضامين الحكمة والرزانة والهيبة. لأن أمْـزْوَار في هذه الحالة، شخصية منبثقة عن الجماعة وباختيارها. ووظيفته هي حماية المصالح العامة، ودرء كل ما يهدد وجود الجماعة وتماسكها وأمنها.

وهكذا نتعرف على الكلمة عند البيذق بمعنى رئيس الفخذ أو القبيلة في نظام الموحدين، ويميز بين مزوار للقدَم، أعني الموحدين الأصليين، ومزوار للمضاف منهم، وهم المسمون بالغزاة (ص 47).

وقد استعملت الكلمة فيما بعد، في مختلف العصور، وفي كل مناطق المغرب الكبير، لقبا لشخصيات احتلت مناصب عالية في أجهزة مختلف الدول المغاربية. كما تسمى بها أشخاص احتلوا مناصب أقل أهمية سوء على مستوى المؤسسات المركزية أو المحلية.

وبقيت الكلمة بعد ذلك تطلق على رئيس الجماعة التي تشرف على تسيير شؤون القرية أو "القبيلة"، الذي يُنتخب أو يُعين لمدة سنة من بين أعضاء الجماعة. كما تطلق أحياناً على شخص يطلب منه أن يكون أول من يدشن عملا هاماً أو صعباً، تيمنا به واستجلابا للسعد والخير. وبهذا المعنى نلاحظ أنها تقترب كثيرا من لفظ أنفلوس.

وإذا كان أمُوزَرْ عند التارگيين (التوارگ) - وهي صيغة أخرى لأمْـزْوَار - كممارس للسلطة، يكاد يرادف أمغار فإنهماو في نظرنا، يختلفان من حيث مصدر سلطة كل منهما، في البداية على الأقل. فالأول يستمدها من إرادة الجماعة، والثاني يفرضها بإرادته.

لقد توارت بعض استعمالات كلمة "أمْزْوَار" في المجال التنظيمي ولكنها ماتزال حية في باقي المجالات الأخرى.


أ. البيذق، *أخبار المهدي*، باريس، 1928، ص 41-47.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*, t. IV, p. 1982 sq ; E. Destaing, *vocabulaire Français-Berbère*, Paris, 1920, p. 229 ; E. Laoust, *Siwa*, Paris, 1932, t. I, p. 244 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, pp. 62, 134, 122 ; *E.I.*, N.E. 1975, t. I, p: 1214 ; *E.B.* IV, pp. 622 sqq.

ملحوظة : في هذا المرجع الأخير مقال هام تتبع فيه صاحبه تطور استعمالات كلمة"أمْزْوَار" عند الدول المغاربية. كما أعطى ببيليوغرافيا موسعةجد مفيدة.


علي صدقي أزايكو

**أمْزْوَار**، في البلاط المريني، شاع اطلاقه على مسؤولين من درجة عالية وهو ما كان يقابل الحاجب في أنظمة إسلامية أخرى. وجرى استعمال لفظ "المزوار" بدل "أمْزْوَار" في الدارجة وحتى في الكتابات الرسمية. وحسب ابن خلدون في *المقدمة*، وهو معاصر لبني مرين وخبير بمؤسسات الحكم لديهم، يشرف المزوار على الحرس السلطاني ويسهر على تنفيذ العقوبات ويراقب المعتقلين في السجون ويتولى الحجابة بين السلطان والعامة. وعلى هذا فالمزوار عند بني مرين أقل أهمية في منصبه من الحاجب لدى الحفصيين وأمويي الأندلس مثلاً حيث كان وسيطا حتى بين الوزراء والعاهل. وتكفي الإشارة هنا إلى دور كل من ابن تافرجين في تونس وأبي جعفر المصحفي في قرطبة، لكن الحفصيين خصّوا كل طائفة من الجند والأشياخ برئيس سموه بالمزوار.

ولم يكن قبل بني مرين وظيف رسمي يقابل المزوار أو الحاجب. لكن بعض المؤرخين كمؤلف *روض القرطاس*

يجعلون من بعض الشخصيات التي عرفت بقوة نفوذها في البلاط الموحدي حجاباً، كالأمير أبي حفص عمر لدى يوسف بن عبد المومن، والوزير ابن جامع لدى محمد الناصر. ولم يكن المزوار بالضرورة من أهل العلم، كما أنه لا يلزم أن يكون دائماً من انتماء اجتماعي معين. وقد ظل المصطلح لدى القصر السلطاني يتردد بنفس الاختصاصات تقريباً مع فروق حسب الظروف، من العهد المريني إلى العهد السعدي، ولكن استعمل إلى جانبه إيضاً لقب قائد المشور خصوصاً منذ العصر الوطاسي. وبهذه الصفة، فهو موضع ثقة العاهل إلى درجة كبيرة، حيث يجمع بين الحجابة وشؤون القصر الداخلية، ويتولى فتح أبوابه وإغلاقها.

وسجلت حالات من اتساع النفوذ لدى بعض الذين تولوامسؤولية المزوار كما هو الشأن في أبي العباس القبائلي الذي نكبه أحمد بن أبي سالم. ومن الذين حملوا لقب المزوار ومارسوا اختصاصاته عدد من العلوج والخصيان، كما نجد اليهودي خليفة بن حيون من حجاب يوسف بن يعقوب. ومنهم من تولى مهمات دبلوماسية أو عسكرية بالإضافة إلى مهمتهم المذكورة.

على أن هناك بعض التطور أيام السعديين فيما يرجع إلى اختيار غالبية "المزاوير" فهم إلا نادراً، عرب أو أمازيغ وأكثر هؤلاء مصامدة. وهناك بعض العلوج كرضوان وابن تودة. ومن جهة أخرى يروج في المصادر أيضاً لفظ الحاجب بدل المزوار، والأرجح أنه أقل استعمالاً في العرف الرسمي.

وأطلق "المزوار" بشكل شائع على نقيب الشرفاء. ويظهر أن مزوار الشرفاء أصبح لقباً واختصاصاً رسميين منذ العهد المريني على الأقل، أي ابتداء من القرن السابع (13م)، ونقابة الأشراف تقليد لمثيلاتها في الشرق الإسلامي الذي عرفها قبل ذلك بوقت طويل خصوصاً في بغداد. وعلى هذا كان لكل مجموعة سلالية من الأشراف مزوارها الخاص. وقد اعتنى المرينيون بالأشراف بعد غيبتهم الطويلة عن ساحة النفوذ ورفعة المكانة، ومزوار الشرفاء يختارونه بمحض إرادتهم وقد يزكيه السلطان. ففي المشرق كانت أنظمة الحكم لاسيما المماليك، تتولى في الغالب تعيين النقباء بصفة مباشرة، شأن كبار مشايخ الصوفية أيضاً. أما في المغرب فتكتفي الدولة بتزكية المزوار الذي ترشحه الهيئة العائلية المعنية في جهة من الجهات. ونادراً ما تتدخل لتفضيل أشخاص بذاتهم. ولم يختف لفظ المزوار بمعنى عميد الشرفاء حتى يومنا هذا بالرغم من استعمال مصطلح نقيب الأشراف إلى جانبه.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 7 ؛ *المقدمة* ؛ أ. القلقشندي، *صبح الأعشى*، 5 : 137 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 86 ـ 90 ؛ ع. بنشنهو، *البيان المطرب* ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، 2 : 104.

إبراهيم حركات

**أمْزْوَار**، والحجابة كما ورد في النصوص التاريخية. إذا كان ابن خلدون قد أنكر وجود خطة الحجابة عند المرينيين مشيراً إلى أن الذي كان يقوم مقام الحاجب هو المزوار، فإن جل المصادر الاخبارية تحدثت عن حجاب السلاطين ولم تشر إلا في القليل النادر للمزوار كخادم للسلطان المريني، بينما يتفرد ابن مرزوق، فيما نعتقد، وهو من أهم الذين وصفوا المخزن المريني من الداخل، يذكر عدداً من حجاب ومزواريّي أبي الحسن بشكل يظهر وكأنهما خطتان منفصلتان، في حين أنهما خطة واحدة كما سيظهر لنا من خلال حديثنا عن وظائف المزوار. ويزداد مشكل التسمية كمحتوى عندما تتجمع عدة خطط في شخص واحد، فيصبح المزوار أو الحاجب هو الكاتب أو الوزير أو صاحب العلامة أو يجمع بين جل هذه الوظائف مما يطرح صعوبة فرز الوظيفة الحقيقة لخطة المزوار.

عرّف ابن خلدون في *المقدمة* بخطة الحجابة عند المرينيين، فأنكر أولاً وجود هذا المنصب لدى دول زناتة، وأعظمها دولة بني مرين، لكنه وصف في نفس الوقت من كان يقوم مقامه أي المزوار، فهو عنده المقدم على الجنادرة المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ أوامره وتصريف عقوباته وإنزال سطواته وحفظ المعتقلين في سجونه، فالباب له وأخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع إليه، (*المقدمة*، 428 ـ 429).

نجد هنا العناصر الأساسية للتعريف بالمزوار والمهام الأساسية التي كانت توكل إليه من حرص على أمن السلطان، ووقوف على تطبيق قراراته، وإشراف على مراسيم استقبال رعاياه. كما أن هذا التعريف ساعدنا على فهم نصوص أخرى وردت بها أوصاف حية لمهام بعض من تولوا خطة المزوار، وهكذا فإن إشارات مفيدة وردت عند ابن مرزوق تمكن من الاقتراب أكثر من التعرف على موقع المزوار بداخل الجهاز المخزني المريني، حيث جاء في *المسند* أن علال الهسكوري، وهو حاجب أبي الحسن، كان عند مخدومه بمنزلة الولد الأنجب فلا يخفي عنه أمراً ولا يدبِّره دون مشاركته، يطلعه على أحوال أهله ويأذن له في الدخول إلى محله... تولي تربية الأصاغر، وتدبير أمر الأكابر، فهو مع الأولاد ومع الفتيان (...) إذا حضر الوزراء فهو أولهم، وإذا اجتمع الجلساء فهو واسطة عقدهم (*المسند*، 367).

والواقع أن هذه المواصفات التي تبرز أهمية المزوار، كانت تنطبق على العديد من الذين تولوا هذا المنصب، خاصة وأن تأثير هؤلاء كان أكبر حجماً في ظل دول سلاطين اتسموا بالضعف إزاء حاشيتهم، وأهمية هذا المنصب هي التي جعلت بعض الحجاب يساهمون في تولية بعض السلاطين كما هو الحال بالنسبة للمزوار عبو بن قاسم الذي تولى بيعة أبي الحسن المريني (*العبر*، 7 : 526). وعليه فإن ملاحقة النصوص التاريخية وعبرها سير بعض الحجاب، تكشف لنا عن العديد من الأدوار والوظائف التي كان يقوم بها المزوار.

وإذا تركنا جانبا تداخل خطة المزوار مع وظائف أخرى هي من اختصاص الوزير أو الكاتب أو صاحب العلامة، فإن

المزوار كان دوره محددا في جوانب تتعلق أساسا بشخصية السلطان وحاشيته وعلاقته بالعالم الخارجي، فهو المكلف بأمن مخدومه إذ هو "صاحب الشرطة العليا"، ( *ورقات*، 61) الذي يقوم بسد أبواب القصر وفتحها ( *جذوة*، 125 . 126). ولما كان المزوار يتمتع بثقة السلطان، كالحاجب، فإنه كان يخالط الحريم ويسهر على تربية الأبناء ويقضي حاجيات أهل البيت ( *المسند*، 338 و339). ومن جهة ثانية، فإن المزوار كان صلة الوصل بين السلطان وموظفيه ورعيته، وفي هذا المجال تبدو خطة الحجابة بشكل أكثر وضوحاً (*Les premiers sultans*, p.110). حيث يقوم بتطبيق أوامر السلطان وينظم لقاءاته مع موظفيه ويحجب أسراره عن مجالسيه. وهي وظائف كانت تتطلب من صاحبها التمتع بالرزانة والحكمة. ولربما أدى اندفاع المزوار إلى ممارسات تتجاوز حدود الحجابة خاصة عندما يتولى هذا الأخير خططاً أخرى كالعلامة أو الكتابة أو الوزارة (*Société*, p. 264) ؛ أو عندما تذوب شخصية السلطان أمام مزواره كما حدث خلال حجابة اليهودي خليفة بن حيون ابن وقاصة الذي بلغ عند أبي الربيع حظوة لم يبلغها عنده أحد بحيث يقصر عنها الوصف حتى إن جميع الجيش ينادونه بسيدي أبي خزر... كل ذلك لتعظيم أبي الربيع سليمان له وتوليته التصرف في دولته وتخوفاً منه ( *بيوتات*، 58 . 59). ولذلك كان كبار موظفي القصر يتوددون إليه (A. Khaneboubi, *Les premiers Sultans*, p. 110).

ومقابل هذا كانت تهبّ لحظات تاريخية تنمحي فيها وظيفة المزوار، أو تتقلص، وذلك عندما كان يخضع القصر السلطاني لأحد الوزراء كما حدث عند وفاة أبي عنان وبعده.

يظهر أن خطورة خطة المزوار دفعت بالسلاطين المرينيين إلى اعتماد مقاييس ثقافية واجتماعية في اختيار محل ثقتهم. فقد أقصى السلاطين الأشخاص المنتمين للأسرة المرينية، حيث لم نعثر ضمن لائحة الحجاب على أي مزوار له علاقة قرابة دموية أو قبلية بالسلطان، في حين أسندت هذه الخطة لأشخاص كانوا إما من العبيد أو من اليهود أو من الفقهاء أو من بعض أهل "الخبرة" المنتمين لعصبيات غير العصبية الحاكمة.

وهكذا نجد السلاطين المرينيين، وخصوصا منهم الأوائل، اعتمدوا على العبيد واليهود، فيعقوب بن عبد الحق كان حاجبه من الموالي وهو عتيق الخصي، وكان لابنه يوسف حاجب من العبيد وهو عنبر الخصي، كما كان لأبي ثابت حاجب هو مولاه فرج الخصي. ويبدو أن سمة الخصي المرتبطة بهؤلاء تحيلنا على شدة التصاق المزوار بمخدومه ومخالطته للحريم بوجه خاص. أما بالنسبة لليهود فإن النموذج الأكثر تعبيراً هو حالة اليهودي خليفة ابن وقاصة، الذي يبدو أن اختياره كحاجب يدخل ضمن اعتماد بعض السلاطين المرينيين على العنصر اليهودي في تسيير شئون الدولة (*Société*, p. 266) إلا أن أكثر الذين تولوا الحجابة عند المرينيين كانوا من أوساط المتعلمين؛ ومعظم هؤلاء تسلقوا سلم الإدارة المرينية إلى أن أوصلتهم كفاءاتهم العلمية وحنكتهم السياسية إلى الحجابة أو ما يضاهيها. وقد اهتمت كتب التراجم بهذا الصنف من الحجاب، وهو ما يفسر في نظرنا توفر معلومات مهمة عنهم، ومن نماذج هؤلاء عبد الله بن أبي مدين الذين كان فقيها مشاركاً تدرج من خطة العدالة ليصل إلى خطة الحجابة ثم الكتابة بعدما زاول عدة وظائف بالقصر أثبت خلالها تعلقه بالسلطان وتفانيه في خدمته ( *جذوة*، 438 . 439). وهناك أيضا أسرة الكنانيِّين التي توارثت العلم والخطة ( *جذوة*، 438)، ويمكن أن نذكر مع هؤلاء ابن مرزوق الخطيب حاجب أبي الحسن، ومحمد التميمي حاجب أبي عنان. ويبدو أن التكوين العلمي لهؤلاء وأيضا حنكتهم السياسية هما اللذان دفعا بهم إلى الجمع بين عدة مناصب. فضمن هؤلاء كذلك نعثر على الذين قاموا بأدوار خطيرة في جهاز الدولة ومارسوا تأثيرات مهمة على مخدوميهم حتى أصبحوا هو الممارسين الفعليين للسلطة.

وفي ثنايا المصادر أسماء بعض الحجاب الذين يظهر أن اختيارهم قد تكون له علاقة بأصلهم القبلي، وهو ما نلمسه في حجابة أبي حسون علال الهسكوري، وعبد الله الزرهوني، وعمر بن عبد الله بن علي الياباني، وعمر بن ميمون امحمود الهسكوري. إن اختيار هؤلاء ممن ليسوا من أهل العلم، كما تنعتهم بذلك بعض المصادر، قد حددته بلا شك تجربتهم في الرآسة.

ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ م. ابن مرزوق، *المسند* ؛ إ. ابن الأحمر، *مستودع العلامة* ؛ *بيوتات فاس الكبرى* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ م. المنوني، *ورقات*.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc* ; A. Khaneboubi, *Les premiers sultans mérinides* 1269 - 1331, Paris, 1987.

عمر بنميرة

**إِمْزُوغْ**، اسم فرقة من قبيلة تدغة، وإِمْزُوغنْ اسم فرقة من قبيلة إِنـمِّيغرنْ وهي التي بني في أرضها سد للأ تاكُرْكُوسْتْ جنوبي مراكش. والاسم يدلّ على الحمرة، وهو من نفس الجذر الذي اشتق منه اسم إمازيغن الاسم الأصلي للبربر، وتأول بعض الدارسين أنه يقابل معنى "حمْيَر" الشعب المعروف، واستدل به على عروبة البربر المتأصلين من حمْيَر اليمن. وليس محققا أن حمير هو ابن سبأ وليس متفقاً على أن اسمه من لبس الأحمر. وقد يكون من أوجه التأويل المحتمل أن يفيد جذر زغ الذي منه إمزوغن وإمازيغن معا معنى آخر هو الغربة والتغرب، وإن كان الغالب على حرف الغين اليوم بهذا المعنى أن تنطق جيما بدوية فيكون زكّ بمعنى تغرّب. وإذا أقحمت الدال وهي من أحرف الزيادة بين الزاي والغين جاءت زدغ لتفيد عكس معنى الغربة وهو الاستقرار والاستيطان الذي منه أسماء عدد من الفرق كإدَاوْزْدَاغْ عند المصامدة وزداجة المذكورة في

بطون البربر من قديم. وبالقلب في ترتيب الدال والغين مع وضع الراء محل الزاي تفيد كلمة دغ ر نفس معنى الاستيطان عند صنهاجة أو زناتة، ومنها المدغري أو المضغري وأدغار أو أضْغارْ مسكن الرجل وبلده.

أحمد التوفيق

**أمْزْيان، حمادي** بن عبد الله، ولد سنة 1900 بأيت فتاتن، فرقة أولاد حساين، قيادة بني عمارت، إقليم الحسيمة، التحق بصفوف جيش التحرير وعمل تحت قيادة علوش محمد امزيان إلى أن استشهد أثناء إحدى المعارك على إثر إصابته بالرصاص، وذلك في شهر شتنبر 1956 بباب الخيط ناحية الحسيمة.

**أمزيان، محمد** ولد سنة 1938 بدوار اخْوَانَا، إقليم تازا، انضم إلى صفوف جيش التحرير بالشمال منذ 1/10/1955، غير أنه ما لبث أن لقي مصرعه برصاص المستعمر في معركة اخْوانا يوم 18/10/1955.

**أمزيان، محمد حمُّوش**، ولد بمدشر اغماتا بعين زروة، إقليم الناضور سنة 1911. وعندما اندلعت عمليات جيش التحرير بشمال المغرب يوم ثاني أكتوبر 1955 انخرط في صفوفه، وشارك في المعارك التي خاضها تحت القيادة المباشرة للسرجان الحسن إلى أن استشهد يوم 30 أكتوبر سنة 1955 في بوغرارة بناحية بوسكرة.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

**أمزيان، محمد الشريف**، زعيم الريف الأول. ولد حوالي سنة 1860 م بقرية أزغنغن من قبيلة أيت بويفرور (إحدى القبائل الخمس التي تتكون منها قلعية) الواقعة جنوب مدينة مليلية، من أسرة شريفة يتصل نسبها بالحسن بن علي وفاطمة بنت رسول الله (صلعم).

حفظ القرآن الكريم على يد والده في الزاوية التي كان يتزعمها وتعرف بزاوية سيدي أحمد بن عبد السلام بن صالح في نفس القرية (ازغنغن). وكان للأب نفوذ كبير في كل القبيلة بفضل مواقفه المشرفة وسعيه الدائم لاصلاح أمور الناس. وبعد وفاته خلفه ابنه محمد أمزيان على رأس الزاوية المذكورة.

تعاطى الشريف أمزيان تجارة البقر والبغال متنقلاً ما بين الريف والجزائر، فاشتهر بين القبائل التي كان يمر بها، بالتواضع والفضيلة وحب الخير والغيرة عن الوطن، مما أكسبه حب واحترام الجميع لدرجة أن قبيلة كبدانة زوجته إحدى بناتها، وفتحت بأرضها فرعاً لزاويته ببرج سيدي بشير (رأس الماء) في موضع مقابل لجزر ملوية المحتلة. وبهذا توثقت صلاته بهذه الجهات وشاع صيته بها.

يضاف إلى ما سبق ما اقترن به اسمه داخل قلعية وخارجها من مبادرات تلقائية دؤوبة لمصالحة المتخاصمين، وفك النزاعات وإخماد الفتن، رصيده في كل ذلك نسبه الشريف أولا، ثم استقامته وورعه وبراعته في الإقناع ثانيا، وكانت تدخلاته هذه غالبا ما تكلل بالتوفيق.

ولكل ذلك، كانت تقصده الجموع الغفيرة من المسافرين الريفيين إلى القطر الجزائري للسير في ركابه والاحتماء بحرمته من أخطار الطريق بسبب انتشار قطاع الطرق واضطراب أحوال تلك المناطق. وهكذا اشتهر بين القبائل الريفية كزَطَّاط يوفر الأمن التام لكل من سافر في ركابه.

وسارت حياته على هذه الوتيرة إلى تاريخ وصول الثائر بو حمارة إلى قلعية حيث تغير مجرى حياته.

ذلك أن الجيلالي الزرهوني المدعو بوحمارة كان قد ثار بنواحي تازا، منذ أواخر سنة 1902 على المولى عبد العزيز، ففكر هذا الأخير في خطة لتطويق الثائر من الخلف وقطع اتصاله بالبحر من جهة الشمال. فأرسل كلا من المولى عرفة والشريف محمد الامراني إلى المنطقة الشرقية بهدف تجنيد جيش يهاجم تازا من الشمال والشرق. وحين وصلا إلى مليلية في فبراير 1903 بدون جيش ولا أطر مقتدرة وجدا بأن دعوة بو حمارة قد لقيت آذاناً صاغية من بين سكان هذه المنطقة خاصة بعض الأعيان من ذوي النفوذ كالشاذلي وبن شلال وأزماني... بينما اتخذ الباقي موقف المتفرج المترقب، رغما عن الرسائل التي كانوا يتوصلون بها من بو حمارة يدعوهم فيها للانضمام إلى حركته. فخيم على المنطقة بسبب ذلك هدوء يشبه الذي يسبق العاصفة، وقد انفجر هذا الوضع فجأة عندما حاول ممثلا المخزن الشروع في تنفيذ المهمة التي قدما من أجلها. فظهر على الساحة فريقان، أحدهما مناصر للمخزن ذو امكانيات محدودة، وآخر موال لبوحمارة، تعاظمت قوته في مدة وجيزة، فزحف على قصبة فرخانة (دار المخزن) التي كانت ترابط بها حامية مخزنية

تحت قيادة البشير بن سناح، حيث حوصرت واحتلت يوم 13 أبريل 1903 بعدما فر من كان بداخلها من جنود إلى مليلية الواقعة على مسافة قريبة جدا منها بعد مقاومة مستمية، ليبحروا بعد ذلك بأربعة أيام في اتجاه طنجة. كما التجأ إلى نفس المدينة أنصارالمخزن من سكان قلعية هروباً من بطش الثوار. وكان على رأس الفريق المناصر للمخزن كل من الشيخ أحمد بن عمر أوعاس المزوجي ومحمادي بن علي بن زريوح الفرخاني والشريف محمد أمزيان.

كان أمزيان قد انضم إلى صفوف أنصار المخزن منذ الوهلة الأولى، فحارب ضد بوحمارة باللسان والسلاح، محذراً سكان الريف من كذبه، مبيناً لهم أن اسمه الحقيقي هو الجيلالي الزرهوني وليس المولى امحمد بن الحسن كما كان يدعي. وقد وجدت دعايته صدى لدى سكان هذه المنطقة مما جعل بوحمارة يصدر أوامره بالقبض عليه. لكن تقدير الناس له جعل بعضهم يعلمه بما يدبر ضده، فاسرع في الخروج من داره مع بعض اتباعه متوجهاً إلى ملوية حيث يخيم الجيش المخزني الذي كان قد توجه إلى هنالك، فحارب في صفوفه، وذلك في مستهل سنة 1907م. ولما اضطرت بقايا هذا الجيش إلى الدخول إلى مليلية في يناير 1908م بعد استنفاذ كل طاقاته ووسائله الحربية وفقد الأمل في وصول الإمدادات المخزنية إليه، وجد في أمزيان خير مؤازر ومدافع، وكان هو أيضا من بين الملتجئين إلى مليلية. لكن أحداثاً خطيرة وقعت بالمنطقة في هذا التاريخ.

فقد أقدم الإسبان على احتلال رأس تيننگا "Restinga" (أركمام) في 14 فبراير سنة 1908، ثم برج سيدي بشير (رأس الماء) Cago de Agua في 12 مارس من نفس السنة من غير أن يحرك بوحمارة ساكناً. وكان قد رخص قبل ذلك (يونيو 1907) لشركتين معدنيتين : الأولى إسبانية (Sindicato espanol de minas del Rif) والثانية فرنسية (Compania Norte Africano) بالشروع في إنجاز الأشغال لاستغلال مناجم الحديد والرصاص الواقعة بأيت بويفرور (ويكسان وأفرا بالتوالي)، وإقامة خطين للسكك الحديدة لربط هذه المناجم بميناء مليلية. وهكذا انكشف تواطؤ بوحمارة مع الأجانب ضد استقلال البلاد ووحدتها. ومع ذلك لم يستطع سكان الريف فعل أي شيء. لأن أي مقاومة للإسبانيين ستتحول حتما إلى مواجهة ضد سلطانهم المزعوم. أضف إلى ذلك ما كانت تعانيه القبائل من الضغائن وديون الدم وغير ذلك من مظاهر التنافر والانقسام وإذا كانت الصورة تبدو قاتمة للوهلة الأولى، فإن توفر الريف على شخصية كالشريف أمزيان كان كافياً لتغيير هذه الصورة جذرياً.

انتقل محمد أمزيان من مليلية إلى برج سيدي بشير المحتل، محرضا السكان على الثورة ضد بوحمارة علانية وضد الاحتلال الإسباني خفية. لكن سلطات الاحتلال أبعدته من هناك بسبب نشاطه الملحوظ ضد الإسبانيين، وأرجعته إلى مليلية ووضعته تحت المراقبة. فمكث بها بضعة أشهر دأب خلالها على إقناع الحاكم العسكري لمليلية الجنيرال خوسي مارينا José Marina بالسماح له بمغادرة مليلة، ثم التوسط له لدى بوحمارة، فسمح له بالرجوع إلى قبيلة أيت بويفرور. وهكذا نجح في الإفلات من المراقبة المفروضة عليه، فانطلق متنقلا بين الأسواق والقبائل يدعو الناس للثورة ضد بوحمارة واقتفاء أثر الأمة في مبايعة المولى عبد الحفيظ. فوجدت دعوته استجابة تلقائية وسريعة أينما حل وارتحل، بسبب انكشاف أمر الفتان من جهة، وبسبب الإجماع الوطني حول سلطان الجهاد من جهة أخرى. وبينما كانت كلمات أمزيان تجد طريقها إلى أعماق الريفيين الذين التفوا حوله بهمة وتطلع. كان جشع بوحمارة وتواطؤه يقودانه إلى قبيلة بني ورياغل، حيث مني فيها بهزيمة نكراء، مما أرغم قواته على الانسحاب وسط قبائل تتأجج ثورة ضد سلطته وضد الاحتلال الإسباني في آن واحد. وذلك بفضل نشاط أمزيان الذي أقدم على إيقاف الأشغال المعدنية في المناجم وفي الخطوط الحديدية. لذلك اجتمعت القبائل على اختياره قائدا لها في أكتوبر 1908. ثم بايعت المولى عبد الحفيظ في نفس الاجتماع. فلم يعد من اختيار أمام بوحمارة سوى الانسحاب النهائي من سلوان في آخر سنة 1908، مخلفا وراءه إرثا ثقيلا بالمشاكل.

استغل الإسبانيون حالة الفراغ السياسي الناتج عن غياب سلطة فعلية للمخزن في المنطقة، فضلا عن المشاكل المستعصية التي كان يواجهها في هذا التاريخ من الدول الأوربية، فأقدموا على استئناف الأشغال المعدنية التي توقفت غداة ثورة القبائل ضد سلطة بوحمارة، معتمدين على عملائهم المبثوثين بين صفوف السكان، وذلك في 7 يوليوز 1909 مما خلق حالة استنفار عامة بقلعية. فعقد زعماؤها سلسلة من الاجتماعات دون أن يتمكنوا من اتخاذ موقف حاسم بشأن هذه المسألة بسبب انقسامهم بين مؤيدين ومعارضين. إذ كان "أصدقاء" اسبانيا قد تقوى حزبهم وتكاثر عددهم بفضل إغداقات الإسبانيين عليهم، ومنحهم امتيازات تجارية وإمدادهم بالسلاح الحديث، فأصبحوا ينادون جهرا بالسماح للإسبانيين بمد الطريق المذكور واستغلال المناجم متذرعين بالفوائد التي من شأنها أن تعود على سكان المنطقة من دخول الإسبانيين إلى الريف.

إلا أن هذا المخطط الاستعماري اصطدم بمعارضة شديدة من طرف أمزيان الذي رفض كل العروض التي قدمها له الجنيرال مارينا، وأقسم على ألا يوافق على بيع شبر واحد من أرض المغرب، مصراً على أن الفصل في مثل هذه القضايا (أي مد السكك الحديدية واستغلال المناجم) يرجع إلى السلطان وحده، وما على الإسبانيين إلا أن يتوجهوا إليه فيما يطلبون. لكن خطة اسبانيا كانت تهدف إلى إقصاء المخزن من هذه المسألة حتى تتجنب الخوض في مصداقية العقود التي أبرمتها مع الفتان علماً بأنها لم تعترف به، لذلك كانت تتعمد إظهار المخزن للقبائل في صورة الضعيف العاجز أمام قوتها وإرادتها، وبأنها هي

الآمرة الناهية في المنطقة لتنقاد القبائل للتعامل المباشر معها دون وساطة المخزن.

لم يكن أمزيان غافلا عن هذه المكائد، لذلك أقنع قلعية بإرسال وفد عنهم إلى فاس لعرض القضية على السلطان. إلا أن المولى عبد الحفيظ كان يواجه في هذا الظرف أوضاعا صعبة بسبب مواجهته مع الدول الأوربية، واكتفى، حين استقباله لهذا الوفد بعد شهور من مقامه بالعاصمة، بإخبارهم بأن الحرب قد نشبت بين إخوانهم الريفيين والإسبان، ثم أمرهم بالالتحاق ببلادهم دون إعطائهم جوابا عما بعثوا من أجله من طرف أهل الريف.

ذلك أن الجنيرال مارينا عمد إلى استعمال عملائه لتعميق شقة الخلاف وإثارة البلبلة بين صفوف القبائل حتى لا تتوصل إلى أي إجماع لإيقاف الأشغال الجارية في ورش بناء السكة الحديدية. لكن الشريف أمزيان فطن لخطورة هذا الوضع فقرر وضع حد بالفعل لتذبذب المواقف، فقاد هجوما على ورش الأشغال بموضع "سيدي موسى" الواقع على بعد ستة كلم من قبيلة مليلية صبيحة يوم 9 يوليوز 1909، استغله مارينا للخروج بجيشه من مليلية، متوغلا في أراضي قلعية، فاحتل بعض المواقع الإستراتيجية جنوب مليلية.

كان هذا الحدث بداية صفحة مشرقة من الكفاح والتضحية، انضافت إلى سجلات النضال الوطني الزاخر لهذه المنطقة، خاض فيها سكان الريف بزعامة الشريف أمزيان حربا حقيقية طيلة ثلاثة أعوام ضد قوات الاحتلال الإسباني.

فعندما اندفعت جحافل هذا الجيش لغزو البلاد، تصدى لهاسكان القبائل الريفية بزعامة أمزيان، فخاضواعشرات المعارك التي أبدوا فيهامن البطولة والإقدام والثبات وفن القتال ما يعجز عن وصفها قلم، فزرعت انتصاراتهم المتتالية على الغزاة الذعر في الرأي العام الإسباني الذي عبرت بعض فئاته عن معارضتها لهذه الحرب.

أما الحكومة الإسبانية فقد حشدت قوات ضخمة فاقت ستة وأربعين ألفا، مكونة من نخبة جنودها وضباطها مزودين بأحدث الوسائل الحربية، للقضاء على "أسطورة" مقاومة الريف للأجانب ! إلا أن هذه القوات وجدت صعوبة كبرى في التقدم، لدرجة أن إحدى الفرق الإسبانية الممتازة التي استقدمت من العاصمة مدريد بقيادة الجنيرال الشهير پينتوس Pintos انهزمت بقائدها وضباطها وجنودها وعتادها أمام رجال الريف في موقعة إغزر (أخندوق) أشَنّ، المعروفة لدى الإسبانيين بـ : "El Barranco del Lobo" (أي وادي الذئب)، وذلك على أبواب مليلية، يوم 27 يوليوز 1909. ثم توالت انتصارات المجاهدين ملحقة خسائر جسيمة بصفوف الغزاة، خاصة عندما أصبحت الحكومة الإسبانية تتعجل الإنهاء الرسمي لغزوها لأرض الريف، ذلك الغزو الذي حاولت إخفاءه وراء عمليات البوليس !، حتى لا يتبين الرأي العام حقيقة عجزها في الحرب الاستعمارية التي كانت تخوضها في المغرب. ورغم أن الحكومة أعلنت انتهاء العمليات العسكرية في الريف رسميا بعد احتلالها لموقع ازْغنغن في آخر سنة 1909، فإنها واصلت زحفها نحو الجنوب الشرقي لمليلية لدفع احتلالها وإيصاله إلى واد ملوية، الحد الفاصل بين منطقتي الاحتلال الإسبانية والفرنسية.

أما المخزن الذي تقدم باحتجاج إلى عميد السلك الديبلوماسي وإلى السفارة الإسبانية بطنجة، ثم طالب بالحاح بجلاء القوات الإسبانية عن المناطق المحتلة بالريف خلال سفارة ألفونسو ميري ديل بال Alfonso Merry del Val إلى فاس، فإنه لم يلبث أن تحطمت مقاومته الديبلوماسية ورضخ للضغوط الإسبانية المساندة من لدن كل الدول الأوربية، ولم يجد بداً من قبول شروط الاتفاق المغربي الإسباني الموقع بمدريد في 16 نوفمبر 1910 الذي خول اسبانيا امتيازات كثيرة في المغرب، وكرس احتلالها للمناطق التي استولت عليها. وأصبح بامكانها أن تحتل ما شاءت من بلاد الريف تحت قناع عمليات البوليس بواسطة القوة المخزنية المنصوص عليها في الفصل الثالث، التي تتلقى الأوامر مباشرة من الحرّاب الإسباني ! والمندوب العالي المخزني المفوض في الريف، وقد أصبح هذا أداة طيعة لتنفيذ سياسة الإسبان التوسعية في المنطقة.

أما الشريف أمزيان فإنه انتقل إلى الضفة اليسرى لنهر كرط بقبيلة بني سعيد، مع من رفض الرضوخ للمستعمر من سكان قلعية، فتمركز بسوق جمعة ماوْرُو ذي الموقع الاستراتيجي، الذي يسمح له بمراقبة تحركات العدو من غير أن تصله نيران المدافع الإسبانية. وكان قد قبل وساطة المندوب المخزني لإقامة السلم مع سلطات الاحتلال على أساس عدم عبور الإسبانيين لنهر كرط أو احتلال مواقع جديدة، لكن يبدو أن ذلك كان مناورة من جانبهم هدفوا من ورائها لكسب الوقت لتعزيز تحصيناتهم والتفرغ للجبهة الغربية (جبالة). ولم يكن هذا خافيا على أمزيان، لذلك سن نظام " النوبة" القاضي بانتداب كل قبيلة من القبائل غير المحتلة لعدد معين من المقاتلين يتناوبون على المداومة في رباط المجاهدين (اجنادة)، إضافة إلى العدد القار من المجاهدين المهاجرين من قلعية، تحت قيادة أمزيان.

اعتقد الإسبان بأن الفرصة سانحة لمواصلة توسعهم فيما وراء كرط، لما لاحظوه من قلة عدد المجاهدين حول أمزيان. إلا أنهم عندما استأنفوا تحركهم، وجدوا أنفسهم متورطين في حرب حقيقية مختلفة عن السابقة 1909، لأن المجاهدين تحولوا من وضع الدفاع إلى الهجوم العام، مخترقين تحصينات العدو، متوغلين داخل القبائل المحتلة لاستنهاضها ضد الاحتلال. وأصبح الوضع خطيراً بالنسبة للغزاة بحيث استوجب حضور وزير الحربية الإسباني إلى ميدان المعارك ليتولى قيادة العمليات الحربية بنفسه، وفي الوقت الذي كانت فيه اسبانيا والرأي العام الخارجي يترقبون تحقيق نصْر حاسم في الريف على يد وزير الحرب،

مُنيت الجيوش الغازية بفشل ذريع وهزائم متتالية، زعزعت كيان الإسبانيين، خاصة وأن "جراح" هزائمهم في الريف 1893 و1903 لم تندمل بعد. فوقفوا مندهشين أمام هذه الظاهرة العجيبة، وانشغلوا بالبحث عن سر هذه الطاقة المتجددة، فخلصوا أخيراً إلى أنها تكمن في شخصية الشريف أمزيان «الذي حارب ضد سلطة الروكي - يقول تقرير لمصالح الاستخبارات الإسبانية وظل وفيا للمخزن... واكتسب شرعية أكثر منذ تصديه لمحاربة الإسبان في 1909م، فنال بذلك مزيداً من النفوذ والصيت... إنه روح الحركة الموجهة ضدنا حاليا، والتي عرف كيف يحافظ على استمراريتها بفضل مواهبه وكلامه الحاذق البارع المقنع الذي ينفذ إلى الأعماق...».

لما تيقن الإسبان بأن طريقهم إلى الريف يمر عبر أمزيان، كتب وزير الحربية إلى قائد قوات الاحتلال بقطاع مليلية يقول له إذا كانت «... القذائف الصفراء [يقصد المال] ستصلنا بأمزيان... فإن كل ما ينفق في سبيل ذلك يظل رخيصا» بمقارنته مع مقابله، لكن ثبات موقف أمزيان ورسوخ مبدئه جعل الإسبانيين يرفعون الثمن ويغيرون العملة؛ إذ "عند الانتهاء من المفاوضات [الجارية لفرض معاهدة الحماية] سيتوجب علينا - يقول وزير الحربية تعيين خليفة في منطقتنا يمثلنا لدى السلطان يمكننا أن نوجه أنظارنا إلى أمزيان" عندئذ.

إلا أن أمزيان لم يكتف برفض جميع العروض والإغراءات التي قدمت له فحسب، بل راح يهيئ ويخطط للقيام بهجوم عام لتحرير المواقع المحتلة، خاصة بعد شيوع خبر توقيع معاهدة الحماية في 30 مارس 1912. وفي خضم هذا التحول الكبير والنوعي لمجرى الحرب، بانتقال أمزيان والمجاهدين من وضعية الدفاع إلى الهجوم، وما واكب ذلك من مظاهر الإبداع الشعبي في مجال تنظيم المقاومة والتخطيط للمعارك، سقط الشريف أمزيان شهيدا في 15 ماي 1912، برصاص الغدر على يد أحد رجال البوليس الأهلي، بعد أن نجح في توحيد قبائل الريف، وعلمها كيف توجه طاقاتها للدفاع عن وحدة الوطن واستقلاله. وهذا ما تأكد عندما أقدم الاستعمار على استئناف غزوه للريف بعد سنوات من وفاة أمزيان، حيث وجد أمامه مرة أخرى روح الشريف محمد أمزيان مزروعة في كل بقعة من أرض الريف.

كانت هذه الحرب منذ بدايتها دائرة بين طرفين غير متكافئين ؛ فمن جهة، هناك دولة اسبانيا باقتصادها المتفوق وعتادها الحربي العصري وجيشها المنظم والمدرب، تحظى بتأييد من الدول. وفي الجهة الأخرى هناك القبائل الريفية الضعيفة الفقيرة والمتأخرة بمحاربيها من المتطوعين، ناقصي التسليح، تحارب وحدها بدون أي سند معتمدة فقط على قواها الذاتية.

وإذا كانت هذه المعطيات تعزز سياسيا جانب الإسبانيين وتمنحهم تفوقا ماديا كبيراً، لدرجة يمكن معها اعتبار أية مقاومة من طرف الريفيين ضرباً من الحماقة، فإن سير العمليات الحربية أبان عن بعد نظر سياسي وانساني، وعن طاقات هائلة للمجاهدين، سواء من حيث التخطيط للمعارك أو التحمل والاستبسال والاستماتة في الدفاع عن الوطن، فارغموا بذلك عدوهم على منازلتهم فوق ميدان يتيح لهم تعويض ضعفهم المادي بفرض أسلوب حرب العصابات الأكثر ملاءمة. فنجحوا في معظم الأحيان في عزل مواقع الاحتلال الإسبانية عن بعضها البعض، ثم مهاجمة قوافل التمويل، ودفع جيش الاحتلال للخروج من مواقعه المحصنة واستدراجه إلى الكمائن المنصوبة له.

هكذا جسد أمزيان إرادة القبائل الريفية. فكان الزعيم البطل دون منازع، الوطني الغيور المخلص الذي لا يلين له عود في مقارعة الاستعمار، والقائد المحنك والمخطط العسكري بالفطرة، يتصدر المقاتلين، يقاتل إلى جانبهم، يحثهم من على ظهر جواده على الثبات في قتال عدوهم والتماس الاستشهاد.

وإذا كان أمزيان والمجاهدون قد تمكنوا من الوصول إلى إدراك الخطة التاكتيكية التي ساعدتهم على تحقيق انتصارات متتالية على جيش عصري ومنظم، فإنهم على العكس من ذلك، لم يهتدوا إلى الخطة الإستراتيجية التي تحقق النصر الحاسم، فأتاحوا بذلك لعدوهم فرصة استثمار العنصر الحاسم في تفوقه عليهم وهو سلاح المدفعية... إلا أن هذا التفوق لم يثنهم على الاستبسال والتضحية بأرواحهم في سبيل الوطن.


*وثائق وزارة الحربية الإسبانية بمدريد* ؛ أعداد من جَريدة *El Telegrama del Rif* التي كانت تصدر آنذاك بمليلية؛ ع.الورياشي، *الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف سيدي محمد أمزيان وأخبار مقاومته هو وإخوانه الريفيين لأبي حمارة ثم الإسبان*، تطوان، 1976.

Delbrel, G, *El Pretendiente y sus harcas en el Nordeste Marroqui, 1902-1908, Tanger, 1909 ; Gallego, Ramos, E, La Campaña del Rif 1909, Madrid,1909 ; Documentos presentados a las Cortes en la legislatura de 1907-08* por el Ministro... (Asuntos de Marruecos), Madrid, 1908 ; *Documentos presentados a las Cortes en la legilatura de 1911* por el Ministro del Estado D.Manuel F. Prito, Madrid 1911 ; Torcy, *les espagnols au Maroc en 1909*, Paris, Nancy,1911; Becher, J. *Historia de Marrueccos*, Madrid 1915 ; Maldonado, E. El Rogui, Madrid 1949 ; Estado Mayor Central del Ejército, *Historia de las Campañas de Marruecos*, Madrid; Ayache, G. *Les Origines de la guerre du Rif*.


مصطفى أربيب

**أمزيان محمد بن القاسم الزهراوي (المارشال).**

أمزيان لقب يعني "الصغير" وقد اشتهر به الجندي المغربي محمد بن القاسم الزهراوي الذي كان أول ضابط في تاريخ الجيش المغربي يرقى إلى رتبة مشير (مارشال)، وهو لا ينتمي إلى أسرة أمزيان ذات النسب الشريف صاحبة زاوية أزغنغن بإقليم الناظور التي منها بطل المقاومة المسلحة ضد الغزو العسكري الإسباني بناحية مليلية الشريف سيدي محمد أمزيان (1909 - 1912).

ولد محمد بن القاسم أمزيان بقرية بني أنصار بالقرب من مليلية يوم فاتح فبراير 1887 وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية بالاسبانية بالمدينة المذكورة حيث كان يحمل الجنسية الاسبانية.

وفي 13 غشت 1913 التحق بأكاديمية المشاة بطليطلة وتخرج منها برتبة ملازم ثان يوم 23 يونيو 1916 حيث التحق بالجيش الاسباني وفي صفوفه شارك في العمليات العسكرية الاسبانية ضد المجاهدين العاملين في المقاومة المسلحة بناحية الناظور من سنة 1919 إلى سنة 1927 حيث كان يرأس فرقة من الجنود المغاربة المعروفة بقوات "الريكولاريس" Fuerzas regulares التابعة للجيش الاسباني.

وكان أمزيان من بين الضباط الاسبانيين الذين شاركوا في الانقلاب العسكري الذي قام به الجنرال فرانكو Franco ضد الجمهورية الاسبانية في يوم 17 يوليوز 1936 ؛ وفي الشهر الثاني انتقل من مليلية إلى إسبانيا حيث شارك على رأس قوات "الريكولاريس" في أهم المعارك التي جرت هناك أثناء الحرب الأهلية الاسبانية مثل معركة طليطلة ومدريد وأوفييدو Oviedo وطرويل Teruel ونافارا Navarra، ومن أجل هذا رقي أمزيان إلى رتبة كولونيل، كما عين مفتشاً للطوائف المغربية بمدينتي سبتة ومليلية بقرار من المقيم العام الاسباني بالمغرب الكولونيل بيگبيدير Beygbeder يوم 23 نوفمبر 1937.

وفي سنة 1941 ارتقى إلى رتبة جنرال، وفي السنة التالية عين على رأس الولاية العسكرية الثامنة بمقاطعة گاليثيا Galicia الإسبانية، كما عين سنة 1954 على رأس الولاية العسكرية بالجزر الخالدات.

وعند استقلال المغرب سنة 1956 تنازل محمد أمزيان عن الجنسية الاسبانية وبأمر من الملك محمد الخامس التحق بالقوات المسلحة الملكية ليشرف على عملية ادماج المحلات العسكرية الخليفية بالشمال في الجيش الملكي ؛ وفي 14 ماي من نفس السنة عين مفتشاً عاماً للقوات المسلحة الملكية المغربية.

وفي 14 ماي 1964 عين خليفة لرئيس المجلس الأعلى للدفاع الوطني الذي كان يرأسه الملك الحسن الثاني ؛ وفي يوم 19 غشت من نفس السنة عين وزيراً للدفاع الوطني للمرة الأولى.

وفي 24 فبراير 1966 عين سفيراً للمغرب بإسبانيا ؛ وفي 11 نوفمبر من السنة التالية عين وزيراً مكلفاً بتنسيق القوات المسلحة الملكية وذلك إلى أن عين يوم 17 يونيو 1968 وزيراً للدفاع للمرة الثانية.

وفي يوم ثاني أكتوبر 1970 رقي إلى رتبة مشير (مارشال) فكان بذلك أول ضابط في الجيش المغربي حصل على هذه الرتبة ؛ وكانت وفاته بالرباط سنة 1975.

*مجلة الدرك الملكي*، الرباط، ديسمبر 1970 ص. 11. 12.

Ministerio del Ejercito. *Biografias de los generales de la cruzale nacional*, Madrid, 1941, p. 84 ; A. Losite, *Gestas hervicas*, Tetuan, 1942, p.102-103 ; M. Rubio Cabeza, *Diccionario de la guerra civil española*, Madrid 1987, t.: II, p. 541 ; *Ingreso de Ben Mizian en la Academia toledana, Rev. Blanco Y Negro*, Madrid N°1159, 1913.

محمد ابن عزوز حكيم

## أمزيل عبد الرحمان ← الإنزگاني

**أمزيل، محمد** أُميمون. ولد حوالي سنة 1900 بأيت مساعد، ناحية إموزار مرموشة والتحق بصفوف جيش التحرير الذي كان مرابطا بإموزار مرموشة فتدرب على استعمال السلاح ضمن الوحدة التي كان يقودها إلياس ميمون أعقى. وخلال هجوم منسق على المركز العسكري بإموزار مرموشة سقط أمزيل برصاص العدو، وذلك يوم 2 أكتوبر من سنة 1955.

*وثائق المندوبية السامية.*

عزالدين العلام

**إمْزيلْنْ**، قصر على الضفة اليمنى لوادي دادس الأعلى بالقرب من بومالن دادس. اشتهر صُنَّاعُه، منذ وقت يصعب تحديده وحتى الآن، بالمهارة في صنع المجرفات الفولاذية الثقيلة الحادة التي تستعمل في قلب الأرض، وتسمى إيلزام أو إگلزام حسب اختلاف النطق (مفردها أَيَلْزِم أو أَگَلْزِم).

ويعني إمْزَيلْنْ (مفرد أمْزِيل) في الأمازيغية الحدادين. وقد كان لهم بالواحات الجنوبية دور مهم خاصة في صنع الآلات الحديدية المستعملة في الأعمال الفلاحية مثل مقالب المحراث، ومختلف المجرفات، الخفيفة منها أو الثقيلة المطعمة بالفولاذ (الهِنْت)، وكذا مختلف الفؤوس وغيرها من الأدوات الحديدية المستعملة في الحياة اليومية. ومن الملاحظ أن الحدادة بنفس المناطق، كانت من الحرف التي يستخف بها السكان البيض، ولهذا كثيراً ما كان الحدادون من السكان السود (الحراطين، إسُوقين، إقْبْلين).

ومن المعلوم أن الحدادة بهذه المناطق تراجعت كثيراً خلال العقود الأخيرة نتيجة التطور التكنولوجي والصناعي العام الذي شهده المغرب خلال نفس العقود، الشيء الذي جعل الناس في غنى عن كثير من الآلات الصناعية العتيقة.

*تحريات ميدانية.*

محمد حمام

**أمسا**، برج، ومرسى، ونهر. فالبرج قديم يقع بمكان استراتيجي يطل على مرسى أمسا الواقعة بقبيلة بني سعيد الغمارية، وهو ولا شك من الأبراج التي أمر السلطان مولاي إسماعيل ببنائها على حدود المغرب سنة 1108 / 1696.

وكانت بالبرج المذكور حاميات تقوم بحراسة الشاطىء الموالي له، وكان المحسنون من أهل تطوان يُعيرون اهتماما بالغا لهذا البرج والأبراج المماثلة له، مثل برج مرتيل، وبرج رأس الطرف، فيحبِّسون على المجاهدين المكلفين بالحراسة

بها بعض ممتلكاتهم. وفي هذا الصدد نتوفر على حبس أوصى به التاجر الحاج أحمد بن محمد الحلو بتاريخ 30 جمادى الثانية 12/1196 يونيو 1782 حيث أوقف أملاكه على الأبراج الثلاثة المذكورة، غير أنه بسبب الإهمال يوجد برج أمسا اليوم في حالة خراب.

وأما نهر أمسا فيسمى في منبعه بجبل الصفايح بنهر الدّرْدارة، ثم يعرف بنهر الخميس ، ثم بنهر أمْسا ، ويسقي أراضي قبيلتي بني حسان وبني سعيد، وتصب مياهه في البحر المتوسط بالمرسى المعروفة باسمة (مرسى أمسا).

م.داود ، *تاريخ تطوان*،1 : 242، 2 : 341.

Ministerio de la Guerra, *Accion de España en Africa*, 1930, 2: 51,112 ; Domenech Lafuente (Angel) *Geografia de la zona norte del Protectorado de Espana en Marruecos*, 1942, p.40-86 ;Cabello Alcaraz (J) *Apuntes de geografia de Marruecos*, 1951, p. 89.

**إمسّان**، ناحية طبيعية بالصحراء المغربية تقع بإقليم وادي الذهب بين النواحي التالية: ونكجير والتّرس وإسمول، وبشاطئها على المحيط الأطلنتي يوجد خليج الرأس الأكحل المعروف عند الإسبان بشينطرا Cintra.

Carnero Ruiz, Ismael, *Vocabulario* geografico - Sahariano, Madrid, 1955, p. 155.

محمد ابن عزوز حكيم

**أمْسْطُوطْ**، عبد الحق بن أبي طاهر المغيطي، أبو محمد، ومعنى أمسطوط المجنون. ذكره صاحب *التشوف*في صلحاء دكالة من أهل القرن السادس الهجري، ولعله أدرك القرن السابع ، مات ببلاد المشرق .

ي. التادلي ، *التشوف*، ص 432.

أحمد التوفيق

**أمسكروض ← إداوْزيكي**

**أمْسَمْرِيرْ** أو سَمْرير، مركز إداري تابع لدائرة بومالن دادس، استحدث في بداية الثلاثينات لتسهيل التدخل الاستعماري في الجنوب. وقد اختير للمركز موقع استراتيجي بين قبائل رُحّل قوية آنذاك وهي أيت حديدو وأيت مرغاد وأيت عطا ـ نْ ـ اسيكيسْ وأيت سمرير وأيت سْدْرَاتْ الجبل. بلغ عدد سكان القيادة سنة 1936 حوالي 6010 نسمة.

قيادة أمسمرير من القيادات الجبلية التي لا تتصل بالمجالات المحيطة بها إلا بواسطة خوانق (خانق تدغة وخانق دادس) وطرق غير معبدة، ونظرا لأهمية الارتفاع فإن مجالها يتلقى تساقطات مطرية تصل حتى 600 ملم بالإضافة الى ثلوج، إلا أن البرودة تعوق كل الأنشطة الزراعية، لذا اعتمد السكان أساسا على تربية الماشية الصغيرة وبعض الزراعات التي تشغل مجالا ضيقا للشعير والبطاطس.

ضيق الموارد الاقتصادية والانفجار الديمغرافي عاملان أديا إلى الدفع بالسكان نحو البحث عن موارد أخرى إما بالانخراط في أسلاك الجندية أو الانزلاق نحو المراكز النشيطة عند قدم الأطلس كقلعة مْكُونَة وبُومَالَنْ دَادْسْ وتـنْغيرْ بالإضافة إلى محاولة تكثيف الإنتاج الزراعي بتَوجيه إنتاج البطاطس نحو التسويق وإدخال مغروسات التفاح مؤخرا.

A.G.P, Martin, *D'Azilal au Dades*. B.S.G.M., t. IV fac. 5, pp 85-115. 1925.

محمد أيت حمزة

**أمْسْنَاوْ، سعيد** بن أحمد بن موسى السوسي أصلا، التادلي نشأة و مدفنا ، و هذه النسبة أمازيغية لإقليم تامسنا المعروف اليوم بإقليم الشاوية جنوب الدارالبيضاء.ويدعى أيضا سعيد المسناوي ـ بياء النسب العربية ـ . من أكابر شيوخ الطريقة الجزولية الشاذلية، أخذها مباشرة عن عبد العزيز التباع أشهر مريدي الشيخ محمد بن سليمان الجزولي.

قام أمسناو بسياحة دامت ثلاثين سنة لقي خلالها نحو أربعين من الشيوخ الصالحين، خدمهم وأخذ عنهم، ثم استقر بتادلا وأسس بها زاوية الصومعة، نسبة إلى صومعة جامع داي حاضرة تادلا القديمة بجوار مدينة بني ملال الحالية.

لم يهتم الذين ترجموا لسعيد أمسناو بجانب التكوين العلمي لشخصيته، مكتفين بجانب الصلاح و الكرامات. لكن قد يستنتج من نشاط زاوية الصومعة في عصره وكثرة المترددين عليها وأحوال بعض المتخرجين على يده فيها أنه كان إلى جانب التربية الصوفية أستاذا مدرسا يلقن التلاميذ القرآن ومبادئ اللغة والدين.

يذكرون أن عدد مريدي سعيد أمسناوْ في زاوية الصومعة بلغ ثمانمائة أو ألفا كان يطعمهم و يسهر على تربيتهم عن قرب، وربما أخذهم بالشدة و ضربهم بالعصا حرصا على نفعهم وتقويم سلوكهم، ومع ذلك كانوا واقفين عند إشارته « لا يتحركون لشيء إلا بإذنه و بنية صحيحة» (*ممتع*) .

لا تعرف سنة وفاة الشيخ أمسناو، وإنما تتفق كتب التراجم على أنه توفي في العشرة الخامسة من القرن التاسع الهجري.

م .ابن عسكر، دوحة ؛ ع .الصومعي، *التشوف الصغير*، مخطوط؛ العروسي، *المرقي في مناقب سيدي محمد الشرقي* ؛ م .المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط ؛ *ممتع الأسماع* ؛ ع .ابن إبراهيم،*الإعلام*، ج 10.

محمد حجي

**أمْسيطْنْ**، كتلة تقع في الشمال الغربي لمنطقة حاحة، تصل ارتفاعاتها إلى حوالي 912 م، عبارة عن مرتفع طولي على مسافة حوالي 20 كلم من الشرق إلى الغرب، اتساعه 10 كلم من الشمال إلى الجنوب. يتميز السفح الشمالي بكونه أقوى رطوبة وأكثف نباتا من مثيله الجنوبي حيث الجفاف وقوة التقطع الناتج عن التعرية المائية وقوة

الانحدار الذي يصل محليا في كثير من الحالات إلى أكثر من 25 درجة.

وتتميز الكتلة بكونها منطقة جبلية و غابوية، خالية من السكان. ولهذا فإن الدراسة ستتركز على الجانب الطبيعي والبيئي.

يبلغ معدل الحرارة في الجبل حوالي 9°، أما متوسط التساقطات فيبلغ 500 ملم سنويا في الوقت الذي تتراوح فيه قيمة التبخر المتاح بين 1200 و1500 ملم/ سنة. وعلى هذا الأساس فإن طول مدة الجفاف تتراوح بين 5 و6 أشهر حسب التوجيه. وتنتمي المنطقة من الناحية البيومناخية إلى الطبقة شبه الجافة في الارتفاعات السفلى وإلى الطبقة شبه الرطبة قرب القمة.

أغلب التكوينات الصخرية لهذه الكتلة تعود إلى العصر الجيولوجي الثاني. ففي الغرب تظهر الطبقات الطينية المالحة والتي يتم استغلالها هنا كمملحات (مملحة إذاوعْزا) . هذه الطبقات تعود إلى الترياسي. ثم هناك تكوينات تعود إلى العصر الجوراسي والكريطاسي وتتميز بتوالي الطبقات الكلسية والطينية. أما تكوينات الزمن الرابع فتتمثل هنا في طبقات رصيصية تعود إلى الفترة المغربية.

أهم الاصناف النباتية الموجودة في المنطقة، تتكون أساسا من شجرة العرعر ويكسو تقريبا كل الكتلة ويبلغ علوه حوالي مترين على السفوح وفي مناطق الاعراف وحوالي 6 أمتار في قعور الأودية. هناك أيضا شجرة البلوط الأخضر إضافة إلى شجرة أرگانْ. وتتوفر في المنطقة كذلك أنواع مدارية أخرى إضافة إلى الزيتون والبطم.

أما عن علاقة توزيع هذه الأصناف النباتية مع باقي عناصر البيئة، فيمكن القول إن المعطيات المناخية والترابية تلعب دوراً أساسياً في هذا المجال. فالبرودة الشديدة في القمة تحد من إمكانية تأقلم العرعر حيث يتم تعويض هذه الشجرة بشكل تدريجي نحو الأعلى بشجرة البلوط الأخضر والقطلب، كذلك يحدث في قدم الجبل تعويض مماثل حيث مؤهلات أستيطان العرعر تتضاءل بشكل كبير أمام المؤهلات الطبيعية لأرگان مع ظروف الجفاف. ولهذا وعلى السفح الظليل، نجد أن أرگان يختفي تماماً انطلاقا من مستوى 500م بينما يتوفر هذا الصنف حتى مستوى 800م على السفح الجنوبي. ولذا يتركز البلوط الأخضر أيضا بشكل كثيف على السفح الظليل في المستويات العليا.

إضافة إلى هذا فإن التربة تتدخل هي الأخرى في التوزيع، ففوق التربة الحمراء هناك نوعان من التكوينات الشجرية، البلوط الأخضر من جهة ويتركز فوق التربة المصولة و العرعر من جهة أخرى و يتركز فوق التربة غير المصولة . كذلك تتركز مجموعة من الأصناف الالفحمضية فوق التربة الرملية مثل الخزامى. ويعتبر الإنسان عنصرا فعالا من بين عناصر البيئة في المنطقة ومن جراء هذا فإن المنطقة تتعرض إلى ضغط استغلالي خطير قد يؤدي إلى تغيرات أساسية في التوازن البيئي للمنطقة،إذ يستغل خشب العرعر بشكل كثيف في الاستعمالات المنزلية أو كمصدر للطاقة، كما تستغل الغابة أيضا لاستخراج الصمغ وللرعي. وفي هذا المجال تجب الإشارة إلى أن ماشية السكان المجاورين للجبل تتكون أساسا من الماعز، وهذا الأخير معروف بدوره الكبير في تدهور الغابات، وقد تعرضت المنطقة لعدة حرائق ذات انعكاسات جسيمة على النباتات.

*دراسة ميدانية.*

سعيد خليل

**أَمْطُوطْ**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة تَغْزُوتْ بناحية صنهاجة، وكان جل أفرادها يتعاطون صنعة الخرازة بمهارة فائقة حيث نجد أشهرهم سنة 1305 / 1888، وهو المعلم عبد السلام يصدر البلغة التطوانية إلى بلاد الشرق، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع .سكيرج، *نزهة الاخوان* ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 11 ؛ م.داود ، *مختصر تاريخ تطوان*،2 :329 ؛ م.ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum*. M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**أَمْغَارْ**، جمعه إِمْغَارْنْ : كلمة أمازيغية مأخوذة من فعل إِمْقُورْ، وتعني الضخم أو الكبير أو العظيم أو المسن من الأشياء و الأحياء، كما تعني المرء العالي الشأن والقدرة والدرجة داخل مجتمعه، و تطلق كذلك على الحاكم والرئيس وكل من يمارس سلطة ما في المجتمع. ثم اختصر اطلاقها على شيخ القرية أو الفرقة أو القبيلة.

وبهذا المعنى الأخير اكتسبت مدلولا تاريخيا، ارتبط بتطور أوضاع المجتمعات الأمازيغية، الجبلية منها على الخصوص، على مستوى التنظيم السياسي والمجتمعي، بين التسيير الجماعي «الديموقراطي»، والهيمنة النخبوية الأوليگارشية والحكم الفردي الاستبدادي.

فإذا كانت كلمة أمْزوار مرتبطة بالتسيير الجماعي «الديموقراطي» الإنفلاسي - في أحسن الأحوال على أقل تقدير - فإن كلمة أمغار وثيقة الصلة بالنظام الأوليگارشي والاستبدادي في غالب الأحيان و خاصة إذا كانت وظيفة أمغار مرتكزة أساسا على سلطة عليا كسلطة القائد أو العامل، لا على أسس التوازن المنبثقة من تعامل مختلف الفعاليات المحلية، سواء على مستوى المجموعة التي يشرف عليها، أو على مستوى علاقاتها مع المجموعات الأخرى المجاورة.

ومع ذلك يبقى مشكل تحديد المعنى الدقيق للمدلول الوظيفي، مرتبطا بالظروف الوقتية لكل حالة، و بطبيعة العلاقة بين أمْغار الحاكم و جماعته، هذه العلاقة التي تخضع بالضرورة لمتطلبات النسيج المجتمعي بكل أبعاده، داخل المجموعات ذاتها.

إن أقدم استعمال لكلمة أمغار في المصادر المكتوبة، حسب ما نعلم ورد في كتاب : *أخبار المهدي* للبيدق. الذي ذكر أن والد الإمام المهدي ابن تومرت الموحدي كان ينعت بأمغار، ويبدو أن إطلاق لقب أمغار على أبيه، يعني أنه كان يمارس وظيفة المشيخة في قومه. والدليل البارز على ذلك هو أن الإمام المهدي نفسه «كان يلقب في صغره أيضا: أمغار. وسمي إخوته "أيت أمغار" أو بني أمغار». كما كان جده من أبيه يلقب بـ أكليد ومعناها السلطان أوالأمير أو الملك.

إننا لا نعرف بدقة كيف ومتى تم تحول المجتمعات الجبلية من نظام إِنْفْلاَسْ وإِمْزْوَارْ، الذي يسود فيه نوع من «الديموقراطية» البسيطة، إلى نظام مجالس النخبة أو «أيت أربعين» وأمغار، الذي تكون فيه القوة أساس الحكم، ثم إلى نظام إِمْغَارْنْ الذي استغني فيه عن المجالس الجماعية وأصبح فيه الحكم فرديا يتوارث.

ولكننا نعرف أن الصراع بين الأنظمة المذكورة كان دائما متوقدا، تغذيه الأزمات المختلفة، وتميل به الظروف نحو ترجيح كفة واحدة منها. وبما أن الأزمات المقصودة كثيرة ومتوالية، لأن منها ما تسببه الطبيعة ومنها ما ينتج عن السياسة المحلية أو المركزية، فإن ذلك الصراع اتسم بالحدة وطول المدة، بحيث لم يحسم في بعض المناطق الجبلية إلا في القرن العشرين. و الحسم كان طبعا لصالح إمغارن الذين أصبح بعضهم قوادا يستمدون سلطتهم من دعم المخزن المركزي.

غير أن هذا الاتجاه بدأ يتغلب، على ما يبدو، قبل التاريخ المذكور بقرون، ويظهر ذلك بوضوح من خلال كتاب *رحلة الوافد* الذي كتبه ابن شيخ زاوية تاسافت بوادي نفيس في النصف الأول من القرن الثامن عشر. حيث يظهر وادي نفيس والمناطق المجاورة له موزعا على عدد كبير من «إمغارن» الذين كانوا يمارسون الحكم في مناطقهم، بشكل يكاد يكون فرديا. لأن مجالس الجماعات لا نكاد نجد لها أثرا في مجال تسيير شؤون المجموعات المختلفة سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي.

إذا كان نظام إمغارن حلقة متوسطة بين نظام الجماعات ونظام القواد، فإن ظهوره كان نتيجة للتطورات السياسية المحلية في حين نلاحظ أن تحوله بعد ذلك إلى نظام القواد ناتج عن السياسة المخزنية التي تفضل التعامل مع حكام أقوياء، يضمنون لها خضوع السكان وجمع ما ينوبهم من ضرائب.

ورغم أن وظيفة أمغار بقيت حية في ظل نظام القواد، فإن مدلولها الأول كمؤشر مجتمعي تغير كثيرا، و اكتسبت معنى آخر يقتضي تحديده دمجها في إطار أجهزة الدولة المركزية.

أ. البيذق، كتاب *أخبار المهدي*، باريس،1928، ص : 29، 30، 116، 118، و ما بعدها ؛ أ.الناصري، *الاستقصا* 2 : 76 ؛ ع .بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 124 وما بعدها.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire*, t. III, p 1235 ; Id. *Reconnaissances*, p 91 - 92 ; R. Montagne, *Les Berbères*, p. 134 sqq ; *E.I*, p. 146, 1214 sq ; *E.B.*, IV, P. 590 - 591.

علي صدقي أزايكو

## أمْغار (آل.) ← الأمغاري

**أمْغَارْ**، أسرة تطوانية شريفة، أصلها من قبيلة بني رزين الغمارية. ومعنى الكلمة باللهجة الريفية «الشيخ» أو «المقدم»، وقد انتقلت هذه الأسرة إلى تطوان في أوائل القرن الثالث عشر الهجري وكان جل أفرادها يعملون في الجيش حيث نجد أحمد ومحمد يعملان كبحارين في حامية تطوان سنة 1246 / 1830. كما نجد عبد الرحمان يعمل كقائد بفرقة المدفعية في نفس السنة.

ع . سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 27 ؛ م . داود ، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 :329، *تاريخ تطوان*، 8 : 212 و214 و351 ؛ م . ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Fàmilias ilustres* ; Isidro de las Cagigas, *Familias. Vademecum.* (ano 1931 - 1932) (M) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**أمغار، التهامي** بن الطيب المكناسي. فقيه مدرس أديب شاعر، درس في مسقط رأسه مكناس على الغازي بن العربي ابن عبود و محمد بن الحسن الوكيلي وغيرهما. وأخذ عنه فيمن أخذ محمد بن محمد بن بصري صاحب الثبت الكبير المعنون *بإتحاف أهل الهداية والتوفيق والسداد* الذي انتهى منه عام 1206 / 1711. وله مقصورة في مدح مكناس منها :

لله ما أبهى عمائر الحُلَى ... معالم الأنس مطالع المُنَى
معاهدٌ ما برحت محفوفة ... بظل أمن من فراديس الهَنا

توفي صبيحة عيد الاضحى من عام ..11. وقد ترك ابن زيدان مرتبتي الآحاد والعشرات فارغتين. ويقدر أن تكون وفاته في العقود الأخيرة من القرن الثاني عشر (18م).

م. بصري، *اتحاف أهل الهداية*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *اتحاف*، 1 : 239 - 242 و2 :106 ؛ ع . بنعبد الله، *الشعر والشعراء بالمغرب*، مخطوط.

محمد حجي

ابن **أمغار، عبد السلام** بن محمد الصنهاجي، أبو محمد، من صلحاء رباط تيط الذين عاصروا الأمراء المرابطين و الموحدين في مقامهم المعروف إلى اليوم جنوبي مدينة ويمازيغن (الجديدة). وعبد السلام هذا من أهل القرن السادس وقد ذكر الأزموري أن أمه من بني عبّاد أمراء إشبيلية، كان من الزهاد لا يأكل إلا صيد البحر.

ابن أمغار، محمد بن إسحاق الصنهاجي، من صلحاء رباط تيط الذي بساحل دكالة جنوبي أزمور، وأمغار معناه كبير القوم أو الشيخ المبجل. تميز أهل بيته باتباع السنة ونُعتوا بالولاية. كان معاصرا لأبي شعيب السارية دفين أزمور، وهو من أعيان بني أمغار الأقدمين.

ي.التادلي، *التشوف*، ص 209 ؛ ع. الازموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط خ. ح.1622 ومخطوط خ.ع.د 1501 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2: 218 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 8 :212.

أحمد التوفيق

**أمغار، محمد الصغير**، من متصوفة القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، ينتمي إلى أسرة الأمغاريين الشهيرة بتوارث العلم والصلاح. تولى تسيير شؤون رباط تيطنفطر (على ساحل دكالة) في أعقاب أزمة داخلية عاشها هذا الرباط منذ القرن السابع (13 م)وذلك بسبب انحراف شيوخه المتأخرين عن مبادئه الأصلية وتهافتهم وراء المناصب الدنيوية والامتيازات المادية التي منحها المخزن المريني لكثير من أشراف المغرب، وهو ما زاد من احتواء رباطهم وجعله مرتبطا بسياسة المخزن. كما رافقت تولية محمد أمغار الصغير ظروف أزمة شاملة عاشها المغرب خلال القرن التاسع (15 م) وما واكبها من تزايد التهديدات الأجنبية لسواحله وبالخصوص ساحل دكالة حيث رباط أجداده المشار إليه آنفا. لقد كان لهذه الظرفية أثر واضح في تعاليم محمد أمغار الصغير التي ستجد لها تجسيدا حيا في الحركة الجزولية.

لكن هذه الاهمية لم تعكسها أخبار محمد أمغار الصغير في جل المصادر التاريخية وكتب التراجيم التي جاءت ضنينة ومجردة من كل قيمة فعلية وهو ما حال دون تجميع ترجمة تقريبية تمكن من تلمس جوانب حياته العلمية و الصوفية، بل عادة ما ارتبطت شهرته في جل المصادر بشخصية تلميذه محمد بن سليمان الجزولي، وعن هذا الأخير علمنا أنه كان شيخه في التصوف وصلة سنده بالطريقة الشاذلية.

وانطلاقا من مصادر ترجمة الإمام الجزولي أمكن إدراك الأثر الصوفي لمحمد أمغار الصغير، إذ عادة ما كان يذكره باسم الشيخ، ونعلم كذلك في نفس تلك المصادر أن الامام الجزولي قضى برباطه قرابة أربع عشرة سنه تلقى خلالها تعاليم طريقته واعتكف على التعبد.

ومن الأخبار القليلة التي رويت عن محمد أمغار الصغير تأكد أنه كان مخالفا في نهجه الصوفي لتعاليم جده أمغار الكبير، وهي التعاليم التي لم تعد تصلح لظروف القرن التاسع (15 م)، بحيث ركز على التوعية الرامية إلى إصلاح عقيدة المجتمع ورفع آثار الجهل وانحراف العقيدة و محاربة الأجنبي.

ونظراً لأهمية دوره هذا بين القبائل الدكالية وبحكم سياحاته المتعددة وتكوينه لقاعدة واسعة من الأتباع وصف أمغار الصغير بالقطبانية، وزادت سمعته الصوفية بحفظه للسند الشادلي، و لعل هذه المكانة هي التي جعلت أحمد بابَ السوداني يصفه في *نيل الابتهاج* بـ «أوحد وقته».

لم يكن محمد الجزولي تلميذ محمد أمغار الوحيد المتوفر على شهرة صوفية ونفوذ واسع، بل كانت هناك ثلة من المريدين المبرزين، لنا في أبنائه الستة خير ما نستدل به على ذلك.

فقد أشار محمد أمغار على أولئك الأبناء ـ الأتباع في نفس لحظة إشارته على الامام الجزولي، لاشهارأمرهم بين القبائل، واختار لكل منهم مكان نشاطه، وهكذا اختار حاحة لإبراهيم وأبي زكرياء، وعين الصحراء لأبي يعقوب (زاوية أسول) ومحمد، بينما استقر عبد الرحمان بسوس، وعبد الله بمركز داي القديم.

ومن نتائج هذا الانتشار استعادة الأمغاريين لسمعة رباطهم القديم وتنامي أدوارهم بصورة واسعة في بيئة متأثرة بأزمات متنوعة.

ع . الزموري الأصغر، *تقييد حول شرفاء المغرب*، مخطوط ؛ أ. باب السوداني، *نيل* ؛ م.المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع* ؛ م. الكتاني، *سلوة*.

**أمغار، محمد الكبير**، لا يعرف تاريخ ولادته ووفاته بدقة، والغالب على أقوال المترجمين له أنه من أهل القرن السادس (12 م)، عاصر العديد من مشاهير متصوفته، وكانت له ببعضهم صلات مقطوع بثبوتها، كالشيخ أبي شعيب أيوب السارية الأزموري، وعبد الخالق بن ياسين الدغوغي ؛ كما كان له ضلع في بعض الأحداث المشهورة أيام دولة المرابطين، كاستشارته من طرف علي بن يوسف المرابطي (500-537 / 1106-1142) في قضية تسوير مراكش، ويذكر كذلك اتصاله بأبي بكر بن العربي المعافري خلال قدومه إلى المغرب. و نعلم أن هذا الشيخ كانت له رحلة إلى المغرب أواسط القرن السادس أتحف خلالها بيت آل أمغار بمؤلف صوفي تبركا بهم وبشيخ رباطهم، أسماه : *سراج المريدين في آداب الصالحين*. وبناء على هذه القرائن يمكننا الاطمئنان إلى القول بأن ولادة محمد الكبير توافق الثلث الأخير من القرن الخامس، وأن وفاته تقارب وفاة بعض أقرانه من المتصوفة المحقق تاريخ وفاتهم، كعبد الخالق الدغوغي المتوفى سنة 571 هـ. ومما يعزز هذا الاحتمال أن مشيخة رباط تيط ستتحول إلى أحد أبنائه ابتداء من الثلث الأخير من القرن السادس.

أما من حيث أوليات محمد الكبير أمغار في التصوف والعلم فإننا لا نملك غير إشارات تتحدث عن ملازمة أبيه إسحاق بن إسماعيل في سلوك الطريقة واتباع السنة وكثرة التردد على الخلوة بساحل تيطنفطر (مركز مولاي عبد الله أمغار الحالي بساحل دكالة). كما نعلم من خلال المصدر الوحيد الذي دون أخباره : *بهجة الناظرين* للزموري أنه تلقى بعض المواد الفقهية المعروفة في عصره *كالمدونة*. غير أن علاقته المبكرة بأبي شعيب أيوب السارية كانت أكثر

أثرا على سلوكه الصوفي، إذ أخذ عنه لمدة طويلة آداب السلوك، وبفضله استقامت *طريقته* الصوفية التي اشتهرت لاحقا بالطائفة الصنهاجية (نسبة إلى صنهاجة أزمور) تمييزا لها عن الطائفة الشعيبية المنسوبة إلى أبي شعيب السارية.

امتزجت تعاليم أبي عبد الله الصوفية بهالة من الكرامات و خوارق العادات، جعلت مؤرخي المناقب يعتمدون عليها لقياس تعلق الناس به. ومن المشاهدات التي دونتها تآليف أولئك الكتاب، كرامة المشي على الماء التي ستتحول بعد أمغارالكبير إلى ركن أساسي في تصوف الأمغاريين. وقد ارتبطت هذه الكرامة بعين ماء حلو بين صخور ساحل تيطنفير كان يتردد عليها شيخ الرباط وبعض أقرانه من المتصوفة بقصد الخلوة و مداومة الصيام ولا يفطرون إلا على مائها، لذلك أسماها صاحب كتاب *بهجة الناظرين* بعين الفطر، كمحاولة منه لتعريب الأصل البربري الشائع قبل القرن الثامن / الرابع عشر. وستصبح تلك العين إرثا أسرويا للأمغاريين، وكثيرا ما ذكرت ضمن أقوال أبي عبد الله بن أمغار : «هذه العين ورثتها عن أبي عن جدي، وأرجو أن تورث عني» ( *التشوف*: 211).

وبغض النظر عن الشهرة التي كسبها ابن أمغار من جراء تلك الكرامة، شهدت له جل المصادر التي وقفت عند أخباره باستقامة نهجه السني، وبإحسانه لمجتمع صنهاجة، وكثرة إغاثته للمظلوم ومساعدة المحتاج، وتشجيع الراغبين في أداء مناسك الحج، إما بالعطاء السخي أو بمكاتبة بعض العلماء.

ويعود انفتاح محمد أمغار على العلماء من خارج القطر الدكالي (كبني العزفي حكام سبتة) إلى المكانة العلمية لرباط تيط ابان مشيخته، وإلى استقامة نهجه السني وسط بيئة دكالة المدنسة بالبدع البرغواطية، فكان ذلك أكبر حافز على استقطاب العديد من التلاميذ و المريدين من خارج دكالة، ومن هؤلاء نذكر يحيى المصطاوي الهسكوري وأبا موسى داوود الدكالي وأبا محمد صالح الماجري صاحب رباط أسفي،الذي تردد على محمد أمغار منذ صباه، حيث أخذ عنه جملة من العلوم الدينية، كان أهمها القراءات.

ونسجل بعض المواقف الدالة على قوة مركز محمد أمغار خلال حكم علي بن يوسف المرابطي، وهي وان كانت متباينة، فإنها تدل على امتلاك هذا التصوف لسلطة روحية كبيرة ووزن اجتماعي واضح بين صنهاجة دكالة. ومن هذه المواقف تخلفه - خلال الفترة الاولى من حكم علي بن يوسف - عن حضور جمع للاولياء والصالحين بقصد اختبارهم من طرف الأمير المرابطي. ومن غير المستبعدأن يكون ذلك الموقف مرتبطا بقضية إحراق كتاب *إحياء علوم الدين* للامام الغزالي، وهو المؤلف الذي كانت له مكانة في نفوس العديد من المتصوفة، ونعلم كذلك أن *الإحياء* أدمج ضمن مقروءات رباط تيط خلال وصول محمد أمغار إلى مشيخة الرباط، وهو ما يدفع إلى الاعتقاد بانضمام هذا المتصوف إلى صف المعارضين لإجراء الأمير المرابطي.

إلا أن هذا الموقف المعارض لم يستمر طويلا، إذ تم تجاوزه باستشارته من طرف نفس الامير في أمر تسوير مراكش، وإن كانت هذه الاستشارة لا تحمل دلالة كبرى إلا انها ستفتح عهدا جديدا بين الأمير المرابطي وشيخ رباط تيط، تبلور بصورة واضحة في دعمه للدولة المرابطية خلال محنتها أمام الموحدين. ونستدل على ذلك بجملة من الاحداث التي أوردها مؤلف *بهجة الناظرين*، والتي وإن صيغت بأسلوب مبالغ فيه، فإن مضمونها لايثير الشك. ومن الادلة المحققة على ثبوت هذا التحول في علاقة محمد أمغار بالأمير المرابطي، كتاب صادر عن هذا الأخير سنة 527 / 1132 يلتمس فيه الدعاء من شيخ تيط ويشيد بخصاله الدينية. ونستطيع ان نربط بين مضمون هذا الكتاب وظرفية الدولة المرابطية خلال نهاية حكم علي بن يوسف حيث تقوت شوكة الموحدين وخسر المرابطون أول شوط في المواجهة العسكرية. وقد بينت المراسلة، بصورة غير مباشرة، رغبة الأمير المرابطي في استغلال نفوذ أمغار بين صنهاجة دكالة قصد تعبئتهم ضد الموحدين. وسوف تكشف الأحداث اللاحقة أن هذه المنطقة بالذات كانت معقلا أساسيا للمعارضة المرابطية، كما ظهر من تلاحق الأحداث أن الموحدين سيغضون الطرف، لمدة طويلة، عن الاهتمام برباط تيط، ربما كتأديب لشيخه الذي ساند المرابطين حتى نهايتهم وتمسك بتعاليم المذهب المالكي. وسيفقد الرباط عقب تلك الأحداث الكثير من مكانته الاجتماعية والعلمية. ومما زاد من أزمته استقدام عناصر غريبة عن الوسط الدكالي وبثها بصورة أخلت بأدواره بين بربر صنهاجة.

ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ مؤلف مجهول، *مفاخر البربر*، اعتنى بنشره ليفي بروفنصال بعنوان : *نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى*، 1934 ؛ أ.ابن قنفد، *أنس الفقير* ؛ ع.الزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط ؛ م.الكتاني، *سلوة*؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال*، 1356 هـ ؛ أ. العدوي، *أبو عبد الله أمغار*؛ مجلة دعوة الحق، عدد 5، 1976.

محمد المازوني

ابن **أمغار، يوسف** بن محمد الصنهاجي، أبو يعقوب. من الموصوفين بالصلاح من أهل رباط تيط بساحل دكالة. وكان كبير الشأن منهم، حضر جنازته عدد من الناس قدروا بخمسة عشر ألفا.

ي. التادلي، *التشوف*، ص 426.

أحمد التوفيق

**أمغارة**، أسرة تطوانية شريفة أصلها من الأندلس حيث لازالت توجد بمقاطعة المرية قرية اسمها Magara. ومن أفراد هذه الأسرة بتطوان التاجر عبد السلام الذي كان حيا عام 1197 / 1783، والوجيه محمد الذي كان حاكما

بتطوان سنة 1225 / 1810، والفقيه عبد الرحمن الذي توفي سنة 1343 / 1924.

ومازالت هذه الاسرة موجودة بتطوان حيث يملك أحد أفرادها وهو الأستاذ محمد أمغارة أكبر مجموعة للصور التاريخية المغربية.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 27 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 :329 و336 ؛ *تاريخ تطوان*،2 :358 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.
Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidro, de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**الأمغاري**، أسرة يصعب على المتتبع لأطوار تاريخها الصوفي الخروج بنتيجة نهائية حول أصولها الأولى. فإذا كان أغلب النسابين المغاربة قد اتفقوا على جعل عبد الله بن إدريس جدّ الأمغاريين الأعلى، فإنهم بالنقيض اختلفوا في إعطاء عمود موحد لنسبهم، وهو ما قلّل لدى البعض من مصداقية صحة نسبهم، وأدى إلى التشكيك في شرفهم.

نذكر منذ البدء أن هذه الأسرة الصنهاجية البربرية تعرضت للإهمال، وما التناقض الصارخ في أعمدة نسبها سوى دليل على الجهل بأصولها الحقيقية.

أما تسميتهم بالأمغاريين فإن اللبس حولها أقل، إذ يعود أصل التسمية إلى جدهم إسماعيل، المستقر بساحل أزمور بمركز تيطْنْفطر المهجور حوالي الثلث الأخير من القرن الرابع /10 م. ويحتمل أن يكون حمله لذلك اللقب مرتبطاً بدوره الوعظي بين صنهاجة دكالة أكثر من ارتباطه بأغراض سياسية أو قبلية.

وأول وثيقة رسمية ورد فيها لقب أمغار، رسالة من تميم بن زيري اليفرني (424 ـ 448 هـ) إلى أبي جعفر إسحاق ابن إسماعيل. وبعودتنا إلى أصول الأمغاريين الأولى نجد أن أعمدة نسبهم وأخبار بعض الحوليات التقليدية تباينت وشاع بين بعضها الخلط الواضح في أسماء وكنى العديد من شيوخ الأسرة. ومن مظاهر هذا التباين كون المصادر اختلفت في أصولهم الجغرافية، حيث نجد أن طرفا يجعلهم من المشارقة وطرفا ثانيا يعتبرهم من المغاربة، بينما يقر الطرف الأخير أنهم من المغاربة الفارين إلى المشرق تحت دواعي غامضة. ويمكن أن نعتبر الرأي الأخير أكثر توافقا مع أحداث القرن الرابع(10 م) نظراً لوضعية الأدارسة والقمع الذي تعرضوا له من طرف موسى بن أبي العافية المكناسي، مما أجبر الكثير منهم على التستر أو الفرار إلى المشرق.

وانطلاقا من مجمل المعلومات المتوفرة عن هذه الأسرة في بعض المصادر، نسجل المعطيات التالية المتعلقة بالأصول. فالأمغاريون يستأثرون بالأحداث المتعاقبة على المغرب خلال العهد السابق للفترة المرابطية، ولم يحتفظوا لأنفسهم بمستقر دائم إلا لحظة امتلاكهم لسلطة روحية مكنتهم من ضبط علاقاتهم بالمجموعة البشرية التي احتضنتهم، أعني النشاط الصوفي بين صنهاجة دكالة، وهو النشاط الذي سبق بقليل انطلاق الحركة المرابطية والمرتبط بمحاربة البدعة البرغواطية، وتعزز هذا الرأي جملة من الإثباتات الواردة في كتاب *بهجة الناظرين* للزموري، المصدر الوحيد الذي حفظ نشاط الأسرة الأمغارية قبل أفول نجمها في مرحلة المرابطة بتيطنفطر.

وتعتبر حالة القمع التي تعرض لها الأدارسة خلال تسلط موسى بن أبي العافية المكناسي عاملا أساسيا لفهم التطورات اللاحقة لأسرة الأمغاريين، وبدونه لا يمكن أن نفهم مدلول تسميتهم ولا دواعي تلك التحفظات التي أبداها بعض المؤرخين المعاصرين. كما أن نفس العامل يثير كذلك قضية شرفهم في إطار أوسع من تلك القيود التي فرضتها الرسوم العدلية أو الظهائر المخزنية التي شكلت الدعامة الوحيدة والمتبقية بين أيدي الأحفاد لإعلان صحة شرف أجدادهم.

واعتباراً لملاحظة ابن خلدون تتعلق بانصهار الأشراف داخل البيئة المغربية البربرية يمكن أن نضع دور الأمغاريين بين صنهاجة دكالة الذين أكسبوهم اللقب وناصروهم وصاهروهم، ومقابل ذلك انتصب إسماعيل جد الأمغاريين للقيام بأعمال الوعظ ونشر تعاليم السنة بين أولئك الأقوام المتأثرين بالعقيدة البرغواطية. فاكتسب شهرة رفتعه إلى مقام أمغار، فغلب ذلك الطابع البيئي على الأصل السلالي (الشرف) خصوصا إذا علمنا أن الانتساب إلى البيت النبوي قبل العهد المريني لم يكن ليكسب حامله أي امتياز مادي. ولم يهتد الأمغاريون إلى إشهار شرفهم إلا حين اعتنت الدولة المرينية بالأشراف وسارعت إلى إحصائهم ومدهم بالمرتبات ومختلف الامتيازات المادية والاجتماعية، وفي هذا الصدد تدخل زيارة بعض أحفاد إسماعيل إلى بلاط أبي يعقوب يوسف المريني ومواقف بعض الفقهاء المقربين من الجانب المريني.

تمثل هذه المحاولات تأكيدا على أن الأمغاريين لم يكونوا من أولئك الأشراف الصرحاء بين عامة الناس كالجوطيين أو الصقليين أو أشراف الشمال، إذ لو كانوا كذلك لما احتاجوا إلى دعم مخزني ولا إلى موافقة الفقهاء. ومع ذلك فإن هذا الوضع يجب ألا يتخذ كحجة لإنكار شرفهم، مادام العامل التاريخي المشار إليه سلفا يؤكد وجود حالات مغمورة لم تعتن بإشهار شرفها إلا حين زالت كل الأسباب الداعية لإخفائه، وظهرت بواعث مشجعة على إبرازه.

لقد كانت ظروف المحيط الصنهاجي باعثا قويا على اكتساب الأمغاريين زعامة معنوية متميزة : فالجهل والفراغ الروحي الناتجان عن الممارسة البرغواطية، والقلاقل الناجمة عن الدعوة الموحدية، حمل صنهاجة على البحث عن حماية معنوية لدى الأمغاريين، كانت في بادئ الأمر دينية (إصلاح العقيدة، إعادة المنحرفين إلى جادة الشريعة بزرع

التعاليم السليمة المعتمدة على الكتاب والسنة) ثم أصبحت اجتماعية (حماية السكان من ظلم الحكام والتوسط في النزاعات والقيام بأعمال خيرية...).

لقد ترتب عن تلك الزعامة تأسيس الأمغاريين لعصبية صوفية مكنت طائفتهم من ارتقاء درجات عليا في الزعامة الروحية خلال القرنين السادس والسابع/12 و13 م، ولن تعرف الأفول إلا حين اختلال التوازن البشري بدكالة لصالح القبائل العربية الوافدة. وهناك أدلة مثبتة تؤيد أن نشاط الأمغاريين العلمي والصوفي تراجع بفعل ذلك التغيير البشري، مما جعلهم يفقدون سندهم القبلي. بل ترتب عن هذا الوضع انحراف بَيِّن وتخل واضح عن المبادئ الأصلية لرباط تيط. وحتى يكفلوا لأنفسهم ولرباطهم السمعة القديمة قبل الشيوخ المتأخرون مغريات المخزن المريني، بل لجؤوا إليه قصد منحهم بعض الامتيازات الدنيوية (خطة القضاء والعدالة) وهي الامتيازات التي ظل أسلافهم مترفعين عنها لأنهم لم يكونوا في حاجة إليها ما دامت مكانتهم معززة بعصبية قوية كانت قادرة على حمايتهم ومنحهم الرفعة وعلو المقام.

كان من النتائج غير المباشرة لهذا الوضع ظهور مراكز أمغارية جديدة منذ أواسط القرن التاسع (15 م)، اتخذها أبناء أبي عبد الله أمغار الصغير (شيخ الإمام الجزولي) كمواقع جديدة لبعض تعاليم رباط تيط التي تراجعت بفعل الأزمة التي عاشها الرباط منذ نهاية القرن السابع (13 م).

ويلاحظ أن بعض هذه المراكز جاء مطابقا لمواقع عصبية الأمغاريين التقليدية (صنهاجة)، وهكذا وجدنا زوايا أمغارية في بلاد تادلا وحاحة والسوس الأقصى، على أن أهمها تلك التي تأسست ببلاد هنتيفة (زاوية أغبالو) وبتافيلالت (زاوية أسول). وابتداء من القرن العاشر (16 م) ستظهر زوايا أمغارية ذات أهمية كبرى، كتلك التي ظهرت بالحوز (زاوية تامصلوحت) أو ببلاد كيكْ (زاوية مولاي إبراهيم طير الجبل).

إلا أن هذه الزوايا لا تعكس كل مجهود الأمغاريين الصوفي، إذ صادفنا مراكز أمغارية أقل شهرة في كثير من مناطق المغرب كتازرين في بلاد أيت عَطّا، والشياظمة، ودكالة، بل شهدت مكناس، منذ العهد السعدي، وجود علماء ومتصوفة من بين أفراد هذه الأسرة الصوفية، ولن تكتمل الصورة النهائية إلا بتتبع هذه الفروع والبحث عن الارتباطات التقليدية التي جمعت بينها، انطلاقا من الأصل الصوفي الذي ظهر برباط تيط بمجهود أبي عبد الله أمغار الكبير في القرن السادس (12 م).

ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير* ؛ ع. الزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط ؛ م. القبلي، مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط، عدد 3 - 4، 1978 ؛ م. مفتاح، *التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب*، أطروحة غير منشورة.

**الأمغاري، إبراهيم** بن أحمد المعروف بـ «مولاي إبراهيم طير الجبل» من حفدة مؤسس زاوية تامصلوحت عبد الله بن حسين الأمغاري وأحد متصوفة القرن الحادي عشر الهجري (17 م)، اتسم نهجه الصوفي بالخروج عن مبادئ الطريقة الأمغارية التي أسسها جده المذكور وأسلافه متصوفة تيطنفطر المشاهير. وصورة الاختلاف تكمن في كونه مزج التصوف ببعض النزعات التي تميل إلى التشيع.

ليس هناك تدقيق فيما يخص سنة ولادته إلا أن المصادر أجمعت على أن عمره تجاوز المائة سنة. وهناك رواية أوردها الإفراني تشير إلى كون الشيخ أحمد بن موسى السملالي زار عبد الله بن حسين فوجد المولى إبراهيم صبيا "يدرج بين يدي جده" (*صفوة*، 149)، والمؤكد أن الشيخ السملالي كانت له زيارة إلى مراكش في عهد السلطان السعدي الغالب بالله، فيحتمل أن تكون هذه الزيارة فرصة لملاقاة عبد الله بن حسين.

بدأ إبراهيم بن أحمد تعليمه بزاوية جده المذكور، ثم انتقل إلى مراكش حيث أخذ بها عن أحمد المنجور، أحد مشاهير علماء العهد السعدي، وعبد الله بن علي ابن طاهر الحسني من أشهر حفاظ المغرب، وبعدهما عن أبي مهدي السكتاني، بينما تلقى مبادئ التصوف عن جده وعن أحمد ابن موسى السملالي. إلا أنه لم يسلك في بداية حياته نهج أجداده وأبيه المتمثل في الاهتمام بالزاوية وبوظائفها الفلاحية والصوفية، بل وجدناه ينتصب للشهادة بأحد أهم أحياء مراكش في العهد السعدي : حومة المواسين التي كانت تشهد آنذاك حركة علمية متميزة بفضل مسجدها المشيد حديثا.

ويظهر أن اختيار إبراهيم لخطة العدالة لم تكن تمليه رغبة مادية صرفة، مادامت ثروة زاوية جده تغنيه عن الارتزاق، لكن الذي ظهر لاحقا هو أن إبراهيم حوَّل دكانه إلى معقل للنشاط الصوفي وللدعاية بين فقراء المدينة وعلى الخصوص الوسط الحرفي.

وخلال أزمة الحكم التي تلت وفاة أحمد المنصور تمكن إبراهيم الأمغاري من توسيع قاعدة نفوذه مستغلا ظروف الأزمة. وهكذا تمكن من تشكيل دعامته الصوفية من بين صناع الدباغة، فأصبحنا منذئذ نسمع بطائفة المصلوحي، التي نُعتت من طرف بعض المعارضين بشرذمة الفقراء.

وحسب الإفراني فإن دواعي التأييد كانت مرتبطة بسمات الخير والصلاح في الشيخ الأمغاري لكن القاضي التمنارتي، في رسالته إلى محمد بن أبي بكر الدلائي، يُرجع ذلك إلى خروجه عن الهداية وركوب أهواء العامة، وهو ما فتح باب التساؤل عن الأسباب الحقيقية لشيوع أمر إبراهيم وخروجه عن طاعة زيدان بن أحمد المنصور.

ليست هناك حقائق واضحة للإجابة عن ذلك، اللهم إذا ربطنا ذلك بحركة الاحتجاج التي بدرت من بعض المتصوفة ضد زيدان إثر مهادنته للبرتغال والسماح لهم بالاتجار مع المغاربة، ومن تلك الحركات تمرد أبي كانون المطاعي، وما

يعزز هذا الربط كون القاضي التمنارتي يجمع في رسالته الآنفة الذكر كلاً من المصلوحي (إبراهيم بن أحمد) وأبي كانون في وصفهما بالثوار.

وإثر شيوع حركة إبراهيم الأمغاري داخل مراكش وتعاظم شأنها بين عامة المدينة تعقَّبه زيدان وأمر بالقبض عليه، وهو ما كان سببا في فراره إلى جبال الأطلس الكبير والاحتماء بقممها بناحية كيكْ الحصينة، حيث طلب الجوار من سكتانة، لكن هؤلاء أبدوا تحفظا واضحا في قبول طلبه، ومع ذلك سمحوا له بالإقامة بجوارهم تقديراً لجده ونفوذ زاويته بين قبائل سكتانة عامة. وبأعلى قمة كيكْ المنيعة أسس زاويته الشهيرة بزاوية طير الجبل.

وتعتبر هذه المرحلة أهم مراحل حياة إبراهيم الصوفية، حيث شاع نفوذه بعد وفاة زيدان وتمكن من تقوية عصبيته بإدماج سكان النطاق الممتد من أعالي كيكْ إلى حدود زاوية تامصلوحت، وبذلك أصبح كل هذا المجال نطاقا أمغاريا، زاد من تعزيز علاقات المصاهرة التي تمت بين إبراهيم وبربر سكتانة، وعقبها نشأت بعض الزوايا التابعة لزاويته في كل من اقريش ودار العين (مراكز جنوبي مراكش في اتجاه أمزميز).

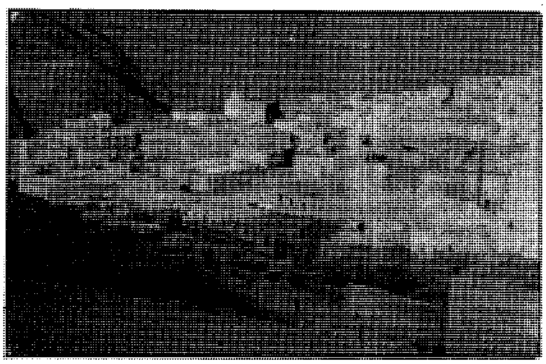

ضريح مولاي إبراهيم طير الجبل الأمغاري وسط القرية المسماة باسمه في جبل سكتانة

ومن مميزات هذه المرحلة الاقبال الكبير الذي عرفته زاويته خصوصاً من جانب فقراء مراكش وحرفييها، وكذا جموع سكتانة وبعض القبائل الدكالية. ويذكر الإفراني في هذا الصدد أن زاويته ضمت في بعض الأيام "ثلاثين ألفا من الرجال وتسعة آلاف من النساء" (*صفوة*، 199)، وهو رقم قد يكون فيه شيء من المبالغة.

ونستطيع أن نبرز صفتين متميزتين في نهج إبراهيم الصوفي :

أ ـ المزج بين التصوف السني وبعض النزعات التي تميل إلى التشيع، ولنا في بعض أقواله وأعماله المحققة ما نستدل به على ذلك : إذا حل شهر محرم ترك حلق الشعر والزينة، وإذا سئل عن ذلك رد :"ما فعلت هذا إلا امتعاضا لقتل الحسين" (*صفوة* : 150).

ب ـ اتسمت طريقته بالخروج عن مبادئ الزاوية المصلوحية التي أسسها جده عبد الله بن حسين، ويتجلى ذلك في استحداثه للسماع والرقص وما يتلو ذلك من سلوك غير مألوف في تصوف الأمغاريين.

مات مولاي إبراهيم طير الجبل عام 1072 / 61 ـ 1662، وخلف زاوية ذات نفوذ شاسع وثراء واسع، وبحكم وجود زوايا فرعية تابعة لها ستنشأ منذ نهاية القرن الحادي عشر الهجري(17م) خلافات حول تسيير شؤونها ومن له الأحقية في ذلك. وكان طرفا النزاع، من جهة الزاوية المصلوحية التي تمسك شيوخها بالأحقية في الإشراف والتسيير والاستفادة من المداخيل وبمبدأ التبعية القائم على أساس أن زاوية الشيخ إبراهيم إنما هي فرع لها، ومن جهة أخرى حفدة إبراهيم المستقرون بزاوية اقريش والمتمسكون بحقهم كوارثين لزاوية جدهم. واستعان كل فريق بسلطة المخزن، غير أن كفة الزاوية المصلوحية كانت راجحة على الدوام بحكم قوتها ونفوذها وبحكم علاقاتها الوطيدة بالمخزن، الذي نصبها ولمدة ثلاثة قرون وصية على شؤون زاوية مولاي إبراهيم، ولتأكيد ذلك أصدر العديد من الظهائر والمكاتبات.

وعلى مدى القرون الثلاثة الماضية كان أهل أقريش مداومي أعمال النهب في النطاقات التابعة لزاوية جدهم، وقد عوقبوا من طرف المخزن في أكثر من مناسبة.

إلا أن الأوضاع الأخيرة غيرت من صورة وطبيعة الخلاف بعد أن استقلت زاوية المولى إبراهيم عن وصاية الزاوية المصلوحية، في ظروف اقتصادية واجتماعية مغايرة لما كان عليه الأمر قبل ثلاثة قرون خلت.

*مجموعة الوثائق المخزنية وتشمل ظهائر ومراسلات تهم شؤون زاوية المولى إبراهيم* ؛ م. الإفراني، *صفوة* ؛ م. الحضيكي، *طبقات*؛ م. ابن المؤقت، *السعادة الأبدية* ؛ م. المختار السوسي، *إليغ قديما وحديثا*.

محمد المازوني

**الأمغاري، أحمد** بن **الجيلالي** الحسني الإدريسي الفاسي. ويكتب اسمه أيضا «المغاري» ـ بدون همزة ـ ويعرف بابن الجيلالي. عالم مشارك محقق مدقق، درس في فاس على كبار الشيوخ أمثال محمد بن المدني كنون، والمهدي بن محمد ابن الحاج، والعابد بن الطالب ابن سودة، وعبد السلام بن الطايع بوغالب وأضرابهم. بلغ الغاية في تحقيق العلوم العقلية والنقلية، وانقطع للتدريس بالقرويين والضريح الإدريسي أزيد من نصف قرن حتى عد شيخ الجماعة بفاس. وسلك طريق القوم على يد الشيخ الصوفي الكبير محمد بن عبد السلام ابن عبود السلوي «وقد سلم إليه الإدارة حتى إنه يكون بين يديه كالميت بين يدي غاسله فلا يكلمه إلا بأدب بالـغ» (*إتحاف المطالع*).

أسهم أحمد بن الجيلالي في إصلاح التعليم بالقرويين عام 1332 / 1914 وعين نائبا لرئيس المجلس العلمي الاول الشيخ أحمد بن الخياط الزكاري إلى أن توفي عام 1343 / 1924 فخلفه في رآسة المجلس وبقي في هذه الخطة إلى أن أدركته الوفاة يوم الاربعاء خامس ذى الحجة عام 1352 / 21

مـارس 1934 ودفـن بزاويـة أهل وزان مـن حـومـة الـشرشـور بفاس.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ج 2 ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، 1 : 145 - 146 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ *سل النصال*، مخطوط.

محمد حجي

**الأمغـاري، عبـد الـله** بـن **حسين**، أجمعت المصادر التـاريخية التـي تعرضـت لحيـاة عبـد الله بـن حسـين فيمـا يتعلـق بهويتـه وأصلـه بأنـه مـن فـرع الأمغـاريين الراحلين عـن تيـطنـفطـر (ساحـل دكـالـة) أواسـط القـرن التـاسـع / الخـامس عشـر. غيـر أن هذا الاتـفـاق غيـر كـاف لإعطـاء معلـومـات متكـاملـة وواضحـة عـن أطـوار حيـاتـه العلـميـة والصوفية، وكذا استقراره بالحوز بموضع تامصلوحت. ولا نملك من مصدر لتوضيح بعض هذا الغموض غير كتاب *دوحة الناشر* لابن عسكر الذي زار عبد الله بن حسين واخذ عـنه. ويـشـكـل هـذا المـصـدر مـنـطـلـق كـل مـؤرخ لاحـق إلا إضافات يسيرة.

أسس عبد الله بن حسين زاويته بموضع تامصلوحت المهجور حوالي سنة 933 / 1528، بإشارة من شيخه عبد الله الغزواني المستقر حديثا بعاصمة السعديين. والسرعة التي تم بها إقرار عبد الله بن حسين بذلك الموضع تجعلنا نعتقد قدم الصلات بين الرجلين، إذ لا يعقل أن يمكث مريد بحضرة شيخه مدة قليلة ليأذن له بعدها بتأسيس زاوية.

بينـت روايـة ابن عـسـكـر مـلابسات تـأسيس الزاويـة المصلوحية : فالمكان كان مقفرا لا ماء به و لا أنيس، مما حدا بالشيخ الغزواني إلى الالحاح على تلميذه عبد الله بن حسين بضرورة الاقامة به وإحياء الأرض ومد قنوات السقي و تشجيع التعمير. ومن نتائج هذا الإقرار طلب قبائل المنطقة حق الجوار وخدمة الزاوية، وهنا تذكر الرواية المحلية أن عبد الله بن حسين تنازل لهذه القبائل عن ثلث فتوحات الزاوية. وكانت الفروع المصمودية أول من سارع إلى خدمة شيخ الزاوية، فنالت لقاء ذلك حمايته المعنوية وامتياز استغلال الأراضي المستصلحة أو تلك التي تم اجتثات أشجارها. كما جعل عبد الله بن حسين للقبائل المجاورة وظيفا على أزواج الحرث أخماسا وأعشارا تصرف لزاويته كمقابل لتلك الكرامات التي أظهرها على زروعهم وعلى نسلهم. وسيترتب عن ذلك توسيع نفوذ الزاوية واستغلالها لامتيازات في مناطق متعددة من الحوز.

تعتبر مشيخة عبد الله بن حسين أهم فترات ازدهار زاوية تامصلوحت، سواء من حيث مكانتها الاجتماعية أو من حيث توسيع ممتلكاتها، وسيحظى شيخها بمكانة متميزة في عهد عبدالله الغالب السعدي، اذ اعتبر أحد ثلاث عينات هم عيون الزمان في عهده ( *نزهة الحادي* : 46). إلا أن هذه السمعة لم تمنع الغالب من إغلاق زاوية عبد الله بن حسين والتضييق به لمدة لا نعلم مداها. وقد اختلفت المصادر في تفسير ذلك الإجراء، بينما فضل بعضها الصمت أو التلميح المجرد، كما فعل محمد المهدي الفاسي في *ممتع الاسماع*.

ومن التفاسير الحديثة ما جاء بها هنري طيراس Henri Terrasse أن التضييق الذي تعرض له عبد الله بن حسين جاء كرد فعل ضد مواقفه المعادية للدولة السعدية والمؤيدة للأتراك، بل أضاف قضية إنتسابه إلى المذهب الإباضي، وهي معلومات لم نجد لها أصلا في المصادر السعدية المعروفة.

ومن المؤشرات التي تترك منفذا لتجاوز الغموض الذي لحق بقضية إغلاق زاوية عبد الله بن حسين، ظهور الطائفة الأندلسية في عهد الغالب بالله وتصدر أحد الأمغاريين (عبد الخالق) لفرعها المكناسي. على أن أقل الاحتمالات الممكنة لتفسير ذلك التضييق كون عبد الله بن حسين جمع بين شهرته الصوفية وشرفه الظاهر مما ضايق السعديين الأشراف المنطلقين في دعوتهم من نفس المنطلقات.

ومن الأحداث البارزة خلال مشيخة عبد الله بن حسين انضمام بعض القبائل القوية إلى مجموعة القبائل المصمودية التي شكلت عصبية الزاوية المصلوحية الأولى، كقبيلة أولاد مطاع وقبائل اتحادية أيت عطا، فقد منحت الأولى الاحتماء بشيخ الزاوية قصد تسهيل مرورها نحو المراعي الشمالية المحيطة بوادي نفيس، بينما نجد الشيخ الأمغاري، بالمقابل، يعتمد عليها لصد تحرشات القبائل السكتانية المجاورة لزاويته وتهديدات عرب زرارة المضرة بمصالح الزاوية.

أما بالنسبة لاتحادية أيت عطا فالكل يعرف أن مؤسس الاتحادية، دادا عطا، كان من مريدي عبد الله بن حسين، وأن هذا الأخير ساعد قبائل الاتحادية على الاستفادة من بعض المراعي التي كانت تحت تأثير قبائل هي أصلا من عصبية الامغاريين بالاطلس الكبير الشرقي وجبل صَغْرو.

وبغض النظر عن علاقات عبد الله بن حسين بتلك القبائل نجد تأثيره الصوفي واضحا بين العديد من المريدين المنتشرين في سائر المناطق المغربية، ومن هؤلاء محمد بن ريسون، ومحمد بن أبي زكرياء الملقب بالگدار، وأبو سعيد الهشتوكي مؤسس زاوية وويزغت بالأطلس الكبير، وموسى بن يعقوب البوگمازي مؤسس زاوية تنغملت ببلاد هنتيفة، وسيدي شقرون الأندلسي، وأبو الحسن الحارثي ....

استمر عبد الله بن حسين شيخا لزاوية تامصلوحت حتى أوائل الثلث الأخير من القرن العاشر/ السادس عشر. وتباينت المصادر في إعطاء تاريخ لوفاته، اذ جعلها البعض سنة ست وسبعين وتسعمائة (*دوحة* : 109)، بينما تردد البعض الآخر في إعطاء تاريخ مضبوط لذلك. ومن هؤلاء نذكر صاحب كتاب *مرآة المحاسن* الذي استبعد تاريخ ابن عسكر وآثر تغليب الظن بجعل سنة 977 / 1566، تاريخ وفاة عبد الله بن حسين.

م .ابن عسكر، دوحة ؛ م.العربي الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ م.المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع* ؛ م.ابن المؤقت، *السعادة الأبدية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الجزء الخامس.

H.Terrasse, *Histoire du Maroc* ; P. Pascon , *Le Haouz de Marrakech*, 1977.

محمد المازوني

**الأمغاري، محمد** بن الحبيب الفيلالي المكناسي، اشتهر بابن الحبيب. ولد عام 1295 / 1878، وهو من حفدة الشيخ علي بن حساين دفين قصر أولاد يوسف بتافيلالت من ذرية مولاي عبد الله بن احساين صاحب زاوية تامصلوحت الشهيرة بضاحية مراكش.

طلب ابن الحبيب العلم بفاس واستوطنها مدة قبل أن ينتقل إلى مكناس ويستقر بها نهائيا. ومن شيوخه بفاس أحمد بن الخياط الزكاري، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، وعبد الله بن إدريس البدراوي، وعبد السلام الهواري. وأخذ التصوف عن محمد بن عبد الواحد الحلو دفين حومة البليدة من فاس، وأحمد شمس الشنگيطي، وماء العينين بن فاضل، ومحمد بن علي الورزازي ثم المراكشي، الدرقاوي طريقةً، وعليه كان اعتماده.

اشتغل ابن الحبيب بالتدريس أيام إقامته بفاس، فكان يدرس التفسير بمسجد قصبة الأنوار من طالعة فاس، وحج مرارا، وتصدر للمشيخة فانتفع به الناس وكثر أتباعه، إلا أنه انحرف إبان اشتداد الأزمة السياسية ومال إلى جانب المستعمر.

توفي بعد عام 1372 / 1953.

ع . ابن سودة، *سل النصال*، مخطوط.

محمد حجي

**إمْغرَانْ**، قبيلة تقطن حاليا في السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط، ويحدها شمالا فطواكة وغربا اگلاوة الجنوبية وجنوبا أراضي أيت يحيى أوعلي وشرقا جبل مَگُّون (إيغيلْ - نْ - إمْگونْ ) وأراضي قبيلتي إمگُّون وأيت سدْرَات إلى حدود مجال قبائل صَغْرُو. أما حدود أراضي إمغران الجنوبية إلى أواخر القرن التاسع عشر فهي وادي ورزازات، وهو مجال متنوع بين الجبل في الشمال والسهل والحوض في الجنوب، مما يشرح استمرار التكامل بين الاعتماد على الزراعة والرعي إلى وقت قريب جدا نحو الجنوب.

إن الاسم الذي تعرف به القبيلة اليوم لم يرد في المصادر التاريخية المعروفة قبل الحسن الوزان الذي مر بالمنطقة قادما من درعة سنة 917 / 1508 (*وصف إفريقيا*، 187 - 188) لكن الوزان لم يوضح هل الاسم يطلق على المجال الجغرافي أم على الجماعة البشرية، ولكننا نجد الحديث قبل هذا التاريخ عن سكورة، ونجد في هذا المجال نفسه أسماء مثل غَسَّاتْ وتُونْدُوتْ ذكرها البيذق. ومفرد المنتسب لإمغران هو إمغري أو تيمغريت للمؤنث، و معنى الاسم قريب من أماراغ أو تاماراغت ويعنى الأراضي التي بها حجر الملح. ويوجد بأراضي القبيلة مناجم كثيرة للملح منذ القديم، وعرف سكانها بكونهم تجار الملح و موزعيه بين كثير من قبائل الجنوب (تدغة وأيت عطا ودرعة ..) ولا تسعف على تأكيد هذا المعنى وثيقة مكتوبة.

وقد يشتق الاسم من فعل إغْرْ و معناه نادى أو قرأ، فيكون إمغران هم المتعلمون أو القراء. وهو المرجح إذا اعتبرنا الدور الذي قامت به قبيلة هسكورة في نشر التعاليم الموحدية وانضمامها إلى الدعوة بعد معارضتها.

وإلى اليوم فإن القبيلة لا تزال تعرف في جنوب الأطلس بفقهائها الذين كونوا أجيالا كاملة من حفاظ القرآن وحملته. وإلى وقت قريب منا جدا مازال الدعاء المرفق بخطبة الجمعة توجد به عبارة ترجع إلى المرحلة الموحدية الأولى وهي «اللهم انصر جيوش المسلمين و عساكر الموحدين» كما احتفظت الذاكرة الشعبية منذ ذلك العصر بكثير من نصوص التعاليم الإسلامية مترجمة إلى اللسان الأمازيغي المصمودي. ويستبعد في جميع الأحوال أن يكون لإمغران علاقة بمغراوة الزناتية.

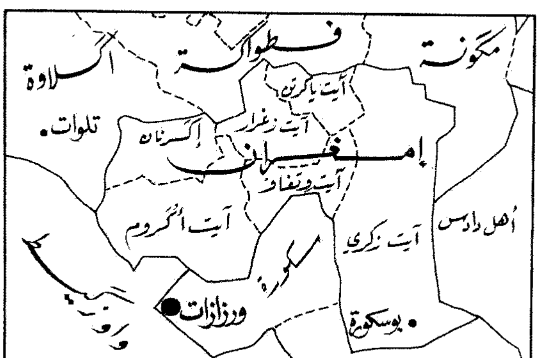


موقع إمغران

إن إمغران هي القسم الجنوبي للمجموعة الكبرى المكونة لقبيلة هسكورة. أما أصلها فهو الصحراء. وعبر تاريخ طويل بدأت تتحرك نحو الجبل و نحو الدير الشمالي حيث وصلت مقدمتها. أشار البيذق إلى دورهم في الدعوة التومرتية، وكذلك فعل ابن خلدون الذي تناول هسكورة عامة، وكانت إلى عهد ه تعتمد على الرعي في حياتها إلى جانب الزراعة.

أما الوزان (917 / 1504) فلم يصف لنا إلا قسم القبيلة القاطن بالجبل دون ذكر سكان المنبسط الممتد بين الدير وموضع الانتجاع الشتوي، وهو جبل صَغْرو. وقد يكون مر في الخريف (؟) والسكان ما زالوا في القسم الأعلى من الجبل، حيث إنه لم يذكر لنا الزراعة بل اكتفى بالرعي (187 - 188).

وكل ما نجده عن هذه الجهة في وثائق العهد السعدي هو اسم القائد الحاكم السعدي في المنطقة وهو ابن تابيا، (نسبة إلى موطنه الأصلي تابيا الموجودة بناحية تاليوين الحالية) فهل أدخل البناء بالطابية لتيغرمين، وهذا إذا اعتبرنا عدم ذكر الوزان قبله لأي عمارة ما عدا الأكواخ.

كما أن الرواية الشفوية تقول إن القبيلة لم تعرف الاستقرار وتعاطي الزراعة إلا ابتداء من هذا التاريخ (نقل غرس اللوز من سوس وإدخاله إلى الأطلس الكبير الأوسط ...).

وما تزال بعض أسماء الأعيان والعائلات التقليدية تحمل جذور الأسماء الشائعة في سوس والأطلس الكبير الغربي. كما أن أسماء الأخماس المكونة للقبيلة (أيت زعار - تونْدوت - أيت عفان - أيت زَغْري - أيت وتْفَاوْ - إگْرنَانْ - إكَانْضولْنْ - أيت يَاگْرتْنْ). قد يكون زمن تأسيسها يرجع إلى زمن هذا القائد، لكن الرواية الشفوية وحدها هي التي تساند هذا الرأي. ويحدث من جديد انقطاع لأخبار القبيلة إلى بداية القرن الثامن عشر الميلادي (عهد المولى إسماعيل) حيث هاجرت فروع وأفخاذ من أعراب تافيلالت المعقليين نحو الغرب واستقرت بالأراضي السهلية الجنوبية لإمغران - سكورة الحالية - وقد تكون لهذا الحدث مبررات سياسية أو استراتيجية مثل مراقبة الطريق بين تافيلالت ومراكش وبين درعة ودمنات، وقد يكون بدافع اقتصادي حيوي بالنسبة لهذه الجماعات المهاجرة.

وخلال هذه المرحلة بقيت شؤون القبيلة تابعة لقيادة دمنات إلى حين ظهور عائلة الأگلاويين المزواريين بتلوات. في بداية القرن التاسع عشر الميلادي. كزعامة قبلية محلية ثم جهوية في مرحلة ثانية. حيث ضمت قبيلة إمغران إلى قيادة الأگلاويين وأصبحت تابعة لتلوات بدل دمنات (ظهير 1864) تحت قيادة مؤسس عائلة الأگلاويين محمد بن أحمد بن الراضي المعروف ب إبيبض (ت 1886م) وكانت هذه القبيلة من القبائل الأولى المكونة لما سيعرف بمجال أحد القواد الكبار. وقد عارض سكان قبيلة إمغران تدخل الأگلاويين في شؤونهم و ضمهم إلى قيادتهم وقاموا بتمردات وحركات عصيان انتهت كلها بانهزام القبيلة أمام هذه القوة الجهوية الصاعدة وأمام استعمال الأسلحة النارية الأكثر تقدما وذلك قبل نهاية القرن الماضي.

وعندما انتقل ثقل عائلة المزواريين الأگلاويين إلى الشمال في اتجاه مراكش ودمنات والحوز زمن قيادة المدني الأگلاوي، بقيت إمغران تابعة لقيادة تلوات والجنوب الأطلسي كله تحت قيادة امحمد بن محمد بن محمد إبيبض وهو المعروف بالقائد «حمو» (ت 1937م). ثم القائد إبراهيم بن التهامي الأگلاوي حتى استقلال المغرب عام 1956.

لقد قام الأگلاويون بسن سياسة تتميز بالليونة تارة وبالعنف تارة أخرى تجاه هذه القبيلة حسب الظرفيات الجهوية وحسب شخصية القائد. ففي عهد حمو و المدني كان القائد حمو يدافع عن إمغران وگلاوة على أنهم «إخوة»، وكانت الضرائب خفيفة نسبيا، لكن وفاة المدني وتولي الباشا التهامي الأگلاوي القيادة الكبرى أدى إلى اصطدامات وإلى نفي أعيان القبيلة وإعادة توزيع أراضيها ومياهها حسب أقدمية التحالفات وحسب مصلحة العائلة المباشرة. كما أن القبيلة الأصلية ضمت إليها أفخاذاً جديدة كانت في الأصل تابعة لدادس وامگونة (أيت زكري وأيت توموت) وتأسس بذلك ما أسماه بول باسكون بالقبيلة المخزنية حيث يصبح عدد الأفخاذ وقوتها خاضعة للمراقبة بهدف إضعاف عصبيتها وربط الكل في النهاية بالقيادة العائلة بعدما يصبح الشيوخ والأعيان دون قاعدة قبلية موحدة ومتناسقة.

البيذق، *أخبار المهدي* 1971 ؛ ع .ابن خلدون، *العبر*، 6 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ أ. التوفيق، *إنيولتان*.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; P. Pascon, *Haouz*.

محمد أوجامع

**أمْغَنِّي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ويبدو أنها كانت غنية بدليل المثل التطواني الذي يقول :«ما انتيشي بنت المغني» بمعنى أن أباك ليس له مال المغني.

ومن أفراد هذه الأسرة المسمى الحسن الذي كان حيا سنة 1267 / 1851، والسعدية التي كانت أول امرأة تطوانية اتصلت بالنصارى بعد احتلال تطوان في شهر فبراير 1913. وأصبح لها مكانة مرموقة عند كبار ضباط الجيش الإسباني يلبون جميع رغباتها، حيث كانت تستطيع أن تعين أصدقاءها في بعض الوظائف وتحصل على رخص معينة لهم، وبها استعان الصحفي الإسباني انريكي اركيس Enrique Arques في إنشاء المتحف الإتنوغرافي بتطوان. ولعلها كانت أول امرأة مغربية ارتدت لباس المرأة الأوربية، وكانت آية في الجمال. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ.الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**أمغير، رمضان** بن محمد، ولد سنة 1925 بالساقية الحمراء. انخرط في صفوف جيش التحرير وبقي يعمل بالمقاطعة الأولى بمركز تكل تحت مسؤولية السيد علال. شارك ببسالة نادرة في معركة تكل الكبرى واستشهد في الجولة الأخيرة منها سنة 1956.

*وثائق المندوبية السامية*.

عز الدين العلام

## أمغيلن ← مغيلة

**أمغيوز**، مكان يقع بين أوريكة شمالا وأغمات جنوبا على بعد حوالي عشرة كلمترات من هذه الأخيرة، بمحاذاة سوق اثنين وريكة الحالية.

أقدم مصدر معروف أشار إلى أمغيوز هو *إثمد العينين* (1 : 175 - 253 - 263)، باعتبارها مركزا دينيا للطائفة الأغماتية التي أرخ لها هذا المصدر. وبذلك فقد شكلت مركزا ضمن ستة مراكز قروية بالجنوب ارتكز عليها نشاط الأغماتيين خلال القرن السابع الهجري (13م)، إضافة إلى مركز حضري بارز تمثل في مراكش.

وبناء على هذه المعطيات فإن أمغيوز تعتبر مركزا دينيا جديدا في الخريطة الدينية لدير الأطلس الكبير الغربي جنوب مراكش خلال الفترة المذكورة.

كانت أمغيوز المقر الذي اختاره شيخ الطائفة الأغماتية أبو عبد الله الهزميري بعد ما تم إبعاده عن أغمات من طرف والي المرينيين عليها آنذاك أبي علي الملياني وذلك خلال سنة 677 / 1264 وبها توفي سنة 678 / 1265 وقد ساهم هذا المركز في تربية المريدين وتنظيم شؤون الطائفة (*إثمد*، 1 : 253 - 263).

لم تكن أمغيوز فيما يبدو مركزا قرويا متطورا، بدليل انها لم تحمل صفة جغرافية محددة، قرية، جهة ... الخ الأمر الذي ينعكس من جهة في الإشارة إلى معمار محدود يتمثل خاصة في مسجد وزاوية، ومن جهة ثانية فيما تحمله من صفة «مركز نفي» على عهد أوائل المرينيين ـ حالة أبي عبدالله الهزميري ـ يضاف إلى ذلك أنها لم تكن مشهورة حتى بين سكان المنطقة أنفسهم، وهو ما توحي به كلمة «موضع» التي نعتها بها أحد سكان المنطقة خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي (*إثمد*، 1 : 213).

م. ابن تكلات، *إثمد العينين* ؛ ت. م. رابطة الدين، د. د. ع. الرباط، 1986.

محمد رابطة الدين

**إمْفُوتْ**، ( سد ـ) كان الهدف الأول من بناء سد إمفوت هو إنتاج الطاقة الكهربائية لتزويد الدارالبيضاء منها على الخصوص، نظرا لأوج التوسع الصناعي بها في تلك الفترة. فبنى السد بين سنتي 1940 و1944 ليكون بذلك ثالث سد على حوض أم الربيع بعد سيدي سعيد معاشو 1929 وقصبة تادلا 1933 وأول خزان كبير للمياه قبل بناء سد بين الويدان 1952.

شيد السد على وادي أم الربيع بين قريتي مشرع بن عبو وبولعوان، بمقربة من دوار إمفوت الذي يبلغ حاليا 600 نسمة تقريبا. و يوجد في موضع ملائم من حيث الاختيار الهدروجيولوجي. حيث يبلغ متوسط صبيب أم الربيع عند مستوى إمفوت حوالي 100م$^3$/ ثانية، مع تجاوز ذلك الحجم في بداية فصل الربيع عند بداية ذوبان الثلوج الأطلسية. أما من حيث الخصائص التضاريسية والجيولوجية، فإن البحيرة على مستوى 190م. ونظرا لتعمق أم الربيع الكبير، فإن فارق الارتفاع بين ذلك المستوى وقمم سفدي الوادي يفوق 100م. لذلك فإن البحيرة لا تنتشر في كل الجوانب، إذ لا يتعدى عرضها الأقصى 1000م. بل تمتد طوليا على مسافة تفوق 20 كلم في اتجاه العالية. وتشرف على السد تلال مديدة متوازية تماما فيما بينها ومتعامدة تقريبا مع مجرى الوادي. وهذا الاتجاه الواضح للتلال من الشمال إلى الجنوب قد أفرزته بنية منتظمة محليا، تتمثل في وجود سد إمفوت وسط انكسارات هرسينية صغيرة قرب محور مقعر شمالي-جنوبي، وفي الجنب الذي يتخذ فيه الميل درجة متوسطة إلى شديدة نسبيا، مقابل الجنب الغربي الذي يصبح فيه الميل شبه عمودي، تتكون نواة المقعر من شيست وحث سلوري وكمبري، وتتكون الهوامش التي تصبح متماسة مع السد في الجهة الشمالية الشرقية (أي الضفة الشرقية) من الكلس والصلصال.

يصنف السد ضمن نوع السدود المتكتلة، بعلو 50,5م لخزن 85 مليون م$^3$ أصلا. وكان متوقعا أن تزداد حمولته إلى 1640 مليون م$^3$ عقب الزيادة في ارتفاعه. إلا أنه ابتداء من أواسط السبعينات أصبح لايتسع سوى لخزن 20 إلى 25 مليون م$^3$، نظراً لتحول البحيرة واستقبالها المستمر لكميات ضخمة من الطمي، إلى درجة أنه لا يكاد يقتصر السد على دور تحويل المياه سطحيا ومباشرة إلى السهل عبر قناة الرأس الميت. ومن ضمن أسباب بناء سد المسيرة بين 1975 و1979 هو احتمال تقلص حمولة بحيرة إمفوت. رغم ذلك فإن السد لم يفقد وظائفه التي أنشئ من أجلها، ألا وهي إنتاج الطاقة الكهربائية وتحويل الماء للري.

صورة جوية حديثة لسد إمفوت

يحول الماء إلى المحطة الكهربائية بواسطة قناة قطرها ستة أمتار وصبيبها 150م$^3$ / ثانية. وكان متوسط الانتاج العادي للمحطة إلى حد الستينات هو 170 مليون كيلواط في الساعة، يتم توزيعها على محطة الدورات ومركز سيدي العايدي ومراكش وخصوصا الدارالبيضاء عبر مركز تيط مليل. إلا أن الانتاج أخذ يتذبذب ويتناقص منذ الشروع في انتاج الطاقة الكهربائية في محطة المسيرة وبسبب توسع الري وهبوط سعة السد. فأصبحت محطة أمفوت تحتل الدرجة الرابعة من حيث حجم إنتاج الطاقة الكهربائية في حوض أم الربيع بعد أفورار وبين الويدان والمسيرة، وهكذا أصبح الإنتاج يتوزع في السنوات الأخيرة على الشكل التالي : 42 مليون كيلواط في الساعة سنة 1982 و28 سنة 1983 و20 سنة 1984 و7 سنة 1985 و11 سنة 1986.

أما بهدف ري قطاع دكالة وعبدة فإن الماء يجلب من الضفة اليسرى للوادي ويتجه نحو سهل دكالة عبر نفق إسمنتي طوله 6,7 كلم وقطره 53 م، انجز سنة 1952 وبإمكانه صرف 36م³ في الثانية، تخصص منها 34 للري والباقي للماء الصالح للشرب. ويمتد نفق «الرأس الميت» في السهل عبر قناة عارية طولها 111 كلم، تسمى بالقناة الرئيسية أو قناة المصلحة السفلى أو قناة دكالة، لتمييزها عن قناة أسفي التي ترتبط بمؤخرتها على مسافة 44 كلم، ولتمييزها كذلك عن القناة الفرعية الوسطى التي تحيط بقطاع سيدي بنور، والتي تزود بواسطة محطة الضخ لبير العبيد بمقدار يتراوح بين 72 و22 م مكعب في الثانية.

في سافلة القناتين تسقى بالانسياح الجاذبي قطاعات الفارغ وسيدي إسماعيل وسيدي بنور، وتسقى بطريقة الرش وبواسطة عشر مضخات كبيرة قطاعات بولعوان وخميس الزمامرة واثنين الغربية. بعد ري تجريبي محدود المساحة بمنطقة بولعوان 3000 هكتار في مستهل الخمسينات، بدأ يصل الري إلى القطاعات الأخرى بوتيرة ثمان سنوات في البداية، بعد مدة طويلة استغرقها تجهيز السهل. وهكذا، انطلق الري في قطاع الفارغ (الذي جهز بين 1952 و1958) سنة 1956، وسيدي إسماعيل (بداية التجهيز سنة 1963 و1964 وسيدي بنور(فترة التجهيز بين 1970 و1974) سنة 1972. ويتوقع أن تصبح المساحة المسقية في مرحلتها النهائية 59700 هـ ( 27500 بالانسياح والباقي بالرش) بعد التغطية الكاملة لقطاعي خميس الزمامرة واثنين الغربية حيث بدأ تجهيزهما في أواسط السبعينات وانتهى في أواسط الثمانينات. أما الآن فيسقى من المساحة الإجمالية أكثر بقليل من 50000 هـ (من بينها 3750 في إقليم أسفي والباقي في إقليم الجديدة).

أما مياه سد المسيرة وسد الفارغ فستنضاف إلى مياه إمفوت لري الشطر الثاني من السهل، والذي يتوزع على ثلاث مناطق في جنوب السهل بدأ تجهيزها سنة 1986 وسيستمر إلى سنة 1997 لتبلغ المساحة المسقية الإضافية 40000 هـ، ولتصبح المساحة الإجمالية بسهل دكالة تعادل 100000 هـ. وأما القناة التي ستسقي هذا القطاع والتي تسمى قناة المصلحة العليا، فستتفرع هي الأخرى عن نفق الرأس الميت.

Direction de statistique, *Annuaire statistique du Maroc*, Rabat 1987 ; Division de la carte, *Carte topographique de Mechra Ben Abbou* au 1/50000. Rabat 1956 ; M. Gigout , *Etude sur la Méseta Marocaine occidentale*, Trav. Inst. Sci. Cher. Rabat 1951 ; J. Loup, *L'Oum Er Rbia*, Trav. Inst Sc. Cher, N° 9, Rabat 1960.

مصطفى عياد

**أمقران**، مرسى تقع بشاطىء قبيلة بني بوفراح الريفية شرق جزيرة بادس. وكلمة أمقران معناها في اللهجة الريفية : الكبير. وبهذه المرسى نزلت القوات البحرية الاسبانية التي احتلت الجزيرة المذكورة يوم 23 يوليوز 1508.

**أمقران**، نهر يعرف كذلك بالنهر الكبير، وينبع من عين السلطان بقبيلة بني توزن، وبعد سقيه لأرض قبيلة تمسمان تصب مياهه في البحر المتوسط شرق مرسى سيدي إدريس. ولا شك أن هذا النهر هو الذي يسميه البكري بوادي البقر.

أبو عبيد البكري، *المسالك*، 90.

Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa*, 1930, T. 2, p 43 ; Domenech Lafuente, Angel, *Geografia de la zona norte del Protectorado de Espana en Marruecos*, 1942, p 37 ; Cabello Alcaraz (J) *Apuntes de geografia de Marruecos*, 1951, p

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **أمقشاب**، محمد بن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجي الهنائي الزموري الشهير بابن أمقشاب (أو أنقشابا أو أنقشابو )، أحد علماء آزمور ودكالة وقضاتها خلال النصف الثاني من القرن الثامن (14 م).

خصه لسان الدين ابن الخطيب في *نفاضة الجراب* بفقرات سجلها عنه أثناء مروره بمنطقة دكالة (وذلك بين سنتي 760 و763 / 1358 و1361) إذ كان ابن أمقشاب من ضمن وجهاء المنطقة الذين استقبلوا ابن الخطيب وتحادث معهم، فترك لنا بذلك معلومات فريدة خاصة منها ممارسة ابن أمقشاب للقضاء بدكالة. وأكثر من ذلك أهمية تلك الرسالة الطريفة التي بعث بها إلى صديقه القاضي واصفا فيها ما تضمنته كتبه «من فوائد رحلة حجازية، ليست من حسن الحجى زيه، وذكر أعلام، وأركان استلام» (*نفاضة*، 76). وقد وصف ابن الخطيب صديقه القاضي بالرجل المختصر البنية والثوب، الحافظ لغثاء من منقول كتب التفسير وغيرها، الذاكر لمسائل متعددة، المسترسل اللسان في أسلوب يفضحه الإعراب عادة لا جهلا بقانون النحو، شموس عند المذاكرة في المسائل العلمية، أطرف بحديث رحلته (*نفاضة*، 75).

على أننا يمكن أن نعتبر أن إسماعيل بن الأحمر هو أهم من ترجم لابن أمقشاب، فهو من تلاميذه، وكانت *فهرسته*، المفقودة الآن، هي المادة الأساسية التي اعتمد عليها الذين ترجموا لابن أمقشاب ونذكر منهم بالخصوص أحمد بابا في *النيل والكفاية*، وأحمد بن القاضي في *الجذوة ودرة الحجال*.

يوصف ابن أمقشاب ضمن هذه المصادر بالشيخ القاضي العدل المحدث الراوية الداعية المدرس المفتي المصنف الحاج الرحال، أخذ عن أبي حيان محمد بن يوسف النفزي الغرناطي شيخ النحاة وإمام اللغة والأدب دفين القاهرة (ت 745 / 1344). وأخذ بفاس عن محمد بن علي بن عبدالرزاق الجزولي (ت 758 / 1356) وعن أحمد بن عبد الرحمان المكناسي المجاصي (ت 753 / 1352 - 1353) كما قرأ على الشيخ محمد المقّري قاضي السلطان أبي عنان. ويضيف أحمد بابا إلى هؤلاء الشيخ خليل المكي، محمد بن عبدالرحمن المكي (ت 760 / 1358).

ولابن أمقشاب عدة تآليف ذكر ابن الخطيب أن فيها من المنظوم الكثير، إلا أننا لا نعرف من ذلك سوى مؤلفين :

أولهما شرح فرعي ابن الحاجب سماه *معتمد الناجب في إيضاح مبهمات ابن الحاجب* في ثلاثة أسفار، ذكر فيه أنه حضر قراءته على مشايخ مصر والإسكندرية. والكتاب الثاني هو *كنز الأسرار ولواقح الافكار*، وهو كتاب في الجغرافيا والهيئة(*دليل*، 470). وأشار المختار السوسي إلى أنه رأى بسوس كتابا لابن أمقشاب عبدالرحمان (كذا، والصحيح هو محمد ) بن سعيد، ولم يذكر عنوان الكتاب، على أنه من خلال جرده لبرنامجه يظهر أنه يتحدث عن كتاب كنز الاسرار (*خلال جزولة*،3 :56-59) ، وعن نفس الكتاب تحدث ابن شقرون وذكر بان كنز الاسرار كتاب مهم يهتم بمواضع مختلفة تعالج التصوف وشؤون الحياة والجغرافية والفلك (M. Benchekroun, *La vie intellectuelle*, p..427) وتوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط ، رقم د 1198.

لم تذكر المصادر التي ترجمت لابن أمقشاب سنة وفاته ويمكن الاستئناس بما ذكره ابن سودة في *دليله* ، أي نهاية القرن الثامن / الرابع عشر وهو الزمن الذي يمكن أن نستخلصه من مقاربة وفيات شيوخه، وأغلبهم توفوا قبل 1358/760، ووفيات الذين أخذوا عنه ، ونعرف منهم بالخصوص إسماعيل بن الأحمر الذي قدم إلى المغرب خلال منتصف القرن الثامن /الرابع عشر، وتوفي سنة 1405/808. لذلك تكون وفاة ابن أمقشاب قبل بداية القرن التاسع/الخامس عشر.

ابن الخطيب، *نفاضة الجراب* ؛ أ.بـاب، *نيل الابتهاج* ؛ أ.ابـن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ م.المختار السوسي، *خلال جزولة* ؛ م. الكانوني، *أسفي و ما إليه*، ع. ابن سودة، *دليل* .

M. Benchekroun, *La vie intellectuelle*.

عمر بنميرة

**أمْقَشْدْ**، أسرة ريفية من قبيلة أنجرة القاطنة بين طنجة و تطوان ، وتعرب فتكتب المقشد. اشتهر منها أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر (19 م) أفراد اشتغلوا بالتجارة أو العمل في حكومة المخزن ، منهم :

**أمْقَشْدْ، إدريس** بن عبدالسلام الذي كان خليفة باشا أصيلا سنة 1888/1305 ثم أصبح أحد قواد قبيلة أنجرة عام 1891/1309 حيث لعب دورا إيجابيا في القضاء على تمرد القائد عبد السلام الحمام الأنجري الذي عارض - مع جماعة من أنصاره - في وضع دعائم أسلاك التلغراف بين الواد وطنجة من قبل إسبانيا حين أذن لها السلطان بذلك.

**أمْقَشْدْ، العباس**، من كبار رجال المخزن على عهد المولى محمد بن عبدالرحمان ، أصبح عاملا على طنجة وأحوازها منذ عام 1863/1280، وعُين مساعداً للأمير العباس في حرب تطوان ، كما كان ينوب عن محمد بركاش في تمثيل السلطان لدى أعضاء السلك الديبلوماسي.

**أمْقَشْدْ، محمد** بن العربي، كان تاجرا بطنجة ثم أصبح منذ سنة 1863 سمساراً للإسباني هنري ماطيوس القاطن بالرباط، وبعد ذلك صار كاتبا بالقنصلية الإسبانية بطنجة سنة 1866.

*الوثائق المخزنية* ؛ م . بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 440- 509- 571- 669 .

Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 3 : 184.

محمد حجي

**أمكاله**، موقع بالصحراء المغربية شرقي الساقية الحمراء على بعد حوالي 180 كلم من الحدود مع الجزائر، اشتهر من قديم بعين ماء يقصدها الرحل .

**أمكدار**، اسم شائع لعدة أماكن بين تزي - ن - تَسْتْ، وتزي - أ ُومَاشُو (*أخبار*، 39- 50)، وهو إطلاق ليس بالغريب عن مجال مصمودة الأطلس الكبير الغربي.

والصيغة وما يقاربها من أسماء ذات دلالات جغرافية موجودة في جهات مختلفة بالمغرب. ويبدو أن أمكدار الأكثر شهرة كان يوجد جنوب أغمات وريكة في مجال قبيلة أيلان (*Contribution*, 110).

ويلاحظ أن أمكدار سواء القريب من الحوز، أو المجاور لسهل تادلا، كانا مركزين ضمن خريطة امتداد الموحدين بالجبل سواء على عهد ابن تومرت، أو في فترة عبدالمومن (*أخبار*، 39- 50) .

أ.البيدق، *أخبار المهدي*. Laoust, *Contribution*.

محمد رابطة الدين

**أمْكدُولْ**، ويكتب أيضاً : أمقدول، اسم لأماكن متعددة في جبال درن وأوديتها. و معناه : المرج والمرعى المشترك. وذكر أبو عبيد البكري في المغرب أمقدول مرسى بين وادي سوس جنوبا ومرسى أكوز شمالا، أي أنه بجهة الصويرة ، ومنه ولا شك اسمها : Mogador.

أ.البكري، *المغرب*، ص 86.

أحمد التوفيق

**إمْكرَادْ**، قبيلة حاحية تتميز بموقعها وسط قبائل حاحة الاثنتي عشرة على شكل هضاب متموجة تربط بين المنطقة السهلية غربا والمنطقة الجبلية في الجنوب الشرقي. إذ تحدها من الغرب قبيلة إداويسارن الساحلية ومن الشرق قبيلة أيت زلطن وإداوبوزيا الجبليتين، بينما تحدها إنْكنَافنْ من الشمال وإداكيلول من الجنوب. لا تتجاوز مساحة قبيلة إمكراد 449 كلم$^2$ وعدد سكانها 16.451 نسمة تغطي غابات أركان والعرعار والزبوج (أزمور أو الزيتون البري ) معظم أراضي إمكراد مما جعل السكان يشتغلون بكثرة في تربية المواشي وخاصة رعي المعز والغنم، كما يشتغلون بقطع الخشب وتسويقه إلى الصويرة وخاصة خشب العرعار الذي يستعمل بكثرة لدى الصناع التقليديين في هذه المدينة.

ومن المآثر التاريخية المشهورة بقبيلة إمْگْرَادْ آثار مدينة عظيمة يقولون عنها إنها كانت فاس حاحة لكثرة الواردين عليها من أهل العلم وطلبته ، ويعرف موضعها اليوم بالزاوية نَيْتْ إيفرْضن ، ولا تزال بها مدرسة عتيقة تدعى إيفرض أوطاها الواقعة بخميس إيموشكين التي تخرج بها عدد من علماء سوس وحاحة الذين ازدهرت بهم الحركة العلمية في الجنوب في العهد ين المريني و السعدي أمثال العبدري صاحب الرحلة الشهيرة ت 688 هـ وسعيد بن عبد المنعم الحاحي ت 935، فهما من القبائل الحاحية المجاورة لقبيلة إمگراد المشهورة بحركتها العلمية قديما. ومن مآثرها التاريخية حصن بوزمور، وهو عبارة عن قلعة محصنة بالجبال يحتمي بها السكان في أوقات الحرب، كما وقع في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي حيث حاصرتهم الجيوش في هذا الحصن لمدة سنة حتى أخذوا على غرة فنقلت أعداد منهم إلى قبائل أخرى مثل زمور الشلح في الأطلس المتوسط. وجولة واحدة بين هضاب وجبال إمگراد توقفك على مشاهدة كثير من آثار القلاع الغريبة الموقع، والمساجد التي تهدمت بعد هلاك أهلها أو ترحيلهم عن المنازل التي لم تخلف إلا هضابا من الصخور والاتربة تحسبها هضابا طبيعية، وعندما تتفحصها تجدها بقايا مدن ومداشر مهدمة كالتي تحدث عنها صاحب *وصف افريقيا* (1 :81) وما ذلك إلا دليل على الصراع الذي خاضه سكان حاحة ومنهم إمگراد من أجل الحرية والدفاع عن حوزة الاسلام ضد المسيحيين البرتغال، وضد القواد المتسلطين على رقاب السكان من المنطقة وخارجها. وتتوفر القبيلة اليوم على مقر للجماعة القروية بسوق سبت إمگراد بعد أن كانت تابعة لتمنار بإداگيلول، وأنشئ بجانبه مستوصف قروي، وقاعة للعلاج، ومجموعة مدارس. بالاضافة إلى وكالة بريدية، ومجموعة دور سكنية مزودة بالماء الصالح للشرب.

*تحريات ميدانية.*

محند أيت الحاج

**أمْگريو**، رأس ومرسى بإقليم طرفاية. يعرف الرأس عند الإسبان بپُونْطا نيسگريطا Punta Negrita ويقع شمال المرسى التي تحمل نفس الاسم على بعد 30 كيلومتراً جنوب رأس جُوبي Cabo Juby وتسمى أيضاً مرسى الركينة، وأطلق عليها الإسبان اسم لانيگريطا La negrita.

Camero Ruiz, Ismael ; *Vocabulario geografico Sahariano*, Madrid, 1955, p. 127, 150, 164.

محمد ابن عزوز حكيم

## أمگار ← موسم

**أمگور**، حصن من حصون حاحة، كان حسبما ذكره الإخباري البرتغالي (دوگويش) على مقربة من ميناء تافتنة الذي وصفه الوزان. وحسب نفس الإخباري، كان موقع أمگور منيعا، على مرتفع صخري بمنطقة جبلية صعبة. وكان يحيط به نهران صغيران. وبهذا الحصن المنيع استقر القائم بأمر الله السعدي وأنصاره بعد هزيمتهم أمام البرتغاليين وحلفائهم بمدينة تدنيست التي كانوا قد اتخذوها مقرا لهم بعد استقرارهم بالشياظمة. وانطلاقا من أمگور شرع أنصار القائم بأمر الله في مطاردة حلفاء البرتغاليين بالشياظمة ، وفي نشر نفوذهم بتلك المناطق. وهكذا كانت قرية تدين بالولاء للقائم بأمر الله حين مهاجمته بأمگور يوم 27 صفر912 / 12 أبريل 1515 على أيدي مائتي فارس وخمسين من الرماة البرتغاليين الذين كانت تعززهم أعداد أهم من قبائل دكالة وبعض فروع الشياظمة. وحسب ما أوده (دوگويش ) لم تطل مقاومة سكان أمگور لانسحاب الشريف وابنه أحمد المبكر وبداية إخلاء السكان لقلعتهم في اضطراب كبير .وهكذا تمكن المسيحيون وحلفاؤهم من دخول القلعة وأسر أكثر من 400 شخص والاستيلاء على غنائم هائلة قضى الحلفاء ثلاثة أيام في جمعها. ومات من سكان أمگور حوالي 1200 شخص قتلوا أو قضوا نحبهم إثر الإلقاء بأنفسهم من الأسوار في اتجاه الأودية العميقة. واعتبر دوگويش هذه المعركة من أهم الانتصارات البرتغالية بالمغرب.

R. Ricard : *Les Portugais au Maroc de D. de Gois*, Extraits de *la chronique du Roi D. Manuel* : Rabat, 1937 ; C. de Marmol, *L'Afrique*. trad. française, Paris, 1667, T 2 ; P. de Cénival (et al...) *S.I.H.M. I saanne, Portugal,* I.

أحمد بوشرب

**أبو أمْلاَل**، عبد القاهر بن محمد المتيوي (حي ب حر القرن 13 / 19) كتب لقائد قبيلة متيوة الداودي. وألف كتاب *الخبر عن ظهور الفقيه العياشي بهذه البلاد وذكر سبب قيامه بوظيفة الجهاد* ، وبه عرف اسمه. والكتاب المذكور أُلّف في المجاهد محمد بن أحمد العياشي ت 1051 / 1641. ويظهر أنه جمعه وخرج مبيضته في متيوة، وظلت هذه النسخة عند عقب القائد المتيوي إلى أن خرجت من يدهم. وعندما أخذت نسخة خاصة بفاس سنة 1306 / 1888 وانتسخت منها نسخة ثانية رديئة (مخطوط خ.ع. بالرباط رقم 91 د) كان نسخها سنة 1333 / 1915. ومن نسخ الكتاب أيضا مخطوطا خ.ع. بالرباط 380 د و2560 د أول مجموع .

ع.ابن سودة، دليل ؛ ع. *كحالة، معجم المؤلفين*، ط . بيروت ؛ ل. بروڤنصال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. ع. الخلادي، 1977 ؛ ع. الشاذلي، *الحركة العياشية*، ط .الرباط، 1982 ؛ م .المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ط . الرباط، 1983.

عبد اللطيف الشاذلي

**الأملاك المخزنية**، تندرج الأملاك المخزنية ضمن أملاك الدولة الخاصة بالإضافة إلى الأملاك الغابوية التي تشرف عليها وزارة الفلاحة، غير أنها تتميز بازدواجية نظامها : فهي تخضع لمبادئ القانون الخاص من حيث إنها

قابلة للتقادم والتداول خلافا لملك الدولة العام التابع لوزارة الأشغال العمومية، وهي من جهة ثانية تستفيد من الامتيازات التي تخولها مبادئ القانون العام، حيث يمكن إنشاؤها عن طريق نزع الملكية وتأجيرها أو تفويتها طبقا لمساطر إدارية معينة وفي إطار نصوص تشريعية وتنظيمية خاصة.

الجهاز المشرف عليها واختصاصاته : قبل 1912 كان الإشراف على الأملاك المخزنية موكلا إلى أمناء الأملاك التابعين لأمين الدخل، وفي شتنبر 1912 أحدثت مصلحة الأملاك المخزنية ( ج .ر. عدد 1 بتاريخ 21 ذي القعدة 1330 موافق فاتح نوفمبر 1912). وقد أعيدت هيكلة هذه المصلحة مرات متتالية قبل أن تصبح مديرية بمقتضى المرسوم رقم 2.78.539 بتاريخ 12 ذي الحجة 1398 موافق 22 نوفمبر 1978 الذي جعل من أهم اختصاصاتها «تكوين وتسيير ملك الدولة الخاص غير الملك الغابوي وكذا النزاعات المتعلقة به واقتناء العقارات وتخصيصها بالمرافق العامة».

المصادر ودورها : للأملاك المخزنية مصادر متعددة، من جملتها : التركات الشاغرة، والمصادرات، والهبات، وممتلكات المتغيبين أو الفارين من العدالة، والأراضي الفلاحية المسترجعة. غير أن مصدرها الأساسي يتمثل في الرصيد العقاري الذي كانت الدولة تتوفر عليه أصلا والذي عملت إدارة الأملاك المخزنية على جمع شتاته وصيانته وتسوية وضعيته القانونية ليكون في مأمن من كل ترام، وذلك إما بتحفيظه طبقا لمقتضيات الظهير المؤرخ في 9 رمضان 1331، موافق 12 أغسطس 1913، أو بإخضاعه لمسطرة التحديد الإداري في إطار الظهير المؤرخ في 26 صفر 1334 / 3 يناير 1916 (ج. ر.10 يناير 1916).

ومنذ القدم كوّن هذا الرصيد أهم متنفس للدولة فيما يتعلق بحاجياتها العقارية لإنجاز مشاريعها الاجتماعية من مؤسسات مدرسية ومستشفيات، وأحياء إدارية، ومرافق عمومية بصفة عامة. وبفضل هذا الرصيد ساهمت الأملاك المخزنية بقسط وافر في تنفيذ مخططات التعمير والتنمية التي عرفتها البلاد. فقد كانت التجزئات الحضرية المحدثة فوق أراضي الأملاك المخزنية نقطة انطلاق عدة مدن ومراكز، كمراكش، والرباط، والدارالبيضاء، والقنيطرة، وبوزنيقة، وبرشيد، وميسور، وقرية أبا محمد، وغير ذلك.

وأمدت الأملاك المخزنية أيضا بالعقار الضروري مختلف المؤسسات العمومية والشبه العمومية التي عهد إليها بتنفيذ سياسة الحكومة في ميدان الإسكان، وعلى رأسها وزارة السكنى والمؤسسات الجهوية للتجهيز والبناء والشركة العامة العقارية.

وهكذا تم إحداث 142 تجزئة سكنية ما بين 1970 و1985 تضم ما يقرب من 60000 قطعة أرضية إضافة إلى البرامج الاجتماعية، وبرنامج السكن القروي وبرنامج محاربة السكن غير اللائق. وخفف هذا الإمداد من أعباء ميزانية الدولة التي ما كان بإمكانها أن تواجه تكاليف هذه المشاريع لو كان عليها أن تقتني بالأسعار المتداولة جميع الأراضي الضرورية لتحقيقها. كما حال هذا الدعم العقاري دون تسرب مفعول المضاربات العقارية إلى الفئات المحدودة الدخل التي أمكنها الاستفادة من البرامج السكنية المنجزة من طرف تلك المؤسسات بأثمان أبعد ما تكون عما هو متداول بالسوق.

ففي المدن الكبرى كالدارالبيضاء مثلا بلغ ثمن المتر المربع سنة 1985 عشرة أضعاف ما كان عليه سنة 1975 في حين فوتت الأملاك المخزنية أراضيها بثمن التكلفة مهما كان قدمها. غير أن هذا الرصيد لم يكن بوسعه أن يفي بجميع الحاجيات العقارية، فهو في تقلص مستمر نتيجة ما اغترف منه على مدى عدة عقود. وهنا تتدخل مديرية الأملاك المخزنية لتمارس إحدى أهم اختصاصاتها التي تتجلى في اقتناء العقارات الضرورية لصالح الإدارات العمومية.

ويسطر الجدول أسفله، على سبيل المثال، عمليات الاقتناء التي قامت بها المديرية خلال ثلاث سنوات.

| السنة | عدد العمليات | المساحة المقتناة | المبالغ المؤداة بـ 1000 دهـ |
|---|---|---|---|
| 1983 | 751 | 722 هكتارا | 99.309 |
| 1984 | 633 | 463 هكتارا | 125.044 |
| 1985 | 745 | 645 هكتارا | 200.113 |

ورغم أن عمليات الاقتناء غالبا ما تتم بالتراضي مع المالكين، فإن مديرية الأملاك المخزنية تلتجئ أحيانا إلى مسطرة نزع الملكية لأجل المصلحة العامة في حالة رفض الثمن المعروض من طرفها أو إذا كانت وضعية العقارات غير واضحة أو محط نزاع. وبمبادرة من مديرية الأملاك المخزنية تمت صياغة التشريع المطبق حاليا فيما يتعلق بنزع الملكية الذي استهدفت الإصلاحات الجذرية التي أدخلت عليه إلى التعجيل بنقل ملكية العقارات للدولة لتمكينها من تحقيق مشاريعها، وذلك دون المس بالحقوق المادية لمنزوعي الملكية. وهو موضوع القانون رقم 81.7 المصادق عليه بالظهير رقم 258.81.1 المؤرخ في 11 رجب 1402، موافق 6 مايو 1982 (ج. ر. عدد 3685، 3 رمضان 1403، موافق 15 يونيو 1983).

*وثائق مديرية الأملاك المخزنية بوزارة المالية.*

خالد القاردي

**أمْلاح** (أسرة سلوية) ← **مَلاح**

**أمْلاح، الحاج محمد** بن الحاج مبارك

القنصلية بمدن الصويرة وأسفي والجديدة، ليفاوضه نواب قناصل الدول الأجنبية بهذه المدن في المسائل التي تهمهم مثلما يفاوض القناصل النائب السلطاني برگاش في طنجة. ولم تطل مدة نيابة أملاح أكثر من خمسة عشر شهرا لأسباب ربما كان منها تدخل ممثل فرنسا بسبب امتناع النائب من إسكان الطبيب الفرنسي لوران تيفنان L. Thevenin.

وقد عين أملاح عقب ذلك أمينا بمرسى الصويرة. واستمر في منصبه إلى أواخر رمضان 1287 / دجنبر 1870. وبلغ في هذه الأثناء تلاعب الأمناء بمداخيل المراسي واستحواذهم على أموال الدولة، فأحضرهم محمد الرابع، وقضى باستغراق ذمة أملاح وبيع أصوله وسلعه وأثاثه وجميع أموره حتى دار سكناه، وحيز ما كان تحت يده من مال يعادل دخل شهر كامل لمرسى الصويرة حسب تقدير أحد الأمناء، وحُبس بأمر سلطاني، ثم أفرج عنه في أواخر سنة 1287 / 1871.

*وثائق الخزانة الملكية* ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 103 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج 3 :9060 و1071 ـ 1072.

**أمَلاگو**، قرية جبلية في السفح الجنوبي للأطلس الكبير الشرقي بحوض واد غريس، دائرة گلميمة، بعيدة عن أسول بنحو ثلاثين كيلوميترا. وتعد من مراكز المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي، اشتهرت على الخصوص بالمعارك العنيفة التي جرت فيها بين رجال قبيلة أيت مرغاد وجنود الاحتلال خلال الشهور الخمسة الأولى من سنة 1932 (يناير/

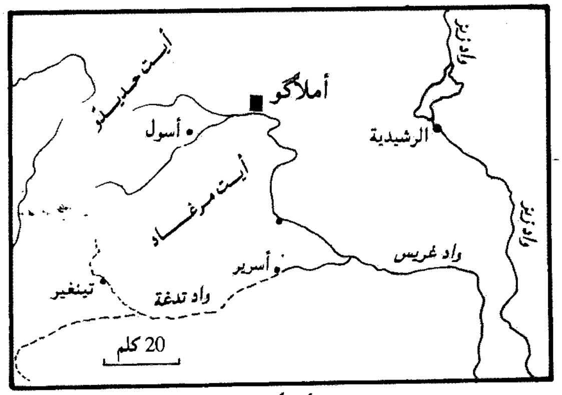


أملاگو

ماي). وقد استخدمها الفرنسيون أثناء الأزمة السياسية المغربية سنة 1953 كمعتقل للوطنيين الأحرار، ومنهم عبدالكريم بن جلون المحامي ووزير العدل والتعليم بعد الاستقلال.

م.الرشيد ملين، *فصل الشتاء في أسول*، 10 ؛ م. بن جلون، *أمثلة للبطولة*، الذكرى الأولى لمعتقل أغبالو نكردوس، 65.

محمد حجي

ابن **أمَلال**، محمد بن علي المديوني، أحد فقهاء فاس ومفتيها خلال منتصف القرن التاسع الهجري (15م). وأحد تلامذة الشيخ عبد الله العبدوسي، والشيخ محمد بن قاسم القوري. وتعتبر *كناشة* الشيخ أحمد زروق (ت 899 / 93 ـ 1494) أهم مصدر لترجمة الفقيه ابن أملال، فصاحب الكناشة عاصر المترجم ودون عنه بعض الذكريات، وكانت مادته التاريخية عماداً لجل الذين ترجموا لابن أملال لاحقاً، وخاصة أحمد بابا في *النيل والكفاية* ؛ وابن القاضي في *الجذوة ودرة الحجال*. ثم الكتاني في *السلوة* الذي أورد جل ما كتب عن ابن أملال.

وضمن هذه المصادر وُصف ابن أملال بالشيخ الفقيه الصدر العالم مفتي المسلمين، وأنه كان "حضريا فقيها، فهما، ولي الفتيا بعد الشيخ عبد الله القوري عند تأخيره أياما، ثم مات فعادت إليه". ثم يضيف صاحب *الكناشة* بأنه صلى خلف ابن أملال بمدرسة الحلفويين أياما، وظهرت ولايته، وأنه حضر جنازته يوم مات هو والفقيه الوزروالي فكان لهما مشهد عظيم، وذكر أنه مات في باب الفتوح رجل بالازدحام للجنازة (*كناشة*، 21 ـ 22).

ويبدو من خلال ما أوردته المصادر أن ابن أملال تقلد منصب الإفتاء بعد الشيخ القوري كبير الفقهاء بفاس، وهي وظيفة لها أهميتها وخطورتها آنذاك، كما أنه كان إماما ومدرسا بإحدى أهم مدارس مدينة فاس. ومن خلال أوصاف الشيخ زروق يكون ابن أملال قد امتزج فيه الفقه بالتصوف. وهذه كلها خصائص تبرز المكانة العلمية والروحية التي كان يتمتع بها ابن أملال والتي ربما كانت وراء ذكر الشيخ زروق لمشهد جنازته.

وقد تناقلت العديد من المصادر، وفي مقدمتها كتب النوازل الفقهية كثيرا من اجتهادات وفتاوى الفقيه ابن أملال، نقل عنه ابن غازي في غير ما موضع ووصفه بالإمام المحقق، كما اعتمد عليه أحمد الونشريسي وأورد له عديدا من النوازل في كتابه *المعيار*.

أ. زروق، *الكناشة* ؛ ت. فهمي خشيم. ليبيا ؛ أ. الونشريسي، *المعيار* ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج* ؛ *كفاية المحتاج*، ت. محمد مطيع، د. د. ع. بالرباط،1987 ؛ ابن القاضي، *جذوة* ؛ م. الكتاني، *سلوة*.

عمر بنميرة

**أمْلـو**، يدل اللفظ في الأمازيغية (بجنوب المغرب) على معنى الرطوبة أو اللُدونة، ومنه اشتق فعل رطب «إمْلاً». ولفظ أمْلو يكتسي بعداً اصطلاحيا، لكونه يدل على نوعين من العصير، أحدهما يستخرج من زيت أرگان المشهور، والثاني هو عصير اللوز الذي يعتبر غذاء مغربيا أصيلا في المنطقة الجنوبية.

أما أملو المستخرج من طحن نوى حبات ثمار شجرالأرگان، فهو يدعى بـ «أمْلو وأرگان» تمييزا له عن عصير اللوز الذي تسفر عنه عملية طحن نوى اللوز المقلي،

ويدعى هذا العصير بـ «أمْلُو نْـلْـلُوز» نسبة إلى اللوز. وأملو الذي هو عصير نوى ثمار الأرگان، مر لا يستساغ يكون بنيّ اللون، وبطيء السيلان من الرحى أثناء الطحن، لأنه سائل ثخين. ويتم الحصول على هذا العصير، بعد قلي نوى ثمار الأرگان في إناء فخاري يدعى «تَفْلُونْت» بعد غربلتها بواسطة طبق مصنوع من الأسل الرقيق، وعملية الغربلة تتم بواسطة رفع الطبق نحو الأعلى في إيقاع تتوالى فيه حركات صعود الطبق وهبوطه، مواكبة لتطاير قشور النوى المفترقة في الفضاء بفضل عملية النفخ والصفير التي تقوم بها المغربلة. وبعد عملية الغربلة توضع هذه النوى في الرحى وتطحن، فيسفر الطحن عما يسمى بـ «أمْلو وَارگان». وهذا العصير المر لا يصلح للتغذية، وإنما يمزج بالماء، فينفصل الزيت عن الماء وبقايا النوى المطحونة، وذلك الزيت هو المدعو «أرگان» وهو غذاء مستساغ. أما بقايا ذلك الخليط الذي صفي منه الزيت، فهو يصلح لتغذية البهائم.

أما «أملو» الذي هو عصير اللوز، فهو غذاء صالح للتغذية البشرية، وللحصول عليه، يتم فصل نوى ثمار اللوز عن لحائها الخارجي، فتجمع هذه النوى وتقلى. وبعد القلي تتم غربلة النوى اللوزية، وتطحن النوى المغربلة في رحى حجرية. وأثناء الطحن يخرج من مجرى الرحى في الجزء الأسفل منها سائل بُني اللون، ثخين، هو عصير اللوز المدعو بـ «أمْلونلْلُوز». وجرت العادة في هذا العصر أن يضاف إلى هذا العصير اللوزي السكر المطحون الذي يشبه الدقيق، ثم يضاف إلى هذا الخليط من اللوز والسكر وزيت الأرگان، لكي لا يكون عصيرا صلبا. فزيت الأرگان، يمنح عصير اللوز كثيرا من اللدونة ويمنحه خاصية السيولة أيضا.

يتم وضع هذا العصير اللوزي بعد الانتهاء من تحضيره، على الصورة السابقة، في أوان فاخرة من الفخار أو البديع تدعى بـ «تامْرگولْت» ويقدم هذا الطعام اللوزي للضيوف، وقد يستعمل للاستهلاك اليومي الخاص، عندما تكثر الكمية المتوفرة منه في البيت.

ولعل أهمية هذا الغذاء المصنوع من عصير اللوز وزيت الأرگان تدفع إلى أنه يحتل في المناطق الجنوبية في المغرب المرتبة الثانية بعد عسل النحل.

*المعاينة الميدانية.*

محمد أديوان

## أمْلْواغْرِيْبن ← خنيفرة (إقليم-)

**إمسليل**، يطلق على قرية صغيرة بوادي غيغاية الأعلى المعروف هناك بأسيف نايت ميزان بالأطلس الكبير الغربي - المراكشي - ينتمي سكانها إلى مجموعة قبلية مصمودية قديمة هي غيغاية (إغيغايْن). تقع ضمن مشيخة بالجماعة القروية لأسني - دائرة تحناوت بإقليم مراكش -.

الموقع والموضع : استمدت القرية الصغيرة المعلقة بمنحدر تغطيه الأشجار تسميتها التي قد تعني بالبربرية المندر أو البياض من سفح صخري أبيض يشرف عليها، ولكنها لم تعرف نموا عمرانيا لضيق الرقعة الصالحة للبناء، فلم يبلغ سكانها سنة 1986 سوى اثنتي عشرة أسرة. في بداية الثلاثينات ظهر أسفلها على بعد بضع مآت من الأمتار محطة لوقوف السيارات بالضفة اليسرى لأسيف نايت ميزان فوق «أگدال» صغير دي أرض رطبة تظللها أشجار الجوز الكبيرة، ويحيط بها سياجات عشبية من العليق. وكانت المحطة نهاية للطريق الثلاثي غير المرصف القادم من أسني، تتميز باستواء موضعها لوقوعها في حوض مستو تكوّن من ملتقى مسيلين مهمين بالمجرى الرئيسي للواد، منطبقين على فالق مهم أدى إلى تهشيش الصخور الصلبة أصلا وإلى تكون قاعدة المنطقة وهي الريوليت والأندزيت والگرانيت. وقد عُرفت المحطة أولاً باسم «گراج أرمض» باعتبار أرمض الواقعة جنوبها على بعد ثلاثة كيلومترات هي أكبر وأهم قرية قديمة بالمنطقة. وتقع على علو 1706 م.

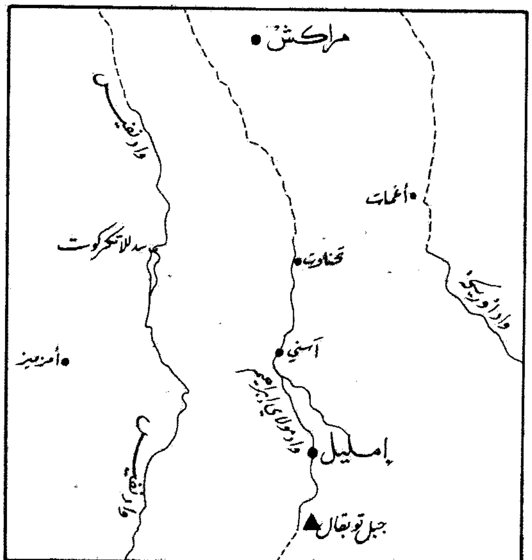


موقع إمسليل

تطور القرية : لقد أنشأ ممثلو السلطات الاستعمارية بمساعدة بعض الأوربيين المتحمسين للسياحة والدراسة والرياضات الجبلية، محطة لوقوف السيارات والانطلاق مشيا على الأقدام أو على ظهور البغال لارتياد الأودية العالية والقمم والفجاج خاصة قمة توبكال القريبة، لكن سرعان ما ظهرت بها منشآت سكنية ومهنية بجانب الطريق والمحطة، وانطلقت منها المسالك في اتجاهات عديدة، وتوافد عليها الناس أملا في إيجاد شغل. وفي 1952 بني بها مأوى جبلي مهم تابع للنادي الألبي الفرنسي، كما ظهرت بها ثكنة صغيرة على بعد بضع مآت من الأمتار يرتادها بعض الجنود صيفا.

عرفت المحطة نموا كبيرا بعد الاستقلال بنمو السياحة والرياضات الجبلية بالحديقة الوطنية لتوبكال أنشئت بظهير

سنة 1942، تبلغ مساحتها 36 ألف هكتار، كما يحل بها وينطلق منها زوار ضريح سيدي شمهاروش الواقع جنوبها على بعد ساعتين مشيا على الأقدام. فقد صارت مركزا قرويا نشيطا، يعرف بإمليل يتكون من سويقة مقابلة لمحطة السيارات وانتشرت على طول الطريق دكاكين ومقاه ومنازل للسكن أو لمبيت الزوار والسياح الذين يجدون في ضفاف الواد المعشوشبة والمظللة بأشجار الجوز مجالا سياحيا جذابا. معظم المباني حديث، مبني بالحجارة والإسمنت على نمط حضري مهجن. كما يحيط بالمركز سكن متفرق على شكل منازل منفردة وسط البساتين وتجمعات سكنية جديدة وقرى صغيرة قديمة، يحيط بالكل. ويتوفر المركز القروي لإمليل على بعض التجهيزات الجماعية كالمسجد والكتّاب والمدرسة. كما ربط مؤخرا بشبكة الهاتف.

الأنشطة : يعتبر إمليل أهم قاعدة انطلاق لرواد السياحة والرياضات الجبلية بجبال الأطلس الكبير. وتعتبر حرَف الإرشاد السياحي الجبلي وكراء البغال وحمل أمتعة السَياح أو إسكانهم أهم الحرف المحركة لاقتصاد المنطقة. فبجانب محطة السيارات يتجمع المرشدون وأصحاب البغال وغيرهم من مقدمي الخدمات السياحية.

ويعرض يوميا عشرات البغال للمجموعات القروية الأربعة المحلية التي تستأثر بحق ممارسة هذا النشاط، وهي مجموعة أرمض، تعرض 55 بغلا، وأيت سوكا : 28 بغلا، ومزيك 30 بغلا، وإمليل : 34 بغلا (1986) فلكل مجموعة الحق في كراء بغالها، يوما من كل أربعة أيام، ويحصلون من ذلك على مداخيل مهمة، إذ يتراوح كراء البغل الواحد : بين 60 و80 دهـ لليوم الواحد.

ومن أهم المنشآت المهنية بإمليل : مأوى إمليل الذي تبلغ سعته 60 سريرا، وفندقان شعبيان جديدان بهما على التوالي 8 و10 غرف للمبيت بالإضافة إلى 7 منازل شعبية للاستقبال، وثلاث مقاهي شعبية و72 دكانا يشتغل منها لحد الآن 30 دكانا للتجارة وبعض الخدمات.

السكان : رغم النشاط المتزايد بإمليل فإن وتيرة تزايد السكان ظلت ضعيفة كما يدل على ذلك جدول الإحصاءات الوطنية.

| السنة | السكان |
|---|---|
| 1960 | 358 |
| 1971 | 400 |
| 1982 | 480 |

ويفسر ذلك بكون عدد من العاملين بإمليل يسكنون بقرى أخرى مجاورة لا تحصى مع المجموعة القروية لإمليل التي تتكون من المحطة ودوار إمليل القديم وما يحيط بهما من سكن متفرق، مما يجعل إمليل أقرب ما تكون إلى مركز سكن عائلي عادي. وقد بدأت تتصدى للسياحة والرياضات الجبلية مؤخرا شركات متخصصة، تستقدم خدامها ومرشديها - الذين يوجد بينهم أجانب - من خارج المنطقة. كما أن الأنشطة السياحية تفتح أعين الشباب على العالم الخارجي وتذكي تطلعاتهم الشخصية، فيهجرون الأعمال الفلاحية ويألفون الكسب السهل، فتغريهم هذه الوضعية بالهجرة إلى المدن الكبيرة أو إلى الخارج، خاصة وأن هذا النشاط السياحي موسمي متقطع لا يزدهر إلا صيفا وفي بعض أسابيع الشتاء الكثيرة الثلوج.

*تحريات ميدانية.*

هوزالي أحمد

**أُمُّ أَيْمَن**، رابطة تقع بقبيلة بقّوية من إقليم الحسيمة، وتنسب إلى مؤسستها أم أيمن المجهولة لدينا. أسست الرابطة في وقت سابق للقرن السابع الهجري لا يمكن تحديده، بموضع قريب من مدشر «تقيت» على بعد كيلومتر ونصف غربا، وأقيمت الرابطة فوق الجبل المطل على ساحل «مكرم» من جماعة بني ورجين فرقة إِزْمَوْن البقّوية.

كانت الرابطة خلال القرن السابع الهجري مركزا يجتمع فيه عباد بقوية وصلحاؤها، خاصة في المواسم الدينية المشهورة كليلة النصف من شعبان وليلة السابع والعشرين من رمضان وليلة عاشوراء. نعرف من الملازمين بالرابطة الشيخ أمصول عيسى بن عمران وتلميذيه الشيخين زكرياء ابن يحيى التقيتي وأحمد ساسان البوسكوري.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 91 ـ 92 ؛ البوعياشي، *حرب الريف التحريرية*، 251 ـ 252.

حسن الفگيگي

**أُمُّ البخت** (أيت ـ) من القبائل الصنهاجية التي ترجع أصولها إلى الجنوب المغربي. أما موطنها الأصلي فما زال موضع تساؤل، وتنتمي إلى اتحادية أيت يسرى، المكونة أيضا من قبائل أيت عبد اللّولي وأيت محند وأيت ورا ؛ المنتمية بدورها إلى الاتحادية الكبرى أيت أُمالو الَتي لعبت دورا تاريخيا طلائعيا في النصف الأول من القرن السابع عشر تحت زعامة الدلائيين.

تتكون قبيلة أيت أم البخت من أربعة بطون : أيت كطيف وأيت ماحا وأيت عبد النور وأيت هودي، موزعين على أربعة وعشرين دواراً تابعا لدائرة القصيبة، عمالة إقليم بني ملال. وحسب إحصاء 1982 فإن البطون الأربعة كانت تتكون من 6372 كانونا، بينما لم يتجاوز عدد الكوانين سنة 1946، 1400 كانون (*Les Berbères*, p. 65). وهذا راجع للنمو الديمغرافي وللتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها المنطقة في عهد الاستعمارالفرنسي وفي ظل الاستقلال، والتي كان من نتائجها المباشرة تفكك الأسرالكبيرة، وظهورأسر صغيرة مكونة من خمسة إلى ستة أفراد. وحسب نفس الإحصاء يبلغ مجموع سكان القبيلة 22.614 نسمة، يشغلون مساحة تقدر بـ 397 كلم$^2$ ويبلغ معدل الكثافة السكانية حوالي 56 نسمة/كلم$^2$. وتختلف هذه الكثافة من جهة إلى أخرى. وتعتبر زاوية الشيخ، الواقعة على الطريق الرئيسية رقم 24

التي تربط فاس بمراكش أهم تركز سكاني حيث تضم 17.000 نسمة.

تقع أيت أم البخت طبغرافيا على السفح الشمالي لسلسلة جبال الأطلس المتوسط. ويحدها شمالا بجعد، وجنوبا القصيبة، وشرقا أيت إسحاق وغرباً قصبة تادلا. وتتكون تضاريس المنطقة من مرتفعات وهضاب ومنخفضات. وتشغل المرتفعات 65٪ من مجموع تراب القبيلة. أما المناخ السائد فهو مناخ قاري، ويبلغ معدل التساقطات في السنوات العادية 550 ملم سنويا. وتبعا لهذه المعطيات الطبغرافية والمناخية، فالمنظر الزراعي جد متنوع : أراض فلاحية وغابات ومناطق رعوية.

| | | |
|---|---|---|
| * الأراضي الفلاحية : | 21.000 | هكتار |
| أراض بور | 16.000 | هكتار |
| أراض مسقية | 4.100 | هكتار |
| * الغابات | 13.000 | هكتار |
| * المناطق الرعوية | 5.900 | هكتار |

تجمع قبيلة أيت أم البخت، كما هو الحال عند غالبية قبائل الأطلس، بين الانتجاع القصير، حيث ينحدرون بقطعانهم في فصل الشتاء نحو أم الربيع وبين الإستقرار الدائم. وقد كانوا في النصف الأول من القرن العشرين يصلون بقطعانهم صيفا إلى منتجعات تاوزيرت (Guillaume, *Les Berbères*, p. 65).

انتماء أيت أم البخت للكتلة الصنهاجية واستقرارهم في منطقة الدير على الطريق التجارية الرابطة بين مراكش وفاس، كان له أثر كبير على تاريخهم. وحسب بعض الباحثين فإن أيت أم البخت كانوا من قبائل «الجيش»، وقبيلة خامسة في اتحادية أيت الربع المستقرة بتادلا، والتي كلفت بمراقبة تحركات سكان الأطلس (*أصول المغاربة*، 610). وبدون شك إن فترة الاضطراب التي تلت وفاة المولى إسماعيل 1757.1727 وما رافقها من انحلال في التنظيم العسكري كانت السبب في انفصال أيت أم البخت عن اتحادية أيت الربع ودخولها في تحالفات جديدة أملتها ظروف وأحداث المغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

وعندما عيّن المولى الحسن الأول موحا وسعيد قائداً على مجموع بطون اتحادية أيت يسرى بعد تحقيق انتصار على أيت سخمان. أصبحت قبيلة أيت أم البخت تحت نفوذ القائد وبهذا شاركت القبيلة في جميع تحركات وعمليات موحاوسعيد، سواء المتعلقة بتوسيع نفوذ القائد أو العمليات الجهادية ضد الفرنسيين الذين احتلوا تادلا سنة 1913 وأخذوا يحاولون اخضاع قبائل الأطلس.

م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، القسم البربري، مجلة البحث العلمي، ع. 25 ؛ *وثائق مديرية الفلاحة ببني ملال*.

A. Guillaume, *Les Berbères marocains et la Pacification de l'Atlas Central*, 1912 - 1933, Paris, 1946.

محمد العروصي

**أم البنين**، فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري. قدم أبوها ضمن وفد من عرب القيروان على فاس أيام يحيى بن محمد بن إدريس الأزهر الذي تولى الملك عام 234 / 48 ـ 849، وكانت فاطمة ـ كأختها مريم ـ عابدة قانتة. فلما توفي والدهما ورثتا منه مالا كثيرا، رغبتا في إنفاقه في وجوه البر. وكانت مدينة فاس قد تضخمت عدوتاها وكثر سكانهما حتى ضاق بهم الجامعان العتيقان، جامع الأشياخ وجامع الشرفاء. فلما أخبرت الفهريتان بذلك قررتا ـ باتفاق مع الأمير يحيى ـ بناء جامعين جديدين.

اشترت أم البنين أرض جامع القرويين، وكان مزرعة للخضر ذات أشجار، من رجل من هوارة ورثها من أبيه. وشُرع في بناء جامع القرويين يوم السبت مهل رمضان عام 245 / 2 دجنبر 850 فبني من أربعة بلاطات من القبلة إلى الجوف، في كل بلاط اثنا عشر قوسا من الشرق إلى الغرب، ونُصبت قبلته على قبلة جامع الشرفاء، وجعل بمؤخره صحن صغير وصومعة. وقد وسع هذا الجامع بعد ذلك وجدد وزخرف كما سيأتي في كلامنا على «القرويين».

ويذكرون أن أم البنين لم تزل صائمة من يوم أسس إلى أن كمل فصلت فيه شكراً لله. ولا يعرف تاريخ وفاتها على وجه التحديد.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، 55 ؛ ع. الجزناتي، *جنى زهرة الآس* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 52 ؛ ح. حسني عبدالوهاب، *شهيرات التونسيات*، 20 ـ 22 ؛ ع. رضا كحالة، *أعلام النساء*، 4 : 136 ـ 137.

**أم ربيع**، قرية قديمة قريبة من منابع نهر أم الربيع في مجراه الأعلى بالأطلس المتوسط. وقد اندثرت هذه القرية ولم يبق إلا ما كتبه عنها محمد بن عبدالمنعم الحميري في *الروض المعطار* (ص 605) : «قرية هناك كبيرة جامعة فيها أخلاط من البربر هم أصحاب حرث ومواش وجمال، والغالب عليهم الفروسية. وأم ربيع على هذا الوادي، وهو كبير خرار يُجتاز بالمراكب سريع الجري كثير الانحدار والصخور والجنادل. وبهذه القرية ألبان وأسمان ونعم كثيرة وحنطة في نهاية الرخص. وبها بقول ومزارع القَطاني والقطن والكمون، وهي ـ القرية ـ جنوب الوادي».

وقد ظن بعضهم أن قرية أم ربيع المندثرة ربما كانت في موقع مدينة خنيفرة الحالية، لكن شوّش عليه انحراف هذه المدينة إلى جهة الشرق عن الطريق الرابط بين مراكش وسلا.

م.الحميري، *الروض المعطار*، 605 ؛ م. عريوش، *من تاريخ منطقة إقليم تادلة وبني ملال*، ص 27 ـ 28.

محمد حجي

**أم الربيع**، (نهر ـ) تبلغ مساحة حوض أم الربيع 34.335 كلم$^2$، وترتب في الصف الرابع بعد مساحات أحواض درعة وملوية وسبو. رغم ذلك فإنه يمكن مقارنتها بمساحات أقطار كاملة، حيث إنها تتعدى مساحة هولندة أو مجموع بلدان قطر والكويت والبحرين، وتقترب من مساحة

سويسرا أو الطوكو. ويعد نهر أم الربيع أطول الأنهار المغربية بمسافة 555 كلم، أو 604 كلم إذا اعتبرنا في الحالة الأخيرة واد فلات كمجرى أعلى له، أي أطول من نهر ملوية الذي يبلغ 520 كلم. كما يعد أهمها انتظاما في حجم المياه التي يصرفها خلال كل الفصول، بصبيب 110م$^3$/ثانية، قد تصل نسبة تفاوته حسب السنوات 6,6. إنه أيضا أكثر الأنهار المغربية تعمقا على طول مجراه، إذ كانت تشكل خوانقه حاجزا منيعا أمام التحركات السكانية، وما زالت تفصل بين جزء من أهم الأربعين قبيلة تقريبا التي يلمسها الوادي.

يشكل النهر حدا فاصلاً بين قبائل الشاوية المحاذية له (الهدامي وكدانة ومزوضة وأولاد بوزيري وبني مسكين) وقبائل دكالة (هشتوكة والحوزية وأولاد فرج) والرحامنة (أولاد عبو وأولاد تميم وأولاد عكيل والبرابيش) وقبائل السراغنة (الغابات وبني عامر). أما المجموعات القبلية الأخرى (بني موسي وبني عمير وأيت رباع وأيت سري وأيت إسحاق وزيان وأيت سكوكو وبني مكيلد) فتتراكب كلها على الهضبة الوسطى والأطلس المتوسط وهضبة الفوسفاط وتادلا والسراغنة والكنتور والرحامنة والشاوية ودكالة. ويلعب دورا حتى في التقسيم الإداري على مستوى تحديد الجهة الاقتصادية الوسطى والأقاليم المحلية (خنيفرة وبني ملال وخريبكة وقلعة السراغنة وسطات والجديدة).

أما الآن، وإن ظلت صعوبة تجاوز النهر قائمة محليا، فإنها زالت إقليميا بفعل سلسلة من القناطر والطرق والسكك الحديدية. وأهم العناصر التي تخترق النهر تتمثل في الطرق الرئيسية رقم 24 (بين الهري وخنيفرة) و33 (واومانا) و13 قصبة تادلا و22 (بين الفقيه بنصالح وسبت أولاد النجمة) و7 (مشرع بنعبو) و8 (الطريق الرئيسية وفرعها الاجتنابي بأزمور) والطرق الثانوية رقم 133 (بين بني ملال والفقيه بنصالح) و1340 (نحوالبروج) و124 (بولعوان) و1312 (سيدي سعيد معاشو) والسكة الحديدية الرابطة بين الدارالبيضاء ومراكش عبر مشرع بنعبو، والسكة الرابطة بين النواصر والجرف الأصفر عبر أزمور. مع ذلك، فإننا لا نعثر على مدن ذات أهمية تذكر على طول مسار الوادي، باستثناء المدن المتوسطة الموجودة في طرفيه الأعلى والأدنى (خنيفرة وقصبة تادلا وأزمور).

يأخذ أم الربيع منبعه في الجزء الملتوي جنوب الأطلس المتوسط الهضبي الذي يبلغ أوجه في 2368 متر والذي تتفرق منه أيضا أودية بهت وكيكو (سبو الأعلى) وملوية. تصبح الطيات شبه منعدمة نحو الجنوب، حيث ينبع أهم الروافد (فلات وسرو وشبوكة) المنبثقة في ارتفاع حوالي 1800م قرب قرية بقريت من «الأربعين عين» المشهورة والقارة الصبيب (3,9 م$^3$ / الثانية). من تلك المنابع إلى مستوى مدينة خنيفرة، وبعد مرور النهر بخوانق جد عميقة، تتم تغذيته بكميات هائلة من المياه الجوفية التي يجمعها حوض جيولوجي أوسع من الحوض التضاريسي السطحي، إذ تسقط أمطار غزيرة نسبيا بالمنطقة ( بين 400 و800 ملم) وتختزنها كتلة ضخمة جدا من الكلس الدولوميتي أساسا أسفل على سمك مآت الأمتار) والكلس الطفلي الكريتاسي، ثم تخلف صبيبا قويا يساوي متوسطه 7,36 لتر في الثانية وفي الكلم$^2$ على حوض فرعي تبلغ مساحته 1086 كلم$^2$.

مصب نهر أم الربيع

بعد مخرجه من الخوانق الأطلسية وإلى خنيفرة (على بعد 5 كلم من المنبع) ثم دشرة الواد (106 كلم) قرب ملتقى واد واومانا، ينزل ارتفاع قعر الوادي بسرعة : من 1800م إلى 850 في خنيفرة و500م في قصبة تادلا. بعد المخرج كذلك يتخذ أم الربيع مجرى متعمقا وسط ممر يحد الهضبة الوسطى في الجنوب الشرقي ليتطور في بنية متنوعة وصخور أولية في الوهدات تفصلها عوارض كلسية وكوارتزية أو طفوحات بركانية أولية و ترياسية. إن الشيست والكوارتزيت في هذا المحور هي الأقل نفاذية، مما تنجم عنه ملوحة ملموسة للمياه وخزن باطني وصبيب محلي ضعيفان: 1,24 لتر في الثانية وفي الكلم$^2$ في مساحة تعادل 2243 كلم$^2$. أما معدل صبيب أم الربيع في خنيفرة فيبلغ 17م$^3$ / الثانية.

بعد 84 كلم من دشرة الواد إلى القصبة الزيدانية يصبح النهر من جديد تحت تغذية الكلس الدولوميتي اللياسي الأسفل الذي يكون الجنب الشمالي الغربي من محدب أطلسي شاسع. ويبلغ الحوض الفرعي 79 كلم$^2$ بين دشرة الواد وقصبة تادلا و1219 كلم$^2$ بين هذه الأخيرة والقصبة الزيدانية. قبل أن يستقطب أم الربيع واد درنة وسط سهل تادلا يصبح معدل صبيب النهر يساوي 34م$^3$ في الثانية في قصبة تادلا في حين أن صبيب الفيضان لا يتعدى 170م$^3$/ث، وصبيب الشح لا ينزل عن 10م/ث، رغم قحولة المنطقة وقوة التبخر بها. قبل أمطار 1963 المفرطة، لم يسجل الصبيب في قصبة تادلا إلا ثلاث مرات أرقاما عالية : فبراير 1942 (130م$^3$/ث) وماي 1953 (145م$^3$/ث) وفبراير 1941 (125م$^3$/ث). أما باقي المجاري (ومنها واد

داي) فكانت تسيح في مخاريط الأنصباب بالدير قبل أن أعيد حفر مجاريها لتصبح عبارة عن قنوات لصرف فائض مياه السهل نحو النهر. في هذا المستوى يتعمق النهر باعتدال ولكن دون أن يغمر السهل أبدا، ولو في الفصول المطيرة جدا.

يتخذ أم الربيع مسارا محدبا نحو الجنوب، وتشكل فيه تادلا والسراغنة قاعدة القوس. لذلك فهو يقترب أكثر من الأطلس. ويستمر النهر في الجريان تبعا لمحور السهل حتي يقترن بواد العبيد في غرب تادلا وتساوت في شرق السراغنة. ينطلق الأول من شرق الأطلس الكبير الأوسط الكلسي وتشمل روافده في عالية فرعه الرئيسي أسيف ويعين وأغدو وإكامن. أما فرعه الجنوبي فيتكون أساسا من واد أحنصال وأسيف الغازي. يقطع الفرعان في عاليتهما جزءا كبيرا من التكوينات الكلسية (لياس أسفل) ثم الكلس الطفلي الكريتاسي في بنية ملتوية غير منتظمة وذات مقعرات واسعة وقمم عالية (جبل أزوركي : 3685م وجبل معسكر : 3277 م). بعد ذلك يلتقي الفرعان في حوض واويزغت ليشكلا مجرى واحدا يأخذ تجاه محور مقعر مركب ضمن تكوينات اللياس الأسفل النافذة أساسا (الكلس الدولوميتي) ثم اللياسي الأعلى غير النافذة (طفل). تبلغ مساحة حوض العبيد بأكمله 7967 كلم ويبلغ صبيب المجرى عند مقرنه بأم الربيع 38م$^3$/ث، وهو أعلى بقليل من صبيب النهر، نظرا لغزارة الأمطار والثلوج بالأطلس الكبير(600 إلى 1000 ملم سنويا).

ينمو واد تساوت بالدرجة الأولى داخل القاعدة الأولية والترياسية غير النافذة وتارة في كلس اللياس الأعلى الذي يشكل نفس التكوينات بحوض العبيد، وتارة عند اتصال القاعدة باللياس. يبلغ صبيبه عند أكادير بوعشيبة 9,1م$^3$/ث. أما واد الأخضر فيتشعب في عاليته إلى ثلاثة مجاري رئيسية (واد برناط وأسيف نغزاف وأسيف ن-أيت أُوفاد). تجري هذه الروافد أيضا في نفس الركيزة (الكلس اللياس الأعلى) مع شبه انعدام القاعدة الأولية والترياسية وبروز واسع للكلس الدولوميتي (لياس أسفل) الذي يعلو مقعر دمنات (طفل اللياس الأعلى). يبلغ صبيب الأخضر عند سد سيدي إدريس (أيت شواريت) 14م$^3$/ث، ويبلغ حوضه عند التقائه بتساوت مساحة 3102 كلم$^2$. أما حوض تساوت عند مستوى سد تمين أو تين فيبلغ 2876 كلم$^2$ وتساوي المساحة الإجمالية لحوض تاساوت من العالية إلى مقرنه بأم الربيع 5876 كلم$^2$.

إن سهل تادلا يساهم قليلا في تطعيم مياه النهر نظرا لقلة الأمطار بها (بين 200 و300 ملم) وضعف حمولة الارسابات الرباعية (غير المتجانسة والسميكة) من المياه الجوفية. كما أن النهر لا يستقبل أي مجرى آت من هضبة الفوسفاط المستوية وذات الفرشات المائية العميقة (كريتاسي أعلى وأيوسين أسفل). أخيرا، وبعد اجتياز بعض المساحات المتقلصة من التكوينات الكلسية الطفلية في هضبة الكنتور، يتعمق المجرى بشكل ملموس وسط صخور أولية متعاقبة الصلابة والليونة في الرحامنة ومتكونة من نفس الصخور الأولية في العالية، لكنها مغطاة في المدرجات الغرينية والسفوح المحملة بالارسابات الرباعية. هذا التنوع البنيوي والصخري أحدث سلسلة من انقطاعات الانحدار، قد استغلت في وضع عدة سدود. وتجدر الإشارة إلى أن أم الربيع لا يجلب إليه من تاساوت إلى المصب سوى بعض المجاري الموسمية الهزيلة في الرحامنة والشاوية وسوى مجرى واحدا دائم في دكالة (واد الفارغ) الذي يصب في النهر بين سدي الدورات وسيدي سعيد معاشو. ويتميز المجرى الادنى إلى المصب بتعمق النهر تماما وسط الحُت الغربي النافذ.

هكذا يبلغ الصبيب على بعد 391 كلم من المنبع، أي عند سد المسيرة، 100م$^3$/ث وتساوي مجموع مساحة الحوض 27981 كلم$^2$. وعند إمفوت، تبلغ مساحة الحوض 30614كلم$^3$، وأخيرا عند المصب 34335 كلم$^2$. أما معدل الصبيب في محطة إمفوت فتساوي 110م$^3$/ث مع تفاوتات بيسنوية. لكن صبيب الفيضان لم يتعد 1000م$^3$ إلا نادرا، ومرة واحدة وصل 2500 م$^3$ (1963). ويبقى صبيب الشح مرتفعا نسبيا بحوالي 34م$^3$/ث ( كما حدث سنة 44 ـ1945) و21 م$^3$/ث في صبيب الشح الأدنى. إن جل مياه أم الربيع تقدم من روافد الأطلس المتكتل والنافذ وفرشاته المائية. بالمقارنة مع هذه الأخيرة ، تبدو المياه القادمة من السهول والهضاب في المجرى الأوسط والأسفل جد هزيلة بسبب القحولة وقلة نفاذية التكوينات السطحية.

إن الخصائص الهيدرولوجية الطبيعية تغيرت كثيرا بفعل التجهيزات المائية والكهربائية التي تعاقبت على الحوض منذ الثلاثينات، وجعلت من أم الربيع أهم الأنهار المغربية وأكثرها تهيئة. لقد استهدفت مشاريع السدود به وبحوضه إنتاج الطاقة الكهربائية والري في نفس الوقت، بل استهدفت قبل كل شيء في البداية، وبشكل استعجالي أحيانا، إنتاج الكهرباء حتى إن الحوض ينتج اليوم حوالي 65٪ من الإنتاج الوطني من الطاقة المائية. وتتوزع أهم السدود والمحطات الكهربائية على الشكل التالي :

| المجرى المائي | السد | تاريخ الاستخدام أو نهاية البناء | الحمولة (مليون م3) | إنتاج الكهرباء 1986 (مليون ك / س) | وظيفة |
|---|---|---|---|---|---|
| أم الربيع | س. س. معاشو | 1929 | 2 | 2,1 | شرب ـ طاقة |
| | ق. تادلا | 1934 | - | - | شرب ـ ري |
| | ق. زيدانية | 1936 | 0,1 | 9 | طاقة ـ ري |
| | إمفوت | 1944 | 83 ثم 25 | 11 | طاقة ـ ري |
| | دورات | 1950 | 24 | 6 | شرب ـ طاقة |
| | المسيرة | 1979 | 2724 | 62,8 | شرب ـ طاقة ري ـ صناعة |
| | دشرة الواد | 1986 | - | - | شرب ـ ري صناعة |
| العبيد | بين الويدان | 1953 | 1484 | 78 | طاقة ـ ري |
| | أيت أوعرضة | 1954 | 4 | - | طاقة |
| | أفورار | 1955 | - | 212 | طاقة |
| تاساوت | مولاي يوسف | 1970 | 191 | 14 | طاقة ـ ري |
| | أكادير بوعشيبة | 1979 | 5,4 | - | شرب ـ ري |
| الاخضر | سيدي إدريس | 1986 | 7 | - | شرب ـ ري |

في عالية النهر، تم بناء سد قصبة تادلا بين 1929 و1934 لتحويل المياه عبر قناة الرأس الميت (24,4 كلم) قصد تحريك إحدى أصغر المحطات الكهربائية بالقصبة الزيدانية، ومنها تزويد قناة رئيسية (42 كلم) لري 30.000 هـ في الضفة اليمنى بسهل بنى عمير. لقد بدأ التجيز سنة 1910 وانطلق الري سنة 1938 لتصل المساحة المسقية سنة 1953 حوالي 24.000 هـ إلا أن حمولة النهر المتوسطة من الملح والناتجة عن تصريف أم الربيع في العالية لصخور أولية وترياسية مالحة (شيست وكوارتزيت)، عاقت توسع بعض المزروعات كالحوامض، واستوجبت جلب مياه واد العبيد لإزالة ملوحة التربة. فتم تحديد شبكة الري ابتداء من 1973 وتوسيع القطاع المسقي الأصلي لتسقى في نهاية السبعينات 32.500 هـ وحاليا 40.000 هـ. أما الضفة اليسرى (بنى موسى) فاستقبلت جل التجهيزات في سهل تادلا بين 1949 و1975، وبدأ الري سنة 1954. يجلب الماء من سد بين الويدان إلى سد أيت أعرضة على بعد 3,5 كلم، ثم إلى أفورار عبر نفق طوله 10,5 كلم. بعد استعماله في تحريك المحطة الكهربائية يوزع الماء عبر قناتين : إحداهما يمنى تمتد على 35 كلم لدى بني عمير وشرق بني موسى، وأخرى يسرى 48 كلم تسقي بني موسى في الوسط والغرب وجزءا من سهل السراغنة عبر امتداد للقناة يبلغ 40 كلم. وتقدر المساحة الإجمالية المسقية بسهل بني موسى بحوالي 75.000 هـ.

أما سافلة النهر فقد شهدت سلسلة من الإنجازات السدية التي أتت على نمو الثروة السمكية التي اشتهرت بها سافلة أم الربيع منذ عدة قرون.

شيد أول سد في المغرب بين 1925 و1929 بسيدي سعيد معاشو، غير أنه يعتبر الآن أصغر سد ومحطة كهربائية بأم الربيع،يساهم أساسا بتزويد الدارالبيضاء بالماء الصالح للشرب. أما الجديدة فتزود بواسطة محطة الضخ بسيدي الضاوي التي تزود أزمور أيضا، والتي تجلب الماء مباشرة من النهر قرب أزمور، وبواسطة قناة تربطها بسد الدورات نظرا للحاجيات المتزايدة من الماء الصناعي والصالح للشرب فإن التصميم المديري لنهر أم الربيع (1976) قد خطط لوضع قناة من الدورات إلى الجرف الأصفر لتزويد بعض القرى في الطريق ثم تمديدها إلى مولاي عبد الله ثم سيدي بوزيد والجديدة.

غير بعيد نحو العالية، بُني سد إمفوت لتلبية حاجيات الدارالبيضاء من الكهرباء بالدرجة الأولى ثم مراكش والدورات. لقد هرم السد منذ نهاية السبعينات فتحولت بحيرته وتقلصت سعته الأصلية (من 83 إلى 25 مليون م$^3$) وأصبح يتذبذب إنتاجه الكهربائي لكنه مازال يحول الماء لري سهل دكالة عبر قناة الرأس الميت الباطنية (6,7 كلم) التي انجزت سنة 1925، ثم عبر القناة الرئيسية السفلى 111كلم والقناة الوسطى. أما قناة أسفي (44 كلم) فتمد المدينة بالماء الصالح للشرب. لقد بدأ الرش حول بولعوان في بداية الخمسينات وحول خميس الزمامرة واثنين الغربية ابتداء من أواسط السبعينات وانتهى كليا تجهيز القطاعين السابقين (مع توسيع قطاع الفارغ) في أواسط الثمانينات. أما الانسياح الجاذبي فقد بدأ في قطاع الفارغ سنة 1956 ثم في سيدي إسماعيل سنة 1964 وسيدي بنور سنة 1972.

تسقى في المجموع بدكالة الآن حوالي 53.000 هـ في مساحة مجهزة إجمالية تبلغ 60.000 هـ. وستتضاعف هذه المساحة تقريبا حسب التصميم المديري لنهر أم الربيع الذي يعطي الأولوية للري وتوسيعه بدكالة ليشمل 100.000 هـ في حدود سنة 2000. لهذا الغرض وأساسا لتزويد المنطقة الصناعية بين الجرف الأصفر وأزمور بالماء والكهرباء بُني أكبر سد بالمغرب بين 1976 و1979 بسيدي شحو (سد المسيرة) تحول مياهه بواسطة قناة الرأس الميت الموجودة لأنها القطاع المسقي الأسفل، وستستعمل أيضا لري «المصلحة العليا» جنوب دكالة. في أواسط الثمانينات بدأ تجهيزمشروع القطاع الخامس (40.000 هـ) الذي تشرف عليه القناة العليا (84 كلم).

تستعمل مياه حوض أم الربيع أيضا في ري قطاعات صغيرة ومتوسطة في بعض الأجزاء من الوادي وروافده. لكن التعمق الذي يلازم النهر باستمرار في العالية إلى السافلة لا يوفر إلا قليلا من الثروات الترابية والتضاريسية القابلة للري. أهم القطاعات المسقية على وادي أم الربيع توجد حول خنيفرة 9000 هـ، وعددها 30 قطاعاً. أما باقي أجزاء الوادي فلا تسقى إلا بشكل جد متقطع. ما عدا في سافلة سيدي معاشو نسبيا. وفي منطقة الدير بين بني ملال وزاوية الشيخ تسقى حوالي 25.000 هـ في 23 قطاعاً. أما واد العبيد فيمكن من سقي 5.000 هـ في حوالي 20 قطاعاً رغم تعمقه الشديد بالجبل.

يدمج حوض تساوت والأخضر أيضا في القطاعات المسقية المتوسطة، ولو أنه كان فيه ري تقليدي منذ القديم في مساحات شاسعة. تم تجهيز 30.000 هـ نهائيا سنة 1977 في قطاع تساوت العليا، وتستغل تقريبا كل مياه سد مولاي يوسف في المنطقة نفسها عن طريق قناتين رئيسيتين (غربية وشرقية) تنطلقان من النفق 4,25 كلم الذي يصل سد التحويل بأگادير بوعشيبة. في حين أن جل مياه آيت شواريت (سيدي إدريس) خصصت، طبقا للتصميم المديري لتساوت والحوز 1976 لتزويد مراكش بماء الشرب وري قطاع الحوز 35.000 هـ غرب مراكش عبر قناة طولها 125 كلم.

أما أراضي تساوت السفلى (قلعة السراغنة والبحيرة الشرقية) فتبلغ (60.000 هـ) قابلة للري. تسقي أجزاء منها بسواقي مأخوذة من عالية الأخضر وتساوت وبعض المنابع وأجزاء أخرى بالقناة المستمدة من قناة تادلا اليسرى.


مديرية الإحصاء، *النشرة الإحصائية السنوية للمغرب*، الرباط، 1987.

A.N.A.F.I.D., *Spécificités de l'aménagement hydro-agricole au Maroc*, Rabat, 1979 ; M. Ayad, A. Benabdeljalil et Sijelmassi, A.M.H.A.T, *Architectures régionales, Région du Centre*,

*Approche générale*, Rabat, 1985 ; C.R.E.S.M, *Les problèmes agraires du Maghreb*, C.N.R.S, Paris, 1977 ; Le Moigne et Bourcart J. *Un projet d'utilisation d'un fleuve marocain* : L'Oum El Rabia, Rev. Géo. Phys. et Géo. Dyn. Vol VI fasc 1 Paris, 1933, pp. 5 - 42 ; Loup J, *L'Oum Er Rbia*, Trav. Ins. Sci. Cher, N° 9 Rabat, 1960 ; M. A. R. A, *L'irrigation au Maroc*, Rabat, 1975. *Projet Azilal*, M.A.R.A, FA.O, PNUD, *Rapport intérinaire*, Rabat, 1986, 2t *Ressources en eau du Maroc. Notes et Mémoires du Service Géologique*, N° 231, Rabat 1975. SCET International M.A.R.A, *Etude des Potentialités en matière de P.M.H, Bassins versants des Oueds Oum Er Rbia et Tensift, Rapport de Synthèse*, Rabat, 1973.

مصطفى عياد

**أمّ فاطمة**، نهر يعرف كذلك بوادي العُمرة، وتوجد منابعه بجبل الكعْدة من إقليم طرفاية. طوله 43 كيلومترا، وتصب مياهه بالمكان المعروف بفم أم فاطمة الذي اطلق عليه الإسبان اسم بُوكادي أنميدْيو Boca de en-medio أي الفم الوسط.

Flores Morales, Angel, *El Sahara Espanõl*, Madrid, 1946, 51 ; Carnero Ruiz, Ismael, *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid 1955, p. 284 - 254.

محمد ابن عزوز حكيم

**أُمّاد** (الحاج.) ← **أملاح** الحاج محمد

**أمْلن** ← **تافراوت**

**الأمّي** ← ابن **مشُون** محمد بن يوسف

**الأمن الوطني**، لم يعرف مغرب ما قبل الحماية جهازا أمنيا مكونا من رجال الشرطة بالمفهوم الحديث للكلمة. بحيث إن السلطة المركزية المتمثلة في الباشا والقائد كانت تعتمد في تنفيذ الأوامر على أعوان يدعون «المخازنية». لكن هذا التنظيم التقليدي لم يكن يستجيب لمتطلبات القوى الأجنبية التي بدأت تتغلغل في البلاد من خلال تجارها. لهذا قامت كل من إسبانيا وفرنسا، تحت ستار تنظيم الأمن والنظام العام، بتوقيع اتفاق سري سنة 1905 ينص على خلق فرق للشرطة في الموانئ المغربية مهمتها الأساسية مراقبة الموانئ وقمع تهريب الأسلحة والذخيرة.

وفي 1906 أقر مؤتمر الجزيرة الخضراء رغبة القوى الأجنبية في إدخال إصلاحات بالمغرب من أجل تحقيق "الطمأنينة" في البلاد. وهكذا تم توقيع اتفاقية مدريد بين فرنسا واسبانيا عام 1912 وضعت من خلالها هاتان الدولتان جهازا أمنيا في المغرب.

ففي البداية قامت فرنسا في الجهة الغربية للبلاد (الرباط، الجديدة، الصويرة) بتعيين مفوضين للشرطة (Des Commissaires) يوجدون أساسا بأهم الموانيء المغربية. لكن في 1913 صدر قرار وزيري أنشأ في المملكة أول مصلحة للشرطة تحت اسم «مصلحة الشرطة العامة» وضعت تحت الرقابة المباشرة لسلطة الكاتب العام «للحكومة الشريفة» بمساعدة مراقب مصالح الشرطة العامة. وقد سمحت السلطات الفرنسية بتوظيف أشخاص من الجزائر وتونس ومن المعمرين في هذه المصلحة، وبذلك بدأت أسس مصلحة الشرطة العامة تأخذ شكلها الحقيقي في أهم موانيء المغرب. وبعد إنشاء لجن بلدية وضع المكلفون بالشرطة البلدية رهن إشارة رئيس اللجنة البلدية (القائد أو الباشا أو مندوبه).

وقد تكون فرعان للشرطة يسهران على الحفاظ على الأمن في البلاد وهما :(أ) الشرطة البلدية التي تحافظ على النظام العام، (ب) وشرطة الأمن التي تبحث عن المجرمين وتقدمهم للعدالة. وبعد سنوات تم إنشاء فرقة أمنية متحركة تكمل شرطة الأمن، وقد لعبت دور جهاز مركزي داخل الإقامة العامة. ثم طرأت تغييرات مهمة على جهاز الشرطة بحيث تم إنشاء شرطة خاصة (أو شرطة السكك الحديدية) مهمتها السهر على أمن المسافرين وضمان احترام إجراءات الشرطة المفروضة على السكك الحديدية، بعد ذلك مدت هذه الشرطة اختصاصاتها للموانئ على جميع أنحاء التراب الوطني.

وابتداءً من عام 1920 أصبح في المغرب ثلاثة أنواع من الشرطة : - الشرطة البلدية Police Municipale وكانت مكلفة بالحفاظ على النظام . - والأمن Sûrete يساعد السلطة القضائية في البحث عن الجرائم وقمعها. - والشرطة الخاصة Police Spéciale وتقوم بالسهر على الموانئ والسكك الحديدية.

أما في المنطقة الدولية بطنجة فقد وجدت شرطة عامة وأخرى خاصة كلاهما تحت إمرة متصرف واحد هو المكلف الوحيد بالنظام العام.

وبعد استقلال المغرب صدر ظهير في 16 - 5 - 1956 ينص على إنشاء «الإدارة العامة للأمن الوطني» وارتباطها بوزارة الداخلية ووضعها تحت السلطة المباشرة للمدير العام. ويوجد بالمغرب الآن مجموعتان أمنيتان هما : الأمن الوطني، والدرك الملكي. وهذا الأخير يمارس اختصاصاته الأمنية في القرى وهو مرتبط بالقوات المسلحة الملكية، ويقوم بالمهمات الإدارية لصالح وزارة الداخلية، والمهام القضائية لصالح وزارة العدل. في حين يمارس الأمن الوطني اختصاصاته في المدن.

ويجب التنبيه إلى أن عبارة «الأمن الوطني» عبارة حديثة جاءت لتعوض عبارة «الشرطة الشريفة».

يشتمل الأمن الوطني حاليا على إدارة مركزية، وإدارات فرعية على صعيد العاصمة. وهناك على الصعيد الإقليمي مصالح إقليمية تسمى «الأمن الإقليمي».

ويعود حاليا تسيير قوات الأمن الوطني وتنظيمها وتقنيتها إلى نظر المدير العام. أما الممثل الإقليمي للأمن الوطني فيقوم بالحفاظ على النظام ونشر الأمن في الإقليم.

يشكل الأمن الوطني نظاما يوضع رهن إشارة السلطات الإدارية من أجل الحفاظ على النظام العام. فالنظام العام هو المعيار الشرعي لتدخل الشرطة.

وبما أن المديرية العامة للأمن الوطني تخضع لرآسة مدير عام فإن هذا يعني أن جميع السلطات مركزة في يد المدير العام. وكل رؤساء المصالح الخارجية لا يعملون ولا يراقبون إلا باسمه، وهم مسؤولون أمامه.

ولضمان حسن سير العمل الأمني هناك تنسيق بين الإدارة المركزية للأمن وبين المصالح الخارجية يقوم بها مكتب التنسيق ومديريات فرعية (Sous-Direction) وهذه الأخيرة تعد وسيلة مرنة تساعد المدير العام في القيام بعملية الأمن الوطني في جميع أنحاء البلاد.

وتجدر الإشارة إلى أن الأمن الوطني يتوفر اليوم على مصالح اجتماعية في مختلف أقاليم المملكة، ومراكز للتكوين مثل المعهد الملكي لتكوين ضباط وضباط الصف للشرطة بالقنيطرة، ومدرسة تكوين الشرطة ببوقنادل. وتصدر بانتظام *مجلة الشرطة في خدمة الشعب*، صدر العدد الأول منها في يناير 1961، ثم تغير اسمها فأصبح *مجلة الأمن الوطني* ابتداء من العدد 115 سنة 1978. تعنى بكل ما يتعلق بهذا الجهاز، سواء من الناحية القانونية أو التقنية.

*مجموعة مجلة الشرطة والأمن الوطني.*

B. Boutayeb, *La Direction Générale de la Sûreté Nationale : service - public.* D.E.S, dr. pub. Rabat 1985.

عبد المجيد بنيوسف

**الأمناء**، مفردها : أمين، من الأمانة وهي ضد الخيانة، وقد اصطلح على تخصيص اسم الأمين ليطلق على المسير أو المراقب الإداري على مصير شيء مّا ولا سيما في نظم البلاد الإسلامية الاقتصادية والمالية، فـ "الأمين" في هذا السياق مكلف بوظيفة فيها مسئولية مالية واقتصادية، و"الأمناء" هم المشرفون على بيت المال أو الجمارك أو مسيرو الأراضي ، وهم من جهة أخرى رؤساء الطوائف الحرفية (Cahen, *amin*, in E.I.) ويسمى هذا الصنف الأخير في بلدان الشرق الإسلامي بشيوخ الطوائف (هـ. جب و هـ. بوون، *المجتمع الأسلامي والغرب*، 113). وقد تسمى القائمون على الخراج في الغرب الإسلامي بأسماء مختلفة منها اسم المشرف الذي استمر على ما يبدو إلى العهد السعدي، أما رؤساء الحرف فقد تسموا ب"الأمناء" قبل ذلك في العهد المريني كما نقل أبو عبد الله العقباني في *تحفة الناظر* (المنوني، *ورقات*، 110).

وقد وصف لوتورنو ( *فاس*، 436) دور أمين الصناع في بداية هذا القرن مبينا لهذا الدور جوانب ثلاثة : 1 ـ المبادرة لمساعدة أحد أعضاء الحرفة يكون في حاجة إلى المساعدة عند إملاق أو مرض أو وفاة وذلك بجمع تبرعات لأولاده ؛ 2 ـ القيام بدور حكم وخبير إذا وقع خلاف بين عضوين من الحرفة أو بين عضو من الحرفة وبين أحد زبنائه أو ممونيه ويكون القرار نافذا لا رجعة فيه، ومرجع الأمين في جميع هذه الحالات تقاليد مرعية في حرفته، شفوية، بين الطائفة الحرفية والمخزن فيما يتعلق بالمطلوب من العطاء والخدمات كالضرائب الاستثنائية والهدايا في المناسبات وأعمال يطلب إنجازها للأوقاف، ولا يقتصر دور الأمين بهذا الصدد على تنفيذ الأوامر بل كان يقوم بالدفاع عن مصالح أهل حرفته سيما إذا كانت له شخصية قوية تحظى بالاحترام والتوقير تذكر بمواقفها.

أما الأمناء القائمون على جباية السلطان وأعماله فإنما تتوفر عن مهماتهم وهيكلهم معلومات أكثر بالنسبة لعهود كل من السلطان محمد بن عبدالرحمان (1276-1290/ 1859-1873) والسلطان مولاي الحسن (1290-1312/ 1873-1894) والسلطان مولاي عبدالعزيز (1312-1326/ 1894-1908) ومرد ذلك إلى وفرة نسبية في الوثائق من جهة وإلى النمو الذي طرأ على تقوية جهاز "الأمناء" المخزنيين بتكثيرهم وضبطهم وتوسيع نشاطهم إلى مختلف الجهات التي يتمتع فيها المخزن بوجود فعلي متمثل في العمال على الخصوص، وكل هذه العناصر واردة في سياق اطراد احتكاك المغرب بأوربا منذ معركة إسلي عام 1844، وما ترتب عن هذا الاحتكاك المتضمن لضغوط عسكرية ودبلوماسية، من ازدياد تجارة المغرب مع الدول الأوربية ومن أزمات المخزن المالية ومن اضطراره إلى نفقات مستنزفة.

وليس هنالك ما ينفي أن يكون هيكل الأمناء، من حيث العدد والتخصصات والتنظيم، قد بلغ في القرون السابقة إلى مثل ما بلغ إليه في أواخر القرن التاسع عشر في سياق ملابسات التدخل الأوربي الذي استدعى ما يشبه إصلاحات إدارية ومالية ارتبط بها ما سمته نعيمة هراج التوزاني بـ "جهاز الأمانة" ( *الأمناء*، 45). ويتبين لدارس ذلك التوسع و "الإصلاح" أنه نوع من ملاحقة الطوارئ، متسم بعدد من ملامح البساطة وبالتكيف مع الظروف واستهداف الفعالية، لأن بسط أيدي الأمناء كمتصرفين لم يكن سوى جزء من واقع المخزن كنظم ودواليب.

كان من الأمناء مدبرون ومستثمرون وحفظة للأملاك والبناءات والأمراس (مخازن الحبوب) والأهراء (مخازن البضائع عامة) وكان منهم الجباة لمختلف أنواع الواجبات المخزنية يتسمون باختلاف أسمائها كأمناء المستفاد (القابضون للواجبات على البضائع التجارية في أبواب المدن والأسواق) وكأمناء المراسي المكلفين بالنفقات ويسمون أمناء الصائر، وقد يسمى الواحد منهم بـ"أمين الشكارة" (والشكارة مخلاة مغربية يتأبطها الرجل مشدودة بخيط مجدول يحمل فيها ماله وغيره). وقد ينسب الأمناء إلى مكانهم في هرم الجهاز كـ "أمين الأمناء" الذي كان بمثابة وزير للمالية، وقد يتسمون بحسب أماكن مهماتهم كـ"أمناء المراسي" و"أمناء القبائل"، وقد ينسبون إلى تكليف خاص، كأمين العسكر (المكلف بالإنفاق على الجنود) وأمين الفرقوش (المكلف بتدبير أمر البهائم التي يملكها المخزن للركوب والأحمال وغيرذلك). ومنهم من ينسب إلى مكان عمله في عاصمة السلطان كـ "أمين العتبة" أو "أمين

الصائر" المكلف بنفقات الدار السلطانية أو في عاصمة أخرى كـ " أمين بنيقة مراكش " أو "أمين بنيقة مكناس" ، (والبنيقة بيت صغير يجلس به الموظف للنظر في أشغاله).

ومن مظاهر المرونة الهادفة للفعالية والنابعة من البساطة في النظام، أن بعض الأمناء يتولون القبض والنفقة في آن واحد، وذلك على موظفيهم الأقربين في المراسي أو في القبائل أو على وجوه الصرف الأخرى المتصلة بجهاز المخزن ومشاريعه أو بما يصدرإليهم به أمر طارئ.

وقد كان كل أمين مساعَدا بكاتب أو عدة كتاب، وقد يخرج معه عدلان في مهمته، ولهم سجلات يقيدون فيها أعمالهم من يوم البدء إلى يوم انتهاءالمهمة، ويوجد عدد من هذه السجلات أو " الكنانيش" محفوظا في الخزانات الحسنية أو في وثائق أسر أمناء سابقين. وقد كانت للمخزن وسائل متعددة لمراقبة أعمال الأمناء منها عيون العمال، وجهاز" أمين الحسابات" الذي قد تنبثق عنه لجنة خبراء للتفتيش.

وقد كان الأمناء يعينون بظهير سلطاني أفرادا أو جماعات، وكانوا يختارون في معظم الأحيان من العائلات الموسرة من عواصم التجارة والعلم ومن الثغور والمراسي التي تتوفر فيها خبرة تدبير الأموال، وقد أعطت أسر معينة كأسرة زنيبر وأسرة التازي أمناء متعددين مرموقين وكلت إلى بعضهم مهام سامية في شئون الدولة. وكان بعضهم ينصب في عين المكان إرضاء لأهل قبيلته، وكان منهم العلماء الحذاق، كما كان منهم الأميون الخبراء بأحوال المعاش.

ن. هراج التوزاني، *الأمناء بالمغرب* ؛ ع. التازي، *رسائل مخزنية* ؛ م. نجيدي، *قضية المكوس*، د.د.ع. كلية الآداب، الرباط،1987.

أحمد التوفيق

**الأمناء العشرة** أصحاب المهدي، تشير كل المصادر إلى كون المهدي بن تومرت صنف أتباعه إلى طبقات، وذكر ابن القطان أنها ثلاث عشرة طبقة يأتي في أولها الأمناء العشرة أصحاب المهدي. وتختلف المصادر في بعض أسماء أولئك الأمناء. ولعل أقدم وأوثق قائمة هي التي نجدها عند البيذق. وتشتمل على الأسماء التالية :

1) عبدالمؤمن بن علي 2) أبو حفص عمر بن علي الصنهاجي 3) أبوالربيع سليمان بن مخلوف الحضري 4) أبو إبراهيم إسماعيل بن يسلال الهزرجي 5) أبو عمران موسى بن تمارَ الگدميوي 6) أبو يحيى أبو بكر بن يگيت 7) أبو عبدالله محمد بن سليمان 8) عبد الله بن يعلا الزياتي ،الشهير بابن ملوية 9) أبومحمد عبد الله بن محسن الونشريسي المشهور باسم البشير 10) أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي 11) أبو موسى عيسى بن موسى الصودي 12) أبو محمد عبد العزيز الغيغائي.

قائمة البيذق تشتمل على اثني عشر اسما بينما نجد عشرة فقط عند كل من عبد الواحد المراكشي وابن القطان وصاحب *روض القرطاس* وصاحب *الحلل الموشية*. والاتفاق بين المصادر حاصل في الأسماء التالية: عمر أزناك (الصنهاجي)، أبو إبراهيم إسماعيل بن يسلال الهزرجي، أبو بكر بن بگيت، أبو حفص بن يحيى الهنتاتي، عبدالمومن بن علي. وأكثر المصادر اختلافا مع البيذق هو المعجب الذي لا يذكر سليمان بن مخلوف الحضري ولا البشير الونشريسي ولا أبا عمران موسى بن تمار الگدميوي ولا محمد بن سليمان، ولا عبد الله بن يعلا الزياتي، ولا عيسى الصودي ولا عبد العزيز الغيغائي. بينما يتفرد بذكر اسماء أخرى مثل يوسف بن سليمان و عبد الله بن سليمان، وأبي عمران موسى بن علي الضرير وأيوب الگدميوي.

ولعل هذا الاختلاف راجع إلى التقلبات التي مر بها الموحدون في حياة ابن تومرت حيث مات منهم أفراد وعوضوا بآخرين. وقد يرجع، أيضا، للاختلاف بين الرواة. ومهما يكن، فإن رواية البيذق هي الأكثر وثوقا لأنه كان حاضرا وقت تأسيسه التنظيمات الموحدية.

وهاته الطبقة الأولى لها أسماء مختلفة. فالبيذق يسميهم "أهل الجماعة"، وتكتفي بعض المصادر بكلمة "الجماعة"، وتستعمل الحلل الموشية عبارة أصحاب المهدي العشرة، ويدعوهم ابن القطان : العشرة.

وتضم هاته الطبقة أول أتباع ابن تومرت الذين بادروا إلى بيعته على أنه الإمام المهدي، هكذا تروي بعض المصادر نقلا عن عبدالمومن مباشرة. فالمهدي أراد أن يضم في هذه الجماعة أقرب الناس إليه وأجدرهم بثقته. وحرص في نفس الوقت على أن يكون من بين أعضائها رجال لهم نفوذ في قبائلهم مثل أبي حفص الهنتاتي وإسماعيل الهزرجي.

أما الدور القيادي السياسي للعشرة فقد كان على جانب كبير من الأهمية، إذ كان لهم القرار الأخير في كل ما يهم تسيير الموحدين وهو ما يؤكده ابن القطان بقوله : «وكانوا إذا قطعوا الأمور العظام يخلون بالعشرة لا يحضر معهم غيرهم. فإذا جاء أمر أهون أحضروا الخمسين فإذا جاء دون ذلك أحضروا السبعين .... ( *نظم الجمان*،81).

وهكذا فالجماعة كانت بمثابة مجلس حكومي يعمل تحت إشراف المهدي ويتقاسم أعضاؤها فيما بينهم المسؤوليات السياسية العسكرية. فكان من بينهم من يشغل وظيفة الكتابة أو وظيفة القضاء أو وظيفة الإعلام والدعاية أو القيادة العسكرية وما إلى ذلك.

وقد برز دورهم الكبير عند وفاة المهدي وقيامهم بتدبير خلافته وعملهم في إنشاء الدولة الموحدية. وكان لهم السبق هم وذريتهم في تولي أهم المناصب في عهد عبد المومن وخلفائه كما نجدهم يتدخلون في القضايا السياسية، وبالخصوص في عهد عبد المومن الذي لم يكونوا دائما على أتم الاتفاق معه في سياسته. وقد غلب عليهم فيما بعد اسم أشياخ الموحدين كما نجد ذلك في عدد من المصادر.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ المقتبس من كتاب الأنساب ؛ *رسائل موحدية* ؛ ابن القطان ، *نظم الجمان* ؛ ابن غذاري ، *البيان المغرب* :

مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع.ابن خلدون، *كتاب العبر* ؛ م. عنان، *عصر المرابطين والموحدين* ؛ ع. علام، *الدولة الموحدية بالمغرب* ؛ ع. النجار، *المهدي بن تومرت*.

Ch. A Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord* . R. Montagne. *Les Berbères et le Makhzen* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc* ; J. Brignon et autres, *Histoire du Maroc* ; A. Laroui, *Histoire de Maghreb*.

محمد زنيبر

**أيت أُمْناصَفْ** (إتْزِرْ)، مجموعة قبلية أمازيغية تستوطن أراضي شاسعة تمتد ما بين سهل گيكو ومنطقة بحيرة أگلمان - نْ - سيدي علي بالأطلس المتوسط. وتتكون هذه المجموعة من القبائل الآتية : أيت شراد، أيت مسعود، أيت الربع، أيت علي أوغانم، أيت بُوگَمَان، أيت كُبَل - الحرام.

ولفظة أمناصف في الأمازيغية تفيد ما معناه نصف الشيء، وبذلك يمكن ترجمة اسم المجموعة الكامل ببني النصف، ومن المرجح أن تكون لهذا الاسم، كما لغيره من أسماء القبائل العالقة بأرقام (أيت شراد، أيت الثلث، أيت الربع، مثلا) صلة بالتقسيمات التي تخضع لها المناطق التي تستوطنها القبائل سيرا مع مبدأ التوازن في الاستغلال و الاستفادة من المجال، خصوصا أن جل هذه القبائل نجده في جهات اشتهرت بالرعي الموسمي (الانتجاع).

*Répertoire Alphabétique* ; Mezzine, *Le Tafilalt*.

عبد العزيز توري

**إمَنْسي** : تعني في الأمازيغية وجبة العشاء. لكننا نجد في أعراف قبائل الجنوب المغربي (وادي دادس خاصة)، أنها تفيد معنى الغرامة التي يُمكن أن تصدرها القبيلة في حق شخص من الأشخاص عندما يقوم بخرق أحد بنود عرف فتُلزمه بإطعام الطعام على شكل وجبة العَشاء لأعيان القبيلة. وهو ما تُترجمه الأعراف المكتوبة بالكلمة العربية «المَبيتة». إلا أنه في بعض الحالات يُجبر الجاني على إطعام الطعام لجميع أفراد القبيلة وهو ما يسمى بـ «أَفَنگْ». ويعتبر إمَنْسي وأَفَنگْ من أقسى العقوبات بالمال التي تقتص بها القبائل من المجرمين نظراً لقلة الامكانيات وما يترتب عن ذلك من مصاريف باهظة. لذلك فهذه العقوبات ذات طبيعة زجرية ناجعة.

M. Hammam, *Coutumes inédites des Qsur-s Ayt Ihya, H. T*, vol. XXV, 1987, pp. 91 - 106.

محمد حمام

**أَمْنُو، إدريس** بن الحاج محمد بن علي بن سعيد الوزاني، نزح جده سعيد من وزان إلى بلاد سوس واستقر بقبيلة (إداوْمنو) من هشتوكة. توجه أبوه الحاج محمد إلى الديار المقدسة لأداء مناسك الحج فسمع مناديا يدعو الناس إلى الجهاد، فانخرط مع زمرة من المغاربة في سلك الجندية العثمانية. وبعد تألقه في الحرب أصبح ضابطا ضمن جيش منظم بعث إلى طرابلس الغرب. وأثناء مقامه هناك سمع أن سلطان المغرب قد شرع في تنظيم الجند على الطرق الحديثة، فكان هذا الخبر حافزا له على العودة إلى بلده. ولما حل بالمغرب أخبر أن ولي العهد محمد بن عبد الرحمن مستغرق في تجديد الجيش إثر واقعة إسلي عام 1844 بمساعدة ضباط من الترك. انخرط في الجند المغربي ولم يلبث أن أصبح القائد الأعلى رغم معارضة الأتراك. وبحكم قربه من السلطان تزوج امرأة عريفة بالقصر الملكي بفاس وهي من مرضعات الأمير الحسن بن محمد فأنجب منها إدريسا سنة 1875. وبعد الدسائس التي حاكها ضده موسى بن أحمد نفي الحاج محمد أمنو إلى تطوان واستقر إدريس أمنو مع أمه نهائيا في القصر فتربى مع الأمراء وعلى الأخص منهم المولى عبد الحفيظ الذي كان ملازما وقريبا له. وقد تلقى دراسته الأولى في علوم العربية مع أبناء السلطان في زاوية «شراردة» ببلاد أحمر وهي مدرسة قديمة مشهورة بتدريس القرآن يقصدها الأمراء منذ عهد السلطان محمد بن عبدالله. وبالإضافة إلى الدراسة كان الأمراء ومعهم إدريس أمنو يتعلمون الفروسية والسباحة حيث كانوا يمارسونها صباح كل خميس في شواطئ مدينة أسفي.

وبعد وفاة السلطان الحسن الأول أصبح المولى عبدالحفيظ خليفة بتادلا لأخيه عبد العزيز، وكان إدريس أمنو ملازما له في حله وترحاله و مستشارا خاصا يحظى بثقته.

ولما تولى المولى عبد الحفيظ منصب خليفة السلطان لأخيه بمراكش والمغرب العزيزي يعيش الظروف السياسية المعروفة التي مهدت السبل لدخول الاستعمار، فأصبح إدريس أُمْنُو يلعب الدور الأول في محاولات المولى عبدالحفيظ لإنقاذ البلاد من أطماع الأجنبي، فكانت تسند إليه المهام السرية كالمشاورات و المفاوضات التي كان يجريها مع قواد الجنوب أمثال الأگلاوي والمتوگي والگندافي وعيسى العبدي وسواهم. ولما تمت البيعة للمولى عبد الحفيظ أصبح إدريس أمنو المستشار الخاص وصاحب سر السلطان ولا يبت في أمر دون استشارته. وإليه كانت

تسند أكبر المهام وأصعبها، فهو الذي نفذ حكم الإعدام في المدعو بوحمارة بالقصر الملكي بفاس، وهو الذي ألقى القبض على أبناء «حمو» باشا مكناس بعد اكتشاف مؤامرتهم ضد السلطان، وهو الذي كان يفاوض زعماء القبائل في سبيل تثبيت أمر السلطن والقيام ضد الفرنسيين. وأول مسؤولية تحملها إدريس أمنو هي باشوية مكناس فكانت مسؤولية قصيرة المدى حيث لم يلبث المولى عبدالحفيظ أن عين باشا آخر مكانه فعاد إدريس أمنو إلى البلاط لخدمة السلطان. ولما ساءت العلاقة بين السلطان وأسرة الأكلاوي تم عزل الحاج التهامي الأكلاوي من باشوية مراكش وعين إدريس أمنو خليفة مفوضا عاما للمولى عبد الحفيظ في الجنوب. وكان من بين مساعديه القائد الناجم الذي عينه على قبائل سوس والقائد كَبَّا الذي عينه على تارودانت، كما عين حمو الأكلاوي قائدا رسميا بتلوات ضدا على عميه المدني والتهامي. وأثناء ولايته على مراكش كان يتصل سرا بقنصل ألمانيا مسايرة للسياسة السلطانية المعارضة للدولة الفرنسية. وفي الأيام الأخيرة من ولايته دخل الثائر أحمد الهيبة مدينة مراكش فاستقبله إدريس أمنو لا كسلطان ولكن كرئيس للمجاهدين، وقد طلب من الأكلاوي والعيادي و الناجم وباقي القواد أن يستقبلوه بنفس الصفة. وبعد استقرار أحمد الهيبة بالقصبة عمل إدريس أمنو على تهدئته ومداراته حتى لا يهاجم أهل مراكش وعلى الأخص الأسرة الشريفة بدار المخزن، كما عمل على إبعاد الأجانب وإرسالهم على الحمير والبغال إلى أسفي باستثناء سبعة من الفرنسيين بمن فيهم القنصل "ميگري Maigret" لأنهم رفضوا مغادرة مراكش وآثروا الاختفاء بدار التهامي الأكلاوي. ولما استتب الأمر للفرنسيين طلبوا من المولى عبد الحفيظ إصدار ظهير يعين بمقتضاه التهامي الأكلاوي باشا على مراكش . فلما دخل الكولونيل الفرنسي "مانجان Mangin" مراكش كان أول أمر قام به تعيين الأكلاوي، ونزع إدريس أمنو من منصب الباشوية. ولما تنازل المولى عبد الحفيظ عن العرش، في الظروف المعروفة، نفت فرنسا إدريس أمنو إلى مكناس التي قضى بها أربع سنوات. وبعد تدخل أحد أصدقائه الإنجليز وهو بليك Blacke وهو شخصية بارزة كانت تحظى باحترام الفرنسيين، سمح لأمنو بمغادرة منفاه، فذهب إلى سطات ثم إلى مراكش على أساس أن يقضي ثلاثة أشهر في سطات وستة أشهر بمراكش تحت الرقابة الفرنسية، هذه الرقابة التي لم تمنعه من الاستمرار في خدمة السلطان الذي كان إبان الحرب العظمى يتصل ببعض الألمان ويراسل بعض زعماء القبائل أمثال محمد أوحمُّو الزياني يحفزهم على الثورة ضد المستعمر. فكان رسل المولى عبد الحفيظ الذين يحملون الرسائل والأموال يتصلون سرا بإدريس أمنو فيرشدهم إلى الطرق المأمونة من أجل مهماتهم. وكان هذا آخر عمل قدمه أمنو للسلطان السابق. وبعد عشر سنوات من الحراسة والرقابة أصبح إدريس أمنو حرا طليقا ينتقل إلى حيث شاء ومتى شاء، فظل يتلقى زيارات الشخصيات البارزة أمثال الصدر الأعظم المقري والحاج المعمري ومحمد البشير الإبراهيمي والكولونيل باشاشا Pachacha الحاج سليمان الذي كان سفير الحكومة الفرنسية بالدول العربية، كما كان يتوصل بالجرائد السياسية والمجلات الأجنبية مثل مجلة *البصائر* التي كان يديرها محمد البشير الإبراهيمي بالجزائر. تزوج إدريس أمنو ولم يعقب ذكورا، ولم يكسب من الثروة إلا ما كان يكفيه لحاجياته الخاصة وإطعام الوفود والأصدقاء والأقرباء الذين كانوا يترددون عليه طوال الخمسين سنة التي قضاها بين سطات ومراكش بعد اعفائه من الباشوية عام 1912.

توفي في مراكش عام 1963 عن سن تقارب التسعين ودفن بضريح سيدي لحسن أُعلي بحومة باب دكالة.

م. المختارالسوسي، *حول مائدة الغذاء* ؛ *رواية بعض أقارب المترجم*.

أحمد شوقي بينبين

**أمْنُوگَالْ**، وتجمع على إمْنُوگَالِنْ (مؤنثها "تامنوگالت" / "تامنوگالين")، كلمة أمازيغية تستعمل عند التارگيين سكان منطقة الهگار، لتدل على الرئيس الأعلى الذي لاتعلو سلطته سلطة زمنية أخرى داخل مجتمعه. ويختار من العائلات المعروفة بالرئاسة، من قبل إمغارن أي من شيوخ كل المجموعات المكونة لفدرالية أوكونفدرالية ما.

يتم اختيار أمنوگال من بين مرشحين عديدين، من ذوي الحق في ارتقاء هذا المنصب. وهم عادة من أنساب معروفة، ولكن مقاييس أخرى تتدخل لترجح مرشحا على الآخرين. منها قوة الشخصية ومتانة الجسد وتوفر الشجاعة والكرم والتمتع باحترام الجماعة، نتيجة ما يتحلى به المرشح من مزايا أخلاقية ومهارة سياسية ويقظة فكرية. ويمكن تنحيته إذا تبين أنه لم يحترم شروط العقد الذي يربطه بجماعته أو أنه عاجز عن القيام بمهامه أحسن قيام.

إن العقد المقصود هنا هو مجموع التقاليد والأعراف والقواعد الأخلاقية التي تتحكم في سلوك مجتمع "إيهكارن" وتصوراته، وهو مجتمع من الرحل الصحراويين.

أما مهام أمنوگال فتتلخص في القيام بدور التحكيم والقضاء في النزاعات والمخالفات، وبدور القائد في الحروب. فهو المسئول الأول عن أمن شعبه وتماسكه وبقائه.

وقد اتسع الحقل الدلالي لكلمة أمنوگال في ما بعد، فأصبحت تطلق على كل رئيس سياسي كالامبراطور والملك والسلطان والأمير ورئيس القبيلة وكبار ضباط الجيش ورؤساء الإدارات المدنية، كما يتسمى بها كل شخص يتوفر على ثروة أو على مزايا أخلاقية أو فكرية أو جسمية. كما يلقب بها كل الأفراد المنتمين إلى أسرة إمنان بأجار شمال شرقي بلاد أهوگار، سواء كانوا صغارا أم كبارا، رجالا أم نساء، ولو لم تكن وضعيتهم المجتمعية تقتضي ذلك. وهذا راجع إلى كونهم يعتقدون أن نبلهم متحقق بالولادة، لأن أجدادهم البعداء كانوا - في نظرهم - أسيادا في منطقة الهوگار.

وتوجد بالمغرب مناطق تحمل اسم أمنوگال كما توجد قبيلة تحمل اسم إمْـنَـانْ، ودلالات الاسم الأصلي تقود إلى تساؤلات تاريخية في غاية الأهمية.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*, pp. 1207,1213, 14 ; E.I., Nlle ed., 1975, I, p. 445, 1214 ; *E.B*, IV, pp. 518 - 589.

علي صدقي أزايكو

**أمْـهَـاوشْ، أبو بكر**، يدخل تاريخ آل أمهاوش ومن شابههم من أسر مرابطي الأطلس ضمن "التاريخ الهامشي" الذي لم يحظ باهتمام المؤرخين شبه الرسميين إلا بكيفية عابرة. وحتى عندما يتعرض مؤرخون أمثال الزياني وأكنسوس لذكر أسر مثل آل أمهاوش فإنهم لا يفعلون ذلك في غالب الأحيان إلا للقدح والسب في حق هؤلاء بالرغم مما كانوا يتمتعون به من تقدير وإجلال من طرف القبائل التي عاشوا في وسطها، وبالرغم من الدور الديني والاجتماعي الهام الذي أدوه في مناطق لم تكن تخضع باستمرار لسلطة المخزن المركزية. وبما أن هؤلاء المرابطين كانوا يعيشون في وسط قروي لا يعرف إلا انتشارا محدودا للكتابة، بل وكانوا أحيانا هم أنفسهم يجهلون حتى مجرد القراءة والكتابة، فان جل ما وصلنا عنهم كان عن طريق مؤرخين شبه رسميين، باستثناء الرواية الشفوية التي قد تعكس مكانة هؤلاء المرابطين لدى قومهم ولكنها لا تساعدنا كثيرا في بناء تصور تاريخي لحياة هؤلاء وللأحداث التي عاصروها. والنموذج الذي يمثله مرابط الأطلس بصفة خاصة يختلف عن " المرابط الدجال" الذي كثيرا ما يشير إليه المؤرخون. فالأمر هنا لا يتعلق بمجرد متنسكين أو مجاذيب أو أدعياء معارضين للسلطة الدنيوية، بل نجد أن العائلات المرابطية أمثال الدلائيين أو الحنصاليين أو آل أمهاوش لعبت أدوارا قيادية في الوسط البربري وذلك على مدى أجيال متتابعة. كما أن ظهور أسر من هذا النوع له أسس موضوعية وتاريخية، لأن هذه الأسر غالبا ما تجسد طموحات مجموعات قبلية تمر عبر مرحلة انتقال وتوسع في اتجاه الأراضي المنبسطة.

ينتمي أبو بكر أمهاوش إلى أسرة أيت سيدي علي أُحساين ( القرن 18م) والتي تستمد تسميتها من أيت أمهاوش.وهي فرقة من أيت سخمان من برابرة الجبل. وقد ظهرت هذه الأسرة المرابطية أول ما ظهرت كامتداد لإشعاع الزاوية الناصرية ؛ فسيدي علي أُحساين كان تلميذا لشيخ الزاوية سيدي أحمد بن ناصر الذي تهيأ حسب الزياني بظهور دجال (مهدي، حسب الرواية الشفوية) من سلالة أمهاوش. وكان ولده امحمد أُناصر (هكذا سماه والده تبركا بشيخ الزاوية الناصرية) من اتباع الناصريين كذلك، وقد حصل على "حظ وافر" من علوم الفقه واللغة وتنسك ولبس الخشن من الثياب و"حصل له نوع من الكشف..".

وشاع أن له خبيرا من الجن يخبره بالمغيبات "فاشتهر أمره بين القبائل الأطلسية أيام سيدي محمد بن عبد الله واتسعت دائرة أتباعه وزبنائه حتى في وسط برابرة الوطاء مثل گروان. وإذا كان سيدي علي قدأحجم عن الخوض في مجال السياسة فإن ولده أُناصر وجد نفسه وجها لوجه مع المخزن عندما وفر الملجأ لمولاي اليزيد المتمرد على سلطة والده سيدي محمد بن عبد الله بتواطؤ من قبيلة گروان وقد كان عاملا عليها. وهذا هو سبب لجوئه في سنة 1770م إلى زاوية أيت إسحاق حيث لقي الحفاوة والتكريم من طرف محمد أُناصر. ولما بويع المولى اليزيد في سنة 1790، قدم عليه هذا المرابط مع أتباعه من برابرة الجبل لتقديم بيعتهم، فأعطاهم ما يزيد على مائة الف ريال مكافأة لهم على دعمهم له في السابق. إلا أن أمد العلاقات الودية مع الدولة لم يطل كثيرا، خاصة بعد وفاة المولى اليزيد عام 1712 وخلافة أبي بكر أمهاوش لوالده.

يعتبر أبو بكر هذا أكبر إخوته ووارث بركة والده، بل إن نفوذه الديني والسياسي تجاوز نفوذ كل مرابطي أسرة أمهاوش وكان لمعارضته سلطة الدولة والهزائم التي ألحقها بجيوش المخزن أثر حاسم في إعلاء شأنه بين القبائل الأطلسية.

أخذ أبو بكر امهاوش هو الآخر الورد الناصري، لكن يظهر أن ميوله الصوفية أصبحت تتجه أكثر نحو الطريقة الدرقاوية التي ظهرت في وقته والتي كانت مبادئها الداعية إلى التقشف والعيش الخشن وكذا الحيطة من بعض رجال المخزن أكثر ملاءمة لنمط عيش المرابط القروي الذي يعتمد نفوذه بين قومه على سلوكه طريق الزهد والتنسك. ولا يظهر أنه كان ملما بالعلوم الفقهية مثل والده، ولكنه كان يتمتع في أعين قومه بهالة من القداسة لايتوفر عليها إلا كبار المشايخ.

تتحدث المصادر المكتوبة عن أبي بكر أمهاوش لأول مرة عند أول مواجهة بينه وبين المولى سليمان في سنة 1800 عندما فشلت الجيوش المخزنية في حصار برابرة الجبل رغم هجوم مزدوج يشمل السفحين الشمالي والجنوبي للأطلس (تادلا وتافيلالت )، فكانت بين أمهاوش وجيش المخزن "وقعة لم ير مثلها في الدهر".

وقد استطاع أبو بكر أمهاوش عن طريق الضغوط التي مارسها على برابرة الوطاء مثل أيت إدريس وگروان من تفكيك جبهة من يسميهم الزياني ببرابرة الدولة، أي القبائل التي نزلت إلى بسائط أزغار بعد وفاة المولى إسماعيل والتي وجد فيها خلفاء هذا الأخير حليفا استراتيجيا وأداة لموازنة القوى الأخرى، جيشا كانت أم قبائل. بل إن الضغط الذي مارسته قبائل الجبل على الحادية أيت إدراسن مثلا، أدى إلى تشتيت هذه المجموعة التي كانت خلال القرن الثامن عشر وحتى بداية التاسع عشر من أهم دعائم الدولة.

وفي سنة 1811 وقعت مواجهة ثانية بين أبي بكر أمهاوش وعساكر المخزن (وقعة أزرو) كادت أن تتحول إلى كارثة بالنسبة للجيوش المخزنية لولا تدخل أيت إمور وأيت إدراسن إلى جانب هذه الجيوش. وبعد مدة وجيزة حدثت مواجهة ثالثة عام 1814 بين أبي بكر أمهاوش والمخزن، وإن

تمت بكيفية غير مباشرة لأنها جرت أساسا بين أيت إدراسن وأيت أومالو الذين كانوا ينوون، حسب الضعيف، الهجوم على العاصمة مكناس. وبالرغم من كون المولى سليمان كان معنيا بكيفية مباشرة بمصير هذه المواجهة فإنه فضل عدم التدخل إلى جانب حلفائه أيت إدراسن، وهو الموقف الذي أدى إلى اندحار هذه الاتحادية ومقتل رئيسها محمد بن محمد وعزيز، وبذلك سقط جزء هام من خط الدفاع الأول الذي كان يقف في وجه برابرة الجبل وفتح باب المواجهة المباشرة بين أبي بكر أمهاوش والمخزن.

هذه المواجهة الخطيرة حدثت في ربيع 1819 ببسيط أدخسان جنوب خنيفرة، عندما حشد المخزن الجيوش لمحاصرة أيت أومالو وإتلاف زرعهم بعد سنتين من القحط الذي عرفته البلاد (1817،1818). ولم تكن الظروف مواتية لعمل عسكري من هذا النوع خاصة وأن الجيوش المخزنية كانت منهمكة من جراء الطاعون، بينما كان حلفاء الدولة من برابرة الوطاء منقسمين على أنفسهم ومترددين بين ولائهم للمخزن والانضمام إلى حلف برابرة الجبل الذين لم تزدهم هزائم المخزن السابقة إلا قوة والتحاما.

ولما انكسرت جيوش المخزن وقتل ولد السلطان مولاي إبراهيم ووقع المولى سليمان نفسه أسيراً في يد خصومه، زاد شأن أبي بكر أمهاوش لدى القبائل البربرية التي تحققت من صدق تنبؤاته، ورأت في انتصاره أكبر كرامة، وأيقنت أنه "صاحب الوقت" الذي سيملأ الأرض عدلا. وكان هذا سبب تهافت الناس عليه وانضمام جميع القبائل البربرية تحت رايته. وهذه الهزيمة هي التي نالت من هيبة المخزن وفتحت باب الاضطرابات والفتن التي عصفت بالبلاد خلال السنوات الأخيرة من حكم المولى سليمان. وكان أهم ما ترتب عن هذه الهزيمة ما يعرف بفتنة فاس (1820،1822) التي بويع خلالها سلطان منافس للمولى سليمان، هو ابن أخيه إبراهيم بن اليزيد، وقد حضر بيعة هذا الأمير شيوخ أهم الزوايا كما حضرها أبو بكر أمهاوش ورؤساء القبائل البربرية بما فيها قبائل زمور وأيت إدراسن وكروان. إلا أن امتناع جيش العبيد والأوداية عن مساندة المولى إبراهيم وسقوط شيخ الزاوية الدرقاوية أسيرا في يد الأوداية فوتا فرص النجاح على معارضي مولاي سليمان.

وتوفي أبو بكر أمهاوش دون عقب ودفن بموطنه بالقرب من موقع المعركة التي هزم فيها جيوش المخزن في آخر مواجهة بينهما. ولم يتمكن أحد من مرابطي آل أمهاوش من بعده من أن يوفر القيادة الروحية والسياسية الضرورية لاستمرار تلاحم القبائل البربرية الجبلية، إذ سرعان ما دبت الانقسامات الى صفوف هؤلاء، وهي الانقسامات التي شجع المخزن على تعميقها في كثير من الأحيان.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة العلوية*، مخطوط خ.ع. رقم د 660 ؛
أ. الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط خ.ع. رقم 1275 ؛
م.أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مخطوط خ.ع. رقم د 339 ؛ أ.ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط خ.ح. رقم 1920.

محمد المنصور

**أمهاوش، علي** بن المكي، ورث بركة والده وصار زعيما في الشؤون الروحية والقبلية لقبيلة أيت سيدي علي وحلفائهم. ولد عام 1844 وأخذ عن الشيخ عبد الله الهواري مؤسس زاوية الجديد الدرقاوية بفركلة كما أخذ عن ابنه. وقد أصهرت عائلة أمهاوش إلى عائلة هؤلاء الهواريين.

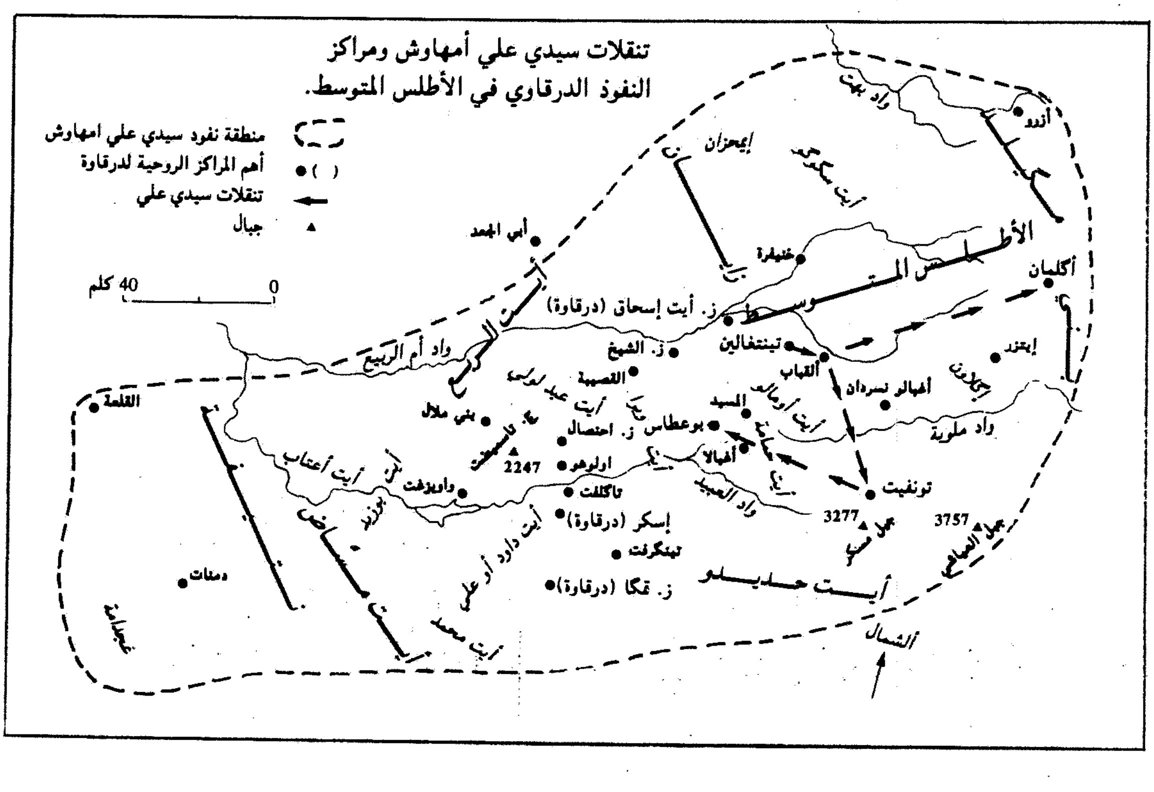

وكان علي أمهاوش مريدا لأحمد البيضاوي الفاسي وهو التلميذ المفضل عند الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. ويدعي كل من دراگ Drague ودروان J. Drouin أن آل أمهاوش لم تكن لهم طريقة تذكر. ومعلوم أن القرن التاسع عشر تميز بتوسع نفوذ الدرقاويين بعدما كان القرن الثامن عشر ناصريا. وقد لعبت الدرقاوية دورا مهما في الأطلس المتوسط ولدى جبليّي زمور وقبائل تافيلالت.

و تناقلت أسرة أمهاوش نسبة إلى الشرف الإدريسي من شواهدها ظهير محمد الشيخ السعدي وظهير سليماني. ويعتبر سيدي علي الزعيم الخامس فيمن عرف من رؤساء هذه الأسرة. وهكذا توفرت له الزعامة والشرف والورد الدرقاوي بحيث يجد فيه أيت أُمالو (قبائل السفح الشمالي) الزعيم الذي افتقدوه منذ نصف قرن ، وكانوا في حاجة إليه في مواجهة جيرانهم الزيانيين الذين كانوا تحت قيادة محمد أُحمّو المدعم من طرف المخزن.

وقد وصف الرحالون والعسكريون الأجانب شخصية علي أمهاوش بكثير من الصفات الإيجابية الخلقية، استطاع بها جمع شمل حلفائه.

وعندما داهم الاستعمار بلاد زيان بخيله ورجله التفتت القبائل إلى أمهاوش والتفت حوله القبائل التي تستوطن بين أم الربيع الأعلى وملوية العليا لمقاومة الغزو الفرنسي، وكان مركزه أولا بتنتغالين ثم انتقل إلى القباب (45 كلم من قصبة تادلا) ثم انتقل إلى أگلمان جنوب غرب القباب بـ 12 كلم في نهاية 1913.

وهكذا دخلت تادلا والأطلس المتوسط تحت نفوذه، وظلت عيون الاستخبارات تتتبع حركاته. وفي صيف 1915 أقام بملوية العليا وتونفيت، وباع عدد من الناس في جهات بني ملال أملاكهم والتحقوا به. وكان على اتصال بثوار بني مگيلد.

وفي صيف 1917 توجه إليه موحى أُسعيد قصد تنسيق الجهود ، وشاركا معا إلى جانب موحى أُحمو وسيدي رحو سنة 1918 في تقسيم عدد من الأوراق البنكية من فئة 500 و100 فرنك جاءتهم من شمال المغرب.

ويظهر أن علي أمهاوش فضل عدم المواجهة العسكرية والاقتصار على العمليات الفدائية والاستنزاف. وقد انتظر الفرنسيون هجومه طويلا وارتبكوا وتوتروا، ولجأوا إلى تفريق صفوف حلفاء أمهاوش بواسطة عملائهم، إلى أن توفي أمهاوش عام 1918 وورثه في الجهاد أبناؤه والزعماء الزيانيون الآخرون.

Drague, *Esquise d'histoire religieuse du Maroc* ; J. Drouin, *Un cycle hagiographique* ; *Rapports militaires sur la pacification*.

المالكي الملكي

**إمُور** (أيت ـ)، أو أيت إيمُور أو أيت يمور، قبيلة يقع موطنها حاليا بسهل الحوز في الجنوب الغربي لمدينة مراكش بين قبيلة الأعراب في الجنوب وكل من قبيلة تَامْسْكّْلْفْتْ والأودايا وأسْكْجُورْ وتَاسْلْطَانْتْ في الشمال. وكلمة إمُور في البربرية لها معان متعددة، فهي قد تعني العصا والسهم والمقلع والحماية والحلف. وربما رجع هذا المعنى الأخير لكثرة الأحلاف التي ربطتها بقبائل بربرية أخرى وخرجت منها بسرعة، إلا أن أحد المصادر جعلهم ينحدرون من إمور أحد أبناء ميدول ابن جالوت الذي أصله من مراكش.

يرى عبد العظيم الأزموري أن أيت إمور ينحدرون من أصول عربية، لكن الظاهر استناداً إلى النصوص والرواية الشفوية، أنهم من صميم صنهاجة، وآثارهم وبصمات أقدامهم لا زالت قائمة في أعالي غريس. ومع ذلك فإن البحث عن أصلهم يكتنفه كثير من الاضطراب والغموض. فلا نعرف إلى أي فرع من فروع صنهاجة ينسبون ولا متى انشقوا عن القبيلة الأم، ففي غياب المصادر التي تتحدث عن قبيلة أيت إمور منذ أقدم العصور نجد أنفسنا مضطرين إلى تتبع أخبارها من زمن استقرارها بالأطلس المتوسط.

لقد خرج أيت إمور من أعالي غريس ونزلوا بناحية أغبالا، وفي ذلك ما يتفق مع تحرك مجموع صنهاجة. إلا أن الحديث عنهم في المصادر لم يرد بشيء من الوضوح إلا منذ عهد السلطان مولاي إسماعيل، فقد كانوا، حسب مخطوط بزاوية سيدي حمزة، في القرن الخامس عشر الميلادي في السفح الشمالي لجبل العياشي، كما تذكر الرواية الشفوية أنهم كانوا من مشيخة محمد الحاج الدلائي وشاركوا معه في منتصف القرن السابع عشر الميلادي في بناء الزاوية الدلائية. وعندما شرع المولى إسماعيل في حصاره المنهجي لحركة قبائل الأطلس المتوسط نحو السهول كانت مواقع أيت إمور موجودة بمنابع ملوية فيما بين تُونْفيتْ و أراگو نايت أحمد وأغبالا.

مَن الأكيد أن قبيلة أيت إمور دخلت الأطلس الكبير الشرقي قبل القرن السادس عشر الميلادي، وأن رحلتها التي استأنفتها من جديد كانت بسبب ضغط مجموعات قبلية أخرى، كما أن عدد أفرادها في بداية الأمر لم يكن من الكثرة بحيث يمثل خطرا على القبائل المجاورة أو الدافعة لها، لكنه مع تقدم السنين كثر عددهم وصاروا يهددون أمن عدد من القبائل. ومن الواضح كذلك أنهم توقفوا بالأطلس المتوسط طويلا قبل أن يتابعوا تحركهم.

ونجد الآن بقايا لهذه القبيلة بالأطلس المتوسط عند أيت حنيني وأيت علي أُبراهيم في قبيلة أيت يحيى أُيوسف، كما تشير المصادر إلى أن لأيت إمور فضلا في تأسيس مركز القصيبة على السفح الشمالي للأطلس المتوسط وهو المركز الحالي لقبيلة أيت ويرّا، كما يظهر أنهم كانوا في وقت مّا سادة مركز تُونْفيتْ الذي نازعتهم فيه عدد من القبائل البربرية الأخرى. ولسنا ندري هل احتلوا في وقت واحد تلك الرقعة الشاسعة أم أن ذلك دليل على تنقلهم المستمر.

لا نعرف شيئا كثيرا عن علاقة أيت إمُورْ بالأحلاف القبيلة وبالاتحاديات الكبرى في مرحلة استقرارهم بالأطلس المتوسط، فالمعلومات التاريخية التي وصلتنا عنهم بخصوص هذه المسألة تنحصر في ما أوردته الرواية الشفوية وفي بعض الإشارات المتقطعة، فهي تارة تدخلهم في اتحادية أيْتْ إدْرَاسْنْ وتارة أخرى تجعلهم متعلقين بأيت يَفْلْمَانْ، وفي هذا الأمر شيء من التناقض والاضطراب، ومن الثابت أن علاقتهم بمن حولهم من القبائل تميزت بكثير من العنف والتوتر وأن دخولهم في حلف أيت إدراسن أو أيت يفلمان لم يكن إلا بارادة من المخزن، وتجدر الإشارة إلى أن قبيلتين صنهاجيتين وهما مجاط وإمْلوان، بعد أن نزل بكيانهما التفكك والتمزيق، ربطتا مصيرهما بمصير أيت إمور فرافقتاهم في حلهم وترحالهم.

قاوم أيت إمور مثل عموم القبائل البربرية بالاطلس المتوسط إرادة السلطة في ضبطهم، فمنذ سنة 1674/1085 تمرد أيت إمور وحققوا بعض النجاح العسكري، ولما تابعتهم جيوش السلطان لاذوا بالفرار وتحصنوا بالجبل. وبعد حملة القائد المخزني يحيى على أعالي وادي ملوية ووادي العبيد سنة 1680/1091 دخل المولى إسماعيل الأطلس المتوسط ووصل بعساكره سنة 1683/1095 إلى أعالي ملوية وبنى قصبة عين اللوح وأَزْرُو، وفي السنة الموالية 1684/1096 شيد سلسلة أخرى من القلاع، وبذلك شدد الخناق على قبائل الاطلس المتوسط وحال بينهم وبين مراعيهم الشتوية، فاضطر أيت إدراسن و أيت إمور معهم إلى الخضوع والطاعة فقدموا الخيل والسلاح للسلطان. وبعد هذه الحركة يقول الناصري (*الاستقصا*، 7 : 81) :«ولم يترك لقبيلة من قبائل المغرب خيلا ولا سلاحا، وإنما كانت الخيل والسلاح عند العبيد والأودايا وأيت إمور وأهل الريف».

في هذا التاريخ انحاز أيت إمور إلى المخزن وأصبحوا شيعة الدولة وتم إدخالهم في عداد قبائل الجيش، وغدا السلطان يعتمد عليهم لتنفيذ جوانب من السياسة العسكرية في المنطقة، وأقامهم في شمال مركز أغبالا بتِنْتْغالين ووزع عليهم الخيل والسلاح وعين عليهم القائد عَلِي أبركا اليموري.

وفي سنة 1693/1104 قام المولى إسماعيل بحركته الأخيرة للأطلس المتوسط قاصداً أيت أُمَالُو، فكانت أيت إمور من القبائل التي كلفت من لدن المخزن بمحاصرتهم، وبعد انتصار جيوش السلطان وهزم أيت أمالو استقر أيت إمُور مع قائدهم على أبركا بتنتغالين كي يراقبوا قبائل الجبل ويدافعوا عن مصالح المخزن.

لكن إقامة أيت إمور بتنتغالين لم تدم طويلا، إذ سرعان ما ارتحلوا إلى تادلا. وعن هذا الانتقال لا نتوفر على تفاصيل مهمة، فهل كان بمبادرة من السلطان المولى إسماعيل أم بسبب عوامل أخرى ؟ والظاهر أن دفعة قبلية تمثلت في تحرك قبائل أيت يحيى وأيت إسْري وأيت شخمان وغيرهم من قبائل اتحادية أيت أمالو أرغمت أيت إمور على الخروج واحتلت مكانها قبيلة إشقرن بمساعدة قبيلة أيت حديدو. إلا أننا لا نعرف هل كان خروج أيت إمور إلى تادلا كليا أم جزئيا، وكل ما نعرف أنهم كلفوا فيها من لدن السلطان بحراسة القصبات وجنحوا إلى السلم والاستقرار.

وبمجرد وفاة المولى إسماعيل سنة 1727/1139 عادت القبائل البربرية إلى الزحف والتحرك، وفي جو الاضطراب الذي تميز به عهد خلفه أحمد الذهبي، قطع أيت إمور صلتهم بالمخزن ودخلوا في عداد القبائل المشاغبة، فمارسوا النهب والرعب على من جاورهم من القبائل بتادلا وحاصروا القصبات وقتلوا عساكر العبيد. ولم تفلح الحملات التأديبية التي وجهها لهم السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل في كفهم عن أعمال التخريب.

وعندما تولى السلطان سيدي محمد بن عبد الله وقام محاولا إعادة النظام إلى دولته، بادر بنقل فرقة منهم إلى ناحية مكناس، وهناك تمادوا في الهجومات على هذه المدينة، فأبعدهم عنها إلى الولجة الطويلة بأزغار بين واد سبو وجبل زرهون. وفي سنة 1765/1185 ألحق بهم الفرقة الباقية بتادلا وأنزلها بسلفات بنواحي سهل الغرب.

لم يحل نقل أيت إمور إلى نواحي سهل الغرب دون ممارستهم لأعمال الشغب، وفي سنة 1783/1196 قاموا بزعامة محمد الحاج اليموري ضدّ سفيان وبني مالك وأهل زرهون، فوجه لهم السلطان حملة بقيادة القائد الهاشمي قصد محاصرتهم وعقابهم، وفي السنة الموالية أعاد أيت إمور النازلين بسلفات إلى تادلا وأبعد النازلين بجبل زرهون إلى حوز البهاليل بسايس.

وفي سنة 1791/1206 انحاز أيت إمور الذين بقوا بسهل الغرب إلى المولى مسلمة وساندوه وجنحوا الى المسالمة. وفي عهد المولى سليمان نجدهم تارة يشدون أزره وتارة يثيرون الشغب ضده ويقلقون القبائل العربية المجاورة لهم. ففي سنة 1797/1212 وجه لهم هذا السلطان جيش العبيد والأودايا وأولاد جامع وبني مالك وسفيان، وفي سنة 1800/1215 شارك أيت إمور إلى جانب جيوش المخزن في حركة ضد كروان. ومعنى هذا أنهم صاروا مراقبين من قبل السلطان الذي ولى عليهم قائدا مخزنيا وأعاد الفرقة التي أقامها بالبهاليل إلى سلفات.

وعندما خلف المولى عبدالرحمان أخاه المولى سليمان عاد أيت إمور الذين بتادلا ليلتحقوا بإخوانهم بالولجة الطويلة وسلفات، وشعورا من الإموريين بأن قوتهم تعززت، تحرروا من وصاية القائد المخزني وعادوا إلى حياة النهب، فصرف المولى عبدالرحمان نظره إليهم إذ أوعز إلى قائده عبد الله محمد بن يشُّو المالكي العروي بالإيقاع ببعضهم، وبعد أن سجن منهمَ أربعمائة رجل أخرجهم السلطان إلى حوز مراكش. وفي سنة 1829/1245 أطلق سراح من سُجن منهم.

نزل أيت إمور بحوز مراكش فوق التراب الذي شغله الشراردة قبل ترحيلهم إلى سهل الغرب، ولم تتضح حال

إقامتهم ووضعية الأراضي التي أنزلهم فيها إلا بعد أن أصدر السلطان ظهيراً سنة 1845/1269 ينص على أن العطاء هو عطاء تمليك وليس إقطاع استغلال.

انتهى شغب أيت إمور وتنقلاتهم، وكذلك جهود السلاطين العلويين من أجل الحد من قوتهم، بتوطينهم بأجود الأراضي وتمليكهم إياها، ولم يعودوا ملزمين تجاه المخزن إلا بأداء الضرائب. أما مشاركتهم في الحركات والحروب فكانت باعتبارهم مساهمين لا باعتبارهم من الجيش الذي يعرف في الاصطلاح المخزني بالمسخرين أو الكيش. أما فيما يخص أيت إمور الذين ظلوا على ضفاف نهر سبو، فلا نعرف عنهم سوى مشاركتهم سنة 1860/1277 في حرب تطوان، إذ يقول الناصري (*الاستقصا*، 9 : 88)، إن من الذين قاتلوا بنية خالصة وأحسنوا الدفاع البعض من أيت إمور».

عرف أيت إمور باستقرارهم بالحوز نفس تنظيم قبائل معقدة وغريبة، وفي إطارها عُد أيت إمور من ضمن قبائل الجيش وحولت خدمتهم العسكرية إلى أداء مسخرات وضرائب خاصة تدفع إلى باشا مراكش.

أ. الزياني، *البستان الظريف*، مخطوط خ.ع. د 1577 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* 7.8.9 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ *العز والصولة*.

De La Chapelle, *Un document sur la politique du Moulay Ismaïl* ; G. Drague, *Esquipe d'histoire religieuse du Maroc* ; J. Drouin, *Un cycle oral hagiohraphique* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, t.I.

عبد العزيز بوعصاب

**أمون** ← **سمك**

**الأمويون والمغرب**، لم يكن من الممكن استراتيجيا وعسكريا، ومن حيث متطلبات العقيدة نفسها، فضلا عن المغريات الاقتصادية، أن يتوقف الفتح الأموي عند مصر دون امتداده غربا. وقد اقتضت السياسة الأموية المشرقية، أن تتريث جيوش الدولة في مسألة الانتشار العقيدي، على أن تضمن استقرار الدولة سياسيا واقتصاديا، وتترك للمجتمعات حرية اعتناق الإسلام ولو أنها (أي الجيوش) تمارس سياسة الشدة في البداية. والواقع أن الفتوح الأولى للمغرب الكبير بدأت فيما بين 22 و23 هـ حيث توغلت جيوش عمرو بن العاص في الأراضي الليبية. ثم كان الزحف الثاني أيام الخليفة عثمان على إفريقية، وكانت مواجهة البطريق جرجير المنشق عن هرقل، وذلك حول سبيطلة، وبعد هذه الأحداث نسمع عن نشاط عقبة عبر المناطق الداخلية من ليبيا ثم إفريقية.

وأول عملية لفتح المغرب الأقصى بدأت سنة 62 أيام الخليفة الأموي يزيد بن معاوية بجيش من خمسة آلاف من عرب مصر، أي الذين استوطنوها بعد الفتح. ويظهر أن الانطلاقة تمت من تاهرت باتجاه غمارة حيث أسلم عدد كثير من سكانها، وتعرف عقبة على يُلْيَان الغماري وهو قوطي كان يحكم سبتة باسم العرش القوطي، وبلغ عقبة مدينة نفيس على النهر المعروف باسمها، وفتح السوس وطرقلة (ترغلة ؟) أي تارودانت (فيما بعد). وواجهته مقاومة صنهاجة عبر الصحراء الغربية وموريتانيا. ومع أن سرايا عقبة بلغت سفوح الأطلس الكبير والمتوسط، فإن قلة الجيش لم تضمن إلا انتشارا محدودا للإسلام، ويؤكد ابن خلدون أن يليان زود عقبة بمعلومات دقيقة عن السكان والمناطق، وأن هذه المعلومات دلته على عوراتهم كما قال.

ومما يستحق التأمل أن المقاومة المغربية في عمومها، لهذه الحملة، كانت ضعيفة، إلا ما كان من مصامدة الأطلس الذين نجا عقبة وجيشه منهم بمساعدة زناتة.

وبعد رجوع عقبة، وقع تدبير مؤامرة لاغتياله بمنطقة أوراس، وبمساهمة أوربة وعناصر بيزنطية، ومعلوم أن قسما كبيرا من أوربة كان يوجد بالأطلس الجزائري، ثم كانت حملة زهير بن قيس التي أدت إلى مصرع كسيلة وانسحاب معظم أوربة إلى وليلي وما جاورها حيث آزر أعقابهم

**أمُوزيغ**، أسرة يهودية كثيرة العدد عاشت أجيالا عديدة بمدينة فاس، وكان منهم فيها أحبار مشهورون، أمثال : أمُوزيغ (القرن 17) شمْطوب، ابن أموزيغ (القرن 18) وهذا الأخير مؤلف لمجموعة مواعظ.

ابن **أمُوزيغ، الياهو**، حبر ومؤلف وناشر، هاجر والداه المولودان بفاس إلى الصويرة، ثم إلى ليڤورن حيث ولد عام 1822. وتعاطى دراسة الفلسفة وعلم اللاهوت محاولا التوفيق بينهما. وعين أستاذا لعلم اللاهوت بالمدرسة الرّبية بليڤورن. وأسس في هذه المدينة داراً مهمّة لنشر الكتب العبرية، أصبحت مشهورة في العالم اليهودي وألف الكتب الآتية : *إسرائيل والإنسانية*، وهي دراسة حول مشكل الدين العالمي وحله (باريس، 1914) *إمَتْ مَفْجيا* «خشية المناقض»، وهو رد على انتقادات ليون دي مودينا ضد القبلانية، في مجلدين. (ليڤورن، 1858) *إمْ لاَ مقْرا* «أم الكتابات» وهو شرح أسفار موسى الخمسة، مع ملحوظات نقدية فقهية لغوية وعرقية حول عقائد وتاريخ وأحكام وعادات الشعوب القديمة نشرت مع النص تحت عنوان *طُرَة أدُونَايْ* «حكم الله» (ليڤورن وباريس، 1862-65). وله مؤلفات أخرى بالعبرية، وتاريخ باللغة الإيطالية : تاريخ السانيين (فلورانسا، 1865)، *الأخلاق اليهودية والأخلاق المسيحية*، دراسة مقارنة متبوعة ببعض التأملات حول مبادئ الإسلام (باريس،1867) *جريمة الحرب مفضوحة أمام الإنسانية* (باريس،1881) نال هذا الكتاب مكافأة رابطة السلم.

توفي الياهو أمُوزيغ سنة 1900.

أ. لا ريدو، أسماء يهود المغرب، 332 ؛ الموسوعة اليهودية، ص 684.

سيمون ليڤي

«الكيش» دون أن يعودوا كذلك، وعندما حلت سلطات الحماية بالبلاد عرفت عملية الاستحواذ على الأرض طرقا

الدولة الإدريسية. وكانت أورية على النصرانية قبل الفتح الإسلامي، لكن الحملة الثانية الكبرى التي امتدت بعد حملة عقبة إلى داخل المغرب، كانت هي حملة موسى بن نصير الذي ولاه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أمر المغرب عام 79 هـ. وامتدت ولايته إلى 96 هـ.

صحب موسى معه أبناء عقبة فثأروا لأبيهم، وانتهى موسى شمالا إلى طنجة، حيث عين بها طارق بن زياد الذي شمل نفوذه القسم الأكبر من المغرب. والأرجح أن أكثرجيشه حسب ابن الأثير كان من البربر. وأسند موسى مهمة الإرشاد الديني إلى سبعة عشر مرشدا، بالإضافة إلى بعض الذين تركهم عقبة، ومنهم شاكر صاحب الرباط المعروف، أما السوس الأقصى فتولى إخضاعه مروان نجل موسى، واستمر يليان حاكما بسبتة مع ولائه للفاتحين عمال الأمويين.

وابتداء من سنة 92 هـ ساهم المغاربة لا سيما غمارة في عملية فتح الأندلس بشكل حاسم. وحيث إن موسى عاد إلى المشرق بعد ذلك، يصحبه طارق، فقد ترك نجله عبدالملك واليا على المغرب منذ 96 هـ. وقد نكبت أسرة موسى بن نصير على يد والي المغرب الإسلامي محمد بن يزيد منذ سنة 97. ثم تسدل الرواية الإسلامية الستار على وضع المغرب الأقصى مسلطة أضواءها على إفريقية والأندلس، وإن ظل المغرب تابعا لوالي إفريقية من قبل أمويي دمشق إلى أن كانت ولاية عبيد الله بن الحبحاب 116-123 الذي عين نجله إسماعيل على السوس الأقصى، وعمر بن عبد الله المرادي بطنجة، ومن جهة أخرى قام القائد حبيب حفيد عقبة بتحرك جديد نحو أقاصي السوس والصحراء الغربية ومناطق مسوفة والسودان، ويؤكد دونيز پولم D. Paulme أن الحملة كان من ورائها مقايضة نسيج الشمال وملحه بعبيد السودان وصمغه وذهبه، وأحدثت هذه الحملة جوا من القلق لدى سكان المغرب حسب المصادر الإسلامية، فقد عمد الجيش إلى تخميس السكان حتى من دخلوا في الإسلام، وحل الاعتداء على الأموال والرقاب محل فترة السلم التي شهدها المغرب مدة لا تتجاوز ربع قرن. وحيث إن كثيرا من طلبة المغرب وشبابه تلقوا مبادئ الحركة الخارجية بإفريقية أو بالمشرق، فإن خروج هذه المبادئ إلى حيز التنفيذ بدأ بالنسبة إلى الشمال الإفريقي انطلاقا من قبيلة مطغرة الزناتية التي عمل زعيمها قبل ذلك سقاء بالقيروان حيث تلقى المذهب الصفري هناك، وهو ميسرة الموصوف بالخفير أو الحقير. ولم تتحرك الثورة إلا في الشهور الأخيرة من ولاية ابن الحبحاب، وكانت مجابهة عمر المرادي وأنصاره حول طنجة حيث صرع الوالي، واستولى الخوارج على طنجة التي عين بها ميسرة، عبد الأعلى بن حديج عاملا، وهو بيزنطي الأصل من إفريقية كذلك. لم تجد نفعا نجدات ابن الحبحاب بقيادة خالد بن أبي حبيب الذي قتل في مواجهة أنصار ميسرة حول طنجة في معركة الأشراف، وهي معركة هلك فيها أعيان قادة العرب. وقتل أيضا إسماعيل والي السوس الأقصى في مواجهة أخرى.

وعندما ولى الأمويون كلثوم بن عياض القشيري سنة 123 على إفريقية أمدوه بنجدات من الشام بقيادة ابن عمه بلج بن بشر، واتجه القائدان نحو المغرب، ثم التحقت بهما قوات حبيب من تلمسان. وبقرب منطقة طنجة صرع كلثوم وحبيب هذا (حفيد عقبة) في مواجهة عنيفة مع الصفرية، بينما انهزمت طليعة بلج إلى سبتة، ومنها أبحرت إلى الأندلس، وهلك كلثوم سنة توليته، كما جرّت هذه الأحداث إلى انسحاب طليعة الجيش في نفس السنة. وظهرت حينئذ حركة قوية أخرى للخوارج بإفريقية، وكانت انطلاقتها قريبة من انطلاقة الحركة المغربية، ولم يعد للأمويين المشارقة ولا للعباسيين بعدهم أي تحرك عسكري أو نفوذ على المغرب بعد سنة 123، باستثناء محاولة يائسة وعابرة، لعبد الرحمان بن حبيب الذي استقل بعد الأمويين بإفريقية، واعترف بالخلافة العباسية، وتوغلت جيوشه في الصحراء الجنوبية عبر درعة وتندوف، وقد اغتيل في مؤامرة عائلية سنة 137.

ولاة الدولة الأموية المشرقية :

1 - سنة 50-51 عقبة بن نافع ( بإفريقية)
2 - " 51. أبو المهاجر دينار
3 - " 62. 63 عقبة، ثانيا (عموم الشمال الإفريقي)
4 - " 63. 68 زهير بن قيس البلوي (عموم الشمال الإفريقي)
5 - " 73. 78 حسان بن النعمان " "
6 - " 79. 96 موسى بن نصير (شمال إفريقية والأندلس )
7 - " 97. 100 محمد بن يزيد الأنصاري (شمال إفريقية والأندلس، مع التبعية لوالي مصر).
8 - " 100. 101 إسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر (شمال إفريقيا)
9 - " 101. 102 يزيد بن أبي مسلم (شمال إفريقيا)
10 - " 102. 109 بشر بن صفوان (شمال إفريقيا)
11 - " 110. 115 عبيدة بن عبدالرحمان القيسي (شمال إفريقيا)
12 - " 116. 123 عبد الله بن الحبحاب (شمال إفريقيا)
13 - " 124. 126 حنظلة بن صفوان (مصر والشمال الإفريقي)
14 - " 126. 132 عبد الرحمان بن حبيب (شمال إفريقيا)

ولاة خاصون بالمغرب أيام أمويّي المشرق :

1 - 92.؟ طارق، ومقره طنجة
2 - 96. 97 عبد الملك بن موسى بن نصير، ومقره طنجة.
3 - 116. 123 عمر المرادي، ومقره طنجة. وإسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب بالسوس الأقصى.

لما انتقل الأمويون إلى الأندلس وأسسوا بها خلافتهم الثانية صرفتهم مشاغلهم الداخلية عن الاهتمام بضم المغرب أو محاولة فرض نفوذهم عليه، خصوصا وأن الأدارسة جيرانهم لم تكن لهم نوايا عدوانية تجاه الأندلس، وهم أيضا بحاجة إلى تركيز جهودهم في الداخل. غير أن ظهور العبيديين على المسرح المغاربي في بداية القرن الرابع (10م). وتنصيب أنفسهم كخلفاء، ثم حصولهم على ولاء ابن حفصون زعيم المولدين، من داخل الأندلس، جعل الأمويين يعيدون ترتيب خططهم السياسية على الصعيد المغاربي كليا.

اعتمد العبيديون على الكتلة الصنهاجية بإفريقية التي كانت مستعدة للاستفادة من الفرصة التي أتاحها لها العبيديون من أجل التحكم في المجموعة الزناتية الضخمة ذات الأثر البعيد، قبل ذلك وبعد ذلك، في مسار السياسة المغاربية لفترة طويلة من الزمن. وقام الأمويون من جهتهم باحتضان العناصر الصنهاجية الغاضبة من المد الشيعي، كما أن العناصر الزناتية الرافضة للحكم العبيدي تقاطرت أفواجا ومجموعات على المغرب (الأقصى) فرارا من الملاحقة بإفريقية والمغرب الأوسط. وكان من أنصار العبيديين، القائد مصالة بن حبوس المكناسي الزناتي الذي قاد جيشا سحق به مقاومة العناصر المعادية للعبيديين في المغرب الأوسط ثم اجتاح النكور سنة 305. وأخذت أوضاع الحكم الإدريسي تتدهور بظهور موسى بن أبي العافية الذي هو أيضا من قبيلة مكناسة. وصار يعمل على تصفية النفوذ الإدريسي مقدما ولاءه للعبيديين، فلما كانت سنة 316 تهيأت ظروف الانطلاقة الجديدة للسياسة الأموية، فقد صفيت ثورة المولدين ومن ورائها التأثير العبيدي داخل الأندلس، وأخذ أمير أرشقول إدريس بن إبراهيم السليماني يعلن استعداده للتعاون مع الأمويين. وهكذا هيأ العبيديون بسياستهم لإعلان الخلافة الأموية ابتداء من عبد الرحمن الناصر سنة 316 بالذات، وفي السنة التالية بدأت وفود الخليفة الأموي تتوارد على زعماء المغرب وأمرائه الأدرسة تستميلهم وتغريهم بمبايعة هذا الخليفة، وفعلا تلقى القصر الأموي أجوبة إيجابية خلال الشهور اللاحقة. وكانت سنة 319 مليئة بالأحداث، وأبرزها :

1 - تسليم سبتة إلى الأمويين، وكانت إدارتها لأسرة بني عصام من قبيلة مجسكة. وهي أسرة حكمت سبتة باسم الأمراء الأدارسة الذين لم يوافق عدد منهم على هذا التسليم الذي تم طواعية من بني عصام. وبضم سبتة إلى الحكم الأموي أصبح الأمويون يراقبون المضيق شمالا وجنوبا.

2 - تحول مكناسة بزعامة موسى بن أبي العافية عن ولائها للعبيديين لصالح الأمويين. وكانت مواطنها تمتد على طول حوض ملوية، وحتى سجلماسة جنوبا، كما انتشرت بمنطقة تازا وتسول. ومن تم كانت تراقب طرق المثلث التجاري : تلمسان - فاس - سجلماسة. وهو المثلث الذي عرف صراعات حاسمة بين المجموعات الزناتية، بقدر ما ضمن التحكم فيه للأنظمة الوطنية اللاحقة حماية فعلية للتراب المغربي شرقا وجنوبا، وعمد موسى في محاولة لتصفية الأدارسة، إلى ملاحقتهم واحتجاز عدد كبير منهم بحجر النسر. غير أن قواته كان عليها أن تواجه زحف أنصار العبيديين بزعامة حميد بن يصليتن قائد تاهرت، حيث تكبدت جيوش موسى خسائر كبيرة سنة 312، كما أرسل العبيديون قوات جديدة سنة 322 بقيادة ميسور الذي انضم إليه الأدارسة عندئذ، وهزم مرة أخرى قوات موسى الذي لم يستطع أن يضبط الأمور لصالح الأمويين، وتوفي سنة 326 حسب مراسلة من نجله مدين إلى الناصر الأندلسي. وحيث إن العبيديين انشغلوا أثناء ذلك بثورة أبي يزيد فقد استغل الأمويون الفرصة لوضع يدهم على عدة مناطق، وامتدت بيعتهم إلى تاهرت ولم يبق للأدارسة سوى البصرة بدلا من قلعة حجر النسر، مما أدى بأميرهم أحمد أبي العيش إلى التخلي عن مهامه والمساهمة في الجهاد بالأندلس حتي وفاته شهيدا سنة 343. ثم اتهم الأدارسة بعده بمحاولة التوسع عن طريق بناء تطوان، وهزمهم جيوش الأمويين سنة 339 قرب وادي لاو بزعامة قائد مكناسي، وفي الواقع لم يبق لمكناسة بعد هذا التاريخ دور مرموق على الصعيد المغربي لأن صراعها مع مغراوة، بالإضافة إلى الضربات المتلاحقة من جيوش العبيديين أدى إلى تضاؤل قوتها، وكانت فترة الأربعينات حتى 347 مرحلة مواجهات بين أنصار الأمويين و العبيديين. وفي هذه السنة برز دور زعيم قبيلة يفرن يعلى بن محمد الذي بايع للأمويين، وكان قبل ذلك قائداً عسكريا للشيعة، وعاملا لإيفكان بالمغرب الأوسط. ولما بدأ الناصر يخاطب زعماء المغربين الأوسط والأقصى بشأن بيعته، كان يعلى من أوائل المستجيبين.

وبنو يفرن كانوا يظعنون بضواحي تلمسان حتي تاهرت، فضلا عن وجودهم القوي بإفريقية أيضا، وتعاون يعلى مع زعيم مغراوة، الخير بن خزر، الذي كان متشبثا بالدعوة الأموية، على طرد الشيعة من المغرب الأوسط، خلال الثلاثينات من القرن الرابع (10م). وعاد بنو يفرن بعد ذلك تحت القهر العبيدي إلى موالاة حكام إفريقية، فلما كانت سنة 347 هـ جددوا ولاءهم للأمويين، وزحفت جيوش الشيعة عندئذ بقيادة جوهر الصقلي إلى المناطق المعادية للشيعة وأثخنت قتلا في بني يفرن، ولقي زعيمهم يعلى مصرعه، بينما التحق عدد كبير منهم بالمغرب. وأخضع جوهر المغرب كله للعبيديين، ما عدا سبتة وطنجة اللتين حرص الناصر على حمايتهما كجبهة خلفية لحماية الأندلس، وعاد جوهر الصقلي بعد ثلاث سنوات من انطلاق حملته إلى القيروان بصحبة العامل السابق للأمويين على فاس، وأمير سجيلماسة المدراري، وشخصيات مغربية أخرى وضعت في الأقفاص قبل إيداع الجميع بسجون إفريقية، ولم يكد جوهر يعود إلى إفريقية حتى عاد الأمير الإدريسي الحسن بن كنون إلى ولائه للناصر الأموي ثم للحكم بعده.

وعندما تولى الحكم المستنصر الأموي دشن عهده بدعوة زعماء المغربين الأوسط والأقصى إلى بيعته، غير أن فترة طويلة من الصراع بين صنهاجة المغرب الأوسط الموالية للشيعة، والقسم الأكبر من سائر زناتة، استمرت باسم الهُويّه السياسية العقيدية، ولكنها في العمق فترة صراع مستوطنين ورحل، على الأرض التي تتحكم فيها طائفة على حساب الأخر. وتلقت مغراوة ضربات عنيفة من صنهاجة، حتى إن عار الهزيمة أدى إلى انتحار الزعيم المغراوي الكبير محمد بن الخير الوفي للأمويين. وما لبثت مغراوة أن كبدت الصنهاجيين هزيمة مروعة سنة 360 وصرعت أميرهم زيري بن مناد، ولم يستطع نجله بلكين أن يمحو الدعوة الأموية كليا من المغرب، بينما تراجعت مغراوة وبنويفرن إلى حوض ملوية أمام الزحف الشيعي الصنهاجي الذي لم يُستأنف إلا خلال عام 361، وتوقف عند سجلماسة هذه المرة، ليعود سنة 979/369م بقيادة بلكين بن زيري الذي زحف إلى فاس وطرد منها والي بني أمية وعين عاملا من مكناسة، علما بأن هذه القبيلة تقلص دورها كما سلف. وحملة بلكين هاته استمرت حتى 984/373م غزا خلالها برغواطة وأخضع سجلماسة وهلك في رجوعه عبر المغرب الأوسط. وتم تحطيم آخر حملة شيعية عند مشارف فاس سنة 374. وأثناء ذلك تولى زيري بن عطية إمارة مغراوة منذ سنة 368 هـ وحارب الحسن بن گنون، إلى جانب القائد العامري الذي وجهه المنصور بن أبي عامر لإعادة إقرار السلطة الأموية بالمغرب. وابتداء من 376 تولى زيري أمور المغرب الأقصى، وما لبث المغرب الأوسط أن تراجع عن دعوته للعبيديين بفضل الجيوش الزناتية التي قادها زيري بن عطية، وهكذا أصبح زيري يتولى أمور منطقة تمتد من السوس الأقصى إلى الزاب كما قال مؤلف *القرطاس*.

وعندما توجه زيري إلى قرطبة سنة 382 دشن بنو يفرن عهدا طويلا من الصراع على فاس مع المغراويين. لكن زيري تمكن من سحق هجوم بني يفرن عند رجوعه، ثم شاد وجدة لتكون عاصمة تتوسط منطقة حكمه، بدل تلمسان التي أشار عليه المنصور باتخاذها والتي هي ذات أصل يفرني عريق. وابتداء من 386 تتوتر العلاقات بين زيري والمنصور، بالنظر لانتقاد زيري مسألة حجْر المنصور على هشام المؤيد، واستبداده بالحكم، ومن تم ألغى اسم المنصور من خطبة الجمعة. وبدأت مواجهات مسلحة عنيفة بين الفريقين، وبعد هزائم تلقاها زيري، اتجه إلى المغرب الأوسط ومد فتوحه بعيدا ثم حاصر أشير حتى سنة 391 حيث هلك متأثرا بجراحه من طعنات غلام زنجي له، يحتمل أن يكون قد تآمر لذلك مع المظفر بن المنصور.

واستطاع المعز بن زيري بعد وفاة والده أن يعمل على تحسين علاقات المغرب بحكام الأندلس، حتى إن المظفر بن المنصور عينه واليا على المغرب ما عدا سجلماسة التي حكمها بنو خزرون لكن الصراع على السلطة مع بني يفرن استمر حتى الزحف المرابطي، كما انتهت وصاية العامريين الحاكمين باسم الأمويين على المغرب بالفتنة التي أطاحت بهم في الأندلس خلال سنة 1008/399 وما بعدها.

ولاة الأمويين والعامريين :

| | |
|---|---|
| 320 - 323 هـ | موسى بن أبي العافية (ولاية عامة) |
| 347 - 349 | يعلى بن محمد اليفرني (ولاية عامة) |
| 363 - 369 | محمد بن علي بن قشوش وعبد الكريم بن ثعلبة (بفاس) |
| 373 - 375 | عمر بن عبدالله بن أبي عامرثم الوزير حسن بن عبدالودود السلمي (ولاية عامة). |
| 375 - 376 | عسكلاجة وأبو بياش المغراوي(بفاس) |
| 377 - 387 | زيري بن عطية المغروي (ولاية عامة) |
| 387 | (ستة أشهر) المظفر نجل المنصور بن أبي عامر (ولاية عامة) |
| 387 - 389 | عيسى بن سعد رئيس الشرطة بالأندلس (ولاية عامة) |
| 389 - 393 | واضح الفتى (ولاية عامة) |
| 393 - 399 | المعز بن زيري، مع استمراره في حكم المغرب بعد القضاء على العامريين (الأمويين) في هذه السنة 399. |

عن أموي المشرق : ع. ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية والأندلس* ؛ م. أبو العرب، *طبقات علماء إفريقية* ؛ أ. ابن القوطية، *تاريخ افتتاح الأندلس* ؛ م.الحميدي، *جذوة المقتبس*، تر: رقم 793 ؛ أ. البكري، *المسالك والممالك*، ص 74-117، 160-162؛ ع. ابن الأثير، *الكامل*، 3 : 230-308، 4 : 112 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج.1؛ ع.ابن خلدون، *العبر*، 4 :405، 6 :217-240 ؛ ابن أبي دينار، *المؤنس في أخبار إفريقية وتونس*.

عن أموي الأندلس : ح. ابن حيان، *المقتبس* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن الخطيب، *أعمال الاعلام* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 4 : 95-99، 6 و7 : 58-73 ؛ مديرية الوثائق الملكية، *مجموعة الوثائق*، 1 : 123-157.

Gautier, *Le Passé de l'Afrique du Nord*, Paris, 1931 ; Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord* ; George Marçais, *La Berbérie Musulmane et l'Orient au Moyen Age*, Paris, 1946 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, t. .I, Paris 1949 ; H. R. Idriss, *La Berbérie Orientale sous les Zirides*, pp. 12, 27, 30, 36, 38, Paris, 1962.

إبراهيم حركات

**أمير**، لفظ عربي - إسلامي في المقام الأول (ابن دريد، *الجمهرة*، 3 :437)، ففي حين لا نجد له أثرا في القرآن اللهم اذا استثنينا عبارة «أولي الأمر» ( *سورة النساء*، 59-83) نصادف العديد من الأحاديث النبوية التي تستعمل فعل «أمّر» ومشتقاته كالحديث : «إذا خرج ثلاثة في سفر فليأمّروا أحدهم» (ابن تيمية، *السياسة الشرعية*، 1969، 4 :161) وذلك بمعنى تفويض الأمر لرئيس أو قائد. كما نصادف، ولأول مرة في تاريخ الدولة الإسلامية الناشئة لفظ «أمير» بمعنى الحاكم الأعلى لهذه الدولة في القول المأثور عن أبي بكر في سقيفة بني ساعدة مجيبا به على شعار

الأنصار «منا أمير ومنكم أمير»، والذي مضمونه « بل منا الأمير ومنكم الوزير» (الطبري،1، 1840-1841 ؛ ابن سعد، 2، 126-129 ؛ ابن قتيبة ، *الإمامة*، 1 : 5-7).

والمجتمع المغربي البربري، قبل الفتح الإسلامي، لم يكن يعرف غير لقبي «أكَلِّيد» للدلالة على الملك الماسك بزمام اتحادية من القبائل، و«أمغار» للدلالة على شيخ قبيلة من القبائل (Julien, *Histoire*, I, 61 - 77 - 95 - 100) ولم تعرف المؤسسات السياسية البربرية لقب «أمير» إلا مع بداية دخول الجيوش العربية الإسلامية إلى أفريقيا الشمالية، والشروع في أنشاء دويلات وإمارات بربرية إسلامية، وكذا مسلسل التعريب الذي سيبلغ أوجه في القرن الرابع عشر الميلادي مع تأسيس الدولة المرينية (المنوني، *ورقات* 258).

فإبان الفتح الإسلامي للمغرب وبعده، نجد أن قواد الجيوش الإسلامية كانوا يلقبون بأمراء الجند أو الجيش، كما نلاحظ أن اللقب كان يلازمهم حتى بعد أن يستتب لهم الأمر، ويعينون من الخليفة عمالا أو ولاة للمصر المفتوح. فصارت هذه الظاهرة بعد ذلك سنة يلقب بمقتضاها الوالي أو العامل بالأمير حتى ولو لم يكن قد امتهن الجندية. وقد أجمع المؤرخون على أن الأمير كان يتوفر على نفس السلطة التي كان يتمتع بها الخليفة، فهو يمثل هذا الأخير في جميع الميادين التي تخص منطقته سواء على الصعيد الديني أو العسكري أو السياسي أو الإداري (الطبري،2 :75 ؛ المسعودي، مروج،5 : 308-312). ويمكن اختزال وظائفه فيما يلي : تعيين موظفي الجيش وقيادة الحملات العسكرية وإبرام المعاهدات وإمامة الصلاة باسم الخليفة وبناء المساجد والسهر على تطبيق الشرع والسهر على الأمن بتعيينه لصاحب الشرطة وبعض القضاة وكذا أصحاب البريد وتعيين بعض الأمراء والعمال بعد ترخيص من الخليفة وتدبير السياسة المالية والنقدية وتلقي البيعة من السكان لصالح الخليفة أو لصالح ولي العهد المعين (الطبري، 2 : 1140-1501-1504، ابن عبدالحكم، *فتوح* 17، الجهشياوي، 57، البلاذري، *فتوح*، 146).

فعلى هذا المنوال أنشأ بنو الأغلب «إمارة» في افريقيا الشمالية 184-296/800-909 بوصفهم ولاة للخلافة المشرقية على البلاد. وقد كان الأصل الذي تركزت عليه سلطتهم هو «عهدالخليفة» أو «عقد الإمارة» كما يسميه الماوردي، وليس الانتساب لقبيلة قريش أو بيعة الأمة (ابن عذاري، *البيان*، 1 :92) وقد صارت هذه التقنية القانونية مؤسسة تشكل أصل جميع الإمارات التي أنشأها المغاربة بعد اندثار دولة الأدارسة في الربع الأول من القرن العاشر الميلادي، وهيمنة كل من الخلافة الفاطمية والخلافة الأموية الأندلسية على حوض البحر المتوسط. فإمارات كل من بني أبي العافية 320-363/932-974 والمغراويين 377-462/987-1069 كانت تستند على قاعدة العهد من قبل الخليفة أو حاجبه (ابن أبي زرع، *القرطاس*، 1973، 83-102 ؛ الناصري، *الاستقصا* ،1 : 188-209-210-217) وتترتب عن هذه الوضعية الإماراتية ثلاث نتائج :

- طاعة السكان للأمير مرتبطة بطاعة وولاء هذا الأخير للخليفة الذي عهد له بالإمارة.
- إقامة الصلاة باسم الخليفة على جميع منابر المغرب كما تضرب السكة باسمه.
- تطبيق المذهب العَقَدي الذي تدين به الخلافة في جميع الإقليم الإمارتي.

من هذا الواقع التاريخي، استنبط الماوردي أحكامه السلطانية حول الإمارة، وجعلها إما عامة أو خاصة. فإمارة بني الأغلب إمارة عامة لأن الخليفة يفوض للأمير «ولاية على جميع أهله ونظرا في المعهود من سائر أعماله». وتكون إمارة بني زيري بن عطية المغراوي إمارة خاصة بمعنى أن القضاء وبعض الأمور الأخرى تبقى من اختصاص الخليفة الذي يعين بنفسه موظفين من العاصمة لهذا الغرض. كما تكون هذه الإمارة إما إمارة استكفاء، أي بتعيين مسبق من الخليفة كإمارة بني أبي العافية من قبل الفاطميين قبل إعلانهم عن ولائهم لأمويي الأندلس، وكالأغالبة من قبل بني أمية ؛ وإما إمارة استيلاء «بعقد عن اضطرار» أي أن الأمير يستولي بالقوة على بلاد يقلده الخليفة فيما بعد إمارتها ويفوض له تدبيرها وسياستها (الماوردي، *الأحكام*، 32-33) وهذا نفسه ما ينطبق على سلاطين المرابطين 462-541/1069-1146 وبني مرين 668-869/1269-1464 فيما بعد، ولكن مع ظهور ألقاب إماراتية جديدة.

فالحركة المرابطية كانت في بدايتها ذات زعامة ثنائية : زعيم ديني يلقب بالفقيه وهو صاحب الأمر والنهي، وزعيم زمني - حربي يلقب بالأمير. وكانت الإمارة محصورة عادة في قبائل لمتونة وكدالة. فمن الأسماء اللامعة يحيى بن عمر والأمير أبو بكر بن عمر والأمير يوسف بن تاشفين الذي لقب فيما بعد بـ" أمير المغرب" بوصفه والياً على البلاد من قبل أبي بكر بن عمر الذي عاد إلى بلاد السودان قصد الجهاد بعد مقتل الفقيه عبد الله بن ياسين 451/1060 (*الحلل الموشية*، 1979، 29 ؛ *الاستقصا* ، 2 :22).

غير أن يوسف بن تاشفين بعد انفراده بحكم المغرب، اتخذ لنفسه لقباً جديداً هو "أمير المسلمين". وقد كان ذلك في 14 محرم 466/1074 ( *الحلل الموشية*، 29) وكانت هذه المبادرة من طرفه عبارة عن إعلان لإنشاء «إمارة استيلاء» أبى إلا أن يجعل منها إمارة تفويض عامة بعد انتصاره في معركة الزلاقة سنة 479/1087. ويذكر ابن الأثير أن فقهاء الأندلس اشترطوا على يوسف مقابل طاعتهم إياه أن يعلن ولاءه للخليفة العباسي ويذكر اسمه في الصلاة. وقد وجد السلطان المغربي نفسه مجبرا على إيفاد بعثة رسمية إلى بغداد قصد الحصول الرسمي على لقب "أمير المسلمين". وقد رخص له فعلا بحمل هذا اللقب بعد استصدار فتوى من طرف علماء بغداد في الموضوع. ومن هذه الفتوى نستخلص المعايير القانونية التي بمقتضاها يمكن الحصول على هذا اللقب، وهي معايير تنطبق كلها على سلاطين المرابطين :

- أن يكون المرشح للقب منتميا لقبيلة لمتونة، ومن عشيرة "ورطنطاق" وهو جد يوسف الأعلى. - أن يكون خبيرا بفنون الحرب. - أن يأخذ برأي شيوخ القبائل. - أن يكون على مذهب مالك. - أن يأخذ برأي الفقهاء في كل ما يمس أمور الدين والدنيا (حسن إبراهيم حسن، *تاريخ*، 4 : 316).

فـ "أمير المسلمين" إذاً في مرتبة قانونية دون المكانة القانونية التي يتمتع بها "أمير المؤمنين" أي الخليفة. وبهذا تكون مؤسسة "إمارة المسلمين" إمارة تفويض تستمد قوة مشروعيتها من الخلافة، وذلك حفاظاً على وحدة الدولة الإسلامية. وتظهر لنا نظرية التفويض هذه من خلال حقوق الخطبة والسكة التي يحتفظ بها للخلافة، ففي مغرب يوسف بن تاشفين والمرابطين عموما كانت الصلاة تقام باسم الخليفة العباسي، وكذا الشأن بالنسبة لسك النقود، وذلك إلى جانب اسم السلطان المغربي ( *الحلل الموشية*، 87-88 ؛ *الاستقصا*، 2 :57-58-59 ).

فلقب "أمير المؤمنين" يخص الخليفة، أي الحاكم الأعلى للدولة الإسلامية، المنتمي لقبيلة قريش، والمكلف بإمامة المسلمين في صلواتهم. وبحماية حياة ومصالح المسلمين وغير المسلمين من أهل الذمة، وبتدبير شؤون الأمة. وهو من يحكم فعلا بلاد الحجاز والعراق والشام وكل البلاد التي هي أصل العرب ومركز الدولة الإسلامية (ابن خلدون، *المقدمة*، 180). وله على الأمة الطاعة والامتثال والنجدة طالما هي مطوقة ببيعته وطالما هو قائم بالواجبات التالية أحسن قيام : حفظ الدين على أحواله المستقرة - تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين.- حماية البيضة والذب عن الحريم. - إقامة الحدود.- تحصين الثغور. - جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة. - جباية الفيء والصدقات. - تقدير العطايا وما يستحق من بيت المال. - استكفاء الأمناء. - أن يباشر مشارفة الأمور بنفسه (الماوردي، 15-16).

وقد تمت مَأْسَسَة لقب "أمير المؤمنين" على عهد عمر بن الخطاب في خضم المد المؤسساتي الذي عرفته هذه الحقبة نتيجة للفتوحات الإسلامية وتوسع الدولة وتعقيد الحياة المدنية والعسكرية. فإنشاء مؤسسة "إمارة المؤمنين" يعني أن الخلافة قد وصلت إلى درجة من التجريد تجعلها منفصلة عن الأشخاص الذين يتقلدونها.

غير أنه يبدو أن العباسيين ابتداء من 750/132، والفاطميين ابتداء من 910/295، قد أدخلوا في تعريف هذه المؤسسة معياراً جديداً هو الانتماء للبيت النبوي، فبالنسبة للعباسيين يجب أن يكون الخليفة - أمير المومنين منحدراً من سلالة العباس بن عبد المطلب عم الرسول (ابن الأثير، *الكامل*، 4 :537) أما بالنسبة للفاطميين، فأمير المؤمنين لا يمكن أن يكون إلا من سلالة علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء (أحمد مختار العبادي، *في التاريخ العباسي والفاطمي*،1981، 239). كما تجدر الإشارة إلى أنه بعد سقوط الخلافة العباسية، باتت مسألة الحكم الفعلي للحجاز والعراق والشام شرطاً لا يعتد به في سرد شروط إمارة المؤمنين.

ولعل هذه الاعتبارات جميعها هي التي شجعت أسراً مغربية غير المرابطين والمرينيين على إنشاء خلافة "خاصة" بالغرب الإسلامي وبالتالي تلقيب سلاطينها بأمراء المؤمنين، وذلك عبر تأكيدها على انتمائها للبيت النبوي الشريف. هذه الأسر هي الموحدون 528-1133/668-1270، والسعديون 916-1511/1069-1659، ثم العلويون 1665/1075.

فعلى غرار تولية أبي بكر خلافة الرسول، تولى عبد المومن بن علي الكومي خلافة المهدي محمد بن تومرت، ولقبه الموحدون بأمير المؤمنين إضافة للقبين خلافيين آخرين هما : "الإمام" و"القائم بأمر الله" (الناصري، *الاستقصا*، 2 :109-110). وحتى تكون هذه الإمارة مطابقة للأحكام الفقهية، ألحق عبد المومن بالشجرة النبوية عبر جدته الشريفة "كنونة بنت إدريس الثاني" (*Documents* 137) بعد أن أعطي للمهدي بن تومرت نفس النسب الشريف مرة عبر إدريس الأول، ومرة عبر محمد بن الحسن السبط ابن علي وفاطمة الزهراء (*Documents* 31) وعلى نفس المنوال لقب جميع خلفاء الموحدين بأمراء المؤمنين، وما زال التاريخ يحفظ لنا حادثة يعقوب المنصور الموحدي 580-595/1185-1199 الذي رأى في مخاطبة صلاح الدين الأيوبي إياه بلقب "أمير المسلمين" سبباً كافيا يمنعه من مساعدته ببعض قطعه البحرية في حربه مع الصليبيين ! ( *الاستقصا*، 2 :182).

أما السعديون والعلويون فقد وفدوا على المغرب في القرن الثالث عشر الميلادي قادمين إليه من ينبع النخل بالحجاز، إذ ينتسبون إلى محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن سبط الرسول. فأنشأوا منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي خلافة بالمغرب. وكانوا لا يخاطبون في النصوص الرسيمة كالمراسلات المخزنية وعقود البيعة والمراسيم المخزنية إلا بالأشراف الحسنيين وأمراء المؤمنين.

فمحمد الشيخ السعدي هو الذي افتتح هذه السنَّة، وتلقب منذ بيعته سنة 951/1545 بالمهدي ثم بعد ذلك بأمير المؤمنين بعد أن تلقب أبوه محمد بن عبد الرحمن من قبله بـ "القائم بأمر الله". وقد دفعت هذه المبادرة سلطات إسطمبول للانتباه إليه، إذ أرسلت بعثة رسمية لتهنئته بتوليته ولتطلب منه إقامة الصلاة وضرب السكة باسم الخليفة العثماني. غير أن محمد الشيخ استخف بهذا العرض ورفضه لأنه كان يرى أنه أحق بالخطبة والسكة من آل عثمان ذوي الأصل المغولي. وقد كان هذا الموقف من بين الأسباب التي حدت بإسطمبول لتدبير مقتله سنة 1557/964 (الإفراني، *نزهة الحادي*، 1888،27-42).

نفس الظاهرة نلاحظها عند العلويين ابتداء من سنة 1665/1075. فالقلاقل السياسية التي عرفها المغرب في فترات لم تؤثر في شيء على استمرارية مؤسسة إمارة

المؤمنين بل ونص عقد الحماية في 30 مارس 1912 بطريقة غير مباشرة على عدم المساس بها كمؤسسة تراثية - دينية. ومن قوتها الحقوقية، أي احتكار المتقلد لها لكل إنتاج حقوقي، استمدت مصالح الإقامة الفرنسية قدرتها السياسية على تمرير مشاريعها الاستعمارية. فالمقيم العام "ليوطي" كان يرى أكثر من غيره قوة هذه المؤسسة، وكان يدرك تمام الإدراك بأن أمير المؤمنين، السلطان المغربي، هو إمام متوج، ظل الله في الأرض، وزعيم روحي وسياسي لجميع المسلمين في المغرب العربي وغيره حتى " تنبكت"، في حين أن الباي التونسي وخديوي مصر ومن في حكمهم ليسوا غير موظفين أتراك، ولا يعدو شريف مكة أن يكون غير خادم للحرمين الشريفين (Lyautey, Lettre du 24 Octobre 1920) نفس هذه القوة استغلها سيدي محمد بن يوسف والحركة الوطنية في شل كل الإنتاجات القانونية للإقامة العامة، وبالتالي مقاومة الاستعمار الفرنسي.

وقد أبى المشرع المغربي بعد الاستقلال إلا أن يكرس دستوريا "إمارة المؤمنين" حيث نجد أن الفصل 19 من الدستور المغربي الحالي ينص على أن الملك المغربي "أمير المؤمنين" يربطه بالأمة عقد بيعة يجعل منه مصدراً لكل السلطات وبالتالي لكل المؤسسات السياسية، فهو الممثل الأعلى للأمة، ورمز وحدتها، وضامن استمرار الدولة، يسهر على احترام الإسلام والدستور. فهو ضامن حقوق وحريات المواطنين والجماعات والهيئات، ويضمن استقلال الأمة والوحدة الترابية للمملكة في حدودها الحقيقية.

فالأمة عندما صادقت على الدستور بالاستفتاء، خولت للعاهل المغربي مكانة سياسية خاصة وعليا. هذه المكانة تقتضي من الملك أن يكون صاحب سلطة مراقبة عامة على كل أجهزة الدولة بدون استثناء وفي جميع الميادين : الديني والسياسي والإداري، وهذه فكرة أكدها الماوردي من قرون خلت. فلا يعقل، والحالة هذه، أن يعطى لهذه الأجهزة كالقضاء مثلا حق مراقبة الأعمال الملكية في الوقت الذي نقر فيه بأن الملك هو المراقب الأعلى بوصفه أميراً للمؤمنين (باحنيني، *خطاب افتتاح السنة القضائية* 1970 -1971، 27 أكتوبر 1970).

واذا كان أمير المؤمنين في المغرب هو الملك، فـ "الأمير" دونما إضافة هو المنتمي لأعضاء الأسرة المالكة. ولا نجد في القانون المغربي الوضعي نصاً صريحاً يتعلق بالوضعية القانونية لحمل هذا اللقب، اللهم إذا استثنينا الفصل 168 من القانون الجنائي المغربي الذي يعطينا تعريفاً لأعضاء الأسرة المالكة بأنهم :«أصول الملك وفروعه وزوجاته وإخوته وأولادهم ذكوراً وإناثاً، وأخواته وأعمامه». انطلاقاً من هذا النص، يمكن أن نقول إن لقب "الأمير" يبدو مقتصراً على حبل النسب الذكوري في الدرجة الأولى والذي يكون على رأسه الملك. فبهذا المعنى يكون ابن أخ الملك أميراً، في حين لا يحصل ابن الأخت على هذا اللقب. كما يكون العم أميراً، في حين لا يكون ابن العم كذلك.

عبد اللطيف أكنوش

**إمطّر**، اسم قرية من بلد ركراكة، ومعنى الاسم : الناظُور أو المرصد أو مكان للمراقبة أو الحد بين مجالين، فيحتمل على هذا الأساس أن يكون المكان المذكور بهذا الاسم في *التشوف* واقعا بين ركراكة وموطن برغواطة على خط رباط شاكر، وغير بعيد عن البحيرة الملحة زيما، حيث توجد أنقاض رباطات، وفي دادس وتدغة وفركلة ثلاثة أماكن تحمل هذا الاسم.

التادلي، *التشوف*، ص 113.

E. Laoust, *Contribution*, p. 73 ; *Répertoire alphabétique*, p. 477.

أحمد التوفيق

**إمْلشيلْ**، أو إميلشيل، يعني، على ما يظهر، مكان وجود أو شراء الحبوب. إذا اعتبرنا أن كلمة " لشيل (= لكيل) هو شراء ما يحتاج إليه من الحبوب. وهو اسم قرية جبلية تقع في موطن المجموعة البشرية المعروفة باسم "أيت حديدو". وهؤلاء تقع أراضيهم في الأطلس الكبير الشرقي، وسط المسافة الفاصلة بين تينغير جنوبا وخنيفرة شمالا. ومن جبالهم تنبع أهم روافد واد زيز وغريس ودادس والعبيد، وبلادهم عبارة عن جبال كلكيرية أو كلسية ملتوية، وهي التي تعرف كذلك باسم هضبة البحيرات، وأشهر بحيراتها بحيرة إسلي (= العريس) وبحيرة تيسليت (= العروسة).

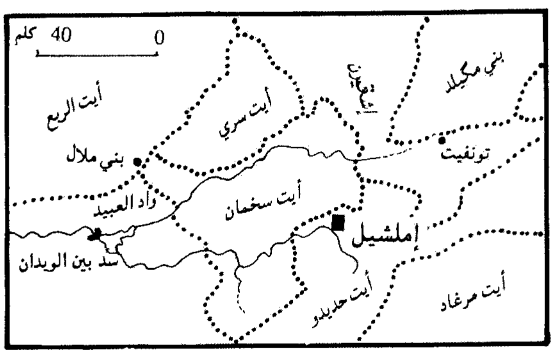


موقع إملشيل

ينتمي أيت حديدو إلى الكونفيدرالية أو الاتحادية المعروفة باسم أيت يَفْلْمَانْ، ويجاورهم من الجنوب والشرق أيت مرغاد وأيت إزْدگْ، ومن الغرب والشمال أيت سخمان وإشقيرن وأيت مگيلد.

أهم أنشطتهم الاقتصادية تربية المواشي والزراعة المسقية. وهذه الأخيرة تقتصر على بعض الأراضي الصالحة المتوفرة على جنبات الأنهر في بطون الأودية.

ويبدو أن منطقتهم كانت ملتقى صيفيا لكثير من "القبائل" الجبلية المجاورة، وسكان الواحات الجنوبية. يرتادون هذه الهضاب العليا بمواشيهم بحثا عن المراعي. وفي أوائل فصل الخريف ينعقد "موسم" تجمع كبير قرب إملشيل يتبادل فيه الناس بالبيع والشراء ما يحتاجون إليه من ضروريات العيش، وربما كانت الحبوب من أهم ما يتزود به الصحراويون بصفة خاصة.

وبهذا الموسم اشتهر إملشيل شهرة كبيرة، وخاصة في الوقت الحاضر، غير أن المبادلات التجارية والتنقلات الرعوية ليست هي السبب الأول في اشتهاره داخل الوطن وخارجه، بل هو احتفاظ أيت حديدو - من بين ما احتفظوا به من عادات وتقاليد متوغلة في القدم - بتقليد مجتمعي متميز هو اللقاء للخطبة قصد الزواج بين فتيان القبائل وفتياتها.

" أگدودن - إيسلان" أو "أيدودن - إيسلان" هو الاسم الأمازيغي لهذا الموسم، أي ملتقى الخطيبات أو العرائس. وينعقد في آخر الصيف من كل سنة. بالقرب من ضريح سيدي أحمد أولمغني الواقع بتراب أيت أمْز على ضفة أسيف ملولن أو النهر الأبيض. وفيه يتعارف الراغبون في الزواج من الجنسين. وإذا تم الاتفاق والتراضي يتواعدون وتتم المراسيم المعروفة، من عقد وعرس ...في شهر أكتوبر.

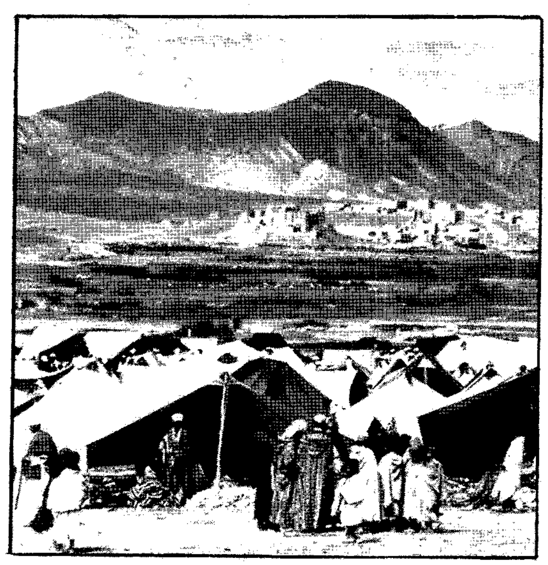

إن أهم ما يميز هذه الظاهرة، هو أنها تناسب إلى حد كبير نمط عيش مجتمع تتحكم في حياته الدورة السنوية الطبيعية أكثر من غيره، وتتكامل فيها على هذا المستوى حياة سكان منطقتين مختلفتين من حيث التضاريس والمناخ، لكنهما متشابهتان من حيث تأثيرهما على السكان : منطقة صحراوية أو شبه صحراوية، بمناخها المعروف وأنماط عيش سكانها... ومنطقة جبلية باردة شتاء، منعزلة وسط كتل عريضة من الأراضي المرتفعة، يلفها السكون طيلة فصل البرد الجبلي القاسي. فهي بالتالي مناسبة مثلى وضرورية يتزود فيها الإنسان في جو احتفالي متفتح بما يساعده على تجاوز فترة الركود والقلة في انتظار معانقة الربيع والصيف حين ينجلي الصقيع من جديد عن بحيرتي إسلي وتيسليت.

E. Laoust, *Cours de berbere marocain : dialecte du Maroc Central*, pp. 122, 302 ; F. Corjon, *Le Mariage collectif dans les tribus berbères du Maroc Central, B. E. P.M.* N° 119, Mars 1932, 19e année, pp. 116 sqq ; Mâati Ben Bakkal, *Le Mariage chez Aït Hadiddou, Académie des Sciences Coloniales*, Séance du 21 Juin 1946, pp. 275 - 298 ; G. H. Bousquet, Le *droit coutumier des Aït Hadiddou des Assif Mellol et Isselaten : Confédération des Aït Yafelmane, A.I.E.D*, t. XIV, 1956, pp.11.

علي صدقي أزايكو

**أُميمون**، علي أموسى، ولد سنة 1932 بدوار أيت موسى، شارك في معركة تيزي واندري بعد التحاقه بصفوف جيش التحرير. وقد أصيب أثناء هذه المعركة بجروح وتم اعتقاله من طرف القوات الفرنسية التي أعدمته بتاريخ 22 / 10 / 1955.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.*

عز الدين العلام

ابن **الأمين**، أسرة تطوانية شريفة أصلها من قبيلة بني عروس الجبلية، ومنها انتقلت إلى مدينة شفشاون، ثم استوطن بعض أفرادها مدينة تطوان، حيث اشتهروا بالعلم والاعتناء بفن الموسيقى الأندلسية. وما زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 20 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 :331 ؛ *تاريخ تطوان*، 8 :354 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias Ilustres*. Isidro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum de Intervenciones*, año 1931 (R); M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**الأمين** (مولاي...... ) ابن السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام العلوي، عاصر الأحداث التي عرفها المغرب، خلال عهود أربعة سلاطين. هم أخوه السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان 1859-1873، وابن أخيه السلطان مولاي الحسن 1873-1894، ثم السلطان مولاي عبد العزيز 1894-1908، والسلطان مولاي عبد الحفيظ 1908-1912.

لا نعرف بالضبط تاريخ ولادة مولاي الأمين، لكننا نعلم أنه كان آخر من توفي من أبناء مولاي عبد الرحمان. وإذا

كنا لا نعرف كذلك، تكوين الرجل، فإننا نستطيع أن نثبت بأنه كان أحد الشخصيات البارزة في المخزن، ومن كبار القواد المخزنيين طيلة عهدي مولاي الحسن ومولاي عبدالعزيز.

ففي عهد مولاي عبد العزيز، اشتهر مولاي الأمين، كقائد عسكري كبير خلال انتفاضة الرحامنة سنة 1313 هـ حيث تولى قيادة قبائل الغرب. أما خلال حركة الأعشاش 1897-1898 فتولى قيادة قبائل الحوز. وبرز مولاي الأمين خاصة، خلال انتفاضة الشاوية في بداية القرن العشرين ، فقد عينه مولاي عبد العزيز قائداً لمحلة من الجيش وجهت للناحية للعمل على تهدئة الوضع. ويبدو أن ترشيح مولاي الأمين، لمهمة إعادة السكينة والأمن للشاوية، جاء من كون أمه (الغالية) أصلها من الشاوية. بيْد أن الرجل، لم يستطع النجاح في مهمته، في تلك الفترة المضطربة، التي كان المخزن يعرف خلالها أزمة مالية خانقة.

وهكذا اضطر مولاي الأمين، بعد ازدياد التوتر بالشاوية إلى الالتجاء بمحلته إلى الدارالبيضاء، حيث خيم بالسور الجديد إلى الجنوب الغربي من المدينة.

وقد اتصل زعماء الانتفاضة بالشاوية بمولاي الأمين في يوم 28 يوليوز 1907، وطلبوا منه بصفته ممثلا للمخزن وقائدا للجيش بالشاوية، أن يعمل هو وعامل الدارالبيضاء أبو بكر بن بوزيد ، على إيقاف أشغال الشركة الفرنسية La Compagnie Marocaine، بمرسى المدينة، ويخرجا المراقب المالي الفرنسي من الجمارك. ومعلوم أن هذه المطالب قدمت، في إطار مقاومة الشاوية لمظاهر التدخل الاستعماري الفرنسي، وجاءت بعد حادث احتلال مدينة وجدة.

لم يتمكن مولاي الأمين من إقناع زعماء الانتفاضة ولم يحسن التصرف، وتطورت الأمور بالدار البيضاء إلى وقوع حادث 30 يوليوز 1907، الذي قتل فيه تسعة عمال أجانب. فاتخذت الأوساط الاستعمارية الحادث ذريعة لقنبلة الدار البيضاء واحتلالها.

وخلال القنبلة (5-7 غشت) حاول مولاي الأمين إنقاذ ما يمكن إنقاذه، لكن قنبلة السور الجديد الذي يأوي محلة مولاي الأمين أثر في الرجل مما جعله، يساير رغبات المحتلين للمحافظة على صورة المخزن بالمدينة.

ومنذ 1907 أصبح مولاي الأمين خليفة للسلطان بالمنطقة، وممثلا للمخزن العزيزي في علاقته مع المحتلين للدارالبيضاء والشاوية. كما عينه السلطان رئيساً للجنة الدولية لتعويضات الدارالبيضاء.

ولما بويع السلطان مولاي عبد الحفيظ (غشت 1907) عزل مولاي الأمين من مهامه، وعوضه بمحمد الأمراني سنة 1908.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 :388-429.

علال الخديمي

**إميني**، قرية نشأت حول منجم معدني جنوب الأطلس الكبير غرب ورزازات. كان ينتج في عهد الحماية نسبة مهمة من المنغنيز ( 52٪ من الإنتاج عام 1953)= 172.000 طن من المنغنيز المعدني، و50.000 طن من المنغنيز الكيماوي. كانت تستغله الشركة الشريفة المغفلة الاسم للدراسات المعدنية. وهذه الشركة مراقبة من طرف شركة مقطع الحديد التي تجمع بنك الإتحاد الباريسي - ميرابو ونيرفو وبونتامسون - ، وكان فيها لشركة المنغنيز إسهام مهم.

ص. بن العربي، كتاب *المغرب*، 70.

A. Ayache, *Le Maroc*, 172.

أحمد التوفيق

**أناتيس** Anatis يعتمد بْلين Pline في مؤلفه *التاريخ الطبيعي*، (الكتاب 5 . الفقرة 9) علي التقرير الذي جاء به بوليب Polybe حول رحلته الاستكشافية للشواطئ الإفريقية : يتحدث عن أدغال تشغلها حيوانات ضارية ويوجد بالقرب منها نهر أناتيس، ويجعله بلين على بعد 205 ميل من ليكسوس و 496 ميل من الأطلس.

ويذكر بطليموس Ptolemee بدوره شعبا يعرف تحت اسم أَنَاتِيخُولُويْ Anatixoloi (كتاب *الجغرافيا* ، 4 :6، 6) وسموا كذلك لأنهم يقيمون بجوار أناتيس بليبيا الداخلية. وتمت مطابقتهم بالفاروزيين Pharusii من طرف بعض الباحثين، بينما اعتبرهم آخرون مجاورين لهم.

على كل، فقد تم توطين الفاروزيين الى الشرق من السولوونتيو Soloentioi. وإذا اعتمدنا على ما جاء عند مؤلف مجهول ذكره سطرابون Strabon فإن الفاروزيين يوجدون على بعد ثلاثين يوما سيراً من لينكس Lynx (ليكسوس) وتعادل حوالي 900 كلم، وهي على نفس الخط الذي توجد عليه الشطوط وسرته Cirta الشيء الذي دفع بعض الباحثين إلى اعتبارهم شعبا يقطن جنوب الأطلس بين درعة وغير.

إن توطين الفاروزيين على ضفاف الأناتيس كما جاء به بطليموس وكذلك معرفتنا حول موطن هذه القبيلة يجعلنا

نشاطر دوزانج Desanges رأيه القاضي بتحديد واد أناتيس بجنوب المستعمرة الرومانية ونقصد بها موريطانيا الطنجية.

ويذكر صولان Solin في بُوليهسطُور Polyhistor (24 : 12. 14) واد يي الأناتيس والأسانا Asana، هذا الوادي الأخير يذكره أيضا بلين (5 :13) الذي استقى معلوماته عنه من الأهالي، يجعله على بعد 150 ميلا من سلا، ويميزه بمياهه المالحة Saumâtres وكذلك بوجود ميناء على ضفته.

ويجعل بطليموس هذا الوادي على خط 32 7 ولكن معطيات صولان تدفعنا إلى الاعتقاد بوجود نهرين متباينين، وهذا الأمر جرَّ أيضا إلى تباين آراء معظم الباحثين المعاصرين. فهناك من يعتقد بأن أناتيس هو أم الربيع، ومن بينهم رامان J. Ramin الذي يضيف بأنه يحتمل أن يكون أسانا المذكور عند بطليموس هو أناتيس المذكور عند بلين اعتمادا على بولي، ولكن بّديش Pedech يعتبر أناتيس هو وادي تانسيفت الذي يصب في المحيط الأطلسي بين مدينتي أسفي وموگادو، ويطابق أسانا بأم الربيع، مستنداً في ذلك على صولان السابق الذكر، ويرى أن مسافة 496 ميلا التي يعطيها بلين كمسافة فاصلة بين أناتيس والاطلس تعادل 750 كلم ونجدها بالفعل بين الأطلس المتوسط ناحية خاس وصفرو حتى حدود موگادور مرورا بخنيفرة وقصبة تادلا ومراكش.

أما دوزانج Desanges في تعليقه على الكتاب الخامس لبلين وأيضا في الفهرست يطابق الأسانا بأم الربيع. النهر الذي يطلق عليه بلين - كما كررنا قوله - اسم أناتيس، وهي صيغة هلينية يربطها بعض الباحثين بتسمية واد باسبانيا هو Guadiana Anas.

ولكن يجمع جل الباحثين ونذكر منهم : Vivien de St Martin، وتيسو Tissot وBesnier وRoget Raymond على القول بأن الأناتيس الذي يشير إليه بلين هو الأسانا المذكور عند بطليموس، ويوافق النهران بالنسبة لهم أم الربيع. واستند هؤلاء الباحثون على عمليات حسابية تعتمد على تقدير المسافة الواردة عند المؤلفين القدامي عن طريق قياسها بحرا حيث حاولوا ضبط المسافة الفاصلة من جهة بين ليكسوس وأناتيس ومن جهة ثانية بين Sala (شالة) والأسانا، وانتهوا إلى القول بأن النهرين يوجدان في نفس النقطة التي سبق أن ذكرنا أنها توافق أم الربيع، المميز بمائه المالح والذي يوجد على بعد كيلومترين من مصبه في الضفة اليسرى ميناء، يعتقد جل الباحثين بأنه يطابق أزمور، وعليه فالأسانا والأناتيس من خلال أغلب الدراسات هو أم الربيع أما وادي تانسيفت فيعرف من خلال بلين (5 :13) تحت اسم فوت Fut، ومن خلال مصادر أخرى تحت تسميات أخرى. والأنيديس Anides الذي طابقه جزيل St. Gsell بالأناتيس والذي يشير إليه سكيلاكس الزائف Pseudo-Scylax قبل وادي اللكوس يجعله دوزانج Desanges مطابقا لوادي غريفة الموجود شمال موقع ليكسوس.

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc Maurétanie Tingitane, A. M*, t. I, 1904, pp. 301-365 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; Id, *Recherches sur l'activité des méditéraneens aux confins de l'Afrique*, Ecole Française de Rome, 1978 ; Id, art, *Anatis, E. B.* IV, p. 633 ; P. Pedech, *un texte discute de Pline : le voyage de Polybe en Afrique, Hit, Nat* V, 9-10, *(R.E.L)* 33, 1955, pp. 318-322 ; Pline, *Histoire Naturelle*, Livre V, 1-46, Texte traduit et commenté par J. Desanges, éd. CUF, Paris, 1980 ; Ptolemée, *Géographie in R. Roget, Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris . Belles-lettres, 1924 ; J. Ramin, *Le periple d'Hannon, Bar supplemen tary series* 3, 1976 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc* , P.S.A.M, 4, 1938, pp. 1-86 ; R. Thouvenot, *La connaissance de la montagne marocaine chez Pline l'Ancien , Hesp.* 26, 1936, pp. 113-121 ; Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Mémoires présentes à l'Académie des inscriptions et Belles-lettres, Paris, 1877 ; Vivien de St Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquite grecque et romaine : étude historique et géographiqure*, Paris, Imprimerie imperiale, 1863.

عبدالعزيز بالفايدة و البيضاوية بلكامل

## أَنَاتيكسولوي ← أناتيس

**أَنَــاسُـول**، جبل يقع بقبيلتي بني يدرٌ وبني عروس الجبليتين، وعلوه فوق سطح البحر 1059 مترا، وبه منبع نهر شقور، أحد روافد نهر مرتيل الذي تصب مياهه في البحر المتوسط، كما توجد به عين تعرف بعين الماء الحر يعتقد العامة أنه ماء الحياة.

لعب هذا الجبل دورا هاما في الدفاع عن حوزة الوطن حيث كان المجاهدون الذين يقاومون الغزو العسكري الإسباني بناحية جبالة من سنة 1913 إلى سنة 1925 يعتصمون به دون أن يتمكن العدو من القضاء عليهم إلا بعد حروب دامت اثنتي عشرة سنة.

Misisterio de la Guerra, *Accion de España en Africa*, 1930, 2 : 37 ; Domenech Lafuente, Angel, *Geografia de la zona del protectorado de España en Marruecos*, 1943, 30 ; Cabello Alcaraz (J) ; *Apuntes de geografia de Marruecos*, 1951, 70.

محمد بن عزوز حكيم

**أَنَـامْـر**، اسم سفح الجبل الذي في الظل، يقابله أسامر. ورد اسماً لأكثر من أربعين قرية في لائحة القبائل والمواضع التي وضعتها إدارة الحماية.

*Répertoire*, 288.

أحمد التوفيق

**أُنُـايْـنْ**، - جغرافيــا - حوض يقع على مقربة من ممر تيزي - ن - تَاسْتْ على بعد 95 كلم من مراكش و65 كلم من تارودانت، من أهم الأحواض البيجبلية على الواجهة الجنوبية للأطلس الكبير. وقد ازدادت أهميته مؤخرا بسبب المشروع الذي يعتزم اجتيازه بسكة حديدية تربط مراكش بالعيون، والذي ينص أيضا على إنشاء محطة قطار وتجهيزات إدارية بسوق أدوز. وينتشر هذا الحوض على مساحة 178.000 هكتار موزعة على ثلاث دوائر : أمزميز (أفرا) وتالوين (أيت خلف، أيت قدني، أدوز) وتافنگولت (جزء من تامطرگة وأيت الميمون).

تمثل هذه المنطقة عالية حوض المداد، أحد روافد نهر سوس، وتتميز بمعطيات طبيعية فريدة من نوعها، إذ ينغلق

الحوض على شكل شبه دائري بواسطة مجموعة من القمم المرتفعة : وجدان في الشمال الغربي (2843 م) وأدرار أفلاً-نْ-أوفرا في الشمال الشرقي(2833 م) وأورك في الجنوب (2950 م) إلا أن انخفاض خط الأعراف بفج ثلاث-نْ-أولاون (2200 م) يُمكِّن الحوض من الاتصال بوادي أكونديسي، أحد روافد النفيس، أما الوادي الرئيسي فيتجه صوب الجنوب مخترقا كتلة كريتاسية صغيرة، ويتكون الحوض من ثلاث وحدات مرفلوجية : وحدة شرقية متكتلة و مرتفعة (اورگ، أزگروز) خلفها بروز طفوحات بركانية ما قبل كمبرية وصخور صلبة أخرى، ثم وحدة وسطى ذات صخور رسوبية أولية (أدوز) ينفتح فيها المنخفض الأوسط، وأخيرا وحدة غربية (وجدان) مكونة من صخور متحولة أولية صلبة. وتحد هذه المناطق الثلاث مجموعة من الحوادث البنائية الهامشية التي تنتمي إلى الحادث البنائي الأطلسي الجنوبي الكبير.

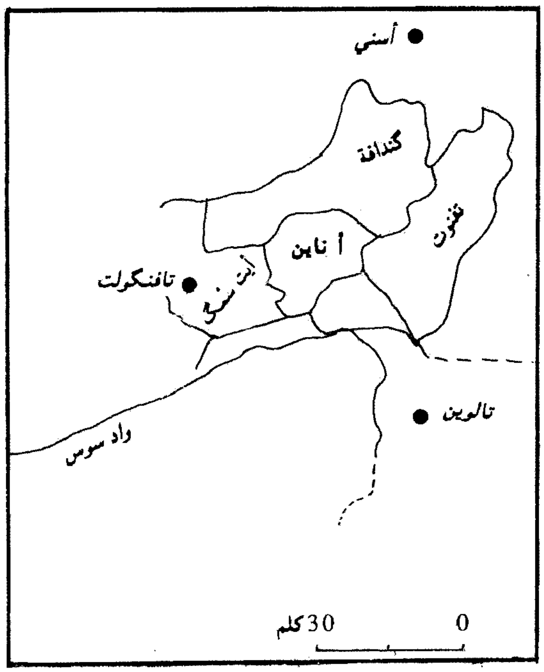


تبعا لهذا التنظيم المرفلوجي يصبح المناخ المتوسطي خاضعا لتأثيرات قاحلة وسط المنخفض وشبه رطبة على المرتفعات الهامشية، إذ يتلقى حوض إنّاون حسب المناطق ما بين 300 و800 ملم من الأمطار سنويا، مع تفاوتات سنوية جد كبيرة. وقد لحق هذا التدرج المناخي تدرج نباتي ملحوظ أيضا. حيث تنحدر الأشكال النباتية من الأعلى إلى الأسفل على النحو التالي : سهوب غير غابوية ذات جفافيات فوق ارتفاع 2400 م، ثم غابة السنديان المكونة من اللاذن أو القوسية، ثم تكوينات خفيفة من العرعر والحلفاء، وأخيرا في الأسفل سهوب شوكية جد مجتثة مع انتشار بعض بقايا الدوم والشيح والخزامي والزعتر.

في هذا الإطار الطبيعي تتوزع 870 أسرة (ما يعادل 5700 نسمة عام 1982) على 52 قرية وتعيش تحت نظام إنتاج فلاحي يتميز بالقدرة القصوى على التأقلم مع المعطيات البيئية القاسية، وبتنويع الموارد الهزيلة وجمود بنيات الاستغلال، يستفيد الفلاحون في تكامل الرساتيق من تنوع المحاطات القروية ويزاولون تربية الماشية والزراعة السنوية البورية أو المسقية 1100 هكتار والزراعة الشجرية (الجوز واللوز والزيتون).

ما زالت تربية الماشية الملائمة للمعطيات المحلية ترتكز على قطعان مركبة وضعيفة المردود (خيليات وأبقار وماعز وأغنام) وعلى توفير الجزء الأكبر من غذائها في المراعي المحلية. لقد بلغت عام 1983 نسبة الحيازات الممارسة لتربية الأغنام 50٪ من مجموع 760 حيازة مقابل 70٪ و95٪ بالنسبة للماعز والأبقار على التوالي. ويبلغ معدل قطيع كل حيازة مزاولة لتربية الماشية 3 أبقار و23 رأس غنم و100 رأس ماعز. أما الدورات الزراعية فتختلف حسب نوعية الزراعات يكون التناوب في المجالات البورية بين الشعير أو القمح والبوار الذي يحتل غالبا نصف مساحة الأراضي الصالحة للزراعة ،وتكون الدورة مزدوجة في المساحات المسقية : دورة شتوية (شعير وفصة وبقليات) وتناوب ربيعي (ذرة وفصة) وتشمل كل حيازة في المعدل هكتارا واحدا مسقيا مفتتا إلى 30-40 قطعة، وهكتارين بوريين موزعين على 4 أو 5 حقول.

هكذا تأتي المداخيل الفلاحية هزيلة بمقدار هزال الأسس الفلاحية نفسها، حيث يصبح متوسط المردود الصافي لكل حيازة، بعد سحب القسط المخصص للاستهلاك الذاتي، يصبح جد هزيل (من 3800 إلى 4900 درهم). لا سيما وأن التفاصيل حسب كل نشاط تبرز أن 35٪ فقط من الأرباح تعود للفلاحة (الزراعة الشجرية وتربية الماشية على الخصوص) و 65٪ منها تعود للمداخيل الخارجية (أساسا الأرباح عن الأعمال خارج الحيازة وتحويلات العمال بالخارج). فلا غرابة إذن من أن تصبح حصيلة الهجرة سلبية عام 1983، (0,8٪) نتيجة انسياب اليد العاملة نحو الدارالبيضاء، ومراكش، والرباط، وأگادير، وفرنسا. وبالتالي يظل التزايد الديمغرافي الإجمالي السنوي ضعيفا (1,3٪).

كريستيان كريبو/ تر. مصطفى عياد

**أُنَايْن** ـ تاريخ ـ بلد يقع على السفح الجنوبي لجبل درن (الأطلس الكبير). تحده من الشرق بلاد تيفنوت، ومن الغرب بلاد آيت سْمگ، ومن الشمال حوض وادي نفيس، ومن الجنوب بلد آيت سمْگَ وإيوزْيوْن. تخترقه سيول كثيرة، تتجمع في نهاية الأمر لتكون نهر أُنايْن (أسيفْ ـ نْ ـ لمْداد). سكانه من مصامدة جبل درن وسوس، يتكلمون الأمازيغية. ويتصلون بالمجموعات الأخرى المجاورة عن طريق ممرات جبلية قديمة ومعروفة (مثل تيزي ـ ن ـ ويشْدِّن، وتيزي ـ نْ ـ وفْرَا وتيزي ـ ن ـ تامْتْرگا، وغيرها). تخترقه اليوم طريق للسيارات تصله بوادي نفيس وسهل سوس.

إذا كان لاووست E. Laoust قد لاحظ وجود نوع من التقارب اللفظي بين كلمة أنَايِن ولفظ أنَا (= جمع أنُو = بئر)، فإنه تلافي تأكيد وجود أصل مشترك للكلمتين. ونعتقد أنه على حق حينما فعل. أما إشارته بالمناسبة إلى حصن هُنَيْن، فتُعتبر في نظرنا أكثر إفادة. اذ يلاحظ ان التقارب اللفظي بين هُنين وأنايِن يكاد يكون كاملا. وسنرى الآن أنّ معناهما ربما كان كذلك واحدا. (Contribution, 145).

إننا نميل إلى الاعتقاد بأن كلمة أنايِن جمع غير قياسي للفظ أهَانَاي الذي يجمع على إهَنَايْن، ويعني من بين ما يعني: النظر والمنظرة بالمعنى الجميل فقط بالنسبة إلى الكلمتين الأخيرتين (Dictionnaire, 1358). والفعل المستعمل اليوم في اللغة المحلية هو أنَّايْ = انظر بحذف الهاء وتشديد حرف النون (Vocabulaire, 296) والذي يعرف بلاد أنايِن سيقتنع بسهولة بأنها بلاد جميلة بمناظرها، مكشوفة أمام الناظر إليها من المرتفعات المحيطة بها، ومشرفة بعلوها على سهل سوس الأفيح. واعتماداً على وصف البكري لحصن هُنين نجد تقاربا كبيرا في المميزات الطبيعية لكلا الموقعين (المغرب، 80). ويلاحظ بالنسبة إلى هُنين أنها احتفظت بالهاء المضمومة، في حين سقطت الهمزة التي لا بد أن تكون في الصيغة الأمازيغية. وذلك لأننا نعتقد أن النطق الأصلي هو أهُنَايِن (= أنايِن ؟).

إن أقدم اشارة تاريخية وصلت إلينا عن أُنايِن، ترجع إلى بداية تأسيس الدولة الموحدية، حيث ذكر أبو بكر البيذق، أن أهل أُنايِن كانوا في التنظيم الموحدي يعدون من القبائل، وأن بلادهم فتحها المهدي ابن تومرت عام 25/518- 1124، أي في نفس السنة التي فتح فيها وادي نفيس، حيث بنى مدينة تينملّ.

يبدو أن أهل أُنايِن لم يقبلوا بسهولة الخضوع لسلطة ابن تومرت، فانعكس ذلك بشكل سلبي على رتبتهم كمجموع في التمييز الموحدي. ومما يؤكد ذلك أن المهدي ابن تومرت أعطى كاتبه المقيم بتينمل، ملّول بن إبراهيم بن يحيى الصنهاجي، أسهما في أنايِن (أخبار المهدي، 39-43-132). وقد يفهم من ذلك أن تلك الأسهم لم تتوفر إلا بعد أن أُخذت قهرا من أصحابها. إذ ليس من المستبعد أن يكون أهل أُنايِن عرفوا نفس المصير الذي عرفه إزميرَن أو هزميرة الجبل. سكان وادي نفيس، حين قتل أغلَبهم وتقاسم الموحدون ممتلكاتهم بأمر من ابن تومرت (نظم، 94).

يبدو من خلال كتاب رحلة الوافد (30 .67) أن أهل أُنايِن كانوا في القرن الثامن عشر مندمجين في حركة التاريخ المحلي، خصوصا مع جيرانهم أهل وادي نفيس وأيت سْمَگ. يخضعون كسائر جيرانهم لنظام حكم إمغارن أو الأشياخ والتحزب اللفي (Dresch, 8 - 9).

وحينما قام باشا مراكش عبد الكريم بن منصور بحملته العسكرية على وادي نفيس قصد إخضاع سكانه وتطويع شيخ زاوية تاسافت المجاورة لتينمل، وذلك في سنة 1127/1715، كانت بلاد أُنايِن هي مقر المحلة المخزنية التي بقيت هناك أكثر من شهر (رحلة الوافد، 75 . 80 . 108 . 119 . 120 . 123). وقد مرت حركة الباشا من هذه الناحية، لأنها أسهل طريق يمكن أن يسلكها جيش للوصول إلى الوادي المذكور. وألزم الباشا سكان أُنايِن بالمشاركة في الهجوم على وادي نفيس، بعد أن جند منهم ثلاثة آلاف رام وجعلهم في مقدمة جيشه (رحلة الوافد، 82). لأنهم يعرفون مسالك جبل ويشْدَّان الذي يفصل وادي نفيس عن بلدهم. وقد سهلوا عليه كثيرا اختراق صفوف المقاومة المحلية (رحلة الوافد، 91-100-115).

وبعد انتهاء مهمة «الحركة» في وادي نفيس، غادرت بلاد أُنايِن، بعد أن أخذ الباشا من سكانه قدراً من المال (رحلة الوافد، 118).

في النصف الثاني من القرن التاسع، حينما عادت منطقة أطلس مراكش تطفو على سطح الأحداث، بظهور ما سمي فيما بعد بكبار القواد، بدأ اسم أُنايِن يذكر من جديد. فبعد أن كان أشياخ أُنايِن تحت حماية شيخ تَالاَمْت، علي أُمنصور، لأن رابطة اللّف تجمعهم، أصبحوا في نهاية القرن خاضعين لسلطة عائلة أيت لحسن بتاگنتافت (Les Berbères, 134 - 303 - 336) وبالفعل استغل القائد الحاج الطيب الگنتافي حالة «السيبة» التي تلت موت المولى الحسن الأول، ليوسع منطقة نفوذه في السفح الجنوبي للأطلس الكبير. وهكذا أخضع أُنايِن وأيت سْمَگ فيما وراء تيزي - نْ - تاسْت خلال سنة 1895 (Goundafi, 76) وفي 13 شعبان 1314/18 يناير 1897، عين رسميا قائدا على «أيت إخْلف وأيت قضني وأگديم وأفرا وتضيگت من فرقة أُنايِن» (Haouz, 2 : 1106) غير أن توسع مناطق نفوذ عائلة الأگلاوي في اتجاه الجنوب، لتشمل أيت واوزگيت وإسكتان، أعطى لبلاد أُنايِن أهمية إستراتيجية، سواء بالنسبة إلى الگنتافي أو بالنسبة إلى الأگلاوي. ولذلك أصبحت منطقة نزاع بين الطرفين. وهذا ما أدى إلى تقسيمها بينهما في العقد الأول من القرن العشرين (Les Berbères, 340 ; Compétition, 356 - 7). وقد كرست الحماية الفرنسية هذا التقسيم «التعسفي» ونتيجة لذلك أصبح الخلل الذي ألحقه بالتنظيمات المحلية لمجتمع أنايِن، خللا دائما، لم تعد تتحكم الإرادة المحلية في إصلاحه.


البكري، المغرب ؛ البيذق، أخبار المهدي ؛ ابن القطان، نظم الجمان ؛ الزرهوني، رحلة الوافد.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire Touareg - Français* ; E. Destaing, *Vocabulaire Français - Berbère* ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; Justinard, *Goundafi* ; E. Laoust, *Contribution* ; J. Dresch, *Documents sur les genres de vie de montagnes* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech* ; A. Herzenni, *l'Ounain : modes d'utilisation des eaux d'irrigation et rapport sociaux* ; *B.E.S.M*, N° 189 - 160, pp 85-110 ; A. Arrif, *Compétition caïdale et proces d'intégration d'un canton montagnard* : *l'Unayn*, *A. A. N*, XXII, 1983, pp 347 - 360.


علي صدقي أزايكو

**أُنبگي** (أيت ـ)، أحد أخماس اتحادية أيت عطا. يتكون من قبيلتي أيت خبّاش و أيت أُمْناصف. واسم أيت أُنبگي هو باللغة الأمازيغية ما يمكن أن نترجمه إلى اللغة العربية بآل أو أصحاب الضيف، وهي تسمية قد تجد تفسيرها فيما احتفظت به الرواية الشفوية من كونهم ينحدرون من جد كان قد تزوج من أيت سَدْرات المستقرين بدادْس وكون قبولهم في الاتحادية قد تم بواسطة أيت بوبْكنيفن من خمس أيت واحليم المؤسس لأيت عطا. إلا أن هذه التسمية قد تجد لها تفسيرا كذلك في توزيع المهام بين القبائل في العصور الغابرة لتاريخ المغرب قد أعطى لهذا الخمس مهمة استقبال الضيوف. ويعتقد جورج سبيلمان G.Spillmann الذي قام بأعمال البحث الأولى حول أيت عطا أن خمس أيت أُنبگي مكون من عناصر بشرية مختلفة وأن البعض من أفخاذها مثل إيزولاين أو زوالة تنحدر من أصل عربي معقلي.

يقع المجال الجغرافي لخمس أيت أُنبگي في المناطق الجنوبية الشرقية لتافيلالت بالنسبة لآيت خبّاش (منطقة التاوز) وفي واحة الرتّب على وادي زيز وبعض واحات السفح الجنوبي لجبل صَغْرُو بالنسبة لأيت أُمْناصف. وقد خولت هذه الوضعية الأستراتيجية سلطة كبيرة لخمس أيت أُنبگي في مراقبة التجارة الصحراوية وخاصة منها تلك التي كانت تنطلق من تافيلالت نحو تَغَزّى وتوات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وقد شكلت هذه المراقبة وما ترتب عنها من نزاعات مع التجار السبب الرئيسي للصراعات التي خاضها ممثلو المخزن بتافيلالت مع قبائل أيت أُنبگي خلال الفترة المذكورة.

كانت أيت أُنبگي من قبائل جنوب شرق المغرب التي تضررت من التدخل الاستعماري في التخوم المغربية ـ الجزائرية في نهاية القرن الماضي. وكان احتلال واحة توات في نهاية القرن الماضي وبداية القرن العشرين بمثابة الضربة القاضية لاقتصادهم. وشاركوا في الحملات الجهادية التي نظمها سيدي محمد العربي الدرقاوي في نهاية القرن الماضي، وقاوموا التدخل الاستعماري إلى حدود 1933.

قدر جورج سبيلمان G. Spillmann في الثلاثينات خمس أيت أُنبگي بـ 1260 كانونا، وإذا اعتمدنا معدل خمسة أشخاص المعمول به عند المؤرخين بالنسبة لكل كانون فإن العدد الإجمالي لخمس أيت أُنبگي سوف لن يتعدى 6300 نسمة حوالي سنة 1930. ويتكون الآن خمس أيت أنبگي من الأفخاذ المذكورة أسفله وكلها في مرحلة استقرار متواصل يساعد عليه ما عرفته مناطق انتجاعها من جفاف ابتداء من سنة 1970.

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| مستوى الخمس | أيت أُنبگي | | | |
| مستوى القبيلة | أيت خبّاش | أيت أُمْناصف | | |
| مستوى الفخذة | أيت يحيى أوموسى | أيت الخلف | فخذة ثالثة | |
| مستوى إيغص | أيت بلقاسم | أيت أُحمي | أيت إبراهيم أُعيسى | |

G. Spillman, *Les Aït Atta et la pacification du Dra : Tribus et districts du Haut Dra* ; Ross, E. Dunn, *Resdanu in the desert*, University of Wisconsin, Press Madison, 1977 ; L. Mezzine, *Le Tafilalet*.

العربي مزين

**إنتان** (باب ـ) بمراكش. يعتقد Gaston Deverdun أن باب إنتان ما هو إلا اسم ثان لباب أيلان أو باب أغمات (*Marrakech* 1 : 127) وهو في ذلك يساير ما قاله Lévi-Provençal الذي اعتبره اسما ثانيا لباب أيلان. وكلا الاعتقادين يبدو بعيداً عن الصواب ذلك أن ابن فضل الله العمري نقلا عن ابن سعيد حدد بدقة موقعه في الجهة الجنوبية الشرقية من السور بين باب الدباغين وباب أيلان، (*ورقات*، 305).

لا نعرف أي شيء عن مكوناته المعمارية ولا زمن اختفائه، صحيح أنه ورد في مصادر تعود إلى القرن الثامن الهجري (*البيان*، قسم الموحدين، 28) إنما ضمن سياق أحداث تهم القرن السادس الهجري. وقد أشار إليه ابن الزيات في خبر يعود إلى سنة 592 هـ (*التشوف*، 297) مما يفيد أن اندثاره كان بعد هذا التاريخ، وفي محاولة لتحديد موقع باب إنتان حالياً اعتقد أن بعض البقايا الأثرية توجد تقريبا وسط المسافة الفاصلة بين بابي الدباغين وأيلان، شكلها العام لا يستبعد أنه باب قديم، ما يظهر منه هو مكونات البرج المشابهة لمثيلاتها الموجودة بباب أيلان، كما أن شكل هذه البقايا يشبه إلى حد كبير باب الرخا وهو باب مرابطي.

كانت خارج باب إنتان مقبرة دفن فيها عدد من المتصوفة (*التشوف* 294، 303، 429)، ومجال أخضر أبرز مكوناته بحيرة الطلبة (*التشوف*، 470) التي يبدو أنها من إنجاز الموحدين إذ كانت تتوفر على إقامة مخزنية هامة ينزل فيها الخلفاء، ومنتزها مفتوحا أيضا في وجه سكان المدينة.

ومن غير المستبعد أن سوقاً أسبوعية كانت تنعقد عند هذا الباب وهو ما يُشتم من وجود مواد غذائية تكون غالبا في هذا النوع من الأسواق مثل الشواء، وكثرة الناس الموجودين بنفس المكان (*التشوف*، 470).

وباب إنتان هو واحد من ثلاثة أبواب دخل منها الموحدون مراكش بعد حصار سنة 541 هـ. فهذا يؤكد أنه باب مرابطي (*أخبار*، 64).

أما إنتان فهو اسم عرفت به أسرة مخزنية على عهد المرابطين (*أخبار*، 28، 35، 49، 92،83،64،63). كان منها رجال سياسة وقادة عسكريون ذكورا وإناثا. وكان لهم حضور خاص في فترة الانتقال بين المرابطين والموحدين.

أما نسبة الباب فيمكن أن تكون إلى قبيلة هنتاتة (*التشوف*، 298) وقد تعود إلى أسرة إنتان كاعتراف بخدماتها، ذلك أن ظرفية تأسيس سور المدينة تسمح بمبادرة من هذا النوع من طرف المخزن تجاه المقربين إليه طمعا في الحفاظ ما أمكن على تماسك ما تبقى من قوته.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، ت. أ. التوفيق، الرباط 1984 ؛ ابن عذاري، *البيان* - قسم الموحدين - ت. م. إبراهيم الكتاني وآخرين ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية*.

G. Deverdun, *Marrakech*.

محمد رابطة الدين

**الانتخابات**، تُنظّم في الأقطار التي تلتزم بالنظام الديمقراطي، الفينة بعد الأخرى، على الصعيد المحلي، وذلك من أجل انتخاب المجالس الجماعية - أعضاء المجالس البلدية والقروية - وعلى الصعيد الإقليمي لانتخاب مجالس العمالات والأقاليم. وعلى الصعيد الجهوي لانتخاب الجمعيات الجهوية كما هو الشأن في إيطاليا وإسبانيا وفرنسا مثلا، وأخيرا على الصعيد الوطني لانتخاب أعضاء مجلسي البرلمان، بالنسبة للأقطار التي تقر ثُنائية التمثيل، أو لانتخاب أعضاء مجلس النواب إذا كانت تعمل بأحادية التشريع.

تكتسي هذه الاستشارات الشعبية أهمية قصوى وتستأثر باهتمام الباحثين في علم الاجتماع السياسي وفي القانون الدستوري والصحافة ووسائل الإعلام السمعية والبصرية بحكم الاختصاصات الواسعة جدا، المعترف بها لهذه المجالس المنتخبة، الأمر الذي يجعل الطبقة السياسية هنا وهناك تستعد لها الاستعداد الضروري والمُحكم، لأن الأحزاب جميعها تدرك أن تنفيذ برنامج هذا التحالف أو ذاك، هذا الحزب أو ذاك - بالنسبة لإنجلترا مثلا، التي تطبق بنجاح كبير الثنائية الحزبية - يتوقف على الحصول على الأغلبية، سواء في المجلس الجماعي أو الإقليمي أو في الجمعية الجهوية، فبالأحرى في البرلمان الذي يعد في الأقطار النيابية أهم موقع للقرار بحيث لا يمكن لأي حكومة أن تستمر في الحكم إذا لم تكن باستمرار مساندة من طرف أغلبية برلمانية متجانسة وملتحمة.

هذا وتقتضي دراستنا لهذا الموضوع أن نلم بأشكال الاقتراع المختلفة التي سنتناولها في مبحثين متميزين، يخصص الأول منهما لتحليل الطرق المختلفة للاقتراع والثاني لتأثيراتها السياسية.

تحليل الطرق المختلفة للاقتراع :

1 - الفرق بين الاقتراع الأحادي الاسمي والاقتراع باللائحة : إن الاقتراع الاسمي يقضي بانتخاب نائب واحد عن كل دائرة انتخابية صغيرة ؛ فالناخب يصوت لفائدة شخص واحد.

أما الاقتراع باللائحة أو بالقائمة فإنه يقضي بانتخاب عدة نواب من طرف دائرة انتخابية موسعة، وتترتب عنه تساؤلات متعددة. فهل يعترف هذا الشكل من الاقتراع مثلا بحق الناخب في أن يكتفي بالتصّويت لفائدة قسم من مرشحي القائمة، وذلك بحذفه لبعض الأسماء ؟ أي هل يحق له أن يمارس نوعا من الإمساك النسبي؟ ثم هل في وسعه كذلك أن يعوض الأسماء، التي يشطب عليها، بأسماء مرشحين آخرين، أي أن يدخل تغييرا على مرشحي القوائم، فيقوم بمزجها ؟ وأخيرا يمكن أن نتساءل ما إذا كان من حقه أن يتصرف في ترتيب مرشحي القائمة أم يكون ملزما باحترام الترتيب كما ورد في اللائحة ؟.

2 - الفرق بين الاقتراع المرتكز على الأغلبية وبين التمثيل النسبي : إن لهذا التفارق الثاني علاقة بعدد الأصوات التي ينبغي للمرشح أن يتوفر عليها وجوبا، لكي يعلن عن فوزه، ذلك أنه إذا كان الاقتراع الأحادي الاسمي يقتضي مثلا الحصول على الأغلبية، فإن الاقتراع بالقائمة يمكن أن يكون إما مرتكزا على الأغلبية أو أن يكون اقتراعا نسبياً.

الاقتراع المرتكز على الأغلبية : إن النظام الذي يرتكز على الأغلبية يقضي بالاعتراف بمجموع المقاعد للمرشحين الذين حصلوا على أكبر عدد من الأصوات، ويأخذ هذا النظام أحد الشكلين الآتيين :

أ - النظام المرتكز على الأغلبية والمقتصر على دورة واحدة : ففي هذه الحالة، يعترف بالمقعد أو بالمقاعد للمرشحين الذين أتت أسماؤهم في أعلى القائمة.

ب - النظام المرتكز على الأغلبية الذي يستلزم إجراء دورتين : ففي هذا النظام لا يعلن عن فوز المرشح أو المرشحين إلا إذا حصلوا على الأغلبية المطلقة للأصوات المعبر عنها (أكثر من نصف الأصوات). أما إذا استحال عليه أو عليهم الحصول على هذه الأغلبية، فإنه يقع تنظيم دورة ثانية، ويعترف، في هذه الحالة، بالمقعد أو بالمقاعد للمرشح أو المرشحين الذين يتوفرون على أكبر عدد من الأصوات (الأغلبية النسبية).

أ - التمثيل النسبي : إن التمثيل النسبي يتميز عن نظام الأغلبية بكونه يقضي بتوزيع المقاعد على القوائم الموجودة، أي بين الأحزاب السياسية المتنافسة، وذلك لكي تكون هذه الأحزاب، داخل مجلس النواب، ممثلة تمثيلا صحيحاً، وفقاً للأصوات التي ظفرت بها ؛ وبما أن هذا الشكل في الاقتراع يرمي إلى تمكين الأقليات من انتخاب من يمثلها، فإنه خلافا لنظام الأغلبية، يعترف حتى لمرشحي القوائم المنهزمة بأن يعلن عن انتخابهم ولو ظفروا بأصوات تقل عن الأصوات التي فاز بها المرشحون الأواخر في القوائم المنتصرة.

ب - توزيع المقاعد بناء على التمثيل النسبي : يعترف لكل حزب، في المرحلة الأولى، بعدد من المقاعد يضاهي عدد الأصوات التي حصل عليها. وقد يقوم القانون بتحديد هذا العدد كما قد يحدد نفس العدد بالنسبة لجميع الدوائر الانتخابية ؛ لكن العدد عادة يحدد، حسب نتيجة كل اقليم، وذلك باستخراج العملية الآتية : يقسم عدد الأصوات المعبر عنها على عدد المقاعد التي يشملها التوزيع وتكون نتيجة هذه القسمة ما نسميه بالخارج الانتخابي. وقد تسفر هذه المرحلة الأولى عن بقايا، أي بعض المقاعد تظل غير موزعة، كما أن عددا من الأصوات يظل غير مستعمل، وسنأتي بمثال لتوضيح هذا.

لنفترض أن نتائج دائرة انتخابية كانت على الشكل الآتي :

الأصوات المعبر عنها : 400.000

المقاعد المخصصة للإقليم : 4

الأحزاب المتنافسة : 3

لنستخرج الخارج الانتخابي $\frac{400.000}{4} = 100.000$

لنفترض أن الحزب « أ » حصل على أ = 240.000 صوتا

" " " «ب» " ب = 100.000 صوت

" " " «ج » " ج = 60.000 صوت

فالحزب « أ » سيحصل على : $\frac{240.000}{100.000}$ = 2 م + 40.000

والحزب «ب» " : $\frac{100.000}{100.000}$ = 1 م

والحزب «ج» " : $\frac{60.000}{100.000}$ = 0 م + 60.000

فالحزب « أ » سيحصل على مقعدين و« ب » على مقعد واحد، و نلاحظ أن مقعداً واحدا لم يوزع كما أن 100.000 صوت لم تستعمل، أي 40.000 بالنسبة لـ « أ » و60.000 بالنسبة لـ «ج ».

فبأي طريقة يمكننا أن نجعل المقعد الباقي رهن إشارة أحد الأحزاب الثلاثة المتنافسة ؟ من هنا تبرز مشكلة عويصة تتعلق بتوزيع البقايا، ولهذه المشكلة حلان :

1 - توزيع البقايا على الصعيد الوطني : يتم في هذه الحالة، جمع البقايا التي لم يتم توزيعها في مجموع البلاد، وذلك بالنسبة لكل حزب سياسي، كما تُجمَّع كذلك المقاعد التي لم توزع في مجموع القطر أيضا ثم يتم توزيعها حسب التمثيل النسبي على القوائم الوطنية للأحزاب. وينتج عن هذا الأسلوب تعدد في الأحزاب السياسية وتشجيع تأسيس أحزاب أخرى.

2 - توزيع البقايا على الصعيد الإقليمي : هذا التوزيع يتم حسب طريقتين اثنتين :

فالأسلوب الأول يعرف بأسلوب أكبر البقايا، ويقضي بتوزيع المقاعد الباقية على الحزب الذي يتوفر على أكبر عدد من الأصوات غير المستعملة. ( وفي المثال الذي أعطيناه سابقا ، يعود المقعد الباقي إلى الحزب «ج ».

أما الأسلوب الثاني فيعرف بأسلوب أقوى المعدّلات. ويقضي بأن تقسم الأصوات المحصل عليها من طرف كل حزب على مجموع المقاعد التي يتوفر عليها مع إضافة المقعد الباقي، ثم نقوم بمقارنة فيما بين المعدلات، فالحزب الذي يتوفر على أقوى معدل هو الذي يحظى بالمقعد الباقي. وبالنسبة للمثال السابق سيكون المقعد من نصيب الحزب « أ »

لأن معدل هذا الحزب هو « أ » : $\frac{240.000}{3} = 80.000$

بينما معدل الحزب « ج » «ج» : $\frac{60.000}{1} = 60.000$

والحزب «ب» «ب» : $\frac{100.000}{2} = 50.000$

ب - التأثيرات السياسية لأشكال الاقتراع المختلفة :

لقد تسبب الاختيار بين الأشكال المختلفة للاقتراع في نقاش حاد بين فقهاء القانون والسياسيين، فبعدما ظلت فرنسا مثلا تطبق، طوال عهد الجمهورية الثالثة، وبالخصوص، منذ 1928 وفي 1932 و1936 الاقتراع الأحادي الاسمي، فانها قد قررت العدول عنه، مفضلة الاقتراع بالقائمة المقرون بالتمثيل النسبي، وذلك بعد نهاية الحرب العالمية الثانية (أهمية الثالوث الحزبي، الذي مارس الحكم، في أوائل عهد الجمهورية الرابعة، والذي كان يتألف من الفرع الفرنسي للأممية العمالية والحزب الشيوعي والحركة الجمهورية الشعبية)، واحتفظت بهذا القانون الانتخابي في سنة 1951 مع توفيقه مع مؤسسة جديدة كانت تعرف بتحالف القوائم. ثم منذ عودة الجنرال شارل دوگول إلى الحكم، في مستهل يونيه 1958، ما فتئت فرنسا تطبق، في الانتخابات التشريعية أساسا، الاقتراع الأحادي الاسمي ذا دورتين، بالرغم من مطالبة أحزاب المعارضة التي كانت تتألف، إلى غاية بداية ماي 1981، من الحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي وحركة الرادكاليين اليساريين، وكذلك أحزاب من الأغلبية الرئاسية سابقا (نزعة داخل الاتحاد من أجل الديمقراطية الفرنسية) بإقرار التمثيل النسبي. وينسب إلى الرئيس الأول للجمهورية الخامسة أنه لم يكن متشددا فيما يخص شكل الاقتراع، الذي يحدَّدُ عادة، بواسطة قانون يصوت عليه البرلمان، بل كان يعتقد أن التجربة في إقرار هذا الشكل أو ذاك من أشكال الإقتراع، ينبغي أن يعاد النظر فيه مرة كل خمس عشرة سنة.

أما في المغرب فنلاحظ أن شكل الاقتراع الخاص بالانتخابات التشريعية ينص عليه قانون تنظيمي. وهكذا لم يبق بوسع المشرِّع العادي أي البرلمان أن يغيره بسهولة، ذلك أن المسطرة التي تخضع لها القوانين العادية تختلف عن مسطرة القوانين التنظيمية.

فماذا نقصد بالقانون التنظيمي ؟ إنه القانون الذي أعطاه الدستور هذه الصفة ؛ إنه يُتخذ من أجل إتمام الدستور، من أجل توضيحه ؛ إنه جزء لا يتجزأ من الدستور. كما أنه يخضع لمسطرة خاصة تتميز عن المسطرة التي تخضع لها القوانين العادية، ذلك : إلى أن مناقشة أي مشروع أو مقترح قانون تنظيمي تقتضي التفكير والتروي لمدة عشرة أيام، بعد إيداعه أمام مكتب مجلس النواب ؛ وسواء حظي بأغلبية قوية أو وقعت الموافقة عليه بالإجماع فإن جلالة الملك يصدر الأمر بتنفيذه بعد إعلام الغرفة الدستودية التابعة للمجلس الأعلى، بأنه مطابق للدستور، (انظر القانون التنظيمي، المتعلق بتأليف مجلس النواب وانتخاب أعضائه، الصادر بتاريخ 9 ماي 1977).

ونلاحظ بالنسبة للمغرب أنه بالرغم من تحفظ أهم الأحزاب السياسية، ومن بينها الاتحاد الوطني للقوات

الشعبية - الاتحاد الاشتراكي حاليا - وحزب الاستقلال، ومنذ 1959، ومطالبتهما بتكريس التمثيل النسبي، فإن الانتخابات الجماعية التي أجريت بتاريخ 29 ماي 1960 أو الانتخابات التشريعية التي نظمت بتاريخ 17 ماي 1963 لانتخاب أعضاء مجلس النواب (144 آنذاك) أو التي نظمت بتاريخ 24 غشت 1970، لانتخاب 90 نائبا من بين 240، بالاقتراع العام المباشر، تلك الانتخابات التي قاطعتها الكتلة الوطنية، أو التي نظمت بتاريخ 3 يونيه 1977 لانتخاب ثلثي أعضاء مجلس النواب (176 عضوا) أو أخيرا التي أجريت بتاريخ 14 شتنبر 1984، لانتخاب ثلثي أعضاء المجلس المذكور، الذي أصبح متألفا ومنذ المراجعة التي عرفها القانون التنظيمي المشار إليه سابقا، في يونيه 1983، من 306 من الأعضاء، قد تمت كلها بناء على الاقتراع الأحادي الاسمي ذي الدورة الواحدة.

هذا وإذا كانت الآراء متعارضة فيما يخص الميزة الخاصة لهذه الأنظمة الانتخابية المختلفة، فإنه ينبغي دراسة هذه المسألة من جوانب متعددة : من جانب ممارسة أهلية الانتخاب أولاً، ثم من جانب التمثيل السياسي، وأخيرا من جانب انتظام عمل المؤسسات السياسية .

1 - جانب ممارسة أهلية الانتخاب : فمن هذه الزاوية، أي من وجهة ممارسة أهلية الانتخاب من طرف كل مواطن، يمكن أن نقول إن الاقتراع الأحادي الاسمي هو الاقتراع الذي يجعل الناخب يتوفر على أفضل الشروط ليمارس اختياره، ذلك أنه في الإطار الضيق للدائرة الصغيرة، يمكن هذا الاقتراع الناخبين من معرفة شخصية للمرشحين، أي من القيام بتقييم أفضل لمزاياهم.

بينما يكون المرشحون، في اقتراع القائمة، بعيدين عن الناخب، كما أنه قلما تكون له صلة بهم، باستثناء القادة الذين يوجدون على رأس القوائم وتكون بالتالي حرية الاختيار، فيما يخص الناخب، ضعيفة، خصوصا عندما ينص القانون الانتخابي على منع القيام بمزج القوائم وعلى إغلاقها.

2 - جانب التمثيل السياسي : إنه ينبغي، لتقييم الأنظمة الانتخابية من هذه الزاوية، التذكير بأن التمثيل السياسي يتضمن، من جهة، التعبير عن الاتجاهات السياسية في البلاد، ويرمي من جهة أخرى، إلى تجنب أي فكرة للتفويض الأمري.

ولهذا السبب يُنتقد الاقتراع الأحادي الاسمي، وذلك لكونه لا يتفق وخصائص التمثيل السياسي، كما قمنا بتعريفها الآن.

أ - فإن الاقتراع الأحادي الاسمي يميل إلى تحويل الانتخاب إلى تنافس بين الأشخاص بدلا من أن يكون مناسبة للقيام بمجابهة بين الأفكار ؛ ولقد قيل بأن الناخب، في اقتراع القائمة يصوت لصالح الأفكار بينما يكون تصويته لفائدة الأشخاص عند إقرار العمل بالاقتراع الأحادي الاسمي.

ومن بين منتقدي هذا الشكل في الاقتراع، أحد كبار الشخصيات السياسية في فرنسا، خلال الجمهورية الثالثة وكذلك في عهد الجمهورية الرابعة - إدوار هيريو - الذي كان ينعت ذلك الاقتراع باقتراع المصارعين.

ب - ثم من جهة ثانية يرمي الاقتراع الأحادي الاسمي إلى جعل التمثيل السياسي، بعد انتهاء الانتخاب، نوعا من التفويض الأمري الفعلي، ذلك أنه إذا كان هناك نموذج للتنافس الانتخابي في الاقتراع الأحادي الاسمي، فإن هناك أيضا نموذجا للنائب المنبثق من هذا الشكل في الانتخابات.

فالاقتراع الأحادي الاسمي يجعل النائب مرتبطا بدائرته، بعدة روابط وثيقة وشخصية. وتكون الدائرة واعية بأن لها نائبها الخاص الذي اختير خصيصا لهذه الغاية والذي يكون تحت رحمتها (يتمتع بنوع من الاستقلال، بالنسبة للحزب الذي ينتمي إليه، ولو كان تابعا لناخبيه).

لكن بفضل ثقة ناخبيه يصبح مركزه، مع مر السنين، مدعما ولا يعرف الهزيمة مطلقا، شأنه في ذلك شأن الإقطاعي قديما في إقليمه. فلقد ظل «إدوار هيريو» عمدة لمدينة «ليون» الفرنسية من 1905 إلى 1957 ونائبا في مجلس النواب ثم الجمعية الوطنية زهاء خمسين سنة، كما ظل خلفه «بّراديل» عمدة لنفس المدينة، طوال عشرين سنة أي ما بين 1957 و1977. وهذه النتيجة هي التي جعلت نقاد هذا الشكل في الاقتراع ينعتون الاقتراع الأحادي الاسمي بكونه «مرآة منكسرة» أو «مستنقعات راكدة»، واعتبر كذلك بأنه بمثابة انبعاث للتفويض الأمري القديم، وذلك بسبب الطغيان المتبادل الممارس من طرف الدائرة على النائب المنتخب، ولهذا الأخير على دائرته. ويزيد الطين بلة كون هذا التفويض الأمري يمارس لفائدة مصالح خصوصية، تهيمن عليها روح الدائرة. ولهذا لا يتطرق الشك إطلاقا إلى أن طابع التمثيل السياسي يتجلي متباينا كليا، إذا ما قيست نتيجته بنتيجة الاقتراع الأحادي الاسمي. ومن هذه الزاوية تبرز بالخصوص مزايا التمثيل السياسي، إذا كان الاقتراع بالقائمة مقرونا بالتمثيل النسبي، فبفضل هذا الأخير، يكون تشكيل مجلس النواب مرآة للاتجاهات في البلاد، وذلك حسب القوة الخاصة لكل نزعة من النزعات السياسية المتنافسة. فهو يعتبر أساسا كاقتراع يحقق الإنصاف فيما بين القوائم المتصارعة.

هذا وجوابا عن استفسار حول تحفظات مؤسس الجمهورية الخامسة الفرنسية، شارل دوگول، صرح هذا الأخير لأحد المعجبين به، وزير العدل السابق «ألان بّيرفيت» بـ «أن الديمقراطية لا تكمن في التعبير عن التناقضات، بل تقتضي الإرشاد إلى الطريق الذي ينبغي اتباعه» (كتاب *الداء الفرنسي* لـ : ألان بّيرفيت).

كما أن أحد أقطاب اليمين في فرنسا، الوزير الأول السابق ميشال دوبري جدد موقفه من التمثيل النسبي قائلا في أواسط الثمانينات :«إنني أتأسف لما يمكن تسميته

بعودة نظام الأحزاب، ولقد تمكن هذا النظام من الرجوع تدريجيا، ذلك أن أعظم درس استفدنا منه، من الجمهورية الخامسة، لا يكمن في المؤسسات فقط، أو في ممارسة السلطة، من طرف الجنرال دوكول لمدة عشر سنوات، فالدرس الحقيقي يكمن في هذه الفكرة الأساسية وهي بمثابة فكرة قديمة في النظام الجمهوري، ألا وهي كون الحكومة في فرنسا تعد مستقلة عن الأحزاب السياسية، مستقلة عن المنظمات النقابية، فكلما كان تأثير المنظمات السياسية أو النقابية تأثيرا بيناً، لن تبقى المصلحة العامة هي قانون الحكومة».

بينما يرى الرئيس الفرنسي الثالث، ڤاليري جيسكار ديستانغ، أن الأغلبية اليسارية التي كانت قد غيرت القانون الانتخابي في ربيع 1985 وأقرت التمثيل النسبي لم تقم بذلك إلا من أجل تجنب هزيمة نكراء في الانتخابات التشريعية التي أجريت بتاريخ 16 مارس 1986، لذا كان يقترح استشارة الجسم الانتخابي، عن طريق الاستفتاء، فيما يخص القانون الإنتخابي الخاص باختيار أعضاء الجمعية الوطنية، غير أن الدستور يحدد اللجوء إلى الاستفتاء بالحصر في حالات ثلاث لا تشمل مطلقا القانون الانتخابي المتعلق بانتخاب المجلس الأدنى.

3 ـ جانب انتظام عمل المؤسسات البرلمانية : إن هذا الجانب الذي كان ينظر إليه وكأنه جانب ثانوي أصبح الآن من بين أهم الجوانب إن لم نقل أهمها. ذلك أن الشروط المثالية لنظام نيابي هي الشروط التي تؤدي إلى إبراز أغلبيات متماسكة، كفيلة وحدها بمساندة المجالس الوزارية المنبثقة من الجمعيات النيابية، وذلك لمدة طويلة.

وتتحقق هذه الشروط، في بلاد مثل انجلترا التي تتوفر على حزبين كبيرين يتنافسان من أجل ممارسة الحكم. فالحزب الفائز في الانتخابات العامة يشكل أغلبية قارة وملتحمة. وهذه الخاصية التي يتميز بها نظام الأحزاب في بريطانيا العظمى ليست إلا نتيجة لشكل الاقتراع، الذي تطبقه هذه البلاد الأوروبية، أي الاقتراع الأحادي الاسمي ذي الدورة الواحدة.

فلأشكال الاقتراع تأثير حقيقي على وضعية الأحزاب السياسية، هذا التأثير الذي استأثر باهتمام الباحثين في العلوم السياسية وفي القانون الدستوري، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بالخصوص.

ففيما يخص هيكل الأحزاب يرمي التمثيل النسبي إلى تقوية التلاحم الداخلي للأحزاب وجعل أعضائها أكثر انضباطا. وتعود هذه النتيجة إلى كون الحزب يتوفر على الوسيلة التي تمكنه من إعادة انتخاب مرشحيه، وذلك بتخصيصه في قوائمه الترتيب الذي يريده لهم ؛ فبالتمثيل النسبي يكون المصير الانتخابي للنائب بين يدي الحزب، لذا فإن هذا الأسلوب في الانتخابات يمكن اعتباره من بين العوامل، التي تساعد على تكتل الأحزاب السياسية.

ومن جهة أخرى، فإن هذا الانضباط الداخلي للأحزاب لا يشكل في حد ذاته ضررا من زاوية انتظام العمل النيابي. فالأحزاب الانكلوساكسونية هي أيضا، ولأسباب أخرى، أحزاب قوية الانضباط. وكل ما ينتقد على هذا الانضباط هو أنه قد يؤدي إلى إقصاء بعض الشخصيات، باستثناء الأفراد الذين تتألف منهم قيادة الأحزاب (إن انشقاق حزب العمال، في مارس 1981، وإعلان جماعة من النواب المعتدلين في صفوفه عن تأسيس حزب جديد تحت اسم «الديمقراطيون الاجتماعيون» تسببا في كارثة بالنسبة للحزب اليساري البريطاني، في الانتخابات التشريعية، التي أجريت بتاريخ 9 يونيه 1983، ذلك أن الحزب المذكور لم يفز إلا بـ 210 من المقاعد في حين أن حزب المحافظين حصل على 395 مقعداً في مجلس العموم والتحالف بين الأحزاب والديمقراطيين الاجتماعيين على 24 مقعداً. أما الأحزاب الصغرى فلم تفز إلا بـ 21 مقعداً.

وهكذا عرف حزب العمال انخفاضا في الأصوات التي ظفر بها مرشحوه، يقدر بـ 10٪ بينما عرف التحالف الجديد تقدما في الأصوات التي حصل عليها بنسبة 12٪.

أما الانتخابات التشريعية التي أجريت في انجلترا بتاريخ 11 يونيه 1987، قبل موعدها بسنة، فلقد أسفرت عن نتائج متقاربة مع السابقة ولو أنها عرفت تقلصا نسبياً لحزب المحافظين الذي ظل مع ذلك أقوى حزب في هذه البلاد بحيث يتوفر الآن على فريق برلماني يضم 376 عضواً في مجلس العموم، في حين أن حزب العمال، المعارض لا يتوفر إلا على 229 عضواً، والتحالف الديمقراطي ـ الاجتماعي ـ الليبرالي على 22 عضواً، والأحزاب الصغرى : الحزب الوحدوي الإيرلاندي على 13 مقعداً، والحزب الوطني الإسكتلاندي على 3 مقاعد، وحزب الغال على 3 و4 نواب يمثلون نزعات أخرى.

ويلاحظ، منذ نهاية السبعينات، أن هناك اهتماما متزايدا، من طرف الطبقة السياسية، لإقرار التمثيل النسبي كقانون انتخابي بالنسبة للانتخابات التشريعية. فمن بين الإصلاحات التي من شأنها أن تشجع الحوار بين اليمين واليسار في فرنسا، العدول عن القانون الانتخابي الحالي الذي يستند إلى الاقتراع الأحادي الاسمي ذي الدورتين وتعويضه بالتمثيل النسبي، وكان قد طالب بذلك كل من الرئيس السابق لحركة الرادكاليين اليساريين، عند اجتماعه بالرئيس الفرنسي السابق ڤاليري جيسكار ديستانغ في أكتوبر 1976، كما طالب بذلك الكاتب الأول للحزب الاشتراكي، فرانسوا ميتران، عند مقابلته لرئيس الدولة، يوم 28 مارس 1978، ولم يكتف بذلك بل طالب رئيس فرنسا الحالي، ميتران، بقانون أساسي للمعارضة يمكنها من التعقيب على التصريحات الحكومية والرئاسية بواسطة الإذاعة والتلفزة.

كما أن وزير العدل السابق ألان بيْرفيت، الذي يعد من أنصار الرئيس الراحل دوكول وصيانة تراثه، أعلن هو أيضا

بأنه لا يعارض في جرعة من التمثيل النسبي ويُنسب إليه قولُه :«إن شكل الاقتراع يجب العمل به لمدة خمس عشرة سنة، فهو منوط بالظروف».

وحسب استطلاع للرأي نُظم في فرنسا خلال الفترة الفاصلة ما بين 31/3/1980 و4/4/1980، فقد صرح 46,5٪ من المستجوبين وعددهم ألف شخص يمثلون مختلف الأعمار بأن التمثيل النسبي يعد أكثر ديمقراطية من الاقتراع الأحادي الاسمي. وحسب ميول الأحزاب التي استجوبت، فإن 84٪ من الشيوعيين يناصرون هذا الشكل للاقتراع و77٪ من اليسار المتطرف و75٪ من المدافعين عن البيئة و71٪ من الاشتراكيين والرادكاليين اليساريين و55٪ من التجمع من أجل الجمهورية و52٪ من الاتحاد من أجل الديمقراطية الفرنسية (جريدة يومية باريز :29/5/1980).

كما أن حزب التقدم والاشتراكية في المغرب، بعد إعلان نتائج الانتخابات البلدية والقروية، بتاريخ 10 يونيه 1983 جدد مطلبه بإقرار التمثيل النسبي الكامل كشكل للاقتراع في الانتخابات العامة، لكن الانتخابات التشريعية التي أجريت في 14 شتنبر 1984 لانتخاب ثلثي أعضاء مجلس النواب تمت بناء على الاقتراع الأحادي الاسمي ذي الدورة الواحدة، شأنها في ذلك شأن سابقاتها.

لكن التأثير البالغ الأهمية للتمثيل النسبي يتعلق بتمثيل الأحزاب داخل الجمعيات النيابية.

فلقد تعرض فقهاء القانون العام والمهتمون بالعلوم السياسية، لانعكاسات هذا الشكل في الاقتراع، بالنسبة لعدد الأحزاب، ذلك أن التمثيل النسبي يمكن الأحزاب الضعيفة من أن تكون ممثلة في البرلمان، بل من شأنه، في حالة إقرار العمل به، أن يشجع على تكاثرها خصوصا إذا ما تقرر تطبيق التمثيل النسبي الكامل على الصعيد الوطني، بينما يكون لاقتراع القائمة تأثير على اختزال عدد الأحزاب السياسية. إن للنظام المستند إلى الأغلبية عواقب تختلف كثيرا عن عواقب الاقتراع النسبي. فهذا النظام يرمي، بصفة عامة، إلى إبراز أغلبيات قوية ومتلاحمة ولو كان يتسبب في بعض المظالم. وهو بالإضافة إلى ذلك يمكن من تصفية الأحزاب الضعيفة، حيث أنه يهدف إلى جعلها تقتنع بضعفها فتقبل الاندماج داخل تجمعات موسعة، فهو يؤدي إذن إلى اختزال عدد الأحزاب.

لكن ينبغي التفريق بين الاقتراع المستند إلى الأغلبية والذي يقتضى إجراء دورتين، وبين الاقتراع ذي الدورة الواحدة.

الاقتراع الأغلبي ذو دورتين : ففي الدورة الأولى تميل الأحزاب إلى اختبار قوتها، ولا تتكون التحالفات إلا في الدورة الثانية، حيث يتم التفاوض بين الأحزاب فيما يخص التنازلات المتبادلة (بالنسبة لفرنسا: الانتخابات التشريعية التي نظمت بتاريخ 14 و21 يونيه 1981 (اليسار ضد اليمين) أو التي نظمت في يونيه 1988 (نفس الصراع تحالف اليمين ضد تحالف اليسار).

ورغم الطابع اللاأخلاقي، الذي تتميز به مساومات الدورة الثانية، فإن الدورة الأولى هي التي تقضي على فاعلية النظام الأغلبي، وذلك بسبب تكاثر الأحزاب والمرشحين الذي ينجم عنها.

فالائتلافات الانتخابية، التي تترتب عن الإخفاق في الدورة الأولى، وذلك من أجل الحصول على الأغلبية لا يمكنها أن تمحو خلافات الدورة الأولى، وبالتالي لا يمكنها أن تكون إلا موقتة ؛ فهي ليست ، في الواقع، إلا تحالفات عابرة، عرضية.

الاقتراع الأغلبي ذو دورة واحدة : إن الاقتراع الأغلبي ذا الدورة الواحدة، هو الذي يؤدي إلى اختزال جذري لعدد الأحزاب. فهو لا يترك بتاتا حظوظا للأحزاب الضعيفة، حيث إن هذه الدورة الوحيدة تحثُّ الآراء على الاندماج وسط تجمعات موسعة ذات طابع قار.

هذا وتتجلى فوارق دقيقة، عند تطبيق هذا الشكل في الاقتراع، وذلك إما في إطار الاقتراع الأحادي الاسمي أو في إطار الاقتراع بالقائمة.

فإذا ما أُشرك الاقتراع الأغلبي، ذو الدورة الواحدة، بالاقتراع الأحادي الاسمي، فإنه يكون قاسيا جدا وناجعا في نفس الوقت، من حيث مفعوله الاختزالي، فهو الذي يشكل، في الأقطار الانكلوساكسونية، العامل الأساسي لنظام الحزبين، وبفضله تمكن العمال من الحلول محل حزب الأحرار أو الليبراليين أمام المحافظين.

أما في حالة إشراكه بالاقتراع بالقائمة، فإن الاقتراع الأغلبي ذا الدورة الواحدة يخفف من الطابع القاسي لاختزال الأحزاب، ذلك أنه يُمكّن عدة اتجاهات من حق التعبير، داخل الأحزاب المختلفة، التي تشترك في قوائم من أجل تحقيق تكتل فيما بينها.

لكن سواء أُشرك بالاقتراع الأحادي الاسمي أو بالاقتراع بالقائمة، فإن النتيجة العامة للاقتراع الأغلبي ذي الدورة الواحدة، هي سعيه لإيجاد جمعيات نيابية ذات أغلبيات جلية، كفيلة بأن تكون دعائم للمجالس الوزارية.

وإذا ما أردنا أن نعرف موقف الطبقة السياسية في المغرب، منذ نهاية الخمسينات، فيمكن أن نؤكد أنه في عهد الحكومة الرابعة برئاسة الأستاذ عبد الله إبراهيم، أي خلال الفترة الفاصلة ما بين 25 دجنبير 1958 و20 ماي 1960، تَمَّ إعداد النصوص الأولى المتعلقة بالانتخابات التي ما زال القسم المهم منها، مطبقا إلى يومنا هذا، بالرغم من مرور ما يقرب من ثلاثين سنة على تلك النصوص، وفيما يخص شكل الاقتراع، الذي كان ينبغي تطبيقه، في الانتخابات الجماعية الأولى، التي عرفها المغرب والتي أجريت بتاريخ 29 ماي 1960، كانت الأحزاب المعترف بها قانونا قد طلب منها إبداء رأيها حول شكل الاقتراع، وكانت أجوبة الحزبين القويين آنذاك : الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وحزب الاستقلال، تقترح العمل بالاقتراع باللائحة، المقرون بالتمثيل النسبي، بينما فضلت الأحزاب الصغرى، التي

أحدثت، بعد صدور الظهير بمثابة قانون، المؤرخ بـ 15 نونبر 1958 المتعلق بالحريات العامة ومن كانوا يعرفون بالأحرار المستقلين، الاقتراع الأحادي الاسمي.

لكن القرار النهائي، بالنسبة لهذه النقطة، كان مطابقا للفتوى التي صدرت عن فقيهين فرنسيين هما أندري دولوبادير وموريس دوڤيرجي، والتي يبدو أنها كانت لصالح من يقترح إضعاف الأحزاب واختزالها.

وهكذا فمنذ تسع وعشرين سنة وبعد أن تأسست أحزاب منذ ربيع 1977 إلى الآن، وهي التجمع الوطني للأحرار قبل انشقاقه، والحزب الوطني الديمقراطي، والاتحاد الدستوري، ومنظمة العمل الديمقراطي الشعبي، وكلها لم يسبق لها أن حددت موقفها من أشكال الاقتراع وكأن هذه المسألة لا تكتسي أدنى أهمية بالنسبة لها ،أصبح المغرب يُطبـّق في الانتخابات الجماعية وفي الانتخابات التشريعية، الاقتراع الأحادي الاسمي ذا الدورة الواحدة.

وبالرغم من تكريس ذلك الشكل في الاقتراع، فإن نتائج الانتخابات الجماعية الأولى، كانت لصالح الاتحاد الوطني وحزب الاستقلال في معظم المدن المغربية، وبالنسبة للأول منهما، فلقد فاز مرشحوه في العاصمتين الإدارية والاقتصادية وغيرهما بينما كان النصر حليف مرشحي حزب الاستقلال في العاصمة العلمية وفي مراكش وسلا ....

أما الحزب الشيوعي، الذي كان محظورا في المغرب، في أعقاب حكم محكمة الاستئناف الصادر في سنة 1959، فإنه كان يطالب، هو بدوره، بالتمثيل النسبي.

ومنذ استئناف نشاطاته، بصفة قانونية ورسمية، في شهر غشت 1974، ما فتئ يؤكد أن مجلس النواب لن يكون بالفعل مرآة تنعكس عليها القوى المنبعثة من الأمة إلا بإقرار التمثيل الكامل (انظر الافتتاحية، التي خصصتها لهذه المسألة، فور إعلان نتائج الانتخابات الجماعية في 10 يونيه 1963، وقبيل إجراء الانتخابات التشريعية، التي كان من المفروض أن تنظم في شتنبر 1983 والتي أجلت إلى 14 شتنبر 1984).

تعالج مؤلفات القانون الدستوري والعلوم السياسية المعارف العامة الواردة في المقدمة ؛ *المجلة الفرنسية للعلوم السياسية* ؛ *مجلة القانون العام الفرنسية* ؛ اليومية الفرنسية لومند، أبريل - ماي 1979، يونيه 1983، يونيه 1987 ؛ الأسبوعية الفرنسية *لكسبريس*، بعد انفصال مجموعة من أعضاء حزب العمال البريطاني وإعلانهم عن تأسيس حزب جديد يحمل اسم الحزب الديمقراطي الاجتماعي، في خريف 1979 ؛ الأسبوعية الفرنسية *لوپوان*، بعد انهزام حزب العمال في الانتخابات التشريعية لماي 1979 ؛ البرنامج الإذاعي الذي تقدمه بانتظام الإذاعة الفرنسية تحت عنوان : *وجها لوجه مع العموم* ؛ البرنامج الإذاعي الذي تقدمه بانتظام الإذاعة الفرنسية تحت عنوان : *ملتقى* ؛ البرنامج الإذاعي *أضواء*، الذي تقدمه الإذاعة البريطانية في قسمها العربي ؛ *القانون التنظيمي المغربي*، الصادر بتاريخ 9 ماي 1977 والخاص بتأليف مجلس النواب وبشكل الاقتراع، وبالقانون الأساسي للنواب ؛ *التعديلات التي* أدخلت على القانون التنظيمي المذكور في غشت 1979 وذلك لتمكين إقليم وادي الذهب المحرر من أن يكون ممثلا بثلاثة أعضاء داخل مجلس النواب، والتعديلات التي أدخلت من جديد على نفس القانون في يونيه 1983 وذلك ليصبح مجلس النواب يتألف من 306 من الأعضاء بدلا من 279 عضواً بحكم النمو الديمغرافي الذي عرفه المغرب منذ السبعينات ولتمكين جالياتنا في الخارج : في أوربا وأمريكا وكندا والمشرق العربي من أن تكون ممثلة في المجلس المذكور ؛ *القانون الانتخابي الفرنسي*، الذي تم التصويت عليه من طرف البرلمان في ربيع 1985 والقاضي بإقرار التمثيل النسبي على الصعيد الإقليمي وذلك لتطبيقه في الانتخابات التشريعية التي كانت ستجرى في 16 مارس 1986 ؛ *البيان*، جريدة يومية تصدر باللغتين العربية والفرنسية.

عبد الرحمن القادري

**الأنْتْراسيت**، anthracite **فحم غني بالكربون، تقل** فيه المواد المتبخِّرة. وهو مادة غير متجانسة فيزيائيا وكيماويا، مكونة من كربون وهدروجين وكميات من الكبريت والآزوط. وتنتج هذه المادة عن تراكم عناصر نباتية متجزئة تعرضت للنقل ثم عرفت التآكل داخل الماء. والأنسجة النباتية المتراكمة مكونة أساسا من خليوز وخشبين، إضافة إلى مواد ثانوية أخرى.

ويتم فساد المادة النباتية تحت تأثير آليات عدة : أكسجين وأنزيمات وطحالب وبكتيريا. والعملية عبارة عن تدهور للأنسجة بيوكيماوية أساساً، وكيماويا بصفة ثانوية، حيث يتم تدهور الخليوز وتركز نسبي للعناصر المتأصلة من الخشبين وللدهنيات والشمع والصمغ.

وتعتبر طرق ترتيب المواد الفحمية إما الجانب الجيولوجي والكيماوي أو الجانب الصناعي. وأكثرها استعمالا تلك التي تعتبر الأصل الجيولوجي للفحم وتعبر عن مراحل تطوره بمعاملات كيماوية مضبوطة.

الجوانب الجيولوجية : خلال التاريخ الجيولوجي الذي عاشه المغرب، تم تكوين أحواض فحمية من النوعين الساحلي والبحيري، أهمها الحوض الساحلي لجرادة، الوحيد الذي يستغل لإنتاج الفحم. وهو يشغل قلب مقعر هرسيني كبير مكون من أراض من الڤيزي الأعلى والڤسطفالي، ويظهر وسط بهرة ممتدة في سلسلة الهورست، أبعادها 48 × 13 كلم. وداخل هذه السلسلة من التكوينات يقتصر الإنتاج الفحمي على طبقة الڤسطفالي (رقم ج).

تمتد هذه الطبقة على مسافة 8 كم، وتغلفها شرقا رواسب ترياسية وغربا سلسلة ترياسية ولياسية. وتبدأ الطبقة بمستوى رصيصي قاعدي، وتشكل من مجموع سبعة عشر عرقا فحميا، أربعة منها فقط قابلة للاستغلال حاليا، سمك كل واحدة بين 45 و75 سم. والمستويات جد ملتوية ومنكسرة، مما يجعل من منجم جرادة أحد المناجم الأكثر تعقيدا من حيث امكانيات الاستخراج.

معدل الإنتاج حالياً 700.000 طن سنويا. أما المخزون المضمون فيساوي 25 مليون طن، بينما يرتفع المخزون الإجمالي إلى 145 مليون طن.

الإنتاج وتطوره : يتم استخراج الفحم من آبار ومنزلات منحدرة متفرقة. وحتى سنة 1952 كان المنتوج يوجه إلى محطة انطلاق مجهزة بتلفريك طوله 23 كلم في اتجاه مغسل كنفودة، 33 كلم جنوب وجدة. ومنذ 1952 تربط المناجم سكة حديدية تتجه إلى مغسل حاسي بلال ومن هناك إلى خطوط الشبكة الوطنية للسكة الحديدية. وهذا ما يسمح بإرسال الفحم مباشرة بعد عملية الغسل في كل الاتجاهات.

ومنذ بداية الاستخراج إلى الآن، عرف نشاط منجم جرادة المراحل التطورية التالية :

- من 1930 إلى 1951، تطور تدريجي مع معدل استخراج مقداره 15.000 طن سمح بارتفاع الإنتاج سنة 1951 إلى 376.000 طن.

- خلال المرحلة 1951 . 1961، تم انطلاق محطات استخراجية جديدة، منها المغسل الجديد في حاسي بلال. كما انطلق خلال هذه المرحلة خط السكة الحديدية. أما الإنتاج فقد تطور ليصل سنة 1953 إلى 570.000 طن.

- بقي الإنتاج محدودا خلال المرحلة 1960 . 1970، بمعدل 400.000 إلى 450.000 طن.

- وفي السبعينات انطلقت المحطة الكهربائية، كما بدأ الاستخراج من منجم جديد، مما سمح بارتفاع الإنتاج إلى 700.000 طن سنة 1977.

- وخلال المرحلة 1980 . 1988 تم الاحتفاظ على مقدار الإنتاج في مستوى 700.000 طن وذلك رغم نفاذ الحوض الشمالي والاكتفاء بالمحطة الاستخراجية 5 الجديدة. وقد تم التوصل إلى ذلك بسبب الشروع في مكننة عملية الاستخراج وتعميق بئر جديد إلى 800 م.

وسائل الاستغلال : لقد عرفت طرق الاستغلال تطورات هامة. فمنذ الانطلاق، اعتمدت الطريقة المستعملة على الهدم بالمطرقة الآلية والتخشيب بمساند وأعمدة. أما النقل فيتم تلقائيا بالجاذبية داخل ممرات صفيحية، كما يتم حفر الأروقة باستخدام المتفجرات. لكن هذه الطرق تتطلب أعدادا وافرة من الأيدي العاملة مما جعل جرادة تستقبل وافدين عليها من جميع أنحاء البلاد.

وقد تدخلت تدريجيا طريقة الأشرطة الناقلة لتعريض العربات، كما أدخلت منذ 1970 طرق جديدة للاستخراج تعتمد على المكننة قصد رفع الانتاجية. إلا أن المحاولات الأولى توقفت سريعا لأسباب تقنية ومالية، ثم تم القيام بمحاولات أخرى أكثر جدية في السنوات الأخيرة، سمحت بجعل المكننة أكثر انتشاراً داخل محطات الاستخراج.

الدور البشري والاجتماعي لإنتاج الأنتراسيت : تصل ساكنة جرادة حاليا إلى ما مقداره 60.000 نسمة، بينما كانت المنطقة شبه خالية قبل اكتشاف الحوض الفحمي. ويشتغل بالمنجم حوالي 7.600 من هؤلاء السكان، أغلبهم يقطنون في أحياء تملكها الشركة (أكثر من 4.000 مسكن في المجموع).

وتضمن شركة مفاحم المغرب لكل المشغلين لديها ولأفراد أسرهم العلاج الطبي داخل مستشفى ومراكز صحية تملكها إلى جانب عدة تجهيزات اجتماعية (مدارس ـ مركز ثقافي ـ ملاعب ـ مركز اصطياف بالسعيدية ـ مركز تكوين في الحرف التقليدية ـ معمل للملابس ـ ناد للعمال وآخر للمهندسين.

دور الأنتراسيت في تغطية الحاجيات الطاقية للبلاد : منذ انطلاق الاستخراج سنة 1930، انتجت مفاحم جرادة ما يعادل طاقة 14 مليون طن من النفط، يعني بعبارة أخرى الاستهلاك الوطني الحالي من النفط خلال 3 سنوات.

قبل 1970 كان فحم جرادة يوجه أساسا إلى المحطات الكهربائية بوجدة والبيضاء وإلى معمل الإسمنت بمكناس. ومنذ انطلاق محطة جرادة الكهربائية سنة 1971، صار جل الإنتاج يقتصر عليها ولا ترسل إلى محطتي البيضاء ووجدة إلا كميات ضعيفة. وهكذا مثل استهلاك محطة جرادة ما مقداره 9,5 مليون طن ما بين 1971 و1988، من ضمن إنتاج عام ارتفع إلى 13 مليون طن، أي بنسبة 74٪.

أما عن تغطية حاجيات البلاد من الطاقة، فقد كانت تساوي مساهمة فحم جرادة 21٪ سنة 1956 في وقت كانت فيه الطاقة الكهربائية تمثل 18٪ بينما كان المغرب يستورد حوالي 52٪ من حاجياته. وتطورت الوضعية منذ ذلك الوقت بشكل ملحوظ كما يشير إلى ذلك الجدول التالي :

| السنة | نصيب الفحم من الطاقة المستهلكة | نسبة الاستيراد |
|---|---|---|
| 1956 | ٪21 | ٪52 |
| 1965 | ٪15 | ٪58 |
| 1974 | ٪11 | ٪76 |
| 1980 | ٪ 8 | ٪83 |
| 1982 | ٪ 9 | ٪87 |

أما فيما يخص دور فحم جرادة في تغطية الحاجيات الكهربائية، فإنه يظهر من خلال الجدول التالي :

| السنة | نصيب الطاقة الكهروحرارية المنتجة بفحم جرادة | نصيب الطاقة الكهرومائية |
|---|---|---|
| 1956 | ٪ 8,5 | ٪88,4 |
| 1965 | ٪ 9,5 | ٪89,1 |
| 1974 | ٪38,2 | ٪48,2 |
| 1980 | ٪26,3 | ٪32,1 |
| 1981 | ٪29,3 | ٪12,8 |
| 1982 | ٪ 9,4 | ٪10,5 |

تلاحظ تقوية تدريجية لدور الفحم الوطني بعد انطلاق محطة جرادة سنة 1971، بينما نسبة الطاقة الكهرومائية في تراجع سريع وذلك رغم الاستثمارات الهامة المحققة في هذا الميدان بعد الاستقلال.

*وثائق مفاحم جرادة.*

حماد حضيكي و حسن رحيوي

**أنتسيرابي**، Antsirabé مدينة صغيرة في جزيرة مدغشقر تقع على ارتفاع 1.500م في سلسلة جبال أنكارانرا على مسافة 170 كلم جنوب أنتنانريفو عاصمة هذه الجمهورية. ويبلغ سكانها بضع عشرات من آلاف النسمات، وهم مزيج من أهل الجزيرة الأصليين والزنوج الإفريقيين

والمهاجرين من الأندونسيين والعرب وقليل من الغربيين الذين استوطنوها منذ قرون.

كانت أنتسيرابي المحطة الثانية التي نفي إليها يوم 29 يناير 1954م جلالة محمد الخامس وأسرته بعد المحطة الأولى وهي زونزا في جزيرة كورسيكا يوم 20 غشت 1953. ظل جلالته منفيا بأنتسيرابي إلى 29 أكتوبر 1955 يوم عودته إلى فرنسا في طريقه لاسترجاع عرشه بعد الاتفاق مع الحكومة الفرنسية على بيان تضمن «الشروع في مفاوضات تتيح للمغرب أن يرقى إلى وضعية دولة عصرية ذات سيادة».

أما السبب في نقل محمد الخامس من كورسيكا إلى مدغشقر فهي الإشاعة التي راجت حول تخطيط جماعة من المقاومين المغاربة لخطفه وترحيله إلى المنطقة الشمالية من المغرب التي كانت تحت الحماية الاسبانية إذ ذاك والتي ظل خليفة السلطان بها على ولائه ولم يعترف بالأمر الواقع الذي ارتكبته فرنسا.

قضى محمد الخامس في منفاه ببلدة أنتسيرابي واحدا وعشرين شهرا ظل خلالها كريما مثلما كان صامدا في الدفاع عن قضية بلاده في الماضي، فلم يقبل التنازل عن المشروعية وعلي أي حق من حقوقها بالرغم من التهديد والوعيد. كان يتابع أحداث مقاومة شعبه الذي استبسل وضحى لإعادته إلى عرشه. ولم تفته فرصة لتحرير المذكرات والتقارير وتوجيه الرسائل من منفاه احتجاجا على ما كان يعانيه شعبه متخذا من نجله سمو ولي العهد مولاي الحسن كاتبه وأمين سره. أما عن سيرته في منفاه، فقد آثر عيشة البساطة وسط العائلة الملكية وبين سكان أنتسيرابي الذين كانوا يعزونه ويقدرونه ويقدمونه عليهم في الإمامة وخطبة صلاة الجمعة.

تعبت الحكومة الفرنسية من مواجهة أعمال المقاومة والفداء التي لم تزدد إلا استفحالا مع مرور الأيام، فلم يُجده تبديل ممثليها ولا ما انتهجوه من أساليب القمع. وسعيا للخروج من المأزق، أخذت حكومة باريس تبحث عن الحل بطرح بدائل لعلاج الأزمة المغربية - الفرنسية، من ضمنها إحداث مجلس للعرش واستدعاء مؤتمرإيكس - لي - بان وإرسال موفدين وبعثات للاتصال بمحمد الخامس واستخراج رأيه في الحلول الممكنة.

من بين كبار المبعوثين الذين أوفدتهم الحكومة الفرنسية إلى أنتسيرابي الأستاذ جورج إيزار محامي محمد الخامس والدكتور دوبوا روكبير طبيبه الخاص. ثم ما كاد ينفض مؤتمر إيكس - لي - بان في 27 غشت 1955 الذي دعا إليه م. إدغارفور رئيس الحكومة الفرنسية جميع الذين يعنيهم علاج الأزمة من مغاربة وفرنسيين، حتى أوفد الجنرال كاترو الرئيس الأعلى لجوقة الشرف وهنري إيرسيو مدير ديوان وزير الخارجية أنطوان بني. وتوجه على إثرهم بعد ذلك إلى أنتسيرابي الأمير مولاي الحسن بن إدريس صهر محمد الخامس، والسيد مبارك البكاي أحد الذين أبلوا البلاء الحسن في الدعوة لرجوع المشروعية، والحاج الفاطمي بنسليمان الذي كان مرشحا لتأليف أول حكومة للتفاوض. كما توجه وفد حزب الاستقلال برئاسة الحاج عمر بن عبدالجليل ووفد من حزب الشورى والاستقلال برئاسة المحامي الأستاذ عبدالقادر بنجلون.

وبعد العديد من المخابرات بين جلالة محمد الخامس والحكومة الفرنسية عن طريق مبعوثين ووسطاء استمرت عدة شهور، وبعد مشاورات بين جلالته وزعماء الأحزاب السياسية وبعض كبار الشخصيات، بدأ انفراج الأزمة بتنحية محمد بن عرفة الذي نصبته فرنسا على عرش المغرب وترحيله عن الرباط يوم 28 أكتوبر 1955، والإعلان عن قيام مجلس للعرش مقامه، ثم استقدام محمد الخامس من أنتسيرابي إلى فرنسا والاتفاق معه، وأخيرا بعودته إلى الرباط لتولي عرشه من جديد يوم 16 نوفمبر 1955 ومناداته بنهاية الحجر والحماية وبزوغ فجر الاستقلال.

ق. الزهيري، *محمد الخامس الملك البطل*.

*Larousse illustré ; Le Mémorial du Maroc.*

قاسم الزهيري

**إِنْتي**، عمر بن يحيى الهنتاتي المشهور كذلك بكنيته أبي حفص. يسميه البيذق فاسكات بن يحيى، ويسميه عبدالواحد المراكشي «عمر بن ومزال الذي كان اسمه قبل هذا فصكه، فسماه ابن تومرت عمر، يعرفونه بعمر إنتي» وسماه ابن قنفذ، نقلا عن المصادر الحفصية ولا شك: «أبا حفص عمر بن يحيى بن عبد الله العمري الهنتاتي». والنسبة العمرية هي بكل تأكيد من مجاملة المؤرخين للدولة الحفصية. والمهم هو أنه ينتمي لإحدى القبائل المصمودية الكبرى هنتاتة التي نوهت بها المصادر وخاصة ابن خلدون إذ يقول عن ابنائها: «ولهم في قومهم مكان بامتناع معقلهم وإطلاله على مراكش». وقد ذكرهم البيذق في المنزلة الثالثة بين القبائل الموحدية بعد هرغة وأهل تينمل.

وهاته المنزلة هي التي حدت بالمهدي إلى النزول بأرض القبيلة لمناعتها واللجوء إلى دار إنتي في سنة 1120/514. وبما أننا لا نعرف تاريخ ميلاد المترجم، فيمكن أن نقدر على وجه التقريب، أنه كان آنذاك شابا يتراوح سنه بين خمس وعشرين وثلاثين سنة، أي أن ميلاده يقع بين 485 و490 هـ. ويذكر *المعجب* أنه كان رابع من انضموا إلى المهدي.

وما لبث المهدي أن لمس نجابته، فأسند إليه قيادة قبيلته في غزوته الرابعة، كما ذكر البيذق. وهكذا واكب أبو حفص دعوة المهدي وشارك فيها مشاركة فعالة منذ بدايتها. ويعتبر ابن قنفذ أن تلك المشاركة كانت فعالة في نجاح دعوة المهدي. فكان أحد أفراد الجماعة أي أصحاب المهدي العشرة الذين كان منهم المجلس الأعلى الذي يرجع إليه تدبير شؤون الدعوة ومحاربة المرابطين. وكان المهدي يقدره كثيرا ويسميه "المبارك" ويقول: لا يزالون بخير ما بقي فيهم هذا الرجل أو أحد من ولده.

وبرزت شخصيته بصورة أقوى عند وفاة المهدي. ذلك أن وصية هذا الأخير كانت تقتضي إسناد خلافته لعبد المومن بن علي الكومي الذي لم يكن ينتمي إلى مصمودة، فكان، إذن، من الحكمة اعتبار اعتراض المصامدة على بيعته وأخذ الحيطة الكافية لتنفذ وصية المهدي، دون مصاعب. وكان أبو حفص، حسب رواية ابن خلدون، هو الذي أقدم على بيعة عبد المومن ودعوة المصامدة إلى الاقتداء به، وذلك بعد مرور ثلاث سنوات على وفاة المهدي لأن أصحابه تخوفوا من افتراق الكلمة فكتموا موته ثلاث سنين «يموهون بمرضه» إلى أن ظهرت لهم الفرصة المواتية، فكان لمبادرة أبي حفص دور حاسم في تاريخ الدولة الموحدية.

ويقدم ابن خلدون تفسيرا لمساندة أبي حفص لعبد المومن، فيذكر أن هذا الموقف لم يتم إلا بعد أن «صدع الشيخ أبو حفص، أمير هنتاتة وكبير المصامدة لمصاهرته»، فتزوج من بنت عبد المومن .والمصاهرة السياسية من هذا النوع تفتح باب التعاون والتآزر، بحيث نجد المترجم يقوم بأعمال جليلة في عهد عبد المومن ولا يقصِّر في الإخلاص والنصح. طبعا، إن أكثرية الجماعة من المصامدة، كانوا يميلون بهواهم إلى بيعة واحد منهم. ولكنهم، كانوا مقيدين بوصية المهدي الذي عين عبد المومن أمامهم وليا لعهده.

بعد ذلك، تبدأ صفحة مهمة من نشاط المترجم في عهد عبد المومن. فنجده يرافقه في مطاردته الطويلة لتاشفين التي دامت سنوات، ويقوم بدور حاسم في القضاء على العاهل المرابطي. فقد وجهه عبد المومن إلى ناحية وهران في بلاد بني ومانو وبني توجين وبني ورسيفن وهي قبائل زناتية كانت معادية للموحدين. فهزمهم ورجع بغنائم كثيرة إلى جهة وهران، حيث كان الحصار مضروبا على تاشفين وجيشه. وضيق أبو حفص الخناق عليه ووصل بجيشه من الموحدين إلى باب الحصن الذي كان التجأ إليه، فأخذوا النوائل التي كانت في محلة تاشفين والحطب وغير ذلك وجعلوها على باب الحصن وأضرموا فيها النار، فأيقن تاشفين ومن معه بالهلاك وبادروا إلى الفرار. وهكذا زهقت رجل فرس تاشفين وسقطت في حافة عظيمة ومات تاشفين سنة 539 / 44 .1145.

توجه أبو حفص بعد ذلك للمشاركة في حصار فاس مع أبي إبراهيم. ورافق بعد ذلك عبد المومن وهو في طريقه إلى مراكش. وبعد فتح مدينة سلا، وجهه هذا الأخير لمحاربة برغواطة، الذين هزمهم في تلك الوقعة، وعاد إلى عبد المومن بالغنائم فقسمها على الموحدين وواصلوا طريقهم نحو مراكش.

لم تكن علاقة إنتي الوطيدة بعبد المومن تعني أنه كان خاضعاً له ومنقاداً بدون قيد ولا شرط، بل بدرت منه مواقف تدل على استقلال في الرأي وخلاف مع صاحبه. من جملة ذلك موقفه من مقتل إسحاق آخر ملوك المرابطين. فالمصادر تذكر أن عبد المومن رق له لصغر سنه وكاد يعفو عنه. لكن بعض أشياخ الموحدين صاحوا في عبد المومن محتجين رافضين، وكان من بينهم أبو حفص الذي لم يأبه لغضب الخليفة ولم يتبعه وبقي في مكانه ليحضر مقتل إسحاق. وهذا لا يدل على أنه كان أقسى من عبد المومن، بل لأنه كان يختلف عنه شعورا في النظر لهذه القضية. فهو زعيم أكبر قبيلة مصمودية. ومصمودة كان لها عداء قديم ومستحكم مع المرابطين، وكل حلم أو تساهل منه لن يؤوَّل على حقيقته. ومن ذلك موقفه عند مقتل إبراهيم، أخي عبدالمومن. واستقلاله في الرأي وصراحته مع الصدق والإخلاص هي الخصال التي جعلته يحظى باحترام عبدالمومن وثقته. فمن المعلوم أن الدولة الموحدية وجدت نفسها بمجرد قيامها أمام معارضات وثورات، فمن جملة ذلك ثورة عمر بن الخياط في جزولة الملقب ببويكندي الذي انتشرت ثورته في عدد من القبائل مثل حاحة وركراكة وهزميرة ودكالة. وانهزم أمامه القائد الموحدي ابن بكيت، فخرج إليه أبو حفص وقمع أنصاره وهزمه. وبعد ذلك توجه للانتقام من هسكورة فهزمهم.

وأخطر من هذه الثورة ثورة محمد بن عبد الله الماسي سنة 541 الذي ادعى الهداية واستقر برباط ماسة وتسمى بالهادي. وصادفت دعوته نجاحا منقطع النظير. ولم يبق مع الموحدين إلا مراكش وفاس وارتدت عليهم سائر البلاد كلها، وباتت الدولة القائمة في خطر، ورجعت أول حملة للموحدين منهزمة، فتوجه حينئذ أبو حفص على رأس جيش فيه أشياخ الموحدين إلى رباط ماسة، وهنالك جرت المعركة مع الثائر، انتهت بهزيمة أصحابه ومقتله في الميدان. وبعد ذلك توجه أبو حفص لفرض هيبة الدولة في عدد من الجهات مثل هيلانة وهسكورة وسجلماسة. إلا أنه صادف صعوبات مع برغواطة الذين أصروا على وفائهم للماسي وردوه منهزما عنهم.

كان عمل أبي حفص في السنوات الأولى من قيام الدولة الموحدية يتلخص في قيادة الجنود من أجل تهدئة القبائل وضبط الأقاليم وتوطيد سلطة النظام الجديد في كل الجهات. وكان، في نفس الوقت، هو المستشار الأول لعبد المومن، والوزير الذي يساعده في كل المهمات. فنجده، مثلا، على رأس رجال الدولة الذين ذهبوا سنة 545 هـ لاستقبال وفد الأندلسيين الذين جاءوا للسلام على عبد المومن في مدينة سلا. وفي سنة 546، كان أبو حفص من جملة الأشياخ الذين استشارهم عبد المومن لما فكر في الذهاب إلى أفريقية حين بلغه فساد الأمن بها وعبث الأعراب في ربوعها واستخلف عبدالمومن أبا حفص على مراكش، لما ذهب في تلك الوجهة.

وتمر سنوات لا تتحدث فيها المصادر كثيرا عن المترجم. ونفترض أنه قضاها في مساعدة عبد المومن على توطيد كلمة الدولة سياسيا وعسكريا. ومصادرنا لا تتحدث عادة إلا عما هو بارز ومثير في شريط الأحداث. ومهما يكن، فنستطيع أن نقول إن أبا حفص بدأ يهتم بالأندلس ويتهيأ

لمرحلة مهمة جدا في تاريخ حياته، يمكننا أن ندعوها المرحلة الأندلسية.

هكذا وجهه عبد المومن سنة 1154/546 إلى الأندلس على رأس جيش عظيم من الموحدين وبرفقته السيد عثمان بن عبد المومن لمحاربة النصارى واستنقاذ مدينة ألمرية التي كانوا قد احتلوها. وتمكن الموحدون فعلاً من استعادة المدينة. ويذكر *المعجب*، بكل إيجاز، أن الذى فتح بلاد الأندلس كان هو «الشيخ أبو حفص عمر إنتي» (ص 213) وللباحث أن يتساءل : لماذا قبل عبد المؤمن أن يفترق عن مساعد جرب كفاءته وفائدته ؟ ولماذا جعله مع أحد أبنائه في حملة الأندلس ؟ هل أراد أن يبعده عن جواره حتى يخلو له الجو ويتصرف بحرية في سياسته ؟ هل أراد أن يشغل أبا حفص بمشاكل عويصة في الأندلس عن التفكير في أي طموح سياسي؟ أم ثقته بكفاءته العسكرية والسياسية ه التي جعلته يختاره لتلك المهمة الصعبة ؟.

أسئلة ليس من السهل الجواب عليها لسكوت المصادر عنها. وكل ما نعلم هو أن عبد المومن الكومي كان متضايقا من مراقبة شيوخ المصامدة وتدخلهم. وبرغم العلاقات الوطيدة التي كانت تربطة بأبي حفص، أحد زعمائهم، فإنه، ولا شك، كان يتخوف، في الباطن، من منافسته. كم بقي أبو حفص بالأندلس ؟ لسنا ندري بالضبط، وإنما نلاحظ مشاركته في قمع الثورات التي وقعت بالجنوب المغربي حوالي 549 هـ، ثورات قبائل جزولة ولمطة وهشتوكة الخ... واستمر في عمله إلى جانب الخليفة الذي ازداد تأكدا من إخلاصه كما تدل على ذلك التطورات التي مرت منها قضية ولاية العهد. لقد كان عبد المومن راغبا في إسناد ولاية العهد لابنه محمد، فأوعز إلى بعض القبائل العربية والصنهاجية باقتراحه وترشيحه حتي يتخذ القرار عن طريق الشورى والتراضي، وحتي يظهر براءته من أي قصد سابق. وكان أول من بدأ البيعة هو الشيخ أبو حفص. وهنالك رواية تقول إن أبا حفص كان هو ولي العهد المقرر وأنه تنازل لمحمد بن عبد المومن لما وقع ترشيحه من لدن بعض القبائل.

وتتأكد الثقة بين الرجلين حينما أسند عبد المومن لأبي حفص الخلافة على مراكش، حسب *القرطاس*، لما غادرها متوجها إلى أفريقية على رأس جيش كبير سنة 553. لكن رواية ابن غذارى تعطي لهاته المهمة مجالا أوسع يتجاوز الحضرة المراكشية، إذ يذكر أن عبد المومن «استخلف مكانه على بسائط العدوة الشيخ المذكور المرحوم أبا حفص عمر بن يحيى ليتطلع أمر البلاد الغربية» (*البيان* ص .61)، بمعنى أن النيابة كانت تشمل بلاد المغرب الأقصى بكاملها.

بعد ذلك نجده بالأندلس مرة أخرى سنة 555 ليحضر بناء مدينة جبل طارق التي أمر عبد المومن بإقامتها، فكان ضمن الشخصيات التي التقت هنالك بوالي غرناطة السيد عثمان بن عبدالمومن لتدبير هذا الأمر. وحضر عبد المومن في نفس السنة لمشاهدة المدينة في حفل حافل فقام بتعيينات على الولايات بالأندلس، كان من جملتها إسناد ولاية قرطبة إلي أبي حفص. وهي ولاية صعبة نظرا لمجابهتها المستمرة لاعتداءات القشتاليين.

والظاهر أن إنتي ظل قائما في ولايته إلى سنة 558 حيث أصاب عبد المومن المرض الذي مات منه، ذلك أن الخليفة قرر أن يقوم بحملة كبرى في الأندلس، فتوجه على رأس جيش كبير إلى سلا. ودعا سائر القادة والأشياخ من الموحدين والعرب لعقد مجلس حربي هنالك. ولا شك أن أبا حفص حضر في تلك المناسبة. وفي أثناء ذلك مرض عبدالمومن فقرر أن يخلع ولده محمدا عن ولاية العهد لأسباب دعته إلى ذلك وأن يعين بدله ولده يوسف. وقد قام أبو حفص بدور مهم في تلك التغييرات التي حدثت، سيما وعبد المومن على قاب قوسين أو أدنى من الموت. ولما أحس بدنو أجله دعا أبا حفص فأسند إليه وصيته بالوقوف إلى جانب ولي عهده.

وكذلك كان. فما أن توفي عبدالمومن في 10 جمادى الآخرة سنة 15/558 مايو 1163 حتى كان أبو حفص الهنتاتي إلى جانب السيد أبي حفص بن عبد المومن يقوم بتدبير بيعة أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن، فكان أول من شهد بوصية هذا الأخير في شأن ولاية العهد، وقام بدورفعال في جمع المصامدة والموحدين حول الأمير الجديد. فوعظهم جميعا على اختلاف طبقاتهم وذكرهم بالواجب فيما يخص البيعة، دون أن يفشي سر وفاة الخليفة واستعمل في ذلك صنوف دهائه إلى أن افترق الجيش عن مدينة سلا وعاد يوسف إلى حضرة مراكش.

لم يكتف إنتي بذلك، بل إنه سهر بنفسه على تمهيد دولة يوسف بما أظهره من نصح وخدمة متواصلة وملازمة للأمير. فيذكر ابن صاحب الصلاة أنه «لا زم الجلوس والحضور بنفسه في المجلس العالي واقتدى الموحدون - أعانهم الله - به في حسه فثابروا البكور والالتزام على التوالي، فاتصلت الحال واستقامت على الطريقة، وثبتت الأعمال والآمال بالحقيقة» (ص 237).

والذي يثير العجب في شخصية أبي حفص أنه، برغم كبر سنه، ظل يضطلع بالمهام الصعبة ويباشر القيادة العسكرية. فنجده في سنة 64/560 ـ 1165، عند اندلاع ثورة صنهاجة بشمال المغرب الأقصى، يكون أول من قاد جيشا لمنازلة الثائرين الذين اضطروا إلى الاعتصام بجبل الكواكب المنيع. وكان لا بد من القيام بعملية عسكرية كبيرة للقضاء عليهم.

وفي سنة 564 وجهه الخليفة يوسف على رأس جيش كبير إلى الأندلس لمواجهة النصارى الذين شددوا ضغطهم على غرب الأندلس، في جهة البرتغال الحالي، وليكون طليعة للحملة التي كان الخليفة يستعد لها. وعند حلوله بالأندلس قرأ على أهلها رسالة الخليفة بقصد إعلامهم وتطمينهم. وما هي إلا أيام حتي كتب إلى يوسف يبشره بانتصار الموحدين على «هنريكز» (ابن الرنك)، ملك البرتغال وإنقاذ مدينة بطليوس من خطر الاحتلال.

ولما انفصل ابن همشك عن صهره ابن مردنيش بعد إهانة هذا الأخير له، لم يجد لنفسه ملجأ للدخول في طاعة الموحدين إلا عن طريق أبي حفص الذي وقف إلى جانبه وكتب في شأنه إلى الخليفة سنة 564. وانتهى به الأمر إلى أن جاء في صحبته إلى أشبيلية ليسلم على السيد أبي حفص شقيق الخليفة القادم من المغرب وبذلك انتهى عصيانه.

وفي سنة 566 حضر إنتي مجلسا حربيا انعقد من أجل القضاء على ابن مردنيش الذي كانت حركته بلغت حدا كبيرا من التدهور. وفي السنة الموالية قرر هلال ابن مردنيش الاستسلام والدخول في طاعة الموحدين فالتجأ هو الآخر إلى أبي حفص ووفد على الخليفة إلى أشبيلية في موكب فخم ليعلن ولاءه.

كان أبو حفص في ذلك الوقت قد بلغ من الكبر عتيّاً لكنه ظل، مع ذلك، نشيطا ومعتمدا لدى الخليفة وولاة الأندلس في المشورة وكل ما يخص القضايا الشائكة والمستعصية. فنجد ابن صاحب الصلاة ينوه برأيه وينسب إليه الانتصار الذي وقع بغزوة السبطاط سنة 568.

توفي إنتي سنة 571 / 1175 وهو عائد من قرطبة إلى المغرب، وهي السنة التي حدث فيها الطاعون والوباء وأتى على عدد كثير من سكان البلاد. وقد أصابه الموت قرب مدينة رباط الفتح، فدفن بها، بعد أن قضى حياته كلها في خدمة الدعوة الموحدية والدولة الناشئة عنها، بحيث إن حياته الشخصية كانت مندمجة مع حياة الدولة. وهذا ما جعل ذريته من بعده تتبوأ مكانة خاصة بين الموحدين وتترشح بدورها لتأسيس دولة كان لها شأن في تاريخ أفريقية هي الدولة الحفصيّة.

أ.البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ع. المراكشي، المعجب ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ع. ابن عذاري، *البيان* ؛ م.ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 ؛ م. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ؛ م. ابن أبي دينار، *المونس* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

## أنتيفة ← نتيفة

**أنجّار**، أحمد بن إبراهيم البوگرفاوي، كان في أيت باعمران كقرينه أعْجَلي بجبال جزولة، فكلاهما رفع راية الروايات السبع، وحظي بانتشار التلاميذ الذين تخرجوا به مع صلاح واعتقاد الناس فيه. نجهل كل شيء عن حياة أحمد أنجار، وعن شيوخه الذين أخذ عنهم، وكل ما نعرف أنه كان قطبا من أقطاب هذا الفن، يحفظ العشر الكبير وتخرج على يديه كثيرون. وكان للشيخ أنجّار ثلاثة أحفاد يتقنون القراءات السبع خلفوه في أداء رسالة هذا الفن.

ومن آثاره القرآنية : منظوم في الإرداف أسماه *بستان المبتدئ*. وجمع القراءات وإرداف بعضها على بعض من الموضوعات التي ابتدعها المغاربة والأندلسيون، ولم يكن السلف يجمعون بين الروايات في ختمة، بل يقرؤون كل رواية على حدة، وإنما حدث ذلك أثناء المائة الخامسة للهجرة على عهد الداني، ومكي، والأهوازي، والهذلي، ومن بعدهم. وله أيضا *تأليف في رمزية الشامي* مع اثنين من أصحابه، وكان لأهل سوس والصحراويين بعامة اعتناءٌ خاص بحرف الشامي ورواته. والرمزُ في القراءات من صنع المغاربة كذلك، لا تعرفه مدارس المشرق العربي، ولعل أول من اخترعه أبو القاسم الشاطبي. وتفنن المغاربة في هذا الميدان، ووضعوا مؤلفات في ذلك اختصروا فيها وجوه القراءات، وظهرت ـ أخيرا ـ مدرسة العدد، فأضافت إلى رموز القُرّاء عدد وجوه القراءات، واختلاف الروايات.

ولأحمد أنجار أيضا *منظومة في مجاعة عام 1266*. وأخرى في *عرف سقاية أگلو*، *ومؤلف في الطب* وخصائص الأسماء الحسنى. توفي أحمد أنجّار عام 1286/1869.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 5 ؛ *خلال جزولة*، ج 1 ؛ *سوس العالمة* ؛ ابن الجزري، *النشر في القراءات العشر*، ج 2 ؛ السفاقسي، *غيث النفع في القراءات السّبع*، ص 10 ـ 11. ابن القاصح على *الشاطبية* ؛ ط. مصطفى محمد بمصر 1352/1934 ؛ س.أعراب، *دعوة الحق*، س17، ص 73 ـ 75.

سعيد أعراب

**أنجرة**، تقع قبيلة أنجرة على مشارف مضيق جبل طارق وفي المنطقة المتراوحة ما بين مدن طنجة وسبتة وتطوان، وتبعاً لذلك فهي تشكل إحدى قبائل ما يعرف في الفترة المعاصرة بجبالة. لقد ورد ذكر سكانها منذ القديم في كتابات جغرافيين ومؤرخين على أنهم من سلالة المصامدة ( *المسالك*، 104) ، أو باعتبارهم مندرجين ضمن بطن مجكسة، فغمارة، ثم قبائل المصامدة كانتماء أوسع ( *العبر*، 436). كذلك تمت الإشارة، منذ تلك الفترة، إلى بعض معالمها البارزة كمرسى باب اليم أو قصر مصمودة من حيث كان يتم العبور إلى بلاد الأندلس، وكذا جبل موسى، وجزيرة ثورة وقرية بليونش.

إلا أن تسمية أنجرة ورد ذكرها لأول مرة في القرن السادس عشر، وذلك في *وصف إفريقيا* لصاحبه الحسن بن محمد الوزان الفاسي. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن كلمة أنجرة، جمع أنجر، تشير إلى المخطف الذي ترسو به السفينة فسنفهم آنذاك أن هذه التسمية لم تخرج ربما للوجود إلا عندما كثرت المراسي وتزايد استعمال الشواطئ الرملية على امتداد الساحل ما بين طنجة وسبتة ( *الزبد* : 40). وتسمية الأرباع الثلاثة التي تتشكل منها قبيلة أنجرة ـ الغابويين والبحراويين والبرقوقيين ـ هي أيضا بدورها، لا تشير إلى انتماء نسبي بقدر ما تشير إلى إطار جغرافي.

يشمل ربع البرقوقيين، أو القبيلة كما يسميه بعض الأنجريين في الوقت الحاضر، المداشر الداخلية في أنجرة البالغ عددها 38 مدشراً. مركزه الرئيسي هو سوق خميس أنجرة. ربع البحراويين، الممتد على الساحل فيما بين طنجة والقصر الصغير، يشتمل على 38 مدشرا، ملوسة هي مركزه

الرئيسي وبها ينعقد السوق الأسبوعي كل يوم اثنين. أما ربع الغابويين، الساحلي كذلك، فإنه يمتد ما بين سبتة والقصر الصغير - يتكون من 36 مدشرا، ويلتقي سكانه أسبوعيا في سوق ثلاثاء تغرمت (*La Kabila*, 18, 32, 49). يتعلق الأمر إذن بقبيلة كبيرة يمثل حجم كل ربع من أرباعها ما يعادل حجم قبيلة بكاملها في مناطق أخرى - أما مجموع مداشر أنجرة فيبلغ 112 مدشراً موزعة بصفة متوازنة نسبياً على أرباعها الثلاثة، وبالرغم من أن هنالك تفاوتاً في مساحة كل منها، فقد استجاب التكوين القبلي مع ذلك لمقتضيات التوازن بين الأرباع، وتضمن الأسس الإيكولوجية لاستقلالها النسبي، بحيث إن كل الأرباع الثلاثة تتوفر على نسب متقاربة من الأرض السهلية والجبلية، فالغابويون، كما يتجلى من التسمية ذاتها، ربع ذو طابع غابوي وجبلي واضح، ومع ذلك فإنه يشتمل على سهل الفنيدق ووادي الرمل والقصر الصغير؛ وربع البرقوقيين الذي تحتل الهضاب والمرتفعات جزءا واسعاً نسبياً من مساحته، يتضمن في نطاقه حوض خميس أنجرة؛ ويمكن إبداء نفس الملاحظة بخصوص ربع البحراويين الذي يتضمن، إلى جانب بعض المرتفعات، مساحات زراعية خصبة بوادي ملوسة ووادي أُليان وسيدي قنقوش.

وفي جل مداشر أنجرة نجد كذلك مزاوجة بين الملكية العائلية الخاصة، والملكية الجماعية التي تشكل في أغلب الحالات ملحقة تابعة لها.

إن ما يثير انتباه الزائر لأنجرة هو وعورة تضاريسها والتواء مسالكها، إضافة إلى طغيان المرتفعات في ربوعها، مما جعل موارد القبيلة تتمثل في الغابات والمراعي أكثر مما تتمثل في الأراضي الصالحة للزراعة - ثم إن مناخها ذو طبيعة متوسطية واضحة حيث تنقسم السنة إلى فصلين رئيسيين، أحدهما رطب ومعتدل والآخر جاف وحار، مما وجه الفلاحين الأنجريين عموماً نحو المزروعات التي تنتهي دورتها الفلاحية قبيل فصل الصيف، وحملهم على التعلق، فيما يخص الفاكهة، بالأشجار ذات القدرة على مد عروقها الطويلة في باطن الأرض بحثا عن المياه الضرورية كأشجار التين والزيتون والخروبة والرمان....

إلا أن ما يميز هذه المنطقة بوجه خاص هو قوة الرياح الشرقية التي تؤدي في كثير من الأحيان إلى إتلاف جزء من النباتات والمحاصيل الزراعية، وكذا إلى وضع عوائق إضافية على مستوى العمل والتنقل وترميم سقوف المساكن. وإذا أضفنا لذلك بدائية وسائل وطرق الإنتاج المعتمدة آنذاك من لدن الأنجريين، فسنفهم روايات بعض مسنيهم حول المجاعات التي تعرضت لها القبيلة فيما مضى، واضطرار سكانها، من حين لآخر، إلى استجلاب الزرع من قبائل الغرب.

إن موقع هذه القبيلة كأقرب نقطة جغرافية إلى أوربا فرض على سكانها أن يكونوا باستمرار ضمن الخطوط الأمامية في مقاومة الأجنبي - لقد شكل احتلال سبتة منطلقاً لمواجهة مستمرة مع الإسبان بلغت أوجها إبان حرب تطوان سنة 1860 م. وحيث إن تصدي الأنجريين للمحتلين الإسبان كان السبب المباشر في اندلاع هاته الحرب، بما نجم عنها آنذاك من فسح المجال أمامهم لاحتلال أجزاء أخرى من التراب المغربي، وفرض تعويضات مالية أثقلت كاهل السكان خلال سنوات طوال، فقد عمد المخزن، محاولة منه تلافي ما من شأنه أن يمنح الأجانب ذريعة إضافية للتدخل السياسي والعسكري، إلى إبعاد القبيلة تدريجيا عن التعامل المباشر معهم وسحب المبادرة منها في هذا المجال،

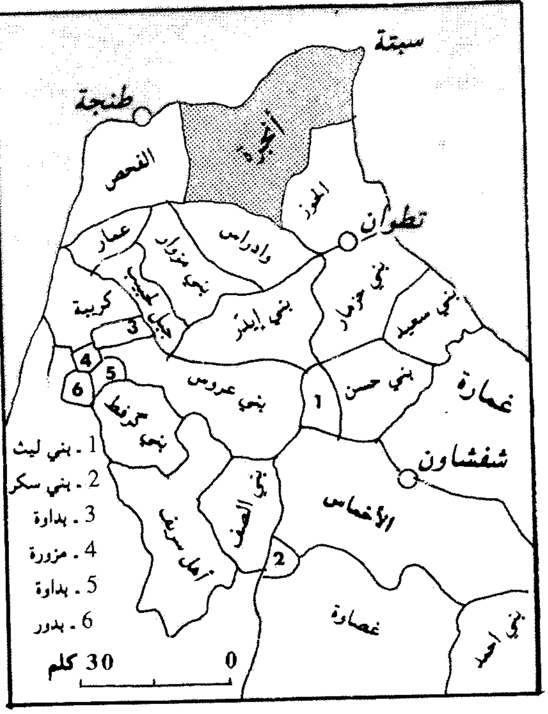


**أنجرة**

بتنحية الأنجريين عن «حدادة» سبتة وحراسة المراكز الساحلية وتعيين حكام من خارج القبيلة - ثم إن جوار مدينة طنجة، حيث كان يوجد آنذاك ممثلو العديد من الدول الأوربية، زاد من حساسية الأنجريين للضغوط الأجنبية ومنحهم مبررا إضافياً للتكتل القبلي، لقد كانت العلاقة بالأجنبي، عند أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هي المحور الأساسي للصلات المتقلبة والغير منتظمة ما بين أنجرة والمخزن، بحيث إن جل الأحداث والمعاملات، سواء منها المرتبطة بالجباية أو العصيان أو الزعامة المحلية وبالهجوم على المدن المجاورة، كانت تكتسب دلالتها إلى حد بعيد في سياق ردود الفعل الأنجرية تجاه التسرب الأجنبي، والتي لم تكن مماثلة، على مستوى الأسلوب المعتمد، لتلك التي انتهجها المخزن، بل إن طبيعة البنية القبلية نفسها وبما كانت تستند إليه من آليات التماسك والالتحام الداخلي، كانت تكتسب دلالتها، ولو جزئيا، في سياق ما شكله الحضور الأجنبي من تهديد لاستمرار الحياة القبلية.

إن العلاقات الانقسامية في أنجرة، مع أنها كانت منتشرة عبر مختلف مستويات السلم القبلي، فإنها لم تكن مع ذلك المحدد الوحيد لطبيعة السلطة في القبيلة، ولا للاستمرار النسبي للعلاقات الاجتماعية، وذلك لأن الجهاز المخزني كان فاعلاً ومؤثراً بدوره في أوضاع القبيلة، إما عبر ممثليه في المنطقة، أو عبر صلحاء مرموقين توكل إليهم مهام الوساطة وتهدئة الغليان القبلي، من ضمن هؤلاء يمكن أن نذكر مثلا الشرفاء البقاليين وأولاد أبي العيش والشرفاء الوزانيين، وفي هذا السياق كادت أنجرة بمحاولة من بعض الأعيان، لتعزيز موقعه السياسي بين المخزن وحماته الأجانب أن تقع مبكراً تحت الحماية الأجنبية، هذا إضافة إلى كون تحكيم الصلحاء وتأسيسهم لزوايا تخطى إشعاعها حدود القبيلة الواحدة، شكل تعديلا حقيقيا في تنظيمها الانقسامي، وأدى إلى استحالة حصول أي تطابق ما بين الجغرافية القبلية والجغرافية الدينية. لقد كسرت الزاوية البقالية والوزانية والدرقاوية والتجانية (Recuerdos, 39) الحدود والفواصل الضيقة للانتماء القرابي والقبلي للأنجريين ،وفتحت أمامهم مجال التعايش، ضمن إطار ديني ـ سياسي مشترك، مع جماعات ذات انتماءات قبلية متباينة ـ وأبعد من ذلك، صارت القبائل الجبلية، بما فيها أنجرة، تلتقي في ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش كلما اقتضت منها الظروف التماس مباركة الولي الصالح لتصالح حاصل، أو لخطوة قادمة في إطار التعبئة للجهاد، أو مواجهة خصم خارجي ـ من ذلك مثلا اجتماع ممثلي قبائل أنجرة وبني عروس وودراس والحوز وبني حزمر وبني معدان.... بالضريح المشيشي تحت إمارة الخليفة المنشق عن حركة بوحمارة محمد بن الحسن الحياني، حيث تم اتخاذ قرار الهجوم على تطوان سنة 1903م (Miscelanea, 68 - 69 ; Le siège, 274 - 275). وما كان الأنجريون ليشاركوا في هذا التحالف القبلي لو لم يكن الدعي بوحمارة قد أوحى لهم في البداية بأن ماهم مقبلون عليه هو ضرب من الجهاد ضد اليهود والنصارى وعملائهم من سكان المدينة، مستغلا بذلك ما كان يعتمل في نفوسهم من سخط واستياء، سواء إزاء تعدد أشكال التدخل الأجنبي في المنطقة، أو من جراء الانعكاسات المجحفة للمبادلات اللامتكافئة فيما بين المدينة وأحوازها.

أما الشريف مولاي أحمد الريسوني، فإذا كان قد تمكن من فرض سيطرته على العديد من القبائل الجبلية في السنوات السابقة مباشرة لإقرار نظام الحماية، فقد لقي في أنجرة، على هذا الصعيد، أشد أشكال الاعتراض والمناوأة، وتعذر عليه تبعاً لذلك، إدراجها ضمن دائرة نفوذه.

لم يكن الاستعمار الاسباني، إلى حدود نهاية حرب الريف، في هذا المجال أحسن حظاً من الشريف الريسوني، ذلك أن السكان قاوموا بضراوة التدخل الإسباني في أنجرة، وساهموا بحظ وافر في تدعيم الثورة الريفية، ولقد تحمل الأنجريون في ذلك صعاباً جمة حيث اضطروا حينئذ إلى التخلي عن مزروعاتهم ومغادرة سكناهم باتجاه الكهوف والجبال. ولم تمر سوى سنوات قلائل على التهدئة العسكرية حتى وجد الأنجريون أنفسهم محاصرين بعدد من الفرق والآليات العسكرية والثكنات جاثمة في جهات مختلفة من قبيلتهم، مما يعني أن أنجرة لم تكن، من وجهة نظر الإسبان، مورداً اقتصاديا بقدر ما كانت موقعا استراتيجيا. هذا إضافة إلى الوصاية التي فرضها الإسبان على المؤسسات والهياكل القبلية التي تحولت، من جراء ذلك، إلى مجرد قوالب متدهورة.

وفي فترة الاستقلال شهدت أنجرة تقسيمات إدارية جديدة اخترقت إلى حد ما الحدود القبلية القديمة، واستحدثت جماعات قروية اجتمع في نطاقها الأنجري والودراسي والأنجري والحوزي، وتعاظمت ظواهر التجارة غير القانونية على امتداد الحدود الفاصلة بين أنجرة وسبتة، كما برزت حركة هجرة مكثفة نحو البلدان الأوربية والمدن المجاورة بصفة خاصة، وأدى التزايد الديمغرافي إلى إختلال مثير للتوازن ما بين الإنسان والموارد، إلى حد أصبح معه من المشروع أن نتساءل حول ما إذا كان النشاط الفلاحي يشكل حاليا قاعدة أو استثناء في حياة الأنجريين.

البكري، *المسالك والممالك* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ التهامي الوزاني، *الزبد... وما ينفع الناس*، دعوة الحق،3، 1970 ؛ م. الهراس، *تطور الهياكل القبلية شمال غرب المغرب، أنجرة كنموذج*، أطروحة السلك الثالث، كلية الآداب، الرباط يونيو 1984.

A. Moulièras, *le Maroc inconnu* ; A. Joly, *Le siège de Tétouan par les tribus des djeballah 1903 -1904, AM*, 1905 ; Ricardo Ruiz, *La Kabila de Anyera, Boletin de la Real Sociedad Geografia*, tomol, Madrid, 1908 ; Garcia Figueras, *Miscelanea, de estudios varios sobre Marruecos*, Madrid, 1950 ; Enrique Lopez Ortiz, *Recuerdos de Anyera*, Biblioteca Nacional, Seccion de Africa, Madrid, 1951.

المختار الهراس

**الأنجري**، أسرة صنهاجية سبتية لعلها من حفدة سعيد بن ميمون الصنهاجي الذي بعث به عبدالمومن بن علي الموحدي سنة 1154/549 مع ولده عثمان حين ولاه سبتة وطنجة. وقد احتفظ هؤلاء الصنهاجيون بنسبتهم القبلية الأصلية، وأضافوا إليها نسبة جديدة إلى سبتة. ويبدو أنهم خرجوا إلى قبيلة أنجرة بعد أفول نجم الموحدين فنسبوا إليها أيضاً، وغلبت عليهم هذه النسبة. ويعرف منهم في العهد المريني :

**الأنجري، سعيد** الصنهاجي السبتي. فقيه مجتهد اشتغل بالفتوى وتدريس الفقه والحديث بمسجد القفال وبالجامع الأعظم بمدينة سبتة. وطال عمره وانتفع به الناس إلى أن أدركته الوفاة وقد نيف على التسعين، في المحرم من سنة 789/ يناير ـ فبراير 1387.

**الأنجري، علي** الصنهاجي السبتي، فقيه صالح زاهد، اشتغل بتدريس فروع الفقه المالكي في مسقط رأسه سبتة متنقلا بين مسجد مقبرة زجلو ومسجد زقاق الحرة وجامع التبانين من الربض الأسفل. وكان ينزوي بعد التدريس في

الخلوات ويأوي في أكثر الأوقات إلى الرابطة التي بالسواني من أعلى زقاق شوار الأسفل وفي قالة البساتين من ناحية الحافة ملتقطا البقل يتعيش به.

وقد انتقل في آخر عمره إلى فاس حيث وافته المنية في ربيع الأول عام 814/ يونيه - يوليوز 1411.

**الأنجري، محمد** بن سعيد الصنهاجي السبتي، عالم كبير درس في المدرسة الجديدة بسبتة ثم جاز إلى الأندلس فقرأ على أعلام غرناطة أمثال أبي سعيد ابن لب، ومحمد الحفار ومحمد بن بكر وأجازوه. ولما رجع إلى سبتة عُين إماما في المدرسة الجديدة ومدرساً بكرسي أبيه سعيد في مسجد القفال. وكان حافظاً لمذهب مالك، يستظهر مختصر ابن الحاجب، متضلعا في الحديث ملازما لتدريس *صحيح مسلم بإكمال* القاضي عياض، وسيرة ابن اسحاق، و*عقيدة رسالة* ابن أبي زيد «بفصاحة منطق وحسن إلقاء من غير تلعثم ولا ترجيع ولا تكرار[...] وكانت عنده قوة حافظة يحصل بها على ما ينصه من ذلك لأول وهلة وأقرب وقت» ( *بُلغة*، 45) كما انتصب للشهادة في سماط العدول ملحوظا من طرف حاكم المدينة إلى أن أقعده المرض مدة ومات في العشر الأواخر من ربيع الأول عام 803/نونبر 1400 ودفن بمقبرة أحجار السودان.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، 194 ؛ مجهول، *بلغة الأمنية*، 39 ـ 47.

محمد حجي

**إنْدغرْتيتْ**، كان التحالفان أو اللفان (إمْقُونْ) الكبيران لقبائل الأطلس يجمعان جميع الوحدات السياسية الصغرى المنتمية للقبائل المستوطنة ما بين ممر بيباون غربا وممر تلوات شرقا. ففي قبائل سكساوة ودمسيرة ومزوضة وكدميوة كان الحلفان المذكوران يسميان «إنْدْغرْتيت» و«إمْسيفْرْنْ». أما عند وزگيتة جبل كيك وغيغاية وورِيكةَ وگلاوة فكان أحدهما يسمى «أيتْ فَاضْمْتْ» ويسمى الثاني «أيت تْزكُّوتْ». أما قبائل وادي نفيس فكانت مقسمة إلى «أيت عثمان» و «أيت إراتْنْ». أما على السفح الجنوبي للأطلس بين بلد إدا وزَالْ ومنابع واد سوس فقد كانت القبائل مقسمة إلى حلف «أيت زوليط» وحلف «إداوزدَاغ»، ظل هذا التقسيم معمولا به إلى الثلث الأول للقرن العشرين، ولعل إندغرتيت تعني المستقرين الأقدمين مقابل الوافدين الأحدثين.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*.

أحمد التوفيق

**الأندلس والمغرب**، إن الصلات بين المغرب الأقصى والأندلس قديمة ترقى إلى التاريخ القديم، وهي صلات فرضتها طبيعة الجوار وأملتها المعطيات الجغرافية، وليس من شرطي في هذه الفقرة أن أعرض لشيء من مظاهر الصلات بين البلدين المتجاورين فيما قبل الإسلام غير أني أود الإشارة إلى رواية ترجع إلى الماضي السحيق حفظتها ذاكرة الأجيال ورددتها كتب الجغرافيا الإسلامية ورواها الإدريسي في ( *نزهة المشتاق*، ص 526) كما يلي :

«وكان أهل المغرب الأقصى من الأمم السالفة يغيرون على أهل الأندلس فيضرون بهم كل الإضرار، وأهل الأندلس أيضا يكابدونهم ويحاربونهم جهد الطاقة إلى أن كان زمن الإسكندر، ووصل إلى أهل الأندلس فأعلموه بما هم عليه من التناكر مع أهل السوس فأحضر الفعلة والمهندسين، وقصد مكان الزقاق، وكان أرضا جافة، فأمر المهندسين بوزن الأرض ووزن سطوح ماء البحرين ففعلوا ذلك فوجدوا البحر الكبير يشف علوه على البحر الشامي بشيء يسير، فرفعوا البلاد التي على الساحل من بحر الشام ونقلوها من أخفض إلى أرفع، ثم أمر أن تحفر الأرض التي بين بلاد طنجة وبلاد الأندلس، فحفرت حتى وصل الحفر إلى الجبال التي في أسفل الأرض، وبنى عليها رصيفا بالحجر والجيار إفراغا، وكان طول البناء اثني عشر ميلا، وهو الذي كان بين البحرين من المسافة والبعد، وبنى رصيفا آخر يقابله مما يلي أرض طنجة، وكان بين الرصيفين سعة ستة أميال فقط. فلما أكمل الرصيفين حفر للماء من جهة البحر الأعظم فمر ماؤه بسيله وقوته بين الرصيفين ودخل البحر الشامي ففاض ماؤه عليه وهلكت بذلك مدن كثيرة كانت على الشطين معا وغرق أهلها وطغى الماء على الرصيفين نحو إحدى عشرة قامة».

ومهما يكن الطابع الأسطوري لهذه الرواية فإن ما يهمنا منها هو دلالتها على نوعية العلاقة بين العدوتين في الأزمنة القديمة، وهي علاقة عدائية دعت، حسب الأسطورة، إلى القيام بعملية فصل قاري أي عكس عملية الربط القاري التي تتجه إليها الأنظار اليوم.

وإذا نظرنا إلى العلاقة بين المغرب الأقصى والأندلس خلال العهد الإسلامي وجدنا أنها كانت علاقة عضوية حسب التعبير الشائع، وقد بدأت منذ الفتح الإسلامي للأندلس. ومن المعروف أن جيش الفتح كان معظمه من المغاربة وعلى رأسه طارق بن زياد المغربي، وما إن سمع الناس من أهل بر العدوة بخبر ذلك الفتح العجيب حتى لحقوا بطارق وأقبلوا نحوه من كل جهة ، وانتشروا في أرجاء الجزيرة، وظلوا يتوافدون بعد ذلك، وغدوا يكونون عنصرا نشيطا في الحياة الأندلسية وعضوا فعالا في بنيتها الاجتماعية، وقد استقر عدد كبير من هذا العنصر الفاتح من بربر المغرب الأقصى في الثغور الشمالية، وكان لهم الفضل الأكبر في حمايتها ودرء الخطر عن المسلمين في الأندلس زمنا طويلا، وهكذا ظهر الوجود المغربي في الأندلس قويا بعد الفتح وطوال عصر الولاة.

وعندما قامت دولة الأمويين بالأندلس كان للعنصر المغربي إسهام كبير في قيامها، إذ أن أخوال عبدالرحمن الداخل من البربر هم الذين سهلوا له الوصول إلى الأندلس وساعدوه على بلوغ الهدف، وكان لانضمام القبائل البربرية إليه أثر حاسم في ترجيح كفته ونجاح أمره، وقد ظل

الأمويون معترفين بهذا، وكانوا يعينون في عدد من الخطط الكبيرة والوظائف السامية أعلاماً من العائلات البربرية الأصل كبني وانسوس وبني الزجالي وغيرهم، وكان العنصر البربري يستخدم دائما في الجيش طوال هذا العصر الأموي، بل أصبح هو الغالب في زمن الخلافة الأموي والحجابة العامرية. ونبغ في العلوم والآداب خلال هذا العصر في الأندلس عدد كبير من ذوي الأصول المغربية من أمثال يحيى بن يحيى وذريته ومنذر بن سعيد وأولاده وأبي موسى الهواري وعباس بن فرناس وابن دراج القسطلي وغيرهم كثير كما تشهد بذلك كتب الطبقات. وأما إسهام هذا العنصر المغربي في الفلاحة والصناعة والعمارة في هذا العصر أيضا فهو شيء تشهد له النصوص وتؤكده الوثائق، وإذا كانت كفة الأندلس في الميزان السياسي راجحة خلال عهد الخلافة والحجابة العامرية حيث غدت العدوة تابعة للأندلس أيام عبدالرحمان الناصر والحكم المستنصر والمنصور بن أبي عامر، فإن كفة المغرب ستصبح هي الراجحة طوال العصور التالية. فمن المعروف أن الأندلس بعد فترة الطوائف قد اندمجت في الأمبراطورية المرابطية و الموحدية أي خلال أكثر من ثلاثة قرون، كما أن دولة بني نصر في مملكة غرناطة لم يكن لها أن تكون لولا بنو مرين، وقد كان لهذا الاندماج آثار لا تحصى ولا تعد في الأندلس والمغرب، وتم تفاعل كبير بين البلدين والشعبين في مختلف المجالات، وكثر التزاور والتنقل بين العدوتين، ووقعت هجرات متعددة مع تغير في ناموس الهجرة، إذ أن اتجاه الهجرة أصبح من الأندلس إلى المغرب بعد أن كانت الهجرة في القرون الأولى تتجه من المغرب إلى الأندلس. ويمكن تكوين فكرة عن هذه الهجرات من تتبع الأعداد الهائلة من العلماء الأندلسيين الذين انتقلوا إلى مراكش وفاس وغيرهما، وذلك من خلال كتب التراجم، وظلت وتيرة الهجرة من الأندلس إلى المغرب في تزايد إلى أن بلغت نهايتها القصوى بعد جلاء المسلمين الأخير عن الفردوس المفقود.

وقد ظهر أثر ذلك كله في النواحي الثقافية والاجتماعية والاقتصادية سواء في الأندلس أو في المغرب، وما زلنا في المغرب إلى يومنا هذا نعيش مظاهر ذلك التواصل الذي كان بين المغرب والأندلس رغم مرور قرون على ضياع الأندلس. وما تزال آثار مادية ومعنوية مغربية في إسبانيا إلى اليوم شاهدة على الوجود المغربي الذي كان هناك، وتعدادها مما لا تتسع له هذه الفقرة ؛ وما يزال كذلك تراث الأندلس محفوظا ومستمرا في المغرب، تمثله الأسر الأندلسية الأصل في عدد من الحواضر والقرى، ونراه في العمارة والموسيقى والطبيخ وغيرها من رقائق الحضارة، وامتزج هذا التراث الأندلسي بالتراث المغربي فأصبحا تراثا مركبا تركيبا مزجيا. وأما تفاعل المغرب والأندلس في مجال العلوم والآداب فحدث عن البحر ولا حرج.

ولقد كان من نتائج هذا التعايش الطويل بين الأندلسيين و المغاربة ظهور لون من الأدب أطلق عليه اسم أدب المنافرات بين العدوتين وهو يتمثل فيما كان يثور بين أدباء البلدين من مفاخرات وصل إلينا بعضها وضاع بعضها الآخر مع الأسف، وهي تعكس صراعا طبيعيا كثيرا ما يقع بين سكان بلدين متجاورين نتيجة الاحتكاك.

وفيما يتعلق بالمنافرة بين العدوتين يمكن أن نقول إن الأندلسيين كانوا على العموم هم البادئين بالتجني على أهل العدوة الذين كان لهم الحظ الأوفر في فتح الأندلس والإسهام في بناء حضارتها أولا ثم الذود عن حماها والمحافظة على بقاء الإسلام فيها ثانيا.

لقد كان ما وصل إليه الأندلسيون من حضارة وعمران في عهد الأمويين من بواعث تبجحهم على أهل العدوة، ثم زاد شعورهم بالاستعلاء حينما أتيح لهم بسط نفوذهم على المغرب في عهد عبدالرحمان الناصر ومن جاء بعده. أما تحاملهم على المغاربة أو ذوي الأصول المغربية في الأندلس فنجد بواكيره في بعض ما قاله الشاعر يحيى الغزال، كما نلمس أماراته في قصائد الزجالي والإسكندراني. وقصة ابن وانسوس مع الأمير عبد الله الأموي، ومعاملة الطنجيين الذين كانوا في جيش الناصر، ولعلنا نراه بشكل أكثر وضوحا في تلك القصائد التي أنشدها شعراء الحكم المستنصر بمناسبة تغلبه على بقية الأدارسة بالمغرب.

ويبدو أن المفاخرات - بمعناها الدقيق - بين الأندلسيين والمغاربة لم تبدأ إلا في عصر الموحدين، وأول المفاخرات أو المفاضلات المدونة التي وصلت إلينا تلك التي جرت بين أبي الوليد الشقندي وبين أبي يحيى بن المعلم الطنجي.

ومما يلفت النظر في هذه المفاخرة أنها كانت بانتداب من أحد أمراء الموحدين المستنيرين وأن الطرف المفاخر بالأندلس فيها كان قاضيا في خدمة الموحدين، مما يشعر بإنصاف هؤلاء في رعايتهم للعدوتين. كما أن القاضي الأندلسي كان ذكيا في استغلال المس بيوسف بن تاشفين انتصارا لبلده وانتصافا لها من جهة، وتزلفا للموحدين الذين كان يرضيهم ذلك من جهة ثانية. ولكي يضمن الإعفاء عن عصبيته الأندلسية من قبل أهل الدولة التي كان يعيش في ظلها لم يجد بداً من تضمين مفاخراته بعض كلمات المجاملة أو المداراة في جانب الدولة الحاكمة : «فلولا هذه الدولة، لما كان لكم على الناس صولة».

ومن مظاهر سماحة المغرب أنه كان دوما يغص بالكتاب والقضاة والوزراء وغيرهم من الأطر الأندلسية، حتى لكأن القاعدة كانت تقديم الأندلسيين على المغاربة في الخطط والوظائف بينما قامت حملة قلمية اشترك فيها ثلاثة من أعلام كتاب الأندلس في القرن السابع ضد أديب مغربي فاسي اتخذه أحد أمراء الأندلس كاتبا له، ويستغرب ابن سعيد استخدام ابن الأحمر الأول لأحد حفاظ الموحدين وهو محمد ابن خطاب الهنتاتي فيقول : وكان من النادر أن اصطفاه رئيس الأندلس في عصرنا أبو عبد الله بن الأحمر

فصيره كالعلم، وقلده مهماته ما بين خطتي السيف والقلم.
ويوجد في العصر المريني ثلاثة نصوص من موضوع المراشقات القلمية بين الأندلسيين والمغاربة، أولها *طرمة الظريف في أهل الجزيرة وطريف* ؛ وثانيها *مفاخر البربر* مسرد تاريخي محض ؛ والثالث رسالة *المفاخرة بين مالقة وسلا* لابن الخطيب، وقد أقام ابن الخطيب مفاخرته بين البلدين على ثمانية أشياء هي : المنعة، والصنعة، والبقعة، والشنعة، والمساكن، والحضارة، والعمارة، والإثارة (الفلاحة) والنضارة.

الحميدي، *جذوة المقتبس* ؛ ابن حيان، *المقتبس* ؛ الأمير عبدالله، *التبيان* ؛ م. الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن بسام، *الذخيرة* ؛ السلفي، *معجم السفر* ؛ ف. ابن خاقان، *قلائد العقيان* ؛ أ. التطيلي، *ديوانه* ؛ صفوان بن إدريس، *زاد المسافر* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال الأعلام* ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*.

محمد بنشريفة

**الأندلس والمغرب** (التأثير) تعتبر إشكالية التأثير المغربي في الأندلس والتأثير الأندلسي في المغرب من أهم القضايا التي يواجهها مؤرخ المغرب ومؤرخ الأندلس خلال العصر الوسيط. لا يمكن لأحد أن ينكر تأثير كل من القطرين في الآخر منذ الفتح الإسلامي، لكن السؤال المطروح هو : أي قطر كان له تأثير أقوى في الآخر ؟ ربما لا تسمح الحالة الراهنة للبحث التاريخي بالجواب النهائي عن هذا السؤال ولكن يمكننا طرحه بوضوح أكثر في انتظار جواب مقنع، ونحن نبحث عن هذا الجواب لن نتطرق لهذه المسألة بالتفصيل، ولكن سوف نحاول أن نحدد أهم عناصر القضية.

رغم أن التأثير الأندلسي في المغرب كان أكثر ازدهاراً خلال العصر المرابطي، خصوصا على المستوى الفكري والثقافي، يمكن القول إنه لم ينقطع على مستوى من المستويات منذ الفتح إلى نهاية دولة بني أمية. إلا أن الأمر لم يتعلق بتأثير كيان قوي في كيان ضعيف بقدر ما كان يتجلى في تعايش قطرين متجاورين تجمعهما عدة عناصر ثقافية ولغوية وبشرية واقتصادية.

استطاعت الأندلس إلى نهاية الدولة الأموية أن تستوعب اللغة العربية والأدب العربي والمذهب المالكي استيعابا تاما، كما استطاعت أن تنشئ دولة موحدة أخذت لغتها الرسمية ومذهبها الرسمي بل وشرعيتها السياسية من نموذج الدولة الأموية في المشرق. كما نرى المدن الأندلسية تتوسع وتنمو وتزدهر خلال العصر الأموي، خصوصا قرطبة عاصمة الخلافة. وخلافا للأندلس نلاحظ أن المغرب ظل متنوعا لغويا ومذهبيا وسياسيا قبل ظهور الدولة المرابطية. وانطلاقا من هذا التناقض يمكننا أن نتساءل، ألم تشكل الدولة الأموية في الأندلس مثالا للدولة الموحدة لغويا ومذهبيا، القوية سياسيا وعسكريا في ظاهرها ؟ ألم يشكل هذا النموذج مثالا كان له تأثير في اتجاه المغرب نحو الوحدة ؟ ثم ألم ير الأندلسيون ضرورة توحيد المغرب لغويا ومذهبيا لمواجهة التيارات السياسية والمذهبية في المغرب من جهة ومواجهة الخطر الفاطمي من جهة ثانية ؟ هناك سؤال مهم وهو هل انتشر المذهب المالكي في المغرب إلى نهاية العصر الأموي بتأثير من الفقهاء الأندلسيين ؟ إن تمكن المذهب المالكي وتوفر العلماء المالكيين في الأندلس كان له تأثير في انتشار هذا المذهب في المغرب نظرا للمكانة المرموقة التي استطاع أن يحققها ونظرا للظروف الملائمة لانتشاره في الأندلس وفي المغرب على السواء.

يجب ألا ننسى التأثير السياسي للأندلسيين في المغرب إما عن طريق الضغوط السياسية أو بالتدخل العسكري. لقد كان هاجس الدولة الفاطمية واحتمال تسلل نفوذ الحكام الفاطميين إلى المغرب والأندلس دائم الحضور في ذهن الأندلسيين مما دفعهم الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة سياسيا وعسكريا في بعض الحالات.

وأخيرا نذكر التأثير الثقافي والفكري الأندلسي في المغرب نظرا لازدهار الثقافة في الأندلس وانتشارها في عدد من المراكز الحضرية المغربية. إلا أن التأثير الأندلسي في المغرب لم يكن واسع النطاق قبل نهاية بني أمية لأن الأندلس كانت تعيش مرحلة الاستيعاب الفكري والثقافي من المشرق. ولم يأت التأثير الأندلسي الحقيقي في المغرب إلا بعد ضم المرابطين للأندلس في نهاية عصر ملوك الطوائف.

ولقد كان للمغرب تأثير في الأندلس أيضا، إذ شارك جنود مغاربة في فتح الأندلس وانتشرت اللغة الدارجة المغربية بل واللهجات البربرية في بعض أنحاء الأندلس. وانتقلت الثقافة العربية واللغة الغربية والمذهب المالكي إلى الأندلس عبورا من المغرب.

لقد كان تأثير الأندلس والمغرب متبادلا عبر العصور. إنه تغير شكلا وقدرا لكنه لم ينقطع عبر تاريخ القطرين المشترك.

امحمد بن اعبود

**الأندلس** (جامع -)، ثاني أكبر جوامع فاس، تم تشييده سنة 245 هـ/859 - 860 م، على يد السيدة مريم بنت محمد بن عبدالله الفهري بعدوة الأندلس، وساهم في بنائه مجموعة من الأندلسيين الذين سكنوا هذه العدوة، وباسمهم سميت كما سمي الجامع نفسه.

أقيمت صلاة الجمعة لأول مرة بهذا الجامع سنة 321 هـ/933م عندما أمر الوالي الفاطمي على فاس آنذاك حامد بن حمدان الهمداني بنقلها إليه من مسجد الأشياخ، ولذلك زوده بأول منبر في تاريخه على غرار ما قام به بالنسبة لجامع القرويين بالعدوة المقابلة.

ويقترن تاريخ جامع الأندلس بتاريخ جامع القرويين، وذلك لكون كل منهما اعتبر في وقته بمثابة المسجد الأعظم لمدينتين شبه مستقلتين عن بعضهما قبل دخول يوسف بن تاشفين فاسا.

واعتمادا على الجزنائي مؤلف *زهرة الآس* فإن صومعة المسجد شرع في بنائها في جمادى الأولى من سنة 345 هـ / غشت ـ شتنبر 956م بأمر من والي الخليفة الأموي الأندلسي عبدالرحمان الناصر نفسه. لكن المرابطين الذين زادوا في توسيع جامع القرويين وزينوه بزخارف من أعظم ما أنجزته الزخرفة الإسلامية في المغرب والأندلس، لم يولوا نفس الاهتمام لمسجد العدوة المجاورة، إذ بقي على حالته الأولى إلى أن تدارك الأمر رابع خلفاء الموحدين محمد الناصر الذي وسع مساحته وأعاد بناء عدوة من جوانبه وأحدث به مقصورة للنساء، ومصرية للإمام، وبيتا للوضوء، كما زوده بمدخل رئيسي مزخرف وجذاب. وقد امتدت الأشغال الموحدية هذه من سنة 1203 إلى سنة 1207م.

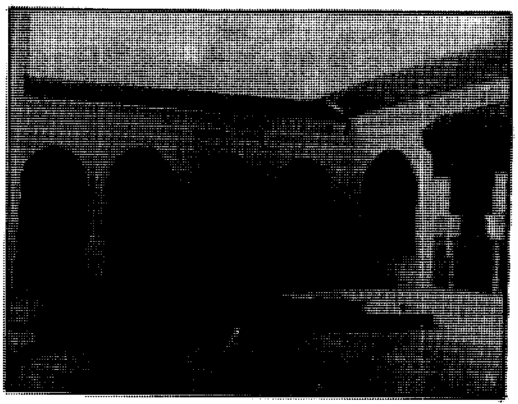

صحن جامع الأندلس بفاس

إلا أن مادة البناء التي استعملت آنذاك، على عكس ما هو معروف لدى الموحدين من جودة المواد وتحكم في التقنيات، لم تكن من النوع الجيد، حيث لم يمر عليها قرن من الزمن حتى مستها علامات التلاشي وأضرت بها، وذاك ما دفع بثاني ملوك الدولة المرينية أبي يعقوب يوسف إلى تدارك الأمر سنة 695 هـ/96.1295م. ومن أهم الزيادات المرينية بيت المؤقت المتكيء على الواجهة الجنوبية ـ الشرقية للصومعة، والسقاية الجميلة التي تزين الصحن، وكذا المكتبة التي أحدثها يسار المحراب السلطان أبو سعيد عثمان الثالث سنة 1415/816. على أن ترميمات كثيرة لحقت بالجامع في بعض من مرافقه، من أهمها الترميمات العلوية التي مست سقاية الصحن (وكان ذلك في عهد المولى إسماعيل)، وزخرفة المحراب التي يعتقد أنها تعود إلى القرن الثامن عشر على أوسع تقدير.

من ناحية عمارته، شيد جامع الأندلس على رقعة أرضية مسقية، الشيء الذي طبع شكله العام إذ تكثر به الزوايا غير القائمة والجدران المتفاوته الطول. وبذلك نجد عرضه يتراوح ما بين 52 متر و56 متر، بينما يصل طوله إلى 84 متر.

وتتألف البناية من 15 رواقا عموديا، أي متجها تجاه القبلة و13 رواقاً أفقياً، مغطاة كلها بسقوف من نوع البرشلة. أما الجدران الخارجية فهي مبنية بالباطون بينما استعمل الآجر المشوي لإقامة الأعمدة والأقواس. وهذه المواد كلها تختلف عن مادة الصومعة التي بنيت بالحجارة المتوسطة الحجم سواء في ما يتعلق بنواتها الوسطى، وهي نواة مملوءة، أو ما يتعلق بالجدران الخارجية.

ويرى طيراس H. Terrasse في دراسته لهذا المسجد أن صومعته تنحدر مباشرة، شكلا وتصميما، من المنارات الأندلسية للقرن العاشر الميلادي، إلا أن غطاء القُبَيْبَة العليا Lanternon هو من تأثير قيرواني. وفي هذين التأثيرين تبرز جوانب من تاريخ فاس الذي عرف عنها لمدة غير قصيرة، خضوعها بالتناوب للحكم الفاطمي تارة والأندلسي تارة أخرى.

ومن أهم ما يمتاز به جامع الأندلس، احتواؤه على مجموعة، تكاد تكون فريدة، من تيجان الأعمدة، يعود بعضها لفترة محمد الناصر الموحدي وبعضها الآخر لنهاية حكم الموحدين وبداية المرينيين، وهي فترة تقل بشأنها الشواهد المعمارية الموضحة لها كفترة انتقال بين شكلين من الإبداع المعماري.


أ. البكري، *المغرب* ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*.

H. Terrasse, *l'influence de l'ifriquiya sur l'architecture musulmane du Maroc avant les Almohades*, 3e Cong. *F.S.S.A.N.* p, 551 - 558 ; *La mosquée des Andalous à Fès*, Parsi, 1942.


عبد العزيز توري

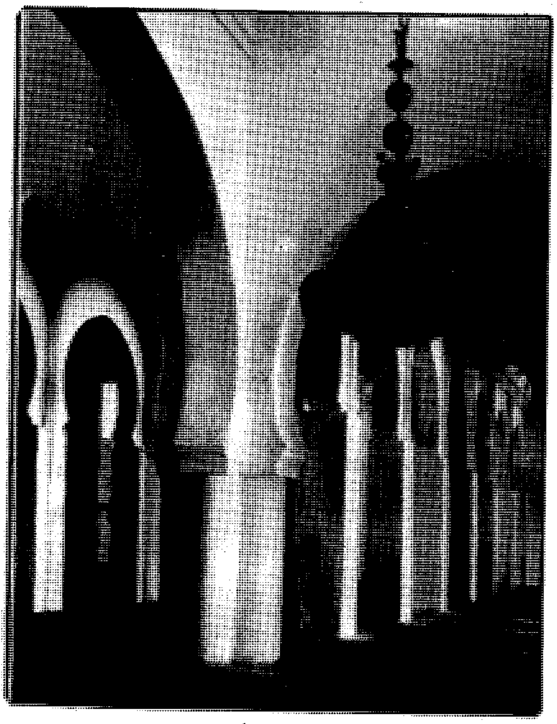

بلاطات جامع الأندلس بفاس

**الأندلس، مرسى** تقع في رأس هرك على البحر المتوسط شمال غرب مدينة مليلية. وقد أطلق عليها هذا الاسم لأنها أسهل مراسي تلك الناحية التي كان الأندلسيون النازحون إلى المغرب يفضلونها على غيرها، وقد أطلق عليها الإسبان اسم Eusenada del tio Pinar (مرسى العم بينار) ولا شك أنها هي التي سماها البكري مرسى طرف هرك.

R. Castejon, *La playa de los andaluces, Revista de Africa Española*, Madrid 29 - 2 - 1916, p. 126.

محمد ابن عزوز حكيم

**الأندلسي،** أسر كثيرة بالمغرب هاجرت من الأندلس في فترات مختلفة واحتفظلت بهذه النسبة خلال القرون الأخيرة، وما زال بعضها يعرف بذلك حتى اليوم، بينما غلبت كنى أو ألقاب طارئة على بعضهم وأصبحوا مشهورين بهـا. وهناك في تطوان أسرة أندلسية عريقة ينطق بها (اللندلوسي) لم نعثر على وثائق لها علاقة بهذه الأسرة التي لا زالت موجودة بتطوان، ومن الملاحظ أنه كان بهذه المدينة حيٌّ يعرف برباط الأندلس وهو الذي يعرف الآن بحي السانية.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 3 :24 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 326 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Famillias ilustres* ; Isidro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum de Intervenciones, ano 1931* (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**الأندلسي، إبراهيم بن الطبيب** الرئيس القائد علي بن إبراهيم المراكشي، كان طبيباً ماهراً كأبيه علي آتي الترجمة، وانتقل من مراكش إلى مكناس عندما تولى الملك المولى إسماعيل بن الشريف، فكان يشتغل بالتطبيب في جملة أطباء الحضرة السلطانية، كما فتح حانوتا لعلاج عامة الناس وبيع الأدوية، وتخرج على يديه فيها الطبيب الشهير عبد القادر بن شقرون المكناسي (ت بعد 1140/27 ـ 1728) صاحب *الأرجوزة الشقرونية في الأغذية الصحية*.

ولأسباب غير معروفة انتقل إبراهيم إلى تونس وسمّى نفسه محمد الأندلسي وفتح فيها حانوتا للتطبيب على غرار حانوت مكناس، وهناك انقطع خبره ولم يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 264، 340، 341، 357، 358 ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 1 :188 ؛ م. الكانوني، *تاريخ الطب العربي بالمغرب*، مخطوط.

H. P. J. Renaud, *Le mouvement scientifique au Maroc*.

**الأندلسي، إبراهيم بن قاسم** الفاسي، صوفي ذو أحوال غريبة. صحب أبا المحاسن يوسف الفاسي منذ مجيئه إلى فاس عام 988/1580. وكان ممن أقيم في مقام التجريد موغلاً في الرضى بالله في جميع الأحوال، فانقلبت لديه الأوضاع وأصبح يضحكه ما يُبكي الناس. فكان «كلما رىء عليه أثر البِشر عُلم أنه قد أصيب في شيء من أهله أو ماله لا يتأثر بشيء من ذلك ... وكان اليوم الذي يصبح لا شيء له يصبح مسروراً يطير فرحا حتي يظهر ذلك على ظاهره كثيراً» (*الإعلام بمن غبر*). وأغرب ما عرف عنه في ذلك ما رواه عبدالرحمان بن عبد القادر الفاسي عن الشيخ محمد بن عبدالله معن أن إبراهيم بن قاسم كان يوماً جالساً معهم في حزب العشي (ورد يقرأ عشية كل يوم في الزاوية الفاسية يشتمل على المسبعات العشر ووظيفة الشيخ زروق) فنودي عليه لداره فذهب ثم رجع وهو يضحكك وأخبرهم بأن ولده محمد الأكحل قد مات ولم يكن له ولد سواه.

توفي بفاس عام 1026/1617 ودفن بقرب الشيخ محمد ابن عباد داخل باب الفتوح.

ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ عبد الله الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 103.

**الأندلسي، أحمد حُبيِّب** ـ بصيغة التصغير ـ بن محمد بن علي الرندي الغرناطي الفاسي، هذا هو اسمه الكامل وقد سقط من بعض كتب التراجم اسم أبيه محمد وجعل مكانه اسم جده علي، كما سقط من بعضها نسبة الرندي. عالم غلب عليه جانب التصوف حتى كاد مترجموه لا يهتمون إلا به. فلم يذكروا من شيوخه إلا من أخذ عنهم الطريقة الجزولية الشاذلية متسلسلة إلى عبد العزيز التباع فمحمد بن سليمان الجزولي، إضافة إلى شيخ المحدثين والصالحين أبي النعيم رضوان الجنوي (ت 991/1583) الذي أخذ عنه القرآن الكريم والسنة النبوية وذكروا له معه كرامات وخوارق عادات.

ولما جاء أبو المحاسن الفاسي من القصر الكبير ليستوطن فاسا عام 988/1580 كان أحمد حُبيب من أول المبادرين إلى صحبته، وطالت صحبتهما إلى أن توفيا معاً بالطاعون في سنة واحدة. وكان أحمد حُبيب قد أخذ قبل ذلك عن شيخ صوفي آخر كانت له زاوية بالمخفية من عدوة فاس الأندلس هو صهره محمد بن أحمد الغماري الأندلسي المالقي المتوفى بالمدينة المنورة عام 998/89 ـ 1590.

ألف أحمد حبيب عددا من الكتب والرسائل، ونظم قصائد ومقطعات تحوم كلها حول الفقه والتصوف وقف عليها عبد الله الفاسي صاحب *الإعلام بمن غبر*، وهي : كتاب *يواقيت الأحكام فيما يتعلق بقواعد الإسلام*. وكتاب آخر في الفقه والتصوف، وكتاب في القطب والقطبانية، *وشرح على رموز الشيخ ابن عقبة الحضرمي*، و *رسائل أربع*، و *أرجوزتان في شكر النعم*، و *لامية في التصوف*... .

توفي أحمد حُبيب بفاس ليلة السبت 27 ذي القعدة عام 1013/2 أبريل 1605 ودفن خارج باب الفتوح قريبا من ضريح الشيخ أبي المحاسن، وبني عليه قوس. وخلف ولداً صالحاً يسمى عبد الرحمان، سار على نهجه في الزهد والاستقامة، ومات عام 1026/1617 ودفن بجواره.

م. المرابي الأندلسي، *تحفة الإخوان*، مخطوط ؛ م. العربي القادري، *كناشة*، مخطوط ؛ ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. الخطيب، *مطمح النظر*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 79 ؛ م. القادري، *التقاط*، 43 ؛ *نشر*، 1: 117 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2: 365.

محمد حجي

**الأندلسي، أحمد بن حمدون** المعروف بالشديد. أحد أعيان فاس، من أتباع الشيخ الصوفي محمد بن عبد الله الوزاني، أخذ عنه بواسطة تلميذه الحاج الخياط الرقعي، وبعد وفاته أخذ عن ولده مولاي التهامي، ثم عن أخيه مولاي الطيب، وأسند إليه النظر في أحباس فاس، وولي تدريس الرسالة بالقرويين، وظل يدرسها إلى أن توفي بعد عام 1747/1160.

م. القادري، *نشر المثاني*، 4: 204 ـ 207 ؛ م.الكتاني، *سلوة*، 1: 208.

محمد رزوق

**الأندلسي، أحمد بن الطاهر** المراكشي. فقيه مشارك أديب متمكن في الحساب وأحكام النجوم والأزياج، اشتغل في مراكش بتدريس علم الهندسة والجدول إضافة إلى الفقه والنحو والأدب. ومن أشهر المتخرجين على يده الإمام عبد الله السكياطي ومحمد التهامي الحمري الأوبيري.

توفي بمسقط رأسه عقب رجوعه من الحج عام 1835-34/1250 ودفن بروضة باب أغمات.

م.ت. الأوبيري الحمري، *إتحاف الخل المواطي*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2: 407 ـ 408 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، عام 1250.

**الأندلسي، أحمد بن محمد** بن عبد الله الأسفي يعرف بالمقدم وبابن المقدم. ولد بآسفي حوالي سنة 1165 ودرس على الشيخ محمد التاودي ابن سودة ومن في طبقته. كما أخذ عن شيخ زاوية تمكروت الناصرية الرحالة الشهير محمد بن عبد السلام الناصري وصاهره بابنته، فتخرج أستاذا مقرئاً فقيهاً محدثاً مشاركاً. قال عنه معاصره القاضي عبد الخالق بن إبراهيم الأسفي: «علامة الزمان، ورئيس الأوان، مفتي الديار الأسفية وما والاها، الذي إليه المرجع في معضلات الأمور ومشكلاتها» (*جواهر الكمال*، 10).

رجع أحمد الأندلسي إلى أسفي فتصدر للتدريس والإفتاء، وتخرج على يده القاضي الجيلالي بوخريص، ومحمد بن عبد السلام السائسي الأسفي. وكان للسلطان المولى سليمان زائد اعتناء به حتى كان يأتيه إلى منزله على عادته في إعزاز العلماء. وبعث إليه عام 1216 بولده مولاي إبراهيم فقرأ معه ختمة من *القرآن*، و*شمائل الترمذي*، و*مختصر خليل*، و*ألفية ابن مالك*، و*جمل ابن المجراد السلوي*.

أما آثاره العلمية فلا يعرف منها إلا ما وقف عليه محمد الكانوني من طرر على *مختصر خليل* و*شمائل الترمذي* وقصيدة *البادسي* في سلسلة الشيخ عبد القادر الجيلاني، و*فتاوى* محررة في الفقه المالكي.

توفي بأسفي عصر يوم الثلاثاء 20 شوال 18/1239 يونيه 1824 ودفن بضريح الشيخ عبد الكريم الرجراجي.

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، 10 ـ 11 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد حجي

**الأندلسي، أبو إسحاق**. جاء من الأندلس إلى فاس وأقام برابطة خارج باب الجيسة، وكان له أصحاب من المريدين كان يعلمهم التوكل. وهو من أهل القرن السادس الهجري. له ولأمثاله من صوفية العدوة الذين قدموا المغرب أهميته في تاريخ تتبع انتشار الأفكار وأنماط السلوك.

التادلي، *التشوف*، 310.

أحمد التوفيق

**الأندلسي، عبد الله** بن يخلف، فقيه مقرئ، كان من الأئمة المعتمدين في علم القراءات، لقراءته حلاوة وطلاوة. وقد أخذ هذا العلم عن الأستاذ إدريس بن محمد بن أحمد المنجرة. وأخذ عنه العديد من طلبة فاس وغيرها، وتصدر لذلك بمسجد القرويين. وتولى كرسي الوعظ *بحلية أبي نعيم*، و*الحريفشي*، و*الرصاع* بظهر صومعة مسجد القرويين. أخذ طريقة التصوف عن الشيخ محمد بن الفقيه، وفيه ألف كتابه *سلوة المحبين والمريدين ونكاية الحاسدين والجاحدين في مناقب سيدي محمد بن الفقيه أحد الأفراد العارفين*. توفي عام 1749/1162.

م. القادري، *نشر*، 4: 67 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1: 298 ـ 299.

محمد رزوق

**الأندلسي، علي بن إبراهيم** الطبيب المراكشي، يلقب بالرئيس وبالقائد. ولعل لقب الرئيس يعني أنه كان رئيس الأطباء المقدم عليهم، وربما كان علي يعمل ـ في نفس الوقت ـ في قيادة جند الأندلس الذي كان يكوّن إحدى الفرق المهمة في الجيش السعدي. إن المعلومات عن هذه الشخصية في المصادر البيبليوغرافية شحيحة جداً، لأنه لم يكن فقيها حتى يثير انتباه مؤلفي كتب التراجم. وكل ما نعرف عنه مستخلص من مؤلفاته الطبية التي وصلت إلينا ـ لحسن الحظ ـ كاملة تقريبا.

أشهر مؤلفاته *أرجوزة في الفواكه الصيفية والخريفية* في نحو ثلاثمائة بيت أهداها للوليد بن زيدان السعدي (ت 1635/1045) توجد منها عدة نسخ مخطوطة، بين في مقدمتها الجانب العملي المتوخى منها وهو إفادة الناس بطبائع هذه الفواكه ومنافعها ومضارها حتى يسلموا من الأوجاع والمغاصات التي تصيبهم منها عادة في هذين الفصلين فيزعجون الطبيب عند طلوع الفجر مشتكين صارخين. والأرجوزة مفيدة، علاوة على الجانب الطبي، في التعريف بأصناف الفواكه والخضر التي كانت تنتج بالمغرب

في القرن الحادي عشر(17 م) وأسمائها الباقية أو التي تغيرت مثل الغراسيا وهو حب الملوك، وعيون البقر وهو الإجاص، والعناب وهو الزفزوف، والمشتهى(؟) وبقلة الأنصار، التي هي الكرنب. وله أيضا *أرجوزة في خواص الأعشاب*، مرتبة على حروف المعجم تقع في نحو عشرة كراريس. وهي لا تقل أهمية و إفادة عن سابقتها. و *أرجوزة في علاج العيون والنوازل* التي تنزل من الرأس في الأعضاء وتنقية الدماغ المعروفة عند الأطباء بالأيارج، أورد فيها ذكر ثلاثة وعشرين من العقاقير النافعة لهذه العلل. و*أرجوزة في النكاح* لا يعرف منها إلا مخطوط خاص بفاس.

افترض عباس ابن إبراهيم ( *الإعلام*، 9 :223) أن يكون المترجم هو صاحب الضريح المعروف في الحي الجزولي بمراكش الذي كتب فيه : «على بن إبراهيم المتوفى عام 996 أخذ عن شيخه عمر الهلالي وسيدي شقرون». وهذا الافتراض بعيد لما ثبت من تقديم *أرجوزة الفواكه الصيفية* إلى الوليد الذي لم يتول الملك إلا عام 1631/1040 لذلك يقدر تاريخ وفاة علي بن إبراهيم بحوالي 1655/1065.

م. الإفراني، *نزهة*، 219 ؛ م.الكانوني، *الطب العربي بالمغرب الأقصى*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 9 :222ـ 223 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 :161 و 2 :395.

**الأندلسي، علي بن محمد** صالح. شيخ صوفي أدرك شهرة كبيرة بفاس في عهد الوطاسيين. هاجر من غرناطة قبيل سقوطها إلى فاس، وكان تاجرا ناسكاً يجالس الصالحين ويأخذ عنهم منذ كان في الأندلس. واتخذ في سوق القيسارية بفاس حانوتا يبيع فيها الثياب ويغشى مع ذلك مجالس الصالحين. وقد جاء الشيخ عبد العزيز التباع ذات يوم إلى فاس وجلس يستقبل الزوار في وسط قبة مدرسة العطارين وقد انحشر أهل فاس للتبرك به، وجاء علي بن محمد صالح في آخرهم. فقام إليه الشيخ التباع يتخطى الناس لاستقباله وأخذ بيده وصعدا في درج المدرسة فمكثا هنيئة ونزلا وطلب الشيخ سيدي عبد العزيز فرسه للركوب فطلب منه الناس الإقامة فامتنع وقال : إنما جئت لأداء أمانة كانت عندي لربها فقد أديتها إليه وانصرف» ( *ممتع*، 53).

يذكرون أن علي بن محمد صالح حين اراد أن يزور الشيخ التباع نزل من حانوته ورفع المغلاق الأسفل فقط على نية الرجوع قريباً، لكنه لم يرجع إليها قط، وتغيرت أحواله واتخذ لنفسه زاوية بوادي الزيتون من عدوة فاس الاندلس. يلقن فيها اتباعه الكثيرين الطريقة الجزولية الشاذلية، وقد لاحظ مترجموه أن معظم الآخذين عنه اندلسيون، وتسلسل ذلك في الأجيال التالية فكانت طرق كبار الشيوخ الأندلسيين تتصل به كطريقة أبي المحاسن الفاسي، ومحمد بن عبد الله معن الأندلسيين وغيرهما.

توفي علي بن محمد صالح الأندلسي قبل وفاة شيخه عبد العزيز التباع (وكانت وفاة التباع بمراكش عام 914/8ـ 1509) ودفن بروضة الأنوار المعروفة خارج باب الفتوح بفاس القريبة من ضريح الشيخ دراس بن إسماعيل ودفن فيها بعده كثير من الآخذين عنه.

م. العربي الفاسي، *مرآة*، 189 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع*، 53ـ 54 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 :208 .

**الأندلسي، محمد** شيخ الطائفة الأندلسية بمراكش. فقيه متكلم متصوف مشارك انتقل هو أو أبوه من غرناطة بعد سقوطها واستقر بمراكش، واستطاع أن يجمع من حوله أتباعا كثيرين من الأندلسيين المهاجرين وغيرهم. وإذا كانت بداياته غامضة كدراسته ومشيخته فإن دعوته اتسمت ـ حسبما يتسخلص من المصادر القليلة الباقية التي تحدثت عنه ـ بطابعين : أولهما انتحال المذهب الظاهري واتخاذ بعض آراء ابن حزم مطية للنيل من أئمة المذاهب وبخاصة مالك بن أنس الذي كان مذهبه سائداً في المغرب بدون منازع، فكان ينعى على الفقهاء تشبثهم بالنصوص المذهبية وإعراضهم عن ظاهر الكتاب والسنة، حتى كان يسميهم ومن يتبعهم من العامة بالمالكية، في حين يلقب أنصاره بالمحمدية، نسبة إليه هو ـ على ما يبدو ـ لا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

والأمر الثاني الذي اتسمت به دعوة محمد الأندلسي، وهو أخطر، تهجمه على الرسول الكريم نفسه والتنقيص من قدره بدعوى وجوب إفراد الخالق تعالى بالتقديس وإيهام الناس أن تعظيم النبي عليه السلام وذكر اسمه مع اسم الجلالة إشراك بالله تعالى.

يتضح من هذين المبدأين أن محمداً الأندلسي كان يهاجم في نفس الوقت العنصرين الدينيين القويين آنذاك بمراكش وبالمغرب عامة، وهما الفقهاء الذين لا يبغون عن كتب الفروع المالكية حولا، وشيوخ الطريقة الجزولية الشاذلية المستغرقون في محبة رسول الله المتخذون من الصلاة عليه أوراداً لمريديهم يتلونها آناء الليل وأطراف النهار. فماذا كان يقصد محمد الأندلسي ؟ وهل كانت له نزعة إصلاحية دينية حقيقية أم كان له طموح سياسي يخفيه من وراء دعوته المتطرفة ؟ ذلك مالا يمكن الإجابة عنه بتدقيق ما دام لم يكشف بعد عن المصادر المعاصرة أو القريبة التي فصلت القول في هذه الحركة ومبادئها وصاحبها الأندلسي. لكن في انتظار ما يمكن أن يسفر عنه البحث والتنقيب يمكن القول بأن محمداً الأندلسي عرف كيف يداري معاصريه من الفقهاء والمتصوفة ويظهر أمامهم بمظهر المتمسك بالسنة المتبرئ من كل بدعة كما يفهم مما كتبه عنه محمد ابن عسكر الذي لقيه مراراً في مراكش وتحدث إليه طويلا إبان صولته وانتشار مذهبه. غير أن تقية الأندلسي لم تنطل على فقهاء آخرين وصفوه بالبدعة ومفارقة الجماعة وأفتوا بوجوب الضرب على يده حفظاً لمعتقدات الناس ووحدة صفوفهم، ولذلك دخل محمد الأندلسي السجن أكثر من مرة في عهد عبد الله الغالب، واصطدم أنصاره وخصومه في مراكش وفي خارجها بالقلم واللسان وبالخناجر والبنادق.

ولما قامت الفتنة بعد موت الغالب بين خلفه محمد المتوكل وعمه عبد الملك المعتصم، رأى محمد الأندلسي - على ما يبدو - الفرصة سانحة لتحقيق مطامحه السياسية فخاض هو وأتباعه غمار الفتنة إلى جانب الذين ثاروا ضد المتوكل وخلعوه، وبينما هو ينتظر أن يخلو له الجو بعد أن تنجلي المعارك التي شبت في عدة نقط من بلاد سوس عن هلاك الأميرين السعديين المتنازعين، إذا بمحمد المتوكل يتمكن من الدخول إلى مراكش لمدة قصيرة عام 1576/984، ويبادر إلى انتزاع محمد الأندلسي من بين أنصاره وسط فتنة عارمة ويسلمه إلى العامة الذين قتلوه وصلبوه على باب داره بحي رياض الزيتون بمراكش.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 80 ـ 81 ؛ أ. ابن القاضي، *درة*، 2 :35 ـ 37 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 47 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 :50 ؛ م. ابن الموقت، *السعادة*، 2 :86 ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 5 :303 ـ 304 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 :241 ـ 243.

**الأندلسي محمد شعبان** الحسني الرباطي، فقيه أديب، أخذ عن الشيخ علي العكاري (ت 1706/1118) في جملة من أخذ عنه من طلبة سلا والرباط، «وقيد عنه في علمي النحو والميزان تقاييد مفيدة ضمها إلى كلام الأقدمين، فجاءت من أحسن المقيدات».

ألف محمد شعبان عدة كتب شرح بها أمهات قديمة، منها شرح *مقدمة ابن أجروم* ؛ وشرح *خلاصة ابن مالك* ؛ وشرح *السلم* المرونق في المنطق للأخضري. ولا يعرف تاريخ وفاته، وإنما يقدر أنه مات أواسط القرن الثاني عشر (18م).

م. بوجندار، *الاغتباط*، 459.

محمد حجي

**الأندلسي، محمد بن علي** مروان، أستاذ مقرئ مجود، كان يقيم بحومة العيون من عدوة القرويين بفاس. ومن المعلوم أن القراءات من العلوم التي تميز بها المهاجرون المتأخرون من الأندلس، وكان من أشهرهم بفاس في القرن العاشر الشيخ الأستاذ محمد بن علي العدي الغرناطي الذي قال عنه أحمد المنجور في *فهرسه* «جود عليه القرآن من الطلبة من لا يحصى». ويبدو أن محمد بن علي مروان خلفه في هذه السلسلة الأندلسية.

توفي بفاس عام 1106/94 ـ 1695.

م. القادري، *نشر*، 3 :66 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 288.

محمد رزوق

**الأندلسي، مهدي** بن محمد بن إبراهيم المراكشي. فقيه صوفي لا تعرف له ترجمة إلا ما يؤخذ من كتابه المسمى *بالشرح الكبير لحزب سبحان الدايم* وفيه يظهر متأدبا متكلماً مطلعاً على أقوال الصوفية ونظرياتهم. ومن المعلوم أن حزب الدائم هو للشيخ محمد بن عيسى الفهدي المكناسي شيخ الطريقة العيساوية، وهو عبارة عن عقيدة أشعرية باللسان العربي الدارج، يحفظها مريدو هذه الطريقة عن ظهر قلب ويرددونها في زواياهم بالتناوب، تقرأ جماعةٌ جملةً وتقرأ أخرى الجملة التالية وهكذا.

ومما يزيد في إبهام هذه الشخصية أن ناشري هذا *الشرح* في تونس نسبوه إلى أبيه محمد بن إبراهيم في حين جاء في آخر النسخة المخطوطة : «كان الفراغ من تبييضه وجمعه عند عشية يوم الثلاثاء 7 من شهر ربيع النبوي عام 1241. ألفه عبد ربه الفقير مهدي بن محمد بن إبراهيم الأندلسي المراكشي».

مهدي الأندلسي نفسه، *الشرح الكبير*، ط. تونس سنة 1909/1327. ومخطوطة خاصة ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 6 :218 ـ 219.

**الأندلسية**، طائفة مبتدعة بالمغرب تستمد مبادئها من فرقة دينية أندلسية قديمة تصدى للرد عليها القاضي أبو بكر ابن العربي في كتابه *عارضة الأحوذي في شرح شمائل الترمذي*. ويبدو أن هذه الطائفة طرأت على المغرب في أوائل القرن العاشر (16م) مع الفقيه محمد الأندلسي الذي هاجر إلى المغرب في جملة من هاجر إليه من الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، واستقر بمراكش حاضرة السعديين.

والطائفة الأندلسية - كحركة دينية - فريدة من نوعها في هذه البلاد سواء من حيث مبادئها المناقضة تماما لمبادئ الحركات الصوفية المنتشرة آنذاك بالمغرب كالحركة الجزولية الشاذلية المتميزة بمزيد المحبة والتفاني في الجانب النبوي، التي وضع شيخها الشهير محمد بن سليمان الجزولي (ت 870/65 ـ 1466) كتاب *دلائل الخيرات* كتصليات وتسليمات وبركات على رسول الله محمد بن عبدالله - صلى الله عليه وسلم - بعبارات متنوعة. في حين قامت الطائفة الأندلسية أساسا على التقليل من أهمية الرسول - عليه السلام - إن لم نقل كراهته ومنع ذكر اسمه مع اسم الله تعالى، تستراً وراء تقديس الخالق القديم تعالى وتنزيهه عن أن يشاركه في قدسيته مخلوق مهما كان نبيا أو غيره. وبذلك مست الطائفة الأندلسية بمبدأ العقيدة الإسلامية وطعنت في أحد شقي كلمة الشهادة التي هي عنوان الإيمان وشعاره.

ويمكن تلخيص مبادئ الطائفة الأندلسية التي كانت تنتحل مذهب ابن حزم الظاهري وتبالغ في انتقاد أئمة الإسلام الآخرين خاصة مالك بن أنس، في ثلاثة :

- الاجتهاد في الأحكام الشرعية جريا على ظاهر الكتاب والسنة، وعدم تقليد مالك أو غيره من الفقهاء.

- إنكار أحكام جزئية مشهورة عند جمهور المسلمين، فقالوا بعدم مشروعية الدعاء دبر الصلوات، وعدم وجوب إعادة الصلاة إذا خرج وقتها ة الخ.

- استنكار ذكر النبي - عليه السلام - مع الله تعالى في الشهادة وغيرها «لأن ذكر المحدث لا يفيد، ولا يفيد إلا ذكر الله القديم سبحانه» بل قالوا إن الإكثار من ذكر النبي عليه السلام حجاب عن الله.

عرفت البدعة الأندلسية شيئا من الانتشار بعد مقتل شيخها محمد الأندلسي 1576/984 في الحواضر التي يكثر بها الأندلسيون كمدن سلا وتطوان وبادية الشمال، باستثناء

فاس، واعتنقها بعض الفقهاء عن حسن نية ثم تبرؤوا منها لما عرفوها من الداخل، ومنهم أبو القاسم بن سلطان القسنطيني (ت بعد 1591/999) خطيب جامع القصبة بتطوان الذي ألف في الرد عليهم كتابا في مجلدين نقض فيه ضلالات الأندلسيين جملة وتفصيلا وزيف أقوالهم وبين أوجه فسادها ؛ وأحمد بن حسين الورياگلي المعروف بالصغير الذي ألف بدوره كتابا مختصرا في التشهير بهذه الطائفة وقف عليه عبد الرحمان الفاسي مؤلف *ابتهاج القلوب* ونوه به. ويبدو أن رد الورياگلي كان عنيفا دفع الأندلسيين إلى اغتياله في قصبة فاس أو مراكش على عهد أحمد المنصور.

ويبدو أن البدعة الأندلسية استمرت ظاهرة الى عهد المولى إسماعيل بن الشريف، ثم أخذت تلجأ الى التقية والتستر، وانحصرت - كالفرقة العكازية - في بعض جهات البادية بعد أن تصدى المولى إسماعيل للتنكيل بالمبتدعة على إثر ما كتبه المؤلف المجهول في *تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين*، وعبد الكبير اعليوات في *سراج الغيوب*، والحسن اليوسي في *رسالة العكاكزة*.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 80، 91 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 36-87 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 47 ؛ مجهول، *تبصرة الرئيس الأمين*، مخطوط ؛ ع.اعليوات، *سراج الغيوب في أعمال القلوب*، مخطوط ؛ ح. اليوسي، *رسالة العكاكزة*، مخطوط ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 241-245.

محمد حجي

**الأندلسية** (الموسيقى.) ← **الآلة**

**الأندلسيون بالمغرب**، أول هجرة أندلسية إلى المغرب تتحدث عنها المصادر التاريخية هي هجرة الربضيين من قرطبة إلى مدينة فاس أواخر القرن الثاني الهجري (8 م). حيث استقروا بالعدوة التي تحمل اسمهم (عدوة الأندلس)، وذلك في عهد ادريس الثاني. ويذكر ابن أبي زرع أن عددهم بلغ ثمانية آلاف بيت ( *القرطاس*، ص 47). وتواصل بعد ذلك توافد الأندلسيين في عهد المرابطين والموحدين إلى درجة أنه اتخذ احيانا شكلا رسمياً، بصدور ظهير للخليفة الموحدي الرشيد سنة 1240/637 يقضي بإسكان جالية بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة وغيرهم من بلاد شرق الأندلس بمدينة رباط الفتح.

أما عن نوعية هؤلاء المستقرين الجدد فيُذكر أنه كان من بينهم عدد كثير من الحرفيين والصناع، خاصة في ميدان دباغة الجلود وتصفية قصب السكر، وصناعة الخزف في كل من مراكش وفاس. وفي الميدان العلمي نشير إلى استقرار عدد من العلماء الأندلسيين بالمغرب ناشرين معارفهم وطرق تعليمهم.

وقد تواصل المد الحضاري الأندلسي بالمغرب في العصر المريني بفضل استمرار هجرة عدد كثير من الأندلسيين من مختلف الفئات : علماء وأدباء وأطباء وحرفيين وغيرهم.

ففي الميدان السياسي استعان سلاطين بني مرين بعدد من سياسيي الأندلس وقضاتها وكتابها مثل ابن رضوان المالقي، وعلي بن محمد ابن مسعود الخزاعي ومحمد بن يحيى البرجي. وفي الميدان العسكري نلاحظ حضور الأندلسيين بقوة في الجيش المغربي، إذ اعتلى عدد منهم مناصب القيادة بل صار البعض منهم حكما فصلا بين أفراد هذا الجيش.

على أن أهم فترة في تاريخ الهجرات الأندلسية إلى المغرب هي تلك التي اعقبت سقوط غرناطة سنة 1492/897، إذ وفد على المغرب أندلسيون من فئات مختلفة. وقد تنوع استقرار هؤلاء سواء في البوادي أو الحواضر، فاستقروا بتطوان وأحوازها، وشفشاون، وبادس، وطنجة، وقبائل غمارة الريفية وأصيلا، وسلا، وأسفي، وأزمور، وأنفا. وأهم ما يمكن تسجيله في هذه الفترة هو اختلاف مواقف أفراد هذه الجالية، فهناك فئة كانت تتحفز باستمرار للرجوع إلى الأندلس، وهناك فئة أخرى فضلت البقاء وآثرت المساهمة في الأحداث السياسية التي كان يعرفها المغرب، وذلك بالانضمام إلى الوطاسيين في حربهم ضد السعديين، وفئة ثالثة اتجهت إلى الجهاد لكن على «الطريقة الأندلسية» أي العيش في استقلال تام عن السلطة المركزية.

وقد فتح سلاطين المغرب في العصر السعدي الأول الباب على مصراعيه لمهاجرة الأندلس وقدموا لهم كل المساعدات سواء على صعيد العمليات الجهادية أو على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي. لكنهم في نفس الوقت كانوا حذرين من هؤلاء، فقد كانوا يقدمون لهم كافة المساعدات ما داموا يعملون تحت سلطتهم، ويحترمون التزاماتهم بالكف عن التعامل مع أعدائهم، خاصة الأتراك، أما إذا أبدوا طموحا ما نحو السلطة والنفوذ فإنهم كانوا يتصدون لهم بقوة.

وتبقى أهم فترات الهجرات الأندلسية مع ذلك هي تلك التي تمت في العصر السعدي الثاني، نتيجة صدور قرار نفي الموركسيين من إسبانيا سنة 1609/1017، فانتقل هؤلاء إلى المغرب عن طريق المراكز التي كانت تحتلها إسبانيا : طنجة وسبتة ومليلية. ومن هناك تسربوا إلى الداخل. كما انتقل موركسيون آخرون من وهران إلى المغرب بعد أن ضاقت بهم المدينة. وينتمون إلى منطقة الأندلس أو قشتالة، وبلنسية، وغرناطة، ومرسية، وبعض العناصر من أراگون وكطالونيا. وتقدر المصادر الإسبانية عدد الموركسيين الذين استقروا بالمغرب في هذه الفترة بنحو أربعين ألف نسمة في حين تقدرها المصادر الموركسية بنحو ستين ألف نسمة. وقد تنوع استقرار هؤلاء بالمغرب تنوعا كبيرا، اذ لم يقتصر على مناطق معينة، بل شمل مناطق عدة من أقصى شمال المغرب إلى أقصى بلاد سوس. على أن أهم تجمعات الأندلسيين هي تجمعات مصب أبي رقراق، وتطوان.

ففيما يتعلق بتجمعات مصب أبي رقراق نشير إلى أن تاريخهم برز في ثلاثة مظاهر أساسية :

- الصراعات الداخلية، وتتجلى بالخصوص في الصراع بين الهورناتشيين سكان القصبة وسائر الأندلسيين سكان الرباط، وفي الصراع بين الأندلسيين والمجاهد العياشي بسلا.

- الجهاد البحري أو القرصنة.

- العلاقات مع الأوروبيين، وقد كان الجهاد البحري هو السبب الأساسي الذي أدى بالأندلسيين إلى ربط علاقات سياسية وتجارية مع الأوروبيين، فقد كان المجاهدون في حاجة ماسة إلى العتاد والذخيرة وإلى الآلات الضرورية لتجهيز السفن، وكذا إلى بعض مواد التموين، كما كان الأوروبيون يريدون أن يفتدوا أسراهم ويؤمنوا سفنهم من هجوم من طرف المجاهدين، ويعملوا على تنمية تجارة مربحة بالنسبة لهم رغم كل الظروف. وكان قواد قصبة الرباط يحاولون فرض أنفسهم كرؤساء دولة حرة ومستقلة، ويراسلون رؤساء الدول المسيحية خاصة شارل الأول ملك انجلترا، ورئيس الولايات العامة بلاهاي، وأمراء Orange.

وقد برز التجمع الثاني بتطوان تحت نفس المظاهر السابقة. فقد كان هناك صراع داخلي، إذ عبر الأندلسيون صراحة عن طموحهم السياسي وعدم رغبتهم في الخضوع لأولاد النقسيس (البرابرة الجبليين) مما أدى إلى وقوع صراع عنيف بين الطرفين. أما المظهر الثاني المتعلق بالجهاد البحري فقد سجل الأب دان Dan أهمية تطوان كمركز من مراكز الجهاد البحري في شمال أفريقيا، لكنه ذكر أن تطوان في عهده (1640) لم تكن لها إلا فرگاطات صغيرة تصل أحيانا إلى السواحل الإسبانية. وبالنسبة للمظهر الثالث المتعلق بالعلاقات مع أوروبا نشير إلى أن العلاقة بين أندلسيي تطوان والأوروبيين لم تقتصر على التجارة والجهاد البحري، بل تعدت ذلك إلى محاولة التحالف مع الأنجليز ضد الإسبان من أجل الأمل الذي ظل يراود الأندلسيين باستمرار وهو العودة.

هذا ما يتعلق بمساهمة هذه الجالية الأندلسية في التاريخ السياسي للمغرب، أما مساهمتها في تاريخه الحضاري فكان أوسع وأعمق في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية. ففي الميدان الاقتصادي أسهموا في تطوير بعض تقنيات الري بالمغرب، وفي تركيب عدة نواعير، خاصة بفاس، ومد عدة قنوات انطلاقا من نهر تانسيفت بمراكش، وقاموا باستغلال العديد من الضيعات الزراعية الممنوحة لهم من طرف الدولة. واشتهر الأندلسيون بغرس أشجار الزيتون، وتحسين إنتاج الخضر والفواكه، وتربية دودة القز. وعرف ميدان البناء معهم كذلك تطورا مهما، فطراز البناء الأندلسي لم يعد يقتصر على مدن الشمال، بل تخطى جبال الأطلس، ودخلت الفسيفساء ونقش الحجر والجبس والخشب والسقايات حتى الدور المتوسطة بعد أن استقر الصناع الأندلسيون بتلك المدن النائية. وبرع الأندلسيون أيضا في ميدان الصناعات المعدنية، فقد كانوا يشرفون على صناعة الأسلحة والذخيرة بمدينة فاس، وعلى العموم فإنهم أدخلوا العديد من الحرف إلى المغرب أو طوروها. وكانت مساهمة الجالية الأندلسية بالمغرب بارزة أيضا في الميدان العلمي، خاصة في العلوم التجريبية والرياضية والترجمة، وبفضلهم دخلت عدة مصطلحات تقنية الى اللغة العربية. وبتعاقب الأجيال انصهر الأندلسيون في بوتقة السكان، وأصبحوا يكوّنون جزءاً لا يتجزأ من الأمة المغربية.

أ. الونشريسي، *المعيار* ؛ مجهول، *نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر*، ت. الفريد البستاني، العرائش 1940 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*؛ م. ابن علي الدكالي السلوي، *الإتحاف الوجيز* ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح* ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط* ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس، عن قبائل مدينة فاس*، مخطوط.

Dan, P, *Histoire de la Barbarie et de ses Corsaires*, Paris 1649 ; Castries, H. de *Les Corsaires de Salé*, *Revue des deux mondes* 1903 ; *S.I.H.M.* ; Brunot (L), *La Mer dans les traditions et industries indigènes de Rabat-Salé*, Paris 1921 ; Coindreau R, *Les Corsaires de Salé*, Paris 1948 ; Caille, J. *La Ville de Rabat jusqu'au Protectorat*, Paris 1949 ; Brown K, *An Urban view of Moroccan history salé 1000-1800*, *H.T*, vol, XII, Fasc. unique, 1971, pp. 5-106 ; Gozabes Busto, G, *La Republica andaluza de rabat en el sigio XVIII*, s. d.

محمد رزوق

**أندمْسير**، محمّد بن لحسن، ويدعى أيضا : ألبنسير وألْدمْسير، نسبة إلى قبيلة إندمْسيرْن. من أكبر الشعراء الروايس الذين تركوا بصمات واضحة على التجربة الشعرية والموسيقية الأمازيغية المعاصرة. ولد بدوار «تامْسُولْت» قبيلة إلبنسيرن عمالة مراكش عام 1939، والتحق بالكتاب يحفظ القرآن ويتعلم مبادئ القراءة والكتابة. استهواه الغناء وقول الشعر منذ صباه المبكر، وشرع في ممارسة ذلك في «أحواش» الخاص بمنطقته، مما عرّضه لزجر والده الذي كان يريده أن يستكمل تعليمه التقليدي ليصبح فقيها، لكن شهوة الغناء وقول الشعر ظلت تستبد بالصبي اليافع مما دفعه إلى اكتساب المعارف الأساسية بالعزف والغناء وآداب الروايس من خلال اتصاله بمجموعة الرايس مولاي علي عام 1955، ثم بمجموعة الرايس محمد موراك الذي تأثر به أندمسير بالغ التأثر، وتلقى عنه مهارات العزف على آلة «الرباب». وكان قد اكتسب أيامئذ بعض الشجاعة والمهارة في نظم الشعر، مما أهله سنة 1956 إلى أن يغادر نهائيا الكتّاب بعد أن اتصل بالرايس حْماد أمنتاگ أثناء زيارته لقرية تامسولت، هذا الأخير الذي شجعه وقام بتوجيهه بعد ذلك، خاصة بعدما أصبح أندمسير يرافق الروايس الجوالين عبر مداشر وقرى الأطلس الكبير وبعض مدن الجنوب، تحدوه الرغبة في المعرفة واكتساب الخبرة الفنية، أكثر مما يروم كسبا ماديا، مما أهله لأن يتقن صناعة الروايس بعد معاناة كثيرة وصبر في مرافقتهم. وقد دفعه طموحه بعد ذلك إلى أن يقوم بتسجيل أولى أغانيه على اسطوانة عام 1961 : «اللاّهْتْ ءالْحْبابْ»، لتليها بعد ذاك

أسطوانات أخرى على مدى سنوات الستينات. غير أن أندمسير لم يلفت الانتباه إليه كليا في هذه المرحلة لسببين اثنين : أولهما وجود أسماء لها الصيت الذائع والسبق في الميدان نخص منها بالذكر عمر واهروش وأمنتاگ، وثانيهما أنه لم يتجاوز بعدُ في هذه المرحلة حدود الذين تتلمذ عليهم ليكتسب فرادة الصوت وتميزه، غير أن القصيدة المغناة التي ستفتح له باب الشهرة والتي ستمثل منعطفا هاما في حياته الفنية هي قصيدة «لاكسيضا» ـ الحادثة ـ حيث وصف معاناته بعد حادثة السير التي تعرض لها في نهاية الستينات والتي أصابه شلل على إثرها. وقد توالى إنتاجه بعد ذلك طيلة السبعينات لكي يتميز شعرا ولحنا، ويتبوأ في سنوات الثمانينات صدارة الشعر والغناء الأمازيغي.

أنتج أندمسير خلال حياته الفنية 566 قصيدة منظومة على جميع بحور الشعر الأمازيغي التقليدية إضافة إلى بحور جديدة ابتكرها ـ ومستثناة من هذه القصائد تلك التي كتبها لغيره ـ، وقد توزع تسجيلها كقصائد مغناة بين الأسطوانات والأشرطة، وتناولت جميع أغراض الشعر المطروقة في شعر القدماء من جيل الرواد، ويمكن إدراج جميع تلك الأغراض ضمن خمسة مجالات رئيسية : الشعر الوصفي ـ الشعر الوجداني ـ الشعر الاجتماعي ـ الشعر الديني ـ الشعرالسياسي...... غير أن أندمسير لم يكن مبدعا في كل هذه المجالات إلا نسبيا، فهو بحكم انتمائه إلى جيل وسيط ـ جيل القنطرة ـ بين القديم والمعاصر، قام جل شعره في الوصف والوجدانيات والوعظ الديني على اجترار الصورة الشعرية الكلاسيكية بمحدِّدات بنائها الفني، ولكن الجديد الذي أضافه إليها هو أنه أدخل فيها تفاصيل جزئية غزيرة بعد أن كانت عند غيره من القدماء موجزة مقتضبة، مما أدى إلى جعل جل قصائده تتسم بالطول المفرط : ما بين 100 و150 بيتا، وأحيانا تجاوز المائتين.

غير أن المجال الذي اختص فيه أندمسير بالقول المتميز واللافت للانتباه هو مجال الشعر السياسي الذي اتجه إليه بإصرار واضح منذ نهاية السبعينات لأسباب موضوعية، ذلك أن هذا النوع من الشعر كان مرتبطا من قبل بالمرحلة الاستعمارية مما جعله يعرف همودا طيلة المرحلة ما بين 1956 إلى منتصف السبعينات حيث أدت التناقصات الاجتماعية والاقتصادية إلى تعقد العلاقات المجتمعية وتفكك بنية الأسرة وتغير القيم، مما طبع شعره السياسي بحدة وارتفاع في النبرة واشتداد في العاطفة أسقط بعضه في التقريرية والهتاف، ولكن رفع جله إلى ذروة الصياغة الرمزية والتصوير المبدع. ونستطيع عموما أن نجمل خصائص الفن الشعري عند أندمسير في العناصر التالية :

أ ـ الإحكام العروضي وقوة الصياغة والسبك، حيث لا نكاد نجد في شعره مثلما هو الشأن عند كثيرين غيره من القدماء والمعاصرين خللا في الوزن أو اضطرابا في قواعد النظم وتراكيب العبارات، ويعود ذلك إلى الجهد الواضح الذي كان يبذله الشاعر في تنقيح شعره وتمحيصه بعد كتابته.

ب ـ حسن الربط بين المضامين المتعددة للقصيدة، فإذا كان شعر القدماء في أغلبه صورا مختزلة يتم الانتقال فيما بينها دون ربط أو حسن تخلص، فإن شاعرنا قد اهتم بالربط المنطقي بين الصور الشعرية الواردة في القصيدة الواحدة عن طريق زرع تفاصيل غزيرة بينها متوسلا بدقة الوصف وتوليد المعاني.

ج ـ الابتكار في التصوير وتجاوز الأدوات الرمزية التقليدية، فإلى جانب الصور الشعرية الوصفية التقريرية التي يخفف من سطحيتها إحكام السبك وإتقان الصياغة العروضية، هناك في شعر أندمسير صور رمزية ذات بعد إيحائي تخييلي يتم فيها تقديم المعنى متضمَّنا في ثنايا العلاقات الرمزية بين الكلمات، وقد لجأ بكثرة إلى التصوير الرمزي في شعره السياسي خاصة.

لقد اهتم كثيرا بفنية الشعر وجماليته فاعتبره صناعة لا تتيسر إلا للقلة، كما اعتبر جمهور الشعر متفاوتا في ملكات التلقي والسماع فتحدث عن «خاصة» تفهم «المعاني» الخفية، وعن «عامة» فسد ذوقها وقصرت عن إدراك مراميه.

وعن الجانب الموسيقي : يعتبر كل شعر أندمسير مغنى بألحان وضعها الرايس نفسه وعزفها، فيكون بذلك نموذج الرايس «الكامل» الذي يقوم بالمهام التقليدية الثلاث : النظم والتلحين والغناء.

اعتمد في موسيقاه على آلات تقليدية عرف بها فن الروايس، وعلى رأسها آلة «الرباب» التي كان هو نفسه يعزف عليها، يرافقه عازفان على آلتي «لوطار» يُدوْزِنَان أوتار آليتهما على مستوى نغمة الرباب الذي يضبطه أندمسير دوما في المستوى المناسب لصوته، بالإضافة إلى ضارب على الطارة «تالونت» وآخر على الناقوس، مع ضرورة الإشارة إلى أنه منذ سنوات السبعينات، وبعد المد الذي عرفته الظاهرة الغيوانية أدخل أندمسير آلة «الطامطام» في إيقاع موسيقاه مما كان له تأثير على ألحان مرحلة بكاملها، غير أنه تجنب الضرب عليها بإيقاع عربي، وأولى اهتماماً خاصا بإيقاع رقصة تاسْكوِينْ الأمازيغية.

استفاد أندمسير كثيرا من موسيقى سابقيه الكلاسيكيين، وظلت مهيمنةً على طريقته في التلحين، ولم يستسغ الطرق الجديدة التي اتبعها روايس المرحلة المتأخرة التي غيرت نغمة الرباب نفسه، بالإضافة إلى إدخالها الإيقاع العربي وآلات الأوركسترا الغربية لأغراض تجارية صرفة، ولا يفوتنا أن نشير في هذه النقطة بالذات إلى أن اتجاه الدمسيري في السنوات الأربع الأخيرة من حياته إلى تأدية ألحان قديمة والإصرار من جهة أخرى على شعر الوعظ الديني لم يكن إلاَّ ردَّ فعل ضد موجة «التجديد» المتنكرة للأصول التقليدية.

نستطيع إذن أن نقول إن الدمسيري مخضرم الموسيقى، حيث نهل من القدماء، وجدد في عناصر التلحين القديمة استجابة لبعض التغيرات الطارئة على الساحة الموسيقية في المغرب.

أما الأداء الغنائي فهو الوجه الثالث لشخصية أندمسير الفذة، غير أنه إذا كان شعره في مستوى القوة والجزالة العالية، وموسيقاه بالغة التأثير، فلم يكن كذلك صوته، الذي كان يشكو من ضعف منذ بدايات تجربته في الغناء، حيث كان يجد صعوبة في إخراج بعض الأصوات مما جعله يضع لغيره من الرايسات ذوات الصوت الرخيم ألحانا لم يستطع أداءها بسهولة. غير أن ضعف صوت أندمسير الذي اعترف به هو نفسه لم يكن عقبة في طريقه، فقد جعله ذلك يراهن على قوة الكلمة الشعرية وسحر تأثيرها، مما دفعه إلى المحافظة على تقليد الروايس القدماء الذي يعتمد الغناء خارج الإيقاع المتصل، هذه الطريقة التي تفسح المجال أمام بروز مضامين الخطاب الشعري، ولعل ذلك من الأسباب الواضحة التي تكمن وراء طول قصائد أندمسير وغزارة معانيها. وعموما نستطيع أن نميز بوضوح بين نمطين من الغناء عنده : النمط المذكور الذي يتمثل في الغناء خارج الإيقاع، والنمط الثاني هو نمط الغناء داخل الإيقاع، وعادة ما يكون سريعا ويتم فيه توزيع الأداء بالتناوب بين أندمسير وفرقته من الرايسات اللواتي يرددن البيت الأول من القصيدة المغناة.

إن أهم ما يمكن قوله في تقويم عام لتجربة أندمسير الفنية، هو أنها كان يحدوها وعي كبير بنبل الرسالة الفنية وسموها، مما جعل الرايس يتجه في السنوات الأخيرة إلى توجيه النقد في شعره لموجة الغناء الجديد وللجمهور الأمازيغي منددا بالنشازات المائعة وانحطاط الذوق الفني، ولعل هذا كله كان نابعا من شعور عميق بثقل المسؤولية، وبرسالة الفنان التي ما فتيء يحتفي بها في شعره من مثل قوله في إحدى قصائده في السنوات الأخيرة :

ءاشْبَار نلاَگِيسْ ءارگيخ مُوتْخْ
يان دْ نْفلْ تيگيرانْوْ ءاسي السّيعْرْ
أنا في عراك إلى أن أموت
ومَن يات بعدي يَحْمِ الحمى

أحمد عصيد

## إندوزال ← هوزالة

## أنركي ← أزيلال (إقليم.)

**إنريكي** دالمُونتي Enrique D'Almonte، إسباني، قام ببعثة علمية إلى الصحراء المغربية لحساب «الجمعية الجغرافية بمدريد» وخرج منها بتوصيات تتعلق بسياسة إسبانيا في الصحراء الغربية، ومن هذه التوصيات جعل موقع العيون عاصمة للمنطقة واتباع سياسة الحكم غير المباشر باستعمال ذوي النفوذ من الزعماء المحليين.

T. Hodges, *Historical dictionary.*

أحمد التوفيق

**إنزگان** ـ جغرافيا ـ مدينة تقع في أقصى غرب سهل سوس، على الضفة اليمنى للواد وعلى بعد 11 كلم من مصبه. وتنفرد هذه المدينة الصغيرة ـ البالغ عدد سكانها 17.952 نسمة سنة 1982. وهي تنتصب على يمين الطريق الوطنية رقم 10، عند النقطة الكلمترية 12، جنوب شرق مدينة أگادير، بكونها تتوسط المجموعة الحضرية لأگادير الكبير. وتعتبر قلبها النابض وقطب التجارة السوسية بدون منازع.

النشأة ومراحل التطور : كانت في الأصل عبارة عن قرية صغيرة قديمة جدا، نشأت حول ضريح على نتوء صخري 35 متر وسط المجرى الكبير لواد سوس، مستفيدة من مميزات هذا الموضع حيث وفرة المياه والأراضي الصالحة للزراعة من جهة، وحيث إمكانيات درء فيضانات الواد من جهة أخرى. وقد ظلت منذ نشأتها وإلى بداية هذا القرن، تضطلع بدور العاصمة الادارية والاقتصادية لقبيلة گسيمة.

وبعد دخول الحماية إلى سهل سوس، توطد دورها الإداري. فمنذ سنة 1925 اتخذت منها سلطات الحماية مقرا لإدارة ومراقبة قبائل الجزء الغربي من السهل وحواشيه الجبلية. كما أنشأت بجوارها أكبر قاعدة عسكرية جنوب الأطلس الكبير بجوار قرية بنسرگاو. وقد ساعد هذا على تدعيم دورها التجاري الذي بدأ يتعزز أكثر بعد سنة 1930، وذلك بموازاة توافد أعداد من المغاربة والأجانب الذين نزحوا إليها للاستفادة من الفرص التي أصبحت متاحة بها من جهة، وبالمدينة القريبة الناهضة أگادير من جهة ثانية.

حظيت إنزگان خلال هذه الفترة بمبادرات رسمية في التجهيز والتعمير حيث توفرت شبكة طرق معبدة، فتحت آفاقا جديدة أمام توسع القرية التي ارتقت إلى مستوى مدينة قبيل الحرب العالمية الثانية وشهدت ظهور الأحياء المغربية الأولى على الأطراف الشمالية للنواة الأولى، بالإضافة إلى إحداث حي خاص بضباط الحماية بمحاذاة طريق أگادير (حي العصافير) وبعض المصالح والمؤسسات الادارية والاجتماعية. وقد واكب هذا التوسع تزايد ديمغرافي ملحوظ، حيث ارتفع عدد السكان من 966 نسمة سنة 1931 إلى 4.657 نسمة سنة 1952. وبعد الاستقلال وفي خضم التحولات السريعة والعميقة التي شهدها سهل سوس، عرفت مدينة إنزگان تطورا هاما حيث أصبحت أهم قطب حضري بالمنطقة بعد أگادير. وقد ارتبط هذا التطور في الأصل، بزلزال مدينة أگادير سنة 1960 إذ جعل إنزگان بفضل موقعها وتجيزاتها تضطلع ببعض وظائف المدينة المنكوبة. واستطاعت خلال هذه الفترة تعزيز وظيفتها التجارية وخاصة بعدما تحولت إلى مقر لدائرة ونجحت في استقطاب معظم الفروع التجارية التي كانت متمركزة قبل 1960 بحي تالبرجب القديم بأگادير. وغدت تضطلع بدور المدينة القديمة على مستوى المجموعة الحضرية لأگادير الكبرى. وقد تطورت علاقتها مع محيطها المحلي والجهوي ومع باقي جهات المغرب وخاصة حينما أصبحت تحتضن أكبر سوق لتجميع وتصريف المنتوجات الفلاحية وأكبر محطة طرقية جنوب الأطلس الكبير، وحينما تحولت إلى

قبلة للمستثمرين في جميع أنحاء البلاد ومن الخارج أيضا وخاصة من العمال المنحدرين من المنطقة.

وقد شهدت المدينة في خضم هذه التحولات توافد أعداد هامة من المهاجرين حيث ارتفع عدد سكانها بين 1960 و1982 من 6.917 ن إلى 17.952 ن. كما عرفت توسعا في مجالها حيث ظهرت بها أربعة أحياء جديدة، أصبح معها حيز المدار الحضري للمدينة على درجة عالية من التشبع نظرا لضيق مساحته من جهة ولوجود معظم أراضيه في ملك الدولة من جهة ثانية. الشيء الذي أرغم معظم القادمين وخاصة من الفئات المحرومة، على الاستقرار بالمراكز الصغيرة المحيطة بإنزگان كالدشيرة وتراست والجرف وتيكوين.

السكان : تزايد سكان إنزگان على العموم بكيفية سريعة ابتداء من الثلاثينات. ويقدر معدل نسبة التزايد السنوي بـ 5,7٪ بين 1936 و1982. وهذه النسبة تفوق معدل النمو الحضري على الصعيد الوطني 4٪. وتجدر الإشارة إلى أن إيقاع التزايد كان جد متغاير بين الفترات. فإذا كانت وثيرته سريعة جدا بين 1936، 1952 بلغت 6,8٪ وساهمت فيها بقسط وافر الجالية الأجنبية التي كانت تمثل 1/4 السكان، فإن الوضعية تغيرت تماما خلال العقود الموالية بحيث انخفضت النسبة من 5,1٪ سنة 1960 إلى 4,1٪ سنة 1982، وأصبحت تعادل تقريبا معدل النمو الحضري الوطني. وتعتبر هذه النسبة الأخيرة من أضعف ما سجل الوسط الحضري بسوس، الشيء الذي كان له بالغ الأثر على هبوط الوزن الديمغرافي لإنزگان في المنطقة بحيث لم تعد تحتضن سوى 7,6٪ من مجموع سكان أگادير الكبرى، بدل 17,5٪ سنة 1960. ويرتبط بطء إيقاع التزايد خلال عقد السبعينات على الخصوص بالوضعية القانونية لإنزگان ونوعية التوسع الذي تم به، فهذا المركز يعتبر إحدى واجهات البلاد المفتوحة على الخارج. وبحكم كونه بلدية فهو يخضع للمراقبة والتقنين في ميدان تجزئة الأرض وبنائها، هذا بالإضافة إلى ضيق حيز المدار الحضري الذي لم يعد يتسع لخلق تجزئات سكنية جديدة. وقد ساهم التوافد بنصيب لا يستهان به في تكوين السكان الحضريين بإنزگان. ففي سنة 1971، بلغت نسبة المزدادين خارج المركز حوالي 58٪ وارتفعت سنة 1983 إلى 72,2٪. وهذا يعني أن المولودين بالمدينة نفسها كانت نسبهم على التوالي 42٪ و27,8٪. وينحدر معظم المهاجرين 74,8٪ سنة 1971 من أصول قروية. ويمثل سهل سوس وحواشيه الجبلية الموطن الأصلي بالنسبة لحوالي نصف الوافدين. على أن النصف الآخرقدمت غالبيته من الهضاب والسهول الأطلنتية وخاصة حاحة وعبدة والشياظمة.

الأنشطة الحضرية : يتبين من تحليل البنية المهنية للسكان النشيطين تضخم القطاع الثالث الذي يستحوذ علي 80,4٪ من مجموع النشطين سنة 1988 بدل 24,3٪ سنة 1960. وتعبر هذه النسبة العالية جدا عن الدور الذي تضطلع به المدينة باعتبارها مركزا للخدمات التجارية والادارية والاجتماعية.

الجندية والأنشطة الإدارية والتعليمية والصحية : تعتبر أهم الأنشطة الممارسة من طرف السكان حيث يشتغل بها حوالي 35٪ من النشيطين. وهذه الأنشطة لم تشكل أصلا القاعدة التي قام عليها نمو المدينة. فهي لم تصبح من القطاعات الأساسية المحركة للاقتصاد الحضري إلا بعد الاستقلال. ويرتبط هذا :

أولا : بإنشاء ثكنة للقوات المساعدة بالمدينة وبالتوسع الذي شهدته القاعدة العسكرية المجاورة بعد سنة 1975.

ثانيا : بتعزيز النشاط الإداري بالمدينة حيث أصبحت بلدية وعاصمة لدائرة تتكون من ست جماعات قروية ومقرا لمجموعة من المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالمحكمة الإبتدائية والسجن المدني.

ثالثا : بوظيفتها التعليمية باعتبارها تحتضن أربع مدارس ابتدائية وخمس مؤسسات للتعليم الإعدادي والثانوي ومدرسة عليا للأساتذة. بوظيفتها الصحية المتطورة والمتمثلة في عدد من التجهيزات تعطي للمدينة إمكانيات إشعاع جهوي كبيرة جدا. وأخيرا بموقعها وسط المجموعة الحضرية لأگادير الكبرى حيث تمثل مقر سكنى بالنسبة للعديد من موظفي المؤسسات العمومية.

النشاط التجاري : تمثل التجارة أهم نشاط اقتصادي بالمدينة، حيث تشغل حوالي 25,1٪ من مجموع النشيطين سنة 1988. وتمتاز بكونها تعتبر من أقدم الأسس الاقتصادية التي قام عليها نموها. فمنذ سنة 1960 كان هذا القطاع يشغل أزيد من 18٪ من النشيطين.

ويمتاز التجهيز التجاري بالمدينة حاليا بوجود 2.545 محلا تجاريا دائما أي ما يعادل محلا واحدا لكل 7 أفراد. وهذا تضخم كبير في حد ذاته . كما ينفرد بوجود تفاوت صارخ بين أنشطة البيع 83,7٪ والأنشطة التجارية الخدماتية 16,3٪، بالإضافة إلى تضخم واضح لفرع تجارة التغذية التي تستحوذ على 25,3٪ من مجموع المحلات.

فالمدينة تنفرد بكونها تمثل أهم نقطة لتركز تجارة الجملة ونصف الجملة بالمنطقة (271 محلا لتجميع وتصريف المنتوجات الفلاحية، 30 محلا لتوزيع المواد الغذائية، 11 محلا لتجارة الألبسة) وتحتضن أحد أكبر أسواق الماشية بالإضافة إلى سوق أسبوعي، كما تمثل مقر إقامة ونقطة انطلاق الكثير من التجار المتجولين عبر الأسواق الأسبوعية وخاصة منها أسواق الجزء الغربي والأوسط من سهل سوس وحواشيه، وأخيرا تمثل مكانا لعقد الصفقات بين رجال الأعمال والمستثمرين من المنطقة ومن خارجها، وهذا ما يفسر التركز الكبير للوكالات البنكية التي يبلغ عددها إحدى عشرة وكالة.

أنشطة النقل والأكل والإقامة : تكتسي هذه الأنشطة أهمية خاصة بالمدينة حيث تشغل حوالي 19,5٪ من النشطين، وتستحوذ على 18,7٪ من مجموع المحلات.

وتعتبر خدمات النقل أهم هذه الأنشطة على الإطلاق (أزيد من نصف محلات الخدمات بالمدينة). وترتبط أهمية هذا القطاع بالدور الطرقي الذي تلعبه إنزگان على الصعيدين الجهوي والوطني وخاصة بعد استرجاع الأقاليم الصحراوية. فالمدينة تحتضن أكبر محطة طرقية بالمنطقة تجعل منها نهاية غالبية خطوط نقل المسافرين. أما خدمات الأكل والإقامة فهي تمثل 6,6٪ من مجموع المحلات.

الأنشطة الحرفية : تشغل هذه الأنشطة 16,4٪ من مجموع النشطين وتحتل حوالي 836 محلا. ويمتاز النشاط الحرفي بالتنوع وبعدم التوازن بين الصناعات التقليدية المنتجة 46,7٪ والصناعات التقليدية الخدماتية 53,3٪. وتوجد في مقدمة الحرف المنتجة الخياطة (خياطة الجلاليب وملابس النساء) والنجارة واللحام (صنع الأبواب والشبابيك الحديدية).

عصرية أو عمارات صغيرة. ورغم هذا ما زالت معظم الدورمبنية بالطين والحجارة وتتكون من طابق أرضي.

الأحياء المغربية الجديدة : تشمل الأحياء التي بنيت خلال فترة الحماية وخاصة بعد 1925، والأحياء المغربية الأخرى التي ظهرت بعد 1956. الأحياء الأولى بنيت عند القدم الشمالي للنتوء الصخري وتتوسط حاليا الحيز الحضري. وتعتبر مركز المدينة التجاري وقلبها النابض. ويمكن تقسيمها على أساس حدة تركز المحلات التجارية إلى حيزين : الأول يقع شمال مقر الدائرة، وقد تم توسيعه مؤخرا في اتجاه طريق أگادير، حيث أصبح يشمل إلى جانب المركز التجاري القديم، سوق الخضر بالجملة والسوق الأسبوعي والمحطة الطرقية. ويعتبر هذا الحيز المركز التجاري الحقيقي لإنزگان. أما ا لحيز الثاني فيقع بين زنقة هشتوكة وزنقة المدارس وهو ما يسمى بحي إنزگان.

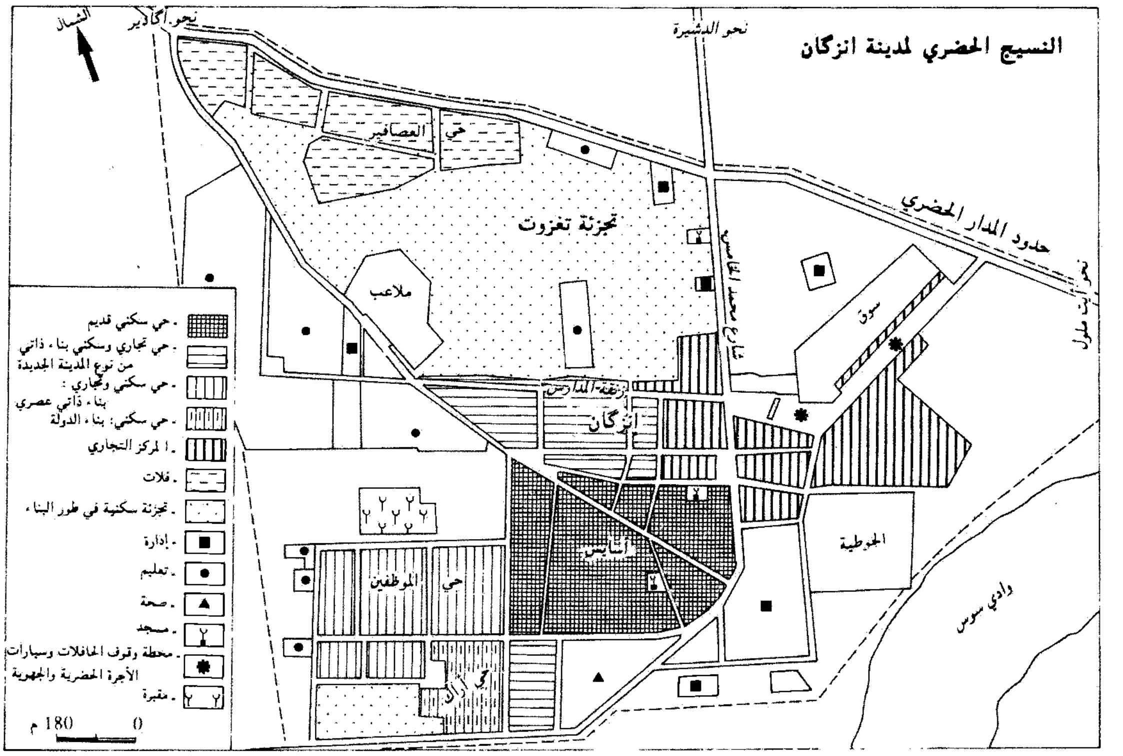

النسيج الحضري لمدينة انزگان

مورفلوجية المدينة : تتميز مرفلوجية المدينة بنسيج مفكك وغير متجانس يتكون من مجموعة من الأنوية السكنية التي تفصل بينها مجالات فارغة أو في طور البناء. ويمكن تمييز خمسة مجالات :

- النواة القديمة : تتمثل في حي أسايس الواقع على قمة النتوء الصخري والذي لازال يحافظ على طابعه القديم حيث الأزقة ضيقة وملتوية، تتضمن بعض المحلات التجارية الصغيرة. وقد بدأ هذا الحي يعرف بعض التغيرات التي تهم الدور القديمة حيث تقام مكانها دور مغربية

والجدير بالملاحظة أن معظم أجزاء هذه الأحياء يظهر اليوم مكتظا بالمحلات التجارية وعلى درجة كبيرة من التشبع. يفسر ذلك حدة المضاربة على الأصول التجارية، وأيضا حركة التغيير وإعادة التهيئة التي يتعرض لها هذا المجال من المدينة، والتي تتمثل في هدم البنايات القديمة وتخصيص الطوابق السفلى وأحيانا جميع الطوابق للتجارة التي تكتسح حتى الدور المعدة للسكنى.

أما الأحياء الأخرى التي بنيت بعد 1956 فتشمل حي بونعمان وحي إراك وحي الموظفين : (حي ولي العهد) وتقع

في الجنوب والجنوب الغربي من المدينة وكلها تأسست بعد سنة 1968. وتتميز بكونها أحياء عصرية منازلها مبنية بالآجر والإسمنت المسلح، وتتكون من طابقين أو ثلاثة طوابق يخصص الطابق الأرضي منها للتجارة، باستثناء حي ولي العهد الذي هو حي سكني بالدرجة الأولى.

حي العصافير : يعتبر من مخلفات سلطات الحماية بالمدينة. وهو حي سكني صغير منعزل في أقصى الشمال الغربي للحيز الحضري، يتكون من مجموعة من الفيلات التي أنشأها المعمر لإسكان ضباط القاعدة العسكرية. وتمتد حاليا على أطرافه الجنوبية تجزئة سكنية في طور البناء تعتبر آخر ما تبقى من أراضي المدار الحضري لإنزگان (تجزئة تغزوت ).

مجال المؤسسات الادارية والاجتماعية : يمتاز بكونه مجالا غير متصل يمتد على حيزين من المجال الحضري. الأول يقع في أقصى الجنوب والجنوب الشرقي يشرف على وادي سوس ويتضمن مقر الدائرة والسجن المدني بالإضافة إلى المركز الصحي ومستشفى الأمراض الجلدية ومرض السل. أما الحيز الثاني فيوجد في الوسط الغربي ويشمل معظم المؤسسات التعليمية بالإضافة إلى الخيرية والملاعب الرياضية.

ونستخلص في النهاية أن إنزگان مدينة صغيرة نجحت في تنويع أسسها الاقتصادية لتصبح ذات شخصية متميزة في إطار أگادير الكبرى باعتبارها قلبه التجاري النابض. غير أن تشبع حيز مدارها الحضري يدفعنا إلى التساؤل عما إذا كانت تستطيع الحفاظ على هذه الوظيفة خاصة إذا علمنا أن المراكز المحيطة بها وخاصة أيت ملول قد بدأت تنافسها على هذا المستوى نظرا للأهمية التي اكتسبتها بحكم موقعها على طريق الأقاليم الصحراوية المسترجعة.

ع. الحجوجي، *التهيئة الحضرية لحيز مدينة أگادير بين 1960 و1982 من خلال تدخل الدولة*، أطروحة السلك الثالث - إكس - مرسيليا، 1983.

عثمان هناكا

**إنزگان** - تاريخ - كلمة أمازيغية مركبة من (أنزيگ) بمعنى الغار ومن (أنْ) بمعنى ذاك، وهي إما بصيغة المفرد (أنزيگ أن) ذلك الغار أو بصيغة الجمع (إنزيگن أن) تلك الغيران، أي الغيران الواقعة على الجهة الأخرى (للوادي) وبتوالي الاستعمال أصبح إنزگان، وهو الاسم الذي يشار به لذلك المكان المعروف به الآن، ويوجد في قبيلة مسگينة شمال إنزگان مكان يدعى (أنزيگ أوشن) غار الذئب قرب قرية تاباطكوكت.

وموقع إنزگان يوجد قرب الطريق التجارية الرابطة بين الصحراء وأگادير والصويرة، وهو على مبعدة عشرة كيلومترات من مدينة أگادير، ويشكل تلا صخريا من طبقات كلسية تنتهي بجرف نحو مجرى نهر سوس، وقد أدت التعرية المائية الباطنية إلى تشكيل عدة غيران كظاهرة غريبة في هذه المنطقة السهلية وهي أصل الاسم، ويوجد غاران كبيران أحدهما يفصل بين موقع انزگان وحي الجرف الآن واستغل كمجرى للمياه الحارة، والثاني يوجد في سمت ضريح الولي الحاج مبارك وقد أغلقته سلطة الحماية الفرنسية.

وإلى بداية القرن التاسع عشر كان هذا الموقع خاليا من السكان تنتشر عليه أشجار برية منها شجر «الأرگان» الذي لم تبق منه اليوم إلا شجرة واحدة تتوسط المدينة.

وتذكر الرواية الشفوية أن أجنبيا نصرانيا هو أول من سكن هذا الموقع قرب مكان ضريح سيدي محمد العروسي وكان هذا النصراني يتصل بشاطئ البحر ويعود ليلا، اتخذ مسكنا من الحجارة، وقد انتبه اليه سكان «المرس» قرب تيكيوين وجاؤا إليه فطردوه، ومنذئذ كان هذا الموقع محلا للاهتمام وهو بداية القرن التاسع عشر فجاءت إليه بعض الأسر من أصول مختلفة شمالا من حاحة وجنوبا من أيت باعمران والصحراء وبالخصوص بعض الرگيبات وحسب تقييد أول فقيه « شارط» في مسجد صغير في بداية تأسيس القرية، فقد بلغ عدد الأسر الأولى سبعا وهي أيت منصور وأيت بلخير وأيت بوحسين وأيت أُبهي وأيت أُلحيان وأيت القايد وأيت العربي، وتلاحقت أسر أخرى، وما أن انتصف القرن التاسع عشر حتى اصبحت إنزگان قرية كبيرة من بين قرى قبيلة گسيمة التي كانت تسير على نظام قبلي مبني على الأعراف المكتوبة (الألواح)، ويظهر من بعض ألواح قبيلة گسيمة أن هناك ازدواجا بين سلطتين داخل القبيلة لتنظيم الحياة العامة : سلطة المخزن المتمثلة في القائد وسلطة القبيلة المثمتلة في مجلس الأعيان إذ نجد من خلال لوح قبيلة گسيمة لسنة 1895 أن القوانين العرفية تطبق باسم القائد وهو يومئذ القائد أحمد بن إبراهيم الگسيمي وباسم أعيان القبيلة، ويمثل إنزگان في المجلس عضوان هما : الحاج عدي بن القاضي، وإبراهيم بن محمد أمرگا. إلى جانب نواب الدشيرة وإرحالن والغياتن والجرف والمزار وأيت ملول، وقصبة الطاهر وغيرها.

كانت انزگان محاطة بسور بسيط من الحجارة وبعضه مبني بألواح الطوب، ولها ثلاثة أبواب، أحدها ينفتح نحو الجنوب الشرقي للمسجد الكبير وهو الباب الرسمي والثاني نحو الشمال الغربي لمنزل أيت بلخير ويدعى «باب التراعت» والثالث شرقا نحو ضريح الولي الحاج مبارك ويدعى «باب الريراو».

وأغلب السكان كانوا يشتغلون بالفلاحة وتربية الماشية ولهم أملاك على الضفة اليمنى لنهر سوس. وكان النهر كما وصفه شارل دوفوكو دائم الجريان طول السنة وضفافه كثيرة الخصب، إلى جانب وجود عدة سواق متفرعة عنه أهمها ساقية الجهاد التي تستفيد منها قرية إنزگان وغيرها من قرى قبيلتي گسيمة ومسگينة. وكذلك ساقية تاراست، مما يكفل للسكان اقتصاديا الاكتفاء الذاتي فلاحيا، إذ كانت إنزگان محاطة بالبساتين من جميع جهاتها باستثناء

الغرب، أما الماشية فكانت كثيرة وترعى بالتناوب : (تاوالا) على شكل جماعي، وتنظم رعايتها «بلوح» خاص، وهناك ساحتان لتجميع الماشية للتناوب لكثرتها : «أسايس نتاگوت» (الساحة الغربية) جنوب المسجد الكبير، و«أسايس القبلت» (الساحة الجنوبية) قرب باب الريراو شرقا، ثم وقع تجميعها في عهد الحماية في ساحة للاميمونة. وقد استمرت تربية الماشية كمظهر قروي بانزگان إلى صيف 1970 حيث وقع منعها رسميا بداخل المدينة.

ومن معالم إنزگان، يوجد المسجد الكبير الذي يتوفر على مدرسة اشتهرت بالقراءات، وقام بالتدريس فيها عدد من العلماء نذكر منهم : الشيخ المقرء سيدي عبد القادر بن أحمد، وسيدي مبارك نـطّالب، و سيدي علي بيروك، وسيدي إبراهيم بن التهامي الحاحي، ولكن ازدهار المدرسة علميا انما كان أثناء الأربعيات وأوائل الخمسينات من هذا القرن حينما تولى التدريس فيها الفقيه الحاج عبد الرحمان بن محمد الحداد الانزگاني خلفاً للفقيه ابن التهامي، ابتداء من سنة 1938. وكان الحاج عبد الرحمان من الفقهاء البارزين وقد استمر في عمله العلمي إلى أن توفي سنة 1982.

ويرتبط تاريخ انزگان بتاريخ أسرة أيت القايد الگسيمي وتعتبر القيادة فيها متسلسلة، وكان بينها وبين أبناء عمومتهم أيت أولحيان صراع حول السلطة كما كان لهم صراع مع قواد مسگينة من آل الشداخ وقواد هشتوكة من آل الدليمي، ومن بين القواد الگسيميين واللحيانيين الذين تناوبوا على السلطة، القايد العربي الگسيمي، والقايد أحمد بن إبراهيم اللحياني من قواد مولاي الحسن عام 1882 وعبدالرحمان بن العربي الگسيمي، وأحمد اللحياني والحاج الحسن الگسيمي ومحمد بن عبدالرحمان، وفي سنة 1912 تولى القيادة محمد بن الحاج الحسن الگسيمي. وبعده تولى آخر القواد الگسيميين القايد عبد المالك.

ويتصف هؤلاء بالاعتدال رغم صراعاتهم المذكورة، باستثناء القائد محمد بن الحسن الگسيمي، فقد كان أشدهم وأقواهم عنفا، وحسب شهادة السيد أحمد بوالتّومّات وكان «مخزنيا» مساعدا لهذا القائد، فقد كان الناس يتحاشون المثول بين يديه لقسوته ويفضّلون حل مشاكلهم بالمصالحة.

أما من حيث التعمير فيظهر أن هناك ارتباطا بين وضعية أگادير، ونشوء إنزگان وتعميرها ففي الوقت الذي تأسست فيه إنزگان كان مركزأگادير التجاري بعدإغلاق مرساه بأمر من السلطان محمد بن عبد الله قد تحول إلى مرسى الصويرة مما جعل إنزگان لم تشهد نموا سريعا. فباستثناء قلعة أيت القايد بأبراجها، ومنزل القايد محمد الگسيمي الذي اتُّخذ الآن مقر المركز الإداري لا توجد إلا مساكن متواضعة، وظلت القرية غير ذات أهمية كبيرة إلى نهاية القرن التاسع عشر، فقد مر بها بعض الرحالين الأجانب وهم في طريقهم من سهل سوس إلى الصويرة دون أن تلفت انتباههم، وقد اكتفوا بذكر منازل بعض الشخصيات على الطريق المؤدية إلى أگادير، ومن بين الرحالين الذين مروا بها شارل دو فوكو Ch. de Foucauld سنة 1884 ودو سيگونزاك de Segonzac سنة 1899، وقد رسم هذا الأخير موقعها على خرائط كتابه.

وعرفت إنزگان بعض التطور في عهد الحماية بانشاء بعض المرافق وبناء حي خاص بالأجانب مفصول عن المدينة بالبساتين وهو حي لي شالي (حي العصافير حاليا) الذي أحدث في شمال السكن العتيق. غير أن التطور الهام الذي حدث بإنزگان مرتبط أيضا بوضعية أگادير، فبعد زلزالها المشهور سنة 1960 انتقل الأگادريون إلى إنزگان فاصبحت منذ ذلك الحين في نمو متزايد، ويعتبر سوقها أكبر سوق بسوس من حيث ترويج البضائع.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 14 : 149، 152، 158، 175، 15 : 205، 236 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 20، 38، 4 : 75، 95 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود*، 78، 109 ؛ *رواية شفوية عن السيدين أحمد بوالتّومّات والحاج أحمد بلقايد*.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance*, 184-85 ; E. de Segonzac, *Voyage au Maroc*, 278 ; R. Montagne et Ben Daoud, *Document de droit coutumier du sud marocain*, *Hesp*, 1927, pp. 419-445.

**الإنزگاني**، الحاج عبد الرحمان أمزيل الحداد المستغفر، نموذج من العلماء متفرد كان عليه مدار شئون الناس في مدينة إنزگان، يصلح ذات البين ويفصل في النزاعات وعلى يديه تتم كثير من حالات الزواج وعمليات الرهن والبيع والشراء، ويكتب عقودها ويمارس علم الميراث ويفض في أمور الفلاحة وخاصة في الأراضي الفلاحية التي على الضفة اليمنى لنهر سوس وكذلك التي في مجال مياه ساقية الجهاد، وله مواقف وطنية. كل هذا إلى جانب التدريس وإمامة المسجد.

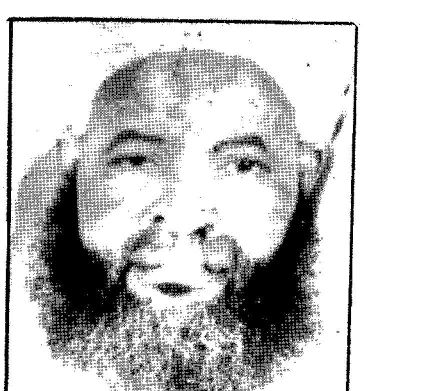

ولد بإنزگان يوم الأربعاء 16 جمادى الثانية 1326/16-7-1908م وكان والده محمد بن علي - كما يقول المختار السوسي - عالما مشهورا رفع راية العلم بقريته بإنزگان وكان يقضي بين الناس في عهد القائد الحاج أحمد الگسيمي، وله صلة بملوك المغرب يذكر في تقاييده لقاءه

بالسلطان مولاي الحسن وتقديم مصحف كهدية له في جملة من العلماء أثناء رحلته إلى سوس 1886، وكانت أسرته تحظى بظهائر التوقير والاحترام تكريما للعلم.

تلقى الحاج عبد الرحمان تعليمه في المدارس التالية :

- في الجامع الكبير بإنزگان حيث تلقى القرآن على المقرئ الشيخ عبد القادربن أحمد وعلى ابنه سيدي مبارك بعده.

- في مسجد قرية المزار تـمّم دراسته القرآنية بقراءة «المكّي» على المقرئ محمد بن عبد الله الركراكي.

- في مدرسة سيدي ميمون قرب المزار، تلقى مبادئ العلوم العربية والفقه وغيرها على يد الفقيه مبارك بن محمد البوزوگي الگسيمي لمدة عشر سنوات.

- في مدرسة أيت ملول التي انتقل اليها بسبب ظروف الجفاف والمجاعة لسنة 1926 واستقر فيها إلى سنة 1937.

- في مدرسة إغيلالن العلمية بقبيلة مسگينة ليتخرج على يد أستاذها الفقيه الحاج مسعود الوفقاوي.

بعد أن استكمل تكوينه على يد ثـلّة من خيرة العلماء بدأ اشتغاله بالتعليم منذ سنة 1938 «فشارط» بقرية إرحالن وهي حي من أحياء «الدشيرة» الآن وبطلب من سكان إنزگان انتقل إلى الجامع الكبير، فتولى التدريس والإمامة، فلمع نجمه، وأصبح مقصد الجميع، وقد توافد عليه الطلاب من مختلف النواحي، لأنه جمع بين تعليم القرآن وتدريس العلوم العربية وأصبحت المدرسة - الجامع -، آهلة بالطلبة الآفاقيين، وتسابق الناس في القيام بوظائف المدرسة وإكرام الطلبة مما أدى إلى ازدهار التدريس. وإلى جانب التدريس زاول مهام الإفتاء والإرشاد والفصل في التركات.

ينتمي الإنزگاني إلى الطريقة التجانية، وقد أخذها عن شيوخه : سيدي مبارك بن محمد بأيت ملول (ت 1933) والشيخ أحمد بن مبارك أُتينهـمّو الذي أصبح على يده مقدّما للطريقة، بتاريخ 13 رجب 1356 / 19 . 9 . 1937، وله إجازات من الحاج علي بن أحمد الاساگي سنة 1943، ومن الطيب بن علال من أحفاد الشيخ التجاني، ومن الحاج الحسن الباعقيلي، وله أسانيد متصلة، فكان بينه وبين الشيخ التجاني واسطتان : الاساگي والإفراني، وهو «مقدم» الطريقة في هذه المدينة وعلى يده تؤخذ الأوراد.

وإلى جانب المهام المشار إليها آنفا. كان يمارس أعمال الحدادة مع أخيه الأكبر، كما كان يمارس شخصيا الأعمال الفلاحية في أملاكه، ويشرك أحياناً طلبته القادرين على العمل إلى جانب العمال، ويعتبر ذلك جزءا من تربيتهم العملية، مما يغنيه عن الأجرة التي يؤديها السكان، وقد يلتجئون إليه في ساعة العسرة أحيانا.

كان لا يخاف في الله لومة لائم، إذ كان يعبّر أمام سلطة الحماية عن آراء السكان، ولرأيه أهمية كبيرة لدى تلك السلطة، كما كان له اهتمام شديد بتتبع أخبار البلاد وخاصة عن طريق الجرائد. وقد تعرض قبل 1953 لمضايقات سلطات الحماية فكان البوليس الفرنسي يحمله من داخل مسجد إنزگان وينقله على سيارة جيپ مكشوفة قصد إرهابه مرات عديدة، لأنه كان يشكل نقطة يلتقي عندها كثير ممن لهم صلة بالحركة الوطنية، وقد عاش كل مراحل المقاومة التي كانت المدينة مجالا لها.

ولا ينسى أحد من سكان المدينة موقفه عندما زج الاستعمار بمحمد الخامس وأسرته في المنفى السحيق سنة 1953 فامتنع من الدعاء لابن عرفة المنصَّب في صلاة الجمعة، وأثناء صلاة عيد الأضحى وهو مطوق بالجيش الفرنسي وجنود (الگوم) فذكر السلطان الشرعي مما جلب عليه سخط الاستعمار وعملائه، فاعتقل فورا، وانتفضت المدينة، مما جعل السلطة تسرحه في نفس اليوم، باشارة من الباشا ابن المدني بن حيون، ولكنه طرد من الإمامة ومن التدريس بالمسجد الكبير، فعانى من النفي الإجباري، وتفرق تلامذته وطلابه، وما أن رجع محمد الخامس من منفاه 1955 حتى كان محل تكريم من السكان، فرجع إلى المسجد معززا وتابع نشاطه، فتفرغ للتدريس والتربية بالكلمة والفعل وملازمة العبادة، مع العناية بتدبير أشغاله، فكان قدوة ونموذجا فريدا حتى وافاه الأجل يوم الأربعاء 22 صفر 1403 (9-12-1982).

ومع أن الفقيه الحاج عبد الرحمان كان يهتم بالتربية العملية أكثر من النظرية فقد خلف بعض المؤلفات نذكر منها :

- *كناشة كبيرة* اهتم فيها كعادة الفقهاء بالنظائر الفقهية والنحوية والأدبية وسجل فيها كثيرا من الأحداث العامة والعائلية وقصائد شعرية من نظمه.

- *رحلة حجازية* في دفتر، ألفها سنة 1957.

- منظومة *نورة الربيع فيما يفسد الحج من الجماع*، ولها شرح بعنوان *فتح العلي السميع بشرح منظومة نورة الربيع*، وهو مخطوط صغير بقلم الفقيه محمد الضوء السباعي.

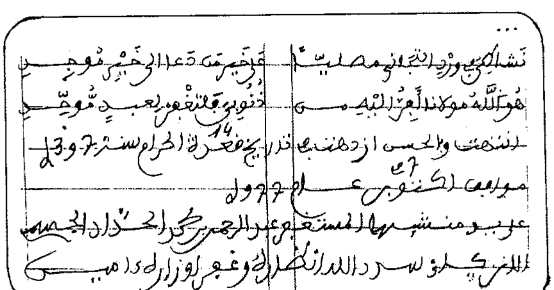

توسل من نظم الفقيه الحاج عبد الرحمان الانزكاني وخطه

- *فتوى مطولة في مسألة السدل في الصلاة*، وهي متداولة.

- *قصائد شعرية*، منها قصيدة مطولة في التوسل بمدح الرسول والثناء على الشيخ التجاني.

ـ مجموعة كبيرة *من خطب الجمع والأعياد*. وهي سجل يعكس المواضيع والاهتمامات الدينية والأخلاقية والأحداث التاريخية التي عاشتها المدرسة طوال حياته.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 8 : 255 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 37 ؛ *وثائق أسرة الفقيه الحاج عبد الرحمان الإنزكاني*.

عمر أفا

**أنْزي**، قرية بإقليم تزنيت (تبعد عنها بحوالي 40 كلم)، على المرتفعات الغربية للأطلس الصغير. تجتمع حولها قبائل إداوْلتيت، وهي من أهم قبائل إداوسملال التي انحدر منها الشيخ أحمد أُموسى. وتقع بمجال إداوگرسْمُوكْس. ويرجع المؤرخون مجد قرية أنزي لقربها من منجم الفضة «أكُوسام» الذي استغله علي التزروالتي في ضرب عملته المعروفة بـ «تاكُوسامْت».

وأنزي كلمة قريبة من التسمية التي تطلق على نوع من الخمر «أنزير» كان ـ حسب الإدريسي (ص39) في *نزهة المشتاق* ـ يصنع في سوس من أشجار الكرمة بالعنب المعروف بالعذاري. فهل تسمية القرية مشتقة من أنزير ؟.

وتذكر كتب التاريخ أن عبد المومن الموحدي خيم في أنزي أثناء مسيرته في الجبال، وتلقى فيها بيعة جزولة وهسكورة سنة 552 / 1157 م.

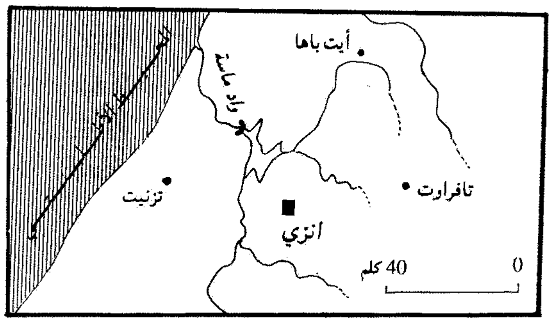


موقع انزي

ويظهر أن المصادر تذكر قرية أخرى تحمل نفس الاسم "أنزي" حيث تشير إلى أن أنزي وتارودانت من أهم المناطق التي جرت بها الحروب بين المرابطين والموحدين قبل دخول ابن تومرت لتنمل. والغالب على الظن أن أنزي المقصودة هنا هي تلك الواقعة بمجال أيت واوزگيت، جنوبي الأطلس الكبير، حيث تقطن قبيلة مستقلة ينتمي إليها الشيخ مَحمد بن سليمان الجزولي (وهو من أنزي)، وكذا أم المهدي بن تومرت.

م. الإدريسي، *نزهة المشتاق*.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; J. Meunié, *Le Maroc Saharien*.

محمد مزين

## أنس ← نحاس

**أنْسَا**، معناه الجُحر والملجأ ومكان المبيت والشِّعب الضيق الصغير. اسم لأماكن مختلفة منها أنسا إماديدن الذي كان به حصن من الحصون التي بناها المرابطون وأقاموا فيها حراسة تراقب قبائل الجبال، ذكره البيذق في حديثه عن الغزوة الخامسة (ص 76) وقال إن قائده المرابطي كان عمر بن ديان. وذكره ابن القطان في *نظم الجمان* (ص76)، وذكره التادلي في *التشوف* (ص 342) ونسب إليه عمر بن هارون الماديدي، وقد توهم ليڤي پروڤنصال أن أنسا الذي ذكره البيذق هو أنسا الذي بأيت الزات بالقرب من تاسغبموت، والصحيح أنه بفرقة إماديدن بقبيلة سكتانة بناحية تاليوين.

أحمد التوفيق

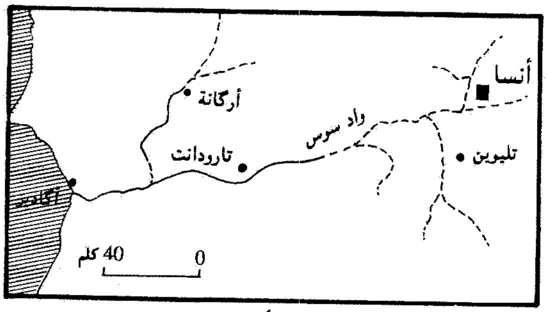


موقع أنسا

**الإنسان بالمغرب**، في فترة ما قبل التاريخ. يؤرخ الاختصاصيون اللمسات الدالة على وجود الإنسان بالمغرب بمليوني سنة في حين أن الهياكل العظمية البشرية التي عثر عليها لحد الآن لا يمكن إرجاعها إلا إلى أربعمائة ألف سنة خلت.

ويطلق لقب الأطلانْطرُوب Atlanthrope على أولئك البشر الذين عثر على بقايا هياكلهم في المغرب والجزائر، لتمييزهم عن البتيكنتروب Pithécantrope الآخرين الذين كانوا يقيمون بآسيا وافريقيا الشرقية وكذا افريقيا الجنوبية. وينتمي الأطلانطروب إلى مجموعة هومو إركتوس homo erectus (الإنسان القائم المنتصب) وكانت لهؤلاء البشر قامة تصل إلى المتر ونصف بيد أن وزنهم كان لا يتعدى الخمسين كليوغراما. أما جمجمتهم فكانت ميالة إلى الطول وجباههم غير بارزة، وتشرف على عيونهم حواجب قوية ناتئة، سمات وجوههم تذكّر بوجوه القردة حيث إن فكهم الأسفل قوي ومتقدم، وله شكل هندسي مقوس، أما الأسنان فلها بعض الصفات العتيقة.

ومن بين نماذج «الأطلانطروب» التي عثر عليها بالمغرب إنسان الرباط، هذا النموذج عثر له على جمجمة وفك سنة 1934 بالرباط بإحدى المقالع الشاطئية بالقبيبات.

وتتميز الجمجمة بوجه متقدم إلى الأمام في حين أن الأسنان لها بعض الصفات العتيقة، ومورفولوجية الفك تدل على بدائية واضحة، لكن إذا كانت قوتها تذكّر بقوة أفكاك الأطلانطروب فهي تلمح إلى الإنسان العصري ببعض مميزاتها ولا سيما بداية تكوين الذقن، فيمكن إذن وضع إنسان الرباط في صنف الأطلانطروب المتطور.

أما النموذج الثاني فهو لإنسان سيدي عبد الرحمان. عثر له على جزئي فك سنة 1956 بمغارة تقع بالقرب من ضريح سيدي عبد الرحمان جنوب غرب الدارالبيضاء.

وكانتا مدموجتين في الحث الكلسي الذي ملأ المغارة. ولهذا الفك شكل بدائي شبيه بشكل أفكاك «الأطلانطروب».

وبمقلع «طوماس» على بعدٌ بعض كيلومترات من ضريح سيدي عبد الرحمان عثر على فك وجمجمة لهما مورفولوجية بدائية تتمثل في عدم تميز الجبهة عن باقي الجمجمة وببروز العظم المشرف على العينين.

أما بالنسبة لإنسان سلا فقد وجدت جمجمة له سنة 1971 بالقرب من دوار القائد ابن العروسي في كثبان حث يرجع عهدها للدورة الرباعية التانسيفتية. وإذا كان الجزء الأمامي لهذه الجمجمة وكذلك هيكل الإنسان يذكران بمميزات «الهومو اركتوس» فإن العظم الجداري للجمجمة وقاعدتها يذكران بملامح الإنسان العصري.

وحيث إن العظام التي عثر عليها في كل من مقلع سيدي عبد الرحمان ومقلع طوماس وكثيب سلا تغطيها رواسب قارية ترجع إلى الفترة التانسفتية فقد اعتبر أنها توجد ضمن رواسب مزامنة لمرحلة المد الأقصى للبحر الأنفاتي، أي قديمة بحوالي 400.000 سنة. أما إنسان الرباط فهو أحدث من النماذج الأخرى ويرجع عهده لنهاية الفترة التانسفتية.

وكانت البيئة التي يعيش فيها هذا «الأطلانطروب» تشبه ببيئة السافانا أي مناطق الأعشاب العالية بافريقيا الاستوائية حاليا. وكانت الوحوش التي تقطن بها مكونة من ظباء وغزلان وخيول تشبه حمر الزرد وأفيال وكراكدين وأفراس النهر ونمور وليوث إلى آخره.

أما شكل الأدوات التي عثر عليها بجوار الإنسان فهي من الآشولي نسبة إلى شنت آشول بفرنسا. وهي عبارة عن قطع من الصوان المنحوتة كالشوبّير Chooper أو الشوبينطول Chooping tool أو القطع المنحوتة Biface من الجهتين أو الفؤوس الحجرية.

الإنسان الموستيري، نسبة إلى مستي : مكان بفرنسا وجدت فيه نماذج أولى لهذه الحضارة. عثر له على جمجمتين وفك واحد سنتي1962 و1968 بجبل إغُودْ على بعد سبعين كيلومتراً شرقي أسفي في منجم لمادة البارتين.

فمن بين مميزات الجمجمة الأولى ضخامتها وسمك عظمها، أما مؤخرتها فهي مضغوطة في حين أن هيكل الوجه أفطح ومتقدم إلى الأمام، الجبهة تكاد تكون منعدمة ويلتقي قوسا الحواجب مشكلين دورة بارزة في حين أن جرني العينين كبيران وعلى شكل مستطيلين والفك العلوي فخم.

أما الجمجمة الثانية فهي غير مكتملة العناصر لكنها تشبه الأولى مع تباين بسيط حيث أن مؤخرتها أكثر نتوءا. الأدوات الحجرية التي وجدت بجوار تلك الجماجم هي من النوع الموستيري نحتت على طريقة لُوفَلْوى levalois وتتكون من شظايا ومكاشط ومحاك ورؤوس سهام.

ويبدو أن إنسان جبل إغُودْ هو النموذج الأول لفصيلة هوموسبينس homo sapiens (الإنسان العاقل) ويرجع تأريخه إلى ما بين 80.000 و100.000 سنة خلت.

الإنسان العطيري، بعد حضارة إنسان إغُودْ انتشرت الحضارة العطيرية في المغرب الكبير وشملت الأقاليم المتوسطية والصحراوية. أما بقايا الإنسان فلم يعثر عليها إلا في المغرب. وأول نموذج لهذه الحقبة هو فك عثر عليه في سنة 1956 بمغارة «المهربين» بتمارة بضواحي الرباط. ولقد أبانت الدراسة الحديثة أن الفك يمكن اعتباره لمن دون ريب «عطيريّاً» نظرا لصفاته المتطورة.

كما عثر على جزء من فك أعلى بالمغارة العليا قرب طنجة وأظهرت التحاليل بالفليور من نسبته إلى الفترة النهائية من العطيري.

ولم تقتصر الاكتشافات على مغارة تمارة العليا بل عثر سنة 1975 على جمجمة في مغارة دار السلطان الواقعة على بعد بضع كيلومترات جنوب الرباط في معسكر للرمي. وفي نفس السنة وجد جزء من جمجمة بمغارة المهربين بتمارة، وكذلك فك ينتمي إلى نفس الفترة العطيرية بمغارة الهرهورة جنوب الرباط دائما.

وتبين لنا الملاحظة أن جمجمة دار السلطان جمجمة فخمة وعالية، قوسا حاجبيها بارزان في حين أن جرني العينين مستطيلان والجبهة ظاهرة شيئا مّا و تجويفات الأنف واسعة والفك الأسفل قوي.

ويبدو أن إنسان دار السلطان - تمارة العليا - هرهورة يعد من فصيلة الإنسان العاقل «هوموسَبْيَنْسْ» تاريخه حوالي 40.000 سنة قبل الحالي. وتتكون أدوات هذه المواقع من مكاشط ومحاك وشفرات حادة عطيرية ورؤوس حراب ذات أشكال معلقة. ولهذه الأدوات شكل بديع مما يثبت أن الإنسان العطيري كان صانعا ماهرا.

أما بقايا الحيوانات التي عثر عليها بجوار تلك الأدوات فنجد من بينها أصنافا تدل على تكيفها مع بيئة باردة. وهكذا فبجوار الكراكدين والأفيال وأفراس النهر والغزلان والأبقار نلاحظ بقايا حيوانات أخرى كالذئاب والثعالب والصنوريات والدببة والرتتة والأيائل. وتعتبر أصناف الرتتة والأيائل والدببة مؤشرات لنمو غطاء نباتي غابوي.

ويشير انتشار الغابة هذا إلى بزوغ فترة مناخ رطب يخلف الفترة الجافة التي سبقت.

وبعد فترة هيمنة الإنسان العطيري جاءت فترة الإنسان الملقب بـ «الايبيروموروسي» نسبة إلى الحضارة الإيبروموروسية. ويتضح حسب آخر الافتراضات أن هذا الإنسان أتى من الشرق وليس من شبه الجزيرة الإيبيرية، وتوجد نماذج من بقايا هذا النوع من البشر بالمغرب في مغارة دار السلطان والهرهورة ومغارة الحمام بتافوغالت، وكذلك في الجزائر في مشط العربي وفي مشط أفلو. ويشبه هذا النوع إنسان كرومانيو الأوربي. وأهم المقابر التي عثر عليها بالمغرب هي مقبرة مغارة الحمام بتافوغالت التي توجد بكتلة بني إزناسن على بعد 55 كيلومتر شمال غرب وجدة. وبهذه المغارة تمكن الباحثون من العثور على ما يقرب

من مائة وثمانين هيكلا بشريا دفنت حسب طقوس جنائزية محددة حيث إن الهياكل ممدودة على جانبها على شكل الجنين في بطن أمه، تكسوها حجارة وصباغة وأحيانا مصحوبة بقرني الوعل. وتبين الدراسات الأنتربولوجية أن الإنسان «الإيبروموروسي» من فصيلة العاقل، وله قامة طويلة معدلها 1,70 م ورأس فخم ذو عظام سميكة وجبهة محدبة في غالب الأحيان. ويلاحظ نوع من عدم التجانس بين الجمجمة والوجه، فالوجه مستقيم رغم اتساعه، وقوسا الحواجب بارزان، في حين أن جرني العينين عميقتان ومستطيلتان، أما الفك الأعلى فهو ضيق ويفتقر لسن أو سنين من بين الأسنان الأمامية. وتلاحظ هذه الظاهرة الناتجة عن عملية بتر متعمدة لدى جميع الإيبرولموروسيين المغاربة. ويبدو أن هذه العادة كانت تقام على الطفل عند بلوغه الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره. أما الفك الأسفل فهو قوي ويتقدمه ذقن بارز.

وتتميز أعضاء الجسم بطولها وتلاحظ بصمات لعضلات بشكل جلي مما يشير إلى أن هؤلاء البشر كانت لهم قامة طويلة وجسم قوي.

وتطلعنا الدراسات التي أجريت على سكان مغارة الحمام أنهم كانوا يعيشون في إطار مجموعات مغلقة تحرص على منع الزواج خارجها. ويؤكد هذا التصريح وجود بعض الإصابات الوراثية وكذلك نسبة مرتفعة لوفيات الأطفال.

وتظهر الهياكل بعض التوعكات وبعض الاعوجاجات في العظام مما يجعلنا نظن أن هؤلاء الناس كانوا يقضون أوقاتا طويلة في الجلوس وان لهم نمط عيش مستقر.

وقد وصل «الإيبروموروسيون» الذين عثر على بقاياهم في مغارة الحمام مستوى ملحوظا في الحضارة حيث عثر على حالة امرأة تعرضت في حياتها لحادثة أرغمتها على ملازمة مكانها واستمرت في العيش بفضل عطف وحنان من كان معها في تلك المغارة. ومما يؤكد هذا المستوى المتقدم لسكان تلك المغارة آثار عملية جراحية أجريت على شخص في رأسه ونجحت ويؤكد ذلك آثار التجبير الملحوظ في جمجمته وأن هذه العملية في الدماغ بعد ثقب عظم الرأس تعتبر أقدم عملية معروفة من هذا النوع.

و تتميز الأدوات الحجرية المنحوتة لهؤلاء البشر أساسا بصغرها ورقتها حيث تحتوي على نسبة هامة من الشفرات والمحاك والمثاقب.

أما الأدوات المصنوعة من العظام فهي مكونة من مثاقب وإبر وحراب مسننة. واستعمل الإنسان «الإيبروموروسي» المحارير وأجزاء بيض النعامة كحلي له.

وقد استمر هؤلاء البشر مدة 12.000 سنة من سنة 22.000 إلى 10.000 سنة قبل الحالي.

وخلف الإيبروموروسيّين أناسٌ آخرون ينتمون إلى العصر الحجري الحديث، وما يميز هؤلاء عن سلفهم تعاطيهم للفلاحة، أي بعبارة أخرى التغيير الجذري الذي حدث في نمط العيش حيث خَلَفَت الفلاحة أنشطة القطف. وبشكل مواز نلاحظ أن الإنسان في العصر الحجري الحديث أصبح يصقل أدواته ويتعاطى صناعة الخزف.

ونجد آثارا لهؤلاء الناس في دوار الدباغ بالرباط، ودار السلطان والهرهورة وعين الشقف والكيفان بالدار البيضاء وناحية طرفاية. ومن مقابر العصر الحجري الحديث مقبرة الكيفان القريبة من الدارالبيضاء التي أجريت فيها حفريات سنة 1971 أدت إلى العثور على عدد كثير من المقابر، وكذلك بعض الأثاث الجنائزي المكون من قلات وخزف مكسر. لكن إلى حد الساعة لم يشرع أحد في دراسة انتروبولوجية لهذه المقبرة.

ومن بين المواقع الأثرية الموجودة بطرفاية يجب إبراز موقع إزرتين الكائن على بعد خمسين كيلومترا شرق طرفاية، والذي يتكون من خمس كتل من حجارة وأبلاط ويحتوي على ثلاث مقابر. وأبانت دراسة البقايا البشرية في هذه المقابر بعض التشابه المورفولوجي مع البقايا الأخرى المزامنة لها. وهذا التشابه يتجلى في نحالة الأجساد وغياب بتر الأسنان العليا الأمامية. ويبدو أن هذه البقايا هي للخلف المنحدر من الإيبروموروسيِّين الذين استقروا في هذه المنطقة وعمروا كذلك الجزر الخالدات.

أما موقع الهرهورة فعثر فيه على تسعة عشر هيكلا غير مستكملة الأجزاء ومكنت دراسة الهياكل من الوصول إلى الخلاصة، أن التاريخ بواسطة الكاربون الشعاعي (C 14) مكن من تحديد فترة دفن هؤلاء الناس بين 5.400 و5.100 سنة، مما يدفع بنا لاعتبارهم ضمن مجموعة السكان المنتمين إلى العصر الحجري الحديث، ويؤكد هذا كذلك نحالة الأجساد وانعدام بتر الأسنان العليا الأمامية. وقد نقوم بنفس الاستنتاجات لهرهورة التي مكنتنا من دراسة هيكل كهل وهيكل مراهقة.

وآخر مدفنة عثر عليها هي التي وجدت بكثيب رملي شمال مصب نهر الشراط بعمالة الصخيرات. وأظهرت الحفريات التي أجريت بين سنة 1980 و1984 وجود ثلاثة وتسعين قبرا تحتوي على جثث كهول ومراهقين وحتى بعض الأجنة. وكان الدفن يجري حسب طقوس محددة. فالأجساد وضعت في قبورها منكمشة على نفسها وكسيت بصباغة حمراء. ونجد بجوارها أثاثا جنائزيا مكونا من أوان خزفية وبعض الحلي من قشرة بيض النعام وأدوات من العظم وكذلك بعض الفؤوس المصقولة. ولم تنته بعد الدراسة الأنتروبولوجية لهياكل هذا الموقع الذي يمكن اعتباره أهم مواقع العصر الحجري الحديث.

وكما نرى فرغم ما أنجز لحد الساعة فإن دراسة العصر الحجري الحديث المغربي لا زالت في بدايتها ولا يمكننا في الوقت الراهن أن نضع حصيلة تامة ونهائية لتطور الإنسان وأنشطته في تلك الحقبة.

وانطلاقا من كل ما سبق يتضح لنا جليا أن المغرب الأقصى وسائر الأقطار المغربية الأخرى تحتل مكانة هامة

في تاريخ البشرية ولا سيما على مستوى تطور الإنسان، حيث نجد مكامن ذات شهرة عالمية كموقع سيدي عبدالرحمان وجبل إغود ودار السلطان وتافوغالت والصخيرات، أي مكامن تهم فترات تطور الإنسان من «هومو إركتوس homo erectus» إلى «الهوموسبينس سبينس homo sapiens Sapiens».

وأصول هذه الأصناف من البشر وإن كانت غير مضبوطة تماما فإنه يبدو أنها إما محلية أو منحدرة من الشرق ومن الشمال وحتى من الجنوب بالنسبة لبعضها. وهكذا يتضح لنا أن المغرب الكبير كان دائما بوتقة اختلطت فيها بشرية من أصول مختلفة استطاعت رغم ذلك أن تضفي على نفسها خصوصية واضحة.

G. Bailloud et P. Mieg de Boofzheim, *La nècropole nèolithique d'El Kiffen près de Tamaris, Libyca*, T. XII, 1964, p. 95-171 ; P. Biberson, *Le Gisement de l'homme de Sidi Abderrahman, B. A. M*, T. I, 1956, p. 38-92 ; *Le Cadre paléogéographique de la préhistoire atlantique*, P. S. A. M, T. XVI, 1961, p. 1-235 ; G. Camps, *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Paris, Doin, 1974 ; M. Charon, L. Ortlieb et N. Petit Maire, *Occupation humaine holocene de la région du Cap Juby (Sud Ouest Marocain), Bulletins et mémoires de la société d'anthropologie de Paris*, T. X, Séries XIII, 1973, p. 397-412 ; A. Debenath, *Découverte d'une mandibule humaine aterienne à El Harhoura, B. A. M*, T. XII, 1979-1980, p. 1-2 ; G. Delibrias et J. Roche, *Datations absolues de l'epipaléolithique marocain, B. A. M*, T. X, 1976, p. 11-24 ; D. Ferembach, J. Dastugue et M. J. Poitrat-Targowla, *La Nécropole épipaléolithique de Tafralt (Maroc-Oriental): Etude des squelettes humain*, Casablanca, 1962 ; *Les restes humains de la grotte de Dar es Soltane II, Bulletins et mémoires de la Société d'anthropologie de Paris III*, Série XII, 1976, p. 183-193 ; *Les restes humains ateriens de Temara, Campagne 1975, Bulletins et mémoires de la Société d'anthropologie de Paris III*, Série XIII, 1976, p. 175-180 ; *On the origin of the ibero maurusians, Journal of humain evolution* 1985 ; J. J. Hublin, *Human fossils from the north african Middle plistocen and the origin of homo sapiens decouverts, Ancestors the hard evidence*, 1985 Alan , R. Liss, P. 238-288 ; J. J. Jaeger, *Découverte d'un crane d'hominide dans le pleitocene moyen du Maroc*, Colloque international C.N.R.S "*évolution des Vertébres*" Paris 1974, J. Marcais, *Découverte de restes humains fossiles dans les grés quaternaires de Rabat, L'anthropologie*, T. XIIV, 1934, p. 579-583 ; J. Roche et J.P. Tesier, *Découverte de restes humains dans un niveau aterien supérieur de la grotte des contrebandiers à Temara, C. R. S. A.S* Paris, T282, Série D, 1976, p. 43-47 ; J. Roche, *L'Epipaléolithique marocain*, Paris, Didier 1963, Vol 2, p. 262 ; *Chronologie absolue de l'epipaléolithique marocain, C. R. S. A. S*, Paris,, T, 246, 1976, p. 3486-3487 ; A. Ruhlmann, *La grotte préhistoire de Dar Es soltane, Hesp*, 1951, p. 210 ; F. Sausse, *La mandibule atlanthropienne de la carriere Thomas I (Casablanca), L'anthropologie* T. 79, N° 1, 1975, p. 81-112 ; *Les pithécanthropiens marocains*, Union international des sciences préhistoriques IXe congrés, Colloque VI, prestisage, Nice 1976, p. 445-454 ; F. Z. Sbihi-Alaoui, *Les hommes préhistoriques, Memorial du Maroc*, Vol I, 1983, p. 58-68 ; *Les industries préhistoriques, Mémorial du Maroc*, Vol I, 1983, p. 69-78 ; *Le néolithique, Mémorial du Maroc*, Vol U, 1983, p. 79-88 ; H. V. Vallois, *L'homme de Rabat, B. A. M*, T. III, 1958-1959, (1960) p. 87-91.

**فاطمة الزهراء الصبيحي - العلوي**

**أنسْباخ**، إدوارد، Anspach E وزير مفوض لبلجيكا من سنة 1888 حتى وفاته بطنجة سنة 1902 في الحادية والسبعين من عمره. له تقارير ديبلوماسية عن المغرب في كناش التقارير البلجيكية Recueil Consulaire Belge.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، 2 : 641.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 2 : 641.

**مصطفى بوشعراء**

**أنشّادْ**، أبو بكر بن أحمد نَيْتْ الطالب. ولد بإنْشّادن بقبيلة اشتوكة بإقليم أكَادير، ينتمي إلى أسرة معروفة بالعلم، إذ كان قاضيا وأبوه عدلا موثقا. عرف اليتم مبكرا. وبعد أن دخل الكتّاب وعاش فترة الصبا في حفلات أحواش التي تحييها نساء البلدة ورجالها كل يوم تقريبا، التحق بفرقة «إهْيَّاضْن» (الرماة) التي سحرته بإيقاعاتها المتنوعة المصاحبة لألعابها البهلوانية والرياضية، ولم يعثر له على أثر سنوات إلى أن شوهد أخيرا في ساحة جامع الفنا بمراكش بمعية فرقة من المطربين الأمازيغيين، فسافرت والدته بقصد استرداده بعد أن تلقحت قريحته الفنية بكل ما رأى وسمع. وفي إنشّادن هزه الحنين إلى الغناء والطرب من جديد وغنـّى بمفرده في أسواق اشتوكة، ويقال إنه انخرط مدة في فرقة المطرب السوسي المشهور الحاج بلعيد.

ولما ذاع صيته وأحس باكتمال تجربته الفنية ونضج شاعريته، أسس فرقته الموسيقية التي سجل بها جل أغانيه التي يتولى الدور البارز فيها، فهو واضع الكلمات وملحنها وعازف على الكمنجة بصفة خاصة. يساعده كل من صديقيه الحسين أ ُباشا وهو من تي القائد باشتوكة في آلة الگنبري (الوتر)، ومولاي موح وهو من تازروالت في آلة الرباب.

وفيما يخص مصاحبة الإيقاع العام للأغنية بـ «الناقوس» يتولاها على التوالي مجموعة من أصدقائه، أشهرهم وأكثرهم التصاقا به هو الحسن بن جيلال من دوار لخْمايس.

ولابد من الإشارة بهذا الصدد إلى بعض الجزئيات فيما يتعلق بالكمنجة التي يعزف عليها الرايس أبوبكر. فقد اشتراها صديقه الحسن نَيْتْ بنصالح بدوار تدارت في نهاية العشرينات من فرنسا، فأعطاه إياها. ولما مات الشاعر استردها وأعطاها للرايس بلخير بَـخّـا، ولما مات هذا الأخير رجعت إلى مالكها الذي باعها إلى محمد أسالم الذي فوّتها إلى السيد أشّن الحسين بأكَادير وسط الخمسينات.

كان الرايس أبوبكر يتقن الضرب على «الطارة» تَالُنْت بالأمازيغية، وكانت له براعة في مراقصة النساء والدخول في مساجلات شعرية مع بعضهن، مع الخفة والرشاقة في الرقص وطول النفس، يضرب به المثل في هذا الميدان.

وبالنسبة للمضامين والقضايا التي يتمحور حولها غناؤه يمكن إبداء بعض الملاحظات الأولية حولها:

1 - أن أغلبية أغاني ومساجلات هذا الفنان لم تسجل حسب شهادة المعاصرين والمرافقين له.

2 - احتلال الحب، حب المرأة وحب الحياة إلى درجة التقديس المرتبة الأولى ضمن انشغالاته، يصاحب ذلك إحساس حاد بقصر العمر وتربص الفناء بالفنان. ويتضح ذلك بجلاء في الأغاني التالية :

ماخ ألموت ليح أتّاويت نهْواين

يا موتُ علام تغتالُ أهل الهوى

نكيخ أكْ لمانْ أرغ غُوبيح أداد نكُرفت

أعاهدك أن أتقبض على الغزل وأقيده

3 ـ التفكير الذي يشوبه الإحساس بالذنب في العالم الآخر في الجنة والجحيم، وينعكس ذلك في قصة «أمحضار» الطالب العارف بكتاب الله المحيط بأسرار الفقه الذي سيجد أبويه في الجحيم ويطلب أن يشفع فيهما ببركة القرآن الكريم. وتجدر الإشارة هنا إلى تسجيل التقاء الفنان أنشّاد في الاهتمام بعالم الآخرة بكل من المعري في رسالة الغفران ودانتي الإيطالي في الكوميديا الالهية وموضوع الجنة، أو بعبارة أخرى الخوف من الجحيم ترددت أصداؤه بإلحاح في أغنية أخرى هي :

تكونْ الجنْتْ إخْ يُبدْ وورْ يساغ سْ ترليتْ

تيسْ تْتعاولْ ؤبوابْ ثمّ أد رزْمنْ ني يانْ

أيتها الجنة لو أني شغلت عن الصلاة من أجلك

أتراني أطمع في تسامح البواب

4 ـ ومن مميزات غناء أنشّاد ابتعادُه الكلي عن المدح والتزلف لحكام عصره بل نستشف ضيقه بالحالة وبالوضعية السائدة التي تخنق أنفاس الفنا.

نيخْ وورْ يوفا يانْ أيْسْمامّي تيگ ربّيّ ذْ لوكيلْ

من لم يجد لهمه أن يبثه فليجعل الله وكيلــه

وكان الفنان أبوبكر أنشاد قد عاصر فترة تكالب الاستعمار الفرنسي على منطقة سوس، وشاهد عن كثب مختلف الصراعات التي أذكاها الاستعمار بين المغاربة على الصعيد المحلي بصفة خاصة وما أدى إليه ذلك من تشريد وتفقير الجميع. وكأني به يدعو إلى توحيد الصفوف والتآخي بين الجميع لقطع الطريق على الاستعمار الذي أتى لإسكات كل الأصوات.

وانّا دارگماس نخضوتْ دونيتْ أيادْ

من له أخ فليدخره ألا ترى أننا في الدنيا

ربما يكون من ضمن المؤثرين في مساره الإبداعي هو «بوجمعة بلّبريك» إضافة إلى أن أنشاد هو الذي خلف الرايس الحاج بلعبد لدى بعض شركات التسجيل في منصب المستشار الفني.

توفي أبو بكر أنشاد مسموماً سنة 1946.

م. المختارالسوسي، *المعسول*، ج 20.

P.Galand-Pernet, *Recueil de poèmes chleuhs* ; A. Bencherifa, *Sous-Massa.*

الحسن كاحمو

**أنْشُوفَة**، سمك بحري صغير يشبه السردين وأصغر منه حجما. ينتمي إلى رتبة الصابوغيات المصنفة إلى الأسماك العظيمة. حددت إلى حد الآن مائة نوع في العالم من بينها Engraulis engrasiculus، المعروف في المغرب تحت اسم «أنْشْوا» و«شْطُونْ». يعيش في السواحل المغربية التي لا يتعدى عمقها 400 متر. لا يتعدى طوله 16 سم، ويعيش طول حياته وسط جماعات عديدة الأفراد. نجده خاصة في بحار المناطق الاستوائية. ويعيش أيضا بكثرة في السواحل الغير العميقة بالمناطق المعتدلة. يتعلق ارتباطه بشواطئ هذه الأماكن لوجود كميات كثيرة من الهائمات التي تشكل قوته اليومي. من المعروف أن كتلة الهائمات تقضي النهار في الأعماق وتصعد إلى سطح البحر أثناء الليل مما أدى إلى تنقلات الأنشوفة من الأعماق إلى السطح وهي كثيرا ما تصاد ليلا بواسطة الشباك والقرْطل.

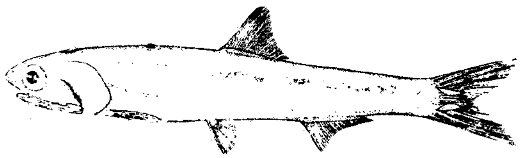

إنه حيوان بيوض قوي التكاثر. يتراوح عدد البيض عند الولادة ما بين 13.000 إلى20.000 وتدوم مدة التفريخ من يومين إلى أربعة أيام. يبلغ طول البُلعُوط بعد خروجه من البويضة 3 ملم ويبلغ سن النضج التناسلي بعد مرور سنتين.

تقتات منه معظم الأسماك الكبيرة الحجم وخاصة سمك التّن حيث يقدر أن كل فرد من هذا النوع يبتلع عدة كيلوغرامات في اليوم.

التكاثر السريع الذي تشتهر به الأنشوفة يقوّي انتاجها ويرفع من قيمتها الاقتصادية. يقتصر توزيعها الجغرافي على البحر المتوسط، والمحيط الأطلسي، والبحر القطبي الشمالي.

يمتد موسم التسرئة من يونيه إلى غشت بالنسبة للبحر الشمالي، ومن أبريل إلى شتنبر في البحر المتوسط، ومن ماي إلى غشت في المحيط الأطلسي.

*Encyclopédie*, 1983, *L'Univers des animaux*, Encyclopédie, Genève, Edito Service S. A. ; F. A. O. 1984, *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain*, Inst. Sc. pêches mar.

محمد رمضاني

**الأنصار**، عرب المدينة (يترب) من الأوس والخزرج الذين نصروا الرسول ـ عليه السلام ـ لما هاجر إليهم من مكة وهم قحطانيون من كهلان نزحوا من اليمن إلى شمال الجزيرة العربية بعد انفجار سدّ مأرب. وقد دخل الأنصار المغرب والأندلس في فترات مختلفة ونَبَه منهم عدد كثير من العلماء عُرفوا في ميدان التدريس والتأليف وتقلد الخطط الشرعية، واحتفظوا في الغالب بالنسبة إلى الأنصار (الأنصاري)، وربما زاد بعضهم عليها الأوسي أو الخزرجي. وأصبح بعضهم بتوالي الحقب يُعرف بكنى أو ألقاب طارئة، كابن عاشر، وابن عمرو، وابن الشماع، وابن الشاط وبوعشرين.

ابن حزم، جمهرة *أنساب العرب* ؛ ع. الفاسي، بيوتات فاس الكبرى.

محمد حجي

**الأنصاري، إبراهيم** بن عبد الله الدرعي، أبو إسحاق، سليل أبي حفص عمرو الأنصاري، مؤسس زاوية تمكروت ؛ رجل صالح متصوف. وهو والد القطب أحمد بن إبراهيم الأنصاري. أخذ عن الشيخ أحمد بن علي الحاجي الدرعي، وتولى بعده مشيخة زاوية تمكروت. لكنه لم يطل بها، إذ تولاها بعده الشيخ عبد الله بن حسين الرقّي، المعروف بالقباب. وصفه صاحب *الدرر المرصعة* قائلا : «وكان من عباد الله الصالحين، وأوليائه المتقين». وجعله ابن سودة مؤسس زاوية سيد الناس، وهو خطأ، لأن مؤسسها، كما هو معلوم، إبراهيم بن أحمد الأنصاري، الشهير بالحاج، كان حيا أواخر المائة العاشرة، ويوجد مدفنه بزاوية سيد الناس.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجلية*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1 :74.

أحمد عمالك

**الأنصاري، أحمد بن إبراهيم** بن عبد الله الدرعي، شيخ زاهد، حفيد الولي الصالح عمر الأنصاري مؤسس زاوية تامگروت في القرن الهجري العاشر. ولد بتامگروت سنة 1001/ 1592 واعتمد في التصوف على الشيخ عبد الله بن حسين الرقّي القباب الذي كان شيخ الزاوية آنذاك، وبعد وفاة شيخه المذكور عام 1045/ 1635. خلفه على شؤون الزاوية وفي تلقين الأوراد الشاذلية وتربية المريدين حتى وفاته بها قتيلا يوم الجمعة 11 جمادى الأولى سنة 1642/1052. وخلفه على أمور الزاوية الشيخ مَحمد ابن ناصر الدرعي الذي كان آنذاك مدرساً بها منذ سنة 1630/1040. وبذلك انتقل النفوذ الروحي والمادي في زاوية تامگروت من الأسرة الأنصارية المؤسِّسة لها إلى الأسرة الناصرية.

ح. ابن ناصر، *فهرس*، مخطوط خ. ع. بالرباط 1234 ك ؛ م. المكي الناصري، *الروض الزاهر في التعريف بالشيخ ابن حسين واتباعه الأكابر*، مخطوط خ. ع.2261 ك، الباب الثاني ؛ *الدرر المرصعة*، مخطوط د.د.ع بالرباط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ص 75-77 ؛ ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م.القادري، *نشر*، 2 : 12 ؛ التقاط.

محمد الحبيب نوحي

**الأنصاري، أحمد بن خالص**، أبو العباس، من أهل مراكش وبها مات قبل واحد وستمائة، ودفن خارج باب الدباغين. كان من أهل المجاهدة والزهد والتجرد. وأخوه عبدالله الأنصاري من أهل مراكش أيضا، تأخر عن أخيه في الوفاة، وكان يتردد كثيرا على سبتة، أخذ عنه التادلي في *التشوف* سنة 617 هـ كثيرا من أخبار الصالحين والزهاد.

ي. التادلي، *التشوف*، ص،411.

أحمد التوفيق

**الأنصاري، أحمد بن عبد الرحمان** بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد ابن الصقر الخزرجي. أصله من الثغر الأعلى من سرقسطة. حيث منازل الأنصار هناك، ونظراً لحدوث بعض الفتن بها انتقل إلى بلنسية حيث ولد أحمد هذا عام 492، ومنها انتقل مع أبيه إلى سبتة وهو ابن سبع سنين فأقام بها مدة طويلة قبل أن ينتقل إلى فاس، ومنها إلى مراكش التي استوطنها أخيراً بعد رحلة قصيرة إلى الأندلس.

قرأ أحمد الأنصاري كتاب الله بالقراءات السبع على أبي العباس بن فيرة اليحصبي وعلى غيره من مشايخ القراء. وروى عن ابن العربي، وابن بشكوال، وعبد الحق بن عطية بغرناطة، وشيوخ كثيرين آخرين، وكان مقرئاً مجوداً محدثاً ضابطا، حافظاً للفقه ذاكراً لمسائله، عارفاً بأصوله، متقدما في علم الكلام، عاقداً للشروط بصيراً بعللها، حاذقا بالأحكام، كاتبا بليغا شاعراً محسنا، أتقن أهل عصره خطاً وأجملهم فيه منزعا.

كتب عن القاضي أبي عبد الله بن حسون بن البزاز أيام استقضائه ـ المدة الأولى ـ بمراكش سنة سبع وعشرين وخمسمائة إلى أن صُرف، فاستصحبه أبو القاسم بن أبي جمرة معه لما ولي قضاء غرناطة، ثم استكتبه القاضي عياض ـ لصحبة قديمة كانت بينهما ـ إلى أن صُرف عنها سنة أربع وثلاثين وخمسمائة.

ولما عاد إلى مراكش، وافق ذلك عودة أبي عبدالله بن حسون إلى قضاء مراكش ثانيةً، فاستدعاه إلى الكتابة عنه لثقته به، فقدم عليه واستعمله إلى أن صُرف. وقد استقر أحمد الأنصاري بمراكش متولياً أحكامها والصلاة بمسجدها، إلى أن اختلت أحوال اللمتونيين وآذنت أيامهم بالإدبار فاستعفى من الأحكام فأعفي، ورُغّب في التزام خطة القضاء فامتنع،وبقي على الإمامة بالجامع إلى أن تغلب عبدالمومن وحزبه على مراكش يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال أحد وأربعين وخمسمائة، واستبيحت دماء كل من اشتملت عليه من الذكورالبالغين إلا من تستر بالاختفاء. وتمادى القتل فيهم مدة ثلاثة أيام. ثم نودي في سككها بالعفو عمن أسرته تلك الفتكة الشنعاء والبطشة الكبرى، فكان أحمد ممن شمله احترام عبدالمومن، وعرف فضل علمه، فألحقه بجملة طلبة العلم الملازمين حضور مجلسه، وبالغ في الإحسان إليه وقدمه إلى الأحكام بحضرته مراكش فأقام بها مدة، ثم ولاه قضاء غرناطة ثم صرفه عنها إلى قضاء إشبيلية صحبة ولي عهده أبي يعقوب.

ولما صار الأمر إلى هذا الأخير ألزمه خطة الخزانة العالية، وكانت عندهم من الخطط الجليلة التي لا يعين لتوليها إلا علية أهل العلم وأكابرهم. وكانت أعطيات عبدالمؤمن له جزيلة وصلاته متوالية، وكذلك الحال مع ابنه أبي يعقوب الوالي بعده، وكان يصرفها كلها على الفقراء والمساكين، ولا يدخر منها شيئا قليلا ولا كثيراً، لما نشأ

عليه وألفه منذ صغره من الزهد في الدنيا والتخلي عنها، وكان هذا دأبه إلى أن فارق الدنيا.

وكان مع تقدمه وتبريزه في المعارف بكيء اللسان قصير باع الكلام، لايكاد يؤلف بين كلمتين لفرط حياء كان قد غلب عليه حتى ملكه، فاذا خلا بنفسه لإنشاء أو تصنيف، أو فاوض منْ عادتُه التأنس به، انفجرت منه بحور العلم.

له تصانيف مفيده تدل على إدراكه وجودة وتحصيله كشرحه *الشهاب*، فإنه أبدع فيه، وكتابه *أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار*، ابتدأ تأليفه وتوفي دون إتمام غرضه، فكمله ابنه أبو عبد الله، وكانت له عارضة في نظم الشعر خاصة على الطريقة الزهدية. وتوفي بمراكش بين صلاتي الظهر والعصر من يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمائة، ودفن يوم الإثنين بعده عقب صلاة الظهر، وصلىّ عليه القاضي الحجاج بن يوسف، وكانت جنازته عظيمة الحفل كثيرة الجمع. ولم يخلف رحمه الله ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة، لما كان عليه من الإيثار والصدقة.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، القسم 4. السفر 1، ص 223. 232 ؛ ص. خ. الصفدي، *الوافي بالوفيات*، 7 :47. 48 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، 1: 186.182 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج المذهب*، ص 50.48 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 3 :333 ؛ م. القادري، *الإكليل والتاج*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 :84.72 ؛ مجهول، *طبقات المالكية*، مخطوط.

مارية دادي

**الأنصاري، أحمد بن محمد** بن عبد الرحمان الخزرجي الفاسي يكنى أبا القاسم وهو من أهل قرطبة، اشتغل إلى جانب العلم بالتجارة، واستجاز له ابن خالته عليّ بن عتيق ابن مومن جماعة من فحول الشيوخ فأجازوه كالقاضي أبي بكر بن العربي، وأبي العباس ابن العريف، والخطيب عبد الله النفزي، وأبي بكر بن النفيس. خرج من قرطبة أيام فتنة ابن مردنيش (554 .555 / 59 .1160) إلى لبلة، ومنها انتقل إلى فاس فاستوطنها وطال عمره حتى انفرد بالرواية عن الشيوخ المذكورين. لذلك تتلمذ له كبار علماء العدوتين على ضعف بضاعته العلمية، وترجموا له في فهارسهم، كالمحدث محمد بن سعيد، والفقيه أحمد ابن فرتون الذي ذكر أن وفاة أحمد الانصاري كانت ليلة الأحد لسبع خلون من جمادى الأولى سنة ست عشرة وستمائة (21 يوليوز1219) بينما يجعلها ابن الأبار ليلة الأحد لسبع خلون من جمادى الأولى سنة عشر وستمائة (24 شتنبر 1213) ولعل الصواب الرواية الأولى.

م. ابن الأبار، *تكملة الصلة* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*.

محمد حجي

**الأنصاري، أبو بكر** محمد بن عبيدة، يكنى أبا عبدالله، من أصل أندلسي نزح فيمن نزح من الإشبيليين إلى سبتة بعد سقوط حاضرتهم في يد النصارى سنة 646 / 1249. يقال إن مائة ألف من أربعمائة ألف مهاجر إشبيلي، استقروا بسبتة ( *رسائل ديوانية*، 13). تفيد المقارنة بين التواريخ أن التحاق أبي بكر الأنصاري بسبتة كان في وقت مبكر من عمره. وبين أحضان موطنه الجديد شب وترعرع، وعلى يد علمائه تشبع بمختلف معارف عصره حتى غدا علامة زمنه. نعته ابن رشيد في *رحلته* بالأستاذ المقرىء الأديب النحوي البارع. ووصفه التجيبي بخاتمة المقرئين، النحوي، الأديب المشارك الصحيح الذهن، القوي الميز والفهم ( *البرمانج* :34).

جلس الأنصاري للإقراء في مسجد رحبة الوزان من مدينة سبتة ( *بلغة*، 178) كما كان يعقد جلسات دروس أخرى بداره ( *البرنامج*، 34) أخذ عنه عدد من علماء سبتة من بينهم : عبد المهيمن الحضرمي، وأبو بكر ابن شبرين، وأبو عبد الله بن هاني اللخمي، وأبو القاسم التجيبي.

برع أبو بكر في ميدان النحو والشعر والتاريخ، ومن آثاره : *اختصار الأخبار فيما كان بسبتة من سنيّ الآثار* ؛ وشرح جمل *أبي القاسم* في سفرين. كما كان له باع في التفسير والقراءات. وتوفي عام 1307/706.

م. الأنصاري نفسه، *اختصار الأخبار* ؛ الحضرمي، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب* ؛ التجيبي، *برنامج التجيبي* ؛ ل.ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ القبتوري، *رسائل ديوانية* ؛ ج.السيوطي، *بغية الوعاة* ؛ أ.التنبكتي، *نيل الابتهاج* ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال* ؛ م.حجي، *ألف سنة من الوفيات*.

زليخة بنرمضان

**الأنصاري، الحسن** بن أحمد عالم فلكي ميقاتي لم تتحدث عنه كتب التراجم المعروفة، وربما كان من مراكش التي ازدهرت بها الرياضيات والفلك في عهد السعديين. وكل ما نعرف عنه مقتبس من كتابه *تحفة الأحباب في الضروري والأصول من علم الأسطرلاب* الذي بناه على عشرة أبواب وثلاثة فصول. خصص الباب الأول للتعريف بأجزاء الأسطرلاب، والأبواب الباقية لكيفية استعماله في استخراج درجة الشمس من برجها ووضعها والكوكب في المقنطرة، ومعرفة السموت والظلال الخ...

وقد انتهى من تأليف هذا الكتاب في أواخر رمضان عام 981/ يناير 1574.

ح. الأنصاري نفسه، *تحفة الأحباب*، مخطوط بالرباط.

**الأنصاري، عبد الحق** بن عبد الله بن عبد الحق المراكشي، كان أبوه عبد الله قاضياً للموحدين بإشبيلية ومات بالقصر الكبير كما سيأتي. وتخرج عبد الحق فقيها متمكنا من أصول المذهب المالكي وفروعه، وألف في الرد على أبي محمد ابن حزم كتابا حافلاً، ونال عند الموحدين الحظوة التي كانت لأبيه فولوه قضاء غرناطة ثم إشبيلية ثم قضاء الجماعة بمراكش. غير أنه أصيب بشرر الفتنة التي شبت في عهد إدريس المأمون حين نكث القوم بيعته. فلما تمكن المامون منهم فتك بهم وقبض على القاضي عبدالحق،

«فقيده ودفعه إلى هلال بن حميدان الخلطي فحبسه حتى افتدى منه بستة آلاف دينار» (*القرطاس*).

وكانت وفاته بمراكش في شوال من عام 631/ يونيه ـ يوليوز 1234.

م. ابن الابار، *تكملة الصلة* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 252 ؛ أ.باب السوداني، *نيل*، 183 ؛ ع.ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 :39.

**الأنصاري، عبد الله بن عبد الحق**، أصله من مهدية تونس، من أقرباء الإمام أبي عبد الله المازري. درس على مشيخة بلده ثم انتقل إلى المغرب فولاه الموحدون قضاء الجماعة بإشبيلية «وكان جزلا صارما صليبا في الحق، وكانت له بالدعارة سطوات مرهوبة ، وآثار في الآحكام محمودة» ( *تكملة*).

ورد في آخر حياته على يعقوب المنصور بمراكش فأكرم وفادته، لكن المنية عاجلته عند منصرفه من حاضرة السلطان راجعاً إلى الأندلس، ومات بالقصر الكبير سنة 1193/589.

م.ابن الابار، *تكملة الصلة*، 529 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 136 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 :193.

**الأنصاري، عبد الله بن علي** بن محمد بن إبراهيم الأوسي السبتي المعروف بابن ستاري. ولد بأستجة سنة خمس أو ست وسبعين وخمسمائة، وانتقل إلى إشبيلية حيث أخذ القراءات عن أبي الحسين بن عطية، والعربية عن الإمام الشلوبين. وفي آخر سنة 602 قام برحلة علمية إلى المشرق أخذ فيها عن شيوخ مصر والشام والحرمين الشريفين، وانكب على دراسة الأصول والفقه.بعد ذلك رجع إلى إشبيلية إلى أن سقطت في يد العدو فخرج منها إلى سبتة واستوطنها. وهناك أخذ عنه «من كان بها من أهل الفهم والتيقظ والاستنباط الحسن» ومنهم شيخ النحاة ابن أبي الربيع.وللأنصاري أجوبة في مسائل متنوعة تدل على رجاحة عقل وتمكن في العلم.

توفي بسبتة يوم الإثنين تاسع صفر عام 647/ 24 ماي 1249.

ابن الشاط، *مشيخة ابن أبي الربيع* ؛ م.ابن الابار، *تكملة الصلة* ؛ أ.باب السوداني، *نيل*، 139.138.

**الأنصاري، عبد الله بن مالك** المالكي المخزومي الخزرجي أبو الحسن (أو أبو الحسين حسب *جنى زهرة الآس*). ولا ندري نسبة المالكي هل هي لمالك إمام المذهب. وقد أسقط صاحب *القرطاس* هذه النسبة. من كُتّاب الدولة الإدريسية، وهو الذي حرر عقد إشهاد شراء مخدومه إدريس الأزهر من بني الخير الزواغين الأرض التي شيد عليها مدينة فاس عام 807/191، يُعدّ أول كاتب معروف عمل في الدولة المغربية.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. الجزنائي، جنى *زهرة الآس* ؛ أ.ابن القاضي، جذوة ؛ أ.الناصري، *الاستقصا* ، ج 1.

**الأنصاري، عبد الله بن محمد** بن عيسى المراكشي يكنى بابن المالقي لأن أصله من مالقة، وبها نشأ ودرس على أعلام عصره في الأندلس ولازم أبا الحكم ابن برجان «وكان فقيها نظاراً خطيباً مفوها ذا حظ من الأدب وافر» (*التكملة*).

انتقل عبدالله الأنصاري إلى مراكش فاستخدمه يوسف بن عبدالمومن الموحدي في بلاطه إلى أن أصبح رئيس كتابه، وحصل على ثروة طائلة. وأدركته الوفاة بمراكش عام 573 أو 1179.78/574.

م.ابن الابار، *تكملة الصلة*، 486 ؛ أ.باب السوداني، *نيل*، 134 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 :193.

**الأنصاري، علي بن سليمان** بن أحمد القرطبي الأصل، الفاسي الدار، فقيه أستاذ نحوي. أخذ عن حافظ الأندلس أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي(ت.1308/708) مؤلف *صلة الصلة* و *ملاك التأويل* وغيرهما، وعن شيخ حفاظ فاس حامل لواء المذهب المالكي في عصره أبي الحسن الصغيّر الزرويلي(ت.1319/719) شارح *المدونة*، وصاهره. واشتهر علي الأنصاري أكثر ما اشتهر بالتبحر في علوم القرآن، فكان واسطة عقد سند أساتذة المغرب في القراءات، وخاصة قراءتي ورش وقالون عن إمام المدينة المنورة ومقرئها أبي رئيم نافع بن عبدالرحمان. وكانت وفاة علي الأنصاري بفاس عام 1330.29/730.

أ. الونشريسي، *وفيات* ضمن كتاب *ألف سنة من الوفيات*، ص 106 ؛ م. ابن غازي، *فهرس*، ت. محمد الزاهي، ط. الدارالبيضاء، 1979، ص37 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ط. فاس الحجرية، ص 300، *درة الحجال*، ط. مصر، 1970، 3 :245، *لقط الفرائد*، ضمن كتاب *ألف سنة من الوفيات*، ص 185 ؛ أ.الصبيحي، *الفالوذج* (كناشة علمية) مخطوط، خ.ص. بسلا، رقم 1304.

**الأنصاري، علي بن عبد الواحد** السجلماسي السلوي، شخصية علمية بارزة في القرن الحادي عشر (17م). درس في مسقط رأسه سجلماسة، ثم طلب العلم بفاس وزاوية الدلاء، وربما كانت المدة التي قضاها بهذه الزاوية أكبر فترة في حياته الدراسية، إذ ذكر محمد الإفراني في *الصفوة* (ص 135) أنه قرأ على الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي *صحيح البخاري* نحو إحدى وعشرين مرة، كما قرأ عليه *الشفا* للقاضي عياض، *والموطا* للإمام مالك، *ورسالة* الإمام القشيري، وحكم ابن عطاء الله.

وبعد ذلك رحل إلى الشرق فحج وأخذ عن جماعة من علماء مصر في مقدمتهم شيخ المالكية عليّ الأجهوري، ثم استقر بمدينة سلا سنين طويلة، نشر بها علمه، وحرر تآليفه، مثل : *اليواقيت الثمينة*، وهو نظم في قواعد المذهب المالكي عن نسق المنهج المنتخب للزقاق، و شرح *الأجرومية*، و *تحفة ابن عاصم*، وغير ذلك. ولطول مقامه بسلا نسب إليها.

وأخيرا انتقل علي بن عبد الواحد إلى الجزائر وتصدى بها للتدريس كعادته إلى أن أدركته الوفاة بها مطعونا عام 1645،44/1054.

أ.المقري، *نفح الطيب*، 2: 478 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 135 ؛ س. الحوات، *البدور الضارية*، مخطوط ؛ م.مخلوف ، *شجرة النور*، 308، رقم 1193 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 4: 111 ؛ أ. توفيق المدني، *الجزائر*، 91_92 ؛ ك. بروكلمان، *ذيل*، 2: 610 و690_691 ؛ م.حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، 137 والهامش 156 ؛ *الحركة الفكرية*، 2: 449.

محمد حجي

**الأنصاري، عمر** بن أحمد الدرعي، الشيخ الصالح الناسك،ينتمي إلى الأسرة الأنصارية العراقية التي استوطنت منطقة فزواطة بدرعة. كان جده إبراهيم بن محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي أول من قدم من الشرق، واستوطن درعة خلال القرن الثامن الهجري، وأسس بها زاويته المسماة زاوية سيد الناس، وحفيده هذا عمر بن أحمد الأنصاري هو الذي أسس سنة 1575/983 زاوية تامگروت على مسافة حوالي ثلاثة كيلومترات من زاوية جده المذكور، وقضى بها حياته في تلقين الأوراد الشاذلية حتي وفاته بها سنة 1602/1010 وخلفه على الزاوية أبناؤه وحفدته طوال ثلاثين سنة، ثم آلت رآسة زاوية تامگروت إلى الناصريين.

م. الناصري، *الدرر المرصعة*، ص289 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2: 443_449.

محمد الحبيب نوحي

**الأنصاري، فتح** بن محمد الإشبيلي ثم الفاسي، أبو نصر، فقيه مقرئ ولد بإشبيلية ودرس بمالقة والمرية، وأقرأ القرآن في قرطبة وشلب. ثم انتقل إلى فاس، فتصدى بها للإقراء، وكان من الآخذين عنه أبو القاسم ابن الملجوم المعروف بأبي رقية، وعبد الجليل بن موسى وعقيل بن عطية، ومحمد بن الدراج وغيرهم من القراء. توفي بفاس في شهر رجب/عام 574/ دجنبر1178/ يناير1178.

م.ابن الأبار، *التكملة* ؛ أ.ابن القاضي، *جذوة*.

عبد اللطيف الشاذلي

**الأنصاري، محمد** بن القاسم السبتي، اشتهر بكتابه *اختصار الأخبار، عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*. وهو من الكتب الفريدة في تدقيق وصف المدن وتعداد خططها، وربما كان أجمع ما كتب عن سبتة قبيل سقوطها في يد العدو. تحدث عن مساجد هذه المدينة فأحصاها، كما أحصى المدارس وخزائن الكتب، ووصف الربط والزوايا والمحارس والمرامي والمراسي وغيرها، وختم بوصف قرية بليونش أو بنيونس المتصلة بسبتة. وقد فرغ الأنصاري من تأليفه يوم الأربعاء غرة ربيع الأول من عام 828 / 23 فبراير 1422. ولا ندري كم سنة عاش بعد ذلك ولاأين كانت وفاته.

وقد ورد في *اختصار الأخبار* ذكر ثلاثة كتب ربما كانت من تأليف الأنصاري نفسه : *بغية السامع والكواكب الوقادة و الإعلام*.

ع، ابن سودة، *دليل*، 1: 30 ؛ م. ابن تاويت، *مقدمة اختصار الأخبار*، مجلة تطوان، 1958_1959، ص 74_75 ؛ ع.ابن منصور، *مقدمة اختصار الأخبار* ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*،1 : 105_106.

L. Lévi-Provençal, *Une description de Ceuta musulmane au XV° siècle*, *Hesp*, 1931, t XII, fasc 11.p,145-176.

محمد رزوق

**الأنصارية، حفصة** بنت عبد الله بن محمد بن علي، من ذرية الحاج إبراهيم الأنصاري، من زاوية سيد الناس، القريبة من تمگروت، إلى غربها، بخمس فزواطة من وادي درعة. نشأت هذه المرأة الفاضلة نشأة صوفية، فقد تتلمذ والدها على الشيخ عبد الله بن حسين القباب، وكان عمها علي بن محمد بن علي، أحد تلامذة الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأنصاري.

توفي والدها وتركها صغيرة دون الحلم، فربتها والدتها تربية صوفية، إذ كانت تصطحبها لزيارة مشايخ التصوف. وكما كانت صافية النفس، كانت بارعة الحسن وافرة الحياء.

تزوجها الشيخ أحمد بن إبراهيم الأنصاري بعد وفاة شيخه سنة 1635/1045، فأنجبت ثلاث بنات. وفي سنة 1642/1052 تأيمت بعد مقتل زوجها، فانتقلت صحبة الشيخ محمد ابن ناصر، الذي تصدر لشؤون زاوية تمگروت بعد وفاة ذلك الشيخ، إلى زاوية أغلان. وهنالك تقدم الشيخ ابن ناصر طالبا يدها، فامتنعت لمدة سنة كاملة، ولم تذعن إلا بعد ما رأت رؤيا اضطرت بسببها إلى الاستجابة لطلب الشيخ الناصري، الذي بنى بها ليلة الأربعاء ثالث شوال سنة 1645/1055، بتمگروت، فأنجبت له أربع بنات، وهن على التوالي : زينب وأم كلثوم وأم سلمة وسارة، وابنين هما : أحمد وإبراهيم. وأحمد المذكور هو أحمد الخليفة الذي استخلفه والده على شؤون الزاوية الناصرية، من بعده، الأمر الذي يفضي إلى التساؤل عن دوافع هذا الزواج.

من المعلوم أن الشيخ محمد ابن ناصر تولى أمر زاويه تمگروت بعد وفاة الشيخ أحمد بن إبراهيم الأنصاري، وأن أصله من زاوية أغلان، من خمس ترْناتة، شمالي خمس فزواطة حيث توجد تمگروت ؛ وأن الأيم حفصة الأنصارية من أسرة ذات نفوذ وجاه، ليس على المستوى الروحي فحسب، ولكن حتى على الصعيد المادي في المنطقة. لذلك فلا غرابة أن يصر الشيخ محمد ابن ناصر على طلب يدها ؛ لأنه يعلم أن بفضل هذا القران قد يضمن مكانة له بتمگررت، بين جماعة الأنصاريين الذين كان نفوذهم قويا بالمنطقة. ومن الطبيعي أن يسعى إلى التقرب منهم عن طريق المصاهرة، حتى لا يعارضوا تصدره بالزاوية.

وإذا كان كتّاب المناقب الناصريون يلحون على أمر إيصاء أحمد بن إبراهيم لصاحبه محمد ابن ناصر بالتزوج

من حفصة بعد وفاته، ولهذا الأمر ما يبرره، وهو كفالة بناته من بعده، فلماذا جاء رفضها من بعد ؟ وكان الشيخ مَحمد ابن ناصر يربط بين تدبير شؤون الزاوية، وبين مسألة الزواج من حفصة. مما يدل على الأهمية التي كان يوليها لهذا الزواج. فهي ستضطلع بأمر الزاوية كما كانت زمن زوجها الأول، حيث تكفلت بالجانب الزمني، بينما كان الجانب الروحي موكولا لنظر زوجها. وفي ذلك يقول أحمد بن خالد الناصري :«وما كان مراد الشيخ... بتزوجه إياها إلا القيام بأمر الزاوية» أي أنه كان يهدف إلى تدعيم مكانته بالزاوية عن طريق هذا الزواج. هذا من جهة.

من جهة أخرى، لماذا اضطر الشيخ محمد ابن ناصر إلى مغادرة تمگروت بعد وفاة الشيخ الأنصاري، لمدة ثلاث سنوات تقريبا ؟ يبررأحمد الناصري ذلك قائلا :«عاد سيدي محمد إلى أغلان لما ناله من بعض الحسدة...» غير أنه يفصح عن بعض المعارضين، ومنهم صهره المرتقب، الذي يقول بصدده:«فإنه بالغ في الامتناع والتحامل على الشيخ... والبغض له...».

ومهما يكن من أمر فلا ينبغي إغفال التناقضات التي كانت تعرفها تمگروت لما آل أمرها إلى شيخ غير أنصاري. ومن المستبعد ألا يتطرق صدى تلك التناقضات إلى بال الشيخ مَحمد ابن ناصر، وإلا كيف يمكن تفسير إسناد شؤون الزاوية لأحمد بن محمد ابن ناصر دون إخوته ؟ فالمبررات التي يدلي بها كتاب المناقب، على لسان الشيخ، غير مقنعة، من بعض الوجوه. لكن إذا علمنا أن تولية أحمد الخليفة قد جاءت بسبب انتمائه لطائفة الأنصاريين، من جهة أمه ؛ سلّمنا بأن رآسته للزاوية لن تثير أي نزاع بين الناصريين والأنصاريين ؛ الشيء الذي قد يحقق نوعا من التوازن داخل تمگروت، بل ربما يضع حدا لسلسلة من الإحن كانت على وشك الاندلاع لو أسند هذا الأمر لابن آخر. علما أن باقي أبناء مَحمد ابن ناصر من أمهات غير انصاريات. وكما أن بعضهم أكبر سنا، وأوفر علما منه، كما هو شأن محمد الكبير....

توفيت حفصة ليلة الجمعة سادس وعشري شوال سنة 1684/1095، بعدما عمرت زهاء سبعين سنة. وهي آخر من مات من أزواج الشيخ. ودفنت بعد صلاة الجمعة، بروضة الأشياخ، وقبرها معروف بداخل ضريح الشيخ محمد ابن ناصر بتمگروت.

م. الإفراني، *صفوة* ؛ م. الحضيگي، *طبقات* ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ *طليعة الدعة* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ.الناصري، *طلعة المشتري*.

M. Baudin, *La Zaouia de Tamegrout, A. B*, vol III, fasc. 4, 1981 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc* ; A. Hammoudi, *Sainteté, Pouvoir et Société, Tamegrout aux XVII et XVIIIe siècles* , A.E.S.C. N° 3 - 4 Mais - Aout, 1980.

احمد عمالك

**الأنصاص**، تعني - عند قراء المغرب - النصوص التي يستعان بها على حفظ القرآن، وإتقان رسمه وضبطه ؛ وهي أنظام تتضمن الألفاظ التي تلتبس بمثيلاتها في القرآن، فتذكرأعدادها ومواضعها من السور والأحزاب ؛ مثل : عليم حكيم ؛ وحكيم عليم ؛ ولعب ولهو ؛ ولهو ولعب ؛ قد تطول هذه الأنظام و قد تقصر إلى حد البيت والبيتين والثلاثة .

ويبدو أنها ظهرت - أول ما ظهرت - بالأندلس في حدود المائة الخامسة أو السادسة، فقد أورد أبو الحسن الرعيني في *برنامجه* طائفة منها عن بعض شيوخه، وهو من أهل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ومما أنشده في ذلك :

حكيم عليم في التلاوة خمسة
فـلا تسمعن من قول من قال سادس
ففي سورة الأنعام منها ثلاثة
وفي الحِجْر حرف ثم في النحل خامس

ويحفظه طلابنا بأسلوبهم الملحون :
ومن زاد سادس كلامه ناقص...
وأنشدأيضا :

سألـت إذا أتى لعب ولهـو — وكم من موضع هو في القُران
فحرف في الحديد وفي القتال — وفـي الأنعـام أيضا موضعان

وقد اقتفى المغاربة أثرهم في ذلك، لكن الطابع الخاص الذي يميز أنصاص الأندلسيين : هوالفصحى والتعبير بالسور. كالأنعام، والحجر، والنمل، والحديد، وسواها ؛ بينما المغاربة - في الغالب الأعم - يعبرون بالأحزاب والأنصاف والأرباع والأثمان، وربما اكتفوا في ذلك بالكلمة الواردة قبل محل الشاهد ؛ وذلك كقول بعضهم في عدة (ومن يكفر) أو (فمن يكفر) - بالواو أو الفاء :

مـا ننسـخ ننبئكـم تفـرقا حرمـت — دابة (ومن يكفر) بالواو فخمسة
وعكسهمْ قل بالفاء حرفان في الذكر — تلك الرسل أحسن فخذهم مكملا

كذلك نجد أنظام المغاربة تذكر اللفظ ومما يقابله، وتعبر عن ذلك بـ (وعكسهم) كما في هذين البيتين، بخلاف الأندلسيين فإنهم يقتصرون على اللفظ دون مقابلة، كما رأينا في الأبيات السابقة.

ويمكن تقسيم هذه الأنصاص باعتبار الموضوعات التي تناولتها إلى ما يتصل بالرسم والضبط، والتجويد، والوقف، وما إلى ذلك ؛ وبعبارة أصح : أنها تدخل في كل موضوع من موضوعات القرآن، حتى القراءات السبع.

ولعل أقصر هذه الأنصاص وأخفها : نصوص (بعيد)، ويقال إن أول من نظمها هو أبو العباس الميزوري، وهو من أهل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي ؛ وهي تكتفي بكلمة (بُعيْد) أو (بعْد)، مثل قوله :

صادقين قل بالياء (ألْ) عددهم — بعيد كانوا كنتم وما كنا مكملا

وحفاظا على الاختصار يرمز إلى العدد بالحروف الجمل (ألْ)، (يط).

ومن أشهر أبياته قوله في الحروف الممالة.

حروف كضظش أكثر من عـام ونانفتش
ولا وجـدتهم في ورش سـوى متميلا

والشأن أن تكتب هذه النصوص أسفل الألواح فيحفظها الطالب كما تحفظ المتون الأولية المعروفة بـ (الكراريس)، وهي نصوص كثيرة لو دونت لخرجت في مجلد ضخم.

هذه الصناعة التي غايتها : إحصاء كلمات القرآن وتعداد حروفها، ربما قلل من شأنها بعض العلماء القدامى أمثال : السخاوي والسيوطي وسواهما ؛ لكن من المتأخرين من يرى أنها عمل أقل ما يقال فيه : أنه خدمة لكتاب الله العزيز، تعين القارئ على حفظه واستيعاب كلمه، والأعمال بالنيات.

الرعيني، *البرنامج* ؛ ح. السوطي، *الإتقان* ؛ ت.الراجي، *مجلة دعوة الحق*، س 12. ع. 3، وس 13. ع.2 ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

ابن **أنطول**، غرسية، قائد الفرقة الإسبانية المسيحية لدى القصر المريني، وهي فرقة من المرتزقة كانت تحافظ على دينها وشعائرها وتختص بحيها قرب القصر السلطاني بفاس. ولهذه الفرقة وجود بالمغرب منذ العصر المرابطي وكان من مهماتهاحينذاك، استيفاء الضرائب من مناطق المصامدة.

وابن انطول قطلوني اشتهر على الخصوص بمشاركته في بعض المؤامرات التي كان فيها حتفه، أيام أبي سالم إبراهيم الذي تولى فيما بين 762.760/ 1361.1359، وكان أبو سالم قد دعا إلى بيعته انطلاقا من غمارة. وقام ابن مرزوق العالم التلمساني المعروف والذي تعرف على ابي سالم قبل ذلك بغرناطة، بدور فعال في هذه الدعوة، فقد كان على عرش المغرب صبي يخضع لوصاية وزير قوي النفوذ. وتمكن أبو سالم من الاستيلاء على السلطة بفاس، وأصبح ابن مرزوق الشخصية الثانية في الدولة حتى وإن لم يشغل وظيفا سياسياً رسمياً، وعمل على رفع مكانة الوزير عمر بن عبد الله اليباني (من قبيلة يبان الزناتية) فصار الوزير صهراً للسلطان وبدأ يتشوف إلى نفوذ أكثر، فقرر تدبير مؤامرة ضد أبي سالم. وسنحت له الفرصة عندما قرر أبو سالم، على إثر تكهنات فلكية، أن ينتقل من قصره بفاس الجديد إلى فاس البالي، وأناب عنه بفاس الجديد صهره ووزيره المذكور. ثم إن الوزير فاوض قائد القوة المسيحية بن أنطول في تنحية أبي سالم وتعويضه بالأمير تاشفين لموسوس، وهو من أنجال أبي الحسن المريني، وكان تحت الإقامة الجبرية مقيدا. وكانت الحجة في ذلك بينهما طغيان نفوذ ابن مرزوق وتآمره ضد كبار المسؤولين. ونُصّب السلطان الجديد وأرغم محمد ابن الزرقاء قائد حامية فاس على مبايعته. أما أبو سالم فقد تخلى عنه أنصاره حتى ابن مرزوق، فلجأ إلى مجشر(تجمع سكني من بيوت القش) بوادي ورغة، وسرعان ما عُثر عليه وتولى إعدامه ذبحا أحد جند النصارى، وخلال ذلك كانت مخازن السلاح بفاس تشهد نهباً وإحراقاً من العناصر الغاضبة والتي تلاحظ تحركات النصاري في أزقة المدينة ودواليب الدولة على السواء. ومس النهب والحريق دار الصنعة (مصنع السلاح) ومعامل النسيج المرتبطة بالقصر.

ثم إن الوزير عمر بن عبدالله المعروف بالفودودي أيضا اعتقل الوزيرين سليمان ابن داود وعبدالرحمن بن ماساي. وكان مكان اعتقال الأول هو مسكن القائد ابن أنطول. ويصف ابن الخطيب ابن أنطول بالكِبْر والصلف ومعاقرة الخمر واحتقار الأمة. وكان يعاقرُ الخَمرَ سليمان بن ونزار، وهو من الشخصيات التي كانت في المنفى بغرناطة مع أبي سالم قبل حلوله بغمارة حيث تهيأ للاستيلاء على السلطة، وقرر ابن أنطول وابن ونزار أن يفتكا بالوزير عمر بن عبدالله، لكن هذا أحس بما يدبرانه. ويذكر ابن الخطيب أن ابن مرزوق دخل في المؤامرة هو أيضاً ضد الوزير المستبد. وهكذا سبق الوزير إلى الفتك بابن أنطول ومساعده سليمان بن ونزار، أما ابن مرزوق فصودرت أمواله. ومع أن ابن خلدون يذكر هذه الرواية في مقتل ابن أنطول فهو يشير في مكان آخر إلى أن الفتك بابن أنطول تم بعد أن رفض تحويل الوزير سليمان بن داود المعتقل عنده، إلى السجن. وكيفما كان الأمر، فقد أدى مقتل ابن أنطول إلى قيام السكان بمطاردة جند النصارى وتقتيلهم سواء بأزقة فاس أو داخل حيهم. ولزم تدخل السلطة لوضع حد لهذه المذبحة التي هي، بالنسبة للرأي العام، انتقام من جند معادٍ للأمة ويتدخل في شؤون الدولة.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، 2 :272. 279. ت. م.المختار عبادي؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 648. 655 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 38. 42. وعن أهمية المرتزقة في العصر المريني يراجع :

H.Terrasse, *Histoire du Maroc*, 2 : 73.

إبراهيم حركات

**أنطي**، Antee شخصية أسطورية. ابن إله البحر نبتون Neptune وگايا Gaia فيما يزعمون.

اشتهر أنطي بقوته وجبروته، إذ كانت جعابه لا تلين لأحد. وعلى حد قول لوكان Lucain في (*La Pharsale*, 4, 600) وأوفيد Ovide في (*Metamorphoses*, 9, 184) يكمن سر بأس أنطي وشدته في مدى تشبثه بأمه الأرض، فكلما مستها قدماه استمد منها القدرة واكتسب أنفاسا جديدة.

ويختلف رواة الأساطير في تحديد موطنه: فالشاعر بندرPindare في (pythique : 9) يجعله في إرازا (Erasa) ناحية مهملة بالمارموريك (Marmorique) وهذه المنطقة حددها هيرودوث (*Histoires* 4,158) بين أزيريس (Aziris) وقورينة (Cyrène).

وإذا كان بندر في قصيدته السابقة الذكر قد حدد موطن أنطي في منطقة محدودة المساحة فإنه في قصيدة أخرى وهي (Isthmique : 4) المهداة إلى أحد أبطال طيبة يذكر بأن أنطي كان ملك ليبيا. وليبيا كما نعلم كانت تطلق على كل الشمال الإفريقي.

ويصف بندر أنطي كعملاق متوحش يمنع الأجانب من دخول أرضه. وكل من سولت له نفسه فتجرأ ووطئت قدماه الأرض يكون مصيره الموت المحقق، لأن العملاق يجبره على خوض صراع كفته راجحة فيه منذ الانطلاقة. وبهذه الكيفية جمّع عدة رؤوس زين بها معبداً لوالده نبتون.

يجعل لوكان بدوره مملكة أنطي بليبيا، ويضيف بأن هذا العملاق يتعرض بالأذى ليس فقط لمن ترميه مياه البحر على شاطئه بل أيضا لفلاحي الحقول (*La Pharsale* 4 : 605).

ويوافق موطن أنطي بالنسبة لبومبونيوس ميلا (Pomponius Mela) في (*De Chorographia* 3: 10 ; 106) أقصى زاوية بإفريقية، على الساحل الخارجي لموريطانيا.

وإذا تتبعنا وصف ميلاً يتبين لنا بأن المنطقة التي يعنيهابوصفه هي موريطانيا الطنجية، لأنه يذكرمدنا نجدها ضمن المثلث طنجة/وليلي/سلا الذي كانت تحصر أضلاعه حدود هذه المنطقة.

وقد خصص لوكان (Lucain) وصفا مسهبا في (*Pharsale*, 4 : 610-655) للحديث عن الصراع الذي جمع العملاقين هرقل وأنطي بالمنطقة المذكورة. واعتقد رواة آخرون ومن بينهم بلوتارخ (Plutarque) في (*Les vies, parallèles*, Sertorius) بأن مدينة طنجة هي التي احتضن ترابها أطوار الصراع بين العملاقين.

وجزم بعض المؤرخين بنسبة تأسيس طنجة للعملاق أنطي، ونذكر من بين أصحاب هذا الرأي بلين في (*Histoire Naturelle*, 5 : 2) وبومبونيوس ميلا في (*De chorographia*, 1 : 5) وليبرهنوا على صحة أقوالهم تحدثوا عن درع من جلد الفيل له حجم كبير لا يناسب أحداً. وذكروا نقلا عن الروايات الشفوية المحلية بأن الدرع كان لباسا للعملاق أنطي، وقد أصبح محط تبجيل وتقديس السكان المحليين (*De chorographia*, 1 : 26) وليزكي أصحاب هذا الرأي زعمهم قدموا دليلا ماديا لا يدع مجالا للشك حول الدور الذي لعبته طنجة في عهد العملاق أنطي ويتمثل هذا الدليل المحسوس في القبر الكبير القريب من طنجة (*De chorographia*, 3 : 106).

وذكر بلوتارخ بصدد ترجمة حياة القائد الروماني سيرتوريوس (*Les vies parallèles*, Sertorius 9) بأن هذا القائد لم يصدق أقوال البرابرة فكشف عن القبر، فوجد بداخله جثة رجل له قامة طولها 60 ذراعا (يعني ثلاثة أمتار) فأعاد طمر القبر وقدم أضحية بشرية قربانا له. وزاد عمل هذا القائد من شهرة القبر وصاحبه.

أما سترابون (Strabon) في (*Geographie* 17 : 3-8) فيحدد قبر العملاق في لينكس (Lynx) التي قد تنطبق على موقع ليكسوس. ونعرف اعتمادا على بلين (*Histoire Naturelle* 5 : 3) بأنه بليكسوس يوجد القصر (Regia) الوحيد بإفريقيا الغربية، وهو مقر سكنى أنطي، وبها أيضا تم الصراع بين أنطي وهرقل وبها كذلك حدائق الهسبيريد (Hespérides) الغناء التي كانت مطمح هرقل إذ جاء إليها ليأخذ منها التفاحات الذهبية ولكنه اصطدم بالعملاق أنطي.

ويدعم الباحث كركُوبِّينو (Carcopino) أصحاب الرأي الثاني عندما يؤكد بأن موقع ليكسوس كان مسرحا لأسطورة أنطي، ومن جهتنا نعتبر أن المدينتين معا تقاسمتا ذكريات أنطي.

والمعروف أن جذور هذه الخرافة نمت في البدء بالمستعمرة الإغريقية بليبيا الحالية قورينائية (Cyrenaïque) لتزهر بعد ذلك بموقع ليكسوس على شاطئ المحيط الأطلسي وبذلك تكون قد انتقلت من طرف ليبيا، الشمال الافريقي الشرقي، إلى طرفها الغربي، وكان ذلك منذ القرن الخامس ق م.

وهناك مواد أثرية تم الكشف عنها ببعض المواقع القديمة التي كانت حسب الأسطورة ضمن مملكة أنطي. ويعتبر العثور عليها تتويجا وتدعيما للروايات المكتوبة. ونذكر من هذه اللقى (vestiges) الأثرية تمثالين من البرنز يصوران مشهد الصراع بين العملاقين أحدهما استخرج من موقع ليكسوس والثاني من موقع بناصة. وهناك أيضا بيضاويتان (Deux ovales) وهما من فسيفساء أعمال هرقل بالمنزل المعروف تحت نفس الاسم بوليلي، تبين إحداهما صراع هرقل وأنطي وتشير الثانية - وهي في حالة رديئة - لذكرى حدائق الهسبريد الفيحاء التي كانت السبب والدافع لمجيئ هرقل إلى مملكة أنطي. فتعرض لنفس المساومات التي تعرض لها من سبقوه ولكنه اهتدى إلى مكامن ضعف غريمه، فرفعه عن الأرض وخنقه وبذلك نجا وخلص الأبرياء من شروره وغلوائه (*Pharsale*, 4: 610-655).

ت. بلكامل، *فسيفساء الفصول بموريطانيا الطنجية*، د.د.ع. الرباط، 1986، 2 : 272-276.

Lucain, *La guerre civile (La pharsale)* IV,595-655, Paris. Belles-Lettres, 1926 ; Plutarque, *Vies Parallèles* ; trad. B, Latzarus, Garnier ; Pomponius Mela, *De chorographia*, trad, M.L.Bawdel, ed. Pomckoucke, Paris, 1843 ; R. Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris. Belles-Lettres, ,1924, pp.26-30 ; L.Chatelain, *Un groupe de bronze de Banasa, Hesp.* 1937, pp130-132 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, Gallimard, , 1943, pp 67-68 ; R.Rebuffat, *Bronzes et Hercule à Tanger et à Azzila, Ant. Afr* 5, 1971, pp, 179-191 ; E.Saglio, *"Antaeus", Dictionnaire des antiquites grecques et romaines*, t 1, 1er partie,1877, p.282 ; M. Ponsich, *Tanger Antique, A.W.R.W.*10.2, 1982, pp. 788-815 ; A. Jodin, *Volubilis, Regia Ubae : Contribution à l'étude des civilisations du Maroc antique préclaudien*, Paris, de Boccard, , 1987, p .241.

البيضاوية بلكامل وعبد العزيز بلفايدة

**أنفا**، مدينة في موقع الدارالبيضاء الحالية، أنشأها الرومان حسب الوزان، أو الفنيقيون حسب مارمول. وتجمع كتب الرحلات التي تعرضت لأنفا على مجموعة من الخصائص، منها استفادة المدينة الكبرى من موقعها الذي اعتبره مارمول أحسن المواقع بإفريقيا على الساحل بجانب سهل من أغنى السهول المغربية، الأمر الذي جعل منها منفذا لكميات كبرى من الحبوب والأصواف. هكذا كانت أنفا محج السفن والقوافل على حد سواء. (ابن الخطيب. *معيار*،75). وتؤكد نفس المصادر على الازدهار العمراني

الذي عرفته أنفا نتيجة رواج أسواقها. فقد ذكر الوزان بأنفا مساجد ودكاكين في غاية الحسن، وقصورا شامخة تحيط بها بساتين شاسعة. ولم يخف الوزان حسرته وأسفه على خرابها. وانعكس هذا الرواج على أوضاع سكانها المعيشية. ويفهم من إشارة للوزان أن أكثر التجار المسيحيين إقبالا على أنفا كانوا برتغاليين. ويرجع ريكار R. Ricard هذه العلاقة التجارية بين أنفا والبرتغال إلى 852 ـ 1450/853 على الأقل، حيث كان البرتغاليون يعرضون فواكه «الغرب» البرتغالي ويقتنون الحبوب والأصواف والخيول (commerce, 92) غير أن حكام لشبونة اضطروا، بسبب تزايد نشاط مجاهدي أنفا، إلى تجهيز حملة تضم ألفي محارب ترأسها الملك دون فرندو. وفضل السكان الانسحاب. ونظرا لاتساع المدينة واستحالة الاحتفاظ بحامية قادرة عن الدفاع عنها، تقرر تحطيم الأسوار وإحراق المدينة قبل الانسحاب.(R.de Pina,8 16) وفي سنة 1472 أقطع الملك ألفونصو الخامس أنفا لأخيه المذكور، غير أن هذا الأخير لم يقم بأي عمل قصد إعادة تعميرها واستيطانها. ففي سنة 893 ـ 1487/892 نظم البرتغاليون غارة ضد بعض دواوير الشاوية، وكانت أنفا آنذاك مهجورة.(R. de Pina, 942). وكان البرتغاليون قد صنعوا لهم بضواحي أنفا عميلا تذكره الوثائق البرتغالية تحت اسم "Moly Belagegi" يعتقد أنه أبو الحجاج يوسف بن زيان الوطاسي الذي استقل بحكم الشاوية. وفكر الملك البرتغالي إمنويل سنة 1515/921 في تحصين أنفا، غير أن فشل محاولة احتلال المعمورة حال دون تنفيذ هذا المشروع. وبقيت أنفا مخربة إلى أن أعاد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي بناءها. ووردت عند الضعيف تحت اسم مرسة الدارالبيضاء.

ح .الوزان، *وصف إفريقيا*. ج :1، ط.الرباط ؛ مارمول، *افريقيا*.
R. de Pina, *Chronica de Senhor Rey D. Affonse V ; Chronica d'el-Rey dom Joao II.* Perte, Lello e Irmao Editores, 1977 ; C. de Marmol, *L'Afrique*, trad. franc. Paris 1667, t.II ; R. Ricard *"Le commerce de Berbérie et l'organisation economique de l'empire portugais aux XV et XVI e Siecle"*. in *Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc*. Coimbra, 1955. E. I. *Anfa*, voir bibliographie.

أحمد بوشرب

**أنفا** (مؤتمر) في سنة 1943، وفي خضم الحرب العالمية الثانية ارتأت الدول الغربية الحليفة أن تعقد لقاء بينها لتنسيق مجهودها العسكري ضد دول المحور. وتم هذا اللقاء بمدينة الدارالبيضاء بحي أنفا الذي باسمه عرف المؤتمر فيما بعد. وقد حضر هذا المؤتمر كل من تشرشل وروزفيلت ودوكول. إن ما يهم المغرب من «مؤتمر أنفا» ليس هو المؤتمر في حد ذاته، بل اللقاء الذي تم على هامشه بين الرئيس الأمريكي فرانكلن روزفيلت وسلطان المغرب سيدي محمد بن يوسف.

لقد جاء هذا اللقاء في ظروف دولية تميزت بالضعف الذي ظهر على الدول المستعمرة (بكسر الميم) والتي سقطت هيبتها في أعين الشعوب المستعمرة (بفتح الميم)، خاصة بعد أن دخل الأمريكيون غمار الحرب وأصبحوا بقوتهم العسكرية وجبروتهم التكنولوجي معقد الآمال في تحرير أوربا وشمال إفريقيا من كابوس النازية. وفي المغرب كان لنزول الجيوش الأمريكية في نونبر 1942 (انظر مادة «أمريكا والمغرب») أثر بالغ على نفسية الوطنيين المغاربة وعلى نفسية سلطان البلاد الذي تحرر نسبيا من الحجر المفروض عليه من طرف الإقامة العامة وأصبح بإمكانه أن يتصل مباشرة بممثلي الإدارة الأمريكية دون حضور المقيم العام.

تم اللقاء بين روزفيلت وسيدي محمد بن يوسف يوم 22 يناير 1943 قبيل وخلال مأدبة عشاء أقامها الرئيس الأمريكي ودعا إليها سلطان المغرب الذي كان مرفوقا بولي عهده الأمير مولاي الحسن. كما حضر حفلة العشاء عدد من الشخصيات مثل تشرشل والجنرال باتن، قائد القوات الأمريكية بالمغرب، وإيليوت روزفيلت، نجل الرئيس الأمريكي، والجنرال نوگيس، المقيم الفرنسي العام بالمغرب. إننا لا نتوفر على أي وثيقة رسمية من أي جهة كانت حول فحوى الحديث الذي دار بين روزفيلت ومحمد بن يوسف، وبالتالي فإن ما كتبه أو صرح به البعض ممن حضر هذا اللقاء يبقى مستندنا الوحيد في معرفة مضمون المحادثات.

إن ما يمكن استخلاصه مما سجله جلالة الملك الحسن الثاني في كتابه *التحدي* أو ما كتبه إيليوت روزفيلت في مذكراته *قال لي أبي* هو أن الحديث بين الرئيس الأمريكي والسلطان دارأساسا حول تصور كل منهما لمستقبل المغرب بعد نهاية الحرب. لقد طرح سيدي محمد بن يوسف بوضوح، حسب محمد المعمري، قضية استقلال المغرب مع روزفيلت «وتمنى أن لا ينسى الحلفاء مكافأة المغرب على ما بذله من جهود حربية بإعادة سيادته إليه». وإذا كان الرئيس الأمريكي قد تجنب تقديم وعد صريح بدعم مطلب المغرب في الاستقلال فإنه اظهر تفهما كبيرا لرغبة المغاربة في التحرر والتطور والاستفادة من خيرات بلادهم. لقد وضح روزفيلت في حديثه مع سيدي محمد بن يوسف أن الخريطة السياسية للعالم بعد الحرب سوف تعرف تغييرا جذريا، وأن النظام الاستعماري نظام محكوم عليه بالزوال، كما أظهر استعداد بلاده للأخذ بيد المغاربة من أجل مساعدتهم على تنمية ثرواتهم واللحاق بمسيرة الشعوب المتقدمة.

لقد كان للتفهم الذي أبداه رئيس أكبر قوة عسكرية في العالم لطموحات شعب يطمح إلى الحرية أثر عميق على نفسية سيدي محمد بن يوسف الذي صرح بعد اللقاء قائلا: «إن بلادي توجد الآن على أبواب عهد جديد». وفعلافإن لقاء أنفا جاء ليعزز إيمان المغاربة بقضيتهم ويدفع بهم خطوة أخرى على طريق القطيعة مع نظام الحماية الفرنسية، وليس من باب الصدفة أن يؤسس حزب الاستقلال خلال نفس السنة التي تم فيها هذا اللقاء، وهو

التأسيس الذي تبعه مباشرة تقديم عريضة الاستقلال يوم 11 يناير 1944.

أ. عسه، *المعجزة المغربية*، بيروت، 1975.

Hassan II, *Le Défi.*

محمد المنصور

**الأنفاسي**، أسرة فاسية، أصلها من قرية سلاس في جبال الريف المشرفة على منعرجات نهر ورغة، لا يعرف تاريخ انتقالها إلى فاس إلا أنه اشتهر بها منهم عدد من العلماء والصالحين منذ القرن السابع الهجري.

**الأنفاسي، سليمان** بن يوسف بن عمر الفاسي. عالم مشارك صالح ناسك خلف أباه، وهو مايزال شابا، في التدريس والإمامة والخطابة بجامع القرويين عام 761/59-1360. وقد تحدث عنه أحمد ابن الخطيب القسنطيني في *أنس الفقير*، وكانت له به معرفة وأخوة، فذكر من ورعه وجده واجتهاده ما يدل على أنه من العلماء العاملين الأتقياء الكاملين. وذكر أن السلطان أبا الحسن المريني رغب في لقاء سليمان الأنفاسي، فجاء إلى جامع القرويين صحبة قاضي الجماعة عبد الله الأوربي بقصد أن يجمعه به، فذهب وجاء القاضي إلى أبي الحسن برجل صالح آخر وجده بالمسجد يدعى أيضا سليمان.... وجدّد أبو الحسن طلب اللقاء بسليمان الأنفاسي مرة أخرى فلم يقابله وكتب له براءة قنع بها السلطان عن رؤيته.

ولما عزم الوزير (العامل) على غرم ديار فاس ورباعها، كما فعل سلفه، مشى إليه سليمان الأنفاسي مع الفقيه القباب، وأغلظ له القول، فهابه العامل وارعوى.

وقد تخلى سليمان عن الإمامة والخطابة تورعاً فوليها بعده الشيخ العارف الشهير محمد بن عباد. وانقطع سليمان للعبادة ولتعليم الطلبة وإفادتهم. ومن تلامذته أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر المؤلف المكثر الشهير، ومحمد بن أبي بكر الحضرمي صاحب *السلسل العذب*، الذي خصص له ترجمة حافلة منها صفحة كاملة في تحليته بصفتات علمية وخلقية عالية وذكر من بين مقروءاته عليه *رسالة ابن أبي زيد ورعاية المحاسبي*.

وكان ذا طريقة حسنة في التدريس قال عنها صديقه القسنطيني :«ولا رأيت أحسن قراءة ولا أسرع منه فيها لحديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ» ( *أنس الفقير*، 75). وقال عنها تلميذه الحضرمي «ولم يزل يظهر عليه في حفلات العلم من علو الإدراك ومحمود الألطاف والتبري من حظ نفسه وترك المراء والجدال وجودة النظر وإصابة الفهم، وقصد المعاني وقرب المأخذ، ما انقطع به عن القرين وبذّ أصحابه. وله من لطف العبارة وبيان القول وإظهار الحجة أوفر نصيب» ( *السلسل*، 74).

توفي بفاس سنة 77/779-1378 وسنه يقرب من أربعين سنة. وقد صحف هذا التاريخ ـ على ما يبدو ـ في *أنس الفقير*، إذ كتب فيه عام تسعة وتسعين وسبعمائة، وهو خلاف ما في *الجذوة والنيل* وما يقتضيه موته في سن الأربعين وقيامه مقام أبيه بعد وفاته سنة 761 كما سيأتي.

م. الحضرمي، *السلسل العذب*،73-76 ؛ أ. القسنطيني، *أنس الفقير*، 74-75 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 38 ؛ *درة الحجال*، 3: 310 ؛ *لقط الفرائد*، *ألف سنة من الوفيات*، 218 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 352-353.

**الأنفاسي، علي** بن عبد الرحمان السلاسي الفاسي. الفقيه المدرس الصالح الورع، خطيب جامع الأندلس وإمامها، من أشهر تلاميذه الشيخ أحمد زروق، أخذ عنه - في جملة ما أخذ - *المدونة* التي كان يقرؤها بشرح ابن يونس.

كان أحمد زروق معجبا بورع الشيخ علي الأنفاسي إعجابه بعلمه وتحقيقه مداوما الصلاة خلفه، وحكى عنه في *الفهرس* قصة عجيبة نقلها الذين ترجموا له بعد، ذلك أن المطر حُبس ذات سنة فطلب الناس من الإمام الأنفاسي أن يستسقي لهم، فوعدهم أن يفعل ذاك بعد ثلاثة أيام، ثم أخرج في الغد ما عنده من الزرع في بيته، رآه زروق صبرة في صحن الجامع، فتصدق به وقال: الآن أبكي مع المسلمين، ثم استسقى لهم فما رجع إلا بالمطر.

توفي بفاس، وقد طعن في السن، عام 1456/860.

أ. زروق، *فهرس*، مخطوط ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 302 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 208 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 123.

**الأنفاسي محمد الكفيف** الفاسي، أخذ عن الإمام محمد بن غازي وطبقته، وبرع في علوم القرآن والأدب، غير أن كتب التراجم لم تحتفظ من أدبياته إلا بقطعة ذيل بها بيت «الغزل الفقهي» عن تمزيق اللخمي مذهب مالك.

وكانت وفاته عام 927 أو 928/21 ـ 1522.

أ. ابن القاضي، *جذوة*، 151 ؛ *درة الحجال*، 2 : 150. ؛ *لقط، ألف سنة من الوفيات*، 288، أ. باب السوداني، *نيل*، 334.

**الأنفاسي، يوسف** بن عمر الفاسي. فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، مدرس مفت، ناسك زاهد. رشحه أبو عنان المريني للخطابة والإمامة بجامع القرويين بعد وفاة الشيخ عبدالله الجنياري، فأبى واعتذر، لكن السلطان ألح عليه لرغبة الناس في الصلاة خلفه، وبعث إليه في أول خطبة خطبها بالقرويين خلعا سنية بلغت قيمتها مآت الدنانيرالذهبية فرفضها وقال«إن هذه الكسوة لا تصلح لمثلي، وفيما عليّ من اللباس كفاية» ( *جذوة*، 38) فألح الرسول عليه فقبلها ولبس بعضها في الخطبة الأولى ثم أعطاها لمن يستحقها من شرفاء المدينة مقتصرا على عادته في اللباس، وأناب عنه في الخطبة القاضي محمد الجزولي. ومن كلامه :«أفضل العبادة المراقبة وحفظ الحدود» ( *سلوة*، 32).

اشتهر يوسف الأنفاسي بشرحه على *رسالة ابن أبي زيد* القيرواني، المعروف *بالتقييد*، لأنه من تقييد الطلبة لإملاء الشيخ أثناء إقرائه الرسالة. ورغم إقبال الناس على هذا الكتاب وتداوله فإن الشيخ أحمد زروق كان له موقف متحفظ منه ومما شاكله من التقاييد المتداولة قائلا إنها تهدي ولا تُعتمد وإن بعض الشيوخ رأى تأديب من أفتى من التقاييد.

توفي يوسف وقد نيف على المائة سنة، بمدينة فاس عام 761/59 ـ 1360 ودفن خارج باب الجيسة بين الحارتين على قرب مقابلة برج الكوكب.

م. الحضرمي، *السلسل*، 52 ـ 54 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، 73 ؛ أ.ابن القاضي، *جذوة*، 38 و364 ؛ أ.باب السوداني، *نيل*، 352 ؛ الكتاني، *سلوة* ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 4 :77.

محمد حجي

**أنْفضواك**، عمر بن موحا إبراهيم. ولد سنة 1928 في تَباشْكُورْتْ. وشارك في الكفاح المسلح ضمن جيش تحرير الصحراء فجاهد بكل شجاعة إلى أن استشهد في معركة الشبكة بإقليم الرشيدية (قصر السوق) سنة 1959.

*وثائق المندوبية السامية وجيش التحرير.*

عزالدين العلام

**إنْفْلاسْ**، هي صيغة الجمع لكلمة «أنْفْلُوسْ» وهي نفس الكلمة التي ينطقها التارگيون (توارگ) «أنا فلاس» ويجمعونها على «إنَافْلاَسْنْ». وتعني في اللغة الأمازيغية بصفة عامة : الإنسان الذي لديه استعداد ليثق/ الذي يثق في نفسه/ الذي يوثق به/ الإنسان الثقة / الذي يوحي بالثقة .... وصيغة الفعل من المادة هي إفلس. وتستعمل عادة للتعبير عن أي نوع من أنواع الإيمان، وعن أي شكل من أشكال الثقة. كالإيمان بالله والثقة به أو بالإنسان أو بأي شيء آخر. (De Foucauld, *Dictionnaire*, p.328) وتستعمل الكلمة كذلك في الأمازيغية المعاصرة، في الجنوب الغربي للمغرب، للدلالة على الإنسان الذكي الماهر، واللبق الفصيح ذي الرأي السديد، والعارف بتقاليد الجماعة أو «القبيلة» التي ينتمي إليها، والعادل في أحكامه وفي سلوكه الخاص مع الناس وهذا ما استفدناه من رواية شفوية بأيت سمگ في سوس الأعلى وما يفهم من نص مونطاني (*Les Berbères*, p.221) أما عن المجال الجغرافي الذي نستعمل فيه الكلمة، فإنه يقتصر، حسب ما نعرفه الآن، على الجنوب المغربي الغربي. أي جنوب الخط الممتد من الصويرة إلى إنتيفت أو نتيفة ماراً بمراكش، وغرب الخط الواصل بين نتيفة وزاگورة ومجرى وادي درعة. وهذه المنطقة تضم الأطلس الكبير الغربي وسهل سوس والأطلس الصغير (R.Montagne, *Les Berbères*, p.217 et 99. , E.Laoust, *Mots*, pp313-314). وإذا كان اللفظ يختلف، فإن مدلوله، كممارسة مجتمعية، يوجد في أماكن أخرى من المغرب الأمازيغي. وهكذا نجد كلمات : أمْزْوَارْ/إمْزْوَارْنْ ؛ أمَاسَايْ/إمَاسَايْنْ، أيت ربْعين، أمْسْلاَيْ/إمْسْلاَيْنْ، أمين/ أمناء.... التي تتضمن معنى من معاني كلمة «أنفلوس» المشار إليها سابقاً. وكيفما كان الأمر، فكلها تدل على الأشخاص الذين يتحملون المسئولية في إطار التنظيم الجماعي الذي كان سائداً في المجتمعات الجبلية على الخصوص. وأعضاء الجماعة كما هو معروف، يحملون اسم «إنْفْلاَسْ» في الجنوب الغربي للمغرب (H.Bruno, *Notes*, p.135, *Introduction*, p. 297).

إن الحقل الدلالي لكلمة «أنفلوس» يتضمن إذن شقين كبيرين : أولهما ديني متغلغل في القدم، والآخر دنيوي متأخر نسبيا. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأمر لا يتعلق في هذه الحالة بتغيير تام للمعنى الأول، بل بانزلاق غير ناتج عن تغير في طبيعة المسمّى. ولكنه ناتج عن تغير في المعتقدات الدينية، جرّ تحولا احتياليا في مهام المسمّى وفي معنى اللفظ الدال عليها.

ولكي يكون ماذكرناه أعلاه أكثر وضوحا، نقول: إن لفظ «أنفلوس» ربما كان يطلق في عهد الديانات الزراعية على أناس يُعتقد أنهم يتوفرون على قوة سحرية أو خارقة، تجر الخير والفوزعلى المتبركين بهم. ومع انتشار الديانة الإسلامية - وربما قبل ذلك في المناطق التي عرفت اليهودية والمسيحية - بقيت فئة «إنفلاس» موجودة، ولكن العقلية الجماعية عملت تدريجيا على طمس جوانب من مهامهم تكشف العلاقة الصريحة بالديانات الزراعية، نظرا لكونها تتنافس مع الديانة الجديدة. في حين كيفت جوانب أخرى منها مع ما تقتضيه المعايير الطارئة. أو احتفظت بها كما هي ما دامت لا تثير انتباه أحد.

هذه المثاقفة على مستوى المعتقدات، هي التي أدت - من بين عوامل أخرى - إلى إحلال كلمات محل أخرى، أو إعطاء معان جديدة لألفاظ قديمة كلما دعت الضرورة الى ذلك، (J. Berque, *Structures*, 374-386).

لقد وردت في بعض كتب النوازل المتأخرة إشارات قليلة، تدل على وجود مجالس «إنفلاس» في جبال دْرَنْ ومنطقة سوس بصفة خاصة. وأقدم هذه الإشارات ترجع إلى القرن الرابع عشر (المنوني، *التيارات*، 47). ويبدو أن القرن السادس عشر شهد تفاقم الظاهرة، واتسعت أكثر في القرن السابع عشر (حجي، *الحركة*،1 :298) وقد وردت كلمة «النفاليس» في أجوبة قاضي الجماعة عيسى ابن عبدالرحمان السكتاني (ت 1651)، ( *أجوبة*، 87)، كما وردت في السؤال المعروف الذي استفتى به يحيى بن عبدالله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي (ت 1625) فقهاء الوقت، والذي ابتدأه هكذا :«... جوابكم لله تعالى فيما يفعله بعض أهل البادية، أهل الجبال منهم، من أنهم يجتمعون عن آخرهم و يعملون منهم أهل الحل والعقد، ويقولون لهم إنفلاس، ويسميهم بعضهم الضمان، ويصدر الاتفاق منهم على ضوابط ومصالح عندهم.... وهذه العبارة في نسخة عثرنا عليها في جبل إسكساوان أو سكساوة، ويمكن أن تقابل بفائدة مع ما ود عند محمد حجي في *الحركة الفكرية*، ص.300. وقد عرف محمد حجي بمهمة إنفلاس في العبارة الآتية :«... يتولى (إنفلاس) الفصل في الجنايات وبعض القضايا المدنية كأحداث الأسواق من غش وتطفيف في الكيل والميزان بحسب ما في الألواح، وأحكامهم لا تقبل الاستيناف. كما يتولون تنفيذ ما يقضي به الفقهاء المحكّمون» ( *الحركة*، 1 : 298).

غير أن الدراسات الأوربية المعاصرة، أعطت تعريفات أوسع لوظيفة إنفلاس. فإميل لاووست (E. Laoust) مثلا يعتقد أن «أنفلوس» و«أمزوار» اللذين يعتبرهما كثير من المؤلفين المعاصرين مُباركين يُتيمّن بهما، ليسا الا امتدادا لسلسلة السحرة والكهنة والملوك الزراعيين (rois agraires)، الذين كانت ممارساتهم السحرية أو السحرية - الدينية تضمن رفاهية العشيرة clan وحياتها. كما يعتبر أن فرضيتهُ هذه ثاقبة نظراً لكثرة عدد أفراد النخبة المذكورة. وقد ذهب بعيداً حين زعم أن كثيراً ممن يدعون الشرف من الأمازيغ، قد لا يكونون في الأصل إلا ورثة إنْفْلاَسْ وإمزوارن .(Laoust, 298) وذكر كذلك أن هناك أنواعا من إنْفلاسْ منهم :

أنْفلوسْ ن - تييّوگا، وهو الذي كان يفتتح عملية الحرث.

أنفلُوس ن - لْباروض، ويعتقد أنه لا تؤذيه ضربات العدو، وأنه يحمي المحاربين، وهو الذي يحمل العلم، ويطلق أول طلقة عند بداية المعركة.

أنفلوس ن - لْهْدْرْتْ، يفتتح حلقات أحواش في الحفلات الجماعية بنقره على الدف قبل غيره (Laoust, 313).

وقد أضاف روبير مونتاني R. Montagne نوعين آخرين هما : أنفلوس نْ - لْخيرْ أو الرجل الميمون، وأنفلوس ن - تّسهيلْ أي الذي تتيسر على يديه الأمور. وأورد في نفس الوقت تفاصيل لاحظها مشاهدة أو جمعها عن طريق الرواية الشفوية، تتعلق بالممارسات المجتمعية المرتبطة بـ «مؤسسة» إنفلاس، وإشارات إلى مناطق وجودها في الجنوب الغربي من المغرب.(Laoust, 130,200, 221) وقد ذكر أيضا إنفلاس ن وامان وهم الذين يسهرون على تنظيم دوات الري (Laoust, 220).

وهكذا نرى أن كلمة «أنفلوس» من الكلمات التي بقيت حية، مع تعديل اضطراري في معناها الأول. ويلاحظ اليوم أن معناها الثاني بدأ - هو بدوره - في الأفول، نظرا لكون المؤسسة المجتمعية التي يتجسد فيها انحلت منذ زمان قبل أن تنقرض نهائيا في الوقت الحاضر (R. Montagne, *L'Aghbar*, p. 13 sq) ونتيجة لذلك تقلص مجال استعمال كلمة «أنْفلوس» ليصبح فقط اسم شخص أو عائلة، لا يمارسون بالضرورة الوظيفة التي كانت تبرر وجودها.


ع. السكتاني، *الأجوبة*، مخطوط خ. ع، ج.1257 ؛ م. المنوني، *التيارات الفكرية في المغربي المريني*، مجلة الثقافة المغربية، 5 :47؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 :298.

Ch, de Foucauld, *Dictionnaire* ; E.Laoust, *Mots et choses berbères* ; H. Bruno, *Notes sur le statut coutumier des Berbères marocains, A. B*, vol. 1, fasc, 3, 1915-1916, Paris, 1916, p.135 ; *Introduction à l'étude du droit coutumier des berbères du Maroc Central, A. B*, vol. 3, fasc,4,1918, Paris, 1918, p 297 sqq; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, p.221 sqq.


علي صدقي أزايكو

**أنفلوس**، أسرة، أصل اللفظ اسم صفة يطلق في الأمازيغية (الشلحة) على كل إنسان له مكانة اجتماعية مرموقة في قبيلته، أحرز عليها بذكائه وخبرته وشجاعته، فيستشيره سكان القبيلة ويستفتحون به أعمالهم الفلاحية تيمنا وتبركا بقدسيته المعتقدة عندهم، كما يتولى النظر في أمور قبيلته ويمثلها في الإجتماع والحوار مع نفاليس وأعيان القبائل المجاورة.

ولفظ أنفلوس يجمع في الشلحة على إنفلاس، وجمعه بعضهم في العربية على نْفاليس. وأحسن كلمة تعرّبه بها هي النقيب والعريف، قال الله تعالى: «*ولقدْ أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهُمْ اثنيْ عشر نقيباً*» وهم الذين يتولون النظر في ضبط أمور القبائل حتى ربما يكون منهم من يستبد على الآخرين فيكون له الأمر دونهم (*إيليغ*، 47. الهامش: 158).

وقد اشتهرت أسرة حاكمة بقبيلة نكنافة الحاحية في فترة (1871-1912) بهذا الاسم (أنفلوس - إنفلاس) حتى أصبح اسماً علماً لها دون غيرها في جنوب المغرب، وقد تعاقب على كرسي القيادة منها أربعة قواد مشهورين وهم:

**أنفلوس، القائد أحمد** بن مبارك (1321-1326/1903-1909) تولى القيادة بعد وفاة ابن عمه على حاحة وسوس، إلا أن الحكومة سحبت منه كل جيوشها لتحارب بها بوحمارة، فانسحب هو الآخر من سوس مكتفيا بالقيادة على حاحة الشمالية ومعتمدا على إمكانياته الذاتية فجمع من الأموال والذخائر بسوس والصويرة ما أزعج به جيرانه من قواد الحوز أمثال خَبّان والأكلاوي والمتوكي الذي أوغر صدر الحكومة عليه فوجهت إليه حملة عسكرية من مراكش شارك فيها عشرات من قواد الحوز فهزمهم جميعا، فكان مضرب الأمثال في الشجاعة والإقدام هو وفرسانه الماهرون في الكر والفر والرماية حتى قيل بأن الفارس منهم يغلب مائتين من رجال العسكر(السوسي، *المعسول*، 3: 408) واعتقد البعض بأن روح المجاهد الأكبر سيدي محند أسليمان الجزولي (ت 870 هـ) تنصره بتعاون مع جنود من الجن الساكنة بكهف إيمي نْتَقَانْدُوتْ، لأن القائد أنفلوس يذبح على مقاميهما المجاورين لقصبته ثورين أسودين عند الغروب كلما عزم على خوض معركة ضد أعدائه (Doutté, *En Tribu*, 282) وبعدما استعصى أمره على المخزن وقواد المخزن أصبح يقلق تجار وسفراء الدول الأوربية بالصويرة لما يفرضه من مكوس باهظة على القوافل، وما تشكله قوته من خطر ضد مخططاتهم الاستعمارية، لذلك ارتاح الجميع بمقتله على يد عبد دسه إليه عدوه اللدود عبد الملك المتوكي وذلك عام 1326/1908. (الصديقي، *إيقاظ السريرة*. 1: 145).

**أنفلوس، القائد مبارك**، كان كاتبا خاصا للقائد الكبير الحاج عبد الله أوبيهي الحاحي إلى أن توفي هذا الأخير وعجز ابنه محمد أمْغْضُورْ عن تسيير إيالة والده، فقام أنفلوس واستبد بالأمرلنفسه فأسس قصبة تيمْسوريين بنكنافة قاعدة لحكمه بعد خراب قصبة القائد السابق بأزغار أيت زلطن عام 1288/1871. ثم عينه السلطان مولاي الحسن قائدا على قبيلة نكنافة عام 1292/1875 (الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 1: 108) إلا أنه لم يقنع بها فدخل في صراع مع جيرانه من قواد حاحة فاعتقله السلطان المذكور بمراكش عام 1298 حيث توفي بعد سنة، واسندت القيادة الى عائلة إيد عْدّي من نفس القبيلة سنوات.

**أنفلوس، القائد محمد** بن أحمد، وخليفته أخوه مبارك بن أحمد أنفلوس، وهماآخر رؤساء إنفلاس الحاحيين، توليا بعد مقتل أبيهما قيادة قبيلة نكنافة وإداوگرْضْ وإيداوسَارْنْ وأيت واضيْلْ، وكان لهما نفوذ قوي على مدينة الصويرة، لذلك راودت فرنسا القائد محمد على اقتحام سوس وسلوك منطقة نفوذه إليه مقابل تنصيبه قائدا على كل قبيلة ساعدهم على إخضاعها، فامتنع متعللا بأنه لا بد من مشاورة غيره من قواد حاحة، فصار أنفلوس يقدم رجلا ويؤخر أخرى، وكان من أهل الطريقة التجانية،

فأشار عليه شيخه محند بن سعيد التيلضي بإشهار الحرب على من ناوأه وهاجمه، فاستنفرت الحكومة الفرنسية جيوشها وقوادالحوز بقيادة ماسوتي قاصدة أگادير عبر بلاد حاحة بتاريخ 1912/11/14 فاعترض محمد أنفلوس طريقها مستنفرا جميع قبائل حاحة للجهاد ضد جيوش الاحتلال، وقسم السلاح على من ليس معه منه شيء، فحاصروا الفرنسيين بدار الحاج علي القاضي قرب سميمو من يوم 18 دجنبر إلى 24 منه حتى هلك منهم عدد كثير بالقتل والجوع والعطش، إلى أن جاءتهم إغاثة من الصويرة فأفرجت عنهم بعد حروب يشيب لها الوليد، ثم اشتعلت نار الحرب بين جيوش الاحتلال وبين حاحا بقيادة أنفلوس محمد والگيلولي عبد الرحمان وكان النصر حليف حاحا في عدة معارك بمواقع إبَاشَرْاتْنْ و بِيسْنَاسْ وبُوريقي وأكَامُوضْ، وأخيرا تيمْسُوريين دار القائد أنفلوسَ التي قصفها الفرنسيون يوم 1912/12/25 منتصرين بمساعدة منافس أنفلوس على

القيادة مبارك أعدي النكنافي الذي تولاها بعده فخرج أنفلوس بعياله إلى أيت عيسى ثم إداوتنان حتي توسط له أكبر أعدائه، القائد عبد الملك المتوكي بعد ذلك بشهور لدى إدارة الحماية آخذا له العهود والمواثيق على أن يعيش بعيدا عن المجاهدين في حاحة، فاختار مدينة مراكش حيث عاش معززا مكرما إلى أن توفي عام 1838/1357.

م·م. السوسي، *المعسول*، ج. 3 : 408 ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 1 : 150 ؛ . *ذكريات 45 سنة بالمغرب*، 101.

E. Doutté, *En Tribu*.

**أنفلوس، محمد** بن الحاج إبراهيم، استرجع في عام 1899/1317 ما ضيعه عمه مبارك من مجد القيادة، ذلك أنه سجن هو الآخر بفاس حيث التقى بالمنابهي فوقعت بينهما صحبة وتعاهدا على أن يتعاونا ويشد أحدهما أزر صاحبه إن تبسم له السعد، فكان هذا هو الحامل للمنابهي، بعد أن تولى في الصدارة، على أن يوجه أنفلوس المذكور قائدا على حاحة وسوس، ويعتاض به الگيلولي ( *المعسول*، 1 : 333) وعلى يده امتد حكم إنفلاس حاحة من الصويرة إلى تزنيت إلى أن توفي عام 1903/13.

محند أيت الحاج

**انفيفيخ** (واد ـ)← **نفيفيخ**

**انقسامية**، تعتبر النظرية الانقسامية من النظريات الأنتربولوجية التي وظفت لتحليل النظام القبلي في كثير من المجتمعات القبلية ومن بينها المجتمع المغربي. ومفهوم الانقسام من المفاهيم الأساسية التي بلورتها الأنتربولوجية الاجتماعية على يد إفانس بريشارد في دراسته حول قبائل النوير في السودان، بحيث لاحظ بأن التنظيم السياسي والاجتماعي لهذه القبائل يميل تارة إلى الانقسام وتارة أخرى إلى التحالف والتلاحم.

إن هذا المفهوم الموروث أصلا من العلوم البيولوجية والذي استعمله دور كايم و طوره Evans-Pritchard هو الذي دخل إلى الدراسات التي أنجزت حول المجتمع المغربي، ليطبق على قبائله على يد E. Gellner و D. Hart ويناقشه كل من عبد الله العروي وعبد الله الحمودي وبول باسكون وريمون جاموس وليليا بنسالم وغيرهم من الباحثين.

ما هي خصائص النظام الانقسامي؟

يعتبر إفانس بيشارد بأن النظام الانقسامي النموذجي هو نظام للتعارض المتوازن الذي يتلخص في وجود تناقض حاد بين بعض الأقسام في مستوى، ووجود تلاحم بين أخرى في مستوى آخر. وإذا كان المبدأ الأساسي للبنية الانقسامية هو التعارض والتلاحم بين الأقسام، فبطبيعة الحال لا يمكن أن يوجد نفوذ مسند لشيخ أو رئيس في القبيلة، لأن من خصائص البنية الانقسامية غياب السلطة السياسية المركزية، باعتبار أن السلطة موزعة في جميع مستويات الانقسام.

إن هذا التنظيم الذي وصفه إفانس بريشارد ينطبق بشكل واضح، في نظر إرنست گلنير ودافيد هارت، على قبائل حنصالة وبني ورياغل وأيت عطا في المغرب.

يتساءل گلنير بأي معنى يمكن لنا أن نتحدث عن وجود القبائل في شمال إفريقيا ؟ (Gellner : 1) ولكي يجيب عن هذا التساؤل يلجأ إلى توظيف مفهومي الانقسام والتهميش في تحليله للتنظيم القبلي.

فهو يتفق مع إفانس بريشارد على كون النموذج الانقسامي يفترض وجود آلية بنيوية تتلخص في مبدأ التحالف والتعارض وهي التي تحول دون قيام السلطة المركزية ودون بروز التراتب الاجتماعي والمعطيات التي جمعها حول قبائل حنصالة تجعله يدخل هذه القبائل في إطار هذا النموذج.

أما التهميش فهو الخاصية الثانية لهذا التنظيم في نظر گلنير ؛ بحيث يميز بين القبيلة البدائية والقبيلة المهمشة. فالأولى هي عبارة عن وحدات ثقافية منغلقة، ليس لها جسور رمزية تربطها بالعالم الخارجي. في حين أن النظام القبلي المهمش يتميز بوجود تلك الجسور إلا أنه مهمش سياسيا لأنه يرغب في ذلك التهميش، بل ولأنه كما يقول «يعرف الشيء الذي يرفضه» وهو الحكم المركزي. (Gellner : 2) فإذا كان كل من النموذجين (نموذج القبيلة البدائية ونموذة القبيلة المهمشة) يعرف نفس التنظيم الانقسامي، فكل واحد يختلف عن الآخر من حيث العلاقة التي تربطه بباقي المجتمع و مع العالم الخارجي.

وينطبق مفهوم النظام القبلي المهمش على القبائل الاسلامية عامة. وعلى القبائل المغربية خاصة، نظرا لوجود الدين الإسلامي كعنصر يربط بين مختلف القبائل. إلا أن هذه القبائل تعيش على هامش وحدات سياسية موسعة تتكون من مناطق يسود فيها نفوذ الدولة.

إن الصورة التي يقدمها گلنير عن المجتمع المغربي هي صورة لشكل يتكون من ثلاث دوائر متداخلة : فالدائرة الأولى هي دائرة القبائل التي تقوم بتحصيل الضرائب، فهي (المخزن). أما الدائرة الوسطى فتتكون من القبائل التي تُنتزع منها الضرائب. أما الدوائر الخارجية والثالثة فهي تلك التي تتكون من القبائل التي تمتنع عن أداء الضرائب. و بتعبير آخر، يستعمل گلنير صورة رعوية لوصف المجتمع المغربي : هناك كلاب الحراسة، والخرفان، وأخيرا الذئاب (Gellner).

فتاريخ المجتمع المغربي هو تاريخ صراع مستمر بين القبائل التي يجندها المخزن لكي يفرض نفوذه على الأطراف وبين تلك التي تتملص باستمرار من تلك السيطرة (Gellner : 4). إلا أن گلنير لم يهتم بدراسة الصراع وإنما بالأطراف، بحيث يحدد لنا موضوع كتابه *صلحاء الأطلس* بكونه دراسة «للتنظيم السياسي والديني لبعض الذئاب» .(Gellner : 3)

إلى حدود 1933 لم يمارس على منطقة الأطلس الكبير، في نظره، أي نفوذ من طرف الدولة، إذ كان برابرة الأطلس غير خاضعين للسلطة المركزية. وبهذا الرأي يتبنى گلنير أطروحة السيبة التي قالت بها الدراسات الاستعمارية. والسيبة كما يراها هي «تمرد مؤسسي» وهي وضعية سياسية لأن سكان القبائل على وعي بها لأنهم كانوا يستعملون المفهوم، بحيث يرى بأن سكان هذه القبائل وهم على حالة طبيعة (أي السيبة) يواجهون «اختيارا هوبسيا [نسبة إلى الفيلسوف جون هوبس] بين قبول أو رفض العقد الاجتماعي، بحيث يستطيعون الخضوع لمساوئ السلطة والفرار من مساوئ الفوضى أو العكس» (Gellner : 5).

وتتردد نفس الفكرة عند D. Hart الذي درس قبائل بني ورياغل وأيت عطا في ضوء النموذج الانقسامي. يطلق مثلا أيت عطا على الأقسام اسم «البطان» مما جعل هارت يستنتج أن هناك شعوراً بالانقسام لدى قبائل أيت عطا. فهم يشعرون أنهم يعيشون تنظيمهم الاجتماعي كتنظيم انقسامي. فأيت عطا على وعي من أن قبيلتهم تنقسم إلى "خمس أخماس"، كما يشعرون بقوتهم وبسلطتهم اتجاه القبائل الأخرى (Hart, 1988 : 39,19).

تعرف قبائل الأطلس الكبير كباقي القبائل في شمال إفريقيا الانقسام تبعا للنسب الأبوي الذي تترتب عنه حقوق وواجبات كل فرد ينتمي إلى ذلك النسب. ويتلخص المبدأ الانقسامي في شعار «لننقسم لكي لا يحكمنا أحد» (Gellner, 41) قد ينطبق هذا المبدأ على كل القبائل البربرية في نظر الكثير من الأنتربولوجيين. يرى هارت مثلا أن البربر لا يتركون أحدا يعلو رأسه فوق رؤوس الآخرين» وهذا ما يمكن أن نسميه في نظره ب «مرض الجماعة» (syndrome of collectivity, Hart, أو Jma'a syndrome 1980 : 75).

إن النظرية الانقسامية تسلط الأضواء على الآلية التي تضمن التوازن في المجتمع القبلي على الرغم من ابتعاد هذا المجتمع عن تأثير السلطة المركزية. يمكن للصراعات أن تحدث في أي مستوى من مستويات الانقسام : بين الأخ وأخيه، بين أبناء العم، بين الدواوير أو بين القبائل ؛ ولا تعرف هذه المجتمعات حكومة ولا نظاما للرقابة أو مؤسسات تضمن الأمن وتتدخل بين الأطراف المتعارضة ؛ إذ يتم تجارز هذه الصراعات عبر التحالفات التي تنشأ في بعض مستويات الانقسام (Gellner : 44).

يتساءل گلنير : كيف يمكن لنا أن نفهم وجود الصلحاء إلى جانب وضع طبيعي للسيبة.

إن الأهمية التي يكتسبها العنصر الديني داخل القبائل أو التي تتجسد في مؤسسة الزوايا، دفعت گلنير إلى القيام باجتهاد نظري لكي تطابق النظرية الانقسامية الواقع المغربي، وذلك بصياغة نظرية جديدة حول الصلحاء تضاف إلى النظرية الانقسامية.

يلعب الصالح دورا مهما في الحفاظ على التوازن الاجتماعي، لأن الصالح يشكل عنصر الاستمرارية في نظام مهدد بالفناء، نظرا للصراعات المستمرة التي تفرضها البنية الانقسامية.

يكون الصلحاء والزوايا الدينية شكلا من أشكال التبرير المشروع في الأوساط القبلية. يلاحظ گلنير بأن الأنماط الثلاثة من أسانيد التبرير المشروع في الإسلام، وهي الكتاب والإجماع والخلافة، لا تتوفر عليها المجتمعات القبلية، نظرا لكون أغلبية سكان هذه المناطق لا تعرف القراءة ولا الكتابة وليس لها إلمام بالكتاب المقدس. كما أنها لا تملك الامكانيات الضرورية لرعاية طبقة العلماء، ولا تعرف إجماع الأمة الإسلامية نظراً للعداء الذي تكنه للأوساط الحضرية التي تحتضن هذا الإجماع ؛ وهكذا يتحول التبرير في هذه المجتمعات من الكتاب والإجماع إلى النسب الصالح ؛ وتقوم سلالة الصلحاء بنفس الأدوار التي يقوم بها العلماء في الوسط الحضري. إن دين العلماء هو دين متبلور عقلانيا في حين أن دين القبائل هو دين أكثر انفعالا و مرتبط بالحياة اليومية. فالمدينة كما يقول «تحتاج إلى العلماء و تنتجهم، في حين أن القبيلة تحتاج إلى الصلحاء وتشجعهم» (Gellner : 7).

إن الزاوية داخل البنية الانقسامية، من حيث الشكل، هي قسمة كباقي الاقسام الأخرى، بحيث تربط أفراد الزاوية علاقة قرابة، إلا أنهم يتميزون بوضع خاص : فهم شرفاء. ويميز گلنير بين الشريف وأگرام أي الصالح في القبائل. فالشريف هو فرد ينحدر من السلالة الشريفة، ولهذا الاعتبار كل أگرام إلا وهو شريف، ولكن ليس كل شريف أگرام.

ينحدر كل حنصالة الذين اتخذهم مثالا من سلالة الشرفاء إلا أنهم ليسوا كلهم إگرامن. فاگرام هو شخص «ينحدر من سلالة أحنصال إذا توفرت له خصال أخرى»، كالبركة أو صفات خارقة للعادة وحفظ القرآن والتحلي بالورع والزهد والتقوى (Gellner: 73) بحيث يمكن أن نقول بأن أگرام، بالإضافة إلى كونه شريفا، يتمتع بوضع ديني واجتماعي يميزه عن الآخرين.

فعلى الرغم من أن حنصالة جماعة قرابية تخضع لبنية انقسامية كباقي القبائل الأخرى، فهي متميزة عن القبائل العوام في كونها لا تشارك في الصراعات التي تنشب بين القبائل. كما أن إگرامن يلعبون دورا في التحكيم بين القبائل المتنازعة. فالنزاعات التي تنشأ في المجال العامي تجد حلاً لها في المجال الديني و المقدس (Gellner : 74).

هناك إذن نوع من التكامل بين إگرامن والقبائل العوام، ولا تفهم مختلف المهام التي يقوم بها إگرامن إلا في إطار تلك القبائل. إذ يقومون بالإشراف على الانتخابات التي تنصب أمغار على رأس القبيلة، بحيث يتولى أمغار ذلك المنصب لمدة سنة فيغادره لكي يتولاه شخص آخر، حسب مبدأ التناوب على الرئاسة. ويرى گلنير بأن هذا النوع من

الرئاسة يحول دون الاستحواذ على السلطة ودون تمركزها في يد شخص معين وبشكل مستمر عبر الزمن. كما أن سلطة "أمغار السنة" (الذي يطلق عليه بالبربرية أمغار نسگاس) والذي يتكلف بالإشراف على الأمن و إقرار النظام داخل القبيلة، تتقلص بوجود وبانتخاب إمغارن آخرين يتولون مهام أخرى : كالإشراف على السوق أو المراعي أو مخازن الحبوب المشتركة. (Gellner : 81).

ينتخب الزعماء (إمغارن) في القبائل داخل الزاوية، ولا يحق لأي نزاع أن ينشأ داخل الزاوية. لذلك يرى جلنير بأن الصلحاء يشكلون الرابطة الخلقية التي تجعل جماعتين تجتمعان، على الرغم من وجد نزاع بينهما، لكي يتم انتخاب زعمائهما. من هنا يكون الصلحاء إلى جانب الانقسام أحد مفاتيح الاستقرار السياسي في النظام القبلي.

إن التدخل المباشر للصلحاء في الشؤون الدنيوية لسكان القبائل، إلى جانب الدور الذي يلعبه أداء اليمين في العرف البربري وكذا الأخذ بالثأر، هي الرسائل الأساسية لتجاوز الصراعات التي تحدث بين مختلف الجماعات. فالاعتداءات والصراعات الجدية، كما يقول «سواء كانت وهمية أو واقعية، يعقبها دائما إما أداء اليمين أو توسط الصلحاء أو الأخذ بالثأر أو تركيب أو تتابع هذه العمليات» (Gellner : 1 - 25) ولا يفوت گلنير أن يسجل نوعا من التضخم في البركة وفي الصلحاء، بحيث يلاحظ بأن مهام الصلحاء قليلة بالمقارنة مع كثرتهم وتزايد عددهم. فهناك «كثير من البركة مقابل قليل من المهام المخولة للصلحاء» (Gellner : 140).

يحبذ گلنير أن ينعت النظام القبلي بكونه نظاما انقساميا عوض أن يسميه بنظام ديمقراطي، ولكنه بالرغم من ذلك، فهو يرى فيه نوعا من الديمقراطية، يحدد خصائصها كالتالي:

1 - فهي ديمقراطية بنيوية وليست ديمقراطية إيديولوجية، أي أنها لا تقوم على نظرية أو على معايير معينة، وإنما هي، كما يقول P. Bourdieu «ديمقراطية معيشة» تكون فيها التقاليد مستمدة من ممارسات الأجداد، ويقبلها الجميع بنوع من الرضى (Gellner : 29 - 28).

2 - من الملاحظ عبر التاريخ، أنه كلما كان هناك تحالف يجمع القبائل البربرية تختفي الديمقراطية لتتحول إلى نوع من الملكية.

3 - إن الديمقراطية البربرية والمساواة التي يتميز بها النظام القبلي ممكنة بوجود الأنساب الشريفة. ولا يجوز اعتبار وجود الصلحاء بدعة أو عنصرا اختزاليا يضاف إلى النظام القبلي وإنما هو عنصر مكمل وضروري له. فالمساواة وانتشار السلطة في كل أركان القبيلة، كل هذا ممكن بوجود الصلحاء (Gellner : 29).

أعطت النظرية الانقسامية الانطلاقة لنقاش حاد دار بين كثير من الباحثين. فمنهم من انتقدها ليبين عدم نجاعتها فيما يخص تحليل مكونات القبيلة المغربية (صدقي) ومنهم من انتقدها لكي يفندها ويشير إلى بعض الظواهر في الواقع الاجتماعي التي اغفلتها، مع اقتراح ادخال تعديل عليها. وفي هذا الاتجاه الأخير تصب جل الدراسات التي تناولت النظرية بالنقد. فمثلا : R. Jamous انطلاقا من دراسته لقبائل گلعية في الريف يتبنى النظرية الانقسامية مع اقتراح تعديل على النظرية يعطي شيئا من الأهمية للمبدأ الترابي، بحيث لاحظ أن هناك عند إقلعيين تمفصلا بين المبدأ الترابي والمبدأ الانقسامي يجعل التقسيم الترابي ينطبق مع التقسيم الانقسامي (Jamous: 56 - 60 - 62).

أما جون واتربوري فقد وسع مفهوم الانقسام في دراسته حول النخبة السياسية في المجتمع المغربي، ليطبقه على الدولة المغربية العصرية وعلى الممارسة السياسية في المغرب المعاصر. فهو يرى بأن تلك الممارسة ما زالت متأثرة بأصلها القبلي على الرغم من تراجع هذا النظام كمؤسسة. فالمبدأ الانقسامي وما يتبعه من تكتل وتعارض يتحكم في تلك الممارسة. ويخضع التكتل الحزبي للعلاقة الزبونية التي يمكن اعتبارها امتدادا للعلاقات القبلية (Waterbury).

كما يمكن اعتبار مسألة المساواة والتراتب الاجتماعي داخل القبيلة من المحاور الأساسية التي يدور النقاش كلما تعلق الأمر بالنظرية الانقسامية.

لقد تساءل گلنير حول إمكانية اعتبار النظام الانقسامي كنظام للمساواة (Gellner : 54). يعترف گلنير بأن المجتمعات الانقسامية ليست دائما مجتمعات فيها مساواة، فقد تكون متراتبة، إلا أنه لا يفسر ذلك التراتب لأن المبدأ الانقسامي يعمل دائما على إبعاد التراتب والسلطة. ولهذا تكون النظرية الانقسامية في نظر عدد من الباحثين في حاجة إلى تعديل نظري لفهم التداخل الموجود بين الانقسام والتراتب.

هناك كثير من الأبحاث ترى بأن النظرية الانقسامية تفسر مستوى من مستويات الواقع وليس الواقع كله، ولهذا يجب الإنفتاح على نظريات أخرى (كالماركسية مثلا) لتعديلها وتوسيعها. وفي هذا الإطار تناول P. Pascon وجود الانقسام مع التراتب الاجتماعي، ليبرز تداخلها في بنية المجتمع المغربي.

لقد اعتبر گلنير وهارت أن الانقسام يحول دون تمركز السلطة ودون بروز التراتب الاجتماعي، إلا أن بعض الدراسات أبرزت أن الانقسام لا يغيب تمركز السلطة ولا التراتب الاجتماعي بل ويضلل ذلك التراتب، ليصبح النسب نفسه هو المبدأ الذي يقوم عليه التمايز الاجتماعي. ليصبح النسب نفسه هو المبدأ الذي يقوم عليه التمايز الاجتماعي. فكل فرد لا ينتمي إلى النسب يعتبر دخيلا في جل المجتمعات القبلية. قد تحتضن الجماعة ذلك الدخيل إلا أن وضعه يبقى في أسفل الهرم الاجتماعي. إذن يظهر نوع من التمايز على أساس الانتماء إلى النسب أو عدم الانتماء إليه. فجل القبائل في المجتمع المغربي لها اسم تطلقه على

الدخلاء وعلى الأفراد الذين لا ينتمون إلى النسب. بحيث لاحظ عبد الله الحمودي بأن للحراطين عند قبائل أيت عطا وضع في أسفل الهرم الاجتماعي لاعتبار أنهم دخلاء ولا ينتمون إلى قبائل أيت عطا. كما أننا نلاحظ نفس الظاهرة عند قبائل أخرى كزيان مثلا، التي تطلق على هؤلاء اسم لشناكيط.

تنطلق النظرية من كون الجينيالوجيا هي الإطار العام لذي تنتظم داخله الأقسام، فهي الرقعة التي يتم فوقها لتعارض و التلاحم الانقسامي. لا يمكن لنا أن نعترض على أهمية الجينيالوجيا في تحريك لعبة الانقسام، ولكن سجل مع ذلك البعد الإيديولوجي للجينيالوجيا وللقرابة، إن المبدأ القرابي، سواء كان واقعيا أو وهميا، هو أولا وقبل كل شيء إيديولوجي يُستعمل كاستراتيجية لمواجهة هجوم العناصر الخارجية. إلا أن هذا التكتل الذي تطلقه القرابة لا ينفي وجود تفاوتات وتمايزات اقتصادية واجتماعية ورمزية داخل الوحدة القرابية. (الحمودي) مما يجعلنا نستنتج أن المجتمعات الانقسامية تعرف، إلى جانب الانقسام، التراتب والتمايز الاجتماعي، إلا أن الانقسام نفسه وما يتضمنه من إيديولوجيا خفي ويضلل ذلك التراتب. إذ يهيمن الكبار على الصغار ويكتسب الشيوخ (القدماء) نوعا من السلطة على الآخرين لاعتبار أنهم يحفظون الأعراف ويسيرون الحرب و يملكون سلطة تسيير واستغلال الأرض والقطيع. كما أن الأنساب داخل القبيلة ليسْت في تساو، بل يسود نسب على نسب آخر ويحتكر بعض الموارد ويسهر على تسييرها اتجاه الأنساب الأخرى، قد يستحوذ على سوق المنطقة أو على الطرق التجارية وعلى المراعي، كما كان الشأن بالنسبة لقبيلة إمحزان داخل قبائل زيان في الأطلس المتوسط. كما أن هناك أنسابا تحتكر التحالفات وتستعمل التعارضات الانقسامية للوصول إلى الهيمنة. إن الانقساميين أبرزوا وأكدوا على أن كل قسمة هي مرآة للاقسام الأخرى، وبهذا لم يبرزوا ما قد يوجد بين الأقسام من تفاوت بل وتراتب اجتماعي.

إن دعاة النظرية الانقسامية بحثوا عن السلطة السياسية في المؤسسات التي اعتادت السوسيولوجيا والأنتربولوجيا أن تراها فيها، أي في المؤسسات المركزية كالحكومة والدولة ؛ فعندما عثروا على أشكال أخرى من تلك المؤسسات استخلصوا بأن السلطة غير موجودة فيها. إلا أن الحياة السياسية أو السلطة في المجتمع المغربي في مرحلة ما قبل الاستعمار تبرز عبر المواقف وفي إطار علاقتي أكثر مما تبرز عبر وجود مؤسسات سياسية. وفي هذا الإطار العلاقتي يظهر من له السلطة ومن ليست له.

فعلى الرغم من المزايا التي تقدمها النظرية الانقسامية فيما يخص تحليل آليات المجتمع القبلي والتي تتمثل في الانشطار والانصهار وكذا ابراز الدور التحكيمي الذي لعبته الزوايا الدينية، فإنها تنطلق مع ذلك من المركزية الأوربية التي تتخذ المجتمعات الأوربية كمرجع للفهم الديني والسياسي في المجتمعات الأخرى. فوراء تحليل گلنير مثلا لدور المؤسسات السياسية والدينية هناك منظور ينطلق من فصل السلط في المجتمع. يعتقد هذا المنظور أن المؤسسات الدينية يمكن عزلها عن المؤسسات السياسية قصد إبراز وظائفها وبالتالي لا يعير هذا التصور أي اهتمام لتداخلها. ولقد كشف تاريخ الزوايا في المغرب بأن هذه الزوايا لم تلعب دورا دينيا فحسب بل ودورا سياسيا أيضا، بل وباسم المشروعية الدينية تطمح الزوايا إلى الوصول إلى السلطة السياسية ( الحمودي).

يمكن اعتبار الدور التحكيمي للزوايا الدينية من الوظائف البارزة التي تمارسها للحد من حدة الصراعات التي تنشب بين القبائل وبين القبائل والدولة. إلا أن الدور التحكيمي لا يمكن الوصول إليه إلا إذا كان للمؤسسة الدينية سلطة. وربماكان من خصائص السلطة القيام بدور التحكيم. وباسم التحكيم تشارك المؤسسة في لعبة التنافس على السلطة السياسية.

م. الهراس، *التحليل الانقسامي للبنيات الاجتماعية في المجتمعات المغاربية*، المستقبل العربي، رقم 75، 1985، ص 96. 111 ؛ ع. ص. أزايكو، *حول النظرية التجزئية مطبقة على المغرب*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع.14، 1988 ؛ ليليا بنسالم وآخرون، *الأنتربولوجيا والتاريخ*، حالة المغرب العربي، ت. ع. السبتي و ع. الفلق. 1988.

J. Favret, *La segmentarité au Maghreb, L'Homme*, Avril-Juin, 1966 ; E. Gellner, *Saints of Atlas*, London, Weidenfeld and Nicolson, 1969 ; R. Jamous, *Réflexions sur la segmentarité et le mariage arabe*, A. M. S, Rabat, 1969 ; *Honneur et Baraka : Les structures sociales traditionnelles du Rif*. Paris, Maison des Sciences de l'Homme et Cambridge University Press, 1981 ; J.Waterbury, *Le commandeur des croyants : La monarchie marocaine et son élite*, Paris, PUF, 1975 ; D. M, Hart : *The Aith Waryaghar of Moroccan Rif : An Ethnography and History*. Viking Fund Publications in Anthropology, 1976 ; *Dadda 'Atta and his Forty Grandsons : The sociopolotical Organisation of the 'Atta of Southern Morocco. Middle East and North African Studies*,1981 ; P. Pascon, *Segmentation et stratification dans la société rurale marocaine. B. E. S. M, Actes de Durham*, 1979 ; Combs-Schilling, *Family and friend in a Moroccan boom town: the segmentary debate reconsidered, American Ethnologist*, vol.12, N° 4, Vol, 1985, pp .659-675.

رحمة بورقية

**أنقار**، أسرة تطوانية أصلها من ناحية جبالة، وجل أفرادها الذين عثرنا على أسمائهم كانوا يعملون في الجيش النظامي الذي أمر بتنظيمه السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام سنة 1845/1261. ونذكر منهم محمد بن عبد الحق، ومصطفى بن المبارك، وأحمد بن عبد الله، وعبد السلام بن قاسم، ومحمد بن المختار، وزين العابدين بن المصطفي، الذين كانوا جنوداً بحامية تطوان سنة 1850/1266. وما زالت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indegenas, *Familias ilustres* ; Isidro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum de Intervenciones* (ano 1913) ; M.Ibn Assuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**أنقليس** أو النّون، نوع من الأسماك العظيمة المنتمية إلى فصيلة الأنقليسيات التي تكون جنسا واحداً Anguilla . لا يعيش إلا نوعان فقط، من بين 19 نوعا الموجودة في العالم، في المحيط الأطلنتي : الأنقليس الأمريكي Anguilla rostrata الذي ينمو في أمريكا الشمالية وگرويلندا. والأنقليس الأوروبي Anguilla anguilla الذي يعيش في شواطئ إفريقيا الشمالية وأوروبا. يعرف عند المغاربة باسم النُّون، وهو حيوان طويل الجسم حيث تبلغ الأنثى 1,8 متراً وتزن 5,3 كلغ بينما لا يتعدى طول الذكور 100 سم. تكون الزعانيف الظهرية والشرجية لفافة متواصلة. الجلد سميك ويبدو عاريا إلا أنه مكسوٌّ بحراشيف صغيرة.

غرابة هذا السمك تتجلى في هجرته حيث إنه يقطع مسافات طويلة ليصل إلى مكان التوالد الموجود في بحر السرگاس.

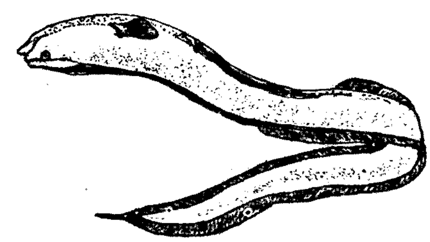

يبلغ طول اليسروع بعد خروجه من البيضة 5 ملم وبعد شهرين من النمو يصل إلى 25 ملم. تعيش اليسروعات في أعماق تتراوح ما بين 100 و300 متر، وتتخذ الطحلب كغذاء لها. يساعدها شكلها الشبيه بورقة شجرة على انسياقها نحو المحيط الشمالي الشرقي بواسطة الرياح والتيار البحري. بعد مدة تتراوح ما بين ثلاث وسبع سنوات تصل اليسروعات إلى الشواطئ الأوروبية والإفريقية فيتغير شكلها تدريجيا إلى أن تصير أفراخاً يبلغ طولها 65 ملم.

تهجر هذه الأفراخ إلى المياه الأجاجة والأنهار وذلك ابتداء من نونبر إلى غاية شهر يوليوز بالنسبة لشواطئ البحر المتوسط بينما تستمر الهجرة طول السنة في باقي الأنهار التي تصب في المحيط.

تتعلق سرعة نمو الأفراخ بالحرارة والأكل. فهي تصعد الأنهار وطولها لا يتعدى 65 سم وبعد سنة يتعدى طولها 17 سم ويتغير لونها الشفاف إلى الأصفر مما أدى إلى تسميتها بالأنقليس الصفراء.

يتكون غذاء الأنقليس في الأنهار من أسماك صغيرة وقشريات وحشرات، وتفضل بالخصوص بويضات الأسماك. يقضي الأنقليس نهاره في الوحل وتحت الصخور والنباتات ويستأنف نشاطه في الليل.

بعد مدة تتراوح بين 4 و10 سنوات يتغير لون هذا الحيوان ليصبح فضيا. تكبر العينان وتتقلص الأمعاء وتستعد الأفراد إلى مغادرة الأنهار لتشق سيرها إلى بحر السرگاس.

تبتدئ الرحلة غالبا في شهر شتنبر ويقدر معدل المسافة التي يقطعها يومياً هذا الحيوان بعشرين إلى أربعين كلم. يتم نضج الغدد التناسلية في مكان التوالد ويحتمل أن الكبار تموت بعد أن تضع بويضتها وقد يصل عمرها أحيانا إلى 50 سنة.

تصادف أفراخ الأنقليس بكثرة في واد سبو وواد اللكوس، وبكمية قليلة في واد أم الربيع وواد ملوية.

F.A.O. 1984, *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain*, Inst. pêches maritimes, Casa.

محمد رمضاني

**أنگاد** - جغرافيا - أطلق الجغرافيون هذا الاسم للدلالة على هذه السهول المحيطة بمدينة وجدة التي تكون الجزء الأوسط من منخفض كبير يمتد من گرسيف غربا في اتجاه تلمسان وسيدي بلعباس. تحد هذا السهل من الشمال والجنوب سلسلتان جبليتان هما بني إزناسن من جهة والحاشية المرتفعة الشمالية للهضاب العليا المغربية - الوهرانية من جهة ثانية، بينما ينفتح غربا وشرقا على منخفضات مجاورة تتمثل في منخفض نعيمة - العيون من جهة وسهل مغنية من جهة ثانية، دون أن يفصله عن هذا الأخير أي حاجز طبغرافي.

هذا المنخفض البيجلي الواسع تجزئ سطحه مرتفعات صغرى بعضها عبارة عن كتل بارزة للقاعدة المكونة للسلاسل المحيطة بالسهل (قاعدة قديمة تغلفها طبقات جوراسية/ ملتوية، وبعضها عبارة عن تلال بركانية ضعيفة الارتفاع، لكن كافية لتقسيم السهل إلى ثلاث منخفضات مفصولة. الجزء الأول يتكون من الحوض الأوسط لواد إسلي (منخفض بني اوكيل) وتحده شمالا مرتفعات جبل السلطان وشرقا جبل الحمراء المطل على وجدة. الجزء الثاني عبارة عن منخفض وجدة أو أنگاد الجنوبية وهو عبارة عن قدم جبل الحمراء، الممتد شرقا في القطر الجزائري في اتجاه مغنية. والجزء الثالث يكون سهل أنگاد الشمالي المفصول عن الجنوبي بمجموعة من التلال البركانية والممتد شمالا حتى قدم جبال بني إزناسن وفلاوسن الجزائرية.

كل هذه الأحواض، يصرفها واد إسلي، وهو نهر قادم من سلسلة جرادة جنوبا، يتلقى من هذه الجبال جل روافده، بينما لا يستقبل من سلسلة بني ازناسن الشمالية سوى بعض السيول المؤقتة. وفي هذا يكمن عدم التماثل الواضح بين جانبي سهل أنگاد، الذي يكون إذن منطقة قدم جبل بالنسبة لتسلسلة جرادة المنكسرة. وموقع أنگاد في عالية إسلي وروافده يفسر انبساط السهل وضعف تعمق الشبكة المائية، خاصة وأنه عرف في بعض اجزائه حركة هبوط واضحة خلال الرباعي، جعلت التوضعات تتراكم بعضها فوق بعض. ومباشرة بعد اجتيازه للحدود الجزائرية. يصبح واد إسلي عبارة عن مجرى متعمق، فينتج عن هذا تقطيع للسطح إلى عناصر هضبية ضيقة، مستطيلة.

الشكل المنخفض لأنگاد والموقع بين جبلين، نتاج لتاريخ جيولوجي حديث، وقع خلاله نزول للمنطقة السهلية في حين

كانت بني إزناسن وسلسلة جرادة ترتفع. وقد تم هذا خلال الثلاثي، بينما كانت المنطقة موحدة في الزمن الثاني، تشهد على ذلك الرواسب الجوراسية المتشابهة جنوبا في ناحية وجدة وشمالا في بني ازناسن، وفي الجهة الوسطى عند القمم البارزة وسط السهل كجبل مگرز أو جبل سلطن. ولما حدثت التكتونية الثلاثية و خاصة الحركات الارتخائية النيوجينية تهدلت المجالات الوسطى، فتلقت رواسب فتاتية دقيقة جلها صلصالي يبلغ سمكها في بعض الجهات مئات الأمتار. وقد غمرت هذه الرواسب النيوجينية الحاشية الشمالية لسلسلة جرادة، حيث توضعت أكلاس صدفية وفتاتات حصوية تدل على الموقع الساحلي لهذه الحاشية، على جانب جبال كانت قد بدأت في البروز.

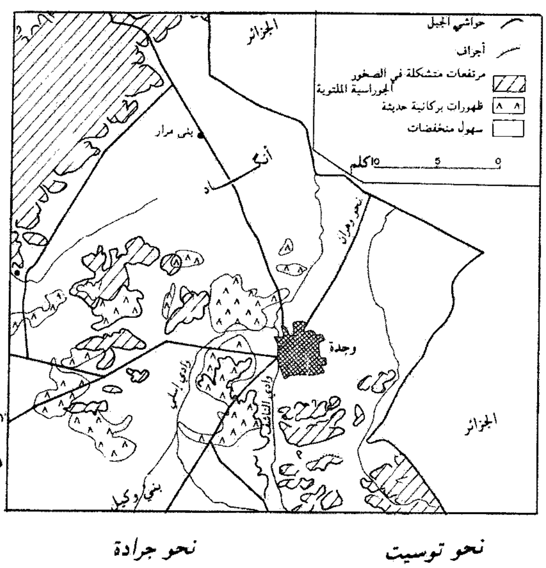


وتغطي الصلصال الميوسيني والكلس الصدفي، عدة تكونات بليورباعية منافرة. وقد مكنت الأبحاث الميدانية (العوينة، *المغرب الشمالي الشرقي*، 1987) من تأريخ بعض هذه التكونات. تبدأ السلسلة الرسوبية بطفوح بركانية ترجع إلى حوالي 6 ملايين سنة، وتنتمي إذن إلى الميوسين النهائي. هذا البزلت القديم يرتبط بفترة نشاط بركاني عمت مجموع السلاسل الوهرانية. فوقه مواد فتاتية رصيصية، لحامها كلسي معمم عند مخارج الأودية من السلسلة الجنوبية. وتغلف هذا الرصيص مواد بزلتية ثانية، قاعدتها مكونة من رماد بركاني تنتمي إلى البليوسين الأسفل، وعمرها حوالي 3 ملايين سنة. ثم يغمر الكل رصيص لحامه حثي، منافر لانكاسارت تمت في نهاية البليوسين. ويعتبر هذا الرصيص أقدم المواد الرباعية المعممة في الهوامش الجنوبية من السهل.

نحو الشمال، تنحني كل هذه التكونات القديمة، لتغلفها في المجالات الوسطى من السهل مواد رباعية أحدث بعضها من الرباعي الأوسط، تمتاز بتكلسها وتصلبها، وبعضها حديث أهم مكوناته الدقة المحمرة والرمال.

في هذه التكونات البليورباعية، نعني داخل الطفوح البركانية وكذا داخل المواد الفتاتية تسري فرشة مائية هامة جلها ليس ناتجا عن تهاطلات السهل (أنگاد تتلقى حوالي 300 إلى 350 مم) خاصة وأن التبخر المتاح مرتفع جداً 1.580 مم بسبب ارتفاع حرارات الصيف (معدل الحرارات العليا في يوليوز 34°) ورغم ضعف الحرارات الشتوية (معدل الحرارات الدنيا في يناير 4°). جزء هام من الفرشة المائية السهلية مصدره جنوبا من الطبقات الكارستية الجوراسية. تصرف الفرشة المائية تبعا للانحدار العام نحو الشمال وتسري داخل التكونات البليورباعية، فوق القاعدة غير المنفذة التي يكونها الصلصال الميوسيني. لكن البنية التفصيلية لسطح هذا الصلصال ليست مستوية بل مشوهة بانثناءات وتقببات، وهذا ما يفسر الإختلافات الواضحة في سمك الفرشة وعمقها.

نظام الفرشة رهين بالتهاطلات مع شيء من التأخير يدوم ما بين 6 إلى 11 شهراً. لكن جزءاً منها متأصل من الفرشات المائية الجوفية الكارستية، وهذا ما يفسر وجود بعض الينابيع عند حاشية الجبل كعيون سيدي يحيى. هذه الفرشة العذبة والغنية هي المستعملة لتزويد مدينة وجدة.


A. Laouina, *Le Maroc nord-oriental* ; Quang Trac, N. et Simont, M, *Le couloir Taourirt-Oujda* ; in *Ressources en eau du Maroc, Notes et Mém. Serv.Géol*, N°231,1971.


عبد الله العوينة

**أنگاد** ـ تاريخ ـ أهل أنگاد من قبائل المغرب الشرقي (إقليم وجدة)، يستوطنون الجزء الشرقي من بسيط أنگاد، وتمتد أراضيهم من شمال شرق وجدة إلى جنوبها الشرقي بمحاذاة الحدود المغربية ـ الجزائرية. ويُعتبر أهل أنگاد من أصل عربي، يُنسبون عادة إلى بني معقل وبالخصوص إلى ذوي عبيد الله، وقد احتفظت بعض فصائلهم بأسماء معقلية مثل الجعاونة والعثامنة، ويُرجّح أن هذه القبيلة قد استوطنت بسيط أنگاد منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، فسميت باسم المكان الذي استقرت به.

كان أهل أنگاد قبل احتلال الجزائر ينتجعون منطقة امتدت من بسيط أنگاد الى الشط جنوب العريشة (الجزائر). وقد تقلصت مناطقهم الزراعية والرعوية بعد احتلال فرنسا الجزائر سنة 1830، وتطاولت بعض القبائل المجاورة على أراضيهم، وتملّكت ما كان صالحاً منها للزراعة، خصوصا قبائل بني إزناسن من جهة الشمال والمهاية من جهة الجنوب، وهذا ما أثار نزاعات مستمرة أدت في النهاية إلى تشتت أهل أنگاد، فاتجه فريق منهم نحو جنوب العريشة، وهم الذين يُعرفون بأنگاد الگور، واتجه فريق ثان إلى سهل تريفة، (دائرة أبركان)، أما الفريق الثالث فقد ظل بمكانه الأصلي الذي عُرف به، وبذلك صارت قبيلة أنگاد في القرن التاسع عشر تتركب من ثلاثة أفخاد حسب التقسيم المخزني وهم : المزاوير

وأولاد أحمد بن إبراهيم وأولاد علي بن طلحة. ويُعتبر المزاوير أكبر أفخاذ أهل أنكاد، ويستقرون شرق وجدة وأراضيهم متصلة بالأراضي الجزائرية، أما أولاد علي بن طلحة وأولاد أحمد بن إبراهيم فيستقرون جنوب شرق وجدة على طول الحدود المغربية ـ الجزائرية.

وهناك إخوان لأهل أنكاد استوطنوا سهل تريفة (دائرة أبركان) منذ منتصف القرن التاسع عشر، وتنعتهم المصادر تارة بـ "أعراب تريفة" وتارة أخرى بـ "أنكاد تريفة"، ويتكونون من ثلاث فصائل وهي: هوارة وأولاد الصغير والعثامنة. يُستفاد من رواية أولى أن نزوح هذه الفصائل كان في مطلع القرن التاسع عشر (قبل سنة 1830) بسبب نزاع وقع بين أهل أنكاد، فاحتمى هوارة وأولاد الصغير والعثامنة ببني إزناسن بعد انهزام لفهم، فسمح لهم هؤلاء بالنزول بسهل تريفة، ويستفاد من رواية ثانية أن زحف الأحلاف على أهل أنكاد في مطلع القرن الماضي أدى إلى تفكك القبيلة، فهاجرت بعض فصائلها إلى سهل تريفة. وتتفق الروايتان على أن هذا النزوح وقع قبل احتلال الجزائر، غير أن هناك معطيات تاريخية تثبت أن ذلك النزوح قد وقع بعد توقيع اتفاقية مغنية حول الحدود بين المغرب وفرنسا سنة 1845، حيث لم تتضمن هذه الاتفاقية أي إشارة تفيد استقرار هوارة وأولاد الصغير والعثامنة بسهل تريفة، وكانت الاتفاقية المذكورة قد حددت القبائل المغربية والجزائرية المجاورة لخط الحدود في جزئه الشمالي، واقتصرت على ذكر أولاد منصور من الجانب المغربي بالنسبة لسهل تريفة، وهذا ما يثبت أن نزوح تلك الفصائل كان بعد اتفاقية مغنية، ويُستفاد من كنانيش الزكاة والأعشار منذ عهد السلطان محمد بن عبدالرحمان 1859 ـ 1873 أن أهل تريفة هم "إخوان" لأهل أنكاد، وظلوا يؤدون الضرائب معهم إلى نهاية القرن التاسع عشر. وكان أولاد الصغير أول من نزح إلى سهل تريفة، وتملكوا أراضي هناك منذ سنة 1857، فحذا حذوهم كل من هوارة والعثامنة، وظلت هذه الفصائل تخيم تارة ببسيط أنكاد وتارة بسهل تريفة إلى نهاية القرن الماضي، ثم استقرت نهائيا بسهل تريفة في بداية القرن العشرين، وقد تحقق هذا النزوح على مراحل طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكانت نتيجة مباشرة لاحتلال فرنسا للجزائر، حيث صارت بعض أراضي أهل أنكاد ضمن التراب الجزائري، فتقلص مجالهم الزراعي والرعوي، وكثرت النزاعات بين فصائل القبيلة، فآل الأمر في النهاية إلى تفكك أهل أنكاد وانقسامهم.

*كناش محاصيل الزكاة والأعشار من قبائل مختلفة 1276 ـ 1284 هـ.* خ.ع. رقم.62 ؛ *تقييد إيالة وجدة ونواحيها وبعض القبائل المجاورة لفاس سنة 1309 هـ.* كناش خ.ح. رقم.192 ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873 ـ 1907*، رسالة جامعية غير منشورة، كلية الآداب، الرباط، 1987، ص.64 ـ 71.

La Martinière et Lacrois, *Documents* ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat* ; *Résultats statistiques du recensement, 1926.*

عكاشة برحاب

**أنكاي**، أسرة تطوانية لم نجد في الوثائق ما يدلنا على أصلها، وكان منها الفقهاء والعلماء، أمثال الفقيه أحمد الذي كان حيا عام 1761/1175، والفقيه محمد بن محمد الذي كان يتعاطى خطة العدالة من سنة 1851/1267 إلى سنة 1889/1306 والفقيه مصطفى بن عبد الله الذي كان حيا سنة 1891/1309.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 24 و27 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 2 : 345، 7 : 252 ؛ م.ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidro de las Cagigas *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**انكلترا والمغرب**، كانت اهتمامات الإنجليز بالمغرب جد باكرة، على الرغم من وجود اختلافات أساسية على المستوى الجغرافي والديني والاقتصادي بين البلدين. وكانت العلاقات بينهما ودية في أغلب الأحيان، دون خلوها من بعض مظاهر التوتر. ويعود أول اتصال بين الدولتين إلى العقد الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، حين وجه الملك جون John 1167 ـ 1216م إلى المغرب بعثة لتطلب المساعدة من السلطان الناصر 1199 ـ 1213م الموحدي، أمام التهديدات الفرنسية التي كانت تستهدف إنجلترا.

وشكلت المبادلات التجارية عنصر اتصال مبكر بين الأنجليز والمغرب، ومنذ زمن كانت فيه هيمنة الإسبان والبرتغال شبه تامة على أجزاء مهمة من السواحل المغربية. وكان التجار الأنجليز يحصلون من المغرب، رغم احتجاجات الإيبيريين، على الذهب ومادة السكر وملح البارود وريش النعام، مقابل تزويده بالأقمشة والأسلحة النارية، وبعد هزيمة البرتغال بوادي المخازن في 1578 تمتنت العلاقات بين السلطان أحمد المنصور 1578.1603م والملكة إليزابيت الأولى Elisabeth 1st 1533 ـ 1603م، فتبودلت بينهما عدة بعثات سفارية بهدف تعزيز علاقاتهما السياسية، توجت بتحالف مغربي انجليزي ضد الإسبان بقيادة الملك فيليب الثاني Philippe II 1527.1598، وبتدعيم للمبادلات التجارية بينهما حين أسست "شركة بلاد البربر" Barbary Company في 1585م، التي احتكرت التجارة مع المغرب لمدة اثني عشر عاما. وأصدر المنصور في مارس 1588 ظهيرا منح فيه امتيازات خاصة وحماية للتجار الانجليز بالمغرب.

بعد وفاة المنصور السعدي وإليزابيت الأولى في 1603م، وفي غياب سلطة مركزية ثابتة وقوية بالمغرب، وجه جاك الأول Jacques 1st 1603 ـ 1625 إلى زيدان 1608 ـ 1627 بعثة يرأسها هاريسون J. Harisson في سنة 1610م، للتباحث حول تسريح الأسرى الأنجليز. واضطر إلى التردد على المغرب مرات أخرى ما بين 1613 و1615م دون أن يتوصل لنتائج حاسمة في موضوع أسرى كل بلد بالبلد الآخر.

وعند انشغال الدول الأوروبية بحرب الثلاثين سنة 1618 . 1648م متن المورسكيون علاقاتهم بالهولنديين الذين كانوا في حرب مع الإسبان. فقاموا بمهاجمة المراكب الأنجليزية بحكم منافستها لهولندة في التجارة البعيدة 1625 . 1649 المدى وفي عهد تشارلز الأول Charles 1st دخلت انجلترا في حرب مع اسبانيا ، فحل هاريسون بالمغرب للحصول على مساعدة المجاهدين التطوانيين والسلويين، لمواجهة الإسبان والعمل على فك الأسارى. فتوجت محاولته باتفاق مع المجاهد العياشي1573 . 1641 في 10 ماي 1627، تعهدت فيه انجلترا بتزويده بالعدة والسلاح، مقابل مساهمته في فك أساراهم، وبدأ الحديث عن تحالف بين العياشي والأنجليز لتحرير المعمورة. وبعد عشر سنوات تم اتفاق ثان في 5 ماي بينهما ، حرر العياشي بموجبه سبعين أسيراً انجليزيا وتعهد بالتخلي عن أسره للأنجليز في المستقبل، مقابل حصوله على الأسلحة والذخيرة. وفي أعقاب المشاكل التي عرفتها حركة العياشي، لجأ الإنجليز إلى التعامل مع السلطان السعدي محمد الشيخ الصغير 1636 . 1654، فعقدوا معه اتفاقية سلم وتجارة في 20 شتنبر1637، صودق عليها في 8 ماي 1638 وتضمنت إحدى وعشرين مادة تنص على الحرية التجارية المتبادلة وعلى أمن الملاحة. والتزم الأنجليز من خلالها بحمل تجارتهم على قطع معاملاتهم التجارية مع خصوم السعديين، ومد العون لمحمد الشيخ ضد أعدائه.

قررت أسرة ستيوارت Stewart العائدة إلى الحكم في عهد تشارلز الثاني Charles II منح الثقة والأمل إلى التجار الأنجليز، بتمتينها للتجارة مع منطقة الشمال الإفريقي والبحر المتوسط، فوجدت في طنجة بموقعها على الساحل الجنوبي للمدخل الغربي لجبل طارق، كل المؤهلات الضرورية لتحقيق تلك الغاية، واعتبرتها بمثابة حجرة الأساس لتكوين امبراطوريتها الاستعمارية. وفي الوقت الذي كان فيه الخضر غيلان يبسط نفوذه على المنطقة الممتدة ما بين القصر الكبير وطنجة، تم الزواج بين البرتغالية كاطرينة دي براگنزا Catherine of Braganza والملك الانجليزي تشارلز الثاني في 1661م وسلم البرتغاليون بمقتضى ذلك الزواج مدينة طنجة إلى الانجليز، فدخلوا إليها في 30 يناير1662. وكان غيلان يحاصر طنجة حين وصلته أخبار بزحف المولى رشيد 1666.1672م نحو المناطق الشمالية، فاضطر إلى مهادنة الانجليز في يوليوز 1663 لمدة قصيرة. وما لبث غيلان أن هاجم طنجة من جديد في يناير 1664م. ونتيجة للخسائر الفادحة التي لحقت بقواته من جراء هجومه على الإسبان في العرائش، وأمام تعزيز المولى رشيد لقواته انطلاقا من المناطق المجاورة لفاس، اضطر غيلان إلى تقديم تنازلات لفائدة الانجيز، بموجب اتفاق ثنائي في أبريل 1666م نصت على مساعدته إياهم، وتزويدهم بالمؤونة، والاعتراف لهم بحق اتخاذ التحصينات ومساندته لحاكم طنجة في حالة الاعتداء عليه من طرف دولة أوربية. وسلمت له انجلترا مقابل ذلك كله مائتي برميل من البارود، كما وعدته بتوجيه مراكبها لمساعدته ضد خصومه الغير المرتبطين مع الأنجليز بمعاهدات السلم. لكن الهزيمة القاسية لغيلان أمام المولى رشيد في منتصف يونيو 1666م جعلته يفقد الكثير من قوته، ويضحي منعزلا بأصيلا لمدة سنتين. فبادر الانجليز إلى مساندته لابعاد أنظار المولى رشيد عن طنجة، خاصة، وأن هذا الأخير لم يكن قد تمكن بعد من إنهاء سيطرته على الجنوب. وكانت سياسة حاكم طنجة الكولونيل نورورود Norwood تقوم على ابقائه لنزاعات قائمة بين المغاربة، بمساندته للطرف الضعيف على أمل إبعاد القوي، مع الاحتفاظ لنفسه بأوراق رابحة للمساومة بها في الوقت الملائم. إلا أن المساندة الانجليزية لغيلان لم تحل بينه وبين هزيمته الحتمية أمام العلويين في أصيلا سنة 1668م والفرار إلى الجزائر.

وما لبث أن استجاب غيلان لدعوة بعض القبائل المجاورة لتطوان، ليعود إلى منطقة نفوذه بعد وفاة المولى رشيد في 1672م. فدخل في مفاوضات جديدة مع حاكم طنجة اللورد ميدلتن Middleton انتهت باتفاق 12 يناير 1672. والتزم فيه غيلان بتزويد طنجة بالمؤونة والأنجليز بامداده بالأسلحة والبارود. ورغم التحالف الجديد لغيلان مع الانجيز فقد فشل في تكوين قوة كافية لمواجهة ضغوط المولى اسماعيل 1727.1672، وبذلك فإن العلاقات الانجليزية المغربية لا تعكس خلال هذه المرحلة سوى اهتمامات عامة وظرفية انتجتها المرحلة السابقة لتقوية مركز العلويين. وبعث المولى إسماعيل، بعد أن استتب له الأمر، سفارة يرأسها محمد بن حدو العطار، فعاد يحمل معه مشروعا لمعاهدة سلم وتجارة في 23 مارس 1682، رفض السلطان المصادقة عليها، بسبب استمرار الوجود الانجليزي بطنجة وتعقد مشكلة الأسرى المحجوزين في البلدين. ورغم التحالفات التي عقدها الانجليز مع غيلان وغيره من الشخصيات ذات الوزن السياسي بالمنطقة، وبعد المضايقات العنيفة التي باتوا عرضة لها من لدن الجيوش الإسماعيلية، تولد لديهم اقتناع بعدم امكانية الحفاظ على بقائهم في طنجة، فقرر تشارلز الثاني بناء على تلك الاعتبارات الانسحاب من المدينة في 1684 بعد تحطيم كل تحصيناتها. وظلت مسألة تحرير الأسرى كحجرة عثرة أمام العلاقات بين المغرب والإنجليز.

استغلت عاهلة الانجليز الملكة آن Anne 1702 . 1714 فرصة قيام حروب العرش في اسبانيا لتضم صخرة جبل طارق في 1704 لممتلكاتها، ودشنت انجلترا بذلك نهجها سياسة جديدة إزاء المغرب ستدوم قرنين كاملين وإلى حدود سنة 1904، وبعد موافقة المولى إسماعيل، في أعقاب انسحاب الأنجليز من طنجة، على تسريح تسع وستين من أسراهم، فسح المجال أمام الجانبين لتحسين علاقتهما، فأمضى القائد أحمد بن علي بن عبد الله نيابة عن السلطان، على معاهدة سلم وتجارة بتطوان في 7 يوليوز 1714. واحتدمت أزمة الأسارى من جديد ما بين 1716

و1721م، فقدم إلى فاس مبعوث إنجليزي تمكن بعد مفاوضات بطيئة وعسيرة من اقناع المولى اسماعيل بتجديد المعاهدة السابقة في 23 يناير 1721م.

وفي عهد الملك جورج الثاني George II 1727 ـ 1760 وضع وزيره والبول Walpol أسس الامبراطورية الانجليزية. وعاصر هذا الملك فترة حكم المولى عبد الله 1728 ـ 1757 وخلفه سيدي محمد 1757 ـ1790. أما العلاقات الثنائية في هذه المرحلة فقد طبعها التوتر ولم تخل من بعض الصدامات، بسبب تزويد التجار الانجليز لأخ السلطان، المستضيء المتمرد في أصيلا، بالبنادق والمدافع والبارود، فرد المولى عبد الله على ذلك بحجزه لسفينتين أنجليزيتين في يناير 1754، لمدة قصيرة، قام بعدها بإعادتهما إلى انجلترا وحمل ركابها تحذيرا إلى جورج الثاني، من مغبة الاستمرار في مؤازرة المستضيء. وأمام اصرار الانجيز على تأييده، أصدر الخليفة السلطاني سيدي محمد أمرا بمغادرة التجار الانجليز لمرسى أكادير، وأمراً آخر ينص على حجز كل سفينة انجليزية قد تحل بالمراسي المغربية. وبعث على إثر ذلك رسالة طويلة إلى جورج الثاني يعلل له فيها أسباب اعلانه للحرب على الأنجليز، مشيرا فيها للعون الذي يقدمه التجار الانجليز لخصوم والده ، ومتهما حاكم جبل طارق بنقل الحبوب من أرض الإسلام لبيعها في أوربا دون أي إذن مخزني. ويبدو أن جورج الثاني قد اقتنع بحجج الخليفة السلطاني، فعمل على إحداث انفراج بين البلدين بإرساله سفارة يرأسها هايد باركر Hyde Parker إلى مراكش في 1 يوليوز 1750، تم في نهايتها التوصل إلى تجديد كل الاتفاقيات السابقة، وقعها بالتفويض عمر بن زيان الدكالي. ومع ذلك، رفض سيدي محمد بن عبد الله إطلاق سراح الاسارى الانجليز، بسبب رفض هايد باركر الموافقة على تزويده بمعدات تدخل في تجهيز المراكب. فغضب عندها ونعت الانجليز بنعوث قاسية وتمنى لو كان الفرنسيون أو الاسبان عوضا عنهم بجبل طارق، وهدد بالتحالف مع الفرنسيين لتحطيم قوة الانجليز. وعلى إثر حادثة انتحار القنصل الانجليزي ريد Reade اثناء وفوده على سيدي محمد بن عبد الله في 1578م للتوقيع على معاهدة للسلم، اضطر السلطان الى تغيير موقفه إزاء الانجليز، فمدد مفعول السلم معهم لسنة اضافية تنتهي بفبراير 1759م، وأعلن موافقته على تزويد جبل طارق بالمؤونة. وفي أعقاب ذلك حلت بمراكش بعثة أنجليزية يقودها مارك مايلبانك Mark Milbanke الذي نال رضى وإعجاب سيدي محمد، فأثنى على سلوكه وكياسته ووقع معه على اتفاقية في يوليوز 1760. ومهدت بعثة مايلبانك لتبادل المزيد من السفارات بين الطرفين منذ تولية جورج الثالث George III 1760 ـ 1820، من بينها سفارة الحاج عبدالقادر عديل في أكتوبر 1762 لشراء أسلحة انجليزية، وأخرى في غشت 1766م يقودها الرايس العربي المستيري والحاج محمد السوادي لقضاء بعض المآرب السلطانية.

وحين اقترحت اسبانيا على سيدي محمد بن عبد الله عرضا ماليا مقابل ايقافه لمعاملاته التجارية مع الأنجليز، وتخليه عن تزويد جبل طارق، وجه مبعوثه يعقوب بن يدر إلى جورج الثالث ليطلعه على ذلك، ويقترح عليه تزويده بالأسلحة كثمن لرفضه للاقتراح الإسباني. وأمام رفض الملك الانجليزي وافق سيدي محمد بن عبد الله على وضع مرسى العرائش وطنجة تحت تصرف الاسبانيين لمدة سنة كاملة. وأطلق الإسبان سراح مائة من المغاربة مقابل ذلك، وتمخض الاتفاق المغربي ـ الإسباني المؤقت على طرد القنصل الانجليزي العام من تطوان. وبانصرام مدة الاتفاق مع الإسبان في 31 دجنبر 1781م عادت الأحوال إلى التحسن بين الانجليز والمغرب.

تميزت علاقات المغرب بأوربا خلال الحروب النابليونية 1792 ـ 1814 بتقارب أنجليزي مغربي واضح، نتيجة للسياسة التوسعية الفرنسية في البحر المتوسط. فنجد المولى اليزيد 1790 ـ 1793م خلال فترة حكمه القصيرة يبين عن حسن نيته إلى الانجليز، ويعدهم بالسماح لهم باستعمال مرسى القصر الصغير لتزويد جبل طارق، ويحاول الحصول على مساعدتهم لمحاصرة سبتة دون أن يتحقق له ذلك. وفي 18 أبريل 1791م وقع اليزيد مع القنصل الانجليزي ماترا Matra اتفاقية من ثلاث وأربعين مادة تعكس جميعها الاحترام المتبادل بينه وبين الانجليز. وبعد سنوات 1800م وعد محمد السلوي المكلف بأمور الأحباس في عهد المولى سليمان 1792 ـ 1822، الانجليز تسليمهم مرسى القصر الصغير أو بليونش. وتمكن الانجليز بفضل تفوق أسطولهم البحري من الحفاظ على علاقات تجارية ثابتة مع المغرب إلى نهاية الحرب في 1814، دون أية منافسة حقيقية من بقية دول أوربا. فبعد التوقيع على اتفاقية 1801 بين جورج الثالث والمولى سليمان، سمح لهم بتصدير ألفي رأس من الثيران إلى جبل طارق مقابل رسوم منخفضة، مع امكانية حصولهم على رؤوس إضافية، في حالة احتياج المغرب إلى شراء أسلحة أو تجهيزات عسكرية من انجلترا أو من جبل طارق. وأثناء مقابلة الجيوش الانجليزية للاسبان والبرتغال، سمح المولى سليمان بتصدير القمح لفائدتهم في 29 يوليوز 1812م، وكان التعاون العسكري من بين المظاهر التي أكدت أهمية النفوذ الانجليزي بالمغرب عند مطلع القرن التاسع عشر. فالأسلحة المستعملة بالمغرب أغلبها انجليزية الصنع، بالإضافة إلى مساهمة الأنجليز في تدريب المدفعيين المغاربة بجبل طارق. وبلغ التعاون المغربي الانجليزي ذروته حين توحدت قوات البلدين لمحاصرة سبتة، فسمح للقوات الانجليزية بالنزول فوق جزيرة تاورة ـ يسميها الإسبانيون بجزيرة المعدنوس Pergil ـ في نهاية مارس 1808 بعد أن طلب منهم المولى سليمان بعض الضمانات. وإذا كانت نهاية الصراعات الاوربية قد قللت من أهمية المغرب بالنسبة لإنجلترا فإن هذه الأخيرة قد ضمنت دون شك تدعيم مكانتها ونفوذها في البلاد المغربية لبقية القرن

التاسع عشر.

وبعد الحروب النابليونية، لم يحدث بين البلدين ما من شأنه أن يؤثر بقوة على علاقاتهما، إلى حدود سنة 1828م، حين قرر السلطان مولاي عبد الرحمن 1822-1859م، في أعقاب التهديدات التي بدأت تستهدف منطقة الشمال الافريقي، إحياء فكرة الجهاد، فقام الأسطول الانجليزي بمحاصرة طنجة، لحمل السلطان على التخلي عن فكرته. وقررت انجلترا بعد الحرب الروسية التركية 1828-1829 حماية الأتراك العثمانيين ضد أي عدوان أجنبي، كما كان ظهورمحمد علي في مصر، وتحركات الفرنسيين بشمال إفريقيا من بين الأمور التي جعلت منطقة البحر المتوسط تصبح ذات حساسية خاصة بالنسبة للأنجليز، فتولد لديهم اقتناع ثابت بأن مراقبة مدخل البحر المتوسط، هي أفضل وسيلة لمراقبة الحوض المتوسطي بكامله. ومن أجل ذلك، تمسك كل القادة السياسيين الانجليز بنهج سياسة تهدف إلى منع أي دولة كانت من مد نفوذها بالمنطقة المجاورة للمضايق. ولتحقيق تلك الغاية، كان لا بد من الحفاظ على الوضع الراهن Statu-quo في المغرب، دون اهمال كل ما من شأنه أن يضمن للأنجليز الاستمرار في التزود بالمؤونة من المغرب لفائدة جبل طارق.

وشكلت سنة 1830، واحتلال فرنسا للجزائر خلالها، نقطة انطلاق جديدة لتمتين العلاقات السياسية بين المغرب والانجليز بشكل أقوى مما سبق. وصادف ذلك تعيين اللورد بالمرستون Lord Palmerston على رأس وزارة الخارجية البريطانية، ووليام أوريول دريموند هاي William Drummond Hay كقنصل عام لانجلترا في المغرب. وتركزت القضايا التي عالجها هذا القنصل على تقديم احتجاجات حكومته على القيود المفروضة من طرف المخزن على تجارة الحبوب والصوف، وعلى استيراد المنسوجات القطنية. كما نالت مسألة تعرض المراكب الانجليزية إلى الحجز والنهب من طرف قبيلة قلعية على وجه الخصوص، اهتماما خاصا من طرف هاي الأب. وشهدت سنة 1835 قيام أحد الطبيعيين الانجليز وهو دافدسن Davidson بمحاولة لتقوية مكانة انجلترا الاقتصادية، فدخل في علاقات تجارية مع الشيخ بيروك بمنطقة واد نون. وبدأ يخطط لإقامة علاقات دبلوماسية على حساب المخزن الذي احتج بشدة. وانتهت مغامرة دافدسن بمقتله من طرف قطاعي الطرق بالصحراء.

وبعد فشل الأمير عبد القادر في مواجهة الفرنسيين بالجزائر، لجأ إلى المغرب الشرقي فحصل على السند المادي والمعنوي، الذي أفضى إلى اصطدام عسكري بين المغرب وفرنسا في إسلي سنة 1844. وفي تلك الظروف، دشن القنصل العام الانجليزي الشاب جون دريموند هاي John Drummond Hay 1844-1886 مهامه الجديدة بمساهمة مباشرة إلى جانب السفير الانجليزي في مدريد بولوير Bulwer، في اقناع الفرنسيين بالتخلي عن فكرة غزو المغرب، وعن فرض أي غرامة حربية عليه. وتم توقيع اتفاقية للسلم بين المغرب وفرنسا في 10 شتنبر 1844، دون أن تكون الحكومة الانجليزية غريبة عن تلك التسوية. وساهم جون. د. هاي أيضا في المفاوضات التي أنهت أداء الدول السكندنافية لبعض الإتاوات التي كان يحصل عليها السلاطين المغاربة مقابل حمايتهم لمراكبهم التجارية، وذلك بموجب اتفاقية أبريل 1845م. وبلغ نفوذ الأنجليز بالمغرب أوجه، طوال المدة التي قضاها هاي الابن في تمثيل بلاده بطنجة، بسبب تبنيه لسياسة تقوم على توجيه "النصائح" إلى كل السلاطين ورجال المخزن الذين عاصرهم، معتمدا في ذلك على علاقات زبونية وعلى مخبرين من فصيلة الحاج البشير بن بوبكر الغنجاوي، وعلى نوابه القنصليين الموزعين بكل المراسي المغربية.

وقد استفاد هاي من علاقاته الحميمة مع النائب السلطاني محمد الخطيب، ومساعدته إياه في المفاوضات التي تمت ما بين 1853 و1856م للحصول على موافقة السلطان مولاي عبد الرحمن على معاهدة تجارية كان من أخطر نتائجها حرمان المغرب من التحكم بحرية في تجارته الخارجية، بالإضافة إلى منح امتيازات قضائية وشخصية للأنجليز وتكمن خطورة تلك المعاهدة في امتدادها لتستفيد منها كل الدول الممثلة في طنجة.

ونشب الخلاف بين المغرب وإسبانيا في 1859 عند حدود مليلية وسبتة، ففشلت الدبلوماسية الانجليزية في كل من مدريد ولندن وطنجة في إقناع الإسبانيين بعدم الدخول في حرب مع المغرب، على الرغم من موافقة المخزن وبإيعاز من انجلترا على كل المطالب الإسبانية. فاكتفت وزارة الخارجية البريطانية أمام إصرار الإسبان على الحرب بالحصول منهم على ضمانات بعدم احتلالهم لطنجة، ودخل أودنيل إلى تطوان بالرغم من المقاومة البطولية للمغاربة، فتحركت الدبلوماسية الأنجليزية من جديد، وتمكنت من إنهاء النزاع وإقناع الطرفين المتحاربين بالتوقيع على معاهدة السلم في 26 أبريل 1860. وما كان المغاربة ليستعيدوا تطوان لولا مساهمة أنجلترا في الإجراءات الضرورية لحصول المغرب على سلف من رجال المال اللندنيين للوفاء بالتزاماته المالية إزاء اسبانيا.

وبخروج الإسبان من تطوان، أصبح مفعول المعاهدة التجارية مع انجلترا في 1856 ملموسا جدا. إذ بلغت قيمة المبادلات الإجمالية بين المغرب وأوربا سنة 1865م، 1.014.031 جنيه استرليني بالنسبة للصادرات و1.071.059 جنيه بالنسبة للواردات. وبلغ نصيب انجلترا وجبل طارق من الصادرات ما قيمته 707.891 جنيها، ومن الواردات 907.707 جنيهات استيرلينية. وكان يصدرالمغرب إلى المراسي الأنجليزية ومستعمراتها مواد مختلفة من أصل نباتي وحيواني بالإضافة إلى بعض المنتوجات الحرفية التي كان التجار الانجليز يعيدون تصديرها إلى مصر والمشرق العربي عامة. بينما كان المغرب يستورد مواد متنوعة الصنع، أهمها منسوجات مانشستر والأسلحة. وعرفت السنوات

الموالية تزايدا تدريجيا في حجم المبادلات بين البلدين، إلا أن ذلك قد كان سببا في خلق متاعب شتى لموظفي المخزن بالمراسي وغيرها. وتكفي الإشارة هنا إلى تنامي مشكلة الحماية القنصلية التي ارتبطت بمسألة التجارة مع الأجانب، وما ترتب عنها من مس بسيادة الجهاز المخزني وتقويض لقاعدته المادية.

وأدى النمو المتزايد للمبادلات بين المغرب والانجليز، وغيرهم من الدول الأوربية إلى ضرورة توفير تجهيزات لا عهد للمغاربة بها من قبل. فتبنت انجلترا عن طريق ممثلها جون. د. هاي "خطابا إصلاحيا"، لم يكن يهدف في عمقه إلا لتهييئ الظروف الملائمة أمام مزيد من التغلغل الاقتصادي والسياسي لانجلترا ومعها بقية الدول الأوربية بالمغرب. فاستغل هاي النفوذ الذي أصبح يتمتع به لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن بعد مساهمته الفعالة في استرجاع المغرب لتطوان، فأقنعه بضرورة إحداث إصلاحات في الميدان العسكري للاستفادة على حد قوله "من عبرة تطوان". واستأنف نفس النهج مع المولى الحسن 1873 ـ 1894 الذي جلب المدربين العسكريين والأسلحة من انجلترا، وأرسل إليها البعثات الطلابية. ونصح الانجليز المخزن باصلاح الجهاز الإداري بالمراسي وتقديم الرواتب إلى موظفيه لخلق نوع من روح المسؤولية لديهم وتجنب مظاهر الفساد. وإذا كان سيدي محمد بن عبد الرحمن قد استجاب لنصائح هاي فأصلح جهاز الأمناء بالمراسي، فإن المولى الحسن لم تساعده الظروف المالية لتنفيذ برنامج الإصلاح الإداري الشامل الذي قدمه إليه هاي في 1875م. وعلى المستوى الاقتصادي حث الانجليز المغرب على تطوير أساليب الإنتاج الفلاحي، وعلى الاهتمام بالمزروعات التسويقية كالقطن وقصب السكر والحبوب، ليجعلوا من المغرب سوقا فعالة لتزويد انجلترا بحاجياتها الضرورية من تلك المواد وخلق سوق استهلاكية لمصنوعاتها. ووجهت انجلترا دعوات إلى المغرب لنهج سياسة تجارية أكثر تحرراً حين طالبت الجهاز المخزني الحسني ابتداء من 1875 بالدخول في مفاوضات لتجديد اتفاقية 1856م. إلا أن كل هذه المحاولات من طرف انجلترا قد فشلت مثلما فشلت كل الإصلاحات المغربية خلال القرن التاسع عشر.

ولما كانت انجلترا معادية لانتشار "الحمايات" في شكله غير القانوني على الأقل، فقد دعت إلى انعقاد مؤتمر مدريد، كمحاولة لاستئصال داء الحماية التي لم تكن تخدم في حقيقة الأمر مصالح انجلترا التجارية بالمغرب. إلا أن نتائج مؤتمر مدريد سنة 1880م كانت مخيبة لآمال المخزن والأنجليز معا.

وقام ماكنزي D. Mackenzie ابتداء من 1878م باقامة محطة تجارية في طرفاية دون الحصول في ذلك على إذن من المخزن، وبالرغم من تحذيرات هاي ووزارة الخارجية البريطانية إليه. وأثار تأسيس "شركة شمال غرب افريقيا" احتجاجا شديدا من طرف المخزن فلجأ إلى تحريض القبائل المجاورة لطرفاية على مقاطعة ماكنزي، واسترعى على كل ما يمكن أن تعرض إليه المحطة من تخريب. وبعد اصطدامات عنيفة، انتهت المفاوضات بالتوقيع على تسوية في مارس 1895 حصلت الشركة الانجليزية بموجبها على تعويضات مالية قدرها خمسون ألف جنيه استرليني مقابل اخلاء طرفاية.

وحاول أنجليزي آخر يدعى كورتيس Curtis مع مجموعة من التجار الانجليز بالصويرة إقامة "شركة السوس وشمال افريقيا" للتجارة، في أواخر1879، فاحتج النائب السلطاني محمد بركاش عبر صحيفة التايمز *Times* اللندنية على ذلك، وتمكن المولى الحسن من القضاء على تلك المحاولة بحزم شديد في يونيو 1883م.

وبحلول سنة 1886 تقاعد هاي عن مهامه التي قضاها بنشاط كبير، لدى ثلاثة من السلاطين العلويين، وفي فترة جد حرجة من تاريخ المغرب. فدخلت العلاقات المغربية الأنجليزية في مرحلة التوتر والتلاشي. ويمكن تفسير التحول الجذري الذي طرأ على سياسة انجلترا إزاء المغرب ما بين 1886 ووفاة المولى الحسن في 1894 بنمو النفوذ الألماني بالمغرب بعد التوقيع على معاهدة 1 يونيو 1890، وبحصول تقارب مغربي ـ فرنسي. هذه العوامل دفعت بخلف هاي، گربي گرين G. Green إلى ممارسة ضغوط قوية على المخزن ما بين 1886 و1891 لموافقته على مد خط تلغرافي، وتجديد الاتفاقية التجارية التي سبق أن تم رفضها أيام هاي. ودخلت علاقات المغرب بانجلترا في مرحلة الأزمة حين قام القنصل العام الجديد شارل ايوان سميت Ch. Euan Smith بتعيين نائبه القنصلي ماك لُويْد Mac Leod بفاس دون موافقة من المخزن، ورفعه للعلم الأنجليزي فوق مكان إقامته أثناء زيارته إلى السلطان في يوليوز 1892 يوم عيد الأضحى، فبعث السلطان احتجاجا شديد اللهجة إلى الملكة ڤيكتوريا على إثر ذلك. ورغم تعويض سميث بالقنصل العام الجديد ساتو Satow وما صاحبه من انفراج نسبي، فإن معالم التلاشي والقطيعة بين البلدين قد بدأت تتضح. بينما بدأت تبدو في الأفق بوادر التقارب الفرنسي الأنجليزي.

عند وفاة باحماد في سنة 1900 قرر المولى عبد العزيز 1894 ـ 1908 الاعتماد على الأنجليزيِّين ماكلين Mac lean وهاريس W. Harris للقيام ببعض الإصلاحات، فبعث ماكلين للحصول على سلف من أبناك لندن في 1901 لتمويل مشاريعه الإصلاحية. إلا أن وفاة الملكة ڤكتوريا في يناير 1901 وتولية إدواود السابع Edouard VII 1841 ـ 1910 جعلت انجلترا تتقرب من فرنسا للحفاظ على مكتسباتها الاستعمارية وتدعيمها في مواجهة ضد ألمانيا. فأرسل المولى عبد العزيز سفارة مغربية إلى لندن في يناير1902 لتمتين علاقاته مع الانجليز، وصد الفرنسيين والإسبان. لكن التقارب الفرنسي الانجليزي كان قويا فأفضى إلى الاتفاق الودي بينهما في 8 أبريل 1904. وبموجب المادتين الثانية والسابعة منه، تركت انجلترا لفرنسا صلاحية

التصرف في المغرب. إلا أن ذلك لم يكن يعني تخليها عن مصالحها الاقتصادية والإستراتيجية لصالح فرنسا، إذ نجدها تلح على حياد منطقة طنجة. وتمثلت ردود فعل المخزن العزيزي في إرسال الحاج المقري للاحتجاج على عقد الاتفاق الودي، في لندن وباريس ومدريد، بل وتمت اتصالات في مصر مع زعماء الحركة الإسلامية، دون التوصل إلى أي نتيجة. فكان من الطبيعي أن تحصل القطيعة بين مولاي عبد العزيز وبين الأنجليز. وأملا في ترضية السلطان المغربي، فقد وافقت فرنسا بتنسيق مع انجلترا على منحه لقرض سيزيد، دونما شك، في تأزيم أحواله المستقبلية. وبما أن فرنسا وأنجلترا كانتا ترغبان في إبعاد ألمانيا عن المغرب فقد كان من العادي جداً أن يلتجئ مولاي عبدالعزيز، ولو بطريقة سرية إلى الألمانيين. وأفضت زيارة غليوم الثاني Guillaume II 1888 ـ 1918 إلى طنجة في 1905 إلى انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء في 6 يونيو 1906، رغم اعتراضات انجلترا التي قررت تقديم سندها الكامل إلى فرنسا، حيث اتخذت كل الإجراءات أثناء انعقاد المؤتمر لمواجهة ألمانيا. وإذا كانت نتائج المؤتمر قد أكدت مبدأ الحفاظ على استقلال المغرب وانتصار وجهات النظر الألمانية، فإنها لم تفرغ مقررات الاتفاق الودي من مدلولها العميق، خاصة، وأن النقاب قد كشف في 1911 عن وجود خمس مواد سرية كانت قد ألحقت بالاتفاق الودي عند عقده، وتتعلق بتقسيم المغرب بين فرنسا واسبانيا. ومن تم، أصبحت انجلترا ملزمة بتدعيمها لمخططات فرنسا بالمغرب. وعجلت مصادقة مولاي عبد العزيز على مقررات الجزيرة الخضراء، واحتلال الفرنسيين لوجدة وقنبلتهم للدارالبيضاء بإقالته وعقد البيعة لأخيه المولى عبد الحفيظ 1908 ـ 1912 في يناير 1908. ومما لا شك فيه أن السلطان الجديد قد حظي بمساندة الألمانيين له، واضطرت اسبانيا وفرنسا إلى الاعتراف به بإيعاز من وزارة الخارجية البريطانية. وكادت الأمور أن تنفرج بين ألمانيا وفرنسا حين توصلتا إلى عقد اتفاق بينهما في 6 يناير 1909، نص على حق الفرنسيين في إقرار الأمن داخل المغرب. إلا أن ألمانيا وجدت نفسها أمام الأمر الواقع حين زحفت فرنسا بجيوشها على فاس في 21 ماي 1911. وإذا كانت فرنسا قد حصلت في ذلك على مساند انجلترا، فإن ألمانيا أصرت على اعتبار ذلك خرقا صريحا لمقررات 1906، فكان رد فعلها قويا جدا، تمثل في أزمة أگادير في يوليوز 1911. وفوجئت ألمانيا خلالها باعتراضات صريحة من لدن الأنجليز الذين لم يطمئنوا لاستقرار الألمانيين بالسواحل الجنوبية للمغرب. وتحركت الدبلوماسية البريطانية في باريس وبرلين، وانتهت بدخول فرنسا وألمانيا في مفاوضات أدت إلى توقيعهما على اتفاقية 4 نونبر 1911، فحصلت ألمانيا بموجبها على أراض في افريقيا الاستوائية مقابل اعترافها لفرنسا "بحقوقها" الكاملة في المغرب. وكان من الطبيعي أن تنال تلك المقايضة تزكية انجلترا طالما انها أفضت إلى إبعاد ألمانيا عن المغرب، وفسحت المجال أمام فرنسا لتضغط على مولاي عبد الحفيظ، وترغمه على التوقيع على عقد الحماية في 30 مارس 1912. وظلت انجلترا مع ذلك حريصة على مراقبة تطور الأحداث بالمغرب، وعلى تقديم السند إلى الفرنسيين كلما تطلب الأمر ذلك، إلى أن قررت في 29 يوليوز 1937 التنازل لفرنسا عن كل الامتيازات التي كانت تتمتع بها بموجب معاهدة 1856. فألغيت مادة الدولة المفضلة والحماية الانجليزية بالمغرب. ودخلت أنجلترا وفرنسا في مفاوضات إضافية، انتهت بالتوقيع على اتفاقية تجارية في 18 يوليوز 1938، تنظمت بموجبها المبادلات التجارية المستقبلية بين الانجليز والمغرب. وأثبتت انجلترا بذلك تخليها بصفة نهائية عن مؤازرتها للمغرب، مخالفة لتقليد طبع العلاقات المغربية الانجليزية خلال سنوات طويلة من تاريخهما المشترك.


أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 2 ، ج 3 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان* ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب*، ج 1 ؛ م. المنصور، *الجهود المغربية من أجل استرجاع سبتة*، مجلة كلية الآداب بالرباط، ع. 5 ـ 6 ؛ *ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1983 ؛ روجرز. ب. ج. *تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى عام 1900*، تر. يونان لبيب رزق.

J. C. Allain, *Agadir 1911*, Paris, 1976 ; Anonyme, *"L'abrogation des capitulations britanniques" A. F*, fevrier 1937 ; G. Ayache, *Etudes d'histoire maroccaine*, Rabat, 1979 ; F. Anderson, *The First moroccan Crisis 1904-1906*. Connecticut, 1966 ; *British Documents in the Public Record Office*. Kew, London ; L. A. E. Brooks, *A memoir of sir John Drummond Hay*, London, 1896 ; *Correspondence Respecting Morocco*. In *Confidential prints*. Foreing Office. London ; J. Caille, *Les accords internationaux du Sultan Sidi Mohamed ben Abdellah 1757-1790*, Paris, 1960 ; *"L'abolition des tributs versés au Maroc par la Suèd et le Danemark"* Hesp , 1958, T.XIV. 3 et 4 Tr ,pp. 203-238 ; C. H. de Castries, *S. I. H. M. Angleterre*. I et II. 1918 ; M. El Mansour, *Political and social developments in Morocco under the reign of mawlay Suleyman 1792-1822*. University of London , 1981 (thèse inédite) ; F. R. Flournoy, *British policy towards morocco in the age of Palmerston, 1830-1865*. London, 1935 ; G. T. Garrat, *Gibraltar and the meditarranean*. New York ; P. Guillen, *"La résistance du Maroc à l'emprise française au lendemain des accords franco-anglais d'avril 1904", R. O. M*, N°sp, 1970 ; P. Hopkins, Letters from Barbary, 1576-1774, *Arabic Document in the P. R. O*, Oxford University Press ; M. Kenbib, *Les protections étrangères au Maroc, 19-20 s*, Paris, 1980 (thèse inédite) ; N. V. Parson, *The origins of the Morocco Question 1880-1900*. London, 1976 ; J. B. Weiner, *Anglo-moroccan relation in the first decade of the occupation of Tangier 1662-1972. H. T*, Vol XVIII , fasc unique. 1978-79.


خالد بن الصغير

**أنكمار**، يحيى بن إسحاق المسوفي. ومعنى أنكمار: الصياد. من المعلوم أن دولة المرابطين كانت قائمة على حلف قبلي يضم جملة من قبائل صنهاجة الصحراء، تأتي في مقدمتها لمتونة ومسوفة. فكانت القيادات والمناصب العليا توزع على رجال مختارين من تلك القبائل. ومن جملة هؤلاء أنكمار يحيى بن إسحاق المسوفي الذي كان أميرا على تلمسان وقت اشتداد الحرب بين عبد المومن وتاشفين بن علي، ملك المرابطين، في نواحي وهران وتلمسان.

وتشير المصادر إلى حدوث «الشحناء والمقاطعة بين قبيل لمتونة ومسوفة» دون توضيح أسباب ذلك. فهل وقع

خطأ من لدن اللمتونيين في حق إخوانهم مسوفة في تلك الظروف العصيبة ؟ أم هل هي المنافسة بين القبيلتين ؟ أم هي مكيدة دبرها عبد المومن لتشتيت صفوف خصومه ؟

ليس من السهل الجواب عن هاته الأسئلة بأي تأكيد، والذي يتراءى من خلال بعض القرائن هو أن مسوفة الذين لم يكن بيدهم السلطان لم يشاءوا أن يورطوا أنفسهم إلى النهاية مع لمتونة، أصحاب الدولة، وفضلوا أن ينفصلوا عنهم حينما يئسوا من انتصار المعسكر المرابطي وبادروا إلى الالتحاق بالموحدين. ذلك أن أنگمار، حسب رواية البيذق، ظل مع تاشفين إلى النهاية أي إلى أن انسحب أمير المرابطين إلى وهران وتقدم الشيخ أبو حفص الهنتاتي إلى حصاره. وفي غداة وصول هذا الأخير، فرّ أنگمار إلى الصحراء.

لكن رواية ابن عذاري تختلف عن ذلك، إذ تذكر أن أنگمار كان أميرا على تلمسان عند حدوث النزاع بين لمتونة ومسوفة. وأن بعض أعيان مسوفة مثل يحيى بن تاكفت وبراز بن محمد خافوا على أنفسهم فانضموا لعبد المومن وتبعهم يحيى أنگمار. ولم يشأ أن يكون انضمامه عملا فرديا لا يترك أي صدى، بل أراد أن يعطيه صبغة سياسية حتى يستفيد من ذلك هو وقومه، وهكذا وفد على عبدالمومن في سنة 540، وهو بفاس في جملة من إخوانه مسوفة وكلهم ملثمون. وحتي يظهروا انفصالهم كلية عن دولة المرابطين، حسروا عن وجوههم اللثام، رمز صنهاجة الصحراء، وتزيوا بزي الموحدين.

من قصة أنگمار وأبناء عمومته، ندرك خطورة الانشقاق الذي أصاب كتلة المرابطين ولربما كان من أسباب انهيار دولتهم. وقد شجع عبد المومن هاته الظاهرة، وجازى الرجال الذين شاركوا فيها، ففسح المجال لأنگمار وجماعته كي يكونوا في «المحلة» التي تقدمت لفتح مراكش ودخلت إليها في شوال 1147/541. ويذكر ابن عذارى أن زوجة يحيى أنگمار وهي زينب بنت علي بن يوسف احترمت عن البيع وكذلك «جميع عيال أصحابه وأخواته واحترمت داره عن الفيء» وأرادت زينب أن تتقرب أكثر إلى خليفة الموحدين فجمعت مالها وذخائرها وسلمتها للخليفة الذي استحسن فعلها ونفذ أمره بأن لا تصاب البنات التي في جوارها وتحت حمايتها بسوء.

علت، إذن، منزلة أنگمار عند عبد المومن الذي كان في حاجة إلى سند شخصي خارج المصامدة. فوضع فيه ثقة كبيرة وأسند إليه قيادة الجيش المكلف بمحاربة ابن هود الماسي الذي انطلق من ثورة خطيرة على الموحدين عند دخولهم إلى مراكش، وامتد لهيب الثورة إلى كل البلاد حتى ارتدت كلها عن دعوة الموحدين، باستثناء مراكش. توجه يحيى أنگمار لملاقاة الماسي، لكنه لم يقدر عليه وانهزم أمامه. ولم يقض على ثورته إلا أبو حفص عمر الهنتاتي، كما هو معلوم.

بعد هذا لا نعرف أي شيء عن أنگمار، ولعل الهزيمة التي تكبدها حطت من منزلته في عين عبد المومن واخملت ذكره. والمهم من ترجمته هو أنها تكشف لنا بعض التناقضات الخطيرة التي وجدت في معسكر المرابطين لما أن داهمهم خطر الموحدين.

البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ابن عذارى، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*.

محمد زنيبر

**إنْـگْنـافْـنْ**، قبيلة حاحية تحتل الجزء الشمالي من الصف الأوسط بين قبائل حاحة الاثنتي عشرة المرتبة على الخريطة، تحيط بها أراضي حرارثة من الشياظمة شمالا وإداوگـرْضْ في الشمال المغربي وإداوسارنْ غربا وإمْگْرادْ جنوبا وأيت زَلْطْنْ شرقا. مساحة إنكنافن 351 كلم$^2$، وعدد سكانها 19,998 ن حسب إحصاء 1982. وقبيلة انكنافن تتكون من خمس فرق :

1 ـ خمس أيت محند في الجهة الغربية، وبه توجد زاوية ومدرسة المحصر التجانية أسسها الشيخ محند بن سعيد التلضي التامري المتوفى 1337 وإلى جانبها توجد مدرسة إيمي لحد العتيقة والمشهورة برجال رگراگة الستة والستين الذين يقال إنهم دفنوا بجوار المدرسة بعدما قتلوا في معركة ضد البرتغال. لا سيما وأنها تحت جبل عبد الواحد الذي توجد فوقه بيوت منحوتة من الصخر يطلق عليها السكان تيكما ايرومين (بيوت الروم = النصارى) يقال إنها من بناء البرتغال.

2 ـ خمس أيت باها في الوسط وعلى أرضه تقع مدرسة سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي (ت 870) حيث دفن بعد مقتل عمر السياف بايمي نتقاندوت وقبل أن ينقل شلو الشيخ الجزولي مرة أخرى إلى مراكش في عهد السعديين (*الاعلام*، 5 :41) ؛ *خلال جزولة*، 4 :8) وفي هذا الخمس أيضا قصبة قواد إِنْـفْلاَسْ الممتد عهدهم من عام 1298 إلى 1331 مع فترات شغور. وكذلك دار قيادة إدْ عدي وأشهرهم القائد مبارك الحاكم في عهد الحماية من 1331 إلى 1374.

3 ـ خمس إداوْخْلْفْ، يحتل موقعا جميلا جهة الجنوب، يتوسطه جبل أمدلْ إفْـرْضْ الذي بنى الفرنسيون على قمته مصطافا سياحيا يسمى عوى.

4 ـ خمس أيت جُوجْـگْـلْ، يقع في الجهة الشمالية على أرض القبيلة حيث تترآى من بعد قبة الولي الصالح محند إعزّى ويهدى ( *المعسول*، 10 : 179) وبجانبها مدرسة علمية قديمة اشتهرت بتدريس القراءات والفنون العلمية القديمة.

5 ـ خمس إغْـرْمانْ، الموالي لأيت واضيلْ الملحقين أيضا بنكنافة بالقوة والغلبة في عهد إنفَلاس المذكورين. ومدرستهم العلمية القديمة بجوار ضريح عبد الواسع ابن عبدالنعيم من أسرة المنانيين بأيت داود ( *المعسول*، 78:19).

وتتوفر قبيلة إنكنافن على مقر للجماعة القروية بسوق سبت نكنافة القديم. وبها محطة لاستخراج النفط والغاز.

والنكنافيون مشهورون بالشجاعة وحب الرياسة مما جعلهم في صراع دائم مع جيرانهم.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، *خلال جزولة*.

محند أيت الحاج

**أَنْمَاي**، مكان يناسب اليوم الموقع المنسوب لسيدي رحال الكوش الذي شيد بأنماي زاوية وأقام بها إلى أن وافته المنية حوالي سنة 1543/950. وكانت أنماي على الطريق الرابط بين مراكش وفاس عبر تادلا، بالمنطقة التي تقطنها اليوم قبائل زمران، على سفح الأطلس الكبير. غير أن أنماي لم تستفد على ما يبدو من هذا الموقع على طريق تجاري مهم وبمنطقة سهلية غزيرة المياه. فإلى حدود القرن السادس عشر لم تشر إليها المصادر وكتب الرحلات المغربية. وقد اعتبرها كل من الوزان ومارمول مجرد قرية متواضعة يحيط بها سور غير منيع. إلا أن مصادر القرن السادس عشر، المغربية والإيبيرية، أشارت إلى أنماي لمجموعة من الأحداث همتها بشكل أو بآخر وإن لم يكن لها أي تأثير عليها.

يتعلق الحدث الأول بالغارة التي نظمها برتغاليو آسفي وحلفاؤهم من بعض القبائل الدكالية على شرق مراكش والتي أوصلتهم حتى أبواب أنماي 1515/920. وتكمن أهمية هذه الغارة في كونها أقصى ما نظمه البرتغاليون من غارات. وإذا كانت المصادر البرتغالية قد جعلت منها انتصاراً برتغالياً ساحقاً، فإن الوزان ومارمول - الذي نقل عنه - اعتبراها هزيمة برتغالية كبرى (*الوزان*، 1 : 108،

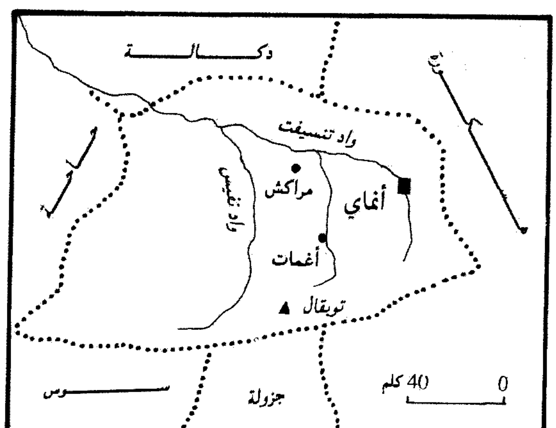


موقع أنماي

ويهم الحدث الثاني أوضاع أنماي خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن السادس عشر. فقد ذكر الوزان أنها كانت تابعة لقائد شاب فرض كلمته على كل المنطقة الفاصلة بين مراكش وأنماي، وكذا على بعض قبائل الأطلس الكبير. ويفهم من إحدى رسائل يحيى أ تعفوفت إلى الملك البرتغالي، أن هذا القائد كان من أهم قواد الحوز إذ ذكره ضمن معاوني محمد البرتغالي خلال هجومه على برتغاليي دكالة وحلفائهم سنة 1517. غير أن هاتين الإشارتين لا تسمحان بتحديد ما إذا كان هذا القائد هو عبد الرحمن بن حدو الذي تشير إليه المصادر البرتغالية حوالي 1520 قبل أن ينتقل إلى الجبل الأخضر بدكالة تحت وطأة الجماعة والحصار الوطاسي لعرض خدماته على البرتغاليين.

أما الحدث الثالث فيهم الصدام السعدي الوطاسي والتقاء جيوش الطرفين بأنماي في ذي القعدة 935/ 1529 بأنماي.

**أنماي** (مُول ـ)، توجد قرب أنماي مزارة لليهود حيث قبر الربّي يعقوب أشكينازي الذي يدعونه "مول أنماي".

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *إفريقيا* ؛ م. الافراني، *نزهة*.

R. Ricard, *Les Portugais au Maroc* ; G. de Marmol, *L'Afrique*, trad. franc, Paris, 1667. 2 tomes ; P. de Cenival, (et al...), *S.I.H.M., Série sa'dienne, Portugal*, tome 2.

أحمد بوشرب

## أنكيس ← الأطلس الصغير

**أَنْمُگَّارْ** (الموسم) جمعه إنمُگّارنْ وهي لقاءات تقام مرة كل سنة قرب ضريح من الأضرحة التي شيدتها القبائل على علمائها وفقهائها وصلحائها الذين تركوا بصماتهم في حياة الناس على شكل أشعار وحكم أو مواقف ومحفوظات.

ويكون الموسم (أنموگار) بمثابة الذكرى للترحم على روح صاحب الضريح والتذكير بما قدمه في المجال الديني، فنجد منهم من يطلب من هذا الضريح أو ذاك قضاء مآرب دنيوية وأخروية. وقد تصدى العديد من الوعاظ والمصلحين لهذه الظاهرة لتطهير الدين من الشوائب المحدثة.

وإنموگارن أسواق اقتصادية يقصدها الناس من قبائل بعيدة ومن مدن كبيرة وصغيرة حيث يشكل الموسم معرضا سنويا للمنتجات المحلية وغيرها، ويعتبر وهو أيضا ملتقى الأصدقاء والأقارب ومناسبة لإقامة رقصات أحواش كما هو الشأن مثلا بأنموگار نسيدي مُحند بن يعقوب، حيث يحتفي التّگموتيون بالزوار برقصات على ضرب الطبول ؛ وكما هو الشأن بأنموكار نْسيدي إبراهيم بن عمر التمانارتي دفين إداوْزدُت؛ وأنموگار نْتَزَرْوالْت قرب ضريح سيدي أحمد ابن موسى.

وترتل بالمناسبة قراءات قرآنية وأمداح نبوية لفقهاء المنطقة والجهات المجاورة، بل هناك ظاهرة المنافسة والتباري في استظهار القرآن وتلاوته بطريقة محلية جهراً وجماعياً (تاحزّابْت) بين طلبة المدارس العتيقة وفقهائها. وتُقصى المجموعة التي تعثرت قبل اتمام الجزء المخصص لها من طرف لجنة التحكيم المتكونة من الماهرين بالقراءات. بينما تتوج الفرقة المتمكنة تتويجا معنوياً، حيث تتناقل الألسن أخبارها إلى جانب أخبار المجموعة المتعثرة، وقد يمنحون جوائز نقدية بواسطة مقدم الطلبة.

*تحريات ميدانية.*

محمد مستاوي

**إنـمـيغـرنْ**، من الفعل «غرّ» ومعناه : النداء، وهو في هذا الاسم بصيغة المتفاعلين أي : المتنادين، أي «الأحلاف» الذين يستنجد بعضهم بالبعض الآخر. وإنْميغْرنْ القبيلة مجموعة قرى ظلت تعرف بهذا الاسم من عهد الموحدين على الأقل إلى قرننا هذا، تقع على مقربة من وادي نفيس بحوز مراكش، بين هذا الوادي وبين هضبة كيكْ، ذكر ابن

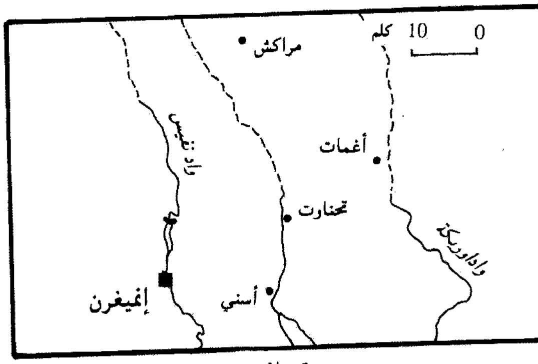


موقع إنميغرن

عبدالحليم الذي يرجح أن يكون صاحب مخطوط (خ. ع. ك. 1275) أن مدينة نفيس البائدة واقعة ببلدهم، وينسب إليهم بعض أشياخ الموحدين المذكورين في *البيان المغرب*.

أحمد التوفيق

**أنّـان**، Annan منصِّرة أنجليزية بروتيستانتية حلّت بالصويرة سنة 1892 واستوطنتها عدة سنوات. ولها مقالات عن التنصير أصدرتها بمجلة ذه ريبر The Reaper .

م. بوشعراء، *الهجرة من المغرب وإليه* (مخطوط).

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1: 62, *Les missions protestantes au Maroc*, *Hesp*, 42 : 191.

مصطفى بوشعراء

**إنّـاوْنْ** (واد ـ) يقع في الجزء الأوسط من شمال المغرب حيث يستغل مجراه الرئيسي الممر الطبيعي الفاصل بين جبال الريف وجبال الأطلس المتوسط. اتجاهه من الشرق نحو الغرب مع انحراف خفيف نحو الشمال الشرقي في العالية، وتقوس نحو الشمال الغربي في السافلة. طوله من خانق الطواهر إلى مصبه في واد سبو حوالي 90 كلم، لكن انحداره الخفيف جعله يرسم منعرجات معقدة داخل قعر الوادي.

أما مجراه فهو عبارة عن واد متسع نسبيا بمعدل كيلوميتر واحد تقريبا، مع بعض الاستثناءات، حيث نجده يضيق ليصبح على شكل خانق ذي سفوح لها انحدار قوي عند مستوى خانق الطواهر وحول كدية شبار غربه، أو يتسع أحيانا ليعطي أحواضا شبه مخلقة، تستغل فلاحياً.

تطل على الوادي من الناحية الجنوبية مشارف هضبة مقدمة الأطلس المتوسط حتى محطة الطوابة شمال شرق فاس، وبعدها نحو الغرب يتقوس الوادي نحو الشمال الغربي ليدخل في أراضي مقدمة الريف. أما الضفة الشمالية فتتكون من تلال مقدمة الريف الجنوبية والجنوبية الشرقية.

يصرف واد إناوْنْ مياه حوض تبلغ مساحته الإجمالية 5.200 كلم$^2$ حتى مصبه بواد سبو (أي بإدخال حوض واد اللبن). ويتراوح ارتفاع الحوض ما بين 1.700م و190م مع متوسط يدور حول 720م. وهو أقصى حوض من الناحية الشرقية تتجه مياهه نحو المحيط، إذ مباشرة إلى شرقه (10 كلم شرق مدينة تازا) يوجد خط مفترق المياه بينه وبين حوض واد ملوية الذي يصب في البحر المتوسط.

يتوفرحوض إنّاون على شبكة من المجاري المائية جد كثيفة، وذات تنوع يعكس الاختلاف القائم بين الوحدات الطبغرافية والصخارية التي تشكلت فيها. تتوزع هذه الشبكة من الروافد على شكل شجري جد متفرع. من أهم الأودية التي يكونها نجد وادي الأربعاء، وهو الجزء الأعلى لواد إنّاونْ، وواد لخضر وواد إمليل وواد اللبن من الضفة اليمنى، وتصرف مياه الواجهة الجنوبية لجبال الريف، ثم واد تازة وواد موقدة وواد إزدگ وواد بوحلو وغيرها من الضفة اليسرى، وتصرف مياه الهضبة التي تتقدم جبال الأطلس المتوسط.

يتميز واد إناون بجريان دائم، لكنه يعرف تباينا مهما بين فترة الوفرة وفترة الشح. يعتمد في تزويده بالخصوص على مياه التساقطات التي تتراوح في المنطقة ما بين 500 ملم و600 ملم سنويا، وتكون غالباً على شكل أمطار نظراً لقلة ارتفاع الحوض، إذ أن الثلوج لا تتجمع في هذه المواقع إلا ابتداءً من ارتفاع 2.000م، رغم أن تساقطها فوق مرتفعات 1.000م ليس نادراً.

تصرف هذه المياه بطريقتين حسب نوعية السطح الذي يتلقاها، ففي مقدمة الريف حيث التلال الطفلية غير نافذة، يكون الجريان سطحيا وآنيا، يتم على شكل أودية وشعاب وأخاديد، أما على الهضبة جنوب الوادي حيث الصخور الكلسية تتميز بنفاذية كبيرة لما يتخللها من شقوق وفواصل، فإن مياه التساقطات تتسرب داخلها لتخرج على شكل عيون تضمن ديمومة الجريان طول السنة (عين سودة 150ل/ث، عين فندل 17,5ل/ث، عين السخون 50ل/ث الخ...).

تبعا لهذه الحيثيات، فإن الصبيب يعرف تغايرية كبيرة، سواء من سنة إلى أخرى أو خلال السنة نفسها. فأهمية التغايرية البيسنوية تظهر في كمية الصبيب المستخلصة احصائيا بالنسبة لفترات التكرار (Périodes de retour) 1.000، 100، 10، 1 التي هي بالتوالي 2.500، 1.400، 660 و180 م$^3$/ث.

أما الاختلافات بين فترة الوفرة التي تتركز عادة في شهور نونبر ودجنبر ويناير وبأقل أهمية، فبراير ومارس، وفترة الشح الصيفية التي تبلغ أوجها في شهر غشت، فتظهر من خلال متوسطات الصبيب الأعلى والأدنى التي هي كالتالي : 110 و1,7م$^3$/ث حسب معطيات محطة الطوابة عن فترة 1932 ـ 1963 (دون اعتبار واد اللبن).

ونظرا لطبيعة شبكة تصريف هذا الحوض الشجرية

الشكل، فإن الصبيب يتزايد بشكل مضطرد كلما تعزز النهر برافد من الروافد. ولضبط المعطيات فقد أقيمت عدة محطات على طول مجرى النهر وهي :

- باب مرزوقة قبل خانق الطواهر.
- الكوشات أو الطوابة سالفا (غرب المنطقة)
- عربات (موضع السد الحالي)

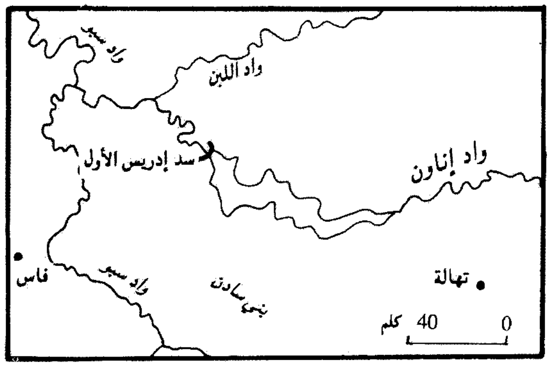


موقع واد إناون

أهمية مياه الحوض من حيث الكم وعدم انتظام توزعها في الزمن، جعلت الدولة تشيد سداً مهما على سافلة الوادي قبل التقائه بواد اللبن، وهو سد إدريس الأول وذلك سنة 1973.

ب. الفلاح، *دراسة جيومورفولوجية لجزء من خدود جنوب الريف*، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط.

Ministère des Travaux Publics, *Ressources en eau du Maroc*.

أحمد لقمهري

**أنوار**، أسرة تطوانية كانت من الأسر الأندلسية الأولى التي جاءت من مدينة بسطة Baza بناحية غرناطة إلى تطوان. ويبدو أن هذه الأسرة انقرضت حوالي سنة 1597/1006 حيث توفي آخر فرد معروف منها هو الولي الصالح الحاج محمد أنوار الأندلسي.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 67 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 1 : 307 و327 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.
Delegacion, *Familias ilustres* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

**أنوار، محمد** بن محمد، ولي صالح وشيخ عالم، وصفه مترجموه «بالشيخ الولي الرباني المحقق الواصل العارف» و «بأحد العارفين بالله الغائب عن قلوبهم كل ما سوى الله لا يرى في الوجود إلا الله» وأجمعوا على أن كرامته كانت كبيرة ومناقبه خطيرة.

وكان أول من ظهر بمظهر التصوف في تطوان حوالي سنة 1596/1004، حيث إنه هو الذي أسس أول زاوية صوفية بتطوان، وهي الزاوية الفاسية الواقعة بحي العيون قبالة الفناء الكبير بأمر من الشيخ يوسف الفاسي الفهري.

ويحكي أنه ذات يوم رآه أحد أصدقائه جالسا بحانوته يتجر فسأله : كيف التجارة مع حالك ؟ فأجابه : الجسم في الحانوت، والقلب في الملكوت.

توفي بتطوان إثر الوباء يوم 3 محرم 1006/ 16 غشت 1597، ودفن بباب المقابر، ويبدو أنه بوفاته انقرضت أسرة أنوار بتطوان.

ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، ص : 181 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 45 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 78 ؛ ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 67 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 27 و317.

محمد ابن عزوز حكيم

**أنوال**، تل يقع بقبيلة تمسمان الريفية (إقليم الناظور) واشتهر بكونه أصبح مركزاً رئيسيا للجيش الإسباني الغازي للشمال الشرقي المغربي، وبه كان يوجد قائد الجيوش الإسبانية الجنرال سيلفيسطري Silvestre في يوم 21 يوليوز 1921 حيث جرت فيه المعركة التي انتصر فيها المجاهدون بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي على الجيش الغازي. وهي معركة إغْـرِيّـبْن التي تعرف خطأ بمعركة أنوال، وهذا ما جعل اسم هذا التل يعرف في العالم أجمع.

وقد ورد اسم أنوال لأول مرة في السياق التاريخي عندما قام الجيش الإسباني باحتلاله يوم 15 يناير 1921 وبنى به ثكنة عسكرية أصبحت هي مقر القيادة العسكرية لجيش الاحتلال بالناحية الغربية من مقاطعة مليلة، وظل أنوال بيد الإسبان إلى أن انهزم جيشهم في معركة إغْـرِيّبن، فانتحر بأنوال الجنرال سيلفيسطري، واضطر الجنود إلى الهروب، وتعرض لهم المجاهدون في الطريق فكانت المجزرة الكبرى التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ الاستعمار، ومنذ ذلك اليوم أصبح اسم أنوال يكون وصمة عار في جبين الاستعمار الإسباني وتكتب بأحرف سوداء في صفحات تاريخه.

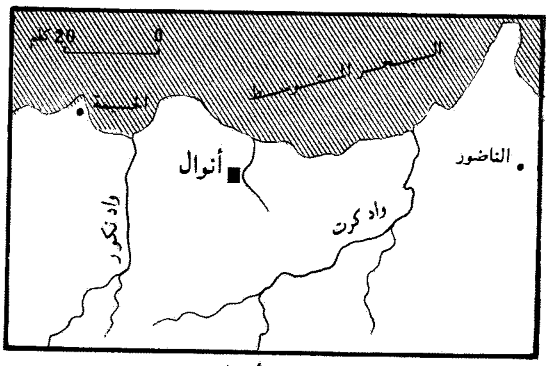


موقع أنوال

وعندما بدأت الثورة الريفية تتقهقر ووصل الجيش الإسباني إلى قبيلة تمسمان للمرة الثانية لم يكن في حاجة لاحتلال أنوال مرة أخرى لأنه كان قد استولى على أماكن أهم منه استراتيجيا، ولكن القيادة العسكرية الإسبانية أمرت باحتلال التل المذكور مرة ثانية، وذلك يوم 18 ماي 1926 حيث وجه الكولونيل بوثاس Pozas إلى المقيم العام الإسباني بتطوان برقية يقول فيها :«في الوقت الذي أطأ

فيه من جديد أرض أنوال بعد خمس سنوات من الغياب أوجه بافتخار واعتزاز إلى إسبانيا عامة تحياتنا وإلى الأبطال الذين ضحوا هنا بحياتهم في الدفاع عن الوطن».

وحتى بعد أن استولى الإسبان على شمال المغرب كله لم يتخلوا في يوم من الأيام عن تل أنوال لدرجة أنهم فكروا في سنة 1947 في تأسيس قرية إسبانية هناك فوضعوا لها تصميما لم يتم إنجازه.

م. ابن عزوز حكيم، *معركة أنوال*، الرباط، 1981.

General Goded , *Marruecos : etapas de la pacificacion* .

محمد ابن عزوز حكيم

**أنوال** (معركة) ← **إغـرِّين**

**أ ُنيـرْ** (أيت ـ)، قبائل تنحدر من صنهاجة الأطلس، وقد وردت أول اشارة عنها تحت اسم أيت تنّار في كتاب *المقتبس من كتاب الأنساب* للبيذق الصنهاجي من رجال القرن السادس الهجري. كانت قبائل أيت تنار خلال ذلك القرن تشكل خُمساً واحداً في اتحادية بني صطاط، إحدي الاتحاديات القوية ضمن تجمعات صنهاجة الظل حسب تصنيف البيذق ( *المقتبس*، 56). ونستفيد من تصنيف البيذق أن قبائل أنير كانت على عهده تستوطن المنحدرات الشمالية لجبال الأطلس الكبير، وأن مجالات انتشارها كانت تمتد إلى السفوح الجنوبية للأطلس المتوسط على ضفاف واد العبيد بمنطقتي واويزغت وأزيلال حيث لا تزال بعض بقايا هذه القبائل إلى اليوم بوادي برنات جنوبي أزيلال ( *البحث العلمي*، 25 : 86 ـ 69).

قبائل أيت أ ُنير بعد تشكيل اتحادية أيت عطا : بالرغم من أننا لا نتوفر على ما يسمح لنا بتحديد الزمن الذي تحركت فيه قبائل أيت تـنّار (أيت أنير) من مواقع انتشارها الأولي في اتجاه الجنوب، فإن الشيء الأكيد هو أن هذه القبائل قد اتصلت بصنهاجة القبلة، أي صنهاجة الصحراء منذ وقت سابق لعهد ابن خلدون، ذلك أن هذا المؤرخ عندما تكلم عن صنهاجة الصحراء أو صناگة حسب تعبيره، وصفها بأنها أوفر قبائل المغرب وأشدها بأسا ومنعة، وحدد مجالات انتشارها ما بين ضواحي سوس غربا، وإگرسْلُوينْ شرقا عبر وادي درعة والنـقـُبْ، ومن التخوم الصحراوية جنوبا إلى قمم جبال الأطلس (*العبر*، 6 : 273 ـ 274) عبر بلاد فركلة وتُدْغة ودادس، ومعلوم أن هذا المجال الذي حدده ابن خلدون، هو الذي عرف ميلاد اتحادية أيت عطا خلال النصف الثاني من القرن العاشر (16م) لتأخذ شكلها النهائي في بحر القرن الحادي عشر (17م).

تشكل قبائل أيت أ ُنير إلى جانب أيت ولال الخمس الأول في اتحادية أيت عطا ( *البحث العلمي*، 23 : 119) لذلك فإن قبائل أيت أ ُنير تحتل موقعاً بارزاً في الاتحادية ولها كلمتها المسموعة بين قبائل أيت عطا.

تمتد مجالات انتشار قبائل أيت أ ُنير من واحة ترناتة بوادي درعة إلى السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الكبير، مـرورا بالنـّقُبْ وصاغرو ودادس، وتتداخـل مـواقع أيـت أ ُنير مع غيرها من القبائل الأخرى من اتحادية أيت عطا وغيرها.

وإذا كانت البقية الباقية من أيت أ ُنير بواويزغت تحسب على أيت عطا نومالو، فإن قبائل أيت أ ُنير بدادس ودرعة تحسب على أيت عطا الصحراويين دون أن تقطع صلاتها الأخوية بأيت أ ُنير من أيت عطا نُومَالُـو. وتتمركز قبائل أيت أنير الصحراويين في ثلاث مناطق أساسية يربط بينها المحور التجاري الذي يربط بين وادي دادس وصَغْرو شمالا ووادي درعة جنوبا.

**أيت أونير**

1 ـ قبائل أيت أ ُنير بدرعة : جاءت أول إشارة مكتوبة عن قبائل أيت أنير بدرعة في إحدى الاتفاقيات العرفية التكفلية (مطلع القرن الثاني عشر الهجري/ نهاية القرن 17م) بين أعيان قبائل أيت سليلُـو وأيت مسْكُورْ من أيت أنيـر، وأولاد سيـدي محمد ابن يوسف المليـاني بزاويـة تـگرسيفت بواحة فزواطة. ونستفيد من هذه الاتفاقية أن قبائل أيت أنير قد وصلت في أقصى اندفاع لها نحو الجنوب إلى المدخل الجنوبي لواحة فزواطة، حيث موقع زاوية تگرسيفْتْ. وإذا كانت الظروف المضطربة بالجنوب المغربي خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17م)، قد جعلت قبائل أيت عطا تندفع نحو الواحات، في محاولة لتجاوز الظروف الاقتصادية الصعبة، فإن كل القرائن تؤكد على أن عمليات اندفاع قبائل أيت أنير، ظلت تترى على واحات وادي درعة بكيفية منتظمة أحيانا، ومتقطعة أحيانا أخرى، طيلة القرنين الثاني عشر والثالث عشر(18 و19م).

وقد عرفت هذه القبائل كيف تستفيد من الفراغ السلطوي الذي عانت منه واحات درعة في بعض الأحيان، لتفرض حمايتها المأجورة على بعض المستقرين. وعن طريق التحالف أو عقد الاتفاقيات التكفلية مع بعض أصحاب الزوايا، تمكنت قبائل أيت أُنير من التمركز بالوادي والمشاركة الفعالة في الأحداث التي عرفها الوادي، خاصة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري (19م). كما كانت لها مشاركة قوية في الفتن التي عصفت بواحات درعة طيلة العقود الأربعة الأولى من القرن الرابع عشر الهجري (20م)، حيث كانت تتحالف مع قبائل الروحة لمواجهة قبائل أولاد يحيى ومن في لفها من قبائل أيت ولاَّلْ رغم ما يربط بينهما من أخوة. كان من نتائج هذه الفتن تحول قبائل أيت أنير إلى الاستقرار والارتباط بالأرض بعدما نجحت في الاستيلاء على مجموعة من القصور بواحتي ترناتة وتينزولين.

ومن القصور الخاصة بقبائل أيت أنير بواحة ترناتة تينانوغرابنْ، وأرّو، وتينرْدنْ، وتايرْسُوتْ، وزاوية القاضي، وهذان الأخيران قد استولى أيت أنير عليهما في أواسط العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري. ومن قصورها بواحة تينزولين : الزّرْكانْ وتيكْنْتْ.

تنقسم قبائل أيت أنير إلى فرعين كبيرين هما : أيت أنير وأيت الربّعْ. وكل فرع من هذين الفرعين ينقسم بدوره إلى فرعين كبيرين :

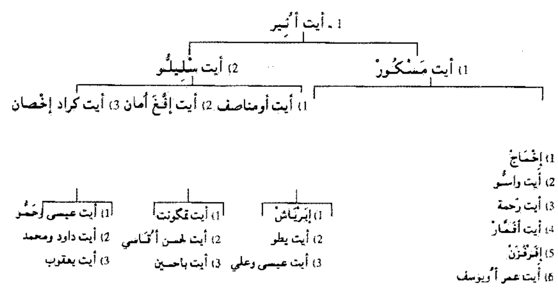


ولا تزال كل قبيلة من هذه القبائل بدرعة مثلا، ترتبط باخواتها في جهات أخرى. وقد أعرضنا عن ذكر تفريعات أخرى أقل شأنا.

2 ـ قبائل أيت أنير في دادس وصغرو : يظهر أ ن وجود هذه القبائل بدادس وصغرو كان الهدف منه مراقبة الطرق التي تربط بين الأطلس الكبير وبلاد درعة لحماية قوافل قبائل أيت أنير وضمان مرور قطعان ماشيتها نحو مراعي جبال الأطلس.

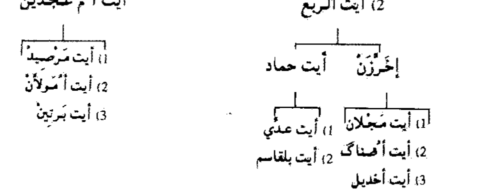


وردت أول إشارة مكتوبة عن قبائل أيت أنير بجبل صغرو في *تاريخ الضعيف* الرباطي، حيث ذكر بأن قبائل أيت أُنير قتلت مولاي علي بن الفضيل العلوي بجبل صغرو في ذي قعدة الحرام عام 1777/1191 (*الضعيف*، 181، خ. ع. د 660).

ولا تزال مراكز استقرار قبائل أُنير بدادس وإمطّرْ وصغرو تحمل أسماء العشائر الأولى التي نزلت بالمنطقة.

3 ـ قبائل أيت أنير بالنّقُب : تقع منطقة النقب غرب واحة تازرين على الطريق التجاري القديم الذي يربط وادي دادس وسكورة شمالا بوادي درعة. وتتمركز بالنقب تجمعات من قبائل أيت أُنير (أيت سليلو وأيت مسكور)، ويبدو واضحا من خلال استقرائنا للخريطة أن تمركز هذه القبائل من أيت أنير بمنطقة النقب كان الهدف منه ضمان السيطرة على الطريق التجاري بين دادس ودرعة عبر فم ورتي، وضمان ربط الاتصال بين المنطقتين.

البيذق، *المقتبس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج : 6 ؛ الضعيف، *التاريخ*، مخطوط .خ.ع. 660 ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*، ج :1.

G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara*, t. II.

أحمد البوزيدي

**أهْبّاطْ**، أسرة تطوانية أصلها من الناحية التي كانت تعرف بالهبط، وهي غير الأسرة التي تحمل اسم الهبطي والتي أصلها أيضا من الهبط، فالأسرتان كانتا بتطوان، غير أن أسرة أهباط قد انقرضت بها في حين لا زالت موجودة أسرة الهبطي.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 3 : 24 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**أهْراسْ**، أحمد، ولد سنة 1914 بتيزي وسلى، إقليم تازا، وقد كان قائد المائة ومن المؤسسين للثورة والمناضلين

الذين أدوا واجبهم أحسن الأداء، فاستمر في كفاحه إلى أن قتل برصاص المستعمر بتاريخ 27 نوفمبر 1957 بمعركة تيزي ودرار.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير*.

عزالدين العلام

**أهرمومو ← رباط الخير**

**إهْرِنْـهُوفْ** Ehrenhoff، أسرة سويدية كان بعض أفرادها يمثلون الاتحاد السويدي ـ النرويجي بطنجة في النصف الأول من القرن التاسع عشر. ومنها كان :

**إهْرِنْـهُوفْ، ج. م.** J. M. قنصل السويد بطنجة من سنة 1822 إلى وفاته بها سنة 1854. وله تقارير ومراسلات بالأرشيف الوطني للسويد Svenska Konsulers Skrivelser.

**إهْرِنْـهُوفْ، سليم** Slim، ابن السابق وقد خلفه من سنة 1854 إلى سنة 1859 حيث انتقل قنصلاً باسطنبول. وله تقارير تجارية وقنصلية بالأرشيف الوطني السويدي.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، 2 : 644 و645.

L.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe* ; 1 : 37 et 2 : 126.

مصطفى بوشعراء

**أهوگّار**، في المدة السابقة لغزو المرابطين شمال المغرب كان بربر لمطة قد كونوا إمارة في جهة واد نون. ولما وصل الصنهاجيون في الحركة المرابطية إلى تلك الجهة اشتركوا معهم في تلك الإمارة، والظاهر أنها استمرت حتي بعد أن تغلب الموحدون علي المرابطين إذ كان سلطان لمطة هو الرجل المعروف بأهوگار، أدركه الشيخ أبو حفص إنْتي عندما قام في خلافة عبد المومن بغزو سوس وإطفاء ثورة الثائر بماسة.

واسم أهوگار قريب من أهوار (= الهواري) وأهگار وهو النبيل أو اسم قبيل أهگار، وكذا من أوگّار التي تعني المكان المرتفع والربوة.

ل. بروفنصال، *رسائل موحدية* ؛ البيذق، *أخبار المهدي*.

D. J. Meunié, *Le Maroc Saharien*, 65, 259, 302, 317.

أحمد التوفيق

**أهل الحل والعقد ← الأعيان**

**إهْيَّاضْنْ**، جمع، وهي كلمة أمازيغية سوسية تعني الفوضويين، مفردها أهياض، الفوضوي، تطلق عادة على من ينتقل من مكان إلى مكان على غير هدى متحديا عادات وتقاليد وأعراف مجتمعه، من ذلك إطلاقهم لكلمة (تاهيَّاط) التي تعني الفوضى على من لم يمتثل لنظام الجماعة خاصة عندما يتعلق الأمر بتنظيم جمع غلة اللوز أو أرگان على سبيل المثال، حيث على الكل أن ينتظر نضج الثمار، واتفاق الجماعة على يوم الخروج لالتقاطه، والتزام كل واحد حدوده دون أن يتجاوزها للاستحواذ على متاع الغير، واذا تحدى فرد أو جماعة شاردة قانون الجماعة المنتمية إلى قرية أو قبيلة ما، وأخذ كل فرد يلتقط ما وصلت إليه يده يوصف عمل هذا وذاك بـ (تاهْيَّاط) ويتابعون من طرف إمْحيزْنْ الحراس المعيّنون باتفاق السكان لحراسة الغلال، والمحافظة عليها، وفقا لعرف الجماعة المساند من طرف السلطات المحلية، حرصاً على حماية الحقوق المادية والمعنوية للسكان، ويتقاضى الحراس المشار إليهم كمقابل، ما تم الاتفاق عليه من الغلة المحروسة نفسها، وكثيرا ما تكون الذعيرة المأخوذة ممن قام بـ (تاهياط) الفوضى والترامي على متاع الغير من نصيب (إمحيزْن) حراس الغلال... وإهْيّاضْنْ الذين سأحاول التعريف بهم، تعرفت عليهم ميدانيا خاصة عند تنقلاتهم وممارساتهم الإيجابية والسلبية، هم المعروفون لدى الخاص والعام بأولاد سيدي أحمد أُموسى التزروالتي المنتسبين إلى الولي الصالح صاحب طريقة الرماية التي كانت تستهدف تكوين رماة مهرة قادرين على مواجهة التيار الصليبي المتربص في وقته بالمغرب.

ومن تلامذة الشيخ أحمد بن موسى التزروالتي في الرماية، على سبيل المثال، الشيخ محمد ابن ناصر وشقيقه الشيخ علي ابن ناصر الذي أسس زوايا كثيرة، كونت من أتباعها العشرات بل مآت المهرة في فن الرماية على غرار ما يسمى الآن بالمليشيات ...

وما مجموعة إهياضن في نظرنا إلا مجموعة منحرفة جزئيا عن تعاليم تلك المدرسة الشعبية المتخصصة في فن الرماية حيث نجدها تحتفظ بالألعاب الرياضية التي كانت تستهدف تكوين الرماة جسميا وعقليا، وأبرز ما تمارسه الجماعة، ومن صميم الرماية، تسلق الأفراد بعضهم البعض إلى أن يكوّنوا قلعلة عالية، يظنها المشاهد حاليا عملية ترفيهية لا أقل ولا أكثر، علما بأنها عملية رياضية حربية يتمرن عليها الرماة صغاراً وكباراً قصد الالتجاء إليها عندما تدعو الضرورة إلى تسلق جدار أو قلعة من قلع العدو، أثناء نشوب معركة ما وفي حالة حصار...

يمكن القول إن إطلاق اسم «إهياضن» على هذه الجماعة راجع إلى كونهم تخلوا عن عادات وتقاليد محلية، وبالأخص مناسبتي «تيولْتْ» الدوري و «تارَاميت» الرماية، ذلك أن سكان قبَائل الأطلس الصغير معروفون بالتجوال في قرى قبيلتهم ويمكن تجاوزها للوصول إلى قبيلة مجاورة فيما يسمى بـ «تيولت» الدوري حيث اعتاد رجال القبيلة وشبابها أن يجمعوا بالتساوي مما لدى سكان القرى (خاصة الذكور البالغين ممن يرغبون في المشاركة) ما يكفي لشراء اللحم والخضر وغيرها، وعلى القرية أن تعطي المقر اللا ئق والأفرشة والأواني إضافة إلى المرقص كما عليهم أن يقوموا بخدمة الوافدين يوما وليلة على الأقل، وتمتاز إقامتهم بالرقص والغناء والفكاهة ولوحات هزلية تشخص من طرف الموهوبين، يتم فيها تجديد اللقاء بين المهاجرين والمستقرين محليا، ويتعارف من لم يتعارف، قرية قرية، في جو أخوي يرفهون فيه على أنفسهم وعلى نسوة القرى وصبيتها إضافة إلى ما تحققه المناسبة من اختيار الفتيان لفتيات القرى المزارة وخطبتهن بعد ذلك، وفق العادات المتبعة. وتجدر الإشارة إلى أنهم يقومون بـ (تيولت) في الصيف حيث عودة المهاجرين، وقد يتأجل الدوري لسنتين أو ثلاث كما هو الشأن حالياً في قبيلة إداوزدوت لفتح المجال بالتناوب لمواسم أخرى/ كموسم سيدي علي بن ناصر

الذي يقام عادة في قرية تيلكيست، وكانوا يمارسون فيه الرماية، وفي كل موسم تتكون لجنة لاختيار البارعين في إصابة الهدف وذلك بوضع هدف صغير في أبعد نقطة ممكنة، وكثيرا ما يضعون لوحة صبّار أو ما شابهها فوق رأس رجل وعلى الرامي أن يقوم باصابة نقطة سوداء وسطها ماسكا البندقية بيد واحدة واضعا الأخرى على إحدى عينيه وهذه العملية يقوم بها المهرة من الرماة، كما تقام رقصات أحواش المتنوعة والرائعة شكلا ومضمونا ويقوم الرماة بجمع الهبات والصدقات، أو كما يسمونها زيارة سيدي علي بن ناصر، أثناء جمعها يمارسون بيعا خاصا حيث تباع البيضة (المباركة) مثلا بخروف يسجل دينا على المشتري إلى الموسم القادم، وتقام المواسم كلها في الصيف بحضور المهاجرين من عمال و طلبة وموظفين، ويتحقق اللقاء... وذكر تيولْتْ (الدوري) وتاراميتْ (الرماية) يكشف العلاقة بينهما وبين جماعة إهْيّاضْنْ وتتلخص في الآتي :

ـ يقومون بالتجوال في القرى ويمارسون ما تمارسه جماعة تيولْتْ من رقص وفكاهة، إلا أن الفرق الذي جعل جماعة إهياضن (الفوضويين) تأخذ هذا الاسم هو :

خروجها عن المألوف في دوري (تيولت) خاصة في كونها تتجاوز حدود القبيلة والقبائل المجاورة في جولاتها.

تخلت عن العديد من الممارسات الدينية المعروفة لدى الرماة كقراءة القرآن والأمداح النبوية بالعربية وبالأمازيغية (الأذكار) وعوضتها بمدح سكان هذه القرية أوتلك ومدح فلان أوفلان، إضافة إلى التخلي عن تعليم فن الرماية والاكتفاء بالجانب الرياضي البهلواني والعشوائي المشار إليه والمعروف لدى عامة الناس بألعاب أولاد سيدي أحمد أُموسى.

تتألف جماعة إهياضن من عدة عناصر:

أ ـ مقدم الجماعة، ويتولى الاتصال بالسلطات المحلية للحصول على إذن التنقل داخل القيادة أو العمالة قرية قرية كما يتولى تسيير الجماعة من الناحيتين الفنية والمادية ولا يستطيع أي أحد أن يقوم بعمل ما إلا بموافقته.

ب ـ الرقاص، المبعوث الذي ينطلق بأمر من المقدم من القرية التي توجد فيها الجماعة إلى القرية التي ستلتحق بها، وفي ذاكرته أسماء بعض رجالاتها لقنت له خاصة بالمناسبة، وما أن يدخل القرية راكبا دابته صحبة قردة حتى يلتف سكانها حوله، حينذاك يطلق العنان لحنجرته مردداً : آهيا آسيدي أحمد أُموسى، مادحا سكان القرية مستعرضاً أسماء رجالاتها الأحياء منهم والأموات، مذكراً بما تمتاز به قريتهم وقبيلتهم عن غيرها، طالبا باسم المقدم وجماعة إهياضن أن يقبلوهم ضيوفا لديهم ليوم واحد أو يومين حسب طاقة تلك القرية ويقابل طبعا بالترحاب من طرف الصغار والكبار....

ج ـ كما تتألف الجماعة من الشبان والأطفال المهرة في القيام بحركات رياضية رائعة إلى جانب تقليدهم المتقن لرقصات القبائل التي مروا منها وما يتخللها من أشعار وتنوع في الألحان، مع الاطلاع على العديد من عاداتهم وتقاليدهم بما في ذلك ما يشرفها وما يسيء إليها لاستعمال هذه وتلك عند الحاجة، وقد نقل الأجانب العديد من رواياتهم قبل الاستعمار وأثناءه.

د ـ حمَلة البنادير والمزامير ويتكونون من كبار الجماعة بمن في ذلك، المقدم.

هـ ـ (شْمُوتيتْ) الفكاهي المهرج، وعليه تعتمد الفرقة في اجتذاب الجمهور أكثر من غيره.

يكون دخول الجماعة إلى القرية عند قرب زوال الشمس، مسبوقة بالراكبين على الحمير متبوعين بأربعة قردة فما فوق، وما أن تعقل الدواب وتأخذ علفها، حتى تلتحق الجماعة بأساس ساحة القرية ومرقصها، يرددون ما معناه : (رْما) نْسيدي أحمد أُموسى يطلبون منكم ضيف الله يا سكان قرية....

فتكون الإجابة الجماعية : مرحبا برماة سيدي أحمد أُموسى.

كما يرددون البيت التالي :

أورْ اسْكيرْ شرعْ أيصاصايانْ أهْيّاضْ

مْقارگانْتْ طْمْزينْ خمْسا واق إوْخْبوب

لا تجيز الشريعة طرد (أهياض)

ولو بلغ ثمن حبة من شعير خمس أواق.

بعد ذاك يقومون بحركات رياضية خفيفة مصحوبة بدقات البنادير ونغمات المزامير مع استعراض القردة وحركات فكاهية لـ (شْمُوتيْيْتْ) الفكاهي المهرج، والكل ينادي : آهيا آسيدي أحمد أُموسى، آسيدي علي بن ناصر...

بعد نصف ساعة تقريبا تلتحق الجماعة صحبة رجال القرية بمكان الإقامة المعد لاستقبالهم، ليجدوا أفخر ما لدى السكان من الأفرشة والأواني حيث الكل يتنافس في استقبالهم أحسن استقبال، والعناية بهم إلى أن يغادروا القرية قريتهم خشية التشهير بهم عندما ينتقلون إلى قرية غيرها. وإلى قبيلة غير قبيلتهم...

فور الدخول، تقدم إليهم القهوة ثم مياه الوضوء، لأداء فريضة الصلاة، بعدها توضع الصواني ذات البراريد المحملة والكؤوس التي يقل نظيرها، وبنوع رفيع من الشاي، أمام المختصين في صنعه، في هذا الجو يحلو الحديث لجماعة إهياضن خاصة المقدم وشموتيت الفكاهي المهرج ويتمحور غالبا حول مزايا القرى التي مروا منها، بل ومساوئها، مستعرضا أسماء الأعيان، إلى أن يتناولوا طعام العشاء فالنوم بعد تفقد الدواب والقردة.

بعد الصلاة والنظافة في اليوم الموالي وهو اليوم الخاص بالقرية، يتناولون الفطور الأول وهو عبارة عن القهوة والحساء، ثم الفطور الثاني حوالي التاسعة والنصف، وهو عبارة عن طاجين مملوء بلحم الخروف أو العجل الصغير، محاط بالسمن والعسل وعصير (أمْلو) المستخرج من ثمار لوز مقلي بعد طحنه...

حوالي الساعة العاشرة والنصف صباحا يغادرون مقر إقامتهم حاملين البنادير والمزامير مرتدين رداءهم المميز، الأحمر والأخضر متبوعين بالقردة، يتوسطهم الفكاهي المهرج ليجدوا (أسايس) أي ميدان القرية قد امتلأ عن آخره بسكان القرية والقرى المجاورة، واذا قلت المرقص فلكل قرية مرقص صغير محصور بين جدرانها ومرقص كبير في ظاهرها وهو المستعمل في مثل هذه المناسبة، يقابلون بصيحات الأطفال وهمهمة الرجال والنسوة.

يضعون أمتعتهم ويتوجه حاملو البنادير إلى حيث الموقد لتحميتها، وما هي إلاالحظات حتى يختلط هديرها بنغمات المزامير، بينما يقوم أطفال الجماعة بحركات تسخينية ويرددون بحناجرهم الرقيقة : آهيا آسيدي أحمد أموسى، آهيا آسيدي علي بن ناصر. تقوم الجماعة بعروض رياضية رائعة، يقلدون رقصات أغلبية المناطق التي مروا منها، معلنين للجمهور أن هذه الرقصة للمنطقة الفلانية، ويقلدون أعمال بعض المناطق في شكل هزلي مسرحي، كأن يقولوا : الآن سننتقل بكم إلى القبيلة الفلانية لتروا كيف يستقبلون العائدين من المهجر، وعرس الزفاف فى القبيلة الفلانية، وتنطلق صيحات الجمهور وضحكاتهم من الأعماق خاصة عندما يتحرك الفكاهي المهرج بلباسه الخشن، وشخصيته الكوميدية ووجهه الملطخ بالرماد، وغيره من مواد محلية كالقطران...

كانت هذه الفرجة تجمع بين رقصات أحواش وبين لوحات مسرحية قصيرة إضافة إلى تدخل (شموتيبيت) الفكاهي المهرج، دون أن ننسى الحركات الرياضية للأطفال والشباب، بينما يقوم حملة البنادير بتنشيط هذه الحركة وتلك، إلى أن يصل وقت الغذاء حيث يعلن براح الجماعة بأمر من مقدمها بأن الفرجة ستستمر مساء، وسيستقبل أولاد سيدي أحمد أموسى الزيارات، مقابل دعواتهم المستجابة بعد تناول الغذاء يغادرون المقر بسرعة، وما أن يصلوا إلى المرقص حتى تدق البنادير وترتفع أصوات المزامير الممزوجة بنداءات صغار الجماعة إلى أن يمتلئ المرقص، حينذاك ينادي البراح معلنا أن (كور) أي مزار أولاد سيدى أحمد أموسى قد بدأ وعلى من أتى بزرع أو نقود أو سكر أو زيت وغيرها، أن ياتينا بها مقابل دعاء مستجاب....

تتعالى أصوات صغار الجماعة وتتوافد الصدقات ويقوم مقدم الجماعة بالدعاء لهذه وتلك، وما أن يشعرواجأن سكان القرية قدموا "زياراتهم" أي هداياهم حتى تلتجئ الجماعة إلى طريقتين :

1 - ينتقل المهرج من فلان إلى فلان ومن هذه إلى تلك ويقف أمامه طالبا أن يمنحه شيئا ما وإذا رفض يقوم بحركة تجعل الجمهور يضحك عليه كأن يقول : لما كنت صغيراً كنت تفعل وكنت كذا وكذا. أو وجهك كوجه كذا، مما يجعل كل واحد يقدم ما لديه علماً بأنهم يحاصرون الجمهور الحاضر بدعاء مسبق مضمونه أن من غادر(كور) مزار سيدي أحمد أموسى سيقع له من السوء كذا، ولاعتقاد السكان بأن دعاء إهياضن مستجاب فإن الكل يلازم مكانه من البداية إلى النهاية.

2 - عندما يستنفد المهرج طاقته ويقدم ما جمعه لمقدم الجماعة، يأتي دور الصغار حيث يقومون بوضع قيود في يدي طفل ورجله. وقد لا يتعدى عمره العاشرة، و يربط إلى الوراء ويؤمر بأن يطلب النجدة من الجمهور لإطلاق سراحه فتسمع حنجرته الرقيقة من بعيد وهو يردد ما معناه : أنادي عليك يا سيدي أحمد أموسى لتفك أغلالي، وما أن يسمع الناس طلب الإغاثة من طفل صغير حتى يتسابقوا لإطلاق سراحه، لكن ليغله المقدم ثانيا وثالثا فرابعا. عندما ينتهي الصغار يأتي دور الكبار حيث يدخل الواحد وسط الجمهور طالبا هذا وذاك أن يتصدق عليه مستعملا حركات رياضية ودعوات الاستجداء مدعيا أن المقدم سيطرده إذا لم يحصل على المبلغ الذي حصل عليه الآخرون. وقبل مغادرته للقرية ببيع ما تم جمعه من زرع وسكر ولوز وثمار وأرگان وزيت أرگان، ثم لينتقلوا إلى قرية من القرى التي توصلت بطلب الإقامة من المقدم بواسطة البراح.

من ملامح جماعة إهياضن :

أ - كونهم يتركون أطفال القرى المزارة يتمرنون وباستمرار على الألعاب الرياضية التي شاهدوها وأعجبوا بالأطفال الصغار الذين اتقنوها وأدوها أحسن أداء.

ب - يعرفون بما لدى المناطق البعيدة لغيرها، خاصة من الناحية الفنية حيث تمارس الجماعة رقصات أحواش الخاصة بالعديد من المناطق وتؤديها بأركانها الثلاثة : الكلمة الموزونة والهادفة، واللحن الرائع والحركة المنظمة، إضافة إلى المسرح في الهواء الطلق، وكل هذا يتم تقليده مباشرة فور انسحابهم من طرف الصغار والكبار....

يمكن القول بأن لا علاقة لجماعة إهياضن التي تعرفنا عليها صغاراً في الخمسينات، وكباراً في الستينات إلى بداية السبعينات بالجماعات الحالية حيث نجد كل واحدة تتألف من خمسة أفراد إلى ستة، وتطلق على نفسها إهياضن أولاد سيدي أحمد أُموسى.

*بحث ميداني.*

مستاوي محمد

**أُوبَانْ**، اسم مستعار اتخذه ليون أوجين ديسكوس Descos, Léon Eugène dit Aubin. وهو صحافي وديبلوماسي فرنسي، ولد في 11 أبريل 1863 وتخصص في الشؤون الإسلامية وعاش سنوات في القاهرة والقسطنطينية وسوريا والهند والقوقاز والبلقان والجزائر وتونس قبل أن يعين كاتبا أول في المفوضية الفرنسية بطنجة سنة 1902. حيث وصل إليها في 6 شتنبر، ومنها أبحر إلى الصويرة فجال في المناطق الجنوبية نحو تسعة أشهر قبل أن يبحر من الجديدة عائداً إلى طنجة. ومنها توجه إلى فاس حيث مكث ستة أشهر يطلع على أحوال المدينة ويدرس الأوضاع التي كانت عليها حكومة المخزن وما تعانيه من أزمات مادية وعسكرية في مواجهة ثورة الفتان بوحمارة.

كان أوبان خلال رحلته هذه يكتب مذكرات أو رسائل يومية عن مشاهداته ويبعث بها إلى كبريات الصحف والدوريات مثل «جريدة المناقشات»، و«مجلة باريز»، و«مجلة العالمين»، و«النهضة اللاتينية»، فتنشرها في حينها. ولما عاد إلى طنجة في دجنبر 1903 كان قد تجمع له من هذه المذكرات والرسائل ما يكوّن كتابا سماه *مغرب اليوم* *Le Maroc d'Aujourd'hui* أضيفت إليه خرائط أنجزها جغرافي فرنسي صحبه في رحلته، وطبع بباريز في السنة الموالية 1904. وهو من المراجع المهمة عن المغرب قبيل الحماية.

ألف أوبان دراسات أخرى عن المناطق التي زارها، مثل : *الأنجليز في الهند وفي مصر* ؛ *وبلاد فارس اليوم*. ولم نقف على تاريخ وفاته.

م. حجي، *جولة في كتاب مغرب اليوم*، في النهضة والتراكم، فضالة 1986، 309 ـ 316 ؛ *أسفي وعبدة في مطلع القرن العشرين*. ندوة أسفي.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 65 ; Office Marocain du Tourisme, *Les pionnieres du tourisme au Maroc*, 1902-1903 , Eugène Aubin, Rabat, S. D.

محمد حجي

**أوپيـــدومْ نُوفُومْ** Oppidum Novum، اسم أطلقه الرومان على مدينتين بشمال إفريقيا، إحداهما بموريطانيا القيصرية أي الجزائر الحالية (وهي العين الخضراء حاليا)، والأخرى بموريطانيا الطنجية، أي بالمغرب، وهي القصر الكبير حالياً. وهذه الأخيرة هي التي تهمنا والتي سينصب عليها البحث.

وردت مدينة أوپيدوم هذه في *دليل أنطونان* كمحطة على الطريق المؤدية من توكولوسيدا إلى تينگي Tingi. وجعل موقعها بين تريـولي (سوق الأربعاء حاليـاً) وأدنوڤاس أي السوَيْر، (انظر الخريطة). وقد ذكرها أيضاً جغرافي راڤين.

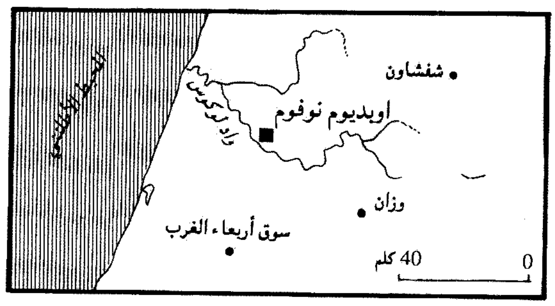


اويديوم نوفوم (القصر الكبير حاليا)

وقد تمكن شارل تيسو من تحديد موقع أوپيدوم نوفوم بالقصر الكبير وأيده لوي شاتلان.

وتجدر الإشارة إلى أن إعادة ترميم مسجد القصر الكبير في صيف سنة 1987 كشف عن الكثير من اللقى والبقايا الرومانية سواء بأرضية المسجد أو تحت صومعته. وبمبادرة من أحد أعضاء المجلس البلدي للقصر الكبير كلفت وزارة الشؤون الثقافية السيد عمر أكراز وروني روبيفا بالوقوف عل ما جد في هذه المسألة. وفعلا تم العثور على أربع نقائش وعدة أعمدة وصخور صالحة للبناء تظهر بما لا يدع مجالا للشك أن مدينة القصر الكبير هي أوپيدوم نوفوم الواردة في *دليل أنطونان*. ونستنتج من هذا الاكتشاف أيضا أن الوجود الروماني بقي مستمراً بالمغرب حتى القرن الخامس الميلادي، وأن قضية انسحاب الجيش والإدارة الرومانية في أواخر القرن الميلادي الثالث لم يمس سوى وليلي وبعض المراكز الداخلية. في حين بقيت المناطق الشمالية والغربية خاضعة لروما.

*Itineraria Antonini Augusti et Burdigalense*, éd. O. Cuntz, Leipzig, 1929 ; M. Euzennat, *Les Voies romaines du Maroc dans l'Itinéraire d'Antonin*, dans *Hommages à Albert Grenier*, coll. Latomus, vol, VIII, 1912, pp.595-610 ; M. Besnier, *Lexique de géographie antique du Maroc*, C.Klincksieck, Paris 1914, p. 550 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Gallimard, Paris, 1947, p.249 ; R.Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc, PSAM*. fasc 4, Paris 1938, p. 58-59.

علي واحدي ومحمد مقدون

**أُويـرْدان**، بن عيسى قائد گروان الشمالية، من عائلة نبيلة كان فيها رؤساء تولى بعضهم مهمات في إفريقية (تونس). استقر قبيلهم گروان أول دخولهم المغرب الأقصى بوادي زيز ثم بتاسمحاط ثم بتاگريگرا عند بني مگيلد. استقرت عائلته في الحوض وكان فيها طلبة فرسان، تولى أبوه محمد أويردان قائدا بظهير حسني. وشارك في حركات منها حركة الشاوية وحركة تافيلالت. وكان بجانب مولاي عبدالعزيز إلى أن قام مولاي عبد الحفيظ، وكان أويردان منفيا في الشاوية حيث قتل ودفن في سطات.

وكان أكبر ولديه وهو إدريس مقاتلا إلى جانب مولاي حفيظ، وصار قائداً في عهد الاستعمار، ولما بلغ من الكبر عتيا تخلى عن القيادة لأخيه بنعيسى، فشارك في تطويع بني مگيلد.

J. et M. Gouvion, *A'yàn al-Maghrib al-Aqsa*.

أحمد التوفيق

**أُويركة** علي، أو أويرْشةْ، كما هي عادتهم ؛ إذ ينطقون الكاف شينا، فينادون مْبارْشْ ومْبارْشةْ بدل مبارك ومباركة. هو أحد كبار قواد السلطان المولى إسماعيل العلوي. (*الترجمان*، 23) تذكر الرواية الشفوية التي جمعها Reyniers أن المولى إسماعيل قدم متنكرا في زي ابن السبيل إلى قبيلة أيت إمُورْ بالأطلس المتوسط فنزل ضيفا على أويركة أو أويرشة الذي رآه وأكرم وفادته، على الرغم من كونه مجرد راع فقط. ولما ودع الضيف مضيفه، في الصباح، شكر له حسن صنيعه وسلمه رسالة، وقال له : عندما تفد قبيلتك على السلطان، توجه أنت أيضا مع الوفد، وعندما تكونون بحضرته سلمه هذه الرسالة. فإنه قد يتصدق عليك ويقضي حاجتك.

ولما رجع السلطان إلى مكناس استقدم أعيان أيت إمور، فقدموا عليه وبمعيتهم أويركة، الذي كان الجميع يسخر منه. وفي أثناء الطريق كانوا يتذاكرون حول موضوع هذه الدعوة. فكانت الأغلبية تعتقد أن السلطان سيكافئهم

ويمنحهم ـ كعادته ـ الخيل والسلاح. في حين كان علي أوبركة يقول :«وسأكون أنا قائدكم»، الأمر الذي كان يشير استخفافهم واحتقارهم له. وبعدما حظوا بمقابلة السلطان، تقدم علي أوبركة منه وسلمه الرسالة. ولما قرأها أمره بالمكوث. ومن ثم عينه قائدا على إخوانه أيت إمور. فرجع إلى قبيلته في موكب من أعوان المخزن لمزاولة وظيفته.

وعلى الرغم من أن الرواية الشفوية قد تختزل الزمان والمكان في كثير من الأحيان، فمن الممكن أن تقدم معطيات مفيدة، قد توضح أحيانا بعض القضايا التي لا توردها الإخباريات المكتوبة إلا بطريقة موجزة جداً.

من المعروف أن المولى إسماعيل لم يذخر جهدا من أجل تمهيد القبائل، فاستعمل مختلف الوسائل لإدراك هذه الغاية. وإذا علمنا أن الجيوش السلطانية قد فشلت أكثر من مرة في السيطرة على صنهاجة الأطلس ( *الاستقصا*، 7 : 80)، فلا نستغرب أن يلجأ إلى تأليف قلوب البعض، وطمأنة الضمائر. لكن هل توجه السلطان فعلا إلى عين المكان، أم أنه اكتفى بإرسال بعض عيونه للقيام بتلك المهمة الصعبة ؟

وبقدر ما نتمادى في طرح السؤال نستنكف عن الجواب !

تؤكد هذه الرواية أن علياً أوبركة ينتمي إلى قبيلة أيت إمور الصنهاجية، وأن علاقة قبيلته مع المخزن لم تكن على أحسن ما يرام، ولا يلج مجالها أحد من جانبه إلا متنكراً. ونستنتج أن معظم التحولات الكبرى التي شهدتها القبائل المغربية، قد انتظمتها روايات شفوية طغى عليها جانب كبير من الخوارق والأسطورة.

متى تم تعيين أوبركة قائداً على أيت إمور؟ من الراجح أن تعيينه قد تم فيما بين ثورة أحمد بن عبد الله الدلائي 1677/1087 ( *الاستقصا*، 7 : 53). وخضوع أيت إمور سنة 1683/1093. جاء هذا التعيين إذن في فترة كان السلطان يعمل فيها على توطيد سلطته في المناطق الجبلية، أي أن تبعية هذه القبيلة لم تتم إلا بعد استقطاب أوبركة وتعيينه قائداً على رأس قبيلته، وبالتالي فهو الذي ساهم في تمهيدها.

وهكذا، لما فشلت حركاته الثلاث في حسم مادة التمرد في الأطلس المتوسط، جهز السلطان حركة واسعة النطاق، ترأسها بنفسه وعمّل عليها ثلاثة من أشهر قواده من بينهم أوبركة مع إخوانه أيت إمور( *الترجمان*، 23 ؛ *الاستقصاء*، 7: 80). وبالانتصار على أيت أُمالو، أصبحت قبيلة أيت إمور من ضمن قبائل "الكَيش"، حيث كتب السلطان، من بينهم، ألف فارس في "الديوان" وأنزلهم مع علي بن بركات بقلعة تِنْتْغالِّينْ، وسط قبيلة أيت إشْقيرْنْ. إحدى القبائل العاتيةَ، ( *الاستقصا*، 7 :81) «بين أيت أُمالو وأيت إفلمان» ( *الترجمان*، 23). وبذلك أصبح أوبركة يسيطر على المسلك الرئيسي الموصل بين أيت أُمالو وجيرانهم ـ من جهة الشمال ـ أيت إدراسن (De la Chapelle, 49) كما استطاع المخزن بواسطة أوبركة وقبيلته تحقيق مراقبة دائمة للقبائل الرعوية النازحة نحو سهول تادلا (أزغار). ولعل قائد أيت إمور هو الذي أسس قلعة أغبالة، وسط بطون قبيلة أيت سُخمان. ولا تخفى أهمية موقع هذه القرية، إذ شكلت، منذئذ، سوقا مركزية لتجميع البضائع وإعادة توزيعها بين القبائل، باعتبارها مرحلة رئيسية، في طريق مطروقة بكثافة، تربط بين أعالي ملوية وتادلا من جهة، ولأنها من أهم الطرق المفتوحة على الجنوب بواسطة أسيف ملْول من جهة أخرى (De la Chapelle, 50) ومن ثم أصبح علي أوبركة يسيطر على قلب منطقة طالما شكلت أهم مشاغل المخزن آنذاك. وبفضله بات من الممكن التوغل في الجبل، الشيء الذي بلوره المخزن ببناء قلاع جديدة لكبس برابرة الجبال في معاقلهم.

تمتع علي أوبركة بدهاء كبير، حيث استطاع استمالة بعض أعيان المنطقة. وفي هذا الإطار يذكر سبيلمان Spillmann أنه صاهر علي وحْسين أمهاوش على إحدى بناته كما انخرط في سلك الزاوية الناصرية، ولعله هو الذي أقطع الشيخ أحمد ابن ناصر الأرض التي بنى بها زاويته بالمنطقة (زاوية الفيض) (De la Chapelle, 49) ولعب دور الوسيط بين الناصريين وسكان منطقته.

قُتل علي أوبركة بعد وفاة السلطان المولى إسماعيل 1727/1138. من طرف أبناء أخته المسماة عائشة أُوطرْمون ـ حسب الرواية الشفوي ـ ولعل هذا الاغتيال جاء في إطار التصفيات التي ذهب ضحيتها معظم رجال مخزن المولى إسماعيل بعد وفاته، وقد قام بها رجال المخزن الجديد، أو أقدمت عليها بعض القبائل انتقاما لنفسها من عسف القواد. وإذا كان من الصعب تحديد تاريخ وفاته بدقة، فلعل الأقرب إلى الصواب أن قتله جاء في خضم ثورة أيت إمُورسنة 1730/1142، أو قبلها بقليل، حيث انحلت وحدتهم على إثر النزاع الذي دب فيهم بسبب ضغط القبائل النازحة من الجنوب، في إطار موجة الاضطرابات العارمة التي أصابت البلاد بعد وفاة المولى أسماعيل، (Pellow, 158). ومهما يكن، يمكن وضع مقتل علي أوبركة فيما بين 1139 و1727/1142 و1729، أي ما بين وفاة المولى إسماعيل وثورة أيت إمور الأولى.


أ. الزياني، *الترجمان* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ *الرواية الشفوية*، وهي مطابقة للرواية التي جمعها اليوطنان رينيي (Reyniers) وهي مستقاة من رواية مكتوبة بالأمازيغية تم العثور عليها في قبيلة أيت إشقيرن من طرف الأستاذ أحمد حداشي.

Magali Morsy, *La Relation de Thomas Pellow*, Paris 1983 ; F. De La Chapelle, *Le Sultan My Ismaïl et les Berbères Sanhaja*, *A. M.* XXVII, 1927 ; G.Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris 1951.


أحمد عمالك

**أوبُـو جمْـعة**، سعيد، ولد سنة 1918 بأيت كنول ناحية مرموشة، وسط عائلة محافظة ومتواضعة الحال. كان شديد الغيرة على وطنه فالتحق بصفوف جيش التحرير وحمل

السلاح بجانب إخوانه المجاهدين ضمن فرقة إلياس ميمون أوعقى، وخاض عدة معارك ضد العدو حتى استشهد يوم 2 أكتوبر 1955 بتاغزوت قرب مركز مرموشة.

*وثائق المندوبية السامية.*

عزالدين العلام

**الأويبري**، محمد التهامي بن محمد بن مبارك بن مسعود الحمْري، نسبة إلى قبيلة احْمر العربية الشهيرة بين مراكش وأسفي. وكانت في الأصل تدعى حمْير، ولذلك يقال له أحيانا الحمْيري. مقرئ في علوم القرآن والتجويد. أخذ القراءات عن كبار مقرئي عصره في المغرب والمشرق. مشارك في الفقه وقواعد اللغة والأدب، شاعر ناثر، متصوف من أتباع الطريقة الوزانية الشاذلية. أخذ عن أشهر شيوخ عصره في مراكش وضواحيها، وفي فاس والقاهرة والإسكندرية. وكانت له حظوة عند السلطان عبدالرحمان بن هشام، وتشفع لديه بقصيدة لامية في قومه احْمر حين سجنهم لما استخفوا بعامله وولده وضربوهما بالبارود.

ألف الأويبري عدة كتب في مواضيع مختلفة، أهمها : *إتحاف الخل المواطي ببعض مناقب الإمام السكياطي*، قال عنه ابن إبراهيم في *الإعلام* : (في نحو ثلاثة كراريس كلها درر) وتوجد منه نسخ مخطوطة في خزائن خاصة بمراكش وفاس وسلا. ومن مؤلفاته أيضا : *منظومة وشرحها في موانع الصرف*، و*مدد اللطيف في شرح البسط والتعريف*، اختصر فيه كتاب *فتح اللطيف* لمحمد المرابط الدلائي (*الزاوية الدلائية* ط 1، 252) و*شرح منظومة العروض* للرسموكي، و*شرح نظمه في حكم الوقف* لحمزة المقرئ.

توفي محمد التهامي الأويبري بعد 7 ذي الحجة عام 1249/ 18 أبريل 1834 (وهو تاريخ انتهائه من تأليف *مدد اللطيف*). ويظهر أن ما ذكر ع. ابن سودة في *دليله* من أنه توفي عام 1246 سبق قلم.

م. ت. الأويبري، *إتحاف الخل المواطي*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 6 :251 ـ 253 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 176.

محمد حجي

**أويلو إي كناليس**، فيليبي Ovilo Y Canales F، طبيب إسباني كان ملحقاً بالمفوضية الإسبانية بطنجة، كما أنه كان يراسل عدداً من الصحف. وله بعض التآليف المفيدة في تاريخ المغرب منها : *المرأة المغربية، وضعها الاجتماعي* *La mujer marroqui estudio social* المنشور بمدريد سنة 1881 في 215 صفحة.

م. بوشعراء، *الهجرة من المغرب وإليه*، مخطوط.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1: 150.

مصطفى بوشعراء

**أُوتْرِبَات** ← **الرشيدية** (إقليم ـ)

**أُوخْسايْن حمو**، من مواليد سنة 1910 بدوار أيت إبراهيم، قبيلة أيت لحسن، ناحية إيموزار مرموشة. انضم إلى صفوف جيش التحرير، فتعبأ ضمن الوحدة التي كانت متموقعة بإموزّار مرموشة والتي كانت تحت إمرة السيد إلياس ميمون أوعقة، حيث خاض معها عدة معارك ضد المستعمرفكان رحمة الله عليه من العناصر النشيطة، وأثناء هجوم على مركز جنود الاحتلال أصيب برصاص في رأسه يوم 12 أكتوبر 1955 بإموزّار مرموشة، وعلى إثرها توفي يوم 14 أكتوبر عام 1955.

*وثائق المندوبية السامية.*

عزالدين العلام

**أُوحنّا رافائيل**، ربي وطبيب، نشأ بمكناس عام 1850، وتوفي بصفد عام 1902. حل مرة بمدينة بخارى ربياً مكلفاً بجمع التبرعات. ألف شير حداش *النشيد الجديد*، (القدس، 1881 ـ 1889) يسود مغارابي *الأساس المغربي* مرألا يلادني *وجه الصبيان* وهو كتاب في الطب التقليدي (القدس، 1900، 1905، 1908) وله كذلك أعمال أخرى.

**أُوحنّا، سليمان**، ربي قبلاني، مكناسي الأصل هاجر إلى بلدة صفد بفلسطين، وهناك كتب شرحا للتوراة ثم مجموعة المدراشيم. (راجع طوليدانو، *نير حماعراب*، 110).

**أُوحنّا يهودا** بن العيزر، ربي بمراكش، نزل بتونس خلال القرن 18، صاحب الخطب التي جمعت تحت عنوان *سفر بري مغر اديم* (*أي كتاب أجود الفواكه*، 1805).

**أُوحيّون**، أحْبار حملوا هذا الاسم، ومارسوا مهامهم الدينية، اشتهر منهم بالمدن التالية :

أوحيون صاموبل بتازا خلال القرن الثامن عشر.

أوحيون موسى بن داود بمراكش المتوفى عام 1817.

أوحيون ميمون بالرباط، في القرن العشرين.

أوحيون يعقوب، بطنجة في القرن التاسع عشر.

أوحيون يعقوب، بمراكش أيضا المتوفى بها عام 1838.

أحيون يوسف، بالدارالبيضاء، ألف في عام 1948 كتابا عنوانه *سفر ابقات روخيل* يحتوي على مجموعة من الشروح التلمودية.

لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، 236.

شمعون ليڤي

**أُوخَدّة**، عبد السلام بن محمد، ولد سنة 1900 ببني وريمش الشمالية دائرة بركان إقليم وجدة. انخرط في جيش التحرير وساهم في تنفيذ عدة عمليات فدائية بطولية. بالإضافة إلى ذلك كان يتكلف أحيانا بمهمة توزيع المناشير وجمع السلاح بشتى الطرق، كما أنه جعل منزله رهن إشارة المناضلين الوطنيين كملجإ يختبئون فيه عن عيون الجاسوسية. ومن أهم الأعمال التي قام بها المحاولات الناجحة لتهريب بعض الجنود المغاربة العاملين في الجيش الفرنسي من أجل تطعيم قوة جيش التحرير الثائر. وأثناء إحدى محاولاته لتهريب الجنود اكتُشف أمره وقُتل من طرف جنود فرنسيين، في شهر فبراير من سنة 1956.

*وثائق المندوبية السامية.*

عز الدين العلام

**الأُودَاية**، أو الأداية أو لُودايا، مفردها وَدِيّ، قبيلة من معقل الهلاليين من ذوي حسان الذين كانوا في سوس، ولعلهم استقروا هناك بعد أن كانوا في جهات ملوية وجهات درعة واستصرخهم ضمن ذوي حسان علي الزكندري على سوس عام 615 هـ حيث حارب بهم جزولة وأخضعهم للضرائب، وهذا الحدث حدد مستقبل هذه القبيلة ارتباطا بالخدمات العسكرية للحكام مقابل التمتع بالأراضي، حيث صارت من قبائل الگيش أو قبائل المخزن.

وكان ذوو حسان مع الشبانات معروفين بهذا الدور، وقد استخدمهم أبو علي بن السلطان المريني أبي سعيد سنة 1315/715 لما تملك سجلماسة وما والاها، وتغلبوا على سوس واقتسموا جباياتها.

ويظهر أن حملات المرينيين على سوس أرغمتهم على التراجع نحو شنقيط، فالوزان يذكر أن مواطنهم بين وادان وولاتة، حيث لهم النفوذ على أهل السودان، وكان مقاتلوهم سبعين ألفا وإن كانت خيولهم قليلة، وكان جيرانهم هنالك الرحامنة أولاد دليم وأحمد.

وكان الأوداية سنة 1546 يترددون على مناطق الاحتلال البرتغالي حتى الصويرة وإن كانت مواطنهم في خرائط البرتغاليين عند رأس بوجدور.

وذكر الفشتالي أن الأمير داود بن عبد المومن السعدي حين خرج على عمه أحمد المنصور بين سنتي 979 . 980/ 1579 . 1580 قد فر إلى الصحراء «واستقر به الرحل في عرب الأوداية من عرب الجنوب».

وقد ساند المعقليون دعوة الشرفاء السعديين فاستعملهم أحمد المنصور عام 1588/988 في جيشه، فاندمج قسم من الأوداية مع إخوانهم الشبانات أحد عناصر جيش أهل سوس ونزلت فرقة منهم أحواز مراكش بينما تفرقت فرق أخرى في القبائل أو بقيت في سوس.

وأورد الزياني أن المولى إسماعيل 1083 . 1139 . 1672/1139 . 1727 جمع الأُوداية المتفرقين في قبائل حوز مراكش والنازلين مع الشبانات فكتبهم في ديوان الجيش عام 1677/1088، وأنزلهم بالرياض المجاورة لقصبة مكناس «وأعطى أعيانهم النوائب وهم الزوايا التي لا تغرم مع القبائل» (*الروضة*، 58) وحين وفدت عليه جموع أخرى سلك معها نفس المسلك، وبعد ذلك سكن قسم من أوداية الرياض بفاس الجديد بعد إخراج الشبانات من أنصار الدريدي. وعندما توجه المولى إسماعيل إلى سوس عام 1678/1089 كان الأوداية ممن قدموا عليه وأدوا الطاعة.

أما الأوداية الذين دخلوا في جيش المخزن فقد قسمهم مولاي إسماعيل إلى ثلاثة أرحاء : رحى أهل سوس ورحى المغافرة ورحى الأوداية، وأطلق على الجميع اسم الأوداية تغليبا لأنها أكبر الأرحاء.

وقد مكنهم السلطان من وسائل القوة وضبط مدينة فاس حيث أسكنهم فاس الجديد ومكنهم من استغلال أراض في سايس حتى إنهم كانوا يهددون أثناء فترة حكم أولاد المولى إسماعيل 1757/1727 بقطع الماء والمؤن عن الحاضرة الإدريسية. وبعد أن ظهر منهم هذا الطغيان عمل السلاطين فيما بعد على إضعاف شوكتهم مع الإبقاء على استعمالهم. وقد ضعف نفوذ الأوداية بالفعل منذ عهد السلطان محمد بن عبد الله ولا سيما وأن السلاطين قد صاهروا قبائل أخرى كالرحامنة واشراگة.

وقد احتد التنافس بين الأوداية واشراگة في عهد أواخر عهد المولى سليمان، وترتب عن ذلك قيام الأوداية بنهب فاس، وقد نظم الكاتب الوزيرابن إدريس الفاسي قصيدة في الموضوع جاء فيها :

والودايا جاءوا بدأوا بعيب    داؤهم ما له الزمان دواء
قتلوا سلبوا أخافوا وحافوا    ما تناهم عن القبيح ثناء

وقد استمر تمرد الأوداية في عهد مولاي عبدالرحمان 1238 . 1822/1276 . 1859 بالرغم من المحاولات المتكررة من أجل إضعافهم. وقد استبدوا بفاس الجديد حتى إن السلطان لجأ إلى مكناس واستنفر قبائل الغرب بعد مبايعة الأوداية للشريف محمد بن الطيب، ثم صالح الأوداية بشروط منها عزل الوزير محمد بن ادريس.

وقد عمد السلطان عندما واتته الفرصة إلى تشتيت أرحاء الأوداية فنقل رحى المغافرة إلى زاوية الشرادي لملء الفراغ الذي حدث بترحيل الشراردة من حوز مراكش. ونقل رحى الأوداية إلى العرائش وأحوازها ثم ردهم إلى جبل سلفات، ونقل رحى أهل سوس إلى رباط الفتح فأنزل حلتهم بالمنصورية على شاطئ واد النفيفيخ، وأنزل قوادهم ووجهاءهم بقصبة رباط الفتح، وبعد ذلك رد الحلة إلى قصبة تمارة. وقد أسقط الأوداية من الجندية وأعرض عنهم بالكلية سنين ثم استردهم في حدود الستين (*الاستقصا*، 8 : 40).

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، 58 ؛ ع. الفاسي، *الأقنوم*، 521 ؛ أ. الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط ؛ عبدالكبير بن عبدالرحمان المجذوب الفاسي، *إعراب الترجمان عن قصة الأوداية مع مولاي عبدالرحمان*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 و8 و9 ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*،427 ؛ ث. برادة، *الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر*، د. د .ع كلية الآداب بالرباط، 1984 ؛ م. ناعمي، بلاد تكنة، مجلة البحث العلمي،36 . 233.

J. Le Coz, *Les Tribus Guich du Maroc*, *R. G. M*, 7, 1965, p. 3 ; E. Szymanski, *Les Tribus de "Guich" et le Makhzen sous le règne de Sidi Mohammed ben Abdellah*, in *Actes du IIe Congrès International des études nord-africaines*, *R. O. M. M*, 1970, pp. 195-200 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*.

آمنة معطى الله

**الأُودايَـة** (قصبة ـ)، أحد أحياء مدينة الرباط الحالية، ونواتها الأولى. اقترن اسمها مؤخراً باسم قبيلة الأوداية العربية، التي سكن عدد من أفرادها القصبة بعد أن جاء بها الملوك العلويون لتقوم بحراسة منطقة الرباط في وقت كثرت فيه هجومات بني عمومتهم من قبائل زعير.

اختار الموحدون موقع القصبة لتكون إحدى قواعد

عبورهم إلى الأندلس، لكن احتلال الموقع لم يكن ليبتدىء مع القرن الثاني عشر الميلادي، فقد أبرزت الدراسات أن مركز حراسة روماني متقدم، مرتبط بمدينة شالة القديمة، كان يوجد بإحدى نقط الموقع، وفي العهود الإسلامية الأولى لمنطقة تامسنا شيد بهذا الأخير أول رباط للجهاد وذلك في القرن العاشر للميلاد، ثم بعد ذلك ظهرت أيام المرابطين قصبة عرفت بقصبة «بني تارگا»، وهم صنهاجيون من بني عمومتهم، يتوسطها قصر أميري بناه الأمير تاشفين بن علي ما بين 1142 و1145م.

هذه القصبة هي التي استولى عليها الخليفة عبدالمومن في تاريخ اختلف المؤرخون في تحديده، إذ جعله بعضهم سنة 1132م، والبعض سنة 1134م والبعض الآخر سنة 1146.

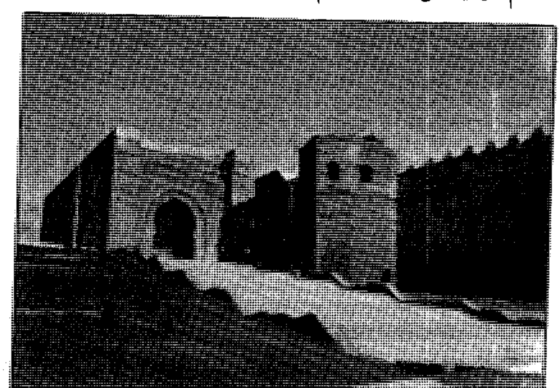

باب قصبة الأوداية بالرباط

ومهما يكن فالظاهر أن أول خلفاء الموحدين تعلق بموقع الأوداية الحالي، إذ أمر ببناء قصبة جديدة به بمجرد ما استولى على مدينة سلا وانتهى من هزم البرغواطيين، وقد أطلق عليه اسم المهدية تبركا بإمامه المهدي بن تومرت، على أن بعض الرسائل الرسمية من عهده تحمل اسم «رباط الفتح» للدلالة عليها، الشيء الذي يجعل من هذه القصبة مكانا حاملا لاسمين في آن واحد أولهما مرتبط بالعقيدة الموحدية وثانيهما بالجهاد في سبيل الله. فمن المؤكد أن المهدية/ رباط الفتح، كانت محطة أساسية تتمركز بها الجيوش المغربية في طريقها إلى الأندلس. ويستفاد من تردد عبد المومن عليها وإقاماته الطويلة والمتكررة بها أنها كانت تحتل مكانة خاصة لديه وأنها كانت عاصمته الثانية، حتى إن المنية وافته بها ما بين 7 و14 مايو 1163.

تراجعت مكانة المهدية/ رباط - الفتح بعد موت الخليفة عبدالمومن فلم يعتن بها ابنه أبو يعقوب يوسف، بينما شيد حفيده المنصور مدينة محاذية لها، أكبر وأوسع وأجمل. ومن عهد المنصور انسلخ اسم رباط - الفتح عن القصبة ليمتد إلى المدينة الجديدة ويبقى عالقا بها إلى اليوم، وإن أصبح مقتصرا على شطره الأول : الرباط.

ولما امتد حكم المرينيين إلى الرباط، انصرف اهتمامهم عن القصبة حيث اهتموا أكثر بمدينة المنصور أي الرباط الحالية وبمدينة سلا، اللتين خلفوا بهما العديد من الآثار. هذا الوضع أعاد للقصبة مهمتها الأولى، فانساقت بذلك في النموذج التقليدي للمدينة بالغرب الإسلامي الذي يجعل من القصبة وحدة الدفاع والمراقبة والحراسة، توجه اهتمامها نحو الحماية إذا تعلق الأمر بخطر خارجي وصوب المدينة المجاورة تحسبا لكل حركة مناهضة تخرج منها.

وأظهرت بعض الدراسات أن القصبة ظلت محتفظة بدورها وبأهميتها خلال فترة التراجع الذي عرفته البلاد سواء أيام الوطاسيين أو بعد وفاة المنصور الذهبي وأن حياة حاضرة الرباط «منذ 1260م إلى بداية القرن السابع عشر الميلادي، تركزت بالخصوص حول القصبة التي بقيت هي روح المدينة تحمي سكانها المجتمعين حول أسوارها» (J. Caillé, *Rabat*, 183). بعد ذلك دخلت القصبة، كغيرها من المراكز ذات الأهمية الاستراتيجية، دوامة التنافس والتطاحن بين مختلف الطامعين في الحكم، وفي هذه الفترة بالذات وفدت أولى الجماعات الموريسكية المطرودة على مصب نهر أبي رقراق واستوطن قسم منها القصبة بمباركة السلطان المولى زيدان السعدي الذي جعل حماية المدينة بين أيديهم.

كانت القصبة حينذاك قد وصلت إلى أسوإ حال، تلاشت أسوارها من الإهمال ومخلفات المعارك، وهجرت أغلب دورها واندثرت، فكان على الوافدين الجدد أن يعيدوا بناءها وأن يرمموا أسوارها ويفتحوا بها فتحات للمدافع موجهة صوب البحر والنهر على السواء. ولما تقوت شوكة هؤلاء الأندلسيين استقلوا بأمرهم في ما سمي بجمهورية أبي رقراق التي جمعت ما بين القصبة، حيث كانت دار الحكم، والمدينة المجاورة ؛ على أن التعايش لم يكن ليدوم طويلا إذ سرعان ما احتد الصراع ما بين أهل القصبة وأهل المدينة، صراع تُرجم عدة مرات بمعارك وحروب، وقد استمر الأمر كذلك إلى أن دخل المولى الرشيد القصبة وأخضعها وأخضع المدينة لحكمه، شأنهما في ذلك شأن باقي مدن ومناطق البلاد.

وكما شمل اهتمام الموحدين القصبة وجعلوا منها دار حكم وقرار، كذلك فعل الملوك العلويون، إذ جعلوا بها «دار المخزن» وزودوها بما يلزم من الرجال - بمن فيهم عبيد البُخاري في عهد المولى أسماعيل - والعتاد، وقَوُّوا تحصيناتها وزادوا في منشآتها العمرانية.

وتبقى المنشآت العمرانية بحق، الشاهد البارز على تاريخ القصبة الطويل والحافل. فإذا كانت الإنجازات المرابطية بها وحدها التي أثر فيها عامل الزمان وانفعالات تعاقب الحقب والأجيال وملابساتها السياسية، إذ لم يبق منها سوى جزء من جدار هو اليوم محاذ لمدخل المتحف الإثنوغرافي المواجه لساحة «سوق الغزل» فإن مخلفات غيرها من الدول ومن ساكني القصبة على اختلاف مناطق نزوحهم، لا تزال واضحة شامخة متعددة.

وأهم مخلفات الموحدين، أكبر جزء من السور الخارجي وبابه الكبير والمسجد ؛ لكن هذا الأخير طرأ عليه من التغييرات والإصلاحات ما أفقده الكثير من عناصره الموحدية الأصلية.

استغل الموحدون طبيعة أرض الموقع، فاستعملوا الحجارة الأم التي به، واتخذوا الشاطئ الصخري أساسا للسور من ناحية البحر ومن ناحية النهر، وهو اختيار قوّى الجدار الدفاعي تقوية حافظت على مناعته قرونا طوالا، حيث لا تزال أجزاء منه واقفة إلى اليوم، بطول وعلو مختلفين حسب الجهات. فمن الجهة الشمالية ـ الغربية مثلا، يمتد السور على طول 220,83م ابتداء من الزاوية الشمالية لمنبسط برج المراقبة Sémaphore ، وعلى طول المواجهة الجنوبية ـ ويعلو يتراوح ما بين 8,45م و12,95م. أما سمك الجدار فمعدله 2,50 م (وأقصاه 3,14 م)، وهو ما سمح بممر بأعلى الجدار يصل اتساعه إلى 1,95م. أما الأبراج فنظمت بتباَعُدٍ يتراوح ما بين 15م و19م بين البرج والآخر.

حديقة الأوداية داخل القصبة

استعملت لتشييد هذا السور الفخم حجارة متوسطة الحجم، محكمة البناء، متراصة، إلا أن الزوايا شيدت بأحجار منحوتة متساوية الحجم وذلك لتقوية هذه النقط الحساسة.

يتوسط الجهة الجنوبية، باب ضخم جذاب، فتح على بعد56,19م من الزاوية الغربية، ويشكل بناء عظيما طوله 38,90م وعرضه 16م وعلوه 12 إلى 13م. أما تصميمه فبسيط، مكون من ثلاث قاعات متتالية، الأولى والثالثة مستطيلتا الشكل (7,80م 7,12م و8,12م 7,45م) بينما الثانية مربعته (7,51م 7,53م). وقد أظهرت دراسة هذا الباب أن تصميمها وطبيعة نظامها يجعلان دورها الدفاعي ثانويا، فهي مدخل دار الحكم أكثر منه مدخل قلعة أو حصن، فبالقاعة الأولى كان يقعد الحراس، «بينما في القاعتين الأخريين كان الخلفاء إبان وجودهم على ضفاف أبي رقراق، يستقبلون رعاياهم ويحكمون فيما بينهم، وذلك هو الدور التقليدي للباب في قصور الشرق وفي القصور الإسلامية (Callé, *Rabat*, p : 100) ومما يؤكد هذا الدور بالنسبة لباب قصبة الأوداية جمال زخرفته المتعددة الأشكال والمحكمة الصنع، وهي أشكال منحوتة مباشرة على الحجر الذي استعمل كمادة بناء. كذلك يدخل في نفس الاعتبار التركيز على تزيين واجهتي الباب، الخارجية والداخلية على السواء، وهو أمر يكاد يكون غير عادي إذا قورن بما عرفته زخرفة أبواب المدن التي عادة ما تركز على الواجهة الخارجية أكثر من الداخلية.

ومن مخلفات المورسكيين العجيبة بالقصبة، الممرات الباطنية التي حفروها لتمكنهم من الخروج إلى البحر والدخول منه في تستر وحماية وذلك لغرض القرصنة. فهي ممرات طويلة ومتسعة عرضها 2,70م، مغطاة بسقوف نصف دائرية ليصل علوها إلى ثلاثة أمتار. ومن هذه المنشآت الباطنية كذلك، بناية مستطيلة الشكل طولها 10,38م وعرضها 10,05م، توجد على عمق أكثر من مترين ونصف تحت سطح ساحة برج المراقبة (Sémaphore) الآنف الذكر. وعدم توفرها أصلا على منفذ جهة البحر يجعل منها مخزنا مطمورا أكثر منها ممرا مستترا.

أما الإنجازات والمخلفات العلوية فكثيرة ومتنوعة، نذكر من بينها على الخصوص البناية التي تأوي اليوم المتحف الإتنوغرافي والتي شيدها ومرافقها السلطان المولى إسماعيل، وهي عبارة عن قصر صغير يحتوي على مسجد وحمام وبستان غني نظم على الطريقة الأندلسية، ونذكر كذلك اسقالة وهي من عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله، وهو الذي أمر كذلك «بهدم القصر الموحدي القديم الذي كان يتوسط القصبة على الرغم من كونه لا زال في أحسن حال ومنظم بكل ما تحتاجه الإقامة والاستراحة (Caillé و ibid, 305) ويبقى هذا الأمر من النقط الغامضة من تاريخ القصبة.

م. الإفراني، *نزهة* ؛ أ.الناصري، *الاستقصا*، ج : 9 ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، الرباط، 1925.

L. Brunot, *Aperçu historique sur la piraterie salétine*, *B. E. P. M*, 1923, p. 159 et 244-253 ; J. Caillé, *La Ville de Rabat Jusqu'au Protectorat français*, Paris, 1949; L. Provençal, *Documents inédits d'histoire almohade*, Rabat, 1941 ; *Trente-sept lettres officielles almohades*, Rabat 1941; H. Terrasse, *Le décor des portes anciennes du Maroc*, Hesp, 1923, p. 147-174.

عبدالعزيز توري

**الأوديِّي**، بوعزة بن عبد الواحد، فقيه نوازلي، قاضي فاس الجديد، وإمام جامع الحمراء وخطيبها «عدل قضاة الزمان... لم يخرج في أحكامه عن السداد والعدل مع النسك والعفاف» أخذ العلم بفاس عن الحسن بن رحال، ومحمد بن الطاهر الفاسي، كما أخذ التصوف عن الشيخ الطيب الوزاني، وكانت له مكانة عند جيش الأوداية يعملون برأيه.

توفي، وهو قاض، عام 1179/65 ـ 1766 ودفن بالمقابر الواقعة خارج فاس الجديد.

م. القادري، *نشر*، 4 : 168 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 215.

أمينة معطى الله

**الأوديِّي، الطاهر** بن محمد بن عبد السلام الفاسي داراً ومنشـأ، حسب ما جـاء فـي كتابـه *الاستبصـار*، (ص.83)، لا يـعـرف تـاريـخ ولادتـه، ولا ظـروف نـشـأتـه الأولى، وإنما برز على مسرح الأحداث لما وقع عليه الاختيار كطالب توجه ضمن بعثة دراسية إلى أوربا، على عهد السلطان الحسن الأول، خلال سنة 1297/1879 رفقة طالبين آخرين هما : محمد بن الكعاب الشرگي، وقاسم الأوديِّي.

وبعدما قضى أربع سنوات في مدينة باريس، تلقى أمراً من المخزن بمغادرتها، والاتجاه إلى بلجيكا سنة 1884/1301، بقصد الإشراف على بعثة طلابية أخرى أرسلها السلطان المذكور من أجل تعلم «التمارين الجهادية» حسب *الاستبصار* (ص.96). ولم يذكر بالتحديد المدة التي قضاها في بلجيكا، والمعروف أنه قضى سبع سنوات في أوربا.

تقلد الطاهر الأوديي عدة وظائف في العهد الحسني وبعده، أهمها رآسة معمل ضرب السكة بدار السلاح بفاس. كما عمل ترجمانا لسفارة الوزير علي المسفيوي إلى فرنسا سنة 1880/1298. وهي نفس المهمة التي قام بها أيضا سنة 1890/1307 في سفارة المعطي بن الكبير. كما شارك بصفته ترجمانا في مؤتمر فاس الذي انعقد سنة 1906/1324 بين نائب فرنسا من جهة، والوزراء المغاربة وأعضاء مجلس الأعيان المغربي من جهة أخرى. وبنفس الصفة صَاحبَ الوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء. ويظهر أن مهنة الترجمة هي التي ظل يتقلب فيها على عهد الحماية إلى أن تقاعد، ثم توفي سنة 1945/1365.

والمعروف من الإنتاج الذي خلفه بعده هو :

- *رحلة* ألفها خلال السنوات السبع التي قضاها بأوربا، ثم أضاف إليها بعد ذلك لما رجع. ( *الاستبصار*، 31 و38 و96).

- *خريطة الكرة الأرضية* التي بعث بنسخة منها من مدرسة باريس إلى السلطان المولى الحسن خلال عام 1883/1300، وهي التي أثبتها عبد الرحمان بن زيدان في كتاب *الدرر الفاخرة* (ص. 105) ( *مظاهر يقظة المغرب*، 1 : 248).

- *الاستبصار في عجائب الأمصار والجبال والأنهار والبحور ومنافيس النار*. وموضوعه في الجغرافيا العامة كما يدل عليه اسمه، ولكن مؤلفه ملأه بالاستطرادات الكثيرة (في التاريخ، والأديان والسياسة والاقتصاد...).

يدل *الاستبصار* عموما على أن معرفة مؤلفه بأوربا أصبحت عميقة، سواء على المستوى العقلي، أو الايديلوجي، أو التقني. وأن رحلته إلى أوربا ومعرفته باللغة الأجنبية، مكنته من توسيع مداركه حول العالم كله، بما فيها العالم الإسلامي والعربي والصين والهند واليابان وأمريكا.... كما زودته هذه المعلومات المتنوعة والغزيرة بفكر سياسي هام، مكنه من إدراك الأبعاد الحقيقية للاستعمار عموما، والاستعمار الفرنسي للمغرب بالخصوص، حيث أدرك أن الاستعمار يهدف في بُعده النهائي إلى تغيير الذهنية المغربية، والفكر الإسلامي عند المغاربة، كمرحلة أساسية لإدماجهم في الجامعة الحضارية الأوربية. كما أدرك منذ البداية - حسب قوله - أن بريطانيا لم تكن لها نية احتلال المغرب، مما جعله يميل إليها، ويندد بالوزراء المغاربة الذين خانوا بلادهم، ولم يعرفوا كيف يعتمدون على بريطانيا حسب زعمه في التخلص من الاحتلال الفرنسي، واقتباس عدد من المناهج التحديثية منها.

ومن خلال تحليله للمذاهب والديانات في أوربا وآسيا، تمكن من إدراك الفروق بين العقيدة الإسلامية وبقية الديانات والمذاهب الأخرى، وأدرك بالتالي عنصر القوة في الإسلام، ملاحظاً أن هذا العنصر يزعج الأوربيين كثيراً، ولأجله يحاربون الإسلام.

من هذا التحديد يتبين أن الطاهر الأوديِّي، غلب على تكوينه في أوربا، الجانب الفكري والسياسي، مما جعل جل الوظائف التي تقلدها وظائف لا تتسم بالخطورة أو الأهمية الكبرى خلال عصر الحماية بالخصوص، لأن جهاز الحماية بالمغرب لم يكن يسمح لشخصية تشبعت بالوعي السياسي والفكري أن تتولى وظائف خطيرة أو مهمة.

وعلى كل فإن الطاهر الأوديِّي، يمثل ذلك النموذج للمثقف الذي جمع بين الوعي الذاتي والوعي العالمي، أو النموذج الذي جمع بين الأصالة والمعاصرة. وهو جمع أولي وصفي لا يرقى إلى المستوى التحليلي النظري.

ط. الأوديي، *الاستبصار*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *الاتحاف*، 2 : 468 ؛ *العز والصولة*، 2 : 151 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1 : 34 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 3 : 203 ؛ م. المنوني، *مظاهر*، الجزء الأول ؛ *مجلة تطوان*، ع. 6 ، ص 56.

أحمد العماري

**الأوديِّي، عبد السلام** بن إدريس بن أحمد بن عبدالقادر السبيطي. عالم فلكي ميقاتي درس بأوربا علوم الهيئة، في)جملة طلبة البعثات الأولى التي أرسلها ملوك المغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وهناك شخص آخر يدعى عبد السلام بن الحاج الأوديي كان من أفراد البعثة التي وجهها المولى الحسن إلى أوربا عام 1291، ولعله هو المترجم في *إتحاف المطالع* ضمن المتوفين عام 11/1330 - 1912. أما عبدالسلام بن إدريس الأوديي فإنه عاش قبله وكان معروفاً كميقاتي في حاشية سيدي محمد بن عبد الرحمان أيام خلافته لوالده، ولعله كان من أفراد البعثة الأولى التي أرسلها المولى عبد الرحمان بن هشام إلى أوربا. ومما يؤكد تعلمه هناك خاتمة كتابه *فتح الملك العلام* التي خصصها للرماية بالمدفع والمهراس واستعمل فيها آلة سماها الرِّكلة العجمية «مقياس جنتر».

لم تتحدث كتب التراجم عن هذا العالم الفلكي وإنما يُعرف من خلال كتابين له، هما : *فتح الملك العلام على عبده الذليل الصغير الأوديي السبيطي عبد السلام في التوصل إلى معرفة الأوقات بالخيط والقلم*، رتبه على 120 باباً بعدد المسائل الميقاتية التي تعرّض لها، مزاوجا بين طريقة الربُع وحساب اللوغاريتمات، إضافة إلى الخاتمة المشار إليها سابقا. انتهى من تحرير هذا الكتاب في متم جمادى الأولى عام 5/1275 يناير 1859. وقرظه مؤقت مكة المشرفة عبد الله بن الرئيس علي في 29 حجة عام 30/1275 يوليوز 1859، الأمر الذي يدل على أن المترجم حج في هذه السنة. وكتابه الثاني عبارة عن *رسالة في العمل*

بالأسطرلاب وضعها للحسن الأول قبل مبايعته، وانتهى من تحريرها في ثاني ربيع الأول عام 22/1288 ماي 1871. ولا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد.

م. المنوني، *مظاهر يقظة*، 1: 219. 220 ؛ ع. ابن سودة، *اتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد حجي

## الأوديي محمد ← الكعاب (ابن ـ)

**أوْراغ**، صالح، قائد من قواد هنتيفة في الأعوام الأخيرة من عهد ما قبل «الحماية» وكذا من السنوات الأولى من «الحماية» حيث شارك فيما سماه الفرنسيون بعملية التهدئة بالأطلس الكبير الأوسط.

أ. التوفيق، *المجتمع المغربي*.

أحمد التوفيق

**الأُورانْـيُوم**، عنصر إشعاعي طبيعي مركب من نظيرين، الأورانيوم 238 (99,3٪) والأورانيوم 235 (0,7٪). إلا أن الثاني وحده قابل للانفلاق.

والأورانيوم عنصر نادر نسبيا في تركيب القشرة الأرضية، مقداره بمعدل 1 إلى 2 جزء من المليون. إلا أن الكثير من الصخور، وخاصة منها الصخور النارية الأولية، تحتوي على مضمون من الأورانيوم يرتفع إلى 50 من المليون. وهي الصخور الأصل في أغلب المناجم المكتشفة والمستغلة. ويحتوي المعدن المستخرج من المناجم أو المقالع على نسبة تصل إلى 1 أو 2 في الألف.

يتم تحويل هذا المعدن في مصانع كيماوية إلى مواد مركزة، تحوّل هي بذاتها إلى فلز تصنع منه العناصر المحروقة المرصودة لتغذية المفاعَلات النووية، التي تنتج عادة الطاقة الكهربائية.

ويتنوع الأورانيوم إلى أكثر من 150 معدن طبيعي، يعتمد التفريق الأول فيما بينها على مقدار تكافئها. فهناك المعادن الرباعية التكافؤ، وتكون عادة سوداء (أورانينيت، بّيشبلند، كوفنيت برانوريت ...) وهناك كذلك المعادن السداسية الشحنة، وهي دائما ملونة، وتعتبر ثانوية (أوتونيت، كالكوليت، تيويانونيت، كارنوتيت).

أما طرق التنقيب عن الأورانيوم فتعتمد على قياس الإشعاع والصدور وعلى الجيوكيمياء. إلا أن قياس الإشعاع يبقى قاعدة التنقيب عن هذا المعدن، ويعتمد على كشف الإشعاعات الصادرة عن الأورانيوم باستعمال مشعات مومضة أو عدادات جيجر ـ مولر.

وقد اهتمت بالبحث عن الأورنيوم بالمغرب أول مرة وكالة الطاقة النووية الفرنسية، سنة 1946، في الأحواض الفوسفاطية والجبيلات. ثم تنمى البحث في السنوات 1951 ـ 53 تحت تأثير مجموعة ملحقة بالمصلحة الجيولوجية المغربية إلى حين نشوء الشركة المغربية للبحث والدراسات المعدنية. وقد تمحور برنامج هذه الشركة حول استكشاف الرواسب القارية وحول التنقيب المنظم للصخور الگرانيتية. وقد توقف عمل هذه الشركة سنة 1956 دون أن تكون قد أنجزت مجموع البرنامج المقرر.

ثم تجدد البحث عن الأورانيوم سنة 1970 من طرف مديرية الجيولوجيا بوزارة الطاقة والمعادن ومن طرف مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية بمساعدة إخصائيين ينتمون للوكالة الدولية للطاقة النووية، ولبرنامج الامم المتحدة للنمو. وهكذا تم اكتشاف عدة علامات للأورانيوم في الميدانين الأطلسي والجنوب الأطلسي إضافة إلى المناجم التي سبق اكتشافها قبل الاستقلال.

ومنذ سنة 1974 وسع مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية نشاطه التنقيبي عن الأورانيوم، خاصة في أحواض ملوية العليا وفي الأطلس الكبير والجزء المكون من الركيزة الأولية في جبال الريف. إلا أن مختلف هذه الحملات لم تكشف عن مخزون قابل للاستغلال، رغم أنها أبرزت العديد من الإشارات لمعدن الأورانيوم خاصة في المناطق التالية :

1 ـ في الأطلس الصغير تجب الإشارة إلى مناجم أگوجگال وبوازار وزگوندر. يتمركز تعدن أگوجگال في الحث والدولومي القبلكمبري على شكل كالكوليت CU (UO2) (PO4) 2 NH2O ومواد مصفرة مشتركة مع معادن نحاسية. ويصل مضمون الأورانيوم في هذه التعدنات إلى ما بين 0,9 و1,5٪ داخل مستويات صغرى سمكها من 0,3 إلى 1م. ويتخذ الأورانيوم في بوازار شكل برانوريت (UTH CaY) (TiFe)2 O6. ويوجد داخل اندساسات كوارتزية أو ضمن ديوريت مغناة بالكوارتز والكلوريت في معدن كوبالت بوازار.

أما في معدن الفضة في زگوندر بجبل سيروا، فإن الأورانيوم يوجد على شكل بّيشبلند واورانينيت OU2 داخل الحث الشستي المنكسر والمتحول جزئيا.

2 ـ في الأطلس الكبير تمت الإشارة إلى مناجم أزگر، تيشكا، وأفاگا وأرگانة. ففي معدن المولبدين والتانگستين بأزگر، يوجد الأورانيوم على شكل بّيشبلند OU2 على مستويات الانكسارات. وقد تم استخراج حوالي طن من الفلز من هذه المناجم. في تيشكا تم اكتشاف آثار تيطَانَات الأورانيوم داخل اندساسات الكوارتز والكلسيت. كما اكتشف معدن آخر للأورانيوم جنوب شرق إيمي ن تانوت في موقع وافاگا، وهو على شكل كارنوتيتK(UO2 (VO4)NH2) داخل حث فاتح من الطباشيري الأسفل القاري سمكه من 0,20 إلى 1م وبمضمون يتعدى 1 في الألف. أما في أرگانة، فإن الأورانيوم يشترك مع النحاس في مناجم تطبقية صغيرة الأبعاد، داخل الرواسب البرموترياسية.

3 ـ في ملوية العليا تم اكتشاف عدة معادن ثانوية داخل اندساسات الأندزيت في سيدي عياد وداخل الكلس السينوماني ـ التوروني ناحية أساكا إجدي، وكذا داخل الحث الترياسي في بومية.

4 ـ في الريف الأولي، يتخذ تعدن الأورانيوم شكل بيّشبلند مشترك مع مواد صفراء، وتوجد هذه التعدنات داخل الحث البيرموترياسي في منجم الرصاص والزنك ببني معدن.

5 ـ في الرحامنة اكتشف تركز هام للبيّشبلند ومواد مرافقة داخل گرانيت ابن گرير، إلا أنه بدون استمرارية.

6 ـ التعدنات الأخرى : لقد تمت الإشارة إلى عدة تعدنات أخرى أقل أهمية في گرانيت زعير وولماس ومنت، وكذلك في الجبيلات وداخل الكتلة القبلكمبرية لصغرو.

أما في الفوسفاط، فمعلوم أن الأورانيوم متوفر فيه، ويمكن الحصول عليه كمادة ثانوية. وقد خصصت عدة دراسات لضبط وسائل الاستخراج والمخزون والجوانب الاقتصادية المتعلقة بذلك. وما دام المخزون الفوسفاطي هائلا، فإن امكانيات الحصول على الأورانيوم هائلة كذلك، فإذا اعتبرنا مضمونا معدلا من الأورانيوم مقداره 110 من مليون بالنسبة لمجموع الفوسفاط، فإن مخزون الأوروانيوم يتراوح بين 7 و10 مليون طن من U3 O8.

سعيد برقاد

**الأُوراوي**، أسرة. كتب محمد الأوراوي المتوفى سنة 1934 والمعروف بمقالاته في جريدة *السعادة* معلوما ت عن عائلته الأوراوية. ونلاحظ أن اسم الأُوراوي يقرن أحيانا بلقب العزوزي. وأحيانا توصف بعض شخصيات هذه الأسرة بكونها من الشرفاء، وأحيانا أخرى تنتفي صفة الشرف عن شخصيات أخرى منها. ومن أفراد هذه الأسرة الحاملين للقب العزوزي. مفتي العدوتين أيام السلطان عبد الرحمان بن هشام : المعطي بن محمد بن قاسم الشريف العزوزي الذي لم ينته اسمه بالأوراي كما ذكر محمد بوجندار في *الاغتباط* (ص. 353) ومحمد بن علي دينية في *مجالس الانبساط* (ص.167). لكن صاحب مقالات جريدة *السعادة* ذكره من بين أسلافه الأوراويِّين، ونفس الأمر بالنسبة للعدل المعطي العزوزي بن الفقيه إبراهيم الذي كان كاتبا لدى السلطان محمد بن عبد الرحمان. فقد جعله محمد الأوراوي من ضمن أفراد عائلته، ولو أن كلًا من بوجندار ودينية اقتصرا على وصفه بالعزوزي دون إضافة الأوراوي.

وإذا سلمنا بأن كلا من المعطي بن محمد المفتي والمعطي بن إبراهيم الكاتب العزوزين ينتميان إلى أسرة الأوراوي فإننا نلاحظ أنهما في نفس الوقت ينتميان إلى فرع الشرفاء، في حين أن هناك فرعاً آخر لا يوصف بالشرف. فعندما تحدث كل من الضعيف وبوجندار عن الباشا المشهور إبراهيم الأوراوي المعاصرللمولى سليمان لم يذكرا أنه من الشرفاء. كما أن بوجندار ودينية لم يذكرا أن القاضي الطاهر بن الفقيه الحارثي الأوراوي ينتمي إلى الشرف. وقد كان هذا الأخير أحد تلامذة الشيخ العكاري، (دينية، 116 وبوجندار 314).

ولا يعرف وقت استقرار أسرة الأوراوي بالعدوتين، فالقاضي الطاهر بن الفقيه الحارثي الأوراوي الرباطي أخذ عن الشيخ العكاري، معني هذا أن أسرته كانت موجودة بالرباط منذ عهد المولى إسماعيل، ويذكر الضعيف وبوجندار أن الباشا إبراهيم بن محمد الأوراوي استقر مع سلفه بالرباط أي في نفس الفترة أو بعدها بقليل. ولكن هذا لا يمنع من التكهن بأن فرعا من هذه الأسرة وجد قبل هذا التاريخ في الرباط أو سلا اللتين ما زالت أسرة الأوراوي بشقيها الشريف وغير الشريف تقطن بهما.

أما الموطن الأصلي لهذه الأسرة فهو الشاوية. وإذا كان الباشا إبراهيم الأوراوي قد تقلد أمر الشاوية أيام السلطان المولى سليمان فإن المعطي العزوزي الأوراوي المفتي تقلد بدوره قيادة أحد فروع الشاوية وهو فرع الزيايدة عام 1254 (دينية، 167).

تنتمي أسرة الأُوراوي إلى قبيلة بني أَوْرَى أو (بْني وْرَى) وقد تغير موقعها على مرّ الأجيال في إطار التحركات القبلية التي عرفها المغرب، والتي كانت تذكيها النزاعات بين فروع القبائل وأفخاذها حول الأرض أو الماء أو الماشية، مما كان يتسبب في خصومات تؤدى إلى القتل والجرح والطرد وتنقل الخيام والدواوير من بقعة إلى أخرى وهذا ما عرفته قبيلة بني أورى التي يظهر أنها كانت توجد في منطقة قريبة من سطات أيام المولى سليمان لتنتقل بعد قرن إلى حدود فضالة (= المحمدية).

وفي بداية القرن التاسع عشر عندما كانت الشاوية مقسمة إلى أربع جماعات هي الشهاونة، وأولاد بوعطية، ومزاب، وأولاد ورزق، كانت قبيلة بني أوْرى إحدى القبائل الخمس عشرة التي تتكون منها الشاوية وهي : مديونة، وأولاد زيان، والزيايدة، وأولاد حريز، وأولاد علي، والمذاكرة، وأولاد مراح، والأعشاش، وملال، وأولاد سعيد، والمزامزة، وأولاد بوزيري وأولاد سِّي بن داود، وزناتة، زيادة على بني أوْرى.

وفي سنة 1900 أصبحت قبيلة بني أورى ملحقة بالزيايدة، ولم تعد مزاب تعتبر قبيلة. كما لم يعد بنو مسكين من ضمن الشاوية.

وأثناء الغزو الفرنسي للشاوية كانت قبيلة بني أورى إحدى الأقسام الأربعة للزيايدة من الناحية الإدارية، وهذه الأقسام زيادة على بني أوْرى هي موالين لُوطا، مْوالين الْغابة، وفْضالة، وكات الزيايدة التي تضمّهم تعتبر إحدى المقاطعات الإدارية للمراقبة المدنية لمعسكر بولهوت Boulhaut مقر قيادة منطقة ابن سليمان.

إن بني أورى لا ينتمون إلى قبيلة الزيايدة ولكن ألحقت بها من طرف الفرنسيين لأسباب جغرافية، فبنو أورى قبيلة محاربة انبثت بفضل ديناميكيتها بين الزيايدة وزعير بدون ارتباط بأية واحدة منهما.

أما أقسام بني أورى فهي : بنومغسال، وگطابة، وأولاد يونس.

يتكون بنومغسال من البرابشة، وأولاد بوعزة، وأولاد العروسي، وبني عيسى. وكان شيخهم في حدود سنة 1914 هو المعطي بن كبور.

وتتكون گطابة من بني موسي، وگطابة، وشيخهم كان في نفس الوقت هو عبد السلام بن الحاج اسماعيل. أما أولاد يونس فكان شيخهم هو المسمى المعطي، وكانت قبيلة بني أورى تضم في نفس الوقت 370 خيمة ولها سوق يعقد كل خميس في مكان يسمى ضاية كالاتو لدى بني مغسال.

أما عن مصير هذه القبيلة اليوم فنعتقد أنها أدمجت ضمن الزيايدة وربما ما زال ضمن الزيايدة فرع يسمى بهذا الاسم.

م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*.

Mission Scientifique, *Villes et Tribus : Casablanca et les Chaouia*, t , I, II, Paris, E. *Leroux*, Paris VI 1915 ; Dr. Weisgerber, *Casablanca et les Chaouia en 1900*, Paris, 1935.

**الأُوراوي، إبراهيم** بن محمد الباشا. ينتسب إلى بني أورَى إحدى قبائل الشاوية. استوطن الرباط مع سلفه، ويذكر محمد الأوراوي صاحب المقالات عن عائلته الأوراوية العزوزية، في إحدى مقالاته بجريدة *السعادة* أن إبراهيم هذا كان عالما شهيرا وفقيها ذا وجاهة ورياسة بين قومه.

اشتغل في البداية ككاتب مع باشا الشاوية الغازي الشاوي في حدود سنة 1811/1226 أيام السلطان مولاي سليمان. وكانت الظروف السياسية آنذاك مضطربة فلقي إبراهيم محنة حيث أسر من طرف أهل مزاب المناوئين للقائد الغازي الشاوي، فنكلوا به وسجنوه. وكان الشاوي المذكور قد أراد الخروج عن طاعة السلطان واستمال بعض قبائل الشاوية، وبقيت قبائل أخرى غير راضية باتباعه، وبعد حين سُرح إبراهيم من طرف أحد شيوخ مزاب.

لم يمض وقت طويل حتي عينه السلطان عاملا للشاوية في حين ألقي القبض على القائد الغازي الشاوي الذي ذهب مع كاتبه الأوراوي إلى السلطان بمكناس، لكن الأوراوي رفضته أغلبية قبائل الشاوية مثل مزاب وأولاد حريز، بل هجم المذاكرة وأولاد علي ونهبوا خيمته وخيله وبغاله. فهرب وأعلم السلطان بما وقع له، فاحتال السلطان على بعض رؤوس الفتنة في قبيلة مزاب وأرسل من قتل الصغير بن الطاهر المزابي أحد شيوخها بتهيئ من الباشا الأوراوي، وقبض على آخر وهو الطاهر ولد عمر بن بوسلهام المزابي، وبقي الباشا الأوراوي بالدارالبيضاء لا ترضى به من قبائل الشاوية سوى الشهاونة، فاندلع القتال بينهم وبين المزامرة والفرق الأخرى التي رفضت الأوراوي، ونزلت مزاب وأولاد حريز وأولاد علي والمذاكرة إلي الدارالبيضاء للهجوم على الباشا الأوراوي، فاستعان ببني حسن وبعاملهم الباشا سليمان بن القرشي السگيري فنهض إليهم بنحو أربعين ألفاً من خيل ورماة ومع بني حسن عرب الأوداية. ووقع قتال كبير، وبأمر من السلطان قبض محمد الزعري صديق الباشا عليه، أي علي إبراهيم الأوراوي، وكبله وسار به ليسجن بالرباط، ثم أرسل إلى سجن طنجة عند عاملها محمد السلاوي. وبعد بضعة شهور أطلق سراحه أواخر سنة 1812/1227.

ومرة أخرى أرسله السلطان للعمل مع الباشا الغازي الشاوي الذي كان السلطان قد سرحه قبل ذلك، غير أن إبراهيم لقي مهانة وسوء معاملة من القائد وقبائل الشاوية مما اضطره إلى الهرب والاستحرام بضريح مولاي إدريس الأكبر، وأرسل إلى عائلته بالرباط يطلب منها الرحيل بعد أن أقنع القائد الغازي السلطان بترحيل إبراهيم وعائلته إلى قبيلته بني أورى. وتوسل إبراهيم إلى السلطان بأن يبعده عن القائد الغازي فنفذ له السلطان داراً بزرهون سكنها مع أسرته أياما.

وفي ربيع الأول 1229/ يبراير، مارس 1814 سار إبراهيم بأسرته إلى الرباط. وفي منتصف ذي القعدة 1230 بعثه السلطان مع أخيه موسى الذي عينه عاملا على درعة.

ولما توفي السلطان مولاي سليمان بقي إبراهيم الأوراوي يعمل مع المخزن. وانتهت حياته مقتولا بضواحي الدار البيضاء في سنة غير معروفة، ودفن بمسجد دار المخزن هناك، ثم نقله السلطان إلى الرباط يطلب من ذويه.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*.

**الأُوراوي، محمد الطاهر** بن الفقيه الحارثي العزوزي. ذكره الحفيد علي العكاري في *فهرست* جده من جملة تلامذته الذين انتفعوا بعلومه ومعارفه، وقال إنه شاركهم في أخذ علم النحو عنه. وقد أخذ محمد الطاهر أيضا عن غير العكاري من مشايخ الرباط وفقهائه. وذكر بوجندار في *الاغتباط* أن محمداً بن علي الدكالي صرح في *الاتحاف الوجيز* بأن المترجم ولي قضاء الرباط ولم يعثر هو على ما يثبت ذلك. بل وقف على ما يقتضي خلافه. وإذا كانت *الفهرسة* تحلّيه بالقاضي فلعله ولي قضاء غير الرباط، لذلك لم يجعل له بوجندار ترجمة ضمن قضاة الرباط المذكورين في *تعطير البساط*. وذكر الصحافي محمد الأوراوي في إحدى مقالاته بجريدة *السعادة* عن أسرته العزوزية أن المترجم ولي قضاء الرباط سنة 1118، ولا أصل له - كما يقول بوجندار- سوى ما في كتاب *الاتحاف الوجيز*. أما التاريخ المذكور فالذي كان متوليا قضاء الرباط فيه هو القاضي أبو عبدالله مرينو حسبما عثر عليه بوجندار في كثير من الرسوم التي فيها خط يده والتسجيل عليه.

م.بوجندار، *تعطير البساط*، *الاغتباط* ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*؛ م. ابن علي الدكالي، *الاتحاف الوجيز*.

**الأُوراوي، مَحمد** - بفتح الميم - بن محمد الرباطي، أديب وكاتب، له عدة مقالات أدبية وأخرى أخبارية وتاريخية نشرت بجريدة *السعادة* التي كان مراسلا لها يسجل على أعمدتها وقائع العاصمة كالحفلات والوفيات. كان ذا هندام جذاب وجمال خلقي، يحرر مقالات بإنشاء فني، ويقرض الشعر.

تقلب في وظائف الكتابة بدار المخزن، فكان مرة كاتبا بالعدلية، وتارة بوزارة الأحباس، وأخرى مفتشا للنظار. أمضى شبابه عزبا. بل كانت له فكرة خاصة عن الزواج بسطها لصديقه عبد الله الجراري الذي ترجم له ضمن *أعلام الفكر بالعدوتين*، وظل عزبا إلى أن وافاه الأجل إثر داء عضال. كان قبل موته يود لو أطال الله عمره ورزق ولداً إذن لعمل جهد المستطاع لتعليمه الطب. وقد أوصى بذلك بعض أبناء إخوته مدفوعا بالآلام التي كان يقاسي منها في مرضه الذي توفي منه يوم الجمعة 9 رجب 1353 موافق 1934.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر بالعدوتين*، ط. الرباط، 1971.

**الأوراوي، المعطي بن إبراهيم** العزوزي. كان موصوفا بالعلم والسياسة والرزانة، معدوداً من العدول المبرزين.. تولى خطة الإفتاء بالرباط ثم أصبح كاتبا بدار المخزن على عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان الذي كانت له معه مصاهرة، وكثيراً ما كان يكلفه بأمور سياسية ومهمات مخزنية. ولما اعتلى السلطان المولى الحسن العرش أقره على خطته وبقي فيها إلى أن توفي بمراكش في بعض حركاته معه (في تاريخ غير معروف) فأقام المخزن جنازته وأمر بدفنه في ضريح أبي العباس السبتي.

م. دينية، *مجالس الانبساط* ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*.

**الأوراوي، المعطي بن محمد** بن قاسم الشريف العزوزي. ذكره الشريف العربي التهامي في فهرسته : *بلوغ المنى والآمال فيمن لقيه مؤلفه من المشايخ وأهل الفضل والكمال*. وعدّه من جملة مشايخه الذين درس عليهم بالرباط. وقد عينه السلطان المولى عبد الرحمان مفتيا للعدوتين، ووصفه تلميذه المذكور بالشرف والكرم وحسن السيرة والمشاركة في العلوم والمهارة في التدريس، وامتلاء مجلسه بالتلامذة. ويذكر بوجندار أن صديقه محمد الأوراوي صاحب المقالات في جريدة *السعاد* أورد أن المعطي الأوراوي بعدما أسند له المخزن خطة الإفتاء المذكورة استدعاه للخدمة معه، وعينه قائداً على عدد من قبائل الشاوية سنة 1838/1254، ثم عينه قاضياً على تارودانت وأحوازها سنة 1260. وكانت له مصاهرة مع السلطان مولاي سليمان والسلطان مولاي عبد الرحمان، وتوفي بالطاعون في حدود 1858/1274.

عبد الإله الفاسي

**أوربا والمغرب**. من الصعب اليوم أن نرسم حصيلة كاملة لكل العلاقات المغربية - الأوروبية، نظرا لاتساع المجالات التي تغطيها هذه العلاقات. واختلاف الأهداف من حالة إلى حالة، وتنوع الأطراف التي تعنيها في كل علاقة، وتمايز أوضاعها القانونية. كل هذه المعطيات لا تسمح بإعطاء صورة مفصلة ومدققة عن ارتباطات المغرب بأوروبا. فإذا أخذت هذه العلاقات في شموليتها، سواء تلك التي تندرج في القنوات التقليدية للعلاقات الدولية (الدبلوماسية، الحرب، التجارة) أو تلك التي ترتبط بمحددات جغرافية واجتماعية ذات طبيعة أعمق (الهجرة، الرحلات، التفاعلات الثقافية...) فقليلا ما نجدها قد وقفت عند مستوى التبادل الرمزي فقط. قد تتغير كثافتها من مرحلة تاريخية إلى مرحلة أخرى، لكن من الواضح أنها عرفت عدة ملابسات وعدة منعرجات، إلى حدود إدماج المغرب إدماجا بطيئا حقا، لكن بصلابة، في الاقتصاد الرأسمالي والأوروبي، وإلى أن انتهى هذا الإدماج بإقامة نظام الحماية في المغرب. فرغم علاقات اقتصادية وتبادلات تجارية موجهة أساسا نحو فرنسا وبدرجة أقل نحو إسبانيا، وذلك منذ مرحلة الاستعمار، دخل المغرب بعد ذلك في علاقات حاسمة مع أوربا بع إبرام معاهدة روما.

فعلاقات المغرب بأوربا اليوم يمكن أن تقاس أولا من زاوية علاقات المغرب بمختلف الدول الأوروبية، كل دولة على حدة أولا قبل أن تدرس من زاوية العلاقات في إطار السوق الأوروبية المشتركة ككل ثانيا.

ا - نمو العلاقات الثنائية بين المغرب المستقل والدول الأوروبية : من الواضح أن العلاقات الأكثر ثباتا مع أوروبا هي التي تربط المغرب بفرنسا ثم بإسبانيا. ويظهر أن مرحلة الحماية قد عملت على تركيز أهم العلاقات المغربية الأوروبية مع هذه الدول بالضبط. من الطبيعي إذن أن تظهر أكثر متانة وإصرارية، رغم تغيير الأطراف، بل رغم القطيعات، أو ما سمي أحيانا بالانطلاقات الجديدة.

فهكذا بالنسبة لفرنسا، تظهر المرحلة الممتدة من الاستقلال إلى 1962 كمرحلة توتر محكوم نسبيا : فزيادة على أن اتفاقيات مارس 1956 كانت لا تعطي حلولا لكل النزاعات الموروثة عن الفترة الاستعمارية، ظهرت اختلافات وتناقضات جديدة، مرتبطة بالسياسة العالمية (الحرب الباردة) والوضع الخاص في منطقة شمال إفريقيا (قطع العلاقات مع فرنسا بعد اختطاف بعض قادة الثورة الجزائرية من طرف سلطات الجزائر، أزمة السويس، التدخل المشترك الفرنسي - الإسباني ضد جيش التحرير المغربي في الصحراء (عملية إكوفيون Ecouvillon) مبادرات فرنسا في موريطانيا، تفجير من قبل فرنسا لقنبلة نووية في منطقة رگان التي يطالب بها المغرب، مساندة المغرب لجبهة التحرير الوطني الخ...)

تبعت مرحلة التوتر هذه، مرحلة شوهد فيها تعزيز العلاقات الثنائية ابتداء من 1962، وذلك بإخلاء القواعد العسكرية الفرنسية بالمغرب، وإيجاد حل لمشكل الأراضي المستعمرة رسميا، بالقرار بزيادة المساعدة الفرنسية لفائدة المغرب الخ... وبقيت العلاقات المغربية - الفرنسية على هذا المد إلى بروز قضية اختفاء المهدي بن بركة.

أعيد ربط الحوار من جديد في فبراير 1969. وإذا كانت العلاقات المغربية الفرنسية ستتأثر بالعمل في المغرب بقانون المغربة واسترجاع الأراضي المستعمرة، فسيمكن وصول ڤليري جيسكار ديستان إلى الرئاسة بفرنسا من فتح

عهد تسوية للمشاكل المعلقة بين البلدين. وستتعزز هذه العلاقات تحت الرآسة الأولى لفرنسوا ميتران، حيث ستتكثف علاقات التعاون الاقتصادي والثقافي والتقني، والاجتماعي والأمني الخ...) وكأن الدولتين أصبحتا أكثر من ذي قبل واعيتين بثبات وبعمق المصالح التي تربط بينهما.

في العلاقات المغربية ـ الأوروبية تحتل إسبانيا المكانة الثانية بعد فرنسا من زاوية أهميتها الشمولية. فعند الاستقلال، أكدت إسبانيافي معاهدة 7 أبريل 1956 عن إرادتها في احترام الوحدة الترابية للأمبراطورية التي تضمنها المعاهدات الدولية، والتزمت باتخاذ كل التدابير الضرورية لتطبيقها. وبالفعل تأثرت دائما العلاقات المغربية ـ الإسبانية، ومازالت، بثقل النزاعات الترابية : إرجاع إفني في يناير 1969، اخلاء الصحراء. اضطرابات سياسية في سبتة ومليلة.

إن العلاقات المغربية الإسبانية إن كانت تبدو في ظاهرها تتخللها فترات قصيرة من الحدة، فإن السمة العامة لهذه العلاقات تكمن في بقائها جيدة نسبيا رغم ان التمييز الإسباني منذ بدء قضية الصحراء بين مفهوم «إدارة» ومفهوم «سيادة» قد أضر كثيرا ببراهين الدبلوماسية المغربية، ورغم أن إسبانيا قبل أن تصحح موقفها كثيرا ما خضعت للضغوط الجزائرية إلى حد أنها اعترفت بجبهة البوليساريو.

أما التبادل التجاري فإنه يظل ضعيفا رغم إمكانيات كبيرة للتعاون. فإسبانيا وهي الدولة الصناعية بقيت مدة طويلة تتصرف كدولة متخلفة عاجزة عن اقتراح مشروع تعاون مشترك له مصداقية. وهي تحاول أن تصحح هذا المسار حاليا.

ومنذ منتصف الستينات اتسعت العلاقات المغربية الأوروبية إلى دول أخرى غير فرنسا وإسبانيا. فتكثفت العلاقات المغربية الألمانية ابتداء من سنة 1966. وزادت ألمانيا مساهمتها في مختلف برنامج التنمية الاقتصادية كما تطرحها التصاميم الاقتصادية المغربية.

كما نشأت علاقات تعاون مبكرة بين المغرب وإيطاليا خصوصا بعد سنة 1970 كما يشهد على هذا حجج تبادل الزيارات وجهاز المعاهدات الذي يربط البلدين، وتقدم المبادلات التجارية.

وتحتل بريطانيا العظمى مكانا مشابها لهاتين الدولتين ولكن الاتجاه الحالي هو تطوير العلاقات مع السوق الإوروبية المشتركة ككل وليس مع كل بلد على حدة. لقد أدت المفاوضات المطولة التي ابتدأت سنة 1964 إلى اتفاق أول وقع سنة 1969، وهذه الاتفاقية المسماة اتفاقية الإشراك كانت تنظم المسائل التجارية بين الطرفين وخاصة المسائل المتعلقة بدخول المنتجات الزراعية المغربية إلى السوق الأوروبية بأسعار تفضيلية. وقعت المعاهدة لخمس سنوات وتم تمديدها مرتين وتبدو اليوم كأول مرحلة للعلاقات المغربية الأوربية.

وبعد سبع سنوات أبرم المغرب مع السوق الأوربية المشتركة اتفاقية للتعاون في سنة 1976 كان هدفها في الجو الدولي آنذاك حيث كانت تسود الرغبة في إنشاء علاقات جديدة بين الشمال والجنوب ـ إرساء تعاون بين الطرفين يسهل النماء الاقتصادي والاجتماعي للمغرب، وكانت الاتفاقية تغطي مجالات عديدة من مجالات التعاون : التبادل التجاري والتعاون المالي والاقتصادي واليد العاملة. ففيما يخص التبادل التجاري فإن صادرات المغرب إلى السوق الأوربية المشتركة باستثناء المواد التي تشملها السياسة الزراعية تتم باعفاء جمركي كامل.

وسرعان ما عرف الاتفاق الثاني صعوبات في التطبيق عندما شرعت دول المجموعة الأوروبية تتخذ إجراءات للحماية إزاء بعض الصادرات المغربية نذكر منها بالخصوص منتجات النسيج.

وقد تعقدت علاقات المغرب بالسوق الأوروبية المشتركة بالخصوص بعد دخول اسبانيا والبرتغال للمجموعة في يناير 1986، فهذا التوسيع للسوق يجعل الصادرات المغربية في موقع منافسة مباشرة وتهدد التسهيلات الجمركية التي تمتع بها لحد الآن. وبدخول مدريد ولشبونة للسوق انقلبت عدة معطيات لدرجة أن المجموعة رغم كل شيء اتخذت عدة إجراءات وقائية قبل إعطاء صفة العضوية الكاملة لإسبانيا والبرتغال، وهكذا فقد حددت فترة تجريبية من مرحلتين : الأولى تنتهي في 1991 والثانية في 1996. ويعد تاريخ 1991 الشاغل الأكبر بالنسبة للمغرب إذ يكون المغرب وإسبانيا فيه على قدم المساواة فيما يخص التعريفات الجمركية.

اقترحت أوروبا على المغرب تعويضا شاملا وذلك بتحديد قسم من الواردات ولكن هذا القسم كان محدودا وانتقائيا. ابتداء من 1991 يبدأ بالنسبة لإسبانيا انخفاض التعريفات بينما تتعرض الصادرات المغربية لنظام الحماية.

ويجدر هنا إبداء بعض الملاحظات بالنظر إلى حجم المبادلات المغربية الأوروبية حيث يبدو المغرب مرتبطا جدا بالسوق الأوروبية المشتركة التي يتجر معها بحوالي الثلثين من مبادلاته، ولو أن إسبانيا وفرنسا هما الطرف المفضل، وتؤكد هذه الأهمية نزوعات المبادلات التجارية خاصة عندما نقارنها بالعلاقات التجارية مع باقي العالم.

وعلى هامش الخلافات الموجودة بين المغرب والسوق الأوربية المشتركة فقد تقدم ملك المغرب بطلب رسمي لانخراط المغرب في السوق معتمدا على ثلاثة اعتبارات.

قبل كل شيء يؤكد المغرب بطلبه للانخراط كعضو كامل العضوية رغبته في تجاوز مستوى الاتفاقيات التجارية والاقتصادية. ثانيا إن اقتراب موعد الربط المباشر بين طنجة والجزيرة الخضراء من شأنه أن يدمج المغرب في أوروبا دمجا عضويا. وبالنهاية فقد ركز رئيس الدولة المغربية في الرسالة الموجهة للرئيس فرانسوا ميتران على أن المغرب قد اختار على المستوى السياسي «نظاما يقربه إن لم نقل يدمجه في المجموعة الأوروبية الحرة وذلك باختياره نظاما ديمقراطيا برلمانيا تعدديا وليبراليا».

ولا يهم هنا الامتناع الذي قُوبل به الطلب المغربي والصعوبات التي يلاقيها والرفض البات الذي سيقابلها كل مرة في المستقبل، فالمهم هو أن طلب الانخراط هذا يعبر عن الرغبة في نوعية جديدة من العلاقات مع أوربا.

فما هو مغزى هذه المبادرة ؟ القراءات متعددة، فالبنسبة للبعض يتعلق الأمر بإجراء تكتيكي هدفه الأول هو عزل الحالة المغربية في مجال التعاون الاقتصادي والمالي والتجاري عن حالات الأطراف الباقية غير الأوربية في السوق المشتركة. وقد تم تأويل هذا الطلب كذلك على أنه دعوة للتحالف السياسي والاستراتيجي. أما بالنسبة لآخرين فهو يتعدى مستوى المناورة التكتيكية، وطلب الحلف السياسي الاستراتيجي بل يدخل في اطار الإشكالية الحضارية التي يعيشها المغرب بالنظر إلى امكانيات العصرنة التي يتوفر عليها في عالم يعرف تحولات دائمة في الميادين الاقتصادية والتكنولوجية والعلمية الخ...

والاختيار الأوروبي ليس اختيارا للسلطة وحدها بل هو اختيار النخبة المغربية كذلك بكل تياراتها، هذه النخبة التي تشكل أوروبا عنصراً جوهرياً في التناقض الثقافي الرئيسي لعصرنتها. فمن السهولة بمكان أن نقف على مدى سيطرة ردود الفعل والانطباعات ذات النموذج الأوربي على الإنتاج الفكري المغربي وعلى أسبقية التقنية، والعقلانية والدولة والدمقراطية والدين والفن... حيث يبقى المرجع الأوربي ضمنيا أو علنيا، متبنى عن قصد أو مقبولا عن كره، حتى عند رفضه يبقى هو الحاسم.

Associatioon des Economistes marocains : *Actes du colloque*, *Le Maroc et le monde arabe face à la C.E.E*, Casablanca,1982 ; Belal. A, *Les perspectives de l'Association Maghreb C.E.E*, *B. E. S. M* ; Berramdane. A, *Le Maroc et l'Occident*, Paris, Kharthala, 1987 ; L. Cerych, *Europeens et marocains, 1930-1956 : sociologie d'une dècolonisation*, Bruge, De Tempel, 1964 ; AR. Guedira., *Hassan II et la C.E.E*, *Géopolitique*, R.I.I.G, 1985, N°10 ; A. Laroui, *Islam et modernite*, Paris, La Decouverte, 1987 ; A. Leblanc, *La politique europèenne au Maroc à l'epoque contemporaine*, thèse, Paris, 1906 ; Mas Latrie (Capitaine de), *Relations et commerce de l'Afrique Septentrionale avec les nations chretiennes du Moyen Age*, Paris, 1886 ; A.G.P. Martin., *Le Maroc et l'Europe*, Paris, 1928 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1830-1894, Paris, 1961, 1964 ; G. Nesterenko, *Maghreb : Le grand tournant Géopolitique*, N° 10, 1985.

عبد الله ساعف

**أَوْرَبَة**، (إِوَارِبَنْ أو إِوَارِبِلَنْ) وتسهّل فيقال (وَرْبَة) قبيلة زنارية كبرى يعدها النسابون إلى صنهاجة وكتامة ومصمودة وعجيسة واوريغة وأزداجة، ولمطة وهسكورة وجزولة.

كانت أَوْرَبة ذات شوكة عظيمة عند الفتح الإسلامي، يمتد نفوذها ومساكنها من طرابلس إلى طنجة، وإليها ينسب الثائر كسيلة بن إغْز أولمزم قاتل عقبة بن نافع. وقد حسن إسلام قبيلة أوربة فدامت لها الوجاهة والإمارة في عهد ولاة بني أمية وبني العباس، إلى أن آوت إدريس بن عبدالله الكامل أواخر القرن الثاني الهجري. وهي يومئذ صاحبة الجاه والنفوذ بمنطقة زرهون، كانت السباقة، بإشارة رئيسها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي، إلى مبايعة إدريس بمدينة وليلي في 4 رمضان 5/172 فبراير 789 وتبعتها شعوب قبائل زناتة وبطونها من مغيلة وصدينة وزواغة وزواوة وسدراتة وغياثة ومكناسة وغيرها. وقد استوطن بعض أوربة مدينة فاس في جملة من سكنها من العرب والبربر، فكان بيتهم فيها من البيوتات الكبرى، كما استقرت بطون منهم بضواحي فاس عرفت باسم سطَّة ونِيجَة وكان منهم جميعا علماء أجلة.

تقطن فرقة تدعى أَوْرْبَة اليوم بناحية تازا وتدعى وَرْبَة. وربما انتسب إليها أيضا أَيْت أوربِيلْ من العمائر الكبرى لقبيلة زمور بضاحية الخميسات.

وكانت هناك مدينتان بهذا الاسم في المغرب والأندلس اندثرتا :

أَوْرْبَة المغرب قرب زرهون حيث مواطن القبيلة كما تقدم، ورد ذكرها في أخبار الفتح الإسلامي، وأن موسى بن نصير افتتحها عام 703/84.

أَوْرْبة الأندلس، هي قصبة كورة جيان «ذكر صاحب *فرحة الأنفس في أخبار الأندلس* أنها تسمى اليوم الحاضرة، وذكر أبو طاهر الأصبهاني أنها من قرى دانية» ( *الموسوعة* 4 : 156) ولعل لقبيلة أوربة الزناتية يداً في إنشاء هذه المدينة أو حكمها في عهد ملوك الطوائف.

مجهول من القرن 6 هـ، *الاستبصار*، 194 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، الهامش 339 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج : 6 و7 ؛ أ. ابن العماد، *شذرات الذهب*، ج : 1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج : 1 ؛ ع. بن منصور، *قبائل المغرب* ؛ ع. بنعبدالله، *الموسوعة المغربية*، ج : 4.

**الأَوْرَبي، إسحاق** بن محمد بن عبد الحميد. وسماه بعضهم عبد المجيد - بالجيم - وأسقط بعضهم اسم محمد من نسبه. كان رئيس قبيلة أَوْرْبة وحاكم (أو سلطان) وليلي لما نزل بها إدريس بن عبدالله الكامل (الأول) في غرة ربيع الأول عام 172/ غشت 788 على ما عند جمهرة المؤرخين، ويذكر بعضهم تواريخ أخرى متقاربة.

ينعت إسحاق الأوربي - مثل إدريس الأول - بالمعتزلي. ولا شك أنهم لا ينسبونه إلى المذهب الكلامي المعروف القائل بنفي الصفات عن الله تعالى وبخلق القرآن، لأنه مذهب عقلي كان ما يزال حديث عهد بالعراق والشام وفي طور المناقشة والتبلور، يبعد أن يكون رئيس أَوْرْبَة بأقصى المغرب عالماً بجدليات الاعتزال المعقدة مقتنعا بها حتى يدعى معتزلياً. ولعلهم يقاربون بالاعتزال التشيع لآل البيت، وهو ما يؤكده تصرف إسحاق الأوربي تجاه إدريس الأول المعتنق لمذهب الشيعة الزيدية القريبة من السنة.

كان إسحاق - على ما يبدو - من أول المستجيبين للرسالة التي وجهها إدريس الأول من طنجة إلى رؤساء قبائل المغرب يدعوهم إلى مناصرته ومقاومة بغي العباسيين وبطشهم وجورهم، والتي يقول في آخرها «واعلموا معاشر البربر أني آتيتكم وأنا المظلوم الملهوف، الطريد الشريد

الخائف الموتور الذي كثر واتره وقل ناصره، وقُتل إخوته وأبوه وجده وأهلوه، فأجيبوا داعي الله...» تُجمع مختلف الروايات على أن إسحاق أعز إدريس غاية الإعزاز حين نزل عنده بوليلي «وأنزله معه في داره فتولى خدمته والقيام بشؤونه بنفسه، فأقام عنده ستة أشهر» (جذوة، 8) ولم تمض ستة شهور حتى بايعت قبائل أوربة ـ بطلب من إسحاق ـ الإمام إدريس بن عبد الله بوليلي يوم الجمعة رابع رمضان عام 5/172 فبراير 789 ثم تلاحقت القبائل تبايع إدريس، وانفرد صاحب *الدر النفيس*، 12 بخبر إصهار إدريس إلى إسحاق بابنته كنزة، بينما يذكر سائر المؤرخين الجارية كنزة ولا ينسبونها إلى إسحاق.

ظل إسحاق يتمتع بالحظوة الكبرى طوال عهد إدريس الأول وأوائل عهد إدريس الثاني إلى أن حامت حوله شبهاتُ ممالأة الأغالبة أصحاب إفريقية بعد أن تمكن أميرهم إبراهيم بن الأغلب من إفساد نية بهلول بن عبد الواحد المضغري أحد خاصة إدريس وأركان دولته فانحرف عنه واعتزله في قومه إلى أن صالحه إدريس بعد استعطاف وإلحاح. فاتصل إبراهيم بن الأغلب حينئذ بإسحاق الأوربي، واستشعر إدريس الانحراف من إسحاق فقتله عام 192/7-808.

مجهول من القرن 6 هـ، *الاستبصار*، 195.194 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 4 : 24. 26 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. الجزنائي، *زهرة الآس*، 9 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة، 8 ؛ مجهول من القرن 18/12، *الدر النفيس في ذرية مولانا إدريس* (مخطوط) ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 140 و149 ؛ ع. الفاسي، *المولى إدريس الأكبر، وثيقة تاريخية* ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، 1 : 97. 99 ؛ إ. العربي، *دولة الأدارسة*، 64. 69.

**الأوربي، عبد الله** بن محمد بن عبد الله الفاسي، فقيه متمكن صالح ناسك «عارف بأحوال زمانه خاصة وعامة وتواريخهم وأنسابهم» (*نيل*، 149). أخذ عن الأستاذ أبي الحسن بن سليمان، وعن الخطيبين أبي جعفر بن الزيات وأبي عبد الله الطنجالي. ومن أشهر الآخذين عنه يحيى السراج وإسماعيل ابن الأحمر اللذان ترجما له في فهرسهما.

ولد عبدالله الأوربي بفاس عام 1302/701 واشتغل مدة بالفتوى كان فيها قرين الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالمالك الفشتالي، أيام تولى هذا الأخير قضاء الجماعة بفاس، وفي *المعيار* عدد من فتاويهما المشتركة.

ولما توفي الفشتالي عام 777/75. 1376 ولي عبد الله الأوربي قضاء الجماعة بفاس، وكانت أحكامه في غاية التحرير، ولم يكن يتردد في نقض بعض أحكام من سبقه من القضاة متى تبين له وجه النقض. ومنها بعض أحكام سلفه الفشتالي على جلالة قدره. وطال خوض فقهاء فاس في أحكام الأوربي حتى بعد موته لأنها تتعلق بأحباس مهمة لأسر فاسية ثرية، فكان المفتون يؤيدون أحكام الأوربي، مما يدل على نزاهته ومتانة دينه.

توفي في سادس عشر ذي القعدة عام 11/782 فبراير 1318.

أ. الونشريسي وأ. ابن القاضي، *ألف سنة من الوفيات*، 130 و220 ؛ *المعيار*، ج : 3 و7 ؛ *جذوة*، 103 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 149؛ م. الكتاني، *سلوة* 3 : 301 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 4 : 77.

**الأوربي، محمد بن عبد الله** (الجد) وقعت تحليته بصفات سامية في رسم منتسخ *بالمعيار*، مؤرخ فبي منتصف ذي حجة متم عام تسعة وستين وسبعمائة، وهو المصدر الوحيد الذي ذكره فيما وقفنا عليه، جاء فيه : «الشيخ الفقيه الأجل، الأسنى الأعدل الأكمل، المرحوم... تدل هذه التحلية على أنه كان من عدول فاس المبرزين، كما يدل تاريخ الرسم على أنه توفي قبل 1368/762.

أ. الونشريسي، *المعيار*، 3 : 341.

**الأوربي، محمد بن محمد** بن عبد الله، أخو المفتي والقاضي عبد الله الأوربي المتقدم. فقيه موثق انتصب لتلقي الشهادة بفاس مع قاضي الجماعة إبراهيم بن محمد اليزناسني. ونجد في *المعيار*، (7: 488) إحدى شهاداته معه مؤرخة في العشر الوسط لذي حجة عام تسعين وسبعمائة.

وبعد وفاة اليزناسني في 18 رجب عام 10/794 يونيه 1392 تولى محمد بن محمد الأوربي قضاء الجماعة بفاس. وفي *المعيار* (8 : 81. 20) وثيقتان متعلقتان بالنزاع على الغروس الواقعة على حافتي وادي فاس بين أهل أزكان وأهل مزدغة السفلى. الأولى : شهادة بثبوت فتوين للشيخ أبي الضياء مصباح والشيخ عبد الله العبدوسي مؤرخة في رابع وعشري شهر ربيع الأول عام أربعة وعشرين وثمانمائة. والثانية : شهادة ثبوت فتوى للشيخ محمد بن عبد العزيز التازغدري مؤرخة في تاسع وعشري جمادى الأولى عام أربعة وعشرين وثمانمائة.

فتكون وفاته بعد 1412/824.

أ. الونشريسي، *المعيار*، ج : 7 و8.

**الأوربي، النيجي محمد** بن الحسين، الشهير بالصغير. أستاذ كبير مشارك في التفسير والحديث والفقه وعلوم اللسان. ولد ببلاد نيجة من ضواحي فاس عام 1400/803، ثم دخل الحاضرة الإدريسية واستوطنها متعلما ثم مدرسا وخطيبا بجامع الأندلس. أفرد له تلميذه الإمام محمد بن غازي ترجمة حافلة، وهي أول ترجمة في فهرسه *التعلل برسوم الإسناد* وأطولها، قال فيها :«ما رأت عيناي قط مثله خَلقا وخُلقا وإنصافا وحرصا على العلم ورغبة في نشره واجتهادا في طلبه وإدمانا لتلاوة التنزيل العزيز وحسن نغمة بقراءته وتواضعا وخشية ومروءة وصبرا واحتمالا وحياء وصدق لهجة وسخاء وإيثارا ومواظبة على قيام الليل وتبحرا في القراءات وأحكامها، مع المشاركة في سائر العلوم الشرعية وحسن الإدراك وقوة الفهم وحب الخير لجميع المسلمين».

أخذ محمد الأوربي النيجي عن أكابر شيوخ فاس كعبدالله العبدوسي، وعيسى المصمودي، وأبي القاسم التازغدري، ومحمد بن آملال، وأحمد الفيلالي، وعلي الوهري وعلي الأنفاسي. كما أخذ عن محمد بن أبي سعيد السلوي وإليه يُسند معظم مروياته.

كان درسه درس تحقيق واستيعاب، ومن عادته - كمايقول ابن غازي - إطالة البحث عما أشكل عليه حتى تتجلى الحقيقة ثم لا يكتفي بذلك فيأمر الطلبة بالبحث والتقصي، وكثيرا ما يقول : لا أدري، في المجلس، وربما قالها حتي فيما يدري. ويحض الطلبة كثيراً على الدرس والمثابرة. مات بفاس وهو يطلب العلم ويعلّم وقد ناف على ثمانين سنة، ليلة الجمعة سادس شعبان عام 20/887 شتنبر 1482 ودفن بقرب مسجد الصابرين بجوار قبر الولي الصالح أبي زيد الهزميري داخل باب الفتوح.

م. ابن غازي، *التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد*، ت : محمد الزاهي، الرباط 1979، 36 ـ 69 ؛ أ. الونشريسي، أ. ابن القاضي، *ألف سنة من الوفيات*، 151 و268، *جذوة*، 150 ـ 151 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 321 ـ 322.

**الأوربي، يَخْلَف** بن خزر، ويكنى أبا خزر، وإليه تنسب عينُ أبي خزر بفاس، يذكرون أنه جلس بموضع هذه العين قبل أن يجري به الماء، فاستقى ماء لوضوئه فلم يجده، فركز عكازه بالأرض وجذبه فانبجس الماء. وينتسب إلى قبيلة أَوْرَبة البربرية التي ناصرت إدريس الأول، ثم أصبحت من بيوتات فاس الكبرى.

فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي وأصوله، ورع صالح مجاب الدعوة، قضى عمره في عدوة الأندلس بفاس مشتغلا بالتدريس والفتوى. جاء رجل إلى الشيخ الشهير علي بن حرزهم -وكان معاصرا لأبي خزر- فأخبره أنه رأى في المنام شمعتين إحداهما بعدوة الأندلس والأخرى بعدوة القرويين فقال له الشيخ : كانت التي بعدوة الأندلس أكثر ضوءاً، قال: نعم. قال ابن حرزهم: ذلك أبو خزر شمعة عدوة الأندلس، وأنا الذي رأيت بعدوة القرويين.

توفي بفاس يوم الخميس الثامن أو السادس عشر من جمادى الآخرة عام 20.12/572 دجنبر 1176. ودفن داخل باب الفتوح قريبا من قبور الشيوخ الصالحين أبي عبد الله الروسي، وأبي زيد الهزميري، وصالح الهسكوري، وأبي محمد القشتالي بإزاء أبي قطوط.

ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 352 ـ 353 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 360 ؛ م. ابن عيشون، *الروض العطر* (مخطوط) د. د. ع. كلية الآداب الرباط ؛ م. الكتاني، *سلوة*.

محمد حجي

**أُورَحُّو، أحمد أعقى**، ولد سنة 1920 بأيت مخلوف، أيت مساعد، إيوزار مرموشة، إقليم بولمان.

انخرط في جيش التحرير فحمل السلاح مع الفرقة التي كان يقودها إلياس ميمون أُوعقى منذ 20 غشت 1955، حيث خاض عدة معارك بطولية إلى غاية 2 أكتوبر 1955، ذلك أنه في هذا اليوم وقع اشتباك مسلح على إثر الهجوم المنسق الذي خطط له جيش التحرير ضد الكومندار «بو» وخلال هذا الهجوم لفظ أورحو أنفساه الأخيرة على إثر إصابته برصاص العدو.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين.*

عزالدين العلام

**أُورديگة** لاديسلاس Ordega Ladislas، وزير مفوض لفرنسا بطنجة من سنة 1881 إلى أواخر سنة 1884. اشتهر بسلوك سياسة القوة إزاء المخزن. له مقالات وتقارير قنصلية نشرت بمختلف المجلات الفرنسية سنة 1883 و1894.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 608.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1: 150 et 4M 36 ; H. de Lamartinière, *Notes*, 32.

مصطفى بوشعراء

**أُورگاث** جُولدي لويس Orgaz Yoldi Luis ولد سنة 1881، وبعد تخرجه من الأكاديمية العسكرية العامة برتبة ملازم التحق بصفوف الجيش، وكان من بين الفوج الأول من الضباط الذين قادوا الجيش الإسباني الغازي لشمال المغرب سنة 1911، وبالمغرب حصل على جميع ترقياته حيث أصبح كولونيلا بتطوان سنة 1925. وفي السنة التالية عين ضمن الوفد العسكري الإسباني الذي تفاوض مع الوفد الفرنسي بباريس بخصوص كيفية التعامل مع القواد المغاربة الذين كانوا على رأس المجاهدين وبدأوا يستسلمون بعد استسلام الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، وانتهت المفاوضات بإبرام اتفاقية 10 يوليوز 1926.

وفي شهر غشت 1932 شارك في محاولة الانقلاب التي تزعمها الجنرال سانخورخو Sanjurjo فألقي عليه القبض

ونفي إلى الجزر الخالدات، وكان لا زال هناك عندما ثار الجنرال فرانكو على الجمهورية الإسبانية في 18 يوليوز 1936 فانضم إليه. وفي الشهر التالي التحق به بتطوان حيث عينه الجنرال فرانكو مقيما عاما بشمال المغرب يوم 6 غشت 1936 وزاول هذا المنصب إلى غاية يوم 18 يناير 1937 حيث كلفه فرانكو بإحدى جبهات القتال في إسبانيا.

وفي يوم 15 ماي 1941 عينه الجنرال فرانكو مرة ثانية مقيما عاما بالمغرب، وذلك من أجل أن يجعل حداً لنشاط الحركة الوطنية التي أصبحت تكوّن خطراً على الوجود الإسباني بالمغرب. وتشهد الوثائق التي نتوفر عليها بأن المقيم أورگاث تمكن من تحقيق المهمة المنوطة به حيث إن المنطقة أصبحت في عهده في حالة طوارئ غير معلن عنها رسمياً، فلم يعد حزب الإصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية يتمكنان من القيام بنشاطهما المعتاد خصوصا فيما يتعلق بوجودهما بالقبائل، كما أن الصحافة الوطنية الممثلة في جريدتي *الحرية* و *الوحدة المغربية* أصبحت هي الأخرى خاضعة للرقابة الشديدة والتوقيف المستمر.

وأعفي أورگاث من منصبه يوم 3 مارس 1945 حيث عين رئيساً لأركان الحرب العامة بمدريد، وتوفي بالعاصمة الإسبانية سنة 1946.

T. Garcia Figueras, *Marruecos*, Madrid 1944 ; Servicio Historico Militar, *Historia de las campañas de Marruecos*, Madrid 1947-1981; Manuel Rubio Cabeza, *Diccionario de la guerra civil española*., Barcelona, 1987.

محمد ابن عزوز حكيم

**أوركهارت** دفيد Urquhart David، ديبلوماسي وعضو بمجلس العموم البريطاني سنة 1847 ورحالة تجول بمدن شمال المغرب سنة 1884 ونشر رحلته بلندن سنة 1850 بعنوان : *أعمدة هرقل أو قصة سفريات إلى إسبانيا و المغرب سنة* The pillars of Hercules or a narrative of travels in Spain and Morocco in 1848.

م. بوشعراء، *الهجرة من المغرب وإليه* (مخطوط).

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T.1, p. 172.

مصطفى بوشعراء

**أُوريبَل** (أيت ـ) من القبائل البربرية التي تشكل التجمع القبلي زمور. يحد موطنها من الجهة الشمالية قبيلتا قبليين وأيْتْ عْبُّو، ومن الشرق قبيلة أيت جبل الدُّوم، ومن الغرب أيْت وَاحي، ومن الجنوب حُدَرَّانْ. تنحدر هذه القبيلة حسب بعض الباحثين من قبيلة أَوْرَبة التي احتضنت المولى إدريس الأول (Lesne, *histoire* , 28) وتتفرع إلى ثلاثة إغصان (عظام) وهي ادوان و أيت عامر أُعْلي وفودجة.

لم تستقر هذه القبيلة مع باقي القبائل المكونة لزمور في المنطقة الموجودة بين مدينتي مكناس وسلا إلا في نهاية القرن الثامن عشر على إثر زحف بعض قبائل الأطلس المتوسط نحو المناطق الساحلية (Colin, *Origine*, 267 و Lesne, *histoire*, 57).

ارتبط تاريخ أيت أوريبل بتاريخ زمور منذ صعود الدولة العلوية إلى الحكم، ولم يبرز اسمها بشكل مستقل في الوثائق التاريخية إلا في القرن التاسع عشر، بحث بقيت منضوية تحت القيادات المتتالية التي عرفتها زمور إلى حدود نهاية عهد السلطان مولاي عبد الرحمان حين انقسمت زمور إلى خمس قيادات أصبحت أيت أُوريبل على إثر ذلك خاضعة للقائد السي الغازي الذي كان على رأس خمس أيت زكري من زمور (Lesne, *histoire*, 128). وفي عهد السلطان الحسن الأول عرفت أيت أوريبل ظاهرة تعدد القيادات التي عرفتها باقي قبائل زمور وأصبح كل من

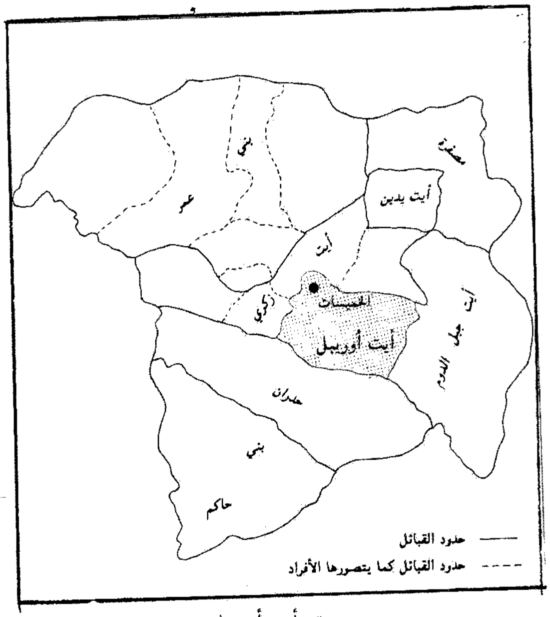


موقع أيت أوريبل

القواد حمادي الأوريبلي ومحمد أُعبو الأوريبلي و بوعزة أحمد الأوريبلي وعبدالله الأوريبلي يحكمون القبيلة بعد تعيينهم من طرف السلطان، ويعود تظافر سلط هؤلاء القواد في أيت أوريبل إلى الموقع الاستراتيجي الذي تحتله في زمور. فمن خلال المراسلات المخزنية تبدو المنطقة التي تحتلها هذه القبيلة من المناطق الأكثر اضطرابا في عهد الحسن الأول نظراً لكونها ممراً أساسياً للقبائل الزمورية الفارة من الحركات المخزنية في اتجاه جبل تافديت. فبعد هذه المرحلة المضطربة، وفي حوالي 1890 تولى قيادتها القائد رحو الأوريبلي الذي عقبه ابنه إدريس أرحو الأوريبلي في عهد الاستعمار (Lesne, *histoire*; 138 ; *Villes et Tribus*. 3: 205).

تقدر الوثائق المخزنية عدد خيام هذه القبيلة في نهاية القرن التاسع عشر بألف خيمة، (*وثيقة، مراحل*) وبلغت في عهد الاستعمار: 1415 خيمة (*Villes et Tribus*, 3: 205) تنتمي أيت أوريبل منذ التقسيم الإداري للمغرب في عهد الاستقلال إلى الجماعة القروية لحد أيت أوريبل التي تجمع اثنين وستين دوارا، وتقدر الإحصائيات عدد سكانها في 1982 بـ 19.269 نسمة و 3.156 أسرة. كما يبعد مركز الجماعة عن مدينة الخميسات بثلاثة كلمترات.

يوجد فوق الرقعة التي تحتلها هذه القبيلة عدد من الصلحاء تقام للبعض منهم مواسيم سنوية وهم سيدي عبدالرحمان التاغي و سيدي علي الضاوي وسيدي بالقاسم وسيدي جعفر وسيدي إبراهيم. كما أن بعض الفرق المكونة لأيت أوريبل يعتبرون شرفاء كأيت مجذوب وأيت خالد وأيت حمادي.

*وثيقة، مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن*، 1307 هـ، خ. ح. رقم 12059 ؛ وزارة التخطيط، *السكان القرويون حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1982*، مديرية الإحصاء.

Legay (Capitaine), *Zemmour et Zair*, manuscrit, Archives de l'Armée de Guerre, Paris,Vincennes et Carton , N°3h5; Querleux (capitaine), *Les Zemmours, A. B*, 1917 p. 12-61; *Villes et Tribus du Maroc : Rabat et sa région*, T.III, Paris, Leroux, 1920 ; Colin, G.S, *Origine arabe des grands mouvements de population berbère dans le Moyen Atlas, Hesp*, 1938, 25, P. 265-268 ; M. Lesne, *Histoire d'un groupement berbère : Les Zemmours* Thèse complémentaire pour le doctorat ès-lettres présentée à la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Paris, 1959, *Evolution d'un groupement berbère : Les Zemmours*, Rabat, Ecole du Livre, 1959.

رحمة بورقية

**الأُوريبْلِي**، إدريس أورحُو بن قسُّو، من بيت رئاسة قديم في قبيلة أيت أُوريبل من قبيل زمُّور الذين يقال عنهم إنهم من بقية أوربة التي استقبلت المولى إدريس الأكبر. وكان موطن أيت أوريبل قديما بين جبل زرهون وبين تيگْرِيگْرا، هنالك زوجوا بنتهم كنزة للمولى إدريس.

كان جده قسُّو (قاسم) شيخا لأيت أوريبل في بداية القرن الثاني عشر الهجري. وقد كان يجمع بين العلم والفروسية. تلقى ظهيراً من السلطان مولاي عبدالرحمان، ومات حوالي 1270هـ. ونال ولده رحُّو ظهيراً من السلطان مولاي الحسن حيث كان أمينا في خمسي القبيلة، وهو مؤرخ بـ 29 رجب 1294، وقد قتله جماعة من إحُودْرَّانْ. أما ولده قسُّو الأصغر فقد مات في عهد مولاي عبد العزيز. وكان قتل رحُّو على أيدي أهل تيفلت حوالي 1277 هـ وذلك لما ذهب يعزز القائد المعيَّن عليهم وهو شهبان، وكان أيت واحي وبني عمرو وأيت بلقاسم غير راضين بذلك التعيين.

وقد ترك رحو ولدا صغيراً هو إدريس، وأدار أهله شئون القبيلة إلى أن تمكن هو من الأخذ بزمام شئونها عام 1911.

وكان قد تلقى قبل ذلك من مولاي عبد العزيز ظهير تعيينه أمينا على أيت أُوريبل بتاريخ 8 رجب 1321 (*أمناء الترتيب العزيزي*)، وشارك في عمليات الغزو الفرنسي ولا سيما فيما بين سوق الأربعاء وكلتة الفيلة (زعير) وتيدرس،

وأعان على قهر ثورة زايان، إلى جانب الجنرال ديت Ditte ، وجرح مرات وقتل تحته أفراس.

J. et M. Gouvion, *Ayan al-Maghrib al Aqsa*.

أحمد التوفيق

**أُوْرِيرْ** (أيت ـ)، تقع عند قدم السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي وعلى بُعد أربعة وثلاثين كيلومتراً من مدينة مراكش في اتجاه الجنوب الشرقي على الطريق الرئيسية رقم 31 الرابطة بين مراكش وورزازات. وتتموضع على الضفة اليمنى لوادي الزات عند خروجه من الجبل وعلى ارتفاع يبلغ 670م. وهو موضع كان ولا يزال يعرف باسم إيمي ن الزات أي فم الزات بمعنى منفذ وادي الزات إلى السهل.

وأيت أُورير- التي تعني أهل الأكمة - إحدى المدن الصغرى لمنطقة دير الأطلس الكبير الغربي كسيدي رحال وتحناوت ومولاي إبراهيم وأمزميز وإيمي ن تانوت.

التطور التاريخي : أيت أُورير بالمقارنة مع أمزميز وإيمي ن تانوت مدينة حديثة لم تظهر بهذا الاسم إلا في بداية القرن العشرين. ذلك لأن الكتابات القديمة كانت تكتفي بذكر اسم إيمي ن الزات دون أي توضيح آخر. فقد ورد عند البيذق مثلا أن الخليفة عبد المؤمن بعد انحدار الموحدين عند وقعة البحيرة أصبح له الصباح «بموضع يقال له إيمي ن الزات». نفس الشيء ورد على لسان الإفراني من جهة في حديثه عن نفي سيدي رحال إلى موضع يقال له إيمي ن الزات وعلى لسان الناصري من جهة أخرى في موضع النزاع بين المولى عبد الله والمولى المستضيء حيث قال :«فتقدم السلطان المولى عبد الله حتى نزل بوادي الزات».

وإيمي ن الزات، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، هو مكان خروج وادي الزات من الجبل، ولكننا لا ندري أكان هذا الموضع مسكوناً أم لا، على كل حال ليس هناك أي آثار لمبان قديمة. غير أن معلوماتنا حول أيت أورير تزداد وضوحا مع بداية القرن العشرين. فقد أورد Aubin وصفا مفصلا عن سوق ثلاثاء إيمي ن الزات ولكنه لم يذكر هو الآخر اسم أيت أورير.

ويعتبر A. Brives في نظرنا أول من ذكر اسم أيت أورير عند حديثه عن قصبة مسفيوة التي قال عنها : شيدت قصبة القائد على الضفة اليمنى لإيمي ن الزات. وقد تكوّن حولها مدشر كبير يقوم التجار فيه ببيع الشاي والسكر اللازمين للجنود الذين تمّ حشدهم بهذا المكان بكثرة ».

يتضح من كلام Brives أن أيت أورير لم تظهر إلا مع حُلول القرن العشرين. وبالضبط بعد أن تمكن القائد المدني الأگلاوي من بسط نفوذه على قبيلة مسفيوة. وعلى هذا الأساس تعتبر أيت أورير إحدى القصبات التي شيدها القائد المدني الأگلاوي على طول أودية السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي جنوب شرق مراكش كأغبالو وأنزال وتزارت بهدف مراقبة الطرق التجارية التي تفضي إلى مراكش أولا وبهدف إخضاع قبائل تگانة ومسفيوة ثانيا.

## التصميم الإجمالي لآيت أورير

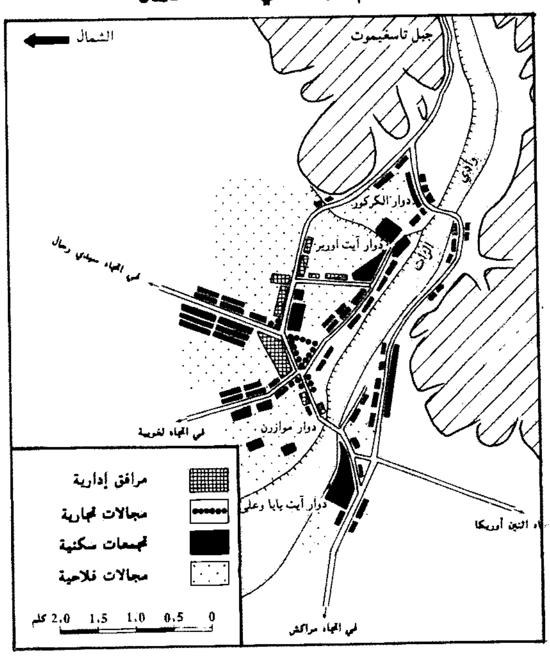


ومما تجدر الإشارة إليه من جهة أخرى أن أيت أُورير تمّ انتصابها، نزولا عند رغبة الأگلاوي، مركزا لدائرة عسكرية من لدن السلطات الفرنسية بعد 1912. فأصبحت أيت أُورير بفعل هذا القرار تتوفر على وظيفة إدارية على غرار المراكز القديمة التي كانت تتمتع بمثل هذه الوظيفة أيام المخزن المغربي القديم كأمزميز ودمنات مثلا.

ومما لا شك فيه أن هذه الوظيفة ساهمت في نمو هذه المدينة الصغيرة سواء من حيث عدد السكان أو من حيث المرافق الإدارية والاقتصادية والاجتماعية التي استقطبتها فيما بعد.

النمو السكاني : عرف سكان أيت أورير، بالفعل، نموا مطردا ما بين 1931 و1982 كما يظهر من خلال الجدول الآتي :

| السنوات | عدد السكان | معدل النمو السنوي |
|---|---|---|
| 1931 | 254 | . |
| 1936 | 1064 | ٪ 33،17 |
| 1952 | 2126 | ٪ 4،42 |
| 1960 | 3321 | ٪ 5،73 |
| 1971 | 4034 | ٪ 1،78 |
| 1982 | 6079 | ٪ 3،79 |

المصدر : أ. بلاوي، أيت أُورير، وأمزميز ودمنات، وإيمي ن تانوت : دراسة لأربع مدن مغربية صغيرة ولعلاقاتها بمجالها الإقليمي، أطروحة السلك III، تور، 1982.

كتب الطبيب P. Chatinières سنة 1913 بأن قصبة القائد تم هدمها ونهبها من لدن مسفيوة عند ثورتهم على الأگلاوي وأن «خليفة الأگلاوي بوخلودين (بوإيغوليدن) كان يقطن أنقاض القصبة». ونتيجة لهذا التزايد فقد تحولت أيت أورير من مدشر بسيط إلى مركز حضري صغير في أقل من خمسين سنة.

ولعل السبب في هذا التزايد السريع كونها استفادت :

1 ـ من التشجيعات التي كان يقدمها الأگلاوي لأنصاره من قبيلة أگلاوة، إذ ساهم في استقرار عدد لا يستهان به من الأگلاويين بالمنطقة عامة وبأيت أورير خاصة.

2 ـ من انزلاق سكان المناطق الجبلية ـ وخاصة الوسطى منها ـ نحو منطقة الدير حيث الظروف ملائمة للعيش.

3 ـ من مفعول الهجرة القروية وخاصة بعد الخمسينات.

ومن المعلوم أن تزايد عدد السكان يرافقه تزايد في حجم المرافق التي تتوفر عليها المدينة.

النمو الحضري والوظائف : هكذا استطاعت أيت أورير استقطاب جل المصالح الإدارية التقنية منها والاجتماعية الأساسية التي تخولها لها مكانتها من جهة والأدوار التي أصبحت تضطلع بها داخل المنطقة من جهة أخرى.

فهي إلى جانب وظيفتها كمركز لدائرة تضم أربع قيادات هي : مسفيوة وأيت أورير وأغمات وقيادة القبائل الثلاث، وتسع جماعات قروية هي :أيت أوريروأبادو وأربعاء تغدوين وعبد الله غيات وأغمات وتيديلي ومسفيوة والتواما وتزارت وزركطن. تتضمن أهم التجهيزات العمومية والمرافق التجارية بالدائرة.

تحتوي أيت أُورير على اثنتين وعشرين مصلحة عمومية تعتبر مصالح وزارتي الداخلية والتعليم أهمها سواء من حيث الخدمات التي تقدمها أو من حيث عدد

موظفيها. في حين بلغ عدد موظفي هاتين الوزارتين في نفس السنة : 73 بالنسبة للتعليم و93 بالنسبة للداخلية. أي ما يزيد بقليل على نصف العدد الإجمالي للموظفين بأيت أورير. فتكون بذلك أهم مركز إداري وتعليمي بالدائرة.

وهي في نفس الوقت تتوفر على أكبر تجمع تجاري بالدائرة. ذلك لأن سوق ثلاثاء إيمي ن الزات يحتل المرتبة الثالثة بين أسواق إقليم مراكش إذ يتجاوز مدخوله الأسبوعي المليون سنتيم من جهة ونفوذه مجال النفوذ الإداري لأيت أورير من جهة أخرى حيث يمتد إلى الشاوية ودكالة شمالا وعبدة والشياظمة غربا، وتادلا شرقا ووادي درعة جنوبا.

وإلى جانب سوق ثلاثاء إيمي ن الزات الأسبوعي تتوفر أيت أورير على أكبر «سويقة» أو مركز تجاري حضري بالدائرة. إلا أن جوار مدينة مراكش يجعل مجال نفوذ السويقة محدوداً بالمقارنة مع مجال السوق الأسبوعي، فهو لا يتعدى مجال الجماعة القروية لأيت أورير.

ومن البديهي أن تنعكس هاتان الوظيفتان على بنية الشغل بالمدينة كما يظهر من خلال الجدول الآتي :

| الأنشطة | عدد أرباب الأسر | ٪ | الرتبة |
|---|---|---|---|
| الفلاحة | 109 | 14,53 | 4 |
| التجارة والخدمات | 185 | 24,66 | 2 |
| العمل الموقت | 122 | 16,26 | 3 |
| الوظيفة العمومية | 321 | 42,80 | 1 |
| الهجرة الخارجية | 13 | 1,73 | 5 |
| المجموع | 750 | 100,00 | - |

إن غالبية سكان أيت أورير موظفون أو تجار أو أرباب خدمات، وليس هذا بغريب إذا علمنا أن جل الأراضي المحيطة بأيت أورير هي إما في ملكية الفرق الجبلية من قبيلة مسفيوة (أيت تغدوين وأيت واگستيت وأيت إنزال على الخصوص) وإما في ملكية الدولة (بعد انتزاعها من الأگلاوي) من جهة، وأن النشاط الصناعي بالناحية يقتصر على استغلال الملح من جهة أخرى.

النسيج الحضري : ومن البديهي أيضا أن تنعكس هذه التطورات على النسيج الحضري لأيت أورير. ولعل خير دليل على ذلك كون أيت أورير أصبحت تتألف اليوم من عدة نوى بعد أن كانت في بداية القرن لا تتكون إلا من دوار أيت أورير (حيث مقر إقامة خليفة الأگلاوي) ومن المركز الإداري الفرنسي أو «البيرو» (حيث مقر إقامة ضابط للشؤون الأهلية).

فإلى جانب الدور الذي لعبه الأگلاوي في حشد أعداد غير قليلة من الأگلاويين بجوار إقامته، فقد أدى تدعيم الوظيفة الإدارية إلى توسع الحي الإداري وإلى استقطاب أعداد كبيرة من الموظفين والتجار وأرباب الخدمات، مما استلزم إعداد تجزئات سكنية من لدن إدارة أملاك الدولة ثم من لدن الخواص بعد ذلك.

وقد عرفت هذه الحركة العمرانية، خلال السنوات الأخيرة، دعماً كبيراً من لدن العمال المغاربة في الخارج وعمال مناجم إيميني المتقاعدين وخاصة المسفيويين منهم ومن لدن الموظفين العاملين بالمدينة. ومن الطبيعي أن تؤدي هذه الحركة العمرانية النشيطة إلى اتصال النوى القديمة من جهة وإلى ميلاد نوى جديدة من جهة أخرى.

هكذا تكونت تجمعات سكنية جديدة على طول الطريق الرئيسية رقم 31 بالقرب من السوق وعلى الضفة اليسرى لوادي الزات، وأخرى على طول الطريق الرابطة بين «البيرو» (المركز الإداري) ودوار أيت أورير على الضفة اليمنى للوادي، وأخرى على طول الطريقين التلاثيتين رقم 6701 و6704 المتجهتين نحو سيدي رحال جهة الشمال الشرقي ونحو لغويبة جهة الشمال.

غير أن النسيج الحضري لأيت أورير لا يزال رغم كل هذه التوسعات نسيجا مُنْفَكاً إذ لا تزال تفصل بين أجزاء المدينة المختلفة مجالات فلاحية تشهد على أن أيت أورير لم تستطع بعد التميز عن محيطها الريفي المتجدر.

بحث ميداني ؛ *التصميم الحضري لأيت أورير.*

أحمد بلاوي

**أُوريكَة**، نهر جبلي طوله 46 كلم ينبع من قمم الأطلس الكبير المراكشي ويخرج إلى سهل الحوز عند دوار اثنين أوريكا، ثم يتصل بواد الزات حيث يعرف باسم واد الحجر ثم يتصل بواد تانسيفت قرب زاوية الشيخ ابن ساسي. كما يطلق اسم أُوريكَة على مجموعة قبلية قديمة ارتبطت حياتها بالوادي وحوضه، ظهر اسمها منذ عهد الموحدين.

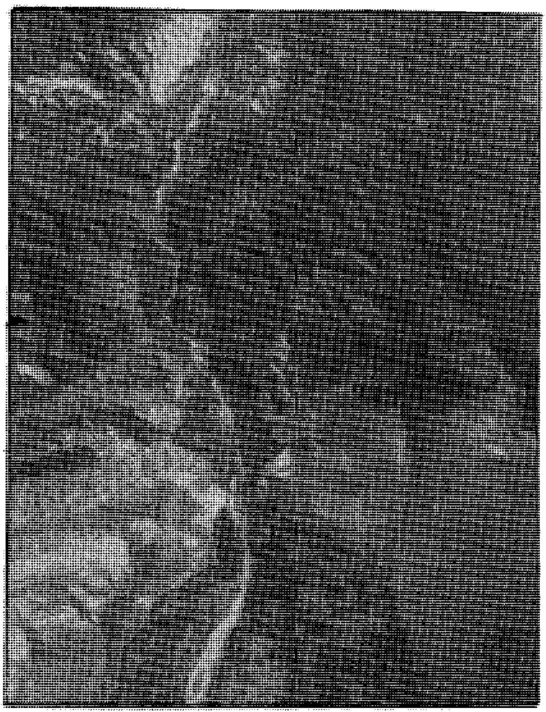

تبلغ مساحة حوض أوريكة 574 كلم$^{2}$، وأعلى قمة تشرف عليه هي جبل إفراون 4001 م. وتجري روافده الأولى (تنزار وتيفني) في منطقة صخور غرانيتية صلبة، خالية من السكان تغطى بالثلوج خلال أشهر طويلة، ومن روافده المهمة المسكونة وديان إعباسين وأمنزال وأوكايمدن وأگنس وأودية أيت أوشك. معدل ارتفاع الحوض 2100 م ومعدل ميل مجراه 21٪. أما متوسط أمطاره السنوية فهو 760 ملم. ويبلغ صبيبه السنوي عند دوار أخليج في بداية الدير 180 مليون م$^{3}$. لكنه يعرف تباينات سنوية كبيرة مداها من 1 إلى 10 أضعاف، كما يعرف جريانه تغيرات فصلية كبيرة 1,5 م$^{3}$/ ثانية في أكثر أشهر الصيف جفافا وحرارة. ويصل في بعض أيام الفيضان الربيعي إلى 1200م$^{3}$/ثانية وقد تزيد عن ذلك في بعض الساعات. أما حمولة مياهه الصلبة فتقدر بـ 2,5 كلم/م$^{3}$ وهي ضعيفة بالمقارنة مع بقية وديان الأطلس الأخرى.

وكلمة أوريكة صيغة عربية لكلملة إوْرْكْنْ البربرية ومفردها أوْرْكْ وقد يكون معناها الذهبي أو بائع الذهب Aurique، ومعلوم أن هذا الوادي كان من طرق ربط سهل الحوز بوادي درعة حيث كان منتهى ومنطلق قوافل تجارة السودان المؤسسة على الذهب، وقد تحدث الجغرافيون العرب عن ثراء أهل أغمات أوريكة بفضل هذه التجارة. أما إميل لاوست فيرى أن أصل الكلمة من إرك أي القدْر، (*مجلة جغرافية المغرب*، ع. 17، سنة 1970) ويرمز بذلك إلى ضيق الوادي وتعمقه بين منحدرين صخريين عاليين فيعيش السكان في قعر الوادي كأنهم في قدْر (E. Laoust, *Mots et choses berbères*) كما يفسر بعض الباحثين كلمة إيوريكن بمربي النحل.

التنظيم الاداري :تضم أوريكة حاليا جماعتين قرويتين هما :

| الجماعة | المساحة | السكان 1985 | الكثافة | معدل النمو السكاني السنوي |
|---|---|---|---|---|
| أثنين أوريكة | 125 كلم2 | 14.700 ن | 117،6 ن كلم2 | 1،0 ٪ |
| ستي فاطمة | 375 كلم2 | 20.500 ن | 54،7 ن كلم2 | 1،9 ٪ |

تحتوي كل من الجماعتين على مركز قروي إداري من الدرجة الثانية هما سوق اثنين أوريكة وأغبالو، ينعقد بهما سوقان أسبوعيان أولهما وأهمهما سوق اثنين أوريكة والثاني وهو حديث وثانوي، سوق خميس أغبالو.

البنية الجيولوجية : إن أهم ما حدد المجرى الرئيسي للواد وروافده هو سلسلة من الفوالق الطويلة في المجاري العليا تتوازى مع الطيات وأهم السلاسل الجبلية أما في المنطقة الوسطى فنجد فوالق تقطع ثنيات السلاسل بشكل عمودي سواء كانت من صخور صلبة أو هشة ذات اتجاه ش ـ ج. ونجد أقدم الصخور في الجهات العليا بينما تزداد حداثة كلما اتجهنا نحو الهوامش الشمالية. فالمجاري العليا حفرت في صخور غرانيتية صلبة تكون أعلى القمم مثل قمة إيفروان، وخوانق أسيف نْ تيفني وتينزال والقيصرية مشكلة من صخور ترجع إلى ما قبل الكامبري وأحيانا تظهر صخور شستية كامبرية هشة نسبيا مما يسمح باتساع بعض القطاعات بالأودية الأخرى. كما نجد في جهات أخرى كأسيف إيعباسين صخوراً صهيرية صلبة مثل الريوليت. أما المجرى الأوسط فيخترق هضابا ومرتفعات تغلب عليها صخور البرموترياس السمراء بعضها صلب كالحث يكون أجرافا وبعضها لين كالطفل والطين تحفر به أحواض واسعة غنية فلاحيا. وينتهي وادي أوريكة بجبال وتلال مقدمة الأطلس التي تبرز بين صخورها خاصة كلس الكريتاسي وبقايا متفرقة من طبقات رسوبية ترجع إلى الزمن الثالث الجيولوجي تكونت في بحار قليلة العمق وهي من الحث والشست والطفل والرصيص والطين تعرضت لحركات التواء متغايرة القوة، تنتمي في معظمها إلى الكريتاسي. كما تبرز أحيانا سحنات من الشيست الأسود الصلب إلى الكاربونيفير. كما تنتشر تدفقات بركانية (بازلتية) متفرقة ترجع خاصة إلى الزمن الثاني في جهات متفرقة من حوض أوريكة من الدير إلى الأودية العليا.وغالبا ما ترتبط هذه التدفقات بمكامن معدنية صغيرة أو مجهرية للنحاس والرصاص والروتين والحديد.

لقد عرفت هذه السلاسل تاريخا جيولوجيا طويلاً لكن أهم حركة حددت معالمها هي الحركة الألبية التي وقعت في بداية الزمن الثالث، وأدت صلابة البنية إلى رفعها على شكل كتل كبيرة تتدرج في العلو من الهوامش الشمالية نحو قلب السلسلة، صاحبها ظهور فوالق عميقة هي التي حددت مجرى أهم الأودية كما كونت مناطق ضعف صخرية حفرت بها الأحواض الداخلية والأودية الواسعة.

كما خلفت مراحل التعرية والأرساب المختلفة مدرجات على مختلف المستويات يصل عددها إلى أربعة مستويات عند ملتقى وادي أوريكة بأوكايمدن كما تتسع وتبدو واضحة بأغبالو في صخور الرصيص وتبدو كذلك واضحة بالضفة اليمنى عند مخرج وادي أوريكة إلى سهل الحوز.

الغطاء النباتي : يقابل التنوع الصخاري والمناخي المحلي غطاء غابوي تختلف كثافته وجودة أشجاره من جهة إلى أخرى. غير أن العامل البشري يلعب دوراً حيويا في المحافظة عليه أو اندثاره. وعلى كل لا زالت هناك غابات متنوعة تزدهر بشكل خاص في بعض الجهات المحفوظة مناخيا والتي تتوفر على تربة غنية وتتوفر على منحدرات أقل عنفا وتحجراً. وجل الأشجار من البلوط الأخضر والصنوبريات يضاف إليها عينات محلية نادرة.

ومن العوامل المتحكمة في توزيع الأشجار الغابوية التنطيق حسب العلو الذي يغلب عليه الترتيب التالي :

- في الطبقة الدنيا المتوسطية الجافة : من 500 إلى 900م : نجد السدرة بمنطقة الدير والدوم والحلفا بتلال مقدمة الأطلس التي تدعم في بعض الأجزاء بتشجير اصطناعي لصنوبر حلب والأكالبتوس.

ـ في الطبقة الجبلية السفلى شبه الجافة من 900 إلى 1.400م تنتشر أشجار العرعار في الأسفل تختلط أحيانا في أعلاها بالعرعار الأحمر وعينات محلية نادرة كالبطم والفستق...

ـ طبقة شبه رطبة تمتد بين 1.400 و2.000م تتميز بانتعاش البلوط الأخضر وهي الأوسع انتشاراً. وعند حدود 2.000م توجد طبقة متوسطية رطبة محدودة الانتشار لكنها غير محددة بدقة تظهر فيها بعض الأشجار الكبيرة ذات الأوراق النفضية كالزان والسنديان.

ـ طبقة شبه جافة باردة تمتد بين 1.800 و2.000 م إلى 2.600م تتميز بظهور العرعر الفواح وهي شجرة الأعالي بالأطلس الكبير الغربي.

ـ وبعد 2.500 م تنعدم الأشجار ليحل محلها طبقة من الأعشاب الجبلية أهمها الوزال ونباتات شوكية ملموسة تتخللها أعشاب صغيرة غضة.

ـ و بعد 3.500م لا نجد إلا السفوح الصخيرة العارية وحقول الحجارة والهشيم في البقع المستوية يظهر بينها في حالات استثنائية بعض النباتاتا الشوكية والعشبية.

يقوم هذا الغطاء الغابوي بوظائف بيئية واقتصادية مهمة فهو يحمي التربة من الانجراف و يوفر إمكانيات اقتصادية مهمة بخشبه ومراعيه كما يكون مجالا سياحيا واعداً. لكن تزايد السكان المعتمدين في حياتهم على الزراعة والرعي غير من طبيعته وأهميته مما أدى إلى اختفاء الأشجار في كثير من الجهات، ومع ذلك لا تزال هناك عشرات الآلاف من الهكتارات الغابوية في حوض هذا الوادي بحيث إن نسبة التغطية لا تزال في حدود 50 إلى 60٪.

التحولات الفلاحية : يحتل النشاط الفلاحي الأولوية في المنطقة سواء على مستوى التشغيل أو المداخيل أو إعداد المجال. وقد قطع مراحل مهمة في تطوره قبل أن يحقق توازنه الحالي. فقد كانت الحياة الفلاحية سابقا تقوم على زراعة تقليدية مسقية بتقنيات محلية بسيطة لاستغلال مياه الوديان والعيون وإنتاج ما تحتاج إليه العائلة من حبوب من شعير وذرة وبعض الخضر من بصل و لفت و جزر... وبعض الأشجار أهمها الجوز في المجرى الأعلى والأوسط وأشجار الزيتون واللوز والفواكه الأخرى في المجرى الأوسط. ولا يوجه إلى الأسواق إلا فائض بسيط.

لكن زراعة الوادي عرفت تحولات عميقة في العقود الأخيرة بعد تغلغل الرأسمال الحضري المراكشي واستيلائه على نسب متزايدة من الأراضي إما لإقامة ضيعات عصرية أو إقامات ثانوية أو منشآت سياحية وتجارية مما أدى إلى تحطيم التوازن التقليدي وإعادة تهييء المجال الريفي الأوريكي على أسس اقتصادية واجتماعية جديدة يتميز ببروز دور الحضريين الذين استولوا على أراض كثيرة بالشراء من المعمرين الأجانب أو من السكان المحليين، وكونوا ضيعات عصرية موجهة لمنتجات تسويقية كالتفاح الذي وجد في الوادي بيئة معتدلة صالحة له وغيره من الفواكه كحب الملوك والبرقوق والخضر خاصة البطاطيس والطماطم و الجزر وكلها تنضج صيفا فلا تجد منافسة قوية بأسواق مراكش.

ومن مظاهر التحولات الفلاحية الحديثة : تربية الأبقار الحلوب المستوردة أو المهجنة التي عرفت توسعا كبيراً على حساب الأنواع المحلية، واضطراب حرفة الرعي التقليدي واستعمال الأساليب العصرية المتمثلة في تقوية الضخ الآلي واستعمال قنوات الإسمنت والأسمدة والمبيدات والبذور المنتقاة وإنتاج كل ما يطلبه السوق. ومع إن انتشار هذا النمط الاقتصادي لا زال محدودا في المناطق المحظوظة والسهلة الربط بالمواصلات الحديثة، فإن فلاحي الأودية المنزوية صاروا يهتمون بإنتاج كل ما يطلبه السوق الحضري والريفي ليشتروا عوضه جل حاجياتهم المعاشية. فحلقة الزراعة المعاشية المغلقة قد انفصمت ولا سبيل لاعادة إقفالها.

تمدين الريف الاوريكي : إن تطوير أساليب الفلاحة وتكيفها مع السوق الحضري المراكشي وإنشاء الإقامات الثانوية لحضريين والمنشآت السياحية، وتقوية ربط المنطقة بمدينة مراكش، ووصول كثير من التجهيزات الأساسية كالكهرباء إلى قرية سيتي فاضمة بأعلى الوادي، وتقوية أجهزة الخدمات الاجتماعية والتقنية ورسملة الإنتاج والعلاقات وزيادة حركية السكان ونمو حركة الاصطياف ضمن الإقامات الثانوية والمؤسسات الفندقية وللشباب خاصة ضمن المخيمات التلقائية وكراء الغرف بالمنازل القروية المشرفة على الطريق أو الواد، كل ذلك أدى إلى فرز نوع من التمدين الاجتماعي في بعض المراكز القروية أو المنتشرة بشكل نقطي بأطراف الوادي وأنعش مهنا غير فلاحية عديدة ارتبطت بالخدمات السياحية والتقنية والادارية بحيث يتحول الوادي تدريجيا ليصبح ضاحية لمدينة مراكش. ولا غرابة في هذا فقد كان وادي أوريكة منذ قرون تابعاً لمدينة مراكش إذ يحكم من طرف باشا قصبة مدينة مراكش وذلك لحاجة المدينة الدائمة إلى مياهه ومنتوجاته وأخشابه باعتباره مجالها الخلفي المفضل.

*بحث ميداني*، المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بالحوز ؛ مجلة *جغرافية المغرب*، ع : 17، 1970.

E. Laoust, *Mots et choses berbères*.

أحمد الهوزالي

**الأوريكي، عبد الله** القرشي، قائد أوريكة. كان جده القرشي بن محمد قائداً من قواد المخزن. قامت ضد قيادتهم انتفاضة على إثر وفاة السلطان مولاي الحسن. ينتسبون إلى سعيد بن إبراهيم السملالي الذي جاء إلى أوريكة عندما اقتحم المولى رشيد العلوي قصبة إليغ، فأسس هذا المهاجر زاوية بأمكدول عند أيت سكور حيث مدفنه، ويذكرون أنهم على نهج أبي حسون السملالي.

ولد عبد الله في هذه الزاوية عام 1889/1306. وقد تزوج هو وأخوه خليفته المعطي بنتين من بنات المدني الأگلاوي. شارك في عمليات الفرنسيين لتطويع سوس.

J. et M. Gouvion, *Aayan al-Maghrib al-Aqsa.*

أحمد التوفيق

**أورينگة**، نهر توجد منابعه بجبل دهدوه بالقرب من قرية تلارواق بقبيلة بني سدات الريفية، ثم يمر بقبيلة متيوة

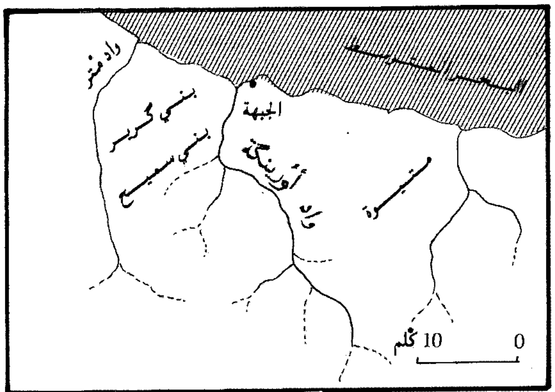


أورينگة

وتصب مياهه بالبحر المتوسط غرب بلدة الجبهة، وروافده هي: وادي المدار ووادي تلاحسن ووادي تازمُّورت.

*Campañas* 2 : Comision historica. *Geografia*, p.32-41-82 ; Domenech, Angel. *Zona Norte*, p. 39 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos.*

محمد ابن عزوز حكيم

**أوْريوَرْ**، أبراهام، أحد شيوخ اليهود. يوجد ضريحه بمقبرة ضاض على بعد أربعين كيلومتراً من سطات، بقبيلة أولاد بوزيري. لا يعرف بالضبط العهد الذي عاش فيه. ويحج العديد من اليهود إلى ضاض بمناسبة عيد هيلولة، فيكون موسمهم هناك عادة في شهر ماي.

ي. بنّاعيم، *ملغ ربّنان* ؛ السموأل، *حجّ اليهود إلى الأماكن المقدسة بالمغرب*، الدارالبيضاء، 1980، ص 73 ـ 74.

سيمون ليڤي

**إوَز**، جنس من الطيور المائية من رتبة الوزيات Anseriformes، ومن فصيلة البطيات Anatidae وعشيرة الوزية Anserinae. الاسم الشائع في المغرب هو الوَزّ والإوز ويقال أيضا البط والبَرْك، وعند علماء الحيوان البط والإوز من فصيلة واحدة ويميزون بينهما في الجنس.

تمتاز هذه الطيور بجسم ضخم وعنق متوسط الطول ومنقار قصير وعريض مخروط الشكل وسيقان متوسطة الطول.

إن الإوز من الطيور القواطع تشتو في شمال إفريقيا وجنوب أوروبا وتفرخ في شمال أوروبا وأواسطها. تقضي معظم أوقاتها بعيدة عن الماء وتأكل الحشائش بجانب البحيرات والأنهار والسدود. تتنقل وسط مجموعات على شكل مثلث أثناء القطع وتختار البحيرات المكثفة النبات والصعبة العبور لتبني عشها وتقتات من الربيع المحاط بها وبراعم المزروعات. إنها طيور شديدة الحذر وتميز بين القناص والإنسان العادي.

تشتو في المغرب ثلاثة أنواع من الإوز :

الإوز الربداء Anser anser، ليمونية المنقار، رمادية الأرجل. الريش رمادي بني محفوف بالأبيض. يبلغ من الطول 76 ـ 89 سم. بسطة جناحيه 160 سم وطول جناحه 50 سم. يزن ما بين 2,5 و4,5 كلغ. يعتبر هذا النوع هو أصل الإوز المدجن الذي لم يفقد شيئا من هيئة الإوز الوحشي ما عدا الحركات الخفيفة والمشي السريع. إذا أخذت صغيرة تدجن بسهولة وتألف الإنسان. وكثيرا ما يؤخذ بيض الإوز الوحشي ليحضن من طرف المدجن إلا أنه غالبا ما تأتي غريزة الحرية والتوحيش عند الكبر مما يجعل هذا الطائر يلتحق بنظيره الوحشي.

تعتني الأنثى ببناء العش وتأتي بالأغصان والأوراق. تضع من 6 إلى 12 بيضة ولا تبيض الصغار إلا 4 أو 6. يبلغ طول البيضة 90 ـ 96 ملم، مصفرة اللون وتميل إلى الاخضرار. تنزع الأم زغبها لتغطي به الجانب الداخلي من العش وكذلك البيض أثناء ذهابها للأكل وتدوم مدة الحضانة ما بين ثلاثة و أربعة أسابيع. تغادر الصغار العش في وقت مبكر وتبقى تحت حراسة الأبوين وتطير بعد شهرين. لا تحاول الأم الهروب أثناء الإزعاج قرب عشها وذلك حبا لفراخها، وكثيرا ما يعرضها هذا للخطر.

تعيش عادة وسط مجموعات، ونادراً مزدوجة، تسبح بمهارة، وفي حالة الإزعاج تغطس في أعماق البحيرات. تبلغ سرعة الطيران 70 ـ 80 كلم في الساعة. لا يغادر الزوج الأنثى، بل يحميها من الآخرين. وكثيرا ما يقع الصراع بين الذكور فيتضاربون بالجناحين. في حالة موت أحد الزوجين يبقى الآخر وحيدا طول حياته.

يأتي هذا النوع من أوروبا إلى المغرب عَبر مضيق جبل طارق ابتداء من شهر نونبر ويعيش في المياه العذبة قرب طنجة وبنواحي ماسة في الجنوب ويعود إلى أوروبا ابتداء من فبراير.

النوعان الآخران : إوزة الثلوج Anser Caerulescens والإوزة السوداء Anser fabalis نادران بالمغرب ولهما نفس المعيشة بالنسبة للإوزة الربداء.

تخشى هذه الطيور الصقور والنسور والثعالب وابن آوى وخاصة الإنسان الذي يرغب في ريشها ولحومها.

Heinzelh. R, Parslow. J, *Oiseaux d'Europe, d'Afrique du Nord et du Moyen Orient*. 1972, éd, Delachaux et Niestle. Suisse ; J.Pineau, M. Giraud-Audine, *Les Oiseaux de la peninsule Tingitane*. trav. Inst. Sc. Rabat, 1979 ; Thevenot. M, Bergier P, et P. Beaubrun. C, *Compte-rendu d'ornithologie marocaine*. Doc. Inst. Sc. nº 6, 1981.

محمد رمضاني

**الأوزالي، أحمد** بن مسعود، نسبة إلى قبيلة «إنْداوْزَال» لذلك يقال أيضا الإندوزالي، ويعرب بالهوزالي. تخرج عن القاضي سعيد بن علي الأوزالي،

وعن أبي مهدي الجراري، وعلي بن أحمد الحياني التمنارتي، تولى قضاء تارودانت كابن أخيه سعيد. وهو موصوف بالزهد والعدالة والورع، تنسب إليه مؤلفات منها *ترتيب نوازل ابن هلال*، ومجموع *فتاو*. توفي في رمضان عام 1030هـ وقد أناف عن التسعين.

م. الحضيكي، *طبقات*، 2 : 117 ؛ ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 51 ؛ *سوس العالمة*، 186 ؛ *رجالات العلم العربي*.

**الأوزالي، سعيد** بن علي بن مسعود السوسي، من قبيلة إنداوزال، تولى قضاء الجماعة بتارودانت مدة ثلاثين سنة. أخذ عن جلة من المشايخ كأحمد بن مهدي الجراري الجزولي، وشيخ الجماعة أبي القاسم التيفنوتي. وممن تخرج من مجلسه عبد الرحمن التمنارتي صاحب *الفوائد الجمة*. وهو موصوف بالزهد، له مكاشفات، جرت بينه وبين الشيخ أحمد بابا السوداني مراجعات في مسائل. مذكور بين المؤلفين السوسيين بمؤلفات منها: مجموعة *فتاو* فقهية ومسائل من *الأجوبة الحسان*، *وفهرسة*، ومنشور في قطع التعامل بالثنيا بسوس.

توفي ليلة الاثنية لثمان عشرة خلت من صفر سنة 1001 ودفن بباب الخميس بتارودانت.

ع.التمنارتي، *الفوائد* (مخطوط) ؛ الكراسي، *بشارة* (مخطوط) ؛ الرسموكي، *وفيات*، 26 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 185 ؛ *المعسول*، 7: 48 ؛ *رجالات العلم*.

عبدالله درقاوي

## الأوزالي محمد بن علي ← أكبيل

**أُوزَلّيم** أو أزليم أو أسْليم، حصن حصين بوادي درعة على عهد المرابطين، يذكر البيذق في أخبار الموحدين أن الاستيلاء عليه كان في أحد الانتصارات على المرابطين قبل سقوط مراكش علي يد عبد المومن. وتذهب مونيي J. Meunié إلى أن موقع هذا الحصن على وادي درعة جنوب ورزازات في منطقة مزگيتة، قريبا من أگدز عند ملتقى عدد من القرى المحصنة تحمل إلى الآن اسم أسليم، وأهمها أسليم ن أوگدز وأسليم ن أوفلا، وقد كانت هذه القصور في القرون الماضية مقرا للخلفاء المخزنيين وقواد المنطقة.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*.

D. J. Meunié, *Le Maroc saharien*, 253.

أحمد التوفيق

**أُوزُوض** ـ جغرافيا ـ كلمة بربرية تنطق بالضاد وبالدال، ولها مدلولان : فقد تكون باعتبار الدال مأخوذة من «أزُودْ» وهو بخار الماء. أو من «أزْديدْ» وهو نوع من الطيور يعيش بهذه المنطقة.

ومنطقة أُوزوض هي عبارة عن شلالات ذات منظر طبيعي خلاب.

الانتماء الإداري : تخضع شلالات أُوزوض لقيادة «فم الجمعة» التابعة لدائرة بزو التي تعد من أكبر الدوائر التابعة لعمالة إقليم أزيلال.

الموقع وبعض المعطيات الطبيعية : تقع شلالات أوزوض بإقليم أزيلال الذي يبعد عنها بحوالي 15 كلم تقريبا. هذه الشلالات تنتمي من الناحية الطبيعية لتضاريس الأطلس الكبير الأوسط، وتقع داخل منطقة شبه منبسطة، عبارة عن مقعر ينتمي من الناحية الزمنية إلى الكريطاسي «الطباشيري» الأسفل والأوسط وهو يتكون من سحنة كلسية دولوميتة، تتخللها مادة صلصالية، هذا المقعر يعرف بمقعر أوزوض.

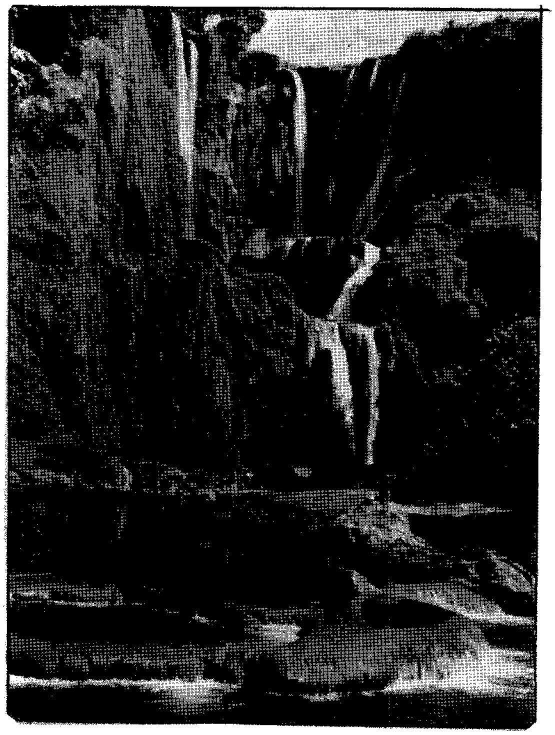

إن طبيعة الصخور و خصائصها التطبقية والتكتونية، لعبت دورا مهما في تكوين الخزانات وتوجيه الجريان الباطني. تنبع مياه الشلالات من خمسة عيون توجد على بعد ثلاثة كيلوميترات تقريبا من أوزوض المركز، وتبلغ مساقط المياه 120م تقريبا، تنتهي هذه المياه في واد أوزوض الذي يعتبر أحد الروافد المهمة لواد العبيد.

مياه هذه الشلالات لها أهمية بالغة تتجلى في تحلل ونقل الكاربوناتات وترسيبها على أشكال مختلفة أهمها على شكل رصراصة متنوعة من حيث السخية والحجم والامتداد.

إن شلالات أوزوض الطبيعية، تمتاز بموقعها الجبلي، وبصبيبها المرتفع، فريدة من نوعها ،لكن المنطقة تعرف غيابا تاما للتجهيزات الاجتماعية والمرافق الضرورية، خصوصا وأنه يتوافد عليها السياح من كل المناطق.

عبدالرحيم بنعلي

**أُوزُوضْ** - تاريخ - ولعل الاسم - إضافة إلى ما سبق - مشتق من أزّض أي الطحن، بسبب ازدهارالطحانة به أو النساجة لأن فعل «زْضَ» يفيد هذا المعنى أيضا. ذلك أن أوزوض مكان ملائم لإقامة طاحونات مائية. وتوجد به، إلى اليوم، عدة طاحونات مائية تقليدية.

يقع أُوزوضْ بأرض قبيلة أيت إتُولْ من هنتيفة الجبل. وفيه شلال يعتبر الأكبر من نوعه في الشمال الإفريقي وذلك في منطقة الاتصال بين الأطلس الكبير والأطلس المتوسط، على بعد حوالي 150 كلم شرقي مدينة مراكش.

وفي عاليته مدشر قديم لعله من بين أقدم مراكز الاستقرار في تلك المنطقة. وقد عرف في القرن الثاني عشر (18م) كمركز صوفي تابع للزاوية الناصرية بتمگروت، كما يتضح من إشارة وردت في *الدرة الجليلة*، حيث قام الشيخ موسى الناصري المتوفى سنة 1730/1142، بالتوسط بين الباشا أحمد العتابي وبين أحد غرمائه من أيت مَسَّاضْ (*الدرة الجليلة* 1: 143.142).

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ تحر ميداني.

أحمد عمالك

**إِوْزِيونْ** ← **تارودانت** (إقليم.)

**الأَوْزِيوِي**، أحمد بن عبد الله، نسبة إلى قبيلة «إِوْزِيونْ» السوسية المشهورة في الجبال المحاذية لتارودانت - الروداني داراً - صالح العلماء وعالم الصلحاء من أخصّ تلاميذ الحضيكي، به تخرج وتهذب في موطنه سوس قبل أن يرحل إلى فاس ليأخذ عن طبقة محمد بن الحسن بناني، وعنه وعن الحضيكي يروي أسانيده.

زاول أحمد الأوزيوي التدريس «بتاويت» و«تاصرخت» في البادية قبل أن يحطّ رحاله بتارودانت ويتولى التدريس والإمامة والخطابة بجامعها الكبير مدة ثلاثين سنة، فانتفع به خلق كثير. ومن أبرز تلاميذه الجيلالي السباعي ومحمد إيجمي التِّيوتي ثم المراكشي وغيرهم كثير. ومن أنشطته أيضا الفتيا ومحاربة البدع، كان الشيخ الحضيكي يدل الناس عليه وينوه بينهم بقدره. وهو مذكور بين المؤلفين السوسيين بمؤلفين : *شعب ما انصدع في تبيين البدع* ؛ و*رسالة في عد أنواع البيوع*.

توفي بالوباء في محرم عام 1214 وولادته مجهولة.

الجشتمي، *الحضيكيون* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 6: 25 ؛ *سوس العالمة*، 200 ؛ *رجالات العلم*.

عبدالله درقاوي

**أوسرْتْ**. من أهم مراكز وادي الذهب، يقع شمال مركز الزوگ بين خطي العرض 22 و23 درجة، على بعد حوالي 200 كلم جنوب شرقي الداخلة. وبه يوجد أهم بئر بناحية وادي الذهب يقصدها الرحل من قديم حيث إن خرزته تسمح باستعمال ثماني جرارات في آن واحد، ويعتبر ماؤه صالحاً لعلاج كثير من الأمراض، وقد اختار الشيخ ماء العينين هذا البئر ونزل بجانبه قبل توجهه إلى اسمارة في الوقت الذي جاء فيه لناحية وادي الذهب.

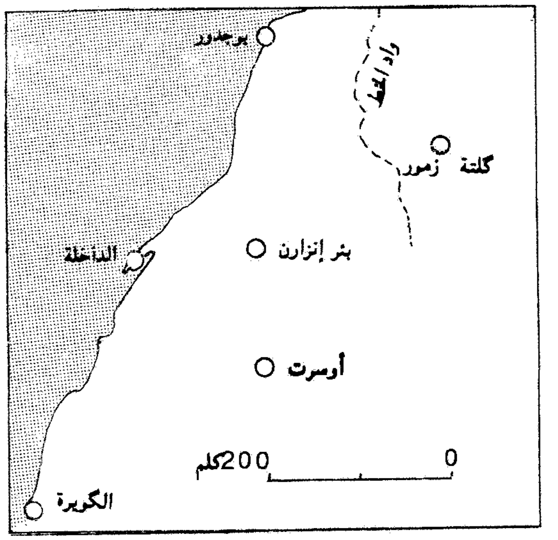


**أوسرت**

لم يتمكن الإسبانيون من احتلال هذا المركز إلا سنة 1937 أي بعد مجيئهم إلى الداخلة بأكثر من نصف قرن، وقد جعلوه موقعاً إداريا وعسكريا تابعا للداخلة.

Carnero Ruiz, Ismael, *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid 1955, p. 24-140 ; T. Hodges, *Historical Dictionary*.

محمد ابن عزوز حكيم

**أُوسْرُوتُو**، مصطلح جغرافي، يطلق في بعض الأماكن بوادي دادس على الفدادين التي لا يصل إليها ماء السقي إلا بمشقة نظراً لعلوها، بالمقارنة مع الفدادين التي ترويها مياه السواقي بسهولة. ومن الجدير بالذكر أن الفلاحة بهذه المناطق، لا تقوم لها قائمة إلا بالسقي. وعلى سبيل المثال نجد سكان منطقة أيت إحيا السدراتيين يميِّزون بين صنفين من الفدادين : الفدادين التي تُسقى بدون صعوبة، وتكون مباشرة بجانب الوادي ويطلقون عليها اسم تَمَازيرْتْ. أما الصنف الثاني منها فيسمونه أوسْرُوتُو، تكون بعيدة عن ضفة الوادي ومرتفعة بحيث يعسر سقيها، ولا بد في ذلك من عمل جماعي مكثف يضمن كنس السواقي والسهر على سلامتها. وتفاديا لكل نزاع قد يحدث حول الماء خاصة في فصل الصيف الذي تنقص فيه مياه النهر، فإن السكان بهذه المناطق يعينون وقتا محدداً لكل قبيلة من قبائل المنطقة تسقي خلاله أراضيها. وذلك الوقت المحدد عادة ما يستغرق يوماً واحداً يسمى تِرْمْتْ نْ وَمَانْ (نوبة الماء).

*تحريات ميدانية*

محمد حمام

**أُوسَعْدي** بن مبارك. ولد بدوار الزرو بحاحة إقليم الصويرة، والتحق بصفوف المقاومة السرية حيث عمل ضمن خلية السيد شاكر إبراهيم الأسفي منذ سنة 1953. كان يزود الخلية بالمواد اللازمة لصنع القنابل، فألقي عليه القبض،

وسجن بمدينة الصويرة. وبعد بضعة أيام هرب مع جماعة من المناضلين إلاّ أن القوات الفرنسية أدركتهم، وأطلقت عليهم الرصاص فماتوا بمدينة الصويرة سنة 1954.

*وثائق المندوبية السامية.*

عزالدين العلام

**أوسكونتي** ← **بادّو** (معركة ـ)

**الأوْسي، محمد بن علي** بن محمد بن عبدالرحيم بن هشام الأنصاري، المعروف بالأوسي، وكنيته أبو عبد الله. قرطبي الأصل، ولد بمراكش سنة 1199/595. ونشأ بمدينة سلا، ودرس بمختلف المراكز العلمية بالمغرب والمشرق. أخذ بسلا عن والده، وعن أبي علي عمر بن موسى بن الحسن الصنهاجي الفشتالي الذي لقنه العربية والأدب، وعن أبي إسحاق بن أحمد القلبق، وأبي جعفر بن فرقد، وأبي عبدالله ابن حماد. وبفاس عن جماعة، منهم أبو عبدالله بن عبو.

حج الأوسي مرتين : الأولى سنة 1221/618. وجال في مدن الحجاز والعراق والشام ومصر، وأخذ على علمائها سماعاً وقراءة، وحصل على إجازاتهم. ومن شيوخه في بغداد : إبراهيم بن عبد الرحمن القطيعي الخياط، وأبو بكر محمد بن أبي بكر، وجماعة. وفي تكريت: أبو المعالي محمد بن نصر البرذعولي. وفي حماة : أبو القاسم عبدالله بن رواحة الحمومي. وفي دمشق: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ومحمد ابن هبة الله بن غيل الشيرازي، وغيرهم.

عاد إلى المغرب سنة 1225/622، فسكن بمسقط رأسه مراكش زمنا، ثم رحل بعد ذلك إلى الأندلس، وسكن باشبيلية ثم شريش. ومنها قصد الديار المقدسة مرة ثانية سنة 1250/648، وكان دافعه إلى ذلك، حسب ما رواه لابن عبدالملك المراكشي، رؤيا رآها في منامه في العشر الأواخر من رمضان من تلك السنة (*الذيل*، 8 : 338) لذلك لم يهتم بالرواية خلالها كدأبه في رحلته الأولى. فاكتفى بالأخذ عن أبي علي بن عمر الأنصاري بالشام، وأبي القاسم محمد بن محرز التميمي التونسي ببونة.

قال عنه ابن عبدالملك المراكشي :(عرفته بمراكش وصحبته كثيرا، وأخذت عنه معظم ما كان عنده). وذكر أنه كان متصفا بالصدق والعدل والفضل وكرم الأخلاق وحسن المعاشرة. وعن علمه وثقافته، انه كان بارع الخط، سريع البديهة في النظم، مكثرا منه، محسنا في بعضه، حافظا للقرآن العظيم (*الذيل*، 8 : 339).

مع ذلك لم يصلنا هذا الشعر، ولا نعرف أسماء الآخذين عنه (باستثناء ابن عبد الملك المراكشي)، ولا المواد التي كان يدرسها.

توفي محمد الأوسي بمراكش ليلة الخميس 21 ذي القعدة عام 10/671 يونيو 1272. ودفن بجبانة اسرغين بمقربة من جامع ابن يوسف.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 8 : 337 ـ 339 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 4 : 478 ـ 479.

حسن جلاب

**الأوسي محمد بن محمد** ← ابن **عبد الملك**

**أوْسيكس** (أيت ـ) ← **عطّا** (أيت ـ)

**أوشيوف**، أحمد بن محمد، ولد سنة 1911 بازناگة ناحية سيدي إفني، وشارك في الكفاح المسلح ضد جنود الاحتلال. وقد عمل بكل نزاهة وإخلاص ضمن صفوف جيش التحرير حيث خاض عدة معارك وهجومات أهمها معركة أَصْدُرْ بثلاثاء اصبوية بأيت باعمران التي استشهد خلالها بتاريخ 26 نونبر 1957.

*وثائق المندوبية السامية للمقاومة.*

عزالدين العلام

**أوْ صَليمْ**، حصن ببلد هسكورة حاضرة المهدي بن تومرت وأنصاره في غزوته السابعة حسب ترتيب البيذق في كتابه *أخبار المهدي* (ص 76 من النص العربي من طبعة ل. بروفنصال) ورسمه عند البيذق : أ ُزلـِّمْ، مما يؤكد أن الصاد التي في رسمه عند ابن القطان (ص. 93 ـ 196) مشمومة زايا. ورسمه في *نظم الجمان المذكور*: أصليم، ونقدر أن شكله هكذا: أوْزْليمْ (بزاي مفخمة) نسبة إلى البصل. ويدل تتبع حركات المهدي في غزواته أن هذا الحصن الذي خرج ابن تومرت في حصاره يقع في بلد أگلاوة، وقد اندثر على ما يبدو كموضع عامر إذ لا ذكر له عند لاوست Laoust في أسماء أماكن جبل درن، ولا في لائحة أسماء القبائل والمواضع التي انجزتها إدارة الحماية.

أحمد التوفيق

**أوضرضور** ← **الباعمراني** الحسن

**أَوْطاط الحاج**، ترجع تسمية مدينة أوطاط الحاج إلى قبيلة أولاد الحاج، حيث تدعى كذلك بأوطاط أولاد الحاج. استقرت هذه القبيلة بالمنطقة منذ ثلاثة أو أربعة قرون خلت. وفيما يتعلق بأصل الكلمة «أوطاط» فهناك من يرى أنها تعني : «لوطا» أي الأراضي المستوية والهضبية، وهناك من يرى أنها تعنى الضرب باللهجة البربرية «أوتات» ويربط بذلك خرافة تقول إن أحد الحجاج كان يمر بهذا المكان، فانقض عليه قطاع الطرق وهم يصيحون بالبربرية : «أوتات الحاج، أوتات الحاج» أي اضربوا الحاج. (*ثمان سنوات على إحداث إقليم بولمان*، 1984، ص 15).

تقع أوطاط الحاج في وسط سهول ملوية الوسطى داخل المغرب الشرقي ( '33°,21 ش و'3°,42 غ، شكل رقم 1). ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي 890 م ويقدر معدلها السنوي للتساقطات بـ 153م، والمعدل السنوي للحرارة بـ 16,9 درجة ثانية، ويقطنها حوالي 6.059 نسمة (حسب تقديرات سنة 1987).

تقع هذه المدينة على الضفة اليسرى لواد ملوية وبالضبط عند نقطة التقائه مع أحد روافده اليسرى واد «شق الأرْض» الذي ينحدر من السفوح الشرقية للأطلس المتوسط (سفوح جبل بوناصر). كما تقع على الطريق

الثانوية الرابطة بين مدينة گرسيف التي تبعد عنها بـ 125 كلم في اتجاه ش.ش. ومدينتي ميسور وميدلت الواقعتين في جنوبها الغربي.

تنتمي أوطاط الحاج من الناحية الإدارية، إلى إقليم بولمان الذي أنشئ في 23 أبريل 1975. وهي عبارة عن دائرة مقسمة إلى ثلاث قيادات (شكل رقم 2) : قيادة أوطاط الحاج وقيادة أولاد علي وقيادة تانديت. وتتألف من ثلاث جماعات قروية: جماعة أوطاط الحاج وجماعة افريطسة، وجماعة أولاد علي.

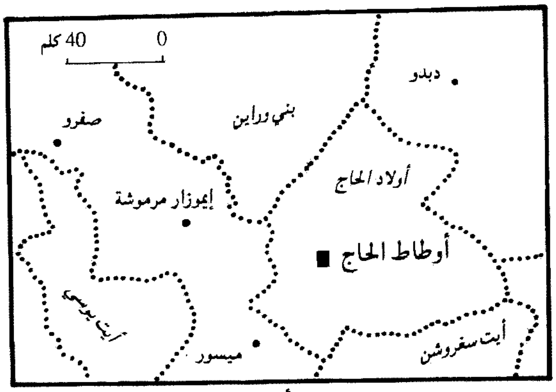


موقع أوطاط الحاج

توجد أولاد الحاج في منطقة تتميز بالجفاف (شكل 3 و4) وندرة الغطاء النباتي، فحسب استدلالي الجذب لثورنويت فإن مناخها مناخ قاحل ساخن جاف ذو نزعات قارية (*Ressources en eau du Maroc*, t. 1, p. 208).

وفيما يتعلق بالمعطيات البشرية، فإن عدد سكان المدينة قد عرف تطوراً مهماً كما هو الشأن في الجدول التالي :

| | سنة 1960 | سنة 1971 | سنة 1982 | سنة 1987 | سنة 2000 |
|---|---|---|---|---|---|
| عدد سكان المدينة | ـ | 1.811 | 4.143 | 6.059 | 16.281 |
| عدد سكان البادية | 29.308 | 37.776 | 48.928 | 55.088 | 74.982 |

وتتميز البنية التسكانية للمدينة بسيطرة العناصر الشابة كما هو الشأن بالنسبة لباقي المدن والقرى المغربية (شكل رقم 5).

السكن في معظمه متجمع داخل مركز المدينة، ولكن في الأطراف يتميز بطابع التشتت حيث تفصل بينه مساحات خضراء (أشجارالزيتون، والبساتين).

وتتألف المدينة من الأحياء التالية: دوار الحرشة شمالا، الحي الجديد أو ما يطلق عليه (الكرطي) شرقا، حي بير أنزران غربا، وحي سيدي أحمد بن خليفة جنوبا.

إن أهم ما يميز اقتصاد منطقة أوطاط الحاج هو سيادة زراعة الحبوب (القمح والشعير)، وهي زراعة سقوية انطلاقا من سد المرصي الواقع على واد شق الأرض، وتقدر المساحة السقوية باوطاط الحاج بـ 1.100 هكتار.

إلا أن المردودية ضعيفة لا تزيد على عشرة قناطر في الهكتار الواحد.

كما تشتهر المنطقة بوفرة أشجار الزيتون حيث يقدر الإنتاج السنوي بحوالي 6.000 طن أي ما يعادل تقريبا 24.000 لتر سنويا من الزيوت، ويتم تسويق هذا الإنتاج عبر مدينة فاس.

كما أنها تعتبر من المناطق الرعوية الهامة، حيث بها سوق كبير (سوق الاثنين) المتخصص في تجارة الأغنام، وله دور فعال سواء على الصعيد الجهوي أو الوطني.

والجدول التالي يوضح أهمية قطاع الماشية :

| الغنم | الماعز | البقر | الجمال | الخيول |
|---|---|---|---|---|
| 150.000 رأس | 90.000 رأس | 3.666 رأس | 2.030 رأس | 850 رأس |

*ثمان سنوات على إحداث إقليم بولمان*، يبراير 1984 ؛ *السكان القانونيون للمغرب* حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1982، مديرية الإحصاء، الرباط.

Raynal. R, *Plaines et piedmonts du Bassin de la Moulouya (Maroc Oriental), Etude Géomorphologique*, Rabat, 1961 ; *Ressources en eau du Maroc*, 1971, t : I, *N.M.S.G.* nº 231, Rabat; *Resultats du recensement général de la population et de l'habitat de 1971. Donneés Communales (Région du Centre Nord), Direction de la statistique, Rabat* ; Tag. B, *La croissance des Petites villes du Maroc oriental steppique, (petites villes et villes moyennes dans le Monde Arabe)* Urbama, 1986, 16-17.

محمد أزهار

**أوطيرو**، مخفر صغير أقامه الإسبان من خشب خارج الحدود المصطنعة لمدينة سبتة المحتلة من طرفهم، وذلك في وقت كانت الحراسة المغربية قد عرفت نوعاً من الفتور. وذات يوم أرادوا ضمه إلى التراب المغتصب فشرعوا في بنائه بالحجارة فتعرض لهم المغاربة ليلة يوم 10 غشت 1859، وهدموا ما بُني منه في نهار الأمس وأطاحوا بالعلم الاسباني المرفوع فوقه.

لم يكن الحادث في حد ذاته الأول من نوعه بين المغاربة المطالبين باسترجاع مدينتهم وبين الإسبانيين المصرين على الاحتفاظ بها، ولكن الحالة الداخلية الإسبانية كانت تفرض على مَن بيدهم زمام الحكم أن يقوم بعمل مّا ليشغل بال الرأي العام الإسباني في عمل خارج حدود بلادهم، خصوصا وأن الحكم الفعلي باسبانيا أنذاك كان بيد العسكريين، وعلي رأسهم الجنرال أودونيل O'donell، وهذا ما يفسر الحرب التي أعلنتها الملكة ايسابيل الثانية (Isabel II) على السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمن يوم 22 أكتوبر 1859 وهي الحرب التي تعرف عند الإسبانيين بحرب افريقيا *(Guerra de Africa)* لعام 1860.

وكلمة أوطيرو (Otero) بالإسبانية معناها المكان المرتفع الذي يشرف على الأرض المجاورة له أو المكان الذي تتجمع فيه الجنود قبل الشروع في أي عملية عسكرية، والمقابل عندنا بالمغرب لكلمة أوطيرو هو الناظور.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 4 : 15 و78.

P.A. Alarcon, *Diario de un testigo de la guerra de Africa*. Madrid, 1860.

محمد ابن عزوز حكيم

**أ ُوعَاس**، أحمد بن عمر المزوجي القلعي المشهور أيضا بلقب El Cabo Moreno أي رئيس القبيلة الأسمر، الذي أطلقه عليه الإسبان، وعرف في قبيلته بالشيخ أحمد أوعاس. أحد كبار أعيان قلعية في وقته. من جماعة أولاد عيسى بفرقة بني انْصار، من قبيلة مزوجة، إحدى القبائل الخمس المكوِّنة لاتحادية قلعية.

ولد حوالي منتصف القرن التاسع عشر ونشأ بقبيلته على الشجاعة والشهامة والكرم، وعاش الأحداث الكبرى التي شهدتها هذه المنطقة خلال النصف الثاني من القرن، نتيجة توسيع حدود مليلية بعد حرب تطوان، وترعرع في جو التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي ترتبت على ذلك.

تعاطى الفلاحة منذ شبابه، وكان له عزيب بأولاد ستوت وآخر بكبدانة وثالث ببوعرگ (مزوجة) ينتقل بينهما بقطيعه الضخم من الغنم والجمال والبقر، إلا أن اهتمامه الأساسي كان موجهاً للتجارة بين مليلية وفاس والجزائر؛ يقتني بعض المنتجات من الأسواق المحلية، خاصة الغذائية منها، ثم يوجهها إلى مليلية فيعود منها بالسلع الأكثر رواجا في المغرب مثل السكر والشاي والشموع والقهوة والأثواب... فيوزع جزءا منها بالريف ويوجه الباقي إلى فاس وغيرها بواسطة قافلة كان قد كلف بها أحد إخوته ؛ أما هو فكان يسافر إلى القطر الجزائري، وخاصة وهران، على رأس قافلة أخرى فيجلب منها الأجواخ المختلفة وغيرها من السلع المطلوبة في الريف.

وبفضل هذه الموارد الفلاحية والتجارية تراكمت لديه ثروة كبيرة في شكل أموال وأراض ومطامير وماشية وغيرها من الأملاك أهلته للرئاسة في قبيلته مزوجة منذ أواخر القرن التاسع عشر. وقد امتلك معظم الأراضي التي كانت تمر منها الطريق الرابطة بين مليلية وسلوان، مما أتاح له مراقبة طريق القوافل فاكتسب مزيداً من النفوذ عززه ووطده بإنشائه في سنة 1897 محطة بديوانة بني انصار لاستراحة وإقامة التجار احتوت على فندق ومقهى ومرافق أخرى لإيواء الدواب ووضع السلع وغير ذلك. وأصبح هذا المكان يعرف باسمه (La Posada del Cabo Moreno)، ويوجد على بعد بضع عشرات الأمتار غرب جمارك بني أنصار الحالي.

وبفضل كل هذا أصبح الشيخ أ ُوعاس معروفا لدى الخاص والعام، من قبيلته وخارجها، مهاب الجانب، يسير محاطاً بأقربائه وأتباعه ممتطيا جواده، متقلداً أبدا بندقيته «التساعية» التي ما كان يمتلك مثلها في الريف سوى نخبة من كبار الأغنياء لثمنها الباهض، وكان شديد الاعتزاز بها. له حظوة واعتبار لدى تجار مليلية إسباناً ويهوداً، وتقدير واحترام عند حاكم نفس المدينة، كما ربطته صداقات متينة مع كثير من الإسبانيين خاصة مع الكولونيل (فيما بعد) گابرييل موراليس Gabriel Morales (الذي قتل في معارك أنوال لسنة 1921) حيث كان كثير التردد عليه في منزله. فكان الإسبان يعتبرونه أكبر صديق لهم في المنطقة ؛ ومع ذلك كان حريصاً على تربية أبنائه تربية إسلامية، فبنى كتّابا (مسيداً) صغيراً بداخل منزله استقدم له فقيها خاصا يعلمهم الكتابة ويحفظهم القرءان ويلقنهم العلوم الدينية الأخرى. وكانت له صداقة حميمة مع الثري الحاذق محمادي بن علي زريوح الفرخاني المزوجي (أمين سابق). كما كان من المقربين من سيدي الحاج عبدالقادر بن عبدالقادر زعيم زاوية وُورْكْ (أبني شيكر) القادرية الذي قام بدور كبير في حرب مليلية سنة 1898 لنفوذه الواسع في كل قلعية وخارجها.

وقد شكل هؤلاء الثلاثة في السنوات الأولى من هذا القرن ركائز أساسية لسلطة المخزن ولسياسته في المنطقة لحفظ الأمن والاستقرار وتجنب الاصطدامات مع الإسبانيين، نظراً لما كان لهم من النفوذ في القبيلتين المتاخمتين لمليلية: مزوجة وبني شيكر. ولعل مصالحهم كانت تفرض عليهم التعاون المشترك مع المخزن حتى تستمر التجارة (موردهم الأساسي) مع مليلية، لذلك تآزروا مع قائد الحامية المخزنية المرابطة بقصبة فرخانة (المعروفة محليا بدار المخزن) التي بناها المخزن بعد حرب 1893 لتعزيز سلطته في منطقة الحدود مع مليلية، على بعد حوالي 800 متر من آخر حصن إسباني. إلا أن تشابك المصالح دفعهم أيضا - خاصة الشيخ أ ُوعاس - بطريقة أو بأخرى، إلى توطيد العلاقات مع الإسبانيين والتقرب منهم، مما كان ينفر الناس منهم خاصة سكان القبائل البعيدة عن مليلية الذين لا مصالح لهم بها. وعندما وصل مولاي عرفة إلى مليلية في فبراير 1903 في محاولة تكوين حركة من الريف يهاجم بها أبا حمارة في تازة، فإنه اعتمد في ذلك على هؤلاء الثلاثة بالخصوص. إلا أن ابا حمارة لم يمهلهم. إذ لما علم بخطة المخزن، سارع لتوجيه قواته إلى الريف وعلى رأسها محمد بن الحاج علي الشاذلي (من أعيان مزوجة، هاجر إليها من بني سعيد) وبن شلال (من بني بويفرور) الخصمين اللدودين لكل من أحمد أوعاس ومحمادي الفرخاني، فاستولت على صبة فرخانة يوم 13 أبريل 1903 بعد فرار حاميتها إلى مليلية ومنها أبحرت إلى طنجة بعد ذلك بأربعة أيام. كما التجأ أنصار المخزن أيضا إلى مليلية بما فيهم الشيخ أوعاس وغيرهم ....، ومكث بها فترة إلى أواخر يوليوز، انكب فيها مع الفرخاني وسيدي الركيلة - الذي وصل إلى مليلية في يوليوز- على العمل لكسب الأنصار لتنظيم حركة مضادة لبو حمارة وإعادة سلطة المخزن في قلعية وذلك بتوزيع أموال باهظة على ذوي النفوذ في المنطقة، وعندئذ عاد أوعاس إلى موطنه مصمماً العزم على الدخول في المواجهة المسلحة ضد أنصار بو حمارة الذين كان يتزعمهم بالمنطقة الشاذلي المذكور، فوقعت بين الفريقين اشتباكات عنيفة كانت الغلبة فيها لاتباع هذا الأخير واضطر الشيخ أوعاس في فاتح غشت إلى الالتجاء إلى مليلية مع أهله وأتباعه تاركين

وراءهم منازلهم وممتلكاتهم بين أيدي أنصار بو حمارة يعبثون بها، ونزلوا بمخيمات قرب الحدود هيأها الإسبان لهم.

ويبدو أن وقع الهزيمة كان قويا على أُوعاس وأصدقائه؛ لقد وجدوا أنفسهم فجأة يفقدون كل شيء دفعة واحدة : فالمخزن الذي كانوا إلى وقت قريب، يستمدون نفوذهم منه ويحتكمون إليه لم يعد له وجود بالمنطقة. كما أن إسبانيا التي عانوا بسببها مشاكل كثيرة مع أبناء جلدتهم لاتهامهم إياهم بالتواطؤ معها...، قد انحازت لصالح بوحمارة، لأن «الحياد» الذي تظاهرت به لم يكن في الحقيقة إلا أسلوبا لبقاً لإقناع أصدقائها بسياسة الأمر الواقع، وتبريراً ديبلوماسياً لتنكرها للاعراف الدولية ولالتزاماتها تجاه المخزن، خاصة عند موافقتها على طرد موظفي الجمارك المخزنيين وقبولها التعامل بدلهم مع موظفي بو حمارة ؛ أضف إلى ذلك استقبال حاكم مليلية رسميا لبعض قواد بوحمارة وترخيصه لهم بدخول مليلية بكل حرية، علما بأن الإسبانيين كانوا على دراية تامة بحقيقة أمر الفتّان ! فما العمل إذن أمام هذا الوضع الحرج بعدما تبين لأوعاس عجز المخزن، ويئس من مساندة اسبانيا له؟ يبدو أن الطريق الذي سلكه لم يقل خطورة عن المأزق الذي وجد نفسه فيه، ومع ذلك فإنه كان حلا بالنسبة إليه.

فقد حاول هو وحلفاؤه البحث عن سبيل للارتباط بفرنسا للاحتماء بها ضد بطش بوحمارة، ونكاية في إسبانيا التي فضلت عليهم السادة الجدد، لذلك أبدى الثلاثة ترحيبا كبيراً باقامة مؤسسة تجارية فرنسية في أي نقطة شاءت فرنسا على شاطئ قلعية، مما كان يعني ضربة قاتلة لمليلية كمركز تجاري بحري وحيد في المنطقة. ويبدو أن السلطات الفرنسية بوهران أوعزت إليهم بتقديم طلبات للحصول على الحماية الفرنسية بواسطة گابرييل ديلبريل Gabriel Delbrel، الجاسوس الخطير، الذي حضر إلى مليلية وأجرى معهم مفاوضات من 9 غشت إلى فاتح سبتمبر. وخلال هذه الفترة راجت بمليلية أنباء أفادت بأن فرنسا ستتدخل في شؤون المغرب، فسارع الأعيان الثلاثة لطلب حماية فرنسا بواسطة رسائل موجهة إلى وزير خارجيتها ديلكاسيه Delcassé بتاريخ 29 غشت 1903. إلا أن ذلك لم يصرف أوعاس عن الانشغال بمقاومة سلطة بوحمارة في الريف.

ويبدو أن الشروط القاسية للإقامة في المخيمات بمليلية وما كان يثيره التجاؤهم إليها من شبهات واتهامات من طرف السكان، إضافة إلى نفاد المؤن واقتراب موسم الحرث... قد حددت موقف أوعاس وأتباعه بالرجوع إلى ديارهم بعد أداء ذعيرة باهضة، فأتاحت لهم هذه العودة فرص تجديد الاتصالات مع رجال القبيلة ومحاولة إقناعهم بزيف ادعاءات بو حمارة. وفي هذه الأثناء وصلهم عن طريق مُحمادي الفرخاني الذي كان مقيما بمليلية، بأن محلة عزيزية خرجت من تازا قاصدة وجدة. فاعتقدوا بأن الفرصة سانحة لتنسيق الهجوم على بو حمارة وأنصاره في الريف ووجدة، فاندلعت فوق أرض مزوجة معارك أكثر عنفا من السابقة انهزم فيها أنصار المخزن الذين كان يقودهم أوعاس وحليفه ميمون الحاج حدو، فاضطروا مرة أخرى للالتجاء إلى مليلية متبوعين بأسرهم ومواشيهم ودوابهم، حاملين معهم ما خف وزنه وغلا ثمنه، وأقدم الثوار على إفراغ المطامير من محتوياتها واحراق أكثر من 700 متر بعد نهبها. ولم يتمكن الشيخ أوعاس من الرجوع إلى داره إلا بعد أداء ألف ريال إسباني غرامة. وفي هذه المرة، تدخل بوحمارة فأرسل وزيره صالح بن عمرو في فبراير 1904 للمصالحة بين الشاذلي و أوعاس. إلا أن ذلك لم يدم طويلا، إذ تجدد قتال أشد ضراوة من السابق يوم 7 مارس، أصيب أوعاس خلاله بجراح بليغة نقل على إثرها إلى المستشفى العسكري بمليلية، فتوفي فيه متأثراً بجراحه يوم 8 مارس 1904، بعد أن أمضى أكثر من سنة في الدفاع عن سلطة المخزن بقلعية. أما أتباعه فقد أرغمتهم الهزيمة مرة أخرى على الالتجاء إلى مليلية فراراً من انتقام وبطش بوحمارة وأنصاره، متألمين من فقدان رئيسهم. وبوفاته خلا الجو للشاذلي حيث تقوى نفوذه في قلعية كلها.

ورغم اتخاذ هذه المعارك طابع صراع بين لفين حول النفوذ والزعامة فإنها كانت في واقع الأمر انعكاساً للوضع الاجتماعي بالمنطقة عند بداية هذا القرن، وتجسيداً للمقاومة العنيفة التي أبداها سكان قبيلة مزوجة لسلطة بوحمارة بزعامة الشيخ أحمد أوعاس.

وقد خلف أوعاس أسرة فيها رجال ورثوا عنه الجاه والشهامة وصدق الكلمة ومكارم الأخلاق، منهم السيد عمرو أوعاس الذي تولى قيادة قبيلة مزوجة في الثلاثينات من هذا القرن، فلم يعرف عنه أنه آذى أحداً خاصة من الوطنيين، بل كان يخفي على سلطات الاحتلال كل ما من شأنه أن يضر بمواطنيه ؛ ومنهم أيضا السيد المصطفي أوعاس الذي عمل موظفا بدائرة قلعية، وكانت له مواقف وطنية مشرفة منها احتياله على السلطات الاستعمارية وإطلاق سراح السيد الحاج أحمد عمرو علال البويفروري (غالب)، قطب الوطنية في الريف، عندما اعتقل للمرة الأولى بسبب نشاطه السياسي.


*وثائق وزارة الخارجية الفرنسية* - باريس ؛ *وثائق الحربية الإسبانية* - مدريد ؛ أعداد من جريدة *تلغراف الريف* *El Telegrama del Rif* خلال سنوات 1909 - 1904 ؛ *رواية شفوية*، خاصة عن الأستاذ عبدالعزيز أوعاس.

G. Delbrel, *El Pretendiente y sus harcas en el nordeste marroqui*, in *Marruecos*, Tanger, 1909 ; Maldonado. E, *El Rogui*, Tetuan (s.d).


مصطفى أربيب

**أُوعْقّي**، محمد ولد سنة 1908 بإيموزار مرموشة إقليم بولمان. انضم إلى صفوف جيش التحرير، وعمل في الوحدة التي كانت متمركزة في مسقط رأسه. شارك في عدة معارك واشتباكات ضد قوات الاحتلال الفرنسي تحت قيادة

أخيه ميمون أُوعَقّى. وكان يقوم بجلب الأسلحة من مستودعات فرنسية. استشهد يوم ثاني أكتوبر 1955 أثناء إحدى المعارك بمركز إيموزار مرموشة.

**أُوغْدُوجَانْ**، محمد بن أحمد ولد سنة 1920 بأيت واحي، قبيلة مساعد، بإموزار مرموشة، انخرط في صفوف جيش التحرير في التشكيلة التي كان يقودها السيد إلياس ميمون أُوعقّى، فخاض معها معارك بطولية ضد القوات الفرنسية، وساهم بشكل فعال في الهجوم الذي نسقت له قيادة جيش التحرير على المركز العسكري الفرنسي بإيموزار مرموشة في يوم فاتح أكتوبر سنة 1955 وانتقاما قامت السلطات الفرنسية بالقبض على أُغْدُوجَانْ محمد ونفذت فيه حكم الإعدام يوم 4 أكتوبر من نفس السنة وذلك بأيت واحي بإيموزار مرموشة.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين.*

عزالدين العلام

**أوفارس** (سيدي مَحمد ـ) ← **أوكايمدن**

**أوفُـوسْ**، تعني باللغة الأمازيغية اليد مع تحريف بسيط. ووجه التسمية تنطبق على الشعبة التي تقع بها زاوية أوفوس، حيث يجدها الصاعد من واحة أرفود متجها إلى الرشيدية عن يمينه. وكانت أوفوس تطلق على قصر الزاوية الكائن وسط الشعبة المشار إليها التي تبعد عن مقر سوق واحة الرتب بستة كيلو مترات شرقا.

وفي عهد الاستعمار اختار الفرنسيون مكانا يتوسط واحة الرتب لبناء مقر الإدارة المحلية ويدعى بأولاد عميرة (مجموعة قصور). ونظراً لوقوعه على الضفة الشمالية الشرقية لشعبة أوفوس التي تصب في نهر زيز، أطلق الفرنسيون اسم أوفوس على مقر الإدارة الذي أصبح مركز السوق والتبادل التجاري. ومنذ ذلك العهد صارت كلمة أوفوس تطلق على قيادة الرتب. والرتب اسم الواحة الوسطى من الواحات الخمس : الخنگ، ومدغرة، والرتب، وتيزيمي، وتافيلالت ـ انظرها في حروفها ـ الواقعة على امتداد جزء من وادي زيز بضفتيه الشرقية والغربية بدءاً من غار زعبل في طرف الخنگ ونهاية بتافيلالت.

تقع أوفوس وسط واحة الرتب الممتدة بأسفل مدغرة من قصر مسكي إلى قصر الدويرة، وتتناثر قصورها على ضفتي وادي زيز الشرقية والغربية. ويمثل مركز أوفوس مقر الإدارة والقيادة والإشراف التنظيمي على وحاة الرتب كلها البالغ طولها 25 كلم تقريبا. أما المناخ فصحراوي حار صيفا قار شتاء. والسكان شرائح اجتماعية ذات أسماء مختلفة هي ـ أيت عطا : عنصر بربري، والحراطين : عنصر زنجي مستعرب، والشرفاء : عنصر عربي، والمرابطين، عنصر عربي، ويصل عددهم حاليا إلى نحو 25 ألف نسمة إلا أن العنصرين الأخيرين أقل عددا من أيت عطا والحراطين.

تتحدث أيت عطا باللغة البربرية فيما بينهم لكنهم يعرفون اللغة العربية ويتحدثون بها مع بقية العناصر الأخرى التي لا تحسن سوى العربية.

تكثر في أوفوس (واحة الرتب) أشجار النخيل والزيتون وبعض الفواكه الأخرى. ويمتاز تمر هذه الواحة بجودة خاصة وبأنواع غير موجودة في الواحات الأخرى مثل تمر المجهول والفگوس. كما تمتاز هذه الواحة نسبيا بنوع من الخصوبة ووفرة المياه، لا سيما شعبة أوفوس والقصور العليا مثل الجرامنة وأملكيس والكنز حيث تسقى بماء العين الزرقاء الواقعة في رأس الواحة.

أما النشاط الديني بالواحة فيتمثل أساسا في زاويتين: زاوية أوفوس، وزاوية عبد الصادق. زاوية أوفوس أسسها جد الشرفاء هناك في القرن الثاني عشر الهجري، مولاي عمر بن هاشم المشهور بصاحب 36 حجة، لأن من عادته أنه كان يذهب إلى الحج سنة ويستريح سنة، وفي كل حجة يصحب معه عددا من الفقراء الراغبين في الحج على نفقته، وهكذا استمر طيلة حياته إلى أن وافته المنية بالمدينة المنورة. أما زاوية عبدالصادق فأسست قبل ذلك أوائل القرن الحادي عشر من طرف الشيخ أحمد عبد الصادق تلميذ عالم مدغرة الكبير عبدالله بن علي بن طاهر الحسني. وعلى العموم فإن سكان هذه الواحة ـ كسكان سائر الواحات المجاورة ـ لهم سلوك حسن متميز بالمحافظة على الشعائر الدينية والآداب الأخلاقية والسلوكية. يطبعها طابع الاستقامة والتقشف في العيش والرضى بالواقع مع القناعة والتعفف والترفع عن السؤال ولو في أحوال الفقر المدقع. وعلى الرغم من شح الواحة وضعفها الاقتصادي وما يصيبها أحيانا من جفاف وجدب، فإن سكانها متشبثون بها لا يبغون عنها حولا. فإذا نزحوا إلى المدن الكبرى أوهاجروا إلى خارج الوَطن للاسترزاق وطلب العيش فإنهم يعودن إليها في فترات العطل، ويركزون فيها حصيلتهم من الأجور أو أي نشاط تجاري، ولذلك يلاحظ في عملية بيع الممتلكات وشرائها فيما بينهم ارتفاع الأثمان بشكل مذهل مما يتعذر معه على المشتري أن يسترد الثمن المدفوع في عشرات السنين.

يمتاز سكان هذه الواحة بذكاء حاد ورغبة شديدة في طلب العلم وتحصيله، فإليها ينتمي عدد من العلماء الأجلاء، وشخصيات سياسة مرموقة تقوم بدور بارز في جهاز الدولة وتحمل ألقابا مستمدة من قصور هذه الواحة كالدويرة والبلاغمة.

ص. بلعربي، *المغرب* ؛ استطلاعات ميدانية، ووثائق محلية.

محمد العلوي الأوفوسي

**أُوْفِيسْتْ**، مرسى تقع جنوب رأس بوجدور وتعرف عند الإسبانِ بـ «إِلْبَرْشِيل El Parchel» و بـ «المِيداَنوُ گْرانْدِي Medano grande» (الجرف الكبير).

A. Domenech, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid 1946, p.74 ; I. Carnero Ruiz, ; *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid 1955. p.60.

محمد ابن عزوز حكيم

**أوقاف ← وقف**

**الأُوقِيَة** : - بضم الهمزة، كما تكتب (وقيّة) - بحذف الهمزة وفتح الواو، وتجمع على (أواقٍ) - بالتنوين - و(أواقيّ) - بالياء -. ولفظ الأوقية مؤنث. وتستعمل في مجالين : مجال الأوزان ومجال النقود.

أوقية الوزن تُعتبر وحدة من وحدات الوزن بالمغرب. وكان نظام الأوزان يتميز بالتنوع، وتتدرّج وحدات الوزن من أصغر وحدة وهي «حبة الشعير»، فالدرهم الشرعي، فالمثقال من عشرة دراهم، فالأوقية، فالرطل، فالقنطار. ويهمنا من هذه الأوزان الأوقية التي تساوي 16 جزءاً من الرطل، أو ما يعبر عنه بنصف ثُمن الرطل، وهذا تحديد جزئي ومبهم للأوقية، لأنه ليس هناك رطل موحد، فقد كانت لكل حرفة حرية تحديد الرطل المناسب لها، على الرغم من أن الأصل المشترك لكل رطل هو وحدة العملة. فقد كان الأصل هو المثقال من عشرة دراهم قبل القرن التاسع عشر، أما في هذا القرن فقد أصبح الريال الفرنسي من 25 غ هو الأصل المشترك لهذه الأوزان.

أمام هذه الاختلافات يختلف وزن الأوقية تبعاً لوزن كل رطل، وفي أواخرالقرن التاسع عشر ورد على المغرب رطل من النحاس يستعمل في فرنسا (Livre) وأنجلترا (Libra) وهو على شكل عيارات نحاسية متداخلة محكمة الإغلاق، مقسمة إلى نصف وربُع وثُمن ونصف الثُمن، وهذا الأخير هو الأُقية. وقد عثرنا على نماذج من هذه الصنوج في مراكش وسوس وفاس، لكن نتائج الوزن المحصل عليها متفاوته، لنقصانها بكثرة الاستعمال. وكان هذا الرطل يزن بين 506،490 غ تقريبا، والأوقية منه تتراوح بين 30 و33 غ. وحول هذا الوزن تدور التحديدات المختلفة، فوزنها 30،594 غ وهو وزن قريب للوزن المستعمل في باريس في القرن الثامن عشر 30،565غ كما ورد في معجم روبير بيلي (R. Pelit) وهو ما ذهب إليه إيركمان ولوتورنو كذلك. وقد استمرت هذه الأوزان بالمغرب إلى سنة 1925 حيث تأسس القياس العشري المتعلق بالموازين والمقايس وصدر بالجريدة الرسمية عدد 645 من نفس السنة، فأصبح الكرام ومضاعفاته وأجزاؤه مقياسا للاستعمالات اليومية، وقد اتخذت الأوقية من وزن 30غ مقياسا حتى الآن. أما في أسواق الذهب اليوم فقد اشتهرت أوقية تزن 31،104 غ.

وقد استعملت الأوقية وحدة نقدية في العالم الإسلامي، ووردت في الحديث النبوي وفي كتابات الفقهاء ونصوص الموثقين. استعملت الأوقية في المغرب بمختلف أشكالها، فهي مستعملة أحيانا على هيئة ( نقود بقيمة ذاتية) أي قطع معدنية ذات وزن معين أطلق عليها اسم الأوقية، وأحيانا استعملت على هيئة (نقود حسابية) أي لا وجود لها كقطع مجسدة وإنما تركب من غيرها من القطع المعدنية مما نوضحه بعد حين. ومن حيث التطور التاريخي لاستعمال هذا المصطلح فإنه لا ينضبط بزمن محدد، وإنما يمكن استعمال تحديد تقريبي يسير تبعا لنوع المعدن المستعمل، ففي القرون الإسلامية الأولى بالمغرب إلى حدود القرن العاشر (16 م) كانت الأوقية الذهبية والفضية مشهورتين في مجال التداول النقدي، وفيما بعد وحتى القرن الثامن عشر ساد استعمال الأوقية في مجال النقودَ الفضية غالباً، أما ابتداء من النصف الثاني من القرن الثامن عشر فقد بدأت تسود الأوقية النحاسية. فأصبحت الأوقية النحاسية الوحدة الأساسية ، التي تصرف بها المثاقيل والموزونات والريال.

وقد استخلصنا هذا التصورمن خلال الوثائق والرسائل والجداول الخاصة بالعملة، ومن الكتابات الفقهية ومختلف الدراسات، وتوفرت لنا على الخصوص وثائق كثيرة من جهات سوس.

ونقدم فيما يلي أنواع الأواقي النقدية المستعملة في المغرب مع تعريف لها على أساس نوع المعادن النقدية فنقدم على التوالي : الأواقي الذهبية فالأواقي الفضية فالأواقي النحاسية.

أواقي الذهب

- الأوقية الشرعية (السنية) (= 40 درهما ؟)
- الأوقية العرفية (= $\frac{1}{6}$ الدينار السداسي)

1 - الأوقية الشرعية الذهبية : وتدعى أوقية السنّة، ورد ذكرها في الحديث - عند ذكر صداق سيدتنا خديجة على أنه يساوي أربعين أوقية. ويُستنتج من قلة ورودها في الوثائق أنها لم توظف في الحياة العملية إلا نادراً، حيث اكتفى الناس باستعمال الدينار الشرعي كوحدة أساسية في أداء ما يلزمهم شرعا، مثل زكاة الذهب وغيرها، بل يظهر أنه لم تعرف حقيقة هذه الأوقية، خاصة إذا وجدنا أمثال الفقيه الكرسيفي يقول: «فإنا لم نجد مَن بَيَّن قدرها صراحة بعد البحث عنه في مظانه» وقد اكتفى بذكر أنها تساوي 40 درهما كما ورد في الحديث.

2 - الأوقية العرفية من الذهب : اشتهر استعمال هذه الأوقية في عقود الناس منذ بداية القرن السابع عشر، وهي تساوي سدس الدينار السداسي وخمس الخماسي، وقد حدد الفقهاء وزنها بـ 16،66 حبة، وهو ما عبروا عنه "بسبعة عشر إلا ثلثا" من الحبات الخارجة من قسمة عدد حبوب الدينار السداسي، وهي مائة على ستة، كما حددوا وزنها بدرهم الصنجة فهي تزن ثلاثة دراهم وثلثا، علما بأن كل درهم صنجي فيه خمسة حبوب فينتج : $3{,}33 \times 5 = 16{,}65$ حبة.

غير أن هناك إشكالا بالنسبة للدينار الخماسي، فأوقيته تزن نفس وزن أوقية الدينار السداسي وهو 16،66 حبة، لأن الدينارين متساويان من حيث وزنهما، لكنهما مختلفان من حيث العيار، فقد ثبت «استواؤهما وزنا، لكن في الخماسي أوقية من الفضة وخمس أواق من الذهب، فنسب إلى أواقيه من الذهب، لنقصانه معنى لأجل الغش لا حساً» فكان لفظ الخماسي نسبة إلى العيار لا إلى الوزن.

ويستثنى من هذا كون الأوقية الذهبية المكناسية ـ وهي للسلطان سيدي محمد بن عبدالله ـ إنما تساوي ثماني حبات أي نصف سدس الدينار السداسي الذي يزن 96 حبة، ونصف خمس الدينار الخماسي الذي يزن 80 حبة. وهكذا فوزنا الدينارين المكناسيين ناقصان وأواقيهما ناقصة، خلافاً لما هو واقع بسوس من تساوي الدينارين السداسي والخماسي وزناً.

الأواقي الفضية : تعددت مدلولات الأوقية الفضية، وقد ميزنا في الوثائق بين نوعين من الأواقي : الأوقية الشرعية وفيها 40 درهما شرعيا، والأوقية العرفية وفيها عدة تفريعات، نجملها في الجدول التالي :

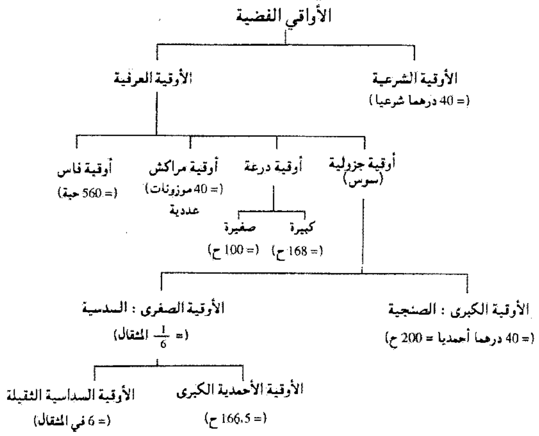


1 ـ الأوقية الشرعية أو الأوقية السنية وتتركب من 40 درهما شرعيا (=40 × 2,6119 = 116,5 غ من الفضة)، وتستعمل في تحديد نصاب زكاة الفضة الذي قرر الفقه حصره في خمس أواق، فإذا قُسمت عدد دراهم نصاب الزكاة من الفضة وهي 200 درهم على 5 تساوي 40 درهم، التي في الأوقية الشرعية.

والملاحظ أن هناك أوقيتين شرعيتين، إحداهما هذه، وهي نقدية، بها تحدد زكاة الفضة، والثانية هي أوقية الكيل، التي أوضحنا أنها تستعمل في تحديد زكاة الحبوب.

2 ـ الأوقية العرفية من الفضة : تختلف باختلاف الأعراف والسكك والبلدان، وذلك حسب الدراهم العرفية التي تتركب منها، وقد استعمل السوسيون أوقية عرفية تتميز عن بقية الأواقي المستعملة في أغلب الجهات والحواضر المغربية، تدعى أوقية بلاد جزولة، وفي الوثائق السوسية كذلك تذكر الأواقي الأخرى باعتبار أنها تستعمل في سوس، مثل أوقية مراكش، أو تذكر على سبيل المقارنة كأوقية درعة وفاس.

أ ـ أوقية بلاد جزولة : لم نعثر على أي آثار تفيد استعمالها في غير سوس، ويوجد منها نوعان :

* الأوقية الكبرى وتدعى «الأوقية الصنجية» لأنها تتركب من 40 درهما من دراهم الصنجة المنسوبة لأحمد المنصور السعدي التي يزن كل منها 5 حبات من الشعير، أي أنها تزن 200 حبة : (= 8,82 غ).

* الأوقية الصغرى وتدعى «الأوقية السُدُسية» لانها سدس المثقال، فهي سدس 40 موزونة التي في المثقال العددى، فهي إذن عددية تساوي 6,65 موزونة الناتجة عن 40/6 وتتركب عدديا من أي سكة كانت. ويندرج تحت هذه الأوقية نوعان من الأواقي أيضا وهي :

*الأوقية الأحمدية الكبرى، تتركب من دراهم أحمد المنصور الكبيرة التي يزن كل منها 25 حبة، وهي سدُسية أيضا، ومجموع حبوبها هو (25 ح 6,66 = 160,5 حبة)، أي تساوي 7,3 غ.

* الأوقية السداسية الثقيلة : هي سداسية لأن المثقال يتكون من ست أواق منها من أية سكة، وثقيلة لتميزها عن الخفيفة المراكشية، وهي بذلك تعتبر أوقية عددية 6 منها بمثقال و12 بمثقالين وهكذا، وهي التي يكثر ذكرها في الرسوم، ويعبر عنها «بالسكة الجارية بست أواق للمثقال».

ب ـ أوقية درعة : وقع تحديدها في بداية القرن 17 وتتنوع إلى نوعين :

ـ أوقية كبيرة، تساوي 40 درهما من الدراهم الوازن كل منها 4,2 حبة =168 ح =7,4 غ.

ـ أوقية درعة الصغيرة : وتتركب من 24 درهما المذكورة، فهي إذن تزن 100 من الحبات، وتساوي 4،4 غ.

ج ـ أوقية مراكش : هي أوقية عددية يصفها الگرسيفي بكونها هي التي «يعرفها كل الناس ويتعاملون بها في الأسواق» وعلى أساسها يقع التعامل رسمياً في القرن التاسع عشر في مجموع البلاد، وفي الحسابات المخزنية وتتركب من أربع موزونات من أي سكة كانت، سواء من الموزونات العرفية أو من الموزونة التي هي ربع الدرهم الشرعي، وتعتبر هذه الأوقية عشر المثقال العددي فالمثقال حسب قاعدة الصرف يساوي 10 أواقي.

د ـ أوقية فاس : وقع تحديدها في القرن السادس عشر، وكانت تتركب من 80 درهما وطاسيا، كل درهم منها يزن 7 حبات، وتزن هذه الأوقية 560 من الحبات أو 24،7 غ.

إن كثيرا من الأواقي الحسابية لم يعد الناس يحتاجون إليها ـ منذ القرن الثامن عشر ـ إلا لحل بعض المشاكل في العقود القديمة.

أوقية النحاس : وحدة حسابية، لأن المثقال ظل يطلق على القطعة الذهبية، وكان لفظه مرادفا للدينار إلى القرن الثامن عشر، حيث أصبح يطلق على عشرة دراهم فضية، وفي الإصلاح النقدي الذي قام به السلطان سيدي محمد بن عبدالله سنة 1766م، أسس عملته على هذا المثقال، وهو يمثل أكبر قطعة معروفة، وكان يصرف إما بعشرة دراهم أو بعشرة أواق.

فالأوقية النحاسية إذن تساوي عُشر المثقال، كما أنها تساوي الدرهم الفضي في القيمة، وهي من النقود الحسابية وليست من النقود الذاتية، بمعنى أنه لا توجد قطعة نحاسية بذاتها تسمى الأوقية، وإنما هي حسابية تتركب من 96 فلسا نحاسيا، ونظرا لوجود ثلاث فئات من القطع النحاسية ـ

القطعة الكبيرة من فئة 4 فلوس، والمتوسطة من فلسين، والصغيرة من فلس واحد ـ فإن القطع التي تصرف بها الأوقية تكون على التوالي إما 24 قطعة أو 48 قطعة أو 96 قطعة. كما أن الأوقية النحاسية تعتبر «نقوداً معدودة» وليست «نقودا موزونة» فليس هناك وزن مضبوط للفلوس النحاسية، فصرفها يكون حسابيا ولا يقع الاهتمام بوزنها لعدة أسباب أهمها أنها لا تدخل في إطار النقود المزكاة ولا تخضع للوزن الشرعي، وكذلك لا يمكن التحكم في أوزانها نتيجة صنعها بطريقة إفراغ المعدن في قوالب لا تحدد الوزن، وكل هذا يضع عسراً في معرفة التناسب الوزني بدقة بين النقود النحاسية والنقود الفضية، وإن المحاولة التي قام بها كل من ايركمان، ورباسكون في إيجاد العلاقة بين أوقية الوزن السابقة الذكر وأوقية النقود النحاسية لا تنطبق على واقع هذه النقود، والأمثلة التي عايناها عبر كتاب بريط Brethes تدل على أن أقل وزن للأوقية النحاسية يتجاوز وزن أوقية الوزن بأربع مرات.

وقد ظلت الأوقية النحاسية مستعملة لصرف المثاقيل والأواقي والريالات طيلة القرنين 18 و19 إلى سنة 1904 حيث عوضها السلطان مولاي عبد العزيز عندما ضرب الموزونات النحاسية التي يصرف الريال الفضي بـ 500 موزونة منها، وتقابل الموزونة السنتيم في النظام النقدي الفرنسي.


ع.الفاسي، *تقييد في الموازين والوزن وتحقيقها*، مخطوط. خ. ع.121 د ؛ ع. الكرسيفي، *رسالة في تحرير السكك المغربية*، مخطوط خاص ؛ *رسالة في تحقيق الأوزان والمكاييل*، مخطوط. خ. ع. 1877 ؛ أ. سكيرج، *الروضة اليانعة* ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 1 : 393، 406، 2 : 66 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب* ؛ م.اللحية، *وثيقة عن بعض المكاييل والموازين بالعواصم المغربية، فاس، مكناس ومراكش في القرن 19*، مجلة دراسات، كلية الآداب أگادير، ع: 1، 1987، ص 57 ـ 83.

J. Erckmann, *Le Maroc moderne*, p. 159, 161 ; J. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, p. 128, 240, 241...; *Petit guide de l'immigrant*, Paris, 1911, p. 46 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, t 3, p. 97; D. Eustache, *Etude de numismatique et de métrologie musulmanes, H.T*, vol. X fasc 1-2, 1969, p.95,189 ; *Corpus des monnaies Alawites*, Rabat, Publication de la Banque du Maroc, p. 297, 306... ; P. Pascon, *La maison d'Iligh*.


عمر أفا

**أُوگارود**، أحمد. من قبيلة تمسمان الريفية، أحد أعيانها البارزين. تميز بأخلاقه الكريمة وأمانته، فأصبحت له مكانة محترمة في قبيلته، وحظوة وتقدير بين القبائل المجاورة.

انخرط في صفوف الثورة الريفية التي تزعمها محمد بن عبدالكريم الخطابي منذ انطلاقتها الأولى، وساهم باخلاص في إنجاحها، مما جعله يحظى باعتبار عند الأمير محمد بن عبدالكريم الخطابي، ويقع عليه الاختيار لشغل أحد المناصب العليا في الجهاز المسيِّر للثورة.

ذلك أن الانتصارات العسكرية التي حققتها الثورة وسعت الرقعة الجغرافية المحررة مما استلزم تنظيم شؤونها، فاجتمع محمد بن عبدالكريم مع الأعيان الممثلين للقبائل الريفية، وفوض لهم أمر اختيار مسؤولين منهم (وزراء وغيرهم) ليكونوا إلى جانبه يساعدونه على تسيير إدارة شؤون الثورة، شريطة أن يكون هؤلاء ينفقون على أنفسهم من مالهم الخاص، إلا فيما يرجع للمصاريف الخاصة بالتنقل من أجل الصالح العام، فوقع الاختيار على نخبة من الأعيان الذين يجمعون بين الثقة والثبات والكفاءة منهم السيد أحمد أوگارود الذي عين أمينا مكلفا بنظارة الأوقاف في الجهاز المركزي للثورة إلى جانب المسؤول (الوزير) عن المالية السيد عبدالسلام الخطابي، عم الزعيم ابن عبد الكريم.

كان أُوگارود قد وقع عليه الاختيار للائتمان على المال المقبوض من الإسبانيين بتاريخ 27 يناير 1923 فدية لاطلاق سراح مساجينهم في الريف البالغ عددهم حوالي 370 بين ضباط وجنود. ونظرا لما للمال من أهمية في المحافظة على الثورة وضمان استمراريتها، فقد حرص ابن عبدالكريم على إنفاقه بصرامة وحكمة في مصالح المجاهدين والثورة، لذلك أسندت هذه المهمة إلى جماعة من الرجال الثقاة الأمناء الصادقين وعلى رأسهم عبدالسلام الخطابي والأمين أوگارود والأمين شعيب يزيف الحذيفائي ومحمد أصريح اليوسفي. وأشرف هؤلاء ـ وفي مقدمتهم أوگارود ـ على إنفاق هذا المال في أمور الثورة. فخُصص قدرٌ منه لتقديم معاشات ومساعدات للأسر الفقيرة من جميع القبائل التي قتل بعض أفرادها في معارك الثورة الريفية. كما استعمل في شراء بعض اللوازم الحربية وذخائر البنادق التي كان الناس، إلى ذلك التاريخ، يشترونها من مالهم الخاص. وصُرف قسط منه في دفع رواتب الجيش النظامي الذي أصبح يتقاضى رواتب منتظمة.

ونظرا لما أظهره هؤلاء من الحزم والدقة وضبط الحسابات خلال هذه الفترة، أسندت إليهم نفس المهام عندما تم الإعلان الرسمي عن تشكيل الجهاز الأعلى المركزي لتسيير شؤون الثورة الذي شغل فيه أوگارود منصب أمانة الأوقاف.

وقد أشرف على تنظيم الأحباس، فضبط مداخيلها بحيث بلغت 75 ألف بسيطة سنويا، وهي ضعيفة بمقارنتها مع غيرها من موارد الثورة، وإذا كان قد حرص على صرف هذه الأموال فيما حبست من أجله الأوقاف التي تدرها، فإنه مع ذلك لا يستبعد أن تكون قد أدمجت في مالية الثورة لصرفها في شؤون الحرب وغيرها من الأمور ذات الصبغة الاستراتيجية التي تطلبت أموالا باهظة، خاصة عندما تعاظمت أعباء الثورة بالتحالف الاستعماري الفرنسي الإسباني ضدها.

وبالإضافة إلى المهام السابقة، تولى أوگارود أيضا الإشراف على جمع مداخيل الضرائب من مكوس وأرباح وأملاك ومحاصيل وماشية وغيرها، بلغت حوالي 300 ألف بسيطة نقدا وعينا. وكانت الحبوب تجمع في كل قبيلة فتخزن في المطامر تحت إشراف الأمين المذكور، ثم توجه

على يده لتموين المجاهدين في جبهات القتال وفي المراكز التي كانوا يرابطون بها.

وهكذا دأب الأمين أوكارود على العمل بإخلاص وصدق ونكران ذات لتمكين الثورة من الموارد المالية اللازمة لاستمراريتها، وأشرف على صرفها في مصلحة الثورة من غير أن تمتد يده إلى شيء منها، ولهذه الخصال علا شأنه عند المجاهدين عامة وعند محمد بن عبدالكريم الذي قربه إليه خاصة.

وقد ظل على استقامته طيلة فترة الثورة وبعدها، أمينا مستقيما في عمله واضحاً في مواقفه متواضعاً في سلوكه.

م. أزرقان، *الظل الوريف*، مخطوط، ص76. 85 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف*، 2 : 132 . 133 و151 . 154 ؛ القاضي محمد عمر، *أسد الريف*، 133 . 134 ؛ م. ح. الوزاني، *مذكرات*، 2 : 341.

مصطفى أربيب

**أُوكَاشْط**، أحمد بن علي التناني، ويقال له أيضاً الكاشطي نسبة إلى قرية كَاشْطْ بإداوتنان حيث نشأته. ذُكر أن ولادته كانت سنة 1892/1310.

أخذ قليلا من العلم بسوس ثم التحق بناحية جبالة حيث أخذ كثيراً عن علماء تلك الجهة، كما درس أيضا في فاس ثم رجع إلى قبيلته بهمة وإقدام فانتصب للتدريس وتلقين الطريقة التجانية بمدرسة ألْمَا.

تقع مدرسة ألْمَا بإسفسافن بإداوتنان، يجهل تاريخ تأسيسها إلا أن المعروف أنها كانت مدرسة صغيرة لا تكاد تذكر إلى أن استقر بها أحمد الكاشطي فازدادت أهميتها وعظمت شهرتها.

طرق الكاشطي جميع أبواب معارف عصره من فقه ولغة وأدب. ومن آثاره المعروفة كتاب *تعريف البلدة التنانية ذات المواهب الربانية*، توجد نسخة منه بمدرسة ألْمَا، تحدث فيه عن تاريخ إداوتنان، وترجم فيه لعدد من شيوخه وبعض العلماء المحليين. وله ديوان في مدح الرسول (صلعم) والشيخ أحمد التيجاني، وقصيدة في جهاد حاحة ضد المستعمر في فترة الحماية.

توفي سنة 1956/1376.

أ. أوكاشط، *تعريف البلدة التنانية*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 15: 90 . 93.

حمدي أنوش

**أُوكَالِيبْتُوس** Eucalyptus (=كَلِيطُو = كَافُور) جنس ينتمي إلى فصيلة الآسيات Myrtaceae. ويحتوي على حوالي 630 نوع، منها الأشجار التي يتجاوز ارتفاعها 100 متر. ومنها الأشجار المتوسطة القامة، ومنها الشجيرات التي لا يتعدى ارتفاعها مترين.

إن الموطن الأصلي لكل هذه الأنواع هو استراليا، باستثناء اثنين يظهران في أندونيسيا وماليزيا.

أدخل الأوكاليبتوس إلى شمال افريقيا في الخمسينات من القرن التاسع عشر وذلك لإصلاح أراضي المستنقعات بسهل ميتدْجَهْ بجنوب الجزائر العاصمة. وابتداء من هذه الفترة أُدْخِلَ إلى بلاد الجزائر ما يقرب من مائة نوع من هذا الجنس.

أما في المغرب فأول نوع أدخل هو أوكاليبتوس گْلُوبُولُوسْ Eucalyptus Globulus الذي استعمل لتزيين بعض الحدائق بالضواحي الغربية لمدينة طنجة. وكان ذلك سنة 1890. لكن أهم عمليات التشجير به بدأت سنة 1920 باستعمال أوكاليبْتوسْ كَمَالْدولانْزيس Eucalyptus camaldulensis وأوكَاليبْتُوس گونْفُوصَفَالاْ Eucalyptus gomphocephala في الأراضي الرملية بسهل الغرب وغابة المعمورة. وفي سنة 1948 قامت بعثة من الإخصائيين برحلة إلى استراليا لجلب حوالي 200 نوع من الأشجار الحراجية الأسترالية وأغلبها من جنس الأوكاليبْتوس. وقد وزعت على محطات منتشرة عبر المغرب وذلك لمعرفة امكانية استعمالها في التشجير. لكن عدداً قليلاً من هذه الأنواع استطاع أن يعيش ويتكيف مع شروط بيئيَّة تختلف عن الشرط التي كانت تعيش فيها في موطنها الأصلي. فمنها ما يتحمل الجفاف، ومنها ما يتحمل البرودة. ومنها ما يقاوم الرياح المالحة.

إن تمييز أنواع الأوكاليبتوس يرتكز على عدة عوامل وأهمها قشرة جذع الشجرة وشكل أزرارها وثمارها.

تكون قشرة الجذع متساقطة أو دائمة. ففي الحالة الأولى تتساقط القشرة بشكل أشرطة طولانية أو صفائح متطاولة أو صفائح صغيرة أو حراشف. أما القشرة الدائمة فهي إما حديدية وإما ليفية وإما حرشفية.

تختلف أزهار الأوكاليبتوس باختلاف الأنواع. وأهم عامل لتمييز الأنواع هو غطاء الزهرة المكون من البتلات الملتحمة مع بعضها مشكلة قطعة واحدة تتساقط عند تفتح الزهرة. وهذا الغطاء يظهر على أشكال جد مختلفة.

وإضافة إلى هذه المعلومات العامة نود أن نتطرق إلى النوعين الأكثر استعمالا في التشجير بالمغرب :

- أوكاليبْتُوس كَمَالْدُولانْزيس Eucalyptus camaldulensis شجرة كبيرة يمكن أن يبلغ ارتفاعها 50 مترا، ذات تاج كبير كروي الشكل. قشرة جذعها متساقطة بشكل صفائح متطاولة ذات أبعاد مختلفة. أوراقها البالغة خضراء، غامقة ورمحية. ازهارها مجتمعة بشكل مظلة ذات غطاء منقري قليلا. ثمارها متخشبة ونصف كروية.

أُدخل هذا النوع إلى المغرب في بداية القرن العشرين واستعمل للتشجير الحراجي على نطاق واسع وخاصة في المناطق الرملية حتى سهل الغرب وغابة المعمورة وذلك لإنتاج المادة الأولى لعجين الورق بعمل السللوز بسيدي يحيى الغرب.

وقد أعطى نتائج لا بأس بها في المناطق البيومناخية شبه الجافة و شبه الرطبة ذات الشكلين الحار والمعتدل إذ أنه يخشى البرد القارس.

إن هذا النوع يتطلب تربة سميكة وخالية من كربونات الكالسيوم الفعالة.

يستعمل خشب هذا النوع للتدفئة وكخشب صناعي أيضا.

- أوكـالـيـبـتـوس گـونـفـوصـفـالا Eucalyptus gomphocephala شجرة كبيرة يمكن أن يبلغ ارتفاعها 40 مترا، ذات تاج كروي الشكل، قشرة جذعها سميكة ودائمة وليفية ومشققة طولانيا. أوراقها البالغة متبادلة معنقة رمحية. أزهارها مجتمعة على هيئة مظلة ذات محلاق مسطح. غطاء الزر بشكل قبعة نصف كروية. ثمارها جرسية الشكل.

استعمل هذا النوع في التشجير على جوانب الطرق في جل أنحاء المغرب شبه الرطب وشبه الجاف، والجاف. إنه لا يبالي بالتركيب الكيماوي للتربة ويمكنه أن يعيش في أتربة غنية بكاربونات الكالسيوم الفعالة وفي مناطق لا يتعدى معدلها السنوي من الأمطار 300 ملم. وقد أعطى نتائج جيدة في المناطق شبه الجافة وشبه الرطبة الحارة والمعتدلة، وخاصة في السهول الساحلية.

يمكن استعمال هذا النوع في التشجير لانتاج خشب النجارة أو الصناعة أو الخدمات، أو حطب التدفئة. كما أنه يعطى نتائج ممتازة في تثبيت الكثبان الرملية الساحلية البعيدة قليلا عن البحر، إذ أنه يتحمل رياح البحر المالحة.


إ. نحال، *أساسيات علم الحراج*، منشورات جامعة حلب، كلية الزراعة، حلب 1983.

A. Métro, *L'ecologie des eucalyptus : son application au Maroc. Mémoires de la Société des Sciences Naturelles du Maroc*, XLIX, Paris, Larose, 1948 ; A. Benabid, *A propos de l'écologie des essences forestieres du Sud Ouest australien méditerranéen : Application au Maghreb, Ann. Rech. forest. Mar*, T.24, 1984.


عبدالمالك بنعبيد

**أوكايْمْدْن**، يطلق على محطة جبلية للتزلج، تعتبر مركزاً محددا يدخل ضمن الجماعة القروية لأسني التابعة لدائرة تحناوت بإقليم مراكش. كما يطلق على المنتجع الصيفي الذي أنشئت به المحطة، وهو عبارة عن حوض مستو معلق بالسفح الشمالي للأطلس الكبير المراكشي، يقع على علو 2650 م. ويمتد عند أقدام جبل أوكايمدن (3260 م) الذي يتكون من صخور گرانيتية، ويتميز بانحداره المنتظم، والذي يحد الحوض من الجهة الجنوبية، وجبل أنگور (3614 م) الذي يتكون من صخور صهيرية مسننة تحده من الجهة الشرقية. وينتهي الحوض من الجهة الشمالية بحافة تيزراگ، التي تشرف على الجبال المتوسطة وسهل الحوز.

تبلغ مساحة الحوض المستوية حوالي 3000 هـ. ويقطعه مجرى أسيف آيت إيران غير المتعمق والذي يكون المجرى الأعلى لواد أوكايمدن، أحد أهم روافد واد أوريكة. تتكون أرضية الحوض من تربة حمراء مشتقة من صخور الحث، تغطيها الثلوج شتاء، وتنمو بها الأعشاب بعد ذوبانها في نهاية الربيع، ولا تنمو به أشجار إذ يوجد فوق مستوى نمو الغابة، ويتعرض الحوض في جل أيام الصيف لرياح محلية متغيرة واشعاع شمسي قوي، مما يحول لحد الآن دون استغلاله صيفا في السياحة والرياضة الجبلية، رغم توفره على بحيرة اصطناعية صغيرة، وراء السد الصغير المقام على أسيف أيت إيران.

تعني كلمة «أوكايمدن» بالبربرية: مكان تجمع الناس. وهو مرعى جماعي غني تنتفع به مجموعات من فروع قبائل أوريكة وغيغاية، ويوجد تحت حماية الوالي سيد محمد أوفارس الذي يقع ضريحه بهضبة إنغان، أسفل حافة تيزراگ، لا يوجد به سكن دائم، ولكن تنتشر به «عزبان» كثيرة فردية وجماعية.

ظهور وتطور محطة التزلج : ولأهمية التساقطات الثلجية بأوكايمدن وقربه من مراكش (75 كلم). اهتم به الأوربيون في عهد الحماية، وعملوا على تجهيزه، وانشاء محطة لرياضة التزلج. وأول منشأة ظهرت به هي مأوى تابع للنادي الألبي الفرنسي سنة 1936. وبني الطريق الأول الذي يربط أوكايمدن بتحناوت بين سنتي 1937 و1939 من طرف الجيش الفرنسي، الذي أنشأ بها ثكنة عسكرية، وبني كذلك مصعداً ميكانيكيا للتزلج. كما ظهر بها خلال الفترة الاستعمارية عدد من المآوي الرياضية، حوالي عشر إقامات ثانوية وفندقين، كما جهزت المحطة بمولد كهربائي محلي وبرج لتوزيع الماء الشروب.

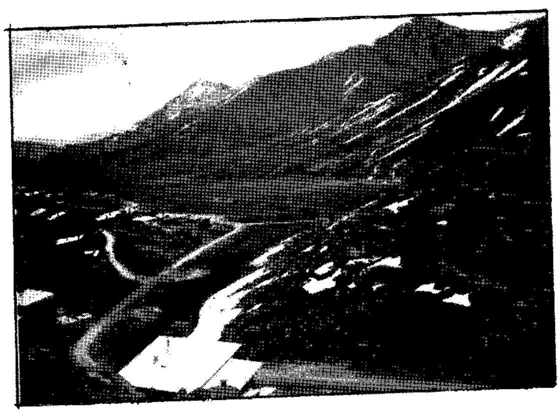

وبعد الاستقلال لقيت المحطة اهتماما كبيراً من طرف المسؤولين، فوضع لها تصميم تنمية سنة 1960، وربطت بالشبكة الكهربائية الوطنية سنة 1961. كما جهزت سنة 1966 بطريق جديد واسع يربطها بطريق وادي أوريكة، وجددت شبكة الماء الشروب، والماء الحار، وبني بها عدد من الإقامات الثانوية، ووسعت الفنادق والمآوي القديمة.

العمران والتجهيزات الرياضية : تتكون المنشآت العمرانية والرياضية للمحطة سنة 1985 من ثلاثة فنادق. منها فندق كبير لوزارة السياحة، توقفت عملية بنائه بعد أن أشرف على نهايته منذ 1980، يضم 180 غرفة، وفندقان متوسطان سعتهما 120 سريراً. وستة أندية رياضية أكبرها نادي الشبيبة والرياضة 120 سريراً والنادي الألبي الفرنسي الذي جدد ووسع مؤخراً فوصلت سعته إلى 160 سريراً.

كما تنتشر على سفح جبل تيزراگ 75 إقامة ثانوية كبيرة ومتوسطة، بالإضافة إلى تسع عمارات بها 92 شقة، وبعض المنازل الفردية الصغيرة. ويلاحظ اليوم أن الكثير من الإقامات، قسم إلى شقق أصغر مما وسع الطاقة الإيوائية للمحطة. ويتخلل هذه المنشآت طرق معبدة وأعمدة الإنارة، وفي النصف الأول من الثمانينات كان يتم سنويا بناء 63 منازل تحت إشراف مصالح دائرة تحناوت التي تجهز بقعاً وتبيعها.

وينتشر بأطراف حوض أوكايمدن عدد من «العزبان» المنفردة أو المجمعة على شكل قرى، تنتمي إلى مجموعات قبلية أهمها: آيت أوسرتك التي جمعت «عزبانها» وأعيد بناؤها بسفح قريب من تيزي أوكايمدن، بعد أن أزيلت من سفح تيزراگ. لتحل محلها الإقامات الثانوية الحديثة.

وتتوفر المحطة على بعض التجهيزات الاجتماعية، منها مستوصف ومركز تجاري. يتجمع معظمها بأسفل سفح تيزراگ، عند انقطاع الانحدار، على طول الطريق الرئيسي، وأمام المحطة الرئيسية لوقوف السيارات.

أما تجهيزات التزلج فتنتشر على السفح الشمالي بجبل أوكايمدن. وتتكون من ثمانية مصاعد للتزلج وناقلة هوائية طولها ثلاثة كلم وعلوها 650 م تحمل الرياضيين والسواح إلى قمة جبل أوكايمدن. وتبلغ المساحة المعدة لرياضة التزلج 11.000 هـ.

السكان : لا يوجد بالمحطة سكن دائم، فلم يُحص بها في إحصاء 1982 سوى 26 شخصاً كمقيمين، كلهم من حراس المنازل، لكنها تتحول في فصل التزلج الذي يدوم رسمياً أربعة أشهر (جنبر، يناير، فبراير، مارس) إلى مدينة حديثة تزخر بالحياة والنشاط إذا ما تساقطت الثلوج الكافية للتزلج، كما تكون المحطة منطلقا للقيام بجولات مشي على الأقدام لزيارة الأودية والفجاج والقمم، إذ تكون مرحلة مهمة في شبكة الجولات الجبلية بالأطلس الكبير. وفي فصل الصيف يرتادها الرعاة بماشيتهم ابتداء من يوليوز، كما يفد إليها عدد من الأسر القروية، ويستمر بها الرعي إلى أن تنفد جميع الأعشاب في أواخر شتنبر.

لقد كان لاستقرار هذه المحطة الرياضية بعمق الجبل، بمنشآتها العصرية وزوارها، انعكاسٌ مجاليٌّ، تزداد خطورته باستمرار، وتتجلى حاليا في تلويث مياه الواد مما دعا إلى إقامة محطة لتنقية المياه المستعملة قبل رجوعها إلى الواد، كما تتجلى في تناثر الأزبال، والتأثير على نفسية الرعاة والريفيين المجاورين الذين يتطلعون إلى المشاركة في النموذج الحضري المهيمن.

*بحث ميداني.*

أحمد هوزالي

**الأولاد** (جماعة ـ) ← **سطات** (اقليم ـ)

**أولاد أحمد** ← **سطات** (اقليم ـ)

**أولاد باعمر**، فخذة من قبائل أولاد دليم سكان الصحراء المغربية، تتكون من الفرق التالية : المزايدة، أهل الفقير بريكة، العمامرة، السواعيل.

م.الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، 1: 419.

I. Camero Ruiz, *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid, 1955, p. 221 ; A. Domenech, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946, p. 155.

محمد ابن عزوزحكيم

**أولادبرحيل** ← **تارودانت** (اقليم ـ)

**أولاد البگّار**، فريق من السباعيين المستقرين بالحوز في المنطقة التي تسمى بالـمَجُّون شرق وادي شيشاوة بالمحاذاة مع قبيلتي تكنة ومجاط. وينتشر إخوانهم في أماكن متعددة من الصحراء المغربية كما يوجدون في موريطانيا (*Une Tribu*, 254 et suite).

ينتسب أولاد البگار إلى جدهم محمد البگار السباعي من فرقة أولاد الحاج من فخذ أولاد عمرو. وقد استشهد محمد البگار مع ابنه محمد المختار وإخوته في إحدى المعارك ضد البرتغاليين المحتلين. وأصبحوا يعرفون بالشهداء السباعين السبعة المدفونين شمال غربي مدينة اسمارة.

السباعي عبد المعطي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، 1940 ؛ م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، د.د.ع. 1988.

Bonafas (Capitaine), *Une Tribu Marocaine en Mauritanie, les Ouled bou Sbaâ, B.S.G.A.O.* 52e année T. L. Fasc 183, 1929, pp. 249 - 267 ; De la Chapelle (Frédéric), *Esquisse d'une histoire du Sahara occidental, actes du 7e congrés IHEM*, Rabat 1930. *Hesp*. 1930.

**أولاد بوتْـليلي**، يشكلون فريقاً ينتسب إلى فرقة أولاد إدريس، التابعة لفخذ أولاد عمران السباعيين، ويستقرون بتغسريت وهي الناحية الغربية من القبيلة السباعية بالحوز على مقربة من الحدود مع قبيلة الشياظمة.

*عقود نسب الشرفاء السباعيين* ؛ م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، د. د. ع. 1988.

**أولاد بوحسين**، ثلاث فرق تابعة لقبيلة أولاد بو السباع، وهي : أولاد عبد الوهاب وأولاد عبد اللـهن مبارك وأهل تـمَلُّولت. أما بوحسين الجد الذي ينتسبون إليه، فهو من فخذ أولاد عمران السباعيين، ويوجد قبره بأدْرَار الصحراء، "بواد هنالك بحفرة بوحسين قرب تيرس، بينه وبين جبل التمر المسمى بأدرار مسيرة خمسة أيام" (*عقود النسب*).

م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، د.د.ع. الرباط 1988.

م. حسن كفناني

**أولاد بُوزّارة**، قبيلة عربية من عرب معقل الذين وفدوا على المغرب في عدد قليل مع قبائل بني هلال حين أدخلهم الموحدون دكالة، فاستوطنوها بصفة نهائية.

كانت هذه القبيلة إلى أوائل القرن العشرين تشتمل على البطون التالية : مَسْناوَة وأولاد رحّال وفطْناسَة وأولاد جابر وأولاد أحمد وأولاد مسلّم وأولاد طويرَة وبني هلال وأولاد سيدي بويحيى وبني عامر وأولاد الطالب. ثم طرأ عليها بعض التغيير، فاختفى منها بطن مَسْناوة نهائيا، وبطن أولاد طويرة موقتاً، بينما أصبح يُعدُّ من أولاد بوزرارة بطن جديد هو أولاد التونسي، وهو لا شك أجنبي عن هذه القبيلة وإنما ضُمَّ إليها إدارياً، إذ أن السلطات الحكومية كانت تعْمَد أحياناً، لاعتبارات تنظيمية أو سياسية، إلى فصل بعض البطون عن قبائلها الأصلية وضمها إلى غيرها، مما يجعل اليومَ التعرُّف على أرومة هذه القبيلة أو تلك من الصعوبة بمكان.

هكذا، فإن التقسيم الاداري الذي توجد عليه حالياً قبيلة أولاد بوزرارة لا يعكس مطلقاً التركيب الحقيقي لهذه القبيلة التي فُصلت عنها بعض بطونها وأدمجت فيها بطون أجنبية عنها، فأصبحت عبارة عن قسمين كبيرين.

أولاد بوزرارة الشمالية تشمل بني عامر الذين يرجع أصلهم إلى قبيلة رياح، واجْدَادْ، والشراريد وهم من الشراردة كما يدل على ذلك اسمهم، والزيايْنة، والدّوميّين وأولاد سيدي بويحيى وأصلهم من قبيلة عوْف، وأولاد طويرة وأولاد أحمد وأصلهم من سُلَيْم، وأولاد مُومَنْ.

أولاد بوزرارة الجنوبية تضم أولاد رحال، وأولاد مسلّم الذين يرجع أصلهم إلى قبيلة رياح، والكْعَابْرة وأولاد جابر وهم من جشم، والبَرَاكْة وفَطْنَاسة وأولاد طويرة، وأولاد أحمد وهم من بني سُلَيْم، والقواسم وهم مجموعة مرابطيّة ألحقت مؤخراً بقبيلة أولاد بوزرارة.

ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ م. الكانوني، *أسفي وما إليه*.

J. Goulven, *Le Cercle des Doukkala*, Paris, 1917 ; M. Bellaire, *Les Doukkala, in Villes et tribus du Maroc* ; Ministère de l'Intérieur, *Répertoire alphabètique des tribus du Maroc*.

**أولاد بُوعزيز**، إحدى القبائل العربية الست المسماة بالقبائل الشرقية التي استقرت بدكالة، وهي : أولاد بوعزيز وأولاد سبَيْطَة وأولاد فرج وأولاد عمران يليسْكَاون وأولادْ عمران أيت علي وأولاد يعقوب. أغلبية هذه القبائل هلالية امتدت فترة دخولها إلى المغرب من القرن الخامس إلى أوائل القرن السابع (11 ـ 13 م).

انتشرت قبيلة أولاد بوعزيز بعد دخولها دكالة جنوب أزمور على طول الساحل إلى حدود الجرف الأصفر حيث كانت تبتدئ منطقة قبيلة مشنزاية المصمودية. والراجح أنها حلت محل قبيلة صنهاجة التي لم يبق منها اليوم سوى قسم صغير حول أزمور يُعرف ب «الهَنِّيويّين». وهناك رواية أخرى، هي رواية كتاب *زهر البستان* لمحمد العياشي تقول «إن سفيان كانوا في دولة السعديين حلولاً بأطراف مدينة أزمور بدكالة مَكان قبيلة أولاد أبي عزيز الآن، وكان السلطان أحمد المنصور قد أنزل أولاد أبي عزيز بطرف أزْغار على وادي بهت، وكانت حللهم منتشرة هناك ... حتى مات أحمد المنصور (سنة 1012) فانتقل أولاد أبي عزيز لبلادهم حذاء أزمور وارتحل سفيان من دكالة للغرب».

ظل أولاد بوعزيز يواجهون أعنف الهجومات التي كان البرتغاليون يشنونها على شمال دكالة إلى أن تحررت البريجة على يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله. وكانت قبيلة أولاد بوعزيز تضم الفروع التالية : أولاد دويب وأولاد حسين وأولاد داوود وأولاد مسعود وأولاد عيسى وأولاد غانم.

فكان أولاد حسين يضمون البرابرة والسليمنات والبحابحة وأولاد رحمون وأولاد حميان والمعاتگة والجواولة وزاوية سيدي محمد وأولاد بومهدي والخشيلعات والوراردة وأولاد ميمون والمساعدة وبوكرمات والگوارة وأولاد بَجْدَاد وأولاد بوواَهْلة وياناسا والغُرْبا والسراحْنَة والمراغية.

أما أولاد دويب فكانوا يضمون :

- الكلايلية الغنيميين وهم يشتملون على البواشة وهوارة والوجاجنة وأولاد نوح والدحوش والمنادلة والغنادرة والگنادلة وأولاد مقدم والغنيميين.
- أولاد عتّو، يشتملون على أولاد بُورّة وبطّيوة والدّرُوسة وأولاد اسماعيل والجبارّة وأولاد القاضي والسراغنة وأولاد حسون والسرابتة والحراريّين.
- أولاد جماعة، يضمون أولاد إبراهيم وأولاد ناصر والگناويّين والمراكشيين.
- المعاشات، يضمون الكوانين وزاوية مولاي عبدالله، وشرفاء دار بن حمو والعبابدة وأولاد زليم والعطاعطة.

وفي أوائل الاستقلال أصبحت بطون قبيلة أولاد بوعزيز مرتبة من الناحية الادارية كما يلي :

- أولاد بوعزيز الشمالية، وفيها : العبابدة والمنادلة وبطيوة والسراحنة والشرفة وأولاد إسماعيل الجنوبية والسراغنة وأولاد رحمون والمعاشات والسليمنات، والجواولة و الهرايزة والهمامدة.
- أولاد بوعزيز الوسطى، وفيها أولاد تريعة وأولاد زليم والعطاعطة وأولاد ربيعة وسيدي اسماعيل.
- أولاد بوعزيز الجنوبية، وفيها الزراولة والگنادلة والگطيبات وزاوية سايس والجوامعة وأولاد شعير والحمامنة والعزيزات والمعاليم و أولاد موسى وأولاد عياد.

ومن الملاحظ أن عدة تغييرات قد طرأت على تركيب هذه القبيلة فأصبحت مثلاً فرقة من بطوية تعد منها ـ بعد أن انفصلت عن قبيلتها المعروفة بشمال المغرب، كما أضيف إليها أولاد عتّو وياناسا والگناويين وغيرهم.

أ. بوشرب، *دكالة*.

J. Goulven, *le Cercle des Doukkala*, Paris, 1917 ; M. Bellaire, *Les Doukkala in Villes et tribus du Maroc* ; Ministère de l'Interieur, 1956, *Répertoire alphabètique des tribus du Maroc.*

محمد الشياظمي

## أولادبوعلي ←البروج

**أولاد بُوعَنْكَة**، فريق من السباعين المستقرين في القبيلة بالحوز على مقربة من وادي بوعنفير، وفي تغريست، أي القسم الغربي من القبيلة. وينتشر إخوانهم في أماكن متعددة بالصحراء المغربية. ويوجد آخرون في موريطانيا،

وقد انتقل البعض منهم إلى الجزائر جنوب مدينة وهران (*Une tribu*. 254 et suite).

والجد الذي ينتسبون إليه هو إبراهيم السباعي بوعنگة من فرقة أولاد الحاج السباعية من فخذ أولاد عمرو.

ومن المعلوم أن السباعيين قاوموا الاحتلال البرتغالي في الساقية الحمراء واستماتوا في الجهاد حتى طردوا النصارى من المنطقة. وخلال إحدى المعارك التي دارت بينهم وبين كتيبة برتغالية كان يتزعمها قائد يدعى الشمصعي (*Esquisse*, 75) (Soumide) اشتهد إبراهيم بوعنگة وإخوته عيسى ومحمد البگار وابنه محمد المختار وولدا أخيه عبد الرحمان الغازي وهما عبد المولى والعباس، وسباعي آخر يدعى محمد أگلگش. وكلهم صاروا يعرفون بالشهداء السباعيين السبعة. وهم مدفونون قرب ضريح الولي سيدي أحمد العروسي على بعد حوالي 30 كلم شمال غربي مدينة اسمارة. وإليهم تنتسب عدة فرق سباعية سواء في الحوز أو في الصحراء أو في موريطانيا، مثل أولاد عبد المولى وأولاد البگار (الدفاع، 42).


السباعي عبد المعطي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، الرباط، 1940 ؛ ع. كفناني، *قبيلة أولاد بني السباع في القرن التاسع عشر*، د.د.ع. 1988.

Bonafos (Capitaine), *Une tribu Marocaine en Mauritanie : Les Ouled bou Sbaâ*. Bull. Trim. Sociét. de géog. et d'archéo. oran, 52e année T. L. Fasc. 183, 1929, p. 249 - 267 ; De La Chapelle (Frederic), *Esquisse d'une Histoire du Sahara*


**أولاد بويحيى**، وبها 4 مداشر : أولاد الداودي وبها 3 مداشر. أولاد الشيخ وبها 4 مداشر. والواديين وبها 7 مداشر. ويوجد مركزها الرئيسي بقرية زايو.

**أولاد تايمة**، أحد مراكز سهل سوس، يقع وسط قبيلة هوارة في منتصف الطريق الرابط بين أگادير وتارودانت. الأصل فيه النواة القروية التي أنشأتها إدارة الحماية، في الأربعينات بجوار دوار زاوية سيدي الطيب، وسط أهم تركز للفلاحة العصرية في سهل سوس. إلا أن الأنشطة المستحدثة كالتجارة والتلفيف، لم تؤد إلى تزايد ملموس للسكان الذين لم يتجاوز عددهم 250 نسمة سنة 1952.

في السنوات الأولى للاستقلال، أصبح أولاد تايمة مقراً لملحقة تابعة لدائرة إنزگان. حظيت بمبادرات خاصة في التجهيز والتعمير حيث أقيمت بها شبكة طرق معبدة وبدأت تعرف تشييد بعض الدور والمحلات التجارية على أطراف النواة الاستعمارية. لكن إلى حدود سنة 1960، لم يتعد سكان هذه القرية 867 نسمة.

وفي الستينات - وبارتباط مع الطريق ومع الفلاحة العصرية التي شهدت بهذه المنطقة الريفية الآهلة بالسكان تحولات هامة بعد 1965 تاريخ تأسيس المكتب الوطني للتسويق والتصدير وصندوق القرض الفلاحي - تعزز دورها التجاري حيث ظهرت بها أنشطة تجارية قارة وخدمات أعطت المركز طابعا حضريا. وتجلت نتائج هذه المرحلة التمدينية في ظهور أحياء سكنية جديدة وأيضا في ارتفاع عدد السكان إلى 2.819 نسمة سنة 1971، السنة التي ارتقت فيها إلى مستوى مدينة، وأصبحت عاصمة لدائرة تدير عشر جماعات قروية. ومنذ ذلك التاريخ والمدينة تشهد تحولات سريعة تجلت أساسا في :

- ظهور إدارات عمومية ومؤسسات اجتماعية وخدمات راقية.
- تعزيز قطاع التلفيف نتيجة إحداث عشر محطات جديدة.
- النمو السريع لقطاع التجارة الذي تميز بظهور تجارة الجملة (الخضر والفواكه والتغدية).
- سرعة عمليات تجزيء الأرض وبنائها حيث أن 57,4٪ من المجال المبني حاليا جهز وبني بين 1970 و1980. ويرتبط هذا بالوضعية القانونية لأراضي المدار الحضري حيث تسود الملكية الخاصة.

وقد ساعد هذا التطور على استقرار العديد من الوافدين بالمركز الذي بلغ عدد سكانه سنة 1982، 12.519 نسمة و19.211 إذا أخذنا بعين الاعتبار سكان الدواوير التي تطورت على أطرافه.

وهكذا، فخلال 22 سنة، تحولت أولاد تايمة من قرية طرقية إلى مدينة صغيرة. وتعتبر حالة استثنائية للنمو الحضري في المغرب. فقد تزايد سكانها بمعدل 12,9٪ بين 1960 و1982، وتعكس هذه النسبة أسرع وتيرة للنمو الحضري على الصعيد الوطني. وتنفرد أيضا بكونها مدينة التوافد حيث إن 91٪ من أرباب الأسر سنة 1982 ولدوا خارجها. وقد انحدر معظمهم في درجة أولى من وسط السهل وحواشيه الجبلية وفي درجة ثانية من الهضاب والسهول الأطلنتية (عبدة والشياظمة...).

وتمتاز أولاد تايمة أيضا بتنوع أسسها الاقتصادية التي تظهر بوضوح من خلال توزيع سكانها النشيطين بين قطاعات اقتصادية متعددة بخلاف المدن الصغرى الأخرى التي غالبا ما يسيطر عليها قطاع واحد. وأهم أنشطتها هي:

- الصناعة الفلاحية : وقد تجددت هذه الوظيفة منذ العهد الاستعماري الذي أنشأ خلاله ثلث وحدات تلفيف الخضر والفواكه التي تتوفر عليها المدينة اليوم. ورغم ضعف مساهمتها في تشغيل السكان الحضريين، فهي مع ذلك تشغل بكيفية موسمية 1.462 عاملا، يساهمون إلى جانب اليد العاملة الأخرى التي تفد على المركز في موسم جني الحوامض في تحريك الاقتصاد الحضري.
- التجارة والخدمات والحرف : تعتبر أهم نشاط اقتصادي بالمدينة حيث تشغل 74,2٪ من أرباب الأسر سنة 1982. ويتميز التجهيز التجاري العام بوجود 1509 محل دائم، أي ما يعادل محلا واحدا لكل ثمانية أفراد. ويمتاز بوجود تفاوت بين أنشطة البيع 54,8٪ وأنشطة الحرف والخدمات 45,2٪ وبتضخم تجارة التغدية 30,1٪ من مجموع المحلات، وأيضا خدمات الإصلاح والصيانة 36,8٪. ويفسر

تضخم هذا الجهاز بالدور الذي تلعبه أولاد تايمة بالجزء الداخلي من سهل سوس وحواشيه، باعتبارها أهم قطب تجاري بهذه المنطقة التي لم تعد تارودانت العاصمة التقليدية تلعب فيها سوى دور ثانوي في هذا النطاق.

سنة 1984، 876 فرداً أي أكثر من نصف عمال وحدات التلفيف.

وتجدر الإشارة إلى أن المدينة تستفيد من موارد أخرى إضافية تتمثل في عائدات الهجرة إلى الخارج التي بلغت

أولاد تايمة : المورفلوجية الحضرية

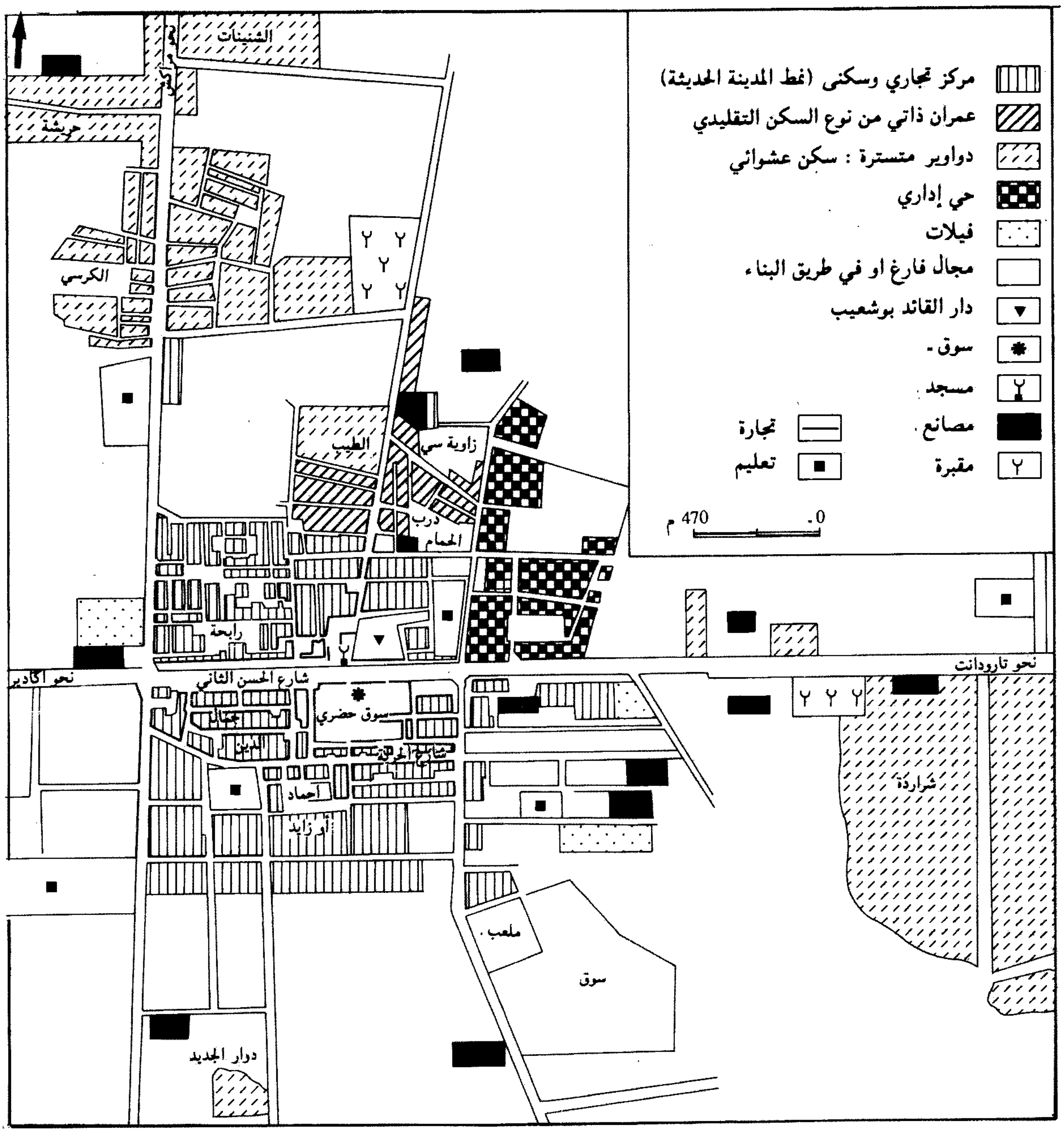


- الوظيفة العمومية : أصبحت منذ السبعينات من بين القطاعات المحركة للاقتصاد الحضري. ويعود ذلك إلى تقوية الجهاز الاداري وتوسيع الخدمات الاجتماعية وخصوصا ما يتعلق منها بالتعليم، وكذلك إلى اعتبار هذه المدينة مركزا لدائرة أولاد تايمة ودائرة إسن السقوية حيث تأوي أحد فروع المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لسوس ماسة. وقد بلغ عدد المشتغلين في قطاع الوظيفة العمومية

قيمتها حوالي 72.900.780 درهما سنة 1984، وظف معظمها في شراء القطع الأرضية والبناء بالمدينة. وبالإضافة إلى هذا، فالمدينة رغم حداثتها أصبحت بعد استقطابها لعدد من الملاكين من المنطقة ذات جذور عقارية. وتقدر مساحة الملكية الحضرية ب 8.615 هـ وهي منتجة في غالبيتها، وتعتبر أحد أهم الأسس المحركة لاقتصاد المدينة.

وأخيرا تمتاز أولاد تايمة بمورفلوجية حضرية خاصة،

فرغم صغرها تقدم نسيجا مفككا مكونا أساسا من أنوية سكنية كبرى تفصل بينها مساحات شاسعة فارغة أو في طور البناء. وتشتمل المدينة حاليا على أربعة أحياء وهي :

- الحي التجاري والسكني : يقع وسط المدينة ويشمل النواة الأصلية والمجالات الحديثة التي ظهرت على أطراف طريق أگادير- تارودانت، حيث حي جمال الدين، تجزئة حماد أوليزيد، تجزئة بورحيلة وشارع الحرية. وتتميز هذه الأحياء بمشهدها الحضري المتجانس ويغلب عليها طابع المدينة المغربية الحديثة، وأيضا بوظيفتها التجارية باعتبارها المركز التجاري.

- حي زاوية سي الطيب : يتكون من دوار الزاوية الذي يعود إلى ما قبل 1936 والتوسعات التي حدثت على أطرافه بعد الاستقلال، كدرب الحمام وتجزئات الشرقي وأكشود والقيوح. ويتميز هذا الحي على العكس من الأول بمشهد حضري غير متجانس حيث نجد تداخلا لاشكال معمارية تقليدية وأخرى حديثة كما يتضمن وحدتين للتلفيف.

- الحي الإداري : يتعلق الأمر بالنواة الإدارية التي أقامتها سلطات الحماية والتي تقع اليوم شرق المدينة. وتشتمل على معظم المؤسسات الادارية والاجتماعية، بالاضافة إلى بعض الڤيلات.

- الاحياء الهامشية : تشمل دواوير الكرسي والحريشة والشنينات (شمال المدينة) بالاضافة إلى الدوار الجديد (في الجنوب) ودوار الشراردة (في الشرق) وتشترك كلها في طابعها المعماري المتواضع ؛ حيث نلاحظ تداخل البناء الريفي والحضري، على جوانب أزقة ضيقة وملتوية وغير معبدة. كما تشترك أيضا في أنها - إلى جانب وظيفتها السكنية - تضطلع بوظيفة صناعية بسبب احتضانها لمحطات تلفيف الخضر والفواكه.

وهكذا نستخلص أن أولاد تايمة تعتبر نموذجا فريدا للتمدين السريع الذي شهده سهل سوس على غرار باقي مناطق المغرب، خاصة منها تلك التي تحتضن دوائر سقوية على درجة عالية من الاندماج في الاقتصاد الوطني. وتنفرد بكونها المدينة الصغيرة الحديثة في المغرب التي استطاعت مد نفوذها التجاري والعقاري على حساب منطقة إشعاع مدينة تقليدية عريقة (تارودانت) وأن تنتزع منها بعض أقدم وظائفها (التجارة).

O. Hanaka, *Taroudant et Oulad Taïma, deux pôles urbains du souss*. Thèse 3e cycle, 1987.

عثمان هناكا

**أولاد تكدّي**، فخذة من قبائل أولاد دليم سكان الصحراء المغربية تتكون من الفرق التالية: أولاد إبراهيم، أهل عثمان بن حمو، أهل علي بن الزبير، أهل علي ولد السويّد.

**أولاد تيدرارين**، مجموعة قبائل من سكان الصحراء المغربية تتكون من الأفخاذ التالية: أهل الطالب علي، أهل الستيلات، أهل الحاج، أولاد ياسين، أولاد سليمان، أولاد علي، أولاد موسى، أولاد الغازي، أهل أحمد مسكة، العيوبات، الفعاريس، الحسينات، ليدادسة، الهمويدة، البرايهمات.

**أولاد حريز الساحل** ← **سطات** (إقليم ـ)

**أولاد حسّون** ← **مراكش** (إقليم ـ)

**أولاد حسين** ← **الجديدة** (إقليم ـ)

**أولاد حمدان** ← **الجديدة** (إقليم ـ)

**أولاد خليفة**، فخذة من قبائل العروسيين سكان الصحراء المغربية، تتكون من الفرق التالية: أولاد سيدي زين الدين، أولاد سيدي الدغاغ، أولاد سيدي محمد.

**أولاد خليگة**، فخذة من قبائل أولاد دليم سكان الصحراء المغربية تتكون من الفرق التالية: أهل عمر ولد بركة، أهل محمد بن سعيد، الشگاگفة، العوايذ، الشباهني، العلويات.

**أولاد داود**، فخذة من قبائل الرگيبات السواحل سكان الصحراء المغربية تتكون من الفرق التالية:أهل سالم، أهل بابا عمي، أهل تناخة.

**أولاد دليم**، مجموعة قبائل تسكن الصحراء المغربية وتنقسم إلى الأفخاذ التالية : أولاد تگدّي، أولاد خليگة، أولاد باعمر، السراحنة، لُوديقات. وتوجد بعض الفروع من قبائل أولاد دليم بنواحي مراكش.

**أولاد ستوت** (قبيلة ـ) تقع بناحية الكرت (اقليم الناظور) وهي قبيلة عربية كبرى يتكلمون اللهجة العربية الدارجة. وتحيط بها قبائل بني بويحيى، وبني بويفرور، ومزوجة، وكبدانة. تبلغ مساحتها 427 كلم مربع وتنقسم إلى الفرق التالية :

**أولاد سعيد الملاّليين**، يكوِّنون فخذة من قبيلة بني ملال. كانت تسكن نصف مدينة بني ملال تقريباً من الناحية الشمالية والشمالية الغربية، وتمتلك معظم السهول الغربية والغربية الشمالية في ضاحية المدينة. وبذلك كان لها حق التصرف في نصف ماء عين أسردون في ساقيتي الحربولية وأم ظهر.

يكوِّن أولاد سعيد، على المستوى الإداري، قيادة يتبعها دوار أولاد يوسف، وتشتهر بأضرحة سيدي صالح، وسيدي عبد السميح، وسيدي بوعبد الله، وسيدي محمد بن سعيد.

**أولاد سعيد الواد**، هناك قرية صغيرة تحمل اسم أولاد سعيد على بعد حوالي عشرين كلم. من بني ملال في الطريق الذاهبة منها إلى قصبة تادلا، ويسمى أهل هذه القرية بأولاد سعيد الواد، تميزاً لهم عن أولاد سعيد بني ملال. وذلك لمرور وادي أم الربيع بجوار قريتهم.

م. عريوش، *أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال*، ص 100 وما بعدها.

مصطفى عربوش

**أولاد سيدي بومهدي**، فخذة من قبائل العروسيين سكان الصحراء المغربية تتكون من الفرق التالية : أهل السيد ولد المهدي، أهل محمد ولد المهدي، أهل التايلي، أولاد سيدي قدور.

**أولاد سيدي عبد الحكم** ← **وجدة** (إقليم ـ)

**أولاد الشيخ**، فخذة من قبائل الركيبات السواحل سكان الصحراء المغربية تتكون من الفرق التالية : أهل الركيبي، أهل بابا علي، أهل الحاج، المويسات، الحواريز، الحسينات.

**أولاد صبّاح** ← **سطات** (إقليم ـ)

**أولاد الطالب**، فخذة من قبائل الركيبات السواحل سكان الصحراء المغربية تتكون من الفرق التالية: أولاد بن حسين، أولاد بابراهيم، أولاد با عيسى، أولاد با موسى، أهل الديرا.

**أولاد عبّو** (جماعة) ← **قلعةالسراغنة** (إقليم ـ)

**أولاد عبّو** (مركز) ← **سطات** (إقليم ـ)

**أولاد عبدون** ← **خريبكة** (إقليم ـ)

**أولاد عزوز** ← **خريبكة** (إقليم ـ)

**أولاد علي** ← **بنسليمان** (إقليم ـ)

**أولاد علي** ← **بولمان** (إقليم ـ)

**أولاد علي**، فخذة من قبائل أولاد تيدرارين سكان الصحراء المغربية تتكون من فرقتين: أهل بولسان وأهل البليلة.

م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، 1: 125 و417.

Ministerio de la Guerra, *Acción de España en Africa* ; A. Domenech Lafuente, *Geografia de la zona norte del protectorado de España en Marruecos*, p. 112 ; *Algo sobre Rio de Oro*, p. 154, 158; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, p. 66 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid 1955, p. 102, 160, 210, 219, 221, 222.

محمد ابن عزوز حكيم

**أولادْ عُمَرْ بن محمّد**، من مواليد سنة 1932 بأغماض قبيلة كتامة، إقليم الحسيمة. انخرط في صفوف جيش التحرير بالشمال مع التشكيلة التي كان يقودها السيد حسن اليعقوبي الذي شهد بأن أولاد عمر قام بأعمال جليلة

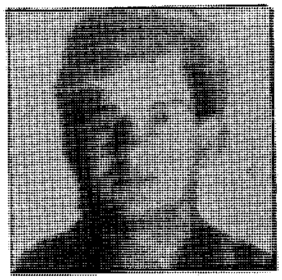

فكان مكلفا عسكريا بجلب الذخيرة وتزويد المجاهدين بما يحتاجون إليه من السلاح والغذاء حيث إنه كان مسؤولا عن المائة.

وفي خضم المعارك التي كان له دور فعال فيها سقطت قنبلة من طائرة حربية تابعة للسلاح الجوي الاستعماري على مكان وجود المجاهدين فسقط العديد من الضحايا ومن ضمنهم الشهيد أولاد عُمَرْ، وكان ذلك خلال دجنبر 1955.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين.*

عزالدين العلام

**أولاد عيسى** ← **الجديدة** (إقليم ـ)

**أولاد غانم** ← **الجديدة** (إقليم ـ)

**أولاد فريحة** ← **البروج**

**أولاد مبارك** ← **بني ملال** (إقليم ـ)

**أولاد مكّود** ← **فاس** (إقليم ـ)

**أولاد موسى**، فخذتان من قبائل صحراوية، الأولى من قبائل الركيبات السواحل سكان الصحراء المغربية تتكون من الفرق التالية : أولاد القاضي، أولاد المويبا، أولاد الحسن، أولاد الحسين، أولاد بوبراهيم، أهل يحيى، أهل افريبط، أهل بلاو.

والثانية من قبائل أولاد تيدرارين تتكون من الفرق التالية: أهل محمد أُموسى، أهل على أموسى، أهل إبراهيم أُموسى، أهل عبدالرحمان.

م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، 1 : 113، 414، 417.

I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid 1955, p. 217, 222 ; A. Domenech, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid 1946, p. 158.

محمد بن عزوز حكيم

**أولادالنقسيس** ← **النقسيس**

**أولاد يعقوب** ← **قلعةالسراغنة** (إقليم ـ)

**أولاد يعيش** ← **بني ملال** (إقليم ـ)

**أوليبيوم** Ulpium معسكر روماني يقع غرب وليلي في تل بسفح جبل قفص بجماعة عين الجمعة (كروان). ويعرف هذا المعسكر حاليا بأسماء منها «معسكر نقطة العلو 469» حسب برداديز (Baradez, *Le Limes de la Tingitane*, p. 294-295) أو معسكر «سيدي موسى بوفري، على حد تعبير كل من أوزينا Euzennat (*BAM*, II, P. 212) ورويبفا (*BAM*, X, p. 158). سمي هكذا لوقوعه في منتصف الطريق بين ضريح الولي سيدي موسى وقرية بوفري.

عثر على هذا المعسكر أثناء عملية المسح الجوي الذي كانت تقوم به السلطات الفرنسية سنتي 1952 ـ 1953 على يد الكلونيل براديز Baradez.

وأهم ما اكتشفه براديز هو بقايا نقيشة نوردها فيما يلي :

Genio Ulpi (i) / L (ucius) Fabius Flac/cus praef (ectus) / coh (ortis) Parth (orum) / p...ft.

وأوليپيوم هو جنّي أو عفريت المكان الذي أقيم فيه المعسكر، والنقيشة مهداة لهذا «العفريت» أو لهذا المكان. ونتوفر على أمثلة من هذا النوع فكثيرا ما تطلق أسماء الأماكن أو المواقع Toponyme على المعسكرات مثل "Aqua frigida".

وتقيم في المعسكر فرقة من أصل «برثي». قدّر براديز طول المعسكر بحوالي 98 م وعرضه بـ 94 م. ويتبين من الصور الجوية أنه على شكل مربع يقارب ضلعه 95 م، في حين أن موريس لونوار Lenoir قدّر ضلعه بحوالي 90 م، مما يجعل مساحته الاجمالية 8.100م2 (*Rapport dactylographié*) هذا وتجدر الاشارة إلى أن مصلحة الآثار المغربية أجرت حفريات بهذا الموقع سنة 1982 بإشراف الباحث الأثري موريس لونوار ومشاركة محمد مقدون وعلي واحدي في الفترة الممتدة ما بين 22 مارس و3 أبريل، وقد تكللت هذه الأبحاث بالعثور على بقايا نقيشة - هي الثانية - نجد تفاصيلها في المقال الذي نشره لونوار في النشرة الأثرية المغربية، ع. 16، *BAM* ص.232.231. وتحتوي النقيشة على سطرين فقط :

......Vstae
.....Arthor

أي (AVG) VSTAE / (...Cohors P) arthor (um)...

وهذه النقيشة مهداة للالهة أوغوستا، ونجد بها أيضا كلمة Parthorum مما يفيد استعمال هذا المعسكر من طرف فرقة برثية، وتؤيد ما ورد في النقيشة الأولى التي اكتشفها براديز. ويتوفر المعسكر على سور ضخم يبلغ سمكه حوالي 0,90 م. ويساعد موقعه فوق التل على مراقبة الطريق المؤدية من الغرب إلى الشرق والمحادية لوادي الردم، وكذا امكانية ربط الاتصال بوليلي وبمختلف المعسكرات المحيطة بها خصوصا معسكر عين الشكور شمال المدينة ومعسكر توكولوسيدا Tocolosida جنوبا. ولا يمكن في الظروف الراهنة إعطاء تاريخ دقيق لهذا المعسكر اعتمادا على النقيشتين أو حتى على اللقى الأثرية الأخرى التي هي عبارة عن بقايا خزفية يتراوح تاريخها بين عهد Domitien وأواسط القرن الميلادي الثالث، فقلة الخزف ذي البريق الأحمر Céramique à Vernis rouge (VR) الذي لا يمثل سوى 4٪ من المجموع. وكثرة الخزف ذي البريق البرتقالي "La Sigillée Claire" أو "RS" يجعل تاريخ المعسكر ما بين أوائل القرن الميلادي الثاني وأواخر القرن الثالث، بمعنى أنه استعمل في أوائل القرن الثاني ليهجر في أواخر القرن الثالث.

J. Baradez, *Deux missions de recherches sur le limes de la Tingitane CRAI*, 1955, p. 294-295 ; M. Euzennat, *l'Archéologie marocaine*, 1955-1957, *BAM*, II, 1957 ; R. Rebuffat, *Les principia du camp romain*, *BAM*, IX , 1973-75, p. 373 ; *Inscriptions militaires au génie du lieu D'Aïn Sckkour et de Sidi Moussa Bou Fri*, *BAM*, X, 1976, p. 151-170 ; M. Lenoir, *Rapport dactylographié*, 1982 ; *Insriptions nouvelles de Volubilis*, *BAM*, XVI, 19886, p. 231-232.

علي واحدي ومحمد مقدون

## أولماس ← أَلْماس

## أَلْمغني سيدي أحمد ← إمْلشيل

**أولوز**، عندما يتجه المسافر من تارودانت نحو الشرق يقطع وادي سوس عند الكلم 46. وابتداءً من تلك النقطة يبدأ بلد أولوز المصطلح عليه قديما، وهو بلد وفرة نسبية في المياه يسمى رأس الواد. ومن قراه الكبرى إگيدار وإزناگن وزارية سيدي محمداً يعقوب، وأيت عبدالله وزاوية البور وتامگونت وأكادير نيبلاز وإرحالن. فألولوز واقع في الجهة الشرقية القصوى للأطلس الصغير، وقريباً منه يلتقي هذا الجبل بكتلة سيروا التي تربطه بالأطلس الكبير.

تتحدث رسالة من السلطان مولاي الحسن بتاريخ 1310/4/1 عن صدام بين عامل أولوز وولد السباني عامل تارودانت. (*المعسول*، 3 : 250).

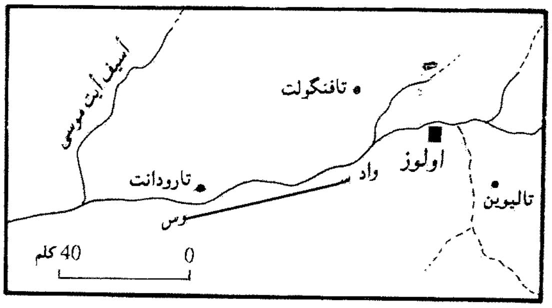


موقع اولوز

وفي تلك الجهات زاوية البور التي هي من مراكزالناصريين بسوس (*المعسول*، 10: 34) إذ بها سكن أول من ورد من أولاد الشيخ الناصري على سوس.

وفي قصيدة لمحمد بن الحاج الإفراني المتوفى عام 1346هـ :

أولوزُ أرض حماها الله من عاد
برأس وادٍ سقاه الله من واد
قطر فسيح بأعلى السوس منظرُه
أبهى من الحوز عند الرائح والغادي

(*المعسول*، 10: 17).

كان بأولوز أسر من الرؤساء من أشهرهم في هذا القرن الضرضوريون الذين كانوا قوادا وشيدوا القصور والدور وامتلكوا الأراضي، كان منهم الرئيس في عهد مولاي سليمان هو الحسن بن محمد فاعتقله في ذغائر باقية عليه، ثم سرحه بتدخل المرابط محمد بن عبدالسلام الناصري، وكان العامل المخزني إذ ذاك في تارودانت قاسم الزيراري.

أحمد التوفيق

**أُولُوف أگريل** Olof Agrell كان قنصلا للاتحاد السويدي النرويجي سنة 1817 بطنجة. له تقارير قنصلية وتجارية عن المغرب بالأرشيف الوطني السويدي Svenska Konsulers Skrivelser.

J. L, Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1: 37, 2: 157 et 5: 13.

مصطفى بوشعراء

**أوليزوا** Aulisua، يزعمون أنه من آلهة افريقيا الشمالية الخاصة بالخصب، ونعرفه من خلال خمس لقى أثرية حاملة لنقائش بَاسمه، اثنتان من هذه اللقى وهما نصبان تم الكشف عنهما بموقع وليلي.

ويظهرأوليزرا من خلال النصب الأول واقفا، يلبس ثوبا قصيرا، ويمسك بيده اليسرى هراوة وباليمنى سيقانا هي بلا شك سنابل القمح.

وترافق صورته نقيشتان، أعلاهما حطمها النحات ليحتفظ بالنقيشة السفلى ونقرأ من خلال هذه النقيشة الأخيرة النص التالي ما ترجمته :

DEO SANCTO AULISUAE
VOTO DONUM dedit / Valerius Victor, libtus Turnonis, Sutor, Ded (icata) / XII K (alendas) Sept (embras)

«إلى الاله المقدس أوليزوا. فاليريوس فيكتور، عبد معتق لفاليريوس تورنو، اسكافي، نذر وأهدي هذا النصب للاله في اليوم العاشر قبل مطلع شهر سبتمبر».

والنصب الثاني في حالة رديئة، يتضمن سجلين، بأحدهما وهو السجل الأسفل، نرى كبشا بنقش ضئيل البروز ينظر للمذبح الذي يحمل نقيشة من خمسة أسطر ولكننا لم نعد نقرأ إلا ثلاثة أسطر هي ترجمتها على النحو التالي :

AULIS/Aug (usto) Sacru (m)/

«موقوف للاله أوليزوا. أغسطس / ...» ودفعت رموز أوليزوا ومنها سنابل القمح والهراوة وأيضا الفرس بالواجهة الجانبية اليمنى للنصب الأول الباحث الفرنسي موريس لونوار M. Lenoir لتقريبه من جهة بهرقل ومن جهة ثانية بكونصوص Consus.

ونتيجة هذه المقاربة بديهية، ولن تفاجئنا خصوصا إذا علمنا أن الاحتفال بهرقل وكونصوص كان يتم خلال أعياد لها طابع فلاحي. وتمنح لها بواكير غلات الأرض.

هذه الشعائر تخص أيضا أوليزوا. ويؤكد ذلك التاريخ الذي يرافق النصب الأول، فهو تاريخ يصادف الاحتفال ب Consualia (21 غشت) وهو العيد الخاص بكونصوص، إله الخصب. ومن الالعاب التي تنظم خلال هذا العيد سباق الخيول. ولا يخفى عنا مدى الارتباط البين الذي يجمع الحصان بالاله كونصوص الذي هو أيضا إله السّرّ.

إذن، فالتاريخ الوارد بالنصب الأول الذي يوافق عيد Consualia من جهة، والفرس من جهة ثانية يشجعان على اعتقاد أن أوليزوا الاله المحلي لشمال افريقيا حصل على الصيغة الرومانية Interpretatio Romana التي قربته من الاله كونصوص.

أما ظهور بوقين بالواجهة الجانبية اليسرى من النصب الأول فيذكر بالدور الذي تلعبه الآلات الموسيقية خلال الاحتفالات العلنية الدينية.

ويتيح لنا الكبش المصور على النصب الثاني عقد مقاربات بينة بين ساتورن Saturne وأوليزوا فجميعنا يعلم مدى تردد صورة الكبش على واجهات المآثر ذات الصبغة الساتيرنية. ولا ريب أن يكون أوليزوا قد اكتسب خصوصيات ساتورن. ونعرف أن المآثر المخصصة لساتورن توجد بكثرة شرق القيصرية (شرشل) وتقل غربها.

فهل ننحو منحى الباحث موريس لونوار فنفسر سبب الاشعاع الضئيل لاله افريقيا الكبير ساتورن بغربها يرجع لمزاحمة العبادات التقليدية المحلية له ؟

على كل، فخمس نقائش لاوليزوا بالموريطانيتين (الطنجية والقيصرية) تشجعنا على التشبث مؤقتا بالافتراض المذكور آنفا. وننتظر أن تجلو الحفريات الاثرية مستقبلا العتمة التي تلف الآلهة المحلية لافريقيا الشمالية.

G. Camps, *Aulisua, Enc. Berb*, t: 17, 1976 ; M. Lenoir, *Inscriptions nouvelles de Volubilis, BAM*, XVI, 1985-86, p. 191-233 ; Id, *Aulisua, dieu maure de la fecondité, L'Africa Romana, Atti del III convegno di studio Sassari, 13-15, Dicembre, 1985, a cura di Ahili Mastino*, Ed. Gallizi, 1986, p. 295-203.

عبدالعزيز بلفايدة و البيضاوية بلكامل

**أوَأْلْ** أو عـــرْعَر فــواح (= تــاوَأْلت = أدْرْمَامْ) أو يُونيبِرُوسْ تُوريفيرا Juniperus thurifera هو نوع نباتي من فصيلة السرويات Cupressaceae.

الصفات النباتية : أوأل شجرة جميلة لا يزيد ارتفاعها عن 20 مترا. ولها جذع قوي جدا إذ يتراوح قطر الأشجار ما بين متر واحد وخمسة أمتار. والسبب لبلوغ هذا الحجم يكمن في أن التعديات التي تصيب العرعر الفواح من طرف الإنسان تولد تضخما في الجذع. تاج أوأل كثيف، أغصانه مغطاة بالأوراق وتشكل مجموعات مسطحة. الأوراق صغيرة وحرشفية وحادة في قمتها، ومتقابلة مثنى مثنى، وتنتشر رائحة زكية تشبه رائحة الليمون، ولذلك سمي بالعرعر الفواح. الأزهار وحيدة الجنس ووحيدة المسكن وتظهر في فصل الربيع على شكل مخاريط هرية بيضوية الشكل. الثمار عنبية وذات لون أزرق فضي.

التوزيع البيوجغرافي : إن العرعر الفواح شجرة جبلية فريدة من نوعها من حيث تحملاتها للبيئة الطبيعية القاسية ولعدوانية الإنسان، وهي رغم كل ما تقاسي من تسلط الإنسان كقطعة للأغصان والرعي الجائر والحرائق، فإنها ما زالت تغطي مساحات شاسعة من قمم جبال البلدان المتوسطية الغربية.

وتقدر مساحتها بالمغرب ب 50.000 هـ موزعة على الأطلس المتوسط والأطلس الكبير الشرقي والأوسط فقط. والسبب في عدم وجود هذه الشجرة بالمناطق الجبلية الأخرى هو عدم توفر الظروف البيئية لها إذ أنها تتطلب بيومناخات شبه جافة وشبه رطبة قارسة جدا وشديدة البرودة جدا.

ولهذا تصادف على أراض يتراوح ارتفاعها ما بين 1.800 م و 3.200 م، أي في الطابقين الجبلي المتوسطي وما فوق الجبلي المتوسطي. والجدير بالذكر أن العرعر الفواح لا يضاهيه أي نوع شجري آخر في تحمل البرودة في شمال

افريقيا. ولهذا فتشكيلاته هي الوحيدة من بين التشكيلات الشجرية التي يمكنها أن تعيش في هذه المناطق العالية. وإضافة إلى هذا فهي لا تبالي بالتركيب الكيماوي للتربة إذ أنها تغطي أتربة مختلفة لكنها في أغلب الأحيان سطحية وذلك بسبب تأثير عوامل التعرية.

ولكن رغم كل تحملات أوأل أو العرعر الفواح للتعديات من طرف الإنسان ولقساوة ظروف بيئية جد صعبة فإن قسماً كبيراً من غاباته قد انهارت أو في طريق الانهيار بصورة سريعة، وذلك في كثير من المناطق بحيث أصبح من الصعب تجديدها، لأن الأتربة تدهورت وأصبحت غير صالحة حتى بالنسبة للأشجار المعمرة الباقية المنتشرة على هذه الأراضي الجرداء.

الاستعمالات : إن التعديات التي يلاقيها أوأل من طرف الإنسان تتمثل في قطع الأغصان للتدفئة ولطبخ الطعام ولتغذية الماشية التي لا تجد في فصل الشتاء إلا أوراق هذه الشجرة الأصيلة.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaitre*, Paris, Larose, 1938; A. Benabid, *Les écosystèmes forestiers, préforestiers et pretsteppiques du Maroc, Forêt méditerranéenne*, t : VII, 1, 1985, 53 - 64.

عبدالمالك بنعبيد

**أويات**، اسم عرفت به ثلاثة أماكن متقاربة جغرافيا بناحية سبتة الإسلامية : نهر، وقرية، ومضرب للسمك. قد يكون الاسم أعطي أولا للنهر باعتبار وجوده الطبيعي السابق لتشكل التجمع السكني للقرية وظهور المضرب.

نهر أويات : يفيد البكري أن مجرى أويات كان يمتد على مسافة ميلين جنوب سبتة في اتجاه تطوان. ويخترق قعر واد، ومياهه كانت كافية لتدير عدداً كثيراً من الأراحي خلال فصل الأمطار. يضيف نفس المصدر أن مدينة سبتة كانت تستمد مياهها من نهر أويات عبر قناة امتدت على طول الساحل الشرقي إلى المسجد الجامع العتيق. ينسب المصدر إلى الكونت يوليان Comte Julien حاكم المدينة، عملية إنشاء هذه القناة التي كانت تتكون من مجموعة قناطركان بعضها ما زال قائما أيام البكري.

إذا ما أخذنا بعين الاعتبار التحديد الطبوغرافي للمنطقة كما هو وارد عن الرحالة الاندلسي، يصبح لا محالة من السهل تعيين مجرى أويات الذي لا يمكن أن يكون إلا نهر "Colmenas" وان كان بعض الباحثين يعتقد أن الامر يتعلق بوادي "Tarajal" وبعضهم يرى أنه وادي "Tempul". يلاحظ حتى اليوم بقايا أثرية من هذه القناة بالقرب من حدود "Tarajal" بالموضع المعروف حاليا باسم "Arcos Quebrados" يستنتج أيضا أن التحديد الزمني لإنشاء القناة، أعني فترة حكم يوليان، قد يكون مغلوطا عند البكري، إذ لا يستبعد أن يكون مصدره رواية شفوية تفيد البعد الزمني لا غير.

يفهم أيضا من البكري أن القناة قد توقفت عن العمل منذ زمن غير محدد، الشيء الذي تنفيه بعض الحقائق التاريخية التي تثبت عكس ذلك وتؤكد استمرارية دور أويات كمصدر مائي مهم بالنسبة لمدينة سبتة، على الأقل إلى حدود القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حيث طرح مشكل قلة الماء بالمدينة على إثر تزايد سكانها، الشيء الذي حتم على حكام سبتة الانتقال إلى بليونش للبحث عن مصادر مائية جديدة.

قرية أويات : تعد من بين القرى الوادية التي كانت تزخر بها بادية سبتة الاسلامية تمتعت كغيرها من القرى البليونشية بذاتية مستقلة، وتميزت بخصبها وكثرة غلاتها. تبدو أهميتها الانتاجية من خلال احتوائها وحدها على اثنتين وعشرين رحى من مجموع الثلاثة والأربعين التي كانت منتشرة بقرى بادية سبتة. كانت تعد أيضا أهم محطة للمسافرين، كما تدل على ذلك رحلة إبراهيم بن الحاج النميري.

مضرب أويات : نعني عموما بالمضرب المكان المعد لضرب شبابيك صيد السمك. يعتبر مضرب أويات من أهم المضارب بسبتة. يذكر المقري أنه على عهد أبي عنان المريني، كان للشريف أبي العباس الحسيني الصقلي ثلث فائدة هذا المضرب، بينما الثلثان الباقيان كانا لبيت المال. يستنتج من نفس النص أن قيمة المردود اليومي لهذا المضرب كانت تتراوح ما بين 500 و2.000 دينار.

*كتاب الاستبصار*، ت : سعد زغلول عبد الحميد، ص 137 ؛ الانصاري، *اختصار الاخبار*؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*،1978، ج: 1، 42 ـ 44.

al-Bakri, *Kitab al masalik wa lmamalik*, trad. fr, M. G. de Slane : *Description de l'Afrique septentrionale*, Alger, 1913, p.204, 212, 225 ; G. Ayache, *Beliounech et le destin de Ceuta entre le Maroc et l'Espagne*, *H.T*, Vol XIII, 1972, p. 13 ; A.L. Premare, de, *Les notes de voyage d'Ibrahim B.al-Hadjdj an-Numayri en l'année 745 H / 1344*, Thèse dactylographiée, Lyon 2, 1978, t: II, p. 32, t: III, p. 251 ; C. Posac Mon, *En busca del pasado de Ceuta*, Transfretana, Revista del Instituto de Estudios Ceuties, nº 1, 1981, p. 13-15 ; A. Gaudio, *Maroc du Nord*, Paris, N. E. L, 1981, p. 67 ; Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles : Essai de reconstitution de la civilisation musulmane*, thèse dactylographiée, Aix Marseille I, 1987, p 142-175 ; *Ceuta: Carte topographique*, publ. de la division de la carte, 1970, feuille NI-30-XIX- 4c, Echelle 1/50.000.

زليخة بنرمضان

**الإيالة**، من ألفاظ التقسيم الإداري المغربي التاريخي. ولكن تتبع هذه الكلمة في وثائق القرون الأخيرة. يُظهر أنها تطلق على منطقة حكم الحاكم مطلقا، حيث ترد بمعنى المغرب ككل عندما يتحدث السلطان عن «إيالتنا الشريفة»، وبمعنى بلد حكم الغير مثل «الإيالة التركية»، وبمعنى منطقة نفوذ عامل أو قائد قبيلة.

*وثائق مخزنية مختلفة.*

أحمد التوفيق

**الإيبيرومُورُوسيّة** (الحضارة ـ). تنتمي الحضارة الإيبيروموروسية إلى فترة العصر الحجري الأعلى. وتتكون كلمة الإيبيروموروسية من شطرين هما الإيبيرو، نسبة إلى الجزيرة الإيبيرية، ومورو، نسبة لبعض سكان شمال افريقيا قديما، ولقد اقترح هذا الاسم الباحث الفرنسي بالاري Pallary سنة 1909، حيث كان يعتقد أن الأدوات التي عثر

عليها بموقع مويلح بالجزائر تشبه الأدوات التي تم التنقيب عليها ببعض المغارات جنوبي إسبانيا والتي درسها الباحث سيري Siret وكان هذان الباحثان يعتقدان أكثرمن ذلك، أن هذه الحضارة ظهرت أولا بالجزيرة الإيبيرية، ومنها انتقلت إلى شمال إفريقيا. وسرعان ما تبين عدم وجود أي علاقة بين هذه الأدوات المعثور عليها، وأن المخلفات الإيبيرية حديثة العهد، بحيث تنتمي إلى حضارة العصر الحجري الحديث على أقل تقدير، ذلك ما جعل بعض الباحثين يقترحون أسماء جديدة، مثلا : حضارة المجال الوهراني أو حضارة المويلح، ولكن كل هذه الاقتراحات قوبلت بالرفض وأعطيت الصلاحية للاسم السابق رغم خطأ مضمونه. وفي سنة 1963 تطرق الباحث لابي روش في معرض دراسته للحضارة الإيبيروموروسية لهذا المشكل واكتفى بنعتها بحضارة العصر الحجري الأعلى Epipaléolithique حيث إن هذا الاسم، حسب قوله، يمتاز بإعطاء موقعها الاستراتيغرافي لأنها تأتي بعد الحضارة العطيرية التي تنتمي إلى نهاية فترة العصر العجري القديم، ولكن ما يجب أن نشير إليه هنا هو أن العصر الحجري الأعلى في منطقة شمال افريقيا يحتضن حضارتين: الحضارة الإيبيروموروسية وحضارة الكابسيان. وهنا يمكن طرح السؤال التالي : لماذا لم نكتف بتسميتها بالحضارة الموروسية وحذف كلمة الإيبيرو التي كانت وراء كل هذه الخلافات، ولهذه الأسباب سنجعل كلمة الإيبيروموروسية بين مزدوجتين.

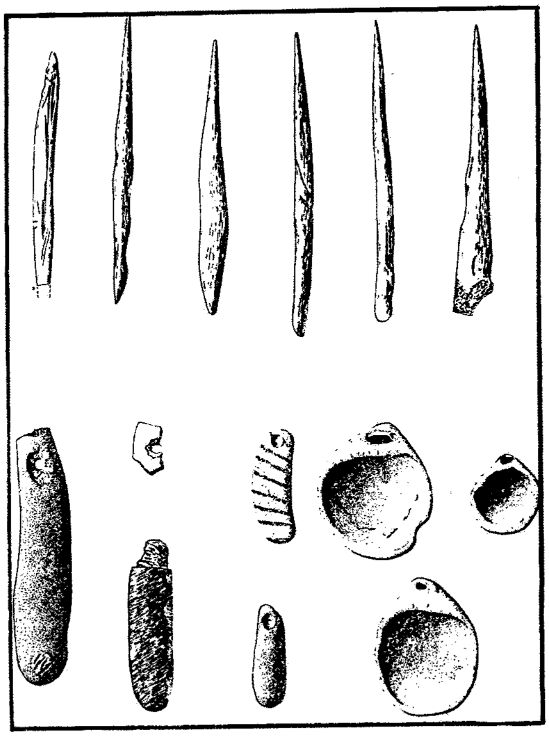

هناك خمس معطيات جعلت الباحثين يستبعدون أن يكون للإنسان «الإيبيروموسي» أصل محلي.

1 ـ اختلاف الأدوات المستعملة خلال الحضارة «الإيبيروموروسية» والحضارة العطيرية، فإذا كانت هذه الأخيرة تمتاز بالأدوات المذنبة والرؤوس المنحوتة من جهتين "Outil pédonculé et pointe bifaciale" وكذا تقنية لوڤالوا فإن الحضارة «الإيبيروموروسية » تمتاز بالأدوات الصغيرة الحجم، والأدوات على الشفرات.

2 ـ الاختلاف الحاصل بين مورفولوجية الإنسان العطيري والإنسان الإيبيروموروسي المسمى بإنسان مشتى العربي نسبة إلى موقع مشتى العربي الموجود بالجزائر.

3 ـ التغيرات المناخية، حيث عرفت المنطقة خلال نهاية الحضارة العطيرية مناخا جافا مما أدى إلى الهجرة بحثا عن مناطق أخرى أكثر ملاءمة لمتطلباته اليومية.

4 ـ وجود فرق زمني بعيد بين نهاية الحضارة العطيرية 25.000 سنة تقريبا وبداية الحضارة الإيبيروموروسية (20.000 سنة تقريبا ).

5 ـ التشابه الكبير الحاصل بين مورفولوجية إنسان كرومانيون (نسبة إلى موقع كرومانيو الموجود بفرنسا) وانسان مشتى العربي.

كل هذه المعطيات جعلت الباحثين يدرجون افتراضات مختلفة يحاولون بها شرح أصل هذا الإنسان القديم، وهذه أهمها باختصار:

منذ سنة 1934 أرجع بعض الباحثين أصل الإنسان الإيبيروموروسي إلى الشام، ويرون أن هناك طائفة هاجرت عبر الضفة الشمالية للبحر المتوسط لتعطينا إنسان كرومانيون، وأخرى عبر الضفة الجنوبية لتعطينا إنسان مشتى العربي، وذلك هو ما يفسر التشابه الحاصل بينهما ماداما ينحدران من أصل واحد. غير أن فيرمباك Ferembach (1970) استبعدت هذه الفرضية، وذلك نظرا للفرق الكبير الحاصل بين مورفولوجية الإنسان الإيبيروموروسي والإنسان الموجود بمنطقة الشام خلال نفس الفترة، فإذا كان الأول، حسب قولها، ينحدر من الثاني فلا بد من وجود تشابه بينهما.

ويرى باحثون آخرون أن إنسان مشتى العربي ينحدر مباشرة من إنسان كرومانيون الذي هاجر عبر مضيق جبل طارق. غير أن ڤالوا Vallois 1969 رفض هذه الفرضية لكون الإنسان المعاصر للإنسان الإيبيروموروسي الذي تم العثور عليه جنوب فرنسا وجبل طارق، أقل تطورا من إنسان مشتى العربي، وبالتالي لا يمكن لهذا الأخير أن ينحدر منه.

ونظرا للتشابه الكبير بين مختلف القبائل التي عاصرت إنسان مشتى العربي بالمنطقة الغربية للبحر المتوسط، رأى ڤالوا وفيرومباك أن لكل هذه المجموعات أصلا إفريقياً واحداً، كما أيد الفكرة طوما Thoma 1978. وخلال سنة 1986 حاولت فيرومباك أن ترسم التنقلات التي عرفتها المنطقة الغربية للبحر المتوسط، والتي كانت وراء ظهور الإنسان الإيبيروموروسي. فحسب رأيها، انتقل الإنسان

العطيري عبر صقلية وجبل طارق إلى أوروبا. ليكون من بين أسباب انقراض إنسان النياندرتال آنذاك بهذه المناطق، وهناك عرف عدة تطورات أعطت في الأخير إنسان كرومانيون ليعود من جديد عبر صَقَلية إلى شمال افريقيا ويعطينا الإنسان الإيبيروموروسي.

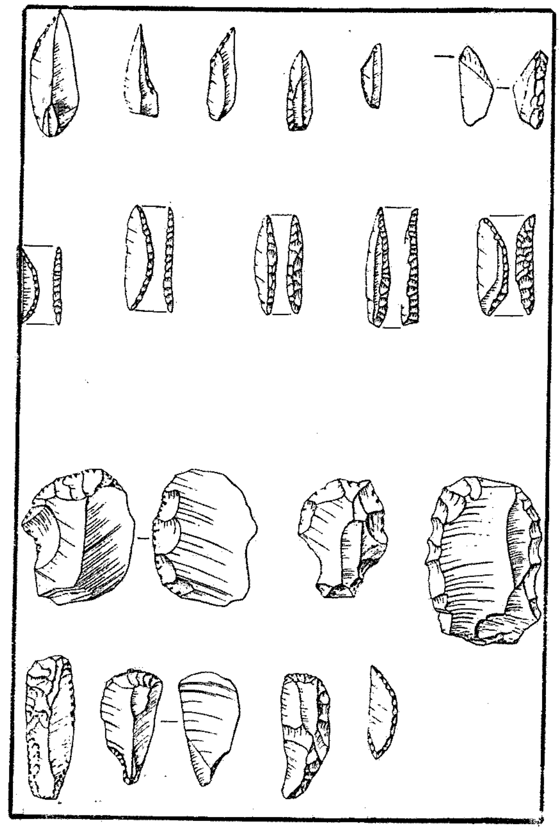

عرف المغرب الحضارة الإيبيروموروسية في الفترة ما بين 20.000 و 8.000 سنة تقريبا قبل الميلاد، ونذكر من بين أهم المواقع الأثرية التي تعود إلى هذه الحضارة، موقع تافُوغَالتْ و موقع الخنزيرة وموقع كهف بلغماري ومغارة تمارة، تضاف إليها مواقع بالجزائر وتونس (انظر الخريطة).

تتميز الحضارة الإيبيروموروسية بالأدوات الصغيرة الحجم، وكذا الأدوات على الشفرات والعظام (إبر، مثاقب، مخاطيف، صنارات، الخ...) كما ظهرت عدة أنواع من الحلي وهي عبارة عن أصداف بحرية مثقوبة أو أنياب بعض الحيوانات أو حلق مصنوعة من قشر بيض النعام أو من الحجر، كما عثر الباحث لابي روش على صخرة نقشت عليها صورة فيل. وبالرغم من كون هذه النقوش فريدة، فإنها ذات قيمة كبرى لكونها تبين لنا إدراك الإنسان الإيبيروموروسي لهذا الجانب الفني الهام. ولقد قسم كامبس 1974 باعتماده على تطور الأدوات، هذه الحضارة إلى ثلاث مراحل : المرحلة القديمة والمرحلة التقليدية والمرحلة المتطورة.

كانت للإنسان الإيبيروموروسي عدة تقاليد واعتقادات نذكر منها طريقة جد معقدة في الدفن كانوا يمارسونها، فقد كانوا يدفنون موتاهم حسب موضع جنيني وجثتهم ملطخة بصباغة حمراء ومغطاة بالحجارة ويقرون بعض الحيوانات كالأروية. كما كان من عاداتهم إزالة بعض أسنانهم (الثنيات) عند بلوغهم سن 14 أو 16 سنة من العمر.

ولعل أقدم عملية جراحية معروفة على الصعيد العالمي تعود إلى هذه الحضارة، فهي عبارة عن عملية جراحية أجريت لجمجمة تم العثور عليها بموقع تافوغالت، ومما يزيد من أهميتها أن المريض بقي على قيد الحياة بعد العملية، يستدل على ذلك بما لوحظ من بداية تلميم ثقبة الجمجمة.

ومما يدل على أن الإنسان الإيبيروموروسي، كان يتميز بالعناية بمرضاه وحسن رعايتهم ومعالجتهم ما أوضحته فيرمباك 1974 من خلال دراستها لهيكل عظمي لامرأة عرفت عدة كسور وبقيت هي الأخرى على قيد الحياة.

عرف الإنسان الإيبيروموروسي حياة جد هادئة ومستقرة، فهو لم يعتمد في غذائه اليومي على صيد الحيوانات والأسماك وذلك رغم أن جل المواقع التي حل بها توجد قرب الشواطىء. فقلة بقايا الحيوانات والأسماك وكثرة بقايا الحلزون تبين أنه كان يفضل هذه الأخيرة، ومن الدلائل الأخرى على أنه قضى جل أوقاته جالساً، تعدد كسور عظامه ومورفولوجية الساق الكبرى والكعب (فيرومباك، 1962) كما أن الباحث لابِّـي روش وصل إلى نفس النتيجة من خلال دراسته لموقع تافوغالت حيث لاحظ عدم تطور تقنية النحت عند سكان هذه المغارة رغم طول المدة التي مكثوا بها والتي تقدر بما يناهز 1.500 سنة تقريبا.

تعرف الحضارة الإيبيروموروسية بعدة مواقع بالمغرب، ومن ميزاتها استعمال الإنسان لأدوات صغيرة الحجم وأدوات على العظام، وكذا ظهور الحلي وعدة تقاليد وعادات. ويبقى أصل هذه الحضارة وعلاقتها مع الحضارة السالفة (العطيرية) مجرد افتراضات وتساؤلات، وتعد مغارة تافوغالت من أهم المواقع الإيبيروموروسية التي تعطينا فكرة اضافية حول هذه الحضارة وتطورها.

J. Roche, *l'Epipaléolithique marocain*, Paris, 1963, t : I et II, 262 p, fig, 6 pl ; H. V. Vallois, *Les hommes de Cro-Magnon et les Guanches : les faits acquis et les hypothèses. Simposio del Cro-Magnon, Anuario de Estudios Atlanticos*, Madrid, 1969, p. 97 ; D. Ferembach, *L'Ancêtre de l'homme du paléolithique supérieur était-il un néanderthalien ?*, Acte du colloque de l'UNESCO, Paris, 1972, p. 73-80 ; G. Camps, *Les Civilisation préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Paris, 1974, 366 p. 100 fig ; D. Ferembach, *Les Ibéromaurusiens du Maghreb : origine et évolution, Revue anthropologique*, XVI, 1976, p. 2 - 21 ; A. Thomas, *L'Origine des crognoïdes*, in J. Piveteau, éd, *Les Origines humaines et les époques de l'intelligence*, Paris, 1978, p. 261 - 282 ; D. Ferembach, *Les Hommes du paléolithique supérieur autour du bassin méditerranéen. L'Anthropologie*, T. 90, n° 3, 1986, p. 579 - 587.

محمد عبد الجليل الهجراوي

**أيت**، من الكلمات الأمازيغية المستعملة بكثرة في تحديد أسماء الناس أفراداً وجماعات على أساس فكرة العلاقة أو الانتماء. وهي جمع مذكر، مفردها «أُ» أو «گُ»، وتعني الانتساب أو الانتماء إلى شخص أو مجموعة من الأشخاص كيفما كان حجمها، أو إلى مكان معين أو شيء محدود، أو مؤسسة ما....

ومؤنثها هو «أُلْتْ» في المفرد و«إسْتْ» في الجمع. وإذا أضيفت الكلمة إلى «ما» (=إمّي = الأم)، فإنها تعني حينئذ حرفيا: أبناء أمي أو بنات أمي. وهكذا نقول: «أُمَا» أو «گُما» أي أخي. و «أَيْتْما» أي إخوتي. و «أُلتما» وتعني أختي، و «إسْتما» أي أخواتي. وذلك بغضِ النظر عن كونهم أشقاء أم لا، وعن كونهن شقيقات أم لا.

غير أن «أَيْتماتن» (= الإخوة)، يمكن أن تكون أخوتهم أو «تاگمات» (تـ + گُما + ت)، مرتكزة على اعتبارات أخرى لا تمت بصلة إلى القرابة الدموية، فالمنتمون إلى لف واحد مثلا، يعتبرون بعضهم البعض إخوة،رغم أن الرابطة الأساسية التي تجمعهم هي التعاضد المصلحي والتساند السياسي والتحالف الدفاعي.

ف«أيتماتن» (= الإخوة) يمكن أن يكونوا إخوة بالمعنى الحقيقي أو أبناء العمومة أو أبناء القبيلة أو الحلفاء أو مريدي ولي أو زاوية ....

إن كلمة «أيت» التي نصادفها كثيرا في المجالات المجتمعية، كأسماء المجموعات البشرية بمختلف أحجامها، لا تعطي بصفة عامة تحديدا دقيقا لطبيعة الرابطة بين طرفي العلاقة. إنها حقا تتضمن دائما معنى يدل على وجود علاقة ورابطة وانتماء.... ولكن الدم المشترك ليس بالضرورة هو الوصلة الوحيدة. وهكذا فكلمة «أيت» يمكن أن تعني :

أناس مكان ما، مثل: أيت أودرار، وأيت أوزاغار، وأيت واسيف، وأيت مراكش...أي الذين يسكنون الجبل والسهل والوادي ومراكش.

أوأناس شيء ما، مثل: أيت وامان، أيت واگو، أيت إمور، أيت سمُگ... أي أهل الماء، أهل الدخان...

أو أناس مؤسسة مّا، مثل : أيت الزاويت، أيت ْرما، أيت رْبعين....

أوأناس شخص مّا، مثل : أيت سيدي حماد أُموسى، أيت سيدي أحمد ابن ناصر، أيت سيدي رحال... وقد تحل هنا كلمة «تاروا» (= أبناء) محمل كلمة «أيت»، إذ يقال كذلك: تارْوَا نَ ـ سيدي حماد أُموسى...

وفي هذه الحالة التي يتعلق فيها الامر بأولياء مشهورين، لا ينبغي أن يفهم أن المعنيين ينتمون كلهم إلى الأولياء المذكورين بعلاقات القرابة، لأن الانتماء إليهم يمكن أن يكون بالأصل أو بالاصطلاح أو بالحرفة.

غير أن الانتماء إلى الشخص قد يكون سلاليا في حالات أخرى، ولكن لا يكون مؤكدا إلا على مستوى أصغر الخلايا في السلم المجتمعي.

هذا وتجدر الاشارة إلى أن البيذق كثيرا ما يعطي كلمة «أيت» المقابل العربي «بنو». ويبدو أن هذه الأخيرة حلت محل الأولى في أسماء عدد من المجموعات البشرية وخاصة السهلية منها.

وأخيراً نذكر أن كلمة «أيت» ليست هي الوحيدة التي تدخل في تحديد أسماء الأفراد والجماعات،إذ هناك بالفعل كلمة «إد...» مثل: إدْ صالح، و«إدا...» مثل: إداوْزال، و«إنْدْ......» مثل : إندُوزَال، إندغرتيت، و«إنْ» مثل : «إنگنفيس».

كما أن التارگيين في الصحراء يستعملون كلمة «كْلْ» مكان «أيت» فيقولون مثلا : كْلْ أهگار أي أهل أهگار، ومع ذلك فكلمة «أيت» مستعملة عندهم كذلك.

أ. البيذق، *كتاب أخبارالمهدي*، تر: ليفي پروفنصال، ص 41 وما بعدها.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire touareg-français*, I.N.F, 1952, t:II, p.787, t : III, p. 1440 sqq ; J. Berque, *Structures sociales du Haut-Atlas*, Paris, 1955, p.435-436.

صدقي علي ازايكو

**أَيْت** ... ← الكلمة التي بعدها

## إيغْزَز ← إتْزَر

**إيتيين أوجين** Etienne Eugène (1921.1844) قطب التوسع الاستعماري الفرنسي بدون منازع خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من العشرين، نال عن استحقاق لقب "المؤسس الثاني" للامبراطورية الفرنسية، وكان المؤسس الأول الوزير جول فيرِّي Jules Ferry الذي كان أول من أثار انتباه الرأي العام الفرنسي إلى حتمية ارتباط حركة التوسع الاستعماري بسياسة التصنيع، وما كان إيتيين ليخالفه في هذه الرؤيا، فإنه ولد بوهران من أب كان ضابطا، وتشوف هو أيضا إلى الخدمة العسكرية، لكن الظروف حالت بينه وبين ذلك فتابع شيئاً من الدراسة بثانوية الجزائر العاصمة، ثم انتقل منها إلى مرسيليا واضطر إلى تعاطي التجارة باكراً لكسب رزقه، فساقه مزاجه وميوله الجمهورية إلى المشاركة في المعارك السياسية التي كانت تمهد للاطاحة بنابّليون الثالث وإقامة النظام الجمهوري، فاتصل بالزعيم الجمهوري الشهير ليُون گامبيطا Léon Gambetta والتزم به وأصبح من أعوانه منذ 1868، ولما أطيح بنظام نابّليون الثالث يوم 4 شتنبر 1870 وانتقل گامبيطا إلى باريس، كان إيتيين في حاشيته، ثم عاد بعد حين إلى مرسيليا فاشتغل بإثبات دعائم الجمهورية الثالثة بتلك المدينة فعينه گامبيطا سنة 1878 وكيلا تجارياً بشركة السكك الحديدية الفرنسية جزاءً له على إخلاصه وتفانيه. فصار مفتشا عاما لها سنة 1880، وكانت سنة 1881 الموالية حاسمة في حياته إذ انتخب فيها نائبا عن وهران لدى مجلس النواب الفرنسي فأصبح خير مؤازر لصاحبه گامبيطا الذي فتح أمامه أبواب الدوائر السياسية العليا. فلما توفي سنة 1882، تابع إيتيين مسيرته السياسية بحذق وثبات وتمرس على قضايا الدولة من خلال عضويته في لجان المجلس، مثل لجان الميزانية والجيش والأشغال العمومية، وكان مقرراً لميزانية الجزائر والمستعمرات. ولما تجددت الانتخابات سنة 1885، لم يجد أدنى صعوبة في الاحتفاظ

بكرسيه نائباً لوهران، وأضحى مرموقا كخبير في قضايا المستعمرات. لذلك أسند إليه سنة 1887 أول مناصبه الوزارية كنائب لكاتب الدولة مكلف بالمستعمرات. ولم تتجاوز تلك التجربة سنة 1887، لكنها سرعان ما تجدّدت فكان مرة أخرى نائبا لكاتب الدولة مكلفاً بالمستعمرات من مارس 1889 إلى فبراير 1892، وعندئذ تجلت خبراته وآراؤه وممارساته في ميدان التوسع الاستعماري، بما جعله من يومئذ مرجعا لا سبيل إلى تجاهله، فهو الذي أعطى وزارة المستعمرات وسائل نفوذها وخلّصها من هيمنة وزارة الملاحة عليها على شكل ما كانت عليه في العهد الملكي القديم، وهو الذي أعطى الهند الصينية نظامها الاستعماري الذي بقيت عليه إلى أن استقلت، حيث جعلها كتلة واحدة تحت اسم الاتحاد الهند الصيني يضم كوشانشين وأنّام وكامبوديا ولاووس. وهو الذي وضع التصور العام للتوسع الفرنسي في إفريقيا الغربية والشمالية قال أمام مجلس النواب يوم 11 ماي 1890 :«إذا رسمتم خطًا من الحدود التونسية إلى الكونغو عبر بحيرة تشاد، بوسعكم أن تقولوا إن كل الأقاليم الواقعة بين هذا الخط والبحر، باستثناء المغرب وباستثناء ما هو في ملك الإنجليز والألمان والبرطقيز من الممتلكات الشاطئية المنبثة داخل هذه الدائرة، أقاليم فرنسية أو مُقيَّضٌ لها أن تدخل ضمن دائرة النفوذ الفرنسي، ولنا هنالك مجال ضخم عريض علينا أن نستعمره وأن نستثمره، وأظن أنّه في هذا الظرف، واعتباراً لحركة التوسع التي تعمّ العالم كلّه بينما تنغلق الأسواق الأجنبية أمامنا ونحتاج نحن بدورنا إلى التفكير في أسواقنا الوطنية، أحوال أظن أن الحكمة تلزمنا بالنظر إلى المستقبل لنحتفظ للتجارة والصناعة الفرنسيتين بتلك المنافذ التي تنفتح أمامها في المستعمرات وبفضل المستعمرات».

لتلك الأهداف كان إيتيين من الأعضاء المؤسسين للجنة إفريقيا الفرنسية سنة 1891، وكان كنائب لرئيسها محركها الرئيسي، ودأب يناضل بكل ما في كلمة النضال من معنى لإلحاق أكثر ما كان يمكن من المستعمرات بفرنسا بدافع الضرورة الجماعية والفردية، فإنه سأل النواب ذات مرة قائلا:«ماذا تصنعون بمنتجاتكم إذا حيل بينكم وبين تصديرها ؟ » ولما كان نائبا عن وهران فإن أنظاره كانت جاحظة صوب المغرب، وإنه كان من وراء الضجة التي قامت في الثمانينات والتسعينات حول بناء سكة حديدية للربط بين شواطئ الجزائر ووادي النيجر.وكان أسهل طريق لذلك يمرّ من واحات توات المغربية، فقام إيتيين وأصحابه في لجنة إفريقيا الفرنسية بحملة مسعورة لنفي كون تلك الواحات في بيعة سلطان المغرب، وجرت محاولة أولى للاستحواذ عليها سنة 1892 وأحبطت بفضل يقظة المولى الحسن وحزمه، ولما كللت المحاولة الثانية بالنجاح في الأيام الأخيرة من سنة 1899، تجنب إتيين و أبواقه لطمس الحقائق، وذلك أن العملية كانت غزوة ماكرة فتاكة ضد سكان إين صالح الذين وُهّمُوا بأن البعثة كانت لأغراض علمية يقودها الجيولوجي فلامان Flamand، فلما خرجوا تلقاءها مرحِّبين أطلق عليهم القبطان بـّان Pein نيران مدافعه فقتل وجوه القوم دفعة واحدة وبقي الجمهور لقمة سائغة لجيش الاحتلال، لكن هذه الحقيقة انطمست في خطب إيتيين، بل وتحولت إلى عكسها حيث قيل إن السكان هم الذين بادروا إلى إطلاق النار على بعثة علمية بريئة مسالمة، فما كان من خفيرها (المدجج بالسلاح !) إلا أن ردّ بالمثل، وكانت تلك الخطوة أولى الخطوات للنيل من التراب المغربي، وتجند حزب الاستعمار وراء زعيمه لإلحاق المغرب بالممتلكات الفرنسية، وكان ذلك الحزب كالأخطبوط الخفي، يستقطب الأعضاء والأنصار من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، ومن صفوف النبلاء المتشبثين بالإرث الملكي إلى صفوف العمال المياومين والصعاليك، ومن المسيحيين المتشددين إلى العلمانيين والملحدين، فإنه كان من نعم الاستعمار على الجمهورية الثالثة. ومما ساعد على إرساء النظام الجمهوري في فرنسا أن ذُوِّبت كل الخلافات الداخلية على حدّتها في ما كان من استنفار الجميع من أجل التوسع خارج التراب الفرنسي، وكان المغرب آخر ضحية لتلك الحملة المنهجة.

لذلك أنشأ إيتيين "لجنة المغرب" في دجنبر 1903 وترأسها ليتتبع عن كثب تطور المسألة المغربية التي صار إبـّان جنْي الثمار منها يقترب، وقال بصددها في مجلة *إفريقيا الفرنسية* في يناير 1904 :«مسألة المغرب أهم ما يطرح في الوقت الراهن من القضايا على سياستنا الخارجية، ولنا فيها آخر ما يمكن أن يكون من نصيبنا الأمبريالي بالنظر إلى ما تم توزيعه من الأرض». ولذلك كان إيتيين قد احتج احتجاجا صارماً على اتفاقية 1902 مع إسبانيا وهو الذي ألح لكي يقلص من نصيب إسبانيا إلى أدنى ما يمكن، ولقد خطب في إحدى جلسات الاتحاد الكولونيالي سنة 1903، وكان النّقاش قد اشتد فيها بين معمري الجزائر ومعمري تونس على الصنوالح فقال : «الحقيقة أنه يحزنني أن أراكم تتخاصمون، فهل من المستحيل أن تزدهر الجزائر دون أن يشلَّ ذلك تونس ؟ وهل لا سبيل إلى ثراء تونس دون أن يعرقل ذلك نمو الجزائر، أرجوكم أيها الأصدقاء الأعزاء، خلونا من هذه النزاعات السخيفة ولننظر إلى أعلى من ذلك وأبعد، حوِّلوا أنظاركم إلى ما هو بجانبكم : فهناك المغرب وهناك أرضه المعطاء التي تتلقى أمطار البحر المتوسط وأمطار الأطلنتي نعمة مزدوجة. آه ! أيها الأصدقاء، ياله من ميدان لنشاطكم ! فثمة مناجم الفوسفاط والحديد وثمة أراضي للحبوب وأشجار الزيتون، وثمة مجال لبيع الأقمشة القطنية التي تنتجها معاملنا بروبي Roubaix وتوركاون Tourcoing، وثم مجال لبناء السكك الحديدية، ومجال لحفر الموانئ لفائدة رجالنا في التعدين ومقاولينا، وهنالك مجال للقرض أمام رجال أبناكنا! فهل أنتم دائبون على التشاجر بينكم (...)؟ بل اسمعوا منى سراً كبيراً. إن دلكاسي Delcassé، صديق العمر، يتفاوض في الوقت الراهن مع انجلترا، وإنه، مقابل

بعض التنازلات من جهتنا بمصر، سوف تحرر أيدينا من كل قيد من ملوية إلى المحيط ومن طنجة إلى الصحراء، وأنتم أيها الجزائريون وأنتم أيها التونسيون تتميّزون عن سائر الفرنسيين بما لكم من الخبرة بأراضي الإسلام وبمناخه ورجاله وبشؤونه، فإليكم ستصير فوائد الفتح، فاتحدوا أيها الإخوان المتعادون عوض أن تتحاربوا، ولنؤسس جميعا ملكاً واحداً شاسعاً متصلاً، يضم من خليج قابس إلى المحيط ومن البحر المتوسط إلى الخلاء الكبير، تونس والجزائر والمغرب في امبراطورية إفريقيا الشمالية العريضة».

يتجلى بوضوح من هذا الخطاب أن إيتيين كان من الخبراء بالاستعمار، لأن الاستعمار كان جملة من المقاولات الكبرى تنعقد بأمر الدولة وبضمان منها، ويوحي شارل أندري جوليان الذي نقلنا منه هذه الخطبة والذي كان يعرف إيتيين معرفة دقيقة، لأنه هو أيضا من مواليد وهران، بالدور الخفي الذي قد يكون لعبه لحث الدكتور موشان Mauchamp على استفزاز المغاربة والتجسس عليهم عامة، وعلى المولى عبدالحفيظ وقت كان خليفة بمراكش. وأثبت إدمون بيورك E. Burke أن قرار الزحف العسكري في اتجاه فاس في ربيع سنة 1911 اتخذ في غياب الحكومة الفرنسية المعطلة بسبب عيد الفصح، بضغط من إيتيين على وزير الخارجية كروبي Cruppi وكان من المغفلين، وعلى وزير الحرب بيرطو Berteaux وكان طموحا قابلا لكل إغراء، بحيث لم يتخذ أي إجراء بشأن المغرب في العقد الأول من هذا القرن إلا وكان لإيتيين بعض الأدوار فيه، سواء من ذلك وجوب التفاوض مع الألمان لإشراكهم في استغلال البلاد أو تعيين ليوطي على التخوم الجزائرية المغربية أول الأمر ثم مقيما عاماً بالرباط بعد انعقاد الحماية. ولو أضفنا أن للرجل آثاراً سياسية أخرى بارزة مثل تبنيه لقانون فصل شؤون الدولة عن شؤون الدين سنة 1905، وتبنيه أيضا لقانون تمديد الخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات سنة 1913، لا تضح أنه كان في الحقيقة وجها من وجوه الجمهورية الثالثة وركيزة من ركائزها وكان نموذجاً بورجوازياً من تلك الشريحة الاجتماعية التي أقيم عليها بفضل الاستعمار النظام الجمهوري بفرنسا، ولقد أطلق المسؤولون على المستعمرات اسمه بعد وفاته على ميناء نواديبو بموريطانيا الذي كان إلى حين استقلال هذا القطر يسمى "بور إيتيين Port-Etienne ".

J. C. Allain, *Agadir 1911*, Paris, Publication de la Sorbonne, 1976 ; E. Burke, III, *Prelude to Protectorat in Morocco*, University of chicago Press et Chicago-London 1976, E. Etienne, *Discours Parlementaires sur les questions coloniales*, Paris 1907; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc*, Paris, 1967 ; Ch-A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956*, Editions Jeune-Afrique, 1978 ; Stephen, H. Roberts, *The History of French Colonial policy 1870-1925*, London Frank Cass 1963 ; Y. Benoît, *Dictionnare des ministres 1789-1989*, Paris, Perrin, 1990 ; *Bulletin du Comité de l'Afrique française passim de 1891 à 1921*, sur Etienne et ses interventions.

إبراهيم بوطالب

**أيثْبُورُو** إي مُونديخَارْ لويس Aizpuru y Mondéjar Luis، جنرال إسباني ولد بمدينة بيلباوْ سنة 1872، وبعد تخرجه من الأكاديمية العسكرية التحق بصفوف الجيش، وكان قد حصل على رتبة كولونيل عندما التحق بحامية مليلة سنة 1909 حيث شارك في المعارك الأولى التي جرت بين الجيش الإسباني الغازي لتراب المغرب ورجال المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها البطل مَحمد أمزيان، وكانت أهم تلك المعارك معركة خندق الذئب يوم 27 يوليوز 1909 التي قُتل فيها الجينرال بينطوس Pintos وخسر فيها الجيش الإسباني 752 رجلاً ما بين قتيل وجريح من ضباط وجنود، وعلى إثر هذه المعركة ثارت الجماهير بمدينة برشلونة مطالبة بجعل حد للحرب القائمة بأرض المغرب، وأطلق على الأسبوع الذي عمت فيه الاضطراباتُ المدينةَ المذكورة بالأسبوع المفجع.

احتل صاحب الترجمة جبل الگوروگو المشرف على مدينة مليلة يوم 29 سبتمبر 1909 وبذلك حقق لإسبانيا ما كانت تسعى إليه منذ أربعة قرون.

وشارك الجنرال أيثبورو أيضا في معركة عزيب علال وقدور ليوم 15 مايْ 1912 التي استشهد فيها الشريف مَحمد أمزيان، وعلى إثر هذه المعركة رُقي صاحب الترجمة إلى رتبة جنرال.

وفي يوم 13 سبتمبر 1915 عين أيثبورو حاكماً عسكرياً عاما بمليلة، وخلال فترة وجيزة استطاع أن يوسع رقعة الأرض المحتلة بناحية الكرت. وفي شهر فبراير 1919 عين رئيساً لأركان الحرب العامة بمدريد، وفي شهر ديسمبر 1922 أصبح وزيراً للدفاع.

وعلى إثر الانقلاب العسكري الذي قام به الجنرال بريمودي ريفيرا (Primo de Rivera) في 13 سبتمبر 1923 عين صاحب الترجمة مقيما عاماً لبلاده بالمغرب، حيث تقابل مع بطل المقاومة بناحية جبالة وغمارة الشريف مولاي أحمد الريسوني بمركز سيدي موسى بقبيلة بني عروس يوم 12 أكتوبر من نفس السنة، وأبرم معه اتفاقية هدنة لم يحترمها كلا الطرفين.

وأعفي الجنرال أيثبورو المقيم العام من مهامه يوم 15 أكتوبر 1924 وأحيل على التقاعد، ولم نقف على تاريخ وفاته.

Servicio Historico Militar, *Historia de las campanas de Africa*, Madrid, 1947-1981 ; C. Martinez Campos, *España belica*. Madrid, Siglo XX, 1972 ; T. Garcia Figueras, *Marruecos*. Madrid 1944.

**إيجيل** (اتفاقية مزعومة)، وهو في الأصل اسم سبخة تقع بناحية أدرار التمر المجاورة لمقاطعة وادي الذهب، التابع حاليا لموريطانيا. وقد ورد ذكر إيجيل في تاريخ المغرب بسبب عملية مشبوه فيها قامت بها إليه بعثة استعمارية اسبانية سنة 1886. فبعد التدخل الإسباني في صحراء المغرب يوم 3 نوفمبر 1884 على إثر قيام الملازم الاحتياطي إميليو بونيلي Emelio Bonelli بإقامة أكواخ خشبية في شبه جزيرة الداخلة وغيرها، وصدور بلاغ الحكومة الإسبانية بأنها قررت بسط حمايتها على الشاطىء المغربي الممتد من رأس بوجدور (خط العرض 27 درجة) إلى الرأس الأبيض (خط العرض 20 درجة) أرسلت الحكومة الإسبانية بواسطة الشركة الجغرافية الإسبانية Sociedad Geografia Espanola بعثة مكونة من القبطان خوليو ثيربيرا Cervera والأستاذ فرانثيسكو كيروگا F. Quiroga والترجمان فيليبي ريثو F. Riggo والجندي «المغربي» ابن بوزيان الأخضر الحاج عبدالقادر، وصلت إلى الداخلة في 14 ماي 1886 ومنها توجهت إلى ناحية إيجيل حيث قامت يوم 12 يوليوز بتحرير محضرين : ينص الأول على أن «أحمد بن محمد ولد العيدة شيخ ادرار التمر ورئيس قبيلة يحيى وعثمان اعترف بمحضر كبار رجالات حاشيته السادة الشريف يدو من أولاد سيدي يحيى وعثمان ولد محمد بن حميس والشيخ ولد عينين الشنگيطي وإبراهيم ولد مجيد وسيدي أحمد ولد الداي وسيدي إيجيل بن حرمين، اعترفوا بالسيادة الإسبانية على جميع تراب أدرار التمر، حيث يخضع ولد العيدة وقبيلته لحماية الحكومة الإسبانية. وكدليل على خضوعه هذا يسلم ولد العيدة إلى رئيس البعثة الإسبانية جواده وبندقيته، كما يلتمس من الحكومة الإسبانية أن تسمح له باستعمال خاتم خاص في الوثائق والمراسلات التي سيوجهها إلى السلطات الإسبانية. وقد وقع على المحضر بإيجل في 12 يوليوز 1886/ 10 شوال 1303 «الشريف جدو بالنيابة عن أحمد بن محمد ولد العيدة (الأمي)».

وجاء في المحضر الثاني أن أعضاء البعثة يعترفون بأن الأراضي الواقعة بين شاطئ الممتلكات الإسبانية من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض وبين الحدود الغربية لأدرار التمر أصبحت منذ هذا اليوم في ملك اسبانيا... وللدلالة على ذلك رفع العلم الإسباني وتم تحرير هذا المحضر بمحضر عدد كبير من العرب ممثلي القبائل الذين وافقوا على هذا المحضر وعينوا لينوب عنهم في توقيعه الحاج عبدالقادر بن بوزيان الاخضر.

يتضح مما سبق أننا أمام محضرين لا قيمة لهما، فليس فيهما ما يدل على أن الأمر يتعلق باتفاقية أبرمت بين أمراء وشيوخ قبائل أدرار التمر والبعثة الإسبانية، وهذا ما جعل الحكومة الإسبانية ترفض الطلب الذي تقدمت به الشركة الجغرافية الإسبانية من أجل أن تصدر الحكومة بشأنه بلاغا مماثلا للبلاغ الذي أصدرته يوم 26 ديسمبر 1884.

ومما يدل على أن المحضرين هما من وضع أعضاء البعثة الإسبانية أن الأرقام التي وردت فيهما أرقام هندية لم تكن تستعمل في المغرب ولا في الصحراء، ومن المعلوم أن الترجمان ريثو كان قد سبق له أن تعلم اللغة العربية أثناء وجوده بالشرق العربي، فيكون هو الذي حرر المحضرين بدون شك.

ولما بدأت إسبانيا تُفاوض فرنسا بشأن الصحراء المغربية سنة 1887 قدمت المحضرين المذكورين ضمن «حججها» وطالبت بأن يعترف لها بـ «حق» بسط نفوذها على المنطقة الشاسعة المبينة في الخريطة المرفقة، ودامت المفاوضات ثلاث عشرة سنة وانتهت بتوقيع معاهدة باريس في 27 يونيو 1900 التي اعترفت فرنسا بمقتضاها «بحق» اسبانيا في بسط نفوذها على صحراء وادي الذهب.

J. Cervera, *Expedicion al Sahara de Rio de Oro a Iyil. Rev. geografia comercial*, II n° 25 - 30, Julio-Septiembre 1886, 1 - 2 ; F. Quiroga, *El Sahara occidental y sus moradores, rev. geog comercial*, II, n° 25 - 30, Julio-Septiembre 1886, 66 - 72 ; Bonelli, E. *El Sahara*, Madrid, 1887 ; T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña - Ifni - Sahara*, Madrid, 1941 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Por que reivindicamos Rio de Oro*, Rabat, 1966.

محمد ابن عزوز حكيم

**أيديمون**، ثائر مغربي على الغزو الروماني في القرن الأول للميلاد. لا تتوفر لحد الآن إلا على مصدرين هما نص مقتضب لبلينيوس القديم (Pline, V, 11) ونقيشة «ماركوس فاليريوس سيفيروس (ILM, 116)، وردت في رواية بلينيوس القديم عبارة Liberto Aedemone المعتق أيديمون، وهي نفس العبارة التي توجد في مختلف طبعات النص الأصلي لكتابه *التاريخ الطبيعي*، مما يؤكد اعتمادها على نفس المخطوط. هذه المعلومات التي زودنا بها بلينيوس القديم عن أيديمون ليست كافية ولا دقيقة، إذ لا تفيدنا إلا بكونه معتقا ويحمل اسم أيديمون. وربما نستنتج من تحليل عبارة «أن ينتقم له» انه كان بالفعل معتقا لبطليموس وانه كانت له منزلة في دولته.

أوردت نقيشة «ماركوس فاليريوس سيفيروس» اسم أيديمون فقط دون التعريف بأصله ولا بوضعيته الاجتماعية

والإدارية. ويتميز نصها بخلوه من لفظة Libertum (معتق) والمعروف أن المسؤولين عن تدوين نصوص النقائش التشريفية الرومانية حاولوا تحري الدقة والموضوعية، لذا لا يسعنا إلا أن نقر بمضمون نقيشة ماركوس فاليريوس سيفيروس ونبدي شكوكنا حول ما جاء في نص بلينيوس القديم خاصة وأن الفارق الزمني بين هاتين الشهادتين كبير وقضية المصادر التي اعتمدها بلينيوس ومنهجه في البحث التاريخي لم يحسم فيه بعد..

إذن، يبدو من الأكيد أن خصم ماركوس فاليريوس سيفيروس يدعى أيديمون، وكل ما عدا هذا الاستنتاج يجب أن يبقى من قبيل الاحتمال والافتراض إلى وقت آخر. وهكذا يتحتم علينا أن لا نأخذ مأخذ الجد الاسم الثلاثي Caïus Iulius Aedemon الذي يرى أوزينا Euzennat أنه أعطي لصاحبه المعتق وبهذه الصيغة على غرار سيده بطليموس المتمتع بالمواطنة الرومانية والمعروف بـ Caïus Iulius Ptolomaeus (Euzennat, 164)، ونفس الموقف يجب أن نتخذه من نص بلينيوس القديم إلى حين العثور على مصادر أخرى تتضمن عبارة Libertum Aedemonem.

الاشكاليات التي يطرحها تحليل لفظة أيديمون : يطرح تحليل لفظ أيديمون عدة تساؤلات : إذا كان أيديمون قد تسمى بهذا الاسم، فماذا يعني هذا الاسم بالضبط؟ هل هو لفظ اغريقي أم لا ؟ هل يعني أن حامله له صلة بوضعية العبيد أم لا ؟ هل نستطيع عن طريق تحليله اللغوي الكشف عن أصل آيديمون ومكانته الاجتماعية ؟ يبدو من العبث البحث عن الأصل اللغوي لكلمة أيديمون في ثنايا ما هو معروف في المصطلحات الليبية والبونيقية واللاتينية والسامية، في حين أننا نجد لها شبها كبيراً باللفظتين الإغريقيتين :

= إله، أو الذي يعلم.

= سعيد أي حسن الطالع، مسعود بالعربية المغربية. Fortunatus باللاتينية.

إذن، فباعتبار صيغته اللغوية ومدلوله، يتضح أن اسم أيديمون يرتبط باللفظة الإغريقية الثانية أكثر مما يرتبط بالأولى ؛ ومن المحتمل جداً أن حرف لم يتصدر الكلمة الاغريقية الأصلية، ذلك أنه في هذه الحالة سينسخ اسم أيديمون باللاتينية مبتدئا بحرف d. إذا ما استخلص المرء مما سبق أن صيغة كلمة Aedemon إغريقية، فهل يحق له أن يخلص في نفس الوقت إلى أن هذا الشخص من أصل إغريقي ؟.

أثبتت الدراسات الحديثة أن الاسم الإغريقي لا يدل دائماً على أن حامله من أصل إغريقي (Marion, 165-166; Euzennat, 162 - 163 ; Lassère, 435) ويجوز لنا، تمشيا مع روح هذه النتيجة العلمية أن نشك في الأصل الإغريقي لـ «أيديمون» إلى حين توفرنا على الوثائق الكافية لحسم هذه القضية، كما يجوز لنا في نفس الوقت أن نتساءل حول الأسباب التي دعته إلى حمل هذا اللقب الذي يبدو أن له صيغة لغوية إغريقية. يجب في هذا الباب أن لا يغيب عن أذهاننا ما للثقافة الإغريقية من قوة الإشعاع في العالم المتوسطي القديم بما فيه المملكة الموريطانية أيام يوبا الثاني وابنه بطليموس (Gsell, VIII, p.207-287) ومن بالغ التأثير على سكانها الحضريين المتمسكين بالدفاع عن مصالحهم والحفاظ على مكتسباتهم والتواقين إلى حياة ملؤها الرخاء المادي والازدهار الحضاري. وقد حمل العديد منهم ألقابا إغريقية قبل أن تتحول بلادهم إلى ولاية رومانية وتبنوا الانماط الهلنستية في التفكير والسلوك.

هناك سؤال آخر يطرح : هل الاسم الإغريقي دليل على أن حامله من فئة العبيد ؟. ينقسم الباحثون حول هذه القضية إلى فريقين : يعتقد الفريق الأول أن الاسم الإغريقي دليل على أن حامله عبدٌ في الأصل، ويرى الثاني عكس ذلك وتقول به مجموعة كبيرة من الدارسين الذين لا يعتقدون أن حامل الاسم الإغريقي عبد بالضرورة. ويبدو أن الرأي الثاني هو الأقرب إلى الصواب، إذ لم يتبلور إلا بعد إجراء تحريات كافية همت فئة السكان الأرقاء في العديد من المدن الافريقية والايطالية ووفقا لمناهج عملية دقيقة. ومن النتائج المحصل عليها في هذا المجال ضعف نسبة الأرقاء والمعتقين في العينات السكانية التي تكونت منهانواة هذه الدراسات. وأوضحت نفس الأبحاث أن عناصر من السكان الاهالي الأحرار حملوا هم أيضا أسماء اغريقية. (Marion, 182 ; Pflaum, 113 ; Picard, 383 ; Lassère, 429) ومن المحتمل جداً، على ضوء كل هذه التوضيحات المنهجية الضرورية، أن أيديمون شخص موريطاني ولد وهو حر وبقي هكذا إلى أن فارق الحياة، وذلك اعتباراً للمعطيات التالية :

- لا يعني الاسم الإغريقي أيديمون بالضرورة أن صاحبه من أصل اغريقي وفرد من فئة الأرقاء أو المعتقين.

- الدعم الذي قدمه بلا شك الكثير من الموريطانيين لأيديمون يجعلنا نشك في أصله الأجنبي الإغريقي وفي انتمائه لفئة الأرقاء أو المعتقين، والغريب في الامر أن نفس السكان ثاروا من قبل ضد بطليموس إذ سلك سياسة مكنت مساعديه الأرقاء من الاستيلاء الفعلي على مقاليد الحكم في بلادهم (Tacite, IV, 23) كيف يتسنى للمرء تفسير هذا التناقض في وقف الموريطانيين ؟ الحل هو أن هؤلاء تصرفوا بهذا الشكل لأن أيديمون لم يكن لا إغريقياً ولا عبداً أو معتقاً. ومن غير المستبعد، إذا افترضنا انتماء أيديمون لبلاط بطليموس، أن يكون أحد أفراد هذه الفئة الجديدة من المواطنين الموريطانيين السامين الذين خبروا النموذج الحضاري الروماني وكان لهم إلمام باللاتينية قراءة وكتابة. وبالتالي توفرت لديهم وسائل فكرية مكنتهم من ملامسة نقط الضعف في منهج الحكم الروماني وجعلتهم يفكرون في محاولة التحرر من السلطان الأجنبي الذي يرزأون تحته هم والموريطانيون الآخرون المستقرون منهم والرحل.

- المدلول الحقيقي لاسم أيدمون : لو تأكد أن أيدمون مواطن روماني ومعتق لبطليموس لكان اسمه الثلاثي

الكامل «كايوس يوليوس أيديمون»، وإذا تأكد أن اسم أيديمون هو معتق في الأصل فان اسم أيديمون هو في الواقع الاسم القديم الذي كان يحمله قبل أن يعتق من قبل بطليموس، ويجب أن يكتب دائماً مسبوقا بكلمة معتق (Libertus)، وإذا كان معتقاً لـ «كليوباترا سليني» زوجة يوبا الثاني، فيجب أن يحمل أيديمون الأسم الشخصي لأبيها واسمها العائلي واسمه القديم الدال على انتمائه لفئة الأرقاء، ولكننا لم نعثر على أي تأكيد لكل هذه الاحتمالات في النصوص والنقائش التي أشارت في مضمونها إلى أيديمون، مما يدعونا إلى الاعتقاد بأن أيديمون لم يحمل اسما ثلاثيا، بل فقط اسماً منفرداً هو Aedemon.

وتجمع الأبحاث الحديثة حول أسماء الأشخاص في الشمال الافريقي القديم على أن اللقب في هذه المنطقة المتوسطية سواء كان مكتوباً بالحروف الاغريقية أو اللاتينية ما هو إلا تعبير عن تطلعات الفرد واختياراته وتقاليده واهتماماته الدينية، ويتجلى هذا مثلا في هذه الالقاب المشهورة : (المنتصر Victorius)، السعيد (Felix)، صاحب الطالع الحسن (Fortunatus)، المحظوظ (Fortunatus)، العظيم (Maximus)، عابد أو خادم الاله زحل (Saturninus) (Marion, 136-137 ; Benabou, 501-502). والمتفق عليه أن هذه الاسماء الأحادية والدينية ينفرد بها على العموم السكان الأهالي. وهكذا فإن اسم أيديمون ( السعيد أو المحظوظ) ربما هو اسم لشخص موريطاني. وما ندرته في الوثائق بهذه الصيغة الإغريقية (Eu - en grec = Aedemon) إلا نتيجة لتعويض الكلمة الاغريقية Aedemon بالكلمة اللاتينية Fortunatus التي تؤدي نفس المعنى.

الخلاصة هي أن أيديمون ربما كان شخصا موريطانيا حراً من أفراد البلاط الموريطاني في عهد بطليموس وليس بشخص افريقي معتق كما يرى ذلك «لوفو Leveau، p. 317) الذي لم يأخذ بعين الاعتبار النتائج المهمة التي توصلت إليها الأبحاث الخاصة بأسماء الأشخاص في العديد من المدن الافريقية والإيطالية، ولم يعتمد فيه إلا على هذا الحدث وهو أن «يكيليوس Icelius» معتق الامبراطور گالبا Galba عوض لقبه الاغريقي بـ «ماركيانوس» عندما أصبح من فئة الفرسان (Leveau, 217). نعم نفهم لماذا اعتبر«لوڤو» ايدمون معتقا، لكن لا نفهم لماذا اعتبره معتقا افريقيا، وحتى لو سلمنا، كما يفعل هو بالقاعدة التي تقول أن لكل وضعية اجتماعية ما يناسبها من الأسماء، فإننا سنتمكن من التعرف على اسم أيديمون وهو عبد وسنعجز عن تحديد اسمائه الأخرى التي حملها قبل استعباده أو بعد عتقه.

البواعث الذاتية لحركة أيديمون : هناك بواعث ذاتية لحركة أيديمون بالإضافة إلى محدداتها الاقتصادية والسياسية (مقدون، 4 : 157) يبدو من خلال شهادة بلينيوس القديم أن أيديمون لم يتمرد على السلطة الرومانية إلا ليثأر للعاهل الموريطاني بطليموس، هل كان المعتق أيديمون يريد حقا أن يثأر لـ «سيده» أم لا ؟ علينا، لكي نبقى منطقيين مع أنفسنا أن نربط الإجابة عن هذا السؤال بكل الافتراضات التي تطلبتها منا دراسة قضية أصل أيديمون ووضعيته الاجتماعية، ويبدو من المستبعد جداً، على ضوء هذه الافتراضات أن يكون هذا الشخص، وهو حر موريطاني، قد وضع مشروعه السياسي بكل تجرد ودون أن يضع نصب عينه تلبيته البعض من رغباته، خاصة وهو على علم بأنه سيقاوم لامحالة من طرف القوات العسكرية الرومانية المرابطة في افريقيا البروقنصلية وبيتيكا والعديد من مواطنيه الموريين الذين حملوا السلاح في وجه بطليموس لأنهم عانوا من سياسته الداخلية ،ولأن الوفاء لعرش بدون وريث كما يقول «فور Faur» (Faur, 270) «يعني الأخذ بقضية فاشلة»

والواقع أن أحسن وسيلة لأخذ الثأر لبطليموس هي البحث بسرعة عن خلف شرعي له وضمان استمرارية السير العادي للشؤون العامة والعمل على أن تندلع الاضطرابات الأولى في العاصمة «قيصرية Caesarea» حيث يتجمع الكثير من رعايا هذا العاهل الموريطاني وأنصاره وأفراد جيشه، غير أن أيدمون فضل انطاق حركته من مكان ما بموريطانيا الغربية التي تقع بعيدا عن معسكر «امايدارا Ammaedara» بافريقيا البروقنصلية حيث تستقر وحدات الفيلق الأغسطسي الثالث. إذن، فهل كان أيديمون يرمي من وراء تحركاته إلى أخذ السلطة العليا في الاقاليم الاطلنتية من الشمال الافريقي ؟ وهل لم يرفع شعار الانتقام لبطليموس إلا ليبرر مشروعه ويُضيفي عليه صفة المشروعية ؟ لقد أحاطت بالحركة في بدايتها عدة ظروف مواتية سهلت عليه العمل. فالطريقة الفظيعة التي تخلص بها گليگولا من بطليموس كان من شأنها أن تضاعف من اشتداد مقاومة الموريطانيين للسلطان الروماني، ومن شأنها كذلك أن تجعلهم يحرصون على مساعدة كل زعيم افريقي قوي في مقدوره الاضطلاع بمهمة تسيير الثورة أولا ثم الشؤون العامة في بلادهم، كما أن عدم وجود وريث لعرش بطليموس يجعل أي زعيم يظهر متمتعا بالشرعية وبالمؤهلات اللازمة.

وبالتأكيد فإن هذه الأهداف التي رسمها أيديمون لنفسه ما كان لها أن تتحقق دون افشال مخطط روما التوسعي في الشمال الافريقي. وقد ارتأى أن يتحمل هذه الاعباء بالاشتراك مع العديد من القبائل المورية التي لم تنس ما ألحقته الادارة الرومانية بنمط عيشها التقليدي من خلل فأصبحت تتحين الفرص المناسبة لكي تلحق بها ضربات قاسية.

وباختصار، فإن أيديمون لم يكن يهمه أخذ الثأر لبطليموس وتزعّم المقاومة الموريطانية بكل اخلاص وتجرد، بقدر ما كان يهمه بالاساس الاستيلاء على السلطة والانفراد بها.

آثار حركة أيديمون بموريطانيا الغربية :تثبت نتائج الحفريات الحديثة التي أجريت في تمودة ولكسوس وناحية طنجة ووليلي أن حركة أيديمون همت بالاساس القبائل والمراكز الحضرية التي كانت ضمن منطقة النفوذ الرومانية في موريطانيا الغربية.

فتخريب تمودة ولكسوس والعديد من المنشآت الزراعية والصناعية بأحواز طنجة يستدعي إبداء الملاحظات التالية:

تشاهد بقايا الحريق والإخلاء والهدم في الكثير من الاستبارات التي أجراها م. طراديل (M. Tarradell) وم. بونسيك (M. Ponsich) في جميع هذه المواقع، وتتمثل في مجموعة من «طبقات الهدم والحريق» وفي مواد محترقة وأمفورات وأوان تكسرت في عين المكان (In Situ) وجدران مقطوعة ومدكوكة.

يبدو أن معدل سمك طبقات الحريق والهدم بأحواز طنجة يفوق بكثير نظيره في تمودة ولكسوس، مما يعني بلا شك أن المعارك والخسائر في هاتين المدينتين الموريطانيتين كانت أقل عنفا وفداحة من التي شهدتها أحواز طنجة.

تؤرخ ظاهرة الحريق والهدم المشار إليها آنفاً بمنتصف القرن الميلادي الأول وذلك اعتمادا على المكتشفات التالية: كمية من شظايا الزخرف الكمباني المتأخر المقلد والزخرف الأرتزي، قطع عديدة من القناديل الهلنستية و«الجمهورية» خاصة القناديل ذات الزخرف الحلزوني ومنقار كراس السندان، امفورات من النوع الاغسطسي ونقود موريطانية ضربت في عهد يوبا الثاني وابنه بطليموس.

يرى م. طراديل (Tarradell, 119) وم. بونسيك (Ponsich, 2) أن هذه الظاهرة التي حدثت حوالي منتصف القرن الميلادي الأول لا يمكن فصلها عن حركة أيديمون التي اندلعت في نفس الوقت الذي اقتحمت فيه الفيالق الرومانية المملكة الموريطانية. والدليل على ذلك في تقديرنا هو أن هذه البلاد لم تشهد خلال الفترة المتراوحة ما بين سنة 17م وسنة 69م سوى حدثين خطيرين هماحركة أيديمون والغزو الروماني لموريطانيا.

تبين دراسة النقائش ILM. 57, 56, 116 أن حركة أيديمون اتسمت بالعنف والخطورة وشملت وليلي وناحيتها وكبدت هذه المدينة خسائر بشرية ومادية من الصعب تحديدها اعتمادا على المعطيات الأثرية وأن روما ممثلة في شخص كلاوديوس قد منحت بعض الامتيازات لمجموعة كبيرة من الوليليين لاتمنحها عادة إلاّ للبلديات والمستوطنات التي حلت بها كارثة من الكوارث. ونذكر بأن هذه الامتيازات تنحصر في الحصول على المواطنة الرومانية وشرعية الزواج بالنساء غير الرومانيات والاعفاء من أداء الضرائب لمدة عشر سنوات والتحكم في السكان الافارقة المقيمين في وليلي وناحيتها والتصرف في ممتلكات المواطنين الذين قتلوا في الحرب ضد أيديمون ولم يخلفوا ورثة.

لا يوضح تحليل النقيشة ILM,116 ما إذا كان أيديمون قد لقي مصرعه في المعارك التي دارت بوليلي أم لا ولا تفيدنا عبارة "Oppressum bello" بأي شيء فاصل في هذا الصدد، ذلك أنها لا تعني «قتل في الحرب» بقد ما تعني «هزم أو تم سحقه في الحرب» ويتفق معظم المؤرخين المحدثين على أن محق حركة أيديمون تم بسرعة وأنّ زعيمها قتل أثناء الحرب الموريطانية الأولى قبل أن يفارق كليگولا (Caligula) الحياة في يوم 24 يناير 41م (Gascou, 304, Leveau, 7).

م. مقدون، *ثورة أيديمون*، د. د. ع. خزانة كلية الآداب بفاس، 1984.

Plinius, *Naturalis Historia*, V, éd. 1980 ; Tacitus, *Annales*, éd. 1953-1959 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 1913-1928 ; L. Chatelain, *Inscriptions latines du Maroc*, 1942 ; G-Ch. Picard, *La civilisation de l'Afrique romaine*, 1959 ; H. G, Pflaum, *Remarques sur l'onomastique de Cirta*, 1959 ; M. Tarradell, *Marruecos punico*, 1960 ; J. Marion, *La population de Volubilis à l'époque romaine*, 1960 ; M. Ponsich, *Recherches archéologiques dans Tanger et sa region*, 1970 ; M. Euzennat, *Grecs et Orientaux en Maurétanie Tingitane*, 1971 ; J.L. Faur, *Caligula et la Mauritanie : la fin de Ptolémée*, 1973 ; J. M. Gascou, *Licinus Crassus Frugi, légat de Claude en Maurétanie*, 1974 ; M. Benabou, *La résistance africaine à la romanisation*, 1976 ; J.M. Lassère, *Ubique Populus*, 1977 ; Ph. Leveau, *La fin du royaume maure et les origines de la province romaine de Maurétanie césarienne*, 1984.

محمد مقدون وعلي واحدي

**إيَرْمَوَاس**، اللفظ أمازيغي مركب من «إيَر» و«مواس». الأول يدل على قطعة أرض فلاحية مسقية، مساحتها تقاس بمقدار الحبوب الذي تستعمل فيها بذوراً، وهذا يتراوح بين قنطارين وثلاثة قناطير. ويمكن أن ينطق باللفظ «إجَر» و«إگر» كما أنه يمكن اضافة الف زائدة قبل الراء الأخيرة، أي «إجار»، «إيكار».

أما مواس فاسم للجماعة المالكة لتلك القطعة، مع أننا لا نعرف مَن هي تلك الجماعة ولا في أي عصر ظهرت. ويقع موضع تلك الجماعة بقبيلة بني توزين (اقليم الناظور) بجماعة «بني بلغيز» السفلى، على الضفة اليمنى من «واد أمقران»(واد تمسمان).

اشتهر المكان بزاوية، كانت بمثابة مدرسة لتعليم الفقه ومبادىء التصوف منذ العهد المريني. وقد اعتنى المرينيون بالقبيلة لمكانتها في الأسرة المرينية، بحكم قرابة الصهر التي تمت بين على أمحلي وعبدالحق المريني في بنت الشيخ البطوئي المسماة بأم اليمن، أم يعقوب المنصور المولود سنة 607 أو 609.

وإلى هذه الجماعة ينتسب عدد هام من المواسيين البطوئيين المعروفين بفاس منذ القرن الثامن الهجري. ومنهم أحمد بن محمد المواسي البطوئي الفقيه المتوفى عام 842 هـ بفاس، وولده عيسى أبو مهدي الفقيه المفتي بفاس والمتوفى عام 895 هـ. [ترجمتهما في م]

أ.ابن القاضي، *جذوة* ؛ ع. الزياتي، *الجواهر*، مخطوط. ص. 34 ؛ التسولي، *النوازل*، مخطوط. خ. ع. د 882، ص 156ـ 162ـ 197ـ 209ـ 258 ؛ م. الكتاني، *سلوة* ، ص 314 ؛ *استطلاع ميداني سنة* 1974 ؛ خريطة 100.000، 1954.

حسن الفكيگي

**أيْرني ← بكُوكة**

**إيزران** (غابة.) ← **بني مسّارة**

**إيزفاون ← بني عياط**

**الأَيْسَر**، وتكتب أيضاً بدون همز ـ لاَ يْسَر أو لَيْسر ـ أسرة رباطية عريقة لا نعرف من أين ولا متى جاءت إلى هذه الحاضرة. غير أن وجود «جنان الأيسر» بشارع شالة طلعة حسان (بني فيه حالياً فندق حسان والعمارات المتصلة به) يوحي بقدم هذه الأسرة في الرباط وعلى الأقل منذ القرن الثامن عشر.وعرف منهم فقهاء وتجار، انتقل بعضهم إلى الدار البيضاء في أواسط هذا القرن. منهم :

**الأيسر، عبد العزيز** من تجار سوق السبيطرين المتخصصين في بيع "البلاغي" الجيدة للرجال و"شرابيل" النساء المطروزة. توفي أواخر الخمسينات.

**الأيسر، محمد**، فقيه إمام الزاوية المعطوية بحي مولاي إبراهيم قرب الجامع الأعظم بالرباط، وكان مقصوداً للاستشفاء بالتمائم. ومن المعلوم أن هذه الزاوية أصبحت مدرسة حرة سنة 1916 يسيرها الحاج محمد بن اليمني الناصري، وبذلك يعدّ الفقيه عبدالعزيز الأيسر من الأولين الذين عملوا في التعليم الحر.

*تقاييد خاصة.*

محمد الأمين بلگناوي

**إيسُمولْ**، ناحية طبيعية بالصحراء المغربية، تقع بوادي الذهب وتحد شمالا بناحية إمسان، وشرقا بأدرار ستوف، وجنوبا ببير غندوز، وغربا بالمحيط الأطلنتي.

I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid 1955, p. 62.

محمد ابن عزوز حكيم

**الإيسي**، أسرة سوسية من قبائل جزولة عُرفت بالعلم والأدب والجاه. وهي تنتسب إلى منطقة إيمي ـ نْ ـ إيس في تارسواطت في الجهة الشرقية لمنطقة تافراوت بالأطلس الصغير.

وقد اشتهر من الإيسيين في النصف الثاني من القرن العاشر(16م) ثلاثة إخوة أبناء محمد بن موسى، كانوا ثلاثتهم فقهاء أدباء شعراء. اشتغلوا بالكتابة في بلاط أحمد المنصور، وتقلّد اثنان منهم أمانة بيت المال، وامتحنوا سنة 1601/1010 بسبب وشاية كاذبة فثُقفوا بجامع المشور في مراكش، ثم سرحوا في السنة التالية «وخلصوا والحمد لله من هذه النكبة خلوص الذهب بعد السبك، واطلع أمير المومنين نصره الله على عدم صحة ما نُسب إليهم من الكذب والإفك» (*روضة الآس*، 190) وهم :

**الإيسي، إبراهيم بن محمد بن موسى**، فقيه «يستظهر مختصر خليل ويقوم عليه أحسن قيام، ويشارك في المنطق والبيان والنحو والأصلين وغير ذلك» (*روضة الآس*، 190). لم تتحدث عنه كتب التراجم إلا بإشارات عابرة، لأنه صُرِف عن العلم بمشاغل السياسة، فكان محط ثقة المنصور ورئيس المتصرفين في بيت ماله، لذلك غلب عليه لقب القائد أو الرئيس. لقيه أحمد المقري لأول وصوله إلى فاس في صفر عام 1009/ غشت ـ شتنبر 1600، وقد بعث به المنصور لبناء السد الكبير بوادي بوطوبة عند مدخل النهر إلى فاس من ناحية باب الجديد إضافة إلى السد الأصغر بنفس الوادي، وقد أنفق عليهما أموالا طائلة. ولما أنهى إبراهيم الإيسي مهمته أشار على أدباء الحاضرة الفاسية بإنشاء قطع شعرية في مدح المنصور باني السد، فأنشد جماعة منهم مقطعات لطيفة، ومنهم أحمد المقري، فأعجب به إبراهيم الإيسي وأخذه معه إلى مراكش وأنزله في بيته مع إخوته الأدباء وأفاضوا عليه من الإكرام والإنعام ما جعل المقري يكتب: «ولو أني أتعبت اليراعة في بعض مآثرهم الجليلة ما أطقتها، ولو علمت أن أطيار المدائح المحبوسة في قفص الفكر إذا صدحت فوق أفنان الشكر تؤدي بعض حقهم لأطلقتها» (*روضة الآس*، 189).

وقدّم إبراهيم ضيفه المقري إلى مخدومه المنصور فنال لديه الحظوة والقبول.

ولا يعرف تاريخ وفاة إبراهيم على وجه التحديد وإنما المؤكد أنه كان ما زال حيا عام 1602/1011.

وهناك عالم آخرمن هذا القبيل يتّحد مع المترجم السابق اسماً ونسباً ويقاربه عصراً هو :

**الإيسي إبراهيم بن محمد الفلكي**. كان فقيها حافظا لفروع المذهب المالكي، متضلعا في العلوم الرياضية، عارفا بعلم الأوفاق والزايرجا والرمل وسر الأسماء. درس في مسقط رأسه بسوس، ثم رحل إلى مراكش وفاس وأخذ عن علمائها قبل أن ينتقل إلى الزاوية الدلائية ويلازم مجالس محمد المرابط الدلائي وغيره من مدرسي الزاوية. وكثر عدد شيوخه حتى بلغ مَن يسمون منهم محمداً نحو

وفي سنة 1665.64/1075 انتقل إلى الشرق ودخل إلى مصر، ثم مكة المكرمة. «وله نظم ونثر في غاية الرقة والانسجام» ـ كما يقول المحبي ـ ومراسلات أدبية ومساجلات شعرية مع عدد من كتاب المغرب والمشرق ولا يُذكر له تأليف سوى *نظم رسالة المرجاني* في الوفق الخماسي الخالي الوسط، *وشرحها* شرحا عجيباً.

توفي بمكة المكرمة عام 1667.66/1077. ودفن بالمعلاة.

م. المحبي، *خلاصة الأثر*، 1: 45.44 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 1: 184.183.

**الإيسي، أحمد** بن محمد بن موسى، أخو القائد إبراهيم سابق الترجمة وأصغر منه سناً. كان أيضا من أمناء بيت المال في عهد المنصور، وله مساجلات شعرية مع معاصريه تدل على ذوق أدبي رفيع. وفي مدحه وإخوته أنشد أحمد المقري حين نزل بدارهم :

مَن مبلغٌ أهلي وكلّ أحبتي | أني نزلت بمعشر فوق السها
شرفاً، فهم عند السماحة حاتم | ولدى البلاغة كعبُها أو قُسُّها

**الإيسي، مبارك** بن محمد بن موسى، ثالث الإخوة الأدباء، وأحد كتاب البلاط المنصوري بمراكش، إلا أن كتب التراجم أغفلت ذكره، ولم نقف له إلا على مطلع غزلي لقصيدة بعث بها إلى رئيس الكتاب عبد العزيز الفشتالي :

ومـليـح يتـثـنـى | زار في ليـل الذوائبْ

فأجابه الفشتالي عنها بأبيات تدلّ على إعجابه بهذا الأديب الإيسي المغمور :

أمـدامٌ بـاكـرتـنـا | تبرُها في الكأس ذائبْ
أم عبيرُ المسك يـندى | ضُمِّخـت منه الترائبْ
أم بـرودٌ طـرّزتـهـا | في الرُّبى أيدي السحائبْ
جـادها طبـعٌ كريـم | للحيا والفضل ساكب

ولا يعرف عن وفاة أحمد ومبارك إلاّ أنها كانت بعد 1011/1602.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 1: 205-206 ؛ *لقط الفرائد، ألف سنة من الوفيات*، 230 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، 23، 189-190 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 1 ؛ ع. بنعبدالله، *الموسوعة المغربية*، 4: 176.

**الإيسي محمد بن عبد الرحمان ← امحَولُو**

**الإيسي، محمد بن يعقوب** السوسي، يلقب بصدر الأفاضل، ولد سنة 966/1558-59 ودرس بمسقط رأسه سوس، وبفاس على محمد القصار، وبمراكش على محمد بن يوسف الترغني. وكتب فهرساً علمياً حافلاً بيّن فيه شيوخه ومقروءاته، رواه عنه أحمد ابن القاضي تدبيجاً، ونقل عنه معاصروه ومَن بعدهم، لكنه اليوم في حكم المفقود. وقد أجازه كلٌّ من يعقوب بن يحيى اليدري وعبد الواحد بن أحمد الحسني شيخ الكتّاب والفقهاء ببلاط أحمد المنصور الذهبي أواخر شوال عام 998/ غشت 1590 وحلاه بالراوية الأديب الحافظ المتفنن الواعية.

كان محمد بن يعقوب أديباً كاتباً شاعراً ذا حاسة تاريخية مهتماً بأحداث عصره. إلا أن معظم مقيداته ضاعت للأسف، وقد أثنى عليه كلّ من عاشره أو اتصل به، وأعجب به كثيراً أحمد باب السوداني واعتمد كتاباته وأخباره الشفوية، وأكثر النقل عنه في *نيل الابتهاج* و*كفاية المحتاج*، وكان يعبر عنه بصاحبنا وقال عنه «لم ألق بالمغرب أثبت ولا أوثق ولا أحذق ولا أعرف بطرق العلم منه» كما أعجب أحمد المقري بشعره وكان يلقبه بالأديب المؤرخ، ولو أنه لم يلقه في رحلته الأولى إلى فاس ومراكش إذ وجده قد مات. ونقل كثيراً من أشعاره في مواضع متعددة من *روضة الآس*.

من مؤلفاته علاوة على *الفهرس* : *كتاب في التراجم* يعد من مصادر كتب أحمد باب السوداني ومحمد الصغير الإفراني ؛ *كتاب في أحوال اليهود بالمغرب قديماً وحديثا* ؛ *تأليف في السكة المغربية* تكلم فيه على أنواع السكك بالمغرب من أقدم الأزمان، ويقال إنه ما زال موجوداً بسوس.

ومن الغريب أن يغفل تاريخ وفاة عالم أديب كمحمد بن يعقوب كان ملء عين الزمن وبصره، من أنبه كتاب بلاط المنصور، صديقاً حميماً لأشهر من ألفوا في التراجم والتاريخ لذلك العهد. لكننا لا نعرف إلا أنه توفي قبل مجيء المقري إلى فاس عام 1009/1600.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2: 210-211 ؛ *المنتقى*، 415 و765 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، *كفاية المحتاج*، في مواضيع متفرقة ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، 12، 61، 80، 259، 272، 273 ؛ ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 151-152 ؛ *صفوة*، 53 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5: 350-352 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2: 472-473 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1: 255 و2: 213 و477 ؛ أ. المكناسي، *مصادر التاريخ*، 47 ؛ ل. پروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، 391 و401.

محمد حجي

**إيشمرارن ← مراكش** (إقليم -)

**إيطاليا والمغرب**، يرجع تاريخ العلاقات المغربية الإيطالية على الأقل إلى القرون الوسطى، أمّا ما قبل ذلك العهد، فإنها تعود إلى ما ترتب عن الغزوات الرومانية بإفريقيا وغرب البحر المتوسط.

ومن المعروف تاريخيا قيام علاقات بين الدولة المغربية والمدن - الدويلات الموجودة بإيطاليا، خصوصا منها جنوة والبندقية. ونشير في هذا الصدد إلى أن تجاراً قادمين من هاتين المدينتين - الدوليتين، استوطنوا سبتة وطنجة في عهد الدولة المرينية، وذلك ما يدل على قيام علاقات تجارية متينة ومزدهرة بين المغرب والمدن الإيطالية، ومن خلالها مع أقطار أوربا. ونشير أيضا إلى أن عدداً من التجار المغاربة كانوا يقيمون بجنوة والبندقية ونقرأ عند المؤرخين أن التجار والبحارة الإيطاليين كانوا يقومون بدور نشيط في المغرب، لا في عهد الدولة المرينية فحسب، ولكن كذلك في عهد الدولة السعدية حين كان السعديون يقايضون السكر المغربي بالمرمر الإيطالي، وهي المقايضة التي تناولتها أقلام الرواة المغاربة بإطناب.

ولما أصبح المغرب خلال القرن التاسع عشر محط الأطماع المتزايدة من طرف الدول الأوربية، كانت إيطاليا منشغلة بمشاكل توحيد أقاليمها، فحادت عن لعب أي دور في القضية المغربية، لكنها راحت تشارك في جميع المؤتمرات الدولية التي نوقشت فيها تلك القضية (مدريد 1880، برلين 1885) ولم تُظهر خلالها إيطاليا أي رغبة خاصة للتدخل في شؤون المغرب، علماً أن الدول العظمى مضت تستميلها نحو الاهتمام بالقطر الليبي. من أجل ذلك، كانت سياسة إيطاليا نحو المغرب تتميز بالاعتدال والمرونة دون أن تنسلخ تماماً عن الإستراتيجية التي ذهبت تحوكها الدول العظمى.

لما قرر الحسن الأول اتخاذ التدابير اللازمة لإصلاح الشؤون الاقتصادية والمالية والعسكرية، وجد مساعدة كبرى لدى إيطاليا لا سيما عندما أقبل على إصلاح وتحديث الجهاز الإداري والجيش. وفي هذا المضمار أوفد العاهل المغربي بعثات طلابية إلى الخارج، منها بعثة تتألف من أربعة وعشرين طالباً إلى إيطاليا حيث تمرسوا على فنون الحرب العصرية ومعداتها، إلا أنهم لما استكملوا خبرتهم وعادوا إلى وطنهم ألحقوا بمصالح إدارية مختلفة لا علاقة لها بالجيش.

شاركت إيطاليا في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906، وقد مثلها في هذا اللقاء الماركي دوفيسكونتي فينوستا، غير أن حضورها اكتسى طابعا رمزياً لا غير، دون الإعراب عن أي رغبة في النيل من السيادة المغربية، وقد فضلت أن تجلو عن الميدان لتترك المجال حراً بين فرنسا واسبانيا. وعلى إثر رفض السلطان عبد العزيز المصادقة على معاهدة الجزيرة، كلف المؤتمر ملك إيطاليا بالقيام بمهمة إقناعه بالتراجع عن موقفه. كانت إيطاليا في ذلك العهد تحظى بما يؤهلها للقيام بمحاولة للتوفيق بين الجانبين، وتعد من بين الدول الأوربية القلائل التي لم توقع مع المغرب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أي معاهدة قنصلية. وفي أوائل القرن العشرين، أقبل إلى المغرب العديد من الإيطاليين، منهم مَن مارس الصناعة التقليدية في بعض قطاعاتها، ومنهم من أسس شركات صناعية ومعامل، نذكر من بينها على سبيل المثال، معمل كامبيني بفاس لإنتاج الطاقة الكهربائية. وتجدر الإشارة إلى أن الإيطاليين الذين أقاموا في هذه الفترة بالمغرب، كانوا يتقربون من المواطنين ومن الطبقات الشعبية على الخصوص، وأضحت العربية الدارجة أداة التخاطب بين الجانبين.

بعدما استرجع المغرب سيادته السياسية، انتعشت العلاقات المغربية الإيطالية في كثير من المجالات، ولعل عدم الخلاف بين القطرين في نظر كل منهما إلى العلاقات الدولية والشؤون العالمية والمشاكل المطروحة في شتى مناطق العالم، تعد مؤشراً لحسن العلاقات بينهما، لا سيما وأن إيطاليا مضت تتمسك بموقف مشجع خلافا للدول الأوربية الأخرى. من ذلك رؤية روما للقضية الفلسطينية خاصة وقضايا الشرق الأوسط عامة، كما أنها لم تضم صوتها إلى الأطروحات المعادية للمغرب في موضوع الصحراء الغربية، لكن بعدولها عن تأييد موقف المغرب صراحة، أعربت عن تشجيع المبادرات الرامية إلى إقامة الحوار والتشاور بين طرفي النزاع.

ومنذ عدة أعوام خلت دخل التعاون الاقتصادي بين البلدين في إطار برامج التعاون التي أقرتها إيطاليا مع دول العالم الثالث، غير أن التعاون المغربي - الإيطالي الذي بدأ سنة 1956 وتطور من خلال أعمال اللجن المختلطة، يشمل ميادين الفلاحة، وتدبير المياه، والمواصلات اللاسلكية، والثقافة، والمناجم، والتكوين المهني.

أما فيما يتعلق بالمبادلات التجارية، فإن المغرب يستورد من إيطاليا مواد التجهيز ويصدر المنتجات المنجمية والزراعية.

إن أولى المعاهدات التي أبرمت بين البلدين للتنقيب عن النفط في منطقتي طرفاية وطانطان، تمت بواسطة الشركة الوطنية الإيطالية للطاقة «إيني»، وأول مصفاة للنفط بالمغرب أنشأها الإيطاليون بالمحمدية هي شركة «سامير»، كما أنجزت مشروعات أخرى مشتركة، مثل شركة سوماكا لتركيب السيارات. ومعمل السكر في زايو، ومعمل سونابيل للسكر بناحية مشرع بلقصيري.

ازدادت العلاقات المغربية - الإيطالية تطوراً على ضوء عدد من الاتفاقيات الثنائية، منها اتفاقية التعاون الاقتصادي والتقني المبرمة بتاريخ 10 فبراير 1961، والاتفاقية التجارية المؤرخة في 24 فبراير 1964، والمعاهدة المبرمة بتاريخ 7 يونيو 1972 الرامية إلى إعفاء مواطني البلدين من الجبايات المزدوجة، واتفاقية التعاون المالي بتاريخ 12 مارس 1974، واتفاقية التعاون التقني بتاريخ 26 نونبر 1977، واتفاقية التعاون في ميدان الملاحة التجارية بتاريخ 15 أبريل 1982.

إن ميزان المبادلات التجارية بين البلدين يسجل عجزاً مستمراً بالنسبة للمغرب (ناقص 543 مليون درهم عام 1983، ناقص 652 مليون درهم عام 1987) مع ارتفاع متواصل في حجم المبادلات (1234 مليون درهم عام 1983، 2925 مليون درهم عام 1986، 3212 مليون درهم عام 1987...) تتشكل الواردات المغربية من إيطاليا في أغلبها من معدات التجهيز ومن المنتجات شبه المصنعة التي ارتفع حجمها سنة 1987، في حين اقتصرت الصادرات المغربية نحو إيطاليا على المواد الغذائية والمنتجات شبه المصنعة والمنتجات المنجمية، ويكاد حجمها جميعا لا يختلف عن المستوى الذي كان عليه خلال السنين الماضية.

وجملة القول إن إيطاليا تاتي في المرتبة السادسة من بين ممولي المغرب، وفي المرتبة الرابعة من بين زبنائه. وقد استعملت إيطاليا كل نفوذها في تأييد انضمام إسبانيا والبرتغال إلى الرابطة الاقتصادية الأوربية، رغبة منها في جلب هذين البلدين إلى قاطرة مجموعة الديمقراطيات الأوربية الغربية، لكن السلطات الإيطالية احتجبت عن اقتراح أي تعويض لدول جنوب البحر المتوسط التي تربطها بالسوق المشتركة الأوربية عدة أوفاق، والتي تضررت من انضمام اسبانيا والبرتغال إلى هذه السوق.

لم تصرح إيطاليا في هذا الصدد علنيا بموقفها، ولكنها ترفض كل تنازل لفائدة المغرب، وذلك بسبب حرصها الشديد على صيانة مصالح مُزارعيها، متذرعة باحتمال احتجاجات الولايات المتحدة الأمريكية في حالة ما إذا مُنح المغرب امتيازاً خاصاً.

إن معظم عناصر الجالية المغربية المقيمة بإيطاليا والبالغ عددهم حاليا 1.500 نسمة، يوجدون في وضعية غير قانونية

موزعين بين روما وميلانو، من بينهم 10٪، يمارسون أعمالا منزلية، أو يعملون في المصانع والأوراش، أو فنانون أو طلبة، في حين أن 90٪ الباقين، باعة متجولون لا تبعث أحوالهم على الارتياح.

إن ضعف العلاقات المغربية الإيطالية يرجع إلى أن المغرب انطلق بفضل التعامل المكثف مع كل من فرنسا وإسبانيا، ولعل أسباب إعراض المغرب عن التعامل من نفس المستوى مع إيطاليا يرجع أساسا إلى السياسة الإيطالية الخارجية التي ظلت حينا من الدهر تتجاهل البلدان المغاربية، غير أنه أصبح من المؤكد أن التعاون المغربي الإيطالي أخذ ينتعش بكيفية ملحوظة منذ بداية الثمانينات حيث انتبهت إيطاليا أخيراً إلى أهمية ما يمكن ن تجنيه من فوائد بتعاملها مع فضاء جغرافي واسع.

ح. الزعري السلاوي، *مذكرات حول البعثة إلى إيطاليا في عهد الحسن الأول* ؛ م. المنوني، *مظاهر*.

J. L, Miège, *Le Maroc et l'Europe* : 1830-1894. P. U. F; A. Benramdane, *Le Maroc et l'Occident*, Karthala, 1987.

عبدالله ساعف

**إيغلي**، (باب .) بمراكش يقع جنوب الواجهة الغربية من سور القصبة الحالي، وبذلك يعتبر آخر أبواب مراكش من الجنوب.

يرجع تاريخه إلى ما قبل سنة 1206 هـ / 1792 م، إذ في هذا التاريخ، دخل منه المسلطان العلوي المولى يزيد إلى مراكش أثناء مواجهته لانتفاضة أهل الحوز ضده، ومبايعتهم لأخيه هشام (*الإعلام*، 10 : 186). ولا يعود إلى زمن حكم السعديين لعدم وروده في مصادر الفترة، ولكون عملية إحياء القصبة الموحدية لم تصل في امتدادها إلى موقع باب إيغلي. وعليه فانتماء هذا الباب إلى عهد العلويين يبقى أمراً مقبولا.

ويرى Deverdun أن اسم الباب هو اسم الشخص الذي قام ببنائه، مضيفاً أن بابا آخر يحمل نفس الاسم يوجد في تنمل، وذلك بناء على ما جاء عند E. Doutté ولعل إيجاد طريق أسهل يربط بين القصور المخزنية ومصلى العيدين وحدائق المنارة، كان من وظائف هذا الباب، خاصة وأن شكله المعماري يتوفر فقط على لوازم حصانة محدودة، مما يؤكد أولوية المرور ضمن وظائفه.

ع. إبراهيم، *الإعلام*، ج 10.

G. Deverdun, *Marrakech*, 1 : 501.

محمد رابطة الدين

ابن **إيغيل**، محمد بن علي. شاعر نظام باللسان الأمازيغي، من قرية توزونين بأقّا. نشأ في بيت شعراء متسلسلين. كان فصيحا موهوبا مشهوراً بالمدح والقدح، ومن شعره ملاحم، منها ملحمة فيما وقع بين الحسين أُهاشم الإلْغي والرئيس محمد بن عبدالرحمان الجرّاري عام 1291هـ.

كان من عادته أن يجول بين البلدان فتقام له ملاعب يلقي فيها قصائده أو يتجاوب مع غيره من الشعراء ارتجالاً فتسير بتلك الأقوال الركبان. كان يقول الشعر أمام الرؤساء، ومنهم الحسين رئيس تازروالت. وقد ذمّ آل أسَاكا من البعقليين فترصدوه هو وابنه جامع فجلدوهما. وقال شيئاً في المدني الناصري صاحب تانكرت فجلده وجلد ولده جامعا.

توفي محمد بن علي أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وخلفه ولده جامع في قدرته على النظم وفي سيرته، وكان ملازماً للرئيس الحسين بن حمو الإيشتي المولع بأحواش. وفي عام 1310هـ كان جامع بقرية إيموكادير فسمع الشيخ علي الدوقاوي يعظ الناس فتأثر به وأخذ عنه السبحة، فلما رجع إلى رئيس إيشت انتزع منه تلك السبحة وكسرها، لكن جامعا ظل ملازما للشيخ يسيح معه، وإذا قال نظما لم يخرج فيه إلى ما يمس الأعراض.

م. المختار. السوسي، *المعسول*، 16: 262 ؛ *من أفواه الرجال*.

أحمد التوفيق

**إيفان - سميث**، تشارليز Ch. Evan-Smith وزير مفوض لبريطانيا العظمى بالمغرب من 1891 إلى منتصف 1892. اشتهر بسلوك المجابهة مع المخزن. له تقارير ومراسلات في السجلات البريطانية.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، 526:2 وما بعدها.

J-L, Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 4: 261.

مصطفى بوشعراء

**أيْفَس** أو عرعر فنيقي أو عرعر أحمر(= أمَلْزي = أمَلازي) من فصيلة السرويات Cupressaceae، واسمه العلمي هو يُونيپرُوسْ فنيسيا Juniperus phoenicea، وهذا الجنس يحتوي على اربعين نوعا تعيش كلها في النصف الشمالي من الكرة الأرضية. والأنواع التي تعيش بالمغرب هي العرعر الأحمر والعرعر الفواح (انظر أوآل) والعرعر الكادي (أو تاگا) أو يُونيپرُوسْ أُوكْسيدْروس Juniperus oxycedrus الذي يصادف بصفة مفردةَ في غابات البلوط الأخضر والأرز والشوح... والعرعر العادي أو يونيپروس كُومونيسْ Juniperus communis وهو جنبة تقطن في بعض قمم جبال الريف والأطلس.

الصفات النباتية: العرعر الأحمر يحتوي على ضربين ساحلي وقاري، إنه شجرة جد متفرعة لا يتجاوز ارتفاعها 10 أمتار. تاجها مخروطي الشكل وكثيف. الجذع قصير وله قشرة ذات لون أسمر داكن ورمادي ومشققة طولانيا وليفية. الأوراق صغيرة حرشفية وملتصقة بالأغصان. الأزهار وحيدة الجنس ووحيدة المسكن. الثمار مخروطية صغيرة كروية الشكل وعنبية، وذات لون أحمر يميل إلى الأسمر.

التوزيع البيوجغرافي : تنتشر غابات العرعر الأحمر القاري على مناطق شاسعة من المغرب تقدر بـ 200.000 هكتار، وهي تمتد غالبا على الواجهات الجنوبية لسلسلة الأطلس المتوسط والأطلس الكبير والأطلس الصغير، كما تصادف هذه الشجرة ولكن بصفة منفردة في غابات البلوط والأرز والشوح.

أما الضرب الساحلي فهو يغطي الكثبان الرملية على الساحل في كل البلدان المتوسطية إذ نجده في المغرب يكسو رمال السعيدية والمهدية والصويرة ... الخ.

يعيش الضرب الساحلي في بيومناخات شبه جافة وشبه رطبة ورطبة، ذات الشكلين الحار والمعتدل. أما الضرب القاري فهو متكيف مع بيومناخات شبه رطبة وشبه جافة وجافة ذات الأشكال المعتدلة والبارد والقارس، إذ تصادف غابات ما بين 800 م و2.200 م من الارتفاع فوق سطح البحر، أي في الطوابق المتوسطي الدافئ، والمتوسطي، وما فوق المتوسطي، والجبلي المتوسطي.

إن العرعر الأحمر لا يبالي بنوعية التربة، لكنه ينظم عشائر نبتية متعددة لكون الظروف البيومناخية تختلف من منطقة إلى أخرى من موطنه.

الاستعمالات : تلعب غابات العرعر الأحمر دورا هاما في تثبيت الكثبان الرملية على الساحل، وزوال هذه الغابات يؤدي دائما إلى زحف الرمال على الطرقات أو الأراضي الخصبة أو المنازل. وقد عرفت مدينة الصويرة لعدة مرات في القرون الأخيرة عزلة تامة بسبب تراكم الرمال فوق الطرقات. أما في الجبال الجافة فإن العرعر الأحمر يعتبر من الأنواع الشجرية الأكثر تحملا للجفاف، ووجوده على الواجهة الجنوبية لهذه الجبال يجعل منه سداً منيعاً ضد انجراف التربة وزحف التصحر.

وزيادة على هذا، يعطي العرعر الأحمر خشب الهياكل والبناء، إذ يستعمل في السقوف كما أن أوراقه تلعب دورا مهما في تغذية الماشية في فصل الشتاء.

Emberger, L. *Les arbres du Maroc et comment les reconnaitre*, Larose, Paris 1938 ; Benabid, A. *Les écosystèmes forestiers et presteppiques du Maroc, forêt mèditerranéenne*, T: VII, 1, 1985: 53-64.

عبدالمالك بنعبيد

**إيلْ إيكو دي تطوان** *El Eco de Tetuan* : صدى تطوان. عندما احتل الجيش الإسباني مدينة تطوان يوم 6 فبراير 1860، كان يحمل معه مطبعة ينشر فيها بلاغاته وأوامره اليومية، وجعلها بأحد مرافق مسجد الباشا بزنقة المشور بتطوان.

وفي هذه المطبعة قام الصحفي الإسباني بيدرو انطونيو ذى ألاركون Pedro Antonio de Alarcon يوم فاتح مارس 1860 بطبع العدد الأول والأخير من هذه الجريدة. وكتب يقول :«كان لي الشرف بأن كنت أول من أدخل الفن الرفيع، فن الطباعة إلى أرض أفريقيا، حيث أصدرت بتطوان يوم فاتح مارس من سنة 1860 أول جريدة إسبانية تحمل عنوان : *El Eco de Tetuan* صدى تطوان.

صدر العدد الأول المذكور في أربع صفحات من حجم 360 × 155 ص. وساهم في تحريره كل من الاركون ونونييت ذي ارثـي Nunèz de Arc وفييدما Viedema ونافارو Navarro.

ولما أصدر الإسبانيون سنة 1911 جريدة بتطوان سموها إيل إيكودي تطوان امتدادا للعدد الذي صدر سنة 1890، واستمر صدور الجريدة الأخيرة إلى سنة 1929.

**إيلْ نُوطيثيرو دي تطوان** *El Noticiero de Tetuan*

كانت قد مرت ستة أشهر على الاحتلال الإسباني لمدينة تطوان في 6 فبراير 1860 عندما فكرت القيادة العسكرية في إنشاء جريدة إسبانية بالعنوان أعلاه (مخبر تطوان، جريدة تدافع عن المصالح الاسبانية بافريقيا). وقد صدر العدد الأول منها يوم 16 غشت 1860 وكانت تطبع بمطبعة گارسيا إي كونطيو Contillo Garcia Y لصاحبها فرانسيسكو سالاثار Francisco Salazar، وتصدر مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع في أربع صفحات من حجم 205×300 م م.

كان رئيس تحريرها الأول هو القبطان ميگيل لاطوري Miguel Latorre تلاه القبطان ليُونادرو ماريسكال Leonardo Mariscal. ومن بين المساهمين في تحريرها الكولونيل خوان كريسطو Juan Christou والكومندار مونطيا Montilla والقبطان سامانييگو Samaniego والقبطان ريسطوري Ristori. كانت الجريدة تهتم عموما بكل ما يتعلق بنشاط جيش الاحتلال ثم بالحياة الاجتماعية للجالية الإسبانية، وأخيرا بما تتوصل به من أخبار عن أحوال المغرب. وانقطعت عن الصدور قبل جلاء الجيش الإسباني عن تطوان، بالعدد 89 الصادر يوم 13 فبراير 1861.

محمد ابن عزوز حكيم

**إيلاَّلْنْ**، أو هيلالة وقد ينسب إليها :الهلالي. ربما يعتبر الحسن الوزان أول من تحدث عن إيلالن الذين ينسب إليهم جبلٌ يستوطنونه في الأطلس الصغير الغربي يبدأ غرباً من تخوم انكيسة وينتهي شرقاً في جهات جزولة، ويمتد شمالا إلى سوس. ويصفهم الوزان بالشجاعة والنبل وكثرة الخيل، والقتال متواصل فيما بينهم على معدن فضة في جبلهم. ولعله يقصد معدن تامدولت.

ولا يَختلف موطن إيلاَّلْنْ اليوم اختلافاً كثيراً عن موطنهم في القرن السادس عشر، حيث نجدهم اليوم اتحادية قبائل كبيرة في السفح الشمالي للأطلس الصغير شمال شمالي غرب المركز الإداري لأيت عبدالله. يضمون بالإضافة إلى هؤلاء أيت تيفاوت وإدا وگنيضيف وإداكثير وأيت علي وتوفلازت وإدُوسْكَا أوفلاَّ وأيت واسّو وإدُوسكا ـ ن ـ سيلا وتاسگدلت واسندالن.

يدعي الإيلالنيون أن أصلهم من تامدولت نْوَاقَّا التي بناها المولى إدريس الأصغر ثم اشتهرت بمعدنها وتجارتها وثروتها، ويظهر أنها خربت (في القرن الثالث عشر؟) فتفرق سكانها. وتدعي قبائل أخرى أنها من أصل هؤلاء المهاجرين.ويدعون أيضاً أنهم استقروا بعد خروجهم من تامدولت في وادي إسافن قريبا من تيزي ن إداوبلال. واضطروا بسبب وباء جارف إلى متابعة الهجرة نحو الشمال فبلغت قبائلهم موطنها الحالي حوالي أواخر القرن الرابع عشر الميلادي.

وقد كانوا يقاتلون أشتوكن لدفعهم نحو الشمال والشمال الغربي، و احتكموا في بعض المواقع إلى سيدي محمد بن مبارك الأقاوي الشهير المتوفى عام 1515، فحدد لهم نهائيا الحدود بين القبيلتين بالمكان الذي يقام فيه سوق أحد إيلالن في طرف تاسگدلت بالنسبة لإيلالن وحدود أيت مزال عند إشتوكن غير بعيد عن أيت باها. وقد كانت أراضيهم تشمل واحة أقا في العصر السعدي.

عرف إيلالن استقرارا تاما من حيث نمط العيش، وكانت كل قبيلة من قبائلهم الثمانية عشرة تنظم شئونها بنفسها دون تدخل خارجي، فلكل قبيلة شيوخ يسمون النفاليس يتولون تنظيم أعراف الشئون الجماعية ويمثلون القبيلة بواحد منهم في مجلس الاتحادية الكبرى. وحياتهم الجماعية دائرة على نظام المخازن المحصنة (إگودار) المنظمة بالمواثيق العرفية وفيها يجتمع النفاليس. وهذا لم يمنع أن تقوم حروب ضارية بين قبائل هذه الجماعة كما ذكر دوفوكو في أواخر القرن التاسع عشر (Reconnaissance, 340).

والغالب على الظن أن الفرق المكونة لإيلالن ليست كلها من أصل واحد، بل هناك من دخل في هذا القبيل واندمج في عصبية قوية عريقة في القدم، ومن الباحثين من يرى أن إيلالن هم الأُطُولُول، أو الاتولول Autololes المذكورون عند مؤلفي النصوص الرومانية التي وصفت قبائل شمال إفريقيا، وحجة من قال بذلك هي أن إيلالْنْ إذا أدخلت على صيغة المفرد من اسمهم «أيت» التي تعني «أهل» صاروا أيت إيلال، وإذا حذفت وجب جمع الاسم على إيلالْنْ، وهذا مُستقرى من أسماء قبائل أخرى، علما بأن بين ذكر الأطولول وبين إشارة الحسن الوزان إلى إيلالن زمنا يقدر بألف ومائة عام.

ورد ذكر إيلالن في *كناش* أحمد المنصور السعدي وقيدت عليهم نزلات يعطون فيها المئونة للسلطان هي تافتوت (؟) وماء أدول وتاسكرا مشتركة مع هشتوكة، وكذا نازلة الويدان (إسافن)، ويذكر هذا الكناش أن من رافق السلطان لأوگرض (إدا وگرض؟) من هلالة خمسة عشر ألفاً، بينما كان معه من ولتيتة ضعف هذا العدد، وبعمرانة وتكنة والعرب بثلاثين ألفا كذلك، وهشتوكة باثني عشر ألفا، وهذا من جملة مائة ألف وخمسة آلاف، ومن هذه الأرقام تقدر قوات من كان بسوس من الكتل القبلية الكبرى.

يظهر أن إيلالن كانوا يجتمعون بكافة قبائلهم الكثيرة لتدبير شئون اتحاديتهم، ومن مظاهر تلك العصبية الكبرى رفدهم لعدد من مدارس العلم تقارب عشرين مدرسة كانت موجودة في القرن السابع عشر، منها أربع عند قبيلة اسافن، وثمان في جبل إيلالن، وخمس في السهل، وأشهرها هي مدرسة إفرا الواقعة في قرية أگادير- ن - الحناء بواحة طاطا، ومنها تخرّج المبرزون من إيلالن خلال القرنين الماضيين.

*ديوان قبائل سوس.*

D. J, Meunié, *Le Maroc saharien*, 1: 350-360.

أحمد التوفيق

**الإيلالْني، علي** بن سعيد اليعقوبي. ولد عام 1173/1759، وانكبّ على التدريس عمره كله حتى أتقن كثيراً من الفنون، مع العناية التامة بالأسانيد. من مشايخه أحمد بن سعيد التيزرگاني، ومَحمد بن أحمد التاساكتي. شارط في مدرسة إيدُوسْكا وفي مدرسة إيرْس، وأخيراً مدرسة سيدي يعقوب الإيلالْنيّة. وكان إلى جانب هذا ناسخا يعتني بتقييد كل ما هو مفيد، تخرج على يده خلق كثير، ويكفي أن نذكر من تلاميذه الشيخ عبدالله بن عمر البوشواري، والشيخ العربي الأدوزي.

توفي عام 1823/1239، مذكور بين المؤلفين السوسيين بكتابته على *نوازل ابن هلال.*

**الإيلالْني، محمد** بن علي. ولد عام 1803/1218 وكانت له مكّانة في جميع الفنون التي تُتعاطى في مدارس سوس، وامتاز بالتحرير في الأصول، تخرج على والده وأجازه أبو زيد الجشْتمي والأستاذ العربي الأدوزي. خَلَف والده في المدرسة الإيلالنية، وكان في منهجه المدرسي مكبا على البحث والمناقشة. من تلاميذه الكبار محمد بن علي إگيگ الرسموكي، وسعيد الشريف الكثيري وغيرهما. وكان إلى جانب التدريس يقضي بين الناس بالقضاء الرسمي وبالتحكيم على العادة. كما كان مفتيا تدور حوله نوازل إيلالن وما إليها. من خصاله الكبرى العناية الخاصة بالمصالح العامة والتأهب الدائم للجهاد، ولمكانته المرموقة كان الملوك يخاطبونه أثناء الأزمات كالمولى عبدالرحمن بن هشام والمولى الحسن الأول. وإلى جانب هذا كله ألف العديد من الكتب منها: *شرح منهج الزقاق*، و*شرح خطبة التسهيل*، و*مجموعة فتاويه*، و*شرح بانت سعاد*، و*إجازة* كبرى لأولاده وأحفاده، وبسببها ذكر بين المؤلفين السوسيين. توفي عام 1878/1296.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 198 ؛ *المعسول*، 17: 223،220 ؛ رجالات العلم العربي.

عبدالله درقاوي

**أَيْلاَنْ**، قبيلة كانت قرب مراكش، يُعرَّب اسمها هكذا: هَيْلانة، واسمها الأصلي أمازيغي من فعل: «أَيّلْ» وهو فعل الطيران، أو من «إِلّ» وهو الخال في الوجه أو السواد عامة أو البحر (هامش في *التشوف*، 252).

امتدت نسبة كبيرة من مجال قبيلة أيلان على الحوز الأوسط بين وادي تانسيفت شمالا، ووادي غدات شرقا ووادي نفيس غربا وبلاد هزرجة ووريكة جنوبا (*نزهة* : 45) وقد كان هذا الاطار الجغرافي يدخل في نطاق عمل مراكش على عهد المرابطين والموحدين (*التشوف* : 252).

وإلى نهاية القرن الخامس الهجري (11 م)، يبدو أن أيلان كانت تمثل قوة بارزة داخل مجالها. ومن مظاهر ذلك: نسبة مدينة إليها - أغمات أيلان - واستشارتها في اختيار مكان تأسيس مدينة مراكش بناء على إستراتيجية توازن بين أيلان وهزميرة والمخزن المرابطي (*البيان*، 4 : 18) يضاف إلى ذلك أن أحد أهمّ أبواب مدينة مراكش ينسب إليها

باب أيلان ـ وهو الباب الوحيد في الجانب الشرقي الذي نسب لقبيلة. وفي هذه الأخبار كلها ما يدل على الأهمية التي كانت تتمتع بها هذه المجموعة ضمن محيطها كقوة ديمغرافية وعنصر سياسي بارز، ومغالبة اقتصادية متحركة.

وللاستئناف في هذا الاتجاه يلاحظ أن هزميرة التي كانت تمثل عنصراً منافساً لأيلان (*البيان*، 4 : 18) لا نجد لها حضورا معماريا بارزا سواء في البادية أو المدينة، كأغمات أيلان، وباب أيلان بمراكش.

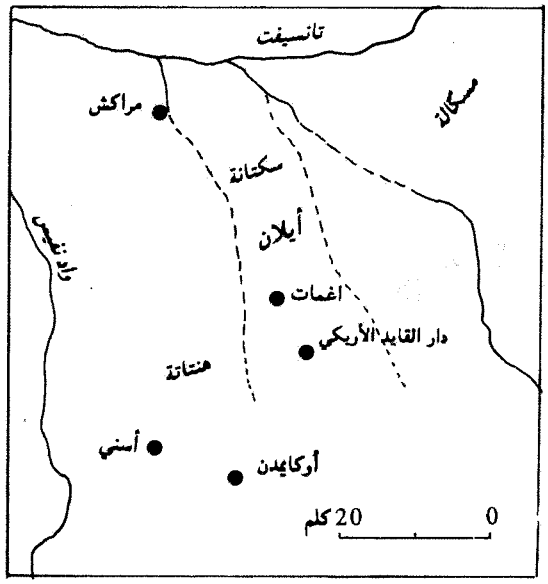


**أيلان**

ومع بداية القرن السادس الهجري (12م)، يلاحظ أن هذه القبيلة بدأت تبدو عليها حالة تراجع وانكماش، من مؤشرات ذلك أنها كانت من بين ثلاث قبائل صُنفت في التصْنيف الموحدي ضمن المهاجرين، وكانت كلها تحت إشراف مزوار واحد (*المقتبس*، 46) علماً بأن قبيلة گدميوة وحدها كان لها ستة وأربعون مزواراً (*المقتبس*، 44). والمسأله هذه لا يستعبد أن لها علاقة من بعض النواحي بمستوى كثافة ديمغرافية القبيلة. من جهة ثانية يبدو أن التراجع انعكس كذلك في الاهتمام بالتصوف، فمن خلال مقارنة بين عدد متصوفة هسكورة وهزرجة وهزميرة وأوريكة خلال هذه الفترة، وهي قبائل كان يجمع بينها عنصر الجوار، يلاحظ أن أيلان كانت في المقدمة من حيث عدد المتصوفة الذين ذكر نسبهم الصريح إلى أيلان، حيث بلغ تسعة مقابل سبعة لهسكورة، واثنين لباقي القبائل السابقة (*التشوف*). وهذا التوجه الصوفي قد يكون مؤشراً لأزمة كانت القبيلة تمر بها. يضاف إلى ذلك هجرة عدد من أهل أيلان إلى خارج مجالهم مثل تادلا ودكالة (*التشوف*) ولربما بقيت حالة التراجع هذه مستمرة إلى إبان اضمحلال القبيلة، واختفاء اسمها حيث طغى على جزء من مجالها اسم جديد هو قبيلة إمْسِّيوان (*التشوف*، 124).

إن مبررات هذا المشكل، تبدو بعضُ عناصرها في مسالمة أيلان للمرابطين ولربّما مساندتها لهم، الأمر الذي ينعكس في اختيار أحد مواقعها كنقطة مستهدفة من طرف الموحدين إثر هزيمة البحيرة سنة 524 هـ (*البيان*، 4 : 84) ويتجلى كذلك في قيامها بدعوة ابن هود الماسي ضد الموحدين بالأطلس الكبير الغربي (*العبر*، 6 : 484).

ومن جهة ثانية هناك دخول القبائل العربية إلى الحوز وما ترتب عن ذلك من أزمة الأمن وعدم الاستقرار بالمجال المجاور لمراكش (*العبر*، 6 : 62).

أ. البيذق، *المقتبس* ؛ ي، ابن الزيات، *التشوف* ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن عذاري، *البيان*، ج 4 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6.

محمد رابطة الدين

**أيْلاَنْ** (باب ـ) من أبواب الجنوب الشرقي في السور المرابطي لمدينة مراكش، ينسب إلى قبيلة أيلان التي يفضي إلى جهتها، واحتفظ بهذا الاسم القديم خلافا لأبواب أخرى تغيرت أسماؤها. ذكره البيذق (*أخبار*، 78) حيث اقتحم منه الموحدون المدينة بعد حصار 1147/541 (*البيان*، 27). ملامحه المعمارية مرابطية تتسم بالضخامة في الشكل وبساطة الزخارف. وقد اتسع اسم باب ايلان ليشمل امتداداً داخل المدينة شكّل حومة تحمل نفس الاسم، حيث وصل هذا الامتداد فيما يبدو إلى عمق مهم في المدينة على عهد الموحدين بلغ إلى مجاورة سوق الحبوب في نفس الفترة (*التشوف*، 305).

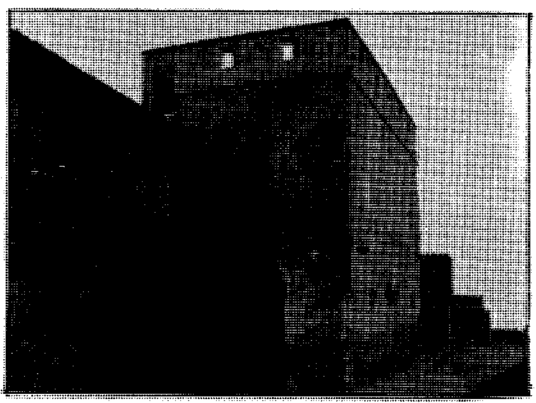

*باب أيلان*

وقد شكلت حومة باب أيلان عنصرا في الخريطة الدينية للمدينة، فهي جزء من الجانب الشرقي، وبها مدفن القاضي عياض، وتمثل المحطة الثانية في زيارة الرجال السبعة.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ ابن عبدالملك، *الذيل والتكملة*، 8 ؛ ابن عذاري، *البيان* ؛ م. رابطة الدين، *قضية الجانب الشرقي بمراكش*، أعمال ندوة مراكش، 1988.

Ch. Allain et G. Deverdun, *Les portes anciennes de Marrakech*, *Hesp* t : XIIV, 1957 ; G. Deverdun, *Marrakech*.

محمد رابطة الدين

**الأيْلاني، عبدالغفور** بن يوسف، أبو محمد من أهل قرية تكاترت على وادي أوريكة، قريبا من أغمات، وكانت هذه القرية من قبيلة أيلان، مات يوم الثلاثاء سادس رمضان عام 586 هـ، أخذ الفقه على قاضي الجماعة بمراكش حجاج بن يوسف. كان عبدالغفور صالحا، وكان عند إخوته

صك سلطاني بالحمل على المبرة، مما يدل على قدم تقليد «ظهائر التوقير والاحترام» التي أعطاها الامراء فيما بعد للمبجلين لعلمهم أو لصلاحهم، وهذا من أوائل من جمعوا بين الفقه والصلاح في المغرب، وبذلك نالوا شعبية لدى الفلاحين.

ي. التادلي، *التشوف*، 251 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 450.

أحمد التوفيق

**الأيْلاني**، مسعود الأسود، "أصله من بلد أيلان (أغمات أيلان) ونزل بمحلة داوود من بلاد تادلا، وبها مات عام أربعة وستمائة. وكان عبداً صالحاً زاهداً في الدنيا لا يقبل من أحد شيئاً" (*التشوف*، 329).

ومحلة داوود أو محلة داوود بن عائشة هو حصن أنشأه يوسف بن تاشفين يُدعى تاگرارْت أي المحلة، "ماتزال أطلاله قائمة على بعد أقل من عشرين كلم عن بني ملال وسط السهول بين الموقعين المعروفين اليوم بالبزارة والقراقب". وكان هذا الحصن عامراً في القرن السادس (12 م) حسبما جاء في كتاب *الاستبصار* (ص200) : "وهو الآن معمور فيه الأسواق والجامع، والبلد كله كثير الخيرات والأرزاق أحاطت به القبائل من كل الجهات". وذكره البيذق في *أخبار المهدي* (ص 50) عند حديثه عن حركة عبد المومن لتوطيد سلطة الموحدين في الأطلس المتوسط وبلاد تادلا قائلا :"ثم هبطنا لموضع يقال له تاگرارت متاع داوود بن عائشة ثم خرج منا جمع فأكل تاگرارت".

ي. التادلي، *التشوف*، 329 ؛ مجهول، *الاستبصار*، 200 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، 50 ؛ م. عربوش، *من تاريخ منطقة إقليم تادلة وبني ملال*، 1 : 121 ـ 123 و2 : 106 ـ 107.

محمد حجي

**إيمادي، حَمّو**، ولد سنة 1922 بدوار أولاد زغيدا ببني يخلف من إقليم خريبگة. شارك في حوادث الانتفاضة الشعبية التي نظمتها حركة المقاومة في خريبگة والنواحي المجاورة يوم 20 غشت 1955 تخليداً لثورة الملك والشعب. ولما تدخل جنود الاحتلال الفرنسي لقمع جموع المتظاهرين وتفريقهم بقوة السلاح سقط في ساحة الشرف كثير من الضحايا من بينهم الشهيد المذكور الذي قتل على إثر غارة جوية بالطائرة يوم 21 غشت 1955.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين.*

عزالدين العلام

**إيمفوت ← إمفوت**

**إيمُوزّار إداوْتنان**، بلدة بقبيلة إداوْتنان الواقعة جنوب ـ غرب الأطلس الكبير الأطلنتي. كان هذا الأسم يطلق أصلا على مجموعة من الشلالات المائية وعلى أحد الدواوير المرتبطة بها. وأصبح حاليا يطلق على مركز قروي وجماعة محلية تنتمي لإقليم أگادير.

1 ـ الشلالات : مجموعة من مساقط المياه المعروفة لدى السياح بمنطقة إداوْتنان الجبلية، مرتبطة بأسيف تنگرْت، أحد روافد واد تامري الذي يقوم بتصريف حوضَ هيدر جيولوجي واسع ومتجانس نسبيا، يتوافق مع المقعر البنيوي المعروف باسم «مقعر أيت منصور». فمياه الأمطار التي تتساقط فوق هذا المقعر، يتسرب جزء منها باطنياً ولا يظهر على السطح إلا عند «محدب إيمُوزّار» المفرغ مكوناً سلسلة متدحرجة من الشلالات عند الإفريزات التالية : إسْك عند ارتفاع 1240م ، تمْروت 1.000 م، لمْجْديد 700م، تسيلا 580.

صبيب هذه الشلالات غير منتظم، فهو يرتفع شتاءً ويشح صيفا، وذلك بالارتباط مع نظام التساقطات المطرية الذي يتبع نفس التواتر بالمنطقة. أما عن طبيعة المياه، فإنها تبقى دافئة نسبيا على مدار السنة، تعرف نسبة تَمَعْدُن عالية جدا، وذلك بسبب ارتفاع نسبة الكالسيوم ونسبة المغنزيوم بها. ويعود هذا الوضع إلى كون المياه قبل بروزها على السطح تخترق ركائز صخرية كلسية ودلومية سميكة.

2 ـ المركز القروي : يستقر مركز إيمُوزّار إداوْتنان القروي عند فج ضيق يفصل بين عرفين رئيسيين (عرف امادل ـ أمْزيل وعرف تاغروت)، يقع على الطريق الثلاثية رقم 7.002 التي ربطه بالطريق الرئيسية رقم 8 وبمدينة أگادير التي تبتعد عنه بحوالي 60 كلم. ونجد أيضا أن هذا المركز يقع عند الحدود المشتركة بين الفروع الرئيسية المكونة لقبيلة إداوْتنان، الأمر الذي أهله ليصبح مركزا قياديا منذ القديم. وقد تعزز هذا الدور مع دخول الاستعمار حيث أصبح سوق خميس إيمُوزار إداوْتنان سوقا رسميا انطلاقا من سنة 1928. وفي نفس الفترة ظهرت مجموعة من التجهيزات والأنشطة : ثكنة عسكرية، محكمة، معمل للحلفاء، مدرسة، مركز صحي، مركز للقيادة. ومع الاستقلال ظهرت تجهيزات أخرى : مدرسة، مركز بريدي، إدارة فلاحية، ومقر الجماعة القروية. إن هذه الوظائف المختلفة ساعدت على اجتذاب السكان وأدت إلى ظهور حي سكني، وجعلت ساكنة المركز تصل إلى حوالي 1.000 نسمة حسب إحصاء 1982.

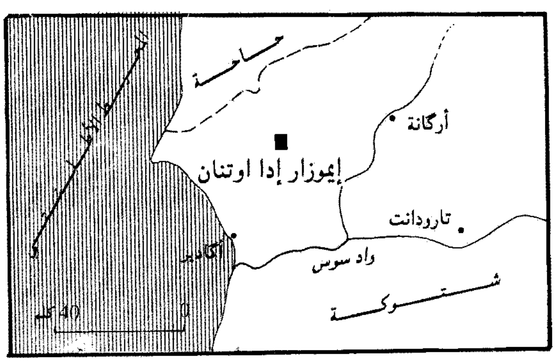


موقع إيموزار إدا اوتنان

3 ـ الجماعة القروية : تابعة لدائرة إنْزگان المنتمية لعمالة أگادير. تحدها من الغرب جماعة تامْري، من

الجنوب، وجماعة أقصري من الشرق، وجماعة إسك من الشمال إقليم الصويرة. وتتوافق هذه الحدود الإدارية مع الحوض الأوسط لأسيف أيت تامر، وهو عبارة عن أراض جبلية تقع عند الجنوب الغربي من الأطلس الكبير الأطلنتي، يتراوح ارتفاعها بين 300 و1.350م، تضاريسها وعرة تتكون من منخفضات وأودية ضيقة تفصل فيما بينها أعراف حادة.

وإذا كانت هذه التضاريس لا توفر إلا مساحة زرعية ضيقة وأتربة فقيرة فإن الارتفاع والقرب من المحيط يوفر رطوبة مهمة (متوسط الأمطار السنوي بمحطة إيموزار يتعدى 500 مم) ساعدت على ظهور غطاء نباتي غابوي متنوع وكثيف نسبيا.

سكان هذه الجماعة ينتمون إلى قبيلة إداوْتنان، بلغ عددهم 9.982 نسمة (حسب إحصاء 1982)، يعرفون كثافة ضعيفة لا تتجاوز 30ن/كلم، يسجلون نسبة نمو هزيلة جداً لا تتعدى 0،08٪ سنويا، أي أنه في كل سنة يضاف إلى ساكنة الجماعة حوالي ثمانية أفراد فقط. إن هذا الوضع لا يعود إلى ضعف التزايد الطبيعي وانما إلى احتدام ظاهرة الهجرة التي تميز كل المناطق الجبلية المجاورة. فالموارد التي يوفرها المجال محدودة جداً تتمثل في الزراعة والرعي وفي النشاط التجاري الذي يتمثل في خمسة أسواق أسبوعية : خميس إيموزار وجمعة أزيار وأحد أمسكر وأحد إدا ومْطاط وثلاثاء تنكرت. كما تعرف هذه الجماعة أيضا نشاطا سياحياً استجمامياً دولياً ووطنياً محدوداً يعيش على هامش قطب أكادير السياحي.

الحسن المحداد

**إيموزار كندر**، مركز اصطيافي هام ارتبط تطوره بموقعه الجغرافي حيث يوجد في منطقة اتصال بين الأطلس المتوسط الغربي جنوبا وسايس شمالا، إذ ينتصب فوق سطح الهضبة على ارتفاع 1.350 م، مطلا بذلك على الأراضي المنبسطة الممتدة نحو فاس والتي تبعد عنه بأقل من أربعين كلم.

هذا الموضع المتميز بالمياه العذبة الغزيرة والغابات الخضراء الفسيحة جعل إيموزار تحمل لقب شرفة فاس. إلا أن هذه الهوية الاصطيافية لم تبرز إلا منذ بداية هذا القرن، خلال فترة الحماية الفرنسية. حيث كان إيموزار كندر يمثل موضعا دفاعيا أقيمت به قصبة لمراقبة القبائل المجاورة وبسط نفوذ السلطة المخزنية، واحتلته قبيلة أيت سغروشن التي تزعم أنها من سلالة الأدارسة، وتقيم به سوقا يربط الاتصال بين الجبل والسهل، وذلك منذ ما يقرب من قرنين. وكانت علاقتها بالمخزن غير قارة. ففي نهاية القرن التاسع عشر وجه المولى الحسن الأول جيوشه إلى إيموزار كندر لمعاقبة سكانه على ما وفروه من مساندة للمتمردين من بني مطير، ومع إقامة الحماية الفرنسية قامت جيوش الاستعمار بتحطيم القصبة سنة 1912 فاتحة بذلك الطريق على المقاومة الجبلية العنيفة. وما أن تمت السيطرة على هذه المناطق حتى ظهر اهتمام بالغ بإيموزار كموضع طبيعي نادر يتميز ببيئة صحية وناعمة : اعتدال الطقس في الصيف، تعدد أماكن النزهة والراحة مثل عين الشفاء وعين السلطان وضاية عوة وضاية حشلاف، إمكانيات واسعة في ميادين الصيد والقنص، إلى غير ذلك. فعملت المصالح الإدارية المختصة على إثر ذلك على تشجيع كل المبادرات. وتشهد بداية العشرينات انطلاقة للعديد من الأوراش العمومية أو الخاصة، ويعتبر نزل «آرنو» 1924 أول نزل شيد بهذه المدينة تلاه بعد ذلك بقليل ملجأ «بارطلمي» عند قدم جبل كندر عن مقربة من القصبة. ونظراً للإقبال الكبير الذي أصبح يعرفه هذا المركز فقد أدى ذلك إلى مضاربات وتعدد التجزءات. وتنعكس العمليات الأولى للمضاربة في إهمالها للمجالات الخضراء وفتحها لبناء بعض أجزاء وادي السلطان الذي يعتبر من أروع ما يميز هذا المركز. ويسجل تاريخ التخطيط المجالي بإيموزار كندر ان تصاميم التهيئة التي وردت لم توقف من خطورة هذه الصيرورة باستثناء تصميم 1944 الذي هدف إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه حيث جاء بقرار منع البناء في المناطق المشرفة على سهل سايس والريف. كل هذه العوامل كان لها أثر عميق في رسم الوجه الجديد لإيموزار كندر وتحديد ملامحه العمرانية. فكما يلاحظ عبر المدينة أعطيت الأسبقية في توزيع المجالات إلى المضاربين والملاكين العقاريين لانعاش وظيفة الاصطياف. وأهملت حاجيات الساكنة المحلية التي بقيت مكتظة في حي القصبة إلى حدود الخمسينات، في الوقت الذي خصصت فيه أحياء شاسعة تحيط بالمركز التجاري إلى الفيلات الفسيحة (500 ـ 1000م). ولتدعيم هذه الوظيفة الأساسية عرف إيموزار كندر تشييد خمس فنادق أخرى ومركز عسكري للاصطياف ومخيمات للطفولة والشباب تابعة لمؤسسات مختلفة، وكذا مجالات خاصة بالألعاب للأطفال ومكتبة مفتوحة للعموم.

إن الأنشطة التي ظهرت مثل الخدمات والتجارة بقيت رهينة بحركية الفصول، حيث تراها منكمشة طيلة شهور عديدة ولا تزدهر إلا في فترة وجيزة وهي فصل الصيف، الشيء الذي لم يساعد على إنعاش هذا المركز بصفة دائمة ومستمرة. كما لم يلاحظ تزايد ديموغرافي مهم ولا تمدين سريع. فإلى حدود فترة الاستعمار لم تتعد الساكنة 2.000 نسمة. إلا أن هذه الوتيرة تزايدت في عهد الاستقلال، إذ وصل عدد السكان 2.880 نسمة سنة 1960 و4.475 سنة 1972 و7018 في 1982. ولا يرجع أصل هذا التزايد البشري فقط إلى عامل التزايد الطبيعي، بل كذلك إلى الهجرة القروية الناتجة عن استقرار القبائل النصف ترحالية. ويمثل إيموزار كندر بالنسبة لها مركزا إداريا يتوفر على خدمات اجتماعية ضرورية بوجود مؤسسات صحية وتعليمية ابتدائية وثانوية، وكذا أنشطة تجارية دائمة، بالإضافة إلى السوق الأسبوعي الذي يقام يوم الاثنين.

ونتيجة للحاجيات المتزايدة في ميدان السكن وعدم وفرة الأراضي القابلة للبناء ووفرة التجزئات الموجهة لذوي

الدخل المحدود انتشر السكن الغير القانوني بأمشاشة وعلا واشوفي مناطق خصصت حسب تصميم التهيئة إلى السكن الذي تصل مساحة القطعة الواحدة منه إلى 3.000 م فما فوق. وانتشار هذه الظاهرة أمر خطير، إذ يتم ذلك في غياب التهيئة والتجهيز الضروري، ويشوه المشهد الحضري للمدينة، في الوقت الذي تدعو الضرورة إلى صيانته باعتبار الوظيفة السياحية المنوطة به. وهذا التدهور الملحوظ لربما يعتبر من الأسباب التي أدت إلى نفور بعض الفئات الغنية من هذا المركز.

Brignon (et al...), *histoire du Maroc* ; B. Desmazières, *Imouzzer du Kandar, problèmes d'equipement d'une station d'estivage, B. E. S. M*, 1952 ; *Note de Présentation du plan d'aménagement de la ville d'Imouzzer du Kandar*, Ministère de l'intèrieur ; *Recensement général de la population et de l'habitat, 1960, 1971, 1982* ; *Carte topographique d'Ifrane* ; *Enquête sur place.*

عائشة البلغيتي العلوي

**إيموزار مَرْمُوشة**، قرية صغيرة تبعد عن فاس بحوالي 130كلم إلى الشرق، وتقع على ارتفاع 1693م، والاسم مركب من كلمتين أمازيغيتين، ترتبط الأولى بعنصر طبيعي، وترتبط الثانية بعنصر بشري. فإيموزار تعني الشلالات المائية، والموقع كثير المياه تسقط كميات منها من أعالٍ مختلفة، أما مرموشة أو إمْرْموشن ـ ولا نعرف معناه

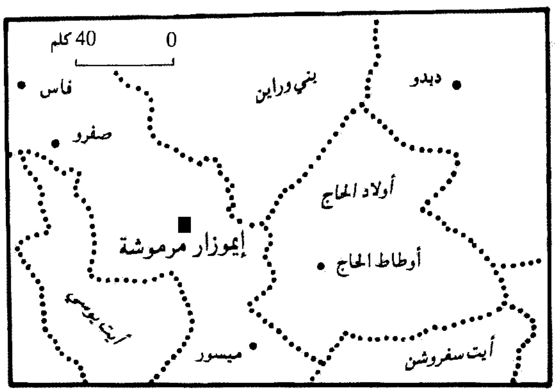


موقع إيموزار مرموشة

اللغوي ـ فاسم القبائل المستوطنة بالمنطقة، وتعرف كذلك بأيت سليم وهو تحريف لما يعتقد أن يكون هو الأصل لأيت تَنسلمت أي بنو المسلمة، وهو ما تعيده الأسطورة التي تناقلتها الرواية الشفوية إلى أول من اعتنق الإسلام من القبيلة التي كانت تدين باليهودية، وكانت امرأة، جرت معها ذويها إلى الدين الحنيف.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 18 ؛ ص. ابن العربي، *كتاب المغرب*، ص 69.

Ch. Reiser et C. Bachelot, *Notice sur le Cercle de Sefrou, B. S. G. M*, N° 4, fev 1918, p. 29-51 ; *Répertoire alphabétique des tribus*, 1939, p.479.

عبدالعزيز توري

**إيمي أحد تاسكدلت** ← **أكادير** (إقليم.)

**إيمي داكان** البارون ڤيكطور لوي Aymé d'Aquin, V. L. Le Baron وزير فرنسا المفوض بطنجة من 1864 إلى 1871. له تقارير ورسائل ديبلوماسية عن المغرب بفرنسا.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، 2 : 606.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 3: 129.

مصطفى بوشعراء

**إيمي نْ تَانُوتْ**، تقع على بعد نحو 120 كيلومترا من مدينة مراكش في اتجاه الجنوب الغربي على الطريق الرئيسية رقم 40 الرابطة بين شيشاوة وأگادير. موضعها على ضفتي وادي إيمي ن تانوت عند خروجه من الأطلس الكبير الغربي وعند قدم جبلي أرْگوسْ 1485م شرقا ولـْگو 1686م غربا، وعلى ارتفاع 884م من البحر. وبذلك يكون إيمي ن تانوت إحدى مدن دير الأطلس الكبير الغربي كأمزميز وأيت أورير.

غير أنها بالمقارنة مع هاتين المدينتين، بل وبالمقارنة مع باقي مدن ناحية مراكش كشيشاوة وتمصلوحت الخ. تسترعي الانتباه سواء من حيث امتداد نسيجها الحضري، أو من حيث نشاط محاورها التجارية الرئيسية، أو من حيث حجم حركة المرور التي تعبرها في اتجاه جنوب المغرب أو شماله.

ومما يسترعي الانتباه من جهة أخرى أن إيمي ن تانوت ـ التي لم تكن في بداية القرن سوى مجموعة من الدواوير ـ استطاعت خلال الثلاثين سنة الأخيرة أن ترقى إلى مستوى سابقاتها من مدن دير الأطلس الكبير الغربي كأمزميز وسيدي رحال، وأن تتجاوزها لتحتل الرتبة الثانية بين المدن التي تؤلف النظام الحضري لمنطقتي الحوز والأطلس الكبير الغربي مباشرة بعد مدينة مراكش.

قبل التطرق إلى عوامل ومظاهر نمو إيمي ن تانوت بالمقارنة مع مثيلاتها بناحية مراكش، تجدر الإشارة إلى تحديد مدلول إيمي ـ ن ـ تانوت أولا وإلى محاولة التأريخ لها ثانيا.

يتكون اسم إيمي ن تانوت من كلمتي «إيمي» التي تعني الفم أو الباب، و«تانوت» التي تفيد البئر الصغيرة.

موقع إيمي ن تانوت عند قدم جبال الأطلس الكبير الغربي من جهة وعند مدخل أحد فجاجها المطروقة من جهة أخرى. ولربما يعتبر هذا الموقع السبب الرئيسي في كون هذا الموضع بدأ يرد في الكتابات التاريخية بهذا الاسم على الأقل منذ العهد الموحدي.

فقد ورد عند ابن عذارى المراكشي (*البيان*، 4 : 96) في شأن موقعة بني ملول بأراضي حاحة بين القوات المرابطية بقيادة الأمير تاشفين بن علي والقوات الموحدية بقيادة عبد المؤمن أن هذا الأخير طارد تاشفين «حتى موضع يسمى إيمي تانورت»، وهو موضع يبدو من خلال تفاصيل المعركة أنه إيمي ن تانوت.

وإذا سلمنا بأن مثل هذه المواقع كان لها دور كبير في تحديد الطرق التجارية وتوجيهها على مر العصور كما يظهر من الأوصاف التي خلفها الجغرافيون عن المسالك التي كانت تسلكها القوافل التجارية بين شمال المغرب

وجنوبه، فإننا قد نذهب إلى القول بأن إيمي ن تانوت ربما كانت معروفة حتى قبل العهد الموحدي.

فقد ورد عند البكري في كتابه *المغرب* عند وصف الطريق الرابطة بين أغمات وسوس :«من أغمات وريكة إلى مدينة نفيس... مرحلة ؛ ومن مدينة نفيس إلى مدينة أفيفن مرحلة وهي مدينة بطحاء كثيرة المياه والفواكه. ومنها إلى مدينة تامدورت مرحلة، وهي مدينة لطيفة طيبة ومنها ترقى في جبل درن».

وهو وصف لطريق يصعب ولا شك تتبعها على الخريطة بسبب اختفاء اسمي أفيفن وتامدورت وبسبب جهلنا لموقع مدينة نفيس.

إلا أن وصف البكري يفيد أن أفيفن تقع في السهل وأن تامدورت تقع عند قدم الجبل، وهما موقعان يشبهان إلى حد بعيد موقعي مدينتي شيشاوة وإيمي ن تانوت الحاليتين. فهل هذا يعني أن أفيفن وتامدورت اسمان قديمان لشيشاوة وإيمي ن تانوت ؟

سؤال أجاب عنه أحمد التوفيق بالإيجاب عند تحقيقه لكتاب *التشوف* (ص 129)، إلا أننا إذا كنا نشاطره الرأي بالنسبة لتامدورت فإننا نتحفظ فيما يتعلق بأفيفن. وحجتنا في ذلك كون البكري أورد اسم شيشاوة عند ذكره لطريق أغمات/گوز واسم أفيفن عند ذكر طريق أغمات/سوس. فتكون في نظرنا طريق أغمات/گوز في السهل على شيشاوة، وطريق أغمات/ سوس على الدير وعلى تامدورت التي قد تكون هي إيمي ن تانوت.

ومهما يكن من أمر فإن إيمي ن تانوت لم تذكر بهذا الاسم إلا في بداية القرن السابع عشر. ومما تجدر الإشارة إليه أن ذكرها اقترن بحدث تاريخي مشهور أورده الافراني (*نزهة الحادي*، 208) حيث قال إن يحيى بن عبد الله الحاحي لما بلغ «فم تانوت موضع على مرحلتين من مراكش» وهو في طريقه لإغاثة زيدان كتب له أبو محلي بما نصه «بسم الله الرحمن الرحيم من أحمد بن عبدالله إلى يحيى بن عبدالله بلغني بأنك جندت وبندت وفي تانوت نزلت...» وكان ذلك في ثامن رمضان عام اثنين وعشرين وألف.

إلا أن السؤال الذي يبقى مطروحا هنا هو : ما هي طبيعة هذا الموضع ؟ لا شك أن الكتابات التاريخية القديمة لا تساعد على الإجابة عن مثل هذه الأسئلة لكونها تكتفي في غالب الأحيان بالإشارة إلى الموضع دون تحديد طبيعته.

فقد ورد في هذا الشأن على لسان المبعوث الفرنسي Saint Amans أنه «بالقرب من المكان المسمى فم تنوت والذي يعني المضيق لأنه الممر الوحيد الذي ينفذ منه إلى الجبال ـ توجد قصبة تحمل اسم ميفيتة» (*Journal*, t : 2, p. 328).

نفس الإشارة أوردها طوماس بيلو Thomas Pellow في قصة مقامه بالمغرب. يدل وجود هذه القصبة على أن إيمي ن تانوت لم تكن مجرد مدشر عند مدخل الوادي. إلا أنه من الصعب تحديد وظيفتها. فهل كان الهدف منها حماية طريق سوس على فج تيزي ن ماشو/تيزي ن بياون؟ أم كان الغرض منها قطع طريق السهل أمام سكان الجبل ؟. أسئلة ترتبط الاجابة عنها بمعرفة باني هذه القصبة.

لا شك أن بناء القصبات بالمغرب ارتبط بضرورة حماية الطريق التجارية من جهة وبرغبة التحكم في تحركات سكان الجبال من جهة أخرى.

وإذا اعتبرنا أن سكان جبال درن كانت تربطهم بمنطقة الحوز علاقات جد متميزة ـ لدرجة يمكن القول معها بأن منطقة الحوز كانت على الأقل إلى غاية نهاية الحكم الموحدي جزءا لا يتجزأ من مجال أهل جبال درن ـ فإن بناء هذا النوع من المعالم يصبح أمراً ضرورياً. ولعل خير شاهد على هذا الحصون التي شيدها المرابطون على طول قدم جبال درن لمنع الموحدين من الهبوط إلى الحوز، وتلك التي بناها المرينيون بنفس المنطقة بهدف محاصرة سكان جبال سكساوة. (*العبر*، 6).

وتعتبر مدينة القاهرة التي اختطها فارس بن ميمون بن وادرار بأمر من السلطان المريني أبي عنان عند مدخل وادي سكساوة على بعد حوالي ستة كيلومترات شرق إيمي ن تانوت، من أشهر هذه الحصون.

إلا أن سكوت الكتابات التاريخية عن ذكر إيمي ن تانوت قبل بداية القرن السابع عشر، بهذا الاسم من جهة وورود ذكر القصبة بجوارها بعد ذلك من جهة أخرى يدفعنا إلى القول بأن قصبة إيمي ن تانوت يعود بناؤها إلى السلطان مولاي إسماعيل العلوي.

وقد يعود بناؤها إلى رغبة هذا السلطان في الإبقاء على الأهمية التي اكتسبتها طريق تيزي ن ماشو خلال الحكم السعدي، أو إلى رغبته في قطع الطريق أمام منافسيه في الحكم وخاصة ابن أخيه المولى أحمد بن محرز الذي ثار عليه بالسوس.

وخلاصة القول أن إيمي ن تانوت بحكم موقعها عند مدخل أحد فجاج جبل درن المطروقة كانت ولا شك محطة في طريق سوس تارة وقصبة عند قدم جبال الأطلس تارة أخرى. وهما وظيفتان تكاد تختص بهما معظم المراكز الواقعة على الدير عند مخارج الأودية الأطلسية الرئيسية.

إلا أن الوظيفة التجارية كانت على ما يبدو تفوق الوظيفة)المخزنية أو الإدارية ببلدة إيمي ن تانوت على الأقل إلى غاية بداية القرن العشرين.

ولعل خير شاهد على هذا ما ورد على لسان A. Brives وE. Doutté حول أهمية سوق إيمي ن تانوت وعلاقاتها التجارية مع الصويرة.

وقد عبر الطبيب الفرنسي P. Chantinières على هذه الأهمية بقوله :«يوجد عند مدخل خانق وادي إيمي ن تانوت مدشر كبير وملاح وسوق هامة. وبإيمي ن تانوت يمر ويحط عدد كبير من القوافل، لذا فإن الحركة التجارية بها جد مهمة».

غير أن إيمي ن تانوت بقيت بالرغم من أهمية المبادلات التجارية التي يشهدها سوقها الأسبوعي عبارة عن مجموعة من الدواوير أي عبارة عن مركز قروي ضعيف الأهمية بالمقارنة مع أمزميز مثلا. ويزيد من ضعفه أنه لم يكن مركز سلطة. فقد لاحظ A. Brives في بداية هذا القرن «أن الدواوير الأربعة أو الخمسة التي تتألف منها إيمي ن تانوت كانت خاضعة لنفوذ شيخ بسيط وأنه لا يوجد بها لا قائد ولا خليفة».

ويعود انعدام الوظيفة المخزنية هذه إلى كون قبيلة نفيفة التي توجد إيمي ن تانوت ضمن مجالها كانت خلال هذه الفترة خاضعة لنفوذ القائد المتوگي الذي كان يقيم ببوْأبُوض ولم تضطلع إيمي ن تانوت بهذه الوظيفة إلا بعد 1912 وبالخصوص بعد تراجع نفوذ المتوگي بهدف إخضاع القبائل المجاورة، كما ورد في إحدى تقارير F. La chapelle (Un grand Caïdat, pp. 372-386). وقد كان لهذه الوظيفة الجديدة أثر كبير في نمو إيمي ن تانوت وتطورها. إذ ساعد ازدياد أهمية إيمي ن تانوت الإدارية والتجارية على ارتفاع عدد سكانها وازدياد حجم تجهيزاتها الإدارية والتجارية، وبالتالي ازدياد كثافة علاقاتها بمجالها الريفي وتشكل نسيجها الحضري واتساعه.

يعتبر التزايد الديمغرافي من أهم مظاهر النمو الذي عرفته إيمي ن تانوت منذ بداية هذا القرن كما يظهر من خلال الجدول الآتي :

| السنوات | عدد السكان | نسبة التزايد السنوي |
|---|---|---|
| 1931 | 1519 نسمة | - |
| 1936 | 1866 نسمة | ٪ 4,20 |
| 1960 | 2803 نسمة | ٪ 1,70 |
| 1971 | 5340 نسمة | ٪ 6,03 |
| 1982 | 8672 نسمة | ٪ 4,50 |

وهكذا فقد تضاعف عدد سكان إيمي ن تانوت أكثر من خمس مرات في ظرف خمسين سنة. إلا أن هذا النمو، بعد أن سجل أكبر وتيرة له فيما بين 1960 و1971 ضعف بصفة ملحوظة فيما بين 1971 و1982.

ومما لا شك فيه أن الهجرة القروية تعتبر من أهم الأسباب المفسرة لهذا التزايد كما تدل على ذلك الأرقام الآتية حول مكان ازدياد أرباب الأسر المقيمة بإيمي ن تانوت سنة 1980 :

| مكان الولادة | عدد أرباب الأسر | ٪ |
|---|---|---|
| إيمي ن تانوت | 320 | 29,76 |
| الوسط القروي | 675 | 62,79 |
| الوسط الحضري | 80 | 7,45 |

ولن يفوتنا التأكيد على أن نطاق الهجرة القروية هنا لا يتعدى حدود الدائرة إن لم نقل حدود قبيلة نفيفة التي توجد إيمي ن تانوت ضمن مجالها. مما يجعل هذا النوع من المدن مدنا قبلية قبل كل شيء. فيكون نموها رهينا إلى حدّ بعيد بامكانات القبيلة التي تنتمي إليها.

ومن البديهي أن يكون لهذا التزايد الديمغرافي الكبير انعكاس على التجهيزات التي تتوفر عليها بلدة إيمي ن تانوت.

سبقت الإشارة إلى أن إيمي ن تانوت لم ترق إلى مستوى المركز الحضري إلا بعد أن استقرت الإدارة الاستعمارية بها. مما يجعلها أولا وقبل كل شيء مركزاً إدارياً. وفي هذا الصدد كتب أندري أدام A. Adam يقول : أريد أن أشير إلى ظاهرة جد مهمة تتجلى للعيان وهي لا تزال في بدايتها: ظهور نواة مدينة حول السوق، إننا نشاهد ميلاد مدينة صغيرة بإيمي ن تانوت (*Etude....*).

وعلى هذا الأساس أقيمت بإيمي ن تانوت تجهيزات إدارية هامة تضاعف عددها مرتين ونصفاً منذ 1952 ؛ وهي تجهيزات تطغى عليها المصالح ذات الطابع التقني كالفلاحة والمالية والأشغال العمومية... على حساب المصالح ذات الطابع الاجتماعي كالتعليم والصحة مثلا. وقد بلغ عدد المصالح بها سنة 1980 تسع عشرة، منها ثلاث عشرة تقنية وست ذات طابع اجتماعي.

ومما لا شك فيه أن وجود هذه التجهيزات ساهم في اجتذاب سكان الأرياف المجاورة من جهة وفي إقامة مرافق تجارية حرة بجوار السوق الأسبوعية القديمة من جهة أخرى.

وهكذا أصبحت إيمي ن تانوت تتوفر على بنية تجارية معقدة تتمحور حول قطاع الحرف والخدمات أولا، وحول تجارة المواد الغذائية ثانيا، وهي بنية تشبه البنى التجارية لباقي مدن الدير (Bellaoui, *Aït Ourir* ....) ولا تختلف عن البنى التجارية لمدن شمال المغرب الصغرى (Troin, *Essai méthodologique*...) إلا قليلا كما يظهر في الجدول الآتي :

| المواد الغذائية | الألبسة | التجهيز المنزلي | المنتجات الريفية الخام | منتجات الصوف الريفية | الحرف والخدمات |
|---|---|---|---|---|---|
| ٪ 28,63 | ٪ 12,57 | ٪ 5,57 | ٪ 3,86 | ٪ 1,13 | ٪ 48,25 |

جدول البنية التجارية في مدن الدير الصغرى

يستخلص مما سبق أن مركز إيمي ن تانوت يضطلع بوظيفتين أساسيتين الوظيفة الإدارية والوظيفة التجارية.

وهو أمر ينعكس بديهيا على بنية الشغل بالمدينة كما يظهر من خلال الأرقام الآتية :

| القطاع | عدد أرباب الأسر | ٪ |
|---|---|---|
| الفلاحة | 40 | 3,72 |
| التجارة - الحرف والخدمات | 540 | 50,22 |
| الوظيفة العمومية | 120 | 11,16 |
| العمال بالخارج | 125 | 11,62 |
| عمال "الموقف" | 60 | 5,58 |

ومن الواضح أن الوظيفة التجارية بإيمي ن تانوت تستفيذ من موقع المدينة بالنسبة لظهيرها الجبلي من جهة، وبالنسبة لسوس ومن خلاله الأقاليم الصحراوية من جهة أخرى. مما يجعل علاقات إيمي ن تانوت بمحيطها الريفي أولا وبمدن الدارالبيضاء ومراكش وأكادير ثانيا جد هامة بالمقارنة مع باقي مدن الدير. ولعل خير شاهد على كثافة هذه العلاقات الحركة الدائبة التي تعرفها المحاور التجارية الرئيسية للمدينة والمكانة التي تشغلها المجالات التجارية ضمن النسيج الحضري العام لهذه الأخيرة.

إن إيمي ن تانوت تتميز، على عكس مدن الدير القديمة كأمزميز ودمنات خاصة، بنسيج حضري متعدد النوى أي بنسيج حضري منفك. إذ تتمدد الأحياء على طول الوادي وعلى طول الطريق الرئيسية رقم 40 والطريق الثلاثية رقم 6403 انطلاقا من الدواوير القديمة الواقعة عند مدخل الوادي. وهذا الانفكاك ناتج :

- أولا: عن وجود مجرى الوادي نفسه الذي يحول دون اتصال السكن بين ضفتيه.

- ثانيا : عن وجود بستان للزيتون على ضفتي الوادي تسهر السلطات المحلية على حمايته كمجال أخضر.

ثالثا : عن وجود مجموعة من الشعاب غير صالحة للبناء على ضفتي الوادي.

رابعا : عن وجود مقبرة كبيرة بين تازْرُوتْ وإزُوران على الطريق الرئيسية رقم 40.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن النسيج الحضري لإيمي ن تانوت تشكل بالأساس حول دواوير أدَّار وأفْلاَنْ تَلاَت وتگاديرْت وسيدي علي إسحاق. ويبدو من خلال كتابات الرحالة والمستكشفين الأوربيين أن كلا من دواريْ أفلان تلات وتگاديرت كان يضم ملاحاً خاصاً به، وأن الإدارة الفرنسية استقرت ما بين 1927 و1932 بالقرب من دوار سيدي علي إسحاق على الضفة اليسرى للوادي. وعلى هذا الأساس فالأحياء الجديدة هي : الحي الإداري الحالي وامتداده على طول الطريق الثلاثية رقم 6403 في اتجاه دْوتران وعلى طول المسلك المؤدي إلى دوار القصبة «التحتانية» ثم أحياء تَازْرُوت القديمة وتازْروت الجديدة وإزْران على الضفة اليسرى للوادي.

ولن يفوتنا هنا التأكيد على الدور الذي لعبه العمال العاملون بالخارج في تنشيط حركة البناء بإيمي ن تانوت، ذلك لأن امتلاك الدار بالمدينة يعتبر من بين الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها جل أهالي المنطقة العاملين بالخارج. وقد أحصي في ملكيتهم 336 مسكنا بإيمي ن تانوت سنة 1980. إلا أن إيمي ن تانوت تشكو من ضيق المجال القابل للبناء بسبب الحواجز التي سبقت الإشارة إليها من قبل وبسبب سيادة الأراضي الجماعية.

لا شك أن إيمي ن تانوت استفادت، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، من كونها اضطلعت منذ مطلع القرن بوظيفتين أساسيتين : الوظيفة الإدارية والوظيفة التجارية، وأن هاتين الوظيفتين ساهمتا إلى حد بعيد في نموها الديمغرافي وفي توسيع مجالها المبني بل وفي ترقيتها إلى مستوى مركز حضري.

إلا أن تحول عدد لا يستهان به من الأسواق - بما في ذلك الأسواق الجبلية - إلى «اسويقات» دائمة تحت تأثير تصاعد هيمنة الحواضر على البوادي، تسعى هي الأخرى إلى التوسط بين المدينة والبادية من جهة، وأن عدم تمكن المدن الصغرى من تنويع بنياتها الاقتصادية والتشغيلية من جهة أخرى، يطرح ولا شك مشكل مستقبل هذا النوع من المدن. مما يستوجب التفكير في تخصيص هذه المدن بوظائف جديدة في إطار سياسة جهوية تتوخى إعادة التوازن بين مختلف مكونات مجال جهوي معين.

أ. البكري، *المغرب في ذكر افريقية والمغرب* ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ ابن عذاري، *البيان*، 4 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 6 ؛ م. الإفراني، *نزهة*.

M. Morsy, *La Relation de Thomas Pellow* ; A. Brives, *Voyage au Maroc*, 1901-1907, Alger, 1909 ; Saint Amans, in *les S. I. H. M, dynastie filalienne, t: 2*, p. 328 ; De la Chapelle, *Un grand Caïdat du Sud Marocain, Renseignements coloniaux*, octobre, 1927, pp. 372-386 ; E. Doutté, *En Tribu* ; J. F. Troin, *Essai méthologique pour une étude des petites villes*, Annales de géographie, Nº 354, sept-oct , 1971 ; A. Adam, *Etude économique et sociologique d'un souk du Haut Atlas occidental, Imi-n-tanout*, Genève, 1956 ; A. Bellaoui, *Aït Ourir....*, thèse de doctorat de 3e cycle, Tours, 1982.

أحمد بلاوي

**إيمي نيفْري**، معناه : باب المغارة، موقع على بعد أربعة كلم من دمنات، في جنوبها الشرقي، مطل عليها من علو 1080 م فوق سطح البحر، تؤدي إليها طريق معبدة وطريق أخرى عبارة عن مسرب بدوي يحاذي مجاري الماء المتدفق ويسظل بظلال أشجار الجوز الشماء، تصعده البغال في حوالي ساعة من الزمن. وإذا بلغ القاصد إلى إيمي نيفري وجد منبع وادي أمهاصر وهو عنصر السواقي التي تروي واحة دمنات المخضرة وتدير عشرات الأرحاء التي كانت إلى وقت قريب على وادي أمهاصر. وعند هذا المنبع مغارة يعلوها جسر طبيعي فريد من نوعه خرم الماء أسفله بعد أن عمل في تضاريس من الكالكير تتدلى من قبتها هوابط (Stalactites) غير أن المغارة التي يبلغ ارتفاعها حوالي عشرة أمتار قد ردم بابها بشكل شبه تام، وعلي علو شاهق من المغارة تطوف باستمرار عشرات من طيور الزاغ الشبيهة بالغربان تقطع بأصواتها صمت الموقع الأزلي الرهيب. وكان للمسلمين واليهود على السواء من أهل القبائل المجاورة اعتقاد مفاده أن مغارة إيمي نيفري يسكنها عفريت له سبعة رؤوس يخطف العرائس، فصالحه السكان بعروس واحدة كل عام، فلما جاء دور ملك عصر مًا أشفق من مصير ابنته واستغاث "بالملك سيف" فاقتحم المغارة وقضى على ذلك العفريت الظالم (Doutté, *En tribu*, 217) وعند المنبع الذي في أسفل المغارة كان المسلمون واليهود إلى عهد قريب يذبحون ثورا ويقيمون وليمة في اليوم الرابع عشر بعد مرور عيد الأضحى.

*تحريات ميدانية*.

P. Ricard, *Le Maroc*, 143 *(Guide bleu)*, 1930.

أحمد التوفيق

**إميدر ← ورزازات** (اقليم)

**إميلي ← وادالذهب**

**إمينولاون ← ورزازات** (اقليم)

**أيننار ← سمك**

**إينولتان**، من قبائل الأطلس الكبير الأوسط. وفيها مدينة دمنات، وهي مركزها الإداري والتجاري. كانت ضمن المجموعة القبلية الكبرى هسكورة الممتدة حسب أول الإشارات المكتوبة إليها على عهد الموحدين، في السفح الجنوبي للأطلس شمالي سكورة الحالية شرقي ورزازات، وكذا على السفح الشمالي المقابل له بين وادي تاساوت المار بفطواكة وبين أيت عباس وأيت مصاض المعدودين من صنهاجة، ولربما كانت إينولتان هي «أهل الوسط» من هسكورة، لأن أقرب اشتقاق للاسم أن يكون من أُول الذي هو «القلب» وإينْ تدل على نسبة الجمع. ورسمها عند البيذق (ص 44 من طبعة ل. پروفنسال) :«إين ولتان»، ويعطي صيغة تعريبها على عادة قلب الهمزة هاء والختم بالتاء علامة للجمع : «هلتانة». ولعل وصول مقدمة الهساكرة إلى السهل شمالي الأطلس عند حدود موطن دكالة قبل استقرار عرب بني هلال وبني سليم على ضفاف نهر أم الربيع جعل العصبية الهسكورية تتلاشى والمجموعات المكونة لها تستقل وتبرز وتتفكك، حتى إن الانتماء إلى القبيل الهسكوري قد تنوسي نهائيا. ولكن إينولتان لا يدعون الانتساب لجد مشترك، مما يقوي الاعتقاد بالطابع الجغرافي الستراتيجي لتسميتهم.

ولا شك أن الموقع الجغرافي قد تحكم إلى حد ما في تاريخ إينولتان، وأبرز عنصر في هذا المجال هو وجودها في ملتقى طريق الدير( طريق مطاردة عبدالمومن لتاشفين بن علي) مع الطريق المارة بتيزي ن فدغات بين دادس والحوز، وهي طريق طالما نافست في الأهمية التجارية تلك الطريق المارة بتيزي ن تلوات بين وادي درعة ومراكش، إضافة إلى أن دمنات، قلب إينولتان، لا تبعد كثيرا عن الطريق السلطانية المارة بالسراغنة في اتجاه مراكش أو فاس.

فحدود إينولتان اليوم هم هنتيفة وأيت مَحمد وأيت عباس وأيت بُـوُولّي وفطواكة والسراغنة، أي أنهم بين الكتلتين القديمتين مصمودة من الغرب وصنهاجة من الشرق والشمال الشرقي، ثم انضافت إليهما كتلة عرب بني هلال الذين استقروا في السراغنة ومرتفعات أمّاي أو زمران.

أرض إينولتان معظمها جبلي تغطيه الغابات فقير التربة كثير المنحدرات، وفيه ربع أيت شتاشن وأيت بلال وإينتكْطُو الجبل وربع إيواريضن وأيت تُوتْلينْ. أما أرض إيشْكْطُو السهل وفرقة أيت ماجطن من ربع دَمنات وحوض وادي أمهاصر الذي به دمنات فأقل انحداراً وأكثر خصباً. وعلى العموم فإن مواردهم اقتضت دوما الموازنة بين نشاط الزراعة ونشاط اكتساب الماشية.

ولا شك أن سكان إينولتان تجددوا على مر العصور بالوافدين عبر الطرق التي تكون ممرا لها، أي من درعة ودادس وتافيلالت وسوس والحوز والجهات المجاورة لهم من الأطلس الغربي ثم من قبائل حوض وادي العبيد، لذلك تجد الأفخاد والأسرالمكونة لأرباعهم تدعي لنفسها انتماء إلى نقطة بعيدة في الغالب، وفيهم أشراف ومرابطون استوطنت أسر تلك الجهة من عدة القرون كما تشهد على ذلك وثائق مكتوبة.

أما تقسيمهم إلى أرباع يتكون كل منها من ربع يضم فرقا متميزة تضم بدورها عدة قرى في كل فرقة تربط بينها عظام، فيخضع من جهة لإستراتيجية تجزيئية ولحتميات جغرافية كما يحمل بصمات المخزنة ومقتضيات التقسيم الجبائي، وقد لا يعدم الباحث المختص العثور على عنصر أصلي إينولتاني متميز بملامحه، على غرار ما نجد من تميز للغة إينولتان الأمازيغية بكونها وسطا من حيث المعجم والأصوات بين تاشلحيت الأطلس الغربي وتامزيغت أطلس تادلا (Boulifa, *Textes, Introduction*).

يظهر أن إينولتان قد اعتنقوا الإسلام مع مجموعة الظل الهسكورية منذ الزمن الأسلامي المبكر بالمغرب، وقد ذكر صاحب *التشوف*(ق 6 هـ) رجالا مبجلين في إينولتان ما تزال معالم أضرحتهم وأسماؤهم معروفة، كما انضاف إليهم مبجلون آخرون في القرون التالية، وكل هذا يدل على العمل الدؤوب الذي أنجزه رجال لربط هذا الوسط وأهله بالعقيدة وبالشريعة (الكيكي، *مواهب ذي الجلال*)، ولكن ذلك العمل لم يقض نهائيا على كثير من الممارسات والاعتقادات المتصلة بالمجتمع الزراعي الوثني.

وقد كان بإينولتان ساكنة من اليهود المستوطنين بالقرى الجبلية الواقعة على الممرات أو تلك القريبة من السهل كما عند أيت ماجطن، كما كانوا بقصبة دمنات يشكلون في بداية هذا القرن العشرين بنسبة الثلث، وكانوا ممتزجين بالسكان في حياتهم ونشاطهم إلى أن خلفت أزمات التدخل الأجنبي في النصف الثاني من القرن الماضي سياقا طالبوا فيه بأن يخصص لهم حي متميز عن أحياء المسلمين، وكانت لهؤلاء اليهود بِيَعٌ وأماكن معتقد فيها، وبعضها مشترك بينهم وبين بسطاء الفلاحين المسلمين المترددين عليها (Voinot, *Pelerinages*).

إن التاريخ السياسي لاينولتان هو تاريخ أنظمتها في التسيير الداخلي، من جهة، وتاريخ علاقتها مع المخزن، من جهة أخرى. أما أنظمتها الداخلية فلا تختلف عن أنظمة بقية القبائل الجبائل التي درجت على تقاليد الاحتكام إلى الأعراف التي يسهر عليها محكمون أو مجالس يقع التناوب على الإشراف عليها بشكل يستبعد تجذر السلطة الفردية، وتلك المجالس كانت تخدم في كثير من الحالات مصالح بعض الأعيان المتقمصين لهوية تميز الفرق في نسق تجزيئي لا يتعارض فيه التراتب مع التوازن.

وأما علاقات إينولتان بالمخزن فلا تفهم خارج تتبع تاريخ دمنات لأنها نقطة التقاء الطرق التجارية، ولأنها القصبة التي سكنها الولاة المخزنيون والمركزالذي لا يمكن أن يغفل السلطان في عصر من العصور عن التطلع إليه كما تدل على ذلك أخبار شاردة في كتب الحوليات، لانها مركز يليق بحضور الجابي وبقيام العامل الذي يستنفر مجندي القبائل، وهي مفتاح السيطرة على كتلة بشرية هائلة، فهي مصدر المحن للإينولتانيين وهي في نفس الوقت مقر نشاط مربح لا غنى عنه لذلك اجتمع الإينولتانيين للانقضاض عليها لما توفي السلطان مولاي الحسن (1894/1311) وانتقموا من عاملها، ودمروها جزئيا ولكنهم ما لبثوا أن قرروا إعادة النشاط والحيوية إلى أسواقها ونصبوا مشيخة تتناوب عليها القبائل مدة ففي العامل أي قرابة سنتين. وكذلك فعلوا بعد مقتل عاملهم الحاج الجيلالي الدمناتي عام 1904. ولم تكن هذه الحلقة السياسية المتمثلة في تعبئة إينولتان لإقامة مشيخة منتخبة لحفظ الأمن على مستوى مركزها دمنات سوى صدى لما وقع غير ما مرة في أزمان فتور الملك كمثل الحال التي وصفها الحسن الوزان بالنسبة لدمنات وأختها ألمدين المنقرضة بجانبها، وكلما عادت للمخزن سطوته دانت له إينولتان ولو جزئيا فتؤدي الجباية وتشارك في الاستنفار للحرب، وقد كانت كغيرها من قبائل المخزن تسهم بالمشاركة في جميع المطالب المخزنية ومن ضمنها عدد من المجندين متناسب مع قدرتها البشرية وعدتها المادية، وقد قامت ما بين منتصف القرن الماضي وتاريخ الدخول الفرنسي إليها وهو 1914، بعدة انتفاضات على الولاة كرد فعل على أنواع من الاستنزاف، وحتى في أيام الوجود القوي لعمالة دمنات كانت فرق من إينولتان ولا سيما المتوغلة منها في الجبال تتمرد على مطالب قائد دمنات من حين لآخر، سيما إذا لم تكن تربط أعيانها بسوق دمنات مصالح ثابتة.


م. الغجدامي، *التسلي*، مخطوط ؛ أ. نجيب، *القول الجامع*، مخطوط ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي*.

P. Flamand, *Demnate, un mellah en pays berbère* ; E. I. *Demnate.*


أحمد التوفيق

**أيوَيْس** الحسنوي، فقيه مفتٍ من قبيلة بني حسن الشهيرة بمنطقة الغرب بين سلا وفاس. وصفه القادري في *نشر المثاني* (4 : 249) بـ«الشيخ المسن الفقيه العالم المفتي النوازلي» وقال إنه ورد على فاس بعد العشرة السادسة - من القرن الثاني عشر - بعد أن تخرج من مكناسة الزيتون على يد صاعقة الفقه المالكي في وقته الحسن بن رحال المعدني. كان أيويس يخرج باستمرار لبوادي فاس ويحضر الأسواق فيسفتيه البدو فيفتيهم بغير المشهور ويقبض منهم الهدايا. ويعتمد فقهاء البادية على فتاواه فيقضون بها لجهلهم بقواعد الأحكام.

ذكره القادري في خاتمة *نشر المثاني* ضمن أشياخ القرن الثاني عشر الذين لم يقف على تعيين وفاتهم. وعين ابن زيدان في *الاتحاف* تاريخ وفاته بفاس عام 1170 / 1780.


م. القادري، *نشر*، 4 : 249 - 250 ؛ ع. ابن زيدان، *الاتحاف*، 2.


محمد حجي

**أَيِّر**، قصبة تقع بدكالة على لسان من الأرض داخل في المحيط الأطلنتي، ويبعد عن قصبة الوليدية جنوباً بنحو ثمانية كيلومترات، ولا يعرف بالضبط تاريخ تأسيس هذه القصبة، غير أن اسمها الأمازيغي يدل على أن تأسيسها يعود إلى عهود قديمة، ويقول الكانوني إنها كانت موجودة في القرن الثامن الهجري، معروفة في التواريخ الافرنجية بـ (كاب أير). ويعني اسمها «الذِّرَاع»، أي الجزء الأرضي الداخل في البحر، الذي تقع عليه هذه القصبة التي كان لها بابان، أحدهما للبحر وعليه برج كبير، وآخر للبر، وعليه برج كبير كذلك، كما كان بخارج هذا الباب مسجد عتيق يحتوي على عشرين سارية كتب ببابه من الداخل «فُتح هذا الباب لجهة البحر منذ 1200م» وكان كذلك لهذه القصبة منار ومدرسة محتوية على عدة بيوت، كانت بلا شك مُعدّة لإيواء الطلبة الذين كانوا يتوافدون عليها، مما يدل على عناية أهلها بالقرآن والعلم والدين.

يحدثنا ابن عبد العظيم الأزموري أن أبا جعفر إسحاق بن اسماعيل الامغاري الحسني استوطن في أول أمره قصبة أيِّر (1028م) وبها تزوج أم مولاي عبدالله، صاحب زاوية تيط، وعاش بها مدة قضاها في الوعظ والإرشاد والتدريس قبل أن يرجع لتيط في بعض الفتن التي حدثت في قصبة أيِّرْ، ولا يزال مقامه هناك عليه قبة صغيرة تذكاراً له.

وهي من النقط كالوليدية ونامير التي احتلها البرتغال، واتخذوها مركزاً لجنودهم الذين كانوا ينقضون منها على مدينة أسفي ؛ وأخضعها المحتلون كغيرها من القرى لأداء ضرائب عينية مُرهقة.

وفي سنة 1517/922، توجه إليها الشريف محمد الشيخ السعدي، وحاصرها، فكان من حسن حظه أن انفجر برميل بارود بداخلها، فانْهَدّتْ بسبب ذلك بعض الأسوار واختل نظام البرتغال فأسلموا أنفسهم أسارى للشريف.

لم تكن أيّر ميناءً آنذاك. ويروي طيراس أن أحد المغامرين الفرنسيين كان يتوفر على بعض المعلومات التقنية فاستطاع أن يصبح من المقربين لمولاي زيدان السعدي، وأشار عليه ببناء مرسى في بحيرة أير، في المكان الذي توجد فيه اليوم الوليدية، وحاول أن يجعل فرنسا هي المستفيدة من هذا المشروع، لكنه أخفق في مسعاه. ومن الواضح أن الأمر قد اختلط هنا على طيراس لأن الفكرة التي راودت مولاي زيدان في انشاء ميناء جديد لم تكن تتعلق بأير وإنما كانت تتعلق ببحيرة الوليدية نفسها.

ويظهر أن قصبة أيِّر كانت في الماضي مصمودية، بينهما يؤكد الكانوني أنه يسكنها الآن قوم من صنهاجة وغيرهم كانوا محل إجلال من ملوك الإسلام لقيامهم بحراسة البحر، وهي آخذة في التلاشي على رغم وفرة سكانها.

ويشتغل أهلها الآن بزراعة الطماطم والخضر وبصيد السمك.

ومن الأضرحة الشهيرة بهذه القصبة ضريح أحمد بن الطاهر بن الحسن الفارسي، الذي توفي في أواسط القرن الثالث عشر للهجرة، وضريح أبي العباس أحمد بن عبد الواحد الفارسي الذي توفي في أواخر القرن الماضي ودفن بالزاوية الفارسية بقصبة أيِّر كذلك.

ابن عبد العظيم، *بهجة الناظرين* ؛ م. الكانوني، *أسفي* ؛ أ. بوشرب، *دكالة* ؛ م. الشياظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط.

H.Terrasse, *Histoire du Maroc* ; Goulven, *Le Cercle des Doukkala.*

محمد الشياظمي

**أيِّل**، حيوان من ذوات الظلف، لذكورها قرون متشعبة ومصمتة أي لا تجويف فيها كما في قرون الظباء، وهي تنسلخ عنها في كل سنة وينبت غيرها. وأما الإناث فعلى الغالب جُم لا قرون لها.

الأيايل أجناس وأنواع كثيرة منها الأيل الأحمر 1758 L. Cervus elaphus, إنه من أكبر الأيايل يبلغ طوله جمعاً بين الرأس والجسم 260 سم وطوله عند الغارب 150سم، لونه صحراوي ويميل إلى السواد في فصل الشتاء، الذيل قصير، القرون متشعبة عند الذكر وخاصة بعد خمس سنوات من عمره. صيغة أسنانه كالتالي: 0/3 قوارض، 1/1 أنياب، 3/3 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 34 سنا.

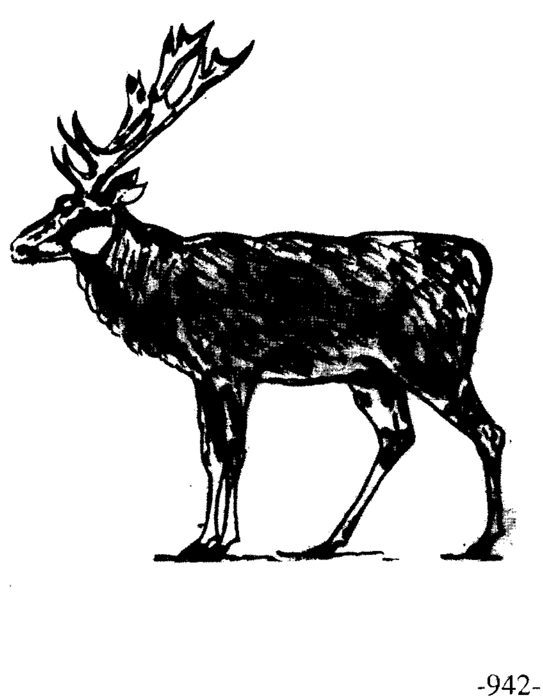

إنه حيوان عاشب يعتمد في قوته على الأعشاب لبرية. يعيش في المناطق المعتدلة المناخ وقد أُدْخل إلى المغرب عن طريق إسبانيا عدة مرات وذلك في نواحي تطوان سنة 1945 و1952 وقرب فاس سنة 1981 وفي محميات قرب لرباط سنة 1984.

عاش في المغرب الأيل الأحمر البَرْبري Cervus elaphus barbarus B وذلك في العصر الحجري Paleolithique وهو يعيش حاليا في تونس والجزائر الشرقية. فكر المسؤولون في إدخاله من جديد في المغرب إلا أن مجازفة التهجين مع الأيايل المُتَأقلمة في محميات الريف لم تشجع على ذلك.

أُدْخل أيل داما .Cervus,dama L إلى المغرب سنة 1978 و1984 وذلك بضواحي الرباط. أصله من حوض البحر المتوسط ويوجد الآن بآسيا الصغرى وأدخل في أوروبا الغربية وفي الحدود التونسية الجزائرية، طوله جمعاً بين الرأس والجسم 150.130 سم وطوله عند الغارب 110.80 سم.

Lehmann, E. *Uber das vorkommen des Spanischen Rothirsches, Cervus elaphus bolivari Cabrera 1911*, in *Nord Marokko Säugetierk.* Mitt. 17 : 137-141, 1961 ; Aulagner S et Thevenot, M, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc.* Trav. Inst. Sci. Zoologie Nº 41, 1986.

محمد رمضاني

**أيوب** (ابن -)، عليّ السلوي، كانَ عالماً فقيهاً إماماً خطيباً مفوها، عابداً خاشعاً جماليّ المقام، يقول: «بالرحمة والرفق أُدركت الأشياء العالية لا بالعنف والمشقة». كما كان مقبلا على كلام الله تعالى تلاوة وتعليماً وتخلّقاً وسلوكا قائلا: «مَن لم يُفتح عليه من القرآن مشرب لا يروى أبدا... ومن ظن الحق في غير القرآن ضل، ومن طلب الوصول على غير طريق السنة لن يصل أبداً».

لقيه محمد بن أبي بكر الحضرمي سنة 1362/763 وهو يعلّم الصبيان كتاب الله في رباط الفتح، ووصفه بما وصفه به أحمد بن الخطيب القسمطيني الذي لقيه بعد ذلك بنحو ثمان سنوات في سلا من النسك والزهد والورع والحياء. ولعل لإقامة الشيخ ابن أيوب في عدوة الرباط علاقة بإقامة الشيخ أحمد بن عاشر بها إثر عودته من الحج. فلما انتقل الشيخ ابن عاشر إلى سلا عاد إليها ابن أيوب.

توفي بسلا بعد عام 1369/770 وضريحه من المزارات الكبيرة بسلا في حومة السويقة بين دار الصناعة وباب فاس. كان له سرجم نافذ للمحج الكبير في ناحية القبلة على غرار ما يوجد في كثير من أضرحة الصالحين لكنه سُد بالبناء منذ مدة. وقد اختلط الأمر على مؤلف *مجالس الانبساط* فظن أن ضريح ابن أيوب بالرباط.

م. الحضرمي، *السلسل العذب*، سلا، 1988، ص 39.36 ؛ أ. ابن الخطيب القسنطيني، *أنس الفقير*، 84 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 91 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ م. دنية، *مجالس الانبساط*.

محمد حجي

# ب

**باب** - أثر- يعد الباب أحد العناصر المعمارية الأساسية، فهو الذي يوصل ما بين داخل المباني وخارجها. والباب نوعان : خارجي وهو الذي يطل على الزقاق العمومي، ويتكون من فتحة ومصراع (أو مصراعين) ودهليز ويسمى هذا الدهليز عند أهل المدن السطوان وعند أهل الأرياف الأمازيغية بأغكمي أو أغدمي. وداخلي : أي الذي يغلق الحجرات ويفتحها عن بعضها أو عن الساحات الداخلية للبنايات. وخلافا للأول فهو لا يتكون إلا من الفتحة والمصراع (أو المصراعين).

ومادة صنع المصاريع هي الخشب، ومن الأنواع الأكثر استعمالا الأرز وهوالشائع في المدن والحواضر، والعرعار وهو قليل، والنخيل ونجده متناولا في المناطق الجنوبية - الشرقية بالتحديد.

وعادة أهل المغرب أن يزينوا أبواب مبانيهم بزخارف مختلفة ومتعددة، حتى وإن كانت بسيطة. ففي الحواضر كما في البوادي، تجد الأبواب مزخرفة إما بنقوش محفورة على الخشب أو بقطع نحاسية أو حديدية (مسامير، مفصلات، مطرقات....) مغروسة فيه. وحقيقة الأمر أن هذه العناصر الأخيرة إذا كانت تضفي على الأبواب الخارجية حلة جذابة، فإن الهدف منها كذلك هو تقوية المصاريع وتدعيمها (شكل 4). هذا ولم يقتصر حب زخرفة الأبواب على الخارجية منها فقط، بل كذلك تزخرف أبواب الحجرات، وتزين بالنقوش والألوان الجذابة، التي تضفي على داخل المنازل والقصور رونقا لماعا يجتذب الزائر ويمتعه بأحلى المظاهر.

وبخصوص زخرفة هذه الأبواب، نجد أنها لم تفرط فى أي عناصر الزخرفة الإسلامية المعتادة وهي : الخط العربي، والتوريق، والأشكال الهندسية. وقد انتبه المؤلفون القدامى إلى جانب الزخرفة هذه، فوصفوها وأتقنوا وصفها كما فعل الحسن الوزان عند وصف منازل فاس حيث أشار إلى أن حجراتها ذات أبواب واسعة وعالية جدا، ويصنع الأثرياء لهذه الأبواب مصاريع من خشب في غاية الحسن والدقة (*وصف افريقيا*، ص 222).

وبغض النظر عن هذه العموميات فإنه يمكن تناول موضوع الباب في المغرب من عدة جوانب لكونه اختلف عبر الحقب والعصور التاريخية شكلا وتصميما وحجما باختلاف المباني ووظائفها. لذلك نرى أن نتناوله بالتوالي في المباني المدنية ثم في البنايات العسكرية فالدينية. على أن ملاحظاتنا ستنحصر في حدود العصر الإسلامي ولن تتعداها إلى ما قبله من فترات تاريخية.

أ - في المباني المدنية : نعني بالمباني المدنية المساكن الخاصة والقصور والمحلات العمومية كالحمامات والفنادق والدكاكين التي بالحواضر أو البوادي. وهنا يجب التأكيد على أن كل هذه العناصر المتميزة من حضارتنا لم تنل بعد ما تستحقه من اهتمام الباحثين والدارسين في الآثار وتاريخ الفن. لذا لا يمكن تتبع تطورها تاريخيا وهندسيا بما يجب من الدقة، لأن ما يتوفر لدينا من معلومات ثابتة ومسلم بها، تهم فترات معينة من فترات تاريخنا الإسلامي دون غيرها، ممثلة هي نفسها بنماذج منفردة من المباني. فإذا كانت منازل القرن الرابع عشر والقرون التي تلته مثلا كثيرة ومنتشرة في عدد من ربوع المملكة، فإن القرون السابقة لا يعرف من مخلفاتها إلا النادر.

ليست لدينا معلومات ضافية مثلا عن البيت الإدريسي أو المرابطي والموحدي. وحتى إن توفرت فإن هذه المعلومات تبقى، في كثير من جزئياتها، وليدة فرضيات واستنتاجات تحليلية جادت بها اجتهادات الدراسين، استناداً إلى مقارنات شبه نظرية لا إلى اكتشافات ميدانية محضة. مثالنا على ذلك دراسة باب قصر عبد المومن الموحدي بقصبة الأوداية بالرباط (انظر Caillé, *Rabat*, p. 105). ثم إن تغييرات هامة أتت بها القرون والدول مست كثيراً من منجزات سابقاتها لا يمكن استنتاجها إلا بالكشف عنها وفرز الدخيل فيها من الأصيل.

من جانب ثالث لم تنكب الدراسات المتوفرة في غالب الأحيان إلا على المدن والحواضر المغربية الكبيرة، أما المدن التاريخية "الثانوية" وبصفة أشمل البوادي، فلم تدرس بعد مع أن أبواب الدور ومداخل المداشر المنتشرة في الجبال

المغربية وخاصة جبال الأطلس الكبير والصغير وفي الواحات مثلا تشكل في حد ذاتها تحفا فنية رائعة (صورة 1).

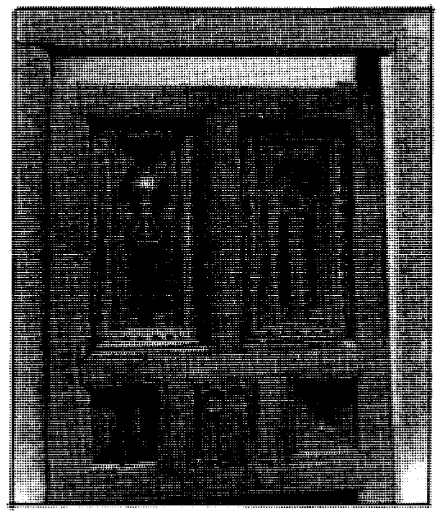

باب دار في الأطلس / ناحية مراكش

هذا وتبقى أقدم بناية كشفت عنها الحفريات الأثرية ببلادنا، القصر الذي بقرية بليونش قرب مدينة سبتة بشمال المملكة. ويعود هذا القصر إلى أواخر القرن الثالث أو بداية الرابع (9ـ10 م)، وقد كان له بابان : باب رئيسي وآخر ثانوي وكلاهما يفتح على دهليز من عطف واحد (شكل 1).

وببليونش كذلك، كشفت الحفريات على قصر آخر يعود إلى القرن الثامن (14 م) له مدخل من عطف واحد وهو التصميم الذي ميز كذلك المنازل المرينية بالحواضر الكبرى كفاس وسلا وغيرهما. وفي غياب نماذج إضافية ومعبرة عن التصاميم التي كانت لمنجزات الفترات الفاصلة بين القرن الرابع والقرن الثامن، فإنه من المرجح أن يكون تصميم المداخل من عطف واحد هو الذي كان معتمداً. على أن النموذج نفسه لم ينقرض فيما بعد بل بقي ساري المفعول، وإن تطور إلى أكثر من عطف، كما تبين ذلك بعض المنازل من القرن التاسع (15 م) وما بعد (انظر : *L'habitat traditionnel, passim*) وقد بقيت المداخيل الملتوية تقليداً معمارياً راسخا نجده حاضرا في قرننا هذا خاصة في منجزات ثلثه الأول.

ومن العناصر المثيرة للانتباه، توفر بعض الأبواب الخارجية للمنازل التقليدية على ساكف أوكنة تعلوها تسمى عند أهل المدن الشواف، وهو إفريز خشبي (وفي بعض الأحيان حجري لكن نتوءه في هذه الحال لا يتعدى بضع عشرات من السنتيمات) محكم الصنع، بهيج المنظر بفضل النقوش والزخارف التي يحملها.

وقد كان لنزوح عائلات أندلسية إلى المغرب بعد سنة 1492 م، واستقرارها ببعض الحواضر كالرباط وسلا مثلا، أثره الواضح في بناء الأبواب إذ عرفت أشكالها تغيرا ملحوظا، من ذلك مثلا ظهور فتحة مقوسة ترتكز على عمودين يعلو كل واحد منهما تاج ـ حجري منحوت، وتحيط بقوس الباب وتعلوه ناتئات ملساء، بينما يحادي عمودي الفتحة عمودان آخران نصف مغروسين في الجدار الخ... ويعرف هذا الشكل من الأبواب بالأبواب الموريسكية (شكل 5).

ب ـ في المباني العسكرية : ونعني بها القصبات والحصون وغيرها من التجهيزات الدفاعية كالأسوار المحيطة بالمدن على وجه التحديد.

وبخصوص أبواب هذه المباني، فإن مجمل الدراسات الأثرية أجمعت، وفق ما توفر لها من معطيات، على أن الباب ذا العطف الواحد ظهر بالمغرب كما بالأندلس.، في القرن الخامس (11 م)، بينما تعددت الالتواءات ابتداء من القرن السادس. وقد صاحب هذا النموذج الأخير ظهور قسم مكشوف من الدهليز اعتبر بمثابة تطور حقيقي يهدف إلى تقوية الدفاع إذ يمكّن من رمي المهاجمين من الأعلى في حالة اختراقهم للباب واجتيازهم للقسم الأول من المدخل (شكل 2) لكن أبواب المدن لم تكتس كلها طابعا دفاعيا محضا، بل كانت لها أدوار أخرى منها بالخصوص استقبال الأمراء لرعيتهم بها والفصل فيما يعرض عليهم من قضايا ( مثال ذلك باب قصبة الأوداية بالرباط).

ولعل هذه الوظيفة إلى جانب كون هذه الأبواب كانت هي المداخل الرئيسية للحواضر (باب أگناو بمراكش، باب الرواح بالرباط، باب منصور بمكناس..) هي التي جعلت مشيديها حريصين على زخرفتها وكسوها بمختلف أشكال الزينة من أحجار منحوتة وقطع زليج، حتى باتت عنوانا لما وصل إليه المعمار الإسلامي بالديار المغربية من تطور وما امتاز به الصانع من مهارة في الإنجاز.

وتعتبر الأبواب الموحدية أقدم الأبواب التي وصلت إلينا كاملة متكاملة، والنموذج الذي ذهب على دأبه من جاء بعدهم من الدول، إما أمانة شبه تامة (المرينيون) أو بتغييرات متفاوتة الأهمية (السعديون والعلويون). ولعل جانب الزخرفة هو الذي يبرز أكثر من غيره مدى هذا الارتباط بالنموذج الموحدي أو مدى التباين معه. ويمكن تقسيم هذا التطور إلى ثلاث فترات تمتد الأولى على العهدين الموحدي والمريني القرن السادس ـ الثامن (12ـ14م) وتنحصر الثانية في الفترة السعدية والعهد العلوي الأول، وتشمل الثالثة العهد العلوي ابتداء من عصر المولى إسماعيل.

أما الفترة الأولى فهي التي يرى الاختصاصيون أنها أهم الفترات على الإطلاق لامن حيث حجم وأهمية مخلفاتها فحسب، ولكن كذلك على مستوى إنجازاتها الفنية وابتكاراتها ومهارة فنانيها وتعاملهم الرياضي مع المساحات المزخرفة. وأول ما يثير الانتباه في هذا الجانب هو أن تعامل الصناع الموحدين مع عنصر الباب شكلا وزخرفة، يشبه إلى حد كبير تعاملهم مع عنصر المحراب في

المساجد، ونجد أن عرض الإطار العام للباب مثلا أكبر بقليل من طوله، وأن الزخرفة لا تبدأ إلا عند مستوى قوس الفتحة، وأن التغير في عدد وشكل حنايا الأبواب هو الطابع السائد، فإذا كانت حنايا باب أكناو بمراكش أربعة، الأولى والأخيرة منها مكونة من لبنات (claveaux) تارة بارزة وتارة غائرة، فإن حنايا باب الرواح بالرباط كلها بارزة في خط منعرج (sinueux) بينما في باب الأوداية بالرباط لا نجد لا هذه ولا تلك وإنما نجد فصوصا (lobes) نصف دائرية يحيط بها تشابك هندسي.

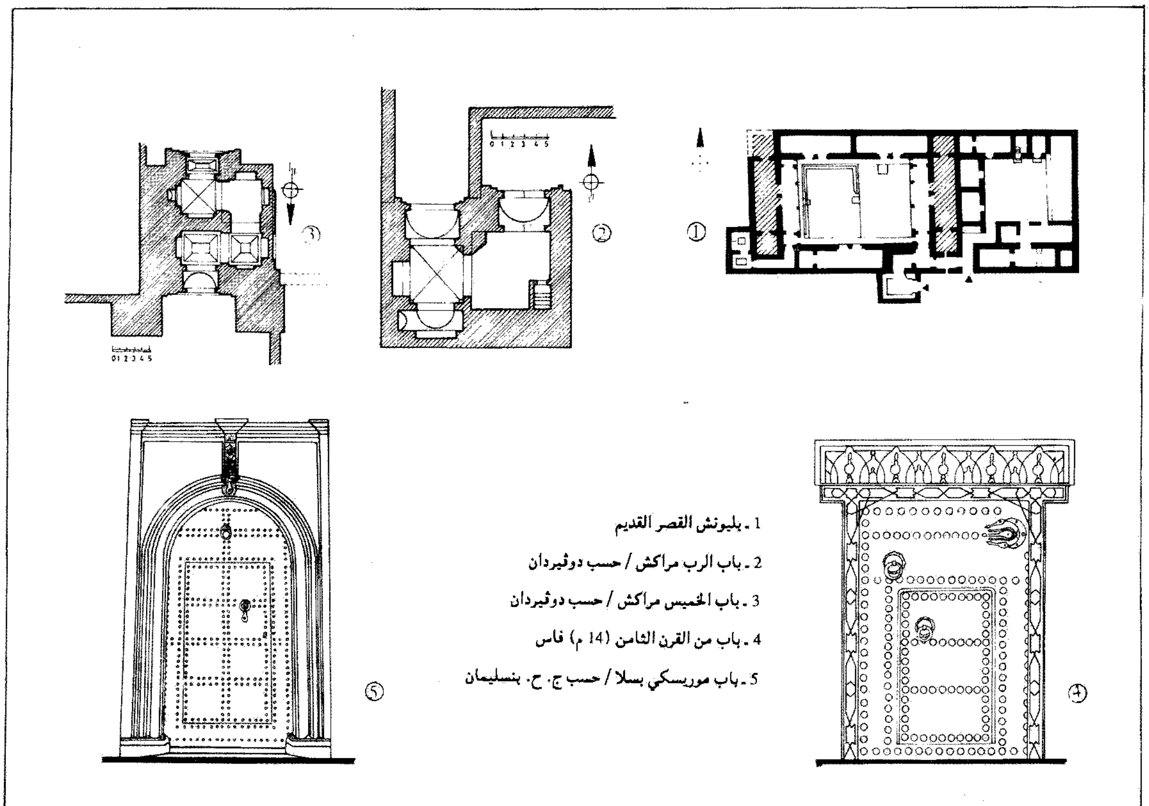

1 - بليونش القصر القديم

2 - باب الرب مراكش / حسب دوفيردان

3 - باب الخميس مراكش / حسب دوفيردان

4 - باب من القرن الثامن (14 م) فاس

5 - باب موريسكي بسلا / حسب ج. ح. بنسليمان

وإن ما يميز هذه الفترة كذلك هو الوحدة في توزيع عناصر الزخرفة وفي تنظيم مساحاتها اعتمادا على العنصر الهندسي الذي يحدد التقسيمات ويشكل الإطار العام للوحة. هذا العنصر هوما يعرف بالتشابك الهندسي المعماري (entrelac architectural) الدائم الحضور في كل المنجزات، فهو الذي يندمج مع القوس المتعدد الفصوص (arc polylobé) الذي يحيط بفتحة الباب المقوس (بحيث تتشكل الفصوص في الحقيقة من ذيوله) وهو الذي يرسم أقواس الإفريز الأعلى وينتظم كذلك على جانبي الكتابات المنقوشة يؤطرها. أما هذه الأخيرة فقوامها الخط الكوفي الجميل، تأخذ مكانها في عدة أماكن من واجهة الباب. لكن أجمل حلة تكسو هذا الأخير هي العناصر النباتية الغنية بأنواعها. فإن كانت السعفة (palme) بأشكال متنوعة هي الغالبة على غيرها، فثمّت كذلك أشكال أخرى كالسعيفات (palmettes) بأشكالها المتنوعة كذلك والتي تصل في تطورها إلى تشكيل صدفة تسم ركات الواجهة، أو كالغصينات الملتوية والمترابطة فيما بينها والشكل الثعباني (motifs serpentiformes) عند انطلاق الأقواس الخ...

هكذا كان للصناع والفنانين الموحدين الفضل في توظيف أشكال متنوعة سابقة لهم وابتكار أخرى ودمجها لخلق هذه التحف الفنية من تراثنا الحضاري. ولما جاء الفنانون المرينيون بقوا مخلصين لنفس القانون غير خارجين عن قواعده العامة، فانكب اجتهادهم بالخصوص على محاولة إغناء اللوحات بإقحام بعض مبتكراتهم، أهمها ظهور الألوان في واجهات الأبواب على أن ذلك لم يكن بالشكل الذي عرف في داخل البنايات من استعمال قطع الزليج المختلف الألوان بكثرة مثلا، وإنما جاء هذا التجديد بكيفية طفيفة كما يشهد على ذلك باب مقبرة شالة حيث كان الطنفان (corbeaux) من المرمر الأزرق والساريتان تحتهما من مرمر أبيض بينما أقحمت في أعلى نقطة من الإفريز قطع زليج صغيرة زرقاء اللون كذلك.

أما الفترة الثانية فما يتوفر لدينا من مخلفات السعديين يبين أن تراجعا واضحا حصل في زخرفة الأبواب، حيث يظهر أن أبواب الأسوار والقلاع على السواء، كانت ملساء أو شبه ملساء، ويظهر أن الملوك العلويين الأول ساروا على نفس النهج كما تشهد على ذلك مخلفات المولى الرشيد مثلا.

ومع حكم المولى إسماعيل واستعادة البلاد لأمنها وتطورها، كثرت المنجزات وتعددت القصبات. وقد كان للاستقرار وأهمية موارد بيت المال الأثر الواضح في إنجازات الصناع والفنانين، فأصبحنا نرى رجوعا إلى الزخرفة والتزيين في كل ما يشيد. (صورة 2).

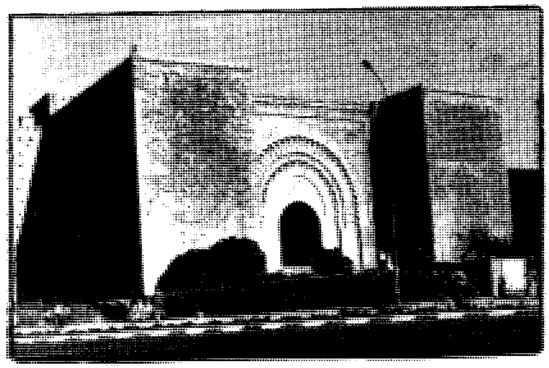

باب الرواح بالرباط

ومن مميزات الفترة الإسماعيلية الأولى في التعامل مع أبواب المنشآت العسكرية استعمال الزليج المختلف الألوان ليكسو إما بعضا من جوانبها (قصبة بولعوان) أو معظم مساحات إطارها (باب الدار الكبيرة بمكناس). والزليج في هذه الأبواب لا نجده على شكل القطع الصغيرة المعروفة فحسب وإنما كذلك كقطع أكبر حجما منقوشة نقشا يرسم أشكالا نباتية أو كتابات مختلفة. ولعل أحسن مثال لأبواب القصبات العلوية زخرفة باب منصور العلج بمكناس الذي يعود حسب الكتابات المنقوشة عليه إلى المولى عبد الله بن إسماعيل الذي شيده سنة 1144 هـ / 32 ـ 1731 م. ففيه نجد كل العناصر مكتلمة ومنظمة بالشكل الذي يطبع الفترة العلوية مع ما قد نجده من اختلافات جزئية في منجزات الموالين (صورة 3).

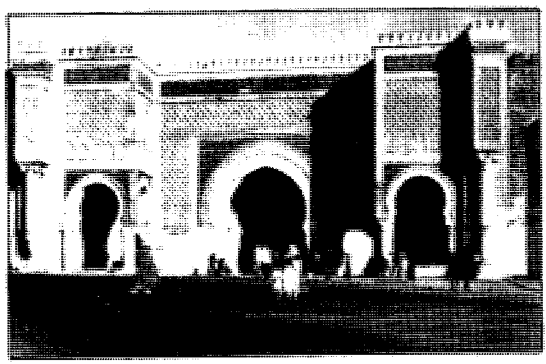

باب منصور العلج بمكناس

ج - في البنايات الدينية : لعل البنايات الدينية هي الأكثر انتشارا بالمغرب والأكثر صموداً أمام تحديات العصور وتقلباتها وذلك راجع بالطبع إلى مكانة الدين الإسلامي الحنيف في الأوساط المغربية التي تولي كل ما يتصل به الوقار والاحترام. ويدخل في تعداد هذه البنايات إلى جانب الجوامع والمساجد والزوايا والأضرحة والمدارس.

ولا يخلو رَبْعٌ من ربوع البلاد من هذه المعالم. أما معالجة أبوابها ومداخلها فلا تختلف عما نعرفه في البنايات الأخرى. ذلك أننا نجدها تتفاوت ما بين أبواب ملساء، لا تثير الانتباه فيها سوى قوس فتحتها، وأبواب مزخرفة ومزينة زينة قد تصل في بعض الأحيان إلى المبالغة في استعمال الألوان وتعددها. وهذا الأمر ليس مقتصراً على بنايات ثانوية أو موجودة خارج الحواضر، وإنما نجدها حتى في بعض المعالم المشهورة والمشهودة كضريح المولى إدريس بفاس مثلا.

ويحتفظ جامع القرويين بثلاثة من أقدم الأبواب المعروفة في البنايات الدينية وهي باب الورد وباب الجنائز وباب السبيطريين. وبغض النظر عن شكل كل منها فإن ما يهم فيها هو احتفاظها كلها دون تغيير بمصاريعها المكسورة بصفائح برونزية ملساء أو مرصعة، تعتبر أقدم ما وصل إلينا في ميدان الصناعة البرونزية المعدة للعمارة في العالم المغربي ـ الأندلسي.

وبجامع الأندلس، يقف الزائر والمصلي وقفة إعجاب وتأمل أمام عظمة الباب الرئيسي الذي يفوق علوه علو سقف بيت الصلاة والذي لا نجد له نظيراً في غير فاس من المدن. هذا الباب هو من تشييد الناصر الموحدي رابع ملوك الدولة، لكن الظاهر هو أن التعديلات والترميمات المرينية مسته كذلك وتركت به بعضا من بصماتها.

وإذا ما اتجهنا بالأنظار صوب المدارس، فنجدها كذلك تتوفر على أبواب جلها مزخرفة استطاع الصناع المرينيون ثم السعديون والعلويون أن يجعلوا من بعضها تحفا جميلة. ومثال ذلك باب المدرسة البوعنانية بسلا التي كانت تسمى "المدرسة العجيبة". هذه المدرسة اندثرت بعد أن تغيرت وظيفتها لتصبح فندقا سمي بفندق "أسكور"، ولم يبق منها شاهدا على رونقها سوى الباب. وقد انتظمت زخرفته على مستويين : مستوى أول هو إطار من زليج اتخذت قطعه أشكالا هندسية حسب التشكيلة المعروفة "بدَرْجْ أوكْتَف"، المندمجة مع المعين (losange) لتخلق نظاماً هندسياً جميلاً يعلوه نص الإنشاء، وهو من زليج كذلك، لا يزال اسم أبي عنان فيه واضحا.

أما المستوى الثاني الذي يعلو الأول فيتكون من خرجة (encorbellement) من تسع مقربصات حجرية كل واحد منها يتكئ على ساريتين صغيرتين في الجدار. هذا النظام هو الذي نجده بشكل عام وبتغييرات جزئية في أهم منجزات الفترة المرينية. وقد اتجهت العصور الموالية في السير على نفس النمط بل وحاولت بعض الإنجازات أن تفوقها كما يتبين من مدخل مدرسة ابن يوسف السعدية بمراكش.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، 1983.

Ch. Allain et G. Deverdun, *Les portes anciennes de Marrakech, Hesp.* 1957, p. 85 - 125 ; A. Bel, *Inscriptions arabes de Fès, Journal Asiatique*, 1918, p. 317 s ; J. Caille, *La ville de Rabat*, Paris, 1949 ; Collectif, *l'Habitat traditionnel dans les pays*

*musulmans autour de la Méditerrannée*, I, (*L'héritage architectural : formes et fonctions*), Publ. de l'I.F.A.O, 1988 ; K.A.C. Creswell, *"Bab", E.I.*, Nlle Ed., p. 853 - 855 ; J. Hassar Benslimane, *Salé, étude architecturale de trois maisons traditionnelles, E. T. A. M.* VII, 1978 ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954. *Les origines de la maison nord-africaine, C. A.T. A. N.*, VII, 1974, p. 43 - 62 ; B. Maslow et H. Terrasse, *Une maison mérinide de Fès*, 2ème congrès de la Fédération des Sociétés Savantes d'Afr. Nord, t. II, 1936, p. 503 - 510 ; J. Meunié et H Terrasse, *Recherches archéologiques à Marrakech*, 1952 ; D. Meunié, *El - Maarka, résidence princière dans une oasis au Maroc (XVIIIè s.), C. A.T. A. N.*, 1974 ; P. Ricard et A. Delpy, *Note au sujet de vieilles portes de maisons marocaines, Hesp.* XV, 1932, p. 165 - 192 ; H. Terrasse, *Les portes de l'arsenal de Salé, Hesp.* 1922, p. 357 371, *Le décor des portes anciennes du Maroc, Hesp.* 1923, p. 147 - 174, *Trois bains mérinides du Maroc, Mélanges W. Marçais*, 1950, p. 311 - 320 ; A. Touri, *L'habitat domestique de Marrakech,* Thèse d'Etat, paris, Sorbonne, 1987 (ex. dacty.).

عبد العزيز توري

**باب** ـ تنظيم ووظائف ـ لا يكاد يختلف تنظيم أبواب المدن ووظائفها خلال العصر الإسلامي بالمغرب، لذلك سنتطرق إلى ذلك من خلال نموذج أبواب مراكش على عهد المرابطين والموحدين.

بلغ عدد أبواب سور مراكش حوالي ثلاثة عشر بابا، وارتفع هذا العدد مع الموحدين إلى واحد وعشرين بابا للاتساع الذي عرفته المدينة بالتوالي في الجنوب الغربي والجنوب، ويفوق عددها حاليا ثلاثين بابا.

هذه المعلومات الكمية تسمح بإبداء الملاحظات التالية:

ـ تزايد عدد الأبواب خاصة في القرن السادس الهجري.

ـ التمييز بين أبواب عامة وأخرى مخزنية. تؤدي الأولى وظائف لعموم سكان المدينة وتوجد ضمن سور المدينة المرابطي. أما الثانية فتربط المدينة المخزنية بخارجها. وعدد من أبوابها لم يكن يستعمل إلا من طرف بني عبد المومن فقط، مثل باب البستان (*ورقات*، 302).

ـ تغير أسماء عدد من الأبواب تبعا لتطورات مختلفة، مثل باب الرب الذي حمل اسم باب القصر (*الذيل*، 8.1 : 251)، وباب أغمات الذي حمل اسم باب الفتح في خلافة الواثق بالله الموحدي (*البيان* ـ قسم الموحدين ـ 447). وإجمالا فإن سبعة أبواب على الأقل يحمل كل واحد منها اسمين، وباباً واحداً أسماء.

ـ ارتباط تاريخ هذه الأبواب بازدواجية أساسها اختفاء أبواب وظهور أخرى دون اعتبار للتوازن بينها، وهكذا فمن الأبواب التي اختفت نهائيا : باب إنتان، مسوفة، نفيس ؛ ومن بين التي ظهرت بعد مرور أكثر من سبعمائة سنة على تأسيس المدينة، باب أحمر وباب إيغلي. ومن الملاحظ أن بابا واحدا هدم لضرورة توسيع المدينة هو باب الشريعة وتم بناء آخر في غير موقع الأول وحمل نفس الاسم. (*البيان* ـ قسم الموحدين ـ 153).

ـ وجود أبواب داخلية أصلا مثل باب السراجين القديم (*البيان* ـ قسم الموحدين ـ 358). بينما تحولت أبواب خارجية إلى داخلية مثل باب الصالحة.

يتميز تطور أبواب الواجهة الجنوبية للسور بخصوصية تظهر في كون هذه الأخيرة عرفت أهم تغيير في عدد أبوابها بالنظر إلى باقي الواجهات، حيث انتقل العدد من أربعة إلى ستة أبواب في زمن الموحدين، ولهذا التطور علاقة مباشرة ببناء القصبة التي شكّل جنوب السور واجهتها الشمالية. ولذلك أضيفت لها أبواب أخرى تربط بين هذه المدينة المخزنية والمدينة المرابطية.

ويبدو أن اختيار مواقع الأبواب وتحديد عددها بالنسبة لكل من الواجهات المكونة للسور، قد روعيت فيها عدة اعتبارات، من بينها طول الواجهة، ومستوى أهمية المجال الجغرافي الذي تنفتح عليه في تلبية حاجيات المدينة، إلى جانب المتطلبات الأمنية للحماية.

في هذا الإطار يلاحظ في فترة حكم المرابطين أن الواجهة الغربية والجنوبية توطنت في كل منها أربعة أبواب، بينما عرفت الشمالية بابين فقط. وهذا يستفاد منه دون شك أن الاهتمام بأبواب الواجهات غيرالشمالية حظي باهتمام أكبر من طرف المخزن، ولعل لذلك علاقة فيما يبدو بالانفتاح أكثر على المناطق الفلاحية، وفي نفس الوقت تحصين المدينة ضد أعداء هذا المخزن المتمركزين في اتجاهات الجنوب والشرق والجنوب الغربي. وإذا كان السور يمثل نقطة حدود بين المدينة والبادية، فإن الأبواب شكلت نقط التقاء وتواصل بينهما، وبذلك كانت الأبواب عنصراً فاعلا في حياة المدينة على أكثر من واجهة. واعتبارا لهذه الأهمية فإنها خضعت لنظام خاص ارتكز على توفير الأمن للمدينة ليلاً ونهاراً، وتسهيل الرواج، والتنقل منها وإليها.

وهكذا كانت الأبواب خاضعة لإشراف طاقم بشري يتكون من مجموعتين :

ـ مجموعة أولى : هو البوابون المكلفون بمراقبة تنقل الأشخاص من وإلى المدينة نهاراً، والحراسة بالليل، إلى جانب السهر على ضبط أوقات الافتتاح والإغلاق. وكان كل باب له حراس خاصون به، (*إثمد*، 1 : 239) وللمشرف على تنظيم الحراسة فيما يبدو سكناه الخاصة بجوار الباب المكلف به (*البيان* ـ قسم الموحدين ـ 469).

والملاحظ أن مسؤولية البوابين منحصرة في الباب وحده اعتباراً إلى أن السور كان له المكلفون بهذه المهام وهم الحراس والرقاب (*البيان* ـ قسم الموحدين ـ 438) ولعل في الاسم مضمون اللسان الدارج (الركّاب) أي المراقب من بُعد.

ومن الوسائل التي استعان بها البوابون في أداء مهامهم الأبراج والشرفات، باعتبارها أماكن مرتفعة تسمح بالمراقبة ويوفر شكلها الهندسي للبواب وسائل حماية نفسه من التهديد الخارجي. بجانب ذلك ومن أجل فرض احترام ما جرت به العادة في هذا الشأن كانوا يحملون عصيا في أيديهم كوسائل للردع والتخويف (*إثمد*، 1 : 239).

ويمكن التساؤل عن إمكانية وجود تنسيق ما بين حراس الأبواب مجتمعة، للإخبار والإنذار المبكر، خاصة وأن إشارة للبيذق يُشتمُّ منها في الغالب أن تنسيقا ما كان العمل جاريا به بين المؤذنين والبوابين (*أخبار*، 78) خلال الليل بالخصوص يكون فيه المؤذن كمراقب للمدينة من الداخل،

مخبراً البواب إذا حدث ما يستوجب ذلك. والإشارة نفسها لا تفهم في الغالب إلا في وجود تنسق بين المآذن وأقرب الأبواب إليها وبين الأبواب نفسها.

- مجموعة ثانية : مهمتها تتعلق بمراقبة مرور البضائع والمنتجات من أجل أخذ مستحقات الجباية عنها. على اعتبار أن الأبواب كانت تؤدى بها المغارم (*البيان* - قسم الموحدين - 449). وكان المكلفون بأخذها هم شهود الباب (*إثمد*، 1 : 229) الذين كانوا يشكلون الخطوة الثانية التي يلقاها القادم إلى المدينة بعد اجتياز البوابين.

ومن غير المستبعد أن زمن إغلاق الأبواب وفتحها كان خاضعاً لتوقيت محدد، مرتبط بالحاطة الأمنية والسياسية للمدينة :

ففي الأحوال العادية هناك تقسيم ثنائي مبني فيما يبدو على أوقات الصلاة، على أساسه تفتح الأبواب عند طلوع الفجر (*أخبار*، 78)، وتغلق بعد الغروب. وتتم عملية الإغلاق بالتدريج، إذ مع قرب غروب الشمس يغلق جزء من الباب فقط كإشعار بالاستعجال موجه بالخصوص لمن هو خارج المدينة ويرغب في الدخول إليها (*التشوف*، 477). ولا ندري هل كان العمل جارياً بهذا الإجراء بالنسبة للافتتاح ويتم غلق الأبواب بواسطة أقفال خاصة (*البيان* - قسم الموحدين - 438 - 439).

أما في الأحوال الغير العادية فإن مبدأ التوقيت المبني على أوقات الصلاة يصبح مجمداً بالنسبة لزمن الاغلاق وتحل محله اعتبارات استراتيجية، على أساسها يمتد زمن الاغلاق على طول النهار أيضا (*البيان*، قسم الموحدين - 478).

إن عناصر التنظيم هذه ليست بالضرورة وحدها التي شكلت مكونات تنظيم الأبواب. وإنما ما سمحت المصادر المتداولة باستخراجه فقط. وعموما فالأبواب جزء من تنظيم شامل لأمن المدينة له أطره وقواعده المختلفة والمتنوعة حسب أوقات اليوم، وحسب الاختصاصات، منسجم مع ذهنية السكان ومساير لمتطلبات الحياة اليومية للمدينة.

الوظائف : يمكن التمييز في الوظائف التي كانت لأبواب مراكش على عهد الموحدين بين نوعين :

- وظائف عامة : هي مختلف الخدمات التي شكلت قاسما مشتركا بين كل الأبواب مثل التنقل وأداء المغارم.

- وظائف خاصة : منها ما كانت حكراً على باب أو أبواب بعينها. ومنها ما كان مشتركاً أيضاً إذ أهميته كانت متزايدة بالنسبة لبعض الأبواب. إلى جانب ذلك فإن من الوظائف ما كان دائما ومنها كان ظرفيا، وهناك التي ارتبطت مع نشأة الباب ومنها ما جاءت لاحقة.

ويشكل عام يمكن حصر الوظائف التي قامت بها أبواب مراكش في زمن الموحدين في خمس وظائف :

1 - وظيفة مجالية : كانت أبواب المدينة بالنظر إلى مواقع توطنها على الواجهات الأربع للسور، تحدد شبكة الاتجاهات، على اعتبار أنها كانت تشكل نقط الاتصالات الوحيدة التي تربط بين المدينة وخارجها.

ومن خلال مقارنة عدد الأبواب ومواقع تمركزها من جهة، ومدى استجابتها لتلبية خدمات المدينة المرتبطة مع خارجها سواء في التبادل أو التنقل من جهة ثانية، يلاحظ أن هناك توازناً حاصلا بين الاثنين.

في هذا الإطار كانت أسماء عدد من الأبواب تحمل في دلالتها جانبا من وظائفها المتعلقة بالمكان الذي تستقبل منه وتؤدي إليه، حيث نجد مثلا :

باب فاس ← الشمال والأندلس.

باب دكالة ← الشمال والمحيط الأطلنتي.

باب الدباغين ← هسكورة، حيث الجلود.

باب أيلان ← قبيلة أيلان منطقة الدير.

باب نفيس ← جهة نفيس منطقة فلاحية.

2 - وظائف دينية : تبدو من خلال ثلاثة عناصر هي :

- المصلى : كان مصلى العيدين يقع خارج باب الشريعة (*البيان* - قسم الموحدين - 320) ولعل لهذه التسمية علاقة بهذه الشعيرة الدينية. حيث كان هذا الباب هو المؤدي إليها قبل تأسيس القصبة الموحدية، إذ بعد ذلك أصبح باب السادة هو الآخر يؤدي إليها إلا أنه كان خاصا فقط بالمخزن والحاشية.

- الاستسقاء : اعتباراً لحالة انحباس المطر وحلول الجفاف التي كانت تعرفها مراكش من حين إلى آخر. حيث مرت بالمدينة حوالي سبع حالات من هذا النوع ما بين 541 / 1146 و585 / 1189 فقد كان اللجوء إلى الاستسقاء من التقاليد الدينية التي كان العمل جاريا بها. وكان باب الدباغين الباب الذي أقيمت خارجه هذه الشعيرة بكثرة. ولعل لذلك علاقة بكونه يقع وسط جهة الجانب الشرقي من مراكش الذي تميز آنذاك بأهمية وجود رجال التصوف من بين أهل الولاية والصلاح (*قضية*، 145 - 153) إضافة إلى أن المكان كان مجالا لمجموعة من كرامات الشيخ أبي العباس السبتي (*التشوف*، 456)

- المقابر : بحكم أن الباب كان يعتبر جزءاً من الوحدة السكنية - الحومة - التي يشكل منفذها على خارج المدينة. فمن بين الوظائف التي كان يؤديها في هذا الشأن، هي ايجاد مقبرة لهؤلاء السكان. وعلى أساس ذلك كانت توجد بقرب كل باب مقبرة باستثناء بعض أبواب القصبة الموحدية كباب البستان.

3 - وظائف اقتصادية : تبدو عنصراً مشتركاً بين مختلف أبواب مراكش على اعتبار أن الأبواب كانت تؤدى بها المغارم كما سبق. بجانب ذلك تخصص بعضها لأنشطة اقتصادية حتى إنها طغت على أسماء البعض منها. ويمكن في هذا السياق التمييز بين ثلاثة أنواع من هذه الوظائف الخاصة :

- ماله صلة بالحرف : ويقدم باب الدباغين أهم نموذج لهذاالصنف. حيث توطنت به حرفة الدباغة. واختيار موقعه

له علاقة إلى جانب وادي اغزر (إميل) بإشرافه على جهة هسكورة التي كانت معروفة بوفرة الجلود (*التشوف*، 241).

- ماله صلة بالفلاحة : ويتعلق الأمر هنا بالخصوص بباب الرب، ومعلوم أن الرب هو عصير العنب غير المسكر (*المن*، 113). ومن المحتمل أن هذه المادة كانت تمر عبر هذا الباب، أو تباع فيه مما يؤيد ذلك أن هذا الباب كان منفتحاً على جهة نفيس حيث مصدر جلب العنب إلى المدينة، ومكان تحضير مشهور لمادة الرب (*الاستبصار*، 211).

- ماله صلة بالتجارة : لعل إقامة الأسواق الأسبوعية كان العمل جاريا بها بالنسبة لمراكش، وهذا أمر غير مستبعد إذا علمنا أن مجال مصمودة خاصة في الدير عرف هذا النوع من الأنشطة قبل هذا التاريخ بكثير وفي إطار حضري يتمثل في مدينة أغمات أوريكة (*المغرب*، 153) وفي فترة الموحدين أيضا كان شائعاً في مجموعة مراكز استقرار أخذت أسمائها في الغالب من هذا النشاط الأسبوعي، مثل سبت بني دغوغ، وثلاثاء موسى بن ملول (*التشوف*، 187 - 248).

انطلاقا من هذه الحيثيات، لا يبعد أن مثل هذه الأسواق كانت تُقام أيضا خارج سور المدينة وبالقرب من بعض أبوابها، ولعل باب إنتان أحد الأبواب التي كان ينعقد خارجها هذا النوع من الأسواق (*التشوف*، 470).

- وظائف مخزنية : من جهة هي جملة الخدمات التي تلبي حاجيات المخزن، وتكون فيها الأبواب ضرورية لتحقيقها، في هذا الشأن يمكن اعتبار هذه الوظائف قاسما مشتركا بين أبواب القصبة الموحدية. وإذا كان المرور عبر هذه الأبواب من حق كافة أفراد المخزن والحاشية فإن باب البستان كان حكراً على خواص بني عبد المومن (*ورقات*، 302) ومن جهة ثانية فقد كانت المشاغل السياسية حاضرة ضمن هذه الوظائف من أبرزها :

- استقبالات مخزنية رسمية : يقصد بها هنا استقبالات المخزن للوفود الكثيرة العدد من قبائل وجماعات، تقتضي طبيعة عددها الخروج إليها في مكان أوسع. في هذا الإطار يبدو أن تكاملاً كان حاصلاً في هذا الشأن بين باب السادة وباب الشريعة، الأول يكون منه خروج الخليفة وأعوانه، وأمام الثاني يكون الاستقبال (*المن*، 342 - 343).

- استعدادات عسكرية : كانت بعض الأبواب بحكم موقعها في المدينة معبراً دائما للجيوش المتجهة خاصة إلى الأندلس فهي أساساً باب فاس في الشمال، وباب دكالة في الشمال الغربي (*المن*، 218 - 349).

- إنزال بعض العقوبات : تميزت عدة أبواب بهذه الوظيفة، والمظهر الذي طغى عليها يتجلى في تعليق الرؤوس، وإن كانت أغلب الأبواب في فترات متفرقة قد اشتركت في أداء هذه المهمة كما حدث في عهد إدريس المامون (*البيان* - قسم الموحدين - 289). إلا أن الأبواب التي اشتهرت أكثر في هذا الخصوص هي باب الشريعة وباب الكحل (*البيان* - قسم الموحدين - 337، 347، 348، 366، 439).

5 - وظيفة الأمن : هدفها حماية المدينة من التهديدات التي قد تاتي من الخارج، وفي نفس الوقت منع المتابعين في الداخل من الفرار (*أخبار*، 75) وتساهم في أداء هذه الوظيفة بجانب البوابين، المكونات المعمارية للباب، إذ يوجد - في الغالب - منفذان للباب، واحد داخلي يؤدي إلى وسط المدينة وآخر خارجي يشرف على خارجها، وأحيانا تتوفر بعض الأبواب على عدد من المنعرجات بين المنفذين كما هو الحال بالنسبة لباب الدباغين. ولعل الغرض من إقامتها هو خلق حواجز أمام دخول قوى خارجية إلى المدينة.

ومن الملاحظ أن هذه الوظيفة كانت عنصراً تشترك في أدائه جميع أبواب مراكش.


أ. البكري، *المغرب*، ط. الجزائر، 1857 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*. ط. الرباط، 1971 ؛ مؤلف مجهول، *الاستبصار*، ت. سعد زغلول عبد الحميد، البيضاء 1985 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*. ت. عبد الهادي التازي، بيروت 1987 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، ت. أحمد التوفيق، البيضاء 1984 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*. سفر 8. قسم 1. ت. محمد بنشريفة الرباط 1984؛ ابن عذاري، *البيان*. ت. إبراهيم الكتاني وآخرين؛ ابن تكلات، *اثمد العينين*، ت. محمد رابطة الدين، د. د. ع الرباط 1986 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية* ؛ م. رابطة الدين، *قضية الجانب الشرقي من مراكش*، ضمن أعمال ندوة مراكش، الملتقى الأول. كلية الاداب مراكش 1988.


محمد رابطة الدين

**باب برّد** أو بَرتّ، - جغرافيا - جماعة قروية ومركز ينتميان لإقليم شفشاون في جبال الريف الأوسط، على بعد 68 كلم إلى الشرق من مدينة شفشاون على الطريق الرابطة بين هذه الأخيرة والحسيمة.

يرتبط اسمه بفج (باب) يقع على ارتفاع 1240م. عند قدم جبل تيزيران 2101 م يشرف على المركز من الجهة الشمالية الغربية.

يمتاز موقع جماعة باب برد بوجوده عند خط تقسيم مياه حوضين نهريين : شمالا الحوض الأعلى لواد أمتر الذي يحمل اسم واد أعوين وجنوبا الحوض الأعلى لوادي أولاي أحد روافد ورغة. ورغم قساوة المناخ الذي يتميز ببرودته الشتوية، فقد ساهمت الإمكانات المائية التي يتوفر عليها هذان الحوضان في ظهور زراعة ربيعية مسقية قائمة أساسا على الحبوب (خصوصا الذرة) وعلى النباتات العلفية. وهذا ما يفسر جانبا من الكثافة السكانية المرتفعة بالجماعة والتي تجاوزت 70 نسمة في كلم$^2$ سنة 1982. غير أن المنطقة تبقى مدينة للمواد الخارجية، ومنها تحويلات العمال المهاجرين إلى الخارج.

وقد نشأ مركز باب برّد كسوق صغير (سوق الاثنين) أصبح له حاليا إشعاع محلي كبير، إذ يمثل القطب الرئيسي لشبكة صغيرة من الأسواق الأسبوعية في المنطقة الوسطى من جبال الريف. وقد استفاد في ذلك من وظيفته الطرقية بحكم موقعه على ما يعرف "بطريق القمم" وهو الجزء الأوسط من الطريق الرئيسية رقم 39 المارة عبر جبال الريف الأوسط مستعملة مجموعة من الفجاج المجاورة لأعلى قمم السلسلة.

وقد عرف المركز نمواً سريعاً خلال السبعينات حيث ارتفع عدد سكانه من 503 نسمة سنة 1971 إلى1،475 نسمة سنة 1982. وقد واكب ذلك تطور قطاع الخدمات بالمركز، سواء منها الخدمات العمومية (مقر لدائرة، اعدادية، مركز صحّي...) أو الخدمات الخاصة (التجارة ، صيدلية...) ويتجلى ذلك في معاينة بنية الساكنة النشيطة، فنسبة العاملين في القطاع الأول لا تتجاوز 10،4٪ سنة 1982 مقابل 14،3٪ بالنسبة للقطاع الثاني و75،3٪ للقطاع الثالث.

*تحريات ميدانية.*

محمد الرقاص

**باب برد**، قرية بسفح جبل تيزيران بقبيلة بني خالد الغمارية على علو شاهق، وقد أطلق عليها هذا الاسم لشدة البرودة التي تسود هناك خلال فصل الشتاء لدرجة أن الطريق العمومية التي تربط مدينة تطوان بمدينة الناظور وتمر بالقرية المذكورة تظل مقطوعة جل فصل الشتاء بسبب الثلوج التي تسقط هناك.

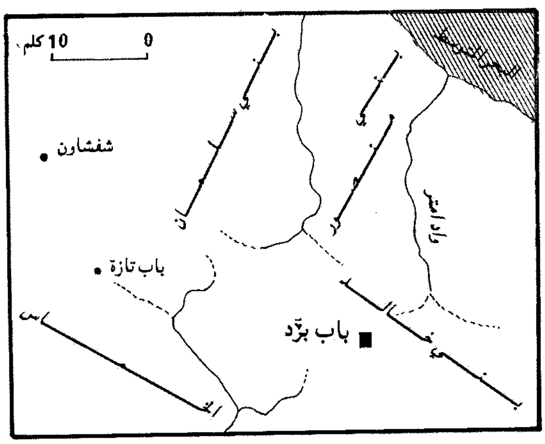


موقع باب برد

وكانت قرية باب برّد من الأماكن التي لم يستطع الجيش الإسباني الاستيلاء عليها إلا بعد أن قضى على الثورة الريفية حيث لم يتمكن الكولونيل گباص من احتلالها إلا يوم 22 محرم 1345/ فاتح غشت 1926، وعندئذ استطاع المقيم العام الجنرال سانخورخو Sanjurjo أن يقوم صحبة رئيس أركانه الجنرال گوديد Goded بأول جولة له عبر غمارة، خلال ربيع الأول/ سبتمبر من السنة المذكورة.

ع. بنعبدالله، *الموسوعة*، 79.

Comision histórica, *Geografia*, p. 40-44 ; A. Domenech, *Zona Norte*, p. 28 ; C. Martinez Campos, *España bélica. El siglo XX, (Marruecos)*, Madrid 1972, p. 335-339-348.

محمد ابن عزوز حكيم

**باب سبتة**، مركز المرور الموجود على الحدود الفاصلة بين مدينة سبتة المحتلة من طرف الإسبان وباقي البلاد المغربة. وتعتبر نقطة المرور هاته أول باب لدخول المغرب من حيث عدد المسافرين المسجلين سنويا في الاتجاهين. فإذا اعتبرنا آخر الاحصائيات المتوفرة والمتعلقة بسنة 1988 فإننا نلمس أهمية هذه النقطة بالنسبة لتيارات المسافرين القادمين أو المغادرين للمغرب.

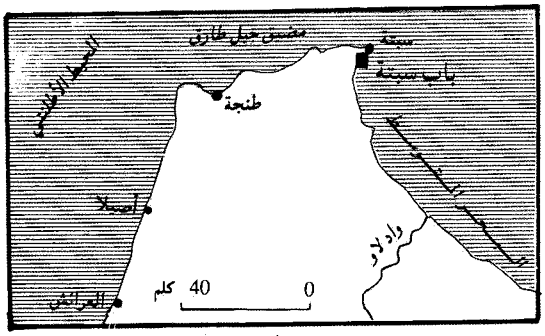


موقع باب سبتة

فمركز باب سبتة يرى مرور رُبع مجموع المسافرين من وإلى خارج الوطن، ويحتل بذلك الرتبة الأولى بين مجموع نقط الحدود، أمام مدينة طنجة بمينائها ومطارها التي تحتل الرتبة الثانية (22٪ من مجموع التيارات). أما إذا اقتصرنا على نقط الحدود الأرضية (دون اعتبار الموانئ والمطارات). فإن باب سبتة يهيمن على 58٪ من مجموع المسافرين المارين من هذه النقط. وهكذا فإن باب سبتة يراقب مع مركز حدود مدينة طنجة ما يقرب من نصف المسافرين. وتسيطر نقطة الحدود بباب سبتة كذلك على جزء كبير من تيار السواح الأجانب نحو المغرب، إذ قدم عبر باب سبتة سنة 1988 : 388.000 سائح أجنبي أي بنسبة 19،6٪ من مجموع السواح الذين دخلوا المغرب هذه السنة مقابل 16٪ بالنسبة لمدينة طنجة.

وتعزى أهمية نقط الحدود الشمالية في استقبال المسافرين إلى وجود مضيق جبل طارق وقرب أوربا الذي يمكّن من رحلات بحرية قصيرة بواسطة البواخر الحاملة للمسافرين والسيارات الرابطة بين ضفتي البوغاز.

حركة مرور المسافرين عبر نقط الحدود (مجموع المسافرين 1988)

| نقطة الحدود | الدخول | الخروج | المجموع | النسبة المائوية |
|---|---|---|---|---|
| 1 - باب سبتة | 943 886 | 666 683 | 1 610 569 | ٪24،5 |
| 2 - طنجة | 651 366 | 766 044 | 1 417 410 | ٪21،5 |
| 3 - البيضاء | 525 249 | 551 100 | 1 076 349 | ٪16،4 |
| 4 - وجدة + زوج بغال | 423 204 | 481 284 | 904 488 | ٪13،8 |
| 5 - أگادير | 274 611 | 278 040 | 552 651 | ٪ 8،4 |
| 6 - فاس - سايس | 141 136 | 127 810 | 268 946 | ٪ 4،1 |
| 7 - بني انصار | 236 499 | 221 833 | 458 332 | ٪ 7،0 |
| 8 - الرباط - سلا | 39 275 | 38 074 | 77 349 | ٪ 1،1 |
| 9 - مراكش | 21 163 | 23 982 | 45 145 | ٪ 0،7 |
| 10 - الحسيمة | 9 880 | 17 718 | 27 598 | ٪ 0،4 |
| 11 - نقط أخرى | 73 010 | 66 937 | 139 947 | ٪ 2،1 |
| المجموع | | | 6 578 784 | ٪100 |

غير أن التنافس حاد بين مدينتي سبتة وطنجة في استقطاب تيارات المسافرين القادمين إلى المغرب وخاصة السواح منهم. فبعد أن كان ميناء طنجة هو الفائز في هذا التسابق خلال الستينات وبداية السبعينات فإنه فقد المرتبة الأولى لصالح باب سبتة الذي يستفيد من رحلات بحرية أكثر ترددا بين المدينة والقطر الإسباني.

غير أن التطور الأهم في بنية وسائل النقل نحو المغرب ليس هو التنافس بين باب سبتة وطنجة بقدر ما هو التنافس بين طريق البحر والبر معا (بالنسبة لباب سبتة) من جهة وطريق الجو من جهة أخرى. فإذا ما تتبعنا تطور عدد السواح الأجانب القادمين إلى المغرب عبر باب سبتة بالمقارنة مع عدد السواح الذين وصلوا بواسطة الطائرة فإننا سنلاحظ اختلافا في التطور. إذ يرافق التزايد الغير المنتظم لعدد السواح الأجانب الذين زاوروا المغرب ما بين 1973 و1988، تزايد مستمر للسواح الذين استعملوا الطائرة وانخفاض أو ركود لعدد الزائرين المارين عبر باب سبتة (الشكل رقم 1). فبعدما كانت الوسيلة الرئيسية لنقل

شكل 1

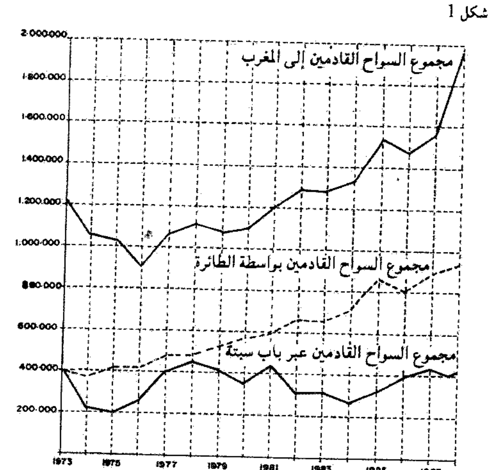


تطور عدد السواح القادمين إلى المغرب

السواح إلى المغرب هي السيارة أو الباخرة، أصبحت الطائرة تنقل أكثر من 50٪ من مجموع هؤلاء السواح ابتداء من أواسط السبعينات. ويرتبط هذا بالتحولات التي عرفتها السياحة المغربية التي أخذت تلتحق بالنموذج المتوسطي حيث تطغى الأسفار المنظمة من طرف الشركات الدولية واستعمال الطائرة كوسيلة نقل رئيسية. وينعكس هذا التطور على الحركة التي كان يعرفها مركز باب سبتة الذي سجل انخفاضا ملموسا لعدد السواح المارين عبره.

وهكذا فإن باب سبتة إذا كان ما زال يراقب ربع المسافرين الدوليين فإنه أخذ يختص في السنوات الأخيرة في استقبال العمال المغاربة العاملين بالخارج. فقد بلغت نسبتهم في مجموع القادمين عبر باب سبتة إلى 748 سنة 1988. كما أنه يستقبل عددا كبيراً من الإسبان العابرين للحدود والقادمين من مدينة سبتة أو من شبه جزيرة ايبيريا (الشكل رقم 2). ويعتبر باب سبتة كذلك نقطة مرور

شكل 2

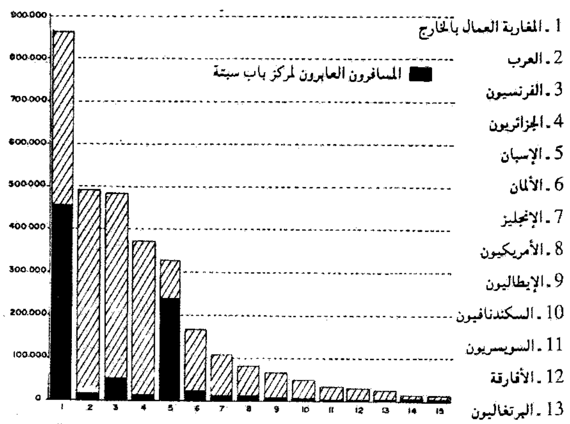


مختلف الجنسيات القادمة للمغرب ونسبة المارين بمركز باب سبتة

السواح المغاربة الذين يغادرون المغرب إلى الخارج. فقد سجل خروج 14٪ من مجموع 478.000 مسافر مغربي غادروا المغرب في نفس السنة. أما السواح الأجانب فباستثناء الفرنسيين الذين عبر جزء قليل منهم الحدود بباب سبتة (10.6٪ من مجموع 485.000 سائح فرنسي قدم إلى المغرب سنة 1988) فإنهم أصبحوا يترددون على المغرب عبر المطارات الدولية كالدارالبيضاء وأكادير ومراكش.

ينعكس وزن المغاربة بين مجموع المسافرين المارين بنقطة حدود باب سبتة على التطور الشهري لحركة المرور بهذا المركز، فبينما أصبح اليوم التوزيع الشهري لقدوم السواح الأجانب إلى المغرب أكثر انتظاما خلال السنة حيث عوض موسم الصيف بموسمين الأول صيفي والثاني ربيعي، فإن حركة التردد على مركز باب سبتة ما زالت تتميز بتركز صيفي حاد. ويظهر هذا الفرق وبوضوح على منحنى الشكل رقم 3. فالمغرب يستقبل ما يقرب من نصف السواح

شكل 3 التطور الشهري لعدد المسافرين القادمين إلى المغرب عبر مركز باب سبتة

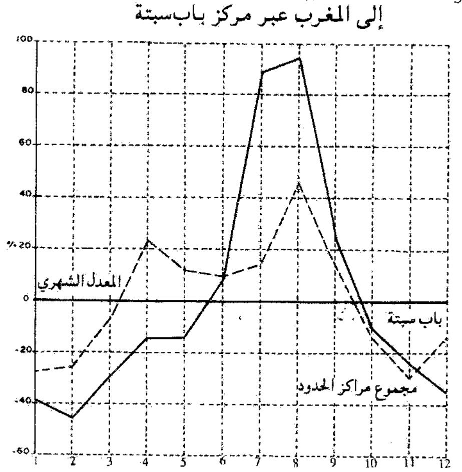


القادمين إليه خلال أشهر أبريل وماي (19.6٪) ويوليوز وغشت (21.6٪) مع تركز 59٪ من الوافدين خلال ستة أشهر

(مابين أبريل وشتنبر). أما مركز باب سبتة فيسجل 32٪ من السواح المارين به خلال شهري يوليوز وغشت مع تركز 51٪ منهم خلال أربعة أشهر فقط (مابين يونيو وشتنبر).

*النشرات الإحصائية لوزارة السياحة.*

محمد بريان

**بابَ السوداني** ← **أحمد بابَ**

**بَـابَ كُـراي**، عالم من آل أقيت، الأسرة السودانية العالمة الشهيرة، واسمه عمر بن الحاج أحمد بن عمر عم أحمد باب. كان فقيها نحويا يشتغل بمديح الرسول صلى الله عليه وسلم صباح مساء، ويسرد كتاب *الشفا* في رمضان بمسجد سنكُري (بتنبكت) كما كان وصولا لرحمه، يتفقد أقاربه ويعودهم، مستبشراً منطلق الوجه للخاصة والعامة. وهو ممن نُقل من تبكت إلى مراكش مع أحمد باب إثر الحملة السعدية على السودان الغربي في 25 جمادى الثانية عام 1002 / 18 مارس 1594. وبمراكش توفي في شهر ربيع الثاني عام 1006 / 11 نوفمبر - 9 دسمبر 1597.

كان باب كراي صديقاً لعبد الله بن عمران، والد عبد الرحمان السعدي صاحب *تاريخ السودان*. ومن أبنائه سعيد المعروف بسنكم المتوفي بمدينة جنى دفين ضواحيها في المكان المسمى الجنان في ذي القعدة عام 1025 / 10 نوفمبر - 9 دسمبر 1616.

ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ م. البرتلي، *فتح الشكور*.

محمد مطيع

**بابا**، (رأس -) أطلقه الإسبان على رأس تيمنرار الواقع بالشاطئ الموالي للبحر المتوسط شرقي وادي بادس، ويعرف كذلك برأس النفساء Punta de la Parida وبه كان المجاهدون يرابطون على جزيرة بادس منذ احتلالها من طرف الإسبان سنة 1508/914.

**بَابا عصمان**، أسرة جزائرية أتت إلى تطوان على إثر سقوط الجزائر العاصمة سنة 1830/1246. ويستفاد من الإحصاء الذي جرى بتطوان سنة 1841/1257 أن أحد أفراد هذه الأسرة كان يملك دارا بحومة الترنكات.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 355.

Rafael Pezzi, *Presidios menores de Africa*, Madrid, 1893, p. 45 ; A. Domenech, *Zona Norte*, p. 48 ; Cabello Alcaraz, *Gèografia de Marruecos*, p. 63 ; Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (B) ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (B) ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) 1932 (B).

محمد ابن عزوز حكيم

**بابونج**، أو بابنوج يطلق لفظ بابونج على أجناس وأنواع نباتية عديدة موجودة في المغرب، وأهمها هو نبات عشبي سنوي طبي من الفصيلة المركبة الأنبوبية الزهر Composees وهي قريبة من البهار النبيل Anthemis nobilis. تعرف في المغرب بالبابونج، وهي شائعة في أسواق الأعشاب بالمغرب. تسمى علميا Matricaria chamomilla. تنبت في الأراضي الرملية، في جوانب الطرق وفي الحقول والمراعي والغابات. يبلغ طول النبتة 50.10 سم وهي متلبدة، لها رائحة عطرية قوية. الجذور مغزلية تحمل عدة جذيرات. تتكون النبتة من عدة فروع لونها أخضر رمادي. الأوراق صغيرة متناوبة تحمل عدة شعيرات.

تظهر الأزهار في فصل الصيف ابتداء من يونيو. الرؤيسات منفردة، وسطها أصفر، التويجات بيضاء ومنحنية إلى الأسفل مما يعطي شكل مظلة. الثمرة صغيرة خضراء وطويلة.

استعمل البابونج في الطب التقليدي منذ القدم وذلك لميزاته المقوية والمنشطة. تقطف رؤيساته في شهر يونيو قبل نضجها النهائي ثم تُجفف لتحتفظ بألوانها. عند العلاج، توضع في سائل أو في الكحول (35 درجة) ثم تصفى وتشرب وتقدم أيضا للمريض على شكل دقيق ممزوج بالسكر المطحون.

يستعمل البابونج ضد عدة آلام نذكر منها الحمى التيفية، الحيض الغير المنتظم، الوهن، الهضم الصعب، قلة شهية الأكل، أعصاب الوجه، الشقيقة، داء المفاصل ومغص المعدة. كما يُستعمل أيضا لتعطير البيوت وذلك مع خلطه بعدة نباتات أخرى.

يحتل البابونج الصف الثاني بعد الزيزفون في الإنتاج المغربي للنباتات الطبية بالنسبة لطلبات الأسواق العالمية.

A. Akoka, *Le Medical du XXe siecle*; J. Bellakhdar, *Plantes médicinales, plantes toxiques, Gr. Enc. du Mar., Flore*, Rabat, 1987.

نجاة الخياط

**البابوية** والمغرب، كلمة «بابا» التي اشتق منها لفظ «بابوية» هي اللقب الذي يطلق غالبا على الرئيس الروحي للمسيحيين الكاثوليك، خليفة الرسول بطرس الذي أقامه السيد المسيح رئيساً روحيا لكنيسته. فهو إذن نائب المسيح في نظر الكاثوليك وحدهم دون بقية المسيحيين من انكليكان ولوتريين وأرثودكس وغيرهم، ويكون الكاثوليك الأكثرية الساحقة من المسيحيين المنتشرين في العالم. وتطلق على البابا ألقاب أخرى مثل نائب المسيح والحبر الأعظم والحبر الروماني والأب الأقدس الخ.

فالبابوية إذن هي المؤسسة الدينية المؤلفة من سلسلة الرؤساء الأعلين الذين تعاقبوا بدون انقطاع على رأس الكنيسة الكاثوليكية من القديس بطرس إلى يومنا هذا.

ولقد تمركزت البابوية منذ أقدم عصور المسيحية، باستثناء فترات قصيرة، في مدينة روما حيث دفن أول بابا، بطرس، ومنذ زمن قديم تولى البابا إلى جانب سلطته الروحية، سلطة دنيوية جعلته معتبرا رئيس دولة معترفا به في القانون الدولي. وكان تحت سلطته المدنية والسياسية، حتى أواسط القرن الماضي، إقليم صغير عاصمته روما. أما في الوقت الحاضر فقد أصبحت سلطته المدنية رمزية أكثر منها فعلية إذ لا تمتد إلا إلى المباني الإدارية للفاتيكان داخل مدينة روما. فمن الواضح إذن أن سلطته هي أساسا دينية ومع ذلك فإنه يتمتع بسلطة مدنية وسياسية مستقلة

عن كل سلطة سياسية أخرى. وبهذه الصفة تقيم لديه معظم حكومات العالم (سواء كانت بلدانها ذات أكثرية كاثوليكية أم لا) سفارات دائمة. كما أن للبابا من جهته ممثلين دائمين لدى معظم الدول ويحملون لقب «القاصد البابوي» ويمتد عمل البابا إلى كل مشاكل الانسانية جمعاء كالسلم وحقوق الإنسان والتعاون بين الأمم والحوار بين الأديان والعدالة العالمية وبؤس الشعوب الخ. وهي مشاكل تهم بني البشر في كل أصقاع الدنيا وأياً كانت عقيدتهم الدينية.

وفيما يعود إلى المغرب كدولة فقد أقامت البابوية على مر العصور اتصالات مباشرة مع ملوكه وإن لم تكن بشكل متصل ودائم. أما في الوقت الحاضر فله ممثل دائم برتبة «نائب قاصد» في عاصمة المملكة.

ولن يدور الحديث هنا حول علاقات البابوية بمغرب ما قبل الإسلام، وأول خبر لدينا حول العلاقات بين ملوك المغرب والبابوية ترجع إلى سنة 1233/630. ففي تلك السنة وجه البابا غريغوريو التاسع إلى السلطان الموحدي عبد الواحد الرشيد رسالة يقول فيها إنه سبق له أن كاتبه بواسطة الرهبان الفرنسيسكان المستقرين في المغرب وأنه يشكره على حسن معاملته للكاثوليك الموجودين في المغرب ومن بينهم جنود في خدمته وكذلك أسرى قبض عليهم أثناء الحروب التي كانت دائرة إذ ذاك في الأندلس. وما زال نص هذه الرسالة محفوظا باللغة اللاتينية.

وفي سنة 1246/644. وجه البابا اينوسانسيو الرابع رسالة إلى السلطان الموحدي أبي الحسن السعيد علي بن المامون رسالة يطلب فيها منه مضاعفة أمن الجنود النصارى الذين كانوا في خدمته. إذ أن سلامتهم كانت معرضة لأخطار كبيرة بسبب الحروب الأهلية التي كانت تدور في مختلف الأنحاء بعد أن ضعفت سلطة الدولة الموحدية. وكان حامل الرسالة الأسقف الجديد المعين للمغرب وهو الراهب الفرنسيسكاني الإسباني فرنانديز دي آين. لكنه لم يصل إلى المغرب إلا في سنة 1248/645 بعد وفاة السلطان السعيد علي. فسلم الرسالة إلى خلفه عمر المرتضى الذي أحسن استقبال رسول البابا لكنه لم يجب عن رسالته إلا بتاريخ 18 ربيع الأول عام 20/648 يونيو 1250. وقد جاء في رسالة السلطان المرتضى أنه يتمنى من البابا أن يستمر في مكاتبته بواسطة أشخاص من هذا الصنف، يتقون الله ولا يعملون إلا الخير. وفي السنة التالية أي 1251/649. كاتبه البابا من جديد ولكن هذه المرة كانت المراسلة من أجل معاتبة المرتضى لكونه لم يفعل أي شيء من أجل حماية الجنود النصارى، ولذلك حرم على غيرهم من النصارى الدخول في خدمته. وما زالت هذه الرسائل محفوظة هي أيضا. وفي سنة 1289/688. صدرت عن البابا نقولا الرابع رسالة موجهة إلى المغرب وإلى تلمسان وتونس. لكنها لم تكن موجهة هذه المرة إلى الأمراء الحاكمين تلك الأقاليم بل إلى الجماعات المسيحية المستقرة فيها، ونص هذه الرسالة محفوظ أيضا. وكان المغرب إذ ذاك تحت حكم السلطان أبي يعقوب يوسف المريني. كما أن أمير تلمسان عثمان الأول الزياني تبادل السفارات مع البابا في سنة 1293/693. وقد شارك في هذه السفارات اسقف المغرب الراهب الفرنسيسكاني الإسباني رود ريغو دي كودال حسبما كتبه ابن خلدون.

واستمر باباوات روما على مر القرون في تعيين أساقفة لتدبير شؤون الجماعات المسيحية في المغرب. لكن قلما كان هؤلاء الأساقفة يقيمون في المغرب، بل كانوا يمارسون مهامهم الدينية وهم مقيمون في ناحية إشبيلية بإسبانيا. ولذلك انقطعت الاتصالات المباشرة بين البابا وسلاطين المغرب زمنا طويلا.

وتفيد الأخبار التي نتوفر عليها أنه في القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر الميلادي أي في آخر عهد الدولة السعدية قامت من جديد علاقات بين البابا وسلاطين المغرب وان لم تكن مباشرة وشخصية. ففي سنة 1637/1046 أقام البابا اوربانو الثامن تنظيما جديدا للسلطة الكنيسية على الجماعات المسيحية في المغرب، بواسطة إحدى هيئات الفاتيكان والقاصد البابوي في اسبانيا انتدب الراهب الفرنسيسكاني نقولا دي فيلاسكو للتفاوض مباشرة مع السلطان السعدي محمد الشيخ الأصغر بشأن الأسرى المسيحيين وقد اعطي للراهب المذكور تفويض من أجل شراء الأملاك وبناء الكنائس والمساكن للرهبان الفرنسيسكان الخ.

وكان في تلك المناسبة يمثل أيضا السلطات المدنية الإسبانية. وقد واصل عمل نقولادى فيلاسكو رهبان فرنسيسكان آخرون منهم ماتياس دي سان فرنسيسكو وفرنسيسكو دي لاكونسيسيون اللذان أوفدهما البابا اينوسانسيو العاشر.

وبعد أن تولت الدولة العلوية الحكم قامت علاقات وثيقة بين السلطان مولاي اسماعيل والرهبان الفرنسيسكان. وكان هؤلاء الرهبان يسهرون على الجانب الديني للأسرى المسيحيين في مكناس وفاس ومراكش وتطوان وسلا . لم تقم إذ ذاك علاقات مباشرة بين هذا السلطان العظيم وبابا روما بالرغم على أنه كانت تتابع باهتمام كبير من عاصمة العالم الكاثوليكي قضية الأسرى، وذلك عن طريق التقارير التي كان الرهبان الفرنسيسكان يوجهونها إليه.

وحصل نفس الشيء في عهد السلطان محمد الثالث. فقد شارك الرهبان الفرنسيسكان برتولومي خيرون وخوسي بولطاس مشاركة فعالة في المجهودات التي كان يبذلها هذا السلطان العلوي من أجل وضع حد لوجود أسرى مسيحيين في المغرب وأسرى مسلمين في البلدان الأوروبية، ولا شك أن البابا كان على علم بهذا التعاون المسيحي - الإسلامي في هذه القضية الإنسانية. ومع ذلك لا دليل على أنه أقام مع السلطان العلوي اتصالا مباشرا. وإنما يعرف أن السلطان محمد الثالث وجه في سنة 1782/1196 مندوبه محمد بن

عثمان إلى مدينة نابولي لكي يبحث عما إذا كان في الأقاليم الخاضعة لسلطة البابا أسرى مسلمون ليفتكهم أيضا، لكنه لم يجد فيها أي أسير.

ولا بد من الانتقال إلى القرن الرابع عشر هجري/ التاسع عشر ميلادي كي نجد أول سفارة رسمية بين سلطان المغرب وبابا روما. حدث ذلك سنة 1888/1305 إذ وجهها السلطان الحسن الأول بمناسبة الاحتفال الدولي لتكريم البابا لاوون الثالث عشر، ذلك الاحتفال الذي شاركت فيه معظم دول العالم بإيفاد سفارات فوق العادة. وقد نظمت سفارة الحسن الأول بالاتفاق مع رئيس الكنيسة الكاثوليكية في المغرب آنذاك الراهب الفرنسيسكاني الاب خوسي ليرتشوندى الذي كان يحظى بمقام كبير لدى السلطان العلوي. (انظر : ليرتشوندى) والذي رافق إلى روما السفير المغربي الحاج محمد بن العربي الطريس. وبهذه المناسبة طلب السفير المغربي من البابا باسم السلطان أن يتدخل لدى الحكومات الأوربية لكي تتخلى عما تمارسه من ضغوط طامعة على التراب المغربي. وقد نقل مصطفى بوشعراء في بحثه حول *السفارات المغربية في القرن التاسع عشر* المنشور في "مجلة *دار النيابة*، 3، 1984" ما ورد في تقرير السفير المغربي حول هذه المسألة.

أما خلال مدة الحماية الفرنسية ـ الإسبانية فلم يقع أي اتصال مباشر بين البابا والعرش العلوي. لكن هذا الاتصال استؤنف بعد استقلال المغرب. فعند وفاة البابا بيوس الثاني عشر سنة 1958/1378 وجه الفاتيكان إعلاما رسميا بتلك الوفاة إلى حكومة محمد الخامس، كما أرسل بعد ذلك اعلاما رسميا إلى الملك الراحل نفسه عند اعتلاء البابا يوحنا الثالث والعشرين سدة البابوية.

وبعد ترقي الملك الحسن الثاني عرش المغرب استمرت الاتصالات المباشرة بين الفاتيكان والمغرب. فلما توفي البابا يوحنا الثالث والعشرون سنة 1963/1382 وجه إعلام رسمي بذلك إلى ملك المغرب، وكذلك أيضا حين اعتلى السدة البابوية كل من بولس السادس ويوحنا بولس الأول ويوحنا بولس الثاني. وقد جرى تبادل الرسائل الشخصية بين الحسن الثاني وبولس السادس حول العديد من القضايا منها القضية الفلسطينية سنة 1967/1387. وقضية الأماكن المقدسة في القدس الشريف سنة 1969/1388. وكذلك سنة 1979/1399.

وتوطدت العلاقات بين المغرب والفاتيكان بسرعة إذ أن البابا بولس السادس قبل وفاته سنة 1978 بقليل عين ممثلا دائما له لدى جلالة الملك الحسن الثاني كما أن الملك عين من جهته ممثلا عنه لدى البابا السفير المغربي بباريس بحيث أصبح التمثيلان مجتمعين في شخص واحد. وكانت هذه هي المرة الأولى في التاريخ التي تقام فيها تمثيلية دبلوماسية بين السلطتين. وقد عين البابا المونسنيور نوربيرت كالملس مكلفا بمهمة لدى ملك المغرب في شهر ربيع الأول من عام 1398/ مارس 1978.

وبالنظر إلى الطابع الديني والإنساني الذي يتسم به البابا فإن الملك الحسن الثاني بصفته رئيس لجنة القدس الإسلامية والمدافع عن قضية الشعب الفلسطيني المسلوب، وجه خطابا إلى البابا يوحنا بولس الثاني عام 1979/1399 بعد أن ألقى البابا خطابه في الجمعية العمومية للأمم المتحدة حول قضية الشرق الأوسط. ومما جاء في الرسالة الملكية :«لا صوت في العالم مسموعا ومحترما ومستجابا مثل صوتكم من أجل الدفع إلى الأمام بمسيرة السلم وبالأمل الذي يساور محبي العدالة». وهذا ما حدا بجلالته في تلك الآونة، ومخطط العمل بشأن قضية القدس الشريف موضوع التحضير، بأن يصرح للبابا :«وإننا نتقبل شاكرين كل ما يظهر لقداستكم توجيهه إلينا من اقتراحات وآراء وتوجيهات» وختمت الرسالة بالكلمة التالية :«إن توحيد مجهودات المسيحية والإسلام لمن شأنه أن يساهم مرة أخرى في توطيد الهدوء والاستقرار والسلم في العالم وسيكون العالم بأسره شاكراً لقداستكم».

إن العلاقات بين المغرب والبابوية، كما يتبين من خلال العرض السابق، تجاوزت الطابع السياسي المحض لتتعمق في قيم أسمى وأعلى. فالحسن الثاني، الذي لا يعرف الكلل في مجهوداته من أجل إقرار السلم في الشرق الأوسط توجه شخصيا إلى روما لزيارة البابا يوحنا بولس الثاني. وقد تم هذا الحدث التاريخي يوم 16 جمادى الأولى 1400/ 2 أبريل 1980. وعند إنهاء الملك المغربي هذه الزيارة دعا البابا للمجيء إلى المغرب في زيارة رسمية ردا لزيارته له. وأجاب البابا بكل بساطة وصراحة بأنه لا يرى ما هي الفائدة التي يمكن أن تجنى من زيارته لبلد إسلامي في حين أنه هو رئيس الكنيسة الكاثوليكية. ورد عليه الحسن الثاني بكل صراحة بأن البابا، علاوة على مسؤولياته الدينية، تقع على عاتقه مسؤوليات تربوية وخلقية، ولذلك فهو متيقن من أن الشعب المغربي والشبيبة خاصة، سيكون شاكرا لو أتيح له الاستماع إلى حديث عن المسيرة الخلقية للأفراد والجماعات والشعوب والأديان.

وقد ذكر الملك الحسن الثاني البابا يوحنا بولس الثاني بهذا الحديث الذي راج بينهما في روما سنة 1980 أثناء زيارة البابا إلى المغرب سنة 1985/1405. وإلقائه هو والملك الحسن الثاني خطابا أمام جمهور غفير ناهز 100.000 شاب في ملعب الدارالبيضاء. وقد كان ذلك اليوم يوما مشهودا في تاريخ الديانتين العظيمتين المسيحية والإسلام اللتين تؤلفان الركيزة لبعض أهم الحضارات التي عرفتها البشرية.

وفي سنة 1986/1406 رفع الفاتيكان مستوى تمثيليته في المغرب بتعيينه المونسنيور برنار كاك نائب قاصد بابوي لدى الملك الحسن الثاني.


م. بوشعراء، *السفارات المغربية في القرن 19*، "مجلة دار النيابة" 3 ، 1984، 47 ؛ *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 1984، 1 : 390،383.

M. Castellanos, *Historia de Marruecos*, Tanger, 1898 ; J. Lopez, *El Padre Lerchundi : Biografia documentada*, Madrid, 1927 ; A. Lopez, *Obispos del Africa septentrional desde el siglo XIII*, Tanger 1941 ; H. Koehler, *L'Eglise Chrétienne au Maroc*

*(1221-1790)* , Vanves (Seine), 1934 ; E. Tisserant, et G. Wiet, *Une lettre de l'almohade el Murtada au Pape Innocent IV*, *Hesp.*, 1926, pp 27-53 ; M. Azzuz Hakim, *Una embajada al Vaticano*, *C.E.A.*, Madrid 1949, pp. 73-84 ; *La embajada del Hach Muhammad Torres al Vaticano*, *C.B.E.T.*, 13-14 (1976) 156-216; J. Aguilera, *Varios documentos referentes a la embajada marroqui al papa Leon XIII*, *Tamuda* 1(1953), 265-271 ; A. Benmansur, *Maa Jalàlat al-Malik Hassan al-tàni fi hadirat Vatican*, Rabat, 1980 ; R. Lourido Diaz, *La obra redentora del sultan Sidi Muhammad b.Abd Allah entre los cautivos musulmanes en Europa (S. XVIII)* ,*C.H.I.* (Granada) 11 (1984) 139-184 ; *El Padre Lerchundi y el reformismo en el Marruecos del siglo XIX* , *Dar Al-Niaba*, Tanger, 8 (1985) 1-13, *Marruecos y el mundo exterior en la segunda mitad del siglo XVIII*, Madrid, 1989 ; J. Caille, *Sur les rapports du Maroc avec le Saint- Siège*, *H. T*, X 1969, 71-94.

رامون لوريدو دياز/تر. موسى عبود

**باجة** (ابن ـ)، أبو بكر محمد بن الحسين التجيبي الأندلسي السرقسطي المعروف بابن الصائغ، انتقل إلى مدينة فاس واستقر بها إلى أن أدركته الوفاة.

لا تشير المصادر إلى تاريخ ميلاده كما اختلفت في تاريخ وفاته، ومعظم ما قيل عن أسرته ومراحل تكوينه العلمي والفلسفي مجرد تخمينات. فالمصادر القديمة تتحدث عنه بإيجاز عالماً مشهوراً، شاعراً حكيماً ملحناً، وأخيراً وزيراً في دولة المرابطين بفاس. ويتعذر أن نجد في النسخ المتأخرة لنصوصه ما يعوِّض هذا النقص.

وإذا كان في نسب ابن باجة ما يرجِّح أنه ابن صائغ، كما أن كلمة (باجة) تعني (الفضة) فذلك شأن العديد من الأعلام في الإسلام الذين نسبوا إلى حرف ومهن متواضعة بمقياس العصر، فخرقوا بعصاميتهم ونبوغهم هذا المقياس التراتبي المتواضع عليه. وابن باجة في رسائله يباهي بفطرته الفائقة التي أهلته لإدراك غاية النظر أي علم الحق بينما أخفق بقية أصحابه من طلاب العلم (إشارة هامة في *رسالة الوداع*).

من المرجح أن ابن باجة قضى زهرة شبابه في سرقسطة حيث نشأ وتلقى علومه تبعاً لتقاليد التعليم الأندلسي ليلتحق بعد ذلك ببلاط أمرائها إلى أن سقطت في يد النصارى سنة 1118/512. وسرقسطة في وصف ابن سعيد : مدينة بيضاء تحدق بها بساتين خضراء وتلتف عليها أنهارها الأربعة. جمال طبيعي تحضر ألوانه ورقته في أشعار ابن باجة، منها قوله :

لا والذي جعل الغصون معاطفاً ... لهمُ وصاغ الأقحوان ثغورا

ما مرَّ بي ريحُ الصَّبا من بَعْدِهِمْ ... إلا شهقتُ له فعاد سعيرا

يا مَكْرَعَ الوادي أما فيك شربة ... لقد سال فيك الماءُ أزرق صافيا

ويا شجرات الجزع هل فيك وثقة ... وقد فاء فيك الظلُّ أخضر ضافيا

جمال الموقع لا ينفي خطورته. فالمدينة رغم تحصيناتها ومعاقلها، يصعب الدفاع عنها. لذلك سلك أمراؤها التجيبيون ومن بعدهم بنو هود سياسة مهادنة لجيرانهم النصارى (الأقوياء). وانتهزوا كل فرصة ممكنة لإظهار حسن النية وعقد التحالفات ودفع الإتاوات لهؤلاء الجيران. فعرفت سرقسطة تبادلا تجاريا خصبا مع الشمال المسيحي كما تمتعت بتسامح ديني غير مألوف. وانغمس أمراؤها في حياة أرستقراطية تجمع بين متعة الحس والعقل وعرف بلاطهم مزيجا غريباً من العلماء والأدباء والفقهاء والفرسان والرهبان.

في هذا المناخ السرقسطي انتقل التعليم الفلسفي إلى مرحلة متقدمة تتفوق على بقية المدن الاندلسية. ففيها بدأ المتفلسفة منذ زمن صاعد الأندلسي 1080/462 يستوعبون الموسوعة الأرسطية الضخمة في المنطق والطبيعة وما بعد الطبيعة والتي انتقلت ترجماتها وشروحها من المشرق إلى الأندلس تدريجياً وعبر وسائل متعددة، وهي ذات الموسوعة التي شغلت ابن باجة ونبغ في فهمها وشرحها، ومنحه هذا الفهم وهذا الشرح لقب «الفيلسوف» أو «الحكيم» فلم يعد ابن باجة متميزا فقط في العربية والأدب حافظا للقرآن فاضلا في صناعة الطب متقنا لصناعة الموسيقى جيد اللعب بالعود، بل إنه فوق هذا كله، كما قال ابن أبي أُصيبعة، أصبح في «العلوم الحكمية علامة وقته وأوحد زمانه» فارتفع في تقريظ تلميذه ابن الإمام إلى مقام «أبي نصر الفرابي» بل إن أقاويله رجحت على أقاويل ابن سينا والغزالي «في حسن فهمه لأقاويل أرسطو».

نال ابن باجة حظوة في دولة المرابطين بعد أن استولت هذه الدولة على الأندلس في أعقاب موقعة الزلاقة سنة 1086/479. فقربه أمير المرابطين على سرقسطة سنة 1110/503 أبو بكر بن تيفاويت فاختص به ولمع في مجالسه. وعند وفاة هذا الأمير رثاه ابن باجة في أشعار حزينة «غنى بها في الحال مبكيه» (بتعبير ابن سعيد في المغرب) منها :

أحقا أبا بكر تقضّى فما يُرى ... تَرُدُ جماهيرَ الوفود ستورُهُ

لئن أنست تلك القبورُ بقبره ... لقد أوحشت أمصاره وقصوره

بيد أن فيلسوفنا لم تمنحه شهرته ولا حظوته لدى الأمراء الاستقرار والهدوء، فظل يحلم بعزلة علمية متعذرة لإنجاز مشاريعه العلمية والفلسفية على أكمل وجه يرضاه ويطمح إليه. فكثرت مشاغله (العلمية) وابتُلي «بمحن كثيرة وشناعات من العوام، وقصدوا هلاكه مرات» (في قول ابن أبي أصيبعة). وتكالب عليه خصوم منافسون يملؤهم الحقد على مركزه ونبوغه، وأحفظهم عليه تعاليه واعتزازه بهذا التفوق، من بينهم أبو العلاء بن زهر واللغوي ابن السيد البطليوسي، والأديب السليط اللسان الفتح بن خاقان.

ومن أحداث هذه الحياة القلقة التي عاشها ابن باجة قبل انتقاله إلى فاس، الاعتقال القصير الذي تعرض له بعد سنة 1110/503 في حصن روطة أثناء سفارته إلى عماد الدولة بن هود (المعتصم بهذا الحصن). تلاه بعد ذلك اعتقال آخر في شاطبة بين سنة 513.512 هـ بأمر من الأمير المرابطي إبراهيم بن تاشفين، ولم يطلق سراحه إلا بعد وساطة ابن رشد الجد. ورغم الملابسات السياسية للاعتقالين فإن تهمة ابن باجة خاصة في سجن شاطبة تنحصر في الزندقة. وقد ترددت هذه التهمة في تشهير خصومه خاصة الفتح بن خاقان والطبيب ابن زهر. وهي تعبر عن موقف عدائي

تقليدي في الوسط المالكي السلفي السائد تجاه (علوم الفلسفة) في الأندلس والمغرب استغلّه هؤلاء الخصوم دون تبصر رغم مشاركتهم في ممارسة هذه العلوم. ولا يستبعد أن يكون لتأويلات ابن باجة العقدية التي تسربت للعامة في صورة انحراف ديني «ما يبرر هذه التهمة» وما تعرض به ابن باجة من محن وشناعات.

ولكن ما يجب تسجيله هو أن الدولة المرابطية لم تأبه طويلا لهذه الحملة، فاستعاد ابن باجة في قصور أمرائها مكانته وحظوته، ونال الحماية والمقام الرفيع حينما استوزره الأمير المرابطي يحيى بن يوسف بن تاشفين في فاس مدة تقدر بعشرين سنة. وثمة شكوك قوية حول صحة ما قيل عن تسميم ابن باجة من طرف منافسيه. لكن مما لاريب فيه أن مشاغله ومضايقة خصومه أرهقته وود لو انتقل إلى وهران، وهو أمر لم يتحقق في حدود علمنا (كما أشار إلى ذلك في خاتمة *رسالة الاتصال*).

إذا استثنينا بعض النسخ الجزئية المتنافرة في خزانات طشقند وتركيا والقاهرة... فان سائر ما يتوفر حاليا من إنتاج ابن باجة العلمي والفلسفي تضمه ثلاث مجموعات: مجموعة ابن الإمام التي تعرف لدى الدارسين بمخطوطة أكسفورد وتحوي أهم الشروح الطبيعية والرسائل الفلسفية؛ ومجموعة الاسكوريال التي تقتصر على التعاليق المنطقية لابن باجة على كتب الفارابي؛ ومجموعة برلين التي تتميز بوجود مقالات علمية بالإضافة لنسخ مكررة.

هذه المجموعات الثلاث تنسجم ببليوغرافيتها مع معظم ما ورد في *فهرسة ابن أبي أصيبعة* من شروح ورسائل وأقوال وتعاليق تناهز تسعة وعشرين نصا، وتتناول مسائل في الطب والفلك والموسيقى والهندسة والمنطق والفلسفة الطبيعية. وقد انكب الدارسون المحدثون على هذا الإنتاج ونشروا أقساما هامة منه. ونخص بالذكر من بينهم: آسين بلاثيوس A. Palacios ودانلوب Dunlop وماجد فخري ومعن زيادة وبّنيس Pinès ومودي Moody ومحمد صغير حسن المعصومي.

بالإضافة إلى المساهمة العلمية المحضة خاصة في هندسة المخروطات وقوانين الحركة الفيزيقية (الديناميكا)، قدم ابن باجة نصوصا فلسفية خالصة تعد بداية لتأمل أصيل وعميق كان مفقودا في منطقة الغرب الإسلامي خاصة رسائله الأساسية (*تدبير المتوحّد*، و*رسالة الوداع*، و*رسالة الاتصال*) التي وضع فيها ابن باجة تأويلا لنظرية العقل المشائية كطريق صاعد لبلوغ الخلود والسعادة الإنسانية الحقة. طريق وضع له مراتب أقصاها مرتبة السعداء وهو طريق نظري نخبوي ( يغاير الطريق الصوفي وإن كان لا يتناقض معه بالضرورة) فابن باجة يخاطب أفرادا قلائل تتوفر لهم أحوال النظر وفضائله، يسميهم تارة (بالنوابت) أو (الغرباء) أو (المتوحدين). فهم يعيشون بفكرهم حياة لا وجود لها في الواقع الاجتماعي الذي يعاشرونه بأجسامهم. فالمتوحد عليه أن يعتزل نقيضه من الجسمانيين أو ممن تشوبهم الجسمانية، وأن يصاحب أهل العلوم فقط ويهاجر إلى أماكن وجودهم ولا يشرك غيرهم إلا في الأمور الضرورية وبالقدر الضروري. وعبر هؤلاء المتوحدين الذين أنجزوا رحلة الاتصال في أقصى مراتبها العقلية ينبثق أمل حقيقي في قيام مدينة (فاضلة) كاملة.

أتيح لمذهب ابن باجة في الاتصال (الذي لا يتمتع في دقائقه بوضوح ويسمح بتفسيرات متعارضة) ذيوع فريد في الوسط الصوفي والفلسفي (ابن طفيل وموسى بن ميمون...) لكن حضوره تم في سياق المشائية الرشدية، حيث أثير انطلاقا منه ومن التباساته جدال نظري عميق وهام حول طبيعة العقل ووحدته وصلته بالإنسان بين الرشديين والتوماويين، جدالٌ يعد بالاضافة إلى الخلاف الإسمي - الواقعي في الفلسفة السكولائية مرحلة ما قبل العقلانية الحديثة في أوربا. تنفصل عنها وتتواصل معها في آن واحد.


ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*؛ ابن باجة، *شروحات السماع الطبيعي*، ت: ماجد فخري؛ *رسائل ابن باجة الإلاهية*؛ *كتاب النفس*، ت: محمد صغير حسن المعصومي؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 4، ت: إحسان عباس؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، ت: علي عبد الواحد وافي؛ ابن سعيد، *المغرب في حلى المغرب*، ت: شوقي ضيف، القاهرة 1955، 2: 434؛ ابن طفيل، *حي بن يقظان*، ت: ألبير نادر؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 4؛ معن زيادة، *الحركة من الطبيعة إلى ما بعد الطبيعة*.

Asin Palacios, *Trada a sobre la union del intelecto con el hombre*, *Al Andalus*, 7, 1942 ; *El Regimen del Solitario* , Madrid 1946 ; *La Carta de adios de Avempace, Al Andalus* (VIII- 1943) ; Dunlop, *Remarks on the Life and Works of Ibn Bajjah, second Congress of orientalist*, Leiden, Brill, 1957 ; *Philosophical Predessors and contemporaries of Ibn Bajjah , I. C.*, July 1955 ; Ernest. A Moody, *Galibo and Avempace*, Vol. XII, 3 June 1951 (New York), Edit, John Herman Randall ; S. Pines, *La dynamique d'Ibn Bajja, Melange Alexandre Koyré*, Paris, Herman, 1964.


محمد إبراهيم ألوزاد

**بَـاجَـدِّي**، أسرة تطوانية أصلها من الريف، ومن المعلوم أن الجد من جهة الأب يعرف في الشمال بـ «بَّاجدِّي» في حين يعرف الجد من جهة الأم بـ «بَّاسيدي».

**بَاجُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لا زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bayo، وكلمة Bayo تعني اللون الأبيض المائل إلى الصفرة. وكان من بين أفرادها:

**باجُو**، محمد بن عبدالعزيز، فقيه ناسك كان حيا سنة 1747/1160. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1752/1165.

**الباجي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ولعلها من مدينة باجة بمقاطعة إكسطريمادورا Extremadura الإسبانية، وقد انقرضت هذه الأسرة الآن بتطوان.


أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3: 20؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2: 330؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion , *Familias ;* Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos.*


محمد ابن عزوز حكيم

**باحدّو**. أسرة ـ ← **بوحدّو**

**بّاحْنيني**، أسرة فاسية، أصلها من تافيلالت من قصر يسمى البطاطحة أحد قصور وادي الرتب على بعد ستة كلمترات جنوب مركز أوفوس على الطريق المؤدية إلى عاصمة تافيلالت (إقليم الرشيدية).

هاجر جدهم في أواخر القرن الماضي من البطاطحة إلى مدينة فاس فاستوطنها وكان له عدة أولاد، أكبرهم محمد والد الأخوين العالمين أحمد ومَحمد بّـاحنيني. اشتغل محمد مدة في المحكمة الشرعية بفاس الجديد عدلا منتصباً لتلقي الشهادات مع القاضي محمد بن العربي العلوي، وكانَ يوقع الرسوم باسم محمد البطّاحي أو البطاطحي، غير أن أولاده اشتهروا بكنية بّـاحنيني. وهي صيغة متحضرة لعبارة "بّاحنّون" التي يدعى بها الجد في لسان بطاطحة تافيلات.

محمد العلوي الأوفوسي

**بّاحْنيني، أحمد**، ولد بفاس عام 1909/1330. وبعد سنوات التحصيل الابتدائي والثانوي اختار مجال القانون لتكوينه العالي، فحصّل على الإجازة في الحقوق ثم على دبلوم الدراسات العليا في القانون الخاص وفي الاقتصاد السياسي. وكانت له ـ إلى ذلك ـ اهتمامات أدبية وفنية، وولع خاص بطرب الملحون، وأثر عنه تعاطيه لقرض الشعر في أغراض وطنية وغزلية. مارس الترجمة بمدينة فاس لمدة ست سنوات، التحق إثرها بسلك المحاماة سنة 1942. من سنة 1956 إلى سنة 1960 عين مديرا لديوان نائب الوزير الأول ثم مديراً للشؤون الإدارية بوزارة الداخلية.

من سنة 1960 إلى 1963، قام بمهام رئيس أول للمجلس الأعلى للقضاء ثم عين كاتبا عاما لوزارة الداخلية فوزيرا للعدل.

حين أسس السيد أحمد رضا كديرة، حزب "جبهة الدّفاع عن المؤسسات الدستورية"، في 20 مارس 1963 التحق السيد أحمد باحنيني بقيادة هذا الحزب. وفي 13 نوڤمبر عين وزيرا أول إلى غاية 8 يونيو 1965، حيث أسندت إليه مهام رئيس للمجلس الأعلى وهو المنصب الذي استمر فيه إلى أن توفي بالصخيرات عام 10/1382 يوليوز 1971.

*وثائق وزارة الاعلام ووكالة المغرب العربي للأنباء.*

مصطفى القباج

**بّاحْنيني، مَحمد** (الحاج ـ). من أبرز أعلام الأدب المغربي في العصر الحديث، ومن أظهر رجالات الدولة المغربية قبل الاستقلال وبعده، وهو من جيل قُدر عليه أن يولد غداة فرض الحماية على المغرب كما كُتبَ له أن يتعلم في مؤسساتها، ويكتسب منها أدوات أصبحَت عنده وعند نُظرائه أساساً في تقصير مدتها وسبباً في زوال عهدها.

ولد الحاج محمد باحنيني بمدينة فاس عام 1914 في الحي المعروف بفاس الجديد حيث توجد المدينة الملكية التي يرجع تأسيسها إلى عصر بني مرين، وفيها الآن القصر الملكي العامر بفاس.

وقد نشأ في بيت أصيل كان من البيوتات القادمة من تافيلالت للاستقرار بحاضره بمدينة العرفان والعلم وعاصمة السلطان والحكم، وذلك في عهد العاهل العلوي مولاي عبد الرحمن. وقد كان والد الحاج محمد من فقهاء فاس المحترمين وعدولها المبرزين وخيرة أهلها المحبوبين، وإليه يرجع الفضل في تربية الحاج محمد وأخيه الحاج أحمد وهي تربية تدل على وعي بطبيعة العصر وتنبه إلى مقتضياته وبعد نظر في آفاقه.

وقد كان الآباء في المغرب بعد إنشاء ما عرف بالمدارس الفرنسية على قسمين : قسم تورع عن إدخال أولاده إليها وقسم تشجع أو شُجع على إلحاقهم بها، وكان من هذا القسم عدد من الأعيان وغيرهم في المدن المغربية وفي مقدمتها مدينة فاس.

وهكذا كان الحاج محمد من الذين أقبلوا ـ بعد مرحلة الكُتَّاب القرآني ـ على تعلم اللغة الفرنسية ومبادئ موادها، وحصل بتفوق على الشهادة الابتدائية عام 1925. وهذه الشهاد ة التي لها شأن أي شأن عند نشأتها كانت تحضر حينئذ في ثانوية مولاي إدريس وكانت منتهى التعليم بالنسبة إلى جل المتعلمين المغاربة يومئذ، ولم يكن يتجاوزها إلى ما فوقها إلا القليل من النابهين النابغين، وكان من هؤلاء الحاج مَحمد وثلة من زملائه الذين واصلوا الدراسة في المرحلة الثانوية بالمؤسسة الإدريسية المذكورة. غير أنه لم يصل منهم إلى الصفوف العليا إلا اثنان، أولهما الحاج مَحمد وثانيهما زميله السيد أحمد الزغاري الذي يقول ـ مد الله في عمره ـ :"أدركتنا السنة الأولى من الثلاثينات فأصبح يتوارد علينا نحن الاثنين ستة أو سبعة من الأساتذة الأفذاذ مثل فرانسوا بونجان وسالفرانك وروجي لوتورنو وخصوصا العالم الكبير المشارك الفقيه محمد بن عبد المجيد أقصبي، رحمة الله عليه، وهو الذي قرأنا عليه إلى جانب *جواهر الإكليل* في الفقه و*قطر الندى* في النحو وكتاب *الأمالي* لأبي علي القالي وبعض أبواب كتاب *الكامل* للمبرد. وهذه الكتب التي تدارسها الحاج مَحمدْ في

مرحلة التعليم الثانوي تعد اليوم ـ بسبب ضعف الهمم ـ تدرس حتى في الدراسات العليا. ومن جملة مقروءات الحاج مَحمد في هذه المرحلة كتاب *رسائل البلغاء* و*أمراء البيان* وهما من تأليف محمد كرد علي. كما قرأ خلال

هذه المرحلة أيضا وفي بداية الثلاثينات بالضبط دواوين شوقي وحافظ وكتابات عباس محمود العقاد وطه حسين ومحمد حسين هيكل وميخاييل نعيمة. وخلال هذه المرحة أخذ الحاج مـَحمد يطل على الأدب الأندلسي الذي سيولع به فيما بعد أيّما ولع، وقد تُوجت جهود الحاج مـَحمد الطالب في هذه المرحة بحصوله على الباكلوريا الفرنسية (شعبة الفلسفة) وكانت تحضر وقتئذ في ليسي گورو فقط. والتحق بعد حصوله على هذه الشهادة بمعهد الدروس العليا بالرباط وواظب على الدراسة إلى أن حصل على الإجازة في الحقوق والإجازة في الأدب وشهادة الدروس الإدارية والقانونية المغربية، وهذه الشهادات قل من حصل عليها يومئذ.

وكان الحاج مَحمد خلال دراساته العليا بالرباط يتردد على فاس ويستدعى للإسهام في المسامرات التي تنظمها جمعية قدماء ثانوية مولاي إدريس، وقد حاضر في موضوعات متنوعة، منها محاضرة عن فن الملحون، وثانية حول كتاب *طوق الحمامة* لابن حزم، وثالثة حول *رسالة الصداقة والصديق* لأبي حيان التوحيدي، ورابعة حول كتاب الإمتاع والمؤانسة له أيضا. ويقول الأستاذ محمد الفاسي في حديث له عن الحاج مَحمد ما يلي :"وفي وقت دراسته بالرباط بمعهد الحقوق وبعد تخرجه ربط الحاج مـَحمد باحنيني علائق ودية مع جماعةٍ من أدباء ذلك الوقت، من جملتهم المرحوم محمد بن العباس القباج والأديب الأستاذ عبد الرحمن الفاسي والمرحوم الأستاذ عبد الكريم بن جلول وغيرهم، وكانوا يكونون شبه ناد أدبي يجتمع في العشايا بمقهى فندق باليما بالرباط ويتذاكرون في الشؤون العامة وخاصة في الأدب وإنتاجاته".

ويبدو مما ذكرناه أن الحاج مـَحمد آثر العربية على الفرنسية برغم تكوينه المتين في هذه الأخيرة، وهذه من سمات أصالته المستنيرة. وفي هذه الأصالة المتفتحة يقول الأستاذ عبد الهادي بوطالب :"ونجح فقيدنا العزيز فيما فشل فيه الكثيرون من أقرانه ورفقائه في التوفيق في تفكيره وسلوكه بين الحفاظ على تراث الأصالة والتكيف مع مقتضيات المعاصرة".

وكما آثر الحاج مَحمد اللغة العربية على اللغة الفرنسية فقد آثر الأدب على الحقوق. كان الأدب يملأ حياته بينما كان تخصصه الحقوقي والإداري لا يخرج عن دائرة دواوين العمل الرسمي.

لقد عمل الحاج مـَحمد في الإدارة «طيلة ما يقرب من نصف قرن حتى مات وهو قيدوم الموظفين على الإطلاق»، وقد شغل خلال هذه المدة وظائف سياسية متعددة قبل الاستقلال وبعده، فمن أوائلها تعيينه قاضي بالمحكمة العليا الشريفة، ومن أهمها أستاذيته في المدرسة المولوية، وقد اختاره لهذا المنصب جلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه، يقول الأستاذ محمد الفاسي :"وفي سنة 1941 عندما أسس هذا الملك العظيم مدرسة لتعليم أبنائه مع ثلة من أبناء شعبه سماها المدرسة المولوية، أسند لنخبة من الأساتذة مهمة تربيتهم وتثقيفهم من جملتهم الحاج مَحمد باحنيني، وكانت له تلك فرصة ثمينة للتعرف على أدبه وكمال فضله وبراعة تعليمه. وقد تخرج من هذا المعهد نخبة من الرجال على رأسهم صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله".

"ويكفيه فخراً وفضلا - يقول الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور - أنه ساهم في تربية جلالته وتحبيب الآداب العربية إليه وتحفيظه رائق نثرها وفائق شعرها ولا سيما شعر شعراء الأندلس كابن عمار وابن زيدون الذي لا يزال جلالته يستظهره وينشده بين الحين والحين فينطلق لسانه منوها بمن حفَّظه إياه ومشيدا".

وفي سنة 1950 عينه جلالة المغفور له محمد الخامس مديراً للديوان الملكي وذلك في ظرف أخذت فيه بوادر الأزمة تلوح للعيان. ولما تفاقمت تلك الأزمة أوائل سنة 1951 طلبت الإقامة العامة من جلالة الملك أن يعزل الحاج مَحمد باحنيني باعتباره أحد خدامه المخلصين الأوفياء لجلالته المتفانين في خدمة العرش العلوي المجيد، ولما أقدم المستعمر على نفي قائد الأمة ورائد الاستقلال قُبض على عدد من الوطنيين وكان من جملة المقبوض عليهم الحاج محمد باحنيني. وظل محتجزاً في بلدة ميسور بناحية ملوية إلى سنة 1954 وهي السنة التي أطلق فيها سراح المسجونين والمنفيين الوطنيين، وذلك عندما بدأت بشائر عودة محمد الخامس تلوح في الأفق.

ولما رجع الملك المجاهد وتحقق الانتصار وأعلن الاستقلال عُين الحاج مَحمد أميناً عاماً للحكومة وظل يشغل هذا المنصب عدة سنوات إلى جانب مهام سياسية أخرى، ثم تقلد أمور وزارات مختلفة، فكان وزيرا للعدل من سنة 1958 إلى سنة 1965، ووزيراً للشؤون الإدارية مع الأمانة العامة للحكومة من سنة 1965 إلى سنة 1970، ووزيراً للدفاع مع الأمانة العامة للحكومة من سنة 1970 إلى سنة 1971، ووزيرا للعدل (للمرة الثانية) مع الأمانة العامة للحكومة من سنة 1971 إلى سنة 1972، ونائبا للوزير الأول ووزيرا للعدل (للمرة الثالثة) مع الأمانة العامة للحكومة في سنة 1972، ووزير دولة من سنة 1972 إلى سنة 1974، ووزير دولة مكلفاً بالشؤون الثقافية 1974 ثم وزيراً للدولة مكلفاً بالشؤون الثقافية والإشراف على تربية الأمراء والأميرات من سنة 1980 إلى وفاته. وقد كان رحمه الله إلى جانب تقلده مسؤوليات هذه الوزارات الجسام المستشار المقرب والمؤتمن المصدق على ميزانية القصر، وكان بإجماع الشهادات التي كتبت فيه مثال رجل الدولة الخدوم الدؤوب على مصالحها الكتوم لأسرارها، كما كان نموذجاً فريداً في التقيد بالمبادئ والقيم ومثلا شروداً لعفة اليد واللسان.

آثاره الأدبية : تتمثل آثار الحاج مَحمد الأدبية في أحاديث وبحوث ومحاضرات ومقالات نشرت في الصحف

والمجلات منذ أوائل الثلاثينات، ويمكن تصنيفها حسب موضوعاتها إلى المحاور التالية :

ـ مقالات تتعلق ببعض أعلام الأدب العربي كالجاحظ وأبي حيان التوحيدي وابن حزم وابن بسام والشنتريني، وكان أول من كتب عن *الذخيرة* إثر ما صدر منها سنة 1939، وفي هذا المحور تدخل مقالاته المنشورة في *الثقافة المغربية* حول كتاب *المختار من شعر بشار* للتجيبي القيرواني.

ـ مقالات في نظام القضاء بالأندلس، وهي تدور حول كتابين تراثيين وأساسيين في الموضوع وهما :*قضاة قرطبة* للخشني، وقضاة الأندلس أو *المرقبة العليا* للنباهي.

ـ مقالات حول الشعر الملحون، وقد نشرت مجزأة في بعض الصحف، وأصلها محاضرة ألقاها في مدرج كوليج مولاي إدريس بفاس، ويعتبر الحاج مَحمد أول من حاضر في هذا الموضوع، ويقول الأستاذ محمد الفاسي في ذكريات عن الحاج محمد حول هذه النقطة مايلي :"وكان يتذوق شعر الملحون ويعتبره الشعر الحقيقي الذي يعبر عن مشاعر المغاربة وعن مجتمعهم بكل مظاهره" وهذه شهادة تاتي من صديق وزميل للحاج مَحمد وقف حياته على خدمة الملحون وألف فيه *معلمة* مشهورة.

ـ مقالات حول بعض الكتاب المحدثين من عرب وأجانب ومنهم عباس محمود العقاد الذي كان الحاج مَحمد شديد الإعجاب به وبأدبه، وطه حسين، وريلكيه R. M. Rilke، وفي هذا المحور تدخل مقالاته حول حديث *عيسى بن هشام* للمويلحي.

ـ مقالات من وحي المناسبات الوطنية كعيد العرش الذي كان موسماً أدبياً تتبارى فيه أقلام الكتاب والشعراء وتحبر المقالات والبحوث في عظمة العرش المغربي والجالس عليه.

تلكم هي محاور مقالاته التي تمثل تراثه المعروف في مرحلة ما قبل الاستقلال وهي منشورة في *ملحق جريدة المغرب* ومجلة *رسالة المغرب* ومجلة *الثقافة المغربية* ومجلة *المغرب* وغيرها.

ويبدو أن إنتاج الحاج مَحمد بعد الاستقلال قد قل، وإذا شئنا التدقيق في العبارة فإننا نقول إن المنشور من هذا الإنتاج بعد مرحلة الاستقلال يبدو قليلا، وذلك لأننا لا نعرف على وجه اليقين إذا كانت له مخلفات أدبية ترجع إلى هذه الحقبة التي كانت مزدحمة بالأعباء السياسية والأعمال الإدارية، وقد أخبرنا أنه كان في الأيام الأخيرة بصدد إتمام بحث يلقي أضواء كاشفة على جوانب غامضة من حياة ابن زيدون الشاعر الأندلسي الكبير، وقد كان الحاج محمد من المعجبين به، ودعا لما كان وزيراً للثقافة أهل الأدب من المغرب والمشرق إلى الاحتفال بذكراه.

ومهما يكن الأمر فقد أشار إلى هذه النقطة الأستاذ عبد الهادي بوطالب وعللها خير تعليل فقال :"كانت ميزته الأصلية هيامه ـ الذي لازمه طول عمره ـ بتانيق الكلمة وترصيعها مكلفاً نفسه في ذلك جهداً أدبياً لم يكن يخبو له معه أوار، أو يشق له فيه غبار، لم يكن من كتبة الكلام ولكن من كتاب الكلمة المبرزين، ويعد أقرب ما يكون إلى مهرة النحاتين والنقاشين، لم يكن صاحب قلم ولكن ذا ريشة صناع... لذا كان مقلا متربصا بنتاجه الأدبي موصول المراجعة والتهذيب والتشذيب، تواقا إلى توفير الأناقة والكمال لما يطرزه ويبدعه، لا يهمه امتداد الزمان ولا طول الانتظار".

وإذا كان تراث الحاج محمد الأدبي المنشور في مرحلة ما قبل الاستقلال يقدمه إلى الناس باحثا منهجيا وناقداً ألمعيا فإن تراثه الأدبي المنشور في مرحلة ما بعد الاستقلال يقدمه كاتبا مبدعا ومنشئا متميزاً. وإن في كلماته وخطاباته التي حبرها في مناسبات مختلفة لدليلا واضحا وبرهانا ساطعا على ذلك، وإن تميُّز إنشائه أصبح معروفا لدى الخاص والعام ويكمن تميزه في الشكل وفي المضمون. أما الشكل فقد استصفاه الحاج مَحمد من تمثله لأساليب الجاحظ والتوحيدي والمترسلين في *ذخيرة* ابن بسام، وأساليبهم تتسم بالاحتفال في انتقاء الكلمة والاعتناء بالمزاوجة بين الفقر من غير التزام لسجع أو تكلف في استعماله، وأما المضمون فيتميز بكونه لا يخلو ـ وكيفما كان الموضوع ـ من استشهاد بما يناسب من أبيات القصيد، واستعمال لما يلائم من الاقتباس والتلميح، والاستشهاد والاقتباس هما خصائص نثر الحاج مَحمد. وقد كان رحمه الله يجتهد دائماً في أن يسمو بنثره إلى مستوى الناثرين الذين أسلفت ذكرهم وكان يبلغ في ذلك إلى ما يريد. وإن في كتيب *شذرات من أدب الحاج محمد با حنيني* الذي نشرته وزارة الثقافة نماذج طيبة من نثره الفني تكشف عن أسلوبه الأنيق الجميل وفيه يقول الأستاذ الأديب أحمد ابن سودة :"إنك أمام أسلوبه المرصع كالناظر لعقد من اللآلئ الجميلة، كل لؤلؤة في مكانها تعلن عن جمالها وتكشف عن لمعانها".

توفي الحاج مَحمد يوم الاثنين 16 صفر 1410 موافق 8 شتنبر 1989 وأقبر بضريح مولاي المكي بمدينة الرباط العتيقة، وقد أتبعه الناس ذكراً حسنا وتكلموا فيه بكل خير وأبنه الوزير الأول في اجتماع لمجلس الحكومة بتعليمات من صاحب الجلالة، كما أبنه زملاؤه في أكاديمية المملكة المغربية، ونظمت وزارة الثقافة حفل تأبين للمرحوم شارك فيه بكلمات ممتازة صفوة من الأعلام، كما نظمت جمعية فاس ـ سايس ندوة حول "المرحوم الحام محمد باحنيني، رجل الدولة والإبداع"، ألقيت فيها عروض قيمة لعدد من الأعلام.

لقد تمنى البعض أن يكون الحاج مَحمد باحنيني موضوع أطروحة يقوم بإعدادها أحد طلبة جامعاتنا فيستقصي أخباره ويجمع آثاره، ونحن نؤمن على هذا التمني.

*ملحق جريدة المغرب* ؛ مجلة *رسالة المغرب* ؛ مجلة *الثقافة المغربية* ؛ مجلة *المغرب* ؛ مجلة *المناهل* ؛ جريدة *العلم* 21 أكتوبر 1990 ؛ مجلة *دعوة الحق*، ع. 280 ؛ *شهادات، منشورات وزارة الثقافة* ؛ *شذرات*.

محمد بنشريفة

**بَاخَنُّو**، بالعربية الدارجة، أو ساسْنُو بالأمازيغية، وقطلب بالفصحى : نوع نباتي يسمى علميا أرْبُوتُوسْ أونِيدُو Arbutus unedo، وينتمي إلى فصيلة الخلنجيات Ericaceae.

إنها شجيرة لا يتعدى علوها أربعة أمتار، جذعها أحمر القشرة. أوراقها دائمة بيضوية أو رمحية الشكل. أزهارها بيضاء مجتمعة على شكل عناقيد. ثمارها كروية الشكل وحمراء اللون تؤكل من طرف الإنسان.

ينتشر هذا النوع في المنطقة المتوسطية، أما في المغرب فإنه يصادف في جل المناطق الشمالية من جبال الأطلس الكبير والمتوسط والريف، وفي الهضبة الوسطى والمغرب الشرقي. وفي كل هذه المناطق فإنه لا يعيش إلا في البيومناخات الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة وفوق أراض خصبة.

بالإضافة إلى ثماره المستهلكة من طرف الإنسان، يعطي باخنُّو فحما من النوع الرفيع.

*أبحاث شخصية.*

A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora, La nature au Maroc* , Rabat, 1959,

عبد المالك بنعبيد

**بَاخِيرَاخْت** ڤاسِيلِي رُومَانُوڤِتْش Bakherakht Vassili Romanovitch (1851-1916) موظف سام في وزارة الخارجية الروسية، تقلب في عدة مناصب دبلوماسية في كل من سويسرا وإيطاليا والبرتغال وألمانيا وبلجيكا قبل أن يعينه الإمبراطور «نيكولايْ» الثاني وزيراً مقيما وقنصلا عاما لروسيا بالمغرب في 4 دجنبر 1897 بعد ربط العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، فكان بذلك أول ممثل دبلوماسي رسمي لبلاده في المغرب، استقبله السلطان مولاي عبد العزيز بحفاوة كبيرة يوم 11 أبريل سنة 1899 في القصر الملكي بمراكش. ولقد ظل اسم باخيراخت مقرونا لمدة تفوق سبع سنوات (من 1898 إلى 1906) بمجموع العلاقات المغربية الروسية.

مُوسَاتُوڤا تَاتْيَانا، *روسيا-المغرب: ماض بعيد وقريب في نفس الوقت*،دار «ناوُوكا» ،موسكو، 1990 بالروسية.

عبدالرحيم العطاوي

**بادّو**، أسرة.

**بادّو، أحمد** بن الحاج الطاهر محتسب (ت 1278 / 1861).

**بادّو، إدريس** بن أحمد بن الحاج الطاهر.

**بادّو، الحاج الشافعي** بن عبد الله المكناسي.

**بادّو، الحاج الطاهر** بن العربي محتسب.

**بادّو، الحاج محمد** بن الحاج الطاهر محتسب.

**بادّو، السعيدي** بن عبد الوهاب بن محمد المكي (ت 1364 / 1944).

**بادّو، عبد الله** المكناسي (الجد).

**بادّو، عبد الوهاب** بن محمد المكي.

**بادّو، العربي بن الحاج الطاهر**، عالم.

**بادّو، العربي بن عبد الله.**

**بادّو، محمد بن عبد الوهاب** بن محمد المكي، إمام الجامع الكبير (ت 1377 / 1958).

**بادّو، محمد الكبير** بن محمد المكي، ناظر أحباس (ت 1340 / 1921).

**بادّو، محمد بن محمد** بن الحاج علي الفاسي (1147 / 1734).

**بادّو، محمد بن محمد الكبير** بن محمد المكي، ناظر أحباس (ت 1352 / 1933).

**بادّو، محمد المكي** بن الحاج الشافعي، عالم (ت 1273 / 1856).

**بادّو، محمد الهادي** بن الحاج الشافعي، عالم (ت 1278 / 1862).

**بادّو، المختار** بن أحمد (ت بعد 1298 / 1881).

**بادّو**، - بتشديد الدال - أسرة نابهة يصعد تاريخها - بمكناس - إلى بداية القرن الثامن عشر، فتاتي الإشارة لها في *الديوان الإسماعيلي* لأسر العاصمة العلوية غير الأشراف، حيث يحمل تاريخ 1121 / 1709، وهو يرفع نسبهم إلى قبيلة صنهاجة، ومن المتوقع أن يكون القصد إلى صنهاجة منطقة مكناس، استناداً إلى نظرية ابن خلدون في *المقدمة*، وفيها يقرر أن أولية أكثر أهل الأمصار، ترجع إلي القبيل الذي بناحية ذلك المصر، وبهذا يتحدد انتساب بيت بادو، إلى الطبقة الثالثة من صنهاجة، حسب تقسيم نفس المؤلف في *العبر* لهذه القبيلة.

على أن ابن زيدان ينقل عن بعض الوثائق الحبسية القديمة : أن نسب هذه الأسرة يتصل بالشيخ محمد بن مبارك التستاوتي دفينها. غير أن هذا المصدر لم يبين طبيعة هذا الاتصال، وهل كان أسرويا أو انتسابا لطريقة الشيخ المنوه به ؟.

ومن الجدير بالذكر، أن فريقاً من هذا القبيل كان انتقل للسكنى بفاس، وبهذه المناسبة أورد ذكره عبد الكبير بن هاشم الكتاني ضمن مدونته عن *بيوتات فاس*، فيقول عند مواد حرف الباء :"ذكر أولاد بادو... اعلم أن هولاء من قدماء فاس، وأصلهم من العرائش ومكناسة الزيتون، وهم أهل نجدة، كان منهم بفاس الطالب الأجل السيد محمد بن الأرضى الأنجد سيدي محمد، بن الحاج علي بادو، بتاريخ عام 1147 هـ، واليوم انقرضوا من فاس".

وأول اسم مذكور من الذين بمكناس هو الحاج عبد الله بادو، والد الشقيقين العربي والحاج الشافعي اسما، مع تحلية الأول بالفقيه الناسك البركة، حسب وثيقة في "حوالة الأحباس الكبرى" بمكناس، ومن الأخوين يمكن أن نفرع أسرة بادو إلى فريقين : فريق العربي وفريق الشافعي.

أ ـ وقد اشتهر من أبناء العربي : الحاج الطاهر بادو محتسب مكناس أيام السلطان مولاي سليمان، وأمين نفقات القصر السلطاني بنفس المدينة، وقد دخل اسمه لمدونات التاريخ، فذكره الضعيف في *تاريخه* ثلاث مرات، ونوه به أكنسوس في *الجيش العرمرم*، فضلا عن حوالة مكناس المشار لها وشيكا، وحسب الضعيف فقد رشحه السلطان أبو الربيع لرئاسة ركب الحجاج الفاسي، غير أن منافسة من بعض الجهات جمدت هذا الترشيح.

ومن مبراته تحبيس معظم جنان له على مؤدب الصبيان بالكتاب المجاور لروضة الشيخ أحمد الشبلي، وعلى طلبة الحزب القرءاني بالمشهد المذكور المجاور لدار سكني المترجم، ثم كانت وفاته آخر العهد السليماني.

وبعد تسلسلت وظيفة الحسبة في بيته أزيد من نصف قرن، فتقلدها أولاد ابنه الحاج محمد، ثم ابنه الثاني أحمد، ولهذا ترجمة في *إتحاف أعلام الناس*، وبعد وفاته انتقلت الوظيفة ذاتها إلى ابنه إدريس بن أحمد، وفي ظهير توليته ياتي تنويه بوالده أحمد، في شهادة من السلطان محمد الرابع يقول فيها :"إن دار خديمنا الأرضى الطالب أحمد بادو، دار أسلافنا قد سهم الله، وكان من المحبة والصدق والأمانة والخدمة والجد والدين بمكان مكين... وما أشبه إلا أباه وجده فيما ذكر....".

وتاريخ الظهير 10 صفر 1278 / 1861، فيوقت تاريخ وفاة المحتسب أحمد بادو. والد المحتسب إدريس.

وبعد وفاة الأخير تحولت الحسبة مدة إلى الحاج الطيب غريط، ثم أسندت إلى المحتسب المختار بن أحمد بادو، حتى أُخر عنها عام 1298 / 1881.

أخيراً : نشير إلى ولد الحاج الطاهر بادو. كان معدودا من العلماء، وبهذه السمة ترجمه ابن زيدان باسم "العربي بادو بن الأمين المحتسب الحاج الطاهر"، كما نشير إلى أن فريق هذا الأخير، لا تزال منهم زمرة طيبة بمكناس، بينهم الأستاذ النشيط السيد محمد بن قاسم بادو. مدير مدرسة دار الثقافة بنفس المدينة.

ب ـ وننتقل ـ الآن ـ إلى الفريق الثاني من الأسرة المنوه بها، وهو الذي يرجع إلى الحاج الشافعي بادو. حيث لمع بين أبنائه : الشقيقان محمد الهادي بفتح أوله، وأخوه محمد المكي، وتوفي أولهما يوم 18 شعبان 1278 / 1862، وقد كان في طليعة أعلام مكناس، وتخرج عليه طائفة من علماء المدينة ذاتها، بينهم الشيخ العربي بن السائح الإمام الشهير، وقد أبنه بقصيدة عصماء ومطولة أثبتها ـ بخطه ـ في كناشته، وعنه أتى ابن زيدان بمعظمها، وفيها يبرز تفوق شيخه في إقراء الحديث الشريف، وتحقيقه في المواد الإسلامية الأخرى، فضلا عن تحليه بأخلاق العلماء.

والشاعر ابن السائح، يمهد لهذه الحلى المنظومة، فيقدم قصيد رثاء شيخه قائلا :"ولكاتبه ـ سامحه الله ـ يرثي أخاه في الله تعالى وشيخه : الفقيه العلامة الصدر، المشارك الفهامة، التقي الورع الناسك...".

وإلى هذا التنويه السائحي، توجد لعالم أسرة بادو ترجمة وجيزة عند القاضي أحمد سكيرج في "*رفع النقاب*".

وقبل محمد الهادي كانت وفاة شقيقه محمد المكي عام 1273 هـ، وله ـ بدوره ـ ترجمة مختصرة في *رفع النقاب*، وفيها ياتي وصفه ـ من جهة كاتبها ـ بالعالم العامل، ويضيف : وكان من الأساتذة الكبار في القراءات والتجويد.

وإلى هذا، فإن المترجم وشقيقه محمد الهادي، كانا من صدور الموثقين بين عدول مكناس، مع التبريز في حساب قسمة المواريث.

ومحمد المكي هو الذي استمر عقبه، فكان بين أولاده الأخوان : الأمين عبد الوهاب، والناظر محمد الكبير، فتوفي أولهما عن ولديه : العدل السعيدي، (ت آخر 1364 / 1944)، ثم الفقيه الناسك السيد محمد الإمام الراتب بالجامع الكبير بمكناس، إلى أن توفي عن خطته ليلة الثلاثاء 21 رجب 1377 / 1958، وهو والد الطالب النبيه السيد محمد التاجر المعتمر بشارع السكاكين بالمدينة ذاتها.

والأخ الثاني من أبناء محمد المكي هو الحاج محمد الكبير، ناظر أحباس الزاوية الشبلية بمكناس، (ت 1340 / 1921)، وهو والد سميه وخلفه في نفس الوظيفة، (ت صبيحة يوم الثلاثاء 7 محرم 1352 / 19 أبريل 1933)، وبين أبنائه نشير إلى الشقيقين : الوطني المجاهد السيد عبد الرحمن، وأخيه وكبيره الأستاذ الغيور السيد المكي.

*الديوان الإسماعيلي لأسر مكناس*، احتفظ بنصه ع. ابن زيدان في *المنزع اللطيف* : خ. ع، ج 595 ؛ ع. بن هاشم الكتاني، *زهر الأس في بيوتات فاس*، مخطوط، خ. ع، ك 1281 : السفر الأول ؛ *كناشة الشيخ العربي بن السائح*، مخطوط، خ. ع، ج 133 : ص 466 ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ ع. بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 1 : 369، 2 : 155 ـ 197 ، 5 : 433 ـ 435 و438 ؛ *تاريخ الضعيف*، ط. الرباط : ص 305، 307، 361 ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* : ج 2 ؛ أ. سكيرج، *رفع النقاب*، 3 : 270 ـ 271، 4: 260 ـ 261 ؛ *الحوالة القديمة للأحباس الكبرى بمكناس*. ص 54، 97، 101، 206، 252 ؛ *أربعة ظهائر علوية عن فريق الحاج الطاهر بادو*، صورها لي ـ مشكورا ـ الأستاذ محمد بن قاسم بادو؛ *وثائق عدلية منوعة* : مفردة وضمن كنانيش المحكمة الشرعية بمكناس ؛ جريدة *السعادة*، عدد الاثنين فاتح جمادى الأخرة 1340 / 30 يناير 1922.

محمد المنوني

**بادُّو**، جبل في الناحية الوسطى للأطلس الكبير. وقد كان آخر معاقل مقاومة التدخل الاستعماري. ابتدأت تلك المقاومة عام 1914 بقيادة مبارك بن حسين التوزنيني الاقاوي في تافيلالت ثم امتدت إلى جبل صغرو ثم إلى أعالي ملوية والواحات المجاورة للأطلس الكبير.

اشتبك المقاومون مع القوات الاستعمارية في صغرو في ربيع 1933 ثم أشتبكوا معها في كردوس في يوليوز 1933

وكذا في أعالي إمدغاس، ثم وقعت المواجهة الحاسمة في قمم جبال بادُو وأُسكرسو.

إن مقاومة بادو قام بها أيت مرغاد وهم فرع من قبيلة أيت يَافلْمانْ الكبرى. كان الأگلاوي قد أقام قصبة بتنغير تدغة عام 1918، وأصبح يهدد المقاومين بتافيلالت. وكان أيت عطا وأيت يافَلْمان يضيقون عليه، وخلق وجودُه بين معارضيه ومناوئيه مزيداً من السخط عليه وعلى الفرنسيين.

ظهر زعماء للمقاومة تدربوا في عمليات تافيلالت وتعلموا على يد التوزنيني وخلفه بلقاسم النگادي، ومن هؤلاء أمغار زيد أسكونتي المولود عام 1890 من قبيلة أيت عيسى إزم، وهو فرع من أيت مرغاد، وقد صار قائداً للجهاد في معركة بادّو، وبرز إلى جانبه علي أطرمون وسيدي الطيبي وباسو عدي نايت الحرف وسكويدير وموحا عرجى وآخرون.

ولربما كان من عوامل تأجيج غضب السكان قيام الفرنسيين بإغراق الأسواق المحلية بالبضائع المجلوبة من بعيد مما أدى إلى إفلاس الفلاحين وتدهور الحرف،كما كان من تلك العوامل احتلال ديرالأطلس وما نتج عنه من نضييق مراعي الصيف لأيت عطا وأيت يافلمان في إقليم أزيلال الحالي.

استمرت المقاومة إلى 5 مارس 1936 حيث قتل آخر زعمائها وهو زيد أُحماد بقصر تادَقَلْت جنوبي تينغير، وقد توحدت فيهاالقبائل وكذبت بذلك مزاعم من يظن أن التفرقة القبلية ستسهل الغزو (Lieutenant Abbès, *R. G. M*, 1919, p. 61)

سبقت معارك بادو انتصارات مهدت لها مثل مقاومة أيت حمو الذين استولى فرعهم أيت الحسن على مركز الجيش في تالسينت يوم 16 دجنبر1925.

- محاصرة أيت مرغاد وأيت حْدِّيدُو لطلائع الغزو على مقربة من قصر أيت يعقوب بالأطلس الكبير الأوسط حيث ألحقوا بها خسائر فادحة، وكانت لها أصداء في البرلمان الفرنسي. وعلى إثر ذلك أسست فرنسا قيادة التخوم المغربية - الجزائرية Commandement des confins Algéro-Marocains في فاتح مارس 1930 بقيادة الجنرال جيرو Giroux .

- معركة تاردا قرب گلميمة التي برز فيها أمغار أسكونتي أكثر من ذي قبل، إذ واجه حشودا عظيمة من جيوش الاستعمار مدججة بأحدث الأسلحة مؤطرة بكبار الضباط.

وقد كتب الجنرال تيفني Thevenet في المجلة العسكرية الفرنسية *La Revue Militaire Française*, N° 141 du 29-3-1933. أي بعد خمسة أيام من إخماد مقاومة صغرو، يقول : «إن عصاة الأطلس الكبير سيفعلون مثل ما فعل عصاة تازگزاوت عام 1932 وعصاة صاغرو عام 1933، إذ سيمتنعون عن المفاوضات ولن يستسلموا إلا بعد قهرهم بالسلاح ودكّ مواقعهم بالطائرات في عمليات منسقة مع المشاة، وإذا ما اضطرهم الجوع والعطش إلى الاستسلام جردناهم من السلاح وضمنّا السلام في الجبل بأكمله».

دارت معارك في بسيط مْسمْرير يوم 12 و13 يوليوز 1933، وحاصر المقاومون جيوش الفرنسيين وجيوش الأگلاوي في مضيق تدغة بأعالي تينغير ثم دارت معارك أخرى يومي 6 و7 غشت بجبل حمدون وأغبَالو نْكردوس بقيادة المجاهد علي أُطرمون من أيت مرغاد والفقيه سيدي الطيبي من تلْمي، وقد وصلت للفرنسيين تعزيزات يقودها مشاهير من أمثال جيرو Giraud وترانكي Trinquet وكان في الضباط الملازم هوت كلوك Hautecloque الذي صار ماريشال فرنسا باسم لوكلير Leclerc، ولما ضيق الخناق على المقاومين اعتصموا بجبل بادّو.

اعتصم المقاومون بقمم أوسكرسو وبادو المشرفة على واديْ غريس من جهة أيت هاني، وكانوا يتوفرون على حوالي 300 بندقية منزوعة من الجيش الفرنسي. وقد قام أسكونتي بطلب فتوى من الفقيه سيدي محمد بلحاج أُتالت بتفراوت، فقد سأله بحضور المجاهدين عن المستقبل الذي ينتظر المسلمين بسيطرة الاستعمارفأجابه : « الجهاد ! الجهاد!... إن الله لا يرضى لعباده الكفر. ولكن إذا قدر الله وسقطتم تحت وطأة الكفار فهناك بيت لا يدخله الكفر وهو القلب. أما الاستسلام فهو الكفر بعينه». وقد استشهد هذا الفقيه وهو يقاتل في بادو.

دارت معارك صاخبة خلال النصف الثاني من شهر غشت عام 1933 على ارتفاع 3.000 م، وكان الجنرال جيرو قد حضر إلى تينغير حيث جعل مركز قيادته وأمر بتشديد الحصار وقنبلة الماشية وعيون المياه حتى استولى على ما بقي منها يوم 23 غشت، ومع ذلك فقد رد المقاومون كل محاولات التفاوض.

أراد أُسكونتي حقن دماء الأطفال والنساء والعجزة فتقابل مع جيرو يوم 29 غشت، وبذلك إستسلم مساعدوه من أمثال سيدي الطيب وموحا عرجى والحاج سكويديرى.

البطل أسكونتي والجنرال جيرو بعد انتهاء معارك بادّو

استمرت المقاومة في شكل عمليات عصابات متقطعة كان من أبرز منظميها زايد أحماد ما بين 1934 و 1936.

أهم معارك تافيلالت والأطلس الكبير والأوسط عن كتاب : J. Saulay, *Histoire des goums marocains*, t: 1.

ـ 1908 : معركة بوذنيب.
ـ 1918 : معركة تيغمرت.
ـ 1930 : 13 يوليوز، أموگر نايت حديدو حيث واجه مائتـان وخمسـون مجاهـدا مـن أيت حمو وأيت عيسى إزم المستعمرين وجرح الملازم هوطكلوك Hauteclocque والضابط توزين Touzaine وقتل ضابط صف وثلاثة عشر من الگوم واختفى گومي واحد وقتل ثلاثة وجرح اثنان من المتعاونين.

ـ معارك 1931 :
ـ فاتح يوليوز : معركة تونفيت.
ـ 15 يوليوز : معركة تيزي ميشغراون حيث قتل حوالي اثنين وعشرين مجاهدا.
ـ 25 يوليوز : سقوط زاوية سيدي يحيى ويوسف.
ـ 25 يوليوز: معركة تدلوفت حيث قتل ليوتنان الملازم Debray و اثنان من الگوم.
ـ 8 أبريل : معركة مرزوگة حيث أسقط المجاهدون طائرة وقتل الملازم فرواصار Froissard .
ـ 19 نونبر : سقوط تديغوست حيث قتل الملازم دوميتر Demaistre وقتل وجرح عدد من الگوميين. سقوط گلمية حيث قتل العقيد Lenoir وجرح سبعة غزاة آخرين.
ـ 15 يناير : انهزام بلقاسم النگادي في الريصاني وفراره تجاه الغرب صحبة أنصاره.

ـ معارك 1932 :
ـ 5 و 6 فبراير: سقوط ملعب واگلي.
ـ10 و 11 فبراير : سقوط تنجداد .
ـ 13 فبراير : معارك تمداقين وواد إفغ حيث قتل القبطان أريغ Arrigh وقتل تسعة عشر مستعمرا وجرح الملازم Beaurpère. في صفوف الگومين قتل سبعة وجرح عشرة.
ـ 20 و 21 فبراير : خرجت حركة من صغرو وهجمت على قصر مسيسي بالريصاني حيث قتل الملازم Fromentin وجرح ضابط وغزاة أخرون.
ـ 25 أكتوبر : معركة سودرار حيث قتل القبطان گيطان Gueytand على يد الشيخ أوسكونتي وقتل تسعة عشر مجاهدا.
ـ 16 نونبر : معركة النيف وفرار ستمائة عائلة إلى صغرو.

ـ معارك 1933 :
ـ 12 يونيه : معركة تيركا حيث جرح أوسكونتي وفر مع أصحابه إلى أگوراي.
ـ 8 و 15 يوليوز: معركة تزگزاوت.
ـ 9 و 18 يوليوز : معركة تيزي نوغروم حيث أصيب ثمانية وستون من الغزاة.
ـ 12 و 13 يوليوز: استنطاقُ عَلـم منه الغزاة بواسطة جرحى المجاهدين بجبل تدغمامت بأن أسكونتي يوجد أمامهم على رأس ستمائة رجل من أيت حديدو وأيت مرغاد.
ـ 6 و 7 غشت : سقوط قصر أغبالو وأسر الغزاة بسيدي الطيب، ومن جانب المستعمرين قتل ثلاثة وعشرون وجرح ستة وسبعون اضافة إلى تدمير طائرتين حيث قتل ليوتنان Depenfent و 34 قتيلا و90 جريحا.
ـ23 غشت : لم يبق في بادّو سوى أسكونتي و250 إلى 300 رجل من كبار مجاهدي أيت عيسى إزم الذين استمروا في المقاومة حتى النهاية، وقد جرح قبطان الفرقة 34 من جنود الگوم بمعركة اكسرسو وجرح ضابطان واثنان من الگوم.
ـ 24 غشت : أرسل المستعمرون إلى أسكونتي للتباحث معه فرفض.
ـ 29 غشت 1933 : نهاية المعارك في «بادّو» بنزول أسكونتي للتفاوض حقنا للدماء.

م. المعزوزي وهاشم العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935* ؛ م. م. السوسي، *المعسول*، 16 : 314.263.

Lt. Colonel Cornet, *Les Operations d'hiver 1931-1932 dans les confins Algero-Marocains* ; Lt. Colonel Juin, *Achevement de la pacification marocaine, Revue Militaire Française* n° 163, Jan. 1935 ; Colonel Arlabosse, *une operation moderne en Afrique du Nord, Revue Militaire*, N° 166, Avril 1935 ; Général Guillaume, *Les Berbères marocains et la pacification de l'Atlas Central*, Paris, 1946 ; Général Huré, *La Pacification du Maroc*, Paris, 1952 ; Général Catroux, *Achèvement de la pacification marocaine, Revue Politique et parlementaire*, octobre 1954 ; Colonel Saulay, *Histoire des Goums marocains* T.I, Paris 1981 ; A. Bouras, *La rèsistance de Baddou, l'Opinion* ,16 Août 1989.

عبدالقادر بوراس

**بَادّو**، جبل في كتامة القبيلة الريفية، علوه 1565 متر فوق سطح البحر يمتاز بغابته المكونة من شجر الأرز التي

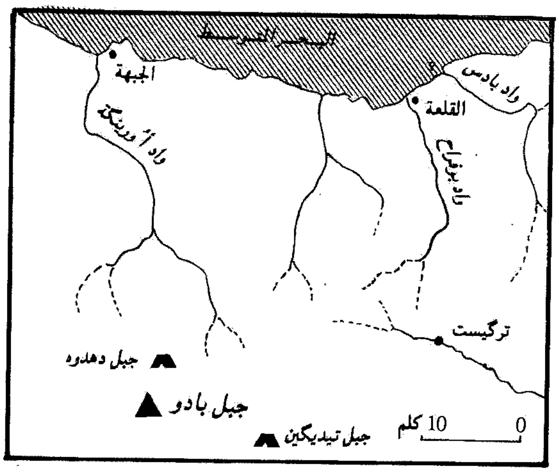


جبل بادو

يرجع تاريخها إلى عهد سحيق.

1 Domenech, *Zona norte*, p. 28.

محمد ابن عزوز حكيم

**بادس**، لفظ يمكن أن يدل على علم، وقد كان يحمل هذا الاسم عدد هام من الأشخاص (مثل بادس بن حَبّوس أمير غرناطة) ويشخص العديد من الأماكن الجغرافية، منها خلال القرون الوسطى مدينتان مغاربيتان ليس لهما اليوم وجود على الخريطة، وهما بادس الزّاب بإفريقيا وبادس

منطقة الريف بالمغرب وهي التي تشكل موضوع هذا المقال.

على بعد مائة وعشرة كلمترات من تطوان شمالا وبإقليم النكور بين جبال بني خالد، توجد بادس على مسافة سبعة كيلومترات من موقع باليس المعروف بقلعة إيريس، أمام صخرة بادس (بمنطقة غمارة)، ولم يبق لبادس استعمال في النطق إلا من خلال التسمية الإسبانية الجارية في صيغة بليز. أما بادس الحالية فلم تعد تذكر إلا بذكر الولي الصالح أبي يعقوب البادسي.

أصل بادس غامض كما هو شأن العديد من المراكز الحضرية المغربية. يبدو أنها كانت في عهد احتلالها من طرف الادارسة، خاضعة لنفوذ سَقّوط البرغواطي المقيم بسبتة، والذي نفى إليها الفقهاء الذين جاحدوه ولاية المسلمين وقد ناصروا المرابطين (البكري، *المغرب*، ص 70 ؛ عياض، *المدارك*، 8 ؛ *تكملة* ابن حمّادة). ويقول البيذق «إن بادس قلعة محصنة»، لبث الغماريون يسكنون بنواحيها إلى متمّ القرن الرابع عشر الميلادي لكن قدوم الإسبان والأتراك إليها خلّف أثراً سيئاً على الساكنة فهجرت المنطقة.

ظلت الحياة السياسية والاجتماعية ببادس غامضة في عهد المرابطين وخلال دولة الموحدّين ؛ أما الأوصاف التي وردت على لسان الإدريسي فإنها بالتأكيد تخص بادس الزاب التي كانت أهميتها تفوق بكثير تغر بادس المتواضع جداً والذي لم يكن يعمره إلا فئة قليلة من الصناع والتجار ويقصده الغماريون المجاورون لقضاء بعض حاجاتهم (راجع الإدريسي، ص 171)، وقد أشار إلى هذا الموضوع، معاصر الإدريسي، المجهول، صاحب كتاب *الاستبصار*. كانت سبتة تهيمن وتتنذ على كافة مواقع ومراكز الشواطىء الشمالية بما فيها طنجة. لكن ابن سعيد ذكر في مستهل القرن الثالث عشر بادس وجزم أنها أهم مرسى بمنطقة غمارة.

يبدو أن بادس أصبحت ذات أهمية كبرى في عهد المرينيين. وبالفعل فإن ملوك فاس اختاروا بادس مرسى لهم بدل سبتة المناوئة لهم والتي كانت أيضا محط أطماع مملكة جنوى ومملكة قشتالة ووكراً للقراصنة المسيحيين. وبعد احتلال سبتة من طرف البرتغال، غدت بادس ميناء فاس بدون منازع.

لدينا وثيقتان يرجع عهدهما إلى القرون الوسطى وتتعلقان ببادس وكلتاهما تتمحور حول المناقب : الأولى «*المقصد الشريف*» لعبد الحق البادسي الثانية «ترجمة أبي يعقوب البادسي» للقاضي الأوربي وقد أرّختا لنفس الفترة. إنها ألمع فترة في تاريخ البلدة التي واكبها ازدهار تجاري لم يسبق له مثيل، ومضى ميناء بادس النشيط يربط علاقات اقتصادية هامّة مع الديار الأندلسية.

اهتم بنو مرين وخاصة منهم أبو الحسن بالأسطول البحري، فسهروا على تنمية الترسنة المغربية وتنشيط أوراش بناء السفن. كان ممثلو ملوك فاس على جانب كبير من القوة وأمْسوا يتمتعون بسلطات هامّة، بينما كان أحد هؤلاء الممثلين يحمل لقب القائد ويسكن بالقصبة، وكان آخر منهم يحمل لقب الغازي ويتحمّل مسؤولية العمليات الحربية البحرية.

ظلّت علاقات بادس بفاس مهمّة جداً ومنتظمة، غير أن بادس لم تكن تتوفر على مدرسة فكانت تبعث بطلبتها وشيوخها إلى فاس، وها هو التاريخ يسجّل ثورة الشيخ الشهير الورياغلي الأعرج على رأس طلبته! وتطورت كذلك المراسلات البريدية بين فاس وبادس بكيفية ملحوظة، وأقامت بادس، إلى جانب ذلك، خطوطاً بحرية مع المراكز الحضرية الشاطئية مثل سبتة وترغة وتيگيساس.

وأخيراً، أقامت بادس علاقات مع المشرق، ذلك ما يتبيّن من الوثيقتين المذكورتين، إذ أن عدداً كبيراً من الشخصيات الواردة اسماؤها بهما أدى فريضة الحج مرّة أو عدة مرات، ومن تلك الشخصيات من حجّ اثنتي عشرة مرّة، مثل شقيق أبي يعقوب الذي انتهى به الأمر إلى الاستيطان بالديار المقدسة إلى أن وافاه الأجل. لكن تجدر الإشارة إلى أن الحُجّاج البادسيين كانوا يرحلون عن طريق البرّ مارّين بتلمسان وبجاية وغيرهما في حين كان حجاج سبتة يرحلون عن طريق البحر.

أما علاقات بادس مع قوص بالصعيد (مصر) فإنها تخص الحياة الدينية وتشير إلى التقاليد المحلية.

بادس، جهاد وتجارة : كانت بادس في عهد مجدها، ميناء تجارياً كبيراً وقاعدة عسكرية هامّة، تصنع فيها بأمر من أبي الحسن مختلف أنواع السفن الحربية المخصصة للجهاد، والقوارب والعراضات.

كان عدد كبير من الجنود يعسكرون ببادس ويتدربون في مياهها على العمليات الحربية البحرية، لكن سمعتهم كانت قبيحة لدى وجهاء البلدة الذين راحوا يصفونهم باللصوص.

أما حضور النصارى بالمنطقة فإنه كان كذلك قويا، فيوجد منهم التجار والقراصنة والرهبان والمتسولون.

وأهم تهديد كانت تواجهه بادس، تجسّم على أيدي المسيحيين الذين بات الميناء تحت رحمتهم مدة طويلة، وقد هاجموه مرّة ونهبوه، وإن لم نعلم بالضبط متى تم لهم ذلك، ونأسف أيضا لعدم استطاعتنا تحديد هوية المهاجمين الذين ورد في شأنهم أنهم كانوا من بين العجم أو من بين الروم، هذا اللفظ العام الذي يقصد به النصارى. هل كانوا إيطاليين أو قدموا من كتالونيا أو جزيرة مايوركة؟ لا يخلو تشخيص المُعتدين من أهمية لا سيما وأن النصارى طفقوا حينا من الدهر يتنافسون ويتطاحنون دون أن يفكروا في تشكيل جبهة معادية للإسلام.

الحياة الاقتصادية ببادس : ان البركات والكرامات العديدة التي تحققت بفضل صلحاء بادس اتسمت أساساً بالعلاقات مع الجزر المسيحية، ذلك لأن المجابهات التي

كانت الأندلس وعرض البحر المتوسط مسرحاً لها خلفت أثراً عميقاً في الحياة الاجتماعية المحلية وفي نفوس السكان، ولم يكن لهذه المجابهات انعكاس سلبي على العلاقات التجارية مع النصارى التي واصلت ازدهارها رغم المخاوف والتهديدات.

كانت مجموعة التجار النشيطة ببادس ذات وزن هام وأبانت عن حسن تنظيم عناصرها الذين كانوا يشاركون فيما بينهم ويساهمون بأموالهم في تجهيز السفن وتسليح البحارة، يقيمون علاقات تجارية مع مالقة والمنكّر. كانوا أغنياء ولم يقنعوا بتصدير بضائعهم على ظهر سفن عادية مخصصة للكراء، بل كانوا يمكثون ببادس ليترقبوا الأخبار بعد مراكبهم، ولم يكونوا تجاراً متنقلين مرافقين لبضائعهم، بل أمسوا يشكلون جماعة قويّة لها كلمتها في باب سياسة ملوك فاس، وحصلوا رغم كل شيء على ترخيص منهم لشحن سلعهم على متن المراكب الحربية، ولو كان هذا الأمر مخالفاً للأحكام الملكية الصادرة في الموضوع.

أسطول بادس : كانت بادس ميناء يَرسو فيه الأسطول العسكري المريني أثناء فترات الهدنة، وكانت بادس كذلكك تشكل مستودعا هاما للأسلحة. ولئن كانت الدولة تصنع السفن الحربية، فإن التجار كانوا يضطلعون بمهمة تجهيز السفن بالعتاد الحربي على حسابهم وإرسالها إلى الأندلس بما فيها اشبيلية التي كانت يومها تحت وطأة المسيحيين القشتاليين. وكات بادس أيضا محطة للسفن الرابطة بين اشبيلية ووهران.

أما التجارة ببادس فكانت على درجة هامة من النظام والضبط، وكان التجار يستعملون تقنيات متطورة تتمثل في سجلات مزدوجة تسجل على صفحاتها الصادرات والواردات والنفقات والمدخولات والقروض المتوسطة الأمد للاستخلاص في مواقع مختلفة مثل ما بين بادس ومالقة، في حين كانت حاضرة بالبلدة جمعيات تجارية هدفها الدفاع عن مصالحها المشتركة وصيانتها أمام تصرفات ممثلي السلطة المركزية.

كان استئجار السفن التجارية أمراً جارياً، وكان المركب ينقل البضائع من بادس إلى مالقة بثمانين ديناراً، وكانت كل الخدمات والرواتب تؤدى بالدينار.

وينبغي أن يدخل في المبادلات دفع الفدى لتحرير الأسرى المسلمين، ولما كانت المبالغ المالية المطلوبة تفوق طاقة البادسيين، فإن المشرفين على عملية الافتداء كانوا يطلبون مساهمة سكان الإقليم، وكثيراً ما كانوا يتوجهون إلى سكان سبتة لاستخلاص ما يمكن أن تجود به أريحيتهم.

الصادرات والواردات : كانت بادس خلال هذه الحقبة من تاريخها، مركزاً صناعيا هاما خصوصا بإنتاج أنواع من الأنسجة الصوفية التي تصدر إلى الأندلس، مثل الجباب والحياك للكساء، وتستورد لأجل هذه الصناعة المَواد الضرورية للصباغة، أهمها مادة اللك التي تشكل مادة أولية في انتاج العرقوان المشهور.

كان النسيج من الصناعات التي لا تمارسها هناك إلا النساء، ومنهن من كن يغامرن برهن بعض حليهن للحصول على اللك، وإذا كانت بادس تشتغل بالاصواف فإنها مضت تستورد الحرير المخصص إلى معامل فاس.

ظل القمح يعرف رواجاً كبيراً بالمنطقة وهي لا تنتج منه شيئا، فيتدفق عليها من النواحي القريبة من فاس، في حين كان إقليم بادس ينتج الشعير وبفضل موقعه الغابوي، ينتج كذلك كميات هامة من الخشب معظمه يصدر إلى الأندلس حيث يستخدم في صناعة المراكب.

إلى جانب هذا،كانت المنطقة تنتج الوافر من مختلف أنواع الفواكه.

الحياة ببادس خلال القرن الرابع عشر: في عهد الحسن الوزان كانت بادس محاطة بالأسوار وبها قلعة أو قصبة للحكام، وكان سكانها يشكلون ستمائة كانون. عرف ميناؤها رواجاً اقتصاديا هاماً، وكان مركز بادس يقوم بنشاط ديني وعلمي هام، ومن أبرز الشيوخ البادسيين نذكر الورياغلي الأعرج الذي كان يمارس التدريس بفاس وكان معظم طلبته من منطقة بادس.

أما عهد أبي يعقوب البادسي، فإنه تميز بوجود رباطين ألحقت بناية أحدهماخلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر في معمل السلاح المسمى «دار الصناعة»، وهذا دليل على أن المدينة واصلت تطورها بعد وفاة أبي يعقوب البادسي الذي قضى نحبه عام 1339.

حاولت بادس احتلال مكانة سبتة وذلك قبل أن ينمحي اسم بادس من الخارطة. أقدم بنو مرين على توسيع «دار الصناعة»، فشهد الوزان هذا العمل وشهد كذلك سفن البندقية تتردد بدون انقطاع على الميناء الذي كانت تعيش على العمل فيه طائفة يهودية وافرة العدد، ولما سقطت سبتة في أيدي الغزاة، صارت بادس مدينة للقراصنة وباتت معرضة للتهديدات الخارجية المسيحية.

ينتمي سكان بادس الذين خرجوا من حالة البداوة منذ زمن بعيد، إلى قبائل صنهاجة البطيويين وإلى بعض فروع بقيوة.

في اعتقاد الوزان، أن بادس كانت مدينة مقدسة خلال القرن الرابع عشر، فلم تلبث إلا قليلا حتى تحولت إلى مدينة للهو حيث أخذ الناس يدمنون على الخمر، وهم الطائفة الكبرى من السكان المحترفين لصيد الأسماك والمغامرين في عمليات القرصنة، فأضحت الحياة الاجتماعية تتردى في انحلال الأخلاق والعبث بالقيم ؛ وفي هذه الظروف أقبرت نهائيا هالة القدسية المحلية التي تتحلى بها بادس ولم يبق منها إلا قبر كل من عبد الحق البادسي ويعقوب البادسي.

تنازع حول بادس في القرن السادس عشر، كل من المغرب وإسبانيا والأتراك، لكن في مستهل عام 1508

احتلتها اسبانيا، وفي عام 1528 صارت مع إقليمها إمارة خاضعة لأبي الحسن الوطاسي، وهي التي تسميها المصادر الأوروبية مملكة بليز (S. I. H. M. Portugal, I, 202, 212, 218, 334, 515. Espagne I, 625 ; France I, 150, 151). إلا أن هذه المملكة المزعومة لم يبق لها ذكر عام 1564 بعد ان استولى عليها الأتراك، وتنازل عنها السعديون للإسبان حتى لا تسقط في أيدي الأتراك، ويومئذ كانت امبراطورية فيليب الثاني تجاه الإمبراطورية العثمانية، وهما معا تشكلان خطراً جسيما على الوحدة الترابية المغربية التي دأب السعديون على صيانتها بجميع الوسائل. في هذه الأثناء كانت الأساطيل البحرية تلعب دوراً حاسماً في الأحداث. وبالفعل احتل الأسطول البرتغالي سبتة وشفع ذلك باحتلال جل المواقع الحضرية الواقعة بمنطقة البوغاز وكذا المطلة على المحيط الأطلنتي، فصارت هذه الشواطىء ذات أهمية قصوى وحيوية، وأضحى احتلالها مقدمة الجهود الأجنبية لخنق المغرب. وفي هذه الظروف الحرجة، دمر الأتراك بادس عام 1154/961.62، فلم تحي بعد ذلك لأنها فقدت وظائفها الاقتصادية ولم تستطع الدوام وهي تعيش على فلاحة هزيلة، فغادرها الناس وهجرها سكانها بدون رجعة، ويستخلص من الدراسات التي أنجزها باسكون Pascon عن بادس أن القبائل الواقعة حاليا بالمنطقة إنما نزحت إليها من جهات أخرى.

كان لضياع بادس أصداء مفجعة ترددت عبرجوانب المغرب كافة ؛ كانت بادس آخر ميناء تحت السيادة المغربية على السواحل المتوسطية. مع فقدان هذا الثغر وفي ظل الاحتلال الإسباني والبرتغالي، انغلقت أبواب البحر المتوسط على المغرب، هذا البلد الذي قام بدور كبير في المبادلات بين أوربا وإفريقيا جنوب الصحراء، إذ ذاك لم يبق للسكان ما يربطهم بمدينتهم، ففضلوا الجلاء عنها والهجرة إلى جهات أخرى، فرادى وجماعات.

الولي الصالح والمدينة : لم يبرح أبو يعقوب البادسي مدينته ـ وقد عمّر ـ إلا مرتين في حياته، الأولى حينما ذهب إلى فاس قصد الدراسة والعلم، والثانية حينما حج إلى بيت الله. من الغريب ألا تشير المصادر إلى نفوذ ولو بسيط للولي، ولم تذكر أي اتصال هامّ له مع غيره (كذلك كان الأمر بالنسبة لأبي محمد صالح واليوهانسي) فالخضر هو الذي يلعب الدور الأساس في حياته. كان لأبي يعقوب مكانة مرموقة ببادس، فقد قيل عنه إنه أتى ببعض المعجزات إذ أن بركاته كانت تنزل الأمطار عند الحاجة وتحجبها إذا زادت عن الحاجة، وكانت له رؤى تدهش العقول، إذ كان يرى الملائكة ويتحدث إلى الخضر ويكلم الأرواح التي مات أصحابها أو يراها متقمصة في شكل عصافير، وكان يتوفر على العديد من النقود الغريبة العجيبة.

يوجد كثير من هذه الأمور في مسرد الكرامات التي تحققت من قبله. عاش أبو يعقوب في رباط مع «الفقراء»، ولم يحد عن أخذ آجر ما كان يقوم به من أعمال عند الطلب، لكنه أمسى يهب الأجور إلى المعتكفين برباطه لسد حاجياتهم الغذائية وغيرها. ومما يثير الانتباه أن لفظ زاوية لم يستعمل للتعبير عن رباطه، كما أن أبا يعقوب، خلافا لما هو معروف عن أبي محمد صالح، لم يشترط على مرافقيه من الفقراء التمسك بمنهج خاص، مثل المناهج التي تتبعها الطرق الدينية، فلا ورد عنده ولا أحزابا.

كان للقوم تصور عن أبي يعقوب أساسه ما تحلى به من التجرد عن التعلق بالحياة الدنيا ولكنه في الواقع لم يكن ليحبّذ حياة الفقر والبؤس كما فعل شقيقه الذي تنازل عن نصيبه في الإرث مفضلا جوار قبر الرسول بالمدينة المنورة، كان له دوراجتماعي في حياة بادس ؛ فزيادة على ما روى عن كراماته، فإنه كان يدعو للبحارة المحليين بالأمن والسلامة من القراصنة المسيحيين، ويتوسط لحل الخلافات بين الأفراد والقبائل، ويؤتمن على الأموال في حالة الحروب الداخلية إلى أن يعود الهدوء إلى نصابه.

ولئن كان نشاط الولي واضحا اجتماعيا، فإن المواد التعليمية التي كان يلقنها لطلبته لم تخل من صعوبة وغموض، خصوصا تلك التي تتعلق بالروحانيات. كان الفقهاء يحيطون به في رباطه الواقع خارج الأسوار لكن صلاته بأسرته لم تتوقف ولم تنقطع، فمضى يدخل إلى المدينة كل يوم جمعة ليؤم الصلاة بالناس في المسجد الكبير. يبدو أن تعليمه كان يهدف أساسا إلى تلقين الطلبة اسرار المناقب والفضائل وتنشئتهم عليها. كان يحافظ على السنة، غير ميال إلى الممارسات الغالية أوالباطنية، فلم يصم الدهر ولم يحرم نفسه ولم يُفْرط في العبادة، وإنما كان على مبدإ الاعتكاف لا يكلم النّاس خلال صوم رمضان، طريقته كانت مبنية على البسط لا على القبض، وإن كان قد تأثر كثيرا بما جاء في «*الإحياء*» للغزالي.

تم تحرير ترجمة أبي يعقوب قبل سنة 1348، أي قبل تاريخ وفاة الأوربي، ونستخلص من هذه الترجمة عدداً من المعلومات، أهمها ما يلي :

ـ مقتطفات عديدة من المصنّف المفقود الذي ألفه المراكشي تحت عنوان : *مناقب الأولياء* والذي تقدّم لصاحب المقصد أن رجع إليه عدة مرات.

ـ انتشار الطريقة الشاذلية بشمال المغرب، وقد كان ابن عباد الرندي من أول رواد هذا المذهب بالمغرب وخاصة بفاس. والملاحظ أن أبا يعقوب كان سبّاقا لتدريس طريقة أبي الحسن، جيلا من قبل. ويلاحظ أيضاً أن كتاب *لطائف المنن* الذي ألفه صاحب *المقصد*، لم يُشر إلى الشاذلي ولا إلى طريقته وقد أتى في بعض صفحاته بترجمة لأبي يعقوب. لكن كتاب الأوربي توسع في نفوذ هذه الطريقة وانتشارها وأتى بخبر يكتسي أهمية كبرى، إذ يشير إلى ترجمة لمولاي عبد السلام بن مشيش لم يأت ذكرها في أدب المناقب والكرامات.

أحمد البوعياشي، *حرب الريف*.
Léon l'Africain, *Description de l'Afrique* ; R. Ricard, *Extraits relatifs au Maghreb : Le Maroc Septentrional au XVe siècle, Hesp* 1936.

حليمة فرحات

**بادس،** جزيرة تقع بالبحر المتوسط على بعد 65 م من شاطىء قبيلة بني يطّفت قبالة مصب النهر الذي يحمل اسم مدينة بادس الدارسة والذي يعرف كذلك بوادي تامذة.

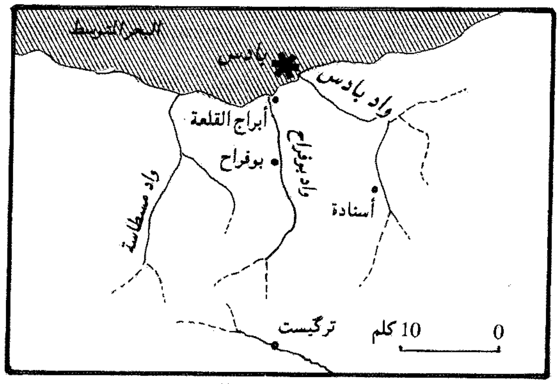


بادس (الجزيرة والنهر)

طول الجزيرة 250 م وعرضها 100 م وعلوها 77 م وأما البرزخ الذي يربط الجزيرة باليابسة فطوله نحو 80 م وعرضه 55 م.

**بادس،** حصن بناه الإسبان بالقرب من مدينة بادس الدارسة وأطلقوا عليه اسم فويطي ذي طييرا Fuete de Tierra (حصن اليابسة) وذلك على إثر احتلالهم جزيرة بادس يوم 24 ربيع الأول 914/ 23 يوليوز 1508. وسبب بناء هذا الحصن يرجع إلى عدم وجود الماء الشروب بالجزيرة المحتلة الشيء الذي جعل الإسبان يبحثون عنه بالأرض المجاورة وهذا ما فرض عليهم بناء حصن على أنقاض جزء من مدينة بادس وجعلوا به مدفعين وحامية تتكون من خمسين رجلا بعد أن حفروا بداخله بئراً أطلقوا عليه اسم بئر الملك Pozo del Rey.

وتقول الوثائق الإسبانية إن الحصن المذكور أصبح محاصرا من طرف القائد مولاي المنصور في اليوم التالي من بنائه، وتمكن المغاربة من استرجاعه للمرة الأولى يوم 18 رمضان 926/ فاتح سبتمبر 1520، الشيء الذي ساعد المغاربة على استرجاع جزيرة بادس يوم فاتح صفر 20/929 ديسمبر 1522.

وفي شهر ذي الحجة 931/ أكتوبر 1525 قام الأسطول الإسباني برآسة الماركيز ذي مونديخار Marques de Mondejar بمحاولة أولى من أجل احتلاله مرة أخرى، غير أنه فشل في محاولته هذه كما فشل في المحاولة التي قام بها يوم فاتح ذي الحجة 22/972 يوليوز 1563.

وفي 29 محرم 6/972 سبتمبر 1564 تمكن الأسطول الإسباني من احتلال كل من الجزيرة والحصن المذكورين للمرة الثانية، ومرة أخرى قام المغاربة بمحاصرة الحصن من يوم 30 محرم 7/972 سبتمبر 1564 إلى يوم 26 ربيع الثاني/ فاتح ديسمبر 1564. وظل حصن بادس هذه المرة بيد الإسبان أكثر من مائة وأربعين سنة تعرض خلالها إلى أحد عشر هجوما عنيفا من سنة 1565/973 إلى سنة 1677/1087، كما حوصر بعد ذلك من 25 ربيع الأول 25/1091 أبريل إلى 16 ربيع الثاني 16 ماي 1680 ومن شعبان 6/1093 غشت 1682 إلى 8 رجب 3/1094 يوليوز 1683، وأما الحصار الأخير فقد بدأ يوم 22 ذي القعدة 2/1112 ماي 1701 وانتهى باسترجاع الحصن بصفة نهائية وتحطيمه يوم 3 رمضان 1113/ فاتح فبراير 1702.

والجدير بالذكر أن بعض الوثائق الإسبانية تسمي هذا الحصن بفويرطي ذي تاميدا Fuerte de Tamida (حصن تامذة) في حين تذكره بعض المصادر المغربية باسم «البستيون» (Bastion) وهي كلمة إسبانية معناها الحصن.

**بادس،** مرسى تقع بشاطئ قبيلة بني يطّفت الموالي للبحر المتوسط، حيث مصب النهر الذي يحمل نفس الاسم. وقد أطلق عليها نفس الاسم كل من البكري وصاحب كتاب *الاستبصار*، وأما الإسبان فإنهم يسمونها مرسى بيليث ذي لاگوميرا Velez de la Gomera.

**بادس،** نهر ينبع من جبل تُوفيسْت حيث يعرف بوادي المرغوية ثم يمر بالقرب من قصبة أَسنادة بقبيلة بني يطّفت حيث يُسمى بوادي بادس وقبل أن تتصل مياهه بالمرسى التي تحمل اسمه يأخذ اسم وادي تامذة.

أ. البكري، *المغرب*، 102.90 ؛ مجهول، *الاستبصار*، 136 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، 6 :355 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 31 ؛ ابن العياشي، *زهرة البستان* ؛ ع. بنعبدالله، *معلمة*، 119.81.
Pezzi Rafael, *Los presidios menores de Africa*, Madrid, 1893, p. 19-24-28-31-32-33 ; Comision historica, 102-295-298- ; A. Domenech, *Zona norte*, 38 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos*; 63-88-202 ; *Vademecum del Rif*, Año 1946.

**البادسي،** أسرة فاسية عريقة تنتسب إلى مدينة بادس المندثرة بجبال غمارة في الريف. ويقال إن أصلهم من مدشر هناك يسمى أعراص. لا يعرف تاريخ انتقال البادسيين إلى الحاضرة الإدريسية إلا أن المعروف أنهم استقروا مدة بالأندلس قبل مجيئهم إلى فاس. ولا يُعرف إن كانت لهم

علاقة بالبادسيين التطوانيين مع العلم أن المذكور من هؤلاء يرجع تاريخه إلى القرن الحادي عشر (17 م). وهو عبد الرحمن بن محمد البادسي، تاجر تطواني كان حيا سنة 1089 / 1678 وربما كان آخر البادسيين بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 302 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البادسي، عبد الحق** بن إسماعيل بن أحمد بن محمد ابن الخضر، يكنّى أبا محمد وينتهي نسبه إلى قيس ابن عبادة الخزرجي، استوطن أحد أجداده غرناطة، وانتقل جده الأعلى إلى بادس، وبها ولد عبد الحق في حدود سنة 650/1252.

تربى في حجر والده ولازمه ملازمة الظل، فنشأ على الفضيلة ومكارم الأخلاق، مما جعله يميل إلى التصوف والاهتمام بسير الصالحين. وبعد أن أنهى تعليمه ببلده بادس، رحل إلى فاس وأخذ عن كبار مشايخها، وممن جلس إليه وسمع عنه كثيرا أبو إبراهيم الأعرج، وهو ابن بلده، وكانت تربطه به صلات وثيقة.

كان أبو محمد البادسي عالما أديبا، محدثا مسندا، ومؤرخا نسابة، يميل في كتاباته إلى السجع، ويتكلف الشعر، لم أقف على تاريخ وفاته إلا أنه كان حيا سنة 722/1322.

ومن تلاميذه : عبدالمهيمن الحضرمي (الصغير)، وأبو عمرو يحيى بن أبي طالب اللخمي العزفي، سمعا عليه بفاس كتابه *المقصد الشريف*. ولا نعرف من آثاره إلا كتابين اثنين، أحدهما : *طبقات الأولياء* ويعتبر مفقودا الآن. والآخر : *المقصد الشريف، والظل الوريف، في التعريف بصلحاء الريف* وقد طبع أخيرا بتحقيقي.

ع. البادسي، *المقصد الشريف* ؛ إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى* ؛ علوش والرجراجي، *فهرس مخطوطات الخزانة العامة بالرباط*، رقم 2.100 ؛ س. أعراب، *مقدمة المقصد الشريف*.

سعيد أعراب

**البادسي، عبد المجيد** ابن أبي القاسم، مجذوب ملامتي. أصله من الريف من مدشر في بني يطفت يقال له العرض، كانت سكناه بفاس ببيت في الفندق المنسوب إليه الذي يقع شرقي الجامع المجاور للقرويين وكان يسمى قبل ذلك بفندق الرصاع، عاش فيه معظم حياته إلى أن توفي.

كان كثير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثير المحبة والتعظيم لآله، لا يبصق إلا في ثيابه، ولا يرمي ببصاقه إلى الأرض البتة، ويقول : «لا أطرح إلى الأرض ريقا يجري مع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم». ولم يكن له شيخ في هذا الشأن، وإنما مدده من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذه عنه من غير واسطة. وكان من أصحاب الخطوة، ولم تكن له زوجة ولا أولاد وإنما كان له أصحاب وأتباع يلوذون به ويخدمونه،

توفي بفاس سنة 3 أو 1004/94 ـ 1595 ودفن خارج باب الجيسة.

م. ابن عيشون، *الروض العاطر الأنفاس*، رسالة د. د. ع، 374 ؛ ع. القادري، *نزهة الحادي* ؛ م. الافراني، *صفوة*، 31 ؛ م. القادري، *الزهر الباسم*، مخطوط، خ. ع، 177 ؛ *التقاط الدرر*، ت. هـ. العلوي، 1 : 23 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3: 107.

زهراء النظام

**البادسي، محمد** بن قاسم. ولد بفاس ودرس على كبار شيوخها في عصره أمثال مَحمد القادري، ومَحمد گنون وعبد السلام الهواري، والمهدي الوزاني وعبد الله بن خضراء السلوي قاضي فاس. وكان إلى جانب دراسته الفقهية ميالاً إلى الفلك والتوقيت واللغة والأدب، فأصبح فلكياً أديباً شاعراً.

انتقل إلى مدينة الجديدة ليشتغل عدلا مع قاضيها العابد ابن سودة، وهناك بدأ يدرِّس مبادئ اللغة والدين. وكان من بين الآخذين عنه فيها عبد السلام ابن سودة الذي ترجم له في فهرسه *سل النصال*. ثم رجع البادسي إلى فاس وعمل في الطباعة الحجرية ينسخ بخطه بعض مطبوعاتها، فكان يختار للنشر كتب الأدب والتوقيت. ومن بين منتسخاته المطبوعة على الحجر بفاس كتاب *روضة الأزهار في علم وقت الليل النهار* لعبد الرحمن الجادري.

وأخيراً انتقل البادسي إلى مدينة القصر الكبير، فكانت له بها حظوة عند عامة السكان وقائد المدينة بوسلهام الرميقي، وعاش بينهم كعالم مدرس مربٍّ إلا أنه شدَّ النكير على الطرق وزيارة الأضرحة والتوسل بالصالحين متعصباً للمذهب الوهابي، فجفاه القوم وأفتى بعض الفقهاء بابتداعه ومروقه من الدين، واضطر إلى الانزواء بضريح أبي عسرية الفاسي بحومة القطانين من القصر الكبير، ومرض مدة إلى أن مات هناك عام 1341/ 1922. ودفن بضريح الولي أبي يحيى الملاح من حومة باب الوادي.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1341، *سل النصال*، الترجمة رقم.

محمد حجي

**البادسي، يوسف** بن محمد بن عبد الله الزهيلي، ويعرف أيضا بابن الغماز. وزاد ابن القاضي في نسبه «المغراوي». ولعله التبس عليه بأبي يعقوب دفين مغراوة، وهو شخص ثان غير يوسف البادسيّ، كما نجد ذلك في وثائق اليعقوبيين الشرفاء الذين استوطنوا تطوان وبعض جهات الريف.

وهناك أبو يعقوب يوسف ثالث ـ وهو بادسي أيضا، أصله من قصر كتامة (القصر الكبير) وبه توفي ؛ ويعرف بابن الشقاق ـ وهو أكبر من صاحبنا، ترجمه صاحب *المقصد الشريف* (ص 98.94).

انحدر المترجم من أسرة عريقة في الفضل والصلاح، وكان مولده ببادس في سابع عشر ذي الحجة 640/ ماي 1243. وبها نشأ وتعلم . ومن شيوخه الأولين : أبو الوليد

إسماعيل بن أحمد الخزرجي والد صاحب *المقصد الشريف*، قرأ عليه القرآن وحفظه، وجوده بحرف نافع ؛ ودرس العربية والأدب واللغة على أبي القاسم الأندلسي، ثم على أبي حفص الطنجي ؛ وقرأ *الرسالة وتهذيب* البرادعي على أبي زكرياء الجعوني، وأبي إبراهيم الأعرج، ورحل مع هذا الأخير إلى فاس وأكمل تعليمه العالي ؛ ومن شيوخه بفاس : قاضيها وإمام الفريضة بجامع القرويين، أبو جعفر أحمد ابن الشيخ الفقيه أبي عبدالله المزدغي، قرأ عليه *موطأ* مالك.

وبعد عودته تاقت نفسه إلى الخلوة والتحنث، فاعتزل بالرابطة التي على ساحل البحر - خارج مدينة بادس - وأخذ في المجاهدة والعبادة والانقطاع إلى الله تعالى.

أخذ التصوف في بداية أمره عن أبي يحيى الشامي تلميذ أبي الحجاج الأقصوري، قدم من المشرق ونزل على أبي يعقوب بالرابطة، وأقام على تربيته وتهذيبه في جماعة من المريدين.

لازم أبو يعقوب الخلوة، وكان لا يخرج إلى المدينة إلا يوم الجمعة للصلاة مع الناس وزيارة والديه، ثم قدر له أن يخرج إلى معترك الحياة، فتزوج وولد له ؛ ومن حفائده أبو الحسن الخطيب، وإليه تنتسب عائلة الخطيب بتطوان.

كان أبو يعقوب على شبه مذهب أبي العباس السبتي الذي يرى أن الوجود ينفعل بالجود، فكان إذا تعلق به شخص في غرض دنيوي يقول له : تصدق تُقضَ حوائجك ؛ وكان الناس يلجأون إليه في أمورهم، ويستشفعون به لدى ذوي السلطان والجاه ؛ فيتصرف فيهم بهمته، فلا يكادون يردون عليه مرغبا، أو يرفضون له مطلبا. ولاعتقاد الناس فيه كانت داره دار أمانة وودائع ؛ ولما وقعت فتنة بادس عندما تغلب العرب عليها وخرج الناس إلى البادية بأنفسهم وأولادهم، تركوا أموالهم وأمتعتهم بدار الشيخ، فكان يخرج ليلا يتفقدها وهو يقول : اللهم احرسها بعينك التي لا تنام، واحفظها في كنفك الذي لا يضام.

وكان لأبي يعقوب اهتمام خاص بما يجري في عدوة الأندلس من تقلبات وحروب بين المسلمين والنصارى قال لزوجه ذات يوم : يا زهرة ! وقعت غزوة بالأندلس مثل فتح الشام، ويعني بذلك وقعة المنكب التي انتصر فيها المسلمون انتصارا باهرا. وكانت أخبار هذه الجهات تصله من حين لآخر، لارتباط بادس بها تجاريا ؛ فالرحلات بين البلدين لا تكاد تنقطع بحراً ، وكانت القرصنة تلعب دورها الخطير في هذا الميدان، والتجار يتيمنون بدعاء الشيخ لهم في غدوهم ورواحهم، فلا يكاد يخرج قارب إلا بإذنه ومشورته. وإذا طلبت النجدة من المسلمين، يقوم في الناس يحرضهم على الجهاد والموت في سبيل الله.

لم يكد يبلغ يوسف الخامسة والستين من عمره، حتى عقد العزم على أداء فريضة الحج، وأن يقوم بسياحة في أقطار المشرق - وخصوصا كنانة التي هي موطن العباد والزهاد؛ وقد حط بها كثير من رجلات المغرب الذين كان لهم مقامهم في المعرفة والتصوف - أمثال أبي محمد القنائي، وأبي العباس البدوي، وأبي الحسن الشاذلي، وسواهم.

وكان خروج المترجم من بادس في محرم عام 1305/705، ورافقه زمرة من أصحابه - وفيهم خديماه : أبو زكرياء الشاكري، وأبو الحسن بن مغيث، ومر في طريقه على الجزائر، فركب من مرفأ بجاية، ونزل بمصر، فالتقى هناك بأهل العلم والفضل. ولما نزل بمكة المكرمة انقطع للعبادة، فكان يقضي الليل كله في الطواف، وبالنهار يخرج لزيارة مقابرالفضلاء والصالحين ومآثر الصحابة والتابعين.

ثم عاد إلى مصر، ولم تطل إقامته بها، فركب من ميناء الاسكندرية متوجها إلى المغرب ؛ ولم يكد يصل إلى مرسى ابن غازي، حتى هبت عاصفة هوجاء فتحطم المركب، ثم عاد إلى مصر فخرج ثانية.

كان ليوسف شخصية قوية ونفوذ روحي، يتجلى ذلك في إقبال الناس عليه والتفافهم حوله ؛ سواءفي ذلك القوي والضعيف، والغني والفقير ؛ وكان مواظبا على قراءة القرآن وتفهم معانيه، شديد الاتباع للسنة، متقللا من الدنيا، مجتزئا باليسير منها، لم يتول بناء ولا غرسا، ولا اكتسب شيئا، مكتفيا بما ورثه من أبيه.

وكان بشوشا يبسط وجهه ويده لكل من لقيه أو اجتمع به، كثيرالحدب على الأرامل واليتامى والفقراء والمساكين ؛ يتفقد أحوالهم، ويسعى في حاجيتهم ؛ وكانت داره لا تكاد تخلو منهم، لا سيما أهل البادية الذين كانت لهم صلة بزوجته زهرة ؛ كثير البرور بحملة القرآن، يترددون عليه في بيته، ويسلك ألواحهم (يصلحها) بيده، وكانت له غرسة يجلس فيها لتعليم كتاب الله.

وكان إذا دخل شهر رمضان لايكلم أحداً، ويلزم معتكفه طيلة الشهر، وهو في أوقاته كلها كأنه في غيبة عن الناس، لا يكاد يعرف من دنياهم شيئا، ومن أوراده إذا صلى الصبح، لا يتكلم حتى يصلي صلاة الإشراق ؛ وإذا صلى العصر لا يتكلم حتى تغرب الشمس ويفطر إن كان صائما، وإذا صلى المغرب لا يزال في نوافله حتى يصلي العشاء ؛ وإذا صلى العشاء الأخير ركع وانصرف.

ومن عادته : أنه يخرج كل جمعة لزيارة المقابر، ويترحم عليهم سواء من عرف منهم ومن لم يعرف ؛ ويرى أن من حقهم علينا أن نزورهم وندعو لهم. وكان الكتاب المفضل لديه : *إحياء علوم الدين* للغزالي، لا يكاد يفارقه، ويحض أصحابه على مطالعته.

توفي عشية الثلاثاء حادي عشر ربيع الأخير عام734/ دجنبر 1333 عن سن تناهز التسعين، وقبره مزارة مشهورة هناك بسهل بادس، يبعد بنحو كلم واحد عن الشاطئ، وبازائه بئر ومسجد صغير.

ولا نعرف من آثاره إلا كتاب : *وصول العبد بالسمو، إلى محل القدس العلو* نسبه إليه بعضهم وتوجد نسخة منه بمكتبه ابن عرضون.

ع.ابن خلدون، *المقدمة* ؛ *العبر* ؛ ع. البادسي، *المقصد الشريف* ؛ الأوربي، *مناقب أبي يعقوب* (مخطوط) ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ *لقط الفرائد* (ألف سنة من الوفيات) ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية*، ج : 1 ؛ س. أعراب، *مجلة دعوة الحق*، ع. 262.

سعيد أعراب

**بادي**، مبارك بن علال، ولد سنة 1914 بأسفي. وفي سنة 1953 دفعته الغيرة الوطنية للعمل ضمن المقاومة السرية متنقلا بين الدار البيضاء وأسفي مستعملا أحمد بن الحاج كاسم مستعار.

وساعده عمله كبحري على تهريب السلاح وإخفائه حيث كان يوزعه على أفراد المنظمة السرية. إلى أن اغتيل في 7 رمضان 1956/1376.

*وثائق المندوبية السامية للمقاومة.*

عزالدين العلام

**البادية المغربية**، تتضمن مستويين من الحياة الاجتماعية يقوم كل منهما إما على النشاط الترحالي أو الرعوي وعلى النشاط المستقر أو الزراعي. ودون الدخول في خصوصيات البنيات الاجتماعية الناتجة عن الاختلاف الصادر عن المحيط البيئي وعن التاريخ، سنتعرض للعلاقات الاجتماعية وللقيم السائدة في البادية المغربية وللعوامل التي ساهمت في تغيير النظام الاجتماعي للبادية.

1 ـ العلاقات الاجتماعية والمنطق السائد بالبادية المغربية. تتحدد البنيات الاجتماعية في البادية المغربية بالعائلة الممتدة التي تجمع عدة أسر نووية أقامها الخلف الذكور المنحدرون مباشرة من نفس الأب المشترك. وتفترض هذه البنية الأبوية الخط سيادة الأب والأولوية المطلقة للرجال على النساء. وتقوم الفرقة كوحدة اجتماعية ثانية على الرابطة الدموية الذكورية إذ أنها تتكون من عدة أسر موسعة يعتبر أعضاؤها الرجال أنفسهم أنهم أبناء عم دون تحديد درجة العمومية، ولا يمارسون الأخذ بالثأر فيما بينهم. وللفرقة زعيمها وهو «الشيخ» ولها أيضا اسمها الذي يميزها عن باقي الوحدات المكونة للقبيلة.وغالبا ما تمجد بطقوس خاصة مؤسس اسمها. أما القبيلة فهي عبارة عن تجمع لفرق يدعي أعضاؤها الانتماء إلى جد مشترك. ويقوم بتسيير القبيلة «الشيخ» الذي كان في الغالب زعيما للفرقة القوية داخل القبيلة. أما التجمعات القبلية الغير المحددة والغير الواضحة فتبدو على أنها كانت مرتبطة بالحروب نظرا لوجود خطر مشترك يهددها. ولم يكن لهذه الوحدة الاجتماعية الموسعة ما يجمعها في الواقع سوى الاسم الذي كان له وجود ظرفي ووظيفي. ويضاف إلي تعقد هذه البنية القبلية لعبة اللف التي هي عبارة عن تحالفات سياسية تجزئ المدشر والفرقة والعائلة في بعض الحالات.

ويقوم هذا التنظيم الاجتماعي على مجموعة من الأعراف تجدد العلاقات والتفاعلات فيما بين الأفراد وبينهم وبين الطبيعة. وترتكز هذه التفاعلات على تلك الإرادة القائمة على تقديم للآخر المظهر عوض الكائن الحقيقي. ويشكل هذا المظهر خاصية الشخصية التي لا يمكن إدراكها إلا ككائن من أجل الآخر أي كائن يضع نفسه في اتجاه نظر الآخرين بصفة دائمة ويشعر بضغط الرأي العام. وإذا كانت الجماعة تراقب السلوك بكل دقة وخصوصا ما تعلق منه بمجال العلاقات الاجتماعية فإنها كانت تكتفي بهذا المظهر أو القناع الذي يقدمه الشخص على أنه الحقيقة لما هو. من هنا تأتي أهمية الإحساس بالعرض أو الشرف ونقيضهما الخوف أو العار والتوبيخ الجماعي الذي يعتبر المحرك الحي للسلوكات كيفما كانت والمسيطرة على كل العلاقات بالآخرين.

إن هذا الفرض الموجود من أجل الغير هو كذلك موجود بواسطة الغير ولا يمكن أن يدرك كشخصية مستقلة ، لأنه ليس بإمكانه أن يفرق بين مصيره الخاص ومصير أبنائه عن المصير الجماعي للجماعة القرابية أو النسبية. إن الضغط الاجتماعي في العشائر النسبية أو القبلية يكون شديداً لدرجة أن الحياة الاجتماعية تقهر الحياة الفردية وذلك لكون كل واحد يعرف الآخر. إن اندماج الفرد في الجماعة العائلية أو القرابية يجعل منه كائنا تتحدد وتنتظم أفعاله وأفكاره بواسطة هذه الجماعة. ويشعر أنه لا وجود لطريقة أخرى في الوجود خارج هذا الكل ويخشى بالتالي من فقدان هذا التضامن الحيوي الذي يربطه بجماعته العائلية أو النسبية أو القبلية التي لا وجود بالنسبة له لبديل عنها.

ولا يمكن أن نفهم هذا النمط الخاص من التفاعلات الاجتماعية إلا إذا ربطناه بالنمط الخاص للعلاقة القائمة بين الرجل وأرضه أو قطيعه في البادية المغربية. ولا يمكن بالمناسبة فهم الحياة الاقتصادية نفسها إلا إذا ربطناها بالحضارة البدوية نظرا لاتصالها بالبنيات الاجتماعية التي يقوم تماسكها علي التوازن ما بين الإنسان والطبيعة. إن ما يميز الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالبادية المغربية هو هيمنة الفقر التقنولوجي الذي يؤدي إلى نتائج متعددة أهمها : التبعية الشبه التامة للوسط الطبيعي وللظروف المناخية، وارتباط التوازن بين الخيرات والحاجيات بالأمطار وليس بالتقلب في الأسواق العالمية، وعدم التوازن بين الإنتاج والطاقة والزمن المخصص وعدد العمال المشتغلين من جهة أخرى، وأخيرا كثافة العلاقات الإنسانية التي تنمو في جزء كبير منها كتعويض لانعدام الإمكانيات التي تسمح بالتحكم في الظواهر الطبيعية.

ولا يهدف العمل في إطار هذا النظام الاجتماعي إلا لتلبية الحاجيات الأولية ولضمان إعادة إنتاج الجماعة. وتعمل كل وحدة اجتماعية كل ما في وسعها للعيش في تقشف وذلك بممارسة الاستهلاك الذاتي. ولا تعطى أية أهمية للرأسمال وللآليات الرأسمالية. وكلما توفرت إمكانيات لتراكم الخيرات والقيم المنقولة فإنه لا يتمر

ادخارها بمعنى الكلمة. وتبقى العلاقات سواء داخل الإنتاج أو في إطار التبادل مشخصة ومباشرة وخاصة. وهذا ما يعطي أهمية للتجارة القائمة على العرض أو الشرف ولمعاهدات الحماية والشركة التي تضمن دوران الخيرات والخدمات في غياب الرأسمال وسوق العمل.

وتتميز العلاقة التي تربط سكان البادية المغربية بالأرض بطبيعتها الصوفية. إنها بعيدة عن أن تكون علاقة منفعية. إن الفلاح ينتمي لأرضه أكثر مما تنتمي إليه الأرض ويبقى مرتبطا بها بعلاقة خضوع كما تشهد على ذلك كل الطقوس الفلاحية المعبرة عن التبعية للأرض وللطبيعة. ولا تعامل هذه الأرض كمادة أولية ولكن كأم مرضعة يجب الخضوع لها لأن الوفرة أو الضرورة تابعة لحسن أو سوء تصرفها أكثر مما هي تابعة للمجهود الإنساني. هكذا فإن الأرض ليست مجرد وسيلة للعمل وللوجود أو طريقة لضمان العيش ولكنها طريقة في العيش. ويمكن أن نفهم من هنا المنطق المقابل رأسمالي المتحكم في سلوك سكان البادية : إن ارتفاع المدخول أو الأجرة يؤدى إلى التنقيص من كمية العمل. ولا يعطى أي اعتبار لما يمكن ربحه إذا تم التكثير من العمل، بل كل ما في الأمر هو أنه يتم التساؤل حول العمل الذي تطلبه الحصول على المدخول السابق حسب الحاجيات، ويعني هذا السلوك انعدام المبالاة بالبحث عن الفائدة.

ولا يمكن أن نفصل هذا التصور للعمل الفلاحي عن خاصية أخرى تميز هذا المنطق وهو غياب الحساب الاقتصادي المعقلن. إن الزمن بالنسبة للبدوي الذي يعيش في إطار الوسط الطبيعي ليس له نفس المدلول الذي نجده في الوسط التقني حيث تكون المدة أو الزمن موضع حساب. ومن هنا فإن الاهتمام بالمنتوجية المؤدية إلى التقييم الكمي للزمن لا وجود لها، وهكذا فإن العمل الذي يجب القيام به هو الذي يتحكم في المدة وليست المدة هي التي تحدد العمل. وتبقى وثيرة العمل الفلاحي أو الرعوي مرتبطة بالدورات البيولوجية سواء الحيوانية منها أو النباتية. أما الوجود اليومي فيبقى مشكلا على أساس التقسيم الخاص باليومية الطقوسية. هكذا فإن المنطق البدوي يتضمن الخضوع للمدة أو الزمن لأن الحياة البدوية والفلاحية قائمة على أساس الانتظار.

ومن هذا المنطق يمكن أن نميز بين مجموعة من السلوكات والممارسات الخاصة بهذا النمط من الحياة الاجتماعية. إن الاختزان la mise en reserve الذي يقتضي خزن جزء من الخيرات المباشرة من أجل استعمال قادم يختلف عن الاكتناز thésaurisation الذي يعني تراكم الخيرات الغير المباشرة التي يمكن أن توظف توظيفا رأسماليا (الاستثمار)، لأن هذا الاكتناز يقوم على أساس التوقع prévision المحسوب والعقلاني، ومن هناك فإن الحساب الذي يمكن أن نلقاه في الاقتصاد الفلاحي الحديث يفترض الاهتمام بمستقبل ملموس وممتد. ولكن الفلاح المغربي لايفرق دائما بين العمل ونتيجته الاقتصادية ويبقى الاختزان عبارة عن استهلاك مؤجل. لهذا فإن الحساب الذي يعرفه هذا الفلاح هو حساب يخدم الشعور بالإنصاف équité ويتعارض مع روح الحساب القائم على تقييم كمي للفائدة والذي لايقبل التقديرات العشوائية والغيرالمبالية لأخلاق العرض والكرم.

إن الفلاح قلما يفهم منطق مؤسسة القرض ولهذا فإن القرض الذي يلجأ إليه هو قرض موجه بالأساس للاستهلاك. إن القرض مثله مثل السلف التقليدي الذي اعتاده الفلاح يفترض الثقة ولكنها ثقة لا تستثني الاحتياط. وبالرغم من هذا التشابه الظاهر فإن هناك اختلافا بين القرض بمعناه الحديث والسلف بمعناه التقليدي. إن واجب الرد ورد أكثر ما يمكن من تجارة العرض التقليدية يقوم على الولاء الشخصي ويكون الشخص نفسه هو الضمانة وليس الثروة أو الممتلكات، في حين أن القرض الحديث لا يهتم إلا بالضمانات المادية، ويفترض الفائدة والقيمة الحسابية للزمن وعدم شخصية العلاقة، كما يفترض أيضا الإحالة إلى مستقبل مجرد ومحدد بواسطة عقد مكتوب ومضمون من طرف نظام العقوبات الوضعي.

ويجب أن نميز كذلك بين سلوك المساعدة entraide الذي نلقاه في البادية المغربية والذي يقوم على أساس الروابط القرابية الحقيقية أوالوهمية وبين التعاون coopération الذي يقوم على تعبئة أفراد تم اختيارهم حسب الأهداف المحسوبة لعملية محددة. تكون الجماعة في حالة المساعدة موجودة قبل الاتفاق وتدوم بعده. بينما في حالة التعاون يكون سبب وجود الجماعة موجودا خارجها أي في الهدف المستقبلي المحدد بواسطة العقد، وتنتهي الجماعة بانتهاء العقد. ويعني هذا أن تقاليد المساعدة القرابية السائدة في البادية تبقى بعيدة من أن تعد الفلاح للتكيف مع الأنظمة التعاونية أو الجماعية الحديثة coopératives، إن الأكثر تكيفا مع هذه الأنظمة هم أولئك الذين لم تعد لهم أي علاقة بالأرض ولا بملكيتها.

ولا يمكن أن نفهم أهمية الخضوع والامتثال لما هو قائم إلا بالإحالة إلى منطق العرض : لأن التفرد والتمايز القائمين على التجديد المجاني والمباهي يعتبران تحديا للجماعة ومسا بعرضها. ومن هنا فإن الثراء الذي لا يكون مصحوبا بكرم يكون محتقرا ومذموما.

ونظرا لأهمية العرض كرأسمال رمزي محدد للعلاقات الاجتماعية بالبادية المغربية فإنه يجب الوقوف عنده وتحديده.

2 ـ القيم السائدة في البادية المغربية : يجب في البداية التمييز بين العرض honneur والشرف sainteté. إن العرض يحدد قيمة الرجل مهما كان نسبه بينما الشرف هو لقب ناتج عن النسب أو الانتساب. ويقوم العرض على مبدإ أساسي وهو الانصاف équité حتى وإن لم يكن موضوعاً بصفة واضحة كمعيارلكل العمليات الأخلاقية. ويمكن

تعريف التبادل العرضي كتبادل يقتضي إمكانية رد أو جواب أو إرجاع أو عطاء مضاد يتضمن الاعتراف بالطرف الثاني في التبادل. من هنا فإنه يقتضي التحدي والتحدي المضاد الغيرالمعترف بهما شعوريا. ويتضمن المبدأ الأساسي وبديله (التحدي/ التحدي المضاد) الدخول في تبادل العرض مع زعيم أو عضو جماعة ما متساوية في العرض. وكل من دخل في تبادل العرض مع من لا يساويه يجلب لنفسه العار أو «البهدلة» أو «التحشيمة». إذا تحدى من هو أعلى منه فهو يتعرض للاحتقار وإذا تحدى من هو أدنى منه فهو يجلب لنفسه العارأو «البهدلة».

إن هذا العرض المحدد للعلاقات الاجتماعية بالبادية المغربية يقوم على إنكار الاقتصاد والمصلحة. ولا يمكن الإلمام به بكيفية ملموسة إلا من خلال مظهرين أو مستويين مرتبطين في الواقع ارتباطا وثيقا. هذان المستويان هما : امتلاك المجالات المحرمة والمشاركة في تبادل العنف.

أ- المجالات المحرمة :

لكي يكون لشخص مًا عرض يجب عليه مراقبة المجالات المحرمة والممنوعة على الآخرين وله سلطة عليها. هذه المجالات المحرمة هي : الأرض أو القطيع وتراب الجماعة النساء والبيت.

إن كل رجل متزوج وله أولاد في الجماعات النسبية الترحالية أو المستقرة لا يصبح رجلا كاملا إلا إذا كان يملك أرضا أو قطيعا من الماشية. وبدون الأرض أو القطيع لا يمكن له أن يشعر بأنه رجل عرض. ورجل العرض هذا هو زعيم العائلة، متزوج ومشرف على الميراث العائلي، وهو الذي يتمتع بالسلطة على المجالات المحرمة وهو المسؤول عن عرض جماعته العائلية لأنها عرضه أو عاره وكذا عن تبادل العنف.

وبصفته يتوفر على هذه السلطة فإنه مسؤول كذلك عن تراب الجماعة الذي يصبح بدوره مطابقا للعرض أي مجالا محرما.

وحتى يتم اعتبار رجل مًا رجل عرض فيجب عليه مبدئيا أن يكون متزوجا وأن يحجب زوجته عن نظر الآخرين. كما يجب عليه كذلك أن يراقب سلوكها وسلوك بناته وإخوته حتى لا يجلبن له العار أو «البهدلة». إن النساء هن الحرم، والحرم هو المجال المقدس والممنوع الذي يتحمل الرجال مسؤولية صيانته وتحصينه. إن الحرم في هذا الإطار هو العار أو العيب وشرف أو عرض الرجال أيضا. ويكبر العرض كلما كبر العار أو العيب (اتساع الأراضي وامتداد تراب الجماعة وكثرة النساء) ذلك التحدي الحقيقي والدائم لعرض الرجال.

ب - تبادل العنف :

إنه لا يكفي لرجل العرض أن يمارس سلطته على المجالات المحرمة. ولكن يجب عليه أن يتحدى الآخرين وأن ينتظر من الأخرين التحدي. إن رجل العرض الذي يحدد حياته في زوجته وأولاده وأرضه أو ماشيته يتم احتقاره من طرف الجميع. إنه كائن من أجل الجماعة وبواسطتها. لهذا فإن العرض هو الوجه والمواجهة دون الخوف من الآخرين. ويكتسي العنف في هذا التبادل مظهرين لازمين ومتعايشين باستمرار. هناك العنف المفتوح، الجسدي أو الاقتصادي. وهناك العنف اللين أو الرمزي وهو الذي لا يعترف به كعنف وهو اختياري. هذا العنف الرمزي هو الثقة والإلزام والوفاء الشخصي والضيافة والعطاء والدين والاعتراف والورع وكل الفضائل التي تشرف أخلاق وسلوكات العرض.

ويمكن تقسيم هذه السلوكات المميزة لتبادل العنف إلى ثلاثة أبعاد : المبارزات الكلامية، مصاريف الأبهة أو التباهي والقتل أو الاعتداء الجسدي.

من هنا يتبين أن العرض هو تبادل قائم على تناقض : إنه يقتضي، من جهة، السلطة والسيادة على المجالات المحرمة، ومن جهة أخرى يقتضي اختراق هذه المجالات المحرمة بالتحدي والتحدي المضاد. ويكون هذا التحدي إما بالكلام أو بمصاريف التباهي (عزومة، هدايا، ضيافة، صدقة، هبة، الخ.) أو بالاعتداء الجسدي. وتأخذ مصاريف التباهي شكلين أساسيين : مصاريف احتفالية كالأعراس والمواسم والأعمال الجماعية (التويزة مثلا)، التي تدخل في إطار منطق الكرم والضيافة والسخاء. أما القتل أو الأخذ بالثأر كعنف مفتوح فإنه يبدأ دائما باختراق المجالات المحرمة أو بالطعن في سلطة أو قيمة رجل عرض. إن الهجوم والسرقة في بيت أو مخزون وإهانة امرأة والمس بالأطفال أو الخيرات تعتبر تحديا لعرض رجل وعرض جماعته العائلية والنسبية.

3 - البادية المغربية وعمليات التغيير الاجتماعي :

لقد بدأ التغيير يمس البادية المغربية مع مجيء الحماية، ولكن التغير العميق للعلاقات وللقيم الاجتماعية لم تبدأ إلا مع الاستقلال. ويرجع هذا التغير لعدة عوامل يمكن تحديدها في المسائل التالية : الظواهر الإيديولوجية المرتبطة بالاستقلال، تدخل الدولة في البادية، الظواهر المرتبطة بالنمو الديموغرافي، استعمال النقد على نطاق أوسع في المعاملات الاقتصادية والاجتماعية.

أ - الظواهر الإيديولوجية المرتبطة بالإستقلال :

لقد كان لهذا العامل تأثير كبير بحيث إنه أمد سكان البوادي بنظام جديد للتصورات والتمثلات الاجتماعية، خصوصا بتوسيع مجالهم الاجتماعي ورؤيتهم للعالم وباقتراحة زمنا اجتماعيا أخر وتساؤلا تاريخيا جديداً حول تغيير المجتمع. وقد ساهمت وسائل عديدة في نشر هذه المواضيع وفي ربط البوادي بحقيقة وطنية وكونية تتجاوز الإطار القرابي والقبلي.

ب - تدخل الدولة في البوادي :

لقد رافق الاستقلال تغيير التراتبات السياسية بالبوادي وتدخل الدولة في قطاعات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والمعرفية وهي إطار التنظيم الإداري والمجالي.

ج ـ الظواهر المرتبطة بالنمو الديموغرافي :

يمكن اعتبار النمو الديموغرافي من الأسباب الأساسية التي تفسر مختلف التغيرات الاجتماعية في البوادي. لقد أحدث هذا النمو الديموغرافي خللا في التوازن ما بين موارد وحاجيات السكان مما أدى إلى أشكال جديدة من التكيفات أهمها الهجرة إلى المدن.

د ـ دخول النظام النقدي :

المقصود هو تلك الظواهر المرتبطة بالتحول الاقتصادي في البوادي وخصوصا الظواهر المترتبة عن المرور من اقتصاد الاكتفاء الذاتي إلى الاقتصاد التبادلي الموسع. ومن بين مظاهر هذا الاقتصاد التبادلي الجديد يمكن أن يذكر انتشار ونمو العلاقات الأجرية والمعاملة بالنقد.

لقد أصبحت الأجرة عنصرا مهما في مداخيل الأسر بالبوادي. إن التأجير هو علاقة اجتماعية غير مشخصة بين الرأسمال والعمل، والمأجور هو شخصية مجهولة الاسم تحررت من قيود العائلة والجماعة النسبية. أما ما يميز التعامل بالنقد وخصوصا الورقي منه فهو طبيعته الغير المشخصة كذلك بحيث إن النقد الورقي يصلح لأي واحد مهما كانت مكانته أو قيمته الاجتماعية وفي أي مكان كان ولأي عملية تبادلية. فهو بهذا يفكك الروابط الاجتماعية التي كانت سائدة في البادية ويخلق علاقات وقيما جديدة لم تكن مألوفة أهمها الحساب والمحاسبة مما يتنافى مبدئيا مع القيم والسلوكات التي تنبذ الحساب وتحتقر من يلجأ إليه و هي القيم الخاضعة لاقتصاد العرض.

م. شقرون، *نظام القرابة والعائلة في المجتمع المغربي*، مجلة كلية الآداب بالرباط، ع 13، ص89.59.

P. Pascon, *le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1977 ; *Etudes rurales*, Rabat ; P. Bourdieu, *le Sens Pratique*, Paris, 1980 ; R. Jamous, *Honneur et Baraka*, Paris, 1981 ; G. Lazarev, *Changement social et développement dans les campagnes marocaines, Etudes sociologiques sur le Maroc*, Rabat, 1971, pp. 129-143 ; M. Chekroun, *Crise de la société, Crise de la sociologie*, in *B. E. S. M*, 1984.

محمد شقرون

**باديس** (ابن ـ) الحسن بن علي، حفيد المعز ابن باديس أشهر أمراء دولة آل زيري بن مناد الصنهاجي خلفاء الفاطميين على أفريقية، الذي تنكّر لمذهب الشيعة الرافضة واعتنق السنة واستقل بحكم المهدية وما يليها من الثغور. وقد خلف الحسن أباه علياً في حكم المهدية، وكانت بينه وبين المرابطين مكاتبات واتصالات. ولما غزا أحمد بن ميمون قائد أسطول المرابطين صقلية وافتتح قرية منها فسباها ومثّل بأهلها سنة 510 / 1116 ظن روجار Roger II صاحب صقلية أن ذلك وقع بإيعاز من الحسن ابن باديس، فأرسل أساطيله على المهدية. فكسّرها ابن باديس ثم أعادت أساطيل روجار الكرة مراراً إلى أن ملكت المهدية سنة 543 / 1148 ثم احتلت صفاقس وسوسة وطرابلس وسائر بلاد الساحل، ووضعت على أهلها الجزية.

لحق الحسن ابن باديس بعرب رياح فلم يجد عندهم مصرخاً، والتحق ببونة، فقسنطينة فالجزائر حيث مكث عند أميرها ابن عبد العزيز إلى أن فتح الموحدون الجزائر سنة 547 / 1152 بعد تملكهم المغرب والأندلس، فخرج الحسن إلى عبد المومن فلقّاه تكرمة وقبولا وصاهره وحمله معه إلى مراكش فأقام معه إلى سنة 553. وصحب الحسن عبد المومن إلى أفريقية حيث فتح المهدية بعد نزال وحصار سنة 555 / 1160 وأسكن بها الحسن ابن باديس فأقام هناك ثماني سنين. ثم استدعاه يوسف بن عبد المومن فارتحل بأهله قاصداً مراكش لكنه مات في الطريق بتامسنا في آبار زلّو سنة 563 / 1167. وقد صُحف هذا الرقم بالتقديم والتأخير في *العبر* فكتب "سنة ست وثلاثين وتبعه في ذلك من نقلوا عنه.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، 197 ـ 198 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 330 ـ 334 ؛ م. ابن عذاري، *البيان*، 1 : 308 ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، 33 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 132 ـ 134 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 1 : 45.

محمد حجي

**بَادِيَا إِلِبْلِيش**، دومينگو Badia y Leblich Domingo مغامر إسباني جاء إلى المغرب متنكراً في زي عربي مدعياً بأنه من العائلة العباسية واسمه المستعار، علي باي العباسي بن عثمان Ali Bey el Abbasi ben Otman وكان الغرض من مجيئه إلى المغرب هو القيام بمهمة سرية من أجل تحريض أحد خصوم مولاي سليمان على القيام بثورة ضده مقابل مساعدة مادية تقدمها له اسبانيا على أن يسمح لها باحتلال جزء من شمال المغرب.

باديا إيلبليش دومينكو

ولد بَادِيَا ببرشلونة يوم فاتح أبريل 1767 وتابع دراسته بجامعة بلنسية حيث تعلم اللغة العربية وتفوق في علم الجغرافيا والحساب والتنجيم والفيزياء والموسيقى. وفي شهر

أبريل سنة 1801 انتقل إلى مدريد حيث قدم إلى الوزير الأول كُودوى Godoy مشروعه الرامي إلى احتلال المغرب ولم يجد أية صعوبة في الحصول على موافقة الوزير المذكر، فبدأت الاستعدادات لتهييء السفر.

وفي 9 ربيع الثاني 29/1218 يونيو 1803 حل بَاديـَا بطنجة حيث استقبله باشا المدينة الحاج عبدالرحمان أشعَاش كأمير عباسي، وفي يوم 5 أكتوبر حل بالمدينة السلطان مولاي سليمان الذي استقبل المغامر في نفس اليوم، وفي يوم 26 من نفس الشهر غادر بَاديَا طنجة متوجها إلى مكناس حيث كان وصوله إليها يوم فاتح نوفمبر. وفي اليوم التالي استقبله السلطان من جديد، وبعد ثلاثة أيام انتقل المغامر إلى فاس حيث زار مكتبة القروين باحثا عن كتاب تيتوليبيوTito libio الذي كان علماء أوربا يظنون أنه يوجد بها فلم يجده.

وظل باديا بفاس إلى يوم 27 فبراير 1804 حيث توجه إلى سلا والرباط فوصلهما يوم 4 مارس ولم يغادرهما إلا يوم 10 مارس متوجها إلى مراكش عن طريق الدارالبيضاء.

وبمراكش استقبله مولاي سليمان للمرة الثالثة وسلمه ظهيرا مؤرخا في 29 ذي الحجة 11/1218 أبريل 1804 يهب له به جنان السملالية ودار ابن أحمد الدكالي بمراكش. وفي يوم 26 أبريل توجه باديا إلى الصويرة التي وصلها يوم 30 ومنها اتصل على ما يبدو بالأمير مولاي هشام ابن السلطان سيدي محمد بن عبدالله.

وفي يوم 15 ماي عاد باديا إلى مراكش مرة ثانية لينتظر هناك وصول الأسلحة لمولاي هشام. ومما يدل على أن باديا كان قد اتفق مع الأمير المغربي على ما جاء من أجله، الرسالة التي وجهها الوزير گودوي Godoy إلى الحاكم العام بجنوب اسبانيا يوم 17 يونيو 1804 يخبره فيها بأنه أصدر أوامره إلى حاكم جزيرة ليون Isla de Leon لكي يضع تحت تصرفه ألفي بندقية وأربعة آلاف حربة بندقية، وألفي مسدس وعددا من المدافع الخفيفة.

لكن لم تمر على هذه الرسالة سوى أسابيع حتى كتب گودوى يقول لبَاديـا يوم 17 يوليوز إن الملك الإسباني كارلوس الرابع Carlos IV عندما اطلع على مشروعه السري أصدر أوامره بعدم تنفيذه، فسُقط في يد بَاديَا وصاحبه الوزير، وظل المغامر بمراكش مريضا إلى أوائل شهر مارس من سنة 1905 حيث توجه الى فاس بعد أن كلف باشا مراكش القائد عمر بوستة بالأملاك التي وهبها له مولاي سليمان.

ويبدو أن أمر بَاديـَا انكشف واضطر إلى مغادرة المغرب بدعوى أنه يريد قضاء فريضة الحج حيث قرر الذهاب إلى الجزائر، وفي يوم 30 ماي غادر فاسا في اتجاه وجدة التي وصلها يوم 9 يونيو. وعند حلوله بوجدة علم بوقوع فتنة بتلمسان فاضطر إلى الرجوع إلى مدينة تازا يوم 9 غشت ومنها توجه إلى وزان ثم إلى العرائش التي حل بها يوم 17 من نفس الشهر، وفي يوم 13 أكتوبر أرغم على مغادرة المدينة على ظهر سفينة كانت متوجهة إلى طرابلس، وهكذا انتهت المغامرة التي قال عنها أحد المؤرخين الإسبان إنها كانت «آخر حلم امبريالي لإسبانيا».

وأما باديا فقد قام بجولة في الشرق العربي ولم يعد إلى وطنه إلا في شهر ماي 1808 أي في الوقت الذي كانت الجيوش الفرنسية قد تمكنت من احتلال جزء كبير من التراب الإسباني وأصبح أخو نابوليون Napoleon المسمى خوسي بونابارطي Jose Bonaparte ملكا على إسبانيا.

وفي سنة 1814 نشر باديا بمساعدة الملك الفرنسي لويس الثامن عشر Louis XVIII رحلته باللغة الفرنسية تحت عنوان: *Voyage d'Ali Bey el Abbassi en Afrique et en Asie pendant les annés 1803-4-5-6-7* (Paris 1814) رحلة علي باي العباسي بافريقيا وآسيا خلال سنوات 1803. 7.6.5.4.

وقد ترجمت هذه الرحلة إلى اللغة الانجليزية ونشرت بلندن سنة 1816 و إلى اللغة الايطالية ونشرت بميلانو سنة 1817 و إلى اللغة الاسبانية سنة 1836 ببلنسية، وإلى اللغة القطلانية ونشرت ببرشلونة عدة مرات سنة 1888 و 1892 و1926.

توفي باديا بدمشق سنة 1892 عندما كان يقوم بمهمة سرية كلفه بها الملك الفرنسي لويس الثامن عشر، وكان المغامر باديا يحمل آنذاك اسم علي بن عثمان.


Coleccion Toda (documentos originales de Ali Bey) en Archivo Municipal de Barcelona ; Torres Amat, *Memorias para ayudar a formar un diccionario de escritores catalanes*. Barcelona, 1836 ; M. Godoy, *Memorias de don Manuel Godoy, principe de la paz*, Gerona, 1836-41 ; Centro excursionista de Cataluña. *Monografia de Ali Bey*, Barcelona, 1879 ; *Viajes por Africa y Asia realizados y explicados por don Domingo Badia y Leblich utilizando el nombre de Ali el Abbasi*, Barcelona, 1934 ; Augusto Caras, *Ali Bey* (*vida, viajes y aventuras de don Domingo Badia*), Barcelona, 1943 ; Julio Roman, *Viajes de Ali Bey el Abbasi*. Madrid, 1951; *Viajes de Ali Bey el Abbasi por Africa y Asia durante los años 1803-4-5-6-7. Valencia, 1836.*


محمد ابن عزوز حكيم

**البَاذنْجَان**، أو البْرانية أوالدنجال، نبات خضري يسمى علميا سُولانُومْ مَيلُونْجينَا Solanum melongena وهو من فصيلة الباذنجانيات Solanaceae التي تضم كذلك البطاطا، والفلفل والطماطم...

النبات عشب متفرع قائم يبلغ طوله حوالي المتر، ذو أزهار صغيرة بيضاء. ثمرته لبية كبيرة ذات أشكال تختلف مع اختلاف الضروب، خضراء اللون ثم تَسْودُّ عند نضجها.

الموطن الأصلي للباذنجان هو الهند، لكنه أصبح يزرع بكثرة في المناطق الدافئة والمعتدلة حيث يحتاج إلى حرارة مرتفعة لنموه.

أما في المغرب فزراعة الباذنجان منتشرة في جميع السهول السقوية. وفي الطبخ المغربي تقطع الثمار في غالب الأحيان إلى شرائح ثم تسلق أو تقلى مع البصل والفلفل، والطماطم لتهييئ بعض أنواع الأطعمة الشعبية.


*أبحاث شخصية* ؛ ألبيرت هيل، *النبات الاقتصادي*، تر زاهرعبدالمجيد وآخرين، القاهرة - نيويورك 1962.


عبدالملك بنعبيد

**الباذنجان.** - لغة واستعمالا- وية ال فيه الإبذنج، لفظ معرب عن الفارسية، واسمه العربي الأنَبُ، ويسمى أيضا المغد، والحيصل، والحدق، إلى أسماء أخرى عربية تناهز العشرة، ويقال منه : بَنذَجْتُ الطعام إذا جعلت فيه باذنجانا.

والباذنجان نبات حَوْليٌّ، موطنه الأصلي آسيا الجنوبية (الهند، الصين، برمانيا) وهو قديم العهد أيضا بأرض الحبشة، وما يزال ينبت إلى اليوم في مناطق شرقية بشكل متوحش.

يختلف ثمر الباذنجان في الحجم والشكل واللون باختلاف الجهات التي ينبت فيها، فيكون منه الأسطوانيّ المستطيل، والبيضانيّ، والمدحرج، ويكون فيه الأسود، والأبيض، والأوجواني في ألوان أخرى متقاربة.

والباذنجان يحتاج إلى الكثير من العناية في إعداد تربته، وسقيه، وتهويته، ودفع الآفات عنه، وفي اجتناء ثمره، وفي التخطيط لغراسته تخطيطا مُقدّراً مَقيساً.

ويعالج الباذنجان قديما وحديثا في ألوان شتى، وبأسماء مختلفة في البلاد العربية والإسلامية كما تصف ذاك كتب الأدوية والأغذية وكتب الطبخ، وفي *فضالة الخوان، في طيبات الطعام والألوان* لابن رزين التُّجيبي الأندلُسي من أهل القرن السابع الهجري، فيه عشرون لونا منه بما كانت عليه في عهده.

والمغرب يستنبت البَاذنجان على السواحل وبالداخل في محافل مكشوفة وأخرى مغطاة، وينتج منه ما يكفي حاجته، ويصدر منه إلى أوربا (فرنسا، هولاندة، بلجيكا).

ويوكل الباذنجان بالمغرب كإحدى الخضروات المستلذة والكثيرة الاستهلاك على جميع المستويات الشعبية، ويستعمل منه المغاربة لونا يسمونه المدربل، والعمل فيه أن يسلق، ثم يغلى ثم يُدْعَس دعْساً حتى يتعجن، ثم يجعل على طبيخ اللحم في المرق، والتسمية هذه جاءته من تشبيهه بدرابيل الفقراء، واحدتها دربالة، وهي في دارجة المغرب الثوب الخلق المشكل الرقاع، وجاء في *تاج العروس* من مادة (دربل) مانصه :« والدربالة - بالكسر- ثوب خَشِنٌ يلبسه الشحاذون، وهي عامية». وجاءت كلمة المدربل في قصيدة نظمها الفقيه محمد بن سودة باسم المولى محمد الشريف جوابا لمحمد الشيخ ابن زيدان. قال الفقيه :

دع عنك في الحَمْرا مُروق سفرجـل ومُدَرْبلاً بـه زعفران وفُلفـلُ
واركب مطايا الصافنات إلى الوغى إما تحـوز مزيـةً أو تُـقتـل

ولهم فيه لون آخر من شكله، يُنصّف فيه الباذنجان، ثم يغمر بالماء في قدر، ثم يسلق، ثم يصفى من الماء، ثم يدعك دعكا حتى ينحل، ثم يلقى فيه بشيء من الثوم والكمون والفليفة، ويصب عليه بعض الزيت والخل، ثم يوضع على النار حتى ينضج، فإذا تم عليه ذاك فهو الزعلوك - بفتح الزاي - كما تنطقه العامة، فأما الزعلوك في الفصيح فهو - بضم الزاي - ومعناه الصعلوك.

وللمغاربة في الباذنجان معالجة ثالثة يسمونها البرانية، يقطع فيها الباذنجان فلكات، ثم يقلى في الزيت قليا بالغا، ثم يعجن مخلوطا بشيء من السمن وشيء من الخل ثم يوكل إداماً أو يجعل على طبيخ اللحم بالمرق.

ولفظ البرانية - فيما يبدو- تحريف لكلمة البورانية التي جاء بها المجْدُ في مادة (بور) من *القاموس* فقال ما نصه : « والبورانية طعام ينسب إلى بوران بنت الحسن بن سهل زوج المامون» وهي - فيما أحسب - طعام مُبنْذَجٌ . وصف ابن رزين الأندلسي لونا منه في *فضالة الخوان*(ص 57.56) بالحالة التي كان عليها بالأندلس في القرن السابع الهجري.

وبعد، فإن في الطب العربي القديم تحذيرات من سوء أثرالباذنجان على الصحة، فهو متهم بأنه يورث السرطانات والجذام، والبواسير، ويسبّب السدد، ويهيج السوداء، ويضعف الذاكرة، ولا يذكره الطب الحديث بهذه الأسواء، ولكنه يقول عنه إنه قليل القيمة الغذائية، عسير الانهضام، فينبغي أن يحتمي منه ذوو المعد الضعيفة، ولا سيما الصغارمنهم والمسنين.

وأخيرا فإنه من الموضوعات حديث (البَاذنْجَان لما أكلَ لَهُ) وقد قال الحفّاظ عنه إنه من وضع الزنادقة، ولبرهان الدين إبراهيم بن محمد الحلبي تأليف في إبطاله سماه : *قلائد المرجان، في الحديث الوارد كذباً في الباذنجان.*

ابن سينا، *القانون* ؛ ابن البيطار، *الجامع لفردات الأدوية والأغذية* ؛ الملك المظفر، *المعتمد في الأدوية المفردة* ؛ التجيبي، *فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان* ؛ الغساني الوزير، *حديقة الأزهار، في ماهية العشب والعقار*؛ بطرس البستاني، *دائرة المعارف* ؛ م. ف. وجدي، *دائرة معارف القرن العشرين* ؛ أ. أمين، *قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية* ؛ رمزي مفتاح، *إحياء التذكرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية* ؛ ع. فـــراج، *الخضروات وقيمتها الغذائية والطبية*، سلسلة المكتبة الثقافية رقم 40.

أحمد الشرقاوي إقبال

**بَـارَا** - أسرة - ← **بارو**

**بَـارَا بن محمّـد العبلاّوي** ابن هموش، عرف بابن العسري، من رُبُـع قبيلـة أيت عبلاً الباعمرانية، ورث المشيخة عن والده، وحمل السلاح وهو ابن سبع عشرة سنة من عمره، كان دائما في صراع ضد القائد المدني، وتعرض للقتل عدة مرات، لكن العمر طويل حسب تعبيره.

عين شيخا على قبيلة أيْت عبلاً، وأصبح مسؤولا عن أمورها وجمع فرسانها، ودفع ما عليها. شارك في معركة تيزى ضد الحملة الفرنسية سنة 1917، كما انضم إلى القائد النّاجم الاخصاصي في الهجومات المباغتة على الجيوش الفرنسية بأزغار، وشاهد هجوم قبيلة أيت عبلا على قائدها الفقيه سيدي أحمد بن الحسين بتدبير من القائد المدني الأخصاصي، ولما تخلص منه، ولّى مكانه بُوجَنْوي (أبو الخنجر) عبلا، لكن القبيلة قتلته بعد صراع دَام سنة كاملة.

قال الشيخ بارا هذا «إن القائد المدني كان بحق عدوا لدودا لفرنسا، إلا أنه كان يتخلص من كل شخصية

تنافسه، وبجميع الوسائل» ثم قال «احتفلت فرنسا بموت القائد المدني في سوس، لأن أخاه الحنفي لم يكن في مستواه. كما سئم الناس الحروب، وكانت المجاعة عامة، وكادت جيوش فرنسا أن تطبق قوسها على أيت باعمران جنوبا وشمالا.

قال :«فبينما قبائل أيت باعمران. في اجتماع في موضع أدَاْرْ بقبيلة أيت يعزى سنة 1934 يتذاكرون في كيفية الحرب ضد فرنسا، وترسيم الخطة كما جرت العادة في «أجْمُوع» فإذا برسالة من حكام تزنيت، تأمُر أيت باعمران، بأن يرسلوا أشياخهم الستة إلى ثلاثاء الأخصاص، وفعلا أرسلت كل قبيلة شيخها ومعه نائب واحد، وهؤلاء الشيوخ منهم القائد أحمد أصْبَايُو والشيخ سعيد الخمسي لكنه رجع في الطريق، ثم الحاج عبد الكريم بن الحسن الخلفي، ثم الشيخ الحسين اليعراوي، والشيخ بلعيد البوبكري، ثم بارا بن محمد العبلاوي. وفي ثلاثاء الأخصاص التقينا مع ضابط إسباني وأخبرنا بالحدود الجديدة لأيت باعمران مع اخراج أيت الساحل منهم، كما طلب منّا إخراج برابر الأطلس المتوسط من بلادنا وهم أيت حمّو وأيت خبّاش الذين قاوموا فرنسا منذ البداية، وبعد مدة خرجت إسبانيا من سيدي إفني، فقبلت شروط أيت باعمران، ماعدا ابقاء السلاح بيد الناس، وبانتزاع السلاح منا صرنا نطبق الأوامر فقط».

ح. الجهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط.

الحسين جهادي

**بَـارا، محمد بن المهدي**. هكذا ورد اسمه في وثيقة ترجع إلى عام 1133 هـ. وكان ناظر أوقاف المشهد الشبلي بمدينة مكناس. كما كان معدوداً من نخبة بلده، فيأتي اسمه بين زمرة أعيان مكناس الموقعين على بيعة السلطان عبد الرحمان ابن هشام. بتاريخ يوم الأحد 15 ربيع الثاني 1238 / 1822.

وفي نفس السنة - 22 رمضان - كان المترجم يتقلد وظيفة وكيل الغُيب ببلده، حسب رسم جنان في ملكية أسرة ابن عربية.

محمد المنوني

**بَّاران**، بَيير Parent Pierre، معمر فرنسي فريد من جنسه، لأنه كان يعتبر الحماية أخذاً بيد الشعب المغربي ومساعدة له على النهوض بأعباء العصر ودفاعا عنه من طغيان المعمرين، دخل المغرب سنة 1916، معطوبا من جراء ما لحقه من بالغ الجراح في المعارك الأولى للحرب العالمية، واتصل بليوطي فأعجب ليوطي به لأنه كان يتجرأ على مناقشته ولا يتردد في إعمال نظره في الأمور، ولما قامت حرب الريف، كلف بمهمة صحية لفائدة الأسرى الفرنسيين المحتجزين لدى محمد بن عبدالكريم الخطابي فكان لتلك التجربة بالغ التأثير عليه، قال عنها سنة 1949 :«لقد كانت تلك التجربة بالنسبة إليَّ بمثابة إيحاء حاسم حملني على دراسة تاريخ المغرب ومحاولة كشف النقاب عن الفوارق الاثنية وعن مختلف التقاليد، ولما قامت الحركة الوطنية سنة 1930، اعتنيت بها في حينها، ثم تتبعت خطواتها منذ اثنتين وعشرين سنة (...) ويبدو لي أنني أعرف حقيقة ما تنطوي عليه في عمقها من الأفكار ...»

ثم إنه استقر سنة 1933 بضيعة متواضعة بالبئر الجديد واشتغل بزراعتها إلى سنة 1952، وبها وقف على تعاسة جمهور الفلاحين المغاربة ومعاناتهم فتطوع للدفاع عنهم ولفضح كل وجوه الاستغلال، فنوهت الحركة الوطنية من يومئذ بمواقفه النبيلة وبآرائه التقدمية، ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية كان بيير باران من السباقين إلى مناصرة دي گول، بينما وقف السواد الأعظم من المعمرين إلى جانب حِزب بيتان، حزب الكبرياء الجوفاء والخذلان، ولما انتصر حزب دي گول ابتداء من سنة 1943، وتشكل المجلس الفرنسي الاستشاري الموقت، انتخب پيير باران ممثلا فيه للجالية الفرنسية القاطنة بالمغرب، كما انتخب بعد ذلك في المجلس التأسيسي عندما تحررت فرنسا من الاحتلال الألماني، وبعد انتهاء مهمة هذا المجلس عاد پيير بّاران إلى ضيعته واستأنف، على سالف عهده، دفاعه عن قضايا الشعب المغربي، فنشر كتاباً بعنوان : *مغرب سنة 1948* لكن رقابة الحماية منعته من الرواج، فأضاف المؤلف إليه معلومات وتنبيهات أخرى ونشره بفرنسا سنة 1949 تحت عنوان : *المشكل المغربي سنة 1949* جاء فيه على سبيل المثال لا الحصر قوله :«على الفرنسيين القاطنين بالمغرب من الواجبات أكثر مما على فرنسيي الوطن الأم : عليهم ها هنا أن يكونوا مرشدين وأمثالا تحتذى، لكن عوض أن نُنبِّه شباب مواطنينا إلى هذا الأمر منذ الطفولة، نلاحظ مشدوهين سكوت برامج التعليم بالمدارس الفرنسية المقامة بهذا البلد الذي جئنا لحمايته، على أمر الواجبات المتميزة الملقاة على عاتق الفرنسيين القاطنين بالمغرب». وقال أيضا:«إننا سرنا دائما وما زلنا نسير على نهج الادارة المباشرة مما يمكننا من أن نثبت أن وجودنا ما زال ضروريا هاهنا وأن نرجئ إلى أجل غير محدد قابلية المغرب لحكم نفسه بنفسه، وبقدر ما يكثر حديثنا عن تلك القابلية، بقدر ما يشتد عملنا للحيلولة دون تمهيد السبيل لذلك قبل أمد طويل». ولقد رام في هذا الكتاب أن يبيّن تقصير الحماية لا بالنظر إلى ما كان المغرب عليه قبلها، ولكن بالنظر إلى ما كان للجماهير المغربية من الحاجيات، ففضح الرقابة والتجسس المستمر على المغاربة ومساندة ظلم القواد والباشوات وروح العنصرية التي كانت غذاءً روحياً لجل الفرنسيين المقيمين بالمغرب، وتأسف على قلة من كان منهم يتعقل ويحاول أن يفهم ويتعاطف وبداية الفهم والتعاطف كانت تقتضي تعلم اللغة العربية، وقليلا من كان من فرنسيي المغرب يكلف نفسه عناء تعلمها، قال :«إن ممثلي فرنسا بالمغرب يجهلون على الاطلاق مبادئ وطننا النبيلة، ولا علم للشعب الفرنسي بذلك ولا مسؤولية له فيه، لأنه

مكذوب عليه، وأعمال الذين ينطقون باسمه تعود عليه بأسوإ الأضرار، ولو وُكّل بشيطان مريد أن يحمل المغاربة على مقت فرنسا بشكل متزايد، لما تأتى له أن يتصرف بغير ما يتصرف به أُولئك الذين بيدهم مسؤولية المصالح الفرنسية». ونوّه على العكس من ذلك بتعقل الوطنيين المغاربة وانعدام الطيش والتهور لديهم فقال : «ما قرأت قط تصريحا وطنياً واحداً يسكت على لزوم احترام المصالح الفرنسية سواء منها المادية أو الثقافية».

وأبى إلا أن ينشر ملحقاً بالكتاب مجموعة من الوثائق توحي بتعامل الجنرال جوان، المقيم العام آنذاك، مع النازية إبان الحرب، فأثار نقمة جوان عليه وزاد في حدة تحامل الإقامة عليه كونه كان من كتاب جريدة الاستقلال الناطقة آنذاك بلسان حزب الاستقلال، وكان يحاول من خلالها إيقاظ الرأي العام الفرنسي من غفلته وإثارة انتباهه إلى ما كان يجري بالمغرب، وكتب مقالا بأسبوعية "الأوبسرفتور" الباريسية اختتمه قائلا :«إن أخطر ما يؤلب رأي المغاربة علينا وجود تناقض مستمر بين ماندعي أنه من مبادئنا النبيلة وبين أفعالنا التي كثيراً ما تتعارض معارضة مفضوحة مع تلك المبادئ، فندعي أننا أبطال الحرية ونرفض للمغاربة حرية التعبير عن رأيهم وحرية الانضمام إلى النقابات، بل ومجرد حرية التنقل في عقر ديارهم...» ولما كانت أحداث دجنبر 1952 ودُبّرت مجزرة الكاريين سانترال تدبيراً، احتج عليها جماعة من أحرار الفرنسيين، وفي طليعتهم بيير باران وتجندوا لتفنيد أكاذيب سلطات الحماية، فصدر الأمر بطرده من المغرب بقرار مقيمي ولفقت التهمة لتبرير ذلك تلفيقا، حيث قيل إنه كتب مقالا يقول فيه :«يبدو لي اليوم أن لا وسيلة للخلاص إلا بإراقة الدماء» والذي كان قد كتب به في المقال المذكور بتاريخ 7 يونيه 1952 كما يلي :«يبدو لي اليوم، وقد تحول العالم إلى طبل مدوٍّ ينعكس كل ما يجري بجهة منه في باقي المعمور (...) أن ثمّة وسائل أخرى للخلاص من غير وسائل إراقة دماء الأبرياء».

وبقي بيير باران مبعداً عن المغرب إلى أن كان الاستقلال، فعاد مكرماً محترماً واشتغل بدار الإذاعة الوطنية وكانت له أحاديث مرموقة يوم الثلاثاء نشرت فيما بعد على شكل كراس، وكان لها مفعول إيجابي لإقناع الفرنسيين القاطنين بالمغرب أو الراغبين في ذلك بفائدة إقامتهم بالمغرب، شريطة أن لا ينسوا أبداً من صاحب الدار، حسبما كان قد صرح به المجاهد محمد بن عبدالكريم الخطابي لبعض الصحفيين واستحسنه بيير باران ونقله في كتابه المذكور.

وتوفي هذا الفرنسي الحر القح بالرباط يوم 18 نونبر 1957 وكانت جنازته حفل الصداقة المغربية الفرنسية ورثاه باسم المغرب المرحوم مبارك البكاي.

P. Parent, *Le problème marocain*, Toulouse, Imprimerie régionale, 1949 ; H. Bleuchot, *Les Libéraux français au Maroc*, 1947-1955. Ed. de l'Université de Provence, 1973.

إبراهيم بوطالب

**البَارِيَـا**، أو البَنْجَر أو الشَّمَنْدَر؛ ألفاظ تطلق على الضروب المتطورة عن بيطا فُولْكَاريسْ Beta vulgaris النوع النباتي الذي ينتمي إلى فصيلة السرمقيات Chenopodiaceae وهذا النوع بَرّي يصادف طبيعيا على سواحل البحر المتوسط وجنوب أوروبا. أما في المغرب فإننا نجده يعيش في المناطق الرطبة وشبه الرطبة الجافة الدافئة منها والمعتدلة.

إنه نبات عشبي ثنائي الحول، وهو ينتج في العام الأول مجموعة كبيرة من الأوراق تتوّج قمة الجذر الوتدي اللحمي، ولا يزهر ولا يثمر إلا في السنة الثانية من عمره، لأنه يتطلب في السنة الأولى برودة فصل الشتاء للإزهار. وقد ارتكزت الأبحاث الزراعية على هذه المتطلبات لاستنباط ضروب تتطلب برودة شديدة للإزهار، وفي عدم ذلك يوجه النبات كل قواه إلى إنتاج الأوراق والجذور.

والضروب المستنبطة من النوع البَرِّي والمزروعة بالمغرب هي السِّلْق والباريا، والشمندر أو البنجر العلفي، والسكري والعادي :

السِّلْق هو أقدم أصناف الباريا، وقد عرف منذ نحو أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، إذ كانت تستعمل جذوره وأوراقه الجافة في التطبيب والتغذية. ثم استعملت بعد ذلك الأوراق الطرية. وقد تطورت الأوراق في الزراعة على حساب الجذور فأصبح للسلق الحالي أوراق كبيرة ذات أعناق كبيرة وجذور صغيرة الحجم. وتستعمل أوراقه كلية كعشب أصيص.

يزرع السِّلق في جميع السهول المغربية وخاصة بجوار المدن الكبرى، لكنه لا يعرف انتشاراً كثيراً لأنه قليل الاستهلاك.

كانت الباريا، وهي البنجر أو الشمندر العادي، معروفة منذ أوائل التاريخ الميلادي. وتزرع منها عدة أصناف تختلف في الحجم والشكل واللون والمحتوى السكري ووقت النضج، لكن الباريا ذات الجذر الأحمر الكروي الشكل هو الصنف المفضل في المغرب.

يسلق جذر الشمندر أو يخلل لتحضير السَّلطات. كما تستعمل الأوراق لتهييء أشكال أخرى من السلطات.

أما الشمندر أو البنجر العلفي والسكري والعادي فسنتحدث عنه في مادة «شمندر».

أ. هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

Cl. Ch. Mathon, *Phytogéographie appliquée : L'origine des plantes cultivées*. Paris, Masson, 1981.

عبدالمالك بنعبيد

**بَارْيَاس**، رأس يقع بين خليج الرأس الأكحل شمالا والرأس الأبيض جنوباً، وقد احتفظ له الإسبان باسمه الأصلي.

A. Domenech, *Algo sobre el Rio de Oro*, Madrid 1946, p. 82; A. Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid 1946, p. 65 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico - sahariano*, Madrid, 1955, p. 26.

محمد ابن عزوز حكيم

**الباربو** . سمك . ← **بربيس**

**بارت**، هينريخ H. Barth مستشرق ألماني ولد سنة 1821، وكان رحالة من أعضاء الجمعيات الجغرافية الأوربية، جاب أقطار إفريقيا من 1850 إلى 1855.

تجول بالمغرب سنة 1845 فزار كلا من طنجة وتطوان وأصيلا والعرائش والرباط.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1498.

J. Caillé, *La petite histoire de Rabat*, 79 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, I : 69 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc*, 10.

مصطفى بوشعراء

**بَـارَة** . أسرة . ← **بارو**

**بَـارَة، المهدي** بن أحمد بن موسى. هكذا سماه محمد البصري في *فهرسه*. يعتبر المهدي واسطة عقد الأسرة كأستاذ مبرز في القراءات والتجويد، ومن هنا سجل اسمه ضمن لائحة علماء مكناس عام 1149 هـ، باسم المهدي فارا، وقد يشير رسم لقبه بالفاء بدل الباء، إلا أن النطق بهذه الأخيرة يأتي بين الباء والفاء.

أما شيوخه فيعرف منهم إدريس بن محمد بن أحمد المنجرة الحسني الفاسي، كما يعرف اثنان من تلاميذه : مبارك بن سالم الشيظمي المكناسي، ومحمد بن الطيب البيجري المكناسي.

وهناك مخطوطة *رمزية البدور السبعة* (خ. ع، 2465 ك) ترد بهوامشها إشارات إلى بعض روايات موضوعية يعتمدها المترجم، حيث يذكره المعلق باسم "محمد مهدي بارة".

وكانت وفاته عام 1173 / 59 . 1760.

**بَـارَة، موسى** (الحاج . ) حسب نسخة من رسم عدلي مؤرخ في أواسط ربيع الأول عام 1116 / 1704، وفيه يحلى بالأستاذ المجود. وفي عام 1118 / 1706، يأتي اسمه ضمن مجموعة من شهود وثيقة لفيفية. وذكر معه فيها ابنه الحاج أحمد بارة والد المهدي سابق الترجمة.

م. البصري، *فهرس*، مخطوط خ. ح. 11267.

محمد المنوني

**باراً**، روبير Barrat Robert ينتمي إلى تلك النخبة الفرنسية التي عملت الأحداث الدامية بالدارالبيضاء (دجنبر 1952) على جلب انتباهها إلى مجريات الأموربالمغرب. وهكذا نشط في صفوف عدة جمعيات (كالمركز الكاثوليكي لمثقفي فرنسا) و(جمعية فرنسا- المغرب الكبير) عملت على التنديد بالسياسة الاستعمارية الفرنسية بالمغرب.

وكصحفي موفد من طرف الجريدة الباريسية *طيموانياج كريتيان* Temoignage Chrétien، قام روبير بارا بزيارة للمغرب في فبراير/مارس 1953 للتحقيق في أحداث «الكاريان سانطرال». وأثناء إقامته بالمغرب، كثف باراً من اللقاءات مع أوساط مختلفة، فقابل بعض مسؤولي الإقامة العامة وعلى رأسهم الجنرال گيوم، كما استقبل من طرف ممثل البابوية بالمغرب : الأسقف لُوفيفر Lefevre. وفي الجانب المغربي، التقى ببعض رجالات الحركة الوطنية كالشيخ محمد بن العربي العلوي، كما استقبل من طرف السلطان سيدي محمد بن يوسف ونجله الأمير مولاي الحسن.

لم تستغرق هذه الزيارة للمغرب إلا مدة قصيرة (من 25 فبراير إلى 5 مارس)، لكنها كانت عبارة عن عمل مكثف أسفر عن روبورتاج شامل وغني نشرته جريدة *طيموانياج كريتيان* في عددها الصادر يوم 10 أبريل 1953، وشكل لبنة هامة ساهمت في التعريف بالقضية المغربية لدى الرأي العام الفرنسي.

وفي صيف نفس السنة، شد روبير بارا رحيله من جديد إلى المغرب لمعاينة تطور الأحداث به، وتزامنت هذه الزيارة مع الحلقات الأخيرة من المؤامرة المدبرة من طرف الإقامة العامة لعزل السلطان سيدي محمد بن يوسف. وتمكن بذلك الصحفي الفرنسي من أن يكون شاهدا عليها ومؤهلا لفضح كواليسها، دون إخفاء تعاطفه مع تطلعات الحركة الوطنية المغربية إلى الحرية والانعتاق. وقد سجل روبير بارا مشاهداته وخواطره في كتاب عبارة عن صرخة من أجل *إنصاف المغرب* Justice pour le Maroc.

إن موقف باراً تجاه القضية المغربية يدخل في إطار ذلك التيار المسيحي الليبرالي الذي يمثله على الساحة الفرنسية كل من فرانسوا مورياك وماسينيون و بلاشير. وقد ظل باراً وفيا لهذا الاتجاه ولم يتردد في أن يستلهم منه مواقفه مجددا عندما طرحت القضية الجزائرية بحدة.

R. Barrat, *Justice pour le Maroc*, Paris, Seuil, 1953 ; S. Bernard, *Le conflit franco-marocain* (1943-1956), 3 tomes, Inst. de Sociologie de l'Université Libre de Bruxelles, 1963 ; H. Bleuchot, *Les libéraux français au Maroc*, 1947-1955, Université de Provence, 1973.

جامع بيضا

**بارِّيرا**، إميلو إلُوجاندو Barrera Emilio y Lujando، جنرال إسباني ولد بمدينة بورگوس Burgos يوم 17 يناير 1869. وفي سنة 1885 التحق بالأكاديمية العسكرية وتخرج منها برتبة ملازم سنة 1889، وفي سنة 1897 نُقل إلى كوبا حيث رُقي لدرجة قبطان، وخلال وجوده بمليلية سنة 1912 رُقي إلى درجة كولونيل.

وفي أوائل سنة 1913 كان النزاع القائم بين زعيم المقاومة المسلحة الشريف مولاي أحمد الريسوني والحاكم العسكري الإسباني لناحية العرائش الجنرال سيلفيسطري Silvestre ينبئ بوقوع أحداث خطيرة في ناحية جبالة، الشيء الذي جعل الحكومة الأسبانية تتدخل بصفة مباشرة في الموضوع ومن أجل ذلك عينت الكولونيل باريرا ممثلا لها بطنجة للبحث عن الحل المناسب للنزاع.

وصل باريرا إلى طنجة يوم 11 فبراير 1913 وبعد ثلاثة أيام اجتمع مع الشريف الريسوني بمحضر الوزير الإسباني

المقيم بطنجة المركيز دي ڤيا سيندا Marqués de Villa Sinda. وفي يوم 20 من نفس الشهر انضم إليهم الجنرال سيلفيسطري Silvestre ووقع الاتفاق على أن يعود الشريف الريسوني إلى مقر عمله بأصيلا على أساس أن يزاول مهامه كعامل للمخزن بناحية جبالة دون أن يتدخل الجنرال سيلفيسطري في شؤونه، غير أنه بعد أيام قلائل اتضح للشريف الريسوني أن الجنرال المذكور ما زال يعمل من أجل عرقلة عمله بجميع الوسائل.

كان ذلك سبب مغادرة الشريف مدينة طنجة واعتصامه بقرية الزينات ثم قرية تازروت، ومنها أعلن يوم 26 جمادى الأولى 3/1331 ماي 1913 الحرب ضد إسبانيا. وبعد أيام بدأ المجاهدون يهاجمون المراكز المحتلة من طرف الجيش الإسباني في كل من ناحية جبالة والهبط، وكان في وسع الحكومة الإسبانية أن تعمل على مواجهة الموقف باستعمال القوة ولكن اندلاع الحرب العالمية الأولى فرضت عليها اللجوء إلى حل سلمي وهو التفاوض مع الشريف الريسوني، ومن أجل ذلك فكرت مرة أخرى في الكولونيل باريرا ليتولى أمر التفاوض مع الشريف بمساعدة القنصل ثوگاسطي Zugasti. وحل باريرا بطنجة في أوائل شهر فبراير 1915 حيث توجه صحبة القنصل المذكور والترجمان ثيرديرا Cerdeira إلى قرية الزينات، وهناك تم التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاقية الهدنة ليوم 28 فبراير 1915، وكلف باريرا بالسهر على مراقبة تنفيذ الاتفاقية المذكورة فكان ينتقل بين طنجة وتطوان والعرائش ومدريد إلى أواخر سنة 1916 حيث رقي لدرجة جنرال. وبطلب من الشريف الريسوني عينته الحكومة الإسبانية حاكما عسكريا بمقاطعة العرائش في شهر غشت 1916، واستمر إلى غاية 12 أبريل 1922 حيث عين كاتبا عاما بوزارة الدفاع بمدريد.

ومن سنة 1924 إلى سنة 1930 شغل باريرا منصب الحاكم العام بمقاطعة كاطالونيا، وخلال العهد الجمهوري شارك في جل المؤامرات المدبرة ضد النظام، وفي شهر يوليوز من سنة 1936 كان بجانب العسكريين الذين أطاحوا بالجمهورية الإسبانية.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، 1 : 127.67.65.

*Enciclopedia Espasa Calpe*, t. 1, p. 1349 ; C. Martinez Campos, *España bélica. El siglo XX (Marruecos)*. Madrid, 1972, p. 134,163,170,191,204,267 ; M. Rubio Cabeza, *Diccionario de la guerra civil española*. Barcelona ,1987, t.1, p. 107.

**بَارْزِينَة**، أو بَازِينَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زَالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barcena وهو اسم إحدى مدن مقاطعة سانطاندير Santander الإسبانية، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ سنة 1668/1080.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البَارُو**، أسرة. في *الديوان الإسماعيلي* : أولاد البَارُو أندلس من إشبيلية، وقد رسم في هذا المصدر بالواو آخره، وكذلك ورد في ثلاث وثائق عدلية ترجع لأواخر القرن الحادي عشر (17 م) ثم صار يرسم باسم "بارا" بألف آخره، و"بارة" بتاء آخره، ومرة بار دون زيادة بعد الراء، وبالتاء ورد عند دوزي : "وبارة إسبانية جمعها بارات : قضيب، مخصرة، عصا يحملها القضاة والسفراء وغيرهم". ويبدو أن هذه الأسرة الأندلسية انقرضت من مكناس في منتصف القرن التاسع عشر وقد عرف من هذه الأسرة :

**البارو، محمد** بن علي ونستفيد من الباقي من نسخ شهاداته العدلية أنه كان من نخبة شهود مكناس في وقته، فيأتي إمضاؤه للوثيقة سابقاً على توقيع العدل الثاني، ومعنى هذا أنه هو محرر الرسم العدلي، دون رفيقه العاطف عليه، ويعرف - الآن - ثلاث من نسخ شهاداته أعوام 1083، 1084، 1672/1086، 1673، 1675.

دوزي، *تكملة المعاجم العربية*، 229 ؛ *حوالة الأحباس الكبرى بمكناس*، خ. ع. 5 : 1/ 35، 265، 289، 360 ؛ *حوالة المساجد الصغار بمكناس*، خ. ع. 4 : ص 186 ؛ *حوالة أحباس الزوايا بمكناس*، خ، ع، 8 : ص 41 ؛ *فهرس محمد البصري*، خ.ح. 11267، وهو المصدر المعتمد في التعريف بالشيخ المهدي بارة ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 2 : 182. *الوثيقة الأصلية لبيعة السلطان عبد الرحمن بن هشام*، خ. ح ؛ *رسمان عدليان في حوزة البعض*.

محمد المنوني

**البارود**، كلمة تدل على قذيفة نارية أصبحت مستعملة ابتداء من القرن الثامن الهجري (14 م) وهي تمثل تقدماً تقنياً بالنسبة للقذائف النارية التي استعملت قبلها، مثل القذائف النفطية التي استعملت من لدن البيزنطيين ثم المسلمين في حروبهم مع الصليبيين والمغول. وكانت توجه من أنبوب نحاسي يدعى النفاط أو المكحلة أو بواسطة قوارير.

ثم اكتشفت في الصين فوائد ملح البارود الذي انتقل إلى البلاد الإسلامية وأطلقت عليه أسماء أخرى مثل ثلج

الصين ونفط. ولم يطلق عليه اسم البارود المستعمل اليوم إلا في القرن الخامس عشر بالأندلس، حيث أصبح النفط يدل على اسم المدفع والنفاط، هو المكلف بالقذف بالمدفع، وانتشر بعد ذلك استعمال كلمة بارود في مجموع العالم العربي بهذا المعنى. لكن أصل الكلمة في حد ذاتها مازال غامضاً ويدفع إلى عدة فرضيات.

متى استعملت قذائف البارود في المغرب ؟ إذا رجعنا إلى المصادر نجد أن استعماله يرجع إلى القرن السابع (13م) في عهد السلطان يعقوب المريني حينما هاجم سجلماسة سنة 672 / 1274. «فنازلها وقد حشد إليها أهل المغرب أجمع، من زناتة والعرب والبربر وكافة الجنود والعساكر. ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانه أمام النار الموقدة في البارود، بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة باريها» (*العبر*، 7 : 388).

وكلام ابن خلدون فيه إشارة ضمنية إلى المفاجأة التي أحدثها استعمال ذلك السلاح، كما يدل على مساهمة المغرب المبكرة في صنعه واستعماله. وبرغم بعض الاعتراضات التي أثيرت حول رواية ابن خلدون، فليس هنالك ما يدعو إلى الشك فيها، سيما إذا اعتبرنا التحري الذي عرف به هذا المؤلف.

وظهرت بعد ذلك أسلحة البارود بالأندلس، إذ نجد ابن الخطيب يذكر في حوادث عام 724 / 1324 أن السلطان إسماعيل بن فرج النصري قصد بلاد العدو ونازل حصن إشكر، «فأخذ بمخنقه، ونشر الحرب عليه، ورمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة حديد محماة طاق البرج المنيع من معقله، فاندفعت يتطاير شررها، واستقرت بين محصوريه، فعاثت عياث الصواعق السماوية، فألقى الله الرعب في قلوبهم». (*الإحاطة*، 1 : 390) وانتشرت أسلحة البارود بعد ذلك، إذ نجدها مستعملة من لدن العدوين في الأندلس، أثناء القرن الخامس عشر. فالنصارى يستعملونها للهجوم والمسلمون للدفاع من وراء حصونهم وأبراجهم.

وشاع استعمال البارود، بصورة ملحوظة في عهد الوطاسيين والسعديين. وكان لأحد المغاربة فضل في تقديم أول بندقية للسلطان المملوكي قانصوه الغوري (906 - 922 / 1500 - 1516) أي في أيام الوطاسيين الذين استعملوا الأسلحة النارية والبارود في مواجهتهم للهجمات البرتغالية على شواطئ المغرب. ويشير الحسن الوزان إلى الموضوع، ذاكراً أن ملك فاس، ويعني به العاهل الوطاسي، كان يتصرف «بكيفية مستمرة في ستة آلاف من الفرسان الراتبين، وخمسمائة من القذافين، وخمسمائة من حملة البنادق، كلهم راكبون في تشكيلة منتظمة دائما، متأهبون لتنفيذ جميع الأوامر الملكية» (*وصف إفريقيا*، 289).

وفي عهد السعديين، تطور الجيش المغربي في نظامه وتسليحه، مستفيدا من العثمانيين ومن الإسبانيين. وبما أن الدولة نشأت من أجل الجهاد وإنقاذ المغرب من الاحتلال الأجنبي، فقد أصبح لزاما عليها أن تعمل على التساوي مع تلك الدول في تجهيز جيشها وأن لا تتخلف عن ركبهم. وهذا ما يفسر الانتصارات الكبرى التي أحرزوها على أعدائهم طوال القرن السادس عشر.

وقد أظهر بعض العلماء المسلمين آنذاك اهتمامهم بتقوية الجيش المغربي وتزويده بالأسلحة النارية. فهذا العالم الأندلسي الملتجئ إلى المغرب حيث أمضى فيه ثمانياً وثلاثين سنة من حياته، الشهاب أحمد الحجري ترجم كتابا عن اللغة الإسبانية، وضع له هذا العنوان الذي لا تخفى دلالته *كتاب العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع*. والكتاب يشتمل على مقدمة وخمسين باباً وخاتمة، وهو ما يزال مخطوطاً في نسخ متعددة. وفيما يخص البارود، ذكر أن اختراعه وقع سنة 768 / 1366 وأن الأسلحة النارية التي استعملت قبل هذا التاريخ، إنما كانت حيلا على وجوه عديدة.

وتشير عدد من المصادر الأوروبية إلى كون المغرب أصبح، آنذاك، مجهزاً بالأسلحة من كل نوع وأن الحرس السلطاني، الذي يتجاوز عدده ثلاثة آلاف جندي، كان مجهزاً ببندقيات من عيار واسع تقذف برصاصات أضخم من رصاصات البنادق العادية. وكل رام كان يحمل معه خمسين رصاصة ورطلين من البارود. لكن الملوك السعديين كانوا، في نفس الوقت، يتخوفون من انتشار أسلحة البارود بين الرعية، اتقاء لما يمكن أن ينجم عن ذلك من ثورات. لذلك لم يكونوا يزودون بها إلا العناصر التي يثقون بولائها مثل قبيلة إيلالن من لف جزولة بالأطلس الصغير الذين كان يتألف منهم الحرس المحيط بالملك، وبعض الأتراك والعلوج والموريسكيين والعبيد. وفي رسالة وجهها المنصور الذهبي إلى ولي عهد المامون سنة 1602، نجد مثل هذا التخوف، إذ يقول له في آخرها :

"ومن جملة من نحذرك من استخدامه في الرماة أهل الجبال من أهل الصحفة والدينار، فلا تستخدم منهم أحدا. وإلا فاعلموا أنكم ما أردتم أن يعطوا لكم حينئذ ولا أن يغرموا لكم بعد شيئا. وإذا أردتم الخدمة فهاهم أهل هذه البلاد مثل أهل سوس وأهل درعة وأهل مراكش. فكل ما تستخدمون من هؤلاء فلا عليكم" (*نزهة*، 178).

وقد أمكن للسعديين أن يتصدوا لصناعة المدافع على نطاق واسع إثر اكتشافهم لمعدن النحاس في دمسيرة بالأطلس الكبير. كما أقاموا مصنعا للبارود بمراكش سنة 1558 بلغ إنتاجه ستة عشر قنطارا من البارود في كل شهر. كما كان يوجد مصنع مماثل بفاس.

وفي القرن السابع عشر، إثر وفاة المنصور وحدوث الشقاق داخل الأسرة المالكة، انتشرت الأسلحة النارية بين السكان في الحواضر والبوادي ولم تبق حكراً على المخزن وحده. فنجم عن ذلك ظهور حالة من الانقسام والفوضى بالبلاد، وأصبحت بعض القبائل الجبلية تنزع إلى العصيان متكلة على أسلحتها النارية. ولعل ظاهرة السيبة بدأت منذ ذلك العهد.

فنرى الدولة العلوية منذ قيامها في الثلث الأخير من القرن السابع عشر وهي تعمل جاهدة على إنهاء الفوضى وجمع الكلمة. وقد كان للسلطان مولاي إسماعيل دور بارز في هذا الباب، إذ إنه أقام جهازاً عسكرياً ضخما. ويكفي أن نشير هنا إلى أن صناعة المكاحل توسعت في البلاد. ومن جملة المراكز التي اضطلعت بهاته المهمة نذكر سوس وتطوان وتاغزوت. واشتهر من بين هاته المكاحل نوعان : بوشفر وبوحبة، وهما من صنع محلي. على أن الأسلحة النارية من صنع أجنبي بدأت، هي الأخرى، ترد على المغرب وتدعى بأسماء محرفة عن اللغات الأجنبية مثل كابوس ومشكيط وشكوبيطة وكلاطة وشاسبو الخ...

استطاع المغرب أن يعتز بجيشه وسلاحه ويحافظ على هيبته إلى أواسط القرن الماضي. لكنه لم يستطع مسايرة التطور التقني السريع الذي دخل على الصناعة الحربية ومكن الدول الأوروبية الكبرى من التفوق العسكري على دول إفريقيا وآسيا. وهذا ما فتح لها بابا الاستعمار على مصراعيه ومكنها من فرض سيطرتها على العالم. وقد وضع المغرب في امتحان عسير من هذه الناحية أثناء القرن التاسع عشر فتكبد جيشه أول هزيمة أمام الجيش الفرنسي في معركة إسلي، وبعد ذلك بسنوات معدودة تكبد هزيمة ثانية أمام الجيش الإسباني في حرب تطوان.

كان المغرب كما رأينا من السباقين إلى استعمال البارود وبناء قوة عسكرية احتفظت بحرمتها وهيبتها طوال قرون. لكن الجمود الفكري والاقتصادي الذي أصاب المغرب مع بقية العالم الإسلامي جعله في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين يتخلى عن المجهود العلمي والتقني الضروري في ميدان الحرب ويتخلف عن ركب الدول المتقدمة.


ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت 1968 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، القاهرة، 1973 ؛ *اللمحة البدرية*، القاهرة، 1347 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ، بيروت، 1983 ؛ أ. الحجري، *كتاب العز والمنافع*، للمجاهدين بالمدافع، مخطوط ؛ ك. مارمول، *افريقيا* ، 1988 ؛ م. الإفراني، *نزهة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. المنوني، *ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي*، *دعوة الحق* 10 / 3.

*A.M.* XI, IV, XVII, XX.


محمد زنيبر

**البارود**، يُطلق على الحرب وعلى الصراعات القبلية التي كانت تقع بين القبائل في مرحلة ما قبل الحماية.

كانت حالة البارود في الماضي حالة عادية لدى هذه القبائل، بحيث كانت تنشأ الصراعات على جميع مستويات الانقسام : بين الدواوير وبين الأفخاد وبين القبائل وبين التحالفات القبلية. إلا أن الصراعات التي كانت تعتبر بارودا، أي حربا حقيقية هي تلك التي تحدث بين القبائل أو بين التحالفات القبلية.

إن أسباب نشوب البارود متعددة منها : القتل، أو السرقة أو الامتناع عن رد المسروقات، أو النزاعات حول الأرض أو المراعي، أو وقوع «النفرة» في السوق، أو عدم الالتزام بواجبات المزراگ، أو نقض عهد التاطا، (Querleux : 47) ويمكن أن نميز بين نوعين من الصراعات التي تخوض فيها القبائل مغامرة البارود :

1 ـ صراعات قد نسميها طقوسية تتميز بالظرفية وبالتكرار وتقع على مستوى داخلي أي داخل القبيلة (بين الدواوير أو بين الأفخاد) أو داخل التحالف القبلي. في هذا النوع لا تفجر كل الطاقات العنفية الممكنة، وإنما هدفها هو إبراز القوة وتهديد الخصم، وتتوقف ببلوغ هدفها لتتكرر من جديد في مناسبة أخرى.

2 ـ الصراعات التي تكون على مستوى واسع، أي عندما يستهدف تحالف قبليّ آخر. يحدث البارود على هذا المستوى عندما يوجد عداء مستمر بين قبيلتين حول المراعي أو الغابة، كما كان الشأن بالنسبة لصراع زمور مع بني حسن. يتميز البارود هنا بالشراسة والحدة إذ يتم الهجوم على الدواوير، وتحرق الخيام وتختطف رؤوس الماشية ويستخرج الزرع المخزون، وتُجبر القبيلة عدوها على الفرار من مجالها قصد احتلاله، (Querleux : 49) في هذه الحالة تتشكل الأحلاف على مستوى أوسع (بين التحالفات القبلية) وهو ما يسمى «بالخاوة في البارود» كالتحالف الذي يقع بين قبائل بربرية كزمور وزيان وبني مگيلد ضد قبائل عربية كزعير وبني حسن والسهول (Leguay : 45).

تعتبر المشاركة في البارود مقياسا للشجاعة عند هذه القبائل. فكل ذكر بلغ سن الرشد ينضم إلى الرماة. وفي أوقات السلم يتم تنظيم الرماة استعداداً للبارود. إن تنظيم الرماة يضمّ أغلبية الرجال والشباب القادرين على حمل السلاح. ويخضع هذا التنظيم لتداريب مستمرة، كالركوب على الخيل والرمي بالرصاص على ظهر الجواد. ويشرف على هذه التداريب «شيخ الرَّمى» أو «مقدم الرماة» تكون مهمته هي تدريب الرماة والفصل بينهم إذا وقع نزاع وجمع التبرعات من أجل تموين الرماة الذين سيشاركون في البارود. وتبقى مهمة التموين هذه على عاتق العائلات في كل دوار. فعندما يتشكل مخيم الرماة (المسمى بالبربرية تزلمالت) تتقدم كل أسرة بنصيبها من المؤونة (Querleux :23).

عندما تعزم قبيلة ما على البارود يتم الإعلان عن ذلك في السوق لكي يسمع كل أفراد القبيلة الخبر، فيجتمع الأعيان (إجماعن) ويتم اختيار رؤساء الحرب (إمغارن نالبارود) يتكلفون بتنظيم المحاربين مع تسليحهم وتزويدهم بالخيول. كما يتكلفون بحث العائلات التي لها امكانيات مادية، على شراء «مكحلة» وفرس والعتاد اللازم للرماة (Querleux : 48).

يختاركل دوار أمغارالبارود من بين الرجال المعروفين بإقدامهم وشجاعتهم ومعرفتهم بشؤون الحرب، وتنتهي مهمته بانتهاء البارود بحيث يصبح بعد ذلك مجرد عضو في الجماعة.

لا تكون الحرب مباغتة في غالب الأحيان . وإنما ترسل القبيلة «رقاصا» لكي يخبر القبيلة (العدو) بالأمر لكي يستعد الجميع. والحرب المباغتة منبودة لأنها تعتبر بمثابة غدر.

فبمجرد أن تعلن قبيلة البارود ضد أخرى تتشكل الأحلاف تبعا لطقوس معينة. فعند زمور يقدم ممثلو القبيلة المحاربة كرمز علني للتعهد بالمؤازرة. وتعتبر فترة البارود مناسبة لخلق أحلاف وفسخ أخرى.

عندما تصادف حالة البارود وقت الحرث أو الحصاد يتفق الطرفان على إيقاف النار لمدة معينة قصد التفرغ للأشغال الفلاحية. وخلال هذه المدة يحترم كل طرف الهدنة. وبعد انتهائها يعود البارود من جديد (Querleux : 48). وعندما ينهزم فريق وتتعذر عليه متابعة القتال، يتقدم بأضحيته لقبيلة محايدة أو للشرفاء لكي يقوموا بدور التحكيم والمصالحة. فتؤدي الفدية (الدية) و تنطلق مدة "الهنا". وفي الحالات التي لا تكون فيها هزيمة في جانب ما يلجأ الطرفان إلى إبرام عقد يسمى "إسي" لإيقاف البارود. وتقابل الكلمة البربرية "إسي" كلمة "الرفود" بالعربية (بمعنى الوضع أي وضع الأسلحة بعد أن يقع تحمل تبعات الخلاف). ويقتضى "إسي" أو "الرفود" التعهد بإنهاء البارود مع تحديد شروط السلم. ويتم هذا العقد عبر طقس معين. يجتمع أعيان الطرفين ويتبادلان "الرزة" أو "السلهام" كرمز على الالتزام بعقد الهدنة (Bruno et Bousquet, 368) ويعين ما يسمى بـ "إماسين" بالبربرية أو "الرفادة " بالعربية من الطرفين تكون مهمتهم الحرص على احترام إسي (الرفود). وخلال فترة "إسي" تفتح الأسواق والمراعي وتعقد شركة الحرث والرعي وغيرها من الأنشطة الاقتصادية (Leguay : 49).

وفي حالة ما إذا نقض أحدهم العهد يعيد "السلهام" أو "الرزة" للطرف الآخر وتسمى هذه العملية ترريت (من الفعل البربري إرى بمعنى أرجع)،وبعدها يصبح الكل يعلم بأن مرحلة البارود قد بدأت من جديد (Bruno et Bousquet : 368).

كانت القبائل حريصة على أن يكون السوق خارج كل صراع، لأن الأمن في السوق هو شيء ضروري لمزاولة المبادلات التجارية. كانت هناك أعراف لمراقبة الأمن في السوق لكي لا يكتسحه البارود، ويعمل الرفادة أو إماسين على تطبيقها. إلا أن الهدوء الظاهري في السوق كان دائما يخفي صراعات باطنية تتربص كل مناسبة للانفجار. تهدد حركة السوق تلك الفوضى المباغتة التي تستولي عليه والمسماة بالنفرة أو (بالبربرية تافراوت). ووقوع النفرة في السوق هي بداية لمرحلة البارود (Benet : 203).

أما فيما يخص توزيع الغنائم فيما بين المحاربين بعد الانتهاء من البارود، فيميز Surdon بين نوعين من الحروب وبالتالي بين طريقتين في توزيع الغنائم.

1 ـ النوع الأول هو الحرب التي تكون بين قبيلة و قبيلة أخرى من أجل الدفاع عن المراعي أو من أجل الرغبة في الاستحواذ على جزء منها، وهي الحرب التي يسميها البربر"البارود نْقْبلْت" في هذه الحالة يكون جل ماغنمه المحارب ملكاً له، إلا أنه عمليا يعطي جزءا منه للأعيان. وفي حالات أخرى، يتم الاتفاق منذ بداية البارود بين بعض المحاربين على اقتسام الربح و الخسارة. وفي هذه الحالة يُقسم كل ما غنمه المحارب على الجميع، وتسمى هذه الشركة عند البربر ب "تفركانت".

2 ـ النوع الثاني من الحروب هو ما يسمونه بالحركة (الحَرْكْت) وهي حرب يكون هدفها الهجوم على قبائل أجنبية يعين على رأسها أمغار (أمغار نْالحركت)، وفي هذه الحالة تجمع الغنائم التي يحصل عليها كل واحد ليعاد توزيعها على الجميع. إلا أن أمغار يأخذ قسطا أكبر من نصيب المحاربين الآخرين (Surdon : 49-95).

تحول البارود مع التدخل الاستعماري من حرب بين القبائل إلى آلية من آليات التكتل ضد المستعمر. بل وظفت الأحلاف التي خلفها البارود من أجل مقاومة التدخل الاستعماري في القبائل، يقر S. Guennoun بأن قبائل أيت أمالو في الأطلس المتوسط تحالفوا تحت قيادة القائد موحا أُحمو الزياني لمقاومة زحف الفرنسيين أثناء عملية "التهدئة"، إذ أصبح البارود ضد النصارى (إرُومينْ) عندهم نوعا من الجهاد.

كان البارود عند القبائل البربرية حاضرا عبر رموزه المتداولة في أوقات السلم، إذ نجد له أثرا في الكلمات والأشياء. تتجلى المكانة التي يحتلها البارود في الأهمية التي يحظى بها الرماة. ففي أوقات السلم يصبح هؤلاء صيادين بارعين في قنص الحيوانات ؛ والصيد عند القبائل هو نشاط يهيئ للحرب. وخارج فترات البارود يقوم الرماة بدور التحكيم في النزاعات التي تنشأ بين الناس. وبقيامهم بهذه الوظيفة يكتسبون مكانة مرموقة في القبيلة.

كما نجد أثراً للبارود في وجود ما يسمّى "عبيدات الرّمى" (عبيد الرماة) وهم فرقة تتجول من دوار إلى دوار للترفيه عن الناس وتقوم بألعاب بهلوانية تضحكهم. وتدل كلمة عبيدات الرّمى على المكانة الاجتماعية المهمة التي يحتلها الرماة.

تستمر الحرب على المستوى الرمزي في أوقات السلم عبر لعب الخيل أو "لعب البارود" المسمى أحيانا "التحراك" (من حرك وحركة)، بحيث تستعرض فيه بسالة الرجال، وجمال الخيل و السروج وأناقة "المكاحل". ففي غياب البارود الفعلي الذي تجند فيه الطاقات العنفية، يبقى البارود الرمزي حاضرا في أوقات المزاح واللهو عبر الاستعراض المستمر لرموزه.وربما لم يبق منه في عصرنا الحديث، الذي غابت فيه دوافع البارود، إلا ذلك الأثر وتلك الرموز.

Leguay, *Le Pays des Zemmour et des Zaer*, 1887, Archives de Vincennes, Paris, No du carton 3H5 ; Querleux, *Les Zemmour*, *A. B*. p. 12-61 ; Abes, *Monographie d'une tribu berbére : les Ait N'dir (Beni Mtir)*, *A. B*. vol, 2, fasc, 2, 1917, p 148-194 ; Ben Daoud, *Notes sur le pays Zaian*, *A. B*. 1917, p.278-306 ; G. Surdon, *Esquisses de droit coutumier berbère marocain*, Rabat, 1928; S. Guennoun, *Les Oumalou et le pays Zaian*, *R. C*, 1928 ; Bruno et Bousquet, *Contribution à l'étude des pactes de protection et d'alliance chez les berbéres du Maroc Central*, *Hesp*. 33, 1946, p. 353-370 ; Francisco Benet, *Explosive Markets: The Berber Highlands*, in Karll Polanyi, Conrad Arensberg and harry W. Pearson, *Trade and Market in the Early Empires*. Gateway, Ed, 1957, p. 187-217.

رحمة بورقية

**البارودي**، أسرة سلوية انتقل بعض أفرادها إلى الرباط ومراكش. وهي تنتمي إلى صنهاجة الجنوب بناحية أيت باعمران. اشتهر منهم :

**البارودي**، أحمد بن أحمد بن عبدالرحمان. كان أستاذاً فقيهاً موثقاً حيسوبياً، اشتغل بالتعليم ونساخة الكتب قبل أن يوظف مع المخزن كمراقب في مراسي الجنوب، فاستقر لذلك مدة بمدينة مراكش، فكان يخرج منها إلى الصويرة وأسفي وغيرهما للسهر على ضبط حساب المداخيل وتوثيقها قبل تقديمها لأمين الأمناء.

تزوج أولاً بسلا من ابنة عمه فلم تنجب، فتزوج ثانياً بأمة مالية أنجبت له محمد البارودي الموسيقي الشهير. وفي الخزانة العلمية الصبيحية بسلا كتاب منتسخ بخطه هو شرح *الحكم العطائية* لعبد الله بن حجازي الشرقاوي (ت 1227 هـ)، انتهى من نسخه بخطه في 9 شوال عام 1301.

م. حجي، *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*، 275 ؛ م. بن أبي بكر الصبيحي، كناش، مخطوط، خ. ص ؛ م. بوشعراء، *ملحق الإتحاف الوجيز*، 153.

**البارودي، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن**. عالم أديب، شاعر ناثر، ضليع في اللغة وقواعدها، متمكن في الفقه والسير. ولد بمدينة سلا في حدود 1863/1280 وبها درس على أخيه الأكبر محمد المعروف بالوليّ آتي الترجمة، وعلى الفقيه محمد بوعلّو بالزاوية العيساوية، وعلى المؤرخ أحمد بن خالد الناصري بالزاوية الناصرية. ثم صحب أخاه أحمد المترجم قبله إلى مراكش فأخذ بها على الشيخ الصوفي محمد النّور، وعلى يده تخرج في التفسير والعلوم الشرعية وأخذ الطريقة التجانية.

رجع محمد البارودي إلى مسقط رأسه بعد موت أخيه وشيخه محمد الولي فخلفه في كُتّابه يُعلّم الصبيان القرآن العظيم، ويدرِّس بمسجد مجاور للكتّاب مبادئ النحو والفقه لعموم الطلاب. كما كان يلقّن في نفس الوقت مبادئ العلوم لأبناء عامل سلا الحاج الطيب الصبيحي وأبناء أقاربه بمسجد سيدي الحاج عبدالله من حومة باب حساين. ومن بين الآخذين عنه محمد بن الطيب الصبيحي الذي سيصبح عالماً مرموقاً وعاملاً للمدينة، وأحمد بن محمد الصبيحي الأستاذ الأديب اللغوي الشهير.

وفي أوائل عهد الحماية أصبح محمد البارودي كاتباً خاصاً لباشا الرباط السيد الصديق برگاش ثم خلفه عبدالرحمان برگاش، فلم يصرفه ذلك عن التدريس. وكان أكثر إقرائه في الزاوية التجانية بسلا. وفيها قرأت عليه في الأربعينيات *مختصر الشيخ خليل*، و *همزية البوصيري*، و*كنت القارىء (السارد)* بين يديه. كما قرأت عليه بمسجد الزرقاء القريب من دار سكناه بحي زناتة، *ألفية ابن مالك*.

كانت دروسه - رحمه الله - ممتعة، يحسن الشرح ويجيد التفهيم، يضرب الأمثال ويذكر أخبار الصالحين. كما كان حسن المنظر والمظهر والصوت وكأنه أُعطي مزماراً من مزامير آل داود. حضرت سنين عديدة قراءته للمولد الشريف بالزاوية التجانية بسلا صبيحة عيدالمولد، وبضريح سيدي العربي بن السايح بالرباط صبيحة سابع المولد، فكان آية الآيات فصاحة وحلاوة نغمة ومحبةً بالغة في الجناب النبوي الكريم، وكذلك كانت قراءته في الصلاة غاية في التجويد والترتيل بصوته الشجي، إذ كان إمام الزاوية في الأوقات التي يلقي فيها الدروس.

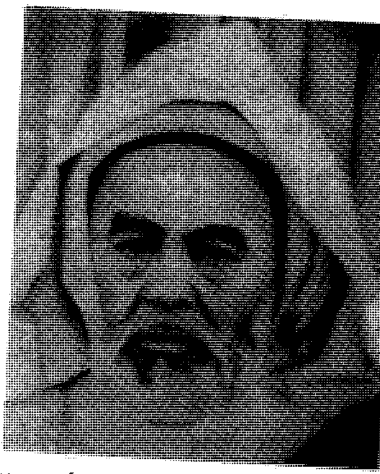

حج أكثر من مرة، وزار عدداً من الأقطار الافريقية والأسيوية والأوربية، وقضى سنوات بفرنسا إماماً وخطيباً بمسجد باريز، وفيه عقد قران الأغاخان بالممثلة ريتا هيوارث. وكان، على تصوفه ونسكه، متفتح الذهن متتبعاً الأحداث السياسية، يحصل بشتى الوسائل على الصحف والمجلات الشرقية فيما بين الحربين العالميتين رغم الحظر الاستعماري، ويشجع الوطنيين الشباب ويوقع معهم عرائض استنكار الظهير البربري والضرائب المفروضة على الحرفيين وانتشار الخمارات في أحياء المسلمين وغيرها.

كان شاعراً ينظم القصائد بالفصيح والملحون، ويجمع ذلك في *ديوان* يعد اليوم في حكم المفقود، مثل كنانيشه الأربعة التي كان يسجل فيها تراجم شيوخه وأحداث عصره وفوائد قراءاته ومراسلاته ومذاكراته وفتاواه. علاوة على السجلات الكبرى المحررة بخطه في المحكمة الباشوية بالرباط. وله تعاليق على *موضح ابن هشام*، ولامية *الشاطبي*، وشرح *ميارة للمرشد المعين*.

توفي - رحمه الله - بسلا فجر سادس عشر ربيع الثاني عام 20/1376 نونبر 1956 عن نحو سبع وتسعين سنة، ودفن خارج باب معلقة بجوار مشهد بوعشرين.

معلومات شخصية ؛ رواية شفوية عن ابنه الأستاذ الحبيب البارودي؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 :101.99 ؛ ع. بنعبدالله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق*، 82 ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكريات*، 1.

**البارودي، محمد** بن **أحمد المعروف بالوليّ**. أستاذ فقيه مدرس نفاع. كان يحفظ القرآن بالقراآت السبع، ويعلّم الصبيان في كتاب يحمل اسمه حتى اليوم بحومة الصفّ (مسيد الفقيه البارودي). كما كان يقوم بتلقين مبادىء العربية والدين في مسجد قريب من الكتّاب مداوماً لا ينقطع عن التدريس حسبما جاء في *وثيقة بيان مَن بسلا من الفقهاء المدرسين* مكتوبة قبل سنة 1886/1279، (*التعريف*، 2 : 57) حيث عُدّ فيها من الطبقة الأولى للفقهاء الملازمين للتدريس. وسبب اشتهاره بلقب "الوليّ" أنه كان، إلى نسكه وورعه، حيياً مطرقاً لايكاد يرفع عينيه عن الأرض ومازال حتى اليوم الزنقة التي كان يسكن بها قرب حمام باب سبتة تسمى زنقة البارودي.

توفي في حدود 1290 / 1873.

*رواية شفوية* عن الأستاذ الحبيب البارودي ؛ م. بوشعراء، *ملحق الاتحاف الوجيز*، 135 ؛ التعريف *ببني سعيد السلويين*، 2 : 57، 276،142..

محمد حجي

**البارودي، محمد** بن **أحمد الموسيقي** الشهير. ولد بسلا سنة 1898 من أسرة تسلسل فيها التعليم، غير أنه اجتذبه فن الطرب وهو في ريعان الشباب، فكان يستمع لعزف موازين من الآلة من جوق سلا الذي كان يسيره المعلم العربي بوعبيد. ولما لم يشجعه المجتمع السلاوي المحافظ على تحقيق رغبته، اتجه إلى طنجة حيث اعتاد الناس حرية أكثر، نظراً لاختلاطها بالأجانب، فتلقى هنالك أول دروسه ثم تحول إلى العرائش، حيث اتصل بجوق الآلة هنالك، وأخذ مبادئ العزف على مختلف الآلات، وبالخصوص الكمان الذي أمسكه لأول مرة وتردب عليه تدريباً صحيحاً.

ومن هنالك انتقل إلى وزان، حيث اشتهرت أسرة الشرفاء الوزانيين بالإقبال على الآلة والسماع وتجشيعهم للحفاظ والمطربين وإقامتهم لحفلات متعددة من الطرب الأندلسي، فاستفاد كثيراً من إقامته بتلك المدينة، ولازم جماعات المادحين وأخذ عنهم القصائد والأشعار. لكنه لم ينس مسقط رأسه، إذ كان يعود إليه الفينة بعد الفينة ويخالط جوق المعلم بوعبيد وقد أصبح يتقن العزف على الكمان. فإذا عاوده الحنين إلى الجولة الفنية حمل آلته وقضى وقتا بالعرائش، وطنجة، ثم بوزان.

وهكذا أتم تكوينه الموسيقي على يد أساتذة مختلفين وفي مدن متعددة. لكن يجب أن نذكر معلمه الأول العربي بوعبيد، إلى جانب المعلم أحمد زنيبر المعروف بالبراعة في العزف على الكمان من صنف الالطو الذي ترأس في آخر عمره جوق الميتم بالدار البيضاء.

ولما أتم محمد البارودي تكوينه استقر بمدينة سلا وانضم إلى جوق المعلم بوعبيد، وكان له الحظ في اقتناء كمان جيد صنع بإيطاليا سنة 1721 كما هو مذكور في الطابع الرسمي المثبت بداخله.

ولما توفي المعلم بوعبيد، أسندت رياسة الجوق إلى البارودي وأصبح يحمل اسم جوق البارودي. وسرعان ما ارتفع شأن ذلك الجوق بفضل براعته في تسييره وإتقانه للعزف على الكمان. فكان مطلوباً في كل الحفلات العائلية والعمومية وفي المواسم والأعياد بمدينة سلا. واضطر إلى تكثير عدد أفراد الجوق بإضافة حفاظ ومنشدين وعازفين، وأصبح حضوره في تلك الاحتفالات المختلفة هو الذي يجذب المدعوين ويحقق الإقبال عليها.

ومع المزيد من الشهرة بدأ البارودي يُدعى لإقامة حفلات خارج سلا بعدد من المدن المغربية، ويشارك كعازف ممتاز على الكمان في أجواق الآلة الكبرى بفاس والرباط وغيرهما من الحواضر المغربية. وشارك في المؤتمر الثاني للموسيقى العربية الذي أقيم بالبطحاء بفاس سنة 1939 فبرهن عن إتفانه لطرب الآلة، وبهر الحاضرين بطريقة عزفه واستلفت أنظار المشاركين ما بين مشارقة ومغاربة. وفي سنة 1946، دُعي البارودي وجوقه للإذاعة المغربية ليقدم سهرات أسبوعية من طرب الآلة. وعند حلول شهر رمضان، كان يقدم ثلاث سهرات في كل أسبوع. فكانت له فرصة أكبر للتعريف بفنه لدى الجمهور الواسع. وربما قدم حفلة مشتركة مع جوق الرباط في الإذاعة المغربية.

ونظراً لما ناله البارودي من إقبال وشهرة وتوارد الهواة عليه من كل جهة، أسس مقهى بلديا بساحة سوق الغزل بسلا "قهوة البارودي" حيث كان يلتقي الهواة بآلاتهم وأصواتهم في أمسيات فنية تحتوي على الطرب الأندلسي

والملحون والغرناطي، فيغص المقهى بالزبناء. كما يأتي إليه جملة من المطربين المعروفين اليوم، والذين كانوا شباباً في ذلك الوقت مثل أحمد البيضاوي، وعبد النبي الجراري، وعبد القادر الراشدي، ومحمد بن عبد السلام. وفي نفس الوقت، كان يجتذب إليه أنظار الشيوخ مثل البريهي والمطيري، والأقران مثل عبد الكريم الرايس وأحمد الوكيلي وامبيركو، والحسين السلاوي الخ.

ما الذي جعل البارودي ينال كل هاته الشهرة والحظوة عند الجمهور المغربي ؟ لقد تميز، أولا، كرئيس جوق يسير جماعته بكامل السلطة، لكن بدون عجرفة أو إهانة، بل كان يعامل أفراد جوقه كأصدقاء يحبهم ويعطف عليهم ويصارحهم بصراحة الأستاذ الذي يحتد في بعض الأحيان بقصد الإرشاد والنصح والغيرة على الفن. لذلك ظلوا ملتفين حوله، أوفياء له إلى آخر حياته. ولما توفي لم يجدوا لهم رئيساً مماثلا يجمع شملهم ويسيرهم.

وتميز، ثانياً، كعازف ماهر على الكمان مما جعل الكثير من المطربين يمنحونه الدرجة الأولى بين الكمانجية الموجودين بالمغرب. فقد بلغ أعلى درجة في العزف على هاته الآلة من حيث الخفة في الأداء، وتوليد الألحان وإتقان الجواب على التواشيح الأندلسية وأداء التواشي والأهازيج الخفيفة والانصرافات. وكما جاء في الترجمة المكتوبة الوحيدة التي وجدت له، وهي الواردة في الكتيب المعنون *ملتقى البارودي الأول بسلا*، فقد كان يترك أفراد الجوق في العزف العادي للنوبة الموسيقية، وينفرد بتمويجات وتزويقات تنبعث من القوس والأوتار من يديه الذهبيتين وسط تصفيقات السامعين والمعجبين، ثم يعود بأوتاره آخر الأمر إلى الانسجام التام مع عزف أفراد جوقه، فيتكرر التصفيق (ص 16) وهو بذلك يتجه إلى خلق موع من الهارمونيا داخل الآلة، بصورة فطرية وتلقيائية، ويمكن أن يستفيد منه أصحاب الآلة، من هاته الناحية.

ومن جملة ما تميز به البارودي، أيضاً، صنعه للأوتار بنفسه وإصلاح آلات العزف بيده، وتمكنه من اللعب على مختلف الآلات، وبالخصوص السويسدي الذي كان يظهر فيه مهارته للخاصة من أصدقائه.

لم يتوقف البارودي عن نشاطه الفني، وظل نجمه في صعود إلى أن وافاه الأجل المحترم، وهو في حمة سيد حرازم قرب فاس سنة 1951 في سن لا تعدو ثلاثا وخمسين سنة. ولا شك أنه أنفق كثيراً من جهده وصحته في خدمة فنه، وهذا ما جعله لا يعمر طويلا. وعلى أي، فقد ترك موته حزناً عميقاً في كل الأوساط الفنية، واحتُفل بجنازته في فاس حيث دفن بروضة باب فتوح، وكذلك بسلا حيث أقيمت حفلة تأبين شارك فيها الأدباء وأجواق الموسيقى الأندلسية، وكان يوماً مشهوداً بالمدينة.

ص. الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، 1977 ؛ ع. بن منصور، *مجموع أزجال وتواشيح*، 1977 ؛ *ملتقى البارودي الأول بسلا*، ط. الدار البيضاء ؛ *روايات شفوية*.

محمد زنيبر

**البارودية** . خليط معادن . ← **كبريت**

**بَاريتين** Barytine أو بارتيت : كلمة أصلها إغريقي من باروس بمعنى ثقيل، سلفات الباريوم BaSO4، شكله معيني مستقيم، صلابته 3 ـ 3.5 ؛ كثافته 4.48 ؛ عادةً لونه أبيض، وأحيانا يوجد بألوان مختلفة كالأخضر والأصفر، والأحمر والأصفر الأصْهَب، والأزرق، والأسمر ؛ لمعانه زجاجي، أحيانا رخوي على بعض الوجوه البلورية.

غالبا ما تتجمع بلورات الباريتين على شكل كتل مُصفحة، مُصمَتة محببة أو مقممة. تتمركز الباريتين في العروق الحرمائية وفي سوائب العروق المعدنية مجتمعة إلى الفضة (Ag)، النحاس (Cu)، الرصاص (Pb)، الكوبالت (Co)، المنغنيز (Mn) وكذلك في الصخورالرسوبية.

من أهم مكامن الباريتين بالمغرب :

ـ منطقة جبل إيغود (الجهة الغربية للجبيلات) وقد أعطت أكبر كمية من البارتين.

ـ منطقة زَلْو (الأطلس الكبير الشرقي) وتمثل أكبركمية من مدخرات الباريتين المعروفة بالمغرب.

ـ مناطق أخرى معروفة، وخاصة في الأطلس الكبير الأوسط (تاسوت)، وجنوب وجدة (گنفودة) والمغرب الأوسط.

تستعمل كبريتيات الباريوم في صناعة الألوان البيضاء، وأوحال التنقيب، وتحلية مياه المراجل، والاجرام لتغطية قوقع المسابك، وفي الميدان الطبي وخاصة في التصوير الإشعاعي للمعدة.

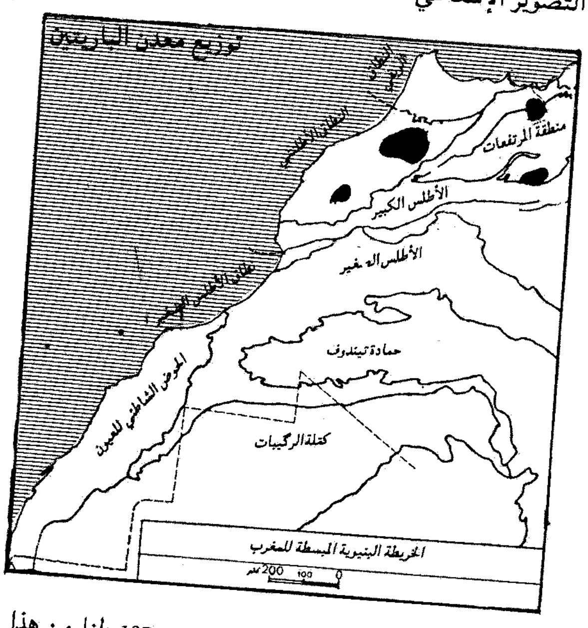


أنتج المغرب سنة 1976 ما يزيد عن 137.463 طنا من هذا المعدن وصدَّرحوالي 119251 طنا، أما سنة 1987 فقد انتج المغرب 186.346 طنا وصدر 133.830 طنا، ونشير إلى أن إنتاج المغرب الاجمالي قد بلغ فيما بين 1949 و1976 حوالي 911000 طن، ويتأرجح متوسط الإنتاج السنوي منذ 1960 حول 90.000 طن.

مدخل إلى جيولوجيا المغرب، مجلة المناجم والجيولوجيا منشور إدارة المعادن والجيولوجيا والطاقة، ع. 41. 1977.

A. Foucault, et J. F. Raoul, *Dictionnaire de géologie*, 3 eme Ed. Masson, 1988 ; E. Saaidi, *Lexique de geologie et de géomorphologie (français-Arabe)*, Rabat, SMER, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopedie des minéraux*, Paris, 1986 ; Rudolf Duda et Lubos Rejl, *La grande encyclopedie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Géologie des gites minéraux marocains (Substances métalliques et non métalliques)*, 2ème ed. t 1, Notes et Mémoires du Service Géologique, Nº 276, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème Ed., t 3, Notes et mémoires du services géologique ; Lapadu-Harques P. *Précis de minéralogie*, Masson, 1954.

عبدالقادر بوسحابة

**باريز مروك**، أروقة تجارية أوربية كانت منتشرة في بعض المدن الكبرى كالرباط ومكناس وتعرف أيضاً بـ Galeries Parisiennes أو Galeries La Fayette ثم صارت تحمل اسم Magasins Modernes وهو الاسم الذي ما زال مكتوبا في أعلى حائطها بمكناس على بعد بضعة أمتار من ضريح سيدي على منون الواقع بين باب بوعماير يسار الداخل لشارع روى مزيل (الروامزين) من هذه الناحية، وهو أول حي أوربي أنشأه الفرنسيون خلال العقد الثاني من هذا القرن بعد احتلالهم مدينة مكناس سنة 1911. وكان يشتمل على دور الأوربيين الأوائل الذين استقروا بالمدينة القديمة قبل انتقالهم إلى المدينة الجديدة - حمرية - في بداية الثلاثينات من القرن العشرين،كما كان يوجد بهذا الحي بنك ومتاجر تباع فيها البضائع الأجنبية بالدرجة الأولى - قبل بناء متاجر كبرى في حمرية - ومن أهمها ما كان موجودا في أروقة "باريز مروك".

كانت البضائع الأوربية واليابانية والأمريكية المتداولة في "باريز مروك" هي الملابس بكل أنواعها الخاصة بالرجال والنساء والأطفال، كالمعاطف والأقمشة، والبدل الجاهزة"Confections" والقبعات والملابس الداخلية والجوارب والأحذية المستوردة من فرنسا وإسبانيا وانجلترا والولايات المتحدة الامريكية... وسواء كانت هذه المبيعات جديدة في أصلها أم مستعملة، فإن قاسمها المشترك هو الجودة والثمن المنخفض، وطول مدة استعمالها، فكان إقبال الأهالي على ابتياعها إقبالاً منقطع النظير مما ترتب عنه عزوفهم عن الانتاج الحرفي المحلي الذي أهمله السكان إهمالا شديداً، فكان ذلك سبب كساده وتحويل جل أصحابه إلى عاطلين.

لقد كانت الأروقة التجارية المعروفة بـ :«باريز مروك» بما تضمه من منتجات أجنبية بالمواصفات السالفة الذكر، وراء الأزمة الحرفية التي عاشها أصحاب الحناطي بمكناس نظراً للدور التخريبي الذي قامت به هذه الأروقة دون أن ينتبه المستهلكون للآثار السلبية التي لحقت بإخوانهم الحرفيين، خاصة لما لم تعد المنتجات الحرفية المحلية في المستوى المطلوب بمقارنتها مع ما هو متداول في «باريز مروك»، وبالرغم من الشعارات التي رفعها أعضاء الحركة الوطنية لمقاطعة البضائع الأجنبية والإقبال على مثيلاتها الأهلية، فإن هذه الدعوة لم تنجح إلا نجاحاً محدوداً في تحقيق أهدافها، في الوقت الذي حقق فيه التجار الأوربيون أرباحا طائلة على حساب التجار الأهالي والحرفيين المنتجين السابقين لحاجيات الأهالي من الملابس والبلاغي وغيرها.

ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران*، الرباط، 1990.

P. Ricard, *Maroc (guide bleu)*, 1952 ; R. et D. Deslis, *Le Commerce des chaussures au Maroc.*

بوشتى بوعسرية

**بارِيلا** اگِليسياس خُوسى إنْرِيكي Varela Iglesias José Enrique، جنرال إسباني ولد بمدينة قادس سنة 1891، وبعد تخرجه من الأكاديمية العسكرية قضى جل حياته في شمال المغرب حيث شارك فيما كان يسميه الاستعمار بحروب التهدئة. Campañas de pacificacion وقد أحرز مرتين على وسام لاوريادا دي فيرناندو Laureade de San Fernando وهو أعلى وسام إسباني، وبذلك كان بَارِيلا الرجل الوحيد الذي حصل على الوسام المذكور مرتين.

وبَارِيلا هو الذي أنشأ بمليلية أول فرقة لجنود المرتزقة المغاربة بالجيش الإسباني المعروفة بـ «حَرْكة بَارِيلا» سنة 1924/1343 وكان لهذه الحَرْكة دور فعال في إنزال القوات الإسبانية بخليج النكور يوم 8 سبتمبر 1925.

وبسبب تآمره ضد الجمهورية الإسبانية قضى بَارِيلا سنوات 1932-1935 بالسجن، غير أنه خرج منه وأعيد إلى صفوف الجيش ورُقي لدرجة جنرال، ثم عاد إلى السجن في شهر أبريل 1936 بسبب مشاركته في مؤامرة ثانية ضد الجمهورية.

وفي 18 يوليوز من نفس السنة أخرجه من السجن العسكريون الذين ثاروا ضد النظام الجمهوري برآسة الجنرال فرانكو Franco وقد شارك باريلا مشاركة فعالة في الحرب الأهلية الإسبانية كقائد للمرتزقة من سنة 1936 إلى سنة 1939، وفي هذه السنة الأخيرة عين وزيرا للحرب في حكومة الجنرال فرانكو، وفي سنة 1942 تعرض لمحاولة اغتيال دبرها أعداء النظام الفرانكوي بمدينة بيلباو Bilbao.

وفي يوم 5 مارس 1945 عين مقيما عاماً بشمال المغرب وظل بتطوان إلى أن وافته المنية يوم 24 مارس 1951.

وخلال المدة التي قضاها في الإقامة العامة كان ألد عدو للحركة الوطنية المغربية حيث قضى على نشاط حزب الإصلاح الوطني وعطل الصحافة الوطنية ومنع زعيم الحزب المذكور الأستاذ عبدالخالق الطريس من العودة إلى تطوان بعد رجوعه من الجولة التي قام بها في الشرق العربي في شهر فبراير من سنة 1948.

C. Martinez Campos, *España belica : El siglo XX, Marruecos*, Madrid, 1972 ; M. Rubio Cabeza, *Diccionario de la guerra civil española*, Barcelona, 1987.

محمد ابن عزوز حكيم

**بّارِيينطي** Parienté، أسرة يهودية قديمة في المغرب. وهناك أسطورة تقول إنه كان بالمغرب قبل الإسلام، حسبما هو متواتر عند يهود المغرب، ربّي يدعى يعقوب باريينطي بسط نفوذه على الريف شمال البلاد. ويقول بعض الربيين الذين عاشوا بتطوان ودبدو مثل شلومو هكوهن كما جاء في *ياهاس فاس* (أخبار فاس) أن ما قيل عن الربّي يعقوب صحيح. ومن المتأخرين منهم :

**بّارِيينطي، شلومو**، كان ترجمانا لحكام طنجة في عهد احتلالها من طرف الأنجليز خلال القرن السابع عشر.

**بّارِيينطي، موسى**، أسس «بنك باريينطي» بطنجة عام 1840، وهو البنك الذي كان يتعامل بالخصوص مع بنك انجلترا قبل أن تنشئ الأبناك الأوربية الأخرى فروعاً لها بالمغرب. وأول هذه الفروع الذي أنشيء بطنجة عام 1900، كان فرع المصرف الوطني للقرض بباريس، وصار يمارس عمليات التحويلات بالشيك والكمبيالات والصرف، إلا أن بنك بّاريينطي نقل عام 1957 مقره من طنجة إلى جنيف.

**بّارِيينطي، يعقوب**، ربّي من أصل إسباني لجأ إلى فاس بعد عملية الطرد التي أعقبت سقوط غرناطة ومارس مهنة كاتب الإشهاد، كان شاعراً وضع مباكي و تأملات (قنوط) ترد في كتب متداولة بالمغرب، وتوجد إحدى قصائده بمكتبة أكسفورد (مخطوط رقم 1189).

I. Larédo, *Memorias de un viejo tangerino ; Les Noms des juifs* ; E. M. Routhe, *Tangier Englend's lost atlantic out post*, London, 1912 ; A. Lahlou, *Notes sur la Banque et les moyens d'échange commerciaux à Fès avant le Protectorat*. *Hesp*, 1937, 3e tr., p. 228, 232.

سيمون ليڤي

**البَازْ**، جنس من الطيور تنتمي إلى فصيلة الصقريات Accipitridae وإلى رتبة الكواسر النهارية Falconiformes . هذه البزاة صفر العيون، مدورة الرؤوس، قصار الأجنحة، طوال الأرجل، تمتاز بطيران سريع وشجاعة قوية تتجلى في تمكنها من الافتراس في الفضاء لبعض الطيور.كثيرا ما تفزع عشيرات العصافير التي تنقض عليها بأرجلها الطوال وتمسكها بمخالبها القوية.

إنها طيور لاحمة تصطاد في الجو وفي الأماكن العارية وتتابع نشاطها في ساعات متأخرة من النهار، وذلك لتمتعها ببصر قوي يفوق بعض أنواع الكواسر ذات الأنشطة النهارية. فبرغم سرعتها الفائقة تتميز بدقة المسافة والاتجاه والمكان المحاط بفريستها حتي تتجنب الاصطدام مع أغصان الأشجارأو مع الصخور.

تضم فصيلة الصقريات مائتي نوع في العالم و 27 نوعا في المغرب من بينها ثلاثة أنواع من البزاة Accipiter nisus ويسمى الباشق في الشرق العربي وAccipiter gentilis أو الباز وMelierax matabates أو الباز المغنّي.

يتميز الباشق Anisus بطول يتراوح ما بين 27 و38 سم، الأنثى أطول من الذكر، رَمادي اللون جهة الظهر وأبيض مخطط بالبني جهة الصدر والبطن، الذيل موسوم بخمسة إلى ثمانية خطوط سوداء. يظهر بسرعة فائقة، وكثيرا ما يحلق في الهواء أثناء فترة التوالد. يبني الزوجان العش في أعالي أشجار الصنوبريات. يتكون الوكر من الأغصان والأوراق. تضع الأنثى من 4 إلى 6 بيضات و نادرا 2 أو7، تحضنها لمدة ستة أسابيع يأتي الزوج بالأكل للفراخ وتقوم الأنثى بتنظيف العش والاعتناء بالصغار.

يتكون قوته من الطيور كالخطاف والدوري والشحرور والحمام، ويأكل نادرا الحشرات والزواحف والضفادع. استغل الانسان هذا الطير لصالحه ودجنه منذ القدم ليصيد به بعض الطيور من أنواع الحماميات.

تقدّرالمجموعة الآبدة في المغرب ما بين 500 إلى ألف زوجة، ويضاعف هذا العدد في فصل الشتاء أثناء هجرة هذا الطير القادم من أوربا. إن الباشق شائع في جميع أنحاء المغرب. أثناء فترة التوالد يلتجئ إلى الغابات الكثيفة في المرتفعات (أكثر من 2.000 متر) وفي فصل الشتاء يتجه بعض الأفراد إلى جنوب المغرب.

محمد رمضاني

**البَاز**، أسرة من قرية أمراغ بقبيلة أكلو، كان أفرادها يسمون في القديم باسم «يقرعون» وينتمون إلى سيدي إبراهيم بن إبراهيم بن موسى المعروف ب«بوبراهيم» دفين منطقة (اسك) بأيت باعمران.

**البَاز، محمد** بن الحسن بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، ابتدأ تعليمه بحفظ القرآن بكتّاب قريته «أمراغ»، ثم قصد قرية الكريمة بالساحل عند الأستاذ عبدالله بن محمد النميض، ثم مدرسة «بونعمان» عند الأستاذين أحمد بن مسعود وابنه البشير. بعد ذلك شد الرحال نحو «إغيلالن» عند شيخها الحاج مسعود الوفقاوي. قبل أن يلتحق بمدينة تزنيت الحاج أحمد بن الحسين الجراري. وأخيرا استقر به المقام بمدينة مراكش بمعهد ابن يوسف حيث قضى ثلاث سنوات ما بين 1953.1950. وقد وجد في المعهد ما كانت تشرئب إليه نفسه، فأخذ العلوم الفقهية واللغوية، وخاصة مادة الحساب والتوقيت على يد الأستاذ محمد بن عبد الرازق. وبعد عودته إلى تزنيت التحق بمحكمة المدينة، حيث عمل ناسخا زمن القاضي المصلوت، وانتظم بعد ذلك في سلك التدريس بجامع تزنيت الكبير. وكانت دروسه تتسم بالجدية والحيوية. مباشرة بعد تأسيس فرع المعهد

الابتدائي بتزنيت سنة 1956، درّس بـه إلـى حـدود 1957 وخلال هذه الفترة أسس مع ثلة من علمـاء سوس بمدينة مراكش جمعية علماء سوس كإطار للعمل والتشاور بين مختلف الفعاليات الفكرية بالمنطقة. والتحق سنة 1958 بالوظيفة العمومية كمدرس بالمعهد الأصلي بتزنيت، وساهم طوال ثلاث عشر سنة قضاها بالمعهد، في تحسين وتطوير مناهج الدارسة، مما فتح آفاقا أكثر امتدادا لزيادة الاعتمادات المادية للمعهد واستقطاب عدد كثير من الطلبة. وبعد تحويل المعهد الأصلي إلى مدرسة ابتدائية سنة 1971، عين متفقدا للكتاتيب القرآنية إلى حدود 1982، حيث أحيل على المعاش.

عرف محمد الباز بالتخصص في مادة التوقيت وساهم في وضع جداول توقيت الصلاة لمدينتي تزنيت وأكادير وصحح توقيت بعض الجهات الأخرى. كما أسهم في الحياة الفكرية والثقافية بعدة مجالات قيمة ومتنوعة كالفقه والتوقيت وهي عصارة نشاطه العلمي لمدة تزيد عن 30 سنة.

*معلومات شخصية : روايات شفوية محلية.*

أحمد بومزگو

**الباز** أو ابن الباز ـ أسرة يهودية ـ كثر فيها الربيون والأحبار والمؤلفون في مختلف مدن المغرب وقراه، منهم :

**الباز، رفائيل** بن موشي (1823.1896)، ربّي وقاض بصفرو من عام 1851 إلى وفاته، وكان أيضاً شاعراً ومادحاً مشهوراً وصاحب قلم سيال في العديد من مجالات المعرفة، فخاض في التاريخ وسرد الأخبار وكتب *كيسّي ملاخيم* (ظفيرة الملوك) لم تنشر بعد (مخطوطات خزانة ساسون، وخزانة جامعة القدس، هبْ 8 : 1211)، ثم كتب في موضوع علم التكدّس، والجداول المعروفة عند اليهود بـ*كُواح معاسَاوْ* (قوة الأعمال)، وله في الأخلاق، *بْيرَشَة هكّسيف* (آية المال) و*بئر السباع* (الآبار السبعة) حول الحكم السّبع، وله في البلاغة، *حلاط أحَبْ* (السّقَم)، وأسفار عن النحر حسب العقيدة الدينية، مثل *ذبحي صدق* (الأضحية الدينية)، الطلاق وزواج السُّلفة مع *سفر كيرَتوت* وله كذلك مؤلفات في الفقه اليهودي مثل *أربع شُمْريم* (الحراس الأربعة) و*سيون هَا- ديشباط* وهو عبارة عن شرح للنصوص القانونية الجاري بها العمل، و *شُلحان عروخ* للربّي يوسف كارو، و*حوشن مشباط* لموشي بن ميمون، لم تنشر بعد هذه الأعمال، في حين أن *هالاخة موشي* (فقه موشي) نشر بالقدس عام 1901.

اشتهر هذا الربيّ أيضاً بديوان شعر وبالأناشيد الرثائية مثل *شرْحَداشْ* و *قُولْ بوخيم* (القدس 1930). يتضمّن هذا الديوان مقطوعات شعرية يعرفها المغاربة لأنهاكتبت بالعربية الدارجة قبل أن يتم إدماجها في القصائد المنشورة. أماديباجة *يشواع شمعون حاييم عوباديا*فإنها تعتبر بحق أثرا شعريا من المستوى الرفيع، لأنها نصت على قوانين القريض وفنونه (الزعفراني : *الشعر اليهودي*، 131 و135) والذي توسع في منابع الإلهام الشعري اليهودي «مؤكدا على ما أخذه واستوحاه هذا الإلهام من فنون وأغراض الشعر عند العرب».

**الباز** (ابن ـ) **السموأل**، كان ربياً أكبر بصفرو خلال القرن التاسع عشر. ألف *نعام سياح* جمع فيه أشعارا وقصائد رثائية وخطباً وعظية.

**الباز**(ابن ـ)، **صمويل** (1697.1749) ربِّي قاض بفاس، ألف أشعاراً دينية وكتب مقالات عديدة في موضوع التلمود، منها : *عوز وهدار*(قوة وشرف) ثم سفر *هَا- نَعَر السموأل*، ثم سفر *زكّارون* (كتاب الذكرى).

أسس هذا الربي مدرسة عليا للتلمود يطلق عليها بالعبرية لفظ يشيبة، وبهاكان يدرس هو وأبناؤه الربيون يهودا وموشي ويعقوب.

**الباز، موشي** بن ميمون، ربّي قبّالي بتارودانت خلال القرن السادس عشر. تعرّض في كتابه *هخال هَقُدش* (قصر القداسة) المنشور عام 1653 بأمستردام، لذكر أصوله المتواضعة وفقر آبائه والظروف التي توقف من أجلها عن مواصلة تحرير كتابه بتارودانت عام 5335 ي/1775 م، وهكذا كتب يقول في فصل صلاة ليلة السبت :«مررنا بظروف مادية صعبة للغاية إذ لم نكن نتوفر على مواد غذائية كافية، وكان الغلاء يضرب أطنابه ولم يكن لأسرتي نقود، وغضب الله على سكان الأرض فضرب أهل تارودانت بوباء لم يسبق له مثيل بلغ ذروته في أول يوم من أيام عيد بيساح (الفصح) وكان ذلك عام 5358/1598، يومئذ لجأ جميع أفراد الطائفة اليهودية إلى الجبال المجاورة وتمادى الوباء إلى شهر تموز (يوليوز)» لكن المؤلف ورفاقه الذين نذكر من بينهم مريده يعقوب بويفرگان لجؤوا إلى أقّا. وفي السنة الموالية أعاد الوباء الكرّة فضرب المنطقة من جديد من شهر أبريل إلى شهر غشت.

وفي أقا واصل موشي الباز كتابة مؤلفه *هخال هقُدش*الذي ضمّنه آراءه الصوفية وتأويلاته الباطنية حول سر الصّلاة والحكم المتعلقة بالحياة اليومية، جريا على أسلوب القباليين، أيَ الباطنيين اليهود.

يعالج الكتاب أساسا ذات الله، الواحد الأوحد، ثم يتكلم على خلق العالم ويتطرق إلى السفروت (ح. سفرة) وهي الدوائر الصوفية، انطلاقا من النور الربّاني الذي تَولّد عنه التاج (أي كيثرْ) ثم الحكمة (حُخْمَة) التي تولّد عنها العقل والذكاء، ثم يأتي دور «البينا» ودور العظمة (الجيدولة) والقوة «الجيبورة» والجمال «تيفْ إريت» يتبعها النِّصاح (أي الدوام والخلود) وهُوضْ (الجلالة) والبَصُوضْ (الأساس والقاعدة) وأخيرا الملخوت (الملكُوتْ)...

وفي المرحلة الأخيرة خلق الله الإنسان وأنعم عليه بحرية الاختيار والمصير ليكون أهلا للحياة الدنيا والآخرة. وفي هذا الإطار أنزل الله *التوراة*على بني إسرائيل ليمتثلوا

تعاليمه وأوامره، ومن ثمّ كانت للصلوات اليومية قيمتها، وقد أمر الله بإقامتها. لذلك يرى المؤلف أنه من الواجب كشف أسرار الصلاة والقنوت (كَوَنوت) وهي بمثابة قرابين تقدمها الأفئدة، وكذلك المدلول الصوفي للقرابة الجسمية وغيرها من القرابات (الزعفراني : *قبّالة*، 263،249).

Y. M. Larédo, *Les Noms des Juifs*, 263 ; Y. Bennaim, *Malki Rabban* ; Y. M. Todedano, *Ner Hamaearab*, p. 208 ; H. Zafrani, *La Poésis Juive* ; *Kabbale*.

سيمون ليڤي

**البازي**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بنى گرير الغمارية، كان من بين أفرادها :

**البازي، أحمد** الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1636/1046.

**البازي، محمد** الذي زاول نفس الخطة بتطوان سنة 1612/1012.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 282 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛
م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecun*.

**بَاسِيل**، جبل بقبيلة مزوجة الگرتية قبالة مدينة مليلية، وبقمته التي تعلو على سطح البحر بـ 792 م برجٌ بناه المجاهدون لمراقبة المدينة السليبة منذ احتلالها سنة 1497/903 كما كان يراقب الساحل الممتد من بحيرة بوعرگ إلى رأس هرك، ويكون هذا الجبل مع جبل القلعة أعلى قمتي جبل گوروگو.

وقد أشارت إلى جبل باسيل الوثائق الإسبانية منذ القرن الخامس عشر الميلادي حيث أطلقت عليه اسم موطابيل Motabel. وعندما بدأ الغزو الإسباني لتراب قبائل گلعية سنة 1909/1327 لعب هذا الجبل دورا مهما حيث جعل به بطل المقاومة المسلحة الشريف أمزيان حامية عهد إليها بإيقاد النار لإشعار المجاهدين بالخطر كلما خرجت القوافل الإسبانية من مليلية، وذلك ابتداء من 9 رجب 27/1327 يوليوز 1909، وهذا ما جعل الحاكم العسكري الإسباني الجنرال مارينا Marina يفكر في احتلال الجبل المذكور، وقد تمكن من ذلك الكولونيل ايتبورو Aizpuru صبيحة يوم 14 رمضان 29/1327 سبتمبر ولكن لمدة بضع ساعات فقط لأنه اضطر إلى مغادرته في المساء عندما تيقن من عدم تمكنه من تحصينه قبل غروب الشمس، وهكذا عاد الجبل إلى يد المجاهدين في نفس اليوم.

ومنذ ذلك اليوم أصبحت قوافل تموين المراكز المحتلة من طرف الإسبان معرضة لهجومات المجاهدين المرابطين بجبل باسيل، فأيقنت القيادة الإسبانية أنه ما دام الجبل المذكور بيد المجاهدين لم يكن في وسعها تموين مراكزها الأمامية، وهذا ما جعل الجيش الإسباني يقوم باحتلال الجبل في صبيحة يوم 2 ذي الحجة 15/1327 ديسمبر 1909 في الوقت الذي كانت فيه كتيبة المجاهدين منهمكة في القضاء على قافلة تموين أرسلها حاكم مليلية خصيصا ليشغل بها المجاهدين حينما كانت القوات الإسبانية تتسلق الجبل وتقوم باحتلاله دون قتال. وهكذا عندما أراد المجاهدون العودة إلى مركزهم في المساء وجدوه محتلا وعملية تحصينه من طرف الإسبان قد أوشكت عن الانتهاء.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال*
J. Zurita, *Historia del Rey Don Hernando et Catolico*, 1670; *Campañas*, t : 2, p. 96, 204,310,312,570 ; C. Martinez Campos, *España Bélica*. El siglo XX (Marruecos), Madrid 1972, p. 62,79,91.

محمد ابن عزوز حكيم

**باستور** (معهد ـ) في المغرب Institut Pasteur du Maroc. أنشئ معهد باستور بالمغرب في الدار البيضاء سنة 1929، بناء على اتفاقية أبرمتها سلطات الحماية مع معهد باستور بباريس. وكان هناك فرع لهذا المعهد بمدينة طنجة يعود تاريخ تأسيسه إلى سنة 1911.

وفي عهد الاستقلال تقرر سنة 1967 ضم فرع طنجة إلى معهد باستور بالدار البيضاء الذي أصبح يحمل اسم "مركز الأمصال واللقاحات" (*المرسوم الملكي* رقم 66 . 176 بتاريخ 28 / 6 / 1967). ويتمتع هذا المركز بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، وتحدد مهمته فيما يلي :

- متابعة الأبحاث عن الأمراض المعدية والطفيلية التي تصيب الإنسان والحيوان والنبات. كما يمكن لوزير الصحة العمومية أن يسند إلى المركز مهمات أخرى بصفة دائمة أو مؤقتة كالقيام ببعض التحريات والخبرات والتحاليل المتعلقة بنفس الأمراض.
- المساهمة عند الاقتضاء في تلقين علم الجراثيم والطفيليات وكذا استقبال المتدربين والباحثين المغاربة والأجانب.
- تحضير أو استيراد الأمصال واللقاحات والخمائر والمنتجات البيولوجية الضرورية لحاجيات البلاد فيما يخص الطب البشري، وكذا فيما يرجع للطب البيطري باتفاق مع وزارة الفلاحة.

ويسير المركز مجلس إداري يتألف، تحت رئاسة وزير الصحة، من ممثلين عن وزارات المالية والفلاحة والتربية وعن عمادة الطب والصيدلة.

ويُناط بالمجلس على الخصوص إبرام اتفاقيات مع المنظمات المغربية العمومية والخصوصية والموافقة على برامج البحث والإنتاج وحصر ميزانيات وحسابات المركز واقتراح رصد الموارد اللازمة لتمويل برامج البحث والإنتاج وتحديد أثمان بيع المنتجات المصنوعة بالمركز.

ويمكن للمجلس أن يفوض بعض اختصاصاته إلى مدير المركز الذي تساعده لجنة تقنية وعلمية ؛ وفي هذا الصدد يتوفر المركز على عدد من أساتذة الطب والبيطرة والصيدلة وكذلك على عدد من الأطباء والبياطرة والصيادلة المتخصصين في علوم الأحياء والمهندسين الكيماويين وغيرهم من الباحثين والتقنيين والممرضين العاملين في المختبرات بصرف النظر عن الإداريين والأعوان.

وتحتوي موارد المركز على : 1 ـ المحصولات والأرباح المتأصلة من عملياته. 2 ـ مساعدات الدولة. 3 ـ الإعانات التي تقدمها منظمات وطنية أو دولية. 4 ـ التبرعات والهبات.

وتتلخص نشاطات المركز في تلقيح المصابين بداء الكَلَب والسهر عليهم مدة العلاج، وتكوين الممرضين والأطباء المسؤولين عن المراكز المنبثة في نواحي المملكة والمكلفة بالوقاية من هذا المرض.

ومعهد باستور هو المركز الوحيد المسموح له بتلقيح المسافرين ضد الحمى الصفراء والكوليرا والتهاب السَّحَايَا وتسليمهم بذلك شهادة معترفاً بها دولياً ؛ وهو كذلك مؤهل لتقديم المعلومات الضرورية للمسافرين عن الأمراض المعدية.

ويدخل في اختصاص المركز وضعُ وتطبيقُ برامج أخرى للوقاية من داء الكَلَب والتهاب الكبد الفيروسي، وتنظيم التكوين المستمر لفائدة الأطباء والممرضين الراغبين في تحسين معلوماتهم في ميدان التحصين من الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي.

ويعمل المركز على تلبية حاجيات المغرب فيما يتعلق باللقاحات والأمصال ومشتقات الدم إما بإنتاجها كليّاً في مخابره أو باستيراد المواد البيولوجية لصناعتها محلياً بالتعاون مع بعض المنظمات المختصة في هذا الميدان، قصد تمكين وزارة الصحة من القيام بالحملات التي تنظمها دورياً لوقاية المواليد من أمراض الخُناق والكُزاز والشلل والسُّعال الديكي والحصبة والسُّل، وكذلك تحصين النساء المنجبات من داء الكُزاز، وكافة السكان، بصفة عامة، من الأمراض المعدية.

*الجريدة الرسمية* عدد 2852، 1967.

*Rapport de l'Institut Pasteur du Maroc* 1991.

محمد الشياظمي

**باسُّو**، أُميمون (الحاج ـ) بن سعيد لَغْمَام شيخ أيت أُنير وخليفة منطقة تازارين (اقليم ورزازات) ولد عام 1884/1302 م. بقصر أُرُّويْ بالنقوب منطقة تازارين أيت عطّا. كانت أسرته ـ وما زالت ـ ذات جاه وثراء عريقين بقبيلة سليلُو التابعة لأيت أُنير أحد أخماس أيت عطّا المشهورة. وفي فترة يصعب تحديدها تحركت قبيلة سليلُو في اتجاه الأطلس الكبير شمالاً فأحرزت على مكان بوادي دادس قرب بولمان دادس وأقامت به قصراً على الضفة اليسرى لنفس الواد. وقد سمي هذا القصر بنفس اسم القبيلة قصر سليلُو. ولحد الآن لا تزال أسرة باسو أُميمون تملك به قصبة تيغْرمت التي تعتبر من أهم قصبات وادي دادس. وقد قام ببنائها باسو أُميمون نفسه للإقامة بها مدة كلما قدم من تازارين إلى هذه المناطق. وهذه القصبة التي تتكون من سبع طبقات ما تزال ماثلة للعيان تشهد بعظمة هذا الرجل وقوته.

كان خويا سعيد لَغْمام والد باسو أُميمون رجلاً شجاعاً، مقداماً يقوم بالتجارة على ظهر دابته بين تازارين ومناطق الأطلس الكبير الأوسط (أزيلال، دمنات الخ...) وأثناء تنقلاته المتكررة حدثت له عدة وقائع طريفة ما تزال متداولة بين الناس إلى وقتنا الحاضر. ومن بين ما يحكى عنه أنه كان ذات يوم سائقاً دابته المحمَّلة بكيس من التمر اشتراه بوادي درعة ليبيعه بأزيلال، وبينما هو يواصل السير اعترضت سبيله امرأة نفساء وسألته : ألم تر قافلة خويا سعيد لَغْمام يا رجل ؟ إذ ذاك تبين له أن تجاراً سبقوه في الطريق هم الذين أشاروا على المرأة بذلك استهزاء به لكونه لا يملك إلاّ دابة واحدة، تخلصاً منها لما طلبت منهم أن يُمدوها بما تيسر من التمر لتقتات به. وهكذا لما تأكد خويا سعيد لغمام من استهزائهم به قسم في الحال حمولة دابته إلى نصفين : نصف أعطاه لتلك المرأة ونصف آخر احتفظ به لنفسه ليبيعه بأزيلال ويشتري بثمنه ما يعول به أسرته من الحبوب. سرت المرأةُ بكرمه ودعت له بخير. وبينما هو يجمع حطباً في المساء لإعداد رغيف عثر على (قمقوم) مليء بدراهم فضية (ما يعرف بالحسني) فحمد الله واشترى بها أربعة بغال حمَّلها بالقمح والشعير وعاد إلى بلدته يقود قافلة من الدواب.

نمت ثروة سعيد لغمام واختارته قبائل أيت عطا ليصبح شيخاً عليهم في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، واستمر إلى بداية القرن العشرين حيث خلفه ابنه الحاج باسو أميمون سنة 1905 م.

باسو أُميمون خليفة تازارين

تربى باسو في أحضان والده ذي الثراء والجاه. فكانت له شخصية متميزة وهو ما يزال يافعاً، فحمل السلاح وعمره ست عشرة سنة للذود عن مصالح قبيلته. وتولى المشيخة الفعلية بعد وفاة أبيه وعمره إحدى وعشرون سنة (عام 1905 م) ومنذ ذلك أصبح صوته مسموعاً لدى جميع قبائل أيت عطا، يحضر باستمرار اجتماعات شيوخها وزعمائها حين يتدارسون أعرافهم (تيعقِّيدين) التي كانت تنظم حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ولما بدأ خطر الحماية الفرنسية يهدد مناطق صغرو ووادي درعة في بداية الثلاثينات رأى زعماء قبائل أيت عطا أن من الواجب التحرك للوقوف في وجه العدو بكل الوسائل الممكنة. وكان الشيخ باسو أُميمون من الشيوخ

الذين قاموا ضد تدخل قوات الأگلاوي المعززة بالقوات الفرنسية بالمنطقة. وتفادياً للاصطدام من جهة ولواقعية الشيخ باسو من جهة أخرى اعترف الشيخ باسو أميمون بسلطة الأگلاوي ومن ورائها سلطة الفرنسيين، على منطقة تازارين. وحذا حذوَهُ شيوخ آخرون هم : عدي أُخَيِّي من أيت إسفول بقصر تبسباست (بقيادة تنغير حالياً)، وحمّو أُلحساين بن مورغي من أيت بوداود بتَازارين (خمس أيت واحليم)، ثم يدِيرْ أسعيد المسوفي من أيت ولاَّل بزاكورة.

بيد أنه تأكّد أن خضوع باسو أميمون وغيره من وجهاء أيت عطا لسلطة الأگلاوي والفرنسيين ما هو في الحقيقة إلا خضوع تكتيكي كان الهدف من ورائه الحصول على أحدث الأسلحة. وكانوا يزوّدون بها خفية إخوانهم أيت عطا القاطنين بجبل صَغْرُو حيث تأججت شرارة المقاومة المسلحة ضد المستعمر فوق شامات جبل بوگافر المشهور بقيادة المناضل الوطني الحاج عسُّو باسْلاّم.

وبعد مرور حوالي عام من المقاومة المستميتة تكبد أثناءها المستعمرون خسائر فادحة في الأرواح والعتاد (قتل القائد الفرنسي بورنازيل الملقب بالرجل الأحمر لكونه كان يرتدي برنوساً أحمر اللون)، تأكد لمقاتلي أيت عطا أن الاستمرار في التصدي للمستعمر أصبح صعب المنال نظراً لنفاد المؤن والذخيرة إضافة إلى الحصار الذي ضربته القوات الاستعمارية على المنطقة كلها.

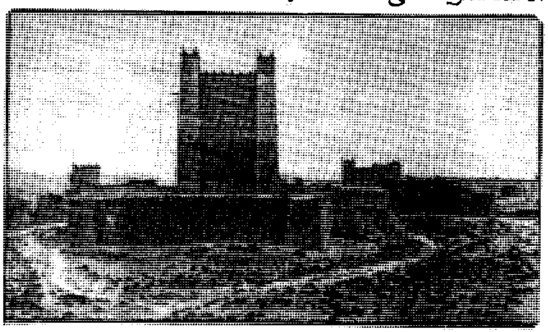

قصبة باسو أُميمون (7 طبقات) على الضفة اليسرى لواد داس

وفي خضم الظروف الصعبة التي كانت تمر بها هذه المنطقة سعى الشيخ باسو أميمون إلى تحقيق لقاء بين المقاتلين المحاصَرين بجبل صَغْرو وبين قادة الجيش الفرنسي حيثَ تقرر وقف إطلاق النار بين الطرفين. ودون الدخول في التفاصيل والحيثيات التي رافقت المحادثات وافق المقاتلون على إنهاء المقاومة بجبل صغرو وفق شروط معينة أملوها على المستعمرين فقبلوها. وكان من أهمها على الخصوص :

- تولي كبار أعيان أيت عطا الحكم على قبائلهم.
- عدم فرض الرقص والفلكلور على نساء ورجال قبائلهم.
- عدم إخضاع منطقة بوگافر التي دارت حولها المعارك لحكم الباشا الأگلاوي على اعتبار أنها منطقة مقاومة وجهاد ولذلك ستبقى محترمة. وهكذا، وفي إطار البند الأول من الاتفاق، تم تعيين الحاج باسو أوميمون خليفة على قبيلة أيت عطا بتازارين. ومنذ ذلك الحين عمل على رعاية شؤون قبيلته ومصالحها فصانها من أذى الحماية الفرنسية ومن غرامات وإتاوات الأگلاوي إلى أن بزغ فجر الاستقلال ومات ـ رحمه الله ـ سنة 1960 م تاركا عدة أولاد.

كان للحاج باسو أُميمون حس وشعور وطني تجلى في كونه :

- رفض تطبيق بنود "الظهير البربري" على قبيلته.
- رفض التوقيع على وثيقة خلع محمد الخامس من العرش.
- رفض تعذيب المناضلين الوطنيين الذين قامت السلطات الاستعمارية باعتقالهم ونفيهم بمنطقة تازارين أيت عطا.

واضح أن الخليفة باسو أميمون كان شخصية بارزة بمنطقة تازارين يحسب لها حسابها. فكان لا يتقاعس عن قول الحق والوقوف أمام مؤامرات الأگلاوي والفرنسيين. وبطبيعة الحال لم يكن تصرفه لينال رضاهم فأخذوا يهددونه ويمارسون عليه وعلى أهله ضغوطا كثيرة. ويتجلى التهديد والوعيد الذي يلوّحون به عليه من خلال قصيدة باللغة الفرنسية نظمها كاتب الشؤون الأهلية بتازارين سنة 1953 المدعوّ دريليان، وعنوانها :"واحة تازارين" جاء في مطلعها :

En regardant pousser ces palmes,
Tazzarine s'est endormie.
Par nos chants et par nos cris,
Nous allons briser ce calme et chasser le khalifa.

تضمنت أبيات القصيدة احتقار واحة تازارين ووعيد خليفتها الحاج باسو أميمون الذي اكتفت بنعته بالخليفة دون ذكر اسمه كاملا.

وما انفك الصراع يحتدّ بين باسو أُميمون والمستعمر خلال عقد الخمسينات حتى وصل أوجه سنة 1954 على إثر قصيدة ذات نفَس وطني أنشدها ولده ميمون بمناسبة اختتام السنة الدراسية لذلك العام جاء في مطلعها :

أيها الشعب تقدم للعلا خلف الإمام
فخرنا تاج المعالي عزنا شبل الكرام
وطن المغرب روحي لست أحيا لسواه

وقد أثارت تلك القصيدة ضجة كبرى وصل صداها إلى المستوى المركزي وعانى الشيخ بسببها الأمرين. وبعد ذلك بأسابيع قليلة اتهمه المراقب الفرنسي بتازارين وكان يدعى مارشال وهو برتبة كومندان بقطع الأسلاك التليفونية من طرف ولده ميمون بمكان يدعى تاغيا بمركز تازارين أيت عطا، وقام بتنسيق مع مدير المدرسة المركزية بطرد ولده ميمون، ولم يتم قبوله في المدرسة إلا بعد الاستقلال. وبعد رجوع محمد الخامس كافأ باسو أميمون بميداليات الوسام العلوي من الدرجة الأولى والثانية.

*تحريات ميدانية.*

*Les Africains*, T. V. (sous la direction de Ch. A. Julien), Paris, J. A., 1977, David Hart, *Assu U-Baslam, de la resistance à la pacification au Maroc*, p. 75-105 ; H. Terrasse, *Kasbas berbères de l'Atlas et des oasis*, Paris, 1938.

محمد حمام

**باسّي، أندري** Basset André (1956.1895) يرتبط اسمه بحقل الدراسات اللسانية واللهجاتية الأمازيغية ببلدان المغرب الكبير، حيث يعتبر لدى المتخصصين من أبرز رواد المدرسة الفرنسية في هذا المجال، إذ ينتمي إلى مجموعة الباحثين "المستمزغين "Berbérisants الجامعيين الذين يتميزون من حيث نوعية دراساتهم وأهدافهم عن طائفة الضباط والمبشرين Missionnaires الذين كان وراء اهتمامهم بالأرض والإنسان والثقافة الأمازيغية انشغالات إديولوجية استعمارية أكثر مما هي علمية بحتة. وتصنف أعمال أندري باسيه وأمثاله (لاووست E. Laoust وديستان E. Destaing ومارسي Ph. Marcy وروكس A. Roux) كحلقة وصل بين الدراسات الكولونيالية والدراسات العلمية لفترة ما بعد استقلال بلدان المغارب.

أندري باسي هو ابن روني باسي René Basset وأخو هنري باسي Henri Basset المعروفين بأعمالهما في مجالي اللغة والأدب الأمازيغيين. ولد سنة 1895 بمدينة لونيفيل بفرنسا، حيث كانت دراسته الابتدائية والثانوية، ومنها انتقل إلى الجزائر لإتمامها قبل العودة إلى بارس لمتابعة تكوينه الجامعي الذي كان جزءٌ منه أيضاً في الجزائر. كان تخصصه الأصلي في الآداب الفرنسية التي حصل فيها على الإجازة، إلا أن متطلبات مقرر التبريز أرغمته على متابعة تكوين تكميلي في اللسانيات التاريخية والمقارنة على يد أنطوان ميبي A. Meillet الذي أثر فيه بعمق، مما دفعه إلى استكشاف عالم دراسات اللهجاتية الأمازيغية. فبعد أن تحددت آفاقه العلمية في اللسانيات النظرية والتطبيقية وبعد تمكنه من مناهج البحث في إطارها، انكب على دراسة اللغة الأمازيغية بمختلف لهجاتها في ضوء المناهج الاستقرائية التي أثبتت فعاليتها بالنسبة لمقاربة اللغات الهند أوروبية. بعد حصوله على شهادة التبريز في النحو سنة 1922، عمل بالتدريس في الثانوي بمدينة الرباط بثانوية گورو (ثانوية الحسن الثاني حالياً) وثانوية مولاي يوسف. وما لبث أن انتقل سنة 1925 إلى معهد الدراسات العليا (بمقر كليه الآداب بالرباط حاليا) حيث أصبح به مديراً للدراسات. وبعد مناقشة أطروحة الدكتوراه سنة 1929، عين سنة 1930 أستاذاً بكلية الآداب بالجزائر، وفي نهاية 1940، وبعد وفاة إدمون ديستان E. Destaing آل إليه كرسي الدراسات الأمازيغية بالمعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية INALCO بباريس، فواصل التدريس به إلى جانب إدارته لمركز دراسات اللغات المحلية لما وراء البحار. وبموازاة مع هذه المهام، كان أيضاً يزاول التدريس بكل من متحف الإنسان ومركز الدراسات العليا للادارة الإسلامية بباريس. وإلى جانب نشاطه العلمي بهذه المؤسسات، كان أيضاً عضواً عاملاً ومشاركاً في عدة مجموعات بحث وجمعيات علمية، حيث كان يساهم بعروضه وأبحاثه حول الأمازيغية، كما كان رئيساً ثم مديراً لجمعية اللسانيات بباريس Societé de linguistique de Paris فضلا عن مواظبته على المشاركة في المؤتمرات العلمية الدولية، إذ كان منذ 1948، عضواً بلجنة التحريات اللسانية المنتمية إلى اللجنة الدولية الدائمة للسانيين. وكانت أغلب مأمورياته العلمية في البلدان المغاربية وخاصة في المناطق الأمازيغية التي قام فيها بتحريات ميدانية تغطي عدداً كبيراً من المتغيرات اللهجية المحلية. وتعتبر خزانته الخاصة، التي وضعتها زوجته بعد وفاته 1956 رهن إشارة الباحثين بمعهد الدراسات العليا Ephe بباريس، من أهم مراكز التوثيق في مجال البحث في اللغة والأدب الأمازيغيين.

تنصب الأنشطة العلمية والبحوث الميدانية والدراسات المنشورة لأندري باسيه في مجملها على مظاهر اللغة الأمازيغية بمختلف لهجاتها وذلك انشغال ورثه الباحث عن والده روني باسيه وتقاسمه مع أخيه هنري. وكان من بين أهدافه الأساسية تطوير اللهجاتية الأمازيغية بشكل يلائم خصوصية الأمازيغية كنظام لغوي متميز عن اللغات الهندأوروبية خلافاً لما كان عليه الأمر على يد الضباط والتبشيريين (الإرساليين) حيث كانت اللغات المشرقية والمغاربية تعالج من منظور تطغى عليه النزعة الأوربية. وقد اشتهر بجدية أبحاثه المتسمة بالرصانة والدقة والحذر، والقائمة على التوفيق بين التحليل اللسني وبين معطيات الواقع الجغرافي والاجتماعي الذي يشكل أهم مورد للقرائن والمواد التي يبنى عليها افتراضاته واستنتاجاته، فضلا عن استفادته من العلوم الانسانية المتصلة باللسانيات.

من خلال ببيليوغرافيا أعماله، تتجلى غزارة إنتاج باسيه في مجال الدراسات الأمازيغية إذ لم يترك أي جانب منها بمختلف متغيراتها اللهجية لم يتطرق إليه بدقة وحدس علمي جعلا من فرضياته أسسا ومنطلقات لأبحاث قيمة أنجزت فيما بعد على يد تلامذته وخاصة منهم ليونيل گالان Lionel Galand الذي خلفه في منصبه بمعهد اللغات والحضارات الشرقية وبالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا Ephe بباريس.

ويمكن تصنيف إنتاج أندري باسي إلى ثلاثة أنواع :
(أ). دراسات تركيبية حول اللغة الأمازيغية 1952، (ب). دراسات لهجاتية لمواضيع محددة ودقيقة 1952، (ج). دراسات معجمية وجغرافية - لسنية 1942. أما المناطق التي شملتها تحرياته اللسنية فهي كثيرة في كل من المغرب والجزائر وتونس وليبيا وجزر الكناري وبعض بلدان إفريقيا جنوبي الصحراء كالسودان والنيجر.

ومن أبرز مؤلفاته :

1 ـ مورفولوجيا *الفعل* 1929 وهو عبارة عن أطروحته الأكاديمية حول نظام تصريف الأفعال الأمازيغية، حيث عالجها من حيث مبناها انطلاقا من دراسة لتنوع جذورها وصيغها وما يلحق بها من زوائد وهي تنتقل بين الأزمنة والأحوال Aspects، وما ينعكس عليه هذا الانتقال من تغيرات شكلية على مستوى الصيغة الصامتية والصوائت الابتدائية.

2 - *اللغة الأمازيغية* 1952، دراسة تركيبية مركزة حول تاريخ هذه اللغة وخصائصها اللسنية الصوتية والمورفولوجية والتركيبية والمعجمية. وتتضمن الدراسة أيضا معالجة لمختلف القضايا والتساؤلات المحيطة بالأنظمة اللهجاتية الأمازيغية وتوزعها الجغرافي وبعض المعطيات البشرية والاثنية والأنتروبولوجية للناطقين بها. وقد ذُيّل البحث ببليوغرافيا شاملة تغطي أهم الأعمال المنجزة حول الأمازيغية من النصف الثاني للقرن التاسع عشر إلى غاية 1949.

3 - *دراسات في الجغرافيا اللسانية للقبائل* (1929)، وهي أطروحته التكميلية، وتعد من اللبنات الأولى لأطلس لهجاتي محلي لمنطقة القبائل بالجزائر، حيث عززت الدراسة بإحدى وعشرين خريطة لهجية. وقد ترك عدداً من الدراسات الدقيقة المماثلة والمدعمة بخرائط حول عدد من المناطق الأخرى وخاصة المنطوق فيها لهجة التوارگ، كالسودان والنيجر. إلا أن مثل هذه التحريات بقيت دون متابعة من قبل الدارسين بعده.

4 - بعد وفاته أصدرت جمعية اللسانيات بباريس بتعاون مع المركز الوطني للبحث العلمي كتاباً بعنوان *Articles de dialectologie berbère* تكريماً له، جمعت فيه مقالاته النادرة التي نشرت بمجلات مختلفة وأعمال لم تنشر من قبل، وترجمة لحياته بقلم ليونيل گالان وبيبليوغرافيا شاملة لكل إنتاجاته.

A. Basset, *La langue berbère. Morphologie, le Verbe. Etude de thèmes*. Paris 1929, 268 p ; *Etudes de géographie linguistique en Kabylie*, Paris 1929, 100 p + 21 cartes ; *Atlas Linguistique des parlers berbères. Algérie Territoire du nord*, fasc. 1, *Equidés* Alger, 91 p + 25 cartes, 1936. (en collaboration avec A. Picard) (1948), *Eléments de grammaire berbère(Kabylie Irjen)*, Alger, 328 p., 1948 ; A. Basset, *La langue berbère*, Hand book of African langages, Oxford, 72 p +1 carte, 1952 ; *Articles de dialectologie berbère*, Paris, Klincksieck, 179 p., 1959.

**باسي، روني** Basset René (1855 - 1924) من الباحثين المستشرقين الأوروبيين الذين كرسوا حياتهم وأنشطتهم الفكرية لدارسة مظاهر الحضارة والثقافة العربية والإسلامية بالمشرق وببلاد المغارب، في المرحلة الكولونيالية التي تحف بأعمالهم سلبيات المرمى الإيديولوجي الاستعماري مع ما بها من إيجابيات تكمن أساساً في الرصيد المعلوماتي الذي أورثتنا إياه لما كان لأصحابها آنذاك من إمكانيات التنقل والتحري في أصقاع المناطق التي شملتها إبحاثهم ومأمورياتهم المدعمة من قبل الإدارة الاستعمارية.

وروني باسي هو أب كل من أندري باسي وهنري باسي اللذين واصلا رسالته العلمية في مجال البحث المركز بالخصوص على بلاد الأمازيغ في بلدان المغارب.

ولد في ليونيل فيل سنة 1858، وتخرج من مدرسة اللغات الشرقية الحية سنة 1880 وبعدها من مدرسة الدراسات العليا بباريس. وفي سنة 1885 عمل أستاذاً للغة العربية وآدابها بالمدرسة العليا للآداب بالجزائر التي عيـن مديراً لها سنة 1894، قبل توليه عمادة كلية الآداب بالجزائر سنة 1909. وكان رئيساً للمؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين سنة 1905.

تتعدد مجالات اهتمامه العلمي لتشمل حقولا معرفية متكاملة وذلك ما أتاح له إنجاز أبحاث ودراسات وتحريات وترجمات جادة في الإسلام واللغة العربية وآدابها واللغات الإفريقية واللغة الأمازيغية وتاريخ الديانات والإثنوغرافيا وثقافات الشعوب الإفريقية والمغاربية وحضاراتها، وقد ساعده على ذلك تعدد مأمورياته العلمية التي لم ينقطع انتظامها طوال حياته الفكرية، حيث كانت أولاها سنة 1881 بجنوب الجزائر وآخرها سنة 1914 بالمغرب. وقد شملت تحرياته العلمية بلدان المغارب لتمتد إلى إفريقيا جنوبي الصحراء وخاصة بلادي السينغال وغانا.

ففي مجال الثقافة الأمازيغية أنجز ترجمات ودراسات نصوص من التراث الشفوي العريق، كقصيدة "الصبي" الشهيرة كما قام بجمع وتحقيق عدد كبير من الحكايات الشعبية في عدة لهجات (1887 و1897) وضع مختصراً لنحو لهجة القبائل (1887) وله عدة دراسات معجمية ميدانية من لهجة كل من الريف وجربة وغات وتوات وگورارة ومزاب.

ففي الحقل العربي الإسلامي، له أعمال تتمثل في ترجمة وتحقيق والتعليق على نصوص ماثورة في الدين والآداب والتاريخ، ككتاب *البردة* للإمام البصيري (1894) و*الخزرجية في العروض* (1883 و1924).

ومن أبرز أعماله في الميدان الأفريقاني دراسات حول تاريخ إثيوبيا (1881) وترجمة كتاب *فتوح الحبشة* لشهاب الدين أحمد عبد القادر (1877 - 1909) ودراسات أخرى جمعها في مؤلفه *مأمورية بالسينغال* (1880)، فضلا عما أنجزه من ترجمات وتعاليق لحكايات شعبية إفريقية (1903).

وله ترجمات ودراسات نصوص من التراث الشفوي الأمازيغي كقصيدة "الصبي" وتحقيق حكايات شعبية من عدة لهجات، ووضع مختصر لنحو لهجة القبائل. إضافة إلى كثير من المقالات في كل المجالات التي انشغل بها، نشرت في أمهات المجلات العلمية، وكذلك العديد من المواد في كبريات الموسوعات الأوروبية، والتي يعرف فيها بأعلام إسلامية وأمازيغية وإفريقية.

وصدر سنة 1923 مؤلف مشترك تكريماً له، يتضمن دراسات بأقلام معاصريه من الباحثين وببليوغرافيا لمجمل أعماله وأنشطته العلمية.

R. Basset, *La poésie arabe anté-islamique*, Paris, Leroux, 1850; *Etudes sur l'histoire d'Ethiopie*, *J. A.*, 1881 - 1882 ; *Contes arabes*, Paris, Leroux, 1883 ; *Contes populaires berbères*, Paris, Leroux, 1887 ; *Manuel de langue Kabyle : dialecte Zouaoua*, Paris, Maisonneuve, 1887 ; *Le dialecte de Syouah*, Paris, Leroux, 1890 ; *La Bordah du cheikh - el - Bousiri*, (traduction et commentaire), Paris, Leroux, 1894 ; *Nouveaux contes berbères*, Paris, Leroux, 1897 ; *Fotouh el Habachah* (de Chihab Eddin Ahmed Abd El Qader), traduction et notes, Paris, Leroux, 2 vol, 1897 - 1990 ; *La Khazradjyah, traité de métrique par Ali El - Khazradji*, traduction et commentaire, Alger, Fontana, 182 p., 1902 ; *Contes populaires d'Afrique*, coll. les littératures populaires de toutes les nations, t. XL VII, Paris, Guilmoto, 455 p., 1903 ; *Mille et un contes : Récits et légendes arabes* 3 vol., 1924 ; *Recherches historiques sur les Maures, Missions au Sénégal, p. 437 - 665 ; Mélanges René Basset*, Paris, Leroux, t. 1, 1923.

**باسي، هنري**، Basset Henri (1892 ـ 1926) : هو ابن روني باسي وأخو أندري باسي، ويعرف لدى المهتمين بالثقافة المغاربية عامة والثقافة الأمازيغية على وجه الخصوص بمؤلفه حول الأدب الأمازيغي. توفي ولما يتجاوز الثالثة والثلاثين من عمره.

بعد تخرجه من مدرسة المعلمين التحق بالتعليم العالي وتقلد عدة مناصب إدارية بموازاة مع نشاطه العلمي المكثف، ومن أبرز هذه المناصب إدارة معهد الدراسات العليا (بمقر كلية الآداب بالرباط حاليا). انتقل باكراً إلى الجزائر التي اتخذها وطنه الثاني وانكب على دراسة مظاهرها الحضارية والثقافية بحماس متقد، شأنه في ذلك شأن الفرنسيين الغيورين وقتذاك على أهم مستعمراتهم بشمال إفريقيا. هناك جعله التماثل البيني بين مسقط رأسه "اللورين" وبين الأرياف والجبال الجزائرية يفتتن بواحاتها وهضابها وجبالها، وذلك ما حفزه إلى الانغماس في البحث في الثقافة المحلية بمختلف واجهاتها العربية والأمازيغية، مركزاً بالأساس على الجانب الإثنوغرافي المتمثل في أنماط حياة السكان وممارساتهم الثقافية والاجتماعية والأعراف التي تحكم حياتهم العشائرية. وقد سخر في تحرياته الميدانية بالمجال الأمازيغي رصيده من المعارف المتكاملة من جغرافيا وإثنوغرافيا وتاريخ قديم وأركيولوجيا ولسانيات وآداب. وسيرا على نهج كل من أبيه وأخيه، كرس هنري باسي حياته القصيرة للبحث العلمي في نطاق انشغالاته الواسعة، حيث شملت بحوثه الكثيرة ميادين متنوعة ذات علاقة بتاريخ الشمال الإفريقي وبإثنوغرافيا وآداب العالم الأمازيغي. وقد نشر له بعد وفاته كتاب تكريمي (1928) بمشاركة عدد من الباحثين المعاصرين له، يتضمن بعض مقالاته ونبذة عن حياته وبيبليوغرافيا شاملة لأعماله وأنشطته العلمية.

ويعتبر كتابه *دراسات في أدب الأمازيغيين* (1920) أهم بحث جامع لمختلف جوانب أدبهم وهو بالنظر إلى شموليته، مرجع لكل دارسي هذا الأدب. إلا أنه مازال لم يحظ بما يستحقه من المعالجة النقدية الشافية.

الكتاب ذو طابع وصفي إثنوغرافي موجه بالأساس إلى جمهور المهتمين بالفلكلور عامة وبإفريقيا الشمالية خاصة. وهو نتاج سنوات من التحريات الميدانية والمأموريات العلمية التي أولاها المؤلف كل اهتمامه.

تقع محاوره في أربعة فصول مسبقة بمقدمة تتناول أصل اللغة الأمازيغية وكتابتها والتساؤلات المطروحة حول علاقتها العرقية بلغات من نفس الأسرة. وهي نفس العناصر التي عالجها بتوسع في الفصل الأول حيث تطرق إلى قضايا مازالت في الوقت الراهن من موضوعات البحث الخصبة، ومنها الازدواجية اللغوية للناطقين بالأمازيغية وإشكالية تفرع هذه اللغة إلى لهجات محلية ومدى إمكانية أو استحالة التفاهم بين مستعملي اللهجات المتباعدة جغرافيا.

ويتناول الفصلان الثاني والثالث بنفس العجالة الشمولية التي تطبع الكتاب برمته، قضايا الأدب المكتوب علما بأن التأليف بالأمازيغية ترجع أقدم النصوص الممثلة له إلى أزيد من ثلاثة قرون، خاصة منها النصوص الدينية المتمثلة في ترجمات الكتب الفقهية والعقائدية *كالحوض* *وبحر الدموع* للأوزالي وتآليف شرعية وقانونية وعرفية (أزرف). ودون الخوض في مناقشة الخصائص الفنية لهذا الجنس الأدبي يكتفي المؤلف بالتعريف بظروف ظهورها ووضعية أصحابها، مما يستخلص منه إجمالا مدى حرص الفقهاء والعلماء الأمازيغ على تأدية رسالتهم الإرشادية إلى الناطقين بغير اللغة العربية بعد أن تمكنت العقيدة الإسلامية من نفوسهم واحتضنوا الإسلام ليساهموا بعد ذلك في بلورته ونشره.

أما الفصل الرابع فمخصص لعرض شمولي لمختلف أجناس الأدب الشفوي الناطق بالأمازيغية، وهو مصنف إلى مبحثين أساسيين :

يعالج المبحث الأول جنسي الحكاية والأسطورة بشتى أنواعهما كالحكايات العجيبة والحكايات الساخرة وقصص الحيوان ثم الأساطير التاريخية والمناقبية والتأويلية (تأويل الخوارق).

ويدور المبحث الثاني حول الشعر الشفوي الأمازيغي في كل من المغرب وبلاد التوارگ والقبائل الجزائرية، بما في ذلك من أنواع غنائية وراقصة. ويعتبر هذا المبحث أهم مجال وجد في الدراسات الأدبية الأمازيغية لما بعد الاستقلال منتعشاً على أيدي بعض الباحثين الجامعيين، على خلاف المباحث الأولى المتعلقة بالنشر بمختلف ضروبه.

*Essai sur la littérature des Berbères*, Alger, Carbonnel, 1920, p. 446 ; *Mémorial Henri Basset : Nouvelles études Africaines et Orientales*, Paris, Geuthner, 1928.

الحسين المجاهد

**بَاسْعيد**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر، ويعرف من بين أفرادها :

**بَاسْعيد عبد العزيز** بن أحمد الذي زاول خطة العدالة من سنة 1319/1901 إلى سنة 1323/1905، وما زالت هذه الأسرة بتطوان. والجدير بالذكر أن الفقيه الرهوني يقول عن هذه الأسرة لعلها من بقية أولادا بن سعيد المشهورين في الأندلس بالعلم والأدب والوزارة، وهذا خطأ لأن أسرة أولاد ابن سعيد الأندلسيين هي التي تعرف في تطوان بأسرة السلاوي (انظر ابن سعيد).

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 177 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; *Familias tetuanies* ; *Vademecum de intervenciones*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بَاسْكَار**، أسرة حاحية عالمة، من قبيلة إداگيلول، أنجبت عدداً من الفقهاء والصلحاء، أمثال :

**بَاسْكَار**، أحمد الحاج الشهير بالتدريس والتصوف على الطريقة التجانية.

**بَاسْكَارْ**، عبد الله بن علي، فقيه متمكن خلف والده علي بن أحمد آتي الترجمة في القيام بمهمة التدريس بمدرسة سدي حسا أُحساين إلى جانب فض الخصومات بين الناس واصدار الفتاوى إلى أن توفي بمرض الطاعون الذي حصدستة عشر عالما بنواحي الصويرة سنة 1878/1296 المشهورة بالقحط.

**بَاسْكَارْ**، علي بن أحمد الگيلوّلي الحاحي، أحد أكابر علماء حاحة في القرن الثالث عشر الهجري، حفظ القرآن بقبيلته ثم شد الرحال إلى القرويين بفاس حيث استوعب من العلوم الدينية واللغوية مالا يوجد مثله في المدارس القبلية بحاحة، وعندما عاد اختبره العلامة المفتي أحمد بن ياسين التامري المتخرج بسوس فشهد له أمام أعيان قبيلته إداگيلول بالتفوق، فعقدوا معه على أن يتولى التدريس بمدرستهم الكبرى (سيدى حسا أُحْسايْن) فالتف حوله عدد كبير من طلبة العلم بحاحة، وازدادت شهرته أكثر بمزاولة خطة القضاء والإفتاء بظهير شريف، ولكن ذلك لم يصرفه عن التدريس بجد وحزم.

ومن مواقفه الصامدة أنه حاول أن يتوسط للقبيلة عند القائد الكبير الحاج عبدالله أُبهي في بعض سنوات القحط المتتالية ليؤجل عنها أداء الجبايات إلى سنة قادمة، لكن القائد رفض طلبه وزجره بقوله، (الزم تعليم طلبتك، ولا تتدخل فيما لا يعنيك) فاعتبر الفقيه باسكار هذا الجواب إهانة للعلم والعلماء فأصدر فتوى دينية تستوجب مقاومة الحاكم الطاغي مثل القائد أُبهي إذا تعدى حدود الله وفرض على الناس ما لا طاقة لهم به، فقامت ثورة عارمة ضد القائد شاركت فيها جميع القبائل وتزعمتها قبيلةإداگيلول، فلم يخمد القائد جمرتها إلا باستقدام جيوش كثيرة من مراكش، فظل الفقيه باسكار رمزا للمقاومة والنضال في ذاكرة الحاحيين إلى اليوم.

وقد خلد نظّام أمازيغي اسم القاضي باسكار بمقارنته مع قاضيين آخرين معاصرين له هما الفقيه گُودْرار (الجبلي) الزلطني، والفقيه أحمد بن ياسين التامري المذكور، حيث قال :

إيلاً گودْرارْ، إيلاً باسكارْ، إيلا ياسين
القاضــي بْلا الْقاضي يـاسـين أورْلّين

يعني أن الفقهاء المدعوين بالجَبَلي وباسْكارْ وياسينْ كلهم يُمارسون خطة القضاء، ولكن القاضي المقتدر العادل هو أحمد بن ياسين، ولعله يشير بذلك إلى الحديث النبوي (قاضيان في النار وقاض في الجنة).

وتوفي حوالي عام 1844/1260.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج : 9 ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة* ؛ *تقاييد ورسائل خاصة وعقود في البيوع والفتاوى* بقلم علي باسكار وابنه عبدالله اطلعنا عليها في خزانة حفيدهما الحاج أحمد باسكار.

محمد أيت الحاج

**بـَّاسكون، بـّول** Pascon Paul. ولد في فاس يوم 13 أبريل 1932 من أب مهندس في الأشغال العمومية، قضى طفولته الأولى بين مدينة فاس وضيعة جده المتواضعة الموجودة بأحواز حامة مولاي يعقوب. لا شك أن شغف بول بالحياة الريفية وقدرته على الاقتراب من معاناة الفلاح تجد جذورها بهذه الفترة التي كان جده يصارع بشجاعة ضغوط الدائنين والظروف الطبيعية الصعبة.

في سنة 1953 حصل بول باسكون على شهادة الباكلوريا والتحق بفرنسا لمتابعة دراسته العليا. كانت لديه رغبة قوية في ولوج شعبة تمكنه من دراسة المجتمع وتغيراته لكن شعبة علم الاجتماع لم تنشأ بعدُ رغم وجود كثير من أقطاب هذا العلم بباريس. فقد كانت تطغى على العلوم الإنسانية إما نزعة فلسفية أو قانونية، وإما توجه إثنولوجي لصيق بهموم دولة استعمارية.

درس بول مدة عامين العلوم الطبيعية ثم التحق بشعبة السوسيلوجيا إبان إنشائها سنة 1956. هذا الانتماء المزدوج إلى العلوم الإنسانية والطبيعية جعل من بول باسكون شخصية علمية فريدة يمتاز في ممارساته العلمية بالدقة في الملاحظة وتتبع الظواهر في جزئياتها مع شغف كبير بالرسوم التوضيحية الشيء الذي جعله لا يفقد طوال حياته تلك الغريزة الفضولية التي تميز العلماء الكبار.

لم يكن باسكون عالم اجتماع فحسب، بل كان أيضاً وقبل كل شيء رجلا عملياً Un homme d'action مندمجاً في مغامرة التنمية وملتزماً بقضايا المجتمع.

تحمل عدة مسؤوليات لم يكن غيره ليقبلها، وحاول من خلال أبحاثه أن يساهم في عقلنة التوجهات السياسية والاقتصادية للوطن. هذه المواقف أدت به إلى طلب الجنسية المغربية في أوائل الستينيات.

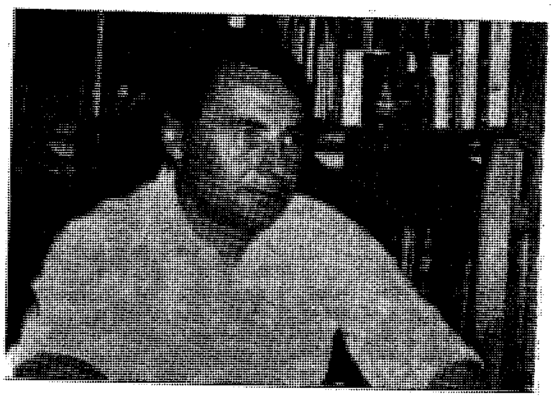

هذا الالتزام بقضايا المجتمع كانت له عدة تجليات في حياة باسكون. إيديلوجياً التقى مشواره الفلسفي بالإيديلوجيا الماركسية فانخرط في الخمسينات في الحزب الشيوعي المغربي. من رفقائه في الخلية نذكر الأستاذ عزيز بلال. لم يدم وجوده بالحزب إلا قليلا. يقول بـّاسكون إنه بقدر ما أحب الماركسية كفلسفة للتغيير تسائل الممارسات اليومية للمجتمع، بقدر ما كرهها كنظرية "طوطا ليطارية" للمجتمع والتاريخ.

"Je ne récuse pas la méthode marxiste et j'essaie de m'en servir dans la mesure de mes moyens. Mais elle ne résoud pas tout et ce n'est pas la seule".

على مستوى البحث العلمي الهادف والجماعي، اختار باسكون البحث الميداني كموضوع وممارسة تساهم في الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها الواقع على الاختيارات الاقتصادية. كان مثله الأسمى هو ذلك العالم الذي يساهم في أخذ القرار التنموي. بدأت هذه التجربة بأول مكتب متعدد الاختصاصات تعاوني ومستقل عن الإدارة EIRESH تم إنشاؤه في بداية الستينيات. أنجز هذ المكتب عدة دراسات تصب مباشرة في رصد الاختيارات الاقتصادية والتنموية، دراسات حول الواقع القروي في المغرب. حول تنظيم العمل بمناجم الفوسفاط أو في ميناء الدار البيضاء إلخ، وانتهت في الثمانينيات بإنشاء مديرية التنمية القروية داخل معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة. شعار واحد التفكير العلمي في خدمة التغيير الاجتماعي. هذه التجربة قادت باسكون رفقة جماعة من الباحثين الشباب من الشاوية إلى تازروالت عبر الأطلس الكبير والريف إلى دول الساحل جنوب الصحراء.

على مستوى الحياة العملية، تقلد بّاسكون بين 1966، 1970 منصب مدير أهم مكتب جهوي للري (مكتب الحوز) في هذه المدة القصيرة نسبيا، قاد عدة عمليات ريادية في مجال السياسة الفلاحية : استرجاع أراضي المعمرين، تصفية تركة الأكلاوي، تثبيت تجربة الإصلاح الزراعي، إنشاء تعاونيات فلاحية للفلاحين الشباب... خلال هذه الفترة غذّى المكتبُ الساحةَ العلمية والسياسية بعدة دراسات ميدانية. حيث إن بّاسكون ما فتىء يلقي المحاضرات في معهد السوسيلوجيا بالرباط ويعاين عن قرب الطاقات العلمية الواعدة ليدفعها إلى مغامرات ميدانية أثْرت الرصيد العلمي بعدة دراسات (عبدالله حمودي، عبدالله حرزني، المكي بن الطاهر، الشرايبي إلخ ...).

في سنة 1970 التحق الأستاذ باسكون بمعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، شعبة العلوم الانسانية. تميزت هذه الفترة بنشاط كبير على المستوين العلمي والتعليمي، حيث كان من وراء حركة البحث في المناهج التلقينية التي تميز إلى الآن معهد الحسن الثاني.

ومن أهمها مؤسسة التدريب التي أصبحت بفضل مجهودات أطر شعبة العلوم الإنسانية محورالأنشطة التعليمية بالمعهد. ففي كل سنة يغادر مئات الطلاب قاعات الدرس لينطلقوا عبر أرياف الوطن ليشاهدوا عن قرب الواقع القروي. كان بول باسكون وراء هذه المغامرة الفريدة التي أثمرت عدة معطيات وبحوث لا تزال في معظمها مع الأسف، حبيسة رفوف الشعبة.

إن حياة بّول بّاسكون العلمية أغنى وأكثر تنوعاً من أن تُختزل في سلسلة من الأطروحات حول المجتمع المغربي. كان عالم مجتمع بتكوينه ومؤرخاً بتوجهاته ومدبراً لشئون التنمية باقتناعاته. ومع ذلك، فإن مساره النظري ليس بذلك الزخم الذي يحسبه الناظر إلى كثرة كتاباته التي تزيد عناوينها على المائة بالرغم من كونه رائداً في عدد من الميادين كالمعالجة الأصيلة للوثائق العائلية، وإعادة الاعتبار للتاريخ الشفوي، والبحث في تصفية الاستغلاليات الفلاحية، وفتح آفاق التحليل المورفولوجي كما هو الشأن في أطروحته حول الحوز....

إننا لا ندعي استنفاد عمله في البحث وهو عمل يتجاوز إمكانية التركيب، كما أننا لا نطمح إلى إعطاء كشاف مختلف إسهاماته في معرفة المجتمع المغربي، ولكننا نود، مع ذلك، أن نتوقف توقفاً قصيراً عند علامتين نظريتين مهمتين طبعتا مساره كباحث من الداخل، وهما : مفهوم المجتمع المتعدد التشكيلات (Société composite)، وموقع السرد الشفوي في إعادة بناء الزمن التاريخي.

لقد شهدت أعوام السبعين ميلاد نقاش شديد الحيوية حول خصوصية المجتمع المغربي. وقد فضل عدد من الباحثين استعمال المعيار الماركسي فجرهم إلى التحدث عن نمط الإنتاج الفيودالي، أما بّاسكون فقد عاكس هذا التيار وسعى إلى الابتكار، إذ رأى أن الباحث في المجتمع المغربي "لا يلقى مجتمعاً واحداً بل مظاهر جزئية من عدة مجتمعات تتساكن في بعض الأحيان في وقت واحد وفي مكان واحد" وهكذا نجد شخصاً معيّنا ينتمي بحسب أنواع السلوك التي تصدر عنه، إلى عدة مجتمعات، والبراهين على ذلك متعددة في كل يوم. فقد نجد فلاحين لهم نصيب في الأراضي الجماعية تذهب نساؤهم يوم "العنصرة" للترحم على أجدادهن وتقديم الذبائح، وإذا أفاقوا في الصباح طلبوا من الخماس أن يحضر البغلة ثم يخرجون بعد أن يتقلدوا الخناجر الفضية (الكمّيات)، متوجهين إلى مكتب الشئون القروية لتقديم طلب جماعي للحصول على القرض الفلاحي".

إن هذا الوصف يوضح بجلاء مدى تعقد المجتمع المغربي ومدى تعذر حصر غناه التعاقدي في أوشام نظرية جاهزة. وفي اعتقاد بّاسكون أن الباحث لا يجوز أن يقف عاجزاً أمام هذا التعقد، بل عليه "أن يبني شبكات من التوافقات الاجتماعية، وأن يكشف عن أنماط التضامن في مجتمع مغرب اليوم، وأن يتقدم بفرضية ترجع كل واحدة من تلك الأنماط إلى توافق - نموذج ، ومجتمع - نموذج، وعليه بعد ذلك أن يبحث في التاريخ وفي الجغرافيا، وفي الطبقات الاجتماعية عما يمكن أن يعتقد أنه النموذج الأصلي Archétype ثم يدرس حركيته الداخلية وقوانين تطوره وتناقضات ذلك التطور والتضاربات التي يتعين عليه أن يتجاوزها ويجعلها في صراع مع الأنماط السابقة واللاحقة...".

تمكّن بّول بّاسكون انطلاقاً من هذا التموقع المنهجي من إرهاف السمع لتلقي النبضات العميقة للمجتمع بلا تحيز ولادغماتية مذهبية، كما تمكن من إدراك الواقعة في ثرائه

ومن إبراز متعدد جوانبه وهو بصدد ذلك كثيراً ما حطم الحدود الأكاديمية بين الاختصاصات العلمية.

أعاد بول باسكون الاعتبار للرواية الشفوية كمصدر لكتابة التاريخ، ولقد كان وقوفه على روايات مقتل هاشم التازروالتي يُعدّ تحولاً حاسماً في عمله التحليلي لأكثر من اعتبار. فعلى مستوى بنية الكتابة، استطاع أن يتحرر من جفاف الأسلوب المجرد الذي اتبعه من قبل، وصار قلمه متيقظاً تشوبه شاعرية تفيض عاطفة تجاه بلده بالتبني (المغرب) دون أن يسقط في الأبوية أو يذعن للتنازل والمجاملة.

أما على مستوى المنهج المتبع، فإن بّاسكون ما انفك يطرح السؤال المتعلق بإمكانية الخطاب التاريخي في بلد تغلب فيه الرواية الشفوية وتتميز فيه الوثيقة بالندرة من جهة، وبالإخفاء المعلن عنه من جهة أخرى. فقد عالج تحقيق مقتل هاشم التزروالتي من خلال تقاطع روايات شفوية، همّشت وظيفة الإخبار وتشبثت بتقنية إضفاء طابع الموضوعية على الخطاب المقدم، حيث يصبح الحدث بالنسبة إليها لا يستمد أهميته إلا من حيث الإخبار التام عن استراتيجيات الإبداء والإخفاء. فالروايات الحدث المختلفة تكوّن بنفسها موضوع تاريخ وتلقي ضوءاً كاشفاً على الوثيقة، ومن خلالها يعود الاعتبار للتاريخ المحلي ليشكّل مجالات التلاقي لتاريخ كلي طالما غلب عليه التعميم وقلة الدقة.

* *

المكان واحة صغيرة في أقصى جنوب شرق موريطانيا على الحدود المالية ساني Sani حيث يتم وضع اللمسات الأخيرة على مشروع متواضع الإمكانيات لنقل تقنيات الري والزراعة إلى رعاة من الأهالي دفعهم الجفاف إلى الاستيطان بمنطقة "العصابة". رئيس الورش ومنفّذ العمليات فلاح سوسي بسيط ينحدر من سلالة زنجية عبرت الصحراء تجاه الأطلس الصغير في أواسط القرن التاسع عشر. كان الفلاح أسمر السحنة بربري اللسان لا يميزه عن حراطين ساني إلا بريق عينيه المتأججتين ذكاءً، وشيء من الحزن يطفو على وجهه كلما سأله بعضهم عن رفقائه في المشروع.

أسبوع وهو يبيت خارج كوخه المتواضع في ساني متأبطاً راديو "ترانزستور" أهداه إياه بّول بّاسكون. موريطانيا تعيش في ربيع 1985 أحداثاً سياسية خطيرة... وإلى حدود 24 أبريل لم يكن سي محمد يعلم أن صديقيه قد فارقا الحياة قبل يومين على بعد ألف كلم، على الطريق الرابطة بين نواكشوط وبوتلميت على إثر حادثة سير. الضحيتان عالمان للاجتماع أكبرهما هو بّول بّاسكون جاءت الموت لتجعل حداً لفكر متأجج وصل في منتصف الثمانينيات إلى قمة عطائه العلمي الذي لم ينضب سيله منذ 1953، تاريخ أول مقالة نشرها بول باسكون بمجلة Hespéris.

*أهم أبحاث بول باسكون.*

*Ce que disent 296 jeunes ruraux : études réalisées pour compte de l'UNICEF, B. E.S.M*, 1968 ; *La question agraire au Maroc*, 1, en collaboration avec N. Bouderbala, M. Chraibi, Rabat, 1974 ; *La Question agraire au Maroc*, 2, en collabaration avec N. Bouderbala, A. Hammoudi, Rabat, 1977 ; *Le Haouz de Marrakech, histoire sociale et structures agraires*, Rabat, 1977, (Thèse de doctorat d'état en sciences sociales) ; *Les Beni Bou Frah, essai d'écologie sociale d'une vallée rifaine, Maroc*, en collaboration avec H. Van Der Wusten, Rabat, 1983 ; *La Maison d'Iligh et l'histoire sociale du Tazerwalt*, en collaboration avec A. Arrif, D. Schroeter, M. Tozy, H. Van Der Wusten, Rabat, 1984.

محمد طوزي

## باسلام ← بَسلام عسّو

**باسلام**، أسرة سلوية لعل أصلها من الأطلس المتوسط. كان يشتغل أفرادها في الجهاد البحري، ولم يعد لهم ذكر في الوثائق بعد مُضي الربع الأول من القرن الرابع عشر (19 م). منهم :

**باسلام، عبد السلام** (الحاج ــ)، كان من بحرية الطبجية، وأخذ الصلة معهم في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875، وكان نصيبه فيها 24 أوقية.

**باسلام، محمد** (سي ــ) بن الطاهر. كان، على ما يبدو، مقرئاً إضافة إلى اشتغاله بشؤون البحر. وبهذه الصفة الأخيرة أخذ الصلة المنفذة للبحارة في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875، وكان نصيبه فيها 26 أوقية.

م. بوشعراء، *التعريف ببني بنسعيد السلاويين*، ج 2، الوثيقتان 84 و85 ؛ *تقييد سيدي بوسلهام البرهمي*، مخطوط.

محمد حجي

**باسليق** Fléau d'armes، آلة عسكرية تدخل في عداد الأسلحة البيضاء الشائعة الاستعمال في المعارك الفردية في الحروب البرية والبحرية قبل اندثارها عقب شيوع استخدام الأسلحة النارية خصوصاً بعد بعد القرن السابع عشر. والباسليق لغويا عرق في الذراع، وعسكريا سلسلة تنتهي عند رأسها برمانة حديدية، كان المجاهدون في الأسطول السلاوي يستخدمونها في القتال على ظهر السفن إما مشدودة أو طائرة.

أنور عبد الحليم، *الملاحة وعلوم البحار عند العرب*، سلسلة عالم المعرفة 13، يناير 1979، ص 113. *S. I. H. M.*

حسن أميلي

**بّاسيدي**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد الغمارية. قد سبقت الإشارة في مادة «باجدّي» إلى أن الجدّ من جهة الأم يعرف في الشمال ب «باسيدي».

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**باشا**، لقب تركي من أصل فارسي، أطلقه العثمانيون على عدد من كبار شخصيات الدولة كالوزراء والولاة وقواد الجيش، وكذا بعض الوجهاء. وسيراً على النظام البيزنطي القديم ، فإن باشوات الولايات التابعة للأمبراطورية العثمانية، خُوّلت لهم صلاحيات واسعة في الميادين

السياسية والإدارية والعسكرية والقضائية.

انتشر هذا اللقب بالمغرب على عهد السعديين واستمر بعدهم، ولو أن بداية استعماله تعود إلى القرن التاسع (15م). وهكذا أطلق على ولاة بعض المناطق الرئيسية أو بعض المدن الكبرى أو ذات الأهمية كفاس ومراكش ومكناس. كما حمل لقب باشا بعض كبار القواد العسكريين.

وعلى سبيل المثال كان محمود زرقون يحمل لقب باشا، وقد خوله المنصور الذهبي سلطات واسعة كالتي كانت لولاة العثمانيين خارج آسيا الصغرى. ومحمود باشا كان أول ولاة السعديين بالسودان الغربي، كما كان عدد من كبار قواد الجيش في العصر العلوي قبل الاستقلال يحملون هذا اللقب. غير أن التقاليد الرسمية المغربية لم تعممه على غير عدد من الولاة والقواد كما سبق، فلم يشمل الوزراء والوجهاء كما حدث بمصر والدولة العثمانية.

ومنذ القرن الثاني عشر (18م). أخذت الطموحات السياسية تراود أكثر فأكثر عدداً من الباشوات ذوي النفوذ في مناطقهم للاستبداد بالسلطة، كما هو شأن بعض القواد والأمراء أيضا، ولو أن أسباب التمرد تختلف حسب الظروف. لكن عدم وجود أنظمة سياسية وإدارية تحدد بشكل دقيق وعام، اختصاصات الولاة والقضاة، وارتكاز السلطة أكثر فأكثر على الولاة وتقليص سلطات القضاة بعد العصر المريني، ساعد على تداخل سلطات الجانبين إلى أن صار اختيارالقضاة قبيل الحماية الفرنسية موكولا للعُمال أو الباشوات.

وفي ظل الحماية اقتصر تعيين الباشوات على المدن. وسمح لهم بالبت أو بالنظر في قضايا جنحية وفي جرائم لا يتجاوز الحكم بالسجن فيها مدة سنتين، وهذا مع وجود حاكم مفوض إلى جانب الباشا، وهو فرنسي يراقب أعمال الباشا وقد يعترض على تدابيره. أما الشؤون البلدية فسلطة الباشا في هذه المرحلة كانت فيها رمزية لأن تسييرها بيد المحتل، مع مشاركة أعضاء مغاربة ليس لأصواتهم قوة فعلية ملزمة مادام القرار والتنفيذ بيد الأعضاء الأجانب. ولم يكن الأمر يختلف بمنطقة الحماية الإسبانية في كثير عما كان بالمنطقة الجنوبية.

وبعد الاستقلال جرد الباشوات والقواد من بقايا السلطة القضائية التي كانت بأيديهم، لكن احتفظوا بسلطات واسعة في مجال الشؤون البلدية حتى مع إنشاء مجالس بلدية وجماعية، إلى أن تحولت هذه السلطات أو أكثرها أخيراً إلى المجالس المذكورة.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ طبعة الرباط، 1973، ص149 ؛ أحمد عطية، *دائرة المعارف الحديثة*، مادة (باشا)، القاهرة،1951 ؛ ع. بنشنهو، *البيان المطرب لنظام حكومة المغرب*، الرباط، 1951/1370 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 :5 ؛ *الجريدة الرسمية* بالرباط، أعداد سنة 1983 وما بعدها ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، 3 ، 411،400.

إبراهيم حركات

**باشا ـ في التنظيم المغربي الحديث ـ** ترسّخ هذا اللقب في جهاز الحكم المغربي عبر الأجيال إلى أن صار أحد دعائم الحكم والتسيير الجهوي والمحلي بالمغرب، فإلى جانب خليفة السلطان الذي يختاره هذا الأخير من بين أبنائه أو أفراد عشيرته الأقربين لينوب عنه في الأقاليم، أصبحنا نجد الباشا الذي يمثله على رأس المدن الهامة، ينتقيه ضمن أعيان المدينة أو قادة الجند.

إلا أن مرتبة الباشوات (أو الباشات) كانت تتفاوت كثيرا حسب أهمية المدينة وشخصية الباشا والظروف العامة السائدة. وهكذا كان هناك خمسة باشوات يتميزون عن غيرهم بسبب القيمة السياسية أو الإستراتيجية التي تكتسيها المدن الموكل إليهم تسييرها، وهي فاس ومراكش وتارودانت ووجدة ومكناس. وكان لباشا هذه المدينة الأخيرة مكانة خاصة اعتباراً لأهمية جيوش «البواخر» الموجودة تحت إمرته. كما أن سلطة باشا مراكش وباشا فاس كانت، نظرا لوزن العاصمتين، تمتد كذلك إلى أحوازهما والقبائل المحيطة بهما. بل إن حكم باشا فاس الجديد كان يشمل أحيانا، إضافة إلى العاصمة العلمية وما حولها، مدن العرائش وأصيلا وطنجة و تطوان.

فحتى دخول الاستعمار في بداية القرن العشرين، ظل الباشا يتمتع بسلطة واسعة جدا وصلاحيات متنوعة للغاية، تمتد إلى كافة مرافق الحياة بالمدينة. فباعتباره والي السلطان عليها، معيناً من قبله بمقتضى ظهير، يسهر الباشا على تطبيق تعليمات «المخزن» واحترام القانون، ويقوم بدور الوسيط بين السلطان والسكان من جهة، وبين هؤلاء والأجانب من جهة أخرى. وهو الذي يترأس صلاة الجمعة بالمسجد الكبير، في المدن التي ليس بها خليفة للسلطان أو في حالة مرض أو غياب هذا الأخير.

وبصفته مسؤولاعن الدفاع عن المدينة، يتوفر الباشا على حامية من العسكر النظاميين وبعض جنود المدفعية (الطبجية)، وهو القيم على مخازن الأسلحة والذخيرة. ومن أجل حفظ النظام والأمن داخل المدينة وتثبيت السلطة وتنفيذ الأحكام، يعتمد الباشا على خليفة له (وأحيانا على اثنين أو ثلاثة حسب أهمية المدينة) وبضع عشرات من «المخازنية» الذين يقومون بدور الشرطة. وفي المناسبات يتلقى الباشا«الهدية» التي يقدمها له صناع المدينة، كما أنه يلجأ، من حين لآخر، بواسطة الجند النظاميين وبتدعيم من عساكر«الجيش» إلى أخذ «الفريضة»، أي ضريبة استثنائية تفرض على قبائل الأحواز كلما أصبح بيت مال المدينة يعاني من عجز كبير.

يمارس الباشا أيضاباسم السلطان، مهمة قضائية أساسية في القضايا الجنائية والتجارية، إلى جانب القاضي الذي يبت في مسائل العبادات والأحوال الشخصية والمدنية، والمحتسب الذي ينظر في النزاعات التجارية والمشاكل الحرفية. والباشا هو المسؤول عن جمع الزكاة والعشور ودفعها للدولة، متقاضيا، عادة، مقابل ذلك

واحداً في المائة من مجموع هذه المداخيل.

مع بسط الحماية على المغرب، عرفت كل مؤسسات الحكم المركزي والمحلي التقليدية تراجعا كبيرا في قوة ونوعية سلطتها. فكما أن السلطان سُلب جل نفوذه لصالح المقيم العام، فإن الباشا قد فقد النصيب الأكبر من صلاحياته القديمة لفائدة رئيس الأشغال البلدية، ممثل المقيم العام، وذلك بموجب ظهير 8 أبريل 1917 المنظم لكيفية تسيير البلديات. (انظر مادة بلدية).

لم يعد السلطان يسمي في هذا المنصب سوى الأشخاص الذين تقترحهم عليه الإقامة العامة، وبذلك أصبح الباشا خاضعا بالفعل لهذه الأخيرة، وإن استمر شكليا يمثل السلطان الذي يوقع على ظهير تعيينه، تابعا للصدر الأعظم. لذا، غدا في الغالب يتم اختيار الباشوات داخل أسر الأعيان المعروفة بولائها لسلطات الحماية أو ضمن الضباط المغاربة الذين عملوا في جيش الاحتلال. وفي المنطقة الشمالية الخاضعة لإسبانيا. كان الباشا تابعا لخليفة السلطان المقيم بتطوان. أما بطنجة، فإن مندوب السلطان هو الذي كان يقوم بدور الباشا في النظام الدولي المفروض.

ومن الناحية الصورية، بقي الباشا - في عهد الحماية - هو الذي يسير شؤون المدينة، وبيده جل السلطات الادارية والتنظيمية والقضائية التي كانت له من قبل. فظهير 1917، المشار إليه، يجعل منه دائماً الحاكم المسؤول عن تطبيق الظهائر والمراسيم المنظمة للحياة الحضرية والضامنة للأمن والنظافة العامة، كما أنه يخول له حق المحافظة والتصرف في ممتلكات المدينة، وحق تمثيل البلدية أمام القضاء.

إضافة إلى ذلك، غدا الباشا يمارس سلطته التنظيمية هذه باتخاذ قرارات بلدية، لكن باتفاق مسبق مع رئيس الأشغال البلدية و لا تصبح نافذة المفعول إلا بعد موافقة الصدر الأعظم عليها. والملاحظ أن حق الموافقة هذا انتزعه بعد ذلك المقيم العام ليمنحه في مرحلة أولى لرئيس الجهة، ثم منذ 1948، لمندوب الإقامة العامة المكلف بالشؤون الحضرية.

ومنح الباشا أيضا صلاحيات مالية واقتصادية واسعة، منها : اقتراح و تقديم ميزانية البلدية، مراقبة الأسواق والمبادلات التجارية، إنشاء أسواق جديدة، تحويل أو إلغاء أو تغيير وظيفة الأسواق الموجودة، تحديد الضرائب والمكوس الحضرية، ضبط أثمان المواد الاساسية وظروف تسويقها، تنظيم نقل البضائع والسكان، اتخاذ التدابير اللازمة لتسهيل المواصلات والسير على الطرقات، الخ. وبصفته المتصرف في ممتلكات البلدية، كان هو الذي يبرم عقود كرائها وبيعها وشرائها والمعاوضة بها وتجزئتها، كما أنه يتسلم التبرعات والهبات والوصايا لفائدة البلدية. بل كان من اختصاصاته كذلك تسليم رخص البناء وإصدار القوانين المتعلقة باستعمال الأراضي وتنظيم المجال الحضري. وإضافة إلى كل هذا احتفظ الباشا - نظرياً - بصلاحيات قضائية واسعة في كافة المجالات المدنية والجنائية والتجارية.

في الواقع كانت سلطة الباشا جد محدودة من جهة لأن قراراته كانت تصدر بإيعاز من الإقامة العامة عبر المراقب المدني أو ضابط الشؤون الأهلية، ومن جهة أخرى لأن كل أعماله وتحركاته كانت مراقبة عن قرب من طرف رئيس الأشغال البلدية، المسير الفعلي للمدينة والمتصرف المطلق في شؤونها.

على كل، إذا كان الباشا وأعوانه مؤهلين نوعا ما للنظر في بعض أحوال المدينة العتيقة، فإنهم لم يكونوا بأي حال مهيئين لتسيير المدينة الأوربية التي اصبحت عمليا مقر المبادرة الادارية والنشاط الاقتصادي.

لكن بزوال الاستعمار، زالت عن الباشاالوصاية والرقابة المفروضتان عليه، فاستعاد جملة نفوذه وتعززت سلطته بشكل واضح في كافة المجالات. ولم ينقص من هذا النفوذ ظهير1960 المنظم للجماعات المحلية. فبموجب هذا القانون، يبقى الباشا، المعين بظهير وممثل السلطة المركزية لدى المجلس البلدي المنتخب بالاقتراع العام.

فالقانون يخوله حق حضور جلسات المجلس البلدي والمصادقة على توقيع الرئيس على المحاضر. وبامكانه تسجيل أي قضية تريدها السلطة المركزية في جدول أعمال المجلس والتعرض لنقاش النقط التي لا يُوافق عليها. ويمثل الباشا الجهازالتنفيذي لقرارات المجلس البلدي، لذا وضعت كل الامكانات البشرية والمالية والإدارية والتقنية تحت تصرفه. وهو أيضا ضابط الحالة المدنية والمسؤول عن شؤون النظافة والصحة والوقاية والأمن بالمدينة. وبذلك ترجع إليه مراقبة المؤسسات التي تمس بصحة وسلامة السكان، وتسليم رخص فتح محلات بيع المشروبات أو المأكولات الجاهزة، وكذا امتلاك سيارة لتعليم السياقة أو تخصيص مكان لوقوف السيارات. وهو الذي يتخذ التدابير اللازمة في الحالات الاستعجالية والاستثنائية (حريق، فيضان، انهيار البنايات وباء، قلاقل......)، ويرخص بدفن الأموات أو إخراج الجثث من القبور.

وفي باب الحريات العامة، بإمكان الباشا منع كل مظاهرة في الشوارع وحمل شعارات أو أعلام أو لافتات يرى أنها تخل بالأمن العمومي. وفي المجال الاقتصادي يحدد الباشا أثمان المواد الأساسية، وهو عضو في اللجنة الاقليمية المكلفة بالأسعار. وللباشا اختصاصات كبيرة في ميدان البناء والتعمير، إذ يسلم رخص البناء ويصدر قوانين تخطيط الشوارع، كما أنه محافظ المآثر التاريخية بالمدينة.

وبالجملة، أصبح للباشا بكل هذه الصلاحيات دور واسع جداً في التسيير الحقيقي للمدينة، لذا فإن هذه الوضعية قد تخلق حالات شتى ومتكررة في تنازع الاختصاصات وتضارب المهام وتعارض المصالح بين الباشا من جهة ورئيس المجلس البلدي من جهة أخرى.

وجاء ظهير30 شتنبر 1976، الذي أعاد تنظيم الجماعات المحلية، ليمنح رئيس المجلس البلدي جل الصلاحيات التي

كانت من قبل بيد الباشا. إلا أنه بموجب هذا القانون احتفظ الباشا بمهمة إقرار الأمن وأصبح له دور استشاري تجاه المجلس البلدي، كماأسندت له صلاحية مراقبة هذا الأخير وتنشيط البلدية وإنعاشها. غير أنه لم يعد في الواقع قادرا على القيام بهذه المهام كما ينبغي، لأن جل مستخدمي البلدية، الذين كانوا تحت إمرته، ألحقوا بالمجلس البلدي، مما قلص كثيراً من دورالباشا. ومن أجل إنعاش هذه المؤسسة التقليدية، اسندت للباشا مهمة مساعدة عامل الاقليم في المدن الكبرى حيث عين في منصب الخليفة الأول لهذا الأخير. وهكذا يكون عمله الأساسي هو المحافظة على النظام والاستقرار، مستعينا بخلائفه على صعيد المقاطعات الحضرية، و«الشيخ والمقدمين» على مستوى الأحياء.

*دراسة شخصية ؛ ظهير 30 شتنبر 1976.*

عبداللطيف فضل الله

**الباشا**، أسرة رباطية لا يعرف، أصلها بالضبط ولا متى قدمت إلى هذه المدينة، غير أنه من المؤكد أنهم استقروا بهده الحاضرة، على الأقل، منذ عهد المولى سليمان (1822.1792/1238.1207) يدل على ذلك مسجد الباشا المنسوب إليهم بحي البحير ة أمام قصبة الأوداية.

عُرف آل الباشا بالاقبال على التجارة والفلاحة، وكانت لهم علاقات واسعة مع بادية الرباط، خاصة في الميدان التجاري. واشتهر منهم :

**الباشا، الحاج محمد**، وهو فقيه متخصص في الرياضيات درسها بمصر ثم قضى حياته بمسقط رأسه يعلّم هذه المادة في المدارس الحرة الأولى أو في دروس خاصة بمنزله أو ببعض المساجد. عاش في كفاف، حسن الهندام يلبس "المحصور" ويعتمّ "بشكشمير" رزة صفراء مزخرفة إلى أن أدركته الوفاة في الثلاثينات من هذا القرن.

**الباشا، عمر بن أحمد**، من نجباء تلاميذ ثانوية مولاي يوسف في أول عهد تأسيسها، تخصص في الحقوق، واتصل بالمقيم العام ليوطي في جملة المتعلمين المغاربة الأولين، ثم عمل في ديوان المقيمين الذين خلفوا ليوطي، قبل أن ينخرط في سلك القضاء، ويصبح عضواً بالمحكمة العليا، محمود السيرة مستقيم الأحكام.

توفي بالرباط سنة 1942/1361، ودفن بضريح سيدي الرفيع الشرقاوي بسوق الغزل أمام قصبة الأوداية.

*وثائق عائلية وروايات شفوية.*

محمد الأمين بلكناوي

**الباشا** (جامع ـــ) مسجد يقع بمشور تطوان بالقرب من ساحة الفدان، ويعرف كذلك بجامع المشور حيث كان يؤدي الخليفة السلطاني بشمال المغرب صلاة الجمعة بصفة رسمية. وقد بناه الباشا أحمد الريفي سنة 1738/1150، وأثناء الاحتلال الإسباني لمدينة تطوان (1860/1276 ـ 1862/1278) حوله الجيش الإسباني إلى خزين مؤونة.

والغالب على الظن أنه كانت توجد بمحرابه المطبعة العسكرية التي طُبعت بها أول جريدة إسبانية بتطوان تحت عنوان *إل ايكو ذي تطوان* *El Eco de Tetuan* (صدى تطوان) يوم فاتح مارس 1860.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 197، 3 : 157، 5 : 322.

F. Villalta, *Las mezquitas de Tetuan*, Ceuta, 1935 ; C. Cerdeira, *La mezquita del Bacha*, Rev. Marruecos, Tetuan, agosto 1933.

**بَاطْشُوط**، فرانسيسكو مادوث Patxot Francisco Madoz كولونيل إسباني قضى حياته كلها يعمل في الخفاء بحكم مهنته، ولذلك لم يذكر أي مصدر تاريخ ومكان ولادته أو وفاته، وكل ما نعرف عنه أنه تخرج من الأكاديمية العسكرية برتبة ملازم. وفي سنة 1908 كان قد حصل على رتبة كومندار حيث عُين خليفة لرئيس مدربي فرقة الشرطة المغربية المحدثة بطنجة بمقتضى عقد الجزيرة الخضراء لسنة 1906.

والغريب أنه لم يرتق لدرجة كولونيل إلا سنة 1919 وظل فيها إلى أن غادر المغرب سنة 1927 فيكون هو الضابط الإسباني الوحيد الذي لم تعامله حكومته بالسخاء التي كانت تعامل به سائر الضباط العاملين في شمال المغرب، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كونه، بالرغم من أهمية الخدمات التي قدمها لبلاده في ميدان الاستعلامات، لم يشارك في أية عملية حربية جرت بأرض شمال المغرب من سنة 1909 إلى سنة 1927.

والدليل على ذلك أننا نجده يقوم بدور الضابط المدرب لفرقة الشرطة المغربية بطنجة، وفي نفس الوقت يرأس إدارة المخابرات الإسبانية بنفس المدينة من سنة 1908 إلى سنة 1923.

وتشهد جميع التقارير التي أعدتها كل من المفوضية الاسبانية بطنجة والإقامة العامة بتطوان ومديرية المغرب والمستعمرات بمدريد على أن بَاطشوط قام بأدوار خطيرة في تزويد إدارة الحماية بتطوان ووزارتي الدفاع والخارجية بمدريد بالمعلومات الدقيقة التي كانت تحتاج إليها لمعرفة حركات وسكنات كل من زعيم المقاومة المسلحة بناحية الكرت الشريف محمد أمزيان وزعيم الحركة بالناحية الغربية الشريف أحمد الريسوني وزعيم الثورة الريفية الأمير عبدالكريم الخطابي. ولبَاطشوط دور أساسي في نجاح العمليات العسكرية التي قام بها الجيش الإسباني لاحتلال مدينة شفشاون يوم 4 أكتوبر 1920، حيث تمكن من جلب الشريف مولاي الصادق الدرقاوي الذي كان يقيم بطنجة إلى جانب المخزن الخليفي وإدارة الحماية الإسبانية فنجده يرافق الشريف المذكور في زيارته لكل من الصدر الأعظم للحكومة الخليفية محمد ابن عزوز والمقيم العام الجنرال بيرينكي Berenguer يوم 28 مارس من السنة المذكورة وكانت نتيجة هذه الزيارة أن التزام الشريف الدرقاوي بالعمل على أن يحول أتباعه بغمارة دون تمكن المجاهدين الريفيين من الوصول إلى ناحية شفشاون

والوقوف في وجه الزحف الإسباني نحو المدينة المذكورة.

وفي يوم 20 سبتمبر 1921 حل بّاطشوط بجزيرة النكور صحبة الشريف مولاي عبد الرحمان بن عبد الصادق في مهمة سرية ظل من أجلها بالجزيرة إلى يوم 25 حيث توجه إلى مليلية لإحاطة المقيم العام علما بما قام به.

ويبدو أن الغرض من تلك الزيادة كان هو مفاوضة الأمير الخطابي في قضية الأسرى الإسبان غير أن الأمير رفض التفاوض معه وأخبر حاكم الجزيرة بأنه يفضل متابعة المفاوضات مع كاتب الإقامة العامة إدريس بن سعيدالسلاوي.

وفي أوائل شهر يناير 1923 عُين بّاطشوط رئيساً لمصلحة المخابرات التابعة للإقامة العامة بتطوان، وعندما أعلن عبدالكريم الخطابي نفسه أميراً على الريف توجه بّاطشوط إلى جزيرة النكور، وهناك ترأس اجتماعا حضرته جماعة من القواد الموالين لإسبانيا، منهم القائد سليمان الخطابي والقائد عبد القادر الحاج الطيب الشيكري، والقائد علال الكبداني، وكان الغرض من هذا الاجتماع الذي جرى يومي 29 و30 يناير1923 الاتفاق على الخطة التي يجب اتباعها تجاه القرار الذي اتخذه الأمير الخطابي.

وفي يوم 16 أبريل من نفس السنة جرت بمياه خليج النكور على ظهر السفينة راينا ريخينطي Reina Regente مباحثات سرية بين أخ الأمير الخطابي والجنرال كاسطرو خيرونا Castro Girona رئيس الديوان العسكري للمقيم العام الإسباني، وكان بجانبه الكولونيل بّاطشوط.

وفي يوم 3 فبراير 1924 عُين بّاطشوط كاتباً عاماً بمديرية المغرب والمستعمرات بمدريد، وفي السنة التالية عاد إلى الإقامة العامة حيث كان في منتصف سنة 1926 مازال يزاول منصب رئيس مصلحة المخابرات بها، وبهذه الصفة نجده يستلم بوجدة الأسرى الإسبان الذين أطلق الأمير الخطابي سراحهم يوم استسلامه بتارگيست في 27 ماي 1926، ولم نجد في المصادر التي نتوفر عليها ما يدلنا على ماآلت إليه حياة بّاطشوط بعد ذلك.


م. ابن عزوز حكيم، *ومضات مضيئة عن الحرب الريفية*، 71 ـ 72 ـ 74 ـ 167 ـ 168، *الجريدة الرسمية لمنطقة الحماية الاسبانية بالمغرب*، سنة 1924، ص. 66.

*Berenguer, Campañas Rif y Yebala.* t : 1, p. 114-255 ; t : 2, p. 55-58-98.


محمد ابن عزوز حكيم

**الباعلوية**، طريقة صوفية يمنية تمتد سلسلتها إلى المغرب وتمثل أحد مظاهرالروابط الروحية والعلمية بين المشرق والمغرب. وإذا كان آل البيت الباعلوي اليمني ذي النسب الشريف الحسني قد برزوا في المجال العلمي والصوفي فإن علم الباطن قد استهواهم فتسلسل سندهم إلى الشيخ عبدالله المغربي وهو عن الشيخ عبدالرحمان المقعد المغربي وهو عن الغوث أبي مدين شعيب دفين العباد بتلمسان. وقد تفرد عدد من علماء المغرب بالرواية عن الباعلويين وملاقاتهم في الحرمين الشريفين، فعلى سبيل المثال لم يفت الرحالة أبا سالم العياشي أن يتصل بأحد شيوخهم بمكة أثناء حجه سنة 1064 هـ وهو الشيخ محمد باعلوي المتوفى سنة 1071 هـ، ولما علم بوفاته قال هذه الأبيات :

| | |
|---|---|
| مات فتى المجد من آل علوى | محمد إمام أرباب النهى |
| قد كان بحراً في المعارف فلا | ترى له في الوقت طرا مشبها |
| وكان غوث مكة تاريخه | قولك قطب وقته مات بها |
| أنا لنا الله به ما نرتجي | دنيا وأخرى وكفانا مادها |

وأورد العياشي سند شيخه هذا، فقال :"وأما سند شيخنا في طريق القوم فقد لقيته بمكة المشرفة بداره أواخر سنة أربع وستين، ولقّنني والبسني كوفيته من لباس رأسه بيده المباركة..." وأعطانا سنداً للطريقة الباعلوية.

وفي سنة 1143 هـ تجددت هذه الروابط الروحية بين الباعلوية والمغاربة ممثلة في الوزير الاسحاقي الذي رافق الأميرة خناثة زوج السلطان مولاي إسماعيل في حجتها، فقد لقي هو وابن أخته محمد بن العربي المكناسي بمكة أحد شيوخ الباعلويين واسمه عمرالبارالباعلوي الحسيني ومن خلال هذا اللقاء تعرّف الإسحاقي على سند الطريقة الباعَلوية التي تتصل بأبي يعزى دفين تاغيا بالأطلس المتوسط عن طريق أبي مدين الغوث. وأخذ محمد بن العربي المكناسي الطريقة الباعلوية عن الشيخ عمر البار. وسجل الإسحاقي في *الرحلة* تعلق الباعلويين بالشيخ أبي يعزى ومحبتهم البالغة فيه....

وأما المؤرخ المغربي محمد بن الطيب القادري فقد ترجم للشيخ محمد الباعلوي في *نشر المثاني*، معتمداً على *رحلة العياشي*.

وتستمر هذه الصلات العلمية والتربوية بين آل باعلوي وجملة من العلماء المغاربة الذين أدوا فريضة الحج، فهذا الشيخ أحمد الباعلوي المعروف بجمل الليل، مسند المدينة المنورة ومحدثها المتوفى سنة 1216 هـ يأخذ عنه الرحالة محمد بن عبدالسلام الناصري الدرعي، كما أن المحدث المغربي عبدالحي الكتاني يروي ثبت أحمد الباعلوي ويشير في عدة مواضع إلى الطريقة الباعلوية وروايته لبعض برامج شيوخها في كتابه *فهرس الفهارس*، ومن ذلك حديثه عن كتاب *الجزء اللطيف في علم التحكيم الشريف* لشيخ شيوخ اليمن أبي بكر العيدروس الباعلوي وهو في نحو خمسة كراريس ووصفه بقوله : "وهو مؤلف نفيس فيه مهمات وآداب صوفية بلسان قديم، ذكر فيه أسانيد الباعلوية والقادرية...". ويمضي الكتاني في الحديث عن هذه الصلات العلمية والروحية بين آل باعلوى والمغاربة فيقول : "وأعلمُ من لقيناه منهم شيخنا السيد حسين الحبشي، صافحني وشابكني وألبسني وأجازني كما فعل معه ذلك والده السيد محمد بن الحسين الحبشي الباعلوي المكي ...". وتمتد رواية الكتاني إلى الشيخ أبي بكر الشلبي باعلوي عن والده الامام أبي بكر باعلوي المتوفى سنة 914 هـ.

ومرة أخرى يورد سنده بالباعلويين : "وأروي عَاليا عن السيد أبي بكر شهاب الدين الباعلوي كتابة من الهند عن محمد بن عبدالله بالسودان المتوفى سنة 1281 هـ وتتكرر مروياته لثبت أحد شيوخهم، فهو يروي ثبت محمد بن سعيد المعروف بابن عگيلة، *عقد الجواهر في سلاسل الأكابر*، ويضم ثمان عشرة طريقة، ويزداد اهتمام الكتاني بالشيوخ الباعلويين فيطلع على معجمهم المسمى *عقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية بذكر طريق السادات العلوية* للشيخ الصوفي المسند عيدروس بن عمر الحبشي الباعلوي المتوفى سنة 1314 هـ. فيختصره في كراستين.

أ. العياشي، *الرحلة العياشية*، 2.: 90.89 ؛ الاسحاقي، *رحلة الوزير الاسحاقي*، مخطوط، خ.ح. 1428 ز، ص. 281 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 2 : 115، ت. محمد حجي وأحمد التوفيق ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، ت. إحسان عباس، ص.120.109 ، 311، 552، 865، 866، 867.

محمد ماگامان

**بَاعلي**، علي بن التهامي التازارنيني. للتعرف عليه لا بد من الرجوع إلى مؤلف وضعه شيخ الزاوية الناصرية بتنغير، المهدي الناصري الموالي للأگلاوي وسماه *نعت الغطريس الفسوس هيّان بن بيّان المنتمي إلى السوس*، في ذم المقاومة التي تزعمها مبارك التوزنيني الأقاوي بتافيلالت محاولا إزالة الطابع الوطني عنها ويقول في التعريف بـ "بّاعلي" متحاملا عليه :

"...أصله من حراطين تازارين، وجده يسمى الحسن. له أولاد منهم الحاج عبد السلام قاضي تازارين اليوم، ومنهم التهامي والد "بّاعلي" هذا. وكانت دراهم دار خير وصلاح إلى أن نشأ فيهم هذا الشقي فكان من أصحاب المدعي (التوزنيني) أمره أن يتعاون مع العيساوي (أحد قواد المقاومة)، فأظهر من العسف وسفك الدماء ونهب الأموال شيئاً عظيماً، فلم يتصل بقصر من قصور هذه الناحية إلا بدأ بقتل إمام المسجد وبمصادرة أهل اليسار واعتقالهم، ثم يبعث بهم إلى متبوعه مع ذخائرهم ... وللرجل من الإقدام والصرامة والغلظة والبراعة مالا يجهل...".

مرّ "بّاعلي" بمرحلتين أساسيتين :

المرحلة الأولى من 1916 إلى نونبر 1919 : كان فيها إلى جانب مبارك التوزنيني عند قيام مقاومته انطلاقاً من مرحلة التحضير والإعداد قرب النيف إلى مرحلة اندلاع هذه المقاومة يوم 3 يوليوز 1918 لما دبر "التوزنيني" عملية اغتيال الضابط أستري حاكم تافيلالت. ومنذ ذلك الحين أصبح من المقربين وشارك في معارك ضد الفرنسيين بتافيلالت. وقد أرسله التوزنيني برفقة الخليفة الحسن العيساوي إلى مناطق غريس وفركلة وتدغة خلال سنة 1918 قصد استنفار القبائل للجهاد وجمع الأموال، إلا أن هذه الحملة كانت ذات طابع عنيف انتقامي، حيث تمت الإغارة على القرى المختلفة وقتل الأعيان والفقهاء لموالاتهم للأگلاوي والاستعمار. وقد تمت محاصرة قصر تنغير مثلا لمدة شهر وثمانية أيام، وقطع عنه الماء، وتم قطع الأشجار المثمرة كالنخيل وغيره. وهذا ما دفع الأگلاوي إلى القيام بحملته الأولى على تدغة سنة 1918/1337 بإيعاز من السلطات الفرنسية لمحاصرة مقاومة تافيلالت. ويقول صاحب *نعت الغطريس*"... ثم حلت الحملة الأگلاوية بوادي تدغة، ثم إن الحاج التهامي وأخاه حمو قاما في تدغة 23 يوماً ترد عليهما فيها القبائل. ثم رجع الأگلاويان بعدما وضعا في تنغير حامية، فتعرض لهما العطاويون بفم القوس فأوقعا بهم رقعة شنيعة ...".

أثار وجود الأگلاوي في تدغة غضب قائد المقاومة بتافيلالت، وبعث برسالة إلى المهدي الناصري يندد فيها بالمتخاذلين المتحالفين مع الأگلاوي : "الذين تركوا المسلمين في مشقة الجهاد فاشتغلوا بملاقاة الأگلاوي والفرنسيين". وهدد في رسالته بالانتقام من الذين سمحوا للأگلاوي بوضع قدمه في تدغة. وفي هذا الإطار جاءت الحملة التأديبية لكل المناطق الموالية للأگلاوي وخاصة تدغة، فعين على رأسها بّاعلي التازارنيني، فاستغل هذا الجو المشحون للقيام بمزيد من أعمال الإرهاب والبطش، ومست حملاته الانتقامية أعيان أيت مرغاد بغريس وفركلة وشيوخ الزوايا، وكذلك أعيان تدغة. وهكذا أصبح سكان هذه الواحات موضوع نزاع بين الأگلاوي والفرنسيين من جهة، والحملات الانتقامية للمقاومين من جهة أخرى، الشيء الذي أضعف قدرة هؤلاء السكان على التحمل.

وقد قام بّاعلي في تدغة مثلاً بأعمال انتقامية ضد القصور المساندة للأگلاوي يقول عنها صاحب *نعت الغطريس* :"... ثم احتل أيضاً (بّاعلي) قصر أهل "حلول" باستدعائهم إياه. وكذلك فعل كثيرون حتى لم يبق إلا قصور اسفلو وتنغير وأفنور، فهم الوافون للأگلاوي، فضيق عليهم تضييقاً شديداً. فانقطعت إليهم السبل وارتفعت الأسعار وبلغ مد القمح عشر ريالات إن وجد، وبلغ الشعير سبعا، والملح لا يكاد يوجد. والنخيل يقطع والمزارع تفسد...".

وفي خضم هذه الأحداث شنآن بين قائد المقاومة مبارك التوزنيني وخليفته بلقاسم النگادي مما أدى إلى مقتل "التوزنيني" على يد "النگادي... في نونبر 1919/1337 فآلت أمور الجهاد والمقاومة إلى هذا الأخير.

المرحلة الثانية من 1919 إلى وفاة بّاعلي : لما تولى بلقاسم النگادي أمور المقاومة والجهاد أخذ يُعد العدة لمواجهة الجيوش الفرنسية الزاحفة نحو تافيلالت. وأرسل من جديد بّاعلي إلى الواحات المجاورة لتافيلالت على رأس حوالي خمسين مقاتلا من أيت مرغاد فرع أيت عمرو ومنصور القاطنين بگلميمة، ومائة مقاتل من أيت يحيى وعثمان القاطنين بغريس. فاتجه نحو تدغة إلا أنه انقلب ضد أيت مرغاد المكونين لحركته.

"ولما سمع بّاعلي التازارنيني بثورتهم على النگادي وهو بتدغة اعتقل نيفاً وأربعين من المرغاديين الذين في

جيشه وأهل فركلة من المرغاديين، ثم قتلهم في ساعة واحدة وترك أشلاءهم للكلاب ..." (*المعسول*، 16 : 298) ثم صار بّاعلي بجيشه منحرفاً عن المقاومة يُغير على قصور سمرير في أعالي نهر دادس، وعلى أيت داود بأعالي نهر غريس، ونهب قصور كردوس وأيت هاني وسلب أموال الأسر الغنية.

هكذا أصبحت عصابة بّاعلي المكونة من حوالي 300 مقاتل ذات شأن تفرض الإتاوات على أبناء القرى وتُغير عليها في وضح النهار، إلى أن نصبت نفسها سلطة حاكمة. وقد استغلت سلطات الاحتلال أعمال هذا الشخص للإساءة إلى المقاومة وفرض "أمنها" على السكان كبديل لأعمال العنف والنهب والقتل التي مارسها "بّاعلي". ومن هنا يمكن القول إن باعلي ساهم في إضعاف القبائل على المواجهة ومهّد الطريق لدخول جيوش الأكلاوي إلى المنطقة التي هي بمثابة رأس جسر للاحتلال الفرنسي. وكانت نهاية بّاعلي على يد جيش يقوده التهامي الأكلاوي والجنيرال "دولا موط" سنة 1920 في مكان يدعى فم القوس بين إمطر وتنغير.

وما زالت الذاكرة الشعبية في كل هذه المناطق تؤرخ الأحداث إنطلاقاً مما تسميه "عام بّاعلي".

المهدي الناصري المدعو "باهدي"، *نعت الغطريس الفنسيس هيّان بن بيّان المنتمي إلى السوس* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 16، ص 263، 314 ؛ م. المعزوزي و هـ. العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات* ؛ *تقارير ضباط الشؤون الأهلية* ؛ *روايات شفوية*.

عبدالقادر بوراس

**باعمران** (أيت ـ) ـ جغرافيا ـ هي إحدى القبائل البربرية الكبرى بالسوس الأقصى، تستقر في الأطلس الصغير الأطلنتي. تحدها من الشمال قبيلة أهل الساحل وقبيلة أيت بريم، ومن الشرق قبيلة الأخصاص، ومن الجنوب قبائل تكنة العربية.

تتكون أيت باعمران من مجموعة من القبائل الصغرى : أيت الخمس، أيت بويكر، اصبويا، امستتن، أيت عبد الله، وتنتمي إداريا إلى إقليم تزنيت. وهي مقسمة إلى أربع جماعات قروية : اثنين أملو و تيوغزة و مستي اصبويا، وجماعة حضرية واحدة هي بلدية إفني.

تستوطن هذه القبيلة قسماً كبيراً من المجال المعروف بكتلة إفني، الممتد على مساحة حوالي 2.000 كلم$^2$، ويوفر بسبب اتصاله بالبحر موارد طبيعية متنوعة ومهمة بالمقارنة مع المناطق المجاورة. لكن خضوع المنطقة للاستعمار الإسباني منذ سنة 1934 وإلى 1969، جعلها تنعزل عن باقي أجزاء التراب الوطني وترتبط بإسبانيا ومستعمراتها في إفريقيا الغربية. الأمر الذي عطل نموها وعرقل عملية إعادة إدماجها في الاقتصاد الوطني.

تشكلت أراضي أيت باعمران في بنية تجمع بين قاعدة قديمة ما قبل ـ كمبرية، مركبة من صخور بلورية وأخرى متحولة، وغطاء رسوبي من الزمن الأول مشكل من صخور كاربوناتية دلوميتية وكلسية. والكل تقطعه انكسارات كبرى ذات اتجاه شمالي شرقي/ جنوبي غربي.

إن هذا التنوع المخاري حدد مشهداً تضاريسياً يجمع بين أشكال مختلفة :

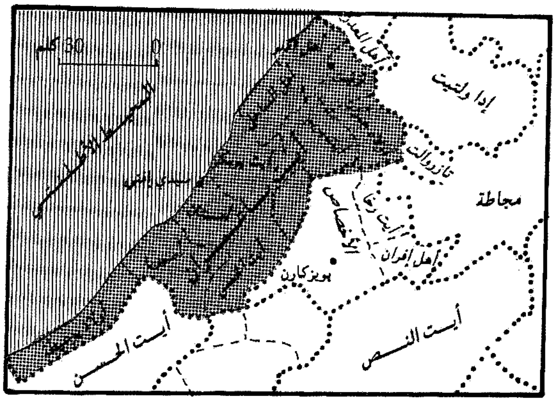


أيت باعمران

المظهر الجبلي يعطي للجهة الجنوبية والوسطى من المنطقة مظهراً خاصا، يتركب من أشكال تضاريسية كتلية مشكلة في صخور الريوليت والأندزيت، يصل ارتفاعها عندها إلى أقصاه (جبل فوكو : 1250 م). وفي اتجاه الشمال يتحول هذا المشهد إلى سلسلة من المتون يتناقص ارتفاعها تدريجيا إلى أن يصل إلى دون 500 م.

المنخفضات : أهمها منخفض تگرگرا المشكل في الشيت والغرانيت، تتخلله تلال وعوارض مرتبطة ببروزات صخرية ريوليتية، ويغلفه غطاء ترابي سميك.

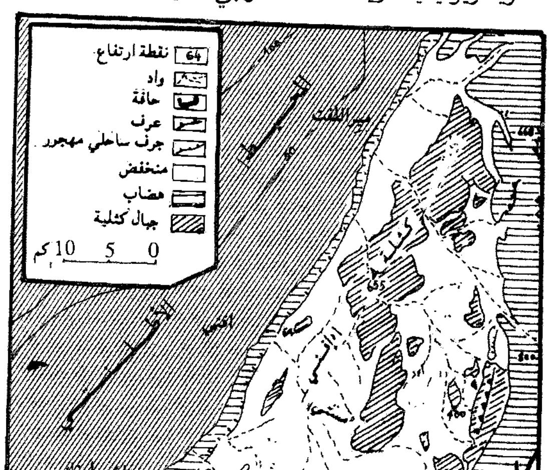


تضاريس كتلة آيت باعمران

الهضاب : تتمثل أولاً في شريط هضبي مرتفع (800 ـ 900 م)، مرتبط بهضاب الأخصاص الكلس ـ دلوميتية، يتخذ شكل هالة انتقالية بين كتلة إفني ومنخفض گلميم. إضافة إلى هذا يمتد على طول الساحل

الأطلنتي شريط هضبي متقطع يتراوح عرضه بين 400 و3500 م يحده ويشرف عليه من الجهة الشرقية سفح طويل بفارق ارتفاعي يتراوح بين 150 و300 م. وينتهي من جهة الغرب بجرف ساحلي يشرف على البحر بحوالي 40 م.

ـ الساحل : يمثل شكلاً بنيوياً أصليا تخطيطه مستقيم يوفر أجرافاً صخرية تحادي هضبة يتزايد اتساعها بشكل واضح في اتجاه الجنوب، وتواجه عبابا عنيفا في جل الأوقات. أماالشواطئ فإنها محدودة ولا تظهر إلا عند مصبات الأودية (واد إفني، واد أسكا...).

هذه المنطقة رغم وقوعها عند عروض جافة (شمال 29 °) تتميز بضعف التساقطات المطرية(إفني 147 مم/ سنة)، فإن اتصالها بالبحر جعلها تعرف رطوبة مهمة نسبيا تتمثل في ارتفاع نسبة التغيم (إفني : 52٪) خاصة خلال الصيف، وفي أهمية التساقطات الخفيفة. الحرارات المسجلة معتدلة، والفوارق الحرارية السنوية واليومية ضعيفة. الأمر الذي ساعد على ظهور وتطور غطاء نباتي كثيف يتكون من تشكيلتين أساسيتين تشكيلة الأركان وتشكيلة الدغموس (الزقوم) اللتان تلعبان دوراً أساسياً في استقرارالغطاء الترابي السميك، المرتبط بتطور جيمرفلوجي متقدم، وفي حمايته من التدهور. لكن العامل البيئي المحدد في المنطقة يبقى هو الماء إذ لا تتوفر المنطقة على أي نظام هدرولوجي دائم، كما أن البنية الجيلوجية لا تسمح بتكوين سديمات مائية مهمة، باستثناء التكوينات السطحية الحديثة المنحصرة داخل المنخفضات، أو على طول الأودية والتي تبقى مواردها محدودة جداً. وزيادة على هذا فإن المياه المتوفرة تتميز بتركز ملحي عال.

بلغ مجموع سكان أيت باعمران حسب إحصاء 1982 قرابة 64.000 ن وذلك في الوقت الذي بلغ فيه سنة 1974 حوال 59.500 نسمة. ومعنى ذلك أن ساكنة المنطقة تعرف نسبة نمو سنوي قد تكون الأقل على الصعيد الوطني، وهي 0،65٪. أي أن ساكنة المنطقة لا تنمو إلا بحوالي 400 ساكن جديد في السنة وذلك رغم شساعتها.

| | 1971 | | 1982 | | التزايد السنوي (٪) |
|---|---|---|---|---|---|
| | العدد | ٪ | العدد | ٪ | |
| سكان الأرياف : الجماعات | | | | | |
| مستي | 4.707 | 7،9 | 4.808 | 7،1 | 0،19 |
| اصبويا | 11.053 | 18،5 | 9.407 | 14،7 | - 1،45 |
| تويفزة | 15.925 | 26،7 | 18.129 | 28،3 | 1،18 |
| اثنين املو | 14.099 | 23،7 | 15.372 | 24 | 0،78 |
| المجموع | 45.784 | 77،1 | 47.706 | 74،6 | 0،37 |
| بلدية افني | 13.650 | 22،9 | 16.188 | 25،3 | 1،56 |
| المجموع | 59.434 | 100 | 63.894 | 100 | 0،65 |

إن هذا النمو يعرف تبايناً واضحاً بين السكان الحضريين والريفيين :

ـ السكان الحضريون : تتوفر المنطقة على مركز حضري واحد يتمثل في مدينة إفني وهي مدينة حديثة العهد ارتبط ظهورها بدخول المستعمر الإسباني إلى منطقة أيت باعمران، حيث جعل منها موقعا عسكريا وإداريا يراقب من خلاله الطريق الرابطة بين إسبانيا ومستعمراتها بإفريقيا الغربية. وعند مطلع سنة 1969 تخلت إسبانيا عن مصالحها الاستعمارية تحت ضغط المقاومة المسلحة، فعادت إفني إلى المغرب وتم إعلاتها جماعة حضرية ومركزاً لدائرة أيت باعمران وأهل الساحل.

هذه المدينة تعرف نمواً ديموغرافياً محدوداً لا يتجاوز 1،56٪ في السنة.

ـ السكان الريفيون : سجلوا نسبة نمو سنوي هزيلة جداً بلغت إلى حدود 0،37٪. بل هناك جماعة قروية سجلت نسبة نمو سنوي سلبية خلال نفس الفترة (1،45 ٪) وهي جماعة اصبويا. وهذا التفاوت في النمو السكني بين المدينة والريف جعل نسبة السكان الريفيين تتناقص لصالح السكان الحضريين الذين أصبحوا يشكلون نسبة 25،3٪ سنة 1982 مقابل 22،9٪ سنة 1971.

إن هذا النمو السكاني الضعيف داخل منطقة أيت باعمران، لا يعود إلى ضعف التزايد الطبيعي، وإنما إلى الهجرة التي كانت وما زالت تميز المنطقة. وهي مرتبطة بتواضع الموارد الاقتصادية المحلية من جهة، وبالصعوبات التي واجهت إعادة اندماج اقتصاد المنطقة داخل الاقتصاد الوطني من جهة ثانية. وتشكل هذه الهجرة القوية تيارا وطنيا يتجه نحو المدن الداخلية، وتياراً دولياً يتجه نحو أوربا الغربية بدأ يتقلص حجمه. ويلعب هذان التياران دوراً أساسياً في إنعاش الحياة الاقتصادية بالمنطقة، وذلك أمام ضعف موارد النشاط الفلاحي الذي يعتمد على الرعي وعلى زراعة الحبوب على طول الأودية وداخل المنخفضات حيثما تسمح الأمطار بذلك، وأمام ضعف استغلال الموارد السمكية الذي يقتصر عل صعيد ساحلي محدود بمدينة إفني.

P. Oliva, *Aspects et problèmes géomorphologiques de l'Anti-Atlas Occidental*. R. G. M, 1972, 21, 43, 77 ; Ministère du Plan, *Population légale du Maroc*, Rabat, Dir. Statistique, 1982.

الحسن المحداد

**باعمران** (أيت ــ) ـ تاريخ ـ يحد أيت باعمران من الجهة الشرقية مناطق مرتفعة، ومن الناحية الشمالية مناطق واطئة، أما الجهة الجنوبية فتمثل بداية المناطق الصحراوية. ومن ثم فأيت باعمران تعتبر منطقة انتقال من نمط حياة يغلب عليه التنقل المستمر إلى نمط عيش يسود به الاستقرار. ولهذه الخاصية انعكاس على مستوى اللغة، فالعربية تهيمن بالقسم الجنوبي المفتوح على الساحل، بينما تسود تاشلحيت في بقية أرجاء أيت باعمران.

يتميز بلد أيت باعمران بعدم ملاءمة ظروفه الطبيعية، التي زادها حدة تلازم غلبة الجفاف مع سيادة التربة الفقيرة. إلا أن التنوع النسبي للتضاريس والوقوع على المحيط وفرا

إمكانية ممارسة نشاطات فلاحية متكاملة قصد توفير القوت.

شكل انتظام المجموعات بأيت باعمران ضارب في القدم، تؤثر فيه أعراف متوارثة. فكل قبيلة تتشكل من مجموعات متفاوتة الحجم. والوحدة الأساسية في هذا الانتظام كانت هي "الفرضة"، التي تشبه الأسرة الكبيرة بإنولتان من حيث كونها "وحدة مالكة ومنتجة ومشاركة في الحياة الاجتماعية"، غير أنها تختلف عنها من حيث الحجم.

كان هذا الانتظام يكتسي طابع تحالف سياسي يعتريه التغير بصفة دائمة. إذ التماسك داخل كل قبيلة لم تكن تجسده سوى بعض الفرق، بينما الفرق الأخرى كانت متأرجحة من حيث انتماؤها بين القبائل التي كانت تتاخمها. إلا أن تطور انتظام المجموعات داخل كل قبيلة لم يكن يخضع لعوامل داخلية، بقدر ما كان يتحكم فيه الصراع الذي كان يعيشه أعيان قبائل الأطلس الصغير الغربي وقبائل تكنة. أما التدخل الصادر عن السلطة المركزية سنة 1882، فلم يكن له أثر مباشر في شكل انتظام المجموعات، سواء بالنسبة لأيت باعمران أو بالنسبة لغيرها من قبائل سوس. وهذا خلاف لما هو وارد في التنظير الاستعماري، خاصة لدى روبير مونطاني وكذا التحاليل اللاحقة للنظرية التجزيئية.

كان لشكل انتظام المجموعات ارتباط بتوزيع المجال الباعمراني، وبظروف استثماره اقتصاديا، وبما انبثق عن تلك الظروف من عادات وتصورات. وبموازاة النشاط الفلاحي هناك نشاط تجاري يتم في أسواق أسبوعية ومواسم. وقد كان لهذه الأسواق والمواسم أدوار متعددة، من جملتها تجسيد شخصية كل فرقة. ومن جملة ما كان يضمن استمرار وحدة فرق كل قبيلة أوفاق عرفية يخصص عدد من بنودها لتنظيم التبادل، وضمان استمراره مع القبائل المجاورة للتراب الباعمراني.

استفاد الباعمرانيون من موقع موطنهم في سد حاجياتهم مما كان ينتجه الرحل، والمستقرون بسهول غنية، أو بمناطق جبلية ذات منتجات مغايرة، إلا أن الصويرة كان لها دور كبير في تزويد أسواق أيت باعمران بالمواد الاستهلاكية المحلية أو المجلوبة من أوربا كالشاي والسكر. وقد كان هذا الاتصال معبرا لانتقال صدى المشاكل التي كانت تعيشها التجارة بالصويرة، كما كان وسيلة لضبط علاقة أيت باعمران بالمخزن.

لم تكن قبائل أيت باعمران وسائر قبائل سوس الأقصى خارجة عن طاعة المخزن، كما تفيد مصادر أوربية مغرضة، ووثائق مخزنية كانت تستهدف مواراة ضعف السلطة المركزية ودرء الأطماع الاستعمارية، وانما ظلت علاقتها بالمخزن إلى حدود 1882 تتميز بخصوصيات :

1 - عدم وجود قواد بالقبائل : فباستثناء عامل سوس الذي كان يعين من بين قواد حاحة أو من بين قواد الجيش أو قواد عبيد البخاري، لم يكن لمنصب القائد وجود بقبائل سوس، وإنما كان بها أشياخ يتوسطون بين قبائلهم وبين عامل سوس الذي كان مقره بتارودانت.

2 - لم يكن المخزن يهمه من هذه القبائل جباية الأعشار والزكاة، بقدر ما كان يهمه حفاظها على أمن الطرق توقيرها لأشياخ المخزن. ومرجع هذا الزهد ضعف الانتاج الفلاحي للقبائل المعنية، وأهمية التجارة الصحراوية بالنسبة لمداخيل الصويرة من الصاكة والأعشار.

3 - وجود مؤسسات تقليدية تشرف على سير الحياة بداخل القبيلة، وفق أعراف تضبط علاقتها بالمخزن منذ ما قبل القرن التاسع عشر. فقبائل أيت باعمران احتفظت بمؤسسات تقليدية تنظم شؤونها الخاصة، وإن كانت تعد من مظاهر خلع طاعة المخزن بقبائل تقع خارج سوس. إلا أن العرف لم يكن المرجع الوحيد في النظام القضائي بأيت باعمران، ذلك أن السلطة القضائية كانت موزعة بحسب الاختصاص بين القضاء الشرعي والعرفي، وتلك حقيقة يجب التأكيد عليها. كما ينبغي التأكيد على ضرورة التمييز في العرف بين صنفين :

- المتجدد على يد "الجماعة" وهوالمنظم لسائر جوانب الحياة داخل القبيلة.
- المتجدد على يد المخزن، وهو المنظم لعلاقة القبيلة بالسطلة المركزية.

فأهمية الصويرة بالنسبة لاقتصاد قبائل آيت باعمران وبقية قبائل سوس الأقصى، جعلت منها أهم وسيلة لفرض التزام القبائل المعنية بالأعراف التي كانت تنظم علاقتها بالمخزن. غير أن تظافر ظروف داخلية وأخرى خارجية في النصف الثاني من القرن الماضي، مكن دولا أوربية من استغلال استعداد الحسين أُهاشم وأعيان من أيت باعمران وتكنة، بمن فيهم أشياخ ومخزنيون، للدخول في علاقة تبادل مباشر عبر مراسي محلية. مما دعا السلطة المركزية للانتقال إلى عين المكان سنة 1882، قصد اتخاذ اجراءات تصون مكاسب المهيمنين على وسائل الانتاج، وتضمن استمرار الرقابة المخزنية للتبادل الذي كان يتم بين المؤسسات التجارية الأوربية وبلاد السودان.

تضمنت التعديلات التي أدخلها المخزن، خلق جهاز إداري مشابه لذلك الذي كان موجودا بالقبائل التي تعرف تمركز المخزن. غير أنه جهاز متكيف مع الأعراف المحلية، بما فيها شكل انتظام المجموعات الّذى روعي في تحديد القيادات والمشيخات. وقد روعيت أيضا خصوصيات القبائل المعنية، عندما أقبل المخزن على تطبيق الإصلاح الجبائي المعروف «بالترتيب». إذ اكتسى ترتيب سوس الأقصى مضمونا مغايرا «للترتيب» الذي همّ مناطق كانت تتميز بهيمنة المخزن وبأهميتها الاقتصادية. فالظهير المصدر لترتيب قبائل سوس الأقصى، يمتطي المخزن من خلاله الموعظة في دعوة جماعة كل قبيلة إلى أداء الزكاة والأعشار وفقا للنصاب الشرعي لا تبعا للمتلكات، والقدر الواجب يسدد عينا لا بتقدير ما يقابله من الريال.

إن التدخل الأوربي خلخل علاقة قبائل أيت باعمران وبقية قبائل سوس الأقصى بالمخزن، مما استدعى تجديد الأعراف المنظمة لعلاقتها بالمخزن بشكل يستجيب لشروط الظرفية. ومن أهم ما ميز هذا التجديد، اقرار المؤسسات التقليدية مع تركيز سلطتها نظريا في يد القواد المنصبين، الذين تزايدت هيمنتهم على اختصاصات المؤسسات التقليدية إلى أن دكت دورهم انتفاضة عارمة عقب 1894.

كانت قبائل أيت باعمران من جملة القبائل التي ساهمت في حركة الجهاد ضد المستعمر بزعامة أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين فمُربّيه ربّه والشيخ النعمة. إن الاحتلال الفعلي للمنطقة لم يتم إلا في أبريل 1934، حيث تمكن الجنرال كابّاس من إنزال جيشه بمرسى سيدي إفني، بمقتضى اتفاقية أبرمها مع بعض أعيان المنطقة.

منذ 1935 أخذت معالم مدينة ذات طابع إسباني تتبلور في أرض منخفضة تنحصر بين الساحل والجبل، كان من معلماتها ضريح سيدي افني الذي أصبح يميز هذه المدينة الناشئة أسس بها ميناء لإحكام ربطها بكل من جزركناري وإسبانيا والقسم الشمالي من المغرب. ونظراً لضعف الإمكانيات الاقتصادية للمنطقة، ظلت وظيفة مدينة إفني منحصرة في الحفاظ على استمرارالحكم الإسباني بأيت باعمران.

إذا كان الاحتلال الاسباني لم يُحدث تغييرا واضحا على مستوى الانتاج الإقتصادي، فإن تأسيس الميناء جعل المنطقة أكثر انفتاحا على إسبانيا وجزر كناري والقسم الشمالي من المغرب. حيث كان يوجد مقر خليفة السلطان الذي كانت تربط أيت باعمران به تبعية اسمية. مكن ارتباط أيت باعمران بالقسم الشمالي من المغرب الأعيان الباعمرانيين سنة 1947 من الوعي بمرامي مشروع التجنيس، الذي كان يهدف إلى تغيير الوضعية القانونية لسكان المنطقة. عقد أعيان أيت باعمران - بمن فيهم لممثلون الرسميون - اجتماعا بمدينة إفني، أعلنوا على إثره رفضهم سياسة التجنيس التي كان الحكم الإسباني بصدد تنفيذها.

لم تغير سياسة القمع من موقف الباعمرانيين حيال الحكم الإسباني. فقد تأجج رفضهم للحكم الإسباني من خلال ملتمس قدمه وفد باعمراني إلى الملك محمد الخامس في يونيو1957، يحث على استرجاع الحكومة لما بيد إسبانيا من سلط بالإقليم.

في نونبر 1957 حوصرت إفني من جميع الجهات، بعد أن استولى جيش التحرير على جميع المراكز التي كانت محتلة من قبل الجيش الاسباني. تمثل رد فعل الحكم الاسباني في المواجهة المسلحة وفي تغيير التنظيم الإداري، عبرفصل منطقة إفني عن الأقاليم التي كانت منضوية تحت اسم الصحراء المغربية.

منذ سنة 1965 أخذت المساعي الدبلوماسية للحكومة المغربية تؤتي أُكلها، كما يستفاد من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي دعا الحكومة الإسبانية إلى الإسراع بتصفية قضية إفني.

وقد نتج عن تنوع الضغوط وتواليها، إبرام اتفاقية مغربية - إسبانية في يناير 1969 نظمت عودة المنطقة إلى حوزة المملكة المغربية.

م. الاگراري، *روضة الافنان في وفيات الاعيان*، مخطوط. خ. ع. 1332 د ؛ م. المختار، السوسي، *المعسول*، ج : 20 ؛ ع. المحمدي، *السلطة والمجتمع في المغرب : نموذج أيت باعمران* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 217.206، 247.242.

P. de Cenival et F. De la Chappelle, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale de l'Afrique*, *Hesp*, vol, XX-XXI, 1935, p. 68 ; T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña, Ifni, Sahara*, 1941.

علي المحمدي

**باعمران محمد** (مولاي -) مقاوم من مواليد أيت باعمران سنة 1925، انضم عند انتقاله إلى الدارالبيضاء إلى تشكيلة جيش الأطلس سنة 1953، حيث عمل في الحقل الوطني المسلح. وفي سنة 1954 أصبح رئيس التشكيلة مع استمراره في المشاركة الفعالة في الأعمال الفدائية.

وقد قام بإطلاق النار على بعض الخونة بعين الشق حيث افتضح أمره فألقي عليه القبض وسجن بسجن بن مسيك، ثم أطلق سراحه فاستأنف عمله ضمن تشكيلته إلى أن اغتيل بالحي المحمدي بلوك السعادة في 24 مارس من نفس السنة.

*وثائق المندوبية السامية للمقاومة.*

عزالدين العلام

**الباعمراني، أحمد** بن الحسين السراج (مولاي الحاج -) من مواليد مراكش حوالي سنة 1888، شخصية مثالية في التضحية والاحسان والوطنية تمثلت فيه درجة الوعي والانفتاح في سن مبكر في مختلف المجالات، سواء الاجتماعية أو التربوية أو السياسية. فكان ذلك تشريفا لطبقة الحرفيين التي ينتمي إليها. ولعل مزاولته لمهنته ضمن سراجي إسطبل المولى عبد الحفيظ فتح قريحته ووسع أفقه من خلال اتصالاته ومسموعاته وملاحظاته، فاختزن في ذاكرته كثيراً من الأحداث الاجتماعية والتاريخية التي عرفتها مراكش، وزادته الأسفار وعياً بضرورة تطوير البلاد ونهضتها من خلال المؤسسات الاجتماعية.

كان لحجّاته وزياراته لبلدان المشرق العربي وتركيا تأثير في حياته، فسار في ركب الحركة الوطنية منذ بزوغ فجرها، ودخل السجن في صيف 1937 مع جملة من علماء مراكش وأبنائها على إثر المظاهرات التي عرفتها المدينة في أعقاب زيارة وزير الأشغال الفرنسية رامادي الذي جاء لتقصي الحقائق. ومع ذلك لم تنقطع صلاته بالحركة الوطنية وخاصة مع المرحوم محمد المختار السوسي، وأخيراً بنى مدرستين للتعليم الحر، هما مدرسة الفتح الحسنية بباب دكالة ومدرسة الفلاح بالقصبة. وحبس عليهما جزءا من أملاكه، كما حبس حوالي ألف كتاب على خزانة ابن يوسف بمراكش. وقد دشن محمد الخامس صحبة ولي العهد هاتين المدرستين عندما تم بناؤهما سنة 1945.

وكانت وفاة مولاي الحاج أحمد الباعمراني بمراكش في 15 مارس 1979.

*معلومات شفوية* من أسرة المرحوم وأصدقائه ؛ *تأبين جريدة العلم،* مارس 1979.

محمد ماگامان

**الباعمراني، البشير** بن محمد. ولد سنة 1918 بأيت النصر من أيت باعمران والتحق بصفوف جيش التحرير أوائل سنة 1957 وناضل تحت مسؤولية القائد كريم محمد بن عبدالله بالمقاطعة 13، إلى أن استشهد في معركة تبكوكت سنة 1957.

*كتاب شهداء الاستقلال،* ج : 1.

عزالدين العلام

**الباعمراني، الحسن** أُوضرْضُورْ (ابن الأصم) بن محمد بن محمد ابن سعيد بن علال بن عبد المومن بن محند بن علي بن علي بن باها. ولد حوالي 1798/1213 وينتمي إلى عائلة الشيخ همو الخلفية المخزنية هناك، قال عنه الأستاذ ابن العربي : لم يمر في هذه البلاد (سوس) من القراء في العَشَرين العَشَر الكبير والعَشَر الصغير، إلا اثنان : مولاي أحمد السباعي (الذي نفاه السلطان إلى سوس) وسيدي لحسن أُوضرْضُور... الذي تخرج في العشرين من جبالة، وهو ممن أخذ عنهم سيدي إبراهيم الماسي عندما شارط في تادارت في قبيلة إدْمُوساكْنا الباعمرانية ( *المعسول:* 128:18). ومن هنا تعلم فضل هذا الأستاذ الكبير، الذي نشر هذا النوع من الروايات بسوس وبثه في صدور تلاميذه. أما الروايات السبع، فقد كانت منتشرة قبل ذلك بسوس، عادية لدى الجميع.

وقد رغب السلطان مولاي الحسن الأول، عندما نزل في تيغْزي بمحلته سنة 1885/1303، في سماع هذه الرواية من سيدي الحسن أوضرْضور فمثل الأستاذ أمام السلطان ، مع أخيه سيدي علي، وهو كذلك يتقن قراءة السبع، فأمر السلطان هذا الأخير بقراءة ربع : فدعا ربّه أنّي مغلوبٌ فانْتَصِرْ. ولما أنهى الربع استحسنه كل من حضر من القراء والعلماء، وقال السلطان للأستاذ عرفنا قدرتك في تلميذك هذا، وأريد منك أن تجيب عن هذا السؤال فقط. قال تعالى : «ما لها من فواق» في حزب «فنبذناه بالعَراء وهو سقيم» فأجاب الأستاذ «فُواق» - بضم الفاء -. وانتهى الامتحان بنجاح، وأصدر السلطان أمراً بتحريرهما من الكلف المخزنية تشجيعا لتلك الهمم العالية، واعتناء بالقرآن الكريم ورواياته.

وقد ترك الأستاذ الحسن أوضرْضورْ عدداً مهما من المخطوطات الخاصة بالروايات، تفرقت في أيدي الروائيين.وعهدي بمعظمها في خزانة تلميذه الروائي الباعمراني سيدي الحسن بن محند بن الحسن بن بلقاسم إجوي الخلفي المتوفى عام 1962.

توفي الحسن أوضَرْضُور في نهاية عام 1885/1303.

م. المختار السوسي، *المعسول،* ج : 18 ؛ ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران،* مخطوط.

**الباعمراني، الحسين** بن سعيد بن عبدالله بن أحمد بن موسى، من قبيلة إدْمُوسَاكْنا الباعمرانية، ولد حوالي 1260 فأتقن حفظ القرآن ثم أخذ الأمهات العربية والفقهية على شيخه سيدي سعيد الشريف أولاً ثم على يد سيدي سعيد المعدري ثانياً، وتقلب في عدة مدارس بالمشارطة ابتداء من سنة 1291 هـ وأخذ يزاول الأحكام بين الناس، فقضى حياته في الإفتاء والفصل بين المتخاصمين، وقد نعته صاحب *المعسول* (12 : 172) بأنه «كان من الحفاظ، فقد استظهر *المختصر والتحفة والزقاقية* زيادة على المتون الصغرى» ونظرا لشهرته بالعدالة والتمكن من الفقهيات، انفرد بوصف القاضي في تلك الجهات الباعمرانية. وتوفي يوم 11 رمضان عام 1351.

**الباعمراني، عبدالله** بن الحسين بن سعيد، خَلَفَ والده في مهنة القضاء واشتهر بالضعيف. ولد عام 1314، وهو من تلامذة العلامة سيدي عبدالله أقاريض الصّوابي. تقلب بين المشارطة والتدريس والعدالة. فعُين مدة كنائب للقاضي وخاصة في عهد الثورة الباعمرانية ما بين 1960.1957 وبعد ذلك أصبح قاضيا عاما على أيت باعمران، وقد خلف أربعة أولاد كلهم نجباء يحتلون مناصب عالية في جهاز الدولة. ومات حوالي 1966.

م. المختار السوسي، *المسعول،* ج : 10 و12 ؛ ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران،* مرقون.

الحسين جهادي الباعمراني

**باعيسَى**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد الغمارية، واشتهر من بين أفرادها :

**باعيسى، محمد** بن أحمد الأديب المتوفى سنة 1910/1328.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين،* 3 : 9 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان،* 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان.*
Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias ; Vademecum..*

**باغْوز**، أو بَغُوز، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني يدر الجبلية، وكان من بين أفرادها بتطوان من يملكون ثلاث دور بحومة الترنكات سنة 1841/1257، واشتهر منهم :

**بَاغُوزْ، محمد**، الفقيه الذي كان خطيبا بجامع العيون حيث توفي سنة 1928/1357.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين،* 3 : 45 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان،* 8 : 354 ؛ *مختصر تاريخ تطوان،* 2 : 330، م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان.*
*Familias* ; Isidoro, *Familias ; Vademecum..*

محمد ابن عزوز حكيم

**بَاقْشِيشْ**، يلقب بباقشيش ذلك الفنان الشعبي الذي يقدم عروضا هزلية على شكل حلقة في الأسواق الريفية وفي الساحات العمومية الحضرية قصد الاسترزاق، ومن أشهرهم رجل اسمه فارس كان مسرحه في ساحة جامع الفناء بمراكش ورجل اسمه حرّبا كانت حلقته في جنان السبيل بفاس.

ويمثل باقشيش ظاهرة فنية متميزة وهي ظاهرة الحلقة، يقدم خلالها إنجازات تتجلى فيها مواصفات تقنيات المسرح البدائي، فهو يقوم في غالب الأحيان بجميع المهام حيث يضع السيناريو ويشخص الأدوار ويقوم بالإخراج، كما يضع الديكور ويقوم بمهمة القَيِّم، وبالطبع فهو أمين المال، إذ كثيراً ما يتوقف في عرضه قصد التسوّل.

يتكون جمهور الحلقة من المارة وطلاب الفرجة والمتسكعين الذين يقصدون باقشيش من أجل المتعة ولإثارة انتباه المتفرجين يقوم باقشيش بحركات بهلوانية أو بالضرب على البندير أو بمخاطبتهم بشكل استفزازي. أما الموضوعات التي يتناولها باقشيش في عروضه فهي تتعلق بمقام الهزل والفرجة وترتبط ارتباطا وثيقا بالمعيش اليومي للفئات الشعبية، إذ تدور حول العلاقات بين الأزواج وتربية الأطفال وظروف العمل ومعاناة البطالة والتسكع ومظاهر العنف الاجتماعي والسحر وغيره من المعتقدات الغيبية.

ويبدو للملاحظ وكأن العروض التي يقوم بها باقشيش مرتجلة، والحالة أنه لا يكتب سيناريو ولا يقوم بتداريب تمهيدية ولكنه بحكم تقديمه لهذه العروض باطراد تكون لديه ملكة متميزة تجعله يضبط السيناريو وطريقة العرض ضبطا محكما، أما معالم الارتجال فهي تكمن في تكييف العرض مع السياق العام أي حسب المكان والزمان وطبيعة الحضور، ومما يمنح الفرجة سمة الإبداعية والحيوية، تلك التقنيات المرتكزة على التواصل المباشر واللامقيد الذي يطبع علاقة باقشيش بجمهوره، وهي بالذات تقنيات براغماتية تتمثل في ضبط القدرة التواطئية حيث يتم توظيف الانجازات الكلامية المتنوعة مثل الاستفهام والمناداة والأمر، ويقصد منها باقشيش التنكيد والتنكيت والسخرية على حساب الحضور، فتراه تارة يحاول هذا ليجعله هزأة، وتجده تارة أخرى يخاطب تلك ليمازحها، والجميع يقبل قواعد الفرجة المبنية على أساس خطاب يخرق الأخلاق المتداولة كما يتجاوز الأدوار والوظائف الاجتماعية القائمة.

A. Boukous, *Langage et culture populaires au Maroc*, Casablanca, 1977.

أحمد بوكوس

**باقع**، حيوان من الثدييات اللاحمة الصغيرة من فصيلة العرسيات Mustelidae. شبيه بابن عِرْس وآلف منه وأكبر، يُعرف بالنّمس في المغرب العربي، وبابن مقرض في مصر والعراق. طوله 35. 45سم جمعا بين الرأس والجسم، يبلغ طول ذيله 12. 18 سم، علوه عند الغارب 4،5. 6 سم وطول قوائمه الخلفية 4،8 سم الشيء الذي يصور حيواناً ذا شكل طولي ومضغوط فوق قوائم جد قصيرة، الرأس غائر وعيناه صغيرتان وخطمه محدد وأذناه قصيرتان جدا. اللون يتراوح بين الصُّفرة المغبرة إلى السمرة المسْودة. لكن يصير فاتحا جهة الرأس إلى حد البياض الكبير مع بقعة سوداء حول العينين. يختلف الحال بالنسبة للباقع الأوروبي الناصع اللون، فهو أبيض مصفر مع دكنة جهة البطن واحمرار في العينين.

عدد أسنانه 34 فقط، بنقصان ضرس أمامي، من كل جهة الطواحن حادج، وعرض الضرس العلوي أكبر من طوله، وهي خاصيات تدل على ميوله الدموية.

ينقض بعنف على فرائسه من الحمام والدجاج والأرانب، يقتلها خنقا، يمتص الدم ويبتلع الدماغ. ويأكل الضفادع والبيض والعظاية والثعابين. يميز الحفثات الغير السامة منها بدون تردد وينقض عليها لأول وهلة وبكل جرأة، يهشم عمودها الفقري ويأكلها. لكن عندما يصادف الأفاعي يقترب منها بحذر ويحاول أن يمسكها من وسط جسمها مستعملا كل الحيل لتجنب أنيابها السامة. أما إذا لدغته الأفعى فهي لا تقتله بل تتسبب في مرضه فقط.

تدوم مدة الحمل 40 يوما وتضع الأنثى مرتين في السنة من 3 إلى 10 أفراد، وقد يصل العدد إلى 13 يزن كل منها 10 غ. تبقى الصغار كفيفة لمدة ثلاثة أسابيع، تتكفل الأم خلالها بالعناية بها بكثير من الحنو.

لا يمكن القول إن الباقع قابل للتدجين حقيقة. كل ما هناك أن الإنسان استطاع استغلال ميوله الدموية لصالحه فهو يُربّى داخل صندوق أو قفص مفروش بالتبن أو الحشيش الذي يجب تجديده مراراً. كما تلزم حماية الحبيس من البرد، وتغذيته بالخبز والحليب والبيض، على أن الوجبة المفضلة تبقى هي اللحوم من الصيد.

من الصعب جعل هذا الحيوان أليفاً والسماح له بمغادرة القفص ليتبع صاحبه مثلا كما لو كان كلباً. فهو في الغالب، بمجرد ما يفلت من سجنه، يقصد الغابة، يستولي فيها على جحر يسكنه، وسرعان ما يفقد كل علاقة كانت تربطه بالإنسان. لكن الفصل البارد يقطع دابر هذا الحيوان نظراً لحساسيته العالية لانخفاض الحرارة باستثناء القلة القليلة منه التي تستطيع العودة إلى مكان تدجينها السابق.

يستعمل الباقع في صيد الأرانب والقنيات، يقوم القناص باستكشاف مخارج جحر من الجحور وإقفالها بالشباك تاركاً المنفذ الرئيسي مفتوحا يدخل منه الباقع مكمما ومشدودا إلى خيط يساعد على استرجاعه بعد انتهاء المهمة. تشم الأرانب رائحته فتهرع هاربة لتقع في المصيدة، فإذا حُلّ خيطه بقي في نفق الأرانب ولم يعد.

يفسر هذا الأسلوب في العيش تعذر معرفة البيئة الطبيعية التي يقطنها الباقع في حالته المتوحشة، لقد جاء في بعض الأبحاث أن الحيوان كان يسكن إفريقيا الشمالية ومنها انطلق إلى أوروبا لكن بدون أي أدلة على ذلك وقد

ذهب بعضهم إلى الإشارة إلى أن معتقله الأصلي يوجد في جبال الريف الوسطى بين شفشاون ونهر النكور.

يرجع تاريخ تدجين هذا الحيوان حسب بعض الاختصاصيين، إلى ألف سنة قبل الميلاد.

إنه حيوان نادر جدا في حالة التوحش في المغرب وشائع شيئاً مّا في حالة الأسر. يعيش في النواحي الصخرية والشجيرة من الريف، وهو نشيط بالليل وبالنهار.

يزن ما بين خمسمائة وألف غرام ويعمر عشر سنوات، اسمه العلمي Mustela putorius furo.

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، 193، ص. 106.

J. B. Panouse, *Les Mammifères du Maroc*. Trav. Inst. Sci. Cherif. Sér. Zool. 5, 1957, 67-71 ; A. Lakhdar-Ghazal, M. Thevenot et J. P. Farthouat, *Faune du Maroc :Les Mammifères*. Inst. Et. Rech. Arab., Rabat, 1975, 35-36 ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*. Trav. Inst. Sci. Sér. Zool. N° 41, 1986, p. 102.

محمد رمضاني

**باگا**، أول ملك وصلناخبرعن حكمه في موريطانيا أو المغرب القديم. أفادنا عن ذلك نص وحيد للمؤرخ الروماني تيتوس ليفيوس (Titus Livius, XXIX, 30, 1-4) وهو يروي أحداث الحرب البونية الثانية نقلا عن المؤرخ بوليبيوس Polibius.

نستفيد من رواية تيتوس ليفيوس أن باگا Baga كان ملكا على كل الموريين في موريطانيا. وقد اتصل به الملك النوميدي ماسنيساMassinissa سنة 206 ق.م قادما من إسبانيا، بعدما عقد فيها حلفا مع القائد الروماني سكيبيو Scipio. يوضح المؤرخ أن ماسنيسا ناشد الملك الموري وتوسل إليه ليمده بمساعدة عسكرية تمكنه من العودة إلى مملكته في شرق نوميدية. وبعد إلحاح شديد استجاب باگا لطلبه، وأمده بأربعة آلاف محارب ليرافقوه في الطريق، واشترط باگا أن يعود جنوده إلى حال سبيلهم بمجرد وصول ماسنيسا إلى حدود مملكته، ورفض أن يشاركوا معه في الحروب التي كان ماسنيسا يخطط لها.

يفيدنا الجغرافي سترابون (Strabon, XVII, 3, 6) في توضيح حدود المملكة المورية خلال القرن الثالث قبل الميلاد، بإشارته إلى أن نهر مولوشات يفصل بين الموريين والماسيسوليين. والنهر المذكور هنا هو ملوية الحالي.

وعن ظروف المملكة المورية في عده باگا حسب ما ورد عن تيتوس ليفيوس، يتضح أن الملك باگا التزم الحياد في الصراع القرطاجي الروماني حفاظاً على استقلال مملكته. وبالفعل لم يرد لهذا الملك ذكر في أشواط الصراع الذي دار بين الرومان وحليفهم ماسنيسا ضد قرطاجة وحليفها سيفكس Syphax ملك الماسيسوليين. بين سنتي 204 و201 ق.م. أي خلال المعارك الأخيرة من الحرب البونية الثانية التي قامت في أرض افريقيا، وانتهت بمعركة زامة Zama التي انهزم فيها القائد القرطاجي حنبعل Hannibal، بعد رحيله عن إيطاليا للدفاع عن قرطاجة.

وانطلاقا من هذا النص الوحيد، ونظراً لانعدام الوثائق الأثرية عن حكم باگا، لا نعرف شيئا عن فترة حكمه، ولا نعلم هل خلفه الملك الموري بكوس الأول Bocchus في حكم موريطانيا، ولحد الآن لم تسفر دراسة النقود المورية عن حل الإشكال، بحيث لا نعرف نقوداً للملك باگا، ومازال هناك شك في نسبة عينات من النقود للملك بكوس الأول، ونظراً لاختفاء الشواهد الكافية حاليا لمعرفة توالي حكم باگا وبكوس الأول، فلا شيء يمنعه من الاعتقاد بأن بكوس خلف باگا حوالي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد.

م. مجدوب، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق.م*، د. د. ع.، كلية الاداب، فاس، 1990.

S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, t.5 ; G. Camps, *Aux Origines de la Berbérie : Massinissa ou les débuts de l'histoire, Libyca*, t : 8, 1960 ; F. Decret et M. Fantar, *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, Paris, 1981.

محمد مجدوب

**باكريم** بن إبراهيم التاسلاني الباعمراني، ولي القيادة كغيره من قواد سوس الأقصى في إطار سياسة كانت ترمي إلى وضع حد لمشاريع توسعية أوروبية استهدفت تفكيك الوحدة الترابية.

رشح أعيان قبيلة أيت الخمس الباعمرانية باكريم لمنصب القيادة بالقبيلة ؛ فأصدرالسلطان ظهيراً في 25 شعبان 1299 يزكي ترشيحهم.

*ظهير حسني صادر بتاريخ 25 شعبان 1299 هـ ؛ قائمة بأسماء أعضاء وفود أيت باعمران التي حضرت مراسيم تعيين القواد.*

علي المحمدي

**الباكوري**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد الغمارية، وكان كل أفرادها ينتمون إلى حامية تطوان كجنود لفرقة البحرية بمرتين، أمثال :

**الباكوري، أحمد**، بحار كان يعمل بالفرقة المذكورة سنة 1246 / 1830.

**الباكوري، عبد العزيز** بن عبد السلام، بحار أيضا كان هو الآخر بالفرقة نفسها سنة 1268 / 1852.

**الباكوري، محمد** بن عمر، بحار كان يعمل بنفس الفرقة سنة 1253 / 1837.

وهذه الأسرة غير أسرة البكوري.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 212 - 356 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

**باكي** Paquet ، شركة ملاحية بدأت نشاطها في المغرب سنة 1860، وتحولت حالياً إلى شركة Comarine تحمل الشركة اسم مؤسسها نيكولا باكي Nicolas Paquet، المولود سنة 1831 في مدينة أنسيفيل Aneceville باقليم الموز Meuse والمتوفى سنة 1909.

وقد بدأ باكي حياته العملية داخل "الوكالة الوطنية للتسفير البحري" بمدينة دنكيرك Dunkerque ثم في ريمس Reims كمستخدم لدى شركة Vautier.

وكانت من أكبر الشركات الملاحية في مرسيليا، إذ كانت أهم شركات الإيداع Consignataire للشركة الملاحية العامة التي تحولت في سنة 1861 إلى الشركة الأطلنطيكية العامة Compagnie Générale Atlantique.

كما كانت كذلك تمثل شركة ديب Dieppe بأنفير Anvers وشركات متعددة في الهافر Havre ودنكيرك Dunkerque التي كانت متخصصة في نقل ملح البارود Salpêtres.

وبين سنتي 1855.1852 عمل في الجزائر كممثل تجاري لجوسلان وشركائه : Josseland et Cie ثم عاد إلى مرسيليا سنة 1856 وفي سنة 1857 بعد انسحاب Vautier من الشركة صار باكي وكيلا معتمداً، Fondé de pouvoir للشركة ثم مديراً بعد وفاة Vautier.

وبعد اندلاع الحرب بين إسبانيا والمغرب سنة 1860، وارتفاع حاجة الحكومة الإسبانية إلى السفن لنقل العتاد والزاد إلى الجيوش في المغرب قام باكي بتأسيس "شركة ملاحية تجارية" متخصصة في إيداع وكراء السفن التجارية، وفي إيداع السلع بالجمارك واستقبال البضائع وشجعته الأرباح التي جناها من هذه العملية على خلق خط نقل مباشر بين مرسيليا والمغرب، والتخصص في تجهيز السفن، واشترى أول سفينة له سميت Languedoc وفي 3 يوليوز سنة 1863 تأسست "الشركة المغربية نيكولا باكي وشركاؤه، Compagnie Marocaine Paquet et Cie وكان من بين المساهمين في الشركة إلى جانب نيكولا باكي وشركائه أوربيون من مرسيليا وانفيرس وإسبانيا وجبل طارق، ومساهمون من المغرب خصوصا تجار مدينة الصويرة "موگادور" كلهم من اليهود ماعدا ثلاثة تجار مغاربة مسلمين من بينهم المختار بن عزوز و عبدالقادر العطار، من مدينة مازاگان "الجديدة" ومساهم من مدينة الرباط.

وإلى جانب "الشركة البحرية المغربية باكي" تأسست شركة الأخوين نيكولا وبول باكي" وهي شركة تجارية مستقلة، كانت تتكلف باستقبال السلع المستودعة، والإخبار بالأثمنة وفتح فروع في مختلف موانىء المغرب.

وقد عرفت الشركة الملاحية المغربية باكي "تطورا مستمراً فقد رفعت من قيمة رأس مالها بعد سنة من تأسيسها، ومنذ سنة 1856 بلغت عدد الرحلات المنتظمة بين مرسيليا والمغرب مرتين في الشهر، وفتحت مكتباً في جزر الكناري واشترت أول باخرة جديدة : الصويرة، وفي سنة 1872 صارت تحتكر تقريبا الملاحة البخارية بين المغرب ومرسيليا بفضل توفرها على أربع بواخر هي الموزيل La Moselle، والصويرة والحقيقة La Vérité والموز La Meuse.

ولكن مع تطور صناعة النسيج في أوربا وخصوصاً في انجلترا وتعدد المعاهدات التجارية المغربية الأوربية، وفتح الأسواق المغربية للمواد المصنعة، وحاجة الصناعة الأوربية إلى المواد الأولية خصوصا الصوف، تعددت الشركات الملاحية بين المغرب وأوربا وواجهت باكي منافسة الشركات الأنجليزية خصوصا شركة : الاخوين فوروود Forwood Brothers، وكذلك منافسة عدة شركات فرنسية.

ومع هذا استطاعت شركة باكي التغلب على هذه المنافسة التي تضاعفت على الخصوص بعد تضاؤل العمليات التجارية بين أوربا والمغرب بين سنتي 1878 و1884 بسبب تزامن الأزمة الاقتصادية الأوربية الناتجة عن فائض الإنتاج وتدهور الأثمان مع الأزمة الاقتصادية المغربية الناتجة عن الجفاف والمجاعة وارتفاع أثمان المواد الأولية كالصوف والمواد الغذائية.

نوعت شركة باكي نشاطها، فصار يشمل نقل الحجاج إلى بورسعيد، وأسست شركة ملاحية جديدة بين مصر وأرمينيا سمتها "الشركة الملاحية المغربية الأرمينية" كما كونت شركة لنقل سُكّرسَان لُوِي، واحتكرت تجارة السكر بين فرنسا والمغرب.

وبسبب نوعية رأس مال شركة باكي، والعلاقات المباشرة والغير المباشرة التي كانت تربطها مع مجهزي السفن والتجار والمجموعات المالية والصناعية، كادت هذه الشركة أن تحتكر التجارة البحرية المغربية أثناء الأزمة هي وشركة Forwood الأنجليزية وأن تقضي على النشاط التجاري للسفن الشراعية والشركات الملاحية الأخرى.

ورغم أن هذا الاحتكار انتهى بانتهاء الأزمة، وارتفاع عدد الشركات الملاحية وتعدد جنسياتها، فإنها استمرت في الاتساع بفضل النفوذ الذي أصبح لرجال الأعمال المرسيليين في المغرب.

ومن بين نشاطاتها منذ سنة 1892، نقل البترول الروسي إلى طنجة حيث كان Fabares قد حصل من المخزن على امتياز إيداع البترول.

وقد لعب باكي دوراً في التغلغل الاستعماري الفرنسي في المغرب إذ كان من بين المساهمين في رأس مال الشركة المغربية La Compagnie Marocaine التي فتحت مكتبين لها في فاس وطنجة والتي شاركت في المفاوضات بين المخزن وبين الأبناك الفرنسية في قرض 1903، وحصلت من المخزن على رخصة للقيام بأشغال في ميناء الدارالبيضاء وأسفي، هذه الأشغال التي بدأت سنة 1907 وتسببت في أحداث الدارالبيضاء في 30 يوليوز 1907 في نزول الجيش الفرنسي بالدارالبيضاء.

وقد ساهمت شركة باكي في نقل جنود الجنرال درود Drude إلى الدارالبيضاء. وأثناء فترة الحماية فتحت باكي عدة مكاتب في الدارالبيضاء وطنجة والرباط والجديدة "Mazagan" والصويرة "Mogador" وأگادير ووجدة وميناء ليوطي "القنيطرة". وشمل نشاطها إلى جانب المراكب التجارية والايداع نقل المسافرين، وكان لها خط نقل منتظم إلى دكار عبر المغرب.

وقد استمرت شركة باكي في المغرب في شكلها القديم إلى سنة 1960، حيث أعيدت هيكلة الشركات الملاحية الفرنسية، وبيعت شركة باكي لشركة Fabre المرسيلية التي باعت بدورها سنة 1966 للشركة الملاحية Compagnie Maritime des Chargeurs Reunis التي كان مقرها المركزي بباريز التي اشترتها فيما بعد باسم الشركة الملاحية والتجارية دلماس وفييولجو Société Navale et Commerciale Delmas et Vielgeux وتمثل هذه الشركة في المغرب شركة Comaine التي تشارك فيها رؤوس أموال مغربية.

*معلومات مستقاة من بعض الموظفين القدماء لشركة باكي في القنيطرة.*

A Ayache, *Le Maroc* ; H. Bordeaux, *Un printemps au Maroc;* J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*.

برادة ثريا

**بالانسا**، بـ. B. Balansa عالم نباتي فرنسي قدم إلى المغرب يوم 12 أبريل 1867 وتجول ببلاد حاحة وإمي نْ تانوت ونواحي مراكش متنكراً بلباس مغربي، فالتقى بمواطنه بول لامبير الذي كان مقيما بمراكش لبضع سنوات من أجل التزود بالمعلومات. ولما ذهب إلى أسني لقيه أعوان عامل مراكش إبراهيم الكراوي وجردوه من سلاحه وأمتعته وحملوه هو وأصحابه إلى مراكش، وتدخل إيمي داكان للافراج عنه ومعاقبة المعتدين عليه.

وقد خلف هذا العالم كتابا عن رحلته من الصويرة إلى مراكش بعنوان : *Voyage de Mogador à Marrakech*.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1525. 1526 ؛ *الوثائق المغربية*.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 76 ; J. Caille, *La Petite Histoire du Maroc*. 79-82.

**باليسطرينو**، شارل Ch. Ballestrino، تاجر من جبل طارق حل بالجديدة سنة 1861 وكان يمثل هولندا بها نحوا من عشرين سنة. له سماسرة بالجديدة ودكالة.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 3 : 1020.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 19.

مصطفى بوشعراء

**بَالِينْ**، أوبَلِينْ أو بَالْ، جنس من الثدييات البحرية من الفصيلة البالية ورتبة الحيتان وهو حوت كبير ضخم الرأس يستخرج منه دهن الحوت.

وهو نوعان من عشيرة Zyphiidae يعيشان في البحار المجاورة للمغرب : بلين منقار الإوز Zyphius cavirostris وبلين أنف القنينة Hyperoodon ampullatus ويعرف كل منهما في المغرب بالبلين.

بالين أنف القنينة

للبلين أسماء كثيرة، لكن البلين والبال اكثرها شيوعا ويطلق عليها في الشرق العربي الوال والفال وهي مأخوذة من الإنجليزية Whale.

يتميز بلين منقارالإوز بمتك قصير وجبين غير بارز. لا يتعدى طول الأنثى 6 أمتار ويصل طول الذكر إلى 9 أمتار ويزن 2،5 طن. الظهر أسود لامع في المؤخرة وأبيض جهة الرأس. زعانيفه الصدرية والظهرية صغيرة جداً.

يعيش هذا الحيوان وسط مجموعات تتكون من 30 إلى 40 فردا ويسبح غير بعيد عن سطح البحر. تغطس المجوعة وتظهر في آن واحد وتبقى على سطح البحر مدة عشرة دقائق ثم تختفي لمدة نصف ساعة وأكثر.

يوجد هذا النوع في جميع البحار ماعدا القطبية منها ويقطع مسافات طويلة أثناء الهجرة. يأكل الأسماك والإربيان والسرطان والرخويات كالحبارة والأخطبوط.

تدوم مدة الحمل من 10 إلى 12 شهراً، تضع الأنثى خلاله صغيرا واحداً في فصل الربيع.

تجَنَّح عدة مرات في شواطئ فرنسا وإسبانيا وبريطانيا ورأس الرجاء الصالح، وفي المغرب كما ذكر ذلك الحسن الوزان في *وصف افريقيا*، وأخيراً جُنِّحت أنثى في الشاطئ على بعد 15 كلم شمال الدار البيضاء سنة 1967.

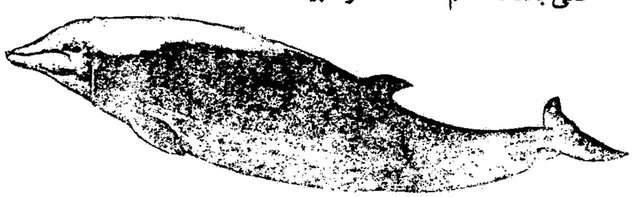

بالين منقار الإوز

يمتاز بلين أنف القنينة بجبين مقبب ويصل طول الأنثى 7،5 أمتار وطول الذكر9،5 أمتار ويزن ثلاثة أطنان. لونه رمادي لامع وأحيانا أسود داكن.

يعيش وسط مجموعات تتكون من أربعة إلى اثنى عشر فرداً أو أكثر، ويسبح عادة غير بعيد عن سطح البحر. يسمع زفيره من بعيد أثناء تنفسه فوق الماء ويغطس مدة عشر أو عشرين دقيقة وأحيانا ساعتين في أعماق تتعدى ألف متر.

يوجد في البحار الشمالية ما بين 63 و70 درجة من خطوط العرض الشمالية ويهاجر خلال فصل الربيع إلى الجنوب ليعيش في البحار الاستوائية. ذُكر عدة مرات قرب شواطئ بلجيكا وهولندا وألمانيا وهو نادر في البحر المتوسط.

H. Aloncle, *Note sur un cetacé du genre Zyphius Cuvier, 1823, échoué sur une plage du Maroc Atlantique*. B. I. M. 15, 1967 ; L. Lyneborg, *Mammifères d'Europe*, 1972, p. 227, 229 ; A. Bayed et P. C. Beaubrun, *Les Mammifères marins du Maroc : inventaire préliminaire*. *Mammalia*, 51, 1987, p. 442.

محمد رمضاني

**بَالِينْثْوِيلاَ**، رفايل أورثايث Valenzuela Rafael Urzaiz كولونيل إسباني، ولد بسرقسطة يوم 23 يوليوز 1881 والتحق بالأكاديمية العسكرية سنة 1898 حيث تخرج منها برتبة ضابط، وفي سنة 1906 ارتقى إلى رتبة ملازم وعلى إثر مشاركته في المعارك التي خاضها الجيش الإسباني ضد

المجاهدين بناحية الكرت سنة 1909 رقي إلى رتبة قبطان، وفي سنة 1919 ارتقى لرتبة كومندار ثم إلى رتبة مقدم في سنة 1920 وأخيراً رقي إلى رتبة كولونيل سنة 1922 وهي السنة التي عُين فيها رئيساً لفرقة اللفيف الأجنبي بالجيش الإسباني المعروف Tercio de la Legion extranjera وقد اختير بَالِينْثويلا للمنصب المذكور خلفا لمؤسس اللفيف الكولونيل ميياَن اسطراي Millan Astray ومما يدل على السمعة الكبيرة التي كان يتمتع بها في صفوف الجيش الإسباني أن شهرته آنذاك كانت تفوق شهرة الكومندار فرانكو Franco الذي عمل هو الآخر في صفوف اللفيف الأجنبي.

وغداة تعيينه التحق بَالِينْثويلا بالمركز الذي كانت توجد به فرقة اللفيف المذكور بجبل تيزي عزا من قبيلة تافرسيت في شهر أبريل 1923، هذا المركز الذي احتله اللفيف يوم 28 أكتوبر 1912 وكان في الوقت الذي التحق به بَالِينْثوِيلا محاصراً من طرف المجاهدين.

وبعد شهرين من وجود بَالِينْثويلا بتيزي عزا تعرض المركز إلى هجوم عنيف قام به المجاهدون يوم 5 يونيو من نفس السنة حيث قتل الكولونيل المذكور وحل محله الكومندار فرانكو Franco.

كان لمقتل بَالِينْثوِيلا صدى كبير في الصحافة الإسبانية التي كانت تعلق على وجوده بالمركز آمالا كبيرة حيث سبق لها أن كتبت تؤكد أنه سوف يتمكن من فك الحصار المضروب على تيزي عزا منذ ستة أشهر، وأما الحكومة فرأت من واجبها تخليد اسم بَالِينْثويلا فمنحته لقب ماركيزذي بَالِينْثوِيلا Marques de Valenzuela.

*Enciclopedia Espasa Calpe*, t. 66, p. 489 ; C. Martinez Campos, *España Bélica*. El siglo XX *(Marruecos)*. Madrid 1972, p. 277, 308.

محمد ابن عزوز حكيم

**بَامْبُتُوم** Bambotum ورد هذا المصطلح لأول وآخر مرة في الرحلة البوليبية (ق II ق م) التي نقل لنا بلين القديم (Pline l'Ancien) (ق I م) بعض تفاصيلها بالفقرتين 9 و10 من كتابه 5. وجاء ذكره بالفقرة 10 على النحو التالي :

« .... بداخل الأراضي الجيتول الدرعاي (Gaetuli Darae) وعندما نرجع للساحل نجد الايثوبيية الدرتيتاي (Aethiopes Daratitae)، ونهر بامبتوم (Bambotum) مزدانا بالتماسيح وأفراس النهر».

وتفرق الباحثون المعاصرون إلى مجموعات في محاولتهم للتعريف بالنهر البوليبي. ومن بين أقدم الباحثين المعاصرين نجد بوخارت (Bocchart) الذي وافق بين النهر الكبير الوارد عند حانون (القرن 7 ق. م) بعد نهر درعة وبين بامبتوم بوليب المزدان بالتماسيح وأفراس النهر وأرجع الباحث مصطلح بامبتوم للكلمة العبرية بهيموت (Behemoth) التي تحمل مدلول أفراس النهر ونسب استعمالها للقرطاجيين.

واعتبر فيفيان دوسان مارتان (Vivien de St Martin) افتراض بوخارت من أنجع الافتراضات المقدمة في الحقل المعرفي. وبذلك وافق النهر الكبير عنده نهر السينغال.

واستعرض ستيفان كزيل (St. Gsell) المصادر القديمة التي تتحدث عن أنهار أطلسية تزخر بوحشية (Faune) شبيهة بوحشية النيل، وهذه المصادر هي التي تجعل من هذه الأنهار الرأس الغربي الذي يزود النيل في شرقه.

وقارن كزيل بين كسيون (Xion) سيلاكس المزعوم (Pseudo-Scylax) (ق IV ق. م) وليكسوس (Lixus) حانون: وصرح بأنه مهيأ أكثر لمطابقة نهر كسيون بنهر الساقية الحمراء. وهكذا يكون هذا النهر الذي يجري بالصحراء المغربية قد حمل على الأقل - وحسب فرضية كزيل - اسمين وهما على التوالي ليكسوس وكسيون في مدة لا تقل عن قرن.

ووافق كليرك(Clerc) بين النهر الكبير الحانوني وبين نهر السينغال وذكر بأن هذا النهر الأخير توجد به التماسيح فقط. والمعروف أن النهر الكبير وكما عرفه حانون - يتميزبالتماسيح وأفراس النهر معا -.

ويعتقد كليرك بأن المؤرخ الاغريقي هيرودوت (Herodote) (ق V ق. م) الذي تكلم طويلا عن النيل ومنابعه الغربية، لا شك أنه استقى معلوماته من العالم الهيليني أو من مصر أو من بلاد ساحلية افريقية كان الإغريق على معرفة بها. وبذلك خالف كليرك الباحثين الذين نسبوا هذه المعطيات لاوتيمين (Euthymenes) والذي جعلوه سابقا لهيرودوت وليس لاحقاً له كما فعل هو عندما أرجع أوتيمين للقرن IV ق. م.

والملاحظ أيضا أن فكرة المنبع الغربي للنيل ظلت سارية المفعول من القرن IV ق. م إلى حدود القرن XVIII ب. م.

وأكد موني (Mauny) بأن نهر بامبتوم المملوء بالتماسيح وأفراس النهر يلزم أن يوافق نهر ماسة. ودافع عن فرضيته بقوله : وبوليب نفسه وطن بدءا من البامبتوم الجبال التي تستمر بدون انقطاع حتى عرية الآلهة (Yheon Ochema).

وتوافق الجبال عند موني المرتفعات الساحلية للأطلس الصغير التي تبتدئ من أكلو على بعد 35 كلم أو أكثر من مصب نهر ماسة. ويعتقد موني بأنه خلال التاريخ القديم استوطنت الحيوانات المدارية من تماسيح وأفراس النهر والفيلة... المنطقة الممتدة من سوس إلى درعة وبخاصة عند مجاري الأنهار ومنها : ماسة ونون ودرعة. وأضاف موني قائلا بأنه حول هذا النهر توجد شهادة بومبنيوس ميلا (PomponiusMela) وحول نهر درعة تملك شهادة أكريبا (Agrippa).

ووطن مؤلفون قدماء آخرون الحيوانات المدارية بمجموع أنهار الجنوب المغربي، وعددهم كبير عدّد موني منهم :

حانون (ق V ق. م)، أوتيمين (ق IV ق. م)، يوبا الثاني (ق I ق. م) من خلال الشذرات المستقاة من مؤلفاته والتي تناقلها الكتاب الذين جاءوا بعده، سطرابون (ق I ق. م)، بومبنيوس ميلا (ق I م) بوزنياص (ق II م)، ديون كاسيوس، وبول أوروز (ق V م).

وعلى كل حال، فأكثر المؤلفين القدماء لم يعملوا شيئا ولم يضيفوا الجديد واكتفوا بترديد ما جاء به سابقوهم.

وإذا كان موني قد دافع عن فرضية مطابقة البامبتوم لدرعة، فإن بديش مقتنع كامل الاقتناع برأيه وقال بعبارة مؤكدة بأن البامبتوس يوافق في واقع الأمر نهر الساقية الحمراء الذي لا يبعد مصبه كثيراً عن رأس جوبي (Cap Juby)

وتساؤل في نفس السياق عن مصدر معلوماتنا حول القبائل التي تسمى نسبة لنهر درعة الجيتول الدرعاي (Gaetuli Darae) والايثوبيون الدرعتيتاي (Aethiopes Daratitae). هل هو بوليب ؟.

وبديش مؤمن بأن بوليب لا يمكن أن يكون قد تعرف عن قبائل الجيتول الدرعاي الذين يستوطنون بداخل الأراضي إلا من خلال توقفه بمحطة ساحلية مجاورة لسكنى الايثوبيين الدرعتيتاي.

واضح أن القبيلتين سميتا كذلك نسبة لنهر درعة الذي استوطن منذ سالف العصور من جهة من طرف العناصر الجيتولية التي استقرت بدرعة الأوسط، ومن جهة ثانية من طرف العناصر الايثوبية التي استوطنت المجرى الأسفل للنهر.

وجزم توفنو (Thouvenot) جزما مطلقا بأن بوليب وصل بالفعل إلى السينغال وبأن نهر بامبتوم المزدان بالتماسيح وأفراس النهر لن يكون إلا نهر السينغال، إذ أن أفراس النهر لم تعد توجد ضمن وحيشة الصحراء منذ القرن II ق.م.

وذكر توفنو بالمقاربة المهمة التي عقدها گوتيي Gautier بين المصطلح وبين الاسم المعاصر لبامبوك Bambouk المنطقة التي يعتبرها الاخباريون العرب بلاد الذهب بدون منازع، وقد ظلت كذلك إلى وقتنا هذا بلاد الذهب.

ولاحظ كاركوبينو Carcopino بأنه من مصطلح بامبوك Bambouk إلى مصطلح بامبتوم Bambotum، ومن هذا إلى مصطلح بهيموت Behemoth سلسلة مسترسلة للتقاليد الشفوية المتعلقة بجزيرة الذهب بالسودان Eldorado du Soudan.

وأردف كاركوبينو قائلا بأن هيرودوت الذي لم يضبط مكان تجارة المقايضة واكتفى بالقول بأنها تمت وراء أعمدة هرقل يعرف أصحابها وذكرهم باسمهم فهم القرطاجيون وعلى رأسهم تجار بعثة حانون، هذه البعثة التي لعبت أدوارا أساسية، فهي بعثة مخصصة لاحتواء صوريبي Tyr-iens المغرب وخصوصا سكان ليكسوس. وعملت البعثة وبمساعدة سكان ليكسوس على تقوية القوة العددية للمستعمرات القرطاجية وأيضا على ازدهار تجارة الذهب التي كان قد تبناها صوريو ليكسوس لصالحهم.

ويعد دوزانج Jehan Desanges من آخر الباحثين الذين أثاروا إشكالية بامبتوم فذكر بأن العنصر الجديد الوارد في الفقرة 10، - والتي تشكل، وكما كررت ذكره القسم الثاني من الرحلة البوليبية - هو نهر بامبتوم المزدان بالتماسيح وأفراس النهر.

وأشار دوزانج إلى إجماع كل من گوتيي وتوفنو وكاركوبينو على موافقة البامبتوم للبامبوك الاسم القديم لجزء من السنغال الأعلى. وفي رأيه أن صعوبة الإبحار نحو السنغال والرجوع منه بينة وستحول دون بوليب وتحقيق هدفه خصوصا أنه كان لا يتوفر إلا على خمسة أشهر ليخرج من قرطاج ويعرج نحو المناطق المدارية ويقفل راجعا نحو بلاد اليونان. والأكثر من هذا أن يسكت الرحالون عن ذكر المعلومات المتعلقة بالمنطقة الممتدة بين درعة والسنغال والتي تقدر مسافتها ب 1900 كلم، فسيكون هذاالصمت من الأمور الغريبة.

وذكّر دوزانج بمقارنة موني الذي وافق البامبتوم عنده نهر ماسة وذكّر أيضا بمطابقة بديش لهذا النهر مع نهر الساقية الحمراء.

وفي اعتقاده أن أنهار الجنوب المغربي وشمال موريطانيا لم تحتو على أفراس النهر خلال العصر النيوليتي، ويعد دوزانج فرضية بديش من الفرضيات المعقولة ولكنها مع ذلك تجر إلى القول بأن نهر الساقية الحمراء كان أقل جفافا مما هو عليه اليوم.

وإذا افترضنا أن نهر السنغال من منبعه إلى مصبه حمل في اللغات المحلية وطيلة العصر القديم اسم بامبتوم. فهذا الرأي يحتاج إلى المزيد من البرهنة.

ودوزانج الذي ساق لنا نظرية ألي Aly نعرف بواسطته بأن هذا الأخير قدم تعريفا مخالفا لتعريف من سبقه، فمصطلح بامبتوم يعني بالنسبة له «النهر الذي يغدي، أو يزدان بكل الاشكال الحية» وبهذا التفسير والشرح سيكون نهر البامبتوم قرين النيل المغذي لكل الأشكال النهرية. وستنطبق المواصفات المقترحة على نهر درعة Darat أو Da-ras المصادر القديمة، والذي قال عنه بول أوروز Paul Orose بأنه النيل عند منبعه وبأنه يحتفظ بكل وحيشة النيل.

وشجع على الوقوع في الخلط بين درعة والنيل وجود نهرمغربي يحمل اسم نگول Nuchul أو نوهول Nuhul والذي حمل أيضا اسم نونك Nunc ويرافق وادنون أو نول ويذكراسمه بالنون الاسم الهيروغليفي للنيل.

ونقف عند الخلط بشكل أكثر جلاءً عند بول أوروز نفسه الذي قال بأن درعة هو أيضا نوهول Nuhul.

وإذا تصفحنا كتابات فيتروف Vitruve ق I م، نجده ينفي نفيا تاما وجود أفراس النهر خلال العصور التاريخية بالأنهار التابعة من الأطلس المغربي.

وحسب دوزانج يمكن أن يكون الحديث عن التماسيح هو الذي جر بشكل آلي للحديث عن أفراس النهر إذ أن الرحالين افترضوا بأنهم يتعاملون مع وحيشة نيلية من

مميزاتها وجود الصنفين من الوحيشة معا. ويمكن أن نفترض بأن بوليب سمع عن نهر السينغال من الرواية بدون أن يكون قد وصل إليه. والفرضية الثالثة هي أن بلين جمع معلومات تقليدية وذكريات خرافية باعتماده رحلة حانون أو أوتيمين وليس رحلة بوليب. ولا يمكن أن نستثني مع دوزانج الإمكانية الأخيرة. ومفادها أن النهر الذي يغذي كل الاشكال الحية لن يكون إلا نهر درعة بتماسيحه، وجاء التعريف بخصوصية النهر في الفقرة 9 من الكتاب 5 لبلين. وهكذا فلن تكون الفقرة 10 من نفس الكتاب سوى إعادة مفخمة للأولى أراد واضعوها وهم شارحو رحلة بوليب أن يجعلوا نهر درعة نيل المحيط الأطلسي.

ولن نفاجأ بما انتهى إليه منطق التحليل، فأهمية درعة متفق عليها، وقد أثيرت من خلال مجموعة من الكتابات القديمة، وأكدتها الدراسات المعاصرة.

ونعته الكتاب القدماء تحت تسميات عديدة وإن كان معظمها لا يختلف كثيرا عن التسمية التي لازالت منتشرة ليومنا هذا : درعة.

حمل نهر درعة عند حانون اسم نهر ليكسوس وميز انطلا قا منه بين صنفين من السكان : المستقرون المتحضرون (اللكستيون) والرحل وغير المتحضرين (الأثيوبيون وسكان الكهوف). وعرف النهر عند بوليب تحت اسم درعات Darat، نفترض أن يكون مصطلح بامبتوم البوليبي بدوره مرادفا آخر لدرعة بماأن الرحالة تحدث عن النهر في الفقرة 10 من كتابه 5 مباشرة بعد انتهائه من الكلام عن الجيتول الدرعاي، والإايثوبيين الدرعتيتاي.

وحمل النهر عند فتروف اسم Dyris وبذلك يكون فتروف قد خلط بين المصطلح الدال على النهر والمصطلح الدال على جبال الأطلس. وسمي النهر زمن بطليموس دراس Daras.

ونجد بنهر درعة وإلى حدود عصر بلين القديم (ق I م) تماسيح صغيرة ؟ Varans وقد علق العاهل يوبا الثاني جلودها بالمعبد المخصص لعبادة الإلهة المصرية إزيس Isis بعاصمة ملكه القيصرية (شرشل). وللتعريف فبلين القديم هو نفسه الذي أخبرنا بهذه المعطيات، والمعروف أيضا بأن هذا النوع من الوحيشة - وحسب گوثيي - استمرار لزمن طويل بالصحراء المغربية، وإذا كنا لا نجد إلى جانبها أفراس النهر، فلن نعثر على أفراس النهر بنفس الوفرة التي كانت عليها فيما مضى من الزمن بالسنغال. ولذا وحسب روسو Rousseaux ليس من اللازم أن نغامر حتى السينغال لنبحث عن نهر له خصوصيات مدارية. وفي رأيه أن نتوقف عند واد سوس الأقرب من موگادور فهو النهر المناسب وله المناخ الملائم لاحتضان هذه الوحيشة.

ونتساءل بدورنا لما لا نقف عند نهر درعة؟ فهو من خلال معظم الدراسات المعاصرة النهر الجنوبي الوحيد الذي تجرى فيه المياه طيلة السنة، ومجراه الطويل يشكل حدا فاصلا بين صنفين من السكان : المستقرون والرحل.

وهكذا يكون ليكسوس حانون، النهر الغريني، قد حمل عند بوليب تسميتين هما : درعة وبامبتوم وعند غيره تسميات عديدة نقرأ منها : دراس، دريس، نوهول. ولكن قدر للمصطلح الأكثر ترددا من خلال المصادر القديمة أن يعمر طويلا ويصل إلينا مع تغيير طفيف لحق بالأساس الحرف الأخير وذلك باستبدال الصاد أو حذف الألف فحصلنا بدل مصطلح درعات Darat ودراس Daras على مصطلح درعة الذي لا ندري هل هو مصطلح محلي استقاه بوليب من المنطقة التي حل بين سكانها ؟... وإذا كان الأمر كذلك هل يلزمنا أن نغوص في دلالات المصطلح؟....

M. Besnier, *Geographie ancienne du Maroc, A. M,* I, 1904, p. 345-346 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique,* Paris, Gallimard. 11e ed, p. 106-108 ; M. Clerc, *Massalia : Histoire de Marseille dans l'antiquité*, Marseille, 1927, p. 395-397 ; J. Desanges, *Recherches sur l'activité des Méditerranens aux confins de l'Afrique (VI e au IVe ap. J.C),* Ecole française de Rome, 1978, p.141-142 ; S. Gsell, *Herodote : Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord,* Alger, 1915, t : I, p. 131 note 1, p. 295-302, p. 395-316, p. 475 note 2 et p. 484 note 8 ; R. Mauny, *Autour d'un texte bien controversé : le Periple de Polybe (146 av. J.C), Hesp, XXXVI,* 1949, 1er, 2em trim, p. 60-61 ; P. Pedech, *Le Voyage de Polybe en Afrique, R. E. L.* XXXIII, 1955, p. 328-329; Rousseaux, *Hannon au Maroc , R. A,* 1949, p. 228-230 ; R. Thouvenot, *Defense de Polybe , Hesp* XXXV, 1948, p. 79-92 ; *Le temoignage de Pline sur le périple africain de Polybe, R. E. L.* XXXIV, p. 88 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparèe de la Maurétanie tingitane,* 1876, p. 119-121 ; Vivien de St Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine,* 1863, p. 340-41, p. 386, p. 422-23 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens,* 1924, p. 21-23-34-40-41.

بلكامل البيضاوية

**باني** (جبل) - جغرافيا. يعتبر جبل باني سلسلة جبلية طويلة تقع جنوب الأطلس الصغير، ولها الاتجاه الشمالي الشرقي - الجنوبي الغربي. وهو جزء من الأطلس الصغير الذي ينتمي بنيويا إلى القارة الافريقية. وترجع الروايات الشفوية تسميته بجبل باني إلى اسم قائد إحدى القبائل تسمى «المغرطيين». هذا القائد يدعى «باني»، استقر بجيوشه تحت أقدام هذا الجبل لكي يغزو قبيلة أخرى. وبعد أن تم الغزو وبطش بهذه القبيلة بطشا، أخذت تدعى هذا الجبل «باني».

والأطلس الصغير الذي ينتمي إليه هذا الجبل كتلة جبلية تمتد جنوب المغرب في العروض المتوسطية عند حدود المجال الصحراوي. تمتد هذه الكتلة على مسافة كبيرة من المحيط الأطلسي غربا إلى تافيلالت شرقا، تحيط بها هضاب توافق الغطاء الرسوبي الذي تغلب فيه الطبقات الكربوناتية والكلسية والدولوميتية. ويرجع بناء هذه الهضاب إلى تسطيح تحاتي أصاب الهوامش الرسوبية لكتلة الأطلس الصغير في نهاية الزمن الثالث. وهذا التسطيح امتد شمالا تجاه سهل سوس، وجنوبا تجاه أحواض واد درعة، ناتج عن التعرية الانتقائية التي أتت على حساب الصخور الهشة. وهذا أدى كله إلى أن تتحول الهوامش للأطلس الصغير إلى منخفضات تمثل السهول المحيطة بها، تتسع وتضيق حسب المناطق، تكسوها الرمال وتخترقها أودية جافة. كما تقل بها الأعشاب وينعدم بها

الغطاء النباتي ويطلق عليهاالفيجات وتتوسط هذه السهول أشرطة طولية بارزة هي عبارة عن عوارض طويلة وإفريزات حادة، تتوافق والدكات الكوارتزية والحثية، هي التي أعطت جبل واركزير وجبل باني.

وجبل باني هذا يمتد من مشارف المحيط الأطلسي غربا في منطقة واد نون إلى جبل صغرو في شمال زاگورة على الجبهة اليسرى لواد درعة. ويتجه أولا نحو الجنوب الغربي لكي ينعطف في منطقة واحة فم زگيد نحو الغرب مشكلا خطا موازيا لوادي درعة وعلى هيئة حائط. ويبلغ ارتفاعه ما بين مترين وثلاثمائة متر فوق الأراضي المجاورة. وتتسع قاعدته إلى ما بين كيلومتر وكيلومترين. ولعل ما يميز هذا الجبل هو تقطعه ما بين مسافة وأخرى إلى ما يعرف بالفوم، هذا التقطع تستغله أودية جافة تشكل روافد واد درعة. وتتعامد مع الوادي كأنهار موافقة للبنية. وعلى هذا الفوم تستقر مجموعة من الواحات على طول جبل باني يستغل سكانها المياه الجوفية التي تخرج على شكل عيون في هذه الأودية. وتتمثل هذه الواحات في واحة فم زگيد، أگادير تسنت، طاطا، أقا، إيشنت وفم الحصن، وبهده الواحات يصبح جبل باني جبلا مشهورا في الحافة الجنوبية للاطلس الصغير. ويعتمد سكان هذه الواحات على زراعة مسقية في قعور هذه الأودية. هذه الزراعة هي عبارة عن حبوب كالشعير وأشجار مثمرة وأغلبها النخيل ثم الحناء.

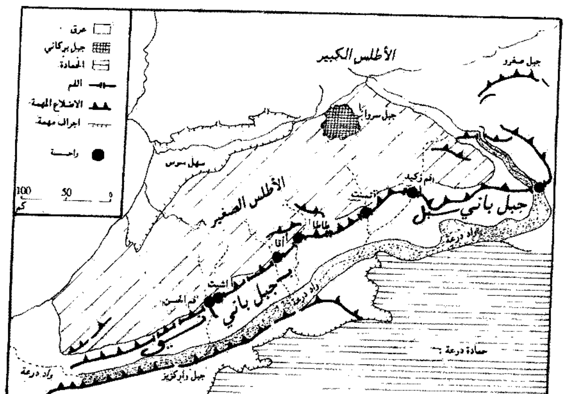


جبل باني

الجانب البشري : إن أهم جانب من تاريخ هذه الواحات مجهول، وخاصة ما يتعلق بالعصور القديمة والوسطى. إذ لا يمكن الاعتماد في دراسته إلا على ما أثبتته بعض الدلائل كالنقوش والرسوم الموجودة بالإقليم في تيكان بطاطا والمغيمية بتسنيت أو ما يأتي به القصص الشعبية، حيث توحي بأن هناك وجوداً بشريا وحضارة، ولم تكن هذه المنطقة في تلك العصور الأولى قد بلغت درجة الجفاف التي بلغتها الآن. ومن هذه الحضارة البائدة آثار قبور يهودية كقبر "النبي دنيال" في تگموت، والمسمى واركناس في ضواحي أسانن بالإضافة إلى معتقدات قديمة تركت بعض مظاهرها المتمثلة في بعض التقاليد، منها اشغال النيران على قمم الجبال في أعياد عاشوراء.

وجاء الإسلام ومعه خضعت المنطقة للحكم الإسلامي ولعبت دوراً مهماً في التجارة بين المغرب والسودان. وذكر البكري (القرن 5 هـ) أن عبد الرحمان بن حبيب والي الأمويين بالمغرب سنة 745 هـ قد سطر معالم الطريق الرابطة بين سوس وإفريقياالسوداء، تلك الطريق التي تمر بأراضي طاطا. وهذا دليل قاطع على أن الأمويين لهم نفوذ وصل إلى هذا الإقليم، وان طاطا بحكم موقعها لعبت دوراً في التجارة لكونها تعد ملتقى القوافل الوافدة بين فاس ومراكش ومنها إلى سوس فإلى إفريقيا السوداء والعكس، وأن نفس المؤرخ ذكر مدينة تَامْدَلْتْ المشهورة في التاريخ والتي توجد بواحة أقا جنوب طاطا، إذ قال في ذلك : "وبقبلي إگلي وعلى ست مراحل منها مدينة تامدلت أسسها عبد الله بن إدريس بن إدريس وهي سهلية عليها سور طوب وحجر وبها حمامان وسوق عامرة ولها أربعة أبواب... وبها معدن فضة عزيز كثير المادة".

ويتضح من هذا أن الأدارسة هم الذين بنوا هذه المدينة وبهذا وصل نفوذهم إلى المنطقة. كما أن بجانب مكان هذه المدينة بالجبل المسمى العدانة معادن الفضة تستغل بطرق عتيقة. كما أن المختار السوسي في *المعسول* أكد أن الأدارسة هم الذين بنوا مدينة تَامْدلت. كما أن أحمد المنصور الذهبي السعدي حينما غزا السودان، وبعد رجوعه من تنْبُكْتُ مع أسارى الحرب كلف قائداً له بإصلاح ماهدم من مدينة تامدلت لأنها منطلق الحركة السعدية الأولى. كما تقول بعض الروايات الشفوية إن أغلب سكان هذه الواحات خاصة طاطا وأقا هم من النازحين من هذه المدينة بعد أن تدهورت واضمحلت ولم تعد تلعب الدور الهام الذي كانت تلعبه. لهذا فإن تاريخ المنطقة كان مهملا أيما إهمال، رغم أهميته وارتباطه بأحداث المغرب العامة وتاريخه عبر العصور والحقب ارتباطاً وثيقاً.

لهذا يمكن القول إن الانسان استوطن الجنوب المغربي ومن بينه الواحات منذ أقدم العصور، ونظراً لموقعها الهام على الطريق التجاري للمغرب والسودان في الماضي، فقد تركزت فيها قبائل مختلفة بربرية وزنجية يربط بينها الدين الإسلامي الحنيف. كماعرفت القبائل العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية خلال العصور الوسطى وهي فروع قبائل بني معقل. فهي عبارة عن رحل يجوبون الصحراء ويستوطنون مشارف وادي درعة، جاؤوا إلى المنطقة في فترات مختلفة وعاشوا في البداية حياة الترحال والرعي والغزوات. وكانوا يفرضون الضرائب على سكان الواحات ويغيرون عليهم. إلا أن عدة عوامل قد أرغمتهم على التعايش السلمي مع سكان الواحات والاستمرار إلى جانبهم، وأشهر هذه القبائل، إدويلال، وأيت جلال، وأيت اسا في واحة طاطا، وتسنت، وأولاد يحيى الرحالين في فم زگيد، وأيت أمريبض في أقا. اضطر هؤلاء إلى الاستقرار إما تحت ضغط الجفاف أو تحت ظروف التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفها المغرب إبان فترة

الحماية وخلال فترة الاستقرار وخاصة بعد استرجاع المغرب لصحرائه حيث أصبحت المنطقة تحت تهديد بعض الحملات العسكرية.

إن استقرار السكان في الواحات عادة ما يتخذ شكل جوانب العيون أو على شكل تجمعات بشرية كثيفة، وهم يستغلون بقعاً أرضية جد صغيرة يزاولون فيها زراعة مختلفة تجمع ما بين الأشجار المثمرة وأغلبها النخيل، والحبوب (الشعير) والخضر والفصة والحناء. أما السكن المنتظم على شكل دواوير فيحاط بالأسوار في بعض الأحيان. ويتكون القصر من عدة مساكن مجمعة لها أزقة ضيقة مغطاة بقناطر من جذوع النخيل تؤدي إلى الأبواب الرئيسية للقصر. وتتوسطه ساحة كبيرة غالباً ما تكون أمام المسجد الكبير تستعمل للأفراح والمناسبات ويقام فيها حفلات أحواش وما إلى ذلك. كما تظهر بعض الأبراج العالية من حين لآخر في بعض القصور، وأغلب المنازل تتكون من طابق أو طابقين، حيث لم تسمح مادة البناء أي "التابوت" من تشييد أعلى من ذلك. والغاية من استعمال هذه المادة في البناء هي أنها مادة مقاومة للحرارة المفرطة وتسربها إلى داخل البيوت خلال الصيف.

إلا أنه نظراً للظروف الاقتصادية والاجتماعية والتطور الذي عرفته هذه الواحات في العقود الأخيرة وقع تطوير شكل البناء سواء من حيث الشكل أو مواد البناء. فهناك ظهور مسالك جديدة واسعة وذات أزقة عريضة تستجيب للحياة العصرية واستعمال بعض التجهيزات الحديثة في الداخل كالكهرباء والمطبخ العصري أو في الخارج كاستعمال السيارات والدراجات النارية.

كما أن الواحات عندما كانت تجوبها قبائل الرحل، كانت الخيام تنصب هنا وهناك في كل أطراف الواحات. غير أن الاستقرار الذي عرفته أغلب أسس هؤلاء أدى إلى تقلص عددها وأهميتها وأزيل هذا النوع من السكن ولم يعد يظهر إلا في المناسبات والأفراح، كما تنصبها بعض الأسر داخل منازلها حفاظاً على تراثها وتقاليدها، لكن، على العموم فالسكن القروي بالواحات تنقصه بعض التجهيزات كالكهرباء والماء الصالح للشرب، إذ لم يتأت هذا إلا للمركز الحضري طاطا مقر الإقليم أو مقر الدوائر كفم زگيد وأقا بعد أن أحدث إقليم طاطا في شهر يوليوز 1977.

كانت أجزاء هذا الاقليم تابعة فيما سبق إلى عدة أقاليم كتزنيت وورزازات وأگادير. وبهذا كانت هذه الواحات مهملة ومهمشة ولم تستفد من التطورات والتنمية التي عرفتها الأرياف المغربية إلا قليلا. ولم تعرف بناء بعض المصالح والأنشطة الاقتصادية إلا في العقود الأخيرة بعد أن ربط الاقليم بشبكات من المواصلات كالطرق المعبدة ومقر الهاتف الأوتوماتيكي مما جعل الواحات تعرف حركة البناء والتجهيز، كما تم في السنوات الأخيرة ربط الاقليم بالشبكة الوطنية للتيار العالي، مما جعلها تفك الحصار الطبيعي المفروض عليها، بحيث إن انتماء الإقليم إلى منطقة المناخ الشبه الصحراوي جعله يعرف ظروفاً طبيعية قاسية مما جعل سكانه يعرفون حركة هجرة قوية، كما هو الحال بالنسبة لسائر الأرياف المغربية، إما إلى المدن الكبرى حيث يتعاطون التجارة أو يعملون في قطاع البناء، وإما إلى أوروبا.

لهذا تبقى نسبة السكان العاملين ضعيفة جداً في الإقليم، نظراً لعدم توفره على الصناعات أو على فلاحة منتجة تتطلب الكثير من اليد العاملة التي تعتمد على المواد الأولية المحلية وخاصة الحيوانية كالصوف والوبر وشعر الماعز أو الفلاحية كسعف النخيل وغيره.

ففي مختلف جهات الإقليم كانت معامل الفخارة نشيطة قبل أن تلقى منافسة المواد البلاستيكية والحديدية، كمعمل تغرمت، معمل تماشت ومعمل تيتي بطاطا. ومعمل أقا رغان وتنرضا وإسرعين يتسنت كما أن هذه القبائل كانت مشهورة في صناعة الأطباق والحصير والقفاف من سعف النخيل. كما أن هناك صناعة الزرابي بفم زگيد. ولا ننسى ما تقوم به قبيلة أيت إحيا المشهورة في تسقيف البيوت بالخشبيات الملونة إما من القصب أو الدفلى على شكل رسوم الزرابي كما أن قبيلة الوگوم تصنع الدفوف المزخرفة من الخشب وتتجر فيها. أما إسَافَّن فإنه كان مشهوراً بدباغة الجلود وصنع الأحذية وقرَب الماء.

أحمد المختار العبادي، *في تاريخ المغرب والأندلس*، دار النهضة العربية، بيروت 1978 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب* ؛ *مجلة الحياة البرلمانية* السنة الأولى دجنبر 1977، العدد الأول.

مبارك أُوسديد

**باني** - تاريخ - إذا كان من الصعب تحديد تاريخ هذه التسمية فإن المجال الذي تطلق عليه يشمل سلسلة من الأعراف الجبلية المأهولة على الحدود الشمالية الغربية للصحراء بالمداشر وأمهات القرى منذ الفترة النيوليتيكية على الأقل. فبمحاذاة وادي درعة تؤكد الحفريات هذه الحقيقة مساندة في ذلك من طرف التحريات الميدانية (A. Jodin, *L'Archéologie* : 14). وهو أيضا ما تتبثه مصادر ما قبل الميلاد مبرزة دور أعراف باني في بلورة المقومات الحضارية لجنوب الأطلس الكبير (J. Desanges : *Pline* : 342 - 346). لقد جاء امتزاج الكوشيين من الأحباش بالأمازيغ (إزناگن وإگزُولن) إضافة إلى تسربات البحر المتوسط عبر المحيط المجاور، عاملا حسم في تجديد الدور الكبير لأعراف باني. وهو أيضا ما تفترضه الرواية الشفوية عندما تقر بأن أگرْض بواحات وادي أقا تعد أقدم مركز عمراني عرفته السلسلة منذ أقدم الأزمنة. ويتضح أن سيطرة الأمازيغ على الأحباش خلال القرون الأربعة الأولى التي سبقت الميلاد هيأت لالتصاق هؤلاء بالمجال القروي. لقد أصبح الأحباش يمثلون يومئذ الغور السكاني المنتج

الوحيد لمواد الاستهلاك الفلاحي. فنجدهم قد استعملوا الحجر الكلسي الرقيق في بناء قلعة أسا مخلفين بذلك أهم مؤشر على التشابه القائم بين هندستهم وهندسة مصر وحضرموت القديمتين. أما مخلفات الآبار القديمة المنتشرة فإنها تدل على دور الأمازيغ في تنمية قطاع الترحال الرعوي ومنتوجاته. فقد جعل منهم وصول الجمل إلى المنطقة أسياد الصحراء الأطلسية. لم يجد الجغرافيون أي حرج في الحديث يومها عن الأعداد الكبيرة من المراكز العمرانية المؤهولة. بل إن شهادة Pline بوجود مدينة درعة لتعد في حد ذاتها تتبيثا لاستمرارية الطابع العمراني الغالب على هذه السلسلة الجبلية (J. Desanges : *Pline* : 346 - 342). لقد أكدت الوثائق اليهودية القديمة هذه الحقيقة عندما ربطت دور أقا حوالي 580 سنة قبل الميلاد بتمرير البضائع من وإلى الفينيقيين. فالوثائق القديمة تجد اليوم سندها في نتائج الحفريات التي تصب أيضا في دور الاستغلال المنجمي القديم في ترسيخ الغور السكاني. (G.S. Colin, *Les Mines*, 194 - 200 ; B. Rosenberger, *les vieilles* ; D. M. Dunlop, *Sources*, 44 - 45).

إن هذا التجاوب بين المعطيات الجيومورفلوجية والثروة المعدنية ينير إلى حد مّا دور منطقة باني في تطوير البنيات الاقتصادية وبلورتها سياسيا واجتماعيا، وهو عامل أساسي يحدد بدقة الصيرورة الانتقالية التي ستعرفها منطقة جنوب الأطلس الكبير. إن تسمية تمنارت - الحد الفاصل بين الصحراء وما عداها - التي كانت مستعملة بشأن بسيط ومداشر وادي هام بمنطقة باني خلال القرن الخامس (11م) (البكري، *المسالك*، 308 - 316) لتصب في نفس الاتجاه. فنحن هنا أمام تأكيد جازم لدور واحات وأعراف باني في الحد من تسرب الصحراء واستقرار المراكز المحلية وتتبيث الغور السكاني. لقد وصل الإسلام ليجد أمامه مجالا قرويا مخضرا هو أبعد ما يكون عن الواقع العمراني للقرون اللاحقة (ابن عذاري، *البيان*، 1 : 365). ولن تلبث دور السكة أن تؤكد الأهمية الاستراتيجية للموقع منجميا وفلاحيا وتجاريا وعمرانيا. فبمدن درعة وتامدُلت وتمنارت وأسا ازدهر قطاع البحث والاستغلال المنجمي وتطورت الطرق الاعتراضية لتجعل من باني صلة وصل بين سجلماسة بتافيلالت ونول لمطلة ببوادي نون وتارودانت والمحمدية وإكلي بسوس. بل إن من الأهمية بمكان تحديد دور تامدُلت كنواة عمرانية وسلالية تلتقي عندها أغلب الفصائل الجزولية السوسية حسب مقولة الرواية الشفوية. فهذه مدينة تاريخية ماتزال تجسد رغم انقراضها رمز ارتباط الغور السكاني السوسي بمجاله القروي منذ أبعد الفترات، وهو موضوع يقفز تدريجيا وباستمرار إلى واجهة الاهتمامات المعرفية والأبحاث الأكاديمية.

ففي إطار الاهتمام الآتي بقضايا التحديد الإثني (السلالي) من خلال مختلف الممارسات الاجتماعية المرتبطة تمثل تامدلت ومن خلالها أعراف باني السلطة التاريخية التي يستمد منها لف إكزولن رموزه الانتمائية.

لقد عرفت سلسلة باني بعد انحطاط تامدلت في بداية القرن الرابع عشر الميلادي تفتت الوحدة الإثنية والعمرانية للغور السكاني. ورغم ارتباط الأحباش بواحاتهم وازدهار بسيط أقا النسبي، فإن الرواية الشفويج والمساجلات الشعرية بين لفي اكزولن وتحگات ماتزال تركز على أهمية تامدلت في بلورة التفاعلات البشرية وحجم المد الصوفي (V. Monteil, *Gens*, 385 - 400 ; B. Rosenberger, *Tamdult*). إن الموقع الاستراتيجي لباني في الواجهة الأمامية لمسالك الصحراء لم يحل دونه والتضرر من مضاعفات انجراف تجارة القوافل خلال القرن الرابع الميلادي نحو الشرق (L. Massignon, *Le Maroc*, 194). وهي فترة عانى خلالها المد المعقلي من صلابة التماسك السكاني حيث شكل الغور المحلي منيعا لم يسمح بالتسربات المعقلية الكبرى. فوحدة نظام التحالفات القائم الذات منذ ما قبل الميلاد سمح لإذاوبلال وأيت حربيل وأيت أُمريبط الأمازيغيين بفتح ثغرة في هذا السد. بل إن نظام التحالفات نفسه قد ازداد تجذرا حيث أقدم إعزّى ويهْدَى مؤسس قبيلة أيت أُسا خلال القرن السادس / الثاني عشر، بمراقبة مرتفعات أسا بعد أن أحكم تطويقه للمواقع والمداخل الهامة. وهي إنجازات يضيق المجال عن الإحاطة بها. ونكتفي بالتأكيد على دور الخصوصيات القرابية لبطون إليمضن (الملطة) وإكُزُولَنْ (جزولة) في تطويق كل المحاولات الاستيعابية للأعراب. فمن بين الحلقات البارزة لهذه الخصوصيات، تلك التي أشارت إلى استمرارية البنيات الأميسية لدى عائلة إعزّى ويهْدَى المتدينة فاتحة بذلك باب المقارنة مع مختلف الفصائل الجنوبية الأخرى ( *المعسول*، 10 : 166 - 211).

هذه المعطيات تعزز في نفس الوقت من الدور الديني لمتصوفة وزوايا باني في ترسيخ المد العقائدي. وهنا لابد من الإشارة إلى أن مدونة زاوية أسا تشكل نموذجا حيا من النصوص التي تكشف دونما حرج معطيات موضوع تطلب لم شعث نصوصه وتحديد إشكاليته المحورية. فمدونة أسا تتسم بالارتباط بالذات باعتبارها منطلقا للمعاودة والتفاعل بالبيئة المحملة لدلائل التأثير والتأثر. فبتركيزها على مراحل تطور مجاهدي أيت إعزّى ويهْدَى تكشف المدونة سلوكا ثقافيا إنسانيا يتصل بالفكر ويحدد منهجا لدراسة التطور الصوفي والسياسي لأعراف باني. يمكن لنا أن نتتبع تأثير أيت إعزّى ويهْدَى في تطوير مفهوم الجهاد كضرورة مقدسة بمجمل سوس ووادي نون والساقية الحمراء. ومن حيث هي كمرحلة استقرائية يجد المد الصوفي امتداده فيما سيسعى إليه متصوفه المنطقة اللاحقون. وهنا يعد سيدي امحند أُبراهيم الشيخ دفين تمنارت خلال القرن العاشر / السادس عشر، وهو القطب الثاني لجنوب الأطلس الكبير أحد النماذج الأساسية التي أعطت مضمونا فعليا لتسيد الغور على ثروات المنطقة. وتعد معرفة هذه

التماذج ضرورية لتحديد الرؤية المحددة المتداخلة بين زوايا المنطقة وارتباطها بالذات. هذا المنظور يضيف إلى عرض المواقع الجهادية وأهمية مسالك التجارة وتفاعل الصراعات الإثنية وتناقض المصالح في الدفع إلى مواجهة المد المسيحي على السواحل خلال القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين. ونخلص من هذه الفترة إلى أن انجراف تجارة القوافل خلال القرن التاسع عشر نحو مرافيء الساحل الأطلسي شكل عاملا حاسما حوّل المتناقضات إلى كيانات متضادة راسخة. وهو ما يتأكد بصورة أوضح عندما تتجزر أزمة باني في الهجرة وتطور نمط العيش الترحالي (G. Salvy, *La crise*). هذه الإشارة تدل على انكسار الصورة الهيكلية التي ميزت المجال القروي لأعراف باني. لقد عرفت القوانين المجتمعية التي ميزت هذا العمران القروي تغييرا جذريا حكم على الغور القديم بالتفتت وعلى الديناميكية الاقتصادية بالنقصان (D. J. Meunié, *Greniers*, 234 - 236). لقد شكل الانتقال التدريجي من حضارة العمران القروي إلى أقصى أنواع البداوة ظاهرة تاريخية حكمت وحدّت من قانون الالتحام الذي شكل الأصل في نمط العيش القديم.


ع. السوسي السملالي، *مطالع الحسن*، مخطوط خ. ع، رقم 81 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، III، 206، X، 166، XVIII، 167 ؛ *من خلال جزولة*، IV، 9، III، 86 ؛ م. ناعمي، *أيت أسا، إعزى ويهدى*، *معلمة المغرب*، II، 337 ـ 339 ـ 412 ـ 414 ـ 517 ـ 518.

Ch. De Foucault, *Reconnaissance au Maroc* ; A. Al Murrakuchi, *Histoire des Almohades*, Trad. Fagnan. E, 1893, 309-310 ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVIe siècle*, 1906, Fagnan, *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924, 46 - 47 ; Cl. Justinard, *Note sur l'histoire du Sous au XVIe siècle, A. M*, XXIX, 1933 ; G. S. Colin, *Les Mines Marocaines et les Marocains*, *B. E. M.*, n° 13, 1936, 194 - 200 ; Al Yaqubi, *Al Buldan (Les pays)*, trad. G. Wiet, Paris, 1937, 225; V. Monteil, *Gens et choses du Bani*, *Hesp.*, XXXIII, 1946, 385 - 400 - 405 ; Id. *Chonique de la Zaouia d'Assa*, in *Mélanges Mohamed El Fassi*, Xème Anniversaire de l'Université Mohammed V, 1957 - 1967, Rabat, 81 - 90 ; D. J. Meunié, *Greniers - Citadelles au Maroc*, 1951, I, *Note sur Tamdoult Ouaqqa*, 234 - 236 ; Id, *Le Maroc Saharien des origines à 1670*, Paris, 1962 ; G. Salvy, *La crise du nomadisme dans le sud marocain*, mémoire du CHEAM, n° 1563 ; D. M. Dunlop; *Sources of gold and silver in Islam according to al - Hamadani*, *S.I.*, 1957, XIII, 29 - 50 ; Ibn Hauqal, *Surat Al Ard*, trad. Kra mers et Wiet, *configuration de la terre*, 1964, 91 : Al Bakri, *Description*, 1965, 308-316 ; A. Jodin, *L'archéologie phénicienne au Maroc*, *Hesp.*, fasc. unique, 1966, 9 - 16 ; B. Rosenberger, *Les vieilles exploitations minières et les anciens centres métallurgiques du Maroc : essai de carte historique*, *R.G.M.*, n° 17, 1970, 71 - 108 et n° 18, 59 - 102 ; Id. *Tamdult cité minière et caravanière présaharienne IX - XIVe*, *H.T.*, 1970, fasc. unique, 103 - 139.


مصطفى ناعمي

**بـَانيو**، إيميل، Pagnon, Emile ولد هذا المعمر سنة 1876 من عائلة مزارعة كانت تستقر في فينيول Vignols بمنطقة La Corréze بفرنسا، أتم تجنيده العسكري بالجزائر، وفي سنة 1905 أصبح يملك مجموعة من القطع الأرضية في شانزي Chanzy في مقاطعة وهران، وكانت مساحة هذه القطع مائتي هكتار وفي سنة 1910 تمكن من الحصول على رسوم تمليك هذه الأراضي، ويدخل امتلاك الأراضي من قبل المجندين الفرنسين الذين قضوا مدة في الخدمة العسكرية في إطار مكافأتهم عن خدماتهم في صفوف الجيش، إضافة إلى كونهم يمثلون أداة من الأدوات الفعالة لتثبيت السيطرة الفرنسية الاجتماعية في نظر الاستعماريين الفرنسيين الذين استولوا على البلاد والعباد سواء في الجزائر أو تونس أو المغرب.

في سنة 1908 غداة احتلال الجيوش الفرنسية لوجدة والمغرب الشرقي انتقل پانيو Pagnon إلى مدينة بركان بسهل تريفة الخصيب واستولى على مائتي هكتار.

وفي سنة 1914 زار پانيو أحواز مكناس فأعجب بجمالها وبطبيعتها الملائمة للفلاحة، فاستقر بها مع عائلات أوروبية أخرى، وأنشأ أول ملكية زراعية له في هذه المنطقة في بداية الحرب العظمى، واستغل ظروف تلك الحرب فبدأ يمون بالمواد الفلاحية الجنود الفرنسيين في جبهات القتال فزادت أسباب الرزق، وكسب أموالاً طائلة مكنته من توسيع ملكياته الزراعية حتى أصبحت مساحتها تقدر بألف هكتار، وأهم الأراضي التي شملتها هذه المساحة كانت بتولال وواد نجا، وأضاف إليها ستمائة هكتار أخرى وبذلك وصلت حدود أملاكه إلى سيدي قاسم، وصار يملك آلاف الهكتارات. تقلب پانيو في عدة مناصب إدارية لها علاقة بالفلاحة، كان أهمها سنة 1924، حين عين رئيسا لصندوق القرض الفلاحي بمكناس، كما عمل على تأسيس عدة جمعيات خاصة بالمعمرين، وكان من بين أعضاء الفرقة الفلاحية الدائمين ـ لانتخابه باستمرار ـ بمدينة مكناس.

ويعتبر پانيو أول معمر أدخل إلى أحواز مكناس زراعة القمح الطري والشوفان حيث جلب بذور هاته الحبوب من سيدي بلعباس بالجزائر.

وبالإضافة إلى الأملاك الفلاحية التي استحوذ عليها پانيو فقد كانت له عدة متاجر ودور بالمدينة الجديدة بمكناس (حمرية) مازال أحد أفراد أسرته إلى الآن يتصرف فيها.


ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران*، الرباط 1990.


بوشتى بوعسرية

**باها** (أيت ـ) : توجد بمنطقة سوس ثلاثة أماكن تسمى بهذا الاسم وهي تتفاوت من حيث الحجم الجغرافي والسكاني من قرية واحدة إلى مجموعة من القرى (فرقة) إلى قبيلة بكاملها.

وكلمة باها وقع نحتها من اسم إبراهيم، وذلك تبعاً لقاعدة معروفة في اختصار الأسماء، وتفيد تسمية أيت باها أن أصل هذه التجمعات السكنية مبني على أساس بشري، أي إنها تنتسب إلى جد أعلى تكون قد تناسلت منه، إما حقيقة أو وهماً. ونظراً لأنها استقرت في موقع جغرافي، فقد أصبح لهذا الاسم مضمون بشري وجغرافي معاً، وهو مضمون مزدوج تفي به كلمة (أيت) الأمازيغية، بحيث يمكن استعمالها بشريا، فتدل كلمة أيت باها على عنصر السكان، كما تستعمل جغرافيا فتدل نفس الكلمة على المنطقة المسكونة.

وتنتظم الأماكن الثلاثة التي تُدعى أيت باها من منطقة جغرافية محدودة لا تفصل بينها مسافات شاسعة وتنحصر في سهل سوس والسفوح الشمالية للأطلس الصغير، وهي : أيت باها أُوْدْرَارْ، وأيت باها أوْمْلال، وأيت باها أوْباها.

- *أيت باها أوْباها* : عبارة عن قرية صغيرة تقع على الضفة اليمنى لنهر سوس وتستفيد فلاحيا من مياهه على شكل سواقي وهي على سمت الطريق الرابطة بين مدينة أگادير وأمسكرود نحو مراكش، وتبعد عن أمسكرود بحوالي 25 كلم، مجاورة لضريح سيدي محمد الشريف.

تنتمي هذه القرية إلى قبيلة مسگينة وفي هذه الجهة كانت تستقر أسرة آل الشداخ المسگينية التي كانت تتولى قيادة القبيلة في القرن التاسع عشر، وبالخصوص في العهدين الحسني والعزيزي، وقد كان قواد هذه الأسرة في صراع مع جيرانهم قواد قبيلة گسيمة وبلغ هذا الصراع أقصاه مع القائد محمد بن الحاج الگسيْمي في بداية عهد الحماية حيث أدى إلى انقطاع القيادة من بيت آل الشداخ، ولكنها لم تستمر إلا لفترة قصيرة في بيت الگسيميين.

- *أيت باها أوملال* : فرقة من قبيلة هشتوكة الواقعة في السهل، من هنا جاءت نسبه أيت باها إلى أملال : (الرمل) وأحيانا إلى أزغار : (السهل) للدلالة على أن هذه الفرقة من ضمن فرق قبيلة هشتوكة السهل تمييزاً لها عن فرقة هشتوكة الجبل، ومن فرق قبيلة هشتوكة الأخرى إلى جانب أيت باها وأيت عميرة وإداأُمحند وأيت بلفاع وأيت ميلك وأيت إيلوگان وغيرها.

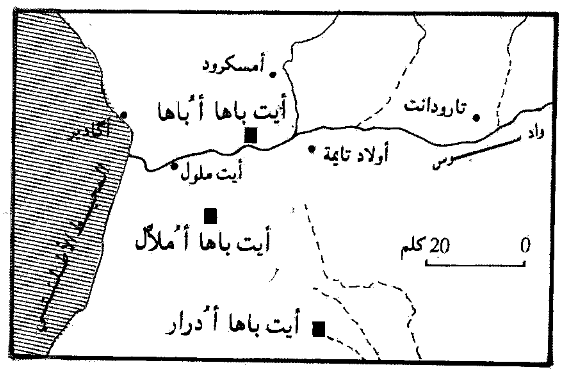


مواقع أيت باها

يبعد موقع فرقة أيت باها عن مدينة أگادير بحوالي 20 كلم، وتمتد رقعتها على طول الطريق الرابطة بين القليعة ودائرة بيوگرا، وتحدها غربا أراضي فرقة أيت ملول من قبيلة گسيمة الممتدة إلى القليْعة، ومن الشرق فرقة إداأمحند التي منها دائرة بيوگرا، ومن الشمال غابة أدميم وحدود قبيلة هوارة، وتحيط بها في الجنوب كل من فرقة أيت عميرة في جزء وإداأمحند في جزء آخر، وتبلغ مساحة أيت باها 1250 كلم وهي كبرى ملحقات دائرة بيوگرا مساحة، وتنتظم قراها في خط يتجه من الشمال إلى الجنوب وهي : أدوزن سعود وأيت مولود والخريبت وأيت حمو وأيت أماليّا وأزدُو، وإزكريتن وتومشيغال وامهايش وأيت واكمار. ويبلغ عدد سكانها 5704 نسمة (1973).

إن معظم أراضي هذه الفرقة أراض فلاحية خصبة يقع استثمارها من طرف فلاحين محترفين يمارسون الفلاحة العصرية القائمة على استثمار رؤوس الأموال في انتاج مبنى على إنشاء الأروقة البلاستكية المكيفة لتلبية حاجيات التسويق. أما السكان فأغلبهم من العمال المهاجرين إلى الخارج أو النازحين إلى المدن المغربية وبخاصة منها المدن المجاورة مثل أگادير وإنزگان وأيت ملول على التوالي حسب أهمية الاستقطاب تليها مدن أخرى.

ومن الناحية الإدارية تعتبر أيت باها أوملال جماعة قروية مركزها في قرية الخريبت وهي تابعة لدائرة بيوگرا إحدى دوائر إقليم أگادير.

وعلى صعيد التاريخ عرفت هذه المنطقة من هشتوكة أسرة توارث أفرادها منصب القيادة هي أسرة آل الدليمي التي انتقلت من الصحراء إلى هشتوكة بسوس ضمن القبائل العربية التي تسمى أهل سوس، والتي استوطنت جماعات منها بضواحي مراكش والرباط. وكان وجالاتها ينخرطون في أشغال الجيش منذ العهد السعدي ومنهم يتكون القواد والباشوات، وتتوارث بعض الأسر منها هذه الوظائف المخزنية، ومنها أسر آل الدليمي التي توارثت منصب القيادة في هشتوكة، وقد تسلسل قوادها بالخصوص ما بين 1207 / 1793 و1331 / 1913 وكان أبرز قادتهم القائد إبراهيم الدليمي (ت 1307 / 1890) وكان لهؤلاء القادة علاقة المصاهرة بجيرانهم قواد قبيلة گسيمة، واستمر نفوذ هذه الأسرة إلى سنة 1331 / 1913، حيث بسط القائد الناجم الاخصاصي نفوذه على قبائل هشتوكة بتعيين من الشيخ أحمد الهيبة (*المعسول*، 14 : 107) وذلك قبل وصول جيوش الحماية الفرنسية إلى سوس، فآلت قبيلة هشتوكة إلى تنظيم جديد بعد استقرار القائد الطيب الگندافي بتزنيت.

- *أيت باها أودرار* : من القبائل المستقرة قديما في الاطلس الصغير، وقد ورد لها ذكر في ديوان قبائل سوس في عهد أحمد المنصور الذهبي باسم «بنو باها» أما كلمة أدرار (الجبل) فإنما ألحقت بها تمييزاً لها عن أيت باها السهل كما سلف.

تقع هذه القبيلة بين قبائل الأطلس الصغير على السفوح الشمالية لسلسلة جبال الگست الأطلسية، على الطريق الرابطة بين أگادير وتافراوت عبر هشتوكة.

تبعد أيت باها أودرار عن أگادير بحوالي 70 كلم وتحيط بها مجموعة من القبائل : أيت مزال شرقاً، وإمشگيگلن شمالا وهلالة غربا، وقبيلة أيت والياض وأيت وادريم جنوباً، ومن بين مداشر أيت باها : مدشر أيت بلقاسم، وأدوز، والجماعت، والقصبت، وأُخريب، وتامغادو، وتيفغلت. ويذكر *ديوان قبائل سوس* في العهد السعدي أن عدد سكانها يبلغ عشرين سرجة وهو ما يساوي 1500 نسمة غير أنه في إحصاء أجرته سلطات الحماية 1936

لم يسجل سوى 659 نسمة، وليس لدينا الآن من تعليل نواجه به هذا النقص في مطلع القرن العشرين، وكذلك ما طرأ في السنة المذكورة نفسها بأيت باها من مطاردة سكان القبيلة وسجن أغلبهم بسبب حركة مقاومة أيت باها للتدخل الأجنبي كما سنذكر لاحقاً.

وبخصوص سكان المنطقة فإنه رغم تشبثهم بالإسلام ونفورهم من الأجنبي يلاحظ وجود جالية يهودية ضمن أقدم جالية استقرت بسوس، وسكنت كثيراً من القرى والمداشر نتيجة ما كان يتمتع به اليهود من الحرية في السكن والامتلاك والبيع والشراء وترويج النقود، وكان أيت باها وأيت ولياض من بين المناطق التي لليهود فيها دور في الحياة التجارية.

وقد اشتهر سكان هذه الجهات - عموماً - بفعاليتهم في الميدان الاقتصادي وبالخصوص قبائل أيت باها وأيت مزال وأملن وتافروات، فقد أنجبت هذه القبائل كثيراً من التجار ممن لا يزال دروهم المالي قائماً حتى الآن، في مختلف المدن المغربية، وهو أمر أصبح موروثا في كثير من الأسر، فقد صادف شارل دوفوكو Ch. De Foucault سنة 1883 أسراً تجارية بأيت باها وأملن وبالخصوص بأيت سعيد على ضفة أسيف نايت مزال، كما أن المختار السوسي يذكر أن من بين سكان أيت باها كثيراً من الأثرياء أمثال محمد بن داود، وابنه علي، وقد توفي هذا الأخير سنة 1366 / 1947.

ولقد أدى تركز الأموال وترويج البضائع إلى نشوء مركز تجاري بأيت باها حيث تعقد سوق أسبوعية تقام يوم الأربعاء عرفت بأربعاء أيت باها، وتعتبر بحق محطة كبرى لتزويد مختلف قبائل الأطلس الصغير بالمواد التجارية، بواسطة التجار المحليين المتعاقدين مع تجار الصويرة منذ القرن التاسع عشر ومع تجار الدار البيضاء ابتداء من مطلع القرن العشرين.

لم يضطلع هذا المركز بالدور التجاري فحسب وإنما كان له دور ثقافي وديني، وكانت المدارس العتيقة في هذه الجبال منبع إشعاع وبالخصوص في إداوكثير وأيت مزال حيث مدرسة تيمزگيدا وأسيف. وكان مركز أيت باها يستقطب أكابر الفقهاء، ومن العادة أن يحضروا يوم السوق الأسبوعية للفصل في النوازل والأحكام الشرعية المتعلقة بالتركات وغيرها من الحقوق، وقد اشتهر في هذا الباب فقيه إداوكثير سيدي محمد بن الحسين الأسغركيسي، وكان يحضر للمركز بقصد الإفتاء وتحرير الأحكام حتى عزلته سلطة الحماية، ثم انتدب لذلك الفقيه محمد بن محمد الكثيري الذي كان يحضر في محكمة أيت باها على مضض، وبعد حصول المغرب على الاستقلال عين قاضيا بمحكمة أكادير الابتدائية حتى أحيل على المعاش، في بداية السبعينات.

وكان لأيت باها أيضا دور سياسي وإداري، فمنذ بداية الاحتلال الفرنسي لهذه الجهة، ونظراً لما كان لموقعها من أهمية بادرت سلطة الحماية إلى تأسيس مركزها الإداري هناك، وبواسطته استطاعت تركيز نفوذها السياسي ومراقبة سكان القبائل المنتشرة في تلك الجبال. وكان الوجود الأجنبي مرفوضاً لدى السكان، وقد انبعثت في تلك القبائل حركة المقاومة الوطنية التي كادت تعصف بالوجود الفرنسي في هذا المركز.

**باها** (أيت -) - معركة - يمكن تصنيف هذه المعركة ضمن المعارك الوطنية التي خاضها المغاربة ضد الاستعمار الأجنبي في مختلف الجهات، وقد اشتهرت في سوس مقاومة إداوتنان وأيت عبد الله وأيت باها وأيت باعمران وهوامش الصحراء. ومعركة أيت باها هذه لا نجد لها ذكراً في كثير من الكتابات المغربية باستثناء ما لدى محمد المختار السوسي (*المعسول*، 17 : 263 - 265) وتناقلت الروايات الشفوية وبعض الأهازيج وقائع هذه المعركة على المستوى المحلي، وتتفق هذه الروايات على سرد كثير من التفاصيل المأسوية غير أن وصف الشاعر رزوق كان وصفاً بليغاً في إحدى قصائده المشهورة التي غناها تحت عنوان "القصت ن أيت باها". ولا بد أن تبقى آثار هذه المعركة مدونة في حلقات الحماية المحفوظة في وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية، مما لم نتمكن من الاطلاع عليه بعد.

لقد أثار الوجود الفرنسي في مركز أيت باها الإداري حماسة القبائل المجاورة التي ترفض الاستعمار، ووجدت هذه الحماسة في شخصية الفقيه الحسين بن الطيب البوشواري محور الاستقطاب، فالتف حوله أولا بعض الأفراد مثل الحُسْ أُعمار وإبراهيم بن السي أحمد المزالي، والحاج عبد الله الولياضي، وعثمان الصوابي، ولقد اشتهر عن هذا الفقيه أنه يرى ضرورة تحرير البلاد من هذا المحتل، وكان ينادي بمحاربة الاستعمار، فشاع ذلك في الناس بسرعة، وعلى الرغم من الكشف عن أعماله من قبل استعمالات المراقب المدني، واستدعائه للاستجواب في مركز تانالت، فقد سُرِّح وأهمل أمره بدعوى أنه لا يشكل أي خطر.

لكن هذه التقديرات الاستعمارية كانت خاطئة لأنه سرعان ما استفاد من أحد المواسم المحلية الهامة الذي يقام قرب ضريح السيدة فاطمة تعلاط لأغراض دينية وتجارية، فنادى في الناس أن يلتحق به كل من يرغب في الجهاد، وكان الناس يكرهون الاستعمار فاستجابوا لندائه واجتمعت جموع كثيرة من مختلف القبائل فتوجهت إلى ثنية سيدي عبد الله بن سليمان بأيت ولياض، وبعد صلاة الجمعة تأجج حماس الناس الديني والوطني، فانعقد شبه مؤتمر وضعت أثناءه ترتيبات الحملة المزمع القيام بها لمهاجمة الأجانب في مركز الحكومة بأيت باها.

وفي غياب الوثائق اللازمة لتحليل مثل هذه الأحداث الجماعية يمكن أن نتتبع ذلك من خلال مختلف الروايات. ونستخلص منذ الوهلة الأولى أن المعركة ليست لها قيادة محددة معروفة، كما أنه لا تتوفر عناصر مؤهلة لمثل هذه القيادة، فإلى جانب الأسماء السالفة الذكر تضيف الروايات

وجود بعض شيوخ القبائل أمثال : الشيخ موح ن عگو، الكثيري، وحماد بن المختار الإيلالني، وسليمان بن بيهيا من أيت فلاس وسعيد بن أبي الشعر المزالي، لكن كل هؤلاء لا يتوفرون على الخبرة اللازمة لمهاجمة مركز مسلح.

كانت الاستعدادات تشمل إحضار بعض الأسلحة العتيقة على قلتها وبالخصوص بنادق (بوشفر) وأنواع من السلاح الأبيض، وكان الفقيه البوشواري يلوح في كلامه بأن المجاهدين سينتصرون (بجيش خفي). ومن المعلوم أن المركز يحتوي على مخزون من الأسلحة وكانت الخطة مبنية على أساس الاستيلاء عليه واستعماله فور نجاح الهجوم.

كانت هذه التحركات غير خافية على المراقب المدني بل كان على علم بما يجري بواسطة شيخ قبيلة أيت وادريم، ومع ذلك لم يعر المسألة كامل الاهتمام، وربما يرجع ذلك إلى أن مثل هذه التجمعات الوعظية تكون مألوفة في فترة المواسم الدينية عادة.

وفي نفس اليوم تكاثر عدد الوافدين من شتى القبائل وقرروا الهجوم ليلة الجمعة 20 مارس 1936، وكان المهاجمون شبه عزل باعتبار أنهم لا يحملون سوى أنواع من السلاح الأبيض إلى جانب بعض البنادق العتيقة، وزحفوا نحو المركز الإداري في أول الليل.

كان المركز الإداري بأيت باها محصناً وله باب رئيسي وأبواب ثانوية، وفي هذا التاريخ بالذات (1936) كان إحصاء موظفيه يبلغ حوالي مائتي موظف، منهم 22 فرنسياً و35 يهودياً و138 مسلماً وتشمل المراقب المدني وهو من العسكريين وكذا مختلف الرتب الوظيفية وعددا من الجنود، ويعتبر عدد الموظفين مرتفعا بالقياس إلى عدد سكان القبيلة إذ يشكل 30٪ تقريبا مما يفسر أن هذا الطاقم كان موجهاً لمراقبة مختلف القبائل المنتشرة في هذه الجبال.

ورغم وجود كثير من هؤلاء الموظفين داخل المركز فإن المهاجمين لم يصادفوا بجواره أية حراسة ومواجهة. وهكذا كان عنصر المفاجأة في المرحلة الأولى للهجوم لفائدة المهاجمين،وقد نجحوا في تكسير الباب الخارجي للمركز، وأخذوا في تكسير الأبواب الداخلية بكيفية عشوائية، واقتحموا منزل المراقب المدني بعنف، فاعتقدوا نتيجة تكسير بعض عظامه أنه قتل، كما اتجهوا إلى مخزن السلاح وأثناء الاقتراب منه قام أحد الأعوان المخزنيين من موظفي المركز يدعى أحمد بن المختار فحال بين المهاجمين والحصول على السلاح، وكان يطلق الرصاص عليهم فيتساقطون.

ومن هذه الوهلة وقع تحول في اتجاه الحدث : ذلك أن العون المذكور قتل كثيراً من المهاجمين العزل، وأعطى فرصة لغيره من الأعوان والجنود ليتهيأوا، وعندما وقع تسلح الجنود اتجهوا إلى المجاهدين الذين دب فيهم الرعب فقوي استعمال الرصاص وتساقطت الجثث، وقد فشل المهاجمون وانهارت خططهم التي كانت مبنية على أساس الفوز بالأسلحة والذخيرة.

بعد أن تساقط أعداد من المهاجمين أمام وابل من الرصاص تمت السيطرة على المركز وتعقب الجنود جموع المهاجمين الذين انسلوا هاربين فتفرقوا يلتمسون مداشرهم.

وقبل الصباح جاءت الامدادات العسكرية من مركز بيوگرا ومن مدينة أگادير، وعلى الفور أصبحت المنطقة مدججة بالسلاح البري والجوي. وامتدت الحراسة إلى مختلف الطرق والمسالك، وبدأ البحث على المشاركين في الهجوم، وأثناء ذلك تعرض الكثيرون للقتل والتشريد وأعدم بعض المتزعمين وفي مقدمتهم الفقيه البوشواري وإبراهيم بن السي أحمد، وسعيد بن أبي الشعر قتلوا رميا بالرصاص بينما قتل الحُس أُعمار خنقاً. ونسفت دورهم بالديناميت ونهبت ممتلكاتهم، وتعرض أبناؤهم للتشريد، كما تم اعتقال مآت من أبناء مختلف القبائل : من أيت باها وأيت مزال وأيت وادريم وهلالة وأيت ولياض وهشتوكة وتانالت وإداوگنيظيف، وحتى أبناء القبائل النائية مثل أيت عبد الله وتافراوت، وقد أصدرت سلطات الحماية على هؤلاء أحكاماً قاسية بالسجن، فنقلت العديد منهم إلى سجن العادر قرب مدينة أزمور، وسجن عين مومن قرب سطات، واحتفظت محليا بأفواج منهم لإرهاب السكان وبالتالي استعمالهم في الأشغال الشاقة لفتح الطرق في تلك الجبال لمزيد من تشديد المراقبة على الأهالي وتركيز الاحتلال.

وعلى الرغم مما يبدو من فشل هذه المعركة، فقد كان لها وقع كبير في الوسط الاستعماري بحيث زعزعت كيانه في القطر السوسي، وجعلت جهازه الإداري هناك يعيد تقويمه تجاه السكان فأصبح شديد الاحتراس والحذر نحو مختلف التجمعات وتأهب لضبط تحركات الفقهاء وشيوخ الزوايا، وكبار الأعيان وكل من يلتف حوله العامة.

وظلت ذاكرة السكان إلى اليوم تعيد أحداث معركة أيت باها بنوع من الأسى، ولكن بكامل الاعتزاز وبروح المقاومة والدفاع عن المقومات الوطنية.

إ. الحساني، *ديوان قبائل سوس*، ت. أفا عمر 1988، ص 22 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 8 : 132، 14 : 108، 110، 145، 15 : 212 / 17 : 263ـ265، 20 : 138 ؛ *خرائط* تافراوت وتارودانت وأگادير، مقياس 200 ملم ؛ أ. أمزال، *إكراماً لشهداء أيت باها*، جريدة *العلم*، 22ـ3ـ1982 ؛ ع. أمارير، *أضواء على الشعر الشعبي*، جريدة *العلم*، 20ـ12ـ1974 ؛ إ. أخياط، *معركة أيت باها*. (تقاييد خاصة) ؛ ع. أفا، *روايات شفوية* مسجلة عن السيدين : وفاق علي، وشيشاكل محمد.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* 1883 - 1884, Paris 1888, p. 184 ; *Répertoire alphabétique des Tribus, Recencement du 8 Mars 1936*, Rabat, 1941.

عمر أفا

**الباهي**، أسرة لعل أصلها من الأندلس ومازال بتطوان بعض أفرادها الذين اشتهروا بالتجارة والذي تذكره الوثائق التي نتوفر عليها منهم هو :

**الباهي، علي** بن إبراهيم، تاجر كان على قيد الحياة سنة 1211 / 1796.

كما نعلم أنه كانت لهذه الأسرة سنة 1257 / 1841 دار بحومة الترنكات حسب ما جاء في الإحصاء الذي جرى بالمدينة في السنة المذكورة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 265 / 8 : 352 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**باهيا، أحمد سالم** بن محمد كور، ولد سنة 1932 بمدينة الداخلة، وكان جنديا بالجيش الإسباني. وفي أواسط سنة 1957 كلفته السلطات الإسبانية بتجميع الإبل التي كانت بحوزتها بمختلف مناطق الصحراء، وانطلق من مرابط العدو الإسباني صوب المنطقة التي كان يرابط بها أفراد جيش التحرير بمنطقة تكجير سنة 1957 حيث عمل ضمن المجموعة التي كان يرأسها حسن ولد السملالي فرقة المناضل الهاشمي، وظل يجاهد رفقة إخوانه، وقد شارك مشاركة فعالة في معركة لكلات وواصل كفاحه إلى أن استشهد في معركة وادي الشياف وذلك سنة 1957.

المندوبية السامية للمقاومة، *شهداء الاستقلال*، ج 3.

عز الدين العلام

**الباهية**، قصر من أكبر قصور مراكش التي أنشئت في القرن التاسع عشر. ويحتل موقعه مكانا وسطا بين جنان ابن شگرة والملاح القديم، حيث تغطي بناياته وحدائقه مساحة شاسعة تقدر بـ 37100 متر2.

ويتكون قصر الباهية في الحقيقة من قسمين رئيسيين : الأول أنجزه الوزير موسى بن أحمد البخاري المعروف بسِّي موسى حاجب السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859 ـ 1873 م) والثاني بناه ابنه أحمد بن موسى المعروف باسم "ابّاحْماد" الذي خلف أباه في حجابة السلطان المولى الحسن الأول (1873 ـ 1894 م)، قبل أن يصبح وصيا على العرش وصدرا أعظم أيام ابنه المولى عبد العزيز (1894 ـ 1908).

يكاد الزائر لا يفطن لتباين هذين القسمين، غير أن المتمعن المهتم أو المختص يصل بسهولة إلى تحديد ذلك التباين، فدار السي موسى، بسيطة في مكوناتها رغم ما تضمه من مظاهر الأبهة من أرضيات مكسوة بقطع المرمر وصهاريج الماء وغيرها. أما القسم الذي يعود لبّا احماد، فيفوق الأول في كل شيء، ذلك أن طموحات الوالد لم تبق كافية بالنسبة للولد. فقد عمل لما أصبح الرجل القوي في الدولة على توسيع القصر الأبوي أقصى ما يمكن، ليكون في مستوى قوته وليأوي عائلته وخدمه وحاشيته التي اتسعت باتساع نفوذه. فجاء الإنجاز العظيم، لكنه جاء عبارة عن مجمع سكني متلاصقة أطرافه، تصل ما بينها أروقة مستقيمة أو ملتوية، وتتخللها حدائق داخلية مختلفة المساحات باختلاف حجم البيوت التي تتوسطها.

ومرد ذلك إلى أن "ابّا احماد" عمد في إنجازه إلى شراء المنازل والأجنة التي كانت تحيط بالنواة الأولى، واحدة بعد الأخرى، وجمع فيما بينها، بتعديلات جزئية أصبحت الأزقة القديمة بفضلها ساباطات والساباطات أروقة. وقد أحصيت المنازل والأجنة التي اشتراها "ابا حماد" بستين منزلا وستة عشر جنانا. واعتمد في ذلك على مساعدة الأمين زنيبر وكان يؤدي الثمن المطلوب من أصحاب الدور والحدائق بكل أمانة (*Marrakech*, 543).

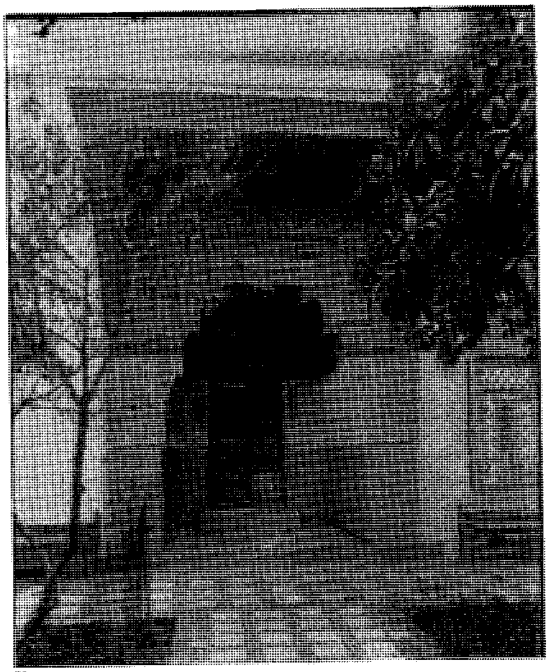

الباهية : بهو الرياض الكبير

مع ذلك وإن كان حقا أن قصر الباهية يتميز في تصميمه العام بتكدس مرافقه وانعدام نواة حقيقية أو محور رئيسي به، فإن زائره يبقى متأملا في زخارفه الداخلية وفي حسن استعمال بعض المواد النفيسة لكسو الأرضية أو الجدران أو السقوف. ولقد جاء "ابا احماد" لإنجاز مختلف الأعمال بأكبر الصناع وأمهرهم من أشهر المدن المغربية "فصهاريج الماء بناها صناع من مراكش، والزليج وضعه صناع من فاس..." (Champion, *Rabat et Marrakech*, 1926, p.129) وكان القيم على مجموع الأعمال أحد أكبر صناع عصره الحاج محمد المكي المسفيوي الذي احتفظ لنا بعض معاصريه من المهتمين الأجانب بنبذة عن حياته مشفوعة بعبارات الإعجاب بمعارفه، كنعته بالمهندس المعماري (المصدر السابق، ص 128).

هذا ولم يخرج قصر الباهية إلى الوجود في أجل قصير وإنما استغرق بناؤه سبع عشرة سنة. وسنقتصر على إعطاء وصف مختصر لأهم مرافقه :

يتكون القسم الأول من الباهية، أي الذي بناه الوزير سي موسى، من الجنان الكبير الخارجي والساحة الشمالية

ومرافقهما. فأما الأول فشاسعة أطرافه وفيه من النبات والأشجار الكثير ليكون منتزها جميلا لصاحب القصر، وقدا احتفظ للحديقة هذه بمحتوياتها بل وربما زيد فيها.

أما الساحة فمكسوة أرضيتها بقطع من الرخام، ويتوسطها صهريجان مثمنا الشكل. ومن هذه الساحة نمر إلى الرياض الذي يعد أحد المرافق الجذابة في القصر، هذا الرياض يمتد فوق مساحة مستطيلة الشكل إذ يصل طوله إلى 34،40 متر وعرضه إلى 31،70 متر، وينقسم إلى أربعة أحواض منخفضة عن مستوى الممرين اللذين يحاذيانها بحوالي 80 سنتم. وفي نقطة تقاطع الممرين المكسوة بقطع من المرمر الأبيض توجد نافورة ماء من مرمر ناصع البياض. هذه النافورة تعلو مساحة مربعة من ستة أمتار للضلع، مغطاة بقطع من الزليج المختلف الألوان، يشكل تشابكها نجمة متعددة الفروع تعرف عند أهل الحرفة بالسبنية، وتقابل النافورة الوسطى نافورتان أخريان نصبتا عند نهاية الممر الأوسط جنوبا وشمالا.

وعلى طول الضلعين الصغيرين للرياض، أي في الجهتين الشرقية والغربية، بنيت قاعتان فسيحتان، يتقدم كل واحدة رواق مغطى، وتقابل مدخليهما كوة تتوسط الجدار الداخلي تسمى البهو. أما الجدران الداخلية فكسيت بالزليج إلى علو 1،60 متر، بعد ذلك تأتي مساحة خالية من الزليج، ثم السقف المزين بزخارف ملونة تجمع ما بين الأشكال الهندسية والنباتية والخطية. أما هذه الأخيرة فكتابة بالخط المغربي لجملة "العز بالله، الملك لله"، تجري على طول قاعدة السقف وعرضها.

لا توجد بالجانبين الكبيرين، عكس الجانبين الصغيرين للرياض، أية بناية اللهم ما كان من كوتين متقابلتين تتوسط كل واحدة منهما جانبا من الرياض. لكن إذا كانت الكوة الشمالية غير نافذة، وبذلك تمثل البهو التقليدي، فإن الكوة الجنوبية تعطي في الحقيقية ممرا يؤدي إلى الساحة الكبيرة المعروفة بساحة الرخام. فيكون الاهتمام بزخرفة هذا الممر ونصبه على شكل بهو نابعاً من حرص صاحب القصر على خلق توازن وانسجام بين مكونات البناية.

تمتد ساحة الرخام على طول 54 م وعرض 28،10 م وهي بذلك ساحة داخلية في القصر. في وسط هذه الساحة صهريج ماء طوله 4،90 م وعرضه 3،30 م وعمقه 0،40 م، تعلوه نافورة من المرمر تصب ماء يضفي خريره على الساحة نشوة جذابة. ويساهم في هذه النشوة نافورتان أخريان نصبت كل منهما على بعد 17 م من الوسطى.

هذا وأعظم ما تؤدي إليه هذه المساحة، القاعة العظمى التي بنيت بجهتها الشرقية، فهي أعظم قاعة في الباهية، طولها 20 م وعرضها 6،40 م،جدرانها مكسوة بالزليج إلى منتصف علوها، وسقفها من خشب الأرز الجيد، نصب في شكل برشلة مثمنة الواجهات على علو ثمانية أمتار من الأرض، ومزينة بزخارف مختلفة وملونة مما يزيد في عظمة هذه القاعدة،

ومن أجمل ما يحويه قصر الباهية المجموعة السكنية المعروفة بدار السيدة المفضلة إشارة إلى إحدى نساء با احماد. على أن هذه التسمية آتية بدون شك من خيال السواح والمرشدين السياحيين، وهو أمر يتنافى وأعرافنا العريقة، التي تقول باحترام الحرم والامتناع عن كل ما من شأنه أن يفرغ عليه أدنى الشبهات.

تتكون هذه المجموعة من أربع قاعات تتقدمها أربعة أروقة وتحيط بصحن مستطيل الشكل (14،20 . 7،45م) تتوسطه نافورة من الرخام الأبيض تعلو صهريجا صغيرا لا يتعدى عمقه 0،10 م، وشكله مثمن.

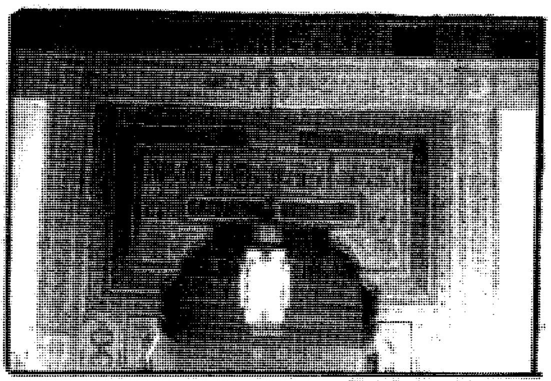

الباهية : جانب من الزخرفة الداخلية

أما القاعات فأكبرها القاعة الشرقية التي عرضها 14م وعمقها 4،50م، والتي زينت جدرانها بنفس الطريقة التي سبق وصفها. أما أصغر القاعات الأربع فهي القاعة الغربية التي لا يتعدى عرضها 7م وعمقها مترين. لكن رغم صغرها فهي فريدة في الباهية من حيث إنها تتوفر على بابين متقابلين وتتوسطها نافورة ماء، بينما تتميرقاعدة سقفها بمجموعة من الشماسات الخصية ينفذ من ثقبها نور الشمس بشكل طفيف. أما جانباها الصغيران فيحتل كل منهما مضجعاً (الحناية في العرف الدارج) تحد واجهته قطعة خشبية منحوتة ومزينة بزخارف فاخرة. كل ذلك يجعل القاعة تجمع ما بين وظيفة الراحة والاستجمام خصوصا أيام الحر، ووظيفة النوم.

إلى غرب هذه الدار، نجد مجموعة أخرى من أهم مكونات القصر وهي المجموعة التي يمكن تسميتها بمجموعة الرياض الصغير، وتتكون من عدد كثير من القاعات بنيت فوق مساحة تقدر بـ 810 م2، لكن العنصر البارز في التصميم هو أن الساحة المكشوفة (المغروسة بمختلف النباتات مما يبرز تسميتها بالرياض) لا تتوسط البنايات وإنما توجد في جانبها الغربي.

وأهم ما يثير الانتباه في هذه المجموعة، توفرها على قاعتين كبيرتين متصلتين تحتلان الجانب الشرقي، عرض الأولى 18،30 م وعمقها 5،20 م، وعرض الثانية 11،90 م وعمقها 5،20 م، تصطف على طول الجانب الغربي للرياض، أهمها البهو الأوسط وهو مغطى بسقف مزخرف بأشكال هندسية ملونة، وجدرانه ملساء في نصفها الأسفل ومزينة

بشماسات عمياء جصية في نصفها الأعلى.

هذا، ولا نجد بهذا البهو من الكتابات سوى اسم الجلالة يجري على طول قاعدة السقف، بينما تضم الكوتان الآخريان أبياتاً من قصيدة البردة للإمام البوصيري في مدح الرسول عليه السلام.

إلى جنب ما وصفناه اختصاراً من قاعات تعتبر الأماكن الفاخرة بالقصر، هناك كذلك مجموعات من البيوت والساحات الداخلية تحيط بالأولى وتتصل فيما بينها بممرات وأروقة متعددة. هذه المجموعات يمكن حصرها في أربعة، وهي أقل زخرفة من سابقاتها، مما يوحي بأنها المرافق التي كانت مخصصة للخدم ولبعض أعضاء الحاشية والزوار المعتادين. وكل مجموعة نظمت بيوتها حول صحن مكشوف على الطريقة المعروفة.

أما ما يخص البنايات التي يمكن نعتها بالملحقات، فأهمها في قصر الباهية حمام ومسجد، وقد بنيا الواحد قرب الآخرو في جانب منعزل عن كتلة البيوتات السكنية.

أما الحمام فشيد فوق مساحة 204 م2، ويحيط به من كل جانب رواق يعزله عن باقي مكونات القصر. ويتكون هذا الحمام كالعادة من ثلاث قاعات متتابعة، الباردة، فالدافئة فالساخنة وهي أكبرها (6 م x 3.60 م)، كلها مغطاة بسقف نصف أسطواني.

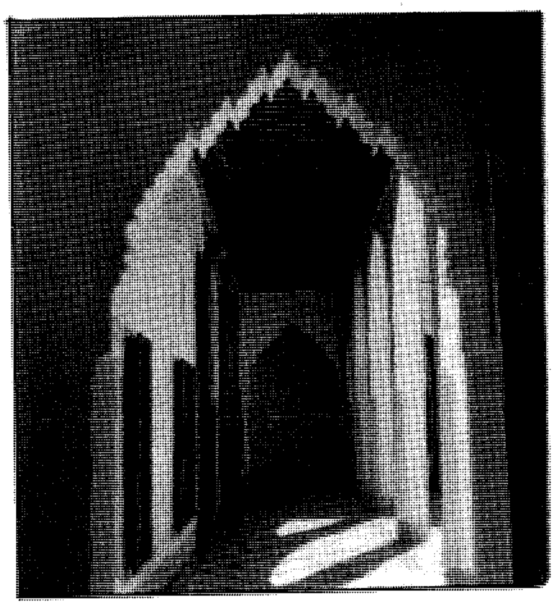

الباهية : رواق داخلي

أما المسجد فيجمع ما بين بيت الصلاة والصحن وضريح أحد الأولياء يعرف عند أهل الحي المجاور بسيدي بوناقة ولم نعثر له على ترجمة فيما تصفحناه من مصادر. ويتكون المسجد من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة وصحن صغير يفصل ما بين البلاط المحاذي لهذا الجدار والبلاطين الآخرين. ومما يسترعي الانتباه أن البلاط الأول أصغر من أخويه، إذ لا يتعدى عرضه 12.30 م وعمقه 2.18 م بينما يصل عرض البلاطين الآخرين إلى 20 م وعمقهما إلى 3.30 م بالنسبة للبلاط المحاذي للصحن و2.40 م بالنسبة للذي يليه. وهذا الأمر يخرج عن القاعدة المألوفة خاصة في المساجد التي يقف على بنائها الأمراء وكبار رجال الدولة الذين عادة ما يبقون متشبثين بالتقليد الذي يجعل من البلاط المحاذي لجدار القبلة والبلاط الأوسط المتجه صوب المحراب أوسع البلاطات. فهل هذا يعني أن مسجد الباهية لم يكن سوى مسجد الحي وأدمج في القصر ؟ ليس هناك ما ينفي هذا الاحتمال خصوصا وأن المسجد أصبح اليوم مفتوحا أمام سكان الحي المجاور، ربما كما كان في سابق عهده.

أما ما يتعلق ببناء القصر فأهم ما يجب ملاحظته أنه يضم كل المواد التقليدية المستعملة في البناء : الطابية، الآجر، الجص، الزليج، الرخام. لكن البناء ليس بالصلب وإنما فيه من عناصر الضعف ما يجعله هشا في كثير من مرافقه، وخاصة في القسم الذي بناه الوزير ابا احماد، على الرغم من اعتماد هذا الأخير على خبرة صناع عصره. من هذه العناصر مثلا النسبة الضعيفة لمادة الجير وهي أساسية في إنجاز جدران الطابية. ولعل السبب في هذه الصفة السرعة التي يظهر أنها غلبت على ابا احماد لإنشاء قصره والاستمتاع به.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 8.9 ؛ ابن زيدان، *اتحاف*.

H. de la Matinière, *Souvenirs du Maroc* ; E. Doutte, Le *Palais de la Bahia*, *F. M.*, 8, 1920 ; G. Deverdun, *Inscriptions arabes de Marrakech* ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1959 ; J. Gallotti, *le Jardin et la maison arabes au Maroc* ; A. Tourri, *L'architecture domestique de Marrakech*, th. dact., Paris, 1987.

عبد العزيز توري

**باي**، مصطفى، تركي الأصل، أحد القادة العسكريين للسلطان أحمد المنصور السعدي، كان يحمل لقب باي وبه عُرف. قال عنه المؤرخ محمد الإفراني في *النزهة* :"واصطفى من العجم موالي وربّاهم بنعمته وأشمل لهم درر إحسانه، منهم مصطفى باي ومعناه بلغة الأتراك قائد القواد ويختص به قائد الإصبايحية".

شارك هذا القائد في فتح السودان الغربي، وبعد وفاة السلطان أحمد المنصور انضم إلى الأمير زيدان وقاد إحدى معاركه ضد عبد الله ابن الشيخ المامون بفاس فدارت الدائرة عليه وقتل سنة 1018 هـ.

م. الإفراني، *نزهة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 6 ؛ م. الغربي، *بداية الحكم المغربي بالسودان الغربي*.

محمد ماگمان

**بايحيى**، أسرة سلوية عريقة اشتهر أفرادها بالمروءة والحياء والنسك، واشتغل بعضهم بصناعة السفن (بلالطية) وبعضهم بالجهاد البحري. وممن تذكرهم الوثائق المكتوبة :

**بايحيى، بناصر** (الحاج ـ) كان من رجال البحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية، وبهذه الصفة أخذ حظه من الصلة المنفذة لهم في ثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894، وهو 39 أوقية.

**بايحيى، التهامي** (الحاج ـ) كان ناظراً لأحباس سلا في أوائل القرن الثالث عشر (19 م). وقد ذكر في رسم مؤرخ بمنتصف جمادى الأولى عام 1212 باسم الحاج التهامي بن يحيى، لكن الوثائق الأخرى تذكره بالكنية السائرة على الألسنة حتى اليوم "بايحيى" ومنها رسم مؤرخ في متم ربيع الثاني عام 1233 باعت بمقتضاه ابنته عائشة داراً معينة بسلا للحاج محمد بن أحمد جغالف.

*رسوم قديمة* ؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني بنسعيد السلويين*، ج 2، وثيقة رقم 171.

محمد حجي

**بَايَسُّف**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد الغمارية، واشتهر من بين أفرادها بَايَسُّف الزبير بن مَحمد الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1322 / 1904.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 9 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* : Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بَايْشُّي**، علي بن يشُّو الزموري، كان في بداية عهد مولاي إسماعيل (1672 ـ 1727) من أبرز أعيان زمور. وكانت قبيلته في هذا التاريخ، تنتجع في هضاب الأطلس المتوسط الغربي، في الجنوب والجنوب الشرقي لموطنها الحالي (*Le Sultan My Ismaïl*, p. 31). وكانت تشكل فرعاً من اتحادية أيت أُمالو التي كانت تحتل حيزاً كبيراً من جبال فزاز. وكانت هذه القبائل في هذه الفترة خارجة خروجاً تاماً عن سلطة الدولة. ولم تدخل زمور في دائرة نفوذ المخزن إلا في أواخر القرن السابع عشر. ففي سنتي 1098 ـ 1099 / 1687 ـ 1688، خرج مولاي إسماعيل إلى الأطلس المتوسط في حملة عسكرية ضخمة، لتطويع قبائل هذه المنطقة. وبعد معارك شديدة، انحازت في مرحلة أولى زمور إلى السلطان وأطاعته، وفي أعقاب هذه الأحداث تم تعيين علي بن يشو قائداً على إخوانه، ويستفاد من إشارات المصادر التاريخية أن حكمه امتد أيضا إلى قبائل بني حكم التي انحاشت إلى زمور ودخلت في طاعة المخزن (*Le Sultan My Isamil*, p. 31). وقد استعان المخزن منذ ذلك الحين بنفوذ هذا القائد، وقوة قبيلته، لتنفيذ أطوار سياسته العسكرية في الأطلس المتوسط. ففي سنتي 1104 ـ 1105 / 1692 ـ 1693 شارك علي بن يشو وقبيلته إلى جانب الباشا مساهل وعلي أُبركة اليموري في الحركة الهامة التي أعدها مولاي إسماعيل لإخضاع سائر قبائل أيت أُمالو. وقد أسفرت هذه الحملة عن هزيمة هذه الاتحادية ومصادرة ثرواتها ومعداتها (*الاستقصا*، 7 : 80، 81). وتمكنت جيوش المخزن في هذه المعارك من قتل ما يزيد على 12.000 من العصاة، وحيازة غنائم، قوامها : 10.000 من الخيول، و30.000 بندقية. وفي نفس الموضوع، ذهب مرسيي Mercier إلى التقرير بأن السلطان صالح هذه القبائل بعد التزامها بدفع 10.000 من الخيول و80.000 من الغنم عن كل فرقة منها. (*Sijilmassa*, 282). وبعد هذه الوقائع، استقل علي بن يشو وقبيلته زمور عن المحلة السلطانية، واتجه بأمر من مولاي إسماعيل نحو قبيلة گروان التي كانت ماتزال تعيث فساداً في واد زيز، وتسطو على القوافل التجارية المتنقلة عبر طريق تافيلالت. وكان عدد الفرسان الذين انضووا تحت إمرته في هذه الغارة 10.000 فارس، وقد تمكن القائد بايشي بفصل هذه إلقوات من هزيمة گروان وتجريدهم من السلاح (*Le Sultan My Ismaïl*, 33 - 34). وبعد تطويع هذه القبائل، أسند السلطان مولاي إسماعيل قيادة الأطلس المتوسط برمته لعلي بن يشو الذي أصبح القائد الأعلى لجميع قبائله، وصار يحظى بمكانة خاصة لدى السلطان (*Le Sultan My Ismaïl*, p. 34). ولم نقف على تاريخ وفاته.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7.

Mercier, *Sijilmassa selon les auteurs anciens*, *R. A.*, 1867; La Chapelle (Lieutenant), *Le Sultan My Ismaïl et les Berbères Senhaja du Maroc Central*, *A. M.*, Vol. XXVIII, Paris, 1931.

العربي اكنينح

**بَايْص**، ـ بباء مخففة ـ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Báez، وقد انقرضت بتطوان حوالي سنة 1205 / 1791، وهي غير أسرة بّايص Paéz الباقية آتية الذكر.

**بّايْص**، أسرة تطوانية من الأندلس أيضا حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Páez، ومازالت أسرة بّايص موجودة حتى اليوم بتطوان، كما توجد بها زنقة في حومة العيون تحمل اسم هذه الأسرة. ومن بين أفراد هذه الأسرة بتطوان الذين تذكرهم الوثائق :

**بّايْص، أحمد** الذي كان ضمن الوفد الذي توجه إلى فاس لتسليم عقد البيعة التطوانية للسلطان مولاي عبد الرحمان سنة 1238 / 1823.

**بّايْص، الحاج أحمد** الذي كان مكلفا ببساتين السلطان بفاس سنة 1242 / 1826.

**بّايْص، الحاج محمد** الذي عينه السلطان المذكور أميناً بمرسى تطوان في ربيع الأول من سنة 1241 / 1826.

**بّايْص، دحمان** الذي كان مكلفا أيضا ببساتين السلطان بفاس سنة 1247 / 1831.

**بّايْص، عبد الرحمن** بن الطاهر الذي كان على قيد الحياة سنة 1133 / 1721.

**بّايْص، المهدي** بن الطاهر. يقول الكاتب الانجليزي برايطوايط Braithwaite الذي كان يوجد بتطوان رفقة سفير بلاده روسيل Russell سنة 1139 / 1727 إن شخصاً من أسرة بّايص مهنته حداد هو الذي كان يتزعم الحركة التي أدت بأهالي تطوان إلى خلع حاكمهم الباشا أحمد الريفي وتنصيب بّايص المذكور مكانه في شهر ذي القعدة / يونيو،

وذلك في انتظار وصول الباشا الجديد عبد المالك بوشفرة الذي عينه السلطان.

ويقول برايطوايط إن الباشا بوشفرة وصل إلى تطوان في منتصف ذي الحجة / أواخر يوليوز، ففرض عليه الأهالي تعيين بايص خليفة له.

تدل جميع القرائن على أن بايص المشار إليه هو المهدي بن الطاهر الذي أصبح الحاكم الحقيقي للمدينة بالرغم من وجود الباشا بوشفرة فيها، بدليل أنه هو الذي كان يسير عملية الدفاع عن تطوان عندما حاصرها الباشا أحمد الريفي من ثاني إلى رابع صفر 1140 / 19 ـ 21 سبتمبر 1727.

وكان المهدي بايص بجانب الحاج عمر لوقش يدافع عن المدينة عندما هاجمها مرة ثانية الباشا أحمد يوم السبت 24 صفر / 11 أكتوبر، وهو اليوم الذي جرت فيه المعركة المعروفة بعبيطة السبت، وخلالها فر الباشا بوشفرة من المدينة ولجأ إلى إحدى القبائل المجاورة.

ويبدو أنه عندما عاد الباشا أحمد الريفي لحكم تطوان مرة ثانية بأمر من السلطان ظل المهدي بايص يعمل بجانبه كخليفة له إلى أن ساءت العلاقات بينهما فألقى الباشا عليه القبض وأمر بقتله سنة 1153 / 1740.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 45 ؛ م. داوود، *تاريخ تطوان*، 2 : 103 ـ 118 ـ 135 ـ 149 ـ 324 / 7 : 290 ـ 326 / 8 : 71 ـ 84 ـ 276 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Braithwaite, *Révolution* ; Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro; *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بَايْنَا** (Paina Insula) جزيرة جاء ذكرها عند الجغرافي بطليموس في مؤلفه *الجغرافيا*، الكتاب IV، الفقرة 8.

وقد وطنها على طول الساحل الغربي لموريطانيا الطنجية بالبحر الداخلي (المحيط الأطلسي) عند خط 5°32'. وهذا الخط هو نفسه الذي يقع عنده ميناء رتيبيس (Rutubis) (تيط).

ويعتبر تيسو Tissot من بين أقدم الباحثين المعاصرين الذين اهتموا بهذا المصطلح وأكد بأنه لا وجود لهذه الجزيرة على خرائطنا.

هل اندثرت ؟ هل كان لها وجود فعلي أو يلزم ربطها بالجغرافيا الخرافية ؟

هذه هي مجموعة الأسئلة التي طرحها تيسو حول هذا المصطلح، ويمكن أن يطرحها غيره من الباحثين.

خلص تيسو إلى القول بأننا لا نجد أدنى أثر للجزيرة. ونفى بزنيي Besnier بدوره وجود أية جزيرة بمحاذاة رتيبيس على الساحل الإفريقي، ولكنه أقر بوجود جزيرة صغيرة شمال نهر أم الربيع، والملاحظ أنه لم تتم الإشارة إلى هذه الجزيرة الصغيرة بأي خريطة من خرائطنا المعاصرة وبذلك تقابل جزيرة بَاينا عند بزنيي الجزيرة الموجودة عند الدار البيضاء، أما سابقه ميلر Muller فيعتبرها إحدى الجزر الجعفرية.

برجوع تيسو إلى الوثائق القديمة بَيَّن بأن هذه المصادر توطن جزر دوكالي (Ducalae insulae) على الساحل الغربي بين مزكان والرأس الأبيض ويمكن أن توافق هذه الجزر جزيرة باينا ولكن هذه الجزر بدورها اندثرت. وقد استدل روجي (R. Roget) على وجود هذه الجزر باستناده لوثائق قديمة ومنها خريطة 1596 التي لاحظ أنه توجد بها بالفعل جزر في المكان الذي حدده تيسو. وفي نفس هذا المكان أشارت التقارير البرتغالية التي تعود للقرن XVI م والتي نقل لنا ريكار (Ricard) تفاصيلها بالجزيرة الصغيرة قرب الخليج الصغير (Anse) الذي بإمكانه أن يستقبل السفن التي تصل حمولتها إلى ثمانين طنا فترسو به.

وهذه الوثائق دفعت روجي (R. Roget) هو كذلك لاستبعاد الآراء التي تنفي وجود هذه الجزيرة والتأكيد على أنه كان لها وجود وأنها من الجزر التي اندثرت بفعل الهبوط المستمر لمستوى سطح البحر شبيه بذاك الذي لاحظه تيسو باسفي. وحركة الأرض هذه أدت أيضا وحسب ما ذكره الباحثان طيراس (Terrasse) وباصي (Basset) لهبوط المستوى القديم لرباط تيط والذي يحتمل أن توجد بالقرب منه جزر دوكالي (Ducale Insulae) أو بعبارة أخرى جزيرة باينا (Paina Insula).

M. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1876, p. 101 - 102 ; M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc : Maurétanie Tingitane*, *A. M.* I, 1904, p. 340 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924, p. 38 ; R. Ricard, *Instructions nautiques portugaises*, *Hesp.* VII, 1927, p. 245 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc*, *P. S. A. M.* IV, 1938, p. 61 - 62.

بلكامل البضاوية

**بايْنَة** أو بَيْنَه، أسرة أندلسية كبرى هاجرت إلى المغرب بعد طرد المورسكيين من الأندلس بقرار فيليب الثالث سنة 1609، فاستقر بعضها في تطوان وبعضها في الرباط. ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Baena، وهو اسم لمدينة بمقاطعة قرطبة. وإذا كانت أسرة باينة قد انقرضت من تطوان منذ سنة 1080 / 1669، فإنها ماتزال حتى اليوم متوافرة بالرباط، إلا أنه لم يكن لأفرادها أدوار كبيرة في الأحداث التي عرفتها الرباط منذ عهد المولى إسماعيل، لكن المؤرخ الضعيف يشير إلى أشخاص من هذه الأسرة، فأول من تحدث عنه منهم هو محمد بن حجي باينة. وقد ذكره عندما كان يصف الخلاف الذي وقع بين الرباطيين حول من يبايعون عند وفاة السلطان المولى اليزيد 1792. ويظهر أن باينة هذا كان مخالفا لرأي الأغلبية الرباطية منحازاً لأحد قواد القبائل مما جعل الرباطيين يلقون عليه القبض. أما الشخص الثاني فيجعله المؤرخ صاحب رواية شفوية أدلى إليه بها مفيدا إياه بأن الأجانب تكاثروا بالرباط في سنة 1211 / 96 ـ 1797 وأنهم أتوا في نحو خمسين أو ستين سفينة رست بالساحل، مما جعل المؤرخ يستنكر ذلك ويستنكر أعمالهم كصعودهم للأبراج ومرورهم على المقابر الخ... وصاحب هذه الرواية هو صديق المؤرخ واسمه قاسم باينة.

**باينة، محمد** بن **أحمد** الأندلسي الرباطي. جاء في أحد تقاييد الأديب محمد بن عمرو وصفه بالعلامة. ويستفاد من كتاب الضعيف أنه تقلب في عدة مناصب مخزنية مثل خطة الكتابة والعدالة والقهرمانية بمرسى الرباط في عهد السلطان المولى سليمان. وفي تاريخ يوم الثلاثاء 19 صفر 1227 عينه السلطان في خطة الكتابة معه وملازمته من الصبح إلى العصر. وكان قبل ذلك من عدول المرسى مع القائد محمد أشعاش. وفي 2 ربيع الأول 1229 عندما وجه السلطان رسالة يسترعي فيها على قواد العدوتين ألا يجعلوا خلائف (جمع خليفة) عنهم. كلف محمد باينة بمراقبة من يجعل منهم خليفة ليشهد بذلك. وكانت وفاته يوم الأحد 30 ربيع الأول 1230.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ ت. أ. العماربي، 247 ـ 274 ـ 370 ـ 371 ـ 381 ـ 387 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 140 ـ 141.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

عبد الاله الفاسي

**باينة، محمد** بن **محمد**، فقيه ناسك، كان يعلم الصبيان في كتاب بسيدي الحسن المسكيني بين بوقرون والسويقة. وقد انتدبه السلطان مولاي حفيظ لتعليم أبنائه. ونظراً لما كان يتمتع به الفقيه محمد باينة من تقدير واحترام لدى زملائه المقرئين اتخذوه مقدماً ورئيساً، فكان بهذه الصفة يشرف على الحفل السنوي الذي اعتاد طلبة الرباط إقامته بجنان السلطان (الذي أضبح كلية الطب بحي الليمون) وقد أوفد السلطان مولاي يوسف (1331 ـ 1347 / 1912 ـ 1928) مرة أبناءه مع هدية ثمينة ليشاركوا الطلبة ورئيسهم محمد باينة في أفراحهم.

انتصب الفقيه محمد باينة في أواخر عمره لتلقي الشهادات بسماط العدول في بوقرون، كما كان يشتغل بنساخة الكتب بخطه الجميل، وبالإمامة في جامع مولاي سليمان إلى أن وافته المنية يوم الأربعاء 23 رمضان 1352 / 10 يناير 1934.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، 2 : 194 . *روايات شفوية*.

م. الأمين بلكناوي

**البّايْهي**، أسرة باعمرانية من فخذة أيت إيڤُوَى من قبيلة أيت النّص. أنجبت في النصف الأول من القرن العشرين عدداً من الفرسان الشجعان الذين لعبوا أدواراً مهمة في تاريخ المنطقة سواء في عهد الحماية أو بعد الاستقلال، أمثال :

**البّايهي، أنفلوس** محمد بن عبلاً

**البّايْهي، الحسين** أُسعيد بن جْبَارَى

**البّايْهي، عَبد** بن محمد بن عبلاً

لما قتل أنفلوس محمد بن عبلاً البّايهي في معركة إيگالفن ضد حملة الباشا حَيْدا بن مّايْس سنة 1917، عاش قريبه الحسين أُسعيد فاجعة فقدان كبير العائلة، وتأثر بذلك فنشأ صلب العود، قوي الشخصية، مؤمنا بمبدأ "القوي يأكل الضعيف". ولما قتل القائد محمد الوجداري تنافست عدة أسر مشيخة قبيلة أيت النّص ففازت بها حينا من الزمن عائلة البّايهي، في شخصية السيد عبد بن محمد بن عَبْلاً البّايْهي، وكان السيد الحسين أسعيد من حماتها، لكن تلك المشيخة كلفت هذه العائلة الكثير، فقد قتل معظم رجالها الحربيين، وأشهرهم بيْروك البّايْهي.

ورغم أن الحسين أُسعيد كان يحفظ القرآن ويمتحن فيه الطلبة، ويحافظ على الصلاة في وقتها، فإنه كان دائما في مقدمة فرسان القبيلة وحماتها، ومن السباقين إلى إثارة الفتن والمشاكل فيغوص فيها إلى أخمص القدم، ومع ذلك يخرج منها سالما، لذلك ينعته البعض بالداهية، وبالرأس المدبر وأحيانا بموقظ الفتنة، وهو الذي كان سبباً في إشعال فتنة خميس أيت بوبكر، التي من أجلها انقسم أيت باعمران إلى قسمين لمدة طويلة، وذلك يوم الخميس الأخير من جمادى الثانية سنة 1339 هـ في خبر طويل، فأزهقت الأرواح، وضاعت الأموال، وفقد الأمن، ونقلت الأسواق من اماكنها. ومن أهم صفاته تلاوة القرآن والتدين والشجاعة وعزة النفس وله فراسة قلما تخطئ، ونظراً لطول عمره واحتكاكه بكبار القوم والعلماء، فقد اكتسب خبرة جعلت منه مستشاراً مفضلاً في الأمور الصعبة، مما جعله يحظى باحترام ووقار لدى الجميع.

رجعت مشيخة قبيلة أيت النص في عهد جيش التحرير بأيت باعمران ما بين 1957 ـ 1960 إلى عائلة المترجم فقامت بالواجب أحسن قيام، في تلك الظروف الصعبة، وتوفي الحسين أُسعيد عام 1405 هـ. مخلفا ولداً نجيباً في عمله.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران* ـ مرقون ـ.

الحسين جهادي

**بَايُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bello، واشتهر من بين أفرادها :

**بايو أحمد** بن عيسى، اشتغل بخطة العدالة. كان حيا سنة 1082 / 1671. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677 على إثر الوباء الذي أصاب المدينة.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البُتْر**، اسم يطلقه النسابون والمؤرخون المسلمون على قسم من السكان الأمازيغيين في شمال افريقيا، تمييزاً لهم عن القسم الثاني منهم والذي ينعتونه باسم البرانس. وإلى هذين الشعبين : البتر والبرانس ينتمي كل الأمازيغيين حسب ما يزعمه المؤرخون المسلمون القدماء. وهذا الانتماء في نظرهم انتماء سلالي، لأنهم يعتبرن أن كل البرانس ينحدرون من صلب جد أعلى اسمه بُرْنُس، وأن البتر سلالة واحدة منحدرة من جد أعلى واحد هو مادغيس الأبتر.

وقد تناول ابن خلدون هذا الموضوع في كتاب *العبر*

بكثير من التفاصيل ما كان له أن يدرجها في موسوعته لو لم تكن متوفرة لديه. وكونها متوفرة دليل على أن الناس قبله اهتموا كثيراً بمسألة أنساب الأمازيغيين، ونسجوا تاريخهم كله على منوال النظرية السلالية أو الجينيالوجية المعتمدة عند الساميين في الشرق الأوسط.

ورغم أن الواقع الجغرافي والتاريخ لا يزكيان البناء الجينيالوجي المطبق على سكان شمال افريقيا الأمازيغيين ككل، خصوصا على المستوى العام، أي على مستوى التقسيمات الكبرى، فإن النظرية النسبية لعبت دورا بينا كإيديولوجية مجمعة على المستوى المتوسط والأدنى. خصوصا عند تجمعات الرحل من زناتة وصنهاجة مثلا.

ويرجع هذا، على ما هو مرجح، إلى ضرورات نمط عيشها، وتأثرها بالنموذج الجينيالوجي الشرقي الذي أطر بشكل فعال ممارسات العرب الوافدين إبان الفتوحات الإسلامية فيما يتعلق بتحديد علاقاتهم فيما بينهم هم وزبناؤهم من الموالي الشرقيين والمغاربيين، أو في ما يتعلق بإدماج مجموعات كبيرة من الزناتيين بالخصوص في حلف القيسيين. وهذا ما فعله حسان بن النعمان مع الزناتيين الذين كانوا في مواجهته، حين ضمن تحالفهم معه باعترافه هو ومن معه من كبار القيسية بأخوة الزناتيين والقيسيين أخوة نسبية تضمن لهم المساواة الكاملة مع العرب. وربما كان هذا التحالف هو أصل ما يدعيه قسم من البتر من الانتساب إلى بر بن قيس.

ولا شك أن قائداً عربياً آخر ينتمي إلى اليمنية، الحزب المضاد للقيسية، فعل نفس الشيء مع قسم من صنهاجة، فيكون ادعاؤهم الانتماء إلى حمير نتيجة تحالفهم مع الحزب اليمني. وإذا كان المؤرخون بمن فيهم بعض القدماء، يشكون في صحة وجود هذا الهيكل الجينيالوجي الذي بناه النسابون والمؤرخون المسلمون الأوائل، وألبسوه برنسا طويلا تارة أو رداء قصيراً أبتر تارة أخرى، فإن هناك مبررات أخرى يمكن أن تكون هي أصل هذا التمييز بين من يسمون بالأمازيغيين البتر والأمازيغيين البرانس.

أهم هذه المبررات هو وجود اختلاف ضروري بين أناس يعيشون في ظروف طبيعية ومناخية متباينة، نظراً لما لتلك الظروف من أثر عميق في تشكيل أنماط عيش السكان وتنظيماتهم الاجتماعية وعاداتهم اليومية في المأكل والملبس والسلوك العام. فسكان المناطق الصحراوية يعيشون عادة رحلا متنقلين، وينتظمون في مجموعات عائلية واسعة، ويبرمون مع مجموعات أخرى تحالفات مصلحية تضمن لهم الحماية المتبادلة والتوسع المجالي الضروري لحياة الرعي والانتجاع. كما أن لباسهم وطعامهم لابد أن يكونا مناسبين لوسطهم الطبيعي.

وبالنسبة لسكان المناطق المعتدلة نجد أن تاثرهم بمحيطهم الطبيعي على جميع المستويات شيء لا جدال فيه. ولكن بشكل يختلف عما يلاحظ عند الصحراويين مثلا، وهكذا. بل إن الاختلاف يظهر حتى داخل المجال الواحد، كما هو ظاهر بين سكان الجبال وسكان السهول المتجاورين على سبيل المثال.

إن كل هذا يعد من قبيل البديهيات كما هو معلوم. ولكن الذي يهم من التذكير به هو أن هذا النوع من الاختلاف الطبيعي يؤدي أحياناً إلى تكييف أحداث كبيرة، بعد توظيفه توظيفا إيديولوجيا مناسبا لضرورات اللحظة التاريخية.

وهكذا، فإن تصنيف النسابين والمؤرخين المسلمين الأوائل للأمازيغيين إلى بتروبرانس له علاقة ظاهرة باختلاف الملبس لدى الفريقين. إذا اعتبرنا أن البرانس جمع لكلمة برنس. والبرنس هو الكساء المعروف لدى المغاربة باسماء أخرى مخالفة. واعتبرنا أن البتر جمع للفظ أبتر، وهذه الصفة تعني من بين ما تعني المقطوع أو القصير من الأشياء. وقد يكون هذا القصير كساء.

ورغم هذا فإن تأويل النسابين لم ينح هذا النحو، بل إنهم أبوا إلا أن يجعلوا من برنس ومادغيس الملقب بالأبتر اسمين لرجلين أخوين، وعدوهما جدين أعليين لكل الأمازيغيين، وإليهما ينسبونهم.

وكلمة بتر، على ما هو شائع، كلمة عربية، وجمع للصفة أبتر، وتعنى «المقطوع، ومقطوع الذنب من الحيوانات، وما كان قصيرا أو خبيثا من الحيّات، ومن لا عقب له». وهذه المعاني كلها لا تصلح أن تكون صفة مقبولة لشعب له عقب. وليست له أذناب لتقطع، اللهم إلا إذا كان القصر الذي تعنيه الكلمة لا يختص بالحياة.

وحتى في هذه الحالة لا نعلم هل القصر يصدق على ذات الشخص أو على ملبسه أو على شيء آخر يختص به.

وإذا كانت كلمة أبتر من أصل عربي حقيقة، فإن اطلاقها على الأمازيغيين لا يمكن أن يكون إلا من العرب، وليس من المعنيين بالأمر أنفسهم. لأن هؤلاء لا يمكنهم أن يسموا أصلهم البعيد باسم مأخوذ من لغة أخرى لا يعرفونها، ولم يقع لهم بعد معها الاتصال. في هذه الحالة ينبغي أن نبحث في اتجاه آخر ممكن، وهو معجم اللغة الأمازيغية لعل فيه ما يشفي الغليل أو ما يغني النقاش حول المسألة المطروحة على أقل تقدير.

سأقترح هنا ثلاث كلمات نظرا لقربها من حيث النطق من كلمة بتر، ولأن المعاني التي تؤديها ليست بعيدة كل البعد عما يمكن أن يتصف به الشعب الذي أطلق عليه اسم البتر من صفات تاريخية.

الكلمة الأولى التي لا تزال مستعملة عند أمازيغيي المغرب هي أَبِضَرْ وتجمع على إبضَرَنْ، وتعني: الأعرج.

وبمجرد حذف «أ» الأولى كما يفعل الزناتيون عادة، وقلب الضاد طاء كما يقع عادة عند الأمازيغيين عامة. أو تاء كما يحدث في بعض الأحيان داخل لهجة واحدة، ستصبح الكلمة «بتَرْ» إذ ذاك يكون التشابه الشكلي واضحا بينها وبين الكلمة العربية «بَتَرَ»،أو«أبْتَر» إذا احتفظ بالهمزة الأولى من الكلمة الأمازيغية. ومن الراجح

أن يكون التحويل ـ إن هو حدث فعلا. قد وقع من «أَبْتَرْ» إلى «أبْتَر» بإدخال تغيير بسيط في شكلها.

أما الكلمتان الثانية والثالثة. فهما مأخوذتان من المعجم التارگي الذي احتفظ لنا أكثر من غيره على أقدم ثروة لغوية أمازيغية، سواء من حيث المفردات أو من حيث استعمالاتها المتنوعة ومعانيها العديدة واشتقاقاتها الضرورية.

الكلمة الثانية إذن هي بُدْرْ، والفعل منها إبُدْرْ، وتعني «أن يكون المرء أبّاء شديد الرفض للخضوع إباءً، أو أن يكون المرء لا يحترم أهله أو رئيسه الديني سواء بالأقوال أو بالأفعال». ويمكن أن يفهم من هذا المعنى الأخير أن المقصود هو التحرر من سلطة الأهل وسلطة رجال الدين. إذ التحرر منهم يعتبر عادة انعدام وجه من وجوه الاحترام لهم.

بالنسبة إلى كلمة بُدْرْ يمكن أن تصبح هي بدورها بُتْر بتحويل الدال تاء، وهذا شيء مشهود به كذلك في الأمازيغية.

وإذا نطقها الأمازيغيون كذلك (بُتْرْ) فإن اقتناءها بالمعنى العربي من قبل النسابين ـ الذين كتبوا في الموضوع بالعربية ـ يصبح سهلا. كما أن تأويلها لتناسب النظرية الجينيالوجية لا بد أن يكون بعيدا عن المعنى الأصلي للكلمة الأمازيغية. التي تعنى الخروج عن السلطة وعدم الخضوع لها، وهذه صفة معروفة للرحل القاطنين في الصحاري. ومعلوم أن الشعوب التي تنسب إلى البتر كانوا في البداية على الأقل من رحل الصحراء الليبية منذ أقدم العصور.

نأتي إلى الكلمة الثالثة والأخيرة، وهي إبدْرْ وتجمع على إبدْرَنْ، وتعني كل ثوب ـ كيفما كان نوعه وأبعاده ـ يوضع على الكتف ويمر تحت الإبط المقابل، ويدار طرفاه على وسط حامله فيكون له نطاقاً.

وإبدْرَنْ بالجمع، تطلق أحيانا على ثوب يمر على الكتفين كليهما وتحت الإبطين، ويتقاطع على الصدر والظهر، ويدار طرفاه على وسط حامله فيكون له حزاماً. ومن حيث ما يمكن أن يكون قد وقع من تحولات صوتيه في الكلمة، فهو شبيه إلى حد كبير بما افترضنا وقوعه في الكلمتين السابقتين.

نرى كذلك بالنسبة إلى الكلمة الأخيرة، أن لها علاقة بالملبس، بل بطريقة معينة في استعمال ما يلقى على الجسم لباسا ظاهرا للعيان، بحيث تكفي رؤيته ليُعرف الانتماء الجغرافي أو القبلي أو الحلفي لحامله.

ويبدو أن نوع اللباس أو طريقة ارتدائه كلا أو بعضا. كان بمثابة علامة خارجية يتميز بها الخصوم عن بعضهم البعض كما تميزهم الأعلام والبنود أو خُوَذ الجنود.

هذا النوع من الحفريات اللغوية ـ واللغة من أقدم المصادر الأركيولوجية للتاريخ ـ إذا لم يفض إلى الكشف عن حقائق جديدة عن الجوانب الغامضة من تاريخنا، فهو خليق بإدخال عناصر أخرى لتفسير تلك الغوامض، يجد فيها العقل السديد ما يثير فضوله وينحو به صوب اتجاهات تخضع لمنطق الأشياء وتساير جدلية التاريخ.

ومع كل ذلك فإن كلمة البتر لا نصادفها إلا في المصادر المكتوبة بالعربية. لأن تصنيف الأمازيغيين إلى بتر وبرانس لم يظهر إلا بعد دخول الإسلام إلى شمال افريقيا. وخارج تلك المصادر، لا نجد للكلمة أثراً ملموسا في الواقع، إذ لم يثبت لحد الآن وجود علم جغرافي أو بشري يذكر بها.

في حين بقيت أسماء الشعوب التي تنسب إلى البتر متداولة إلى اليوم، ومنها : نفوسة ولواتة ونفزاوة ومكناسة وزناتة وضريسة... ولكل واحد منها بطون وأفخاد كثيرة معروفة.

ويلاحظ أنه رغم أن الكتب المعروفة متفقة على أن البتر هم أصلا من شرق إفريقيا الشمالية إلى الغرب من نهر النيل، فإن فرقا كثيرة منهم توجد منتشرة في كل من المغرب الأوسط والأقصى منذ زمن بعيد. ولسنا متأكدين هل كان اكتساحهم لهذه المناطق الغربية قبل الفتح الإسلامي أو أثناءه.

وتوجد مراكزهم بصفة خاصة في منطقة الأراضي ما قبل الصحراوية المتدة من ليبيا إلى سجلماسة وتلمسان وفگيگ مرورا بجبال أوراس... كما توجد فرق منهم في حوض سبو وأماكن أخرى متفرقة.

وعن دور هذه الشعوب في تاريخ شمال إفريقيا، يمكن أن نقول بأنه كان دورا نشيطا جدا منذ القدم. فقد قاوموا بعنف واستماتة الوجود القرطاجي والروماني انطلاقا من أوطانهم بليبيا وجنوب تونس الحالية وجنوب شرق الجزائر. وتميزوا في معاركهم بتفوق حربي بارز، وساهموا مساهمة فعالة في فتح شمال إفريقيا والأندلس في عهد الإسلام، لأن قسما مهما منهم حالف العرب الفاتحين منذ البداية، وانخرطوا في جيوش الإسلام، وخاضوا المعارك لإخضاع باقي القبائل. كما أنهم تزعموا ثورات ضد الولاة العرب في إطار الحركة الخارجية التي أدت إلى تقويض أركان السلطة الأموية في شمال إفريقيا بصفة نهائية.

كما أسسوا إمارات ودولا معروفة في كل من الجزائر والمغرب بصفة خاصة. كما أنهم لعبوا دورا متميزا في تعريب قسم كبير من الأمازيغيين لأنهم تعربوا قبل باقي إخوانهم وذلك لأنهم وضعوا «أيديهم في أيدي العرب لتشابه الحياة عند الفريقين واستهدافهما لكثير من المقاصد المنبعثة عن غرائز طبعا عليها أوعادات ألفاها» (*قبائل*، ص 31).

أما *البرانس* فهو جمع للفظ *بُرْنُس* الذي ينطق بالأمازيغية *أبرْنُسْ* ويجمع على *إبرْنَسْ*، كما تنطق فيه السين صاداً أو زايا مفخمة. وتعني اللباس المعروف الذي يسميه المغاربة بالسلهام.

يبدو أن الكلمة من أصل أمازيغي، رغم أن استعمالها لدى الأمازيغيين أصبح نادراً إذ ينعتون في غالب الأحيان

أنواع هذا اللباس بأسماء أخرى مختلفة مثل : أَسْلْهَمْ، أو أَخدُسْ أوَ أَخْنيف أو أَهْدُنْ أو أَزْنّرْ... وذلك حسب المناطق أو اللهجات، ولعل هذه الندرة راجعة إلى كون الكلمة كانت مستعملة في البداية لدى مجموعات قليلة من السكان الأمازيغيين. وغالب الظن أن هذه المجموعات كانت تقطن بالقسم الشرقي من إفريقيا قبل دخول الإسلام إليها وأثناءه.

هذا من حيث الأصل اللغوي للكلمة، والذي يعتريه كما رأينا شيء من عدم الوضوح سواء في المعجم الأمازيغي أو العربي (بَرنّس، البرنس) أو الاغريقي - اللاتيني (BURRUS).

أما المدلول التاريخي لكلمتي *بُرنُس وبَرانس*، فإنه يطرح مصاعب أخرى أكثر تعقيدا من التي لها علاقة بالمدلول اللغوي. وبالفعل فقد اعتبر النسابون المسلمون الأوائل أن *بُرنّس* اسم رجل يعدونه جدا أعلى لقسم كبير من سكان شمال إفريقيا، يُنسبون إليه ويسمون *البرانس*. وفي هذه الحالة، لا أحد يستطيع أن يتكهن بالمعنى اللغوي لاسم الرجل *بُرنّس*، في حالة ما إذا لم تكن له علاقة بالمعنى المتداول اليوم للكلمة.

غير أن الرأي السديد في نظرنا هو اعتبار أن الأمازيغيين الأوائل الذين عاشوا قرونا طويلة جماعات مستقلة طليقة، لا تخضع لسلطة مركزية، تحافظ بالقوة على التوازن الضروري بين التجمعات البشرية المختلفة، وتخلق رموزاً أخرى خليقة بتنمية روح التعايش بينها، أقول طوروا نموذجا بديلا يضمن لهم الانفلات من هيمنة الدولة المركزية والمحافظة على حرية التصرف في إطار توازن ضروري بين مختلف الجماعات يعتمد نوعا من التمييز فيما بينها يكون ثنائيا في أغلب الأحيان. ورغم أن وسيلة التمييز تكون مختلفة حسب الظروف والملابسات المحلية، وكذا الاسم المميز، فإن التقسيم الثنائي يبقى هو السائد في جميع المناطق. ويكون التعارف بين الإخوة المتحالفين محققا في مجالات جغرافية واسعة وكان اللباس أو طريقته من الوسائل المميزة البارزة التي تعتمد لمعرفة الحليف من غيره. خصوصا وأن الاختلاف في الملبس يكون طبيعيا باختلاف الظروف المناخية بصفة خاصة.

فالبرانس الذين تقول عنهم المصادر التاريخية بأنهم كانوا يسكنون بجبال أوراس قبل انتشارهم في مناطق مختلفة من المغربين الأوسط والأقصى، ربما كان *البرنوس* (هكذا كتبها البيذق) هو السائد في لبساهم. فمُيزوا به هم وحلفاؤهم، كما تميز الصنهاجيون الصحراويون باللثام على سبيل المثال. وقد رأينا سابقاً أن الحلف الثاني الذي يمثله الأمازيغيون *البتر* ربما كان يميز كذلك بلباسهم الغالب عليهم. ولاننس أن هؤلاء كانوا جيران الأوائل من جهة الشرق حوالي جبال أوراس.

هناك فرضيات أخرى اقترحها الباحثون في إطار محاولاتهم أساس تقسيم الأمازيغيين إلى شعبين متقابلين ككفتي ميزان، لا تكاد تعلو إحداهما إلا وانخفضت الأخرى. إذا اعتبرنا العلاقة بينهما بصفة عامة جدا.

ومن هذه الفرضيات تلك التي ترجع ذلك إلى اختلاف نمط العيش بين الرحل والمستقرين، غير أن *البرانس* ليسوا كلهم مستقرين، كما أن *البتر* لا يتكونون من الرحل فقط. ومنها كذلك تلك التي تأسست على مبدإ الصراع بين الأصلي والطاريء، فالبرانس أصليون - في مساكنهم الأولى على الأقل - والبتر طارئون عليهم مدافعون لهم. ولكن هذا يمكن أن يكون مقبولا على نطاق محدود، فكيف أصبح أساس تقسيم عام يشمل كل الأمازيغين ؟

يمكن أن تُصاغ فرضيات أخرى محتملة حول المسألة، تسير في اتجاه يجعل من التأويل الجينيالوجي للثنائية الأمازيغية مبحثا سهلا وعقيما، لأنه مسدود المسلك. ولكن دلالة استعماله الإيديولوجي ذات أهمية تاريخية لا تنكر.

وكيفما كان الأمر، فإن كتب الأنساب والتاريخ تذكر أن شعوب البرانس هي : مصمودة وصنهاجة وهوارة وأوربة وكتامة وعجيسة وازداجة وأوريغة وغمارة. وهناك من يضيف إليهم : گزولة ولمطة وهسكورة. وكل شعب من هذه الشعوب يحتوي على بطون وأفخاذ مذكورة في الكتب المختصة.

والجدير بالذكر أن هذا التقسيم ليس تقيسما مضبوطا يحظى باتفاق الجميع، فغمارة مثلا تعد عند البعض من مصمودة، وكتامة من صنهاجة. كما أن مسألة الاستقرار ليست قاسما مشتركا بين هذه الشعوب البرنسية. أضف إلى ذلك ظاهرة انتشارهم الواسع جغرافيا حيث نجد فرقا منهم في كل أقطار شمال إفريقيا الأمازيغية من أقاصي الصحراء الكبرى إلى جبال الريف وجبال أوراس ومنطقة القبائل بالجزائر وجبال الأطلس.

كما يلاحظ أن أي واحد من هذه الشعوب لا يحمل اسم *البرانس*، بل أسماء أخرى قديمة كذلك ومعروفة منذ بداية الفتوحات الإسلامية، وربما قبل ذلك.

ولا نكاد نجد هذا الاسم إلا في مناطق محدودة جدا من شمال إفريقيا كقبيلة *لَبْرانَس* في شمال المغرب وفي اسم قرية في فحص طنجة *وأولاد برنوس أو بنو برنوس* في نواحي مكناس *وجبل البرانس* في شمال مدينة قرطبة.

هذا الاندثار الشبيه بالكامل لاسم *البرانس*، لا يمثل حالة منفردة في شمال إفريقيا، لأنه شبيه بما وقع لأسماء أخرى كثيرة منها البتر ومصمودة وبرغواطة وگنفيسة... ويبدو أن ذلك ناتج عن كون هذه الأسماء وليدة ضرورات سياسية واجتماعية وتندثر كلا أو بعضاً بزوال تلك الضرورات أو تجاوزها، نظراً لتغير الأحوال وبروز أخرى تتحكم في الديناميكية التاريخية سواء على المستوى المحلي أو على مستويات أوسع. وهذا ما وقع بوضوح أكثر في أقرب فترات شمال إفريقيا إلينا.

أما عن الدور التاريخي للشعوب التي تنسب إلى

البرانس، فإنه كان دوراً هاماً جداً، لأنهم طبعوا تاريخ شمال إفريقيا أكثر من إخوانهم المنسوبين إلى البتر ببصمات خالدة. بل إن آثار أعمالهم تجاوزت حدود المغارب لتتغلغل في أعماق الصحراء وساحل إفريقيا الصحراوي وفي شبه جزيرة إيبيريا ومصر.

وبذلك ساهموا في بناء الحضارة المغاربية مساهمة فعالة وعميقة، لا بالمشاركة البارزة في أكبر الأحداث التاريخية فحسب، ولكن كذلك بخدمة التربة الوطنية واغنائها والحفاظ عليها واستدرار خيراتها في السهول والجبال والصحاري والسواحل، ولم يمنع اختلاطهم المبكر بمختلف القوى الواردة على بلادهم من الحفاظ على شخصيتهم المتميزة. "وقد تمكنت قبائل البرانس بحكم استقرارها ومجاورتها لسيف البحر أن تتحضر وتتأثل المال وتستفيد مما كان المهاجرون والفاتحون الأجانب ياتون به من مدنيات وثقافات، كما نمت فيها لنفس السبب روح المقاومة، وكثر تعلقها بالأرض التي تقيم فيها والتي لم تألف أن تبرحها كالبتر الرحل" (*قبائل*، 301).

الادريسي، *وصف افريقيا*، ص 52 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار*، ص 188 ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، ج : 6 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج : 1، ص 64 وما بعدها ؛ *ابن منصور*، *قبائل المغرب*، ج : 1 ص292 وما بعدها ؛ ت. العلوي، *مقالات عن أصول المغاربة* (القسم الأمازيغي) المنشور في مجلة البحث العلمي، الأعداد : 20 ـ 21 ـ 22 ـ 25 ـ 27 ـ 31 ؛ م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، ج : 1، مادة بتر ومادة برنس ؛ ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، ص 17.

Ch. de Foucault, *Dictionnaire Touareg-français*, 1951, I, pp. 26, 42 ; Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, 1975, t. II, p. 22 sqq ; É. Laoust, *Mots et choses berbères*, 1920, 1983, p. 120 - 30 ; *E. I.*, I, p. 1068 - 1389.

علي صدقي أزايكو

**البترول** بالمغرب، إن موقع المغرب من الشمال الغربي للقارة الافريقية ووجود أربع سلاسل جبلية على أرضه (جبال الريف والأطلس المتوسط والكبير والأطلس الصغير) لم يكن بالعامل الذي ييسر مهمة الاستكشاف النفطي بل أدى ذلك إلى تعقيد التاريخ التكويني والجيولوجي لبلادنا. ورغم ذلك توجد أحواض رسوبية على اليابسة يمتد بعضها تحت مياه المحيط الأطلسي والبعض الآخر تغمره مياه البحر المتوسط. ويمكن وجود هذه الأحواض من الجنوب نحو الشمال كالآتي :

ـ الأحواض الممتدة من بوجدور إلى طرفاية مع امتدادها بالمحيط الأطلنتي.

ـ منطقة سهول وادي درعة مع الجانب المغربي من حوض تندوف.

ـ أحواض تافيلالت، وورززات وسوس جنوب الأطلس الكبير.

ـ أحواض گرسيف وميسور والهضاب العليا.

ـ الأحواض الرسوبية بدكالة وتادلا، والحوز والصويرة.

ـ أحواض الغرب والمناطق الواقعة جنوب سلاسل جبال الريف.

ولكل من هذه الأحواض الرسوبية في أغلب الأحيان تاريخ متميز من وجهة ماترسب بها من صخور، إذ أن لكل عصر من العصور الجيولوجية المتعاقبة خواصه الباليوجغرافية.

وقبل الخوض في التعريف بإمكانات كل من هذه الأحواض وبالتالي معرفة إمكانية وجود النفط بالمغرب، لنلق نظرة وجيزة على النفط، كيف يتكون وشروط وجوده :

إن الحياة متوفرة في الأمتار العلوية من المحيط. هناك تزخر بملايين من الحيوانات والنباتات البدائية الدقيقة تحيا وتموت. وبذا تشكل بداية الحلقة الغذائية عندماتكون حية. وعندما تموت تغطس بعيداً عن ضوء الشمس إلى ظلمات المياه العميقة بعضها يتلف على الطريق بواسطة بكتيريا أو كائنات حية أكبر، وتلك التي تنجو وتكمل الطريق تطمر في الثفالة الناعمة التي انجرفت من الشاطئ. وبينما تتراكم الثفالة، تبدأ المواد العضوية حركة التغير والتبدل. تبدأ بالتحلل وإطلاق غاز الميتان. وكلما تزايد عمقُ انطمارها تحت الترسبات الصخرية المنجرفة من اليابسة تبدأ درجة الحرارة في الارتفاع، حيث تتفكك المواد العضوية معطية المواد الكيميائية التي يتركب منها النفط على شكل قطرات مجهرية تبدأ في التجمع بين حبيبات الثفالة الطينية المغمورة بالماء. هذه الثفالة تبدأ بدورها تحت ضغط الترسبات المغطية لها بالتحول إلى صخور. وهذا ما يطلق عليه الصخور الأم، الرمل المنجرف من اليابسة وتحت ظروف الضغط يتحول بدوره إلى صخر رملي يحتوي على فجوات مترابطة أو مسامات يستطيع النفط المرور عبرها. عندما يتشبع الصخر المسامي بالنفط، وينحصر في وسط صخور أخرى خالية منه، عندئذ يشكل ما يسمى بالخزان، ويميز الجيولوجيون تركيبات عديدة من الصخور ينحبس بها النفط.

ويشمل هذا التموجات العريضة من طبقات الصخور التي تدعى بالطيات Plis وهناك مصائد أخرى لهذا السائل الذي يهاجر دائما من مركز تكونه ليقع في فخ الفوالق الكبيرة أو ما يطلق عليه التصدعات Failles وحتى تتوقف إمكانية الهجرة للسائل النفطي يجب وجود صخور عديمة المسام والنفاذية لتكون بذلك غطاء حاجزاً.

وهكذا تبرز لدينا الشروط الأساسية لوجود النفط :

1 ـ الصخور الأم ،2ـ الصخور الخازنة، 3 ـ الفخ، 4 ـ الصخور المكونة للغطاء.

ولإعطاء مثل عن الصخور الأم نشير إلى أن الصخور النفطية لطرفاية وتمحضيت والمحتوية على13،5 ٪ من المواد العضوية هي صخور أم. فهذه الترسبات إذا تم غمرها إلى أعماق تتجاوز 2.000 متر تحت طبقات من الصخور المسامية أو صخور الغطاء بإمكانها أن تطرد المادة العضوية التي بها تحت ظروف الضغط والحرارة بتلك الأعماق.

وبذا يتم وجود السائل الزيتي الذي بإمكانه الهجرة إلى الصخور الخازنة وحبسه في إحدى أنواع المصائد تحت غطاء غير نفاد. وهذا السيناريو هو مايجري حاليا بالشواطىء الأطلنتية غرب منطقة طرفاية.

إذاً فالعناصر الضرورية موجودة بالمغرب فهناك العديد من الصخور الرملية والكلسية تتمتع بقابليتها لتصبح خازنة للنفط، كما أن هناك عديداً من الأماكن حيث ينحبس النفط في طيات طبقات الصخور.

كيف يمكن إذاً العثور على البترول ؟ من الضروري أن نفهم أن البترول يتكون بين حبيبات الصخر المسامي مثل الصخر الرملي، وليس في بحيرات واسعة في باطن الأرض. كما يجب العثور على الخزان.

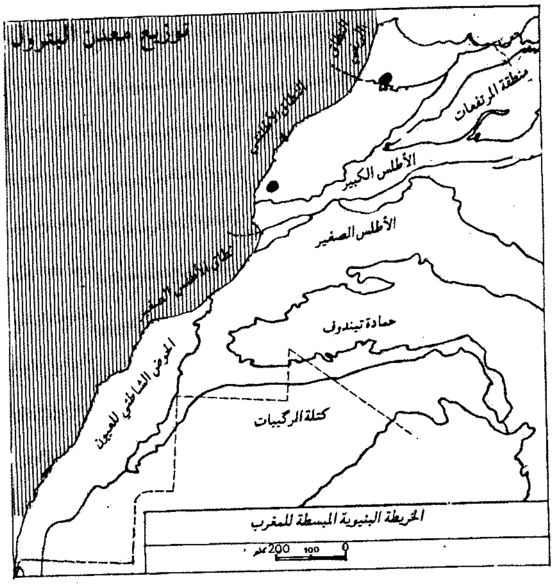


فلنتصور مثلا حقلا للنفط مساحته تعادل مساحة جامع الفنا بمراكش. إنه لمن الصعب جدا إيجاد هذا الحقل دون الاستعانة بخريطة، خاصة في بلد كبير كالمغرب فما بالك بالحصول على نفط على عمق ثلاثة إلى خمسة كيلومترات تحت سطح الأرض دون الاستعانة بخريطة جيولوجية.

إن حفر بئر هو الدليل الوحيد والحقيقي لإثبات وجود حقل نفطي على هذا العمق. لكن ذلك باهظ التكاليف، لذا يجب إجراء الحفر في الموقع الصحيح وبدقة. فبداية البحث تكون مكتبية على الخرائط، كما يتم استخدام خرائط وصور للأقمار الاصطناعية من مختلف المقاييس للتمييز بين تلك المناطق التي لا يتوقع وجود البترول بها.

أما في المناطق الملائمة، فيقوم مهندسو المكتب الوطني بدراسة الصخور السطحية ووضع خرائط تفصيلية للنموذج البنيوي للمنطقة. من هذا يتم استخلاص مناطق الفائدة المتوقعة. ويتم تقصيها باستخدام عربات كبيرة لجمع المعلومات الجيوفيزيائية من تحت سطح الأرض.

- تقوم هذه العربات بهز الأرض واقعيا بواسطة ساداتها الهيدروليكية الضخمة. تجتاز ببطء المناطق المأمولة ضمن قافلة محددة، وترسل أمواجا صادمة شبيهة بالزلزلات، إلى باطن الأرض وعلى فترات منتظمة.

وبواسطة سماعات أرضية أو جيوفونات، تلتقط انعكاسات الموجات الصادمة من على الطبقات الصخرية بالأعماق بعد تمريرها بحاسوب يكشف النقاب عن ملامح الصخور تحت السطح. وما جهاز رسم الصدى أو Echographie المستخدم في الميدان الطبي إلا مثال لذلك. ويشكف فحص لاحق عن مزيد من التفاصيل حول طبقات الصخور وتموجاتها تحت السطح التي غالبا ما ينحبس البترول بها. وتشكل هذه المعلومات إضافة إلى ما سبق الأساس لاختيار موقع حفر البئر الاستكشافية.

عملية الحفر : الحفر عملية معقدة تجري باستخدام جهاز ضخم غالي الكلفة يعمل بواسطة البكرات لرفع وخفض الأنبوب الذي يحتوي في أسفله على رأس الحفر. هذا الرأس الذي يختلف نوعه حسب صلابة وقساوة الصخور، وذلك عن طريقة إدارة دواليب الرؤرس بطريقة تمكنها من طحن الصخور إلى أجزاء صغيرة تصعد إلى السطح عن طريقة سائل خاص للتبريد والتزييت وتسهيل عملية الحفر.

وبمتابعة دراسة الفتاتات الصاعدة يتمكن المهندسون من مراقبة سير الحفر نحو الهدف المنشود ألا وهو الخزان.

إمكانات الأحواض الرسوبية بالمغرب : أظهرت الدراسات الجيولوجية والجيوفيزيائية والآبار القليلة المنجزة في كل من الأحواض التي سبقت الإشارة إليها، عوامل إيجابية تبرر مواصلة التنقيب. ولنأخذ كمثال لإيضاح ذلك نطاق الأطلس الصغير بأحواضه الرسوبية الموجودة في منبسط وادي درعة وتافيلالت وبودنيب والجزء المغربي من حوض تندوف. إن هدف الاهتمام النفطي ينحصر بصفة عامة في الطبقات الرسوبية للعصر القديم، أي التي يرجع تاريخها ما بين 570 إلى 280 مليون سنة خلت، إذ أن للصخور الأم التي سبقت الإشارة إليها والمولدة للمواد الهيدروكربونية منتشرة بشكل عام في هذه المناطق. وهي نفس الصخور الأم المولّدة للنفط بحقل حاسي مسعود، وللغاز بحقل حاسي الرمل بالجزائر، وقد أثبتت الدراسات الأخيرة أن هذه المناطق نظراً لدرجة النضج العالية للصخور الأم لن يكون بالإمكان الحصول على نفط سائل، وإنما سيكون ما قد ينتج عبارة عن غاز.

أما عن الصخور الخازنة التي سبقت الإشارة إليها فإنها توجد على شكل صخور جيرية تعود إلى العصر الديفوني المتوسط أي إلى 370 مليون سنة خلت.

وبانتقالنا إلى حوض سوس فإن الصخور الخازنة به تعود إلى العصر الترياس أي 210 مليون سنة خلت أي نفس الهدف المنشود بحوض الصويرة والذي به يتم إنتاج الغاز المكثف المصاحب وذلك من حقل مسكالة الذي سنفصل الكلام عنه لاحقاً. إلا أن الصخور الأم نشأت بهذين الحوضين بالعصر الديفوني الأعلى أي يعود عمرها إلى 350 مليون سنة.

ومن هذين المثالين ورغم قرب المسافة نسبيا ووجود الأطلس الصغير كفاصل بين المنطقتين (وادي درعة وتافيلالت من جهة، وسوس والصويرة من جهة أخرى) فإن لكل حوض خاصيته باختلاف عمر الصخر الأم وظروف الخازن بهاما يزيد الاستكشاف النفطي تعقيداً.

أما أذا اتجهنا إلى الأحواض الرسوبية بأقاليم طرفاية والعيون وامتدادها بالمحيط الأطلنتي فإن الاهتمام الاستكشافي ينحصر في العصور المتوسطة أي التي يرجع تاريخها إلى 170 مليون سنة خلت. ويمكن أن تتكون الصخور الأم والصخور الخازنة بنفس العصور.

**الانتاج الأولي**

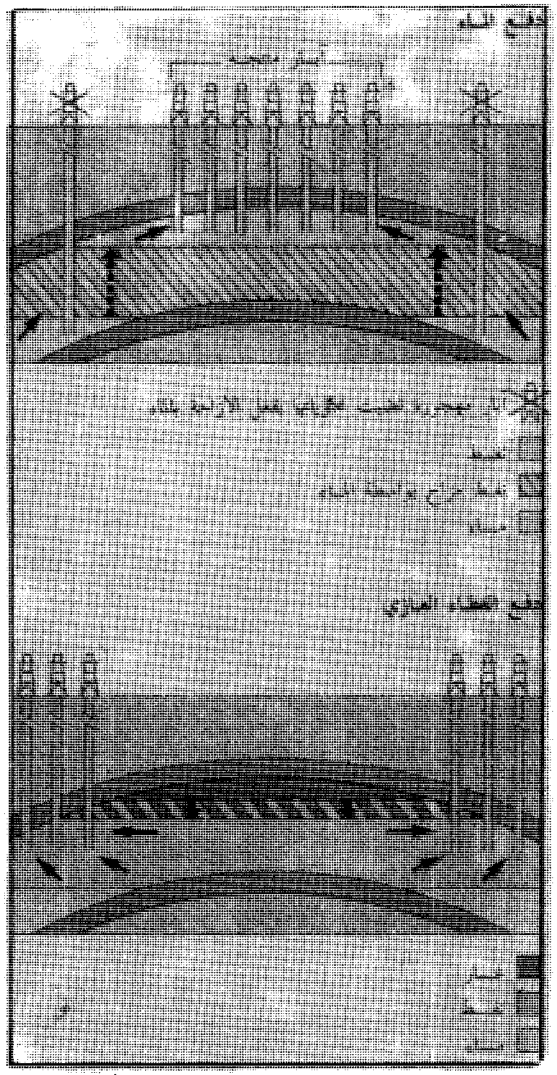

وقد أثبتت عمليات الاستكشاف التي قامت بها شركة "إسو" بين سنة 1976.1967 وبعد حفر عشرة آبار استكشافية وجود مخزون نفطي من النوع الثقيل يقدر معدل ما يمكن إخراجه منه بأربعة عشر مليون برميل. إلا أن الظروف التي سادت وقتها والتكلفة اللازمة لمعالجة المكمن نظراً لدرجة الكثافة العالية أظهرتا بأن استخراجه غير ذي جدوى اقتصادية. وتجرى حالياً مشاورات ودراسات لبعث المشروع من جديد.

إن وجود النفط بهذه المناطق وخاصة بمياهنا الاقليمية من الصويرة إلى طرفاية جنوباً غير قابل للشك، الشيء الذي جعل من هذه المنطقة كعبة لمختلف الشركات العالمية للقيام بعمليات استكشافية وفقاً لنظريات ومؤشرات تتغير باستمرار البحث وإنجاز الآبار. إذ أن الحفر هو الوسيلة الوحيدة لنفي أو إثبات النظريات التي على أساسها يتم الشروع في عمليات الاستكشاف بمنطقة معينة.

أما في النطاق الأطلسي وخاصة مناطق ميسور، والهضاب العليا "جرسيف" فإن الدراسات والآبار المنجزة أثبتت وجود صخر أم من النوع الجيد وجدت بالعصر الكربوني أي يرجع عمرها إلى 300 مليون سنة. إلا أن مزيداً من الدراسات مازال القيام بها أساسا لكل عملية مواصلة للبحث. أما بغرب المملكة وخاصة مناطق الصويرة، ودكالة وتادلا والحوز فإن الصخور الأم توجد في عدة طبقات من العصر القديم. أما الصخور الخازنة فتقع بالعصر الترياسي والجوراسي الأعلى.

وقد تم بهذه المناطق اكتشاف الزيت بحوض الصويرة في حقل سيدي غالم والغاز بمنطقة مسكالة بحوض الصويرة. كما أن هناك مؤشرات نفطية بكل من حوض تادلا ودكالة.

لماذا كان إنتاج أحواضنا النفطي والغازي بسيطا لحد الآن ؟ بالرغم من العديد من المؤشرات الإيجابية المثبتة عن طريق ما أنجز من آبار بمختلف الأحواض ؟ كذلك يتبادر إلى الذهن لماذا هذا العدد المحدود من المكتشفات ؟ الغاز الطبيعي بمنطقة الغرب، النفط بسيدي غالم (الصويرة) الغاز والنفط المكثف المصاحب بمسكّالة (الصويرة) النفط الثقيل بمنطقة طرفاية البحرية.

وللاجابة عن ذلك يجب أن نأخذ بعين الاعتبار المبادىء الآتية :

1 ـ الهدف : وقد بينا أن الهدف يختلف باختلاف الحوض.

2 ـ كثافة التنقيب: أي إذا أخذنا مساحة حوض كحوض طرفاية الذي تبلغ مساحته 8.000 كلم مربع، وعلما منا أنه لم تنجز به إلا آبار ثلاثة، فإن كثافته الاستكشافية تبلغ 2670 كلم مربع لكل بئر. وهذه درجة ضئيلة جداً على المستوى العالمي. وبمقارنة ذلك بمنطقة طرفاية البحرية نجد أن الكثافة تبلغ 655 كلم مربع لكل بئر. وقد أشرنا إلى ما أكتشف بهذه المنطقة من نفط ثقيل.

وباستمرار المقارنة بإقليم الصويرة نجد أن كثافة الاستكشاف تبلغ 136 كلم مربع. وقد توج البحث بها باكتشاف حقل غالم ومسكّالة ولكن بأقاليمنا الساحلية بالبحر المتوسط نجد الكثافة تصل إلى 9.000 كلم مربع لكل بئر.

نستنتج مما سبق أن درجة الاستكشاف ما زالت بالنسبة

لأغلب الأحواض في بدايتها. فعلى المستوى العالمي نجد أنه يجب حفر اثني عشر بئراً استكشافيا في منطقة معينة ليكون واحد فقط منتجاً. وكذلك تجدر الإشارة إلى أنه لزم حفر مائة بئر ببحر الشمال قبل التوصل إلى أول اكتشاف نفطي به.

وإنه لمن تحصيل الحاصل أن كل جهد يبذل في ميدان الاستكشاف هو مجهود علمي وفني ومالي. فالجهد العلمي والفني المترجم عبر دراسات جيولوجية وجيوفيزيائية، سيرفع من مستوى معرفتنا لتمحيص نظريات البحث. أما المجهود المالي، فيكفي أن نعرف أن بئراً على اليابسة وعلى عمق 4.000 متراً يكلف ما بين 36 إلى 50 مليون درهم، ونفس البئر على البحر تصل كلفته إلى 200 مليون درهم.

المكتب الوطني للأبحاث والاستثمارات النفطية : أنشىء المكتب الوطني للأبحاث والاستثمارات النفطية بتاريخ 10 نونبر 1981، كأداة مختصة للقيام بعمليات التنقيب والإنتاج. وكانت هذه العمليات سابقاً جزءاً من أنشطة مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية.

ويواصل المكتب حملات التعريف بإمكانات أحواضنا الرسوبية لدى الشركات العالمية قصد التخفيف من العبء الثقيل على كاهل ميزانيتنا، والعمل على أن تبلغ دراساتنا للمكامن النفطية درجة النضج، بغية الحصول على أكبر نسبة من اليقين حين اختيار أماكن الحفر، مع مواصلة تكوين أطرنا الفتية بغية تحقيق خبرات فنية وطنية. ويواصل المكتب جهوده هذه بمساعدة شركة بيتروكندا الدولية للتعاون منذ سنة 1982. وتوجت العمليات الاستكشافية بتقييم إجمالي لحوض الصويرة ومناطق الغرب.

حوض الصويرة : يتوفر المكتب حالياً بهذا الحوض على أربعة مكامن للغاز الطبيعي. توكيمت، مسكالة، زلتن، ندارك. يستخرج من الثلاثة الأوائل غاز مع نفط مكثف، أما حقل ندارك فيستخرج منه الغاز الجاف مصحوبا بكمية من الازوت $H_2S+$ . يقدر المخزون الغازي الممكن استخراجه ب 1.262 مليار ن م$^3$.

ويتم إنتاج الغاز حالياً من مكمن مسكالة وتوكيمت الذي يوجه صوب وحدات التجفيف للمكتب الشريف للفوسفاط باليوسفية عن طريق شبكة من الأنابيب.

كذلك يتوفر المكتب على وحدتين للإنتاج لفصل النفط المكثف عن الغاز، تبلغ طاقتهما الإجمالية 250.000 ن م$^3$ يوميا و 100 ن م $^3$ من النفط المكثف. ويعتبر المكتب الشريف للفوسفاط الزبون الوحيد للمكتب حالياً حيث يتراوح استهلاكه من الغاز 12 إلى 13 مليون متر مكعب سنوياً. وما يزال المكتب منكبا على إقناع أطراف أخرى كمعامل الاسمنت بـ "أگادير" ونواحي مراكش باستعمال المنتج الوطني عوض الفيول المستورد. وقد تم إنشاء هذا المشروع على أساس مدة تبلغ عشرين سنة وبلغت تكلفته مائة مليون درهم وحين الوصول بالإنتاج إلى المستوى المنشود سيتمكن المغرب من تحقيق اقتصاد من العملة الصعبة يقدر بمائة وخمسين مليون درهم.

- منطقة الغرب : أنتج المكتب بمشاركة شركة Apex كميات من الغاز بلغت إلى مستوى 44 مليون ن م$^3$ يوجّه أغلبها إلى معمل الكرتون بالقنيطرة ومصفاة سيدي قاسم. وفي سنة 1981 كان إنتاج المغرب من الغاز 1٪ من الاستهلاك الطاقي. وبتحقيق مشاريع التنمية بأحواض الصويرة والغرب، تمكن المكتب من إنتاج 180.000 طن معادل للنفط سنة 1987 موزعة كالآتي :

- النفط والغاز المكثف 40.000 TEP
- غاز الغرب 50.000 TEP
- غاز الصويرة 90.000 TEP

وبذا تمت تغطية 4٪ من احتياجات المغرب النفطية.

أحمد بودة

**البترول في الصحراء المغربية**، بدأ التنقيب عنه في عهد الاستعمار الإسباني، حيث أذن لعدة شركات بالبحث والحفر من سنة 1960 إلى سنة 1965، ثم استؤنفت عمليات التنقيب سنة 1970، غير أن الحكومة الإسبانية اضطرت إلى التوقف عندما طرحت قضية الصحراء أمام هيئة الأمم المتحدة بصفة جديّة سنة 1972، الشيء الذي يجعلنا نجهل نتائج ذلك التنقيب المكثف الذي قامت به الشركات المذكورة حسبما يتجلى في الجدول التالي :

| اسم الشركات المسموح لها بالتنقيب | المدة | العمق الذي وصل إليه الحفر |
|---|---|---|
| Philips | 1960 - 1963 | 2.891 متر |
| Cepsa - Gulf | " " | 19.230 متر |
| Union Oil | 1961 - 1962 | 10.760 متر |
| Richfield | " " | 3.975 متر |
| Champlin | 1962 - 1963 | 11.930 متر |
| Atlantic | 1961 - 1963 | 7.700 متر |
| Taldebs | 1962 - 1964 | 2.140 متر |
| Amoseas | " " | 9.880 متر |
| Mananesica | 1963 | 3.000 متر |
| Tidenater | 1964 - 1961 | 13.000 متر |
| Texaco | " " | 11.100 متر |
| Empresa Minera del Sahara | | 2.218 متر |
| I.N.I. | 1964 | لم يعلن عن نتائج تنقيبه |

إن إقدام الشركات البترولية المذكورة على التنقيب في الصحراء المغربية مع ما تكلفه عملية التنقيب من نفقات باهظة، دليل على أن هناك احتمالات كبيرة لوجود البترول في جوف أقاليمنا الصحراوية.

Direccion General de Marruecos y Colonias, *Prospecciones petroliferas en el Sahara,* Madrid, 1968.

محمد ابن عزوز حكيم

**البَجّ**، حيوان من الثدييات اللاحمة الكبيرة المنتمية إلى فصيلة السنوريات. اسمه العلمي Felis Serval Castantina, Forster, 1780. واسمه الشائع في المغرب هو البج والتفة وقط نمر و واكَرْزام بالبربرية.

إنه سنور وحشي مرقط، كثير الشبه بالقط، طويل الرأس، أذناه طويلتان وعريضتان في القاعدة. تكسوه فروة صحراوية اللون تتخللها شمامات مسودة، قصير الذيل (35 سم)، يبلغ طوله عند الغرب 55 سم وطوله جمعا بين الرأس والذيل 95 سم. صيغة أسنانه كالتالي : 3/3 قوارض 1/1 أنياب، 3/2 أضراس أمامية 1/1 أضراس = 30 سنا.

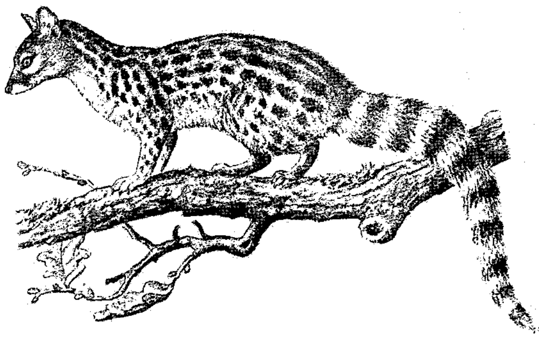

يعيش في السهوب والغابات والجبال التي يتعدى ارتفاعها 1.500 م. يصيد فريسته ليلا ويتغذى من الطيور والزواحف والقواضم والأرانب وصغار المجترات كالخرفان والغزلان. كثيرا ما يغزو مأوى الدجاج ويخلف أضرارا. تقدم إليه اللحوم والأسماك في حدائق الحيوانات.

تعيش على جلده كثير من الطفيليات نذكر من بينها البراغيث والقرادة والخيطيات.

تدوم مدة الحمل حوالي 3 أشهر وتستأنف الأنثى حرارتها الحيوانية بعد بضعة أسابيع من وضع صغارها البالغ عددها ما بين 2 و 4، يزن كل منها من 200 إلى 250 غراما.

يوجد هذا الحيوان في إفريقيا ولا يتعدى توزيعه الجغرافي خط عرض عشرين درجة شمالا. إنه نادر جدا في شمال افريقيا ويحتمل انقراضه في المغرب حيث كان يعمر في جنوب الأطلس الصغير. ذكر في ضواحي بين الويدان لكن بدون توضيح المكان.

تضم حديقة تمارة بضعة أفراد من هذا النوع.

إن فروته مرغوب فيها لصنع الملابس مما أدى إلى تقليص عدده في افريقيا.


أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، 193، ص 106.

J. B, Panouse, *Les Mammifères du Maroc*, Trav. Inst. Sci. Cherif, Sér. Zool, 5, 1975, 67-71 ; A. Lakhdar-Ghazal, M. Thevenot et J. P. Farthouat, *Faune du Maroc : Les Mammifères*, Inst. et. Rech. Arab., Rabat, 1975, 35-36 ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Trav. Inst. Sci. Sér. Zool, 1986.


محمد رمضاني

**البَجَاوي**، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر حيث انتقلت إلى تطوان على إثر الاحتلال الفرنسي لمدينة وهران، وقد انقرضت بتطوان سنة 1326 / 1908.


م .داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.


محمد ابن عزوز حكيم

**البجّاج**، محمد بن علي بن محمد المزامزي الشاوي، أحد العلماء الأعلام الذين عرفتهم بلاد الشاوية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وسمّاه مواطنه العربي العزوزي المزامزي هكذا : « الفقيه النوازلي العالم العلامة المفتي السيد البجّاج الشاوي البورزقي العروصي» فهو ينتمي إذن لفخذة أولاد عروص من قبيلة المزامزة. ويظهر أنه هو المقصود بالتعريف الذي قدمه العلامة محمد المنوني في ملتقى فنون الشاوية 1989. في إطار حديثه عن (*الوجه الثقافي للشاوية عبرالعصر الحديث*) حيث قال معرفاً ببعض علماء الشاوية خلال القرن التاسع عشر : «الشيخ محمد البجّاج بن علي بن محمد المزميزي البجّاجي، قرأ بسطات (...) ثم رحل لفاس».

أما ما يتعلق بثقافة الفقيه البجّاج ومساهماته العلمية، فقد ذكر العربي العزوزي أنه كان «كثير الأبحاث والمطالعة في النوازل الفقهية طارت فتواه في الآفاق ( *نشر المحاسن والمآثر*، ص 28)، كان بارعا في الإنشاء، الأمر الذي يدل على ثقافته اللغوية زيادة على تكوينه في العلوم الدينية.

ويبدو أن هذه الثقافة هي التي حفزت عالمنا إلى التطلع إلى الوظائف العلمية والمخزنية بمدينة سطات. فقد ذكر العربي العزوزي أنه تقلب في عدة وظائف دينية ومخزنية، ولعب دوراً مّا في بيعة الشاوية لمولاي عبد الحفيظ. وبعد احتلال الجيش الفرنسي للدار البيضاء في بداية غشت 1907، سارع بعض أعيان الشاوية إلى كتابة رسالة استغاثة لسلطان الجهاد حررها الفقيه البجّاج بمساعدة الفقيه بوشعيب بن عزوز (مارتان، *أربعة قرون من تاريخ المغرب*، ص 444). ووجهوها إلى مراكش طالبين من مولاي عبد الحفيظ أن يسرع إلى نجدة المجاهدين المواجهين لجيش الاحتلال بالدار البيضاء.

وقد ذكرالقاضي العربي العزوزي أن الفقيه البجّاج توفي وعمره يناهز 70 عاما، وأنه ترك ذرية صالحة بمدينة سطات.


ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية المشاهير*، مخطوط ؛ م. المنوني، *الوجه الثقافي للشاوية عبر العصر الحديث*، ضمت أعمال الملتقى الأول لفنون الشاوية، نشر وزارة الثقافة سنة 1989، تحت عنوان : *مدخل إلى تاريخ وفنون الشاوية*.

A. G. P. Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaine*.


علال الخديمي

**البجّاجين**، هناك خلاف في ضبط اسم المكان. فعند البكري يجاجين بالياء (ص 114)، وعند الزياني بالباء (ص 477). وهي مدينة مندثرة كانت تقع في الطريق الذاهبة من سبتة إلى فاس. يقول عنها الحميري إنها بمقربة من سبتة. ولكنها، حسب البكري تاتي بعد المرور من حجر النسر، ثم أفتس، ثم زهجوكة الواقعة بناحية القصر الكبير. ويصفها البكري بأنها "مدينة جيدة مفيدة على نهر عذب

بها جامع وأسواق وحمام ويعرف بالجبل الأشهب وهو على نهر سوسق، نهر كبير كنهر قرطبة وهي من بلد جنيارة". (ص 114) وهي إحدى مراكز الأمراء الأدارسة، إذ كان بها گنون بن محمد وتقع في بلاد بني مسارة من مصمودة. بالقرب من وزان على نهر ورغة أو على أحد روافده كما يفهم من النص. ولعلها هي نفس المدينة التي يدعوها الحسن الوزان أزجن التي تقع على بعد سبعين ميلا من فاس وتشتمل على خمسمائة كانون كما ينعتها بأنها "مدينة متحضرة جدا، فيها صناع يقومون بجميع الأعمال الضرورية. وهي جميلة تكثر فيها صهاريج الماء، وسكانها أغنياء" (ص307).

وقد حاول المستشرق دوسلان في ترجمته المعروفة للبكري أن يفسر اسم المدينة فجعله مركبا من ثلاث كلمات هي مدينة ـ يـُ ـ جاجين أولاها عربية وثانيتها بربرية وثالثتها عربية مبربرة بمعنى حجاج، فيكون الاسم يعني "مدينة الحجاج" (*Description de l'Afrique*, p. 224) وهو تخريج قابل للمناقشة.

أ. البكري، *المغرب* ؛ م. الحميري، *الروض المعطار* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ أ. الزياني، *الترجمانة الكبرى* ؛ ع. بنعبدالله، *معلمة المدن والقبائل*.

El Bakri, *Description de l'Afrique*, trad. De Slane.

محمد زنيبر

**بَجّة**، أسرة تطوانية أصلها من العرائش، وقد انقرضت بتطوان غير أنه مازال بهذه المدينة دار بحومة الجامع الكبير وبستان بزنقة الشمع يحملان اسم بجّة، والجدير بالذكر أن هذه الأسرة غير أسرة ابن بجة.

أ.الرهوني ، *عمدة الراوين*، 3 : 29، 4 : 109 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 41،40،39 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias ; Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بجّة** (ابن ـ )، أسرة ريفية الأصل استقرت بمدينة العرائش خلال العصر العلوي الأول. وقد عرفت بخدمتها للدولة منذ عصر السعديين حيث نجد أن أحد قواد المنصور السعدي بشمال البلاد كان يحمل نفس الاسم. كما ينتمي إلى هذه الأسرة العالم محمد بن بجّة العرائشي الذي عاصر المولى إسماعيل وعاش كذلك فترة الاضطرابات التي تلت وفاة هذا السلطان.

**بجّة مَحمد** بن عمر، كان تاجراً بارزاً من تجار نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. غادر مسقط رأسه العرائش عند أواسط دولة سيدي محمد بن عبدالله 1757ـ1790 واستقر بمدينة قادس الأندلسية حيث كان يزاول نشاطه التجاري. وعند بداية القرن التاسع عشر انتقل من قادس إلى جبل طارق حيث تابع نشاطه. ويُفسر هذا الانتقال تدهور العلاقات المغربية ـ الإسبانية على عهد المولى سليمان وتحسنها في المقابل مع انجلترا التي أصبحت الشريك التجاري الأول بالنسبة للمغرب. وبقي محمد بجّة بجبل طارق بقية حياته.

كان مَحمد بجّة خير مثال لفئة جديدة من التجار المغاربة الذين ارتبطت مصالحهم بالتبادل التجاري بين المغرب وأوربا خاصة بعد منتصف القرن الثامن عشر. وكان كذلك من التجار المغاربة القلائل الذين حققوا نوعا من النجاح إذ استطاع الاستمرار في نشاطه التجاري بأوربا مدة تناهز الخمسين سنة، مظهرا قدرة كبيرة على التكيف مع الأوضاع الأوربية المتقلبة. وهكذا استفاد من التقارب المغربي ـ الإسباني على عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله، لكنه استطاع كذلك أن يستفيد من التقارب المغربي ـ الانجليزي في عهد المولى سليمان بعد أن وصلت العلاقات التجارية مع إسبانيا إلى شبه قطيعة بسبب رفض هذا السلطان لاتفاقية 1799 المبرمة بين الحكومتين المغربية والإسبانية.

وبجبل طارق كان مَحمد بجّة يشرف على شؤونه التجارية الخاصة، ولكنه بقي وطيد الصلة بتجار بلده وخاصة تجار تطوان الذين كانت تجمعه بهم مراسلات منتظمة. ويظهر من خلال هذه المراسلات أن بجة كان يقوم بدورالممثل التجاري لمصالح العديد من تجار تطوان، فكان يخبر هؤلاء بحالة الأسواق الأوربية مقدما لهم بيانات عن ارتفاع أو نزول أسعار السلع، مستفسراً في نفس الوقت عن الأوضاع الاقتصادية بالمغرب وخاصة ما يتعلق بالفلاحة والجفاف ووفرة المحاصيل الزراعية أو تراجعها نظراً لارتباط ذلك بتجارة التصدير والاستيراد. وإلى جانب ذلك كان محمد بجه بحكم ارتباطه الوثيق بالمخزن يقدم للسلطان العديد من الخدمات، فينوب عنه في إبرام الصفقات التجارية بل ويقضي له من المهمات ما يدخل عادة ضمن اختصاصات الوكيل أو القنصل. لذلك فإن تعيينه في سنة 1815 قُنصلا للمغرب بجبل طارق لم يكن في الحقيقة إلا ترسيماً لمهمة كان يقوم بها في الواقع قبل ذلك التاريخ. وظل محمد بجه يزاول تلك المهمة إلى حين وفاته بالمستعمرة الأنجليزية عند أواخر شهر نونبر 1820.

ترك هذا التاجر وراءه ثروة طائلة قدرتها السلطات الانجليزية بخمسة وعشرين ألف جنيه استرليني. ويظهر أنه لم يترك وارثاً يرث هذه الثروة من بعده، الشيء الذي جعل المولى سليمان يطالب بهاصالح بيت المال، وهو الأمر الذي تم بعد مفاوضات لم تدم طويلا بين المخزن وسلطات جبل طارق.وكان السلطان آنذاك في أشد الحاجة إلى المال في وقت كان يواجه فيه تمرداً داخلياً خطيراً تمثل في إقدام بعض القوى المحافظة على مبايعة سلطان منافس في ظروف عرف فيها مخزن المولى سليمان شبه انهيار تام.

*وثائق وزارة المستعمرات البريطانية* (جبل طارق) ؛ *وثائق المديرية الملكية للوثائق بالرباط* (مراسلات امحمد بجة) ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 368.

محمد المنصور

**بجّعد** - جغرافيا.، مدينة أخذت اسمها - على ما يقال - من اسم الوادي الذي استقرت المدينة على جانبه والذي يُفترض أنه كان في الأصل مرتعا للذئاب (وأبو جعدة كنية للذئب) أوكان يكثر به نبات الجعدة الطيب الرائحة.

تقع مدينة بجعد في الجناح الشرقي لهضبة خريبكة الفسفاطية، على ارتفاع 670 م عن سطح البحر الذي تبعد عنه بنحو 140 كلم على خط مستقيم، بينما لايفصلها عن جبال الأطلس المتوسط سوى 40 كيلومترا. ونظرا لموقعها الداخلي هذا، فإن المدينة تعرف مناخا قاريا، يتميز بصيف طويل شديد السخونة والجفاف، وبشتاء قارس البرودة تتركز فيه جل أيام المطر المعدودة التي نادرا ما تتجاوز تهاطلاتها في المجموع 300 ملم في السنة.

وقد ارتبط ميلاد وترعرع مدينة بجعد بتاريخ الزاوية الشرقاوية التي تأسست حوالي منتصف القرن العاشر الهجري(16م)، مع بداية ظهور الدولة السعدية، على يد الشيخ أبي عبدالله محمد الشرقي. وقد استقرت أصلا على بعد نحو ميل إلى جهة الغرب من مقرها الحالي، في اتجاه مدينة وادي زم. غير أن المكان لم يعمر طويلا، إذ تعاقبت سنوات من القحط والمجاعة والوباء خلال العقد الأخير من القرن، فتسببت في نزوح أو وفاة العديد من أهل الزاوية وعلمائها ومتصوفيها ومريديها. وقد دفن بعض هؤلاء بعين المكان فغدت تعرف هذه المجموعة من المقابر والأضرحة باسم «قباب رجال الميعاد»، وهو مكان تم تسجيله ضمن المواقع الاركيولوجية بالمغرب القمينة بالدراسة الأثرية.

وبانتقال الزاوية إلى مقرها الحالي، انطلق عمران مدينة بجعد. ذلك أن الزاوية الشرقاوية، لما استأنفت نشاطها مع مستهل القرن السابع عشر، كانت الأوضاع السياسية العامة قد تغيرت بشكل واضح بالمقارنة مع الفترة السابقة. فإضافة إلى تناقص التهديد التركي في جهة الشرق، كان الضغط الأوربي قد خف كثيرا على السواحل المغربية بسبب انشغال أوربا بحرب مدمرة طاحنة (حرب الثلاثين سنة التي امتدت بين 1618 و 1648) من جهة، وتمكن الأوربيين من الاتصال بالسودان مباشرة، دون وساطة المغرب، من جهة ثانية. وكان من شأن كل هذه التغيرات أن تراجعت بوضوح أهمية عامل الجهاد في نشاط الزوايا التي أصبحت لذلك تسعى أكثر فأكثر إلى تقوية نفوذها السياسي وتوسيع رقعة سلطتها، يشجعها في مسعاها هذا حالة الضعف المتزايد التي راحت تظهر على السلطة المركزية مع تفسخ الدولة السعدية.

ونظرا لوجود بجعد من جهة، في منتصف الطريق بين عاصمتي المغرب، فاس ومراكش، ومن جهة أخرى عند اتصال مناطق متنوعة ذات وزن بشري واقتصادي هام (الأطلس المتوسط شرقا، وبلاد زعير وزيان شمالا والشاوية وهضبة ورديغة غربا وتادلا جنوبا)، فإن الزاوية الشرقاوية راحت تتمتع بموقع استراتيجي بالغ الأهمية. وقد فسح تراجع ثم انقراض الزاوية الدلائية (العقد السابع من القرن 17) المجال أمام الزاوية الشرقاوية، التي تنشر هي كذلك

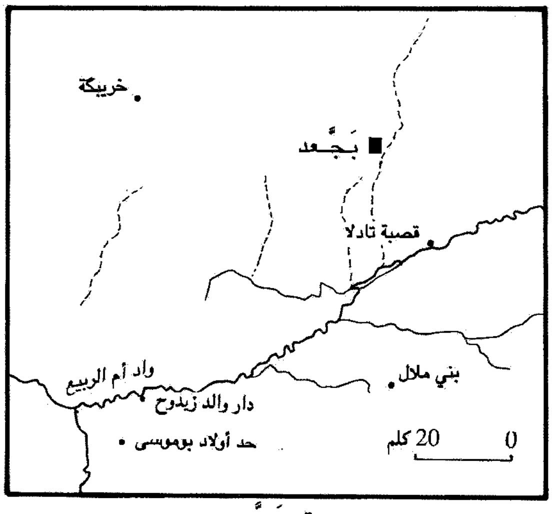


موقع بَجّعد

تعاليم الطريقة الجزولية، لكن توسعت رقعة نفوذها عن طريق إنشاء فروع ومراقبة الأسواق والتوسط بين القبائل المحلية وبين هذه السلطة المركزية. وبذلك أصبحت تدريجيا قوة روحية واقتصادية وسياسية محلية لها ثقلها في ميزان الصراع على السلطة، كما أخذت بجعد تبرز كأهم مركز ثقافي وتجاري عبر كل المجال الممتد بين فاس ومراكش، يؤمه الطلبة والعلماء والمتصوفة من أصقاع قريبة وبعيدة، وتمر به القوافل ويقصده التجار، مما عمل على استقرار المزيد من السكان بالمدينة وتوسع عمرانها.

وأدت حالة القلاقل والفتن والفوضى الشاملة، التي عمت المغرب زهاء ثلاثين سنة إثر وفاة السلطان المولى إسماعيل، إلى تمرد العديد من القبائل وتزايد نفوذ الزوايا بها، إلى أن تمكن السلطان محمد بن عبد الله من تكسير شوكتها بتثبيت الأولى وإجبارالثانية على الاقتصار على وظيفتها الروحية والثقافية دون القيام بأي نشاط سياسي. وكانت زاوية بجعد من بين تلك التي تعرضت لحملة تأديبية من طرف السلطان، مما أسفر عن تدمير جزء كبير من الزاوية وطرد جل الوافدين عليها ونفي شيخها إلى مراكش.

وتلت هذا الحادث فترة ركود نسبي استمرت نحو أربعة عقود. ثم زالت الأزمة بعد وفاة السلطان المولى سليمان وتخلي خليفته عبد الرحمان بن هشام عن البرنامج الوهابي الإصلاحي المناهض للزوايا والطرق. فانتعشت مدينة بجعد من جديد بانتعاش الزاوية الشرقاوية التي تعاظم شأنها أكثر من ذي قبل بين قبائل المنطقة، حتى غدت من أقوى الزوايا بالمغرب، لا تقل أهمية ونفوذا عن الزاوية الوزانية.

فخلال رحلة شارل دوفوكو (Charles de Foucauld) الاستكشافية *Reconnaissance au Maroc* التي قام بها عبر المغرب في 1883، يصف مدينة بجعد بأنها تعج بالزوار والحجيج الوافدين على الزاوية الشرقاوية من كل القبائل

المحيطة بهاعلى مسافة يومين من المشي، حاملين معهم مختلف أصناف الهبات والهدايا، نقدا وعينا، قصد التقرب بها لأهل الزاوية، ونيل بركة شيخها بنداود. كما كانت قبائل المنطقة (بني زمور والسماعلة و ورديغة والشاوية وتادلا وأيت يسري بالأطلس المتوسط...) تؤدي الإتاوات للشيخ مقابل حمايته ورعايته لها. وكان هذا الأخير يحتفظ بعلاقة جيدة مع السلطان الحسن الأول الذي دأب على إرسال هدية هامة إلى الزاوية كل سنة، وهو ما كان يفلعه أيضاً أصحاب النفوذ وجهاء القوم بفاس ومراكش وغيرهما.

وقد مكنت كل هذه المنح والعطايا المختلفة والمتلاحقة على عقود كثيرة أهل الزاوية الشرقاوية من تكديس ثروات وإعالتهم حشداً كبيراً من الخدم والعبيد الذين كانوا يشكلون الجزء الأكبر من سكان المدينة ؛ كما أن تقاطر الزوار والحجاج وتواتر القوافل بالزاوية التي كانت تأخذها تحت رعايتها وتؤمن سفرها عبر مجال نفوذها الواسع سمح باستقرار بعض التجار والصناع وأصحاب الخدمات المختلفة، من ضمنهم طبعا عدد من اليهود.

وتظهر مدينة بجعد، في أواخر القرن الماضي، مكونة من أربع وحد ات سكنية متميزة في جهة الغرب، حي الزاوية بالذات، حيث يقطن الشيخ وأهله الأقربون، في منازل فخمة ذات الطراز المعماري الأصيل أسوة بما يوجد في الحواضر المغربية، وسط رياض وبساتين. إلى ناحية الجنوب، نمت تدريجيا، بمحاذاة هذه النواة الأصلية، عدة أحياء كل منها حول مدفن جديد لشيخ من شيوخ الزاوية فيسمى الحي باسمه، مثل درب القادريين (نسبة إلى الشيخ عبد القادر) ودرب الغزاونة (الشيخ الغزواني) ودرب عرباوة (الشيخ العربي) وغيرها ؛ تقطنها الأسر الشرقاوية الأخرى ومن لها نوع من القرابة والانتساب إليها، وكذا أسر العلماء وبعض أعيان القبائل المرتبطة بالزاوية. ثم إلى ناحية الشرق، تنتشر، عبر أراض مهملة، أكواخ ومنازل بسيطة مبنية بالطين والقش، حيث يعيش غالبية سكان المدينة من أتباع الزاوية وخدامها وكذا صغار الفلاحين والتجار والحرفيين. وأخيراً يتجمع اليهود (حوالي 200 نسمة) في حارتهم بالشمال الشرقي.

إلى جانب هذه الأحياء السكنية المختلفة، تتوفر المدينة على عدة مرافق دينية وثقافية، أهمها الزاوية وخزانتها، والمسجد العتيق مع المدرسة المرتبطة به. وتشهد بجعد نشاطا استثنائيا أيام الخميس بمناسبة انعقاد السوق الأسبوعية التي تجتذب إليها الزبناء من كل القبائل المجاورة قصد اقتناء مختلف السلع المغربية والأجنبية التي تأتي بها القبائل من فاس والدار البيضاء لتعود محملة إلى هذا الميناء ببعض منتجات المنطقة للتصدير.

إذا كانت بجعد تملك هكذا كثيراً من أوجه الشبه مع غيرها من المدن المغربية، فإنها كانت تختلف عن هذه الأخيرة بافتقارها إلى بعض المعالم الحضرية الأساسية آنذاك من أهمها : عدم توفرها على موارد مائية، إذ إن غالبية المنازل كانت تتزود بالماء من آبار بعيدة نسبيا أو تختزن مياه المطر في أحواض خاصة ؛ غياب التنظيمات المهنية والإدارية ؛ عدم وجود سور يحيط بالمدينة، لأن هذه الأخيرة لم تكن في حاجة إلى تحصين نفسها ضد قبائل كانت هي التي تسعى إلى اكتساب الحماية والأمان من الزاوية، إلا أن هذا لم يمنع من تحصن الأحياء الكبرى (الدروب) بأبواب عند مداخلها تغلق ليلا.

يظهر أن هذه الاوضاع لم تتغير كثيراً فيما بعد، رغم أن سكان المدينة تزايد بشكل هام. فعندما وقعت بجعد في قبضة القوات الفرنسية سنة 1913، قدرت سلطات الاحتلال حجم سكانها بنحو 4.000 إلى 7.000 نسمة، أي ثلاث إلى أربع مرات ما قدره (1.700 نسمة) دوفوكو قبل ثلاثين سنة. والراجح أن جزءاً كبيراً من هذا التكاثر السكاني جاء نتيجة لتوافد أفواج من أبناء القبائل المجاورة، تحت ضغط الزحف العسكري الفرنسي، بغية الاحتماء بالزاوية.

وعلى عكس تادلا والشاوية المجاورتين حيث وضع المعمرون الأوروبيون أيديهم على مساحات فلاحية واسعة واستقروا بأعداد هامة في المدن والمراكز، فإن الجالية الأوروبية ببجعد ظلت دائما محدودة جداً ولم تشهد أرياف قبائل بني زمور المحيطة بالمدينة أي توسع فلاحي يذكر نظرا لفقر أراضيها وجفافها وعدم توفر إمكانية ريها. غير أن تبدل الأحوال الاقتصادية والاجتماعية بصفة عامة نشط الهجرة إلى المدينة التي تضاعف عدد سكانها خلال الفترة الاستعمارية ليناهز 12.000 نسمة قبيل الاستقلال.

واحتد التكاثر السكاني بوتيرة أسرع خلال العقود الأربعة المنصرمة، فبينما اختفت الجماعة اليهودية وتلاشت الجالية الأوروبية، نما عدد المغاربة بمعدل 2.45٪ سنويا بين 1960 و1971، بل بمتوسط 78 و3٪ بين 1971 و1982، ليدنو من 40.000 نسمة عند مطلع التسعينات.

تطور عدد السكان بمدينة بجعد خلال القرن المنصرم :

| السنة | المغاربة | الأوروبيون | اليهود | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| ** 1883 | 1.300 | 0 | 200 | 1.700 |
| ** 1913 | 6.500 - 3.600 | 0 | 500 - 400 | 7.000 - 4.000 |
| * 1926 | 7.731 | 138 | 1.010 | 8.879 |
| * 1936 | 9.324 | 134 | 753 | 10.211 |
| * 1952 | 10.395 | 186 | 808 | 11.389 |
| * 1960 | 14.423 | 89 | 216 | 14.728 |
| * 1971 | 18.819 | 2 | 17 | 18.838 |
| * 1982 | 28.298 | 10 | 0 | 28.308 |

ولم يأت هذا النمو السكاني السريع نتيجة لحيوية اقتصادية أو لتعزز وظائف المدينة، بل مرده أساسا إلى احتدام هجرة الأرياف الفقيرة المجاورة التي عانت من عدة سنوات من الجفاف والقحط قضت على المحاصيل الزراعية وأهلكت المواشي وجعلت جل العيون والآبار تغيض أو تنضب. فجماعات بني باتاو وبني زرنتل والشقران وتاشرافت المحيطة ببجعد أرسلت الجزء الأكبر من زيادتها الديمغرافية الطبيعية إلى هذه المدينة بحيث لم تنم إلا بنسبة

2٪ كمعدل سنوي بين 1960 و1971 وفقط 0,73٪ بين 1971 و1982.

فالهجرة الوافدة إلى بجعد هي أساساً هجرة الفقراء، بينما غادر المدينة جل عناصرها الميسورة، الشيء الذي انعكس بقوة على عمران المركز وأنشطته، ورغم كونها مُنحت وضعية مركز مستقل منذ السنوات الأولى من الاستقلال، ثم ارتقت إلى عاصمة دائرة على المستوى الإداري منذ أزيد من عقد خلا، فإن بجعد لم تحصل على تصميم تهيئة معمارية إلا في عام 1987، الشيء الذي ترك توسع المباني يتم بشكل عشوائي طيلة عقود، مخلفاً بيئة حضرية غير منتظرة.

فانتشار البناء الهزيل غير القانوني على نطاق واسع لم يخفف أزمة السكنى الحادة بالمدينة التي تعاني أيضا من عجز فادح في التجهيزات الأساسية الضرورية، فلسكانها وسكان دائرتها الإدارية (أي زهاء 90.000 نسمة) لم تكن المدينة تتوفر ، وذلك حتى بداية التسعينات، سوى على سبع مدارس ابتدائية وثلاث إعداديات وثانويتين ومركزين للتكوين المنهي ومركز صحة واحد (به 22 سريرا) . كما أن شبكات توزيع الماء والكهرباء والتطهير لم تكن تخدم أكثر من 60 إلى 70٪ من مجموع سكان المدينة،، في حين تظل شبكة الطرق المعبدة ناقصة جداً.

كذلك تتميز أنشطة السكان بغلبة الفئات المهنية المتواضعة. فهناك نسبة لابأس بها من السكان الذين يعيشون من موارد الفلاحة، إما عن الريع (امتلاك الأرض أو الماشية) أو بممارسة الزراعة مباشرة. ولاتزال أيضاً بهذه المدينة العريقة نسبة هامة ممن يشتغلون بحرف عتيقة من أهمها الحياكة ونسج الزرابي والخياطة التقليدية والطرازة، وكذا صناعة الفخار التي يزيد الإقبال على منتجاتها في مناسبة عاشوراء. وهناك بقايا لحرفة الدباغة وصنعة الجلد التي كانت مزدهرة خلال القرن الماضي. ونظراً لتوفر المادة الأولية محليا بكثرة، تتعدد بالمدينة (درب الكواشة) وحولها أفران الجير الذي انتعش إنتاجه تبعا لحركة البناء. كما أن هذه الأخيرة قد عملت على تنشيط حرف النجارة والصباغة وغيرها. ويفسر تكاثر السكان في بيئة تندر فيها موارد الماء السطحية أهمية من يحترفون حفر الآبار بالمدينة وحولها.

إذا كانت هذه الأنشطة التقليدية منها والمحدثة، تشغل نحو ألف من الحرفيين فإن التجارة تبقى هي قطاع الشغل الرئيسي بالمدينة حيث تتعدد أنواع من تجارة المكاسرة البسيطة الموجهة لتلبية الحاجيات الأولى لسكان ذوي طاقة شرائية ضعيفة، وتتميز غالبيتهم بأسلوب عيش ريفي (تجارة وتغذية ولباس وتجهيز منزلي بسيط...). وما شابهها، تنتشر عبر أنحاء المدينة، مع تركز أكبر في القديمة منها، وبالخصوص في النواة العتيقة وكذا في السوق الحضري الحديث بالشارع الرئيسي ؛ ثم السوق الأسبوعي الذي تباع به، كل خميس، أعداد هائلة من رؤوس الماشية (خاصة الغنم والماعز) وكميات كبيرة من المنتجات الفلاحية المحلية والسلع المختلفة، مما تمثل عائداته المصدرالأساسي لتمويل ميزانية المركز المستقل.

في الجملة، يظل اقتصاد مدينة بجعد هشا للغاية. فليس هناك مؤسسات صناعية تساعد على تخفيف وطأة البطالة. ورغم توفر هذه المدينة التاريخية على معالم عمرانية عتيقة وبعض النشاط الحرفي التقليدي، فإن حركة السياحية لا تكاد تذكر بها إذا ما استثنينا ما تستقطبه الزاوية الشرقاوية من زوار، خاصة في نهاية الصيف. غير أن الزاوية تراجعت مكانتها كثيراً على الصعيدين الجهوي والوطني. فحتى الثلاثينات من هذا القرن، ظلت بجعد أهم مركز تجاري وثقافي في كل المنطقة الفاصلة بين مراكش وفاس. لكن انطلاق استغلال الفسفاط بهضبة ورديغة من جهة، ثم توسع الري العصري بتادلا من جهة أخرى، وضعا بجعد على هامش الاقتصاد العصري، وساعدا على نمو مراكز حضرية أفضل موقعا وأكثر حيوية تميزت بإيقاع سكاني أسرع. وهكذا بعد أن كانت بجعد تحتل الرتبة الخامسة عشرة بين مجموع المدن المغربية والدرجة الأولى بين كافة مدن المنطقة في 1936، تراجعت حاليا إلى الدرجة الخمسين على الصعيد الوطني والرتبة التاسعة على المستوى الجهوي، بعد كل من مدن خريبگة وبني ملال وخنيفرة ووادي زم ولفقيه بن صالح وقلعة السراغنة وقصبة تادلا وسوق السبت.

*إحصائيات السكان لسنوات 1936، 1952، 1960، 1971، 1982 : منوغرافية الجماعة الحضرية لبجعد.*

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; J. Brignon (et al...), *Histoire du Maroc*, Hatier, 1967.

عبد اللطيف فضل الله

**بَجْعْد** - تاريخ - ويقال أيضا أبو الجَعْد وبُوجَعْد، مركز حضري شمال غربي قصبة تادلا فوق تراب بني زمور في وسط سهل صخري قليل الماء. قامت شهرته على وجود الزاوية الشرقاوية ولم يكن عدد سكانه يبلغ ألفين عندما مر به دوفوكو عام 1883، عشرهم من اليهود. وقد وصفها مارتي Marty عام 1908 وقدر سكانها بثلاثة آلاف، لا يحيط بهم سور، وإن كانت الأزقة ذات أبواب كبرى. ونواة هذا التجمع هي الزاوية حيث سكنى العائلات الشرقاوية وتحيط بها أحياء الخدام. وكان بالمدينة مسجدان كبيران وأربع قبات لأضرحة أجداد سيدي بنداود.

كان بهذه المدينة في بداية القرن تسعة أحياء تنسب لسيدي الغزواني وسيدي المكناسي وسيدي العربي وسيدي عبد القادر وسيدي عبد السلام وسيدي الغراري ولبني زمور، وكان منها حي سيدي علي آهلاً بالشرقاويين، أما حي الملاح فكان به ما يزيد عن ثمانين داراً.

كانت بجعد مركزاً دينياً وسياسياً بتادلا ، تكاثر سكانه بلجوء عدد من المتظلمين، كانوا يقيمون خياماً حول المدينة، وجلهم من ورديغة وبني مسكين والشاوية وبعض

أهل الجبل. وكان المرابط الأشهر في بجعد في نهاية القرن التاسع عشر هو سيدي بنداود وكانت له جل أملاكها.

لم يكن مرابطو بجعد مرتاحين لتوافد الأجانب، وقد كان هؤلاء المرابطون يملكون عام 1908 خمس مجموع الأبنية، متمتعين بإعفاءات مخزنية.

كان لبجعد موقع مهم في طرق الاتصالات والمبادلات القديمة ولاسيما بين تادلا والأطلس والساحل وبين مراكش وفاس، لكن طرقها كانت في أوقات ضعف السلطة محفوفة بالمخاطر ولا بد فيها من خفارة أو ضمانة بعض المرابطين.

اشتهرت بجعد بصنائع يدوية متميزة ولا سيما في ميدان نسيج الألبسة والستائر والأغطية والزرابي، وبسوق تنعقد يوم الخميس، وكذا بتجارة دائمة في حوانيت صغيرة تتمون من الدار البيضاء بالبضائع الأوروبية منذ بداية هذا القرن، وكانت محطة في مبادلة هذه البضائع بما يرد عليها من بضائع الجبل كالصوف والجلود.

احتلت القوات الاستعمارية مركز بجعد في نهاية أبريل 1913 وتحددت ملحقته الإدارية عام 1918.

جرت في بجعد أعمال استصلاح عديدة في عهد الحماية غيرت من مظهر المدينة وتضاعف عدد سكانها المبادلات التجارية ثلاث مرات.

*وثائق خاصة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 183، 194 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ أ. بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، 69 ـ 76.

J. Cimetière, *Notice sur Boujad, R. G. M.* t : 24, p. 277-89 ; C. Peyronnet, *Tadla, R. G. M.* 1922 ; *Rapports mensuels du Protectorat*, Avril 1913, Janvier 1914, Août 1917, Fevrier 1917, Mars 1928 ; D. Eckelman, *Morocco's Islam*.

**البجعدي**، محمد بن أبي القاسم بن محمد السجلماسي، أخذ عن الحسن بن رحال وعبد العزيز الهلالي وغيرهما، وصفه صاحب *الإعلام* بأنه كان متفننا مشاركاً نظاراً في الفقه.

أخذ عنه جماعة منهم محمد العربي بن المعطي الشرقاوي وأحمد بن عبد العزيز الهلالي وأحمد بن عامر المعداني. من مصنفاته *شرح العمل الفاسي وفتح الجليل الصمد في شرح التكميل المعتمد*، وهو شرح النظم الشهير *بالعمل المطلق*، وشرح المنظومة المسماة *باليواقيت الثمينة فيما انتهى لعالم المدينة*.

سكن محمد بن أبي القاسم بجعد إلى أن أمره السلطان سيدي محمد بن عبد الله بسكنى الرباط للتدريس بجامعها. توفي في رمضان عام 1799/1214 ودفن بجوار قبر سيدي المعطي الشرقاوي ببجعد.

ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 6 : 155.

المالكي الملكي

**بَجْدي** سلام صديق، ولد سنة 1931 بدوار أفيس فرقة اجعونة بني عمارت إقليم الحسيمة. انخرط في صفوف جيش التحرير بتاريخ 6 أكتوبر 1955 وعمل في الوحدة التي كان يرأسها محمد بن علال بوزينب إلى أن ألقي عليه القبض من طرف جنود الاستعمار فقتلوه صبراً بمركز بوزينب يوم 3 نونبر من سنة 1955.

*وثائق المندوبية السامية للمقاومة*.

عز الدين العلام

**البجلية** (شيعة سوس)، منذ أن ظهرت الحركة الشيعية إبان أزمة الخلافة في صدر الاسلام، وهي تتفرع إلى فرق ومذاهب كثيرة، لم يستطع أصحاب *الملل والنحل* كالشهرستاني وابن حزم أن يحصوها.

والبجلية إحدى الفرق الشيعية التي ماتزال غامضة في تاريخ الفرق الاسلامية، إذ أن المصادر المتخصصة في هذا المجال لم تتحدث بشكل مسهب عنها، فالشهرستاني في *الملل والنحل* لم يذكر فرقة البجلية من بين فرق الشيعة التي ذكرها، رغم أنه أشار إلى ذكر سعيد البجلي وهو يتحدث عن فرقة المغيرة الشيعية "أصحاب المغيرة بن سعيد البجلي الذي أحرقة خالد بن عبد الله القسري حوالي 120 هـ" (1 : 294 ـ 297).

ولما اشتد بطش الأمويين بالفرقة الشيعية انتقلوا إلى شمال افريقيا، شأنهم شأن الخوارج والفرق المضطهدة الأخرى. ،من بين هؤلاء الشيعيين ـ حسب الروايات التاريخية الإسلامية ـ إدريس بن عبد الله الذي انتقل إلى المغرب ليؤسس دولة الأدارسة، وبعد وفاة إدريس الأزهر وزع ابنه عبد الله بن إدريس في بداية القرن الثالث (9 م). المناطق المغربية على إخوته، ومنهم عبد الله بن إدريس الذي اختص بسوس واتخذ مدينة اكلي مقراً له ثم أصبحت ضريحا له.

في هذه الفترة تتحدث المصادر بشكل غير دقيق ومتناقض أحياناً، عن مذهب متفرع عن الشيعة هو البجلية، انتشر في تارودانت ومحيطها. وفي هذا الإطار يقول البكري (القرن الخامس) وهو يتحدث عن جبل درن : "قبيل يقال لهم بنو لماس وكلهم روافض ويعرفون بالبجليين، نزل بين ظهرانيهم رجل بجلي من أهل نفطة قسطيلية قبل دخول أبي عبد الله الشيعي يقال له محمد بن ورستد، فدعاهم إلى سب الصحابة رضوان الله عليهم وأحل لهم المحرمات (...) وأن الامامة في ولد الحسن لا في ولد الحسين، وكان صاحبهم إدريس أبو القاسم بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن إدريس، (البكري، ط. دوسلان، 160، 161).

وفي القرن السادس يشير الإدريسي في *نزهة المشتاق* (ص 79) إلى نفس المذهب الشيعي دون ذكر اسم البجلية : "وأهل سوس فرقتان فأهل مدينة تارودانت يتمذهبون بمذهب المالكية من المسلمين وهم حشوية، وأهل بلد تيويون (تيوتيون) يقولون بمذهب موسى ابن جعفر وبينهم أبدا القتال والفتنة...".

وفي ذكر (شنع الشيعة) أشار ابن حزم في *الفصل* (4 : 140) إلي ماورد عند البكري مع شيء من الاختلاف : "... وفي الكيسانية من يقول إن الدنيا لا تفنى أبدا منه

طائفة تسمى النحلية نسبوا إلى الحسن بن علي بن ورصند النحلي كان من أهل نفطة من عمل قفصة وقسطيلة من كورافريقية، ثم نهض هذا الكافر إلى السوس في أقصى بلاد المصامدة فأضلهم وأضل أمير سوس أحمد بن إدريس بن يحيى بن إدريس ابن عبد الله بن الحسن بن علي ابن طالب. فهم هناك كثير السكان في ربط مدينة السوس معلنون بكفرهم وصلاتهم خلاف صلاة المسلمين، ويقولون إن الإمامة في ولد الحسن دون ولد الحسين...".

أما المختار السوسي فلم يتوسع في ذكر البجلية نظراً لقلة المصادر ولتناقضها، فهو يقول في *سوس العالمة* (ص. 17) :"كما كان هناك في تارودانت بعض أحفاد الأدارسة رافعاً لواء النحلة التي سميت فيما بعد البجلية على حين أن جبال جزولة تخالفها وتتشبث بما عند أهل السنة" ويضيف في الهامش "وقد كان معروفاً أن تلك النحلة رسخت هناك في أول الرابع بمساعي علي بن عبدالله البجلي."

يجد الباحث نفسه وهو يحاول دراسة البجلية بسوس أمام نزر قليل من المعلومات متناثرة في مصادر ومراجع أحياناً متناقضة وغامضة.

أمام هذه الوضعية لا يمكن لهذا الباحث أن يستنتج الشيء الكثير عن هذا المذهب الشيعي بسوس الذي ماتزال آثاره بادية إلى الآن في الذاكرة الشعبية لهذا المجتمع. إذ يستمر الاعتقاد لدى الناس بأن فرس "سيدنا علي" مر في مناطق معلومة بسوس (كراكير من الأحجار" يعتقدون أن صورته موجودة في القمر. وفي مقابل هذا التقديس نجد أن اسم "علي" يحتل مكاناً مشؤوماً في تلك الذاكرة فنجد "علي ايجان" (الخانز) "علي إيوردن" يعني (على المقوس).... (طالب علي) علي الثعلب...

وبالرغم من ذلك يمكن القول إن الفترة الممتدة ما بين ضعف الأدارسة بتوزيع أقاليم المغرب على أبناء إدريس الثاني حوالي 213 هـ وبداية ظهور المرابطين حوالي 430 هـ أي نحو قرنين من الزمن، شهدت منطقة سوس فترة غامضة، ظهرت خلالها حركة البجلية، ولعلها انتقلت من إكلي عاصمة عبد الله بن إدريس إلى تارودانت التي بدأ اسمها يتكرر في مصادر تلك الفترة بشكل كبير رغم أن وجودها أقدم من ذلك بكثير، ولا يستبعد أن تكون إمارة بجلية قد تأسست في تارودانت وانتهت بدخول المرابطين إليها.

على أن ما قيل لم يعد أن يكون إثارة الانتباه إلى ظاهرة تاريخية مازالت بكرا تستحق البحث والتنقيب.

الشهرستاني، *الملل والنحل* ؛ ابن حزم، *الفصل في الملل والنحل* ؛ أ. البكري، *المسالك والممالك* ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*.

محمد حنداين

**بَجَن**، أو زغلال - كما يسمى في المغرب - سمك صغير من العظميات ومن فصيلة البجن أو البطريخيات Cyprinodentidae. يعيش في البحيرات والأنهار والصهاريج ومجاري السقي وهو شبيه بالشيوط Cyprinus لكنه أصغر منه. ويسمى في مصر بطريخ وبطحيش. ويعرف موطنه الأصلي بأمريكا، وأدخل إلى عدة دول في نطاق محاربة داء الملاريا الذي ينقله البعوض (الناموس) للإنسان.

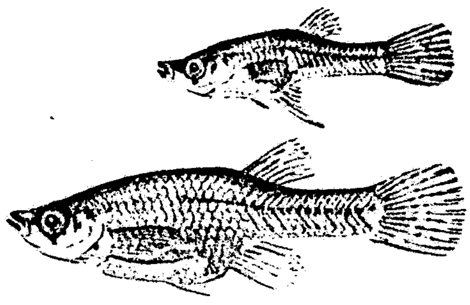

أغلب الأنواع تنتمي إلى جنس Cyprinodon، والنوع الشائع في أنهار وبحيرات المغرب هو Gambusia affinis، زعانفه هشة ولا يملك الخط الجانبي الذي يميز باقي الأسماك. تتميز الأنثى ببطن كبير ويبلغ طولها 6 سنتمترات بينما لا يتعدى طول الزوج 3,5 سنتمترات. تحولت الزعنفة الشرجية عند الذكرإلى عضو التناسل ويصير بالغا ما بين 6 و 12 شهراً. تلد الأنثى 3 أو 4 مرات في السنة وتضع ما بين 10 و 80 صغيرا.

إنه سمك بيوض ولود وهو من أشد الأسماك فتكا بدعاميص البعوض.

م.الشهابي، *معجم*.

B. J. Muss et P. ~~Dahistom~~, *Guide des poissons d'eau douce et pèche*.

محمد رمضاني

**البجوقي**، أسرة تطوانية نجهل أصلها، وكل ما نعرفه عنها أنه كانت لها دار بحومة الترنكات سنة 1841/1257 حسب ما جاء في الإحصاء الذي جرى بالمدينة في السنة المذكورة، بالإضافة إلى أنه كان بحامية تطوان سنة 1844/1260 جندي يدعى : البجوقي أحمد.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 351 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوزحكيم

**بجير**(ابن -)، من المؤرخين المغمورين الذين استفاد منهم ابن عذاري في *البيان المغرب*الجزء الخاص بالدولة الموحدية. فنحن نجهل اسمه الكامل وتاريخ ميلاده وتاريخ وفاته، ولا أدل على قيمته من كون ابن عذاري يقرن رواياته بأهم المصادرمثل البيذق وابن صاحب الصلاة وغيرهما. ولا نجد له ذكرا في الأبحاث البيبليوغرافية المعاصرة مثل *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* لعبد السلام ابن سودة و *المصادر العربية لتاريخ المغرب* لمحمد المنوني.

والظاهر أنه عاش في عهد يعقوب المنصور، إذ يورد له

قطعة شعرية مدح بها الخليفة الموحدي لما بادر إلى إراقة الخمر وقطع المناكر، يقول فيها :

رضيع ثدي العلم طال رضاعه — لها وهي ليست تستطيع فصاله
أقام حدود الله في كل موطن — واعمل فيه رعيه واهتباله
فأنهل بطن الأرض منه وعله — وقد منعت أيدي الورى أن تناله
وبدد منه كل ما فيه شبهة — ولم يبق إلا حلوه وحلاله(ص 173)

فهو في هاته القطعة يظهر لنا كشاعر من شعراء المنصور. وتعبيره وأسلوبه يدل على مستوى من الإتقان والإجادة. ونفترض هنا أن المنصور ربما كلفه أواقترح عليه أن يؤلف كتابا في تاريخ الموحدين هو الكتاب الذي ينقل عنه ابن عذاري تفاصيل مهمة تتعلق بمطاردة عبد المومن لتاشفين بن علي عند وفاة علي بن يوسف سنة 537، حيث يذكر المراحل التي مر منها جيشه بين فاس ووهران، مروراً بتلمسان. كما يقدم تفاصيل عن الوضعية الصعبة التي وجد فيها تاشفين نفسه وهو محاصر داخل وهران. كما تحدث عن عودة عبدالمومن من وهران إلى تلمسان وفتكه بأهلها. ويتحدث كذلك عن دخول عبد المومن إلى سلا، وهو في طريق عودته إلى مراكش سنة 540.

والظاهر من بعض عباراته أنه لم يكن يؤمن بالمهدي. وليس في هذا ما يثير سخط المنصورالمعروف، هو أيضاً، بعدم اعتقاده في المهدي.

ع. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ مجهول، *الحلل الموشية*.

محمد زنيبر

**البحاترة**، عمارة من عمائر قبيلة عبدة الثلاث هي : البحاترة وآل عامر والربيعة. وتعتبر البحاترة أكبرهم، وتشتمل على مجموعة من الأفخاذ والبطون (انظر خريطة رقم : 1) فقد قسمها الصبيحي في *باكورة الزبدة* إلى ثمانية أفخاذ هي : غياث وأولاد سلمان والدرابلة وثمرة والحجوش والزع والأولاد وأولاد بركة.

بينما قسمها الكانوني إلى ستة بطون هي : آل غياث وأولاد سلمان ودرابلة وثمرة وأولاد زيد واشجع. وجعل كل بطن تحته أفخاذاً وفصائل.

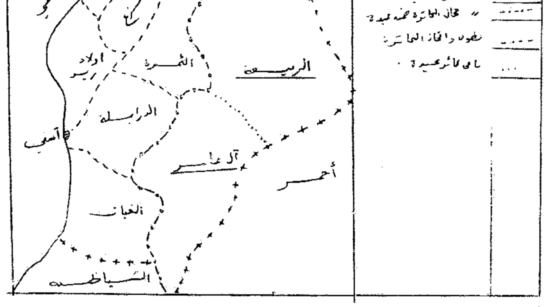


بطون البحاترة داخل مجال قبيلة عبدة

تمتد البحاترة على طول الشريط الساحلي لقبيلة عبدة، من دكالة إلى الشياظمة. وتشكل بذلك محيطاً لمدينة أسفي من كل جهاته البرية، إذ تعتبر البحاترة أحوازاً لها، وتعادل مساحتها مجموع مساحة كل من الربيعة وآل عامر (أي حوالي 1750 كلم) وبذلك تعدّ أكبر عمائر عبدة مساحة. والبحاترة بفعل موقعها ومؤهلاتها الطبيعية والبشرية كانت مرشحة دون بقية العمائر الأخرى لزعامة قبيلة عبدة، أو على الأقل للاستقلال بإمكانياتها.

أصل البحاترة : لا شك أن اسم البحاترة من الأسماء العربية المعروفة، إذ لا يستبعد أن يكون له ارتباط بأصول الجماعة العربية التي استقرت بهذه الجهة، ومن المحتمل أن يكون أصل الاسم "البحاترة" نسبة إلى أبي العمارة أو كبيرها "البحتري" وهو اسم عربي، ومعروف أن العرب كان من عادتها أن تتوسع في إطلاق اسم كبير الجماعة على القبيلة أو العمارة أو الفخذة كلها. وقد يكون الفرع المنتسب إلى "البحتري" هو الذي استوطن هذه الجهة التي عرفت باسمه ثم تحول الاسم إلى صيغة "البحاترة".

ويشير صاحب *التشوف* إلى أن المنصور الموحدي لما خرج إلى افريقية سنة 1186/582، نقل جمهور القبائل العربية من بني هلال، واستقرت جموعهم بالمغرب، ومنهم سفيان من بني جابر "واتصلت الرياسة على سفيان من بني جرمون... وكان سفيان هؤلاء حيا حلولا بأطراف تامسنا مما يلي أسفي" ومعلوم أن بني جرمون هم بطن من بطون آل عامر الذين كانت فيهم الرآسة على قبيلة عبدة، واستمرت إلى حدود منتصف القرن التاسع عشر.

الصراع بين البحاترة وآل عامر : ظلت عبدة عموماً بكل عمائرها، لمدة طويلة، خاضعة لزعامة الجرامنة ومنهم القائد الأشهر عبدالرحمان بن ناصر العبدي، الذي تولى قيادة عبدة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله جمادى الأولي عام 1777/1191،وولده محمد بن عبدالرحمان، ثم الحاج حمان الجرموني، الذي عرف بسيرته الحسنة، وكان له خلفاء على سائر عمائر وبطون عبدة منهم محمد بن الغنيمي الخليفة على عمارة البحاترة. وبعد موت الحاج حمان الجرموني وتولية ابنه فضول بن حمان الجرموني سنة 1845/1261 قامت عمارة البحاترة ضده ورفضت توليته وخرجت عليه سنة 1847/1264، فقام القائد فضول بن حمان بعصبية إخوانه الجرامنة من بطن آل عامر لإخضاع البحاترة، ووقعت بينهما منازعات وحروب أثرت على كل مكوّنات عبدة، وامتد أثرها إلى مدينة أسفي، وحاول عامل آسفي محمد بن عزوز التدخل للصلح بينهما، لكن بدون جدوى، ولما استفحل الأمر قام الخليفة السلطاني بمراكش سيدي محمد بن عبدالرحمان بتجهيز جيش نزل به على عبدة، ولما سمع البحاترة بذلك انحازوا للبحر شمال أسفي وتحصنوا بالكهوف، فحاول الخليفة أن ينبههم إلى سوء فعلهم بواسطة الشرفاء الغنيميّين، ويحضهم على الرجوع إلى الطاعة لكن البحاترة ازدادوا نفوراً، فتقدم إليهم الخليفة

ودارت الحرب بشدة، وكان القائد قد أخذته الغيرة من أعمال السبي والفتك فأوعز إلى إخوانه الذين في طاعته بإعانة البحاترة، ولما رأوا منه ذلك أذعنوا للطاعة، فخمدت الفتنة، ودخلت عبدة بما فيها البحاترة في الطاعة من جديد.

ولا شك أن هذا الصراع هو تعبير عن بداية انفجار المكونات التي كانت تجمع قبيلة عبدة تحت زعامة أو قيادة واحدة. كما أنه يعكس رغبة في انتزاع الرآسة من أسرة أولاد جرمون التي ظلت تحتكرها لمدة طويلة، ولعل هذه المعطيات المستجدة هي التي أملت على الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبدالرحمان أن يقوم بإعادة ترتيب أوضاع قبيلة عبدة وتقسيمها إلى ثلاث قيادات تستجيب لطبيعة التوزيع العصبي الذي كانت تعرفه قبيلة عبدة.

ظهورالبحاترة كقيادة مستقلة عن باقي مكونات عبدة : أصبحت البحاترة تنعت في المراسلات المخزنية باسم "قبيلة البحاترة" عوض عمارة البحاترة، وتمشياً مع ذلك، لم يعد مفهوم القبيلة الجامد الموروث عن العرب، بل لعله اتخذ من اصطلاح المخزن نوعاً من "التنظيم الاداري" ولم يعد يساير المفهوم اللغوي للكلمة.

صاحَبَ هذا التقسيم ظهورُ تحولات اجتماعية وسياسية داخل مكونات عبدة، وبرزت داخل البحاترة عصبية فخذة الثمرة التي ظهرت بها أسرة عيسى الگوتي التي كانت بفعل ثرائها مرشحة لمشيخة هذه الفخذة ثم لقيادة البحاترة فيما بعد، وإليها ينتمي أول قائد عينه الخليفة السلطاني بمراكش سيدي محمد بن عبدالرحمان، بعد التقسيم المذكور على قيادة البحاترة، وهو أحمد بن عيسى الگوتي.

وتفيد السجلات والكنانيش الخاصة بقبيلة البحاترة في خ. ح أنها كانت تتمتّع بمؤهلات طبيعية وبشرية تفوق ما كان لسائر القيادات الأخرى، إذ كانت تدفع وحدها سنوياً ماقدره 15.000 مثقال أي مجموع ما تقدِّم قيادتا الربيعة وآل عامر اللّتان تتقاسمان الباقي وهو 7.500 مثقال لكل واحدة. كما كانت تقدم الفرسان للحركات المخزنية، (مائة فارس يستعملهم المخزن كمخازنية ومسخرين، وأحيانا يستعملهم في تعمير مناطق بنواحي مراكش كأيت سعادة، أو بداخل القصبة المنشية بمدينة مراكش). كما تعززت مشاركة البحاترة في الحركات السلطانية، وكان نصيبها يساوي مجموع ما تقدمه قيادتا الربيعة وآل عامر.

إلاّ أن نصيب البحاترة من إنتاج الحبوب، بالمقارنة مع آل ربيعة، كان ضعيفا، وذلك راجع إلى أن جانباً كبيراً من مساحتها كان يمتد على طول الشريط الساحلي، وهو ذو طبيعة صخرية أو رملية، ولا يشكل الجزء الفلاحي إلا شريطاً انتقالياً هو ما يطلق عليه محليا اسم "الحصبة".

وتفيد كنانيش خرص قبائل عبدة لسنة 1307 و 1309 أن قبيلة الربيعة ذات التربة الخصبة من التيرس، كانت تحتل الصدارة في إنتاج الحبوب بالمقارنة مع قبيلة البحاترة.

مثلا، خرص قبيلتي البحاترة والربيعة ما بين سنتي 1307 و 1309.

| | | |
|---|---|---|
| الربيعة | 906 خروبة قمح | 651 خروبة شعير |
| البحاترة | 94 خروبة قمح | 37 خروبة شعير |

وخضعت البحاترة منذ استقلالها كقيادة عن باقي مكونات عبدة إلى زعامة ثلاثة قوّاد، هم :

أحمد بن عيسى الگوتي (1854.1847)

محمد بن عمر بن عيسى الثمري (1879.1854)

عيسى بن عمر العبدي (1914.1879)

انتفاضة أولاد زيد من قبيلة البحاترة : أولاد زيد فخذة من أفخاذ البحاترة تمتد على طول الساحل المحادي للمحيط الأطلنتي وعلى اتصال بمدينة أسفي، ولها منفذ بحري طبيعي (كاب كانتان) كما تتوفر على مؤهلات فلاحية هامة بسبب خصوبة تربتها وامتدادها على طول المنطقة المسماة محليا "الحصبة" هذه العوامل جعلت فخذة أولاد زيد مرشحة لمواجهة الشطط الذي كان يمارسه القائد وعصبيَّته من فخذة الثمرة التي كان بعض أفرادها يمارسون نفوذهم على باقي أفراد القبيلة ويجدون حماية وسنداً من القائد، واحتفظت الذاكرة الشعبية بقولة مأثورة في هذا الصدد تقول : "مائة جمرة وجمرة، ولا حر الثمرة".

ترتبط انتفاضة أولاد زيد بالوضع العام المضطرب الذي عرفه الحوز عموماً بعد وفاة السلطان مولاي الحسن (1894/1311) وما ترتب عن ذلك من قيام القبائل ضد عمّالها وقوادها خصوصاً بالحوز. حيث "امتدت أيدي القبائل لنهب ديار العمال بالبادية وتخريبها وسبي نسائهم وأولادهم وهتك عوراتهم" ( *تلخيص*، 46). وتأثرت قبائل عبدة بهذه الظروف. فقامت قبيلة الربيعة ضد قائدها الشافعي بن الحافظي الذي كان غائباً في فاس "فهدموا داره وهتكو حريمه وفعلوا الأفاعيل التي تستحي منها الإنسانية" ( *علاقة أسفي*، 108) وكان قائد البحاترة آنذاك، عيسى بن عمر العبدي يتوقع أن يجد مثل ذلك من قبيلته، وأن يقع بداره وأهله ما وقع لأمثاله، لكن بعد عودته، وجد قصبته في أمان وعلى أحسن حال، "فأظهر للقبيلة كل انعطاف ورضى، وجزى كبرائهم عن حسن استقامتهم خيراً، وسرح المساجين وألآن الكلمة وخفض الجناح" ( *فضائح*، 3) لكن سرعان ماطرأ تحول مفاجئ على سياسة القائد إزاء المقربين والأعوان من عصبيته، حيث سلك موقف الحذر والاحتراس منهم جميعاً، وصار يقرِّب إليه تدريجياً غير فرقته بل غير قبيلته، واعتمد على أفراد من قبيلة دكالة وآخرين من قبيلة احمر، وأمدهم بالخيل والسلاح احتياطاً حتى لا يقع له ما وقع لسائر قواد الحوز خلال هذه الفترة. ومما زاد من استفحال التوتر بين القائد وفخذة أولاد زيد محاولته تهميش دورهم داخل القبيلة، خصوصاً بعد أن أمر "بتجريدهم من الخيل والسلاح" (نفس المصدر والصفحة) وكانت هذه المبادرة منه تستهدف إضعاف شوكة أولاد زيد،

لكنها كانت تتناقض مع الأعراف والتقاليد التي كانت لدى القبائل، حيث إن الخيل والسلاح يعدان إحدى دعائم الجماعة داخل القبيلة ولا يمكن التخلي عنهما، فقامت فخذة أولاد زيد، وانتفضت ضد قائدها بزعامة أحد شيوخها الحاج محمد بن ملّوك بتاريخ 12 محرم 1313/يونيو 1895.

حاول القائد عيسى بن عمر العبدي في بادئ الأمر معالجة الوضع بنوع من الليونة إلا أن أولاد زيد كانوا عازمين على القيام ضد سلطته، وكتبوا إلى السلطان مولاي عبدالعزيز يطلبون منه بواسطة عامل أسفي حمزة بنهيمة عزل القائد المذكور وتولية غيره مكانه، وصاروا يُغيرون على ممتلكاته وأعوانه ويحرِّضون السكان ضده، فوقعت مجابهات ومنازلات بين الفريقين في عدة جهات من قبيلة البحاترة، سرعان ما انتقلت إلى ضواحي أسفي وألحقت أضراراً بالسكان.

تدخل السلطان لوضع حدّ لانتفاضة أولاد زيد، فأعطى أوامره لعامله حمزة بنهيمة، لكي يتوسط من أجل الصلح بين الطرفين، لكن هذه المبادرة لم تحظ بالنجاح، مما دفع بالسلطان إلى تدعيم موقف القائد، وبذلك توفّر لديه إمكانية القضاء على انتفاضة أولاد زيد عشية يوم 15 جمادي الأولى عام 1313/أكتوبر 1895. وأكد بذلك قائد البحاترة جدارته وقوته، وأصبح يتمتع بثقة السلطان وحظوة وزيره أحمد بن موسى. وتمكن بعد ذلك من تهدئة أحوال عبدة عموماً، وهذا ما جعله مرشحاً لتولّي قيادة كل قبائل عبدة حيث أضيفت إلى قيادته على البحاترة كل من الربيعة وآل عامر، وذلك سنة 1896، فتوحدت بذلك من جديد عبدة تحت قيادة واحدة إلى بداية العهد الاستعماري.

دام اندماج البحاترة تحت قيادة واحدة مدة 17 سنة، عرفت بعدها تغييراً في تقسيمها "الإداري" وذلك مع بداية العهد الاستعماري، حيث قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية، لأسباب متعددة، بإجراءات تقسيم عبدة إلى خمس قيادات وفقاً لقرار صدر بتاريخ أكتوبر 1913. وبناء على ذلك قسمت البحاترة إلى ثلاث قيادات هي : بحاترة الشمال، بحاترة الجنوب، الثمرة (انظر خريطة رقم : 2).

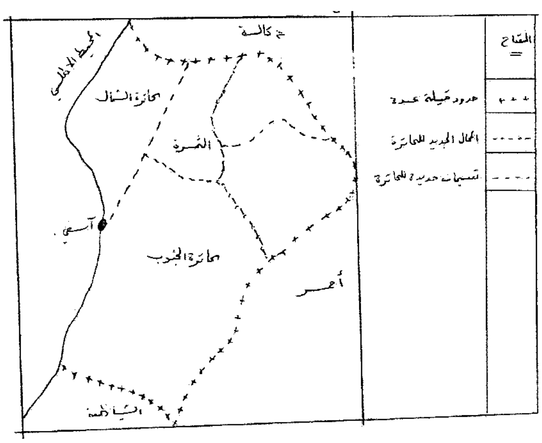


التقسيم الجديد للبحاترة في بداية العهد الاستعماري

بحاترة الشمال : تمتد في معظمها على أراضي صخرية ساحلية، تبلغ مساحتها حوالي 600 كلم وتضم ثلاثة أفخاذ هي : أولاد زيد والزع والحجوش، ويبلغ عدد سكانها 23.723 ن (إحصاء 1926) وعين على رأسها الزرهوني بن الحاج محمد ملوك.

بحاترة الجنوب : تتألف من الشريط الساحلي الجنوبي لعبدة، الممتد من أسفي إلى الشياظمة، الذي يمتاز عن الساحل الشمالي بأرضه الخصبة وتبلغ مساحته 850 كلم، وتضم ثلاثة أفخاذ هي : الدرابلة، أولاد سلمان، الغياثة، ويبلغ عدد سكانها 5.703 ن (إحصاء 1926) عين على رأس قيادتها في الأول محمد ولد عيسى بن عمر العبدي 1914 ثم حل محله القائد محمد العربي الوزاني 1917-1927.

الثمرة : تمتد بجوار دكالة في الشمال، وتتفاوت مؤهلاتها بين الشمال والجنوب. ففي الشمال، ساحل صخري يشغل كل الجهة الممتدة ما بين مول البرگي ودكالة، مساحتها لا تتعدى 300 كلم. وفي الجنوب تربة خصبة من نوع "الترس" أو "الحرش" ذات أهمية فلاحية. عدد سكانها لا يتعدى 9.954 ن (حسب إحصاء 1926) وبذلك تعدّ القيادة الأقل أهمية من التقسيم الجديد. أسندت قيادتها في بادىء الأمر إلى القائد "الشيخ" عيسى بن عمر العبدي إلى نهاية 1914 ثم انتقلت إلى ابنه محمد إلى حدود سنة 1918 ثم إلى ابن آخر هو الحاج إدريس ولد عيسى بن عمر العبدي 1920. ثم انتقلت إلى القائد الزرهوني بن الحاج محمد بن ملوك.

م. الكانوني، *أسفي وما إليه ؛ علاقة أسفي ونواحيها بملوك المغرب*، مخطوط خاص ؛ أ. الصبيحي، *باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة*، مخطوط خ. ع. رقم 1503 د، ومخطوط خ. ص. رقم 434 ؛ *صلحاء أسفي وعبدة*، مخطوط خ. ص. 418 ؛ *فضائح القائد عيسى بن عمر*، مخطوط خ. ص. رقم 108 ؛ عبدالقادر بناني، *تلخيص ما عليه المعول من أخبار مَن بالمغرب من الدول*، مخطوط خ. ح. رقم 1027 ؛ م. فنيتر، *قواد الجنوب الكبار. نموذج : القائد عيسى بن عمر العبدي* (1879-1914) د. د. ع. الرباط 1988 وضمنها مجموعة من الوثائق والمسندات المعتمدة في البحث.

مصطفى فنيتر

**البَحّارْ** أو البَحَرْ، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة وادراس الجبلية، وهي غير أسرة البحري. والجدير بالذكر أن هناك ولياً صالحاً من أسرة البقالي اسمه سيدي عبد السلام، ويعرف بسيدي عبدالسلام دْ البْحَر حيث يوجد ضريحه على شاطئ البحر المتوسط بالضفة اليمنى لمصب وادي مرتيل (انظر : *البقالي*).

أ.الرهوني، *عمدة الراوين*، 1 : 115 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

Editée par

DAR AL AMAN

**Dar Al Aman - Rabat**
Kingdom of Maroc - 4, Zanaka Mamouniat - Rabat
Tel.:+212 5 37 72 32 76 / +212 5 37 26 37 87
Fax.:+212 5 37 20 00 55
e-mail: libdarelamane@yahoo.fr

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

3

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

DAR AL AMAN

**Dar Al Aman - Rabat**

1ere Edition 1989 / 1410
2eme Edition 2014 / 1435

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

4

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

1411- 1991

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 629

بسم الله الرحمن الرحيم

تشكر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر منظمة اليونيسكو والشركة الشريفة للبترول على مساهمتهما في إصدار هذا الجزء من معلمة المغرب

نشكر الزملاء الأساتذة، والمؤسسات التالية على ما قدموا للمعلمة من صور ورسوم :
- الخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
- الخزانة العلمية الصبيحية، سلا
- خزانة الأستاذ محمد ابن عزوز حكيم، تطوان
- مديرية التراث بوزارة الشؤون الثقافية، الرباط
- قسم الخرائطية بوزارة الفلاحة، الرباط
- المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير، الرباط
كما نشكر الأستاذ عبد الرحمان الفلاذي الذي رسم الخرائط.

# المشاركون في تحرير مواد حرف الباء

ميلود **أحمص**، كلية الآداب، مراكش
محمد **أديوان**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **أربيب**، وزارة التربية الوطنية
شفيق **أرفاك**، باحث، الرباط
محمد **أزهار**، كلية الآداب، المحمدية
أ. ح. **أُسادن**، طبيب، فاس
سعيد **أعراب**، المعهد الأصلي، تطوان
الحسين **أفا**، كلية الآداب، أگادير
عمر **أفا**، كلية الآداب، الرباط
الحسين **أقيوح**، مهندس، الرباط
عبد العزيز **أكرير**، كلية الآداب، بني ملال
عبد اللطيف **أكنوش**، كلية الحقوق، الدار البيضاء
محمد **ألحيان**، المركز الوطني لتنسيق البحث العلمي، الرباط
إبراهيم **ألوزاد**، كلية الآداب، فاس
علي **أمهان**، وزارة الشؤون الثقافية
حسن **أميلي**، كلية الآداب، المحمدية
حمدي **أُنوش**، كلية الآداب، أگادير
محمد **أوجامع**، كلية الآداب، مراكش
مبارك **أوسديد**، كلية الآداب، الرباط
عبد الحميد محيي الدين **الباعمراني**، كلية اللغة العربية، مراكش
محمد **البايك**، كلية اللغة العربية، مراكش
ثريا **برادة**، كلية الآداب، القنيطرة
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب، المحمدية
سعيد **برڤاد**، مهندس بمكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية
محمد **بريان**، كلية الآداب، الرباط
عبد اللطيف **البرينسي**، كلية الآداب، بني ملال
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب، الرباط
الحسين **البعاوي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **البقالي يدري**، باحث
عبد السلام **البكاري**، باحث
أحمد **بلاوي**، كلية الآداب، مراكش
محمد **بلعربي**، باحث، الرباط
عائشة **البلغيتي العلوي**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب، القنيطرة
البضاوية **بلكامل**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد الأمين **بلگناوي**، باحث، الرباط

محمد **بنبراهيم**، كلية الآداب، وجدة
أحمد **بنجلون**، باحث، الرباط
ماجدة **بنحريبط علمي**، كلية الآداب، بني ملال
الحسن **بنحليمة**، كلية الآداب، أگادير
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب، المحمدية
عبد اللطيف **بنشريفة**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بنشريفة**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد العزيز **بنعبد الله**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد المجيد **بنعبد الله**، مهندس بوزارة الفلاحة
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين، سلا
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب، بني ملال
عمر **بنميرة**، كلية الآداب، الرباط
عثمان **بناني**، كلية الآداب، الرباط
لطيفة **بناني سميرس**، كلية الآداب، فاس
عبد المجيد **بنيوسف**، الخزانة العامة، الرباط
أحمد **بوجداد**، وزارة الشؤون الإدارية
الزبير **بوحجار**، باحث
أحمد **بوحسن**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بوخبزة**، قسم المخطوطات في خزانة تطوان
فاطمة **بوخريص**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **بُودَّة**، مهندس، الرباط
عبد القادر **بوراس**، وزارة التربية الوطنية
رحمة **بورقية**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب، فاس
عبد القادر **بوسحابة**، مهندس، الرباط
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب، المحمدية
مصطفى **بوشعراء**، مديرية الوثائق الملكية، الرباط
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب، الرباط
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب، مكناس
عبد العزيز **بوعصاب**، المركز التربوي، القنيطرة
العربي **بوعياد**، باحث، الرباط
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **بومزگو**، باحث
جامع **بيضا**، كلية الآداب، الرباط
أحمد شوقي **بينبين**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **التمسماني خلوق**، كلية الآداب، الرباط

محمد **تميم**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرةو الرباط
عبد العزيز **توري**، مديرية التراث بوزارة الثقافة
أحمد **التوفيق**، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط
عبد القادر **تيمول**، باحث، الرباط
**محمد جادة**، خزانة كلية الآداب، الرباط
**حسن جلاب**، كلية اللغة العربية، مراكش
**الحسين جهادي**، وزارة التربية الوطنية
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية، الرباط
محمد أيت **الحاج**، وزارة التربية الوطنية
جعفر ابن **الحاج السلمي**، كلية الآداب، تطوان
**حسن الحافظي**، باحث
محمد **حجي**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب، وجدة
فاطمة **الحراق**، كلية الآداب، الرباط
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب، الرباط
حمادي **حضيكي**، مهندس بمفاحم المغرب
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب، فاس
محمد **حمام**، كلية الآداب، الرباط
محمد أيت **حمزة**، كلية الآداب، الرباط
**محمد حنداين**، باحث
علال **الخديمي**، كلية الآداب، الرباط
**سعيد خليل**، كلية الآداب، أگادير
**عبد العزيز الخمليشي**، كلية الآداب، الرباط
**أحمد الخنبوبي**، باحث، بوردو
إسماعيل **خياطي**، كلية الآداب، الجديدة
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم، الرباط
مارية **دادي**، كلية الآداب، وجدة
**محمد دحماني**، كلية الآداب، وجدة
عبد الله **درقاوي**، مركز تكوين المفتشين، الرباط
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب، القنيطرة
**محمد رابطة الدين**، كلية الآداب، مراكش
عبد الرحمان **رحو**، كلية الآداب، فاس
**محمد رحو**، كلية الآداب، فاس
**حسن رحيوي**، مهندس بمفاحم المغرب
محمد **رزوق**، كلية الآداب، الدار البيضاء 1
مبارك **رضوان**، كلية الآداب، أگادير
**محمد الرقاص**، كلية الآداب، الرباط
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي، الرباط
محمد **زرهوني**، كلية الآداب، الدار البيضاء 1
محمد **زكور**، كلية علوم التربية، الرباط
محمد **زنيبر**، كلية الآداب، الرباط
قاسم **الزهيري**، باحث، الرباط
عبد النبي **زين العابدين**، باحث
عبد الله **ساعف**، كلية الحقوق، الرباط
رشيد **السلامي**، كلية الآداب، مراكش
عبد اللطيف **الشاذلي**، عمادة جامعة مولى إسماعيل، مكناس
**أحمد الشرقاوي إقبال**، باحث، مراكش
**أحمد الشرقي**، باحث، مراكش
**محمد شقرون**، كلية الآداب، الرباط

محمد **الشياظمي**، باحث، الرباط
فاطمة الزهراء **الصبيحي** - العلوي، متحف الآثار، الرباط
عبد الحق **الصدق**، كلية الآداب، وجدة
علي **صدقي أزيكو**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرزاق **الصديقي**، كلية الآداب، المحمدية
خالد بن **الصغير**، المدرسة العليا للأساتذة، الرباط
محمد **طوزي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد حجاج **الطويل**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **الطيلسان**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **الطيبي**، باحث
عبد العزيز بن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة
محمد بن **عبود**، كلية الآداب، تطوان
عبد الفتاح أبو **العز**، كلية الآداب، بني ملال
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث، الرباط
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب، الرباط
عز الدين **العلام**، المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير
إسماعيل **العلوي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **العلوي الأوفوسي**، وزارة التربية الوطنية
هاشم **العلوي القاسمي**، كلية الآداب، فاس
أحمد **عمالك**، كلية الآداب، مراكش
صفية **العمراني**، كلية الآداب، مراكش
أحمد **العماري**، كلية الآداب، فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **الغزالي**، كلية الآداب، فاس
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب، القنيطرة
حليمة **فرحات**، كلية الآداب، الرباط
عبد اللطيف **فضل الله**، كلية الآداب، الرباط
حسن **الفكيكي**، كلية الآداب، القنيطرة
مصطفى **فنيتر**، باحث
خالد **القادري**، وزارة المالية
عبد الرحمن **القادري**، كلية الحقوق، الرباط
محمد مصطفى **القباج**، أكاديمية المملكة المغربية
محمد **القبلي**، عمادة جامعة عبد الملك السعدي، تطوان
عبد المجيد **قدوري**، كلية الآداب، الرباط
محمد **كربوط**، كلية الآداب، الرباط
علي **كريمي**، كلية الحقوق، الرباط
عبد القادر **كعيوا**، **كلية الآداب**، الدار البيضاء 1
محمد حسن **كفناني**، باحث
العربي **كنينح**، **المدرسة العليا للأساتذة، فاس**
محمد **الگير**، **وزارة التربية الوطنية**
ميشال **لاڤون**، باحث
حسن **اللبادي**، باحث
محمد **لبحر**، كلية الآداب، فاس
محمد **اللحية**، كلية الآداب، **أگادير**
عبد الرحمن **لخصاصي**، باحث
أحمد أمزال **لعسري**، باحث
علي **لغزيوي**، كلية الآداب، فاس

أحمد **لقمهري**، كلية الآداب، الرباط
رامون **لوريدو**، باحث، طنجة
سيمون **ليفي**، كلية الآداب، الرباط
حسن **ليمان**، باحث
محمد **المازوني**، كلية الآداب، أگادير
محمد **ماگامان**، كلية الآداب، مراكش
الملكي **المالكي**، وزارة التربية الوطنية
أحمد **متفكر**، باحث، مراكش
الحسين **المجاهد**، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط
محمد **مجدوب**، كلية الآداب، المحمدية
الحسن **المحداد**، كلية الآداب، أگادير
علي **المحمدي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **مرزاق**، وزارة التربية الوطنية
العربي **مزين**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **مزين**، كلية الآداب، فاس
أحمد **مزيان**، كلية الآداب، فاس
محمد **مستاوي**، باحث، الرباط
محمد العربي **المساري**، سفير المغرب في البرازيل
عبد الله **المصلوت**، مديرية التعليم العالي، الرباط
محمد **مطيع**، كلية الآداب، مراكش
آمنة **معطى الله**، وزارة التربية الوطنية
محمد **مغراوي**، كلية الآداب، أگادير
محمد **مفتاح**، كلية الآداب، الرباط
محمد **مقدون**، كلية الآداب، فاس
محمد **الملحاوي**، باحث
عبد الرحمان **الملحوني**، باحث، مراكش
محمد **المنصور**، كلية الآداب، الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب، الرباط
محمد **منيوي**، المعهد العلمي، الرباط
جواد **المهدي**، باحث، الرباط
عبد الرزاق **مولاي رشيد**، كلية الحقوق، الرباط
المصطفى **مولاي رشيد**، كلية الآداب، الرباط
شاكر **الميلود**، باحث
محمد **الناجي**، باحث
مصطفى **ناعمي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب، الرباط
زهراء **النظام**، كلية الآداب، الرباط
محمد الحبيب **نوحي**، كلية الآداب، أگادير
عبد الجليل **الهجراوي**، متحف الآثار، الرباط
المختار **الهراس**، كلية الآداب، الرباط
عثمان **هناكا**، كلية الآداب، أگادير
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب، مراكش
علي **واحدي**، كلية الآداب، فاس
أحمد **الوارث**، باحث
عبد الرحيم **وطفة**، باحث
مصطفى **يعرف**، باحث
سالم **يفوت**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **اليوبي**، كلية الآداب، بني ملال

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ . | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

**بَحَاير مراكش الموحدية**، يقصد بالبَحيرة - في اللسان الدارج المغربي - البستان والجنان أو الأرض الفلاحية المخصصة أساساً للمغروسات من فواكه وخضر، وهي مناظر فلاحية منها مايوجد حتى داخل سور المدينة ( *التشوف*، 317).

ارتبطت بداية هذه البحاير عضوياً بزمن تأسيس مراكش اعتباراً بأن المكان كان قبل ذلك "خلاء لأ أنيس به" ( *البيان*، 4 : 19). وقد ذكر الإدريسي أن مراكش في صدر بنائها لم يكن خارجها سوى بستان واحد ( *وصف*، 43) ولعله يقصد الأراضي الفلاحية جنوب السور المعروفة ببحيرة الصالحة. واعتباراً لأهمية المنجزات المائية التي عرفتها المدينة في عهد المرابطين، اتسع المجال الفلاحي المحيط بها ( *وصف*، 43 : 44) وتم إنشاء بحاير خاصة في شرقها جوار وادي إغزر (ايسيل حالياً)(*Marrakech*, 1 : 88).

وقد عرف المجال الفلاحي الواقع خارج سور مراكش خلال فترة حكم الموحدين خاصة في عهد الخلفاء الأوائل منهم تطوراً كبيراً، تجلى في تشكيل حزام أخضر محيط بالمدينة "وحولها من البساتين والجنات التي يسمونها البحاير العظمى مالا يحصى كثرة" ( *الاستبصار*، 210)، وهذا يفيد انشغال الموحدين بإيجاد مجال حيوي لعاصمتهم، التي كانت تعرف نموا متزايداً في عدد سكانها ( *البيان*، قسم الموحين، 153)، يضمن التزود بالحاجيات الفلاحية المختلفة، ويشكل عنصراً لتلبية متطلبات كمالية كالنزهة والترويح عن النفس ( *المن*، 347).

في هذا الإطار يلاحظ تكرار وتعدد المصطلحات والتعابير التي لها صلة بهذا الجانب مثل : البحيرة، الجنان، البستان، الضيعة، المنتزه، الغابة. كمناظر فلاحية تحيط بالمدينة في هذه الفترة، يضاف إلى ذلك مجموعة أخرى تتعلق بأنواع الإنتاج مثل : الزيتون، الرمان، أعناب، ثمرات، فواكه. ومنها ما يهم حصيلة الإنتاج، حيث توجد ضيع تحمل مضمون القلة والكثرة والوفرة والكفاية والنقص، إضافة إلى بعض تقنيات الإنتاج كالسواقي.

على أساس ذلك يتبين أن المدينة كانت تتوفر على مناظر فلاحية (بحاير) يمكن تقسيمها من الناحية الجغرافية إلى أربع مجموعات تبعاً لواجهات السور الأربع :

مجموعة أولى : في الشمال : تشمل بساتين ومنتزهات ذكرها العمري أمام باب فاس ( *ورقات*، 305.304)، ثم ضيعات وبساتين تاووتي التي كانت إحداهما في ملك رئيس الطلبة ( *الذيل*، 170.1.8)، إلى جانب بحاير أخرى متفرقة (التشوف، 304).

مجموعة ثانية : في الغرب : من أبرز بحايرها، تلك التي أنشأها عبد المومن وتوجد أمام باب نفيس ( (*الاستبصار*، 210)، ثم بحاير المخالص ( *البيان*، قسم الموحدين، 332) ومجموعات بساتين ومنتزهات أمام باب دكالة ( *ورقات*، 304 ؛ *التشوف*، 474).

مجموعة ثالثة : في الجنوب : حيث بساتين المخزن الموحدي المتصلة مباشرة بالقصبة، وتضم ما تبقى من بحيرة الصالحة، ثم بستان المسرة الذي أنشأه عبدالمومن ( *الحلل*، 146.145)، إلى جانب البحائر التي أضيفت على عهد المنصور ( *الاستبصار*، 210)، حيث شكلت مجتمعة ما عرف بأگدال. وجنوبها كانت توجد بحيرة بولحرب ( *البيان*، قسم الموحدين، 450).

مجموعة رابعة : في الشرق : هي بحيرة الرفايق ( *نظم*، 118) ثم بحيرة الطلبة وبحيرة يطي ( *البيان*، قسم الموحدين 434.389) ثم بحيرة أبي مروان ( *التشوف*، 317). وجنى أمغار ( *أخبار*، 78) ولعل بحيرة الناعورة كانت توجد أيضا في هذه الواجهة ( *التشوف*، 469).

وتمكّن الإشارات المتوفرة من التمييز بين نوعين من ملكية البحاير :

- ملكية المخزن : وتشمل بني عبدالمومن ( *الاستبصار*، 210) وأعوانهم ( *الذيل*، 170.1.8) والمقرّبين إليهم ( *الحلل*، 149)، ويمثل هذا النوع من الملكيات أهم البحاير سواء على مستوى المساحة أو التجهيز.
- ملكية الخواص : كانت مهمة أيضا. من مؤشرات ذلك أن مجموعة من الضياع كانت في ملك شخص واحد يسمى محمد ولد علي ويكنى بالذيب إضافة إلى 12.000 قنطار من الزيت، والرجل كان بعيداً عن المهام المخزنية ( *الذيل*، 178.1.8).

وقد تميز الإنتاج بالتنوع، فهناك : الأعناب والرمان والنارنج وفواكه وخضر مختلفة، وكان الزيتون أبرز هذه المنتجات ولعل لذلك علاقة بكون هذه المادة إلى جانب تلبيتها للحاجيات اليومية للمدينة، أصبحت تدخل ضمن مواد التبادل في تجارتها ( *الاستبصار*، 210)، ومادة ضرورية لبعض الحرف الموجودة بها مثل معاصر الزيت (*Marrakech*, 1 : 135)، وصناعة الصابون ( *وصف*،45).

أما من حيث الكم، فالوفرة، تبدو السمة الغالبة على المنتجات، والأثمنة عادية بالنسبة لزمانها، خاضعة في ذلك لأحوال الاستقرار وعدمه (*الحلل*، 146) وللتقلبات المناخية (*البيان*، قسم الموحدين 16).

هذه الصورة الجديدة للمدينة تعكس تحولا بيئياً في المجال. فقبل سنة 1070/462 كانت النعوت التي يوصف بها هذا الأخير لا تخرج عن : الخلاء، السدر، الحنظل (*البيان*، 4 : 19) الرمضاء، العطش، (*الاستبصار*، 210) بينما أصبح ينعت خلال النصف الثاني من القرن السادس(12 م) بأنه "أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعناب وفواكه وجميع الثمرات" (*الاستبصار*، 210).

ولعل بعض أسباب هذه التحول يمكن إرجاعها إلى ما يلي :

- أهمية الأشغال الهيدروليكية التي حلت مشكل الماء الشروب للمدينة ومياه السقي لمحيطها الفلاحي بواسطة تقنيات الخطّارات والصهاريج والسواقي، ومكنت من خلق مساحة مسقية بالحوز الأوسط - الذي يشكل مجال مراكش - ارتفعت من 5.000 هكتار خلال النصف الأول من القرن السادس(12 م)، إلى 15.000 في نصف الثاني (*Le Haouz*, 1 : 75).

مساهمة المخزن الموحدي فيما يبدو في تحفيز سكان المدينة على امتلاك أراضي فلاحية بهذا المجال لاعتبارات اقتصادية وبحكم توفّر الامكانيات المادية لنسبة من السكان خاصة. وإن الرخاء الاقتصادي الذي عرفته مراكش في منتصف القرن كان مشجعا على ذلك جاء عند ابن صاحب الصلاة "ونمت الأرزاق، وعمرت الأسواق بالبيع والتجارة الرابحة، ودرت على الناس الخيرات درورا،... وكثر المال في أيدي من توالي سمحه وبركته، وابتنوا بمراكش الديار العتيقة، واغترسوا خارجها أينع حديقة" (*المن*، 266).

في هذا السياق قدم ابن عبدالملك نموذجا دقيقاً، يتعلق بشخص من أهل المدينة يعرف بالفهمي كان يملك رباعاً كثيرة جيدة إلى جانب عقارات وحمام وغيرهما. وبلغ دخله اليومي من رباعه فقط 500 درهم (*الذيل*، 400.1.5).

- رغبة الموحدين وحرصهم على جعل مراكش باعتبارها عاصمة ملكهم تخلد هذا الحكم، وتجعله محل فخر واعتزاز (*البيان*، قسم الموحدين، 175) في هذا الإطار يلاحظ بالنسبة للجانب الفلاحي أن بعض البحاير المخزنية كانت تتوفر على كماليات من مستوى رفيع، مثل بستان المسرة الذي كان به حوض مائي مصنوع من الرخام تزينه تماثيل لحيوانات مصنوعة من المرمر والرخام في تناسق مع هندسة مياه الحوض، إلى جانب وجود معرضين للحيوانات الأول خاص بالأسود، والثاني خاص بالفيلة والزرافات وحيوانات أخرى من هذا الصنف (*وصف*: 106.105).

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ت : سعد زغلول عبدالحميد ؛ ابن صاحب الصلاة ، *المن بالإمامة*، ت : عبدالهادي التازي ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، ت : أحمد التوفيق ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، ت : محمود علي مكي ؛ م. ابن عبدالملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ت : محمد بنشريفة وإحسان عباس ؛ ابن عذاري، *البيان*، ج : 4، ت : إحسان عباس - قسم الموحدين - ت : محمد إبراهيم الكتاني وآخرين ؛ مؤلف مجهول، *الحلل الموشية*، ت : سهيل زكار وعبدالقادر زمامة ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ت : محمد حجي ومحمد الأخضر، ج : 1 ؛ م. المنوني، ورقات.

G. Deverdun, *Marrakech* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, t : 1, Rabat, 1972.

محمد رابطة الدين

**البحر** - تاريخ - يحيط بالمغرب من الشمال والغرب على امتداد مسافات طويلة تبلغ حوالي 3.000 كلم. وقد كان البحر وما يزال أكبر بوابة للمغرب للاتصال بالعالم الخارجي، فعن طريق البحر عرف المغرب الفنيقيين والقرطاجيين ثم الرومان والبيزنطيين في العصور القديمة، وعن طريقه عبر المغاربة إلى الأندلس منذ حملة الفتح وطوال العصر الوسيط، ثم لم تفتأ الأساطيل المغربية، التجارية والحربية، تخوض عباب البحر المحيط منذ مطلع العصر الحديث إلى اليوم.

نعم، يلاحظ سكوت مصادر المغرب التاريخية عن البحر والبحرية إلى حدود القرن الثالث(9 م)، غير أن الجغرافيين العرب قد أعطونا صورا مختلفة عن أنشطة الموانئ المغربية في القرون التالية. تحدث اليعقوبي عن ميناء ماسة وعن أنشطة السفن التي كانت تفدُ عليه من الشرق، وأبرز ابن حوقل علاقات بعض الموانىء المغربية بالأندلس، وأظهر الإدريسي أهمية سلا في علاقات المغرب بالأندلس. في حين بيّن البكري الأنشطة البحرية ونُظم تنقل السفن فيما بين موانيء المحيط (كوز وغيره) والبحر المتوسط. لهذا ومن أجل هذا وجب التراجع عن أحكام الكتابة الاستعمارية وتوجيه البحث والتنقيب في هذه المجالات المرتبطة بالبحر قصد استخراج روابط المغرب بالفضاءات المتوسطية والأطلنتيكية منذ الأزمنة الغابرة، سواء كانت أساطير ميتيّة أو وقائع وأحداثاً مازالت آثارها قائمة. وتكفي الإشارة إلى كل من طريفة وجبل طارق.

تعتبر مساهمة المرابطين والموحدين مساهمة هامة في تشييد وبلورة الحضارة المتوسطية، نلمس ذلك من خلال الوساطة التجارية التي لعبها المغرب بين افريقيا السوداء وأوروبا حيث اعتبر القرن السابع (13 م)، أوج الحضارة والحضور المغربي على الساحة المتوسطية. كانت سبتة من أكبر الموانىء في هذا البحر، وتميز المغاربة في هذه الفترة باتخاذهم المبادرة براً و بحراً. وكانت في ملكهم أساطيل تحدث عنها ابن أبي زرع حين ذكر أن عبد المومن كان يملك سنة 517 هـ حوالي أربعمائة وحدة موزعة عبر الموانىء بالمغرب الإسلامي كله. كما أن المؤسسات البحرية عرفت حركة نشيطة سواء تعلق الأمر بنظم الجمارك أو بدور الصناعة أو السكة.

واستمر الاهتمام بالبحر على عهد المرينيين، غير أن بوادر الانكماش المغربي بدأت تظهر مع بداية المد الإيبري الذي يعتبر منعطفا تاريخيا حيث انتقلت المبادرة إلى الشمال. وشكل احتلال سبتة عام 1415/818 بداية لهذه الهيمنة التي لن تعرف إلا تزايدا. أدى هذا الاحتلال إلى خنق الاقتصاد المغربي ومنع المغاربة من المساهمة المباشرة في تشييد الفضاءات البحرية الجديدة.

غير أننا، بالرجوع إلى الكتابة البرتغالية نفسها، نلمس الإمكانات المادية التي قدمها المغرب لمنظمي ومجهزي هذه الاكتشافات. كما أن الوثائق البرتغالية والإسبانية المتعلقة بالمغرب تبين اهتمام المخزن السعدي بتشييد أسطول بحري وإن لم ينجح لأن الغزوات الإيبرية كانت تهاجم الموانىء المغربية وتغرق السفن التي توجد بها، كماحصل عام 1517،1516 في ماسة. لقد حاول محمد الشيخ بعد استرجاعه فاس عام 1534 تشجيع أوراش بادس. وتحتاج محاولات عبد الملك السعدي إلى توضيح أكثر نظراً لتجربته ومشاركته في عدة حروب بحرية لعل أهمها معركة ليبنتو. واعتبره المؤرخ المجهول أول من أمر بإنشاء السفن بالعرائش وسلا. أما أحمد المنصورالذهبي فسار في نفس الاتجاه كما توضح الوثائق، غير أن العمل البحري سيأخذ أبعاداً أخرى على إثر الطرد الموريسكي.

دار ومازال يدور نقاش كبير حول موضوع القرصنة. واختلف التعريف بها باختلاف زوايا مقاربتها : إنها اللصوصية والحرب المباحة والحرب الصغرى بالإضافة طبعا إلى مفهومي القرصنة والجهاد البحري. لقد تغير المفهوم في الزمان والمكان، لكن المؤكد أن الظاهرة قديمة وكونية، ولا نعتقد أنها مغاربية فقط كما زعم گاستون زلير. كما لا يمكن اعتبارها مجرد ردود أفعال مغاربية تجاه المبادرات الأوربية الخانقة للاقتصاد المغاربي كما ذهب إلى ذلك عبدالله العروي. بل هي ظاهرة قديمة، ولربما هي مجرد تحويل لعادات وممارسات من البر إلى البحر. كما أنها كانت ترتبط بالأوضاع السياسية والعسكرية للمناطق المجاورة أو المستعملة للطرق البحرية. لقد ازدهرت القرصنة بسبب تقوية السلطة لها لأنها كانت تدرّ عليها فوائد وأرباحا اقتصادية وسياسية داخل وخارج مجتمعها، وتعتبر قطاعا تجاريا شأنها شأن الملاحة نفسها.

لقد ربطت أوروباالقرصنة بالمسلمين لأسباب جيو/سياسية معروفة، إلا أننا نستغرب لتعامل الكتابة الأوربية مع ويلات قراصنة مالطة. ويزداد هذا العجب عندما نقرأ عن بطولات فرسان الجزيرة الذين لا يترددون في مد المساعدة للدول المتوسطية من أجل مهاجمة أساطيل برابرة إفريقيا ! يبدو لنا أن القرصنة كانت تستعمل كأداة سياسية وعسكرية من طرف هذه الضفة أو تلك. وقد حركتها ظرفيات وحتمتهاالمواجهة الثقافية وعززتها التفاوتات الاقتصادية والاجتماعية.

اتخذت القرصنة أو الجهاد البحري بعداً سياسياً وثقافياً هامّين في مغرب العصر الحديث، لا سيما بعد الطرد الموريسكي وتفتيت الجهاز المخزني للدولة السعدية. أصبح شبح قراصنة سلا يطارد المخيلة الأوربية إلى درجة أنها أنتجت حوله الكثير من الأدبيات والأساطير المهولة.

أسس القراصنة "جمهوريتهم" بسلا وقيل عنها الكثير، إلا أنها مازالت بحاجة إلى دراسات وتنقيبات حتى نتمكن من رصد واستخراج أدوار هذه "الجمهورية" في تحول المواجهة من صراع مغربي إيبيري إلى مواجهة مغربية أوروبية (أوروبا الشمالية). لا شك أن البحث قد يظهر وسائل وأبعاد تدجين الجهاد البحري من طرف الجهاز المخزني قصد اعتماده واستغلاله كورقة دبلوماسية. استخدمه المولى إسماعيل للضغط على أوروبا من أجل اقتناء الأسلحة. وربما بسبب هذا الاستعمال تراجعت عمليات الجهاد البحري كما توحي بذلك بعض الوثائق : «لقد تخلى تجار سلا عن تجهيز وتسليم السفن للقراصنة بسبب المصاريف الباهظة التي لا تضمن لهم أرباحا لأن السلطان كان يجد دائما المبررات لسلب كل ما تعود به سفنهم» (*S.I.H.M., France*, 4 : 707).

لم تتراجع سياسة المخزن البحرية، على عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله، بل عرفت نفساً جديداً وتوجهات أخرى. لقد تكون هذا السلطان في خضم وأبعاد الأزمة التي تلت وفاة المولى إسماعيل، وتقلد عدة مهام قبل أن ينفرد بالحكم، ومن ضمن هذه المسؤوليات تسييره لميناء أسفي.

لقد كان هذا السلطان يتوفر على خطة واضحة المعالم في هذا المجال : شجع صناعة السفن الكبيرة، وشيد الموانئ وجهزها، وربط الأسطول وأموره مباشرة بالدولة. كما حاول بلورة مشروع سياسي أهمّ ما تميز به توجهاته الإصلاحية في ميادين مختلفة، لعل أهمها اهتمامه بتقوية السياسة البحرية عن طريق خلق أسطول سلطاني وإصلاح ثم تجهيز موانىء فضالة والدارالبيضاء وسلا، وبالخصوص إحداث مدينة الصويرة : «ثم خرج منها لناحية سلا فنزل بالدار البيضاء فرأى مرساها فأعجبته ووبخ أهل الرباط انهم كانوا يعيبونها له لأنهم كانوا يخافون من عمارتها... فأمر ببنائها وأمر ببناء السور وأذن للنصارى أن يحملوا منها الزرع» (*الضعيف*، 1 : 349).

ربط محمد بن عبدالله كل المؤسسات البحرية بشخصه عن طريق أداء الأجور للبحارة والرياس والإشراف على صناعة السفن كما ذكرنا. ولعل المعاهدات العديدة التي أبرمها مع الدول الأوربية تبين بشكل واضح هيمنة البنود الخاصة بالبحر وشؤونه. وقد حاول تعمير الموانئ عن طريق تشجيع السكان على التوجه من المدن الداخلية إلى الموانىء، وتظهر بعض الكنانيش كيف عمل على نقل أصحاب الحرف من المدن الداخلية إلى المدن الساحلية عموما وبالخصوص إلى ميناء الصويرة. حاول أن يجعل من هذه المدينة عاصمته الدبلوماسية، كما تلح على ذلك عدة

وثائق وتقارير أجنبية. ونلمس من خلال أقوال ابن عثمان اهتمام المغرب بتكوين الأطر البحرية في بلدان أوروبية كإسبانيا ( *الإكسير*، ص 41).

ومع حلول الثورة الفرنسية وخلال القرن التاسع عشر يمكن الحديث عن تخلي المغاربة عن البحر لأنه أصبح مصدراً لويلاتهم ورمزاً لتفوق أوربا المتخذة للمبادرات. أصبحت السفن البخارية شعار هذا التفوق وأداة في يد الغرب لحمل المغرب على قبول كل الضغوط والمبادرات، وما المعاهدات الموقعة خلال القرن التاسع عشر إلا تدرج أدى حتما إلى معاهدة مارس 1912.

وبعد الاستقلال استرجع المغرب اهتماماته البحرية، يتجلى ذلك فيما أنشىء من معاهد لتكوين البحارة والتقنيين مدنيين وعسكريين، وفي توفير أعداد قطع الأسطول البحري بكيفية مطردة وفي مختلف الميادين.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ اليعقوبي، *التاريخ* ؛ م. الادريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار*؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ت : م. البوزيدي ؛ م.ابن عثمان، *الإكسير*، ت : م. الفاسي ؛ ع. قدوري، *صور عن أوربا من خلال ثلاث رحلات مغربية*، مجلة كلية الآداب بالرباط، ع. 15، 1990.

عبدالمجيد قدوري

**البحر**،(جزيرة ـ) Isla de Mar تعرف بهذا الاسم عند الإسبان الجزيرة الصغيرة المجاورة لجزيرة النكّور السليبة، كما تعرف بجزيرة الحمام Isla de las Palomas وبجزيرة القديس أغوسطين de San Agustin في حين أن اسمها الحقيقي هو جزيرة تيزيران، وتقع على بعد نصف كيلومتر من شاطئ قبيلة بني ورياغل.

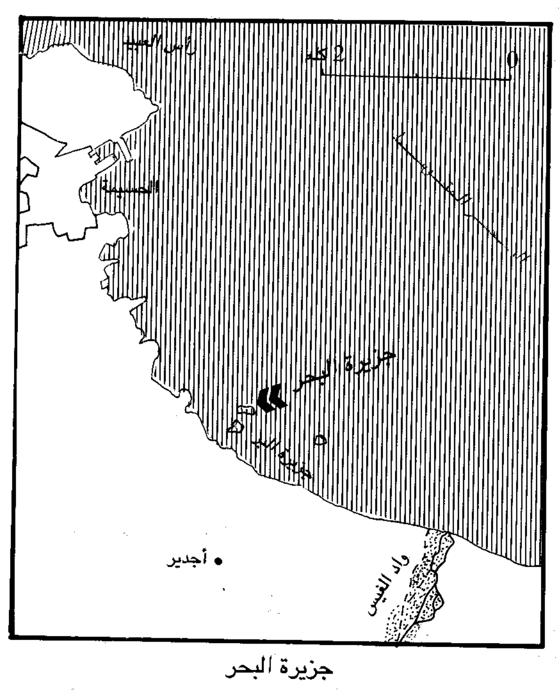


جزيرة البحر

هذه الجزيرة هي إحدى الجزر الثلاث التي تعرف بـ Ad sex insulas في *رحلة انطونينو* *Itinerario de Antonino* ولم نجد لها ذكرا في المصادر المغربية.

ويزعم الإسبان أنهم احتلوها يوم استيلائهم على جزيرة النكور في 28 غشت 1673 ولذلك اتخذوها مقبرة لموتاهم.

Blazquez y Delgado ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, p. 48 ; J. Cabello Alcaraz, *Geografia Marruecos*, p. 63 ; Comision Historica, *Geografia.*

محمد ابن عزوز حكيم

**بحر بسُّول**، مصطلح نعت به الجغرافيون العرب المساحة البحرية الواقعة جنوب شبه جزيرة سبتة الممتدة جنوبا إلى الرأس الأسود Cabo-Negro، وذكره صاحب *اختصار الأخبار* باسم "أبي السول" مفصّحاً ما كان ينطق به العامة على ما يبدو.

الشريف الادريسي، *نزهة المشتاق*، 2 : 528 ؛ مجهول، *الاستبصار*، ت. سعد زغلول عبد الحميد، ص. 137 ؛ أ. البكري، *كتاب المغرب*، ت. دوسلام، ص. 103.

El Badisi, *El-Maqsad*, trad. fr. G. S. Colin, *A. M*, vol, XXVI, 1926, p. 98, Nº 331 ; Vallve Bermejo. J, *Descripcion de Ceuta Musulmana en el siglo XV*, *Al-Andalus*, vol XXVII, fasc 2, 1962, p. 436, Nº 108.

زليخة بنرمضان

**بحر البوران**، حوض بحري ذو مساحة متواضعة، يمثل الجزء الغربي من البحر المتوسط. يمتد وسط القوس الريفي ـ البيتي، على مسافة 350 كلم شرق ـ غرب، 165 كلم شمال ـ جنوب. فهو إذن بحر شبه مغلق غربا، حيث لا يتصل بالمحيط الأطلسي إلا عبر مضيق جبل طارق، بينما ينفتح شرقا على الحوض الجزائري ـ البلياري الذي يكون الجزء الأهم من البحر المتوسط الغربي. تحده شمالا وجنوبا سلاسل جبلية مشرفة إشرافا مباشراً، تتمثل في السلسلة الريفية جنوبا، بين سبتة ورأس مليلية والسلسلة البيتية شمالا بين جبل طارق وألميرية.

فهو بحر عند اتصال ميدانين، المتوسطي والمحيطي، وبالتالي يكون على المستوى الهدرولوجي منطقة عبور للمياه المتنقلة من كل من الميدانين إلى الآخر. كما يمثل حوضا ضيقا تشرف عليه مرتفات جبلية حديثة، تتميز بعنف وتردد تشويهاتها البنائية، ولهذا فهو بالتالي مجال غير مستقر، تعرف فيه القشرة استمرارية الحركات التكتونية.

1ـ جيولوجيا ومرفلوجية الحوض البحري :

يتكون بحر البوران من حوضين عميقين أحدهما شرقي، ينفتح على الحوض الجزائري، والآخر غربي يتصل بمضيق جبل طارق، تفصلهما سلسلة من القعور العالية، لها اتجاه شـ ش شـ، غ ج غـ، تبرز منها جزيرة بركانية صغرى، هي جزيرة البوران.

ويفسر انفتاح بحر البوران، بحدوث حركة أفقية نحو الغرب، همت صفيحة جزئية تسمى صفيحة البوران، كانت تفصل بين الصفيحتين الأوربية والإفريقية، هذه

الحركة جعلت أجزاء من الصفيحة الوسطى تساهم في بنية السلسلة الريفية، بينما تم ترقيق القشرة في البحر، الشيء الذي سمح بتسرب محلي لصخور بركانية قاعدية. وقد تم هذا بعد تكوين القوس الريفي - البيتي، أي في مرحلة ارتخاء تنتمي لنهاية الميوسين.

ومنذ ذلك الحين انطلق التراكم الرسوبي في البحر وجوانبه القارية أثناء فترات الغمر والطغيان. كما توالت على التجعد الأوسط مراحل تكتونية متعددة هي المسؤولة عن البنية الملتوية للرواسب. وقد ترسبت في الأحواض مجموعة سميكة، تتمثل في أوحال سفلى بليوسينية، ثم مواد مفروشة رباعية منافرة لها، مما يدل على حدوث حركات هامة بين السلسلتين الرسوبيتين.

2 - التاريخ التكتوني للبحر وهوامشه الجبلية :

ينطلق تاريخ بحر البوران من فترة البنائية المسؤولة عن تشكيل القوس الريفي - البيتي. خلال نهاية الميوسين الأوسط، لما تم زحف جزء من صفيحة البوران على الريف الداخلي، مكونا السلاسل الكربوناتية وما خلفها من ظهورات للقاعدة القديمة.

عندئذ حلت محل صفيحة البوران، قشرة محيطية مرققة، هي الأصل في الأحواض البحرية. وبانطلاق المرحلة الارتخائية، تهدل المجال البحري وعدد من الأحواض الانكسارية الهامشية، مما سمح بترسيب كميات هائلة، تقدر بآلاف الأمتار من النيوجين الأعلى.

ابتدأ الإرساب بمواد الطرطوني الفتاتية، تلتها الأوحال الميسينية التي تدل دقتها على محو المرتفعات. وانتهى الميسيني برواسب تبخارية مزامنة لما يسمى بالازمة الملحية، لما تراجع مستوى البحر لأسباب هزهزية، وانغلق الاتصالات بين المتوسط والمحيط، وعرفت مياه المتوسط تركزاً ملحياً تسبب فيه العجز بين التبخر الشديد وقلة الواردات العذبة. إلا أن المؤلفين حاليا لا يقبلون فكرة الجفاف الكامل للبحر، بل يعتبرون أن البيئة ظلت بحرية لكن حبيسة، مما أدى إلى تجزئ المجال البحري بعد انغلاق الممرات.

بحر البرهان (البوران)

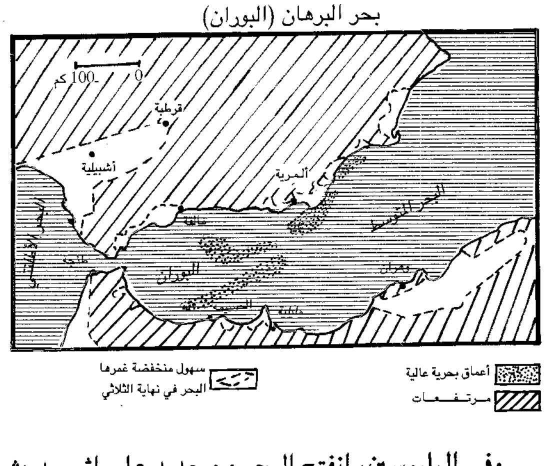


وفي البليوسين، انفتح البحر من جديد على إثر حدوث انكسارات أساسية أنشأت مضيق جبل طارق. وقد تزامن هذا مع فترة طغيان بحري، الشيء الذي تسبب في صعود مستوى المياه، على طول أودية سبق حفرها على شكل خوانق ضيقة في الميسيني. ولذا نرى الرواسب البليوسينية متداخلة وسط الرواسب الميسينية السابقة.

وقد عرفت بداية الرباعي تغيراً شاملاً في النظام التكتوني، حيث تحول الوضع إلى بنائية انضغاط من جديد، بعد أن استمرت مرحلة الارتخاء خلال نهاية النيوجين. وتفسر الحركات الانضغاطية مجموعة من الطيات ومن الانكسارات العكسية والانخلاعات، هي المسؤولة عن تشوه الرواسب السابقة خاصة على طول التجعد الأوسط الفاصل بين الحوضين الشرقي والغربي من بحرالبوران. واستمر الانضغاط خلال الرباعي الأوسط والحديث في الحاشية الشمالية من البحر وفي البحر نفسه، بينماعوضته جنوبا في السلسلة الريفية حركات ارتخائية، واكبتها بركنة قليلة تتضح آثارها في الريف الشرقي، وتشويهات واسعة الآفاق همت المجال الساحلي

وقد ظل النشاط البركاني مواكبا لكل مراحل التطور، في السلسلتين المشرفتين على البحر، أي في الناحية الشرقية من السلسلة البيتية، وشرق الريف، بينما لم يمسس النشاط البركاني القوس نفسه. ويمكن تحديد ثلاث فترات بركانية أساسية، الأولى طرطونية حدثت منذ عشرة ملايين من السنين، أعطت صخورا ريوليتية، والثانية ميسينية (4 إلى 5 ملايين سنة) تركت طفوحا اندزيتية، والأخيرة من البليوسين والرباعي هي المسؤولة عن الطفوح البزلتية. أما النشاط الزلزالي، فهو موزع في كل المجال الذي تشغله السلسلتان، مما يدل على تجابه قاري بين الصفيحتين الأوربية والافريقية، دون أن يكون من الممكن تحديد الموقع المضبوط للحدود بين الصفيحتين داخل بحر البوران بينما يتضح الفصل بينهما في المحيط على طول انكسار شرقي - غربي.

3 - الهامش المغربي لبحر البوران :

يمتاز هذا الهامش بتعقيده. ذلك أنه يكون غربا نقطة انطلاق التجعد الذي يتوسط البحر فاصلا اياه إلى حوضين، بينما يشرف شرقا على الحوض الأكبر الممتد نحو الحوض الجزائري. ويمتاز هذا الحوض بضعف عمقه غربا حوالي 450 م بينما تتزايد الأعماق كلما توجهنا شرقا لتصل حتى 1.800 م تحت مستوى سطح البحر.

وتفصل القارة عن الاحواض البحرية هضاب قربقارية تمتاز بضيقها العام. مع تغايرات من الغرب إلى الشرق امام سلسلة بقوية، لا تتعدى الهضبة 2,5 كم اتساعا و 100 م عمقا، بينما يخددها خانق عميق هو استمرار لواد نكور. وتتسع الهضبة بين رأس طرف وراس مليلية 15 كم. ثم شرق هذا الرأس تنحدر الهضبة ببطء حتى عمق 400 م، دون أن تفصلها عن الأحواض، الحافة المعتادة.

4 - المناخ والهدرولوجيا :

ينتمي بحر البوران والمجالات المطلة عليه إلى النظام

المناخي المتوسطي. لكن موقعه الخاص على شكل ممر ضيق يمثل مدخلا للبحر المتوسط، ينفتح على المحيط الأطلنتي ويعطيه صبغة خاصة. أما موقعه العرضي المتمحور على خط عرض 36 درجة فهو يجعل منه الجزء من البحر المتوسط الأكثر جنوبية.

هذه المعطيات المتناقضة المفعول، تتضح في التغايرات المجالية، رغم عدد من الخاصيات العامة.

الخاصيات العامة للبحر وهوامشه، يشترك فيها مع باقي المجالات المتوسطية، وتتمثل في حدة جفاف الصيف، الشيء الذي يفسر نجاح النمو السياحي على الساحلين الإسباني والمغربي، وتركز الأمطار في فترة قصيرة، مع ضعف عدد أيام التهاطل (أقل من سدس أيام السنة).

أما الاختلافات الإقليمية فهي ترجع لموقع البحر على مقربة من المحيط وتياراته الهوائية المضطربة. وهكذا نلحظ تدرجا نحو الجفاف، انطلاقاً من مضيق جبل طارق نحو الشرق. فمحطة سبتة 583 م تتلقى أكثر من ضعف تهاطلات مليلية، ومرتين ونصف تهاطلات ألميرية.

على الساحل الشمالي، تبقى الظروف رطبة نسبيا حتى محطة موطريل شرق مالقة، ويبقى الغطاء النباتي الغابوي مهيمنا، بينما تتدهور الظروف سريعا على الساحل المغربي، (مليلية : 324 م) ابتداء من جبهة. لكن الأوضاع تنعكس شرقا، حيث يصبح الساحل المغربي في ناحية مليلية وملوية، أكثر رطوبة من نظيره الاسباني (ألميرية : 243).

وتمتاز المحطات الغربية بقصر الفصل الجاف، حيث لا يتعدى عدد الشهور الجافة خمسة أشهر (الشهر الجاف = تهاطلات أقل من مرتين من الحرارة). كما تضم بعض الشهور الرطبة جدا والتي تتعدى فيها التهاطلات مقدار ست مرات الحرارة. أما في المحطات الشرقية فإننا نصل، وخاصة على الساحل الإسباني إلى ظروف جافة جدا (رأس گاطا : 140 م)، مع ظهور عدد من التأثيرات النباتية السهوبية.

بالنسبة للهدرولوجيا القارية، يمتاز محيط البحر بمحدودية الجريان فيه وذلك لعموم قصر الأحواض النهرية، ونظامها السيلي المتناقض، إذا استثنينا نهر ملوية الذي يصرف جزءاً من الأطلس وجل الهضاب العليا.

وفيما يخص الهدرولوجيا البحرية تجب الإشارة إلى أن بحر البوران هو بحر تركز، يفقد عن طريق التبخر مما يرد عليه من مياه عذبة مطرية ونهرية. وهذا ما يفسر الحركة المائية التعويضية القادمة من المحيط. وتمتاز المجموعتان المائيتان بالتناقض في حرارتها وملوحتها، الشيء الذي يفسر تعدد الحركات والتيارات.

في بحر البوران ثلاث كتل مائية أساسية : طبقة سطحية محيطية، حرارتها حول 16 درجة وملوحتها معتدلة 36 درجة. وتمتد حتى عمق 200 م. تحتها طبقة وسطى هي عبارة عن مياه متأصلة من البحر المتوسط الشرقي، حرارتها 14 درجة وملوحتها 38،5٪، وعمقها بين 250 و800 م. وأخيرا طبقة عميقة تنشأ في فصل الشتاء في الحوض البروفانسي، وحرارتها 12 درجة.

حركات المياه تختلف حسب عمقها. تعرف المياه السطحية الأطلنتية حركة ضد إعصارية دائرية و لها شعاع 60 كم، قبل أن تنقسم إلى تيارين شرق راس مليلية، أولهما يتوازى مع الساحل الجزائري والثاني يرجع نحو المضيق.

أما المياه العميقة فحركتها نحو الغرب، بسرعة ضعيفة، وتمتاز مياه بحر البوران أخيرا بضعف تراقصها الذي لا يتعدى 90 سم في أشد الحالات، ويتحدد في نصف متر في أغلبها.

B. El Mőumni, *La Sédimentation au quaternaire terminal dans la partie S. de la mer d'Alboran.* Thèse, Perpignan, 212 p ; J. M. Auzende, *The origin of the Western Mediterranean basin, J.Geol. Soc. Lond*, 129, 607, 620 ; M. Durand Deiga, *La Mediterranée occidentale. Soc. Geol.* Fr, Mem. H. S. 10, 203, 224; D. Hatzfeld, *Etude sismo-tectonique de la zone de collusion ibero-maghrébine.* Thèse d'Etat, Grenoble, 281 p ; J. L. Olivet, Auzende, et J. Bonnin, *Structure et evolution technique du bassin d'Albora, B.Soc. Géol*, Fr , (7), 15, 108, 112 Bergnaud-Grazzini, C et Bartolini, C. *Evolution paléoclimatique de sédiments Wurnens et postwûrmiens en mer d'Alboran, Rev. Géo. Phys. et Géol. Dyn*, 12, 325-334.

عبدالله العوينة

**بحر الرملة** (سبتة) مصطلح جغرافي أطلق خلال العصور الوسطى الإسلامية على الشريط البحري الواقع جنوب مضيق جبل طارق، ويشمل فقط المساحة البحرية الممتدة من شمال شرق سبتة إلى قصر المجاز (قصر مصمودة) غربا. تحف سواحله رمال كثيرة، ومن ثم يكون قد جاء اسمه. تنتشر بهذا البحر عدد من الجزر أو النتوءات الصخرية، ويتميز الشريط الساحلي بتعدد خلجانه التي كانت تعد من أخصب الأحواض البحرية لصيد الأسماك، ويستخرج منه المرجان الذي كان يصدر إلى مختلف جهات العالم. وقد استخدمت هذه الخلجان كمرافيء للسفن لوجودها في مأمن من الرياح، أهمها ميناء مدينة سبتة أو "حفرة عتار" وهو الاسم الذي عرف به خلال العصر الإسلامي للمدينة، وخليج بليونش أو بنزو Benzos.

أ. البكري، *المسالك والممالك* ؛ م. الأنصاري، *اختصار الأخبار*، 1983، ص 51.50 ؛ الحميري، *الروض المعطار*.

El Bakri, *Description de l'Afrique septentrionale*, Trad. De Slane, Alger, 1913, p. 203.

**بحر الزقاق**، أو (بحر المضيق) مصطلح جغرافي يرد في كتب الجغرافيا الإسلامية للدلالة على الطرف الغربي الضيق من البحر المتوسط أو البحر الرومي أو الشامي كما كان يعرف سابقا. يحدد خطأ بين ألمرية ومليلية غربا، وجزيرة طريف شرقا (*Geographie*, 2 : 32. nº 2 ، *الإحاطة*، 3 : 133، إحالة رقم 1)، إذ الصحيح أن الجغرافيين العرب كانوا ينعتون به أقصى الطرف الغربي الأكثر ضيقا، أي بحر المضيق الحالي الممتد بين جزيرتي طريف والخضراء على الساحل الأندلسي، وبين مدينتي طنجة وسبتة على الساحل المغربي. ينفرد ابن سعيد المغربي في تحديد بدايته عند أصيلا ونهايته عند سبتة على امتداد أربعين ميلا (*كتاب الجغرافيا* : 138).

تصف المصادر أخطار وأهوال أمواجه المتلاطمة والمتدفقة من المحيط الأطلسي أو بحر أقيانوس كما كان يسمى قديما، في اتجاه البحر المتوسط، إذ بعظمتها وعلوها كانت تشكل خطرا على السفن التي كثيرا ما كانت تتحطم على السواحل خصوصا عند هبوب الرياح الشرقية. من مميزات هذا البحر أيضا أنه يجزر ويمد مرتين في كل يوم وليلة ( *مروج الذهب*، 1 : 119 ؛ *نزهة المشتاق* 2 : 526 ؛ *كتاب الجغرافيا*، 138 ,*Description* , 214، 138).

إلى جانب المعطيات الجغرافية الحديثة، تُذكر تاريخياً عدة روايات حول أصل هذا البحر، تتفق في معظمها على أن البحر المتوسط كان أصله عبارة عن بحيرة قارية مغلقة، إلا أنها تختلف حول محدث الزقاق ودوافع ذلك. تذهب إحداها إلى أن حفر الزقاق كان من إنجاز الإسكندر الأعظم بطلب من الإسبان القدامى المتضررين من غارات أهل سوس. أفاضت الرواية في وصف ضخامة الإنجاز وتعداد مراحله، فحددت هندسته ومقاييسه ونتائجه ( *نزهة المشتاق*، 2: 529 ؛ *الروض المعطار*،509). في حين ترى رواية أخرى أن الزقاق من عمل بني دلوكة وارثي عرش مصر بعد الفراعنة ليجعلو حاجزا بينهم وبين الإغريق ( *مروج الذهب*، 1 : 358 ؛ 963 ,*E.I.I*).

وحسب روايات أخرى فإن الزقاق كان في أصله عبارة عن خلجانات صغيرة تقطعها قنطرة مبنية بالحجارة والطوب ممتدة على طول اثني عشر ميلا، تنطلق من طنجة وتنتهي عند مكان يعرف بالصفيحة على الساحل الأندلسي. تمضي الرواية في وصف القنطرة وبنائها المحكم والعجيب. كما تحدد دورها في الربط البري بين الساحلين الأندلسي والمغربي لمدة طويلة استمرت إلى ما قبل الفتح الإسلامي للأندلس بحوالي مائتي سنة حسب رواية صاحب *الاستبصار*، أو ما قبل الفتح الإسلامي لمصر بمائة سنة حسب رواية المسعودي، إذ فاضت مياه البحر، فأغرقت القنطرة. من آثار هذه الرواية في ذاكره أهالي الأندلس إعطاؤهم اسم «القنطرة» لأحد المواضع على الساحل الأندلسي المقابل للساحل المغربي ( *الاستبصار*، 138 ؛ *مروج الذهب*، 1 : 349-348 ؛ *العبر*، 6 : 195 ؛ *الروض*، 509).

أبو الفداء، *الجغرافيا* ؛ أ. البكري، *كتاب المغرب* ؛ المسعودي، *مروج الذهب* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ابن سعيد، *كتاب الجغرافيا* ؛ الحميري، *الروض المعطار* ؛ ع. ابن خلدون، العبر، ج : 1 و6.

زليخة بنرمضان

**ألبحر ألمتوسط** - جغرافيا بشرية - يحتل حوض البحر المتوسط مرتبة هامة في تاريخ وحضارة الانسانية. فهو مهد أرقى الحضارات التي عرفتها البشرية كما ظل طيلة آلاف السنين مركز العالم القديم وقلبه النابض، ثم مع التطورات التي عرفها العالم والتي نتج عنها ظهور مراكز ثقل جديدة على أطراف المحيطين الأطلسي والهادئ فقد البحر المتوسط هذه المرتبة. وهو اليوم ومنذ عقدين أو ثلاثة في طريق استرجاع جزء من أهميته نتيجة عدة عوامل من بينها بناء السوق الأوربية المشتركة على ضفته الشمالية الغربية وظهور التجمعات الإقليمية على ضفتيه الجنوبية والشرقية والوزن الديمغرافي والاقتصادي المتزايد للدول المشرفة عليه وخاصة النمو السريع للنشاط السياحي الذي جعل منه محج الملايين من السواح والزائرين.

ويصعب الكلام عن البحر المتوسط دون التعرض للبلدان المشرفة عليه. فمثل التقلبات التاريخية التي عرفتها هذه البلدان ترتبط الحياة الاقتصادية لهذه البلدان ارتباطا وثيقا بالبحر. ويمكن تركيز دراسة علاقات البلدان المتوسطية ببحرها على أهم ميادين استغلال هذا البحر كالصيد والنقل والسياحة. غير أن هذا الاستغلال المكثف الذي بدأ منذ فترات التاريخ القديم لبحر يكاد يكون مغلقا نتجت عنه اضطرابات ايكولوجية ومشاكل بيئية لا يمكن اغفالها.

استغلال الثروات البحرية : يرتكز نشاط الصيد بسواحل البحر المتوسط على ثروات بحرية لا بأس بها وعلى تقاليد عريقة كما أن هذا النشاط جد متنوع. وقد استغلت منذ القدم الأسماك السطحية المهاجرة كالسردين والاسقمري والتن والانشوفة. أما المناطق الرئيسية لصيد الأسماك السطحية فتوجد على الخصوص بالأرصفة القارية القريبة من مصبات الأنهار الكبرى (خليج المسد، سواحل إسبانيا، الرصيف القاري المواجه لدلتا النيل) أو بمقربة من المضايق (بحر البوران، الممر الفاصل بين تونس وصقلية، هوامش مضيق البوسفور). أما استغلال الأعماق عن طريق صيد الأسماك القعرية فتستعمل فيه بالخصوص المراكب الجيابة التي تبحث عن الأسماك والقشريات للاستهلاك الطري عن طريق جر شباك كبيرة.

ويضاف إلى نشاط الصيد البحري هذا استغلال البحيرات الساحلية في الصيد وتربية الصدفيات والأسماك. وتتمركز أكبر المناطق انتاجا بإيطاليا (خليج طارنطا وساحل نابولي) وفرنسا (حوض الطو قرب مدينة سيت). وبينما تقدر حاجيات بلدان حوض البحر المتوسط من المنتجات البحرية بأربعة ملايين من الأطنان سنويا، لا تغطي الكميات المصطادة بالحوض سوى رُبع هذه الحاجيات على أن 78،5٪ من مجموع ما يصطاد بالبحر المتوسط يعود لأساطيل بلدان أوروبا المتوسطة بينما الباقي تقتسمه بلدان الضفة الجنوبية والشرقية للحوض.

وتمتاز السواحل المتوسطية المغربية بثروات بحرية لا بأس بها من حيث الكم والتنوع. فهي تحتضن أسماكاً سطحية مهاجرة وأخرى قعرية وصدفيات وقشريات. غير أن وزن الساحل المتوسطي يبقى ضعيفا إذا ما قورن بموانئ الساحل الأطلنتي وخاصة الجنوبية (خريطة 1 وجدول 1). فإذا أضفنا ميناء طنجة إلى الموانئ المتوسطية المغربية الأخرى، فإن مجموع الموانئ الشمالية لا يتوفر سوى على 11٪ من مجموع أسطول الصيد المغربي التقليدي مع غلبة

المراكب ذات التجهيزات التقليدية. و16٪ من مجموع الأسطول المتوسطي هي عبارة عن مراكب شراعية أو مجدافية صغيرة. تشغل هذه الموانئ كذلك نسبة قليلة من البحارة 26,4٪ وبالتالي فإن الكميات المصطادة التي يتم إفراغها في هذه الموانئ كميات قليلة (31.000 طن) إذا ما قورنت بمآت آلاف الأطنان من الأسماك التي يتم إفراغها بالموانئ الجنوبية. ويعزى هذا الضعف كذلك إلى رصيف قاري ضيق وتضرس قعر البحر، الشيء الذي يحول دون الصيد بواسطة الجياب ابتداء من عمق 150 م، تجب الإشارة كذلك إلى أن جزءاً كبيراً من حمولة المراكب المغربية يتم إفراغها في مينائي سبتة ومليلية المحتلتين، ويمثل بحر البوران منطقة تركز للسردين الشيء الذي ينعكس على الواردات السمكية لميناء الحسيمة. ويوجه جل محصول الصيد بالساحل المتوسطي إلى الاستهلاك الطري المحلي. وقد أُنشئت سنة 1985 وحدة عصرية لتربية الأسماك والصدفيات بسبخة بوعرگ قرب مدينة الناضور، وتنتج سنويا شركة «ماروست» ما يزيد على 500 طن من الأسماك والصدفيات المختلفة المصدرة بأكملها إلى الخارج (إيطاليا على الخصوص) (انظر التفاصيل بمقال بوعرگ ـ سبخة ـ).

الفلسطينية عملت على عرقلة النشاط التجاري المتوسطي. وقد زاد في كثافة هذا النشاط مد قنوات نقل البترول في المناجم القارية بالشرق الأوسط إلى السواحل اللبنانية والسورية وكذا اكتشاف الغاز والنفط بالصحراء الجزائرية والليبية.

أما الخطوط الملاحية بحوض البحر المتوسط فهي اليوم ثلاثة أنواع : خطوط تربط بين الدول المشرفة على البحر، وخطوط تربط بين هذه الدول وأقطار خارج البحر، وأخيراً رحلات تعبر البحر لتربط بين المحيط الأطلسي من جهة والبحر الأسود والبحر الأحمر من جهة أخرى.

ويلاحظ عدم التوازن بين الضفة الشمالية والضفة الجنوبية والشرقية، فالنشاط الملاحي المنتمي إلى دول الشمال (فرنسا، إيطاليا، إسبانيا) اكثف وأقوى من النشاط المنطلق أو القادم إلى بلدان جنوب وشرق الحوض، تتوزع طاقة مجموع الأسطول التجاري التابع للدول المتوسطية والذي يفوق 10.000 باخرة أي ما يعادل 58 مليون برميل كما يلي :

30٪ في ملك دول الشمال الغربي : إسبانيا، فرنسا، إيطاليا.

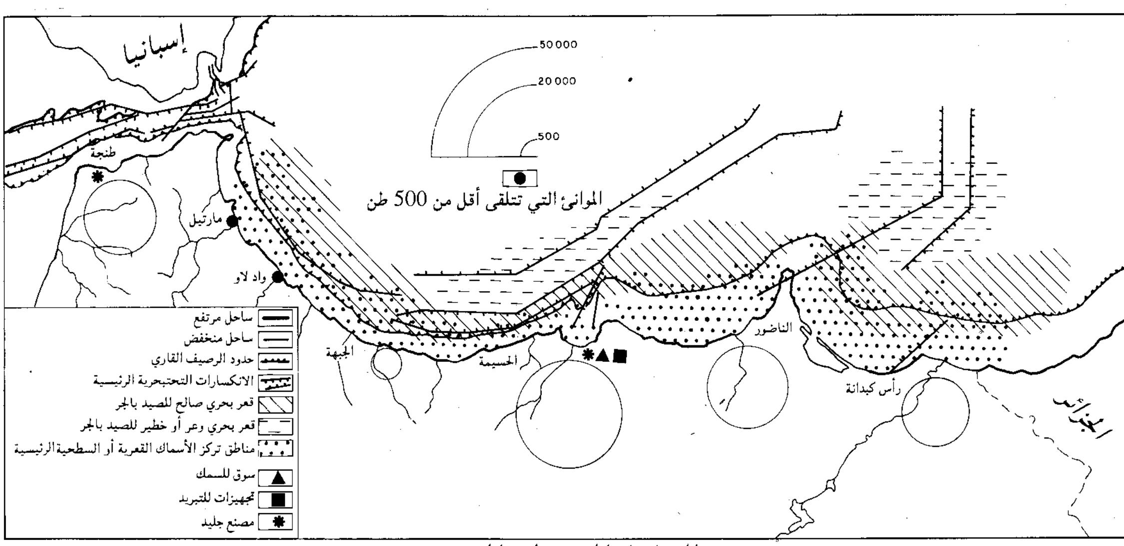


الساحل المتوسطي المغربي

النقل الملاحي : عرف حوض البحر المتوسط بطرقه التجارية التي اعتمدتها عدة حضارات وشعوب كالفينيقيين والقرطاجيين واليونان والرومان والعرب وغيرهم، بنت اقتصادها على الملاحة التجارية. أما بعد الاكتشافات الكبرى للقرنين الخامس والسادس عشر (طريق الهند عبر رأس الرجاء الصالح وطريق أمريكا) فقد انعزل حوض البحر المتوسط في طرق الملاحة الدولية الكبرى. ثم ما لبث أن استرجع دوره في التجارة العالمية بعد شق قناة السويس واكتشاف مناجم النفط بالشرق الأوسط، غير أن الحربين العالميتين الأولى والثانية ومختلف الأزمات السياسية الدولية وعلى رأسها أزمة الشرق الأوسط واحتلال الأرض

55٪ في ملك يوغسلافيا، اليونان، تركيا.

10٪ في ملك جبل طارق، مالطا، قبرص، لبنان.

5 ٪ في ملك المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، مصر، سوريا.

تطغى المواد النفطية والغازية التي تمثل نصف مجموع المنقولات عبر البحر المتوسط أي 300 مليون طن من مجموع 600 مليون طن. ويُفسر وزن المحروقات في مجموع المواد المنقولة إلى الموقع الجغرافي لحوض البحر المتوسط الذي يجعل منه الطريق الرئيسي لنقل هذه المحروقات في المناطق المنتجة الواقعة بالشرق الأوسط إلى المناطق المستهلكة بأوربا الغربية وأمريكا الشمالية حيث تخترقه ناقلات

النفط انطلاقا من سواحل البحر الأحمر والخليج عبر قناة السويس أو انطلاقا من نقط وصول الأنابيب النفطية التي توصل هذه المادة الخام إلى الساحل الشرقي. ويضاف إلى هذه التيارات الرئيسية المتجهة شرق ـ غرب تيارات ثانوية في نفس الاتجاه تربط بين الموانئ السوفياتية بالبحر الأسود وبعض موانئ جنوب أوربا وكوبا، وتحمل هذه التيارات مشتقات بترولية. وأخيراً هناك تيارات ثانوية أخرى اتجاهها جنوب ـ شمال انطلاقا من سواحل المغرب العربي وخاصة ليبيا والجزائر في اتجاه موانئ أوربا المتوسطية.

وتقدر نسبة النفط والغاز المنقولة عبر البحر المتوسط بـ 20٪ من مجموع حمولة المحروقات المنقولة بالعالم. وإذا تذكرنا أن مساحة البحر المتوسطي لا تمثل سوى 0،7٪ من مجموع البحار والمحيطات الموجودة على سطح الأرض، فإن مقارنة النسبتين تظهر الكثافة العالية لتيارات المواد النفطية والغازية ومشتقاتها بهذا البحر شبه المغلق وبالتالي أخطار التلوث والتدهور البيئي التي قد تنتج عن هذه الكثافة.

النشاط السياحي : يعتبر حوض البحر المتوسط من أهم الاتجاهات السياحية العالمية نظراً للإطار الطبيعي والبشري الذي يوفره والذي ساعد على انتشار وتطوير هذا النشاط الحديث. فإلى جانب مناخ مشمس وغير ممطر صيفاً ومياه هادئة ودافئة ومعالم حضارية وثقافية عريقة ومجتمعات ذات تقاليد وعادات مثيرة هناك الصورة السياحية التي تكونت لدى المستهلك الغربي والتي ساهمت في تدعيمها وتعميمها الشركات الدولية المنظمة للأسفار السياحية حيث اختارت احداهما علم البحر المتوسط لتسميتها وتمييز مُنتَجها.

وقد ظهرت محطات سياحية على الضفة الشمالية منذ بداية القرن (كوط دازور بفرنسا وريفيرا بإيطاليا) غير أن ولوجها ظل طيلة النصف الأول من هذا القرن مقتصراً على زبناء ينتمون إلى الطبقة الأرستقراطية المتوفرة على الامكانيات المادية والوقت الكافي للاستمتاع بهذه الشواطئ.

أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد ارتفع الطلب وتعمم إلى باقي الطبقات الاجتماعية وأصبحت السياحة من بين المتطلبات الأساسية للمجتمعات الاستهلاكية الأوربية. وبالتالي صار حوض البحر المتوسط القريب من أوربا يتلقى ملايين السواح سنويا. وهكذا ظهرت مناطق سياحية جديدة بالسواحل الشمالية (إسبانيا والجزر) والشرقية (اليونان ويوغسلافيا) والجنوبية (تونس والمغرب).

ويستفيد الحوض الموتسطي من 35٪ من مجموع السوق السياحية العالمية أي ما يعادل 109 مليون سائح سنويا من مجموع 312 مليون. وهو يعتبر بذلك أول حوض سياحي في العالم، يقدم جل هؤلاء السواح من أوربا الغربية مع هيمنة لأوربا الشمالية إذ تمثل ألمانيا والبنلوكس والمملكة المتحدة والبلدان السكاندنافية ما بين 50 و60٪ من مجموع التيار القادم إلى البحر المتوسط.

أما توزيع هؤلاء السواح على البلدان المضيفة فيعرف هو كذلك عدم تساو إذ تتلقى إسبانيا وفرنسا وإيطاليا ما بين 70 و80٪ من مجموع السواح تليهما يوغسلافيا واليونان ثم باقي دول الحوض.

وتعاني السياحة المتوسطة من طابعها الموسمي. فباستثناء بعض الدول كمصر وسوريا يصل جل السواح خلال فصل الصيف الذي يركز حتى 70٪ من مجموع السواح الوافدين. وينعكس هذا التركز بصفة سلبية على التشغيل والاستثمارات والتسيير إذ يقلل من العائدات على الأقاليم المضيفة ويقلص من مردودية الاستثمارات.

وتتمركز المنشآت السياحية وكذا أكبر الكثافات للزائرين على السواحل. فرغم المآثر التاريخية المنتشرة داخل القارة فإن الانتاج الأكثر رواجا يبقى هو البحر والشمس والإقامة الشاطئية إذ تستقبل السواحل المتوسطية ما يقرب من 100 مليون سائح (51 مليون سائح أجنبي و45 مليون سائح وطني). وهكذا فإن الأقاليم الساحلية تركز 18٪ من السياحة الدولية القادمة إلى فرنسا بينما تصل هذه النسبة إلى 80٪ بتونس و90٪ بيوغسلافيا.

أما الساحل المتوسطي المغربي الذي كان شبه خال من كل منشأة سياحية (باستثناء طنجة ومارتيل والسعيدية) قبيل انطلاق التصميم الثلاثي 1965 ـ 1967 فقد عرف حركة بناء قوية وفجائية للفنادق والتجهيزات السياحية جعلته يتوفر اليوم على 24٪ من مجموع القدرة الإيوائية المغربية. فقد ظهرت به سلسلة من المحطات السياحية بخليج طنجة وساحل تطوان (محطة الرأس الأسود، مضيق، رستنكا) ومدينة الحسيمة وشاطئ السعيدية. ونجد بهذا الساحل جيلين من المنشآت السياحية. الجيل الأول هو وليد مخططات التصميم الثلاثي وهو عبارة عن مجال منظم حسب المتطلبات التجارية للشركات العالمية (هيمنة قرى الاستحمام، كبر حجم المؤسسات، ابتعاد المحطات عن التجمعات السكنية والمدن، هامشيتها بالنسبة لمنطقة الإيواء). أما الجيل الثاني فهو وليد طلب داخلي منطلق من المدن الكبرى والطبقات الاجتماعية العليا والمتوسطة خلال الثمانينات، وهو مجال تغلب عليه الإقامات الثانوية والمركبات السياحية المكونة من شقق وفلات للشراء. وتبقى الانعكاسات الاقتصادية لهذا النشاط جد ضئيلة ليس بالنسبة لتشغيل اليد العاملة المحلية فقط ولكن كذلك بالنسبة لحجم المعاملات التجارية الناتجة عن النشاط السياحي التي تبقى جد هزيلة.

الأنشطة البشرية والتدهور البيئي : ترتبط اقتصاديات جل الدول المطلة على البحر المتوسط بهذا البحر، كما أن الاستقرار البشري يغلب عليه التمركز على السواحل، إذ تصل نسبة السكان الذين يعيشون على السواحل 38٪ من مجموع الساكنة المتوسطية على مساحة لا تتعدى 15٪. كما أن سكان المدن الواقعة على الساحل المتوسطي يصل عددهم إلى 82 مليون نسمة، ويرتقب أن يصل هذا العدد إلى ما

بين 105 و113 مليون نسمة سنة 2000 أي أن نسبتهم ستمر من 61٪ إلى ما بين 75 و78٪ سنة 2000. يجب أن نضيف إلى هذه الكثافات البشرية الدائمة التجمعات البشرية التي تسجل خلال المواسم السياحية والتي تصل اليوم إلى 100 مليون نسمة على أنها ستتضاعف مرتين أو ثلاث مرات سنة 2000. أما إذا أخذنا بعين الاعتبار التركزات الصناعية الساحلية وحركات المواصلات الملاحية السابقة الذكر فإننا نلمس الخطر الذي أصبح يهدد اليوم هذا البحر الشبه مغلق.

فإلى جانب استهلاك الأراضي والغطاء النباتي والمياه الساحلية، وهي موارد جد محدودة، تعرف المياه البحرية سواء الساحلية أو مياه أعالي البحار تدهورات ايكولوجية خطيرة ومتزايدة. وقد قسمت أنواع التلوث التي يعاني منها البحر المتوسط إلى خمسة أنواع :

- تلوث ناتج عن المياه الفاسدة التي تلقي بها المدن الساحلية إلى البحر دون أن تقع معالجتها، وهو تلوث بكتيري يتم عن طريق المواد العضوية التي تحملها المياه. وإذا كانت مياه البحر تتوفر على طاقة ذاتية للقضاء على هذه المواد العضوية، فإن هذه البكتريات قد تكون لها نتائج وخيمة على صحة الإنسان حينما تلتحق بالسلسلة الغذائية البيولوجية عن طريق الأسماك والصدفيات.

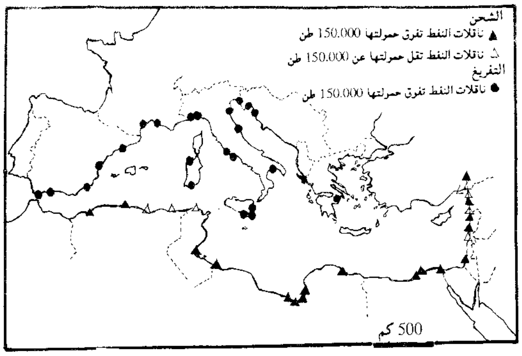


نقط شحن وتفريغ النفط بحوض البحر المتوسط

- تلوث عضوي ناتج عن إلقاء المياه الفاسدة والمواد العضوية التي تحتويها الأسمدة (الفوسفور، الآزوط) وكذا الرواسب، وتكون أهم نتيجة لهذا التلوث مساعدة بعد الكائنات الحية (أنواع من الطحلب) على التكاثر والتزايد بطريقة عشوائية وغير طبيعية. وهكذا فإن هذا التحول المفاجئ الذي تعيشه المنظومة البيئية يهدد هذه الأخيرة، إذ أن نمو وتكاثر هذه الأصناف يقضي على الأصناف الأخرى وخاصة خلال الصيف حيث ترتفع درجات الحرارة. وقد برزت هذه الظاهرة بوضوح خلال السنوات الأخيرة ببحر الادرياتيك وسواحل البندقية، الشيء الذي أزعج آلاف السواح الذين فروا من المنطقة، واعتبر إشارة إيكولوجية تم الانتباه إليها بكامل الجدية.

- تلوث ناتج عن مواد صلبة كالقارورات والأكياس البلاستيكية والتي لا يمكن تحللها بصفة تلقائية.

- تلوث كيماوي ناتج عن المياه الفاسدة التي تلقي بها الصناعات والتي تكون محملة بمواد سامة من محروقات ومنظفات كيماوية وزيوت ومبيدات ومعادن ثقيلة. تصل كل هذه المواد إلى السلسلة الغذائية كما أنها تلحق أضراراً بالوسط الطبيعي فتقضي على عناصر حيوية وتساعد أخرى على التكاثر.

وتبقى المحروقات أخطر مصدر للتلوث بالبحر المتوسط، وذلك خلال مختلف العمليات من تنقيب وإنتاج ونقل.

أما الأمل الوحيد في إنقاذ البحر المتوسط المهدد اليوم إيكولوجيا فهو تعبئة الدول المشرفة عليه للقيام بمجهود جماعي. إذ بدأت بعض المبادرات الجماعية في إطار برنامج الأمم المتحدة للبيئة الذي انبثق عنه "المخطط العملي للبحر المتوسط" "Plan d'action pour la Méditerranée". وقد أنجز هذا البرنامج بطلب من الدول المتوسطية مجموعة من الدراسات سميت "بالمخطط الأزرق" الهدف منها ضبط التطورات الديمغرافية والاقتصادية والبيئة التي تعيشها دول الحوض حتى أفق 2025 اعتمادا على مجموعة من السيناريوهات. وأبرزت نتائج هذا المخطط التي نشرت سنة 1988 أن التطورات الحديثة والمستقبلية تميل من اتجاه وضعية غير مقبولة بالنسبة لاقتصاديات وايكولوجية وظروف عيش الحوض المتوسطي. وانطلاقا من هذا التشخيص قام المخطط الأزرق بسبر الخيارات الممكن اقتراحها على دول المنطقة كبديل لاجتناب تدهور الوضع. تتوجه هذه الاقتراحات إلى المسؤولين والمخططين على المستوى الدولي والوطني والجهوي. وإذا كانت الحلول المتعلقة بحماية أعالي البحار تتعلق بالاتفاقيات الدولية الخاصة باستغلال الثروات البحرية فإن خلاصة الدراسة أكدت بشدة على المبادرات الوطنية الرامية إلى توعية العموم بالعلاقة الوثيقة القائمة بين التدهور البيئي القاري وتدهور الوسط الساحلي والبحري.


*المخطط الأزرق*، برنامج الأمم المتحدة للبيئة 1988 ؛ *أطلس الثروات الطبيعية*، مديرية اعداد التراب الوطني 1984 ؛ بريان، *نموذج لمجال سياحي مغربي : ساحل البحر الأبيض المتوسط*، مجلة جغرافية المغرب، العدد 2 السلسلة الجديدة 1978.


محمد بريان

**البحر المتوسط** - جغرافيا طبيعية - بحر يدعى كذلك لأنه يتوسط أراضي تشرف عليه من كل الجهات. فهو عبارة عن بحر داخلي، لكنه غير مغلق، حيث ينفتح غربا على المحيط الأطلنتي عبر مضيق جبل طارق.

الميزة الأساسية لهذا البحر من الناحية الجيولوجية التداخل الشديد بين سلاسل جبلية حديثة والبحر، وخاصة على الواجهة الأوروبية التي تتقدمها جزر جبلية، هذه أجزاء من سلاسل كبرى، كما هو الحال بالنسبة للبليار وصقلية وقبرص. وينتج عن هذا التداخل انغماس سريع للقارة تحت مستوى البحر وبالتالي ضيق للهضاب القارية، التي تحدها حافات تنزل بانحدار قوي نحو أحواض عميقة.

أما من الناحية الهدرولوجية، فالبحر المتوسط له خاصية سلبية الميزانية. فهو في موقع عرض يجعل التبخر يفوق الواردات العذبة، بسبب الحرارة الخاصة للبحر والمناطق المحيطة به. وهذا ما ينتج عنه خصاص، على المستوين المائي والبيولوجي، يتمثل في ملوحة مرتفعة نسبيا، انتاجية حيوية أقل من انتاجية مياه المحيط، وبالتالي لزوم تعويض هذا الخصاص عن طريق واردات مائية وحيوية قادمة من المحيط الأطلنتي. وقد توالت في التاريخ الجيولوجي للبحر المتوسط فترات انفتاح على المحيط العالي شرقا أو غربا، وفترات انغلاق للمضايق. ولذا نجد فيه أحياء خاصة، غير معهودة في البحار الأخرى.

والبحر، هو والجبال المشرفة عليه، يمثل مجالا يدعى المجال الألبي - المتوسطي، هو عبارة عن صلة وصل بين القارة الافريقية - العربية من جهة، والأوروبية - الأسيوية من جهة ثانية. وهذا الاتصال هو في نفس الوقت اتصال جيولوجي وبنائي واتصال مناخي ونباتي

1) التضاريس تحت البحرية : التشكيل التضاريسي للبحر المتوسط يتمثل في أحواض عميقة تفصل فيما بينها تجاعيد، وتحيط بها هضاب قارية ضيقة، لكن جد منعرجة الهوامش، بسبب التداخل الشديد بين الجبال والبحر. ولذا لا يوجد في الأحواض العميقة أي مكان يبعد بأكثر من 200 كم عن هضبة قارية مجاورة. وهذا يدعو إلى القول إنه في البحر المتوسط، مختلف الهوامش القارية شبه متصلة فيما بينها، وتتوسطها أحواض عميقة لكن جد منعرجة الجوانب.

ويمكن تقسيم البحر إلى حوضين كبيرين يفصلهما تجعد يمتد بين تونس وصقلية، عمقه يقل عن 400م، بينما اتساعه لا يتعدى 140 كم. الشيء الذي يساهم في انغلاق الوحدات داخل البحر المتوسط.

- الحوض الغربي يتكون من وحدتين، الحوض التيريني بين إيطاليا وسردينيا، والحوض الجزائري - البروڤانسي، غرب هذه الجزيرة، تشرف عليه سواحل جنوب فرنسا وإسبانيا وشمال إفريقيا. وهذا الحوض الغربي ينفتح على المحيط الأطلنتي عبر بحر البوران ومضيق جبل طارق.

- الحوض الشرقي أقل امتداداً، رغم اتساع الرقعة البحرية، وهو نفسه ينقسم إلى وحدتين، هما الحوض اليوني جنوب إيطاليا واليونان، وحوض شرقي مجزأ إلى عناصر، شمال مصر وعلى جانبي جزيرة قبرص. ويمتد في البحر الشرقي، وعلى مسافة 1900كم، ظهر مرتفع اتساعه 200كم تقل فيه الأعماق عن 3000م، ويشكل قوسا تحده جنوبا حفر عميقة تنزل حتى 5000م، تغزوها من جهة الجنوب التراكمات الفتاتية لدلتا النيل.

وتنغمس السواحل بسرعة إلى أعماق هامة، حيث تضيق الهضاب الحقيقية، ويتم الانتقال إلى الأحواض عبر حافات منحدرة، تحددها خوانق عميقة وضيقة، تتوافق مع مخارج الأنهار الكبرى.

2) بنية البحر المتوسط : الانغماس السريع للسواحل مرتبط غالبا بانكسارات من النوع العادي، تميل مستوياتها نحو الأعماق، وجلها حديث جدا، بحيث حركيتها مازالت مستمرة، تدل على ذلك الحساسية الزلزالية المرتفعة. وتوافق هذه الحوادث البنائية محال انتقال بين أحواض تتهدل وهامش قاري يرتفع. وهكذا تم تقدير مدى التهدل في البحر الغربي بحوالي 7 كم، بينما قد يصل في الجهات الشرقية حتى 15 كم. وهذا ما تسبب في إرساب سريع ملأ الأحواض وخاصة في ملايين السنين الأخيرة.

ضخامة الإرساب هاته التي قد تصل 10 كم سمكا تمثل حطا، من جهة لأنها تسمح للدارسين بتتبع تاريخ البحر وتطوراته، لأنها قد تكون مكامن للبترول يتم البحث فيها حاليا، لكنها تمنع من التعرف على القاعدة الصخرية السابقة للإرساب، أي تمنع من تحديد نوعية القشرة الأرضية في السهول العمقية.

طبغرافية البحر المتوسط الغربي

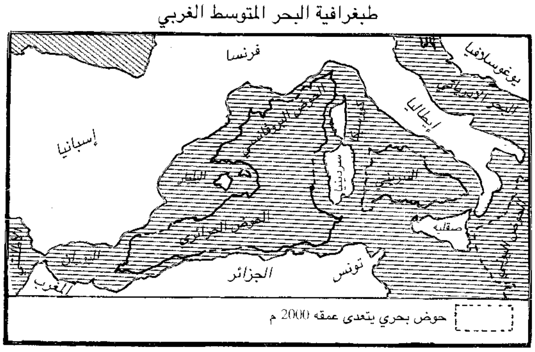


يفترض أن السهول مكونة من قشرة من النوع المحيطي، أي أنها عبارة عن قشرة ذات كثافة عالية وسمك ضعيف، فوق معطف قريب من القعر البحري (حوالي 15كم) ويعزز هذا ظهور براكين تحت بحرية، بعضها بارز، مثل بركان جزيرة البوران شمال الساحل المغربي. وهذا يعني أن الأحواض العمقية ناتجة عن انفتاح محيطي على جانبي ظهر أوسط يعرف صعود الصهير والتصاق مواد جديدة على شفتي الأخدود. لكن التحاليل الجيوفزيائية لا تسمح بالحسم في الموضوع نهائيا، وذلك بسبب تعقيد ماهية القشرة وصعوبة الاستبار لتحديد هذه النوعية.

هذه الأحواض وهوامشها تلقت رواسب منذ حوالي 25 مليون سنة. وهذا يشير إلى بداية فترة تكوينها، بينما عموم رواسب متجانسة في كل الجهات، تنتمي إلى ما بين 9 و6 ملايين سنة قبل الحالي، يدل على انتهاء مرحلة تكوين البحر وحصوله على حدوده وأشكاله الحالية بصفة تقريبية. أما ما حصل خلال البليورباعي فهو فقط عبارة عن استمرار للنزعات السابقة، من تهدل للسهول العمقية وانتهاض للجبال المجاورة.

والرواسب التي يمكن تعميمها على جل مساحات البحر، تنطلق من المرحلة الميسينية التي توافق نهاية الميوسين، بين 5 و10 ملايين قبل الحالي. وتمتاز توضعات

هذه الحقبة بتراكمات ملحية وجبسية، تشير إلى توقف الاتصال آنذاك بين البحر المتوسط والمحيط، مما أدى بسبب التبخر إلى تجفيف مياه البحر، وتركز الأملاح بها إلى درجة صارت تسمح بترسيب مواد تدعى التبخاريات.

والبحر المتوسط الحالي في حدوده النهائية الحالية يعود لفترة البليوسين حيث تجدد انفتاح البحر على المحيط بسبب تكوين مضيق جبل طارق، الشيء الذي أدى إلى غمر أحدث "ثورة" جيولوجية وحيوية حقيقية، رافقها غمر للأودية التي سبق حفرها في الحقبة السابقة. واستمر الوضع على ما هو عليه خلال الرباعي حيث تراكمت مواد وحلية وأخرى متواترة من حيث النسيج، شبيهة بالفليش، بعض فرشاتها دقيق أساسه الطين، والبعض الآخر مكون من رمال دقيقة، ويدل توالي هذه المواد على توالي فترات الهدوء المرفلوجي وفترات النشاط التحاتي في القارات. فمواد الفيض النهري عادة تمتاز بخشونتها النسبية، وتتركز أساساً عند الدلتات والى طلو الخوانق تحت البحرية.

3) مرفلوجية سواحل البحر المتوسط : تشرف على البحر المتوسط عادة أجراف صخرية توافق المجالات الجبلية التي تعرضت للانتهاض خلال البليورباعي، ولا تنخفض السواحل إلا عند مخارج الأودية الكبرى المسؤولة عن تراكمات هامة، وخاصة الأودية التي تشيد دلتات هائلة، مثل النيل، والرون، والپو، وبمقدار أقل نهر ملوية. وبينما نجد الساحل يعرف التسمين والتقدم في هذه الحالات، نجده في الهوامش النشيطة الايجابية، والتي تتفق مع الانكسارات الهامة يعرف التعرية البحرية والتراجع.

وتشير التركات الرباعية وتدرجها إلى أهمية الرفع الذي عرفته القارة بالنسبة لمستوى سطح البحر. فالتوضعات البليوسينية التي توجد تحت البحر في أعماق هائلة بسبب التهدل، توجد على ساحل الريف عند ارتفاع يقترب من 200 م. وعلى الساحل الكلابري بالجنوب الايطالي على ارتفاع 1000 م. وتوجد تحت الدرجة البليوسينية العالية، مستويات متدرجة متعددة، تدل على استمرار ارتفاع القارة خلال البلايستوسين. ففي الريف الشرقي، نجد على الساحل المتوسطي ما لا يقل عن أربع مستويات كبرى، تشير إلى الذبذبات الهزهزية التي عرفها مستوى البحر المتوسط، ارتباطا بفترات التجلد التي واكبها الانحصار البحري، والذوبان والتي نتج عنها طغيان البحرعلى القارات.

4) تاريخ البحر المتوسط، التطور الجيولوجي والجيومرفلوجي : البحر المتوسط بحر قديم. لكن شكله الحالي لم يكتسب إلا حديثا منذ حوالي عشرة ملايين من السنين. بينما ترجع بداية البحر إلى عهود غابرة تنطلق منذ الزمن الأول، في وقت كان فيه المحيط الأطلنتي غير موجود، بل مازال لم يبدأ انفتاحه.

ويمكن الرجوع إلى حوالي 180 مليون سنة قبل الحالي، عند بداية انفتاح المحيط الأطلنتي لتتبع مراحل تطور البحر المتوسط. في ذلك الوقت، بينما كانت أوروبا وإفريقيا ملتصقتين بالقارة الأمريكية، كان بين أوراسيا شمالا وإفريقيا جنوبا، محيط واسع، يعتبر متوسطا قديما، يضيق غربا بين أوربا وإفريقيا، بينما يتسع تدريجيا نحو الشرق، ليصل إلى حوالي 1500 كم اتساعاً بين شرق افريقيا وأوربا الجنوبية - شرقية.

ولما انطلق انفتاح المحيط، تم ذلك بسرعة متفاوتة شمالا وجنوبا، إذ كانت إفريقيا وأوربا معزولة الواحدة عن الأخرى تماماً. ففي البداية، أخذت إفريقيا تبتعد عن أمريكا نحو الشرق، بينما بقيت أوربا ثابتة. ومنذ 72 مليون سنة قبل الحالي، أصبحت أوربا هي التي تعرف هذه الحركة، وبسرعة أقوى. وأخيراً، منذ 48 مليون سنة استقر موقع المغرب بالنسبة لإيبيريا، بينما انطلقت حركة إفريقيا الشرقية تجاه الشمال، أي تجاه أوربا، الشيء الذي أدى إلى تضييق ثم انغلاق البحر المتوسط الأصلي، وذلك بعد التصاق الجزيرة العربية بآسيا، وأپوليا (إيطاليا واليونان) بأوربا. هذا التلاقي هو المسؤول عن السلاسل الجبلية في آسيا الصغرى وأوربا الجنوبية. واندثر عندئذ المحيط المتوسط القديم، حيث نجد أجزاء من قشرته، داخل السلاسل الألبية، على شكل صخور من نوع خاص، تدعى الصخور الخضراء (أوفيوليت).

وانطلقت عندئذ جنوب مجال هذا الانضغاط، حركة تمدد مسؤولة عن تكوين الأحواض البحرية الحالية، وفي اليوسين، وبعد انتهاء تشييد الجبال الأوربية والمغربية، ابتدأت الحركة العمودية التي تسببت في تهدل البحر وبالتالي تراكم كميات ضخمة من الرواسب فيه.

5) الهدرولوجيا البحرية : البحر المتوسط بحر تبخر بسبب انغلاقه النسبي وحرارة مياهه. كما أن بعض جوانبه تشكو من الجفاف وضعف الجريان. لكل هذه الأسباب، فإن ميزانية البحر سالبة، حيث يفقد عن طريق التبخر أكثر مما يستقبل من تهاطلات ومياه قارية جارية. وهكذا فإن الموارد التي تعوض الخصاص الناتج عن التبخر، تساهم بالنسب التالية : التهاطلات 36٪ - المياه النهرية 16٪ - المياه المحيطية الداخلية عبر جبل طارق 41٪ - المياه القادمة من البحر الأسود عبر البوسفور 7٪.

لكن المضيقين، جبل طارق والبوسفور لا يعرفان تياراً مائياً في اتجاه واحد، بل هما موقع تبادل. فبالنسبة لجبل طارق، يسمح هذا المضيق بدخول تيار مقدار سبيبه 1 مليون متر مكعب في الثانية، يواكبه خروج 960.000 متر مكعب. الفائض إذن والذي يُعتبر الكمية المربوحة من طرف البحر المتوسط يساوي 40.000 متر مكعب في الثانية.

وهذه التيارات هي المسؤولة عن تنوع المياه داخل البحر المتوسط ؛ كما تتدخل لتفسير هذا التنوع الاختلافات المناخية بين الواجهتين الشمالية والجنوبية من البحر، وبين الحوضين الشرقي والغربي. وهكذا يتدخل مؤشران هامان، هما برودة السواحل الشمالية وتأثيرها على حرارة المياه،

وسخونة الحوض الشرقي، المسؤولة عن أهمية التبخر، وبالتالي ارتفاع ملوحة المياه.

وتنقسم مياه البحر المتوسط إلى كتل ثلاث هي : المياه القادمة من الأطلنتي، وهي مياه خفيفة، ولذا تبقى عند السطح، ومياه من الحوض الشرقي، تعتبر وسطى، وأخيرا مياه أصلها الواجهة الشمالية باردة وثقيلة، ولذا فهي تنزل إلى الأعماق. والاختلاف في الكثافة، ارتباطا بالملوحة والحرارة، يتسبب في حدوث تيارات عدة، وتبادلات تؤدى في النهاية إلى حركات دورانية هامة.

6) البيولوجيا : الرصيد الحيوي للبحر المتوسط، هو عبارة عن رصيد موروث، يتم تجدده باستمرار عن طرق مضيق جبل طارق، وحاليا انطلاقا كذلك من قناة السويس. وبسبب ضيق الموردين الأجنبيين، فإن التجدد بطيء، لهذا نجد في البحر المتوسط أحياء قادمة من مصادر إما شمالية، أي متكيفة مع البرودة، الشيء الذي يلزمها بالنزول إلى الأعماق، أو مدارية، دخلت في فترات كانت فيه مياه المحيط، على الساحل المغربي أسخن من الحالي، وبالضبط خلال المرحلة الرباعية التيرينية (حوالي 100 إلى 12.000 سنة قبل الحالي). أما الأحياء القطبية فقد كانت تدخل البحر المتوسط خلال المراحل الباردة الجليدية. هذا الرصيد الموروث يتم تجدده بدخول أنواع إضافية.

لكن مياه البحر فقيرة من حيث العناصر المغذية، وخاصة من الفوسفور، ولذا فهي مياه بطيئة الانتاجية، لا تنمو فيها الأحياء بسرعة كما هو الحال في المحيط، ماعدا في مواقع خاصة، مثلا على مقربة من الدلتات، أو عند العتبات بين حوضين متجاورين، حيث يتم صعود المياه العمقية الباردة إلى السطح.

هذا النمو الضعيف على المستوى الحيوي، تهدده آثار التلوث التي تتفاقم يوميا، وخاصة على الواجهة الشمالية للبحر المتوسط.

J. Bourcart, *La Méditerranée et la révolution du Pliocène* in *Livre à la Mémoire de Paul Falbt, Soc. Geo, Fr*, t : I, Paris ; W. B. F. Ryan, E. Olansson, R. W. Fairbridge, *Mediterranean Sea*, in *The Encyclopedia of Oceanography*, New York ; J. Dresch, et P. Birot, *La Méditerranée et le Moyen Orient*, Paris.

عبدالله العوينة

**البحراوي**، أسرة رباطية أصلها من بلاد الغرب بشمالي مدينة سلا، لا يعرف تاريخ انتقال من انتقل منهم إلى الرباط، غير أن مصاهراتهم لعدد من الأسر الرباطية العريقة يدل على أن استقرارهم بالرباط يرجع على الأقل إلى القرن الثالث عشر (19 م). واشتهر منهم أخيراً الاخوان الشريان الوطنيان الحاج محمد البحراوي والحاج إدريس البحراوي.

**البحراوي، إدريس** (الحاج ـ) الرباطي. رجل عمل نشيط، عمل في الدباغة ثم في الجزارة ثم في الفلاحة وتربية الماشية والاتجار فيها. وكان ذكياً سخياً، أسس مشاريع اجتماعية هامة بالرباط، منها مدرسة حي العكاري، بناها في حي شعبي تشتمل على حجرات دراسية عديدة ومرافق متنوعة تستجيب لحاجيات ذلك الحي المزدحم بالسكان. كما أسس مستوصفاً طبياً بحي التقدم، وهو في كثرة السكان نظير حي العكاري.

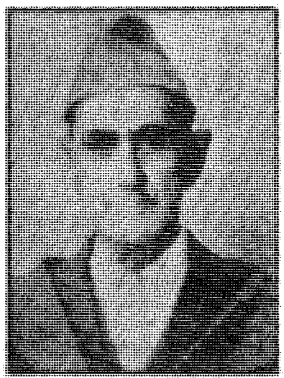

وأهم عمل قام به الحاج إدريس البحراوي هو تحبيسه دار سكناه الفاخرة بحي ديور الجامع وسط مدينة الرباط لتكون مقر دار الحديث الحسنية، وذلك في 13 شعبان عام 1390 / 15 أكتوبر 1970.

توفي في أوائل الثمانيات.

**البحراوي، محمد** (الحاج ـ) الرباطي، يعتبر هذا الرجل المومن في طليعة الوطنيين الغيورين المناهضين للحماية، كان ملازماً لدروس شيخ الاسلام أبي شعيب الدكالي فتأثر بنزعته السلفية الاصلاحية. وكان الشيخ أبو شعيب الدكالي أثناء قيامه بمهمة وزارة العدل قد سبق إلى الاطلاع على ضريبة تعسفية فرضها المستعمرون سنة 1920 على الحرفيين والصناع عرفت بضريبة "الاكياب" فنبَّه الوطنيين إليها ودعاهم إلى مناهضتها. فتكونت لجنتان بالرباط وسلا وحررت عريضتان قدمتا إلى جلالة الملك السلطان المولى يوسف في مظاهرة سلمية ـ ربما كانت الأولى من نوعها في عهد الحماية ..

وعلى إثر ذلك نفي الحاج محمد البحراوي إلى الصويرة، كما نفي زملاؤه الحاج محمد بلكوره إلى أسفي،

والمحجوب الأزرق إلى الجديدة، والمعطي جوريو إلى طنجة. وفي نفس الوقت نفي من سلا الحاج عبد الله بن سعيد إلى وجدة، والحاج بنعيس لعلو إلى أسفي.

توفي الحاج محمد البحراوي بالرباط في أواخر الأربعينات.

*معلومات وتقاييد شخصية* ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، 1 : 93. 96 ؛ ح. وگاگ، *دور الحديث في العالم الإسلامي*، 386. 387.

محمد الأمين بلگناوي

**البحراويون**، إحدى الفرق الثلاث التي تتكون منها قبيلة أنجرة (+ البرقوقيون والغابويون) الواقعة في أقصى الشمال الغربي للمغرب. تحد فرقة البحراويين بالمضيق وخليج طنجة والفحص. وقد كانت في عهد الحماية الإسبانية تابعة لمقاطعة جبالة الشرقية، ولكن في التقسيم الجماعي الحالي أصبحت من جماعة ملوسة التابعة لإقليم طنجة، ويبلغ عدد سكانها حسب إحصاء 1982 : 15،294 نسمة.

يقال إن يعقوب المنصور هو الذي قام ببناء القصر الصغير الذي يبعد عن رأس طريفة بتسعة أميال، وكانت شواطؤه تلعب دورا مهما كميناء عسكري وخزان للأسلحة، ويقول بعض المؤرخين الإسبان إن العرب الذين قطعوا المضيق لفتح الأندلس انطلقوا من هذا المكان بسفن صنعوها من الخشب الموجود بكثرة في بلاد البحراويين وخاصة من جبل موسى وبَلْيُونش. وبدأ تقهقُر أهمية هذا الموقع بعد وقعة العقاب إلى أن استولى عليه البرتغاليون بقيادة الفونسو الخامس سنة 1458.

وهناك من يقول إن تسمية القبيلة بأنجرة ترجع إلى وجود مدشر بفرقة البحراويين يسمى «منجرة» إذ كان بها قديما غابة كثيفة يستعمل خشبها لصنع السفن حتى إن بعض الأساطير الشعبية تقول إن نبي الله نوحا أخذ منها الخشب لصنع سفينته، ومن هنا جاء اسم القبيلة.

ويُعتبر البحراويون من المدافعين المستميتين عن استقلال المغرب حيث كانوا في جيوش صَدّ الغزو الإيبيري على الخصوص، واتّخذت مناوشاتهم وهجوماتهم على سبتة كإحدى الذرائع التي اعتمد عليها الجنرال O'Donnel الإسباني في حرب تطوان سنة 1859.

تشمل هذه الفرقة المداشر التالية : عين الرمل، وعين سعيد، وعزيب بلْعَيشيش، وبني مسعود، وبني مجمّلْ ودار الفوال، ودار حمران، والبرج، وفدان السعيدي، وفرديوة، وحموني، وحصانة، وخندق زرارا، والنّجريين، والنشبة، وأمليش، وملوسة، والمخفي، والرمان وتل الشريف، وتافوغالت، وزمي.

يتلخص أهم نشاطات سكان هذه الفرقة في الفلاحة وتربية المواشي وصيد السمك، إضافة إلى صنع الحُصر وتربية النحل واستغلال شجر البلوط.

اشتهر مدشر بني مُجَمَّل بكونه كان مدشر زعيم القبيلة الملقب بالحمام الذي كان يقف في وجه الغزو الأوربي، واشتهر مدشر بني مسعود بكون أغلب سكانه فحامين. وفي البرج مزارع عدد منها في ملك عائلة أولاد بولعيش. أما بَلَعيْشيش (ملوسة) فهو مقر عائلة أولاد بولعيش.

ويعتبر سوق اثنين ملوسة مركز فرقة البحراويين. ومن الطرق الصوفية المنتشرة بهذه الفرقة نجد أنه في عهد الحماية كانت بها الطرق التالية : الدرقاوية والتجانية والتهامية والناصرية وعيساوة.

ومن أهم أعيان وشخصيات هذه الفرقة حسب وثيقة سرية موجهة للمراقبين الإسبانيين سنة 1930، نجد عبد القادر التفتافي من مدشر بني مسعود، ومحمد بن الحاج حميد السوسي، والمختار بن سيدي حميد الرقيوق، وعبدالسلام بن مسعود الفتاح، والحاج الدرقاوي من مدشر الرمان، وعبدالسلام بنعجيبة من مدشر زمي.

*مديرية التخطيط*، الرباط، إحصاء 1982.

R. Ruiz, *La Kabila de Angra, Bol. Oficial de la zona de influencia española en Marruecos*, 10 Feb. 1914, n° 21 ; Intervenciones militares de la region de Yebala central, *Memoria relativa a las kabilas que integran esta regional*, año 1934, Tetuan ; Alta Comisaria de la Republica española en Marruecos, *Vademecum, Año 1930*, Ceuta, 1930 ; Alta Comisaria, *Indigenas significados que no son autoridades, año 1930* ; J. Martinez, Ruiz, *Toponima menor de Yebala*, C.B.T, p. 23 - 50 ; M. Vasquez del Rio, *Arbalado y bosques en Marruecos*, Tetuan, 1935 ; Delegacion de Asuntos indigenas, *Nombres de musulmanes habitantes en la zona del protectirado español en Marruecos*, Ceuta, 1937 ; *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, 2 t ; M. Martin, *El Colonialismo español en Marruecos*, 1860 - 1856, Paris, 1973 ; A. Garcia Perez, *Zona española del norte de Marruecos*, Toledo ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos : contribucion al estudio de la zona*, Melilla, 1926.

محمد بوجداد

**البحري**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الساحل وهي غير أسرة البَحَر المتقدمة، وقد انقرضت بتطوان سنة 1921/1339.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين* 3 : 51 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos, *Familias ilustres* ; *Vademecum*, año 1931.

محمد ابن عزوز حكيم

**البحري، علي** الأندلسي، صوفي أخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع تلميذ الإمام محمد بن سليمان الجزولي بواسطتين : عن الشيخ علي الحساني عن الشيخ علي صالح. كان يسكن داراً بعدوة الأندلس في المكان الذي توجد فيه اليوم زاوية القلقيين الفاسية، كان بها بيت واحد وفي وسطها شجرة من الإنجاص، ثم تهدمت عقب موته فصارت طرازاً ثم سقط سقفه وخرب في وباء مطلع القرن الحادي عشر الهجري إلى أن وُهب للشيخ عبد الرحمان الفاسي العارف سنة 1027 فبناها زاوية وحبسها على الذاكرين.

توفي علي البحري بفاس في حدود 980 / 1572 ودفن في روضة الأنوار خارج باب الفتوح.

ع. الفاسي، *بستان الأذهان*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 214؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، ص 66.

محمد حجي

**البحريّة**، (للا عائشة ـ) دفينة خارج مدينة أزمور، يقال إن أصلها من بغداد، لكن غلب عليها اسم «البحرية» لكون قبرها يقع قرب شاطئ البحر، بجانب نهر أمّ الربيع. ومما يحكى أن هذه الولية الصالحة كانت تعيش في بغداد واتصلت ـ روحيا ـ بالشيخ أبي شعيب السارية، لما بلغها ما هو عليه من الصلاح والورع والتقوى، وتوطدت بينهما أواصر الصحبة الى حَدّ، تقول الرواية الشعبية، أنهما كانا يقذفان بالكرة معاً، فيقول لها :«هاكي آعائشة في بغداد!» فتجيبه هي :«هاكْ آبو شعيب في قرْن الواد !».

وظل الوليان يتراسلان بهذه الطريقة العجيبة، إلى أن بلغت للا عائشة البحرية من الكبر عتياً، وخشيت أن تدركها المنية قبل رؤية الشيخ أبي شعيب، فعزمت على شدّ الرحلة لزيارته بأزمور، وتحملت مشقة السفر من المشرق إلى المغرب، وكادت أن تدرك مُناها، لكن حينما كانت على مرأى من مدينة أزمور سقطت على الأرض منهوكة القوى، فكانت النهاية دون أن تنعم برؤية الشيخ أبي شعيب، ودفنت في المكان الذي ماتت فيه.

ولقد دأبت نساء أزمور على زيارة ضريح للا عائشة البحرية، وخصوصا في اليوم السابع من الأعياد الكبرى.

*مدن وقبائل المغرب*، مدينة أزمور وضواحيها، تر. م. الشياظمي.

محمد الشياظمي

**البحريّة المغربية**، إن المغرب الذي يُطل من جهة الشمال وجهة الغرب على مجالات بحرية تتمثل في البحر المتوسط والمحيط الأطلنتي قد وعى منذ القدم أهمية السيطرة على البحر كطريق مفضل للتواصل مع باقي الحضارات وكحاجز دفاعي ضد أطماع الغزاة القادمين من الغرب.

وهكذا ظل الأسطول المغربي يثبت حضوره عبر العصور بالرغم من اختلاف الظرفيات السياسية والتقلبات الوقتية. إن أهمية المغرب الاستراتيجية جعلته مستهدفا لأطماع الطروادين والفينيقيين والقرطاجيين والرومان والوندال والبيزنطيين والأوربيين والعثمانيين. ومن المفارقات أن العرب الذين جاءوا إلى المغرب بطريق البرّهُمُ الذين أغنوا التقاليد البحرية المغربية.

فقد اقتضى فتح الأندلس ونشر الإسلام بها تكوين بحارين من صناديد البربر كانوا ينطلقون من طنجة وسبتة. ففي سنة إحدى وتسعين للهجرة (710 م) عبر البربري طريف بن زهرة المضيق ونزل على رأس أربعمائة من المحاربين في شبه الجزيرة التي سميت باسمه : طريفة. وقد مهد نجاح غزوته في بلد منهار تحت ثقل المشاكل خطوة حاسمة للفتح الإسلامي للأندلس.

وفي العام الموالي كُلف طارق بن زياد على رأس سبعة آلاف من الفاتحين بهذه المهمة فاحتل ما بين مالقة ومدريد مرورا بقرطبة وإشبيلية وطليطلة وغرناطة، ومنذئذ حملت الصخرة المشهورة اسم جبل طارق.

وبعد فتح الأندلس تكون فيها المركز الثاني للنشاط البحري العربي في البحر المتوسط العربي وعلى المحيط الأطلنتي وذلك بعد قواعد بحر القلزم والاسكندرية. كما كان للمولى إدريس الأزهر اهتمام بحري، وقد كانت نكور عاصمة بني صالح في الريف مرسى نشيطا في التجارة مع الأندلس.

أما المرابطون (447 ـ 542 / 1055 ـ 1147) الذين تدخلوا في الأندلس فقد كان لهم أسطول من حوالي مائة قطعة بحرية حربية راسية بالمرية وقادس. وكان على رأس التي بقادس أمير البحر عبد الله بن ميمون. وكان لهذا الأسطول نشاط فعال على سواحل فرنسا وإيطاليا حتى صقلية. وشارك في حصار جزر البليار.

أما في عهد الموحدين (542 ـ 668 / 1147 ـ 1269) فقد كان الأسطول البحري المغربي يتكون من أربعمائة قطعة : مائة في حراسة المغربين الأوسط والأدنى، ومائة راسية في مراسي شمال المغرب الأقصى، ومائة على سواحل الأطلنتي، ومائة تحرس شواطئ الأندلس. وكان من أمراء هذا الأسطول عبد الله بن سليمان وأحمد الصقلي، ولربما بلغت شهرة هذا الأسطول قدراً جعل صلاح الدين أمير مصر والشام يستنجد به لقتال النصارى المحتلين لبيت المقدس وموانئ الشام من النصارى. ومن المرجح أن أواخر عهد الموحدين عرف ندرة في مادة الخشب الصالح لبناء السفن.

وحتى قبل أن يستتب الأمر لبني مرين (668 ـ 876 / 1269 ـ 1471) قام ملك قشتالة الفونصو الملقب بالحكيم بإرسال سفن استولت على مدينة سلا بخدعة، وكان هذا الاستفزاز مما حمل أبا يوسف بن عبد الحق المريني على بناء دار لصناعة السفن عهد بالإشراف عليها إلى محمد بن علي بن الحاج الإشبيلي الذي استعمل أخشاب غابة معمورة في بناء السفن إلا أنه تبين أن هذه الأخشاب لم تكن صالحة، في حين أن أخشاب الريف لا تصل بسهولة إلى معامل بادس ونكور، ولم يتيسر بهذه الظروف تحقيق تنمية ملحوظة في ميدان الأسطول.

وفي عام 1273م قام أبو يعقوب بتجهيز أسطول من سلا ليحاصر آخر جيوش الموحدين بطنجة، وأجبر القشتاليين على الكف عن القيام بعمليات غزو خاطف على السواحل المغربية المتوسطية، وقام المرينيون من جهة أخرى بإرسال قطع بحرية للتعرف على جزر كناريا. فوصلتها وأخضعتها لمراقبتها عام 1280م.

كانت القطع البحرية والتجارية تتردد على المراسي المغربية مثل بادس وطنجة وأنفا وعلى سلا بضفة خاصة، فقد شاركت سلا وحدها بست وثلاثين سفينة بحرية في معركة ضد القشتاليين عام 1285. وكانت مختلف المجموعات البحرية تلتقي عند الاقتضاء في ميناء قصر المجاز (القصر الصغير) على البحر المتوسط وكانت تلك الفلك الصغيرة والمتوسطة تتولى نقل الجنود بين البحر وبين السفن الكبرى الراسية في عرض البحر.

وفي هذا العهد ظهر نوع السفن المعروف "بالغراب" لأنه مصبوغ باللون الأسود وله مقدمة تشبه الغراب، ولربما بقيت منها التسمية الشائعة عند بحارة المغرب إلى وقتنا هذا وهي "القارب" وكذا عند البربر الذين يسمون كل سفينة باسم أغرابو.

كانت السفينة الملكية في عهد أبي يوسف تحت إمارة أمير البحر أبي القاسم الرگراگي. وقد ذكر ابن جزي أن أبا عنان قام بعد أن استولى على المنصورة ببناء قلاع بحرية على امتداد الشواطئ المغاربية عام 1348م. وزودها بالذخائر والحاجيات التي يتطلبها البحريون في حالتي السلم والحرب.

كان عام 1358 بداية انحطاط الدولة المرينية حتى أفضى الأمر بالبرتغاليين إلى مهاجمة شمال المغرب واحتلال سبتة عام 848 / 1445. فقد اضطر الأسطول المريني إلى التراجع أمام قوة الدون هونري المكونة من ثلاث وثلاثين سفينة حربية عظمى وتسع وخمسين سفينة سريعة ومائة وعشر من حاملات الجنود.

وقد مضى أزيد من قرنين احتل فيهما البرتغاليون عدداً من نقط شواطئ المغرب ولم ينشأ أسطول بسبب تظافر عوامل الانحطاط السياسي والاقتصادي في أواخر المرينيين وفي عهد وزرائهم الوطاسيين.

وفي منتصف القرن السادس عشر قام السعديون (916 ـ 1070 / 1510 ـ 1659) بمحاولة تجديد الأسطول البحري والتجاري، فقد قام محمد الشيخ بعد احتلال فاس بالتفاوض مع أبي حسون صاحب بادس على قيام هذا الأخير ببناء مائة سفينة حربية سريعة ومائة سفينة لشحن البضائع وذلك في أوراش بادس. وفي عهد عبد الله الغالب كان الأسطول يتكون من زهاء ثلاثين قاربا وسفينة. ولما ثار الموريسكيون في جبال غرناطة عام 1568، زاد اهتمام هذا السلطان السعدي ببناء سفن أخرى.

وفي عهد عبد الملك السعدي المعروف بالمتوكل كان الأسطول يتكون عام 985 / 1577 من أربعين سفينة حربية كبرى، وكان هذا الأمير قد خدم في بحرية الأتراك حيث كان من ضباطها أثناء مواجهة فرسان مالطة وشارك في معركة ليبّانط الشهيرة عام 979 / 1571، وكان بالجزائر حيث تزوج بنت القرصان الشهير مراد رايس، وقد انتفع عبد الملك بخبرته في حرب البحر عندما لقي البرتغاليين في معركة وادي المخازن.

أدى طرد المسلمين واليهود من الأندلس نحو المغرب إلى ظهور القرصنة المنطلقة من بلاد المغرب تبُث الرعب في البحرية الأوربية، وتذكر الحوليات المتعلقة بهذه القرصنة أن السلاويين وحدهم اعترضوا طريق أزيد من ألف سفينة ما بين 1620 و1630 م فأسروا أكثر من ستة آلاف شخص تعادل فديتهم 25 مليون قطعة من العملة الذهبية (Ducats).

كان هؤلاء القراصنة السلاويون خليطا من الأجناس، وسرعان ما استثقلوا ضرائب السلطان على مردود نشاطهم، فاستبدوا بالأمر في أنظمة قدموا للترأس عليها بعض الزعماء المحليين. وقد احتفظت سلا بنفوذها إلى أن استتب الأمر للدولة العلوية.

أعاد العلويين النشاط إلى الطرق البحرية في تعاملهم مع الغرب، كما اهتموا بتحرير الشواطئ التي ماتزال تحت احتلال النصارى كالجديدة وأزمور وأسفي من البرتغاليين وطنجة من الأنجليز والعرائش والمعمورة وأصيلا وسبتة ومليلية من الإسبانيين.

وضع المولى رشيد (1075 ـ 1083 / 1664 ـ 1672) حدا لانفصال قراصنة سلا، وقد انطلقوا في حملات ضد فرنسا لما دخلت في صراع مع هولندا.

أما المولى إسماعيل (1083 ـ 1140 / 1172 ـ 1727) فقد أولى اهتماماً كبيراً لمصير الأسرى المغاربة ولتحسين التجارة وتقوية الجيش والبحرية وطرد المحتلين الأجانب من المدن الشاطئية، وفي هذا الصدد عين عبد القادر مورينو أكبر أصحاب السفن السلاويين عاملا على الرباط وسلا وأمر عام 1674 بتأسيس وزارة البحر المهتمة بالشؤون الخارجية على أساس ارتباط هذين الميدانين وأهمية قضية الأسرى والحرب. وقد بعث بسفارات إلى الخارج ترأسها خبراء في البحر من أمثال الحاج محمد تميم وعبد الله بن عائشة، ولكن فرنسا رفضت إعادة الأسرى المغاربة الماهرين في تسيير السفن والتجذيف بها.

وبالرغم من توقيع معاهدة مع فرنسا عام 1682 فقد ظلت مسألة الأسرى تميل بالسلطان إلى التشدد مع فرنسا مما خلق جواً من الحرب غير المعلنة تخللته فترات هدنة وعمليات غزو فرنسية ضد السلاويين.

كان ذلك النشاط القرصني، تحت إمرة رؤساء أمثال ابن عائشة والحاكم وفنيش والروسي ومعايز والتاج وقنديل وآخرين، يلحق أضراراً بسفن الأوربيين ولا سيما الأنجليز الذين أمضوا مع المغرب عقداً عام 1714 وجددوه عام 1721.

كانت المراقبة التامة للدولة على النشاط القرصني بسلا تكاد تجعل منه بحرية تابعة للدولة، وهذا ما قلص من عدد الممولين الخواص لتجهيز السفن.

ومما تميز به العهد الإسماعيلي بناء قلاع حصينة على طول البلاد وعرضها، وإصلاح ميناء مهدية عند مصب واد سبو وإعادة بناء طنجة بعد أن جلا عنها الأنجليز.

إذا كان المولى إسماعيل لم يشيد الأسطول الذي كان يتشوق إليه فإن حفيده سيدي محمد بن عبد الله قد أباح افتداء الأسرى النصارى ووفر أموالا جعلته يميل إلى تفضيل أرباح التجارة على موارد القرصنة، وفي هذا السياق اهتم بالواجهة البحرية الأطلسية ففتح أنفا للتجارة البحرية عام 1760 وعقد في نفس السنة معاهدة مع بريطانيا العظمى.

وفي 1764 أي بعد مرور عام على توقيع معاهدة تجارية مع السويد، أمر سيدي محمد بن عبد الله ببناء مرسى الصويرة الذي صار منتهى القوافل الصحراوية وترتب عن

هذه السياسة أمر بتنشيط وتحصين عدد من المراسي ولا سيما مرتيل لحماية ساحل سبتة، وكذا سلا التي عين عليها عبد الحق فنيش.

أنشأ سيدي محمد بن عبد الله أسطولا بلغ عدد العاملين فيه عشرة آلاف شخص، وكان إلى نظر أمراء البحر من أمثال مراد ومارسيل والسلاوي، وكان التنسيق بين وحدات هذه القوات موكولا إلى العربي كدوس، وكانت مصالح الدولة مرعية بواسطة عمال مكلفين بشؤون البحر في المدن المراسي.

وقد وقعت معاهدة بين المغرب وإسبانيا عام 1767 تضمن حرية الطرفين في الملاحة والتجارة والصيد وتتيح تدعيم الأسطول المغربي بوحدات جديدة وصيانة السفن في أوراش الصناعة البحرية الإسبانية.

ومن جملة ما تميز به عهد سيدي محمد بن عبد الله تعميم مبدإ الدولة ذات الامتياز في التعامل التجاري وتقنين جوانب مهمة من نشاط الملاحة البحرية كحرية الملاح وتقديم العون للبحارين ووضع قواعد الالتقاء بين السفن وحماية الممتلكات والمسافرين عن طريق البحر. وكان مما تميز به هذا العهد ووقعت الإشادة به فيما بعد تلك المعاهدة التي أبرمت عام 1787 بين المغرب وبين الأمة الأمريكية الناشئة، وقد نصت على ضمان الحماية لسفن الولايات المتحدة.

أما عهد المولى سليمان (1207 . 1238 / 1792 . 1822) فقد تميز بالميل إلى الانطواء تجنبا للمشاكل الناجمة عن ذيول الثورة الفرنسية، وقد ترتب عن هذه السياسة تراجع محقق في المبادلات التجارية عن طريق البحر.

ومن جراء هذه السياسة أمر السلطان عام 1795 بإغلاق مرسى المهدية تخوفاً من توغل الغزاة الأوربيين في حوض سبو وتهديد كل من فاس ومكناس. وفي نفس العام حضر القنصل الأمريكي في جبل طارق إلى الرباط ليتسلم الموافقة النهائية للمغرب على معاهدة 1786.

إن عهد المولى سليمان قد عرف وقائع مالت بالمغرب إلى الانعزال والحذر، منها ما هو داخلي كوباء الطاعون عام 1800، وتزايد تمرد القبائل، ومنها ما هو خارجي كطغيان القوات الأوربية وتفوقها العسكري الذي برز في معركة الطرف الأغر عام 1805، وفي حملات الغزو الأنجليزية الهولاندية ضد الجزائر عام 1816.

وقد انبثق عن مؤتمر فيينا عام 1817 تحالف القوات الأوربية ضد "قرصنة بلاد البربر" مما جعل سلطان المغرب يلتزم للويس الثامن عشر بوضع حد لنشاط القرصنة في المياه المغربية. وبعد ذلك بعام تقرر إلغاء الأسطول الحربي المتكون آنذاك من سبع وأربعين وحدة منها ثلاث حراقات وسفينتان من ذوات الصارين ودزينة من الزوارق.

وافق تولية المولى عبد الرحمان (1238 . 1276 / 1822 . 1859) ظهور البواخر، فكان لزاماً أن يدخل التعامل بين المغرب وأوربا عهداً جديداً.

كان السلطان الجديد متحررا مهتما بما يجري بأوربا، وقد بادر إلى توجيه رسائل تعبر عن عواطف الصداقة إلى قناصل الدول الغربية، وكان البرتغال سباقاً إلى اغتنام فرصة تلك المبادرة حيث عقد معاهدة مع المغرب عام 1823.

وفي العام الموالي جددت بريطانيا مع المغرب معاهدة 1801 وكملتها، وفي 1825 أشعر القنصل الفرنسي السلطان بتتويج شارل العاشر وحصل على الاعتراف ببند الدولة ذات الامتياز. ولم يتردد قنصل سردينيا في القيام بمبادرة مماثلة حصل على إثرها على توقيع معاهدة مع المغرب.

كان الأسطول المغربي في هذا العهد يتكون من ثلاث سفن تعمل في أعالي البحار وبعض الزوارق، وكان يشرف عليه الحاج عبد الرحمان بريطل الزيراوي والحاج أحمد ولد الحاج.

وفي عام 1856 فرض تحالف مكون من أنجلترا وإسبانيا وفرنسا معاهدة على المغرب تمت باتفاقيات للتجارة والملاحة، وكانت تهدف إلى احتلال المغرب والقضاء على سيادته، وعلى إثر توقيع تلك المعاهدة عينت أنجلترا قناصل في جميع المراسي المغربية المفتوحة للتجارة، ومما ترتب على ذلك أن مراقبة التسرب الأجنبي إلى المغرب قد أفلت زمامها من يد المخزن. وكانت حرب تطوان التي اعتدت فيها إسبانيا على المغرب مناسبة وجهت فيها الضربة القاضية للملاحة المغربية.

وقد نص ميثاق دولي موقع عام 1864، وهو متعلق بمنار رأس سبارتيل، نص في بنده الخامس على أن تتولاه الأمم الأوربية، وبذلك يتقرر أن المغرب لم يعد يتوفر على بحرية عسكرية أو تجارية.

قام السلطان مولاى الحسن (1290 . 1312 / 1873 . 1894) في عامه الأول بمحاولة تهدف إلى إعادة تأسيس البحرية المغربية، وكانت غايته الأولى أن يتوفر على وسيلة نقل سريعة للجنود والعتاد والبضائع لا تتعرض لمشاكل النقل البري، كما كان يهدف من جهة أخرى إلى مطاردة المهربين الذين يلحقون أضراراً بمداخيل الجمارك. وفي هذا الشأن تفاوض السلطان أثناء إقامته بالدار البيضاء في ماي 1876 مع الوزير المفوض الإيطالي سكوفاص Scovasse على اقتناء المغرب لسفينتين حربيتين عصريتين ولسفينة تكون مدرسة لطلبة البحرية.

وفي عام 1877 طلب السلطان إعانة أنجلترا في الحصول على سفينة مزدوجة تصلح للقتال والنقل معا، كما قرر أن يبعث بطلبة مغاربة يتلقون تكويناً بحرياً في المدارس المختصة بأنجلترا، وقد وقع بهذه المناسبة تصميم بذلة وطنية مغربية للبحارين تتكون من قميص صوفي أزرق داكن وشارات عليها أزرار مذهبة وقبعة تحمل نجمة ذهبية مزخرفة على رفرفها.

وقد جاءت مجاعة 1879 بما فرضته من ضرورة إيصال سريع للحبوب إلى جنوب المملكة لتزيد من عزم السلطان على تنمية البحرية، ولكن هذا المشروع تعرض لمضايقات الدول الأجنبية التي عرقلت كل جهود السلطان في هذا الاتجاه.

ومع كل المضايقات أمر السلطان بفتح مرسى أساكا للتجارة وبتنظيم حراسة للساحل ما بين أگادير ووادي درعة.

وكانت غاية ما أمكن إنجازه في آخر العهد الحسني في ميدان الأسطول البحري هو ثلاث وحدات صغيرة للنقل، والسفينة خافرة الشواطئ المسماة بالبشير. ومع ذلك فإن عناية السلطان بإصلاح المراسي قد برزت في عدة مناسبات منها مناسبة زيارته لمرسى الدار البيضاء عام 1878.

أما العناية بالتجارة مع الخارج فقد تمثلت في فتح ثمانية مراسي، وانتقلت الصدارة من الصويرة إلى طنجة في منتصف القرن، ثم انتقلت إلى الدار البيضاء حوالي سنة 1890.

وبعد وفاة السلطان مولاى الحسن وتزايد نشاط البحرية الدولية المستعملة للبخار ذهبت الأهمية عن بعض المراسي التقليدية في مصبات الأنهار كالرباط وسلا والعرائش ومهدية.

وفي عهد وصاية أحمد بن موسى (1894 - 1900) تم بيع سفينتين كانتا زهرة ما تبقى من الأسطول، ولم يبق سوى السفينة المعروفة بسيدي التركي التي استمرت بضع سنين أخرى تتجول في البحر المتوسط.

وفي عهد السلطان مولاي يوسف، أي في الشطر الأول من عهد الحماية عاد النشاط إلى المراسي وخاصة الدار البيضاء وفضالة والرباط فارتبطت الدار البيضاء وطنجة بمرسيلية بواسطة الرحلة الأسبوعية لسفن شركة باكي Paquet التي كانت قد دشنت عملها بالمغرب منذ عام 1865، كما أقامت هذه الشركة ربطا آخر بين مرسيلية وبرشلونة ووهران وبين المراسي المغربية جنوبي الدار البيضاء. كما أنشئت خطوط اتصال أخرى لسفن النقل الصغرى مع الرباط والقنيطرة، وقد نمت حركة النقل التي كان معظمها قائماً على تجارة الحبوب وصناعة الفوسفاط الناشئة.

ولما ازداد حجم المبادلات قامت السلطات بربط اتصالات بحرية أخرى بمرسى الهافر ومرسى دانكيرك بواسطة زوارق نقل استخدمت لإحباط المبادرة الفردية في هذا الاتجاه.

ولدعم هذه الأنشطة البحرية قامت السلطة عام 1919 بوضع المسطرة التأديبية والجنائية للبحرية التجارية وسن قانون التجارة البحرية. وكانت تلك الإنجازات متميزة بالنسبة لعصرها، واستوحت من القوانين الجاري بها العمل في عدة بلدان.

وفي عام 1920 تم إنشاء مصلحة للبحرية التجارية والصيد البحري، ومعها ظهرت أولى السفن الحاملة للراية المغربية. ومن جملتها مجموعة حملت أسماء الرؤوس البحرية جهزها اتحاد المقاولات المغربية ومن سفنها "بوجدور" و"سبارتيل" و"تريفة" ومجموعة "القواد" ومنها "ميما" و"عزيز" و"حسن" و"الفاسي".

أصبحت الدار البيضاء ميناء لرسو السفن القاصدة والعابرة بكيفية منتظمة، وكان من السفن البخارية الدائمة التردد عليه "أگادير" و"الرباط" وهما تابعتان للشركة الشريفة للملاحة.

وفي عهد سيدي محمد بن يوسف أُحدثت تشريعات بحرية وطنية في ميدان تسجيل السفن أطلقت الحرية في هذا الباب وشجعت عدداً من أصحاب السفن الأجانب على أن يضعوا سفنهم تحت الراية المغربية، وبهذا غدا الأسطول التجاري الوطني يضم ابتداء من سنة 1932 أربع عشرة وحدة تزيد حمولتها على عشرة آلاف طن.

وفي العام الموالي أدت المنافسة إلى صدور ظهير يقصر متاجرة السفن المسجلة في المغرب على منطقة الحماية الفرنسية، وأدى ذلك إلى تدهور ذلك الأسطول حتى إنه لم يعد يضم بعد اثنتي عشرة سنة سوى خمس وحدات مجموع حمولتها ثلاثة آلاف طن.

ابتداء من عام 1946 أدى النمو المتزايد لحركة الملاحة إلى انطلاق جديد في ميدان اقتناء البواخر المتخصصة مثل "مولاي بوشعيب" و"سعادة" التي أصلحتها شركات *ليكارگو فرويتيي شريفيان* (حاملات الفواكه الشريفة) لنقل الحوامض والبواكر وكذا اقتناء وحدات جديدة مثل الناقلة المسماة بـ "الغرب" التي جهزتها الشركة الشريفة لتجهيز السفن، و"جرادة" التي وقع اقتناؤها عام 1948 من طرف الشركة الفرنسية الشريفية وهي التي صارت كوماناف الحالية COMANAV و"الأوداية" وهي سفينة نقل عصرية طاقتها 2500 طن تتوفر على مخازن مكيفة الهواء.

وهكذا صارالأسطول التجاري المغربي في عام 1949 يضم من جديد خمسا وثلاثين سفينة حمولتها الإجمالية 32.000 طن، وكان من بينها ثلاث سفن مهيأة للمسافات البعيدة.

وقد عرفت هذه المدة تكاثر الشركات الصغرى التي أقبلت على الاستغلال التجاري للسفن الصهاريج التي استغنت عنها البحرية الأمريكية وحولتها إلى حاملات لخمور المغرب والجزائر. ولكن تدهور الصادرات من الخمور أدت عام 1956 إلى نقصان عدد قطع الأسطول الذي كان قد وصل إلى أربع عشرة قطعة حمولتها اثنا عشر ألف طن.

ومع إرسال قواعد الاستقلال تطور الأسطول وأصلحت الموانئ ووضعت أسس البحرية العصرية. وقد كان التوجه في ميدان البحرية في هذا العهد الجديد بداية الاستجابة لتطور التجارة الخارجية. ومن رموز هذا التجديد المستند إلى تقليد عريق إنشاء وزارة خاصة بالملاحة التجارية والصيد البحري عام 1981.

A. Timoul, *Les Chroniques maritimes du Maroc.*

عبد القادر تيمول

**البحيرات** بالمغرب، يتوفر المغرب على عدد كثير من البحيرات، وهي صنفان :

أ - بحيرات شاطئية : هي عبارة عن مساحات من الماء معزولة عن البحر، إلا أنها تبقى متصلة به وتحت تأثيره

المباشر بواحد أو عدد من المجاري. وإن ما يميز هاته البحيرات الشائية هو التقلبات الكبيرة في عواملها الهيدرولية كحرارة الماء وخاصة ملوحته التي يمكن أن تصل ما بين 4 و42٪.

مساحتها ثلاثة كلمترات مربعة وعمقها 2.5 أمتار بينما يتعدى عمق بحيرة خنيفيس أكثر من 20 مترا وذلك بسبب تيارات المد والجزر التي ساهمت في حفر خنادق عيمقة وسط البحيرة.

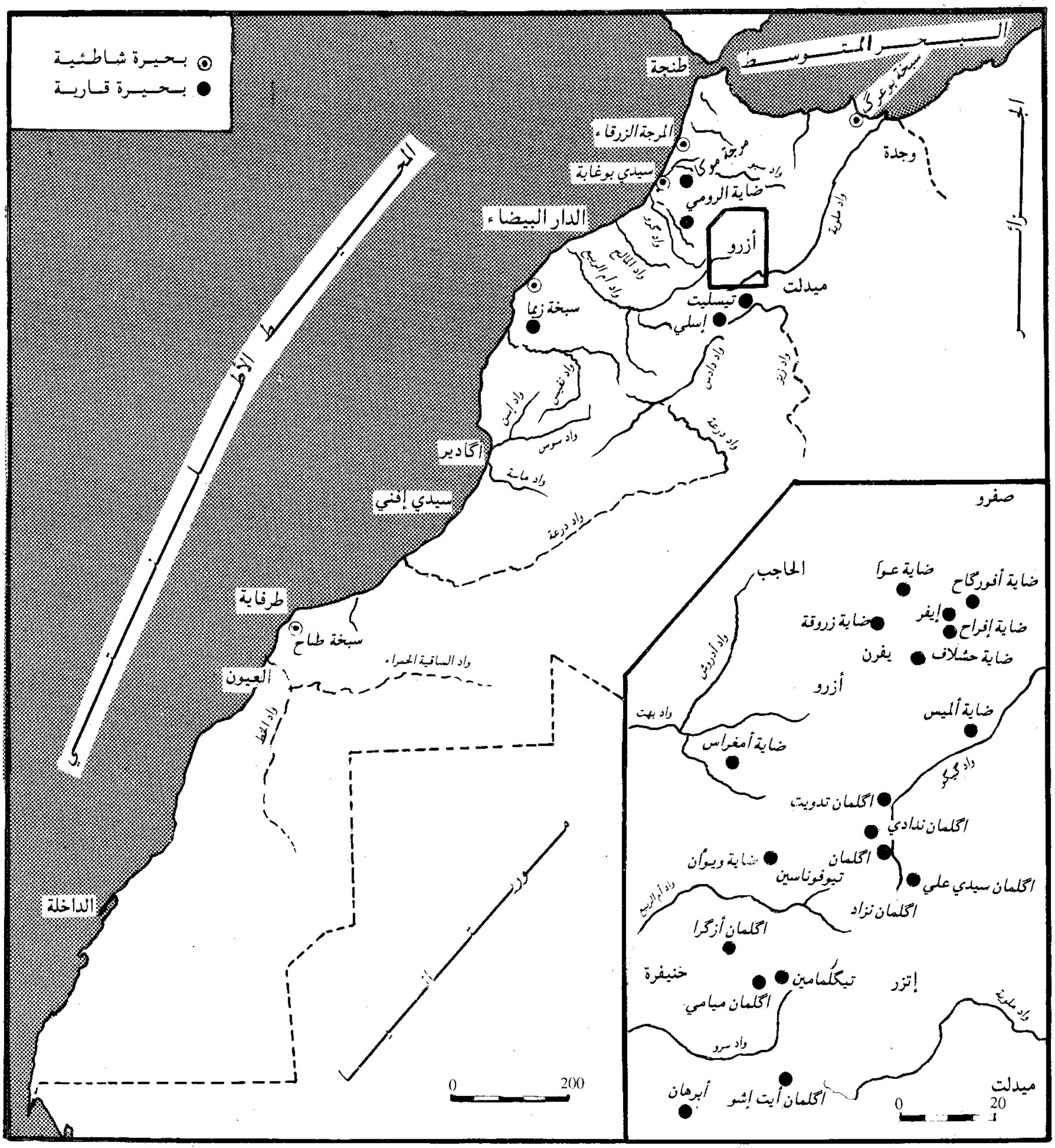


البحيرات الشاطئية والقارية

تتوفر السواحل المغربية التي يبلغ طولها أكثر من 3.000 كلم على عدة بحيرات شاطئية نذكر من بينها على الشواطئ الأطلسية : بحيرة مولاي بوسلهام قرب العرائش، وبحيرتا سيدي موسى والوليدية قرب مدينة الجديدة، ثم بحيرة ناحية طرفاية. أما الشواطئ المتوسطية فتتوفر على بحيرة بوعرگ ناحية مدينة الناضور. وهي أكبر هاته البحيرات مساحة حيث تتعدى 115 كلم مربع، بينما لا يتعدى عمقها ثمانية أمتار. أما بحيرة الوليدية فلا تتعدى

تقع البحيرات المغربية بشكل عام محتجبة بالتلال الشاطئية الرملية مما يجعلها محمية من الرياح والعواصف وبالتالي متوفرة بداخلها على هدوء نسبي. وينتج عن هذا كله تراكم حبات الرمل في قعر البحيرة وندرة في الدعامات الصخرية.

يساعد تراكم الرمال والأوحال في قعر البحيرات على نمو العديد من النباتات باديات الزهر المائية التي تشبه الزهرات البرية. ومن بين هاته النباتات يمكن أن نذكر عدة

أنواع من جنس Posidonia Cymodocea Zostera والتي تبرهن بوجودها فقط عن هدوء وسكون البحيرة.

تعيش في البحيرات الشاطئية أيضا عدة أنواع من الطحالب وخاصة منها الطحالب الخضراء كأجناس Caulerpa Enteromorpha Ulva وأعداد أخرى من الطحالب العالقة. تبقى الطحالب الحمراء نادرة في معظم البحيرات المغربية ويبقى وجودها مرتبطا أكثر بالتيارات المائية وبمدى تأثُّر البحيرة بمياه البحر. تلعب هاته الطحالب الحمراء وخاصة Jania rubens دوراً هاماً في تثبيت وتركيز الرواسب في قعر البحيرات.

وحيش البحيرات الشاطئية المغربية متنوع جدا وكثير الشبه بنظيره في البحيرات المتوسطية. تتكون اللافقريات من المنخريات Ammonia Etphidium والاسفنجيات Sycon وشقائق البحر Actinies والقشريات مزدوجات الأرجل Gammarus Corophium ومتساويات الأرجل Idotea وعشاريات الأرجل (الاربيان) بالإضافة إلى الحلقيات Cirratulides والرخويات Hydrobia.

تتكون الأسماك من عدة أنواع يتميز أغلبها بقدرة كبيرة على التكيف مع تقلبات الملوحة، إلا أن منها ما ياتي من البحر ومنها ما ياتي من المياه العذبة.

لا يمكن اقتصاديا أن تُتجاهل الأهمية البالغة لهاته البحيرات وخاصة في ميادين الصيد وتربية بعض الحيوانات البحرية. وبالفعل فإن مياه البحيرات غنية بالأملاح المعدنية والعضوية وبالتالي بمواد التغذية بالنسبة لبعض الحيوانات ذات الأهمية الاقتصادية. بالإضافة إلى ذلك فإن البحيرات الشاطئية سهلة البلوغ مما يجعل استغلالها أقل تكلفة من استغلال عرض البحر أو المحيط.

من الأسماك والحيوانات البحرية الأخرى ما تعيش طول عمرها في البحيرات، ومنها ما تأتي من البحار أو المياه العذبة لتكمل نموها، وأخرى تاتي لتتوالد ثم ترجع إلى موطنها الأصلي. كما تدخل البحيرات أيضا كبحيرة الناضور كميات هامة من الأربيان في مراحلها الأولى لتكمل نموها وتعود لتتوالد في أعالي البحار.

تعتبر البحيرات إذن ربطا طبيعيا لتجمع صغار الأسماك والقشريات والرخويات... وهي بالتالي تكون منجما طبيعيا سهل الاستغلال. نذكر على سبيل المثال وفرة الأربيان من نوع Penaeus Kerathurus والمحار Venerupis Seccussata.

منذ سنة 1956 أنشئت ببحيرة الوليدية عدة أحواض لتربية محار الترق C. Gigas, Crassostrea angulata يصدر معظم إنتاجها إلى الخارج. أما بحيرة الناضور فقد جُهزت أخيراً بأحدث وسائل تربية المحار وتنمية الأربيان والأسماك. يصدر أيضا معظم إنتاجها إلى الخارج.

قد تتعرض البحيرات للتلوث الناتج في أغلب الأحيان عن أنشطة الإنسان، مما يؤدي إلى اختلال توازنها البيئي. فبحيرة الناضور، مثلا، تتلقى مجاري ملوثة من مدينة الناضور، من قرية أركمان، من بني أنصار وأسوان، مما أدى في بعض مناطق هاته البحيرة إلى نمو سريع في اعداد الطحالب الخضراء Ulva وبالتالي قلة نسبة الأكسجين واندثار كل الحيوانات بما فيها الأكثر قابلية للتلوث.

من البديهي أن يكون هذا التلوث خطراً على «الحالة الصحية» للبحيرات وعلى النباتات والحيوانات بها، وعبر السلسلة الغذائية يكون خطراً على الإنسان، لذا يجب حمايتها وعقلنة استغلالها خاصة إذا علمنا أنها، بيئيا، من أكثر المواطن حساسية، بالإضافة إلى أنها مواطن ضرورية لتوالد ونمو عدة أنواع ذات أهمية كبرى في اقتصاد البلاد.

ب ـ بحيرات قارية : يعد المغرب، بسلاسله الجبلية العالية وبجواره للمحيط الأطلنتي والبحر المتوسط، من أغنى البلدان أمطاراً في شمال إفريقيا مما أدى إلى تعدد بحيراته القارية الطبيعية منها والاصطناعية (بحيرات السدود).

نتج عن تعدد المناخات والطبقات الجيولوجية السطحية بالمغرب حميلات بيئية مختلفة بالمياه الراكدة. توجد معظمها في المناطق الرطبة وشبه الرطبة من البلاد، تميز منها :

- بحيرات طبيعية دائمة يفوق عددها العشرين منها ثلاثة في الأطلس الكبير، وأربعة في السهول الغربية والباقي في الأطلس المتوسط نظراً لتوفره على كمية هامة من الأمطار ولطبقاته الكلسية والدلوميتية. تسمى محليا في الأطلسين أكلميم وإكلمان وتكلمامين، وفي سائر مناطق المغرب المرجة والبحيرة والضاية.

- بحيرات طبيعية مؤقتة وهي كثيرة في المغرب تغمرها المياه في فصل الشتاء والربيع فقط. منها عذبة المياه وتسمى الضايات، ومالحة أو سبخات وتوجد في المناطق الجافة والصحراوية من البلاد.

وهناك بحيرات قارية اصطناعية أو بحيرات السدود. نظراً لما للماء من قيمة قصوى في نشاط الإنسان وأهمية حيويته في التنمية الاجتماعية والاقتصادية (الري، توليد الكهرباء، المياه الصالحة للشرب وللصناعة، تربية الأسماك...) وقع التفكير منذ سنة 1929 في خزن مياه الأمطار وكان سد سيدي سعيد معاشو على نهر أم الربيع هو أول سد بُني في المغرب لتغطية حاجيات سكان الدار البيضاء من المياه الصالحة للشرب وللمعامل والمصانع. ارتفع عدد السدود إلى ثلاثة عشر قبل الاستقلال لسقي 136.000 هكتار وستة عشر سداً قبل 1966 تخزن مليارين متر3. وابتداءً من سنة 1967 ركز المغرب سياسته على الاعتناء بخزن مياه الأمطار في جميع المناطق، وهكذا بلغ عدد السدود الكبرى خمسة وثلاثين تفوق سعتها عشرة مليارات متر3، على رأسها سد سيدي محمد بن عبد الله، والمسيرة الخضراء، وبين الويدان، وإدريس الأول، ومحمد الخامس. أنشئت إلى جانب هذه البحيرات عدة سدود تلّية

في مختلف المناطق وتلعب دورا هاما في الاقتصاد المحلي.

مميزات البحيرات الكيميائية والبيولوجية : أغلب البحيرات الطبيعية لا تتعدى مساحتها مائة هكتار، وعمقها خمسة عشر متراً باستثناء بحيرة أكلمان سيدي علي الممتدة على ثلاثمائة هكتار، وأربعين متراً عمقاً ؛ وبحيرة إفني بالأطلس الكبير (61 متراً) وأكلمان تسليت (92 متراً).

تتلقى البحيرات الطبيعية المياه من الينابيع والعيون المجاورة ومن ذوبان الثلوج ومن الأمطار. أما بحيرات السدود فيبقى نظامها الهدرولوجي طول السنة ومن سنة لأخرى. فهي تمتلئ بعنف في فصل الشتاء وينقص منسوب المياه في فصل الصيف بصفة ملحوظة. تنساق إلى بحيرات السدود كميات هائلة من المواد العضوية والمعدنية بسبب الانجرافات مما يؤدي إلى تراكم التربة داخل البحيرة.

تتراوح الحرارة بالنسبة للبحيرات الجبلية، ما بين 5 و25 درجة مائوية قرب سطح الماء وما بين 5 و8 في الأعماق. وبالنسبة لبحيرات السهول تتراوح الحرارة ما بين 10 و35 درجة مائوية قرب سطح الماء وما بين 12 و18 درجة قرب الأعماق مما يدل على طبقتين حراريتين في كل بحيرة يطلق عليهما : البحيرة الأفقية أو Epilimnion والبحيرة السفلى أو Hypolimnion وهي باردة وقليلة الأوكسجين. تنخفض الحرارة في فصل الشتاء، وحين اقترابها من أربع درجات يصير الماء ثقيلا بالسطح فيهبط إلى الأعماق وتحل محله مياه الأعماق الأقل كثافة. وهكذا يتم جريان المياه من الأعلى إلى الأسفل مرة في كل سنة بالنسبة لبحيرات المغرب باستثناء بحيرة إفني التي يكسوها الجليد مدة طويلة في فصل الشتاء مما يجعل البحيرة الأفقية أكثر برودة من السفلى وبذلك يتم جريان المياه مرتين "Dimictique" في السنة.

ساعدت هذه الحرارة المرتفعة إلى جانب وفرة الأوكسجين والمواد العضوية والمعدنية بالبحيرة الأفقية على نمو وازدهار كل من الطحالب العائمة والنباتات المائية وبهذا تعد معظم بحيرات المغرب من النوع الخصوب Eutrophe.

يعيش في مختلف البحيرات المغربية ما يزيد على ألف نوع من الحيوانات المائية جلها من اللافقريات وفي صدارتها كماً وكيفاً القشريات التي تأكل الطحالب العائمة وتشكل البلانكتون الحيواني المتكون من مجدافيات الأرجل، وبراغيث الماء، والمحار الذي يعتبر أساساً لتغذية كثير من أنواع اللافقريات الأخرى والأسماك والضفادع والطيور.

تتكون الحشرات المائية من عدة فصيلات، وفي مقدمتها مغمدات الأجنحة ومزدوجات الجناح ومختلفات الجناح واليعاسيب. تفضل يرقات الناموس (البعوض) العيش في جوانب البحيرات المرتفعة الحرارة والغنية بالنباتات ويعد نوع Anopheles labranchiae هو العنصر الرئيسي لنقل حمى المستنقعات للإنسان.

تعيش أيضاً وسط النباتات عدة أنواع من العلقة التي تمتص دم الحيوانات الداجنة، وعدة أنواع من الحلزونات والحلقيات والضفادع ونوع واحد من السلاحف Emys leprosa وأحياناً نوع واحد من الثعابين Natrix maura.

من بين الأسماك التي تعيش في البحيرات الطبيعية هناك نوعان فقط : التروتة الخضراء التي تعيش في بحيرة إسلي في الأطلس الكبير، وتروتة بلاري Salmo pallaryi التي كانت تعيش في أكلمان سيدي علي وانقرضت بعد إدخال أنواع أخرى من طرف مصلحة المياه والغابات.

في نطاق تنمية الصيد الرياضي والتخفيف من النباتات المائية، أُدخل إلى البحيرات اثنا عشر نوعاً من الأسماك موطنها الأصلي أوربا وأمريكا الشمالية والصين. أهمها الزنجور والشبوط الفضي والصيني والبجن والبرعان والصندر والمكه والغجوم وأحمر الأذنين والفرخ.

توجد أيضاً عدة أنواع من الطيور في البحيرات وفي مقدمتها البطيات والطيور المائية وبعض الكواسر التي تأكل الأسماك كالسرنوف، وكذلك بعض العصافير.

R. Boue, H. Chanton, *Biologie animale Zoologie-Invertébrés*, t : I, Paris, 1962 ; G.Bitar, *Etude du peuplement benthique de la côte atlantique méditerranéenne du Maroc : Impact de la pollution comparaisons biogéographiques*. Thèse Doct. Et et Univ. Marseille, 1987 ; A. Campbell et Nicholls, *Guide de la Faune et de la Flore littorales du mers d'Europe* , Genève, 1986 ; M. Menioui, *Contribution à la connaissance des peuplements infralittoraux superficiels de la côte méditerranénne du Maroc : Etude faunistique, écologique et biogéographique*, thése Doct, Et et Univ. MohamedV ; *Les peuplements des milieux lagunaires, G.E.M (faune)* 1, 1987 ; C. Davadie, *Etude de Balane d'Europe et d'Afrique*, Paris,1963.

محمد منيوي

**البْحيرَة** - جغرافيا -. سهل بجنوب المغرب الأطلنتي يمتد على شكل طولي من الشرق إلى الغرب من سهل تادلا إلى هضبة الكنتور وهضبة الرحامنة في الشمال والجبيلات بالجنوب. مساحته حوالي 1200 كلم². يقع بإقليم قلعة السراغنة ؛ دائرتي سيدي بوعثمان والرحامنة. وهو عبارة عن حوض مغلق كانت تتوسطه بحيرة موسمية تعرف لدى السكان بگلتة بني حسان وفي الخرائط بسد مجنون، تتسع مساحتها في السنوات الكثيرة الأمطار حيث يصل عمق مياهها إلى ميتر. وهي تعكس صعود المياه الجوفية إلى السطح، لكن بتوالي سنوات الجفاف وتقدم الضخ الميكانيكي انخفض مستوى المياه الجوفية واختفت البحيرة تاركة في مكانها قشرة ملحية بيضاء. وقد استمد الحوض تسميته منها ويقال من كثرة البحاير أي البساتين المروية التي انتشرت في بعض أطرافه قديما.

والسهل عبارة عن منخفض بنيوي علوه عن سطح البحر 410 م، عرف التهدل خلال الحركة الأطلسية، يندس على شكل طولي بين طيتين عميقيتين هرسينيتين هما الجبيلات جنوبا والرحامنة شمالا ويتكون من صخور متنوعة : حث طفل كلس ترجع إلى الزمن الثاني تليها طبقات فوسفاطية من الإيوسين تظهر بالأطراف الشمالية، ويغطي الكل توضعات رباعية ونيوجينية قارية يختلف سمكها من جهة لأخرى، تتكون من سحنتين رئيسيتين : الأولى كلس

مستنقعي يظهر خاصة غرب وشمال سد مجنون يحتضن فرشة مائية غنية. والثانية تتكون من رصيص بليوسين الأعلى، مغطى جزئيا بطبقة طينية رقيقة.

يسود سهل البحيرة مناخ شبه جاف ذو طابع قاري قليل الأمطار : 200 إلى 300 ملم. وحرارة مرتفعة مع مدى حراري يومي وشهري كبير، ونسبة رطوبة ضعيفة ودرجة تبخر كبيرة. كما يعرف السهل درجات حرارة قصوى تتجاوز 40 صيفا ودون الصفر في بعض ليالي الشتاء مما يعرضه للصقيع. وأهم مجرى مائي هو وادي گاينو الذي ينبع من شرق الجبيلات مكان مجرى سابق لتساوت لكنه ينتهي بجريان منتشر كما تنتهي كل السيول الأخرى النابعة من الجبيلات من هوامشه بجريان منتشر أو نحو منخفض سد مجنون.

السكان والنشاط الاقتصادي : كان السهل مرعى تكميليا لسكان الدير والأطلس الكبير. وفي القرون الأخيرة استوطنت قبائل الرحامنة معظم جزئه الغربي بينما بقي الجزء الشرقي الذي يضم أفضل المراعي "أرض الحدرة" تابعا لقبائل السراغنة. ونظراً لشح الأمطار فقد كان السهل أصلح ما يكون للرعي، ولهذا كان السكان الذين يقيمون بقرى كبيرة للاحتماء يهتمون بتربية الأغنام التي تجد كذلك مراعي احتياطية أخرى في شعاب الجبيلات الفارغة،

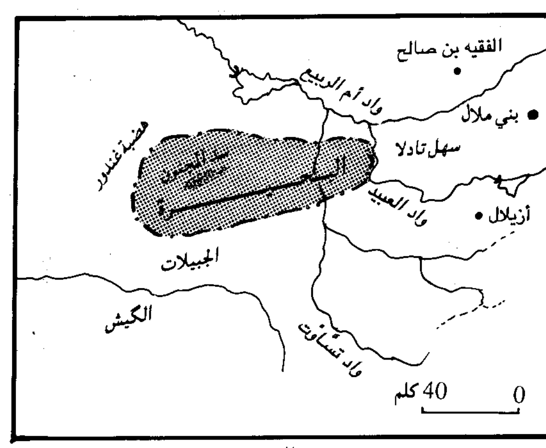


موقع البحيرة

ويمارسون زراعة واسعة يناصيبية للحبوب. إلا أن الهوامش الجنوبية كانت تستفيد من مياه فيض وديان الجبيلات التي تتلقى مقادير لا بأس بها من الأمطار مما يجعل زراعة الحبوب على حادورها تعطي إنتاجا أفضل. وبتزايد السكان والحاجيات والبحث عن موارد فلاحية أخرى ظهرت ميزة البحيرة وهي وجود فرشة مائية غنية قريبة من السطح وتربة متنوعة لا بأس بها. فبدأت المنطقة تعرف تحولات بعد الاستقلال عندما وجدت شركة "تيسير" التي تنقب عن الفوسفاط فرشة مياه عذبة يبلغ سمكها حوالي 300 م بشرق البحيرة. فأسست أول ضيعة رائدة مساحتها 840 هـ وسرعان ما انتشرت حولها ضيعات أخرى وبدأ المستثمرون الحضريون من مراكش وأگادير والدار البيضاء والرباط بصفة خاصة يشترون الأراضي لتكوين ضيعات تهتم بزراعة مسقية للزيتون والمشماش واللوز والشهدية والبرتقال وبعض الخضر خاصة البطيخ الأصفر. كما أنشأ بعض المستثمرين حضائر لتربية الأبقار الحلوب. وفي إطار تدعيم الري الصغير بدأت مصالح وزارة الفلاحة تتدخل ابتداء من 1969 فأنشأت أجهزة تقنية وطبقت مشاريع إصلاح زراعي لحل مشكل الأراضي الجماعية التي تمثل 30٪ من أراضي البحيرة وتفتيت الملكية في مكان الملك الخاص. فكونت مزارع نموذجية وتعاونيات تمنح أربع هكتار مسقية لكل فرد مقابل التنازل عن نصيبه من الأرض الجماعية للدولة، إلا أن التعاونيات لم تحقق النتائج المرجوة فسعى المسؤولون الزراعيون لنشر زراعة عنب الزبيب والسكر (مشروع تقنية إيطالية يتناول 5000 هـ). وبعد ملاحظة انخفاض مستوى الفرشة المائية لضعف تغذيتها بسبب قلة الأمطار وانعدام وديان كبرى، وفي إطار ترشيد استعمال المياه نشر المسؤولون أساليب ري جديدة : التنقيط للأشجار والأدرع الميكانية المتحركة لإنتاج القمح الذي يعطي مردوداً مرتفعاً (60 ق / هـ) باستعمال الأسمدة والأدوية، معظمها بأراضي الدولة التي تغطي 1700 هـ. ومازالت زراعة القمح العصرية تتوسع ويستعمل إنتاجها كبذور تباع في الأقاليم الشمالية. وهكذا اتسع النطاق المسقي الذي لم يكن له وجود قبل سنوات قليلة، إذ وصل إلى 8300 هـ سنة 1990. لقد أدت هذه التدخلات إلى تقلص المجال الرعوي للسكان المحليين الذين لا يزالون محافظين على نمط إنتاجهم البدائي القائم على تربية الأغنام وزراعة واسعة للشعير، لكن الكثيرين من الشباب يتحولون إلى عمال زراعيين، ويلاحظ أن مساحة بحيرة سد مجنون لم تستغل نظراً لملوحة التربة والمياه بهوامشها كما أنها تعاود الظهور في بعض السنوات الكثيرة المطر. وهكذا يساهم سهل البحيرة في مسلسل التخصص الزراعي الإقليمي ويندمج تدريجياً في السوق الرأسمالية الوطنية مستفيداً من موقعه بوسط المغرب. وبعد تكوين إقليم السراغنة، صار السهل بفضل موقعه المركزي رابطاً بين قطبيه : قلعة السراغنة وبن گرير، مما أعطى أهمية كبيرة للطريق الرابط بينهما والذي يستقطب حركة النقل الوطني من شرق الحوز وقسم من الأطلس الكبير الأوسط وإقليم ورزازات لعبوره باعتباره أقصر طريق نحو العاصمة الاقتصادية الدار البيضاء.

لقد انعكس هذا النمو الاقتصادي على بعض المراكز السكنية مثل الهيادنا واثنين المحارا ونزالة العظم بصفة خاصة إذ تحولت إلى قيادة ومركز فلاحي مهم حظي بمنشآت تقنية مثل معلم معالجة عنب السكر والزبيب ومخزن للحبوب، كما يعقد بها سوق أسبوعي يوم الخميس، وقد استفادت من مجاورتها للقاعدة العسكرية الكبيرة ومن تحولها التدريجي إلى محطة على طريق مراكش - الدار البيضاء. لكن أكبر مستفيد من الانعكاسات الاقتصادية لمسلسل تحولات البحيرة هي المراكز الحضرية والسكنية

القديمة الواقعة بهوامشه على شكل مثلث : قلعة السراغنة وبن گرير وسيدي بوعثمان.

*بحث ميداني* ؛ *معلومات مرشدين فلاحين* بالمركز الفلاحي لسيدي بوعثمان ؛ *كتب عامة لجغرافية المغرب* ؛ دراسة *خرائط طبوغرافية وجيولوجية*.

أحمد هوزالي

**البْحيرَة** - تاريخ - بكسر الحاء وفتح الراء تجمع على بحايْر. وهي باللسان الأمازيغي تَبْحرْت أو تبْحـرْت جمع تبْحرنْ أو إبْحرْ جمع إبْحرنْ. وتعني السهول المتصلة أو البستان المغروس بأشجار مختلفة أو بنوع واحد منها كالزيتون، أو المخصص للخضر وأنواع البطيخ وفواكه أخرى أو المحتوي على كل ذلك في آن واحد. كما تطلق البحيرة كذلك على الحقول المسقية المبنية على شكل مدرجات على جوانب الأودية الجبلية في الأطلس الكبير الغربي. فهي إذن مختلفة من حيث المساحة كذلك، ولكنها غالبا ما تكون مسورة أو مسيجة بطريقة أو بأخرى.

ويبدو أن أهم ما يميز البحيرة عن أگدال، هو أن هذا الأخير كان في الأصل على الأقل ملكية جماعية أو خاضعة لقانون الجماعة، في حين كانت الأولى منذ البداية ملكية خاصة، يتصرف فيها مالكها كما يشاء.

تتحدث المصادر التاريخية عن هذا النوع من البساتين في مراكش وضواحيه بصفة خاصة، منذ عهد المرابطين. وهذا يجعلنا نتساءل عن الأسباب الموضوعية التي أدت إلى استعمال كلمة «البحيرة» العربية بدل كلمة تُورْتيتْ التي تعتبر أقدم منها، خصوصا في بلد مصمودة المتمرسين بفنون الفلاحة والزراعة منذ أقدم العصور، وفي زمن كزمن المرابطين الذي كانت فيه العربية غير مستعملة إلا لدى قلة من المتعلمين.

ذكر الإدريسي في وصف افريقيا من *نزهة المشتاق*، (ص 43 - 44)، أن رجلا اسمه «عبيد الله بن يونس المهندس جاء إلى مراكش في صدر بنائها وليس بها إلا بستان واحد» وأضاف بأنه هو الذي أوصل المياه الجوفية من قدم الجبل إلى مراكش بطريقة الخطارات. «ثم إن الناس نظروا إلى ذلك ولم يزالوا يحفرون الأرض، ويستخرجون مياهها إلى البساتين حتى كثرت البساتين والجنات واتصلت بذلك عمارات مراكش وحسن قطرها ومنظرها».

وإذا صح ما أخبر به الادريسي، فإن ابن يونس هذا، قد يكون هو الذي أطلق اسم «البحيرة» على بساتين مراكش، إذا افترضنا أنه جاء من الأندلس... وهو المرجح. وبقيت متداولة في أفواه الناس، بجانب كلمات أخرى مثل : جْنانات، عْراصي، إگْرانْ، تورْتيتينْ.

وهكذا أصبحت مراكش في عهد الموحدين بصفة خاصة بلد «البحاير» بكل معنى الكلمة، سواء بداخل السور أو خارجه. ففي كتاب *الاستبصار* مثلا نقرأ ما يلي : «وحولها (مراكش) من البساتين والجنات التي يسمونها البحائر لعظمها، ما لا يحصى كثرة، وغرس (عبد المومن بن علي) بحيرة عظيمة بغرب المدينة (مراكش) قِبَل نفيس دورها ستة أميال، وبنى فيها وخارجها صهريجين عظيمين...»، وهذه الأخيرة هي ما يعرف اليوم بجنان المنارة. «وأحدث الخليفة بعده ابنه أبو يعقوب بحاير مثلها في نفس الغرس بل أجمل...» (ص 209 - 210). والجدير بالذكر أن حي القصبة الآن، الذي بنيت فيه تمراكشت الموحدية، كان قبل ذلك عبارة عن بحاير اتسعت على أرضها المدينة.

غير أن كل الدلائل سواء منها التاريخية أو الحالية تشير إلى أن بحاير مراكش الواقعة خارج السور، تجمعت بصفة خاصة في شرق المدينة، على طول الضفة اليمنى لواد إسيل. وهناك توجد بحسب كتاب *التشوف* بحيرة الصفصفة وبحيرة الرقائق (ص 243، 245، 456).

وكان لبني أمغار إخوة ابن تومرت بحيرة بباب الدباغين (*البيذق*، 118). ومعلوم أن هذه البحاير انتشرت فيما بعد في الجهة الشمالية من المدينة ما بين السور ونهر تانسيفت، وبقيت كذلك إلى وقت قريب حيث تحولت في غالبيتها إلى أحياء سكنية.

ومعلوم أن عبد المومن بن علي اتخذ البحيرة معسكرا لجنوده حين حصاره لمراكش قبيل استيلائه عليها بصفة نهائية. فبعد أن هزم الموحدون بقية جيش المرابطين بضاحية مراكش، جهة باب دكالة "انتقلت المحلة الموحدة إلى دار الفتح وسط البيحرة في صدر شوال من سنة إحدى وأربعين (وخمسمائة)، فلم تزل هناك، وامر المدينة في كل يوم يزيد ضعفاً وأحوالها ترق إلى أن كان يوم السبت السابع عشر من شوال ففتحت مراكش ودخلها الموحدون" ( *البيان*، ص 23 - 24).

ويبدو أن عبد المومن اعتبر البحيرة دار الفتح تخليداً لذكرى المعركة الأولى التي انهزموا فيها أمام المرابطين قبل سبع سنوات مضت.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* (1928)، ص 28، 78 - 79 وغيرها ؛ م. ابن عذاري، البيان، طبعة ميراندا، ص 23 - 24 ؛ ي، ابن الزيات، *التشوف* (1984)، ص 243، 245، 317، 456، 592 ؛ الحميري، *الروض المعطار* (1984)، ص 540 ؛ م. شفيق، *المعجم*، ص 169.

E. Destaing, *Vocabulaire*, p. 160 - 161 ; E. Laoust, *Mots et Choses*, p. 409 ; E. Lévi-Provençal, *Documents*, p. 232 - 233 ; J. Berque, *Glossaire* ; R. Dozy, *Supplément* (1968), t. I, p. 53 - 54 ; *E. I.* (1975), t.I, p. 949-950 ;P. Pascon, *Haouz*, t. I, p. 211 n. 75.

صدقي علي إزايكو

**البْحيرة**، معركة جرت بين قوات الموحدين والمرابطين، خارج سور مراكش من ناحية الجنوب الشرقي، دامت أربعين يوما : ربيع الثاني - جمادى الأولى 524 / أبريل - ماي 1130، (*أخبار*، 39 - 40).

تمثل هذه الأحداث خطة هجوم واضحة، وهو تحرك جديد في عمل الموحدين العسكري ضد العاصمة مراكش. فهل

توفر لمصامدة الأطلس ما شجعهم على نقل المواجهات إلى مركز ثقل المخزن المرابطي ؟

إن تصرفاً من هذا النوع كان يقتضي من جهة اتخاذ احتياطات أمنية دقيقة، وتوفر قوة مهيأة كمًّا ونوعاً تسمح بالإقدام على عمل من هذا الحجم. ومن جهة ثانية معرفة دقيقة بالمقدورات العسكرية للطرف الآخر، قصد ضمان نسبة نجاح أكبر لتحقيق أهداف هذا العمل العسكري.

ويبدو أن الموحدين لم تغب عنهم هذه العناصر أثناء التهييء لمعركة البحيرة. فالاحتياطات الأمنية تلاحظ من خلال :

- حماية حركتهم بعدما تم الاطمئنان إلى عدم وجود ما يفاجئها من الخلف.

- توقف هجمات المرابطين على الجبل.

- تصفية العناصر المناوئة والمشكوك في إخلاصها عن طريق التمييز.

أما الجانب الخاص بالقوة الموحدية فتظهر أهميته من جهة في اكتسابها خبرة عالية على مستوى التنظيم (*المعجب*، 188 - 191)، وتجربة عسكرية غنية مما ساهم في فعاليتها الاحتكاك بميدان صعب هو ميدان التضاريس الجبلية، ثم القرب من قاعدة وجود الخصم. ومن جهة ثانية تبدو قوة الموحدين في حجم المشاركة الكبيرة التي يوضحها الجدول التالي :

| مواجهات البحيرة | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| مصدر | توالي الهجمات | طبيعة الهزائم | | مواجهات بارزة | هزائم محددة | | |
| | | مرابطون | موحدون | | مرابطون | موحدون | |
| *أخبار المهدي* | - • | - | - | 01 | 00 | 01 | |
| *نظم الجمان* | + | - | - | 02 | 01 | 01 | |
| *البيان* | + | - | - | 03 | 02 | 01 | |
| *الحلل* | + | - | - | 02 | 01 | 01 | |

أما تقدير إمكانيات الطرف الآخر فأمر غير مستبعد لعدة اعتبارات، منها : تشتت قوات المرابطبن على مناطق مختلفة من مجال سيادتهم خاصة في الأندلس التي شكلت إحدى نقط استنزاف هذه القوة. يضاف إلى ذلك وجود قوات محدودة بالمدينة لم يكن في مقدورها مواجهة الموحدين وهو ما تعكسه أهمية الاستغاثة بجنود وعساكر مناطق مختلفة من البلاد (*أخبار*، 40).

اختيار موقع القاعدة : لعل موقع البحيرة المقصود يوجد في النصف الجنوبي من الواجهة الشرقية لخارج المدينة حيث بحيرة الرقايق (*نظم*، 118).

إن الايجابيات التي يقدمها هذا الموقع لتبعد أي عنصر صدفة لنزول حيش المصامدة به، وذلك بالنظر إلى الامتيازات الحمائية والاقتصادية التي يوفرها.

امتيازات حمائية : ساهمت في ضمان المزيد من الأمن للمصامدة بفضل وجود عنصر حمائي طبيعي هو وادي اغزر (إسيل حاليا) الذي يفصل بين المدينة وموقع البحيرة. وفي هذا إمكانية إبعاد عنصر مباغتة جيش المرابطين للموحدين.

وقد تم دعم هذا العنصر ببناء حصن له باب وحيد ومستلزمات عسكرية كالأبراج (*المقتبس*، 24) لجعله قاعدة قيادة الجيش ومكانا للتحصن ضد العدو، يضاف إلى ذلك أن الموقع في اتجاهه الجنوبي والشرقي ينفتح كله على الأطلس الكبير الغربي حيث مجال نفوذ المصامدة.

تمكن المعلومات المتوفرة بهذا الخصوص من التمييز بين جانبين :

المواجهات، لم يقدم البيذق - باعتباره مشاركا - ما يفيد أن مواجهات وقعت بين الطرفين خلال الأربعين يوماً السابقة لمعركة البحيرة. بالمقابل قدمت مصادر أخرى من بينها ما هو موحدي معلومات تفيد أن هذه المدة لم تعرف الهدنة، وتمادى الحصار على مراكش مدة أربعين يوما يقاتلونهم في كل يوم منها أشد قتال (*نظم*، 118)، وعليه تكون معركة البحيرة خاتمة لسلسلة هذه المواجهات المباشرة بين جيش المرابطين وجيش الموحدين زمن الحصار.

| مؤشرات القوة التي شاركت في أحداث البحيرة | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | إحصائيات | | أوصاف ودلالات الكثرة | |
| | عدد المشاركين | مصدر | من خلال حجم المشاركة | مصدر |
| الموحدون | أكثر من 40.000<br>" " " | *نظم الجمان* *<br>*الحلل* 114 | مدة التمييز دامت 40 يوما.<br>خروج الناس كافة للبحيرة.<br>المشاركة "بجيش عظيم"<br>المشاركة "بجيش كثيف" | *أخبار*، 39.<br>*أخبار*، 39.<br>*المعجب*، 192<br>*الكامل*، 3 : 302 |
| المرابطون | أكثر من 40.000<br>أكثر من 100.000 | *نظم الجمان* *<br>*الحلل* 114 | المشاركة "بجيش ضخم"<br>وصول الحشود والعساكر | *المعجب*، 192<br>*البيان*، 76،4 |

* ذكره ابن عذاري في *البيان*، 5 : 75 - 76 نقلا عن ابن القطان، ولا يوجد في النسخة المتداولة من كتاب *نظم الجمان*.

مما يستفاد من هذا الجدول أن المواجهات التي جرت بين الطرفين قبل معركة البحيرة كانت كلها لصالح الموحدين، وتكبد فيها جيش المرابطين خسائر بشرية كبيرة خاصة المواجهتين الأولى والثانية اللتين قادهما علي بن يوسف (*نظم*، 117). وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يتم اقتحام المدينة ؟.

إن معطيات واردة في مصادر أخرى تمكن من تلمس بعض عناصر الإجابة، إذ يبدو من خلالها أن اقتحام المدينة في هذه الفترة كان فيما يبدو أمراً صعباً، وذلك بالنظر إلى القدرة الدفاعية الهامة التي كانت تتوفر عليها والتي تلاحظ في جانبين بارزين هما :

1 - جانب معماري : يتجلى في السور ومكوناته من أبراج وأبواب وشرافات للمراقبة، ومواجهة الخصم عن بعد بواسطة فرق الرماة.

2 - جانب بشري : يتمثل في أهمية القوة العسكرية الموجودة بداخل المدينة "من الفرسان نحو أربعين ألفا، ومن الرجالة ما لا يحصي عددهم إلا خالقهم والغزاة كثير... يعني الرماة" (*الحلل*، 114 - 115).

ولعل في هذه القدرات ما يسهم في تفسير بعض أسباب تمكن المرابطين من أخذ زمام المبادرة في المواجهات وذلك بتطويل أمدها لإعطاء الفرصة لوصول النجدات،

ولاستنزاف قوة الخصم قبل المواجهة الحاسمة، اعتمادا على خطة ترمي إلى كسب الوقت من خلال :

1 ـ تحصين المدينة بشكل قوي وتقوية الحرس الخاص بالسور والأبواب.

2 ـ استعمال الرماة بالخصوص لإبعاد خطر الموحدين عن أبواب المدينة وسورها.

3 ـ الدفع ببعض الفرق إلى خارج سور المدينة للمناوشة واختبار قوة الخصم بعد الاطمئنان إلى التغطية الأمنية للمدنية.

أمام هذه الوضعية الاستراتيجية التي لم تكن في صالح جيش المصامدة، من غير المستبعد أن هذا الأخير كان يراهن على المواجهة في مجال مفتوح، وهذا ما يفسر كون الحصار كخطة لم يقم به الموحدون، بل كان وسيلة نهجها فيما يبدو جيش المرابطين للوقوف ضد عدم التوازن في القوة، وإبعاد فرصة تحقيق نصر موحدي حاسم في هذه المواجهات.

الحصار : لا يكشف البيذق بوضوح عن مسألة الحصار، في وقت تؤكد أغلب المصادر التي تعرضت لأحداث البحيرة وجوده. فهل كان هناك فعلا حصار ضد هذه الأحداث ؟

إن مجموعة من القرائن التاريخية لا يستبعد معها كون الحصار كان فعلاً، من أبرزها سكوت البيذق نفسه عن أي عمل عسكري خلال الأربعين يوما السابقة لمعركة البحيرة.

المصادر التي ذكرت الحصار اعتبرته من صميم استراتيجية موحدية، وهو اعتبار مشكوك فيه جدا لسببين على الأقل :

ـ سكوت البيذق عن هذا العمل والاكتفاء فقط بإيراد كلمة "البقاء" المرتبطة بالانتظار.

ـ لو كان الحصار موحديا لاستوجب عزل المدينة عن خارجها، والبيذق يثبت بقاء التواصل بين المدينة والخارج زمن الحصار.

بناء على ذلك من غير المستبعد أن الحصار الذي عرفته المدينة في هذه الأحداث لم يكن واردا في تقديرات الموحدين، وإنما ظهر كإجراء طارئ في عمل المرابطين، يقوم على تحصنهم داخل المدينة، لعدم قدرة القوة المتوفرة لديهم آنذاك على مواجهة عساكر الموحدين بشكل يضمن الحسم لصالحهم. وذلك في انتظار وصول دعم المناطق الأخرى.

إذن فالحصار بالشكل الذي تم به، يتخذ صبغة الحصانة والحماية والتمنع ضد التهديد الخارجي المتمثل في هجوم عساكر المصامدة الذي تعرضت له المدينة، وبعد تراجعا تكتيكيا في استراتيجية المرابطين نظراً لعدم تكافئ قوى الطرفين المتصارعين. وهو صادر عن الطرف الأقل قوة بهدف الدفاع.

النتائج : جرت المعركة الأخيرة خلال نهار يوم واحد وانتهت لصالح المرابطين. ودون شك فإن ضراوة المواجهة كانت حاضرة اعتباراً لوجود ما يقوي ذلك خاصة كثافة جند الطرفين.

ولعل من أبرز انعكاسات هذا الوضع آنذاك أن صلى الناس صلاة الخوف وجمعوا بين صلاتي الظهر والعصر (*نظم*، 119).

وقد ترتبت عن هذه المعركة خسائر بشرية هامة كانت حصيلة جيش الموحدين فيها ثقيلة جدا. فإلى جانب ارتفاع نسبة القتلى، فقد الموحدون خمسة عناصر من مجلس العشرة الذي يشرف على قيادة الحركة وعلى رأسهم قائد الجيش في أحداث البحيرة، البشير الونشريسي (*المقتبس*، 23. 30. 31).

ولعل هذه الخسائر كانت ستكون أكثر فداحة لولا نزول أمطار قوية في عشية يوم المعركة وفرار ما تبقى من جيش الموحدين (*نظم*، 120).

يلاحظ أن البيذق لا يذكر شيئا عن خسائر المعركة. فمن ضمن خمس جمل خصصها لاختصار نتائج هذه المواجهة نجد جملة واحدة فقط فيها اعتراف بالهزيمة "وهزمونا بالعشية" وجملة ثانية ترد الاعتبار "ونجى الموحدون". ولعل الإشارة هنا تحيل إلى قول ابن تومرت "بقي الأمر" أي أمر الموحدين كحركة سياسية مقابل المخزن المرابطي (*البيان*، 4. 76). يضاف إلى ذلك ثلاث جمل بانطباع المحايد المتأسف وبالتعميم.

يبدو إذن أن هناك تسترا ما، فهل هو محاولة للتخفيف من فداحة الخسائر والتأكيد على سلامة حركة المصامدة ؟ لعل من مبررات ذلك :

ـ أسلوب الاختصار الشديد لنتائج البحيرة في وقت كان فيه المؤلف في وضع يسمح له بمعرفة دقائق أمور هذه المعركة.

ـ تغييب المصطلحات التي ترمز إلى الموحدين كحركة سياسية وذلك في حالة الهزيمة، وفي المقابل يتم إحضارها إذا كان الغرض يرمي إلى إثبات سلامتها أو انتصارها. يبقى التساؤل بعد ذلك عن أسباب تحول ميزان القوة لصالح المرابطين ؟

توحي مادة البيذق بما يمكن اعتباره أحد الأسباب وهو عدم تكافؤ قوة الطرفين الذي يلاحظ من خلال الجدول التالي :

قوة الطرفين من خلال مادة أخبار المهدي

| الموحدون | المرابطون |
|---|---|
| ـ خرج الناس كافة<br>ـ اجتمع معنا 3000<br>ـ كان معنا أخلا إيلان<br>⇓<br>كل قوة الموحدين المشاركة في البحيرة | ـ عسكر هسكورة<br>ـ عسكر صنهاجة<br>ـ عسكر الغرب<br>⇓<br>قوة دعم فقط |

وفي هذا ما يدل على أن الحصار قد حقق نتائجه. إذ من غير المستبعد أنه ساهم أيضا في استنزاف قوة

الموحدين. الشيء الذي يفسر المدة القصيرة للمعركة وهو نهار يوم واحد.

وأخيراً، فإن خطة المواجهة التي اتبعها جيش علي بن يوسف كانت ذات أهمية، حيث لعب فيها الرماة دوراً بارزاً ساهم في حسم المعركة لصالح المرابطين (*الحلل*، 115).

أ. البيذق، *المقتبس*. ط الرباط 1971 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، ت. محمود علي مكي ط بتطوان ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، ت. محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة 1949 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، ت. أحمد التوفيق ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 4، ت. احسان عباس، بيروت 1967 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، ت. سهيل زكار وعبد القادر زمامة.

محمد رابطة الدين

**بُحَيْرة أمسنا**، أشار ابن حوقل التاجر والرحالة العراقي إلى بحيرة على الساحل الأطلنتي سمَّاها أريغ : "أصلها من البحر المحيط - صغيرة ترسى فيها المراكب الأندلسية التي تحمل غلات الناحية وفيها يركب أهل البصرة ويشحنون من نواحيهم وناحية بلد بياثة" (*صورة الأرض*، 81) منها من جهة الجنوب (مرحلة إلى مصب وادي سبو).

الإشارة الثانية وردت عند الحميري، يقول :"وبقربها (تشمس) بحيرة كبيرة تسمى أمسنا يصب فيها البحر سبعة أعوام وتصب فيه سبعة أعوام وينقطع البحر فيظهر فيها جزائر بينها غدران يتصيد فيها أنواع السمك" (*الروض المعطار*، 141) هذا الوصف نقله الحميري حرفياً عن *الاستبصار* (ص. 140)، فهل بحيرة أريغ هي بحيرة أمسنا ؟.

من خلال الإشارات الثلاث السابقة، يتضح أنها نفس البحيرة، فأصلها من البحر أو على الأصح اتصالها بالبحر عن طريق فتحات طبيعية. أما اختلاف الوصف في الكبر والصغر فهذا راجع إلى الاختلافات المناخية، إذ أن العهد الموحدي الذي عاش فيه صاحب *الاستبصار* كان أكثر أمطاراً من العهد الذي عاش فيه ابن حوقل (القرن الرابع (10 م). أما مسألة سبعة أعوام الواردة في نص *الروض المعطار* المنقول عن *الاستبصار* فلها علاقة بالأساطير والاعتقادات الدينية، فرقم سبعة له مكانة خاصة عند بعض المسلمين، وتفسير تبادل الماء بين البحيرة والبحر علمياً معروف اليوم ومرتبط بالمد والجزر وبوفرة الأمطار أو قلتها ونشاط التعرية والتبخر إلى غير ذلك من العوامل.

حسب البعد والمراحل التي قدمتها الإشارات السابقة فإن موقع بحيرة أمسنا اليوم هو نفس موقع بحيرة مولاي بوسلهام (أو المرجة الزرقاء) كما هو معروف في كتب الجغرافيا، طبعاً مع تغيير ناتج عن ظروف طبيعية وبشرية. فالمرجة الزرقاء أكبر من الأوصاف المقدمة آنذاك ويرجع كذلك إلى الأعمال التي أنجزت في فترة الاستعمار لاستصلاح سهل الغرب، وأهمها صرف مياه المستنقعات والمرجات التي تحول الرمال والتلال دون وصولها إلى البحر، تم صرفها إلى المرجة الزرقاء المتصلة بالبحر. بقي أن أشير إلى أن الاسم وتغيره مرتبط بطبيعة البحيرة ونشاطها في النقل في العصر الوسيط الأعلى أريغ، أما أمسنا فيفهم منها التسطح والانبساط لأن اسما مماثلا أطلق على السهل المجاور لسهل الغرب من الجنوب "تامسنا" وكلها أسماء زناتية، وقد خضعت هذه المناطق منذ تدهور الوجود الروماني بالمغرب وفي بداية العهد الإسلامي إلى زناتة.

عدم ذكر المصادر اللاحقة لهذه البحيرة لا يعني اختفاءها بل يعني فيما يعنيه إغفالا لها بسبب انحرافها عن الطرق الكبرى آنذاك ولا يصل إليها إلا من ركب البحر أو الأنهار. فالأوصاف الأولى عن المغرب الساحلي عند القدامى كانت انطلاقاً من المحيط.

أشار الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* (233 - 236 - 237) في معرض حديثه عن منطقة الغرب (أزغار) والهبط إلى كثرة المرجات والمستنقعات لكنه لم يفصل الحديث عن إحداها، مع أنه أسهب في وصف بحيرة الجبل الأخضر بدكالة (*وصف افريقيا*، 128) فالسبب هنا بسيط، فبحيرة الجبل الأخضر شاهدها وأقام على ضفافها إلى جانب الملك الوطاسي، أما بحيرة أمسنا وغيرها من المرجات، فإنه لم يشاهدها لعدة اعتبارات منها وعورة المنطقة وتعدد مخاطرها (حمى المستنقعات، ووجود الأسد وقطاع الطرق والحروب والغزو البرتغالي...).

ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ أ. البكري، *المغرب*. 1911 و1965 ؛ ش. الادريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*.

محمد حجاج الطويل

**بَحيرَة الصالحة** - مراكش - تعرف أيضاً بجنان الصالحة. تقع خارج الواجهة الجنوبية لسور المدينة المرابطية، ومنها أخذ باب الصالحة اسمه باعتباره الباب المؤدي إليها. ولعل اسم الصالحة هو اسم لإحدى أخوات الأمير المرابطي علي بن يوسف (*Note*, 226).

أنشأ المرابطون هذه البحيرة ضمن مجموعة البساتين والجنان التي أقاموها حول السور داخل المدينة وخارجها. ولعلها أول إنجاز لهم في تشكيل المجال الفلاحي المسقي للمدينة، وإحدى العلامات الدالة على قيمة ما أنجزوه في ميدان هندسة المياه. فقد كانت لا شك تتوفر على مساحة واسعة جداً لدرجة أن مدينة بكاملها بنيت على جزء منها فقط. كما توفرت على تجهيزات مائية هامة من ضمنها صهاريج لجمع وتوزيع المياه (*Marrakech*, 1 - 88)،

وعلى جزء كبير منها بنيت المدينة المخزنية الموحدية في أواخر القرن السادس (12م) (*البيان* - قسم الموحدين - 174). وأضيف قبلها في الجنوب أيضا بستان المسرة، طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منه (*الحلل*، 145).

إن هذه المنجزات الفلاحية والمعمارية الهامة التي قام بها الموحدون في جنان الصالحة لتثير التساؤل حول اختيار هذا الموقع للأغراض السابقة، ألم يكن هناك قصد في محو ماخلفه المرابطون من منجزات بهذا المكان من مجال المدينة؟

وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه الأعمال لم تمنع من بقاء اسم بحيرة الصالحة ملتصقا بهذا الموقع كعنصر من مكونات ما عرف فيما بعد بأكدال، حيث ذكر نفس الجنان في القرن الثامن (14م) (*إثمد*، 1. 233-234) وفي الثالث عشر (19م) (*الاستقصا*، 2 : 257) وما تزال إلى الآن. أكثر من ذلك فإنه بقي محفورا في ذاكرة أهل المدينة إلى زماننا هذا، ضمن تراثهم الشفوي الخاص بالأطفال، الكلام المسجوع الآتي : "أَجْرَادَ مَالْحَة، فين بَتِّ سارْحة ؛ في جنان الصالحة، آش كَلْت واش شْرِبْت، غير التفاح والنفاح".

م. ابن عذاري، *البيان* ؛ ت. محمد ابراهيم الكتاني، *وآخرين* ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، ت. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، البيضاء 1979 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 2 ؛ ابن تللات، *إثمد العينين*، ت. محمد رابطة الدين، ر. د. د. ع. الرباط سنة 1986 ؛ *أشغال الملتقى الأول حول مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي*، كلية الآداب، مراكش - 1988.

G. Deverdun, *Marrakech*, T. I ; A. Sarda, *Note sur Marrakech.*

**بَحيرَة** أبي **مروان**، ذكرت هذه البحيرة ضمن بحاير مراكشَ في أواخر القرن السادس (12م). والمرجح أن وجودها يعود إلى ما قبل هذا التاريخ. وهي تقع في شرق مراكش، ومن غير المستبعد أنها كانت داخل السور نظراً لوجود السكنى بها، ولعل موقعها يتحدد في المكان المعروف حاليا بتابحيرت (*التشوف*، 317).

مما تميزت به أنها كانت تحتضن مقر إقامة إحدى صوفيات مراكش المشهورة وهي منية بنت ميمون الدكالي (ت 595 / 1199) (*التشوف*، 316-317).

لا ندري من هو أبو مروان الذي تنسب إليه، وتبقى البحيرة الثانية التي تنسب إلى شخص إذا ما تأكد أن بحيرة الصالحة تنسب لأخت الأمير المرابطي علي بن يوسف (*Note* : 226).

ي. ابن الزيات، *التشوف*، ت. أحمد التوفيق، البيضاء 1984 ؛ *أشغال الملتقى الأول حول مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي*، كلية الآداب - مراكش 1988.

A. Sarda, *Note sur Marrakech et l'agriculture du Haouz des Almoravides aux Almohades.*

محمد رابطة الدين

**البخاري** (صحيح -) في المغرب، ويسمى أيضاً *الجامع الصحيح* لأمير المومنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري (ت. 256). يحتل هذا الكتاب عند المسلمين، لما اشتمل عليه من صحاح أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، المكانة الثانية بعد القرآن الكريم كلام الله القديم. وقد روى المغاربة والأندلسيون *الجامع الصحيح* عن مؤلفه الإمام من طريقين : إبراهيم النسفي (ت. 295) ومحمد الفربري (ت. 320) اللذين يرويانه عن شيخهما البخاري. واشتهر في المغرب سرد *صحيح البخاري* تبركاً، وختمه في رمضان، سواء في الحواضر والبوادي إضافة إلى تدارسه وتفهمه. وأقدم المحدثين المغاربة المعروفين من رواة *صحيح البخاري* أربعة رووه عن أبي ذر الهروي المالكي المكي (ت. 434 هـ) الذي يتصل سنده بالفربري تلميذ البخاري. وهم أبو بكر بن محرز السجلماسي (ت. 413)، ويوسف بن حمود خلف الصدفي السبتي (ت. 428)، وأبو عمران الفاسي (ت. 430)، وبكار ابن الغرديس الفاسي ثم السجلماسي (ت. بعد 492).

ويعد ابن الغرديس أول من اشتهر عنه *صحيح البخاري* بالمغرب لأنه عمَّر نحو مائة سنة حتى انفرد بروايته، وأخذه عنه خلق كثير، أشهرهم، علاوة على الأندلسيين، يوسف ابن الملجوم الفاسي (ت. 492) ومحمد ابن الصيقل الشاطبي الفاسي (ت. 500) وإبراهيم بن فرتون السلمي الفاسي (ت. 538)، وأبو القاسم ابن ورد التميمي (ت. 540) وعيسى بن يوسف ابن الملجوم الفاسي (ت. 543).

وعرف المغرب، إلى ذلك، خلال القرون الهجرية الخمسة التالية (من أواخر القرن الخامس إلى العاشر) روايات أخرى *لصحيح البخاري* عن طريق الفربري والنسفي، وتميز في هذا المضمار مركزان أساسيان هما سبتة وفاس.

ففي سبتة اشتهر عدد من المحدثين رواة *صحيح البخاري*، في طليعتهم القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت. 544) صحح نسخته من *صحيح البخاري* على أصل الامام عبد الله بن إبراهيم الأصيلي بخطه وعارضها بها حرفاً حرفاً، كما عارضها بأصل عبدوس الطليطلي وقابل بها مواضع إشكال من نسخته. وأبو الحسن الشاري (ت. 649) كان يعقد مجلساً لإقراء *صحيح البخاري* بالجامع الأعظم من سبتة، ويُحضر وقت القراء أصولا عتيقة منها أصل عبد الله الأصيلي، وأصل أبي القاسم بن ورد والقابسي وغيرها. وعبيد الله بن أبي الربيع السبتي (ت. 688) وأبو علي الحسين ابن أبي الشرف السبتي (ت. 702) اللذان تتعد طرق رواياتهما *للصحيح* عن أبي ذر الهروي وغيره. والرحالة محمد بن رشيد السبتي (ت. 721) الذي حمل من تونس أصل أبي الحسن بن النعمة العتيق المسموع عن أبي ذر بعد أن رواه هناك. وعبد المهيمن الحضرمي السبتي (ت. 749) الذي يروي *صحيح البخاري* عن بلديه ابن أبي الشرف بأسانيده المشار إليها آنفاً.

وفي فاس اشتهر كذلك عدد من المحدثين رواة *صحيح البخاري*، منهم أحمد اليفرني الشهير بالمكناسي (ت. بعد 800) مؤلف شرح *غريب البخاري* حيث يذكر من مصادره تعاليق أبي علي الغساني على أصله من البخاري المكتوب بخطه. ولا يبعد أن يكون أصل الغساني معتمداً في فاس قبل شيوع نسخة ابن سعادة التي سنتحدث عنها فيما بعد.

الأصول الباقية بالمغرب من *صحيح البخاري* حسب التسلسل التاريخي للرواية :

1 ـ المجلد الأول من *صحيح البخاري* بخط عبد المهيمن ابن حرز التميمي عام 698، وهو منقول ومقابل بأصل أبي الحسن ابن مغيث القرطبي المعروف بباب الصفار (تـ. 532) المكتوب بخط أبي عمر الطلمنكي (مخطوط، خ. الجامع الأعظم بتازا). مع قطعة من *صحيح البخاري* تشتمل على أوراق من السفرين الرابع والخامس بخط علي بن غالب ابن حزمون الكلبي فرغ منه في 12 شوال عام 535 بمدينة باغة الأندلسية. انتسخه من أصل قوبل بأصل محمد ابن عتاب المنقول بخطه من نسخة الإمام عبد الله الأصيلي. (مخطوط، خ، ابن يوسف بمراكش رقم 301).

2 ـ السفر الأخير من *صحيح البخاري* ابتداء من أواخر كتاب الأدب كتب في غرة رمضان عام 490، انتسخه لنفسه محمد بن عبد الله بن أحمد ابن القاضي من كتاب قوبل بكتاب الإمام عبد الله الأصيلي (مخطوط خزانة المعهد الأصيل بتارودانت).

3 ـ الأسفار الثلاثة الأولى من *صحيح البخاري* سماع أبي بكر بن أبي محرز السجلماسي من أبي ذر الهروي بمكة في المسجد الحرام عام 413 (مخطوط، خ ح رقم 4330).

4 ـ السفر الرابع التابع للأسفار الثلاثة السابقة (السادس حسب التجزئة الأصلية) من *صحيح البخاري* سماع أبي القاسم مضر بن الحباب النفزاوي من أبي ذر الهروي بمكة في المسجد الحرام سنة 413 (مخطوط، خ. ح رقم 4330).

5 ـ نسخة عشرينية من *صحيح البخاري* كتبها بفاس أحمد بن أحمد بن علي ابن سودة وانتهى من نسخها في ربيع الثاني عام 1029. وهي من رواية محمد ابن منظور عن أبي ذر الهروي (مخطوطة تامة في خزانة تمگروت رقم 312).

6 ـ السفر الأول من *صحيح البخاري* في نسختين بخط مغربي من رواية علي بن المفرج الصقلي عن أبي ذر الهروي (مخطوطة خزانة تمگروت رقم 1431 و1451).

7 ـ نسخة من *صحيح البخاري* في مجلد ضخم بخط أندلسي دقيق مدموج مليح مكتوب بالمداد الباهت مع تلوين عند الاقتضاء بالأحمر والأزرق والذهب المصور بالمداد على ورق متين عتيق. كتب في الرابع من جمادى الثانية عام 825. قوبلت بالأصل المكتوب بخط أبي علي الصدفي (تـ. 514) المنقول من نسخة أبي الوليد الباجي (مخطوط، خ. ح رقم 5053).

8 ـ أصل أبي ذر الهروي من *صحيح البخاري* الذي استجلبه إلى المغرب الأمير المرابطي ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني (ت. 530) عندما ذهب إلى الحج عام 497. وذلك بعدما سمعه بمكة المكرمة من أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي عن أبيه، وابتاع منه أصل أبيه بخطه. وقد رواه عن ميمون كثير، منهم أبو بكر ابن خير الإشبيلي. كانت قطعة من هذا الأصل معروفة في خزانة ابن يوسف بمراكش ثم اختلطت مع مر الزمن ضمن الخروم.

9 ـ نسخة القاضي عياض من *صحيح البخاري* من روايته عن أبي علي الصدفي ظلت معروفة بالمغرب حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، كانت عند محدث فاس إدريس العراقي (تـ. 1183 / 1769) ومن هذا التاريخ اختفى خبر هذه النسخة بالمرة.

10 ـ الجزآن الأولان وبعض الثالث من *صحيح البخاري* في مجلد ضخم يبدو أنه من أصل أحمد ابن الحطيئة الفاسي ثم المصري (تـ. 560) من طريق أبي ذر الهروي، مكتوب بخط شرقي نسخي مليح عتيق مقابل مع تتميمه في بعض المواضع بخط مغاير عار عن تاريخ النسخ واسم الناسخ. هوامش النسخة كلها تكاد تكون مملوءة بالتعليقات الشارحة بخط مباين فضلا عن تعليقات المقابلة والسماع. وقد دخلت هذه النسخة إلى المغرب حديثاً نحو عام 1358، وهي محفوظة بالخزانة الأحمدية بفاس.

وهناك سفر أول من *صحيح البخاري* منتسخ من أصل أحمد ابن الحطيئة بخزانة تمگروت (مخطوط رقم 1437).

11 ـ نسخة ابن سعادة من *صحيح البخاري* التي اعتُمدت في المغرب منذ القرن العاشر الهجري، وقال عنها محمد العربي الفاسي في *مرآة المحاسن* (ص 50) :"وهذا الأصل أجلُّ الأصول الموجودة بالمغرب"، وهي منسوبة إلى موسى ابن سعادة البلنسي ثم المرسي (تـ. 522) كتبها مجزأة في خمسة أسفار وفرغ من تعليقها في العشر الأخير من ذي القعدة عام 492. وقد انتسخها من أصل شيخه وصهره أبي علي الصدفي المكتوب من نسخة محمد بن علي بن محمود المقروءة على أبي ذر الهروي وعليها خطه. وقد طاف الصدفي بأصله من *صحيح البخاري* في الأمصار وسمعه وقابله على نسخ شيوخه بالعراق ومصر والشام والحجاز والأندلس. وكتب الصدفي بخطه على أول السفر الثاني من نسخة ابن سعادة تصحيح سماع تلميذه لسائره عنه بتاريخ ربيع الأول عام 493.

وقد تداول المحدِّثون نسخة ابن سعادة في القرون التالية وكتبوا عليها سماعاتهم وتصحيحاتهم بالأندلس والمغرب. وأقدم ذكرٍ لها معروف في المغرب يرقى إلى أوائل القرن التاسع حيث تمت مقابلة نسخة من *صحيح البخاري* بأصل ابن سعادة قراءة على محمد بن يحيى السراج بمسجد إمامته من زنقة حجامة بفاس في مجالس وهو يمسك أصل ابن سعادة إلى أن كمل أواخر ربيع الثاني عام 836 (مخطوط، خ. ح رقم 9576). ثم وقعت معارضة نسخة خماسية من *صحيح البخاري* بأصل ابن سعادة كتبت عام 838 برسم خزانة الوزير علي بن يوسف الوطاسي (مخطوط خزانة ابن عاشور بتونس) وأخرى في ثلاثين جزءاً صححت عليها في رجب عام 846 (مخطوط خزانة تمگروت رقم 312). ومن ثم يختفي ذكر نسخة ابن سعادة إلى نهاية القرن العاشر، حيث تعود للظهور وتذكر بانتظام ويتأكد وجودها كاملة في خزانة القرويين بفاس. وانتسخ منها فرع خماسي لأبي المحاسن الفاسي (تـ. 1013) بخط محمد بن

علي المـرّي الفاسي. فصارت القراءة فيه عند سرد *صحيح البخاري* في رمضان بمجلس الشيخ أبي المحاسن، مع معارضته بأصل ابن سعادة عند القراءة، فكان الحافظ أحمد ابن يوسف الفاسي يتولى سرد الفرع بينما يمسك عمه عبد الرحمان العارف الأصل الأندلسي، وتعددت هذه المقابلة مرات.

أصبحت نسخة أبي المحاسن الفاسي تعرف في فاس "بالشيخة" لوفرة المنتسخات منها مباشرة أو بواسطة، ولكثرة تداول المحدِّثين لها واعتمادهم عليها (مخطوط النسخة الشيخة تام عند أبناء السفير الحاج الفاطمي ابن سليمان، ومنها ميكرو فيلم في خ.ع رقم 736). أما نسخة سعادة الأصلية فلم يبق منها إلا الأجزاء 2 و4 و5 (خ. ع رقم 1333 د) وجدد السفر الأول الضائع بأمر السلطان محمد الرابع بخط محمد الهادي الفاسي عام 1285 (خ. ع رقم 1332 د) وأما السفر الثالث بخط ابن سعادة فاستعاره المستشرق ليڤي بروفنصال ليصوره فمات وبقي عنده. وكان هذا المستشرق قد نشر بباريز سنة 1347 / 1928 السفر الثاني من نسخة ابن سعادة بالتصوير مع مقدمة بالعربية بعنوان *التنويه والإشادة بمقام رواية ابن سعادة* للمحدث عبد الحي الكتاني، وأخرى بالفرنسية للناشر.

ومن الفروع المنتسخة من النسخة "الشيخة" *لصحيح البخاري* :

- نسخة محمد ميارة الفاسي (تـ. 1072 / 1662) في أربعة أسفار (خ. ع رقم 662 ج).
- نسخ عبد القادر بن علي الفاسي (تـ. 1091 / 1680). وكان ينسخ *صحيح البخاري* كثيراً، ويرغب الناس في النسخ التي بخطه، وهي عديدة بالخزائن العامة والخاصة منها مخطوطات بخزانة الزاوية الحمزاوية، ومشهد أبي يعزي، وجامع القصبة بالصويرة. والجامع الكبير بمكناس زيادة على خزائن الجزائر وباريس.
- نسخة محمد بن علي الحريشي الفاسي (تـ. 1102 / 1690) (خ. ع أرقام 444 د و509 د و1865 ك).
- نسخة محمد المهدي بن أحمد الفاسي (تـ. 1109 / 1597) كانت موقوفة على مسجد زقاق الماء بفاس واختفت.

بالإضافة إلى نسخ أحمد بن العربي ابن سليمان الفاسي، وأحمد بن قاسم جبوس الفاسي، ومحمد بن محمد الدلائي، وأحمد بن عبد القادر الفاسي، ومحمد محمود الصقلي، وعبد العزيز بن محمد الحلو وابنه محمد الحلو، ومحمد الفضيل الإدريسي الشبيهي الزرهوني. وهي موزعة في المكتبات العامة والخاصة داخل المغرب وخارجه.

12 - النسخة اليونينية من *صحيح البخاري*، نسبة إلى القائم بتصحيحها على روايات البخاري علي بن محمد الهاشمي اليونيني اللبناني الحنبلي (تـ. 701) وهي آخر الروايات ظهوراً بالمغرب، استجلبها من الشرق أحمد بن الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي (تـ. 1129 / 1717). وقد اشترى من مكة فرعاً من هذه الرواية من 528 ورقة في عشرة أجزاء بخط شرقي واضح مليح وقع الفراغ من انتساخها تجاه الكعبة يوم الجمعة لسبع خلون من ذي القعدة عام 1117 بخط إبراهيم المكي بن علي القيصري الحنفي، منقوله من الأصل اليونيني مباشرة بخط محمد بن عبد المجيد بن زيد في 28 رمضان عام 669. (الفرع اليونيني مخطوط في خ. ع رقم 481 ق).

وهناك نسخة من هذا الفرع اليونيني في ثلاثين جزءاً (باعتبار جزء لكل يوم من رمضان) ندب لانتساخها أحمد ابن ناصر الدرعي عام 1138 بخط محمد بن محمد بن محمد حجي الفاسي (خزانة تمكروت رقم 949) وبها كان يقرأ *صحيح البخاري* في رمضان بالزاوية الناصرية بتمكروت. وهناك نسخة يونينية أخرى مبتورة بخط شرقي في مجلدين (خ. ح رقم 10806).


عياض،. *المدارك* ؛ *المشارق* ؛ *فهرس الغنية* ؛ ابن خير الاشبلي، *فهرس* ؛ ابن بشكوال، *الصلة*، نشر العطار ؛ مجهول، *مقدمة المورد الأحلى*، ت. م إبراهيم الكتاني، مجلة معهد المخطوطات العربية، نونبر 1958؛ ي.الحموي، *معجم البلدان* ؛ ابن الفرضي، *تاريخ علماء الأندلس*، ط. مصر ؛ عيسى الرعيني، *برنامج الشيوخ*، ط. دمشق؛ ابن الآبار، *المعجم في أصحاب الصدفي* ؛ *التكملة*، ط. مجريط ؛ أ. ابن خلكان، *وفيات الأعيان* ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، السفر الخامس ـ بيروت ؛ وجزء الغرباء ؛ أ. ابن الزبير، *صلة الصلة* ؛ م. ابن أبي الربيع السبتي، *برنامج*، ت. عبد العزيز الأهواني، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 1، 1.2 ؛ م. ابن رشيد السبتي، *الرحلة ملء العيبة*، مصور ؛ أبو القاسم ابن الشاط السبتي، *الإشراف على أعلى شرف في التعريف برجال البخاري*، مخطوط ؛ تاج الدين السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى* ؛ م. ابن حجر العسقلاني، *مقدمة فتح الباري* ؛ *الدرر الكامنة* ؛ أحمد البلوي الوادي آشي، *ثبت الشيوخ*، مصور مخطوط ؛ ج. السيوطي، *بغية الوعاة* ؛ م. ابن غاري، *فهرس التعلل برسوم الاسناد*، ت. الباهي التونسي ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ *درة الحجال* ؛ عبد الرحمان الفاسي العارف، *تشنيف المسامع ببعض فوائد الجامع*، ط. حجرية بفاس ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ؛ *أزهار الرياض* ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب* ؛ م. المحبي، *خلاصة الاثر*، القاهرة، 1284 / 1867 ؛ م. بن عبد الرحمان الفاسي، *فهرس المنح البادية في الأسانيد العالية*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *الاكليل والتاج*، مخطوط. ر.د.د. ع الرباط 1989 ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. ابن عبد السلام الناصري، *المزايا*، مخطوط ؛ مح. ابن الحاج، *نفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري*، ط. الحجرية بفاس ؛ يحيى البكري الجراري السوسي، *فهرس ضوء المصباح في الأسانيد الصحاح*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. الرباط ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ *التنوية والإشادة بمقام رواية ابن سعادة*، ط. باريس.



محمد المنوني


**البخاري**، (عبيد ــ) هم جيش السود الذي أسسه مولاي إسماعيل، ولقبوا بعبيد البخاري لأنهم أقسموا

*بصحيح البخاري* على أن يخلصوا إلى السلطان وبقوا يحتفظون بالنسخة التي أقسموا عليها، يقدمونها أمامهم في كل حركاتهم. وإذا كانت تفسيرات المؤرخين للأسباب التي دفعت مولاي إسماعيل إلى اللجوء إلى جيش من العبيد، متعددة ومختلفة، كالصعوبة التي لاقاها مع أهل المدن والبوادي لمده بالحراك، وخصوصا مدينة فاس والمناطق الجبلية، وكقصة أبي حفص عمر الملقب بعليلش الذي كان أبوه كاتبا للمنصور السعدي وأبنائه حيث قيل إنه أطلع السلطان مولاي إسماعيل على ديوان عبيد المنصور موحيا إليه بفكرة جمعهم من جديد، فالشيء المؤكد هو أن مولاي إسماعيل بدأ منذ السنة الثانية لتوليه الملك، بعد استيلائه على مراكش، في جمع السود والحراطين. ويغلب على الظن أن مولاي إسماعيل بدأ يجمع سلالة العبيد الذين كانوا في جيش المنصور، إذ يظهر من الصعب أن نتصور أنه كانت هناك بقية من هؤلاء العبيد، كما يؤكده كاتب مولاي إسماعيل ووزيره أبو العباس اليحمدي، للفارق الزمني الذي يفصل بين عهد المنصور وعهد مولاي إسماعيل والذي يناهز قرناً من الزمن. وقد يكون عززهم بالسود الذين أتى بهم أمير إليغ من تنبكتو، وكذلك بالسود الذين جاء بهم ابن أخ السلطان من السودان سنة 1083 / 1672 والسود الذين كانوا في المغرب عبيدا وأحراراً.

وعلى كل حال بدأت عملية جمع عبيد البخاري في مراكش وأحوازها وقبائل الدير ثم تعممت في مجموع المغرب حيث قام مبعوثو السلطان معززين بقواد القبائل وعمال المدن بجمع السود ذكورا واناثا، إما بشرائهم إذا كانوا عبيداً أو بأخذهم مجاناً إذا كانوا أحراراً. فأبو عبد الله بن محمد العياشي المكناسي مثلا جمع كل السود في قبائل الغرب وبني حسن. كما جمع عبيد فاس ومكناس، وعبيد الهبط وعبيد تامسنا ودكالة حتى لم يبق عند أحد عبد ولا أمة، وكان هؤلاء السود في الأول يساقون إلى مكناس حيث تعطى لهم الكسوة والسلاح، ومنها إلى المحلة من مشرع الرملة، ثم صاروا يرسلون مباشرة إلى مشرع الرملة الذي يقدر موقعه من طرف بعض المؤرخين بين مكناس وسلا في نواحي تيفلت، في حين حدده البعض في نواحي سيدي يحيى الغرب معتمدين في ذلك على كلام الزياني الذي يقول إن محلة مشرع الرملة تعرضت لنهب بني حسن الغرب حوالي عام 1161 / 1748، وكذلك على آثار بنايات بالآجر تدل على وجود معسكر كبير فيما سبق بقرب سيدي يحيى الغرب، وغالب الظن أنه وجد معسكران للعبيد أحدهما في الطريق الرابطة بين مكناس وسلا ومن الراجح أن تكون هي المحلة الأولى، والآخر بناحية سيدي يحيى الغرب.

وقد قدر العبيد الذين جمعوا باثنى عشر ألفا، منهم ألفان من تامسنا، وألفان من دكالة أُنزلوا في الأول بوجه عروس من أحواز مكناس، إلى أن بنى مولاي إسماعيل قصبة أدخسان فأرسل إليها عبيد دكالة وأرسل عبيد تامسنا إلى زاوية الدلاء. زيادة على ألفي حرطاني قد يكون مولاي إسماعيل رجع بهم من حملته على شنقيط عام 1089 / 1678. وقد تزايد هذا العدد باستمرار طوال عهد مولاي إسماعيل، إما عن طريق تجنيد السود الذين كانت تأتي بهم القوافل بانتظام كل سنة من السودان، أو بجمع كل السود والحراطين الذين كانوا لايزالون إما في ملك الخواص أو مفرقين في القبائل إذ أصبح من المحظور على أي كان أن يتملك عبدا أسود، أو عن طريق التناسل إذ منذ البداية ظهرت واضحة إرادة مولاي إسماعيل في جعل العبيد الذين جمعوا في مشرع الرملة أداة للإنجاب إلى جانب دورهم العسكري الاحتياطي حيث كان يعقد لهم على الإماء قبل أن يرسلهم إلى المحلة.

وفي سنة 1100 / 1688 . 1689 تسلم السلطان أول دفعة من هذا الانتاج البشري حينما زار محلة مشرع الرملة ونقل كل الأطفال البالغين عشر سنوات إناثا وذكورا إلى مكناس ليتربوا في ظل قصره منذ نعومة أظفارهم ويهيأوا للمهمة التي كان المولى إسماعيل يؤهلهم لها، بعيدين عن كل التأثيرات الخارجية.

فقد كان الأطفال الذكور يفرقون على أصحاب مختلف الحرف ليتعلموا لمدة ثلاث سنوات كل ما يتعلق بفن البناء من نجارة وصناعة الآجر وزليج وقرميد وضرب ألواح الطابية (المقدار) ثم يتلقون بعد ذلك، ولمدة ثلاث سنوات أخرى، تداريب عسكرية مكثفة يدخلون بعدها الحياة العسكرية بعد أن يزوجهم السلطان من الإماء اللواتي يكن تدربن في قصره على أعمال المنزل، ويولي عليهم قواداً من أكابر عائلاتهم، ثم يفرقون على مختلف القصبات أو يرسلون إلى محلة مشرع الرملة.

ومن خلال نوعية هذه التداريب والعدد الهائل الذي عمل المولى إسماعيل على جمعه تظهر جليا الغاية من تأسيس هذا الجيش، فهو لم يكن يرمي فقط إلى تكوين حرس خاص به وبقصوره المتعددة، أو نخبة عسكرية يكل إليها المهام الصعبة، على غرار االمسيحيين والعلوج الذين كانوا داخل الجيش المرابطي والموحدي مثلا، بل كان بالإضافة إلى كل هذا، يسعى لتكوين قوة عسكرية دائمة بعيدة عن التقلبات والأحلاف القبلية تقيم باستمرار وبأعداد كافية في كل أنحاء البلاد لفرض احترام السلطة المركزية، وهكذا نجد مولاي إسماعيل كلما أخضع منطقة بنى بها قلعة ووطن فيها عددا من العبيد بنسائهم وأطفالهم.

وهذه السياسة بدأ فيها السلطان حتى قبل أن يعطي مشرع الرملة أول نتاجه، واتسعت بتزايد عدد العبيد.

ففي سنة 1096 / 1685 اتجه مولاي إسماعيل نحو ملوية عبر صفرو وفي طريقه بني تسع قلاع وأنزل بكل قلعة منها أربعمائة من العبيد بخيلهم ونسائهم. وتغممت هذه العملية حيث أحاط المغرب سياج من القلاع يقدر بأربع وسبعين على طول كل الطرق سواء الساحلية أو الداخلية التي تصل

العاصمة بمختلف جهات المملكة كسلسلة قلاع الدير التي كانت تحرس السهل، والطريق بين مراكش ومكناس وسلسلة القلاع الممتدة من قصبة مديونة إلى مكناس سواء عن طريق الساحل عبر سلا أو من الداخل عبر غابة بن سليمان أو عن طريق سيدي بطاش والرماني وضاية الرومي وطريق قصبة تادلا والدير.

كل هذه القلاع كانت تذكّر القبائل بوجود المخزن وتذكرها كذلك بوجوب أداء الزكوات والأعشار خصوصا وأنها كانت ملزمة بدفعها مباشرة لها، وملزمة كذلك بالسهر على خيل عبيدها.

وسواء كان عدد جيش العبيد قد بلغ مائة وخمسين ألفا كما يؤكد المؤرخون المغاربة أو كان مبالغا فيه كما يستنتج بعض المؤرخين الأوربيين الذي يقدرونه بثمانين ألفا، فإن الشيء المؤكد هو أن جيش العبيد صار له ثقل سواء من ناحية العدد أو من ناحية القدرة العسكرية، الأمر الذي غير العلاقات التقليدية بين المخزن والرعية. فقد استطاع مولاي إسماعيل بفضل هذه القوة على الخصوص، أن يقضي على التمرد التقليدي للقبائل، وأن ينزع منها السلاح والخيل ويحصر نشاطها في العمل الفلاحي ويجعلها تؤدي الضرائب التي ارتفعت ولا شك بارتفاع عدد العبيد ومتطلبات كسوتهم ونفقاتهم، حتى إن جباة المملكة جروا ذيول الظلم على الرعية، فأكلوا اللحم، وشربوا الدم، وامتصوا المخ، ولم يتركوا للناس لا دينا ولا دنيا، كما يقول الشيخ اليوسي في *رسالته* الشهرة إلى مولاي إسماعيل. وقد يكون نزع السلاح وارتفاع الضرائب من الأمور التي جعلت العلماء والقضاة، وخصوصا علماء فاس قضاتها، يتعصبون في موقفهم من قضية تجنيد العبيد، التي طلب منهم مولاي إسماعيل الفتوى فيها مرتين، في سنة 1108 / 1697 وفي سنة 1121 / 1709، إذ أن تفسير هذا الرفض بتشبث العلماء والقضاة بحكم الشرع فيما يخص تمليك السود والحراطين، وبالدفاع عن حقهم في الحرية، يظهر تفسيرا غير تام، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن السود المسجلين في ديوان الجيش لم يكن ينطبق عليهم كلهم قانون العبيد، فقد كانوا يقسمون إلى ثلاث فئات : فئة الأرقاء الخلص وفئة الأحرار الخلص، وفئة بينهما، وإن هؤلاء العبيد كانوا يتمتعون برعاية وحماية خاصة من طرف مولاي إسماعيل جعلتهم في كثير من الأحيان فوق الخواص والعلماء كما أن مولاي إسماعيل أعطاهم حق تملك الأرض كالأحرار.

وقد استطاع مولاي إسماعيل أن يجعل من جيش العبيد قوة منظمة ومدربة سخرها لأغراض المخزن، وفي مقدمتها نشر الأمن في مجموع البلاد وتوسيع رقعة حكم المخزن والدفع بحدودها إلى تخوم السودان في الجنوب ونواحي تلمسان في الشرق، واستطاع طوال ملكه أن يتحكم في هذه القوة الهائلة التي كانت مجبرة على الإخلاص له لأنها كانت تستمد منه وحده وجودها وقوتها، كما أنه لم يتم لها فرصة الاستبداد إلا بأوامره، وإعطائها كل الوسائل لتكون قوة عسكرية دون أن تصير قوة سياسية.

وقد بقي هذا الجيش عنصراً للمحافظة على النظام في ظل سلطة مركزية طالما بقيت موحدة في شخص مولاي إسماعيل، ولكنه أصبح عنصراً من عناصر الفوضى والاستبداد حينما تشتتت هذه السلطة بعد وفاة السلطان.

فسياسة المولى إسماعيل في التأطير العسكري للبلاد، والتحكم في الطرق والهجرات والتحركات القبلية، والقضاء على قوتها العسكرية بنزع الخيل والسلاح، تركت السلاطين من بعده وجها لوجه مع القوة العسكرية المتمثلة على الخصوص في العبيد والأوداية.

وقد دخلت علاقة السلاطين العلويين مع جيش العبيد في حلقة مفرغة لمدة تناهز ثلاثين سنة. فالعبيد انقطعت عنهم الزكوات والأعشار التي كانت القبائل تؤديها لهم، وبدأوا يتعرضون لانتقامها، ففارقوا قلاعهم وخرجوا حتى من مقرهم مشرع الرملة، ناشرين الرعب والنهب في الطرق، وبين القبائل والمدن متجهين نحو فاس ومكناس، لجعل قوتهم في خدمة سلطان من أبناء مولاي إسماعيل يجزل لهم العطاء، ويتخذونه درعا يحميهم من انتقام السكان.

كما أن السلاطين كانوا في حاجة لمساعدة العبيد للاستيلاء والبقاء على العرش، ولإخماد الفتن، واستخلاص الضرائب. ولكن سلاطين هذه الفترة وجيش العبيد رغم حاجة كل طرف لقوة الآخر، كان كل طرف يسعى لإضعاف الطرف الآخر حتى يضمن طاعته، وقد وجد العبيد في تنافس أبناء المولى إسماعيل على الملك وسيلة لذلك، إذ توالى على العرش في مدة ثلاثين سنة تقريباً، سبعة سلاطين كلهم بايعهم العبيد، ثم نقضوا بيعتهم، فالمولى أحمد الذهبي مثلا، بايعه العبيد مرتين ونقضوا بيعته مرة، والمولى عبد الله الذي تسلطن أربع مرات وخُلع ثلاث مرات بايعه العبيد سبع مرات وخلعوا طاعته ست مرات.

أما السلاطين فقد كانوا مضطرين لاستعمال جميع الوسائل للحصول على المال الذي يرضي العبيد ويضمن مساندتهم، فالمولى علي ابن إسماعيل الملقب بالأعرج الذي بويع سنة 1141 وخلع في 1149 قام في بحثه عن المال الذي ينفقه على العبيد بالقبض على أم السلطان عبد الله بن إسماعيل خناثة بنت بكار، وامتحنها لاستخلاص ما بيدها من المال. والسلطان محمد بن إسماعيل المعروف بابن عربية لجأ إلى استخراج الحبوب والأموال من دور أهل مكناس غصبا، والاستيلاء على الحبوب التي كان أهل البادية يدخلونها للمدن لبيعها، وضرب الحصار على أهل فاس، وقبض على عدد كثير من أثريائهم وقتلهم واستصفى أموالهم. والسلطان المولى المستضيء الذي بويع سنة 1151 م وخلع في 1152 بعد أن استنفد كل الوسائل لجمع المال الذي يرضي به العبيد، قام بنهب ما بقي في المخازن الإسماعيلية حيث استخرج الحديد والكبريت وملح البارود، واقتلع كل

ما في القصر الإسماعيلي من نحاس وحديد وباعه لأهل الذمة وألزمهم بأداء ثمنه وأنزل المدافع النحاسية وكسرها وضربها نقوداً، وامتحن تجارفاس بالسجن حتى افتدوا أنفسهم بالمال وصادر أموال أشراف فاس. ولكن كل هذه الوسائل لم تكن كافية لأداء نفقات العبيد وضمان تأييدهم، فكان السلاطين يلجأون في كثير من الأحيان إلى الاستعانة بالقبائل لتكسير شوكة العبيد، خصوصا منهم قبائل الجيش كالأوداية وبعض القبائل البربرية وهذا ما كان يسميه مولاي عبد الله بسياسة "ضرب التيس الأسود بالكبش الأبيض".

وقد خرج جيش العبيد من هذه الفترة ضعيفاً لأنه تعرض لانتقام جميع الأطراف سواء منها القبلية أو السلطانية، فمولاي عبد الله وحده قتل أثناء عهود ملكه المتعددة والمتقطعة، ما يناهز ألف عبد، كما أن كثيراً منهم حينما انقطعت عنهم الزكوات والأعشار، خرجوا من القصبات، وتفرقوا بين القبائل التي كانوا ينتمون إليها في الأول. واستمر عددهم وقوتهم في التناقص خصوصاً وأن تزايدهم لم يبق إلا عن طريق التناسل، إذ لا يوجد ما يدل على أن المخزن استمر بعد مولاي إسماعيل في سياسة جمع العبيد لا في الداخل ولا في الخارج.

كما أن السلاطين لم يحتفظوا بهم إلا في إطار توازن بين مختلف فآت الجيش من جهة وللحفاظ على التوازن بين القوات المخزنية والقبائل من جهة أخرى، ففي عهد سيدي محمد بن عبد الله، أعيد جمعهم لمواجهة قوة الأوداية، ثم فرقوا من جديد حين صارت قوتهم خطراً على التوازن السياسي، فوزعوا بين طنجة والعرائش والرباط ومراكش وسوس، ثم لما كبرت قوة عبيد طنجة والعرائش نقلهم السلطان إلى دار عريبي من بلاد سفيان، وسلط عليهم قبائل الغرب وبني حسن الذين تقاسموا العبيد وأولادهم ونساءهم وأخذوا خيولهم وسلاحهم.

وقد اتبع سيدي محمد سياسته هذه مع العبيد إلى وفاته بجمعهم تارة وتشتيتهم أخرى، وبنقلهم عدة مرات مراعيا في ذلك توازن القوى السياسية والعسكرية في البلاد.

وقد حاول مولاي سليمان إعادة قوة العبيد والاعتماد عليهم لمواجهة القبائل التي بدأت « تخرج من قماقمها » من جديد، فجمعهم في مكناس، ولكن عددا كبيرا منهم يقدر بخمسة آلاف هلكوا في الهزة الأرضية التي عرفت بزلزال لشبونة الذي وقع سنة 1755/1169. ويصور الناصري الضعف الذي تردى فيه جيش البخاري في أوائل القرن التاسع عشر حينما يصف دخول مولاي عبدالرحمن لمكناس بعد بيعته «فلما دنا منها خرج العبيد إلى لقائه بالأعلام مرفوعة على العصي، وكانوا جماعة يسيرة، فقال لهم السلطان : أين جند البخاري ؟ فقالوا : هذه البركة التي تركتها الفتنة، وعلى الله وعليك الخلف».

وقد لجأ سيدي محمد بن عبدالرحمان من أجل تقوية جيش البخاري إلى إضافة بعض العناصر الجديدة كأهل تولال، الذين نقلهم من نواحي فاس إلى ناحية مكناس وأدخلهم في جيش البخاري. وكذلك قسم من الخلط الذين نقلهم من بلاد سفيان وأحواز العرائش وأنزلهم بأرض مكسر وزگوطة إلى أن صار عددهم ألفا وخمسمائة وأضافهم إلى عبيد قصبة حرضان بمكناس. وإلى جانب الضعف العددي وقع التهاون والفساد في تسيره الإداري والعسكري فصار عدد هذا الجيش غير مضبوط، كما أن قيمته العسكرية ضعفت لانعدام التداريب العسكرية، وذهبت هيبته وحرمته وامتيازاته، فبعد أن كان مولاي إسماعيل يعاقب بالقتل كل من تجرأ على عبد من عبيد البخاري، وزيرا كان أم شريفا، نجد مولاي عبدالرحمان يحجم عن معاقبة رجل عادي جرح أحد عبيده.

ويمكن القول إن جيش البخاري في القرن التاسع عشر فقد كثيراً من عدده ومميزاته العسكرية وأصبح ضعيفا لا تقيم له القبائل وزنا، ولا يحتفظ به السلاطين إلا في إطار التوازن بين مختلف أنواع الجيش وخصوصا لمواجهة الأوداية، وأصبح دوره أثناء الحركة دفاعيا، إذ يوكل إليه الدفاع عن أفراگ السلطان أو المحلة الخليفية، كما أن أغلبيته صارت تشكل المسخرين في حناطي القصور السلطانية، وأغلبيتهم كانت تسكن في نواويل حول القصور السلطانية في مكناس ومراكش وفاس، وبقي عدد قليل منهم في بعض القصبات الساحلية كقصبة المهدية.

وقد صار جيش البخاري في أواخر القرن التاسع عشر ينقسم فقط إلى ست أرحاء يضاف إلى كل رحى منها بعض القبائل : كزعير وبني حسن وتادلا والخلط وسفيان وبني مالك وأيت الربع وأيت عصم.

وهذه الأرحاء هي :

| | |
|---|---|
| - رحى عبيد الزنقة | - رحى سعادة |
| - رحى الزمراني | - رحى سعود |
| - رحى الكوارم | - رحى تافيلالت |

وفي سنة 1899 بعد التغييرات التي طرأت على الجهاز العسكري المغربي أسست عدة طوابير من البواخر والعبيد تقدر باثنين وثلاثين طابورا عدد أفرادها ألف وخمسمائة فرد. في حين بقي ما يناهز ثمانمائة وخمسين في الجيش وثلاثمائة مسخرين (مخازنية) في مكناس وأربعين في الطبجية.


أ. الزياني، *الترجمان* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ *العز والصولة*.

Archives du Ministère de la Guerre, *Rapport de la mission Française au Maroc le 31 janvier 1899* ; L. Arnaud, *Au temps des Mhallas* ; Le Coz, *Le Rharb*, t : 1 ; M. Morsy, *Moulay Ismaïl et l'Armée de métier*, *R. H. M.* C. Avril-Juin 1967 ; *La Relation de Thomas Pellow* ; N. Cigar, *Une lettre inédite de Moulay Ismaïl aux gens de Fès*, *H. T.* 1974, p. 105-118 ; M. Delafosse, *Les débuts des troupes noires au Maroc*, *H. T.* 1983, pp. 1-33.


ثريا برادة

**البخاري**، أو البْواخَر، شخصيات نابهة من الجيش البخاري، استقرت غالبيتهم بمكناس عبر العصر العلوي، وإلى جانب المثقفين منهم، ساهم آخرون بالعمل في مختلف

أطر الدولة، وفي *إتحاف أعلام الناس* مجموعة من تراجم الفريقين، كما أن الحاج العربي المشرفي في *الحسام المشرفي* استعرض طائفة مهمة، من الأطر البخارية أيام السلطان محمد الرابع، وثالثا : فإن أحد متأخريهم : محمد العلمي ابن أحمد بن رحال، ألمَّ في *مذكرته* بنخبة من البواخر النابغين في الرياضيات خلال القرن الثالث عشر (19 م).

محمد المنوني

**البخاري، أحمد** بن **القايد الحاج رحال** المكناسي. فقيه نبيه، أستاذ عارف بالتجويد والحساب والتوقيت، ناسك ذاكر محب لآل البيت النبوي. كان يعلم الصبيان وينوب عن أمين أمناء مكناس بوعزة بن العربي النشار في خطة أبي المواريث، كما كان يتعاطى الشهادة في سماط العدول، ونساخة الكتب بخطه المليح. وكان قد درس بمسقط رأسه مكناس على الأستاذ اليزيد، والعدل أبي يشو البخاري وغيرهما. وممن أخذ عنه إدريس ابن السلطان المولى سليمان.

توفي بمكناس أواخر شوال عام 1329 / أكتوبر 1911، ودفن بضريح سيد عمرو الحصيني.

**البخاري، أحمد** بن **القايد محمد** الشادلي المكناسي. "كان فقيها حيسوبيا متضلعاً في جميع أنواعه، وله إلمام تام بمهمات فن الهندسة. وجهه السلطان سيدي محمد (بن عبد الرحمان) لقراءة الفنون المذكورة بحاضرة فاس". (*إتحاف*، 1 : 467). أخذ بفاس عن العالم الرياضي أحمد الصويري ومن في طبقته، وتتلمذ له في هذا الفن محمد بن المدني الملكف بخزائن العدة أيام السلطان عبد العزيز، ومحمد الرجراجي وغيرهما.

**البخاري، أحمد** بن **مبارك**، كان والده وإخوته من وصفان السلطان سيدي محمد بن عبدالله (1171 . 1205 / 1757 . 1790). أهداهم هذا الأخير لابنه مولاي سليمان، ومن ثم نشأ أحمد، منذ صباه، في كفالته، وتخلق بأخلاقه، وكسب مودته وثقته. حتى إذا بويع مولاي سليمان بالخلافة سنة 1207 / 1792، بادر إلى توليته حجابته ووزارته فقام بهما خير قيام. ورغم عظم الجاه ونفوذ الكلمة وطول مدة الخدمة فإنه ظل متواضعا زاهدا في أمور الدنيا، لا يفارقه كتاب *دلائل الخيرات* في قبّ جلبابه.

وكانت نهايته على يد عبيد البخاري الذين قتلوه سنة 1235/1820.19، إثر هزيمة مولاي سليمان في وقعة زيان. في هذا السياق كتب المؤرخ الناصري قائلا :«ثم لما سقطت هيبة السلطان وزال وقعه من القلوب سرى فساد القبائل إلى الجند، فإن العبيد عدَوا على كبيرهم القائد أحمد بن مبارك صاحب الخاتم فقتلوه افتياتا على السلطان، مع أنه كان من أخص دولته لنجابته وكفايته وديانته، واعتماد السلطان عليه في سائر مهماته. ولما قتلوه اعتذروا للسلطان بأعذار كاذبة فقبل ظاهر عذرهم وطوى لهم على البت» (*الاستقصا*، 8 : 137.136).

ومما أورده محمد أكنسوس عنه قوله :«حدثنا السلطان العادل رحمه الله تعالى (أي مولاي سليمان) وقد ذكره يوما وأكثر من الثناء عليه حتى قال : والله لولا أنني كفنته وجهزته ما وجد ما يكفّن به. فإننا وجدنا في صندوقه الذي وجدنا مفتاحه معلقا معه ستمائة مثقال، ووجدنا زماما بخطه عليه من الدين ستمائة مثقال، فقضينا ذلك الدين بتلك الدراهم فخرج من الدنيا كيوم وضعته أمه» (*الجيش*، 307).

ومن بين أولاده الذين تبوأوا مكانة رفيعة في جهاز الدولة، سواء في عهد حكم سيدي محمد أو خلفه مولاي الحسن، نخص بالذكر موسى وعبدالله.

م. أكنسوس، *الجيش*، مخطوط خ. ع. 965 د ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج : 8.

**البخاري** ← **أحمد** بن **موسى**

**البخاري، إدريس** بن **أحمد** بن محمد المكناسي المدعو البرنوصي "فقيه وجيه حيسوبي جليل القدر نبيه، له مهارة كبيرة في الهندسة والرماية بالمدفع والمهراس" (*إتحاف*، 2 : 29).

تولى أمانة دفع مؤن الجيش أيام الحسن الأول، وحضر معه وقعة فاس الشهيرة عام 1290، وهو الذي تولى رمي منار مدرسة الطالعة.

ولما مرض إدريس البخاري بفاس واشتد به المرض أذن له السلطان بالتوجه إلى أهله بمكناس فتوفي في الطريق في 28 محرم عام 1323 / 4 أبريل 1905.

**البخاري، إدريس** بن **المكي** المكناسي، أستاذ يتقن رواية ورش والبصري وقالون إتقاناً جيداً، ماهر في الحساب والأوفاق واستخدام الجان، عارف بالسياسة ونوامس المخزن وضوابطه. "كان متوليا رآسة الجيوش المخزنية وقوراً مهابا، مهما حل بالبساط الملوكي يقوم إجلالا له كل من به من الجيوش، ولم يكن لأحد غيره ممن تقدمه أو تأخر عنه غير الوزير الصدر". (*إتحاف*، 2 : 29).

توفي بمكناس عام 1288 / 1871.

محمد حجي

**البخاري، إدريس** بن **موسى** بن أحمد بن مبارك، يكنّى أبا العلاء، ظل اسمه مغمورا - مثل أخيه سعيد - إلى تاريخ انفراد أخيه أحمد بن موسى (ابّا احمد) بالسلطة سنة 1312 / 1894. فولاه حاجبا، كما ولى أخاه سعيداً - الآنف الذكر - وزيراً للحربية. وبخلاف أخيه سعيد الذي اهتم، من بين ما اهتم، ببناء القصور ومظاهر الأبهة، فإن إدريس، على حد قول محمد غريط :"كان متشبهاً بوالده في جل أخلاقه وعوائده، يُظهر إلى الخير ميْلا، ويذكر ما شاء الله نهار وليلا" (*فواصل الجمان*، 89).

هناك خاصية ثانية، اتسمت بها شخصيته، تتمثل في انهماكه في تناول الأطعمة إلى حد الشراهة، متجاوزا ذلك ما عرف عن أخيه سعيد في هذا الجانب، حتى إن محمد غريط كان حريصاً على ربط وفاته بنهمه المبالغ فيه :"كان

مملوك نهمه (...) وخشنت بنيته بعد أن كانت لطيفة، ثم مرض أياما قلايل، فتُوفي والحيُّ في الفناء آيل". (نفس المصدر ونفس الصفحة).

كانت وفاة إدريس البخاري في شهر ذي القعدة عام 1317 / مارس 1900، أي بعد وفاة أخيه بحوالي شهرين، وقد دفن إلى جانبه، في نفس روضة مولاي علي الشريف بمراكش.

م. غريط، *فواصل الجمان*.

عبد العزيز الخمليشي

**البخاري، بنعيسى** بن عبد الكريم - باشا مكناس - ولد سنة 1275 / 1858، وكان أبوه عبد الكريم أحد البواخر (عبيد البخاري) الذين عاشوا في دار المخزن بمكناس، فتربى الابن بدوره داخل هذه الدار تربية مخزنية، وبعدما اشتد عوده تدرج في عدة مناصب عسكرية بجانب شخصيات مرموقة في الجهاز المخزني، وتحمّل مسؤوليات في هذا الإطار في عهد السلطانين مولاي الحسن ومولاي عبد العزيز، وقد قربه إليه وزير حربية مولاي عبدالعزيز، المهدي المنبهي، كما شارك في بعثة محمد الجباص التي كلفت برسم الحدود بين الجزائر والمغرب. وصار كبير المحلة في عهد السلطان مولاي حفيظ الذي أنعم عليه يوم فاتح ماي 1911 بوسام الدرجة الرابعة نظرا لخدماته وإخلاصه للمخزن الحفيظي، ومما جاء في ظهير الإنعام، «...أنعمنا على وصيفنا الأنجد الطالب بنعيسى بن عبد الكريم البخاري بالمرتبة الرابعة من وسامنا الحفيظي السعيد وحليناه به عنوانا على نجدته وإخلاصه في كل ما ارتبط به من خدمات جنابنا الشريف واستحقاقه بذلك رضا مقامنا... فليتقلده بمزيد الاحترام وليجعله شاهداً على فوزه برضانا التام...»

شارك بنعيسى بن عبدالكريم في محلة الشراردة سنة 1911، وفي الدفاع عن مدينة فاس حين حاصرتها القبائل بزعامة بني مطير في ربيع هذه السنة، ومن فاس قدم في محلة الجنرال موانيي Moinier صحبة الخليفة السلطاني بالدارالبيضاء محمد الأمراني إلى مكناس للقضاء على برابرة بني مطير الذين احتلوا المدينة ونصبوا بها مولاي الزين - أخ مولاي حفيظ - سلطانا خلفا للمولى حفيظ بفاس، وكان دخول الجيوش الفرنسية والمخزنية إلى مكناس صحبة بنعيسى بن عبدالكريم البخاري الذي يدلها على الطريق، يوم الخميس 8 يونيه 1911. وفي اليوم الموالي لاحتلال مكناس نصب بنعيسى بن عبدالكريم باشا للمدينة. وفي هذا الصدد قال عبدالرحمان ابن زيدان في جزء مخطوط من كتاب *الإتحاف* :«... ولما كان الغد قُرئ ظهير تولية بنعيسى بن عبدالكريم باشا على مدينة مكناس وزرهون وما أضيف إليهما وذلك بعد صلاة الجمعة بالمسجد الأعظم...»، ونظرا للخدمات التي قدمها هذا الباشا لحكومة الحماية الفرنسية بالمغرب وشح بوسام فارس جوقة الشرف Chevalier de la légion d'honneur إلا أن هذا التوشيح والإنعام لم يزد من قوة سلطته، فمنذ سنة 1915 انتزعت منه عدة مهام كانت من اختصاصه، كالمحافظة على الأمن بداخل المدينة التي أوكلت للجيش والبوليس الفرنسي، كما صار المراقب المدني ريفيو Reveillaud الساهر على الأعمال الإدارية الخاصة بالسكان الأهالي، وكذا نظافة المدينة ومراقبة سير الأسواق بها، وتحديد أثمان السلع والبضائع، مكلفا أيضا بالأملاك البلدية والميزانية الخاصة بالمصالح البلدية، بل صار هذا المراقب الذي عين في نفس الوقت رئيسا لهذه المصالح يراقب أعمال الباشا وكأنه مندوب مخزني يقوم بمهام وكيل الدولة.

بقي بنعيسى بن عبدالكريم يزاول مهامه كباشا لمكناس دون تمتعه بكامل سلطاته المخولة للباشوات قبل سنة 1912، والظاهر أن هذا التهميش والتقليل من أهمية هذا الباشا كان وراء عدم رضاه عن المسؤولين الفرنسيين، فربط عدة علاقات اعتبرها الفرنسيون مشبوهة مع بعض المناوئين لهم، لدرجة أنهم اتهموه بالعمالة للألمان عن طريق الريسوني المتمرد في الشمال.

في نهاية سنة 1918 أعلنت السلطات الفرنسية بمكناس عن اكتشافها «مؤامرة» كان يدبرها الباشا بنعيسى وأعوانه على حكومة الحماية الفرنسية، وكان قد استعد لها استعداداً جيداً سواء من الناحية البشرية أو السياسية كربطة لعلاقات مع بعض القواد كما هو الشأن مع حدو بليماني قائد زرهون بقرية بني عمار، وسي منصور قائد شراردة، وعبد المالك بشرق المغرب، فضلا عن الريسوني السالف الذكر، أو من حيث تجميع الأسلحة التي وصل عددها، حسب مذكرة للقنصل الإسباني بفاس - : 14.000 بندقية وبعض المدافع وجدت في دار الباشا، واختار بنعيسى بن عبدالكريم توقيت هذه «المؤامرة» في غياب أكثرية القوات الفرنسية المرابطة بمكناس، لقيامها بعمليات حربية في الأطلس المتوسط وتافلالت، كما استغل أيضا مناسبة عيد المولد النبوي الذي تكون فيه مدينة مكناس غاصة بالزوار نظرا لاحتفال الزاوية العيساوية بهذا العيد. ومن بين فصول هذه العملية دس السم في الطعام لبعض الضباط العسكريين بمكناس، إلا أن السلطات اكتشفت هذه «المؤامرة»، وبعد تأكدها من نسبتها إلى الباشا ألقت عليه القبض يوم 12 دجنبر 1918، حيث عزل من وظيفه، ووضع تحت الإقامة الإجبارية ونفي فيما بعد إلى مدينة الجديدة بعد مصادرة أملاكه وحجزها.

*وثائق مخزنية* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، مخطوط.

بوشتى بوعسرية

**البخاري، الجيلالي** الشهير بالقصعة، صالح مكناسي كان في البداية شرطياً في الجيش السلطاني مدة طويلة "إلى أن جذبه الله إليه، وكان مكاشفاً بالمغيبات تواتر عنه ذلك على ألسنة أهل العدل والدين وغيرهم. يلبس صيفاً وشتاءً نحو العشرين جلابة لا يفتر عن إيقاد النار..." (*إتحاف*، 2 : 111).

توفي يوم الجمعة 13 قعدة عام 1304 / 3 غشت 1887.

**البخاري، الجيلالي** بن **الباشا حم** بن الجيلالي المكناسي، "فقيه نجيب، دراكة كاتب أديب لبيب، له إلمام بالفقه والنحو والتصريف والمنطق، متجرد من لباس الدعوى متصف بالإنصاف لمن دونه فضلا عمن هو أعلم منه" (*إتحاف*، 2 : 114)، درس بمسقط رأسه مكناس ورحل في طلب العلم إلى فاس، فكان من شيوخه محمد بن عبد السلام الطاهري، ومحمد القصري، والمفضل السوسي، والطاهر بوحدي، ومحمد بن رشيد العراقي، وأحمد بن الجيلالي، والمهدي الوزاني وغيرهم. لا يعرف عنه أنه اشتغل بالتدريس، لأنه أصبح منذ رجوعه من فاس خليفة لابن أخيه الباشا صالح بن بنعيسى البخاري في صدر الدولة الحفيظية.

توفي فجأة بعد عشاء الثامن عشر من ربيع الأول عام 1341 / 8 نوفبر 1922.

**البخاري، الجيلالي** بن حم **المكناسي**، "فقيه ماهر في فن الحساب والوقت والتعديل وأحكام النجوم والزيارج والجفر والرمل والأوفاق وسر الحرف، وكان يدرس ذلك بمدرسة جامع الدار البيضاء من أجدال بالحضرة المكناسية". وإلى جانب علمه كان بطلا شجاعاً عارفاً بمكايد الحروب، تقلد مناصب مخزنية أزيد من خمسين سنة، إذ قربه السلطان عبد الرحمان بن هشام وجعله في حاشيته ثم أسند إليه رئاسة مشوره، وعينه سيدي محمد بن عبد الرحمان عاملا على مراكش ثم على الزراهنة، وأخيراً جعله الحسن الأول عاملا بمدينة فاس بعد خلع إدريس السراج في حادثة ثورة الدباغين ضد الأمين محمد بن المدني بنيس عام 1290. وفي السنة التالية عين عاملا بطنجة وبقي فيها إلى أن وافاه الأجل عام 1295 / 1878.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام*، 2 : 110.

محمد حجي

**البخاري، الحبيب** بن محمد بن الحاج الحبيب الأسفي. لعله من سلالة جيش البخاري انتقل أبوه أو جده إلى أسفي، وبها ولد الحبيب ونشأ وتعلم القرآن ومبادئ اللغة والدين. وفتح مكتبة اشتهرت ببيع الكتب الأمهات المطبوعة والمخطوطة، وباجتماع مثقفي المدينة فيها، وكان للسيد الحبيب البخاري نشاط سياسي ملحوظ في الحركة الوطنية، إلى أن أدركته الوفاة بأسفي سنة 1393 / 1973.

عبد الرحيم العطاوي

**البخاري، سعيد** بن موسى بن أحمد بن مبارك. هذا الوصيف سعيد ابن الحاجب موسى آتي الترجمة، لم يظهر على مسرح الأحداث السياسية، أو بالأحرى في قائمة المناصب الإدارية السامية، إلا بعد أن استتب الأمر لأخيه الحاجب أحمد بن موسى (ابّا أحمد)، إثر وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1312 / 1894، وانفراده بالحكم، بعد أن تمكن من إزاحة منافسيه التقليديين من الأسرة الجامعية، وبعد أن فرض ما يشبه وصاية على السلطان الشاب مولاي عبد العزيز. في هذا السياق ظهر اسم سعيد كوزير للحربية، واسم أخيه إدريس كحاجب.

وفيما يخص صاحبنا سعيد، فإن أهم ما يميز شخصيته، هو اهتمامه المفرط، بل والمبالغ فيه، بأمور المأكل والمسكن والملبس. اهتم بتشييد القصور، وبالاعتكاف على تزيين المائدة بكل ألوان الطعام، فترتب عن ذلك أن أصيب بالسمنة التي كانت سبب وفاته في رمضان عام 1317/ يناير 1900. وفي هذا المعنى كتب محمد غريط (ص 87) قائلا :«... كان معتكفا على خوانه، مغتبطا بالتقام ألوانه، حتى كثر شحمه، وعظم جسمه، وظهر سقمه، فحار في معالجته، وهلك غما...» وما زالت داره بمراكش (دار سّي سعيد) تحفة فنية رائعة.

م. غريط، *فواصل الجمان*.

عبد العزيز الخمليشي

**البخاري، صالح** بن يوسف المكناسي، "فقيه أستاذ يحفظ السبع والعشرين حفظاً متقناً. وكانت له مشاركة كاملة في الحساب والتوقيت والتعديل. وكان من جملة موقتي الحضرة السلطانية الذين يظعنون بظعنها ويقيمون بإقامتها في الدولة الرحمانية".

درس في مسقط رأسه على بلديِّه الأستاذ الصديق البخاري، وفي ثغري العرائش وطنجة، وقضى حياته متنقلا في خدمة المخزن. ولما ضعف لكبر سنه أُسندت إليه رآسة الحامية العسكرية بمكناس فاستقر وأخذ يلقي دروساً على طلبة مكناس وانتفع به جماعة.

توفي بعد 1280 / 1863، ودفن بضريح سيدي عمرو بوعوادة من حومة حمام الحرة.

**البخاري، الصديق** الاجراوي المكناسي، "فقيه أستاذ ماهر يحفظ العشرين حفظاً متقناً، انتفع به جم غفير من حملة القرآن وحفاظ السبع، وكان من أهل الدين والفضل والخير والصلاح". وكان من المتخرجين على يده قراء مشهورون بمكناس.

توفي بعد 1270 / 1854، ودفن بضريح سيدي عمرو بوعودة في حومة حمام الحرة.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام*.

محمد حجي

**البخاري، عبدالله** بن أحمد بن مبارك، برز اسم هذا الوصيف كموظف مخزني سام في عهد السلطان محمد بن عبدالرحمان، لما عُين علافاً كبيراً، أي وزيراً للحرب. وكان أول من أسند إليه هذا المنصب، باعتباره منصباً جديداً ظهر أول ما ظهر، في عهد السلطان سيدي محمد، بهدف تنظيم العسكر وفق أسلوب جديد، إثر هزيمة المغرب في معركة إسلي أولاً سنة 1844، وحرب تطوان سنة 1859 - 1860 ثانيا.

ولما بويع مولاي الحسن 1873/1290، ولاه باشا على مدينة فاس. ويبدو أن هذا التعيين ارتبط بالهزة الاجتماعية

التي عرفتها هاته المدينة من جراء انتفاضة الدباغين ومطالبتهم بإسقاط المكوس مقابل تقديم البيعة للسلطان الجديد.

ويتضح من إحدى الرسائل التي وجهها له أخوه موسى بتاريخ 24 شوال 1292 / 23 نوفمبر 1875، أن هذا التعيين تم قبيل فترة وجيزة من هذا التاريخ. ومما ورد في هذه الرسالة :«... فغير خاف على أخوتك أن الشريف اللطيف الفقيه العلامة مولانا الصديق طالما طلب منا حين كنا بفاس بأن يصل معك الرحم من لدن سمع بولايتك على أهل فاس وأن يبارك لك فيها ولم يساعد على ذلك في تلك الساعة... وهاهو يرد عليك استوص به خيراً لكونك اليوم أنت باشا، وأما قبل كنت مخزنياً مثلنا».

هذا ما يستشف من هاته الرسالة. ومهما يكن فإن من بين الخاصيات التي تميزت بها شخصية الباشا عبدالله أنه كان رجل فقه وأدب وعلم، وكان أحب شيء إليه، كأخيه موسى، مجالسة الأدباء والعلماء. إلى جانب هذا كان يبجله غاية، كما يتضح من ديباجة الرسائل التي كان يوجهها له :«أخانا الأعز الأسعد، الفقيه الباشا الأنجد، أديب الزمان، وعين الأعيان ... سيدي عبدالله»، وغيرها من التعابير المشابهة. وقد كانت تلك المراسلات تدور حول ضرورة الوقوف مع بعض الأشخاص إن على مستوى توظيفهم، أو تقديم مساعدات لهم مادية كانت أو معنوية، يتضح منها، من بين ما يتضح، أنه كان الحاكم الأول بالمدينة وأحوازها.

وقد ظل عبد الله البخاري في هذا المنصب إلى تاريخ وفاته سنة 1305 / 1887.

م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج : 2 و4 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج : 8 ؛ *الوثائق*، دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية. المجموعة الثالثة 1386/1976.

عبدالعزيز الخمليشي

**البخاري، علي** بن صانْبَة، "الفقيه المدرس المفتي"، حسب تحلية رفيقه في الدراسة : محمد بن محمد بن عبد السلام البيجري، وذكره السلطان مولاي سليمان في عداد الآخذين عن محمد بن عبد السلام الفاسي، ووصفه "بالشيخ العلامة، الأديب، الأستاذ المحقق"، وفي تعبير ابن زيدان : "علامة أديب، استاذ محقق فاضل نبيل، جهبذ نقاد ألمعي أريب، أصله من عبيد البخاري... وكان من عدول سماط عاصمتنا المكناسية المبرزين". يعرف من أشياخه بمكناس، العالمان عبد السلام بن محمد بن قاسم البيجري، والغازي ابن العربي ابن عبود.

وإلى حلقات الدروس، كان المترجم يعمل مع بعض رفقائه في إطار تكوين أدبي، ساهم فيه مع ابن صانبة : أحمد بن الراضي ابن عثمان الذي سيصير شاعر عصره، وثالث الفئة محمد بن محمد بن عبد السلام البيجري، وهو الذي يحدث عن هذه الناشئة الأدبية :"... وذلك أنا كنا نجتمع قبل مجيء الشيخ إلى المجلس على مذاكرة كالمناظرة، وكان معنا أبو الحسن ابن صنبة، على مثل تلك الصحبة، فكان كل واحد منا يوري زنده، ويرى ما عنده... وكنا نجتمع بعد الدرس - أيضاً - للتحصيل، وتحقيق الإجمال والتفصيل، فانتفعنا بذلك والحمد لله... وعند ذلك لاح لنا شعاع الأدب، فله - حينئذ - آثرنا، وعليه تضافرنا، وبه تنافرنا، فتدارسنا *مقامات الحريري* مرات، حتى أدركنا بها المسرات... وتدارسنا كتباً أخرى من الأدب والسير والأخبار، فانطلق بذلك من قلمنا العنان...".

ومن آثار هذه الخلية الأدبية، صارالمترجم يقرض الشعر، وقد احتفظ له رفيقه البيجري، بقصيدة قالها بمناسبة بعض ختمات شيخه عبد السلام البيجري، مطلعها :

خلّ التلذذ بالربيع الأزهر وغناء غانية ورنة مزهر

وخلف المترجم *كناشة*، نقل منها بعض ضبته - الذي لم يُسمّ - معلومات من علم الكلام وغيره. على أن هذه الكناشة لا يعرف منها الآن سوى مقتبسات تلميذه المشار له.

توفي علي بن صانبة عام 1220 / 5 / 1806.

م. البيجري، *تقييد في التعريف بأسرته*، مخطوط ؛ سليمان العلوي، *عناية أولى المجد*، المطبعة الجديدة بفاس 1347 هـ ؛ *مقيدات بخط أحد تلاميذ علي بن صانبة*، مصورة ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 5 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1220.

**البخاري**، أبو **القاسم** بن علي الشاوي العلاّوي ثم المكناسي، المعروف بلقب "دْراوه"، أحد موالي السلطان مولاي إسماعيل، عالم مبرز في الرسم والقراآت والتجويد، مؤلف في هذه المواد، من المنتصبين لإقرائها، انتفع به من أهل السُّبْع جمع كثير، وجم غفير، حسب شهادة أستاذه محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بصري.

ومن الباقي من مؤلفاته، *حفظ الأماني ونشر المعاني*، حاشية كتبها على *كنز المعاني*، الذي شرح فيه البرهان الجعبري قصيدة حرز *الأماني للشاطبي*. (خ.ع، ك 314 : السفران 1، 2 ؛ خ. ح 510 ؛ 8427 : السفر الأول مبتور من بدايته). *تنبيه السالك إلى جنى ثمار داليه ابن المبارك*، وهو شرح للقصيدة الدالية في تخفيف همز الوقف على قراءة حمزة وهشام ( خ. ق رقم 1042 : في جزء متوسط بأوله تقريظ بخط محمد بن عبد الرحمن الدلائي. خ. ح. 119 : خامس مجموع ص 557 - 610).

وقد كانت سكنى المترجم بمكناس في درب الحمام من حي حمام الجديد، وفي إحدى استرعائيات رسم هذه الدار، جاء اسم ولده هكذا :"يشهد من يضع اسمه عقبه، بمعرفة الصائر لعفو الله تعالى الفقيه الأجل، الأستاذ المبجل، سيدي عبد الله، بن الفقيه الأستاذ المجود، شيخ الجماعة، سيدي أبو القاسم بن دراوة الشاوي أصلا... في أواخر شعبان عام واحد وستين ومائة وألف.

ع. المشرفي، *الحسام المشرفي*، مخطوط خ. ع. 2276 ك ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 5 ؛ م. العابد الفاسي، *فهرس مخطوطات خزانة*

*القرويين*، ج 3 ؛ م. المنوني، *مقيدة عن نشاط دراسة الرياضيات والفلك بمكناس في القرن 19*، *مجلة المناهل*، عدد 30 ؛ *ملخصات من وثائق دار سكنى المترجم*.

محمد المنوني

**البخاري، محمد** بن **عبد السلام السلاوي**، غلبت عليه نسبة السلاوي حتى عفَّت على أصله البخاري وأصبح لا يذكر إلا بالسلاوي سواء في الرسائل السلطانية أو في كتابة معاصريه المؤرخين كالزياني والضعيف الرباطي. حلاه في *جمهرة التيجان* "بالفقيه الكاتب".

نشأ ببيت الإمارة، وقرأ على السلطان المولى سليمان وغيره من فقهاء العصر وأدبائه، وتولى الكتابة بالديوان الملكي قبل أن يترقي إلى الوزارة والحجابة وإمارة الثغور وقيادة الجنود. كان المولى سليمان يثق به ثقة مطلقة فخرج معه من فاس حيث ذهب لتنفقد أحوال مراكش، وفي يوم ثالث عيد الفطر من عام 1218 / 16 يناير 1804 لما وصلوا إلى قصبة الجياد بين مكناس وسلا، خاطب المولي سليمان حاجبه محمد البخاري بقوله "قد وليتك على مدينة سلا ومدينة الرباط وأعطيتك بني حسن. فاقدم على سلا واقبض على قائدها الحاج عبد اللطيف الحافي، واقبض على عامل بني حسن وهو عبد القادر بن الغماري واسجنهما بسجن قصبة الرباط..." (*الضعيف*، 329).

وصل محمد بن عبد السلام إلى سلا يوم الاثنين 9 شوال عام 1218 فاستلم مقاليد الأمور ونفَّذ ما أمره السلطان به. ومن ثم أصبح المسؤول الرئيسي عن بلاد الغرب الساهر على تطبيق السياسة المخزنية في المنطقة. وما كاد يشيع خبر مرض السلطان بمراكش في أواخر السنة حتى ارجف الناس بموته خاصة يهود الرباط الذين أخذوا يخرجون لاعتراض القوافل وشراء الزرع جملة، فتوجه إليهم العامل محمد السلاوي وزجرهم أشد الزجر معيداً الطمأنينة إلى النفوس.

وفي 14 صفر عام 1220 / 14 مـاي 1805 ورد خطاب السلطان يامر محمد بن عبد السلام بأن يتخلى عن عمالة سلا والرباط وبني حسن وعرب الويدان للطالب الغازي المزمزي الشاوي، وأن يتوجه إلى مكناس ثم يخرج إلى ناحية طنجة وتطوان والعرائش، فقد ولاه السلطان على هذه المراسي، وعلى أهل الجبال والغرب من سفيان وبني مالك والخلط وطليق والقصر الكبير، وفوض إليه في أمر التفاوض مع النصارى إذ أتوا إلى هذه المراسي. فامتثل محمد بن عبد السلام وخرج من سلا متوجهاً إلى مقر ماموريته الجديد بالعرائش، وظل المولى سليمان ـ علاوة على ذلك ـ يعتمد عليه في المهمات الحربية والمدنية.

هكذا نجد محمد بن عبد السلام على رأس جيش عبيد البخاري، في شهر ذي الحجة من عام 1224 / يناير 1810 مع السلطان في حركته إلى أيت أُمالو، ثم في ربيع الثاني من عام 1226 / مـاي 1811 في الحركة التي وقعت فيها فتنة لمحلة السلطان في الأطلس المتوسط. كما نجد في آخر هذه السنة محمد بن عبد السلام قد رجع إلى العدوتين لإصلاح ما اختل من شؤونهما، فسجن أمناءهما والقاضي وعدول المرسى وألزمهم بدفع سبعة قناطر ذعيرة لسوء تصرفهم في مال الدوة، وعين بدلهم موظفين آخرين.

وفي متم صفر عام 1229 / 20 فبراير 1814 قُرئ كتاب مولاي سليمان،وهو يومئذ بالرباط، على أهل الرباط وسلا، أن السلطان أراد أن يحضر عشرة من أهل الرباط وعشرة من أهل سلا مع عدلين من كل منهما، ويخبر قائدا الرباط وسلا الفقيه السيد محمد السلاوي على رأس كل شهر بما وقع في العدوتين من قليل أو كثير. وكل من فعل ذنبا يخبران به محمد السلاوي، فطلع الحاج محمد السويسي قائد الرباط في اليوم الذي قُرئ فيه كتاب السلطان لملاقاته وقال له :"إني لم آكل من أحد شيئا وها أنا ذا".

وكانت وفاة محمد بن عبد السلام البخاري السلاوي بمدينة مكناس يوم الخميس فاتح قعدة عام 1230 / 5 أكتوبر 1815، ووصل خبر موته إلى السلطان يوم تاسع الشهر عند دخوله لمراكش "فتأسف لفقده وتوجع لموته".

قلت : لا علاقة للمترجم هنا بآل ابن عبد السلام السلويين العلماء وسياتي ذكرهم في حرف العين.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ت. أحمد العماري، 329 ـ 393؛ أ. الزياني، *جمهرة التيجان*، مخطوط ؛ *ألفية السلوك*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط 1230 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 142 ؛ ع. بنعبد الله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : 186 ـ 187.

**البخاري، المعطي** بن العناية الغرباوي السفياني من أولاد علال. درس بمكناس على الشيخ عبد الرحمان بن محمد بصري، وكانت له مهارة تامة في التوقيت والتعديل والحساب وما يرجع لتلك الفنون. يحسن كل ذلك ويتقنه إتقاناً تاماً. وكان يحفظ قراءة ابن كثير حفظاً متقناً، كثير التلاوة والذكر...".

اتخذه السلطان عبد الرحمان بن هشام في جملة موقتيه الملازمين له حضراً وسفراً، بعد أن كان مستخدما لديه مع أصحاب الفراش. ثم رشحه لإقراء بناته. ولما تقدم سنه تقاعد عن الخدمة السلطانية، وانقطع للتدريس بداره بمكناس فانتفع به خلق كثير خاصة في الحساب والتوقيت.

توفي في ربيع الثاني عام 1276 / أكتوبر ـ نونبر 1859، ودفن بروضة سيدي أحمد الضاوي خارج باب بريمة.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام*، 4 : 313.

محمد حجي

**البخاري، موسى** بن **أحمد** أحد أبناء الحاجب أحمد بن مبارك (حاجب السلطان مولاي سليمان) يكنى أبا عمران ولا يعرف تاريخ ولادته، لكن يبدو أنه كان ما يزال صغير السن لما فقد والده الذي قتل سنة 1235/1819ـ1820. ويبدو أنه قضى طفولته وجزءا من مراهقته في حفظ القرآن والتفقه في أمور الدين، ومن بين أساتذته الذين أخذ عنهم

نصيبا من علوم الدين ـ إلى جانب أخيه عبدالله ـ ادريس بن التهامي أجانا المكناسي.

ونظراً للكثير من المؤهلات التي كان يتوفر عليها، من ذكاء ودهاء ونباهة ـ على حد تعبير المؤرخ ابن زيدان ـ ولاه السلطان محمد بن عبد الرحمان بن هشام الحجابة. أما عن تاريخ توليه هذا المنصب، فإن أقدم رسالة وقفنا عليها في هذا الصدد تعود إلى أوائل سنة 1281 / 1864. ومما ذكره صديقه الأديب محمد غريط في شأنه :"كان حليف دين وأمانة وإنصاف، وميل للأشراف، وتوسط بين التقتير والإسراف".

وإثر وفاة السلطان محمد بن عبد الرحمان 1290 / 1873، لعب دوراً لا يستهان به في أخذ البيعة لخلفه وولده مولاي الحسن، مما ترتب عن ذلك أن ازداد نجمه تألقاً، وزاحم الوزير الصدر إدريس بن الطيب برعشرين في منصبه حتى لم يبق له منه سوى الاسم، قبل استعفائه والانتقال إلى الحجاز، إلا أن أجل الحاجب موسى لم يطل بعد استعفاء الوزير الصدر، إذ سرعان ما توفي في محرم 1296 / يناير 1879، نتيجة إصابته بوباء التيفوئيد.

ومما يدل على الحظوة التي كان يتمتع بها لدى السلطان مولاي الحسن أنه شيعه بنفسه إلى مثواه الأخير، ودفنه بجوار والده السلطان محمد بن عبد الرحمان بضريح مولاي علي الشريف بمراكش، بباب أيلان.

أما الأعمال التي كان يباشرها فقد وزعها بين ابن خاله محمد بن العربي بن المختار الجامعي، وبين ابنه أحمد بن موسى، المعروف بـ "ابّا احمد". وأسند إلى الأول الصدارة العظمى، أي شؤون الدولة الخارجة عن القصر، وأسند إلى الثاني الحجابة، أي شؤون القصر الداخلية.

م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1397 / 1977، ج 7 ؛ *الوثائق*، المجموعة الثالثة، 1396 / 1976.

عبد العزيز الخمليشي

**البخاري، موسى بن يمومن** بن باكر بن ياسين بن الحكم بن زيري الحساني الهسكوري النسب، الفاسي الاستقرار، بقي حيا حتى عام 723 / 1323 حسب ابن القاضي (*درة الحجال*، 3 : 5) وحفظ أمهات الفقه وكتاب *سيبويه* و*صحيح البخاري* حتى قيل عنه إنه "من أحفظ أهل زمانه للفقه والأثر" (*جذوة*، 345). ولعل اشتهاره بلقب البخاري راجع إلى إتقان حفظه *لصحيح* الإمام البخاري الذي كان يقوم على تدريسه إلى جانب كتاب سيبويه بجامع القرويين.

عُرف موسى بن يمومن بالدعوة إلى الاجتهاد ومساهمته في خلق تيار مخالف للمذهب المالكي الذي عاد إلى الظهور في العصر المريني، ولم يكن هو الفقيه الوحيد الذي ذهب في هذا الاتجاه، بل شاركه علماء آخرون إما بالدعوة إلى الاجتهاد أو بالانتساب إلى بعض المذاهب الأخرى التي انتشرت في ذلك الوقت خاصة المذهب الظاهري. ومن أشهر هؤلاء محمد بن علي بن يحيى قاضي الجماعة بمراكش (ت 682 / 1284) وعبد المهيمن بن محمد الأشجعي البلذودي الذي قتل عام 697 / 1298، ومحمد بن عمر ابن رشيد الفهري (ت 721 / 1321) وأبو الحسن بن أبي بكر المليلي قاضي الجماعة، وابنه محمد (ت 737 / 1337) ومحمد الدكالي (ت 797 / 1395) ثم عبد الرحمان المعافري المعروف بالوقاد (ت 827 / 1424) (*ورقات*، 233 ـ 235).

ومن الأشياء التي ارتبطت باسم موسى البخاري وذاع صيته بها أنه راجع يوماً زوجته عائشة بنت عمر بن عبد السلام اليفرني بعد ثلاث تطليقات مخالفاً ما اشتهر عند المالكية متعللا بأنه طلقها طلقتين وخلعاً، والخلع عند كثير من الفقهاء ليس بطلاق (*المعيار*، 4 : 493، 494)، فكانت هذه الواقعة إضافة إلى ادعائه الاجتهاد من الدوافع التي أثارت عليه فقهاء المالكية المنتقدين لتصرفاته المنكرين لدعوته. ومن ردود الفعل على ذلك أن كتب الفقيه إبراهيم بن علي المعافري السريفي الفاسي (ت 716 ـ 1317) رسالة مطولة إلى السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق يصف فيها تلك النازلة بالقضية الخطيرة والسابقة التي يجب ردعها معتبراً "مسألة البخاري المُضل قد ظهر فيها من عظيم المنكر المستبيح لوجهه ما ظهر من عقوبته بين أيديكم ما نفذ على ما هو به مما كان مستحقاً له قبل ظهور تلك الكبيرة عليه لجرأته على العلم والعلماء وعلى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعواه الاجتهاد في دين الله..." (*المعيار*، 4 : 506 ـ 509) كما أن بعض فقهاء فاس وقضاتها ناقشوه فيما ذهب إليه وأنكروا عليه بل حاكموه وأفتوا بضربه ورجمه كما فعل القاضي الزريهني (أو الزرهوني) وأبو الحسن الصغير (*جذوة*، 346)، فارتحل البخاري تحت هذه الضغوط من فاس إلى الأندلس، ثم إلى تونس.

ومن الكبائر الأخرى التي تنسب إلى البخاري ما أشار إليه ابن القاضي من أنه "لما كان في الطريق مر بقرية، وبال في مسجدها، فانتهره الناس، فاحتج بأنه صلى الله عليه وسلم رأى أعرابيا يبول في المسجد فقال، دعوه حتى إذا فرغ دعا بماء فصبه" (*درة*، 3 : 4).

مع كل هذا يظهر أن أفكار البخاري في الاجتهاد لقيت تجاوبا لدى بعض المناصرين لدعوته من عامة الناس الذين أصبحوا يقتدون به، كما كانت له مخالطة للقضاة والحكام وذوي الجاه والسلطان (*المعيار*، 4 : 506 ـ 509).

أ. الونشريسي، *المعيار*، الرباط 1981، الجزء الرابع ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، ت الاحمدي أبو النور، الجزء الثالث ؛ *جذوة*، الرباط، 1974 ؛ م. المنوني، *ورقات*، الرباط، 1979.

رشيد السلامي

**البخاري** ـ موسم ـ اعتاد فقهاء المدرسة النحلية بقبيلة مزوضة ومدرسة بوعنفير بقبيلة أولاد بوالسباع قراءة *صحيح البخاري* طيلة شهر رمضان من كل سنة، وجرت

العادة بختم الصحيح في وقت آخر يحضر فيه فقهاء النواحي المجاورة ويجد فيه الطلبة القدامى المتخرجون من هذه المدارس فرصة لزيارة أشياخهم وتجديد اعترافهم بفضل المدرسة عليهم، كما يكون موسم الختم مناسبة لتوديع المتخرجين الجدد.

وسرعان ما اتخذ الزوار من هذه التظاهرة الدينية والثقافية مناسبة للتبادل التجاري. وتدريجيا صار يواكب هذه المواسم الدينية مواسم تجارية دون طمس الجانب الثقافي (*المعسول*، 18 : 275) ويحضر هذه المواسم سكان قبائل مختلفة من أهل السهول والجبال. وقد ازدهر بها النشاط التجاري ولا سيما ما يتعلق بالحبوب والمواشي والدواب والزرابي. وصارت كلمة بخاري ترادف عند معظم سكان المنطقة كلمة موسم، فهناك :

بخاري سيدي احماد أُعلي للموسم الذي مازال ينعقد إلى الآن يوم 14 غشت، وبخاري بوعنفير لموسم مازال يعمر إلى الآن يوم 4 شتنبر من كل سنة.

*رسالة سلطانية* بتاريخ 14 قعدة 1302 / 24 غشت 1885. خ. ح. رقم 364، ص 160 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 18 ؛ م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، ر. د. د. ع. 1988.

م. حسن كفناني

**بختي** (ابن -)، العباس بن يعلى بن محمد المغراوي، آخر أمراء بني يعلى المغراويين الذين كانوا قد اتخذوا من تلمسان عاصمة لإمارتهم الزناتية الصغيرة. (*العبر*، 7 : 92 ؛ *Histoire*, 1 : 174) ويعاني تاريخ هذه الإمارة الزناتية من نقص كبير في المعلومات مثل العديد من الإمارات التي ظهرت بعد نهاية الأدارسة ؛ وذلك ما ينطبق على أميرها العباس بن بختي الذي لا نعرف عنه سوى أنه "من ولد يعلى بن محمد بن الخير محمد المغراوي" (*الاستقصا*، 2 : 32)، وأنه كان أميراً على تلمسان عندما شن المرابطون هجوماتهم الأولى على الإمارات الزناتية سنة 472، إذ يذكر صاحب *القرطاس* أنه في هذه السنة، بعث يوسف بن تاشفين قائده مزدلي بن تيلكان اللمتوني لغزو تلمسان والمغرب الأوسط، فظفر بمعلى (أويعلى حسب ابن خلدون) بن الأمير العباس بن بختي فقتلوه. أما وفاة الأمير العباس بن بختي فقد جاءت عقب الحركة التي قادها يوسف بن تاشفين إلى تلمسان عام 474 هـ :"فافتحها وقتل الضباس بن بختي أميرها من بني يعلى" (*العبر*، 7 : 94)، فكان آخر أمراء بني يعلى بتلمسان التي عين عليها يوسف بن تاشفين عامله محمد بن تينغمر، بل وكانت آخر إمارة زناتية تسقط تحت قبضة المرابطين.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، المجلد السابع ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء الثاني.

H Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1949 - 50.

عمر بنميرة

**بَخَّات**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة أهل سريف الهبطية، وكان من بين أفرادها بَخَّات، العربي بن العربي، الذي كان حيا سنة 1280 / 1864.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum.*

محمد ابن عزوز حكيم

**البخور**، اسم يقع على أية مادة عطرية إذا احترقت انبعثت منها رائحة حادة نفاذة، ثم يتوسع في معناه فيطلق على أي تدخين يثور من أية مادة.

والبخور كان من أقدم العقود يحرق تكريما للآلهة واسترضاء لنفوسها، وهو كان يقدم بصحبة القرابين أثناء المراسم الإلهية، وكان المصريون من أقدم الشعوب التي تحرق البخور زُلْفَى للآلهة، وكان لهم بخور معروف يتركب من ست عشرة مادة يحرقونه في احتفالاتهم الدينية مشفوعا بتلاوات من كلامهم المقدس، وكان للبخور عند العبرانيين مقام وشأن، وكان من بخوراتهم بخور مزيج من الميعة والقنة واللبان والملح، يحرقونه كل صباح ومساء عند هيكل الرب، واستعملت المسيحية البخور من أبكر عصورها، ودامت عليه إلى اليوم.

ثم ننبه على أن البخور لك يمتزج بأية شعيرة إسلامية، فإما نشاهد استعماله في مسجد أو في حلقة ذكر، أو في حفل مولد فإنه إنما يحرق هناك للتطيب والتعطر ليس إلا، فإن رمز به إلى معنى ديني أو حمل اعتقادا ما فإنه يوشك أن يكون ابتداعا، وذلك ما رآه ابن الحاج في *المدخل* (1 : 291) في البخور المعروف ببخور عاشوراء.

وبمعزل عن استعمال البخور لأغراض دينية ومقاصد نسكية، وبمعزل عن استعماله للتطيب والتنعم، ولتطييب الهواء وقطع النتونة فإن عامة الشعوب ومن قديم الأزمان كانت تستعمل العديد من الأبخرة في التداوي من الأمراض، فمن ذلك التبخير على الحميات، وعلى البواسير (بالباء) والنواسير (بالنون) وعلى بثور الجُدَري وعلى سائر القروح الرطبة لغرض تجفيفها وإيباسها، وعرفت أبخرة يستشفى بها من الزكام والسعال والربو، وأخرى استعملت في إسقاط الأجنة وإخراج المشائم وإخراج العلق الناشب في الحلوق.

واستعملوا أبخرة لإبطال السحر، ولحل المعقود، ولرد العين، ولدفع النَّظْرة (الإصابة بالعين من الجن) ولعلاج الصرع بنوعيه : المزاجي والروحاني، ولتزويج العوانس ولتنفيق التجارات.

ويقف القارئ لكتب الطب التراثية العربية والمعربة، وكذا كتب الأعشاب ابتداء "بالمقالات الخمس" لديوسقوريدس اليوناني، فإلى *كشف الرموز في بيان الأعشاب* لعبد الرزاق بن حمادوش الجزائري على أسماء العديد من الأبخرة بما نسب إليها من المنافع والخواص الصادقة أو المزعومة.

وكان التأذي بالهوام فاحشا مزعجا بكل أرض في حاضرة وبادية. فالتمس الناس من قديم الأزمان ما ينفرها عنهم تنفيراً أو يقتلها قتلا ذريعاً، فوقعوا من ذلك على أبخرة وأدخنة يقف القارئ على أكثرها في عامة كتب النبات والحيوان التراثية مما سندل على بعضه في جريدة المصادر.

ومواد البخور فيها النباتي وهو الغالب العام، ومنها الحيواني وهو دون ذلك، وقل التبخير بالمادة المعدنية قلة لا تذكر.

والبخور لفعل الخير يغلب فيه أن يكون بالطيب المحبوب مثل العود الهندي والصندل والجاوي والمصطكي والكندر...والغالب عليه في فعل الشر أن يكون بمواد كريهة أو ذوات نتونة، مثل التنكار، والزفت والحلتيت والصبر والكبريت.

وقد كان المغاربة يستعملون الأبخرة استعمالا فاشيا من قديم العهود، وأكثر ذلك - فيما يبدو - مأخوذ عن كتب الطب والعقاقير، ومن عامة كتب النبات والحيوان مما كانوا يتداولونه منها خلال العصور، ومازال - إلى اليوم - غير قليل منهم في بوادي المغرب وحواضره العتيقة يستعمل أبخرة نذكر منها بَخور ليلة السابع والعشرين من رمضان، وبَخور عاشوراء، وبَخور النفساء، وأبخرة لطرد الجان، ولإبطال السحر، ولفتح الكنوز. واشتهر عندهم بَخور يعرف باسم إشْگاف، وهو يتركب من بضع عشرة مادة فيها الفيجن والشونيز والحرمل والحلبة وسلخ الحية وشوك القنفذ والشب والكبريت، وهو يبخر به لطرد الأرواح الشريرة، ولإبطال السحر، ولرد العين، ولرفع المانع من تزويج العوانس، ولتنفيق السلع الكاسدة وغير ذلك من المكاره والأسواء.

ومازلنا نرى بالمغرب - إلى اليوم - رجالا طوافين على الأسواق وبأيديهم مباخر موقدة، ومعهم أكياس بخور، وعملهم أن يبخروا في الأسواق، وهم يترنمون بأزجال تتكلم بأذكار وصلوات وأدعية، فينفحهم المبخرون ببعض المال. ويخبرنا التاريخ أنهم بقية أقوام كانوا يحترفون التبخير في الخانات والأسواق بأكثر البلاد الشرقية على معلوم موقوت بالشهور أو بالأسابيع، وكان القصد من ذلك إلى التطهير والتعطير، وبمصر إلى اليوم رجال يسميهم المصريون المبخراتية، وشأنهم أن يبخروا في الأسواق، وأحيانا أمام الجنائز.

وبعد فقد أخذ الاعتقاد في البخور ينحلُّ ويسترخي من تأثير التحاليل العلمية الحديثة التي أنكرت الكثير مما نسب إليه من المنافع والخواص، وعلى ذلك فإنه لا ينبغي أن نلوي رؤوسنا عندما يجري الحديث عن البخور، ذلك بأن أشياء من الطب القديم كانت موضع سخرية من الطب الحديث، ثم أصبحت بعد التفتيش موضع تصديق واندهاش من معرفة القدماء بما يكمن فيها من الخفايا والأسرار، وعسى أن يكون بعض ما ينسب إلى البخور من ذلك.

م المجريطي، *غاية الحكيم* ؛ ح. ابن سينا، *القانون في الطب* ؛ م. البوني، *منبع أصول الحكمة* ؛ ع. ابن البيطار، *الجامع لمفردات الأدوية والأغذية* ؛ ز. القزويني، *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات* ؛ الملك المظفر يوسف بن عمر التركماني، *المعتمد في الأدوية المفردة* ؛ داوود بن أبي النصر الاسرائيلي، *منهاج الدكان ودستور الأعيان* ؛ م. الدميري، *حياة الحيوان الكبرى* ؛ د. الانطاكي، *تذكرة أولي الألباب، الجامع للعجب العجاب* ؛ أبو القاسم الغساني الوزير، *حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار* ؛ أ. الديربي، *فتح الملك المجيد، المؤلف لنفع العبيد* ؛ ع. ابن حمادوش، *كشف الرموز في بيان الأعشاب* ؛ المعلم بطرس البستاني، المجلد الخامس من *دائرة المعارف* ؛ م. ف. وجدي، *دائرة معارف القرن العشرين* ؛ أ. أمين، *قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية* ؛ مفتاح رمزي، *إحياء التذكرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية* ؛ نادية بلحاج، *التطبيب والسحر بالمغرب*.

أحمد الشرقاوي إقبال

**بَـخُـوشْ** (أيت -)، قصر صغير يوجد على الضفة اليمنى لوادي دادس، جنوب قبائل أيت إحْيَا السدراتية، سمّي باسم القبيلة التي تسكنه. ويدخل هذا القصر ضمن قصور أيت تْلاگَّلُو التي تشكل بالإضافة إلى قصور أيت سْعيدْ قبائل إشْححْنْ. وتمثل هذه القصور نهاية امتداد قبائل أيت سدرات على وادي دادس ؛ ذلك أن قبائل أيت سَكْري (أوزكْرى) المغرانية الهسكورية تقف في وجه انتشارها بهذه المناطق.

*تحريات ميدانية.*

محمد حمام

**البـدالـي**، سيدي **رحــال**، أبو العزم السملالي التّمدُلْتي، نسبة إلى مدينة تمدلت السوسية المندثرة. وينسب إلى الشرف الحسني، على النحو التالي : رحال بن أحمد بن الحسن ابن القاضي عبد الواسع بن محمد بن عبد الله بن سفيان بن جابر بن علي بن سليمان بن عبد الله الكامل، إلى آخر عمود النسب المشهور (*الاعلام*، 3: 224).

كان أسلافه الأوائل يقيمون بتمدلت، ثم رحل بعضهم إلى بلاد سملالة، قبل أن تنتقل أسرته إلى مدينة مراكش. وفي هذه المدينة ولد سيدي رحال في العشرة التاسعة من القرن التاسع الهجري (15 م)، وبها نشأ وتعلم. ولسواد بشرته لقب بالكوش، وصار يعرف برحال الكوش (*ممتع*، 41؛ *الإعلام*، 3 : 224 - 226).

وبعد أن أخذ العلم الظاهر بمراكش، تاقت نفسه إلى سلوك طريق القوم. على غرار كثير من أقرانه، فانضم إلى زاوية الشيخ عبد العزيز التباع بمراكش (ت 914 / 1509) وأصبح من أخص أتباعه ومريديه. إلى جانب عبد الله الغزواني، وعبد الكريم الفلاح وأبي عثمان سعيد بن عبد المنعم الحاحي، وغيرهم (دوحة، 96، 100، 102). وهذا يعني أن رحال الكوش جزولي الطريقة، ومن الطبقة الثانية فيها،

إذ لا يوجد بينه وبين الشيخ المؤسس مَحمد بن سليمان الجزولي، سوى واسطة واحدة. بل يعتبر رحال الكوش من رواد هذه الطريقة وأقطابها الكبار الأوائل، زهدا وشهرة وكثرة أتباع. كان أحد المتنافسين، إلى جانب سعيد بن عبد المنعم الحاحي وعبد الله الغزواني وعبد الكريم الفلاح، حول منصب الزعامة (القطبانية) في الطريقة الجزولية، خلفا لشيخهم عبد العزيز التباع، وارث حال الشيخ الجزولي (*ممتع*، 37 ـ 38).

وفي هذا الصدد يفهم من كتب التراجم أن النزاع المذكور كان السبب المباشر في انتقال رحال الكوش من مراكش إلى أغماي بحوز هذه المدينة. يقول صاحب *الممتع* (ص 38) :"إن سيدي رحال الكوش، فيما يقال ظهر بمراكش ظهوراً يضاهي سيدي عبد الله الغزواني. فقال له سيدي عبد الله : إما أن تتركها لي أو أتركها لك، وأما حنشان في غار فلا يجتمعان. فقال له سيدي رحال : أنا أخرج عنك وأتركها لك. فخرج إلى أغماي، فذلك الذي أسكنه هناك".

وفي أغماي ـ الواقعة على بعد أربعين ميلا من مراكش في طريق تادلا ـ أصبحت له شهرة عظيمة، وبعُد صيته، وكثر أتباعه حتى إن عبد الله الغزواني كان يشعر إزاءه بالغيرة وهمَّ أكثر من مرة بمنازلته في أغماي نفسها، (*ممتع*، 42). ولم تكن هذه الشهرة مرتبطة بما يؤثر عنه من كرامات فحسب، وإنما لمميزات تصوفه أيضا، ولا سيما تقشفه الذي لم يضاهه فيه أحد من أولياء زمانه، رغم كثرتهم. فقد ذكرت المصادر "أنه كان يعيش على نبات البرية، ويدخر زريعة الخردل لقوته"، (*دوحة*، 101). ولذلك اعتبر الصوفية رحال الكوش، من الأولياء الأبدال ـ المرتبة الثانية من مراتب الولاية الصوفية السبع بعد الأقطاب، (*دوحة*، 101 ؛ *ممتع*، 41). وهذه هي الصفة التي اشتهر بها فدعي رحال البدلي، أو البُدالي (*الإعلام*، 3 : 223).

وقد عاصر رحال البدالي حكم الدولة الوطاسية في شمال المغرب، وقيام الدولة السعدية بالسوس، ودخول زعمائها إلى مراكش. وفي هذا الصدد يفهم من المصادر التي ترجمت له، على غرار سائر معاصريه من أولياء مملكة الجنوب، ومنها مراكش، أنه لم يكن له أي اتصال مباشر أو غير مباشر ببني وطاس، وإنما على العكس من ذلك كان من المساندين لنشاط الحركة السعدية معنويا وماديا لملء الفراغ السياسي في الجنوب وتحرير الثغور المحتلة، كما كان أيضاً من بين الذين مهدوا للأميرين أحمد الأعرج وأخيه محمد الشيخ الدخول إلى مراكش والتخلص من ناصر بوشنتوف سنة 930 / 1524 (*شمس*، 87 ؛ *الأولياء*، 2 : 632 ـ 633).

وإذا كانت المصادر لم تخبرنا عن دور رحال البدالي في مساعدة السعديين على صد هجوم السلطان أحمد الوطاسي عن مراكش سنة 933 / 1527، كما فعلت بالنسبة لرفيقه عبد الله الغزواني، فإنها تشير إلى أن الصلح الذي عقد بين الوطاسيين وأحمد الأعرج السعدي أمير مراكش، عقب معركة أغماي، التي جرت بين الطرفين عام 935 / 1529، تم تحت إشراف الأولياء (*L'Etablissement*, 67) ومن ثم، ليس من المستبعد أن يكون للشيخ رحال البدالي، الذي جرت المعركة بجوار زاويته، دور في هذا الصلح، (*الأولياء*، 2 : 638).

على أن أبرز وآخر دور قام به الشيخ رحال البدالي لصالح الدولة السعدية هو توسطه في النزاع الذي نشب بين الأخوين السعديين، أحمد الأعرج ملك مراكش، ومحمد الشيخ ملك سوس، عقب فتح أگادير وتحريرها من البرتغاليين عام 1541 م. إذ تذكر المصادر أنه بمجرد ما شرع الشريفان في الاستعداد للحرب تحرك الشيخ رحال ـ الذي غدا آنئذ قطب أولياء الجنوب ـ بعد وفاة سائر منافسيه (*ممتع*، 86) في محاولة لختق الصراع (*افريقيا*، 1 : 461). وهكذا اتصل الشيخ رحال بأحمد الأعرج ودعاه للتسمك بحانب الحكمة تلافيا لقطع العلاقات مع أخيه... وحتى يترك له فرصة عرض وساطته على المولى محمد الشيخ. وقد توجت مساعيه فعلا "بتنظيم لقاء بين الشريفين على ضفاف نهر إسل، حيث حضر كل منهما ومعه خمسمائة فارس..." (*افريقيا*، 1 : 461).

وإذا كنا لا ندري فحوى الاقتراح الذي تقدم به الشيخ رحال البدالى لتحقيق الصلح بين الطرفين، فإن أهم ما أسفرت عنه وساطته هو تأجيل الصدام المباشر سنة كاملة، إذا استثنينا بعض المناوشات بين قوات الأميرين، التي تطورت، كما نعلم، إلى معركة أمسكرود في أكتوبر 948 / 1542. ولم يعمر رحال البدالي بعد ذلك إلا نحو أربعة شهور، إذ توفي سنة 949 / يناير 1543 م. ودفن بزاويته، وعليه حتى الآن، بأغماي التي تعرف أيضا بسيدي رحال، قبة هائلة.

ومن أولاد هذا الشيخ : عبد العزيز بن رحال، وهو صوفي كوالده، غدا شيخاً للزاوية خلفاً له بعد وفاته. ثم حفيده أحمد ابن عبد العزيز، وكان ملامتيا، (الإعلام، 3 : 225).

وأشهر تلامذته الشيخان أحمد العروسي صاحب الرباعيات كرباعيات عبد الرحمان المجذوب، ومحمد بن محمد بن ويسعدن السكتاني دفين الأطلس الكبير.

وهناك جماعات يسمون "أولاد سيدي رحال البدالي"، ويدعون أنهم ورثة بركته، التي تتيح لهم الإخبار بالمغيبات والقيام ببعض الخوارق.

م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع* ؛ أ. الحلفاوي، *شمس المعرفة في سير غوث المتصوفة*، مخطوط خ.ع، رقم 1720 د ؛ ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط خ.ع، رقم 1240 د ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج. 3 ؛ أ. الوارث، *الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرن 16 م*، ر. د. د. ع. بفاس.

A. Cour, *L'Etablissement des Dynasties des Cherifs au Maroc*, Editeur, 1904.

أحمد الوارث

**بداوة**، قبيلة تقع بناحية الهبط (إقليم العرائش حاليا) وتحيط بها قبائل : جبل حبيب، بني عروس، بني گرفط، البدور، امزورة، الغربية، وتقدر مساحتها بـ 49 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1940 : 1579 نسمة يتكلمون اللهجة العربية الدارجة، ويوجد بالقبيلة ثمانية مساجد وثلاثة أضرحة وزاوية وعشرة كتاتيب قرآنية.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : الدويبات والزاوية والگليلات والجهمة. ويُوجد بكل واحد منها ثلاثة مداشر.

وفي التقسيم الإداري الحالي تكوِّن هذه القبيلة مع قبائل البدور وامزورة وعامر وجزء من قبيلة بني عروس جماعة قروية واحدة باسم جماعة أربعاء عياشة.

Aranda, Coronel, *Geografia* ; Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos* ; Comision historica, *Geografia* ; A. Domenech, *El Habt*, p. 16 ; Domenech, Angel, *Zona Norte* ; A. Ghirelli, *El Norte* ; *Vademecum, (1948) de la Intervencion Territorial del Lukus*, p. 120.

**البَداوْدي**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الخلط، وكان من بين أفرادها بتطوان :

**البداودي، الطاهر** بن محمد، معلم صانع كان حيا سنة 1275 / 1859.

**البداودي محمد بن أحمد**، تاجر ممن وقعوا على عقد البيعة لمولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 / 7 مارس 1821.

**البداودي، محمد بن محمد** فقيه كان يزاول خطة العدالة سنة 1102 / 1691.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 296 . 302 / 3 : 269 / 7 : 305 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias*; *Vademecum* (año 1931) (B).

**البَدّاوْري**، أسرة تطوانية لعل أصلها من قبيلة بني يدّر وكان من بين أفرادها :

**البَدّاوري، أحمد** بن الحاج المفضل الذي كان يتعاطى خطة العدالة بتطوان سنة 1308 / 1891. ولعله توفي حوالي سنة 1317 / 1900، وبذلك انقرضت هذه الأسرة من تطوان.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum.*

محمد ابن عزوز حكيم

**بَـدّاي ولـد البَرْدي**، ينتمي أصل البردي بالصحراء الأطلسية إلى فصيلة أولاد موسى من اللف الساحلي لقبيلة الرگيبات. وقد عرفت القبيلة تعدد الأشخاص الذين تمكن مقارنتهم ببداي، بل إن تعدد هذه النماذج هي التي قلبت القبيلة المسالمة أصلا إلى رابطة قبلية للمواجهة العسكرية والمطالبة.

فكلما استنطقنا الأحداث التاريخية حول هذه القبيلة نصطدم بحقيقة هامة وهي أن العصبية إطار تنظيمي تلتئم فيه الفاعليات وتنتظم داخله التحالفات في مجتمع لا يفرق بين أهله إلا الانتماء إلى هذه العصبية أو تلك. فقد عرفت نهاية القرن التاسع عشر تسيد بداي ولد البردي على فصيلته في مرحلة أصبحت فيها قبيلة الرگيبات في مصاف المحاربات. لقد تميز جيل الثلاثينات من هذا القرن بمجابهة تسلط أولاد دليم المعقليين. وهو دور محدد جعل لزاما على الأجيال اللاحقة تجاوزه سياسيا وعسكريا. فبدا عادياً أن يطور جيل بداي مفهوم مراقبة المجال والتوسع إلى أبعد النقط الجنوبية، فعلماً بأن الشمال (وادي نون وباني) يعد ملكا لتكنة الذين يستحيل التصدي لهيمنتهم المطلقة، تستمد العصبية الرگيبية قوتها من مجابهة القبائل الأخرى جنوب الساقية الحمراء وداخلها. وهكذا نجد بداي ولد البردي على رأس غزوة وصلت حتى تاودني لتناوش قبيلة البرابيش وتفقدهم عددا هاما من إبلهم. وإذا كانت هذه القبيلة معروفة بوزنها العسكري الثقيل، فإن عملية بداي تكسب قبيلته وزناً لا يقل أهمية. ذلك أنه لا بد لعملية حربية بمثل هذه الأهمية من ضمانات فعلية يفترضها نظام التحالفات القائم الذات. فلا بد أن تكون وراء هذه الخطوة الاستراتيجية عوامل موضوعية خفية هي التي تؤطر مفهوم التعاون والتعاضد داخل التناحر والتنافس. وهو ما يمكن أن نكتشفه إذا ما ركزنا على انتصار الرگيبات على مجمل القبائل المعقلية الواقعة يومها جنوب الساقية الحمراء.

لقد أصبح الأساس الذي تقوم عليه العلاقات هو نصرة الأقوى ظالما ومظلوما مخافة تسلطه. فكان لا بد للرگيبات قبل الشروع في الغزو من الاعتماد على أولاد المولات القريبين من البرابيش كقاعدة خلفية أكيدة يتم الالتجاء إليها عند الضرورة. وهكذا ندرك لماذا عهد البرابيش بعد تتبعهم أثر بداي ولد البردي ومجموعته إلى الأخذ بثأرهم من أولاد المولات محصلين بذلك على قدر كبير من الإبل. أقام يومها بداي مدة مع أولاد المولات إلى أن قرر مغادرتهم عائداً إلى فصيلته. على أنه اعتباراً لطبيعة ميزان القوى بين القبيلتين وتثبيتاً للأمر الواقع، فإن بداي ولد البردي لم يغادر أولاد المولات إلا بعد أن غزا قدراً من إبلهم. وقد لحق مباشرة بفصيلته التي عززته ورفضت إعادة الإبل إلى أهلها (*جوامع*، 74 . 91 . 92).

واضحٌ إذن أننا هنا أمام نموذج للرئيس الخبير بقواعد ومبادئ نظام التحالفات، المستوعب لأسباب كل حادث. وبذلك فهو يمثل أحد الأمثلة التي تجعل من التاريخ شاهدا على نفسه.

محمد سالم ولد لحبيب ولد الحسين ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرگيبات*، دراسة وتحقيق ناعمي مصطفى، 1991.

S. Caratini, *Rginbat* (1610 - 1934), L'Harmattan, 1989.

مصطفى ناعمي

**الـبَدّادْ**، من فعل "بدّ" الذي يعني بالأمازيغية "وقف"، ومنه أبْدّادْ أي الوقّاف أي الرجل الذي يقف مراقبا وموجها لأعمال عمال مشتغلين مأجورين أو مسخرين في

ورش بناء أو حرث أو حصاد أو غير ذلك. وإدخال الألف واللام في صيغة "البداد" من إدماجه في العربية التي نجدها في وثائق المخزن أو وثائق بعض أعوانه من القواد وغيرهم. والبداد ليس عاملا بسيطاً وليس "متعلماً" صاحب صناعة، فهو قبل كل شيء محرض وحارس ومستحث وزاجر للمتهاون ممن يقف على رؤوسهم. كانت أجرة البداد قرابة ثلاث مرات أجرة العامل في البناء.

*كناش القائد الجيلالي الدمناتي*، (النصف الثاني من القرن التاسع عشر).

أحمد التوفيق

**البَدّوزة**، رأس يقع غرب منطقة عبدة حيث يطل على الساحل الأطلنتي، على بعد خمسة وثلاثين كيلومتراً شمال مدينة أسفي.

مميزات طبيعية : على ارتفاع يناهز 53 م فوق سطح البحر ينبثق رأس البدوزة من ساحل عبدة حيث تسود الكثبان الرملية المتحجرة المتوازية فيما بينها ومع الشاطئ والمكونة من حُث كلسي يرجع إلى أوائل الزمن الرابع يظهر محليا عاريا في مساحات شاسعة، أو تغطيه تربة رقيقة من نوع "الرمل" تكسوها في فصل الأمطار (350 مم) نباتات سفلى عابرة.

يشرف رأس البدوزة على المحيط بواجهتين مختلفتين من حيث المظهر.

- الواجهة الأولى متركبة من جرف مهجور شبه مستقيم يمتد في اتجاه شمالي شرقي وتفصله عن البحر كثبان رملية متحركة تغيب في شريط المد والجزر حيث تبرز نتوءات وسطوح صلبة تحمل بصمات التعرية البحرية (حافات متقطعة، شخاريب ساحلية...).

- الواجهة الثانية متشكلة من جرف ملطوم شبه مستقيم يمتد في اتجاه جنوبي شرقي وتتقدمه كتل صخرية كبيرة انفصلت عنه بفعل التعرية.

يمتد شاطئ البدوزة تحت سطح البحر في شكل رصيف قاري شديد الانحدار تحده حافة تحتبحرية حيث يتكسر العباب بعنف لا تضاهيه إلا برودة الماء التي يبثها تيار الكناري عبر مياهه القطبية.

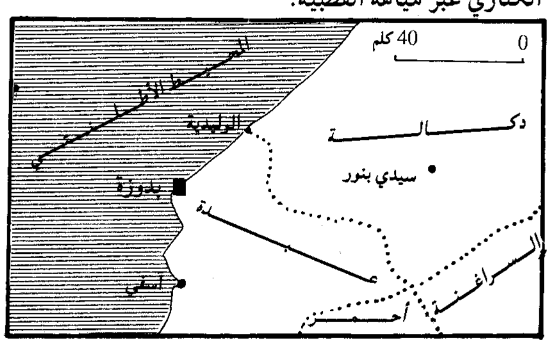


موقع بدوزة

رغم قساوة الظروف الطبيعية (قلة الأراضي الزراعية وفقرها، ضعف التساقطات، خطورة الشاطئ...) عرف رأس البدوزة حضوراً بشرياً منذ أقدم العصور.

معالم تاريخية : ترك إنسان ما قبل التاريخ بصمات مرتبطة بنمط عيشه، وذلك على طول قدم الجرف المهجور، في شكل مواضع الكيوكنمودين Kjökkenmödding (كدس من فتات صدفات الحلزون والبلح المتراكمة في أماكن الطهي). توجد هذه المواضع على مقربة من مغارات قبلتاريخية نُسجت حولها معتقدات وأساطير تسرّب بعضها إلى عصرنا. ومن أشهر هذه المغارات توفري محضار وخلوة سيدي الزلزولي.

يلوح العصر القديم من خلال مؤشرات ما زالت تثير العديد من التساؤلات، ففي قلب الجرف المهجور، على بعد كيلومتر ونصف تقريبا شمال ضريح للاتاساولت توجد مغارة على شكل غرفة مستطيلة لها باب يشبه نافذة، على ارتفاع نسبي يناهز ثلاثة أمتار. هذه الغرفة تحمل آثار النقش بأدوات معدنية على غرار مثيلاتها في سواحل القطر التونسي حيث تدعى حوانت وتنسب إلى قوم نشروا استعمال البرونز.

في العصر القديم عُرف رأس البدوزة باسم رأس الشمس Solis Promuntorium. وقد حظي بمكانة رمزية مرموقة حيث اعتبره سيلاكس Scylax أشهر وأقدس مكان في ليبيا بأسرها. أما حانون القائد والرحالة القرطاجني فقد شيد به، حسب ما رواه بلين، معبداً على شرف إله البحر بوسايدون. ولعل في عناصر البناء الكائنة قرب ضريح سيدي ششكال (1,5 كلم شمال بداية رأس البدوزة) تزكية لهذه الرواية. تشمل هذه العناصر المشكّلة من حُث جد صلب جزءاً كبيراً من عمود أعيد استعماله كعتبة بئر محلي وأحجار منحوتة، متوسطة الحجم استعملت كدعامة للصخرة التي شُيد فوقها الضريح المذكور.

آثارالعصر القديم تتجلى كذلك على صعيد بعض الظواهر الثقافية التي تُنسب أصولها إلى تقاليد فينيقية أو قرطاجنية. ففي المقابر العتيقة تحمل المسلات نقوشاً هندسية تَبرز فيها المثلثات على غرار مثيلات لها بمدينة سلا. على أنه يوجد تشابه كبير بين هذه الرسوم وتلك التي تزين جل قوارب الصيد العتيقة على مستوى الجؤجؤ والكوثل.

نجد بالمنطقة آثاراً رمزية من العصرين الوسيط والحديث من بينها هندسة المساجد العتيقة المجاورة لبعض الأضرحة. تتميز هذه المساجد بشكلها الطولي وسقفها المقوس المعروف «بظهر الكيدار» ومقطورتها الدائرية التي تتصدر المسجد وتبرز بسقفها المخروطي. يمثل مسجد للاتاساولت نموذجاً لهذا النمط الهندسي. ومن بين ما تركته هذه العقود الغابرة الاسم القديم الذي ظل يُطلق على رأس البدوزة إلى عصرنا هذا، ألا وهو رأس كانتان Cap Cantin ويرجع أصل هذا الاسم - فيما يبدو- إلى كونتي Conte المدينة التي أشار إليها حسن الوزان J. L. L'Africain بكونها مدينة خربة على بعد عشرين ميلا عن مدينة آسفي في ساحل خضع فيما مضى إلى حكم القوط. ولعل مكان هذه المدينة الصغيرة هو ذلك الذي يُعرف الآن باسم للاحاجّة، ويوجد

على بعد أربعة كيلومترات شمال شرق رأس البدوزة حيث تبرز آثار في شكل برج وبقايا جدران عريضة، إضافة إلى مقبرة عتيقة وكبيرة تدعى للامائة أحمد ومحمد، إشارة إلى أن عدد الأموات المدفونين بها يكاد لا يحصى، بيد أن الإشارة إلى أسماء «أحمد ومحمد» فحسب قد تدل على قدسية الظاهرة نظراً لعلاقتها المحتملة مع الجهاد ضد الوجود البرتغالي على السواحل (أسفي، الجديدة). وتتوفر المنطقة على مؤشرات أخرى تدعم هذا الطرح. توجد قرب منارة البدوزة آثار مقبرة كبيرة بجوار ضريح يُدعى سيدي مجمع الصالحين، مما يشير مرة أخرى إلى جماعة (من الصالحين) مع التلميح إلى عادتهم في التجمع. على نطاق أوسع، تعرف المنطقة كثافة قلّ نظيرها من الأضرحة، مما طبع محليا الثقافة الشعبية حيث يرد الحديث عن «رجال الساحل» ويُذكر المجال بنوع من الخشوع والإجلال مصداقا للقولة المتداولة «في الساحل كل حَجرة بصالح» أي أن عدد الصالحين يُضاهي عدد الحجارة.

استقرت بدوار البدوزة خلال عصر الحماية جالية أوربية قليلة العدد نَظّمت حياتها «الثقافية» حول مقهى اشتهر في أدبيات السياحة بمهارته في طهي وتقديم الأسماك والقشريات. وتُعتبر منارة رأس البدوزة أهم معلمة شيدت في أوائل هذا العصر.

في عهد الاستقلال، عرف رأس البدوزة الذي أصبح يحمل اسم الدوار المجاور ميلاد بعض المشاريع الادارية والاجتماعية التي أخذ بعضها يتحقق ابتداء من أواسط السبعينات (مكتب الحالة المدنية، مكتب بريدي، مستوصف، مدرسة ابتدائية، دور لفائدة بعض رجال السلطة المحلية). ومن أهم ما أنجز في أواخر الثمانينات تزويد المنطقة بالماء الشروب والكهرباء. بيد أن التجهيزات الاقتصادية تبقى منعدمة مما يساهم في تفسير هجرة قوية خصوصا نحو مدينة أسفي المجاورة.

عناصر اقتصادية : يرتكز اقتصاد المنطقة على الفلاحة التقليدية والصيد البحري. وتعتمد الفلاحة على زراعة خفيفة للحبوب (شعير، ذرة) وتربية الماشية بأعداد متواضعة ترعى في الأماكن المتدهورة التي انجرفت تربتها.

وظل الصيد البحري أشهر نشاط اقتصادي يميز المنطقة منذ أقدم العصور. وإن كانت أنواع الأسماك وكمياتها ما فتئت تتقلص نتيجة استنزاف هذه الثروة خصوصاً من طرف أساطيل الصيد الدولية.

من المؤشرات التي تبين الطابع العتيق لممارسة الصيد، مانلاحظه من استعمال حالي لمصطلحات بربرية في تسمية أماكن (وارزاق، أقصري...) وأسماك (أمول تاروزيت...) وأجزاء القوارب (اماون، توزومين...) مع العلم أن سكان المنطقة لا يتكلمون الأمازيغية.

يمارس الصيد أساسا بواسطة القوارب الصغيرة. ويمكن في هذا الإطار التمييز بين ثلاث مراحل : تتميز المرحلة الأولى باستعمال القوارب العتيقة Pirogues التي صممت في غالب الأحيان بحيث لا يختلف فيها الكوثل عن الجؤجؤ الشيء الذي يمكنها من شق الأمواج والتخفيف من قوة دفعها وهي تتأهب للخروج من البحر بعد كل «طلعة». كانت هذه القوارب تحرك بواسطة المجاذيف ويمتطيها طاقم مؤلف من ستة أشخاص يقودهم رئيس. وقد كانت تصداد أساسا سمكا يدعى ساركال (سمك أزرق معدل وزنه خمسة كيلوغرامات) الذي كان يتم تسويقه على ظهر الدواب في مختلف أرجاء المنطقة. لم يعد لهذه المرحلة أثر إلا في ذاكرة السكان.

تميزت المرحلة الثانية بتغييرات أساسية. فقد تقلص حجم القوارب قليلا وازداد عددها (حوالي 60 قاربا حاليا) ولم تعد تخرج إلى اليابس بعد كل طلعة بل تبقى راسية خلف خط الملطم على الواجهة الجنوبية الشرقية لرأس البدوزة حيث يحميها الجرف الملطوم من الرياح الشمالية. وقد تخصصت هذه القوارب أساسا في صيد القشريات (سرطان وجراد البحر) بواسطة سلات معدة لهذا الغرض. وقد كانت تصدر هذه القشريات إلى الخارج عبر الدارالبيضاء.

وتميزت المرحلة الثالثة والأخيرة بإدخال وسائل جديدة حيث حل المحرك محل المجذاف واستبدلت السلات بأشباك متخصصة. وفي السنين الأخيرة تقلصت كمية القشريات المصطادة وارتفعت التكاليف مما حدا بالبحارة إلى الاعتماد شيئا فشيئا على صيد الأسماك العادية.

يتميز الصيد البحري بمردوده المتواضع نظراً لتكاليف التجهيز وعدم استقرار المحاصيل وارتفاع حصة الوسطاء في تجارة الأسماك. ولا يستفيد البحارة من أي تأمين مع العلم أنهم يعملون في ظروف خطيرة بدون أجهزة الوقاية، وأغلبهم لا يحسنون السباحة.

أخذ رأس البدوزة يعرف انتعاشا في مجال السياحة الداخلية حيث أصبح قبلة المصطافين من مدينة أسفي. وقد ساهم في هذا الانتعاش ترشيد وسائل النقل، وكذا التلوث الذي عم الشواطئ القريبة من أسفي من جراء المعامل الكيماوية. بيد أن هذه السياحة ما زالت تفتقر إلى التجهيزات الأساسية وإلى التدابير التي من شأنها أن تحد من الغموض والمضاربات العقارية، وإلى وضع تخطيط متكامل وقار قصد استصلاح أحد أجمل شواطئ المغرب.

A. Guilcher et F. Joly, *Recherches sur la morphologie de la côte atlantique du Maroc*. Travaux de l'Institut Scientifique Chérifien. Série Géologie et Géographie Physique n° 2, Editions Internationales, Tanger 1954 ; M. Rousseaux, *Hannon au Maroc*, Société Historique Algérienne, Alger 1949, p. 71 ; J-L. L'Africain, *Description de l'Afrique*, Traduit par A. Epaulard, Adrine - Maisonneuve éditeur, Paris 1956, p. 319 ; A. Antona, *La Région des Abda*, Chambre mixte d'Agriculture, de Commerce et d'Industrie de SAFI, Imprimerie Officielle, Rabat 1931, p. 211.

محمد زكور

**البدراوي**، أسرة فاسية شريفة يرتقي نسبها إلى محمد ابن إدريس بن إدريس الأكبر. خرجوا من فاس - كسائر الأدارسة - بعد انحلال دولتهم فراراً من عسف موسى بن أبي العافية، واستقروا أجيالا بفگيگ في قصر الوداغير، ثم انتقلوا إلى وادي الرتب بسجلماسة، ومنها عادوا إلى فاس في أواخر القرن الثاني عشر (18 م).

كان أول عائد منهم إلى فاس عبد الله بن عبد القادر البدراوي فسكن داراً بدرب بوحاج من حومة الطالعة، وتوالى عقبه في الإقامة بها حتى اشتهرت بهم وعرفت بدار البدراوين. ويُدعى البدراويون أيضاً بالودغيرين اعتباراً لمقر أسلافهم بقصر الوداغير بفگيگ، وبالبگراوين - بقاف معقودة - إلا أنهم كانوا لا يحبون هذا اللقب، كما يعرفون بالجماليين والشماسيين نسبة إلى جديهم جمال بن محمد وشماس.

**البدراوي، أحمد** بن **أحمد** بن الطيب الحسني، فقيه تخرج من القروين بعد تنظيمها، ومارس التدريس بها مدة ثم عين قاضياً غير أنه أُخر فيمن أخروا من القضاة أواخر عهد الحماية. وبعد الاستقلال عين قاضياً بصفرو ثم بتازا، وأخيراً عضواً بمحكمة الاستيناف بالرباط إلى أن أدركته الوفاة بالرباط عام 1389 / 1969.

**البدراوي، أحمد** بن **اليزيد** الحسني. ولد بفاس وقرأ بها على كبار شيوخ عصره كأحمد بن الخياط وأحمد بن الجيلالي وأحمد بن المامون البلغيثي وعبد الله الفضيلي وغيرهم. وبعد أن اشتغل مدة بالتدريس في ثانوية مولاي إدريس، انتصب عدلا بسماط العدول قبل أن ينتقل عضواً بمحكمة الاستيناف الشرعي بالرباط، ثم قاضياً بمدينة الرباط، حيث اشتهر بالعدل والاستقامة. وفي نفس الوقت كان يلقي دروساً في فروع الفقه وأصوله. إلى أن أوقف عن عمله بعد نفي محمد الخامس.

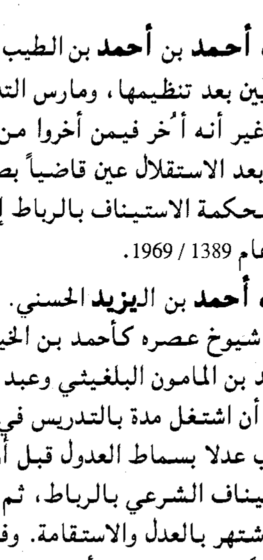

وبعد الاستقلال أصبح رئيس الاستيناف الشرعي، وشارك في وضع مدونة الأحوال الشخصية. ولما أدرك سن التقاعد أُصيب بمرض ألزمه الفراش عدة سنوات إلى أن مات بالرباط صباح السبت عاشر شعبان عام 1388 / 2 نونبر 1968 ودفن بمقبرة سيدي الخطاب خارج باب العلو.

**البدراوي، إدريس** بن **عبد الله** بن عبد القادر الحسني. أستاذ فقيه مدرس خطيب صالح ناسك، شيخ جماعة القراء في وقته، أخذ هذا الفن عن والده، وعن الأستاذ محمد بن عبد السلام الفاسي. "وكان يدرس *المختصر وألفية ابن مالك* من الزوال إلى الظهر، وإذا أتم نصابه منها نزل لآخر درجات الكرسي وأخذ في قراءة السبع مع جماعة من الطلبة يُعرِّفهم القراءات وتوجهها وينبههم للمخارج والأصول، هذا دأبه - رحمه الله - مع عفاف وصيانة، وزهد وديانة"، (*فهرس الوزاني*).

كان إدريس البدراوي خطيباً مفوهاً، خطب بفاس العليا، ثم بمسجد الرصيف، ثم بجامع القرويين في أوائل عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام، ثم أُخر عن الخطبة في رجب عام 1247 بعد أن استنكر حوادث الأوداية المعروفة.

ذكر الفضيلي أن له أربعة عشر تأليفاً، فصلها ابن سودة كما يلي، ومعظمها في القراءات :

- *التوضيح والبيان في مقرأ نافع المدني ابن عبد الرحمن.*
- *عمدة البيان في اختصار مورد الظمآن*. فيما ورد من حذف الألفات وتبقيتها التي وردت في المصاحف كما رواها نافع عن السلف الصالح مرتبة على حروف التهجي...
- شرح *عمدة البيان* في ثمانية كراريس.
- *قاموس قراءة نافع*، بناه على حروف التهجي.
- *أزهار الحدائق في مخرج الوصف والحقائق*، في مخارج الحروف.
- *تأليف في الضبط وحكم الشدة*.
- *شرح دالية ابن مبارك السجلماسي*.
- *حاشية علي الجعبري*.
- *طرر على فرائض مختصر خليل* وجدول عى مقاصاته.
- *خطب وعظية*.

ومنها منظومات وأراجيز تعليمية :

- *أرجوزة في الحذف والثبت* ومقرإ السبع عن قالون ومن معه.
- *أرجوة العشرة الكبيرة وحمزة*.
- *منظومة في همزة الوصل والحرف بعدها* .
- أرجوة في سبعمائة وثلاثة وعشرين بيتاً سماها *سلم الفرائض*.
- *طرر على سلم الفرائض*.

توفي بعد صلاة العشاء من ليلة الأربعاء سادس عشر محرم عام 1257 / 9 مارس 1841، ودفن بالقباب خارج باب الفتوح قريباً من الشيخ أحمد اليمني.

**البدراوي، إدريس** بن **محمد** الحسني، فقيه مشارك اشتغل مدة بالنيابة عن قاضي الرصيف بمدينة فاس. وتوفي صباح يوم الأربعاء 29 ربيع الثاني عام 1383 / 19 شتنبر 1963.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 128 . 133 ؛ ج. الكتاني، *الشرب المحتضر*، 18 ؛ عباس الحجرتي، *الروض الطيب*، مخطوط ؛ أحمد الوزاني، *فهرس*، مخطوط ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد حجي

**البدراوي، بدرالدين** بن الفاطمي بن ادريس، أحد شباب مدينة فاس الذين استهوتهم الحركة الاصلاحية التي شهدتها تركيا بزعامة مصطفى كمال في بداية العشرينات من القرن الجاري. كما احتك بأفكار الاشتراكيين الفرنسيين المقيمين بالمغرب، على رأسهم الصحافي كاريط بوڤي Carette - Bouvet.

ورغبة منه في بث اقتناعاته السياسية بين الشباب المغربي، أصدر جريدة عربية بالدارالبيضاء تحت عنوان *الأخبار المغربية*، وذلك بتعاون مع كاريط بوڤي. فظهر عددها الأول يوم 26 مارس 1921، وتعتبر هذه الجريدة بذلك أول جريدة عربية رخصت إدارة الحماية لمغربي بإصدارها. لكن نشاطها لم يدم طويلا، ذلك أن الإقامة العامة لم تستسغ انتقاداتها للسعادة، ولا تعاطفها مع حركة مصطفى كمال، ولا نداءاتها بإصلاح التعليم بالمغرب.

*Bulletin Oficiel*, N° 444, du 29 mars 1921, p. 546 ; Margot, *La presse arabe en 1927*, Publication de la Résidence Générale au Maroc, Rabat, 1927 ?.

جامع بيضا

**البدراوي، بَنّصَر** بن إدريس الحسني، هكذا اشتهر اسمه على الألسنة، بينما تفصحه مصادر أخرى فيكتب أبو النصر أو أبو نصر.

تخرج على يد والده ومن في طبقته من شيوخ فاس، واشتغل طوال حياته بالتدريس إلى أن وافاه الأجل في رابع ذي القعدة عام 1286 / 5 فبراير 1870 ودفن بروضة أهله في خلوة بوعزة من حومة البليدة.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 130 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1286 ؛ عباس السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب*، مخطوط.

**البدراوي، الطيب** بن محمد بن بَنّصَر الحسني، فقيه ناسك مدرس نفاع، نقيب الشرفاء بفاس "كان من أهل الطبقة الأولى من العلماء. وهو النقيب العام على جميع الأشراف بفاس غير أصحاب الإراثة" (*إتحاف*).

توفي في الساعة العاشرة من ليلة الأحد ثالث شعبان عام 1361 / 16 غشت 1942، عن سن تناهز التسعين، ودفن إثر ظهر الأحد بروضة البدراويين بالبليدة المعروفة بروضة سيدي بوعزة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1361 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

**البدراوي، عبد الله** بن إدريس الحسني، ولد بفاس عام 1237 / 1821. ودرس بها على والده ومن في طبقته، وكان "علامة مشاركاً مطلعا محققا مدرساً له الفهم الثاقب، يحضر دروسه فحول الطلبة. تولى نقابة جميع الأشراف بفاس إلى وفاته". (*إتحاف*).

وممن قرأ عليه إدريس ابن الماحي الإدريسي الذي قال في ترجمته :"حضرت عنده في *صحيح البخاري* بمسجد الحدادين من طالعة فاس، وهو يرويه عن سيدي الوليد العراقي". (*وفيات*).

توفي يوم الأربعاء تاسع وعشري ذي الحجة عام 1316 / 10 ماي 1899. ودفن بروضة سيدي بوعزة بحومة البليدة وكانت له جنازة حافلة.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 131 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1316 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

**البدراوي، محمد** بن **إدريس** بن **بَنّصَر** الحسني. ولد بفاس وبها درس على أعيان علماء عصره، كعم والده عبد الله بن إدريس البدراوي، وأحمد بن الخياط، ومَحمد گنون، وعبد السلام الهواري، ومَحمد القادري. وبعد أن تم تكوينه اشتغل بالتدريس مدة غير قصيرة قبل إدخال النظام في القرويين، وكان من الآخذين عنه فيها عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة الذي ترجم له في كل من *الاتحاف والفهرس*. وبعد ذلك أصبح محمد البدراوي عضواً بالمجلس العلمي بالقرويين، ثم قاضياً بفاس الجديد أواسط عام 1346 / 1927، ثم قاضياً بمقصورة الرصيف بفاس في أوائل ربيع الأول 1350 / يوليوز 1931 وبقي بها إلى أن أدركته الوفاة صبيحة يوم الأربعاء سادس شوال عام 1354 / فاتح يناير 1936، ودفن بروضة سيدي بوعزة من حومة البليدة.

وقد اشتهر في قضائه بالعدل والنزاهة والإنصاف، وفصلت مرثية الشاعر عبد المالك البلغيثي جوانب عدل القاضي البدراوي، وهي طويلة تامة في *سل النصال*، مطلعها :

| | |
|---|---|
| أقاضيَ المسلمين مَنِ البديلُ | ومثلُك في محاكمنا قليلُ |
| أقاضيَ المسلمين رحلتَ عنا | فكم أسف يُجرِّعُنا الرحيلُ |

م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 175 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1354 ؛ *سل النصال*، الترجمة، 164 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

**البدراوي، محمد** بن **إدريس** بن **عبد الله** الحسني، عالم مشارك، درس على والده القراءات والعلوم الشرعية، كما درس على غيره قواعد اللغة والمعقولات، فكانت "له اليد الطولي في المعقول والمنقول" قضى حياته في التدريس بالقرويين وغيرها من مساجد فاس ومدارسها إلى أن أدركته الوفاة في حادي عشر رجب عام 1286 / 17 أكتوبر 1869 ودفن بروضة أهله في خلوة سيدي بوعزة من حومة البليدة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1286 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

**البدراوي، محمد بن يَنْتَصَر** الحسني، فقيه مشارك قرأ بفاس على والده وعمه محمد بن إدريس البدراوي ومحمد الحمادي المكناسي وعمر ابن سودة وغيرهم. قضى معظم حياته في التدريس، وتولى قضاء مدينة الصويرة مدة. وتوفي بفاس زوال يوم الاثنين تاسع عشر شعبان عام 1311 / 26 فبراير 1894 ودفن بروضة أهله بخلوة سيدي بوعزة من حومة البليدة.

م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 175 ؛ عباس السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1311 ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 123.

**البدراوي، محمد بن عبد الله** بن إدريس الحسني، ولد بفاس عام 1299 / 1881 وبها نشأ ودرس على شيوخ عصره، وفي مقدمتهم والده وأعمامه العلماء، إلا أنه لم يوغل في الدراسات الفقهية، إذ كانت له نزعة أدبية، وهي التي اشتهر بها. كان شاعراً مجيداً أكثرُ شعره في الغزل، وبعضه في التصوف. وله قصيدة بليغة عارض بها تائية البوصري إلا أن شعره لم يجمع في ديوان.

توفي يوم الاثنين خامس صفر عام 1347 / 23 يونيه 1928، ودفن بروضة سيدي بوعزة من حومة البليدة بفاس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1347.

**البدراوي، محمد بن اليزيد** الحسني، فقيه متمكن قضى حياته في التدريس بفاس إلى أن أدركته الوفاة في سابع وعشري محرم عام 1342 / 9 شتنبر 1923.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1342.

محمد حجي

**بدرو دي سلزار** Petro de Salazar عاش في كنف الملك فليب الثاني الإسباني، وبأمره أخرج كتابه *Hispania Victrix* ليقص فيه تاريخ الحروب الواقعة بين المسيحيين والمسلمين، سواء البحرية منها أو البرية. وتتعلق جل تلك الحروب بالجانب التاريخي المغربي. وعلى الرغم من أن المؤلف حصر أخباره ما بين 1545 و1570 فإنه رجع إلى سنة 1508. وبالبحث عن مواد التاريخ المغربي نجد أن هناك ثلاثة محاور :

1) تاريخ مدينة بادس وصخرتها بدءاً بالاحتلال الإسباني الأول سنة 914 / 1508 (الفصل الثالث)، ثم استرجاع المغاربة للصخرة سنة 922 / 1522 (الفصل 4) وصد المغاربة الحملة الإسبانية سنة 932 / 1525 (الفصل 5) وحملة سنة 971 / 1563 (الفصول : 33. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85). وقص علينا إجراءات الهجوم والاستيلاء الثاني على الصخرة سنة 972 / 1564 (الفصول : من 89 إلى 119). وما اتصل بذلك من المقاومة (الفصول : من 121 إلى 123). ويتضمن هذا الجرد التاريخي معلومات عن وصف الصخرة ومقاييسها وتحصيناتها خلال الفترة الممتدة بين الاحتلالين الأول والثاني (الفصول : 3. 32. 33. 79. 83. 85. 92. 108) ومعلومات أخرى عن القلاع المجاورة، لاسيما قلعة صنهاجة (الفصول : 3. 4. 79. 83. 85. 109. 110. 111. 113. 122. 123). ويمكن استخراج جانب من تاريخ مدينة بادس خلال هذه الفترة، متعلق بتحصينات المدينة وقوتها الدفاعية، وما لاقته على يد الإسبان من إجلاء أهلها وتخريبها في الأخير (الفصول : 82. 108. 122). ويقدم المؤلف أخبار تمرد صخرة بادس على الوطاسيين والسعديين إلى أن تم احتلال الأتراك لها، بعد تردد سابق على مياهها (الفصول : 3. 17. 18. 92. 98).

2) اهتم المؤلف بأحداث مغرب النصف الأول من القرن العاشر الهجري، ملتفتا إلى قيام الدولة السعدية (الفصلان 6. 7) ليصل إلى الصراع السعدي ـ الوطاسي على الملك، والمراتب التي درج فيها أبو حسون الوطاسي منذ خروجه من فاس سنة 956 / 1549 والتجائه إلى بادس، ثم خروجه منها بحثاً عن المساعدات الإسبانية فالبرتغالية والتركية في آخر المطاف، واحتلاله لفاس ومقتله بها (الفصول : 17. 18. 19. 20. 27).

3) أشار المؤلف إلى الأسباب والعمليات التي تطلبت من الإسبان إغلاق مصب واد تطوان (مرتيل فيما بعد) سنة 973 / 1565 (الفصلان : 120. 126).

حسن الفكيكي

**بَدْري**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الرهونة، ومنهم محمد بن المختار البدري، فقيه ناسك توفي سنة 1895/1312. وبموته انقرضت هذه الأسرة من تطوان.

Isidoro de las Cigigas, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بدري، عمر**، أو البدري، أستاذ جزائري الأصل من طبقة قدور بن غيريط، قدم إلى المغرب سنة 1908. حل أولاً بطنجة حيث اتصل بشرفاء وزان فيها، مولاي علي بن عبدالسلام وإخوانه (أولاد سنيورا) ومنها انتقل إلى الدارالبيضاء كمدرس للعربية والفرنسية. ثم جاء إلى الرباط سنة 1917 ليدرس بثانوية مولاي يوسف، وكان مثال الأخلاق الفاضلة، محبوبا من لدن زملائه وتلاميذه.

امتاز الأستاذ بدري عن سائر الجزائريين بتأقلمه وانسجامه التام مع الوسط المغربي، فأصبح لباسه لا يختلف في شيء عن لباس أعيان البلد، يرتدي «الجبادول» و«الشاشية و الرزة» المحكمة الصنع مع الجلباب والسلهام، كما أصبح من رواد النادي الأدبي بروض سيدي عبدالكريم الوزاني الشهير بالرباط، الذي كان يغشاه جماعات من العلماء والأدباء.

ومما يدل على كمال مروءة الأستاذ عمر بدري، تطوعه بإلقاء دروس باللغة الفرنسية في أول مدرسة حرة بالزاوية الحراقية في درب والزهرا حي بوقرون، في حين كان الأديب المؤرخ محمد بوجندار يلقي فيها دروسا باللغة العربية.

كان لعمر بدري ولد توفي في حياته فلم يعقب، وأدركته الوفاة بالرباط في شهر شعبان عام 1361/ 15 غشت 1942.

*تقاييد ومعلومات شخصية.*

م. الأمين بلكناوي

**البِدَع** باب كبير من أبواب فهم الدين وتطبيقه. أثار جدالا طويلا بين علماء الإسلام وفقهائه على ممر العصور ما بين المتشددين والمتساهلين.

والكلمة مشتقة من فعل بَدَعَ الذي يفيد - حسب لسان العرب - أنشأ الشيء، وبدأه واستنبطه وأحدثه. و البِدْع - بكسر الباء - هو الشيء الذي يكون أولا.

وقد وقع الخوف على الإسلام منذ ظهوره من أن تتسرب إليه أشياء ليست منه هي التي دعاها النبي صلى الله عليه وسلم بدعة، كما جاء في الحديث :"وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار". ولهذا استعملت الكلمة عند علماء الشريعة في معرض الذم. وهي تناقض ما هو معروف باسم السنة، أي ما أُثر عن الرسول - عليه السلام - من قول وعمل. وهو ما تؤكده أحاديث نبوية أخرى مثل : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي.

لكن يجب فهم هاته الأحاديث على حقيقتها ووضعها في سياقها. فهي لا تعني تحريم الرأي والاجتهاد، بل تعني كل ما تعارض مع السنة وتجاهل أصول الشريعة. ولذا ميز ابن الأثير بين بدعتين : بدعة هدى وبدعة ضلال. فما كان في خلاف ما أمر به الله ورسوله فهو في حيز الذم والإنكار؛ وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه رسوله، فهو في حير المدح. يضاف إلى ذلك كل ما ليس له مثال منصوص عليه في الكتاب والسنة من أفعال الخير والبر. فقد ورد في الحديث النبوي : من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها. كما ورد أيضا: ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها. ومن الأمثلة على ذلك قيام رمضان لأنها من الأفعال التي لم يسنها النبي صلى الله عليه وسلم. ولذلك استحسنها عمر بن الخطاب وقال عنها : نعمت البدعة، وجمع الناس عليها وندبهم إليها، معتبرا إياها من الأعمال الصالحة.

وقد اهتم علماء المغرب والأندلس بموضوع البدعة وتجندوا عبر التاريخ لمقاومة كل ما ظهر لهم أنه بدعة، ونجحوا إلى حد كبير في تغليب مذهب السنة والجماعة على غيره من المذاهب الأخرى، بحيث لم تبق إلا مجموعات صغيرة من الإباضية في بعض المناطق الصحراوية المنعزلة بليبيا والجزائر. كما نجحوا في توحيد الشرع المعمول به في الأحكام باختيارهم للمذهب المالكي وتنحية غيره من المذاهب. وكانوا صارمين في مقاومة كل الانحرافات الطارئة على الفكر السائد لدى جمهرة العلماء. فتصدوا لبعض المفكرين مثل ابن مسرة وعدد من الفلاسفة وعلماء الكلام والمعتزلة بالأندلس فاضطهدوهم وحرضوا السلطان عليهم. ففسح المجال لتدخل الدولة لقمع كل الذين يخرجون عن الرأي السائد، ومطاردة الأفكار والتيارات التي لا يرضى عنها فقهاء المذهب.

ومن الأمثلة على ذلك الاضطهاد الذي تعرض له العالم المشهور ابن حزم الظاهري الذي أحرقت كتبه وتصدى له عدد من علماء وقته للتشنيع عليه، ومنهم أبو بكر بن العربي، الذي ألف كتاب *الدواهي والنواهي* للرد عليه وانتقاد مذهب الظاهرية. كما يجب أن نذكر الحملة التي قامت على الغزالي بالأندلس والمغرب والتي انتهت بإفتاء العلماء بإحراق كتاب *إحياء علوم الدين*. ومن جملة ذلك الاعتقال الذي تعرض له بعض رجال الصوفية مثل أحمد بن العريف وأبي الحكم بن برجان اللذين وقع ترحيلهما بأمر من السلطان من الأندلس إلى المغرب حيث انتهت حياتهما. وكان سبب نكبتهما انتحالهما للفكر الصوفي وتصديهما لنشره بين الناس. وآخر مثال نورده هو النكبة التي حاقت بالفيلسوف ابن رشد بأمر من الخليفة الموحدي يعقوب المنصور بعد أن نال حظوة كبيرة عنده وعند والده.

لم يكتف العلماء باستنكار البدعة والافتاء بتحريمها، بل تصدوا للتأليف فيها، فنذكر من بين أولئك المؤلفين، على سبيل المثال، أبا بكر بن العربي (ت 543 / 1148) الذي ترك عدة تآليف في الموضوع مثل :

- *مشكل القرآن والحديث* : يتحدث فيه، على ما يظهر، عن مشكل القرآن والسنة والرد على المبتدعة وتأويلاتهم (*الطالبي*، 72).
- *العواصم من القواصم* : ولعله أهم مؤلفاته في هذا الصدد، تناول فيه عدداً من القضايا التي اعتبُرها انحرافاً من عدد من العلماء والمفكرين عن جادة الشرع وسماها قواصم. والكلمة يمكن اعتبارها مرادفة للبدع.
- *الدواهي والنواهي* : وهو كتاب ألفه في الرد على ابن حزم.
- *كتاب المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد، والرد على من خالف السنة وذوي البدع والالحاد*.
- *سراج المريدين في سبيل المهتدين*.

وممن تصدى للموضوع، نذكر :

- أبا الحجاج يوسف ب محمد المكلاتي (ت 626 / 1237). الذي ألف كتاباً ضخماً في نقد الفلسفة بعنوان *كتاب لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول*، وهو في الحقيقة، لا يقتصر فيه على الرد على الفلاسفة بل يتجاوزهم إلى نقد عقائد بعض الفرق الأخرى مثل المعتزلة والكرامية.
- عبد الرحمن ابن خلدون الذي تعرض في *مقدمته* لموضوع البدعة في جملة من الفصول حين حديثه عن علم الكلام أو عن "المتشابه من الكتاب والسنة وما حدث لأجل ذلك من طوائف السيئة والمبتدعة في الاعتقادات" (*مقدمة*، 848) أو عن علم التصوف (863) أو عن العلوم العقلية وأصنافها أو عن علم الإلاهيات (920).

- أبا إسحاق الشاطبي (ت 790) الذي أولى الموضوع أهمية خاصة في مؤلفاته. ومنها كتاب *الاعتصام بالكتاب والسنة من الحوادث والبدع*. وعاد إليه في كتابه المشهور *الموافقات*، بحيث إن الذي أراد أن يتعمق في الموضوع من وجهة نظر علماء الأصول، لا غنى له عن الرجوع إلى هذا الكتاب.

- أبا الحسن الصغير (ت 719) الذي كانت له سلطة معنوية كبيرة بفاس كقاض وخطيب ومفت. وله تأليف خاص في الموضوع بعنوان *كتاب البدعة*، وفتاوى تناولت عدة قضايا في المجتمع جمعت بعنوان *الدر النثير في أجوبة أبي الحسن الصغير*.

والقائمة طويلة يمكن أن نضيف إليها عدة أسماء مثل ابن الحاج، صاحب *المدخل*، وابن السكاك، وأحمد رزوق، وأحمد الونشريسي صاحب *المعيار*، وعبد الله الهبطي والحسن اليوسي. وفي القرن التاسع عشر، اشتهر العالم محمد گنون بمواقفه الصارمة تجاه البدع والمنكرات التي تكاثرت في عصره، فكان من أول الدعاة للسلفية. وتجسمت في عصرنا مقاومة البدعة في الحركة السلفية المغربية التي تمتد جذورها إلى التطورات التي طرأت على الفكر الديني بالمشرق منذ قيام الوهابية بنجد إلى انطلاق الفكر الاصلاحي بمصر على يد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وتلاميذهما. فكان من رجالها بهذا العصر الشيخ أبو شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي وأبو بكر زنيبر وعلال الفاسي وعبدالله گنون الخ...

إلى جانب المقاومة الفكرية التي كان يضطلع بها العلماء في كل عصر، كانت السلطة بدورها تراقب كل الانحرافات التي تمس الدين داخل المجتمع. ومن القضايا المنصوص عليها في بيعة الملوك حماية الدين وتطبيق الشرع واتباع السنة ومحاربة البدع. وهذا الالتزام نجده مذكوراً في المصادر منذ عهد الأدارسة ونذكر هنا على سبيل المثال :

- التزام المرابطين بتطبيق الفقه المالكي والضرب على يد كل من لا يرضى عنه فقهاء المذهب ويستنكرونه، كما حدث بالنسبة لكتاب *الإحياء* للغزالي.

- مواقف الملوك الموحدين الأولين، وبخاصة يعقوب المنصور في محاربة أصناف من البدع والانحرافات.

- قيام المأمون الموحدي باستنكار ادعاء ابن تومرت للمهدوية.

- تحرك السلطان محمد بن عبد الله أثناء حكمه في مقاومة بعض البدع المنسوبة للطرقية وفي تحديد نهج التعليم بالقرويين وغيرها من المعاهد حتى لا يندس إليها ما هو مخالف للدين. وقد سار خلفاؤه من بعده، أثناء القرن التاسع عشر، على نفس النهج. إلا أن الصراع مع بعض الزوايا كانت له، في بعض الأحيان، صبغة سياسية أكثر منها دينية. ومهما يكن، فإن موضوع الاصلاح أثير بحدة أثناء هاته الفترة ودعا إلى جدال وتدخلات مختلفة كان من أهدافها اجتناب كل ما هو مخالف للشرع.

برغم كل هاته الجهود التي بذلت سواء في الحقل العلمي أو في الحقل العملي، تبقى هنالك مشكلة أساسية مطروحة على المستوى النظري ألا وهي التمييز بدقة بين ما هو بدعة مرفوضة وما هو عمل مستحسن ومقبول. فهنالك بعض العلماء المتشددين الجامدين الذين يستبعدون كل عمل أو سلوك لم يُوثَر عن الرسول. وقد رأينا من خلال أحد الأحاديث النبوية كيف أن الرسول كان متساهلا في الموضوع، فقبل من المومن أن يسن سنة حسنة بمحض اجتهاده. كما أن عمر بن الخطاب اعتبر قيام رمضان بدعة حسنة.

ومهما يكن، فإن اجتهاد العلماء وإدلائهم بالرأي الخاص في الأحكام التي لم يرد بها كتاب ولا سنة، لا يتم إلا إذا حظيت البدعة الحسنة بالقبول. وقد طرح ابن العربي هاته القضية عند تعرضه لتفسير آية :"هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا" (البقرة، 28) إذ قال ما معناه إن كثيراً من الناس فهموا منها أن أصل الأشياء الإباحة إلا ما قام عليه دليل بالحظر. وهنالك طائفة ثانية ذهبت إلى أن أصل الأشياء الحظر حتى يأتي دليل الإباحة. وهنالك قول ثالث مفاده أن الآية لا حكم لها حتى يأتي الدليل بأي حكم اقتضاه فيها. ويختلف أصحاب الإباحة أو الحظر بين الاستناد إلى العقل أو الشرع. فتمييز البدعة عن غيرها يعود بنا إلى أصول الشريعة. ويطرح موضوع حرية المومن في الاجتهاد وتسخير عقله في إدراك الأمور.

ويتناول الشاطبي موضوع المسكوت عنه في الشرع فيذكر الرأي المستند إلى الحديث النبوي :"وما سكت عنه فهو عفو" ويورد أن النبي - عليه السلام - كان يكره كثرة السؤال فيما لم ينزل فيه حكم بناء على حكم البراءة الأصلية، إذ هي راجعة إلى هذا المعنى. ومعناها أن الأفعال معفو عنها. وقد قال صلى الله عليه وسلم :"إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم عليهم، فحرم عليهم من أجل مسألته" (*الموافقات*، 1 : 163). لكنه يورد رأيا آخر مفاده أنه ليس ثم مسكوت عنه بحال، بل هو إما منصوص أو مقيس على منصوص. وهذه الأشياء المسكوت عنها قد تترك لاجتهاد الناس وتفكيرهم، وقد يؤتى إليها من جهة علوم أخرى لا علاقة لها بالعلوم الدينية. فالشاطبي يلح على "أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب" ويستنتج من ذلك أن الناس تجاوزوا الحد في نسبة كل العلوم المعروفة إلى القرآن من "علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيها الناظرون من هذه الفنون وأشباهها". فالقرآن إذ نزل على العرب، أولا، لكي يفهموه ويتجانس مع بيئتهم ما كان فيه "تقرير مما زعموا". وهكذا، يبقى لهاته العلوم الكونية استقلالها في البحث والاستنباط، وجلب المنافع. ونستنتج من هذا الكلام أن الخوض في هاته العلوم لا يمكن أن ينسب إلى البدعة.

وابن خلدون، من جهته، يتشدد في استعمال العقل، خصوصا في القضايا العقدية، إذ يعتبره مطية للانحراف عن العقيدة الصحيحة. فهو، في حديثه عن علم الكلام مثلا، يبين أن العقل البشري غير قادر على إدراك الأسباب والدلائل المفضية إلى توحيد الله "إذ للعقل حد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وصفاته. فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه" (1 : 825). ويرى أن التوحيد يتوقف على "التصديق الإيماني" الذي هو تصديق بالقلب واعتقاد دائم في النفس وإقرار باللسان وتجنب للخطإ في تأويل الآيات المتشابهات. ويرى ابن خلدون أن علم الكلام لم تعد له ضرورة، إذ أن "الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم، المتقدمين الذين وقفوا عند حدود الشرع، والمتأخرين الذين تجرأوا في آرائهم، فادعوا كشف الحجاب والوصول إلى ما وراء الحس وتحدثوا عن الحلول والوحدة.

وقد فصل أحمد الونشريسي (ت 914هـ) في *المعيار* الحديث عن البدعة، فصنفها إلى خمسة أنواع :

1 - بدعة واجبة بالإجماع : كتدوين كل ما يخشى عليه الضياع من أصول الشرع، مثل تدوين القرآن والشرائع.

2 - بدعة محرمة بالإجماع : كالمكوس، وتقديم الجهال على العلماء، وتولية المناصب الشرعية بالتوارث.

3 - بدعة مندوب إليها : كصلاة التراويح، وإقامة صور الأئمة والقضاة والولاة بالملابس.

4 - بدعة مكروهة : كالزيادة في العبادات أكثر مما حده الشرع.

5 - بدعة مباحة، وهي ما تناولته قواعد الإباحة : كاللباس الحسن، والسكن الحسن.

إذا تركنا الآن الجانب النظري في الموضوع ونزلنا إلى التطبيق العملي للشريعة، نجد العلماء ينبهون إلى عدد من البدع الصغيرة والجزئية. وقد عرض لها ابن الحاج في *المدخل* وكذلك الونشريسي في *المعيار*. ولنذكر، على سبيل المثال، البعض منها :

- الاقتصار على الضروري من اللباس دون الزيادة فيه : "لا يجوز للإنسان أن يزيد في ثوبه ما ليس فيه حاجة إليه". (*المدخل*، 1 : 124).
- ذبح أضحية العيد في غير وقتها وقبل أداء صلاة العيد.
- زيارة القبور في يوم عاشوراء.
- تزين النساء بالحناء يوم عاشوراء.
- صنع الحلاوات "المحتوية على الصور المحرمة شرعا" (*المدخل*، 285).
- التغني في ليلة المولد النبوي بأغاني مصحوبة بآلات الطرب "من الطار المصرصر والشبابة وغير ذلك مما جعلوه آلة للسماع" (*المدخل*، 2 : 3).
- الأذان بالألحان "وهي بدعة مستهجنة قريبة العهد أحدثها بعض الأمراء بمدرسة بناها" (249).
- الصياح ولطم الخدود على الميت (3 : 257).
- السجود بين يد المشايخ وغيرهم (*المعيار*، 1 : 359).
- لبس الرجال للحرير (1 : 348).
- قراءة القرآن على الميت في صباح القبر (335).

والأمثلة في هذا الباب كثيرة بقدر المحدثات التي أدخلت على الشرع، إما كإضافة وإما كتعديل. والعلماء متفقون في الغالب، على استنكار ما هو حرام منها وظهرت حرمته بصورة لا تترك مجالا للشك. لكنهم، في الكثير منها، مختلفون ما بين متشدد ومعتدل ومتسامح.

ولعل الاتجاه الذي غلب في عصرنا هو الاعتدال والتسامح، نظراً للتطورات السريعة والعميقة التي دخلت على المجتمعات الإسلامية، وضمنها المغرب، غداة احتكاكها بالغرب منذ قرنين تقريبا، وبذلك تغيرت أشياء كثيرة فيه وظهرت ضرورات لا مناص من الاستجابة إليها. لكن المجتمع الإسلامي، في نفس الوقت، نظراً لما تفشى فيه من عوامل الانحطاط والجهل، حدثت فيه انحرافات من الناحية الدينية نفسها. فانتشر فيه التعلق المغالي بالأولياء وأضرحتهم وتعددت مظاهر الشعوذة. فكانت موجات مختلفة من البدع. وكل هذا دفع ببعض رجال الدين إلى التصدي للدفاع عن العقيدة الصحيحة وتطهيرها من كل طوارئ الفساد. فنشأ عن هذين العاملين، عامل التحديث والعصرنة، وعامل التصحيح والعودة إلى الأصول، تياران مازالا يتحكمان إلى اليوم في حياة المجتمعات الإسلامية.

إلى جانب التيار الذي اتخذ مرجعيته إلى الإسلام، بالأساس، يجب أن نذكر تيار التحديث الذي لا يعارض الدين، ولكنه يستند قبل كل شيء إلى نموذج الحضارة الغربية ليتخذ منه منطلقاً للإصلاحات الضروري إجراؤها في المجتمعات الإسلامية. وبالنسبة لعدد من المفكرين الإسلاميين، أدى هذا التيار إلى حدوث عدد من البدع الخطيرة، مثل حصر الشريعة الإسلامية في نطاق الأحوال الشخصية واستحداث تشريع مدني مقتبس من المدونات المطبقة في المجتمعات الغربية، وتشريع مالي يتجاوز الضرائب الشرعية بإقرار ضرائب متعددة من صنف المكوس المحرمة، وإنشاء مصارف عصرية تتعامل بالفائدة أي بنوع من الربا، والتي كان لا مناص منها للأخذ بسياسة التنمية الاقتصادية ومساعدة المقاولات والمشاريع الجديدة، وتحرير المرأة بصورة تتجاوز المسموح به في الشريعة.

وعلى العموم انطبق على المغرب ما انطبق على غيره من الأقطار الإسلامية في العصور الحديثة. فظهرت مقاومة البدع على يد بعض ملوك الدولية العلوية مثل محمد بن عبد الله (1757 - 1790) والمولى سليمان (1792 - 1822) اللذين اتجه عملهما بالخصوص إلى مواجهة بعض الزوايا باسم تصحيح العقيدة. وظهر في القرن التاسع عشر عدد من العلماء الذين ساروا في نفس الاتجاه أمثال محمد بن المدني كنون، وأحمد بن خالد الناصري، ومحمد بن عبد الكبير الكتاني، ومحمد بن جعفر الكتاني. وكلهم تجندوا للدفاع

عن الإسلام والتحذير من البدع والتوعية بخطر الاستعمار الذي كان يتربص بالمغرب الدوائر، وبوجوب القيام بالإصلاح الداخلي، كل حسب رأيه الخاص.

وجاءت بعد هؤلاء في القرن الحالي جماعة من علماء السلفية من الذين عاشوا في عهد الاستعمار، وذكرنا أسماء بعضهم آنفاً فكانوا يقومون بدعوة إصلاحية شاملة ويحاربون البدع لا سيما الطرقية التي مدت يدها للاستعمار وظلت تدافع عن بعض التقاليد والأفكار المنحرفة عن السنة، باستثناء زوايا أخرى عرفت بمقاومتها للاستعمار ومشاركتها في النشاط الوطني.

وعلى أي، فالحركة السلفية المغربية بدعوتها للرجوع إلى التعاليم الإسلامية الصميمة، تصدت للبدع التي تسربت إلى الدين بسبب طغيان الجهل والشعوذة، وقطعت الطريق على الاستعمار الذي كان من مصلحته أن تسود العقلية الخرافية الداعية إلى التواكل والخنوع والاستسلام. فهي، بهذه الصفة، شكلت المرحلة التمهيدية للحركة الوطنية التي اهتمت بإصلاح شؤون الدين والدنيا.

*القرآن الكريم* ؛ *صحيح البخاري* ؛ *صحيح مسلم* ؛ صاعد، *طبقات الأمم*، بيروت 1985 ؛ م. الغزالي، *الإحياء* ؛ *تهافت الفلاسفة* ؛ أ. ابن العربي، *أحكام القرآن*، القاهرة 1949 ؛ الشهرستاني، *الملل والنحل*، القاهرة 1961 ؛ م. ابن رشد، *تهافت التهافت* ؛ *بداية المجتهد*، القاهرة 1329 هـ ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، بيروت والرباط ؛ المكلاتي، *كتاب لباب العقول*، القاهرة 1977 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 1، بيروت 1967 ؛ إ. الشاطبي، *الموافقات*؛ *الاعتصام* ؛ ابن الحاج، *المدخل*، بيروت 1972 ؛ أ. زروق، *كتاب البدع*، مخطوط ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، ج 1 و6 ؛ ابن منظور، *لسان العرب* ؛ رشيد رضا، *تفسير المنار*، القاهرة 1346 هـ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ أحمد أمين، *زعماء الإصلاح* ؛ *فجر الاسلام*، القاهرة 1956 ؛ *ضحى الإسلام* ؛ *ظهر الإسلام* ؛ ع. النشار، *نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام*، القاهرة 1965 ؛ م. أبو زهرة، *تاريخ المذاهب الإسلامية* ؛ *ندوة الحركة السلفية في المغرب العربي*، أصيلة 1989 ؛ أ. بالنثيا، *تاريخ الفكر الأندلسي*، القاهرة 1955 ؛ *مجلة المنار*، *العروة الوثقى*.

محمد زنيبر

**البدُور**، قبيلة تقع بناحية الهبط (إقليم العرائش) وتحيط بها قبائل امزورة، بداوة، بني گرفط، الخلط، عامر، وتقدر مساحتها بـ 45 كلم مربع، يتكلم سكانها باللهجة العربية الدارجة، ويوجد المركز الرئيسي للقبيلة بسوق اثنين سيدي اليمني، وتحتوي القبيلة على أحد عشر مدشراً وتسعة مساجد وثلاثة أضرحة وزاوية وعشرة كتاتيب قرآنية.

وفي التقسيم الاداري الحالي تكوّن هذه القبيلة مع قبائل امزورة وبداوة وعامر وجزء من قبيلة بني عروس جماعة قروية واحدة اسمها أربعاء عياشة.

*ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 51.
Aranda, Coronel ; Belazquez y Delgado, *Estudios geograficos* ; Comission historica, *Geografia* ; A. Domenech, *El Habt, Zona Norte* ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البدوي، أحمد** بن **أحمد** الشهير بزويتن فقيه وشيخ صوفي من أهل فاس، نشأ بها ودرس على كبار شيوخها أمثال الطيب ابن كيران وحمدون ابن الحاج وعبد السلام الأزمي، غير أنه لم يوغل في علم الظاهر، إذ لقي الشيخ الشهير العربي الدرقاوي عام 1215 / 1800 فسلك على يده طريق القوم ولازمه حتى صار من أقرب مريديه إليه.

وبالرغم على كثرة مريدي الشيخ العربي الدرقاوي من أبنائه وغيرهم، فإن أحمد البدوي عُرف بأنه "وارث سر الشيخ وخليفته من بعده" وأنه أدرك رتبة الغوثية. وبعد وفاة الشيخ الدرقاوي تكاثر أتباع أحمد البدوي فكوّن طريقة صوفية حملت اسمه "الطريقة البدوية"، وهي مقتبسة من الطريقة الدرقاوية وتعتبر فرعاً من فروعها. ويبدو أن الزوايا البدوية كانت تبالغ في الرقص والسماع أثناء عقد حلقات الذكر الأمر الذي أثار انتقاد بعض العلماء لها، فأشار الشيخ البدوي على تلميذه محمد العربي بن محمد الهاشمي المدغري بالرد عليهم، فألف في ذلك كتاباً عرّف فيه بشيخه البدوي إلى جانب الرد على المنتقدين. كما ألف في نفس الموضوع عبد الرحمن بن هاشم الحسني كتابا طويل العنوان "*المشرفي المسلول في إبطال دعوى كل جهول، لنصرة الفقير الآوي، إلى كهف الشيخ البدوي الدرقاوي، في الرد على من زعم بطلان طريقته من كل دعاوي*"، اشتمل على خمسة فصول كتب في الأول منها ترجمة مطولة لشيخه البدوي.

لم يكن لأحمد البدوي كثيرٌ من الأتباع بفاس ومكناس، وإنما انتشرت زواياه بالبادية في بلاد فركلة وغريس ومدغرة بتافيلالت، وبني حسن وغيرها من منطقة الغرب. وله رسائل صوفية كان يبعث بها إلى مريديه جمعت في مجموعتين : *الرسائل الكبرى* وتسمى أيضا *المناجاة الفردية الإلهية، في تبيين معالم الطريقة المحمدية* ؛ *والرسائل الصغرى*، وكلها ماتزال مخطوطة في الخزانات العامة والخاصة.

توفي أحمد البدوي بفاس في 13 ذي الحجة عام 1275 / 14 يوليوز 1859 ودفن بزاويته القريبة من دار سكناه برأس عقبة حومة گرنيز ـ السياج.

ج. الكتاني، *الشرب المحتضر*، 30 ؛ م. الكتانيُّ، *سلوة*، 1 : 260 - 262 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1275 ؛ عباس السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط، وفيه أن أحمد البدوي توفي يوم الأحد 23 قعدة 1274.

**البدوي، أحمد** بن **أحمد** السرايري الرباطي، الفقيه المدرس الخطيب المحاضر، عاش بمسقط رأسه الرباط يدرس للطلبة إلى أن توفي في ثامن وعشرين جمادى الأولى عام 1295 / 30 ماي 1878.

محمد حجي

**البدوي، أحمد** بن **علي** بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن اسماعيل بن عمر بن علي بن عثمان بن حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن علي بن محمد بن حسن بن جعفر بن علي الهادي بن محمد بن علي الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول الكريم ص، (*العظة*، 113).

انتقل أجداده إلى بلاد المغرب حوالي عام 692/73، في أعقاب الفتح الإسلامي، وحطوا الرحال بمدينة فاس بعد بنائها. وبهذه المدينة ولد أحمد البدوي في حي شهير يعرف باسم زقاق الحجر. ويحتمل أن يكون ذلك في سنة 596/1199.1200. (*دائرة*، 1 : 465). وكانت أحوال أحمد في نشأته وحداثة سنه غريبة عجيبة. فقد ذكروا أنه كان يلزم الصمت ولا يكلم الناس إلا بالإشارات، وأنه يظل أكثر أوقاته شاخصا بعينيه إلى السماء. (*الأدب*، 147). ويذكر أيضا أن ميوله نحو التصوف أخذت تظهر منذ ذلك الدور المبكر، حتى لقبه قومه في طفولته بالزاهد، كما يقال إنه لبس خرقة التصوف في فاس على يد الشيخ عبدالجليل النيسابوري. (*الجواهر*، 20).

وفي سنة 1206/603 غادر أحمد البدوي رفقة سائر أفراد أسرته مدينة فاس في اتجاه مكة، ولم يكن عمره آنذاك يتجاوز السابعة. (*دائرة*، 1 : 465). وفي طريقهم إلى الحجاز، نزلوا بمصر، حيث قضوا حوالي ثلاث سنوات، فلم يصلوا إلى مكة إلا سنة 1211/607. وفي هذه المدينة عاشت أسرة البدوي عيشة طيبة، إلى أن فجعت بوفاة الشريف الوالد علي سنة 1230/627، ثم أربعة من أبنائه، فلم يبق من أنيس لأحمد سوى شقيقه الأكبر الشريف حسن، الذي تولى رعايته (*الطرق الصوفية*، 163).

وقد اشتهر أحمد البدوي في مكة بالفروسية والفتوة، إلى جانب تضلعه في العلوم الفقهية، وخصوصا الفقه الشافعي (*دائرة*، 1 : 465). لكنه سرعان ما تجاوز كل ذلك، فاعتزل الناس وعكف على العبادة، متخذا مغارة في جبل أبي قبيس، قرب مكة لخلوته. (*الطرق*، 163). وفي حوالي سنة 1236/633، رحل عن مكة في اتجاه العراق، وعمره آنذاك حوالي الثامنة والثلاثين، فزار بيوتات العلم والتصوف، وأضرحة الأولياء والصوفية، وخصوصا منها أم عبيدة مركز الطريقة الرفاعية، ومقام الشيخ عبدالقادر الجيلاني ببغداد، وضريح أبي الفضائل عدي بن مسافر الهگاري، صاحب الطريقة العدوية، وضريح الحلاج. وفي السنة الموالية رحل أحمد البدوي إلى طنطا بمصر، واستقر بها، إلى أن وافته المنية سنة 1276/675 (*دائرة*، 1 : 466 ؛ *الطرق*، 166&168).

وقد أدت رحلته المفاجئة إلى طنطا بالبعض إلى القول بأن أحمد البدوي كان داعية للشيعة الفاطميين بمصر، وأنه انتحل صفة التصوف للتستر خشية بطش الأيوبيين به (*ضحى الإسلام*، 3 : 246) لكن المتفق عليه أن علاقة أحمد البدوي بحكام مصر كانت طيبة جدا، كما أن تصوفه لم يتضح في أي مكان أكثر مما اتضح ونضج في طنطا. (*دائرة*، 1 : 466) ومن أهم ما سجل عن حياته الصوفية في أعقاب نزوله بطنطا أنه كان يصعد إلى سطح البيت الذى سكنه ويرفع عينيه صوب الشمس حتى تحمر وتمرض وتصبح أشبه بالجمرتين المتقدتين. ويقال أيضا إنه كان تارة يطول صمته وتارة يتصل صراخه، وكان يواصل الصيام ما يقرب من الأربعين يوما، مع قيامه الليل في تلاوة القرآن. أما فيمايتعلق بحاله فقد قيل إن حضوره أكثر من غيابه (*دائرة*، 1 : 466 . 467). وقد أحرز أحمد البدوي في طنطا شهرة كبيرة حتى بذ سائر أوليائها، فاعترف له بالتقدم كثير منهم، بينما ضعف شأن خصومه، واضطروا إلى هجر البلدة. ومن ثم، لا غرابة إذا اعتبره الصوفية قطبا من الأقطاب، في مقام أحمد الرفاعي، وعبد القادر الجيلاني، وأبي الحسن الشاذلي.

ولعل أهم ما ميز أحمد البدوي، وأتباعه من بعده، ثلاثة أشياء :

أولا : الخرقة البدوية، وهي من صوف أحمر مع عمامة حمراء. قال البدوي يوصي خليفته عبدالعال :«يا عبد العال اعلم أني اخترت هذه الراية الحمراء... علامة لمن يمشي على طريقتنا». أما شروط حملها فقد لخصها الشيخ أحمد البدوي في قوله : من شروط (حملها) أن لا يكذب ولا يأتي بفاحشة، وأن يكون غاض البصر عن محارم الله تعالي طاهر الذيل عفيف النفس خائفا من الله تعالى عاملا بمتاب الله تعالى، ملازما للذكر دائم الفكر» (*الطرق*، 169).

ثانيا : الأوراد البدوية، ومن أهمها أوراد ما بعد الصلوات الخمس، والمسماة بالمفاتح، أو مفاتح الخير. وهي آية الكرسي، وسبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة، والحمد لله كذلك، والله أكبر كذلك أيضا، ولاإله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة، والاستغفار مائة مرة، والصلاة على النبي (ص) مائة مرة، وذكر الله ثلاثمائة مرة. وكذلك مداومة قراءة الفاتحة كل يوم مائة مرة على الدوام، هذا إلى جانب أوراد خاصة بكل يوم. (*الطرق*، 169).

ثالثا : ملازمة صوم يومي الاثنين والخميس، (*الطرق*، 169).

أما ما عدا ذلك، فإن الطريقة البدوية لا تختلف في شيء عن غيرها من الطرق الصوفية الملتزمة بالكتاب والسنة. وتسمى الطريقة البدوية بالسطوحية، كما يسمى أتباعها بالسطوحيين، لأن سيدي أحمد البدوي كان يجتمع بأصحابه فوق سطح المنزل (*الطرق*، 169) وللبدوية فروع عدة في سائر أنحاء العالم الاسلامي.

وأخيرا إن مقام أحمد البدوي مزارة شهيرة، وذكراه أعياد ومواسم، وجامعه هو المسجد الجامع لعاصمة وسط الدلتا (طنطا)، وباسمه أسس «المعهد الأحمدي» من أكبر وأعرق المعاهد الدينية للأزهر الشريف.

أ. م. حجاب، *العظة والاعتبار : آراء في حياة السيد البدوي الدنيوية وحياته البرزخية* ؛ ع. زين الدين، *الجواهر السنية في النسبة والكرامات الأحمدية* ؛ أ. أمين، *ضحى الاسلام* ؛ ع. صافي حسنين، *الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري، دراسة في الأدب المصري* ؛ *دائرة المعارف الاسلامية المعربة*، المجلد الأول، حرف ألف ؛ النجار عامر، *الطرق الصوفية في مصر*.

أحمد الوارث

**البدوي، أحمد بن محمد** السلوي، فقيه متمكن عاش طوال حياته بمدينة سلا يدرس ويفتي إلى أن أدركته الوفاة بها زوال يوم الاثنين ثالث وعشري شعبان عام 1182 / 2 يناير 1769.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1182.

محمد حجي

**البدوية**، طريقة صوفية متفرعة عن الطريقة الدرقاوية أسسها بفاس في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) الشيخ أحمد بن أحمد البدوي زويتن الفاسي من أبرز مريدي الشيخ العربي الدرقاوي. وهي طبعاً غير الطريقة البدوية الأحمدية المصرية الشهيرة. وقد عُرفت الطريقة البدوية الفاسية، منذ عهد الشيخ المؤسس، بالاكثار من الرقص والسماع في حلقات الذكر، الأمر الذي أثار استنكار الفقهاء، فقام فقيهان من شرفاء سجلماسة الحسنين، بطلب من الشيخ البدوي، بالرد على المنكرين وألفا كتابين بيّنا فيهما مزايا هذه الطريقة ومبادئها، وعرّفا بالشيخ البدوي وكراماته.

وقد أسس أتباع الشيخ أحمد البدوي في بلاد تافيلات وغيرها عدداً من الزوايا الفرعية. منهم محمد العربي بن عبد الرحمان بن هاشم المدغري صاحب زاويتي گاوز ورحمة الله بمدغرة، و مولاي عبدالملك صاحب زاوية إماسين بدادس، والعربي بن عبدالله الهواري صاحب الزاوية الجديدة بفركلة، وابنه علي في واد زيز الذي عارض دخول جيوش الغزو الفرنسي مع أنصاره ثم هادن الفرنسيين فحاربه من أجل ذلك المجاهد بلگاسم النگادي فأسروه في نونبر 1919 وقتلوه.

ومن تلاميذ البدوي كذلك الذين أصبحت لهم زوايا ببلادهم الصديق الگداري مؤسس زاوية فضل الله بتافيلالت، ومولاي أحمد أ لحسن مؤسس زاوية فضل الله بدويرات الصباح، وعلي العمري المراكشي المعروف بالشميط، وعلي أمهاوش، ومحمد العربي من تيزوگارين بين غريس وفركلة، ومحمد بن أحمد العلوي المدغري مؤسس زاوية بصفرو، ومحمد البزيوي، ومولاي أحمد العناية العلوي بسوس، ومحمد بن عبود بسلا. وكان مريدو هذه الزوايا يحملون الخمار الأخضر ذكرى للشيخ البدوي.

ع.ابن هاشم المدغري، *نصرة الفقير الآوي*، مخطوط. خ. ح. رقم 7785 ؛ ع، بنعبدالله، *الموسوعة*، 3.

D. Depont et X. Coppolani, *Les Confréries*, Rinn, *Marabouts et Khouan* ; G. Drague, *Esquisse*.

المالكي الملكي

**البديع** (قصر ـ) من المعالم التاريخية والأثرية المغربية الهامة وأعجوبة الزمان، بناه أحمد المنصور السعدي وخصصه للاستقبالات والحفلات العظيمة التي أراد بها إظهار عظمة ملكه وتخليد ذكره كقاهر للبرتغاليين في موقعة وادي المخازن وكمنافس للعظماء من ملوك زمانه. ولعل هذا الهدف كان هو الغالب في قرار المنصور على غيره، من كونه مثلا أراد ذكر أول دولة لآل البيت بالمغرب كما يوحي بذلك صاحب *مناهل الصفا*.

وقد اختار المنصور لتشيده الركن الشمالي الشرقي من قصبة مراكش، وكان موقع جنان موحدي قديم لم يُعتن به فأصبح شبه مكان قفر. وتحيط بقرار التشييد وباستقرار رأي المنصور على وقت إعطاء انطلاق الأشغال والبدء في الإنجاز أخبار وخرافات كثيرة أهمها أنه استشار عدداً من العلماء والعارفين والمنجمين وتبرك بهم واستنار بآرائهم. ومهما يكن فإن الأشغال بدأت حسب الإفراني في شهر شوال من سنة 986 / دجنبر 1578، أي خمسة أشهر فقط بعد انتصار وادي المخازن. لتنتهي بعد ستة عشر عاماً، أي سنة 1002 / 1593 ـ 1594. لكن الآراء في الحقيقة تتضارب حول تاريخ الانتهاء من الأشغال حيث إن الإفراني (*نزهة* ص 187) احتفظ بنص رسالة تبين أن المنصور كان لايزال في سنة 1602 يهتم ببناء بعض المرافق وتوقيف بعض الأعمدة، وهو ما حدى ببعض الدارسين إلى القول بأن الأشغال لم تنقطع طيلة حكم المنصور إلى وفاته سنة 1603 (*Marrakech*, p. 393).

وحول اسم البديع يظهر أن المنصور لم يبتدعه ابتداعاً. فإلى جانب كونه اسماً من أسماء الجلالة فقد كان له وجود سابق في قرطبة حيث كان يطلق على جناح من القصر الأموي وبمدينة بجاية الجزائرية حيث أطلق على جناح كان أحدثه الحماديون ورممه بعدهم الموحدون. لكن البديع السعدي فاق سابقيه في الحلة والزينة وجمع بين المسكن والجنان.

لم يبق قائماً من البديع اليوم سوى جدرانه الخارجية وبعض أجزاء بيوته، فلقد اندثر مجموع البنايات وأصبحت في خبر كان. ويظهر أن سبب هذا الاندثار لم يكن بفعل تأثير الزمان أو ضعف صلابة مادة البناء وإنما بتدخل الإنسان. ذلك أن السلطان المولى إسماعيل هو الذي أمر بهدمه. ولا يعرف الدافع الحقيقي لهذا الأمر. إلا أن كثيراً من مواد بناء البديع نقلت إلى مكناس وأدمجت في مرافق من القصبة الإسماعيلية التي شيدها هذا السلطان بعاصمة ملكه. وتروي المصادر في هدم البديع حكاية مفادها أن المنصور لما فرغ من تشييده نظم حفلا كبيراً رائعاً دعا إليه من أكابر القوم وأعيانهم نفراً كبيراً، وكان ممن دخل في غمار الناس رجل من البهاليل ممن كانت له شهرة بالصلاح في الوقت، فقال له المنصور مباسطاً :"كيف رأيت دارنا يا فلان ؟ فقال له " إذا هدمت كانت كدية كبيرة من التراب" (*الاستقصا*، 5 : 143). ويزيد الإفراني في ذلك ويقول :"وقد

ظهر مصداق ذلك على يد السلطان المظفر المولى إسماعيل ابن الشريف فإنه أمر بهدمه" ؛ إلى أن قال : "تأملت لفظ البديع فوجدت عدد نقط حروفه بحساب الجمل مائة وسبعة عشر، وهذا القدر هو الذي بقي فيه البديع قائما، فإنه فرغ منه سنة اثنتين وألف، وشرع في هدمه سنة تسع عشرة ومائة وألف، فمدة عمره مائة وسبع عشرة سنة على عدد اسمه". (نزهة، ص. 102 ـ 103).

قصر البديع : التصميم العام
( انجاز مفتشية المباني التاريخية بمراكش سنة 1955 )

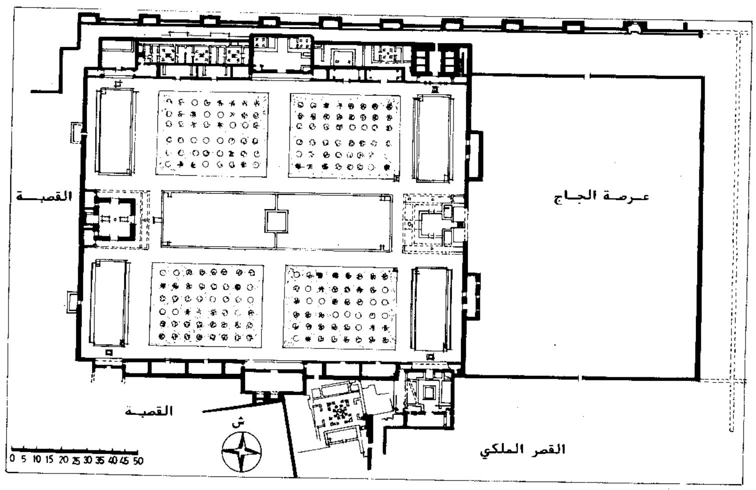


ولكون معظم مكوناته لم تصل إلينا، فإنه من الصعب وصف البديع وصفاً معمارياً دقيقاً. ولا يمكن في غياب البنايات ومرافقها الاتكال كليا على الأوصاف المعاصرة له لعدم دقتها ولاهتمام أصحابها بجوانب من القصر دون أخرى. فالإفراني مثلا لم يول اهتمامه لوصف القصر ومكوناته مثلما أولاه لمحتوياته من النصوص الشعرية والنثرية المنقوشة على الجص والخشب والزليج، ولا نجد عند الفشتالي ولا عند غيره ما يعوض هذا النقص. أما ما خلفه الأجانب فمثل ذلك أو أكثر، وأهم ما هو معروف اليوم من هذه الكتابات الأجنبية نص برتغالي معزز بتصميم عام من سنة 1585 م للقس فرانسيسكو دي سان خوان (P. Fransisco de S. Juan del Porto) وتصميم للأنجليزي ويندوس (Windus) يعود لسنة 1727. على أن هذه النصوص والوثائق تبقى هامة وتساعد على تكوين فكرة عما كانت عليه هذه المنشأة الضخمة.

وأهم ما يسترعي الانتباه، لأول وهلة، في تصميم البديع، التوازن الكبير الذي يطبعه والذي يوحي بأنه إنجاز مدروس في أقصى جزئياته. ونظراً لما تتسم به مكوناته من تشابه واضح مع قصر غرناطة، فإن بعضهم ذهب إلى الاعتقاد أنه إنجاز من وضع مهندس أو مهندسين أندلسيين.

ومهما يكن فإن ما هو مؤكد أن المنصور استعمل في إنجاز مشروعه العمال والصناع والفنانين من المغرب ومن خارجه، "وحشد له الصناع حتى من بلاد الأفرنجة، فكان يجتمع كل يوم فيه من أرباب الصنائع ومهرة الحكماء خلق عظيم حتى كان ببابه سوق عظيم يقصده التجار ببضائعهم ونفائس أعلاقهم، وجلب له الرخام من بلاد الروم..." (*الاستقصا*، 5 : 135).

شُيد البديع فوق مساحة مستطيلة الشكل وليست مربعة كما جاء بذلك بعض المؤرخين أمثال الناصري وغيره. وتتوسط بناياته ساحة مكشوفة طولها 135 مترا، وعرضها 110 أمتار ؛ في وسط هذه الساحة صهريج كبير مستطيل طوله 90,40 مترا وعرضه 21,70 متراً تتوسطه بدوره نافورة فخمة، وتحده من جانبيه الكبيرين مساحتان مغروستان تنخفضان عن مستوى الصهريج ببضع عشرات من السنتيمات. وفي كل زاوية من زوايا الساحة الأربع نجد صهريجا مستطيلا صغيراً، كسيت أرضيته بقطع الزليج الملون، ويُنزل إليه بسلم من ثلاث درجات. وبين صهريجي كل جانب قبة عظيمة فاخرة تشرف على الصهريج الكبير. ولاتزال أجزاء من جدران القبة الغربية قائمة إلى اليوم بينما إندثرت القبة الشرقية كلية، وقد أبانت الحفريات الأثرية التي أجريت داخل القصر في الخمسينات عن أسسها

الأرضية ليتضح تصميمها المطابق لتصميم أختها المقابلة لها. وقد كانت كل واحدة من هاتين القبتين مربعة الشكل (15 متر x 15 متر) ومغطاة بسقف من أربع انحدارات تحمله اثنتا عشرة سارية وهو نفس عدد سواري القاعة الكبرى من ضريح الملوك السعديين بمراكش نفسها. أما أرضيتهما فكانتا من زليج ويتوسط كل واحدة صهريج ماء صغير بينما تحيط بها من الخارج أروقة مغطاة.

أما وسط الضلعين الكبيرين من الساحة فشيدت فيه قبتان أخريان أكبر من السابقتين إذ تحتل كل واحدة منهما مساحة 345 متر$^2$ في شكل مستطيل طوله 23 متراً وعرضه 15 متراً.

ولعل أعظم القباب وأفخمها على الإطلاق القبة الخمسينية ـ وقد سميت كذلك "لأن فيها خمسين ذراعا بالعمل" (*الاستقصا*، 5 : 136) ـ التي كانت تحتل الجانب الشرقي من القصر، قريبا من بابه الرئيسي. وقد كانت جدرانها الخارجية والداخلية حاملة لأشعار رقيقة وكثيرة تجعلها تفتخر بزينتها ورونقها، منها قول أبي فارس عبد العزيز الفشتالي على لسان القبة وقد نقش خارجها :

سموت فخر البدر دوني وانحطا وأصبح قرص الشمس في أذني قرطا
وضعت من الإكليل تاجا لمفرقي ونيطت بي الجوزاء في عنقي سمطا

وقوله مما نقش داخلها :

جمال بدائعي سحر العيونا ورونق منظري بهر الجفونا
وقد حسنت بقوسي واستطارت سنا يغشى عيون الناظرينا

وقد كان لكل قبة اسم يميزها عن غيرها، فهناك قبة الذهب، وقبة الزجاج (وقد استنتج دوفردان أن كلا الاسمين يطلقان على نفس القبة وهي تلك التي كانت تتوسط الضلع الأصغر الشرقي من الساحة). وقبة الخَيْزران (وهو اسم إحدى نساء المنصور ولعلها أم ولديه الشيخ وأبي فارس) والقبة الخضراء، التي يرجح أن تكون هي تلك التي لاتزال جدرانها قائمة بالجهة الشمالية.

ومما يلاحظ في مرافق القصر غياب مسجد أو قاعة للصلاة، وهو ما يؤكد أن البديع لم يكن قصر إقامة بقدر ما كان قصر استقبالات واحتفالات واستمتاع.

م. الإفراني، *نزهة*، ط. ح. فاس، 1307 هـ ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء الخامس.

G. Aimel, *Le Palais d'el-bédi' à Marrakech et le Mausolée des chorfa saadiens*, *A. B.*, III, Rabat, 1918 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1966 ; J. Goulven, *Une ambassade portugaise à la cour de Marrakech au XVIIè S.*, *France - Maroc*, 1924 ; G. Marcais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954.

عبدالعزيز توري

**بَدِيَّة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وما زالت هناك أُسر إسبانية تحمل نفس الاسم Padilla. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1728/1140.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**براءة**، كلمة دخلت إلى العامية المغربية، فخففت من الهمزة والتاء إذا لم تكن مضافة، فأصبحت صيغتها بْرَا. وإذا أضيفت ظهرت تاء التأنيث بها، فتقول : براتي، براتك، براة علي. وتجمع على براوات، وتستعمل مصغرة بصيغة بْرِيّة. وهي الكلمة الأكثر استعمالا عند المغاربة للدلالة على الرسالة والخطاب الموجه.

وهي مأخوذة من الكلمة الفصيحة براءة المستعملة في القرآن في مستهل سورة التوبة التي تبتدئ هكذا :« براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين». فهي هنا تحمل، أيضا، معنى الخطاب الموجه والرسالة. إلا أنها في الاستعمال القرآني لا تعني أي رسالة كيفما كان نوعها. بل تعني الخطاب الذي فيه إعذار وإنذار، كما ورد في *لسان العرب*. وفسرها ابن عطية في *المحرر الوجيز* بكونها خطابا يدل على التخلص والتبرؤ من العهود التي كانت بين المسلمين وبين الكفار البادئين بالنقض. وإلى هذا المعنى ذهب ابن العربي في *أحكام القرآن*.

أما رشيد رضا، فإنه يذكر في *تفسير المنار*(10 : 250) أن البراءة مشتقة من برئ كتعب وأن معنى آية براءة :«هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتهم من المشركين، كما تقول هذا كتاب من فلان إلى فلان».

لكن الاستعمال العامي في المغرب لم يحتفظ لها بمعنى التبرؤ والإنذار، بل أطلقها على الرسالة بوجه عام، كيفما كان نوعها. فتستعمل في معنى التبرؤ في التعبير الذي يدل على الطلاق :«وجه للمرأة براتها » أي الإنذار بالطلاق. وتستعمل في معنى المجاملة، فتقول :«وجهت لصديقي برا أدعوه لزيارتي».

معاجم لغوية، تفاسير القرآن على اختلافها.

محمد زنيبر

**برابرة الدولة**، مصطلح يطلق على بعض قبائل الأطلس المتوسط التي أصبحت تشكل انطلاقاً من القرن السابع عشر حليفاً استراتيجيا للدولة وعنصراً أساسياً من عناصر التوازن السياسي والعسكري بالبلاد. وهذه القبائل هي أيت إدراسن وگروان وأيت زمور وبني حكم، وكلها تنتمي إلى منطقة رأس ملوية التي تعتبر موطنها الأصلي. وعندما يطلق على هذه القبائل تسمية «برابرة الدولة» فإن الدولة المقصودة هي الدولة العلوية التي اتخذت من هذه القبائل حلفاء تعتمد عليهم. لكن يظهر أن أول دولة ارتبط بها هؤلاء البرابرة هم الدلائيون الذين كانوا متمركزين في السفح الشمالي ـ الغربي لجبال فزاز أو الأطلس المتوسط. فالقبائل التي أسكنها محمد الحاج الدلائي (ت. 1082/ 1671) بعاصمته هي تقريبا نفس القبائل التي أصبحت مرتبطة فيما بعد بالدولة العلوية، وهي، كما عددها محمد حجي : مجّاط وأيت إمُور وأيت نضير (أو بني مطير، الذين كانوا يمثلون محور اتحادية أيت إدراسن) وگروان. وباختفاء الإمارة الدلائية لم يجد العلويون بُداً من التعامل

مع قاعدتها البشرية التي بقيت في منطقة بالغة الأهمية وذلك لعدة اعتبارات. تأتي في مقدمة هذه الاعتبارات أنه أصبح من الصعب حصر هذه القبائل في المناطق الجبلية بعد أن ألفت حياة الترحال بالدير والمناطق المنخفضة. ثم إن هذه القبائل كانت تسكن منطقة شديدة الحساسية نظرا لماضيها الدلائي. وقد ظهر جلياً للمولى إسماعيل، على سبيل المثال، أن احتمالات التمرد بالمنطقة بقيت قائمة حتى بعد تدمير الزاوية الدلائية وإبعاد أهلها. أضف إلى ذلك أن مجال هذه القبائل كان يخترقه الطريق المخزني الهام الذي يربط فاس ومنطقة الغرب بتافيلالت والمناطق الصحراوية. لذلك فإن كسب هذه القبائل، أو بعضها على الأقل، لجانب الدولة أصبح ركناً أساسياً من أركان السياسة القبلية للمولى إسماعيل وعنصراً مكملاً لنظامه العسكري الذي كان من بين مراميه الأساسية حصر القبائل الصنهاجية في جبالها.

كان للحلف الذي جمع هذه القبائل بالدولة بعدٌ آخر يتمثل في التناقضات الداخلية لقبائل الأطلس بصفة عامة. وتدور هذه التناقضات أساساً حول استغلال المجال الصالح للرعي والزراعة. فقبائل الجبل مثل أيت أُمالو كانت تمارس ضغوطا قوية على قبائل دير الأطلس وتحاول دفعها للنزول أكثر نحو الأراضي الواطئة، خاصة في فصل الشتاء عندما تغطّي الثلوج المراعي في الجبال والمرتفعات. ويُشير أبو القاسم الزياني بشكل واضح إلى هذا التناقض الحاصل بين برابرة الدولة (أو «برابرة الوطا» كما يسميهم الضعيف) وبرابرة الجبل: «إن بني مطير وأيت إدراسن وگروان وزمور وإمّور وحكم هم برابرة الدولة وتحت قهرها وغلبتها، ولهؤلاء أيت أُمالو غلبة عليهم وقهر لهم من قديم الزمان، وفي كل عام يغيرون عليهم في رحلة الشتاء والصيف ويطردونهم من بلادهم إلى أن كادوا أن يستولوا على جميعها».

إن أهم ما يميز سياسة المولى إسماعيل تجاه قبائل الأطلس المتوسط هو تصميمه على حصر هذه القبائل في مواطنها ومنعها من النزول إلى السهل. ومن أجل ذلك بنى سلسلة من الحصون على امتداد دير الأطلس المتوسط وأسكن بها حاميات من جيش العبيد لتكون سداً منيعاً في وجه القبائل الأطلسية. لكن المولى إسماعيل لم يعتمد فقط على خطة الحصار العسكري بل حاول إشراك القبائل المحلية في المحافظة على الاستقرار بالمنطقة. وهكذا كلف أيت إمور برئاسة قائدها علي أُبركة بمراقبة منطقة تادلا والتصدي لأيت أُمالو. وأصبحت قبائل زمور كذلك ضمن حلفاء المخزن خاصة بعد أن أسند المولى إسماعيل قيادة البربر كلّهم لرئيس زمور علي ويشّي الذي كلف على وجه الخصوص بردع گروان، وكان هؤلاء في ذلك العهد ما زالوا يتنقلون بين رأس ملوية ووادي زيز. ومع أيت إدراسن عقد المولى إسماعيل اتفاقاً من نوع خاص حيث جردهم من الخيل والسلاح ودفع لهم في المقابل الآلاف من رؤوس الماشية لرعيها.

ومع وفاة المولى إسماعيل «خرجت البربر من أقمامها» كما يقول الزياني، واشتغلوا بشراء الخيل والسلاح من جديد. وبعد أن ضعف أمر الدولة وخلت الحصون الأطلسية من جندها لم يعد هناك ما يمنع قبائل فزاز من النزول إلى الدّير وما وراء الدّير من الأراضي المنخفضة. فنزلت أيت إمور إلى بسيط تادلا واندفعت گروان وأيت إدراسن باتجاه الشمال الغربي لتصل إلى مشارف الدير المُطل على فاس ومكناس. وبما أن المولى عبدالله 1757.1729 كان عاجزاً عن احتواء توسع هذه القبائل وحصرها في مواطنها فقد أصبح ملزماً بالتعامل معها، بل إنه وجد فيها قوة عسكرية وظفها بدهاء لكسر شوكة جيش العبيد والحد من طغيانه. والواقع أن سياسة المولى عبدالله في مواجهة الأزمة الداخلية كانت تعتمد على «مصادمة الكبش الأبيض (البربر) بالتيس الأسود (العبيد)» حسب مقولة منسوبة إلى هذا السلطان. وقد حاول المولى عبدالله أن يبني تحالفاً يجمع بين «أخواله» الأوداية وقبائل أيت إدراسن وگروان، وبفضل هذا التحالف استطاع أن يقضي على أهم خصومه وأن يثبت سلطته في البلاد.

ولما وصل سيدي محمد بن عبدالله إلى الحكم في سنة 1757 استمر في الاعتماد على برابرة الدولة، وعلى قبائل أيت إدراسن بصفة خاصة «إذ هم شيعة أبيه». ويقول الزياني إن سيدي محمد أنزل هؤلاء بأحواز مكناسة وولى عليهم رئيسهم محمد وعزيز المطيري الذي أصبح بمثابة عامل المخزن على القبائل الأطلسية كلها. كما استمر هذا السلطان في الاعتماد على قبيلة أيت إمور التي نقلها من تادلا إلى ناحية زرهون حتى تكون له سنداً في حفظ الأمن بالمنطقة. ومما لا شك فيه أن مجموعة أيت إدراسن أصبحت تشكل أهم قوة قبلية اعتمد عليها المخزن خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، والدليل على ذلك، الدور الحاسم الذي لعبته هذه الإتحادية في مبايعة المولى سليمان سنة 1792 ثم في مساعدته على تمهيد البلاد.

وإذا كان المولى سليمان قد استفاد من قوة أيت إدراسن في إخضاع البلاد وتوحيدها تحت سلطته فإنه كان يفتقر إلى سياسة منسجمة تسمح له بدعم حليف هام للدولة وتوظيف هذا الحليف كقوة عازلة بين المخزن وبرابرة الجبل. وهكذا يمكن القول إن هذا السلطان بشنه الحملات التأديبية ضد بعض القبائل مثل گروان وأيت إدراسن، وإحجامه عن مؤازرتها في مواجهة أيت أُمالو وحلفائهم قد ساهم في إضعاف جبهة برابرة الدولة وفتح الباب لاحتمالات المواجهة المباشرة مع برابرة الجبل المنضوين تحت لواء أبي بكر أمهاوش. وظهرت الآثار السلبية لهذه السياسة في وقعة آزرو 1811 ووقعة زيان 1819 التي شهدت انهيار برابرة الدولة كقوة حليفة للمخزن.

وبموازاة ذلك شهد برابرة الدولة تغيرات داخلية كان أهمها أُفول نجم أيت إدراسن كأهم قوة بشرية وعسكرية، خاصة بعد هزيمتهم ومقتل رئيسهم محمد بن محمد وعزيز

سنة 1814. وبتفكك اتحادية أيت إدراسن خلال الربع الأول من القرن الماضي ظهرت اتحادية زمور كقوة بديلة تصدرت جبهة برابرة الدولة خلال معظم القرن التاسع عشر.

أ. الزياني، *الترجمانة الكبرى* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج : 7 و8 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*.

M. El Mansour, *Morocco in the Reign of Mawlay Sulayman*, Cambridgeshire, 1990.

محمد المنصور

**بْـرَابُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bravo، ومعناه الشجاع، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1677/1088 على إثر الوباء الذي قضى على عدد كبير من سكان المدينة.

Delegacion, *Familias Ilustres* ; Isidoro, *Familias ; Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البرابيش**، من أعراب بني معقل المستقرين في الصحراء الغربية قبل منتصف القرن العاشر (16 م)، وكانوا يشكلون آنذاك فخذاً من الأفخاذ السبعة المكونة لبطن أولاد حسن، وهي دليم، والبرابيش، والأوداية، والرحامنة، واحمر، وذوي عبد الله.

كان البرابيش يعيشون في الصحراء على الترحال وتربية الإبل معتمدين في تغذيتهم على ألبان النوق، بعكس فخذي الرحامنة وأولاد احمر المجاورين لهم اللذين كانا يتوفران على القمح واللحوم والعسل.

كان البرابيش في الصحراء يتوفرون على أزيد من خمسين ألف محارب من بينهم سبعمائة فارس. وبدؤوا ينزحون تدريجياً نحو الشمال منذ القرن العاشر فاستقروا شمال مراكش في المجال الحوزي الذي سبق أن استوطنه بنو عمهم الرحامنة الذين هاجروا مبكراً حيث قدموا من السوس الأقصى في ركاب الأشراف السعديين. بعد أن كان البرابيش في الصحراء يشتركون مع الرحامنة في الانحدار من بطن أولاد حسن انصهروا تدريجيا بعد هجرتهم إلى الحوز داخل مجموعة الرحامنة فأصبحوا يشكلون خُمسا من أخماس القبيلة. وينقسم هؤلاء البرابيش إلى ثلاث فرق : برابيش بني حسن، وبرابيش الجعافرة، وبرابيش أولاد عبد الله.

ك. مارمول، *افريقيا*، الترجمة العربية، 1 : 106 . 107 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 1 : 153.

E. Doutté, *Marrakech*, Comité du Maroc, Paris, 1905, p. 392; V. Fernandes, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal 1506 - 1507*, tr. De Cenival, Paris, 1938, p 69.

عبد الرزاق الصديقي

**بْـرَاد أحمد أوعلا**. ولد سنة 1910 بتزمورت، بأيت اعمر، است لحسن، ناحية إموزار مرموشة بإقليم بولمان.

انخرط في صفوف جيش التحرير، وعمل ضمن الوحدة التي كانت تحت مسؤولية إلياس ميمون أ ُعقى منذ 20 غشت 1953 إلى ثاني أكتوبر 1955 حيث شارك في الهجوم على دار حارس المياه والغابات بمرموشة فسقط شهيداً.

*شهداء الاستقلال*، ح : 2.

عزالدين العلام

**البرادعيين** (بـاب ـ) أحد أبواب مدينة مكناس الشهيرة، التي كان يتجمع بها صناع «البرادع» الخاصة بالبهائم. ولا يعادل شهرة هذه الباب سوى باب منصور العلج المعروف عالميا كرمز أو شعار لمكناس.

يقع هذا الباب شمال المدينة، ويُطل على حوائر مكناس القديمة، وجاءت الإشارة إلى هذا الباب عند ابن غازي في *الروض الهتون* حيث قال :«... وتاورا أقرب الحوائر إلى المدينة من جهة باب البرادعيين...» ووردت إشارة أخرى لنفس المؤلف في نفس الكتاب لهذا الباب حينما تحدث عن أبواب مكناس الستة :«... وللمدينة ستة أبواب، باب البرادعيين وباب المشاورين ... وباب عيسى وباب القلعة... وباب أقورج وباب دردورة.

لم نتمكن من العثور على تاريخ بناء باب البرادعيين بالتدقيق، لكن من خلال الإشارات السالفة، إضافة إلى ما ذكره الأستاذ محمد المنوني في دراسته المعنونة *بالتخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور* (*الثقافة الجديدة*، 7 : 1972) تبين أن هذا الباب مرابطي التأسيس، وليس هو الباب الشاهق البنيان الذي يحيط به برجان مرتفعان، ولكن المقصود الباب المؤدي إلى حومة جناح الأمان يمين الداخل من باب البرادعيين المعروف عند ابن زيدان (*الإتحاف*، 1 : 170) بباب البرادعيين القديمة التي يربطها سور بباب البرادعيين الجديدة. وأمام هذا السور قصبة تيزيمي الكبرى. وجعل ابن زيدان موقع هذا الباب غرب المدينة، ونقل عنه عبدالوهاب بنمنصور نفس الخطإ عند تحقيقه للروض الهتون، وهو توطين غير صحيح. وجاء في *الإتحاف* (1 : 226) : فأما باب البرادعيين فموقعه قديما وحديثا في الجانب الغربي للمدينة... وهو باب في غاية الارتفاع والسعة والإتقان وإحكام البناء يكتنفه برجان..." والواقع أن الباب يقع شمال المدينة ـ كما سبقت الإشارة ـ ومنه نخرج لضريح مولاي عبدالله بن حَمد الذي تجاوره مقبرة الشهداء التي هي جزء من المقبرة الكبرى التي بها ضريح الشيخ الكامل محمد بن عيسى الولي الشهير الذي تنسب إليه الطريقة العيساوية.

إن الباب الذي يقصده ابن زيدان في النص السابق يرجع بناؤه إلى السلطان مولاي إسماعيل، وهو ما يمكن تسميته بالباب البراني ذي الثمانية عشر قوسا، وكانت بداية بنائه سنة 85 ـ 1686 ونهايته عام 1695 ولم يبق منه سوى خمسة أقواس فقط لأن الباقي زحلق على حد تعبير ابن زيدان، وذلك زمن السلطان سيدي محمد بن عبدالله 1757 ـ 1790، وأشار ابن زيدان لهذا التزحلق لما قال: "وأما الأقواس الثمانية عشر فمنها ما هو قائم العين والأثر حتى الآن ومنها ما هُدَّ وبقيت أساطين أو بعضها شاهدة له."

وأسس في عهد المولى إسماعيل المسجد الذي ينسب لباب البرادعيين، وأسند مهمة بنائه لوزيره علي بن يشّو ذلك عام 1709 كما هو مرسوم بخشب باب مقصورة المنبر، وجدد هذا المسجد السلطان سيدي محمد بن عبدالله.

بو. بوعسرية، *أحداث بوفكران بمكناس فاتح وثاني سبتمبر 1937*، ر.د.د.ع، الرباط.

بوشتى بوعسرية

**البَرّادُو** أو البَرّدْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Prado أو هكذا Prada وهو اسم تحمله عدة قرى بإسبانيا، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ سنة 1746/1159.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البرازيل** والمغرب، ترجع العلاقات السياسية بين المغرب والبرازيل إلى منتصف القرن التاسع عشر. حيث كانت للبرازيل قنصلية في طنجة استمرت من 1861 إلى 1929. واستؤنفت العلاقات الثنائية بعد استعادة المغرب لسيادته الخارجية.

وبين المغرب والبرازيل صلات غير مباشرة ترجع إلى أن المستوطنين الأوربيين الأوائل ينحدرون من أصل برتغالي، وصلات مباشرة ترجع إلى هجرة يهود من تطوان وطنجة إلى البرازيل، وإلى نشاط قنصلية البرازيل بطنجة في مجال منح الحماية لبعض المواطنين المغاربة. وكذلك هجرة البرتغاليين المستوطنين لمازاغان (الجديدة بعد تحريرها) إلى ولاية أمابّا Amapa، ومن جراء هذا وذاك توجد في لغة البرازيليين وعاداتهم بعض مؤثرات مغربية.

إن العلاقات المغربية البرازيلية هي أقدم علاقات سياسية للبرازيل مع العالم العربي وافريقيا. وعلى عكس ما كان يتردد من قبل في الادبيات المغربية والبرازيلية من أن العلاقات الثنائية قد بدأت في 1906، فإنها بدأت في العقد السادس من القرن التاسع عشر.

وتوجد في المكتبة الوطنية في ريو دي جَانيرو رسالة موجهة من وزير خارجية مولاي سليمان محمد بن عثمان إلى رودريغو كوتينيو (وزير خارجية ضون جواو السادس) الذي أصبح فيما بعد أول وزير خارجية للبرازيل بعد إعلان استقلالها. وكان ضون جواو السادس قد نقل البلاط البرتغالي من لشبونة إلى ريو دي جانيرو لدى احتلال البرتغال من لدن فرنسا بتاريخ 1798/5/26. وواضح أنها من وثائق البلاط البرتغالي التي لم ترجع إلى لشبونة.

وفي مديرية الوثائق الملكية بالرباط رسالة من مولاي العباس، بوصفه خليفة لأخيه محمد الرابع بتاريخ 16 ذي الحجة 1277 (موافق 6 يونيو 1861) موجهة إلى الامبراطور ضوم بيدور الثاني، ثاني ملك مستقل لبرازيل، يشكره فيها الأمير المغربي على إهدائه مدفعا، ويهنئه بسلامة من نجا من بحارة السفينة البحرية (إيزابيل) التي حرثت بساحل طنجة قرب رأس اسبارطيل في 1860/11/11.

وورد في كتاب *Catastrophe da Ceorete* D. Izabel الذي ألفه A. J. Victorino De Barros (*طبعة ريو دي جانيرو 1861*) وصف مسهب لتلك الفاجعة. وذكر المؤلف نقلا عن الناجين من الحادث أن ثلاثين بحارا من ضحايا الحادث دفنوا بالأرض المغربية. وأما من نجوا فقد هاموا على وجوههم إلى أن قادهم الناس إلى خيمة مولاي العباس الذي كان في طنجة قائما على تصفية آثار حرب تطوان 1860.59. فأحسن معاملتهم وأشرف على ترحيلهم بمساعدة وزير بريطانيا في طنجة آنئذ السير درا موند هاي إلى جبل طارق ومنها إلى لشبونة فريو دي جانيرو.

وفي تقرير للحكومة الامبراطورية أمام المجلس التشريعي في ريو دي جانيرو أن الإمبراطور ضوم بيدرو الثاني، وجه رسالة شكر إلى مولاي العباس ورد عليها الخليفة السلطاني برسالة هي التي أومأنا إلى أنها موجودة في مديرية الوثائق.

ولعل هذه الحادثة هي التي أدت إلى فتح قنصلية للبرازيل في طنجة. ويشير الأستاذ مصطفى بوشعراء في كتابه : *الاستيطان والحماية بالمغرب* إلى وجود محفظة برازيلية استقى من الوثائق التي تتضمنها، المعلومات التي أوردها عن المحميين البرازيليين في المغرب. ووقفت في سجلات وزارة الخارجية البرازيلية على ست عشرة محفظة تتضمن مراسلات القنصلية المذكورة التي عملت ثمانا وستين سنة.

وتتضمن هذه الوثائق معلومات عن نشاط هذه القنصلية في ميدان منح الحمايات. وأورد أبو شعراء في إحصائه أن عدد المحميين البرازيليين وصل فيما بين 1863 و1900 إلى مائة وخمسين منهم ثمانية وعشرون مسلمون والباقي يهود، مما يمثل 9،19٪ من مجموع المحميين من لدن دول أجنبية في الفترة المذكورة. ويبدو أن الدستور البرازيلي الليبرالي والاستفادة المالية الشخصية للقناصل الذين مثلوا البرازيل، ساعدا على أن تكون البرازيل سخية في منح حمايتها لبعض المغاربة. وقد هيمن التباس رئيسي على هذه المسألة، إذ كانت البرازيل تعتبر أن المحميين يحملون جنسيتها. ولم يكن المسؤولون المغاربة إذ ذاك حسبما يبدو من الوثائق القنصلية يفرقون بين الحماية والتجنس.

ونشأ من جراء ذلك سوء تفاهم بين الحكومتين المغربية والبرازيلية، إذ أن السلطات المغربية كانت عملا بمبدأ عدم سقوط الجنسية المغربية عن المغربي المتجنس بجنسية أخرى، تحرص على إخضاع المحميين، للقوانين المغربية حالما وجدوا في التراب المغربي. وأشارت المراسلات القنصلية البرازيلية إلى أن الحكومة البرازيلية كانت بصدد القيام بمسعى تشريعي لدى برلمان بلادها وصولا إلى إيجاد حل لهذه المسألة.

وتناولت الوثائق القنصلية المشار إليها تقارير سياسية عن أحوال المغرب، وعلاقاته مع بعض الدول خاصة إسبانيا وفرنسا. ويستفاد من هذه الوثائق ومما عند بوشعراء أنه

كان للبرازيل ممثلون قنصليون في كل من طنجة والرباط والدارالبيضاء والجديدة وأسفي.

وكان لفتح قنصلية للبرازيل بطنجة، ونتائج حرب تطوان التي انحاز فيها يهود المدينة إلى جيش الاحتلال، الأثر المباشر في حمل العديد من عائلات تطوان وطنجة اليهودية على الهجرة إلى البرازيل التي تميز دستورها بحرية التدين منذ إعلان الملك ضوم جواو السادس منع قيام محاكم التفتيش في البرازيل في 1810. ومع ذلك فإن اليهود المغاربة المهاجرين إلى البرازيل تلافوا العواصم الكبرى مثل باهيا العاصمة الأولى، وريو دي جانيرو، واستوطنوا في أقاليم الشمال مثل پارا وأمازوناص بعيدا عن تأثير الكنيسة الكاثوليكية الذي ظل جد قوي. وكان هناك سبب آخر وهو أن المنطقة كانت تتجاوز طور المطاط وهي زراعة صناعية خلفت ازدهاراً كبيراً، وكانت في حاجة إلى مسيرين لهم حظ من التكوين. وكان المهاجرون من تطوان وطنجة لا يقل مستواهم التعليمي عن الابتدائي بفضل مدارس الأليانسا الإسرائيلية في موطنهم الأصلي. وعلى يد هؤلاء نشأت محلات تجارية ومؤسسات صناعية. وألف أحدهم وهو الجنرال أبراهام بينطيس، أبوه من طنجة، ثلاثة كتب عن مساهمة اليهود المغاربة في صنع نهضة البرازيل. وقال إن الهجرة لم تكن لأسباب دينية أو سياسية بل للبحث عن الارتقاء الاقتصادي. ونال هذا الضابط وسام العرش من درجة ضابط في 1890. وكان قبل وفاته يرأس الجمعية الخيرية لليهود المغاربة في ريو دي جانيرو وهناك مثلها في بيلين بولاية پارا وأخرى في ماناوس بولاية أمازوناص. ولهم معابد خاصة بهم. ويرتبطون عاطفيا وثقافيا بموطنهم الأصلي متميزين عن اليهود الاشكنازيين.

ويعزى إلى العلاقات القنصلية المغربية البرازيلية وإلى مسألة الهجرة المتقدم ذكرها تردد اسم البرازيل إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية في الوقائع المغربية أكثر من غيرها من دول العالم الجديد. ويذكر عبدالهادي التازي في كتابه عن *الرموز السرية في المراسلات المغربية* أن البرازيل كان رمزها في المراسلات الرسمية المغربية هو 399 ومدينة ريو دي جانيرو هو 400.

وقد سعى المغرب إلى إشراك البرازيل في مؤتمر مدريد 1880 رغبة منه في ألا تنفرد بالكلمة في الدول التي تمارس عليه الضغط. وكانت الدبلوماسية المغربية تتطلع - على عكس ما آل إليه الأمر فيما بعد - إلى أن يتم في ذلك المؤتمر الحد من التجاوزات الخاصة في ميدان الحمايات. ووسّط المغرب بريطانيا لإقناع البرازيل بالاشتراك في مؤتمر مدريد، ووعد المستشار البرازيلي موريرا دي بارس بالمشاركة إلا أنه أحجم عن ذلك تلافيا للاحتكاك مع ذوي المصالح من الأوربيين.

وهناك عنصر آخر دخل في نسيج العلاقات البرازيلية المغربية وهو هجرة البرتغاليين الذين كانوا يستوطنون الجديدة قبل تحريرها، إلى أقصى الشمال البرازيلي في ولاية أماپا التي يخترقها خط الاستواء. وكان هؤلاء قد وقع ترحيلهم جماعيا إلى البرتغال بعد تحرير الجديدة في عام 1768. ولكنهم ظلوا مستائين من ذلك. فقر عزمهم على الارتحال إلى أماپا وهناك أسسوا في 1770 مدينة خاصة بهم سموها "مازاغان" وهو الاسم القديم للجديدة. وهي تقع على نهر نُوتُواَكا Nutuaca قريبا من مدينة ماكاپا عاصمة الولاية. وكانوا في البداية نحوا من ثلاثمائة وستين عائلة. وما زال سكان مازاغان حتى الساعة يتكونون من أحفاد المؤسسين. وهو يقيمون احتفالا سنويا يمتزج فيه الفلكلور بالعاطفة الدينية يشخصون فيه المعارك التي جرت في الجديدة.

وإلى جانب هذا وذاك فإنه قد تسربت إلى البرازيل ملامح من مؤثرات مغربية كقولهم - كما في كلام البرتغاليين - عن القنينة «غراف» وهي لفظة عربية لا يستعملها عربُ المشرق للدلالة على الإناء الذي يحوي الماء. ومنها اشتقوا كلمة اينغارافامينطو أي اختناق السير ونحوه. وهناك أيضا كلمة «الزليج» المأخوذة عن المغرب بينما تستعمل في باقي الأقطار العربية لفظة الفسيفساء. وكذلك لفظة «الواد» بمعنى النهر. وكلمة «طانجرينا» أي البرتقال الطنجي الذي يسمى عندنا كليمانطين، وغير ذلك. وينص قاموس أوريليو على أن كلمة كسكس أصلها مغربي. وهو يذكر ثلاثة أنواع من الكسكس شائعة في البرازيل.

وقد درجت هذه الكلمة على الألسن بفعل عاملين : التأثير غير المباشر المضمن في التراث الإيبيري الذي انتقل إلى البرازيل، وكذلك العبيد الذين كان يؤتى بهم من غرب افريقيا وهي مناطق إسلامية متأثرة كثيرا بالمغرب. وتوجد في باهيا وثائق قليلة لهؤلاء العبيد الذين كانوا يؤسرون وهم ذوو حظ من التعليم حتى قال Joào Jose Reis مؤلف كتاب تمرد العبيد في البرازيل : إن هؤلاء كانوا في جل الحالات في مستوى تعليمي أفضل من سادتهم. وأن الأوراق القليلة التي حُفظت عن ثورة 1830 للزنوج في باهيا مكتوبة بخط مغربي واضح المعالم.

ويذكر الجنرال أبراهام بينطيس المتقدم الذكر أن المغرب قد تسبب دون أن يقصد في أن تكسب البرازيل حوالي ستة ملايين كلمتر مربع من الأراضي. ذلك أنه بعد معركة وادي المخازن وضم البرتغال وممتلكاتها إلى التاج الإسباني، وقع توسع كبير في اتجاه الداخل، بعد أن كانت الممتلكات البرتغالية تقتصر على ما دون الساحل بقليل. وبعد أن استرجعت البرتغال استقلالها من إسبانيا اتفق على أن حدود البرازيل مع الممتلكات الإسبانية تصل إلى حيث وصلت أعلام الفتح في الفترة الإسبانية. وبذلك ربحت البرازيل كل أمازونيا الحالية.

وبعد معركة وادي المخازن نشأت الفكرة «السبَاسْتيانية» كناية عن نزوع الوطنيين البرتغاليين إلى رفضَ السيطرة الإسبانية فتعللوا بأن سباستيان لم يمت في

المعركة وإنما هو مختف، وسيعود إلى ممارسة حقوقه كملك للبرتغال المستقل. وقد انتقلت السباستيانية إلى البرازيل وعاشت زمنا.

وأخيرا يمكننا أن نشير إلى أن البرازيل هي التي تقدمت بأول مشروع قرار قدم في الأمم المتحدة سنة 1952 بمناسبة الشكوى المغربية بالممارسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب. وكان ذلك المشروع نابعا من مجموعة الدول الأمريكية اللاتينية التي أيدت عشرٌ منها تسجيل القضية المغربية في جدول أعمال الأمم المتحدة.

وقبل ذلك بكثير كان الشاعر إلياس فرحات قد أسس مع مجموعة من المهاجرين العرب "لجنة تحرير العرب" للتضامن مع الثورة الريفية، وله فيها قصيدة طويلة. وفي 1953 حينما نفت فرنسا محمد الخامس أنشأ شاعران مجيدان من شعراء المهجر البرازيلي هما الشاعر القروي وأسد موسى قصيدتين في تحية كفاح الشعب المغربي.

وتمت في 1989 إقامة نصب محمد الخامس على هيئة «سقاية» مغربية في وسط ساحة فسيحة في مدينة صاوباولو تقع قبالة الكاتدرائية الأرثوذكسية.

محمد العربي المساري

**البراشوة**، فرقة كبيرة من فرق قبيلة أولاد ميمون التي تنتمي إلى قسم المزارعة من قبائل زعير. فالبراشوة يكوِّنون مع إخوانهم الگصيصات وأولاد ليلي وأولاد عياد وأولاد مسعود وأولاد صالح غيث قبيلة أولاد ميمون التي تمتد أراضيها فوق هضبة حد البراشوة ومنطقة النخيلة ووادي كريفيلة غرباً إلى حدود قبيلة أولاد عزيز ووادي گرو والسهول في الشمال الشرقي، وتحد شرقاً بقبيلة النجدة، وجنوباً بأولاد كثير.

وهناك سوق أسبوعي مشهور يسمى احد البراشوة يعمّر وسط فرقة البراشوة يوم الأحد، وهو يقع على الطريق الرابطة بين الرماني ومدينة الرباط حيث مركز القيادة التي تراقب جماعتي حدّ البراشوة ومولاي إدريس أغْبَال، وبه مركز للدرك تابع لدائرة الرماني، وإعدادية للتعليم.

*دراسة ميدانية.*

علال الخديمي

**بـرّاطيل**، أسرة تطوانية لعل أصلها من الأندلس، وكان من بين أفرادها بتطوان :

**براطيل، المكي** بن الحسن، فقيه زاول خطة العدالة بتطوان وكان حيا سنة 1771/1185. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1801/1215 وهي غير أسرة بَرْطيل.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias Ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بـراكة** Braca، اكتفى فيفيان دوسان مارتان Vivien de Saint Martin بترديد ماجاء به بلين القديم Pline L'Ancien من معلومات في كتابه 5، الفقرة 10، وكان بلين القديم أول مؤلف أورد هذا المصطلح نقلا عن صاحبه الرحالة والمؤرخ الاغريقي بوليب.

قال فيفيان بأنه، مباشرة بعد نهر درعات Darat، تطرق المؤرخ والرحالة الإغريقي بوليب Polybe لخليج يمتد على مسافة 606 ميل (وتعادل أحد عشر يوم إبحار) يبتدئ عند رأس سرنتيوم Cap Surrentium المكون بدوره من امتداد جبل براكة، وأضاف بأن الرحالة لم يذكر لنا أين ينتهي الخليج.

وانتبه بوزنيي Besnier لوجود المصطلح في صيغته المفردة : براكس Praxe. وفي صيغة الجمع : جبال براكاي Montes Bracae عند جغرافي راڤين Geographe de Ravenne، وورد المصطلح عند هذا الجغرافي في الفقرة 3 من كتابه الأول والفقرة 10 من كتابه الثالث، وتحدث عن خاصيتهما البركانية، وبذلك فهي جبال تشبه في هذه الخاصية جبال الاثنا Etna.

وتوافق جبال جغرافي راڤينا، وحسب تيسو Tissot الأطلس الكبير البطوليمي، وطابقها بزنيي بجبل براكة الوارد عند بوليب أو أگريبا. وحدد بزنيي موقعه عند مصب نهر درعة وخارج حدود موريطانيا (الطنجية).

وطابق ثوڤنو R. Thouvenot جبل براكة بأدرار السطوف وحصر خليج سرنتيوم بين رأس جوبي Cap juby والرأس الأبيض.

وعرف موني R. Mauny براكة على أنها سلسلة الأطلس التي تنتهي عند البحر برأس سرنتيوم وتقع على بعد 25 كلم جنوب موگادور وتمنار.

وعدد موني أسماء الأماكن التي لها صيغة قريبة من المصطلح ضمن خط طوله 30 كلم. فأبان تعددها إذ اكتشف خمسة أضرحة تحمل اسم سيدي امبارك، وثلاثة تحت اسم سيدي بوالبركة ودوار باسم الشيخ امبارك... ولاحظ بأنه لا يوجد في ورقات أخرى هذا المصطلح بنفس الكثافة التي ورد فيها ضمن هذا الخط وخلص إلى القول بأننا أمام الارتفاعات المهمة للأطلس التي تظهر بصفة مفاجئة على الساحل عند رأس Tafelney. وبما أننا ببلاد بربرية فلا شك أن الصلحاء استمدوا تسمياتهم من المنطقة التي استوطنوها. وقد حاول موني الدفاع عن فرضيته بتقديم مثال لذلك سيدي مگدول من موگادور، فهو تغيير للاسم المحلي : ولي مگدول.

وتساءل موني عما إذا كانت هذه المنطقة التي تكثر فيها هذه المصطلحات توافق مكان جبل براكة الوارد ضمن الرحلة البوليبية. وحسب موني أثر هذا المصطلح على التسميات المحلية وهي بدورها أنقذت المصطلح من الاندثار. وليؤكد فرضيته أكثر ذكر بأن القبيلة التي تستوطن المنطقة تسمى إدا - و - اسارين (Ida ou Issarenc)، فتسميتها قريبة من مصطلح (Surrentium) وأيضا من مصطلح (Arnisarion) الذي حدده بطوليمي عند

رأس ريزاديون (Rhyssadion) وبالضبط شماله، ويوافق هذا المصطلح الأخير عند جل الباحثين المعاصرين ومنهم موني نفسه ودوزانج رأس گير، ونحا بديش (P. Pedech) منحى آخر عندما طابق براكة بهضبة القعدة التي تنتهي عند المحيط الأطلسي بشاطئ صخري شديد الانحدار.

وانتبه بديش بدوره لوجود هذا المصطلح عند جغرافي راڤينا الذي دل عنده على المنحدرات.

وحاول دوزانج (Desanges) من جهته مقاربة براكة عند بلين وبوليب بفوكرا أروص (Phocra Oros) عند بطليموس وانتقد بطليموس على تحريفه للمصطلحات.

ويمتد فوكورا عند بطليموس على طول البحر من رأس ريساديون (Ryssadion) أو (Russadeiron) إلى الأطلس الصغير الذي موضعه بطليموس في وصفه للساحل الموريطاني بين شالة وروزيبيس (تيط).

وحدد بوزنيي فوكرا كما ذكرها بطليموس عند سلسلة التلال القريبة من الساحل والتي تمتد من رأس سيم إلى رأس گير.

وبتوقفنا عند جغرافي راڤينا وتمعن كلماته نستخرج من خلاله مجموعة معطيات منها اعتباره بأن جبال براكاي (Montes Bracae) تشكل ساحل المحيط نفسه وقد وطنها بموريطانيا الايجيلية (Maurétanie Egel) التي توجد بأقصى غرب افريقيا وجنوب موريطانيا القاديتانية أو موريطانيا القريبة من مضيق الأعمدة.

وتوافق موريطانيا الإيجيلية بلا ريب موريطانيا السلسلة الأطلسية،وعليه فجبال براكاي هي الجزء من هذه السلسلة القريب من المحيط الأطلنتي والذي يظهر انطلاقا من رأس گير.

والملاحظ أن دوزانج بدوره انتهى إلى نفس النتيجة التي انتهينا إليها عندما ذكر بأنه من الصعب تحديد جبل براكة (Braca) في موطن آخر غير الموطن الذي توجد به المرتفعات الغربية للأطلس الكبير شرق بلاد حاحة.

Vivien de Saint Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine*, imprimerie imperiale, 1863, p. 340 ; M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc (Maurétanie Tingitane)*, *A. M.*, I, 1904, p. 350 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924, p. 32 ; R. Thouvenot, *Défense de polybe*, *Hesp.* XXXV, 1948, p. 89 ; R. Mauny, *Autour d'un texte bien contraversé, Le periple de polybe* (146 Av. J.C.), *Hesp.* XXXVI, 1949, p. 59 ; P. Pedech, *Le voyage de polybe en Afrique*, *R. E. L.* XXXIII, 1955, p. 329 ; J. Desanges, *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique (VIe au IVe ap J.C)*, Ecole française de Rome, 1978, pp. 137 - 138.

بلكامل البيضاوية

**البراكين**، تضاريس خاصة ترتبط بنشاط باطني، صدرت آثاره إلى سطح الأرض فخلفت أشكالا وصخوراً، تدعى بركانية. وفي المغرب توجد براكين متعددة، إلا أنها كلها خامدة، بل لا توجد آثار براكين نشأت في وقت قريب منا، إذ أن أحدث الآثار البركانية ترجع إلى الرباعي الأوسط، بينما أقدمها نشأت في عهود غابرة في القدم، سابقة للزمن الأول. إلا أن عبارة بركان تطلق خصوصا على المظاهر التي تتجلى في شكل السطح والصخارة معا، وهذا ما تختص به البراكين الحديثة نسبيا المنتمية لنهاية الثلاثي وللرباعي، بينما الظواهر الأقدم، غالبا لا يتبقى منها إلا المخلفات الصخارية وأشكال تضاريسية جد متدهورة، كثيراً ما تكون مدفونة تحت رواسب لاحقة، وبالتالي لا تلعب أي دور عند السطح.

فإذا ركزنا اهتمامنا على البراكين الفعلية في المغرب أي البارزة عند السطح، فإننا نجدها تميز فترة زمنية خاصة، ونطاقا مجاليا مضبوطا.

- من الناحية الزمنية، ينطلق النشاط البركاني الذي خلف آثاراً تضاريسية واضحة في الميوسين، ويستمر إلى الرباعي الأوسط. بينما في الحقيقة، تم في المغرب نشاط بركاني في كل العهود، قبل الكمبري في الأطلس الصغير وخلال الزمن الأول في الأطلس الكبير، والهضاب الأطلنتية والمغرب الشرقي وخلال الترياس عند انطلاق انفتاح المحيط الأطلنتي، في كل المجال المغربي تقريبا وخلال الجورسي والطباشيري. ويتأكد النشاط البركاني لهذه العهود بما خلفه من طفوح ممتدة وسميكة، وعروق صخرية وتركزات معدنية حرمائية مرافقة، بل أشكال طبغرافية مازالت واضحة رغم قدمها في بعض الحالات، كما هو الشأن بالنسبة لبركان ألوگوم بناحية فم زگيد مثلا، والذي مازال يتضح فيه مركز مكون من سيينيت، على جوانبه طفوح أندزيتية ومقذوفات سميكة، وفرشات فليسية. هذا البركان القديم، كل أجزائه تختفي تحت طبقات الرصيص والكلس الأدودوني، أي أول الرواسب المنافرة للقاعدة القديمة الملتوية والبركانية في الأطلس الصغير.

- من الناحية المجالية، نلاحظ أن جل البراكين الحديثة والمتمثلة في تضاريس حقيقية، توجد في نطاق خاص هو الأقاليم الشمالية للمغرب، وأن استثناء أساسيا يخرق هذا القانون، ويتمثل في سلسلة سيروا الموجودة عند اتصال الأطلسين الكبير والصغير. والموقع الشمالي للبراكين، داخل القارة، وكذلك في بحرالبوران، يدل على ارتباط البركنة بالنشاط التكتوني الذي عرفته خلال الثلاثي والرباعي، هذه الأقاليم وخاصة منهاالمجالات الأطلسية، ومجال الريف.

هذه البراكين النيوجينية والرباعية، هي مراكز نشاط دائم، تشكلت على إثره أجهزة معقدة وطبقية (كما هو الحال في الريف الشرقي وفي سيروا)، أوهضاب وطفوح بركانية ممتدة (كما هو الحال في الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى). وقد انطلقت هذه البركنة منذ الأوليگوسين.

يمكن معرفة نوعية النشاط البركاني الذي عرفه المغرب حسب نوعية التضاريس والصخور، وحسب تركيبها العداني والكيماوي. هكذا نرى غلبة نوعين من الطفوح البركانية : الطفوح أندزيتية غالبة في الأجهزة الثلاثية، وطفوح بزلتية، تصبح هي الأساسية منذ نهاية الزمن الثالث.

1) ـ تمثل البراكين الطبقية المعقدة أجهزة جبلية حقيقية، أو على الأقل أشكالا تلية، انطلق تكوينها منذ الميوسين الأعلى، وبالضبط منذ الطرطوني وتصاحبها في بعض الحالات انسلالات لصخور بلورية، من گرانوديوريت مثلا. وجل هذه الأجهزة مركزة في الريف الشرقي وتحت البحر في البوران، وكذلك على الجانب الأندلسي لهذا البحر. هذا الوجود على الجانبين للقوس الجبلي الريفي ـ البيتي، يدل على ارتباط البركنة بآخر الحوادث البنائية التي عرفتها المنطقة، والتي تمت فترات الانضغاط الأساسي بها خلال الميوسين الأوسط.

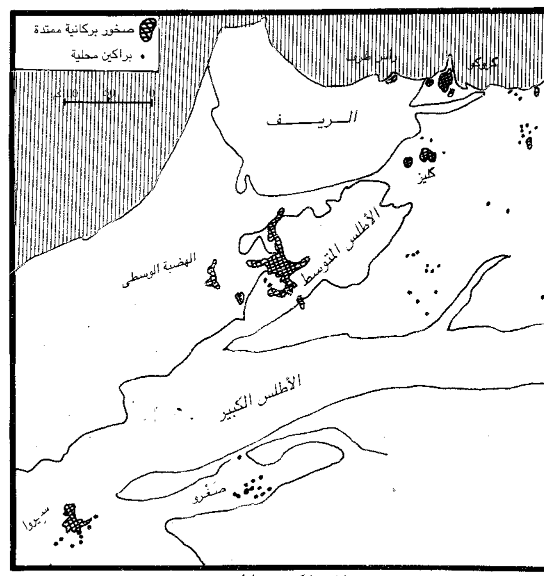

البراكين بالمغرب

نوعية البركنة، هي عبارة عن صخور أندزيتية أو طراكيتية، أي صخور كلكألقلية ومحليا شوشونيتية. هذا النوع من البركنة، أوله المؤلفون بأنه مرتبط ببحر البوران (البرهان) الذي يمثل حوضا هامشيا نشيطا، تحده مجالات انغماس يتعمق جانبها الشمالي تحت إسبانيا، والجنوبي تحت المغرب. لكن هذا الافتراض تعترضه إشكالات تتلخص في كون قشرة هذا البحر ليست محيطية بل هي قارية مرققة، الشيء الذي لا يسمح بالتأكيد على وجود وضعية انغماس عند الساحل الريفي. على كل هذه التسللات الاندزيتية لها دلالة على استمرار حركات الانضغاط خلال الميوسين الأعلى وحتى خمسة ملايين من السنين قبل الحالي.

ضمن هذه المجموعة الأولى الطبقية والمكونة من أندزيت، يمكن أن نعرض لثلاثة أمثلة.

جبل سيروا كتلة بركانية حديثة، ترتفع حتى 3300م لارتفاع القاعدة الصخرية التي تحملها، ويرتبط هذا البركان الضخم بانكسارات أساسية تمثل امتداد الحادث جنوب الأطلسي. والجهاز عبارة عن سطراطو بركان، أي بركان طبقي معقد، مشيد من طفوح ومقذوفات ومواد قفصية، إضافة إلى عروق منسلة متنوعة.

گوروگو، جبل ضخم كذلك، يوجد في منطقة گلاعة، مطلا على مدينتي الناضور ومليلية، بدأ تشييده منذ تسعة ملايين من السنين. وهو مكون أساساً من صخور شوشونيتية وطراكيتية، وقد يحتوي على صخور غنية بالبوطاس من نوع الأندزيت. وهو يمثل أهم كتلة بركانية في الريف الشرقي، تم تشييده فوق قاعدة جوراسية كلسية وصلصالية، وقد صاحبته تسللات ميكروديوريتية كوارتزية هي عبارة عن عروق تخترق الكلس والفليش، أو وسادات تحتل الفواصل بين الطبقات، كما صاحب البركنة صعود مياه حارة عملت على تركيز الحديد، مكونه المنجم الحالي لويشان شمال بني بوإفرور.

أما كتلة گليز فهي مكونة أساساً من طفوح أندزيتية تميل إلى الألقلية، انطلق تشييدها منذ ثمانية ملايين من السنين، وصدر أغلبها بين 7،5 و5،7 مليون سنة. وتاريخ آخر الطفوح الاندزيتية تم تحديده في 4،9 مليون سنة. والطفوح محليا مغلفة بطبقات رسوبية من صلصال ورمل بحري، إضافة إلى رماد وأطيان نفوخة قارية، توجد عند ملقى الويدان على ملوية. وهذا يشير إلى أن أول الطفوح كانت بحرية، بينما استمر التشييد في مجال قاري خلال الميوسين الأعلى.

2) براكين العهد الثاني، هي عبارة عن مواد صهيرية أكثر سيولة تمتاز بالقاعدة وبغلبة العنصر البزلتي، انطلق تكوينها منذ نهاية المسيني ودام حتى الرباعي الأوسط. وتتمثل الأشكال الموفلوجية الخاصة بهذا النشاط بطفوح تغطي مجالات واسعة وتتبع السيلان والأودية، وتنزل إلى المنخفضات، ولا تظهر بها الفوهات والمخاريط الجبلية إلا محليا، لغلبة النوعية السائلة من البزلت خصوصاً أو محليا بنزيت، فنوليت، أنقرطريت.

تنفرد بهذا النوع من البركنة المناطق الأطلسية أوالمسيطية، مثل الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى. فالأطلس المتوسط يتميز بطفوح تنطلق منذ الفلفرنشي حيث تم تكوين براكين بومية وإتزر وتالزاست، ثم تتعمم خلال الرباعي الأوسط، حيث صدرت طفوح بزلتية عادية، تمتاز بشدة سيولتها، غلفت هضاب الأطلس الشمالي الغربي، ونزلت إلى هوامش هذه الهضاب، تابعة أودية أم الربيع في اتجاه تادلا، أو متساقطة على الأجراف في اتجاه حوص أزرو أو سايس. تكون الطفوح البزلتية هضابا متدرجة عليها مخاريط مكتملة في بعض الأحيان، أو مفتوحة ومتدهورة في أحيان أخرى أكبرها مخاريط الكديات قرب يفران وهبري وتمحضيت. كما تتميز الطفوح بمظاهر انفجارية تعطي منخفضات مغلقة كبيرة تدعى "لشمين" في الأطلس المتوسط مثل منخفض مشليفن أو لشمين إقطان. وأخيرا تظهر إما محليا أو على شكل خطي منخفضات دائرية صغرى يعزى بعضها لأسباب انفجارية والبعض الآخر لاستمرار الكرستة من تحت اللاڤا البركانية، وتهدل هذه فيما بعد ذلك.

كما أن هذا النوع من البركنة يعم المناطق التي عرفت الجيل الأول الاندزيتي، وعلى الخصوص المجال الخارجي من الريف ومقدمته. وهكذا تجد گليز وگوروگو يحتويان على طفوح بركانية بليورباعية ورباعية، ذات سيولة عالية، تغلب فيها الصخور البزلتية. وقد انطلق هذا النشاط الحديث في الريف الشرقي منذ خمسة ملايين سنة ودام حتى مليون أو مليوني سنة قبل الحالي. في گوروگو مثلا، أول الطفوح البزلتية، تم تأريخها بحوالي 5,3 مليون سنة، بينما عمر آخر الصدورات الباطنية مليونين ونصف المليون من السنوات. أما في گليز فإن النشاط البزلتي انطلق عند 4,9 مليون سنة، وتجدد مرتين، عند 2,5 مليون سنة حيث خلف طفوح جبل الأكحل وعند 1,7 حيث تكونت لافا عين الزهرة، وأخيراً عند مليون سنة، لما نزلت طفوح إلى منخفض گرواوو.

إن توالي المرحلتين البركانيتين الكبيرتين له دلالة جيولوجية وبنائية أكيدة.

فالعهد الأول من البركنة يتزامن مع الحركات الاوروجينية النهائية، على إثر تكوين السلسلة الريفية، ومارافقتها من تحولات بنائية داخل السلسلة الأطلسية. ونوع الصخور المتميز بغلبة الاندزيت والطفوح الكلكألقلية دليل على ذوبان محلي للقشرة ومساهمتها في الصادرات البركانية.

أما العهد الثاني البزلتي فهو يدل على بركنة لاحقة للحركات الأوروجينية في وقت صار فيه الصهير يصعد مباشرة عبر شقوق تجزئ القشرة الباردة.

تنفرد بعض المناطق بأحد الجيلين، فالأطلس المتوسط مثلا، ينفرد بالجيل الثاني، وكذلك الهضبة الوسطى. أما في مناطق أخرى فإننا نلقى آثار الجيلين متوالين، متداخلين أو متدرجين. في گوروگو مثلا نجد حالة التدرج، حيث الجهاز الجبلي مشكل في الطفوح والمقذوفات القديمة، بينما البزلت الحديث مركز في أودية متعمقة على هوامش الجبل وينزل منه إلى خارج الكلتة. أما في ناحية وجدة، فإننا نجد الجيلين متداخلين من الناحيتين الزمنية والمجالية. من الناحية الصخارية، كل الطفوح عبارة عن بزلت ألقي تحت مشبع بالسليس ودال حسب تركيبته الكيماوية على انتمائه إلى نوع الصخور الصهيرية التي تصدر بداخل الصفيحة الواحدة وليس من هوامشها. أما التأريخ الإشعاعي فهو يتأرجح بين ستة ملايين ومائتي ألف سنة بالنسبة لأقدم العينات إلى ثلاثة ملايين سنة بالنسبة لأحدثها. ويمكن الفصل بين مجموعتين إحداهما قديمة ميوسينية متفسخة، تغلفها رواسب نهرية وبحيرية جيرية، وثانيهما حديثة تغطي الأولى، وتنتمي للبليوسين.

وعلى كل يتضح أن استمرار البركنة إلى عهود قريبة، دلالة على استمرار البنائية في هذه الهوامش النشيطة من المغرب الأطلسي والريفي، المطل على بحر البوران الذي يتميز هو نفسه بكثرة البراكين تحت البحرية على طول الحوادث الانكسارية الاساسية.

J. Hernandez, *Le volcanisme du Rif Oriental*, thèse sciences, Paris, 1983, p. 418 ; H. Bellon et R. Brousse, *Le magmatisme périméditerranéen occidental, Bull. Soc. géol. Fr.*, (7), t. XIX, n°3, 1977 ; D. Tisserant, A. Laouina et N. Claner, *Datation K - Ar des basaltes de la plaine des Angad au S. d'Oujda, Sci. Géol. Bull.*, 38, 2, 1985.

عبد الله لعوينة

**براندت**، فريدريك F. Brandt تاجر ألماني ولد سنة 1856 وحل بالدار البيضاء سنة 1879 وأصبح شريكا لعدة تجار ألمانيين. وكان وكيلا قنصليا للمملكة النمساوية الهنغارية بالدارالبيضاء سنة 1897، وكان له سماسرة وخلطاء بالشاوية ودكالة. ولما نشبت الحرب العالمية الأولى اعتقلته سلطات الحماية الفرنسية وحكمت عليه بالسجن والأشغال الشاقة عشر سنوات بتهمة الجاسوسية.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 834 . 835 ؛ *الوثائق المغربية*.

Pierre Guillen, *L'Allemagne et le Maroc*, 56 (4).

مصطفى بوشعراء

**البرانس**، أطلق هذا المصطلح حسب التصنيف التقليدي على إحدى الكتلتين الكُبْرَيَيْن اللتين تكوِّنان غالبية المجموعة الأمازيغية. والكتلة الأخرى، عرفت بـ(البُتْر). وهذا التصنيف كما يذكر (گوتيي) لم يعرفه مؤرخو اللاتين ولا الإغريق ولذلك فهو من وضع نسَّابة البربر، انطلاقا من المصادر التي يرددها ابن خلدون كسابق المطماطي وأيوب بن أبي يزيد. وبالتالي فـ (گوتيي) لا يصدق بوجود بر، ولا مادغيس ولا برْنس كأصُول تناسل منها الأمازيغ. وتقسيم هؤلاء إلى بُتْر وبَرَانس، هو من مخيلة العرب والبربر منذ القرن الرابع (10م). والحقيقة أننا نجد هذا التقسيم في المصادر الإسلامية قبل هذه الفترة. فقد ورد الحديث عند ابن عبدالحكم عن البُتْر و البرانس عدة مرات. وهكذا يذكر أن حسان بن النعمان ولّى على البُتْر الموالين له أحد ابني الكاهنة. وأن عامة نصارى البربر بافريقية كانوا حينئذ من البرانس. أما بطنجة فكان يوجد الفريقان معا (البُتْر والبرانس). وكان ولاة إفريقية لا يتخذون حرسهم إلا من البُتر. وهكذا يبدو البُتر أو أكثريتهم أسرع إلى مُوالاة العرب من البرانس خلال شطر كبير من مرحلة الفتح. حتى إن حسان بن النعمان نُسب إليه أنه أقر علانية بقرابة زناتة من العرب وسجل بذلك وثيقة (رسمية) كما يزعم مؤلف الذخيرة السنية. وكانت زناتة تكون معظم البُتر. وينقل ابن خلدون عن عدد من نسابة البربر أن الأمازيغ فرعان كبيران، بُرنس، ومادغيس الملقب بالأبتر. فبرنس ينتهي نسبه إلى كنعان بن حَام. أما البتر فمن نسل بُرّ بن قيس بن غيلان. غير أن ابن خلدون بعد مناقشة مختلف النظريات التي تعتمد على الأنساب يفضّل إرجاع الجميع إلى أصل حَامي فيما عدا صنهاجة وكتامة الذين يُحتمل أن تكون لهم أصول عربية يمنية. وعلى هذا فإن ابن خلدون رجع إلى النظرية الشجرية بعد أن انتقدها. وتأثر المحدثون به حتى من دارسي اللغات الشرقية الذين وضعوا الأمازيغية ضمن اللغات الحامية.

ويُرجع ويليام مارسي W. Marcais التقسيم الثنائي (بتر وبرانس) إلى القرن الثامن الميلادي على الأقل. ويعتمد على فروق الزي كما وجدها العرب لدى البربر، ففريق من هؤلاء يرتدون البرنس فهم البرانس وفريق بلباس قصير أولاً (قُبٌّ) فيه، فهم البُتر. وتفسير التصنيف على هذا النحو غير دقيق، لأن البرانس لم يختصوا وحدهم بالبرنس وصنهاجة الصحراء وهوارة كانت ترتدي لباساً طويلاً دون برنس، مع أن صنهاجة تصنف ضمن البرانس.

ويرد (گوتيي) التصنيف إلى الخلافات العميقة بين الكتلتين، أي من حيث نمط الحياة والبيئة الاجتماعية والجغرافية، بينما اعتمد تقسيم العهد القديم على أسس جغرافية (نوميديا وموريتانيا). وفي مرحلة متأخرة استعمل تصنيف (الرحل والمستوطنين). وهكذا فتغير المصطلحات مرده إلى مراحل تطور متعاقبة. ثم إن البتر كما يقول (گوتيي) هم صحراويون غرباء، وأثروا أيضا في غيرهم من السكان الأصليين. أما البرانس فهم بالدرجة الأولى سكان المناطق الجبلية. ثم إن هذا المؤرخ الذي لا تخلو ملاحظاته من عمق، يجد فروقا في هندسة المباني بين البُتْر والبرانس، لكن هذه الفروق يصفها كما رآها هو، وليست كما خضعت للتطور عبر مآت السنين. ومن جهة أخرى فيتبين من استقراء التطور الحضاري والسياسي أن اعتبار البرانس كمجموعة مستوطنة تفوق في تحضرها البُتْر، وأن هؤلاء ما هم إلا صحراويون رحل ليس إلا إغفالا لطبيعة التطور ومراحله لدى كل من الفريقين. فمعظم الواحات الصحراوية النائية جنوب المغرب الكبير من عمل البُتر، وهو ما نجده أيضا لدى نفُوسة في منطقة الجريد. وأغلبية المراكز الحضرية الاقتصادية ذات العلاقات الواسعة نشأت أو ازدهرت في ظل الزناتيين البُتر، كتلمسان قبل الإسلام وفي ظل بني عبد الواد، وكسجلماسة ووارغلة وفاس المرينية وتازا. والقلاع الزناتية بالمغرب يضرب بها المثل في الصمود والمتانة لا سيما قلاع الأطلس المتوسط وأشهرها قلعة فازاز التي أتعبت جيوش المرابطين، ولم يأمنوا من خطرها بعد فتحها إلا حين دكّوها. وعلى هذا فإن استئثار البرانس بنمط الاستيطان وتخصيص البُتْر بالطبيعة الصحراوية وروح التقلب وهْم أوقعنا فيه گوتيي ومن سايره.

والآن أصبح ممكنا إعادة الاعتبار إلى البُتر الذين إذا كانوا مهمشين قبل الإسلام فقد تحولوا إلى قوة مؤثرة بعده في كل المجالات. وما يقال عن العداء بين البُتر والبرانس لم يكن شاملا قط، بل هو من شكل العداء الداخلي بين الكتل من نفس الصنف، لا كالعداء بين مغراوة وبني يفرن وكلهم من البتر الزناتيين، وكصراع صنهاجة والمصامدة وكلهم برانس. فيبقى تصنيف الأمازيغ إلى بتر وبرانس مجهول الأصل والأسس، وكل ما قيل بشأنه حتى الآن مجرد افتراضات، خصوصا وأن التصنيف الداخلي للبرانس حسب نظرية ابن خلدون التي تجعل صنهاجة من البرانس، لا يخلو من ارتباك، لأن أغلبية صنهاجة المغرب عاشوا رحلا مدة مآت من السنين. أما اعتبار العرب مغرمين بالتصنيف الثنائي على غرار ما فعلوا من تصنيف أنفسهم إلى قيس ومضر، ففعلوا مثل ذلك بالنسبة إلى تقسيم الأمازيغ إلى بتر وبرانس، فمجرد تصور محدود الأفق، لأن الرومان أيضا قسموا الشعوب إلى متحضرة هي الرومان والإغريق، وبرابرة وهي سائر الشعوب. والأوروبيون من الباحثين، قسموا عرب الجزيرة إلى عرب الشمال وعرب الجنوب. والآن نسمع عن دول الشمال ودول الجنوب، وعن أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية وهلم جراً.

وإذا كان البتر إنما يتكونون في غالبيتهم من زناتة، فإن بتر المغرب بوجه خاص برهنوا عن قابلية عجيبة للتحضر والاندماج. أما برانس المغرب وصحرائه فهم صنهاجة ومصمودة. ويعرف صنهاجة الجزء الشرقي للأطلس المغربي باسم زناگة - بكاف معقودة - وهناك الملثمون عبر الصحراء من الذين كونوا دولة المرابطين وأكثرهم كانوا رحلاً. ويعرف ملثمو شرق الصحراء الكبرى بالهُگار، ولكن قيل إنهم بتر من هوارة، والواقع أن هناك أخذا وردا بشأن هوارة وحتى صنهاجة. وابن خلدون في *العبر* (6، 282) يضع هوارة بين البرانس باتفاق نسابة العرب والبربر كما قال، لكن لا ندري كيف يؤكد گوتيي انتماءهم إلى البتر (*Les Siècles*... p. 215) كما أن ابن خلدون يربط هوارة بالنسب الصنهاجي. وعلى ذلك، فبطون البرانس الرئيسية عنده هي مصمودة وصنهاجة وأوربة وكتامة وعجيسة واوريغة وأزداجة، وبالنسبة للمغرب فالثلاثة الأولى أهمها من حيث الدور التاريخي والاجتماعي ومن حيث سعة الانتشار. ويضيف ابن خلدون مسطاسة إلى البرانس في مكان آخر.

1 - المصامدة شغلوا بالأخص منذ القرن الأول (7 م)، عموم السهول الأطلسية ومنطقة سوس ومنطقة غمارة، لكن الزحف الزناتي ثم المرابطي (قرن 3.5 هـ) قلص جموعهم بالسهول الأطلسية شمال أسفي ثم انصهر الباقون منهم في المجموعة العربية. وربما كان المصامدة أقدم مجموعات بربر المغرب.

2 - صنهاجة، وهم موزعون بين صنهاجة الظل المستوطنين بالأطلس المتوسط وجوار الريف وصنهاجة الشمس أو الصحراء، وهم رحل، انحدروا أصلا من الشمال منذ القرن الثالث للميلاد واكتسحوا الصحراء الكبرى وبعض المناطق الحضرية المجاورة لها جنوبا. ومنهم تكونت دولة المرابطين، كما أسس الدلائيون من صنهاجة الأطلس إمارتهم خلال القرن 17/11 م.

3 - أورَبّة، كانت مواطنهم فيما بين الأوراس وضواحي تلمسان جنوبا. وتزعمهم كُسَيْلة في بداية الفتح الإسلامي، ثم تعقبتهم جيوش زهير البلوي بعد مقتل عقبة، فلاذوا بالمغرب وانتشروا بين وليلي وممر تازا وضفاف ورغة. وعلى أكتافهم قامت دولة الأدارسة وما تزال بعض فروعهم بأعالي ورغة واللكوس وسبو.

4 - كتامة، كان فريق منهم بالريف وأكثرهم بحوض اللكوس ومنطقة الهبط، وأهم مراكزهم الحضرية القصر الكبير، وقد اندمج معظم كتامة المغربية في عناصر سكانية أخرى.

5 - ازداجة، لا يبدو أنه كان لهم وجود مؤثر بالمغرب، وكانت مضاربهم بنواحي وهران. وسطا بهم العامريون. وهناك من نسبهم إلى زناتة. وربما كانت منهم مسطاسة الموجودة حالياً بالريف.

6 - عجيسة، كان وجودهم ضعيفا بالمغرب. ويظهر أنهم انصهروا في قبائل أخرى خصوصا صنهاجة المجاورة لهم.

7 - أوريغة، وإليهم تنسب هوارة حسب ابن خلدون، وكذا مسيلية بالمغرب الشرقي شمالا. أما هوارة فتجمعهم بإقليم سوس. وقيل أيضا إنهم من أصل عربي.

ع.ابن عبدالحكم، *فتوح افريقية والأندلس*، ت. فرنسية لألبير گاتو، ص : 78، 80، 88، 114 ؛ أ. البكري، *المسالك والممالك*، (افريقية والمغرب) ت. دوسلان، ص : 90، 108، 110، 114، 117؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، 13-14، ت. ابن أبي شنب ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 :176، 192، 293، 296 ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، مجلة البحث العلمي، الأعداد : 20/ 1973، 31/ 1980، 33/1982.

Léon. L'Africain, *Description de l'Afrique*, p. 10. 15 ; Quedenfeldt, *Répartition de la population berbère au Maroc* 1904 ; Gautier, *Les Siècles obscurs du Maghreb*, p. 190-218 ; *Le passé de l'Afrique du Nord*, p. 227-244 ; H. Lhote, *Les Touareg du Hoggar* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, 1, 20, 24 ; G. H. Bousquet, *Les berbères*, Collection que sais-je, Nº 718.

إبراهيم حركات

## البْرَانية ← الباذنجان

**براهيم** (أيت -) تمثل هذه القبيلة الصحراوية الدعامة المركزية لتجزئة أيت النص التي تشكل مع تجزئتي أيت الخمس وأيت بلة لف أيت عثمان. ومعلوم أن هذا اللف ينضاف إلى لف أيت الجمل ليشكلا معا اتحادية تكنة بوادي نون وباني الغربية والساقية الحمراء. يمتد تراب أيت براهيم بهذه المنطقة بموازاة منعرجات باني الغربية عبر سهول ومعادر تفصلها مرتفعات تصل أحيانا إلى 1.000 م. وتعتبر آخر مرتفعات الأطلس الصغير الحد الشمالي لهذه القبيلة بينما يحدها باني جنوبا وأعالي وادي صياد غرباً. على أن هذا الوادي وروافده الأساسية وادي كلمت ووادي خيبر ووادي إفران ووادي مايت تمثل كلها المصدر الأساسي للري كما يؤكد ذلك التوزيع الجيومورفلوجي لتراب أيت براهيم.

متى وفي أية ظروف تبلورت قبيلة أيت براهيم ؟ إذا اعتبرنا، حسب ما تؤكده الرواية الشفوية، بأن عثمان الجد الأسمي للف أيت عثمان هو ابن مندى الذي كان عاملا لعبدالله بن ياسين على نول لمطة عاصمة وادي نون زمن المرابطين، أدركنا البعد الحقيقي للغور «الأهلي» لهذه القبيلة الذي يقول بانتمائه لإبراهيم بن لحسن بن عثمان بن مندى. فمن حيث هو كحفيد لعثمان بن مندى يزامن هذا الجد الأسمي للقبيلة نهاية حكم المرابطين الذي عرف خلال حكم علي بن يوسف بن تاشفين تعدد القلاع و التحصينات الدفاعية ضد الهجومات الموحدية. وإذا كانت تحريات Dr. Dargassiés وTerrasse الميدانية خلال العشرينات من هذا القرن قد ردت قلعة تاغجيجت (اگدير أُگليد - اگدير أزناگ) إلى نهاية العهد المرابطي، فإننا نتحسس علاقة وثيقة بين الجد الاسمي مؤسس نواة أيت براهيم والقلعة، يُزكي هذا الاحتمال قدرة الجد على بلورة النواة الفعلية للقبيلة عبر ممارسة تبدو عسكرية أكثر منها دينية. وهو ما لا تكذبه الرواية الشفوية حين تفيد بأن أيت براهيم قد رحلوا إلى حيث استمر انتجاعهم بواحات توات أزيد من قرنين. ذلك أن التسلط الموحدي سنة 1153/548 (البيذق، *أخبار*، 77) يبدو المسبب الرئيسي لهذه الهجرة التي لن تنتهي إلا بحلول القرن الثامن (14 م). لقد كلف عبدالمومن أكبر قواده أبا حفص بتدمير المنطقة كما رأى ذلك كاتب مدونة أسا. هذه الوثيقة الهامة ستكشف استمرارية الحكم الموحدي حين تؤكد بأن عامل يعقوب المنصور الموحدي على المنطقة هو منصور بن عدي البرقوقي. وهو ما يحفزنا إلى تصور المراحل الانتقالية التي حولت أيت براهيم من نواة مهاجرة إلى قبيلة مطالبة بالدفاع المستميت عن نفسها من أجل البقاء. وإذا كنا نجهل تفاصيل هذه المراحل، فإن عودة أيت براهيم إلى عاصمتهم تاغجيجت خلال القرن الثامن (14 م) تعد تأكيدا منطقيا لأهميتها العسكرية. لقد كانت منطقة تاغجيجت جد غنية اقتصاديا بما توفره من مراع ونخيل ومزارع ومعادن. وإذا علمنا بوجود قبيلة أيت حربيل ذات السمعة الحربية الكبيرة يومها أدركنا مدى ما تعنيه عودة أيت براهيم من منافسة عسكرية وسياسية. لقد عادت هذه القبيلة مدججة بخبرة عسكرية وحنكة سياسية أثبتها انسحاب إذا أُوزيكي من الشمال الشرقي لتگموت المجاورة لتاغجيجت إلى إيمي - ن - تانوت حيث ما يزالون. وإذا ما نحن ركزنا على مستوى العلاقات الثنائية بين أيت براهيم وجيرانهم أيت حربيل وجدنا بأن السمعة الحربية لأهل تاغجيجت ستزداد على حساب منافسيهم ذوي السمعة العسكرية المتميزة. بل إن التناقص المتزايد لأيت حربيل سيؤدي بهم إلى الدخول في إطار محميي أيت براهيم. وبذلك نتأكد من أن سيرورة التصادم بين أيت براهيم وغيرهم من القبائل المجاورة قد انطلقت على إثر شروع هذه القبيلة في تثبيت قاعدتها محليا وجهويا.

تمر حدود قبيلة أيت براهيم بتمنارت حتى أگجگال ومن تامگروت - ن - تـوزونـت حتى رأس جبل أغبالو وقمة تيگديرت وأمان وتيگديرت ام گجد وبئر بوگلين، وهي حدود ترسم سعي القبيلة الدائم للحفاظ على التحامها والدفاع عن كيانها إزاء كل خطر خارجي. فمراقبة المجال هنا هي بمثابة رد فعل ضروري اتجاه فقر الطبيعة وضعف التقنيات وتقلب الأحوال السياسية والاجتماعية. إننا إذا ربطنا بين مفهوم الانتماء إلى نفس القبيلة من خلال

منظورين يختلفان باختلاف الرحل عن المستقرين، اتضح بأن القرابة بين هذه الفصائل الناطقة بالأمازيغية تؤكد فعلا أهمية التجذر في إبرام التعاقدات القائمة الذات. بل إن لوائح وحدات وفصائل وتجزئات القبيلة تلعب دور الجرد الذي يحد من عمق وحقيقة البنية القرابية المتجذرة. فالتصور الذي يمكننا تشكيله انطلاقا من البحث الميداني المباشر يكشف عن تنوع المستويات البنيوية المتفاعلة والمتداخلة. ذلك أنه انطلاقا من الروابط التي تجمع بين النواة الأصلية «الأحرار» داخل كل فصيلة يمكننا تقويم التمييز بين تعدد المستويات القرابية عبر مقارنتها. هذه العملية قد تتطلب مجالا أوسع إذا هي شملت كل فصائل القبيلة متجهة نحو البناء الثلاثي الذي يفصل «النواة الأصلية» عن المتحالفين معهم والمستوردين. لذلك فإننا نحصر دائرة معارفنا هنا حول سيرورة التلاحم والتحالف بين هذه الفصائل مكررين بأن مشروعا كهذا يعد جديراً بكل أهمية. يحدد الغور «الأصلي» نفسه في إد احماد أ ُلحسن وإد سالم وإد علي أ ُموسى النازلين من سعيد أ ُبراهيم وإدلمبارك أ ُبراهيم وإد احماد أ ُمسعود وإد علي بن حمو وإد بنسالم وإد بوتيكجدة إنغاتن وإد طّالب وإد شيبان وإدالشيخ النازلين من سعيد أ ُلحسن وإد رضوان وإد لحور وإد لماغراو. وهؤلاء يعتبرون أنفسهم النواة الأصلية «الأحرار» للقبيلة رغم صغر حجمهم الديمغرافي الذي لا يتجاوز في أحسن الحالات خمسمائة عائلة حسب الضابط الفرنسي La Ruelle سنة 1948. على أن قبيلة أيت براهيم تتمثل أساسا في :

- إد سعيد أ ُلحسن الذين ينقسمون إلى إداَوْسعيد والخندق وإغيرن تزغوات وإگرامن وبوتيكجدة وبلة أ ُحمو وبونايدون وإيرز. هؤلاء يمثلون المستقرين من إد سعيد أ ُلحسن خلافا لرحالتهم المتمثلين في إدْحْماد أ ُمسعود وإدْمبارك أ ُبراهيم وإد عبدالقادر وأيت واحمان وأيت تارگمايت.
- إد سعيد أ ُبراهيم الذين يتمثل مستقروهم في بوموسى وتاوريرت ورحالتهم في إداوبيان وبودرارة.
- إد الحر المتمثلين في إد الحر وإد رضوان وكلاهما ينتجع جنوب وادي درعة وباني الغربية. على أن لهم مخازن جماعية بتگموت.
- إد موسى أ ُداود ويتمثلون في إد عبد المولى وإد بوقيود وأيت تمزيغت. وهم رحل يتوفرون على مخازن جماعية بقصبة أيت موسى.
- إدا زولگان الموزعين بين القصور والمداشر. وينقسمون إلى إدا بولحسن وبويعلى وأگادير إدران.
- أيت إغرمان الموزعين كذلك بين القصور والمداشر، وينقسمون إلى أيت جرار وإنزيفت وتيسلان وإغرغار وإيكم وإغْرم إگزولن.

إننا إذا انتقلنا بهذه اللائحة من مجرد إطار عام للعلاقات الاجتماعية إلى اعتبارها بنية محددة لمجموع أيت براهيم، فإنه ينبغي لها أن تعمل لعلاقات انتاجية تشمل مجمل الوظائف على اختلاف مستوياتها. وآنذاك نكون بالضرورة قد وصلنا إلى مجمل الإشكالات التي يمكن أن تكشف عنها دراسة هذه القبيلة على المستوى الفلاحي والتجاري والعسكري والسياسي.

1 ـ على المستوى الفلاحي نلاحظ بأن أيت براهيم مهما تنوعت فعالياتهم وتعددت أدوارهم وأنماط معيشتهم، فإنهم في كل الأحوال يظلون تحت تأثير الشروط الموضوعية لحياتهم.

- معدر وادي خيبر وواحات تاينزورت وأگادير إدران سيدي منصور بإدا اولگان وتيخبرني بأيت براهيم.
- سهل وادي صياد المحيط بتاغجيجت وما يجاورها من مداشر وقصور تاوريرت ودواودار وإداأوبيان وبوموسى وإد سعيد والخندق وإيرن تيغورات وإد بوعشرة وإگرامن وإد نوتكجدة وإد بلة حمو وإد بونايدون وإرز وواحة تگموت وقصر قصبة ن إد موسى أ ُداود وواحة وقصر إغرم إگزولن.
- سهل وادي افران حيث تصطف قصور وواحات أيت جرار أو نزيفت وتيسلان وإغير غار وإيكم.
- أعالي بسيط مايت حيث توجد تارگمّايت.

من هنا فإن الفلاحة ترتبط أساسا بالتساقطات المطرة لما لها من أهمية على هذه الروافد التي تتسبب في فيض المعادر. أما الغطاء النباتي فهو غني على العموم حيث تعد تربية الأغنام والأبقار من بين الأولويات المحلية. لقد اعتمدت فصائل أيت براهيم منذ عودتها إلى تاغجيجت على اليد العاملة الرخيصة (الحراطين والعبيد) في تطور وتسيير الرعي والفلاحة. وهو عامل أساسي أدى بالقبيلة إلى إحكام سيطرتها على الأسواق الاعتراضية المجاورة.

2 ـ يرتبط المستويان الفلاحي والتجاري لارتباطهما بفعالية العملية الإنتاجية للأسواق. فبموازاة الاعتماد على اليد العاملة المسخرة في الميدان الفلاحي، لجأت القبيلة إلى توسيع نفوذها عبر الاستفادة من عدانة زكندر ومن القنوات التجارية التي فتحها الصناع المحليون يهوداً كانوا أم حراطين. بهذا المنظور أقبلت قبيلة أيت براهيم على استغلال الدور الاستراتيجي لتاغجيجت. فقد شكلت هذه القاعدة الاقتصادية مقياسا للنفوذ الجهوي الذي يحظى به كل مجال مركزي. لم تكن عدانة زكندر تقتصر على مادة النحاس كما يعتقد صاحب *الاستقصا*، بل كانت تنتج كل المعادن المصاحبة من فضة وأمْيَانْتْ وغيرهما.

3 ـ لكل هذه الأسباب بات ضروريا البحث عن محاور جهوية للتكتل في إطار نظام التحالفات القائم الذات. ندرك إذن لماذا التزم أيت براهيم بلف أيت عثمان الذي يعد من بين تجزئاته الأساسية أيت بلة ذوي البأس الشديد. لقد شكلت العلاقة بين أيت بلة (ازوافيط) وأيت براهيم مقياسا ثابتا للتعامل داخل بنية تحالفية لم تعرف أي تغيير كبير منذ تشكل اتحادية تكنة. ومما لا شك فيه أن سيرورة التحالف هنا تنطلق من مفهوم المصالح المشتركة سياسيا

وعسكريا واقتصاديا ومجاليا. هذا ما أكدته الأحداث غير ما مرة مبرزة أنه طالما مثلت آلاليات الانقسامية مجالا لإقرار علاقات أفقيه بين القبائل، أصبحت مشاركتها في الإشراف على شؤونها تكريسا لمنطلقها العملي المركزي والمعايير الثابتة.

وليس من باب الصدفة كذلك أن تحتوي هذه المنطقة بداخلها خلافات وتباينات بين القبائل القريبة من أمهات القرى والبعيدة عنها وما بين الأراضي الخصبة والأراضي الضعيفة الإنتاج. فنجد مختلف القبائل ذات الوزن التجاري المركزي منصهرة بشكل أكثر التزاما واستمرارية ضمن آليات التحالف الجزولي الذي أدى إلى نشأة دولة السعديين (دولة إكْزُولَنْ). فإذا كان هذا الانصهار قد تحدد استناداً إلى ما كان بهذا المجتمع الجبلي شبه الصحراوي من أشكال الصراعات المصلحية، فإن أشكال الملكية والتبادل التجاري لم تعمل من جهتها إلا على تكريس هذا الواقع. وليتسنى لنا تقدير مدى اندماج قبيلتي أزوافيط وأيت براهيم في هذه السيرورة فإنه يكفي أن نشير إلى دورهما في مساندة السعديين. لقد قام الصوفي المشهور الحسين الشرحبيلي بإداولتيت أواسط القرن العاشر (16 م) بتأسيس سوق الخميس في تاغجيجت بمساندة من صديقه احماد أُمسعود الجد الأسمي للفصيلة التي تحمل اسمه بقبيلة إدا أُبراهيم. وقد جاءت صورة هذا السوق في حد ذاتها كافية لتحديد العلاقات التي ظلت إلى حد بعيد مطبوعة بالطابع الديني المسالم لهذا المكان. وهي مرحلة واكبت الرواج التجاري الاقتصادي الذي شجع سيدي امحند أُبراهيم الشيخ قطب الأطلس الثاني على الرغبة في احتكار مداخيل السوق من أعشار. لقد انضاف سوق الخميس منذئذ إلى المسجد المركزي (أگدير مقورن) الموغل في القدم كمعلمتين جماعيتين يذكران بتعدد الأدوارالاقتصادية والدينية والخطابية والسياسية والشعائرية. وإذا كان أيت براهيم قد رفضوا أداء الأعشار لسيدي امحند أُبراهيم الشيخ فذلك لأنه كان يعتبر تمنارت مقر المخزن المحلي الممثل الشرعي لسلطة السعديين. لم تقم الهياكل المخزنية السعدية يومها على أنقاض التقسيمات القبلية، ولم تسع إلى استحداث وحدات جديدة تلغي الحدود والمعالم القبلية التي كانت تميز يومها أهل تمنارت عن أيت براهيم وحلفائهم. بل إن المخزن السعدي انضاف إلى هذه الحدود والمعالم ليتبناها كمجالات لتعايش سلطته إلى جانب الهياكل المحلية. وهكذا ندرك لماذا فضل أيت براهيم التعامل بعد انحطاط الدولة السعدية مع سليلي سيدي احماد أُموسى قطب سوس الأول بدل سليلي القطب التمنارتي المجاور. لم يجد علي بودميعة من قبيلة أيت براهيم إلا المساندة الفعلية التامة كما تؤكد ذلك إحدى المدونات الخاصة. وتضيف هذه المدونة بأن تمثيلية عن أهم قبائل تكنة من أزوافيط وأيت لحسن كانت حاضرة بتاغجيجت لمساندة بودميعة الذي لم يلبث أن ابتنى له منزلا سمي بالدار البيضاء. وقد كان الولي سيدي صالح دفين قصر أهل توزونت من أكبر المساندين لعلي بودميعة. فلم يجد أية صعوبة في الدفع به إلى محاربة مجاط الذين التجأوا إلى الخديعة للاستيلاء على هذا القصر. هذا التحالف الفعلي بين أيت براهيم وسيد إليغ كشف إلى حد بعيد من امكانياته وأضعف تدريجيا قدرات القبائل المهمشة من طرف حلف إكزولن. وبانهيار إمارة إليغ يكون أيت براهيم قد دخلوا في صراع مفتوح مع الحكم المركزي الجديد. فما تزال بعض وثائق أيت حربيل تؤكد ثورة أيت براهيم على مولاي عبدالمالك خليفة المولى اسماعيل إثر فرضه ضريبة تقدر بـ 1.000 غرارة من الذرة (حوالي 200 كلغرام للغرارة الواحدة). على أن رسائل مخزنية معاصرة تؤكد استعانة مَحمد بن إسماعيل العلوي بالقبيلة ضد اعدائها من أهل الساحل سنة 1115. هذا التحالف يأخذ كما نرى طابعا قبليا محلياً أكثر منه مخزنيا كما هو الشأن بالنسبة لتحالف أيت براهيم وأيت حربيل تحت لواء محمد العالم بن المولى إسماعيل في نفس السنة 1118 التي ستعرف مقتله من طرف والده. ومن الملاحظ أيضا أن القرن الثاني عشر (18 م)، قد عرف غياب السلطة المركزية عن الأطلس الصغير والصحراء المجاورة. فلم تكن قبائل المنطقة المتجذرة ترغب بحماس في المشاركة في حركات المخزن خاصة منها تلك التي كانت تستهدف إقرار سلطة فوق سلطتها. وقد تجلى ذلك من خلال الصراعات العنيفة بين أيت براهيم وإد بوعشرة حول أدرار نداوثلاثا. هذا الموقع الحصين استعمله أيت براهيم كقاعدة متقدمة مضيفين من خلالها إد بوعشرة إلى لائحة المنهزمين، بل إن ما عمق من أهمية هذا القرن دخول أيت براهيم في صراع مفتوح مع غريمتها الأولي أيت احماد سيدة تجزئة أيت الخمس الهامة زهاء نصف قرن. لقد كانت قبيلة ايت احماد تنتمي إلى لف أيت الجمل شأنها في ذلك شأن أيت أسا. وكانت السمعة الحربية لهاتين القبيلتين قد تجلت في احتلالهما قصر إيرز بتاغجيجت. غير أن نهاية القرن الثاني عشر (18 م)، قد حملت معها انتصار أيت براهيم بمساندة من أزوافيط وتحرير قصر إيرز ودخول أيت احماد في حلف أيت عثمان لتلحق بها قبيلة أيت أسا. ونظراً لما اتسمت به هذه الصراعات من حدة متعاظمة، فإن القرن الثالث عشر (19 م)، حدد معالم مرحلة جديدة عبر هذه التحالفات التي تجاوزت نطاق المحلي إلى مستوى الاتحادية. لقد حاول الحسين أوهاشم سيد إليغ تحطيم تجارة أهل بيروك المتنامية. ولكن تلاحم حلفي أيت عثمان وأيت الجمل سهل مأمورية هزيمته. وقد كان أيت براهيم من بين المنتصرين عليه بإفران معلنين بذلك تناقص تأثيره الروحي والسياسي. ندرك من هنا أنه لم يكن من باب الصدفة أن يتزايد يومها تأثير التمنارتي الذي استطاع أن يجمع حول قصبته بأگرض إكزولن مختلف المحاور الجزورلية الكبرى معيدا بذلك أمجاد سيدي محند أُ براهيم الشيخ. واكبت هذه المرحلة التاريخية مضاعفات التغلغل التجاري البحري الأروبي

الذي أخذ يشل الدنياميكية التجارية لمسالك الصحراء. وهو عامل جوهري في تعدد التحالفات وكثرتها بين مختلف التجزئات القبيلة على اختلاف أحجامها. وعلى الرغم من أن سوق خميس تاغجيجت قد عرف مضاعفات التدهور الذي عرفته تجارة القوافل. فإن قبيلة أيت براهيم حافظت إلى حد كبير على كثافتها الديمغرافية حتي نهاية القرن. على أن مشكل الماء الذي ازداد حدة وتطور مجاعات وأوبئة هذه الفترة قد مهدا لظاهرة الهجرة نحو الموانئ الأطلسية.

جاءت بذلك معطيات السنوات الأولى من القرن العشرين لتؤطر لمعطيات القبيلة ديمغرافيا واقتصاديا. وهنا يمكن أن نشير إلى أن الحجم الديمغرافي لأيت براهيم بالنسبة لباقي قبائل اتحادية تكنة يعد الثاني بعد قبيلة أيت أُسا حيث قدره الضابط الفرنسي La Ruelle سنة 1948 بحوالي 1286 عائلة. وهو رقم استدلالي يبرز أهمية القبيلة على المستوى العملي اقتصاديا وفلاحيا. فهو يعني من بين ما يعنيه المقدرة الفعلية على استغلال أكبر قدر من الأراضي الخصبة بورية كانت أم مسقية. كما أنه يعبر عن الاستعدادات العملية لتأطيرأيت النص ماديا ومعنويا عندما يتعلق الأمر بتحديد ميزان القوى المفترضة محليا وجهويا. وهي معطيات تكشف الوجه الحقيقي للنفوذ البين لأيت براهيم وتجذرهم الاجتماعي والتاريخي. فإذا كان سوق الخميس الذي تأسس منذ أربعة قرون فقط قد عرف تدهوراً كبيراً، فإن «معروف» ودور مسجد أگدير مقورن الذي يرجع إلى زمن المرابطين على الأقل ما يزال يعرف نفس التجمعات السنوية المبرمجة. ذلك هو المسلسل التاريخي الذي أسهم في بلورة عوامل الانسجام بين تاغجيجت وأيت براهيم منذ عثمان بن مندى. فرغم مضاعفات النكسات الاقتصادية والديمغرافية حافظت هذه القبيلة على مكوناتها اللغوية والحضارية الجوهرية. ونجدها ما تزال تفرض وجودها بنفس الإصرار وبما يكفي من الحزم والجدية. إلا أن استمرارية التصادم طيلة القرنين الماضي والحاضر يحملنا على أن ننظر بعين التساؤل لعلاقة القبيلة بمستقبلها في ضوء التقلص الكبير الذي لحق النشاطات الأساسية.

أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. ناعمي، *الصراع من خلال بلاد تكنة*.

La Ruelle, *Les Id Brahim Du Oued Noun*, CHEAM, 1948, p. 80.

مصطفى ناعمي

**البراودي**، أسرة تطوانية كل ما نعلم عنها أنه كانت لها دار بحومة الترنكات سنة 1841/1257 حسب الإحصاء الذي جرى بالمدينة في السنة المذكورة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 351 ؛ ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البربر**، سبق تناول الموضوع في مادة أمازيغ. وإنما نقدم هنا بعض الإضافات والاستدراكات. ففيما يخص الكلمة، في حد ذاتها، يجب أن ننبه إلى أن لفظة بربر ظلت أزيد من اثنـي عشر قرناً هي الاسم التاريخي الذي أطلق على مجموع الشعوب الأمازيغية في عموم الشمال الأفريقي، كما نجد ذلك في سائر المصادر التاريخية باللغة العربية منذ ابن عبد الحكم (ت 257/ 871) إلى اليوم. ولا نجد المؤرخين يستعملون كلمة أمازيغ، مما يدل على أنها لم تكن رائجة بكثرة ولا معممة في سائر جهات أفريقيا الشمالية. وابن خلدون نفسه، المعروف بتقديره للبربر وإعجابه بهم، لم يستعملها، وكذلك عدد من الكتاب المنتمين للمناطق الأمازيغية مثل اليوسي وأبي القاسم الزياني والمختار السوسي الخ.

لكن، منذ أواسط هذا القرن، ظهر اتجاه لدى بعض المفكرين المغاربة لاستبدال كلمة بربر بكلمة أمازيغ، محتجين بأن هذا هو الاسم الذي يفضله المعنيون بالأمر في تسمية أنفسهم. وأما الاسم الآخر فهو مأخوذ عن اليونان، ثم الرومان الذين كانوا يطلقونه على الشعوب الأخرى من باب التنقيص والإهانة. وهكذا أطلقوه مثلا، على الشعوب الجرمانية والسلافية التي اكتسحت الامبراطورية الرومانية في الغرب ابتداء من القرن الرابع الميلادي للدلالة على توحشهم وبداوتهم.

لكن المؤرخ الأنتربولوجي گ. كامبس يعترض على الربط بين هذا الاسم وكلمة بربار Barbare الدالة على التوحش. فقد اعتاد الرومان أن يسموا الشعوب البربرية بأسمائها القبلية أو بأسماء أكثر شمولية مثل النوميديين والجيتوليين والمور. ولذلك، فهو يرجح أن تكون كلمة بربر محرفة عن اسم بڤار Bavares الذي يدل على اسم قبيلتين من المور عانى معهم ولاة موريتانيا الأمرين في آخر القرن الثالث الميلادي. وقد ظهر تحريف اسم بڤار إلى بربر في بعض المخطوطات اللاتينية القديمة ( انظر : G. Camps, *Les Berbères*, p. 86 ).

فالعرب حينما وصلوا بفتوحهم إلى أفريقيا الشمالية أخذوا هذا الاسم كما وجدوه مستعملا آنذاك، وميزوا بين طوائف من السكان في أفريقيا الشمالية، فذكروا الروم والأفارقة، وهم في الغالب الحضريون من بقايا القرطاجيين وغيرهم، والبربر، وهم عامة السكان في البوادي والصحارى. ولذلك، فإن كلمة بربر في النصوص العربية، قديمها وحديثها، بريئة من معنى التنقيص والازدراء، وإنما تدل عل اسم مجموعة من الشعوب لا تختلف في ذلك عن أسماء شعوب أخرى مثل الفرس والعرب واليونان الخ... وحينما كان الوطنيون المغاربة في الثلاثينات يستنكرون الظهير البربري، مرددين اللطيف في المساجد بعبارة "اللهم يا لطيف الطف بنا فيما جرت به المقادر، ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر"، كانوا يشحنون الكلمة بكل معاني العطف والتضامن والتقدير.

وإذا كانت المصادر العربية القديمة ملأى بالأساطير والروايات التي قد لا يقرها النقد التاريخي عن أصول

البربر، فإنها، مع ذلك، لا تخلو من دلالة لما تشير إليه من التقارب الذي بدأ ينمو بين العرب والبربر، منذ الفتح الإسلامي. فابن خلدون، الذي يخصص جزئين ضخمين من تاريخه للبربر ينقل عن عدد من النسابين البرابرة ربط عدد من كبريات قبائلهم بأنساب عربية مثل صنهاجة وزناتة ومكلاتة الخ... كما أورد جملة من أقوال العلماء العرب في هذا الصدد مثل ابن حزم والمسعودي والطبري وابن عبد البر. وإذا اعتبرنا أن مثل هاته الروايات لا تستند إلى حجة تاريخية فاصلة، فإنها، مع ذلك، تدفع بالمؤرخ إلى التساؤل: لماذا تكاثرت الروايات من هذا النوع الذي فيه إلحاح على ارتباط النسب بالعرب ؟ ولماذا لم ترد روايات أخرى مناقضة؟.

من المؤكد أن هذا راجع للتربية الإسلامية التي تغلغلت في مجتمع البربر، فجعلتهم يتعاطفون بسهولة مع العرب، قوم النبي عليه السلام. ولئن ثاروا على بعض الولاة الظالمين في آخر عهد الخلافة الأموية بالمشرق، فإنهم رحبوا بعد ذلك بإدريس بن عبد الله لما جاء يبشر بتطبيق الشريعة الإسلامية على حقيقتها، فساعدوه على تأسيس أول دولة إسلامية كان لها شأن في تاريخ المغرب.

ما هي منزلة البربر في التاريخ ؟ هنالك ما قبل التاريخ، وهنالك التاريخ. والاكتشافات الأثرية تبرهن على وجود الانسان بالمغرب منذ عهود سحيقة. وليس من السهل التأكيد بأن البربر ينحدرون من ذلك الإنسان القديم. كما أنه ليس من السهل الاتفاق على الأصول التي ينحدر منها البربر. فالمؤلفون يختلفون في آرائهم واستنتاجاتهم. هل جاءوا من الشرق ؟ هل جاءوا من الشمال أم من الجنوب ؟.

هنالك النظرية التي تريد أن تتجنب المشكل من أساسه فترى أن البربر لم يأتوا من أي جهة، بل إن أصلهم من البلاد التي يوجدون بها اليوم. ولكنها نظرية لا تصمد أمام الوقائع التاريخية. ونحن نعلم، مثلا، أن الفينيقيين أتوا من الشرق إلى الغرب، فنجد أثرهم في المغرب منذ ألف سنة قبل الميلاد، وكذلك الشأن بالنسبة للقرطاجيين، مما يدل على أن أفريقيا الشمالية لم تكن مقفلة أمام القادمين من الشرق. وحتى إذا افترضنا وجود عنصر محلي من السكان، فذلك لا يتنافى مع ورود عناصر أخرى من الخارج واختلاطها به.

وهذا ما تؤكده الأبحاث الأنتربولوجية، إذ تشير إلى ظهور رجل آخر ابتداءً من الألف الثامن قبل الميلاد يتميز عن النوع الذي وُجد قبله بعدة مميزات جسمانية، وهو ينتمي لفصيلة دعيت قريب من المتوسطي protoméditerranéen، ظهرت أولا في الشرق. مما جعل كامبس قائلا :

"إن هذا السير من الشرق إلى الغرب يدل على أنه من الضروري أن نبحث خارج حدود المغارب عن ظهور هذا الصنف البشري القريب من المتوسطي. وهنالك إجماع عام ما بين المختصين في الانتربولوجيا وعلم ما قبل التاريخ، في الوقت الراهن على أنه جاء من الشرق الأدنى" (ص 41).

بل يذهب هذا العالم المختص في الانتربولوجيا وما قبل التاريخ إلى أبعد من ذلك. إذ يبين في فقره أخرى كيف أن الضغط البشري على أفريقيا الشمالية كان ظاهرة مستمرة من الشرق وأن القريبين من المتوسطين أصبحوا هم أساس الساكنة المغاربية، وأن الحركة التي أتت بهم من الشرق الأدنى لم تنقطع في أي وقت من الأوقات، وأن علماء التاريخ والاركيولوجيا أبرزوا، بالخصوص، "الغارات" أو "الفتوح" في حين أنها تدخل في حركة بشرية لم تنقطع (48).

كما أن الأبحاث اللسانية المعاصرة تنتهي إلى تصنيف اللغات البربرية ضمن مجموعة كبيرة تسمى الحامية - السامية، وتجمع بين اللغة المصرية القديمة والكوشية والسامية. بحيث إن التقارب الملحوظ داخل المجموعة الحامية - السامية بين البربرية والمصرية والسامية يؤكد انتماء البربر لأصل شرقي قديم. وفي هذا الصدد يقول كامبس :

"إن هذه التوازيات ليست مجرد تشابهات معجمية. بل إنها تمس بنيات اللغات ذاتها مثل نظام الفعل وتصريف الأفعال والصيغة الثلاثية للأصول" (ص 55).

من هاته الملاحظات وغيرها، يتضح أن ماورد في المصادر العربية القديمة عن أصول البربر لا يصح طرحه ونبذه بالمرة. فابن حزم وابن خلدون وغيرهما حينما تحدثوا عن قبائل البربر وأنسابها استندوا إلى نسابين من البربر. وهؤلاء بدورهم كانوا يقدمون الروايات الشفوية (أو المكتوبة) التي كانت متداولة عند القبائل. ولا يهم أن تكون تلك الروايات صحيحة أو غير صحيحة. المهم هو أنها تترجم الاعتقاد السائد لدى تلك القبائل. وهذا الشعور الجماعي كانت له أهمية قصوى على مدى التاريخ. فهو الذي يفسر التعاطف الذي حصل بين البربر والقرطاجيين في العصور القديمة، وهو الذي يفسر اليوم نجاح الاتصال والالتحام الذي حصل بين البربر والعرب في العهد الإسلامي. فقد شعر البربر أن العرب، بسلوكهم وأسلوب عيشهم، من نفس الأسرة البشرية التي ينتمون إليها. وهذا بخلاف ما حدث لهم مع الرومان أو مع الدول الاستعمارية المعاصرة التي رفضوها رفضاً باتاً.

ومهما يكن، فنحن حينما نلقي نظرة شاملة على تاريخ البربر، نجد أنهم لم يستطيعوا أن يبرزوا بروزاً قوياً في التاريخ القديم بين شعوب البحر المتوسط مثل المصريين أو الفينيقيين أو اليونان أو الرومان، بل ظلوا، في الغالب، على هامش تلك الحضارات الكبرى، لسبب بسيط وهو أن "أفريقيا الشمالية - حسب الأركيولوجيا وكذلك النصوص - لم تعرف لا وحدة سياسية ولا ثقافية، سواء في عهود ما قبل التاريخ أو العهود القريبة من التاريخ أو في العهود التاريخية" (ن. م 77).

حقا، تأسست بعض الممالك والإمارات، وبرزت شخصيات ذات وزن مثل "ماسينيسا" أو "يوغرطا"، ولكن

أفريقيا الشمالية ظلت، بالإضافة إلى انقسامها وتشتتها، تحت النفوذ المباشر أو غير المباشر لدول أخرى مثل قرطاج، ثم روما، ثم بيزنطة، بحيث لا يسجل التاريخ طوال تلك العهود القديمة بروز دولة بربرية مستقلة بلغت درجة كبيرة من السطوة والأهمية وساهمت مساهمة ملحوظة في الحضارة.

وكان الإسلام أعظم حدث في تاريخ البربر، فقد حررهم من كابوس تلك السيطرة الاستعمارية القديمة التي كانت قاسية وامتدت على قرون، ومحا ذكراها من أذهانهم بفتح صفحة جديدة في تاريخهم. صحيح أن بعض الاصطدامات وقعت وبعض الأخطاء ارتكبت أثناء عمليات الفتوح. ولكن البربر رحبوا بالدين الجديد واعتنقته طوائف كثيرة منهم. وإلا كيف نفهم الثقة التي وضعها موسى بن نصير فيهم، حين أسند إليهم مهمة فتح الأندلس وجعل على رأس جيشهم قائداً منهم هو طارق بن زياد ؟.

ثم إن الفتح الإسلامي للمغارب لم يعن سيطرة عربية ثقيلة الوطأة ولم تصحبه مشاريع استعمارية واستغلالية أضرت بالسكان. يقول "كامبس" في هذا الموضوع :

"إن ثاني حدث تاريخي أثار انقلاباً في البنية الاجتماعية في العالم الأفريقي كان هو الفتح العربي. فخلافا لرأي منتشر بأوربا وما زال يتجرجر في الكتب المدرسية، فإن هذا الفتح لم يكن محاولة استعمارية، أي مشروعاً إسكانياً (لفائدة الفاتحين). بل إنه يتراءى كسلسلة من عمليات عسكرية التقى فيها حب الغنيمة مع الروح التبشيرية". (ن. م 129). بحيث إن البربر بعد جيل واحد إثر الفتوح تمكنوا من الاستقلال عن دولة الخلافة الشرقية، ومن تأسيس عدة دول كان من الممكن أن تتراجع عن الإسلام ولما يزل طرياً في البلاد، لكنها حرصت على أن تكون دولا إسلامية باختيار منها وتبنت أشد المذاهب إمعاناً في تطبيق تعاليم الإسلام، ألا وهو المذهب الخارجي. ولئن تمكن العباسيون من المحافظة على جزء من أفريقيا الشمالية تحت سيطرتهم، فإن كلا من المغرب الأوسط والمغرب الأقصى تمتع بكامل حريته وأصبح مصيره بيد أبنائه من البربر. ففي تلمسان دولة بربرية، وفي تاهرت دولة بربرية وفي سجلماسة دولة بربرية، وفي سبتة دولة بربرية، وفي تامسنا دولة بربرية،. وحتى الدولة الإدريسية نفسها يمكن اعتبارها بربرية، لأن إدريس بن عبد الله أتى وحده من المشرق لا يصحبه إلا مولاه راشد، والدولة التي أسسها قامت بفضل أوربة وغيرها من القبائل البربرية التي ذكرت في *القرطاس* وغيره من المصادر. وكذلك حدث بالنسبة للدولة الفاطمية بأفريقية التي قامت بفضل مساعدة قبيلة بربرية أخرى هي كتامة وغيرها من قبائل جبال جرجرة بشرق الجزائر الحالية.

وهذا الاستقلال التام الذي استمتع به البربر لأول مرة في تاريخهم بعد الفتح الإسلامي كان موضوع كتاب مهم لمؤرخ معروف بتخصصه في الاسلاميات وتاريخ أفريقيا الشمالية هو "جورج مارسي". وكتابه الذي صدر سنة 1946 يحمل عنوان *بلاد البربر الإسلامية والشرق في العصر الوسيط* *La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen Age*. وبعد أن درس التطورات التي مرت منها المغارب منذ الفتح الإسلامي وبين كيف أن الاتجاه السياسي العام كان هو الاستقلال عن الشرق، عرض للطفرة الجديدة التي حدثت في هذا الخط التحرري، قائلا :

"إن التحرر من تلك الوصاية إثر الغارة الهلالية، ذلك هو الموضوع الذي سنتابعه في مضاعفاته طوال أربعة قرون رسمنا خطوطها منذ قليل. فلئن كان المرابطون والموحدون والحفصيون والعبد الواديون والمرينيون يعترفون بسلطة روحية للمشرق أو يظهرون لها بعض التبجيل، فإنهم لا يدينون بسلطانهم إلا لأنفسهم ولا يطيعون أحداً. على أن هؤلاء الحكام المستقلين لبلاد البربر هم من سلالة بربرية محضة، برغم النسب العربي، وأحيانا الشريفي، الذي يمنحه بعض المؤرخين المتحببين" (ص 234).

شهادة لها أهميتها لأنها صادرة عن عالم فرنسي ينتمي لتلك المدرسة الاستعمارية التي لا تُجهل حساباتها الخاصة مع العرب والبربر حينما يتعلق الأمر بأفريقيا الشمالية. ومع ذلك، فقد كان لا مفر له من الإذعان إلى الأحداث والظواهر التي لا سبيل لتجاهلها.

وعلى أي، فإننا، حين نبحث عن ألمع العصور في تاريخ البربر وأزهاها، لا نجدها في التاريخ القديم بل في التاريخ الوسيط بعد دخول الاسلام إلى البلاد. فلأول مرة في التاريخ نشأت دول بربرية قوية ومستقلة مثل الدول الزيرية والحمادية في أفريقية، والدولة المرابطية التي كانت على رأس أمبراطورية كبيرة ضمت الصحراء الكبرى والمغرب الأقصى ونصف الجزائر الحالية والأندلس. ناهيك بالدولة الموحدية، وهي الدولة الوحيدة في التاريخ التي استطاعت أن تجمع بين أطراف بلاد البربر من حدود مصر إلى المحيط الأطلنتي. ثم نجد، في خاتمة المطاف، دولا بربرية أخرى اقتسمت الارث الموحدي : بني مرين في المغرب الأقصى والزيانيين في المغرب الأدنى، والحفصيين بأفريقية. وكلها دول شهد لها التاريخ بفترة من الصعود واللمعان، ثم دخلت طور التدهور والاندثار. ودخلت البلاد في عهد جديد أثناء القرن السادس عشر وتغيرت المعطيات السياسية رأساً على عقب، وانتهى عهد الدول البربرية، دن أن يغيب البربر عن الساحة السياسية والاجتماعية والثقافية.

لكن هاته الامبراطوريات والدول الكبيرة لم يقتصر حضورها التاريخي على تولى السلطة، بل أهم ما يقترن به ذكراها هو عطاؤها في ميدان العمران والحضارة والثقافة. ومازال البحث في هذا الشأن لم يستوف كل العناصر والمعطيات. ولكن ما نعرفه كاف الآن للحديث بكامل التحري واليقين عن أهمية مساهمتها.

فلدينا الهندسة المعمارية التي جلت فيها تلك الدول ولئن لم يبق لنا إلا القليل من مخلفات المرابطين ـ وهو قليل

نفيس وقيم. فلدينا مآثر الموحدين التي تزخر بها مراكش والرباط وسلا والأندلس وعدد من الأماكن الأخرى، إنها هندسة أصيلة تملأ العين بفخامتها ومتانتها وإتقانها وانسجام أطرافها كما يتجلى ذلك في مسجد الكتبية ومئذنتي حسان بالرباط والخيرالدا بأشبيلية. ولدينا بقايا من المصنوعات المختلفة من الخشب والخزف والجلد والنسيج تصعد بنا إلى تلك العهود البعيدة. ناهيك بالمعمار المريني من مدارس ومساجد وغيرها وما تميزت به من زخرفة على الخشب والجبس والزليج، مترسمة خطا الفن الأندلسي مع المحافظة على الطابع المغربي. مما دعا مؤرخي الفن إلى تسمية هذا الفن بالفن *الإسباني - المغربي* - *hispano mauresque*.

والحضارة تتجلى، أيضاً، في إقامة عدد من المؤسسات العمومية. وفي هذا الصدد نجد لتلك الدول ذكرا، إذ ساهموا في نشر التعليم عن طريق المدارس التي ذكرنا وعن استحداث أوقاف خاصة بالتعليم كانت مشجعاً لاضطلاع بعض المساجد الكبرى كالقرويين بتنظيم تعليم دائم. وهنالك بعض المؤسسات الصحية مثل المارستانات التي كانت تستقبل المرضى بعدد من المدن.

ومن أهم ما قامت به تلك الدول البربرية هو التنمية الثقافية التي سارت بخطى حثيثة في المغرب منذ عهد المرابطين. فإليها يرجع الفضل في نشر اللغة العربية بالمغرب وتنشئة أجيال متلاحقة من العلماء والأدباء والشعراء. فالمرابطون هم الذين أقاموا الترسيل العربي الجيد في دواوينهم واختاروا لذلك أجود الكتاب الأندلسيين مثل ابن الجد وأبي بكر بن القصيرة وابن أبي الخصال. فلما جاء الموحدون ساروا قدما في نفس الطريق وأقاموا حركات علمية واسعة كما يتضح ذلك من الرجوع إلى كتاب عبد الله گنون *النبوغ المغربي* وكتابي محمد المنوني *العلوم والآداب والفنون*، *وورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*.

وكان التعريب يجري بصورة طبيعية على يد تلك الدول البربرية، بدون ضغط ولا إكراه، لأنها لم تكن ترى في ذلك أي غضاضة أو أي تنكر لهويتها. بل إنها كانت تشعر يومئذ بأنها تقوم بواجب مقدس: خدمة الدين عن طريق تعليم لغة القرآن، وخدمة العلم الذي أصبحت لغته الرسمية في العالم الإسلامي هي العربية. ولم يكن أي تصادم بين الثقافات المحلية التي تختلف من جهة إلى أخرى وهذه الثقافة العربية الإسلامية المشاعة بين الجميع والتي كانت تمثل، عن جدارة واستحقاق، الثقافة الأكاديمية.

بل إن التاريخ يبرز ما هو أدعى للاعتبار من ذلك. ففي كل المناطق البربرية التي حدث فيها تحرك ثقافي كبير، ازدهرت اللغة العربية وعلومها وآدابها. نشاهد ذلك في الأطلس المتوسط عندما بزغ نجم الزاوية الدلائية فيما بين القرنين العاشر والحادي عشر (16 - 17 م)، فأصبحت في وقتها أعظم مركز ثقافي في المغرب، وتخرج منها نبغاء يأتي في طليعتهم أبو علي اليوسي. ونشاهده في سوس، أيضاً، التي آوت العديد من المدارس في كل الجهات وأنجبت مئات العلماء، واحتضنت خزائن ملأى بالمخطوطات العربية. ويكفي أن نذكر أن المختار السوسي احتاج لعشرين مجلداً ضخماً ليكتب تاريخ العلم والعماء بسوس.

وهكذا، فإن التعريب بالمغرب لم يفرضه أحد على المغاربة. ولم تكن وراءه لا قوة ولا سيف ولا ضغط معنوي، وإنما حمله التطور الطبيعي عبر القرون ونماه بينهم عن رضى وطواعية.

وكان من الطبيعي أن لا يروق هذا التطور المستعمرين، حينما جاءوا إلى أفريقيا الشمالية وأن ينهجوا سياسة فرق تسد. وظنوا أنهم وجدوا الثغرة التي يمكن أن ينفذوا منها لإحداث التفرقة حينما اكتشفوا وجود سكان يتكلمون البربرية وآخرين العربية. ولأول مرة في تاريخ المغرب بدأ يقع الإلحاح على الفوارق اللغوية بصورة مريبة. فالمغاربة عاشوا قروناً جنباً إلى جنب دون أن يلمسوا في تلك الفوارق أي خطورة. لكن الاستعمار أبى إلا أن يخلق ما دُعي "السياسة البربرية".

وقد بدأ تطبيق تلك السياسة منذ سنة 1859 بالجزائر حيث صدر قانون بفصل منطقة القبائل عن القضاء الشرعي تمهيداً لإلحاقها بالمحاكم الفرنسية. واستفاد الفرنسيون من تجربتهم بالجزائر لإعطاء فعالية أكبر لسياستهم البربرية بالمغرب. وقد بدأت محاولاتهم منذ 1914 أي بعد سنتين على إمضاء عقد الحماية، وذلك بصدور مرسوم يعترف لقبائل العرف البربري بأن تحكم وتنظم طبق قوانينها وأعرافها الخاصة تحت مراقبة السلطات. الشيء الذي يعني كسر الوحدة القضائية والتشريعية التي كان يعيش عليها المغاربة منذ قرون.

وقد كان المريشال ليوطي نفسه وراء هذه السياسة فهو الذي أصدر منشوراً جاء فيه: "ليس من حقنا، قبل كل شيء، أن نعلم اللغة العربية لأن اللغة العربية من عوامل الإسلام. فهي لغة القرآن. وتقضي مصلحتنا بأن يتطور البربر خارج نطاق الإسلام. أما فيما يتعلق باللغة، فيجب أن ننتقل من البربرية إلى الفرنسية".

وفي نفس الوقت كانت الجهات المسيحية تسعى لاستغلال هاته السياسة لتحويل البربر عن الاسلام. يقول "دولاسال": "سنترك المسيحية تؤثر في النفوس البربرية كما أثرت من قبل في نفوسنا، من غير أن نساعد عملها بوسائل شديدة أو رسمية، ولكن بإفساح المجال لها وعدم تشجيع ما يعاكسها. هذا ما يسهل بغير شك تفكيك عرى الكتلة العربية، وبالتالي القضاء على الإسلام في أفريقيتنا الشمالية لفائدة حضارتنا وجنسنا".

وتوجت تلك السياسة البربرية في المغرب بصدور "الظهير البربري" بتاريخ 16 مايو 1930. وهو الحدث الذي أقام الشعب المغربي وأقعده، فواجه لأول مرة بجد ومسؤولية تلك السياسة. وتجند المغاربة في كل جهة للاحتجاج عليها

ومقاومتها. وكانت منطلقا للحركة الوطنية في مرحلة التنظيم والنضال السياسي.

ولم يجن رجال الحماية من وراء سياسيتهم إلا الشوك، إذ واجههم السكان في المناطق البربرية بالاستنكار والمعارضة، وانخرطوا، هم أيضاً، في صفوف الحركة الوطنية، بحيث أفسدوا حسابات الاستعماريين، الذين برغم فشلهم ظلوا يعاندون الواقع ويواصلون تطبيق سياسيتهم. وجاءت المرحلة الأخيرة من معركة الاستقلال، فكان البربر من أول العناصر الذين ساهموا بنضالهم في سبيل تحرير البلاد سواء كمقاومين أو كجنود في جيش التحرير.

بقي أن نقول كلمة عن الثقافة البربرية التي يتحدث عنها البعض كمشكل، في حين أنها ليست بمشكل. والذي حال دون الاهتمام بها إلى حد الساعة هو أنها تراث غير مكتوب، في الغالب. وقد بدأ يهتم بعض الباحثين بجمع بعض ما تبقى منه في ذاكرات الناس. والتعريب الذي سار فيه المغرب بخطى حثيثة منذ الاستقلال لا يتنافى في شيء مع المحافظة على ذلك التراث إلى جانب التراث المكتوب باللغة العربية الدارجة. فهو تراث مغربي صميم يستحق كل عناية من جانب العلماء، لأنه سيفيد المؤرخ، والسوسيولوجي، والجغرافي، والاثنوغرافي، والأديب، والشاعر، والناقد الخ..

ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية والأندلس*، بيروت، 1964 ؛ ابن حزم، *جمهرة الأنساب*، دارالمعارف، 1962 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 و7، بيروت، 1959 ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، الرباط، 1976 ؛ *رسائل*، الدار البيضاء، 1981 ؛ أ. الزياني، *الترجمانة الكبرى*، نشر وزارة الأنباء ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ ع. الفاسي، *السياسة البربرية في مراكش*، القاهرة، 1952 ؛ *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة ؛ ح. بوعياد، *الحركة الوطنية والظهير البربري*، الدار البيضاء، 1979 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، المحمدية، 1960 ؛ *المعسول* ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، 1988 ؛ م. شفيق، *معلمة المغرب*، مادة أمازيغ ؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، الرباط، 1987.

*E.I*, 2ème éd. art. : *Berbères* ; G. Marçais, *La berbèrie Musulmane et l'Orient au Moyen Age*, Paris, 1946 ; G. Camps, *Berbères*, Ed. des Hespérides 1980 ; *Archives Berbères* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1950 ; Revue "*Maghreb*".

محمد زنيبر

**بَرْبْرو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وما زالت أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barbaro، إلا أنها انقرضت بتطوان سنة 1786/1200 ولم يبق بالمدينة ما يذكّر بوجودها سوى قبر سيدي أحمد البربرو الذي يوجد بدار تقع في زنقة الصفصافة بحومة العيون، وكان من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان :

**بَرْبْرو، محمد**، جندي كان تابعا لحامية تطوان سنة 1830/1246.

**بَرْبْرو، محمد** عدل كان ممن شهدوا ضد باشا تطوان سابقا عبدالكريم ابن زاكور في تصرفه الغير المشروع في أموال الأحباس، بمقتضى رسم عدلي مؤرخ في فاتح صفر 1767/1180، كما كان من بين أفراد هذه الأسرة :

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 32 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 261، 8 : 216 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

**البَرْبري**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Berbera، وهو كذلك اسم قرية بمقاطعة غرناطة، ومن المعروفين من بين أفراد هذه الأسرة :

**البربري، عبدالقادر** بن أحمد في عداد فقهاء المدينة. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1733/1145. وهي غير أسرة البريبري.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البربوشي** (أسرة -) ← **البرابيش**

**البربوشي، أحمد** بن البشير الرحماني باشا تزنيت. ولد حوالي 1293 / 1876 ودرس في زاوية النعيمي، لكنه كان ميالا إلى الفروسية فانخرط صغيراً في جيش المخزن وظهرت نجابته الحربية فرقي إلى قائد مائة، وبعد فرض الحماية على المغرب ظل يعمل في صفوف الجيش الفرنسي وشارك فيما يسمى بعمليات "التهدئة"، يقال إنه خاض نحو ثلاثمائة معركة أبدى خلالها شجاعة فائقة.

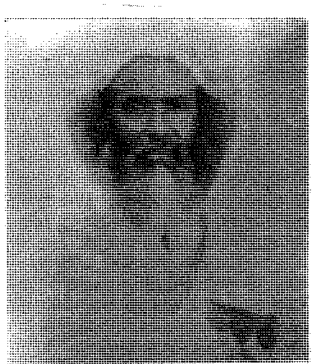

وفي سنة 1340 / 1921 عين باشا بمدينة تزنيت وظل مدة طويلة معدوداً من كبار قواد الجنوب. لم نقف على تاريخ وفاته.

J. et M. Gouvion, *Aayan al-Maghreb al-Akça*, 440 - 444.

محمد حجي

**البربوشي، البشير** بن عبد الحي الصحراوي. كان علامة فاضلا صوفيا، أخذ الطريقة الكنتية عن الشيخ المختار الخليفة بن محمد بن المختار، وأخذ عنه إذن الدعوات والأذكار. توفي المترحم بمراكش في حدود عام 1290 / 1873 ودفن بروضة الإمام السهيلي.

ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 3 : 77.

عبد الرزاق الصديقي

**البربوشي، العربي** (الحاج ـ) بن رحال بن علال الطلوحي الجعفري الزيني المراكشي. ولد بالرحامنة عام 1847/1264. وتلقى القرآن ومبادئ اللغة على الفقيه السيد البشير الصحراوي بحربيل. ثم رحل لمصر حيث أتم دراسته بجامع الأزهر، كما درس بالقدس والأردن. وفي أيام السلطان مولاي الحسن الأول استدعاه ليعلم أبناءه : مولاي أحمد، ومولاي الطاهر ومولاي بوبكر ومولاي حفيظ ومولاي جعفر وللا فاطمة بمدرسة احمر بزيمة، وكانت هذه المدرسة تضم نخبة من العلماء، كالفقيه السيد عبدالقادر بن قاسم الدكالي. ثم انتقل إلى الدار البيضاء بطلب من بعض طلبة العلم.

وفي أيام السلطان المولى عبد الحفيظ ذهب إليه المدني الأكلاوي طالبا منه باسم السلطان العودة إلى مراكش، فاستجاب لهذا الطلب وعُيِّن قاضيا على الرحامنة وزمران والسراغنة، وعيّن هو نُواباً عنه في كل جهة من هذه الجهات الثلاث، وأناب على منطقة تامصلوحت ابنه محمداً.

كما تولى القضاء في جهات أخرى كفاس والصويرة والبيضاء ومولاي بوشعيب بالجديدة. وقضى جل أوقاته في حلقات الدرس بجامع ابن يوسف زهاء ستين سنة، مثابرا على الدرس، لا يعرف الملل ولا السآمة، حتى إنه كان يختم *مختصر خليل* في أربعة أعوام. ومن شيوخه المغاربة : الحاج البشير البربوشي نزيل تركرت غربي مراكش على شاطئ نهر تانسيفت ؛ ومحمد ابن عبد الرحمان السريفي نزيل مدشر ابن مرقى ؛ وأحمد بن مبارك الجرناوي. وفي عام 1868/1285 رحل لفاس وقرأ بها على عبدالله بناني المدعو فرعون، ومحمد گنون، ومحمد بن عبدالرحمان العلوي، وأحمد بناني كلا، وغيرهم وأجازه جمع من أعيانهم.

ومن آثاره : *تهذيب البيان والجمع، في الفرق بين خطاب التكليف والوضع*. وبأوله تقريظ لعبدالله العياشي بن إبراهيم بن محمد بن زيدان المراكشي في فاتح شعبان 1909/1327.

توفي عام 1935/1354. ورثاه شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم.

م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 152.137 ؛ ع. الفاسي، *رياض الجنة*، 2 : 119 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط ؛ أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

**البربوشي، محمد المعطي** بن محمد الرحماني المراكشي، كان فقيهاً مشاركاً، درس بمراكش على علمائها كالفقيه السباعي، ولازم تدريس *مختصر خليل* و*ألفية ابن مالك* بجامع أبي العباس السبتي سنين عدة، وانتفع بعلمه طلبة كثيرون منهم الفقيه حمّ الضرير، وله *تأليف في التوحيد*.

توفي يوم الخميس سادس عشر محرم عام 1331 / 1913.

ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*. 7 : 181.

عبد الرزاق الصديقي

**بربيس**، جنس سمك من فصيلة الشبوطيات Cyprinidae. يسمى علميا Barbus ويعرف في الشرق بالبني نسبة إلى Barbus Binni الشائع في نهر النيل. يعرف في المغرب تحت اسم «الباربو» وهو مأخوذ من الفرنسية Barbeau.

يتميز البربيس عن باقي أجناس الفصيلة بأربع زوائد لحمية طويلة على شفتيه وبفم مفتوح أسفل رأسه. زعانفه الظهرية والشرجية قصيرتان ولونه أصفر بني لامع. الحراشف كبيرة وواضحة. يتراوح طوله ما بين 25 و 50 سم، ويصل وزنه إلى كلغ واحد.

يعد البربيس من الأسماك الشائعة في جميع الأنهار المغربية المرتفعة الحرارة. يعيش وسط مجموعات صغيرة وسط المياه الصافية السريعة المجرى. يختفي نهارا تحت الأحجار قرب الشلالات ويخرج ليلا ليأكل القواقع والقشريات الصغيرة والحشرات وبيض الأسماك وأحيانا النباتات. تأكل الكبار منه أحيانا الأسماك الصغيرة.

تتوجه المجموعات في فصل الربيع نحو أعالي الأنهار لتضع البيض على الصخور والحصى ويتم التلقيح، يتراوح عدد البيض حسب الأنواع من 3.000 إلى 32.000 بيضة مصفرة اللون تلتصق بالأحجار وتفرخ بعد أسبوعين أو ثلاثة. يصير الصغير بالغا بعد أربع أو خمس سنوات.

يتكون لحمه من عدة شويكات ويصير لذيذا عند الكبر. يسهل صيده بالصنارة في الصباح الباكر وفي المساء.

أغلب الأنهار المغربية ينقص ماؤها كثيرا في فصل الصيف وتتعدى حرارة مياهها 30 درجة مما يفسر وجود البربيس وحده فيها من بين الأسماك الأخرى وذلك لتحمله ارتفاع الحرارة.

تعيش في مياه المغرب ثمانية أنواع من جنس Barbus و ثلاثة أو أربعة أنواع من جنس Labeobarbus تعيش في الأنهار التي تصب في المحيط الأطلنتي.

من بين الأنواع الشائعة في نهر سبو وبو رقراق وأم الربيع وتانسيفت وسوس وماسة وفي بعض البحيرات والسدود نذكر Barbus callensis وB. L. fritschi و B. L. paytoni وB. L. reini.

J. Pellegrin, *Les poissons des eaux douces* ; C. Almaca, *Sur Les barbeaux (genre et sous-genre Barbus) de l'Afrique du Nord*. *Bull. Mus. Nat. Hist. Nat.* 2e série,42, 1 :141-158, 1970 ; P. Berrebi, *Contribution à l'étude du sous genre Labeobarbus (Genre Barbus, Poisson Cyprinides) Bul. Inst. Sci*, Rabat, nº 5 : 59-7.

محمد رمضاني

**بربيش**، أسرة جعلها بوجندار ضمن الأسر الأندلسية في تقسيمه لأهالي الرباط في كتابه *مقدمة الفتح*. ومن الراجح أنها هاجرت من الأندلس أثناء الجلاء الأخير بعد قرار فيليب الثالث سنة 1609، كمثيلاتها من الأسر المهاجرة، مثل مورينو وبركاش وبريس الخ.

لكن لا يوجد في كتب الحوليات ولا عند النسابين والمؤرخين ذكر لهذه الأسرة عدا ما جاء عند *الضعيف* من أن

قائداً يدعى بوجيدة بريبش توفي سنة 1130. وحتى هذا الشخص لم يشر المؤرخ إلى المنطقة التي كان قائداً فيها، ومن خلال سياق كلامه يفهم أنه مات بوباء ذهب ضحيته أيضا القائد أحمد بن حدو والوزير الشاعر أحمد اليحمدي. ولا يمكن التعرف على مدى قرابة بوجيدة بريبش من أسرة بريبش الرباطية.

وعلى كل حال فإنما برز من هذه الأسرة من يستحق الذكر بعد القرن التاسع عشر حسب مصادرنا.

**بريبش، محمد** بن عبدالله، من علماء الرباط الذين كانت لهم دراية واسعة بالنحو واللغة حتى قيل عنه «سيبويه عصره وشيخ النحاة في مصره». وكان له كامل الإلمام *بالأجرومية* و*ألفية* ابن مالك و*كافية* ابن الحاجب. قال فيه القاضي محمد الرندة :"ما رأيت أعرف منه بالتوجيهات النحوية ومذاهبها، بل والمذاهب الشاذة وما فيها من الخلاف القائم بين أصحابها. وكان يلقي دروسه بمسجد الجزاء، كما كان منزله مأوى للطلبة والمتعلمين. وممن تخرج على يده أحمد بن إبراهيم وعبدالسلام الزيادي الخ".

مات عزبا يوم الأربعاء 24 ذي القعدة 1898/1316، ودفن بمقبرة لعلو بضريح سيدي حسن المسكيني.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ت. أحمد العماري، 96 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 220 ؛ *مقدمة الفتح*، 194 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 102 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 258.

عبدالاله الفاسي

**بريبش، المكي** بن أحمد الرباطي، أستاذ مجود عارف بالقراءات السبع أخذها عن الشيخين الأستاذين عبد السلام ملين ومحمد المهدي متجينوش وأجازه هذا الأخير، كما درس *الشاطبية* بشرح ابن القاصح في علوم القرآن على الشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي.

اشتغل المكي بريبش طوال حياته مدرراً يعلم الصبيان القرآن الكريم، ويدرس للكبار متون علم القراءات، كما كان من بين الأساتذة الذين يقرؤون الحزب بالروايات السبع في الزاوية الرحمانية بعد صلاة العصر إلى أن أدركته الوفاة بمسقط رأسه في عاشر شوال عام 1373 / 12 يونيه 1954.

ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 463 . 464.

محمد حجي

**بريبش**، قرية من القرى المندثرة بسبب الاحتلال البرتغالي لسبتة ولوجودها داخل النطاق المحتل. ففي ديسمبر سنة 1415 أعلن من سبتة عن هجرة سكان القرية بعيدا إلى الجبال الداخلية. فقرية بريبش من القرى الوادية، حسب تعبير الأنصاري، متصلة بتل مرتفع، اعتاد مجاهدو جزولة، المرابطون حول المدينة، اتخاذه طالعا لمراقبة تحركات حامية سبتة. ويعرف هذا التل لدى البرتغاليين بجبل جزولة. ويقع المدشر في الزاوية الجنوبية الغربية من جبل غمارة (ظهر سبتة).

Gomes Eanes de Azurara, *Cronica do D. Pedro de Meneses*, t. I, chp. 47, p. 186,187,189, t : II, p. 95.

حسن الفكيكي

**بَرْبيل**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Berbel، وقد انقرضت بتطوان سنة 1677/1088 على إثر الوباء الذي كاد يقضي على سكان المدينة.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

**بَرْبيلْيَة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ولعل الاسم محرّف عن كلمة مربيبا Marbella على غرار التحريف الذي وقع لاسم مالضوناضو Maldonado الذي أصبح يكتب بلضوناضو، وعلى كل حال فإن أسرة بربيلية انقرضت بتطوان على إثر الوباء الذي قضى على عدد كبير من سكان المدينة سنة 1677/1088.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البرتغال** في المغرب، (818 . 1183 / 1415 . 1769) اختلف المؤرخون البرتغاليون المحدثون اختلافا كبيرا حول السبب الرئيسي لغزو سبتة والدخول فيما عبر عنه "بالمغامرة المغربية". ودون الخوض في مناقشة مختلف الآراء، يمكن القول إن غزو المغرب مر بمرحلتين متميزتين تختلفان من الناحية الزمانية والجغرافية ومن ناحية الأسباب والدوافع والوسائل المسخرة لها، وكذا الغايات المتوخاة منها.

ففي مرحلة أولى تخص القسم الشمالي من سواحل المغرب، سيطرت الدوافع الإستراتيجية سيطرة مطلقة (حماية أمن البرتغال وضمان سلامة ملاحته والقضاء على الجهاد البحري والحيلولة دون سقوط تلك الثغور في أيدي العثمانيين الخ.) ولتحقيق هذه الأهداف كان الغزو والاحتلال غاية في حد ذاته، استعملت فيه الأساطيل ووسائل عسكرية ضخمة كان الملوك والأمراء وكبارالنبلاء على رأسها. وقد تمت هذه المرحلة خلال القرن الخامس عشر إذ دخلت جيوش يوحنا الأول سبتة يوم 21 غشت 1415، بينما احتل القصر الصغير يوم 23 أكتوبر 1458. وتمكن ألفونصو الخامس من دخول أصيلا يوم 24 غشت 1471 بينما استسلمت طنجة دون حرب بعد ذلك بخمسة أيام، وذلك بعد أن افشلت ثلاث محاولات عسكرية برتغالية سابقة (1437، 1463، 1464). وهكذا يبدو أن الغزو في هذا القسم من المغرب لم يكن شاملا ولو للسواحل التي بقيت بها بعض المدن حرة كتطوان والعرائش. كما امتاز الغزو بانعدام الاستمرارية والتعثر إذ بين تاريخ احتلال ثغر وآخر مدد تفوق العقدين. ورغم ضعف المرينيين والوطاسيين فقد مني البرتغاليون في هذا القسم من المغرب بهزائم كبرى : فاجعة طنجة سنة 1437، فشل الهجومين على طنجة (1463 . 1464) والهزيمة بجزيرة المليحة قرب القصر الكبير (1489) (*دكالة*، 161).

أما المرحلة الثانية فتهم السهول الممتدة جنوب أبي

رقراق. وتختلف عن الأولى اختلافا كبيرا. (على الأقل على مستوى تصور الإدارة المركزية البرتغالية).

فقد سيطرت العوامل التجارية سيطرة مطلقة نظرا لخصوبة أراضي هذه الربوع وكثرة إنتاجها لمواد زراعية وحيوانية كان البرتغال في أمس الحاجة إليها. ففضلا عن الحبوب التي كان البرتغال يحتاج إليها لسد حاجته الخاصة وحاجة حاميات الثغور الشمالية (2000 طن/سنة) وكذا لعرضه بمركز أركان (Arguin) (بالساحل الموريطاني الحالي) أصبحت تلك السهول تكتسي بالنسبة لملك البرتغال، الذي كان أكبر تجار بلاده، أهمية قصوى لتوفرها كذلك على الخيول والأنسجة الصوفية والنحاس، الخ. وقد كان البرتغاليون يبادلون سود غرب افريقيا بتلك السلع المغربية - وخصوصا منها الأنسجة الصوفية - مقابل التبر والعبيد. وبذلك تزايدت مكانة أسفي وأزمور وأكدير لدى البرتغاليين الذين أوكلوا لكل واحدة منها دوراً تجارياً معيناً. وقد انعكست هذه الأهمية التجارية على الوسائل المستعملة للتحكم في تلك الثغور. فقد اعتمد البرتغاليون هنا على الدبلوماسية وإشراك الحكام والأعيان في الربح لدفعهم إلى الاعتراف بالسلطة البرتغالية وإدخال مدنهم تحت حماية التاج البرتغالي.

وقد نجح البرتغاليون في تحقيق هذه السياسة بأسفي (قبل 1481) وأزمور (1486) وماسة (1497). إلا أن هـذه الحقبة لم تطل لتضارب مصالح التجار والعسكريين البرتغاليين، وللمقاومة العنيفة التي واجه بها سكان المدن التغلغل المسيحي. وبذلك اضطر البرتغاليون إلى الانتقال إلى مرحلة الاحتلال الفعلي ابتداء من مطلع القرن السادس عشر : أگدير (1505) امگدول (1506) أسفي (1508) أزمور (1513) ومازيغن (1514). وقد انعكس الغزو على الثغور وظهيرها. فقد قلص البرتغاليون من رقعة المدن المحتلة - التي هجرها سكانها المغاربة - وأحاطوها بأسوار سميكة من الحجر وبخنادق مائية. وزيادة في الحيطة شيدوا داخلها قصبات منيعة. وقد استغل البرتغاليون ضعف السلطة المركزية وتناحر القبائل ومساعدة بعض الشيوخ كيحيى ابن تعفوفت بدكالة، ومالك بن داود بالسوس الخ، لانتهاج سياسة الأرض المحروقة والقيام بغارات خاطفة استهدفت المغاربة وأنعامهم. وقد وصلت تلك الغارات ألى نقط بعيدة عن الساحل كشرق مراكش وضواحي الرباط (بالنسبة لحامية أزمور) وجبل الحبيب ووزان الحالية (بالنسبة لحامية أصيلا).

نتج عن هذه الغارات خسائر بشرية فادحة، إذ بلغ عدد الأسرى - دون الإشارة للقتلى - أكثر من 5000 بجبل بني گرفط وحده. واعتمادا على مصدرين إخباريين برتغاليين يغطيان الفترة الممتدة من 1494 إلى 1550 أحصينا حوالي عشرة آلاف أسير مغربي، مع أن المصدرين لم يذكرا عدد الأسرى إلا بالنسبة لـ 72 غارة من مجموع 186.

وبالطبع لم تتأخر ردود الفعل المغربية. فقد سارع الأولياء والفقهاء وبعض شيوخ القبائل إلى تأطير الجهاد والحث عليه (ابن عسكر، *الدوحة*) وذلك قبل أن يضطر الوطاسيون، خصوصا في عهد محمد البرتغالي إلى التحرك وزعزعة المكتسبات البرتغالية بالهبط والمعمورة (حررها الناصر الوطاسي سنة احتلالها 1515) وبدكالة. غير أن الضربة القاضية جاءت البرتغاليين على يد ابني القائم بأمر الله السعدي وخصوصا على يد ابنه الأصغر محمد الشيخ الذي انتزع منهم اعتمادا على مدفعيته وجيشه المدرب على تقنيات الحرب الحديثة أگدير في ربيع 1541. وخوفا من هزيمة جديدة أخلى البرتغاليون أسفي وأزمور 1541، وبعد دخول محمد الشيخ السعدي إلى فاس 1549 أخلوا من جديد أصيلا والقصر الصغير 1550. وبذلك انحصر الوجود البرتغالي في طنجة وسبتة ومازيغن. وقد حاول دون سبستيان الهجوم من جديد على المغرب إلا أن حملته انتهت في معركة وادي المخازن بالمصير المعروف 1578 حيث امّحت الدولة البرتغالية من الخريطة السياسية وأصبحت هي ومستعمراتها تحت سيطرة التاج الإسباني أزيد من ستين سنة. وقد تحررت طنجة على يد المولى إسماعيل سنة 1684، ومازيغن على يد سيدي محمد بن عبد الله سنة 1769، وما تزال سبتة في الأسر بعد ان انتقلت إلى أيدي الإسبان سنة 1640.

أ. بوشرب، *دكالة*.

R. Ricard (Traducteur), *Les Portugais au Maroc*... Rabat 1937 ; *Les Portugais et l'Afrique du Nord*, Paris 1940, T. XIV N 39, 1939 ; *S.I.H.M.*, 1ère série, *Portugal*, 5 Vol.

أحمد بوشرب

**البرتغال** والمغرب، (العلاقات السياسية) لا شك في أن أول اتفاقية أبرمها المغرب مع البرتغال كانت في الوقت الذي لم تكن هذه الدولة قد استكملت كيانها. وإنما كانت مجرد إمارة صغيرة على رأسها الأمير الفونصو انريكيث Alfonso Enriquez الذي وقع مع السلطان يوسف بن عبد المومن على اتفاقية هدنة لمدة خمس سنوات أبرمت بأشبيلية في شهر ربيع الأول عام 569 / أكتوبر 1173.

ومرت عشرات السنين دون أن تكون هناك أية علاقة سياسية بين المغرب والبرتغال بسبب الحروب التي كانت بينهما بدليل أن السلطان المذكور مات من جراء الجروح التي أصابته أثناء معركة شنترين التي جرت بأرض البرتغال سنة 580 / 1184. وكان الفاتيكان يعلق على البرتغال آمالا كبيرة في أن تكون الدولة المسيحية التي تتزعم الحملة الصليبية ضد المغرب، حيث نجد البابا گريگوريو التاسع يصدر يوم 20 أكتوبر 1232 صكاً يأمر فيه الأمير البرتغالي سانشو الثاني Sancho II بأن يتابع الحرب ضد المسلمين بأرض الأندلس والمغرب.

ويقول ابن مرزوق في *المسند* إن السلطان أبا الحسن المريني فقد المصحف العثماني في معركة طريف المعروفة عند الإسبانيين والبرتغاليين بمعركة وادي الملح Rio Salado التي جرت يوم 8 جمادى الأولى عام 741 / 30 أكتوبر 1340،

هذه المعركة التي شارك فيها الملك البرتغالي الفونصو الرابع Alfonso IV بجانب ملك قشتالة الفونصو الحادي عشر Alfonso XI ويبدو أن الجنود البرتغاليين هم الذين استولوا على المصحف الكريم الذي من أجل استرجاعه بعث السلطان المريني إلى لشبونة التاجر الحسن بن جمي الزموري فاستطاع أن يفدى المصحف سنة 745 / 1344 "بآلاف من الذهب".

ويقول النميري في *فيض العباب* إنه على إثر الهجوم الذي قام به الأسطول المغربي على ميناء لاگوش Lagos البرتغالي سنة 756 / 1355 بعث الأمير البرتغالي الفونصو الرابع Alfonso IV سفارة إلى السلطان أبي عنان المريني في شهر شوال عام 757 / أكتوبر 1356، لا شك أن الغرض منها كان هو افتداء البرتغاليين الذين أسرهم المغاربة بالميناء المذكور.

وفي سنة 787 / 1385 استكملت البرتغال وحدتها الترابية على إثر انتصار الأمير خوان الأول Juan I على ملك قشتالة خوان الثاني Juan II في معركة الخوبروطا Aljubarrota التي جرت يوم 7 رجب 787 / 14 غشت 1385 حيث اعترف ملك قشتالة بالأمير خوان الأول كملك لدولة البرتغال المستقلة.

وفي تلك الأثناء كان السلطان محمد بن عبد العزيز المريني قد تخلى عن آخر معقل مغربي بالأندلس وهو مدينة جبل طارق التي انسحبت منها القوات المغربية سنة 776 / 1374، الشيء الذي جعل البرتغاليين يفكرون في الاستيلاء على مدينة سبتة، فتم لهم ذلك يوم 14 جمادى الثانية 818 / 12 غشت 1415.

وفي سنة 841 / 1437 قام الملك البرتغالي دوارطي الأول Duarte I بأول محاولة من أجل الاستيلاء على مدينة طنجة، غير أن الجيش البرتغالي عندما كان يحاصر المدينة المذكورة وجد نفسه مطوقاً من طرف القوات المغربية فاضطر الأمير البرتغالي دون أنريكي Don Enrique إلى التفاوض مع القائد المغربي صالح بن صالح العزفي على أساس أن يسمح للقوات البرتغالية بالانسحاب من أرض المغرب مقابل إرجاع مدينة سبتة لحظيرة الوطن. (معاهدة 15 ربيع الثاني 841 / 16 أكتوبر 1437) وبقي الأمير البرتغالي دون فيرناندو Don Fernando رهينة عند المغاربة إلى أن يتم تسليم مدينة سبتة.

وفي 5 يناير 1443 أصدر البابا أوخينيو الرابع Eugenio IV صكاً يخول ملك البرتغال الفونصو الخامس "حق" احتلال الأراضي المغربية الممتدة من مدينة سبتة إلى الرأس الأبيض بالمحيط الأطلنتي. ومن المعلوم أن هذا "الحق" تم إقراره بمقتضى الصك الذي أصدره البابا نيكولاس الخامس Nicolas V يوم 8 يناير 1455، والصك الذي أصدره البابا كاليكسطو الثالث Calixto III يوم 13 مارس 1456.

وفي يوم 23 أكتوبر 1458 تمكن الأسطول البرتغالي بقيادة الملك الفونصو الخامس من احتلال مدينة القصر الصغير. ثم احتل البرتغاليون مدينتي أصيلا وطنجة يومي 24 و28 غشت فاضطر الأمير محمد الشيخ الوطاسي الذي كان يطالب بعرش المغرب إلى مهادنة البرتغال ليتمكن من متابعة حصار عاصمة فاس، فأبرم مع الفونصو الخامس معاهدة هدنة لمدة عشرين سنة تم توقيعها على ضفة وادي الحلو قرب أصيلا يوم 12 ربيع الأول 876 / 29 غشت 1471، ووقع محمد الشيخ أيضاً اتفاقاً سرياً مع ملك قشتالة فيرناندو الكاثوليكي Fernando el Catolico لإقامة حصار مشترك مغربي قشتالي على مدينة سبتة سنة 881 / 1476.

وفي سنة 884 / 1479 احتد النزاع القائم بين البرتغال وقشتالة حول المغرب لدرجة أن البابا سيكسطو الرابع Sixto IV اضطر إلى التدخل وفرض على الدولتين الدخول في مفاوضات تحت إشرافه، انتهت بالتوقيع على معاهدة الكاثوباس Alcaçobas ليوم 4 سبتمبر 1479 التي اعترف فيها ملك البرتغال بحق قشتالة في احتلال الجزر الخالدات كما اعترف ملك قشتالة بحق البرتغال في احتلال المغرب، وأقر البابا هذه المعاهدة بصك أصدره يوم 9 يونيو 1481.

وفي رابع فبراير 1489 قام الأسطول البرتغالي باحتلال جزيرة المليحة La Graciosa الواقعة داخل وادي لكوس، غير أن الحامية التي تمكنت من السطو على الجزيرة لم تستطع الصمود في وجه المغاربة الذين حاصروها، فاضطر قائدها إلى التفاوض مع السلطان محمد الشيخ لكي يُسمح له بمغادرة الجزيرة وأسفرت المفاوضات عن إبرام معاهدة هدنة لمدة عشر سنوات تم التوقيع عليها بشمس Lexus يوم 30 رمضان 894 / 27 غشت 1489.

وعندما تمكنت قشتالة من القضاء على مملكة غرناطة المسلمة سنة 897 / 1492 بدأت الملكة إيسابيل الكاثوليكية Isabel la Catolica تطالب بـ"حقها" في الشاطئ المغربي الموالي للجزر الخالدات، ضاربة بالمعاهدة المبرمة مع البرتغال سنة 884 / 1479 عرض الحائط، وتدخل البابا من جديد وأمر بإجراء مفاوضات انتهت بالتوقيع على معاهدة طورديسياس Tordesillas يوم 3 رمضان 899 / 7 يونيو 1494 التي اعترفت بمقتضاها البرتغال بـ"حق" قتشالة في احتلال مدينتي مليلية وغساسة.

وفي سنة 910 / 1505 اعتلى عرش المغرب محمد البرتغالي ابن السلطان محمد الشيخ الوطاسي، وفي أيامه قام البرتغاليون باحتلال عدة ثغور في جنوب المغرب، منها فونتي بالقرب من أگادير والقلعة الملكية Castella Réal وحصن گوز، ومدينة أسفي (6 يوليوز 1508).

ولما احتل الإسبان جزيرة بادس والحصن المجاور لها يوم 24 ربيع الأول عام 914 / 23 يوليوز 1508. عملاً بوصية إيسابيل الكاثوليكية بمتابعة غزو المغرب، طالب ملك البرتغال مانويل الأول Manuel I بأن تسلم له جزيرة بادس لأنها من "حقه" فتدخل البابا من جديد وأبرمت معاهدة ثالثة بخصوص المغرب في مدينة ثينطرا Cintra يوم 18 سبتمبر 1509.

وتابع البرتغاليون غزو الشواطئ المغربية فاحتلوا مدينة

أزمور (3 شتنبر 1513) وحصن البريجة ـ مازيغن ـ (يونيه 1514) وقصبة المعمورة (المهدية) على مصب واد سبو (24 يونيه 1515) لكنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ بها إلا بضعة أسابيع خرجوا بعدها مدحورين متكبدين خسائر فادحة. وفي هذه الأثناء كانت تجري مكاتبات بين ملك البرتغال وأمير مراكش ناصر الهنتاتي قصد إقامة علاقات تجارية بينهما، لكن لم يتم شيء من ذلك بسبب سقوط مدينة مراكش في يد الأمير السعدي أحمد الأعرج.

وبالرغم عما عرف به الملك الوطاسي محمد البرتغالي من حركات جهادية متتالية ضد الثغور المحتلة وخاصة أصيلا، فإننا نجده يوجه إلى ملك البرتغال مانويل الأول رسالتين بتاريخ 23 جمادى الأولى 920 / 16 يوليوز 1514 و28 ذي القعدة / 14 يناير 1515 يطلب منه ألا يعترض الأسطول البرتغالي طريق السفن المغربية المتوجهة إلى الجزائر وتونس.

وتحسنت العلاقات بعد ذلك بين البرتغاليين والوطاسيين حكام فاس لكن الشرفاء السعديين ما لبثوا أن قضوا على هؤلاء وأولئك.

وعن علاقات البرتغاليين بالشرفاء السعديين في الطور الأول لتأسيس إمارتهم، فقد غلب طابع الحرب والقتال، لكن هناك اتصالات ذات طابع سلمي في فترات محدودة ولدواع ظرفية قصيرة. فقد بعث حاكم أسفي القبطان البرتغالي كونثالو مينديث Conzalo Mendez في شوال929/ سبتمبر 1523 مبعوثه بيدرو ماشادو Pedro Machado للتفاوض مع أحمد الأعرج بمراكش من أجل إبرام اتفاقية هدنة لم نعرف عنها شيئا، ولو أن هناك من يقول إنه تم التوقيع على هدنة لمدة ثلاثة أشهر، في حين أن الهدنة المحققة هي التي أبرمت سنة 931 / 1524 لمدة ثلاث سنوات بين حاكم فونتي أنطونيو لايْطاو Antonio Laitao والأمير محمد الشيخ السعدي.

وتبودلت مراسلات بشأن الأوضاع العسكرية ببلاد عبدة بين الأمير أحمد الأعرج صاحب مراكش والملك البرتغالي خوان الثالث، ووقعت اتفاقيات أخرى قصيرة المدى بين هذا الأمير وأخيه محمد الشيخ المهدي مع حكام الثغور المحتلة أو مع مبعوثي الملك البرتغالي. لكن الحرب لم تضع أوزارها إلا بعد معركة وادي المخازن.

ومن المعلوم أن محمداً المتوكل السعدي عندما خلعه عمه عبد الملك وفقد الأمل في استرجاع عرشه لأن النصر كان حليفاً لعمه في جميع المعارك التي جرت بينهما استنجد المتوكل حينئذ بملك البرتغال دون سيباستيان Don Sebastian الذي استجاب لطلبه لحاجة في نفس يعقوب وهي تحقيق حلم كان يراوده منذ أن اعتلى عرش بلاده، وهو احتلال المغرب وضمه إلى إمبراطوريته. وأراد أن يُشرك خاله ملك قشتالة فيليب الثاني Felipe II فقابله بمدينة گوادالوبي يوم 24 نوفمبر 1576 وكانت النتيجة أن رفض العاهل القشتالي عرض ابن أخته ونصحه بعدم الإقدام على غزو المغرب. لكن سيباستيان لم ينتصح وبقي مصراً على تنفيذ فكرته. وبعد استعدادات هائلة نزلت القوات البرتغالية ومن انضاف إليها من المرتزقة الأوربيين الصليبيين بقيادة الملك سيباستيان في مدينة أصيلا التي سلمها المتوكل المخلوع للبرتغاليين.

وبعد أن جرت معركة تامذا المعروفة بمعركة وادي المخازن يوم 30 جمادى الأولى 986 / 4 غشت 1578 حيث استشهد الملك عبد الملك، ولقى حتفه الملك سيباستيان ومات غريقا السلطان المخلوع، عندئذ حاول الملك البرتغالي الجديد الكاردنال دون إنريكي Don Enrique الحصول على جثة سيباستيان. لكن السلطان أحمد المنصور الذهبي فضل تسليم الجثة إلى الملك الإسباني فيليب الثاني حسب ما جاء في الرسالة التي وجهها إليه يوم ثاني رمضان 986 / 2 نوفمبر 1578، وقد تم تسليم الجثة إلى حاكم سبتة يوم 4 شوال / 4 ديسمبر.

وفي شهر جمادى الأولى 987 / يوليوز 1579 وصل إلى مراكش السفير البرتغالي فرانثيسكو دا كوسطا Francisco da Costa من أجل التفاوض في أمر إطلاق سراح الأسرى البرتغاليين بمعركة تامذا.

وعند وفاة الكاردنال إنريكي يوم 31 يناير 1580 تمكن ملك إسبانيا فيليب الثاني من احتلال البرتغال، وعندئذ أصبحت العلاقات المغربية ـ البرتغالية متناسقة مع العلاقات المغربية ـ الإسبانية إلى غاية سنة 1640.

خلال هذه المدة كان ملك إسبانيا يضغط على أحمد المنصور باستغلال وجود كل من الأمير الشيخ ابن المتوكل وعمه الناصر بن عبد الله الغالب الملتجئين إلى البرتغال ثم إلى إسبانيا بعد معركة وادي المخازن، فصار فيليب الثاني يستعملهما كمطالبين بعرش المغرب. وفي المقابل لعب أحمد المنصور ورقة مساعدة الأمير البرتغالي دون أنطونيو Don Antonio المطالب بعرش جده مانويل الأول Manuel I بمساعدة ملكة انكلترا إليزابيط الثانية.

تبودلت رسائل بين المنصور وإليزابيط ودون أنطونيو، وتنقل السفراء بين مراكش ولندرة. وفي شهر ديسمبر سنة 1588 حل بمراكش الأمير دون كريطوبال Don Cristophal ابن الأمير دون أنطونيو ليظل رهينة بالمغرب. ويبدو أنه عندما كان بالمغرب السفير البريطاني برين إدوار Prynne Edwerd في شهر فبراير 1589 وقع الاتفاق على أن الأسطول المغربي سيشارك في الهجوم الذي سيشنه الأسطول البريطاني على عاصمة لشبونة لمساعدة الأمير دون أنطونيو على استرجاع عرش أسلافه، وقد قام الأسطول البريطاني بحملته الفاشلة على لشبونة في شهر يونيو من نفس السنة دون مشاركة الأسطول المغربي لأسباب غير واضحة. ولعل عدم المشاركة المغربية في الهجوم على لشبونة هو الذي حمل العاهل الإسباني على تسليم مدينة أصيلا إلى المنصور في يوم 3 ذي القعدة 997 / 13 سبتمبر 1589.

ثم تحسنت علاقات حاكم البريجة البرتغالي خورخي ماسكارنهاس Jorge Mascarenhas بالسلطان زيدان ابن

أحمد المنصور، وحل بأسفي في 13 يناير 1619 مبعوث هذا الحاكم للتفاوض في أمر إطلاق سراح بعض الأسرى البرتغاليين.

وتقول المصادر البرتغالية إنه في يوم 25 يوليوز 1624 تقابل الملك زيدان مع حاكم البريجة - مازيغن - گونثالو كوطينيو Gonzalo Coutiño بضواحي المدينة، ويجهل فحوى المحادثات التي جرت بينهما. وتوالت الاتصالات الحبية وهدايا الحاكم البرتغالي للسلطان زيدان.

وفي 16 شعبان 1050 / فاتح ديسمبر 1640 ثار الشعب البرتغالي ضد الاحتلال الإسباني وتمت مبايعة دوق ذي براگانثا Dugue de Braganza كملك للبرتغال باسم جوان الرابع Juan IV وكان مصير الثغور المغربية المحتلة من طرف البرتغال أن أعلن حاكم البريجة اعترافه بالملك الجديد في حين تمكن الإسبانيون القاطنون في كل من سبتة وطنجة من إلقاء القبض على الحاكم البرتغالي والإعلان عن ولائهم للملك الإسباني فيليب الرابع.

وبعد ثلاث سنوات تمكن السكان البرتغاليون بطنجة من إلقاء القبض على الحاكم الإسباني وإعلان ولائهم للعاهل البرتغالي يوم 12 جمادى الثانية 1053 / 24 غشت 1643، إلا أن البرتغال لم تحتفظ طويلاً بطنجة حيث سلمها الملك البرتغالي الفونصو السادس Afonso VI إلى ملك بريطانيا العظمى كارلوس الثاني Charles II في يناير من سنة 1662، فلم يعد البرتغاليون يحتلون بأرض المغرب سوى مدينة البريجة - مازيغن -.

وفي عهد مولاي إسماعيل بعث إليه الملك البرتغالي بيدرو الثاني سفيره انطونيو دا سيلفا بيريرا Antonio Da Silva Pereira مصحوباً بحاكم البريجة كريسطوبال وتم استقبالهما من طرف الملك يوم 30 جمادى الثانية 1088 / 30 غشت 1677.

وحلت بمكناس سفارة برتغالية أخرى بعثها نفس الملك في شهر محرم 1101 / أكتوبر 1689 للعمل على إطلاق سراح الأسرى البرتغاليين، غير أن مولاي إسماعيل رفض استقبالها مادامت البرتغال تحتل مدينة البريجة، في حين نجد مولاي إسماعيل يستقبل بمكناس السفير البرتغالي خوسي الفاريس Jose Alvarez ويتفاوض معه في أمر الأسرى ولكنه اشترط عليه أن تنسحب البرتغال عن البريجة لإطلاق سراحهم، (ربيع الثاني 1102 / 1690).

وبعد تردد سفراء برتغاليين آخرين على مكناس وجه مولاي إسماعيل رسالة إلى العاهل البرتغالي في 3 صفر 1108 / فاتح سبتمبر 1696 يقول فيها إنه مستعد لقبول مبدإ التفاوض لافتداء الأسرى إذا كان المبعوث عضواً في مجلس الملك البرتغالي، وفي أواخر سنة 1706 بعث مولاي إسماعيل أسيره الإسباني خوسي دياث Jose Diaz لدى الملك البرتغالي في مهمة سرية. وتوقفت العلاقات بين البلدين في عهد الملك البرتغالي خوان الخامس Juan V (1716 - 1750).

واستؤنفت العلاقات المغربية - البرتغالية بعد أن استرجع سيدي محمد ابن عبد الله مدينة البريجة (الجديدة) في 3 ذي القعدة سنة 1183 / 11 مارس 1769. وبعث برسالة إلى ملك البرتغال مانويل بونطيس Manuel Pontes يحتج على ما قام به حاكم البريجة گريگوريو دي ميلو Gregorio de Mello من تحطيم المدينة بالألغام قبل الجلاء عنها. فكان رد الملك البرتغالي خوسي الأول في 18 يوليوز 1769 مهذباً معتذراً عما حدث، مقترحاً إقامة صلح دائم بين البلدين. وبعد أن تم التوقيع على معاهدة الهدنة التي حملها السفير البرتغالي خورخي بيدرو كولاسو J.P. Colaço في فاتح شتنبر من نفس السنة، أصدر سيدي محمد بن عبد الله أمره إلى الأسطول المغربي بعدم التعرض للسفن البرتغالية.

وبعد أن جُددت الهدنة في 17 يوليوز 1770 لمدة قصيرة وقع القنصل العام البرتغالي بمراكش خوسي رولي فان ديك J.R. Wan - Dek معاهدة صلح بين المغرب والبرتغال بتاريخ 12 رمضان 1187 / 27 نوفمبر 1773. وعاد السفير البرتغالي إلى بلاده مصحوباً بالسفير المغربي عمر الداودي الذي حل بلشبونة يوم 7 أكتوبر 1774 وعاد إلى المغرب يوم 17 نوفمبر من نفس السنة، وكانت هذه هي السفارة المغربية الأولى التي توجهت إلى البرتغال بعد استرجاع مدينة الجديدة.

وعند وفاة الملك البرتغالي خوسي الأول بعث سيدي محمد بن عبد الله السفير عبد المجيد الأزرق لتقديم التعازي وتهنئة الملكة دنيا ماريادا گلوريا D.M. Da Gloria فوصل إلى لشبونة يوم 15 نوفمبر 1777 وعندما عاد إلى المغرب كانت ترافقه بعثة برتغالية مكونة من عدة خبراء في سك النقود يحملون معهم القواليب الضرورية، وظلوا يعملون بالمغرب مدة سنة ونصف.

وفي شهر ديسمبر 1779 بعث السلطان المذكور التاجر الطيب بوهلال من أجل تأسيس دار تجارية بلشبونة وكان يحمل رسالة إلى الملكة البرتغالية، وفي نفس المهمة التجارية بعث السلطان التاجر الحاج محمد العناية الذي ظل بلشبونة شهري سبتمبر وأكتوبر 1780 برفقته كل من رئيسي البحر الحاج محمد التيال والحاج عبد الرحمن بريطل.

وفي يونيو 1785 توجهت إلى البرتغال بعثة مغربية برآسة عباس مورينو، وفي 20 سبتمبر من نفس السنة وجهت البرتغال رسالة إلى السلطان تطلب منه فيها أن يتدخل لدى داي الجزائر لكي يوافق على إبرام اتفاقية هدنة لمدة ستة أشهر.

ولما اتفق جميع قناصل الدول الأوربية بطنجة على مقاطعة السياسية التي كان ينهجها السلطان سيدي محمد ابن عبد الله تجاه بلدانهم، بعثت ملكة البرتغال إلى قنصلها بالمغرب خوسي بيدرو كولاسو J.P. Colaço تأمره بعدم التوقيع على الوثيقة المعادية للمغرب والمحررة يوم 18 يونيو 1788. فوجه العاهل المغربي في أكتوبر من نفس السنة إلى الملكة خديمه البرتغالي مانويل دي بونطيس M. De Pontes حاملاً هدية مكونة من مجوهرات ثمينة، واستمرت هذه

العلاقات الودية بين المغرب والبرتغال أيام مولاي يزيد والمولى سلامة. ولما بويع المولى سليمان بعث إلى ملكة البرتغال رسالة مؤرخة بثامن صفر 1207 / 25 شتنبر 1792 يعبر عن رغبته في استمرار علاقات الصداقة بين البلدين.

وفي يونيو 1798 حل بفاس السفير البرتغالي خورخي بيدوو كولاصو J.P. Colaço وحصل على موافقة مولاي سليمان على إقرار المعاهدة المغربية البرتغالية المبرمة سنة 1773 بمقتضى الظهير الصادر يوم 8 محرم 1213 / 22 يونيو 1798.

وفي أكتوبر 1807 تحالفت إسبانيا وفرنسا ضد البرتغال واتفقتا على توزيع المستعمرات البرتغالية فيما بينهما، وقامت القوات الفرنسية باحتلال معظم التراب البرتغالي، الأمر الذي جعل العائلة البرتغالية المالكة تغادر بلادها وتتوجه إلى البرازيل في الشهر التالي.

سارع المولى سليمان حينئذ بتوجيه رسالة مؤرخة في 26 فبراير 1808 إلى الوصي على العرش البرتغالي الأمير دون خوان D. Juan يواسيه فيما أصاب البرتغال من غزو واحتلال. وقبل طلب المجلس الأعلى للمقاومة لغرب البرتغال قرضاً بمبلغ مائة ألف ريال ثقيل Peros duros لولا تدخل القنصل الفرنسي بطلب من الامبراطور نابوليون. ثم كانت محاولة برتغالية ثانية لاقتراض مائتي ألف ريال ثقيل.

وفي 17 ربيع الثاني 1238 / فاتح يناير 1823 أصدر السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام ظهيراً يقضي بتجديد المعاهدة المغربية البرتغالية ليوم 27 نوفمبر 1773.

ثم نفتقد الوثائق الخاصة بالعلاقات المغربية البرتغالية في عهد الملك بيدرو الرابع Pedro IV والملكة ماريا گلوريا الثانية Maria Gloria II وابنها الملك بيدرو الخامس Pedro V (1826 - 1861).

وقد سلم الملك البرتغالي لويس الأول Louis I إلى سيدي محمد بن عبد الرحمان وسام گران كروث ذي لاطوري إلا إسپادا Gran Cruz de la Torre y la Espada (الصليب الأعظم للبرج والسيف) بعد أن عين القنصل العام بطنجة خوسي دانييل كولاصو J.D. Colaço سفيراً مكلفاً بتسليمه إلى العاهل المغربي بمكناس يوم 14 يونيو 1865.

وفي يونيو 1889 استقبل السلطان مولاي الحسن الأول بفاس سفارة بعثها ملك البرتغال لويس الأول برآسة القنصل العام بطنجة كولاصو الذي كان يحمل رسالة من عاهله أجاب عنها السلطان برسالة مؤرخة في 16 شوال 1306 / 15 يونيو 1889 وقد ألف السفير المذكور في هذه السفارة رحلة سماها *فاتح Fatah* وطبعت بلشبونة سنة 1902 ثم ترجمت إلى الإسبانية سنة 1914.

وعندما اعتلى عرش البرتغال الملك كارلوس الأول بعث السلطان مولاي الحسن لتهنئته في ديسمبر 1889 سفارة تتكون من القائد محمد بن أحمد الموذن والأمين محمد بن عبد الرحمن بريشة والكاتب العربي المنيعي. ومن المعلوم أن البرتغال كانت من الدول التي شاركت في مؤتمر الجزيرة الخضراء ووقعت على وثيقة 7 أبريل 1906.

وفي 4 أكتوبر 1910 أطيح بالنظام الملكي بالبرتغال حيث تم خلع الملك مانويل الثاني Manuel II، فكانت الجمهورية البرتغالية من بين الدول الأوربية التي قبلت نظام الحماية المفروض على المغرب، واعترفت بالحماية الفرنسية بجنوب المغرب في 9 مارس 1914. وبالحماية الإسبانية على شمال البلاد في 20 يوليوز 1918 وانضمت البرتغال إلى المعاهدة المبرمة بين فرنسا وإسبانيا وانگلترا بخصوص النظام الدولي بطنجة يوم 18 ديسمبر 1923.

ولما أعلن استقلال المغرب سنة 1956 كانت البرتغال من الدول التي اعترفت بذلك، ووقعت مع المغرب على البروتوكول الخاص بالنظام الموقت لمنطقة طنجة يوم 5 يوليوز 1956، وعلى التصريح النهائي للمؤتمر الذي أقر إنهاء النظام الدولي بالمنطقة المذكورة يوم 24 أكتوبر. وفي 18 ديسمبر من نفس السنة قدم أول سفير للبرتغال بالمغرب المستقل مانويل هوميم ذي ميلو Manuel Homem de Mello أوراق اعتماده إلى الملك محمد الخامس.

محمد ابن عزوز حكيم

**البرتغالي، محمد** بن محمد الشيخ بن يحيى الوطاسي. ولد بأصيلا حوالي عام 870 / 1465 وأسره البرتغاليون فيها وهو طفل صغير فمكث عندهم سبعة أعوام تعلم أثناءها اللغة البرتغالية وأتقنها ثم افتداه والده بمال كثير، ولذلك دُعي بالبرتغالي.

ولما تُوفي محمد الشيخ الوطاسي عام 910 / 1505 بويع ابنه محمد البرتغالي خلفاً له، فعمل على تمهيد البلاد وتوسيع منطقة نفوذه في الشمال والجنوب. وكان شجاعاً طموحاً دائم الحركة، عمل في بلاطه الحسن الوزان وشهد معه معارك عديدة خاضها ضد البرتغاليين وبعض القبائل المتمردة، وفصَّل القول في ذلك في كتابه *وصف افريقيا*.

حاول محمد البرتغالي مراراً أن يثأر من آسريه القدامى ويطردهم من الثغور التي يحتلونها بشمال المغرب. وفي هذا الإطار هاجم أصيلا في المرة الأولى على حين غرة "وحطم قسماً كبيراً من أسوارها ودخلها وأطلق سراح جميع من كان بها من المسلمين" (وصف، 1 : 313) لكن البرتغاليين التجؤوا إلى الحصن ومكثوا فيه يومين إلى أن وصلتهم النجدة من طنجة، فاضطر الملك الوطاسي إلى التخلي عنها والرجوع إلى فاس. ثم أعاد محمد البرتغالي الكرة على أصيلا مرتين أو ثلاثاً بدون جدوى، كما هاجم البرتغاليين في مدينة طنجة وبالغ المجهود لاستردادها لكن لم يتمكن من ذلك بسبب التحصينات والدفاع المستميت من طرف المحتلين. وقد تم ذلك فيما بين 914 و921 / 1508 - 1515.

وقد وصف مارمول بدوره هجومات محمد البرتغالي المتكررة على أصيلا وطنجة بكثير من التفصيل.

هذه الحركات الجهادية الطويلة صرفت نظر محمد البرتغالي عما يجري في الجنوب من تواطؤ بين شيوخ

الزوايا والشرفاء السعديين لإقامة دولة جديدة قوية تستطيع أن تعيد للمغرب وحدته وتطرد المحتلين المسيحيين من شواطئه.

لذلك لم تُجد شيئاً الحركة العسكرية الكبرى التي قادها محمد البرتغالي ضد السعديين، ولو أنه حاصروهم مدة طويلة في مدينة مراكش. فقد اضطر في النهاية إلى أن يرفع الحصار بعد أن بلغته أنباء مقلقة عن قيام بني عمه عليه بفاس ونبذهم دعوته. وكانت وفاة محمد البرتغالي بفاس عام 931 / 1524، بعد أن ملك إحدى وعشرين سنة.

ج. الوزان، *وصف افريقيا*، الترجمة العربية، الطبعة الثانية، 1 : 112 ـ 117 ـ 312 ـ 313 ـ 315 ؛ ك. مارمول، *افريقيا*، الترجمة العربية، 2 : 205 ـ 212 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 132 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 20 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 140 ـ 148.

محمد حجي

**بُـرتـيل** أو بُرطيل، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Purchil. وهو اسم مدينة بناحية غرناطة، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ سنة 1151 / 1769.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البـرج** بالمغرب، بناء عال محصن، قد يكون لاحقاً بغيره من البناءات (أسوار، أبواب الاسوار...)، أو منعزلا عنها، ويتخذ أشكالا مختلفة، فنجده مربع الشكل، أو مستطيله، أو دائريا أو متعدد الاضلاع ؛ كما تختلف مادة بنائه فتكون حجراً أو آجراً أو طابية، أو بعض هذه المواد مشتركة. وتدعم بناية البرج كما تدعم الجدران العادية بمواد أخرى أهمها الخشب.

أما اختلاف الشكل والمادة فتُمليه الحاجة من البرج أو طبيعة الموقع، أو العادات المتبعة محلياً في البناء، كما يُمليه هَوى الآمر بالبناء. لكن هذا العنصر الأخير لا يمكن التسليم به إلا في حالة البرج غير الموجه لغرض الدفاع أو الحراسة.

وللبرج في الحضارة الإسلامية تاريخ طويل وحافل، ووجود مستمر اقترن بالفتوحات والتنظيمات الدفاعية التي اعتمدها المسلمون لحماية وحراسة الأراضي والتحكم فيها. على أن البرج ليس وليد حضارتنا، وإنما كان له وجود شائع قبلها سواء في المشرق أو المغرب.

ومن الأنواع السابقة للعهد الإسلامي التي أظهرت الدراسات المهتمة بتاريخ البرج في الإسلام أن المسلمين الأولين، إستقوا منه انجازاتهم الأولى، "البرج ـ الدعامة" (Tours - contreforts)، وكان أصلا مجرد شكل معماري يضفي على ما حوله نوعاً من الجمال، خاصة إذا اصطحب البنايات والقصور الترفيهية.

أما بالمغرب الإسلامي فتُظهر كافة الدراسات أن عنصر البرج يرتبط بسلسلة تطورية لعبت فيها النماذج الرومانية ثم البيزنطية ـ عن طريق البلاد التونسية والأندلسية ـ دوراً كبيراً. ذلك أن النماذج الأولى استقت مادتها من هذه الأخيرة وعززتها بعناصر شرقية خاصة أيام الأغالبة والفاطميين، بالنسبة لشرق المغرب الكبير، وأيام الأمويين بالأندلس بالنسبة لغربه. وبطبيعة الحال، فالانجازات بالمغرب الأقصى تجد نفسها في ارتباط وثيق بالإنجازات الأندلسية بالدرجة الأولى وإن كانت المنشآت المرابطية الأولى، توحي في مادة بنائها (الحجارة) وفي بعض تفاصيلها، بتأثير أفريقي ـ تونسي.

أما الارتباط بالأندلس فنجده في المادة (الطابية) وفي الشكل الذي اتخذته الأبراج : مستطيلة أو مربعة، وبارزة بروزاً واضحاً خارج جدار البناية، ومرتبة ترتيباً منتظماً على طول الجدار، أو على واجهتي الأبواب. وهذا النظام من صنع الموحدين ، في المغرب والأندلس، عرفوا كيف يدمجون العناصر في بعضها ويخلقون تقليداً رفعوه إلى مستوى قانون، بقي سائر المفعول بعدهم، ولم تدخل عليه سوى بعض التعديلات الطفيفة إلى حدود ظهور الأسلحة النارية التي أملت مراجعة قواعد التحصينات الدفاعية بما تستدعيه فنون الحرب الجديدة. وفي هذا الباب انساقت الانجازات مع النماذج الأوربية. وقد كانت بعض القلاع من انجاز الأوربيين الذين كانوا في خدمة السلاطين أو محجوزين لديهم.

هذا في ما يخص المنشآت الدفاعية، لكن المغرب غني كذلك بنوع آخر من الأبراج، وهو الذي نجده ملازماً لبعض الضيعات الفلاحية بالبوادي أو لبعض القصور الفخمة في المدن. وكان الغرض الأول من هذه الأبراج هو راحة صاحبها واستمتاعه في أوقات فراغه بجمال الطبيعة واعتدال الجو حوله.

ومن أقدم هذه الأبراج "برج السويحلة" بقرية بليونش على ساحل البحر المتوسط بالقرب من سبتة السليبة ويعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي. ويظهر أن قصر البديع بمراكش كان يضم كذلك برجا شامخا كان المنصور السعدي يأخذ منه نظرة على فضاء عاصمته. ومن هذه النماذج كذلك برج قصر الأوداية العلوي بالرباط وهو القصر الذي يأوي الآن مقر المتحف الإتنوغرافي.

أما بجنوب المغرب على طول الواحات والأودية الكبيرة، دادس، وتدغة، وتافيلالت، فنجد سلسلة من الأبراج الطينية أو المبنية بالآجر غير المشوي، يطلق عليها اسم "أگديم" تتوسط الحقول، وتعلو الربوات، وشكلها هرمي. وهذه كانت طبعاً للحراسة لا للاستمتاع.

*E.I.*, 2ème éd., p. 1355 - 1362 ; Ch. de Foucault, *Reconnaissance au Maroc*, Paris, 1888 ; D-J, Meunié, *Architecture et habitat du Dades*, Paris, 1962 ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954.

**برج الدار** بالرباط، يقع وسط السور المحاذي للشاطئ من جهة الشمال الغربي، مقابل مقبرة العلو التي تفصله عنها اليوم الطريق الشاطئية المؤدية إلى الدار البيضاء.

أغلب الظن أن باني برج الدار هو السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 . 1790) وأنه شيد مكان أسقالة ابن عائشة التي اندثرت. وكان هذا الإنجاز الذي لا يعرف بالتحديد سبب تسميته ببرج الدار، أحد ثلاثة عناصر دفاعية هي برج الصراط وأسقالة وبرج الدار، وقد جاء قرار السلطان سيدي محمد الثالث في إطار سياسة دفاعية شاملة مست أهم المدن الشاطئية وذلك للحد من الهجومات الأوربية البحرية على التراب المغربي.

برج الدار : منظر عام قبل الترميم (1981)

وبرج الدار بناية كبيرة يبلغ طولها 71.88 متر وعرضها 15.73م تتكون أساساً من أرضية فسيحة (61.50م x 13.90م) ومن بنايتين.

شكل مربع منحرف غير متساوي الأضلاع، إذ نجد جداره الغربي يمتد على طول 10.39 م وجداره الشرقي لا يتعدى 9.84 م، بينما يبقى عرضه قاراً في حدود 3.10 م.

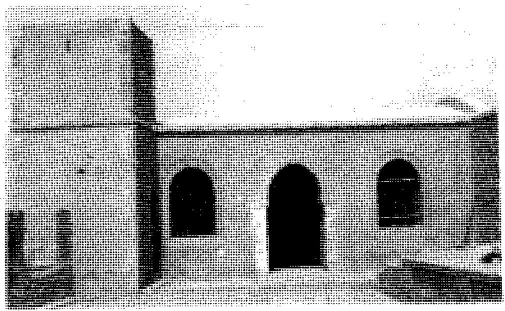

برج الدار : منظر داخلي بعد الترميم (1982)

وفي الزاوية الشمالية - الغربية للأرضية، هناك برج صغير ملاصق للبناية الشرقية، مربع القاعدة (2.10م x 2.10م) يصل علوه إلى 6.10 م، ويحتوي على درج داخلي يمكن من الوصول إلى سطح البناية المحاذية وإلى أعلى البرج نفسه. وقد فتحت بجدران هذا الأخير في أعلى نقطة منها، أي مباشرة تحت السقف، نوافذ صغيرة (اثنتان في الشمال، وواحدة في كل من الجدار الجنوبي والجدار الغربي) للحراسة ومراقبة تحركات السفن دون أن يفطن أصحابها بذلك.

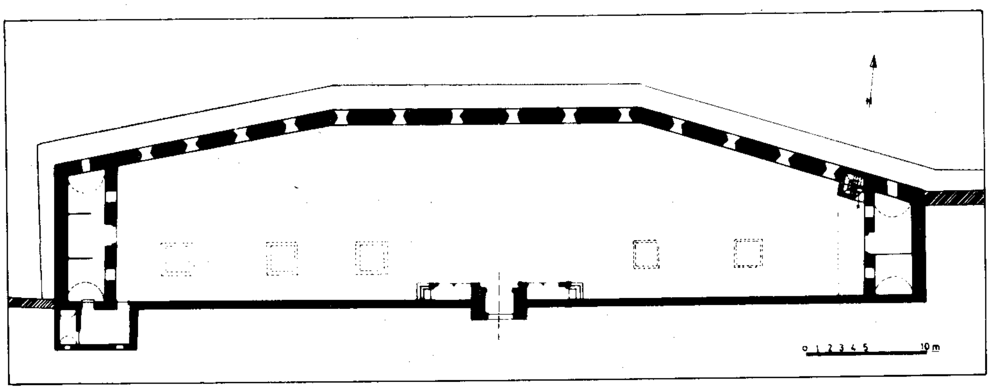



برج الدار : تصميم عام (حسب كايي)

أما الأرضية فيحدها من جهتي الشمال والجنوب جدار سميك، يختلف سمكه حسب الجهة وأهميتها في مواجهة الهجومات، فمن ناحية البحر، أي في الشمال، يصل عرض الجدار إلى 1.15 م / 1.20 م، وعلوه إلى خمسة أمتار من جهة البحر وإلى معدل 1.89 م من الجهة الداخلية.

وقد فتحت بهذا الجدار أربع عشرة فتحة للمدافع تعلو سطح الأرضية بـ 0.90 م. أما من ناحية البر، أي في الجنوب، فسمك الجدار لا يفوق 0.65 م / 0.70 م، وعلوه 3.35 م من الداخل و2.90 م إلى 3.15 م من الخارج.

أما البنايتان اللتان تحدان الأرضية من الشرق والغرب، فطول الأولى 8.25 م وعرضها 7.35 م، بينما شكل الثانية

ويبقى أن المادة التي شيدت بها مرافق برج الدار هي الحجارة، وهي نوعان : حجر غير منجور وبه شيدت الجدران، وحجر منجور استعمل في المدخل وفي فتحات المدافع. وقد كانت توجد بأعلى المدخل رصيعة بيضاوية الشكل كتب فيها بخط مغربي ما نصه "الحمد لله وحده، جدد بناء هذا البرج السعيد أمير المومنين سيدنا عبد الرحمان بن هشام تولى الله تأييده سنة 1239 هـ".

وقد أتلفت اليوم تلك الرصيعة واستبدلت بأخرى من نفس الشكل لكنها فارغة من كل نص.

وقد كان برج الدار إلى نهاية السبعينات شبه خراب تام رغم ما سبق أن مسه من ترميم طفيف في عهد الحماية.

برج الدار : المدخل بعد الترميم

لكنه اليوم مرمم بفضل الأعمال التي قامت بها مفتشية المباني التاريخية للرباط. وقد أعيد توظيفه كمقهى يأتيه الناس للاستمتاع بهواء البحر ومنظره.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ص 194 . 195.

L. Brunot, *La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et à Salé*, Paris, 1920 ; J. Caillé, *La ville de Rabat jusqu'au Protectorat français*, Paris, 1949.

**برج الصراط** بالرباط، شيده محمد بن عبد الله، كما يفيد ذلك التاريخ المنقوش بأعلى المدخل : 1189 / 1775 . 1776. ويستفاد من بعض النصوص كذلك أن القيِّم على بنائه كان رجلا يدعى أحمد الانجليزي.

يقع هذا البرج على الشاطئ الأطلنتي في الزاوية الشمالية الغربية للسور الموحدي، حيث يلتصق به من الغرب ويبرز عنه بحوالي 48 متراً من الشمال. وحسب بعض الوثائق والرسوم البيانية التي اعتمدها جاك كاييي J. Caillé في دراسته عن مدينة الرباط، يظهر أنه كان بالموقع قبل هذا البرج بناء محصن مصحوب ببرج. فتكون بناية القرن الثامن عشر امتداداً وتجديداً لهذا الحصن وذلك في إطار الأشغال التحصينية التي قام بها هذا السلطان في عدة مواقع ساحلية من البلاد.

وبرج الصراط في حالته الأخيرة هذه، بناء ضخم مكون من أرضية مسطحة فسيحة ومن برج نصب في الركن الجنوبي الغربي، ومن قاعتين محاذيتين لهذا الأخير. أما الأرضية فيشكل تصميمها شبه منحرف يصل ضلعه الشمالي إلى 46،65 م وضلعه الجنوبي إلى 70،60 م، بينما لا يتعدى كل من ضلعه الشرقي والغربي 23 متراً. أما البرج الجنوبي الغربي فسداسي التصميم جدرانه من حجر وعلوه 4،75 م ويتوفر على قاعة وحيدة مغطاة بسقف نصف دائري بُني بالآجر. وكان هذا البرج عنصر مراقبة هام يتتبع منه الحراس كل حركة بحرية باتصال مع برج الدار القريب. وقد كان هؤلاء الحراس يستريحون بالقاعتين الصغيرتين المحاذيتين للبرج السداسي.

أما البناء نفسه فأساسه الحجارة : منجورة وذات حجم كبير على طول السور المواجه للبحر، وغير منجورة وذات حجم متوسط في السور المقابل للداخل. على أن الحجر المنجور يوجد كذلك بهذا الأخير في أعلى نقطة منه وعلى طوله، حيث يُكون متْراساً (Parapet) ببروز طفيف على الواجهتين وبانحدار واضح من الجهة الخارجية.

من جهة البحر وعلى طول الجدار الذي يعلو الأرضية، فُتحت عشرون فتحة للمدافع : خمس في الجدار الشرقي، وثلاث في الجدار الغربي، واثنتا عشرة بالشمال. ومما يسترعي الانتباه أن الفتحة الوسطى في الجدار الغربي متسعة أكثر من غيرها إذ تصل إلى 4،60 متر وذلك لاستقبال مدفع عظيم، محمول على قاعدة متحركة، ومجهز بعجلات تتحرك في حركة نصف دائرية داخل ممر جوانبه من خشب. ويحمل هذا المدفع تاريخ 1215 / 1800، وهو ما يفسر أن الفتحة العظيمة هذه ليست أصلية وإنما أقيمت في مستهل القرن الماضي للغرض المشار إليه.

هذا، ومع دخول الحماية إلى المغرب وتثبيت استقرارها به، نصب على أرضية برج الصراط المنار البحري الذي تهتدي بنوره السفن ليلا، وهو المنار الوحيد بالرباط. ولايزال بهذا الموقع إلى اليوم.

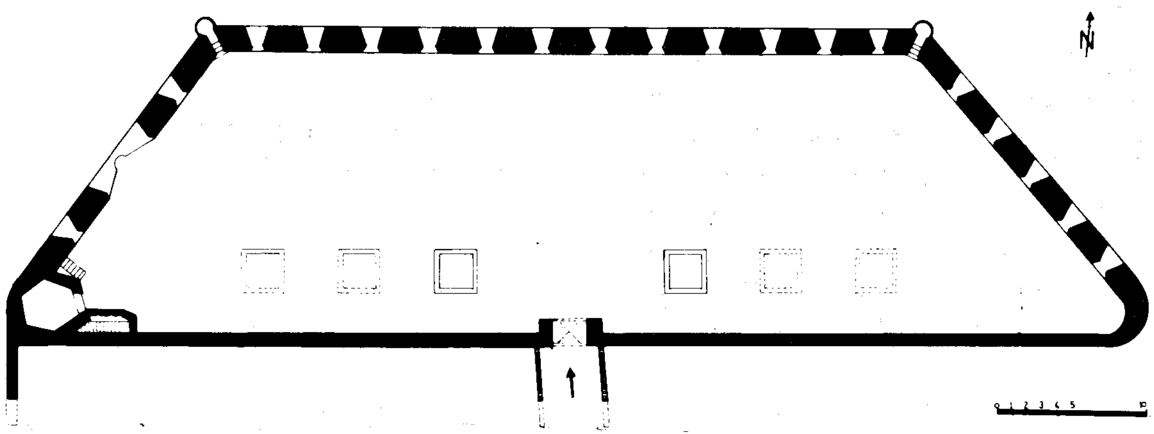


تصميم برج الصراط حسب جاك كايي

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*.

G. Lemprière, *Voyage dans l'empire du Maroc et le royaume de Fez pendant les années 1791 et 1792*, Paris, 1801 ; L. Chenier, *Recherches Historiques sur les Maures et histoire de l'empire de Maroc*, Paris, 1887 ; L. Brunot, *La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et à Salé*, Paris, 1920 ; J. Caillé, *La ville de Rabat des origines à 1912*, Paris, 1949.

عبد العزيز توري

**البرج**، مكان بفرقة البحراويين من قبيلة أنْجرة لم يكن له أية أهمية إلى أن أُحدثت منطقة طنجة الدولية وتم اختطاط الحدود الوهمية بينها وبين منطقة الحماية الإسبانية بشمال المغرب، فأصبح المكان المذكور يكوِّن نقطة وصل بين المنطقتين حيث تقرر أن تكون بالبرج إدارة للجمرك وشرطة للحدود مزدوجتان، وتم تنفيذ ذلك غداة احتلال البرج من طرف الإسبانيين يوم فاتح ماي 1916، واستمرت الحالة هكذا إلى أن استقل المغرب سنة 1956 حيث عطّل البرج وأصبحت بناياته مهجورة.

J. M. Cordero Torres, *Organizacion de la zona de protectorado español en Marruecos*, Madrid, 1943.

**البُرجي**، أو البُورْجي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Borge وهو اسم قرية بمقاطعة مالقة، وكلمة Borge مأخوذة من العربية "برج" واشتهر من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان سنة 1156 / 1743 فقيهان هما :

**البُرْجي، علي** بن قاسم.

**البُرْجي، محمد** بن أحمد، وقد انقرضت أسرة البرجي بتطوان سنة 1220 / 1805.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 344 ـ 345 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البرحلي**، أسرة إزناسنية من جماعة أولاد موسى ومَحمد من بني منقوش، منهم المجاهد البطل الحاج محمد البرحلي الذي ربط نفسه وولديه بحبل مع شجرة لمقاتلة الفرنسيين المهاجمين لوجدة سنة 1907، فظلوا يقاتلون إلى أن استشهدوا رحمهم الله.

**البرحلي، إدريس** بن عبد القادر الإزناسني. ولد حوالي 1328 / 1910 وقرأ القرآن ومبادئ العربية والدين بمسجد جماعة "حركات" من بني وريمش الجنوبيين ملحقة تافوغالت على الأستاذ عبد السلام ابن البقالْ الوريمشي، ثم بمعهد وجدة. كان "متطرفاً في النظافة وتحرِّي الكلمة الطيبة لا يستطيع أن يُخرج غيرها من بين شفتيه... وإذا كان جالساً في مجلس وسمع لغواً فارق المجلس. وعلى فتوته كان مطرق الرأس جيئةً وذهاباً إلى الدرس". (*ذكريات*، 166).

انتقل إلى فاس عام 1351 / 1932 لطلب العلم بالقرويين، وسكن بيتاً في المدرسة البوعنانية فبقي هناك أربعة أعوام انتقل بعدها إلى تطوان ليلتحق بالبعثة الطلابية التي كانت ستتوجه إلى القاهرة لكن لم يتيسر له ذلك، فالتحق بالناضور وتزوج هناك، واستقر أخيراً به المقام في فكَيك إماماً وخطيباً بالمسجد الجامع إلى أن توفي بالطاعون المنتشر سنة 1360 / 1941.

قدور الورطاسي، *ذكريات الدراسة في فاس*، 163 ـ 173.

محمد حجي

**البَرَد** ـ بفتح الباء والراء ـ نوع من التساقطات، وفي اللهجة المغربية الدارجة : التِّبْروري أو التبريرو. ولعل أصل اللفظة الدارجة من البربرية إبرور، أو إبرين. وهو ظاهرة طبيعية معروفة علمياً كسائر التساقطات من مطر وثلج، ومعروف توزيعها الجغرافي ومناطق تساقطها العادي، إلا أن ما نشير إليه هنا هو تكرر الظاهرة عبر تاريخ المغرب ومدى وقعها وتأثيرها على الإنسان، أي أننا نرمي إلى رصد الحالات غير العادية التي أثارت انتباه المؤرخين فسجلوها في حولياتهم.

انفرد صاحب *القرطاس* (99 ـ 100 ـ 413 ـ 414) بذكر أحداث البرد مفصلة، ونقلها عنه الناصري في *الاستقصا*. ومما ذكره أن الناس كانوا يهرعون إلى المساجد لقراءة اللطيف والاستغفار ليرفعها الله عنهم لأنها غضب من الله، وقبل أن نستعرض هذا النوع من الكوارث لا بد من الإشارة إلى أن نفس الذهول ونفس الخسائر مازالت تحدثها العواصف البردية اليوم رغم التقدم العلمي والتكنولوجي. فقد جاء في خبر صحفي (*الاتحاد الاشتراكي*، ع 2471، 13 ماي 1990) أن منطقة صفرو "تعرضت لعاصفة رعدية محملة بالبرد الغليظ الذي وصل وزنه ما بين 20 وحوالي 250 گرام واستمرت حوالي دقيقتين" مثل هذا الخبر يذهل العارفين وعامة الناس، وبمقارنته بشهود عيان فإننا نصدق روايات الحوليين التي كان يعتبرها البعض إلى وقت قريب من المبالغات، من هذه الروايات استخرجنا الجدول التالي على سبيل المثال :

| الزمن | المكان | تقدير العاصفة | الخسائر |
|---|---|---|---|
| 951-50/3399 | المغرب (فاس والنواحي) | برد عظيم كبير الحجم زنة الحجر رطل وأكثر | قتل الطير والوحوش والبهائم وطوائف من الناس |
| 954-53/342 | المغرب (فاس والنواحي) | برد عظيم كبير الحجم | قتل المواشي وأهلك الثمار |
| 1325-24/724 | المغرب (ضواحي فاس) | برد عظيم كبير الحجم نزل منه (مثال الجبال زنة الحجر منه أربع أواقي وأقل وأكثر | أتت منه سيول طاغية حملت الدواب والمواشي والدواوير.... |

وللمقارنة فالخسائر التي أحدثتها العواصف البردية في المغرب في ربيع هذه السنة 1990 وبداية الصيف قدرت بملايير السنتيمات وأضعفت الانتاج الفلاحي (*الاتحاد الاشتراكي*، ع 2512، 22 يونيو 1990) وحسب شهود عيان من إقليم الخميسات فإن الخسائر لم تحدث في الأرواح

البشرية لسبب واحد هو أنها (العاصفة البردية) وقعت قبيل المغرب بقليل وقد دخل الناس إلى منازلهم استعداداً لتناول الفطور (إذ الشهر رمضان) مثل هذه المقارنة تجعلنا نقدر الكارثة حق قدرها في تلك القرون. بل إن كثيراً من المجاعات كان من بين أسبابها سقوط البرد. العاصفة البردية من طبيعتها التقطع وعدم تغطية مساحات كبيرة، بل وجدت حقول متجاورة أصاب بعضها البرد ولم يصب الأخرى، وقد اعتبر ذلك غضباً من الله يصيب به من يشاء من عباده العصاة المذنبين، واعتبر ذلك من كرامات أحد الصالحين (*المنهاج الواضح*، 140) لكن إرادة الله وحكمته فوق كل شيء، قال تعالى :"ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء..." (*سورة النور*، الآية 42).

أما التقدم العلمي والتكنولوجي الحاصل في ميدان مكافحة الكثير من الظواهر الطبيعية التي تسبب أضراراً فلاحية وغيرها، فإنه يصطدم بعراقيل تعوق تطبيقه، فتبديد السحب المحملة برعدة بردية مثلا يتطلب تقنيات وتكاليف باهظة تفوق أحياناً ما تحدثه الرعدة البردية من خسائر في المحاصيل (*Guide 1978*, 347).


*القرآن الكريم* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. الماكري، *المنهاج الواضح* ؛ ابن الحاج النميري، *فيض العباب* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ جريدة *الاتحاد الاشتراكي* 13 ماي و22 يونيو 1990.

Ch. Bois, *Disettes et calamités au Maroc*, in *revue pour l'étude des calamités*, n 26 - 27, Genève, 1949 ; *Guide* 1978 (climat).


محمد حجاج الطويل

**بُرداَل**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Pardal. وهواسم قرية بناحية البسط الإسبانية. وهي غير أسرة بردان الآتية. وقد انقرض آل بُردال بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1088 / 1677.

**بُرْدَان**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس انقرضت سنة 1153 / 1740.


Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.


محمد ابن عزوز حكيم

**بردة** البوصيري، قصيدة *البردة* في المديح النبوي لمحمد البوصيري (ت. 696 / 1296)، وهو صنهاجي مغربي أصلا، مصري منشأ ومدفنا. اشتهرت بردته "أمن تذكُّر جيرانٍ بذي سلَم" في أقطار العالم الإسلامي، واكتسبت قداسةً خاصة في المغرب الأقصى لما تفيض به أبياتها من محبة وتفان في الجانب النبوي الكريم. وإذا كانت البردة التي كَسَا بها الرسول - عليه السلام - كعب بن زهير حين مدحه بقصيدته الشهيرة "بانَتْ سعاد" هي المتبادرة إلى الأذهان في أصل تسمية قصيدة البوصيري، فإن صاحب *كشف الظنون* (2 : 1331 - 1332) أورد سبباً آخر لهذه التسمية وروايات في التبرك بها تدخل في باب الكرامات.

وقد اعتاد بعض متصوفة المغرب أن يُنشدوا أبياتاً من *البردة* في حلقات أذكارهم على نغمات نوبات الآلة الإحدى عشرة، وفي ليلة المولد النبوي وسابعه ينشدون *البردة والهمزية* كاملتين، ويمزجونهما بأشعار وموشحات وأزجال وبراول في المديح النبوي لشعراء مغاربة وأندلسيين ومشارقة. وإذا كان تاريخ بداية عادة ختم *البردة* في أعياد المولد النبوي بالأنغام غير محدد فإن من الأكيد أن ذلك كان معروفاً بالمغرب في أواسط القرن الحادي عشر (17 م) خاصة في الزاويتين الدلائية والفاسية. وانتشر ذلك أكثر في القرون التالية مع فروع الزاوية الدرقاوية لاسيما الحراقية، وفي زوايا شرفاء وزان.

ولشدة اعتقاد المغاربة في بركة *البردة* يُنشدونها في حفلاتهم الاجتماعية كالزواج والعقيقة والختان، وفي جنائزهم أيضا بعد تلاوة القرآن الكريم .

وقد وضع عدد من علماء المغرب وأدبائه شروحاً مطولة ومختصرة *للبردة*، كما عارضوها وخمسوها. من ذلك :

- *شرح البردة*، لسعيد بن سليمان السملالي.
- *شرح البردة*، لإسماعيل بن يوسف ابن الاحمر نزيل فاس.
- *شرح البردة*، لأحمد بن عبد الله القصار.
- *خواص بعض أبيات بردة البوصيري*، لعبد السلام بن إدريس المراكشي.
- *تخميس البردة*، لعبد الرحيم ابن يجبش التازي.
- *التوشيح بشرح بردة المديح*، لمحمد بن المعطي بن أحمد السرغيني.
- *شفاء القلب الجريح، بشرح بردة المديح*، لعبد الواحد ابن عاشر الأنصاري الفاسي.
- *شرح بردة البوصيري*، للقاسم بن إبراهيم بن حسين بن علي بن عبد الله الماجري.
- *لبس البردة، لمحاذاة البردة*، لعلي بن محمد السملالي.
- *الكوكب اللامع الدري، على شرح البردة للأزهري*، حاشية لمحمد بن قاسم القادري، طبعت بفاس.
- *الموارد الشهية، في شرح البردة البوصيرية*، لمحمد بن المبارك الهشتوكي في جزئين.
- *المنهل الفسيح، على بردة المديح*، لأحمد بن جعفر الكتاني.
- *تعليق مليح، على بردة المديح*، لمحمد بن عبد الواحد النظيفي. طبع بفاس.
- *الوردة في تخميس البردة*، لأحمد سكيرج.
- *نسيم الوردة في تنسيم البردة*، لأبي حامد محمد المكي البطاوري.
- *شرح البردة بالأمازيغية*، لعبد الله بن يحيى الحامدي السوسي.

م. البوصيري، *ديوان شعر*، ت. م. سيد كيلاني ؛ ح. خليفة، *كشف الظنون* ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، ج 4.

*E.I.* 2, 1975 ; R. Basset, *Introduction à la traduction de la Bûrda*, 1894.

محمد أديوان

**بردة**، لباس عربي نال شهرة كبيرة يوم أن جاء كعب بن زهير، الشاعر المخضرم إلى النبي صلى الله عليه وسلم نادماً وتائباً، فأنشده قصيدته المشهورة بانت سعاد، فلما قال فيها :

إن الرسول لسيف يستضاء به — مهند من سيوف الله مسلول

خلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم بردته بعد أن أمنه، ثم اشتراها معاوية من ورثته، وظلت عند الأمويين إلى أن أخذها منهم العباسيون فصارت متوارثة عندهم، وأصبحت أهم جزء من لباسهم الرسمي، إذ كانوا يطرفونها على أكتافهم جلوساً وركوباً، وكان الخليفة يضعها على كتفه في اليوم الأول من أيام عيد الفطر. وإلى ذلك أشار الشاعر البحتري في مدح المتوكل عند خروجه لصلاة عيد الفطر :

ووقفت في بُرد النبي مذكِّراً — بالله تنذر تارة وتبشر

وفي *لسان العرب* وصف للبردة، فهي "كساء يلتحف به. وقيل إذا جعل الصوف شقة وله هدب، فهي بردة" ويذكر *القاموس المحيط* أنه ثوب مخطط يلتحف به. وكان شائعاً عند عرب الجزيرة قبيل الإسلام وينسج في اليمن، ويباع في كل الجهات من الجزيرة. وقد اشتهرت برود اليمن بجودتها.

وإذا علمنا أن عدداً كثيراً من اليمنيين جاءوا مع جيوش الفتوح بالمغرب والأندلس، أدركنا أنه من المحتمل جداً أن يكونوا نقلوا معهم صناعتهم وطوروها نظراً لتوفر مادة النسيج من صوف وقطن وكتان وحرير بهاته البلاد. ويؤكد "مورينو" التأثير المشرقي على صناعة النسيج الأندلسي في كتابه *الفن الإسلامي بإسبانيا* جاعلا منها المعبر الأساسي للأسلوب المشرقي نحو أوربا (ص 411) ولحسن الحظ مازالت بقايا من تلك الأقمشة القديمة تساعد على معرفة نوع الملابس وأنسجتها. فمازالت هنالك مطرزات وأقمشة مخططة في بعض الأديرة تحمل اسم الخليفة الأموي هشام المؤيد. وقد أتى عبد الرحمن الداخل من المشرق بمؤسسة دور *الطراز* وهي مناسج تعمل تحت إشراف الدولة لصنع ما يحتاج إليه السلطان وحاشيته من أقمشة.

ونظراً لتأثير الأندلس على المغرب في الفنون الصناعية النفيسة، فقد بقيت لنا في بعض المصادر إشارات إلى بعض الملبوسات المستعملة في المغرب ومنها ما يذكّر بالبردة. فنجد، مثلا، في إحصاء هدية يوسف بن تاشفين إلى أبي بكر بن عمر اللمتوني ذكر ملبوسات من هذا النوع. منها "سبعمائة كساء بيض ومصبوغة" والكساء هو هذا النوع من اللباس الذي كان يلتحف به الفقهاء والوجهاء في الأعياد والمناسبات ومنها "مائتان من البرانس" والبرنس أو السلهام أقصر من الكساء، ويلتحف به أيضا وهو قريب من الوصف الذي بقي لنا عن بردة الخلفاء (*الحلل الموشية*، ص 27).

وابن خلدون الذي عاش مدة في المغرب وعاصر بني مرين في أوج عزهم ذكر في *المقدمة* إتقان المغاربة لصناعة الجلد والنسيج، وخاصة نسيج الصوف. ونجد في الهدية التي وجهها السلطان أبو الحسن المريني ذكراً لبعض الأنسجة التي تذكر بالبردة إذ فيها "من نسج الصوف المحكم ثياباً وأكسية وبرانس وعمائم وأزرا معلمة وغير معلمة ومن نسيج الحرير الفائق المعلم بالذهب ملوناً وغير ملون" (*الاستقصا*، 3 : 128).

وفي عهد السعديين، نجد شهادة مارمول الذي يصف لباس أهل مراكش فيذكر أنهم كانوا يلبسون جبات من الجوخ الملون وسترات قرمزية أو من الحرير الملون. وفي حديثه عن الفاسيين يذكر أنهم يرتدون ملابس مختلفة الألوان من الصوف تصل إلى نصف ساقهم، وفيها أكمام نصفية ضيقة جداً. كما يلبسون "أردية (سلاهم) من صوف أو من حرير وصوف ممتزجين معا" (2 / 175) كما قد يتزين النبلاء منهم بسترات من صوف وأردية قصيرة من صوف ولئن كان مارمول لم يستعمل الألفاظ المغربية الخاصة بالألبسة، فنحن نفهم من وصفه أنه يعني تارة البردة وطوراً البرنس.

ونظراً لاختلاف مناطق المغرب من حيث الطقس، فإن هاته الألبسة تختلف شكلا ونسيجاً تبعا لذلك. ولكن، في كبريات الحواضر والمدن المخزنية، على الخصوص ساد لدى الطبقات العليا في المجتمع نموذج للباس المحترم في الحفلات الرسمية والاستقبالات الملكية، أعني الجلابية والسلهام الأبيضين، ويمكن للفقهاء أن يضيفوا إليهما تلك الشملة الكبيرة المعروفة باسم الكساء التي تكون من نسيج صوفي خفيف.

وهكذا تكون البردة العربية تطورت عند وصولها إلى بلاد الغرب الإسلامي، وأخذت أشكالا محلية خاصة بالمغرب.

أ. القرشي، *جمهرة أشعار العرب*، القاهرة د. ت. 1936 ؛ ابن هشام، *السيرة* ؛ ابن منظور، *لسان العرب* ؛ الفيروزابادي، *القاموس المحيط* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت 1968 ؛ ك. مارمول، *أفريقيا*، الرباط 1988 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. ج. مورينو، *الفن الإسلامي في إسبانيا*، القاهرة 1968.

محمد زنيبر

**البردعي**، أسرة فيلالية الأصل من مدينة سجلماسة. انتقل بعض أفرادها إلى فاس وشفشاون وتطوان وسلا والصويرة في تواريخ غير محددة، غير أن آل البردعي التطوانيين كانت لهم سنة 1257 / 1841 دار بحومة الترنكات.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 355 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

**البردعي، الركراكي** - اسما - ابن الحاج مبارك البوزفتوني الصويري، فقيه اشتغل في أول أمره بطلب العلم ملازماً مجالس علماء الصويرة، لكنه تصدى بعد ذلك للتجارة والفلاحة "وكان يتعهد كتاب الله قائماً بالصوائر على الزاوية الجزولية التي أسسها والده".

توفي في ثامن رمضان عام 1377 / 8 أبريل 1958 ودفن بالزاوية الجزولية بالصويرة.

م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 166.

**البردعي، عبد القادر** بن التهامي الفاسي "الفقيه المدرس المشارك له بعض التآليف، طبع واحد منها صغير".

توفي في جمادى الثانية 1358 / يوليوز - غشت 1939، ودفن بالقباب قرب روضة الشاميين.

ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1358.

**البردعي، مبارك** (الحاج -) بن علال البوزفتوني الصويري تاجر ثري ومحسن صالح. ولي نظاره أحباس مدينة الصويرة أيام حوادث البيعتين للمولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، وأسس الزاوية الجزولية بحومة آل اجدير في الصويرة.

توفي في سابع رجب عام 1335 / 1916.

م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 154.

**البردعي، محمد** الأسود، من أهل سجلماسة "كان عبداً صالحاً شديد الخوف من الله تعالى لا تكاد ترقأ له دمعة".

ذكر ابن الزيات في *التشوف* انه سمع محمد بن أبي القاسم يقول : حدثوا عنه أنه كان إذا جنه الليل تفتح له أبواب المدينة فيخرج إلى المقابر يعتبر فيها. وأنشد في ذلك قصيدة مطلعها :

يا خاطراً بالقبور منطلقا لسانُهُ قِفْ وقوفَ معتبِرِ

ولم يذكر تاريخ وفاته.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، 278.

محمد حجي

**بردُلة**، - بضم الباء والدال - أسرة أندلسية شهيرة بفاس، عرف منها فقهاء وقضاة منذ العصر العلوي الأول. منهم :

**بُرْدُلة، محمد العربي** شيخ الجماعة بفاس وقاضيها على عهد المولى إسماعيل (1672-1727). وصفه المترجمون بآخر قضاة العدل بالحضرة الإدريسية. ولد في ثاني جمادي الثانية من عام 1042/1631 بفاس. ويُجمع الذين ترجموا لهذا العالم على طول باعه في جميع العلوم، وهو ما أهله لأن يصبح شيخ الجماعة بفاس «يُرجع إليه في المعضلات ويعتمد على ما يقوله في النوازل والمشكلات». وقد تولى خطة القضاء عدة مرات كما تولى خططاً شرعية أخرى.

إن المعلومات المقتضبة والإشارات القليلة التي نجدها عند أصحاب التراجم لا تفيدنا كثيراً في تتبع حياة هذا العالم أو معرفة نوع العلاقة التي كانت تجمعه بالمخزن الإسماعيلي. إلا أن المؤكد هو أن هذه العلاقة تعرضت لهزات متعددة وربما سادها بعض التوتر في كثير من مراحلها.

ولي محمد العربي بردلة القضاء بفاس لأول مرة في سنة 1088/1677-1678 ثم أُخّر عنه بعد سنتين. إلا أنه رجع إلى خطة القضاء خلال نفس السنة وبقي متقلداً لها إلى حدود سنة 1111/1699-1700. وفي هذه السنة «أنهي للسلطان أمور على سيدي العربي بردلة فأمره أن يغرم أموالاً... ثم تبيّن للسلطان براءته مما نُسب له» فعفا عنه ورده إلى القضاء في سنة 1113/1701-1702. وفي السنة التي تلتها 1114/1702-1703 عُزل للمرة الثالثة قبل أن يقلد القضاء من جديد في سنة 1116/1704-1705. وبعد ثلاث سنوات عزل عنه للمرة الرابعة والأخيرة، حيث لم يعد إليه بعد ذلك.

فما الذي أوجب عزل محمد العربي بردلة عن القضاء أربع مرات ؟ أكان ذلك بسبب مواقفه من بعض القضايا الشائكة التي كانت مطروحة على الساحة الفاسية مثل مسألة جيش العبيد وتمليك الحراطين للمخزن، وهو أمر نعلم أنه تسبب في توتر العلاقة بين المولى إسماعيل وعلماء فاس ؟ أم كان ذلك بسبب تناقضات المجتمع الفاسي وانعكاس ذلك على أسرة بُردلة، خاصة وأن صاحب *نشر المثاني* يشير إلى أن بردلة كان يحظى بعطف البلديين من أهل فاس، وهم الفئة التي لم يكن السلطان راضياً عنها. ومما يدل على معارضة بردلة لسياسة المخزن الإسماعيلي، ولو في بعض جوانبها على الأقل، ما يذكره القادري من كثرة المراسلات التي كانت بينه وبين السلطان، وهو أمر يذكرنا بعالم آخر هو محمد بن عبدالقادر الفاسي وكان هو الآخر متحفظاً من مسألة تمليك الحراطين. ويظهر من كلام القادري دائماً أن بردلة كان يتهرب من الإجابة عن أسئلة السلطان مشافهة ويفضل أن يجيبه «بالقلم في الأجوبة والرسائل».

ومما يؤكد عدم مسايرة هذا العالم للمخزن في بعض الأمور على الأقل ما وصفه به المترجمون من «عالم عامل» وهو وصف لم يكن يخص به إلا من كان يتمتع بدرجة كبيرة من الاستقلال تجاه السلطة السياسية

لم تكن خطة القضاء هي الخطة الشرعية الوحيدة التي مارسها محمد العربي بردلة، فقد زاول إلى جانب القضاء الإمامة والخطبة بجامع القرويين، كما اشتغل بالتدريس فتتلمذ عليه العديد من العلماء أمثال محمد بن عبد السلام بناني، وعبد المجيد بن علي المنالي، ومحمد المسناوي، ومحمد بن الطيب القادري وغيرهم. وقبل وفاته بخمس سنوات ولي النظر في أحباس فاس فأحسن تدبيرها. والحقيقة أنه كان في جميع ما تقلده من خطط شرعية قدوة في الاستقامة ومثالاً في العفة. ويذكر صاحب *زهر الآس في بيوتات فاس* أنه كان قانعاً بمستفاد فلاحته وأملاكه لا يدخل عليه من بيت المال والأحباس إلا مرتب مسجد القرويين عندما كان إماماً وخطيباً به.

لم يكن محمد العربي بُردلة من المشتغلين كثيراً بالتأليف، وأهم ما وصلنا من انتاجه الأجوبة الفقهية التي جمعها وطبعها بفاس أحمد بن الخياط الزكاري سنة 1926.1925/1344، كما تذكر له المصادر *رسائل* عديدة وجهها إلى المولى إسماعيل في قضايا مختلفة ومن جملتها قضية تمليك الحراطين.

توفي محمد العربي بردلة عن سن عالية تزيد على التسعين سنة، في منتصف رجب من عام 1133/ماي 1721.

ع. الكتاني، *زهر الآس*، مخطوط خ. ع. رقم 12815 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ت. حجي والتوفيق، ح : 3 ؛ *التقاط الدرر*، ت. هاشم العلوي القاسمي.

محمد المنصور

**البردوز، محمد** بن علي من فقهاء مدينة سلا في القرن الثالث عشر (19 م). ولا يُعرف أحد من أفراد هذه الأسرة بسلا قبل هذا الفقيه ولا بعده، ولعله من الطارئين على المدينة، عُرف كنائب لقاضي العدوتين السيد الهاشمي أطوبي في ولايته الثالثة سنة 1232 / 1816، فكان الفقيه محمد البردوز ينوب عنه في سلا، والفقيه الطيب بسير ينوب عنه في الرباط. ولم نقف على تاريخ وفاته.

ج. الناصري، *قضاة سلا*، مخطوط خ. ص ؛ م. بوشعراء، *ملحق الإتحاف الوجيز*، 153.

محمد حجي

**بَردُوڭو**، Berdugo أسرة يهودية كثيرة العدد في المغرب وبخاصة في مدينة مكناس، برز منهم في القرون الثلاثة الأخيرة عدد من الربيين والقبالين والمدرسين والمؤلفين، أمثال :

**بَردُوڭو، بيطاحي** مردخاي (1764. 1820)، ربي أكبر بمكناس، صاحب كتاب *نوفيت صوفيم* (عسل على الرفوف) وشروح تلموذية عنوانها : *بيتوحي حوتام* (أبواب المختومات)، (طوليدنو، نيرهمغرب، 197).

**بَردُوڭو، رفائيل** ابن مردخاي (1747.1822)، كان هو أيضا ربيا بمكناس. تصدر طليعة الربيين المغاربة في عصره، ألف *ميشپّاتيم بشاريم* (القوانين العادلة) في جزئين، طبع الكتاب بكراكوفيا عام 1891، وضمن المؤلف الفتاوي، ثم له : *مي مينحوت* (المياه الهادئة) طبع بالقدس عام 1901 - دراسات في التوراة - شريط زاهاب (صولجان الذهب) - دراسة عن التلمود - توجد بعض مخطوطات المؤلف بخزانة معهد الدراسات اليهودية بنيويورك وكلها تحتوي على شروح ودراسات لنصوص القوانين الدينية *سلحان هاروح* وحول مشباط، وحول الربي شلومو بن اضريت الحبر الأكبر ببرشلونه 1235.1310 وله كذلك *مختصر شرح تقنوت* (في القوانين العرفية المحلية) لربيي قشتالة التي كانت جارية في البداية في أوساط اليهود المغاربة النازحين من إسبانيا، وهي الأعراف التي امتد تطبيقها إلى قطاعات أخرى من الحياة، مثل الذبائح (شخيطة) وكاف زهاب (كف الذهب)... ثم ألف باللهجة المغربية العربية *شرحا للتوراة* يوجد مخطوطا بمعهد بنزوي بالقدس (رقمه م - س 1303 و1329)، وصفه حييم الزعفراني في كتابه *البداغوجية اليهودية بأرض الإسلام*، ويتعلق الأمر بتفسير وشرح المفردات المترجمة الصعبة لأسفار التوراة الأربعة والعشرين ولبعض العبر الواردة في التلموذ أو التي يتداولها الربيون مرتبة حسب الترتيب الألفبائي.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab*, pp.196-197 ; H. Zafrani, *Pédagogie juive en Terre d'Islam*, 67-69.

**بردوڭو، شلومو**، (1750.1810) ربي بمكناس، له *شروح التوراة* (مخطوط).

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab*, 198.

**برْدُوڭو، شلومو بن دانيال** (1854.1905) ربي وقاض بمكناس، له ديوان شعر عنوانه *شيري شلومو* (أناشيد سليمان) نشر عام 1950، وعدد من المخطوطات مضمونها تأويلات ذات طابع شرعي وقانوني للتوراة.

Y. M. Tolédano, *La Saga des Familles* ; Y. Benaïm, *Malki Rabbanan* ; A. Larédo, *Les noms des Juifs du Maroc*, 429.

**بردوڭو، مردخاي**، معروف بلقبه هَمَرْبيسْ ثم مردخاي الصِّديق - شقيق يهودا (الربي القاضي بمكناس، ت. خوالي عام 1730) - ربي أكبر بمكناس مدة عشرين سنة، توفي عام 1763. ألف كتبا مضمونها فتاوي قضائية وشروح، عنوانها *دُريش طوب* (الخطيب الموفق) و*مِشْني المليخ* في الأمثال.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab*, 152.

**بردوڭو، موشي**، معروف هو أيضا بلقب هَمَشْبير، كان ربياً بمكناس عام 1723 بعدما قضى مدة طويلة في التدريس وتكوين الربيين القضاة، توفي عام 1731، كان محبوبا في الأوساط اليهودية المحلية بما عرف عنه من عدل وإنصاف وتبصر وحكمة، ترك شروحا ودراسات عن التوراة والتلمود عنوانها *روش مشبير*، نشرت في جزئين بمدينة ليفورن عام 1840، ثم له أيضا كتاب عنوانه *كنيف رنانيم* (العصافير المغردة، القدس، 1909) والذي يحتوي على فتاوي شرعية.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab*, 147, 148.

**بَرْدُوڭو، موشي بن يوسف**، ربي بمكناس خلال القرن التاسع عشر، ترك مخطوطا يتضمن فتاوي شرعية ومخطوطا آخر في موضوع التوراة والتلمود.

A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc*, 429.

**بردوڭو، ميمون** (1770.1824)، ابن رفائيل السابق، ربي وقاض بمكناس لقبه هامبين، ألف فتاوي وشرحا لكتاب والده حول الذبائح الشرعية، وله أيضا سفر *بيني مبين* المنشور عام 1951، وشروح لقانون موسى بن ميمون الأندلسي عنوانه *حوش مشباط*.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab*, 197 ; *La Saga des Familles, 119*.

**بردوگو، يشواع** (1953.1878)، ربي أكبر بمكناس ثم رئيس المحكمة العليا اليهودية بالرباط، من عام 1941 إلى عام 1949، وفي هذه الفترة انعقدت تحت رئاسته أولى المجامع الدينية اليهودية بالمغرب كان هدفها وضع مشروع لتحديث القضاء اليهودي. وبعد وفاة يشواع بردوگو، واصلت هذه المجامع لقاءاتها تحت رئاسة خلفه الربي صاؤول داسون.

A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc*, 429.

**بردوگو، يعقوب** (1843.1783) كان ربيا قاضيا بمكناس ألف ديوان شعر عنوانه *قول يعقوب* (صوت يعقوب) ضمنه أناشيد وتراتيل دينية (كيشوت) طبع بلندن عام 1840 وله كذلك عدة مخطوطات تتضمن فتاوي *سفريا دي يعقوب* *ويغل يعقوب* (تراتيل).

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs au Maroc*, 428.

**بردوگو، يهودا**، تم تعيينه ربيا قاضيا بمكناس عام 1730، توفي بين 1740 و1744، مؤلف ميم عموكيم (مياه عميقة) وهو عبارة عن شرح مختصر للتوراة لم يفلح في نشره، ثم له *محان يهودا* (معسكر يهودا) ضمنه نخبة من الخطب الوعظية انتهى من تأليفه عام 1712، ثم *مكوي ميم* (حوض الماء)، يحتوي على شروح لما يسمى عندهم هفطروت، أي القراءات الدينية الأسبوعية المقتبسة من كتب الأنبياء والملوك وغير ذلك.

M. Tolédano, *Ner Hama Earab*.

**بردوگو، يوسف** (1855.1802) ربي قاض بمكناس، ألف كتنوت يوسف (قميص يوسف) في ثلاثة أجزاء نشرت بين 1922 و1943، له شرح لموسى بن ميمون عنوانه *الربي موشي بن ميمون*، وله كذلك فتاوي عنوانها *كوتروت يوسف* (تاج عمود يوسف).

ويزيد طوليدنو على ذلك فينسب إلى هذا الربي كتابا آخر حول قواعد اللغة والصرف في العبرية، عنوانه : *سفر هشراشيم* (كتاب الجذور، مخطوط)

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc*.

**بَردوگو، يوسف** (1968.1899) رئيس الطائفة اليهودية بمكناس من عام 1935 إلى وفاته، كاتب عام لمجلس الجماعات اليهودية بالمغرب من عام 1957 إلى عام 1961. وكان أحد ممثلي اليهود في مجلس شورى الحكومة في عهد نظام الحماية الفرنسية، ثم كان عضوا في الوفد الذي تشكل من يحيى الزگوري (الدارالبيضاء) وعاميل (الرباط) وغيرهما والذي استقبله المغفور له محمد الخامس في الوقت الذي سعت فيه حكومة فيشي الفرنسية إلى فرض نظام خاص على يهود المغرب، وقد أكد الملك الراحل رفضه لقرار فيشي وأكد رعايته وحمايته لليهود المغاربة.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc*.

سيمون ليڤي

**بُرديكاريس**، يون Perdicaris Ion أمريكي من أصل يوناني تجنس واستوطن مدينة طنجة نحواً من عشرين سنة حتى وقع سنة 1904 هو وصهره كرومويل فارلي C. Varley أسيراً بيد أحمد الريسوني، ولم يفرج عنهما إلا بأداء فدية مالية. كان من الأثرياء الأمريكيين بالمغرب ذا خلطة كبيرة بالمغاربة في الفلاحة وتربية المواشي، من المولعين بالفنون الجميلة، رسم لوحات زيتية بريشته. كما كان حر الفكر، شهماً، سخياً. واشتهر بمناهضته لتعسفات القناصل والأجانب، وألف عن شجاره مع الكولونيل فيلكس ماتيوز F. Mathews القنصل العام الأمريكي بطنجة كتيبا نشر بلندن سنة 1886 بعنوان : *مطالب أمريكية وحماية الأهالي من لدن مستوطن أجنبي*. *Americain Claims and the Protection of Native Subjectes by a Foreign Resident*.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 470.469.

J.L. Miège, *Le Maroc et L'Europe*, 1 : 153.

مصطفى بوشعراء

**برديل**، قرية تقع جنوب غرب مصطاف تافوغالت على السفح الجنوبي من جبل بني إزناسن في قسم قبيلة بني وريمش. اشتهرت برديل باحتضانها قصر القائد محمد بن البشير بن مسعود الإزناسني الذي صار فيما بعد عاملا على "عمالة وجدة"، غير أن هذا القصر تعرض للنهب والتدمير بعد أن قبض السلطان مولاي الحسن على القائد المذكور سنة 1876، وشُرّد أفراد عائلته، فمنهم من نُقل إلى فاس، ومنهم من فرّ إلى غرب الجزائر. وقد عاين أحد الرحالة الجزائريين معالم القصر المذكور في نهاية القرن الماضي، ومازالت بعض آثاره موجودة حتى الآن.

ق. الورطاسي، *بنو إزناسن*. الرباط 1976، ص. 83 ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873 - 1907*، الدار البيضاء 1989.

M. Ben Rahhal, *A Travers les Beni Snassen*, *B.S.G.A.O.*, 1889, pp. 5 - 50 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*. Oran, 1912, pp. 214 - 218.

عكاشة برحاب

## البُرّ ← القمح

**البَرّ**، (جزيرة -) تعرف بهذا الاسم Isla de Tierra عند الإسبان وهي جزيرة صغيرة مجاورة لجزيرة النكّور، كما تعرف بجزيرة القديس كارلوس Isla de San Carlos في حين أن اسمها الحقيقي هو جزيردة تازروت النكور وتقع على بعد مائتي متر من شاطئ قبيلة بني ورياغل.

هذه الجزيرة هي إحدى الجزر الثلاث التي تعرف بـ Ad Sex insulas في *دليل المسافر* لأنطونينو Itinerario de Antonino ولم نجد لها ذكراً في المصادر المغربية.

ويزعم الإسبان أنهم احتلوها يوم استيلائهم على جزيرة النكور في 28 غشت 1673.

Blazquez y Delgado, *Estudios geografico-historicos de Marruecos*. Madrid 1613 (*Itinerario de Antonino*) ; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la zona norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid 1942, p. 48 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan 1951, p. 63.

محمد ابن عزوز حكيم

**بَرَّابَح**، مكان بأرض قبيلة الزيايدة إحدى قبائل الشاوية، على وادي نفيفيخ إلى الجنوب الغربي من مدينة بن سليمان. في هذا المكان جرت معركة شديدة بين جيش الاحتلال الفرنسي ومجاهدي قبائل الشاوية يومي 16 و17 فبراير 1908.

وقد وقعت هذه المعركة في إطار تنفيذ خطة الجنرال داماد، للقضاء على مقاومة قبيلة المذاكرة وأولاد علي. وهكذا قسم القائد الفرنسي قواته إلى ثلاثة طوابير، كلف الطابور الأول بقيادة الكلونيل Taupin أن يهاجم بلاد المذاكرة من الشمال. تحركت قوات هذا الطابور من مدينة برشيد نحو مدينة فضالة (المحدية). ثم اتجهت شرقاً نحو بوزنيقة. ومن بوزنيقة اتجهت نحو الجنوب. كانت هذه القوات تسير في أرض متعرجة تكسوها الغابات، ولما اقتربت من أرض المذاكرة هوجمت في بَرَّابَح حيث شبت معركة حامية الوطيس، دامت يومين، اضطرت على إثرها القوات الفرنسية إلى الانسحاب نحو مكان انطلاقها، دون أن تحقق أهدافها.

وقد وصف كونجو Conjeaud قتال يوم 17 فبراير، فذكر أن القوات الفرنسية لما أرادت قطع الوادي صباح هذا اليوم هوجمت من طرف "عدو شديد الاندفاع" فكانت المعركة دامية تدافع الجانبان خلالها على مقطع الوادي بحدة، واستخدم السلاح الأبيض عدة مرات مما بيّن عنف الهجوم المغربي.

وبصرف النظر عن خسائر المغاربة الغير المعروفة، فإن الرواية الفرنسية تشير إلى أن جيش الاحتلال الفرنسي فقد ثلاثة وثلاثين رجلا بين قتيل وجريح. من بينهم الضابط بُول بُولْهُو Boulhaut الذي أطلق اسمه على مركز بن سليمان في عهد الحماية. وقتل ضابط آخر يدعى أحمد بن محمد (من أصل جزائري أو تونسي).

ع. الخديمي، *حادثة الدار البيضاء*، د. د. ع. 1985.

H. G. Conjeaud, *Histoire militaire de la Chaouia depuis 1894*, Casablanca, (s.d).

علال الخديمي

**البرَّاح**. - بفتح الباء وتشديد الراء المفتوحة - يستعمل في العربية الدارجة والأمازيغية بنفس اللفظ والمعنى، ويقابله في الفصحى كلمة (المنادي). ويرى دوزي في *تكملة المعاجم العربية* أن برّاح بوزن فعّال يدل على الحرفة من برح بمعنى أظهر وأعلن، وهو مضمون حرفة البراح.

فالبرّاح في المفهوم الحضاري هو الشخص الذي يتولى مهمة الإعلام، وذلك بإطلاق النداء بأعلى صوته في الأسواق والمواسم وأمام المساجد وساحات المدينة ودروبها، وفي مختلف القرى والمداشر. وكان يعلن ما جدَّ من الأحداث العامة منها والمحلية، وما يتخذه المخزن أو مجلس القبيلة أو الهيئة الحضرية من القرارات والمواقف، كما يعلن أحياناً عن حاجات الأسر والأفراد. وكان لإعلان البراح اعتبار خاص: يسري بسرعة فيتناقله الناس ويبلّغ الشاهد الغائب، ويوضع مقتضى كلامه موضع السمع والطاعة والتنفيذ.

ووظيفة البرّاح تعتبر من المظاهر الحضارية العتيقة التي شاعت في مختلف العصور وكانت معروفة في حضارة الشرق وفي البلدان الأوربية. وقد رسخت في البلاد العربية في العصر الجاهلي، فلما جاء الإسلام أقر هذه الظاهرة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخذ المنادين لإعلان قضايا الوحي، ووردت بشأن الظاهرة أحاديث كثيرة (*الترتيب الإدارية*، ص 290) وقد تواتر بعد ذلك في أعمال الفقهاء والقضاة أن يُطلقوا البراح للنداء بالأحكام الشرعية كما نجد عند الشيخ خليل في قوله: "ونادى بمنع معاملة يتيم وسفيه".

وتأصلت وظيفة البراح في المغرب فاعتبر "البريح" من وسائل الإعلام المعتمدة إلى أوائل القرن الرابع عشر (20 م) حيث بدأت وسائل الإعلام الحديثة تنتشر وتحل تدريجياً محل البرّاح سواء منها المقروءة والمسموعة والمرئية، وكانت المناشير والصحف والخطب والمجلات أسبق في الانتشار من الإذاعة والتلفزة.

غير أن هذا لم يمنع من الاحتفاظ بوظيفة البرّاح في بعض المرافق الاجتماعية حتى اليوم، سواء في المدن أو القرى. ومازال البراح يمارس مهمته لكن في أضيق مجال، إذ تنحصر في الإعلان عن بعض الممارسات الفلاحية في العالم القروي، وتشييع جنازة أحد أعيان المدينة أو مسنِّيها، وبذلك مايزال منظر البراح وهو ينادي أمام حوانيت التجار والحرفيين في بعض المدن العتيقة مثل الرباط وسلا أمراً مألوفاً.

وإلى جانب البراح يوجد الدلاّل والعلاّم، فوظائف هؤلاء متميزة مختلفة. وقد حدث هذا الخلط فعلاً في الكتابات الأجنبية عن المغرب خصوصاً في عهد الحماية، وهو ما يلاحظ في ترجمة كلمتي البراح والدلال فكلاهما معاً تُرجم بعبارة Crieur. وقد تنبهت بعض الكتابات إلى الفرق بين هاتين الحرفتين، فترجمت كلمة البراح بعبارة Crieur public في حين ترجمت كلمة الدلال بـ Vendeur à la criée وهو الصواب.

أما العلاّم فله مهمة محدودة مثل علاّم الحركة العسكرية الي ينادي في وقت الرحيل ووقت الإقامة، وعلاّم البارود الذي يعطي الإشارة أثناء لعبة الخيل، وعلاّم نوبة الماء الذي ينادي أثناء توزيع حصص مياه السقي التقليدي في بعض القرى، وهناك علاّم النوبة الخاصة بإطعام فقيه المسجد، وعلاّم نوبة رعاية الماشية الجماعية، وعلام إشارات الرقص والغناء.

أما الدلال فله أيضاً مهمة محدودة تنحصر في المجال التجاري، يعلن عن أثمان البضائع بالمزايدة، سواء كان ذلك في حلقة المزاد العلني أو كان متنقلا بين حوانيت التجار بتلك البضائع، ولكل نوع من البضاعة دلال خاص، ويتعدد الدلالون في أسواق الجلد والزربية والخيل والجوطية

والقيصارية، وقد أحصى 66 دلالا في أسواق مكناس وحدها سنة 1924.

وبهذا يتضح أن مهمة البراح كانت أعم وأشمل بحيث تستقطب مختلف المجالات في الحواضر والقرى، ولقد وقع تصنيف وظيفة البراح ضمن الحرف التي يوكل أمرها لنظر المحتسب في النظام المغربي، ففي قوائم إحصاء الحرف في المدن المغربية لسنة 1924 وردت حرفة البراحين لدى محتسبي مدينة سلا ومدينة تازا، ولم يكن عددهم يتجاوز اثنين في كل مدينة، وهذا لا ينفي وجودهم في بقية المدن، ويسري عليهم ما يسري على بقية الحرف الأخرى من ضوابط وشروط.

وكانت مواصفات البراح لا تستلزم خبرة معينة أو سعة من الثقافة، وإنما يشترط أن يكون جهوري الصوت حسن الهندام لبقاً حسن التصرف، يقوم بالإعلان عن الأمور المهمة والمتواضعة على السواء.

وبالنسبة للمصادر التي يتلقى منها البراح الأوامر، فقد كانت متعددة تشمل مختلف أصحاب القرار بما فيهم ممثلو المخزن من عمال وقواد وقضاة وأمناء وشيوخ وأعوان، وكذلك تشمل بعض الأعيان مثل شيوخ الزوايا والفقهاء بشأن استفحال بعض القضايا. وكذلك رؤساء الجماعة لدى القبائل فيما يخص أعراف القبائل وشؤونها الداخلية. وقد يكون المصدر شخصاً عادياً ممن ضاعت منه أشياء ثمينة، غير أن هذه المصادر وقع تقنينها تدريجيا في المغرب منذ عهد الحماية بحيث أصبح المخزن يتحكم في الإعلان بفرض الرخص.

وكانت العادة أن يحضر العدول نداء البراح في الأمور المهمة مثل البيعة والقرارات المخزنية ويسجلوا شهادة خاصة كوثيقة تثبت وقائع ذلك النداء وتاريخه، ونجد ضمن نماذج الوثائق التقليدية التي يستعملها الفقهاء عادة نموذج الإشهاد بالتبريح ومضمنه :"حضر كاتبه عفا الله عنه حيث برّح فلان بن فلان على سطح مسجد كذا أو وسط سوق كذا حتى سمعه القريب والبعيد وقال في تبريحه كذا، وهذا ما حضرناه بتاريخ كذا...". ولدينا شهادات عدلية مختلفة من وثائق القرن الثالث عشر (19 م) تشهد بشيوع هذه الظاهرة، منها شهادات بإعلان المخزن للتغييرات الحاصلة في صرف النقود (*مسألة النقود*، ص 332) وكذلك شهادات أخرى تهم العلاقات القبلية وغيرها، وتلقّينا إلى جانب هذا بعض الروايات الشفوية تدل على أن البراح كان مصدراً لإنتاج كثير من النكث والأقصوصات المتداولة.

أما مصير هذه الظاهرة اليوم فقد تقرر على يد وسائل الإعلام التي أصبحت وسائل بديلة عن "التبريح" خاصة منها التلفزة والإذاعة والصحف، وأحياناً إذا اقتضى الأمر الاستعجال في شؤون محلية تجهز سيارة "براحة" بمكبرات الصوت وتطوف بأرجاء المدينة لنشر الإعلان المقصود. وبذلك آلت ظاهرة البراح إلى الزوال ولم تبق إلا في نطاق محدود كما ذكرنا. وقد وقفنا على نماذج من متأخري البراحين، أحدهم من مدينة سلا يدعى القائد التهامي كان أصلا من قواد الرحا في الجيش العزيزي، ولظروف لا نعلمها تحول ليقوم بمهمة البراح بسلا إلى أن توفي في أوائل الأربعينات من هذا القرن. والثاني من مدينة إنزگان يدعى مبارك أُبلخير، (انظر الصورة) كان ما يزال حياً سنة 1990، وقد توقف عن هذه الحرفة في أوائل السبعينات بعد أن قام بالتبريح طوال حياته. يقول عن نفسه أنه في الأصل من عبيد سيدي المدني الماسي حيث كان يسكن بالمرس بقبيلة ماسة قرب ضريح سيدي محمد أُحمد، وانتقل إلى مدينة إنزگان حيث تولى مهمة البراح فترة من الحماية وفي عهد الاستقلال. ويتحدث عن قواد المدينة أمثال القائد ابن المدني، والقائد أموگاي وغيرهما من قواد عهد الاستقلال، ومن هذه الحرفة كان يستطيع ضمان مورد عيش له ولزوجته وأولاده.

ع. الكتاني، *التراتيب الإدارية*، جزءان ؛ خليل بن إسحاق، *مختصر خليل* ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر* ؛ مجهول، *الوثائق العدلية للصويرة وضواحيها* ؛ روايات شفوية مع أحد البراحين ومع بعض المسنين.

*Enquête sur les corporations d'artisans et de commerçant au Maroc* (1923 - 1924), in *Revue du Monde Musulman*, Tome 58, Paris, 1924 ; R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, Bayrouth, 1981, 2 vol.

عمر أفا

**بَرّادة**، أسرة أندلسية كبيرة، استقرت عندما انتقلت إلى العدوة المغربية، بفاس وتطوان ومكناس. ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل حتى اليوم نفس الاسم Barrada.

وقد انتشرت اليوم هذه الأسرة كثيراً، فلم يعد وجودها قاصراً على المدن الثلاث المذكورة، بل لا تكاد تخلو منها مدينة.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecun* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**برادة الطيب** بن الخياط. لا يعرف عنه إلا ما ذكره تلميذه الباحث المحقق التهامي بن المكي ابن رحمون الفاسي (ت 1263 / 1847) في مجموع إجازات أشياخه. ويظن عبد السلام ابن سودة أنه من أهل فاس.

توفي في خامس وعشري رجب عام 1235 / 8 ماي 1820.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1235.

**برادة، عبد الجليل** بن محمد الفاسي "الفقيه العلامة المحدث الرواية المطلع، له عدة إجازات من عدد من علماء المغرب". انتقل إلى المدينة المنورة وجاور بها مدة طويلة إلى أن أدركته الوفاة بها عام 1325 / 1907.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1325.

**برادة، عبد الرحمان** الفاسي، صوفي صالح، من أكبر مريدي الشيخ أحمد التجاني. لا ندري القرابة العائلية بينه وبين علي حرازم برادة آتي الترجمة، إلا أنهما كانا معاً من خاصة الشيخ التجاني.

توفي بفاس عام 1234 / 1818 ودفن بروضة الشيخ ابن عمرو داخل باب عجيسة.

ع. ابن سودة، إتحاف، مخطوط، 1234.

**برادة، عبد السلام** بن الحاج أحمد، صوفي ناسك زاهد، من أسرة ثرية، كان والده يتجر بالسودان ذا ثروة طائلة طالما أغدقها على ولده البكر عبد السلام الذي أراده أن يكون تاجراً مثله، لكن الابن أعرض عن متاع الحياة الدنيا اعراضاً تاماً سواء في حياة والده حيث منحه والده ما عمل به حانوتاً في سوق العطارين بفاس فتخلى عنها لعمه، أو بعد أن توفي والده وتركه مقدماً على إخوته، فأعرض عن الجميع وبقي متجرداً منقطعاً إلى الله تعالى. حلاه صاحب *السلوة* بقوله :"الفقير الأرضى، الخير المترضى، المعرض عن الدنيا وأهلها، الزاهد فيما ينسب إليها، مقدم الطائفة العيساوية".

كان من أصحاب الفقيه الصالح عبد المجيد المنالي الزبادي لا يكاد يفارقه، وحج معه سنة 1158 / 1745، وقال عنه المنالي في رحلته *سلوك الطريق الوارية* :"كان محباً صادقاً ذاكراً قانتاً، صيامه كثير من فطره".

وكان عبد السلام برادة شيخاً مربياً لأصحابه، يرشدهم في سلوك طريق القوم، إلى أن توفي بوباء عام 1164 / 1750، فدفن في حي فندق اليهودي بفاس، وبنيت عليه زاوية يجتمع فيها الذاكرون من فقراء الطريقة العيساوية.

ع. المجيد المنالي، *سلوك الطريق الوارية*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر*، 4 : 93 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1164.

محمد حجي

**برادة، عبد القادر** بن عمر نشأ في حجر والده المعروف في الوسط التجاري بفاس، ودرس دراسة عصرية في المدارس الابتدائية وثانوية مولاي إدريس، ثم اشتغل مع والده في التجارة. كان من الرعيل الأول في الوطنية، وقد نفته فرنسا على إثر حوادث 1937 إلى طنجة، فاستوطنها وأصبح رئيس الغرفة التجارية بها. ولم ينقطع عن نشاطه الوطني وقد أصبح مجال العمل أمامه فسيحاً نظراً لوضعية طنجة الدولية، فكان بيته ملتقى الوطنيين القادمين من منطقتي الحماية الفرنسية والإسبانية، يساعدهم ويسهل مأمورياتهم مستخدماً في ذلك ذكاءه وماله وجاهه، خدمة للقضية الوطنية المقدسة.

وبعد الاستقلال اختُطف من باب داره مع صهره وحُمل

إلى جنان بريشة بتطوان حيث قضى نحبه رحمه الله تحت التعذيب الوحشي أواخر سنة 1376 / 1956.

*وثائق عائلية، ومعلومات شخصية.*

أحمد معنينو

**برادة، علي حرازم** بن العربي الفاسي، أكبر خاصة الشيخ أحمد التجاني. كان من كبار العارفين رغم أميته وبلغ الذروة العليا. كان بوجدة عندما لقي سنة 1191 شيخه التجاني الذي كان متوجهاً من تلمسان إلى فاس لزيارة المولى إدريس الأزهر فصحبه إلى الحضرة الفاسية.

وفي عام 1213 شرع في تأليف كتابه *جواهر المعاني وبلوغ الأماني* مع كونه لا يد له في العلوم الرسمية كما يقول أبو المواهب العربي بن السائح العمري الشرقي دفين الرباط في *بغية المستفيد*، وقد ظهرت عليه آثار الفتح فخاض لجج المعارف وتبلورت بعض عناصرها الظاهرة في كتابه المذكور الذي أمره شيخه بجمعه ونظم فرائد فوائده، وترتيب فصوله وتهذيب مسائله وتأسيس قواعده، كما يقول أبو المواهب ابن السائح. ومعظم ما انطوى عليه الكتاب من إملاءات الشيخ سيدي أحمد التجاني حول المفاهيم الصحيحة لآيات قرآنية وأحاديث نبوية وقضايا عم بلواها فانبرى لتحليلها في منهج فذ جدير بكبار الأئمة. وقد عرف علي حرازم كيف يرتب ذلك في قوالب رائعة رغم بضاعته المزجاة في العلم وصناعة التأليف. وهذا - كما يقول سيدي العربي بن السائح - أدخلُ في الكرامة مما وقع لبعض العارفين الموصوفين بالأمية من تأليف بعض مهرة العلماء في مآثرهم وأذواقهم الوهبية، والإشارة إلى كتاب *الذهب الابريز* الذي جمع فيه العلامة أحمد بن مبارك إملاءات الشيخ عبد العزيز الدباغ.

وقد نسخ كتاب *الجواهر* في حياة الشيخ التجاني الذي "أجازه ي سائر ما فيه وكتب له بخط يده المباركة أوله وآخره بذلك في مسجد الديوان" بفاس وأخذت نسخ كثيرة عن هذا الأصل، وفي خزانتي الخاصة إحدى هذه النسخ مذيلة بامضاء العلامة سيدي العربي بن السائح، ثم طبعت *الجواهر* مراراً. ولعل بعض التحريفات والانحرافات لوحظت في النسخ المطبوعة لا وجود لها في الأصل. وقد أشار العلامة الحاج أحمد سكيرج في كتابه *كشف الحجاب* إلى ما

أثاره صدور هذا الكتاب من إعجاب وتقدير لترتيبه ومحتواه، وحررت حوله تقاريظ نثراً وشعراً.

وما لبث الشيخ علي حرازم أن غادر مدينة فاس متوجهاً نحو الحجاز مصحوباً في رحلته بعبد الوهاب ابن الاحمر الفاسي، ولقي في سفرته هذه شيخ الاسلام سيدي ابراهيم الرياحي بتونس الذي نظم في سيدي علي حرازم قصيدة من أربعة وثلاثين بيتا طرزها ببعض شمائله مطلعها :

كرم الزمان ولم يكن بكريم — وصفا فكان على الصفاء نديمي

إلى أن قال :

وأجلها نظري إلى ابن حرازم — وتمتعي من خلقه بنسيم

وتعرفي من عرفه بعوارف — ومعارف ولطائف وفهوم

توفي الشيخ علي حرازم برادة بالحجاز عام 1214 / 1799.

ع. ابن السائح، *بغية المستفيد* ؛ أ. سكيرج، *كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب*.

عبد العزيز بنعبد الله

**برادة، عمر** بن إدريس الفاسي أقام مدة طويلة بإشبيلية حتى تجنس وتزوج من إسبانية أنجبت له أولاداً سماهم بأسماء مسيحية : خوليو الذي كان طبيباً بتطوان، وسالْبَادُور الذي هاجر إلى البرازيل، وألفونصو. ثم استوطن فاساً في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وأصبح يمثل إسبانيا بهذه المدينة.

كان مثقفاً حاد الذكاء حسن المعاشرة إلا أنه كانت له بعض الخلافات مع السلطات المحلية، ومع ذلك كانت تطلب مساعدته عندما يحل بالمدينة أجانب ليترجم عنهم لمعرفته بعض اللغات. وكانت له خلطة مع الإسبانيين والألمانيين وغيرهم. ولما صدرت جريدة *"المغرب"* بطنجة سنة 1889 كان مراسلا لها.

مصطفى بوشعراء

**برَّادَة، محمد** بن **أحمد** بن المفضل، ولد بمكناس سنة 1900. وفيها تلقى دراسته بمختلف مراحلها وفنونها سواء الدراسات الإسلامية أو اللغة العربية وآدابها. عُرف بتضلعه في الفقه والنحو والأدب، وكانت له ذاكرة قوية للحفظ، وبراعة فائقة في إنشاد القصائد الشعرية الوطنية بطريقة حماسية على النهج المصري وبصوت جهوري، فكان يلهب حماس المكناسيين، وزاد من تأثيره على الجماهير نظراته أثناء إلقاء خطبه وقصائده، فكان في هذه الظاهرة وحيد عصره، علما أنه لم يرحل إلى الشرق، ولم يشاهد سوى بعض التمثيليات المشرقية التي قدمت في مكناس، كما كان اتصاله بالمشرق العربي عن طريق المجلات والجرائد التي كانت تصل آنذاك إلى مدينة مكناس بطرق متعددة، فأكسبه هذا الاطلاع الواسع ثقافة سياسية جعلته يحلل الأوضاع المحلية والعالمية بدقة، غالبا ما يحالفه الصواب في تحاليله، وبهذا الكم المعروف المعتبر استحق محمد برادة لقب أستاذ جيله في مكناس.

كانت دروس برادة على دسامتها وعمقها تتخللها النكتة فتضفي عليها بعض المرح، وما أحوج الطلاب إليه أحياناً، وكأنه بذلك أستاذ تربية وعلم نفس. وأديب موهوب وعالم مقتدر. كان يعطي دروسه بانتظام بمسجد الأنوار بسوق السباط وبجامع النجارين الذي درّس فيه *الكامل* للمبرد.

امتازت مواقفه الوطنية بالوضوح وعدم الخوف من خصومه السياسيين، كما أنه لم يكترث لانتقادات فقهاء عصره ولم يتردد - عن اقتناع - في الانضمام إلى الحركة القومية في مستهل سنة 1937 بعدما كان عضواً نشيطاً في فرع كتلة العمل الوطني بمكناس قبل حلها. كما أنه ساهم مساهمة فعالة في الإعداد لأحداث بوفكران بمكناس، فألقي عليه القبض في فجر ثاني شتنبر 1937 وسيق إلى محكمة الباشا أحمد السعيدي الذي حكم عليه - صحبة أربعة وطنيين آخرين - بثلاثة أشهر سجناً نافذة، قضاها رُفقة إخوانه الوطنيين في سجن سيدي سعيد بمكناس.

بعد خروج محمد برادة من السجن واصل عمله التدريسي ونشاطه السياسي دون ملل أو كلل، إلى أن كانت سنة 1944 سنة تقديم أعضاء الحركة الوطنية لوثيقتي المطالبة بالاستقلال للسلطات الفرنسية، فكان من بين الموقعين على عريضة الحركة القومية، كما تحمل مسؤولية الكتابة العامة للحركة القومية بمكناس، التي صارت تعرف بحزب الشورى والاستقلال منذ 1946، وبقي يزاول مهامه السياسية إلى سنة 1947.

إن ثقافة الفقيه برادة الواسعة والمتنوعة وذكاءه الوقاد جعلا تصرفاته سابقة لعصره حيث كان يطلق العنان لحريته الشخصية في وقت كان يعتبر فيه هذا التصرف من أكبر الكبائر في نظر فقهاء عصره. فيدخن جهاراً، ولا يتزيى بزي "العلماء" إلا قليلا ليحظى بالوقار على حدٍّ فهم العامة والخاصة من المكناسيين، ولا يتحفظ في مجالسة الذين لا يشاكلون مقامه العلمي، وينتقد جهاراً التزمت والجمود في أشياء سبق بها عصره، هذه التصرفات جلبت عليه كثيرا من المشاكل داخل مجتمع من سماته الأساسية الحفاظ على كل ما هو عتيق، والرجوع إلى التراث وما خلفه السلف الصالح واتخاذه قدوة ونموذجا للتغلب على مشاكل العصر، فصار محمد برادة وسط هذا التزمت والجمود نشازاً. فكان ذلك سبب نكد عيشه وسد أبواب الرزق في وجهه، فزاد فقره، وعسرت حاله لدرجة أنه لم يكن يجد ما يسد به رمقه. وللخروج من هذه الضائقة، طلب العدالة - بتدخل المؤرخ عبد الرحمان ابن زيدان - وطلب كتابة المعهد الإسلامي، فرفضت طلباته، لأن خصومه السياسيين كانوا له بالمرصاد، فزادت فاقته وحرمانه، مما اضطره إبان الأزمة المغربية سنة 1953 إلى قبول إدارة المعهد السالف الذكر، فسبب له ذلك عدة مشاكل، فقد وزع طلاب المعهد منشوراً يندددون فيه بمديرهم، مما جعل أعداءه الحزبيين والدينيين يتهمونه بالخيانة والزندقة وارتباطه بالفرنسيين، وهي تهم

مبالغ فيها، فأثر كل هذا في نفسه ولم يجد سنداً يتكئ عليه في بداية حصول المغرب على الاستقلال، خاصة وأن هذه الفترة امتازت بتصفية الحسابات الشخصية تحت رداء وطني، ذهب ضحيتها العديد من الوطنيين والمقاومين الذين تم اغتيالهم أوتعذيبهم في ظروف غامضة أو أرغم بعضهم على الابتعاد عن الحقل السياسي لما أصبح يتميز به من تعفن، وكثرة الدسائس والكمائن، في وقت كان من المنتظر أن يشهد المغرب المستقل مزيداً من الوعي لأطره السياسية لمواجهة مخلفات الاستعمار. وكان محمد برادة أحد ضحايا تلك الفترة المتوترة حزبيا، فمرض مرضا عضالا لم ينفع معه علاج، بعدما تضاعف ندمه وإحساسه بالغربة لما تبرأ منه أغلب أصدقائه وكل خصومه، في وقت لم ينفع فيه ندم، وتعاظم لديه تأنيب الضمير، فسقط طريح الفراش من شدة الألم والسقم إلى أن توفي يوم السبت 9 شوال 1378 / 18 أبريل 1959 ودفن بمقبرة سيدي عمرو بوعوادة في حي حمام الحرة بمكناس.

ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران*، الرباط 1990.

بوشتى بوعسرية

**برادة، محمد** بن **الطيب** كان وكيلا مغربيا بمصر. وتوفي قبل غشت 1845.

**برادة، محمد** بن **عبد السلام** استوطن مدينة إشبيلية مدة طويلة ثم عاد إلى تطوان سنة 1884 واستقر بها.

**برادة، محمد** بن **العربي** أمين بمختلف المراسي ومنها الجديدة التي أصبح عاملا لها، وبها توفي سنة 1894.

وهناك شخص آخر يحمل نفس الاسم:

**برادة، محمد** بن **العربي**، تاجر له شركاء في هامبورغ وإفريقيا الشمالية والشرق الأوسط والسينغال ومصر في مطلع القرن العشرين.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 1 : 78 . 103 . 107 . 316 ؛ 3 : 673، 1164 ؛ 4 : 1553 ؛ *الوثائق المغربية*.

مصطفى بوشعراء

**برادة، محمد** بن **محمد** (الحاج ـ) الفاسي. «كان يدرس بالقروين الفقه والنحو وغيرهما، أخذ عن الفقيه العلامة سيدي عبد الله بن إدريس البكراوي (البدراوي) وغيره» (*سلوة*).

توفي بفاس بعد زوال يوم الأربعاء ثامن ربيع الأول عام 1306 / 12 نونبر 1888، ودفن بروضة الشيخ علي المصالي داخل باب الجيسة.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 326 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1306.

محمد حجي

**بَرَّادُو**، أسرة رباطية أصلها من الأندلس قطنوا في درب مولاي عبد الله بحي العلو وظلوا يسكنون فيه، ويُصهرون بصفة خاصة إلى الأسر الأندلسية العريقة من أمثال بلامينو، وملين، ورديـاس، وبرقوق. وكانت لهم جميعاً وجاهة وثروة وحظوة لدى الحاكمين، وعرف منهم تجار وصناع وأساتذة ومدررون.

**بَرَّادُو، إدريس** (الحاج ـ) من حفاظ القرآن الكريم المجودين، اشتغل بتعليم الأطفال كتاب الله في مسجد الحرارين مدة، ثم انتقل إلى كتّاب فوق جامع النخلة بحي بوقرون بعد وفاة صاحبه الشيخ بوشعيب ابن يعگوب، فحلّ محله في التعليم بالكتّاب وإمامة الصلاة في مسجد ضريح سيدي يحيى الإفراني بحي بوقرون كذلك. كما كان إدريس

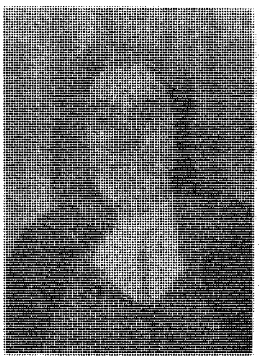

برادو من بين حفظة القرآن الذين يُصلون التراويح بالسلطان مولاي يوسف ثم محمد الخامس. وبعد الاستقلال شارك في حملة محاربة الأمية بإعطاء دروس ليلية للعوام.

توفي بالرباط في 4 جمادى الثانية عام 1379 / 5 دجنبر 1959.

**بَرَّادُو، محمد** (الحاج ـ) فقيه أستاذ حيسوبي اشتغل مدة طويلة مع آل برق الليل الذين كانت لهم تجارة واسعة في الرباط تمتد إلى مختلف مدن الجنوب. ولما نقلوا مركز تجارتهم إلى الجديدة انتقل معهم الحاج محمد برادو فحمدت سيرته وأمانته. ثم رجع إلى مسقط رأسه الرباط واشتغل ـ كأخيه إدريس ـ بتعليم كتاب الله تعالى بكتّاب الزاوية الناصرية، وإمامة الصلاة بمسجد ضريح للأ البيضاء المقابل لكتّابه.

وبعد الاستقلال توجه للحج فأدركته الوفاة بالطائرة حوالي سنة 1378 / 1958 وحمل إلى الرباط حيث أقبر.

*تقاييد ومعلومات شخصية* ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 435 . 436.

محمد الأمين بلگناوي

**بـرّاز** بن **محمد** المسوفي أبو إسحاق، من أبرز الشخصيات التي كان لها دور سواء في عهد الدولة المرابطية أو الدولة الموحدية. ليس لنا علم بتاريخ ولادته. ولكننا نفترض أنه ولد في أواخر القرن الخامس أي أنه من أقران علي بن يوسف، نظرا لارتباطه به أولا برابطة الوفاء، ولكونه عند وفاة هذا الأخير سنة 537، كان يعد من أشياخ مسوفة وزعمائها ومن القواد الذين يعتمد عليهم الجيش

المرابطي، وتلك صفات لا يتقلدها إلا من بلغ سنا يدل على معرفة وتجربة وأدرك جاها وحرمة. فيكون سنه آنذاك بين الخمسين والستين.

وقد سكتت المصادر عن الفترة الأولى من حياته إلى أن برز الخلاف داخل صفوف المرابطين وتمثل في النزاع والتقاطع بين قبيلتي لمتونة ومسوفة في سنة 537. ومن المعلوم أن مسوفة هي إحدى القبائل الكبرى في صنهاجة اللثام، مؤسسي الدولة المرابطية. ويذكر ابن خلدون عنهم أنهم كان لهم في دولة المرابطين "حظ من الرآسة والظهور".

وكان علي بن يوسف مثل أبيه ضامناً للتفاهم والوئام بين قبائل صنهاجة، بشخصيته والاحترام الذي كان يفرضه على الجميع. إلا أن المشاكل العويصة التي دخلت فيها الدولة المرابطية في المغرب والأندلس في العقد الأخير من حكمها زعزع هيبة الدولة فبرزت الإحن الدفينة والمؤاخذات المخبوءة والمنافسات المستبعدة. وعند وفاة علي بن يوسف انفجر الخلاف على أشده، وافتقدت مسوفة حاميها وضامن أمنها فخاف زعماؤها على أنفسهم. وكان من بينهم يحيى بن تاكغت ويحيى بن إسحاق المعروف بأنجمار، والي تلمسان وبراز بن محمد وعدد كثير من أبناء قبيلتهم. ونتج عن ذلك، حسب ابن عذاري، أن "زاد الخلل في أمر تاشفين، وفسدت نيات اللمتونيين لقبيل مسوفة، وترقبوا لهم الوقائع المخوفة، وتباغضوا بغضا، وقتل بعضهم بعضاً" (*البيان*، قسم الموحدين، ص 17).

وهكذا، انفصمت العصبية الصنهاجية التي قامت عليها الدولة المرابطية وانحاز زعماء مسوفة إلى معسكر الموحدين هم وطائفة كبيرة من قبيلهم، وكان ذلك من العوامل التي ساهمت في ترجيح كفة الموحدين وتدهور المرابطين، وربما يعرض هنا للمؤرخ تساؤل : ألم يكن لعبد المومن دور في إثارة النزاع بين القبيلتين ؟ ألم يكن له اتصال سري مع زعماء مسوفة وإغراء لهم ؟ لسنا نستطيع الجواب على هذا السؤال لأن المصادر ترجح أن الخلاف نشأ عن صراع داخلي بين صنهاجة اللثام. لكن المصادر ربما اكتفت بتسجيل الروايات المعلنة، دون أن تكلف نفسها عناء التحقيق في الموضوع.

ومهما يكن، فنحن لا نستبعد أن يكون عبد المومن بما عرف عنه من دهاء، كان عالما بتفاقم الخلاف بين القبيلتين، فصب الزيت في النار، ومنّى زعماء مسوفة بالوعود وفتح لهم الباب، وهكذا استطاع أن ينفذ من الداخل إلى عصبية صنهاجة ويهدّ ركناً من قوة المرابطين.

والذي يقوي في نظرنا حظوظ مثل هذا التفسير هو أن عبد المومن لم يكتف بحدوث الخلاف في صفوف المرابطين بل إنه كافأ زعماء مسوفة مثل يحيى أنجمار وبراز بن محمد. فعيّن هذا الأخير قائدا على أول جيش موحدي بعث به إلى الأندلس، بعد قدوم ابن قسي، أحد رؤساء الثوار الأندلسيين على المرابطين سنة 541 على عبد المومن، وإلحاحه عليه بالتدخل في الأندلس لتلافي أحوالها. وأصبح براز يحمل لقب الشيخ أبي إسحاق براز بن محمد المسوفي. ولقب الشيخ لم يحمله إلا أعيان الموحدين ونخبة رجالهم مثل أبي حفص الهنتاتي. وكان لعبد المومن حسابه السياسي في هذا التعيين. ذلك أن براز بوصفه من رجال المرابطين سابقاً، كان أحسن المرشحين لتولي هذا المنصب في المرحلة الأولى من دخول الموحدين إلى الأندلس. فبالإضافة إلى كفاءته كقائد عسكري، كان أعرف برجال المرابطين الذين مازالوا متولين بالأندلس، فكان في مستطاعه فتح الحوار معهم واجتذابهم بالأسلوب السياسي إلى جانب الموحدين، وتوفير عدد من الجهود العسكرية التي تكلف ثمناً غالياً.

وظهرت، في الحين، مقدرة براز كقائد عسكري ورجل سياسي. فتقدم أولا إلى مدينة شريش التي كانت على الولاء للموحدين، ومن هنالك تحرك بقواته نحو لبلة بعد اجتياز الوادي الكبير، فإلى مرتله الموالية، فإلى شلب التي اضطروا إلى فتحها، فإلى باجة حيث أعلن سدراي بن وزير طاعته للموحدين وأدخلهم إلى المدينة. وبالجملة، فقد حصلت هاته الحملة العسكرية الأولى التي قادها براز بن محمد على دخول "جميع أهل الغرب والجوف من الأندلس" في طاعة الموحدين.

واضطر براز للتوقف عن العمليات في إبان الشتاء. وما أن تحسنت الأحوال الجوية حتى استأنفها بدعوة زعماء الثوار بالأندلس وجنودهم إلى الانضمام إليه بقصد افتتاح اشبيلية التي كانت ما تزال بيد لمتونة. وتم فتحها يوم 12 شعبان سنة 541. وجلا عنها اللمتونيون. ومما قاله ابن صاحب الصلاة عن دور براز :"وملك الموحدون المدينة وقصبتها التي كانت قصر ابن عباد، وكان شيخ الموحدين الذي يرجعون إليه أبا إسحاق بن محمد المسوفي". (*البيان*، قسم الموحدين، ص 36).

وبعد إتمام هذه العمليات الأولى من إخضاع الأندلس، جاءت مرحلة التفكير في إقامة إدارة إقليمية بالأندلس يكون مركزها هو إشبيلية. وكما كان براز موفقا في أعماله العسكرية. فقد برهن عن كفاءته الإدارية، واكتسب ثقة عبد المومن وتقديره بعد النتائج العسكرية التي توصل إليها في ظرف وجيز، فعينه في تسيير الشؤون الإدارية والمالية كما يفهم من رواية معاصره ابن صاحب الصلاة. فقد وجه عبد المومن إلى أشبيلية الشيخ أبا يحيى بن الجبر "معيناً لمن فيها من الموحدين... واجتمع مع أبي إسحاق براز عن رأي واحد وسعد مساعد، ناظراً في المجابي، شريكاً في التدبير والنظر للموحدين" (*البيان*، ص 36).

لكن أخوي المهدي ابن تومرت عبد العزيز وعيسى جاءا في هاته الأثناء إلى الأندلس وحلا بأشبيلية وصدرت منهما أعمال منكرة أضرت بموقف الموحدين بتلك البلاد وأساءت لسمعتهم لدى سكانها حتى ثاروا على الموحدين وتراجعوا عن ولائهم. مما حدا بعبد المومن تلافيا للأمر إلى توجيه رسالة جامعة لكل البلدان، وبخاصة إلى الأندلس أكد فيها

"قوانين العدل والفضل، والسياسة والرياسة، فكانت حجة بأيدي الناس، ومؤمنة لهم من الباس". كما بادر إلى تعيينات جديدة في أشبيلية، لكنه حافظ على براز بن محمد في منصبه الخطير، منصب "الناظر في المخزن" المكلف بالجبايا والشؤون المالية. ومن ثم نفهم أن كلمة مخزن كانت تعني في الأصل الإدارة المكلفة بالضرائب. فهي التي كانت تشعر الناس بوجود الدولة وسلطتها.

نجح براز في مهمته الجديدة نجاحا باهراً. فيذكر ابن عذاري أنه وجد حالا في غاية من الشدة من كل نوع، فاستطاع أن يعيد السكينة إلى أهلها "بعدله وساس أعاديه بدهائه وعقله"، وأن يفتح أبواب السياسة للوالي الجديد يوسف بن سليمان. وهكذا تولى بنفسه الاتصال بأحد رجال المرابطين الأفذاذ يحيى بن غانية الذي كان متوليا على قرطبة، يحاول الاحتفاظ بما بقي من سلطان المرابطين في تلك البلاد، وهو بين نارين، نارالقشتاليين بقيادة ألفونسو السابع الذي كان يضغط عليه باستمرار، ونار الموحدين الذين جاءوا عازمين على أخذ الأندلس كلها من يد المرابطين. وكان في مستطاعه أن يقاوم ويصمد في مقاومته. لكن براز استطاع في اجتماعه به بإستجة أن يقنعه بضرورة التخلي عن التردد ووضع يده في يد الموحدين والتوصل إلى حل يكون فيه سداد بين الطرفين، فيتنازل عن قرطبة وقرمونة ويستقر في جيان. وهكذا انضم ابن غانية إلى معسكر الموحدين، وتوجه براز بنفسه إلى مراكش ليعلم عبد المومن بالنتائج التي توصل إليها بفضل مساعيه الدبلوماسية، وسر الخليفة الموحدي بذلك ووجه مع براز رسالة ود وعطف إلى ابن غانية زادت في تشجيعه وثباته على موقفه.

وسُقط في يد ألفونسو الذي كان معولا على انحياز ابن غانية إلى جانبه. فهب بجيشه لاحتلال قرطبة. وأمكنه أن يدخل إليها سنة 543 / 1148. إلا أن براز الذي كان واليا على أشبيلية لم يمهله حتى جهز حملة موحدية يقودها قائدان أندلسيان، وتعززت الحملة بورود قوات جديدة من المغرب. وتخوف ألفونسو من الحملة الموحدية فانسحب من قرطبة وأمكن للموحدين أن يستولوا على المدينة في نفس السنة. وكان لبراز في تلك الأثناء دور مهم في عودة زعماء المريدين إلى الولاء للدولة بعد مواقف التمرد التي صدرت منهم وهكذا توجه البعض سنة 544 إلى مراكش للاعلان عن طاعتهم مباشرة لعبد المومن.

واحتفظ براز بسلطته سنوات أخرى من بعد، إذ نجده يساهم في اعتقال يحيى بن يومور الذي صدرت منه أعمال سفك شنيعة في سكان لبلة سنة 549، ويقوم في نفس الوقت بتثقيف أموال تلك المدينة في المخزن. ولما عين عبد الله بن أبي حفص واليا على أشبيلية، كان أول ما اهتم به هو القيام بالجهاد، فاستشار براز في ذلك الشأن وكان ما يزال متوليا على المخزن. فأشار عليه بما يشجعه على المضي في تحقيق نيته.

وفي سنة 555، انتدبه الخليفة عبد المومن ليكون ضمن لجنة تشرف على بناء مدينة سلطانية بجبل الفتح (جبل طارق). وقد وردت الإشارة إلى ذلك في إحدى الرسائل الموحدية التي تتحدث عن "اختطاط مدينة عتيقة مباركة بجبل طارق" ثم تتحدث الرسالة بعد ذلك عن المكلفين بانجاز المشروع :"واستخرنا الله تعالى ووجهنا الشيخ أبا إسحاق براز بن محمد والحاج يعيش - أكرمهما الله - للاشتغال بذلك على ما وادعناهما عليه وذاكرناهما به في كيفية الاشتغال، وصورة الاعتمال" (*رسائل موحدية*، ص 97) ثم تذكر الرسالة، في الأخير، أفراد اللجنة المكلفين بالسهر على إنجاز المشروع. وقد شيدت بالفعل تلك المدينة وفق الطموح الذي كان للموحدين.

وقرر عبد المومن في آخر حياته أن يحول عاصمة الأندلس من أشبيلية إلى قرطبة، كما كانت في عهد الأمويين. وكان براز هو الذي تولى الإشراف على هذا الانتقال الذي لم يكن يخلو من صعوبات ومشاكل، إذ كان يقتضي نقل الدواوين والأموال وترحيل عدد كثير من الموظفين والكتاب وإيجاد كل التجهيزات الضرورية لذلك. وهكذا "عمرت قرطبة بعد قفرها" كما يقول ابن صاحب الصلاة الذي يؤدي هاته الشهادة المنوهة ببراز، وهو في الأعوام الأخيرة من حياته :

«وأظهر أبو إسحاق عادته في النصح لجميع المخازن، في داخل قرطبة وخارجها وجميع الأقطارالتي للموحدين والمواطن، واستعمل على أشبيلية من أصحابه من وثقه، واختصه وصدقه. ولم يزل في عمله من النصح، وشغله البين الوضوح كالصبح، مدة حياته إلى أن توفي بقرطبة بعد ذلك في عام تسعة وخمسين وخمسمائة من علة النقرس المزمنة به».

يتضح لنا باستعراض حياة براز، أن الرجل قدم خير مثال للموظف السامي، لخادم الدولة المغربية، غير متأثر لا بالعصبية العرقية ولا بالتقلبات السياسية، وإنما همه أن يؤدي مهامه باخلاص وإتقان.

*رسائل موحدية*، الرباط، 1941 ؛ ع. ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب* (قسم الموحدين) ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

**بُرَّاس**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Porras. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1733/1145.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

**البرَّاق**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الحوز المجاورة لتطوان، وكان من بين أفرادها :

**البرَّاق، أحمد** مدفعي كان ينتمي إلى حامية المدينة سنة 1830/1246.

**البرّاق، عبدالله** بن محمد المنتمي لنفس الحامية سنة 1875/1292.

**البرّاق، محمد** بن علي الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1732/1144 إلى سنة 1774/1188. وما زالت هذه الأسرة بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 170، 297 ، 8 : 215، 352 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* .

**البَرّاني**، أسرة كانت بتطوان وانقرضت سنة 1764/1178، وكان من بين أفرادها بنّاء ماهر مشهور اسمه :

**البَرّاني، علي** بن المهدي وكان حيا سنة 1761/1175.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 32 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 323، 351 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum* .

محمد ابن عزوز حكيم

**البرّانية** (وزير الشؤون ـ) ← **الخارجية**

**البرّجالي**، أسرة سلاوية أصلها من قبيلة أولاد برجال أحد فروع قبيلة بني حسن الهلالية الكبرى المستقرة شمال مدينة سلا، ولعلها من فرع أولاد عامر المهدية. عرف منهم مجاهدون بحريون وغيرهم.

**البرّجالي، محمد** من رجال البحر المنقطعين للجهاد، ورد اسمه في قائمة الصلة التي وصل بها الحسن الأول هؤلاء البحارة في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

**البرّجالي، محمد** آخر من حفظة القرآن المشتغلين بالجهاد البحري، ورد اسمه في قائمتي الصلات المخصصة من طرف الحسن الأول إلى الطبجية الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا، الأولى بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875، والثانية في ثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

**البرّجالي، محمد**. فقيه كان أمين المستفاد بسلا وتوفي في الأربعينات.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، الوثيقة 84 و170.

*Villes et tribus, Rabat et sa région.*

محمد حجي

**برّجان** (ابن ـ)، أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمان بن محمد بن عبدالرحمان اللخمي. أصله من المغرب. وكان من أبرز رجال التصوف بالأندلس في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، وبالتدقيق في الفترة المعاصرة لنهاية الدولة المرابطية، إذ كانت وفاته، على أرجح الروايات في محرم 536/غشت 1141.

لابن برجان جانبان أساسيان في شخصيته : جانب العالم والمفكر والصوفي، وجانب الرجل العامل، ونستطيع أن نقول، حسب الاصطلاح العصري، المناضل الذي اهتم بشؤون الأندلس وأوضاعها السياسية والاجتماعية في الفترة الأخيرة من حكم المرابطين التي عرفت أزمات ومشاكل مستعصية.

فبالنسبة لتكوينه العلمي، ليست لدينا معلومات دقيقة عن شيوخه وإجازاته، كما هو الشأن بالقياس إلى غيره من كبار العلماء المعاصرين. ونلاحظ أن الكثير من كتب التاريخ والتراجم تحاشت ذكره، لسبب سنحاول تفهمه فيما بعد، وقد اعتبره آنخل جنثالث بالنثيا في كتابه *تاريخ الفكر الأندلسي* من المنتمين إلى مدرسة ابن مسرة المتأثرة بالغنوصية والأفلاطونية الحديثة. والواقع أن مؤثرات أخرى قوية برزت آنذاك في الأندلس أهمها كان هو ورود تآليف الإمام أبي حامد الغزالي وفي مقدمتها كتاب *إحياء علوم الدين* الذي أثار ضجة فكرية كبرى في أوساط العلماء بالأندلس والمغرب. وقد اهتمت طائفة منهم بتدريس الكتاب وحفظه ونسخه ونشره بين الناس. فابن برجان، فيما يخص تثقيفه من الناحية الصوفية استفاد كثيرا من تلك المصادر المختلفة قديمها وحديثها.

لكن ثقافته لم تقف عند حدود التصوف بل كانت أشمل وأكثر تنوعا. وإذا أخذنا برواية ابن الزبير عن ابن فرتون، فإننا نجد أنفسنا بإزاء فكر موسوعي، إذ يذكر عنه أنه من أجلّ رجال أهل المغرب، وأن له الإمامة في علم الكلام ولغات العرب والأدب وأنه كان «عارفاً بالتأويل والتفسير، نحويا بارعا، نقادا ماهرا، إماما في كل ماذكر، لا يماثل بقرين، مشاركا في علم الحساب والهندسة وغير ذلك. قد أخذ من كل علم بأوفر حظ مؤثراً لطريقة التصوف وعلم الباطن متصرفا في ذلك، عارفا بمذاهب الناس...» (*صلة الصلة*، ص :31).

كما ذكر عنه ابن الأبار أنه تلقى *صحيح البخاري* على أبي عبدالله بن منظور وحدث به، وأنه كان ذا معرفة بالقراءات. والذي جعله يقبل بلهف على العلم هو إعراضه عن الدنيا ومغرياتها. فكان يقضي جل وقته بين العبادة والدراسة. وذكرت له جملة من التآليف منها : *تفسير القرآن*، لم يتمه ؛ *شرح أسماء الله الحسنى* ؛ *كتاب الإرشاد*.

تلك هي التآليف التي استطعنا أن نضبط عناوينها من خلال المصادر القليلة التي تحدثت عنه. وليس من المستبعد أن تكون له تآليف أخرى ضاعت في أيام فتنة المريدين. وكان ابن برجان من جملة من وجهت إليهم أصابع الاتهام آنذاك. كما أن المترجمين لم يظهروا حرصا كبيراً على تتبع آثاره وإحصاء تآليفه بكل تدقيق. فمعاصره ابن بشكوال تجاهل وجوده، ولم يهتم به إلا المتأخرون عن جيله مثل ابن الزبير وابن الأبار. فما السبب في هذا الموقف ؟

الظاهر أن ابن برجان لم يحظ بعطف الفقهاء التقليديين وتقديرهم. ولعله أثار حنقهم لأنه أتى بطريقة جديدة في تناول النصوص الدينية والموضوعات التي عالجها في كتاباته. فتفسيره للقرآن، مثلا، يختلف عن التفاسير

المعهودة بما أدخل فيه من الأفكار الصوفية والباطنية حتى إن ابن الزبير يعلق عليه بقوله: «وجرى فيه على طريقة لم يسبق إليها، واستقرأ من آيات عجائب وكوائن من الغيوب. إلا أنه أغمض في التعبير عن ذلك. فلا يصل إلى مقصوده إلا من فهم كلامه وألف إشاراته وإلهامه». وهو ما يؤيده فيه ابن خلكان حين يقول عن ذلك التفسير: «وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات» (*وفيات*، 4 : 237).

وكذلك الشأن بالنسبة لكتاب *شرح أسماء الله الحسنى* فقد جمع فيه أكثر من مائة وثلاثين اسما متداولة ومروية. وخصص لكل اسم ثلاثة فصول: الأول في استخراجها، والثاني في الطريق إلى مسالكها، والثالث يتعرض فيه للتعبد بحقائقها. هكذا قدم صاحب *كشف الظنون* هذا الكتاب الذي يغرق هو، أيضا، في الاتجاه الصوفي.

هذا الموقف الفكري ما كان ليروق الفقهاء المالكية بالأندلس والمغرب الذين دأبوا على استنكار كل ما يخالف فقه الفروع والفتاوي الذي كان سائداً منذ أيام الدولة الأموية بالأندلس. فقاوموا أصحاب الفلسفة وعلوم الأوائل، ونددوا بأصحاب الفرق من معتزلة وشيعة وغيرهم، وتصدوا للظاهرية التي صعد نجمها على يد ابن حزم. وأخيرا، استقبلوا كتاب *الإحياء* للغزالي بالاستنكار وأفتوا بإحراقه. وكانوا في كل قراراتهم ومواقفهم يحظون بعطف الدولة وسندها، ويستعملون سلطتها. وظهروا، في الأخير، بمظهر المتواطئين مع المرابطين في وقت بات الأندلسيون ينظرون إليهم كمتسلطين أجانب ويضربون أكثر فأكثر على وتر القومية الأندلسية كما ظهر ذلك في عدة أحداث أهمها ثورة المريدين، وثورة القاضي ابن حمدين بقرطبة.

وكان من نتائج ذلك أن اتجهت معارضة المرابطين سواء بالأندلس أو المغرب إلى احتضان موقف التصوف. وكل القرائن تشير إلى أن ابن برجان كان هو الزعيم، أو على الأقل، أحد الزعماء الكبار لهذا التيار الصوفي الناشئ. ونجد بالمصادر ما يشير لزعامته. فابن الأبار يذكره إلى جانب ابن العريف وأبي بكر الميورقي ويقول إنهم «كانوا نمطا واحدا في الانتحال والانصاف بصلاحية الحال» إلا أنه يستدرك مؤكدا أن ابن برجان كان له الشفوف عليهم «حتى قيل فيه: غزالي الأندلس» (*المعجم*، ص: 16) وهذا التفوق اعترف به ابن العريف بنفسه في رسائله التي جمعها في كتابه *مفتاح السعادة وتحقيق طريق الارادة*، فهو يدعوه، تارة «الشيخ الإمام» و طورا «الشيخ إمامي وكبيري»، وطورا «المقتبس منه والمتطلع إلى ما لديه» وخاطبه كذلك بقوله: وأنت، يا إمامي بحرمة الشيب اذكرني»، الخ. فمراجعة رسائل ابن العريف تقدم لنا عدة دلائل، كما أن الشعراني ذكر أنه خُطب لابن برجان في حوالي مائة وثلاثين بلدة مما يعني أنه بويع كإمام بها.

وهنا نلمس جانب العمل والتحرك السياسي في شخصية ابن برجان، ويتضح من تتبع نشاطه واتصالاته أنه كان شيخا وأستاذا لعدد من العلماء الذين انغمسوا في حركة المريدين. فقد اتخذ مقره بأشبيلية التي أصبحت آنذاك هي عاصمة الأندلس وأخذت الزمام من يد قرطبة، عاصمة الأمويين. فكان من أول تلاميذه، على ما يتراءى من النصوص، أحمد بن العريف، وكذلك أبو بكر الميورقي، وكلا الرجلين امتحنا معه، مما يدل على اتصالهم العلمي والمذهبي. ومن تلاميذه أيضا:

أبو عبدالله المجاهد، الذي كان من الزهاد والأولياء، وأبو الحسن بن غالب، الذي كان ينحو منحى التصوف السني. وكان له دور مهم في قرطبة، وأبو محمد عبد الغفور الذي أصبح شيخ المريدين بلبلة، وأبو محمد عبدالجليل القصري، وعبدالملك بن عياش، وأبو بكر بن عياش، وأبو الحسن بن عامر الذي كانت له منزلة متميزة بين المريدين بقرطبة، وأبو محمد بن يوسف بن الأبار، وأبو بكر بن عتيق بن مومن، وأبو القاسم أحمد بن قسي، الذى كان له دور كبير في ثورة المريدين، وأبو الوليد بن المنذر، وأبو عبدالله محمد بن سالم، وأبو محمد الاشبيلي، وابن الخراط، ومحمد بن الكبش.

تلك قائمة بأسماء بعض الرجال الذين اتصلوا بابن برجان وأخذوا عنه وانحاشوا عن فقهاء المالكية التقليديين ولم يكونوا راضين عن سلوكهم وموقفهم السياسي. ولم يقتصروا في نشاطهم على النقد، بل تجاوزوه إلى تنظيم نفوسهم كحركة معارضة قادرة على اللجوء إلى العنف، هي حركة المريدين.

ونظرا للدور القيادي والتربوي الذي اضطلع به ابن برجان، فقد كان من الطبيعي أن يتعرض لنقمة الفقهاء المذكورين الذين نعتهم صديقه ابن العريف بعلماء السوء وكبراء أهل الدنيا المغترين بها في جمع الأموال والجاه. ولم يتردد الفقهاء في اللجوء إلى السلطان. فكان ذلك سببا في نكبته. نستخلص ذلك بكل وضوح من رواية ابن الأبار حين يتحدث عن ابن العريف بقوله: «وبعد صيته في الزهادة والعبادة، وكثر أتباعه على طريقته الصوفية حتى نُمي ذلك إلى أمير الملثمين علي بن يوسف بن تاشفين. ويقال إن فقهاء بلده اتفقوا على إنكار مذاهبه فسعوا به إلى السلطان وحذروه من جانبه، فأمر بإشخاصه إليه من ألمرية مع أبي بكر محمد الحسين الميورقي من غرناطة وأبي الحكم بن برجان من أشبيلية».

يبقى لنا أن نتساءل: هل كان السبب في نكبة ابن برجان وأصحابه هو انحرافة عن خط السنة وأخذه بالبدعة؟.

هذا ما لم يقل به أحد من الذين تعرضوا لترجمته. بل إنهم أكدوا عكس ذلك. فابن الزبير يذكر عنه أنه «كان بريئا من تعمق الباطنية، بعيدا عن تحية الظاهرية شديد التمسك بالكتاب والسنة، جاريا في تأويل ذلك على طريقة السلف وعلماء المسلمين وما عليه السواد الأعظم».

فالسبب، إذن، لا علاقة له بالدين. وإنما هو سياسي. فالفقهاء، من جهتهم، كانوا متخوفين من تصاعد نفوذ

المتصوفة ومضايقتهم. وأما الحكم المرابطي، فكان هو الآخر يشعر بأن طائفة المتصوفين النشيطة في الأندلس والمغرب كانت غير راضية عنه وتعمل على النيل من سمعته والانتقاص من سلطته. فكان حتما على الجهتين أن يتفقا على قمح حركة المتصوفة، وهي ما تزال في مهدها.

وهكذا أشخص ابن برجان مع ابن العريف وأبي بكر الميورقي إلى مراكش. وإذا كان الأمير علي بن يوسف عامل ابن العريف بكثير من الرفق والتسامح، فإنه صب جام غضبه على ابن برجان وأمر بالتحقيق معه في أقواله وأفكاره، ولم يبد أي استعداد للصفح عنه. وتوفي ابن برجان بعد ذلك بشهور في سنة 536/1141، فأمر علي بن يوسف أن تطرح جثته على المزبلة ولا يصلى عليه. مما يدل على مبلغ مؤاخذته واستنكاره له.

وعلى أي، فقد نال ابن برجان منزلة ملحوظة عند أهل التصوف، ووصلت كتبه إلى المشرق ونسبت له كرامات، منها تنبؤه في تفسيره بتاريخ استرجاع بيت المقدس من يد الصليبيين، انطلاقا من تأويل القرآن. ولذلك فإن متصوفة المغرب تضامنوا معه، ضدا على المرابطين، إذ أشرف علي ابن حرزهم على انتشال جثته من المزبلة وأمر خادما له بالبريح في أسواق مراكش لحضور جنازته. ودفن جنباً إلى جنب مع ابن العريف.

إن حياة ابن برجان تكشف لنا عن طور دقيق من تاريخ الأندلس في نهاية حكم المرابطين. كما أنها تقدم لنا صورة من الصور الأولى عن الصراع بين طائفتين من المسلمين المثقفين : طائفة أهل الشريعة المقتصرين على الفقه وما يتضمنه من أحكام، وطائفة أهل الحقيقة الآخذين بالتصوف وما يسمح به من تأويل وتعمق في فهم القرآن والحديث. وهو صراع استمر عبر القرون إلى يومنا هذا.

ابن العريف، *مفتاح السعادة*، مخطوط خ. ح. 1562 ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ أ. ابن الزبير، *صلة الصلة* ؛ م. ابن الأبار، *التكملة* ؛ معجم ؛ أ. ابن خلكان، *وفيات* ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال الاعلام* ؛ م. ابن شاكر، *الوافي بالوفيات* ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج : 2 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ م. ع. عنان، عصر *المرابطين* ؛ ع. دندش، *الأندلس في نهاية المرابطين*، بيروت 1988 ؛ ع. لحمنات، *التصوف المغربي في القرن السادس الهجري*، ر. د. د. ع. الرباط، 1990.

محمد زنيبر

**بَرْزَوق** (سيدي ـ) من أولياء الرباط الذين لا تعرف له ترجمة، وضريحه بدرب النجار المتصل بشارع الجزاء الذي يعد اليوم امتدادا لشارع محمد الخامس.. ولا يُعرف شيء عن حياته.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 276.

عبدالاله الفاسي

**بَرْشيد**، أسرة تنتمي إلى قبيلة أولاد حريز، إحدى القبائل الكبرى المكونة لاتحادية الشاوية. تقع أرض أولاد حريز بجوار قبيلة مديونة التي توجد مدينة الدارالبيضاء في أرضها.

وآل برشيد من الأسر الشهيرة بإقليم الشاوية، توارث أبناؤها زعامة أولاد حريز منذ أواخر القرن الثامن عشر على الأرجح، ومنذ عهد مولاي سليمان على أقل تقدير. فحسب بعض الروايات التاريخية نجد أن المسمى عثمان بن محمد الصغير، وهو جد آل برشيد، وكان من الأعيان المسموعي الكلمة في أولاد حريز، تولى القيادة على قبيلته في عهد مولاي سليمان (1796 ـ 1822).

لكن الذي أعطى اللقب للأسرة، والذي يعتبر المرجع لآل برشيد هو رشيد بن عثمان الذي تولى زعامة أولاد حريز في عهد مولاي عبدالرحمان. بيد أننا يجب أن ننبه إلى أن مؤسس الأسرة ومؤسس قيادة آل برشيد يبقى هو القائد محمد بن رشيد بن عثمان آتي الترجمة.

ينتسب آل برشيد إلى إدريس بن إدريس الأكبر، فهم شرفاء حسنيون استقرّ أجدادهم بالمنطقة منذ وقت مبكر، وينتمون اليوم إلى دوار أولاد علال، الذي ينتمي بدوره إلى فخدة أولاد يوسف، إحدى الفرق المكونة لقبيلة أولاد حريز.

نالت أسرة برشيد حظوة خاصة عند ملوك الدولة العلوية منذ عهد مولاي عبدالرحمان (1822 ـ 1859)، وهكذا نجد ابنه سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859 و1873) يتزوج من آل برشيد مرتين (Gouvion, 553)، كما تزوج منهم مولاي عبدالعزيز (1894 ـ 1908). وازدادت هذه الحظوة كثيراً في عهد القائد عبدالسلام برشيد الذي رشح للسفارة إلى بلاطات أوربا في عهد مولاي الحسن (1873 ـ 1894).

ومما يؤكد نفوذ آل برشيد بالمخزن، واستمرار حظوتهم، أن الأسرة حافظت على قيادتها لقبائل أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي في عهد الصدر الحاجب أحمد بن موسى البخاري (1894 ـ 1900)، الذي تزعزع فيه حكم أسر كبيرة بالشاوية وغيرها من القبائل، كما تجدر الإشارة إلى أن آل برشيد حافظوا على حكمهم ونفوذهم بالشاوية في عهد الاحتلال الفرنسي الذي بدأ منذ 1907.

**برْشيد، رشيد**، بن محمد بن رشيد، تولى قيادة أولاد حريز بعد وفاة أبيه، وكان عهده قصيراً إذ حكم حوالي ثلاث سنوات من 1283 إلى 1286هـ. ويظهر أن اعتلال صحته، في زمن كثرت فيه الاضطرابات وانتشرت فيه الأوبئة بالشاوية خاصة والمغرب بصفة عامة، يظهر أن كل ذلك جعل أخاه عبدالسلام يتولى القيادة بدله.

**برْشيد، عبد السلام**، يعتبر القائد عبد السلام بن محمد بن رشيد من بين القواد المغاربة الكبار الذين عرفهم القرن التاسع عشر، فقد تعدت شهرته النطاق المحلي بالشاوية لتعرف في المغرب كله، كقائد يعتمد المخزن على استشارته في الأمور التي تتعلق بخلافات القبائل فيما

بينها، وكذا في الأمور التي تهم علاقات المخزت الإدارية والتسخيرة مع قبائل الشاوية وقبائل الجوار، مثله في ذلك مثل القائد المعطي بن عبد الكبير المزامزي، والقائد محمد بن أحمد المزابي، وقائد مديونة أحمد بن العربي المديوني.

تولى عبد السلام برشيد القيادة سنة 1286 / 1869 . 1870 وكانت قيادته تشمل قبائل أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي. وتمتع بحُظوة في أوساط المخزن، لا يفارق السلطان مولاي الحسن في حركاته إلى أطراف البلاد. نظراً لتفانيه في الطاعة والنصح للمخزن، فقد رشحه السلطان مولاي الحسن إلى درجة السفارة إلى أوربا.

ففي سنة 1888 كلفه السلطان بترأس سفارة مغربية إلى ألمانيا. وعندما تساءلت الحكومة الألمانية عن شخصية السفير ومرتبته قدمه السلطان في رسالة إلى النائب المغربي محمد الطريس بهذه الكلمات :

"فأما السفير فهو الخديم القائد عبد السلام بن برشيد الحريزي. وأما مرتبته فالعمالة. وهو من خواص العمال وأرفعهم مكانة لدينا، ودارهم دار ولاية خلف عن سلف، مع مالهم من الاتصال بنا وبأسلافنا المقدسين ومن النصح في خدمتنا الشريفة ولأجل ذلك رشحناه لهذه السفارة وانتخبناه". (عبير *الزهور*، 312).

وخلال هذه السفارة، قام عبد السلام برشيد بمهمة أخرى في البلاد الإيطالية. فزار إيطاليا في طريقة لألمانيا، وقدم هدية معتبرة إلى رئيسها الذي ناوله بدوره خاتمه هدية للسلطان مولاي الحسن، تعبيراً منه عن صداقته وتقديره لسلطان المغرب. كما التقى السفير بطلاب البعثة المغربية الذين كانوا يدرسون بإيطاليا.

ظلت علاقة عبد السلام برشيد وطيدة مع المخزن، خلال عهد صدارة أحمد ابن موسى، الذي مارس ضغوطاً متزايدة على قواد القبائل بصفة عامة وعلى قواد الشاوية بصفة خاصة، كنتيجة لتزايد التدخل الأروبي بالمنطقة. وهكذا وعلى الرغم من الاضطرابات والتوترات التي عرفتها قبائل الشاوية بعد وفاة السلطان مولاي الحسن، تمكن قائد أولاد حريز من المحافظة على مركزه، وخرج من الخلاف الذي نشب بينه وبين قائد مزاب، محمد بن أحمد المزابي منتصراً، إذ سجن هذا الأخير، بل أُبعد إلى العرائش ليسجن فيها، بتدبير من عبد السلام برشيد. (*حادثة الدار البيضاء*، 1 : 234).

وقد ظلت قيادة عبد السلام برشيد هادئة، وسلطته نافذة بالرغم من الانتفاضة التي عرفتها قبائل الشاوية في نهاية 1902. ولهذا استدعاه السلطان مولاي عبد العزيز على رأس حركة إخوانه لمواجهة بوحمارة الذي أعلن تمرده على السلطان أواخر سنة 1902. وفي هذه الحركة توفي قائد أولاد حريز سنة 1903، في وقت اشتدت فيه الأزمة على مستوى البلاد بعامة وفي بلاد الشاوية بصفة خاصة. ومن مظاهر هذه الأزمة، أن قيادة عبد السلام برشيد، أصبحت محل نزاع بين أبنائه من جهة وبين خليفته الحاج حمو بن أحمد بن الجيلالي، وهو من أقرباء القائد المتوفي من جهة أخرى. وقد تمكن الحاج حمو من الاستيلاء على القيادة. ثم أضاف إليه السلطان قيادة الدار البيضاء. لكن بعد وفاته أصبحت قيادة أولاد حريز والمذاكرة محل منافسة شديدة بين محمد بن عبد السلام برشيد وبين الحاج محمد بن حمو الذي كان مقدماً وزعيماً من زعماء انتفاضة الشاوية التي امتدت من 1903 إلى 1908.

**برشيد، محمد** بن **عبد السلام** المعروف بولد شميشة، كان آخر قائد من أسرة برشيد تولى قُبيل الاحتلال الفرنسي للشاوية. لكن حكم هذا القائد عرف في بدايته كثيراً من المصاعب والمتاعب.

إن أحداث الانتفاضة التي عصفت بقيادات كثيرة في قبائل الشاوية، تأثرت منها أسرة برشيد بدورها. بيد أن التغيير كان داخلياً ومؤقتاً. فقد عمد خليفة القائد عبد السلام برشيد الحاج حمو بن أحمد بن الجيلالي إلى الاستيلاء على القيادة من 1903 إلى 1905، وبعد وفاته، اشتدت المنافسة بين محمد برشيد وبين الحاج محمد بن الحاج حمٍّ. وبما أن محمد برشيد كان يستند إلى حظوة أسرته داخل المخزن ونظراً كذلك لكونه كان صهراً للسلطان مولاي عبد العزيز، فقد تمكن من تسلّم ظهير القيادة، بدل ابن الحاج حمٍّ، لكن ظهير الولاية السلطاني لم ينق طريق محمد برشيد من الأشواك.

فقد عمد الحاج محمد بن حمُّ، وكان زعيماً من زعماء انتفاضة الشاوية، كما كان مقدماً في قبائل أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي، عمد إلى جمع أتباعه وساعده زعماء آخرون من قبائل الشاوية، وحاصر محمد برشيد في قصبته.

ولما اشتد الحصار على القائد محمد برشيد، خرج من قصبته فاراً ودخلها الثوار، فنهبوا وخربوا، وتولى الحاج محمد بن حمٍّ القيادة أواخر سنة 1905 بيد أنه لم يتمكن من سلفه الذي سيعود إلى مركز قيادة آبائه مع بداية الاحتلال الفرنسي للشاوية أواخر 1907، ليظل قائداً نافذ السلطة، متمتعاً بالاحترام والاعتبار والشهرة بين قواد الشاوية. وساعده على تلك الشهرة والجاه، رصيده المعنوي من إرث آل برشيد، وخاصة ثروته الكبيرة. وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أن القائد محمد بن عبد السلام برشيد كان قائداً يتمتع بكثير من الحس السياسي، يشهد على ذلك مبايعته لمولاي عبد الحفيظ (رجب 1325 / 8 شتنبر 1907)، بالرغم من خضوعه للمحتلين وعلى الرغم من معاداة هؤلاء لسلطان الجهاد. وقد استمر حكم محمد برشيد إلى ما بعد 1923.

**برشيد، محمد** بن **عثمان** تولى القيادة على قبيلة أولاد حريز في إطار توزيع السلطان مولاي عبد الرحمان قيادة الشاوية إلى قيادات صغرى، وقد حكم من 1260 / 1844 . 1845 إلى 1283 / 1867. استطاع القائد محمد بن رشيد أن يكوِّن له شهرة ونفوذاً في قبائل الشاوية، نتيجة لجده واجتهاده في تنفيذ أوامر السلطان مولاي عبد الرحمان.

فقد قام هذا القائد بدور كبير في إخضاع القبائل الثائرة على السلطان، وبذلك استحق الحُظوة والاعتبار عنده، يشهد على ذلك كتاب من مولاي عبد الرحمان يهنئ فيه القائد محمد بن رشيد على ما قام به، وينوه بجده واجتهاده وصبره في قتال الخارجين. والكتاب مؤرخ في 7 رمضان 1263 / 19 غشت 1847، (*عبير الزهور*، 221).

ويروى أن القائد محمد بن رشيد، كان ملازماً للسلطان في جميع الحركات التي يقوم بها إلى الأقاليم إلى أن توفي سنة 1284 / 1867 وعمره يناهز 75 سنة تاركاً ذرية كثيرة : اثني عشر ولداً وستاً وعشرين بنتاً.

**برشيد**، مدينة صغيرة تبعد بحوالي أربعين كلمتراً إلى الجنوب من الدار البيضاء على الطريق الرابطة بينها وبين مدينة سطات. ظهرت مدينة برشيد انطلاقاً من قصبة اتخذها قواد أولاد حريز من أسرة برشيد مقراً لسكناهم، ومنها كانوا يحكمون ثلاث قبائل هي قبيلة أولاد حريز حيث توجد المدينة، وقبيلة المذاكرة، وقبيلة أولاد علي.

والجدير بالذكر أن قصبة برشيد، التي لاتزال قائمة، خلفت قصبة أخرى شهيرة بأولاد حريز، هي قصبة مرجانة التي بناها القائد كريران الحريزي الذي كان يحكم كل بلاد تامسنا في عهد مولاي سليمان. وإذا علمنا أن محمد بن الطيب العلوي الذي ولاه السلطان مولاي عبد الرحمان على تامسنا ودكالة حوالي 1240 (*الاستقصا*، 9 : 12). هو الذي هدم قصبة مرجانة، ويجب أن نذكر كذلك أنه هو الذي ولّى أحد أجداد أسرة آل برشيد قائداً على إخوانه (*مدن وقبائل المغرب، الدار البيضاء والشاوية*، 2 : 76). ويظهر أن التفكير في بناء قصبة برشيد بدأ منذ هذا التاريخ أي حوالي الثلث الأول من القرن التاسع عشر. والأكيد أن بناء القصبة قد بدأ مع القائد محمد بن رشيد (1845 - 1867) وتم في عهد القائد عبد السلام بن محمد بن رشيد (1868 - 1903). ومدينة برشيد اليوم قريبة من موقع قصبة مرجانة، التي توجد إلى الجنوب قرب سيدي العايدي ومازالت بعض أطلالها بارزة.

كانت قصبة برشيد في الأصل عبارة عن حصن، يحيط به سور مرتفع مستطيل الشكل، مبني بالتراب المضغوط (الطابيا) يوجد بداخل السور سكنى القائد وحاشيته المقربة وحرسه. وتعتبر قصبة برشيد واسعة بالمقارنة مع القصبات الأخرى بحيث تحتوي على مسجد بداخلها.

وقد عرفت مدينة برشيد نمواً واضحاً في أواخر القرن التاسع عشر، حيث وصل عدد سكانها قبيل الاحتلال الفرنسي إلى حوالي 2000 نسمة. وشكلت بهذا العدد، مع قصبة سطات، وقصبة بن أحمد أهم المراكز الحضرية بالشاوية بعد مدينة الدار البيضاء.

تأثرت مدينة برشيد بأحداث وتقلبات كادت تجعل منها أثراً بعد عين، لكنها سلمت في النهاية. ففي 1905، تمكن ثوار الشاوية من اقتحامها وتخريب أجزائها. وفي صيف 1907 رابطت بها محلات المجاهدين المحاصرة للفرنسين بالدار البيضاء. وبعد قتال دام حوالي خمسة أشهر تمكن جيش الاحتلال الفرنسي من دخول مدينة برشيد واحتلالها بدون قتال صباح 13 يناير 1908. إذ كان سكان القصبة والمجاهدون قد انسحبوا منها قبل وصول جيش الاحتلال.

وتجدر الإشارة في الأخير، إلى أن مدينة برشيد عرفت خلال القرن العشرين نمواً متواصلاً نظراً لموقعها وسط منطقة غنية فلاحياً، ولوجودها على الطريق الرابطة بين الدارالبيضاء ومراكش، ولتركز كثير من الصناعات بها في الوقت الحاضر 1990.

ح. الزعري، *مذكرات*، مخطوط ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، 1973 ج 1 ؛ ع. الخديمي، *حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية*. د.د. ع، 1985 ؛ ه. المعروفي، *عبير الزهور*، 1987 ؛ ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر*.

*Villes et tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, T. 2 ; E et M Gouvion, *Kitab Aayane El Maaghreb El Aqça*, Alger, 1939.

علال الخديمي

**بَرَّشينة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barrachina، وهو اسم قرية بمقاطعة طرويل Teruel الإسبانية. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1150 / 1738.

**بَرّو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Berro، وهو اسم النبات المعروف بقرة العين. هذه الأسرة غير أسرة أبَرّو الريفية.

**بَرّوسُو**، أو بن رُوسُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barroso والكلمة معناها طيني، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1088 / 1677.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**برّي، عبد القادر**، قائد مكناس على عهد مولاي إسماعيل العلوي. ذكر من بين مالكي أسرى فرنسيين سنة 1672 ومن الأسر النابهة في مكناس.

*S. I. H. M/, Série filalienne*, t. I, II.

عبد اللطيف الشاذلي

**برّي** (ابن -)، **علي** بن محمد بن الحسن التازي الشهير أيضاً بالرباطي نسبة إلى رباط تازا ؛ وفي بعض الروايات: الرباضي نسبة إلى أحد أرباض المدينة، وهو تسولي من فخذ بني لنت ؛ ولد في حدود 660 / 1261 وبدأ تعليمه الأولي ببلده تسول، ثم استوطن مدينة تازا وبها أنهى دراسته. ومن الشيوخ الذين اعتمدهم في القراءات : أبو الربيع سليمان بن محمد بن علي بن حمدون الشريشي، (ت 709 / 1309). وكانت مدينة تازا في هذا العصر من أهم

المراكز الثقافية بالمغرب، وكان على ابن بري - إلى جانب تبحره في علوم القراآت - عالما نحويا، أديبا لغويا، فقيها فرضيا، له إلمام بالحديث وتبصر بصناعة التوثيق، قضى مدة في سماط العدول بتازا إلى أن ألحقه السلطان أبو سعيد المريني بديوانه في حدود سنة 715 / 1315، وجعله كاتب ولده أبي الحسن وأستاذه الخاص؛ وظل في ركابه إلى أن أدركته الوفاة بتازا سنة 731 / 1333، وضريحه مشهور خارج المدينة - وعليه قبة.

ومن آثاره:

- *اختصار شرح الإيضاح في النحو* لابن أبي الربيع الاشبيلي السبتي.
- شرح *تهذيب البرادعي* في فقه مالك - لم يكمله.
- *شرح عروض ابن السقاط.*
- *شرح وثائق الغرناطي.*
- *تأليف آخر في الوثائق.*
- *الكافي في علم القوافي.*
- وأشهر مؤلفاته: *الدرر اللوامع، في أصل مقرأ نافع.* وهي أرجوزة في 273 بيتاً، وقع إقبال الناس عليها منذ حياة ناظمها وأخذوها عنه، وعليها أكثر من أربعين شرحا ما بين مطول ومختصر، وذيول وتكميلات.

ومن تلامذة ابن بري: عيسى بن عبد الله الترجالي، ولي قضاء تازا، وكان من شيوخها المرموقين، ويقال إنه هو الذي أوعز إلى السلطان أن ينقل علي ابن بري إلى فاس؛ ويذكر الآبلي - شيخ ابن خلدون - أنه مر بتازا فنزل ضيفاً على ابن بري ومعه تلميذه الترجالي؛ قال: فبتنا ليلتنا نتجاذب أطراف الحديث ونتذاكر شئون الأدب.

ومنهم: أبو عمرو بن أحمد الميموني الفشتالي، ويحتفظ لنا أبو عبد الله الحصار بإجازة لابن بري - بعث بها إلى تلميذه هذا - مع نسخة من *الدرر* بخط يده، أضاف إليها طررا وتعاليق تشرح مضامينها. ويحدثنا أبو الحجاج يوسف بن علي بن عبد الواحد السدوري المكناسي ثم الغرناطي أنه كان يحضر مجالس إقراء ابن بري بجامع القرويين بفاس سنة 723 / 1323، وهناك أخذ عنه منظومته *الدرر اللوامع*، وأقرأها هو بدوره بالمدرسة اليوسفية بغرناطة سنة 774 / 1372.

وخلف ابن بري في كرسي الإقراء بالقرويين تلميذه المقرئ عبد الرحمان بن محمد بن سعيد، من شيوخ يحيى السراج، ذكره في فهرسه وقال إنه سمع عليه كتاب *الدرر* بجامع القرويين سنة 765 / 1363.

هكذا اشتهرت *منظومة* ابن بري بالأندلس والمغرب، فرأينا أبا محمد القيطاجي يقرئها في نفس الوقت بالمدرسة اليوسفية بغرناطة خلفا عن أستاذه المكناسي السالف الذكر.

ومن هنا كان كتاب *الدرر* لابن بري أول دراسة بالمغرب في مقرأ نافع - المذهب الرسمي للدولة - استوفت حروفه ومسائله وهذبت أصوله وفروعه.

ع. ابن بري نفسه، *الدرر اللوامع*؛ أ. الونشريسي، *الوفيات (ألف سنة من الوفيات)*؛ ع. ابن القاضي، *الفجر الساطع على الدرر اللوامع*، مخطوط؛ أ. بابا السوداني، *كفاية*، رقم 351؛ ع. بعبد الله، *الموسوعة المغربية*؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

**بَرْيَانُو**، أو بَرِيَّانُ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Beriano، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1147 / 1735.

**بَرِّيرُش**، أو البَرِّيرُوش، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barreiros وهو اسم قرية بمقاطعة لوگو Lugo الاسبانية، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب سكان المدينة سنة 1088 / 1677.

**بَرِّيرُو**، أو البَرِّيرُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Barrero أو هكذا Borrero وهو اسم لبعض القرى في مقاطعة أوفييدو Oviedo الاسبانية. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1086 / 1675.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2: 330 - 332؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias*; Isidoro, *Familias*; *Vademecum*.

محمدابن عزوز حكيم

**بَرِّيمة**، باب، وجامع، وحي بمراكش. يقع حي بريمة في الشمال الشرقي لقصر السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي بناه إبان خلافته لأبيه على المدينة. وربما كانت كلمة بريمة تعني إحدى قبائل تافيلالت التي نزحت إلى مراكش مع ملوك الدولة العلوية، واستقرت بمكان قريب من القصر، فأصبح المكان ينسب إليها. وهناك أماكن أخرى تحمل أسماء قبائل حلت بجوار القصر من كل الجهات مثل: باب احمر، ودرب شتوكة، ودرب شبانات. وهذا الافتراض أرجح مما يقال إن بريمة تحريف لابن ريمة، اسم علم.

في هذا الحي باب يسمى باب برِّيمة تشير معظم الكتابات التاريخية إلى أنه بُني من طرف السلطان مولاي إسماعيل لتسهيل إخراج مواد قصر البديع بعد تخريبه. كما استُغل من طرف السلطان سيدي محمد بن عبد الله لإدخال مواد البناء والتجهيزات الضرورية لبناء قصره المشار إليها آنفاً.

أما جامع برِّيمة فقد شيده السلطان سيدي محمد بن عبد الله إبان خلافته بمدينة مراكش (1159 - 1171 / 1746 - 1757). يقول أكنسوس (... أسسه على هيئة عجيبة، بديعة الشكل، متينة الوضع، تُحيِّر من تأملها، وتروي من أبصرها).

يتكون الجامع من المحراب الذي تحيط به زخرفة من الجبص تسمى (تحگة) فوقها ثلاث شماسيات، وتحيط بالكل كتابة (العافية الباقية) وقوس المحراب (قوس السلة) بداخله قبة صغيرة على شكل طاسة مزخرفة.

ويحتوي الجامع على أربعة أساكيب تتوسطها قبة كبيرة.

أسكوب المحراب واسع، وسقفه من الخشب (الورقة والكايزة) على شكل تضليع. ويحتوي هذا الأسكوب على بابين، أحدهما يدخل منه السلطان، والآخر يدخل منه الخطيب. أما المنبر فهو قديم مزخرف بالصباغة.

يلي هذا الأسكوب أسكوبٌ أقل منه اتساعاً، سقفه من الخشب عار من الزخرفة، بعدهما قبة كبيرة مثمنة الشكل، مزخرفة بالصباغة النباتية، وتحت هذه القبة إزار من الشماسيات تحته كتابة (العافية الباقية). ويلي هذه القبة أسكوبان، الأول صغير، والثاني أوسع، سقفه من الخشب بالتضليع المزخرف بالصباغة، وتحته إزار من الجبص، نقش عليه ما يسمى (أربع مطارق) وبطرفي هذا الأسكوب قبتان مربعتا الشكل، سقفهما (بالورقة والكايزة)، مزخرف بالصباغة، وتحت كل قبة إزار من الشماسيات، وتحته كتابة (العافية الباقية). ولكل من القبتين باب كبير مزخرف بالصباغة، نصفه العلوي به دائرة تسمى (الخمسيني) والنصف السفلي زخرفته تسمى (المطعَّم أسطشري). أما الصحن فيحمل اسم (المشور) به نافورة من الرخام على شكل أسطواني. وفي الصحن أربعة أبواب : بابان في الجهة الشمالية خاصان بالمصلين، وباب في الجهة الغربية يؤدي إلى دار المخزن، والباب الرابع في الجهة الجنوبية يؤدي إلى دار المخزن أيضاً، وقد أغلق منذ سنوات. وفي أعلى حائط الصحن إزار (إفريز) من الزخرفة المسماة (العقبان) فوقها شرافة. وللجامع مرافق بُنيت معه، وهي كتّاب قرآني، ومدرسة لطلبة العلم، وحمام، ومرحاض.

عرف جامع بريمة عدة أنشطة فكرية وسياسية، منها : أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان يجلس كل جمعة بمقصورة الجامع مع علماء مراكش، ومن يحضر عنده من علماء المغرب الوافدين عليه، مع تخصيص أوقات لسرد الأحاديث النبوية وتفهم معانيها.

وفي يوم الجمعة 29 جمادى الثانية عام 1373 / 5 مارس 1954 إبان الأزمة الوطنية، قام ابن عرفة والباشا التهامي الاكلاوي وأتباعهما بأداء صلاة الجمعة فيه، وعند إقامة الصلاة ألقى الشهيد أحمد أقلا قنبلة إلى جهة ابن عرفة، وتبعه ببعض ثوان محمد بن العربي فألقى هو الآخر بقنبلة أخرى وأصيب ابن عرفة بجروح خفيفة في عينه ووجهه ويديه، أما الأكلاوي فلم يصب بأذى. وفي هذا اليوم استشهد أحمد أقلا رمياً برصاص الاكلاوي.

وخطب في الجامع عدد كثير من العلماء والفقهاء، منهم : محمد بن عبد الرحمان العمراني المراكشي، وولده الحسن، وحفيده المكي القاضي أيام السلطان مولاي عبد الرحمان. ثم الفقيه السلفي أحمد اكرام، والفقيه ابن نوح.

م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*.

أحمد متفكر

**بَـرِّيـمَـة**، قصبة أسسها المولى إسماعيل بمكناس، في الجهة الغربية من المدينة قرب حارة اليهود ـ الملاح المحدث سنة 1093 / 1682 ـ بناها على أرض حبسية كانت خاصة بأوقاف جامع الخضراء، بعد أن أدى ثمن هذه الأرض ـ علما بأن ممتلكات الأحباس كانت لا تباع ولا تعوض إلا بصعوبة وفي ظروف استثنائية ـ وأمر ببناء حوانيت خارج باب المشاورين بذلك الثمن في أرض بريمة الحبسية، على أن تكون هذه الحوانيت حبساً مؤبداً مخلداً على جامع الخضراء كما جاء في رسم التحبيس، وأمر المولى إسماعيل خديمه أبا العباس أحمد بن أبي يعزى العرائشي بالقيام بهذه المهمة.

اشتملت قصبة بريمة على مسجد ومدرسة، وتم تجديد هذا المسجد في عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله (1757 ـ 1790) وتغيرت حاليا معالم هذه القصبة بما أضيف إليها من بناءات وما تهدم منها من آثار.

بوشتى بوعسرية

**البَرْسلوطي**، من الأسر الجزائرية التي هاجرت إلى تطوان سنة 1830/1246، وكان جل أفرادها يعملون بفرقة البحرية التابعة لحامية المدينة حيث نجد من بينهم في السنة المذكورة محمد البَرْسلوطي الذي كان رايس البحر، وفي سنة 1832/1248 نجد أحمد البَرْسلوطي ومصطفى البرْسلوطي وعبدالعزيز البرْسلوطي كلهم بحارة، كما نجد في سنة 1250/ 1834 البحارة البرسلوطيين عبدالرزاق والعباس وعبد الله.

وقد انقرضت هذه الأسرة اليوم بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 212 ؛ *مختصر تاريخ تطوان* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion , *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بَرْسيم**، يطلق على جنس تريفُوليوم Trifolium، وفي بعض الحالات على بعض أنواع الفصة ميديكاگو Medicago، وكلا الجنسين المتشابهين ينتميان إلى فصيلة الفراشيات Papillonaceae.

يشمل جنس البرسيم أعدادا كثيرة من الأنواع في العالم. وفي المغرب وحده يوجد منه ستة وأربعون نوعاً.

إنه نبات عشبي حولي أو معمر، تختلف قامته حسب الأنواع. أزهاره إما بيضاء أو وردية أو صفراء.

والجنس الأكثر استعمالا في الزراعة العلفية هو البرسيم الاسكندري Trifolium Alexandrinum الذي زرعه الإغريق والرومان، وأدخل إلى آسيا وأوروبا وأمريكا مثل الفصة التي عرفت نفس الانتشار. ومنذ ذلك الوقت تكونت من النوعين عدة سلالات.

إن البرسيم الاسكندري عشب حولي ذو قيمة في الدورات الزراعية، إذ أنه يحسِّن خصوبة التربة بإغنائها من النيتروجين، بالإضافة إلى كونه أصبح في المغرب من المحصولات الهامة للعلف في المناطق السقوية، وهو

يستعمل في تغذية المواشي إما طريا أو مجففا كالتبن أو مُخَمّراً.

البرت هيل، *النبات الاقتصادي*، تر: زهر عبدالمجيد وآخرين ؛ بحث ميداني.

عبدالمالك بنعبيد

**بَرْطَال**، أو البرطال، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Partal . وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1786/1200.

**البَرْطَقِيز** ← **البرتغال**

**بِرْطِيل**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وليست هي أسرة بَرَاطِيلْ. وقد انقرضت بتطوان سنة 1735/1148.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos.*

محمد ابن عزوز حكيم

**بَرْعَان**، سمك أبيض من فصيلة الشبابيط Cyprinidae ويسمى علميا Rutilus (Lenciscus) rutilus L. وبالفرنسية Gardon.

يعيش في الماء العذب ببحيرات الأطلس، وهو أحمر العينين، تكسوه حراشف فضية كبيرة منها 41 ـ 46 على طول خطه الجانبي، أسنانه موزعة على خط واحد. الزعانف الصدرية مكونة من 16 شعاعاً. يتراوح طوله عادة ما بين 10 و20 سم ونادرا 35 سم، ووزنه 200 ـ 1000 غ بعد عُمر يتراوح ما بين 7 و12 سنة.

يعيش وسط مجموعات عديدة الأفراد تتنقل وسط الربيع قرب ضفاف البحيرات والأنهار الهادئة. يقترب أحيانا من مصب الأنهار ويتحمل العيش داخل المياه المالحة. يتكون قوته من الحشرات والرخويات والقشريات الصغيرة ومن النباتات الملتصقة بالأحجار والعائمة.

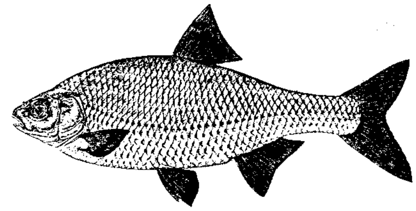

يتوالد ما بين أبريل ويونيه. تضع الأنثى ما بين 5.000 و200.000 بويضة تلتصق بالأحجار والنباتات وتعطي الصغار بعد 6 ـ 10 أيام. تظهر الحراشف عند صغار البرعان بعد 3 سم من الطول ويصير بالغاً بعد 3 سنوات.

موطنه الأصل أوربا وآسيا الشمالية الغربية وقد أدخل إلى المغرب ليعيش في معظم بحيرات جبال الأطلس الصغير والكبير.

يلعب البرعان دوراً هاما في تنقية البحيرات من النباتات التي تسبب التخصيب Eutrophisation وفي تحويل المأكولات النباتية والحيوانية بأعماق البحيرات لكثير من الأسماك ذات أهمية اقتصادية كالزنجور Brochet والفرخ Perche والأنقليس. يستهلك البرعان محليا ويصاد بواسطة الصنارة والشبّاك. كثيراً ما تستعمل الصغار كطعم جاذب للزنجور.

P. Dahlström, B. J. Muus, *Guide des poissons d'eau douce et pêche*, Lausanne 86 - 88, 1973 ; P. S. Maitland, *Les poissons des lacs et rivières d'Europe*, Paris, 116 - 117, 1977.

محمد رمضاني

**بَرْغَز** أو بَرْغَاز، يطلق ـ لغةً ـ على «ولد البقرة أو إذا مشى مع أمه». ويطلق أيضا على «السيء الخلق». إلا أن هذه الكلمة تحمل معنى آخر في بعض المناطق المغربية وهو تاجر البقر. وقد يَردُ كذلك هذا المصطلح بنفس المعنى في صيغته الأمازيغية : أبَرْغَزْ (منطقة إمِنتانوت ـ إقليم شيشاوة). وهكذا، فالبرغز يكون له إلمام واسع بعالم الأبقار: يشخص أمراضها ويعرف أصنافها وأعمارها وأثمانها إلخ. وهو بهذا المعنى الأخير يكون قريب الشبه بِبُومْهَوْت. وتجدر الملاحظة أيضا إلى أن البرغز يطلق كذلك في بعض الجهات المغربية على تاجر الحبوب أو الإنسان الماكر الذي يستاء الناس من تصرفاته.

بطرس البستاني، *محيط المحيط* ؛ *تحريات ميدانية*.

محمد حمام

**برغواطة**، شغل مصامدة المغرب قبل الإسلام ولفترة بعده، شطراً كبيراً على الأقل، من السهول الأطلسية بما فيها تامسنا ودكالة وسوس بالإضافة إلى القسم الغربي من منطقة الريف. وكانت برغواطة من أقدم قبائل المصامدة حسب ابن خلدون. وابتداء من القرن الرابع (10 م). تمكنت مجموعة من بني يفرن الزناتيين من إنشاء إمارة بسلا. ويظهر أن جموعاً أخرى من الزناتيين تلاحقت بتامسنا قبل ذلك. فهادن بعضها برغواطة، وصارعها فريق آخر، ولذلك اعتبر البكري تامسنا زناتية، كما أن غيره جعل من برغواطة مزيجا من القبائل اعتباراً لمن دان بالمذهب البرغواطي من غير برغواطة. وعلى هذا فبرغواطة مصمودية ساكنتها في اتجاه مُعاد أو مُسالم مجموعات زناتية وغيرها، ولو أن البكري ينقل عن زمور البرغواطي أن تامسنا كانت ملكاً لزناتة وزواغة عند اختلال أمر الصفرية،، بينما في مكان آخر، ينعت البكري تامسنا بأنها بلد برغواطة.

أنشأ البرغواطيون مملكة قاومت باستماتة كل الأطراف التي تصدت لإخضاعها، واستغل المؤسسون النزاعات الداخلية التي سادت صفوف الخوارج بعد سنة 123، وبالأخص بعد أن قتل زعيمهم ميسرة المطغري على يد بعض معارضيه. لكن إذا كانت الحركة الخارجية في انطلاقتها قد ركزت اهتمامها على طنجة لتتخذ منها عاصمة تواصل دورها السياسي والإداري الذي اختاره لها

موسى ابن نصير وطارق قبل ذلك، فإن البرغواطيين أنشأوا مقر حكمهم في السهول الأطلسية لأنها أوسع الأراضي الخصبة مساحة، وبالتالي فاستغلالها الاقتصادي يتفق مع العقلية المصمودية التي تتساكن فيها النزعتان، البراغماتية والميثافيزية.

وفيما يرجع إلى المصادر التي تناولت المجتمع البرغواطي يكاد الكل يحصرها في ابن حوقل والبكري الذي يعتمد هو نفسه على زمور البرغواطي. ويتعين النظر في هذه النقطة من جهات ثلاث :

1 - زمور البرغواطي رجع إليه آخرون بشكل مباشر كمؤلف *الاستبصار*. وابن أبي زرع في *القرطاس*، وهو يحيل أيضاً على كتاب له في حكم المفقود، وهو *أزهار البستان* الذي ذكر أن فيه أخباراً مستوفاة عن برغواطة، وابن عذاري.

2 - البكري يروي أيضاً عن فضل بن مفضل المذحجي، كما أن ابن عذاري يضيف رواية أخرى لابن القطان وغيره.

3 - زمور البرغواطي عاش في القرن الرابع. ومن جهة أخرى فبعض المعلومات التي نقلها عنه البكري تختلف عما نقله غيره كابن أبي زرع. أما الفترات اللاحقة بعد زمور فنجد عنها شذرات قد تكتسي أهمية خاصة لا سيما عند الحسن الوزان كما سيتضح.

وتتفق المصادر في جملتها على تَنَاقُل قصة تأسيس الدولة البرغواطية بشكل متقارب، حيث تبدأ بشخص طريف الذي يذكر ابن عذاري أنه هو قائد الطليعة التي حلت بموقع طريف في الأندلس قبل حملة طارق، وكان يلقب بأبي زرعة، واسمه طريف بن ملوك الذي قيل إنه من سلالة شمعون بن يعقوب، وعلى هذا فيُحتمل أن يكون أصله يهودياً بربرياً لكنه أسلم وحافظ على إسلامه حتى وفاته. وانضم في ظروف غامضة إلى خوارج المغرب وتولى قيادة جيوش ميسرة المطغري. وبعد وفاة ميسرة، التحق طريف بتامسنا. فولاه سكانها أمرهم بسبب خدماته السابقة. وكان له نجل باسم صالح، قيل في رواية أخرى إنه هو الذي التحق بتامسنا وتولى أمرها. بل قيل إن أصله من برباط الأندلسية وأنه درس على غيلان القَدَري وغيره بالمشرق، وادعى أنه صالح المومنين وتنبأ وأنشأ ديانة أوصى ولي عهده إلياس بإظهارها، لكن إلياس دان بالإسلام فلم يُكتب لعقيدة صالح أن تظهر إلا على يد نجله يونس. وكان من توجيهات صالح السياسية أن يكون النظام البرغواطي موالياً للنظام الأموي بالأندلس. وقد احترم هذا الجانب من توجيهات المؤسس لفترة طويلة. غير أن اختيار إلياس للعقيدة الإسلامية حتى وفاته بعد ملك دام أكثر من نصف قرن، يجعل من الغرابة أن لا يقوم بعملية إعدام لتعاليم والده وسلفه صالح، حتى ياتي حفيد صالح ليجدها محفوظة ويتولى إظهارها ونشرها بحد السّيف.

ومهما يكن من أمر، فصالح ابن طريف هو محور العقيدة البرغواطية وقطب رحاها، وهو كوالده قيل عنه إنه بربري مصمودي وربما يهودي العقيدة أصلا. أما إلياس نجل صالح، فإن ابن الخطيب يذكر أنه إنما كان يتظاهر بالإسلام، وهيأ بعض خاصته لتقبل عقيدة صالح، ثم تولى يونس عندئذ إظهارها مما يدل على أن المجتمع البرغواطي في غالبيته كان بحاجة إلى وقت طويل لمسايرة هذه العقيدة واعتناقها. وقد كان هذا المجتمع يشكل بالتأكيد قوة عددية وسياسية كبيرة قُبيل الإسلام وبعده، وهذا بالإضافة إلى المساندة الفعلية من الكتل المصمودية الأخرى التي يحتمي الكثير منها بجبال دَرَن (الأطلس) والباقي موزع بين سهول المحيط الأطلنطي.

وينقل البكري رواية عن فضل المذحجي تفيد أن يونس بن إلياس تلقى دراسته بالمشرق مع رفقاء له من نزعات صفرية وواصلية وغيرها، وأنه تلقى عن غيلان القَدَري، ثم حل بين أهل تامسنا وأذاع فيهم عقيدته التي تمزج بين عدة اتجاهات. لكن هذه الرواية لا تخضع لحقيقة الأحداث لأن يونس بعيد زمناً عن غيلان المتوفى قبل ظهور الدولة البرغواطية، ثم إن رواية المذحجي تَنْسُب إلى يونس ما نُسبَ بالأولى إلى صالح جده.

أما النسب اليهودي لصالح بن طريف فيرفضه ابن خلدون، كما يرفض إرجاع تسمية برغواطة إلى بَرْباط التي هي قرية وواد بفحص شريش. وأخيراً فهو يؤكد على مصمودية برغواطة وعدم انتمائها إلى زناتة، ويقرر أنه «لا يتم الملك والتغلب على النواحي والقبائل، لمنقطع جذمه دخيل في نسبه». لكن هذا الحكم غير سليم. فقد أسس العبيديون دولة قوية في وسط غريب عنهم، ومؤسس الدولة مطعون في نسبه. وتأسست إمارة القرامطة بالبحرين واتسع نفوذها وليس لها عصبية قبلية، ومؤسسوها عرب وفرس مغمورون. والأمثلة أكثر من أن تحصر. وابن خلدون مُحق في الاستخفاف بمن يردّ نسبة برغواطة إلى برباط وربطها بأصل صالح بن طريف. لأن برغواطة قبيلة كبيرة عرفت كذلك قبل الزحف الإسلامي، وليس لها أيضا علاقة بالـ Baquates الذين يحتمل أن المقصود بهم (بقيوة) وقد كانت ذات وزن وانتشار شمال المغرب أيام الرومان. والأنسب رد مصطلح (برغواطة) إلى برگوتن - بكاف معقودة - التي تعني التنطع والتمرد كما يشير إلى ذلك باحث معاصر.

ولكي يتاح للمذهب البرغواطي الانتشار على النطاق الشعبي لزم انتظار فترة خمسين سنة لإظهاره على يد يونس حفيد صالح بن طريف، أي فيما بين سنة 176 و195/ 792. 811. وعندما قام إدريس الأول بالهجوم على مناطق برغواطة التي زحف إليها قبل غيرها سنة 172 هـ لم تكن العقيدة البرغواطية قد أخذت طريقها إلى سكان تامسنا، المعقل الرئيسي لبرغواطة. وبفضل مساندة أَوَرْبة وزناتة وغمارة تمكن من الاستيلاء على شالة وتامسنا وتادلا بسرعة ودون مقاومة قوية. واستعاد البرغواطيون قواهم بعد عدة سنوات على يد محمد ابن معاذ الذي عاصر إدريس

الثاني، وأخذت العقيدة البرغواطية شكلها النهائي وأصبح المجتمع البرغواطي يقاوم من أجل دولته وأرضه وعقيدته في آن واحد. لكن نشبت صراعات دموية عنيفة بين قوات إدريس الثاني وقوات ابن معاذ البرغواطي الملقب بأبي عُفير (روي بعين مهملة ومعجمة)، كما أن كلا من محمد ابن معاذ وسلفه، اشتبك في صراع مرير مع خصومه، ودارت بين الأنصار والخصوم معارك طاحنة لا سيما بوادي بهت باتجاه مكناس. وفي رواية *القرطاس* وغيره أن منطقة تامسنا وعاصمتها شالة كانت ضمن عملية التقسيم الإداري الذي قام به محمد بن إدريس الثاني، فعين عليها أخاه عيسى الذي استبد بالمنطقة ونكث بيعته، فطرده أخوه عُمر منها وتولاها هو بأمر العاهل محمد بن إدريس. وتسكت المصادر كلياً عن المقاومة البرغواطية بعد إدريس الثاني كأن الأمور سارت على ما يرام لخير الأدارسة بعد ذلك، فكيف يقوم ملوك برغواطة بعمليات قمع داخلية وعلى نطاق واسع، وتصل جيوشهم إلى مشارف مكناس والوضع قار للأدارسة في مهد الدولة البرغواطية ؟ على أن الدولة البرغواطية فقدت شالة بالتأكيد، مع الزحف الإدريسي، وعوضتها بأزمور في فترة غير محدَّدة. ومن ثم أصبحت شالة والعدوة المقابلة لها من نهر أسمير (أبي رقراق) رباطاً تحتشد بهما ألوف المسلمين المناهضين للحركة البرغواطية. وفي مكان قصبة الأوداية الحالية على الأرجح أُنشئت قصبة أو رباط جهادي خلال القرن الثالث على ما عند ابن حوقل. بل إن الحركة حوصرت عقائدياً وسياسياً وحربياً بمجموعة أخرى من الرباطات القديمة والناشئة كرباط شاكر ورباط نفيس ورباط أغمات ورباط كوز ورباطات دكالة ورباط داي. فدور هذه الشبكة الرباطية تجاوز بكثير آثار القمع الحكومي العسكري العابر حتى مع تكراره. لأنها ساهمت سلمياً في نشر الإسلام والتوعية الدينية والثقافية محتضنة جموع الفلاحين في مناطق حضرية خصبة، في مواجهة النمط الحضاري البرغواطي المرتبط بعقيدة مستقلة.

وشهدت برغواطة أوج عزها السياسي خلال القرنين الرابع والخامس (11.10 م) فارتبطت بعلاقات ودية مع خلفاء بني أمية حكام الأندلس خصوصا عبدالرحمان الناصر والحكم المستنصر الذي استقبل وفداً رسمياً برغواطياً سنة 963/352 م يرأسه زمور بن صالح. غير أن العلاقات ساءت مع العامريين الذين تغاضوا عن الحملة غير الموفقة التي قادها جعفر بن علي والي المنصور بن أبي عامر، إلى جانب كتائب أندلسية حوالي سنة 366. ثم إن شيعة إفريقية جردوا حملة كبيرة بقيادة بُلكين بن زيري لإخضاع المغرب، وتواصل غزوهم لبرغواطة على فترات فيما بين 368. 372 ففقد البرغواطيون أعداداً كبيرة من شبابهم وسبيت نساؤهم وقتل عاهلهم عيسى بن أبي الأنصار. ثم جدد العامريون غزوهم لبرغواطة بقيادة واضح سنة 389 بمساعدة الأطراف المغربية الموالية للمنصور بن أبي عامر.

وخلال شطر كبير من القرن الرابع يبدو بنو يفرن مهادنين لبرغواطة في أغلب الأحيان. لكن الإمارة اليفرنية بفاس، بزعامة أميرها الكبير تميم بن زيري جردت حملات متواصلة ضد برغواطة، ابتداء من عشرينات القرن الخامس إلى وفاة تميم هذا سنة 448. وقيل عنه إنه كان يغزوهم مرة كل سنتين ويسبي منهم. بل إنه وضع يده على منطقة تامسنا وولّى عليها عاملا، ولكن مقاومة برغواطة استمرت أثناء ذلك وبعد ذلك، واستطاع بنو يفرن أن يضربوا حصاراً كلياً حول المناطق البرغواطية فيما عدا سبتة وطنجة المستقلتين عن حكم تامسنا. فبنو يفرن وضعوا يدهم على فاس وأحوازها، وعلى سلا وتادلا وحتى على أوريكة وأغمات، لكن برغواطة تامسنا ظلوا قوة ثابتة أمام الأكتساح اليفرني لمدة ربع قرن.

ثم كان على برغواطة أن تواجه هجوم المرابطين الذين وجهوا همهم فوراً إلى تامسنا بعد سجلماسة، فزحفوا إليها بزعامة عبدالله بن ياسين وبعد حروب عنيفة صرع عبدالله ابن ياسين سنة 1058/451 بمنطقة زعير حيث مدفنه بكريفلة. وكانت تسانده قوات ضخمة من صنهاجة ومصمودة المناوئة لبرغواطة. ثم صرع زعيم ديني آخر أقامه المرابطون خلفاً لعبدالله بن ياسين، وهو سليمان بن حدّو. لكن الغزو المرابطي تواصل بزعامة أبي بكر بن عمر، على رواية *القرطاس* الذي يؤكد أن أبا بكر بدد جموع البرغواطيين «... وتفرقت برغواطة في الصحراء وأذعنوا له بالطاعة وأسلموا إسلاماً جديداً، ولم يبق لديانتهم الخسيسة أثر إلى اليوم». والحقيقة أن الأحداث في تطوراتها تخالف كل هذه التأكيدات تقريباً. فإذا كان أبو بكر بن عمر قد واصل غزو برغواطة بعد ابن ياسين فإن هؤلاء قاوموا الهجوم المرابطي بتحدٍّ وقوة، ولذلك كان على ابن تاشفين بعد انسحاب أبي بكر بن عمر، أن يغير من أسلوب الشدة في محاولة لإخضاع برغواطة سلمياً. فوجه من مراكش إلى أنفا، حيث عاهل برغواطة وحاشيته، وفداً من العلماء لمفاوضة هذا العاهل (عبدالله بن أبي عبيد محمد). فكان رده عنيفاً إلى درجة أن عمد إلى قتل أعضاء الوفد وجرد خمسين ألفاً من أنصاره ثم زحف باتجاه مراكش، لكن ابن تاشفين لم ينتظر وصول الجيش البرغواطي، بل قصد على الفور طريق أنفا. والحسن الوزان يقول إن أهل تامسنا فروا أمام الزحف المرابطي وتوجهوا بشكل فوضوي نحو طريق فاس، فسنحت الفرصة للمرابطين من أجل القيام بمذابح مُروِّعة وتخريب المزارع وعشرات المدن. وقد تكون هناك خيانات وقعت في صفوف برغواطة ومن إليهم من زناتة وغيرهم، لكن أنفا نفسها، وكانت مسورة ومحصنة، صمدت لحصار طويل الأمد امتد أكثر من خمس سنوات. وقد جرت هذه الأحداث ابتداء من سنة 1061/453 تقريباً أي في الوقت الذي استقر فيه المرابطون في خيام حول مراكش قُبيل بنائها. أما جموع برغواطة الفارة أمام ابن تاشفين بقيادة عاهلها المذكور فقد أضناها العطش والجوع وتعقبتها كتائب المرابطين عند وادي

أبي رقراق ثم حاصرتها فهلكت غرقاً أو تحت السيوف. ومع أن الوزّان يقدم صورة قاتمة عن حالة تامسنا وانهيارها الكلي إلى حين توطين العرب بها، فإن الوقت الآن مناسب لتصحيح هذه الصورة جزئياً على الأقل، من خلال الوصف الإيجابي الذي قدمه الإدريسي بالنسبة للنصف الأول من القرن الخامس (11 م) كما سيتضح، وقد أسندت ولاية تامسنا ضمن منطقة جغرافية كبيرة إلى تميم بن يوسف سنة 467 هـ.

تابع المرابطون غاراتهم على برغواطة بالريف الغربي، لكن الصراع هناك كان سياسياً بالدرجة الأولى، فقد كان على سبتة وطنجة حاكم برغواطي يمسك بزمام المنطقة بحزم، وهو سكوت البرغواطي الذي كان أصلا من عبيد الأدارسة الحموديين، فولّوه على سبتة سنة 1036/427 وولّوا رزْق الله البرغواطي، وكان أيضا من مواليهم، على طنجة، وكلاهما اعتنق الإسلام. ثم أصبحت طنجة تحت حكم سكوت أيضاً فاستقر بها، وكان نجله ضياء الدولة والياً باسمه على سبتة. وأنشأ سكوت علاقات حسنة مع بني عباد الأندلسيين وبعض أمراء زناتة المناهضين للمرابطين. وكانت سبتة وطنجة من آخر ما فتحه المرابطون بالمغرب، بل كانت سبتة آخر معقل فتحوه بهذه البلاد. وهكذا كان استيلاؤهم على طنجة سنة 1077/470م. بعد مقتل سكوت، ثم على سبتة سنة 477 بعد مقتل ضياء الدولة، وبفضل أسطول المعتمد الذي تخلى عن حلفائه البرغواطيين.

ومفهوم ضمنياً أن البرغواطيين الذين بقوا على قيد الحياة أرغموا على تجديد إسلامهم كما قال ابن الخطيب في *أعمال الأعلام* (3 : 231). غير أن انتفاضة تامسنا تجددت بشكل عنيف بزعامة ابن هود الماسي الذي تزعم ثورة عارمة ضد الموحدين، انطلقت من تامسنا بالذات سنة 542 وهُزمت فيها جيوش عبدالمومن قبل أن تسترد أنفاسها خلال السنة التالية. ثم تجددت ثورة برغواطة سنة 1149/544 بزعامة بومزگيدة الذي انطلقت ثورته من جزولة. وقد أسند عبد المومن أمر قمعها إلى كبار القادة كأبي حفص وعبدالله بن فاطمة اللمتوني الذي انضم إلى الموحدين. وإذا كانت برغواطة قد تعرضت للتشريد في ظل السلطة الموحدية بعد أن فقدت عشرات الألوف من أبنائها على إثر الزحف المرابطي، فإن توطين عشرات الألوف من العرب أيام الموحدين، ومثلها من زناتة على يد يعقوب المريني، أدى إلى صَهْر تدريجي لبربر تامسنا ودكالة في البوتقة العربية، بالنظر لدور القبائل العربية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً.

وسجل مؤلف *القرطاس* وجود محاربين من برغواطة بالأندلس ضمن الجيوش المرينية بقيادة العاهل يعقوب. وخلال القرن الثامن (14 م) فقدت برغواطة كل بقايا مميزاتها ككتلة بشرية ذات وزن، وفي ذلك يقول ابن الخطيب: «... وقَبيلُهم اليوم قبيل ضعيف، لَعِبَ سيف الملثمين فيهم، ثم سيف المهدي (أي سيوف المُوحدين) بعده».

كانت برغواطة مثلاً فريداً في الشدة على الآخرين في بعض فترات تاريخها خصوصا في مرحلة إفشاء دعوتها، وفي التعامل مع مهاجميها إذا سنحت لها الفرصة فيهم. ونزعة العنف هاته أيضا من سمات كل الأنظمة التي انطلقت باسم التصحيح العقَدي والإيديولوجي كالموحدين والعبيديين وحتى المرابطين. وقد نُسب إلى البرغواطيين إحراق مآت المدن وتخريبها، كما لو أن مدن المغرب بلغت من الكثرة والاكتظاظ أن كان يلاصق بعضها بعضا وهذا ما لم يرد في وثيقة ولا مصدر، كما لا تشهد به الآثار القائمة. ويذكر الوزّان أن البرغواطيين خربوا شالة وأن المنصور الموحدي جددها أو شاد بها زاوية فخمة، لكن مسألة تخريب المدينة يتناقض مع سياق الأحداث (دولة بني يفرن واستقرارهم بالمنطقة ثم الوجود المرابطي).

أما أنفا فتبدو ميناء نشيطاً في بداية القرن السادس وخلاله، سواء كميناء عسكري أو تجاري له علاقات تبادل مع إيبيريا، تشحن منه الحنطة والشعير، وحول المدينة ثلاثة آلاف رحى لطحن الحبوب. وهذا ما يذكره الإدريسي.

وبالنسبة لأزمور فقد كانت تقع في قلب المنطقة المصمودية، لأن قبيلة صنهاجة التي كانت تعمر منطقتها هي قبيلة مصمودية، أي أن اسمها كان على غير مُسَمّى، خصوصاً وأنها مُحاطة بقبائل أخرى مصمودية كرجراجة وحاحة. وعبدالواحد المراكشي هو صاحب هذا التوضيح، وبينه وبين ابن خلدون الذي تأخر عنه زمناً، حوالي قرن ونصف. ومعنى هذا أن برغواطة عندما تجعل من أزمور إحدى عواصمها فهي في عقر دارها مهما كانت قوة المعارضة في صفوف المصامدة. والمصادر التي ترفض أن تتناول الازدهار الاقتصادي للإمارة البرغواطية يشذ عنها الإدريسي بشكل ملحوظ فيأتي بتفاصيل عن آثار هذا الازدهار واستمراره بالنسبة لمجموع المناطق البرغواطية القديمة والداخلة في ولائها، وهكذا فأرض دكالة كلها منازل وقرى ومناهل، ومنطقة تادلا غنية بالقطن إلى درجة أنها تحقق الاكتفاء الذاتي للمغرب، وكانت ضفاف أم الربيع طافحة بهذه المادة وغيرها من المزروعات. كما أن تامسنا كانت منطقة زراعية غنية بمواشيها وأنعامها، وهذا يخالف الصورة القاتمة التي يقدمها الوزان عن هذه الفترة بالذات. وابن خلدون (ج 6) يصف المنطقة الشاسعة التي تكوِّن مثلثا يبدأ من تامسنا ورأسه المقابل بسوس، وثالثه بدرعة، وصفاً أدبياً رائعاً وهو يتناول عمران هذه المناطَق المصمودية في معظمها ونشاطها التجاري والزراعي والاستيطاني، منذ فجر الإسلام حتى عصره. ولم يفُت الحسن الوزان أن يشير إلى الطابع الاستقراري والعمراني لتامسنا التي كانت تحتوي، حسب قوله، على أربعين مدينة وحوالي ثلاثمائة حصن معمور. وكانت أغلب مدنهم مسورة شأن النمط المصمودي الذي ينزع إلى التحصن والاحتياط. وهم لم يتركوا محطاً بحرياً بساحل تامسنا إلا استغلوه في حركة التصدير والاستيراد. وعلى سبيل المثال فإن فضالة

(المحمدية) كانت ترسو بها مراكب الأندلس وتشحن منها الحنطة والشعير والقطاني والمواشي. وبلغ من كثرة العرْض بالنسبة لمادة القمح خلال العصر البرغواطي أن حمْل جَمل كان يقايض أحياناً بفَرْدَتَيْ نعل بسوق النخيلة جنوب فضالة. غير أن السهول الأطلسية تأثرت بدخول قبائل العرب ثم القبائل الزناتية التي رحّلها المنصور المريني إلى تامسنا. فالنظام الزراعي الذي تركه البرغواطيون لم يَخْتف، لكنه تراجع بالتأكيد خلال هذه المرحلة الطويلة، لصالح النظام الرعوي الذي عاش عليه هؤلاء العرب والزناتيون قبل استئناسهم بالنمط الزراعي.

هل كانت برغواطة على الإسلام السني ؟ أم هل كانوا خوارج صفرية ؟ أم لهم عقيدتهم الخاصة ؟ فالبنسبة للاحتمال الأول، كل المصادر تنفيه وهي في مجملها سنية. والاحتمال الثاني ليس هناك ما يرجحه إلا جانب العنف تجاه الخصوم، وهو عنف سياسي عسكري. وهناك قبائل حالفت برغواطة وليست منها ولم تأخذ بعقيدتها المنسوبة إليها، ولم تكن مبادئ الصفرية تسمح بتقديم تنازلات لمن لا يدين بها. وخضعت برغواطة فيما يظهر على الأقل، لسلطة أُوليغَارْسية تعتمد السرية، ولا يبدو التشاور في اختيار ملوكها، وقليلا ما كان الأمر بهذه الصورة لدى أئمّة إباضية المغرب الأوسط أو خوارج سجلماسة، فيبقى الاحتمال الثالث الذي هو موضع إجماع المصادر تقريباً بما فيها ابن خلدون الذي قال عن صالح بن طريف :«انسلخ من آيات الله وانتحل دعوى النبوة وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده». وأما تنويه ابن حوقل بمكارم برغواطة فلا يتناول شعائرهم واتجاههم العقدي بوضوح. والأخلاق الاجتماعية قد تنشئها العادات والمحاكاة. ولربما نصت عليها العقيدة البرغواطية على نمط الكونفوشيوسية ذات التوجّه العملي، لكن حتى هذه العقيدة البرغواطية الغريبة لم تقدّم إلينا كاملة ولا مباشرة عبر مصادرها الأصلية. فأغلبها مما نسبه البكري إلى زمور البرغواطي وإن كنا نجد بعض الاختلاف بين المصادر بعده فيما أخذ عن زمور.

ويمكن المقارنة بين البكري وصاحب *الاستبصار* مثلا. ودون استعادة تفاصيل هذه العقيدة هنا لا بد من الالتفات إلى ما ياتي : 1 - تعتمد العقيدة على قرآن مزعوم. 2 - تنشئ صلاة وزكاة وصياما وشريعة زواج وعقوبات جنائية، ولها صيغ مخالفة للشريعة الإسلامية. 3 - في بعض العبارات الدينية المستعملة ما يدل على إقرار البرغواطيين بوحدانية الله. ومن جهة أخرى فإن سور "القرآن" البرغواطي تحمل أغلبها أسماء أنبياء خصوصاً أنبياء بني إسرائيل بالإضافة إلى سور ترمز إلى أحداث وصُنّاع لها من بني إسرائيل. وعندما تتناول العقيدة موضوع الدية فهي تجعلها من البقر شأن كثير من الحالات التي وردت في التوراة. وأخيراً فبعض ملوك برغواطة ادعوا النبوءة أيضا. ومعلوم أن عدداً من أنبياء بني إسرائيل جمعوا بين الملك والنبوة كسليمان وداود. أما أخذ بوغواطة، أو بعض أوساطهم بالفلك والسحر والكهانة فقد كان هذا مما عرف عن المجتمع المصمودي في جهات أخرى كغمارة وسوس. وهكذا فإن العقيدة البرغواطية لا تخلو من مؤثرات إسرائيلية إلى جانب المؤثرات الوثنية والتشريعات الخاصة، وكل هذا بطبيعة الحال في حدود ما وصلنا من معلومات عن العقيدة البرغواطية، وهي في كل حال لا تكتمل إلا بمعرفة النصوص الكاملة والأصلية للشريعة البرغواطية.

وقد تحدث البكري عن إسلام كل برغواطة في أواسط القرن الخامس (11 م) على يد المرابطين، وقيل مثل هذا عن العصر الإدريسي، لكن النزعة الاستقلالية لبرغواطة ظلت بارزة السِّمات مدة طويلة كما دلت على ذلك انتفاضتها على عهد عبد المومن الموحدي.

أما الجانب الثقافي فقد مُحي كلّ أثر تقريباً لنمطه ومؤثراته فيما يرجع إلى الثقافة المدونة علماً وإبداعاً، مع أن ملوك برغواطة كانوا على مستوى رفيع من المعرفة. وزمور البرغواطي كان صاحب الصلاة في النظام البرغواطي، أي مكلّفاً بالشؤون الدينية لا سيما الصلاة ومعابدها. وفي ظل السلطة البرغواطية المسلمة بسبتة وطنجة خلال القرن الخامس كانت هناك حركة ثقافية جيدة خصبة كما يستخلص ذلك من كتب التراجم الأندلسية و*مدارك* عياض. ومن البرغواطيين المتأخرين يحيى بن إبراهيم الذي نقل المقري ترجمته عن *الإحاطة* وهو معاصر لابن الخطيب. وكان نقاداً صوفياً مع روعة أفكار وأسلوب ومع معالجته لموضوعات تتصل بعلم الاجتماع الديني.

وتعدِّد المصادر، انطلاقا من البكري ومروراً بمؤلف *الاستبصار* وانتهاء بابن خلدون، القبائل التي دانت بالعقيدة البرغواطية مع انتمائها السياسي إلى الدولة البرغواطية، وكذا القبائل المسلمة التي دانت لها سياسياً. ومن الفريقين زناتيون وصنهاجيون ومصامدة، لكن ليس بينهم غماريون. ولذلك يمكن القول إن المجتمع البرغواطي يعتمد في نظامه على الدولة التوحيدية لا دولة العصبيّة الضيقة. والتوحيد هنا يرتكز على تحالفات ونظام للمقاومة والمواجهة كان بالتأكيد صارماً وملتحماً بالنظر لفترات التجديد والانبعاث في الحركة، كما أن النظام الحاكم حافظ على نوع من الشعبية في فترات السلم حسبما يتبين ذلك من عدم أخذه بمظاهر الملك الفخمة المعاصرة له.

ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ أ. البكري، *المسالك والممالك* (إفريقية والمغرب) ص : 87، 135، 141 ؛ أ. البيدق، *أخبار المهدي*، ص : 67، 69 ؛ م. الإدريسي، *نزهة المشتاق* (وصف إفريقيا والأندلس) ص : 71، 75 ؛ مؤلف مجهول، *الاستبصار*، ص : 107، 200، تـ : سعد زغلول عبدالحميد ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، ص : 340 ؛ ط. ياقوت، *معجم البلدان*، مادتا سبتة وطنجة ؛ ابن عذاري، *البيان*،1 : 319، 2 : 6 ؛ م. الدمشقي الأنصاري، *نخبة الدهر*، ص : 236 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص : 110، 190 ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال*

*الأعلام*، 3 : 184، 231، ت. م. م. عبادي وم. إ. الكتاني ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 428، 436، 376، 379 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 8 : 298 ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، مجلة البحث العلمي، ص: 241، 248، ع : 28 ؛ إ. حركات، *ملامح من تاريخ طنجة في العصر الوسيط*، مجلة دار النيابة.

Léon l'Africain, *Description de l'Afrique*, p. 157 - 161. Notes de Epaulard, Paris, 1956 ; A. Bel, *La religion musulmane en berbérie*, T. 1, Paris, 1931 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, 1, 128 - 132, Casablanca, 1949 ; R. Basset, *Berghawata, E. I. 2*, Paris ; G. Martinet, *Naissance de Casablanca et son évolution commerciale*, in *Actes du Colloque de Casabanca*, Faculté des Lettres I, Casablanca, 1982.

إبراهيم حركات

**البرغواطي، سكوت**، اختلفت المصادر في إثبات اسمه : فهو سَقوت، عند ابن بسام (*الذخيرة*، 2 : 657)، وسكُوت، عند ابن أبي زرع وابن خلدون (*القرطاس*، 140 ؛ العبر، 4 : 335) وسكات، عند المراكشي (*المعجب*، 101) ويعرف أيضا في بعض المصادر باسم سواجات (*البيان*، 3 : 231 ؛ *أعمال الأعلام*، 141).

اسمه الكامل هو سكوت بن محمد، ينحدر من قبيلة برغواطة البربرية التي كانت تتعرض باستمرار لغارات الحموديين الغماريين، وفي إحدى هذه الغارات أسّر سكوت هذا وهو في سن دون البلوغ. فاشتراه أول الأمر شيخ حداد من شيوخ غمارة، ثم بيع بعد ذلك إلى أحد الأمراء الحموديين قد يكون على الأرجح علي بن حمود الذي كان آنذاك حاكما لسبتة من قبل الخليفة الأموي سليمان المستحيي (*مفاخر البربر*، 58 ؛ *العبر*، 6 : 456 ؛ *الذخيرة*، 2: 657). يبدو أن سكوت كان له من الخصال الحميدة والشجاعة والذكاء ما جعل مولاه ينعم عليه بالحرية ويفتح أمامه الأبواب ليشغل أهم المناصب بسبتة خلال العصر الحمودي.

في سنة 1021/412 عين سكوت حاكما على سبتة وطنجة وأحوازهما من طرف الأمير يحيى بن علي الذي التحق وقتها بالأندلس ليتولى منصب الخلافة خلفاً لأبيه المتوفى (*المعجب*، 78 ؛ *البيان*، 3 : 250 ؛ *العبر*، 4 : 331 ؛ *الذخيرة*، 2 : 657) انطلاقا من هذا التاريخ بدأ الدورالسياسي لسكوت البرغواطي. إلا أن أهم ما يميز هذه المرحلة الأولى من العهد البرغواطي أن سكوت لم يكن يحكم وحده، بل كان يقاسمه نفس المنصب وبأمر من الأمير الحمودي مولى ثان من موالي آل حمود يعرف بأبي العطاف، (*الذخيرة*، 2 : 657)، وتنعته باقي المصادر باسم «رزق الله» (*البيان*، 3 : 250 ؛ *المعجب*، 101) وفي غياب السلطة الشرعية استبد سكوت وشريكه رزق الله بالحكم، وإن ظلا يعترفان بخلافة بني حمود ويحتضنان أمراءهم جرياً على عادة ألفها آل حمود تتمثل في إبقاء ولاة عهدهم في سبتة منطلق حكمهم، كما أنهما لم يترددا في حسن استقبال وفادة الخليفة إدريس الثاني المخلوع، وإن كان في واقع الأمر أسيرا لديهما. وبالرغم من أن الظروف، كما يستفاد من المصادر، كانت مهيأة للثورة ضد الحاكمين البرغواطيين بسبب تذمر الأهالي من حكمهما فإن سماحة إدريس الثاني لم تدفعه فقط إلى رفض عرض الثائرين، بل أخبر الحاكمين بالمؤامرة، فكان رد فعل سكوت ورزق الله أن أمرا بنفي المتآمرين. أما مصير إدريس الثاني فقد اختلفت المصادر في شأنه : فرواية المراكشي تفيد أن الأمير الحمودي لقي نفس المصير بحيث طرد إلى الأندلس، بينما احتفظ بابنه واستمر الاعتراف بشرعية خلافته (*المعجب*، 102) أما ابن عذاري فيذهب إلى أن الحاكمين البرغواطيين احتفظا به إلى غاية وفاته سنة 1053.52/444 (*البيان*، 3 : 218).

بعد وفاة إدريس الثاني، عزم سكوت وشريكه على قطع علاقتهما بالحموديين في الأندلس. هكذا لم يتردد سكوت في إصدار أوامره باغتيال الحسن الماسي عندما علم بنزوله في ريف غمارة (*البيان*، 3 : 218 ؛ *المعجب*، 95) وفي سنة 1055.54/446 تباطأ سكوت في طلب القاسم لمؤازرته لرد عدوان المعتضد بن عباد المتربص آنذاك بالجزيرة الخضراء، وعندما وقعت المدينة في قبضة بني عباد، خشي سكوت على سلطانه من الأمير الحمودي المهزوم، فرفض احتضانه الشيء الذي دفع بهذا الأخير إلى اللجوء إلى قرطبة حيث بقي إلى أن مات (*البيان*، 3 : 213).

انطلاقا من سنة 1061/453 بدأ سكوت عهده الجديد بقتل رزق الله شريكه ومنافسه في السلطة، ثم أعلن نفسه أميراً مستقلاً على سبتة وطنجة، واتخذ من الألقاب السلطانية، لقب «المنصور المعان» (*مفاخر البربر*، 45 ؛ *الذخيرة*، 658 ؛ *البيان*، 3 : 250 ؛ *أزهار الرياض*، 1 : 37). وقد برهن على استقلاله بأن ضرب سكة خاصة به تحمل على وجهها الأول اسمه ولقبه «المنصور المعان - سكوت» في حين أثبت على وجهها الثاني اسم ولقب ابنهِ «الحاجب - بهاء الدولة - الغر» ولكي يضفي نوعا من الشرعية على ملكه، أثبت على السكة اسم الخليفة العباسي عبدالله القائم بأمر الله (1031/421 - 1075/467).

ولم تفدنا المصادر بأي شيء عن سياسته الداخلية، أما بالنسبة لعلاقاته الخارجية فقد تميزت على العموم بالصراع على الواجهتين الأندلسية والمغربية.

إن كراهية سكوت لابن عباد صاحب أشبيلية كانت كرد فعل لكراهية هذا الأخير لبني جلدته بربر الأندلس. استفحل العداء بين الطرفين وأصبحت الحرب على وشك الانفجار انطلاقا من سنة 1065/457. تروي المصادر أن من الأسباب المباشرة لاندلاعها اعتقال المعتضد لتاجر سبتي في حضرته فردعليه سكوت بالمثل بحيث اعتقل عدداً من التجار الأشبيليين في سبتة فدارت معارك طاحنة بين الطرفين بمضيق جبل طارق، وقد انكشفت هذه الحروب أول الأمر عن قوة سكوت العسكرية، ولم تنهر قوته هذه إلا عندما عزز المعتضد أسطوله البحري بأسطول ثان يشتمل على ثمانين سفينة كان قد فرغ من صنعها كما يروي ابن حيان، ويبدو أن الحرب توقفت عند النصر أو الهزيمة، ذلك أن المعتضد لم يسع إلى قطف ثمار نصره بضم سبتة إلى ممتلكاته بالرغم

مما عرف عنه من جشع. فاكتفى بالانسحاب تاركا المضيق تحت سيطرة سگوت (*الذخيرة*، 2 : 659).

استمرت القطيعة بين الطرفين مدة طويلة. ولم يكن وقتها خافيا على سگوت ما يقوم به ابن عباد ضد الإمارات الأندلسية الصغرى. فكان حذرا من كل ما يأتي به البحر. فقد خشي احتضان حتى أولئك البربر الذين شردهم ابن عباد بعد أن نزع منهم ممتلكاتهم (*البيان*، 3 : 273).

أما بالنسبة للواجهة الإفريقية فيبدو أن علاقة سگوت البرغواطي بالإمارات البربرية المستقلة خصوصا مع إمارة مغراوة الزناتية المحاذية لمملكته من جهة الجنوب، كان يطبعها الود والتحالف، إذ لم تسجل المصادر أي صراع إقليمي أو قبلي بين الطرفين، بيد أن أهم مظهر لهذا التحالف تجلى أثناء الصراع الزناتي - المرابطي. ذلك أن تميم بن معنصر زعيم مغراوة الذي يعتبر حجر عثرة بالنسبة للفتح المرابطي بإقليم فاس، كان على اتصال بسگوت البرغواطي، وربما كان يدين له بنوع من الولاء. تذكر المصادر أن تميماً هذا لما قتل المهدي بن يوسف قائد جيوش الملثمين بعث - كما يقول ابن خلدون - برأسه إلى وليه ومساهمه في شدته الحاجب سگوت البرغواطي (*العبر*، 6 : 378 ؛ *القرطاس*، 140).

يستفاد من هذا أن سگوت كان في مركز قوة بالنسبة للقوى المحيطة به، وكان بإمكانه أن يحافظ على قوته لمدة طويلة في الوقت الذي انهارت فيه إمارة مغراوة الزناتية تحت ضربات الملثمين وتحول زعماؤها إلى سجناء حصن الدمنة الواقع قرب طنجة (*الذخيرة*، 2 : 660)، ذلك أن سگوت كان بوسعه أن يلعب بالورقة السياسية للحفاظ على ملكه ولو إلى حين، فينحاز إلى الحلف المرابطي عندما دعاه هؤلاء إلى مؤازرتهم ضد الزناتيين المعتصمين بحصن الدمنة. إلا أنه رفض الطلب بإيعاز من ابنه وولي عهده العز ضياء الدولة، فكان حدث سقوط حصن الدمنة وجبل علودان ببلاد غمارة في يد المرابطين سنة 72/465 . 1073 أو سنة 78/471 . 1079، مؤشراً بوقوع الحرب بين الجانبين (*العبر*، 6 : 380 . 457 ؛ *القرطاس*، 142 ؛ *الذخيرة*، 2 : 660) كما أن تطور الأحداث بالأندلس الجاثم تحت وطأة الخطر المسيحي ومحاولة المرابطين الاستفادة من هذه الأحداث باسم الجهاد، أضعف موقف سگوت العسكري، ففي سنة 1075/467، استقبل يوسف بن تاشفين وفداً أشبيلياً بعث به ابن عباد قصد التفاوض مع الملثمين وليعرض عليهم العبور إلى الأندلس (*القرطاس*، 142).

هكذا وبالرغم من أن كل الأحداث كانت تسير ضد سگوت، فقد أبى إلا أن يصمد في وجه المرابطين «وألا يسمع أهل طنجة طبول اللمتونيين ما دام حياً أبدا» فخرج بالرغم على كبر سنه لملاقاة جيوش المرابطين التي كان يرأسها صالح بن عمران، والتقى الجيشان قرب وادي منى بأحواز طنجة سنة 70 .471/ 78 . 1079 فأسفرت المعركة عن مقتل سگوت عن سن تناهز 86 سنة، ودخل المرابطون طنجة، في حين بقيت سبتة تحت حكم ابنه ضياء الدولة (*القرطاس*، 142 ؛ *الذخيرة*، 1 : 661).

سار سگوت البرغواطي سيرة ملوك الطوائف العظام. فأحاط نفسه بثلة من الشعراء والعلماء، أولاهم رعايته وأغدق عليهم نعمه. ولعل من أهم الأدباء الذين حفلت بهم هذه المرحلة وتجاوز صيتهم حدود سبتة حتى حسده عليهم جاره ابن عباد ثلاثة رجال : ابن مرانة الفرضي، وابن غازي الخطيب، وابن عطاء الكاتب (*معجم البلدان*، 3 : 183 ؛ *المطرب*، 89 . 90).

اهتم سگوت أيضا بالفقه والفقهاء ولعل من أهم الفقهاء الذين حظوا بعنايته ومنّه، كبير فقهاء عصره أبو الأصبغ بن سهل بن عبدالله الأسدي الجياني صاحب كتاب *الإعلام بنوازل الأحكام* (*الديباج*، 181 . 182).

وحسبنا ما رواه ابن عذاري لتبرير مدى اهتمام سگوت بالعلم والعلماء من أن الوليد بن جهور صاحب قرطبة ذكر في أحد مجالسه أنه توصل في يوم واحد بثلاثة كتب : اثنين منهما لابن صمادح صاحب ألمرية ولابن عباد صاحب أشبيلية يطلبان مغنية، والثالث لسگوت البرغواطي يطلب قارئا يقرأ القرآن. فتعجب ابن الوليد من الأمر وقال : «جاهل يطلب قارئا وعلماء يطلبون الأباطيل» (*البيان*، 3 : 250).

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن بسام، *الذخيرة*، ج : 2 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج : 4 . 6 . 7 ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام* ؛ ابن دحية، *المطرب* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج : 3 ؛ ابن فرحون، *الديباج* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ مجهول، *مفاخر البربر* ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، ج : 3.1 ؛ ي. الحموي، *معجم البلدان*، ج.3.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles*. Thèse 3ème cycle, Aix- Marseille I, 1987.

زليخة بنرمضان

**بَرْغُوت**، أسرة تطوانية أصلها من غمارة، وكان من بين أفرادها فقهاء مثل :

**بَرْغُوت، أحمد** بن المكي الذي زاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1896/1313 إلى سنة 1899/1316.

**بَرْغُوت، محمد** بن عبد الصادق الذي كان يتعاطى نفس الخطة بتطوان من سنة 1884/1301 إلى سنة 1888/1305.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

**برق الليل**، أسرة رباطية أخذت هذا اللقب حديثاً، وكانت تسمى «ابن عبدالرحمان» نسبة لصالح شهير في الريصاني بتافيلالت، أما سبب هذا اللقب فترجعه الرواية الشفوية إلى أن جداً قريباً لهذه الأسرة كان يتوجه إلى صلاة العشاء أو الفجر لابساً البياض على متن حصان أبيض،

فكان لونه هذا يلمع في ظلام الليل فأطلق عليه السكان برق الليل ولا يعرف اسم هذا الشخص بالضبط.

**برق الليل، محمد** بن عبدالرحمن بن علي المدعو الفيلالي، الذي قدم من تافيلالت ليقطن الرباط كان من العدول المدرسين، وقد رأى محمد بوجندار من آثاره الحوالة القديمة للأحباس الكبرى الرباطية سجل فيها أيام السلطان المولى سليمان بقيادة عامل الرباط آنذاك الغازي بن المدني الشاوي المزيزي ما يتعلق بأوقاف الرباط، وأحصاها وحددها وجمعها، وهي مبوبة على مسطرة ما تضمنته حوالة السلطان المولى إسماعيل المؤرخة بعام 1112، وكان ترتيب هذه الحوالة في عهد ناظر الرباط الفقيه الحاج العربي بن بناصر ملين بتاريخ أواخر ربيع الثاني عام 1223. وعليها توقيع محمد برق الليل وشكله.

كان محمد برق الليل من خواص الأديب الشهير ابن عمرو، ويستفاد من بعض الرسوم أنه سجن أيام القاضي يوسف البوعناني لتبذيره حانوت أبيه وتضييعها على نفسه وعلى إخواته الذين كانوا تحت كفالته.

وكان يقوم بالتدريس ونشر العلم وقد رأى بوجندار ظهيراً للسلطان المولى سليمان يكلفه بالتدريس في الجامع الكبير وينفذ له راتباً شهرياً لمؤونته وكسوته من أوقاف الرباط، وهو مؤرخ بـ 18 محرم 1234. وبعد وفاة المولى سليمان شمل السلطان المولى عبدالرحمان أسرته برعايته. وحسب ظهير رحماني مؤرخ بربيع الثاني عام 1240 أمر السلطان بأن ينفذ لأولاده بعد وفاته مؤونة شهرية من أوقاف سلا إعانة لهم على يتمهم وفقرهم. وكانت وفاته في رمضان عام 1234 / 1818.

وهناك في القرن التاسع عشر شخص في الجديدة يحمل اسم عبدالرحمان برق الليل لعله كان أميناً بمرساها ولا يعرف إن كان هو والد الفقيه محمد المترجم أعلاه.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 153 ؛ *رواية شفوية* أدلى بها السيد قاسم برق الليل إسكاف بدرب وزّهرة ببوقرون بالرباط يوم الأربعاء 23 ماي 1990.

عبدالاله الفاسي

**برقوق**، فاكهة من أنواع جنس برونس Prunus الذي ينتمي إلى فصيلة الورديات Rosaceae. شجرة البرقوق متوسطة القامة لا تتعدى أربعة أمتار، جذعها مستقيم ومشقق شيئا ما. الأوراق عنقية وبيضوية الشكل، مسننة ومجتمعة على شكل ياقات على الأغصان، تظهر عادة في فصل الربيع ابتداءً من مارس وتسقط في فصل الخريف. الأزهار بيضاء وصغيرة تظهر مع الأوراق، لها خمس تويجيات. الثمار بيضوية الشكل ومتوسطة الحجم حيث يتفاوت قطرها حسب الأنواع والضروب من سنتمتر واحد إلى أربعة سنتمترات مختلفة الألوان بحسب الأنواع : صفراء وحمراء وبنفسجية ومسودة. يُعرف في العالم أكثر من ثلاثمائة نوع من البرقوق، منها الحلوة المذاق ومنها الحامضة. غزيرة العصير وكثيرة اللب بداخلها بذرة يكسوها غشاء صلب. وقد عُرف البرقوق منذ قديم العصور، ويُرجح أن الشجرة الأصلية هي نوع Prunus Spinosa ونوع Prunus Insitia الذي نتج عن تهجينها نوع Prunus domestica .

عرفت زراعة البرقوق في المغرب الحديث تطوراً كبيراً نتج عنه أصناف أخذت تلعب دوراً هاماً في اقتصاد البلاد. تتطلب الزراعة كميات هائلة من الماء وتنبت الأشجار في بيومناخات باردة ومعتدلة حيث نجدها متوفرة في الريف والأطلس المتوسط والكبير والسهول السقوية (سهول الغرب وحوض سوس ونواحي مراكش).

تعتبر الثمار من الفواكه التي تستهلك في الصيف ومن بين الضروب هناك ما يُجَفّف ويُعلّب ليؤكل بعد طبخه. إنها ثمار منعشة المذاق تتكون من 70غ من السكريات ومن كميات هامة من الكلسيوم وڤيتامين B1 ,B2 ,pp. كثيرا ما ينصح الأطباء الأطفال بتناول البرقوق المجفف زيادة عن شهرته المعروفة منذ القدم لكونه مسهلا ومُخففا للنزيف والإفراز.

تتم زراعة البرقوق بواسطة البذور أو التطعيم أو بالافتسال، ويفضل الفلاح العمليتين الأخيرتين، وذلك للتأكد من الضرب الذي يريد غرسه. تعد أشجار اللوز المر والبرقوق الشائك والمشمش من النباتات القابلة لتطعيم البرقوق.

Cl. Ch, Mathon, *Phytogeographie appliquée, l'origine des plantes cultivées*. Masson, 1981 ; A. Akoka, *Medecine naturelle*, Paris, 1978.

نجاة الخياطي

**برقوق**، أسرة رباطية شريفة تنتسب إلى إدريس بن إدريس الأكبر، أصلها من الأندلس، عرف أفرادها بالنسك والصلاح، إلى جانب التجارة والعدالة. وكان لآل برقوق أملاك واسعة تمتد من ضريح سيدي محمد الضاوي الذي يتصرفون في فتوحاته والواقع قبالة باب قصبة الأوداية إلى الزاوية القادرية. وممن ذكرته المصادر المكتوبة منهم :

**برقوق، إدريس** الإدريسي الحسني، من أعيان أشراف الرباط في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر (19 .20 م). لقيه الشيخ محمد يحيى الولاتي حين وصل إلى الرباط في طريقه إلى حج بيت الله الحرام سنة 1313 / 1895 وأصهر إليه بابنته خديجة واستقر معها بمنزلها خمسة أشهر قبل أن يتابع رحلته إلى الحجاز. وبعد رجوع الشيخ الولاتي من الحج استقر مع زوجته بنت برقوق في منزلها أيضاً شهراً. وذكر في *رحلته الحجازية* الشريف إدريس برقوق وأثنى عليه خيراً.

م. يحيى الولاتي، *الرحلة الحجازية*، تح. محمد حجي، بيروت، 1990، 157 و315 ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 198، رواية شفوية عن م. الأمين بلكناوي.

محمد حجي

**البرقوقيون**، إحدى الفرق الثلاث التي تتكون منها قبيلة أنجرة، يجاورهم الحوز وقبيلة وَدْراس وفرقة الغابويين شرقا إلى حدود مدينة سبتة.

كانت فرقة البرقوقيين في عهد الحماية الإسبانية تابعة لمقاطعة جبالة الشرقية، ولكن في التقسيم الجماعي الحالي أصبحت تسمى «جماعة خميس أنجرة» وهي قيادة تابعة لإقليم تطوان. ويبلغ عدد سكانها حسب إحصاء 1982 : 10,911 نسمة.

يرتكز نشاط البرقوقيين على الفلاحة وتربية المواشي، ويرجع بعض السكان اسم فرقتهم لوجود عدد كثير من أشجار البرقوق بها. وأهم مركز تجاري بها هو سوق خميس أنجرة الذي يرتبط بتطوان وسبتة وطنجة.

من بين أهم مداشر فرقة البرقوقيين : بني معدن الذي يوجد به ضريح «سيدي النعيمي» حيث يجتمع سكان القبيلة للتداول في المسائل العامة، وكان يعيش به شريف يدعى سيدي أحمد الوزاني، يلجأ الأنجريون إليه لحل نزاعاتهم. وبني حلو الذي تذهب نساؤه إلى سوق الخميس القريب منهم لبيع اللبن والزبدة وبعض المناديل و«الكرزيات» التي يصنعنها. وبني عتاب حيث كان يعيش قائد القبيلة الدواس. وبوزاكي التي كان بها في عهد الحماية جوق للغياطة يلجأ إليها سكان القبيلة لإحياء حفلاتهم. وبلعشيش، أغلب سكانه من أولاد بولعيش المشهورين بالشجاعة المنتمين إلى الطريقة التجانية وأغلبهم طلبة، يذهب كثير منهم لاستكمال تعليمه بالقرويين بفاس.

وكان بأحد دواوير هذه الفرقة (الشَّعيْريّين) مقلع مهم من الرخام وأحجار الجير وذلك قبالة جزيرة البقدنوس.

*دراسة ميدانية.*

أحمد بوجداد

**البركات** (أبو -) ← **بو بركات**

**بركات، علي** (مولاي -) بن **الضو**، ولد سنة 1919 بأولاد حريز من أولاد بو السباع إقليم الصويرة. وبدافع الغيرة الوطنية والشجاعة التي كان يتسم بهما أسس خلية سرية بشيشاوة تابعة للفرقة السرية التي كان يرأسها الشهيد حمان الفطواكي.

كانت بداية أعمال تشكيلته قطع الأشجار وتوزيع المناشير وزرع الرعب برسائل التهديد وقطع أعمدة التيلفون مع محاولات جادة للحصول على السلاح، فقد حصل بركات على مسدسين وقنبلة، لكن افتضاح أمره أدى به إلى الاعتقال يوم 25 غشت سنة 1954 حيث سيق إلى مركز الدرك بشيشاوة وهنالك تعرض لأبشع طرق التعذيب لكنه لم يرضخ لسجانيه وآثر التعذيب على البوح بأسرار فرقته إلى أن استشهد يوم 24 شتنبر 1954 بمركز الدرك الفرنسي.

المندوبية السامية للمقاومة، *كتاب الشهداء*، ج 3.

عزالدين العلام

**بَركات**، (رأس -) يقع بشاطئ البحر المتوسط المقابل لمليلية، وقد أشارت إليه الخرائط البحرية الأوروبية القديمة

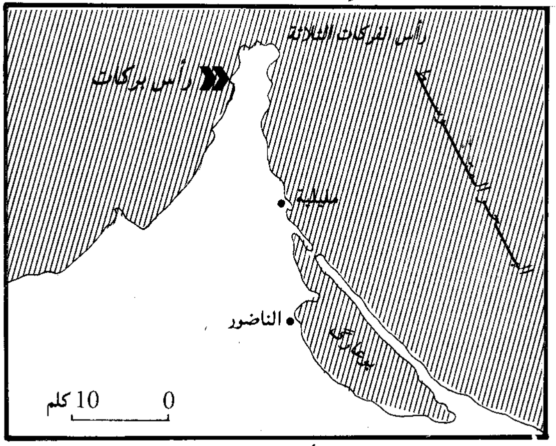


رأس بركات

باسم رأس طرامونطانا Cabo Tramutana.

محمد ابن عزوز حكيم

**بركات** بن **محمد** (الشيخ -) ← **التَّدسي بركات**

**بركاتو، علي** بن عبد القادر السباعي، تولى منصب القيادة على فخذ أولاد عمران من قبيلة أولاد بو السباع سنة 1312 / 1894 وذلك عندما قُسمت القبيلة السباعية إلى ثلاث إيالات بعد وفاة السلطان الحسن الأول. وكان مقر قيادته في قرية أولاد الزبر بالمنطقة المسماة بُوجمادى على مقربة من وادي بوعنفير. وقد ناصبه القائد عبد المالك المتوكي العداء فعمل على خلعه سنة 1899 تطبيقاً لسياسته التي كانت تهدف إلى بث التفرقة بين القواد السباعيين ليحول الصراع بين مختلف أفخاذ القبيلة السباعية دون توحيد كلمتها تمهيداً للاستيلاء عليها. وتولى مكانه القائد بِّيه بن بلعبيد السباعي. ولما اغتيل هذا الأخير في ثلاثْ - نْ. يعقوب من طرف بعض اكلاوة، انتقاماً منه لخضوعه للقائد الطيب الگنتافي، عاد القائد علي بركاتو إلى منصبه.

وقد ظهرت عدة خلافات بينه وبين قائدي فرقة أولاد عمرو وهما مبارك بن البشير السباعي ويرعاه السباعي. وكانا يطالبانه بأداء نصف الواجبات المخزنية والقيام بنصف الكُلف. بينما كان متشبثاً بأداء الثلث الذي يلزمه فقط بدعوى أن أرض القبيلة كانت مقسمة أثلاثاً بين الإيالات الثلاث. ولما تدخل المخزن قُسمت أرض القبيلة مناصفة ساقيةً وبوراً بين أولاد عمرو وأولاد عمران. فصار يلزمه وحده نصف المتطلبات المخزنية من كُلف ووظائف وغيرها.

*ظهير تعيين القائد علي بركاتو* مؤرخ بـ 26 شوال 1314. خ. ح. رقم 199 ؛ *نظير رسالة سلطانية* إلى القائد بركاتو بتاريخ 16 محرم 1314 / يونيو 1896 ؛ *نظير رسالة إلى القواد الثلاثة* بتاريخ 9 جمادى الثانية 1314 / نونبر 1896، خ. ح. الرباط 635، ص 213 ؛ م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، ر.د.د.ع. 1988.

L. Baritou, *Les grandes lignes de l'histoire des populations de Chichaoua*, CHEAM, N° 45, pp. 8 - 50.

**بركاتو، محمد** بن علي السباعي، قائد ابن القائد علي بركاتو السالف الذكر، نصّبه القائد عبد المالك المتوكي قائداً على فرقة أولاد عمران السباعية عندما صارت قبيلة أولاد بوالسباع خاضعة لنفوذه غداة انهزام أحمد الهيبة في معركة سيدي بوعثمان على يد الفرنسيين.

رواية شفوية ؛ م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، ر.د.د.ع. 1988.

م. حسن كفناني

**بركاش**، أسرة أندلسية شهيرة تنتمي إلى أحد رفقاء عبدالرحمان بن معاوية (الداخل) في فراره من العباسيين إلى الأندلس في منتصف القرن الثاني الهجري. وقد نزح آل بركاش إلى المغرب في جملة النازحين بعد سقوط غرناطة. وما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسمVargas الذي تعرف به أيضا مدينة بمقاطعة لوگرونيو Logroño الإسبانية. وقد استقر آل بركاش عند التحاقهم بهذه العدوة في تطوان والرباط، إلاّ أن فرع تطوان انقرض منذ سنة 1192/1778، بعكس فرع الرباط الذي تكاثر واتسع، واشتهر أفراده بالعمل في أسطول الجهاد البحري إلى أيام السلطان مولاي عبدالرحمان (1238 ـ 1276/1822 ـ 1859) وتولّى عدد منهم وظائف مخزنية سامية كعمالة مدينة الرباط ونظارة الأحباس بها، وكان منهم وزراء وسفراء وأمناء.

**بركاش، إبراهيم** بن شعيب، لعله الجد الأول لآل بركاش الرباطيين المهاجرين من الأندلس. وقد وجد اسم إبراهيم بركاش في لائحة أعضاء الديوان الأندلسي الذي حكم القصبة في العشرينات من القرن الحادي عشر الهجري (17 م). فقد أمضى بمعية القبطان محمد بن عبدالقادر مورينو وأعضاء الديوان الذين يبلغ عددهم ستة عشر عضوا، باسم كل أندلسيي القصبة وسلا الجديدة، مشروع اتفاقية مع جون هاريسون الإنجليزي في 10 مايو 1627 في إطار العلاقات بين الإنجليز وحكام القصبة الأندلسية التي تميزت تارة بتبادل الهجومات وأسر السفن وسلب الغنائم وطورا بالهدنة. وكان الحاكم العام للقصبة الأندلسية محمد بن عبدالقادر سيرون قد وقع مع ممثل فرنسا الفارس إسحاق دورازيلي Isaac de Razilly وقبطان سفينة du Chalard هدنة في هذا المضمار في 2 إكتوبر 1629. ويعطي دوكاستر أسماء الأشخاص القاطنين بالقصبة، فإلى جانب بركاش أو Vargas هناك Pelafres أو بلافريج، وبلانكو، وباركو وردوريكيز. ـ وقد انقرضت اليوم هذه الأسر الثلاث الأخيرة ـ وكراسكو (كراكشو)، وسانتياگو وگولان وكوزمام ـ وهي أسماء لم يبق لها وجود اليوم ضمن العائلات الرباطية. وكان أعضاء الديوان أنفسهم يستعملون الإسبانية سواء في مراسلاتهم أو في كتابة المعاهدات مع أوربا.

لقد كان إبراهيم بركاش ضمن حكام ما سمي بجمهورية أبي رقراق التي كانت مستقلة في الواقع عن سلطة السعديين على الرغم من أن هؤلاء الأخيرين عزموا على احتوائها، وبقيت مستقلة حتى سنة 1641.

وإذا كان العلويون وضعوا حداً لهذا الاستقلال فإن أبناء إبراهيم بركاش وأحفاده وغيرهم من العائلات الأندلسية لعبوا الدور الأساسي في تسيير مدينة الرباط طوال العهد العلوي.

**بركاش، حجي** بن الغازي، فقيه وصفه محمد بن علي دينية صاحب *الانبساط* بخصال نقتطف منها ما يلي :«الفقيه...العدل، كان من ذوي المروءة والأخلاق كثير المفاكهة» وقد تصاهر مع القاضي محمد عاشور فتزوج من ابنته وكان من العدول أيام القاضي الطيب بسِّير الذي يعرف أنه كان قاضيا سنة 1249/33 .1834. ولما تولى عبدالرحمان البُرَيْبري نفس الخطة من 1266/49 .1850 إلى 1281/64 ـ 1865. أخره عن خطة العدالة، لكنه رجع إليها عندما ولي محمد بن إبراهيم النيابة عن البريبري وبقي بها إلى أن توفي في 21 رجب 1294/1 غشت1877.

**بركاش، الصديق**، ابن ثانٍ لمحمد بركاش النائب السلطاني بطنجة. تقلب في عدة وظائف مخزنية فاستخدم أولا أمينا بمرسى الرباط لمدة طويلة أيام الحسن الأول الذي كلفه ببناء قصره بداخل الروض الموجود بدار المخزن بالرباط، وببناء ضريح السلطان محمد بن عبدالله، ثم عينه خليفة لعامل الرباط محمد السويسي. وفي سنة 1900 عينه المخزن عاملا على مدينة طنجة، ثم استخدم أمينا بمرسى الرباط مدة، ثم رشح كخليفة للعامل أحمد السويسي بالرباط وبقي في هذا المنصب إلى أن ولي عمالة الرباط سنة 1909، وعلى يده انتهت عمالة أسرة السويسي التي استمرت أكثر من نصف قرن بالرباط.

توفي الصديق بركاش يوم الجمعة 17 محرم 1336/2 نونبر 1917 ودفن بالزاوية التهامية.

**بركاش، عبدالرحمان** رئيس البحر الشيهر الذي عمر ما يقارب القرن. وكان قد ورث حرفة «القرصنة» عن أجداده. ومن المعلوم أن السلطان المولى سليمان كان قد ألغى الجهاد البحري في حدود 1817 ووزع قطع الأسطول المغربي على بعض أقطار الشمال الأفريقي، فتوقف الجهاد البحري، لكن السلطان عبدالرحمان بن هشام رغب في إحيائه. ففي سنة 1243/1827 أصدر أمره إلى رئيس البحرية المغربية آنذاك عبدالرحمان بريطل وإلى عبدالرحمان بركاش الذي كان قائداً لإحدى السفن، بالتطواف بسواحل المغرب، ومنع كل سفينة أجنبية من اختراق المياه المغربية إذا لم تتوفر على الإذن بالمرور، وهو ما كان يصطلح عليه بـ«الباسبورط» وفعلا استطاع الرئيسان أسر سفينتين نساويتين واقتاداها إلى ميناء أبي رقراق، وكانتا محملتين ببضاعة كثيرة متنوعة، وكان الاستيلاء على هذه الغنائم بداية لسلسلة من العمليات البحرية التي ساهم فيها عبدالرحمان بركاش.لكن العملية المذكورة أدت مباشرة إلى توتر في العلاقات المغربية ـ النمساوية بعد هجوم الأسطول النمساوي على مدينة العرائش ونزول النمساويين إلى بر

المدينة نزولا باء بالفشل بعدما أرغمهم العرائشيون على التراجع السريع إلى سفنهم.

كان عبدالرحمان برگاش يمتلك سفينة لتدريب الشبان، وقاد عمليات جهادية موجهة لمحاربة التهريب، ويمثل آخر نماذج رؤساء البحر الذين اشتهروا ليس في داخل المغرب فحسب بل لدى الكثير من الدول الأوربية، ولا يعرف تاريخ وفاته.

**برگاش، عبد الرحمان** بن **محمد**، حفيد النائب السلطاني وابن محمد وزير الحربية. ولد بالرباط سنة 1287 / 1870، وتعلم على يد أساتذة بطنجة وبخاصة الشيخ عبد السلام ملين بالرباط.

كلفه السلطان الحسن الأول باتمام مهمة أبيه في أوربا أي استيراد الأسلحة، فاصطحب القائد عبد السلام برشيد في السفارة المتوجهة إلى ألمانيا قصد التباحث في جلب مدافع من أجل التحصين البحري، ثم عين أميناً للديوانة ثم باشا للدار البيضاء بين 1892 و1896 وأخيراً باشا للصويرة.

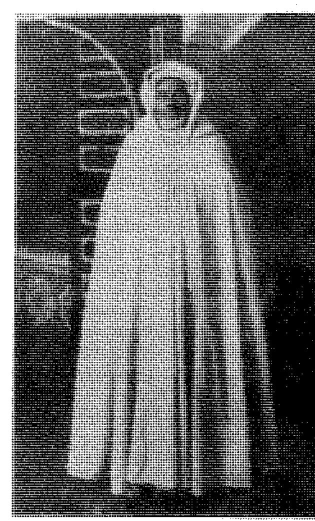

وفي سنة 1895 كلفه الوزير أحمد بن موسى (بّاحماد) بمساعدة محمد الصفار خليفة نائب طنجة للنظر في الخلاف الواقع بين إسبانيا والريفيين، وفي سنة 1901 وجه ضمن أعضاء البعثة التي ترأسها وزير الحرب المتبهي إلى انجلترا وألمانيا. وبعد عودته استعاد منصبه كباشا للصويرة وبقي فيه حتى سنة 1907 حيث استدعاه السلطان المولى عبد العزيز إلى جانبه ليصبح عضواً في مجلس الوزراء. وفي سنة 1330 / 1912 عين خليفة للنائب محمد الگباص في طنجة، وفي سنة 1336 / 1918 عين باشا للرباط مكان عمه الصديق.

**برگاش، عبد الله** بن علي، تولى قيادة الرباط مرتين، الأولى في نهاية القرن الثاني عشر الهجري مدة غير مضبوطة، ولكن يمكن وضعها في فترة تتوسط المسافة الزمنية الواقعة بين سنة 1186 / 1776 وهي سنة تولي قيادة الرباط من طرف القائد عبد الوهاب أشكلانط، وبين سنة 1199 / 1785 وهي سنة تولية عبد الله الرحماني.

أما المرة الثانية فكانت سنة توليته القيادة هي 1206 / في 9 رجب / يبراير 1792. وقد لعب دوراً كبيراً في الأحداث التي عرفتها مدينة الرباط بعد وفاة السلطانين محمد بن عبد الله وابنه اليزيد، فبعد وفاة هذا الأخير تزعم الفريق المناصر للمولى سليمان في مدينة الرباط، والمناوئ لفريقين آخرين أحدهما يُناصر سلامة بزعامة أحد أعيان الرباط وهو عباس مورينو، والآخر يساند هشاما، لكن برگاش سرعان ما تحول إلى الدعوة لهشام مخافة أن يقتل الرهائن الرباطيين المحتجزين عنده. وقد عينه هشام قائداً على الرباط في الوقت الذي تولى فيه المولى سليمان الملك، وقد سمي برگاش بسلطان الرباط (*تاريخ الضعيف*، 255) لأنه ربما أراد أن يستقل بالحكم في مدينته متبوعا بربع سكان المدينة. ولما دخل المولى سليمان الرباط ألقى عليه القبض بسبب مواقفه السابقة التي يطول شرحها. وفي 23 ذي القعدة 1209 أرسله إلى فاس حيث سُجن بها. وبعد سنتين رجع إلى الرباط، ولا يعلم هل كان هذا الرجوع نهاية لمدة سجنه أو نقلا إلى سجن الرباط، فالمؤرخ الضعيف الذي يروي هذه الأحداث لم يدقق في تبيان ذلك وإن كان الراجح أنه نال حريته بعد تلك السنتين من السجن ولا يُعرف تاريخ وفاته.


م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*،ت. أحمد العماري، 201 ـ 207 ـ 242 ـ 248 ـ 253 ـ 301 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 25 ؛ ع، ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 135 ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، ص 217 ـ 220 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 129 ـ 197 ـ 211 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 1 ـ 2 ـ 4 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط في القرن التاسع عشر وبداية العشرين*، د. د. ع، 26 ـ 29 ـ 33 ـ 34 ـ 87 ـ 115 ـ 124 ـ 232 ـ 233 ـ 256 ـ 259 ؛ *وثائق*، خ.ح، كناش 121 ص 174 ملخص رسالة 23 شوال 1301، محفظة رقم 7، الموانئ والملاحة ؛ *وثائق وزارة الخارجية الفرنسية*، المراسلات السياسية رسالة 3 غشت 1886.

Gouvion, *Kitab Aâyane El - Maghrib L'Akça* ; *Livre d'or : Dictionnaire des personnalités passés, contemporains*, casa, 1934.


عبد الاله الفاسي

**برگاش، محمد** بن **عبد الرحمان**، النائب السلطاني بطنجة، ولد بالرباط حوالي 1229 / 1814، وبها نشأ وتعلم على أساتذة الجامع الكبير بدرب السويقة قبل أن يغادرها، وهو ما يزال يافعاً، لامتهان التجارة في جبل طارق ثم في لندن (De La Martinière : 29). والراجح أن ذلك تم بعد وفاة والده سنة 1833. وإذا كان حظ الرجل في تحصيل العلم قليلا، فيما يظهر، بسبب انشغاله بالتجارة في مرحلة الشباب، فقد تحصل له من الخبرات والمزايا ما جعل بلديه الفقيه محمد دينية في *مجالس الانبساط* (ص 211) يسميه :"الطالب النزيه الأمين الخبير ذو الأوصاف الحميدة، والآراء السديدة، الذي طارت الأنباء بمآثره، وتواردت الآثار بمفاخره... كان من أعيان الوجهاء، وذوي السياسة والعقل والذكاء، سمحا وقوراً، فاضلا صبوراً..." وهذه كلها

صفات من شأنها أن تجذب نظر المخزن إليه، في وقت كان يعاني فيه هذا الأخير من ندرة الأطر المهيأة لتقلد المناصب العليا في الدولة. مما فتح الباب أمام المترجم لولوج الإدارة المخزنية والتدرج في أسلاكها كعامل في عهد السلطان المولى عبد الرحمان على مدينة الدار البيضاء وأمين في نفس الوقت لمرساها (Gouvion, 283). ولما تولى الحكم ابنه سيدي محمد سنة 1859 رقاه للنيابة عنه في مباشرة الشؤون الخارجية إلى جانب النائب محمد الخطيب بطنجة، وذلك منذ سنة 1860 حسبما يستفاد من بعض الوثائق المخزنية في هذا الباب (Nehlil, doc. VI, VII)، في وقت كان ما يزال يشغل فيه وظيف الأمانة (داود، 7 : 75). وعند إعفاء محمد الخطيب من مهامه في ذي القعدة 1278 / ماي 1862 وتوجيهه للإقامة بمدينة تطوان بناء على إشارة قائدها آنذاك الحاج عبد القادر أشعاش (نفس المصدر، 6 : 20)، استقل محمد برگاش بإدارة شؤون دار النيابة بطنجة. وكان يوقع رسائله أحيانا باسم محمد برقش أو بارقش. وقد تزامن ذلك مع تصاعد نفوذ الحماية القنصلية الممنوحة للرعايا المغاربة بعد حرب تطوان، مما حدا بالسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى تكليفه في السنة الموالية بأمر التفاوض بشأنها مع الممثلين الأجانب بطنجة، خاصة منهم ممثل فرنسا بيكلار (Béclard). بعد أن أوفد إليه كاتبه إدريس ابن إدريس العمراوي لإعانته على ذلك (*الوثائق*، 4 : رقم 501) وبعد شهرين من المفاوضات بين كل من برگاش والعمراوي من جهة وممثل فرنسا من جهة ثانية، توصل الطرفان إلى تسوية في 19 غشت 1863 تحدد شروط منح الحماية القنصلية للرعايا المغاربة (Miège, 2 : 404، *الوثائق*،4 : 504) لم تلبث أن انخرطت فيها الدول الأجنبية الممثلة في المغرب بعد إمضائها باستثناء إسبانيا فإنها أمضت تسوية مماثلة مع ابن إدريس (*الوثائق*، 4 : 191 - 198). هذا ويفيد التوقيع على التسويتين معا من طرف ابن إدريس العمراوي أن محمد برگاش لم يكن حتى هذا التاريخ يتوفر على تفويض من قبل السلطان لإمضاء مثل هذه الأوفاق مع ممثلي الدول الأجنبية. لكن بعد مرور سنتين تقريبا من عقد تسوية بيكلا، أصدر إليه السلطان سيدي محمد ظهيراً بتاريخ 25 ذي القعدة 1281 / 20 أبريل 1865، مفوضا له الفصل في القضايا التي تنشأ بين المغاربة والأجانب تفويضا تاما، بما في ذلك قضايا الحماية القنصلية. وهذا نص المهم من هذا الظهير بعد المقدمة :

"فوضنا لخديمنا الأرضي، الطالب محمد برگاش في فصل الدعاوي التي بين المسلمين والنصارى على الوجه المعروف، والطريق المألوف... ما كان منها مرجعه للشريعة فيرد إليها، وما كان مرجعه للقوانين والشروط فيرد إليها، وأذنا له في إمضاء الحكم فيها من غير توقف على مشورتنا ولا على ردّ لعليّ جنابنا..." (*الوثائق*، 4 : 553).

وبهذه الطريقة أمضى المترجم، بعد مرور حوالي الشهر على صدور هذا الظهير له، على اتفاقية تعتبر من أخطر الاتفاقيات على السيادة المغربية، وهي اتفاقية منارة رأس اسبارتل في 31 ماي 1865 التي تم بموجبها إسناد إدارة هذه المنارة إلى الهيئة الدبلوماسية بطنجة (Miège, 2 : 403، *مجلة دار النيابة*، ع 1 : 66). وبمصادقة السلطان سيدي محمد على الاتفاقية بعد مرور سنتين تقريبا من إمضاء المترجم عليها يكون المخزن قد منح النواب الأجانب امتيازاً آخر يمكنهم من التدخل، بشكل جماعي، في شؤونه الداخلية، مما يزيد في تعقيد مهام النائب محمد برگاش، لما تطرحه هاته الامتيازات من نزاعات مستمرة لم يكن هؤلاء النواب يتوانون في الإلحاح عليه في حلها كامتياز الحماية والمخالطة. ومن أجل إعانته على حل النزاعات التي تنتج عن هذا الامتياز الأخير، أنشأ السلطان سيدي محمد سنة 1874 مجلسا للأحكام بطنجة بعدما كان تقرر إنشاؤه بأزمور للفصل بين الخلطاء المغاربة والأجانب (*الوثائق*، 4 : 508) أطلق عليه اسم "مجلس الفقهاء ونواب الأجناس" (*كناش خ. ح.* رقم 70) وقد أسند رئاسته إلى أحد العلماء يساعده قاضي طنجة وعالمان آخران للإفتاء، بالإضافة إلى كاتب يقوم باستدعاء الغرماء أو من ينوب عنهم للحضور في المجلس المذكور (*الوثائق*، 4 : 581).

محمد برگاش يستقبل في دار النيابة بقصبة طنجة أحد السفراء
لاجب

لكن بالرغم من إنشاء السلطان سيدي محمد لهذا المجلس وغير ذلك من الجهود التي بذلها المخزن من أجل وضع حد للنزاعات الناتجة عن التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية للبلاد، فإن هذه النزاعات لم يفتأ حجمها يتفاقم يوما عن يوم، مما كان يعرقل سير الإدارة المخزنية ويطرح على النائب السلطاني مشاكل لا حصر لها، والأمثلة كثيرة في هذا الباب خاصة منها المتعلقة بقضبة الحماية القنصلية الممنوحة للرعايا المغاربة (*الوثائق*، 4 : صفحات متعددة). لذلك آثر السلطان المولى الحسن منذ توليه الحكم سنة 1873 هذه القضية على سائر القضايا وجعلها شغله الشاغل باعتبارها أصل كل المشاكل التي تنشأ بين المغرب والدول الأجنبية. فقرر سنة 1877 طرحها في مفاوضات جماعية مع الهيئة الدبلوماسية المعتمدة بطنجة، بعدما أسند أمر تلك المفاوضات لنائبه محمد برگاش، وكان قد أوفد قبل ذلك، في سنة 1876، الحاج محمد الزبدي سفيراً عنه إلى كل من فرنسا وانجلترا وبلجيكا وإيطاليا من أجل كسب تأييد هذه

الدول، لكن بدون جدوى (*إتحاف*، 2 : 302 ـ 311). وبعد ثلاث سنوات من المفاوضات بطنجة 1877 ـ 1879 لم ينته الطرفان إلى حل لقضية الحماية القنصلية بسبب تعنت أغلب المثلين الأجانب ورفضهم لاقتراحات النائب السلطاني في هذا المضمار (Miège, 3 : 269 - 277، *الوثائق*، 4 : 68 ـ 76، 5 : 39 إلى نهاية الكتاب) فتقرر حينذاك وبإيعاز من الحكومة الأنجليزية، رفع هذه القضية إلى مؤتمر دولي يعقد خارج المغرب.

انعقد مؤتمر مدريد بعد موافقة كل الدول المعنية وبحضور ثلاث عشرة دولة، بما فيها المغرب، وذلك فيما بين 19 ماي و3 يوليوز 1880 (Miège, 2 : 277 - 292، *الوثائق*، 4 : 77 ـ 107). وبالرغم من الجهود التي بذلها النائب محمد برگاش الذي كان يرأس الوفد المغربي، باعتباره وزيراً للشؤون الخارجية، لإقناع المشاركين بوجهات النظر التي يقترحها المخزن لإصلاح نظام الحماية القنصلية، فإن النتائج التي انتهى إليها المؤتمر بعد التوقيع على اتفاقية مدريد في 3 يوليوز 1880 جاءت مخيبة للآمال بتكريسها حق الحماية القنصلية في المغرب وإضفاء الشرعية الدولية عليه. وبهذا التكريس تكون اتفاقية مدريد قد "وضعت حول عنقه بإحكام طوقاً ما يزال يضيق ويخنقه حتى أفقده توازنه وشلّ حركته بعد اثنتين وثلاثين سنة".

وإلى ذلك اهتم محمد برگاش بمسألة حدود المغرب التاريخية، كما كان يضطلع بمهام أخرى تدخل ضمن وظيفته كنائب عن السلطان في مباشرة الشؤون الخارجية مع الدول الأجنبية، حسب تصور المخزن المغربي آنذاك لطبيعة هذا الوظيف. من ذلك الإشراف على مشتريات المخزن المختلفة من الخارج، وتدبير أمور البعثات الطلابية المتوجهة للدراسة بالخارج، والإشراف على المراسلات المتبادلة بين المخزن والأجانب، وضرب السكة المغربية، إلى غير ذلك من الأمور التي لها علاقة بالخارج (*إتحاف*، 2 : صفحات متعددة ؛ *العز والصولة*، 1 : 309).

وطيلة المدة التي قضاها المترجم على رأس دار النيابة بطنجة والتي تناهز ربع قرن من الزمن، كان مثال النزاهة والاستقامة، وتحمَّل الكثير من المشاق في سبيل نصرة قضايا بلاده. ولم يكن هذا ليخفى على أنظار السلطان المولى الحسن. فقد ورد في رده على رسالة لمحمد الزبدي في نفس المضمار ما يلي :

".... وأما ما وصفته به (يقصد برگاش) من الصدق والنصح فهو المعهود منه والمعروف فيه، وكيف لا وهو وكيل المسلمين ونائبهم، سدده الله وأعانه ! وأما تحمله المشاق فطوبى له بذلك ! لأنه في سبيل رب العالمين وفي مصالح المسلمين، أفاض الله عليه بركته دنيا وأخرى ! وأجزل له ثوابا وأجراً ! وأما إعانته، فقد كنا أذنا له فيها بؤنه الحاج محمد برگاش ! وأما الضعف فالله يزيد من قواه في ضعفه! وأما زيادة الكتاب له فسنرى فيها" (*الاستيطان*، 1: 395).

لكن بالرغم من هذه الصفات، فإن المترجم لم يكن يتوفق دائما في مساعيه لتواطؤ الأجانب وضعف الحكومة المركزية من جهة، وتخلف الأفكار وقلة الولي والنصير من جهة أخرى (*الوثائق*، 4 : 20. هـ 1)، مما جعله مضطراً أحيانا إلى الاستعانة بالنائب الانجليزي هاي ـ صديقه الحميم ـ واستشارته في الكثير من القضايا التي كانت تعرض له في علاقاته مع النواب الأجانب، شأنه في ذلك شأن سلفه محمد الخطيب (*تاريخ تطوان*، 6 : 126)، كما كان السلطان يوجه إليه أحيانا "بعض المعينين.... لدرس النوازل التي يخشى النائب عواقبها (*العز والصولة*، 1 : 322).

كان النائب محمد برگاش يسكن بقصبة طنجة مقر أشغال دار النيابة، وبها كان يستقبل زواره المغاربة والأجانب (Amicis, 80)، قبل أن تنتقل هذه الدار إلى محل خاص على عهد ولاية محمد الطريس وذلك سنة 1301 / 1884 (*وثائق تطوان*، مح 33 / 10)، وكان هذا المحل قبلُ معداً لنزول أمناء الثغر الفاسيين. كما كان المترجم في عهد السلطان سيدي محمد يتقاضى مرتباً شهرياً مقداره 100 ريال (*كناش خ ح*، رقم 70)، بالإضافة إلى بعض الإنعامات التي كان ينفحه بها هذا الأخير، كلما اقتضت الظروف ذلك، ولما ولي الحكم المولى الحسن أقره على نفس المرتب من غير زيادة (*كناش خ. ح*، رقم 653)، لكنه قطع عنه ما كان ينعم به عليه في السابق، مما ألحق بالمترجم الكثير من الضرر فاستغل مناسبة سفره لحضور مؤتمر مدريد سنة 1880 ليلطب من السلطان إعانته بألف ريال لأن مرتبه لا يكفي للإنفاق عليه وعلى الوفد المرافق له. فأجابه برسالة طويلة نقتطف منها هذا الجزء لأهميته في توضيح جانب من الصعوبات المالية التي كانت تعترض سبيل المترجم أثناء مزاولته لأشغاله بدار النيابة. يقول المولى الحسن :

... وأما تصييرك على ما هو واجب على المخزن فلا علم لنا به لأن كل ما تكتب لنا به وتخبر أنك صيرته على دعاوي أو تفاصلت معهم فيه ننفذه لك... وأما ما ذكرته من كون راتبك لا يكفيك لصائرك بطنجة فضلا عن صائرك بالرباط فإنا نعرف ذلك ونعتقده ونحن أولى بمواساتك وإعانتك وكل ما يعطى لك ففي محله لولا أن المخزن اليوم واجب أن يعان. ولا يخفاك ما نخرجه كل شهر في مشاهرات النجليز والصبليون والآلات الجهادية والبناء لها. وأما ما ذكرته من كون سيدنا ـ رحمه الله ـ كان يعينك الخ فلم يتقدم منك إعلام بذلك قبل الآن ولو أعلمت به لوقع النظر فيه وأقررت عليه كما أقرت على غيره كالمشاهرة وتجديد ظهائر الخدمة ونحو ذلك. وعليه فبين لنا ذلك... وأما تصيير الألف ريال فيما تتوقف عليه لسفرك فلا باس..." (*إتحاف*، 2 : 406 ـ 407).

إلى جانب هذه الصعوبات التي تشرحها الرسالة السلطانية أعلاه، كان المترجم يعاني من قلة عدد الكتاب والأعوان العاملين معه في وقت اتسع فيه نطاق أشغال دار النيابة، مما كان يعرقل عمله حسبما يشير هو نفسه إلى

ذلك في إحدى رسائله إلى الحاجب موسى بن أحمد بتاريخ 20 حجة 1293 / 6 يناير 1876. من أن سبب تأخير بعض الأجوبة هو أن الوقت كله تستغرقه في الملاقاة مع الترجمانات والنواب وغيرهم... والليل نقطع منه في مباشرة الكتابة نحو الست ساعات تزيد أو تنقص قليلا... "ثم يضيف" : ولو وجدت الفراغ إلى الإعلام بها قبل، لقدمت الكتابة في شأن زيادة الكاتب الذي أمره عندي من أهم الأمور، لأجل الإعانة (*الاستيطان*، 1 : 396). ذلك أنه لم يكن معه غير كاتب واحد من مبرزي العدول (*العز والصولة*، 1 : 309) كان يتقاضى 25 ريالا مشاهرة سنة 1287 / 1870 (*كناش خ. ح*، رقم 70). وفي سنة 1294 / 1877 كان للمترجم كاتبان : كاتب أول وكاتب ثان أقل منزلة من الأول، إذ لم يكن يتقاضى سوى عشرة ريالات مشاهرة (*كناش خ. ح*، رقم 653). ولعل هذه الوضعية لم تكن قارة بدليل ما كتب به الحاج محمد الزبدي إلى المولى الحسن سنة 1301 / 1884 من أن محمد بركاش "هو الآن مخصوص بمعين وبزيادة الكتاب. وقد صرح لي بهذا مراراً، لأن أشغاله اليوم متعذرة بكاتب واحد..." (*الاستيطان*، 395). وهذا مع ما ذهب إليه المؤرخ ابن زيدان من أنه حتى سنة 1308 / 90 ـ 1891 لم يكن مع النواب السلطانيين غير كاتب واحد.

هذا ومن الذين شغلوا هذا الوظيف مع المترجم نذكر العربي بوشنتوف السلوي وهو من أقدم الكتاب بدارالنيابة (*الاستيطان*، 1 : 407) ثم أحمد بن محمد الزعيمي الرباطي (*الاغتباط*، 55 ؛ *من أعلام الفكر*، 2 : 14). ولعله أتى بعد السابق، ثم محمد المكي البطاوري ـ صهر المترجم ـ الذي ولي هذا الوظيف سنة 1290 / 1873 وأقام فيه نحو العشر سنين، رافق أثناءها محمد بركاش إلى مؤتمر مدريد سنة 1880، كما سافر معه إلى إسبانيا ومنها إلى فرنسا ثم أنجلترا، وذلك سنة 1301 / 1884 (*المصدر الأخير*، 2 : 214).

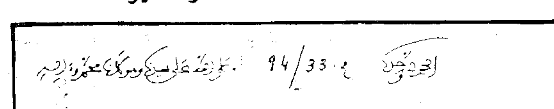

نموذج من مراسلات محمد بركاش للطريس أيام نيابته عنه في طنجة

لقد استمر المترجم في وظيفه إلى أن اعتلّت صحته وضعف بصره، فاستأذن السلطان في الذهاب للتداوي بالخارج، فأذن له وولّى محمد الطريس للنيابة عنه إلى حين أوبته وذلك في شهر مارس تقريبا من سنة 1884 (*الاستيطان*، 1 : 397)، ولم يلبث المترجم بعد ذلك أن غادر المغرب متوجها نحو مرسيليا التي وصلها يوم الثلاثاء 11 جمادى الثاني 1301 / 8 أبريل 1884 (*وثائق تطوان*، 33 / 15)، وقد رافقه في هذه الرحلة كل من ولديه الحاج محمد بركاش والصديق بركاش وكاتبه محمد المكي البطاوري (مح 33 / 29). وبعد أن عرض نفسه على بعض الأطباء هناك أثيرت قضية حماية فرنسا للحاج عبد السلام الوزاني (*الاستيطان*، 1 : 397)، فقرر السلطان، حينذاك، إيفاد بوشتى ابن البغدادي في سفارة إلى باريس للتفاوض مع أعضاء الحكومة الفرنسية بشأن هذه القضية، لكن باقتراح من المترجم تم تأجيل هذه السفارة (*وثائق تطوان*، مح 33 / 29) وأشخص هو مكانه إلى باريس التي وصلها يوم 13 رجب 1301 / 9 ماي 1884 حيث وجد "الأمر في غاية التخويض والجوازيط مشحونة بما تشمئز منه النفوس، وغاية ما أدرك ـ يقول المترجم في رسالة منه إلى الحاج محمد الطريس ـ أنه وقف الأمر في تلك الساعة حتى نتلاقى مع الوزير... (*وثائق تطوان*، مح 33 / 2) وفي 16 ماي اجتمع بالوزير الفرنسي، ـ وزير الشؤون الخارجية ـ وتم حسم قضية حماية عبد السلام الوزاني بينهما (*وثائق تطوان*، مح 33 / 22). وبالرغم من حسم هذه القضية فقد بدا من جديد للمولى الحسن إشخاص القائد بوشتى ابن البغدادي إلى باريس : لكن تحفظ محمد بركاش من إرساله جعل السلطان يعدل عن ذلك :"لأنه في تأخر القائد بوشتى عن السفر ـ يقول المترجم ـ خير كثير" ويضيف :"وبعد فما عسى أن ينشأ من تحريك ما سكن لأن قضية وزان حسمت مادتها بالعزل عن المخزنية، والمقصود الأهم الذي هو سد باب الفتنة قد حصل والحمد لله، وأمر الحماية لازلنا في انتظار ما وعدنا به من جعل تاويل فيه. والحاصل أن العلاج النافع هو حسن السياسة وغض الطرف حتى ياتي الله بما لا نعلمه من ألطافه الخفية" (*وثائق تطوان*، مح 33 / 25).

هذا وبعد إنهائه لقضية حماية عبد السلام الوزاني وقضايا أخرى منها موافقة سفير إسبانيا بباريس على طلبه بتأخير الكلام بشأن إفني، عزم المترجم على العودة إلى المغرب عن طريق لندن (*وثائق تطوان*، مح 33 / 35) وفي يوم توجهه لها ـ فاتح شوال 1301 / 25 يوليوز 1884 ـ كتب إلى الحاج محمد الطريس قائلا :"وبعد فنعلمك أننا متوجهون للوندريز في ساعة 10 من صباح هذا اليوم المبارك السعيد لنتوجه من هناك لجبل طارق نسئل الله التيسير..." (*وثائق تطوان*، مح 33 / 36) ولم يمر وقت طويل على عودته إلى المغرب حتى عاوده المرض فطلب من السلطان في محرم 1303 / أكتوبر 1885 الإذن له من جديد بالرجوع إلى مرسيليا قصد متابعة العلاج (*الاستيطان*، 1 : 389). إلا أنه لم يسافر بالرغم من ترخيص السلطان له بذلك، ربما بسبب تفشي داء الكوليرا في أوروبا وفرض حجر صحي بمرسيليا آنذاك (نفس المصدر والصفحة).

وبالرغم من ملازمة المترجم لبيته بالرباط، فقد ظل على اتصال تام بالنائب محمد الطريس بطنجة الذي لم يكن يُغيِّب عنه شيئا من أشغال دار النيابة، ويتضح من أجوبة المترجم على مراسلات هذا الأخير له أنه (أي المترجم) كان هو المباشر العملي لهذه الأشغال. وكانت آخر رسائله إلى الطريس بتاريخ 27 ذي القعدة 1303 / 1 غشت 1886 (*وثائق تطوان*، مح 33 / 188).

ويظهر أنه منذ هذا التاريخ اشتد به المرض، بعد أن رزئ بفقد ولديه الحاج العباس فالحاج محمد، ولم يمهله المرض كثيرا حيث توفي بالرباط في 3 محرم 1304 / 2 أكتوبر 1886 ودفن بالعلو. وبوفاته طويت صفحة من أخصب صفحات الخارجية المغربية وأعقدها بوجه عام ودار النيابة برجه خاص خلال القرن التاسع عشر.

*وثائق خ. ح*، كناش 70 و653 ؛ *وثائق تطوان*، مح 33 ؛ *الوثائق*، دورية، ع 4، 5 ؛ ع. الفاسي، *خطوات وخطرات*، مخطوط خ. ع رقم 4401 د ؛ م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، ج 2 ؛ ع. زيدان، *إتحاف*، ج 2 ؛ *العز والصولة*، ج 1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب*، ج 2 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج 6 و7 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج 1 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 ؛ ع، ابن منصور، *مشكلة الحماية القنصلية*، الرباط 1985 (2) ؛ *مجلة دار النيابة*، ع 1، 1984 : ص 23 ـ 24 ـ 66.

E. Amicis, *Le Maroc*, Paris, 1882 ; M. Chapi, *Quelques grandes familles du Makhzen d'après Ben Zidane*. D.E.S, inédit, Rabat 1973 ; M et Ed, Gouvion, *Kitab Aâyane el-Maghrib l'Akça*, Alger, 1939 ; H. de La Martinière, *Souvenirs du Maroc*, Paris 1932 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, t: II et III, Rabat, 1989 ; M. Nehlil, *Lettres chérifiennes*, Paris, 1915.

أحمد ميلود

**برگاش، مُحمد** بن **مَحمد** بن عبدالرحمان، الابن البكر للنائب السلطاني بطنجة. ولد بالرباط سنة 1245 / 1829، وكلفه السلطان المولى الحسن بعدة مهام في أوربا، منها حضوره في مؤتمر مدريد سنة 1298 / 1880 مع أبيه، كما كلفه بجلب الأسلحة من الخارج، ولم يلبث أن أصبح وزيرا للحربية.

وقد قام مع أبيه بدور كبير في توطيد علاقة أسرته مع الألمانيين انطلاقا من طنجة، وحول إقناع السلطان الحسن الأول الذي كان ينفذ سياسته الإصلاحية آنذاك برغبة الألمانيين في إنشاء مدفعية وبعض التحصينات الدفاعية والقيام ببعض المنجزات العسكرية بمدينة الرباط. ونظراً لميل آل برگاش الواضح لألمانيا فقد اعتبرت الأوساط الفرنسية محمد برگاش (الابن) عدواً لها، وأرسل ممثلها بطنجة فيرو Feraud إلى وزير الخارجية الفرنسي يقول له : إن محمد برگاش يكنّ عداء لفرنسا وإنه سمعه أثناء حديث له مع شريف وزان المحمي الفرنسي ينكر عليه دخوله في الحماية الفرنسية عندما كانوا بالقصر السلطاني.

وفي سنة 1884 توجه محمد برگاش بأمر من الحسن الأول إلى ألمانيا وبلجيكا وفرنسا قصد شراء العتاد الحربي، والتقى بالألماني كروب Krupp ابن التاجر المشهور الذي اتفق معه على التوجه إلى المغرب قصد إجراء المباحثات المتعلقة بجلب الأسلحة وبالعلاقات الحربية بين البلدين، وقدم له برگاش طلبات مهمة، وقد استقدم ضباطا مدرِّبين للجيش في سفره الثاني سنة 1886 الذي صحب فيه أباه، حيث استقبل من طرف بسمارك من أجل التباحث في العلاقات المغربية الألمانية. وقد حلّت البعثة الألمانية فعلا بمدينة الرباط وقامت بمنجزات قرب مصب أبي رقراق وبناء تحصينات دفاعية أهمها حصن روتنبرغ Rottenberg نسبة إلى اسم الضابط المهندس بالمدفعية. وقد بدأت الأشغال لإنجاز هذا الحصن في يونيو 1888 وفي سنة 1896، أرسلت دار كروب مايير Krupp Mayer مساعداً لها في هذا الإطار. وقد بنيت مدفعية عصرية على الساحل على بعد 800م من الجنوب الغربي لقصبة الأوداية، وكانت مساعي برگاش في جلب الألمان إلى الرباط مدعاة لتأجج التنافس بينها وبين البعثة العسكرية الفرنسية التي وإن أشاد قنصلها بالرباط بجدية الضابط الألماني ونجاحه في التداريب التي كان يقوم بها لصالح الفرق المغربية فإنه لم يخف تخوفه من الهدف الحقيقي لوجود الألمان بالرباط الذي كان يدعمه آل برگاش والمحتسب عبدالخالق فرج. وكان ذلك سببا في احتضان المدينة لعدد من المناصرين لألمانيا في الوقت الذي كانت البلاد تتقاذفها القُوى الأجنبية من كل جانب قبل أن تحل الحماية.

توفي محمد برگاش في حياة والده عام 1886/1304 وخلف عدة أبناء، منهم عبدالعزيز الذي أصبح خليفة لباشا الرباط بعد أن شغل منصب أمين ديوانتها، وأحرز على صيت دبلوماسي وسياسي.

**برگاش، محمد** بن **المكي**، عرف بابن المكي أو بلّمكي، وإليه تنسب السقاية المعروفة بسقاية بلّمكي قرب دارهم التي بالساباط في الرباط. كان قد سجن بفاس مع جده عبدالله المدعو سلطان الرباط، لكن سرعان ما أطلق سراحه. وفي سنة 1212 تنازع السلطة مع عضو آخر من عائلة برگاش له نفس الاسم محمد (لا يعلم نوع القرابة بين الرجلين) وكان هذا الأخير يمارس قيادة الرباط من مدة غير محددة، حيث كان قائدا سنة 1795/1209.

وفي سنة 1212 / 1797 وجه السلطان أخاه المولى الطيب إلى الرباط حيث تحايل على القائد المذكور وألقى عليه القبض بتهمة التلاعب بمال المخزن، ووجهه بدوره إلى سجن فاس، لكنه أطلق سراحه بعد أن أدى ما عليه من مال «خمسة قناطير» وفي نفس الوقت عين محمدا بن المكي برگاش قائداً مكانه، ولا يعرف تاريخ وفاته.

**برگاش، المكي** بن **عبدالله**، عُيِّن ناظراً لأحباس الرباط سنة 1772/1185، وكلفه السلطان محمد بن عبدالله سنة 1784/1198 بالسفر إلى بيت المقدس ومكة المكرمة والمدينة حيث انطلق إليها من تطوان، قصد توزيع تبرعات

مالية : مائتي قنطار صدقة (*تاريخ الضعيف*، ص 186) وفي سنة 1789/1203 سافر صحبة رؤساء البحر على متن أربع سفن، وهم الرايس محمد السبيع الرباطي، والرايس محمد العنقي الرباطي، والرايس يوسف الطرابلسي السلوي، والرايس تركي إلى إسطنبول حاملين هدية من مرسى سلا إلى السلطان العثماني، وبقي في العاصمة العثمانية مع بعض مرافقيه مدة، في حين رجع الآخرون. ولما رجع في السابع من ذي الحجة عام 1204 مثل أمام السلطان اليزيد مع رؤساء البحر الذين رافقهم بفاس حيث قدّموا له هديتهم، وفي نفس الشهر عينه المولى اليزيد قائداً على الرباط. وقد توفي في حياة والده أواخر سنة 1796/1211.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، من 217 إلى 220 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تـ: أ. العماري، 215. 218. 261. 263. 301 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 130 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين*، د. د. ع. 115.

عبدالاله الفاسي

**بَرْكان**، وتكتب أيضا بالهمزة «أبركان» هي اليوم نموذج للمدن الفلاحية المُتولّدة عن سياسة الرَّي التي نهجها المغرب ابتداء من أواسط النصف الأول من القرن العشرين في الدوائر المسقية الكبرى، لاسيّما وأنها تقع في سهل تْرِيفة (أو طريفة)، أحد أغنى السهول المغربية، الموجود في المغرب الشرقي الذي يعدُّ من أفقر الأقاليم المغربية.

إن بروز بركان كمدينة ونموّها مرتبطان أوثق الارتباط بالقاعدة الفلاحية المحلّية، إلى حدود أن المنطقة هنا، وبدون مغالاة، هي التي خلقت المدينة وليس العكس، كما يحدث عادة في عملية التمدين، بل لا تزال المدينة تعيش حتى الآن على وتيرة نشاط المجال الفلاحي المحلي الذي تربطه بهاحركة يومية متواصلة من اليد العاملة والبضائع والقرارات.

هكذا، ومن قرية متواضعة سنة 1936 (3.600 نسمة)، استطاعت بركان أن ترقى إلى صف المدن المتوسطة سنة 1982 (60.490 نسمة) وأن تأخذ المكانة الثانية بين مدن إقليم وجدة والثالثة ضمن مدن المغرب الشرقي.

كان يوجد سنة 1900 بجنوب موقع المدينة الأصلي سوق يعقد يوم الخميس وحوله دوار يضم بضع عائلات (90 نسمة). أما الولي المحلّي، سيدي امْحَنْد أبرشان (هي التسمية الرائجة محلياً بينما تشير المصادر إلى أحمد بن محمد أبركان) فكان يوجد على بعد كيلومتر في الشمال الغربي. ويقع كل من الدوار والسوق بين ثلاث كديات تتوسط مخروط انصباب يخترقه وادي الشراعة، غير بعيد عن عين السلطان ومقرن وادي وكلام وادي زكزل.

والموقع الوسط الذي اتخذه التجمع السكني جعله محطة التقاء الطرق المؤدية إلى وادي ملوية ووادي كيس وجبال بني إزناسن وسهل تريفة، وبالتالي ممراً اضطراريا بالنسبة للقبائل المنتجعة بالمنطقة التي كانت تفد إلى السوق لعرض فواكه وخضر الجبال وحبوب وأغنام السهل، بل إن الجبل والسهل هما اللذان سيفسران القاعدة البشرية والفلاحية الأساسية للتطور السكني والاقتصادي في هذا المكان.

بالرغم من الموضع الملائم والموقع الإستراتيجي، ظل التجمع السكاني الأصلي دوّارا دون إشعاع إلى حدود الثلاثينات. وكل المؤهلات الطبيعية والتجارية والبشرية لم تشكل أي حافز لتوسعه في تلك الفترة. إلاّ أن تحكم الجيش الفرنسي بالمنطقة سنة 1904 شجع استقرار المعمرين بسهل تريفة. وعند دخول هؤلاء المعمرين كان الدوار الأصلي يتكون من وحدتين سكنيتين مبنيتين بالطين على طريقة الأرياف حول سوق الخميس، وهما الگرابة الفواگة (الأكواخ الفوقية) والگرابة انبويقشار (أكواخ الاقرع) لكن سرعان ما قرر البعض منهم، الذين كانوا يترددون على سوق الخميس، إنشاء قرية لهم على بعد كيلومتر نحو الشمال الغربي لهذا الموضع، قرب مكان عبور وادي الشراعة. فشرعوا في بناء قنطرة وتكنة عسكرية وبعض الطرق والمنازل، كما أسسوا مدرسة لفائدة خمسة وخمسين تلميذاً أوربياً سنة 1909 ومركزا بريديا ومركزاً للتمريض سنة 1910.

إن المدينة الصغيرة التي قرر المعمرون إنشاءها في هذا الموضع بالأساس رُوعي فيه القرب من المناطق المستملحة بمنطقة مداغ (وسط السهل) التي بُنيت بها الطرق وتمت عمليات الاجتثاث وقلع الأحجار وإدخال الدورة الزراعية والمغروسات الجديدة.

في سنة 1917 كانت تقطن بقرية سيدي امْحَنْد أبركان 368 نسمة، وبعد الأزمة الاقتصادية العالمية التي أثرت على اقتصاد المعمرين بالجزائر اتجه البعض منهم إلى تريفة سنة 1930 وأدخلوا أسلوب الري بالضخ، مما أثار تغيير أسلوب الإنتاج الفلاحي نحو التكثيف والتنويع. أما الجبال المجاورة فظلت تعيش حياة فلاحية راكدة، اضطر معها السكان تحت الضغط الديمغرافي إلى أن يهاجروا ابتداء من 1930 إلى وجدة والجزائر بالخصوص، ثم إلى بركان وأحفير فيما بعد.

كثير من المهاجرين الذين أصبحوا عمالا في ضيعات المعمرين استقروا مباشرة في النواة السكنية المغربية التي أصبحت تتضخم وتزحف نحو الشمال. لذلك بادرت السلطات المحلية بترحيل السوق قرب الحي الأوربي وإنشاء مجموعة من المؤسسات العمومية في الحد الجنوبي للحي الأوربي، ومنعت كل بناء خاص به للزيادة من الميز المجالي بين السكن المغربي والمركز الأوربي. وتطور هذا الأخير في البداية نحو الشمال الشرقي، على طول طريق وجدة، ثم في مرحلة ثانية نحو الجنوب الشرقي بنسيج خفيف تتخلله كثير من المساحات الفارغة. وكان يضم هذا الحي معملا للنبيذ بني سنة 1929 وعشر محطات لتلفيف الفواكه قصد التصدير.

مع نمو المساحات المسقية (18.500 هكتار سنة 1957) وبعد بناء سد مشرع حمادي (1950 ـ 1956) أصبحت بركان مركزا فلاحيا ديناميا يشهد نمواً سريعاً في عدد سكانه. حيث انتقل عدد السكان من 3.600 سنة 1936 (من بينهم 1650 أوربي و200 يهودي) إلى 7545 سنة 1947. أما في الخمسينات فقد تضاعف العدد مرتين ونصفاً وانتقل إلى 20496 سنة 1960، رغم رحيل جزء من الفرنسيين الذين تقلص عددهم بين 1952 (1057 نسمة) و1959 (555 نسمة فقط) وعرف المركز أيضا توسعا في نشاطه الفلاحي، حيث أصبح سوق الثلاثاء أهم سوق فلاحي بالسهل، رغم إفلات تجارة المزروعات العصرية من قبضته. كما أن النشاط الإداري قد تدعّم بإصلاح 1959 الذي منح لبركان مقر دائرة تابعة لإقليم وجده، تضم القسم الأكبر من جبال بني إزناسن وكل سهل تريفة. مما يفسر أن 45٪ من سكان المدينة سنة 1971 ولدوا أساسا بتلك المناطق.

إلا أن التناقض الكبير الذي يلاحظ في تطور موارد المدينة الاقتصادية، هو قلة وتواضع المصانع بها خارج صناعة البناء، حيث إن 55٪ من الإنتاج الفلاحي المحلي يُصدر إلى الخارج (حوامض، نبيذ، بواكر) و10٪ فقط تحول محليا في معمل السكر بزايو أساساً ثم بمعامل النبيذ وتقطير العطر وسحق النيورا وتصبير الخضر ببركان أو بجوارها. أما محطات تلفيف الفواكه والخضر فإنها تعمل فصليا وتشغل قليلا من اليد العاملة القارة. أما معمل حلج القطن الذي بني سنة 1959 بعد إدخال زراعة القطن فقد أغلق أبوابه سنة 1968 وحول إلى مدرسة للتكوين المهني سنة 1978.

وتتوزع أهم المجالات الوظيفية على الشكل التالي. تتمركز الأنشطة الصناعية شرق حي مربوحة وعلى طول طريق وجدة، وتتمثل إجمالا في خمس عشرة مؤسسة للفلاحة والبناء ومطحنة للحبوب ومعمل للنبيد ومعمل لبطاريات السيارات ومحطة للتبريد ومؤسسة صغيرة لمواد البناء ومواد التلفيف وواحد وثلاثين محلاً لإصلاح وتجارة الآلات الفلاحية، والأنشطة الإدارية (البلدية، المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي، الدرك، الشرطة، الجمارك، القباضة) تنتشر أساساً غرب حي مربوحة. أما التجارة التي تعد ثاني قطاع بعد الفلاحة من حيث نسبة المشتغلين به فتشتمل على سوق أسبوعي قديم بغرب الحي الأوربي وسوق بين حي الغربي وحي الزوبية، وسوق مغطى بحي الأندلس ومجزرة جنوب الحي الغربي وأخرى غرب مركز المدينة، إضافة إلى التجارة المتنوعة التي استقرت بالخصوص غرب مركز المدينة، من بينها 43٪ من المتاجر لبيع المواد الغذائية و16٪ لتجارة اللباس. كما توجد بالمدينة ثمانية فروع أبناك. وأخيرا تتميز التجهيزات الاجتماعية والثقافية بتجمعها في الحي الأوربي القديم وبعدم مسايرة حجم المدينة لا من الناحية الكمية ولا من الناحية النوعية، إذ يشتمل القطاع التعليمي على إحدى عشرة مدرسة وخمس إعداديات وثانويتين ومركز للتكوين المهني. ويعرف القطاع الصحي نقصاً كبيراً في الامكانيات المادية والبشرية (مستشفى صغير واحد). أما أهم المنشآت الأخرى فتتمثل في نادي المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي ودار الشباب ودار الخيرية وثمانية مساجد وخمسة فنادق جد متواضعة تجمع كلها حوالي خمسة وثمانين سريراً.

بخصوص التشكيل الحضري، تغيرت كثيراً مدينة بركان بفعل النمو السكاني، وشهدت في العقدين الأخيرين حمى البناء الذي بوشر بشكل عشوائي على العموم، والذي يتسم حتى اليوم في كثير من الأحياء بالطابع الريفي. هذا، رغم تعاقب ثلاثة مشاريع لتهيئة المدينة، وضع أولها سنة 1949 والثاني سنة 1953 والثالث سنة 1973. غير أن التطور السّريع للسكن ابتداء من 1970 تحت ضغط طلب البناء من طرف العمال بالخارج والمضاربات الناتجة عنه وقوة الهجرة من الأرياف دفع الفئات الضعيفة إلى الاستقرار بالأحياء المنتشرة خصوصا في الجنوب والهوامش الأخرى. إضافة لذلك، عمل غياب القطع الأرضية المجهزة على تفاقم هذه الظاهرة، وما زالت حاليا 55٪ من العمليات العقارية بيد العمال بالخارج. وهناك عامل آخر يطرح مشكلا أمام التهيئة العمرانية المخططة، ويساعد على نمو المضاربة العقارية، وهو اختلال البنية العقارية الحضرية الذي يبرز ان 98,8٪ من الأراضي المبنية والمجهزة حاليا توجد بحوزة الخواص، وفي المقابل لا تملك الدولة والأوقاف على التوالي سوى 17 هـ و3,5 هـ.

كل هذه العوامل جعلت امتداد المدينة يظل سريعا ومتجاوزا بذلك كل التخطيطات العمرانية الثلاثة، كما جعلته يفرز بنية حضرية غير تامة، يطبعها التباين وانعدام الهيكلة في الوحدات الحضرية الأربع :

- مركز المدينة : حيث تتركز جل المصانع ومؤسسات الخدمات والتجارة، ويتكون من الحي الأوربي القديم في الشمال وما حوله مباشرة (حي مربوحة، جزء من حي مَرْسيوين وسلطان).
- الحي السكني المغربي الحديث الذي يتوفر على بعض الخدمات والتجهيزات التجارية (جزء من مرسيوين وحي الأندلس).
- الأحياء الشعبية الفقيرة (الكرَابَة انْبُويقْشار والكرابة الفواكّة وشمال المْحَال والمكتب وشمال سالم ومولاي الطيب وسيدي سليمان).
- المجالات الهامشية التي، بدون أن تكون أحياء للقصدير، تشكل أفقر الأحياء بُوهْديلة ولارْموُد والزوبية وتيوْدار وجنوب المْحال وشرق مولاي الطيب).

لقد بلغ عدد سكان أحفير وبركان سنة 1947 على التوالي 6.000 و7.545 نسمة. لكن ابتداء من هذا التاريخ أصبحت لمدينة بركان المكانة الأولى وسط سهل تريفة من حيث الحجم والأنشطة المرتبطة بالفلاحة ونسبة الأوربيين

المستقرين بها، وذلك، نظرا لموقع تكامل الرساتيق الوسط الذي تحتله المدينة بين قبائل الجبل والسهل، وملتقى الطرق والمسارات المحلية الذي تتميز به، وقربها من المناطق المسقية منذ الثلاثينات في وسط السهل.

وهكذا، بلغ عدد سكان بركان 20.496 ن سنة 1960 وعدد سكان أحفير 10.794 ن. وفي الوقت الذي عرف عدد سكان أحفير تطوراً جد بطيء بين 1960 و1970، وصلت نسبته السنوية إلى 1,25٪، عرفت بركان نسبة عالية تبلغ 5,65٪، وظلت نسبة النمو السنوي بها مرتفعة نسبياً 3,89٪ بين 1971 و1982. ولو أنه إذا قارنا هذه النسبة بنسب نمو المغرب الحضري 4,26٪ والمغرب الشرقي 5,45٪ الحضري أو قارناها بنسب نمو بعض المدن المتوسطة الموجودة مباشرة بعد بركان في ترتيب المدن المغربية، ومن بينها على الخصوص ثلاث مدن فلاحية (سيدي قاسم، سيدي سليمان و الفقيه بنصالح)، سيتضح أن بركان تعرف حاليا أضعف نمو ضمنها.

إن أسباب السرعة النسبية للتمدين في سهل تريفة لا ترجع إلى التصنيع المترتب عن ازدهار الفلاحة المسقية أو نمو أنشطة القطاع الثالث بموازاة مع النمو السكاني للمدن، بقدر ما ترجع أصلا إلى تفتيت البنيات الريفية التقليدية بسبب التحول الفلاحي التقني والاقتصادي الذي دفع بالهجرة المحلية إلى المدن، وبسبب التحول الديمغرافي والاجتماعي الذي يتمثل في سرعة النمو السكني وتحسين مستوى العيش. أصبحت بركان تستمد وجودها من المنطقة الموجودة داخلها لا لأنها تزودها بالمواد الأولية للصناعة والتجارة والخدمات المتخصصة، ولكن بصفة خاصة لتجميع المنتجات وتهيئتها للتصدير وإيواء الملاكين والمشتغلين بالفلاحة والمهاجرين من الأرياف، كما تجدر الإشارة إلى أن دور القيادة الإدارية والتقنية لعب الدور الحاسم في إعطاء مدينة أبركان المكانة الأولى في السهل حيث أمدت السلطات الاستعمارية المدينة بسلطة إدارية محلية على القبائل المجاورة التي كانت تخضع مباشرة إلى عامل وجدة قبل 1912، ثم أصبحت المدينة سنة 1959 مركزاً لدائرة تضم ست جماعات قروية والآن تضم أيضا ثلاث جماعات حضرية (بركان،، أحفير، السعيدية) التي تشكل شبكة حضرية فرعية تابعة لنظام وجدة الحضري، علاوة على اثني عشر مركزاً قروياً نشأوا بالمنطقة ابتداء من 1965 تبعاً لدراسة شاملة أقيمت سنة 1953 لتنظيم السهل الحضري ولتخفيف عبء الهجرة القروية على بركان. وأهم هذه المراكز حالياً زگزل 13.814 ن وأگليم 5.940 ن وعين الرگادة 2.374 ن.

على الصعيد الإقليمي الذي تنتمي إليه منطقة بركان، يتميز المغرب الشرقي بعزلة إزاء المغرب الأطلنتي وإزاء الإقليم الغربي للجزائر الذي كانت تربطه وإياه علاقات اقتصادية، وخصوصا ميناء الغزوات مع ميناء مليلية اللذين كانا يصدران غالبية المنتجات الفلاحية والمعدنية. غير أن الانسداد شبه التام لهذه الحدود منذ استقلال الجزائر، وارتباط النشاط الفلاحي والمعدني بالتصدير، ونظراً لضعف الصناعة، تمّ إنشاء ميناء الناضور ابتداء من 1978 (على بعد 80 كلم من بركان) ومركب حديدي ضخم بنفس المدينة، فعمل هذان العنصران بجانب عناصر صناعية أخرى حول مدينة وجدة (العيون، جرادة، بو بكر، وادي الحيمر) على رد الاعتبار إلى هذه المنطقة والتخفيف من اختلال هيكلتها والتقليل من عدم التوازن بينها والمغرب الأطلنتي. وأخذ إدماج المغرب الشرقي العالمي يمر بواسطة ميناء الناضور، المنفذ الوحيد إلى الخارج. أما الإدماج الوطني فلا يزال يمر عبر وجدة، القطب الجهوي بدون منازع، الذي تدعمت سلطاته الإدارية وخدماته المتخصصة. وهكذا أصبحت بركان حاليا مجرد محطة إدارية واقتصادية بين وجدة والناضور التي انتزعت منها المرتبة الثانية في صف مدن المغرب الشرقي من حيث عدد السكان منذ نهاية السبعينات، كما يتضح من خلال الجدول :

| | 1960 | | | 1971 | | | | 1982 | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | الصف الوطني | الصف الجهوي | عدد السكان | الصف الوطني | الصف الجهوي | نسبة النمو | عدد السكان | الصف الوطني | الصف الجهوي | نسبة النمو | عدد السكان |
| وجدة | 7 | 1 | 128.645 | 7 | 1 | ٪2.8 | 175.532 | 7 | 1 | ٪3.88 | 255.711 |
| الناضور | 28 | 4 | 17.583 | 23 | 3 | ٪5.4 | 32.490 | 15 | 2 | ٪3.68 | 62.040 |
| بركان | 23 | 2 | 20.496 | 21 | 2 | ٪5.65 | 39.015 | 21 | 3 | ٪3.89 | 60.254 |
| جرادة | 25 | 3 | 18.872 | 24 | 4 | ٪4.31 | 30.633 | 30 | 4 | ٪3.06 | 43.016 |

مصطفى عياد

**البَركاوي** (القايد ـ) الحسن بن محمد الأگلوي، ولي منصب القيادة على قبيلة أگلو كافة، أثناء قيام السلطان الحسن الأول بزيارته إلى سوس سنة 1882/1299.

*ظهير صادر بتاريخ 14 شعبان 1299 ؛ رسالة من ق. لحسن بن محمد الأگلوي إلى السلطان بتاريخ فاتح شعبان 1302.*

علي المحمدي

**البَركة**، مفهوم البَركة سابق للإسلام، عرفته شعوب الجزيرة العربية كما عرفته شعوب أخرى تحت أسماء مختلفة. والبركة كمفهوم مستمدة من الاعتقاد فيما هو مقدس في هذا الكون. فقبل الاسلام كان يُعتقد في وجود البركة في الأصنام والمعابد والأضرحة وحتى في الشجر ومنابع المياه. وكان سكان الجزيرة العربية وشمال افريقيا يعتقدون في وجود قوة سماوية خفية تحمل عند التصاقها بالمخلوقات الخير والنفع. وبحضور هذه القوة السماوية يكثر النسل ويصلح الزرع والضرع ويعم الخير، وقد تزيد البركة وقد تنقص وقد تهجر كائناً بالمرة إذا أصابته لعنة سماوية. وبمجيء الإسلام أصبحت البركة ملكاً واختصاصاً لله وحده، يهبها لمن شاء من خلقه. فالبركَة عند المسلمين هي تلك القوة الإلهية الخفية التي تحمل معها الخير والتي يمنحها الله لمن اصطفاه من عباده وقربه إليه، إما عن طريق الولاية وإما عن طريق الانتساب لرسوله محمد عليه السلام.

وإذا كان محمد عليه السلام هو أفضل الخلق وأقرب الناس إلى الله فإن بركته لا تعادلها بركة، وهي أقوى وأوفر من أية بركة منحها الله لأي من رسله وأنبيائه. وقد ورث أهل البيت النبوي الشريف هذه البركة، أو بعضاً منها. وفي المغرب كان الناس وما زالوا يعتقدون أنه حتى في صفوف الشرفاء تختلف قوة البركة من أسرة إلى أخرى أو من فرع إلى آخر. وهكذا يأتي الشرفاء الأدارسة في المقدمة حسب ويسترمارك E. A. Westermarck وهو ما يفسر في نظره الإجلال والتقديس الذي كان يحظى به شرفاء وزان حتى بداية هذا القرن. وسلاطين الأسرة العلوية يتوفرون هم كذلك على قسط كبير من البركة إلا أن السلطان يستمد بركته من مصدرين : من كونه شريفاً أولاً ومن كونه أمير المومنين. وكان الناس يعتقدون أن بركة السلطان ضرورية لخير البلاد والعباد وبدونها تفسد الغلل وتموت الدواب ويهلك الناس من الوباء ومن شتى أنواع الجوائح. ويذكر ويسترمارك أن حتى القبائل البعيدة الموجودة ضمن ما كان يسمى ببلاد "السيبة" كانت تعتقد أنه بدون بركة السلطان لن تحصل لها بركة لا في زرعها وفي في نسلها، فكانت تتجنب بقدر الإمكان كل عمل يمكن أن يجلب سخط السلطان عليها، ولم تكن القطيعة السياسية التي تحدث أحيانا بين المخزن والقبائل النائية تؤثر في تشبث سكان هذه القبائل ببركة السلطان. وخير ما يظهر ذلك ما أقدمت عليه قبائل زيان بعد أن هزمت جيوش المولى سليمان في سنة 1819 حيث سارعت إلى خيمة هذا الأخير لتتوزعها أشلاء ابتغاءً لبركته.

وإذا كانت البركة تنتقل عن طريق الوراثة فإنها تُكتسب كذلك عن طريق الصلاح كما هو الشأن بالنسبة للأولياء والمرابطين. والمرابط الذي يكتسب بركة قد يترك وراءه ذرية تتوارث بركته أو بعضاً منها. كما أن الجهاد لإعلاء كلمة الله قد يصبح مصدراً للبركة كما هو الحال بالنسبة للعديد من المجاهدين الذين كانت تقام لهم أضرحة ومزارات يقصدها الناس من أجل التبرك. وبالإضافة إلى هؤلاء يعتقد أن البركة توجد كذلك عند الأطفال،وخاصة المنكبين منهم على حفظ القرآن "المحضرة"، لذلك كان الناس وما زالوا يتشفعون بهم عند الأزمات كالجفاف، معتقدين أن دعاء الصبي القارئ لكتاب الله مستجاب عند الله أكثر من دعاء غيره. والآباء كذلك لهم بركتهم بالنسبة لأبنائهم، وهو ما يعبر عنه برضى الوالدين. كما يؤمن الناس ببركة المجاذيب أو حتى مجرد المجانين، ولذلك فإنهم يتجنبون إذايتهم مخافة أن يحصل لهم مكروه. وهذا الاعتقاد يدل على أن صاحب البركة قادر على جلب الخير ولكنه كذلك قادر على جلب الضرر عندما يفرض الموقف الانتقام من ظالم.

وليست البركة مقصورة على الأشخاص فقط. *فالقرآن* مثلاً له بركة كبيرة تُطلب عن طريق تلاوته أو بواسطة من يقوم بتلاوته من طلبة يحفظون كتاب الله. وسور *القرآن* نفسه ليست متساوية من حيث بركتها، بل إن بعض الآيات تُعتبر أعلى درجة من غيرها، ولذلك يتبرك بقراءتها في مناسبات متعددة. وهناك أرقام وأسماء تُنسب لها بركة خاصة، كما أن بعض الأماكن مثل الأضرحة والمزارات تعتبر ذات بركة خاصة بسبب ارتباطها ببعض الصلحاء المقبورين بها أو الذين مروا منها.

والبركة هي أساس تعظيم الأولياء وتقديسهم. فزيارة الأولياء وإقامة المواسم عند أضرحتهم يقصد منها أساساً الاقتباس من شعاع بركتهم والانتفاع بهم في الأمور الدينية والدنيوية.ويسود الاعتقاد بأن بركة الولي أو بعضاً منها يمكن أن تنتقل إلى الزائر عن طريق الملامسة إن كان حياً والتمسح بقبره إن كان ميتاً، لذلك كان الناس يحجون من أماكن بعيدة لزيارة أضرحة الصلحاء أو لقاء ذوي البركة من الأحياء. وكان لأتباع الطرق الصوفية اعتقاد كبير في بركة شيوخهم فيتقربون منهم ويقدمون لهم الهبات رغبة في بركتهم. ويمكن للمرء أن ينال بركة الولي أو الشريف عن طريق التعلق والمصاحبة والتفاني في الخدمة. فالفاسيون أصحاب زاوية القلقليين بفاس مثلاً يعزون بركتهم إلى سيدي عبدالرحمان المجذوب (ت. 1568) الذي خدمه وتتلمذ عليه جدهم أبو المحاسن يوسف الفاسي. وقد تحصل بركة ولي من الأولياء بمجرد السلام عليه أو مس ثيابه أو الأكل من طعامه.

ويمكن اعتبار البركة مظهراً من مظاهر الولاية إذا نظرنا إليها كقوة تسمح لصاحبها بخرق العادة والإتيان بما قد يُعتبر نوعاً من الكرامات. إن الذي يمتلك بركة غالباً ما يأتي بخوارق تشهد له بتلك القوة الإلهية التي اكتسبها عن طريق الوراثة أو المجاهدة. وكُتب المناقب ما هي في الواقع إلا تسجيل لكرامات الشرفاء أو الأولياء الذين استطاعوا بفضل البركة التي أودعها الله فيهم اختراق الزمن وطي المسافات والإخبار بالمغيبات والتوسل عند الله لقضاء الحاجات. إن امتلاك البركة يسمح لصاحبها بالتوسط بين العبد وخالقه، بل وحتى بين العبد وأخيه. وهنا يكمن دور الشرفاء والمرابطين كوسطاء في حل النزاعات الاجتماعية. فالمرابط أو الشريف المقيم وسط قبيلة نائية لا تمسها الأحكام المخزنية كان محل إجلال واحترام يقصده السكان في أمورهم الدينية أو الدنيوية. وغالباً ماكانت القبائل تتوجه إلى آل البيت الشريف لتطلب منهم الإقامة بين ظهرانيها اعتقاداً منها بأن وجود هؤلاء يضمن لهم البركة في مالهم ونسلهم ويوفر لهم حَكَماً منزهاً يحتكمون إليه لحل مشاكلهم. لذلك فإن البركة لم تكن فقط معتقداً دينياً بل وكذلك دعامة أساسية لحفظ التوازن الاجتماعي.

J. Chelhod, *Les Structures du sacré chez les Arabes*, pp. 59-62 ; R. Jamous, *Honneur et Baraka*, pp. 202-210 ; E. A. Westermarck, *Ritual and Belief in Morocco*, Reprint, Vol. I, pp. 35-141.

محمد المنصور

**البَركة. -** مصطلح سياسي ومالي - كما ترد كلمة البَركة في كتب المناقب والتصوف ترد في كتب التاريخ كمصطلح سياسي ومالي، وإن كانت أصول المصطلح الذي كثر استعماله في العهد الموحدي ترجع إلى العامل الديني، فالمهدي ابن تومرت أسس دعوته وثورته على تركيب من المذاهب الإسلامية، وتشبّه بالرسول وقلّده في أفعاله ونسبه، ولذلك اعتبر عمله عملا مقدساً ومعصوماً. فكانت الحركة الموحدية في بدايتها تعتمد على بركته (الدينية)، ولما تحولت الثورة إلى دولة ورث عبدالمومن وأبناؤه فيما ورثوه عن الزعيم والإمام المعصوم بركته إلا أنها اتخذت في عهدهم بعداً آخر فلم تعد تعنى صدقة كما كانت من قبل، واستعملت بهذا المعنى بعدهم (*القرطاس*، 149)، بل أصبحت تعني عطاء للجيش أي رزقا أو راتباً أحياناً اتخذت صبغة منتظمة وأحياناً كانت البركة تخرج إلى الجند في مناسبات معينة (*المن بالإمامة*، 299 - 347) إلى جانب أنواع أخرى من العطاءات، كالمواساة والعلوفات والصدقة والحنان والإنعام والإحسان، وهذا النوع من العطاءات غالباً ما كان يتم أثناء سفر الخليفة أو في مناسبة من المناسبات الصعبة كالاستعداد للحرب أو للغزاة. وقد انفرد نوع من الجند بعطاء خاص سمّاه صاحب *المعجب* بالجامكية، وهو عكس البركة، إذ خص به يعقوب المنصور الموحدي الغز (الأتراك) وخلق ضجة بين الموحدين، إذ اعتبر امتيازاً استثنائياً، لأن جامكيتهم يتوصلون بها كل شهر بينما جامكية الموحدين لا يتوصلون بها إلا ثلاث مرات في السنة في كل أربعة أشهر مرة (*المعجب*، 414).

بتتبعنا للبركة - كعطاء - وتطور مقاديره وتتبع مناسباته والمستفيدين منه نستطيع التعرف على حالة بيت المال الموحدي، ومن خلاله على حالة المغرب الاقتصادية في العهد الموحدي. على أن أزهى هذه الفترات التي قيل فيها للزمن أنت خير زمان حسب تعبير مؤرخ معاصر لها هو ابن صاحب الصلاة (*المن بالإمامة*، 353)، والتي نتخذها كنموذج ملخصة في جدول، هي مدة الخليفة أبي يعقوب يوسف :

| البركة | المناسبة | المستفيد |
|---|---|---|
| 20 ديناراً | عودة ابن الخليفة أبي حفص من الأندلس منتصراً | لكل فارس |
| 20 ديناراً | " | لكل فارس من سائر عسكر العرب |
| 100 دينار | " | لكل واحد من أعيان الموحدين وأشياخهم. |
| 10 دنانير | الاستعداد لغزاة الأندلس الأولى. | لكل جندي من سائر الأجناد عرباً وبربراً وموحدين. |
| ألف ألف دينار | أثناء غزو إفريقية | ما أنفق كبركة على جميع الجنود المشاركين في الغزوة. |

على أن البركة بمعنى الصدقة قد وردت في كثير من المصادر وحتى عند ابن صاحب الصلاة نفسه، فقد ذكرها في صفحة موالية لحديثه عن البركة، إذ قال بمناسبة شفاء الخليفة يوسف :«تصدق أمير المومنين على الضعفاء والوافدين الغرباء بثلاثين ديناراً للواحد...».

ولنقترب أكثر من مصطلح البركة الذي ابتدعه الموحدون نسوق الوصف التالي لطريقة توزيع البركة من طرف الخليفة يوسف بشهادة معاصره ابن صاحب الصلاة :«...حدثني الكاتب بن عبدالله محسن كاتب ديوان التمييز لجميع العساكر المنفذ بتسجيله البركات للموحدين وسائر الناس من الأجناد المرتزقين قال : دخلت على سيدنا أمير المومنين... فقلت له... وقفت على هذا التمييز ووجدت فيه زيادة كثيرة عمّا تقدم فقال لي :تنفذ لهم البركة على ذلك إنما غرضنا الإحسان لأجنادنا وأن تظهر عليهم الخيرات والبركات...».

فكلمة البركات هنا غير البركة التي نتحدث عنها، ويضيف ابن صاحب الصلاة : وأحضر الخزانون الأموال بين يديه من الدنانير والدراهم... وعلت أكداساً، وجنسها من الذهب والفضة أجناساً، وقدم الموحدين في تنفيذ البركة لهم...» فهذا الازدهار الذي جسمته لنا البركة وغيرها ليس صدقة كما يدعي الكثير من الباحثين بل إنه ناتج عن خصوصية الدولة الموحدية التي عرف المغرب في عهدها ثورة اقتصادية إلى جانب الثورات الأخرى.

البيدق، *أخبار المهدي* ؛ ع. ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*.

محمد حجاج الطويل

**البرِكة. -** نخاسة - حسب *لسان العرب* البِركة هي الحوضُ لإقامة الماء فيها أي مستنقع الماء، والعرب يسمون كذلك الصهاريج التي سويت بالآجر وطرجت. ويقال أيضاً البركة الصدر أو ما ولي الأرض من جلد صدر البعير إذا بَرَكَ. وحسب Dozy فإنه انطلاقاً من هذا المعنى يطلق اسم البركة على سوق البهائم.

وتطلق البِركة في كتب الحوليات على سوق النخاسة التي يباع فيها العبيد ببعض المدن المغربية كمراكش وفاس والرباط وسلا. ففي فاس التي كانت تحتل الصدارة في تجارة الرقيق بعد مراكش، كان بيع العبيد بالمزاد العلني يتم في سوق الغزل بين صلاة العصر وغروب الشمس. وهذا السوق الذي هو عبارة عن ساحة محاطة بحوانيت، له تسميات أخرى مرتبطة بالبضاعات المعروضة فيه. ففي أول الصباح تباع فيه الصوف ومن هنا تسميته بسوق الغزل. ثم بعد ذلك أي في الثامنة أو التاسعة، حسب الفصول، تُباع فيه الحبوب ويدعى بين السواري. أما البركة فتطلق عليه إبان بيع العبيد. وكانت بركة العدوتين الرباط وسلا في باب القنانط أمام باب قصبة الأوداية.

وحسب Le Tourneau فإن بركة فاس فقدت من حيوتها في نهاية القرن التاسع عشر، وهذا أمر محقق إذا ما تصفحنا كنانيش المكوس المخزنية التي تؤكد بوضوح ركود

هذه التجارة في المدينة آنذاك حيث إنه لم تعد تباع بالمزاد العلني إلا أقلية من العبيد دون قيمة تذكر في الوقت التي تباع فيه الجواري الحسان في منازل السماسرة. وفي سنة 1905 تم منع البيع العلني للرقيق من طرف المخزن في السوق الآنفة الذكر.

ونعت سوق النخاسة بالبركة موجود في عدة مدن بإفريقيا الشمالية. ولا يعرف بدقة كيف تم ذلك وهل له علاقة أم لا بتسمية سوق البهائم رغم أن العبيد تباع برحبة البهائم في عدة أماكن وخصوصاً في الأسواق القروية. وحسب Marçais ربما أطلقت البركة في البداية على سوق للعبيد في مدينة مّا من مدن شمال إفريقيا يوجد قرب بركة ماء، ثم بعد ذلك عُمِّمت التسمية على أسواق النخاسة.

ياقوت، *معجم البلدان*. الجزء الأول ؛ ابن منظور، *لسان العرب* ؛ د. دي طريس، *تاريخ الشرفاء*، تر. محمد حجي ومحمد الاخضر.

R. Le Tourneau, *Fès avant le protectorat* ; L. Bruno, *Textes arabes de Rabat*, t. II *Glossaire*. IHEM, Geuthner ; R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*. T.I ; Kazimirski, *Dictionnaire*, T.I.

محمد الناجي

**بَرِكّة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وهذه الأسرة لا علاقة لها بأسرة بركة التي أصلها من قبيلة بني عروس والتي توجد أيضا بتطوان. وتوجد بتطوان زنقة تحمل اسم طلعة سيدي بركة، كما كان السوق الفوقي الحالي يعرف بسوق سيدي بركة. وفي ساحة هذا السوق يوجد مسجد سيدي بركة، ولذلك يعرف أيضا بجامع السوق الفوقي، وسبب تسميته الأولى هو أن سيدي علي بركة كان إماما وخطيبا ومدرسا به فيما بين سنة 1660/1070 وسنة 1708/1120.

وأثناء الاحتلال الإسباني لمدينة تطوان (سنة 1860/1276. 1862/1278) حوّل الإسبان هذا المسجد إلى مستشفى. ومن هذا المسجد خرجت يوم 22 شعبان 21/1351 ديسمبر 1932 أكبر مظاهرة وطنية نظمها الوطنيون بالشمال احتجاجا على حل المجالس البلدية المنتخبة انتخابا حراً برآسة الأستاذ عبدالخالق الطريس وقد أعفي المقيم العام لوبيث فيرّير Lopez Ferrer من منصبه على إثر هذه المظاهرة.

وممن اشتهر بالعلم من آل بركة الأندلسيين بتطوان وإن لم تعرف لهم ترجمة مفصلة أحمد بن محمد بركة الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1677/1088 إلى سنة 1681/1092، والعالم أحمد بركة الذي كان على قيد الحياة سنة 1761/1174، والفقيه محمد بن عبدالسلام بركة الذي توفي سنة 1738/1150. والفقيه محمد بن العربي بركة الذي كان حيا سنة 1762/1175. والفقيه عبدالسلام بن علي بركة الذي كان حيا سنة 1769/1138، والفقيه عبدالغفور بن أحمد بركة الذي كان حيا سنة 1788/1202، وابنه الفقيه أحمد بن عبدالغفور بركة.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 22، 4 : 94 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 283، 347، 362، 377، 2 : 314، 335، 351، 375 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332، 3 : 327، 7 : 257 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*؛ *يوميات زعيم الوحدة*، 316 ـ 318.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بَركة** (أهل ـ) بمنطقة واد نون. تكشف وثائق هذه العائلة عن الاتساع الكبير لأراضيها التي تشمل ما يكاد يغطي نصف مساحة مدينة گلميم الحالية علاوة على بعض الحقول المسقية والنخيل بأسرير مقر نول لمطة العاصمة التاريخية القديمة. وما دام الأمر كذلك، فإن المتقصي لأخبار هذه العائلة يكتشف أنه إزاء موضوع يدور حوله فصل هام من تاريخ گلميم. فبخصوص القصبة القديمة جدا من هذه المدينة، يقول أهلها المنتمون إلى قبيلة أيت موسى أُعلي إن أهل بَركة من أكبر العائلات التي تناقل أفرادها عصبية متماسكة منذ زمن طويل محتكرين جزءاً هاماً من تجارة المحور الرابط بين المدينة وتنبكتُ. ولكي لا نقف عند حد الاستنباط، كشفت إحدى الدراسات الميدانية عن تصنيفات فعلية تفصل بين هذه العائلة وأهل عبيدالله أُسالم الذي هو والد بيروك شيخ گلميم وتاجرها الأشهر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. والمشكلة الأساسية هنا ليست في ورود عائلة عبيدالله أُسالم على گلميم في وقت لاحق لظهور قبيلة أيت موسى أُعلي في إطار اتحادية تكنة، بل هي في سبب تجاهل الوثائق الأوربية لعائلة هامة بحجم أهل بركة. والجواب هنا هو أنه إذا كان معظم الدارسين يلاحظون أن الوثائق الأوربية قد اقتصرت على ذكر بيروك وأبنائه من قبيلة أيت موسى أُعلي، فذلك لأن بيروك كان المفاوض الوحيد من أجل ميناء تجاري على الشاطئ المحلي. وعلى الرغم من أن ظاهر هذا الكلام يشير إلى تسيّد بيروك على تجارة سوق گلميم، فإن حجم أهل بركة وأهميتهم التجارية تقوم على ضرورة اجتماعية يفرضها غياب قرابة عائلية مع المولى عبدالرحمان العلوي كما كان الشأن بالنسبة لبيروك. لقد استغل والد هذا الأخير الخلاف القائم بين السلطان المولى سليمان والأمير المولى عبدالرحمن ابن خالته للتغلب على احماد إهيري شيخ أيت موسى أُعلي وحليف بوحلايس. فكان تسيد عائلة بيروك وليد ظروف الصراع السياسي القائم. ولعل أهل بركة قد أدركوا هذه الحقيقة فلم يزجوا بأنفسهم في الخوض في القضايا الجانبية وإنما التجأوا إلى مفهوم السلطة ككل، باعتبارها حدثا له أسبابه ونتائجه، اقتصروا على الميدان التجاري والفلاحي بمقتضى طبيعتها التجارية، وما تزال هذه العائلة تحتفظ بما يكفي من السجلات والوثائق لإعادة النظر في كل ما هو سائد ومعياري حول تاريخ وادي نون. وغني عن البيان القول بأننا نقترب هنا من ضرورة الوقوف المطول والمتأني على محتوى هذه السجلات حتى تدلي بقولتها كاملة غير ناقصة. ولنحرص هنا فقط على ربط هذه العائلة كما يفيد رجالاتها الحاليون ببركة قائد المنصور الذهبي على الجيش

الكبير المتوجه سنة 1581/989 إلى توات وتگورارين. هذا القائد الذي أثبت وجوده محمد الصغير الإفراني (*نزهة*، 154)، يعد السبب في انتقال أولاده وإخوته إلى مدينتي سلا والرباط حيث عرفوا الاستقرار النهائي (*نزهة*، 88. 289). ففي مفتتح جمادى الأولى عام 1602.10.17/1011 كتب المنصور الذهبي قبل وفاته بقليل رسالة يؤكد فيها نزوع القائد بركة نحو الاغتناء السريع على حساب وظيفته المخزنية. وهي إشارة قد تعين على فهم الاتجاه الذي أثقل فكر هذا القائد إلى درجة قرر معها الانسحاب من خضم الحياة السياسية والعسكرية والتفرغ للتجارة مع تنبكتُ في وقت لم يصل بعد أجدادُ بيروك إلى گلميم. لا شك أن الترابط بين ماضي أهل بركة وحاضرهم يصلح أن يكون معياراً يتحرى به الباحثون طريق الصواب فيما يصلون إليه من إشارات.

M. Esseghir El Oufrani, *Nozhet El Hâdi : histoire de la dynastie Saadienne au Maroc (1511-1670)*, trad. de O. Houdas, Paris, E. Leroux, 1889.

مصطفى ناعمي

**بَركة، علي** (سيدي ـ) بن محمد بن محمد، من علماء تطوان وأدبائها وشيوخها وصلحائها. الغالب أن أصله من الأندلس، وقد يكون أصل تسميته من البركة بمعنى التبرك والتماس الخير، إذ اشتهر ـ كأبيه ـ بالعلم والأدب، وبالصلاح والعبادة والورع، حيث يصفه ابن زاكور الفاسي بالعلامة الفقيه الفاضل الوجيه المظفر، شمس الأدب وبدره. كما وصفه بالعلم والصلاح تليمذاه القادري في *نشر المثاني* ومحمد بن الطيب العلمي في *الأنيس المطرب*، وابن عجيبة في *أزهار البستان*.

باب زاوية الشيخ العلامة الصالح سيدى الحاج على بركه ... وشيخها وهى واقعة جنب المسجد الكبير الجامع بالسوق الفوقى من ... من هذه المدينة. وقد دفن بها ايضا بعض العلماء والقضاة والاعيان ... ادخلت عليها اصلاحات. وبنيت لها صومعة جيدة عالية. وصارت كالمساجد العامة تقام فيها الصلوات الخمس والجمعه ويقرا فيها القران صباحا و... يقرا فيها كتاب دلائل الخيرات كل ليلة. وتقام فيها الحفلات الدينية ... والامداح النبوية وتوزع فيها الصدقات فى المواسم والليالى الفاضلة ... عين جارية دفاقة لوضوء المصلين. ويظهر فى الصورة ايضا ... ماؤها عذبا سلسبيلا وكان وما زال ينتفع منه خلق كثير. انظر ...

درس سيدي علي بركة في فاس على عدة علماء كبار كعبدالقادر الفاسي، والحسن اليوسي، ومحمد بن عبدالقادر الفاسي، وأبي سالم العياشي الذي أجازه. ومن شيوخه كذلك القاضي العربي بردلة، والشيخ حمدون المزوار، والشيخ أحمد بن الحاج، ولربما درس على علماء مشارقة لأن له مراسلات مع بعضهم، يطلب رأيهم في بعض الأمور العارضة، كما أنه قام بالحج إلى الديار المقدسة.

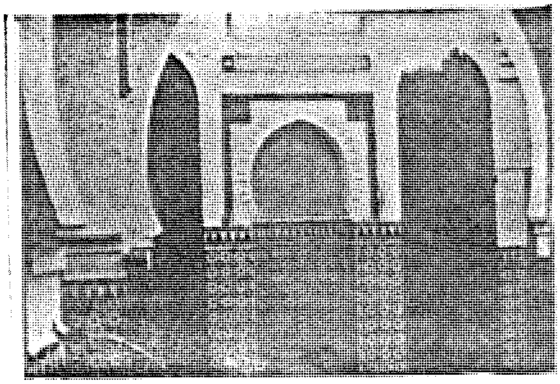

محراب زاوية الشيخ على بركة الاندلسى التطوانى وقد كتب فوقه بسم الله الرحمن الرحيم. حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين

وبعد رجوعه من فاس إلى تطوان اشتغل بتدريس العلم، وبالإمامة والوعظ بمسجد سيدي بركة، وهو مسجد السوق الفوقي حالياً. ومما لا شك فيه أنه كان يتمتع بشعبية ووزن سياسي في منطقة الشمال على الأقل، بدليل أن السلطان مولاي إسماعيل استعمله في قضية أولاد النقسيس. إذ أرسله إلى أحمد النقسيس ورجاله الذين كانوا ملتجئين في سبتة، وقد يكون علي بركة هو الذي توسط لدى السلطان مولاي إسماعيل في العفو عن أولاد النقسيس كما يذكر المستعرب الإسباني سرديره، وأن

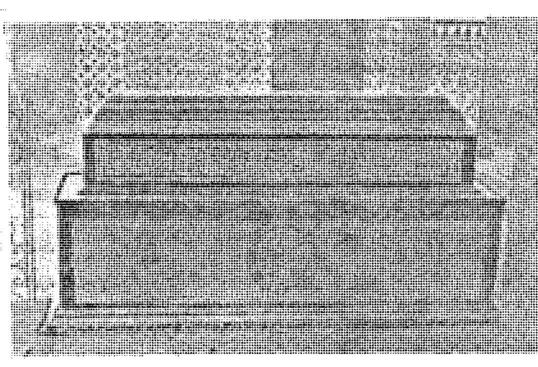

مزارة الشيخ ابى الحسن على بن محمد بركة. وتقع فى شارع ... الفوقى عن يسار الذاهب الى باب المقابر، وهى شبيهة ببعض مزارات فاس ... عوام تطوان، كانوا لا يجارون عوام فاس فى كثرة التمسح بالمزارات ... العطفات والاغارات ..

السلطان استغل سمعته ومكانته ليأتي بهم من سبتة. كما أن صيته العلمي تعدى حدود تطوان حتى إن عدداً من علماء فاس جاءوا للتتلمذ عليه في تطوان في وقت كان فيه شيوخه الفاسيون ما زالوا على قيد الحياة. فمثلا محمد ابن قاسم بن زاكور الفاسي شارح *ديوان الحماسة* و*لامية*

*العرب*، و*قلائد العقيان والخزرجية* ومؤلف *نشر أزهار البستان* تتلمذ عليه ونال منه الإجازة سنة 1683/1094 في حين كان الشيخ أحمد بن الحاج، ومحمد بن عبدالقادر الفاسي ما زالا بقيد الحياة في فاس.

يعدّ علي بركة في مقدمة من أدخل الطريقة الناصرية إلى تطوان بعد أن أخذها عن الشيخ مَحمد بن ناصر نفسه، ويظهر أن نشاطه الفكري عرف أوجه في أواخر القرن الحادي عشر الهجري بينما انزوى علي نفسه في الربع الأول من القرن الثاني عشر، وقد يكون هذا راجعا للصدمة التي أصابته بعد حادثة أولاد النقسيس حيث اعتكف في أواخر حياته منقطعاً للعبادة.

وقد خلف السيد علي بركة عدة آثار أدبية ودينية وعلمية. فمن آثاره الأدبية أشعار قليلة غالبا هي كل ما تبقى من «*قصائد طوال* حلّى بها من فرائد المحاسن كل معطاِل» حسب قول تلميذه ابن زاكور. و*أراجيز دينية* من دعوات وتوسلات أشهرها أرجوزة مطلعها :

يـاربنـا يـا خالق العبـاد  حُلْ بيننا وبين ذا الفسـاد

ويرجح أن تكون هذه الأرجوزة قد نظمت سنة 1098 بعد حادثة إلقاء القبض على أحمد النقسيس ورجاله وقتلهم، وكذلك *قصيدة دعاء وتوسل* نظمها في فترة الوباء الذي نزل بتطوان سنة 1088، مطلعها :

ياربنـا يـا كاشف البلـواء  يـا رافع الغمـاء واللأواء

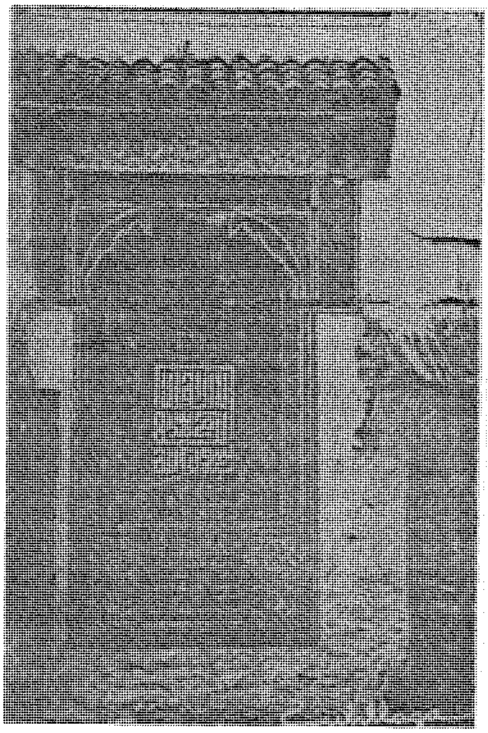

ضريح الشيخ علي بركة داخل زاويته التي في السوق الفوقي بتطوان وقد نقش عليه في الخشب الحديد ما نصه : «الحمد لله هذا ضريح عالم تطوان العابد الناسك الزاهد الولي، الصالح البركة ابي الحسن سيدي الحاج علي بن محمد بركة الاندلسي التطواني، توفي رحمه الله بتطوان ودفن هنا في تاسع وعشري شوال سنة الف ومائة وعشرين رضي الله عنه

*وقصائد في الجهاد*، وأخرى في *مدح الأولياء* كعبد السلام بن مشيش، كما ترك أراجيز في النحو كأرجوزة *مسوغات الابتداء بالنكرة*. وكذلك *رسائل إلى مشايخه* حول مسائل دينية أشهرها رسالة إلى محمد بن عبدالسلام ابن الطيب القادري. كما خلف عدة تآليف منها *حواش وشروح* متعددة، و*كتاب كبير في الفقه* جله أحاديث، و*تأليف صغير في مناسك الحج* في خمس عشرة صفحة، وكتاب *الدرر والخطب* فيما يخاطب به الإنسان من الإسلام والإحسان في مائة وخمسين صفحة . فرغ من تأليفه سنة 1120هـ. وإلى جانب تآليفه، هناك تآليف تتحدث عنه، كتأليف للعالم عبدالسلام بن الطيب القادري، المتوفى سنة 1110 هـ اسمه *التماس البركة في أجوبة العالم الخير سيدي الحاج علي بركة*.

توفي علي بركة عام 1708/1120 ودفن في زاويته بالسوق الفوقي بتطوان.

م. ابن زاكور، *نشر أزهار البستان* ؛ م. داوود، *تاريخ تطوان*، ج: 1.

ثريا برادة

**البَركة، مَحمد** الأسفي، من أبرز وجوه الحركة النقابية بالمغرب. ولد سنة 1915 بمدينة أسفي، وعمل في ميدان الصيد البحري، وتعاطى مبكراً النشاط النقابي.

تزعم في الخميسنات رفقة زميله السيد إبراهيم الحلاوي الحركة النقابية للصيد البحري في المغرب التي قامت بإضرابات ناجحة على الصعيد الوطني، واعتقل عدة مرات بسبب نشاطه السياسي والنقابي، وبعد تأسيس الاتحاد المغربي للشغل انتخب كاتباً عاماً لجامعة الصيد البحري.

وفي أواخر السبعينات اعتزل النشاط النقابي وتعاطى العمل الاجتماعي في محاولة منه لمساعدة العمال المتقاعدين رغم إمكانياته المحدودة.

توفي بأسفي سنة 1409 / 1988.

*معلومات شخصية، ورواية شفوية.*

عبد الرحيم العطاوي

**بَركة** (ابن ـ)، أسرة رباطية أصلها من قبيلة الزيايدة بالشاوية، ينتمون إلى سيدي عمرو القدميري صاحب الضريح الشهير هناك. لذلك كانوا يدعون "القدميرين" تبل أن تغلب عليهم كنية جدهم الخامس الملقب بركة، وضريحه

كذلك يُزار في الزيايدة. وأول قادم منهم إلى الرباط هو محمد بن بركة القدميري في تاريخ غير محدد من النصف الثاني للقرن الثالث عشر (19 م) وعرف من حفدته بالرباط :

**بَركَة** (ابن ـــ)، أحمد بن محمد، صوفي ناسك، صحب الشيخ فتح الله بناني وعمل مع الزمرة الوطنية الأولى في تأسيس المدارس العربية الحرة بالرباط، كان إماماً يقرأ الحزب في زاوية سيدي قاسم ببوقرون، ويعتمر لذلك دكاناً حبيساً مجاوراً للزاوية، يتجر فيه تجارة متواضعة إلى أن أدركته الوفاة عام 1378 / 1953.

*معلومات شخصية ورواية شفوية.*

محمد الأمين بلگناوي

**بَركَة** (ابن ـ)، المهدي بن أحمد. ولد سنة 1920، بحي سيدي بنعيسى في الرباط، نال شهادة الباكلوريا الأولى بميزة حسن جدا، سنة 1938، وشهادة البكالوريا الثانية (شعبة الرياضيات) في يونيه 1939 بنفس الميزة، وظل أستاذ الرياضيات Marti في ثانوية گورو يشيد بنبوغه أمام تلاميذ هذه الثانوية إلى غاية سنة 1950، مؤكداً أنه لم ير نظيراً له. ثم التحق بجامعة الجزائر وتخرج منها مُجازاً في الرياضيات سنة 1942.

وبعد عودته من الجزائر عين أستاذاً للرياضيات في ثانوية گورو (ثانوية الحسن الثاني حالياً)، وفي المدرسة المولوية حيث كان من بين أساتذة سمو الأمير ولي العهد آنذاك مولاي الحسن. وعُني بتعريب مادة الرياضيات وتدريسها في المعاهد الحرة، منذ سنة 1943. وكانت تجربته الأولى في هذا المجال، في المدرسة الغازية بالرباط.

لقد كان المهدي بن بركة من بين صفوة رجالات المغرب الذين وقعوا على عريضة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944. وعرف هو أيضاً السجن، مثل باقي زملائه. وبعد إطلاق سراحه، قرر التفرغ للنشاط السياسي والصحافي، ضمن المسؤولين الرئيسيين عن حزب الاستقلال.

وبحكم بعد نظره، وما عرفه العالم في أعقاب نهاية الحرب الكونية الثانية (1939 ـ 1945)، وما كان قد التزم به الحلفاء وعلى رأسهم فرنكلان روزفلت، إزاء الشعوب التي ناضلت بجانب الحلفاء وتحملت نصيبها من التضحيات لدحر المحور وإلحاق الهزيمة بالنازية والفاشية، وإدراكاً للتحولات العميقة التي أضحى العالم مقبلا عليها، بعد الاعتراف باستقلال الهند وباكستان في غشت 1947، من طرف حكومة حزب العمال، بقيادة كليمان أتلي Attlée. بادر المهدي بن بركة بإعداد تقرير مهم عن حقوق الإنسان ووضعية الحريات العامة في المغرب وقدمه في أكتوبر 1948، للجمعية العامة للأمم المتحدة، عند انعقاد دورتها بقصر شايو في باريز.

كانت له الشجاعة للصدع أمام الإقامة العامة بأن "المغرب لا يحالف من ينكر حقه في الحرية والاستقلال" واتهم من طرف المقيم الفرنسي الجنرال ألفونس جوان بكونه صاحب التقارير، التي كانت تنتقد انتقادا صريحاً ومعمقاً مختلف جوانب السياسة الفرنسية في المغرب، والتي كانت تلقى أمام المقيم عند انعقاد دورة مجلس شورى الحكومة، وبالخصوص في خريف 1950، لذا كان يعد أخطر خصم للوجود الفرنسي، بل كان يلقبه الجنرال جوان "بمدمر نظام الحماية".

وفي بداية سنة 1951، وفي أعقاب المؤامرات الأولى التي دبرت من طرف الجنرال الفرنسي جوان ضد المغفور له جلالة محمد الخامس طيب الله ثراه، في النصف الثاني من فبراير (26 ـ 2 ـ 1951)، قرر ممثل فرنسا إلقاء القبض على المهدي بن بركة فصدر أمر بنفيه أولا إلى ميدلت ثم قصر السوق فبوذنيب فتالسنت، وأخيراً ألحق بمن نفوا بعده في أغبالو نكردوس بالصحراء.

وبعد ثلاث سنوات وسبعة أشهر ونصف أطلق سراحه، في بداية أكتوبر 1954، بعد اقتناع فرنسا بفشل السياسة التي طبقت من طرف الجنرال گيوم، بمساندة مطلقة لجورج بيدو وزير الخارجية، وتعيين مقيم جديد دبلوماسي التكوين، فرانسيس لاكوست، والتخلي تدريجياً عن سياسة التهديد والعنف التي انتهجتها فرنسا ضد المغرب، ما بين 1947 وصيف 1954.

إن المهدي بن بركة، بفضل ما حباه الله من ذكاء ولباقة وسعة صدر وتواضع العلماء، كان شديد الاتصال بمنظمات الشباب، المنضوية تحت لواء حزبه، وكان يترأس اجتماعاتها الأسبوعية لإيمانه العميق بدور الشباب في بناء مغرب الغد.

وكانت المناقشات بين المشاركين في تلك اللقاءات المنتظمة تتسم بالصراحة والجدية. ولم يكن دور أعضاء الجمعيات المذكورة يقتصر على الاستماع للعروض التي كان يلقيها هذا المسؤول أو ذاك من مسؤولي المنظمات المشار إليها، أو على تنفيذ التعليمات التي تعطى لأعضائها من طرف قيادة الحزب، بل كان هناك حوار جاد ومسؤول، وكان الجميع يشعر بأن القائد هو بدوره لا يشمئز من الاستنارة بآراء شباب الحزب ويتجنب أي شكل من أشكال القمع الفكري أو الغرور.

وسيتأكد هذا السلوك، من خلال الاحتكاك به، عندما كان رئيساً للمجلس الوطني الاستشاري، ما بين خريف 1956 وربيع 1959.

فرغم كون أغلبية هذه المؤسسة، كانت تنتمي إلى أقوى حزب سياسي آنذاك، أي حزب الاستقلال، فلم يسبق للمهدي بن بركة أن كان متشدداً مع الأقلية أو حرمانها من حقها في التعقيب، أو الانتقاد، أو تقديم اقتراحات مضادة، بل كان يصغي باهتمام بالغ، إلى تدخلات جميع الأعضاء، حتى ولو كانت تبتعد عن موضوع المناقشة.

وفي تلك الحقبة، وبالضبط، في نهاية سنة 1957، قبيل سفر جلالة الملك المغفور له محمد الخامس إلى الولايات المتحدة، للقيام بأول زيارة رسمية لها، أتيحت لي الفرصة لمشاهدته يكتب بيده نص الملتمس، الذي عرض على المجلس الوطني الاستشاري فيما بعد، والذي أعلن فيه المغرب آنذاك أن سياسته الخارجية تستند إلى عدم التبعية.

وفي نفس التاريخ، كنت بجانبه أمام حديقة المجلس الوطني، وهو يؤكد بحزم ويقين لـ A. Gazier، وزير المعادن والطاقة، في حكومة G. Mollet، الأمين العام للفرع الفرنسي للأممية العمالية، بأن الجزائر قادرة على مواصلة كفاحها ضد فرنسا خمس سنوات أخرى، وبأن السياسة التي تنهجها الحكومة، برئاسة G. Mollet، لن تؤتي ثمارها، بل ستزيد في تعميق شقة الخلاف بين فرنسا وجبهة التحرير الجزائرية، وبالتالي، ستتضرر منها لا محالة علاقات المغرب بفرنسا ؛ كان المهدي بن بركة يقوم بذلك التحليل والمسؤول الفرنسي يصغي إليه باهتمام بالغ.

وفي أكتوبر 1958، استدعي المهدي بن بركة من طرف الكونغريس الأمريكي، للقيام بزيارة للولايات المتحدة وللاتصال بقادة الحزبين الجمهوري والديمقراطي وبالمسؤولين في وزارة الشؤون الخارجية. وعند مغادرته المغرب توقف أربعاً وعشرين ساعة في باريز، قبل استئناف سفره إلى نيويورك، فأقام موريس كوف دومرڤيل Maurice Couve de Murville مأدبة عشاء تكريماً له، بصفته رئيساً للمجلس الوطني الاستشاري وأحد الزعماء السياسيين المرموقين في المغرب. وكوف دو مرڤيل، الذي ظل وزيراً للخارجية لمدة عشر سنوات، في عهد مؤسس الجمهورية الخامسة، الجنرال دوگول، والوزير الأول لمدة أحد عشر شهراً، كان من بين القلائل الذين يكن لهم دوگول احتراماً وتقديراً كبيرين (De Murville, André Malraux, F. Mauriac).

فخلال ذلك اللقاء بين المهدي بن بركة وكوف دو مرڤيل، تمت دراسة المعضلة الجزائرية دراسة معمقة وأُعجب المسؤول الفرنسي بتحليل المهدي بن بركة وببعد نظره وبالمقترحات التي كان من شأنها أن تبعد خطر تدويل القضية الجزائرية، فالتمس منه أن يؤجل سفره بيوم، حتى تتاح له الفرصة للاجتماع بالرئيس الفرنسي شارل دوگول.

وبالفعل، فقد استقبل الزعيم المغربي، من طرف الجنرال دوگول، يوم 17 أكتوبر 1958، واستمرت المقابلة لمدة خمس وأربعين دقيقة، تحدث فيها المهدي بن بركة عن مستقبل العلاقات الفرنسية مع أقطار المغرب العربي، وعن الفشل المحقق لسياسة تتنكر لمطامح الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال، منوهاً منبهاً دوگول، في نفس الوقت، بأن مخطط قسطنطينة، ولو كان من شأنه أن يسهم إسهاماً فعلياً في تصنيع الجزائر، ويعد بالتالي عملا جباراً وإيجابياً للغاية تقدم عليه فرنسا، لن يكون البديل الكفيل بإبعاد الشعب الجزائري عن قادة ثورته. وألح المهدي على ضرورة الشروع فوراً في التفاوض مع ممثلي الشعب الجزائري الحقيقيين، تجنباً لتفاقم الأوضاع مستقبلا، في منطقة شمال أفريقيا.

فبعد ذلك العرض الذي لم يكن ليفاجأ به دوگول بفضل ما كان يصله من أخبار حول ذكاء القائد المغربي، ودوره في الأربعينيات وبداية الخمسينيات في المغرب، عقب الرئيس الفرنسي على تحليل المهدي بن بركة قائلا :"كم كان بودي أن يكون للثورة الجزائرية قائد في مستواكم، قائد سياسي يدافع عن مثل هذه النظرة الشمولية للمعضلة الجزائرية، عن آفاق التعاون بين فرنسا وأقطار المغرب العربي. فكما تعلمون، يضيف دوگول، إنه من العسير علي ولم تمر على عودتي إلى ممارسة الحكم إلا بضعة أشهر، أن أقنع الفرنسيين بالتفاوض مع من يسمونهم بالسفاحين ! لقد كان بودي أن يختار فرحات عباس أو غيره السبيل الذي سلكتموه أنتم، ولو كان اقتصر على الكفاح السياسي، وبدون أن يقطع علاقاته مع قادة جبهة التحرير الجزائرية، لسهُل الاتصال به ولكن...".

المهدي بن بركة ودوره على الصعيد الدولي : لقد كان المهدي بن بركة مقتنعاً بأن الحركة التقدمية في المغرب مطالبة بأن يكون لها بُعدٌ أوربي وبعد عربي وبعد إفريقي، وبأن تلك الأبعاد هي الكفيلة بتمكينها من إحباط مخططات من يسعون لتصفيتها.

وهكذا وطد علاقات الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مع الحركات الاشتراكية في فرنسا وإيطاليا ويوغسلافيا، وألمانيا الاتحادية والنامسا وحزب العمال البريطاني، مدركاً أهمية هذا التعاون بين حزب يريد إدخال اصلاحات عميقة على نظام بلاده الاقتصادي والاجتماعي، ومسترشداً بتجربة من سبقونا في هذا المضمار، سواء كانوا في الحكم

أو في المعارضة ـ ومعظم الأحزاب كانت آنذاك في المعارضة ذلك أن الحكم كان بين يدي الحزب المسيحي الديمقراطي في كل ألمانيا الاتحادية وإيطاليا. ولم تتح الفرصة للاشتراكيين الديمقراطيين، بالنسبة للدولة الأولى، لممارسة الحكم، إلا بعد اختفاء المهدي بن بركة ببضع سنوات، أي في نهاية الستينات.

فمن خلال اتصالاته ومناقشاته المعمقة مع كبار أقطاب الفكر الاشتراكي من إيطاليين وألمانيين ويوغسلافيين وبريطانيين، أصبح يعي مضمون البديل الذي كان يطمح في أن يطبق في المغرب لتحقيق الاقلاع الاقتصادي.

ولم يقتصر هذا الاهتمام على الأحزاب الاشتراكية والتقدمية الأوربية ذلك أن المهدي بن بركة كان يدرك بأن من مصلحة الحركة التقدمية المغربية أيضاً أن تكون لها علاقات منتظمة مع الأحزاب الاشتراكية التي تمارس الحكم في إفريقيا الغربية بالخصوص، وهكذا كان يستجمع المعلومات حول تجربة غينيا وغانا ومالي، محاولا توطيد العلاقات مع قوامي نكرومة، زعيم غانا ورئيسها خلال الحقبة الفاصلة ما بين 1957 ويناير 1966. فالرئيس الغاني كان هو أيضاً من كبار الزعماء الأفارقة الذين كانوا يعون خطورة الاستمرار في بلقنة إفريقيا بعد استقلالها مطالبا بميلاد الولايات المتحدة لإفريقيا، ذلك إنه بالابقاء على الفرقة وتكريس التقسيم الاستعماري، لن تستطيع الأقطار الافريقية منعزلة مواجهة مخططات الاستعمار الجديد.

فالمهدي بن بركة كان يرى في ذلك القائد الافريقي مفكراً كبيراً وأحد الزعماء الذين كانوا يومنون بالفعل بالاشتراكية كأسلوب لتلك الأوضاع الاقتصادية في إفريقيا وبأن ما تم تحقيقه في عهده بالنسبة لغانا بالرغم من الانحراف الذي عرفه النظام السياسي الغاني في أوسط الستينات نتيجة التآمر عليه من طرف الأقطار المجاورة بإيعاز وتشجيع من الاستعمار الجديد، يؤكد أن التغيير العميق للبنيات ممكن إذا كانت هناك إرادة صلبة وخطة واضحة من أجل تطبيق الاصلاحات الاشتراكية التي يتضمنها المخطط، وإذا كان القائد يعتمد على حزب قوي محكم التنظيم، وعلى أطر واعية تجمع بين الكفاءة والاخلاص والتفاني لمصلحة الجماهير، وعلى أطر نظيفة تنبذ كل شكل من أشكال الانتهازية والوصولية.

وكان المهدي، علاوة على البعدين السابق ذكرهما، يعتقد أن من الضروري كذلك أن يكون للحركة التقدمية المغربية بعد عربي، وهكذا بدأ يهتم بما يجري في المشرق العربي وبالخصوص ما يعرفه الثالوث المصري ـ السوري ـ العراقي، من تطورات منذ نهاية الاربعينات. فخلافا لما كان يقال، لا يمكن أن نقارن التجربة المصرية في عهد الراحل جمال عبد الناصر، بتجربة أقطار أمريكا الجنوبية، ومن خلال قراءته لكتاب Jean et Simonne Lacouture, *L'Egypte en mouvement*. ومن خلال التطور الكبير الذي عرفته مصر بعد جلاء القوات البريطانية عنها سنة 1954 وتاميم الشركة الدولية لاستغلال قناة السويس في 23.7.1956، وما أعقب ذلك القرار من عدوان ثلاثي على مصر، ومن تدابير شجاعة مضادة تلخصت في تاميم عشرات الشركات الأجنبية : بلجيكية وبريطانية وفرنسية، وتوسيع القطاع العمومي والاعتماد عليه بالأساس، من أجل النهوض الاقتصادي والاجتماعي لمصر، ومن خلال توثيق عرى التعاون أخيرا بين أقطاب مجموعة عدم الانحياز، وبالخصوص بين جمال عبد الناصر وبروز تيتو وجواهر لال نهرو، زاد المهدي بن بركة اقتناعاً بأن تجربة مصر قد تصبح رائدة في الوطن العربي إذا ما استطاع جمال عبد الناصر بناء الاداة، أي تأسيس حزب جماهيري يومن بالاشتراكية بدلا من الاعتماد على القوات المسلحة بالحصر، وذلك للحفاظ على مكتسبات الثورة المصرية.

ففي نهاية سنة 1963 وبعد القطيعة التي عرفتها العلاقات المصرية ـ السورية بعد فشل الوحدة بين مصر وسوريا التي لم تعمر أكثر من ثلاث سنوات 1958 ـ 1961 حاول المهدي بن بركة ربط الاتصال بين الرئيس جمال عبد الناصر وقيادة حزب البعث الاشتراكي في سوريا لوضع حد لتلك القطيعة التي لم تستفد منها شعوب المنطقة، والتي جعلت إسرائيل تجني ثمار الشقاق بين دولتين رئيسيتين من دول المواجهة، متصلا بقادة القطرين الشقيقين وباذلا قصارى جهده لتدليل الصعاب من أجل تدشين صفحة جديدة في علاقات البلدين.

لقد كان المهدي بن بركة مثالا للزعيم الشعبي المتواضع، للقائد الذي يتكيف مع جميع المجموعات التي يتحاور معها، باذلا ما أوتي من دهاء سياسي وغزارة علم وإخلاص وتفان في خدمتها لكسب عطفها ودعمها، وبإذكاء الوعي في صفوفها.

إن المهدي بن بركة كان قائداً فذاً، يشتغل ست عشرة ساعة في اليوم بدون ادعاء أو منّ، سعادته كانت في سعادة حزبه، في إحكام تنظيمه وفي تطهيره من الوصوليين والانتهازيين، في تحقيق جلاء القوات الأجنبية عن بلاده، في استكمال وحدة بلاده الترابية، في تدعيم استقلالها الاقتصادي والفكري عن طريق التحرر من أشكال التبعية التي فرضت على المغرب فرضا، سعادته كانت في بناء المغرب العربي واستفادة جميع شعوب الشمال الافريقي من الخيرات التي تكتنزها أراضيه، وتشييد مجموعة قادرة على التفاوض مع شركائها، في أوربا وغيرها، على التفاوض وهي في موقع القوة، لأن المسؤولين عنها جديون في إعداد ملفات أقطارها، مخلصون في الدفاع عن مصالحها، قادرون على اتخاذ تدابير مضادة لصيانتها.

وقبيل اختطافه بأقل من سنة انتخب في السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية ـ الاسيوية كمسؤول عن التنسيق بين صندوق التضامن الافريقي ـ الاسيوي لدعم حركات التحرر الافريقية والسكرتارية الدائمة لمنظمة التضامن.

وبعد صدور الحكم عليه مرتين بالاعدام غيابيا التحقت عائلته بالقاهرة بدعوة من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

وفي أبريل 1965 انتخب المهدي بن بركة رئيساً للجنة التحضيرية لمنظمة القارات الثلاث التي كانت تتألف من ثمانية عشر قطراً من بينها الصين والاتحاد السوفياتي والهند وأندونيسيا ومصر وكوبا وغانا...

اختطف المهدي بن بركة في العاصمة الفرنسية زوال يوم الجمعة 29 أكتوبر 1965 ومثلث جماعة من المشاركين في جريمة الاختطاف أمام محكمة الجنايات في باريز في خريف 1966 وربيع 1967، وصدرت أحكام بالسجن في حق البعض منهم. وبعد فوز اليسار الاشتراكي في الانتخابات الرئاسية والتشريعية، في بداية الثمانينات، طالب ابنه البشير بإعادة فتح ملف أبيه بعد اقتناع الجميع باختفائه بصفة نهائية فلم يُستجب لهذا الطلب.

مما كتبه المهدي بن بركة :

- *مسؤولياتنا*، الرباط، 1957.

- *نحو بناء مجتمع جديد*، الرباط 1958.

- *Appel à la vigilance du peuple, Al Istiqlal*, n° 10, 1 Juin 1956.

- *Le Véritable visage de l'armée de libération, Al Istiqlal*, n° 12, 15 Juin 1956.

- *Le Rôle du parti politique dans la nation, Al Istiqlal*, n° 38, 21 Déc. 1956.

- *Vous pouvez regarder avec confiance la situation politique au Maroc, Al Istiqlal*, n° 49, 16 Fév. 1957.

- *La Commune rurale : la commune, cellule de base dans la démocratie, Al Istiqlal*, n° 48, 2 mars 1957.

- *Interview, Al Istiqlal*, n° 56, 27 avr. 1957.

- *Le Sahara est une chance commune pour la France et le Maroc, Al Istiqlal*, n° 58, 11 mai 1957.

- *La Solution réside en nous, Al Istiqlal*, n° 58, 11 mai 1957.

- *L'Indépendance n'est pas un butin qu'on se partage mais la responsabilité commune pour l'aboutissement de la tâche, Al Istiqlal*, n° 61, 1 Juin 1957.

- *Le Paysan marocain fera sa propre révolution, Al Istiqlal*, n° 74, 5 oct. 1957.

- *M. Guédira que faites-vous encore au gouvernement ?, Al Istiqlal*, n° 95, 12 oct. 1957.

- *Le Sud marocain, Al Istiqlal*, n° 76, 19 oct. 1957.

- *Gage du succès : la confiance des patriotes dans les destinées du pays, Al Istiqlal*, n° 79, 9 Nov. 1957.

- *Notre démocratie nous la trions de notre histoire et de notre pratique constitutionnelle, Al Istiqlal*, n° 80, 16 Nov. 1957. Préface à l'ouvrage de Mr. M. Lahbabi : *"Le Gouvernement marocain à l'aube du 20ème siècle"*.

- *La Politique des faux semblants ou les formes extérieures de la démocratie, Al Istiqlal*, n° 86, 28 Déc. 1957.

- *Les Problèmes du Maroc d'aujourd'hui, Libération*, n° 238, 2 - 8Nov. 1979. Article repris de *"Revue de la Politique Internationale"*, n° 206, 1 Jan. 1958.

- *La Crise ministérielle : ses causes, ses conséquences, Al Istiqlal*, n° 91, 1 Fév. 1958.

- *L'Instruction au Maroc, Confluent*, n° 20, mars 1958.

- *Rapport politique, Al Istiqlal*, n° 96, 8 mars 1958.

- *Faisons face aux réalités, Al Istiqlal*, n° 106, 18 mai 1958.

- *Le Maghreb arabe : terre de paix et de coopération, Perspectives sahariennes*, n° 5, oct 1958.

- *Problèmes d'édification du Maroc : quatre entretiens recueillis par Raymond Jean*, Paris, 1959.

- *Entretien avec le journal le Monde diplomatique, Le Monde diplomatique*, n° 100, Août 1962.

- *Les Conditions d'une véritable réforme agraire au Maroc* - in *Réforme agraire au Maghreb*, Paris, 1963.

- *Option révolutionnaire au Maroc*, (suivi de) *écrits politiques, 1960 - 1965*, av. - prop. de Béchir ben Driss, Paris, 1966 - (Cahiers libres, 84 - 85).

- *Les Exigences des mouvements de libération africains* - in *La Pensée politique arabe contemporaine* d'Anouar Abdel Malek, Paris, 1970. Extrait du Rapport de l'U.N.F.P. lu à la 2ème Conférence des Peuples Africains, Tunis, Janvier 1960.

- *Rôle d'une véritable commune rurale : base d'une vie démocratique et de développement économique, Libération*, n° 72, 29 oct. - 4 Nov. 1976.


ع. جبرو، *المهدي بن بركة : ثلاثون سنة من العطاء الفكري والنضال الثوري من أجل بناء مجتمع جديد*، الدار البيضاء، 1976؛ *المهدي بن بركة : الرياضيات مدرسة للوطنية*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. بناني، شهادة : *المهدي بن بركة فلسطينياً*، الاتحاد الاشتراكي، ع 2279، 1 نونبر 1989.

N. Attia, *Jo Attia*, Paris, 1974 ; A. Ben Barka, *El Mehdi Ben Barka, mon frère*, Paris, 1966 ; F. Caviglioli, *Ben Barka chez les juges*, Paris, 1967 ; Comité pour la vérité sur l'affaire Ben Barka, *L'Affaire Ben Barka*, Paris, 1966 - (*Cahier du Témoignage Chrétien* ; n° 45) ; *Enseignement et lacunes du premier procès*, Paris, 1967 - (*Cahier du Témoignage Chrétien* ; n° 46) ; *La Mort de Mehdi Ben Barka : un dossier à rouvrir*, Paris, 1973 - (*Cahier du Témoignage Chrétien* ; n° 54) ; *El Mehdi (Ben Barka)*, *Libération* (Casablanca), n° spécial, n° 61, 4 - 10 Nov. 1965 ; D. Guerin, *Ben Barka, ses assassins : seize ans d'enquête* - Nlle ed. remaniée mise à jour - Paris, 1982 ; *Il y a 12 ans : Mehdi Ben Barka, Libération*, n° 139, 28 oct. 1977 ; R. Muratet, *On a tué Ben Barka*, Paris, 1967 ; D. Sarne, *L'Affaire Ben Barka*, Paris, 1966 ; L. Souchon, *Accusé, taisez-vous*, Paris, 1970 ; A. Tislenkoff, *J'accuse Lemarchand*, Paris, 1966 ; U.N.F.P., *Communiqué du secrétariat général de l'U.N.F.P. du 4 novembre : nous dénonçons toute manœuvre destinée à dissimuler la vérité ou à fausser la piste* - *Libération*, n° 61, 4 - 10 Nov. 1965. Repris dans l'*A.A.N*, IV, 1965 ; *Une lecture du discours politique de Mehdi Ben Barka*, signé (Khalid Alioua) - *Libération*, n° 238, 2 - 8 Nov. 1979.


عبد الرحمان القادري

**البركي** (مُولَى ـ) عبد الرحمان، من صلحاء قبيلة عبدة بضاحية أسفي، تتلمذ على يد الولي الصالح علي السائح الزيدي العبدي، ويذكره الفقيه محمد الكانوني في القسم المخطوط من *جواهر الكمال* بقوله "... الزعيم أبو زيد المدعو مولى البركي، وهو من أهل أوائل العاشر، وضريحه مشهور...".


م. الكانوني، *جواهر الكمال*، مخطوط.


عبد الرحيم العطاوي

**البرلمان**، اسم جماعي للجمعيتين اللتين تمارسان السلطة التشريعية في الأقطار البسيطة، التي تطبق ثنائية التمثيل كمعظم الأقطار الأوروبية، مثلا، أو الدول الفدرالية، في هذه القارة أو في غيرها، أو الجمعية التي تمارس نفس

السلطة في الأقطار التي تطبق أحادية التشريع، أي تقتصر المؤسسة البرلمانية فيها على مجلس واحد كما هو الشأن بالنسبة لعدد كثير جداً من الأقطار النامية.

ولقد كانت أنجلترا الدولة الأولى التي نشأ فيها النظام البرلماني، هذا النظام الذي انبثق من المجالس التي كانت تحيط بالملك في الأصل، والتي كانت بدورها منبثقة من التجربة الإقطاعية (واجب التعاون وإسداء النصح إلى الإقطاعي من طرف أتباعه).

ففي القرن الثاني عشر الميلادي كان المجلس الكبير يتألف من الأساقفة والبارونات الرئيسين (النبلاء). ولم يكن للمجلس المذكور إلا دور استشاري باستثناء المجال المالي الذي كان يملك فيه سلطة ستتجلّى أهميتها فيما بعد وبالخصوص في القرن السابع عشر، ذلك أنه منذ القرن الثاني عشر كانت جباية المعونات الاستثنائية تتطلب موافقته، أي جباية الضرائب الأخرى غير التي كان يدين بها كل واحد من الأتباع لسيده.

ثم أكد العهد الأعظم (Magna Carta) المؤرخ بسنة 1215 هذا الاختصاص الأساسي، وذلك بالاعتراف بمبدأ موافقة الأتباع على الضريبة. وتعتبر هذه السلطات المالية الأصل في جميع سلطات البرلمان، ومن ثم بمثابة القاعدة التي تستند إليها الملكية المقيدة.

وفي القرن الثالث عشر الميلادي، أُدخل تغيير على تشكيل المجلس الكبير، ذلك أنه بجانب البارونات والأساقفة، ظهر الأشراف الذين كانوا يمثلون الطبقة الوسطى في المدن. وكان هذا التشكيل الموسع للبرلمان السمة التي تميز بها البرلمان المثالي، الذي أمر الملك إدوار الأول بعقد دورة له سنة 1295، والذي اعتبر من طرف الأنجليز كخطوة حاسمة نحو تحويل النظام السياسي البريطاني إلى نظام برلماني.

لكن رجال الدين في أنجلترا، آثروا بعد ذلك تكوين جمعية خاصة بهم بينما كوّن العنصران الآخران مجلسين : مجلساً أرستقراطياً وهو مجلس اللوردات، ومجلساً منتخباً وهو مجلس العموم، الذي كان يتألف من نواب المدن والأقاليم.

وفي القرن الثامن عشر، ومنذ بدايته، ستصبح أنجلترا ملكية مقيدة، أي سيكون الحكم فيها مقيداً بوجود برلمان يصوت على القوانين، وسيستمر هذا التطور التاريخي في القرنين التاسع عشر والعشرين، اللذين عرفا مجموعة من الإصلاحات العميقة في مجال التقسيم الإداري ومحاربة التزوير في الانتخابات وتصفية القصبات المتعفنة (القرى المهجورة) وتعميم حق التصويت. هذه الاصلاحات التي يعود الفضل في إنجاز الكثير منها إلى الوزير الأول المحافظ دسرايلي، كل ذلك من أجل جعل مجلس العموم المنتخب بالاقتراع العام السري والمباشر مجلسا لا يطعن أحد في طابعه التمثيلي، مجلساً يمارس اختصاصات مهمة ذات طابع تشريفي ومالي ودبلوماسي وتأسيسي،كما يراقب الحكومة التي تعد مسئولة أمامه لا غير، حتى ولو كان هذا المجلس الشعبي قلّما يُجبر الحكومة على تقديم استقالتها بحكم ما تَنْعَمُ به أنجلترا - وكادت تنفرد بهذه الخاصية - نقصد بذلك، بفضل الثنائية الحزبية التي تحصِّنها ضد عدم الاستقرار الذي تشكو منه كثير من الأقطار البرلمانية الأخرى.

هذا ويمكن اعتبار النظام البرلماني القاسم المشترك لجميع أقطار أوروبا التي لم تبتكر شيئاً بالنسبة لنظمها السياسية بل اكتفت بتقليد أنجلترا، التي تعد، بدون منازع، مهد هذا النظام الذي عم فيما بعدُ أقطاراً أخرى في آسيا، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بالخصوص، كالهند واليابان.

غير أن فرنسا، بعد اقتناع الطبقة السياسية فيها بفشل التجربتين البرلمانيتين ما بين 1875 و1958، قد ابتعدت عن النظام البرلماني الأصيل منذ 4.10.1958 (دستور الجمهورية الخامسة) وأصبحت، بحكم الاختصاصات الواسعة التي يمارسها رئيس الدولة في الظروف الاعتيادية أو عند تطبيق الفصل 16، الخاص بالسلطات الاستثنائية، تتبنى نظاماً سياسياً يندرج ضمن الأنظمة المختلطة (أنظمة شبه رئاسية، شبه برلمانية) بل يمكن أن نجزم بالنسبة للنظام الفرنسي، بعد المراجعة الدستورية لخريف 1962، والخاصة بانتخاب رئيس الجمهورية بالاقتراع العام، ومن خلال ممارسة المؤسسة الرئاسية لاختصاصاتها في عهد رؤسائها الأربعة، طيلة العقود الثلاثة الأخيرة أن الطابع الرئاسي يطغى عليه.

أما بالنسبة للولايات المتحدة، التي يختلف نظامها السياسي عن نظام أنجلترا وباقي أقطار أوروبا، حيث إنها أقرّت النظام الرئاسي، الذي يرتكز على مسؤولية كتاب الدولة (الوزراء) أمام الرئيس لا أمام الكونغريس (البرلمان) الأمريكي، المتألف من مجلسين : مجلس النواب ومجلس الشيوخ. فإن البرلمان، في هذه الدولة الفدرالية، هو الذي يمارس بصفة مطلقة، السلطة التشريعية. ذلك أن الولايات المتحدة تجعل ما يسمى بمجال القانون، أي اقتسام هذه السلطة بين البرلمان والحكومة كما هو الشأن في فرنسا وفي الأقطار الإفريقية التي اقتبست دساتيرها من هذه الدولة، كما لا يرخص القانون الأساسي الأمريكي بتفويض التشريع للرئيس ولو لفترة موقتة كما هو الشأن في فرنسا وفي الأقطار الإفريقية التي يرخص دستور كل واحد منها للبرلمان بتفويض قسم من سلطته التشريعية للحكومة لفترة موقتة. فالكونغريس الأمريكي هو صاحب الحل والعقد في التشريع وفي المجال المالي، كما يمارس سلطات متحددة أخرى في المجال الدبلوماسي والتأسيسي، بل كاد يعد أهم مركز للقرار في البلاد، لا يسمح مطلقاً لرئيس الدولة بأن يتدخل في اختصاصاته أو أن يحاول تجاهله فيما يخص السياسة الخارجية للولايات المتحدة أيضاً. وهذا الالتزام بالتقيد بأحكام دستور 1787 الأمريكي يكون تحت مراقبة المحكمة العليا التي تحرص كل الحرص على احترام القانون الأساسي للدولة من طرف الرئيس والكونغريس على السواء.

بينما لم تعط تجربة أقطار العالم العربي فيما يخص تطبيق النظام البرلماني ثمارها، فلقد كانت هناك محاولات في كل من تونس ومصر وإيران، منذ أواسط القرن الماضي، لكن الاستعمار الغربي أجهضها. ولم تصمد كذلك التجارب الحديثة التي عرفتها مصر وغيرها منذ العشرينيات من هذا القرن، أمام الانقلابات العسكرية التي ظلت تعاني منها، منذ أواخر الأربعينيات، في سورية ومصر والعراق والسودان الخ.

**وينبغي الإشارة إلى المحاولات التي عرفتها بلادنا في هذا المجال، في بداية القرن العشرين، حيث كانت جماعة من رواد الحركة الدستورية ترغب في اقتباس القواعد التي يستند إليها النظام البرلماني، وهي تعد مشاريع دستورية إصلاحية قدمت نماذج منها إلى الملك عبد العزيز في سنة 1906 وأخرى إلى خلفه الملك عبد الحفيظ، حتى ولو كان المؤرخون أو الباحثون لم يُعيروا الاهتمام إلا لمشروع الدستور، المؤرخ في 11 . 10 . 1908، ذلك المشروع الذي أقبره الفرنسيون بمجرد فرض سيطرتهم على المغرب، منذ أوائل القرن في المغرب الشرقي بعد التوقيع على اتفاقيتي الحدود لسنتي 1901 و1902 واحتلالهم لوجدة وإرغامهم الملك عبد الحفيظ على التوقيع على معاهدة الحماية في 30 . 3 . 1912.**

**ولقد عرف المغرب منذ أواسط الخمسينيات، أي منذ أن استعاد السيادة، التي كان الاستعمار الفرنسي قد أفرغها من محتواها لمدة خمسين سنة، عدة تجارب فيما يخص المؤسسة البرلمانية.**

**وفي هذا الصدد نسجل التجربة الرائدة، التي استأثرت باهتمام الباحثين ما بين خريف 1956 وربيع 1959، والخاصة بالمجلس الوطني الاستشاري.**

**ذلك المجلس الذي كان يتركب من ستة وسبعين عضواً، ويضم نخبة من ذوي الرأي في الأمة - سياسيين ونقابيين وعلماء وحقوقيين وأطباء وتجار ومزارعين ومثقفين - لم يكن يقتصر دوره على الاستشارة، بل بفضل كفاءة معظم أعضائه وماضيهم المشرف، كان ذا تأثير قوي على تطور الحياة السياسية في البلاد وعلى اختياراتها الأساسية في** المجالات الاقتصادية والاجتماعية وعلاقاتها بالخارج.

لقد كان المجلس يوخذ نظره في ميزانية الدولة العامة وفي الميزانيات الإضافية كما يُستشار في جميع القضايا التي يقتضي نظر جلالة الملك عرضها عليه، وبالأخص منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مبدياً رأيه بواسطة اقتراعات علنية وبالأغلبية المطلقة (الفصلان 2 و13 من الظهير الشريف الصادر بتاريخ 3 أغسطس 1956).

وكان المجلس الوطني الاستشاري يعقد دورتين في السنة في الربيع وفي الخريف، مع إمكانية جمع المجلس المذكور في دورات غير عادية، ولا تتم جلساته إلا بحضور ثلثي الأعضاء.

أضف إلى ذلك أن المجلس كان كباقي برلمانات العالم - ينتخب مكتبه الذي لم يكن عدد أعضائه يتجاوز الثمانية (رئيس، نائبان للرئيس، أمينان، ثلاثة مساعدين) وتنبثق عنه أربع لجان: لجنة المالية، لجنة الاقتصاد، لجنة الشؤون الاجتماعية، لجنة الشؤون السياسية والشؤون العامة.

ولإبراز الأهمية التي كان يوليها المشرِّع لتلك المؤسسة ينص الفصلان 14 و15 للظهير المشار إليه أعلاه على أنه (الفصل 14) يتعين على الوزراء حضور جلسات المجلس الوطني الاستشاري:

1 - إذا تبين لجلالتنا أن حضورهم ضروري.

2 - وأثناء الجلسات التي تناقش فيها المسائل، التي تهم إحدى الوزارات (الفصل 15) يمكن لكل عضو من أعضاء المجلس الوطني الاستشاري في أثناء انعقاد الدورة أن يوجه أسئلة إلى وزير حول المسائل التي هي من اختصاص وزارته، وتكون هذه الأسئلة موجهة مباشرة وشفويا في أثناء المناقشات، وفي غير هذه الحالة تكون مكتوبة وموجهة إلى الوزير الذي يهمه الأمر بواسطة رئيس المجلس وذلك حسب المسطرة التي يحددها قانون المجلس الداخلي.

وعلى الوزير المعني بالأمر أن يجيب كتابة عن الأسئلة المكتوبة الموجهة إليه وذلك في ظرف أسبوع.

ونسجل أخيراً بأن أعضاء المجلس الوطني الاستشاري كانوا يتمتعون بالحصانة شأنهم في ذلك شأن أعضاء البرلمان في الأقطار الديمقراطية. وكان رفعها عنهم يقتضي لزوما موافقة جلالة الملك، وذلك طبقاً للفصل 19 من نفس الظهير.

لكن المؤسسة البرلمانية في بلادنا عرفت تغييراً عميقاً من حيث الشكل والجوهر، منذ المصادقة على الدساتير الثلاثة: دستور 14 . 12 . 1962، ودستور 30 . 7 . 1970 وأخيراً دستور 10 . 3 . 1972. ذلك أن البرلمان أصبح جهازاً منتخباً منذ ثمان وعشرين سنة ولم يبق أعضاؤه معينين، كما أن القوانين الأساسية الثلاثة، المشار إليها أعلاه، تتطرق للطريقة التي يتم بها انتخابه وللسلطات التي يمارسها.

ففيما يخص تشكيل مجلس النواب الحالي (ذلك أن المغرب قد تخلى عن ثنائية التمثيل: مجلس النواب ومجلس المستشارين، تلك الثنائية التي توقف العمل بها منذ يونيه 1965)، نلاحظ أن ثلثي أعضائه (204) ينتخبون بصفة مباشرة، بناء على الاقتراع الأُحادي الاسمي، ذي دورة واحدة، والثلث الباقي (102) من لدن هيئة ناخبة تتألف من أعضاء المجالس الحضرية والقروية (60 عضواً) ومن لدن هيآت ناخبة تتألف من المنتخبين بالغرف المهنية (32 عضواً) وممثلي المأجورين (10 أعضاء).

وتستغرق ولاية مجلس النواب ست سنوات، وفي حالة وفاة أحد أعضاء المجلس أو استقالته أو في حالة إلغاء انتخاب أحد أعضائه من طرف الغرفة الدستورية، تنظم انتخابات جزئية لتعيين خلف للمعني لكن يبقى المقعد شاغراً في أجل أقصاه ستة أشهر.

ولمجلس النواب مكتب منتخب يشرف على مداولاته

ويحدَّد عن طريق نظام داخلي تنظيم وتسيير المصالح التابعة له، تحت مراقبة الغرفة الدستورية. كما يضم مجلس النواب ستة فرقاء برلمانيين وهي :

فريق الاتحاد الدستوري
وفريق التجمع الوطني للأحرار
وفريق الحركة الشعبية
وفريق حزب الاستقلال
وفريق الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية
وفريق الحزب الوطني الديمقراطي،

وهناك حزبان لا يستجيبان للشروط الخاصة بتكوين فريق برلماني وهما : حزب التقدم والاشتراكية، الممثل من طرف عضوين في المجلس المذكور. ومنظمة العمل الديمقراطي الشعبي، الممثلة من طرف نائب واحد.

وإذا كان المجلس يوزع نشاطاته بين اثنتي عشرة لجنة منبثقة من صفوفه فإن الغرفة الدستورية ظلت ما بين 1978 و1985 متمسكة بموقفها الرافض لإحداث لجان للتحقيق ولجان للمراقبة من طرف البرلمان المغربي، عكس ما يشاهد في جميع الأقطار الأخرى البرلمانية والرآسية، مصنعة كانت أم نامية.

هذا ويعقد مجلس النواب دورتين عاديتين في السنة، تبتدئ الأولى في الجمعة الثانية من شهر أكتوبر ويترأس جلستها الافتتاحية جلالة الملك، والثانية في الجمعة الثانية من شهر أبريل.

وتستغرق كل واحدة منهما شهرين على الأقل كما يحق للمجلس أن يجتمع في دورات غير عادية وذلك إما بمرسوم، أي بمبادرة من الحكومة، أو بطلب موقع من طرف أغلبية أعضاء مجلس النواب (154 عضواً) ـ الأغلبية المطلقة ضرورية ـ وعلى أساس جدول أعمال محدد.

سلطات البرلمان في المغرب :

أ ـ سلطة تشريعية : مقيدة في مواد معينة ينص عليها الفصل 45 من الدستور. أضف إلى ذلك أنه لا يُمسَح لأعضاء مجلس النواب بالتقدم بمقترحات ترمي إلى إحداث تكليف أو الزيادة في تكليف موجود.

وعلاوة على ذلك يمكن لمجلس النواب أن يفوض للحكومة أن تشرع مكانه لفترة موقتة وذلك عن طريق مراسيم تُعرَض لزوما، قبل نهاية أجل التفويض على المجلس للمصادقة عليها وذلك طبقاً للفصل 44.

ويمكن للحكومة أن تدخل تعديلات على القوانين، بواسطة مراسيم ـ قوانين خلال الفترة الفاصلة ما بين دورتي المجلس وباتفاق مع اللجان التي يعنيها الأمر.

أما فيما يخص دورة النواب بشأن مشروع قانون المالية السنوي، فإن الحكومة تكون ملزمة بعرضه على المجلس في أجل أقصاه فاتح نوفمبر ويكون هذا الأخير مطالباً بالتصويت عليه قبل نهاية السنة الميلادية. وعند الاستحالة يصدر الأمر بتنفيذه عن طريق ظهير.

ب ـ سلطة دبلوماسية : إن الأمر فيما يخص هذه السلطة يقتصر على المعاهدات التي تترتب عنها تكاليف تلزم مالية الدولة، فهذا النوع من المعاهدات هو الذي يتطلب موافقة مجلس النواب. كما أن المصادقة على المعاهدات التي يمكن مخالفة لنصوص الدستور لا تتم إلا باتباع المسطرة المنصوص عليها فيما يرجع لتعديله. (يمكن أن نؤكد بأن السياسة الخارجية في المغرب تندرج ضمن المجال المحفوظ للملك).

ج ـ سلطة تأسيسية : تقتضي مراجعة الدستور التصويت على مقترح أو مشروع المراجعة بأغلبية ثلثي أعضاء مجلس النواب (204).

وهذا الشرط الأول لا يعد كافيا حيث إن المراجعة لا تصبح نهائية إلا بعد إقرارها عن طريق الاستفتاء.

ح ـ سلطة انتخابية : ينتخب مجلس النواب قضاة المحكمة العليا ويعين رئيسه، باتفاق مع الفرقاء البرلمانيين، ثلاثة أعضاء في الغرفة الدستورية.

خ ـ سلطة قضائية : يبث مجلس النواب في التهمة الموجهة إلى الوزراء في شأن الجنايات أو الجنح، التي يرتكبونها أثناء ممارستهم لمهامهم، وذلك بالاقتراع السري وبأغلبية ثلثي أعضائه. وفي هذه الحالة يمثلون أمام المحكمة العليا التي ينتخب أعضاؤها من النواب.

علاقات الحكومة بمجلس النواب : تكمن وسائل ضغط مجلس النواب على الحكومة في هذه الوسائل الأربع :

ـ الأسئلة الشفوية.
ـ الأسئلة الكتابية.
ـ إيداع ملتمس رقابه يلوم الحكومة شريطة أن يكون موقعاً من طرف ربع أعضاء مجلس النواب (77 عضواً)، أما قبوله فيقتضي التصويت عليه بالأغلبية المطلقة لإرغام الحكومة على تقديم استقالتها (154 عضواً).
ـ رفض منح الثقة للحكومة إذا ما رُخص لها بطرحها أمام مجلس النواب، من طرف مجلس الوزراء، لكن الحكومة لا تعد مستقيلة إلا إذا خُذلت من طرف الأغلبية المطلقة لمجلس النواب (154 عضواً).

وسائل ضغط الحكومة على مجلس النواب : منها وسائل غير مباشرة لأعضاء الحكومة :

ـ حق الدخول إلى مجلس النواب والمطالبة بالاستماع إلى عروضهم عندما يرغبون في ذلك.
ـ يمكن للحكومة استدعاء مجلس النواب لعقد لدورة غير عادية.
ـ يُعترف للحكومة بحق الأسبقية في مناقشة مشاريع القوانين التي تتقدم بها أو المقترحات القانونية المقبولة من طرفها.

وسائل مباشرة :

ـ عرض مشاريع قوانين على الاستفتاء مباشرة إما لمراجعة الدستور (الفصل 98) للملك أن يستفتي شعبه مباشرة في شأن المشروع الذي يستهدف به مراجعة الدستور

أو طبقاً للفصل 68 الذي ينص :"... اللهم إلا إذا كان نص المشروع أو الاقتراح قد قُبل أو رفض، بعد قراءة ثانية جديدة، بأغلبية ثلثي الأعضاء الذين يتألف منهم مجلس النواب (204).

- حل مجلس النواب : للملك، بعد استشارة رئيس الغرفة الدستورية وتوجيه خطاب للأمة أن يحل مجلس النواب بظهير شريف (الفصل 70).

- تطبيق الفصل 35 من الدستور الخاص بالسلطات الاستثنائية، التي يمارسها الملك عند الإعلان عن حالة الاستثناء.

*مشاريع الإصلاحات الدستورية والإدارية*، المقدمة إلى مولاي عبد العزيز في سنة 1906 ؛ *مشروع دستور 15 رمضان 1326 / 11 أكتوبر 1908* ؛ *الدساتير المغربية الثلاثة* : دستور 14 . 12 . 1962 ؛ دستور 30 . 7 . 1970 ؛ دستور 10 . 3 . 1972 ؛ *دستور فرنسا المؤرخ في 4 . 10 . 1958* والمراجع في أكتوبر 1962 ؛ ع. القادري، *النظرية العامة للقانون الدستوري* ؛ *الدستور والمؤسسات السياسية* : الأنظمة السياسية.

عبد الرحمن القادري

**بَرْمِيجُو**، أو البَرْميجُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bermejo والكلمة معناها اللون الأحمر القاني، وكان من بين أفراد هذه الأسرة المعلم الخبير المساعد للقضاء.

**بَرْمِيجُو، عبدالرحمان** بن عبدالعزيز الذي كان حيا سنة 1150/1738.

**بَرْمِيجُو، محمد** الفقيه الذي كان حيا سنة 1269/ 1853. ولعله كان آخر من عاش بتطوان من هذه الأسرة الأندلسية.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 33 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 303.321.323 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecun* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**برنـاردو رُدريگيس** Bernardo Rodrigues، مؤلف *حوليات أصيلا* *Anais de Arzila*. والده من مرافقي الفونص الخامس أثناء غزوه لأصيلا في 3 ربيع الأول 876 / 20 غشت 1471. وقد ولد صاحب الترجمة بأصيلا سنة 1500. فعلقت بذهنه بعض تصورات حصار محمد البرتغالي للمدينة سنة 914 / 1508، بينما تذكر بوضوح أحداث حصار 922 / 1516. خاصة وأن أباه قتل أثناءه.

وعلى الرغم من مشاركته في بعض الغارات المنظمة من طرف أصيلا ضد القبائل الهبطية، إلا أن مهامه الرئيسية المعروفة عنه اقتصرت على مشاركته في الوفود المرسلة لربط العلاقات التجارية، والمساهمة في مباحثات الهدنة بين قواد إقليم الهبط بالشمال الغربي المغربي والبلاط الوطاسي من جهة، وبين أصيلا ولشبونة من جهة ثانية.

زار القصر الكبير والعرائش عدة مرات، مثل الزيارة التي قام بها سنة 1518 لأحد أسرى أصيلا المعروف علي الرندي، المقيم آنذاك بالعرائش. وكانت الفرصة التي وقف فيها برناردو رُدريگس على موضع القلعة البرتغالية المسماة گراسيوسا Graciosa، التي حاول جواو الثالث بناءها بجزيرة اللكوس. وكان أحد المتوجهين سنة 928/1521 لشراء الأسرى من ناحية دكالة، إثر المجاعة التي اجتاحت البلاد.

سجلت أولى زياراته لفاس الوطاسية سنة 1531، وعاد إليها في السنة الموالية، لبحث التقارب البرتغالي - الوطاسي الذي ظهرت نتائجه بانعقاد هدنة سنة 1538. ثم عاد إليها في مهام أخرى سنة 1542. وكان مؤلف *الحوليات* ممن عاصر الجلاء البرتغالي عن أصيلا في صيف سنة 957 / 1550.

اكتسب برناردو ردريگس خبرة واسعة عن الوجود البرتغالي بأصيلا، بفضل المعلومات المكتسبة من المجالين الحربي والدبلوماسي، ومن اتصالاته بمواطنيه وبالمغاربة، واستفاد مما سبق أن جمعه أبوه عن حروب أصيلا فشرع في التدوين منذ السادسة عشرة من عمره، إلى أن اجتمعت لديه مادة ضخمة شرع في تنظيمها وتحريرها بلشبونة سنة 1560، وأخرجها في أربعة كتب، خصصت لسرد حياة حكام أصيلا منذ 1508 إلى سنة 1535. وقد أعيد طبع *الحوليات* سنة 1915، بعد أن أضاف إليها الناشر دافيد لوبيس David Lopes ملحقا، ضمنه مجموعة من المراسلات التي عثر عليها بالخزانات الوطنية. طبع الكتاب في مجلدين ضخمين، تجاوزت صفحاتهما الألف صفحة. ويشمل الأول منهما أحداث 1508.1525، بينما يتناول المجلد الثاني الوقائع فيما بين 1525 و1535.

وتأتي أهمية *حوليات أصيلا* من كونها المصدر الأساسي، لا لدراسة تاريخ أصيلا، وإلى حد ما مدينة طنجة، خلال الاحتلال البرتغالي فحسب، ولكن أيضا لدراسة تاريخ مقاومة الوجود البرتغالي بإقليم الهبط. وعلاوة على ذلك فإن *حوليات* برناردو ردريگيس صورة لا غنى عنها لدراسة جغرافيا إقليم الهبط خلال القرن السادس عشر.

Bernardo Rodrigues, *Anais de Arzila*, publ. de David Lopes, Lisboa, 1915.

حسن الفگيگي

**بَرْناطْ**، أسرة أندلسية استقر أفراد منها بتطوان والرباط، وما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bernat، وقد انقرضت بتطوان سنة 1206/1792، وما زالت حتى الآن بالرباط.

**بـرْنَـالْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bernal. وقد انقرضت بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1088/1677.

**البرناوي، عبد الله**، غير آتي الترجمة، صوفي عاش بفاس في أوائل القرن الثاني عشر (18 م) وكان خامل الذكر لا يكاد يعرفه أحد لولا أن الشيخ الشهير عبد العزيز الدباغ (ت. 1132 / 1719)، أخذ عنه بعد أن لقيه في باب الجيسة بفاس، فذُكر معه في كتب التراجم.

أ. ابن المبارك اللمطي، *الإبريز في مناقب الشيخ عبد العزيز* ؛ م. القادري، *التقاط الدار*، تح. هاشم العلوي، 203 والهامش 3 ؛ *نشر*، 2 : 227 ـ 228.

**البرناوي، عبد الله** بن **عبد الجليل**، صوفي كبير من مدينة بَرْنو بالسودان، عرفه المغاربة وأخذوا عنه بواسطة تلميذه الصالح أحمد بن محمد اليمني الذي قام بسياحة طويلة زار خلالها بلاد السودان الأوسط وأخذ عن الشيخ عبد الله البرناوي، ثم قدم إلى فاس سنة 1079 / 1668 واستوطنها وأقبل عليه كبراؤها وصلحاؤها وفي مقدمتهم الشيخ أحمد بن عبد الله معن الأندلسي. ويبدو أن أخبار الشيخ البرناوي قد انقطعت عن تلميذه أحمد اليمني مدة فخرج لزيارته بالسودان وجده قد مات، فرجع أحمد اليمني إلى فاس وبقي بها طوال حياته.

وقد زاد انتشار أخبار عبد الله البرناوي في المغرب بعد أن ألف في مناقبه الصوفي الأديب الشهير أحمد بن عبد الحي الحلبي الفاسي (ت. 1120) كتاباً سماه *ريحان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب*. ومن المعلوم أن ذكر أحمد اليمني، وبالتالي شيخه البرناوي، عم أرجاء المغرب، سواء في أوساط المتصوفة أو العلماء والعامة، كما أفصح عن ذلك أحمد بن يعقوب الولالي في كتابه *مباحث الأنوار* حيث قال :"ثم أطلع الله الشيخ اليمني بأن أظهره للخلق إطلاع البدر فوق الأفق، فأضاءت به أركان ظلمات هذا المغرب، فلم يبق عالم ولا شريف ولا عامي إلا عرفه وتوسل به...".

كانت طريقة عبد الله البرناوي مؤسسة على علم الخواطر والتأمل والتفكر، "إذ كان يذهب بأصحابه إلى موضع خال من الفلاة فيأمرهم بالتفرق ثم يقول لهم : تفكروا في ملكوت ربكم، وينعزل عنهم وهو وحده في ناحية إلى وقت الظهر، فيرجع حينئذ ثم يجتمعون عليه فيرجعون إلى قريتهم" (نشر، 2 : 225) وطريقة الخواطر هذه ظهرت في مدينة فاس، فكانت طائفة من المتصوفة أهل الخواطر، يجتمعون في زاوية سيدي أحمد حجي بحومة البليدة، ويظلون صامتين متأملين متفكرين في ملكوت الله (*سلوة*، 1 : 188). ويُذكر في ترجمة الشيخ أحمد حجي أنه كان في زاويته بسلا كثير الاستغراق والتفكر حتى لا يكاد يشعر بمن دخل عليه، كحال أهل الخواطر.

توفي عبد الله البرناوي قتيلا في حرب وقعت بين البرناويين والتوارگ في 16 ربيع الثاني عام 1088 / 18 يونيه 1677.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 224 ـ 228 ؛ *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، 201 ـ 203 ؛ القادري، *نزهة الفكر*، مخطوط ؛ أ. الحلبي، *ريحان القلوب*، بنقل المصدرين السابقين.

محمد حجي

**بَرَنْجينة**، أو أبْرنجينة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Berengena والكلمة معناها باذنجان.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1146/1737.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 51 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البُرنُس**، ضريبة مرينية كان يؤديها سكان البوادي للمخزن المريني، وليس هناك ما يدل على أنها شملت سكان المدن في فترة من الفترات. والبرنس في الاصطلاح اللغوي كل ثوب رأسه منه ملتزق به، دراَعة كان أو ممْطرا أو جبة ـ كما سيأتي ـ.

ظل العمل بضريبة البرنس ساري المفعول في عهد المرينيين إلى أن تولى الحكم السلطان أبو الحسن علي (731-752/1331-1351) فأصلح أمور الجباية وعمم ذلك الإصلاح على جميع بوادي المغرب ومدنه. فقد رفع هذا السلطان عن أهل البوادي ضرائب لها ألقاب لا تحصى "كالخرس والبرنس والضيافة والإنزال والقاعة والخطيئة" (*المسند*، 284). وهذه كلها أسماء لبعض الضرائب التي كان أهل البادية يؤدونها للمخزن المريني قبل عهد أبي الحسن، وقد كان للتخلي عنها أثر كبير في استقرار أوضاع المغرب الأقصى في عهده.

استعملت كلمة البرنس للدلالة على الكبار، لأن صغار السن في بعض قبائل الجنوب المغربي ـ وإلى اليوم ـ لا يرتدون البرنس قبل بلوغهم سن الرشد، وغالبا ما يحملون هذا اللباس مباشرة بعد الزواج. وهو ما قد يؤهل لابس البرنس لامتلاك خيمة وقطيع من الأغنام إذا كانت أسرته تعتمد في نشاطها الاقتصادي على الرعي، أو يؤهله للقيام بعمل مربح ـ لحسابه الخاص ـ في الزراعة أو الغراسة إذا كان دخل أسرته يقوم على الفلاحة. وعلى ذلك، فالبرنس ضريبة يؤديها كل رجل بدوي بالغ قادر على الإنتاج راعيا كان أم مزارعا، بخلاف ضريبة الخرس التي كانت تؤدى على المنتج الفلاحي بعدما يقوم أعوان المخزن بتقدير ثروة كل فلاح ثم يحددون له قيمة الضريبة التي عليه أن يؤديها.

تخلى أبو الحسن المريني عن الضرائب المذكورة أعلاه، وعن ضرائب أخرى منها ما كان مقتصراً على بعض الجهات دون غيرها كما هو الحال في ضريبة الـجَمُّون وهي ضريبة فلاحية كان يؤديها سكان سجلماسة وسائر بلاد القبلة على

حقول النخل والزرع، ويصل ما يجبى منها إلى عدة أحمال من الذهب كل سنة (*المسند*، 283) ويرجع السبب فيما أقدم عليه هذا السلطان من إصلاح جبائي إلى الانتصارات التي حققها في المغرب الأوسط ابتداء من سنة 1336/736 حيث كان لتحكمه في تلمسان والمناطق الواقعة إلى الشرق منها أثره في تحقيق فائدة عظيمة من موارد التجارة الصحراوية التي كان نصيب الزيانيين منها أوفر من نصيب المرينيين خلال هذه الفترة.

شكلت تلمسان منطقة جبائية مهمة بالنسبة للمرينيين بعد سيطرتهم عليها ودليل ذلك أنها أصبحت من المناطق الخمسة الأساسية في الجباية المرينية، هذه المناطق التي حصرها علي بن يوسف الحكيم في فاس وما والاها، وسبتة وما والاها، ومراكش وما والاها، ودرعة وسجلماسة وما والاهما، وتلمسان وما والاها، وما وراءها من البلاد إلى الجزائر (*الدوحة المشتبكة*، 180.179).

م. ابن مرزوق الخطيب، *المسند* ؛ علي بن يوسف الحكيم، *الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة*، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد، المجلد 6، العدد 2.1، مدريد، 1950.

حسن الحافظي

**البُرنُس**، قلنسوة طويلة كان الناس يلبسونها في صدر الإسلام... أو هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به... وقيل إنه غير عربي...(*تاج العروس*). يفيدُ هذا التعريف، اتساع رقعة المجال الذي يُستعمل فيه البرنس، وهو منتشر كثيراً بالمغرب في الحواضر والبوادي، يعرف بهذا الاسم، ويُمد أحياناً "البرنوس" ويؤنَّث "البرنوسة" ويكتب بالصاد "البرنوص" ومن تم نجد النسبة إليه بُرنُسي، وبرنوسي، وبرنوصي. وله أسماء أُخر : أَخْنيف أو الخنيف، وهو خاص بسكان الجبال، تزيِّنُهُ رسوم وأشكال فنية ملونة من خلف بينما تختص نساء البادية بلباس تَمْلحْفت. ويسمى أيضا الخَيْدُوس أو أَخَيْدُوس، ويختص به أهل البوادي في الجبال والسهول، ويتميز بخشونته ومتانة نسجه، ويصنع من شعر الماعز. والغالب عليه اللون الأسود، وإذا كان بلون آخر سمي أَهَدّون.

ويسمى البرنس أيضاً السِّلْهام، ويكاد يكون خاصاً بأهل المدن، ويُصنع إما من الحرير الناعم أو من الصوف، والغالب عليه اللون الأبيض. ويُنطق به أيضا بصيغة المؤنث السِّلْهامة (*التشوف*، 207) ومِنْ ثَـمَّ سُمِي بعضهم بأبي سلهام، وأبي سلهامة.

والبرنس بجميع أصنافه كان لباساً خاصاً بالرجال في البادية والمدينة. ويُستخدم أيضاً في الاستعمال اليومي، وفي المناسبات، وتزداد الحاجة إليه في الفصل البارد. وهو لباس خارجي يغطي كل الملابس الأخرى تحته ولا يلبس فوقه شيء آخر. وربما لبسته النساء أيضاً.

ويستشف من خلال بعض الإشارات أن البرنس كان قديما يستخدم في بعض الأحيان كفراش خارج المنازل أو المدينة (*البيان*، 4 : 25) أو كفراش وغطاء (*التشوف*، 421).

ولم يكن لبسه حكراً على فئة دون أخرى، إذ كان من الملابس التي تدخل ضمن الضروريات عند العلماء (*ورقات*، 305) والمتصوفة (*التشوف*، 207. 216. 421) والأعيان ؛ كما يلبسه عامة الناس وفقراؤهم (*وصف*، 1 : 197).

وقد أصبح البرنُس لباساً مخزنياً رسمياً منذ عهد الموحدين على الأقل (*المعجب*، 254)، وتقننت معايير استعماله أكثر في هذا الشأن مع المرينيين : يختص سلطانهم بلبس البرنس الأبيض الرفيع، لا يلبسه ذو سيف سواه، وأما العلماء وأهل الصلاح فلا حرج عليهم في لبسه، هذا في البرانس البيض فأما سائر الألوان فلا حرج على أحد في لبسها كائناً ما كان (*ورقات*، 305).

ومن أطرف الأحداث التاريخية التي لها صلة بالبرنس، تسوية أمور قيادة حكم المرابطين بين أبي بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين بواسطته، (*البيان*، 4 : 25) وسُميت به ضريبة كان أهل البوادي في المغرب يؤدونها إلى المخزن المريني كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ع. المراكشي، *المعجب*، ت. م. سعيد العريان و م. العربي العلمي؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، ت. أحمد التوفيق ؛ ابن عذاري، *البيان*، ت. احسان عباس ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، ت. م. الفاسي وأدولف فور ؛ م. ابن مرزوق، *المسند*، ت. ماريا بيگيرا ؛ م. مرتضي الزبيدي، *تاج العروس* ؛ م. المنوني، *ورقات*.

محمد رابطة الدين

**البرنسي**، أسر مغربية عديدة، لعلها تنتسب إلى البرنس اللباس المعرف بالسلهام، أو إلى البرانس القبيلة البربرية الكبرى بناحية تازا. وتختلف هذه النسبة كتابة ونطقاً فنجدها أحياناً "برنسي" وأحياناً "برنوسي" أو "برنوصي" ولم نقف على ما يميز هذا من ذاك فاحتفظنا بالصيغ الثلاث لمن ترجمنا لهم في *المعلمة* حسبما جاء في المصادر المنقول عليها.

**البرنسي** أبو **طيب** بن عيسى السلوي، فقيه نحوي مشارك، يدرس ألفية ابن مالك وغيرها بالمسجد الأعظم بسلا، وفيه أخذها عنه أحمد بن عاشر الحافي. وذكره في *فهرسه* من جملة شيوخه السلويين وأثنى عليه خيراً.

توفي بمسقط رأسه سلا عام 1112 / 1700، ودفن بضريح الشيخ أحمد الطالب القريب من المسجد الأعظم.

أ. الحافي، *فهرس*، تح. محمد السعديين، د.د.ع كلية الآداب، الرباط، 1990 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 380 ؛ م. بوشعراء، *ملحق الاتحاف الوجيز*، 153.

**البرنسي، محمد** بن **حمادة** (أو حمادُوه) السبتي. ينتسب إلى قبيلة البرانس البربرية التي كانت تستوطن ما بين فاس وتازا. وهو من رجال المائة السادسة الهجرية، غير أننا لا نعرف تاريخ وفاته ولا ولادته بالضبط. ونادراً ما يشار إلى اسمه كاملا في المصادر المغربية حيث يرد مختصراً هكذا : البرنسي أو ابن حمادة. من تلامذة القاضي عياض (*الديباج*، 361) اعتبره صاحب *مفاخر البربر* ( ص 43 و64) من علماء البربر ووصفه بالشيخ والفقيه الحافظ التاريخي.

يظهر أن البرنسي ألف كتباً كثيرة في الفقه والتاريخ غير أن الزمن عفّى عليها جميعاً فضاعت ولم يبق منها إلا بعض العناوين التي حفظتها لنا المصادر *كاختصاره ترتيب المدارك* لشيخه القاضي عياض حيث يذكره ابن فرحون من بين مصادره التي اعتمد عليها في *الديباج* (ص 361). وقد أشار ابن سودة إلى أن صاحب الدر النفيس ذكر أن البرنسي لم يكتف *باختصار ترتيب المدارك* بل زاد عليه زوائد مفيدة. ويضيف ابن سودة أنه وقف على سفر في مجلد ضخم فيه *اختصار المدارك* يعتقد أنه للبرنسي (*دليل*، 1 : 269، 270). كما ذكر المنوني أن نسخة من هذا الكتاب توجد كاملة بالمكتبة الأزهرية بمصر تحت رقم 208 : تاريخ، وتحمل اسم *بغية الطالب، ودليل الراغب*. وقد تساءل نفس الباحث عن هذا الكتاب الأخير : هل هو نفس مختصر ابن حمادة أم هو ترتيب له ؟ مع العلم أن عبد الله ابن سهل القضاعي قام بترتيب هذا الاختصار. وتوجد منه بالمغرب قطعة مبتورة الأول تقف عند ترجمة موسى بن معاوية (*مصادر*، 1، 48).

إلا أن أشهر مؤلفات البرنسي وأهمها هو كتاب *المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس*. ورد هذا العنوان لأول مرة كاملا في *مفاخر البربر* (ص 43)، أما ابن عذاري فيشير إليه هكذا : كتاب القبس (*البيان*، 1 : 5). بينما تكتفي المصادر المغربية الأخرى بالإشارة إلى اسم صاحبه فقط دون ذكر الكتاب، فنجد مثلا : قال البرنسي أو قال ابن حمادة. ويلاحظ من النقول المأخوذة عن المقتبس في بعض المصادر المغربية أن هذا الكتاب يتناول تاريخ الأندلس وتاريخ المغرب الأقصى في عهد الأدارسة والمرابطين وبداية الموحدين. وتتجلى أهمية هذا المصدر في كونه شكّل مرجعاً أساسياً لمؤرخي المغرب في العصر الوسيط، أمثال : ابن عذاري حيث اقتبس منه معلومات كثيرة تتعلق بأواخر الخلافة الأموية بالأندلس وثورة أبي زيد مخلد بن كيداء الزناتي بإفريقية، وكذلك بتاريخ المرابطين والفترة الانتقالية من المرابطين إلى الموحدين (*البيان المغرب*، ج 1 : 216، 227... - 3 : 113، 115 - 4 : 58، 74، 83، 88، 96، 98، 99). وابن أبي زرع الذي نقل عنه فقرات تهم تاريخ الأدارسة والموحدين إلى عهد عبد المومن بن علي الكومي (*القرطاس*، 24، 28، 38، 50، 180، 188، 189).

ونشير إلى أن ابن سودة ذكر في *دليل مؤرخ المغرب الاقصى* (1 : 134) أن ابن أبي زرع اعتمد في تاريخه للأدارسة على كتاب للبرنسي في دولة الأدارسة، وهذا الكلام في نظرنا يجانب الصواب إذ المقصود كتاب واحد هو *المقتبس* الآنف الذكر.

أما صاحب *مفاخر البربر* (ص 43. 46. 58) فقد اعتمد البرنسي في معلومات عن ثوار البربر بالأندلس والمغرب الأقصى وعن أصل تسمية سبتة ثم أورد المقري بيتين عن سبتة ذكرهما البرنسي في *المقتبس* (*أزهار الرياض*، 1 : 36) وربما هو نفس الكتاب الذي اعتمده المقري في أخبار القاضي عياض (5 : 6) كما نقل عنه الجزنائي رواية تخص بناء مدينة فاس على عهد الأدارسة (*زهرة الآس*، 23).

أما ابن القاضي فإن كل ما نقله عن *المقتبس* لا يعدو أخباراً عادية تتعلق بالأدارسة وهي متداولة في أغلب المصادر المغربية التي سبقته (*جذوة*، 24، 25، 31، 41، 161، 162، 342) ونجد نفس الشيء مع الناصري الذي اقتبس أيضاً معلومات حول الأدارسة نسبها إلى البرنسي وهي في غالب الظن مأخوذة بشكل غير مباشر عن مصادر أخرى لاحقة (*الاستقصا*، 1 : 154، 159، 171).

ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 1، ج 3، ج 4 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، نشره ليفي بروفنشال، الرباط 1934 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، ج 1 وج 5، الرباط، 1978 ؛ ع. الجزنائي، *جني زهرة الآس*، الرباط، 1967 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج*، مصر، 1351 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، الرباط، 1974 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء الأول ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الجزء الأول، الرباط، 1983 ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*، الرباط، 1970 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، الجزء الأول.

رشيد السلامي

**البرنسي محمد** بن **محمد** بن عبد الرحمان السطي. فقيه نوازلي تولى القضاء بقبيلته سطة مدة طويلة، ثم ولي نفس الخطة بقبيلة الحياينة، وأخيراً انتقل إلى مدينة شفشاون حيث أدركته الوفاة عام 1195 / 1780.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1195.

**البرنوسي**، أسرة تطوانية أصلها من قبائل البرانس، يوجد بعضهم أيضاً في الرباط وغيره. وكان من بين البرنوسيين التطوانيين شخص يشغل منصب خليفة باشا تطوان القائد علي بن عبد الله الحمامي في حدود سنة 1113 / 1701، وعبد الرحمان بن محمد البرنوسي، فقيه زاول خطة القضاء بتطوان من سنة 1223 / 1808 إلى أن وافاه الأجل سنة 1228 / 1813.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 113، 3 : 50، 6 : 174 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 32، 3 : 240، 7 : 226. 228 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البرنوسي، أحمد** بن محمد أو ابن علي بن عبد الرحمان ابن يعلى، قدم من مسقط رأسه قبيلة البرانس بناحية تازا إلى مدينة فاس "وقرأ علم الأصول والكلام على الشيخ سيدي ابن حرزهم مع الشيخ أبي مدين الغوث" (*سلوة*، 3 : 182) وقد صحب الشيخ أبا مدين الغوث وتعبّد معه في جبل الظل زالغ، فلما ارتحل أبو مدين إلى تلمسان صعد البرنوسي إلى جبل زالغ وانفرد في خلوته المعروفة له هناك، فكان يعبد الله ويقرئ القرآن والعلم. واشتهر صلاحه بفاس في حياته وبعد مماته. كما يذكرون أن أهل فاس كانوا يزورون الشيخ أبا يعزى في تاغية فيقول لهم :"تركتم الشيخ أحمد البرنوسي في جبل فاس فهو يعطيكم مثل ما نعطيكم".

ألّف أحمد البرنوسي كتاباً شرح فيه أسماء الله الحسنى سماه *الذهب الإبريز والمختصر الوجيز*. ولبعضهم تقييد موجز في أخبار أحمد البرنوسي وكراماته. وقبة الشيخ أحمد البرنوسي شهيرة بإزاء جبل زالغ جدد بناءها المولى الحسن الأول. ووسع مرافقها ابنه المولى عبد العزيز. ولا يعرف تاريخ وفاة الشيخ أحمد البرنوسي إلا أنه كان من أهل القرن السادس (12 م) معاصراً للشيخين أبي مدين الغوث وأبي يعزى.

م. ابن عيشون، *الروض العاطر الأنفاس*، تح. زهراء النظام، د. د. ع. الرباط، 1989 ؛ *المدرع، منظومة في صلحاء فاس*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 182 ـ 183 ؛ م. القادري، *نشر*، (في ترجمة أحمد الصقلي) 4، 157.

محمد حجي

**البرنوسي، الصديق** بن محمد. ولد بالرباط عام 1326 / 1908 ودرس دراسة مزدوجة، حيث قرأ أولا القرآن والفقه والتوحيد وقواعد اللغة العربية على شيوخ الرباط أمثال محمد بنيعگوب، ومحمد التادلي، وقاسم الحاجي، ثم دخل المدرسة العصرية فأتقن الفرنسية في ثانوية مولاي يوسف ومعهد الدروس المغربية العليا، ثم اشتغل مترجماً بإدارة ناحية الرباط، لكنه كان ذا نزعة وطنية، يرافق الوطنيين ويحضر مجالسهم سراً، ويُسهم في تحرير مجلة مغرب التي كانت تصدر بباريز، إلى أن افتضح أمره، فسجن ستة أشهر وطرد من وظيفته، فأصبح كاتباً عمومياً مترجماً حراً بشارع الجزاء. وبعد الاستقلال عين كاتباً إدارياً للغرفة التجارية بالرباط، ثم مندوباً لوزارة التجارة بالشمال إلى أن أدرك سن التقاعد.

توفي بالرباط في ربيع الثاني عام 1411 / أكتوبر 1990.

*تقاييد، ومعلومات خاصة.*

م. الأمين بلگناوي

**البرنوسي، عبد الرحمان** بن محمد بن حميدة الرحماني، فقيه صوفي من أكابر أصحاب الشيخ العربي الدرقاوي، ومن الذين نشروا طريقته في الجنوب. ألف كتاباً في *سلسلة المشايخ*، وتوفي بقبيلته الرحامنة عام 1215 / 1800 وشيدت عليه قبة حفيلة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1215.

**البرنوسي، علي** بن عبد الرحمان، والد أحمد سابق الترجمة. صالح كبير ربما كان له مسكة من علم، وقد ظل ضريحه مزارة مقصودة بالقرب من عين تفراوت قرب ضريح ولده إلى جهة الغرب من العين أسفل منها بإزائها.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 183.

**البرنوسي، قاسم** بن محمد المكناسي أستاذ مقرئ أخذ القراءات بمسقط رأسه على الشيخ الأستاذ العربي بن فضول ابن شمسي.

توفي عام 1262 / 1845.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 443 ؛ ع. ابن سودة، *فهرس إتحاف المطالع*، 1962.

**البرنوسي، محمد** بن الحاج علي الوزاني "الشيخ الفقيه الأديب الحافظ العابد الزاهد" أصله من قبيلة البرانس بناحية تازا، ثم سكن وزان واشتغل بالتدريس والإفادة إلى أن أدركته الوفاة فيه يوم الخميس الثامن عشر من صفر عام 1261 / 27 فبراير 1845.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1261.

محمد حجي

**البرنوصي** (سيدي ـ) زناتة ـ عمالة جديدة بالدار البيضاء ـ بعد التقسيم الإداري الذي عرفته الدار البيضاء سنة 1976 أصبح حي سيدي البرنوصي يشكل جزءاً من الجماعة الحضرية لعين السبع. وفي سنة 1981 عند إحداث ولاية الدار البيضاء الكبرى، تم تحويل هذا الحي إلى جماعة حضرية ضمن عمالة عين السبع الحي المحمدي بعد إضافة أحياء أخرى مجاورة إليه. وبعد أن عرفت الدار البيضاء إعادة هيكلة جديدة في بنيتها الإدارية خلال شهر دجنبر 1990 نتج عنها إضافة عمالة جديدة إلى العمالات الست المكوِّنة للدار البيضاء الكبرى، وهذه العمالة هي عمالة سيدي البرنوصي زناتة. وقد تم تشكيل هذه العمالة الجديدة من الجماعة الحضرية لسيدي البرنوصي وإدماج جماعتين قرويتين كانتا في السابق تابعتين لعمالتي المحمدية زناتة وبن امسيك ـ سيدي عثمان، كما يظهر من خلال الجدول رقم 1 والرسم المرافق له (رسم رقم 1).

جدول رقم 1 : توزيع السكان بعمالة سيدي البرنوصي ـ زناتة

| الجماعات | المساحة (هكتار) | ٪ | عدد السكان (إحصاء 1982) | ٪ | الكثافة |
|---|---|---|---|---|---|
| الجماعة الحضرية سيدي البرنوصي | 1360 | 5 | 134023 | 64 | 98 |
| الجماعة القروية (تيط مليل) | 15500 | 59،5 | 26340 | 12،6 | 2،7 |
| الجماعة القروية عين حرودة | 9300 | 35،5 | 48708 | 23،4 | 5 |
| المجموع | 26160 | 100 | 209071 | 100 | 8 |

تمتد عمالة سيدي البرنوصي زناتة شمال شرق الدار البيضاء على مساحة 26160 هكتار أي ما يعادل ربع المساحة الاجمالية للدار البيضاء الكبرى. أما على المستوى الديمغرافي فتعتبر هذه العمالة من أضعف عمالات الولاية سكاناً حيث لا تتعدى ساكنتها 8،5٪ من مجموع سكان الولاية، وكثافتها 8 أشخاص في الهكتار. ويفسر هذا الانخفاض في الكثافة باتساع المجال القروي الذي يشكل 95٪ من مساحة العمالة في حين لا يضم إلا ثلث سكانها.

مجالات متباينة : تتباين هذه الجماعات تبايناً واضحاً فيما يخص نسيجها ووظائفها الاقتصادية.

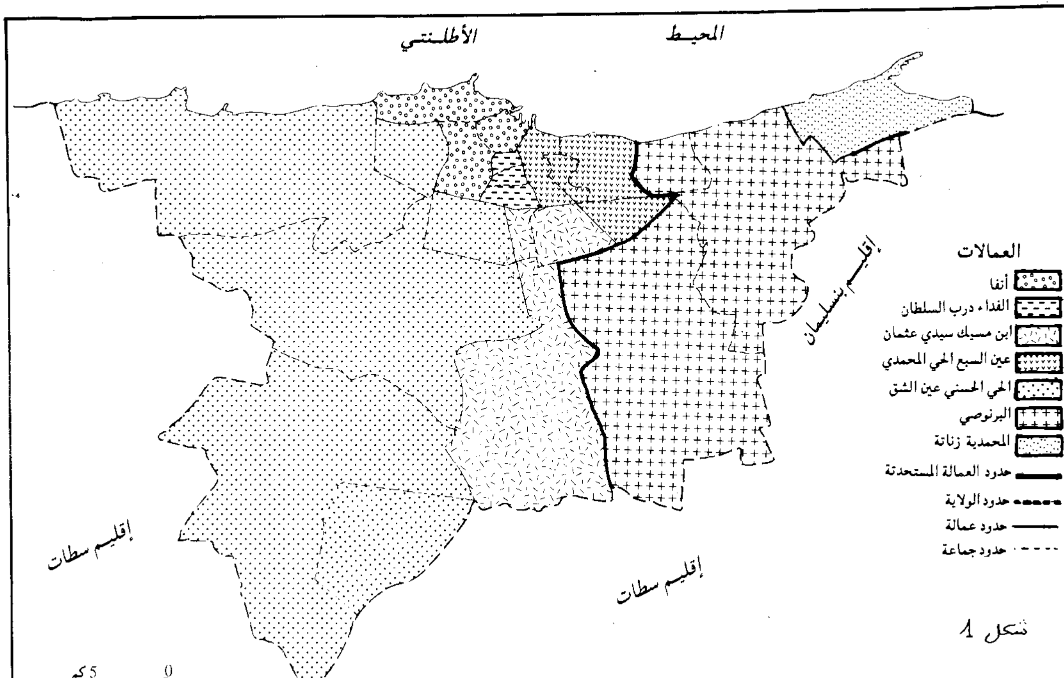


التقسيم الإداري لولاية الدار البيضاء الكبرى

فالجماعة الحضرية لسيدي البرنوصي تشكل أهم تجمع سكاني واقتصادي في العمالة، يطبع نسيجها الحضري نوع من التجانس والانسجام الوظيفي الواضح بين أحيائها. فانطلاقاً من الخريطة المرفولوجية لهذه الجماعة (رسم رقم 2) يمكن التمييز بين ثلاث مجموعات رئيسية :

فشمال السكة الحديدية، بين الجماعة الحضرية لعين السبع والجماعة القروية لعين حرودة تمتد مجموعتان مختلفتا الوظائف :

* قطاع للإقامة يطغى عليه السكن الفردي في شكل ڤيلات صغيرة غرب الجماعة وهو امتداد للحي السكني لعين السبع.

* قطاع مخصص كلية للنشاط الصناعي شمال شرق الجماعة.

أما جنوب السكة الحديدية فتنتشر أحياء السكن الاقتصادي بشكل متراص، وتتكون من مجموعتين رئيسيتين :

- النواة الأولى لحي سيدي البرنوصي التي تم توسيعها في السنوات الأخيرة بعد إنشاء بعض التجزئات العمومية. هذه النواة التي تغطي حاليا حوالي 300 هكتار، تقطنها أساساً اليد العاملة المشتغلة في الصناعة.

- مجموعة "القدس" التي تمتد على مساحة 317 هكتار بين السكة الحديدية والطريق السيار. وتتشكل من عدد من التجزئات : تجزئة عمومية تغطي 210 هكتار، مخصصة للمساكن الفردية الصغيرة والعمارات في طور الإنجاز حالياً، ومجموعة من التجزئات الخاصة التي أنجزت خلال الثمانينات.

وتنتشر أحياء الصفيح بكثرة وسط قطاعات السكن الاقتصادي وعلى هوامش المنطقة الصناعية.

أما الجماعات القروية، فتعرف تحولات سريعة بالنظر لقربها من الدار البيضاء. فقد أصبحت تشكل اليوم مراكز دينامية سواء من حيث الأنشطة أو من حيث التوسع العمراني. ذلك أن الارتفاع المستمر لحاجيات المدينة الكبرى من الأراضي أدى إلى تقليص متوالٍ في الرقعة الزراعية لهذه الجماعة لفائدة السكن والوحدات الصناعية. ولذلك فالمساحات القليلة الفارغة بين هذه المراكز القروية والمدينة أصبحت مهددة بالابتلاع خاصة وأن المخطط المديري للولاية خصصها للتوسع الحضري المرتقب للدار البيضاء الكبرى.

مجال الصناعات الكبرى بالدار البيضاء : أما من الناحية الاقتصادية، فيبقى الطابع الصناعي والعمالي هو الغالب على وظائف هذه العمالة وبالخصوص جماعة سيدي البرنوصي، حيث تتركز نسبة هامة من الوحدات الصناعية الضخمة ذات الاشعاع الوطني والدولي. وتتميز بنية هذه الصناعات بالتنوع الكبير كما يظهر من خلال الجدول رقم 2 :

جدول رقم 2 : توزيع الصناعات بعمالة سيدي البرنوصي - زناتة - 1987 -

| الجماعات / نوع الصناعات | سيدي البرنوصي | | عين حرودة | | تيط مليل | | المجموع | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | عدد الوحدات | عدد العمال | عدد الوحدات | عدد العمال | عدد الوحدات | عدد العمال | عدد الوحدات | عدد العمال |
| صناعة غذائية | 23 | 2095 | 2 | 802 | 4 - | 426 | 29 | 3323 |
| صناعة النسيج والجلد | 62 | 10741 | 10 | 898 | 1 | 60 | 73 | 11699 |
| صناعة الخشب | 1 | 100 | 4 | 330 | 1 | 210 | 6 | 640 |
| صناعة الورق | 10 | 892 | 4 | 185 | - | - | 14 | 1077 |
| صناعة مواد البناء | 7 | 672 | 4 | 64 | 4 | 240 | 15 | 976 |
| صناعة حديدية وكهربائية | 66 | 6331 | 14 | 1061 | 7 | 329 | 87 | 7721 |
| صناعة كيماوية | 31 | 3123 | 7 | 967 | 6 | 762 | 44 | 4852 |
| صناعة متنوعة | 4 | 185 | 2 | 48 | - | - | 6 | 233 |
| المجموع | 204 | 24139 | 47 | 4355 | 23 | 2027 | 277 | 30521 |

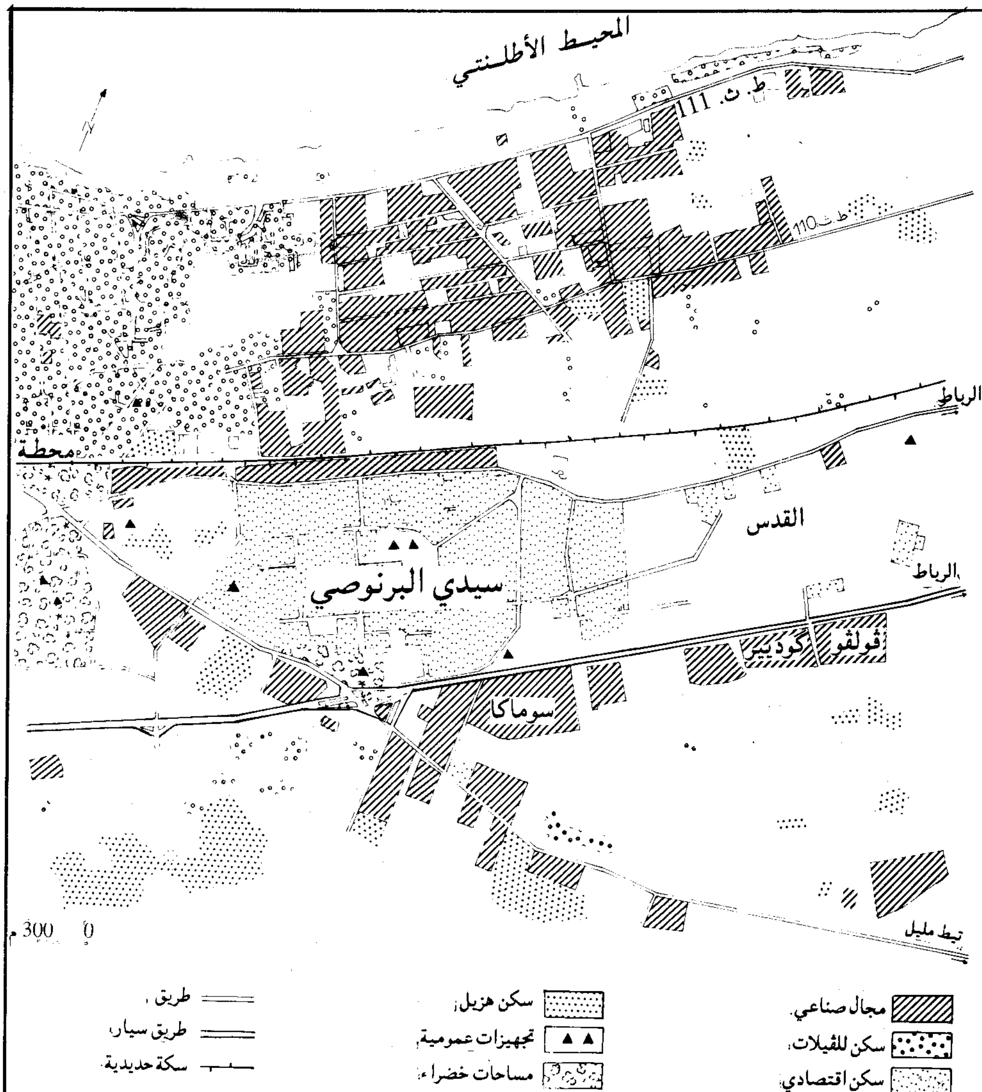


**شكل 2 :**
**أشكال استعمال المجال بالجماعة الحضرية لسيدي البرنوصي 1987**

تشغل صناعة هذه العمالة أكثر من 30 ألف عامل أي ما يعادل 15٪ من مجموع اليد العاملة المشتغلة بالصناعة بالدارالبيضاء الكبرى، وهي نسبة هامة تجعل العمالة تحتل الرتبة الثالثة في التراتب الصناعي بعد عمالتي عين السبع وأنفا.

وتتركز هذه الصناعات بصفة أساسية بجماعة سيدي البرنوصي التي تضم ثلاثة أرباع المصانع وحوالي 80٪ من عمال العمالة المشتغلة أساساً في الصناعات النسيجية والميكانية والكيماوية. وتنتشر هذه المصانع في المنطقة الصناعية الشرقية التي تغطي حوالي 536 هكتار، بشكل متواز مع خطوط المواصلات (رسم رقم 3).

فبين السكة الحديدية والطريق الثانوية رقم 110 تمتد الوحدات الضخمة المتخصصة في الصناعات الميكانية والغذائية (بيرليي، سيكاليم...)، كما تنتشر مجموعة من الوحدات الكبرى المغربية أو المتعددة الجنسية على طول الطريق الثانوية رقم 111 والطريق السيار نحو المحمدية (جنيرال، سوماكا، كابلام...) وداخل المنطقة الصناعية، متميزة بهندستها الحديثة واتساع مساحتها.

كما امتدت هذه الصناعات إلى المجال القروي وخاصة بجماعة عين حرودة حيث تنتشر المعامل وسط الحقول وعلى طول الطريق السيار، محتلة مساحات شاسعة. وتنتمي هذه المعامل للرأسمال الأجنبي الألماني والأمريكي (گوديير، بايير، هوكشست، فولفو...).

وتبقى الجماعة القروية لتيط مليل، مجالا ضعيف

التصنيع بالمقارنة مع الجماعات السابقة، إذ تتوفر على مجموعة من الوحدات الصغرى المتخصصة في صناعات مواد البناء أو إنتاج التجهيز المنزلي متفرقة وسط الأراضي الفلاحية.

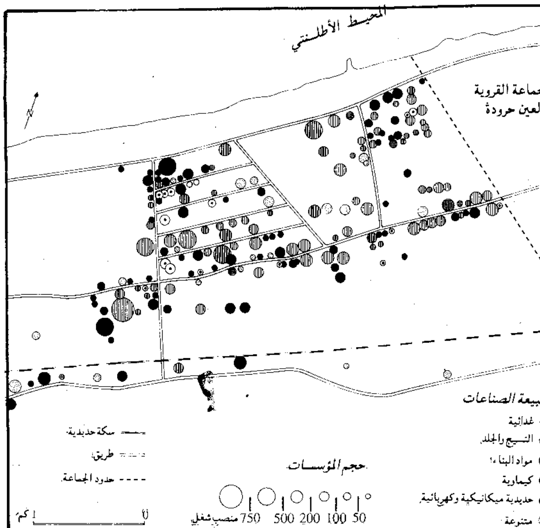


شكل 3 :
توطين الصناعات بالجماعة الحضرية لسيدي البرنوصي

ومن المنتظر أن تستقبل هذه الضاحية قسماً هاماً من الصناعات سواء عن طريق الإنشاء أو التحويل من الدار البيضاء. فلقد خصصت وثائق التعمير ثلاث مناطق صناعية جديدة تغطي حوالي 100 هكتار هي الآن في طور الانجاز بعين حرودة وتيط مليل. مما سيضاعف من ارتباط هذه المجالات القروية بالعاصمة الاقتصادية ويعجل باندماجها المباشر ضمن المجموعة الحضرية للدار البيضاء.

ع. كعيوا، *النسيج الصناعي بالدر البيضاء الكبرى.*

عبد القادر كعيوا

**البرنوصي، أحمد** بن محمد المعروف ببوكبَّة أو بولحية. فقيه أستاذ "كان عالماً مشاركاً يحفظ القراآت السبع بتثبت وإمعان وإتقان في النطق". أخذ عنه في جملة تلاميذه عبد السلام ابن سودة، وقال في ترجمته في *الإتحاف* : له ترجمة في *سل النصال*، إلا أن هذه الترجمة ساقطة من النسخة التي تحت يدي.

توفي الأستاذ أحمد البرنوصي عام 1350 / 1931.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1350.

محمد حجي

**البرنوصي إدريس ← البخاري إدريس**

**البُرنْي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، كان من بين أفرادها العدل محمد بن عبدالخالق البرني الذي كان حياً سنة 1624/1033. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1636/1046.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos.*

محمد ابن عزوز حكيم

**البرني، عائشة** بنت علال، ولدت سنة 1938 بوادي زم، إقليم خريبگة. شاركت في حوادث الانتفاضة الشعبية التي عرفتها مدينة خريبگة والنواحي المجاورة يوم 20 غشت 1955 وحملت العلم المغربي وصورة محمد الخامس في المظاهرة التي أصيبت أثناءها برصاص قوات الاحتلال الفرنسي حين تدخلت لتفريق المتظاهرين بقوة السلاح، فسقطت شهيدة في ساحة الشرف.

المندوبية السامية، *شهداء الاستقلال*، ج : 2.

عزالدين العلام

**البَرْنيشة**، مصطلح زراعي تقليدي مشهور في المغرب خصوصاً في النصف الشمالي منه. والبرنيشة من فعل بَرْنَش الأرض إذا قام بحراثتها (أو تقليبها) في نهاية موسم الحرث أو خلال فصل الربيع، من أجل مساعدة الأرض على التشميس وتحلل النباتات التي تقلب مع الأرض وتحولها إلى أسمدة تساهم في تقوية التربة، بالاضافة إلى احتفاظ التربة بقدر من الرطوبة نتيجة عملية البرنشة هذه.

وبما أن الهدف هو تقوية التربة فقد ارتبطت عملية البَرْنشة بالزريعة التي تساهم في تقوية التربة مثل القطاني عموماً كالفول والعدس أو بإقامة البحيرة - بكسر الحاء - فيها، وهي زراعة الفواكه الصيفية كالبطيخ والدلاح والفقوس الخ. باعتبار أن هذه الزراعة تعمل على تقليب الأرض من جهة، وتسميدها من جهة أخرى، وهي عملية تساعد على تقوية التربة كما هو ملاحظ.

وتطلق البرنشة على الأرض الفلاحية التي تمر بالدورة الزراعية الثانوية في إطار النظام الزراعي التقليدي الذي تكون فيه الدورة الزراعية تمر بمرحلتين أو ثلاث مراحل هي :

- دورة زراعة الحبوب (قمح أو شعير) وهي الدورة الرئيسية.
- دورة ثانوية تزرع فيه القطاني (فول - عدس - بحيرة)
- وإذا كانت الأرض أضعف من ذلك أعطيت دورة ثالثة تترك فيها بدون حراثة لتستريح، وتسمى هذه الدورة دورة (التَّبوُّر) من البور وهو عدم الاستغلال، وتكون هذه الدورة الأساسية عادة بعد الدورة الرئيسية الأولى، وتأتي البرْنشة في الدورة الثالثة باعتبارها إعداداً للأرض من أجل الدخول في الدورة الأساسية.

وعندما تترك الأرض لتبور يستفاد من حشائشها الطبيعية في رعي الماشية خلال فصل الربيع. وبذلك تكون دورة التبور هذه دورة رعوية. ومنها تنتقل إلى الدورة الثالثة وهي دورة البرْنشة استعداداً للدخول في الدورة الحبوبية الأساسية.

هكذا يتبين أن بَرْنشة الأرض عبارة عن نظام للدورة الزراعية التقليدية في عصر ما قبل دخول الأسمدة الفلاحية لتخصيب التربة بالمغرب العتيق، دورة تعتمد في الأساس على نظام الأمطار، وطبيعة التربة (الضعيفة الخصوبة بالأساس). والنظام الفلاحي الذي يتميز باندماج تربية

الماشية في نظام الدورة الزراعية. دورة إذن تقوم على ثلاث معطيات تهدف كلها إلى تحقيق انتاج جيد ومتكامل: فالأرض ضعيفة الخصوبة، والأمطار متوسطة أو ضعيفة أحيانا نظراً للذبذبات المناخية التي تعرفها البلاد من حين لآخر. والماشية ضرورية للفلاح سواء بالنسبة لسد الحاجيات الاقتصادية أو بالنسبة لتوفير الأسمدة الطبيعية.

*معلومات ميدانية.*

أحمد العماري

**بَرْنيط**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1747/1160.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

**البُرهان**، جزيرة تعرف عند الإسبانيين بـ Isla de Alboran من الجزر المغربية المحتلة من طرف إسبانيا، غير أن الكتاب المغاربة الذين يهتمون بقضية الجيوب المغتصبة يجهلون وضعيتها فلم يعدوها من بين المغتصب من أرض الوطن.

صحيح أن إسبانيا تزعم أن الجزيرة المذكورة غير مغربية لأنها تبعد عن الشاطئ المغربي بـ 56 كيلومترا، ولكن إسبانيا "تنسى" أنها تبعد عن شاطئها بـ 90 كيلومتراً، وأن إسبانيا لم تفكر في احتلالها إلا عندما أقدمت على احتلال جزر كبدانة بدليل أن الاحتلال الإسباني الرمزي لجزيرة البرهان تم بعد يومين من احتلال جزر كبدانة.

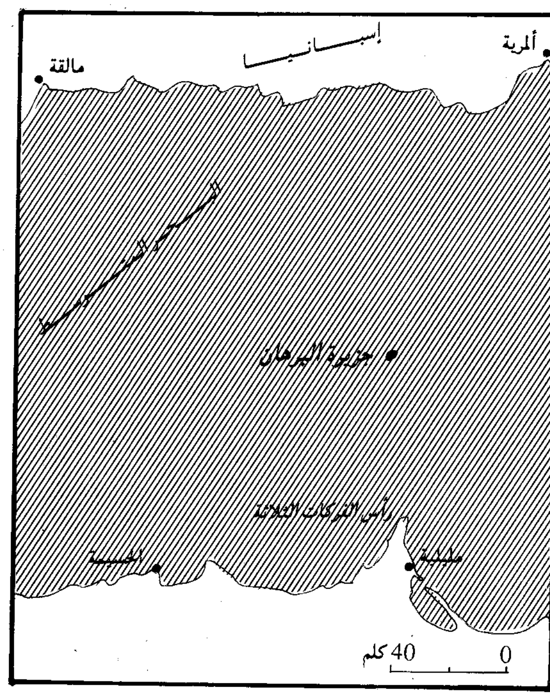


جزيرة البرهان

وهناك حجة أخرى تثبت أن جزيرة البرهان لم تكن تابعة لإسبانيا قبل سنة 1848/1264 وهي أن فرنسا كانت قبل ذلك التاريخ بقرنين قد فكرت في الاستيلاء على جزيرة البرهان وعلى جزر كبدانة حيث نجد الأميرال الفرنسي دي نوهيكا رئيس الأسطول الفرنسي بالبحر المتوسط يقول للوزير الأول ببلاده يوم 11 رجب 1072 / ثاني مارس 1662 ما يلي:

"لقد توصلت بالأمر الذي أصدرتموه لي بأمر من الملك من أجل القيام بزيارة جزيرة البرهان الواقعة على مدخل البحر المتوسط بالقرب من البوغاز، وزيارة جزر كبدانة أيضا".

وفي يوم ثاني شوال 1076/ أبريل 1666 نجد في التقرير الذي أعده المبعوث الفرنسي لدى السلطان مولاي رشيد ما يلي:

"غادرنا مدينة المرية يوم 5 أبريل 1666 (28 شعبان 1076)، وفي اليوم التالي وصلنا إلى جزيرة البرهان حيث قمنا بجولة استطلاعية عبرها منذ الصباح الباكر إلى حوالي الساعة الثانية بعد الظهر".

وفي يوم 9 جمادى الثانية 1080 / 4 نوفمبر 1699، أصدر الملك الفرنسي لويس الرابع عشر مرسوما يأذن لسافيلي وجوليان في إقامة مؤسسة تجارية بكل من جزيرة البرهان وجزيرة النكور، وقد اعترف العاهل الفرنسي في المرسوم المذكور بمغربية جزيرتي البرهان والنكور حيث أشار إلى أنهما تقعان في شاطئ أفريقيا بمملكة ملك المغرب".

وعلى كل حال فإن عملية الاحتلال الرمزي لجزيرة البرهان لم تتم إلا يوم فاتح صفر 8/1264 يناير 1848، أي بعد يومين من الاحتلال الفعلي لجزر كبدانة، ونقول أن العملية كانت رمزية بخصوص البرهان لأن الجنرال سيرانو اكتفى بزيارة الجزيرة المذكورة والتصريح أمام جنوده بأنها أصبحت تُعد جزيرة إسبانية، وقد غادرها دون أن يترك بها أية حامية. ولم يتم إقامة حامية عسكرية بالجزيرة إلاّ يوم 14 ذي القعدة 23/1387 فبراير 1968، أي بعد مرور اثنتي عشرة سنة على استقلال المغرب.

ومن بين المصادر الأجنبية التي تعدُّ جزيرة البرهان من بين الجيوب المغربية المحتلة من طرف إسبانية يوجد كتاب الألماني Wolfrom (ص 40) وكتاب الفرنسي Tardieu (ص 57) وكتاب الراهب الإسباني Castellano (ص 139).

والجدير بالذكر أن جزيرة البرهان هي التي أطلق عليها الجغرافي اليوناني سيلاس Scylax اسم دريناوبا Drinaupa في رحلته المشهورة. ومساحة الجزيرة تقدر بتسعين ألف متر مربع.

G. Wolfrom, *Le Maroc* ; A. Tardieu, *La conférence d'Algesiras* ; P. Castellanos, *Historia de Marruecos* ; Blazquez y Delgado, *Estudios geografico-historicos de Marruecos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البرهمي الإدريسي** بن ناجم، من مواليد أولاد بوالسباع بشيشاوة سنة 1929. انتقل إلى الدار البيضاء وانضم إلى الحركة الوطنية وشارك في الكفاح المسلح بروح حماسية تحت رآسة عبدالعزيز لحلو ومحمد الزرقطوني وذلك سنة 1953. كان يوزع المناشير ويضرم النيران ويقوم

بالاستخبارات وإعانة المسجونين وجمع الأموال إلى أن ألقي عليه القبض، فسجن بمركز المعارف للاستنطاق ومعرفة أسرار المنظمَة الفدائية. ولتحاشي كل اعتراف لم يتردد في ابتلاع قرص السم واستشهد في 10 رمضان 1954/1373.

*وثائق المندوبية السامية للمقاومة.*

عزالدين العلام

**البرهمي**، أسرة سلوية تنتسب إلى المولى عبد السلام بن مشيش الحسني الإدريسي دفين جبل العلم، عن طريق جدهم محمد بن عمران العباسي الشريف العبدلاوي اليوسفي الشهير بمدشر كندماس من منازل بني عبد الله بقبيلة بني يوسف من البلاد الهبطية. وبيدهم في هذا الصدد عدة رسوم ثابتة أحدها عبارة عن نسخة عقد نسب مؤرخ بأوائل رمضان عام 1127 يشهد شهوده العدول العشرة، ثمانية منهم شرفاء بصحة نسب الشرفاء أولاد عمران المُكنّين بالعباس القاطنين بمدشر كندماس... ومنهم ابن عمهم القاطن بمدينة سلا سيدي علي العباس، وبعد ذكر أسماء الشهود إعلامُ القاضي في حينه محمد بن عتّ الشريف بثبوت النسخة بتاريخ 4 رجب عام 1219 يليه توقيع الشهود فالقاضي ابن عت فقضاة آخرين بتأكيد الإعلام بالثبوت. وفي رسم ثابت آخر مؤرخ في أوائل رجب عام 1219 شهوده كلهم عدول شرفاء من آل العباس يشهدون بأن بني عمهم علي الخارج من بني يوسف إلى سلا قد تفرقوا إلى الرباط وبني حسن، وبأن علياً المذكور يوجد مع أسلافهم بظهائر شرفهم.

نعلم إذاً أن جدهم علياً العباس كان قاطناً بسلا منذ أوائل القرن الثاني عشر (18 م) وأنهم كانوا يُدعون بالعباس. وأن أبناءه تفرقوا بالرباط وبني حسن ببادية سلا. ولعل هذا ما يفسر استبدالهم لقب البرهمي بالعباس، إذ يعتبر البراهمة من أهم عشائر قبيلة بني عامر الكبرى بضاحية سلا (*التعريف*، 2 : 265). ومما يدعم هذا الافتراض أن فريقاً من البرهميين السلويين بقوا يشتغلون بالفلاحة وتربية الماشية والاتجار فيها إلى السنوات الأخيرة، وبأيديهم تقاييد قديمة ورسوم عديدة تثبت ذلك. وقد أضاف أحدهم وهو عبد السلام بن بوسلهام البرهمي كنية جديدة هي بومسلّك لجريان لفظ "سلّك" على لسانه، الدال على تساهله في بيوعاته في الماشية. وكان من جملة أملاكه بسلا سانية (جنان) بباب شعفة قرب المسجد الأعظم مليئة بحظائر المشاية حملت هذه الكنية سانية بومسلّك وأصبحت اليوم حياً عامراً.

**البرهمي، بوسلهام** (سيدي ـ) بن محمد السلوي، كان فلاحا موصوفاً بالفضل والبركة موسعاً عليه في الرزق، ولدى حفدته تقييد طويل يشتمل على مآت الأسر السلوية العريقة التي كان يتعامل معها، يذكر أحياناً عدد رؤوس الغنم المقدمة إليهم وأثمانها ويكتفي أحياناً بذكر الثمن. ويبدو أن ذلك كان يقع بمناسبة عيد الأضحى وفي ولائم النكاح والعقيقة، ويدل تكرر أسماء بعضهم، ولا سيما الفقهاء والعدول والمدررين، على أن الحياة الاقتصادية بسلا لم تكن ما يرام في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر، لا سيما وأن الكثير منهم لم يشطب على المبالغ التي بذمتهم.

مات بوسلهام البرهمي بعد عام 1312 / 1894، وهو تاريخ آخر عقد إشهاد عليه بالإبراء.

**البرهمي، عبد السلام** (سيدي ـ) بن سيدي بوسلهام السلوي، كان ـ كأبيه ـ فلاحاً تاجراً، تذكر وثيقة عدلية مؤرخة في ثالث شعبان عام 1318 / 26 نونبر 1900 أنه كان من بين كبار تجار مدينة سلا الذين جمعهم خليفة العامل بأمر من السلطان عبد العزيز، مع أمين المستفاد بالمدينة والعدول لتجديد الاسترعاء عليهم حتى لا يعودوا للتعامل مع العمال والأشياخ ومن في معناهم ممن لديه تصرف بالقبض والدفع في الرعية. متغافلين عما صدر من أوامره وأوامر والده الحسن الأول وجده المولى محمد بن عبد الرحمان بمنع ذلك مادام جميع ما بأيديهم هو لبيت المال.

وكانت وفاة عبد السلام البرهمي حوالي عام 1345 / 1926.

**البرهمي، علال** (سيدي ـ) السلوي، لم تذكر الوثائق اسم والده، وهو ليس من فريق البرهمين الفلاحين، بل من أبناء عمهم، كان من رجال البحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية بسلا، وبهذه الصفة نجده في 16 قعدة عام 1296 / 14 دجنبر 1875 أدرج في قائمة البحريين الذين خرجت لهم صلة من الحسن الأول ناله منه ـ كسائر قرنائه ـ 26 أوقية. وفي 28 حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894 أُدرج في قائمة صلة أخرى للبحريين المجاهدين وكان نصيبه فيها 13 أوقية. ولم نقف على تاريخ وفاته.

**البرهمي، قاسم** بن الهاشمي الزروالي، لا ندري إن كانت له علاقة مّا بالبرهميين السلويين، وكل ما نعلم عنه أنه كان طالباً ينسخ الكتب. ومن منتسخاته مخطوط *معلم الطلاب ما للأحاديث من الألقاب*، لأحمد بن زكري التلمساني المتوفي عام 899 / 1493.

*وثائق مختلفة* : عقود نسب وأنكحة وبيوعات وتقاييد بيد آل البرهمي ؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد السلاويين ونبذة عن وثائقهم*، ج 2 ؛ م. حجي، *الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*، ص 96.

محمد حجي

**بَرْهُون**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barahona وهو أيضاً اسم مدينة بمقاطعة صوريا الإسبانية، وكان من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان العالم :

**بَرْهُون، محمد** بن محمد المتوفى سنة 1917/1336.

وما زالت هذه الأسرة بتطوان، كما توجد زنقة بحومة العيون تحمل اسمها.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، 3 : 34 / 6 : 172 ؛ م. داود، مختصر تاريخ تطوان، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، عائلات تطوان.
Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بُرُّو**، (أولاد ـ) أسرة بدوية أنجبت علماء واستوطنت قرية أمولة بقبيلة بني سلمان إحدى القبائل الغمارية الوسطى، منهم :

**بُرّو، محمد بن علي**، قرأ بفاس وتولى التدريس بجامع قريته أمولة واشتغل بالعدالة والإفتاء، ثم عُيِّن قاضياً على قبيلة بني زيات بغمارة، وفي أخريات حياته أُلحِقَ بمحكمة الناضور بمنطقة الريف الشرقية، وتوفي عام 1983/1404.

**بُرو، محمد بن محمد**، تعلم ببلده، وأنهى دراسته بفاس، وبعد عودته تولى خطابة الرسوم، والفصل بين الخصوم، بدون ظهير أو قرار ـ على عادة فقهاء البادية قديماً. وكان ذا خط جميل، ثم ولي القضاء على قبيلته بني سلمان بظهير خليفي مؤرخ بعام 1926/1345 ثم عزل.. ولم أقف على تاريخ وفاته.

**بُرو، موسى** بن عبدالله السلماني وهو أقدم من عُرف من علماء هذه الأسرة، وربما كان يُدعى برور أو بروج ـ كما عند الزياتي في *نوازله* ـ ولكثرة الاستعمال حذف آخره تخفيفا فصار (برو). كان عالماً جليلاً، وفقيهاً نوازلياً، له *تأليف في علم الجدول* ينقل عنه الزياتي.

لم أقف على تاريخ وفاته، وقد عاش في النصف الأخير من القرن التاسع الهجري (15 م)، معاصراً للحسن بن يوسف ابن عرضون الشهير، كما يذكر التسولي في نوازله.

ع.الزياتي، *الجواهر المختارة*، مخطوط ؛ ع. التسولي، *النوازل*، مخطوط ؛ ع. بوخزار، *تقييد عن أعلام قبيلة بني سلمان*، مخطوط.

سعيد أعراب

**برواگ**، أو برواق جنس نباتات عشبية معمرة من الفصيلة الزنبقية Liliaceae بعضها برية وبعضها تزرع لأزهارها. البرواگ هو الاسم الشائع في المغرب ويطلق عليه في الشرق العربي الخنثى والبرواق.

الجذمور قصير، الساق قوي وكثيف، الأوراق قاعدية وطويلة. ينتهي الساق بباقة من الأزهار كلها بيضاء. الثمرة جافة متفتحة.

تعيش في المغرب عدة أنواع من البرواگ نذكر منها :

ـ برواگ صغير الثمر Asphodelus microcarpus، وهو شائع في السهول والجبال التي يقل ارتفاعها عن ألفي متر، وذلك في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة.

ـ البرواگ الصيفي Asphodelus aestivus الذي ينمو في السهول فقط ويقتصر توزيعه الجغرافي على غابة المعمورة وسهول الغرب الشمالية. يعيش على الأراضي الرملية في المراعي وتحت ظلال الغابات.

ـ البرواگ الدقيق الورق Asphodelus tenuifolius وAsphodelus refractus يعيشان في البيومناخات شبه الجافة والجافة والصحراوية.

ـ يعيش البرواگ من نوع Asphodelus ceraseferus في البلدان المتوسطية الغربية، وهو شائع في الريف والأطلس المتوسط وفي السهول والمرتفعات المتوسطية.

M. Ibn Tattou, *Les Angiospermes ou plantes à fleurs* ; N. Galland, *Recherches sur l'origine de la flore orophyle du Maroc*.

نجاة الخياطي

**البُرُّوَّة** أو البُرُّوَي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد انقرضت سنة 1757/1170.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 354 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البروج** ـ جغرافيا.، مدينة تقع على مسافة 130 كيلومتر من ساحل المحيط الأطلنتي و400 متر من الارتفاع عن سطحه. وهي المركز الحضري الوحيد الذي تمكن من النمو داخل مضلع كبير، يغطي نحو 8.000 كلم2 وله زواياه الخمس بمدن سطات في الشمال الغربي (على بعد 68 كم بخط مستقيم) وخريبگة في الشمال الشرقي (47 كم) والفقيه بن صالح في الشرق (47 كم) وقلعة السراغنة في الجنوب (55 كم) وبن گرير (78 كم) في الجنوب الغربي. وبذلك تبرز البروج منعزلة بين أربع مجموعات حضرية : مدن الفسفاط بهضبتي ورديغة من جهة والقنطور من جهة أخرى، ومدن الري بتادلا والسراغنة ثم مدن الشاوية.

وعلى عكس هذه المدن التي اندمجت، بدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة، في الاقتصاد العصري (الاستخراج المعدني، الفلاحة المسقية، المكننة الفلاحية، الصناعة) فعرفت، في مجملها، نمواً سكانياً هاماً. وأحياناً متفجراً، جعل بعضها تنتقل، في ظرف بضعة عقود من الزمن، من حالة مركز بسيط أو قلعة صغيرة أو قرية متواضعة أو سوق أسبوعية إلى مدينة متوسطة أو كبيرة تناهز 150.000 (بني مـلال) أو 200.000 نسمة (خريبگة)، فقد تميزت البروج بتكاثر سكاني بطيء نسبيا تركها دون عشرة آلاف نسمة حتى الآن.

يظهر أن البروج دأبت تقوم، في القرن التاسع عشر، بدور نزالة على طريق قوافل ثانوية كانت تشتغل بين السراغنة وتادلا الجنوبية من جهة والشاوية من جهة أخرى، في اتجاه ميناء الدارالبيضاء. وكانت لذلك هي السوق الأسبوعية لقبيلة بني مسكين. غير أن هذه السوق ظلت متواضعة جداً، تقل أهمية عن كل أسواق الشاوية، وهي الوضعية التي تحدث عنها بيرينيي M. de Perigny حيث أكد أن واجبات المكوس المستحقة على الباعة في سوق

البروج سنة 1917 كانت لا تزيد عن 74.000 فرنك، أي أقل بكثير مما يُجمع بأسواق سطات وبن أحمد وبرشيد وبن سليمان والكَارة وأولاد سعيد الواقعة كلها بناحية الشاوية الشمالية الأكثر خصباً والأكثف تعميراً.

ولم تعر السلطات الفرنسية أهمية كبيرة للبروج، رغم أنها احتلت ناحية بني مسكين في وقت مبكر، أي بُعَيد معاهدة الحماية، نظراً لسهولة سطحها ولمحاذاتها مجال الشاوية السفلى التي دخلت تحت السيطرة المباشرة لفرنسا ابتداء من 1907. كما أن قبيلة بني مسكين كانت تابعة لقائد سطات قبل الحماية، فإن هذه الأخيرة اكتفت بانشاء مركز للمراقبة المدنية (وهو أدنى درجة في هرم التقسيم الاداري آنذاك) بالبروج، في إطار دائرة الشاوية الجنوبية.

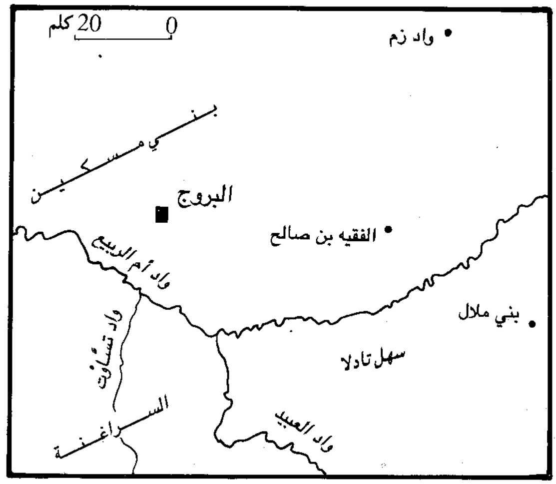


موقع البروج

ونظرا لبعد ناحية بني مسكين عن الساحل الأطلنتي عموماً، وعن الدارالبيضاء خصوصا من جهة، ولجفاف مناخها (إذ أنها تتلقى فقط بين 250 و350 ميلمتر من الأمطار سنويا) مع تعذر إمكانية سقيها (رغم قرب نهر أم الربيع)، وقلة خصوبة تربتها على العموم من جهة أخرى، فإن منطقة البروج لم تعرف الاستعمار الفلاحي الفرنسي مبكراً كما حدث بالشاوية السفلى. لكن على عكس هذه الأخيرة. وكذا جل المناطق الفلاحية الغنية بالتربات أو ماء السقي (سايس مكناس، زمور، الغرب، تادلا، سوس، تريفة...) حيث كانت السيادة لأراضي الاستعمار الفلاحي الخاص المتميز بامتلاك المعمرين مباشرة للأرض، فإن منطقة بني مسكين انتشرت بها فقط أراضي الاستعمار الفلاحي الرسمي الموزعة على المعمرين من طرف الدولة الفرنسية التي اقتطعتها خلال العشرينات من الأراضي الجماعية بالدرجة الأولى (كما يرخص بذلك ظهير 1919). وبذلك فقدت القبيلة قسما هاماً من محاطها جُزِّئَ إلى عدة قطع تمتد كل منها على مئات الهكتارات تسلمتها شركات رأسمالية كبيرة لتمارس فوقها تربية الأغنام (سلالة السردي) على الخصوص اعتماداً على زراعة الشعير والقطاني ومزروعات علفية أخرى، إضافة إلى زراعة القمح في الجهات الملائمة.

وبسبب هذا الشكل من الاستغلال الفلاحي المتميز بالضيعات الرأسمالية الشاسعة وبتربية الأغنام، فإن ناحية بني مسكين لم تشهد أي استقرار أوربي ذي بال، بحيث إن الأعمال الفلاحية التي كانت تُسيّر انطلاقا من الدارالبيضاء لم تكن تحتاج إلى تأطير محلي هام. لذا فإن عدد الأوربيين لم يزد عن 17 فرداً بالمجال الريفي وعن 18 بمركز البروج، في 1936. ويظهر أن الطائفة اليهودية لم تكن قط ذات قيمة تذكر بهذه المنطقة بسبب ضعف إمكانياتها التجارية وعزلتها: ففي 1936، لم يُحص سوى 7 يهود بالأرياف و3 بالبروج، مقابل 40.500 و1.344 مغربي. وحتى مطلع الخمسينات، عندما بلغ الاستعمار الفلاحي أشده، بقي عدد الأوربيين دون الثلاثين بالمجال الريفي وفي حدود 60 شخصا بالبروج، بينما اختفى اليهود من المنطقة.

ويفسر هذا الاستقرار الأوربي الضعيف بالمنطقة العناية المحدودة جداً التي أعطيت لمركز البروج الذي لم يتلق سوى تجهيزات بسيطة للغاية، تتلخص في بعض المرافق الإدارية الأولية. غير أن وجوده على تخوم أراضي المعمرين المنتشرة شماله، جعله مقرا لبعض الخدمات الفلاحية التي يلزم توفرها محلياً، كإصلاح الآلات وتزويدها بالوقود، وكذا جمع منتجات الزراعة والماشية ببني مسكين قبل وسقها للدارالبيضاء.

وفي إطار التقسيم الإداري الجديد الذي تلا الاستقلال مباشرة، أصبح البروج مقر جماعة قروية تحمل اسمه. ورغم كون المركز لم يستقبل، إثر ذلك، أية تجهيزات هامة، فإن حركة التوافد إليه انطلقت بحدة من بني مسكين، وبالخصوص من الأرياف المباشرة. غير أن تيار الهجرة هذا خف كثيراً فيما بعد، لأن المركز استمر على حالته السابقة مفتقرا لكل عناصر استقطاب السكان، فيما يخص امكانيات التشغيل والإسكان وتقديم الخدمات الاجتماعية الأساسية. وهكذا توجه مهاجرو بني مسكين إلى خارج المنطقة، نحو تادلا ومدنها حيث يستمر القطاع المسقي في التوسع، نحو خريبكَة ومناجم الفسفاط، وكذا إلى سطات العاصمة الإقليمية، وبالطبع صوب الدارالبيضاء. بل إن المركز نفسه فقد جزءاً كبيرا من سكانه خلال عقد الستينات إذ أن نسبة تكاثره الديمغرافي (1,16٪ سنوياً في المتوسط) لم تمثل حتى نصف الزيادة الطبيعية الناجمة عادة عن حركة التوالد والوفاة.

وتغيرت الأوضاع نسبيا أثناء العقد التالي لما ارتقى مركز البروج إلى عاصمة إدارية تؤطر دائرة تمتد على 1934 كم$^2$ وتتضمن ست جماعات قروية، هي، إضافة إلى جماعة البروج نفسها، جماعات القراقرة وأولاد بوعلي ودار الشافعي وبني خلوكَ وأولاد فريحة. وسمحت هذه الترقية الادارية للمركز باستقبال بعض التجهيزات الاجتماعية الأساسية في ميادين الصحة والتعليم والتجارة البسيطة والخدمات الأولية، الشيء الذي ساعد على تثبيت نسبة أهم من سكان البروج واجتذاب أعداد أكبر من أرياف بني

مسكين حيث اشتدت الهجرة أكثر من ذي قبل بسبب سنوات الجفاف القاسية التي ضربت المغرب عموماً والمناطق الداخلية بصفة خاصة ؛ فلم تَنْمُ أرياف بني مسكين إلا بنسبة 1,6٪ سنويا بين 1971 و1982، بينما زاد سكان المركز بمعدل 3,44٪ أي ثلاثة أضعاف ما سجلته فترة 1960. 1971. كما يلاحظ أن السكان القاطنين في أحواز البروج، الذين يستفيدون مبدئيا أحسن من غيرهم من تجهيزات المركز وسوقه الأسبوعي، تميزوا خلال هذه الفترة بزيادة ديمغرافية أهم نسبيا من سكان الجماعات الأخرى البعيدة.

تطور سكان دائرة البروج بين 1936 و1982

| الجماعات | 1936* | 1960* | 1971* | 1982* | 1990** |
|---|---|---|---|---|---|
| دارالشافعي | 10758 | 13248 | 17643 | 20318 | 22500 |
| بني خلوگ | 8821 | 10482 | 13571 | 16858 | 19500 |
| أولاد بوعلي | 5620 | 10738 | 12709 | 15192 | 17000 |
| البروج | 5165 | 7952 | 9778 | 12389 | 14500 |
| أولاد فريحة | 6366 | 9614 | 11864 | 13034 | 14000 |
| القراقرة | 3718 | 5404 | 6717 | 8314 | 9500 |
| مركز البروج | 1344 | 3954 | 4489 | 6510 | 8500 |
| المجموع | 41792 | 61392 | 76771 | 92615 | 105500 |

* إحصاء ** تقدير

هكذا تكون أرياف بني مسكين قد زادت بأربعين ألف نسمة بين 1960 و1990 بينما سجل مركز البروج ركوداً سكانياً خلال الستينات (535 ساكن إضافي فقط بين 1960 و1971) وتكاثراً حثيثاً طيلة العقدين التاليين حيث كسب أربعة آلاف ساكن جديد.

كان من نتائج هذه الانطلاقة السكانية العارمة أن توسعت المباني الهزيلة بشكل عشوائي منتشرة في كل الاتجاهات انطلاقاً من النواة المركزية والسوق الواقعتين عند ملتقى الطرق والمسالك الرابطة بين تادلا والسراغنة جنوباً وشرقاً، وهضبة ورديغة والشاوية شمالا. ففي أواخر الثمانينات، كان النسيج العمراني يتألف من حوالي 1300 مسكن موزعة على خمس وحدات كبرى متميزة، إضافة إلى افتتاح ست تجزئات سكنية جديدة تغطي نحو 40 هكتاراً. وقد عمل المهاجرون النازحون من بني مسكين إلى الخارج، وبالخصوص إلى إيطاليا، على تنشيط قطاع البناء بالمركز مما ترتب عنه ارتفاع سريع وحاد لأثمان الأرض، وبالتالي احتدام ظاهرة المضاربة العقارية، خاصة في المواقع المركزية، وما ينجم عن ذلك من تشتت في البنايات على الأطراف، ومن صعوبة ربط أجزاء المدينة بمختلف الشبكات (الماء، الكهرباء، التطهير، الطرقات...).

ولم تواكب التجهيزات العمومية والخصوصية هذا التوسع السكاني والعمراني. ففي 1989، لم يكن بالبروج سوى ثلاث مدارس ابتدائية بها نحو ألفي تلميذ وتلميذة، إضافة إلى ثانوية إعدادية واحدة يدرس بها حوالي ألف آخر ؛ كما لم تكن بالطبع الداخلية التي تتوفر عليه هذه المؤسسة الأخيرة، بأسرّتها المائتين، لتفي بحاجيات سكان الجماعات القروية لدائرة البروج (نحو 95.000 نسمة). يضاف إلى هذا مقر للاستئناس المهني ودار للشباب.

ويشكو القطاع الصحي من نقص بيّن إذ لم يكن بالمدينة سوى طبيبين غير متخصصين، أحدهما بالقطاع الخاص، والآخر بالقطاع العمومي يعمل بالمركز الصحي الوحيد بمعية أربعة عشر من أعوان التمريض، لكن بدون أسرة استشفاء ؛ كما أن هناك صيدلية فريدة.

ويتمثل القطاع الإداري في أجهزة تسيير الدائرة والجماعة، وكذا مكاتب الدرك والقاضي المقيم والبريد والقباضة المالية وتوزيع الكهرباء وماء الشرب. كما أن هناك بعض المصالح للتأطير الفلاحي (المياه والغابات، البيطري، القرض الفلاحي)، إضافة إلى وكالة بنكية.

هناك أيضا ضعف في التجهيز التجاري والخدمات، إذ أن عدد الدكاكين بالمركز لا يتجاوز المائتين، أي بمعدل دكان واحد لأزيد من 40 ساكنا. ويتجمع نصف هذه الدكاكين بقلب المدينة ارتباطا بمحطة المسافرين والسوق الجماعية المغطاة والمسجد، في حين يَتناثر نصفها الآخر عبر أحياء المدينة وخاصة على طول الطرقات الرئيسية ؛ يتعلق الأمر أساساً بمحلات صغيرة تشتغل بتجارة المكاسرة البسيطة (تغذية ولباس) أو بحرف النقل (إصلاح السيارات والشاحنات...) والبناء (نجارة وحدادة) والخدمات الشخصية العادية.

يعوّض نسبياً هذا النقص الحاصل في المحلات القارة سوق الأحد الذي يعتبر بحق الجهاز التجاري الأساسي بالنسبة لسكان لم ينسلخوا بعد من أسلوب عيشهم الريفي. وهو من أهم أسواق الشاوية فيما يتعلق بالأغنام التي يتخصص في شرائها تجار حَجَّاجيُّون (من جماعة ومركز سيدي حجاج، شرق سطات) قصد حملها إلى مجازر الدارالبيضاء. وينشِّط هذا السوق، خلال الصيف، المهاجرون العائدون من الخارج بما يروجونه من عملة أجنبية (الصرف) ومختلف أنواع السيارات المستعملة التي نقلتهم من أوربا، وإيطاليا على الخصوص.

يظهر إذن أنه رغم ارتقاء البروج إلى مركز دائرة، يظل هزيل الاشعاع على قبيلة بني مسكين. فهذا المركز يعاني كثيرا من عزلته من جراء موقعه على الهامش الجنوبي الشرقي للشاوية الداخلية،، بعيداً عن الساحل النشيط. فهضبة بني مسكين فقيرة جداً من حيث طرق المواصلات، ضعيفة الربط بالمناطق المجاورة، الشيء الذي لا يشجع على تطوير الانتاج الفلاحي في بيئة جافة تبلغ الكثافة السكانية الإجمالية بها مستوى 55 نسمة في الكم2. غير أنها تستطيع الاستفادة من عبور أم الربيع على أطرافها الجنوبية لو تيسرت إمكانية السقي من هذا النهر الكبير (سد المسيرة). كما يمكن لمركز البروج أن ينتعش عن طريق

اندماجه في اقتصاد تادلا نظراً لقربه من هذا السهل الذي تتوسع فيه الفلاحة العصرية المسقية باستمرار.

*احصاءات السكان* لسنوات 1936، 1952، 1960، 1971 و1982.

J. Gadille, *Exploitations rurales européennes, Atlas du Maroc*, planches 33b et notice, 1958 ; M. de Perigny, *Au Maroc : Casablanca, Rabat, Meknès*. Paris, 1919 ; in M. Chouiki : *Settat et son rôle régional*, Thése de 3e cycle en géographie. Université de Tours.

عبداللطيف فضل الله

**البروج**، ـ تاريخ ـ قصبة قديمة تقع وسط قبيلة بني مسكين بالشاوية الجنوبية على بعد 144 كم جنوب الدارالبيضاء، و96 كم من تادلا. وتحد من الشرق بقبائل بني موسى، ومن الشمال بورديغة، ومن الجنوب بالسراغنة. وتحيط بها مباشرة قبائل بني مسكين الشرقيين.

ومن المحتمل أن البروج قد صارت فيما بعد علماً للقصبة التي يعتقد بعض عرفاء البلدة ـ حالياً ـ أنها من بناء السلطان الحسن الأول. لكن يبدو أن قصبة البروج قديمة. إذ يذكرها الأسير الانجليزي طومابيلاو في *رحلته*. ويجعلها إحدى المراحل في الطريق الواصلة بين مكناس ومراكش. وقد مر بها في أثناء الحملة الموجهة إلى هذه الأخيرة سنة 1722. وتشير مگالي مرسي (ص. 161 هامش 407) إلى أن هذه القصبة شكلت جزءاً من المنطقة العسكرية التي كانت إلى نظر بيلاو. ومما يؤكد تعليقها أنه يقول قبل ذلك : "واستقبلت جيوش السلطان (هناك) استقبالا حاراً من طرف السكان الذين أبدوا كثيراً من الحبور" إلا أن المصادر العربية لا تذكر ـ فيما نعلم ـ البروج إلا في القرن التاسع عشر، فقد ذكرها في *الاستقصا* (9 : 129)، إذ مر بها السلطان الحسن الأول عندما توجه من مراكش إلى فاس، لإخماد ثورة الدباغين سنة 1873/1290، حينما علق هؤلاء بيعته على إلغاء ضريبة المكس. وتكررت نفس الاشارة لدى ابن زيدان حيث قال : "فسار من مراكش لقبيلة السراغنة ثم البروج ثم گيسر من بلاد تامسنا متوجهاً إلى فاس لإخماد ثورة الدباغين" (*إتحاف*، 2 : 134).

يظهر أن السلطان مرّ بالبروج، لأول مرة بعد بيعته بمراكش، ويكون ذكرها متصلا بهذا المرور لما جازها نعشه سنة 1894/1311. فقد توفي السلطان الحسن الأول بدار ولد زيدوح من تادلا، ليلة الخميس ثاني ذي الحجة سنة 1894/1311، فكتم الوزير أحمد بن موسى البخاري موته. وأمر نساء الحريم بالتجلد والكتمان (*إتحاف*، 2 : 459). وأدخل جثمانه في المحفة "حملت على القاعدة المعلومة، وأحدق بها من كان يحاذيها على العادة وظل يتردد إليها موهما بأنه يحدثه أو يستجيب لندائه (L. Arnaud, *Mehallas*) وبعدما عبرت المحلة وادي أم الربيع من مشرع تَرْمَاسْت جدت السير حتى وصلت إلى البروج، حيث خيمت بها عند الزوال (*إتحاف*، 5 : 372). وبعدما ضربت الأخبية واستراح الناس، اجتمع أعضاء المخزن بالمسجد حيث تم الإعلان عن موت السلطان، ونصر ابنه عبدالعزيز. فأطلقت المدفعية خمسين طلقة، وأمر الحاجب السلطاني بغسل جثة السلطان الراحل ثانية وتسجيته. يستنتج من هذه المصادر أن البروج كانت قصبة مأهولة على الأقل منذ عهد المولى إسماعيل، وأنها بالاضافة إلى ذلك كانت تدار ضمن القبيلة ككل، من قصبة دار الشافعي.

ومن الممكن كذلك أنها كوّنت احدى "النزايل" الرئيسية في الطريق السلطانية، حيث كانت المحلات تحط بها لتستريح قبل أن تستأنف السير. ولعل ذلك دعم مكانتها وأسهم بالتالي في توسع تعميرها خاصة وأنها تقع في وسط اعتبرت قبائله منقادة للسلطة المركزية باستمرار ذلك أن الحاجب أحمد بن موسى خشي إعلان وفاة السلطان في منطقة تادلا لكن بمجرد وصوله إلى البروج بادر إلى البوح بما كتم.

هل احتفظت البروج بنفس المكانة في عهد السلطانين المولى عبدالعزيز، والمولى عبد الحفيظ ؟ يبدو أن الطرق قد انحرفت عنها بسبب الظرفية الجديدة، إذ صارت الطرق الساحلية مفضلة أكثر من الطرق الداخلية. ولما فُرضت الحماية الفرنسية على المغرب تَمَّ احتلال البروج حوالي سنة 1914 انطلاقا من "مشرع بنعبو" بمساعدة القائد محمد بوحافة، بعد سقوط قصبة الشافعي، التي تبعد عنها بحوالي ثلاثين كلم. ومن هنا انتقلت إلى البروج إدارة بني مسكين فاتخذها الفرنسيون منطلقاً لتطويع تلك القبائل، بالإضافة إلى السراغنة وبني موسى وغيرها. فصارت البروج تابعة لمنطقة الدارالبيضاء، كمركز يديره مراقب مدني. وفي سنة 1936 صنفت ضمن القرى وبلغ عدد سكانها آنذاك 1367 نسمة (*Repertoire* ; 40) وظلت تابعة لإقليم الدار البيضاء بعد الاستقلال. وحين صارت سطات إقليماً ترقت البروج إلى دائرة حضرية، فعرفت نمواً سكنياً مطرداً بفضل عدة عوامل، منها : التجهيزات التي أمدتها الدولة بها في ميادين التعليم والصحة والبريد والقضاء وغيرها، وكونها نقطة عبور تصل بين الدارالبيضاء وقلعة السراغنة ودمنات، وبين بني ملال وسطات.

لذلك اتسعت بها حركة التعمير والعمران، حتى صارت مقصداً للهجرة القروية من المناطق المجاورة. فنتج عن ذلك زيادة ملحوظة في عدد سكانها، إذ يناهز عددهم حالياً مائة ألف نسمة.

أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ ص. بن العربي، *المغرب*، ط 2. ص 17 ؛ التحري الميداني.

M. Morsy, *La Relation de Thomas Pellow*, Paris, 1983 ; L. Arnaud, *Au temps de Mehallas*, Casablanca, 1952 ; *Répertoire Alphabétique des agglomérations de la zône française de l'empire chérifien, classées par tribus et par factions de tribu, d'après les résultats du recensement quinquennal du 8 Mars 1936*, Rabat 1939.

أحمد عمالك

**بِرُورْسي** Perorsi، عناصر من سكان المغرب القدماء ورد ذكرهم عند عدد كثير من الكتّاب القدماء في حين لا نجد لهم مكانا ضمن المصادر الأثرية. يعتبرهم بِّلينيوس القديم من العناصر الاثيوبية (السوداء) ففي فقرة أولى من

كتاب *التاريخ الطبيعي* (5 : 10) يقول "ما وراء نهر Salsum (ربما نهر سوس) يوجد الاثيوبيون البرورسي وما وراءهم يوجد الفاروزيون". وفي فقرة أخرى (7 : 16) يوطنهم قريبا من نهر Ger (واد غير ؟)، الوادي الذي وصل إليه القائد الروماني سويتونيوس باولينوس أثناء حملته ضد الثوار الموريين سنة 42 م، بعد عبوره لصحاري ذات تربة سوداء. ويقول بلينيوس في هذا الصدد : أولئك الذين يقطنون السهوب المجاورة يطلق عليهم اسم الكناريينCanarii - وقد تم تقريب اسمهم من اسم canés (كلاب). الذين لا يختلفون في معيشتهم عن عيشة الكلاب، وإلى الجنوب منهم يوجد الاثيوبيون البرورسي.

وفي فقرة أخيرة (5 : 43) يوطنهم بلينيوس ضمن الشعوب المجاورة للمحيط والقاطنة على حدود موريطانيا. إذن فهم، من هذا المنطلق، من الشعوب المجاورة للاثيوبيين الغربيين أو Hesperioi خاصة وأن بطليموس يشير إلى وجود ميناء Perorsios في الخليج الهسبري Hesperien الذي ربما هو أحد موانئ موريطانيا البرورسية. فمن خلال هذه الاشارات يبدو أن هناك عدم الدقة في التوطين لدى بلينيوس القديم، إذ يوطنهم مرة ضمن القبائل الداخلية، ومرة ثانية يشير إليهم كشعب مجاور للمحيط.

ألا يمكن أن نتساءل هل المؤرخ بلينيوس خلط بين عنصرين هما البرورسي والفاروزيين Pharusii خصوصا وأن التشابه واضح على مستوى الشكل. وهذا مادفع الباحث S. Gsell (*Haan* I, p. 295) إلى اعتبارهما عرقاً واحداً يكتب بصورتين مختلفتين.

إلى جانب بلينيوس القديم نجد ذكر هذه الشعوب عند الجغرافي بطليموس (4 : 6،5) الذي يعتبرهم من القبائل الكبرى بليبيا الداخلية يوجدون إلى الشرق من الدرداي Daradae يعيشون عند مصب وادي درعة. ويضيف قائلا إن السهل الأحمر (سهل مراكش ؟) يفصل بينهم وبين الأثيوبيين البيض Leucae Aethiopes.

أما الجغرافي راڤينا فهو الآخر يوطن البرورسي بين أراضي الدرداي والأُدرنجداي Odrangidae. ويعتبرهم نستيفان من القبائل الكبرى بليبيا الداخلية.

إن أغلب المصادر القديمة تشجع على تحديد موطن الأثيوبيين البرورسي بالجنوب المغربي بين واد نون وواد سوس، بل هناك من يصل بهم إلى الأطلس الصغير، ولكن ذكر المصادر للبحيرة الحمراء تدفع إلى التفكير أيضا في سهل مراكش إذا احتفظنا بالتعريف الذي يجعل من Purron Pedion مطابقا لسهل مراكش.

فهل وقع الكتّاب القدماء في خلط بين هذا السهل وسهل سوس فترتب عن ذلك خطأ الباحثين المعاصرين؟.

ع. بل الفايدة، ب. البيضاوية، *الجنوب المغربي في عصوره القديمة من خلال المصادر المغربية - الرومانية*، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة 1، ص 343، 368.

عبد العزيز بل الفايدة

**البَرُّوك**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد انقرضت بتطوان على إثر الوباء الذي كاد يقضي على سكان المدينة سنة 1088/1677.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البَرُّوك**، تصحيف لكلمة البَرَكة العربية، يطلق بواد دادس على مقدمات بعض الأعياد الدينية يقوم أثناءها أهل القبيلة بذبح بهيمة يقسمون لحمها فيما بينهم. ويتم ذلك قبل يوم واحد من حلول عيد الفطر وعيد المولد النبوي الشريف وليلة القدر، وكذا صبيحة يوم عرفات المدعو محلياً إمْعَرْفا. ثمنُ الدبيحة يتفق عليه مسبقاً أهل القبيلة مع بائع البهيمة وعادة ما يكون ذلك الأجل بعد جني محصول من المحاصيل كالحبوب (الشعير القمح الذرة الخ) أو الفواكه (التين اللوز الخ).

وبعد ذبح البهيمة يجعل اللحم أقساطا تدعى تيخرُّوبين، مفرد تخرُّوبت (خرّوبة) تقسم على العائلات المكوِّنة للقبيلة كل حسب مستواه الاجتماعي، إذ هناك بعض العائلات التي تأخذ أكثر من خروبة، في حين هناك عائلات أخرى تشترك في الخروبة الواحدة، ويكلَّف إمام مسجد القبيلة بتقييد ما بذمة كل واحد من دين في لائحة تسمى "الزّمام" ويأخذ في مقابل ذلك قلب الذبيحة، أما الأسفاط ورأس البهيمة وجلدها فتباع عادة بالمزاد العلني أمام الملإ.

وتبركاً بهذه المناسبات الدينية تطعم بعض العائلات الموسرة في القبيلة الطعام أثناءها، فتاتي بأطباق من الكسكس إلى المسجد يتناوله المصلون من أعضاء القبيلة وطلبتها الذين يحيون الليلة إلى طلوع الفجر إذا كانت الليلة ليلة القدر، أما في سائر الأعياد فيؤتى بالطعام إلى المسجد خلال النهار.

*تحريات ميدانية.*

محمد حمام

**بَرْوَل**، أسرة لعل أصلها من الجزائر من الأسر التي هاجرت إلى تطوان سنة 1246/1830. وكان جل أفرادها ينتمون إلى العسكرية حيث نجد من بينهم في السنة المذكورة أحمد بَرْوَل، وفي سنة 1248/1832 عبدالرزاق بَرْوَل، ومحمد برول ومصطفى برول، وفي سنة 1250/1834 عبدالخالق برول والمنجي برول، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 216 ؛ *مختصر تاريخ تطوان* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البَرْوَلة**، تجمع على بَراول، قطعة شعرية ملحونة، تغنى ضمن موسيقى الآلة، أو قصائد الملحون وسراباته مع

بعض الخصوصيات. وقد أطلق شعراء الملحون البَرْوَلَة على لون من النظم لا يرقى إلى درجة قصائدهم وسراباتهم، وهذا اللون له "مرمّاته" أي بحوره، تخضع فيها الكلمات لحركات موسيقية معينة ومضبوطة، تُحدث مجموعة من الأنغام على طبوع موسيقية معروفة يتنشي بإنشادها المستمع. وقد تحدث عنها الأستاذ محمد الفاسي في *معلمة الملحون* (1 : 137) قائلا إن المغاربة ضمّنوها بعض الميازين في الآلة. وتوجد "براول" تغنّى كالقصائد، فكأنها نوع خاص، لكنها لا تمتاز عن القصيد بميزة خاصة، لذلك جعلتها ضمن بحور المبيّت... ومن البراول المعروفة في الملحون : يُوم نْهار الْخميس للشيخ الجيلالي امثيرد، وذَهْبِيّة الصّْباح للسي التهامي المدغري.

ويحتمل وجه التمسية أنه حين ظهر فنّ "البراول" في طرب الآلة يطرد من الساحة الفنية بعض القطع الزجلية التي حملت بين كلماتها معالم من اللهجة العامية بالأندلس، لم يرق إلى مرتبة القصيدة الزجلية عند شعراء الملحون، ولم يصل إلى ما وصلت إليه في تنوع طبوعها وميازينها وموضوعاتها، وظلوا يعدونه غزلا من الدرجة الثانية لأنهم يثنون على غزلهم الرقيق الذي يغزلونه في قصائدهم وسراباتهم. ولعل هذا هو الدافع الذي دعا الشيخ الجيلالي مثيرد إلى أن يفاخر بغزله الرقيق حين انتشر غزل "البروال" في الوسط الشعبي إذ يقول :

غزْلِي صافي مَشْنُوع مايْلَحْقُو مَنْ كانْ اسْقِيمْ
مَانَا دَاعي مانَا جْحِيدْ

كما يحتمل أن تكون التسمية شيئا آخر عند شعراء الملحون، فهم يعنون بالبرولة زجلاً يخضع لطبوع غير طبوعهم، ولطريقة في الإنشاد غير طريقتهم وبما أن التعامل مع هذا اللون من حيث الغناء والإنشاد يحتاج إلى الإلمام بأنواع من الأنغام في موسيقى الآلة، فإنه كان من الصعب أن يمارسوه كما مارسه أهل الطرب الأندلسي فأصبح معقداً تعقيد خيط "البَرْوَل" عند الحائك.

وربما تكون تسمية البرولة عند الزجال المغربي تعني شيئا آخر يفيد عدم الاعتراف بهذا اللون بتاتا في سوق أدبهم، وفي محافلهم ومنتدياتهم. فهم بهذا يرفضونه في حظيرتهم رفض خيط "البرول" في سوق الحياكة. فإذا راجت قصائدهم وسراباتهم وحظيت بالإقبال عليها من لدن جمهور عريض، فإن "البرول" لم يجد ذلك الصدى، وذلك الإقبال الكبير من عشاق الغناء المغربي عكس براول الآلة التي تعد من أحسن مقاطعها وأشجاها كالبرولة الشهيرة التي تُنشد في قدام الاستهلال ذات المطلع :

يَالعنْسْ طْلَعتْ بدْرْ التّمامْ يـاذَاتَ المحيـا الجميـلْ
فاق اجْمالك طلعتْ الثّريّـا والشّمـسْ الوسْمَـا
حُرْمَتْ اجْمالكْ يا قدْ لعْلام يـا مُـولاَتْ التّهليـلْ

م. الفاسي، *معلمة الملحون*، ج : 1 ؛ ع. الجراري، *القصيدة*.

عبدالرحمن الملحوني

**برونو، هنري** Bruno, Henri، ولد في شرشال بالجزائر في 29 أبريل سنة 1888، في أسرة يرجع أصلها إلى هايتي بأمريكا الجنوبية، ودرس بثانوية الجزائر ثم التحق بكلياتها حيث حصل على الباكلوريا والليسانس في الحقوق وشهادات في الأعراف البربرية، وأتم دراسته العليا بباريز، حيث سجل كمتدرب بنقابة المحامين هناك ما بين 1909 و1913، قبل أن يعين سنة 1913 محرراً بالإقامة العامة لفرنسا بالمغرب. وفي سنة 1915 شغل منصب مراقب مدني مؤقت ثم مناصب إدارية أخرى. وغادر الإدارة سنة 1920، ليسجل محامياً بهيأة المحامين باستئناف الرباط، ثم أصبح نقيب المحامين بالرباط فيما بين 1930 و1932.

وبموازة مع الوظائف التي كان يقوم بها، تولى هنري برونو مهمة التدريس بالمدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية بالرباط. ثم صار مديراً للدراسات التشريعية بمعهد الأبحاث العليا.

تميز هنري برونو بتحقيقاته عن القبائل البربرية، تلك التحقيقات والأبحاث التي استعملت كمرجع أساسي للقرارات الأولى التي اتخذتها الحماية فيما سمته ببلاد العرف.

وخلال السنوات الأخيرة من حياته خصص هنري برونو حيزاً من نشاطه للعمل - تحت رعاية المركز الوطني للبحث العلمي بباريز - في موضوع تطور العلاقات الثقافية بين الفرنسيين والمغاربة، وكان من بين المنظمين لسلسلة من المحاضرات ألقاها قاضي الدارالبيضاء بجامعة السربون سنة 1947 في موضوع : *مصادر التشريع الإسلامي*. وبلغت أبحاثه نحو عشرين في مواضيع مغربية وقانونية، ومنها ترجمة *نصوص من معيار الونشريسي*.

ومات في 15 فبراير 1948.

*أبحاث هـ. برونو المنشورة*.

J. Caille, *Henri Bruno, 1888-1948, Hesp.* 1er et 2em trim. 1949, p. 3-6.

محمد جادة

**بْرُونيت** Braunite، معدن المنغنيز المختلط بالسيليسيوم $M^2n^+M^3n_6^+Si0_{12}$ كثافته 7,2، معدنها أبيض/رمادي، يوجد إما في العروق الحرمائية أو في الصخور الرسوبية السرئية.

غالباً ما تكون البرونيت مجتمعة بالبيرولوزيت، والكريبتوملان، والهولانديث والهيماتيت والمرو والباريتين. وتعتبر البرونيت إلى جانب البيرولوزيت من أهم معادن المنغنيز بالمغرب.

يتوفر المغرب على ثلاث مناطق مهمة فيما يخص هذا المعدن :

- منطقة ورززات (إميني، تيوين، ورززات).
- منطقة العيون (بدائرة وجدة).
- منطقة بوعرفة (بالأطلس الكبير الشرقي).

يستعمل المنغنيز في الصناعات المعدنية، والفولاذ، وخليط المعادن (النحاس والبرونز والنيكل). أما مركبات المنغنيز فكثيراً ما تستعمل في صناعة الحواشد الكهربائية والزجاج وصناعة الخزف، وحوافز الصباغة والطلاء؛ وتستعمل كذلك في المختبرات كمؤكسد للمنتجات العضوية واليودية، وكذلك له دور مهم في الفلاحة.

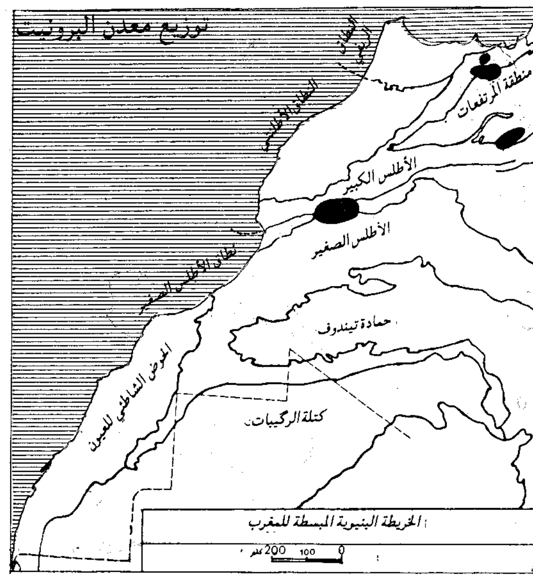


فيما يخص منتجات معدن المنغنيز بالمغرب فتعادل ما يناهز 117.304 طن سنة 1976، حيث صدر في نفس السنة 105.869 طن، مقابل29.953 طن لإنتاج سنة 1987 و27.953 طن صدرت في نفس السنة.

*مدخل إلى جيولوجيا المغرب*، مجلة المناجم والجيولوجيا منشور إدارة المعادن والجيولوجيا والطاقة ـ عدد 41، 1977.

A. Foucault et J. F. Raoult, *Dictionnaire de géologie*, 3ème éd., Paris, 1988 ; E. Saaidi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français - arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; Rudolf Duda et Lubis Rejl, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (substances métalliques et non métalliques associées)*, 2ème Ed., tome 1, Notes et mémoires du Service Géologique n° 276, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème Ed., tome 3, Notes et mémoires du Service géologique ; P. Lapadu - Hargues, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954.

عبدالقادر بوسحابة

**برونيل، روني** Brunel, René، ولد في شهر فبراير 1897 وتعلم اللغة العربية في مدشر موساوة بزرهون الجنوبية شمال مكناس ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة مولاي إدريس الزرهون حيث أتم قراءة القرآن على يد أحد الفقهاء المشهورين هناك وكان هذا الفقيه يُلقّب برونيل بالنصراني ـ لزرقة عينيه ـ دون أن يعلم أصله، وانتقل من زرهون إلى فاس لإتمام دراسته بالقرويين، فأتقن اللغة العربية إتقاناً جيداً إضافة إلى لغته الفرنسية الأصلية فأهله هذا التكوين اللغوي المزدوج إلى الدخول في سلك المراقبين المدنيين وهو في ريعان الشباب سنة 1922، فَعُيِّن بالتتابع مراقباً مساعداً لناحية مكناس، وخليفة أول للمراقب المدني بأسفي، ورئيساً للملحقة سيدي بنور لمدة ثلاث سنوات، ومراقباً مدنياً بقلعة السراغنة بإقليم مراكش، وكان آخر منصب تقلده قبل التحاقه بمكناس للمرة الثانية هو المراقبة المدنية بسيدي قاسم "Fort Petit Jean" التي قضى بها زهاء ثلاثة أعوام، ورقي في شهر فبراير 1937 إلى رتبة مراقب مدني فوق العادة من الدرجة الثانية.

عين برونيل مراقباً مدنياً ورئيساً للمصالح البلدية بمكناس بقرار مقيمي مؤرخ في 24 أبريل 1937، ودشن مهامه الجديدة بمكناس بمشكل مياه وادي بوفكران، فبعد أسبوعين من توليته لهذا المنصب، رفع إليه قادة الحركة الوطنية بمكناس عريضة السكان الأهالي المؤرخة بـ 16يونيو 1937 ليقدمها للحاكم العسكري للإقليم الذي وجهها بدوره للجنرال نوگيس المقيم العام في منطقة الحماية الفرنسية بالمغرب.

وبعد مضي ثلاثة أشهر على هذا الحدث، اندلعت أحداث فاتح وثاني شتنبر 1937 وقد قام برونيل بدور أساسي فيها كرئيس للبلدية التي كانت طرفاً في النزاع حول مياه وادي بوفكران مع الأحباس على ملكية وتسيير وتوزيع مياه هذا الوادي.

ظل برونيل رئيساً للمصالح البلدية بمكناس إلى سنة 1940 ونقل بعدها إلى مدينة وجدة لشغل نفس المنصب. وعرف عنه خلال قيامه بهذه المهام العداء والكيد للحركة الوطنية المغربية.

ألف برونيل بعض الكتب والدراسات أشهرها كتاب عن عيساوة وآخر عن هداوة.

*Essais Sur les Confrérié relegieuse des Aïssaoua au Maroc*, Paris, 1926; *Le Monachisme errant dans l'Islam : Sidi Heddi et les Haddaoua*, Paris, 1955.

بوشتى بوعسرية

**بروئير تيودور** T.Braüer، تاجر ألماني ولد سنة 1840 بليبسيك، واستوطن الصويرة سنة 1863 إلى أن توفي بها سنة 1884. كان نائباً قنصلياً لبلاده بها نحو العشر سنوات وكان له سماسرة وخلطاء بها وبمراكش.

م.بوشعراء، *الاستيطان*، 3 : 1074.1073.

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 316 ; P. Guillen, *l'Allemgne et le Maroc : 1870-1905*, 25.

مصطفى بوشعراء

**البْرِيبْري**، أسرة أندلسية استقرت بتطوان وسلا، وعرف رجالها بالعلم والصلاح. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ عام 1772/1186. أما آل البريبري السلويون فقد انتقل بعضهم إلى رباط الفتح في تاريخ غيرمحدد. وربما كان ذلك في الخمسينات من القرن الثامن عشر أيام الأزمة الطويلة التي عرفها المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل واستغرقت ثلاثين سنة، وفيها هاجر من سلا أفراد من عائلات الرايسي وبوحدو والشدادي وابن يوسف وفنيش وزنيبر. ويقول المؤرخ محمد بن علي الدكالي إن بقية آل البريبري موجودة بالرباط بمعنى أنه لم يبق منهم أحد بسلا. وقد اشتهر منهم قضاة ومدرسون، أمثال :

**البريبري، أحمد** التطاوني، شيخ صالح، وصوفي سالك، ذو قدم راسخة في طريق الشاذلية. أخذ عن الشيخ أبي المحاسن الفاسي واعتبر من أعيان أصحابه الذين كانوا يترددون إليه، ويداومون زيارته.. من أبرز الصفات التي ميزت أحمد البريبري تعلقه الشديد بشيوخ الصلاح، والإخلاص في محبتهم والدعوة إلى إحياء ذكراهم، وزيارة أضرحتهم وقبورهم، كما أنه كان "صاحب أحوال عجيبة، وكشوف غريبة، وبصيرة نافذة " (*الإعلام*).

توفي سنة 1611/1020.

**البريبري، عبدالرحمان** بن أحمد بن التهامي الرباطي، شب على طلب العلم وتتلمذ على عدد من كبار أساتذة المغرب في وقته. أخذ الفقه بفاس عن عبدالسلام الأزمي وأبي عبدالرحمان السجلماسي، وبدر الدين الحمومي، والقاضي التهامي المكناسي الذي أجازه، وعبدالقادر الكوهن وقد أجازه أيضاً. والتسولي شارح *التحفة*. وأخذ الحديث عن العربي الدمناتي، والأصول عن الوليد العراقي، وعنه أيضاً النحو والتصريف، وعن القاضي العباس بن كيران والعربي الزرهوني وعبدالسلام بوغالب، وعلي قصارة.

ومن أساتذته أيضاً جده للأم أحمد بن الطاهر قرأ عليه القرآن وربع العبادات من *المختصر*، ومحمد بن عبدالرحمان الفلالي الذي أجازه، والأمين الزيزي العلوي. كما أخذ عن محمد بن عبدالله الزناتي بالرباط وفضالة، وعن محمد بن مسعود الشيظمي بالرباط.

درّس عبدالرحمان البريبري بالرباط الفقه والحديث والنحو والتصريف وعلوم البلاغة، وأخذ عنه ابنه محمد الكثير من العلوم. تولى قضاء الرباط في 14 ربيع الثاني 1266 وكان يتصدى للأحكام بمقصورة مسجد النخلة، معروفاً بالصرامة فعزل الكثير من العدول ولم يبق معه إلا القليل، ومنع الكثير من علماء الرباط من التدريس كأبي بكر بناني والقاضي أحمد دينية والمكي بوجندار والطاهر بريطل وعبدالقادر بوعياد والمعطي الغربي والهاشمي الضرير وإبراهيم التادلي الذي منعه من التدريس عدة مرات وأودعه السجن مع آخرين مما جعلهم يأتون بظهائر مخزنية يتظاهرون بها ضده في سبيل ما هم بصدده من القيام بالمراسم الدينية، وربما كانت البطانة المحيطة به سببا في إلقاء القبض على هؤلاء العلماء وإيداعهم السجن.

كان عبدالرحمان البريبري يخالف عادة القضاة في الخطبة في العيدين بالمصلى، فينيب عنه الفقيه أحمد بن الغازي، ولما توفي صار ينيب عنه الفقيه محمد بن إبراهيم، وكانت ولاية الدارالبيضاء تسند لقاضي الرباط إذاك. فكان ينيب عنه فيها علي بن منصور الدكالي البوعمراني مفتي الدارالبيضاء. وظل البريبري قاضياً بالرباط أكثر من عشرين سنة إلى أن مرض وضعفت قواه، فأناب عنه محمد بن إبراهيم، وطال مرضه نحو سبعة أعوام إلى أن توفي في 10 شوال 29/1293 أكتوبر 1876، ودفن بزاوية حنصالة.

**البريبري، العربي** من فقهاء سلا وعلمائها المشهورين بالبحث والمطالعة والتقييد. وقد اطلع المؤرخ محمد بن علي الدكالي على تقاييد له على شرح *ابن حجر للهمزية* بخط يده. وكان من الفقهاء المضطلعين بمهمة التدريس.

توفي في 8 ربيع الثاني 1799/1214 بسبب وباء أصاب البلد تلك السنة ذهب ضحيته أيضا محمد المير حسبما ذكره أحمد الناصري، ودفن البريبري خارج باب المعلقة على شاطئ البحر قرب سيدي عبدالعزيز اللبلي.

**البريبري، محمد** بن عبدالرحمان. وصفه صاحب *مجالس الانبساط* بالفقيه العالم العامل، وحلاه بصفات الورع والزهد والنزاهة الكبيرة والصلاح والنباهة والفصاحة.

أخذ أنواع المعارف عن بعض أساتذة الوقت وعلى الأخص والده الذي قرأ عليه *المختصر والرّسالة* وغيرهما من كتب الفقه، كما أخذ عنه الحديث والنحو والتصريف والبلاغة، وكان الهاشمي الضرير شيخ إبراهيم التادلي والمكي البطاوري أستاذه في القراءات.

درّس محمد البريبري مدة *الرسالة* وغيرها بالزاوية الرحمانية، لكن مدة تدريسه لم تطل إذ كان ميالاً إلى العزلة لا يخرج من داره إلا لصلاة الجمعة أو الجنازة.

وممن أخذ عنه أحمد بناني والمكي البطاوري وأحمد جسوس، ومن آثاره إجازة علمية لمحمد بن خليفة المدني سماها *تحفة ودود بمقصد محمود*. وتذكر له تآليف لم يعثر عليها.

وفي سنة 1880.79/1297 تولى قضاء الرباط بعد القاضي أحمد ملين، وبقي فيه عشر سنوات. ويتفق من كتبوا سيرته عن ليونته وعدم ميله إلى التشديد على الناس في الأحكام، ولكن مع ذلك لم يكن يتسامح في أحكامه مع الذين يتنكرون لمبادئ الدين. ففي سنة 1899 أودع السجن ضابطا جزائرياً اسمه ميسوم كان يعمل ضمن أعضاء البعثة الفرنسية بالرباط بتهمة قذف الشريعة الإسلامية في مشادّة مع الخادم الذي كان يعمل عنده عندما طالبه بأداء أجرته التي تماطل ميسوم في دفعها. فثارت حفيظة الأوساط العسكرية والقنصلية الفرنسية بالرباط وتبودلت شتى الرسائل بين الممثلين العسكريين والقنصليين الفرنسيين بالمغرب وبين الوزير الفرنسي في وزارة الخارجية التي توصل بعدة تقارير عن الحادثة، نشرتها الصحف الأجنبية الموجودة بطنجة، وطالب هؤلاء بمعاقبة القاضي البريبري، وادعوا أنه متعصب ضد الأوربيين والمحميين القنصليين، متجاهل للمعاهدات المغربية الأوربية في مادة التقاضي، وطلب من الوزير بّاحماد أن يأتي القاضي لتقديم اعتذاره أمام الناس، بل اقترح على الوزير الفرنسي إرسال بارجة حربية إلى ساحل الرباط للإنذار والمطالبة بالإسراع في إنزال العقاب بالقاضي، وقد حاول Delcassé وزير الخارجية الفرنسي أن ينتزع من المخزن تنازلا آخر لولا موقف الوزير بّاحماد الذي اتسم بنوع من الصرامة والاقناع.

وعندما أُقيل البريبري عرض عليه بّاحماد ألف فرنك يأخذها من الديوانة وبعض الملابس له ولأسرته وأجرة شهرية مقدارها مائة فرنك، ولا يعرف هل قبل القاضي ذلك أم رفضه. ويذكر أحد معاصريه أن السلطان المولى الحسن نفّذ له قبل ذلك برسالة مائة ريال شهرياً يأخذها من مدخول مرسى الرباط، فقابل البريبري ذلك بالشكر للسلطان وكتب على ظهر الرسالة :"إن أربعين ريالاً ياسيدي تكفيني لكل شهر راجياً من سيدنا أيده الله أن يجعل الستين الباقية في بيت مال المسلمين". وظل بالبريبري بعد عزله ملازما لداره إلى أن توفي ليلة الأحد 13 جمادى الأولى 1326/13 يونيو 1908، ودفن بالزاوية الخنصالية أمام درب الجراري.

**البريبري، مصطفى** بن عبدالرحمان أخو القاضي محمد المذكور قبله. وصف هو أيضاً بالعلم والصلاح والدين، وأفرد له الشيخ فتح الله بناني ترجمة في طبقاته، وذكر أن وفاته كانت يوم الاثنين 18 جمادى الأولى 1318/ 1900 وقد تبودلت في تعزيته رسائل بين أخيه القاضي وقاضي سلا عبدالله بن خضراء تضمنت ذكر أوصافه المنمة عن زهده وصلاحه.

ع.الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر، مخطوط* ؛ م. الافراني، *صفوة* ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 126 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ م. بوجندار، *تعطير البساط*، 36 ؛ *الاغتباط*، 223، 338، 365 ؛ *مقدمة الفتح*، 187 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 195، 288 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، 102 و389 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط*، د.د.ع 259. 263.

عبد الاله الفاسي

**البريجة** (مازيغن) لم تعرف مدينة الجديدة الحالية باسم "البريجة" خلال القرون الوسطى، إذ لم تذكرها المصادر العربية إلا باسم "مازيغن" الذي لا نعرف له معنى. وورد نفس الاسم مع بعض التحريف بالخرائط البحرية الأوربية في القرن الرابع عشر. وكان الموقع يذكر مقرونا بمرساه، غير أن مازيغن لم تعرف النمو والشهرة التي عرفتها أزمور المجاورة، بل على العكس من ذلك بقيت في مستوى القرية المتواضعة التي تجمع بها بعض الصيادين، وسرعان ما تعرضت للخراب. فقد سكت عن ذكرها كل من ابن الخطيب والوزان، مع أن هذا الأخير وصف بدكالة قرى متواضعة وأماكن يصعب اليوم تحديد موقعها (مائة بئر، السبيت، تماركشت...) وقد ذكر الرحالة البرتغالي بريرا Péreira والألماني فرنانديش حوالي سنة 1508 ما يفيد أن قرية مازيغن كانت خربة، وأن البرتغاليين كانوا متعودين على الإقبال على مرساها لاقتناء الحبوب، وذلك منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر على الأقل.

وارتبط مصير مازيغن بالاحتلال البرتغالي لمدة طويلة (1769.1515) وقد احتفظ الغزاة بالاسم البربري الذي أدخلوا عليه بعض التحريف Mazagân. واحتُل الموقع سنة 1504، بعد احتلال أزمور في خريف السنة السابقة، وبعد فشل تحصينه واقتطاعه لنبيل برتغالي سنة 1505. وتمسك البرتغاليون بالموقع لجودة مينائه الذي اعتبره الدوق دوبراگنصا Duc de Bragança، قائد الحملة العسكرية ضد أزمور، أجود موانئ العالم خصوصاً وأن السفن بدأت تميل نحو الضخامة، والحواجز الرملية بمصب أم الربيع أصبحت تحول دون وصولها إلى أزمور. وقد بقيت مازيغن رغم احتلالها مجرد مرفإ في خدمة مدينة أزمور، ولم توكل إليها أية مهمة عسكرية أو سياسية أو تجارية كالتي كلفت بها مدينتا أزمور وأسفي بعد احتلالهما، ولهذا اكتفى البرتغاليون قبل إخلائهم للمدينتين المذكورتين بإنجاز تحصينات بسيطة في مازيغن استمرت من صيف 1514 إلى 1517 واعتمدت على البرج المغربي الذي كان هناك والذي أعطى فيما يبدو اسم "البريجة" للقرية. وكان الحصن صغيراً، مربع الشكل (47 م × 57 م) يرتكز على أربعة أبراج : برج "البريجة" وبرج "الرباط" وبرج السجن،وأخيراً برج "سغونيا". وكان السور يحيط أساساً بقاعة شاسعة مخصصة لخزن السلاح والذخيرة والحبوب.

وقد تغير وجه "مازيغن" بعد جلاء البرتغاليين عن أسفي وأزمور (خريف 1541) واقتصارهم على هذه النقطة بدكالة إذ عرفت تحصينات ضخمة، وأصبح الحصن الأصلي جزءاً صغيراً ضمن ما تمّ تشييده. وقد بنيت المدينة على مقربة من البحر، على رقعة شبه مربعة (250 م × 300 م) يحيط بها سور ضخم يبلغ سمكه أحد عشر ميتراً (لتحمل قذفات المدفعية) وعلوه أربعة عشر ميتراً، وكان هذا السور معززاً بخمسة أبراج عملاقة، يحيط به من البحر إلى البحر خندق عرضه خمسة وثلاثون ميتراً، وعمقه ثلاثة أمتار. وقد حُول الحصن الأصلي إلى خزان للمياه لا يزال قائماً إلى يومنا هذا.

واحتفظت مازيغن فيما بين 1541. 1769 بأنشطة عسكرية محْضة، وإن كانت تلعب بين الفينة والأخرى دور خزان للسلع التي كانت تروّج بأسفي وأگدير (النصف الثاني من القرن 16 م). وعاكس بقاء البرتغاليين بهذه النقطة من الساحل الدكالي انتعاش مناطق واسعة تمتد بين أزمور وتيط والمدينة الغربية (اثنين الغربية اليوم)، كما تشهد على ذلك المصادر البرتغالية والعربية. (*رحلة أفوقاي*) غير أن تأطير الجهاد عد يد الفقهاء والمتصوفة بعد ضعف الدولة السعدية قلّص كثيراً من هذه الرقعة، وفرض على البرتغاليين الاحتماء بأسوارهم أو اتخاذ تدابير وقائية معقدة للخروج إلى البادية. ومعلوم أن عبد الله الغالب السعدي ضرب عليها خلال ربيع 1562 حصاراً خطيراً وكاد أن يحررها لولا استمامة المدافعين عنها ومناعة أسوارها ووصول المساعدة من البرتغال وافتقار المغاربة إلى اسطول.

وبقيت مازيغن محتلّة إلى أن حررها السلطان سيدي محمد بن عبدالله يوم ثاني ذي القعدة عام 1182/ 1769.3.10

في ظروف ذكرها صاحب *الحلل البهيجة في فتح البريجة*. ومعلوم أن البرتغاليين شحنوا المدينة ألغاماً وباروداً قبل انسحابهم وأن طلائع الجيش المغربي تعرضت لخسائر كبيرة لانفجار تلك الألغام على برتغالي تُرك هناك لهذه المهمة، وأن المدينة خربت وسميت "بالمهدومة" واحتفظت بهذه الحال والاسم إلى عهد المولى عبدالرحمان الذي عين ابن عمه محمد بن الطيب عاملا على الشاوية ودكالة، فأعاد بناء أسوارها ورمم ما تداعى منها وأسماها "الجديدة". وكانت الحبوب تصدر أحياناً من مرساها.

م. بن أبي القاسم المراكشي، *الحلل البهيجة في فتح البريجة*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ أ. بوشرب، *دكالة* ؛ م.كربخال، *إفريقيا*، 2 : 87.85.

J. Goulven, *La place de Mazagan sous la domination portugaise*, 1502-1769, Paris, 1917 ; *S. I. H. M*, 1ère série Portugal, t: 1, Paris, 1935, pp. 103-107 ; Ricard, trad. *Mazagan et le Maroc sous le règne du sultan Moulay Zidane, 1608-1627*, Paris, 1956 ; *Un document portugais sur la place de Mazagan au début du XVIIe siècle*, Paris, 1932.

أحمد بوشرب

**بّريخا**، سيرأدُو أنطونيو A. Pareja Serrado رحالة إسباني مستعرب تجول بمدن الشمال الداخلية سنة 1886، وكان يسمي نفسه "أبا جبل" وله كتاب عن مستقبل إفْريقيا.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 :1520.

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 151-154.

مصطفى بوشعراء

**البريد**، الكلمة في اللاتينية Veredus وفي الإغريقية Beredos ولعل أصلها أشوري، ومعناه (الفرس المستخدم في نقل البريد) والبريد في الاصطلاح نمط من أنماط الاتصال الإنساني بين الفرد والآخرين وبين الجماعات الاجتماعية، وهو كأداة لهذا الاتصال تسمح بتوجيه واستقبال الرسائل وتوفير مجموعة من الخدمات المالية، تعود أصوله إلى ماض سحيق، فقد عرفه الصينيون والفرس والمصريون القدامى واليونانيون، وكذا الامبراطورية الرومانية على شكل نظام لنقل الفكر الإنساني بواسطة رسائل خطية أو شفهية تنقل على أساس ترحيل مرحلي بواسطة الرسل الراجلين أو الراكبين على البغال والخيول عبر المحاور الطرقية الرئيسية.

وقد كان البريد في تاريخ الدول الإسلامية خدمة رسمية لنقل المراسلات ونقل المخابرات. عرفه العصر الأموي بمصطلحات معظمها فارسي، وصار في العصر العباسي من أعظم مرافق الدولة، يعد بإدارته للمقربين من أمثال جعفر البرمكي. وقد نظمت مراحله حتى غطت مجموع جهات الأمبراطورية. وردت أخباره بتوسع في الكتب المصنفة لكتاب الدواوين مثل *المسالك والممالك* لابن خرّداذ به وكتاب *الخراج* لقدامة بن جعفر. حينها كان البريد موقوفاً في معظمه بأوربا على الملوك والأمراء الذين استخدموه بالأساس لإبلاغ أوامرهم إلى الحكام في ممالكهم وإماراتهم، كما أن أديرة الرهبان عملت على خلق بريد خاص بها تشعب مع نشاطاتها التبشيرية التي نمت والزحف الصليبي في القرون الوسطى. ومع بزوغ النواة الأولى للحياة الاجتماعية المنظمة تحت تأثير تبادل المنافع والمعاملات التجارية ظهرت نخبة جديدة من الاستقراطية عمدت إلى تبادل الرسائل الخطية فيما بينها بلجوئها لبريد الأمراء والاديرة، أو أناس استخدمتهم كمراسيل.

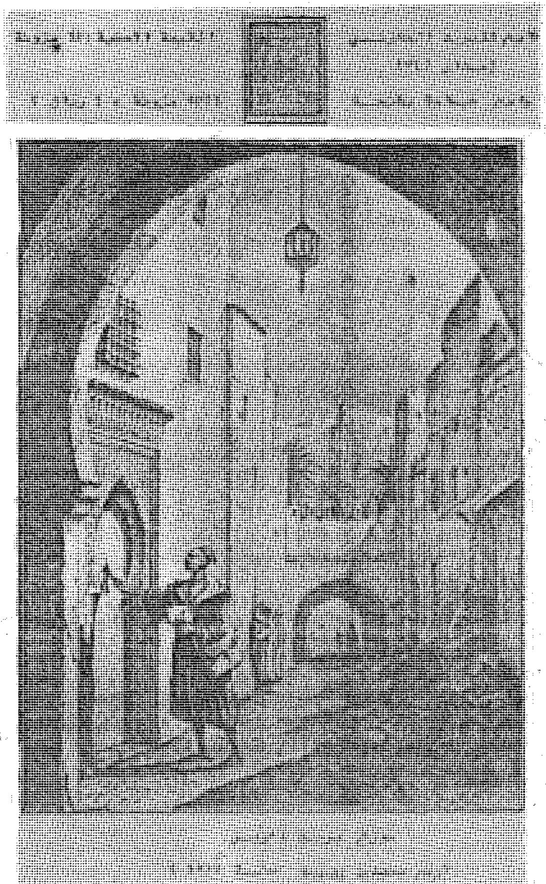

ظل العمل قائماً بهذا النظام في أوربا حتى نهاية القرن الخامس عشر حيث نمت فئات المجتمع الوسطى التي أصبحت تشكل طبقة البرجوازية وظهرت الطباعة التي ساعدت على نشر التعليم بين قطاع واسع من السكان وتم اكتشاف العالم الجديد الذي فتح الآفاق لإقامة علاقات متشعبة بين الشعوب وتنامي حجم المبادلات التجارية بين الدول وأصبحت مقتضيات العصر تقتضي إيجاد نظام جديد للبريد يعوض سابقه، وكان فرانسوا دي تاكسيس François de Taxis أول من قام خلال القرن السادس عشر بتنظيم خدمة بريدية شملت عدة بلدان أوربية، أما شارل الأول (انجلترا) فيعود إليه الفضل في فتح خدمة البريد الملكية في وجه العموم ابتداء من سنة 1635م ويقال إن حاجته إلى المال دفعته إلى اتخاذ هذا القرار.

بظهور الآلة البخارية وتطبيقاتها في تحريك البواخر والقاطرات السككية عرف البريد نقلة نوعية تميزت

باعتماده الوسائل الحديثة لترحيل الرسائل بين مختلف البلدان وإقراره لأساليب أقل تعقيداً ساعدته على التقليل من أجور النقل، وكانت انجلترا أول من لجأ باقتراح من السير رولاند هيل Sir Rowland Hill سنة 1840 إلى تطبيق مفهوم الأجر الموحد ومقداره بيني واحد Penny Postage على الرسائل المتبادلة داخلياً، وقد رافق هذا الإصلاح ظهور أول طابع بريد وهو الذي حمل اسم الشهرة : بيني الأسود Penny Blanck.

إن العلاقات البريدية التي نشأت بداية بين الدول قامت على أساس اتفاقات ثنائية تلبي المتطلبات الخاصة بكل منها، وظهرت صعوبات متعددة لجعل هذه الاتفاقات متعددة الأطراف لتضارب الأجور المعتمدة من قبل كل دولة وأيضاً لاختلاف وحدات الأوزان والعملات النقدية المتداولة مما استعصى معه خلق بريد دولي.

عرف البريد الدولي انطلاقته الأولى عندما دعا وزير بريد الولايات المتحدة الأمريكية السيد منتگومري بلير Mr Montgomery Blair سنة 1862م إلى عقد لقاء دولي لتدارس إمكانية إنشاء نظام بريدي على أسس موحدة، وقد لاقت هذه الدعوة الاستجابة المرجوة من قبل خمس عشرة دولة من أوروبا وأمريكا، النمسا، بلجيكا، كوستاريكا، الدانمرك، إسبانيا، أمريكا، فرنسا، بريطانيا العظمى، إيطاليا، هولندة، البرتغال، بروسيا، جزرالساندويتش، سويسرا، المدن المتحالفة (Villes hansiatiques) اجتمعت بباريس يوم 11 ماي 1863م وتعاهدت فيما بينها على إرساء المبادئ العامة للبريد الدولي.

وحتى يأخذ التبادل البريدي على الصعيد العالمي إطاره القانوني المنظم جاء الاقتراح من موظف سام بالادارة البريدية لكنفدرالية ألمانيا الشمالية السيد هينري ستيفان Henry Stephan سنة 1868 لخلق اتحاد بريدي بين الأمم المتحضرة، وعلى أساسه اجتمع ممثلو اثنتين وعشرين دولة يوم 15 سبتمبر 1874م ووقعوا يوم 9 أكتوبر 1874 على "ميثاق بيرن" الذي على أساسه أنشئ الاتحاد العام للبريد Union Générale des Postes وبعد انقضاء ثلاث سنوات على دخول هذا الميثاق حيز التطبيق 1 يوليوز 1875 ومع تزايد الدول المنضمة إليه تحول اسم هذا المنتظم إلى الاتحاد البريدي العالمي Union Postale Universelle الذي ما زال قائما حتى الآن ويتخذ من بيرن (سويسرا) مقرا له ويضم في عضويته 168 دولة.

يعقد هذا الاتحاد مؤتمراته بصفة منتظمة يضع من خلالها جميع التنظيمات الخاصة بالنظم البريدية والخدمات المالية البريدية علي الصعيد العالمي، وقد عقد حتى سنة 1989 عشرين مؤتمراً بكل من :

1 - بيرن (سويسرا) 1874.
2 - باريس (فرنسا) 1878.
3 - لشبونة (البرتغال) 1885.
4 - ڤيينا (النمسا) 1891.
5 - واشنطن (الولايات المتحدة الأمريكية) 1897.
6 - روما (إيطاليا) 1906.
7 - مدريد (إسبانيا) 1920. وخلاله أصبح المغرب عضواً بهذا الاتحاد.
8 - ستكهولم (السويد) 1924.
9 - لندن (بريطانيا العظمى) 1929.
10 - القاهرة (مصر) 1934.
11 - بوينوس آيريس (الأرجنتين) 1939.
12 - باريس (فرنسا) 1947.
13 - بروكسيل (بلجيكا) 1952.
14 - أوتاوا (كندا) 1957.
15 - ڤيينا (النمسا) 1964.
16 - طوكيو (اليابان) 1969.
17 - لوزان (سويسرا) 1974.
18 - ريو ديجانيرو (البرازيل) 1979.
19 - هامبورج (ألمانيا) 1984.
20 - واشنطن (الولايات المتحدة الأمريكية) 1989.

البريد والطابع البريدي : هناك ترابط وثيق بين طابع البريد والبريد نفسه حتى أصبح ذكر الأول يوجه ذاكرتنا إلى التفكير التلقائي في مفهوم البريد، مع أن البريد ظهر إلى الوجود كخدمة عامة منذ سنة 1644م وظل العمل قائما به قرنين قبل أن يعمل بنظام طابع البريد الذي وضعه أول مرة السير رولاند هيل Sir Rowland Hill سنة 1840 وجعل منه الوسيلة لتوحيد الرسوم المطبقة على تخليص الرسائل، وقد توسع مفهوم طابع البريد مع ظهور هواية الطوابعية التي أسهمت من خلاله في إقامة أول جسر للتواصل الجماهيري بين الأمم والحضارات وأصبحت هذه الوريقة تحمل كثيراً من الدلالات الثقافية والمعرفية والجمالية ساعدت وتساعد على تنمية المدارك حتى صارت تحفة فنية تحمل في طياتها قيمة مادية ومعنوية غنية.

البريد المغربي : عرف المغرب أول محاولة لإقامة بريد منتظم بالمغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على شكل مكاتب بريدية أجنبية أقيمت بتشجيع من سلطات الدول التابعة لها. وإذا كان عملها علانية يتمثل في تأمين نقل البريد الذي لم يكن معروفا لدى المغاربة إلا بشكله الرسمي الإسلامي وفي صورة "رقاصين" أي مبعوثين خصوصيين أو باستخذام القوافل التجارية أو الموسمية، بالأساس لخدمة مصالح دولها وأطماعها على حساب تفكيك وحدة المغرب باسم الحضارة والحداثة، وهذه المكاتب هي :

أ - المكاتب الفرنسية بالمغرب أحدثت سنة 1855.
ب - المكاتب الإسبانية بالمغرب أحدثت سنة 1865.
ج - المكاتب الأنجليزية بالمغرب أحدثت سنة 1872.
د - المكاتب الألمانية بالمغرب أحدثت سنة 1899.

كما قامت هذه المكاتب باصدار مجموعة من طوابع البريد الخاصة بنقل الرسائل داخل المغرب وخارجه، وهي

عبارة عن طوابع وطنية لتلك الدول تطبع فوقها كلمة المغرب بالعجمية وقيمتها الاسمية المحلية.

وحين وصل خبر ذلك إلى السلطان الحسن الأول اغتاظ لهذا الأمر وأصدر أمره إلى وزيره في البحر (الخارجية) السيد محمد بركاش الذي كانت إقامته بطنجة بتاريخ 27 رجب 27/1296 يوليوز 1879 ليضع حداً لتلك المكاتب باعتبارها غير شرعية، ولكي لا يُفسح المجال أمام أطماع الأجانب عكفت السلطات على تنظيم البريد (البوسطة) بالمغرب حسب ما تمليه المصلحة العليا للبلاد.

أ - البريد المخزني، ظهر أول خط منتظم لنقل البريد بين مدينتين مغربيتين سنة 1891 يربط بين الجديدة ومراكش على يد السيد برودو Mr Brudo ابن نائب القنصل آنذاك في مدينة الجديدة، وحين علم السلطان الحسن الأول بذلك سارع بإحداث خدمة بريدية تجريبية على نفس المحور وطلب من أمناء مستفادات (الرسوم على تجارة الأسواق) الجديدة ومراكش بخلق البريد نيابة عن المخزن متطلعا بذلك إلى فتح المغرب أمام العالم الحديث وواضعا حدا لكل تدخل أجنبي يمكن أن يمس بسيادة المغرب واستقلاله.

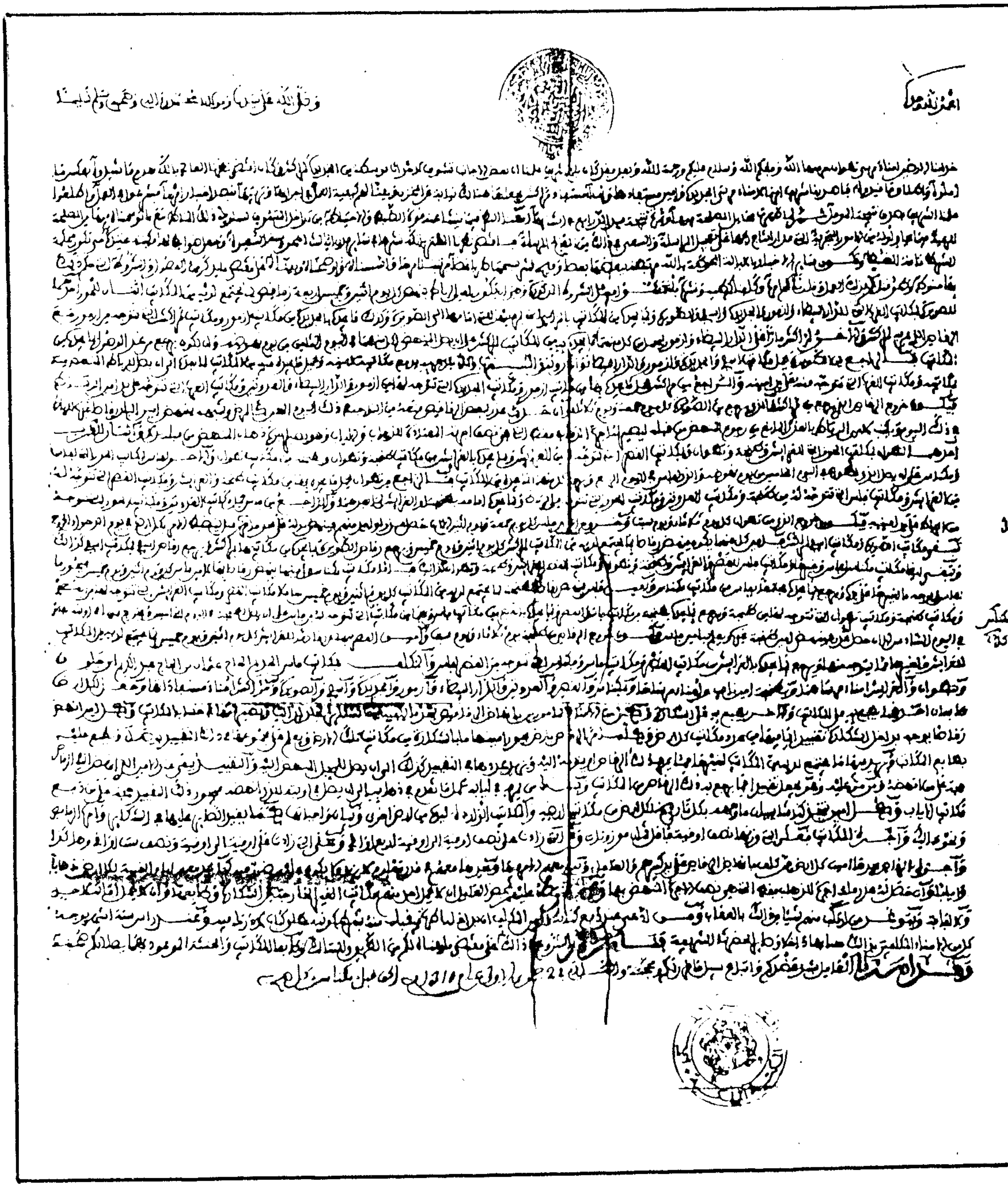

ظهير الحسن الأول بإحداث البريد بين بعض المدن المغربية المهمة

وقد نجحت هذه التجربة ووقع تعميم البريد المخزني المنتظم على مجموع المدن المغربية بأمر سلطاني مختوم في يوم 2 جمادى الأول 22/1310 نوفمبر 1892 وأحدث البريد بين المدن التالية :

1 ـ الرباط ـ الصويرة (مروراً بالدارالبيضاء، أزمور، الجديدة، وأسفي).
2 ـ الرباط ـ مراكش (مروراً بالدارالبيضاء وأسفي).
3 ـ الرباط ـ تطوان (مرورا بالعرائش وطنجة).
4 ـ الرباط ـ فاس.
5 ـ الصويرة ـ مراكش.
6 ـ أسفي ـ مراكش.
7 ـ مكناس ـ فاس.
8 ـ فاس ـ طنجة (مرورا بالقصر الكبير).
9 ـ القصر الكبير ـ العرائش.

كما تضمن الأمر السلطاني كيفية عمل البريد بكل تفاصيله، وهكذا أحدث في كل مدينة مكاتب الإياب (للرسائل الصادرة) ومكاتب الورود (للرسائل الواردة) وجعل لكل مدينة طابعين (الختم المخزني) لتمييز بريدها عن باقي المدن، يختم بواحد منهما على المظروف والآخر تختم به شكارة (كيس جلدي) "الرقاص" المخصصة لحمل المظاريف، ويتولى "الرقاص" عملية نقل الرسائل بين المدن، ومنع عليه أن يحمل رسائل أخرى غير تلك التي يتضمنها كيسه تحت طائلة العقاب إن هو تجاوز هذا الأمر، كما حددت أوزان الرسائل والأجور المطبقة عليها ؛ فالرسائل التي يصل وزنها إلى نصف أوقية يؤدى عنها مبلغ 8 مزونات (الوحدة القياسية)، وعلى تلك التي زاد وزنها عن نصف أوقية وقل عن أوقية تضاف 4 مزونات للوحدة، وإذا ما فاق الوزن أوقية وقل عن أوقية ونصف تضاف 6 مزونات للوحدة وهكذا. كما طلب إلى أمناء جميع المدن إعداد كشف دوري لحساباتهم كل ستة أشهر يوجهونها إلى الحضرة الشريفة.

وقد سار العمل بهذه الطريقة في البريد المخزني مع إصلاحات أدخلت عليه أيام السلطان مولاي عبدالحفيظ إلى حين إدماجه مع شركة تلغرافات المغرب سنة 1911. أما الأختام المخزنية فلم يقع سحبها إلا بعد ظهور أول طابع بريد مغربي يوم 25 ماي 1912.

ب ـ الأختام المخزنية : نظام الأختام المخزنية جاء به أمر السلطان الحسن الأول سنة 1892 وجعل لكل مدينة خاتمين، الأول على شكل مثمن الأضلاع تتوسطه اسم المدينة التي يصدر عنها البريد، ومن أسفله إلى أعلاه كلمة "المحوط (ة) بالله" وهذا الختم كان مخصصا لطباعة المظاريف بعد استيفاء الأجر المطبق عليها. أما الختم الثاني المستدير الشكل فكانت تطبع به الشكارة (الكيس الجلدي) الذي يحمل بواسطته الرقاص المظاريف إلى المدن الأخرى، وذلك بعد أن يتم إحكام غلق الكيس بلك أحمر مذاب يطبع بالختم، ولا يفتح الكيس إلا عند وصوله لمقصده، ويتوسط هذا الختم أيضا اسم المدينة ومن أسفله إلى أعلاه كلمة "المصون (ة) بالله".

استخدم في ختم المظاريف حبر يختلف لونه باختلاف جهة مصدر الرسالة لتمييز المراسلات المخزنية والحكومية والرسمية عن نظيرتها الخصوصية، فالحبر إما أن يكون : بنفسجياً أو أسود أو أزرق أو أخضر أو أحمر أو برتقالياً.

صدر أول طابع مغربي عن إدارة البريد المخزني بتاريخ 22 ماي 1911 وهو طابع من الحجم الصغير (11 مسننة) مرسوم على واجهته قوس وبداخله جامع عيساوة بطنجة بقيمة اسمية من فئات : 1 أو 2 مزونة، 5 و10 مزونات، 25 و50 مزونة، (كانت 400 مزونة = 1 ريال) ومنذ ذلك الحين

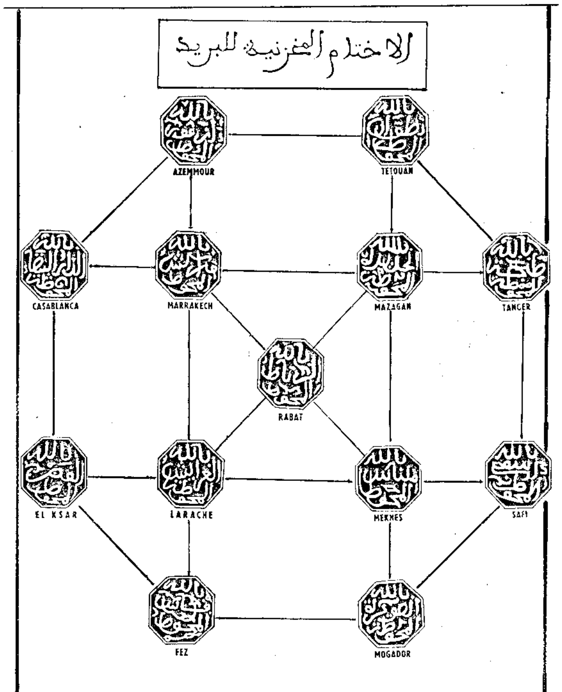


تشكيلة بالأختام المخزنية
من تصميم كاتب المقال.

استعيض عن استخدام الأختام المخزنية وسحبت هذه الأخيرة من الخدمة نهائيا سنة 1913.

ج ـ التنظيم الجديد للبريد المخزني : في سنة 1911 أعيد تنظيم البريد المخزني بأمر من السلطان مولاي عبد الحفيظ وذلك باعتماد أساليب أكثر حداثة في التسيير، واستخدام ما أصبح متوفراً من وسائل النقل الجديدة لترحيل البريد بين المدن يسمح بتخفيض مدة النقل ويجعل من خدمة البريد عملية منتظمة، وفي مارس من سنة 1917 أدمج البريد المخزني مع خدمات التلغراف التي سبق أن أوجدتها الشركة المغربية الشريفة للتلغراف سنة 1907.

ولما كان البريد من السيادة الوطنية التي يغار عليها المغرب، فإنه عند توقيع الاتفاقية المغربية الفرنسية بتاريخ 1 أكتوبر 1913م ظل المخزن متعلقاً بمبدإ متابعة إشرافه المباشر على الإدارة الفرنسية المكلفة بالبريد والتلغراف

بالمغرب، وقد كان له ما أراد، وعلى هذا الأساس أحدث المكتب المغربي للبريد والتلغراف والتليفون الذي كان من اختصاصاته أيضاً البث الإذاعي.

وطُبق نفس المبدإ على منطقة النفوذ الإسباني بشمال المغرب، حيث أحدثت مصلحة البريد المغربي التي كانت تقع تحت الإشراف المباشر لخليفة السلطان بتلك المنطقة.

عند استقلال المغرب سنة 1956 أعيد إدماج المصالح البريدية بمجموع أقاليم المملكة، وأحدثت وزارة البريد والتلغراف والتليفون، وأسندت آنذاك مهام البث الإذاعي لوزارة الاعلام.

د ـ التنظيم الحالي للبريد : لم يعد المفهوم الحديث للبريد مقتصراً على كونه مصلحة عمومية تهتم بتسلم وتسليم الرسائل والبعائث، بل تعداه ليشمل جملة من الخدمات والتسهيلات المالية والمصرفية التي أصبحت من اختصاصاته أيضاً، ومعها تنامى الدور الإنمائي لهذا القطاع في التنمية الاقتصادية والاجتماعية لجميع المجتمعات.

في العلاقات الدولية يمثل البريد وحدة متكاملة على الصعيد العالمي لاعتماده مبدأ وحدة الامتداد الترابي البريدي على صعيد جميع الدول، والعمل على أساسه في كل ما يتعلق بالتبادلات البريدية والخدمات المالية المصاحبة لها والتي تقوم على التقسيم التالي :

1 ـ بعائث بريد الرسائل : وتشمل الرسائل والبطاقات البريدية والمطبوعات ومطبوعات المكفوفين Cécogrammes والرزم الصغيرة.

2 ـ الطرود البريدية : وهي البعائث البريدية التي تفوق أوزانها كلغ واحداً وتقل عن عشرين كلغ.

3 ـ الخدمات المالية البريدية : وتغطي جميع النشاطات البريدية التي لهاعلاقة بالتعاملات المالية والمصرفية وهي :

أ ـ حوالات البريد وسنداته الخاصة بالسفر.

ب ـ خدمة الشيكات البريدية.

ج ـ بعائث مع استيفاء القيمة.

د ـ الاستردادات (المالية).

هـ ـ خدمة الاذخار.

و ـ الاشتراكات الصحفية والمطبوعات الدورية.

وجميع هذه التسهيلات تنظمها اتفاقيات دولية يقرها الاتحاد البريدي العالمي في مؤتمراته وتصادق عليها الدول الأعضاء وتعمل على أساسها في مبادلاتها مع بعضها البعض، كما يجري تعديلها وتحسين مقتضياتها كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وقد أسند المشرع المغربي إلى الدولة المغربية مسؤولية تنظيم هذه الخدمة لا غير، وذلك بموجب قانون الاحتكار (ظهير بتاريخ 27 ربيع الثاني 1343 / 25 نوفمبر 1924) ويعتبر البريد من ضمن السيادة الوطنية، لذلك تصرفت سلطات الحماية في هذه الخدمة تحت الإمرة المباشرة للمخزن كما ذكرنا، ويلاحظ أن الشبكة التي أحدثتها تلك السلطات في عهد الحماية كانت مخصصة بالأساس لخدمة متطلبات المقيمين الأجانب بالمغرب، وقد عرف البريد مع الاستقلال طفرة نوعية متميزة سايرت التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي عرفها مغرب ما بعد الاستقلال، وقد ظلت إدارة البريد تشكل قسما بوزارة البريد والبرق والهاتف حتى شهر يناير 1984 حيث أحدث المكتب الوطني للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية الذي عهد إليه بمهمة استغلال قطاع البريد والاتصالات على صعيد المغرب تحت إشراف وزارة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية.

وفي إطار التنظيم الجديد الذي عرفه هذا المكتب وقع تقسيم مهام البريد على مديريتين :

أ ـ مديرية البريد.

ب ـ مديرية المصالح المالية البريدية. وفيما يلي بعض المؤشرات الاحصائية بعدد المنشآت البريدية المتوفرة بالمغرب ومقارنتها بما كان عليه الحال حين استقلال المغرب :

| السنة / المنشآت | 1956 | ... | 1989 |
|---|---|---|---|
| مكاتب بريدية كاملة الخدمات | 130 | ... | 507 |
| شبابيك ملحقة | 13 | ... | 110 |
| مكاتب ثانوية | 29 | ... | – |
| وكالات بريدية (القرى) | 219 | ... | 578 |

والعمليات المالية التي أنجزتها المصالح المالية البريدية في المغرب منذ إحداثها (..)

| السنة / العمليات | | 1961 | ... | 1989 |
|---|---|---|---|---|
| الشيكات البريدية | عدد الحسابات | 86.445 | ... | 326.076 |
| | الرصيد | 275.000 درهم | ... | 3.609.840.272 درهم |
| الادخار | عدد المدخرين | 168.000 | ... | 573.335 |
| | مجمل الادخار | 37.900.000 درهم | ... | 1.428.426.080 درهم |
| الحوالات البريدية | عدد الحوالات | 2.062.454 | ... | 6.663.723 |
| | المبالغ المتداولة | 1.655.140.325 درهم | ... | 17.628.264.097 درهم |


*دليل المتحف الوطني للبريد* ـ مطبعة البريد.

*L'Union Postale Universelle (1874-1949), Mémoire BI de l'UPU-Berne*, Mai 1949 ; *Les Actes de l'Union Postale Universelle*, Hambourg, 1984, Berne, 1985 ; J. de Langre et A. Cotters, *Etude sur les Postes cherifiennes et les cachets Maghzen*, Casablanca, 1970 ; *Rapport d'activités, 1989 de l'ONPT* ; Revues de l'UPU, *Union Postale*, 1985-1990.


حسن اللبادي

**بْرِيدَة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Pereda، كما أنه اسم لعدة مدن بإسبانيا. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان في حدود سنة 1868/1285.

**بْرِيدة، محمد** بن الفقيه، وصفه صاحب عمدة *الراوين* بالفقيه الأديب الحيسوبي الميقاتي المنجّم والرياضي والموسيقي والمشارك في عدد من العلوم الأخرى، وقد وقف حياته على تعلّم العلوم وتعليمها في داره التي كان يُلقي فيها الدروس العلمية وكان في نفس الوقت موقتا بالجامع الأعظم، وإليه يرجع الفضل في وضع حصّة تطوان التي نقحها الفقيه محمد لوقش.

توفي محمد بِريدة بتطوان في حدود سنة 1868/1285.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 3 : 37، 6 : 42 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 17 ؛ *مختصر تاريخ تطوان* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بْريزانسْ فرانسيزْ** Présence Française، معنى العبارة بالفرنسية "الوجود الفرنسي"، أطلقت على جمعية استعمارية أنشئت في السنوات الأخيرة من الحماية على أيدي بعض غلاة الاستعمار الذين راموا دعم ما أصبح مهزوزاً من نفوذهم بالمغرب بأساليب الإرهاب، ولقد أنشئت غداة عزل محمد بن يوسف عن عرشه يوم 20 غشت 1953 بقصد الردّ على ما ترتب عن تلك المؤامرة من انتفاضة الشعب المغربي ودخوله مرحلة الفداء والمقاومة المسلحة، هذا من جهة، وأنشئت من جهة أخرى لمعارضة التيار التحرري الفرنسي الذي لم يتردد عن فضح عملية 20 غشت وعواقبها الوخيمة على مستقبل الصداقة المغربية الفرنسية، وأضحت يومية "ماروك بريس *Maroc Presse*" لسان حاله من يوم ما صدرت بها افتتاحية تحت عنوان "يوم المغالطة" بتاريخ 11 نونبر 1953، فرأى غلاة الاستعمار ضرورة التصدي لكل ذلك، فأسسوا تجمعهم وجعلوا له ذلك العنوان الصارخ الصريح الذي كانت الغاية منه لفت الأنظار واستقطاب الأنصار، وظلت الجمعية شعاراً مثيراً أكثر مما كانت إطاراً سياسياً إلى ربيع سنة 1954.

في تلك الأثناء نشر بعض أحرار الساكنة الأوربية بالمغرب رسالتهم المشهورة برسالة الخمسة والسبعين، ندّدوا فيها علانية بالأخطاء التي ارتكبتها إدارة الحماية في حق المشروعية المغربية ونادوا فيها بلزوم تدارك ذلك قبل فوات الأوان، ثم أقدموا بعد ذلك على تعبئة صفوفهم بإنشاء جمعية تعمدوا إطلاق عبارة "كونسيانس فرانسيز Conscience française" أو الضمير الفرنسي عليها، عندئذ خطا أصحاب "بريزانس فرانسيز" خطوة التنظيم المحكم، فأحدثوا "الاتحاد من أجل الوجود الفرنسي" الذي تركب من أعضاء الجمعية الأصلية، إضافة إلى أعضاء جمعية استعمارية متطرفة أخرى اسمها "اتحاد المغرب" كان صاحبها المحامي جاك ڤيس Jacques Vaysse، فبات الاتحاد الجديد الممثل الموضوعي للسواد الأعظم من الساكنة الاستعمارية بالمغرب ينحشر فيه صعاليك الاستعمار وجيش ما كان يسمى عندهم بصغار البيضان، ممن كان لا ينتمي حتى للجنسية الفرنسية، وإنما دخل المغرب من إسبانيا أو إيطاليا أو مالطا أو كورسكا هروبا من شقاء مسقط رأسه وبحثا عن لقمة العيش ليومه، وكانوا محتشدين بأحياء المعارف والصخور السوداء (الروشنوار) بالدارالبيضاء، وبحي المحيط بالرباط، يشتغلون عمالا أو مقدمين على العمال المغاربة (كابرانات) بالمعامل، أو موظفين في الرتب الدنيا من الوظائف الخاصة أو العامة، أو في الشرطة بالأحرى، وكان ذلك أعز ما يصلون إليه من الاشغال، إذ كانوا يسلّون فيها عن حقارة أصولهم الاجتماعية بما كانوا يمنحون من السلطة على عموم المغاربة. ولما أضحى هذا الجيش المقطوع عن جذوره مهدداً في مستقبله بالمغرب، أصبح كتلة بشرية هائلة قابلة لتكون أداة تناور على المسؤولين عن الحماية بالرباط أو بباريس، ولم يتورع زعماء الجمعية عن تسخيرها لأغراضهم. ومن أولئك الزعماء من كان مكشوفا مصرحا به، ومنهم من كان واقفا من وراء بعض الستور. فأما القادة الرسميون فكان منهم الدكتور إميل إيرو Emile Eyraud البيطار، وكان موظفا أول الأمر في مصلحة تربية الماشية، ثم تسلق سلم الترقية الاجتماعية إلى أن صار مدير جريدة لاڤيجي *La Vigie*، وانتخب رئيس الهيئة الثالثة الممثلة للمعمرين في مجلس شورى الحكومة. وكان منهم الدكتور فرنان كوس Fernand Causse وكان طبيباً ماهراً في توظيف مهنته لكسب الزبناء السياسيين، ذا شعبية واسعة في أحياء المعارف والروشنوار، وكان منهم الكاهن جارو Jarraud الذي لم يخف كساء الرهبان ما كان منطويا عليه من حب التصرف في الرقاب، وكان منهم المحامي جان بوسكي Jean Busquet زعيم فرع منظمة "صلبان النار" الفاشستية بالمغرب، وكان منهم أيضا المحامي بيرنار لي كورولير Bernard le Coroller وكان صديقاً حميماً لعبد الرحمان الحجوي حاجب السلطان الزائف محمد بن عرفة، وجميعهم كانوا على اتصال دائم بالتهامي الأگلاوي وشيعته العميلة، وبأنصارهم من كبار المسؤولين الفرنسيين بالمغرب أو بفرنسا أمثال بونيفاس Boniface رئيس ناحية الدارالبيضاء إلى حدود شتنبر 1953، وجميع المسؤولين عن الشرطة، والجنرال گيوم Guillaume، ومن خلفه الجنرال جوان Juin، وبعض رجال الأعمال أمثال بوساك Boussac وإميل روش Emile Roche الذين كانوا يمدونهم بالمساعدات المعنوية والمادية. هذا إضافة إلى وقوف صحافة ماسMas الاستعمارية إلى جانبهم مباركة أعمالهم الإرهابية ومحرضة لهم عليها، سواء في ذلك "لافيجي *La Vigie*" أو *لي بيتي ماركان* *Le petit Marocain* بالدارالبيضاء، أو *ليكو دي ماروك* *L'Echo du Maroc* بالرباط أو *لي كوريه دي ماروك* *Le Courrier du Maroc* بفاس.

كانت أساليب عمل الجمعية هي أساليب كل المنظمات الفاشستية، فكانت تمارس الإرهاب الفردي والجماعي رداً على انتفاضة الشعب المغربي، واشتد تكالبها مع تطور الأحداث وتفاقم الأوضاع داخل المغرب وخارجه، بحيث كانت مرحلة شتنبر 1953 إلى يونيه 1954 مرحلة تنظيم واستنفار وكان المقيم العام ما زال هو الجنرال گيوم والحكومة بفرنسا حكومة جزيف لانييل Joseph Laniel اليمينية المتصلبة، إلا أنها أقدمت في أيامها الأخيرة على تعويض گيوم بمقيم عام مدني هو فرانسيس لا كوست Francis Lacoste الذي جاء بإرادة فتح الحوار مع الوطنيين المغاربة، لكن بشرط أن يُجعل حدّ لأعمال الفداء، فاستفادت جمعية بريزانس فرانسيز من تلكؤ المقيم العام

الجديد لتنتقل إلى درجة عليا من العنف، سيما وأن الحكومة بفرنسا كانت تغيرت وأسندت الأمور فيها إلى مانديس فرانس Mendés - France في شهر يونيه 1954، وكان من مخططاته تصفية الوجود الفرنسي بالهند الصينية بعد هزيمة دين بين فو Dien Bien Phu النكراء في ماي السابق من تلك السنة، وكان مصراً أيضاً على فتح باب الحوار مع الوطنيين التونسيين من أجل منحهم الاستقلال الذاتي. يضاف إلى هذا توفق الفدائيين المغاربة في كيل بعض الضربات الهائلة لأقطاب الاستعمار وبريزانس فراسيز بوجه أخص. ففي مراكش وقع رئيس الناحية الكولونيل دوطفيل d'Hauteville متخنا بالجراح مما أصابه من رصاص الفداء يوم 21 يونيه 1954، وفي الدارالبيضاء تمّ اغتيال الدكتور إيرو زعيم الجمعية يوم 31 يوليوز الموالي، فصارت عصاباتها المجرمة تقتل وتدمِّر على مرأى ومسمع من الشرطة الاستعمارية وأحيانا برجالها وبأسلحتها، وهكذا ذهب ضحيتها المحامي عمر السلاوي (1 شتنبر 1954) ورجل الأعمال الطّاهر السبتي (2 يناير 1955) والعديد من الأبرياء المغمورين من أبناء الشعب المغربي الذين كانت تقام في صفوفهم غزوات عنصرية دنيئة كانت تسمى في لغة "بّريزانس فرانسيز" بالراطناد Ratonnade أو محق "البيكو Bicot"، وكذلك تعرض لإرهابهم بعض أحرار الساكنة الفرنسية أمثال جاك ريتزير Jaques Reitzer رجل أعمال، وأنطوان مازلا A. Mazella رئيس تحرير جريدة ماروك بريس التقدمية، والمحامي جان شارل ليگران Jean Charles Legrand الذي كان يرافع عن الوطنيين والفدائيين لدى المحاكم الاستعمارية، لكنهم خرجوا كلهم سالمين من الرصاص أو القنابل الموقوتة، إلا مدير ماروك بريس جاك لوميكر دوبروي Jacques Lemaigre-Dubreuil فإنه سقط قتيلا يوم 11 يونيه 1955.

كانت وقاحة الجمعية الإجرامية قد بلغت ذروتها منذ الإطاحة بحكومة مانديس - فرانس في شهر فبراير من تلك السنة وتعويضه بإدگار فور Edgar Faure وكان من أهداف فور الرئيسية فكُّ العقدة المغربية مثلما كان سلفه مانديس فرانس قد فكّ عقدتي الهند الصينية وتونس، ولتلك الغاية تم تعويض فراسيس لاكوست الذي بات أسيراً لضغوط بّريزانس فرانسيز بمقيم عام جديد هو جلبير گرانڤال Gilbert Grandval في شهر يونيه 1955 وكان مذكورا بصرامته وأفكاره المتفتحة في شؤون الاستعمار، فضاق أعضاء الجمعية ذرعاً بذلك بما كان يُستشف منه من قرب فتح حوار رسمي بين الحكومة الفرنسية والوطنيين المغاربة، وفي طليعتهم ملكهم المنفي محمد بن يوسف، ولذلك انتقلوا إلى أسلوب الضغط الجماهيري على الإقامة العامة بإقامة مظاهرات احتجاجية على نوايا الحكومة الفرنسية وعلى جلبير كرانڤال ممثلها الذي صار لا يبدو في مناسبة من المناسبات الرسمية العمومية إلا واصطدم بالصياح المعاديَ والشعارات الاستفزازية، وكانت أعمال الفداء لم تفتر هي كذلك بل تفاقمت في صيف 1955 وأضحت جنائز الأوربيين الذين كانوا يسقطون قتلى من جرائها، مناسبات لتعبير الساكنة الأوربية عما كان قد دخلها من اليأس والهلع، وظنت الجمعية أنها كانت قد سيطرت على الشارع وأنها قادرة أن تنال من صرامة گرانڤال مثلما كانت قد نالت من تخاذل سلفه، لكنه ما أن أمر بطرد الدكتور كوس من المغرب أواخر شهر يوليوز حتى تبين أن الجمعية لم تكن سوى هباء ودعاية مسعورة، تبلور شأنها وتضخم حجمها من جراء مساندة إدارة الحماية العليا لها وتغاضيها عن جرائمها، وكفى المقيم العام أن يبدّل بعض المديرين وأن يبدي استعداداً لتقصي الحقائق لتظهر "بّريزانس فراسيز" على ما كانت عليه في الواقع، عصابة من الإرهابيين وظفوا لصالحهم قلق الساكنة الأوربية على مستقبلها بالمغرب. ولا أدل على ذلك من عودة أعضائها إلى العجرفة العلنية غداة استقالة گرانڤال أواخر شهر غشت 1955 ولدى تعيين الجنرال بوايه دو لاتور Boyer de la Tour مقيما عاما بالرباط خلفاً له، وكان من ضباط الشؤون الأهلية فيما مضى، وكان مانديس فرانس استعمله ستاراً لإقرار سياسة التفاهم مع الوطنيين التونسيين حيث كان عينه مقيما عاماً بتونس، وكان قد عانى هنالك أشد المعاناة من المعمرين الفرنسيين الذين رموه بالخيانة والاستخفاف بمصالحهم، فلما عين بالرباط جاء وشغلُه الشاغل أن لا يصطدم بنفس الأمر في المغرب، فجعل من أعضاء "بّريزانس فرنسيز" طرفاً معنياً بمستقبل البلاد، فمروا في مقيميته من مرحلة أخرى من العتو والفساد، وإن كانت حيويتهم في تلك الأسابيع الأخيرة من فترة الحماية تشبه حيوية المحموم المحتضر، ذلك أن الحكومة الفرنسية كانت قد فتحت باب التحاور المباشر مع الوطنيين في إيكس لي البان Aix Les Bains منذ أواخر غشت، وكانت قد بعثت بالجنرال كاترو Catroux إلى مدغشقر لإطلاع الملك الشرعي على ذلك في شهر شتنبر. ثم إن حركة الفداء في المدن والقرى تحولت ابتداء من فاتح أكتوبر 1955 إلى حرب تحررية في البوادي والأوعار، فأدرك الجنرال بوايي دو لاتور أن تعيينه بالرباط لم يكن إلا ستاراً لتصفية الحماية الفرنسية بالمغرب، فاستقال يوم 11 نونبر الموالي فأقيل، وكان التهامي الأگلاوي قد أعلن يوم 26 أكتوبر عن توبته وعن ضرورة جعل حد للأزمة بإرجاع المشروعية إلى نصابها، وعاد محمد الخامس إلى فرنسا وأُعلن عن استقلال المغرب، ثم كانت العودة المباركة إلى الرباط فلم يجد أعضاء "بّريزانس فرانسيز" أمامهم إلا حلْم ذلك الملك الهمام الذي لم يتورع عن استقبال بعض أقطابهم ضمن من استقبل من أعضاء الجالية الفرنسية فعمهم بعفوه وخلّى بينهم وبين أغراضهم بالمغرب على أن لا ينسوا واجبات الضيوف.

S. Bernard, *Maroc 1943-1956*, Université Libre de Bruxelles 1963 ; Hervé Bleuchot, *Les libèraux français au Maroc, 1947-1955*, Université de Provence 1973 ; Pierre Boyer de la Tour, *Vérités sur l'Afrique du Nord*, Paris, 1956 ; L. Cerych, *Européens et Marocains 1930-1956*, Brugges 1964 ; Gilbert Grandval, *Ma mission au Maroc*, Paris, 1956 ; C. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956*, Paris, 1978 ; P. July, *Une République pour un Roi*, Paris, 1974.

إبراهيم بوطالب

**بْرِيَش**، قرية، ويحمل هذا الاسمَ في الوقت الراهن ثلاثةُ مواقع: واحد على مجرى واد تهدارت، والآخر في مرحلة وسطى بين واد الغريفة وواد تهدارت، والثالث بين اثنين سيدي اليمني وثلاث الريساني. والواضح أن أقدم هذه القرى، هي التي أشار إليها البكري باسم نبرش، حين وضعها على طريق أصيلا النافذ إلى طنجة من جهة الساحل. وتنتمي هذه القرية القديمة إلى فرقة أولاد خلوف من قبيلة الغربية، وهي واقعة بين مصبي واد تهدارت وواد الغريفة. يجاورها هناك دوار الشريف والصخرة. وقد أخبرنا بنفس الموقع برناردو رديگس، صاحب *حوليات أصيلا* وسماه Brias. وكانت القرية خلال وجود البرتغاليين بأصيلا وطنجة خالية، اتّخذت مبانيها ملجأ لمجاهدي جبل حبيب، وطالعا بالنسبة لجنود أصيلا.

تقع قرية بريَش واد تهدارت على الضفة اليمنى من نفس النهر، مباشرة بعد قنطرة الطريق السيار، بجوار قرية المرس. ويحتل الموقع الثالث موقعاً سهلياً بجوار منابع واد حرتن من قبلة البدور الخلطية، بفرقة البدور، في منتصف المرحلة بين اثنين سيدي اليمني وثلاثاء الريسانة، بجوار أولاد يحيى وأولاد موسى.

أ. البكري، *المغرب*، ص 112.

Bernardo Rodriques, *Anais de Arzila*, 1 : 261, 2 : 60. 168.

حسن الفكيكي

**بريشة**، أسرة فاسية كانت تُعرف بأسرة الحُميدي قبل أن تتخذ لقب بريشة، وقد انتقلت إلى تطوان في منتصف القرن الحادي عشر الهجري. وأثناء الحرب المغربية الإسبانية سنة 1860 هاجر جل أفراد هذه الأسرة إلى شفشاون باستثناء التاجر الحاج عبدالكريم بريشة الذي توجه إلى مسقط رأس أسرته بفاس.

وتوجد بتطوان عدة أماكن تحمل اسم هذه الأسرة مثل زنقة بريشة الواقعة بحومة الملاح البالي وفندق بريشة الذي كان بزنقة بين الفنادق، ومثل برج بريشة، وجنان بريشة.

وقد اشتهرت عدة شخصيات من هذه الأسرة بتطوان.

محمد ابن عزوز حكيم

**بريشة، عبد السلام** بن الحاج عبد الرحمن من أبرز وجوه المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي بمدينة أسفي. أصله من عائلة بريشة التطوانية المعروفة. ولد بتطوان سنة 1910، وصحب أخاه الأكبر السيد محمد بريشة حين عين هذا الأخير أمين الديوانة بأسفي سنة 1915. فنشأ بها وكان له نشاط ملحوظ في الحركة الوطنية السياسية، ثم في حركة المقاومة إبان أزمة 53. 1956.

توفي بأسفي سنة 1377 / 1957.

عبد الرحيم العطاوي

**بريشة، عبدالكريم** (الحاج ـ) بن محمد ولد بتطوان سنة 1830/1246 وقرأ مبادئ العلوم بمسقط رأسه، ولما بلغ الثالثة والعشرين من عمره توجه سنة 1853/1269 إلى مصر للتجارة بها، لكنه ما أن حلّ بالسويس حتى قرر التوجه إلى جدة حيث استقر وفتح بها متجراً لمدة ثلاث سنوات حج خلالها مرتين. وفي أوائل سنة 1856/1272 عاد إلى تطوان ومكث بهاسنة ثم توجه إلى فاس حيث عيَّنه السلطان مولاي عبدالرحمان أمينا بمرسى الدارالبيضاء.

وفي أواخر سنة 1275/ يوليوز 1857 أُعفى من أمانة الدارالبيضاء وعاد إلى مسقط رأسه حيث تزوج في أوائل سنة 1276 وهي السنة التي غزت فيها القوات الإسبانية أرض المغرب. وعندما أصبحت تطوان مهددة بالسقوط بيد المعتدي توجه عبدالكريم بريشة مع أسرته إلى فاس حيث اشتغل بالتجارة والتحق في نفس السنة بانجلترا وظل بها

إلى أن غادرت القوات الإسبانية مدينة تطوان سنة 1862/1278. فعاد بريشة إلى مسقط رأسه وظل به إلى سنة 1864/1281 حيث توجه مرة أخرى للتجارة بانجلترا لمدة ثلاث سنوات.

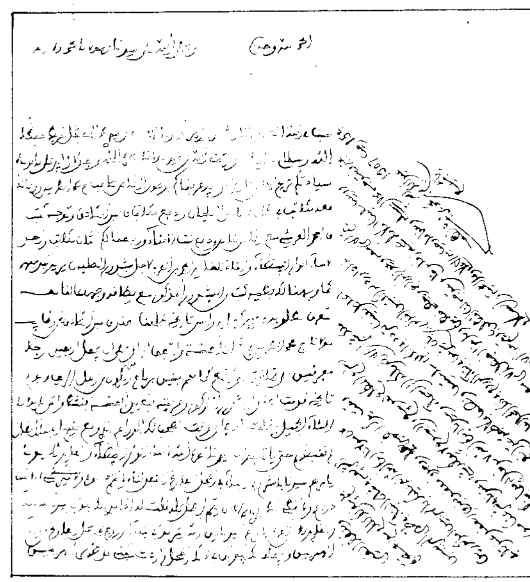

عاد بريشة إلى تطوان في أواخر سنة 1867/1284 ولم تمض أيام حتى ورد الأمر السلطاني بتوليته أمينا بمرسى مدينته، وبعد سنة حلَّ محلّه في المنصب المذكور أخوه الحاج محمد بريشة لمدة سنة، فعاد عبدالكريم بريشة إلى مزاولة نفس المنصب الأول أمينا عاماً بنيقة الداخل والخارج بدار المخزن لمدة ثلاث سنوات.

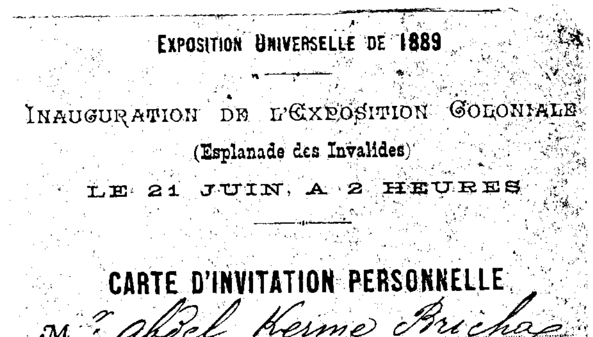
EXPOSITION UNIVERSELLE DE 1889

INAUGURATION DE L'EXPOSITION COLONIALE

(Esplanade des Invalides)

LE 21 JUIN, A 2 HEURES

CARTE D'INVITATION PERSONNELLE

M^r Abdel Kerime Bricha

وفي شهر ذي القعدة 1294/نوفمبر 1877 رافق السفير عبدالسلام السويسي في سفارته إلى مدريد لتهنئة الملك الإسباني بمناسبة اعتلائه للعرش. وفي شهر جمادى الثانية من سنة 1295/يونيو 1878 بعثه السلطان سفيراً لدى ملك إسبانيا الفونصو الثاني عشر لمباشرة قضية سانطا كروث ذي ماريِّيكينيا Santa Cruz de Mar Pequeña المنصوص عليها في الفصل الثامن من معاهدة الصلح المبرمة بتطوان سنة 1860، وكاد بريشة ينجح في مهمته حيث قبلت الحكومة الإسبانية مبدأ التخلي عن القضية المذكورة مقابل تعويض مالي يدفعه لها المغرب لولا وجود عراقل دستورية حالت دون تمكن الحكومة الإسبانية من تنفيذ الاتفاق الذي حصل بين بريشة ووزير خارجية إسبانيا السنيور سيلفيط Silveta.

وفي سنة 1880/1297 عيَّنه السلطان بجانب وزير خارجية المغرب محمد بركاش الذي مثل المغرب في المؤتمر الدولي المنعقد بمدريد لدراسة قضية الحماية الشخصية وانتهى بتوقيع المعاهدة الدولية ليوم 3 يوليوز 1880.

وخلال المدة المتراوحة بين سنة 1881/1298 وسنة 1886/1303 توجه عبدالكريم بريشة إلى الخارج لقضاء أغراض خصوصية للسلطان مولاي الحسن الأول، ومن سنة 1887/1304 إلى سنة 1888/1305 استقر بتطوان يباشر تجارته الخاصة.

وفي شهر ذي الحجة عام 1305/غشت 1888 عَيَّنه مولاي الحسن ممثلا للمغرب في المعرض الدولي الذي أقيم بباريس، وتم تدشينه يوم 21 يونيو 1889 (22 شوال 1306). وعاد بريشة إلى المغرب في شهر صفر 1307/أكتوبر 1889 واستقر بتطوان إلى أواخر سنة 1309 حيث قام برحلته الثالثة إلى مكة المكرمة.

وفي شهر رجب 1312/يناير 1895 أرسله السلطان مولاي عبدالعزيز سفيراً لدى ملكة إسبانيا الوصية على العرش من أجل إعادة النظر في المعاهدة المغربية الإسبانية المبرمة بمراكش يوم 27 شعبان 5/1311 مارس 1894، وفي يوم 4 شعبان 31/1312 يناير 1895 عندما خرج بريشة من الفندق الذي كان يقيم به بمدريد تقدم إليه الكولونيل الإسباني

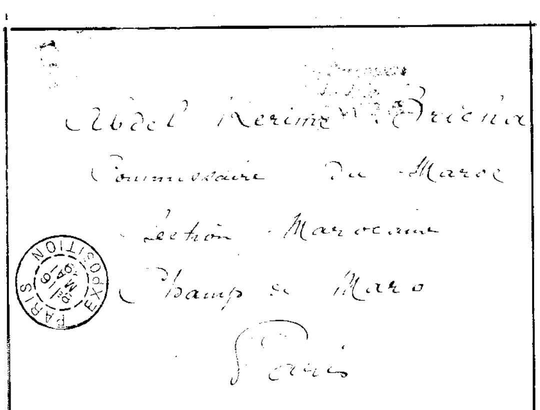


المتقاعد فوينطس Fuentes وصفعه صفعة قوية جعلت السفير يعود إلى الفندق ويمتنع عن التوجه إلى القصر الملكي لتقديم أوراق اعتماده، غير أنه بعد أن اتضح أن الأمر يتعلق بعمل قام به نزق مختل وأن الشرطة ألقت عليه القبض ومثل أمام المحكمة، توجه بريشة إلى القصر الملكي حيث نزلت الملكة من عرشها وتقدمت إليه مقدمة جميع أنواع الاعتذار قائلة له : (أتأسف من صميم فؤادي على الاعتداء الذي وقع عليكم وأني أشعر بألم تلك اللطمة داخل قلبي).

وقد سهل هذا الحادث مأمورية السفير حيث وافقت الحكومة الإسبانية على تعديل معاهدة مراكش باتفاقية أسقطت مليون وأربعمائة ألف ريال من قيمة الغرامة الحربية الناتجة عن حرب مليلية لعام 1893.

وما أن عاد الحاج عبدالكريم بريشة إلى المغرب وعلم السلطان بنتائج سفارته حتى أنعم عليه بخمسين ألف ريال. وتجدر الإشارة إلى أن بريشة عاد من قادس إلى طنجة على متن البارجة الحربية رينا ريخينطي Reina Regente التي تركته بطنجة يوم 9 مارس ولكنها لم تعد إلى قادس حيث ابتلعتها أمواج البحر ومات طاقمها المتكون من 400 بحار.

توفي الحاج عبد الكريم بريشة بتطوان يوم الجمعة 10 محرم 11/1315 يونيو 1897.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 3 : 35 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 4 : 289.195، 5 : 231.229 ك 6 : 387.175.171.166، 7 : 328 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 321.

Becher, *España y Marruecos*, Madrid, 1903, p. 171 a 294.

**بريشة، عبدالواحد** الذي عُين يوم فاتح يناير 1930 أمينا للصائر بمشور الخليفة السلطاني بتطوان إلى يوم فاتح أبريل 1932 حيث عُين حاجباً للخليفة السلطاني مولاي الحسن بن المهدي.

**بريشة، العربي** بن محمد المولود سنة 1844/1260 الذي خلف الحاج محمد بن العربي الطريس على رأس عمالة الدارالبيضاء. وقد توفي سنة 1899/1317.

**بريشة، محمد بن عبدالسلام**. يعد الشخصية الثانية بعد الحاج عبدالكريم في أسرة بريشة التطوانية التي لعبت دوراً بارزاً في الحياة السياسية والمالية بالمغرب في عهد السلطان مولاي عبدالرحمان وسيدي محمد بن عبدالرحمان ومولاي الحسن الأول.

ولد المترجم له بتطوان وبها قرأ مبادىء العلوم والتحق بالخدمة المخزنية وهو دون الثلاثين من عمره، حيث نجده يشغل منصب أمين الصائر بدار المخزن بمراكش سنة 1829/1245.

وعلى يديه جرت عملية أداء مال الغرامة المفروضة على المغرب من جراء الحرب التي أعلنتها إسبانيا ضد المغرب سنة 1859/1276، وبهذا الصدد يمكن أن نقول إنه لا توجد وثيقة من بين آلاف الوثائق المخزنية المتعلقة بمال الغرامة لم تكن صادرة عنه وموجهة إلى السلطان أو الصدر الأعظم أو الأمير مولاي العباس، أو تكون موجهة إليه من واحد منهم، أو ورد اسمه فيها على الأقل خلال الفترة المتراوحة بين سنة 1860/1277 وسنة 1883/1301.

وهكذا يكون المُترجم قد قضى نصف قرن من عمره في خدمة بلاده إلى أن وافته المنية يوم 3 محرم 23/1302 ديسمبر 1884.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 3 : 36 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 4 : 294.329، 5 من 14 إلى 133، 8 : 193. 270. 327. 424.

**بريشة، محمد** بن **محمد** الذي استخدم أمينا بمرسى الرباط ومرسى تطوان، وناظراً على الأحباس بتطوان إلى أن وافته المنية سنة 1899/1317.

**بريشة، محمد بن محمد بن عبدالسلام**، تولى الأمانة في كل من الرباط والصويرة ومراكش وفاس والعرائش وطنجة في عهد السلطان مولاي الحسن ومولاي عبدالعزيز، إلى أن فُرضت الحماية على المغرب حيث عاد إلى مسقط رأسه.

وفي 23 محرم 23/1346 يوليوز 1927 عُين على رأس باشوية تطوان ثم أُعفي منها يوم 20 شعبان 23/1345 فبراير 1931. وقد توفي بتطوان يوم 28 ذي القعدة 26/1359 ديسمبر 1940 ودفن بالزاوية الحراقية.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 3 : 35 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 5 : 37، 228، 6 : 231، 132، 133 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ *الجريدة الرسمية لمنطقة حماية إسبانيا بالمغرب* سنة 1940، ص 216 وسنة 1932، ص 443.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بْرِيط**، جوزيف دومينيك Bréthes, J. D. يرتبط اسمه بمجموعته من النقود التُّحَفِيَّة المشهورة (مجموعة بنك المغرب حاليا) وبكتابه المَطبوع سنة 1939 عن النقود المغربية، ولم نعثر على تفاصيل موسعة عن حياته. فهو من أصل فرنسي، استقر في الدارالبيضاء بعد تقديم خدمات كضابط في الجيش الفرنسي، له خبرة بعلم الآثار كما تفيد مقدمة كتابه، وساهم في التَّنْقيبات الأثرية حيث عثر في إحدى الحفائر سنة 1929 على بعض القطع النقدية من

مجموعته، وقد اشتهر بالخصوص باهتمامه بعلم المسكوكات، ويعتبر أحد أشهر هواة جمع النقود القديمة مختصاً في العملات المغربية، بحيث تعدّ دراسته من بين أهم المراجع في تاريخ المسكوكات المغربية.

المجموعة النقدية : تحدث بريط في *فهرسه العام* عن أماكن الحصول على مجموعته القيمة التي شملت كلاً من المغرب والجزائر وتونس، وهذه المجموعة تعتبر أجمل وأنفس مجموعة نقدية إسلامية في العالم، ذلك أنها تحتوي على ما يناهز اثني عشر ألف قطعة، وتقدم تصوراً وافياً عن تاريخ السكة بالمغرب منذ الفتح الإسلامي إلى يومنا هذا، كما أنها تحتوي على طائفة هامة من النقود القديمة لفترة ما قبل الإسلام، تتكون من قطع تعود للعهد الإغريقي والروماني ومجموعة من النقود الإسلامية المشرقية والمغربية، وتكتنز ثروة عظيمة من المعلومات الخاصة بتاريخ مختلف الأسر الإسلامية الحاكمة وخاصة منها المغربية، وتاريخ الأحداث المالية والاقتصاد عموماً.

تنفرد مجموعة بريط النقدية بخصوص تاريخ المغرب بوجود مجموعة من السلاسل النقدية التي تبرز صورة منتظمة لواقع العملة الاسلامية بالمغرب بما في ذلك عهد الولاة من قبل الأمويين بالمغرب والأندلس وعهد العباسين، ثم الأدارسة ومغراوة بفاس وبني مدرار بسجلماسة، وكذا عهد المرابطين والموحدين والوطاسيين وبني عبدالواد بتلمسان ومدى ارتباطهم بتاريخ المغرب، وكذا العهدان السعدي والعلوي، وهذا مما يفسح المجال للتفكير في كتابه تاريخ عام للنقود بالمغرب.

وقد كان الحظ حليف هذه المجموعة حينما قام بنك المغرب باقتنائها من صاحبها جوزيف بريط سنة 1950، وظلت لمدة عشر سنوات دون أن تكون موضوع دراسة علمية. وفي سنة 1960 عمد بنك المغرب إلى الاستعانة بقسم النقود والأوسمة التابع للمكتبة الوطنية بباريس، فوضع رهن إشارته أحد خبراء علم المسكوكات الإسلامية المشهورين وهو دنيال أُسطاش Dâniel Eustache بتوصية من جورج كولان، وقد سبقت لأُسطاش معرفة بتاريخ المغرب واهتمام بعلم المسكوكات عندما شغل منصب القيم بخزانة معهد الدراسات العليا المغربية بالرباط ما بين سنة 1949 و1955 ثم انتقل إلى المكتبة الوطنية بباريس ما بين 1956 و1968، وقد أعير أثناءها خلال 1960. 1961 لبنك المغرب، ثم التحق بالمركز الجامعي للبحث العلمي بعدها مكلفاً بقسم الدراسات في بنك المغرب في أعوام 1968 و1976 ورجع بعدها إلى فرنسا متقاعداً، حيث توفي هناك في 19 يناير 1991.

ونلخص أهم الأعمال التي أنجزها بريط بخصوص هذه المجموعة النقدية في إطار بنك المغرب فيما يلي :

في إطار بنك المغرب فيما يلي :

- قام بوضع *فهرس عام* لهذه المجموعة بعد تصنيفها تاريخيا ما بين سنة 1960 و1961.

- أشرف على تأسيس معرض دائم لهذه المجموعة بوكالة بنك المغرب بالدارالبيضاء يتضمن 2099 قطعة مختارة من أصل 12.000 قطعة معروضة حسب التسلسل التاريخي في تسع عشرة واجهة، وقد وقع تدشين هذا المعرض من قبل جلالة الملك الحسن الثاني بتاريخ 30 أبريل 1964، وأبدى اهتماماً بالغاً بهذا العمل، غير أن المعرض الآن لا يزار إلا بإذن خاص.

- أنجز - بإشراف بنك المغرب - جزءاً هاماً من مشروع يهدف إلى كتابة موسوعة خاصة بتاريخ النقود بالمغرب، اعتماداً على مجموعة البنك وغيرها من المجموعات، وقد أصدر منها: *الجامع في الدراهم الإدريسية* سنة 1970، *والجامع في النقود العلوية* في ثلاثة أجزاء سنة 1964، ومجموعة من المقالات في مختلف المجلات. ويشتغل الآن أحد الباحثين في إعداد *الجامع في النقود السعدية*.

فهرس بريط، عنْونه *بمساهمة في تاريخ المغرب من خلال أبحاث في المسكوكات* طبعت بالدار البيضاء سنة 1939، صفحاته 275 ص رتبت مادتها في أحد عشر فصلا، خصص بعد المقدمة الفصل الأول للنقود النوميدية والموريطانية، والفصل الثاني للنقود العربية قبل الإسلام، وخصص بقية الفصول للأسر المغربية الحاكمة وبعض الإمارات الناشئة سواء في المغرب أو في الجزائر وتونس. وكانت منهجيته مبنية على أساس إعطاء نبذ تاريخية متبوعة بجدول أنساب الأسر الحاكمة، ثم يخلص إلى فهرسة أهم القطع المعروفة كنماذج مصنفاً إياها على أساس دور الضرب، وعلى أساس المعادن التي صنعت منها، مع تقديم أوصافها ومقاييسها وأوزانها. وقد حلّى هذا الفهرس بـ 43 لوحة خاصة بنماذج واضحة للقطع النقدية في مختلف العهود وبعض الأوسمة ذات المضمون التاريخي، وألحق بالفهرس نصين عربيين مترجمين حول السكة.

وإذا كانت هذه الفهرسة ذات أهمية بالغة لأنها أضافت جديداً في بابها وتعد مرحلة متقدمة بالنسبة لفهرسة لافوا Lavoix فهي موسومة ببعض المآخذ كما أنها لا تتوفر على فهارس عامة مما لا يسهل معه الوصول إلى المعلومات المقصودة عن طريق مداخل مفهرسة.


بنك المغرب (وكالة البيضاء) - *معرض النقود القديمة والإسلامية*، تقديم السيد محمد الزغاري، الرباط 1962.

J. D, Bréthes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; D. Eustache : *Corpus des Dirhams Idrisites et Contemporains*, Collection de la Banque du Maroc et autres collections mondiales Publiques et Privées, Rabat, 1970- 1971, p. 15-21 ; *Corpus des Monnaies Alawites*, collection de la Banque du Maroc et autres collections mondiales, Rabat, 1984, 3 t ; *L'Ambassade du Royaume du Maroc à Paris*. - Une Exposition consacrée à la monnaie marocaine. (La collection de la Banque du Maroc) Paris, 1976.


عمر أفا

**بريطل**، أسرة مغربية معروفة ربما كان أصلها من الأندلس. وبريطل تصغير لكلمة برطال Pordal الإسبانية التي تعني العصفور. وقد عاش آل بريطل في المناطق التي نزح إليها المهاجرون الأندلسيون : تطوان وسلا والرباط.

وقد انقرضوا من تطوان في حدود عام 1100 / 1689، ويُذكر من بين أفراد هذه الأسرة التطوانية الفقيه عيسى بن علي بريطل كان يزاول خطة العدالة سنة 1091 / 1680. ومع ذلك لم تنقطع الصلة بين تطوان وآل بريطل في سلا والرباط، إذ نجد رئيس البحر الحاج عبد الرحمان بريطل الرباطي تصنع له كسوته الحربية بتطوان سنة 1243 / 1828، كما نجد السلطان مولاي عبد الرحمن يأمر باشا تطوان سنة 1250 / 1834 بأن يختار بعض الشبان التطوانيين ويوجههم لتعلم الملاحة على ظهر سفينة الرايس بريطل الرباطي، أما آل بريطل السلويون فأغلبهم مقرئ مجود مدرر، عرفت كتاتيبهم بأسمائهم في مختلف أحياء المدينة، ومنهم بحريون مجاهدون يعملون في المدفعية وغيرها.

وأسرة بريطل التطوانية ليست هي أسرة برطيل ولا أسرة براطيل.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 283 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بريطل، إبراهيم** (الحاج ـ) كان أميناً بمرسى الرباط أيام المولى سليمان، وقد امتُحن مع أمناء الرباط وسلا وقاضي الرباط وناظره وعدوله على يد وزير السلطان محمد بن عبد السلام البخاري السلاوي في فاتح شوال عام 1226 / 20 أكتوبر 1811، وسجنوا جميعاً بحبس قصبة الأوداية، ولم يخرجوا منه إلا يوم الاثنين 15 ذي القعدة على أن يؤدوا ذعيرة قدرها سبعة قناطر (من المال) فدفع الأمين إبراهيم بريطل نصيبه من هذا المال المردود وهو تسعمائة مثقال واثنا عشر مثقالا وخمس أواق وبذلك انتهت محنته.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، 366 و368.

**بريطل، أحمد** السلوي، كان من رياس البحر، أدرج اسمه بهذه الصفة في قائمة المستفيدين من الصلات السلطانية المنفذة للمجاهدين. الأولى غير مؤرخة، والثانية مؤرخة بثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 85 و171.

**بريطل، بناصر** بن عبدالرحمن. ولد بالرباط عام 1902/1319 وبها نشأ وتعلم على يد والده القاضي عبدالرحمن وغيره. وتولى خطة القضاء بأولاد فرج بدكالة عام 1933/1352، ثم بالرحامنة فزعير فأحواز الرباط. وفي خضم مآمرة سنة 1953، التي شارك فيها إلى جانب الاستعماريين أذنابهم من رجال السلطة المغاربة، رُقي بناصر بريطل إلى قضاء عاصمة الرباط حيث بقي يعمل إلى أن حصل المغرب على الاستقلال، فعزل وأصيب بنوبة قلبية قضت عليه أواخر سنة 1956.

م. ابن سودة، *قبيلة زعير*، 2 : 152، 155.

**بريطل، الطاهر** بن محمد الرباطي "الفقيه العلامة الخير المدرس العدل" بهذا حلاه العربي التهامي الوزاني في معجم شيوخه. كان من الشهود المبرزين في سماط عدول الرباط، وقد أخره القاضي عبد الرحمن بسير مدة ثم رده إلى الخطة. وكان يقوم في نفس الوقت بالتدريس في المسجد الأعظم، والخطبة به وبالزاوية الناصرية. وكانت وفاته بالرباط في عاشر شعبان عام 1282 / 13 ديسمبر 1865، ودفن بالزاوية التهامية.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 316 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1282 ؛ م. دينية، *مجالس*، 187.

**بريطل، عبد الرحمان** (الحاج ـ) الرباطي من رؤساء البحر البارزين في العدوتين. لما عزم المولى عبد الرحمان بن هشام على إحياء البحرية المغربية اعتمد بالأساس على الرئيسيين الحاج عبد الرحمان بريطل وعبد السلام بن الفقيه. ووجه إليهما ظهيراً مؤرخاً في 26 قعدة عام 1241 يأمرهما فيه بالخروج إلى عرض البحر الكبير (المحيط) والبحث عن مراكب دول أوربية معينة لا تربطهم معاهدة سلم بالمغرب، كما أمرهما بالمداومة على قراءة حزب القرآن وحزب البحر صباحاً ومساءً.

وإلى جانب ذلك كان الحاج عبد الرحمان بريطل يقوم بتفقد قطع الأسطول المغربي في مختلف المراسي، ويشير على المخزن بما يلزم من إصلاح وغيره. كما كانت تقام له كسوة بحرية ممتازة على يد صناع تطوان.

توفي بعد عام 1250 / 1834.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 132، 134، 149.

**بريطل، عبد الرحمان** بن **بناصر** الرباطي. فقيه موقت مشارك، درس بمسقط رأسه على إبراهيم التادلي وأبي حامد البطاوري، وبفاس على أحمد ابن المامون البلغيثي. ولي خطة الشهادة والتوثيق ثم القضاء بالقنيطرة وأحواز مكناس ثم أزمور والعرائش والجديدة وغيرها. ولم

تكن هذه الوظائف تعوقه عن القيام بمهمة التدريس التي كان شغوفاً بها، حتى يقال إنه كان يلقي بمدينة مكناس خمسة دروس في اليوم، في قواعد اللغة والفقه والحديث والحساب والتوقيت. وخلّف مجموعة *نوازل* في مجلدين وتقييداً *على شرح عقود الجمان* للسيوطي، *وكتابة على اللوغاريتمات*، وختم *فرائض المختصر*. من أشهر تلاميذه الرباطيين المدني ابن الحسني، ومحمد السايح، ومحمد بوجندار.

توفي بالرباط في 5 ربيع الثاني عام 1363 / 30 مارس 1944. (كذا في *الإتحاف*، وحسب *أعلام الفكر* : توفي يوم عاشر صفر 1363).

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1363 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 336.

**بريطل، عبد الله** السلوي، من طلبة القرآن المتخرجين من الكتاتيب، كان من بين سبعة طلاب سلويين اختيروا لنجابتهم ليتعلموا اللغة الإيطالية في طنجة قبل إرسالهم في بعثة تعليمية إلى الخارج (رسالة محمد برگاش إلى نائبه الطريس في 25 قعدة 1302) ثم نجد اسم عبد الله بريطل ضمن قائمة الطبجية المجاهدين السلويين الذين شملتهم صلة الحسن الأول بتاريخ 28 حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، 2 : 185 و224.

**بريطل، العربي** بن إبراهيم السلوي. من المجاهدين البحريين الذين نالوا صلة الحسن الأول بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2. وثيقة 84.

**بريطل، محمد** بن **إبراهيم** السلوي، أستاذ ابن أستاذ، اشتغل بشؤون البحر، وأدرج اسمه في قائمة المنعم عليهم بصلة الحسن الأول في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875، وفي القائمة الثانية المخصصة "للطبجية الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا" بتاريخ ثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84 و170.

**بريطل، محمد** بن **الطاهر** السلوي أستاذ مقرئ وبحري يعمل في فرقة المدفعيين الطبجية، وبهذه الصفة استفاد من الصلة التي خصها الحسن الأول للمجاهدين البحريين السلويين في 16 قعدة 1292 / 14 دجنبر 1875، والصلة الثانية المؤرخة في ثامن وعشري حجة عام 1311 / 1 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84 و170.

**بريطل، محمد** بن **عبد الله** السلوي (الحاج ـ) الأستاذ شيخ القراء بسلا في عصره، المدعو "ابّـا الفقيه". كان يحفظ القرآن بالقراءات السبع، ويعلم الصبيان طيلة حياته في كتّاب يحمل اسمه بحومة باب حساين. وقد كتب بيده مصاحف شريفة في غاية الضبط والاتقان، أحدهما محفوظ بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا (رقم 20).

وقد انفرد صاحب *إتحاف المطالع* فوصفه "بالعلامة المشارك القاضي" نقلا عن الشيخ جعفر بن أحمد الناصري، وهي صفات لم يذكرها له غيره خاصة ولاية خطة القضاء. ويوجد اسم الأستاذ الحاج محمد بريطل في قوائم المدررين وحفاظ القراءات السبع بمدينة سلا المستحقين للصلات الخاصة، إحداها مؤرخة في تاسع عشر شعبان عام 1278 / 19 يبراير 1862.

توفي بسلا عن سن عالية عام 1334 / 1915.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 421 ؛ م. بوشعراء، *ملحق الإتحاف الوجيز*، 154 ؛ *التعريف ببني سعيد*، 2 : 55، 53 ؛ م. حجي، *الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*، 53.

**بريطل، مَحمد** بن **محمد** السلوي، ابن الأستاذ شيخ جماعة المقرئين سابق الترجمة. فقيه أديب، عين عام 1318 / 1900 عدلا بالمرسى، ثم أصبح سنة 1332 / 1913 مدرساً بأول مدرسة عصرية فتحها الفرنسيون بسلا في دار ابن عطار بباب حساين (مدرسة البنات حالياً) إلى أن توفي قريباً من موت والده في فاتح قعدة عام 1335 / 19 غشت 1917.

*رواية شفوية* عن العدل السيد عبد النبي النجار.

محمد حجي

**بريف** Brives، أستاذ في الجيولوجيا كان يدرس في مدرسة العلوم بالجزائر (وصارت كلية للعلوم فيما بعد) أوفدته السلطات الاستعمارية من الجزائر إلى المغرب ليجوب أراضيه ويسبر تشكيلته المورفولوجية ويستنبط بنيته الجيولوجية بحثاً عن مقدراته المعدنية ويجمع المادة العلمية لرسم الخريطة الجيولوجية المدققة للبلاد، وكانت رحلته الأولى بأمر من رڤوال Révoil يوم كان والياً عاماً على الجزائر وامتدت من 3 دجنبر 1901 إلى 25 فبراير 1902، جاب أثناءها مناطق المدن الكبرى كالدار البيضاء ومراكش والجديدة والرباط ومكناس وفاس والرباط مرة أخرى ثم العرائش فطنجة. وكانت الرحلة الثانية بأمر من جونار Jonnart خلف رڤوال على كرسي الولاية الجزائرية وتشجيع من أوجين إتيين Eugène Etienne زعيم حزب الاستعمار بفرنسا، وامتدت من 22 يوليوز إلى 7 أكتوبر من سنة 1902 زار أثناءها منطقة الحوز وقبائلها وبعض أودية الأطلس الكبير الغربي وأبوابه المؤدية إلى سوس. وكانت الرحلة الثالثة من 3 يناير إلى 30 ماي 1904 فانطلق من طنجة وزار وزان ثم فاس ثم العرائش ثم الصويرة ثم أسفي ثم بلاد سكساوة وإدا ومحمود وإدا وتنان فسوس. وكانت الرحلة الرابعة من 15 غشت إلى 10 أكتوبر 1905 مر فيها من الجديدة ومراكش وسكساوة وبلاد احمر فالجديدة في ختام المطاف. وكانت الرحلة الخامسة والأخيرة من 10 نونبر 1906 إلى 24 يوليوز 1907 زار أثناءها الصويرة والشياظمة وتوقف مرتين ضيفاً على القائد الطيب الگندافي. ولقد دوّن بريف مشاهداته وارتساماته ورسومه الجغرافية في كتاب ضخم جاء في مجلدين يقف القارئ فيه على بعض المعطيات الملموسة من واقع المغرب قبل الحماية معززة بصور، هي وإن اصفر لونها، إلا أنها مازالت تفصح من تلقائها عن عادات أسلافنا في اللباس والحلاقة والسكن وألعاب الأطفال مثلا.

ومما تميز به بريف أنه قام برحلاته تلك، إذا ما استثنينا الرحلة الأولى، رفقة زوجته وتوغل معها في الأفاق والأوعار دون أن يعترض سبيلهما أحد ولا ألحق بهما أي مكروه، مما يفند ما كانت تروجه الصحف الأوربية وموظفو القنصليات من انعدام الأمن وعموم الفوضى في المغرب آنذاك، قال: "لقد كنا نرتدي لباسنا الأوروبي باستمرار ولم يكن معنا من السلاح سوى مطرقة الجيولوجي واستطعنا مع ذلك دخول المناطق التي كانت مازالت مجهولة من الأطلس مثل مناطق إدا وْمحمود وإدا وْتنان التي يشاع أنها لا تخترق، بل جبنا سوس نفسه، تلك الحديقة الإسلامية التي مازالت إلى اليوم ممتنعة عن الأوربيين". وقال عن فاس لما زارها في رحلته الأولى: "لقد استطعت أن أتجول هنا وهناك في أحياء المدينة ولم يحصل لي من ذلك أي مضايقة، ولباسي نفسه قليلا ماكان يثير الانتباه". لكن آخر رحلاته صادفت مقتل الدكتور موشان Mouchamp بمراكش وبداية تنفيذ المؤامرة الاستعمارية المبيتة فلم يفت يرڤ أن يلمس ما أضحى يقلق بال المغاربة حيث قال: "إن هؤلاء الناس لا يحبون الأوربيين لأنهم يخشونهم". وكان الرحالة على بينة تامة من الغاية الاستعمارية من تجواله حيث قال: "إن كانت النتائج المحصل عليها خلال هذه الرحلات وإن كان لما مارسناه من التاثير على الأهالي ما من شأنه أن يخدم قضايا فرنسا في هذا البلد الذي هي مطالبة بالأخذ بزمام أموره، فإننا لن نندم على ما عانينا من المتاعب والقلق".

وقام بريف برحلة خاصة إلى جبال بني إزناسن حصر فيها ملاحظاته عند اهتماماته الجيولوجية وكان ذلك في شهر فبراير 1908.

A. Brives, *Voyages au Maroc 1901 - 1907*, Paris, 1909 ; *Les Beni - Snassen*, Alger, 1908.

إبراهيم بوطالب

**بريكْشَة**، قرية تقع على مسافة حوالي 19 كلم شمال وزان، وتنسب إلى قبيلة الرهونة في جبالة المنتمية إداريا إلى فخذة أولاد ابْرُونْد، جماعة بريكشة، دائرة مقريصات، إقليم شفشاون، بعد أن كانت منتمية في إحصاء 1971 إلى دائرة وزان في إقليم القنيطرة. وتتكون الآن من أربع وحدات سكنية تخترقها الطريق الثلاثية الموصلة إلى الطريق الرئيسية رقم 28 الرابطة بين مكناس وتطوان عبر وزان.

تتوطن الوحدات السكنية الأربع على سفوح وقمم تلية منخفضة نسبيا، يتراوح مستواها بين 250 و310 متر. وتتكون الصخور الزاحفة من طَفْل وزان الأبيض البالْيُوسيني الذي يمكّن الشُعب الكثيفة والمنابع العديدة من التفرع نحو اللّكّوس أو رافده وادي زَنْدولة.

كما هو الشأن بالنسبة لباقي أجزاء الجماعة، تظل الكثافة السكانية مرتفعة نسبياً (فوق 80 ن/كلم$^2$) وتتخذ الدواوير بنيات متجمعة ومواضع معلقة. أما تطور عدد سكان بريكشة والدواوير المتاخمة لها فيرد على النحو التالي:

| الدواوير | 1971 | 1982 |
|---|---|---|
| بريكشة | 395 | 382 |
| زرّادون | 312 | 360 |
| ليبابْرة | 289 | 277 |
| المجموع | 996 | 1019 |

يتجلى من خلال هذا الجدول أن نسبة نمو المجموعة السكنية شبه راكدة، بل هي سلبية بالنسبة لزرّادون وحتى بالنسبة لبريكشة التي تعتبر مقر قيادة الجماعة وأهم قرية فيها من حيث التجهيزات الاقتصادية والاجتماعية. ولعل مرد هذا التراجع السكني يكمن بالخصوص في حدة النزوح القروي، نفوراً من الامكانيات الفلاحية المحلية الهزيلة. ذلك أن زراعة الشعير والذرة جد ضعيفة، نظراً لوعورة التضاريس ورداءة التربة وعتاقة أسلوب الاستغلال. إضافة إلى ذلك، لا تغطي الحبوب سوى مساحات متقلصة ومتقطعة، رغم التساقطات الوافرة (800 مم سنويا) وتقدم الاجتثاث في جزء كبير من السفوح. والحالة هذه، تمثل مغارس الزيتون موردا ذا قيمة بالغة، كما يشكل الرعي نشاطا تكميليا حيويا يقوم على استغلال الأراضي البائرة والأحراش والغابات في الغرب (زيتون بري، مصطكا، فستق) والغابة الفلينية المتصلة في الجنوب الشرقي.

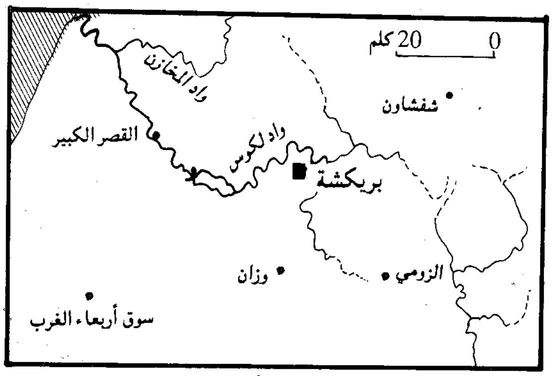


موقع بريكشة

مديرية الاحصاء بالرباط، *السكان القرويون حسب الاحصاء العام للسكان والسكنى* لسنة 1971 وسنة 1982؛ *أطلس المغرب*، اللجنة الوطنية الجغرافية المغربية، الرباط؛ أ.الغرباوي، *خريطة جيومرفلوجية لشبه الجزيرة الطنجية*، لوحة الشاون، مقياس 1/100.000، الرباط، 1981.

مصطفي عياد

**بْريكولي**، گريگريو Bregoli، كولونيل إيطالي رئيس البعثة العسكرية الإيطالية بالمغرب. حل بفاس سنة 1888 ليُسير ماكينة السلاح التي أنشأها السلطان الحسن الأول حتى أُعفي من منصبه سنة 1895.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1470.1469 ؛ *الوثائق المغربية*.

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 4 : 99-100.

مصطفى بوشعراء

**بيريل** Beryl (زمرد صابوني) هو عبارة عن سيليكات الألومنيوم والبريليوم $Al_2Be_3\{Si_6O_{18}\}$، سداسي الأوجه، على شكل موشورات ممددة مقناة أو مستديرة تحتوي على كسور محارية تنفرد بتحدد ألوانها الكثيرة الوضوح أحيانا، صلابته 7,5-8 ؛ كثافته 2,63-2,80 ؛ ألوانه متنوعة، أصفر إلى أصفر مخضر (الهيليدور) إذا ما كان مختلطا بعناصر نادرة كالكروم (Cr) والأورانيوم (U) وببقايا الحديد (Fe)، أزرق أخضر أو شبيه بلون الماء (زمرد ريحاني) إذا ما كان مختلطا بعناصر نادرة كالكروم (Cr) وبقايا الحديد (Fe)، أخضر عميق (زمرد)، وقليلا ما يكون البيريل عديم اللون ؛ لمعانه زجاجي.

يوجد معدن البيريل بكثرة بالگرانيت (أعبل) والبجماتيت، وقليلا في النضيد الميكائي والكلس الحمري المتحول.

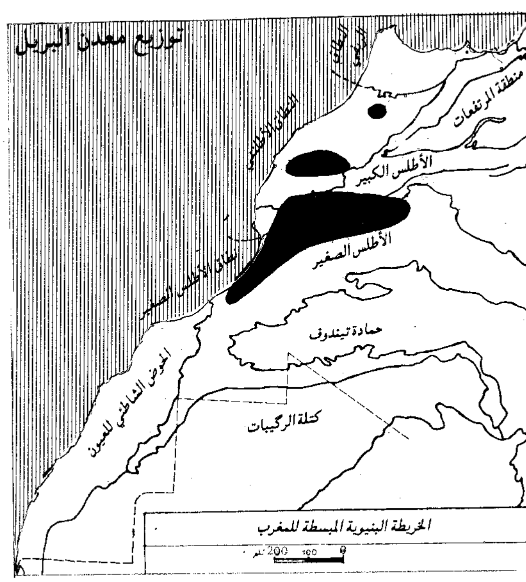


أهم مكامن البيريل بالمغرب تتمركز أساساً في البجماتيت الاعبلي الموجود بالأطلس الصغير الغربي (سهول تازناخت، بهرة، إگر، أگادير ملول، آزرار) ؛ والأطلس الصغير الشرقي (تيوين، أفرمت، إغرم تسيلي، منطقة ورزازات، أنو إيشو، جبل صَغرو).

هناك بعض الدلالات للبيريل بأزگور، وفي الصخور الكلسية المتحولة إلى سكارن بالجبيلات، والمصاحب إما للبجماتيت بالرحامنة أو لعروق الجرانيت والمرو في أُلماس (مكمن القيريت) حيث البيريل مجتمع مع معدن القصدير، سواء في العروق أو في جيوب الميكا.

يستعمل البيريل في الصباغة، وصناعة منافذ مصابيح الأشعة السينية، وفي الميدان النووي مثل إنتاج أو تبطئة النترونات، وكذا لتهيئة التريسيوم ؛ في الصناعات المعدنية كتهيئ البرونز أو كمضاد للتأكسد بالنسبة لسيل بعض خلطاء المعادن ؛ وصناعة الخزف.

رغم وجود البيريل في أُلماس وأزگور والرحامنة والجبيلات، فإن الأهمية الاقتصادية لم تتمثل في الماضي سوى في صخور البيجماتيت لتازناخت وأكردة بالأطلس الصغير.

*مدخل إلى جيولوجيا المغرب، مجلة المناجم والجيولوجيا*، منشور إدارة المعادن والجيولوجيا والطاقة ـ عدد 41، 1977.

A. Foucault et J. F. Raoult, *Dictionnaire de géologie*, 3ème éd., Paris, 1988 ; E. Saaidi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français - arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; Rudolf Duda et Lubis Rejl, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (substances métalliques et non métalliques associées)*, 2ème Ed., tome 1, Notes et mémoires du Service Géologique n° 276, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème Ed., tome 3, Notes et mémoires du Service géologique ; P. Lapadu - Hargues, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954.

عبدالقادر بوسحابة

**بْرَيْم** (أيت ـ) قبيلة تقع شمال الأطلس الصغير، جنوب شرق تزنيت، شاركت غيرها من قبائل سوس الأقصى في مختلف الأحداث السياسية الهامة التي توالت على المنطقة منذ بداية القرن التاسع عشر على الأقل. نذكر منها :

- حركة أغناج الحاحي على عهد السلطان مولاي سليمان.
- زيارة مولاي الحسن التي عين بمناسبتها الشيخ يحيى البريمي قائداً على أيت بريم في 13 شعبان 1299.
- حَركَة أحمد الهيبة التي انخرطت فيها قبيلة أيت بريم، كسائر قبائل سوس الأقصى.

شاركت أيت بريم في مواجهة حملات جيوش الاحتلال الفرنسي، التي توالت على سوس منذ انهزام أتباع أحمد الهيبة في معركة سيدي بوعثمان. من جملة هذه الحملات حركة القائد حيدة مايس، وحملة الجنرال دولاموت التي شارك فيها قواد الحوز وهوارة وحاحة وهشتوكة.

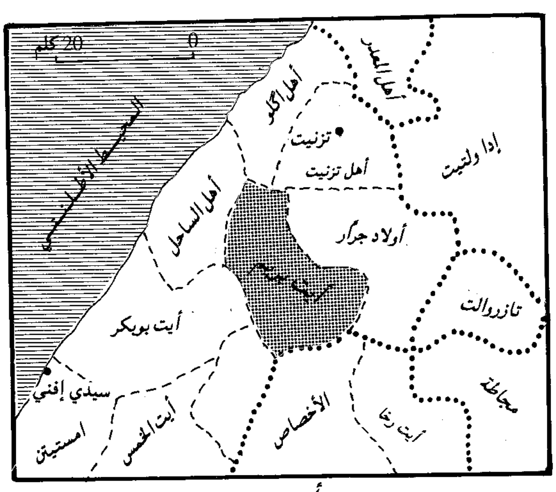


أيت بريم

اشتهرت أيت بريم في مجال المعرفة بفضل مدرستين علميتين تقعان بترابها : المدرسة البونعمانية، والمدرسة البوعبدلية. ولعل أشهر فقهاء المدرسة البوعبدلية الشيخ المحفوظ الأدوزي، الذي تولى مهمة التدريس بها من نحو 1314 إلى غاية 1331.

ومن معالم أيت بريم الدينية زوايا بني نعمان البكريين، التي كانت لها شهرة بين القرنين السابع والثامن الهجريين. ولم يبق منها إلا قباب مشيدة على أضرحة بعض الصالحين منهم.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 13 : 5 و303 ؛ *سوس العالمة*، ص. 165 ؛ *رسالة* من القائد أحمد بن الطاهر : ابلاغ السلطان مولاي الحسن في 15 رجب 1303 هـ ؛ م. الاكراري، *روضة الافنان*، ص. 109. ت. حمدي أنوش، ر.د.د.ع الرباط، رقم 120.

علي المحمدي

**بْريم**، خوان بْراطس Prim Juan Prats جنرال إسباني ولد بمدينة ريوس بمقاطعة كاطالونيا يوم 6 ديسمبر 1814، وعندما وجبت عليه الخدمة العسكرية فضل البقاء بالجيش حيث شارك في الحرب الأهلية الإسبانية لسنة 1835 وبفضل شجاعته نال رتبة ملازم في نفس السنة ورتبة قبطان في السنة الموالية، كما أنه شارك في جميع الحروب الأهلية التي عرفتها بلاده من سنة 1836 إلى سنة 1843، وفي سنة 1844 حكم عليه بالسجن ست سنوات بسبب مشاركته في مؤامرات ضد النظام الملكي، غير أن العاهل عفا عنه، وفي شهر أكتوبر من سنة 1847 عَيَّنه حاكماً عاماً بمستعمرة بويرطو ريكو Puerto Rico بأمريكا حيث ظل إلى غاية شهر سبتمبر من السنة التالية، وفي سنة 1850 انتخب نائبا في البرلمان وفي سنة 1856 عُين حاكما عاماً بمقاطعة غرناطة.

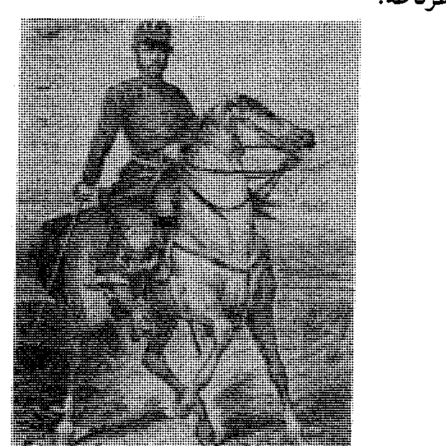

وعندما أعلنت الملكة الإسبانية إيسابيل الثانية Isabel II الحرب ضد المغرب في شهر أكتوبر 1859 كُلف بّريم برآسة الفرقة الاحتياطية بالجيش الذي غزا المغرب انطلاقاً من سبتة، وكانت العملية الحربية الأولى التي شارك فيها هي معركة الفنيدق المعروفة عند الإسبانيين بمعركة كاسطييخوس Castillejos التي جرت يوم فاتح يناير 1860 وقد انتصر فيها الجيش الإسباني بفضل الشجاعة التي أظهرها بّريم عندما تدخل شخصيا في المعركة للحيلولة دون تقهقر الجنود الإسبانيين، وهذا ما جعل الملكة الإسبانية تنعم عليه يوم 13 مارس 1860 بلقب ماركيز دي كاسطييخوس Marques de los Castillejos.

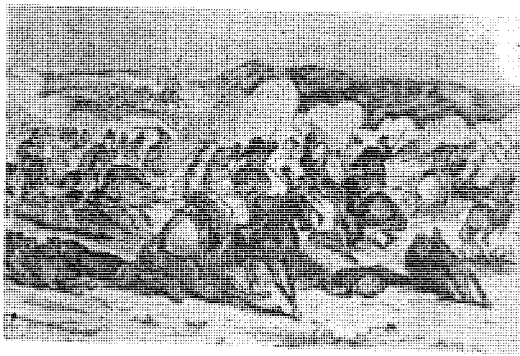

بريم : معركة الفنيدق يوم 1.1.1860.

وفي شهر ماي 1860 عاد بّريم إلى بلاده، ثم ذهب إلى مكسيكو Mexico بأمريكا حيث شارك في الحرب التي كانت قائمة هناك من سنة 1861 إلى سنة 1864 وهي السنة التي عاد فيها إلى إسبانيا وشارك في جميع المؤامرات

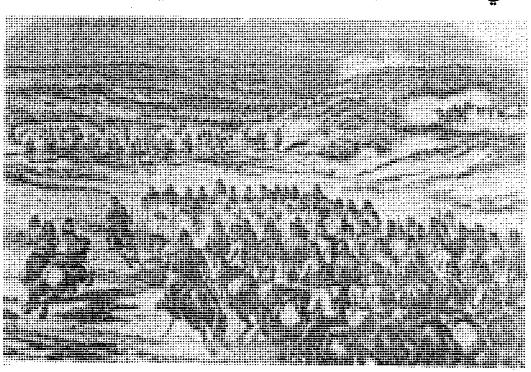

المدبرة ضد النظام القائم في بلاده، وفي يوم 30 ديسمبر 1870 لقي حتفه نتيجة لاعتداء وقع عليه وهو آنذاك رئيس للحكومة الثورية.

F. Jimenez, *Historia militar politica del excmo. Sr. don Juan Prim, conde de Reus*. Madrid 1860 ; F.J. Orellana, *Historia del general Prim*. Barcelona 1872 ; H. Leonardon, *Prim*, Paris 1901 ; Enciclopedia Espasa Calpe, t. 47, p. 390.

محمد ابن عزوز حكيم

**بريمُو ذي رِفيرا**، جنرال إسباني Primo de Rivera، ولد بمدريد سنة 1870، وبعد تخرجه من الأكاديمية العسكرية شارك في جميع الحروب التي خاضها الجيش الإسباني بشمال المغرب من سنة 1909 إلى سنة 1913.

وعندما كان حاكماً عسكرياً بمقاطعة قادس ألقى في الأكاديمية الملكية الإسبانية الأمريكية بالمدينة المذكورة يوم 25 مارس 1917 محاضرة تحت عنوان "استرجاع جبل طارق Recuperacion de Gibraltar" طالب فيها بضرورة العمل على استرجاع جبل طارق من يد انكلترا في مقابل أن تسلم لها مدينتا سبتة ومليلية والجزر المغربية التابعة لهما، فكانت النتيجة أن أُعفي من منصبه.

وفي سنة 1923 عندما كان حاكما عاما بمقاطعة كاطالونيا قام بعمل مماثل للعمل الذي قام به الديكتاتور موسوليني Mussolini بإيطاليا، حيث أعلن يوم 13 سبتمبر رفضه للوضع القائم بإسبانيا ونصب نفسه ديكتاتوراً على البلاد، ولم يكن بوسع الملك الفونصو الثالث عشر إلا أن يبارك عمله فكلفه بتأليف حكومة جديدة من العسكريين، وكانت النتيجة أن صدر الأمر بحل البرلمان وتوقيف العمل بالضمانات الدستورية وإلقاء القبض على كل من سولت له نفسه الوقوف في وجه النظام الجديد، كما فرضت الرقابة على الصحافة ومنعت الأحزاب السياسية من ممارسة نشاطها.

وحيث إن المشكل الرئيسي الذي كانت تعاني منه الدولة الإسبانية آنذاك هو الحرب القائمة بشمال المغرب، فقد كان أول عمل قام به الجنرال بريمو دي رفيرا هو تنصيب نفسه مقيما عاما لبلاده بتطوان يوم 16 أكتوبر 1924، وكان الغرض من ذلك القضاء على المقاومة المسلحة المغربية التي كان يقودها الشريف الريسوني بالناحية الغربية والأمير الخطابي بالناحية الشرقية.

ويتضح من الوثائق السرية التي نتوفر عليها أن الجنرال صاحب الترجمة لم يكن في أول الأمر يريد الوصول إلى مبتغاه باستعمال القوة، بل كان يرى من الأفضل اللجوء إلى المفاوضة مع كل من الخطابي والريسوني على أساس منح المنطقة نوعا من الاستقلال الذاتي والاقتصار على احتلال بعض المدن المغربية الشاطئية مثل مليلية وسبتة وتطوان والقصر الصغير وأصيلا والعرائش والقصر الكبير.

وهذا ما يفسر عملية الجلاء عن جميع المراكز المحتلة داخل التراب المغربي التي وقع الشروع فيها في شهر نوفمبر 1924، غير أن عملية الجلاء عن مدينة شفشاون وحدها كلفت الجيش الإسباني خسائر فادحة حيث فقد في معركة واحدة جرت في أشروطة الجنرال سيرانو وريفي Serrano Orive و82 من كبار الضباط و700 من الجنود، الشيء الذي جعل رؤساء الجيش الإسباني وضباطه يعلنون عدم رضاهم عن سياسة التخلي عن جزء من شمال المغرب المتبعة من لدن الجنرال بريموذي رفيرا، وقد تزعم حركة المعارضة الكولونيل فرانكو Franco الذي كان يَرأس اللفيف الأجنبي، وكانت النتيجة أن تخلى الجنرال المذكور عن منصب الإقامة العامة يوم ثاني نوفمبر 1925 وبدأ يسعى إلى إبرام حلف مع فرنسا يمكنه من القضاء على الثورة الريفية.

وفي يوم 28 يناير 1930 قدم الجنرال استقالته من رآسة الحكومة وغادر بلاده متوجها إلى باريس حيث وافته المنية يوم 16 مارس من نفس السنة.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*، تطوان 1983.

G. Martinez Campos, *España bélica. El siglo XX (Marruecos)*. Madrid 1972, p. 103, 141, 285, 288, 291, 303, 311, 320.

**بريهْمُو**، أسرة كانت بتطوان وانقرضت سنة 1863/1280 واسمها تصغير لاسم إبراهيم.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البريهي**، أسرة فاسية، أصلها من ناحية تازا. اشتهر منها بفاس رجلان كان لهما دور كبير في الحفاظ على موسيقى الآلة والنهوض بها خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة، وهما عبدالسلام البريهي وابنه محمد.

**البريهي، عبدالسلام**. ولد بفاس أواسط القرن الثالث عشر، وبها توفي عام 1311هـ. تلقى تعليمه الموسيقي عن الحاج حدو بن جلون شيخ الموسيقيين بفاس، وكان من أبرز تلامذته وأبرعهم حفظاً وعزفاً وإنشاداً.

وقد عايش - خلال سنة 1303- حدثا فنياً كبيراً تمثل في مراجعة كناش محمد بن الحسين الحايك من طرف لجنة ضمت شيوخ الموسيقى الأندلسية يومئذ، تحت إشراف السيد محمد بن العربي الجامعي وزير المولى الحسن الأول. وقد انبثق عن أعمال هذه اللجنة وضع مجموع جديد تعارف الناس - منذئذ - على تسميته باسم *مختصر كناش الحايك*، وأصبح يضم مستعملات الموسيقى الأندلسية في صورتها الجديدة كما أصبح العمل به جاريا في الأوساط الفاسية. ونشره - حديثا - رئيس جوق البريهي بفاس الحاج عبدالكريم الرايس تحت اسم *من وحي الرباب*.

ولا يستبعد أن يكون الفنان عبدالسلام البريهي من بين الذين شاركوا في أعمال لجنة المراجعة، وذلك لسعة إلمامه بمستعملات الموسيقى الأندلسية ومكانته من بين رجالها بمدينة فاس. ومن هنا نسب إليه أنه كان وارث سر المدرسة الفاسية الجديدة. ولا غرو فقد استطاع أن يبث *المختصر* وينشر محتواه على نطاق واسع، وذلك من خلال شيوخ

"الآلة" الذين أخذوا عنه، وعلى الأخص منهم ابنه محمد البريهي، والفقيه محمد المطيري، وعمر الجعايدي.

**البريهي، محمد** بن عبدالسلام، ولد بفاس عام 1850/1267، ونشأ في حجر والده، فتأثر به تأثراً كبيراً، وتلقى تعليمه الموسيقي على يده، فكان يحضر دروسه بدار الجامعي، ثم انخرط في مجموعته الفنية. وسرعان ما غدا من فطاحل المطربين، يحفظ الكثير من التراث الأندلسي، ويتقن أداءه، ويجيد العزف على الرباب حتى قيل إنه لا يضاهيه أحد في صناعة الرباب.

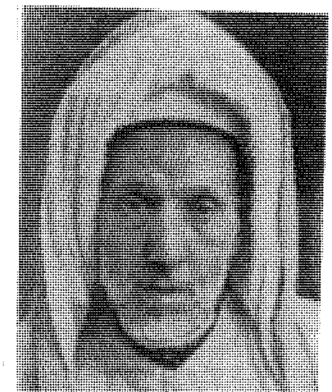

وقد لعب محمد البريهي دوراً بارزاً في ترسيخ العمل بمختصر *كناش الحايك* وإشاعة مستعملاته. ومن أجل تحقيق مراميه الفنية أسس جوقاً ضم نخبة من العازفين والمنشدين بفاس، كان يلقنهم أصول المدرسة الفاسية، ويتنقل بهم عبر المدن المغربية، وبذلك جمع إلى معرفته الواسعة بتراث الموسيقى الأندلسية إحساساً قوياً بمسؤولية رعايتها وضمان استمراريتها، فكان فناناً ومعلماً موجهاً.

وقد توفي بفاس عام 1945.

ع. بن عبدالجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية* ؛ سلسلة عالم المعرفة، ع. 65، رجب - شعبان 1403/مايو 1983، ص. 205 و206 ؛ ي. الشامي، *موسيقى الآلة، نوبة العشاق*، ص. 18.

عبدالعزيز بن عبدالجليل

**البريش**، قرية تقع بفرقة أولاد خلوق من قبيلة الغربية شمال مدينة أصيلا، وهي التي سماها أبو عبيدالبكري "تبرش" ولعلها هي التي أطلق عليها الرومان اسم رأس هيرميس Hermes.

Comision historica. *Geografia*, p. 489 ; *Campañas*, t. 2, p. 738.

محمد ابن عزوز حكيم

## بْرَيم ← بْرَنْم

**بَزْبَج**، من القرى التي اختفت من الخرائط، نتيجة وقوعها بالتراب المحتل بمنطقة سبتة داخل الحدود المرسومة في الوقت الحاضر. عرّف بها محمد بن القاسم الأنصاري السبتي في كتابه : *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*. كانت واقعة بالساحل الشمالي من ظهر سبتة (جبل غمارة)، بين قرية النارنج المندرسة وقرية بليونش الباقية، أي الساحل الذي يدعوه الإسبان في الوقت الحاضر بساحل "بنزو Bensu".

تتألف أراضي القرية من منخفض وشاطئ صغير يضيقان معا بين مرتفعين، ويمر بالمنخفض واد المقصرة، حسبما سماه الأنصاري. والقرية موطن أهل الأنصاري يعرفها جيداً، تكونت من ولجة ومقبرة وعين غزيرة تدعى عين علي، وبها مطحنة واحدة.وحقولها مشهورة بالغلات الصيفية.

فضل سكان بزبج الهجرة إلى مواطن داخلية أكثر أمنا، إثر الغارة المنظمة على قرية النارنج المجاورة لها على الساحل من جهة الشرق يوم 30 شتنبر 1415. وقد بنى الإسبان فوق بقعة مسجد القرية برجاً. ومنذ بداية القرن الخامس عشر لم نسمع عن القرية وأهلها أي شيء.

م. الأنصاري، *اختصار الأخبار*، ص. 26، 49، 56 ؛ م. السراج، *خلاصة تاريخ سبتة بالأثر والمأثور*، ص. 35.

Gomes Eanes Azurara, *Cronica de D. Pedro de Meneses*. chap, 24, p. 82 ; Vicente Tofiño. *Derroteo de las costas*, p. 32.

حسن الفكيكي

**البزاز**، أسرة سلوية عريقة، لعلها أصلها من الأندلس، ولا ندري إن كان لها صلة بمحمد بن البزاز آتي الترجمة الذي كان قاضياً للمرابطين بمراكش أوائل القرن السادس (12م). ويذكر منهم بسلا فقهاء ومدررون، ومجاهدون قائمون بشؤون البحر، وتجار ونظار وصناع من أرباب الخبرة والبصر .

**البزاز، أحمد** (الحاج ـ) كان يسكن مع خمسة نفر من أهله داراً في حي بوقاع القريب من السوق الكبير، وبهذه الصفة نال حظاً من الصلة التي أنعم بها الحسن الأول على أهل مدينة سلا في خامس حجة عام تسعين ومائتين وألف / 24 يناير 1874.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 80.

**البزاز، عبد السلام** (الحاج ـ) كان من المجاهدين المشتغلين بشؤون البحر، وبهذه الصفة أدرج في زمام الصلة التي أنعم بها الحسن الأول على الطبجية وغيرهم بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84.

**البزاز، العربي**، من رجال "الطبجية الواقفين على باب الجهاد لمحروسة سلا" الذين وصلهم الحسن الأول بصلة سنية في ثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 170.

**البزاز، عمر**، كان مقرئاً مدرراً في كتّاب معروف باسمه، ويسكن داراً بحومة درب الأخيار تحت عقبة الجامع الأعظم حسبما جاء في قائمة إحصاء دور سلا حسب الأحياء. ويظن أن هذه القائمة محررة في أوائل القرن الرابع عشر (20 م).

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 230.

**البزار** (ابن ــ) **محمد** بن **حسون**، قاضي المرابطين بحاضرتهم مراكش، ولاه قضاءها للمرة الأولى عليّ بن يوسف بن تاشفين، وكتب عنه خلالها الفقيه الأديب أحمد بن الصقر الأنصاري سنة 527 / 1132 إلى أن صُرف، ثم ولي قضاء مراكش للمرة الثانية في أواخر دولة المرابطين. ولم يذكر مترجموه تاريخ وفاته.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 75 ؛ 4 : 82، نقلا عن *الذيل والتكملة* لابن عبد الملك.

**البزاز، محمد** بن **عبد الله**. كان مقرئاً مجاهداً بحرياً. يوجد اسمه في قائمة المستحقين للصلة التي أنعم بها الحسن الأول على المجاهدين السلويين في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84.

محمد حجي

**بزو** - جغرافيا - وتكتب أيضا بالألف (ابزو) دائرة في عمالة أزيلال. تقع في مؤخرة الأطلس المتوسط جنوب غرب مدينة بني ملال حيث تطل من مرتفعات التلال المحاذية للضفة اليمنى لوادي العبيد وتمرُّ بها الطريق الثلاثية المؤدية من تانانت على الطريق الرئيسية بين فاس ومراكش.

يتميز هذا الموضع المنعزل بتضاريس وعرة وشديدة التقطع رغم ارتفاعاتها المتوسطة (500 إلى 600 م) ويسود المنطقة مناخ شبه جاف حيث التساقطات ضعيفة (ما يقرب من 300 م) تنزل على شكل أمطار عنيفة تؤدي إلى تعرية السفوح وترتفع الحرارة في فصل الصيف وقد تصل درجتها القصوى مع هبوب رياح الشرگي إلى 45°.

لقد عرفت هذه المنطقة تعميراً قديماً معتمداً على استعمال الموارد المحلية رغم صعوبات الوسط، ولعل هذا الاستغلال المبكر والمفرط للغطاء النباتي الغابوي (الرعي وقطع الخشب) المكون أساساً من أشجارالعرعر، كان سببا في انقراض آخر بقاع الغابة.

ومن أهم الأنشطة التي يزاولها سكان بزو ممارستهم للفلاحة الدائمة في إطار الأراضي الجماعية وأراضي الملك الخاص. وتشغل الزراعة السقوية المنتشرة أساسا على أقدام السفوح المكانة الأولى حيث تحظى بعناية كبيرة من طرف الفلاحين الذين يتعاطون انتاج مختلف الخضر والزياتين، ويعتمد السقي فيها على استغلال الآبار ومياه وادي العبيد التي تغذي شبكة من السواقي الممتدة نحو الحيازات المجهرية (5000 م2). أما الزراعة البورية فهي هزيلة وتبقى رهينة بالتقلبات في التساقطات (زراعة الحبوب)، وتلعب تربية الماشية دوراً تكميليا للموارد الفلاحية، إذ أن سكان بزو المنتمين إلى قبيلة مسفيوة البربرية الأصل يتميزون باستقرارهم وتشبثهم بخدمة الأرض. ويستعمل القطيع المكون من بعض الأبقار والأغنام وخاصة الماعز المراعي الجماعية والأراضي المجاورة للحيازات.

لقد ساعدت عوامل مختلفة على ظهور وازدهار صناعة تقليدية محلية في بزو، حيث إن قدَمَ التعمير وضعف الموارد الفلاحية جعل السكان يتعاطون صناعة النسيج المسمى "بالبزيوي" والذي نظراً لجودته العالية اشتهرت به المنطقة منذ القدم. ويعتمد هذا النشاط على استعمال يد عاملة مختصةَ وموادَ أولية دقيقة، وتُصدّر المنتجات إلى الحواضر حيث تستعملها الفئات الميسورة خاصة. وتباع محليا عن طريق المزاد العلني إلا أنَّ كلفة الإنتاج بالإضافة إلى منافسة المنتجات العصرية قد قلّص من أهميته مماساهم في تأسيس تعاونية لمواجهة هذه الصعوبات.

وباعتبار أن بزو يمثل مركز دائرة فقد عرف تنوعاً في أنشطته حيث استقطب وظائف جديدة مرتبطة بالخدمات التسييرية والاجتماعية العمومية حيث تَتركز به أهم التجهيزات التعليمية والصحية، إذ يتوفر بزو، إضافة إلى تعليم قرآني وابتدائي، على إعدادية وثانوية. وقد تحسنت الظروف الصحية به مع بناء مركز صحي بعد أن أصبح المستوصف الوحيد غير كاف لتغطية الحاجيات المحلية. كما تم خلق صندوق محلي للقَرْض الفلاحي لدعم وتنشيط القطاع الفلاحي. هذا مع العلم أن هذا المركز توجد به محكمة ابتدائية. وإلى جانب هذه الأنشطة عرفت الخدمات مثل طحن الحبوب وعصر الزيت، كما أن السوق الأسبوعي الذي يقام يوم الخميس في بزو يُعدّ مركزاً تجارياً مهماً بالمنطقة.

ونظرا لهذه التحولات الوظيفية عرف المركز نمواً ديمغرافيا ملموساً (2570 نسمة في 1982) حيث صنف كمركز حضري في الإحصاء الأخير. ويمكن القول إن بزو يَعيش الآن مرحلة انتقالية إذ أن صيرورة التمدين التي انطلقت به أفرزت تغيرات اقتصادية واجتماعية ومجالية جعلت الطابع الريفي لهذه القرية يتراجع.

ويتميز بزو على الصعيد المجالي بكونه مركزاً متعدد الأنوية، باهي، المدرسة، فم التاغية، الحي الاداري. وتشكل النواة الأصلية أهم تجمع سكني به ويشغل السكن الأماكن الوعرة للحفاظ على الأراضي الزراعية حيث يشرف على العموم من أعالي السفوح المطلة على مزارع حوض أمزور. أما الدور فتتكون من مباني على شكل مربعات طينية مبنية بـ"التابوت" ويتوسطها فناء أو رياض. أما فيما يتعلق بالتجهيزات الأساسية فباستثناء الكهرباء الذي يعم المركز فإن قنوات الواد الحار ما زالت منعدمة، ويوزع الماء الشروب بواسطة السقايات العمومية في انتظار تحقيق مشروع إقامة شبكة التوزيع على المنازل. ويرافق السكن خمس قاعات للصلاة وفرانين وحمّام.

ويمثل بزو مركزا دينياً حظي باشعاع كبير حيث توجد به زاويتان، ويقام به موسم سيدي الصغير في شهر شتنبر عند نهاية الأشغال الفلاحية الذي تحضره القبائل المجاورة. كما أن الملاح الذي يحمل اسم "مدينة اليهودي" يشهد على وجود سكان يهود وذلك حتى الماضي القريب حيث كان

هؤلاء يتعاطون نفس الأنشطة المحلية، وخاصة الصناعية منها. وما زال بزو يشكل محجاً لليهود في يونيه.

*تحريات ميدانية.*

عائشة البلغيثي العلوي

**بزو**، ـ تاريخ ـ قرية كبيرة عريقة في القدم، تقع شرقي مدينة مراكش، على بعد حوالي مائة وعشرين كلم، ضمن قبيلة هنتيفة السهل، غير بعيد عن الضفة اليسرى لوادي العبيد. وعلى الرغم من محاولة تأويل لفظ بزو فإنه يظل غامض الدلالة. فقد ذهب البعض إلى أنه بربري الأصل، مركب من أز ـ بو، ومعناه : كل وانصرف، فتم بعد ذلك تحريك مواقع الحروف لتصبح : أبزو. وظن البعض الآخر أنها تحريف لـ بونزو، أي صاحب الملك، فنُحتت لتصير بزو.

يمكن تقسيم بزو إلى أربع وحدات سكنية :

1 ـ أغبالو في الشمال، حيث يوجد مدفن مولاي سعيد أمغار جد مولاي عبدالله صاحب تمصلوحت، بجانب والده مولاي حسين، وإليه ينتسب الشرفاء الأمغاريون في بزو. ومعظم سكانه من العرب.

2 ـ باحي في الغرب، حيث توجد زاوية سيدي أحمد بن أدادس، وهو من حفدة سيدي علي بن إبراهيم دفين أكرض. كل سكانه عرب، وقد استقروا هنالك منذ أمد بعيد، قدموا إليه من دكالة وتادلا. لكن يلاحظ وجود بعض العناصر الطارئة، كما يستشف من خلال استقراء بعض أسماء الأماكن، حيث نجد مثلا "ريف العبيد" أي حي العبيد. وهذا ليس غريبا لأن أهل بزو كانوا يمارسون التجارة البعيدة المدى. يؤكد الحسن الوزان أن تجارتهم امتدت إلى بلاد السودان (*وصف إفريقيا*، 1 : 134).

3 ـ المدرسة : نسبة إلى المدرسة التي أسسها الشيخ سيدي الصغير بن المنيار، حفيد سيدي علي بن إبراهيم. ولعل هذه المنطقة هي النواة الحقيقية لبزو، وهي المركز الحالي للمدينة. تقع شرقي باحي وشمالي أغبالو. معظم سكانها من البربر، وخاصة "أهل القلعة". وبالمدرسة ملاح قديم يدعى ملاح تيكدْمين، يقع شمالي ضريح سيدي الصغير. وعلى مقربة منه شُيد ضريح يؤمه اليهود وبعض السكان بالزيارة، يدعى دفينه "مول البرج".

4 ـ فم تاغية، حيث يوجد ضريح "مول البرج" في الشمال الشرقي من بزو، وسكانه خليط من العرب والبربر.

اشتهرت بزو، منذ القديم، كمركز تجاري، بسبب موقعها في طريق القوافل الواصلة بين دمنات وفاس. ومن المعلوم أن هذه الطريق كانت ملتقى ثلاث طرق : طريق سجلماسة ـ تدغة ـ دمنات، وطريق درعة ـ دمنات، وطريق مراكش ـ دمنات فبزو.

يصفها الحسن الوزان قائلا :"بزو مدينة قديمة ... يجري تحتها وادي العبيد على بعد نحو ثلاثة أميال. وسكان بزو كلهم تجار أمناء حسنو الهندام، يصدرون الزيت والجلود والأغطية إلى بلاد السودان، وينتج جبلهم كثيراً من الزيت والحبوب. ومختلف أنواع الفواكه الطيبة ... وتمتد الحدائق الغناء إلى ضفة النهر" (*وصف افريقيا*، 1 : 134) يستشف من هذا الوصف أن منطقة بزو حين زارها الوزان، في بداية القرن السادس عشر، كانت كثيرة الخصب والنماء بسبب تعدد محاورها المائية. وكان في المدينة "مسجد في غاية الجمال" وازدهرت فيها حرف كثيرة، مما شجع سكانها على ممارسة التجارة البعيدة المدى، حيث وصلت بضائعهم إلى بلاد السودان. ولعل احتفاظ بزو بمكانتها الاقتصادية راجع إلى الهدوء النسبي الذي كانت تنعم به، بسبب بعدها عن الحواضر التي كانت آنذاك تعج بالفوضى والاضطراب، الشيء الذي أدى إلى اضمحلال الحركة التجارية بالمراكز الكبرى، وساعد على نمو المراكز الصغرى والهامشية، ومنها بزو.

تعززت مكانة بزو في خضم الأزمة العامة التي كادت تعصف بالمغرب في بداية القرن العاشر/ السادس عشر. فبعد استقرار البرتغاليين بتيط سنة 1513، اضطر عدد من بني أمغار إلى الهجرة إلى المناطق الداخلية، حيث أسسوا زوايا في مختلف القرى، منها باحي ببزو (*Esquisse*, 34). لعل أحد الأمغاريين ـ قد يكون هو سعيد جد مولاي عبدالله بن حسين التمصلوحتي ـ استقر في أغبالوا وأقام زاوية هنالك تابعة لبني أمغار، وظل أخلافه يتوارثونها حتى اليوم.

وفي القرن الثاني عشر (18 م) صارت أغبالو أحد المراكز الصوفية ببزو. فقد انخرط بعض رجالها في سلك الطريقة الناصرية. ترجم محمد بن عبدالله الخليفتي لاثنين منهم :

**البزيوي، إبراهيم** بن حسين الذي "كان أستاذاً فاضلاً مجتهداً في بث تعليم القرآن للطلبة... إلى أن مات... في حدود سبعين ومائة وألف..."

**البزيوي، أحمد الغزواني** التمصلوحتي..." الزاهد التقي، المتواضع ... كان رضي الله عنه ذا حالة حسنة مرضية، وخلق حسان بلغ من السخاء غاية المبلغ، مع قلة ذات اليد... ومع اجتهاده في الدّين والصلاة على النبي (صلعم) وكثرة المحبة للإخوان والطلبة وأهل النسبة" (*الدرة الجليلة*، 2 : 274).

يبدو أن فرع الزاوية الناصرية في بزو قام بدور مهم في الإطعام، ونشر الثقافة الإسلامية، وترسيخ تعاليم الإسلام القائمة على الكتاب والسنة، كما هو ديدن الزاوية الأم بتمگروت، حتى كانت بزو من ضمن المراكز الصوفية الشهيرة في ذلك الوقت. وذلك راجع إلى تمسكها الشديد بالطريقة الناصرية التي كانت في أوجها آنذاك.

وظهرت في "المدرسة" زاوية ناصرية أخرى أسسها الشيخ أحمد الاكة، تلميذ أحمد ابن ناصر الدرعي. وصفه الخليفتي (2 : 274) بأنه "رجل فاضل مجتهد في دينه" وظهرت في نفس الفترة زاوية قادرية في باحي، أسسها

اثنان من أتباع سيدي أحمد بن أدادس - سيدي هاشم وسيدي عبدالسلام - سنة 1731 (*My Ismail*, 62).

وإذا كانت زاويتا أغبالو والمدرسة قد اضمحلتا، لأسباب ينبغي مواصلة البحث عنها، فإن زاوية باحي ظلت قائمة إلى عهد قريب. إلا أن الطابع العام الذي يميز زوايا بزو أنها لم تحافظ - في المرحلة الراهنة - إلا على المظهر الاحتفالي، حيث يعقد، حتى اليوم، موسم سنوي بباحي والمدرسة، يوم سابع عيد المولد، كما يقام بأغبالو موسم سنوي كذلك. بالإضافة إلى هذه الزوايا عرفت بزو تأسيس زوايا أخرى منها الزاوية الدرقاوية التي كان المدعو محمد البزيوي يتولى شؤونها في صدر الحماية (*Esquisse*, 25).

ظلت بزو تعيش في هدوء ورغد من العيش بحرفها وتجارتها وزواياها طيلة القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18. 19 م) إلى أن دخل المغرب بأجمعه في ظرفية جديدة مع نهاية القرن الثالث عشر، حيث اضمحلت التجارة البرية فتدهورت على إثرها المحاور التجارية التقليدية، مما كان له تأثير على تجارة المراكز الداخلية ومن بينها بزو، وخاصة حين احتلت الجيوش الفرنسية تنبكت سنة 1311/ 1894. لذلك فلا غرابة أن يختفي ذكر بزو من المصادر المتأخرة. ولعل الحركة الصوفية اعتورها بدورها بعض التراجع في هذه الفترة، على الرغم من ظهور بعض الطرق كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وفي بداية القرن العشرين تأسست "بالمدرسة" زاوية كتانية ظلت قائمة إلى عهد قريب. ويذكر بعض عرفاء بزو أن الشيخ عبدالحي الكتاني زارها لنفس الغرض. ولعل غنى مدينة بزو الصوفي وتنوع الطرق التي ظهرت بها من الأسباب التي جعلتها تتوفر على عدة خزانات للكتب، من بينها خزانة "المدرسة" المنسوبة إلى سيدي الصغير التي ما تزال تحتفظ ببعض المخطوطات، وخزانة أحمد بن منصور قاضي بزو، التي يظهر أنها تحتوي على مخطوطات نفيسة، انتقل إليها البعض من خزانة تنغملت... بالإضافة إلى ذلك توجد مخطوطات ووثائق لدى بعض الأفراد من بينهم الأستاذ نورالدين الكتاني... لذلك ليس من الغريب أن يتم العثور في بزو على مخطوطات نادرة مثل كتاب *العرجان والعميان* للجاحظ، ومجموعة *رسائل سعدية* (*الحركة الفكرية*، 1 : 30) بالإضافة إلى *الدرة الجليلة*، *والدرر المرصعة*... *وطليعة الدعة*... *ونزهة الناظر*... وغيرها.

وهكذا آلت الأمور في بزو سنة 1912/1330 إلى نفس صيرورة المغرب عامة. فبعدما سيطر الكولونيل مانجان Mangin على مراكش، وجه طلائع جيوشه إلى دمنات وبزو (*Esquisse*, 176) ورغم ظرفية الاحتلال فإن بزو ظلت تتمتع بنمائها وبساتينها الفيحاء وخزاناتها العامرة. وصفها محمد المختار السوسي، حين زارها سنة 1935/1354، مبتهجاً بجمال طبيعتها، بقصيدة مطلها:

أهذي جنانُ الخلد أم هذه بزُو     مُنَى كلِّ نفس لو يدوم لها الفوْزُ

ولما نزل ضيفا على أبي العباس وأبي زيد البزيويين، في ربيع 1936/1355، وصف الخزانة قائلا: "حييت يا خزانة المدرسة من بزو حيّيت حيّيت، فلقد كنت أدرت علينا ذلك النهار الذي اعتكفنا حول دفاترك الفريدة ونفائسك الفذة كأساً دهاقاً من سعادة لا يذوقها إلا المستهترون أمثالنا بكل كتاب غريب قد يقع في أيديهم، ثم يجول في أذهانهم أنهم ظفروا بضالة علمية كثيراً ما تجوب أفلاك الباحثين بحور العالم في التفتيش عنها... لا سيما حين اكتشفنا هناك كتاب *العميان والعرجان* للجاحظ" (*الإلغيات*، 3 : 77).

وينوه بعد ذلك بنجاح رحلته إلى بزو مضيفا: " فكنا بعد هذه السفرة إليك أيتها القرية البزيوية سفرة رابحة كل الربح، بما شاهدناه من بنات دفاترك في خزانتك الميمونة"، وقد اشتاق فيما بعد إلى مناجاة الطبيعة في بزو، فخاطبها بقصيدة مطلعها:

خمائل بزُو لا خمائل جلق     وأجواءها لا آل كـل محلّق

وزارها أيضاً الشاعر الحسن البونعماني، بعد سنة، فوصف بدوره حدائق صديقه عبدالرحمن البزيوي المنصوري قائلا:

ظلالٌ ظليلات وماءٌ وخضـرة     فلله ما أحرزتمُ ساكني ابْزُو
تخالفت الألوان فيها كأنها     تفتّح للعقيان والفضة الكنزُ
ويُبهرك النارنجُ في خطراته     كأن قد عراه من مباهجه هزُّ
كما تتثنّى أولَ الرقص غادةٌ     برفقٍ فلا ريثٌ لديها ولا قفزُ
وفي كل غصنٍ صادحٌ مَلأ الفضا     غناءً فلا همسٌ لديه ولا ركزُ

ويسترسل في وصفه للمناظر الشاعرية التي تكثر في جنات بزو الفيحاء قائلا: "إنني أخاف على نفسي في هذه المدة أن أكون أسير بزو، ويسلبني ما أرى فيه من شتات المحاسن، ويسليني عن الحمراء ما حدث فيه من مقدمات المدنيّة المدهشة". ولم يخف اندهاشه مماصارت تعرفه بزو بالاضافة إلى محاسنها الأصلية، من جلب بعض وسائل الحضارة الجديدة. إذ وجد في بزو السيارة والمذياع والتليفون وبعض وسائل الرفاه الطارئة على بلاد المغرب إذاك (*المعسول*، 13 : 179).

واكتسبت بزو شيئا من الأهمية يبدو من خلال الشخصيات التي ترددت إليها أو زارتها، آمّين خزاناتها الغنية أو قاصدين التمتع بجمال طبيعتها، أو لأغراض صوفية أو سياسية. من هؤلاء أبو شعيب الدكالي، والمدني ابن الحسني، ومحمد المختار السوسي والحسن البونعماني وعبدالقادر بن سودة، والعباس بن إبراهيم، وعبدالرحمن ابن زيدان، وعبدالحي الكتاني، وشاعر الحمراء وغيرهم. وحتى بعض الأجانب.

ولم تتخلف بزو عن ركب الحركة الوطنية، شأنها في ذلك شأن جميع جهات المغرب. لا شك أن رد الفعل ضد الظهير البربري (16 ماي 1930) كان صداه واسعا في بزو. وحين أقدمت سلطات الحماية على نفي بعض الوطنيين سنة 1937، اهتزت ضمائر الفئة الواعية في بزو، خاصة وأن لبعض هؤلاء صلات وثيقة بها مثل محمد المختار السوسي. ولما اشتدت "الأزمة" بعد نفي محمد الخامس لم

تتوان بزو في تقديم مناضلين شاركوا في الحركة الفدائية التي شهدتها البلاد أنذاك (*الثورة الخامسة*، 1 : 605.603).

الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي و م. الأخضر، ج : 1 ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*. د. د. ع. الرباط 1986 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *الإلغيات* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية* ؛ م. الحبيب الفرقاني، *الثوة الخامسة*، *صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير*، الدار البيضاء، 1990، 1.

F. de la Chapelle, *Le Sultan Moulay Ismaïl et les Berbères Sanhaja, A. M.*, Nº 27, 1927 ; *Répertoire Alphabétique des agglomérations de la zône française de l'Empire chérifien classées par tribus et par fractions de tribus, d'aprés les résultats du recensement quinquennal du 8 mars 1939*, Rabat, 1939 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

أحمد عمالك

**البزيوي، محمد** بن محمد بن أحمد الفاسي، عالم مشارك، لغوي نحوي متمكن من قواعد اللغة، ذو حاسة تاريخية وقدرة على الكتابة. لا نعرف شيئاً عن نشأته وشيوخه، وقد ذكر صاحب *إتحاف المطالع* الذي كان - فيما يبدو - على اتصال وثيق به، أن محمد البزيوي كان متواضعاً عزوفاً عن الشهرة والظهور، قضى معظم حياته في التدريس والتأليف، ويعد من آخر من درّس كتاب سيبويه بفاس. وكان له مع ذلك صلة بالمخزن مكنته من الاطلاع عن قرب على تجاوزات سلطات الحماية وتسلطها على أراضي الفلاحين المغاربة، فألف في ذلك كتابه *بلادات المغرب التي أخذها الاستعمار من أربابها بعد حماية المغرب*، ويذكر من اطلع عليه أنه يحتوي على معلومات مدققة ومستقصية ؛ وسافر مع السلطان المولى يوسف إلى فرنسا فكتب *رحلة إلى باريز*، و*دليل السائح بالمغرب الأقصى*. ولعل آخر ما ألف هو *تاريخ دول الاسلام بالمغرب الأقصى* الذي كتبه عام 1357 / 1938 وأهداه إلى محمد الخامس.

توفي بفاس ليلة السبت سادس عشر صفر عام 1368 / 18 دجنبر 1948، ودفن خارج باب الشريعة من فاس الجديد.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1368 ؛ *دليل*، 150-150-339-360-443.

محمد حجي

**بَسْبَاس**، نبات عشبي سنوي من فصيلة الخيميات Umbellifereae اسمه العلمي : Foeniculum vulgare dulcis والبسباس هو اسمه الشائع في المغرب ويسمى في الشرق العربي شمار وشمرة ورازيانج المأخوذ من الفارسية.

يتراوح طول النبتة ما بين مِتر ومترين، الجذر مغزلي الشكل وغليظ، أغمدة الأوراق القاعدية لحمية وبصلية الشكل، الساق أسطواني ومُغطى يحمل أوراقاً طويلة ومقسمة على عدة قطع خيطية الشكل. تظهر الأزهار في فصل الربيع وهي صفراء صغيرة، تشكل مظلة محمولة على علاقات تنطلق جميعها من نقطة واحدة ويصير الزهر في مستوى مسطح تقريبا.

الثمار خضراء مصفرة، عطرة، بداخلها عنصر نشيط يسمى Anethol. يعد البسباس من البقل، تستهلك أغمدة أوراقه القاعدية بعد طبخها. يزرع في عدة مناطق من المغرب (سهول الغرب وحوض سايس ودكالة ...) وهو شائع في أسواق الخضر الوطنية في فصل الربيع.

تجنى ثماره في فصل الخريف وتستعمل بذوره المجففة لعلاج آلام المعدة، كما أنها تفتحُ الشهية وتنظم الحيض وتساهم في تقوية إفراز الحليب عند المرضعة. الجذور مُدِرَّة للبول وتستعمل ضد داء المفاصل.

A. Akoka, *La phytotérapie : Le médical du 20e siècle*. Paris, 1977 ; M. Ibn Tattou, *Les Angiospermes ou plantes à fleurs*. *Gr. Enc. Maroc, Flore*. 1987.

نجاة الخياطي

**بسباس**، - لغة وتاريخاً - جاء في لسان العرب : البسبس شجر، دون أن يحدد طبيعته، أما البسباس فقال إنه بقلة، وأورد قولاً لأبي حنيفة :"البسباس من النبات الطيب الريح... واحدته بسباسة وهي معروفة عند العرب "وأورده دوزي Dozy في (*Supplément* I) كمقابل للكلمة بالفرنسية فينويل Fenouil وباللاتينية القديمة Fenuculum، إلا أنه ذكر نوعاً من البسباس سمّاه بسباس الهند وقابله بالفرنسية Anis، وفي كتب الطبخ المغربي نجد تمييزاً بين ثلاثة أنواع من البسباس :

- البسباس كخضر، Fenouil، ويتفق ذلك مع *لسان العرب* الذي ذكر أنه بقلة أي خضر.
- النافع، وهو الذي سماه Dozy بسباس الهند Anis.
- حبة حلاوة Anis andalus (أنيسون)، ولا يميز ابن البيطار بين هذه الأنواع حسب ما أورده Dozy.

أولى الإشارات إلى هذا النبات في المغرب وردت في مصادر قليلة : فالتادلي صاحب *التشوف* (355) ذكر أحد المتصوفة وقد جاء ببذور البسباس من المشرق وأنها صالحة لإزالة أوجاع البطن، ويرجع هذا الدخول لبذور البسباس بهذه الطريقة إلى أواخر القرن السادس (12 م) فهل هي بداية لدخول البسباس إلى المغرب ؟ وأي نوع من الأنواع التي شرحناها أعلاه ؟.

إذا رجعنا إلى إشارات أخرى في مصادر متقاربة زمنياً نجدها تذكر أماكن تنسب إلى البسباس كجبل البسابس وعقبة البسباس (*المنهاج الواضح*، 108 ؛ *اختصار الأخبار*، 90) وأما صاحب *روض القرطاس*(39) فيتحدث عن البسباس كنبات طبيعي في معرض حديثه عن اختيار مكان بناء مدينة فاس :"... وكان بعين علون شجر من طخش وعليق وكلخ وبسباس وأشجار برية ...".

إلا أن هذه الإشارات لا تحل المشكل أي أنها لا تفصل ما بين البسباس كما وصفه صاحب *لسان العَرب* أي بقلة أو نبات طيب الرائحة وما بين البسبس (بدون الألف) والذي جاء عند صاحب لسان العرب نفسه أنه شجر، إلا أنه أصناف. إن العرب لا تعرف شجراً بهذا الاسم، لكن إشارة ابن أبي زرع لا تؤيد تحفظ لسان العرب فقد جعل البسباس (بالألف) نوعاً من الشجر، وحتى محقق كتاب *فضالة*

*الخوان* (ص 13). لم يحسم الأمر إذ اكتفى بالإشارة إلى أن "البسباس نبات معروف في المغرب" وأعطاه كمقابل بالفرنسية Fenouil.

والواقع أن البسباس كخضر كما نعرفه اليوم Fenouil حديث الدخول إلى المغرب، يرجع، مثل أغلبية الخضر، إلى القرون الأخيرة كالبطاطس والطماطم والفاصوليا وغيرها التي عرفها المغرب عن طريق الأروبيين الذين استقدموها من العالم الجديد أو من الهند. كما أن الاختلاف في الأسماء لا يعني اختلافاً في التركيب الطبيعي وخصائص النبات، فكلها تشترك في نفس الخصائص كالشكل والبذور والرائحة، إلا أن النوع الحديث أكبر حجماً. من هنا يمكننا القول إن البسباس قد وجد في المغرب في حالة برية، وأن تدجينه لم يتم أو أنه حسب إشارة صاحب *التشوف*، قد دخل النوع المدجن منه في تلك الفترة المتقدمة، ثم عاد لحالته البرية بعد تخلي الفلاحين عن أراضيهم في الفترة التي أعقبت ضعف السلطة الموحدية، فانتشرت بذوره بواسطة الرياح والمياه الجارية. وأكبر دليل على ذلك ما نجده منه اليوم في الكثير من المناطق المغربية وحتى على جوانب الطرق، وأكبر المناطق نجدها في إقليم قلعة السراغنة الذي يزود بكمية كبيرة منه، حتى إن جهة من جهات الاقليم تعرف بالبسيبيسة، وفي هذا التصغير دلالة على ما أشرنا إليه من عودة البسباس المدجن إلى بسباس بري. والتصغير هنا للتفريق بين النوعين Anis البسباس البري وهو المنتشر في الإقليم المذكور بكثرة وFenouil وهو البسباس الفلاحي الذي يحتاج إلى عناية خاصة في مقدمتها السقي، وله موسم خاص لإنتاجه، وينتشر في مناطق زراعة الخضر على طول الساحل الأطلنتي.

ي. التادلي، *التشوف* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن رزين، *فضالة الخوان* ؛ م. الأنصاري، *اختصار الأخبار* ؛ ابن منظور، *لسان العرب*؛ *خرائط وزارة الفلاحة* : *ورقة قلعة السراغنة* 50.000 /1.

محمد حجاج الطويل

**البستان** (باب ـ) أحد أبواب تماكشت ـ المدينة المخزنية التي بنيت جنوب مراكش المرابطية على عهد المنصور ـ (*البيان*، قسم الموحدين : 174). وبذلك يعد ضمن الأبواب الموحدية بالمدينة. يقع في السور الجنوبي من جهة الشرق، ويرى Deverdun أنه الباب المؤدي حالياً إلى القصر الملكي ويعرف بباب بوعكاز (*Marrakech*, 1 : 220).

وقد حمل هذا الباب في اسمه وظيفته حيث كان منفتحا على بساتين الصالحة، ومنه يتم الولوج إليها، وعلى اعتبار أن هذه البساتين كانت أيضا منتزها خاصا بالمخزن الموحدي، فإن باب البستان "كان لا يراه إلا خواص بني عبد المومن" (*ورقات*، 302).

ابن عذاري، *البيان* ـ قسم الموحدين ـ ت. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين ؛ م. المنوني، *ورقات*.

Deverdun, *Marrakech*, t. 1.

محمد رابطة الدين

**البَسْتْيُون** Bastion كلمة أعجمية تعني البرج الصغير، انتشرت في المغرب منذ القرن العاشر (16 م) بمعنى البرج الكبير ـ عكس المعنى الأصلي ـ. وقد شيد السعديون والعلويون عدداً من البستيونات في المراكز الاستراتيجية سواء بالساحل أو بالداخل.

**البَسْتْيُون**، (أولاد ـ) أسرة فاسية كانت معروفة في القرن الثاني عشر (18 م) ولا ندري سبب التسمية، هل كان أولاد البستيون من العاملين في تشيد بستيونات فاس أو من الجنود المرابطين فيها، أو من المتعبدين فيها أو حواليها. مهما يكن من أمر فإن كتب التراجم لم تذكر من هذا الرهط سوى المرأة الصالحة آمنة البستيونية (ت 1167 / 1753) المدفونة بدار سكناها قبالة مسجد السمارين من عدوة فاس القرويين وهي :"السيدة البهلولة المولهة في الجلال، الهائمة في الجمال، المتبرك بها من الخاص والعام، المقصودة لزيارة الأنام.. فكانت من أهل البركة تصدق في إشارتها، مقبولة عند العامة والخاصة والعلماء والرؤساء" (*نشر*، 4 : 98).

**بستيون** سيدي **بونافع**، أو برج سيدي بونافع، من أهم أبراج فاس الجديد يقع خارج باب سيدي بونافع أو باب الجيَف ـ كما كان يسمى قديماً ـ شرق فاس الجديد.

يُتوِّج هذا البستيون أو البرج حصناً يطل على منحدر يؤدي إلى منطقة كانت تُدعى النواول، وهي اليوم عبارة عن جنان ومنتزه بلدي. ويظهر أنه بناء سعدي، حيث ذكر الفشتالي في *مناهل الصفا* أن المنصور أدار البلد الجديد بأبراج شيدها لصق سورها.

**بستيون تادلا**، هو برج قصبة تادلا التي شيدها السلطان المولى إسماعيل على الضفة اليمنى لأم الربيع في نطاق القصبات التي أقامها بمختلف جهات البلاد. وقد بقي اسم البستيون في ذاكرة عامة السكان إلا أنهم تناسوا حقيقته فأصبحوا يطلقونه على المنطقة الواقعة بجوار سد قصبة تادلا الحالي وعلى مكان السد نفسه.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ م. القادري، *نشر*، ج 4 ؛ م. عربوش، *من تاريخ منطقة تادلة*، 1 : 104 ـ 105.

محمد حجي

**البستيونان** شمال وجنوب فاس، وهما برجان عظيمان مشرفان على مدينة فاس، يدخلان ضمن التجهيزات الأمنية التي شيدها أحمد المنصور السعدي. ومن المؤكد تاريخياً أن الأبراج والبستيونات الواقعة خلف أسوار فاس الجديد ليست مرينية البناء وإنما هي سعدية. يدل على ذلك شكلها المطبوع بطابع سعدي واضح. ويؤكده ما جاء في *مناهل الصفا* (ص 264) من أن المنصور "أدار به (أي فاس الجديد) من الأبراج الضخمة لصق سوره حصوناً شامخة، وتفننت في سبيل التحصين أوضاعها، يحرس بعضها بعضاً، وتكاثر عدد أنفاضها الفاخرة". ولو أن الفشتالي لم يذكر البستيونين بالتحديد، وكان صاحب *نزهة الحادي* (ص 159)

أكثر تحديداً لموضع بنائهما حينما قال :"ومآثر خلفها (أحمد المنصور السعدي) منها المعقلان اللذان أنشأهما بفاس أحدهما خارج باب الجيسة والآخر قبالة باب الفتوح، وهذان المعقلان يعرفان عند العامة بالبستيونين، أحدهما بستيون، وهما من الإتقان بحيث لا يعرف قدرهما إلا من وقف عليهما".

أما عن سنة بناء البستيونيين فيحدثنا ابن القاضي في *الجذوة* قائلا :"وأما البرجان المنصوبان على فاس البالي فإنما أمر بإنشائهما وإقامتهما على ما هما عليه الإمام المنصور بعد التسعين والتسعمائة للهجرة" / 1582 م.

وقد تم بناء البستيونين بالحجر الكلسي الموجود بالمنطقة والجير المصنوع بضواحي مدينة فاس، ومكنتهما هذه المواد من مواجهة التعرية المناخية طوال قرون.

أطلق الفرنسيون - أيام الحماية - على البرج الشمالي بلغتهم تسمية "برج نور" وحورها عامة الناس إلى برج النور. وقد رممت أسواره، وهو اليوم عبارة عن متحف للأسلحة تحت إدارة وزارة الثقافة.

أما البرج الجنوبي فاستعمل في عهد الفرنسيين كثكنة عسكرية، ومن أشهر من أنجز تدريبه العسكري به الرئيس الفرنسي الأسبق ڤاليري جسكار دستان ومازال اليوم عبارة عن ثكنة عسكرية. وقد تلاشى بناؤه وهو في حاجة إلى ترميم.

ع. الفتشالي، *مناهل الصفا* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ م. الإفراني، *نزهة*.

محمد مزين

**البستيونية، آمنة**، وتدعى أيضاً منّانة. صالحة من أهل فاس "الهائمة في الجمال، المتبرك بها من الخاص والعام، المقصودة لزيارة الأنام" بهذا حلاها محمد القادري في *نشر المثاني*، وقال إنها كانت ساقطة التكليف تنطق بإشارات، وتلهج بعبارات يستفاد منها إخبار بمغيبات. وهي تمثل في النساء، جانب تصوف الجذب الذي كثر عند رجال القرن الثاني عشر (18 م).

توفيت بدار سكناها المقابلة لمسجد السمارين من عدوة فاس القرويين عام 1167 / 1754.

م. ابن عيشون، *الروض العاطر*، تح. زهراء النظام، د.د.ع. الرباط، 1989 ؛ م. القادري، *نشر*، 4 : 58 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 308.

محمد حجي

**البُسَّذ** - بباءٍ مضمومة وسين مفتوحة مشددة - كلمة فارسية (*لسان العرب*)، أطلقها المؤرخون والرحالون المسلمون الأوائل على المرجان، ولعل استعمال المرادف الفارسي كان يقصد به نوع جديد من المرجان عرف به المغرب منذ بداية العصر الوسيط (الاصطخري، *المسالك*، 45). فالشريف الإدريسي وهو ابن سبتة التي اشتهرت بالمرجان قال عنه :"لا يَعدلُه صنف من صنوف المرجان المستخرج بجميع أقطار البحار" (*نزهة المشتاق*، 5 : 529) أما ابن عذاري الذي جاء بعد الإدريسي فقال عن بحر سبتة : "... يستخرج منه المرجان وهو البُسَّذ". (*البيان*، 1 : 202).
عرف المغرب المرجان منذ تاريخه القديم، إلا أن إنتاجه وترويجه بشكل تجاري لم يزدهر إلا في العصر الوسيط حتى أصبح المغرب مصدره الرئيسي.

إن المؤرخين المسلمين والرحالين الذين تعرفوا على المغرب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ذكروا المرجان من ضمن المواد المصدرة منه إلى المشرق وإلى باقي أنحاء العالم (ابن الفقيه، *مقتطفات*، 40)، (الاصطخري، *مسالك*، 45). أما التاجر العراقي ابن حوقل فقد زار المغرب في القرن الرابع (10 م) وذكر وجود المرجان / البسذ في بحر مدينة سبتة،(*صورة الأرض*، 79). وفي نفس القرن ذكر صاحب *أحسن التقاسيم* (238) المرجان بتفصيل لم يعهد عند من سبقه من الكتاب، إذ تحدث عن طريقة صيده التي تعتبر جد متقدمة آنذاك، بل وتعتبر أكثر تقدماً حتى بالنسبة للطريقة التقليدية المتبعة اليوم في صيده، يقول المقدسي : "... يخرجون إلى جمعه في قوارب ومعهم صلبان من خشب قد لفوا عليها شيئاً من الكتان المحلول، وربطوا في كل صليب حبلين يأخذهما رجلان فيرميان بالصليب ويدير النواتي القارب فيتعلق بالقرن ثم يجذبونه..." ونفس المعلومات والتدقيقات ذكرها الإدريسي وأكدها، ولوصفه أهمية كبرى لأنه من أهل سبتة وجاء بعد المقدسي بحوالي قرنين من الزمن.

كلا الوصفين تنقصهما مرحلة سابقة عن الاستخراج وهي مرحلة تحديد مناطق وجود المرجان تحت الماء، فقد كانت عملية اكتشاف شجيرات المرجان وتحديد مجال الصيد تتم بواسطة الغوص واستعمال قطع الخشب أو الفلين المربوطة بشرائط الكتان أو القنب تثبت في أطراف الشجيرات فتطفو تلك القطع على السطح محددة مجال الصيد ومسهلة عمل النواتية.

بعد مرحلة الصيد والاستخراج تأتي مرحلة التصنيع التي لا تقل صعوبة عن المرحلة الأولى، فالمرجان الخام يمر من عدة عمليات قبل أن يصبح جاهزاً للبيع، فمن عملية التقطيع حسب أحجام مختلفة إلى عملية الحك والجلو ثم الثقب فالتلميع إلى غير ذلك من العمليات المساعدة مما يجعل هذه الصناعة من الصناعات الدقيقة التي لا تحتاج إلى ذوق رفيع ومستوى حضاري فحسب بل وأساساً إلى أدوات ودربة خاصة.

أما حجم المرجان المستخرج وكميته المصنعة والمصدرة فقد تحدث عنها المصدران السابقان ونقل عنهما من أتى بعدهما، فالمقدسي قال عن صيادي المرجان "... فمنهم من يخرج عشرة آلاف إلى عشرة دراهم ...".

أما الإدريسي فذكر أن بمدينة سبتة "سوقاً لتفصيله وحكه وصنعه وخرزه وثقبه وتنظيمه ...".

إن أهمية هذه المادة وحجمها التجاري إلى جانب

منتجات أخرى مما جعل مدينة سبتة تحتل المكانة الراقية التي بلغتها في العصر الوسيط الأعلى والأوسط والتي فاقت فيها أكبر المدن المطلة على البحر المتوسط.

ما يسترعي الانتباه أن المصادر المكتوبة في العصر الوسيط و الأدنى بل وحتى المنوغرافيات الخاصة بالمدينة لم تشر إلى هذه المادة في هذه الفترة وبعدها، ومما يفسر هذا السكوت.

- أن هذه الصناعة وازدهارها ارتبط أساساً بالتصدير وأول المستهلكين آنذاك بلاد السودان (*نزهة الشتاق*، 5 : 529).

- فيما بعد العهد الموحدي والعهد المريني الأول بدأت طرق المبادلات التجارية تعرف اضطرابات متتالية سواء براً نحو السودان والمشرق أو بحراً نحو مناطق أخرى.

- أن استهلاك المرجان مرتبط بمستوى معيشي وحضاري متقدم، وهذا المستوى عرف في الفترة المشار إليها تدنياً كبيراً بسبب توالي المجاعات والأوبئة.نذكر منها على سبيل المثال الطاعون الأسود والمجاعات التي ضربت حوض البحر المتوسط وامتدت خارجه في منتصف القرن الثامن (14 م).

- المناطق السهلة الصيد تم استنزافها، وأصبح صيده يتطلب مجهودات وتكاليف أكبر.

- الاحتلال البرتغالي لمدينة سبتة جاء ليقضي على كل أمل في استعادة المدينة لهذا النشاط - إضافة إلى منافسة مناطق أخرى يستخرج فيها بأقل تكلفة كالجزر الإيطالية وعرض السواحل الجزائرية.

- إضافة إلى ما سبق، هناك العوامل الطبيعية التي تؤدي إلى انقراض الشجيرات المرجانية كتعرضها لكائنات بحرية تتغذى عليها أو تتسلقها مثل نجمة البحر وغيرها. وأكبر دليل على ذلك أن المرجان اليوم لا يوجد في البحر المتوسط إلا في نقط قليلة كعرض الشواطئ الجزائرية ... (Guid, 1978 : 1435) طبعاً، هذا الانقراض تاريخي، أي أضيفت إلى العوامل السالفة الذكر عوامل التلوث التي بدأت منذ الثورة الصناعية وازدهار المدن. أما الرأي القائل بضعف هذه الصناعة بسبب انتشار استعمال اللؤلؤ الطبيعي والاصطناعي وغيره من المواد المشابهة، فهو غيرصحيح لأن ثمن المرجان اليوم مرتفع حتى في حالة بيعه خاماً فأحرى تصنيعه، والإقبال عليه مازال كبيراً سواء خاما أو مصنعاً. وما زالت بقايا تلك الصناعة الموروثة عن المغاربة في بعض المدن الإيطالية (Braudel, *La méditerranée*, 44...).

ابن الفقيه، *كتاب المسالك في معرفة المالك*، ... مقتطفات منه أوردها حاج صادق، تحت عنوان *صفة المغرب وأروبا* ق 9/3، الجزائر 1949 ؛ إ. الاصطخري، *مسالك الممالك* ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*؛ المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار*.

محمد حجاج الطويل

**بسير**، أسرة رباطية أصلها من الأندلس، ولعلها جاءت إلى هذا الثغر بعد عملية الطرد في أوائل القرن الحادي عشر (17 م).

**بَسِّير، محمد الطيب** بن إبراهيم، قاضي الرباط. وهو جد القاضي محمد المكي البطاوري المؤرخ ومحمد بوجندار من قبل أمهما. كان من الفقهاء الكبار، عرف بالورع والنسك وكان متمكنا من العلوم النقلية والعقلية زيادة على كونه أديباً شاعراً. خلف عدداً من القصائد الشعرية في المديح النبوي على الخصوص، إضافة إلى نوازل وفتاوى فقهية.

تلقى محمد الطيب بسير العلم عن الشيخ الرهوني، وأحمد العربي، والقاضي ابن العروصي وغيرهم، واسندت إليه خطة الإفتاء ومهمة التدريس بالرباط، وتخرج على يده عدد من العلماء أمثال، الأديب المكي بوجندار، والعالم الطاهر بريطل وغيرهما. ولما تولى خطة القضاء سلك طريق الاستقامة كما يشهد بذلك من عرفوه وكتبوا عنه. ومكث في خطة القضاء نحو خمسين سنة كان يتداول فيها قضاء الرباط ومكناس تارة على سبيل النيابة وأخرى على سبيل التفرد.

رحل إلى وزان عند الشيخ علي بن أحمد الوزاني وهناك أخذ عن الشيخ الرهوني. تولى قضاء الرباط لأول مرة سنة 1219 بعد القاضي أحمد الحكمي. وأعيد لقضاء لرباط كنائب فقط، وفي حدود الأربعين أصبح قاضياً مستقلاً بنفس المدينة حسبما اطلع عليه محمد بن علي دينية في رسم مؤرخ برمضان عام 1239. ثم نقل بعد ذلك لقضاء مكناس، ثم أرجع مرة ثالثة لقضاء الرباط بعد القاضي صالح الحكمي. وبقي بسير في قضائه الأخير هذا من سنة 1248 إلى 1266 ثم تولى بعده القاضي عبدالرحمان البريبري.

وحسب ما ذكره الضعيف أسندت إلى الطيب بسير أيضا خطة الامامة بالجامع السليماني، كما كان عدلا بمرسى الرباط. وكانت وفاته عام 1854/1271، ودفن بالزاوية التهامية المجاورة لضريح مولاي المكي بمحج سيدي فاتح بالرباط.

م. بوجندار، *تعطير البساط*، 34 ؛ *الاغتباط*، 318 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 173 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ت. أ. العماري، 293، 366، 392 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين 1912.1830*، ر. د. د. ع. كلية الآداب الرباط 1988، 122، 124، 149.

عبدالاله الفاسي

**البَسِّيطة**، كلمة ذات أصل إسباني من الفعل : Pesar بمعنى وَزَن. اشتُق الاسم : Peso بمعنى الوزن كما اشتُقت منه صيغة التصغير : Peseta بمعنى الموزونة. ولها في الوثائق المغربية صيغ للجمع فتجمع على بساسط وعلى بسيطات وبسائط.

ظهر استعمال البسيطة كوحدة نقدية في مجال العملة

الإسبانية منذ مطلع القرن التاسع عشر حينما ضربت قطعة فضية سنة 1808 وكانت قيمتها أربعة ريالات إذ كان الريال أقل قيمة من البسيطة، ووقع على هذه القيمة تعديلات حيث ضربت في مدينة كاطالونيا سنة 1836 قطعة ريال من الفضة قيمته خمس بسيطات، ثم بعد ذلك تعددت في السنوات اللاحقة إصدارات النقود الفضية المبنية على البسيطة كوحدة أساسية بما لها من مضاعفات وأجزاء.

وابتداء من سنة 1865 وقع انضمام العملة الإسبانية إلى الوحدة النقدية في النظام اللاتيني الأوربي حيث أصبح الريال Real الفضي من خمس بسيطات يزن 25 گراماً ويصرف بـ 500 سنتيم، بينما تزن البسيطة 5 گ وتصرف بـ 100 سنتيم، واعتبرت البسيطة هي الوحدة الأساسية للعملة الإسبانية إلى اليوم.

ويهمنا بالنسبة للبسيطة علاقتها بالنقود المغربية. ففي إطار العلاقات المغربية الإسبانية راجت القطع النقدية لكل بلد في أسواق البلد الآخر بدءاً من عهد المرابطين والموحدين، وظلت كل عملة تحمل بصمات متبادلة من آثار عملة البلد الآخر، وبالخصوص في أسمائها حيث استعمل الإسبان مثلا كلمة (المرابطي) كوحدة نقدية أساسية استمرت حتى نهاية القرن التاسع عشر، واستعمل المغاربة كلمات : الدورو والريال والأشقوبية والبسيطة.

وقد وقع انحسار في تبادل العملات بين البلدين منذ سقوط الأندلس إلى مطلع القرن التاسع عشر الذي شهد حركة المد الأوربي في إطار المخطط الاستعماري الذي استهدف احتلال المغرب والشمال الافريقي عموما، فانتشرت العملات الأجنبية وبخاصة الإسبانية منها بالمغرب مزاحمة العملة الوطنية.

ومنذ القبول الرسمي للعملة الإسبانية بالمغرب بعد تحديد صرفها ضمن المعاهدة المغربية الإسبانية سنة 1799 على عهد السلطان مولاي سليمان أصبحت البسيطة الإسبانية إلي جانب الفرنك الفرنسي تقوم شيئا فشيئاً مقام وحدات نقدية مغربية في الحسابات، فكان المغاربة يعبّرون عن البسيطة الإسبانية بـ "البسّيطة التي فيها مدفع" حسب ما يتمثل في رسم الشعار الإسباني تمييزاً لها عن الفرنك الفرنسي الذي يطلق عليه اسم "البسّيطة التي لا مدفع فيها" وقد ورد هذان المصطلحان في الظهائر والرسائل السلطانية فكان سعرهما متباينا، فقد حدد الظهير الرحماني في إصلاحه النقدي سنة 1852 صرف البسيطة التي فيها مدفع بخمس أواق والبسيطة التي لا مدفع فيها (الفرنك) بأربع أواق، وتطور صرفهما تبعاً لتطور قيمة صرف الريال.

البسيطة الحسنية : حينما ضرب السلطان مولاي الحسن النقود المغربية بأوروبا أثناء الإصلاح النقدي لسنة 1881 اتخذ الريال الإسباني من خمس بسيطات كوحدة أساسية لصرف العملة المغربية بدلا من الريال الفرنسي الذي كان أساسا للعملة المغربية قبل السنة المذكورة، وهذه الوحدة الجديدة أدت إلى جعل المثقال الحسني الفضي من عشرة دراهم مساوياً في الصرف للريال الفضي الإسباني كقيمة اسمية، على الرغم من كون المثقال الحسني يفوق الريال الإسباني بـ 20٪ وزنا أي ما يمثل 4،1 گرام من الفضة في كل قطعة مما شكل كارثة أثناء عمليات الصرف المتمثلة في تهريب الفضة المغربية إلى أوروبا.

وعرف مجال الرواج النقدي نشوء البسيطة الحسنية، وهي عملة حسابية لا وجود لها بالفعل وإنما تعادلها قيمة درهمين شرعيين، وشاع استعمال "البسيطة الحسنية" كمصطلح نقدي لدى المغاربة وفي المراجع الأجنبية، وهي تقابل البسيطة الإسبانية والفرنك الفرنسي، في مختلف الحسابات، وقد فضل التجار التعبير بهذه البسيطة عن حساباتهم خاصة أثناء الأزمات النقدية كما نجد في فترة الأزمة النقدية الإسبانية سنة 1891.

وينبغي التأكيد على أن الوثائق الرسمية التي يحرّرها كتاب المخزن لم تتأثر بنظام البسيطة مع حسابات الصرف، بل ظل هؤلاء الكتاب يحوّلون كل الحسابات في السجلات الرسمية إلى نظام المثقال : (حيث إن المثقال = عشر أواق، والأوقية = أربع موزونات) وكان نظام التعامل الرسمي مستمراً على هذا الأساس إلى سنة 1903 حينما قرر السلطان مولاي عبدالعزيز اتخاذ النظام النقدي الأوروبي كأساس للعملة المغربية، فضرب النقود النحاسية والفضية في كل من برلين ولندن وباريس بلغ مجموعها 65 مليون بسيطة حسنية على أساس أن الموزونة النحاسية تساوي سَنْتيماً واحداً وأن الريال الحسني (المثقال من عشرة دراهم) = 500 موزونة أو 500 سنتيم. وقد أحدث هذا القرار اضطرابا شديداً في نظام الصرف، وأصيبت العملة المغربية بمزيد من الخسارة والانهيار مما أفضى بها إلى أزمة 1904.

وفي السنوات الأولى من عهد الحماية ظل استعمال نظام البسّيطة الحسنية في الرواج وظلت كذلك الأبناك الأوربية تقدر حساباتها مع المغرب بهذه البسّيطة، كما ظلت العقود العقارية تحدد الأثمان بها على الرغم من تداول السكة العزيزية والحفيظية واليوسفية، ولا تذكر إلا السكة الحسنية إلى أن أصدرت سلطة الحماية ظهير 20 مارس 1920 يقضي بالغاء نظام السكة الحسنية الفضية من التداول تماما واحلال الفرنك محلها، وأكد الظهير على القضاة والعدول بعدم استعمال الريال والبسيطة الحسنية في مختلف العقود ووجوب استعمال الفرنك عوض ذلك.

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، ص 58، 244 ؛ الحسني أحمد بك، *بهجة المشتاق في حكم بيان زكاة الأوراق* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج.9 ص 64 ؛ *جريدة السعادة*، عدد 3063 بتاريخ 3 أبريل 1920 ؛ *المعاهدة الإسبانية سنة 1799*.

Chanone, L. Matagne (et al), *Le guide Marabout des monnaies et médailles*, Verviers (Belgique) , 1975, p. 250, 253 ; J.A. Marty, *Le franc marocain, contribution a l'etude de la questiòn monétaire*, p. 34 ; F. Mateu y llopis, *Notas para el estudio de los origenes del sistema monetario español, Numisma*, año XVI, Num 67, Marzo-Abril 1964, p. 19, 61 ; R. S, Yeoman, *A Catalog of modern world coins*, 1850-1960, U. S. A. 1972, p. 440.

عمر أفا

**بسكانيو**، يوسف بن مامي، من الأندلسيين النازحين إلى المغرب. عينه السلطان السعدي زيدان بن أحمد المنصور عاملاً على درعة سنة 1624، وربما فكر في توجيهه إلى السودان عاملا عليها. وفي نفس السنة قاد سفارة مغربية مكونة من ستة أعضاء إلى هولندة. ووصلت السفارة إلى روتردام Rotterdam يوم 20 يوليوز 1924، فاستقبل المسؤولون الهولنديون السفير يوم 24 يوليوز، وقدم لهم رسالة من السلطان المغربي تحدّد مهام سفارته. ثم عين الهولنديون مفاوضين ناقش معهم السفير عدداً من النقط (12 نقطة) تؤثر على طبيعة العلاقات بين البلدين، وهي في عمومها حوادث تسبب فيها بحارة هولنديون وأضرت بمصالح المغرب وسلطانه. وقد عملت هولندة على إرضاء كل مطالب السفير.

وبينما كانت السفارة المغربية تستعد لمغادرة هولندا (يناير 1625) تعرض أحد أقرباء بسكانيو لجريمة قتل، فتأخر وقت إبحار السفارة إلى مارس 1925.

*S.I.H.M. Série Saâdienne, Pays-Bas*, t. IV ; J. Caille, *Ambassades et missions marocaines aux Pays-Bas, Hesp*, t. IV, 1963.

عبداللطيف الشاذلي

**بَسْلامْ، عَسُّو**، ويدعى أيضاً عسو أُبَسلام. أو عسو وْبَسلام، من زعماء مقاومة الاحتلال الفرنسي بأيت عَطّا في جبل صَغْرُو.

فعلى المستوى الوطني، اندلعت مقاومة أيت عطا بعد حرب الريف، وشكّلت عقبة كأداء أمام تقدم جحافل الجيوش الاستعمارية، التي أصيبت بالذهول والإحباط لاعتقادها الراسخ باستحالة ظهور أية مقاومة أخرى بعد حرب الريف. كما أن مقاومة أيت عطا بقيادة عسو بسلام انتهت في الوقت الذي نهضت فيه الحركة الوطنية في المدن، فهي بذلك تعتبر حلقة وصل بين حرب الريف وظهور الحركة الوطنية السياسية في المدن.

وعلى المستوى المحلي كانت صورة قائد المقاومة عسو بسلام - وهو يحقق انتصاراته في هضبة الإبر بجبل صَغْرُو في حرب ضروس غير متكافئة - ترتفع كما يرتفع النجم المتألق في السماء، وأعطت حركته نفَساً لمقاومات مشابهة مثل مقاومة زَايْد أُحمد من 1934 إلى 1936. ولهذا ظلّ عسو بسلام يجسم المقاومة تجسيما مادياً في مواجهة الاستعمار وعملائه في المنطقة.

وولد عسّو بسلام حوالي سنة 1308 / 1890، وهي السنة التي شاهدت ميلاد حلف التآزر والتضامن بين مختلف قبائل أيت عطا، واقترَن هذا الحلف بإنشاء مجلس أطلق عليه "تافرْاوتْ نَايتْ عطّا" (حصن أيت عطا) مهمته التحكيم والفصل في النزاعات الظرفية وتنظيم تنقلات الرعاة بين صَغْرُو ومناطق الإنتاج. واتُّخذ قصر "إغرم امْزْدَار" الذي يحتل موقعاً استراتيجياً في قلب صغرو مقراً لهذه المؤسسة القبلية المستحدثة. وغير بعيد عن هذا القصر، كانت ولادة بسلام في قصر "تاغيا" شرق جبل صغرو وجنوب تنغير.

تنتمي أسرته إلى فرع "إلْمْشان" من خمس "أيت واحليم". وكان اسمه الحقيقي هو "عيسى" وتصغيره محلياً هو "عَسُّو".

كانت أسرة باسلام من الأسر البارزة لدى قبائل "أيت عطا" حيث كان أفرادها ساهموا في تنظيم مرور الحركات المخزنية بالمنطقة، خاصة حركة المولى الحسن سنة 1893. كما أن من تقاليد هذه الأسرة التي تسمى "أيت بُوتغْراتين" أي "أهل الزغاريد" أنها هي التي تتقدم جيوش "أيتَ عطا" بالراية في كل الحروف التي خاضت غمارها. وكان والد عسو بسلام، ويدعى علي بَسلام من أعيان قبيلته حيث كان يمارس مهمة "شيخ البلد" أو ما يطلق عليه "أمْغار نْتَمازيرْت". ولعب هذا "الأمغار" دوراً كبيراً في بلورة شعور الوحدة والتضامن. حيث دفع أيت عطا إلى تجاوز الخلافات والنزاعات الظرفية التي كانت تنشب حول المراعي ومجاري المياه، خاصة لما بلغه خبر بداية اقتحام أجزاء من التراب المغربي من طرف فرنسا انطلاقاً من الجزائر، وكذلك لما لاحظ مرور عدد من المغامرين الأجانب بالمنطقة.

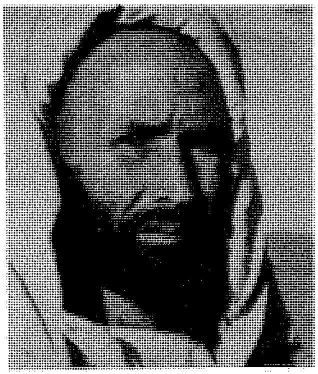

تأثر عسو بسلام بهذا الدور القيادي لوالده، واكتسب حصافة الرأي وحسن الاضطلاع بشؤون القبيلة، فأصبحت له العضوية في الجماعة المسيِّرة للقبائل : "أجْمَّاع" في سن مبكرة، الشيء الذي جعل قبائل أيت عطا تُكنّ له إجلالاً حقيقيا. وبالاضافة إلى هذا الدور كان يتمتع بخصال حربية تجعله يقوم مقام مجموعة من الفرسان يمكن للقبيلة استنفارها في حالة الحرب.

وقد برهن عسو بسلام عن وعي مبكر من خلال تعاطيه للتجارة، ذلك أن تنقلات الرعاة والتجار شكلت جسراً متيناً لربط المنطقة ببقية مناطق المغرب، والاطلاع على ما يجري بالبلاد خاصة بعد تكالب الاستعمار الفرنسي. وقد كان احتكاكه بمدينة مراكش مناسبة ليقف على النوايا العدوانية للمستعمر، ولهذا عمل بمساعدة أخيه بَاسُّو أُبَسلام وجماعة من تجار أيت عطا على نقل الأسلحة إلى المنطقة استعداداً للمواجهة المحتملة مع الاستعمار. وقد ازداد وعياً وإدراكاً للنوايا العدوانية الفرنسية بعد احتلال تافيلالت، ومساهمة أيت عطا في مقاومة الجيوش الفرنسية هنالك. كما نتج عن حرب تافيلالت امتداد نفوذ باشا

مراكش الأكلاوي إلى "تدغة" سنة 1919 الذي شكل جيشهُ رأس حربة للاستعمار الفرنسي بالمنطقة.

وإلى جانب هذه الأحداث التي عرفتها المنطقة تجمعت عدة عوامل وساهمت في بلورة شخصية عسو بسلام في اتجاه قيادة المقاومة والجهاد : إنه يتمتع بقدرة خارقة على جلب القبائل وتنظيمها حيث تمكن من إسكات جميع المعارضات القبلية حوله ووحّد خلفه جماهير الفلاحين.

إن قبائل أيت عطا سبق أن ساهمت في الدفاع عن الوطن في مناسبات عدة، فقد بعث سيدي محمد بن عبدالرحمان إلى قبائل أيت عطا عن طريق زاوية تامصلوحت سنة 1859 للمشاركة في حرب تطوان المهددة بالاحتلال الإسباني، وقبل ذلك في عهد المولى عبدالرحمان سنة 1844 للدفاع عن الصويرة. ولهذا فمقاومة أيت عطا ليست وليدة الصدفة أو نزعة فطرية للسيبة والفتنة كما تدعي الكتابات الاستعمارية، بل هي استمرار لتقاليد الكفاح الجماعية دفاعاً عن الوطن ضد العدو الكافر.

وحوالي 1919 انتخبت قبائل أيت عطا عسو بسلام شيخاً على "إِلْمْشَان" ليصبح بعد ذلك شيخاً عاماً سنة 1932. ذلك أن دخول جيوش الأكلاوي بإيعاز من فرنسا التي انتهجت سياسة القواد الكبار إلى "تدغة" جعل عسو بسلام يتحرك ومعه أفراد "الجماعة"، وذلك لجمع شمل القبائل من أجل جعل حد للفوضى وجو التناحر الذي شجعته السياسة الاستعمارية وحليفها، حتى يسهل على هذه القوى القيام بدور التحكيم وفرض السلطة. كما قام التهامي الأكلاوي بدور فعال لإضعاف نفوذ عسو بسلام لدى أيت عطا وقطع الطريق أمام جهوده الرامية إلى توحيد القبائل حول راية الجهاد، وهكذا عين مجموعة من الأعيان العملاء كشيوخ على أيت عطا في إِمْطر وتازَرين ودرعة وفي الواحات المجاورة لجبل صغرو. وفي خضم هذه التطورات المختلفة استطاع عسو بسلام تنظيم وكسب جماهير قبيلته على مسافات واسعة جداً، تمتد من أعالي صغرو لتنحدر إلى واحات تدغة ودادْس وغرْيس وفَرْكْلة (حيث قبائل أيت مَرْغَاد) وتخوم تافيلالت. وأصبحت بذلك قوات المجاهدين منذ 1930 تحاصر باستمرار جيوش الأكلاوي، وجعلت نفوذه لا يتعدى في تنْغير القصبة التي أنشأها والدواوير المجاورة لها. وعندما هبت القوات الفرنسية سنة 1931 بقيادة العقيد شاردون Chardon قائد منطقة ورززات، لفك الحصار عن قوات الأكلاوي أخذ عسو بسلام يُعدُّ العدة بسرعة ليقذف بأيت عطا الأشاوس في المعركة المَصيرية التي دارتَ رحاها في جبل صغرو انطلاقاً من ربيع 1933.

أهم مراحل المواجهة بين عسو بسلام والجيوش الفرنسية:
أصبح هم الإدارة الاستعمارية بعد حرب الريف يكمُن في إحكام السيطرة على تافيلالت وصغرو والناحية الوسطى للأطلس الكبيرة، أي ما تطلق عليه هذه الإدارة "المغرب غير النافع"، ولهذا الهدف أنشأت سنة 1913 ما أطلق عليه "قيادة التخوم الجنوبية" لإتمام ما تسميه أيضا المرحلة الرابعة في التهدئة (1934.1931). إلا أن مهمة الجيوش الاستعمارية لم تكن سهلة، ذلك أنها وجدت مقاومات عنيفة في كل مكان، إلى درجة أن الاشتباكات أحياناً تمت وجهاً لوجه بالسلاح الأبيض. وقد وقعت هذه الاشتباكات في واحات دادس ودرعة وتدغة وفركلة وغريس... التي تم احتلالها بين 1931 و1932. وأمام هذا الوضع بدأ عسو بسلام الذي اعتصم بجبل صغرو يستعد لمواجهة القوات الفرنسية رغم اختلال موازين القوى بين الطرفين، ومرت هذه المواجهة بثلاث مراحل أساسية :

المرحلة الأولى من أواخر 1932 إلى مطلع 1933 : تكونت بإيعاز من عسو بسلام فرق من المجاهدين في شكل عصابات مسلحة تقتحم مواقع القوات الفرنسية ومراكز الشؤون الأهلية في نماذج متعددة من هذه العمليات، وهكذا اشتبك رجال أيت عطا لأول مرة مع القوات الاستعمارية في ممر يدعى "تيزى نْتَدَّارْت" شرق ورززات. وكانت هذه العملية بقيادة باسو بسلام أخي عسو بسلام أسفرت عن مقتل ثمانية عشر من جنود الاحتلال ومن بينهم ضابط برتبة قبطان. وغنم المقاومون في هذه العملية أسلحة مختلفة.

كانت هذه العمليات تثير انزعاج السلطات الاستعمارية كما يشير إلى ذلك الجنيرال هوري Huré في كتابه *تهدئة المغرب المرحلة الأخيرة 1934.1931* :"إن اعتصام هذه الفرق المسلحة بصغرو يشكل أكبر خطورة بالنسبة لنا، وتكمُن هذه الخطورة في مهاجمة قوافل التموين، وكذلك تشويش وتحريض القبائل المهدَّأة، وهكذا وقعت في الشهور الأخيرة من سنة 1931 أزيد من ثلاثين عملية داخل خطوط التماس لجيوشنا" (ص 102).

وقد كان من الطبيعي أن يؤدي النهوض المعادي للاستعمار وعملائه إلى تدخل القوات الفرنسية، الشيء الذي زاد من تأجيج روح المقاومة. ويقول الضابط جون ديسم J. d'Esme في كتابه *بورنازيل الرجل الأحمر* :"إن عسو بسلام وأتباعه لم يتوقفوا عن مهاجمتنا، ففي شهر يناير1933 وحده فقدنا نتيجة هذه الهجومات أربعة من أحسن ضباطنا بالإضافة إلى الجنود ومئات الجرحى والمعطوبين، واستيلاء المهاجمين على غنائم منها البهائم المحملة بالأسلحة والمواد الغذائية" (ص 32).

أمام تأزم وضعية الجيوش الاستعمارية وارتباكها بدأت قياداتها تبحث عن وسائل لإخماد المقاومة، وهكذا ضاعفوا من مراسلاتهم لقائد المقاومة عسو بسلام يطالبونه بالخضوع للمخزن الذي تتم التهدئة باسمه. وكان جواب عسو بسلام عن أحد هذه المراسلات ما يلي :"فليتقدم الذين حرّروا هذه المراسلات لأخذ الجواب هنا".

المرحلة الثانية من 12 فبراير إلى فاتح مارس 1933 : معركة بُوكَافر. بوكَافر موقع حصين وسط جبل صغرو في الأطلس الكبير الشرقي، جمعت السلطات الاستعمارية

لمهاجمته قوات ضخمة قوامها ثلاثة وثمانون ألف مقاتل تدعمها أسراب من الطائرات بلغ عددها أربعاً وأربعين طائرة. وكانت هذه القوات مكونة في أغلبها من اللفيف الأجنبي لكسر شوكة المقاومين، والقضاء على عسو بسلام. لهذا كان الفرنسيون يلقون إلى المعركة ضد المقاومين بحشود تكاد لا تنتهي من السينغاليين وغيرهم من المرتزقة بقيادة علية من الضباط المصابين جميعا بحمى المغامرة والفتح والترقية السريعة أمثال الجنيرالين جيرو وكاترو والقبطان سبلمان و بواييي ويشاردون وبولان...

أما بالنسبة للمقاومين فكان عددهم في بوگافر سبعة آلاف رجل منهم ألف ومائتا مقاتل فقط مزودون بأسلحة بسيطة إلى جانب البنادق التي غنموها في مختلف المعارك، ولم يكن الفرنسيون يواجهون في هذه المرحلة أيت عطا فقط، بل انضم إليهم أيضا مقاومون من أيت مَرْغاد الذين أبلوا البلاء الحسن وجعلوا من صغرو مقبرة للغزاة.

ففي يوم 13 فبراير اليوم الأول للهجوم على صغرو غنم المقاومون مائة واثنتي عشرة بغلة محملة بالذخيرة والأسلحة والمواد الغذائية، وتوالت الانتصارات مما جعل كثيراً من المترددين يلتحقون بصفوف المقاومة، كما برز عسو بسلام في صحف الاستعمار كزعيم تهابه القوات الفرنسية.

حاولت الجيوش الفرنسية، أمام فشلها في التقدم وتحقيق الانتصار، تنظيم التراجع، لكن رجال أيت عطا الأشاوس عرقلوا هذه المحاولة مستعملين جميع الأسلحة حتى الحجارة، وطاردوا القوات الفرنسية الغازية من جميع الجهات فحدثت بذلك معركة بوگافر الشهيرة يوم 28 فبراير 1933 تكبدت فيها القوات الفرنسية خسائر تتجلى في قتل أزيد من عشرة ضباط على رأسهم القبطان بورنازيل الذي خلفت وفاته وقعاً كبيراً في الأوساط الأستعمارية، كما فقدت مئات الجنود، واستولى المقاومون على جميع الأسلحة والذخائر التي تركها الجيش الاستعماري في الميدان. والجدير بالذكر أن المرأة العطاوية لعبت دوراً كبيراً في هذه المعارك سواء بتحريض الرجال من الخلف، أو تعويض القتلى في الميدان.

المرحلة الثالثة من فاتح مارس إلى 25 مارس 1933 : سلم بدون هزيمة. أمام عجز القوات الفرنسية عن تحقيق الانتصار بقوة السلاح التجأت إلى الأساليب الوحشية اللاإنسانية، وذلك لتحقيق انهيار المقاومة وتفتيت وحدتها. وفي هذا الصدد كثّف الطيران هجومه وقصفه لمجاري المياه وقطعان الماشية، حتى إن الجنيرال هوري اعترف أنه تمت الإبادة والاستيلاء على أغلب الماشية بحيث لم يبق في يد المقاومين إلا حوالي 10٪ من ماشيتهم التي كان يبلغ عددها 25.000 رأس.

وبموازاة سياسة الأرض المحروقة هذه زادت الجيوش الاستعمارية من محاصرة جبل بوگافر لمنع المقاومين وماشيتهم من الاتصال بالسهول والواحات المجاورة للحصول على القُوت والكلإ. ومع ذلك فإن المعارك لم تزد إلا ضراوة. وعمل ضباط الشؤون الأهلية أمثال سبّلمان Spillman الذي يعرف المنطقة جيداً، على تنشيط ما يطلق عليه "العمل السياسي" المستمد من خطة ليوطي في التهدئة. وفي هذا الصدد حاول هؤلاء الضباط إثارة النعرات القبلية القديمة بين مختلف أخماس أيت عطا الذين جمعتهم كلمة المقاومة والجهاد. ولهذا الغرض نودي على أحد عملاء الاستعمار وهو الشاوش حميدة الذي كان له ماضٍ سيِّئ في ملازمة الجيوش الاستعمارية وخدمة ضباطها، وبإيعاز منه تم التفكير في جلب كل خمس على حدة للاستسلام، وهكذا كان يؤتى ببعض الأفراد الذين غُلبوا على أمرهم إلى الجبهة قصد جلب أفراد خمسهم المقاومين للخضوع عن طريق الترهيب والترغيب والضغوط النفسية. وبهذه الطريقة استسلمت مائة وخمسون أسرة من فرع أيت إعزَّى وأيت أُنْبْگي، ومائة أسرة من أيت عيسى وَابْراهيم (أيت واحليم) وذلك خلال الفترة الممتدة ما بين 10 و23 مارس 1933.

بسلام يوم 25 . 3 . 33 يفاوض الجنرالات هوري، وكاترو، وجيرو

أمام هذا الوضع قرر عسو بسلام - بعد الصدع إلى الجماعة والتشاور معها- النزول للتفاوض يوم 25 مارس 1933، وقد حرص على أن يحاور ضباط الاستعمار من موقف السيادة الكاملة والقوة، كما يتجلى ذلك من هذا الحوار الذي دار بينه وبين القبطان بواييي Boyé ثم الجنيرال هوري (كما سجله المترجم العقيد بلمدني في *مذكراته* إلى المؤلف وكان آنذاك ضابطا صغيراً) :

- عسو بسلام :"إنني جئت أنا ورفيقي للتفاوض فقط ولم آت للاستسلام".

- الضابط الفرنسي :"بعد هنيهة من الآن ستقدم استسلامك وطاعتك للحاكم الكبير الجنيرال هوري الذي سيصل بعد قليل".

- عسو بسلام :"قلت لك، إنني لم أنزل من الجبل للاستسلام، لقد جئت أنا ورفيقي مبعوثين من طرف المجاهدين لمعرفة شروط تحقيق السلم الذي يصون كرامتنا، وإلاّ فانتم هنا ونحن لم نضع السلاح بعد".

وقد اضطر المترجم بلمدني عند وصول الجنرال هوري إلى تعديل فقرات مشحونة بالتهديد والوعيد من خطاب الجنرال هوري محاولا تقليد إشارات الجنرال حتى لا يشعر هذا الأخير بتغيير خطابه وحتى لا يتراجع عسو بسلام عن فكرة التفاوض لو بلغة فحوى الخطاب الزجري.

لم تُرعب عسو بسلام القوات الضخمة من جيوش ومدافع وطائرات التي جمعتها القيادة الفرنسية في الجبهة قصد استقبال الجنيرال هوري وإرهاب قائد المقاومة، بل إن قائد المقاومة صرح كرد فعل :"إنه من المدهش حقاً أن تصمد قواتنا البسيطة طيلة هذه المدة (42 يوماً) في حرب ضروس غير متكافئة وتلحق بالجيوش الفرنسية خسائر كبرى، دون أن يكون في إمكانها، أي القوات الفرنسية، تحقيق انتصار ولو بسيط يذكر".

ومن بين الشروط التي فرضها عسو بسلام على الجنيرال هوري : عدم امتداد سلطة الأگلاوي إلى منطقة نفوذ أيت عطا، وإقرار عسو بسلام في منصبه كشيخ عام على أيت عطا، وهو المنصب الذي احتفظ به فعلا إلى الاستقلال، وإعفاء المرأة العطاوية من المساهمة في الحفلات التي تنظمها الإدارة الاستعمارية في مناسبات مختلفة، وارجاع كل ممتلكات المقاومين المصادرة إلى أصحابها مع إعفائهم من الخدمات الإجبارية والإتاوات المختلفة التي تفرضها الادارة الاستعمارية على السكان.

هكذا حققت حركة مقاومة أيت عطا قسطاً مهما من أهدافها، وظل بطلها عسو بَسلام رمزاً للحرية والشرف. وغداة الاستقلال في صيف 1956 عين قائداً في أكنيون بجبل صغرو، وظل في منصبه إلى أن أدركته الوفاة يوم 22 صفر 16/1380 غشت 1960.

ع. بوراس، *مقاومة أيت عطا بصغرو، فبراير ـ مارس 1933*، *العلم الثقافي*، ع 816، 7 مارس 1987 ؛ *المقاومة الوطنية والاسطوغرافية الاستعمارية من خلال مقاومة زايد أُحمد 1934ـ1936*، *العلم الثقافي*، ع: 826، 23 ماي 1987 ؛ م. المعزوزي، و هـ. العلوي، *الكفاح المغربي المسلح*، الرباط 1987.

A. Bourras, *La guerre du Saghro 1930-1931, Lamalif* Nº 138, Août-Sep. 1982, p. 44-45 ; H. Bordeaux, *Henry de Bournazel*, Paris, 1935 ; D. M. Liart, *Assû û-Basslam, Les Africains*, t . V, p. 75-105 ; A. Huré, *La pacification du Maroc : dernière etape, 1931-1934*, Paris, Berger-Levrault, 1952 ;J. Saulay, *Histoires des Goums Marocains*, t. 1, Paris, 1981 ; G. Spillmann, *Les Ait Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Rabat 1936 ; G. Spillmann, *Souvenirs dun colonialiste*, Paris, Presse de la cité, 1936 ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939.

عبدالقادر بوراس

**البشارِّي**، أو البشَرِّي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Becerra ومعناه بالإسبانية العجلة (البقرة الصغيرة)، وكان من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان :

**البشارِّي، محمد** الذي اشترك مع جماعة من أصدقائه في اغتيال باشا تطوان محمد تميم في 7 ذي القعدة 8/1163 أكتوبر 1750.

وأسرة البشاري، من بين الأسر التطوانية التي هاجرت إلى القصر الكبير قبل سقوط تطوان بيد الجيش الإسباني سنة 1860/1270.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 50 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 235، 5 : 229 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بشر**، بن صفوان الكلبي، من ولاة الأمويين بالمغرب (103 ـ 190 / 721 ـ 726) ولا تتحدث مصادر التاريخ المغربي عنه إلاّ وهو على رأس مسؤوليته في الغرب الإسلامي (*تاريخ أفريقية والمغرب*، ص. 66 ؛ *البيان*، 1 : 49) وكانت مهمته محصورة في معالجة المسائل الآتية :

ـ قضية الضرائب وجمع المداخيل لدارالخلافة بدمشق من بلاد المغرب والأندلس.

ـ تسوية الخلافات القبلية العربية في ولايته الجديدة والتغلب على المشاكل التي مازالت تواجه الوجود الإسلامي وانتشاره في بلاد البربر والأندلس.

ـ البحر والمضايقات المسيحية في غرب البحر المتوسط.

نتج عن سياسة القسوة في استخلاص الجبايات بالولايات الإسلامية النائبة عن دار الخلافة بدمشق أن اغتيل والي أفريقية يزيد بن أبي مسلم (102 ـ 103) فعُين مكانه "بشر بن صفوان" ليعالج المشاكل المعقدة في ولاية أفريقية. وقد سبقت عملية تكليف بشر بن صفوان بأفريقية مشاورات وأحداث يرويها المؤرخون بصور متعددة، وأهم ما في الأمر أن أهل أفريقية لما قتلوا عاملهم أبا يزيد بن مسلم وجهوا إلى الخليفة بدمشق مبعوثهم أبا محمد خالد بن أبي عمران التجيبي ليخبره بقتل يزيد. فلما وصل إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك، استشاره هذا الأخير فيمن يوليه فأشار عليه فقبل قوله. وكان الخليفة على دراية ببشر واليه على مصر ونجاحه في تنظيم إدارتها المالية. والذي يظهر أن بشراً حظي بثقة الخليفة وأسند إليه اختصاصات واسعة حيث تشير النصوص إلى أن بشراً هو الذي عين أخاه حنظلة خلفاً له على مصر بعد أن تقلد ولاية أفريقية، وانتقل إلى القيروان وعين على الأندلس عاملا من قبيلته وهو عنبسه بن سحيم واستمر بها من (103 إلى 107). وهذا يعني من وجهة نظر أخرى أن بني كلب اليمنيين المنافسين للقبائل القيسية قد أصبحوا يسيطرون على السلطة في القسم الأفريقي كله والأندلس. ويزيد بن أبي مسلم الذي حكم قبل بشر بن صفوان كان هو أيضاً من بني كلب. فظهر صراع بني العصبية اليمنية على رأس زعامتها الكلبيون والعصبية القيسية وعلى رأسها السلميون .

ونلاحظ أن بشر بن صفوان اجتهد في ضرب العرب البلديين مثل آل موسى ابن نصير ومن شايعهم، كما واصل سياسة القسوة ضد البربر، ووسع دائرة المتابعة إلى المغرب الأقصى مطارداً أسرة موسى بن نصير ومصادراً أموالهم (ابن عبد الحكم، ص. 215 ؛ *البيان*، 1 : 49) وقد جمع الوالي الجديد أموالاً وذخائر كثيرة حملها إلى دمشق سنة 105 / 723. وكان معظم ما حمله قد استصفاه من البربر، ولم يعش الخليفة اليزيد طويلا ليتمتع بهذه الهدايا، إذ وجده بشر بن

صفوان قد مات في شعبان سنة 105 / يناير 724 فقدم الهدية للخليفة الجديد هشام بن عبد الملك الذي أقر بشر بن صفوان على ولايته. وبذلك وافق الخليفة على السياسة الداخلية المتبعة من قبل الولاة في بلاد المغرب والأندلس مما كان له عظيم الأثر في قيام ثورة البربر تحت غطاء الحركات الخارجية ثم الاستقلال والانفصال عن التسيير المباشر لمركزية الخلافة بدمشق وبغداد.

لم يهمل بشر بن صفوان الكلبي مشاريع التمدين فأسهم في توسيع مسجد القيروان الذي أنشأه عقبة بن نافع وجدده الوالي حسان بن النعمان وأكمله الوالي بشر بن صفوان. ولكن الذي أعاد بناءه كله وأعطاه صورته الباقية إلى اليوم هو زيادة الله بن الأغلب (*الدولة الأغلبية*، ص. 275 وما بعدها). كما اهتم بشر أيضاً ببناء المحارس على الساحل والرباطات. وهذا ما ينقلنا إلى مهمته الكبرى على مستوى الجهاد البحري وهي تاكيد سلطان العرب في غرب حوض البحر المتوسط.

كانت مدة ولاية بشر قصيرة لم تجاوز خمس سنوات لكن المجهود الذي قام به في بناء البحرية المغربية بصفة خاصة كان كبيراً جداً. ويخبرنا خليفة بن خياط عن هذه التطوات والحملات العسكرية التي قامت بها البحرية المغربية في عهد ولاية بشر بن صفوان (*التاريخ*، 2 : 475 - 479) كما يشير ابن الرقيق إلى ذلك (ص. 66) وابن عذاري (1 : 49). والمهم أن الحملات البحرية وخاصة على صقلية وجنوب إيطاليا لم تنقطع من 103 / 720 إلى 108 / 724 وشكلت أهم المهام الرئيسية لبشر بن صفوان إلى جانب ضبط الأوضاع الداخلية الثائرة والمتقلبة في ولايته. كما نظمت حملات كبرى على الجزر الغربية والوسطى للبحر المتوسط (سردينا وكورسيكا وصقلية).

أصيب بشر بن صفوان الكلبي في حملته الحربية التي قادها بنفسه إلى صقلية سنة 109 / 727 بمرض أودى بحياته، وليس في سنة 107 / 725 كما رجح ذلك الدكتور سعد زغلول (*تاريخ المغرب*، ج 1 ص. 273). وقد سمت المصادر هذا المرض بـ"الدبيلة" وهو عبارة عن خُراج ودُمل كبير يخرج في الجوف فيقتل صاحبه، وكانت وفاته في شوال سنة 109 / 27 يناير 728.

م. ابن عذاري، *البيان* ؛ الكندي، *الولاة وكتاب القضاة* ؛ ابن الرقيق، *تاريخ أفريقية والمغرب* ؛ خ. ابن خياط، *التاريخ* ؛ المالكي، *رياض النفوس*، ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 1 ؛ ع. سعد زغلول، *تاريخ المغرب العربي* ؛ م. الطالبي، *الدولة الأغلبية* ؛ ع. سالم وم.م. العبادي، *البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس*.

هاشم العلوي القاسمي

**البُشْرَى، محمد** بن عبدالفاضل بن محمد بن أحمد بن قاسم أكثاو العمراني، من الشرفاء العمرانيين أولاد سيدي حنين دفين تلنبوط، الذي يقول عنه ابن عرضون : إنه النسب الوحيد الموثوق به في قبائل غمارة، (*الكتاب اللائق*، 2 : 204، 205). وأصلهم من أولاد عبدالكريم من بني وكثا بقبيلة بني منصور الغمارية، ومن هنا جاء اسمهم العائلي : أكثاو ؛ انتقل أحد أجداده إلى مدشر علوي ببني خالد إحدى قبائل غمارة، في الجنوب الشرقي لشفشاون على بعد نحو 75 كلم.

ولقب بالبُشْرَى، لأن والده كان أحد المريدين للشيخ الحاج الصديق التجكاني، فسأله أن يدعو له - وهو ولده الوحيد - أن يكون من حفظة القرآن الكريم، فقال له : إنه البُشْرَى - إن شاء الله - لعالم جليل. وعنصر من عناصر العلم والمعرفة. فالتصق به هذا اللقب من يومئذ.

ولد في حدود سنة 1892/1310، وحفظ القرآن مبكراً، وبدت عليه بوادر النجابة، درس العربية والفقه على جماعة من فقهاء غمارة وقبائل الهبط، ثم رحل إلى فاس وأنهى دراسته بجامع القرويين على كبار مشيختها، ويذكر في بعض تقاييده : أن من العلوم التي درسها هناك : التفسير وعلوم الحديث والفقه والأصول والأدب والعربية والبلاغة والمنطق والتوقيت وما إلى ذلك.

ثم عاد إلى مسقط رأسه سنة 1920/1339، فتولى التدريس والخطابة ببعض الجوامع، وكانت العادة - بالبادية - أنه عندما يعود الفقيه من فاس، يتولى - تلقائيا - الإرشاد الديني، والإفتاء بين الناس. وفي هذه الأثناء صدر قرار وزيري ممضي من طرف الصدر الأعظم أحمد غنمية بتعيينه خليفة للقاضي، ولكنه لم يلبث أن تخلى عنه بمحض إرادته، فتفرغ للتدريس بمدشر علوي، وأصبح إمامه وخطيبه ؛ فتقاطرت عليه أفواج الطلبة من مختلف الجهات، وكان يتمتع بذاكرة قوية، وفصاحة لسان، وسعة بيان، وكان آية من آيات الله في علوم العربية : يحفظ قواعدها، ويستحضر شواهدها. وكان له ميل إلى الأدب، يحفظ *مقامات الحريري* عن ظهر قلب، وربما قرض الشعر.

وفي سنة 1931/1350 - رحل إلى المشرق فأدى فريضة الحج، وبعد عودته واستئناف الدراسة لمدة سنتين ؛ - جاءه أعيان ووجهاء قبيلة بني ورياغل يرغبون إليه أن يكون خطيبا ومدرساً بجامعهم بأجدير مركز قيادة ابن عبدالكريم الخطابي، فلبى رغبتهم وانتقل هو وطلابه - وعددهم يفوق ستين طالبا - إلى هناك، وكان محل عناية فائقة من السكان ومن قبائل الريف بعامة ؛ مما زاد في نشاطه فكان قمة عطائه العلمي والفكري. وقد دفعته نخوة العلم ونشوة الأدب لينظم *قصيدة* مطولة سجل فيها أمجاد الحرب التحريرية بالريف، تعتبر من الحوليات ضاعت مع الزمن.

ثم عاوده الحنين إلى البقاع المقدسة فحج ثانية سنة 1937/1356.

وفي عام 1939/1358 عين قاضياً على قبيلة بني خالد. وكان صدر ظهير خليفي باستقلال القضاء في شمال المغرب، ولكنه عانى من المسئولين الأمرّين مما جعله يضرع إلى الله - عز وجل - في أخريات حياته أن يدفع عنه هذا البلاء، ويفارق بينه وبين القضاء ولو بالموت، فكانت وفاته

سنة 1946/1366، عن عمر يناهز ستاً وخمسين سنة.

محمد بن محمد أكثاو، *تقييد في ترجمة الوالد*، مخطوط.

سعيد أعراب

**بشراي** بن **محمد** يَحْضيه. ولد بتاريخ 1917 بالساقية الحمراء، وانخرط في جيش التحرير بالمقاطعة التاسعة في مركز تافودارت تحت قيادة صالح ابن عسو، وقام بعدة أعمال جليلة من أجل تحرير الوطن إلى أن استشهد بالصحراء في معركة الدشيرة بتاريخ 13 يناير 1958.

*وثائق المندوبية السامية للمقاومة.*

عز الدين العلام

**البشري، إدريس** بن محمد التلمساني، جاء سلفه من تلمسان إلى فاس في أوائل القرن الرابع عشر (19 م)، واشتغل إدريس البشري بتعليم الصبيان القرآن الكريم في كتّاب مسجد سيدي المخفي من حومة المخفية عدوة القرويين، وكان من الآخذين عنه عبد السلام ابن سودة الذي ترجم له في فهرس شيوخه *سل النصال*.

كان إدريس البشري أستاذاً مقرئاً يحفظ القرآن بالروايات. صالحاً مقبلاً على شأنه، ملازماً للعبادة يؤم بالنيابة بمسجد المدرسة، ويربي الصبيان ويلقنهم القرآن. يصوم ثلاثة أشهر من كل عام "رجب وشعبان ورمضان" ويتهجد من الليل ما شاء الله إلى أن توفي راضياً مرضياً في أواسط عام 1336 / 1917، ودفن بفدان الغرباء خارج باب الفتوح.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1336 ؛ *سل النصال*، الترجمة 43.

محمد حجي

**بشْري محمد** بن عبدالله. ولد سنة 1944 بالساقية الحمراء، وانخرط في جيش التحرير المغربي بالجنوب سنة 1956. كان نشيطاً في مشاركته مع إخوانه المجاهدين وقام بعدة أعمال جليلة وبقي يعمل إلى أن استشهد في معركة مركالة بنفس السنة 1956.

*شهداء الاستقلال*، ج 2.

عزالدين العلام

**بشّار** (وبالبربرية أبشار) يعني في الكلام المتداول الشخص الذي يأتي بالخبر المفرح. فهي كلمة مشتقة من الفعل العربي بشّر. إلا أن للمفهوم معنى خاصا عند القبائل المغربية في مرحلة ما قبل الاستعمار وخلال فترة الاستعمار. كانت مهمة البشار هي إخبار من سُرق له شيء بالمكان الذي يوجد فيه ذلك الشيء والعمل على استرجاعه له. وتسمى المهمة في حد ذاتها البشارة (أو تَبَشّارَتْ بالبربرية).

والبشارة ظاهرة عامة وجدت في جل القبائل المغربية والجزائرية لأنها ارتبطت بظاهرة السرقة وباللصوصية. ولا يمكن أن نفهم وظيفة البشّار إلا في إطار وجود تلك اللصوصية، بحيث كان لهذه الأخيرة طابعٌ منظم ومؤسسي يتجلى في كونها لازمت النظام القبلي والصراعات القبلية (هارت : 15.14).

يصف بيارني في بداية القرن طبيعة السرقة، وهي في الواقع لا تعني الاختلاس والسطو عن طريق الاحتيال، مصنفاً أنواعها في حوض سبو وورغة. ويميز السكان المحليون - حسبه - بين ثلاثة أنواع من السرقة :

- تلك التي تمارس عن طريق السلاح وهي الدرزة، (والدريز هو الصوت الذي يحدثه الحصان)، والضربة والحركة، وهذه الأنواع الثلاثة تكُونُ مباغتة في كثير من الحالات وتمارس فوق ظهر حصان، ويكون أصحابها مسلحين.

وتستهدف كل هذه الأنواع من السرقة السطو على المتاع كيفما كان نوعه، وخصوصا رؤوس الحيوانات، من الخيام داخل الدواوير أو من القوافل التجارية. ولا تمارس السرقة من طرف الفئات الاجتماعية المهمشة فحسب، بل كل الفئات تمارس اللصوصية. ولا ينظر إليها كممارسة منبوذة، وإنما هي دليل على الشجاعة وتكون بالنسبة للسارق مصدراً للاعتزاز. هناك أعراف لاسترداد الأشياء المسروقة دون اللجوء إلى عقاب المذنبين أو متابعتهم ؛ وفي غالب الأحيان لا يتم عقاب اللصوص. (بيارني : 135).

تعتبر سرقة الماشية أكثر شيوعا، فهي على حد تعبير ميشو بلير رياضة تهيِّئ أفراد القبيلة إلى الحرب. ولا يتردد أبناء الأعيان من ممارستها لاختبار شجاعتهم. (ميشو بلير: 45).

تتم السرقة في إطار جماعي. فالسارق الذي يسرق لحسابه الخاص وبمفرده هو ظاهرة نادرة حسب بيارني. غالبا ما يكون اللصوص جماعات، وكل جماعة يترأسها زعيم، يسمى "الكمان" ينسق فيما بينهم، يوزع الأدوار عليهم، ويتكلف بإخفاء الأشياء المسروقة في منزله. وللكمان سلطة في منطقته. كما أن له علاقة طيبة مع القبائل المجاورة. بحيث يهاب ويحترم من طرف الجميع. فهو إذن ذو وضع اجتماعي متميز، فهو ثري، أساس وأصل ثروته الاتجار في المسروقات، التي يبيعها بثمن رخيص. ويحكي موليراس، في كتابه *المغرب المجهول*، على لسان مخبره محمد بن الطيب استضافته من طرف كمان مرموق في ناحية فاس - تازا.

للكمان وضع مزدوج : فهو من جهة، العارف بأمور اللصوص، يتعامل معهم وينظمهم ويؤطرهم، ومن جهة أخرى يحمي البعض من هجمات اللصوص نظراً لكونه يملك تلك المعرفة. (بيارني : 139). كما أن له أيضا علاقة طيبة مع ممثلي المخزن، إذ يقدم لهم الهدايا في المناسبات التي تقتضي ذلك (بيارني : 136).

هناك نوع من التشابه بين الحملات اللصوصية والحركات الهجومية التي يشنها بعض الأعوان على القبائل. فغارات اللصوص هي عبارة عن حركات صغيرة تتضمن بين 20 و30 رجل مسلحين، يكون من بينهم 10 إلى 12 رجل يركبون الخيل ويوزعون الأدوار فيما بينهم لانجاز مهمتهم (بيارني : 140).

في بعض الحالات ليست السرقة هدفا لذاته وإنما تدخل في إطار الصراعات التي تحدث بين القبائل أو بين فرق القبائل أو بين الأفراد، بحيث يكون الدافع هنا هو نوع من الانتقام لرد الاعتبار. وهذا النوع من السرقة هو الذي يحدث عندما تغير قبيلة على أخرى أو عندما تغير الحركات المخزنية على بعض القبائل.

في كلتا الحالتين، أي في حالة اللصوصية المنظمة أو في حالة الحركات الهجومية يلعب البشار دورا في استرداد الأشياء المسلوبة. فالبشار هو الذي يقود الناس إلى الكمان لكي يسترجعوا متاعهم وذلك بشرائه منه من جديد.

غالبا ما يكون لكل قبيلة بشارها كما كان الأمر عند قبائل زمور، إذ يسمى عندهم بـ "أبشار نقبلت" أو "أسيد نقبلت" (أي ضوء القبيلة)، فهو الذي يتولى مهمة البحث عن المسروقات وإخبار أصحابها بذلك. ويتحدد ثمن البشارة بقيمة الشيء المسروق، وفي غالب الأحيان يكون محدداً ومعروفاً عندما يتعلق الأمر برؤوس الحيوان (مارسي : 295).

لقد تناول الفقيه المهدي الوزاني في *نوازله* مسألة الأجر الذي يتلقاه البشار مقابل البشارة، مستنداً إلى أقوال الفقهاء السابقين، بحيث أبرز تضارب آرائهم فيما يخص هذه المسألة، فمنهم من رأى بأن البشارة المتعارف عليها في العرف هي "من أكل أموال الناس بالباطل" ومنهم من رأى لزومها، غير أن السارق هو الملزم بأدائها (*النوازل*، 8 : 118).

هناك فرق بين البشار و"البياع" (من فعل باع). يمكن لأي شخص أن يصبح "بياعا" عند الضرورة، أما البشار فهو شخص معين يقوم بوظيفة البشارة وهي مهمة محددة. غالباً ما يخدم البياع مصالح السارق، فهو الذي يخبر الكمان بقيمة وأهمية ضيعة ما (عزيب) يوجد بها عدد كبير من رؤوس الماشية ليشن عليها اللصوص غارتهم، في حين أن البشار يخدم مصالح الشخص الذي سرق منه متاعه مقابل أجر معين يتم الاتفاق عليه (هارت : 15).

كما يقوم البشار بإخبار المخزن عندما تتعرض قبيلة ما أو الحركة المخزنية لهجمات اللصوص، إذ يخبر بمحل السرقة وبهوية مرتكبيها ؛ وعقب ذلك الإخبار يفرض المخزن غرامة (ذعيرة) على السارقين.

فللبشار علاقة طيبة مع المخزن ومع أعيان القبيلة، باعتبار أنه يقوم بمهمته تحت طلب المخزن أو ممثلي القبيلة في الجماعة.

فعندما يتعرض فرد مّا لسرقة، يقصد من له نفوذ في القبيلة حاملا له بعض الهدايا متوسلا إليه أن يساعده على إيجاد متاعه. يرسل صاحب النفوذ هذا في طلب البشّار وعندما يتم الاتفاق على ثمن البشارة، ينطلق البشار في البحث. وعندما يجد الشيء المسروق يباع في أحد الأسواق، فإما أن يخبر به صاحبه وإما أن يشتريه بثمن أقل من قيمته (ما يسمى بالمرفقة)، مع اقتطاع ثمن البشارة، ويأتي به لصاحبه، في غالب الأحيان لا يسترجع الفرد متاعه إلا بعد أداء ثلاثة أرباع ثمنه الحقيقي، تتوزع بين أجرة البشارة وثمن شرائه من جديد. (بيارني : 144) و(سالمون : 139).

ولقد طرأت تحولات على وظيفة البشار خلال المرحلة الاستعمارية. فحسب سالمون، لم تختف عادة البشارة عند القبائل الفحصية في الشمال خلال وجود المستعمر ولكنها تحولت شيئا ما، أصبح البشار ليس بالضرورة ذلك الوسيط بين من سُرق منه متاعه والسارق، وإنما هو الشخص الذي يخبئ الأشياء المسروقة، كما كان الكمان سابقا، إلى أن يظهر صاحبها فيؤدي عليها حق البشارة و يأخذها. كان في منطقة الفحص أربعة أو خمسة منهم يترددون على سوق طنجة. إلى جانب وظيفة البشارة أصبحوا يقومون بوظيفة الدلال لبيع الخيول. (سالمون : 201).

تعتبر البشارة آلية من الآليات المتعددة التي كان النظام القبلي ينتجها للمحافظة على توازنه. ففي غياب جهاز منظم للمراقبة ولإثبات الأمن، نجد عدداً من المؤسسات تقوم بتلك الوظائف. وإذا كانت اللصوصية مبدئيا هي الاعتداء على الآخرين ومناسبة لانفجار العنف المطلق، فإن هذا العنف لا يصل إلى حده الأقصى نظراً لوجود مؤسسات من بينها البشارة، تقلص دائماً من حدته وتعمل على حفظ التوازن وضمان أمن قد يكون مؤقتاً.


المهدي الوزاني، *النوازل الجديدة الكبرى*، الجزء الثامن.

A. Hanoteau, et Letourneux, *La Kabylie et les coutumes kabyles*, Paris, A. Challamel, 1893, t. 2 ; A. Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, Paris, A. Challamel, 1899, t. 2 ; G. Salmon, *Institution berbère et tribu Marocaine : La Fahçya, A. M.*, vol. I, 1904, p. 127, 149, 261 ; E. Michaux-Bellaire, *Le Gharb, A. M.*, vol, XX, 1913 ; Ben Daoud, *Notes sur le pays Zaian, A. B.*, vol, 2, fasc. 3, 1917, p. 276, 306 ; E. Biarnay, *Voleurs, receleurs et complices dans les vallées inférieures de Sebou et l'Ouargha, A. B.*, vol, 2, fasc. 2, Rabat, 1917, p. 135, 148 ; G. Marcy, *Le droit coutumier Zemmour*, Alger, Jules Carbonel, Paris, Larose, 1949 ; D. Hart, *Banditry in Islam : Case Studies from Morocco, Algeria, and Pakistan North west frontier*, Middle east and North african Studies, 1987.


رحمة بورقية

**البَشْنَة**، حبّ يتضمن عدداً كثيراً من أنواع فصيلة النجيليات، بالإضافة إلى كون هذا اللفظ يستعمل أيضا في بعض مناطق المغرب للبشنيخة التي تنتمي إلى فصيلة الخيميات.

إنه من الصعب سرد جميع الأنواع النباتية النجيلية التي يطلق عليها لفظ "بَشْنة"، وتعرف بمجموعة من الأسماء العلمية التي يقع فيها خلط بين أجناسها وأنواعها وضروبها، فهناك :

1 ـ البَشْنة أو أنيلي أو إلآنْ أو الانْجبَار (انظر إلآن) وهي الذرة الرقيقة: سُرْغُومْ حَلَبَانْسي Sorghum halepense.

2 ـ البَشْنة أو الذرة البيضاء أو تَافْسُوتْ أو اعْبَابُو بالأمازيغية، وهي أنواع وضروب أخرى من جنس سُرْغُومْ مثل سُرْغُومْ فُلْگَارِي Sorghum vulgare وسرغوم سرنيوم Sorghum cernuum أو الذرة أُمُّ شْرُورة التي تزرع بكثرة في مناطق الريف المغربي، وكلا النوعين يستعملان في تغذية الإنسان والدواجن.

وقد زرع النوعان منذ قديم الزمان في افريقيا وآسيا بعدما استأنسهما الإنسان، وانتشرت زراعتهما بعد ذلك في البلاد الحارة من المناطق المعتدلة والحارة. وذلك بالرغم من أن قيمتهما الغذائية تقل عن الذرة الهندية (الأمريكية الأصل) إلا أنهما تكوّنان غذاء أساسياً لبعض الشعوب في أفريقيا وآسيا.

والنوعان من السرغوم يشبهان الذرة الهندية في الصفات النباتية : نباتات طويلة الساق، حولية خشنة، ذات نورة سنبلية الشكل، غزيرة أو مفككة، وحَبّ أصغر.

إذا كان فصيل السرغوم (النبات الأخضر الطري) يحتوي على بعض المواد السامة بالنسبة للماشية فإنه يعتبر من أحسن الأعشاب العلفية بعد تجفيفه.

تستعمل البشنة أيضا في التطبيب التقليدي كسَوَاغ لعدد من الأدوية المبتلعة عن طريق الفم وفي بعض حالات أمراض المعدة.

3 - البَشْنَة أو الزّوان أو الدُّهْن أو الدُّخْن أسماء تطلق على بَانيكُوم مِلْيَاسيُوم Panicum miliaceum وسيطاريَا إطَاليكا Setaria italica وفَالاَريسْ أرُونْدناسيا Phalaris arundinacea وفَالاَريس تُوبيروزَا Phalaris tuberosa الخ... وكلها أنواع أصلية في المغرب، تعطي حبوباً دقيقة ذهبية اللون وتستعمل في أغلب الأحيان في تغذية الطيور الصغيرة المدجنة داخل الأقفاص.

كما تستعمل لتحسين المراعي الدائمة إذ أنها تعتبر من أحسن الأنواع الرعوية.

أ. هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. عبدالمجيد زاهر وآخرين ؛ *أبحاث شخصية*.

Mathon, *Phytogeographie appliquée : L'origine des plantes cultivées*, Masson 1981 ; Bellakhdar, *Medecine traditionnelle et toxicologie ouest sahariennes*, Rabat, 1978 ; Renaud et Colin, *Tuhfat Al Ahbab*, Paris, 1934.

عبدالمالك بنعبيد

**البشير**، أو "بشير الإسلام بخوارق الأعلام" اسم سفينة مقنبلة اقتناها المغرب سنة 1897 صنعت في أوراش ليفورنة بإيطاليا في إطار السياسة العسكرية التي نهجها المغرب في القرن التاسع عشر خصوصا بعد معركة إسلي، وكانت تهدف لتجديد القوات العسكرية سواء منها البرية أو البحرية.

وقد بدأت محاولة إحياء الأسطول البحري منذ عهد مولاي عبدالرحمان واستمرت إلى وفاة مولاي الحسن، حيث باءت كغيرها من المحاولات "الإصلاحية" الأخرى بالفشل.

فمولاي عبدالرحمان الذي كان في حاجة ماسة إلى مداخيل مالية غير الزكوات والأعشار والمكوس التي كانت مرهونة باستقرار الأحوال السياسية الداخلية المضطربة، حاول أن يفتح من جديد عهد المبادلات التجارية مع أوربا والولايات المتحدة، فكان لا بد من إعادة إحياء البحرية التي لم يبق لها أثر في أواخر عهد مولاي سليمان.

وتقهقر البحرية المغربية، يدخل في الإطار العام لتحول موازين القوى في البحر المتوسط، الذي كان من أهم مظاهره فقدان الأندلس والانكماش السياسي والجغرافي بالمغرب، وإن كانت البحرية قد استطاعت الصمود إلى أواخر القرن الثامن عشر.

فقد ظلت السفن المغربية تمارس "الجهاد البحري" في شكل القرصنة التي نشطت في عهد المورسكيين، ثم في عهد مولاي إسماعيل الذي احتكر البحرية، ولقيت طوال هذه المدة تشجيعاً من طرف الدولة التركية التي كانت تؤمل أن تصير القوة البحرية المغربية حاجزاً بين جزرها وبين البحرية الأوربية في بوغاز جبل طارق، خصوصا وأن كل جهودها الحربية كانت موجهة نحو الشرق في حروبها مع روسيا.

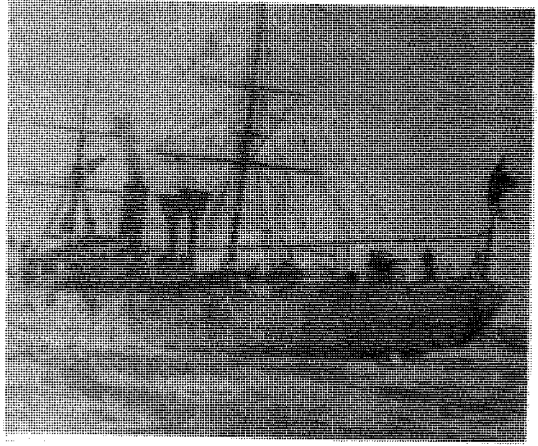

ورغم أن هذه البحرية أصبح لها دور تجاري محض على الخصوص في عهد سيدي محمد بن عبدالله، فقد بقي لها مفعول سياسي خارجي وداخلي، إذ أن مظهر القوة البحرية ساعده على التحكم - موقتا - في المبادلات التجارية في فترة تصاعدت فيها الأطماع الأوربية، واحتد تهافتها على المواد الأولية والأسواق لصناعتها الناشئة، كما أن مداخيل التجارة البحرية دعمت قوة المخزن وسلطته في الداخل على حساب القوة القبلية.

وبقي هذا التحكم إلى أوائل عهد مولاي سليمان الذي عقد عدة معاهدات تجارية مع أوربا في ظل البحرية الحربية، فعقد مع اسبانيا معاهدة مكناس سنة 1799/1213 ومع انجلترا معاهدة فاس 1801/1216 وجدد المعاهدة التجارية مع السويد والدانمارك تقريباً بنفس الشروط التي كانت في صالح المغرب، وكذلك مع الولايات المتحدة الأمريكية.

ولكن مظهر القوة البحرية بدأ يتضاءل، بسبب تدهور الأسطول البحري الذي أصابه الإهمال وتعذرت النفقة عليه من مدخول الموانئ بعد أن اضمحلت المبادلات التجارية البحرية من جراء الحروب الأوربية من جهة، ومن جراء الأزمة الاقتصادية والسياسية الداخلية في عهد مولاي سليمان، فخرجت التجارة البحرية عن نفوذ المخزن، وعادت القرصنة "الخاصة" مما عرّض السواحل والسفن المغربية لانتقامات أوربية، وعلى سبيل المثال فالمقنبلتان المغربيتان

زايدة والمربوحة، حُجزتا في ميناء مرسيليا سنة 1809 وبقيتا تحت الحجز مدة ثلاث سنوات.

وفي سنة 1817م قرر مولاي سليمان منع عمليات القرصنة والتجارة البحرية، وأرسل إلى الجزائر وتونس آخر السفن الحربية المغربية من بينها : "المنصورة" التي كانت تشتمل على 34 مدفعاً وحمولة 50 رجلا، وكذلك "الصويرة" وكانت تحتوي على 18 مدفعا وحمولة 30 رجلا، كما فرق محاربي البحرية على الجزائر وتونس وليبيا.

وهكذا كان على مولاي عبدالرحمن لإحياء التجارة البحرية أن يبتدئ بتأسيس أسطول بحري، فاشترى سفينة حربية من ستة مدافع من سردينيا، واهتم بأوراش صناعة السفن في الرباط وسلا، وخرجت أول السفن المغربية للتعرض للسفن الأوربية التي لم تكن لها معاهدات تجارية مع المغرب كنابولي Naples وروسيا، والنامسا، ومدن الهانسل، ولكن هذه المحاولة ووُجهت بعنف من طرف الدول الأوربية : فانجلترا أرسلت فرقة بحرية بقيادة دافيد هوب David Hope لمحاصرة طنجة سنة 1828، والنمسا قنبلت العرائش وأصيلا وتطوان سنة 1829، مما جعل المخزن يتخلى عن مشروع إحياء البحرية إلى عهد مولاي الحسن حيث بدأ من جديد الاهتمام بالأسطول البحري، في إطار سياسة "الإصلاحات" العسكرية التي كان من أهم مظاهرها اقتناء الأسلحة والتجهيزات وآلالات من البلدان الأوربية.

وفي هذا الإطار وقع اتفاق الدارالبيضاء سنة 1876 بين المخزن والوزير المفوض الإيطالي في طنجة شكوفسو Scovasso، على اشتراء سفينتين مقنبلتين من أوراش ليفورنة، وقد أدى المخزن مسبقاً ثمن المقنبلة "البشير" ومقداره 1.500.000 فرنك فرنسي لشركة الاخوان أورلاندو Les frères Orlando بليفورن، وكان مولاي الحسن ينوي استعمالها كباخرة تعليمية.

ولكن "البشير" لم تصل إلى المغرب إلا سنة 1897 بعد وفاة مولاي الحسن، وكانت السفينة من الطبقة الثالثة، وحمولتها 1.100 طن ومجهزة بأربعة مدافع حسب المصادر الفرنسية و12 مدفعاً حسب مصادر مغربية، ويعمل فوقها عدد من البحارين المغاربة من بينهم طلبة تعلموا في إيطاليا.

لم تستعمل البشير إلا نادراً، وبدأ التفكير في بيعها قبل البدء في استعمالها، إذ أصاب مشروع تكوين أسطول بحري مغربي ما أصاب الميادين الأخرى من تلاش وإهمال بسبب تدهور الحالة السياسية والاقتصادية العامة للبلاد، زيادة على التكاليف الباهظة لهذا الأسطول لتوقفه على فنيين ومدربين أجانب، بحيث كان كل عطب فني بسيط يصيب سفينة يتطلب إرسالها إلى قادس أو جبل طارق أو انجلترا للإصلاح. فجرت مفاوضات لبيعها لإسبانيا، ثم فنزويلا، وبيعت في الأخير للحكومة الكولمبية سنة 1900 م بـ 100.000 بسيطة.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف* ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث* ؛ ع. التازي، *الأسطول المغربي*، *البحث العلمي*، نونبر 1982 ؛ ث. برادة، *الجيش المغربي وتطوره في ق 19*، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط 1984.

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, t. II.

ثريا برادة

**البشير** (سيدي ــ)، رأس واقع بالجهة اليسرى من مصب وادي ملوية بأرض قبيلة كبدانة، ويعرف كذلك برأس كبدانة، وتوجد على بعد ميلين ونصف منه جزر كبدانة المحتلة من طرف الإسبان.

وهذا الرأس هو الذي أطلق عليه كل من استرابون Estrabon وبطوليمي Ptoléme اسم Promontorium Metagonium، وأما تسميته الحالية برأس الماء فلا أساس لها لأنها مجرد ترجمة عربية للاسم الذي أطلقه الإسبانيون عليه Cabo de Agua (رأس الماء) على إثر احتلالهم لجزر كبدانة سنة 1848/1264 وذلك لأنهم كانوا يجلبون منه الماء الشروب إلى الجزر المذكورة، وهذا ما جعل الحكومة الإسبانية تقوم باحتلال الرأس المذكور يوم 7 صفر 11/1326 مارس 1908 حيث أنزل به الكولونيل لاريا Larrea قواته

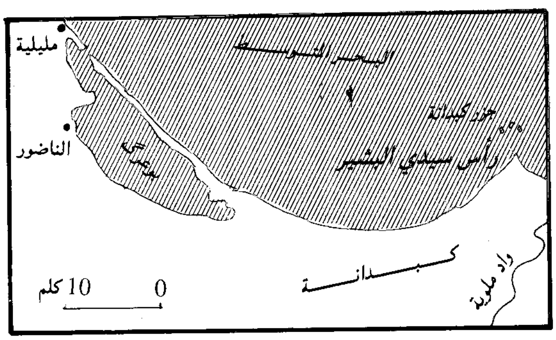


رأس سيدي البشير

بالرغم من الاحتجاجات الشديدة التي قدمتها الحكومة المغربية آنذاك، ولم تمر سوى أيام قلائل حتى انطلقت الجيوش الإسبانية من رأس سيدي البشير وانتشرت في أرض قبيلة كبدانة.

ع. بنعبدالله، *معلمة المدن والقبائل*، ص 173 و202.

Blazquez y Delgado, *Estudios geografico-historicos de Marruecos*, Madrid 1913 ; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, p. 47, 62 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*. p. 61, 185 ; C. Martinez Campos, *España belica : El siglo XX. Marruecos*. p. 23, 62, 98, 124.

محمد ابن عزوز حكيم

**البشير، أحمد** بن علي، من الأندلسين المستقرين بقصبة سلا. يرد اسمه محرفا في الوثائق الأوربية بشكل Baxer أو Bexer أو Bexel، وأول ذكر له كان في فبراير 1628 حيث وجه رسالة إلى هولندا، باسم سكان القصبة، بين فيها حسن استعدادهم للتعامل مع الهولنديين. واعتبر منذ ذلك التاريخ قائداً للقصبة خلفاً لمحمد بن عبدالقادر صيروف، إلى سنة 1630، فكان صيروف هو القائد، إلى 5 فبراير 1631 حيث عاد البشير إلى قيادتها. بعد هذا التاريخ

نجد اسم البشير في مراسلات مع هولندا وفرنسا وبريطانيا، تدور كلها حول مشاكل القرصنة وتحرير الأسرى. كما كان من الموقعين على اتفاقية الصلح بين فرنسا وسلا في 3 شتنبر 1630. حيث أمضاها من الجانب المغربي أحمد بن علي البشير وعبدالله بن علي القصري، "قائدا وحاكما قصبة ومدينة سلا (الرباط) والمدن التابعة لهما، باسم السلطان عبدالملك (...) وباسم سكان سلا وقصبتها. وبموافقة وعلم أهل الديوان" (*S. I.*, Fr, t. 3 : 292).

*S. I. H. M., Sèrie Saadienne, Angleterre*, t. III, *Pays-Bas*, t. IV, France, t. III.

**البشير** (القائد ـ)، بن الحسن الأصبويي أو الصبويي ينتمي لأسرة استوطنت رقعة ترابية ممتدة بواد نول في الجنوب الغربي للمغرب. كانت هذه الأسرة من جملة الأسر الدليمية التي استبدلت بالعيش في الصحراء الاستيطان في مجال جغرافي ممتد بمحاذاة الساحل الأطلنتي شمال مصب درعة. منذ القرن السادس عشر، فغدا هذا المجال الجغرافي يحمل اسم أصبويا وتحذف الهمزة أحياناً فيكتب صبويا.

كانت أسرة القائد البشير ذات وجاهة بهذه القبيلة، لا سيما على عهد السلطان الحسن الأول الذي أصدر ظهيراً يولي بموجبه الشيخ الحسن بن عليات الصبويي قائداً على قبيلته تزكية منه لرغبة أعيانها.

ورث القائد البشير منصب أبيه الحسن بن عليات عقب وفاته بموجب ظهير صادر عن أنفلوس الحاحي الذي كان خليفة للسلطان بسوس. شارك في حركة أحمد الهيبة بن ماء العينين منذ بداية تشكيلها بأسرير. وامتدت مدة حكمه من 1321 إلى 1333 هـ.

*ظهير تولية القائد الحسن بن عليات الصبويي* ؛ *رسالة موجهة من طرف القائد أحمد بن مبارك الزلطني إلى السلطان مولاي الحسن* بتاريخ 11 رجب 1303 هـ ؛ م. الاكراري، *روضة الأفنان*، ص. 73، ت. حمدي أنوش. د. د. ع. الرباط، رقم 120.

علي المحمدي

**البشير**، (ابن ـ) أسرة فاسية شريفة النسب، أصلها من بركان بالمغرب الشرقي، تنتسب إلى جدها الولي الصالح البشير دفين بركان الذي يتصل نسبه بعبد الله بن إدريس بن إدريس الأكبر (انظر الشجرة). وقد خرج من بركان في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) أولاده الثلاثة أحمد الكبير دفين فاس، وأحمد الصغير دفين الجزائر، ومحمد الصغير دفين طنجة، ثم انتقل ولدا هذا الأخير أحمد الكبير

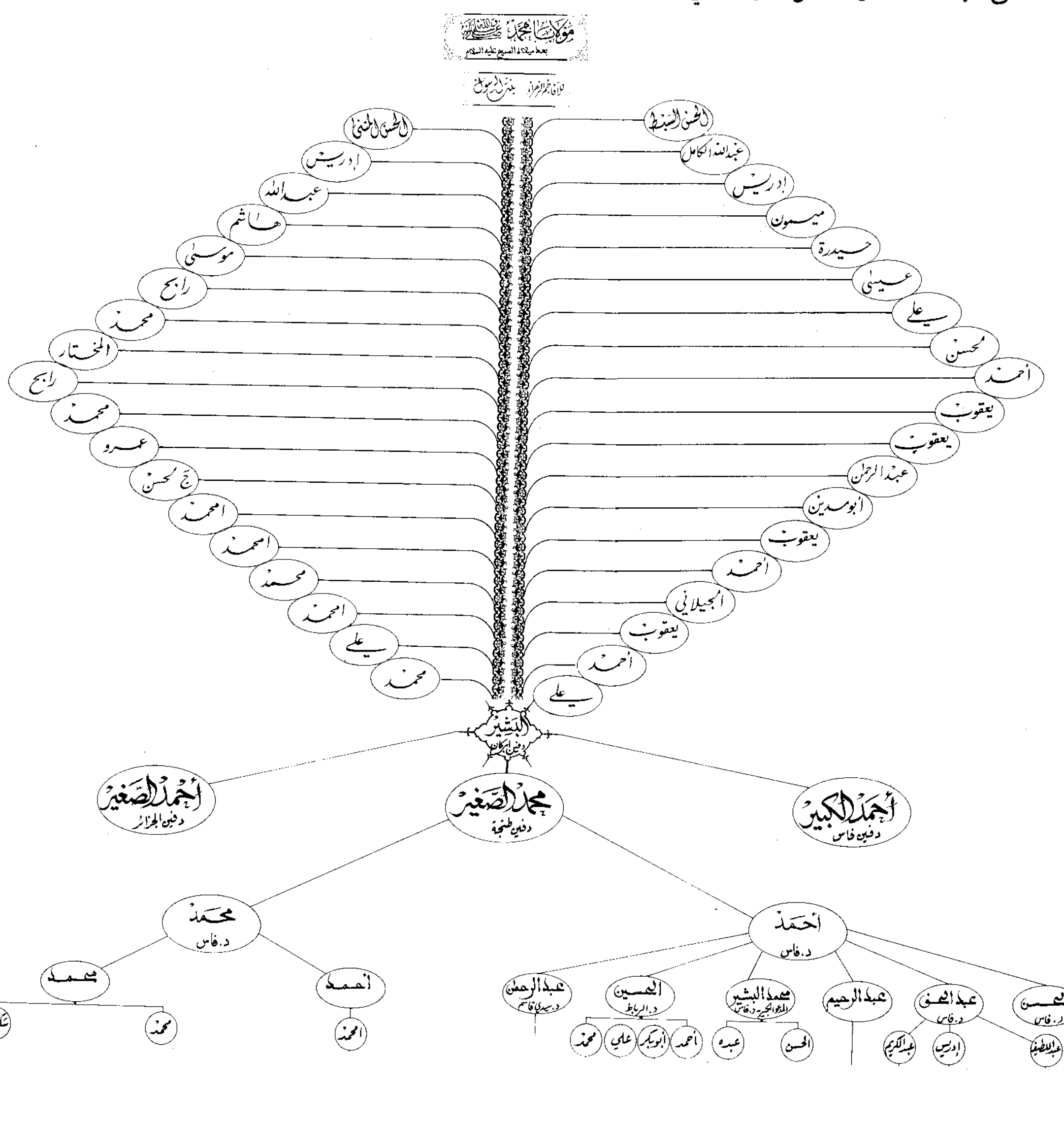

والأستاذ محمد آتي الترجمة إلى فاس واستقرا به، ومنهما تفرعت هذه الأسرة الفاسية. وهم على العموم أهل مروءة ونزاهة ونسك. منهم :

**البشير** (ابن ـ) **الحسين** بن أحمد الحسني. من العلماء المتخرجين من جامع القرويين. درّس به مدة قبل أن يلتحق بسلك القضاء محافظاً بمجلس الاستيناف الشرعي بالرباط، ثم رئيساً لمحكمة الاستيناف الشرعي بفاس. وبعد ذلك رجع إلى التدريس فالتحق بكلية الآداب بالرباط حيث كان يحاضر في قواعد اللغة العربية وآدبها بكتاب *المغني* لابن هشام، و*الكامل* للمبرد، و*الخصائص* لابن جني، وغيرها من أمهات المصادر.

توفي بنوبة قلبية بعد قريب من إلقاء أحد الدروس بالكلية صبيحة يوم الأحد سادس وعشري شوال عام 1384 / 28 فبراير 1965 وأقيم له حفل تأبين الأربعين ألقيت فيه كلمات وقصائد في رثائه، منها قصيدة للشاعر محمد بن العباس القباج مطلعها :

عصف الزمان بسيبويه زمانه ومضى إلى الديان قبل أوانه

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1384 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 295 . 297.

**البشر** (ابن ـ) **حَمُّ**، ويدعى كذلك محمد بن البشير. أحد قواد السلطان السعدي زيدان بن أحمد المنصور. بعثه سنة 1609 سفيراً إلى هولندا، فوصل إلى روتردام يوم 3 أكتوبر من السنة ليعرض عليها مشروع حلف بينها وبين المغرب، كما كان مكلفاً بالتفاوض معها في مسائل تهم التجارة.

وقد تم استقبال السفير من قبل المسؤولين الهولنديين يوم 5 أكتوبر، وقدم لهم هدية السلطان، وعرض المغرب عقد تحالف بين الطرفين ضد الإسبان، يقدم في إطاره السلطان المال وتقدم هولندا الجنود والسلاح. وأخذت هولندا مهلة للتفكير. وفي توديع السفارة سلم الهولنديين لابن البشير هدايا لسلطان المغرب. وعادت السفارة إلى المغرب في 26 مارس 1620.

*S.I.H.M., Série Saadienne, Pays - Bas*, T. I, II, III, V.

عبداللطيف الشاذلي

**البشير** (ابن ـ) **سلامة** بن حماد، مقاوم ولد سنة 1927 بطرفاية. ولما اندلعت انتفاضة جيش التحرير بالجنوب انخرط في صفوفه وناضل ضمن المقاطعة الثامنة بقيادة السيد الدويهي حسن، وشارك في عدة معارك منها معركة الدشيرة وتافودارت، ووادي الصفاء ومعركة الرغيوة التي استشهد فيها مع عدد من المجاهدين سنة 1957.

**البشير** (ابن ـ)، **سليم** بن عمر، مقاوم ولد سنة 1928 بالساقية الحمراء وكان من أوائل المنخرطين في جيش التحرير المغربي بالجنوب. عمل في المقاطعة التاسعة تحت مسؤولية صالح الجزائري. وشارك في معارك عدة ضد الجيش الاستعماري الإسباني إلى أن استشهد في معركة الدشيرة بتاريخ 13 يناير 1958.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج. 2.

عزالدين العلام

**البشير** (ابن ـ) **عبد الحق** بن أحمد الحسني. "المخلص الكبير، المدافع الخطير، بماله وسنانه، مع أخلاق سامية، وأحوال مرضية. دخل إلى السجن مراراً دفاعاً عن دينه وشعبه، مع نباهة ونزاهة".

توفي بالرباط ليلة الأبعاء تاسع جمادى الأولى عام 1379 / 10 نونبر 1959 ونقل إلى فاس ودفن بروضتهم داخل باب فتوح قبالة ضريح سيدي بوغالب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1379.

**البشير، عبدالله** بن محسن بن يكنيمان الونشريسي، المعروف في كتب التاريخ بالبشير وبأبي محمد الونشريسي. من المعلوم أن محمد ابن تومرت وهو عائد إلى المغرب الأقصى نزل من المركب بأفريقية، وفضل أن يعود عن طريق البر وأن يتوقف في جملة من المدن والقرى ليقوم بمهمة الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن جملة الأماكن التي توقف بها ونشريس، وهو جبل كبير في جنوبي غربي الجزائر العاصمة، به غابات كثيفة وتسكنه عدة قبائل من مكناسة وأوربة وكتامة ومطماطة وزواوة وغيرهم. وهنالك تعرف ابن تومرت على جملة من الرجال صاروا من أتباعه المخلصين فيما بعد. منهم فضلا عن البشير، عبدالمومن بن علي وعبدالواحد الشرقي. وتفسير ذلك أنه كان يفكر في إنجاز مشروعه السياسي الكبير على المدى البعيد. فكان يختار كل الرجال الذين يأنس منهم الذكاء والمقدرة. كما أنه كان يريد أن يعطي لدعوته كل ما يمكن من الصدى والانتشار، فكان لا بد من أن يدخل فيها رجالا بعيدين عن بلده سوس حتى لا تنحصر في حيز ضيق، بل تعم كل بلاد المغرب. ومن دون شك أنه استصحب معه أفراداً آخرين لم تذكر المصادر أسماءهم، ولكننا نلمس وجودهم من بعض الإشارات. وهناك سبب آخر لا يقل أهمية عما ذكر من الأسباب، وهو أن المهدي كان متخوفاً من الخلاف بين قومه المصامدة واستحالة اتفاقهم على تولية رجل منهم بعد مماته، فارتأى أن يقرب إليه أفراداً أغراباً عنهم حتى يستطيع أن يختار من بينهم الخليفة الذي يستطيع أن يقوم بينهم بدور الحكم دون أن يكون وراءه حزب ولا عصبية.

والظاهر أن البشير حظي بعطف وتقدير كبيرين من لدن المهدي حتى لتوحي بعض القرائن والروايات الواردة في المصادر أنه لربما كان هو الشخص المرشح لخلافة المهدي فنرى هذا الأخير يلحقه بقبيلته هرغة، مع أفراد "على سبيل المحبة والإكرام" كما يقول البيذق، لأنهم لا ينتمون إلى القبائل الست التي قامت عليها الدعوة الموحدية.

كما أنه حظي بثقة كبيرة من لدن المهدي الذي كلفه بمهام سرية خطيرة، بالنسبة للدعوة الموحدية ومصير المشروع بكامله. وكان من أول الذين بايعوا ابن تومرت عند تحليه بلقب المهدي. وجرى ذلك بتينمل تحت شجرة الخروب، كما يذكر البيذق الذي وضعه في المرتبة الرابعة من المبايعين الأولين. وذكره ابن القطان على رأس العشرة من أصحاب المهدي في الرواية الأولى، والثاني بعد عبد المومن في رواية ثانية. وكذلك ورد عند صاحب *القرطاس*.

ومن أهم الأدوار التي قام بها ما دعي في المصادر بالتمييز، وهو استعراض الناس وتمييز الصالحين منهم من غير الصالحين. وقد يكون مصير هؤلاء الأخيرين هو القتل. وهكذا خرج المهدي، يوما إلى الناس في سنة 519 هـ وقدم لهم البشير وذكر لهم أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولكنه صاحب كرامات. منها أن الله جعله مطلعاً على أسرار الناس، قادراً على التنبؤ بالمستقبل حافظاً للقرآن، عارفاً بركوب الخيل. ثم وضعه أمامهم بقصد الامتحان طوال أربعة أيام حتى يتحققوا مما ذكره لهم. وكان الامتحان مؤكداً لأقوال المهدي في شأن البشير.

وعند ذلك، التفت المهدي للحضور واستشهد بالآية : *"ليميز الله الخبيث من الطيب"* وأفهمهم أن من بين الناس الذين انضموا إلى دعوته منافقون ومخادعون، وأن البشير بما وهبه الله من قدرة على معرفة دخائل النفوس، يستطيع الكشف عنهم وفضحهم. "ولابد من النظر في أمورهم حتي يتم المراد من العدل في أحكام هذه البلاد".

ووافقه الحاضرون على فكرته، فأمر بالنداء على الناس في جبل المصامدة "من كان مطيعا لله تعالى ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - وللإمام المهدي رضي الله عنه، فليقبل !".

وتوالت القبائل ملبية للنداء فيعرضون على البشير فيُخرج قوما عن يمينه وآخرين عن يساره. فيقول عن الأولين إنهم من أهل الجنة، وعن الآخيرين بأنهم شاكون في الدعوة وفي المهدي. وعند ذلك يَجري الانتقام من هؤلاء عن طريق التصفية الجسدية. وربما تصدى إلى ذلك أقرباؤهم لشدة إيمانهم بالمهدي وولائهم له.

وهو الذي اختارته قبيلة هنتاتة ليسير على رأسهم، وكانوا ثلاثة آلاف راجل وثلاثمائة فارس يتزعمهم إسحاق بن عمر الهنتاتي، لزيارة المهدي والتعرف على دعوته والتحقق من أمره وذلك في سنة 518. فعاد إليهم إسحاق مؤمناً بدعوة المهدي، وقال لهم :"النور، النور في بلاد هرغة، وأنتم في الظلمة يا هنتة" (ابن القطان، 88).

كان الكل مقتنعا بكفاءة البشير وامتيازه من المهدي إلى أصحابه وأتباعه. ولذلك، فإن المهدي أسند إليه قيادة أول جيش للموحدين سنة 520، وذلك حينما جمع قبائل المصامدة وخطب فيهم ليدعوهم إلى جهاد المرابطين. وانتخب منهم عشرة آلاف من الرجال وقدمه عليهم، فأغار البشير بجيشه على كيك، ووصل إلى أغمات وحوز مراكش ثم عاد إلى الجبل.

وذكرت له تحركات عسكرية أخرى تجاه تغزوت وحصن تفركگونت حيث رجع هو وأصحابه بغنائم.

وفي سنة 523، قام بتمييز آخر بقصد الخروج إلى معركة البحيرة، مما يدل على أن عمليات التمييز كان الهدف منها هو تنحية المترددين والمتشككين وإيجاد جيش منتخب من عناصر تتميز بإخلاصها للمهدي وإيمانها بدعوته وامتثالها لأوامره وانضباطها في نظامه.

وهو الذي أمّره المهدي على الجيش الذي ذهب لمعركة البحيرة سنة 524، وهي أكبر معركة جرت بين المرابطين والموحدين في حياة المهدي وانتهت بهزيمة الموحدين. وفي هاته الواقعة فُقد البشير، ولم يعثر له على أثر لا حيا ولا ميتا، وأشاع الغلاة في شأنه أسطورة بأنه رفع. ونسب إليه لبيذق أنه تنبأ بموته أمام أصحابه أثناء المعركة وهو يعظهم يحذرهم، ونسب إليه ابن القطان تنبؤات عن انتصار لوحدين في إحدى المعارك. وهذا الجانب الأسطوري قدم نه ابن الأثير تفاصيل كثيرة في *تاريخه* وكذلك النويري ي *نهاية الأرب*.

هكذا يتضح من أخبار أبي محمد البشير أنه قام بأدوار نطيرة في المراحل الأولى من الدعوة الموحدية وساهم ساهمة فعالة في النشاط السياسي والعسكري الذي اشرته الجماعة الأولى من الموحدين.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ *الأنساب* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابن الأثير، *الكامل* ؛ ابن خلكان، *وفيات* ؛ النويري، *نهاية الأرب* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*.

محمد زنيبر

**البشير** (ابن -) **محمد البشير** المدعو **الكبير** بن أحمد الحسني. ولد بفاس عام 1325 / 1907، ودرس بمسقط رأسه في القرويين وغيرها وجلى في علم سر الحرف واستكشاف المستقبل. اشتغل بالتجارة مع والده، وكان متشبعاً بروح الوطنية شجاعاً مقداماً. خدم قضية بلاده بشخصه وماله وفكره، فسجن وعذب مراراً حتى خارت قواه الجسدية وتغيرت سحنته لكن لم تلن قناته أو ينكص على عقبه. وعاش بعد الاستقلال في عَفاف وكفاف مترفعاً عن المغانم والمناصب التي تهافت عليها من لم يسهموا في مقاومة الاستعمار بل حتى الذين تعاونوا معه وخدموه.

توفي بسيدي قاسم عام 1389 / 1969، ونقل إلى فاس حيث دفن بروضتهم داخل باب الفتوح.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1389 ؛ *معلومات شفوية* من ابن أخيه الأستاذ عبد اللطيف بن البشير.

**البشير** (ابن ــ) **محمد** بن **محمد** الحسني، "الفقيه العلامة الأستاذ المجود المقرئ". كان يحفظ *القرآن* الكريم بالروايات المختلفة، ويضبط قواعد التجويد ويطبقها في التلاوة بإتقان تام، بالإضافة إلى اشتغاله بالتجارة. وقد بنى كتاباً قرآنياً بحي مصمودة بفاس أسند التعليم للأستاذ ابن عطية، ونسخ بيده مصحفاً سلمه لهذا الأستاذ. وتولى الأمانة بمرسى الصويرة مدة طويلة في أوائل عهد الحماية.

توفي بفاس يوم الثلاثاء مهل صفر عام 1353 / 15 ماي 1935. ودفن بروضتهم داخل باب الفتوح أمام ضريح سيدي بوغالب من حومة الصريوة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1353.

محمد حجي

**البشير** بن **محمد**، مقاوم ولد سنة 1918 بأيت النص أيت باعمران من عائلة متواضعة، والتحق بصفوف جيش لتحرير في أوائل سنة 1957 وناضل تحت مسؤولية القائد كريم محمد بن عبدالله بالمقاطعة 13، وظل يجاهد إلى أن استشهد في معركة تيلكوكت أواخر سنة 1957.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 1.

عزالدين العلام

**البصّارة**، اسم قبيلة تسكن سهلا شبه منغلق، يوجد في المغرب الشمالي الشرقي، بين سلسلة بني إزناسن ومجموعة خطية من التلال والمرتفعات متواصلة بين مدينتي العيون ووجدة. ويطلق هذا الاسم بالتالي على السهل نفسه،رغم أن مجموعات قبلية أخرى غير البصارة، تسكنه، وخاصة عند الحواشي الشمالية الجبلية، كمثل مجموعة بني موسي حول مركز سيدي بوهورية.

مساحة سهل البصارة 300 كلم$^2$، تحيط به المرتفعات من كل الجهات، عدا في الزاوية الجنوبية الغربية، حيث يخرج مجرى صغير، هو واد ملغلاز من المنخفض، متعمقا في تلال شبكة المحارات، ليصب في مياه بورديم في سهل لعيون. والمرتفعات المشرفة على الحوض هي : شمالا سلسلتا بني بومحيو وبني إزناسن، شرقا مرتفعا مگراز ومغيريس، جنوبا تلال نعيمة، وغربا تلال شبكة المحارات.

وهو حوض تهدلي منذ النيوجين، أي منذ تكوين التضاريس الأساسية للمجال الأطلسي الذي يكون المغرب الشرقي أحد أجزائه. فالتواء جبال بني إزناسن، وارتفاع كتل بني محيو أو مگرز كان الاشارة لانطلاق تهدل أصاب مجال أوسط، أصبح يتلقى فتاتات تهديم هذه المرتفعات.

المرتفعات المشرفة مكونة من قاعدة أولية شستية، تظهر شمال البصارة عند سافلة جبل تانزرت، ويُغلفها غطاء رسوبي ينتمي للترياس والجورسي. الترياس عبارة عن طبقة سميكة أهم مكوناتها طفوح بزلتية متفسخة ترافقها مواد طينية، بينما الجورسي عبارة عن توالي طبقات من الكلس والدولومي من جهة، والصلصال أو الحث من جهة أخرى. بعض الطبقات، بفعل صلابتها وسمكها تمثل أجرافا ضخمة وتغطي سفوحا طويلة تشرف على المنخفض السهلي.

المنخفض، جزء من مجموعة السهول التي تمثل الممر الواسع الفاصل بين بني إزناسن وجبال وجدة، والذي يمتد من گرسيف غرباً إلى تلمسان وسيدي بلعباس في الجزائر. رغم ذلك، لم يعرف سهل البصارة نفس التطور الجيولوجي الذي عرفته المنخفضات الأخرى المجاورة.

ذلك أن وضعه كمنخفض شبه مغلق، منع دخول البحر الميوسيني اللاحق لمرحلة البنائية المسؤولة عن تشكيل المرتفعات الجبلية. ذلك البحر الذي مثل حلقة وصل بين مختلف المجالات المتهدلة جنوب السلسلة الريفية ـ التلية، مكن من ترسيب مواد متشابهة في السحنة من سهل الغرب غربا، حتى سهل تلمسان شرقا. بينما ينفرد حوض البصارة بعدم دخول هذا البحر إليه. فهو بالتالي منخفض في موقع جنوب ريفي، لكنه تلقى رواسب قارية خاصة.

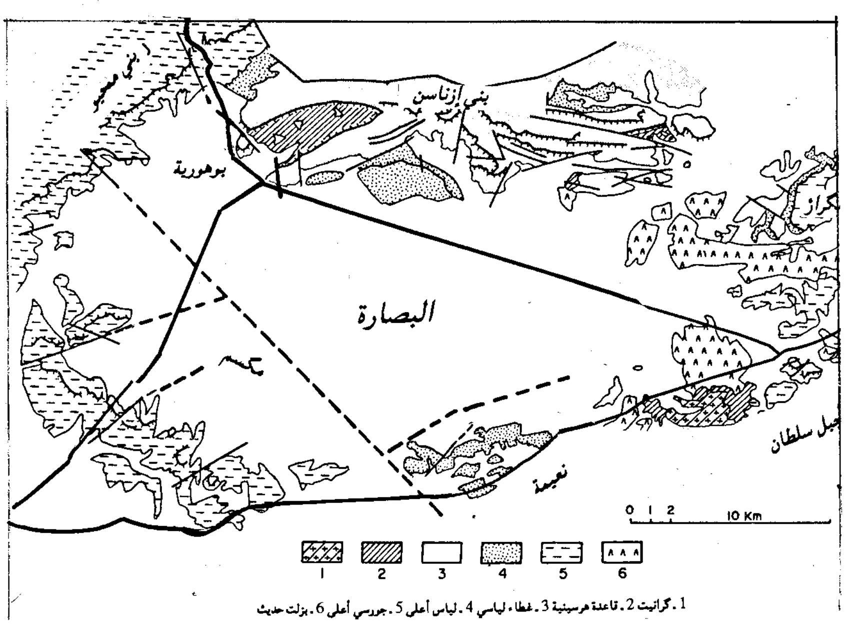


1. كرانيت 2. قاعدة هرسينية 3. غطاء لياسي 4. لياس أعلى 5. جورسي أعلى 6. بزلت حديث

هذه الرواسب عبارة عن مواد تحطيم السلاسل والمرتفعات المشرفة، يتم توضعها مفروزة ارتباطا بحركية السيل أساساً ومياه الفرشة المائية ثانيا، والموارد الشمالية هي الغالبة بسبب ارتفاع سلسلة بني إزناسن - بني بومحيو، تبدأ عند قدم الجبل بفتاتات خشنة هي عبارة عن حصى ثم رمال، عندما يتضاءل الانحدار تتموضع المواد الطينية التي تزيد دقة بعد ذلك. وتصل المياه السائلة إلى ضايات أو مستنعقات حيث تتركز المحلولات معطية طبقات من الكلس المنقعي. كما أن عمليات التصخر الناتجة عن حركة بطيئة للفرشة المائية تؤدي إلى تركز بعض الأملاح في المستويات المعرضة للتبخر، الكلس أولا على شكل قشرات، والجبس ثانيا في مناطق الانحباس الكلي.

وهكذا نجد الرواسب القاعدية، الموافقة تاريخيا للميوسين البحري خارج البصارة، تتكون أساساً من صلصال مبرقع (أحمر وأخضر) تحت تأثير الميهة التي أصابت مواداً أصلياً حمراء، وجبسا. وهذه الرواسب تصل إلى 100.80 م سمكا. والتراكم الرباعي اللاحق أكثر تنوعا، به دقة، ورصيص وكلس بحيري، كما تصله مقذوفات وطفوح بركانية قادمة من الهامش الشرقي للسهل. وتتضح التغايرات الجانبية للتوضعات من فحص الاستبارات التي قامت بها شركة الإسمنت للمغرب الشرقي، قبل فتحها لمقلع ضخم قصد تزويد معمل الإسمنت بمواد طينية. يتضح أن الرباعي امتاز باستمرار الخشونة عند قدم الجبل وكذلك على طول واد ملغلاز، المحور الجرياني الوحيد الذي يصرف المنخفض. وسط السهل، وتحت 5 م من القشرة الكلسية، يصبح الإرساب متجانساً مكوناً أساساً من مواد طينية (60 م) تتحول نحو الأعماق إلى صلصال أبيض (30 م) ثم إلى طين جبسي وأخيراً طين أخضر. أما عندما نتجه للجهة الجنوبية من الحوض، مباشرة شمال مرتفعات نعيمة فإننا نلاقي وسط الطين طبقات متعددة من الكلس تدل على غلبة الإرساب الكيماوي في الجهات الأبعد من الموارد الفتاتية القادمة من بني إزناسن.

وهكذا يصل السمك العام للرواسب التي تغلف القاعدة الجوراسية للحوض إلى حوالي 250 م في وسط السهل، مع تضاؤل نحو الجوانب، الشيء الذي يدل على النزعة التهدلية، منذ الميوسين الأعلى. لكن طبغرافية القاعدة الصخرية السابقة للإرساب تمتاز بالتعقد الكبير، دلالة على بنائية متغايرة تبعاً لمواقع مختلفة داخل المنخفض. وهكذا أظهرت الدراسة الجيوفزيائية والاستبارات المتعددة وجود عدة انكسارات لها اتجاه عام شرق - غرب، وتجاعيد تتوسط السهل ويقل فيها سمك الرواسب النيوجينية والرباعية.

داخل هذه التكونات تسري فرشة مائية، قاعدتها الطين الميوسيني غير المنفذ. وهي فرشة اتساعها اتساع السهل، انحناؤها بطيء يقدر بمعدل 1 للألف. وعمقها بين 14 و42 م، مع تغاير واضح حسب فترات الاختزان والشح، وسمكها بين 10 و15 م. وهكذا يقدر حجمها العام بما يساوي 150 إلى 225 مليار من الامتار المكعبة (مساحة 300 كلم$^2$ - سمك 10 إلى 15 م - نسبة التخزين حوالي 5٪).

تتسم ميزانية الفرشة بنوع من الاستقرار بسبب ضعف نسبة المياه التي تسيل خارج المنخفض والتي لا تتعدى نصف الكمية الإجمالية. فهي إذن فرشة محجوزة نسبياً، نصف مخزونها يضخ باستعمال آليات ضخ عصرية، تضاعفت أعدادها منذ سنة 1950. إلا أن تكاثر الآبار، والطاقة المفرطة للمحركات التي تجهز هذه الآبار، أدت إلى اقتلاع كميات مائية صارت تفوق إمكانيات تجدد المخزون المائي.

A. Laouina, *Le Maroc nord-oriental*, Publ. Rectorat Univ. d'Oujda, N° 1, 1990 ; *Approche du phénomène de l'encroutement calcaire (Cimenterie de l'Oriental) R. G. M.*, N° 7, 1938 ; M. Simonot et Q. T. Nguym, *Le couloir de Taourirt Oujda*, in *Ressources en eau du Maroc*, t. 1, Notes et Mém. Serv. Géol. N° 231.

عبدالله العوينة

**البصرة**، - أثر- هي إحدى المدن الإدريسية، الواقعة بين فاس وطنجة، وما زالت آثارها ماثلة للعيان على جانبي الطريق الرئيسية المؤدية إلى مدينة وزان، على بعد حوالي 22 كلم من مدينة سوق أربعاء الغرب، و40 كلم من شاطئ المحيط الأطلنتي.

كانت رقعة البصرة تمتد على مساحة 30 هكتارا، يحيط بها سور سميك يمتد على 2.5 كلم، ويشكل شبه مستطيل ضلعه الأول 625 متر والثاني 500 متر تقريبا (انظر التصميم العام). واليوم يحتل مدشر كبير تسكنه عائلات من المزارعين القسم الشمالي الأوسط من الموقع القديم، كما تشقه الطريق المعبدة الرئيسية الواصلة ما بين سوق الأربعاء ووزان.

ونظراً لما كان لهذه المدينة، من أهمية فإن ذكرها يوجد في أمهات المصادر التاريخية، لم يُغفلها أي منها، وصفاً وتحديدا. ولعل أهم هذه الأوصاف تلك التي نجدها عند كل من ابن حوقل والبكري، وخلاصتها أنها كانت "مدينة متوسطة، تقع في منتصف الطريق بين طنجة وفاس، تحيط بها أسوار مبنية من أحجار وآجر، تفتحها عشرة أبواب، وبداخلها مسجد جامع له سبعة بلاطات، وحمامان ومقبرتان توجد كبراهما بشرق المدينة والثانية بغربها" (*Corpus*, p. 119).

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أمثال تيسو Tissot (*Hist.* I : 61) وطيراس (*Recherches*, p. 160) أن البصرة أخذت مكان مدينة تريمولاي Trimulae الرومانية التي نجد ذكرها في رحلة أنطونان *Itinéraire d'Antonin*. وفي غياب أية حجة مادية وأثرية تؤكد هذا الزعم، فإن ما هو مؤكد أن تجمعا سكانيا كان موجودا قبل الفترة الإدريسية بنفس الموقع، ثم اختار الأدارسة تطويره وحمله إلى مرتبة مدينة. لكن حتى في هذه الحالة فإننا نفتقر للمعطيات التي تحدد بما يجب من الدقة الفترات الأولى للحاضرة الادريسية، ذلك أن ما توحي به المصادر هو أن الواقف على جعل البصرة

مدينة كان هو إدريس الثاني وأن بعض الباحثين يرى أن التأسيس قد يكون تم في 833/218 (*وصف افريقيا*، ص 310، هامش 102). فقد كانت البصرة في تعداد المدن التي ضربت بها النقود باسم المولى إدريس الثاني في فترة كفالة مولاه راشد وفي فترة ملكه بعد رشده. وبعد وفاة هذا الامام سنة 828/213 آلت البصرة إلى ابنه القاسم، قبل أن تنزع منه سنة 216 هـ لتقع تحت حكم أخيه عمر، ثم تعود إليه في عهد ابن أخيه يحيى بن محمد إلى أن توفي سنة 254 هـ. ما بين هذا التاريخ و347 هـ، تاريخ دخول جوهر الصقلي واستيلائه على المدينة. كانت هذه الأخيرة محط نزاع بين الأسر الإدريسية المتعاقبة على حكم الشمال الغربي. ثم في سنة 362 هـ دخلت البصرة تحت حكم أمويي الأندلس لما دخلها قائدهم الغالب. وفي سنة 368 هـ عاد إليها الحكم الفاطمي بقيادة أبي الفتوح يوسف ابن زيري المكنى بِبُولُكّين الذي هدم جانبا من أسوارالبصرة وأزال عنها بصفة نهائية دور العاصمة الإقليمية الذي كان لها فيما قبل، لتستمر كمدينة تجارية نشيطة إلى نهاية القرن الخامس الهجري (11 م) حيث يؤكد المقدسي بعد ذلك خرابها (*أحسن التقاسيم*، ص 26).

هامشية، قامت بها بعثة أمريكية في بداية الثمانينات، تلتها أخرى قامت بها بعثة مغربية - أمريكية في السنة الماضية 1990 استهدفت بالخصوص معاودة التحري ومتابعة ما قامت به الأولى. وقبل تقديم نتائج هذه التحريات، فهذا وصفٌ بما يزال من آثار هذه الحاضرة.

لم يبق واقفا من السور الخارجي الذي كان يمتد كما سبق الذكر على طول 2.5 كلم سوى قسمه الشمالي - الغربي، وهو بناء سميك من أحجار متوسطة الحجم، يشتمل على برج نصف دائري مهدم، هو واحد من مجموع ثمانية أبراج كانت ملصقة به (قطر كل برج 4 أمتار) وبجوار السور، توجد بقايا خزان ماء مدفون، ما زالت بجدرانه آثار الأقواس التي كانت تحمل السقف. هذا وتنتشر بقايا بنايات مختلفة الأحجام والمساحات على مسافة كبيرة تغطي معظمها النباتات البرية والمحروثة. وفي أيام الصيف، بعد الحصاد، تظهرمساحات هامة تكسوها قطع صغيرة من الفخار ومواد البناء كالآجر والجير وغيرهما.

أما الحفريات الأثرية السالفة الذكر فهمت أماكن متفرقة من الموقع مع تركيز على الجهة الغربية الوسطى (انظر التصميم العام). ومن أهم ما كشفت عنه مجموعة

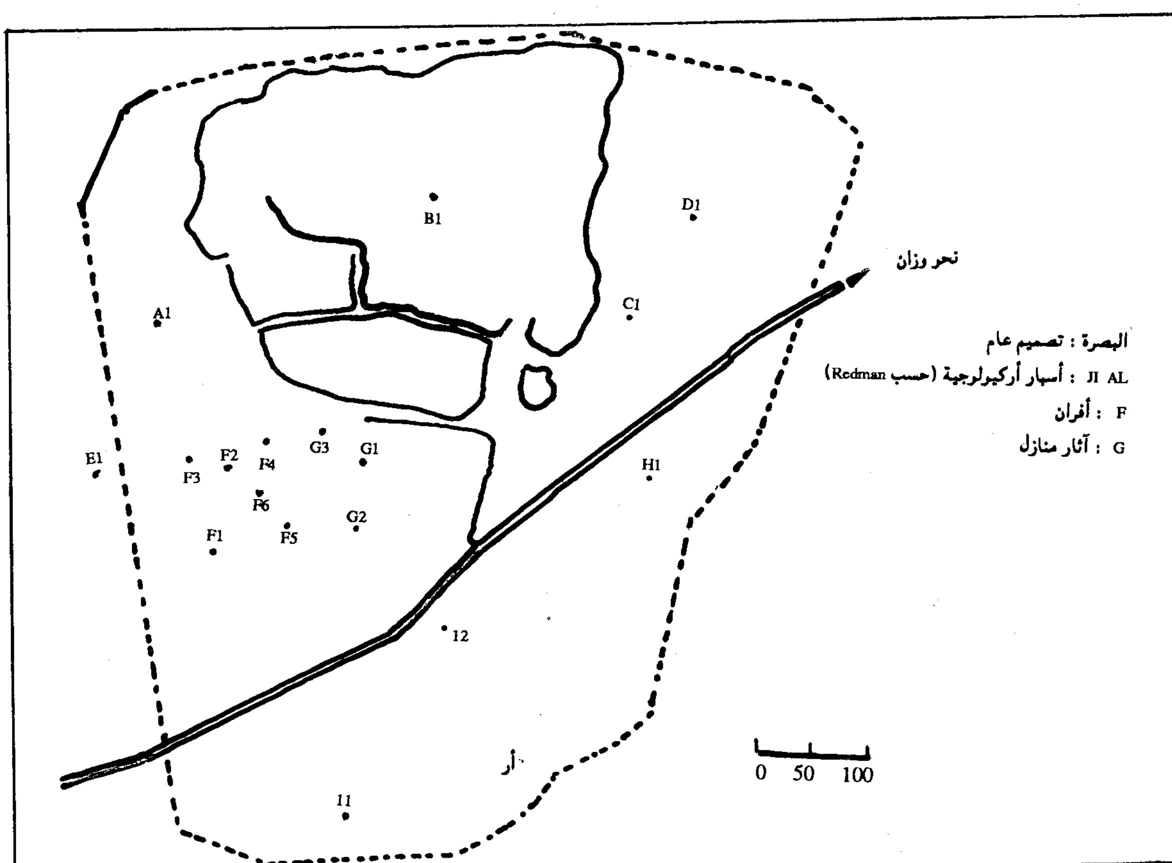


وعلى الرغم من أهمية البصرة بالنسبة لفترة هامة من تاريخ المغرب، وخاصة منه ما يعود لتاريخ التمدن وتاريخ الفنون، فإنها لم تنل بعد ما تستحقه من اهتمام وفضول علماء الآثار. فأهم ما أقيم بموقعها أسبار محدودة وتحريات

من بقايا منازل (G3, G2, G1) هي عبارة عن جدران متراكبة (G2, G1) وأرضية لغرفتين (G3). ووضوح التراكب في الموقعين الأولين مكّن من تمييز ثلاث مستويات ستراتيغرافية يمثل كل منها مرحلة خاصة، وهو ما يتفق

والتاريخ العام للموقع : مرحلة التشييد الأولى (القرن الثالث (9 م) ) ، ثم مرحلة "الاحتلال" الخارجي (القرن الرابع ( 10 م) ) ، فمرحلة إعادة التعمير الذي يرجح أن يكون قد امتد إلى ما بعد القرن السادس (12 م) كما تبين ذلك بعض نماذج القطع الخزفية. هذه الملاحظة تناقض طبعا ما نجده عند المقدسي، وهي في نفس الوقت دعوة لتكثيف البحث وتوسيع رقعة التحري بغية الكشف عن خبايا الموقع والتأكد من المعطيات. هذا ومما يميز الفترة الثانية آثار حرائق تبين عنف الاحتلال الفاطمي وعنف الرد الأموي ـ الأندلسي.

كذلك أبانت الحفريات عن مجموعة من الأفرن (F1 إلى F6) كانت تستعمل في غالبيتها لصنع الأواني الفخارية أو لإنتاج مادة الجير والجبس. وكثافة هذه الأفرن توضع أهمية النشاط الصناعي (المتمثل هنا بالفخار خصوصا) الذي كان لمدينة البصرة، والذي لا يفسر إلا بحركة تصدير هامة في اتجاه مناطق أخرى من البلاد. على أن حصيلة هذه الأسبار الأركيولوجية لا تمكّن في مستواها الحالي من تمييز نوع خاص من الخزف يمكن إلصاقه بهذا الموقع، لكون أغلب اللقى هي قطع فخار يدوي الصنع وغير مطلي (1٪ فقط هي نسبة القطع المطلية) ، لا يختلف كثيراً عما نعرفه في غير البصرة من مواقع.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ* ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*.

*E.I*, Nlle, Ed. p. 1220 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, I : 61, 122, 160, 187 ; *L'Art Hispano-Mauresque*, p. 214 et p. 1. XLI; *Guide Bleu*, 1954, p. 278 ; D. Eustache *El - Basra : Capitale Idrisside et son port, Hesp.*, 1955 ; *Corpus des dirhams idrissites et contemporains*, Rabat, 1971, p. 20, n° 67, p. 28 et 118, 123 ; L. Ch. Redman, *Survey and test excavation of six medieval islamic sites on northen Morocco, B.A.M.*, 15, 1984, p. 311, 349.

عبدالعزيز توري

**البصرة ـ** تاريخ ـ مدينة مغربية أثرية، أسسها المولى إدريس الثاني، أو ابنه محمد ثالث الملوك الأدارسة، ويرجّح نسبتها لإدريس الثاني أن محمداً ابنه لما ولي أمر المغرب وزع ـ بإثر ذلك، و بإشارة من جدته السيدة كنزة ـ أقاليم المملكة بين إخوته، فجاءت البصرة في حظ أخيه يحيى ومعها أصيلا والعرائش... وهي ما كانت لتكون في القمة إلا لأنها كانت يومئذ قائمة الذات.

والبصرة سميت كذلك تذكيرا ببصرة العراق، وهي تنعت بالحمراء من كونها على تربة تضرب إلى الاحمرار، وتعرف أيضا، بمدينة الكتان، لأن أهلها كانوا يقايضون به في أكثر أعمالهم التجارية، وتُنْبَزُ بمدينة الذبان، لأنه كان يتكاثر بها من كثرة ما يوجد بها من الألبان.

والبصرة كانت مدينة رافهة لأنها وجدت بأرض كثيرة الريع والخصوبة، وكان حواليها العديد من الحدائق والمزارع، ووراء ذلك المراعي التي كان أهلها يُسيمُون فيها المروج، كما كانت أرجاؤها مُسْتراداً للقنص والاصطياد لوفرة ما هنالك من الحيوان الدّابِّ والطائر.

وقد نوه غير واحد من المؤرخين والجغرافيين والرحالة بما كان عليه أهلها من بَسْطَة خَلْقٍ وكرم شمائل، كما ذكروا عن نسائها أنهن كن على غاية من اللطف والرقة والجمال.

كانت البصرة مُصطَافاً طيبا للأولين من ملوك الأدارسة، ثم اتخذها الآخرون منهم قاعدة لهم، وظلوا يكابدون قوتين كبيرتين هما دولة العبيديين بإفريقيا ودولة الأمويين بالأندلس إلى أن كانت نهايتهم بموت الحسن بن گنون مقتولا سنة 375 هـ وبعدها تراجعت حال البصرة عما كانت عليه من عمارة ويسار لما كان ينتابها من الغزو والنهب حالا على حال، وهي لم تصابر الزمن إلا قليلا قبل أن تصبح أطلالا ما تزال بقايا منها قائمة إلى اليوم.

ي. الحموي، *معجم البلدان*، 2 : 208.207 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، 1 : 215 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 311.310 ؛ك. مارمول، *إفريقيا*، 2 : 197.196 ؛ *دائرة المعارف الإسلامية*، المجلد 3، ص 668.667 ؛ ش. أرسلان، *الحلل السندسية*، 1 : 67.66 ؛ أحمد المكناسي، *خريطة المغرب الأركيولوجية*، ص 11 ؛ ص. بن العربي، *كتاب المغرب*، ص 86 ؛ ع. بن عبدالله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، 4 : 243.241.

D. Eustache, *El Basra Capitale Idrissite et son port, Hesp.*, 1955, p. 217 - 238.

أحمد الشرقاوي إقبال

**بصري،** أسرة مكناسية علمية نابهة. تنتسب إلى الجد ولي الله أبي موسى عمران البصري ـ بالتعريف ـ من بصرة المغرب، وهو أول من انتقل منهم إلى مكناس في تاريخ غير محدد، غير أن حفيده محمد بصري صاحب *الفهرس* يرفع نسبه إلى عمران في عمود يشتمل على ستة جدود. وعلى القاعدة الخلدونية يمكن أن يقدّر تاريخ استقرار عمران البصري بمكناس بالقرن العاشر (16 م) وتذكر المصادر عدداً غير قليل من العلماء والأساتذة والصالحين من آل بصري المكناسيين، أمثال :

**بصري، الطيب** بن محمد من أفراد أسرة بصري المكناسية، وباسم الطيب ذُكر عدد من أفراد هذه الأسرة، والمقصود هنا قاضي مكناس وإمام مسجدها الأعظم في حدود عام 1786/1201.

**بصري، العربي** بن الطاهر المكناسي المدعو قطيطة. علامة مشارك قضى حياته في التدريس والإفادة إلى أن توفي بعد 1290 / 1873.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 3، 81 ؛ 5 : 429.

محمد حجي

**البصري، عمران** بن عبدالله، نسبة إلى بصرة المغرب، يتصل نسبه بعمر بن الخطاب. لذلك يقال له العمري. وتذكر بعض الروايات أنه خرج حاجاً مع جماعة من أهل بلده، فوصلوا إلى المدينة المنورة، فقصد دار جده عمربن الخطاب، فاجتمع بأهله وانتسب لهم، فقبلوه وصححوا نسبه، وأخرجوا إليه درع عمر وسيفه، فلبس الدرع وتقلد السيف.

سمع بالأسكندرية من ابن ميسر، وابن أبي مطر، وبالقيروان من ابن اللباد؛ وكان عمران عالما جليلا، فقيها متضلعاً؛ وهو أول من أدخل كتاب ابن المواز إلى الأندلس والغرب الاسلامي بعامة، يقول سلمة بن الفضل البجائي (ت 949/338) :«طرأ علينا إلى بجانة - أبو هارون البصري، فسمع منه أبي *كتاب ابن المواز*». وتذكر بعض الروايات أنهما تدبّجا : فسمع كل منها من الآخر. وكانت وفاة عمران ببلده البصرة سنة 925/313.

ق. عياض، *ترتيب المدارك*، 5 : 148، 149.

سعيد أعراب

**بصري، محمد** بن **عبدالرحمان** بن **أحمد** مقرئ يحفظ السبع. قال في حقه صاحب *الإتحاف* :"حامل راية الإقراء، وخاتمة الحفاظ والقراء؛ حسن الصوت، متقي الشبهات...". سمع السلطان المولى إسماعيل بصوته وجودة تلاوته، فأمر باحضاره ليلة سبع وعشرين من رمضان، فأم به تلك الليلة، وختم القرآن برواية ابن كثير - يكبر ويهلل عند ختم كل سورة من آخر والضحى إلى آخر والناس - وأدرج القراءة إلى المفلحون؛ فخلع عليه السلطان حلة سنية كانت عليه، وطلب منه صالح الدعاء، ثم أصدر ظهيرا بتوقير واحترام آل بصري جميعا، مؤرخا بربيع الأول عام 1112.

له *حاشية على الجعبري* في مجلدين، ورجز في *إمالة البصري* يقع في 33 بيتا. لم أقف على تاريخ وفاته، وهو من أهل القرن الحادي عشر الهجري (17 م).

ع. ابن زيدان، إتحاف، 4 : 57 - 60.

عبد العزيز بوعصاب

**بصري** (ابن -)، **محمد** بن **عبدالرحمان** بن عبدالله بن عمر الولهاصي المكناسي النشأة والدار، المعروف بسيدي بصري. أدرك جملة من مشايخ العلم، غير أن اسمه ارتبط باسم العلامة أحمد ابن الحباك الفاسي (ت. 1529/936).

ويفهم من نص الإجازة التي أجازه بها شيخه المذكور أن ابن بصري قرأ عليه *القرآن العظيم* من فاتحته إلى خاتمته ختمة واحدة، جمع فيها قراءة الأئمة السبعة المشهورين، فأجازه فيها وفيما يتعلق بها من كتب القراءات، مع *الألفية والرسالة والبردة*، إلى جانب قصيد أبي القاسم الموسوم *بحرز الأماني ووجه التهاني*، وقصيد أبي الحسن ابن بري الموسوم *بالدرر اللوامع*، والرجز الموسوم *بمورد الظمآن في رسم أحرف القرآن* لأبي عبدالله محمد بن إبراهيم الشهير بالخراز... وغير ذلك مما ورد في نص الإجازة التي أجازه بها شيخه سنة 1519/925 (*إتحاف*، 4 : 29، 31).

وقد اسندت إليه مهمة الخطابة بالمسجد الجامع بمكناس، وهي المهمة التي ظل يقوم بها إلى أن توفي. غير أنه لم يكتف بالعلم الظاهر، وإنما نزعت همته إلى أخذ العلم الباطن، والدخول في طريق القوم. وإذا كانت المصادر تتفق في القول بأنه تربى، في هذا الصدد، على يد امرأة صالحة، اختلفوا في تسميتها. فالبعض يقول إنها "السيدة الجليلة ذات الأحوال الباهرة والخوارق الظاهرة، مريم بنت عبود الأندلسية، دفينة رأس التاج خارج باب عيسى، أحد أبواب مكناسة الزيتون" (*دوحة*، 84 ؛ *إتحاف*، 4 : 33). بينما يذكر البعض الآخر بأن المرأة المتصوفة المقصودة هي "فتحون البزازية، دفينة رأس التاج وأن السيدة مريم هي التلميذة (*إتحاف*، 4 : 33).

ومهما يكن من أمر، فقد ترقى ابن بصري في مقامات الطريق الصوفي، حتى أصبح من الأولياء الصالحين العارفين، وظهرت على يديه الكرامات وخوارق العادات. الأمر الذي زاده شهرة، وجعله يتمتع بالتعظيم من لدن العامة والخاصة على حد سواء. وكان زاهدا خاملا، سخر نفسه وحياته في خدمة العلم إلى أن أدركته الوفاة في ذي الحجة عام 1584/991، ودفن بداره من القرسطون إحدى حومات مكناس الشهيرة، وقبره إلى الآن مزارة شهيرة.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ م. الحضيگي، *طبقات* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*.

أحمد الوارث

**بصري، محمد العربي** بن مَحمد - فتحاً. كانت له مشاركة تامة في جل المعارف المتداولة في عصره. تلقى العلم بمدينة مكناس على أشهر فقهائها أيام المولى إسماعيل كأحمد بن يعقوب الولالي وأبي عثمان سعيد العميري والبهلول البوعصامي وغيرهم. وبهذه المدينة تصدر للتدريس في جامعها الأعظم وتخرج عليه كثير من التلامذة كان منهم من علت شهرته العلمية كأبي القاسم العميري. ومن مؤلفاته *منحة الجبار ونزهة الأبرار وبهجة الأسرار*، *والكواكب الدرية في مدح النبي وآله وصحبه وسائر الامة المحمدية*، ويوجدان ضمن المجموعة الزيدانية بالخزانة الحسنية بالرباط.

كانت وفاته حسب الضعيف الرباطي سنة 1711/1123، ودفن بضريح سيدي بصري بمكناسة الزيتون.

ع. ابن زيدان، إتحاف، 4 : 426 - 427 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، 92.

عبد العزيز بوعصاب

**بصري، مَحمد** بن **محمد** بن **محمد** عبدالرحمان المكناسي، عالم مقرئ، وراوية مسند ؛ أخذ عن والده السالف الذكر، ولازم الشيخ مباركاً الشيظمي، قرأ عليه عدة ختمات من *القرآن العظيم* بما يحتاج إليه من رسم وضبط ؛ ثم انتقل إلى فاس وأخذ عن جملة من مشايخها، من بينهم : محمد بن الحسن بناني محشي الزرقاني، والشيخ التاودي ابن سودة، وبنيس والعراقي واليازغي وابن شقرون وسواهم، واعتمد في القراءات إمام عصره محمد بن عبدالسلام الفاسي.

رحل إلى المشرق سنة 1788/1203، فحج ودخل مصر وغيرها من البلدان، وطوف على المشايخ في مختلف

الأقطار، فعاد مملوء الوطاب، وجمع من الروايات والأسانيد ما عز نظيره عند غيره من شيوخ العصر ؛ وجمع كل ذلك في ثبته الحفيل الذي أسماه *إتحاف أهل العناية والتوفيق والسداد، بما يهمهم من فضل العلم وآدابه والتلقي وطرق الإسناد*، فرغ من تبييضه عام 1791/1206.

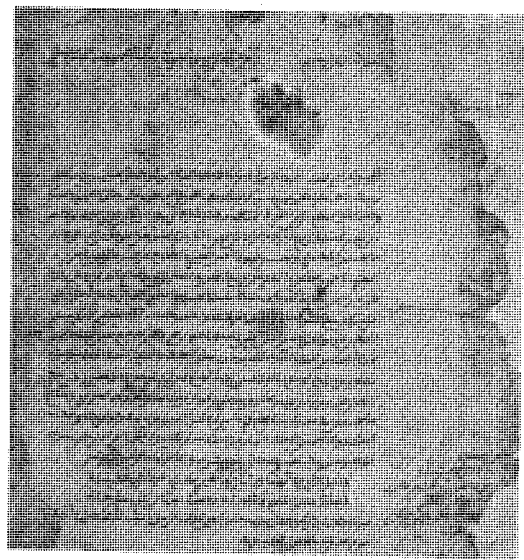

أول صحيفة من فهرس بصري بخطه ومسودته

(عن *إتحاف* ابن زيدان، 4 : 158)

والغريب أن الرجل على سعة حفظه وطول باعه في سائر العلوم والفنون، أبت كتب التراجم والسير إلا أن تطبق بالصمت عنه، ولم تشر إليه لا من قريب ولا من بعيد، لولا هذا الثبت الذي خلفه في مسودته بخط يده لانمحى أثره !.

م. بصري نفسه، *الفهرس*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف* ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*

**البصري**، مصطلح يعني في عرف القراء المغاربة القراءات الثلاث : قراءة نافع بن عبدالرحمان المدني (ت. 169/ 785)، وقراءة عبدالله بن كثير المكي (ت. 737/120)، وقراءة أبي عمرو البصري (ت. 770/154) تغليبا لهذا الأخير ؛ فيقال : فلان بصري، وفلان يحفظ البصري - يعني القراءات الثلاث.

**البصري** ـ في عرف القراء المغاربة ـ يعني القراءات الثلاث : قراءة نافع بن عبدالرحمان المدني (ت 169/ 785)، وقراءة عبدالله بن كثير المكي (ت 737/120)، وقراءة أبي عمرو البصري (ت 770/154) تغليبا لهذا الأخير ؛ فيقال : فلان بصري، وفلان يحفظ البصري - يعني القراءات الثلاث.

ولعل هذه التسمية جاءت بعد ما ابتدع المغاربة والأندلسيون جمع القراءات وإردافها. وطريقة المغاربة في ذلك : أن يحفظ القرآن أولاً برواية أبي سعيد عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش (ت 795/179)، ثم يردف ذلك برواية أبي موسى عيسى بن مينا الملقب بقالون، (ت 835/220). ويسمى ذلك التحنيش، والأندلسيون يعكسون فيقدمون قالون على ورش ؛ والحروف التي اختلف فيها الراويان تزيد على ثلاثة آلاف حرف، مثل تخفيف الهمز وتحقيقه، وإظهار وإدغام، ومد وقصر، وفصل ووصل، وترقيق وتفخيم، إلى غير ذلك. فإذا حفظ الطالب حرف نافع، جمع إليه حرف عبدالله بن كثير براوييه البزي وقنبل؛ وإذا حفظ حرفي نافع وابن كثير، جمع إليهما قراءة أبي عمرو البصري، والرواية المشهورة عنه بالمغرب. هي رواية اليزيدي يحيى بن مبارك العدوي (ت 202 / 817)، وأشهر طرقه : طريق الدوري أبي عمر بن عبدالعزيز بن اصبهان الأزدي (ت 250 / 864)، وطريق السوسي - نسبة إلى سوس الأهواز - (ت 261 / 874).

أما الطرق إلى نافع، فأنهاها بعضهم إلى مائتين وخمسين طريقا، منها ثمان وستون لورش، وست وسبعون لقالون، اقتصر ابن غازي منها في أرجوزة له على عشر، أسماها *تفصيل عقد الدرر، في طرق نافع العشر*. وأشهرها عند المغاربة ثلاث :

طريق أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444 / 1052)، وطريق أبي محمد مكي بن أبي طالب بن حموش القيسي القيرواني الأندلسي القرطبي، (ت 437 / 1045)، وطريق أبي عبدالله محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي (ت 476 / 1083).

أبو القاسم الشاطبي، *حرز الأماني (الشاطبية)* ؛ ابن الجزري، *غاية النهاية* ؛ *النشر في القراءات العشر* ؛ ع. ابن القاضي، *الإيضاح لما ينبهم عن الورى، في قراءة عالم أم القرى* ؛ *علم النصرة، في تحقيق قراءة إمام البصرة*، مخطوطان ؛ م. ابن غازي، *تفصيل عقد الدرر*، مخطوط ؛ م. ابن عبدالسلام الفاسي، *الوقف والابتداء*، مخطوط ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

**بصيلة**، أو بَصَل فِرْعَون أو عَنْصَل، أسماء تطلق على أنواع برية من جنس سِيلاً Scilla أو أُرجِينيا Urginea، وهي من فصيلة الزنبقيات Liliaceae.

يتوطن هذا الجنس منطقة البحر المتوسط، وهو ممثل في المغرب بستة أنواع، أهمها العنصل أو البصيلة البحرية Scilla maritima الذي يعطي بصلا من حجم كبير لا يستعمل في الطبخ لأنه يحتوي على مادة سامة تستخدم لإبادة الفئران.

وتكثر البصيلة أو العنصل في المراعي الساحلية التي تعرف رعياً جائراً، يجعل الأعشاب تنقرض تاركة لها المجال فارغا لتترعرع.

*أبحاث شخصية* ؛ أ. هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. زاهد عبدالمجيد وآخرين، القاهرة ـ نيويورك 1962.

عبدالمالك بنعبيد

**البَصَل**، بقل زراعي بصلي معمر من فصيلة الزنبقيات Liliaceae يسمى علميا Allium cepa وضروبه الزراعية كثيرة. البصل هو الاسم الشائع عند العرب.

تتكون النبتة من جذور خيطية الشكل ومن ساق أرضية مستديرة ومنتفخة بداخلها قرص لحمي مخروطي قليلاً وأوراق لحمية متراصة ومحمولة على القرص. الأوراق أسطوانية الشكل ومقعّرة، البرعم المركزي طويل ومجوف، يحمل في مؤخرته أزهارا صغيرة بيضاء خيمية الشكل. الثمرة جافة ومتفتحة تحمل بداخلها عدة بذور.

موطنه الأصلي حوض البحر المتوسط وآسيا، يزرع في جميع أنحاء المغرب وهو شائع في أسواق الخضر ويعتبر من المواد الغذائية الهامة. يحتوي على مادة متبخرة مسيلة للدموع وعلى كمية هائلة من الأملاح المعدنية وفيتامين "ب" و "ج".

للبصل عدة مميزات عقاقيرية فهو مسكن لآلام داء المفاصل بفضل خاصياته التي تزيل مادة البَوْلَة (Urée) والكلورور الزائدة في الجسم كما أنه مُدِرٌ للبول ومنقص للسكر في الدم.

يستعمل عصير البصل لإفراغ الصفراء، ولإيقاف نمو الجراثيم وللمساعدة في تركيب الكويرات الحمراء في حالة فقر الدم.

يستعمل شراب البصل المحلي (Sirop) ضد التهاب اللوزاة والبلعوم. للاحتفاظ بكل هذه المزايا يستحسن أن يؤكل البصل نيئا.

A. Akoka, *Médecine Naturelle, Le médical du 20ème siècle*, Edilec, 1978 ; *La Phytotherapie, Le médical du 20ème siècle*, Edilec, 1977

نجاة الخياطي

**البصير**، (آل ـ) أسرة صحراوية تقول بانتمائها إلى قبيلة الركيبات الساحليين بالساقية الحمراء، ويقول زوايا ومرابطو أسرير بوادي نون بانتمائها إليهم. ومعلوم أن الفقير گيسوم (قاسم) الجد الفعلي لهذه الأسرة عاش في نهاية القرن الثاني عشر/1780، وهو لا يُخفي انتماءه إلى آل المؤذن الركيبات. أما تسمية البصير فإن أول من تلقاها هو ابنه إبراهيم الذي كان ضريراً، وخلف ابنه مبارك الذي كان أيضاً ضريراً، شأنه في ذلك شأنُ ابنتيه وعدد من أحفاده وحفيداته.

وبموازاة ما كان يتمتع به آل الموذن من سمعة دينية، فإن إبراهيم البصير سيعمل على توسيع نفوذه الديني ليستفيد من القنوات التي فتحتها أمامه وظائفه المختلفة في هذا المجال. فقد تميز بما يتميز به كبار الزوايا المرابطين ذوي السلطات التي تؤهلهم لفض النزاعات القبلية على مختلف أحجامها. فمكانته المتميزة كانت تقربه من قبيلة أزوافيط، وكذا باقي قبائل اتحادية تكنة والأطلس الصغير. ولعل هذه العلاقة وما كان يغدقه الناس عليه بموسم سيدي محمد بن عمرو اللمطي بأسرير هي التي قربته من الأسرة الدينية التي صاهرته وأهدته سبعة بساتين وماء يوم كامل بالساقية (*المعسول*، 12 : 90). مهما يكن فإن هذه العلاقة تنتقل كما نرى بالقرابة من مجرد إطار عام للعلاقات الاجتماعية إلى اعتبارها بنية محددة لكيان آل بصير بأسرير. وبهذا المدلول المحدد لا تعود إقامة آل البصير منحصرة فقط في ركيبات الساحل بقدر ما تمتد أيضا إلى وادي نون والأطلس الصغير.

**البصير إبراهيم**، أسس سنة 1830،29/1245 زاوية آل البصير بقبيلة الأخصاص، مضيفاً وهو في التاسعة والسبعين من عمره، إلى حجمه الاجتماعي والسياسي، ولا غرابة في ذلك ما دامت هذه المرحلة لن تنتهي إلا بعد خمس وثلاثين سنة حين توفي وهو ابن 114 سنة. على أن السيرة الذاتية لابنه مبارك ستحُولُ دون هذه المرحلة والانتهاء. فقد حرص على ما خص به مجمل أعيان وفقهاء إگزولن والده من التوقير والاحترام، شأنهم في ذلك شأن كبيرهم سيِّد إليغ.

كان محمد بن محمد واعزيز قد طوّر قبر إبراهيم البصير إلى مدرسة لتعليم علوم الظاهر. وقد أسهمت هذه المؤسسة إلى حد كبير في الدفاع عن سمعة هذه الأسرة وعن كيانها بسوس والأطلس الصغير.

**البصير، مبارك** بن إبراهيم. عمل على تعزيز مكانة أبيه على ضوء ما اتخذه من مواقف واختطه من طريق متمِّمة لمسيرة أبيه. فلم تمض سنتان على وفاة أبيه سنة 1864،63/1280 حتى كان من أبرز الفقهاء بمجلس الحسين أ ُهاشم فوق رأس وادي أ ُلغاس للنظر في أمر حضور المولى الحسن يومها كخليفة لأبيه. وإذا كانت خاصية ووظيفة السلطان محددتين ضمن نصوص الشريعة الإسلامية، فإن مبارك كان من بين المؤيِّدين يومها لضرورة إقامة "ميزان الشرع" مع ابن أمير المومنين (*المعسول*، 12 : 99). وهو تأكيد لحرص مبارك على موروثه من مفاهيم وممارسات عائلية. وعلى امتداد حياته اللاحَقَة سيُعرف دوماً بتجنبه للدوائر المخزنية على اختلاف مستوياتها بما في ذلك خلال سنة 1884/1302 التي عرفت الزيارة السلطانية لتزنيت. وقد كان يتحكم في ذلك إلى علاقته الوثيقة بالأعيان المحليين وبأنداده من كبار رجال علم الظاهر والباطن، كسيدي لحسن بيبيس والشيخ لحسن التِّيمكدشتي والشيخ سعيد المعدري والقطب ماء العينين. وبذلك تكون ممارسات مبارك البصير وممارسات أبيه قد ارتبطت بالعوامل المحددة لاستمرارية الكيان الاجتماعي وآلياته المحددة لاستمراره أو تحوله. ويتجلى ذلك فيما لا تزال تشهد به الراوية الشفوية المحلية.

وهناك نضيف بأن التساؤلات التي يمكن أن نطرحها بشأن آل البصير تصب كلها في إشكال التفاعل بين الثوابت والمتغيرات بما تفرزه من تكيفات ويترتب عنها من نتائج وردود أفعال. فمع وصول الاستعمار إلى عين المكان سيزداد الاحتكاك بين آل البصير وقيمهم المثلى في حقبة

لايمكن فهم التحول الهيكلي للمجتمع المحلي إلاّ على ضوئها. فقد حرصت هذه الأسرة على قطع أواصرها مع الجهاز المخزني مقتصرة على وظيفتها الاجتماعية الدينية، وأفسحت المجال أمام كل المحتكمين إليها. وهي حقيقة فيها خضوع أبدي لسلطة الزوايا بأبعادها الدينية والدنيوية.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 12 ؛ م. سالم ولد الحسين ولد لحبيب ولد عبدالحي، *جوامع المهمات في أمور الركيبات*.

مصطفى ناعمي

**البضاضْوَة**، مفردها بَضّوي - بكسر الضاد المشددة - وهي تحريف لتسمية الإباضية مفردها إباضي. ورغم هذه المواطأة في التسمية، فإنه لا وجود لمشابهة أو جامع أوجب إطلاق لقب شيعة عبدالله بن إباض (ت 705/86) على البضاضوة الذين ينتسبون إلى الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت 1524/931) مؤسس الطريقة الراشدية بالمغرب الأوسط، المعروفة أيضاً بالطائفة اليوسفية التي نشأت في المغرب خلال الربع الأول من القرن العاشر الهجري (16 م)، وهي طائفة صوفية يتصل سندها بالامام أبي الحسن الشاذلي (ت 1259.58/656) عن طريق الشيخ أحمد الراشدي تلميذ الشيخ أحمد زروق (ت 1493/899).

وتسمية البضاضوة هي إحدى التسميات المتعددة التي ابتدعها خصوم اليوسفيين من أهل السنة، تعبيراً عن رفض نسبتهم إلى التصوف بوجه عام والطريقة الشاذلية بوجه خاص، وعملا على إخراجهم من دائرة السنة بالمرة والزج بهم في دائرة الملل والنحل الضالة.

تشكل هذه التسمية أحد عناصر التداخل الحادث بين تاريخ الطائفة اليوسفية وتاريخ الطريقة الراشدية، على مستوى المعارضة التي واجهت الشيخ أحمد بن يوسف ومذهبه وأتباعه في كل من المغربين الأوسط والأقصى. ذلك أننا لا نستبعد أن تكون هذه التسمية قد أطلقت أول ما أطلقت من قبل خصوم الراشدية من أهل المغرب الأوسط: فقد أكد محمد الصباغ مؤلف أقدم سيرة مفردة في الشيخ أحمد بن يوسف، وهو كتاب *بستان الأزهار* المصنف ما بين 1545/952 و1555/962، أن فقهاء هذا الصقع حاولوا إخراج شيخه الراشدي ومذهبه وأتباعه من دائرة السنة، وراموا الزج بهم في دائرة الملل والنحل. ولم تكن هذه المحاولة وهذا المرام ليكلفا فقهاء المغرب الأوسط بوجه عام وفقهاء البلاد الراشدية بوجه خاص كبير عناء، لأن الوحدة المذهبية في إطار السنة لم تتحقق في هذه البلاد، مثلما تركزت السنة ورسخت في المغرب الأقصى، على هذا العهد ومن قبله ومن بعده. وقد كان خصوم الراشدية، في وطنها الأصلي، في غنى عن الرجوع إلى أسفار السلف المؤلفة في الملل والنحل، وكان يكفيهم التفكير في حال الواحات الجنوبية، ليتذكروا المجتمع الإباضي المستقر بها، والمستعصي على السنة، منذ عهود الاسلام الأولى في هذه البلاد: فسقوط الدولة الإباضية الرستمية، بالمغرب الأوسط، على يد الشيعة الفاطميين عام 908/297 ولم يقض القضاء النهائي على مذهب الخوارج الإباضية في هذه البلاد، ولم يستأصل شأفة أتباعه الذين فرت بقيتهم ناجية بدمائها وأموالها وكتب عقائدها إلى الواحات الجنوبية، فنزلت أول الأمر بواحة سدراتة ثم انتقلت بعد ذلك إلى وادي مزاب الذي استقرت به بصفة نهائية.

وقد دأب أهل السنة في المغرب الأوسط على مكافحة مجتمع مزاب وتطويقه، وطالت هذه المكافحة قرونا عديدة، وأصبحت النسبة إلى مذهب الإباضية أخطر وأعظم تهمة تحارب بها البدع المخالفة للسنة، والتي نشأت بالمغرب الأوسط، سواء كانت على صلة بنحلة مزاب أو لم تكن لها أية صلة بها. ولما ظهرت الطريقة الراشدية في المغرب الأوسط، في مطلع المائة العاشرة (16 م)، رفض أهل السنة مذهبها القائم على الجراءة في النظر والتجريد والمغالي في الدعوة إلى التحرر من التقاليد الصوفية الفكرية والسلوكية السائدة خلال هذا العصر، وأنكروا عليها نسبتها إلى الطريقة الزروقية القائمة على الحسبة لصالح السنة في العلم والعمل وفي الشريعة والطريقة، ودفعوا بها خارج سلك التصوف بالمرة، ونسبوها إلى نحلة الإباضية بالذات. وما زال علماء الجزائر على عهد سلفهم، ينظمون العلاقة بين الطريقة الراشدية وإباضية مزاب، وهذا إلى مطلع القرن الرابع عشر(20 م)، وحذا حذوهم غير واحد من الباحثين الأجانب الذين اهتموا بالراشدي والراشدية.

وقد انتقلت هذه التسمية إلى المغرب الأقصى، مع دخول هذه الطريقة إليه، واستخدمت لتمييز الفرع اليوسفي من أتباعها. وتمت نسبة اليوسفية إلى نحلة الإباضية في مرحلة مبكرة من تاريخها، إذ يذكر ابن عسكر(ت. 1578/986) في *دوحة الناشر*، بأن مؤسس هذه الطائفة قد "تزندق وذهب مذهب الإباضية". لكن تسمية البضاضوة والعكاكزة لا تظهر إلا مع مصادر القرن الحادي عشر(17م)، وبالضبط في *رسالة العكاكزة* التي حررها الإمام الحسن اليوسي عام 1670.69/1080، وقد اشتهرت بها خلاله فرقة معينة من الطائفة اليوسفية من أعراب تادلا. وبعد هذا القرن تمركزت دواوير البضاضوة بالغرب، ويذكر لنا عبدالكبير الكتاني (ت 1931/1350) في تأليفه *زهر الآس*، استقرار رهط منهم بفاس، وتأسيسه لأحد البيوتات الفاسية الشهيرة وهو بيت بني البضاضوة.

لانعرف بالضبط متى استوطن البضاضوة سهل الغرب، غير أنه يمكننا الاطمئنان إلى القول بأن بداية استقرارهم به تعود إلى عهد المولى إسماعيل، وأن دواويرهم به قد تكون، في الأصل، إحدى المنافي التي رحّل إليها المولى إسماعيل بقية اليوسفيين الناجين من نكبة عام 1691/1102. وقد انضم إليهم خلال القرن الثالث عشر (19 م) العديد من حفدة الشيخ أحمد بن يوسف، على اثر هجرتهم من مدينة مليانة التي تأوي ضريح جدهم، فارين في وجه الفرنسيين.

ولا يزال يوسفيو الغرب يسمون بالبضاضوة وهذا إلى

مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، ويعيشون في عدة دواوير، أهمها دوار الملاينة من قبيلة أولاد عيسى الواقعة على ضفاف نهر سبو. وترجع بعض الروايات أصلهم إلى عنانمة الساورة، مثلهم مثل الغنانميين اليوسفيين المستقرين في ناحية مراكش.

م. الصباغ، *بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار*، مخطوط خ. ع. بالرباط،243 ك، ص 112 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ص 115؛ ح. اليوسي، *رسالة العكاكزة*، مخطوط ضمن مجموع في خ. ع. بالرباط ، 1224 ك، ص 175 ؛ ع. الكتاني، *زهر الآس في بيوتات فاس*، مخطوط خ. ع. بالرباط، ع 1281 ك، ص 327 ؛ ع. بنعبدالله، *الموسوعة المغربية*، ملحق 2، ص 8، 100، 316، 345 ؛ ع. نجمي، *مساهمة في دراسة تاريخ التصوف المغربي في القرنين 16 و17، طائفة العكاكزة*، ر. د. د. ع. كلية الآداب بالرباط.

G. Salmon, *Les Bdadoua, A.M*, Vol. 2, n° 2, 1904, p. 358 - 363 ; A. Moulieras, *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara*, Paris, 1905, p. 5, 54, 55 ; E. Doutte, *Marrakech*, p. 368, n° 1 ; L. Gognalons, *Une fraction des Ghenânema de la banlieue de Fès : Ouled Aïssa, B. S. G. A. O.*, t. 27, p. 354, 359 ; A. Bernard, *Les confins Algéco-Marocains*, Paris, 1911, p. 29 - 30 ; E. Michaux-Bellaire, *Le Gharb, A.M.*, Vol. 20, 1913, p. 249 - 251 ; *Les Confréries religieuses musulmanes, A. M.*, Vol. 27, 1927, p. 13 ; G. S. Colin, *Sayyidî Ahmad Zarruq*, Estrato dalla *revista della Tripolitania*, anno 2 , Roma 1925, p. 14 ; E. Dermenghem, *Le culte des saints dans l'Islam Maghrébin*, Paris, 1954, p. 240, 241, 244, 245 ; R. Brunel, *Le monachisme errant dans l'Islam : Sidi Heddi et les Heddawa*, p. 436, 437 ; Monsempes, *Contribution à la connaissance d'une tribu : Les Zkara*, Archives du C.H.E.A.M., Paris, (s. d.), p. 19 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut-Atlas*, p. 436 ; *L'intérieur de Maghreb*, Paris, Gallimard, 1978, p. 101, n° 1.

عبدالله نجمي

**بطاطا** أو بطاطس، نبات زراعي عشبي حولي عسقولي من الفصيلة الباذنجانية صولاناسي Solanaceae. ضروبه الزراعية عديدة ومنابته الأصلية من البيرو Perou وقد تم إدخاله إلى إسبانيا سنة 1535 م ومن هناك انتشر في الدول المجاورة. إن لفظة "بطاطا" إسبانية وهي من لغة سكان هايتي الأصليين. اسمها العلمي صولنوم توبيرزوم Solanum tuberosum.

يبلغ طول النبتة 100.60 سم، الأوراق متركبة. ينتهي الساق بسنمة من أزهار بيضاء لها 5 تويجات ملتحمة ومستديرية الشكل. الثمرة عنبية سوداء. تنتج العساقل المستهلكة عن عدة عقد على سيقان تحتأرضية.

تغرس العساقل في المزارع السقوية عادة وذلك في المناطق المعتدلة المناخ. أما في المغرب فإن زراعة البطاطا تصادف في جميع أنحاء البلاد.

تعتبر البطاطس من المواد الغذائية الأساسية في المغرب وتحتل الصف الرابع في الإنتاج الوزني العالمي للتغذية.

تحتوي البطاطس أيضا على ڤيتامينات B1 وB2 وC.

كما تحتوي العساقل الخضراء على جراثيم ومواد سامة Solamine تضر بمعدة الإنسان وينتج عنها صداع وعرق بارد وانخفاض في الدورة التنفسية والدموية.

تستعمل البطاطس في علاج الحرق ولفحات الحَرّ.

من المكونات الغذائية في 100 گرام نذكر :

| | المطبوخ | النيء |
|---|---|---|
| الماء | 74،29 | 76،10 |
| الزلاليات | 2،58 | 2،06 |
| الدهنيات | 0،10 | 0،12 |
| هيدرات الكربون | 21،26 | 20،69 |
| رماد | 1،07 | 1،03 |

بالاضافة إلى هذا النوع المعروف توجد أجناس أخرى يطلق عليها لفظ بطاطا وأهمها :

**بطاطا حلوة**، نبات عشبي معمر من ذوات الفلقتين ومن فصيلة المحموديات Convolvulaceae. يزرع لعساقله النشوية السكرية المغذية وهو من أصل أمريكي.

بطاطا حلوة هو اسمه الشائع في المغرب، ويقال له في الشرق العربي قلقاس هندي، واسمه العلمي هو Ipomoea batatas أوConvolvulus batatas.

السيقان رقيقة، تحمل أوراقاً بسيطة كاملة الصفيحة وأزهاراً مزدوجة الغلاف، لها 5 تويجيات ملتحمة و قمعية الشكل. العساقل حمراء، منتفخة يفوق وزنها أحيانا كيلوغراما واحدا وهي غنية بالنشأ Fécule.

تغرس في المناطق الشبه الاستوائية والبَيْمدارية وخاصة في السهول والمناطق الغير المرتفعة.

ثم إدخالها إلى المغرب من إسبانيا وهي شائعة في أسواق الخضر، وخاصة في فصل الخريف.

**بطاطا قصبية**، نبات عشبي معمر من الفصيلة المركبة Composées يُزرع لعساقله وهو من أصل أمريكي.

بطاطا قصبية هو اسمه الشائع في المغرب، ويعرف في الشرق بعباد الشمس العسقولي، وقلقاس رومي. وطرطوفة، وحرشف القدس، وتفاح الأرض. واسمه العلمي Helianthus tuberosum.

الساق سنوي، يتراوح طوله ما بين 0.7 ومترين. يتراوح قطر الرؤيس ما بين 4 و10 سم. الأوراق مسننة، متقابلة في القاعدة ومتناوبة قرب الأزهار.

العساقل بيضاء غنية بالإينولين Inuline تغرس في السهول وهي شائعة في أسواق الخضر بالمغرب.

م. الشهابي، *مصطلحات العلوم الزراعية*.

P. Crete, *Précis botanique*, T. 2 ; Cl. Ch. Mathon, *Phytogéographie appliquée : L'origine des plantes cultivées* ; A. Akoka, *Médecine naturelle : Le Médical du XXème siècle*.

نجاة الخياطي

**البطانة**، ناحية طبيعية بالصحراء المغربية حيث توجد الفَرْسيَّة، المنبع الرئيسي للساقية الحمراء. تنقسم الناحية إلى قسمين : البطانة الكَلبية، والبطانة التلِّية، وبها توجد

السبخة التي تحمل اسم الناحية التي تقع بين المنطقتين الطبيعيتين المعروفتين بالعيدر وأخشاش.

I. Carnero Ruiz, *Vocabulario géografico-saharico*, Madrid, 1955, p. 27, 189.

محمد ابن عزوز حكيم

**البطاوري**، أسرة رباطية جاءت من مدينة شرشال القريبة من العاصمة الجزائرية على ساحل البحر المتوسط، لذلك يدعى البطاوريون أيضا بالشرشاليين وهم ينتسبون إلى الشرفاء الحسنيين ولا يعرف جدهم الذي هاجر من شرشال إلى الرباط حيث برز منهم العديد من أهل العلم والصلاح. ويتصل عمود نسب هذه الأسرة بسليمان بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول عليه السلام.

وسليمان هذا هو شقيق المولى إدريس الأكبر، أمهما عاتكة بنت عبدالملك المخزومية. كان بعثه أخوه محمد المعروف بالنفس الزكية حين بايعه أهل الحجاز إلى مصر داعيا له، ولما علم بقتل أخيه سار إلى بلاد النوبة ثم إلى السودان ثم إلى زرب إفريقية ومنها توجه إلى تلمسان فاستوطنها أيام أخيه المولى إدريس، وتعاقب نسله بها، وانتقل بعض أولاده إلى شرشال. وأحد أجداد البطاوريين هو الشيخ العالم عيسى الغبريني الذي عاصر الإمام ابن عرفة. ومنذ استقرار أسرة البطاوريين بالرباط برز فيها عدد من رجالات التصوف والفقه والأدب، وأسندت إلى بعضهم الخطط الشرعية كالإمامة والخطابة والقضاء.

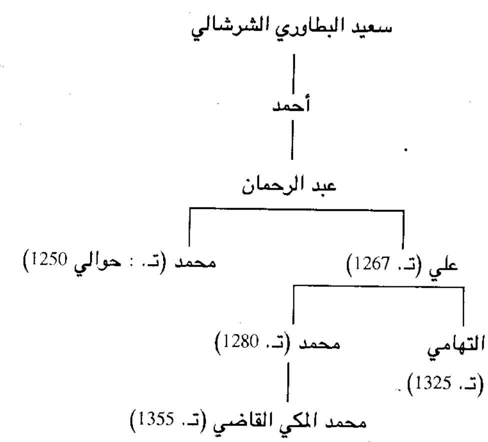


وهناك أسرة بطاورية تطوانية يذكر أن أصلها من الأندلس ما زالت موجودة حتى اليوم بتطوان، ويعرف منهم محمد البطاوري الذي تصفه وثيقة عدلية سنة 1721/1133 بالقائد ؛ وعبدالقادر بن محمد البطاوري الذي كان على قيد الحياة سنة 1866/1182.

**البطاوري، التهامي** بن علي، صهر قاضي الرباط أحمد بناني الذي ذكر نسبه في *كناشته*. تفقه على يد علماء الرباط أمثال الطاهر بريطل وأحمد دينية، وكان من المهتمين بالحساب والفرائض أخذهما عن الجيسوبي الطاهر ضاكة. وقد ذكر ابن أخيه القاضي محمد المكي البطاوري أنه كان من المدرسين، قرأ عليه الكثير من المتون وبعد التدريس يتعاطى الشهادة، وكان من العدول الذين اشتغلوا بمرسى الجديدة. وفي السنين الأخيرة من حياته لازم المسجد الأعظم بالرباط في الأوقات الخمس وخصوصا في الليل، عرف بالوقار والجد، ووصف بالفضل والرزانة والصرامة. وفي سنة 1325 توجه إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج. وعندما قفل راجعا توفي بطنجة أوائل ربيع الأول 1908/1326، ودفن بضريح الشريف عبدالسلام الوزاني.

**البطاوري، علي** بن **عبدالرحمان** جد القاضي محمد المكي، وقد ذكره الشيخ العربي التهامي الوزاني في معجمه المعنون *بلوغ المنى والآمال فيمن لقيته من المشايخ أهل الفضل والكمال*. ووصفه بالفقيه العدل الخطيب البليغ الشريف... كما حلاه رسم صداق زواجه بأديب الفقهاء وفقيه الأدباء. ترك بعض القصائد في المديح النبوي مطلع إحداها :

بمدح رسول الله كن متمسكاً　　تنالُ به قرباً وعزاً ومنصبا
فيا منشداً ردِّد مديح محمدٍ　　وعلِّلْ به قلب الشجيِّ مُرحِّبا

تتلمذ على القاضي الشهير الطيب بسير وغيره من علماء وقته الرباطيين. وتولى الخطابة في مسجد المولى سليمان بعد الفقيه أحمد الرغاي أواسط القرن الثالث عشر، وظل شغوفاً بالعلم إلى وفاته سنة 1267.

**البطاوري محمد** بن **عبدالرحمان**، عاش أواخر القرن الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري (18. 19 م) وذكره أديب الرباط محمد بن التهامي بن عمرو في جملة تلامذة أستاذه الحكمي. ويلتقي كل من الأديب ابن عمرو هذا ومحمد البطاوري في جد واحد هو القاضي عيسى الغبريني التونسي. ذلك أن والدة ابن عمرو شرشالية.

عرف محمد البطاوري بخطه الجميل وباعتنائه بالتقييد، فقد ترك تقاييد كثيرة. وله *قصائد* منها واحدة في مدح الرسول أنشدها ليلة المولد النبوي عام 1231 مطلعها :

قد أقبل السعدُ واستوت زواهرُهُ　　وخَيَّم اليُمْنُ وازدهتْ أزاهرُهُ

وله *شرح على لامية العرب*، يقول عنه بوجندار «يشهد له بالتقدم في الأدب» كما قال عن قصيدته «ولو لم يكن من مآثره الأدبية سوى تلك القصيدة الرائية المولدية لكان كافيا في الدلالة على قدره وتفوقه في الأدب».

توفي أواسط القرن الثالث عشر الهجري (19 م).

**البطاوري، محمد** بن **علي** الرباطي. فقيه ناسك تولى الخطابة بعد والده بالمسجد السليماني وكان منخرطا في الطريقة الوزانية. تزوج بنت القاضي الطيب بسير في حدود 1270 فأنجبت ولده الشهير محمد المكي آتي الترجمة.

توفي عند فجر يوم عيد الأضحى عام 1868/1284.

**البطاوري ، محمد المكي** بن محمد، ولد عام 1274 وتلقى تعليمه على يد إبراهيم التادلي، وعمه محمد

التهامي البطاوري والهاشمي الزياني وأحمد مُلين والقاضي محمد بن إبراهيم والقاضي محمد بن عبدالرحمان البريبري وعبدالرحمان لبريس وعمر عاشور ومحمد المكي بن عمرو ومحمد دينية والشيخ العربي بن السايح وأحمد بناني وغيرهم.

وممن أجزاه إبراهيم التادلي، وعلي البوجمعاوي الدمناتي، وعبدالملك العلوي، وحسن بن إبراهيم الأزهري مفتي المالكية بمكة، وصديق عبدالرحمان كمال شيخ مكة، ومحمد الكسراوي. عُرف محمد المكي بطول الباع في التحصيل والتلقين والإملاءات، وفي شمولية المعرفة، وكان يلقي دروسه بالزاوية التهامية وبضريح مولاي المكي. وقد أجاز عدداً من الطلبة والعلماء منهم محمد المدني بن الحسني وعبدالحفيظ الفاسي، وهذا الأخير ترجم للمكي البطاوري في كتابه *المعجب المطرب*، كما أجاز الغازي سباطة ومحمد بوجندار.

وظف المكي البطاوري أولا مع صهره النائب السلطاني بطنجة محمد بركاش سنة 1290 وبقي في هذه الوظيفة زهاء عشر سنوات سافر أثناءها ضمن الوفد الرسمي إلى إسبانيا، وحضر مؤتمر مدريد عام 1880/1297، ثم سافر مرة ثانية سنة 1884/1301 إلى إسبانيا وفرنسا وإنجلترا مما ساهم في تنويع معارفه ومشاهداته، وفي سنة 1886/1304 توجه إلى الحجاز، فلقي أعلام المشرق وأخذ عنهم، ودفعته رحلاته إلى تحرير رحلة صور فيها ما شاهده وتحدث فيها عن نفسه وأساتذته سماها *ثمرة أنسي بالتعريف بنفسي* وقد ضاعت.

انتدبه الخليفة رشيد بن عبدالرحمان بن هشام لتعليم أولاده. وفي سنة 1311/93/1894 عينه السلطان المولى الحسن لتعليم أولاده الذين كانوا موجودين في قبيلة مزاب. وبعد ذلك وظف عدلاً بمرسى لرباط مرتين وفي ديوانة طنجة. وكان في أثناء ذلك مواظبا على التدريس إلى أن ولي قضاء الرباط سنة 1323/1905/1906. فاكتمل بذلك نشاطه العلمي الذي كان مضرب الأمثال. وقد ظل في القضاء عشر سنوات، وألف ما يَربو على ستين كتاباً زيادة على قصائد شعرية عفوية تدل على أنه كان من الشعراء الموهوبين، ومن هذه المؤلفات عدد من الشروح الأدبية، منها على مقصورة المكودي : *أزهار الأغصان المهصورة من رياض أفنان المقصورة* ؛ وعلى الشمقمقية : *اقتطاف زهرات الأفنان من دوحة قافية ابن الونّان*، إضافة إلى رائية حسن العطار المسمى *منح الأوطار في نفح العطار*، وشرح *الجوهرة في التوحيد* لإبراهيم اللقاني، وشرح *صغرى السنوسي* وهو مطبوع.

وقد أفرد الشيخ البطاوري بكتب ألفها في ترجمته عبدالحي الكتاني، وعبدالرحمان ابن زيدان، والعربي الوزاني وأحمد سكيرج ومحمد المدني ابن الحسني ومحمد بوجندار ومحمد بن علي دينية وعبدالله الجراري.

توفي محمد المكي البطاوري ليلة الأربعاء ثاني محرم 25/1355 مارس 1936.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 214، 279، 289 ؛ سلسلة شخصيات مغربية (3)، *شيخ الجماعة محمد المكي البطاوري الرباطي* ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 166، 172، 190، 271 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 50، 180، 183، 188، 285، 444 ؛ *تعطير البساط*، 46، 49 ؛ *دورية الوثائق الملكية*، 4 : 93، 94 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط*، 150، 166، 287، 289 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

عبدالاله الفاسي

**بَطَايُون**، قاعدة عسكرية كبرى بناها الإسبانيون بإفني سنة 1934 في أرض قبيلة أيت اخْلـف، على هضبة مستوية مشرفة على المحيط مباشرة على حافة انكسار جيولوجي بـ 50 م على مستوى سطح البحر. مساحتها 4 كلم × 2 كلم، يحيط بها سور كبير. تشتمل على ميدان للحرب والتدريب، ومكان للرماية، واصطبلات للخيول، ومخازن للسلاح والتموين، وصهاريج للمياه. فهي أشبه ما تكون بمدينة عسكرية قائمة بذاتها. وفي سنة 1957 ضمت إسبانيا أراضي أخرى خارج تلك التكنة، فشيدت ثلاثمائة منزل لضباطها أطلقت عليها "كولومينا" وتسمّى حاليا حي كلاّمينا.

كوّنت إسبانيا في قاعدة بطايون جيشاً كبيراً من أيت باعمران وغيرهم من شمال المغرب، قادهم الجنرال فرانكو في الحروب الأهلية الإسبانية ما بين 1936 و1939. ومن أشهر القادة المغاربة المكونين في هذه القاعدة : القائد ألُودي محمد الدكالي الأصل، والقائد عبدالله السرغيني، والقائد المحجوب السرغيني، والقائد محمد الرميلي الزيلاشي، الذين أسند إليهم اختيار الشباب وتدريبهم لإرسالهم إلى إسبانيا.

وفي باطايون أنزلت إسبانيا أركانها الحربية لتسيير أربعين ألفاً من الجنود في عهد الثورة الباعمرانية 1957ـ1969 وهي القاعدة الجوية الوحيدة التي صدّت هجوم أيت باعمران وجيش التحرير بعدما استسلمت الثكنات الأخرى خارج مدينة سيدي إفني، بل ألحقت خسائر كبيرة بالمجاهدين عند هجومهم على هذه القاعدة العسكرية، فقبض على كثير من رجال جيش التحرير (*العلم*، ع 2737 في 4ـ12ـ57).

ومن باطايون أخذ المقاومون كثيراً من السلاح، بطرق مختلفة نقلوه إلى الدارالبيضاء. وقد حافظت هذه القاعدة على مدينة إفني إلى أن استرجع المغرب بطايون في سائر ما استرجع من إقليم سيدي إفني بموجب اتفاقية فاس بين إسبانيا والمغرب في 4 يناير1969، وبذلك رجعت قبائل أيت باعمران ـ كما كانت ـ جزءاً لا يتجزأ من الأمة المغربية.

*الخريطة الطبوغرافية لباطايون* بمكتبة الباعمراني الحاج مبارك الخلفي ؛ *وثائق باعمرانية* عنده أيضاً ؛ مجلة *المشاهد*، عدد خاص

بتاريخ فاتح سنة 1958 ؛ ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مرقون ؛ *الجريدة الرسمية* عدد 2958 بتاريخ 28 مايو 1969، الرباط.

الحسين جهادي

**البطحاء**، من المعاني التي أعطاها صاحب *لسان العرب* لكلمة البطحاء : مسيل فيه دقاق الحصا، ومنه الحديث أنه صلى الله عليه وسلم صلّى بالبطح يعني أبطح مكة، قال هو مسيل واديها. الجوهري : والبطيحة والبطحاء مثل الأبطح ومنه بطحاء مكة".

آنذاك. ويعتبر قصر البطحاء من أجمل البنايات التي خلفها ملوك الدولة العلوية. إذ يحتوي على أحسن رياض أندلسي موجود بالمغرب العربي، تبلغ مساحته 2918 مترا مربعا، أي ما يعادل تقريبا 40٪ من المساحة الاجمالية، وتوجد في كل من الجهتين الشرقية والغربية ساحة تفصل رياضا عن قاعات الاستقبالات، وتبلغ مساحة كل منها 711 م، وكلها مبلطة بالرخام والزليج.

يحتوي هذا القصر، بالاضافة إلى القاعات الشرفية المخصصة للاستقبالات، على عدة مرافق، منها المطبخ والحمام والمراحيض والمخازن.

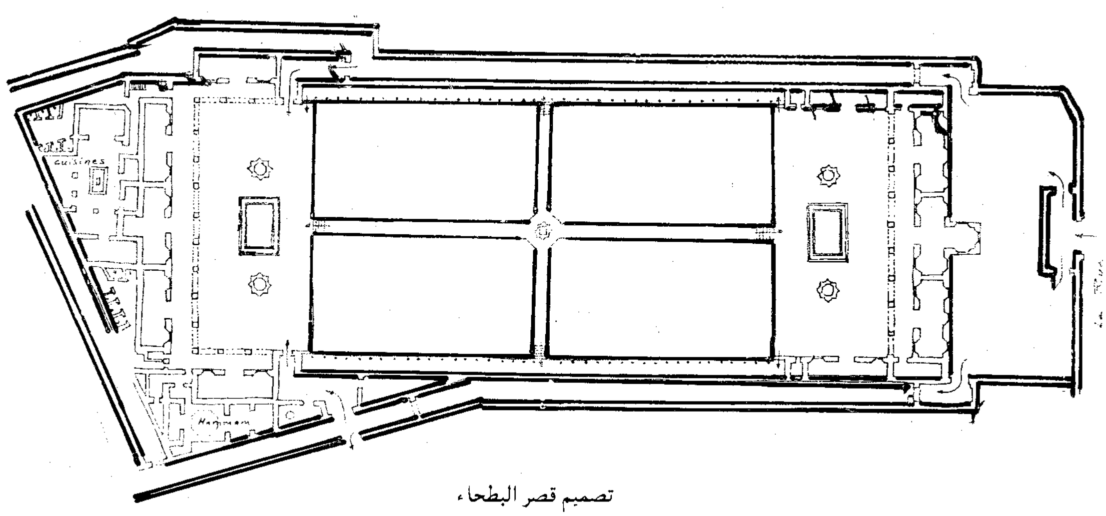

تصميم قصر البطحاء

وفي مدينة فاس تطلق البطحاء على حي من أحيائها القديمة (فاس البالي)، في الجهة الغربية منها بين باب بوجلود وباب الحديد في منطقة مسيل واد فاس. ومن بنايات هذه المنطقة قصر البطحاء المعروف عند العامة بدار البطحاء أو دارالسلاح (السناح).

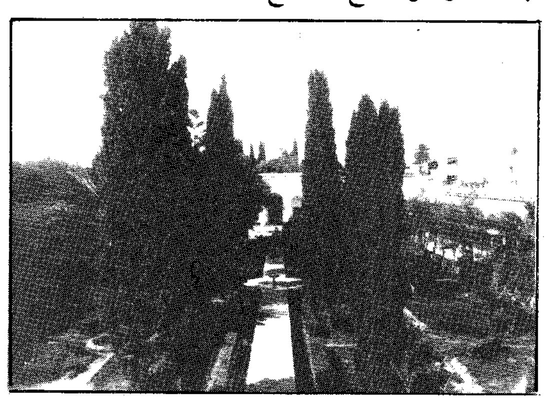

حديقة قصر البطحاء سنة 1950

أسس قصر البطحاء في أواخر القرن الثالث عشر (19م) بين 1883 و1879، وبُني معظمه في عهد السلطان الحسن الأول، وزاد في بناياته ابنه المولى عبدالعزيز، وأشرف على إنجازه الحاج عبدالسلام المقري أمين الأمناء

وفي سنة 1915/1334 أصبح قصر البطحاء مقراً لأول متحف أُنشئ بالمغرب، وهو يعتبر من أكبر متاحف المملكة نظراً للقيمة التاريخية والتراثية التي تمتاز بها المجموعات التي يتوفر عليها، خصوصا في ميدان الآثار والفنون الاسلامية الحضارية بالمغرب.

ومن المجموعات الموجودة بهذه المؤسسة نذكر :

1 ـ الخشب المستعمل في المباني العتيقة والاثاث ذي الطابع الديني، وأذكر منها قطعة مزخرفة بخط كوفي بديع يرجع تاريخها إلى عهد الادارسة (داوود بن إدريس سنة 256 هـ)، وقطعا أخرى من الخشب المنقوش والمخروط والمزوق بالألوان، وأغلبها يرجع إلى عهد الدولة المرينية (1358.1258/760.656) التي تعتبر بحق الدولة التي خلفت أكبر عدد من البنايات وأجملها بمدينة فاس.

وتضم المجموعة الخشبية بمتحف البطحاء عدداً من المنابر، أهمها منبر مسجد الأندلس الذي يرجع صنعه إلى القرن الرابع الهجري، وهو أقدم منبر في العالم الإسلامي بعد منبر جامع القيروان بتونس، أول إنجاز فني يحمل بصمات الفن الإسلامي المغربي.

2 ـ مجموعات من الجبص المنقوش والزليج والرخام والبرونز إلى غير ذلك مّما يتعلق بالفنون المعمارية.

3 - مجموعات الفنون التقليدية الحضرية : كالخزف والطرز والنسيج وأثاث معدنية، ونعرف أنّ الخزف يعتبر من الفنون العريقة بمدينة فاس، ويحتوي هذا المتحف على مجموعة هامة تبين ما استطاع الخزفي الفاسي إنتاجه من أواني منزلية جميلة ذات زخارف نباتية وهندسية وخطية إلى غير ذلك.

وتبين قطع المخطوطات مدى اهتمام المغربي بفنون الكتاب من خط وتزويق وتسفير، فمجموعات البطحاء تمهد للمهتم كيفية تتبع تطور هذا الفن من القرن السادس الهجري إلى اليوم.

4 - مجموعات الفنون القروية، منها مجموعة الزرابي من انتاج بعض قبائل الأطلس المتوسط والمغرب الشرقي، كبني وَرَاين وبني سَدّنْ وبني مْگيلْدْ وبني بويحيي الخ، والفخار المصنوع في أشهر المراكز المغربية كالتسول وسلاس وبني ورياغل والبهاليل، كما يحتضن هذا المتحف أيضاً عدداً من التحف الأخرى كالحلي والنقود المغربية والأسطرلابات إلى آخره.

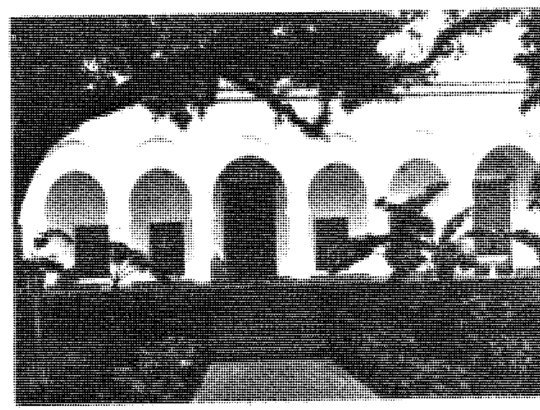

منتزه داخل قصر البطحاء

والجدير بالذكر أن قصر البطحاء كان مقراً لتنظيم الحفلات ذات الطابع الديني والثقافي كموسم مولاي إدريس، والعروض المسرحية، والسهرات الموسيقية والندوات إلى غير ذلك من الأنشطة التي تشهدها المدينة.

*دراسة ميدانية.*

علي أمهان

**البط**، طيور مائية من فصيلة البطيات Anatidae ورتبة كفيات القدم Palmipèdes وصفيحيات المناقر Anseriformes التي تشمل عشيرة الإوز والتم وغيرها.

البط مفرده بطة ويقال أيضا بَرَكة جمعها بْرَك وبراك كما هو شائع في شمال افريقيا وفي الشرق العربي. إن البط الإوز واحد في اللغة ويميز العلماء بينهما في العشيرة والجنس.

تتكون عشرة البط Anatinae من جنس البط Canards وجنس البلقشة Harles وجنس الحذف Sarcelles وجنس العفاس Fuligules.

البط شبيه بالإوز في هيئته إلا أنه أصغر منه، الأرجل والعنق قصيرة. المنقار عريض ومصفح. الأقدام كفية مما يساعدها على السباحة.

يتميز البط بازدواجية الشكل الجنسي : للإناث ألوان موحدة، شقراء بنية في أغلب الحالات، وللذكور ألوان مختلفة براقة ولامعة تساعد على معرفة النوع.

تبيض الأنثى ما بين 8 و12 بيضة ابتداء من مارس تحضنها لمدة تتراوح ما بين 21 و25 يوما. تطير الفراخ بعد خمسة أسابيع على الأقل. يتكون غذاء البط من مختلف الحيوانات المائية اللافقرية كالحشرات والقشريات والديدان والحلزونات ومن أوراق النباتات، كما أنها تصفي كل ما في الماء من بذور وطحالب وبلنكتون Plancton. تتغذى أنواع البلقشة من الأسماك وهي تحسن الغطس. يفضل البط العيش في البحيرات العذبة والمالحة الكثيرة النباتات.

تضم عشيرة البط 116 نوعا، 17 منها تعيش في المغرب خلال فصل الشتاء. إنها طيور مخالطة، تتنقل وسط مجموعات عديدة الأفراد وتنظم في الجوَ خطوطا منحرفة أو على "٨" أثناء القطع الذي يتم في أوائل فصل الشتاء (قادمة من أوروبا لتشتو في المغرب وجنوب الصحراء) وفي أوائل فصل الربيع (التتوالد في شمال أوروبا وأواسطها).

تتوالد ثلاثة أنواع من البط في المغرب :

1 - البط ذو العنق الأخضر، المعروف بالخضيري Anas platyrhynchos وهو أكثر الطيور انتشارا على طول الساحل الأطلنتي وحول البحيرات والمستنقعات حيث يصل عدده إلى أزيد من 12.500 أعظمها تأتي من أوروبا لتضاف إلى الأفراد التي تعيش في المغرب. العنق والرأس أَخضران لامعان عند الذكر، تتوسط العنق حلقة بيضاء رقيقة، الصدر بُني، البطن رمادي، الأقدام برتقالية. يبلغ طوله 58 سم وطول بسطة جناحيه 95.80 سم ويزن ما بين 900 و1400 گرام. يبني عشه وسط العشب المكثف القريب من الماء وكثيراً ما يألف الإنسان ويعيش بجانبه. قنصه منظم في جميع الدول. إنه أصل البط الأهلي الذي دُجِّن منذ زمن بعيد.

2 - شهرمان أو أبوفروة المسمى علمياً Tadorna ferruginea هو بط بري أحمر الرأس والعنق، في أسفل عنقه طوق أسود وسائره أمغر أي ضارب إلى الحمرة. يطلق عليه في المغرب البرك الأحمر، ويكثر في البحيرات الجبلية وفي المستنقعات والوديان بالمناطق الشبه الصحراوية. يبلغ طوله 64 سم وطول بسطة جناحيه ما بين 105 و115 سم ويزن ما بين 800 و1500 گرام. يتراوح عدده ما بين 650 و800 ومن المحتمل أن كل أفراده آبدة في المغرب وقنصه منظم.

3 - الحذف المعرف Anas angustirostris هو النوع الثالث الذي يتوالد في المغرب وهو بط صغير يبلغ طوله 41 سم يألف المناقع وشواطئ الأنهار والبحيرات، الأرجل خضراء زيتونية والظهر أبيض وأشقر. يتوالد في مَخْلَف سيدي

بوغابة ولا يزيد عدده عن 50 زوجة هناك إلا أن عدده في باقي مناطق المغرب يفوق 500 فرد.

يشتو في المغرب ما يعادل 50.000 فرد من البط يأتي معظمه من أوروبا وعلى رأسه البط الصافر Anas penelope وأبو ملعقة Anas clypeata اللذان يشكلان ما يعادل 30.000 فرد. يتكون العدد الباقي من الأنواع الآتية : الحذف الصيفي Anas querquedula وهو أقلهم عدداً، الحذف الشتوي أو الشرشير Anas crecca، البلقشة المتوجة Mergus scrator، البط الأشقر Netta ruffina، العفاس fuligula Aythya وA. nyroca وA. ferina، البلبل Anas acuta وA. strepera وTadorna tadorna وAnas discors الذي يعد من البط النادر جداً في المغرب. توجد أيضا في فصل الشتاء بالسواحل الأطلنتية والمتوسطية Melanitta nigra قنص البط منظم في المغرب ويمنع صيده في المخالف.

P. Geroudet, *Les Palmipèdes*, Genève, 1972, p. 284 ; H. Heinzel, R. Littre et J. Parslow, *Oiseaux d'Europe, d'Afrique du Nord et du Moyen Orient*, Genève, 1972, p. 319 ; M. Thevenot, P. Bergier, et P.C. Beaubrun, *Compte-rendu d'ornithologie marocaine*, Document Inst. Scient., Rabat, n° 6, 1981, p. 95.

محمد رمضاني

**بطّاش** (سيدي ـ) ـ جغرافيا ـ قرية تعتبر مركزاً لهضبة سيدي بطاش وهي جزء من بلاد زعير السفلى التي تنتمي لشمال غرب الهضبة الوسطى. يشكل واد كريفلة حداً شرقيا، وواد الشراط حداً طبيعياً من الغرب. تنقسم هذه الهضبة إلى متون وعناصر هضبية طولية وواسعة تفصل بينها أودية تتجاوز 250 م عمقاً.

سيدي بطاش

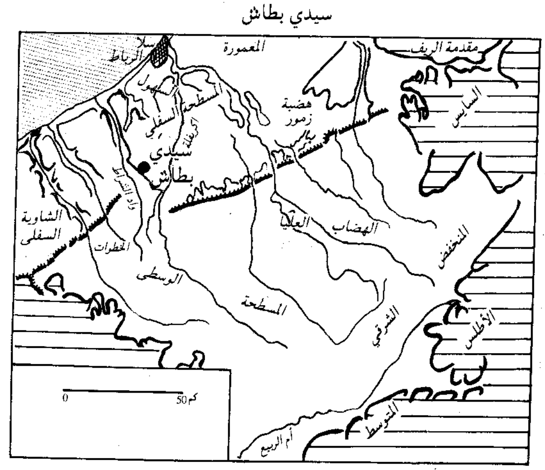

الانحدار العام من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي حيث تتناقص الارتفاعات من 520 م جنوباً إلى 200 م عند مشارف هضاب سيدي يحيى زعير.

ويتميز السطح الطبغرافي بانتشار منخفضات مغلقة تملأ بالمياه خلال الفصل المطير وتعطي المنطقة طابعا خاصاً.

ـ جيولوجياً : تتميز المنطقة بانتمائها للقاعدة الأولية، ولم تعرب إرسابات الزمن الثاني لأنها ظلت مرتفعة. كما أن توضعات الزمن الثالث محدودة جداً. وقد تأثر السطح بمحاور نهرية فيلافرانشية مملوءة بإرسابات من عالية الهضبة الوسطى غنية بالحصى تفصلها هضاب عرفت تفسخا محلياً للقاعدة أعطى فسخات غنية بتصلبات فلزية خصوصاً في المجالات التي تحتلها الضايات.

ـ عناصر المناخ : تتميز بالطابع شبه الجاف، فالتساقطات تتميز بعدم انتظامها وتركزها الفصلي واليومي الحاد مع ما لذلك من آثار كالتخديد والانزلاق وانجراف المواد الدقيقة. متوسط التساقطات 462 ملم علما أن المنطقة لا تبعد عن المحيط إلا بـ 38 كلم. وعدد أيام المطر 58 يوماً.

متوسط الحرارات القصوى 25.8° أما متوسط الدنيا 5.5°.

تتميز المنطقة باحتوائها على واحدة من أكبر غابات البلوط الفليني بالمغرب، ويمثل النبات الأوجي المتوازن مع البيئة المحلية التي تقع بين الطابق البيومناخي شبه رطب وشبه الرطب، ويتوزع النبات بالشكل التالي :

ـ على سطح الهضبة تنتشر غابات البلوط الفليني.

ـ على السفوح الشميسة والقوية الانحدار تنتشر الزيتونيات والعرعر البربري.

ـ على المصطبات نجد البطم والزبوج والطرفاء والخزامى وشجر الغار.

ـ هناك نباتات فصلية متحملة للميهة في الضايات.

ـ على السفوح العارية والهوامش المجتثة تنتشر أشجار الصنوبر الجبلي و الاوكالبتوس وهي أنواع مشجرة اصطناعيا.

فيما يخص التربة فهي تتنوع حسب وضعيتها الطبغرافية والقاعدة الصخرية، فعلى سطح الهضاب تمتد الأتربة الميهة الغنية بالتعقدات الفلزية وتتميز بلونها الأحمر، أما فوق السفوح فتوجد أتربة ضعيفة التطور. وعلى الدرجات النهرية نجد أتربة ترسية أو طينية حمراء غنية بالحصى.

عرفت المنطقة استقرارا بشريا حيث تعيش قبائل زعير ذات التقاليد العربية كالسكن في الخيام والرعي والعناية بالخيول.

وقد استقرت قبائل المنطقة أول الأمر في الأطلس المتوسط حيث مارست الرعي، وقد أشار الحسن الوزان إلى أنهم كانوا يوجدون خلال القرن العاشر (16 م) في منطقة خنيفرة، واستمر زحفهم نحو الشمال الغربي، وفي القرن الموالي دفعهم من طرف قبائل زيان نحو أودية بورقراق، وكريفلة، وكرو.

وفي أصلهم خلاف فحسب الوزان يرجع أصلهم إلى بني معقل وقد وصلوا إلى المغرب في القرن السادس (12م). بينما يشير ابن خلدون إلى أنهم ينتمون لقبائل لواتة الزناتيين الرعاة وقد أتوا من برقة بليبيا. لكن حتى تسميتهم فهي عربية خالصة وتعني "الصعلوك أو الجوال".

وأهم القبائل المحيطة بمركز سيدي بطاش : بني عبيد، أولاد ميمون، أولاد خليفة في الشمال، السلامنة، أولاد زيد أولاد قطير أولاد عمران، الرواشد في الجنوب.

بين الحربين العالميتين توطد الاستعمار الفرنسي والخاص على سطح الهضبة حيث استولى حوالي 180 معمر على مساحة أربعين ألف هكتار وقد أدى ذلك إضافة إلى النمو الديمغرافي والضغوط الادارية إلى استقرار السكان نهائيا، لكن ظل الرعي مورداً أساسياً خصوصاً على هوامش الغابات وحول الضايات وفي الأراضي البائرة.

ويتم استغلال الغابة لمدة طويلة خلال السنة في إطار نظام إحصائي لعدد الأيام بين مختلف الفخذات يصل أقصاه إلى 300 يوم، الشيء الذي يؤثر على نمو الغابة واستمراريتها بالاضافة إلى استغلالها للاستعمال المنزلي كالحطب والتدفئة والبناء.

لذا تتخذ إجراءات حمائية كتحديد أيام الرعي، ومنع أراضي السفوح العطوبة وتحريم دخول الماشية إلى المجالات التي تكون في طور الانبات، وتشجير المناطق العارية بأشجار ملائمة للبيئة وسريعة النمو بالاضافة إلى المنع التام لقطع الغابة أو حرقها وفرض ضرائب على قطعان الماعز للحد من تربيتها لأثرها السلبي على النبات.

- الحياة الاقتصادية تتمثل بالاساس في الزراعة والرعي واستغلال الغابة بالاضافة إلى التجارة والمبادلات الداخلية بين الأسواق المحلية أو مع المدن الكبرى المجاورة.

تتوفر المنطقة على أسواق أسبوعية كثيرة مثل سوق خميس سيدي بطاش، يحيط به سوق ثلاثاء سيدي يحيى شمالا، وسوق ثلاثاء صبيارة جنوباً. وسبت مغشوش شرقا، وسوق بئر الكلب في ج غ هذه الأسواق لها أهمية بالغة حيث تربط بين المركز والشاوية غربا، والقبائل الساحلية لمنطقة الرباط شمالا.

ومن أهم المنتجات بالمنطقة القمح الصلب والطري والشعير والمغارس والقطاني والذرة بالاضافة إلى اللحوم والألبان ومشتقاتها. تنتمي جماعة سيدي بطاش إداريا إلى اقليم الخميسات دائرة الرماني، عدد سكانها 10.550 ن سنة 1982 بكثافة تصل إلى 20 ن /كم2.

يتميز السكن القروي بتمزقه، ونادراً ما تُصادف تجمعات سكنية متقاربة، وتنتشر المنازل المنعزلة حتى داخل المجال الغابوي وعلى هوامشه، ويتميز السكن في غالبيته بالنوع الصلب أو المبني مع استعمال الخيمة في إطار محدود وخصوصاً في فصل الصيف أو أثناء التنقل بالقطعان.

أخيراً تتوفر منطقة سيدي بطاش على إمكانيات سياحية مهمة تتمثل بالأساس في توفرها على غابة غنية بالحيوانات والطيور توفر المتعة للممارسين لهواية القنص، نذكر منها غابة بني عبيد 15.000 هكتار. غابة كريفلة 15.000 هكتار، غابة سلامتة 5.500 هكتار، غابة الواد العاطش 15.500 هكتار، غابة صبيارة 9.000 هكتار. وكل هذه إمكانيات هائلة مازالت لم تستغل كاملة، وتكوّن ذخيرة بالغة الأهمية بالنسبة للمنطقة.

ر. نافع، *دراسة جيورفلوجية لمنطقة سيدي بطاش*، ر. د. د. ع. الرباط 1987 ؛ *البيئة الطبيعية والسلوك البشري في منطقة عطوبة مثال : هضبة سيدي بطاش*، مجلة بحوث، كلية الآداب III بالمحمدية، ع. 1، ص 197-212.

P. Aubert, *Le Pays des Zaers, B. E. S. M.*, Vol. XXIV, 1961 ; *La Mise en valeur et équipement rural de la province de Rabat, B. E. S. M.*, N° 69, 1956 ; *Rabat et sa région, Villes et Tribus*, T. III, Paris, 1920 , Sicar, *L'Organisation des Zaers, R. M.M.*, T. XI, Juin 1910.

رشيدة نافع

**بطاش** (سيدي ـ) . تاريخ . مركز قيادة قبيلتي السلامنة والحلاليف في بلاد زعير تابع لدائرة الرماني التابعة لعمالة الخميسات.

كان سيدي بطاش في بداية القرن العشرين عبارة عن روضة لدفن الموتى، ويبدو أن تلك الروضة اتُّخذت بجوار مدفن أحد الصلحاء المسمى بهذا الاسم، تكاثرت العمارة حولها إلى أن تأسست فيها قيادة سيدي بطاش سنة 1979، بعد أن كانت تابعة لقيادة أحد الغوالم.

وتجدر الإشارة إلى أن ذلك الرجل الصالح غير معروف، كما لا يعرف تاريخ وفاته. على أنه يمكن الاستئناس بالرواية الشفوية التي تشير إلى أن الأمر يتعلق بعالم ينتمي لجهة أخرى، توفي ودفن بالمنطقة. روضة سيدي بطاش اليوم مهجورة، وبقربها ضريح أو روضة أخرى مهجورة أيضاً تنسب لشخص آخر يسمى سيدي محمد المباركي.

يعمر بسيدي بطاش سوق أسبوعي كبير يوم الخميس منذ العشرينات من هذا القرن. فحتى سنة 1916 كان السوق الأسبوعي لقبيلة السلامنة يعمر بعين فوزار، وهو مكان مشهور معدّ لتخييم المحلات السلطانية في الطريق بين مراكش وفاس عبر الرباط. وكان السوق يعمر يوم الأحد وعندما حول لمركز سيدي بطاش أصبح يعمر يوم الخميس.

*روايات شفوية.*

Cicar, *L'Organisation des Zaers, R. M. M.*, 1950.

علال الخديمي

**بطاش** (بن ـ)، هارون المعروف بهارون اليهودي في مخطوط مؤلفه مجهول وعنوانه : *ذكر قصة المهاجرين المسمين اليوم بالبلديين*، كما أن الوزان ذكره باسم بن شمون، يقال إن بن بطاش كان وزيراً بفاس للسلطان المريني عبد الحق، لكن أهل المدينة ثاروا على السلطان فجعلوا حداً لدولة بني مرين وقتلوا بن بطاش، وذلك عام 869/1465.

لم يترك بن بطاش أثراً يذكر في تاريخ يهود فاس في حين أن سبب اضطهادهم بعد الثورة ضد المرينيين، يرجع حسب ما ذكره الربي أبنير حسا رفاتي مستنداً بنفسه إلى ماورد على لسان الربي سعدياً ابن دثان - إلى الاتهام الموجه إلى اليهود بقتل أحد المسلمين (انظر أخبار فاس : *Yahas* (*Fas*, de Ribbis Abner Hassarfaty المصادر العربية متعددة لكن *رحلة عبدالباسط* بن خليل مصري هي الوحيدة التي أشارت إلى هذه الأحداث، مع العلم بأن صاحب الرحلة لم يشاهدها وإنما سمع عنها خلال إقامته بتلمسان

(عبدالباسط بن خليل : *الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم*. انظر كذلك : R. Brunschwig, *Deux récits inédits de voyage en Afrique du Nord au XVème siècle*, Paris, 1936) وحسب المؤلف فإن هارون بن بطاش كان صرافاً أو رجل أعمال يخدم الوزراء، فجعل منه عبدالحق شبه وزير لمواجهة ما كان لوزيره الوطاسي من نفوذ، فأصبحت لهارون أهمية كبرى، وعلت كلمته فوظف في شؤون الدولة بعض أقاربه من اليهود، منهم شاول بن بطاش الذي غدا يقوم مقامه كلما رافق السلطان في حركاته بنواحي تازا. فاغتاظ سكان فاس لنفوذ اليهود وانفجر غضبهم يوم تطاولت وقاحة شاول فشتم امرأة شريفة وانهال عليها بالضرب، فغضب أهل المدينة وأخذوا في تقتيل اليهود - ومن بينهم شاول - ثم إلى تمردوا على السلطان، فاستولوا على السلطة ونصبوا محمد ابن عمران على رأس الدولة، ثم نصبوا كمينا لعبدالحق لجلبه إلى فاس لكن هارون نصحه بعدم التوجه إلى فاس، فاتهمه السلطان بأنه هو سبب الفتنة، وقتل أحد رجال حاشية السلطان هارون، وبمجرد ما وصل عبدالحق إلى فاس، ألقي عليه القبض وقتل ذبيحاً. ويقول الوزان في كتاب له باللغة اللاتينية عنوانه : *De viris quibusdam illustribus apud arabes*, Hambourg, 1726 (في تراجم بعض مشاهير الأعلام عند العرب) يقول : "إن هارون، ابن شنتون ولد في أسرة يهودية رفيعة الشأن بفاس، وكان طبيباً وفيلسوفاً وفلكياً وعضوا في الحاشية الملكية منذ كان السلطان شابا" وفي رواية أخرى للوزان "كان الوزير الوطاسي يسيطر على السلطان ويسوس البلاد، فأوحى إليه هارون بالتخلص منه. وبعده عين الوزير هارون وليا، فبقي بمنصبه سبعة أعوام إلى أن ثار السكان ودبر الأشراف مقتل هارون وهو في حركة مع السلطان، وعندما ألقي القبض على عبدالحق في أرباض المدينة، وضعه القوم على ظهر بغلة عرجاء ثم ذبحوه. تحلل المؤرخة الإسبانية مرسيديس كارسيا أرينال Mercedès Garcis Arenal في كتابها القيم : *ثورة فاس لعام 869/1465 وموت السلطان عبدالحق المريني* The Revolution *of Fas in 869 / 1465 and the death of sultan Abd Al-Haqq Al Mrini - BSOAS*, 41, 1978 كل المصادر المعروفة والأخبار المغربية التي أفرزتها رواية أحمد ابن القاضي في درة الحجال التي تكشف النقاب عن رجل ثالث اسمه الحسين، كان يستخلص الجبايات فلم يستثن منها امرأة من بيت الشرفاء، فضرب يوماً هذه المرأة. وقد مضى هارون وشاول يضطهدون الشعب والشرفاء والعلماء. وعالج كل من عبدالسلام القادري في *الدر السني* ومحمد القادري في *نشر المثاني* هذا الموضوع الذي اتخذ اتجاها آخر عند الناصري في *الاستقصا* حيث ورد أن الحسين كان يهودياً صاحب الشرطة ومكلفا باستخلاص الجبايات. وأضاف الناصري أن البرتغاليين كانوا في هذه الفترة يحتلون طنجة بينما آل جبل طارق إلى الإسبان، وهو آخر موقع كان بأيدي المرينيين بإسبانيا.

إذا أضفنا هذه المعطيات إلى تحركات الوطاسيين وتقليص رقعة مملكة فاس تبين لنا بوضوح مدى الضغط المالي الذي أمسى بنو مرين يعانون منه، فباتت مضاعفات الأزمة المالية تطغى على أهالي فاس بمن فيهم الشرفاء، فترتب عن هذه الحالة غضب السكان قاطبة، في حين أن الضغط المسيحي تزامن مع هذه الأحداث التي شكلت أحد العوامل الهامة لتنظيم المقاومة في ظل الطرقية الدينية القوية، مثل الجزولية وغيرها.

تتحدث الأخبار المتواترة عن تقتيل لليهود كاد يكون جماعياً، وهذا ممكن حسب بعض الرواة المسلمين الذين لم يعاصروا تلك الأحداث وحسب ما يؤكده الربي ساعديا ابن دنان الذي جزم بأنه لم ينج من اليهود في الكارثة إلا ما يقرب من عشرين رب أسرة وعدد قليل من النساء والأطفال. ولكن من هو يا ترى هذا الشخص المسمى ساعديا ؟ إن أقدم من حمل هذا الاسم كان ربيا بغرناطة قبل أن يهاجر إلى فاس ويتوفى بها عام 1493.

ومهما يكن فإن المؤرخ اليهودي المعاصر هيرشبيرغ Hirshberg, *A History of the jews in North Africa*, Leiden, 1974, p. 339 يخالف هذا الرأي بقوة مؤكدا عدم وجود أي نص يهودي مكتوب في عهد ذلك الجيل من اليهود، فلا صحة إذن لما قيل عن تقتيلهم جماعياً، وليس من الممكن أن يكونوا قد تمسكوا بمؤامرة الصمت عن حدث بالغ الهول كهذا، لذلك فإن الخبر يتميز بجانب خرافي، أي بالعنصر الروائي الأدبي كما أشارت إليه المؤرخة مرسيديس كارسيا أرينال.

المصادر المذكورة داخل النص.

سيمون ليفي

**بطّالي، محمد** بن المكي المكنى بـ "الفيرنسور" مقاوم ولد عام 1933 بالدارالبيضاء. وكان عضواً بارزاً في منظمة اليد السوداء. ومن بين العمليات الفدائية التي قام بها اغتيال الشرطيين "عدكوني" و"تيزيدو".

تم اعتقاله يوم 27 نوفمبر 1953 وحكم عليه بالإعدام بتهمة تكوين عصابة مجرمين ومحاولة اغتيال شرطيين عمداً. ونفذ في حقه هذا الحكم بتاريخ 9 دجنبر 1954 بسجن العاذر وهو ما يزال عازباً لم يتجاوزالسنة الواحدة والعشرين من عمره.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 1.

عزالدين العلام

**بطّان**، أو أبطان أسرة يهودية أعطيت كثيرا من الربّيين الذين مارسوا مهامهم الدينية بفاس والصويرة ومراكش والدارالبيضاء وجبل طارق، من القرن السابع عشر حتى القرن العشرين.

**بطّان، إسحاق**، ربِّي يستقطب قبره بدرعة عدداً هاماً من الزوار اليهود الذين يحجون إليه من جهات كثيرة.

**بطّان، يعقوب** ابن القبّالي مردخاي بطّان المراكشي، تولى مهام الربّي الأكبر لمدينة مراكش. إلى أن مات عام 1873، وهو مؤلّف حدّوشيم، الذي يحتوي على تأويل أصيل لما يتضمنه التلموذ من نصوص فقهية وما يطرحه من مشاكل. ونشير إلى أن حدُوشيم تشكل بعض فصول كتاب عنوانه قُولْ مبصّر (القدس، 1908) الربّي يعقوب بطّان واسمه موشي روزيليو.

الزعفراني، *يهود المغرب*، ص 8.

Y. Benaim, *Malke Rabbanam* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs*.

سيمون ليفي

**بطّان** (ابن ـ) الصنهاجي، يذكر ابن الخطيب تحت هذا الاسم كنيتين : الشيخ أبا الحسن بن بطان، والوالي الفاضل أبا محمد بن بطان. ويبدو أن الاسمين لشخص واحد.

فالأول يقول عنه :"... وخاطبت الشيخ أبا الحسن بن بطان، بقية الرعيل، وخاتمة الاسرياء، أهنئه بولده عبد الواحد... بعد اغتراب وشدة، وانبتات بالبلاد الشرقية عظم لأجله بثه، إلى أن تأتى خلاصه ..." (*نفاضة*، 2 : 145، 146 ؛ *ريحانة*، 2 : 198). ويتحدث عن كرم أبي الحسن المذكور والاعتذار له عن عدم الحضورللتهنئة :"لولا أنني ملازم حرمة لا أبرحها" ولعله يقصد حرمة ضريح أبي الحسن المريني بشالة. أما البلاد الشرقية التي يذكرها فيحتمل أنها تلمسان التي قد يكون قصدها عبدالواحد المذكور ضمن حملة أبي سالم المريني سنة 761.

أما الشخص الثاني، فيقول ابن الخطيب في بداية رسالته إليه :"وخاطبت الوالي الفاضل أبا محمد بن بطان... :

لا ناقة لي في صبري ولا جمل  من بعد ما ظعن الأحباب واحتملوا
قالوا استقلّوا بعين الفطر قلت لهم  ما عرسوا بسوى قلبي ولا نزلوا

(*ريحانة*، 2 : 195 ؛ *نفاضة*، 2 : 199). وهذا ما يفيد بأن المخاطب هو والي عين الفطر أو تيط بناحية أزمور، خصوصاً وأن المقري يضيف إليه لقب (الصنهاجي) (*أزهار*، 1 : 288 ؛ *نفح*، 6 : 484)، فيصفه ابن الخطيب بالجود والكرم، وربما يكون قد تعرف عليه في طريقه إلى جبل هنتاتة قبل الاستقرار بسلا. ويتضح من بعض الإشارات عند ابن الخطيب تعرض هذا الوالي للنكبة واستصفاء الأموال، وهذا شيء كان عادياً في فترة ضعف السلطة المركزية وتوالي السلاطين على الحكم بعمليات انقلابية، وهي فترة سادت فيها سلطة الوزراء. يقول ابن الخطيب مادحاً كما ورد في *أزهار الرياض* وفي *نفح الطيب* :

لله درك يا ابن بطان فما  لشهير جودك في البسيطة جاحد...
ويستعين الله يصلح منك ما  قد كان أفسده الزمان الفاسد

ويثني عليه في شكل حوار بينه وبين شخص خيالي يصف فيه بتركيز أحوال بعض الولاة فيسأل :"... قلت : فوالي تيط ابن بطان ؟ قال : كوكب سحر، وكريم قرى ونحر، وأبهت وسحر، ما شئت من ترتيب وتقدير، وخليق بالبر جدير، وروض غدير... هذب الأدب خدامه، وأطاب الاحتفال خبزه وإدامه، إلى عطاء يحسب الاسل، ويثقل الناقة والجمل، عضه الدهرفما عض من طباعه، واستأثر بماله ورباعه، وتركه فريسة بين سباعه، فما حط من همته ولا قصر من باعه". (*نفاضة*، 2 : 277، مع بتر).

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، ج 2 ؛ *ريحانة الكتاب*، ج 2 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، 1 : 288 ؛ *نفح الطيب*، 6 : 484.

أحمد عزاوي

**بطّوطة** (ابن ـ)، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي. ولد بطنجة في 17 رجب 25/703 فبراير 1304. جل معلوماتنا عن حياته نستقيها من رحلته المشهورة التي تبوئه المرتبة الأولى بين الرحالين المسلمين على الإطلاق. ولا وجه للمقارنة بينه وبين معاصره الرحالة الإيطالي المعروف "ماركو بّولو" الذي ذهب من البندقية متجهاً إلى الصين حيث أقام ست عشرة سنة في ضيافة الامبراطور المغولي كوبيلاي خان حفيد جنكيز خان، ثم عاد إلى بلاده عن طريق البحر. فابن بطوطة تفوق عليه بكثرة البلاد التي زارها وأقام بها، وبطول المدّة التي قضاها في غيبته. وتفوّق عليه بشيء أهم، وهو أنه كمسلم استطاع أن يمتزج مع سكان البلاد التي زارها، إذ أكثرهم مسلمون واختلط بهم عن طريق المصاهرة والوظائف التي تقلدها، والاتصالات المختلفة التي أقامها مع أعيان البلاد وعلمائها.

وليست لدينا معلومات كثيرة عن نشأته. ولم يهتم أبناء بلده المغاربة بكتابة ترجمته. ولعل تخليه عن كتابة رحلته بنفسه يدل على ضعف مواهبه في الكتابة. ومع ذلك، فإن قيامه ببعض الوظائف الدينية المهمة مثل القضاء يكفي كبرهان على تمكنه من علوم الشريعة وتحصيله جملة صالحة من مادة الثقافة السائدة في عصره.

انطلق ابن بطوطة في رحلته الطويلة ابتداء من ثاني رجب عام 13/725 يونيو 1325. فخرج من طنجة في ذلك التاريخ "معتمداً، كما يقول في بداية رحلته، حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول" فقصد إلى تلمسان ثم من هنالك إلى مليانة، فإلى مدينة الجزائر، فبجاية، فقسنطينة، فبونة، فتونس، فسوسة، فصفاقس، فقابس، ثم طرابلس. وتزوج في تلك الأثناء ببنت من تونس اضطر إلى فراقها ليتزوج ببنت مغربية، ويصل في النهاية إلى الاسكندرية التي يطنب في وصفها، وبعد ذلك إلى القاهرة التي يسميها "مدينة مصر" واصفاً إياها "أمّ البلاد، وقرارة فرعون ذي الأوتاد، ذات الأقاليم العريضة، والبلاد الأريضة".

وينتقل بعد ذلك إلى الجنوب في أعالي النيل فيزور بلاد الصعيد وبعض المدن مثل البهنسا ومنفلوط وأسيوط وإخميم، وتنتهي رحلته هنالك في عيذاب "مدينة كبيرة

كثيرة الحوت واللبن" واتجه بعد ذلك إلى الشام فمر بفلسطين، حيث زار مدينة الخليل والقدس التي وصف معالمها الدينية. ووصل إلى لبنان فزار صور، فصيدا، فبيروت، فطرابلس، فحمص، فحماة، فحلب التي أفاض في وصفها، ثم تحدّث عن بلاد النصيريين ومدينة اللاذقية ليصل إلى مدينة دمشق "التي تفضل جميع البلاد حسنا وتتقدمها جمالا".

ومن الشام يتجه إلى المدينة، فيدخل "الحرم الشريف" ويخصص صفحات لوصف معالمها ومزاراتها، ويتجه بعد ذلك إلى مكة التي يفيض أيضا في الحديث عنها، واصفاً المسجد الحرام والكعبة المشرفة وكسوتها والصفا والمروة وعرفة.

وفي 20 ذي الحجة عام 17/726 نوفمبر 1326، يغادر ابن بطوطة مكة، متوجها نحو العراق، حيث يبدأ بزيارة مدينة النجف، ثم واسط فالبصرة "إحدى أمهات العراق الشهيرة الذكر". ومن هناك توغل في بلاد الفرس، فزار اقليم خوزستان، وفارس حيث يقف طويلا على مدينة أصفهان، ثم يتجه إلى شيراز "مدينة أصيلة البناء، فسيحة الأرجاء، شهيرة الذكر منيفة القدر" فيتوسع في وصفها. ويعود أدراجه نحو العراق، فيمر على الكوفة "مثوى الصحابة والتابعين" ثم يصل إلى بغداد "متوى الخلفاء ومقر العلماء". ويتحدث عن الخراب الذي أصابها ويصف بعض آثارها كالمساجد وقبور الخلفاء والصالحين. قبل أن يتجه إلى الموصل.

ويجاور بعد ذلك طوال ثلاث سنين بالبقاع المقدسة من عام 727 إلى عام 1330.1327/730 ويتجول في البحر الأحمر ويزور اليمن، حيث يقيم في ضيافة سلطانها وشاهد مدنها مثل صنعاء وعدن وزيلع، ثم يتجه إلى الساحل الشرقي في أفريقيا، فيزور موكاديشيو وقد نزل أيضا في ضيافة سلطانها. كما زار مراسي أخرى في أفريقيا الشرقية، ثم عاد أدراجه إلى البقاع المقدسة عن طريق عمان والخليج العربي فأدى حجة أخرى عام 1332/732.

بعد ذلك قام برحلة ثانية إلى مصر فسوريا فآسيا الصغرى حيث انتشرت الإمارات التركية في عدد من جهاتها وتقلصت رقعة الدولة البيزنطية. ووصل في تجواله إلى بلاد القفجق Cosaques وبلاد القرم Crimée والبلغار وتجول في بلاد التتار. وزار بعد ذلك القسطنطينية، عاصمة الأمبراطورية البيزنطية واستطاع أن يحظى بمقابلة الامبراطور "تكفور" ويزور تلك المدينة التاريخية ويتحدث عن معالمها. ثم اتجه بعد ذلك إلى بلاد خوارزم، وانتقل إلى ما وراء النهر فزار بخارى، وتحدث عن خرابها على يد التتار. واستقبله ملك ما وراء النهر. كما زار بلاد أفغانستان.

وفي فاتح محرم عام 12/734 شتنبر 1333، وصل إلى الهند وأقام بدلهي إلى غاية سنة 1342/743 أي أنه أقام بها تسع سنوات. وتوسع في ذكر معالمها وغرائبها وزار "دلهي" أي دلهي الحالية. فوصفها بأنها "مدينة كبيرة الساحة، كثيرة العمارة" وأفاض في وصف مسجدها المتميز بكبره وهندسته ومواد بنائه ولما تحدث عن صومعته قال: "وهذه الصومعة من عجائب الدنيا في ضخامتها وسعة ممرها بحيث تصعده ثلاثة من الفيلة متقارنة".

ويزور بعد ذلك عدة جهات أخرى في الجنوب الشرقي بآسيا مثل جزر المالديف وسيلان والبنغال وأسام وسمارة. ثم يصل إلى الصين. وكانت أول مدينة نزل بها هي ميناء الزيتون وزار مدينة شوان شوفو. وقد خرج بانطباعات مهمة عن تلك البلاد التي يتحدث عنها بقوله: "واقليم الصين متسع، كثير الخيرات والفواكه والزرع والذهب والفضة لا يضاهيه في ذلك إقليم من أقاليم الأرض". وتحدث عن الفنون والصناعات الصينية وعن الأحكام والتنظيمات الادارية بتلك البلاد، دون أن ينسى الكلام عن الجماعات الإسلامية المستوطنة بها.

وفي محرم عام 748/أبريل ـ ماي 1348 خرج من الصين واتجه إلى سوماطرة، ثم انتقل بعدها إلى ملابار. وكان في طريق العودة من رحلته الطويلة، حيث يم الخليج العربي وزار بغداد مرة أخرى، ثم سوريا، ثم مصر وحج مرة أخرى. وأخذ الطريق من جديد ماراً بمصر، فالاسكندرية، فتونس فجزيرة سردانية، فالجزائر، ففاس، فغرناطة، ففاس. وكان ذلك في سنة 1350/750.

لكن ابن بطوطة لم يطل به الاستقرار أكثر من سنتين ونيف حتى اشتاق للرحلة من جديد، فخرج في محرم عام 753/فبراير 1352 من سجلماسة في رفقة قافلة. فقطع الصحراء وزار الأفارقة وملوكهم ورجالهم ودرس عاداتهم، ورجع في السنة الموالية إلى سجلماسة وبذلك انتهت رحلات ابن بطوطة التي دامت ثلاثين سنة تقريبا.

كان من الضروري التعرف، ولو بمنتهى الاختصار، على المسالك والطرق الكبرى التي مر منها ابن بطوطة حتى نستطيع تقويم رحلته ووزن أهميتها بالنسبة لمن سبقوه أو عاصروه من كبار الرحالين. ونستطيع أن نقول، دون تردد، أنه يفوقهم جميعا. وليس من المستبعد أن يكون هنالك أشخاص سافروا وتجولوا أكثر منه. وقد تحدث لنا هو نفسه عن لقياه مغربياً آخر في بلاد الصين أصله من سبتة. ولكن ميزته هو أنه كتب رحلته، بينما الآخرون لم يتركوا لنا شيئا. وتفوقه على أصحاب الرحلات المكتوبة يتجلى:

1 ـ في اتساع البقعة الجغرافية التي زارها والتي تمتد من المحيط الأطلنتي غرباً إلى بحر الصين شرقاً، ومن بلاد التتار شمالاً إلى أواسط أفريقيا جنوبا. وهكذا زار القارات الثلاث التي كانت معروفة في عصره وهي أفريقيا وأروبا وآسيا. وعرف عدة بحار مثل المحيط الأطلسي والبحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي والمحيط الهادي وبحر الصين الخ ....

2 ـ في طول المدة التي قضاها في رحلاته والتي تقترب من ثلاثين سنة. الشيء الذي مكنه من إغناء اطلاعه

باستمرار وتعميق معرفته بالأشياء والأشخاص والأحداث.

3 ـ في أهمية اتصالاته. فهو لا يلج البلاد كأي مسافر، بل يهتم برجالها وكبرائها ويسعى للاتصال بهم والتعرف عليهم. فيلتقي برجال العلم والقضاة والشرفاء من آل البيت والأولياء. بل إنه يجد السبيل لربط الصلة مع الملوك والأمراء في عدد من البلدان التي زارها مثل أفراسياب ملك إيذج وتستر ؛ وأبي سعيد بهادر خان ابن محمد خذابنده التتري، سلطان العراق وخرسان ؛ والامبراطور نكفور بالقسطنطينية ؛ وسلطان ما وراء النهر علاء الدين الخ ... والأمثلة كثيرة. ففي أي محل وصل تكون له، في الغالب، لقاءات على أعلى المستويات. ومن ذلك يخرج بمعلومات لا يفوز بها الزائر العادي، وتفتح له الأبواب ويلتقط الروايات من أفواه رجال لهم مكانتهم في المجتمع وكفاءتهم الفكرية.

4 ـ في فضوله وتطلعه إلى اكتشاف الأسرار ودقة ملاحظته واهتدائه إلى الأشياء الجديرة بلفت النظر والتسجيل.. فما أكثر اللوحات التصويرية التي قدم لنا عن مجتمعات مختلفة مثل مجتمعات الهند والصين وبلاد السودان بأفريقيا.

5 ـ في محصول الرحلة بالنسبة لبعض العلوم، مثل التاريخ والجغرافيا والإثنوغرافيا والتراجم الخ... فهنالك تعريف بكثير من الدول الاسلامية المعاصرة وبدول أخرى غير إسلامية، ووصف لكثير من العادات والتقاليد المحلية، وإشارات متعددة للإنتاجات الزراعية والمعدنية، ووصف لمشاهد الطبيعة من جبال ووديان وسهول، وذكر لعدد من الرجال من حكام وقضاة وفقهاء وعلماء وصوفية.

أثارت رحلة ابن بطوطة قديما وحديثا الاهتمام. وهكذا نجد السلطان المريني أبا عنان يعجب بها ويأمر بتدوينها ويكلف أحد أدباء البلاط ابن جزي بمساعدة ابن بطوطة على تحريرها. ولا أدل على الشهرة التي أدركتها الرحلة من شهادة ابن خلدون، الذي يشير إلى ورود ابن بطوطة على بلاط أبي عنان بعد رحلته الطويلة ويقول :"وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض. وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند، ويأتي من أحواله بما يستغربه المستعمون" (1 : 323) فيتضح من هاته الرواية أن ابن بطوطة قبل أن يدون رحلته حدَّث الناس بها. وهذا ما أثار فضولهم واستغرابهم ودفع إلى الأمر بتدوينها.

وقد أثارت كتابة الرحلة تعاليق بسبب كونها عملا مشتركا بين مؤلفين : ابن بطوطة وابن جزي. وليس من الصعب التمييز بين كلامي الرجلين. فهنالك فقرات مكتوبة بأسلوب طبيعي وسهل تحتوي على معلومات وعناصر ملموسة، لا أثر فيها للتكلف وهي التي يمكن نسبتها لابن بطوطة. وهنالك فقرات أخرى قليلة المحتوى ولكنها تتميز بالتأنق في إنشائها ولجوئها للوسائل البيانية وربما كان فيها تقليد لابن جبير وغيره. ولا ينسى ابن جزي، في بعض الأحيان، أن يشير إلى كونه هو صاحب الكلام الآتي من بعد. ويوضح في مقدمة الرحلة طبيعة العمل الذي قام به بقوله :

"ونقلت معاني كلام الشيخ أبي عبدالله بألفاظ موفية للمقاصد التي قصدها، موضحة للمناحي التي اعتمدها، وربما أوردت لفظه على وضعه، فلم أخل بأصله ولا فرعه. وأوردت جميع ما أورده من الحكايات والأخبار، ولم أتعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار(*رحلة*، ص 8).

ظلت رحلة ابن بطوطة تقرأ في المغرب وفي البلاد العربية دون أن تثير كثيراً من التعاليق إلى أن حل القرن الثالث عشر(19 م). وكان العلماء والمستشرقون الأوربيون، بالخصوص، يجهلونها ويجهلون مؤلفها إلى ذلك العهد. وكان أول من اكتشفه بعض الرحالين الأروبيين مثل زيتسن Seetzen وبوركهارت Burckhardt. وفي سنة 1829، قام العالم الانجليزي لي Lée بترجمة *مختصر الرحلة*. كما ترجمت الرحلة بمتنها الكامل إلى البرتغالية. وحصلت المكتبة الوطنية بباريس على عدة مخطوطات، منها فصول بخط ابن جزين نفسه. وقام المستشرقان دوفريمري Defrémery وسانگينتي Sanguinetti بترجمتها إلى الفرنسية فيما بين سنتي 1853 و1858 في أربعة أجزاء، واستقبل الكاتب الفرنسي رونان Renan بكثير من الاهتمام هذا العمل. وهنالك ترجمات أخرى يطول تعدادها، ولعل أهمها جميعاً هي التي أنجزها المستشرق الانجليزي جب Gibb مشفوعة بتعاليق جد مفيدة. ولا ننس، في الأخير، الاهتمام الذي أظهره المستشرق أندري ميكيل André Miquel في كتبه وفي الدراسة التي خصصها له في *دائرة المعارف الاسلامية* (الطبعة الثانية).

يبقى علينا، في الأخير، أن نقوم ولو بتقويم موجز للرحلة وعطائها العلمي. لقد جمع ابن بطوطة في شخصه بين صفات المستكشف للعالم وصفات العالم الانتروبولوجي والجغرافي والمؤرخ. وهي صفات قلما تجتمع في شخص واحد. هل كان محقاً ومحققاً في كل ما أورده في رحلته ؟ قد تكون هنالك هنات وأخطاء مرجعها إلى النسيان لأن ابن بطوطة اعتمد على ذاكرته أكثر مما اعتمد على مذكراته. ولكنه، على العموم، كان صادقاً ومدققاً في الكثير مما أورده.

فرحلته إلى أفريقيا، مثلا، ظلت هي القول الفصل، كما ذكر كراتشكوفسكي، في الموضوع إلى عهد الرحلات الأوربية في القرن التاسع عشر. وقد شكك عدد من الباحثين في كون ابن بطوطة وصل إلى الصين. لكن كراتشكوفسكي Krachkovski المتخصص في الأدب الجغرافي العربي يبين بالحجة أنه لا مجال لتكذيب ابن بطوطة، ثم استشهد بقول الباحث الياباني ياماموتو Yamamoto :"إنه لمن العسير القول بأن جميع حكايات ابن بطوطة عن الصين هي من نسج الخيال وحده. حقاً، إن وصفه المفصل لتلك البلاد يشمل عدداً من النقاط الغامضة، ولكنه لا يخلو أحيانا من فقرات معينة تعتمد على ملاحظة

مباشرة عن الصين". (كراتشكوفسكي، *تاريخ...* ص 466).

وابن جزي الذي كتب الرحلة كان هو أول من شعر بأهمية الرجل وقيمة رحلته حيث أصدر عليه هذا الحكم في ختام الكتاب :

"ولا يخفى على ذي عقل أن هذا الشيخ هو رحال العصر. ومن قال : رحال هذه الملة لم يبعد" (ص 681).

ونستطيع أن نضيف إلى هذا الحكم أنه كان أكبر رحال في العالم بأسره إلى غاية القرن الرابع عشر، وأن العرب لم ينجبوا بعده رحالا من هذا المستوى، وتركوا مهمة استكشاف العالم للأوروبيين. وليس بين وفاة ابن بطوطة واكتشاف أمريكا إلا قرن ونيف.

وكانت وفاته بالمغرب في سنة 1377/779. فيكون قد عاش ثلاثاً وسبعين سنة.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 1 : 322 ؛ م. ابن بطوطة، *الرحلة*.

H. A. Gibb, *Notes sur les voyages d'Ibn Battuta*, in *Etudes Levi-Provençal*, 1962 ; R. Blachère et H. Darmaun, *Extraits des principaux géographes arabes du Moyen Age*, Paris, 1957 ; A. Miquel, *Ibn Battuta*, in *E. I*, 2.

محمد زنيبر

**البَطُّومي**، أسرة تطوانية لعل أصلها من الجزائر لأنها لم تكن موجودة بتطوان قبل سنة 1830/1246، لذلك ربما كانت من الأسر الجزائرية التي هاجرت إلى تطوان على إثر الاحتلال الفرنسي لبلادها. وكان جل أفرادها يعملون في الجندية حيث نجد من بينهم الجندي محمد البطومي في السنة المذكورة، كما نجد الجندي عبدالصمد البطومي وعبدالرزاق البطومي وأحمد البطومي ومصطفى البطومي سنة 1832/1248 وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 216 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بَطُّوية** أو بَطِّيوة، أو بني بطوي، أسماء مشتقة من الأصل الأمازيغي أبطوي، جمع إبطوين. وإذا التجأنا إلى المفهوم اللغوي للفظ، وجدنا أن المعنى موافق لما يفهم من لفظ "بطو". وهذا دال على التجزئة المرتبطة بالانقسام والانفصال. فإذا أخذنا بهذه الدلالة، نكون قد تصورنا أن البطوي، رئيس الجماعة المنفصلة أعطى اسمه لبنيه ولمواطنهم الجديدة بالجبال الشمالية المشرفة على البحر المتوسط من الريف الشرقي. (اقليم الناضور الحالي).

وبتطبيق فكرة الهجرة يطرح مبدأ البحث عن الموطن الأصلي، وهذا بدوره مرتبط بمعرفة الفصيلة الرئيسية التي انحدر منها بنو بطوى، موضوع يصعب إيجاد الاتفاق عليه. فابن حوقل البغدادي الذي زار بلدان المغرب حوالي 331 هـ. اكتفى بإدراج بني بطوي ضمن قبائل زناتة. وسار على منواله كل من ابن أبي زرع وعبدالحق البادسي. وقد زاد هذا الأخير توضيحا لذلك النسب بجعل بطوي ابن جانا، جد زناتة كلها. وفي الوقت الذي أوحى إلينا البكري بانتماء بطوية إلى جذع صنهاجة، أكد لنا ابن خلدون برد ذلك الأصل إلى الفصيلة الصنهاجية، ولو أنه أثار شكوكا بعد ذلك بتحويل الاحتمال إلى قبائل نفزة. ومهما تعدد هذا الاختلاف، فإن الرأي الراجح مائل إلى شرقية أصل بطوية. وإلى قدم استقرار تجمعاتها بجبال الريف الشرقي. ولا يسع تقديرنا هذا القدم إلا بما لا يقل عما قبل زمن الفتح الاسلامي.

ويمكن تحديد الإطار الجغرافي لناحية بطوية من خلال ما ذكرته المصادر وما يُستنتج من كتب التراجم. فالمستخرج من مصادر ما قبل القرن السابع الهجري أن حدود بلاد بطوية منطبقة على القسم الشرقي من جبال الريف، أي ما كان معروفا آنذاك بقلوع جارة أو جارت (قلعية العصر المريني ومابعده)، إذ أن كلا من البكري والإدريسي أشار إلى الانتماء البطوئي في مليلة ونواحيها، وكان من هؤلاء السكان بنو ورتدى أو ورتيدي في الجهات الوسطى والغربية من السلسلة الجبلية (تمسمان).

وارتبط اسم بطوية خلال العصر المريني أكثر بقبائل القسم الأوسط من جبال الريف الشرقي، أي المساحة التي كانت تشغلها قبائل بني سعيد وبني توزين وتمسمان وبني أوليشك وتفرسيت. كانت الجهة مصدر قوة المرينيين المعدة لمواجهة الموحدين والزيانيين. فهذا هو البارز لدى ابن أبي زرع وابن خلدون. ويعود الفضل إلى هذا الأخير لتأكيد استمرارية انتماء جبل قلعية إلى بطوية، مضيفا إلى ذلك جبل أمجاو، المجاور له من الجهة الغربية، بمناسبة المساندة التي وجدها عبدالرحمن بن أبي يفلوسن الثائر بجهات غساسة. على أن ابن خلدون وسع نطاق بلاد بطوية من الناحية الغربية، حينما جعلها ممتدة غرب واد النكور، متضمنة أيضا بني ورياغل وبقُّوية.

وأحسن تعبير عن حدود بلاد بطوية هو الذي قدمه عبدالحق البادسي، إذ جعلها ممتدة من جهة الغرب من حوز المزمة الذي شمل آنذاك كلا من بقوية وبني ورياغل إلى مصب واد ملوية، عند مشارف شرق جبال كبدانة. وسار الحسن الوزان على نفس الرسم بتعداد الجبال الدخلة في اقليم كرط الذي يعرف سكانه باسم بطوية، إلا أنه لم يذكر من تلك الجبال جبل تمسمان المتصل بكل من بني توزين وورودان (بني أوليشك)، كما ألزمه الانتقال بالحديث إلى اقليم الريف لإدخال بني ورياغل وبقوية ضمن الإقليم الأخير.

ويرسم حدود جبال بطوية من جهة الجنوب مجرى واد كرط الذي يجري من الغرب نحو الشرق، ليفصل الجبال عن المنخفضات والهضاب الجنوبية المعروفة خلال القرن العاشر(16 م) بصحراء كرط. وحدد البادسي الزاوية الجنوبية الغربية من بطوية بفج العروس (باب بوعروس) ليفصل بينهما وبين جبال گزناية.

ابن حوقل، *وصف الأرض*، ص 102 ؛ البكري، *المغرب*، 94 ؛ الإدريسي، *نزهة*، 533 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، 10 ؛ ابن أبي

زرع، *الذخيرة*، 36 ؛ ابن عذاري، *البيان*، 14 ؛ ع. البادسي، *المقصد الشريف* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 174، 268، 441، 472 و7 : 245، 256.

حسن الفكيكي

**بطّـوية**، رأس يقع غرب مصب وادي كرت بأرض قبيلة بني سعيد الريفية، ويعرف عند الإسبان بـ Punta Betoya وهو الاسم الجغرافي الوحيد الذي يذكرنا اليوم بقبائل بطّوية أو بطيوة التي كانت بناحية الكرت في القديم.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, p. 47 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, p. 62 ; Comission historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos (protectorados y posesiones de España en Africa)*, Madrid, 1936.

محمد ابن عزوز حكيم

**البطّـوِيي** أو البَطِّيوي، أسرة تطوانية أصلها من قبائل بطِّيوة أوبطُّوية التي كانت بناحية الكرت واندثرت، وكان من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان الفقيه محمد بن علال البطيوي الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1645/1055.

وأسرة البطيوي هي نفس الأسر التي تعرف بـ"أبطِّيو" و"الحمامي" و"أولاد حدّو" و"التمسماني" و"الريفي" فبهذه الأسماء كلها نجد بتطوان أفراد أسرة البطيوي التي اشتهرت بقيادة جيش المجاهدين الذي أسسه السلطان مولاي اسماعيل وكلفه بالعمل على استرجاع الجيوب المغتصبة في شمال المغرب وغربه.

ولازالت أسرة البطِّيوي وأسرة أبطِّيو موجودتين بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 41 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 282 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

**البطّـوِيي، أحمد** بن حدو، (ويكتب أيضاً البطُّوئي والبَطِّيوي) من كبار قواد جيش المجاهدين الذي أنشأه السلطان مولاي إسماعيل للدفاع عن حوزة الوطن واسترجاع المغتصب من التراب المغربي وأسند رآسته إلى القائد الكبير عمر بن حدو البطيوي - أخ المترجم -.

كان القائد أحمد في أول الأمر خليفة لأخيه عمر عندما كان قائداً بالقصر الكبير، وفي شهر جمادى الثانية 1084/ سبتمبر 1673 عينه مولاي إسماعيل حاكما بتطوان وناحيتها. ومنذ ذلك العهد تنسب إليه زنقة القائد أحمد حيث كانت توجد داره التي تعرف اليوم بدار الحمامي.

وفي جمادى الأولى 1090/نوفمبر1679 عين القائد أحمد حاكما بالقصر الكبير حيث إن أخاه القائد عمر كُلِّف بأمر الجهاد من أجل استرجاع الجيوب المغتصبة في شمال المملكة.

وفي سنة 1681/1092 شارك بجانب أخيه عمر في حصار مدينة المهدية (المعمورة) التي تم استرجاعها من يد الإسبان يوم 30 أبريل 1681. وفي نفس السنة توفي عمر بالوباء فحل أحمد محله على رأس جيش المجاهدين حيث نجده بمعية ابن عمه القائد علي بن عبدالله يحاصر الأنجليز بمدينة طنجة ويتمكن من استرجاعها يوم 5 فبراير 1684.

ولا صحة لما جاء في بعض الكتب من أنه قام بأمر السلطان مولاي إسماعيل بمحاصرة مدينة أصيلا إلى أن استرجعها سنة 1690/1101 لأن استرجاع هذه المدينة من يد البرتغال كان قد تم يوم 13 سبتمبر 1589.

وفي شوال 1100/غشت 1688 شارك القائد أحمد في محاصرة الإسبانيين بمدينة العرائش التي تمكن القائد علي بن عبدالله من استرجاعها أيضاً يوم 17 محرم 1101/فاتح نوفمبر1689.

ونجهل متى وكيف مات القائد أحمد حيث يقول سكيرج إنه أراد أن يقتل السلطان مولاي إسماعيل فاشترى من بلاد النصارى لباساً مسموماً وقدمه هدية للسلطان، وحيث إن زوجة القائد كانت قد أخبرت السلطان بمكيدة زوجها فإن السلطان عندما قدم له اللباس أمر قائده بلبسه فمات في حينه وذلك سنة 1684/1095.

هذه الرواية لا أساس لها من الصحة لأن سكيرج يقول إن اسم القائد هو حدو وأنه مات سنة 1684/1095 ونحن نعلم أن اسم القائد هو أحمد وأنه كان حياً بعد ذلك التاريخ بخمس سنوات، وأما الرهوني فقد اكتفى بأن قال إن مولاي إسماعيل قتل القائد أحمد سنة 1688/1100.

ويوجد قبر القائد أحمد قرب وادي مْضَى بناحية الغرب وقد بنيت عليه قبة يقام حولها موسم بمناسبة "العنصرة" في كل سنة.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، ج 1، ص 134، ج 2، ص 27 و32، ج 3، ص 66 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 253، و2 : 401.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البطّـوِيي، علي** بن عمر (وقيل بن قاسم) عالم محقق كثير التقاييد، ولد بفاس سنة 1559/967 ونشأ بها حيث أخذ مختلف العلوم عن جماعة من أئمة فاس أمثال الشيخ اليدري ورضوان الجنوي والقدومي والمنجور، كما أخذ عن مفتي فاس وقاضيها يحيى السراج وعن قاضي الجماعة عبدالواحد الحميدي وأبي المحاسن يوسف الفاسي وأضرابهم.

تصدر البطيوي للتعليم بفاس واشتهر منهجه بالسهولة وعدم التكلف، فتخرج عليه كثيرون منهم الشيخ محمد ميارة.

ولي المترجم قضاء الجماعة بفاس مدة، لكنه كان يؤثر العزلة والخلوة للذكر والمطالعة والتقييد، قيد فوائد عن شيخه المنجور على العقيدة الكبرى للسنوسي، وله تقييد على المطول، وحاشية على تحفة ابن عاصم، وأخرى على

شرح المكودي للالفية. وله فهرس ذكره صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى.

توفي علي البطيوي بفآس يوم الجمعة 28 ربيع الثاني 1629/1039.

أ. ابن القاضي، *درج الحجال* ؛ م. ميادرة، *شرح المرشد المعين*، 329؛ م. الإفراني، *صفوة*، 48، 94 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 280 ؛ *التقاط الدرر*، ترجمة رقم 154 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 179 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ*، 2 : 314 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 454.

محمد الحبيب نوحي

**البطّوي، عيسى** بن محمد الراسي، ولد بقبيلة بني سعيد الريفية، فرقة أولاد الفقيه، مدشر تيزي عدنيت. وكان في سنة 1588،1587/996 في سن الدراسة الأولى حيث تتلمذ على يد مجموعة من الشيوخ البطوئيين أمثال علي وارث الغساسي وأحمد بن إبراهيم الراسي، واستكمل دراسته على يد شيوخ العلم الواردين على بني سعيد، أمثال الشيخ أحمد الفيلالي، دفين بني بوزرة وأحمد السوسي (ت. 998 هـ). وفي سنة 1002 أو 1003 هـ . انتقل البطوئي إلى فاس بقصد التحصيل، فلم تطل إقامته فيها بسبب وباء مطلع القرن الحادي عشر، ولذلك غير اتجاهه إلى تلمسان، التي كان بها سنة 1008. واستمر بها إلى آخر العقد الأول.

كانت هذه المرحلة الدراسية حدثاً رئيسياً في حياة عيسى البطوئي بفضل احتكاكه بالعديد من رجال العلم بتلمسان، إذ أن قائمة شيوخه وصل عدد أفرادها إلى تسعة عشر شيخاً، منهم الشيخ المفتي سعيد المقري. إلا أن تعلقه اشتد أكثر بالشيخ محمد بن مريم التلمساني، إذ أنه قصد من التقرب إلى مجلسه الانتساب أيضا إلى مذهبه الصوفي. وهذا ما توصل إليه عيسى قبل وفاة شيخه سنة 1025 هـ. إذ حصل على إجازته.

بعودة عيسى البطوئي إلى منزله بتيزي عدنيت من قبيلة بني سعيد دخلت حياته في طور جديد، قدم لنا خلاله أول انتاج له في التصوف ورجاله. ففي سنة 1028هـ. كانت فكرة التأليف قد شغلت باله، وفي سنة 1033، أصبحت قابلة للتنفيذ، لتستمر إلى ما بعد 1040 هـ. أخرج مؤلفه مطلب الفوز والفلاح، في آداب أهل الفضل والصلاح، في قسمين، خص القسم الأكبر منهما لشؤون التصوف عامة، بينما أفرد الباقي لتعداد رجال الفضل والصلاح على عهده.

توفي بعد عام 1630/1040.

م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 454، 456 ؛ ح. الفگيگي، *عيسى بن محمد الراسي البطوئي*، *دعوة الحق*، ع 250، 251.

حسن الفگيگي

**بطّي بن إسماعيل**، لا شك أنه اسم مقتبس من اللغة الصنهاجية اللمتونية. ولذا، فإن المؤرخين لم يضبطوه ضبطا دقيقاً فمنهم من كتبه بالباء مثل القرطاس، ومنهم من كتبه بالياء فأصبح يطي.

وقد كان بطي بن إسماعيل من القادة المرموقين في جيش يوسف بن تاشفين، إذ كانت تسند إليه مهام عسكرية صعبة تحتاج إلى كثير من الخبرة والمهارة والصبر.

فهو الذي قام ببسط نفوذ المرابطين في الغرب ومكناسة وناحيتها، وذلك بعد أن وجهه يوسف بن تاشفين على رأس جيش إلى تلك الجهات. واستطاع أن يدخل إلى مكناسة دون حرب. إذ بعث بكتاب إلى أميرها الخير بن خزر الزناتي يدعوه إلى الطاعة. وعرض الخير الكتاب على زناتة لإخبارهم واستشارتهم. فأظهروا التمنع وأشاروا بمحاربة بطّي. إلا أن الخير أبى أن يسير في هذه الطريق وفضل أسلوب التفاوض والتفاهم. فبعث إلى بطّي رسولا من عنده هو منغفاد بن عبدالعزيز الزناتي. وأمكن للرجلين أن يتفاهما ويصلا إلى اتفاق تمكن بطّي بمقتضاه أن يدخل إلى مكناسة بعد أن قبل الشروط التي اشترطها الخير بن خزر الزناتي. وانسحب هذا الأخير من المدينة إلى جهة القناطر، بينما عين الافضال اللمتوني والياً عليها. ويظهر أن يوسف كان راضيا على بطي من حسن قيامه بالمهمة التي أسندت إليه إذ يقول ابن عذاري في هذا الصدد : "ورحل ابن إسماعيل بعسكره مع الخير المذكور إلى مراكش، وأنعم عليه الأمير يوسف بكل ما أراد ثم صرفه. فبقي الخير مستوطنا بخارج مكناسة إلى أن مات رحمه الله" (*البيان*، 4 : 27).

والظاهر أنه ظل يعمل إلى جانب يوسف كأحد القادة الذين رافقوه في مواصلة العمليات العسكرية بالمغربين الأقصى والأوسط، وأنه كان من جملة القواد المرابطين الذين اتفقوا على أن ينادوا يوسف بن تاشفين بلقب أمير المؤمنين، فرفض وقال لهم :"حاشا لله أن أتسمى بهذا الاسم، إنما يتسمى به الخلفاء. وأنا راجل الخليفة العباسي والقائم بدعوته في بلاد الغرب". واتفق معهم على أن ينادوه باسم أمير المسلمين.

ويدل على أهمية الرجل ومكانته أنه كان من بين القادة المرابطين الذين شاركوا في حروب المرابطين بالأندلس، حيث قام بأدوار عسكرية مهمة، وبالخصوص في الحملة الثانية التي قادها يوسف بن تاشفين إلى تلك البلاد ابتداء من سنة 1088/481. ومن المعلوم أن العاهل المرابطي لم يصادف الإقبال والمساعدة التي كان ينتظرها من ملوك الطوائف الذين قاطعوه ما عدا ابن عبدالعزيز صاحب مرسية والمعتمد بن عباد، وظلوا يتعاملون مع ملوك النصاري. الشيء الذي أغضبه ودفع به إلى احتلال بلادهم وخلعهم عن عروشهم. مما أدى بابن عباد إلى التخوف منه والانقباض عنه. فنشأت عن ذلك جفوة بين الرجلين. قرر يوسف بن تاشفين على إثرها الاستيلاء على مملكة ابن عباد وخلع المعتمد. وأسند المهمة إلى قائده سيري بن أبي بكر اللمتوني.

وبينما كان سيري يحاصر أشبيلية، بعث بطّي، الذي

كان يعمل تحت إمرته، على رأس جيش لإخضاع عدد من المدن الأندلسية الأخرى، فاستولى على جيان بعد أن حاصرها ودخلها صلحا. ثم سار بعد ذلك إلى قرطبة التي كان المأمون بن المعتمد أميراً عليها. ففتحها وفتح حصونها ومعاقلها، وذلك في صفر من سنة 484 / 26 مارس 1091. ثم استولى على بياسة وأبذة وحصن البلاط والمدور والصخيرة وشقورة.

وتنقطع عنا أخبار بطّي لمدة طويلة. والظاهر أنه ظل يعمل في قيادة الجيوش المرابطية وهو شيخ كبير، إذ نجده بعد ذلك بأربعين سنة وهو ما يزال يشارك في المعارك التي قامت بين الموحدين والمرابطين في الأطلس الكبير. فيخرج مع بكور بن علي بن يوسف لملاقاة الموحدين في ناحية أغمات، فينهزمون، حسب رواية ابن القطان إلى مراكش.

وكان تميم بن علي بن يوسف في جبل كيك لمنازلة الموحدين. لكنه انهزم أمام هجومهم وتراجع المنهزمون إلى الخروبة، فخرج بكور بن علي ومعه بطّي بن اسماعيل لمصادمة المهاجمين في عسكر ضخم. فانهزموا وتركوا وراءهم غنائم كثيرة في يد العدو. وواصل الموحدون زحفهم إلى أمجدار بقبلة أغمات وريكة. ويذكر ابن القطان أنهم صادفوا هنالك "عسكر بطّي وعمر بن تورجير بن يوسف زوج ابنته مريم في عساكر" فهاجموهم. ولم يصمد المرابطون كثيراً أمامهم. بل بدأوا ينهزمون. وهنا أظهر بطّي موقفاً بطولياً وصفه ابن القطان بقوله :"ولما رأى بطّي بن إسماعيل الهزيمة وثب من صهوة فرسه إلى الأرض وجلس على درقته ليرجع الناس إليه. فأدركته الدفعة وقتل وهو على درقته".

ا. ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ م. ابن عذاري، *البيان*، ج 4 ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. عنان، عصر *المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

**بطّيخ**، نبات حولي عشبي زراعي يمتد على الأرض من الفصيلة القرعية Cucurbitacés، يسمى علميا كوكوميس ميلو Cucumis melo وضروبه الزراعية عديدة. كنيته في المغرب البطيخ الأصفر "لمهاية" والسويهلة والشمام Cucumis, melo et dudaim.

موطنه الأصلي هو آسيا، وقد انتشر في افريقيا وأوروبا منذ القرون الوسطى. وهو شائع جداً في الأراضي السقوية في المغرب لثماره المشهورة.

يزرع في فصل الربيع وتُجنى ثماره في فصل الصيف.

تتكون ثماره من :

95.00٪ ماء

0.60 ٪ مواد أزوتية

0.11 ٪ مواد دهنية

3.72 ٪ مواد سكرية

0.33 ٪ سلولوز

0.25 ٪ رماد

وتحتوي أيضاً على فيتامين A, B1, C. تختلف مكوناته السكرية حسب الضروب وحسب النضج وتتراوح ما بين 1 و6.8 غ ٪.

البطيخ من الفواكه المفضلة في فصل الصيف، يساعد على الهضم، وينقي الدم، ويُدرّ البول ويسهل.

نجاة الخياطي

**بطّيوة ← بطّوية**

**البطّيوي ← البطّوي**

بطّيوة ← بطّوية
البطّيوي ← البطّوي

**بُطْم**، أو بَطْمَة، أو بَطُّوم، أسماء تطلق على جنس بِسْتاسْيا Pistacia الذي ينتمي إلى فصيلة البطميات Anacardiacea والأنواع الموجودة في المغرب منه هي :

1 ـ البطم الحقيقي Pistacia vera الذي يعطي الفُسْتُق. وهو غير متوطن بالمغرب، وقليلٌ من أهالي هذا البلد يعرفونه. غراسته بالمغرب جد محدودة، وهي لا تُعرف إلا في بعض ضيعات سهل سايس، غير أن إمكانية انتشار الفستق متوفرة، وذلك بسبب وجود الظروف البيئية الملائمة، وشجرة البطم الأطلسي الذي يمكنه أن يُطعَّم من طرف شجرة الفستق.

أما موطنه الأصلي فهو يمتد ما بين إيران وتركيا، ومنهما انتشر في جميع أنحاء شرق البحر المتوسط.

2 ـ بستاتْيا تريانْتوس Pistacia terebinthus أو بطم تريانْتْ، شجيرة نفْضية، تعيش عامة في غابات البلوط الأخضر المصادف في الارتفاعات المتوسطة من سلاسل الريف والأطلس.

3 ـ المُصطكي أو بطم لانْتيسْكْ أو فاضيس باللهجة البربرية، أو الضرْو أو الدرْو يسمى بسْتاسْيا لنْتسْكوسْ Pistacia lentiscus شجيرة دائمة الاخضرار تعيشُ بكثرة في السهول أو على سفوح الجبال التي لا يتعدّى ارتفاعها 1200 م، وعلى أتربة طينية كثيرة الرطوبة، وفي مناطق بيومناخية شبه جافة وشبه رطبة، ورطبة، ذات شتاء دافئ ومعتدل ؛ حيث يُصادف في أحراج الزيتون البري، والعرعر الفنيقي والعرعر البربري.

يستغل الضرو في تغذية الماشية. إذ تقتات من أوراقه المعز، ويستعمل في التدفئة وتهييء الفحم. كما يستخرج منه راتنج المُصْطَكَى الذي عرف منذ العهود القديمة. ويمكن للمصطكى أن يبرز تلقائيا من جذع الشجيرة على هيئة دموع هشة بيضاوية طويلة لونها أصفر ناصل. ويحضر من المصطكى بِرْنيق ناصل اللون، يستعمل في حفظ المعادن والصور الزيتية والمائية، وفي صناعة العطور وبعض الأدوية الخاصة بتقوية لثّة الاسنان.

4 ـ البطم الأطلسي أو بِسْتاسْيا أطْلنْتيكا Pistacia atlantica، شجرة جميلة تتراوح قامتها ما بين 15 و20 متراً؛ قطر جذعها يبلغ متراً واحداً ؛ تاجها كبير الحجم ومستدير، أوراقها مركبة ونفضية. أزهارها على هيئة عناقيد جد متفرعة، ثمارها مفردة النواة لا يتعدى حجمها حجم

الجلبانة، صفراء تميل إلى الاحمرار قبل نضجها ثم تسود بعد ذلك.

إن البطم الأطلسي شجرة تميز المناطق الجافة حيث كانت تشكل سفانات واسعة الانتشار في الجانب الجنوبي من حوض البحر المتوسط ابتداء من الجزر الخالدات في عرض ساحل المحيط الأطلسي إلى إيران.

أما في المغرب فكانت تنتشر تشكيلات هذا النوع في السهول الدافئة الممتدة في ناحيتي ملوية السفلى والوسطى. ويمكنه أن يصادف ممثلا بأفراد موزعة في أحراج العرعر البربري والزيتون البري وأرگان.

تتميز مناطق البطم الأطلسي ببيومناخات شبه جافة وجافة ذات شتاء دافئ أو معتدل، تكون أتربتها متوسطة السمك وحمراء.

إن للبطم الأطلسي كما أشير من قبل، دورا اقتصاديا كبيراً في تنمية زراعة الفستق، والسر يكمن في أن البطم الأطلسي الذي يتحمل قساوة الجفاف يستعمل كمطعّم للفستق الذي يقل تحمله لهذه الظروف البيئية.

بالاضافة إلى هذا فإن البطم الأطلسي يعتبر من أحسن الأشجار العلفية، وخشبه جيد جداً يستعمل لإنجاز الأثاث من النوع الرفيع. لكن تشكيلاته التي كانت تغطي مساحات شاسعة بشمال أفريقيا والتي تحدث عنها المؤرخون العرب، قد اندثرت تماما بسبب الرعي المفرط، وبسبب اجتثاثها لفائدة زراعة العرض، وصناعة الصابون "البلدي" "صابون تازا" التي كانت تتطلب كميات كبيرة من رماد هذه الشجرة.

*أبحاث شخصية* ؛ أ. هيل، *النبات الاقتصادي*. تر. زاهر عبدالمجيد وآخرين.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبدالمالك بنعبيد

**بطن الرمان**، مكان في الأطلس المتوسط وقعت فيه المعركة الحاسمة بين العلويين والدلائيين في أوائل عام 1079 / 1668، حيث انتصرت جيوش الرشيد بن الشريف على فرسان الدلاء بقيادة عبد الله بن محمد الحاج الدلائي.

ولا يعرف بالتحديد موقع بطن الرمان الذين جرت فيه المعركة، إذ يكتنف الزاوية الدلائية موضعان يحمل كل منهما اسم الرمان. ففي شمال الزاوية الدلائية بطريق خنيفرة يقع السهل الذي تسميه قبائل زيان (بو رمّان) وهو الذي نرجح ان المعركة دارت فيه، لوقوعه على الطريق الطبيعية التي يمكن أن يسلكها الرشيد من فاس إلى الزاوية الدلائية. ويوجد جنوب مدينة الدلاء في طريق قصبة تادلا مكان يسمى (بطن الرمان) تقوم فيه اليوم قرية زاوية الشيخ. ويبعد أن يكون جيش العلويين قد سلك طريق الغرب التي تبلغ مسافتها ضعف مسافة الطريق الأولى، لا سيما وأن بلاد الغرب وتمسنا وتادلا لم تكن قد دخلت بعد في طاعة السلطان الرشيد، ولا يمكن أن نفترض اختلاط الاسمين على بعض المؤرخين، لأن الحسن اليوسي وهو البربري الذي لا تخفى عليه مواقع بيئته ولا تلتبس عليه أسماؤها قد عبر في *المحاضرات* عن ميدان المعركة ببطن الرمان، وعنه نقل ذلك سائر المؤرخين. فلم يبق إلا أن نفترض أن (بورمان) كان يسمى آنذاك بطن الرمّان، أو أن اليوسي تصرف قليلا وأدخل كلمة (بورمّان) في قالب عربي.

ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، 1 : 249 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، 253، هامش 28.

محمد حجي

**بَطْنوطْر**، جول Patenôtre. J وزير فرنسا المفوض بطنجة من يناير 1889 إلى أن عين سفيراً بواشنطن في أكتوبر 1891. ولد في أبريل سنة 1845، وكان أستاذاً من 1867 إلى 1871، وانخرط في السلك الديبلوماسي وعُين باليونان والصين والهند. له مراسلات مع السلطات المغربية وتقارير وجهها إلى الحكومة الفرنسية. وكان شقيقه لويز Louis مساعداً له بالمفوضية.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 610. 611.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 26.

**بَطِيرْسون** جون، Peterson, J مبشر أنجليزي من بعثة "سوذرن مروكوميشن" استوطن الصويرة من سنة 1890 إلى 1893 ثم انتقل إلى مراكش حيث مات سنة 1895.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1414.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 151.

مصطفى بوشعراء

**البعثات الثقافية** بالمغرب ← **التعليم الأجنبي** بالمغرب

**البعثات الطلابية**، في إطار المحاولات الإصلاحية التي قام بها المخزن بعد منتصف القرن التاسع عشر اقتداء بالعثمانيين وبمصر أيام محمد علي، واستجابة لنصائح بعض ممثلي الدول الأوربية بطنجة، تم إرسال بعثات طلابية مغربية عديدة في اتجاه الديار المصرية وأوربا لتحصيل العلوم العصرية في مختلف التخصصات.

وارتبط توجيه هذه البعثات إلى الخارج قصد التعلم بضعف الأحوال العسكرية للمغرب وتراجعها، حيث أظهرت هزيمتا إسلي 1844 وتطوان 1859 . 1861 مدى التباين الموجود بين القوات المغربية ومثيلتيها الفرنسية والإسبانية، سواء على مستوى العتاد الحربي، أوعلى مستوى خبرة المقاتلين المستندة إلى تكوين علمي وتقني محكم ودقيق.

اعتقد السلطان عبدالرحمان بن هشام (1822. 1859) في بداية الأمر أنه بالإمكان الاعتماد على خبراء من العالم الإسلامي لتطوير بنيات المغرب العسكرية على مستوى الأطر. ولأسباب دينية امتنع السلطان عن فكرة إرسال طلبة مغاربة مسلمين للتعلم في "بلاد الحرب"، وفضل توجيههم إلى مصر قبيل وفاته سنة 1859. وتكونت تلك البعثة من

ثلاثة أفراد فقط كان من بينهم الحاج محمد بنكيران وأحمد شهبون الفاسيان.

وفي عهد السلطان محمد بن عبدالرحمان 1873.1859 ارتفع عدد البعثات المغربية إلى مصر إلى ثلاث.بعثات أرسلت آخرها سنة 1867 وتجاوز عدد أفرادها الثلاثين وكان يتم اختيار عناصر هذه البعثات بناء على أوامر سلطانية كانت توجه إلى عمال المدن العريقة كفاس والعدوتين ومراكش والصويرة. وكان المقياس المعتمد في الترشيح هو الانتماء في بعض الأحيان إلى عناصر جيش البخاري وصغر السن والنجابة ومعرفة القراءة والكتابة وأحياناً الوجاهة. وبعد عملية الانتقاء يخضع المرشحون إلى تكوين أولي يتلقون خلاله المبادئ الأولية البسيطة في مواد الحساب والتوقيت والهندسة. وتنوعت الميادين التي أرسلوا قصد التكوين فيها بين صناعة البارود والنجارة والطباعة وغيرها. واشتهر من بينهم عبدالقادربن عبدالكريم الذي حل بمصر لتعلم فن الطباعة ومكث بها إلى وفاته سنة 1895. وقد اتجه إلى مصر بعض المغاربة قصد التعلم بطريقة اختيارية دون أن يكونوا ضمن بعثة رسمية وعددهم غير مضبوط.

وبعد الهزيمة الثانية التي لحقت بالجيوش المغربية في تطوان اقتنع محمد بن عبدالرحمان بضرورة الاعتماد على خبرة الأوربيين ومعاهدهم ذات الفعالية العلمية الحقيقية لتكوين الأطر المغربية في مختلف التخصصات ذات الصلة القريبة أو البعيدة بالمجال العسكري. في هذا الإطار، ونظراً للمكانة الخاصة التي تبوأتها بريطانيا لدى المخزن. خاصة بعد مساندتها للمغرب لتمكينه من استعادة تطوان، فقد طلب من ممثلها بطنجة جون دراموند هاي الكتابة إلى لندن للحصول على موافقة رسمية تم بموجبها السماح لحوالي مائتين من الشبان المغاربة الذين وقع اختيارهم من مختلف القبائل والحواضر المغربية، بالتمرن على فنون الحرب والهندسة في جبل طارق. وقد مكثوا هنالك ثلاث سنوات أظهروا خلالها لمدربيهم البريطانيين قدرة عالية على التحصيل والتعلم وتطبيق الخبرات المكتسبة بدقة متناهية أثارت إعجابهم وتقديرهم.

إن لجوء محمد بن عبدالرحمان إلى المناهج والأساليب الغربية في تكوين بعض الأطر المغربية في الوقت الذي كانت فيه عناصر مغربية أخرى تتكون في المشرق يدل على أن المخزن كان بصدد جس النبض للمقارنة بين النتائج الأكثر فعالية لدى الشرقيين والغربيين حتى يتسنى له اتخاذ موقف نهائي وتحديد السياسة المستقبلة الأكثر مردودية لتكوين المتعلمين المغاربة. هذا وإن كان خلفه المولى الحسن قد أقدم على إرسال بعثة خامسة إلى مصر في 1875 فإن ذلك لم يكن إلا مجرد وفاء لتقليد سابق وللحفاظ على نوع من العلاقات والصلات الودية مع باشا مصر. أما في الحقيقة فإنه قرر الاعتماد الكلي على المعاهد والمراكز التعليمية الأوربية لفعالية التكوين بها من جهة، واستجابة لضغوط ممثلي بعض الدول الأوربية بطنجة من جهة ثانية.

حين قرر المخزن الحسني بعد 1873 وضع برنامج بعيد المدى لتحديث الجيش وتطوير أساليبه اتضح غياب شبه تام للأطر المستأنسة بالتكوين العلمي الحديث. وأملاً في الاستجابة إلى ضروريات كانت ملحة وقتئذ اضطر المولى الحسن كإجراء أول ومؤقت إلى جلب مهندسين وخبراء أجانب من أوربا رغم التكاليف الثقيلة التي فرضها ذلك. وحتى لا تستمر البلاد في تحمل أعباء المصاريف بدأ التهيئ لإرسال بعثات مغربية إلى بلدان أوربا للتكوين في المعاهد المختصة في الهندسة والصحة والفنون الحربية وفقا لآخر المستجدات التي عرفتها تلك التخصصات.

وكانت بريطانيا بحكم نفوذها الذي تقوى أكثر أيام المولى الحسن، وبحكم اللهجة الاصلاحية التي تبناها نائبها في طنجة د. هاي، مؤهلة أكثر من غيرها ليعتمد عليها المخزن في تكوين أطره بالديار الأوربية. وكان من الطبيعي أن يستغل المولى الحسن حسن الاستعداد الذي كان عند بريطانيا في هذا الميدان فآثرها بنصيب هام من البرنامج التكويني للمتعلمين المغاربة وخاصة في جبل طارق كمرحلة أولى.

تلقى هناك حوالي أربعمائة من المشاة والمدفعيين تداريبهم العسكرية ما بين 1873 و1878 تحت إشراف الكولونيل كامرون Cameron. وتتوفر معلومات دقيقة حول البعثات الثلاث الأخيرة إلى جبل طارق، من حيث أعداد مبعوثيها والميادين التي تكونوا فيها. ففي 1879 أرسلت مجموعة من خمسة وعشرين فرداً كان على رأسهم علال بن بلاً المراكشي. وبعد سنة كاملة استوفت عناصر هذه الدفعة تكوينها في الرماية والمدفعية وعادت إلى المغرب لترسل مكانها بعثة أخرى تكونت من ثمانين فرداً، اثنا عشر من بينهم لتعلم مهارات استخدام المدافع وصيانتها. وسبعة وستون من المشاة للاستئناس بمختلف الأساليب العسكرية الحديثة، وخمسة فقط لتعلم الطب وطرق العلاج. وبلغ عدد أفراد آخر البعثات المغربية إلى جبل طارق سنة 1878 مائة وخمسة وسبعين فرداً، مائة وثلاثون من المشاة، وخمسة وأربعون من المدفعيين. وكان على رأسهم القائد محمد الزروالي. وفي بعض الأحيان كان يلتحق بجبل طارق لمدة قصيرة بعض "الزنايدية" للتمرن على طرق إصلاح الأسلحة النارية الخفيفة وصيانتها.

أبان الطلبة الخمسة الذين بعثوا إلى جبل طارق سنة 1877 لتعلم الطب رغبة أكيدة في التحصيل، فنالوا كامل الثناء من أساتذتهم. واطلع المولى الحسن على المراحل التي قطعوها في تكوينهم. فاتضح بأن استكمالهم لتكوينهم الطبي يتطلب توجيههم إلى المستشفيات الكبرى لمعاينة طرق العلاج بها لمدة أربع سنوات إضافية. وقد وافق السلطان على إرسالهم إلى أي بلد أوربي لتمكينهم من إتقان مهنة الطب. ويبدو أن ذلك قد تعذر، والراجح أنهم

اكتفوا بما تلقوه في جبل طارق. وربما كانوا هم الوحيدين الذين تلقوا تكوينا طبيا من بين كل المتعلمين الذين بُعثوا إلى جبل طارق.

كانت كل المصاريف اليومية المتعلقة بهؤلاء المتعلمين على حساب المخزن. وتشمل أداء أجور المدربين البريطانيين ومجازاتهم بالهدايا كلما انهوا تدريبهم لكل بعثة. أما المتعلمون فكانوا يتقاضون رواتبهم بانتظام بالإضافة إلى كسوتهم وآلاتهم الموسيقية والأسلحة الضرورية لتداريبهم. وحتى مصاريف إطعامهم كان يتحملها المخزن. حيث خصص مكان وطباخ لأطعامهم بوجبات تتلائم مع العادات والتقاليد المغربية. بالإضافة إلى العناية الطبية، حيث أسندت إلى طبيب بريطاني مهمة تلقيح أفراد البعثات ضد الجدري وإجراء فحوص منتظمة عليهم مقابل أجرة قيمتها خمسون ريالاً عن كل ثلاثة أشهر.

وتجدر الاشارة إلى أن تكوين البعثات المغربية بجبل طارق كان يطرح بعض المشاكل. ذلك أن عناصر البعثات كانوا إما ينتمون لفئات اجتماعية مرموقة كأن يكونوا من أبناء الخاصة، أو كانت لديهم مرتبة سامية داخل الجهاز المعزني أو حتى قرابة مع السلطان، وبالتالي كانوا يجدون صعوبة كبيرة في تحمل أعباء التداريب وأتعابها. بل كانوا يشعرون بنوع من الاستصغار والاحتقار خاصة وأنهم كانوا يتلقون تكوينهم ويجرون تداريبهم فوق أرض مسيحية وعلى يد مدربين نصارى. وقد تكررت بعض الأحداث والخصومات بين المتدربين ومكونيهم، وكان من أهم أسبابها في الغالب رفض المتعلمين الانصياع للأوامر التي كانت توجه إليهم وتظاهرهم بالمرض للافلات من متاعب التداريب. وحين بلغ ذلك إلى علم المولى الحسن، أنّبهم على سلوكهم "بأنهم من جملة عامة العسكر حتى تقدمهم مزية الخدمة أوتؤخّرهم". وابتداءً من 1877 توقف المخزن عن إرسال البعثات التعليمية إلى جبل طارق بناءً على نصائح د. هاي الذي أقنع المولى الحسن بإمكانية الاعتماد على أولئك المتعلمين لنقل خبراتهم إلى غيرهم من المغاربة فوق التراب المغربي. وقد حل أعضاء بعثة 1877 بالجديدة واستقبلهم السلطان بمراكش مبديا رضاه التام عما اكتسبوه من مهارات.

واتضح فيما بعد أن فرنسا لم تكن راضية عن استئثار البريطانيين بتدريب المغاربة بجبل طارق. وراج الحديث عن احتمال دخول مدربين عسكريين فرنسيين في خدمة الجيوش السلطانية. وحين تحقق ذلك بالفعل لم تجد بريطانيا بداً من اقناع المولى الحسن بإيقاف البعثات إلى جبل طارق سنة 1878 وإسناد مهمة الإشراف على تكوين عناصر من الجيش المغربي إلى بعثة عسكرية بريطانية ترأسها ماكلين.

وفي الوقت الذي كانت تستكمل فيه آخر بعثة مغربية تكوينها في جبل طارق، وبينما حل أفراد البعثتين العسكريتين الفرنسية والبريطانية بالمغرب للإشراف على تدريب المشاة والمدفعيين كان قد وقع الاختيار على مجموعة من خمسة عشر طالبا من جهات مختلفة من البلاد، واتخذت كل التدابير لاستقرارهم بطنجة فتلقوا مبادئ الحساب واللغات الأجنبية بالمدرسة الحسنية. وتم تقسيمهم فيما بعد بالتساوي إلى خمس مجموعات صغيرة من ثلاثة أفراد، اتجهت كل واحدة منها إلى كل من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وإسبانيا وألمانيا. ولم يكن التفكير في إرسال هذه البعثات التي قسمت بصفة متكافئة على كل الدول الأوربية التي كانت مهتمة بشكل أو بآخر بمصير المغرب، لم يكن عملا اعتباطيا، بل كان جزءاً من مخطط إصلاحي واسع. وكان هذا البرنامج يسير بشكل مطابق للسياسة العامة التي نهجتها بريطانيا في تعاملها مع المغرب، والتي كانت تقوم على مبدإ الحفاظ على الوضع الراهن والحيلولة دون كل ما من شأنه أن يفسح المجال لأي دولة أوربية لتنفرد بامتيازات كبيرة في المغرب.

تكونت البعثة الموجهة إلى بريطانيا من محمد الجباص وإدريس بن عبدالواحد والزبير سكيرج. وقد وافقت الحكومة البريطانية على تعليمهم بمعاهدها منذ 1875 في الوقت الذي كانوا ما يزالون بصدد تعلم اللغة الانجليزية بطنجة. وفي سنة 1876 التحقلوا ببريطانيا "لتلقي العلوم المتنوعة في صفوف ضباط الجيش بمدرسة مدينة شاتهام Chatham التي هي مركز حربي لبناء المدرعات الحربية، على حد قول الزبير سكيرج في مذكرته. وقضى أفراد البعثة في بريطانيا ثلاث سنوات حصلوا خلالها على إجازات في تخصصاتهم. واستقبلت أكاديمية مودينا Modena الإيطالية ابتداء من 1876 أيضا كلا من المختار الرغاي وعبدالسلام الأوديي ومحمد بناني، فمكثوا هنالك ست سنوات، حيث عادوا إلى المغرب سنة 1882 حاملين معهم إجازات في العلوم التي تلقوها. وتكون أعضاء البعثة المغربية إلى اسبانيا من أحمد بنشقرون ومحمد الشدادي وعبدالسلام الفاسي أو الرباطي. وتلقوا تكوينهم بأكاديمية الهندسة بوادي الحجارة Guadalajara. وكانت عودتهم إلى المغرب سنة 1884. أما ألمانيا فقد اختير للتوجه إليها منذ 1881 كل من الميلودي الرباطي والحسين الأوديّي وعبدالسلام التسولي. وقد اضطروا إلى انتظار وصول أحد الرهبان مباشرة من برلين لتلقينهم مبادئ اللغة الألمانية في طنجة. ودخل التسولي إلى مدرسة للمعادن في كلاوسطال Klausthale بينما التحق الحسين الأوديي بمدرسة للضباط المهندسين والميلودي بأكاديمية عسكرية أخرى. واتجهت أول بعثة طلابية مغربية إلى فرنسا سنة 1881، بعد أن مكث أفرادها الثلاثة أكثر من ست سنوات بطنجة لتعلم مبادئ اللغة الفرنسية والرياضيات. وكان أعضاؤها هم قاسم الأوديي، والطاهر الأوديي، ومحمد بن الكعاب الشرگي. ومكثوا بفرنسا أربع سنوات والتحقوا مباشرة ببلجيكا سنة 1884 كمترجمين للبعثة المغربية هناك.

بالنسبة لعناصر هذه الدفعة الأولى من الطلبة الذين توجهوا أساسا إلى أوربا نسجل بعض الملاحظات.

فالعناصر الثلاثة الذين حلوا ببريطانيا انتقاهم د. هاي من ضمن المتفوقين من مجموعة الخمسة عشرة الذين كانوا بطنجة ولا سيما الجباص الذي أثنى عليه أساتذته البريطانيون والذي وضع أول خريطة مستوفية لكل الشروط العلمية باللغة العربية وإن كان قد اعتمد في وضعها على نسخ أجنبية. كما أن عناصر البعثة المغربية إلى بريطانيا قد استكملت تكوينها بنجاح في أقصر مدة وهي ثلاث سنوات، بينما قضت عناصر البعثة المغربية في إيطاليا وإسبانيا تسع سنوات، والبعثة الموجهة إلى ألمانيا اثنتي عشرة سنة. وعلى مستوى النتائج تمكن أفراد البعثة البريطانية من شغل مناصب هامة بعد عودتهم. حيث تمكن الجباص من الصعود بسرعة ليعين وزيراً للحرب ثم نائباً سلطانياً فصدراً أعظم فيما بعد. أما الزبير سكيرج فقد تولى مهمة إتمام بناء الأبراج التي بدأ بناءها مهندسون بريطانيون في طنجة وتقاعسوا عن إتمامها. كما ساهم سكيرج في مساعدة الألماني روتنبورغ Rottenburg لبناء أبراج الرباط وإقامة مدافع كروب عليها. بالاضافة إلى تركيب الموازين المجلوبة من بريطانيا بالمراسي المغربية وصيانتها. في حين تولّى إدريس بن عبدالواحد الفاسي مهمة تكوين المدفعيين المغاربة بنجاح. وتولى أعضاء البعثة الإيطالية بعد عودتهم سنة 1882 مهمة تدريب عناصر من الجيش المغربي. أما أعضاء البعثة الفرنسية فقد زارهم محمد برگاش في فرنسا، وقال عنهم إنه "توسم فيهم عدم النتيجة ولم يحصلوا سوى معرفة اللسان التي صلحوا بها لجعلهم ترجمانات للأناس الذين توجهوا للتعلم بالبلجيك بخلاف الذين تعلموا ببلاد النجليز والطليان والصبنيول فكلهم تعلموا ووردوا وينتفع بهم". وعند عودتهم إلى المغرب، عين محمد بن الكعاب مهندساً بالمكينة بفاس، والطاهر الأوديي كلف بالعمل في مصنعي السكة والسلاح بفاس. وعين عناصر البعثة المرسلة إلى ألمانيا في مناصب مختلفة. ففي 1886 اشتغل كل من الميلودي والحسين الأوديي كترجمانين للمهندس ڤاگنر Wagnerممثل شركة كروب Krupp. في حين عين التسولي ترجمانا بأحد المراكب الألمانية بالرباط. واشتغل الحسين في الجيش، وعين قائداً عسكرياً على طرفاية. وعاد الميلودي إلى ألمانيا مجدداً في 1888 وتابع دراسته في برلين إلى حدود 1896 حيث اشتغل كاتبا بالقنصلية الألمانية بالدارالبيضاء إلى حدود سنة 1903 مع ما أثار ذلك من خلافات بين المخزن والسفارة الألمانية بطنجة.

وفي سنة 1882 رغب المولى الحسن في تكوين نواة للبحرية المغربية تتوفر على أطر تقنية بمساعدة الدول الأوروبية، فأمر نائبه محمد برگاش باجراء الاتصالات الضرورية في الموضوع مع ممثلي الدول الأوربية بطنجة واستفهامهم عن إمكانية موافقة حكوماتهم على المساهمة في تكوين ثلاثين من الشبان المغاربة بمعدل ستة أفراد بكل دولة في اختصاصات تتعلق بقيادة المراكب وعلم الميكانيكا البحرية. وحين استشير د. هاي في ذلك أشار بأن يُوجه إليه ستة أفراد لا تتجاوز أعمارهم الخامسة والعشرين على أن تكون قامتهم طويلة حتى يتولى هو تسليمهم إلى أرباب المراكب البريطانية التي تجوب السواحل المغربية لتمكينهم من الاستئناس بشؤون البحر. ونصح المخزن بأن يسلم نفس العدد إلى ممثلي إسبانيا وفرنسا ليتعلموا على متن مراكبهم التجارية. ويبدو أن المولى الحسن رفض هذا الاقتراح لكونه غير كفيل بتعليم البحارة المغاربة أسرار البحرية، ولو استجاب لذلك الاقتراح لكان قد قدم لأرباب المراكب التجارية الأوربية يداً عاملة بالمجان لاستغلالها في التنظيف والشحن والتفريغ فقط. وفي أواخر 1884 جدد المخزن الحسني طلباً إلى د. هاي واقترح عليه تهيئ الظروف لتوجيه خمسين متعلماً للتكوين على متن المراكب التابعة للأسطول البريطاني في علوم البحر، على "أن يتعلم عشرة من بينهم هندسة مكينة "البابورات". لكن فوجئ المولى الحسن برفض تام لاقتراحه، وبرّر د. هاي رفضه ذلك باستحالة قبول الحكومة البريطانية لذلك لكونه مخالفاً تماماً للتشريعات البريطانية. كما طرح أمام المخزن صعوبات كثيرة حول موضوع تعليم الشبان المغاربة لهندسة الميكانيكا البحرية منها ضرورة إتقانهم للرياضيات واللغات الأجنبية، واختيارهم من خيرة القوم ثم جعلهم رهن إشارة خبير أنجليزي لابد أن يتعاقد معه المخزن مقابل أجرة ثابتة ومرتفعة. وبذلك لم تتح الفرصة مجدداً لإرسال أي بعثة إضافية إلى بريطانيا باستثناء بعثة أرسلها مولاي عبدالعزيز سنة 1901 لا نعرف عنها شيئا لحد الآن. واضطر المولى الحسن إلى الاعتماد على الدول الأوربية الأخرى للاستمرار في إرسال البعثات قصد التحصيل والمعرفة.

وبذلك التحق بألمانيا سنة 1884 عشرة أفراد للحصول على تكوين في المدفعية تحت إشراف مؤسسة كروب. وفي نفس السنة حل مُحمد برگاش ابن النائب السلطاني بألمانيا ليطلب من غليوم الأول 1797 . 1888 السماح لوفد يتكون من أربعة وعشرين فرداً للحصول على تكوين في مختلف التخصصات ولا سيما العسكرية منها في كل من برلين وإسين وأوهم Berlin-Essen-Ulm. وفي سنة 1885 حلت بألمانيا بعثة من تسعة طلبة وخمسة عشر جنديا لنفس الغاية. واستمرت مؤسسة كروب في استقبال المغاربة للتمرس على اكتساب خبرة المدفعين.

وابتداء من سنة 1884 وإلى حدود 1888 استقبلت بلجيكا أزيد من ستين متعلما مغربيا في ست دفعات، حلُّوا بكل من سيران Seraing ولييج Liege وتلقوا تكوينهم في المدفعية والميكانيك والبحرية. وكل من ظهرت نجابته استمر في التحصيل ومتابعة التكوين، وإلا عادوا إلى المغرب وعوضوا بآخرين.

وفي سنة 1884 أخبر رئيس البعثة الفرنسية بالمغرب لوڤالوا Levallois وزارة الحربية الفرنسية برغبة السلطان في توجيه بعثة طلابية لتمكينها من تكوين عسكري متطور

وألحّ على ضرورة الاستجابة لتلك الرغبة لخدمة المصالح الفرنسية بالمغرب. وعند موافقة وزارة الحربية الفرنسية على هذا الطلب أمر السلطان بدفع نفقات المبعوثين التي بلغت ستة فرنكات يومية لقائد البعثة، وفرنكين لكل متعلم. وفي 1885 حل اثنا عشر شاباً مغربياً بفرنسا للالتحاق بمدرسة المهندسين في مونبليي Montpellier للحصول على تكوين في التلغراف والهندسة. وكان النائب السلطاني فيما يبدو قد اعترض على إرسال هذه البعثة إلى فرنسا مستشهداً بالنتائج الهزيلة التي حققها أفراد البعثة الأولى سنة 1881. حين قال : إن الكفيل بتعليم المغاربة حقا هم الألمان خاصة وأن تكاليف التعليم عندهم أرخص بالمقارنة مع فرنسا. وبعد أربع سنوات أي في 1889 صدقت توقعات برگاش واتضح عجز البعثة المغربية في مونبليي، حسب مكونيهم، عن مسايرة الدراسة، وحصلوا على نتائج ضعيفة، بل تجاوزوا ذلك إلى ارتكاب مخالفات عوقبوا عليها بالسجن هناك. فالطالب محمد بن عبدالرحمان العلج سجن سبع مرات لمخالفات متنوعة وصدرت عقوبات مماثلة في حق كل من محمد بن سعيد السوسي وعبدالله بن مالك الأوديي وصالح التدلاوي وغيرهم، وبناء على ذلك اقترحت وزارة الحربية على المخزن إرجاعهم إلى المغرب. ووصلت هذه الأخبار إلى السلطان في الوقت الذي كانت توضع فيه الترتيبات لارسال بعثة أخرى للتعلم في مدرسة المدفعيين بفرساي. وكان من الطبيعي أن يتم إلغاء هذه البعثة أمام النتائج السلبية لمجموعة مونبليي. ولم ترسل بعدئذ أية بعثة جديدة تجاه فرنسا إلا بعد سنوات 1912.

وفي 1884 حلت بإيطاليا بعثة طلابية مغربية تكونت من خمسة عشر طالبا تراوحت أعمارهم بين 13 و16 سنة، حيث تلقوا تكوينهم بالمدرسة الملكية الدولية بطورينو Torino وفي أكاديمية ليفورنو Livourne البحرية. وتضمنت هذه الدفعة ثلاث مجموعات في شؤون البحرية، وفنون الحرب البرية. والصناعة الميكانيكية وشؤون الأسلحة. وكان من بين هذا الوفد محمد بن طوجة الرباطي. وقد حظيت هذه البعثة باهتمام كبير من طرف المخزن الحسني حيث أرسلت سفارة ترأسها عبدالسلام بن رشيد السلاوي إلى إيطاليا سنة 1892 لتفقدها. وقد اشتغل عناصرها بعد عودتهم على متن المركب المخزني المعروف "بالبشير" واشتهر من بين المتعلمين في إيطاليا في بعثات موالية الحسين الزعري وأحمد الجبلي العيدوني. وقد حصل الزعري على شهادة عليا من مدرسة اللغات بطورينو سنة 1898، وعرف عنه إتقانه للغات أوربية متعددة. وتقلب في عدة مناصب بعد عودته إلى المغرب وترك مذكرة مفيدة عن البعثات المغربية التي حلت بإيطاليا.

وعلى العموم، فإن البعثات الطلابية التي تحمل المخزن مصاريفها الثقيلة لم تحقق إلاّ نتائج متواضعة جداً لصالح البلاد، وذلك لأسباب عديدة لخصها الناصري في قوله : «إلا أن ذلك لم يظهر له كبير فائدة، إذ كان ذلك يحتاج إلى تقديم مقدمات وتمهيد أصول، ينبغي الخوض في تلك العلوم والعمل بها عليها».

وكان من المنتظر أن تساهم تلك العناصر القليلة التي تفتحت على العلوم الحديثة في إحداث بعض التأثيرات الايجابية داخل المجتمع المغربي التقليدي، إلا أن أعدادهم كانت قليلة لم تتجاوز في أقصى الحالات أربعمائة متعلم في تخصصات مختلفة. ولم ينالوا الرعاية اللازمة بعد رجوعهم إلى المغرب باستثناء عدد قليل منهم، وشغلوا مهام بسيطة لا تتناسب مع التكوين الذي حصلوا عليه بالاضافة إلى كل هذه العوامل فإن إرسال تلك البعثات وإن كان ضروريا، فإنه كان بعيدا كل البعد عن تمكين المغرب من تدارك التفاوت الحاصل بينه وبين أوربا التي تبنت المنهاج العلمي القائم على التجربة والملاحظة والصياغة الرياضية للقوانين التي تتحكم في كل الأشياء مهما كانت طبيعتها. ومن تم كان فشل البعثات شيئا حتمياً لغياب قاعدة علمية فعلية عند المتعلمين منذ البداية.

*محفظة التعلم بالخارج* بمديرية الوثائق الملكية ؛ع. ابن زيدان، *العز والصولة* ؛ م. بوشعرة، *الاستيطان*، 4 ؛ م. المنوني، ***مظاهر يقظة المغرب الحديث***، 1 ؛ ع. سكيرج، *مذكرة الزبير سكيرج* (1850.1932) دارالنيابة، ع. 8 ؛ خ. بن الصغير، ***المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر***، ولأدة 1880.

E. Aubin, *Le Maroc d'Aujourd'hui* ; J. Caillé, *Les Marocains à l'école de génie de Montpellier, 1885 - 1888, Hesp.*, Vol. XLI; 1954 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc, 1870 - 1905* ; A. Laroui, *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, 1830 - 1912*, Paris, 1977 ; J.L Miège, *Le Maroc et l'Europe, 1830-1894*, T. 4, Paris, 1964 ; B. Simou, *L'Islah au Maroc : les réformes militaires de 1844 à 1912*, thèse de Doctorat (inédite), Paris IV, 1987, Vol. II.

**خالد بن الصغير**

**البعثة العسكريّة**، Mission Militaire تعريف أطلقته فرنسا وبعدها باقي الدول الغربية على المدربين العسكريين الأوربيين الذين دخلوا الجيش المخزني منذ 1877 في إطار السياسة العسكرية التي نهجها المخزن بعد معركة إسلي والتي كانت تهدف إلى تغيير نظام الجيش التقليدي وخلق جيش نظامي مدرب على النمط الأوربي.

وهذا التعريف يدلّ على الطابع الرسمي الذي أعطته الدول الغربية لهؤلاء المدربين، في حين أن المخزن ظل يسميهم بالمدربين أو "الحرّابة"، لنزع كل صفة رسمية عن مهمتهم.

تزامن تاريخ البعثات العسكرية مع ارتفاع الضغط الأوربي على المغرب في العقد الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وتطورت هذه البعثات بتطور هذا الضغط حتى أصبحت شكلا من أشكال التغلغل الاستعماري ووسيلة من وسائل "زعزعة" الاستقرار التي التجأت إليها الدول الأوربية لإخضاع المغرب.

وقد بدأ مشروع البعثات العسكرية منذ سنة 1876 حين توقف مولاي الحسن في وجدة بعد حركة ضد القبائل الشرقية اندحر فيها الجيش المخزني أمام قبيلة غياثة، وقدم

الجنرال Osmont على رأس وحدات من جيش وهران ليقدم التحية للسلطان باسم الحكومة الفرنسية. وقد استغلت السلطات العسكرية الفرنسية الإعجاب الذي أبداه السلطان بالمناورات التي قام بها الجيش الفرنسي أمامه، وتعبيره عن رغبته في تدريب جيشه على النمط الفرنسي، لتحقيق الحلم الذي ما فتئ يراود الفرنسيين منذ احتلال الجزائر وهو زرع عناصر فرنسية دائمة داخل "المخزن المتنقل"، بإرسال بعثة عسكرية لتدريب الجيش المخزني.

ورغم تحذيرات ممثلي إسبانيا وألمانيا وإنجلترا للسلطان من أخطار قبول بعثة عسكرية فرنسية داخل الجيش، وتراجع مولاي الحسن عن الفكرة فإن الحكومة الفرنسية استطاعت بعد ضغوط دبلوماسية الحصول على طلب رسمي في هذا الباب.

وبقي المخزن يماطل في قبول البعثة مطالباً بأن لا تكتسي البعثة أي صفة رسمية وأن تقتصر على مدربين مسلمين يدربون العسكر على الرماية ويدخلون في خدمة المخزن بصفة شخصية.

وانتهى الأمر بإرسال بعثة أسست في الجزائر باقتراح من الحاكم العام، مكونة من تسعة أفراد : 3 ضباط وطبيب و5 ضباط صف من بينهم مسلمان جزائريان.

ولإضفاء صفة غير رسمية على هذه البعثة اعتبر أعضاؤها في حالة إجازة إدارية بدون مرتب، ووضعوا في خدمة المخزن الذي صار يؤدي لهم أجورهم وتعويضاتهم التي تبلغ ضعف أجورهم الأصلية، وقد استقرت هذه البعثة الأولى في وجدة في دسمبر سنة 1877 ولم يذهب منها إلى مراكش إلا الضابط Erckman وضابط الصف Richert المتخصصان في المدفعية واللذان صارا ملحقين بشخص السلطان يتبعانه في جميع تنقلاته، في حين بقي أعضاء البعثة الآخرون يزاولون تداريب منقطعة في وجدة، ولم يلتحقوا بالرباط إلا بعد سنتين، وذلك على إثر الاستياء الذي أظهره السكان من وجود الضباط الفرنسيين وتعرض أحدهم لمحاولة اغتيال.

وقد وزع أعضاء البعثة فيما بعد بين الرباط والدارالبيضاء وفاس ومراكش، ولم تكن مدة إقامتهم في المغرب تخضع لقاعدة قارة رغم أن المدة التي حددت للإجازة دون مرتب كانت سنتين.

وتناوب على رئاسة البعثة من 1877 إلى 1912 أحد عشر ضابطا هم :

النقيب بَيين Capitaine Payenne نوفمبر 1877 غشت 1879.

النقيب إركمان Capitaine Erckman سبتمبر 79 سبتمبر 1883.

رئيس طابور لُوڤالوا Chef de Bataillon le Vallois سبتمبر 1883.

مقدم دُبْرُويْ Commandant de Breuille أكتوبر 85 سبتمبر 1889.

مقدم گوشميز Commandant Gauchemez دسمبر 89 أكتوبر 1892.

مقدم شلومبرجي Commandant Schlumberger يناير 94 سبتمبر 1897.

النقيب روستينگ Capitaine Rostaing سبتمبر 97 دسمبر 1898.

مقدم بوركارت Commandant Burckardt دسمبر 98 نوفمبر 1902.

ملازم عقيد دوبرايّي دوسان جوليان Lieutenant-colonel de Boyer de St-Julien يناير 1903 فبراير 1904.

مقدم فاريان Commandant Farian مارس 1904 دسمبر 1908.

مقدم مانجان Commandant Mangin يناير 1909 مارس 1912.

وبسبب التنافس بين الدول الأوربية وطبقا لسياسة مولاي الحسن المتمثلة في الحفاظ على التوازن بين مختلف الدول الأوربة الطامعة في المغرب لمنع تمركز نفوذ أي دولة منها، فتحت البعثة الفرنسية الباب أمام البعثات الأوربية الأخرى.

فأثناء المفاوضات حول البعثة العسكرية الفرنسية، عبر المخزن لممثل انجلترا في المغرب جون دراموند هاي عن نيته في قبول مدربيين انجليز، وباقتراح من هذا الأخير تم تعيين الضابط الأنجليزي هاري أوبرى دوفير ماكلين Harry Aubry de vere Mac Lean وهو ضابط مستقيل من الحامية الأنجليزية في جبل طارق حيث كان يدرب الطابور 69. ووصل ماكلين إلى طنجة في مارس 1877 قبل وصول البعثة الفرنسية كمدرب في خدمة المخزن دون أي طابع رسمي.

لم تعين انجلترا بعثة عسكرية رسمية إلا بعد وفاة مولاي الحسن وذلك لتعويض الأخوين ماكلين اللذين صارا متخصصين في تجارة الأسلحة وصفقات تجارية أخرى.

وفي سنة 1887 قبل المخزن بعثة عسكرية إيطالية برئاسة الملازم العقيد Bregoli كانت تضم الضابط Falta الذي خلفه الملازم Ferrare سنة 1889 وخبيرين في صناعة السلاح (Notari) واستقرت البعثة بفاس في أبريل 1888 وأوكل إليها بناء مصنع للسلاح داخل دار المخزن "الماكنة" والسهر على تجهيزه وإدارته.

وفي سنة 1888 وصل إلى الرباط المهندس الألماني Rottenburg وكان قبطاناً في Landwehr واستخدمه المخزن بصفة غير رسمية لبناء حصن ساحلي في الرباط "حصن الألماني" أو "حصن Hervé" فيما بعد لاستقبال مدافع Krupp. وابتداء من 1892 عزز Rottenburg بمهندسين عسكريين ألمانيين من شركة Krupp هما : نيلسن Nielsen وروزيس Rosinsa ثم بضابط صف ميير Meyer في 1896 لتدريب رماة الحصن على استعمال مدافع Krupp التي اقتناها المخزن.

وفي فبراير 1890 استقرت بفاس بعثة إسبانية مكونة من ضابطين من درجة مقدم Commandant هما خوصي الفاريز José Alvarez Cabrera ونقيب هندسي فيلاردي Velardé وبضابطي صف من أصل مغربي من حامية سبتة، وعززت هذه البعثة في 1891 بطبيب عسكري كورتس Cortés للأهمية الخاصة التي كان يتمتع بها الأطباء داخل المخزن، وقد أوكل لهذه البعثة القيام بالأعمال الهندسية وتكوين مختصين في بناء الجسور، وقد انضافت هذه البعثة لبعثة طوبوغرافية مكونة من ثلاثة ضباط وطبيب استقرت في تطوان سنة 1881 وترأسها في سنة 1882 Alvarez Ardamcy وهو ضابط شارك داخل الجيش الإسباني في حرب تطوان، وكان رئيساً لأركان الحرب العامة في سبتة سنة 1883. وبلغ مجموع المدربين الأوربيين في آخر عهد مولاي الحسن خمسة عشر مدرباً.

ورغم أن التجاء المخزن إلى عناصر أجنبية في الجيش لم يكن وليد القرن التاسع عشر إذ أن مختلف الدول التي تعاقبت على حكم المغرب استخدمت في جيوشها إما العلوج أو الأسرى المسيحيين أو الأتراك أو السود، فإن هذه العناصر كانت تختلف عن البعثات العسكرية الأجنبية في القرن التاسع عشر في كونها كانت خاضعة لأوامر المخزن معزولة عن كل تأثير خارجي، على عكس البعثات سواء الرسمية منها أو غير الرسمية التي كانت تعتبر "تتميما للعمل السياسي الذي تقوم به القنصليات" إذ كانت تقوم بخدمة مصالح بلدانها وتنفيذ تعليماتها، تحت غطاء تدريب الجيش المخزني.

لهذا فإن وجود هذه البعثات لمدة عشرات السنين داخل الجيش العسكري المخزني لم يعط إلا نتائج ضعيفة من الناحية الثقنية ظهرت آثارها على المدى القريب في عهد مولاي الحسن، فيما كانت له انعكاسات سياسية خطيرة على المدى البعيد.

لقد أعطت هذه البعثات بعض التفوق للجيش المخزني على مقاتلي القبائل في عهد مولاي الحسن وخصوصا في ميدان المدفعية التي أوكلت للبعثة الفرنسية، واشهرُ من نظمها ودرب الطبجية وقاد مدفعية المخزن في الحركات، هو ايركمان الذي كان من بين أفراد البعثة الأولى وترأس البعثة الثانية من 1879 إلى 1883.

كما أن "القائد" ماكلين استطاع أن يكوّن طابوراً من الحرابة مدربين على النمط الأوربي صار يشكل العسكر الخاص بالسلطان، مما أعطى للجيش المخزني مظهراً من النظام والقوة ميزه عن مقاتلي القبائل.

أما أعمال البعثات في الميادين العسكرية الأخرى فكانت نتائجها ضعيفة لا تتناسب مع المصاريف التي أنفقت عليها، وذلك بسبب حذر المخزن الذي لم يول البعثات كل ثقته، وبسبب انشغالها في الصراع فيما بينها وفي التجسس فيما بينها وعلى المخزن، وعدم تقبل العساكر المغربية الخضوع لمدربين "كفار".

ففي ميدان المشاة "الرجالة" لم تستطع البعثة الفرنسية بعد عدة سنوات من الوجود في المغرب أن تدرب أكثر من طابور الرباط والدارالبيضاء وفضالة.

أما في ميدان التجهيزات العسكرية فإن الماكينة التي تكلفت بها البعثة الإيطالية وأولاها مولاي الحسن كثيراً من الاهتمام والجهود والمال منذ سنة 1887 لم يكن إنتاجها في أواخر عهد مولاي الحسن يغطي مصاريفها، إذ لم يكن معدل هذا الانتاج يفوق ستا وأربعين بندقية (مكحلة) في الشهر، وكما أن انتاج البارود كان يتوقف لأتفه الأسباب كعدم وجود عود الدّفلى مثلا، وكادت مهمة الماكينة سنة 1894 تنحصر في إصلاح أوان لا علاقة لها بالأسلحة.

أما حصن الرباط الذي تكلفت به البعثة الألمانية، فلم يتم بناؤه رغم السنوات الستّ التي قضاها روتنبورغ في ذلك ورغم المصاريف الهائلة التي خصصت له.

وعلى عكس النتائج التقنية لهذه البعثات التي بقيت سطحية وضعيفة فإن نتائجها السياسية كانت لها انعكاسات مباشرة وعميقة على الجهازالمخزني، فدخول بعض أفراد البعثة الفرنسية والأنجليزية لمراكش لتدريب المدفعية والحرابة ودخول البعثة الإيطالية لفاس، فتح العواصم السّلطانية لباقي البعثات العسكرية الأخرى، وللتجار الأجانب والقناصلة والبعثات الدينية التبشيرية الأنجليزية والإسبانية والأمريكية.

كما أن هذه البعثات ساهمت في "تدويل" المسألة المغربية واحتدام الأطماع حول البلاد، إذ أن الصراع والتنافس على احتلال مواقع النّفوذ داخل المخزن كان مستمراً من المدربين الفرنسيين والإسبان والإيطاليين والأنجليز والألمانيين، وكل امتياز أو تساهل من المخزن لفائدة بعثة ما، كان يذكي هذا الصراع ويفتح باب المناورات والضغوط لكن يطبق على البعثات الأخرى ويصبح حقاً ذا صبغة دولية. وهكذا كان دخول إركمان Erckman وماكلين Mac Lean، للمحلة السلطانية، حافزاً لإسبانيا وألمانيا فيما بعد للوصول لنفس الشيء، إذ استطاع الدكتور الإسباني بيلار كافاليس Pilar Cavalez الذي كان مكلفا بتكوين ممرضين عسكريين بطنجة أن يدخل المحلة كطبيب للعسكر، كما دخلها الألمان كخبراء في المدافع، وانتهى الأمر بتمثيل كل البعثات داخل الحركات السلطانية. كما أن هذه البعثات سواء التي لها صفة رسمية أو خاصة، قامت بحركة وجمع معلومات لصالح حكوماتها. وسَهّل مأموريتها وجودُها داخل الجهاز المخزني وتنقلها في أنحاء البلاد بصفة رسمية من خلال مصاحبتها للحركات.

كانت هذه المعلومات ترسل في شكل تقارير إلى الوزراء المفوضّين في طنجة الذين يقومون بدورهم بإرسالها إلى الجهات المسؤولة حسب نوع التقرير، فمثلا كان رئيس البعثة الفرنسية يرسل تقاريره إلى الوزير المفوض الفرنسي الذي يقوم بتوجيهها حسب محتواها، إما لوزارة

الدفاع أو الخارجية أو الحاكم العام في الجزائر وفي بعض الأحيان حينما يتعلق الأمر بأمور جد سرية يرسل التقرير في غلاف مختوم باسم الوزير الذي يريد رئيس البعثة أن يزوده بالمعلومات ويوضع الغلاف في غلاف باسم الوزير المفوض ثم صار رئيس البعثة يرسل كل شهر تقريراً للحاكم العام في الجزائر مباشرة. وكانت هذه التقارير تحتوي على تحليلات ومعلومات مختلفة عن الحالة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وعن السلطان وحركاته وسكناته واستقبالاته وكل أنواع الأخبار الرائجة عن القصر وفي الأوساط المخزنية، وعن كل أفراد المخزن وذهنيته، ونقط ضعفه وميولاته، وعن الأشخاص الذين يمكن "الاعتماد عليهم" إذا اقتضى الأمر، وعن البعثات الأوربية الأخرى ونوايا حكوماتها وعلاقاتها بعضها ببعض وعلاقتها بالمخزن. وهذا النشاط الاستعلامي قام به حتى الضباط الذين حازوا ثقة المخزن، فقد استغلوا هذه الثقة ليستقوا معلوماتهم من مصدر موثوق، وليكونوا عيناً على كل ما يجري داخل البلاد، ويوجّهوا كثيراً من الاختيارات المخزنية لصالح بلادهم، وأشهر هؤلاء ثلاثة ضباط هم :

- إركمان الذي اختاره الجنرال Chanzy الحاكم العام الفرنسي من بين جنود الجيش الفرنسي في الجزائر الذين يتقنون اللغة العربية، ويعرفون العادات والتقاليد المغربية، وقد مكث داخل الجيش المخزني ست سنوات من سنة 1877 إلى 1883، لبس خلالها الزيّ المخزني وصار مستشاراً لمولاي الحسن في أمور السلاح، وكان يجتمع به مرة كل أسبوع في دار المخزن للرمي بالمدفع، وقاد حركاته وعند انتهاء مهمته أنعم عليه السلطان بظهير شريف. وإلى جانب التقارير التي أرسلها إركمان طوال هذه المدة، خلف كتابا بعنوان *مغرب اليوم* وهو تحليل نقدي عسكري وسياسي لعهد مولاي الحسن.

- الدكتور ليناريس الذي مكث داخل الجيش كطبيب عسكري من سنة 1878 إلى 1902، وقد اتخذت اجراءات إدارية منذ البداية لإزالة كل الشبهات حوله. وتسهيل مأموريته، إذ تم انتدابه "Détaché" عن وزارة الحربية ووضع رهن إشارة وزارة الشؤون الخارجية، وطوال الأربع والعشرين سنة التي بقي فيها داخل الجيش وبحكم مهنته كان يدخل القصر، ويرافق السلطان في كل مكان ويقدم النصائح. وعمل على التعرف على أكثر الأسر المغربية سواء المخزنية منها أو غيرها، وعلى تكوين "لوبي" فرنسي، ولم يتوقف عن نشاطه إلا حينما أصيب بمرض في عينيه فارق على اثره المغرب، وقد نعتته بعض الكتب والجرائد في ذلك الوقت بلقب "الفاتح الأول للمغرب".

- القائد ماكلين Hary Haubry de vere Mac Lean وقد اشتهر باسم القائد ماكلين، و"الكلونير" وعمل داخل الجيش المخزني كمدرب للحرّابة، وكان يلبس الزي المغربي هو وزوجته وبناته واخوانه، وبصفته غير الرسمية حاز ثقة السلطان مولاي الحسن ومولاي عبدالعزيز من بعده. وأوكلت إليه كل الأمور المتعلقة بشراء الأسلحة والتجهيزات كتجهيز الماكينة "وصار في عهد وزارة المنبهي للحربية يحتل تقريبا مكانة رئيس عام لأركان الحرب" وأوكلت إليه حتى المهمات السياسية والدبلوماسية، فمثلا في سنة 1902 حينما تزايد الضغط الفرنسي على المغرب أرسل في مهمة سرية لانجلترا حيث استقبله الملك إدوارد السابع، وبلغت درجة قربه من مولاي عبدالعزيز حداً جعلت الإشاعات تروج عن زواج السلطان بأحد بنات ماكلين، وكان هاي يعتبره "السفير الأنجليزي في المغرب".

وإضافة إلى هذا النشاط الاستعلامي المتمثل في جرد علمي لكل المعطيات في المغرب مما سهل إلى حد ما المهمة الاستعمارية فيما بعد، إذ كشف للأجانب نقط الضعف في البلاد ودرجة تدهور المؤسسات العسكرية والسياسية، ساهمت البعثات بقسط وافر في عملية زعزعة المؤسسات التقليدية. بصفة غير مباشرة ومباشرة.

فوجود عناصر "كافرة" داخل الجيش المخزني في وقت تأججت فيه الحزازات الدينية ضد العدو الكافر الذي احتلّ الجزائر وتأكدت فيه الأطماع الاستعمارية تسبب في مشاكل للمخزن تضاعفت بارتفاع الضغط الأوربي. فمثلا لم تلق البعثة الفرنسية الأولى التي استقرت في وجدة أي ترحيب من السكان رغم توجّه شريف وزان لأهالي وجدة يطلب منهم أن يحسنوا علاقاتهم مع الفرنسيين، وتعرض أحد أفرادها اليوتنان جورني Journée لمحاولة اغتيال، وبقي الجنود يرفضون إطاعة أوامر مدربي البعثة. وبالرغم من كون الضباط الأجانب داخل المحلة خلال الحركات كان يفرض عليهم لباس الطربوش عوض القبعة العسكرية الأوربية، فقد تعرض الضابط Smith للاغتيال في قبيلة زمور. مما أوقع المخزن في مأزق مع الحكومة الفرنسية التي طالبت بتأديب قبيلة القاتل وفرض غرامة عليها دية للقاتل.

وقد ظهرت أخطار هذه البعثات للسلطان المولى الحسن فطالب سنة 1886 الدول الأوربية بسحب بعثاتها، وجدد طلبه في 1889 بمناسبة إرسال بعثة مغربية للمشاركة في المعرض الدولي بباريس، وبقي إلى موته يطالب بذلك فرنسا والدول الأخرى، ولكن كل دولة كانت تشترط قبول سحب بعثتها بانسحاب البعثات الأخرى أولا، بل إن فرنسا عرضت على السلطان أن تؤدي هي مرتبات بعثاتها حتى تخفف من عبء النفقات التي كانت من بين التبريرات التي قدمها السلطان لتعزيز طلبه.

ومع تسارع حركة التغلغل السياسي الأجنبي، وانحلال المخزن المغربي تحت الضغط الأجنبي في أواخر عهد مولاي الحسن خلال حجابة أحمد بن موسى، لعبت البعثتان الأنجليزية والفرنسية دوراً مباشراً في هذا التغلغل وفي خلق متاعب المخزن في علاقته، فالبعثة الأنجليزية ازداد نفوذها في فترة وزارة المنبهي في الحربية، ووجد ماكلين في ترويج الاختراعات العصرية الأوربية بابا للربح، إذ زاول كل أنواع التجارة من سلاح وآلات ودراجات وسيارات الخ وأدخل

مجموعة من الأنجليز كان لهم أثر سلبي في أعين القوى الحية من قبائل وعلماء وسكان المدن، كما أن وجود قواد أوربيين في جيش مولاي عبدالعزيز عند مواجهة جيش مولاي حفيظ المكون من القبائل كان له نصيب وافر في انهزام الجيش المخزني أمام الجيوش الرافعة لراية الجهاد.

وبعد انتهاء الوضع القائم المغربي Statuquo marocain والاتفاق الفرنسي ـ الانجليزي في 8 أبريل 1904 وإعطاء الضوء الأخضر لفرنسا في المغرب، تعززت البعثة الفرنسية بفرع في طنجة، وصار دورها هو وضع اللبنات الأولى للاستعمار الفرنسي، فقد وسعت اختصاصاتها واستولت على تسيير الجيش وتدريبه وصارت منذ 1905 تعلن صراحة أن هذا الجيش الذي أسند إليها تدريبه يجب أن يستعمل مباشرة في تدخلها العسكري في المغرب. ولهذا الغرض قدمت مشروع قانون جديد لتنظيم الجيش المغربي، واضطر المخزن الذي كان في حاجة إلى اعانة الجيش الفرنسي لإخماد ثورة الجيلالي الزرهوني الملقب ببوحمارة الذي كان من بين الطلبة المهندسين الذين درّبهم الضابط طوماس، إلى الرضوخ لمطالب البعثة : فاستغنى عن البعثات الأخرى بما في ذلك المدربون الأتراك العشرة الذين كان المولى حفيظ قد أحضرهم لمقاومة نفوذ البعثة الفرنسية، وكلفها سنة 1909 ببناء مستشفى عسكري في فاس وأوكل المدفعية وخزائن السلاح والعدة التي كانت فيما قبل تحت يد وزير الحرب الى قائد البعثة مانجان وأوكل إليه كذلك مؤونة الجيش والرواتب مما زاد في عزل الجيش المخزني.

وأسست البعثة ست وحدات من الكوم في كل وحدة مائة وخمسون من الرجالة وخمسون من الخيالة، وقاد مانجان كل العمليات العسكرية ضد القبائل المغربية "الثائرة" كالعملية ضد شراردة وأولاد جامع وبني مطير.

وفي 4 مارس 1910 قامت البعثة بتطبيق القانون الذي قدمته في 1905 بتجريد العسكر المغربي من سلاحه وجمعته في خمسة طوابير من الرجالة و ثلاثة من الخيالة وطابورين من العبيد.

ومنذ 1911 نسقت البعثة تسير الجيش المغربي مع جيش الاحتلال مما تسبب في خلافات متعددة حول "الصلاحيات".

وبمرور الجيش "الشريف" تحت أوامر الجنرال الفرنسي Brulard منذ مارس 1912 انتهى دور البعثة الفرنسية.

*كنانش شؤون الجيش في خ. ح*، كناش 112 م، 210 شؤون الجيش، كناش 429، 3144 ؛ *تقارير البعثات الفرنسية* ؛ *وثائق وزارة الحربية الفرنسية فانسين* ؛ *وثائق وزارة الخارجية، كي دورسي Quai d'orsay* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، ج 1 و2.

J. Erckman, *Le Maroc moderne*, Paris, 1885 ; E. Doutté, *Les moyens de développer l'influence française au Maroc*, Paris, 1900; E. Ferry, *La réorganisation marocaine*, Paris, 1905 ; Ch. René-Leclerc, *L'armée Marocaine*, Alger, 1905 ; Brives, *Voyages au Maroc, 1901 - 1907*, Alger, 1909 ; J. Caillé, *Quelques renseignements sur le capitaine Erckman, Hesp.*, 1954, T. XLI ; M. Lahbabi, *Le gouvernement marocain à l'aube du XXème siècle*, Rabat, 1958 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1820 - 1894*, Paris, 1961 - 1963, T. III et IV ; T. Berrada, *Quelques aspects du rôle des missions militaires européennes au Maroc, Hesp.*, Vol. IXXV, 1987.

ثريا برادة

**البعثة العلمية** للمغرب، La Mission Scientifique du Maroc مجموعة فرنسية للبحث اهتمت بالدراسات المغربية لأغراض سياسية استعمارية بعد أن تم احتلال الجزائر سنة 1830، ومرّ وجودها بعدة أطوار خارج المغرب قبل أن تصبح مؤسسة رسمية تعمل بطنجة ثم بالرباط، وتُصدر منشورات متنوعة عن المغرب الأقصى. ومن الأكيد أن عملية الاستكشاف "العلمي" قد تفاعلت، خصوصا في فترة ما قبل الحماية، مع مصالح اقتصادية ومالية فرنسية صعّدت الصراع بين الشركات الرأسمالية الكبرى. وكان لكل من هذه المصالح امتداده أو من يمثله على مستوى الفعاليات "العلمية" التي كانت تهتم بالمغرب. مما أدى إلى نوع من الصراع بين باحثين ينتمون للمدرسة العليا للآداب بالجزائر، وآخرين ينتمون للمتربُول. ويمكن اعتبار سنة 1890 كبداية للاهتمام الذي أولاه الباحثون الجامعيون الفرنسيون لدراسة منتظمة للمغرب. ذلك أن المعلومات كانت، قبل هذا التاريخ، غير كافية. ويلاحظ أن هذه الدراسة تركزت، في البداية، على معرفة المغرب من الناحية الجغرافية : بنية الأرض، تحديد المناطق الجغرافية، وعلى جمع المعطيات، والمخطوطات المتعلقة بالمغرب : تاريخ البلاد، اللهجات المستعملة من طرف السكان وعاداتهم، وكذا معتقداتهم وتنظيماتهم الاجتماعية.

احتكر عملية الاستكشاف هذه "فرنسيو الجزائر"، بينما ظل "فرنسيو فرنسا"، الذين كانوا يُنعتون ب "المغاربة" يعتبرون أن المغرب يجب أن يبقى ميدان بحث من اختصاصهم. ونتج عن هذا التنافس، على مستوى البحث "العلمي"، تكوين لجنة المغرب Le comité du Maroc ضمن لجنة افريقيا الفرنسية Le comité de l'Afrique Française التي تأسست سنة 1890، بادرت باصدار دورية : نشرة لجنة افريقيا الفرنسية *Le Bulletin du comité de l'Afrique Française*، صدر العدد الأول في يناير 1891. ومن بين المهام التي أنيطت بلجنة المغرب، داخل لجنة افريقيا الفرنسية، تولى إدارة العملية الاستكشافية المتعلقة بالمغرب وذلك حتى تاريخ تأسيس البعثة العلمية.

تأسست اللجنة العلمية للمغرب بطنجة على يد الفريد لوشاتوليي Alfred Le Chatelier، الذي بدأ عمله بالجزائر كضابط للشؤون الأهلية، وكعضو في لجنة افريقيا الفرنسية أصبح يتتبع، بعد 1890، السياسة الاستعمارية لبلده وخصوصاً منها المتعلقة بالمغرب. ومما ميزه أنه أكد منذ البداية على ضرورة معرفة المغرب ودراسته دراسة مستفيضة سواء من حيث الطبيعة، أو الانسان، أو من حيث المعتقدات والتقاليد والمكونات الاجتماعية. كما كان لوشاتوليي من الذين ألحوا على ضرورة الحصول على ثقة السكان و ثقة المخزن.

ابتداء من سنة 1889، بدأ لوشاتوليي في إلقاء دروسة بكوليج دو فرانس Collège de France. وبفضل مساندة ودعم شخصيات سياسية وبرلمانية كأوجين إتيين Eugène

Etienne وريفويل Revoil تم تأسيس كرسي علم الاجتماع الاسلامي Sociologie Musulmane بكوليج دو فرانس سنة 1903 وعين الفريد لوشاتليي أول أستاذ لهذه المادة. والظاهر أن الغرض من تأسيس هذا الكرسي، لم يكن يقتصر فقط على تكوين إداريين استعماريين، بل أيضاً بناء سياسة استعمارية بالعمل على اقتراح برامج استناداً على وثائق ومعرفة "علمية" بالأوساط الاسلامية. لذلك فكر أ. لوشاتليي، أول الأمر في خلق ملاحق لكرسي علم الاجتماع الاسلامي عبر مختلف المستعمرات الفرنسية، بغية الاقتراب، بما فيه الكفاية، من السكان المعنيين وإفادة كل من يهمهم الأمرسواء كانوا مدنيين أو عسكريين. وقد راودته، في البداية، فكرة تأسيس معهد مغربي، على غرار معاهد أخرى كمعهد الآثار الشرقية بمصر ومعهد الهند الصينية.

وبعد أن تخلى لوشاتليي عن فكرة تأسيس "المعهد المغربي" ومباشرة بعد إحداث كرسي علم الاجتماع الاسلامي بكوليج دو فرانس، أرسل جورج سالمون Georges Salmon أحد قدماء مدرسة القاهرة، الذي سبق أن التقى به بطنجة في سنة 1892، في مهمة لمدة سنتين للبدء في تكوين اللبنات الأولى لما سمي "بالبعثة العلمية للمغرب". كما كلفه أيضا بجمع الكتب وتنظيم مكتبة مختصة في كل ما يتعلق بالمغرب لتكون في خدمة أطر البعثة العلمية والمفوضية الفرنسية بطنجة والعمل على إنجاز دراسات منغرافية حول المغرب.

تأسست "البعثة العلمية للمغرب" بقرار من الحاكم العام بالجزائر م. جونار M. Jonnart بتاريخ 20 أكتوبر 1903. وبالرغم من اعتبارها مؤسسة خصوصية، إلا أنها استفادت من إعانات وزارة الخارجية الفرنسية كما اضطلعت الجزائر بتمويل جزء من ميزانيتها. وكانت تعمل بجانب المفوضية الفرنسية بطنجة. الغاية من تأسيسها حددها إ. ميشو بيلر Edmond Michaux-Bellaire كالتالي: "البحث في عين المكان عن كل الوثائق الضرورية لدراسة المغرب، وإعادة صياغة تنظيماته وحياته، ليس فقط بالاستعانة بالكتب والمخطوطات، بل أيضا بالمعلومات الشفوية وبأعراف القبائل والزوايا والعائلات". وبموازاة مع هذه الوظيفة "العلمية" هناك وظيفة أخرى ذات طابع سياسي، الغرض منها توفير الظروف المواتية للدخول الفرنسي إلى المغرب مع "تفادي الأخطاء المرتكبة في الجزائر نتيجة عدم دراسة البلاد بما فيه الكفاية". ذلك ما دفع بفرنسا لتعطي كامل الأهمية لتهييء دخولها إلى المغرب بطريقة منهجية. لذلك نرى أن العمل على إعداد دخول استعماري "علمي" و"سلمي" كان من بين الأسباب التي دفعت إلى إحداث البعثة العلمية.

أصدرت البعثة العلمية مباشرة بعد تأسيسها أول جزء من سلسلتها *الوثائق المغربية* *Les Archives Marocaines*، هذه السلسلة التي تكوّن رصيدا وثائقياً يضم 34 جزءا (الجزء الخامس والعشرون لم يظهر) توالى نشرها فيما بين 1904-1936. تشكل هذه السلسلة إحدى المجموعات الوثائقية المطبوعة، الأساسية لدراسة المغرب سواء من ناحية التاريخ والجغرافيا أو اللغة والسكان، والغرض الأساسي من إصدار هذه السلسلة كان هو العمل على إعداد "فهرس" للمغرب وقبائله ومدنه وزواياه، وكذا البحث عن أصول القبائل المغربية وأصول السكان وتتبع مختلف الصراعات والأحلاف عبر الدول التي مرت بالمغرب، والتعرف على أعراف البلاد ومؤسساتها.

ومن النتائج العملية المباشرة لانشطة البعثة العلمية أنْ تم توزيع الأجزاء الأولى من سلسلة الوثائق المغربية على المشاركين في مؤتمر الجزيرات سنة 1906، والذي حضره جورج سالمون وتولى فيه الرد على مندوبي المغرب الذين نبهوا إلى أن الدراسات الاستكشافية تتنافى ومقتضيات التشريع الإسلامي. وأكد سالمون مشروعية هذه الأبحاث وشرعيتها.

بعد وفاة جورج سالمون سنة 1906، خلفه زميله ميشو بيلير، الذي كان يعمل بجانبه في البعثة منذ سنة 1904. وفي نفس سنة 1906 أصدرت البعثة العلمية للمغرب، إلى جانب *الوثائق المغربية*، *مجلة العالم الإسلامي* *La Revue du Monde Musulman*، التي أضافها لوشاتليي، لأنه كان يفكر - حسب ميشو بيلير - في إصدار دورية لدراسة الحضارة الإسلامية، التي يجب أن تدرس، على اعتبار شكلها ونتائجها، حسب مختلف البلدان الإسلامية. استمر صدور هذه المجلة حتى سنة 1927 ثم تغير عنوانها فأصبحت تحمل عنوان : *مجلة الدراسات الإسلامية* *La Revue des Etudes Islamiques*.

بعد التوقيع على معاهدة الحماية، حصلت البعثة العلمية على الشخصية القانونية بمقتضى ظهير 11 أكتوبر 1913. ولأن المقيم العام آنذاك Lyautey فكر في إحداث إطار تابع للإقامة العامة يتكلف بالإعلام "العلمي"، لذلك اقترح على لوشاتوليي في مراسلة وجهها إليه بتاريخ 31 يناير 1913، مشروعا للتعاون بين البعثة العلمية والاقامة العامة. من بين ما يتضمنه هذا المشروع العملُ على تجميع ونشر بعض أعمال ووثائق مصالح الحماية. كما نص هذا المشروع، في بنده الأول، على أن الجذاذات التي تتناول الأوضاع التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والادارية للمدن والقبائل المغربية التي يتم إنجازها في مختلف المناطق، وكذا الكتابات والأعمال المختلفة التي تصدر عن أعوان الحماية، والتي لها طابع اجتماعي أو تهم السياسة الأهلية، ويراها المقيم العام تستحق النشر، يتم تجميعها لتكوِّن سلسلة وثائقية تتولى البعثة العلمية للمغرب بطنجة نشرها، تحت إشراف الاقامة العامة.

وأكد هذا المشروع، كذلك، على امكانية استشارة البعثة من طرف مصالح الحماية في كل المسائل المتعلقة بالتاريخ الإسلامي للمغرب، بنظامه القانوني ومؤسساته الأهلية بمختلف أشكالها، وفي مختلف النقط المتعلقة

بالسياسة المغربية الداخلية. كما حدد الفصل السادس طبيعة هذه الاستشارة، حيث نص على أن المعلومات التي قد تتمّ بصددها الاستشارة يمكن أن تكون ذات طابع وثائقي أو طابع استشاري، للحصول على معلومات ذات طابع "موضوعي".

بعد أن تم الاتفاق مع المقيم العام بتسليم الجذاذات التي يعدها ضباط الاستعلامات، للبعثة العلمية، تكفلت هذه الأخيرة بكتابة منغرافيات تتعلق بمدن وقبائل المغرب. وهكذا ابتداء من سنة 1914، وبتعاون مع مديرية الشؤون الأهلية ومصلحة الاستعلامات، ظهرت سلسلة *مدن وقبائل المغرب* *Villes et Tribus du Maroc*، والتي تتكون من أحد عشر جزءاً تم نشرها فيما بين 1915 و1932. وتهم هذه الدراسات على التوالي :

1 - *الدارالبيضاء والشاوية* *Casablanca et Chaouia*، 1915، في جزئين.

2 - *الرباط واقليمه* *Rabat et sa région*، 1918، أربعة أجزاء.

3 - *طنجة ومنطقتها* *Tanger et sa zone*، 1921، جزء واحد.

4 - *القبائل البربرية* *Les Tribus Berbères*.

I - *أيت باعمران*، ج 1، 1930.

II - *مقاطعات وقبائل الهضبة العليا لدرعة*، ج 2، 1931.

5 - *منطقة دكالة* *La Région des Doukkala*، 1932، جزآن.

وفي سنة 1919 تم إلحاق البعثة العلمية بمديرية الشؤون الأهلية ومصلحة الاستعلامات تحت اسم "الشعبة الاجتماعية Section Sociologique"، وانتقل مقرها من طنجة إلى الرباط.

ويمكن القول إن أنشطة البعثة العلمية همت، حتى سنة 1920 بالخصوص، المناطق التي تستعمل فيها اللغة العربية؛ كما أنها ركزت أساسا على انجاز أعمال منغرافية عن مدن وقبائل الشمال الغربي للمغرب.

عملت المنشورات والأدبيات التي أنتجتها "البعثة العلمية" على تطوير ونشر فكرة أو مصطلح "بلاد السيبة" مقابل "بلاد المخزن" بالمغرب، كما تميزت السياسة الأهلية بالارتكاز على نتائج الأبحاث وعلى معطيات الاستمارات والتحقيقات التي أنجزتها البعثة، حيث إن الاستعمار عمل جاداً في البحث عن طريقة تمكنه من إخضاع الأهالي بأقل كلفة ومن إحلال وضعية سلمية دائمة. كما احتل ميشو بلير، كرئيس للبعثة من سنة 1906 حتى تاريخ وفاته في 15 ماي 1930 مركزاً هاماً في تسطير سياسة الحماية، وكان ألفريد لوشاتوليي قد سبقه بالوفاة في تاسع أكتوبر 1929. فأخذ معهد الأبحاث العليا المغربية يحل محل الشعبة العلمية. وبصدور العدد الرابع والثلاثين من الوثائق المغربية سنة 1936 عن "شعبة الدراسات الإسلامية" التابعة لمديرية الشؤون السياسية، برآسة الكولونيل جوستينار، انتهت إصدارات "البعثة العلمية".

E. Burke III, *La Mission Scientifique du Maroc. Sciences Sociales et politiques dans l'âge de l'impérialisme au Maroc*, *Actes de Durham : Recherches récentes sur le Maroc moderne*, Rabat, *B.E.S.M.*, 1979, N° 138 - 139, p. 37 - 56 ; E. Michaux-Bellaire, *La Mission Scientifique du Maroc, Conférence faite au cours des Affaires Indigènes*, Rabat, 1925, p. 22.

مَحمد جادة

**البُعْزة**، أسرة تطوانية يقول عنها الفقيه الرهوني إنها شريفة دون أن يذكر أصلها، حيث نجد في المصادر الإسبانية ما يؤكد أنها أندلسية، وما زالت هذه الأسرة معروفة حتى اليوم بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 45 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azszuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

## البعّاج ← الصبيحي

## بعقيلة ← إدا وْبعقيل

**البعقيلي، إبراهيم** بن عبدالله البوشيكري، أدرجه صاحب *المعسول* (11 : 136) بين إخوة سبعة ترجم لهم، ينتمون إلى الوالد عبدالله ويُذكرون بحفظ القرآن الكريم والاشغال بالتدريس بمدارس بلدهم بعقيلة مع المشاركة في فضّ النوازل المحلية، يضاف إلى ذلك ما نقل عن بعضهم من منظومات وأرجاز.

أخذ إبراهيم عن والده عبدالله آتي الترجمة، *القرآن الكريم* وما معه من المعارف، واقتصر على الأخذ عليه فيما يظهر، وذلك بسبب ما كان لوالده من حدب على بَنيه تربية وتعليماً وتغدية، حتى إنه كان يستصحبهم جميعاً إلى كل دعوة طعام مؤثراً إياهم آحيانا في الأكل مقتحماً في سبيلهم مشقة قرع أبواب المسؤولين بالناحية حتى لا ينشأ أحدهم جاهلاً أو ناقص تعليم.

لذلك نشأ هؤلاء الأبناء، من بينهم إبراهيم، على ما ورثوه من والدهم من خصال البساطة في العيش والنسك مع سذاجة في الطبع تتناسب ومقام الأسرة في الشرف والنسب، وحرص على التحلي بالسنة والابتعاد عن البدعة في المأكل والمشرب واللباس والزواج وغيره.

واشتهر إبراهيم، إلى جانب التدريس، بالمداعبة والمرح، وكانت له لحية كثيفة مسترسلة على صدره بلغ من شدة الاعتناء بها ومشطها والحرص على ألا يسقط شعرها الكثيف أنه كان ينام على قفاه خوفا من تعرضها للضغط وسقوط شعرها. وكان يقول : ليس من السهل على أي إنسان أن يربي مثل هذه اللحية !.

وكانت فيه إلى جانب روحه المرحة صراحة عرف بها بين أهل بلدته وعند (المجاطيين) عامة حيث قدر له أنه يعلّم بمساجدها على الشرط متنقلا ما بين مسجد دوكَادير وقرية أكْرض نْتَسَكَدلت.

توفي إبراهيم البعقيلي عام 1883/1301.

م. المختار السوسي، *رجالات*، 135.134 ؛ *المعسول*، 11 : 136، 143، 144.

**البعقيلي، الأحْسن** بن محمد بن بوجمعة (الحاج ـ) ويكتب أحياناً الحسن ـ بدون همز. حفظ القرآن ببلدته الأولى بعقيلة بمدرسة (إِكَضي) وفيها رأى أن الرسول عليه السلام كساه حلة أوّلها صاحب الترجمة بالدين والإمامة والاطلاع على الحقائق (*المعسول*، 11 : 163.161).

ثم انتقل بعد ذلك إلى دراسة العربية، فأخذ عن جملة من الأساتذة أمثال أحمد المافاماني وأبي القاسم التاجرمُونتي بالمدرسة الإلغية، والمحفوظ الأدوزي بالمدرسة البوعبدليّة، وأحمد البوزوكي الكسيمي، والحاج علي المسفيوي بمدرسة أخليج بأريكة قرب مراكش. ثم لازم بعد ذلك الحاج مسعوداً الوفقاوي بمدرسة بُوابُوض قبل أن يلتحق بفاس سنة 1900/1318 حيث بقي بمدرسة الصفارين مدة يسيرة، ثم التحق بالقائد سعيد الدمناتي من قواد الرحى وحضر معه في وقعة نزع السلاح من الجيش في عهد المولى عبدالحفيظ. ثم التحق بأولاد كنون فتزوج هناك وولد له واكتسب مالاً قبل انتقاله إلى القصرالكبير الذي تزوج به من إحدى الأسر الفاسية، على أنه سرعان ما انتقل إلى مدينة سطات ماراً بالخزازرة واستقر به المقام أخيراً بمدينة الدارالبيضاء سنة 1929/1348 وظل بها إلى وفاته سنة 1948/1368.

إلى جانب هذا النشاط العلمي والرحلات والمهمات الرسمية أسهم صاحب الترجمة بحظ وافر في مجال التصوف، فقد أذن له باكراً في الطريقة الأحمدية = التيجانية أستاذه الشهير الحاج الحسين الإفراني مؤسس الزاوية التجانية بتزنيت.

كما أخذ التصوف أيضاً عن الشيخ عبدالله القشاش السويري (*المعسول*، 11: 160) وقد أثبت صاحب *المعسول* إجازة الشيخ الإفراني لصاحب الترجمة تتضمن توجهات دقيقة في كيفيات استعمال بعض الأذكار وآداب ذلك للمريد السالك طريق الترقي والتزكية عند الصوفية عامة وعند الشيخ التجاني خاصة، مع الإذن بتلقين المريدين هذه الأذكار وما يفعل في تلقين الاسم الاعظم (*المعسول*، 11 : 161).

وقد أجيز صاحب الترجمة في السلوك الصوفي من طرف شيوخ آخرين، منهم علي الإكسلي والطيب بن أحمد بن الطيب السفياني، وأحد أحفاد الشيخ التجاني مؤسس الطريقة، ومن الشيخ التجاني نفسه عن طريق الاتصال الروحي في الاسم الأعظم وغيره.

وحصل له بسبب هذا التجوال على مستوى الأمكنة والرجال ما بين قراء وعلماء وصوفية وحكام ملامحُ سلوكية وعلمية بارزة طبعت شخصيته فجعلته متمكناً من الحديث، حَسَنَ المحاضرة والاستطرادات اللغوية والقصصية وغيرها، مع ميل إلى الانبساط، متخذاً ذلك أسلوباً تربوياً لإيناس المريدين والزوار، مع ما استلزمه ذلك من كرم في الضيافة ورفع للحرج بينه وبين خواص جلسائه إلى درجة الممازحة الحرة اللافتة للنظر.

ورغم ذلك كان ضابطاً للسانه في تناول سيرة الأشخاص مع حرص على ملازمة الوضوء وإقامة الصلوات في أسرته ذات العدد زوجات وأبناء.

وإلى جانب هذه الحياة الصوفية الحافلة أنتج قلمه مجموعة من المؤلفات وربما كان ذلك من أثر تخرجه من المدرسة الإلغية ذات الاتجاه الأدبي بسوس حتى وصفت مؤلفاته بالجودة، فكتب في التفسير على طريق الصوفية أهل الحقائق كتابه المسمى *مقاصد الأسرار والخفى والجواهر المرضية والكاملة في نهاية الأخفى*، وهو في تفسير سورة البقرة في جزءين طبع بالدارالبيضاء سنة 1935/1354. وكتب في الأنساب كتابه المسمى *تبيين الأشراف أهل دائرة الوسائل وقبلة توجّه كل سائل*، طبع بالمطبعة نفسها سنة 1939/1358 في 122 صفحة. وطبع له أيضا كتاب *تحفة الأطفال في مُعرب الأسماء والأفعال*، سنة 1935/1354 في 36 صفحة. وله في هذا الاتجاه *رسالة إلى الولدان من فارس أهل الميدان*، طبعت سنة 1938/1357.

كما خصص بعض مؤلفاته للرد على بعض العلماء ككتابه *الاشفاق على مؤلف صاحب الاعتصام مما جناه إفكه على أهل الاسلام*، المطبوع عام 1938/1357 في 60 صفحة. وكذا كتابه : *إعلام الجهال بحقيقة الحقائق بأسنة نصوص كلام سيد الخلائق*، ممزوجا بالمولد النبوي، طبع سنة 1938/1357 في 37 صفحة.

وله في التصوف وعلوم الحقيقة عدة مؤلفات، منها *حاشية على كتاب علي حرازم برادة جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدنا أبي العباس التجاني* وسمى هذه الحاشية *بالشرب الصافي من الكرم الكافي*، طبعت سنة 1935/1354 في جزأين. وله أيضا *إراءة عرائس شموس فلك الحقائق العرفانية*، طبع سنة 1934/1353. *وتحقيق الحقائق عن كشف مقالات أهل الطرائف*، طبع سنة 1937/1356 في 160 صفحة. وله أيضاً : *ترياق لمن فسد قلبه ومزاجه*، طبع سنة 1939/1358. *والزلال الأصْفَى واللباب المحض الأوفى*، طبع سنة 1934/1353 في 220 صفحة. وكذا *سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستار*، طبع في السنة المذكورة أيضاً في 135 صفحة. *ورفع الخلاف والغمة فيما يظهر فيه اختلاف الأمة*، طبع سنة 1935/1354 في 108 صفحة. *وإيضاح الأدلة بأنوار الأئمة*، طبع سنة 1934/1953 في 115 صفحة.

وقد أسس من أجل إخراج هذه المؤلفات التي دأب على نشرها تباعاً المطبعة العربية بالدارالبيضاء، وكانت زاويته بحي درب غلّف في المدة التي قضاها بهذه المدينة ما بين نشاط علمي وطباعي ونشاط تربوي صوفي لم يخل من مكدِّرات وظروف حرجة ومواقف صعبة في مرحلة دقيقة من تاريخ المغرب.

وكانت وفاته عام 1948/1368.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 186.155، 12 : 193 ؛ *سوس العالمة*، 208، 218 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ*، 74 ؛ م. ر. كحالة، معجم المؤلفين، 3 : 211 ؛ إ. بلماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات*، 175.174.

محمد البايك

**البعقيلي، أحمد** بن علي بن إبراهيم، أحد الفقهاء البعقيليين المشهورين خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر(17م) في منطقة إداوْبعقيل بالأطلس الصغير(جبل جزولة) وقد تخرج من هذا الجبل خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر عدد كثير من الفقهاء والعلماء من بينهم العلامة عبدالله بن يعقوب السملالي المعروف لدى السكان في سوس بـ "ابن يعقوب" الذي يعتبر صاحب الترجمة من تلاميذه حسب الحضيكي (1 : 68) فهو يقول :"أحمد بن علي بن إبراهيم البعقيلي كان رضي الله عنه فقيها خيراً صالحاً من أصحاب الشيخ الإمام سيدي عبدالله بن يعقوب توفي رحمه الله سنة إحدى وخمسين وألف". ونقل المختار السوسي عن *المناقب والوفيات* في *المعسول* (5 : 20) قال في الوفيات :"الولي الصالح المسكين المتبرك به سراً وإعلاناً. كان رحمه الله ذا مسكنه وديانة ملازما لدين الله غاية، توفي رحمه الله في رمضان قبل عيد الفطر بيوم أو يومين من عام 1033 وصلى عليه نحو أربعة آلاف. ودفن بـ(تيزكي) ...".

هكذا وقع اختلاف في سنة وفاته، إلا أن المختار السوسي يرجح سنة 1033 باعتبارها منقولة في *الوفيات* التي يأخذ منها صاحب *الطبقات*. ولم يُعرف تاريخ ولادته ولا الشيء الكثير عن أسرته مما جعل السوسي يقول : "هناك عالم بعقيلي يكبره من (تافراوت) يسمى علي ابن إبراهيم ولا أدري أهو والده أم لا...".

م. الحضيكي، *مناقب* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 5.

محمد حنداين

**البعقيلي الحسن** بن **مبارك** ← **الوَسلامي**

**البعقيلي، سعيد** بن الطيب بن خالد الأگماري الأغرابوئي. ولد حوالي عام 1863/1280، وكان والده الطيب من العلماء الربانيين، له تسعة أبناء منهم صاحب الترجمة، وقد أتيح له ولبعض إخوته وأخواته أن يحفظوا القرآن الكريم، وكانت إحدى أخواته عائشة بنت الطيب (ت بعد 1925/1344) فقيهة أيضا (*المعسول*، 11 : 96).

أخذ سعيد عن خاله الأستاذ أحمد بن عبدالله بن عبدالوافي (ت نحو 1903/1321) من قُراء البصري، وأحمد بن بلقاسم التاضكوكتي، وحماد بن بلقاسم وهو من هذه الأسرة نفسها (ت نحو 1904/1322)، بالاضافة إلى أخذه عن صالح بن أحمد التاضكوكتي بمسجد "إفْغَل" من (إغِير مَلُّولن).

وبعد أن جود القرآن الكريم انتقل إلى دراسة العلوم العربية والاسلامية فأخذ عن الفقيه محمد بن عمرو البعقيلي (ت 1933/1352) بمدرسة (موزايت) وعن الشاعر الفقيه داوود الگرسيفي (ت 1893/1311) وعن الأستاذ النحوي الفارس الرحالة محمد أُعَبُّو (ت 1913/1332) وبه تخرج.

على أنه رجع بعد ذلك وقبل حلول سنة 1893/1311 إلى بلدته "بإداك گمار" ليدرِّس بمدرسة تانكرت إلى سنة 1901/1319 وانتقل بعدها إلى التدريس بمدرسة تاضكوكت وأناب عنه في تعليم الصبيان المسمى (الحاكي) متفرغا بعد ذلك إلى الإمامة، ولم يلبث أن انتقل إلى مسجد إليغ بتازروالت فجمع فيه بين القضاء والإمامة.

على أن ولعه بالإمامة ومحافظته على أوقات الصلوات في هذه البيئة السوسية لفت النظر إليه حيث إنه ليقيم الأذان بمنزله على منهج السنة عند حلول أوقات الصلوات، الأمر الذي جعل أهل الوادي في (إداك گمار) ينتظرون تسميعه في صلاة الصبح استمتاعاً بصوته، فكان تسميعه في ليالي الصيف الساجية ليسمع في كل جنبات الوادي المذكور، ويعزى ذلك إلى ما أُعطيه من حلاوة وإقبال على التهجد وقيام الليل على نهج السلَف الصالح، مُفضِّلا ذلك على الإخلاد إلى النوم شأن عامة أهل بلده. يضاف إلى هذا النشاط التعبدي الرفيع قيامه بتهيء الوَضوء لنفسه ولأهله في جوف الليل كما يشهد بذلك أحد معاصريه من الإلغيين (*المعسول*، 11 : 199) ولم يمنعه ذلك من التدريس، حريصاً على التبكير إلى المسجد ليلا، حاملا معه مصباحاً زيتياً بين الطرقات المتشعبة في ضفاف الوادي المذكور، مع ملازمة المسجد من الليل إلى الضحى، متعمداً أن يصل وقت المغرب بوقت العشاء مكوثاً بالمسجد كل يوم.

ومع هذا النسك أولع سعيد البعقيلي باقتناء الكتب بسبب ما بث فيه والده من محبة لها. فجمع مكتبة نفسية معظمها ما يزال مخطوطا (*رجالات*، 130 ؛ *المعسول*، 11 : 98). واشتهر، إلى ذلك، بفض المنازعات والنوازل، وقد أوتي من ذلك حظاً عظيماً مع نفوذ معنوي لا يجاري واتصال بالرؤساء المنفذين للأحكام في تلك النواحي، رؤساء (أيت الرخا) و(إليغ) مما تسبب له في بعض المتاعب بينه وبين آل المقدم عدي بن أحمد الكردوسيين (*المعسول*، 11 : 98).

ولعل هذه الشهرة والنفوذ الواسع مع ما نقل عنه من صلابة وقوة في المواقف أو غرت عليه صدور أعوان الحماية الفرنسية بعد احتلال سوس، فكان ذلك سببا في سجن ولديه : أحمد ومحمد، وتوقيفه عن التدريس بمدرسة تانكرت ثم توقيفه عن القضاء بعد أن كثرت الشكاوي الكيدية به، فاتخذ أحد شيوخ بلدته تخلُّفَ صاحب الترجمة عن المساهمة بدوابه في خدمة إجبارية ذريعةً للإيقاع به (*المعسول*، 11 : 99).

ولعل قوة بنيته وتمرسه بالعبادة وتنظيم أوقاته عوامل ساعدته على الصمود أمام الزوابع حتى إنه ليواجه أعماله اليومية حاسر الرأس مع الاقتصار على ما عرف ببلده من ألوان الطعام المحدودة العدد والنوع، مستغربا من أن يقدم إليه مرةً القائد أحمد بن محمد الإلغي أربع دجاجات في صحن واحد على خلاف عادة بلده سوس.

وكان مع ذلك شديد التوقع للأخطار، فكان يقول : إنني أرتعش ترقباً كلما ذهب الناس إلى سوق (أنزي) يوم الأحد حتى أعرف ما راج به.

توفي سعيد البعقيلي عام 1935/1354.

م. المختار السوسي، رجالات، 131، 137، 152 ؛ *المعسول*، 11 : 85، 86، 96، 97، 98، 99، 100.

**البعقيلي، عبدالرحمان** بن عمرو بن أحمد بن زكرياء الجزولي. من قرية (أيت الطالب) ببعقيلة، ومن بيت آل عمرو المجيد، يتصل نسبهم بآل سعيد بن عبدالمنعم الشرفاء فيما قيل (*المعسول*، 8 : 150) لم يذكر مترجموه شيئاً عن دراسته الأولية، وان كان يظهر من ثنايا ترجمته أنه صحب والده إلى فاس أثناء مرضه الذي توفي فيه، وأنه أوصاه بمغادرة فاس إشفاقا عليه (*المعسول*، 8 : 155).

وإذا كان والده عمرو قد اشتهر بالفقه والإفتاء والخطابة والقضاء فإن صاحب الترجمة ممن حالفهم التوفيق حتى وصف بالنبوغ في ميادين أخرى كاللغة والنحو والعروض والتصريف. يضاف إلى هذه الدراسات اللغوية علوم عقلية كالحساب والفرائض والتوقيت والمنطق، وأخرى كالتنجيم وعلم الأوفاق.

وقد استطاع بفضل رحلاته في طلب العلم من بلدته جزولة إلى كل من تارودانت ومراكش وفاس أن يتمكن من توسيع دائرة معارفه. ويظهر أن ما اتصف به من ذكاء وفطنة إضافة إلى ما تقدم كان له أكبر الأثر فيما بعد على تصديه للتأليف في عدد من الحقول المعرفية. واشتهر بلقب (الجرادي) نسبة إلى حشرة الجراد المعروفة وذلك في قصة طريفة : فعندما رأى المنصور السعدي (ت 1603/1012) من دلائل علم التنجيم شيئاً كأنه جيوش مقبلة إليه هاله الأمر وظنها جيوشا حقيقية تزحف إلى حاضرة مراكش من مكان مّا، فكاشف بهذا صاحبَ سره عليّ بن سليمان بن عبدالله التملي (ت. بعد 1500/999) فما كان من هذا الأخير إلاّ أن كاتب أخاه بسوس أبا بكر بن سليمان (ت. حوالي 1602/1010) الذي كان في هذه الفترة يدرس على صاحب الترجمة فتجرأ وسأل أستاذه عن هذا الأمر : وكان الأستاذ بارعا في علم الهيئة والتنجيم والأوفاق، فنظر فرأى أنها مجرد فرق من الجراد ستطبق على أنحاء من المغرب، فلما وصل الخبر إلى المنصور وعلم بجلية الأمر سرّي عنه وأمر باستقدام صاحب الترجمة إلى مراكش حيث قُدر له البقاء حتى دفعه الوباء إلى الهجرة عنها.

وقد انتصب في هذه المدة لتعليم علم التوقيت بحاضرة السعديين، ثم انتدب إلى الإشراف على تنظيم الأوقات الشرعية بمساجد تارودانت : كمنارة القصبة والجامع الكبير، فوضع بها رخامات نقشت عليها الساعات والأصابع المبسوطة والسموت وخط الزوال وخط الظهر والعصر وخط آخر العصر لمدينة تارودانت وما وافقها في خط العرض، مع تركز مسمار في وسط كل رخامة يعتبر بظله مع كل خط من تلك الخطوط حتى يهتدي بذلك مؤذنو المساجد إلى أوقات الصلوات النهارية بشكل مضبوط (*المعسول*، 8 : 153).

أما ماذُكر من أن لقبه (المجرادي) بالميم نسبة إلى المنظومة المسماة بجمل المجرادي فلم يصح، لأن صاحب هذه المنظومة هو أبو عبدالله محمد بن محمد السلوي المعروف بالمجراد (ت 778/ 1376). وصاحب الترجمة وان اشتهر بقول الشعر المليح إلا أنه لم ينسب إليه أنه نظم في الجُمل. ومن جيد شعره قوله :

تسفّه بعضُ النـاس كبـراً ونخوةً  وجـاروا وعـمَّ النـاسَ منه فسادُ

فيا أسفي ! إن الأفاضلَ قد مَضوا  فقام علينـا الأرذلون فسـادوا

وتعتبر الرياضيات والفلك والمنطق وعلم الأوفاق مواد تخصص المترجم، وفيها ألف شرحه لكتاب ابن البناء العددي المراكشي (1326/721) المسمى *بالجسارة في تعديل الكواكب السيارة* والذي عليه عدة شروح أخرى غير شرح البعقيلي صاحب الترجمة، وقد وصف شرح البعقيلي بأنه فتح رموز هذا الكتاب وأوضح مسائله.

و*شرح القصيدة الموضحة* لعبدالرحمن الگاديري (ت 1435/839) في علم التوقيت والهيئة. وشرح *روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار* لعبدالرحمان الگاديري المتقدم. وله أيضاً *أرجوزة في المنطق* تصدّى لشرحها بعد ذلك عالم سوسي من الأسرة اليعقوبية الأدوزية يبُورك بن عبدالله بن يعقوب السملالي (ت 1648/1058) وسَماها *الدّريّ المشرق في علم المنطق*.

ومن هذا الباب أيضاً اهتمامه بعلم الأوفاق : فنذكر أن بعض تلامذته قرأ عليه بعض شرح الجزنائي في علم الأوفاق (وهو المسمى بعلم سرّ الحرف وعلم الجدول).

فيما عدا هذا النشاط العلمي يظهر أن غلبة الانقباض على طبعه صرف عنه معظم الطلاب، فلم ينقل من أسماء تلامذته إلا ما كان من مؤسس الأسرة العلمية الأدوزية عبدالله ابن يعقوب (ت 1616/1025) الذي قرأ عليه مع علي بن أحمد الرسموكي (ت 1662/1073) بعض شروحه الآنفة الذكر، وكفاك بهما ! وإن كان الخلاف في عدد الآخذين عنه قائماً بين مترجميه (*المعسول*، 8 : 154، 155).

ووقع الخلاف أيضا في محل وفاته : فقيل إنه توفي بمسقط رأسه بعقيلة في قرية أيت الطالب، وقيل ببلدة أغرآبوا بجزولة، ولعل الرواية الأخيرة أصحّ إذ رجحها الحضيكي صاحب *الوفيات* ناقلا عن أحد أبناء المترجم مباشرة، (*المعسول*، 8 : 154). ووقع شيء من الخلاف أيضا في سنة وفاته، فقد صحح ابن إبراهيم في *الإعلام* (8 :117) ما في *نشر المثاني* (1 : 110) من أن وفاته عام 1611/1020.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 117 ؛ م. المختار السوسي، *سوس*، 186؛ *رجالات*، 31 ؛ *المعسول*، 8 : 153، 155 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 159، 573، 583، 585.

**البعقيلي، عبدالكريم** بن عبدالواحد بن عمرو الأغرابوئي الأگماري، اشتهر بالعلم والرآسة وحفظ كتاب الله تعالى والاهتمام بالقراءات والاشتغال بالنوازل والرحلة في طلب العلم خارج سوس.

فوالده ممن عاصروا الشيخ الشهير أحمد بن موسى الجزولي (ت. 1563/971) وحضروا وفاته وشاركوا في غسله وكفنه والصلاة عليه إماماً (*المعسول*، 11 : 91).

وربما تكون الرابطة بين صاحب الترجمة وبين ما قيل من أن والده عبدالواحد بن عمرو قد دُفن بمراكش واضحة إذا علمنا أنه كُتب له أن يسكن مراكش مدة من الزمان وأن يبقى بها إلى حين أدركته الوفاة أواخر القرن الحادي عشر (17م).

والعجب أن ابن إبراهيم صاحب *الإعلام* لم يذكره ضمن من حل بمراكش وأغمات من الاعلام، كما أغفل ذكر والده.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 81، 91، 132 ؛ *رجالات*، 30.

**البعقيلي، عبدالله** بن محمد البوشيكري من أسرة البوشيكريين الشريفة المشهورة في وادي (إداك گمار) ببعقيلة، انتقل أحد أجداده من (تُودما) بقبيلة أيت صواب فنزل في قرية (بوشيكر) فنسبت الأسرة إلى هذه القرية. واشتهرت بالعلم والتدريس وما إلى ذلك. وذكر صاحب *المعسول* من بين رجالها المترجم لهم حوالي خمسة وأربعين عالماً أشهرهم عبدالله هذا المولود قبل 1766/1180.

أخذ عن الأستاذ أحمد الهوزيوي (ت 1799/1214) نزيل تارودانت المؤلِّف الشهير، وكان مبرزاً في ميدان الحديث الشريف والفصل في النوازل والاهتمام بسيرة الرسول عليه السلام. وأخذ عنه، في مقدمة من أخذ، أبناؤه الستة. وعبدالله بن سعيد الايعداني المجاطي (ت بعد 1844/1260) النوازلي الماهر. وبالإضافة إلى ما تقدم شغف عبدالله البعقيلي بتدريس *صحيح البخاري* وأكب على سرده في المناسبات وغيرها حتى وُصف بأنه كان قائما على السنة راميا للفخفخة من ورائه. يدل على ذلك قصة تزويجه ابنته إلى أحد علماء الناحية بطريقة سهلة مقتصراً على الحد الأدني في الصداق حتى أصبح ذلك مثلاً يضرب بسوس.

ويظهر أن أخذه أمور الدنيا ببساطة الشريعة شجع الناس للاحتكام إليه في النوازل من قبيلة مجاط، فوصف بالنزاهة والنظر السديد فيها (*رجالات*، 134).

وقد جمع إلى ذلك كله الإقبال على التعليم، ومن العجب أن هذه الأشغال المتعددة لم تكن لتجعله بالعالم الميسور الحال، فقد طلب مرة من العالم الشهير الطيب بن خالد الأغرابوني أن يتنازل له عن مدرسته بسبب أنه لا يملك حتى قوت يومه، وقد دفعته الحاجة أيضا إلى الاتصال بأحد الشرفاء السملاليين شاكياً إليه الحاجة إلى النفقة على أبنائه الطلبة حتى لا يضيع العلم بتضييعهم، فأهداه حمارة للركوب لقب بسببها صاحب الحمارة.

ومن شدة تعلقه بأبنائه الكثيرين وحدبه عليهم أنه كان يصر على استصحابهم عند الدعوة إلى طعام، ووقعت له نادرة بذلك تُحكي (*المعسول*، 11 : 144). ومن نوادره في إحدى المناسبات قوله على البديهة باللسان البربري ما معناه (كسكس بلحم أفضل من عصيدة) فأرسلها مثلا. يضاف إلى ذلك المثل الذي أطلقته العامة بعد أن سمعوا بتزويج ابنته بالطريقة آنفة الذكر (هل تريد مثل عرس البوشيكري) على سبيل الاستغراب.

توفي عبدالله البعقيلي عام 1851/1270.

م. المختار السوسي، *رجالات*، 134، 185 ؛ *المعسول*، 11 : 134، 144، 146.

**البعقيلي، علي** بن أحمد الرسموكي، تنتمي أسرته إلى المولى إدريس الأكبر على ما صححه صاحب *المعسول* (11 : 201) مخالفا ما ذهب إليه الحضيگي من نسبه إلى رجال ركراگة. وترجم لنحو أربعة عشر عالما منهم اشتهروا بالتدريس والفقه والافتاء وتعاطي الأحكام في النوازل، كما اشتهر بعضهم بالقراءات والمشاركة في التأليف مع مكاتبة بعض أعلام السياسة لهم.

ولد علي بقرية إغشان برسموكة إحدى قبائل وَلْتيتة، وكان أحد أجداده المسمى زوزان بن يعلى المولود برسموكة قد انتقل من تامْدُولْت إلى تافْراوت فاستوطنها، ثم إن بعض أولاده انتقل إلى قرية إغشان مسقط رأس المترجم.

رحل علي في طلب العلم إليتتارودانت مع العالم الشهير جد الأدوزيين عبدالله بن يعقوب (ت 1643/1052) وصحبه في الأخذ عن عدد من الشيوخ أشهرهم أبو مهدي عيسى السكتاني (ت. 1652/1062).

وبعد أن اكتمل تكوينه العلمي انتقل إلى قرية "أفلاوّگنس" برسموكة للتدريس، فأنشأ بها مدرسة، وولد له فيها أبناؤه الثلاثة : محمد وأحمد ويحيى، كما يستفاد من *تقييد* أورده السوسي في أولاد المترجم له وفروعهم وأصولهم (*المعسول*، 11 : 203). لازم صاحب الترجمة التدريس بهذه المدرسة نحوا من عشرين سنة، فرحل إليه الطلبة من كل ناحية وأخذوا عنه مختلف المواد العلمية التي كانت تدرس بسوس في هاته الفترة. كما اشتغل بالإفتاء والنشاط الأدبي نظماً ونثراً، فحصلت له بسبب ذلك شهرة عظيمة جعلت بعض أمراء سوس آنذاك من أمثال علي بودميعة يكتب إليه (تحريراً) له ولأبنائه من بعده من جميع التكاليف المخزنية مع وضع أعشار وزكوات الناحية رهن إشارته لتُصرف على طلبته (*المعسول*، 11 : 204).

كماَ يستفاد من مكتوب آخر من الأمير المتقدم الذكر أن صاحب الترجمة وبنيه وطلبته معفون من المشاركة في (الحركة) و(الخرص) و(الإدام).

أما الآخذون عن علي البعقيلي في هذه الفترة فيذكر من بينهم ولده محمد آتي الترجمة، وأحمد (ت. 1662/1073) ويذكر في مجال الإفتاء والقضاء خاصة (*المعسول*، 11 : 215).

أما مؤلفات المترجم فمنها شرح *مبسط لجمل المجراد* محمد بن محمد السلوي (ت 1376/778)، وشرح *لألفية ابن مالك* (ت 1273/672) وكتاب *في حقائق الإعراب*، وشرح على *الكبرى والصغرى* للإمام محمد بن يوسف السنوسي

(ت 1409/895). وقد ذكر الرسموكي صاحب *الوفيات* أنه (كان حيا سنة 1683/1095) وأنه حضر إحدى مجالس صاحب الترجمة ذات ليلة فصادفه يشرح للطلاب *عقائد السنوسي* المذكور مع *متن السلم* في المنطق لعبد الرحمان الأخضري (ت. 1575/983) كما ينسب إليه *شرح فرائض ابن يامون* قاسم بن أحمد التليدي الأخماسي (*معجم المطبوعات*، 371).

أما قول المختار السوسي : إنه جمع كلمات من الأموات وشرحها فيفهم منه أنه قد يكون ذا روحانية خاصة مكّنته من الاتصال ببعض الأشخاص وتسجيل كلماتهم (*المعسول*، 11 : 202) كما قد يفهم منه عكس ذلك وأنها كلمات من أفواه رجال ماتوا وتركوا كلمات تستحق أن تسجل فقام صاحب الترجمة بذلك، والمسألة تحتاج إلى تمحيص.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 204، 213 ؛ *سوس العالمة*، 184 ؛ إ. ابن الماحي، *معجم المطبوعات*، 371 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 583.

**البعقيلي، عمرو** بن أحمد المفتي، من بيت يتصل بنسب آل عبدالنعيم الشرفاء فيما قبل (*المعسول*، 8 : 150) وهو جد لمجموعة من كبار العلماء الذين عدّ منهم صاحب *المعسول* نحو عشرين.

أخذ عن الإمام ابن غازي وطبقته بفاس حين رحل إليها، فأتيح له الاطلاع على كتب هذا الأخير في التاريخ والرجال والحساب والفقه والقراءات ورسم القرآن والنحو، إلا أنه غلبت عليه الميول التشريعية فكانت أكثر دروسه في الفقه. على أنه مارس الخطابة مدة من حياته وهو بتارودانت. ويتضمن *المعسول* وثيقة منقولة من خطه يتحدث فيها عن معاناته خطيبا بهذه المدينة التي كانت عاصمة للمغرب في بعض الفترات، وأتبعها بقصيدة متوسطة الجودة هي إلى شعر الفقهاء أقرب. (*المعسول*، 8 : 152).

وقد اشتهر في ميدان الفتوى خاصة في بلدته الأولى "بعقيلة" ولكثرة دَوَران الافتاء عليه دون غيره عُرف بعمرو المفتي، وهو ممن بَحَث فَي *ألواح سوس* المسماة *ألواح جزولة* المكتوبة باللغة العربية ولكنها لا تخلو من اللحن والدخيل من الألفاظ الشلحيّة السوسية. وتدور في معظمها على تحديد الغرامات الصارمة المطبقة على التجاوزات الجنحية والخيانات. وكان عمرو لا يرى بأساً في اعتماد هذه الألواح ما دامت لا تصادم القواعد الشرعية مع استجابتها في الوقت نفسه للمتطلبات والتقاليد المحلية، وله في هذا الصدد *لوح* نموذجي وضعه لقبيلته بعقيلة يحمل تاريخ جمادى الثانية عام 964/أبريل 1557 بناه على قوله تعالى : «*وداوُودَ وسليمان إذْ يَحْكُمان في الحرث إذْ نَفَشَتْ فيه غنم القوم*». (الأنبياء، 78) وعلى مبدإ الغرم لما أتلف مثلاً أو قيمة المنصوص عليه في الشريعة الإسلامية، مجتهداً في تحديد المبالغ والعقوبات المالية بحسب ما تتلفه الماشية من الأشجار، سيراً مع خطة الألواح من ذكر الجنايات وعقوبتها، في مثل من دخلت غنمه أو أبقاره بستاناً للغير وأتلفت له شجرة التين أو الهرجان "أرگان" فيغرم درهما كبيراً عن الشجرة الجيدة ودرهما صغيراً عن المتوسطة ونصف درهم عن الصغرى، مع تفصيلات في وسائل الإثبات والإلزام (راجع نص اللوح في *المعسول*، 8 : 151، 152).

ومن آثاره الفقهية المخطوطة *تقييد* على قول خليل : "وخصّصت نية الحالف وقيدت" وهو بخزانة أحفاد صاحب الترجمة ببعقيلة. كما ذكر له صاحب *المعسول* شرحاً على متن فقهي لم يذكر اسمه (*سوس العالمة*، 179) وكذا *أجوبة فقهية* مخطوطة.

وقد مكث صاحب الترجمة أواخر عمره بمدينة فاس إلى حين مرضه الأخير فأوصى أحد أولاده الثلاثة المتقدم ذكرهم بمغادرة هذه المدينة إلى سوس بمجرد دفنه، وقد اعتقد أبناؤه أن ذلك منه على سبيل المكاشفة، فما كان منهم إلا أن نفذوا وصية والدهم بمجرد وفاته.

ع. التمنارتي، *الفوائد*، مخطوط خ. ع. 38 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات سوس*، 18 ؛ *المعسول*، 8 : 150، 155 ؛ *سوس العالمة*، 179 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 5 : 336 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 712 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 584.

**البعقيلي، محمد** بن **إبراهيم** التيفروني المعروف بالطالب، إليه تنسب قرية (أيت الطالب) ثالثة المراكز الشهيرة ببعقيلية، وهو جد لأسرة من الأحفاد العلماء والقراء الذين تسلسل فيهم العلم أجيالاً، واستقروا فيما بعد بقرية (بونعمان) غربي مدينة تزنيت بحوالي 15 كلم. وقد ذكر منهم صاحب *المعسول* (12 : 279، 280) خمسة عشر عالما.

وقد قال صاحب *بشارة الزائرين* عن الطالب البعقيلي إنه رسموكي الأصل، ورسموكة إحدى القبائل الكبرى الثلاث المستقرة بجبال "ولتيتة" إلى جانب بعقيلة وسملالة. (*المعسول*، 12 : 280).

أما سبب لقبه بـ "الطالب" دون غيره من العلماء بهذه الناحية، فإنه لما خرج الشيخ محمد بن إبراهيم التمنارتي من بلدته تمنارت مع بعض أبنائه وتلامذته ومريديه لمجاهدة البرتغال في البريجة (الجديدة) مر على قرية (أيت فروين) محل التدريس الذي كان قد اختاره صاحب الترجمة فتسامع به الطلبة فأخبروه فخرج مسرعا حافيا يطأ الشوك بدون شعور فرحاً واهتماما بمقدم هذا الشيخ العالم المربي المجاهد، فلما التقيا، وكان الشيخ التمنارتي على دابته وهو في سن متقدمة، أراد صاحب الترجمة أن يقبل يده على العادة، فأنكر عليه ذلك وقال له : مسألتان إن لم تنته عنهما فلا أعرفك ولا تعرفني : تقبيل اليد وكلمة (سيدي فلان) فهما محدثتان في هذه البلاد. (*المعسول*، 12: 279. 280). ويذكر أن أول من قدم بلقب (سيدي) الذي أطلق على العلماء آنذاك، إلى سوس هو الحسن بن عثمان التملي آتي الترجمة (ت. 1525/932) شيخ التمنارتي المذكور وكان تخرج بفاس،

ولم يكن لقب العلماء بسوس إلا (الطالب فلان) أو (عمي فلان) (*إيليغ قديما وحديثا*، 267، هامش 534).

هذا ويُذكر صاحب هذه الترجمة من بين أصحاب الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالي (ت. 1563/971). وفي هذا السياق ينقل محمد بن أحمد المرابط البعقيلي، وهو تلميذ صاحب هذه الترجمة، أن أستاذه هذا كان قد أفتى للطلبة بعدم جواز السلام على تاركي الصلاة من المسلمين، فأوقع ذلك التلميذ في حيرة من أمره، فلما كانوا معه في إحدى زياراتهم للشيخ أحمد بن موسى، وبعد أن عانق صاحب الترجمة شيخه في مشهد حافل بالشوق، وصافح الشيخ التازروالتي بقية الحاضرين قال موجها الخطاب في الحقيقة إلى تلميذه صاحب الترجمة : جميع من لقيتموه فسلموا عليه كان من المصلين أو من غيرهم، فكان هذا الجواب بمثابة كشف لحيرة التلميذ.

ويذكرمن بين تلاميذ الطالب البعقيلي أيضاً عبدالله بن عمر الماسكيني وقد وصفه زميله في التلمذة صاحب *مناقب البعقيلي* (ص. 34) بالصلاح والعلم والعمل.

أما الجانب الأكثر لفتاً للنظر في سيرة المترجم، بالاضافة إلى اهتمامه *بمختصر خليل*، فهو عكوفه على *كتاب سيبويه*. ورغم أن الكتاب طويل النفس صعب العبارة عويص المسائل فقد أكب عليه صاحب الترجمة حفظا واستظهاراً، وبذلك يكون - إن صحّ - آخر حفاظ هذا الكتاب.

توفي محمد الطالب البعقيلي عام 1569/976.

م. الحضيكي، *طبقات*، 2 : 7 ؛ م. البعقيلي، *مناقب*، 8، 9 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 : 279، 280 ؛ *رجالات*، 18 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 585.

**البعقيلي، محمد** بن **أحمد** بن عبدالواسع، من أسرة الأغرابوئيّين الفضلاء، وفيهم علماء ورؤساء يرتفع نسَبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وتطفح تراجم أسرته هذه بالأعمال العلمية والمآثر، وقد ذكر منهم صاحب *المعسول* نحو سبعين رجلا (11 : 81، 133). ولم نجد في ترجمته من لقبّه بالصبّاغ إلاّ ابن سودة في *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* (ص 266) وهو نفس المترجم الوارد عن محققي مناقب البعقيلي باسم محمد بن أحمد المرابط، وذكر بهذه النسبة نفسها في *سوس العالمة* (ص 185) وربما أسقط بعضهم اسم والده أحمد فسماه محمد بن عبدالواسع، ونسبه بعضهم إلى جدوده الأغرابوئيين بدل البعقيليين. ومهما يكن فإنه غير محمد بن أحمد البعقليلي شارح *المرشد المعين*.

أخذ محمد البعقيلي في صغره عن شيوخ الإقراء أمثال محمد بن محمد اخنافو البعقيلي وهو من الموصوفين بالفضل وإتقان التلاوة ومعرفة أحكام القرآن، حذق عليه القرآن حذقتين ووصفه بإجابة الدعوة. (*مناقب البعقيلي*، 13). كما أخذ تجويد القرآن، وهو شاب، عن الشيخ العابد عمه يحيى بن محمد البعقيلي الاغرابوئي (ت. أوائل ق. 17/11م) بمسجد أزرو الذي قضى به الشيخ المذكور أكثر من ثلاثين سنة. كما أخذ القراءات عن الإمام محمد بن يوسف الترغي (ت. 1595/1004 تقديرا) ويظهر أن شيخه هذا قدم من فاس إلى إليغ بتكليف من السلطان السعدي عبدالله الغالب بالله للبحث عن شيخ مرب يأخذ عنه الأذكار والسلوك الصوفي، فالتقى بأستاذ صاحب هذه الترجمة قطب سوس الكبير أحمد بن موسى السملالي (ت. 971/ 1563) في قصة ذكرها صاحب الترجمة في *مناقبه* (ص 29، 30) (انظر *إيليغ*، 22، هامش 101).

وأخذ صاحب الترجمة بعد ذلك *مختصر خليل* وختمه على أستاذه محمد بن إبراهيم الطالب البعقيلي، وكذا *ألفيه ابن مالك* حفظاً في اللوح وتقريراً في الكتاب.

وقد ذكرمؤلف *المعسول* أن صاحب الترجمة صحب بالإضافة إلى من ذكر الشيخ القطب أحمد بن موسى وعبدالرحمن التيلكاتي (ت. 1599/1008 تقديراً) وعبدالله بن سعيد الحاحي (ت. 1903/1012).

ويظهر أن المترجم رحل إلى أسرير بالجنوب الصحراوي وبقي به نحو أربع سنوات. ساعدته هذه الاتصالات والرحلات المحلية بالاضافة إلى ما رُكز فيه من حب للصلحاء وحرص على زيارتهم، على التمكن في الفقه والتصوف، وجمع نحو ثمانين ترجمة لرجالات جزولة وغيرهم، ولم يُسبق إلى هذا الصنيع من معاصريه.

وقد طبعت *كراسة البعقيلي* في رجالات جزولة وغيرهم باسم *مناقب البعقيلي*، وهي التي ترد أيضاً تحت اسم *طبقات بعض الأعلام*. والكتاب عبارة عن تراجم تتراوح ما بين أسطر قليلة وما بين صفحة ونصف ولا خطة للكتاب في ترتيب التراجم وإن كان أشار إلى أنه يبدأ بشيوخه ثم يُتبعهم بذكر مَن تيسر له الاطلاع على حياتهم مشاهدة أو قراءةً مع الاهتمام بوفياتهم، وهو ما لم يلتزم به إلاّ في القليل النادر. على أنه صرح في أثناء الكتاب باهتمامه ببلديّيه البعقيليين بعد ذكر شيوخه وذكر من صحبهم أو اتصلوا بشيوخه، ثم أتبعهم برجال الفحص، ثم برجال رسموكة وسملالة وما يليهما من المتقدمين ثم من المتأخرين مختتما برجال تمنارت.

وقد تفرد ابن سودة بذكر تاريخ وفاته سنة 1665/1072.

م. البعقيلي، *مناقب*، 8، 11، 13، 17، 25، 29 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 266 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 129 ؛ 12 : 55 ؛ *رجالات*، 25، 30، 38، 51 ؛ *سوس العالمة*، 185، 193، 84 ؛ م. حجي، *الحركة*، 161، 603.

**البعقيلي محمد بلعيد** ← **بلعيد** (الحاج-) (الرايس)

**البعقيلي، محمد** بن **علي** بن أحمد الرسموكي، المكنى أُوباها. تنسب أسرته إلى المولى إدريس الأكبر كما تقدم في ترجمة والده.

أخذ عن والده بمدرسة أفلاً وكَنْس ما تيسر له من المواد العربية والإسلامية، كما قرأ عليه في الغالب شروحه على *ألفيه ابن مالك*، *والجمل* للمجراد السلاوي، *وكبرى السنوسي*

*وصغراه* وغيرهما من المواد التي كانت تدرس في عهد والده بالمدرسة المذكورة.

وبعد أن أتم محمد البعقيلي دراسته رجع إلى مسقط رأس والده برسموكة حيث فضل السكنى بالمكان المسمى "عنق تكنفل" وبنى هناك مدرسة تلقّى فيها مكاتبات من قبل أهم الشخصيات السياسية في عصره، أمثال المولى الرشيد العلوي (ت. 1670/1081)، الذي كتب إليه ظهير (تحرير) له ولإخوته ولأولادهم وعمومتهم، مع الأمر بتوقيرهم واحترامهم وأن يُحملوا على سبيل البر والإكرام ولا يُمسُّوا بسوء جزاءً لهم على طريقتهم، ويحمل هذا (التحرير) تاريخ 1670/1081. (*المعسول*، 11: 207، 208).

وقد أقطع المولى الرشيد في السنة نفسها صاحب هذه الترجمة أرضا (فيضا) بالموضع المسمى اسمَنْ بين تكدُوت وأتراض بحدود سماها حبساً عليه وعلى أولاده وأن يعمل بمقتضى ذلك (*المعسول*، 11 : 208).

كما أن المولى إسماعيل، فيما يظهر، كتب إليه سنة 1671/1082 تحريراً لطلبته أن لا يحبسوا في "نائبة" ولا في غيرها ما داموا "مسافرين" عنده. ويستفاد منه أن طلبته كانوا يجمعون بين حفظ القرآن الكريم ودراسة أمهات المواد العلمية (*المعسول*، 11 : 209).

ومما يؤكد اتصاله بالمولى إسماعيل ومكاتبته إياه وجود خطاب إسماعيلي آخر إلى صاحب هذه الترجمة سنة 1087/ 1676 يجيب فيه المترجم عن رسالة بعث بها إليه صحبة ولده يخبره فيها بحال القرية والمدرسة والناحية والسكان من المحبة له والرعاية لجانبه، ويحمل هذا الخطاب تاريخ 20 صفر من السنة المذكورة قبله.

ويظن صاحب *المعسول* أن الرسالة التي وجهت إلى صاحب الترجمة في شأن (حركة) يعتزم صاحب الخطاب القيام بها إلى سوس ناحية (أيت صواب) و(رسموكة) قد تكون من قبل المولى إسماعيل يطلب منه أن يتدخل لإقناع القبائل المشار إليها وحملهم على القدوم إلى السلطان وعليهم الأمان، وإلا فسينتقم منهم (*المعسول*، 11 : 209).

وفي سنة 1670/1090 تلقى محمد البعقيلي خطاباً يظن أنه من المولى إسماعيل أيضاً يشعره فيه بمحبته وتقديره لدوره في القبائل المجاورة له وينعم عليه فيه بالجبايات المخصصة لبيت المال من قبل أهل ولتيتة (بعقيلة وسملالة ورسموكة) وأحوازها ويذكر فيها أماكن بعينها يُقطعه إياها إقطاعاً كلياً.

وفي سنة 1681/1092 وصله (تحرير) آخر له ولطلبته يتضمن توقيرهم من قبل القبائل الساكنة بجبال هلتيتة (يقصد ولتيتة). وفي السنة نفسها وجه أحد الأمراء خطاب (تحرير وتوقير) إلى صاحب الترجمة يُحيل إليه زكاة وأعشار قبائل ولتيتة كلها على طلبته ومدرسته، وقد نص فيه على أسماء بعض القواد المكلفين بتلك الناحية.

وفيما يتعلق بوفاته يظهر من الوثائق الآنفة الذكر أن آخرها زمنا ينتهي إلى سنة (1681/1092) مما يدل على أنه عاش إلى أواخر القرن الحادي الهجري(17 م). وقد وقع اضطراب في تحديد تاريخ وفاة محمد البعقيلي والمؤكد أنه توفي بعد 1681/1092.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 203، 209.

**البعقيلي، يحيى** بن **إبراهيم** صهر الشيخ الشهير أحمد بن موسى دفين تازروالت. لازم الشيخ وصاحَبَه، لذلك يرد ذكره بين ثنايا تعداد مناقبه كأحد الرواة المباشرين عن الشيخ الناقلين عنه شفاهاً أو كتابة.

كان يحيى حاضراً حين قبَّلت إحدى الأعرابيات لحية الشيخ تبركاً، فبكى الشيخ متأثراً، وسأله صاحب الترجمة عن سبب ذلك فأجابه الشيخ مظهراً التواضع لله تعالى.

ونقل أيضاً كلام الشيخ محمد بن إبراهيم التمنارتي (ت. 1564/971) وشهادته في صهره الشيخ السملالي، وذكر أيضا قصة الشيخ السملالي مع أحد طلبته المتوفين وكيف جلس بجانب قبره منصتاً. كما ذكر أيضا عن صهره المشار إليه أنه بقي ثمانية عشر عاماً وليس على جسده ثياب منسوجة، وعدَّ ذلك من كراماته.

يوصف صاحب الترجمة عموما بالعلم والعمل مع الورع، وقد دفن بعد وفاته في ناحية المقبرة الخاصة بالشيخ أحمد بن موسى مع أبنائه.

م. البعقيلي، *مناقب البعقيلي*، 8 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 44 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 601، 617.

**البعقيلي، يحيى** بن **محمد** الونكضائي نسبة إلى (انكضا) ببعقيلة، من الشرفاء الوَسْلاميين. وهو غير يحيى بن محمد البعقيلي المشهور بالإقراء. (*مناقب البعقيلي*، 12).

ويظهر من الشيوخ الذين أخذ عنهم يحيى هذا مدى المكانة العلمية التي وصل إليها وهو تلميذ قبل أن يشرع في التأليف. فمنهم أحمد الصوابي (ت. 1736/1149) العلامة شيخ الجماعة المرشد بأكدال ماسة، وإبراهيم بن محمد بن عبدالله ابن يعقوب السملالي (ت. 1747/1160)، والشيخ أحمد بن مَحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي (ت. 1717/1129). كما أخذ عن مسعود المزركوني السملالي (ت. بعد 1840/1156) بمدرسة بومروان. وقد استقر صاحب الترجمة بهذه المدرسة وتصدى للتعليم بها حتى وقع الوباء سنة 1749/1163. فاضطر إلى الرجوع إلى داره بأكلاي حيث توفي ودفن بالمقبرة المجاورة للمسجد، وعُلِّم قبره بحجارة بيض (*المعسول*، 12: 257).

تعدد نشاط يحيى البعقيلي ما بين خطة التوثيق والإفتاء، وقد وقف صاحب *المعسول* على بعض فتاواه، وهي تدل على مدى توفيقه في هذا الاتجاه. كما اشتغل إلى جانب ذلك بالقضاء مضيفاً إليه التدريس، إذ يُذكر من بين تلامذته محمد المرواني السوسي.

أشهر مؤلفات يحيى البعقيلي شرح الارجوزة التعليمية المشهورة في سوس *بمنظومة الزواوي* والمتداولة بين طلبة

سوس إلى مدى قريب، وهي في نحو مائة بيت وخمسين بيتا في إعراب الجمل وبعض الأدوات والحروف. وتعتمد مصدراً للتدريس متكاملة مع شروح *الأجرومية* التي اقتصرت على جانب من العربية لا يتم إلاّ بالأرجوزة هاته، وقد اعتمد السوسيون فيها على شرحين محليين أحدهما لأحد معاصري المترجم محمد إبراهيم الركني (ت. 1756/1170) والثاني لصاحب الترجمة وسماه *المنهل العذب الحاوي شرح أرجوزة الامام الزواوي*، سار فيه على نشر الأبيات وتطريزها مع تفسير المضمّن والاستشهاد بالأمثلة وإعراب الأبيات غالبا والإشارة إلى بعض الخلافات بدون ترجيح إلاّ في القليل محيلا على بعض مصادره التي لا تتجاوز في الغالب *مغنى اللبيب* لابن هشام، وشرح *منظومة المَجْرادي* ليبورك السملالي، وشرح *القواعد* للسوسي.

وقد طبع الشرح المذكور طبعتين، أولاهما بالمطبعة العربية بالدارالبيضاء سنة 1936/1355 في 150 صفحة، والثانية بمطبعة الأمنية بالرباط سنة 1952/1371 في 120 صفحة، وتداول الطلبة بسوس في هذه المدة الشرح مطبوعا ومخطوطا أثناء دراستهم للمنظومة المذكورة بالتصحيح والتعليق والاضافة.

أما الأثر الثاني للمترجم فيتعلق بجانب صوفي بحت اذ يُنسب إليه *شرح بعض الأدعية التي وضعها الحسن اليوسي* (ت. 1691/1102) ذكر صاحب *سوس العالمة* ص 191 أنه وقف عليه.

ومما يتصل بنشاط صاحب الترجمة في النظم والقريض *قصيدته الرائية في رثاء شيخه* إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن يعقوب (ت. 1747/1160) وهي دون شعر الفقهاء بكثير (*المعسول*، 12 : 253).

توفي يحيى البعقيلي عام 1749/1163.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 : 252، 254 ؛ *سوس العالمة*، 191؛ رجالات، 58 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات*، 176، كلية اللغة العربية بمراكش، بحث منجز *حول المنظومة وصاحب الترجمة* (مخطوط) بخزانة الكلية.

**البعقيلية، تاوَنـُّو** الأحكاكية. يتصل نسبها بالشرفاء الأحكاكيين المذكورين في نسب ولدها الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالي التازروالتي (ت. 1563/971) ذي الشهرة الخارقة والكرامات المتواترة والمواقف الغريبة، وفي أحفاد السيدة تاونُّو نحو اثني عشر عالماً وأربعة أمراء وثمانية رؤساء حكام (رجالات، 24).

أما زوجها موسى بن عيسى والد الشيخ أحمد فمازال قبره ظاهرا ملحوظاً بسملالة، مثلما هو الأمر بالنسبة إلى صاحبة الترجمة والدة أحمد بنموسى. وقد نسب الناس الصلاح إلى الوالدين المذكورين إما على سبيل الاستصحاب لحالة ولدهما الشهير أحمد، وإما على سبيل الشرف المتسلسل في الأسرة قبله.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3 : 207 ؛ 12 : 6 ؛ 18 : 402 ؛ *إيليغ*، 19 ؛ رجالات، 24.

**البعقيلية، عائشة** بنت الطيب الأكمارية، من بيت الشرفاء الأغرابوئيين ووالدها الطيب بن خالد (ت. 1893/1311) صوفي ناسك متوسط في التدريس، ولها إخوة ثلاثة علماء أشهرهم سعيد بن الطيب البعقيلي.

تزوجت صاحبة هذه الترجمة محمد بن عبدالله بن عبدالوافي البعقيلي الأكماري الأستاذ المجوّد العارف بالقراءات والنوازل. وتذكر في ترجمته قصة احتكام عالمين سوسيين مشهورين إليه ورضاهما ونزولهما على مقتضى ما حكم به (*المعسول*، 11 : 87). ولما كانت زوجُه صاحبة الترجمة قد عكفت على مختصر *خليل* المترجم إلى تاشلحيت من قبل محمد بن علي أوزال (ت. 1748/1162) حتى أتقنته حفظاً واستشهاداً، فقد ساعدتها هذه الميزة على تقديم المعونة لزوجها فيما يعرض له من أمور الفتوى حتى في بعض المواقف الحرجة (*المعسول*، 11 : 87).

كما يذكر لها إلى جانب هذه الميزة حفظها لطرف من *القرآن الكريم* وتصدّرها لتعليم النساء ووعظهن، ووصفت بأنها لا نظير لها في عصرها.

توفيت عائشة البعقيلية بعد عام 1925/1344.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 87، 94، 134 ؛ رجالات، 75.

**البعقيليّة، فاطمة** أمّ هدوز التازروالتيّة، من حفيدات الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالي دفين تازروالت ومؤسس زاويته الشهيرة بها. تزوجت أحد مريدي الشيخ سعيد أُهمو المعدري ناشر الطريقة الدرقاوية بسوس. وكانت سكنى الزوج بقرية إغبولا القريبة من مدينة تزنيت إلى الجنوب، وقد صادف أن نزل بهما الشيخ المذكور ليلة فحدثت فاطمة نفسُها على استراق السمع إلى كلامه الذي سرعان ما أثر فيها، فحاولت - وهي في حالة نفاس - القيام ببعض المجاهدات التي لقفتها خلسة حتى أضرّ بها ذلك وغيرت أحوالها إلى درجة المرض الذي لم ينفع معه طبيب، وصادف أن حضر الشيخ المذكور مرة أخرى إلى قرية إغبولا فأسرت إليه بجليّة أمرها، فتمكن الشيخ من إنقاذها من حالتها تلك بهمته. ففُتح عليها وظهر عليها الصلاح في تلك الناحية، وقد صادفها الشيخ الحاج علي الإلغي والد المختار السوسي (ت. 1910/1328) وأحد المريدين البارزين للشيخ سعيد أُهَمو المذكور في إحدى سياحاته صحبة مريدي الطريقة، فوجدها بقرية العوينة القريبة من سكنى زوجها، ولم ينشرح صدره لها لما رأى من أحوالها وهي عجوز شمطاء باذلة نفسها في سبيل الاتصال بالمريدين، لكنه لم يلبث أن تغير موقفه منها بسبب ما رأى من مكاشفتها له ولواقع حاله. وكانت لا تنفك عن الضرب على فخذه وعلى كتفه في محاولة منها لإفهامه حقيقة حالها حتى عجب منها (*المعسول*، 16 : 28، 29) وقد أورد صاحب *المعسول* جملة من أحوالها وكراماتها في كتابه من *أفواه الرجال*. وعلى قبرها مشهد يزار.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 62 ؛ 4 : 306 ؛ 6 : 28، 29 ؛ من *أفواه الرجال*.

محمد البَايك

**بعل**، يعتبر من بين أشهر الآلهة التي عرفت لدى الفينيقيين والقرطاجيين. وباعتبار أصل قرطاجة Carthage الفنيقي، فإن الديانة القرطاجية حافظت على الكثير من الملامح الدينية الفنيقية، فسيطر على مجمع آلهتها بعل هامون Baal Hamon وتانيت Tanit وملقرت. ويبدو أن بعل هامون كان هو الاله الرئيسي والأكثر حيوية وفعالية بمدينة قرطاجة إلى غاية القرن الخامس قبل الميلاد، لأن النقائش النذرية بالمدينة خصصت له وحده فقط.

نتج عن استيطان القرطاجيين للمراكز التي انشؤوها على السواحل المغربية انتشار الحضارة البونيقية في هذه المراكز التي من أهمها طنجة ولكسوس اللذين كانا يعتبران مركزين مستقلين من الناحية الإدارية. ولقد تم العثور بهذين الموقعين على قطع نقدية تحمل شعاراً باللغة البونيقية وبعض صور الألهة التي من بينها صورة للإله بعل هامون (Mazard, 181) وهذا الدليل الأثري قد يؤكد انتشار عبادة هذا الإله مع الديانة القرطاجية بصفة عامة بين المورين في المراكز والمستوطنات القرطاجية على الأقل.

ولما أفل نجم قرطاجة وتسربت الحضارة الرومانية إلى المجال القرطاجي وقع تحول في الديانة، فحل الإله ساتون Saturne محل الإله بعل هامون الذي كان يقابله لدى الرومان مثلما قابله كرونس Krones لدى الإغريق.

Y. Mazard, *Corpus nummurum numidiae mauritaniaeque*, Paris, 1955, Diodore de Sicile, XX, 14, 4 ; F. Decret, *Carthage ou l'empire de la mer*, Paris, 1981 ; M. Cras (et al...), *l'Univers phenicien*, Paris, 1989 ; G. Charles-Picard, *Les religions de l'Afrique antique*, Paris, 1954 ; *Vie et mort de Carthage*, Paris, 1970.

الزبير بوحجار

**البغدادي** (ابن ــ) **بوشتى** بن محمد الجامعي، نسبة إلى قبيلة أولاد جامع العربية التي تمتد مساكنها إلى أسوار مدينة فاس من جهة الشمال. لا نعرف مصادر تعرضت لترجمته، ومن ثم لا نعرف تاريخ ولادته أو وفاته، والمعلومات التي نعرضها عنه هنا مقتطفة من بعض الوثائق المخزنية أو الرحلات.

تصفه الوثائق بالذكاء والقوة والجرأة والكفاءة في إدارة الأمور، وهذه الصفات إلى جانب كونه من أعيان قبيلته أولاد جامع، ومن عشيرة الوزيرين الجامعيين الحاج المعطي الجامعي الوزير الصدر على عهد مولاي الحسن، وأخيه الصغير الجامعي وزير الحربية لنفس السلطان، رشحته لمنصب القيادة على قبيلته أولاً وعلى جيش شراكة ثانيا (حسب المشرفي). ثم عينه السلطان الحسن الأول عاملا على مدينة وجدة لما توجه إليها سنة 1874/1291 حسب *الإتحاف* (2 : 162) ورشحه السلطان المذكور كذلك خبيرا وقائداً للبعثة التي أرسلها لمراجعة الحدود مع فرنسا سنة 1883/1301 والتي كان على رأسها الأمير عرفة صنو السلطان، والفقيه علي السوسي السملالي كاتبا لها. وفيها ألف رحلته المشهورة *منتهى النقول* وتحدث عن موقف بوشتى بن البغدادي ودوره في هذه البعثة ضد الفرنسيين حول المساحة التي اغتصبوها على الحدود بنقطة (كَركَر سيدي حمزة) حيث قال :

"وقد أخذ النصارى هنا حرث خمسمائة زوجة.. وسبب الأخذ أن هناك موضعين متشابهين ككوشة الجير، فترك التي تليه وزاد أمام إلى التي تشبهها فقال : هذا كَركَر سيدي حمزة، وهنا وقع نزاع كبير بين بوشتى ابن البغدادي هو والروم، بأن قال بوشتى للرومي : أنت أردت أن تجعل الحدود وجدة، فقال له الرومي : وأنت أردت أن تجعل الحدود بمغنية، وجرى بينهما كلام ألح فيه الرومي على أن المقابل لجوج بغال هو الذي يليه لا الذي يلينا".

كما عين السلطان الحسن الأول بوشتى بن البغدادي عضواً في السفارة التي بعثها إلى إسبانيا سنة 1882/1300 وكان على رأسها محمد بركاش إلى جانب عضوية أحمد البلغيثي، حسب رسالة حسنية لبركاش مؤرخة في 4 رمضان 1300 (*الإتحاف*، 2 : 331).

كما عُين بوشتى بن البغدادي عضوا في اللجنة التي بعثها السلطان المذكور لتسوية المشاكل مع إسبانيا في سانتا كروز حسب رسالة ملكية إلى بركاش بتاريخ 14 قعدة 1883/1301 (*الإتحاف*، 2 : 337). وترأس بوشتى بن البغدادي السفارة التي توجهت إلى إيطاليا بمعية الكاتب العربي المنيعي في السنة التالية حسب رسالة حسنية إلى وزير الخارجية الإيطالي بتاريخ 7 شوال 1884/1302 (*الإتحاف*، 2 : 351، 352).

وحسب كتاب *العلائق السياسية للدولة العلوية* لابن زيدان (مخطوط خ. ح. الوثيقة : 132) فإن بوشتى بن البغدادي أصبح باشا لمدينة فاس، ولذلك عالج مشكل التاجر القنصل البريطاني الذي حاول أن يرفع علم بلاده على مقر سكناه بمدينة فاس يوم عيد الأضحى من سنة 1310 هـ مما أثار ضجة كبرى نجح ابن البغدادي في إخمادها وعجل بطرد القنصل في الحال كما تفصل ذلك الفقرة التالية من الكتاب :

"وفي عاشر حجة منصرم هذه السنة 1310 هـ رفع علم دولته على باب محل نزوله باشدور الانجليز الذي ورد سفيراً من دولته في أمور تجارية... وأكرم المترجم وفادته وأنزله ببستان بنيس الشهير بفاس... فاغتنم تلك الفرصة (فرصة العيد) ورفع العلم والناس في مصلاهم، ورغم ذلك فإن الملكف بمراقبة أموره من قبل الحكومة وهو رئيس الشرطيين بمحكمة باشا فاس إذ ذاك القائد بوشتى بن البغدادي الجامعي - والد الباشا محمد ابن البغدادي عامل فاس المتوفى قريبا - علم بذلك وأعلم به الرعاع فهرعوا لباب محله وهموا بقتله... لولا تيقظ العامل المذكور وإتيانه قبل وصول العامة وكفه أذاهُم عنه بكل ما أوتيه من قوة ودهاء وسياسة وكياسة، وأخذ العامل الباشدور إلى أن أوصله للحضرة السلطانية في فزع عظيم... وبارح فاسا من يومه منقلبا لوطنه".

إن السياسة والكياسة والدهاء هي العناصر التي

رشحت بوشتى بن البغدادي ليتولى مهام كثيرة على عهد السلطان مولاي الحسن، وهي العناصر التي جعلت السلطان المذكور يقربه إليه. ولا نعلم كيف اختفى بوشتى بن البغدادي عن المسرح السياسي إثر وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1894/1311. مما لا شك فيه أن نكبة الحاجب أحمد بن موسى للوزيرين الجامعيين المذكورين على إثر بيعة السلطان عبدالعزيز كان لها تأثير على وضعية بوشتى بن البغدادي الجامعي ووظيفته ودوره الذي من الممكن أن يكون قد تجمد مع تجميد وظائف جميع الجامعيين باعتبارهم من عصبية المعطي الجامعي الوزير الصدر السابق. ونتوقع أن يكون بوشتى ابن البغدادي توفي في العصر العزيزي وخلفه ولده محمد في مكانته الاجتماعية ودوره على فاس خلال عهد الحماية.

ع. السوسي السملالي، *منتهى النقول ومشتهى العقول*، مخطوط. خ. ع. رقم 633 د ؛ ع. بن زيدان، *إتحاف*، ج 2 ؛ *العلائق السياسية للدولة العلوية*، مخطوط، خ. ح. رقم 3176 ؛ ع. المشرفي، *الحسام المشرفي*، مخطوط، ح. ع.

أحمد العماري

**البغدادي، محمد** بن **أحمد** بن إبراهيم بن عيسى بن هشام بن جراح بن لواء الخزرجي من أهل جيان يعرف بالبغدادي لطول سكناه ببغداد، وإليه ينسب مسجد البغدادي بجيان.

ولد بجيان يوم الخميس ثاني عيد الأضحى من سنة 470 هـ، وبها درس، ومن الأندلسيين الذين روى عنهم، أبو علي الغساني وأبو محمد بن عتاب. ثم رحل للحج فحج وتوجه إلى بغداد فاستقر بها مدة طويلة وقرأ بها وروى عن جماعة وافرة، منهم أبو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي أخذ عنه تواليفه وجلب منها إلى الأندلس كتاب *أحكام القرآن*، وكتاب *أصول الفقه*، وكتاب *الرد على أحمد بن حنبل*. كما أخذ ببغداد عن أبي طالب الزينبي وأبي بكر الشاشي.

كان البغدادي فقيها مشاوراً يحفظ كتاب البرادعي، قال : حفظته وأنا صغير قبل رحلتي. وألف تعاليق في الفقه وغيره.

وروى عنه أبو عبدالله النميري، وأبو محمد بن عبيد الله، وأبو عبدالله ابن حميد، وأبو القاسم عبدالرحيم بن الملجوم الفاسي، وأبو علي الحسن بن عبدالرحمان بن عبدربه البجلي وغيرهم كثير.

قال في *الجذوة* : خرج من جيان في الفتنة والشدة التي لحقت أهلها عند تقلبها في أول الموحدين وخرج بسببها عدد من الشخصيات والعلماء، فكان البغدادي ممن غادرها نتيجة ذلك، واستقر بمدينة فاس، وبعد سبعة أعوام من خروجه لحقته منيته فتوفي بفاس يوم الجمعة 26 حجة 1152/546.

ابن الابار، *التكملة لكتاب الصلة*، 2 : 474 رقم 1311 ؛ أ. القاضي، *جذوة الاقتباس*، 262، العدد 269 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3: 266.

أحمد العماري

**البغدادي،** (ابن ـ) **محمد** بن **بوشتى** الجامعي باشا فاس الشهير الذي ظل عاملا عليها أزيد من عشرين سنة في بداية عهد الحماية، كان أبوه عاملا على فاس وعلى غيرها من حواضر المغرب مدة طويلة كما ذكر آنفاً. وصفه صاحب *إتحاف المطالع* بقوله :"الفارس الأنجد، والقائد الأسعد، كان له بعض العدل في أحكامه، وربما حكم بشدة لكن بغير قصد". وهو الذي جلد الوطنيين المتظاهرين بفاس بعد صلاة الجمعة ثامن يوليوز سنة 1930 ضد الظهير البربري وفي مقدمتهم محمد حسن الوزاني الذي تحدث عنه طويلا في *مذكرات حياة وجهاد* وسجّل حديثه معه ومع القبطان الطروشي المندوب المخزني، كما وصف ابن البغدادي وهو يدخل عصر ذلك اليوم دار بوعلي (مقر المحكمة الباشوية) راكباً على بغلته المطهمة ومن حوله المخازنية راجلين يؤدون له التحية التقليدية : (الله يبارك

عمر سيدي) ثم يدخل الغرفة الكبرى حيث يجلس عادة للأحكام على فراش وثير ويأمر باحضار الماعون (فلقة وسياط). أشار ابن البغدادي إلى زبانيته بالعمل فبدؤوا بالفقيه خطيب المظاهرة فأسقطه عونان على الأرض وأدخلا رجليه في القلقة وأمسك آخران بيديه موثقتين، وانهال آخران على مقعدته بالسياط المفتول من الجلد بعد غطسه في الماء. وبعد ذلك جاء دور الصفريوي فمحمد حسن الوزاني فبقية الشبان المعتقلين. كل ذلك يجري "بينما كان الباشا ـ محمد ابن البغدادي ـ ينظر باهتمام وهدوء وهو يحرك شفتيه فتتحرك لحيته الكثيفة، ويداه تمسكان سبحة كأنه في حفلة ذكر أو كأنه يحصي الضربات".

توفي بفاس يوم الثلاثاء ثاني وعشري رجب عام 1351 / 13 نونبر 1932، ودفن بروضة الشيخ قاسم ابن رحمون.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1351 ؛ م. حسن الوزاني، *مذكرات*، 3 : 87. 92.

محمد حجي

**البغدادي، محمد** (الحاج ـ) اسم مستعار اتخذه المغامر الاسباني خوسي ماريا ذي مورگا إموگارطيگي Jose Maria de Murgay Mogartegui الذي كان يعرف بلقب المورُو بيثكاييكو El Moro Viscacico (المغربي من مقاطعة بيكايا Viscaya الاسبانية)، ولد بمدينة بيلباو Bilbao في 20 يونيو 1827، والتحق بالأكاديمية العسكرية في 30 ماي 1843 حيث تخرج برتبة فارس سنة 1846 والتحق بصفوف الجيش وبه حصل على رتبة ملازم، فقبطان، فكومندار سنة 1853، وفي السنة الموالية منحت له إجازة لمدة سنة شارك خلالها في حرب كريميا Crimea.

ومن سنة 1851 إلى سنة 1859 قام مورگا بجولة عبر دول أوربا، وتعلم اللغة العربية أثناء مقامه بباريس ثم عاد إلى صفوف الجيش في شهر غشت 1859 إلى غاية شهر ديسمبر من السنة التالية حيث قدم استقالته.

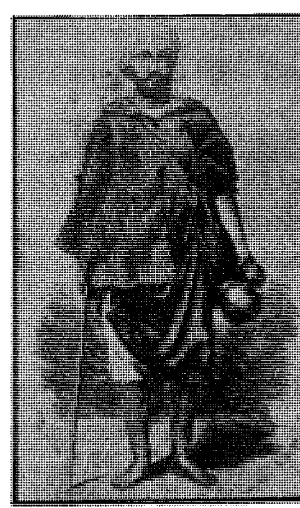

زار مورگا المغرب مرتين وهو يرتدي جلباباً مغربيا مدعيا أنه اعتنق الاسلام، وكان تارة يتعاطى التطبيب وتارة يقوم بدور العطار المتجول. دامت رحلته الأولى من 1863 إلى 1866 حيث زار ناحية الغرب انطلاقا من طنجة التي ظل بها عدة أشهر يتعلم اللهجة العربية الدارجة، وبعد ذلك زار أصيلا والعرائش والقصر الكبير وسلا والرباط ومكناس وفاس ومنها عاد إلى طنجة.

وفي سنة 1866 عاد البغدادي إلى اسبانيا فحرر كتابه المشهور بعنوان : *Recuerdas maroquiés* *ذكريات مغربية*، وطبعه في بيلباو سنة 1868.

وكانت للبغدادي رحلة ثانية للمغرب سنة 1872 زار خلالها عدة أقاليم قبل أن يعود إلى بلاده، وفي شهر أكتوبر من سنة 1876 بينما كان بقادس يستعد للقيام برحلة ثالثة فاجأته المنية يوم 30 نوفمبر من نفس السنة.

يشتمل كتاب *ذكريات مغربية* على الفصول التالية : المرتدون، تأسيس الدولة العلوية بالمغرب، معركة وادي المخازن، مفارقة بين الاسبانيين والبرابرة، بنو جيفة (اليهود)، الأجناس المتساكنة بالمغرب، شريعة الدخل.

ومن الغريب أن الأستاذ عزيز سلام في كتابه *ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية* الذي أصدرته وزارة الأنباء بمطبعة فضالة د. ت. نشر في صفحة 103 صورة هذا المغامر الإسباني وتحتها العبارة التالية : "الحاج محمد البغدادي أحد قواد القرن الثامن عشر/1876".

J. Murga, *Recuerdos Marroquies*. Bilbao, 1868 ; F. Duro, Cesareo, *Apuntes biograficos del Hach Mohammad El Bagdady* (Jose Maria Murga), Madrid, 1877 ; T. Garcia Figueras, *El Hach Mohammad El Bagdady. Rev. El Español*, Madrid IV num. 150 de 8 Septiembre 1945 : T. Garcia Figueras, *Murga o la originalidad*, Archivos del I. E. A. Madrid, num. 1 P. 85 - 106 ; *El Moro Vizcaino y el Padre Lerchundi. Rev. Africa*, Madrid, 1967, p. 130 - 132 ; *Miscelanea de estudios historicos sobre Marruecos*. Larache, 1949, p. 369 - 340 ; J. de Ibarra, *Jose maria Murga, El Moro Viscaino*, Madrid, 1944 ; *El porque del Moro Vizcaino, Rev. Africa*, Madrid, 1966, p. 716 - 717 ; M. de Olivart, *Recuerdos marroquies del Moro Viscaino*, Madrid, 1906 - 1907.

محمد ابن عزوز حكيم

**البغل**، حيوان ثديي، عاشب، يصدر عن التهجين المفروض من طرف الإنسان على فحول الحمير وإناث الخيل. اسمه الشائع في المغرب هو البغل و "الكدار" في بعض المناطق، ولو أن هذه التسمية تُعطى للفرس العادي في مناطق أخرى.

يشبه الفرس في بنيته وفي عرفه وذيله الغزيري الشعر وفي عدد فقرياته الصلبية (6.5). ويشبه الحمار الأب في طول أذنيه الكثيرة التحركات، وفي ثقل رأسه وفي نهيقه القريب من صوت الحمار.

يختلف البغل عن أبويه في عدد صبغياته (للفرس 64 صبغية، للحمار 62 وللبغل 63)، وفي جلده الصامد لاحتكاكات العدة، وفي قامته التي لها صلة وثيقة بقامة أمه وأبيه. فالبغل المتولد من الحمار المغربي العادي أقل قامة من نظيره المتولد من الفحول الجيدة التي تعطي بغلا قويا ضخما صبوراً. تتعدى قامته 155 سم.

تدوم مدة حمله ما بين 310 و370 يوما بمعدل سنة تقريبا.

طوله عند الغارب ما بين 120 و155 سم، ويزن من 300 إلى 400 كلغ.

صيغة أسنانه كالتالي : 3/3 قواطع، 1/1 أنياب، 3/3 أضراس أمامية، 3/3 (4) أضراس = 40 أو 42 سنا عند البالغ. الأنياب عموما منعدمة عند الإناث. تستعمل الأسنان في تحديد أعمار الخيليات.

يبدو أن إنتاج البغال يرجع إلى الميكيين Myciens، (ألف سنة قبل الميلاد)، كما أن الإغريق والرومان أحسنوا تربيتها. وقد عُرف إنتاج البغال بافريقيا منذ العصور القديمة، ونمت تربيته عند الفنيقيين والقرطاجنيين حيث

استعملوه في نقل العتاد الحربي والبضائع. وما زال البغل يقدم للإنسان خدمات متعددة وهامة سواء في القرى أو المدن وذلك لصبره وقوته وتحمله للمشاق.

يُستعمل حالياً في الفلاحة (الحرث والدراس) ونقل البضائع والأسفار، وجر العربات ونقل المواد الغذائية وغيرها داخل المدن الضيقة كما هو الشأن في فاس وتطوان.

والمعروف عن البغل أنه ذو مزاج ذكوري وعاق، لذا يخضع غالبا لعملية الخصي المعروفة بـ "الصلح" وهي عملية غالبا ما تجري من طرف "المعلم البيطار" ونادراً من طرف الطبيب البيطري.

ترتكز تغذيته أساسا على العشب والتبن والشعير.

الذكور كلها عقيمة، أما الإناث فقد ثبتت مؤخراً خصوبتهن بالصين بفضل بحوث على مستوى الصبغيات. وقد حدث أن وضعت بغلة في أوائل السبعينات بالمغرب، وأخرى أجهضت في نواحي گرسيف سنة 1989.

يبقى البغل، بالنظر إلى الخدمات التي يسديها للإنسان ولضآلة تكلفة تربيته، مطلوبا أكثر من الفرس في البادية المغربية، حيث يتم التناسل في أغلب الأحيان بين فحول الحمير المحلية وإناث خيل غير مناسبة مما يؤدي إلى انتاج بغال قصار القامة وأقل قوة وصموداً.

ولقد اهتمت مرابط الخيول الوطنية بالمغرب منذ نشأتها برفع مستوى التهجين وإنتاج بغال جيدة، وذلك باستيراد أجود فحول الحمير من فرنسا وإسبانيا. ويوجد الآن في حيزها ما يناهز مائتي رأس توضع بالمجان رهن إشارة المربين بمحطات تجويد نسل الخيول.

أدى تفوّق طلبات البغال، خاصة في المناطق الجبلية، إلى فقدان التوازن بين عدد البغال وعدد الأحصنة الذي عرف تدهوراً كبيراً منذ سنة 1950.

يعيش في المغرب حالياً أكثر من 500.000 رأس من البغال أغلبها من صلب الحمير المحلية. ويختلف البغل عن النغل الذي يصدر عن التهجين بين الأتان والفرس. فالنغل أقل قامة وقوة من البغل، فهو يقدم للانسان نفس الخدمات التي يقوم بها الحمار، مما جعله غير مرغوب فيه زيادة على صعوبة الحصول عليه. فهو نادر جداً بالمغرب.

H. Aublet et L. N. Marcenac, *Encyclopédie du Cheval*, Paris, 1980 ; H. Benjelloun, *Conditions d'utilisation des équidés dans le milieu urbain : Cas de la Medina de Fès*. Thèse de Doctorat Véterinaire. I. A. V. Hassan II, Rabat, 1990 ; A. C. Chandley, MRC, *Human Genetics University Edinburgh, Fertility in mules and hinnies* 1 st International Colloquium on Dinkey, mules and Horses, 3 - 6 Sept., 1990 Edinburgh U.K.

مصطفى يعرف

**بقّار** (Bavares)، من القبائل التي عرفت انتشاراً في كل من موريطانيا القيصرية ثم الستيفية وفي موريطانيا الطنجية وحتى في نوميديا. إن اسم "Bavares" على هذه الصيغة لا يوجد سوى فوق النقائش في حين أن النصوص الجغرافية حملت اسم "Barbares".

ففي لائحة ڤيرون (*G. L. M.*, p. 129) نجد أسماء عدد من القبائل في موريطانيا من بينها على سبيل المثال، الموريون المازيكيس ثم الموريون البكوات والموريون البربار (Bavares).

فالمازيكيس يوطنون من طرف بطليموس جنوب شرشال (IV, 2, 19) أي في الورسونيس، أما البقّار فيشغلون قسماً من الهضاب العليا ويمتدون إلى غاية الأطلس المتوسط المغربي.

يذكر صاحب كتاب "*Liber Generationis*" عدداً من أسماء القبائل فيقول "الموريون البكوات والمكناتيون والجيتوليون والبربار الأفري (Afri) والمازيكيس وأخيراً الگارامانط". نلاحظ إذن من خلال هذه اللائحة أن "البقّار" لوحدهم سموا بالأفري (أفارقة) فهل هذا راجع لأهميتهم أو لكونهم الأكثر انتشاراً في الأراضي الخارجة عن النفوذ الروماني ؟

نلاحظ كذلك أنه يفصلهم عن قبائل البكوات، الجيتوليون ولكن هؤلاء يوطنون في الغالب جنوب البكوات.

يرى الباحث توڤنو أن صاحب لائحة ڤيرون يذكر أسماء القبائل من الشرق نحو الغرب بينما صاحب "*Liber Generationis*" يشير إلى وجود هذه القبائل على نفس خط الطول انطلاقاً من الشمال نحو الجنوب.

يعطينا الفلكي "Julius Honorius" (Riese, *G L M*, p. 53) توطيناً طبوغرافياً أكثر دقة فيقول "إن نهر مالڤا.. يفصل البقّار والبكوات ويصب في البحر الذي نسميه أعمدة هرقل". ويعطينا أيضاً لائحة بأسماء القبائل فيقول "هناك النبطيون ثم عرب Bosha (شبه الجزيرة العربية) ثم النازامون وينتهي بالمازيكيس والبربار والسلاماگنيت (المجاورين لسلا) والبكوات والماسيليين". يبدو من خلال هذه اللائحة أن المازيكيس يوجدون في الورسونيس كما سبق ذكره (وقسم منهم يوجد في موريطانيا) والبقّار فوق الهضاب العليا الوهرانية، أما القبائل المتبقية فتوطن في موريطانيا الطنجية.

يذكر المؤرخ A. Marcellin (XXIX, 5, 33) في حديثه عن حملة الامبراطور Theodore ضد الثائر Firmus أسماء بعض القبائل التي توجد في موريطانيا القيصرية والستيفية منها Baivrae، Abanni ثم Davares.

إلى جانب النصوص، فإن اسم البقّار، وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، حملته العديد من النقائش سنشير إلى بعضها.

أولى هاته النقائش عثر عليها بمدينة لمبيز تتحدث عن الهزائم التي منى بها البقّار وحلفاؤهم Quinquegentani على يد القائد الروماني "Micrianus Decianus" سنة 259. 260 م ثم ظل البقّار في هدنة نسبية مع الرومان إلا أنه سرعان ما بدأوا يتحركون، تشهد على ذلك بعض النقائش المعثور عليها في موريطانيا القيصرية، فالأولى مؤرخة بفترة حكم الأباطرة ديوقليتيانوسي وماكسيميانوس مهداة إلى الإله Jupiter تعبيراً عن الانتصار الذي حققه

حاكم موريطانيا القيصرية Aurelius Litua على Barbari Transtagnenses (يقطنون قرب سبخة الحضنة)، والثانية مهداة إلى الآلهة المورية حيث يقدم لهم القائد الروماني Aelius Aelianus اهداءً تعبيراً عن انتصاره وسحقه لقبيلة من البڤار تسمى "Bavares Mesegneitses". كما تشير إليهم أيضاً إحدى النقائش التي عثر عليها في مدينة Anzia وهي مؤرخة بسنة 260 م.

إذن هذا العدد من النقائش دفع الباحثين إلى اعتبار البڤار من القبائل القاطنة في موريطانيا القيصرية والستيفية، إلا أن العثور على نقيشتين بموريطانيا الطنجية غير اتجاه البحث. فالنقيشة الأولى (IAM, 2, 402) تشير إلى التحالف بين البڤار والبكوات تحت رئاسة قائد موحد (تحت حكم سڤير ألكسندر) ـ كما كان الشأن بين البكوات والمكناتين سنة 173 ـ 175 م ـ وإلى الاتفاق بين هاته العناصر وحاكم موريطانيا الطنجية. إلا أن هذه العملية لن تكون طويلة الأمد حيث إن النقائش الوليلية المؤرخة ابتداء من سنة 239 م لن تحمل سوى اسم البكوات وحده. فمن المعروف أن قبائل البكوات كانت دائماً في مناوشات مستمرة مع السلطة الرومانية كانت تنتهي عادة بإبرام اتفاقيات بين الطرفين.

إن ما يهمنا من هذه النقيشة هو ذكر اسم البڤار الذي يشكل العنصر الأساسي في هذا التحالف حيث إنهم سيشكلون قبيلة واحدة إلى جانب البكوات، وهم الذين ورد ذكر اسمهم في الأول، الشيء الذي يدل على أهميتهم وعلى احتياط روما منهم. أما النقيشة الثانية فقد عثر عليها بمدينة تمودا (IAM, 2, 55) وتشير إلى اجتياح هذه القبائل (Barbares) لتمودا في فترة مجهولة لدينا. إلا أنه بعد حكم الامبراطور Sévère Alexandre لن نجد لهم وجوداً في موريطانيا الطنجية. أما في باقي الولايات فلن نعثر على نقائش تحمل اسمهم إلا مع انتشار الحركة الدوناتية حيث سيظهرون في الجزائر الغربية وسوف يتوغلون إلى غاية مدنية Al Regias (Arbal) حيث عثر بهذه المدينة على نصب تذكارية تشير إلى قيامهم بتقتيل عدد كبير من السكان حوالي 366 م. ثم سنجدهم أيضاً ينضمون إلى صف الثائر Firmus كما سبقت الإشارة إلى ذلك، حوالي 373 م. ولن نجد لهم ذكراً في الوثائق بعد هذا التاريخ.

إذن من خلال هذه المصادر التي ذكرنا سواء كانت مكتوبة أو أثرية يبدو أن البڤار يسكنون شريطاً ترابياً هاماً يمتد على حد قول توڤنو من ملوية العليا إلى جنوب شرق مدينة سطيف، هذا الشريط المكون من الهضاب العليا ومن السهول هو الذي سيشكل في الفترة الوسيطية، مجال القبائل الزناتية.

G. Camps, *Les Bavares, peuples de la Maurétanie Cesariennes, R. A.*, XCIX, 1955, p. 241 - 288 ; Dessau, S.V "Bavares", *Real-Encyclopédie*, Col. 149 -150 ; R. Thouvenot, *Rome et les Barbares africains, à propos d'une inscription de volubilis, PSAM*, VII, 1945, p. 166 - 183 ; M. Euzennat, *Les troubles de Maurétanie, CRAI*, 1984, p. 372 - 391 ; Desanges, *Catalogue des tribus africaines*, p. 47 - 48 ; Ch. Tissot, *Géographie comparée de la province romaine d'afrique*, T. I, p. 458 - 460 ; *CIL* VIII, n° 9324, 21486, 9047, 21630, 2615.

عبد العزيز بل الفائدة

**بَقْدُورَة** (معركة ـ) من المعارك الكبيرة التي دارت في المغرب بين الجيش العربي والبربر اثر انتفاضتهم تحت راية الخوارج سنة 741/123. فبعد الانتصارات الأولى التي حققها الثوار بقيادة ميسرة المطغري، قرر الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك (743.724/125.105) القيام برد فعل قوي، فعزل واليه على افريقية عبدالله بن الحبحاب، وعين بدله كلثوم بن عياض القشيري، وجعل بجانبه نائبين، هما بلج بن بشر القشيري وثعلبة بن سليمة العاملي، وأمده بجيش كثيف من الجند الشامي تضخم تضخما عظيما بمن انضم إليه من جند مصر وطرابلس وافريقية، حتى إن المصادر قدرت عدده بسبعين ألف مقاتل. خرج هذا الجيش العظيم من افريقية سنة 741/123 في اتجاه طنجة لتأديب الثوار البربر الذين جمعوا جموعهم تحت قيادة إمامهم الجديد خالد بن حميد الزناتي. إلا أن الضغائن والأحقاد كانت تنخر عظام الجيش العربي بسبب الانقسام الذي دب في صفوفه بين العناصر الشامية الوافدة وبين العرب الأفارقة "البلديين"، الذين استقروا بالبلاد منذ الفتح الاسلامي، وأصبحوا يعتبرون أنفسهم أصحابها ولا يطمئنون إلى أحد من القادمين من المشرق.

على هذه الحالة تم اللقاء بين الطرفين على الضفة الشمالية لأسافل وادي سبو، في موضع يقال له بقدورة (أو نقذورة حسب بعض الروايات)، وكان لقاء هائلا تمكن فيه البربر من تحقيق انتصار كبير (741/123). ويؤكد المؤرخون أن ثلث الجيش العربي قتل، وأن ثلثه الآخر قبض أسيرا، وأما الباقون فقد تفرقوا فلولا مهزومة. وقد قتل في المعركة كلثوم بن عياض وعدد كبير من وجوه العرب، من أمثال حبيب بن أبي عبيدة ومغيث الرومي وهارون القرني وسليمان بن أبي المهاجر. وكان من جملة الناجين فرقة من الجند الشامي من حوالي تسعة آلاف رجل بقيادة بلج بن بشر، تحصنت بسبتة حيث شدد عليها البربر الحصار حتى كادت تهلك جوعا، إلى أن سمح لها والي الأندلس، عبدالملك بن قطن، بالعبور إلى الضفة الشمالية بعد أن تفاقمت هنالك ثورات البربر.

كان لمعركة بقدورة هاته نتائج حاسمة، إذ أنها كانت نذيرا بامتداد الثورة إلى كل بلاد الغرب الاسلامي، من طرابلس إلى الأندلس، كما أنها كرست انفصال المغرب سياسيا بصفة نهائية عن الخلافة الشرقية.

مجهول، *أخبار مجموعة*، نص عربي وترجمة اسبانية، نشره Lafuente Alcantara مدريد، 1867، ص 31، 34 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، ت. كولان وبروفنصال، ليدن 1948، ج 1، ص 54، 56.

محمد الأمين البزاز

**بقر**، حيوان أهلي من البقريات Bovidés ومن فصيلة البقر ورتبة مزدوجات الأصابع المجترات، يربّى للحرث ودرّ اللبن واللحوم.

البقرة في العربية واحدة البقر وتطلق على الذكر والأنثى، فإذا أريد التخصيص قيل ثور وبقرة. الاسم العلمي هو Bos Taurus الذي ينحدر أصله إلى نوع Bos primigenius الذي كان يعيش في أوروبا وأفريقيا الشمالية في العصر الحجري.

يرجع تاريخ بداية علاقة الانسان بالبقر إلى ما يزيد عن 6.500 سنة قبل الميلاد وقد أكدت أبحاث علوم الأثريات أن أول علامات تدجين الثور الوحشي ظهرت في الباكستان ما بين 7.000 و6.000 سنة قبل الميلاد ثم في خرزستان وإيران وتركيا وجنوب أوروبا وشمال أفريقيا. تطورت طريقة التدجين مع تطور الفلاحة وخاصة في عهد الفراعنة والرومان، ونتجت عن هذا التهجين عدة سلالات لتلبية حاجيات الإنسان من اللحوم والحليب وخدمة الأرض.

من السلالات الشائعة في المغرب هناك سمراء الأطلس La Brune de l'Atlas التي تعيش في تونس والجزائر والمغرب ويحتمل أن البرابرة أتوا بها من النيل منذ 3.000 أو 4.000 سنة.

يتراوح وزن سمراء الأطلس ما بين 280 و310 كلغ بمعدل 300 كلغ في حالة التربية المكثفة بالمزرعات، وما بين 187 و245 كلغ في حالة التربية الممددة وهي الأكثر استعمالا في المغرب. ينخفض الوزن في فصل الشتاء لقلة الأكل في المراعي ويرتفع في فصل الصيف لوفرة الأعشاب وتنوعها. تشرب من مياه الآبار والعيون والبحيرات العذبة والوديان مرة كل يوم.

تقوم بعض المزرعات بالتربية المكثفة لسلالة سمراء الأطلس فتقدم لها الكلأ الوافر طول السنة، ويتكون من البرسم والشمندر والذرة وسرغو. تعطي البقرة صغيراً كل سنة في هذه الحالة ولا يُعزل عنها بينما تعطي صغيراً كل سنتين في حالة التربية المُمَدّدة. تعطي الحليب في الصباح والمساء لمدة ثلاثة أشهر ونصف بعد الولادة وكثيراً ما تفصل الصغار عن الأمهات لكي لا ترضعها وسط النهار.

تعيش في المغرب أيضا سلالة أُلماس وهي كثيرة الشبه في عاداتها الغذائية. تكوِّن إلى جانب سمراء الأطلس 80٪ من عدد رؤوس البقر المحلي في المغرب، وتشتهران بمقاومة قوية ضد الأمراض الناتجة عن الجراثيم والطفيليات التي تفتك بسهولة السلالات الأوروبية المستوردة كالبقرة المبرقعة Pie noire وHolstein و Swiss Brown Guernesey وغيرها.

استوردت السلالات الأوربية إلى المغرب لتلبي حاجيات السكان من الحليب واللحوم.

عرف عدد رؤوس البقر تطوراً محسوساً منذ سنة 1982 في المغرب كما يوضح الرسم ذلك. بلغ العدد 3.136.900 رأس في نونبر 1988 منها 67,7٪ تابعة للإدارة الاقليمية للفلاحة و32,3٪ تابعة للمكاتب الجهوية للإصلاح الزراعي.

يعتبر إقليم سيدي قاسم من أهم الأقاليم في تربية البقر (16,4٪) ويليه إقليم الجديدة ومراكش والخميسات وتطوان وسطات وتاونات وأگادير ومكناس حيث يشكل مجموعها 48٪ من عدد الرؤوس داخل الوطن.

Ministère de l'Agriculture et de la Réforme Agraire : *Enquête d'élevage : Effectifs des bovins, ovins et caprins*, 1989 : M. Chadli, *Physiopathologie de la malnutrition chez les bovins bruns de l'Atlas*, Doctorat Es-Sciences agronomique, 1989 : F. Marleen, *Genus Bos : Cattle breeds of the World*, MSD, Agvet, Rahway - USA, 1985.

محمد رمضاني

**البَقْس**، أو بُوكْسوس Buxus شجيرات تعدُّ جنساً من فصيلة البقسيات، وفي المغرب نوعان طبيعيان منه :

1 ـ البقس الدائم الاخضرار أو بُوكْسوس سَامْبِرْڤِرَانْس Buxus sempervirens شجيرة أو شجرة قصيرة القامة، لها قشرة متجعدة ذات لون رمادي يميل إلى الاصفرار، وأوراق جد متعددة دائمة الاخضرار لكنها تحمر بسبب قساوة البرودة الشديدة في أعالي الجبال، وأزهار صغيرة بيضاء.

يُعرف هذا النوع من البقس في جميع سواحل البحر المتوسط الشمالي ابتداء من المحيط الأطلسي إلى جبال القوقاز، بالإضافة إلى بقعتين الأولى في الجزائر والأخرى في المغرب.

يسكن البقس الدائم الإخضرار في بعض أحراج البلوط الأخضر، والعرعر الفنيقي، والعرعر الفواح، وعلى سفوح صخرية شستية وكلسية في بعض جبال الأطلس الكبير الشرقي ما بين 1900 و2.800 م من الارتفاع.

إنه بالإمكان استعمال البقس الدائم الاخضرارللزينة لأنه سهل التشذيب. خشب البقس جد ثمين ومطلوب لأنه يعتبر الخشب المثالي للنحت والنقش، ولهذا كانت أجود قطع الشطرنج الخشبية هي التي تصنع من خشب البقس.

2 ـ بقس البليار أو بُوكْسُوسْ بَـلِيَاريكا Buxus balearica يشبه النوع السابق لكنه يتميز عنه بعدم ظهور الزغب على الأغصان الصغيرة وبأوراق أكبر.

يصادف هذا النوع في جزر البليار حيث ينحصر في بقعة محدودة، وفي جنوب إسبانيا وفي جزيرة سردينيا وفي المغرب.

ففي المغرب يسكن بقس البليار في الغابات المنفرجة المشكلة من البلوط الأخضر أو العرعر البربري أو العرعر الفنيقي أو الأرز. وذلك في الريف، وسلسلة بني ازناسن، والاطلس المتوسط والأطلس الكبير. وفي هذه المناطق يصادف البقس ما بين سطح البحر في الريف و2.500 م من الارتفاع في الأطلس الكبير.

أما من حيث متطلباته البيومناخية فإنه يقطن في شبه الجاف وشبه الرطب والرطب ذوي الشتاء الدافئ والمعتدل والبارد والقارس. وفي كل هذه الحالات لا يبالي البقس بالنوعية الصخرية التي يعيش عليها.

استعمالات بقس البليار لا تختلف عن استعمالات النوع السابق.

*أبحاث شخصية.*
L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaitre*, Paris, 1938.

عبدالمالك بنعبيد

**البقس**، وله في اللسان المغربي الدارج أسماء أخرى تختلف باختلاف المناطق. عرفت هذه الشجرة الطبيعية انتشاراً كبيراً في المغرب خلال تاريخه القديم والوسيط، ثم تقلص وجودها تبعاً لتقلص المساحات الغابوية، إلا أن تقلص تجمعات شجر البقس كان كبيراً وذلك لعدة أسباب، منها : الاستغلال البشري المكثف لهذه الشجرة لمميزاتها وخصائص خشبها المتمثلة في الصلابة والدقة وحسن المنظر، وتتميز عن باقي الأخشاب بكونها تصلح لصناعة الأدوات والأشياء الدقيقة والحادة الرؤوس، أي أن خشبها وعيدانها لا تنكسر رؤوسها بسهولة ولا تتشعث عند النحت أو عند الاستعمال في الأمشاط والمغازل والملاعق وما إلى ذلك (*التشوف*، ص 6 ؛ *وصف افريقيا*، 1 : 191) هذه المميزات جعلت الاستهلاك يزيد في العصر الوسيط الأوسط والأدنى بسبب التحسن النسبي في المستوى المعاشي والإقبال الكبير على المصنوعات الخشبية خاصة في المدن. أهم أماكن تجمعات البقس، غابات البلوط الفليني، أي أنها كانت تختلط بها خاصة في المناطق الساحلية والمطلة على المحيط (*وصف افريقيا*، 1 : 88، 165، 251) إلا أن غابة المعمورة ربما كانت في الدرجة الأولى حسب نفس المصدر.

تأتي صناعة الأمشاط كصناعة أولى تستهلك البقس، وليس المقصود الأمشاط الخاصة بتسريح الشعر فقط بل حتى الأمشاط المستعملة في صناعة النسيج، لأن مميزات خشب البقس تساعد على نحت تلك الأمشاط دون أن تنكسر أسنانها أو تتشعث.

هذا الاستغلال المكثف الذي أشارت إليه مصادر أخرى (*فضالة الخوان*، 53) تَراجع لعدة أسباب، منها تراجع الغابات كما أسلفنا خاصة حول المدن الكبرى، فأصبح الحصول على البقس يتطلب تكاليف ومشاق أكثر، ومنها انتشار استعمال الحديد والأدوات الحديدية بشكل أوسع منذ العصر الوسيط الأدنى (*وصف افريقيا*، 1 : 184، 188، 191) فصنعت أدوات النسيج منه. واستمرت صناعة أمشاط تسريح الشعر تعتمد على شجرة البقس لكن بكثافة أقل من السابق لدخول الأمشاط المصنوعة من العاج وقرون الأبقار في المنافسة. فقل تصدير هذه البضاعة، لكن استهلاكها بقي منتشراً في الأوساط الفقيرة لأن الأنواع الأخرى ليست في متناولها.

استمر وجود الأمشاط الخشبية إلى وقت قريب منا، إلا أنها ليست مصنوعة من شجر البقس فقط، بل دخلت أنواع أخرى من الخشب في هذه الصناعة خاصة الأخشاب المستوردة التي عرف المغرب بعض أنواعها منذ تاريخ قديم كالأبنوس مثلا، ويمكننا أن نجد بسهولة في السوق اليوم بعض الأمشاط الخشبية المنحدرة صناعتها من تاريخنا الوسيط، وقد نعثر من بينها على أمشاط من البقس.

لم تعد شجرة البقس اليوم تشكل تجمعات كبيرة كما كانت في العصر الوسيط، بل أصبحت متناثرة وسط غابات البلوط إلى جانب أنواع أخرى في المعمورة وامتداداتها جنوب وادي أبي رقراق وعلى السفوح الغربية لمنطقة جبالة وجبال الريف الغربية (*A. M.*, 1911, Vol. 17).

ي.التادلي، *التشوف* ؛ ابن رزين، *فضالة الخوان* ؛ م. الأنصاري، *اختصار الأخبار* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الترجمة العربية.

R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, Beyrouth, 2 Vol.

محمد حجاج الطويل

**البَقّ**، حشرة من رتبة نصفية الأجنحة Hemiptera ومن فصيلة البقيات Cimicideae. ومن أسمائها في المغرب بق الفراش، بق الخشب، بق الحيطان، وفي الشرق العربي البق والضَمْج وبنات الحصير والفسافس.

إنها ذويبة مفرطحة حمراء أو سوداء منتنة، جناحاها قصيران جدا لا يساعدان على الطيران. تنتهي مقدمة الرأس بمتك رقيق يمتص الدم ويلسع. لا يتعدى طول الحشرة 10 ملم.

يعيش من هذه الفصيلة ثمانون نوعاً في العالم من أشهرها Cimex lectularius وCimex hemipterus التي تكيفت مع الإنسان منذ أقدم العصور، وهي منتشرة الآن في جل بقاع العالم.

تعيش هذه الدويبة عادة في المنازل داخل أخشاب السقوف وداخل الفراش. تختفي في النهار وتخرج في الظلام لتلسع النائم وتمتص دمه وتعود إلى الأخشاب وفتحات الجدران لتلد البيض.

تتغذى الأنواع الأخرى عادة من دم الخفافيش ونادرا من دم الطيور.

إن البق شائع في المنازل القديمة بالمغرب، ومحاربته بالأدوية والنظافة تساعد على انقراضه.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، 1932.

J. Carayon, *Les Hemiptères, Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et Techniques, Zoologie II*.

محمد رمضاني

**البقّاش**، أسرة تطوانية أصلها من قبائل غمارة، وكان من بين أفرادها :

**البقاش، عبدالخالق** بن أحمد فقيه كان حياً سنة 1818/1233 وكلمة البقاش في اللهجة الدارجة تعني الشخص الذي يقوم بالتفتيش والبحث، ومازالت هذه الأسرة بتطوان.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

**بقّاق**، أو البقّاق، أسرة تطوانية أصلها من قبائل جبالة وقد انقرضت بتطوان حوالي سنة 1899/1317.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البقال**، أسرة من شرفاء اغصاوة بناحية وزان، استقر بعضهم في تطوان ومكناس وغيرهما، وعنها تفرعت أسرة البقالي آتية الذكر. وهناك أفراد يدعون البقال لا صلة لهم بهذه الأسرة.

**البقال، أحمد** بن أحمد من مواليد مراكش سنة 1932 وهو شقيق الشهيد محمد البقال. شارك في الحركة الوطنية في سن مبكر وتعرض لمطاردة سلطات الحماية كلما تأزمت الأوضاع السياسية. وكان من بين المنظمين لمظاهرات المشور في 15 غشت 1953 المنددة بمؤامرة الاستعمار وأذنابه من الخونة فسقط فيها بعض الشهداء والجرحى وتم اعتقال أحمد البقال بعد إصابته برصالة في رجله. فقضى سنتين في السجن. ولما أفرج عنه التحق بجيش التحرير بالصحراء. وفي 14 جمادى الأول عام 17/1376 دجنبر 1956 أسندت إليه قيادة بني عامر بقلعة السراغنة، وفي 22 ربيع الأول 17/1377 أكتوبر 1957 تم نقله قائدا لقبائل تكانة وغجدامة واگلاوة الشمالية وظل متحملا هذه المسؤولية إلى سنة 1962 حيث استقال وهاجر إلى فرنسا وهناك وافاه أجله في أحد مستشفيات باريز بتاريخ 7 أبريل 1989.

م. الحبيب الفرقاني، *صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير*، ج 1 ؛ *ظهير التعيين* ؛ جريدة *الاتحاد الاشتراكي* بتاريخ 1989.4.17 ؛ *معلومات من أسرة أحمد البقال*.

محمد ماگامان

**البقال، أبو بكر** بن علي الحاج، ولي صالح من رجال القرن العاشر (16 م) يوجد قبره بضريح أخيه سيدي عيسى آتي الترجمة بحومة السانية بتطوان.

**البقال، الطيب** بن عبدالسلام، فقيه ولد بمدشر محراشن من قبيلة بني حسان سنة 1174، وكان من بين الأعيان الموقعين بتطوان على عقد البيعة للأمير مولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد يوم 12 جمادى الثانية 17/1236 مارس 1821 كما كان من أعضاء الوفد التطواني الذي توجه إلى فاس لتهنئة السلطان مولاي عبدالرحمان بمناسبة عيد الأضحى لسنة 1827/1242 وكان يزاول خطة العدالة بتطوان إلى أن وافته المنية سنة 1837/1253.

**البقال، عبدالجليل**، فقيه تطواني زاول خطة الإفتاء بمدينته من سنة 1772/1186 إلى أن وافته المنية بها سنة 1804/1219.

**البقال، عبدالفضيل** بن المهدي، فقيه تطواني كان يزاول خطة العدالة بالمدينة من سنة 1819/1234 إلى سنة 1828/1243.

**البقال، عبدالله** بن محمد، فقيه تطواني كان يزاول خطة الإفتاء والعدالة بمدينته سنتي 1882/1299 و1883/1300.

**البقال، عبدالله الحاج** بن محمد، ولي صالح ولد بتطوان وتوفي بها يوم 5 ربيع الثاني 20/1207 نوفمبر 1792 وقد بني عليه ضريح بساحة الفدان بتطوان في نفس سنة وفاته، وبجانبه شيّد القائد أشعاش سنة 1834/1250 مسجدا تقام به الصلوات الخمس وصلاة الجمعة.

ويحكى عن الشيخ البقال هذا أنه سُئل عن مصير تطوان ومصيره فقال : "مسكينة يمّا (أمي) تطّاوين وأما أنا فـهَمِّي (مصيبتي) بالشبك" (أي عظيمة)، وقد فسر الناس فيما بعد هذه المقولة بأنها إشارة إلى الاحتلال الإسباني الذي تعرضت له مدينة تطوان و إلى ما آل إليه ضريحه معهم فقد حوّل الإسبان هذا الضريح المسجد عند احتلالهم لتطوان إلى كنيسة أطلقوا عليها اسم سيدتنا ذات الانتصارات. وأقاموا بها قدّاسهم يوم الأحد 20 رجب 12/1276 فبراير 1860. ويذكر أيضا أنه أول مسجد تمت فيه قراءة القرآن الكريم جماعة ابتداء من يوم الجمعة 4 جمادي الثانية 14/1353 سبتمبر 1934.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 12، 4 : 89 - 113 - 130، 6 : 11 - 13 - 187 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 234 - 235، 3 : 156 - 217 - 267 - 294، 4 : 221، 5 : 326، 6 : 185 - 215، 7 : 142 - 247 - 249 - 254 - 295، 8 : 117.

محمد ابن عزوز حكيم

**البقال، علي الحاج**، أو ابن البقال - حسب بعض النصوص - ينتمي إلى شرفاء اغصاوة المشهورين ببلاد جبالة، وهو مؤسس الزاوية البقالية بها. تصفه المصادر بأنه شيخ وولي، وفقيه وأديب.

فصفته الأولى التي طغت على غيرها، ذكرت في كل الكتابات التي ترجمت له، وجلها تتفق على أن علي الحاج البقال من كبار شيوخ العصر القرن العاشر (16 م)، تظهر "الخوارق على يديه". وقد أخذ عن شيوخ مشهورين مثل عبدالله الهبطي ومحمد الخروبي السفاقسي، وغلبت على عليّ الحاج البقال طريقة الخروبي التي تميل إلى القادرية.

كان كثير الصوم، ينقطع عن الناس على عادة الأولياء. وقد أسس زاوية ببلاد الهبط، وكان له أتباع كثيرون، يقصدونه في زاويته باغصاوة من ضاحية وزان، حتى خشيه الأمراء السعديون. وقد وفد على السلطان الغالب بأمر الله مرتين، وخرج السلطان للقائه بظاهر فاس تكريما له.

ذكر صاحب *الجذوة* أنه كان ينزله "منزلة الأمراء". ولا غرابة في ذلك حيث إن الدولة السعدية كانت تعتمد بالأساس في نشر دعوتها ودعم سلطتها على مكانة هؤلاء الأولياء في قلوب العامة.

أما صفته الثانية فلم تكن أقل شهرة من الأولى حيث إن علي الحاج البقال اشتهر كذلك بالتمكن في فقه الفروع، درسه على فقهاء المشرق، وزار أقطاره وقضى هناك ما يزيد على ست عشرة سنة. وكان قرين ابن عسكر صاحب *الدوحة*. ذكر المنجور في *فهرسه* أنه قرأ عليه بالمدرسة المصباحية بفاس قبل أن ينتقل إلى زاويته باغصاوة ببلاد الهبط، حيث استمر يدرس ويشارك في المناظرات والنقاشات بين الفقهاء في غمارة وخارجها. ومن أشهر تلك المناظرات التي وقعت بينه وبين ابن عسكر حول مسألة إقامة الجمعة في قرى البادية، وبين الشيخ أبي عمران موسى بن علي الوزاني في مسألة الفرار من الطاعون.

أما شهرته بالأديب فلم نجد لها مبرراً ملموساً من شعر

أو كتابة أو غير ذلك، اللهم إلا عبارة الأديب التي وصفه بها كل من ابن عسكر والمنجور.

م. ابن عسكر، *دوحة*، ص 40،39 ؛ م. الهبطي، *المعرب الفصيح*، الفصل 15 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 2 : 76 ؛ أ. المنجور، *الفهرس*، ص 77 ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 76.

محمد مزين

**البقال، عيسى** بن علي الحاج، ولي صالح توفي بتطوان في أوائل القرن العاشر الهجري ويوجد ضريحه بحومة السانية، وهو جد الولي الصالح سيدي محمد الحاج بوعراقية دفين طنجة الذي كان قبل وفاته قد أوصى بصرف جميع ماله في صيانة ضريحه.

**البقال محمد بن أحمد**، ولد في مدينة مراكش سنة 1926، ونشأ يتيما، فسهرت أسرته على تربيته حتى حفظ القرآن وأخذ مبادئ العربية والفقه، ثم اشتغل بالتجارة في المواد الغذائية بحي القصبة، فكان من جملة الشبان المراكشيين الذين نشأوا في أحضان الحركة الوطنية منذ الطفولة وعرفته المدينة شاباً مستقيماً ووطنياً غيوراً. تعرض للاضطهاد والمضايقات والسجن من طرف سلطات الحماية بسبب مواقفه وتأطيره السياسي داخل الحي. ومنذ مظاهرات الدارالبيضاء في دجنبر 1952 احتجاجا على اغتيال الزعيم التونسي النقابي فرحات حشاد أخذ يفكر في تغيير أسلوب العمل داخل الحركة الوطنية واختمرت فكرة التغيير في ذهنه فوجد في اعتداء المستعمر على العرش المغربي في غشت 1953 فرصة سانحة للانتقال من الدعوة إلى العمل المسلح، وقاد مظاهرات 15 غشت بالمشور سقط فيها عدد من الشهداء، وعلى إثرها اختفى عن الأنظار وشرع في العمل السري حيث أسس أول خلية للمقاومة بمدينة مراكش كان من بين أعضائها : أحمد المزوضي وعبدالقادر الوجدي وأربعة آخرون من قبيلة أولاد سيدي الشيخ بالسويهلة وخلية أخرى شكلها بمعية الشهيد العربي البناي فكانت أول تجربة لمثل هذا التنظيم السري لاختبار مخططه الذي عليه أن يراعي التنظيم والهدف ووسائل التنفيذ حتى لا ينكشف أمره. ومن المؤسف أن هذه الخلايا التي ترأسها محمد البقال لم تعمر طويلا فقد ألقى عليه المستعمر القبض في 29 دجنبر سنة 953 وحاكمه بتهمة تخريب السكة الحديدية ووضع المتفجرات والمس بالأمن العام وأعمال العنف ونفذ فيه الحكم بالإعدام في سجن العادر في 22 أبريل 1954.

*معلومات من عائلة الشهيد* ؛ *روايات شفوية من أهل مراكش* ؛ *مذكرات من تاريخ المغرب*، ج 7.

محمد ماكامان

**البقال، (ابن ـ) محمد** بن **محمد** بن علي. كان عالماً محصلا مشاركا محققا، قرأ الفرائض والحساب بتازا على أبي عبدالله العباس بن مهدي، والكلام على محمد الترجالي، ثم قطن بفاس حيث دأب على القراءات وأتقن المعقول، ثم اشتغل بالتفسير والفقه الخلافي، وذلك إلى جانب حظه الوافر في الأدب واللغة والبيان والعروض وقرض الشعر والكتابة. أما في الفلسفة فكان من أبرز علماء وقته فيها مع التدين والوقوف مع الشريعة. وقد عرف عنه الورع والنسك، وأصبح في آخر عمره مدرساً بارعاً في الفقه مكثراً من قراءة *القرآن*، وله *أجوبة في التفسير والأصول* أجاب بها عبدالرحمان بن العشاب (ت 1324.1323/724).

توفي محمد ابن البقال سنة 1325.1324/725 بفاس، ودفن داخل باب الفتوح، وعمره يقارب الخمسين (حسب ما أورده أحمد باب في *نيل الابتهاج وكفاية المحتاج*. وفي *وفيات الونشريسي* ورد منسوبا بالأنصاري والفاسي منعوتا بالمدرس و الكاتب، وذكرت وفاته سنة 1377.1376/778.

أ. الونشريسي، *وفيات* ؛ أ. باب، *نيل الابتهاج* ؛ *كفاية المحتاج*. ر.د. د. ع. بكلية الآداب بالرباط.

محمد مطيع

**البقال، المختار**، فقيه من أعيان تطوان الذين وقعوا على وثيقة مبايعة الأمير مولاي السعيد بن السلطان مولاي اليزيد يوم 12 جمادى الثانية عام 1236.

**البقال، النادي** بن الطاهر، فقيه كان يتعاطى خطة العدالة بتطوان وكان من بين الذين وقعوا على عقد مبايعة الأمير مولاي السعيد بن اليزيد العلوي.

**البقال، الهاشمي** بن عبدالرحمان، فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1842/1258.

**البقال، يخلف** بن الراشدي، فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1758/1171 إلى سنة 1811/1226.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 12 ؛ 4 : 89، 113، 130 ؛ 6 : 11، 13، 187 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 234، 235 ؛ 3 : 156، 217، 267، 294 ؛ 4 : 221 ؛ 5 : 326 ؛ 6 : 185، 215 ؛ 7 : 242، 247، 249، 254، 295 ؛ 8 : 117 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب*، 1 : 188.

Rodriguiez de Celis, *Rev. Mundo*, Madrid, 27 - 12 - 1911 ; P.t. de Alacon, *Diario*.

**البقالي**، أسرة شريفة أصلها من مدشر الحرايق بفرقة بني مدراسين من قبيلة اغصاوة قرب مدينة وزان حيث توجد زاويتهم الأم. وهي ذات فروع عديدة وشعب كثيرة حاول جمعها والترجمة لأعلامها وإثبات نسبها الشريف محمد سكيرج الطنجي في كتابه : *الدرر الآلي في إثبات الشرف البقالي*، وهو مطبوع على الحجر بفاس، وعلى الحروف بطنجة. وقد انتقل بعض البقاليين إلى تطوان وفاس ومكناس وسلا وغيرها.

واشتهر منهم بتطوان :

**البقالي، أحمد** بن **التهامي**، فقيه صالح ولد بقرية تاسفت بفرقة أمسا من قبيلة بني سعيد الغمارية سنة 1800/1215 وتوفي في فاتح ربيع الأول 1876/1293.

**البقالي، أحمد** بن **محمد** فقيه تطواني تولى القضاء بقبيلة الحوز المجاورة لتطوان سنة 1928/1347 وتوفي بمسقط رأسه سنة 1941/1360.

**البقالي، التهامي** بن أحمد، فقيه صالح كان إماماً بالزاوية الريسونية إلى أن وافته المنية سنة 1893/1310 بتطوان.

محمد ابن عزوز حكيم

**البقالي، الطيب** بن عبدالسلام، ولد بقبيلة بني حسان القريبة من تطوان سنة 1174، وفيها قرأ القرآن ومبادئ العلم، ثم قدم تطوان يافعاً وواصل الدراسة والأخذ عن علمائها، واختص بأحد علماء أسرته محمد بن المهدي البقالي وبه تخرج وتزوج ابنته.

كان له اتصال كبير بعامل تطوان القائد عبدالرحمان أشعاش، ورزق قبولا كبيراً بين الخاصة والعامة، وجاها عند الحكام، ملحوظا منهم بالتجلة والتعظيم. ولوفور عقله ودينه وصلاحه استغل ذلك كلّه في الإصلاح بين الناس، فكان يخرج لإصلاح ذات البين وإطفاء نيران الفتنة والشحناء عندما تتقد بين القبائل وعشائر البادية.

ومن مواقفه المذكورة أن مولاي إبراهيم بن مولاي اليزيد لما خرج داعيا لنفسه مخالفاً على عمه مولاي سليمان وقدم تطوان توفي بها بالقرب، فقام أخوه مولاي السعيد مطالبا أهل تطوان ببيعته، وفاوضهم في ذلك، فلم يجبه منهم إلاّ المترجم قائلا له : نحن لا نبايعك، فقال له ولماذا ؟ قال : لأن بيعة عمك في أعناقنا ولا يجوز لنا خلْعُه بدون سبب شرعي، فأمر في الحال بسجنه، وبينما الأعوان يسوقونه مع المسجونين مصفّدين بالأغلال نازلين إلى (باب الرُّموز) مروا بداره التي كانت قرب مسجد الساقية الفوقية، فقال القائد أحمد اعنيقد رئيس (الطّبجية) الآن سنأكل هذه الدار يعني نهبها، فسمعته بنت السيد الطيب فقالت وهي باكية مشفقة على مصير أبيها وهي تطل عليهم : الله يجعلك فريسة للذياب. فكان من قدر الله إجابة لدعوة البنت المظلومة أن مولاي سعيد خرج لقبيلة الحياينة فخرج عمه مولاي سليمان لمقابلته فقيل له : إن بمحلة ابن أخيك مولاي السعيد معلماً (طبجيا) لا نظير له، يقال له المعلم أحمد اعنيقد، فوجه إليه جنداً أمرهم بقتله بحيلة للتخلص منه، فتسلل الجند لمعسكر مولاي السعيد وجعلوا ينادون المعلم فلما أجابهم وخرج جاهلا بهويتهم أفرغوا فيه بنادقهم وفروا، فقامت الحرب وسرعان ما انكسر مولاي السعيد فلجأ إلى الضريح الادريسي بفاس محتميا به، وتفرق شمل جنده، وتُرك المعلم اعنيقد مضرجاً بدمائه في العراء بأرض المعركة حتى أكلته الذياب.

ولما وقع الصلح بين المولى سليمان وابن أخيه السعيد سرح السلطان مساجينه ومن جملتهم الفقيه السيد الطيب البقالي، فأنعم عليه وعرض عليه قضاء تطوان فأباه، وظل مشتغلا بالتدريس والعبادة إلى أن توفي - رحمه الله - سنة 1253/1837، ودفن بالزاوية البقالية بالطرافين.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، مخطوط، 6 : 11.

محمد بوخبزة

**البقالي، عبدالسلام** المعروف بسيدي عبدالسلام دَ البحر وبكحل العيون، ولي صالح لا نعرف عنه سوى أنه مدفون بشاطئ مرتيل بالضفة اليمنى من النهر التي تعرف بديزة سيدي عبدالسلام.

**البقالي، عبدالله** بن عبدالسلام، ولي صالح توفي بتطوان سنة 1854/1270.

**البقالي، محمد** بن **أحمد** بن التهامي، فقيه ولد بتطوان سنة 1838/1254 وكان خطيبا بجامع القصبة من سنة 1910/1320 إلى أن أعفي يوم 14 جمادى الثانية 23/1328 يونيو 1910. وقد توفي يوم الجمعة 22 محرم 8/1336 نوفمبر 1917.

**البقالي، محمد** بن **الحسني**، فقيه طبيب من أهل تطوان، وصفه الفقيه الرهوني بقوله "النبيه النبيل الأصيل الطيب الماهر، ذو السر الظاهر، والخارق الباهر وقد حصلت له بمطالعة *قانون* الشيخ أبي علي الحسن ابن سينا و*تذكرة* الشيخ داود الأنطاكي وغيرهما ملكة في الطب والتشريح يعجز عن إدراكها من أفنى عمره في "الاسبطارات" و"المارستانات" وله من الاطلاع على مفردات الأدوية ومركباتها ما يعجز عنه أكبر صيدلي، والحاصل أن الله سبحانه قد فتح عليه في هذا الفن فتحاً كبيراً".

**البقالي، محمد** بن **عبدالسلام**، فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان إلى أن توفي بها يوم الاثنين 9 جمادى الثانية 15/1317 أكتوبر 1899.

**البقالي، المفضل** بن عبدالسلام، مجذوب كتب في شأنه السلطان مولاي عبدالرحمان يقول في رسالة موجهة إلى باشا تطوان محمد أشعاش بتاريخ جمادى الثانية 1839/1255 "نأمرك أن تدفع لحامله البركة السيد المفضل البقالي أربعة أذرع من الملف وخمسة وعشرين ذرعاً من الطرول وعشرين مثقالا" وقد توفي سنة 1854/1270.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 1 : 115، 184 ؛ 2 : 114 ؛ 6 : 13، 15، 150، 151، 187، 188 ؛ 8 : 12 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 324.

**البَقُّولي**، أسرة تطوانية نجهل كل شيء عنها بالرغم على أنها كانت من أنبل أسر تطوان، بدليل أنه كان من بين أفرادها شخص أرسله السلطان مولاي إسماعيل سفيراً إلى انجلترا ونحن نجهل اسمه الشخصي لعدم توفرنا على وثائق تتعلق به وبمهمته باستثناء ما أورده عنه الكاتب الانجليزي برايطوايط Braithwait في رحلته المشهورة حيث قال إن البقولي أرسله مولاي إسماعيل سفيراً إلى أنجلترا أواخر سنة 1726 وأنه حلّ بجبل طارق عائداً من الديار البريطانية

يوم 29 أبريل 1727. وكان بصحبته السفير البريطاني جون روسيل John Russel.

ويبدو أن البقولي علم بوفاة مولاي إسماعيل عند حلوله بجبل طارق، وحيث إنه كان يحمل معه هدايا ثمينة من ملك أنجلترا إلى ملك المغرب فلم يقدم على الرجوع إلى أرض الوطن في الوقت الذي كانت فيه الأوضاع مضطربة حيث إن سكان تطوان كانوا على خلاف مع الباشا أحمد الريفي الموجود آنذاك بطنجة، فإذا عاد البقولي إلى طنجة فسوف تتعرض أسرته إلى غضب سكان تطوان، وإذا عاد إلى مسقط رأسه وقع في غضب الباشا، وهذا ما جعله يفضل البقاء بجبل طارق إلى أن يقع انفراج في الحالة المضطربة، وحيث إن حاشية السلطان مولاي أحمد الذهبي كانت تنتظر بفارغ الصبر الحصول على "حقها" في الهدايا الثمينة فقد أوحوا للسلطان بأن يبعث أمير البحر عبدالقادر بِّيريس إلى البقولي يأمره بالعودة إلى أرض الوطن فكان وصول البقولي إلى طنجة يوم 10 سبتمبر.

هذا كل ما نعرفه عن هذا السفير التطواني الذي لم نجد ذكره في أي مصدر مغربي باستثناء ما نشره الفقيه داود اعتماد على ما جاء في كتاب Braithwait.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 105، 162، 318 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Braithwait, *Histoire des révolutions de l'empire de Maroc depuis la mort du dernier empereur Muley Ismael*, Amsterdam, 1731 ; Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

**البَقّيقي**، أسرة غمارية كانت بتطوان إلى حدود سنة 1677/1088 حيث انقرضت على إثر الوباء الذي كاد يقضي على سكان المدينة كافة.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

**بَقّيوة**، أو بقُّوية، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الحسيمة) وتحد شمالا بالبحر المتوسط، وتحيط بها قبائل بني ورياغل وبني يطفت. وتقدّر مساحتها بـ 281 كلم$^2$، وكان عدد سكانها سنة 1946 : 11.135 نسمة، يتكلمون باللهجتين الريفية والعربية الدارجة. وبهذه القبيلة كانت توجد مدينة بادس، وسوقها الرئيسي يوجد بأحد الرواضي، كما تحتوي القبيلة على أربعين مسجداً و أحد عشر ضريحا وثلاث زوايا وأحد وأربعين كتاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى ثلاث فرق هي : أزغار (17 مدشراً) وايزمُّورن (9 مداشر) وتيگيذيث (15 مدشرا).

وفي النظام الاداري الحالي تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما جماعة ايزمُّورن وجماعة الرواضي.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 20، 63، 91، 122، 124 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 257 ؛ ع. بنعبدالله، *الموسوعة*، 101.

Aranda, Coronel, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particulier*. s. l. s. a. ; A Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916 ; Comisiòn històrica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T. II : A. Domenech, *Zona Norte* ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926 ; *Vademecum*.

**البقّيوي**، أو البَقُّويي، أسرة تطوانية أصلها من بقّيوة أو بقُّوية، وكان من بين أفرادها بتطوان بعض الفقهاء مثل:

**البقّيوي، أحمد** بن حدو المتوفى سنة 1871/1288.

**البقّيوي، علوش** بن عمر الذي كان يتعاطى خطة العدالة بتطوان سنة 1897/1315.

وما زالت هذه الأسرة بتطوان.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البُقُول**، (عام ـ) أطلق في المغرب على سنة 987/1580.1579. ويرجع سبب هذه التسمية إلى كون المغاربة خلال العام المذكور اضطروا إلى أكل البقول أي حشائش الأرض لقلة المنتجات الزراعية وشدة الغلاء. (*نزهة*، 161). بل تذكر بعض المصادر التي اهتم أصحابها بمنطقة الشمال الغربي أن المجاعة والغلاء كانا شديدين للغاية إلى حد أن سكان أحواز مليلية وغساسة وغيرهما من الثغور المغربية المتوسطية المحتلة آنذاك اضطروا إلى بيع أولادهم للنصارى (*مطلب*، الفصل 9).

وقد سميت هذه السنة أيضاً بعام كحيكيحة لانتشار مرض السعال، الذي أزهق أرواح عدد كثير من المغاربة (*نزهة*، 191 ؛ *الاستقصا*، 5 : 191).

مجهول، *تاريخ الدولة السعدية* ؛ م. الإفراني، *نزهة* ؛ ع. البطوئي، *مطلب الفوز والفلاح*، مخطوط، خ. ع ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*.

أحمد الوارث

**بَقِيّ**، (ابن ـ) **أحمد** بن يزيد بن عبدالرحمان الأموي، يكنى أبا القاسم. ولد بقرطبة في 12 ذي القعدة عام 1142/537. وهو ينتمي إلى بيت من أجل بيوت قرطبة، والأندلس قاطبة، علماً ونباهة، وقد توارث سلفه خطه القضاء بالأندلس منذ عهد بني أمية، وهو من أحفاد محدث الأندلس الشهير بقيّ ابن مخلد.

درس أحمد بن بقي على عدد من علماء الأندلس أمثال ابن بشكوال وأبي جعفر بن مضاء وأبي القاسم ابن حبيش والإمام السهيلي وابن الرمامة وابن مسرة وابن عات وأبي الحسن بن وهب وغيرهم ممن ضمنهم في *برنامجه* الذي لم يصل إلينا، وإنما نقل عنه بعض من ترجموا له.

وقد برع المترجم في علوم اللغة والعربية حتى عُد إماما فيها، كما كان له تمكن في علم الحديث والفقه والتفسير.

تنعكس شخصية أحمد بن بقيّ في التراجم التي خُص بها وأشادت بقوة شخصيته وأخلاقه الرفيعة ومكانته العلمية المتميزة، فقد أشار بعض مترجميه إلى ميوله المذهبية الظاهرية وتشيعه لابن حزم، رغم أنه أولى *موطا الإمام مالك* عناية خاصة دراسة وتدريساً، حيث إنه انفرد بروايته عن ابن عبدالحق قراءة وعن ابن الطلاع سماعاً، ولهذا عده صاحب *نيل الابتهاج* من علماء المالكية نقلا عن *فهرس* أبي القاسم ابن الشاط.

ومما يؤكد ظاهرية ابن بقي إضافة إلى شهادات مترجميه، اختيار يعقوب المنصور الموحدي له وتعيينه قاضياً للجماعة بمراكش سنة 1195/592 بعد عزل القاضي محمد بن علي ابن مروان الذي كان هو الآخر ظاهري المذهب، في وقت أبدى فيه المنصور تشجيعه لعلماء الظاهرية والمحدثين، بعد قيامه بإحراق كتب المذهب المالكي ومتابعة بعض فقهائه.

وقد كان أحمد بن بقي يعمل بمقتضى الظاهرية في أحكامه القضائية، ومن ذلك أنه كان لا يرى الحكم بالتدمية ولا العمل بها.

ويبدو أن ارتياح المنصور لابن بقي جعله يسند إليه - إضافة إلى قضاء الجماعة - خطة المظالم التي كان الخليفة يتولاها بنفسه، وخطة الكتابة العليا، أي ديوان الرسائل السلطانية، نظراً لما كان المترجم يتمتع به من إجادة في كتابة الرسائل وميل نحو السهولة والاختصار.

ومما يثير الانتباه في ترجمته أن المنصور اشترط عليه عندما عينه قاضياً للجماعة أن يجلس للحكم بين الناس في مكان لا يفصله عنه سوى ستر من ألواح حتي يتمكن المنصور من سماع أحكامه في القضايا التي تعرض عليه. وربما كان ذلك رغبة من المنصور في مراقبة القضايا التي تعرض عليه في إطار نظره في المظالم التي تتجاوز عادة اختصاص القضاة. ولا شك أن المنصور اتخذ هذا الإجراء بعد توقفه عن الجلوس للأحكام بنفسه في مسجد مراكش، وكذا عن الجلوس للمظالم من حين لآخر.

لقد برهن ابن بقي عن جديته واستقامته مدة ولايته لقضاء الجماعة إلى أن توفي المنصور سنة 1198/595 ولم يلبث ابنه محمد الناصر، على الرغم من وصية المنصور له بأن يُترك في القضاء ما حَيِي، أن عزله في السنة الموالية وعيّن القاضي محمد بن علي ابن مروان في ولايته الثانية.

وقد استقر ابن بقي بمراكش مدة طويلة بعد عزله، ثم عُين قاضيا على بلده قرطبة، وصُرف عن القضاء قبل وفاته بقليل.

وإلى جانب مهامه القضائية كان أحمد بن بقي يجلس لتعليم الطلبة سواء بمراكش أو بقرطبة حتى سمع منه خلق كثير، ونظراً لعلو أسانيده وكثرة سماعه تنافس الطلبة والعلماء في الأخذ عنه. ومن تلاميذه جلة من علماء القرن السابع الهجري أمثال ابن الزيات صاحب *التشوف*، وأبي الحسن الرعيني، وابن القطان المراكشي.

ألف ابن بقي *كتابا في الآيات المتشابهات*، اعتبره العلماء أحسن شيء في بابه، وكان يعتني بتدريسه إلى درجة أنه لم يكن يفارقه في سفر ولا حضر. كما وضع *برنامجا* جمع فيه شيوخه ومروياته ومقروءاته، لكن واحدا من الكتابين لم يصل إلينا.

وإضافة إلى هذا فقد كان ابن بقي يقرض الشعر وجمع *ديوانه* في حياته، وتوجد بعض المقطعات متفرقة في الكتب التي ترجمت له.

ع. المراكشي، *المعجب*، 264، 285، 312 ؛ أ. الرعيني، *برنامج شيوخ الرعيني*، ت. إ. شبوح، دمشق، رقم 16، ص 50 ؛ ابن الأبار، *التكملة*، ت. عزة العطار الحسيني، القاهرة، رقم 292، ج 1، ص 115 ؛ م. ابن عبدالملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ت. إحسان عباس، بيروت، رقم 264، ج 4 : 140 ؛ أ. النباهي، *تاريخ قضاة الأندلس*، نشر ليڤي پروڤنصال، القاهرة، 1948، ص 117 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب* (قسم الموحدين) ص 232 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، ت. إحسان عباس، 5 : 68 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، ت. عنان، 4 : 190 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، ص 63 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. الرباط، ت رقم 165، 2 : 135 ؛ خ. الزركلي، الأعلام، 1 : 271.

محمد مغراوي

**بَـكَّادة، مبارك**، ولد حوالي 1932 بقلعة السراغنة وسط عائلة متواضعة، حيث حفظ القرآن وتعلم قواعد الدين فشبَّ مؤمنا زاهداً. وفي ريعان شبابه انتقل إلى مدينة القنيطرة ليعمل هناك كسائق طاكسي. واحتجاجا على السياسة العدوانية التي كانت تقوم بها سلطات الاستعمار انضم إلى صفوف المقاومة السرية بمنظمة "اليد السوداء" تحت مسؤولية سفيان العربي، وكان نشاطه موزعا بين مدينتي قلعة السراغنة والقنيطرة، حيث شارك في عدة محاولات لاغتيال الخونة بكل من المدينتين المذكورتين.

وبالقنيطرة حصل على مسدس لاغتيال أحد عملاء الاستعمار. وأثناء جمع المعلومات عن هذا الخائن علم به هذا الأخير واستعد لمواجهة الموقف. ورغم ذلك استطاع الشهيد التمكن منه إلا أنه أثناء قيامه بالعملية تعثر مسدسه فأطلق عليه الخائن الرصاص وسقط بكادة صريعا على الأرض سنة 1954.

*وثائق المندوبية السامية للمقاومة*.

عزالدين العلام

**بِّكار، إرنيست** Picard, E. محام وصحافي بلجيكي رافق البارون ويطنال وزير بلجيكا المقيم بطنجة أثناء سفارته لدى السلطان الحسن الأول سنة 1889. وقد أصدر سنة 1893 كتابا بعنوان : *المغرب الأقصى* تحدث فيه عن أحوال المغرب. وكان مراسلا لصحف بلجيكية وجريدة *التايمز أوف مروكو* أثناء وجوده بالمغرب.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1524.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 269.

مصطفى بوشعراء

**أبو بكر بن أحمد الوطاسي**، حفيد محمد البرتغالي ابن محمد الشيخ مؤسس الدولة الوطاسية. ترتبط بداية ظهور اسم أبي بكر بالمعارك التي دارت بين المتأخرين من بني وطاس وبين الشرفاء السعديين القائمين بسوس. وهكذا نجد هذا الأمير يقود جناحاً من جيش والده أحمد الوطاسي في معركة درنة أمام السعديين (شتنبر 1545)، حيث انتهت المعركة بانهزام الوطاسي ووقوعه وابنه أبي بكر في الأسر.

ثم نجد أبا بكر طليقاً قائداً لقبيلة قلعية، ينظم بمساعدتها هجوما على الإسبانيين في مليلية (يناير 1554). وظل على صلة بأبي حسون عم والده بعد أن انهزم بدوره أمام السعديين وفر مستنجداً بالإسبان ثم بالبرتغاليين، فكان يتصل به ويكاتبه وينقل إليه أخبار المغرب ورغبة أهل فاس في عودته إليهم.

يظهر أن أبا بكر التحق بالجيش التركي الوافد على المغرب نصرة لأبي حسون، وأنه تقرب من قائد الحملة التركية صالح رايس إلى حد أنه فكر في تنصيبه ملكاً على فاس، تشويشاً على أبي حسون واحتجاجا بكونه أحق منه بولاية عهد أبيه أحمد، فكان أن ثار أهل فاس ومالوا لأبي حسون، فعاد التركي عن عزمه (يناير 1555) وتسارعت الأحداث بهجوم السعديين على فاس وتغلبهم على أبي حسون في معركة انتهت بمقتله.

وقد فر أبو بكر إلى تلمسان حيث توفي فيها بالوباء قريبا من دخوله إليها أواخر سنة 1555/966.

د. دي طوريس، *تاريخ الشرفاء*، تر. م. حجي و م. الأخضر ؛ ك. مارمول، *افريقيا*، تر. جماعة من الأساتذة.

*S.I.H.M* ; *Série saadienne*, Espagne Tomes I et II.

عبداللطيف الشاذلي

**أبو بكر** بن **عبدالحق** المريني، كنيته أبو يحيى. خلف أخاه محمد بن عبدالحق على رأس قبائل بني مرين سنة 1244/642، وساندته جميع قبائل بني مرين إلا قبيلة بني عسكر التي تحالفت ضده مع أعدائه بني عبدالواد وكذا مع الخليفة السعيد الموحدي. عمل أبو بكر على تقوية بني مرين الذين تنتمي إليهم عشيرته. وكان هدفه هو جمع شملهم ليتأتى له استغلال خيرات البلاد والاستيلاء على حكم الموحدين. وليضمن لنفسه إخلاص شيوخ القبائل وولاءهم منح كل واحد منهم إقطاعاً. وقد طلب منهم أن يمدُّوه بالرجال المحاربين والفرسان، وبعد أن استتب له الأمر على قبائل الموحدين، بدأ يُغير على ممتلكات الموحدين بالبوادي. وقد اكتسب خبرة في تدبير الشؤون. كما كانت له خطة محكمة في الميدان العسكري تتمثل في اجتناب مواجهة العدو إذا كان الأمر لا يقتضي ذلك. وكانت تلك هي خطته حينما قام باحتلال مكناس وجاء إليه الخليفة السعيد بجيوش عديدة لا قبل له بها. فكان رد فعله أن اجتنب المعركة ولاذ بالفرار. وقد استطاع ان يدُس الدسائس ويُفرِّق الحلف الذي كان قد تكون ضده. وكان هذا الحلف - كما رأينا - يضم عسكر الموحدين وبني عبدالواد إلى جانب بني عسكر. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إنه أفلح في خلق العداء بينهم حتى إن الخليفة السعيد الموحدي قام بمحاربة يغمراسن العبد الوادي ولقي حتفه أثناء المعركة التي دارت بينهما. وكان قد منع أخاه من الجواز إلى عدوة الأندلس قصد الجهاد.

ولما قُتل الخليفة السعيد الموحدي وعلم بذلك أبو بكر انتظر فلول جنود الخليفة المهزومين في گرسيف وقضى عليهم. ثم أدمج في عسكره جُند النصارى والغزّ الذين كانت لهم دراية وبراعة في الرِّماية واستعمال القوس. وكان ذلك مما منح التفوق لجنوده من الرجال والفرسان. وهكذا تكوّن لديه جيش متنوع الاختصاصات، فتوجه إلى فاس واحتلهاواتخذها عاصمة له، ثم احتل تباعاً تازا ومكناس ثم الرباط وسلا. وبينما هو في فاس، جاء لمقاتلته الخليفة الموحدي المرتضى الذي تمكن من استرجاع الرباط وسلا، فخرج إليه أبوبكر وجابهه وهزمه.

في سنة 1257/655 استولى أبو بكر على الرباط وسلا من جديد ثم على سجلماسة وسيطر على أغلبية حواضر المغرب إلا مراكش. وعيّن العمال ونظم الجبايات وقرّب إليه الفقهاء الذين كانوا معادين للموحدين، وقد عيّن أحدهم وهو الفقيه أبو عبدالرحمان المريني كاتبا لها.

وهكذا يمكن القول إن أبا بكر هو مؤسس الدولة المرينية الناشئة لكونه مهّد السبيل لأخيه يعقوب بن عبد الحق أول سلطان من بني مرين. وهو الذي قضى على الموحدين بصفة نهائية. ومن الجدير بالذكر أيضا أن فترة أبي بكر شاهدت نشأة العديد من مؤسسات المخزن المريني.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ مجهول، *الذخيرة السنية* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc (XIV°, XV°s)*, Paris, 1987 ; A. Khaneboubi, *Les premiers Sultans Mérinides, 1269 - 1331 : Histoire politique et sociale*, Paris, 1987.

احمد الخنبوبي

**أبو بكر** بن **علي** بن يوسف بن تاشفين، يحرّف اسمه أحيانا إلى بكُّور أو بكُّو، وهي صيغة للتدليل والحميمية. وهو أول ولد لعلي بن يوسف وُلد له وهو ابن ست عشرة سنة، عام 493، وجده يوسف ما زال بقيد الحياة. واختار والده أن يوجهه إلى الأندلس، ليتلقى تربية راقية حسب تقاليد الأسر الأرستوقراطية بتلك البلاد فيجمع بين العلم المتين والتهذيب الرصين. وأسند تكوينه إلى الطبيب المشهور عبدالملك بن زهر. فنمت شخصية أبي بكر وتأكدت بفضل تلك التربية التي أبعدته عن جو البلاط السلطاني والتي جرت في جو لا يخلو من الحرية والجد مع الصرامة. فاكتسب من ذلك روح الاعتزاز والاستقلال برأيه والعزوف عن مواقف الضعف والاستكانة. الشيء الذي سبب له مشاكل في حياته. وقد لخص ابن عذارى طبيعته حين قال عنه إنه "كان ذا مرَّة ونجدة". ولعل أباه اصطدم بشخصيته القوية فلم يكن دائماً راضياً عنه بل وجه إليه مرة رسالة يعاتبه فيها.

تقلد أبو بكر أول منصب في الدولة وهو ابن خمس وعشرين سنة، حين عينه والده واليا على أشبيلية في محرم سنة خمسمائة وثمان عشرة، وعزله عنها في رجب سنة خمسمائة واثنتين وعشرين، فكانت مدة ولايته أربعة أعوام وخمسة أشهر. وهي مدة يدل طولها على أنه كان موفقا في مهمته مسموع الكلمة من المرابطين والأندلسيين على

السواء، في وقت كانت الأندلس تجتاز ظروفاً حرجة وتعاني أزمات حادة.

فنجده في سنة 1127/520، يخرج على رأس قوات أشبيلية للمشاركة في مطاردة ألفونسو المحارب الذي أراد أن يقوم بهجوم واسع النطاق على أراضي المسلمين بالأندلس ووصل بتهديده إلى غرناطة، ولكنه اضطر إلى التراجع أمام مقاومة المرابطين وهجماتهم المضادة. إلا أن هؤلاء تكبدوا، مع ذلك، هزيمة بسبب خطإ ارتكبه القائد الأعلى أبو الطاهر تميم بن يوسف.

عزل علي بن يوسف ابنه أبا بكر عن ولاية أشبيلية سنة 522، لا لخطأ ارتكبه في أداء مهمته، ولكن لأنه لم يرض عن تقديم أخيه سير لولاية العهد، معتبراً، ولا شك، أنه أكبر منه سناً. والظاهر أن علياً لم يعتبر مسألة السن، بل ربما كان متأثراً بايحاءات من داخل بلاطه، من النساء ومن بعض رجال حاشيته. وهذا ما جعله ينحّي أكبر أولاده أبا بكر من ولاية العهد، إلا أن هذا الأخير، نظراً لقوة شخصيته، لم يرضخ لقرار أبيه، ولم يرد أن يعترف بأخيه سير ولياً للعهد.

اكتسبت القضية، حينئذ، جانبا من الخطورة بالنسبة لمستقبل الدولة. فلم يجد علي بن يوسف، تلافيا للخطأ السياسي الذي ارتكبه، بدأ من عزل أبي بكر ونفيه إلى الصحراء. ولنقل، بين قوسين، إن قضية ولاية العهد كانت تثير دائماً مشاكل في تاريخ المغرب، لأنها لم تكن خاضعة لقواعد ثابتة وصارمة. والذي زاد في حنق أبي بكر أن والده كان، في نفس الوقت، يعترف بكفاءته، إذ عينه قائداً أعلى على جيش المرابطين بالأندلس منذ سنة 520 واستطاع أن يقود حملة عسكرية إلى كولية في سنة 522.

نُقل أبو بكر إلى الصحراء مكبولا. لكن سرعان ما زال غضب والده عليه، خصوصاً وقد أصبحت الدولة المرابطية تواجه حرباً مصيرية أمام تنامي خطر الحركة الموحدية الناشئة تحت قيادة ابن تومرت، وتحتاج إلى تجنيد كل الكفاءات لحسم الداء. وهكذا رجع أبو بكر إلى مراكش ليكون بجانب والده وأسندت إليه، حسب *القرطاس* قيادة "جيوش عظيمة من لمتونة وقبائل صنهاجة والحشم وغيرهم" لملاقاة عساكر الموحدين التي كانت قادمة من تينمل إلى مراكش. وجرت المعركة في أغمات ودامت ثمانية أيام وانتهت بهزيمة المرابطين. ويقول صاحب *القرطاس* في هذا الصدد :

"فهزم الأمير أبو بكر بن علي ولمتونة. وتبعهم عبد المومن ابن علي بجيوش الموحدين يقتلونهم في كل فج، واتصلت الهزيمة إلى أن أدخلوهم مدينة مراكش وسدوا الأبواب في وجوههم. فحاصروهم بها ثلاثة أيام . ثم ارتحلو عنها إلى تينمل" (ص 179).

ويذكر ابن القطان والبيذق معارك أخرى حضرها أبو بكر في الخروبة وفي تيفنوت وفي أمجدار عام البحيرة أي سنة 524، دون أن يحقق أي انتصار. ومعلوم أن المؤلفين كان هواهما إلى جانب الموحدين كما يظهر ذلك بوضوح من قراءة روايتهما.

وتسكت المصادر بعد ذلك عن أبي بكر، ولعله ظل إلى جانب والده يسانده ويساعده في تلك الظروف الحرجة التي أصبح فيها وجود الدولة المرابطية مهدداً. ومن رواية أوردها ابن القطان يظهر أنه كان يتصدى للقبائل التي وحّدت، فينتقم منها بما يدل على أن سكان المغرب أصبحوا في تلك الآونة يتعرضون لإرهاب مزدوج : إرهاب الموحدين وإرهاب المرابطين. وهو ما حدث، مثلا، بالنسبة لبني سوار من منانة الجبل" الذي قتل منهم أبو بكر بن علي أشياخهم وأعيانهم لأجل توحيدهم في كاسطت من منانة" (*نظم الجمان*، ص 241).

وفي سنة 533، توفي ولي العهد سير بن علي، فلم يكن من علي بن يوسف إلا أن تناسى أبا بكر، مرة أخرى، وأسند ولاية العهد لأخيه تاشفين، فعاوده حينئذ ريح الرفض، ولم يرض بقرار أبيه. ولم يكن والده يطمئن إلى موقفه إذا توفي ونودي بولي العهد خلفا له. لذلك، عمد إلى نفيه، مرة أخرى، ووضعه تحت الحراسة. ويصف لنا ذلك ابن عذارى بقوله :"ولما يئس (علي) من نفسه، أمر عند ذلك بإخراج ابنه أبي بكر من مراكش وحمله إلى الجزيرة الخضراء ليسجن بها، لأنه خاف من خوضه في أمور. فأصاب أبا بكر في سفره مرض، فكان الرجال يحملونه على أعناقهم. ووصل المذكور إلى الجزيرة فسجن بها ولم تطل مدته في محبسه هذا إلى أن هلك" (4 : 101).

وهكذا، يكون موت أبي بكر قد حدث فيما بين سنتي 537 و538 أي مات وهو لم يتخط الشباب إلا بقليل، إذ لم يتجاوز خمسا وأربعين سنة. وعندما نتأمل ترجمته، ندرك أن الدولة المرابطية كانت تعاني مشاكل داخلية تصل إلى الأسرة الحاكمة ذاتها، مما يدل على وجود شروخ داخل العصبية الصنهاجية التي كانت ترتكز عليها. وتلك إحدى نقط الضعف في معسكر المرابطين التي ساعدت خصومهم على الإطاحة بدولتهم في خاتمة المطاف.

م. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*.

أبو **بكر** بن **عمر** بن تلاگاگين اللمتوني، ثالث أمراء المرابطين بالصحراء. كان أولهم هو يحيى بن إبراهيم الگدالي الذي استصحب معه عبدالله بن ياسين إلى الصحراء بعد عودته من الحج. ولما توفي انتقلت الرياسة من قبيلة گدالة إلى قبيلة لمتونة، لأن عبدالله بن ياسين قائد المرابطين وزعيمهم الذيني لاحظ أن هاته الأخيرة أكثر إقبالا على دعوته وأكثر مساهمة في نشرها والدفاع عنها، فاقترح أن يكون أمير صنهاجة اللثام منها. وهكذا كان ثاني أمرائهم هو يحيى بن عمر بن تلاگاگين (وفي رواية تكلاگين) اللمتوني. وفي عهده توسعت مملكة المرابطين من تخوم السودان إلى سجلماسة. وأدركته الوفاة في بعض غزواته ببلاد السودان سنة 1056.55/447.

وعندئذ، قام عبدالله بن ياسين بتعيين أخيه أبي بكر بن عمر سنة 1056/448. وتلح المصادر على إعطاء الأولوية في السلطة الفعلية لعبدالله بن ياسين، جاعلة من الأمير اللمتوني مجرد منفذ لإرادته. ولا ننس أن معظم المصادر كتبها فقهاء أو متفقهون، ولذلك فهم يشعرون بتعاطف خاص مع فقيه جزولة الذي استطاع أن يحل في مقام الزعامة والرياسة بفضل علمه وذكائه. ولا شك أنهم يبالغون بعض الشيء في تقديرهم للوضع السياسي الحقيقي في تلك الفترة الأولى من تاريخ المرابطين.

والحقيقة أن عبدالله بن ياسين كان محتاجا إلى اقتسام السلطة مع أمير صنهاجي، اعتباراً لعامل العصبية، من جهة، وللاختصاص في مباشرة الحرب، من جهة أخرى. فعبدالله بن ياسين جاء كفقيه وعالم إلى صنهاجة لا كرجل متمرس بالحروب. فكان لا بد من أن يستند إلى قائد متعود عليها مستعد للقيام بمهام القيادة العسكرية. كما أن صنهاجة كانوا محتاجين إلى عبدالله بن ياسين، فيما يخص الدين وسائر الأحكام الشرعية والآداب الاسلامية. هنالك، إذن، تعاون وازدواجية في مباشرة السلطة، شبيهة بما نجد عند بعض الدول المسيحية في التمييز بين السلطة الروحية والزمانية. وهذا ما هو واضح من عبارة *القرطاس* حين يقول :

"لما توفي يحيى بن عمر، قدَّم عبدالله بن ياسين عوضا عنه أخاه أبا بكر بن عمر وقلده أمر الحرب" (ص 128).

والظاهر أن عبدالله بن ياسين كان يفضل أن يتحلى بلقب الإمامة ويزهد في لقد الإمارة، إذ نراه، حسب ابن عذاري، يتوجه بأبي بكر إلى سجلماسة ليأخذ له البيعة من أهلها. ثم يجدد أبو بكر تلك البيعة بنفسه سنة 450 في سجلماسة ذاتها.

ومنذ ذلك الحين تُفيض المصادر في ذكر أعماله، ففيما بين 548 و550، تقدم أبو بكر على رأس جيشه وفي طليعته ابن عمه يوسف بن تاشفين لغزو بلاد سوس، حيث فتح الأطلس الصغير أي بلاد جزولة واستولى على مدينتي ماسة ورودانة، وهنالك قضى على نحلة البجلية المنبثقة عن الشيعة الرافضة التي كانت انتشرت هنالك منذ عهد العبيديين. ويظهر أن المعركة معهم كانت حامية ودامية وانتهت باقرار مذهب السنة في المنطقة وإقامة جهاز إداري بها.

وبعد ذلك قام عبدالله بن ياسين بإخضاع جبل درن وما بقي من بلاد المصامدة، فكان من المدن التي فتحها شفشاوة ونفيس كما أخضع قبائل گدميوة ورگراگة وحاحة. وبعد ذلك، اتجه إلى أغمات. والظاهر أن خطة المرابطين كانت هي الحصول على خضوع المصامدة، أقوى شعب وأوسعه استقراراً بأراضي المغرب، والاستعانة بهم لإخضاع بقية البلاد. ولذلك نرى المرابطين منذ البداية يتصلون بهم ويوجهون لهم الزكوات والصلات ويعملون على التقرب منهم، ويبلغونهم دعوتهم.

وبرغم كل تلك الاحتياطات السياسية، كان لا بد للمرابطين من الاستيلاء على أغمات التي كانت تعتبر عاصمة الجنوب آنذاك. واشتهرت عند الجغرافيين الذين تحدثوا عنها بالخصب والثراء. وكان يبرر استيلاءهم عليها كونها كانت تحت حكم أمير من خصومهم زناتة : لقوط بن يوسف المغراوي. ثم إن دخولها في حوزتهم سيزيد من هيبتهم لدى سكان الأطلس الكبير والحوز. لذلك فإنهم بقيادة أبي بكر قاموا بفتح أغمات في سنة 450 على الأرجح وطردوا منها لقوط الذي التجأ إلى تادلا، فطارده أبو بكر وقتله في معركة جرت بعد ذلك بشهرين.

وترك لقوط وراءه أرملة اشتهرت في وقتها بالجمال والذكاء وصواب الرأي هي زينب بنت إسحاق النفزاوية. فخطبها أبو بكر وتزوجها. ولا شك أنها ساهمت في كثير من التدابير التي حولت المرابطين من جماعات رحل إلى أهل استقرار وحضر، ومن جملة ذلك بناء مراكش، وهو موضوع سنعود إليه.

تأتي بعد ذلك فترة عشر سنوات، تقريباً، لا نعرف عنها إلا القليل. فلا شك أن أبا بكر توجه لبرغواطة في تامسنا لأخذ الثأر منهم، بعد مصرع عبدالله بن ياسين في حربهم، وقضى هنالك زمانا في قتالهم ومحاولة القضاء عليهم. ولا شك أن جيش المرابطين قضى فترة أخرى في الاستراحة، بعد الجهود الكبيرة والمتواصلة التي بذلها في ملحمته منذ خروجه من الصحراء.

ومن القضايا المهمة التي تطرح في ترجمة أبي بكر بن عمر البحث عن دوره في تأسيس مراكش. هل كان هو مؤسسها ؟ أم تأسيسها يرجع لابن عمه وخلفه يوسف بن تاشفين ؟.

إن معظم المصادر تضع تأسيس مراكش بين سنتي 454 و462 وهي فترة كان أبو بكر ما زال مقيما أثناءها بالمغرب. ونجد من بين تلك المصادر، مؤلفات تعتبر هي أوثق ما لدينا عن تلك الحقبة وأقربها إليها، مثل *الاستبصار* الذي عاش مؤلفه بعد قرن من تأسيس مراكش، وابن عذاري الذي يذكر أن مراكش أسست سنة 461 تارة، وطوراً 462، *القرطاس*، الذي يورد تاريخ 454، *والحلل الموشية* التي تورد تاريخ 462 الخ... وكل هذا يجعل من أبي بكر، كما قال "دوفردان" في كتابه *مراكش منذ التأسيس إلى 1912* الرجل الذي ينسب إليه "شرف اختيار مراكش، والذي كان أول من استقر فيها، على الأرجح في مايو 1070، وشرع يبني فيها أول قصبة في تاريخ المرابطين" (ص 63).

ولعل بناء المدينة في أرض كانت خالية إحدى القضايا الكبرى التي شغلت أبا بكر ومن حوله من المرابطين في العشر سنوات التي لاحظنا من قبل سكوت المصادر في شأنها، وهي كما قلنا الفترة الواقعة بين 452 و462. ونحن في غنى عن الإلحاح على أهمية الحدث، حدث بناء مراكش بالنسبة لتاريخ المغرب عموما، إذ كانت كما هو معلوم عاصمة لأكبر الدول التي حكمت المغرب..

هذا الانجاز الحضاري الكبير كان له أثره في اشهار دولة المرابطين الناشئة وتمكين سلطتها. مما جعل ابن عذاري يقول: "وفي سنة ستين وأربعمائة استقامت الأمور للأمير أبي بكر بن عمر وطاعت له البلاد ووجّه عماله إليها". فنفهم من ذلك أن المرابطين بقيادته اشتغلوا بجد واجتهاد أثناء السنوات العشر السابقة. ونجد نفس الانطباعات لدى صاحب *الحلل الموشية*.

وسيتحرك أبو بكر في السنة الموالية، أي 461، إذ سيواصل العمل العسكري بالمغرب في جهة عرفت بوعورتها وهي الأطلس المتوسط، الذي كانت ما تزال فيه بقايا من زناتة ومن عناصر التمرد. وقد رصد لعملياته جيشاً كبيراً يضم جملة من أشياخ لمتونة وقبائل المصامدة وقدم عليه يوسف بن تاشفين. وكان القصد من هذا الجيش الضخم مواصلة إخضاع الأقاليم الأخرى في المغرب، وبالخصوص القضاء على بني يفرن الزناتيين الذين اعتصموا بقلعة المهدي بن تبالا أو توالى، وتسمى كذلك قلعة فزاز. وتمكن المرابطون منهم وفر من جملتهم معنصر بن حماد إلى فاس.

وبينما هو منهمك في المهام العسكرية وفي تدبير شؤون دولته الناشئة، إذ تواردت عليه الأنباء من الصحراء بحدوث نزاع شديد بين گدالة ولمتونة وأن الأولين هجموا على الأخيرين وقتلوا الرجال وسلبو الأموال. وعندئذ جمع أبو بكر قومه وأخبرهم بأنه راحل إلى الصحراء لفض النزاع القائم بها وعين يوسف بن تاشفين خليفة له على المغرب وقسم الجيش معه فأخذ الثلثين إلى الصحراء وترك له الثلث. كما أنه رأى من الأنسب تطليق زوجته زينب، لأنها لا تستطيع أن تعيش معه عيشة الصحراء وسط الفتن والحروب. ولعلها هي التي رغبت، من جهتها في الطلاق. ومهما يكن، فإنه طلقها طلاقا شرعياً وأشار على يوسف بن تاشفين بالتزوج منها. وذلك ما كان، إذ دخل بها يوسف في شعبان عام 563، بعد تمام عدتها.

سار أبو بكر على رأس جيشه نحو الصحراء، فتصدى لمحاربة گدالة وانتقم منهم. وكان يتلقى، في تلك الأثناء، مراسلات يوسف بن تاشفين الذي كان يخبره بكل ما يصنع ويطمئنه على أحوال المغرب. ولم يكتف أبو بكر بتسوية الخلاف بين قبائل صنهاجة، بل انه اهتم بمواصلة غزو بلاد السودان لنشر الإسلام بها. وظل هنالك قرابة سنتين وبدأ يفكر في العودة إلى المغرب.

لكن يوسف استطاع في هاته المدة أن يحقق أعمالا كبيرة بالمغرب، منها مواصلة بناء مراكش، وتحقيق انتصارات أخرى بجهات من المغرب، وانشاء إدارة جديرة بدولة كبيرة. يقول ابن عذاري :"فدوَّن يوسف الدواوين ورتب الاجناد وطاعته البلاد. وكتب إلى بعض إخوانه في السرِّ من أبي بكر بن عمر يحضهم على الوصول إليه والقدوم عليه ويعدهم بالخير الجزيل الحفيل فوصل منهم جماعة كبيرة".

يتضح من هاته الرواية أن يوسف بن تاشفين بدأ يفكر بالحلول محل أبي بكر بن عمر بصفة نهائية على ملك المغرب ورئاسة الدولة المرابطية. ولعل زينب النفزاوية لم تكن أجنبية عن نشأة هذا الطموح في نفسه ؛ سيما وأنها لم تكن ترغب في أن يعود الرجل الذي طلقها إلى منصب الإمارة على البلاد.

ومنذ سنة 464 بدأ أبو بكر يفكر في العودة إلى المغرب، وقد بلغته أنباء التطورات الكبرى التي حصلت في الدولة المرابطية على يد يوسف، والمنزلة الرفيعة التي أصبح يتمتع بها هذا الأخير. وصعب على يوسف أن لا يفي بالتزامه لابن عمه ويحنث بكلمته، فاغتم لذلك كثيراً. لكن زينب أشارت عليه بالرأي الذي يساعده على التخلص من أبي بكر.

ووصل أبو بكر إلى ناحية مراكش في ربيع الأول عام 565 فوجد مملكة قائمة برجالها ورسومها، فعلم أن عودته إلى الإمارة لم يعد شيئا سهلا. وازداد يقينه بذلك لما أخذ أصحابه يتسابقون إلى يوسف للحصول على صلاته وهداياه. فقرر حينئذ أن يتنازل له عن الملك. وجرى ذلك في احتفال كبير بمحضر الجنود والعبيد. وكان مما قال أبو بكر في المناسبة :

"يا يوسف أنت ابن عمي ومحل أخي، وأنا لا غنى لي عن معاونة إخواننا بالصحراء. ولم أر من يقوم بأمر المغرب غيرك، ولا أحق به منك. وقد خلعت نفسي ووليتك عليه، فاستمر على تدبير ملكك ...".

وحضر في المناسبة أشياخ لمتونة وشهد بذلك بعض العدول وأعيان القبائل. وعاد أبو بكر إلى أغمات ويوسف إلى مراكش. ويشير ابن عذاري إلى أن حل المشكل على هاته الصورة الوادعة كان برأي زينب النفزاوية التي جسرت يوسف على أخذ ذلك الموقف الذي جعله يصبح ملكا على المغرب. ووجه يوسف لابن عمه أبي بكر من مراكش هدية سنية تحدثت عنها المصادر بإسهاب وذلك تطييبا لخاطره وسعيا في رضاه.

وعاد أبو بكر إلى الصحراء حيث أقام ثلاث سنوات أخرى كان يتلقى أثناءها الهدايا من يوسف. ودأب على محاربة السودان، كما ذكرنا من قبل. وفي إحدى غزواته لهم أصيب بسهم كان سبب وفاته، وذلك في شهر شعبان من سنة 468/نوفمبر 1087. وكان حكمه قد استتب بالصحراء كلها إلى جبال الذهب. ودفن بالبيبة التي تبعد عن تيجكجة بيوم ونصف وقبره معروف بها.


م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، 4 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ ع. بن منصور، *أعلام المغرب العربي*.


محمد زنيبر

أبو **بكر** بن أبي **عنان** المريني الملقب بالسعيد. بعد رجوع أبي عنان من تلمسان سنة 1358/759 أحس بمرض أليم وعيّن ابنه أبا زيان وليًا لعهده. لكن هذا الاختيار لم يُرْض

شيوخ بني مرين وخاصة الوزيز الحسن بن عمر الذي دبّر مؤامرة وعين مكانه أخاه أبا بكر بن أبي عنان الذي كان طفلا يتراوح عمره ما بين خمسة أو عشرة أعوام. وهكذا حكم هذا الوزير باسمه وقام بقتل كل من ولي العهد أبي زيان وأبي عنان الذي خاف من انتقامه وبطشه. وبعد ذلك حجز السعيد في قصره. ودام حكم هذا السلطان سبعة أشهر وبضعة أيام. ثم قُتل غرقا أواخر عام 1358/759 وخلفه عمه أبو سليم إبراهيم.

ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*.

أحمد الخنبوبي

أبو **بكر** بن **يعقوب** بن عبدالحق المريني، يكنى أبا يحيى، أحد الأمراء المغمورين في تاريخ بني مرين، إذ لا نعرف شيئا عنه في حياة والده، بل حتى المصادر المرينية لم تذكر اسمه صراحة ضمن أولاد يعقوب ما عدا كتاب *روضة النسرين* (ص 18). في حين كان لأخويه يوسف وأبي زيان منديل حصة الأسد في الأخبار التي ارتبطت بأبناء السلطان يعقوب، لا سيما المتعلقة بالحملات الجهادية التي كان يوجهها إلى بلاد الأندلس. لكن في عهد أخيه السلطان أبي يعقوب بدأنا نتوفر على إشارات قليلة عن الأمير أبي بكر بعد أن كلفه أخوه بقيادة الحملات العسكرية ضد بني عبدالواد وبالمساهمة إلى جانبه في حصار تلمسان.

فعندما كان السلطان يوسف متوجها إلى المناطق الشرقية من المغرب الأقصى سنة 1296/695، نزل بحصن تاوريرت الذي كان مقسما بين سلطان بني عبد الواد عثمان بن يغمراسن وسلطان بني مرين يوسف، وهو بذلك يعتبر حداً فاصلا بين بلادهما. لكن بعد أن طرد يوسف عمال بني عبدالواد من حصن تاوريرت، أعاد بناءه ثم سوره وأسكن به قبائل بني عسكر وعين عليه شقيقه أبا بكر بن يعقوب (*القرطاس*، 385) وهي أول إشارة ترد في المصادر المرينية بخصوص هذا الأمير.

وفي سنة 1297/696 ولاّه يوسف كذلك على مدينة وجدة بعد أن حصّن أسوارها وبنى بها القصبة ومنشآت أخرى، كما نقل إليها قبائل بني عسكر وأمره بضبط نواحي المنطقة والقيام بحملات استطلاعية على أحواز تلمسان عاصمة بني زيان (*القرطاس*، 385 ؛ *العبر*، 7 : 195). وعند محاصرة يوسف لتلمسان الحصار الثاني سنة 1298/697، أمر أبا بكر بالإغارة على ندرومة وتاونت وما والاهما من الجهات، فضاق أهل ندرومة بذلك "فأقبل أشياخها إلى الأمير أبي يحيى فبايعوه وطلبوا منه الأمان، فأمنهم ومكّنوه من البلد فقبضه وبعث بالفتح والأشياخ إلى أخيه أمير المسلمين يوسف... فبايعوه بفاس... وسألوه التوجه إلى بلادهم ليريحهم من عدوهم..." (*القرطاس*، 386).

كان هذا من بين الأسباب التي شجعت السلطان المريني على التوجه إلى تلمسان سنة 1299/698 ومحاصرتها الحصار الطويل الذي استمر مائة شهر ولم ينته إلا بمقتله بضواحيها سنة 1307/706 (*العبر*، 7 : 195، 199 ؛ *القرطاس*، 386، 387).

وينفرد ابن خلدون بمعلومات هامة عن دور الأمير أبي بكر في تطويع بعض القبائل المتمردة بالمناطق الشرقية خلال حصار تلمسان الأخير، فتحدث عن منازلته سنة 1305/704 لراشد بن محمد في معقل بني بوسعيد وحصاره إياه، ثم استيلائه على بلاد مغراوة إلى أن استسلم راشد الذي راسل السلطان المريني يوسف من أجل عقد السلم بينهما. في هذا الاطار أيضا تمكن أبو بكر من وضع حد لتمرد ابن علان مليكش الذي كان متغلباً على جباية بلاد متيجة، فصالحه بعد أن توسط له في ذلك القاضي أبو العباس الغماري لدى السلطان المريني (*العبر*، 7 : 140، 141، 209).

عند وفاة السلطان يوسف أثناء حصاره لتلمسان طرحت من جديد مشكلة الخلافة، خاصة أنه لم يعين خليفة له مما ترك المجال مفتوحا للصراع حول الحكم بين أبنائه وإخوته، وهو الصراع الذي برز فيه أبو ثابت عامر - حفيد يوسف - كمرشح أقوى بفضل المناورات والدسائس التي كانت السبيل إلى سيطرته على الحكم دون بقية المرشحين. فقد تعصب له أخواله بنو ورتاجن وبايعوه خليفة لجده وهو - أي عامر- لا يزال بالمنصورة في ضواحي تلمسان. بينما بايعت حاشية السلطان المتوفي ووزراؤه ولده الأمير أبا سالم. وحتى يقضي أبو ثابت على منافسيه ويحسم الأمر لصالحه عقد حلفاً مع صاحبي تلمسان أبي زيان وأبي حمو ابني عثمان بن يغمراسن، اتفقوا فيه على أن يمداه بالعون والآلة ويساعداه في السيطرة على الحكم مقابل رفعه الحصار عن تلمسان. فتمكن بذلك أبو ثابت من قتل غريمه أبي سالم بندرومة بعد أن فر إليها وخلت له الساحة من أقوى المنافسين (*العبر*، 7 : 485، 486).

كان الأمير أبو بكر حاضراً أثناء وقوع هذه الأحداث، بل ساهم فيها بشكل يدفعنا إلى التساؤل عن طبيعة موقفه منها، خاصة وأن المصادر تشير إلى أنه لم يبذل أي مجهود يذكر في سبيل خلافة أخيه مع العلم أنه كان الأحق من أخويه أبي ثابت وأبي سالم بالحكم. بل على العكس من ذلك نجده يساند عامراً ويبايعه على الخلافة ويمهد له الأمر، حيث كان من وراء تصفية بعض رجالات أخيه السلطان يوسف كوزيره يخلف بن عمران الفودودي وأبي الحجاج ابن اشقيلوله الذي كانت له معه عداوة قديمة (*العبر*، 7 : 486، 487).

بالرغم على كل ذلك ارتاب أبو ثابت في أمر أبي بكر وتخوّف من تنامي نفوذه "لما تعدد فيه الترشيح، وفاوض في شأنه كبير القرابة يومئذ عبدالحق بن عثمان بن أبي معرف محمد بن عبدالحق، ومن حضره من الوزراء... ونميت عنه كلمات في معنى التربص بالسلطان ودولته، وابتغاء العصابة لأمره". (*العبر*، 7 : 487). فصنع له كميناً بأن أدخله إلى قصر المنصورة بظاهر تلمسان لعزاء الحرم في

أخيه السلطان يوسف، ودس إليه من اعتقله، وهو عبدالحق بن عثمان المذكور سلفاً، فأمر بالإجهاز عليه وقتله هو ووزيره عيسى بن موسى الفودودي. وذلك في شهر ذي القعدة من عام 1307/706 (*العبر*، 7 : 488 ؛ *رحلة التجاني*، 197).

ع. ابن خلدون، *العبر*، الجزء السابع، بيروت 1968 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط 1962 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 3 ؛ التجاني، *رحلة التجاني*، قدم لها حسن حسني عبدالوهاب، ليبيا. تونس 1981.

M. Kably, *Société* ; A. Khanboubi, *Les premiers Sultans*.

رشيد السلامي

أبو **بكر** بن **يَنْدُوح**، اسمه يثير بعض الخلاف بين المصادر. فابن القطان يسميه أبا بكر بن يندوح، بينما يدعوه البيذق في *أخبار المهدي* عمر بن يندوك. ولعله هو الشخص الذي يسميه ابن خلدون أبا بكر بن محمد اللمتوني عامل سوس.

مهما يكن، فالفائدة التاريخية الوحيدة التي نجنيها من معرفة هذا الشخص هي أنه كان أحد القواد المرابطين المكلفين بالسهر على الحصون التي "بنوها في مواضع دارت بها الجبال من جميع الجهات لكي ينتصروا بها على الموحدين" كما ذكر البيذق (ص 91).

والحصن الذي كان يشرف عليه ابن يندوح هو حصن تافرككونت في كيك غيغرة. ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة لمراكش. مما جعل علي بن يوسف يسند لابنه تميم قيادة جيش مهم نعته ابن القطان "بعسكر لجب". ثم يذكر هذا المؤلف أن تميما تلقى ما يكفيه من الأموال والسلاح، مما جعل الجند يطالبون بنصيبهم من ذلك، لكن الهزيمة حاقت بهم في يوم الغد، فأضاعوا كل شيء.

وعندئذ، أمكن لعسكر الموحدين الذين كان يقودهم أبو محمد البشير أن يهجموا على حصن تافرككونت وأن يتغلبوا عليه ويقتلوا ابن يندوح، ويغنموا مائة وخمسين فرسا، ويقتلوا خمسمائة من الرجال ويستولوا على كثير من الدواب والأنعام.

وإذا رجعنا إلى رواية ابن خلدون، نجد أن الرجل كان عاملا بسوس وأنه أول من زحف على هرغة حين ظهر بينهم ابن تومرت. فاستغاثوا بإخوانهم من هنتاتة وتينملل الذي هبو لنصرتهم "فاجتمعوا إليهم، وأوقعوا بعسكر لمتونة. فكانت مقدمة الفتح" (*العبر*، 6 : 470).

وهكذا، يتضح أن ابن يندوح كان من القواد المرابطين الأولين الذين واجهوا حركة ابن تومرت، وهي ما تزال في مهدها، وأنه اعتُمد عليه لمراصلة عمله العسكري إلى أن قتل في المعركة التي جرت بناحية كيك غيغرة. فالمرابطون حاولوا أن يوطدوا سلطتهم على الأطلس الكبير (جبل درن) ببناء عدد من الحصون وتعيين عدد من القواد العسكريين بها، لكن الظاهر أن مصامدة الجبل ظلوا مستوحشين من جهة المرابطين ومستعدين لأن ينتقضوا عليهم متى أتيحت لهم الفرصة.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6.

أبو **بكر** بن **يوسف** بن **تاشفين**، لعله أكبر أولاد يوسف بن تاشفين، وربما كانت أمه هي زينب النفزاوية. كان وليا لعهد أبيه. وله أخ أصغر منه هو، أيضا، ابن زينب النفزاوية. ذكر ابن عذاري أن أبا بكر ولد سنة 564. وذكر في *القرطاس* أن يوسف بن تاشفين لما بدأ يستعد لنصرة الأندلس، "بعث ولده المعز إلى سبتة في جيش عظيم، فنزل عليها وحاصرها حتى فتحها، وذلك في شهر ربيع الأول من سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وكتب إليه بالفتح" (ص 144).

إذا قارنا بين التواريخ، وجدنا أن المعز أسندت إليه قيادة جيش عظيم وهو في سن الثالثة عشرة. وهذا غير معقول. ولا شك أن قائد الجيش كان هو أبا بكر الابن الكبير وولي العهد، وأن الأمر التبس على صاحب *القرطاس*. ومهما يكن، فالمعلومات عن أبي بكر قليلة في المصادر. وذلك راجع لكونه لم يعش طويلا، إذ تتفق المصادر على أنه مرض في سبتة وقت ذهاب أبيه يوسف إلى الأندلس على رأس جيشه لمنازلة النصارى في معركة الزلاقة.

وهنا تطرح علينا أسئلة يصعب الجواب عنها، ولكن عدة قرائن تدفعنا لطرحها : هل كان أبو بكر يسير في ركاب أبيه عند جوازه إلى الأندلس وأمسكه المرض بسبتة ؟ أم هل كان مقيما بسبتة أو والياً عليها كما كان الشأن بالنسبة لأخيه عليّ من بعده ؟.

على كل، لم يستمتع يوسف بن تاشفين طويلا بنشوة الانتصار في معركة الزلاقة سنة 1086/479، إذ سرعان ما وردت عليه الأنباء بوفاة ابنه أبي بكر بسبتة "فاغتم لذلك وانصرف راجعاً إلى العدوة. ولولا ذلك لم يرجع" (*القرطاس*، 152)

تدل هذه العبارة على أن أبا بكر كان بمكانة كبيرة عند والده، وأن وفاته تركت فراغا لا يصح التباطؤ في علاجه. وهذا ما جعله يتخلى بسرعة عن ميدان انتصاره ويعود في الحين إلى حضرة مراكش.

أما كونه ابن زينب، فكل القرائن ترجح ذلك. فما كان يوسف يستطيع أن يعين ولياً للعهد من غير أبنائها لما كان يكنُّ لها من تقدير ومحبة. يشهد بذلك ما قاله ابن عذارى عنها. "وكانت أحب ما لديه، امرأة غالبة علية... ولا كان أمر إلا أمرها. وكان يقول لبني عمه إذا خلا بهم وورد ذكرها إنما فتح البلاد برأيها" (4 : 30).

ولعل هاته المنزلة الخاصة التي حظي بها أبو بكر كولد بكر وولي عهد هي التي جعلت ولده يحيى يتلكأ في مبايعة عمه عليّ لما اعتلى عرش المرابطين سنة 500 هـ، ويثور بفاس إذ كان واليا عليها.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، ط. الرباط 1972 ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

**أبو بكر** بن **يوسف** بن **عبدالمومن**، أحد أولاد الخليفة الموحدي الثاني يوسف بن عبدالمومن. وقد أورد كل من *القرطاس والمعجب والبيان المغرب* اسمه ضمن قائمة أسماء أبنائه الذكور الذين يبلغ عددهم ثمانية عشر.

والمعلومات عنه قليلة حيث لا تتحدث عنه كل المصادر فهنالك إشارة غامضة في *البيان المغرب* تذكر أن أبا بكر بن يوسف الكومي كان يعمل كوزير ليوسف بن عبدالمومن "بين يدي ابنه أبي يوسف" أي يعقوب الذي سيحمل لقب المنصور فيما بعد. فهل يتعلق الأمر به أم بشخص آخر والغالب على الظن أنه شخص آخر، لأن ابن الخطيب ، حين يورد اسمه في ترجمة الخليفة يوسف بن عبدالمومن، لا يذكر أي صلة للقرابة بينه وبين يوسف. وتلك جزئية ينتبه لها، عادة، أصحاب التراجم، سيما إذا كانوا من صنف ابن الخطيب.

هنالك إشارة أخرى اختص بها *القرطاس* حين يقول : "وفي سنة ثمان وستين أغزى أمير المؤمنين يوسف ولده السيد أبا بكر بلاد الروم، فسار حتى بلغ طليطلة. فقتل وسبا وأحرق القرى، فخرج إليه زعيم الروم سانشو خيمينو المعروف بأبي برذعة، عرف بذلك لأنه كان يركب برذعة من الحرير منسوجة بالذهب مكللة بأصناف الجواهر. فكان بينهما قتال عظيم، قتل فيه سانشو أبو برذعة وجميع جيشه. ولم يفلت منهم أحد، فكان عدد من قتل في هذه الغزاة من الروم ستة وثلاثين ألفا" ( *القرطاس*، ص 212).

لكن، عند مراجعة المصادر الأخرى، نجد الاشارة إلى الأحداث، دون إيراد اسم أبي بكر بالمرة أثناء سردها. فابن صاحب الصلاة يتحدث عن خروج "القومس المسن الضال شان منوس المذكور المعروف عند أهل الثغور والمسلمين بالأحدب" أي أبي برذعة، ويذكر بعد ذلك بالتفصيل معارك المسلمين معه. وكان الخليفة يوسف حاضراً بالأندلس آنذاك فوجه له جيشا لمناجزته. وأسند قيادة الجيش لأخيه أبي زكريا يحيى" ومعه أخوه أبو إبراهيم إسماعيل، وبنو الجماعة كالحافظ المرحوم أبي عبدالله بن الشيخ المرحوم أبي إبراهيم وأبي يعقوب يوسف بن أبي عبدالله بن تيجيت وأشياخ الموحدين أعزهم الله، وأشياخ العرب بنخبة قبائلهم" (519). ثم ذكر ابن صاحب الصلاة بعد ذلك التقاءهم بجيش الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي وهجومهم على العدو وقتلهم لأبي برذعة.

كيف يمكن أن نفسر الخلاف بين المصادر في هذا الموضوع ؟

إذا وازنا بين الروايات، لا نجد بدا من ترجيح رواية ابن صاحب الصلاة الذي كان معاصراً للأحداث وكان حاضراً مع الخليفة في تلك الأثناء. إلا أن هذا لا يمنع من تأويل رواية *القرطاس*، فيكون أبو بكر انتدب من أبيه ليحضر المعركة لا كقائد أعلى ولكن كأمير شاب ليتدرب على فنون الحرب. فأبلى فيها بلاء حسنا وظهرت شجاعته وهذا ما جعل الروايات تتناقل أخباره. وكان صاحب *القرطاس* هو الوحيد الذي تلقفها.

وبالجملة، فنحن بإزاء أمير لم يحظ باهتمام المصادر التاريخية، لأنه لم تسند إليه مناصب عليا، ولربما توفي صغيراً، إذ لو طال عمره لكان حظه أحسن عند المؤرخين.

ع. ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ع. ابن عذاري، *البيان المغرب*.

محمد زنيبر

**بكراوي، إبراهيم**، ولد سنة 1916 ببني ميمون ناحية وجدة. ولما تحركت الجماهير ضد السياسة الاستعمارية، كان من الأولين الذين حاولوا التصدي لهذه السياسة، فانخرط في صفوف جيش التحرير بالشمال، وعمل تحت مسؤولية السيد حماد البرباس والسيد الناجم الكروج بمدينة بركان. نفذ عدة عمليات فدائية وقام إلى جانب رفاقه الثوار بعدة اشتباكات ضد جنود الاحتلال ومواقعهم. وآخر اشتباك وقع بعين مومن حيث سقط بكراوي إبراهيم في ساحة الشرف على إثر إصابته بنار العدو يوم 6 أكتوبر 1955.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 2.

عزالدين العلام

**البكراوي، إدريس** بن عبدالقادر الودغيري، حامل راية القراء في وقته، وكان إليه المرجع في ذلك ؛ عارف بالتجويد لا يضاهيه فيه أحد من أبناء عصره، حسن الصوت، كثير التلاوة، متفننا في علوم شتى من فقه ونحو ولغة وما إلى ذلك.

أخذ علم القراءات عن الشيخ ابن عبدالسلام الفاسي، ولا نعرف له في هذا الفن شيخاً سواه ؛ قال في *السلوة* : "وبه خُتم فن القراءات، فلم يوجد بفاس من يقوم فيه مقامه". كان فصيحا بليغا، خطب بالسلطان المولى سليمان في فاس العليا، ثم في الرصيف ؛ وفي أيام خلافة المولى عبدالرحمان تولى خطابة القرويين، وظل به إلى أن تنحى عن ذلك في أخريات حياته.

وكان السلطان المولى سليمان يقدره ويعرف فضله في هذا الفن، وهو البقية الصالحة من شيوخه، وكان كثير الاتصال به يجالسه ويذاكره، نظم ثلاثة أبيات في علم القراءات، فأجازه عليها بثلاثمائة مثقال.

توفي في 16 محرم عام 1841/1257.

خلف في علم القراءات مؤلفات أنهاها بعضهم إلى ثمانية عشر مؤلفا، منها :

- *التوضيح والبيان، في مقرأ نافع المدني ابن عبدالرحمان*. أمره بتأليفه السلطان المولى سليمان، واقترح عليه أن يرتبه على حروف المعجم.
- *عمدة البيان، في حكم المحذوف في القرآن*، أرجوزة في 387 بيتا.

- وله عليها شرح.
- *درر المنافع، في أصل رسم السبع غير نافع*، منظومة في 220 بيتاً.
- *حاشية على الجعبري*.
- *تقييد في تفسير الغنة*.
- *شرح دالية ابن المبارك*.
- *أزهار الحدائق، في علم مخارج الحروف والصفات والبوائق*، أرجوزة في نحو 100 بيت.
- *نظم في الفرق بين السكت والوقف*.
- *رجز في مراتب المد لدى القراء السبعة*.
- *منظومة في التوسط*.
- *رجز في همزة الوصل*.

توفي إدريس البكراوي في 16 محرم 9/1257 مارس 1841.

إ. البكراوي نفسه، *التوضيح والبيان* ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

**البَكْري**، أسرة تطوانية لعل أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان حوالي سنة 1886/1303 وكان من بين أفرادها :

**البَكْري، محمد** فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1648/1058. والمعلم :

**البَكْري، محمد** بن **العربي** معلم خبير كان حيا سنة 1702/1114.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 282، 290 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.
Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البكرية، آمنة** بنت عبدالله بن أحمد الشكورية، نسبة إلى أبي بكر الصديق، الصالحة إحدى نساء الشيخ أحمد الناصري الخليفة. ولدت بشفشاون سنة 1089 هـ ونشأت في أحضان أسرة فاضلة من ذرية المجاهد أبي حسون بن عبدالحميد الشفشاوني، إلى أن تزوجها الشيخ أحمد الخليفة عام 1102 هـ. وتدخل هذه المصاهرة في إطار تمتين الصلات بين زاوية تمگروت ومدينة شفشاون. فمنذ عهد الشيخ مَحمد ابن ناصر (ت.1085هـ) انخرط في سلك الطريقة الناصرية العديد من رجالات المدينة الذين أصبحت لبعضهم علاقة متينة بالناصريين وترددوا مراراً على زاوية تمگروت مثل الشريف الحسني محمد الحوات قاضي شفشاون (ت. 1160 هـ) وابنه المؤلف الشهير سليمان، والفقيه الأديب أحمد بن محمد الشفشاوني البرنسي (ت. 1127 هـ) والفقيه أحمد بن عبدالله الشكوري صهر الشيخ أحمد الخليفة الذي صاهر كذلك الأسرة البرنسية بالزواج من السيدة صفية بنت محمد البرنسي (ت. 1138هـ) فكانت هذه العلاقات المتميزة تمتينا للصلات الروحية التي تربط رجال الطائفة الناصرية بمدينة شفشاون بأشياخ الطريقة. وقد كانت صاحبة الترجمة أحظى أزواج الشيخ لديه فاسكنها زاوية الفضل التي أسسها عام 1115 هـ جنوب تمگروت واشتهرت في الزاوية بالصلاح والفضل والعناية بالضعفاء والمساكين وإعانة ذوي الحاجات، وكانت لها مسكة من الطب، تعالج المرضى احتسابا لله تعالى، إضافة إلى ما كانت عليه من زهد ورع ومثابرة على أوراد الطريقة الناصرية، كما استمرت بعد وفاة زوجها في الإشراف على شؤون الزاوية المادية حتى وفاتها مفتتح سنة 1153 هـ ودفنت بتمگروت.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط خ. ت. م. نوحي، ر. د. د. ع. بالرباط.

محمد الحبيب نوحي

**البكرية** (الزاوية ـ) ← **الدلائية** (الزاوية ـ)

**بكّار**، أسرة فاسية تتكوّن من ثلاث فرق، فرقتان عربيتان من بني قيس انقرضتا، وفرقة من بربر أحواز فاس وهي باقية حتى اليوم. يبتدئ ذكر الأولى مع بكار حاجب المولى إدريس بن إدريس وقد انقرضت في القرون الأولى. والفرقة القيسية الثانية استمرت بفاس إلى منتصف القرن السادس (12 م) واشتهر منها الجد بكار بن قاسم قاضي فاس المتوفى سنة 1061/453. وحفيده الفقيه العلامة بكار بن عبدالرحمن بن بكار بن قاسم المتوفى عام 1145/540.

أما الأسرة البربرية الباقية فإليها تنسب عقبة المخفية المسماة بعقبة ابن بكار، وسماهم الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 361) البكارين، وذكر منهم الشيخين الجليلين : يحيى ابن بكار وابنه محمد بن يحيى ابن بكار.

**بكّار** (ابن ـ)، **محمد** بن يحيى المعروف بالأصغر، وهو أخو زوجة الشيخ المجاهد محمد بن يحيى البهلولي. لا تذكر المصادر شيوخه ولا تلامذته، وإنما تحدث عن ولايته وصلاحه عبدالله الهبطي، ومحمد ابن عسكر. ويبدو أنه كان يهتم بالشؤون السياسية حيث اعتمده ملوك عصره السعديون واسطةً بينهم وبين الرعايا في المهمات من المسائل الدينية والدنيوية"، ومات مسموما بفاس عام 1567/975.

ع. الهبطي، *الألفية السنية* ؛ م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ م. الكتاني، *سلوة*.

**بكار** (ابن ـ)، **يحيى** بن عبدالله المعروف أيضاً بالغمدي (بفتح الغين)، ولعل هذه التسمية التي حملتها الأسرة كلها منذ القديم، كما ذكر أبو عبدالله ابن يحيى، ترجع إلى سكناهم قرب جبل وبلان بموضع يقال له الغمد (جفن السيف) لشكل تضاريسه الحاد كالسيف، وجبل وبلان أو بوبيلان من جبال الأطلس المتوسط "على مرحلة من فاس" كما يقول ابن عسكر.

اشتهر يحيى بن بكار بصلاحه وزهده. ولعله ورث ذلك عن أبيه الذي اشتهر كذلك "بمفاخره الحسان" وباتّباعه لطريقة أبي مدين الغوث (ت. 1196/594) كما اشتهر يحيى بمساهمته في الجهاد حيث "كان يمد أهل الثغور بالخيل والعدة" يأخذ ذلك من الصدقات التي كانت تصله من زواره وأتباعه. وكان معاصراً لأحمد الوطاسي وحضر وصول محمد الشيخ السعدي إلى مدينة فاس عام 956 هـ.

توفي يحيى ابن بكّار عام 960 أو 961 / 52 . 1553.

م. ابن عسكر، *دوحة*، ص 63، 64 ؛ م. الكتاني، *سلوة*.

محمد مزين

**البكّارة**، تحمل هذا الاسم في الوقت الحاضر فرقة تابعة لقبيلة وادراس، من عمالة تطوان. تحتل فراغا سهليا بين مجموعة من المرتفعات : جبل وادراس في الشمال والشرق، وجبل حبيب في الجنوب وجاره جبل بني مصور في الغرب. يدخل ضمنها من المداشر : غرباوة ومرج اللوه والرمل وظهر ميمون وگليد والعتنون. وينطبق اسم الفرقة على ما تشتهر به من تربية الأبقار بفضل مسارحها الواسعة وفرشة مياهها الغزيرة.

وعرف اسم البگارة خلال القرن التاسع الهجري، وآنذاك كانت قرية مستوطنة للفراغ السهلي الواسع الممتد بين تطوان والبحر المتوسط. واشتهرت منذ ذلك الوقت بعدد رؤوس الأبقار التي كانت بحوزتها، نتيجة الاستفادة من المسارح المنتشرة بين واد أليلي وواد تطوان (مرتيل).

وعلى الرغم من كثرة سكان القرية فقد اعتادت إقامة الحراسة الليلية بالتلال الشمالية جهة سبتة. فإذا ما حل وقت الضحى وتأكد الأمن، انسحبت الحراسة بعد إعطاء إشارة تسريح الابقار وتوجه الرجال إلى أعمالهم اليومية. توصل حاكم سبتة بهذه المعلومات، فلم يتوان في الاغارة عليهم وقت الضحى، ولذلك بلغ ما جلبه الجيش ثلاثمائة وخمسة وثمانين رأسا من الأبقار. كان ذلك في جمادى الأولى أو جمادى الثانية عام 839/ ديسمبر1435. ومنذ ذلك لم نسمع عن وجود القرية بمكانها، خاصة بعد تردد جنود سبتة على جارتها بني معدن وعلى مدينة تطوان. وليس ببعيد أن تكون فرقة البگارة الودراسية من أصل قرية البگارة الحوزية.

*ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، ص 40.

Gomes Eanes Azurara, *Cronica de D. Pedro de Meneses*. 2 / chap. 36, p. 607 ; *Cronice de D. Duarte de Meneses*, p. 86 ; J. Mascarenhas, *Historia de Ceuta*, p. 179.

حسن الفگيگي

**البكاري، محمد بن محمد**، ولد بفاس وبها نشأ ودرس على أكابر الشيوخ، أمثال : مَحمد بن قاسم القادري، وأحمد بن الخياط، ومَحمد گنون، وعبدالسلام الهواري، وخليل الخالدي وأحمد بن الجيلالي الأمغاري وأبي شعيب الدكالي وغيرهم. تخرج عالماً مشاركاً، وأديباً شاعراً ناثراً، لم يَشتغل بالتدريس، وإنما تقلب في عدة وظائف مخزنية، أصبح في نهاية المطاف خليفة وزير العدلية، ثم نائباً في الأملاك المخزنية. وهو طويل النفس في الشعر ينظمه على الطريقة الأندلسية.

وقد جمع شعره في *ديوان*، ونَشَر بعضَ قصائده عبدالرحمان ابن زيدان في مجموعة أمداح السلطان المولى يوسف.

توفي محمد البكاري بالرباط عشية يوم الأحد سادس ربيع الأول عام 23/1375 أكتوبر 1955.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1375 ؛ *سل النصال*، الترجمة 228.

**البكاري، محمد بن محمد بن إدريس**، فقيه مدرس وخطيب مفوّه. دَرَس بفاس وتخرج عالما من القرويين. لم يشتغل منذ ريعان شبابه بغير التدريس والخطابة، فكان في أواسط الخمسينات أصغر خطيب بفاس، إذ رشح للإمامة والخطابة بجامع بوجلود حين أدّى به صلاة الجمعة محمد الخامس في أول زيارة لفاس بعد رجوعه من المنفى، ومن ثم لمع نجم محمد البكاري وأصبح في نهاية الخمسينات خطيب الجمعة بزاوية سيدي أحمد ابن ناصر بسويقة ابن صافي، فكانت خطبه "تستقطب مجموعة كبيرة من المصلين من كل

أحياء فاس، يفدون على المسجد للاستماع إلى درر الفقيه البكاري الذي لم يكن سماعها مألوفاً آنذاك... أحدث صياغة جديدة لخطب الجمعة تتناسب والظرف المعيش،

ووظف في خطبه لغة عربية ذات أسلوب سلس ومفردات متداولة ...".

ظل محمد البكاري يؤدي رسالته كأستاذ يفيد الطلبة والعوام، وخطيب بالمسجد والمصلى إلى أن لقي ربه في 20 شعبان عام 1411/7 مارس1991.

*معلومات عن عبدالكريم الوزاني ؛ مجلة الجواهر*، العدد 21، ماي - يونيه 1991.

محمد حجي

**بكّاس، موسى** بن أحمد البعقيلي. ينتمي لأسرة كانت ذات وجاهة بقبيلة إدا وبعقيل. ولي منصب القيادة على نصف إدا وبعقيل من قبل السلطان الحسن الأول في 13 شعبان 1299 هـ.

*ظهير حسني صادر بتاريخ 13 شعبان 1299 هـ* ؛ م. الأكراري، *روضة الافنان*، ص 102، ت. أنوش حمدي، ر.د. د. ع. الرباط.

علي المحمدي

**البكّاي**، مبارك الهبيل، ولد بمدينة بركان من قبيلة بني إزناسن سنة 1325 / 1907 وتخرج من المدرسة العسكرية بمكناس سنة 1926 برتبة نقيب (قبطان) وساهم في الحرب العالمية الثانية إلى أن أصيب بجروح خطيرة أدت به إلى فقد إحدى رجليه سنة 1941. وأسند إليه في عام 1943 منصب قائد لقبيلة بني درار بإقليم وجدة، كما عين سنة 1944 باشا لمدينة صفرو، وظل بهذا المنصب إلى أن استقال منه سنة 1953 احتجاجاً على خلع السلطان محمد الخامس، وهو يحمل عدة أوسمة ملكية وعسكرية.

**ترأس مبارك البكاي أول حكومة عرفها المغرب بعد حصوله على الاستقلال، وكان ذلك في 7 دجنبر 1955، كما ترأس حكومة ثانية في 28 أكتوبر 1956 إلى غاية 16 أبريل 1958، وقبل ذلك عُيّن عضواً في مجلس حفظة العرش الذي كان قبل عودة محمد الخامس من المنفى.**

**توفي ليلة الخميس 27 شوال عام 1380 / 13 أبريل 1961.**

دوگلاس آي، آشفورد، تر. د. عائدة عارف أبو حكمة، *التطورات السياسية في المملكة المغربية*، مراجعة عبدالهادي بوطالب، ص 111 إلى 469 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1380.

Hassan II, *Le Défi*, p. 73 ; Ch. A. Julien, Le *Maroc face aux impérialismes*, p. 148, 430 ; E. Faure, *Mémoires*, T. II, p. 372, 381, 461... ; G. Delanoë, *Lyautey, Juin, Mohammed V : Fin d'un protectorat*, p. 171, 174 : *Grande Enc. Mar.*, Vol. I, (*Institutions*), p. 28, 58.

جواد المهدي

**بَكُّو** أو **بَكُّور** ← أبو **بكر** بن **علي**

**بكُّور**، أسرة تطوانية أصلها من بني حزمر القبيلة المجاورة لمدينة تطوان، وما زالت هذه الأسرة بتطوان لحد الآن.

**البَكّوري**، أسرة تطوانية شريفة، وهي غير أسرة الباكوري.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 41.40 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بُكُّوگة**، أو يَرْني = أرْني = إرْني، نوع نباتي عشبي يسمى علميا أُرُومْ أريزَارُوم Arum arisarum وينتمي إلى فصيلة الأراسيات Araceae.

إنه نبات عديم الساق، ذو أوراق قليلة العدد. رُمْحية الشكل. لها إزهراد جُبَابي أسود وأبيض يشبه في شكله الجرو ومحمول على رأس سويقة.

للنبات بصيلة صغيرة لا يتعدى حجمها حجم حبة العنب، وتحتوي على كمية كبيرة من النَّشاء.

ينتشر هذا النوع في أرجاء حوض البحر المتوسط وقد لعب دوراً كبيراً في تغذية الإنسان خلال سنوات المجاعة التي عرفها المغرب في أوائل الأربعينات، إذ كان المغاربة في البوادي يقضون ساعات طويلة من النهار للبحث عن بصيلات بكُّوگة لتعويض طحين القمح.

*أبحاث خاصة*.

عبدالمالك بنعبيد

**بلاد** سيدي علال **البحراوي**، من أهم المخلفات الأثرية التي تم اكتشافها بمنطقة سيدي علال البحراوي في منطقة الغرب بعض المدافن التلّية، وأهمها ذلك الذي تم التنقيب به على يد سوفيل خلال سنة 1957. بني المدفن بعدة طبقات رملية وطينية ممتزجة بعدة أحجار. ويبلغ قطره 30 متراً في حين قد يتراوح علوه ما بين مترين أو ثلاثة أمتار. وعلى عمق يناهز ثلاثة أمتارتمّ الكشف عن هيكل عظمي. ومن خلال التنقيب تبين أن الميت دُفن على ظهره كما وجه رأسه نحو اليمين، ووُضعت يده اليمنى على صدره، أما اليسرى فكانت بعيدة شيئا ما عنه. وفيما يخص الساقين فكانتا متقاطعتين فوق الركبة في حين لم يعثر على الرجلين معا. ويرجع سوفيل ذلك إلى تقاليد الدفن التي كانت متبعة آنذاك بالمنطقة. وقطع الأرجل يعني حسب رأيه منع الميت من الاختلاط بالأحياء مرة ثانية.

ولم يعثر كذلك على أية أداة أثرية قرب الهيكل يكون من شأنها أن تسهل تحديد تاريخ الدفن ولو نسبيا، في حين وجدت عدة شظايا وقطع فخارية بالطبقات العلوية أو فوق سطح المدفن، غير أنه لا يمكن التعرف عن مصدرها أهي حديثة بالنسبة للمدفن أو أُوتي بها مع الرمل والأحجار التي بني بها المدفن وبالتالي تكون قديمة بالنسبة إليه.

وللإشارة فقد تم الكشف على ما يناهز ثلاثين هيكلا عظميا على عمق 25 إلى 50 سنتم أرجعها الباحث إلى الفترة الإسلامية وبالأخص إلى عهد المولى الحسن نظراً للعملة النقدية التي وجدت قرب الهياكل.

ويعدّ هذا المدفن واحداً من بين العشرات التي تم جردها بالمنطقة، غير أنه يبقى الوحيد الذي تم التنقيب به....


G. Souville, *Le Tumulus de Si Allal Bahraoui. Lybica*, T. 6 - 7, 1958 - 59, p. 243, 259 ; *Bled Si Allal El Bahraoui. Atlas préhistorique du Maroc*, 1973, p. 145, 147.


محمد عبدالجليل الهجراوي

**بلاد الجماعة**، يقصد ببلاد الجماعة مجموع الأراضي (من حقول ومراع وغابات) التي هي في حوزة إحدى التجمعات القبلية (دوار، فخذة...). وتمثل أول إشكال تملك الأرض بالمغرب، الذي ساد إلى أوائل هذا القرن، خصوصا في المناطق التي يعتمد أهلها في عيشهم على الرعي (كالمغرب الشرقي، وسهل ملوية، والغرب، ونواحي البروج ومراكش...) مما يحملهم على التنقل باستمرار، فكانت الأرض تحتل عندهم مرتبة ثانوية بالنسبة للماشية، رمز الغنى والجاه.

إنها أراض غير قابلة للتفويت، وتوزع مبدئيا سنويا بين أرباب الأسر بالتساوي، مع مراعاة خصائص بقع الأرض، اجتنابا لاحتكار أفضلها من طرف البعض دون غيرهم.إلا أنها في الواقع غالباً ما كانت توزع حسب الإمكانيات الاقتصادية للأفراد (عدد زوجات الحرث التي يملكونها)، مما يتيح تكديس الأرض بين أيدي الموسرين، الشيء الذي يفسر مطالبة هؤلاء بتوزيع نهائي قصد امتلاك بقعهم. وفي حالة ما إذا تم هذا التوزيع وطعن فيه من طرف أحد أفراد الجماعة، فإنه يُلغَى وتعود الأرض إلى وضعها السابق، إلا أن جزءاً من هذه الأراضي تم تملكها من طرف بعض الخواص - كما حدث بالنسبة لأراضي الإقطاع - (انظر مادة : إقطاع) إما باللجوء إلى العنف أو بوضع عقود ملكية مزورة.

مثلت الملكية الجماعية قاعدة لمقاومة التدخل الاستعماري، لذا، عمل الاستعمار على القضاء عليها قصد تدمير البنيات القبلية وإنشاء مستوطنات للمعمرين. ولهذا الغرض، كان الاستيلاء على الأراضي الجماعية يتم باسم المصلحة العامة، وبضمها إلى أراضي الإقطاع (أراضي الگيش) حتى يمكن توزيعها بدعوى أنها أراض مخزنية وأن للسلطان (أو لمن يمثله) الحق في التصرف فيها، بل أحيانا بمجرد العنف حيث كانت الإدارة الاستعمارية تحجز الأراضي "غير المستغلة" (المراعي) التي قد تكون صالحة للاستيطان بدعوى أنها ملك للمخزن.

اجتناباً للدخول في صراع مع القبائل، وسعيا إلى إضفاء الشرعية على سياسة الاستعمار فإنه أخضع الأراضي الجماعية لمقتضيات ظهير 27 أبريل 1919 الذي يجيز للقرويين كراء أراضيهم - بعدما يتم توزيعها عليهم - للمعمرين كراء أبديا مقابل ريع سنوي، الشيء الذي يمثل في الواقع بيعا دون مقابل. وبمقتضى ظهير 2 يونيو 1923، أصبحت الأراضي الجماعية بالمناطق البربرية، هي بدورها، خاضعة للتسجيل، ومن ثم للمحاكم الفرنسية، مما يسهل عملية خلق مستوطنات للمعمرين بها. كما أنشئت في فترة البيزانا (انظر هذه المادة) جل قطاعات التحديث Les S. M. P. فوق أراض جماعية.

ما زالت حالياً، هذه الأراضي خاضعة لنفس القوانين، إلا أن إعادة توزيعها الذي كان معمولا به سابقا، لم يبق ساري المفعول منذ 1956، مما دفع بالبعض إلى محاولة استغلال هذا الوضع للاستيلاء على هذه الأراضي، فكان ذلك سببا في أزمات عرفتها بعض المناطق (مثل تادلا في أوائل الثمانينات).


E. Amar, *L'Organisation de la propriété foncière au Maroc*, Paris, 1913 ; Benachenhou, *Régime des terres et structures agraires au Maghreb*, Alger, 1975 ; Callies, *Les terres collectives au Maroc*, C.H.E.A.M/322 ; A. Guillaume, *La Propriété collective au Maroc*, 1960 ; A. Halim, *Structures et changement social au Maroc*, Casablanca ; Leclère, *Terres collectives de tribu*, Rabat, 1925 ; J. Moland, *Le régime juridique de la terre au Maroc*, Paris, 1963.


عبدالجليل حليم

**بلاد الگيش** ← الگيش

**بلاد موركان**، أشار بيبيرسون وشوبير وفوري موري ولوكوانتر إلى وجود عدة أدوات ببلاد موركان تعود حسب رأيهم إلى الحقبة الجيولوجية الملقبة بالسالسيان أي السلاوي نسبة إلى الموقع الموجود بمدينة سلا. ويوجد موقع موركان على الضفة الشمالية لوادي بورقراق على بعد 25 كلم من مصب النهر. وتتجلى هذه الأدوات في عدة أنواع من الحجر القاطع.

وللاشارة فإن المقطع الجيولوجي الذي اتخذ كنموذج للحقبة السلاوية تمت مراجعته في بداية الثمانينات من طرف جون بول راينال وجون بول تيكسيي اللذين يعتقدان بأن اختلاف اللون الظاهر على المقطع وخاصة بالنسبة للطبقة الجيولوجية التي أرجعها السابقون إلى الحقبة الساليسية ناتج عن تطور التربة القديمة، وبالتالي لا يمكن اعتبارها في أي حال من الأحوال طبقة جيولوجية خاصة.

P. Biberson, G. Choubert, A. Faure et G. Lecointre, *Contribution à l'étude de la Pebble-culture du Maroc Atlantique, B.A.M.*, T. III, 1958 - 59, p. 18 ; J. P. Raynal et J. P. Texier, *Rapport d'activité de la mission préhistorique et paléontologique française au Maroc*, 1982 ; G. Souville, *Bled El Morgan. Atlas Préhistorique du Maroc*, 1973, p. 112.

محمد عبدالجليل الهجراوي

**بّلاش** ← **بلياش**

**بْلاشْكو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Blasco أو هكذا Velasco.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1787/1201، ويقول الفقيه الرهوني إنها كانت تدّعي الشرف.

**بْلاصْكَة**، أو بلاشْكة، أسرة تطوانية من الأندلس، وقد انقرضت بتطوان سنة 1747/1160.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 50 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البلاط**، إحدى القرى الداخلة حالياً "بقبيلة الساحل" الجنوبي، فرقة المدشر الجديد، مقابلة جارتها بني كيسان وتركونت، ترتفع مبانيها على كدية (100 م) بالقرب من واد بوفكران، رافد واد المخازن.

أشار برناردو ردريش، صاحب *حوليات أصيلا* إلى قرية البلاط، فكثيراً ما وصلت الحملة البرتغالية إليها من أصيلا، لوقوعها بالحد الجنوبي مما كان يعرف خلال القرن العاشر الهجري (16 م) بحوز أصيلا. واتخذ المغاربة القرية طالعا لمراقبة التحركات البرتغالية داخل نفس المحيط. مما اضطر حكام أصيلا لتنظيم الحملات على المكان، مثلما حدث سنة 1508/914.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*. 2 :316، 352، 354، 359 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 51.

Bernardo Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 155, 156, 205, 206.

حسن الفكيكي

**البلاغة** بالمغرب، يرى متتبع تاريخ البلاغة العربية أن التسمية بـ "علم البلاغة" لم تهيمن إلا في عصور متأخرة باعتبارها علما شاملا للعلوم الثلاثة : المعاني والبيان والبديع. لقد أشار ابن خلدون إلى أن الاسم الأول الذي كان متداولا بين المهتمين هو "البيان" الذي كان ينقسم إلى "علم البلاغة" الباحث في مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وإلى "علم البيان" الذي يهتم بالبحث عن الدلالة على اللازم والملزوم مما يجعله يحتوي على الاستعارة والكناية والمجاز المرسل، وإلى "علم البديع" الذي يبحث في وسائل تزيين الكلام وتحسينه.

والمتتبع للدراسات البلاغية في المغرب يجد، حقا، أن التسمية التي كانت شائعة بين أوساط المهتمين هي اسم "البيان". ذلك أن الكتب التي وصلتنا للمؤلفين المغاربة تجعلنا نميل إلى هذا الحكم، فالسجلماسي في *المنزع البديع* يستعمل ثلاث تسميات وهي : "علم البيان" و"صنعة البلاغة" و"البديع"، إلا أنه غالبا ما يردد في كتابه "علم البيان" و"صنعة البلاغة". أما ابن البناء في كتابه *الروض المريع في صناعة البديع* فيتحدث عن "البلاغة" وعن "صناعة البديع"، وعن "علم البيان" الذي منه "صناعة البديع" ويرى أن العلم أشمل من الصناعة لأنه يميز الكليات ويميز الجزئيات ويميز بين جزئيات كلي وجزئيات كلي آخر لا يختلط شيء بشيء، وأما الصناعة فتعطي القوانين الكلية التي تنضبط بها الجزئيات، وعلى هذا، فإن "علم البيان" أعم من "صنعة البلاغة" و"صناعة البديع". ومن ثمة شاعت التسمية في المغرب بـ "علم البيان" فصار المؤلفون يتداولونها في كتبهم وينص عليها السلاطين في ظهائرهم، فأمر بعضهم بتدريس البيان *بالإيضاح والمطول*.

على أن هذه التسمية لم تكن مستعملة وحدها، ذلك أن الباحث يعثر أيضا على احتلال "علم البلاغة" موقع "علم البيان" تبعا لتأثير مفتاح العلوم للسكاكي وخصوصا تأثير كتابي القزويني : *الإيضاح وتلخيص المفتاح*، فالقزويني يشير بصراحة إلى أن كتابه *الإيضاح* هو "كتاب في علم البلاغة وتوابعها"، مسايراً لما ورد لدى البلاغيين العرب من أمثال عبدالقاهر الجرجاني. وقد مشى على نهج القزيني سعد الدين التفتازاني. ومهما يكن، فإن التسميات الثلاث : "علم البيان" و"علم البلاغة" و"البديع" كانت شائعة في المشرق وفي المغرب.

تبادلت التسميات الثلاث المواقع بحسب الظروف التعليمية والثقافية والاجتماعية، ولكن هذا التبادل لم يكن إلا في عناوين الكتب، وأما داخلها فكانت تتعايش وتتفاعل وتتداخل، هكذا يجد المهتم *أسرار البلاغة*، ويعثر على *البديع* ويُواجهُ *بالبيان والتبيين*، ولكنه يجد في كل كتاب من هذه الكتب حديثاً عن العلوم الثلاثة. إلا أن التمسية بـ "علم البلاغة" فرضت نفسها بعد كتب القزويني.

يقدم ابن خلدون شهادة على أن أهل المغرب اختصوا من أصناف "علم البيان" بـ "البديع" وصعب عليهم مأخذ "البلاغة" و"البيان". ولربما كان مستند ابن خلدون في هذا الحكم هو ما وجده في مؤلفات سابقيه ومعاصريه من المغربيين والمصريين والأندلسيين ككتاب *العمدة* لابن رشيق الذي جرى عليه كثير من أهل أفريقية والأندلس *والمنزع البديع في تجنيس أساليب البديع*، *والروض المريع في صناعة*

*البديع، والإضاءات والإنارات في البديع، وإحكام التأسيس في أحكام التجنيس، وبديع القرآن وتحرير التحبير والوافي في نظم القوافي* وغيرها.

على أننا نتساءل عما يقصد ابن خلدون بـ "المشرق" و"المغرب" وبـ "المشارقة" و"المغاربة" وبـ "العجم" و"العرب". وللإجابة عن التساؤل نرجع إلى ما ورد في *المقدمة*. ليس هناك تحديد جغرافي مضبوط للمشرق وللمغرب، وغياب التحديد يوحي إلى الأذهان أن المقصود هو المغرب الأقصى، ويعضد هذا الإيحاء تنصيصه على أهل أفريقية والأندلس. بيد أن ذكر "العجم" الذين هم معظم أهل المشرق يشوش على هذا التأويل لكلمة "المغرب". وعليه، فقد قابل ابن خلدون بين "أهل المغرب" الذين هم من يتوطن أفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، بالإضافة إلى الأندلس ومصر والشام، وبين "أهل العجم". ولعل هذا الامكان يصير احتمالا إذا لم نقل يقينا حينما يطلع القارئ على ما ورد من كلام لأبي حامد أحمد بن علي بهاء الدين السبكي المصري (ت 763/1361) في كتابه *عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح*. فقد تحدث فيه عن أهل المشرق الذين لهم اليد الطولى في العلوم "ولا سيما العلوم العقلية والمنطق" كما تحدث عن كتابه الذي جاء "واسطة بين *مفتاح* المشرق و*مصباح* المغرب". وعلى أساس هذا ذكر من الكتب المشرقية : كتاب *الزهرة والخريدة والأغاني واليتيمة* (...) ومن الكتب المغربية *العقد والعمدة وقلائد العقيان والذخيرة* (...) هناك مقابلة، إذن، بين "أهل المشرق" وبين "أهل المغرب"، بين المدرسة العجمية وبين المدرسة المغربية "العربية".

هناك فرق واضح، بحسب ابن خلدون، بين المدرستين. إذ يرى أن المشارقة أقوم على "فنّ البيان" من المغاربة الذين اختصوا من أصنافه بـ "علم البديع" خاصة، فاستفاضوا في الحديث عنه لأسباب ذكرها. إن قول ابن خلدون صحيح في مجمله لأن الكتب المؤلفة في فن البلاغة قبل ابن خلدون وأثناء حياته يحتل فيها اسم "البديع" وألقابه وأبوابه وأنواعه مكانة مرموقة. ولكننا سنقسم التأليف البياني في المغرب إلى حقبتين متمايزتين، هما ما قبل *مفتاح العلوم* وما بعده. والقدماء أنفسهم من المشارقة والمغاربة أشاروا إلى هذه القسمة. فعبروا بـ "سلف البلاغيين" وبـ "خلف البلاغيين" أي ما قبل السكاكي، وما بعده.

**ما قبل المفتاح** : يصح هذا التقسيم في التأليف البلاغي في المغرب أيضا. فقد كان كتاب *المفتاح* وما أحدثه من تأثير فاصلا بين عهدين. وبحسب ما بأيدينا من مؤلفات مغربية بالمعنى الجغرافي المتقدم، فإن العهد الأول يمكن أن يصنف إلى ثلاثة اتجاهات :

- الاتجاه الأول مزج فيه أصحابه أنهاج البلغاء القدماء من مثل الجاحظ وقدامة بن جعفر وعبدالقاهر الجرجاني والحاتمي والزمخشري وغيرهم مثلما يجد القارئ في *العمدة*، وفي *الذخيرة* (...) ولكن لم تصلنا مؤلفات مغربية بالمعنى الضيق لكلمة مغرب.
- الاتجاه الثاني استثمر فيه أصحابه معارفهم الفلسفية والمنطقية والرياضية والأصولية. ولحسن الحظ، فإن بعض مؤلفات هذا الاتجاه وصلت. لذلك يمكن استخلاص الآليات التي حكمت مؤلفاته، وتشخيص الاستراتيجية التي وجهتهم.
- الاتجاه الثالث حاول أن يوفق بين الاتجاهين : الاتجاه البلاغي العربي "الصرف" والاتجاه البلاغي المبني على المعقول. وليس بأيدينا مؤلفات هذا الاتجاه حتى نبرز معالمها، ولكننا سنعتبرها نواة ستنمو فيما بعد *المفتاح*.

يفرض علينا عدم توفرنا على الوثائق أن لا نتحدث عن الاتجاه الأول نهائيا ولا عن الاتجاه الثالث إلا فيما بعد، ولكن وجودها يحتم علينا العناية بالاتجاه الثاني. لقد وصلنا منه كتابان قيمان هما : *المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع*، و*الروض المريع في صناعة البديع*. وتتحكم المعقولات في هذين الكتابين تحكما واضحا تقسيما وتحديداً ووصفاً وإجراءً. وقد اعترف صاحب *المنزع* باتجاهه في تقديمه لكتابه. فقد قام بعملية إحصائية أولا ثم صنف إحصاءه ضمن عشر مقولات، وكل مقولة دعاها جنسا عاليا، والأجناس العالية هي : الإيجاز والتخييل والإشارة والمبالغة والرصف والمظاهرة والتوضيح والاتساع والانثناء والتكرير. وقد عرف كل جنس أو رسمه بحسب الصناعة المنطقية. لكنه أقر بالصعوبات التي اعترته في التحديد المنطقي الصناعي. وقد دعا التحديد الجامع المانع بـ"الفاعل" الذي هو "الحد المحرر بحسب الأمر الصناعي"، ولكنه غالبا ما لا يستقيم له الفاعل ويصعب عليه القيام به فيلجأ إلى الرسم. ولذلك نجده يعبر بقوله "فلنرسمه". وعلى هذا، فإن الخلفية المنطقية للتحديد والرسم - كما شاعت في أوساط المتفلسفة والمتمنطقة الإسلاميين - هي التي تحكمت في بنائه لكتابه. وإذا ما استعرض القارئ الأجناس العالية التي بني عليها الكتاب تتبين له استراتيجية صاحب *المنزع*، ولنمثل لها بمقولة "الإيجاز" أو جنس "الإيجاز" فهو يتشعب إلى "نوع" أول وإلى "نوع" ثان، وكل نوع من هذه الأنواع يصير "جنسا" لما بعده، فهو، إذن، "نوع" بالنسبة لما بعده، وهو "جنس" لما قبله. وقد كون هذا التسلسل تلك القسمة المعروفة في الكتب المنطقية التي هي الأجناس العالية والأجناس الوسطى والأجناس السفلى، تلك القسمة الناتجة عن التحديد الأوسطي وما لحقه من تطوير وإيضاح في الشجرة الفورفورية.

على أن المقولات العشر إذا كانت ذات طبيعة إجرائية فعالة في مجال الأشياء الطبيعية مثل أنواع الحيوان والنبات والجماد ومختلف الماديات كما تصورتها علوم عصر أرسطو من بيولوجيا وفيزياء وميكانيكا (...) فإنها تعترضها صعوبات مؤكدة في مجال اللغة الطبيعية وفي منظور إبستمولوجي غير وضعي، فالمقولات تلتقي وتتقاطع في موضع ما من التّفْريع والتشجير مما ينتج عنه تداخل وتقاطع. إن التداخل يشمل كل التفريعات التي قام بها

السجلماسي تحت جنس أعلى أو تحت مقولة. ومن ثمة تصبح عملية التجنيس أو الصياغة المقولية لإحصاء الأشياء والكائنات والكيانات وعملية وصفها وتصنيفها في معزل عن بعضها بعض غاية عسيرة المثال.

يمكن التمثيل لما تقدم بالجنس الثاني أي "التخييل" من كتاب *المنزع البديع*، فقد فرع إلى ما يلي :

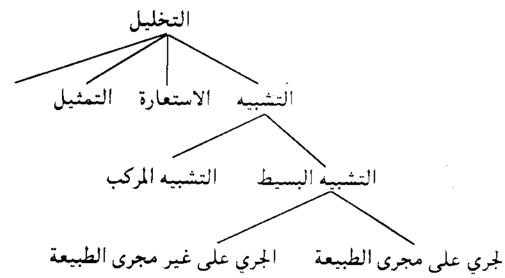


وأما الكتاب الثاني فهو *الروض المريع في صناعة البديع*. والمعقول وراء نسيج هذا الكتاب. إذ تتجلى فيه المعرفة المنطقية والرياضية والأصولية. فمن بين الأركان التي يقوم عليها الكتاب خمس مقولات أساسية، وهي الخروج من شيء إلى شيء، وتشبيه شيء بشيء، وتبديل شيء بشيء، وتفصيل شيء بشيء، واشتباه النسب. وما يجمع بين هذه المقولات مفهومان مركزيان هما : المناسبة التي تدخل ضمنها كل العلائق بمختلف أنواعها مما يسوغ عمليات الإبدال والحذف والعكس والتركيب والتفصيل. وأما المفهوم الثاني فهو المشابهة ؛ والمفهومان متلازمان استقاهما ابن البناء من مهارته العددية والهندسية ووظفهما لدراسة البلاغة العربية على أسس جديدة، كما وظَّفَهُما غيره بوعي أو بدونه لإقامة علم الأصول الذي له صلات حميمة بالدراسات البلاغية.

إن الكتابين معا استندا إلى المعقول لتبيان إعجاز المنقول وجماله، ولذلك نجدهما يحللان الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأشعار العربية، والمأثورات المتداولة ؛ وعلى هذا فهما اشتركا مع من سبقهما من البلاغيين في المادة ولكنهما امتازا عنهم في الصورة.

ما بعد المفتاح : على أن هذا الاتجاه المعقولي "الصرف" لم يكتب له النجاح، وإنما هيمن عليه الاتجاه الثالث الموفق بين المعقول والمنقول الذي احتل الفضاء البلاغي في مختلف البقاع الإسلامية إلى يومنا هذا. والسكاكي صاحب *المفتاح* (ت. 1228/626) هو ناشر هذا الاتجاه. وقد خصص القسم الثالث من كتابه لـ "علم المعاني والبيان والبديع". وتحدث فيه عنها حديثاً جعله مصدرا ومرجعاً للمشارقة والمغاربة. وهكذا اختصره بدرالدين بن مالك (ت. 1287/686) في كتاب عنوانه : *المصباح في اختصار المفتاح*، وتناوله القزويني (ت. 1338/739) في كتابيه : *التلخيص والإيضاح*، ثم شرح مسعود بن عمر التفتازاني (ت. 1390/793) *تلخيص المفتاح* في كتابه : *المطول على تلخيص المفتاح* وكتاب : *مختصر المطول*. وإلى جانب هذه الكتب هناك *الفوائد الغياثية* لعبدالرحمان بن أحمد الإيجي الشافعي المدعو بالعضد (ت 1355/756)، و*حاشية المطول* لعلي بن محمد السيد الشريف الجرجاني المشهور بالسيد (ت. 1313/816)، والأرجوزة المشهورة *بالسمرقندية* للسمرقندي (ت. 1475/880)، و*الرسالة الفارسية* لإبراهيم الإسفراييني الملقب بالعصام (ت. 1582/990).

هذه أهم الكتب المشرقية التي وصلت إلى المغرب بطرق مختلفة فبدأت تدرس في الأمصار والقرى والبوادي في شمال المغرب وجنوبه وشرقه وغربه، وعكف عليها العامة والخاصة، لأن قراءتها والإحاطة بما فيها وفهم مغاليقها كانت عنواناً على التبريز والتفوق وكسب الحظوة.

هكذا، يجد الباحث اهتماماً كبيراً من قبل البلاغيين المغاربة بتلك الكتب المذكورة. فقد رجز المصباح في اختصار المفتاح المراكشي الأكمه (ت. 1404/807) بعنوان : *ترجيز المصباح في اختصار المفتاح*. وأما كتاب *التلخيص* فتناوله من جميع جوانبه ؛ فهناك *تلخيص المفتاح* لابن الصباغ المكناسي (ت. 1348/749) و*تلخيص المفتاح* لعبدالهادي بن عبدالله بن طاهر الحسني (ت. 1646/1056)، و*حاشية على تلخيص المفتاح* وإن لم تتم لليوسي (ت. 1692/1102)، ومختصر *تلخيص المفتاح* وشرحه لمحمد بن سليمان الروداني (ت. 1683/1094)، وخَتْم *تلخيص المفتاح* لمحمد بن حمدون بن الحاج (ت. 1857/1273)، و*خطبة مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح* لأبي العباس أحمد بن يعقوب الولالي (ت. 1717/1128)، و*مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح* له أيضا، و*تقاييد على الشرح المختصر على التلخيص* لمحمد ابن عبدالسلام البناني (ت.1750/1163)، و*معالم التنصيص على ما خفي من شرح التلخيص* لمصطفى بن محمد البناني.

وقد حازت كتب السعد إقبالا مهما في الأوساط المتعلمة بالمغرب، ومن مظاهره : *استعارات مختصرة من السعد* للطيب بن عبدالمجيد بن كيران (ت. 1812/1227) و*الثمر المهتصر من روض المختصر* لحمدون بن عبدالرحمان ابن الحاج المرادي المرداسي (ت.1232 / 1817)، و*إحاطة الدرر الثمين بلبة مختصر سعدالدين*، له أيضا، و*حاشية على مختصر السعد على تلخيص المفتاح* لمحمد بن محمد بن منصور الشفشاوني (ت. 1817/1232)، و*مراقي المجد في آيات السعد* لأحمد المنجور (ت. 1587/995). كما تناول المغاربة بعض الأرجوزات المشرقية بالتعليق والشرح مثل *تقييدات على رسالة الإمام السمرقندي في الاستعارات* لحمدون بن الحاج، و*شرح الجوهر المكنون في صَدَف الثَّلاثَة فنون* للولالي، و*الصنيع البديع في شرح الحَلية ذات البديع* لابن زاكور (ت. 1708/1120).

وقد ساهم البلاغيون المغاربة في ميدان الأراجيز لضبط علم البلاغة بعلومه الثلاثة أو أحد علومه. هكذا يجد القارئ *أرجوزة ياقوتة البيان* لمحمد الصغير الإفراني (ت. 1740/1153). و*أرجوزة المجاز والاستعارة في علم البيان* للطيب بن كيران، و*فيض الفتاح على نور الأقاح* لعبدالله الشنجيطي (ت. 1817/1233)، و*علاقات المجاز* لابن

الصباغ المكناسي، ونظم *تلخيص المفتاح* لعبدالهادي بن طاهر السجلماسي (ت. 1646/1056)، *وأرجوزة عبدالغني بن الحاج بنيس* (ت 1907/1325). وقد شرحها المرجّزون أنفسهم أو غيرهم، فهناك *المسالك والبرهان في التوصل لدقائق علم البيان* لعبدالغني بن الحاج بنيس، وهو شرح لأرجوزته، وشَرَح الإفراني أرجوزته *ياقوتة البيان*، وشرح *أرجوزة ابن الصباغ* أحمد المنجور، *وشرح أرجوزة الطيب ابن كيران* محمد التهامي بن محمد البوري (ت. 1827/1243)، وشرح أحمد الولالي *الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون*، وقد كتب حول هذه الشروح حواش وتقارير ونكت وتحارير.

ويعثر الباحث على مساهمات أخرى للبلاغيين المغاربة منها : *القطف الداني في البيان والمعاني* لعبدالرحمان الفاسي (ت. 1685/1096)، *والمباحث الإنشائية في الجملة الخبرية والإنشائية* لمحمد بن عبدالقادر الفاسي (ت. 1116/ 1704) *والمجاز إلى معرفة المجاز* لإبراهيم التادلي (ت 1893/1311)، *والقول المعتبر في بيان أن جملة الحمد إنشاء خبر* لأحمد بن المبارك اللمطي السجلماسي (ت. 1156/ 1743).

هذه بعض الكتب البلاغية المغربية التي سارت على نهج المؤلفات المشرقية التي تنتمي إلى "ما بعد *المفتاح*" ولذلك اتسمت بسماتها وإن بدرجات مختلفة ؛ وأهم المظاهر التي يلاحظها الباحث في المؤلفات المغربية هي :

أ ـ عرض آراء البلاغيين في القضية الواحدة ومواجهة آراء بعضهم ببعض لترجيح رأي على آخر. وهكذا يجد القارئ في كل قضية بلاغية آراء السكاكي والقزويني والسعد والعصام والسمرقندي وغيرهم، وكأن همّ الشارح أو المحشي أو الراجز هو أن لا يسقط شيئاً من كلام العلماء الذين سبقوه، وأن لا يحرفه عن مواضعه.

ب ـ مزج الدراسات البلاغية بالمقاصد الكلامية والرياضيات والطبيعيات وقواعد المنطق وعلم الأصول ؛ فالقارئ يجد حضور هذه العلوم كلها، واستثمارها لتحليل الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأشعار العربية، والأمثال المأثورة، ولتبيان القواعد التي تحكمها. ويتجلى هذا الحضور في :

1 ـ المقاصد الكلامية لضوابط إدراك الحقيقة من المجاز؛ فالتعبير يكون مجازيا حين يستحيل إدراكه عقلياً أو نظرياً أو عادياً ؛ وأنواع الاستحالات هذه تظهر في التراكيب التي تسمى بالمجاز العقلي، فالموحد لا يقول بتأثير الأسباب في مسبباتها، وإنما المؤثر حقيقة هو الله وحده ولا فاعل سواه. كما أن عرف اللغة يوجه بعض التراكيب لأن تؤول بالمجاز.

2 ـ الرياضيات، فقد استعمل البلاغيون المتأخرون القواعد الرياضية لتفريع الأقسام وضبط العلائق فيما بينها. ويكفي أن نضرب مثلا بما فعله الولالي في تفريع أقسام طرفي التشبيه، وهذا التفريع ينطبق أيضا على ركني الاستعارة، وقد شاعت مثل هذه التقسيمات الرياضية في مجال البحث في كل العلوم الإسلامية في المغرب حينئذ، بل وتسربت إلى الشعر فصار بعض الشعراء يولدون قصائد اعتمادا على عمليات حسابية.

3 ـ الطبيعيات، وقد استثمرت في الحديث عن الحسي وعن العقلي، وعن أسبقية الحسي على العقلي، وهذه النزعة الحسية متوارثة عن نزعة أرسطية وبيولوجيته الشعبية. وقد دفع بهذه الحسية أغلب البلاغيين العرب، ومنهم المغاربة، إلى أقصى مدىً، فخطّأوا بعض الشعراء لتفضيلهم الوهمي والمتخيل على المحسوس الذي يدرك بإحدى الحواس.

4 ـ المنطقيات، وتأسيسا على النظرة الفلسفية والعلمية التي أثرت في دراسات البلاغيين عبر العصور، فإن البلاغيين المغاربة كانوا يخضعون لذلك التأثير بشعور منهم أو بدونه. هكذا يجد القارئ تأثير المقولات والتحديد المنطقي في تحليلهم للجامع الذي قسموه إلى نوعين : الجامع الذي يكون داخلا في مفهوم الطرفين والجامع الذي هو خارج عن الحقيقة ؛ فالشجاعة خارجة عن ماهية الأسد والرجل معا، والصفات الخارجية هي التي تسوغ التعابير الاستعارية. كما يجدهم يتحدثون طويلا عن التناقض وعن شروطه... وكانوا بين آونة وأخرى يستعينون بالقواعد الأصولية لضبط القواعد البلاغية، وكانوا لا يجدون صعوبة للتماثل بين بعض الآليات الذهنية لعلمي الأصول والبلاغة.

5 ـ تحكم العرفان في البيان : على أن هذه النزعة العقلية كانت في خدمة نَزْعة صوفية وعرفانية، فالقارئ يجد مشاهير المؤلفين المغاربة يكتبون في البلاغة والمنطق والتصوف في الوقت نفسه، كما يعثر على التعابير الصوفية، وقد تسربت إلى أمثلتهم وملأت مقدمات كتبهم. بل صار المتحدثون عنهم يردون نبوغهم إلى مخالطة العارفين من المتصوفة.

6 ـ آفاق بلاغية مغربية جديدة : تلك خطوط كبرى لرصد تطور التأليف البلاغي في المغرب، ولبعض مظاهره، ويتجلى منها أن البلاغيين المغاربة تلقوا الكتب البلاغية المشرقية فدرَسوها ودرّسوها ثم كتبوا حولها. وقد تنوع تلقيهم بتنوع المشارب الثقافية. ذلك أن القارئ يجد مؤلفين استوعبوا المعقول والمنقول معا فأتوا بمؤلفات ذات نكهة خاصة، ويعثر على من له نزعة تعليمية صرف، ويصادف من حاول أن يستعرض مجمل معارف عصره من خلال التأليف البلاغي ؛ على أن نواة تفكير بلاغي معاصر بدأ يشق طريقه لصياغة بلاغة مراعيه لطبيعة اللغة ولدورها في المجتمع ولعلاقتها بتحصيل العلم وإبداعه.


أبو القاسم السجلماسي، *المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع*، ت. علال الغازي ؛ أ. بهاءالدين السبكي، *عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح* ؛ أ. الولالي، *مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح* ؛ أ. ابن البناء المراكشي، *الروض المريع في صناعة البديع*، ت. رضوان ابن شقرون ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ *علم البيان* ؛ الخطيب القزويني، *الإيضاح في علوم البلاغة*، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبدالمنعم خفاجي ؛ م. المهدي الوزاني، *حاشية على شرح*

*البوري لمنظومة الطيب بن كيران*، طبعة حجرية ؛ مجموع *مهمات المتون*، ط 4، 1949، ص 737.558 ؛ م. رمضاني الجربي، دراسة وتحقيق كتاب *جامع العبارات في تحقيق الاستعارات* ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية* ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة*؛ السكاكي، *مفتاح العلوم* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*.

ملاحظة : أغلب الكتب المذكورة مخطوط موجود في الخزانات المغربية (خ. ع ؛ خ. ح ؛ خ. ص وغيرها) كما أن بعضها مطبوع بالمطبعة الحجرية.

محمد مفتاح

**البْلاغْمَة**، اسم لأحد قصور منطقة "الرّتَب" بتافيلالت (عمالة الرشيدية)، ولا ندري أصل التسمية. يقع قصر البلاغمة على ضفة وادي زيز قرب زاوية ابن عبد الصادق بجوار ضريح سيدي علي الگومي القريب من "ربيت" وهو قصر صغير رباعي الشكل شبيه بالقصبة، ويظهر أنه بني لهذا الغرض التحصيني، سكنه في الأصل عناصر عربية معقلية، وبعض أُسر الأشراف العلويين، والحراطين.

وقد نقل السلطان مولاي عبدالرحمن بن هشام (1859.1822/1274.1236) جماعة من سكان قصر البلاغمة إلى فاس الجديد، وهؤلاء هم الذين أعطوا الاسم الحالي لحي البلاغمة بهذه المدينة، وهو مكون من أربعة أزقة متفرعة عن زقاق رئيسي ينتهي برياض السلطان المجاور لشارع بوطويل.

اشتهر من سكان حي البلاغمة بفاس الجديد بعض رجالات الدولة منهم القاضي التهامي البلغمي، وأسرة الوزير الحاج محمد أبا حنيني. ويلاحظ أن الأسر التي سكنت حي البلاغمة بفاس الجديد هي التي عُرفت بلقب "البلغمي" أما التي تعيش بقصر البلاغمة بتافيلالت فتحمل أسماء أسرها الأصلية.

*معلومات ميدانية.*

هاشم العلوي القاسمي

**بلافريج**، أسرة رباطية مجيدة أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك في إسبانيا أسر تدعى Pelafres. وقد أنجبت عدداً من التجار والصناع ورجال الدولة والسياسة، منهم :

**بلافريج، أحمد** (الحاج ـــ) بن **عبد السلام** من الشخصيات التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ المغرب المعاصر بوصفه أحد زعماء الحركة الوطنية المغربية منذ تأسيسها. وبفضل ذكائه وتجربته، كان من القادة الذين استطاعوا أن يسيّروا النضال الوطني بحكمة ومهارة إلى أن تمكن المغرب من الحصول على استقلاله. كما كان من السياسيين الأوائل الذين عملوا إلى جانب جلالة محمد الخامس وابنه جلالة الحسن الثاني في عهد الاستقلال من أجل تصفية مخلفات الاستعمار وبناء مغرب جديد.

ولد أحمد بلافريج بالرباط سنة 1326 / 1908. وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية بالرباط. واحتفظ لأساتذته الأولين بتقدير ومحبة كبيرين. وواصل دراسته في القاهرة حيث شارك في تأسيس جمعية الشبان المسلمين. ثم التحق بفرنسا حيث أتم دراسته العليا بالحصول على الليسانس في الآداب من كلية السوربون بباريس.

بدأ نشاطه السياسي بالديار الفرنسية بالمشاركة في تأسيس "جمعية الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا" سنة 1926، في نفس الوقت الذي تأسست فيه حركة سياسية مهمة تجندت للدفاع عن قضايا شعوب شمال أفريقيا، وهي "نجم شمال أفريقيا" التي تزعم تسييرها القائد الوطني الجزائري مصالي الحاج. وكانت ثورة محمد بن عبد الكريم بالريف لم يمر على انتهائها آنذاك أزيد من سنة واحدة، بحيث إن هاته الفترة التي بدأ يتحرك فيها بلافريج وبعض أقرانه من الطلبة المغاربة بالخارج يمكن أن تعتبر حلقة وصل بين تلك الثورة المسلحة المجيدة وبين بزوغ الحركة الوطنية السياسية سنة 1930، إثر صدور الظهير البربري.

وفي تلك الأثناء بدأ بعض الشبان المتنورين يتصلون ببعضهم ويكونون حلقات في كبريات المدن للتباحث في شأن بلادهم. وكان بلافريج من مؤسسي أول جماعة وطنية من هذا النوع، عقدت أول اجتماعاتها بعرصة جسوس التي أصبحت فيما بعدُ مكان مؤسسة جسوس الحالية بالرباط.

وفي سنة 1930، صدر الظهير البربري، فأثار احتجاج الشعب المغربي ونشأت الحركة الوطنية المتمثلة في "كتلة العمل الوطني" ضمت جملة من الشبان الواعين كان من بينهم أحمد بلافريج، الذي اختار منذ ذلك الحين مسيرة حياته في إطار الكفاح الوطني من أجل تحرير البلاد. وظهرت مخايل نجابته وهو ما يزال في بداية الشباب بما اتصف به من رصانة في التفكير وحصافة في تقدير نتائج الأحداث ولباقة وتوفيق في الاتصال مع الناس، مواطنين وأجانب، لإبلاغهم الدعوة وإقناعهم بوجهة النظر الوطنية، مما رشحه لأن يقوم بعدة أعمال خارج البلاد.

اتصل أحمد بلافريج، مع شبان مغاربة آخرين بالأمير شكيب أرسلان الوطني العربي الكبير الذي كان مقيماً بسويسرا فراراً من الاضطهاد الاستعماري، والذي كان يشارك بآرائه وتوجيهاته في نضال الحركات الوطنية القائمة بالعالم العربي من شرقه إلى غربه. وعن هذا

الاتصال انبثقت فكرة إصدار مجلة "مغرب" في باريس باللغة الفرنسية لإبلاغ صوت الحركة الوطنية المغربية إلى الخارج، وبالخصوص إلى الرأي العام الفرنسي. وكان لبلافريج بما عرف عنه من كياسة ولباقة دور مهم في الاتصال بعدد من الشخصيات الفرنسية وإقناعهم بتبني المشروع. وهكذا صدرت مجلة "مغرب" لمدة طويلة. وكان لها صدى في الأوساط السياسية بفرنسا.

وما أن تم إنجاز هذا المشروع حتى عاد بلافريج إلى المغرب لإنجاز مشروع آخر ذي أهمية كبرى، على المستوى الوطني، وهو إنشاء "معهد مَحمد جسوس" المدرسة الحرة النموذجية التي ستستقبل عدداً كبيراً من التلاميذ المغاربة لتلقنهم تعليماً عربياً إسلامياً، وفي نفس الوقت، تعليماً عصرياً يضاهي بمحتوياته وبرامجه وتجهيزاته أحسن ما تقدمه المدارس في البلاد المتقدمة. ففتح بذلك صفحة أخرى من النضال لمواجهة التعليم الحكومي الذي كانت تقدمه المدارس الاستعمارية وتسعى من ورائه إلى إضعاف شأن اللغة العربية وطمس الثقافة الوطنية.

ودخلت الحركة الوطنية في أطوار نشيطة، كان من بينها تقديم مطالب الشعب المغربي للحكومة الفرنسية ثم المطالب المستعجلة، وشارك فيها بلافريج دون توان. فسافر إلى فرنسا لإجراء اتصالات مع الفرنسيين، وبالأخص مع الاشتراكيين غداة وصولهم إلى الحكم، إثر نجاح "الجبهة الشعبية" في الانتخابات. وكان الاشتراكيون أكثر الفرنسيين تعاطفاً مع الوطنيين المغاربة. لكن، لما صعدوا إلى الحكم، أصبحوا متحفظين ومماطلين في وعودهم، ومتخوفين من ردود فعل اليمين الفرنسي. وهو ما ظهر للعيان في حوادث 1937، إذ ترك الاشتراكيون للمقيم العام الفرنسي بالمغرب الجنرال نوگيس حرية التصرف في قمع الحركة الوطنية المغربية، فكان اعتقال آلاف الوطنيين ونفي الزعماء. واضطر بلافريج إلى الالتحاق على جناح السرعة بباريس لمحاولة الدفاع عن أصدقائه. لكن ظروف الإرهاق التي عاشها أثرت كثيراً على صحته، فاضطر للتوقف عن العمل والذهاب إلى سويسرا للاستشفاء من المرض الخطير الذي كان يهدد حياته.

ولما أبل من مرضه، استأنف نشاطه السياسي، متنقلا بين مختلف العواصم الأوربية، وكانت حريته الشخصية مهددة إذا عاد إلى المغرب لأنه يعتبر من الشخصيات الخطيرة في نظر الدوائر الاستعمارية. ولذا، بقي مقيماً بأوربا إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، وانهزمت فرنسا سنة 1940. وحاول بلافريج أن يتصل بالألمان إثر انتصارهم ليتحقق من نواياهم تجاه المغرب، فلم يجد لديهم أي استنكار للنظام الاستعماري وأي عطف على القضية المغربية. مما جعله يحذر أصدقاءه الوطنيين من أي أمل في الألمانيين. وعند ذاك عاد من توه إلى طنجة الخاضعة للنظام الدولي والمنطقة الشمالية التابعة لإسبانيا، حيث ظل هنالك يتربص الفرصة للقيام بخطوة جريّئة في مجال الكفاح الوطني، سيما ورياح الحرية بدأت تهب مع اشتداد الحرب وتصريحات الحلفاء بإقامة النظام العالمي على حرية الشعوب.

أمكن للحاج أحمد بلافريج بعد غيبة طويلة عن بلاده أن يعود لأهله وأصدقائه ومدرسته. فكان لرجوعه صدى كبير في البلاد، سيما وقد تراءى للمغاربة، إثر مؤتمر أنفا، ما كان لهم من حظ بوجود ملك مثل محمد الخامس على رأس المغرب. فزادت عودة بلافريج الزعيم المحنك والقائد الحكيم في آمالهم. فكانت حركة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944 التي سيرها بلافريج برفقة أصدقائه من بدايتها إلى نهايتها، فقلبت المعطيات السياسية بالمغرب رأساً على عقب وغيرت من مجرى الحركة الوطنية. وتأسس حزب الاستقلال في تلك المناسبة وكان الإجماع على تعيين بلافريج أميناً عاماً له.

لكن أساطين الاستعمار لم يكونوا ينظرون بارتياح إلى التطورات السياسية الجارية بفضل موقف محمد الخامس ونشاط الحركة الوطنية. ولذلك فإنهم أقدموا على قمع عنيف للوطنيين في 29 يناير 1944، فاعتقلوا بلافريج واتهموه بالتعاون مع المحور ونفوه إلى كورسيكا، ولم يطلقوا سراحه إلاّ سنة 1946. وكانت الحرب العالمية قد انتهت آنذاك. فاستأنف بلافريج نشاطه السياسي وسافر إلى فرنسا لربط الاتصال من جديد مع أصدقاء الحركة الوطنية المغربية وتنظيم فرع الحزب بباريس الذي أصبح يضم آلاف الطلاب والعمال والتجار.

وكان لخطاب محمد الخامس بطنجة سنة 1947 وقعه القوي الذي زعزع الأوساط الاستعمارية وزاد في تحميس الوطنيين حيث بدأت الأنظار تتجه إلى تدويل القضية المغربية، وإجراء اتصالات مع الدول الأجنبية، وخاصة الدول العظمى للدفاع عن قضية المغرب. وفي هذا الإطار، خرج بلافريج من المغرب. واقتسم العمل مع الوطنيين الذين ذهبوا إلى القاهرة لإجراء اتصالات مكثفة إلى جانب قائد الثورة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي، مع القادة العرب، وتنشيط مكتب المغرب العربي. وذهب إلى أمريكا مع وفد من الوطنيين للدفاع عن القضية المغربية سواء لدى الأمريكيين أو في أروقة الأمم المتحدة.

ولما أقدم الفرنسيون على نفي محمد الخامس في 20 غشت 1953، انطلقت معركة التحرير على قدم وساق في المغرب وخارج المغرب، وكان بلافريج يتردد بين أمريكا وإسبانيا. ففي نيويورك، يحضر جلسات الأمم المتحدة بصفته عضواً في الوفد الباكستاني يحمل جوازاً باكستانياً، فيشارك في الدفاع عن قضية المغرب كلما أثير الموضوع. وفي إسبانيا، يعمل على تنسيق العمل بين الوطنيين المغاربة في الداخل والخارج. واستمر في تحركه ونضاله إلى أن أذعن المسؤولون الفرنسيون للمطالب الوطنية، بإعادة محمد الخامس من منفاه في نوفمبر 1955، والاعتراف باستقلال المغرب في مارس 1956.

ظل الحاج أحمد بلافريج الأمين العام لحزب الاستقلال منذ تأسيسه، وكان، في الحقيقة، هو الزعيم الوحيد الذي اضطلع بتسيير الحزب الوطني منذ نفي علال الفاسي إلى الگابون في 1937. وفتح صفحة جديدة في حياته بتحمل أعباء المسؤوليات الرسمية. فكان وزيراً للخارجية منذ 26 أبريل 1956، في ظرف خطير وشائك يتطلب تسيير المفاوضات مع فرنسا وإسبانيا والهيئة الدولية لإنهاء مخلفات الاستعمار وإعادة توحيد البلاد. ثم عُين وزيراً أول في مايو 1958 في وقت بدأ يعاني فيه حزب الاستقلال من أزمة داخلية أدت إلى انقسامه، وإلى استقالة بلافريج من منصبه، ثم التخلي عن وظيفته كأمين عام لحزب الاستقلال. ولا شك أنه لم يتحمل التطورات الخطيرة التي حصلت في حركة كانت تتميز بوحدة الصف والانسجام والتعاطف بين أفرادها.

كان بلافريج قد أعطى أحسن ما يمكن للمواطن المخلص أن يعطيه لوطنه، لكنه لم يخلد إلى الراحة، بل ظل يواصل عمله فعاد إلى وزارة الخارجية في سنة 1962. ثم عينه جلالة الحسن الثاني ممثلا شخصياً له في نوفمبر 1963 إلى أن تخلى عن عمله في يونيو 1972. ومنذ ذلك الحين، ترك كل مسؤولية، ومع ذلك ظل قدوة ومرجعاً لكل الوطنيين المخلصين ولكل الراغبين في معرفة ذلك الماضي الحافل لحركة نبيلة كان هدفها هو تحرير المغرب وإعادته للمنزلة الرفيعة التي يستحقها في مصاف الدول الحرة.

توفي أحمد بلافريج بالرباط بعد مرض عضال ألزمه الفراش سنوات عديدة في 18 رمضان عام 1410 / 14 أبريل 1990.

*وثائق مختلفة، ومعلومات شخصية.*

محمد زنيبر

**بلافريج، أحمد** بن **محمد**، من أعيان الرباط وكبار التجار في القرن الثالث عشر (19 م). كان يتاجر مع أوربا وبخاصة مع هولاندا، ويحقق أرباحاً طائلة ينفقها في وجوه البر والإحسان. وإلى ذلك كان متصوفاً من مريدي الزاوية المختارية الكنتية. شيّد قبة ضريح سيدي بوعزة بن مالك بجوار باب الجديد أمام السوق البلدي بالرباط، وجدد ضريح سيدي علي بوبركات المدعو بوقنادل بحومة تحت الحمام، وظل يتعهد ضريح سيدي بوعزة بالهبات والصدقات، وخلفه في ذلك ابنه رضوان آتي الترجمة وبذلك بقي الطلبة يقرؤون فيه *القرآن* وينالون جرايات منتظمة.

وفي إحدى سنوات المسغبة وهب الحاج أحمد بلافريج ثلث ماله للضعفاء نقداً وعقاراً ولم ينقطع إحسانه إلى أن توفي في شهر رجب عام 1302 / أبريل - ماي 1886.

**بلافريج، رضوان** بن الحاج أحمد. قرأ ما تيسر له في صباه، ثم اشتغل بالتجارة مع والده، وخلفه في ذلك بعد موته فأصبح من أكبر المتاجرين مع هولاندا. ثم أسندت إليه خطة الحسبة بالرباط في شهر قعدة عام 1334 / شتنبر 1916 وظل يزاولها بنزاهة واقتدار طوال عشر سنوات إلى أن صرف عنها سنة 1344 / 1926 وقد جال كثيراً بأوربا وأقام مدة بمدينة طنجة وأدركته الوفاة بمسقط رأسه الرباط حوالي سنة 1384 / 1964.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 194 ؛ *تقاييد، ومعلومات خاصة.*

محمد الأمين بلگناوي

**بلاك، روبير** Blake Robert، مواطن أنجليزي ولد عام 1599 وتوفي عام 1657 بمدينة بليرموث بأنگلترا، قضى زهاء عشرين سنة من حياته في المغرب بالخصوص بين مراكش وآسفي وسلا، في عهد الملك السعدي محمد الشيخ الأصغر، فجاءت إقامته بالمغرب حافلة بالأحداث المدنية والدبلوماسية والحربية.

قدم بلاك إلى المغرب عام 1636. ليمارس التجارة لحساب جماعة من أصدقائه الأنجليز المقيمين ببلادهم. وما أن لبث بضعة أسابيع حتى التحق بمراكش وتمكن من ربط صداقة مع محمد الشيخ الأصغر الذي كان بدوره يتحين الفرص لتدعيم علاقاته مع شارل الأول ملك بريطانيا العظمى التي كانت تكنُّ العداء لإسبانيا وهولاندا والبرتغال لأسباب سياسية واقتصادية من جراء المنافسة القائمة بين هذه الدول على احتكار المعاملات التجارية مع المغرب من شماله إلى جنوبه، والطموح إلى امتلاك بعض المواقع البحرية به.

استطاع بلاك أن يقنع ملك مراكش بضرورة إطلاق سراح الأسرى الأنجليز المحتجزين بأسفي وسلا، لتطبيع العلاقات بين المغرب وبريطانيا العظمى، فاستجاب الملك لذلك وسرح بدون افتداء بعض هؤلاء الأسرى ووعد بتسريح الأخرين عندما يسترجع سيادته على سلا والرباط وإقليم سوس.

كان وقتها إقليم سوس بما فيه حاحة والشياظمة وثغر أمگدول (الصويرة فيما بعد) غير خاضع لنفوذ ملك مراكش، وكان محمد الشيخ يحرص على منع بيع الأسلحة إلى خصومه بجنوب المغرب وإلى الدلائيين الذين سيطروا على سلا وأطراف أخرى من البلاد.

وتتويجا للصداقة بين محمد الشيخ وبلاك، قرر ملك مراكش تعيين التاجر الانجليزي سفيراً له لدى ملك بريطانيا، ثم أوفده إلى لندرة رفقة عبدالله جؤدر في سفارة قصد التفاوض مع شارل الأول لإبرام معاهدة بين البلدين، تقتضي احتكار الانجليز للتجارة الخارجية المغربية، وضمان سلامة رعايا البلدين في كل منهما ومنع الأنجليز من بيع الأسلحة والبضائع الأخرى إلى خصوم ملك المغرب.

على أثر ذلك أمرشارل الأول بتأسيس شركة تجارية انجليزية تحمل اسم "برباري كومباني "Barbary Company يسيرها بانجلترا تجار محليون ويسيرها بلاك بالمغرب حيث يكون مقرها بأسفي، على أن يؤدي التجار الأنجليز تعويضات إلى بلاك.

عندما عاد بلاك إلى المغرب، استأنف نشاطه التجاري لحسابه ولحساب شارل الأول ولحساب مؤسسي "برباري كومباني". فأخذ محمد الشيخ يكلفه بالتفاوض مع المجاهد العياشي بسلا ومع المورسكيين بقصبة الرباط من أجل إطلاق سراح الأسرى الأنجليز وإعلان ولائهم إلى ملك مراكش.

أما التجار الأنجليز فإنهم مضوا يخالفون بنود المعاهدة المبرمة بين البلدين وذلك ببيعهم الأسلحة وغيرها إلى خصوم ملك مراكش، فغضب بلاك، وأدى ذلك إلى حل شركة "برباري كومباني" بعد أربع سنوات على تأسيسها.

مقابل ما ضاع لبلاك، قرر محمد الشيخ تنحية اليهود من ديوانة أسفي والوليدية وإسناد شؤونها إلى هذا التاجر الأنجليزي الذي جمع بين مصالح بلده ومصالحه من جهة، ومصالح الطرفين بمصالح ملك مراكش الذي تزايدت مكانته لديه خاصة ولدى الأنجليز عامة. وهكذا رأينا بلاك المغامر يرافق محلة محمد الشيخ الأصغر لمحاربة فرقة من الدلائيين بتادلا، بموقع بوعقبة يوم 26 أكتوبر 1638، على واد العبيد، وهي المعركة التي انهزمت فيها محلة الملك الذي نجا هو وبلاك بمعجزة من الوقوع في أيدي الدلائيين.

رجع بلاك إلى أنجلترا بعد ذلك فتصدى لانتقاد شديد من طرف التجار الأنجليز الذين ألحقت بهم "برباري كومباني" أضراراً جسيمة بمنع حرية التجارة مع جميع جهات المغرب. وطالبوا بالرجوع إلى ما كان عليه الأمر قبل تأسيس الشركة المذكورة، فوافق المجلس البريطاني الخاص على طلبهم، فانتعشت التجارة من جديد، إذ كان الأنجليز يرفضون إخلاء المكان الصالح للهولانديين والإسبان وغيرهم. على إثر هذا القرار، عاد بلاك إلى أسفي عام 1640 وأطلع ملك مراكش على ما آلت إليه الأمور، فكان رد فعل الملك أن ألغى المعاهدة المبرمة مع الأنجليز، فشعر بلاك بخيبة كبرى، و مضى يحجز بميناء آسفي سلعاً محظورة ويتحين الفرصة للرجوع إلى أنجلترا، وكان ذلك في غضون شتنبر من عام 1641.

هناك أطاح كرومويل بنظام شارل الأول، فوجدها بلاك فرصة لدق باب مغامرات حربية، فاقترح على حكومته احتلال قصبة الرباط للقضاء على القرصنة في الشواطئ المغربية، فأسندت إليه قيادة أسطول بحري حربي مهمته ضرب الأتراك في البحار وانتزاع مواقعهم في البحرالمتوسط وبسط نفوذ انجلترا بالقوة على الشواطئ المغربية، وصار بلاك التاجر يسمى الأميرال بلاك.

ظهرت بطولاته غير المتوقعة ضد الأسطول التركي بتونس عام 1655، حيث تفوق على الأتراك وعلى البحارة التونسيين في معركة أسفرت عن تدمير سفنهم، وتفوق عليهم بالجزائر حتى انتزع من حاكم الجزائر وقتئذ اتفاقية متميزة للغاية بالنسبة لمصالح الأنجليز، بعد ذلك تصدى لقراصنة سلا فضرب حصاراً شديداً على سلا وقصبة الرباط، غير أنه لم يحقق نتائج إيجابية إلا بعد انتصاره على الأسطول الإسباني بالجزر الخالدات وهو الانتصار الذي مكنه من التفرغ لخصوم محمد الشيخ الأصغر، عام 1657.

بعد هذه الأحداث، رجع بلاك إلى بلده إلا أنه توفي قبل أن تصل سفينته إلى مدينة بليموث في أواخر نفس السنة 1657.

م. حجي، *الزاوية الدلائية*.

*S.I.H.M.* ; A. Cour, *L'Etablissement des dynasties des chérifs au Maroc* ; E. Albertini, G. Marçais, G. Yver, *L'Afrique du Nord française dans l'histoire* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*.

أحمد بنجلون

**بلال، عزيز**، ولد بتازا سنة 1351 / 1932 وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية بوجدة. بدأ يشارك، وهو ما يزال تلميذاً، في الحركة الوطنية المناهضة للاستعمار. وتابع دراسته العليا في تولوز بفرنسا. ولما عاد إلى المغرب عُين مكلفاً بمهمة في التخطيط حيث ساهم في إعداد المخطط الخماسي الأول (1960 - 1964)، ثم سُمي كاتباً عاماً بوزارة الشغل، ونائب عميد كلية الحقوق بالرباط حيث كان يدرس الاقتصاد السياسي. وفي سنة 1965 ناقش أطروحته للدكتوراة حول *الاستثمار بالمغرب*، وقد أحرزت على جائزة جامعة گرونوبل الفرنسية.

شارك في عدة مؤتمرات دولية للاقتصاديين حول مشاكل دول العالم الثالث، وقام بنشاط كبير للتعريف بالقضية الفلسطينية على الصعيدين الوطني والدولي. يعد عضواً بارزاً في حزب التقدم والاشتراكية، ونقابة أساتذة التعليم العالي. وقد انتخب سنة 1976 عضواً في المجلس البلدي لعين الذياب بالدار البيضاء ونائب رئيس المجلس، وأسس في نفس السنة مع جماعة من زملائه "جمعية الاقتصاديين المغاربة" وظل رئيساً لها إلى وفاته. كما انتخب ثلاث مرات على التوالي رئيساً لشعبة العلوم الاقتصادية بكلية الحقوق بالدار البيضاء.

توفي مخنوقاً بغاز انفجر في فندق هلتون بمدينة شيكاغو يوم 23 ماي سنة 1982، ونقلت جثته إلى المغرب حيث أقبر في الدار البيضاء.

ما نشر من كتابات عزيز بلال :

كتب :

- *Abdelkrim Ben Abdallah : Un modèle d'intellectuel révolutionnaire* - *Al-Bayane*, N° 121, 2 Avr. 1975.

- *Plus une minute à perdre dans la bataille pour notre sahara, Al-Bayane*, N° 137, 3 Juin 1975.

- *Quel socialisme africain ?, Al-Bayane*, N° 184, 29 Juillet 1975 ; N° 191, 6 Août 1975.

- *La Négociation avec l'Espagne ne doit pas aboutir au relachement de la mobilisation, Al-Bayane*, N° 258, 25 Oct. 1975.

- *La Gauche européenne et la question du Sahara marocain, Al-Bayane*, N° 317, 10 Jan. 1976 ; N° 318, 11 - 12 Jan. 1976. *L'Actuel*, Vol 1, N° 3, 1976.

- *Science, idéologie et révolution nationale démocratique, Al-Bayane*, N° 330, 25 - 26 Jan. 1976.

- *Le Concept de révolution, Al - Bayane*, N° 335, 1 - 2 Fév. 1976.

- *La Véritable authenticité, Al-Bayane*, N° 341, 8 - 9 Fév. 1976.

- *Le Socialisme en Afrique, Al-Bayane*, N° 358, 28 Fév. - 1 Mars 1976.

- *La Déroute du gauchisme marocain, Al-Bayane*, N° 353, 22 - 23 Fév. 1976.

- *Abdelkrim Ben Abdallah : L'unité de la pensée et de l'action, Al-Bayane*, N° 383, 30 Mars 1976.

- *Les Révolutionnaires marocains qui luttent depuis plus de trente ans, n'ont de leçon de patriotisme ni de révolutionnarisme à recevoir de personne, Al-Bayane*, N° 400, 18 - 19 Avr. 1976.

- *Le Parti d'avant-garde et la révolution nationale démocratique, Al-Bayane*, N° 423, 16 - 17 Mai 1976.

- *Elections : espoirs indécis, interview - Lamalif*, N° 84, Nov., Déc. 1976.

- *Les Elections communales et municipales, Al-Bayane*, N° 590, 1 Déc. 1976.

- *Encore une fois sur le problème des emprisonnés politiques, Al-Bayane*, N° 598, 11 Déc. 1976.

- *Va-t-on reconduire les mêmes options dans le futur plan ?, Al-Bayane*, N° 706, 19 Avr. 1977.

- *Le Gage du succés du processus démocratique c'est le P.P.S., Al-Bayane*, N° 707, 20 Avr. 1977.

- *Nous sommes confiants dans l'issue de la bataille électorale parce que nous présentons un programme très clair : notre confiance, c'est notre intégrité, notre honnêteté, Al- Bayane*, N° 738, 27 Mai 1977.

- *Contre la falsification de nos positions : une propagande mensongère et grossière, Al-Bayane*, N° 739, 28 Mai 1977.

- *Evolution comparée des politiques économiques maghrébines - Les Temps modernes*, N° 375 bis, Oct. 1977. Spécial, "*Du Maghreb*", *Al-Bayane*, N° 1156, 10 Oct. 1978 ; N° 1157, 11 Oct. 1978 ; N° 1158, 12 Oct. 1978.

- *Elevons le niveau de débat politique, Al-Bayane*, N° 897, 2 Déc. 1977.

- *Il faut doter les communes des moyens nécessaires, Al-Bayane*, N° 901, 7 Déc. 1977.

- *Amilcar Cabral : notre ami, notre camarade, Al Bayane*, N° 938, 20 Jan. 1978.

- *Il faut satisfaire les revendications des travailleurs et faire avancer la cause nationale et démocratique, Al-Bayane*, N° 1022, 3 Mai 1978.

- *La Roumanie socialiste connait un développement accéléré et prodigieux dans tous les domaines, Al-Bayane*, N° 1033, 16 Mai 1978.

- *L'Economie marocaine : bilan et perspectives, Al-Bayane*, N° 1053, 8 Juin 1978.

- *L'Evolution de la situation économique et sociale au Maroc, Al-Bayane*, N° 1075, 4 Juillet 1978.

- *Un Protectorat déguisé : l'association au marché commun européen*, Casablanca, 1962.

- *L'Investissement du Maroc, 1912 - 1964, et ses enseignements en matière de développement économique*, Pref. André Page, Paris ; La Haye, 1968, 2ème éd., Casablanca, 1976.

- *Problèmes socio-économiques du monde arabe*, Rabat, 1974 (Coll. B.E.S.M. ; série Economie).

- *Développement et facteurs non-économiques*, Rabat, 1980. (Coll. Atlas).

- *Impératifs du développement national*, Rabat, 1984.

**مقالات :**

- *Algérie, au IV de la révolution - La Nation*, N° 7, 6 Juin 1958 ; N° 9, 20 Juin 1958 ; N° 12, 11 Juillet 1958.

- *Bas les pattes devant Cuba* / A. Belal (et al...) - *Al Moukafih*, N° 12, 9 Nov. 1982, suppl. en langue française au N° 115.

- *Le Référendum n'est pas démocratique : le peuple veut une assemblée nationale constituante* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 12, 9 Nov. 1962, Suppl. en langue française au N° 115.

- *Nous boycottons le référendum sur la constitution octroyée pour faire triompher le principe de la souveraineté populaire* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, suppl. au N° 120, 7 Déc. 1962.

- *Après le référendum : poursuivons la bataille pour la souveraineté du peuple* / A. Belal (et al...) - *Al Moukafih*, N° 15, suppl. en langue française au N° 122, 21 Déc. 1962.

- *L'Etat doit prendre toutes ses responsabilités devant les inondations* / A. Belal, (et al...) - Al Moukafih, N° 24, 22 Févr. 1963.

- *Boycottons dans l'union la presse colonialiste* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 27, 15 Mars 1963.

- *Aux menées colonialistes : opposons des mesures anti-colonialistes* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, suppl. hebdo, N° 28, 22 Mars 1963.

- *Déclaration des communistes marocains (relative aux élections législatives)* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 34, 1 Mai 1963.

- *Travailleurs, travailleuses : faisons du 1er mai, une journée de lutte pour les revendications, la libération totale, la démocratie et la paix* / A. Belal (et al...) - *Al Moukafih*, N° 34, 1er Mai 1963.

- *Pour répondre aux élections à la sauvette : réalisons le front patriotique et progressiste* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 33, 26 Avr. 1963.

- *La Lutte pour le pain et la lutte pour la démocratie sont inséparables* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 40, 20 Juin 1963.

- *Unissons-nous pour vaincre la réaction aux élections du 28 Juillet* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 43, 11 Juil. 1963.

- *Il n'y a pas de conflit entre les peuples marocain et algérien* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 56, 10 Oct. 1963.

- *1er Mai : Unité et actions pour salaires, démocratie, réforme agraire, solidarité internationale* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 85, 1 Mai 1964.

- *Imposer dans chaque circonscription l'élection du condidat progressiste* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 35, 8 Mai 1965.

- *Comment prépare-t-on l'homme de l'an 2000, Al-Kifah al-Watani*, N° 209 - 210, 7 - 14 Fév. 1969 ; N° 206 - 207, 17 Jan. - 7 Fév. 1969.

- *La Résistance palestinienne et le mouvement révolutionnaire mondial, Souffles*, N° 15, 3ème trim. 1969. Spécial : "*Pour la révolution palestinienne*".

- *Les Solutions que propose le P.P.S. constituent une alternative démocratique et progressiste à la crise actuelle, Al-Bayane*, N° 1086, 18 Juillet 1978.
- *Les Relations entre le Maroc et la C.E.E. et leurs perspectives d'avenir, Al-Bayane*, N° 1112, 17 Août 1978.
- *A propos du prochain congrès national des indépendants : maintien du statu-quo et des options existantes, Al-Bayane*, N° 1142, 22 Sept. 1978.
- *Les Interférences dans les facteurs économiques et non économiques dans la stratégie du développement, Lamalif*, N° 104, Fév. 1979.
- *Tout en défendant ses droits : la classe ouvrière reste mobilisée pour la défense de l'unité territoriale, elle n'a de leçon de patriotisme à recevoir de personne, Al-Bayane*, N° 1263, 18 - 19 Fév. 1979.
- *Hadi Messouak : notre ami, notre frère, Al-Bayane*, N° 1519, 14 Déc. 1979.
- *La Crise persiste avec un endettement extérieur qui approche les 6 milliards de dollars et un déficit des finances publiques de 722 milliards de centimes : le plan triennal n'a atteint aucun de ses objectifs, Al-Bayane*, N° 1710, 2 Août 1980 ; N° 1711, 3 - 4 Août 1980.
- *Le Redressement de la situation de notre enseignement exige un changement radical dans l'orientation, la conception de la politique de l'enseignement, ses objectifs et ses moyens, Al-Bayane*, N° 1816, 13 Déc. 1980.
- Parti du progrès et du socialisme, *Aziz Belal : Vie d'un militant exemplaire*, Casablanca, 1982.

عبد المجيد بنيوسف

**بلامبو ← بلانبو**

**بَلامينُو**، أسرة أندلسية كبيرة استقر بعض أفرادها بتطوان، وبعضم بسلا والرباط، ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Palamino ومعناه عندهم فرخ اليمام، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1677/1088. لم يرد ذكرها عند الضعيف الذي أحاط بأخبار الرباطيين في العصر العلوي إلى أيامه. مما يدل على عدم بروز شخصيات هامة في العدوتين من هذه الأسرة قبل القرن الثالث عشر (١٩ م).

**بَلامينو، محمد** بن يحيى الرباطي أديب شاعر فقيه تجاني الطريقة، تلقى تعليمه على يد المؤدب محمد بن علي البطاوري والشيخ العربي بن السائح وغيرهما، ووُصف بالدين والنسك. له قصائد في المديح النبوي وفي أغراض أخرى خاصة الهجو المقذع. ومن شعره مرثية قالها في رثاء شيخه العربي بن السايح الشرقي. كان يدرس في الزاوية التجانية وغيرها، وتعاطى خطة الشهادة وعرف بالصدع بالحق وتجنب البدع.

توفي في 4 جمادى الأولى عام 1914/1333 ودفن بمسجد سيدي محمد الضاوي.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 194 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، 231 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 310.

عبدالاله الفاسي

**بَلان**، حيوانات من رتبة هدابية الأرجل Cirripeda ومن القشريات البحرفية، تعرف ببَلوط البحر وكانت قديما تنسب من طرف علماء الحيوانات إلى الرخويات.

يعيش ملتصقاً بالصخور الشاطئية بواسطة قشرته الكلسية التي تكسو جسمه. يتكون الصدر من أجزاء يحمل كل واحد منها زوائد مجذافية يساعد الحيوان على التنفس وأخْذ المأكولات. يبقى البالغ منعدم العينين والزباني.

يعد البلان من الحيوانات النادرة التي تلتصق بالصخور بواسطة قشراتها الصلبة المخروطية الشكل. إنها قوقعة مكونة من ستة أجزاء تشكل سوراً يغلق من فوقه بغلاف رقيق أثناء الجزر ليحمي الجسم من التبخر وفقد الماء من داخل القوقعة ويفتح أثناء المدّ لتخرج الهدابات لتتنفس وسط الماء وتمسك المأكولات.

إنه حيوان مزدوج الجنس ويُحتمل أن الأفراد المنعزلة تستعمل التلقيح الذاتي. أما بالنسبة للمجموعات المحتشدة بالصخور فيتم التلقيح بواسطة المجس الذي يخرجه الذكر من القوقعة ويمد به الأفراد الملتفة حوله.

تبقى البويضات الملقحة داخل القوقعة حتى تفرخ وبعد ذلك تسرع الصغار لتلتصق بدورها بالصخور المجاورة.

تعيش على الصخور بالشواطئ المغربية عدة أنواع من هذا الحيوان.

R. Boue H. Chanton, *Biologie animale zoologie-invertébrés*, T. I, Paris, 1962 ; G. Bitar, *Etude du peuplement benthique de la côte atlantique méditerranéenne du Maroc : Impact de la pollution, comparaisons biogéographiques*. Thèse Doct. Et. et Univ., Marseille, 1987 ; A. Campbell et Nicholls, *Guide de la faune et de la flore littorales des mers d'Europe*, Lausanne, 1986; M. Menioui, *Contribution à la connaissance des peuplements infralittoraux superficiels de la côte méditerranéenne du Maroc : Etude faunistique, écologique et biogéographique*. Thèse Doct. Et. et Univ. Mohammed V.

محمد منيوي

**بْلان، أوربان** Blanc Urbain عمل مفوضاً عاماً لدى الإقامة الفرنسية بالمغرب مدة أربع عشرة سنة، من يوم تعيينه سنة 1919 خلفا للالية دي كودريه Lallier Du Coudray إلى يوم عزله في شهر نونبر من سنة 1933 ليخلفه هيلّه Helleu، ولقد ضرب رقما قياسيا في احتلال ذلك المنصب الذي كان على صاحبه أن يعوض المقيم العام كلما تغيب المقيم أو ينوب عنه كلما استنابه في بعض المهام. ولئن كنا ما زلنا لا نتوفر على دراسة مستوفية لأدوار المفوض العام لدى الإقامة، ولا على ترجمة لحياة أوربان بلان وأعماله، فإننا نعلم أن تلك الوظيفة مقتبسة من وظيفة نائب الرئيس في دستور الولايات المتحدة، وأن المسؤولين عن الحماية أرادوا بها اجتناب كل انقطاع في استرسال السلطة الفرنسية بالمغرب، كما أرادوا منها نوعا من التوفيق بين موظفي وزارتي الحرب والشؤون الخارجية. وإننا من جهة أخرى نستقرئ من طول احتلال أوربان بلان للمنصب ما كان له حتما من النفوذ والتأثير على سير الحماية. فإنه كان من موظفي السلك الديبلوماسي واشتغل كاتبا عاماً للحماية التونسية قبل أن يعين مفوضاً عاما بالمغرب، وقت كان ليوطي في أشد الحاجة إلى من يساعده على إطفاء غليان المعمرين والمرشحين للاستعمار الذين

كشروا عن أنيابهم غداة الحزب العالمية واشرأبت أعناقهم لاستغلال خيرات المغرب بدون قيد ولا شرط، فلم يعودوا يطيقون تحفظات ليوطي، ولا سياسته الرامية إلى حصر الاستعمار في نخبة من المعمرين، فثاروا عليه كفاحا سنة 1919، فاحتاج إلى من يتوسط بينه وبينهم ويحول بين كبريائه وجسارتهم، وكان أوربان بلان مؤهلا لذلك بما كان عليه من الاقتناع بفضائل الاستعمار، مهما كان من هوية المعمر، وبما كان عليه من الخبرة بإدارة المستعمرات وأساليب التحايل على أهل البلاد، فعمل بالتي هي أحسن، في ظل ليوطي، لتحريف الحماية من مفهومها الدولي القاضي بحصرها عند مجرد مراقبة فرنسية للإدارة المغربية، إلى إدارة فرنسية مباشرة للمغرب وتصرف قهري في أدنى جزئيات حياته، حتى إذا عزل ليوطي سنة 1925، سهر أوربان بلان على توطيد دعائم تلك الإدارة المباشرة بدعوى الإخلاص إلى أساليب المارشال، ومسؤوليته ثابتة في هذا الصدد، لذلك أطلق اسمه أثناء النصف الثاني من عهد الحماية على أحد شوارع الرباط الكبرى (شارع المولى الحسن حالا).

عمل أوربان بلان بإزاء أربعة مقيمين عامين، وهم ليوطي الذي عينه، وستيك Steeg، ولوسيان سان Lucien Saint وهانري بونصو Henri Ponsot، وهو الذي تم عزله في مقيميته، وفي ذلك إشارة واضحة إلى ما كان عليه بونصو من الاعتدال في الاستعمار وما كان عليه أوربان بلان، بالعكس، من التصلب الناتج عن قناعاته الذاتية وعن طول مكوثه بالمغرب وتعاقب أربعة مقيمين عامين فيما بين 1925 و1933، مما خول المفوض العام سلطة لم تكن مقدرة له في الأصل. وكان أوربان بلان قد تعود على الاستقلال بالتصرف منذ عهد ليوطي الذي تغيب عن الرباط فيما بين 1920 و1924 فترات طويلة، لأسباب صحية. وتبدو بصمات أوربان بلان في العديد من القرارات التي أثرت على مجرى تاريخ الحماية الفرنسية بشكل ملموس، فهو الذي أوحى لليوطي بضرورة إشراك المعمرين، وهو الذي ساهم في جعل حد لرواج السكة الحسنية لفائدة الفرنك من خلال ما اقترح من أوجه الإغراء للتجار المغاربة مثل السخاء برخص بيع السكر ورخص الذبح بالمجازر البلدية، وهو الذي كتب رداً على اقتراح تقدمت به وزارة الخارجية سنة 1923 بإلحاق المغرب وتونس بجمعية الأمم، لا حبا فيهما ولكن لتوازن بهما وجود المستعمرات الإنجليزية بتلك الهيئة الدولية، قال: "إذا قلنا للعالم إن المغرب وتونس أمتان قابلتان، بعد تهذيبهما واقتفائهما لمثال فرنسا، لأن تصبحا شخصيتين تستطيعان إحراز استقلالهما في المستقبل، فإننا نكون قد اتخذنا موقفا نهائيا ووجهنا محميينا وجهة تبرر وتقنّن كل ما سيبذلونه من المجهودات لإقصائنا، وسوف ينحصر النقاش بين فرنسا وبينهم عندَ مسألة التوقيت، فإنهم سوف يزعمون أنهم تمدنوا قبل الوقت، وسوف يعلنون الرفض.

ومن الأكيد، على ما قال الأستاذ ريفي، أنه أحبط مجهودات ليوطي، على تواضعها، للأخذ بيد الشباب المغربي الناهض، وهو الذي واخذ المولى يوسف بعدم ذكره لفرنسا في بعض خطبه قائلا: "إن باي تونس كان لا ينسى ذلك أبداً"، مما اضطر ليوطي إلى الرد عليه، بنوع من الحدة، بأن المولى يوسف سلطان ابن سلطان،، وباي تونس موظف من موظفي الدولة العثمانية.

وتميز أوربان بلان في تاريخ الحماية بما سعى فيه، في العلانية والخفاء، لبلورة سياسة التمييز الاجتماعي والقبلي، فهو الذي أثر على ليوطي الذي لم يكن مريضا "بالبربرومانيا"، كما يقول الأستاذ ريفي، إلى الحد الذي كان عليه بعض أعوانه، وفي طليعتهم أوربان بلان، ليلعب على حبل التفرقة العنصرية بين المغاربة، فهو الذي أخرج موريس لوگلي Maurice Le Glay قطب تلك السياسة على الإطلاق، من شبه النفي الذي كان قد اضطر إليه، عندما عين مراقبا مدنيا بإقليم أسفي بإلحاح من المولى يوسف الذي كان قد عيل صبره من أقوال ذلك الضابط ومن تصرفاته في قبائل الأطلس المتوسط. استقدمه إلى الرباط سنة 1923 واستعان به في ضبط قواعد السياسة البربرية، كما استعان بمارتي، القطب الآخر في هذا المضمار، لتعزيز القضاء العرفي بواسطة الجماعات القبلية على حساب القضاء الشرعي. ولولا دولة المولى يوسف، لكان هذا الثالوث من أعداء وحدة الشعب المغربي، قد استطاع استصدار الظهير البربري قبل 16 ماي 1930، وكانت الغاية من الظهير إلحاق نصف سكان البلاد بالقضاء الفرنسي، ولا يسع المؤرخ إلا أن يسجل أن الظهير المشؤوم صدر سنة 1930 وأوربان بلان مفوض عام بالإقامة بالرباط، وأن الظهير الذي ألغى مبدأ إلحاق القبائل البربرية بالمحاكم الفرنسية في أبريل سنة 1934 صدر وهو معزول عن منصبه، وكيف لا، وقد كان عدواً لدوداً للإسلام، قال سنة 1922: "إنه ينبغي كلما عرضت آثار الكنائس على أحد أهالي افريقيا الشمالية أن لا يقال له: "هذا ما بناه آبائي"، لأن ذلك خطأ، بل يقال له: "هذا ما بناه آباؤك"، لأنهم كانوا مسيحيين قبل أن يكونوا مسلمين"، هذا مع العلم أنه لم يكن لا كاثوليكيا ولا ملتزما بأية عقيدة، بل كان لائكيا وعضوا في الجمعية الفرانماصونية الميالة على العموم إلى الإلحاد، لكن لما كان الأمر يتعلق بمحاربة الإسلام وحضارته. كان أوربان بلان يتحول إلى صليبي متصلب، وما ذلك إلا من مفارقات الاستعمار.

كان أوربان بلان يترقب ظهور الحركة الوطنية بعد جيل من انعقاد الحماية، فإنه كتب قائلا سنة 1923، بناء على تجربته التونسية: "إن الحركة الوطنية لا تظهر إلا بعد اختفاء الجيل الذي يكون قد شاهد وعاش الأيام القديمة"، ولما بدت طلائع الأفواج الوطنية الأولى، خاطبها بلغة من يريد إسكات المخاطب قائلا: "إنكم سوف تحروزن على الاستقلال يوم تستطيعون صنع القاطرة"، وغني عن البيان أنه كان ساهراً على أن لا يتعلم المغاربة أبدا تلك

الصناعة، فهو الذي كان ينهى عن استقدام أبناء البادية المغربية إلى المدن ليتابعوا بها دراستهم، بدعوى أن المدينة تفسد أخلاقهم، والحقيقة أن المدينة باتت تعلمهم كيف يقاومون حيل الاستعمار بسلاح العرفان.

*الجريدة الرسمية*، سنوات 1919 إلى 1934.

D. Rivet, *Lyautey et l'institution du Protectorat au Maroc*, Paris, 1988.

إبراهيم بوطالب

**بلانبو**، وتكتب أيضاً بالميم بلامبو، وبدون واو: بلانبُ، أسرة رباطية سلاوية أصلها من الأندلس، عُرف أفرادها بالديانة والمروءة. اشتهر السلويون بالمشاركة في الجهاد البحري، والرباطيون بالانتساب للطريقة العيساوية، وحفظ أذكارها وإنشادها بأنغامها المعروفة، والاعتناء بشعر الملحون عموماً، حفظاً وإنشاداً. منهم:

**بلانبو، عبد الله**، (الحاج ـ) من المجاهدين البحريين السلويين الذين نالوا صلة الحسن الأول بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

**بلانبو، محمد** الرباطي تاجر في سوق السباط، من أعيان الطائفة العيساوية الذين كانوا لا يتخلفون عن مجالس الأذكار والإنشاد الأسبوعية.

توفي حوالي عام 1376 / 1956.

**بلانبو، محمد** السلوي. كان أستاذاً من حفظة القرآن ومن رجال البحر الواقفين على باب الجهاد، وبهذه الصفة أدرج في قائمة الصلة التي خص بها الحسن الأول المجاهدين في وثيقة مؤرخة بثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 195؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، 150 و223؛ *معلومات شخصية*.

م. الأمين بلكناوي

**بْلانص**، أو بلانس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل الاسم Blanes. وهو اسم مدينة بمقاطعة خيرونا Gerona.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1163/1750.

**بْلانكُو**، أسرة تطوانية ورباطية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Blanco أو هكذا Palanco.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1171/1758.

Delegacion, *Familias*; Isidoro, *Familias*; *Vademecum*; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بْلانكُو، بلقاسم** من الأندلسيين المهاجرين إلى الرباط، كان من بين الموقعين على الاتفاقية المعقودة بين سلا وبريطانيا في 10 ماي 1627.

**بْلانكُو، محمد** من أندلسيي الرباط كذلك. شغل حوالي سنة 1630 وظيفة كاتب للديوان، وحرر بهذه الصفة عقد الهدنة بين السلاويين وفرنسا. كما كان ضمن لائحة محرري نص مشروع اتفاق بين الرباط وملك إسبانيا، حيث يظهر اسمه مقترنا بصفة "كاتب المحكمة".

*S.I.H.M.*, *Angleterre*, T. 3; G. S. Colin, *Un projet de traité entre les morisques de Rabat et le roi d'Espagne*, *Hesp.*, Vol. 42, 1955.

عبداللطيف الشاذلي

**بلبل**، طائر من رتبة الجواثم وفصيلة Pycnonotidae التي تضم 119 نوعا يعيش معظمها في أفريقيا وآسيا. إنه طائر جميل حسن الصوت يبلغ طوله 19 سم، طويل الذيل، أسود الرجلين، ظهره رمادي بني داكن وبطنه أبيض. يسمى علميا Pycnonotus barbatus.

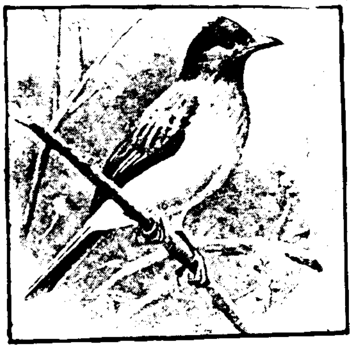

البلبل المغربي هو ضرب من هذا النوع يعيش في المغرب والجزائر وتونس وسط مجموعات صغيرة كثيراً ما تحدث أصواتا مطربة أثناء تنقلاتها. يعيش في الغابات والبساتين والحدائق والأماكن المشجرة ويقتات من الثمار اللحمية كالعنب والتين والبرقوق ومن الحشرات أيضا.

إنه طائر مشاكس، كثيرا ما يقوم بتغاريد متواصلة في الصباح الباكر وقبل غروب الشمس. تبتدئ مدة التوالد من أبريل، ويبني عشه على الأشجار، وتبيض الأنثى عادة من بيضتين إلى ثلاث، ونادراً أربع بيضات، مزركشة بنقط بنية، يبلغ قطرها 24,6 × 17,2 ملم.

البلبل شائع في المغرب من شمال البلاد إلى سفوح الأطلس الصغير، ويعيش ضرب آخر من هذا النوع في مصر والشرق العربي ويسمى أيضا بلبلاً كما يسمى كُعيباً وجُمَيْلاً.

H. Heinzel, R. Fitter, et J. Parslow, *Les Oiseaux d'Europe, d'Afrique du Nord et du Moyen Orient*, Suisse, 1972; Thevenot Berger et Beaubrun, *Compte-rendu d'ornithologie marocaine*, 1980

محمد رمضاني

**بَلْج بن بِشْر القُشَيْرِي القَيْسِي**، نسبة إلى قُشير بن كعب، من فروع قيس بن عيلان، هو قائد خيل كلثوم بن عياض والي بني أمية على المغرب سنة 123 / 741. وبهذه الصفة تولى قيادة طلائع كلثوم، وكان الجيش الذي صحب الوالي الجديد يضم عشرات من الألوف. ولم يكن كلثوم ولا قريبه بلج القشيري من ذوي الحنكة السياسية، فلما بلغا أفريقية لم يحلا بالقيروان، بل أهان بلج ممثليها، وتنحيا عنها إلى سُبَيْبَة قريباً منها، ثم كانت لهما صدامات مع بعض القادة الأمويين الموجودين بأفريقية قبلهما. وأخيراً

توجها نحو طنجة. وكانت الحزازات شديدة بين عرب أفريقية والجيوش الشامية التي رافقت ابن عياض. وقد أثرت هذه الحزازات في مصير العرب بهذه المنطقة، لأن عرب أفريقية خشوا من استقرار جيوش الشام بينهم، واستيلائهم على مقدرات البلاد. وكان الزحف على طنجة انتقاماً من البربر الذين أوقعوا بالعرب حولها قبل ذلك سنة 123 هـ. وهلك في هذا الصدام عدد من قادة العرب فسميت المواجهة بغزوة الأشراف أو موقعة الأشراف. لكن هذا الزحف الجديد لم يتجاوز به العرب نهر سبو، أي أن صفرية البربر الذين يستولون على طنجة، لم يمكنوا جيش ابن عياض من الاقتراب من هذه المدينة التي كانت حينذاك عاصمة للمغرب، فكانت هذه المواجهة بمنطقة الغرب في حوض سبو وقيل ببقدورة وليس عند تاهرت كما نقل بعض المعاصرين (حسين مؤنس، *فجر الأندلس*). وقاتل البربر بزعامة خالد بن حميد الزناتي الذي نصبوه خليفة بعد ميسرة. قاتلوا وهم يرتدون سراويل، وباقي جسمهم مكشوف. وكانت طلائعهم رجالة، فهاجمتهم خيل بلج لتدوسهم، فانهزموا لأن الهجوم كان مباغتاً عند الصُّبح، ثم عادوا فألقوا بمقذوفات من مقاليعهم وهجم عدد منهم راجلا على قادة العرب فقتلوا كلثوما وحبيب بن عبدالرحمان وآخرين، وانهزم معظم الجيش العربي مولياً نحو افريقية، وكان المنهزمون من أهل مصر وعرب إفريقية. أما عرب الشام فقصدوا سبتة بزعامة قائدهم بلج بن بشر، وكان قد جُرح في المعركة، وكان المفروض أن يتولى أمر المغرب ويستقر بطنجة فيما لو انتصر الجيش العربي. وعلى هذا فهو لم ينعم بهذه الولاية كما وهم الحميدي. ويذكر ابن عذاري، نقلا عن ابن القطان أن العرب كانوا في ثلاثين ألفا، على أن الشاميين الذين كانوا عشرة آلاف هم الذين انتقلوا مع بلج إلى سبتة، وتذكر المصادر أن كلثوم ابن عياض أوصى بالولاية بعده لبلج، وكانت الأندلس ضمن منطقة ولايته، ولذلك كتب إلى عبدالملك بن قطن يطلب منه تجويز مراكب الأندلس إلى سبتة ليعبر فيها بلج من سبتة مع جيش الشام، لكن البربر منعوا الإمدادات عن سبتة فضاق الأمر بالشاميين حتى أكلوا دوابهم، كما أن والي الأندلس المذكور امتنع عن إمداد بلج ومن معه، ثم استقدمه بعد أن اشترط عليه أن يعود إلى أفريقية وأهل الشام بعد مُقَام سنة. فلما اجتازوا إلى الأندلس رفضوا الخروج منها بعد ذلك، وكانت لهم اشتباكات مسلحة مع عبدالملك بن قطن وأنصاره، انتهت بمقتل هذا الوالي بعد أن اعتقل مدة، واستولى بلج على السلطة بالأندلس، لكنه لم يقم بها إلا أسابيع قليلة، ثم قتله الشاميون سنة 124 وولوا مكانهُ ثعلبة العاملي بعهد من الخليفة بدمشق. وقيل إن قتله تَمّ على يد عبدالرحمان بن حبيب في مواجهة وقعت خارج قرطبة.

ويرتبط انتقال بلج إلى الأندلس بحادثين مهمين : 1 - المذابح التي قام بها جيشه في صفوف بربر شذونة والتي ازدادت قسوة بعده في صفوف بربر ماردة على يد خلفه ثعلبة. 2 - نشأة دولة برغواطة بسهول تامسنا المغربية. وهذا الحدث الأخير تعبير عن القطيعة النهائية مع الخلافة المشرقية، فيما عدا الاعتراف الرمزي اللاحق أيام المرابطين ولشَطْر من الدولة المرينية. وهكذا توقف النفوذ العباسي الحَقيقيَ عند طُبْنَة، أيام الأغالبة.

ع. ابن عبدالحكم، *فتوح أفريقية والأندلس*، ت. البير كاتو، ص 126، 132 ؛ أ. ابن القوطية، *تاريخ افتتاح الأندلس*، ت. عبدالله الطباع، ص 41 ؛ م. الحميدي، *جذوة المقتبس*، ت.م. ابن تاويت الطنجي، ص 170 ؛ ع. ابن الأثير الجزري، *الكامل*، ت. ع. النجار، ج 4 : 223، 250، 254 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 4 : 258، 406 ؛ حسين مؤنس، *فجر الأندلس*، ص 172، 175 ؛ عمر رضا كحالة، *معجم قبائل العرب*، مادة قشير.

إبراهيم حركات

**بَلْجي**، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر هاجرت إلى تطوان سنة 1830/1246 على إثر الهجوم الفرنسي. وكان جل أفرادها يعملون في فرقة البحرية التابعة لحامية تطوان، حيث نجد من بينهم رايس البحر أحمد بلجي في السنة المذكورة، والبحارة محمد بلجي وعبدالله بلجي وعبدالعزيز بلجي وحسن بلجي وعبدالغفور بلجي سنة 1834/1250.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 202 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بلجيكا والمغرب**، يبدو أن العلاقات الدبلوماسية بين المغرب وبلجيكا ترجع إلى عهد السلطان مولاي عبد الرحمن الذي وافق عام 1838 على تعيين ليون ڤان لار (Léon Van Lare) قنصلا لبلجيكا مقيماً بطنجة، ثم جاء تعيين إرنيست دالوين (Ernest Dalvin) قنصلا عاماً لبلجيكا بالمغرب سنة 1845 ليجسم الأهمية التي أخذت تطبع العلاقات بين البلدين ؛ وعندما خلَف السلطان السابق ولدُه المولى محمد، أبرم البلدان بتاريخ 4 يناير 1862 معاهدة تجارية وملاحية، مما أعطى القنصل البلجيكي السابق الذكر اختصاصات وصلاحيات مضى يشمل مداها جميع الشواطئ المغربية المطلة على المحيط الأطلنتي. أما الوثائق المتوفرة فإنها تشير إلى اقتناء المغرب، أسلحة بلجيكية بمقتضى عقد تجاري مؤرخ في 6 فبراير 1866. وفي عهد الحسن الأول، عينت بلجيكا قنصلا آخر بالجديدة، يدعى فليكس ديسگان (Félix Desguin) وقد تميز هذا العهد بتطوير العلاقات بين البلدين من مرحلة العلاقات القنصلية إلى مرحلة تبادل البعثات الدبلوماسية، وهكذا بعث العاهل المغربي عام 1876 وفداً هاماً إلى بلجيكا يرأسه الزبدي ويضم عسكريين وتقنيين وملحقين. وبعثت بلجيكا إلى المغرب بعد سنوات قليلة سفارة برئاسة إ. ويثنال (E. Whethnal) للتباحث مع العاهل المغربي حول إمكانية تنمية العلاقات الاقتصادية بين القطرين ووضع خطوط للسكك الحديدية وتنظيم البريد بالمغرب.

وفي سنة 1890، توجهت إلى بلجيكا بعثة دبلوماسية ثانية بقيادة أحمد بن المؤذن السرغيني الذي أبلغ الحكومة البلجيكية موافقة المغرب على الترخيص لها بإيداع فحمها الحجري بموانئه وذلك لمدة ثلاثين سنة. وورد في بعض المصادر أن الملك البلجيكي ليوبولد الثاني (Léopold II) زار المغرب مستخفياً عام 1897. ونشير بهذا الصدد إلى أن ما تضمنته عدة مصادر عن النوايا الاستعمارية البلجيكية للمغرب، إنما هو افتراء كشف عنه التاريخ مقابل ما كانت تبيته فرنسا وإسبانيا من أهداف استعمارية.

غير أن العلاقات بين المغرب وبلجيكا لم تختلف إلا قليلا عن علاقاته بالدولتين الأوربيتين الحاميتين سابقاً وغيرهما من الدول الأوربية. ثم أخذت روابط المغرب ببلجيكا طابعاً متميزاً وقوياً لبعض الفترات بعد الاستقلال حيث أعرب المغرب عن معارضته الشديدة للسياسة البلجيكية بالكونغو الذي كان مسرحاً لاضطرابات خطيرة غداة حصوله على الاستقلال في يونيو 1960.

تميزت هذه الأحداث بعصيان الجيش المحلي ضد ضباطه البلجيكيين وشهدت البلاد في مجموع ترابها حركات تمرد أهمها إعلان موسى تشومبي (Moïse Tchombé) استقلال إقليم كاطنكا (Katanga) وانفصاله عن المجموعة الكونغولية، ثم أرسلت بلجيكا إلى الكونغو وحدات من جيش المظليين لحماية رعاياها.

أمام هذه الأحداث، طلب الوزير الكونغولي الأول، بتاريخ 11 يونيو 1960، من الأمم المتحدة إيفاد جنود للحفاظ على الأمن وصيانة وحدة البلاد الترابية وتنظيم الجيش الوطني. وهكذا وقع تدويل النزاع الكونغولي البلجيكي، فأعرب المغرب عن تضامنه المطلق مع الحكومة الكونغولية.

للموقف المغربي عدة أسباب منها مقاومته للمطامع الاستعمارية الأوربية بالقارة وللمواقف العدوانية التي اتخذتها دول حليفة لبلجيكا، ومنها مساندة الشعوب المكافحة من أجل السيادة والاستقلال، وقد نجد هناك تشابهاً بين ما كان عليه المغرب سنة 1950 وما كان عليه الكونغو سنة 1960.

ترجم المغرب مساندته للمشروعية الكونغولية على الصعيدين العسكري والدبلوماسي، فعلى المستوى الأول، أرسل إلى الكونغو وحدات تتألف من ألف جندي مجهزين بأسلحة خفيفة تحت القيادة العامة للجنرال الكتاني، أقلتهم طائرات أمريكية، للعمل تحت لواء الأمم المتحدة. غير أن تفاقم الأحوال الداخلية أدى إلى فشل مهمة القوات الأممية.

أما على المستوى الدبلوماسي، فإن المغرب شجب وهاجم علانية مناورات الاستعمار الجديد ضد افريقيا والأمم المتحدة معاً. وفي أوج هذه الحملة الدبلوماسية، دعا محمد الخامس إلى عقد مؤتمر الدار البيضاء لمواجهة أخطار الاستعمار الجديد. وصار العمل المغربي ضد سلوك بلجيكا يكتسي طابع الجد والصرامة تجسم بتحرك المملكة المغربية بهيئة الأمم المتحدة وبمجلس الأمن الذي اجتمع بطلب من مجموعة الدار البيضاء في يناير 1961. وخلال الدورة الخامسة عشرة للمنظمة الأممية، قام ممثل المغرب بانتقاد شديد اللهجة لخروج بعثة الأمم المتحدة عن المهمة التي أنيطت بها بالكونغو ولوقوعها فيما خططه البلجيكيون ؛ وكان المغرب صاحب الآراء الواردة في الوصية التي تقدمت بها مجموعة الدار البيضاء والتي طالبت من منصة الأمم المتحدة بسحب الجنود والمستشارين السياسيين البلجيكيين من الكونغو، تلكم الوصية التي صادقت عليها الأمم المتحدة بتاريخ 15 أبريل 1961.

انعكست هذه الأحداث سلبياً على العلاقات البلجيكية المغربية، ثم أخذت تستعيد نشاطها انطلاقاً من سنة 1964 فتميزت بإبرام معاهدة تتعلق باليد العاملة المغربية ببلجيكا، بتاريخ 17 فبراير 1964، وأضحت العلاقات بين البلدين تتسع وتنمو بعد تدهور العلاقات بين المغرب وفرنسا، وراح المغرب يبحث عن بديل لفرنسا، فوجد لدى بلجيكا استعداداً للتعاون معه. وهكذا انتعشت العلاقات البلجيكية المغربية وصارت حكومة بلجيكا توفد عدة مبعوثين إلى الرباط، فتوالت الزيارات الرسمية إلى المغرب الذي حل به تباعاً من بلجيكا وزير السياحة في دجنبر 1966 ثم وزير التجارة الخارجية في أبريل 1967 ؛ ثم زيارة رسمية للعاهلين البلجيكيين خلال يناير / أبريل 1968 وزيارة أخرى قاما بها في نفس السنة للمغرب خلال أكتوبر 1968، رفقة وزيرهما في الشؤون الخارجية.

تجدر الإشارة إلى أن ما عرفته هذه الفترة المتميزة من ازدهار في العلاقات بين المغرب وبلجيكا كان ينبني على عدد من الأوفاق المبرمة بين البلدين، نذكر منها المعاهدة العامة المتعلقة بالضمان الاجتماعي (يونيو 1968) واتفاقية التعاون التقني (شتنبر 1971) واتفاقية حول ازدواجية استخلاص الضرائب (مايو 1972). وتمخض عن الحوار المثمر بين البلدين تشكيل لجنة مختلطة (أبريل 1965) بدأت أعمالها انطلاقاً من يوليوز 1968 فكانت هي الأداة الأساس في التعاون بينهما.

في الظروف الحالية يمكن تقييم ما وصل إليه التعاون بين البلدين سواء بمدى أهمية النصوص القانونية المبني عليها أو بمدى العلاقات الاقتصادية التي تربطهما (اتفاقية التعاون الزراعي المبرمة بتاريخ 17//04/1981 ؛ اتفاقية حول النقل البري الدولي وعبور المسافرين والبضائع المبرمة بتاريخ 12.5.1981 ؛ الاتفاقية الخاصة المتعلقة بتمويل دراسة تهتم بإنشاء محطة حرارية لتوليد الطاقة الكهربائية بالجرف الأصفر والمبرمة بتاريخ 17/04/1987، إضافة إلى مختلف الاتفاقيات المالية المبرمة من 1968 إلى 1991.

أما جرد العلاقات التجارية بين البلدين فإنه يعكس كذلك مدى أهمية هذا التعاون : إن دراسة اتجاهات التبادل الاقتصادي بين الطرفين والمسجلة من 1983 حتى 1986 تعطي صورة واضحة عن أهميته، ذلك أن قيمة الحجم

الإجمالي لهذه المبادلات التجارية ارتقت من 1.143 مليون درهم إلى 1.746 مليون درهم، أي بمبلغ 603 ملايين درهم، وهو ما يعني زيادة نسبتها 52،75٪ نجد لها تفسيراً في رفع حجم الواردات المغربية من بلجيكا بما نسبته 86،13٪. ومقابل ذلك فإن الصادرات المغربية في نفس الاتجاه لم تسجل إلا زيادة نسبتها 26،33٪. من ثم فإن العجز في الميزان التجاري بين البلدين أمسى على حساب المغرب.

يظهر أن العلاقات القائمة بين المغرب وبلجيكا ليست جوهرية في حد ذاتها وإنما تكتسي طابع المساعدة أو التكملة، وتتسم على العموم بما تتميز به اليوم علاقات المغرب بالدول الأوربية وما تعرفه هذه العلاقات من مشاكل (قضايا الهجرة، الروابط الاقتصادية، آفاق مستقبلية تتعلق بتوحيد أوربا...).

A. Berramdane, *Le Maroc et l'Occident*, Karthala, 1987 ; De Vos, *Vie et mort de Lumumba*, Paris, Calmann Levy, 1961 ; A. Duchesve, *Léopold II et le Maroc*, Bruxelles, 1965 ; Buisseret, Le Comte de, *A la cour de Fès*, Bruxelles, 1907.

عبد الله ساعف

## بُلح - طائر - ← بولحية

## بُلح البحر ← بوزروگ

**البلدية**، تنظيم حديث للتسيير المحلي. وعندما احتل الفرنسيون والاسبانيون المغرب في أوائل هذا القرن، لم يجدوه يتوفر على إدارة مركزية هامة (المخزن) فحسب، بل يتوفر كذلك على تنظيمات أصيلة ومحكمة للتسيير، بعضها خاص بالمجال الريفي وبعضها الآخر بالوسط الحضري.

ففي هذا الأخير، كانت الحياة الحضرية، التي ترعرعت وازدهرت بالمغرب منذ قديم، تتميز بوجود جملة من المؤسسات لتأطير السكان وتنظيم المعاملات بينهم وتسيير مختلف شؤون المدينة ومرافقها. وكان جل هذه المؤسسات والتنظيمات عريقا، نما وتفنن وتحسن عبر عدة قرون، في ظل العمارة الإسلامية والقوانين الفقهية، ومن هذه الخطط التي كانت تتولى ضبط الوظائف الحضرية قبل إحداث النظام البلدي المعاصر، خطة الشرطة، وخطة الحسبة، وخطة الأمانة الخ، ولكل خطة تنظيم يتميز بالمرونة وسهولة الاتصال بين مختلف المسؤولين عن تسيير المدينة وأهلها، لكنه تحجر تقريبا مع الاستعمار الذي شل مختلف المؤسسات الوطنية الاقتصادية والاجتماعية، المركزية منها والمحلية، لصالح مؤسسات الحماية التي غدت هي المرجع الأساسي للحكم والايالة والتسير والتدبير في كافة الميادين.

مباشرة بعد بسط الحماية سنة 1912، أقام الفرنسيون إدارة مؤقتة بالمدن، تختلف حسب المدن الساحلية المسيرة بصفة مشتركة بين الباشا وقنصل فرنسا، والمدن الداخلية التي تسيّرها مباشرة مكاتب الاستعلامات الفرنسية. وصدر بعد ذلك بقليل ظهير 27 يونيه 1913 المتعلق بإحداث لجن بلدية في المدن الساحلية مكلفة بالتدبير المالي وصيانة الشوارع والأبنية العمومية. وكانت هذه اللجن، التي أُسندت رئاستها اسميا للباشا، تتألف من موظفين فرنسيين هم قنصل فرنسا ورئيس الأشغال البلدية، وممثل إدارة مراقبة الديون (التي فرضتها القوات الأوربية على المغرب في 1904 و1910) وممثلين محليين لمديرية الأشغال العمومية ومصلحة الصحة العمومية ونائب رئيس الغرفة التجارية، إضافة إلى المحتسب وأمين المستفاد وعدد من أعيان المدينة يختارهم الصدر الأعظم.

لكن سرعان ما استبدلت سلطات الاستعمار بهذا التنظيم البلدي تنظيما آخر يتناسب أكثر مع تكاثر الجالية الأوربية وتعاظم اطماعها في التسيير المباشر للمدن والاستحواذ على المزيد من الأراضي والهيمنة على الاقتصاد. هكذا أصدرت ظهير 8 أبريل 1917 الذي استمر العمل به كقانون أساسي لتنظيم البلديات حتى 1952، رغم ما لحقه من إضافات وتعديلات مختلفة (ظهائر 1923، 1924، 1926، 1931 وغيرها). فقد نص هذا القانون الجديد على ضرورة تحديد المدار الحضري للبلديات وتقسيم المدينة إلى مقاطعات حضرية، وجعل التنظيم البلدي يقوم على ثلاث مؤسسات : رئيس الأشغال البلدية المجلس البلدي، الباشا وأعوانه.

فهذا الأخير فقد جل سلطاته لصالح رئيس الأشغال البلدية ممثل الإقامة العامة بالمدينة، الذي غدا يراقب الباشا في كل أعماله وقراراته، وبالتالي تولى التسيير الفعلي للمدينة في كافة ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية. كذلك همش هذا القانون وظيفة المحتسب الذي سلبت منه غالبية صلاحياته، خاصة بعدما صدر ظهير 29 غشت 1923 الذي أقر بالمغرب النظام المتري في المقاييس والمكاييل والأوزان، فلم يعد للمحتسب دور المراقبة في هذا الباب، وكذا يعد ظهير 8 غشت 1927 الذي أفقده كل سلطة تحكيمية (فض النزاعات المهنية) لصالح الباشا، وبذلك لم يعد المحتسب سوى عضو ثانوي في اللجنة البلدية، له مجرد دور استشاري في بعض القضايا التي كانت تدخل في نطاق اختصاصه.

أما المجلس البلدي، فهو جهاز غير منتخب، يعين أعضاؤه من طرف الإقامة العامة باقتراح من رئيس الجهة. فحتى 1927، كان هناك نوعان من المجالس : بعضها مؤلف من الأهالي فقط، والبعض الآخر من الأهالي والأوربيين. لكن بعد هذا التاريخ، دخل الأوربيون كل المجالس فأصبحت مختلطة. يختلف عدد الأعضاء حسب أهمية المدينة، كما تتفاوت نسب الأهالي ونسبة الأوربيين منهم تبعا لوزن كل طائفة في حجم السكان ؛ تمثيلية الأوربيين كانت دائما أقوى من تمثيلية المغاربة. تنعقد جلسات المجلس البلدي باستدعاء من الباشا (رئيسه الاسمي) أو رئيس الأشغال البلدية (رئيسه الفعلي). تعقد الجلسات مشتركة مبدئيا، لكن نظرا لمشاكل اللغة وتعارض المصالح واختلاف القضايا اللازم مناقشتها، غالبا ما كان المجلس

يتفرع إلى ثلاث لجن تشتغل كل منها على حدة يترأسها رئيس الأشغال البلدية أو مندوب عنه، الفرنسيون بالنسبة للأحياء الأوربية، والمسلمون بالنسبة للمدينة العتيقة، واليهود بالنسبة للملاح. إلى حدود 1926 كان الأعضاء يعينون لمدة سنة واحدة، ثم لمدة ثلاث سنوات بين 1926 و1931، لتصبح المدة ست سنوات بعد ذلك، مع قابلية تجديد نصف أعضاء المجلس كل ثلاث سنوات.

لم يكن لهذه المجالس المعينة سوى صلاحيات استشارية في القضايا التي يحددها القانون والمتعلقة أساسا بميزانية البلدية وإبرام العقود والصفقات ووضع برنامج الأشغال البلدية وتحديد أسعار المواد الأساسية، لكنها لا تملك حق الخوض في أي مسألة ذات طابع سياسي. ولميزانية البلدية موارد متنوعة، أهمها المكوس الحضرية المختلفة (عن المباني والعمليات التجارية والأسواق والمجازر والحفلات، واستعمال الطرق والمقابر) والعُشر المضاف إلى ضرائب الدولة، وريع الممتلكات البلدية من عقارات وغيرها، وعائدات الخدمات الجماعية التي تقدمها كتوزيع الماء والكهرباء وتيسير النقل العمومي. كما أن للبلدية، التي تتمتع بالأهلية المدنية، الحق في الحصول على مساعدات الدولة وكذا على القروض. وتصرف هذه الأموال أساسا لتسديد النفقات العامة لتسيير الجهاز الإداري البلدي وصيانة الطرقات والممتلكات البلدية ورفع الأزبال وتقديم الإعانات للمدارس والمؤسسات الخيرية.

ضمن هذا التنظيم العام،كانت هناك ثلاث مدن لها نظام بلدي خاص، نظراً لأهميتها، هي فاس والدار البيضاء وطنجة. فرغم كون فاس فقدت مع الحماية وظيفتها كعاصمة إدارية واقتصادية، فإن مكانتها ظلت مميزة بفعل ثقلها التاريخي ونفوذ تجارها ووزن علمائها وأعيانها. لذا أنشأ بها ظهير ثاني شتنبر 1912 مجلسا بلديا متميزا، وهو أول مجلس بلدي أحدث بالمغرب، يتألف من خمسة عشر عضوا، سبعة منهم معينون (الباشا وخلفاؤه الثلاثة ومحتسبان ومقرر يدعى بنائب المجلس) وثمانية منتخبون من طرف أعيان المدينة لمدة سنتين بحصة عضوين لكل من المقاطعات الحضرية الأربع، ويضاف إلى هؤلاء الأعضاء الذين لهم حق التصويت، أمين المستفاد الذي له رأي استشاري، علاوة على الترجمان الذي يدوّن محاضر الجلسات.حتى 1919، كان هناك مجلسان، أحدهما للمسلمين من أجل تدبير شؤون المدينة العتيقة، والثاني لليهود خاص بالملاح، ثم أنشىء بعد ذلك مجلس ثالث للفرنسيين لإدارة المدينة الجديدة.

كذلك أنشأ المقيم العام، ليوطي، مجلسا خاصا بالدارالبيضاء التي أرادها أن تكون العاصمة الاقتصادية للمغرب الجديد، والتي راحت الجالية الأوربية تتكاثر فيها بسرعة. كان المجلس يتكون من واحد وعشرين عضواً أوربيا، مقابل ستة مسلمين فقط ويهوديين. ونظراً لأهمية المشاريع وتعدد القضايا وتشعبها، يتفرع المجلس إلى لجن متخصصة (الشؤون العامة، الميزانية، الأشغال الكبرى، الطرقات، الأسواق والتغذية، الصحة، العمران...) يسير كلا منها خليفة لرئيس الأشغال البلدية.

وفي طنجة، وقّعت الدول الأوربية، سنة 1923، على معاهدة تحدد القانون الجديد لإدارة المدينة، معوِّضة بذلك الإدارة الدولية العاملة منذ 1878. هنا، يقوم مندوب السلطان بدور الباشا، أي رئيس البلدية، يترأس المجلس التشريعي الدولي المؤلف من سبعة وعشرين عضوا يمثلون السكان الأجانب والمغاربة الذي يصدر القوانين والقرارات التنظيمية. وتمارس لجنة الرقابة المكونة من قناصل الدول الموقعة على معاهدة الجزيرة الخضراء، إضافة إلى ممثلي الولايات المتحدة والاتحاد السفياتي منذ 1945، حق المصادقة أو الاعتراض على هذه القوانين والقرارات التي صوت عليها المجلس التشريعي. غير أن جل الوظائف الرئيسية يتقاسمها الفرنسيون والإسبانيون، كما يتولى مهمة الإدارة الفعلية للمدينة حاكم عام (وهو منصب يتناوب عليه الأوربيون) بمساعدة أربعة نواب أوربيين.

على غرار النظام البلدي الذي أقامه الفرنسيون في المنطقة الجنوبية من المغرب الخاضعة لهم، أنشأ الإسبانيون في المنطقة الشمالية بلديات في المدن التي كانت تتعدى آنذاك 2.000 نسمة. هناك أيضا يملك الباشا، ممثل خليفة السلطان، نفوذا صوريا كبيراً بصفته رئيس البلدية، غير أن الحاكم الحقيقي هو المراقب الإسباني المدني أو العسكري حسب الحالات، ويوجد المجلس البلدي، الذي يترأسه هنا المحتسب، تحت وصاية ومراقبة المندوب السامي الإسباني الذي يعين أعضاءه.

بقي هذا التنظيم البلدي، الذي وضع في أوائل الاحتلال، قائما بدون تغيير كبير طيلة مدة الحماية، في جنوب المغرب كما في شماله. وقد تبدلت الأوضاع شكليا مع الاستقلال بنهاية الإدارة الاستعمارية. ثم جاء قانون 23 يونيه 1960 المنظم للجماعات فأقر مبدأ انتخاب المجالس البلدية. غير أنه لم يمنحها أي صلاحيات هامة، بل قوى كثيرا مكانة الباشا الذي استعاد ما كان قد سلبه منه رئيس الاشغال البلدية من نفوذ، فغذا الحاكم شبه المطلق للمدينة.

ولزم انتظار قانون 30 شتنبر 1976 لتسجيل إصلاحات هامة على صعيد تنظيم وتسيير البلديات بحيث غدت المجالس أكثر تمثيلية للسكان، وخففت بشكل ملموس وصاية وزارة الداخلية عليها عن طريق إضعاف نفوذ الباشا وتدعيم دور رئيس المجلس الذي غدا هو المحرك الأساسي للبلدية، وعصب نشاطها. وأصبح للمجلس البلدي الصلاحية الكاملة في تحديد جدول أعمال جلساته دون أي تدخل مباشر للسلطة المركزية في ذلك، وكذا الأهلية لوضع برامج إنعاش وتجهيز المدينة في كافة الميادين الاجتماعية والاقتصادية في إطار الخطة الإنمائية الجهوية والوطنية.

ولتسهيل مأمورية المجالس البلدية، منح هذا القانون إمكانات مالية وبشرية جديدة وهامة للبلديات. فقد تم

إصلاح إجراءات المصادقة على ميزانية البلدية وتحسين تدبيرها. كما تدعمت المداخيل المالية بشكل واضح عن طريق إعفاء البلديات من بعض النفقات الإجبارية التي كانت تتحملها (بالنسبة للتعليم والصحة والشرطة وغير ذلك)، وحصولها على تسعة أعشار مداخيل الضريبة الحضرية (التي رفع قيمتها القانون المالي لسنة 1978)، علاوة على عائدات مكوس جديدة تستمد من استهلاك الماء والكهرباء بالمدينة، وكذا من استعمال الملاعب الرياضية البلدية. كذلك أصبحت البلديات تستفيد من الاعانات المالية التي يقدمها صندوق تنمية الجماعات المحلية الذي انشأته الدولة، وتستطيع أخذ القروض من صندوق تجهيز الجماعات وصندوق المدن العربية. وفي 1987، غدت البلديات تتقاضى 30٪ من مداخيل الضريبة على القيمة المضافة، علاوة على ما تدره الضريبة المهنية من مداخيل كبيرة.

ويخول المقانون أيضا للبلديات إمكانية إقامة نقابة فيما بينها من أجل التعاون لإنجاز مشاريع مشتركة تتطلب اعتمادات هامة وتبادل الخبرات، كما أن لها الحق في إبرام عمليات التوأمة مع مدن أجنبية عبر كل أنحاء العالم.

ولتحسين تدبير هذه المداخيل والقيام بالمهام الجديدة التي تحتاج إلى كفاءات أفضل، كان من اللازم تدعيم التأطير البشري للبلديات عن طريق توظيف مستخدمين يستجيبون للمتطلبات المحدثة. وقد ساعد على ذلك قانون جديد سوّى بين موظفي البلديات وموظفي الدولة، وكذا فتح مؤسسات لتكوين الأطر المتخصصة الضرورية.

ومما زاد من فعالية إصلاح 1976 في عديد من البلديات أن مستوى تكوين أعضاء المجالس البلدية قد تحسن بشكل عام بالمقارنة مع الفترات السابقة. فهؤلاء ينتخبون بالاقتراع المباشر لمدة ست سنوات. يلزم المجلس أن يجتمع أربع مرات في السنة في دورات عادية (فبراير، أبريل، غشت وأكتوبر)، يهيىء رئيس المجلس جدول الأعمال ويبعث بمحتواه للسلطات المحلية التي يمكنها أن تضيف إليه النقط التي ترى مناقشتها. كما يمكن استدعاء ممثلي المصالح الخارجية لحضور الجلسات.

هكذا يكون النظام البلدي بالمغرب قد مر بمراحل شتى وقطع لحد الأن أشواطا هامة ليصير من المؤسسات المهيكلة الرئيسية في حياة المدن الكبيرة والمتوسطة. وقد عمل نمو هذه المدن وتكاثر سكانها بسرعة وتعقد مشاكلها على تعدد البلديات وانتشارها عبر مختلف التراب الوطني. بل إن المدن الكبرى أصبحت تتقاسم كلا منها بلديات متعددة. إن عدد البلديات بالمغرب، بعد أن ظل مستقراً طيلة الفترة الاستعمارية قد صار في الستينات 28 بلدية، وفي السبعينات 29 بعد استرجاع مدينة إفني سنة 1969، و نحو 45 في مستهل الثمانينات (خمس منها بالصحراء المسترجعة وخمس أخرى بالدارالبيضاء)، وقرابة 70 بلدية في بداية التسعينات (باعتبار 17 بلدية بالدارالبيضاء وحدها، أربع بالرباط - سلا، وثلاث بكل من فاس ومكناس ومراكش).

P. Decroux, *La vie municipale au Maroc*, Paris, 1932 ; S. Benbachir, *L'Administration locale du Maroc*, Casablanca, 1969 ; M. Belfquih et A. Fadloullah, *Mécanismes et formes de croissance urbaine au Maroc*, Rabat, 1986 ; D. Basri, *L'Administration territoriale, l'expérience marocaine*, Paris, 1990.

عبداللطيف فضل الله

**البلديون**، فئة متميزة داخل المجتمع الفاسي التقليدي. وتطلق هذه التسمية على ذوي الأصل اليهودي الذين اعتنقوا الإسلام خلال حقب مختلفة. وقبل أن يُسموا بالبلديين كانوا يُنعتون بـ"المهاجرين" وبالإسلاميين أو "العوام". ومن البيانات التي تُقدم لتفسير مصطلح "المهاجرين" أن اليهود الذين رفضوا تبديل دينهم خلال عهد المرينيين أصبحوا ينعتون إخوانهم الذين اعتنقوا الإسلام بالمهاجرين، أي الذين هجروا اليهودية إلى الإسلام. إلا أن هذه التسمية اختفت بعد القرن الحادي عشر (17 م) لتحل محلها تسمية "البلديين"، وهو ما تؤكده المصادر المكتوبة

إن ظاهرة اعتناق الإسلام من طرف اليهود المغاربة ظاهرة قديمة ترجع إلى العصور الأولى للدعوة الإسلامية بشمال إفريقيا. ويشير عبدالواحد المراكشي إلى أن مسألة وجود الإسلاميين ذوي الأصل اليهودي قد شغلت بال الأمراء الموحدين الذين وضعوا يهود دولتهم أمام اختيارين لا ثالث لهما : إما الإسلام أو السيف. لذلك فإن يهود المغرب على عهد الموحدين إما أسلموا وإما تظاهروا بالإسلام في انتظار ظروف تسمح لهم بممارسة ديانتهم. وقد أدى ذلك إلى صعوبة التفريق بين المسلم حقاً والمتظاهر بالإسلام، وهو ما دفع الموحدين إلى أن يشككوا في حسن إسلام اليهود ككل، ويلزموا الجميع بلباس زي خاص تمييزاً لهم عن بقية الرعية.

لكن ظاهرة الإسلاميين لم تكتسب البُعد الذي عرفت به في تاريخ مدينة فاس إلا في عهد المرينيين. ففي عهد الدولة المرينية التحق بالإسلام عدد من الأسر اليهودية وذلك خلال ثلاث مراحل. المرحلة الأولى ابتدأت بسنة 1276/674 عندما هاجمت عامة فاس اليهود بالمدينة فتدخل السلطان أبو يوسف يعقوب (ت. 1286/685) لحمايتهم. وبعد هذا بقليل نقل السلطان عاصمته إلى فاس الجديد ونقل معه اليهود إلى ملاحها. ويُعتقد أن العديد من العائلات اليهودية فضلت اعتناق الإسلام لتبقى بالمدينة القديمة ولتُحافظ على مصالحها التجارية هناك.

أما المرحلة الثانية فيرجع تاريخها إلى سنة 1438/842، وهي مرتبطة بعودة الشرفاء الأدارسة إلى مسرح الحياة الدينية والسياسية بالمدينة. ففي تلك السنة بالضبط تم اكتشاف قبر المولى إدريس الذي أصبح ضريحاً يحيط به حرم يزار ويُقدس. وكان من الطبيعي أن تتعزز قُدسية المدينة القديمة بصفة عامة كنتيجة لذلك وأن يُطالب أهل الذمة بإخلاء "فندق اليهودي" للالتحاق بإخوانهم بفاس

الجديد. وهنا كذلك فضلت بعض عائلات الأثرياء من اليهود، خاصة ممن كانت لهم مصالح بالقيسارية، أن تعتنق الإسلام لتبقى بالمدينة الإدريسية.

وأخيراً هناك مرحلة ثالثة جاءت بعد سنة 1465/869 وهي السنة التي ثار فيها أهل فاس على عبدالحق بن أبي سعيد، آخر الملوك المرينيين، المعروف بعبدالحق الأصغر. وكان قد اتُّهم بتقريب اليهود وجعل أمور المسلمين في أيديهم. وتذكر المصادر التاريخية أن اليهود كانوا قد بلغوا في عهده شأواً كبيراً واستأثروا ببعض المناصب الهامة في الدولة كالوزارة والحجابة والإشراف على الشرطة وجمع المغارم والمكوس. وحسب *ذكر قصة المهاجرين* المجهول المؤلِّف فإن عبدالحق هذا كان يقبض المغارم حتى من الشرفاء، وهو ما أثار امتعاض واستياء أهل فاس بصفة عامة. وفي عهده كذلك استطاع البلديون أن يعودوا إلى قيسارية فاس بعد أن كانوا قد أخرجوا منها في سنة 1276/674. وبرجوعهم إلى القلب التجاري النابض للمدينة أصبحوا يزاولون الحرف والأنشطة التي كانوا ممنوعين منها بدعوى الغش وقلة المروءة والتعامل بالربّا. وقد سمح عبدالحق للبلديين بالعودة إلى القيسارية مقابل هدية سنوية تعهد هؤلاء بدفعها للسلطان. إلا أن أمر هذه الهدية لم يبق محصوراً في المهاجرين بل فُرضت المساهمة فيها على جميع تجار القيسارية بمن فيهم الشرفاء، وهذا ما أثار غضب أهل فاس وهيأ الظرف المواتي لتفجر الأوضاع ضداً على اليهود وعبدالحق الذي اتُّهم بالتواطؤ معهم وتفضيلهم على سائرالفئات الاجتماعية. وكان البلديون في عهده قد استفادوا من امتيازآخر زاد من حقد أهل فاس عليهم. وتمثل هذا الامتياز في تفويت الحوانيت الحُبسية لصالح التجار البلديين الذي سُمح لهم بشراء حق الجلوس فيها. واستمرت الأمور على هذا الحال إلى أن ثار أهل فاس بقيادة الشريف محمد الحفيد الجوطي على السلطان عبدالحق سنة 1465/869 وهي السنة التي قتلوه فيها ثم بايعوا الشريف المذكور محله. وكان ذلك إيذاناً بإطلاق يد القتل في يهود فاس وإخراج البلديين مرة أخرى من القيسارية بعد أن انتُزعت من أيديهم حوانيت الأحباس.

بقيت الأمور على حالها إلى أن جاء أحمد بن محمد الوطاسي (1549.1526/956.933) فرد الاعتبار للبلديين وعيَّن منهم أحمد المنجور الإسلامي قابضا للمكوس، وبما أنه كان في حاجة إلى المال لمحاربة السعديين بالجنوب فإنه سمح لتجارهم بالرجوع إلى القيسارية مقابل مبلغ يدفعونه كل سنة. ومن جديد احتدّ الصراع واختلف العلماء في فتاويهم حول مسألة التمييز بين البلديين وغيرهم من المسلمين. ولما جاء السعديون تمسك محمد الشيخ المهدي بالفتاوي المناوئة للبلديين فأخرج هؤلاء من أسواق فاس الإدريسية، لكن حفيده الأمير المامون الشيخ أصدر سنة 1601/1010 - عندما كان والياً على فاس نيابة عن والده أحمد المنصور الذهبي - ظهيراً يندد فيه بما كان الإسلاميون يتعرضون له من تَمييز واحتقار ويؤكد حق جميع تجار المسلمين في ولوج أسواق المدينة.

وبعد أن ضعفت الدولة السعدية خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر(17 م) أصبح البلديون بفاس عرضة من جديد للاضطهاد والتفرقة. وكان الفقيه محمد بن أحمد ميارة (ت. 1073 / 1662) في طليعة المدافعين عنهم من خلال مؤلفه *نصيحة المغترين وكفاية المضطرين في التفريق بين المسلمين* الذي بيَّن فيه بطلان الفتاوي التي تكرس التمييز بين المسلمين على أساس العرق أو الانتماء السابق لغير الإسلام. ويظهر من هذا المؤلَّف أن الشرفاء هم الذين كانوا يحملون لواء العداء للبلديين، وكان طبيعياً أن يؤكدوا على الحسب والنسب كأساس للتراتب الاجتماعي لأن ذلك كان يسمح لهم باحتلال الصدارة في المجتمع خاصة في مواجهة البلديين الذين استطاعوا بفضل كفاءتهم التجارية والعلمية أن يبرزوا كقوة تُضايق باقي الفئات الاجتماعية.

وعلى الرغم من مرور السنين والقرون فإن ظاهرة المهاجرين أو البلديين لم تتآكل بفعل الزمن وظلت تطفح إلى سطح الأحداث من حين لآخر. وخلال العصر العلوي استطاع البلديون أن يتبوؤوا مكانة متميزة في المجتمع الفاسي ونبغوا على الخصوص في مجال التجارة كنتيجة لتفتح المغرب المتزايد على التجارة الأوربية، ولكنهم كذلك أنجبوا العديد من العلماء اللامعين. ولاشك أن هذا النجاح كان وراء احتدام الصراع من جديد بشأن البلديين. ولم يكن المولى إسماعيل ينظر إليهم بعين الرضى و يرى فيهم قوة تُعارض سياسته بمدينة فاس سواء فيما يتعلق بمسألة تمليك الحراطين (موقف عبدالسلام جسوس) أو المساهمة العسكرية والجبائية للمدينة (تهرب أهل الثروة من تقديم الرماة). لكن المولى إسماعيل أقر تجارهم على وضعهم السابق الذي كان لهم زمن أخيه الرشيد والمتمثل في إبقائهم بالقيسارية مع إلزامهم بوضع شارة مُميزة فوق حوانيتهم. «فلما مات المولى إسماعيل أسقطوا الشارة بالمرة - يقول صاحب *ذكر قصة المهاجرين* - ولم يجدوا من يُنازع، وحتى إن وُجد مُنازع لا يصغى إليه» ويظهر أن العلاقة بين البلديين وباقي العناصر قد تأزمت بشكل ملحوظ خلال القرن الثاني عشر(18م )، والدليل على ذلك الجدل الذي ظهر حول أفضلية العرب أو بني إسرائيل، والتهم المضادة المتبادلة بين أنصار الحسب والنسب العربي والمسلمين الجدد المنسوبين إلى العجم. ومن تلك التهم ما وجهه محمد بن الطيب القادري (ت. 1773/1187) إلى العالم محمد بن زكري (ت. 1731/1144) من أنه ألف كتاباً ينتصر فيه لبني إسرائيل وينقص من شأن العرب. لكن القادري يعترف بأنه لم يطلع على الكتاب وأن ما وصله كان عن طريق السمع والرواية فقط. أما أبو القاسم الزياني (ت. 1833/1249) فيذكر أنه تحرى الأمر وطالع مؤلف ابن زكري دون أن يجد فيه أثراً لما اتُّهم به من شُعوبية. و الذي يهمنا هنا هو الجدل حول الموضوع وهو مؤشر واضح لاستمرار الصراع بين البلديين وخُصومهم.

وعند بداية القرن الثالث عشر (19 م) أُثيرت المسألة من جديد في شكل مؤلف وضعه أحمد بن عبدالسلام بناني (ت. 1234/1818) ينتصر فيه لابن زكري السابق الذكر وينفي عنه تهمة الشعوبية. ومما لا شك فيه أن البلديين أصبحوا مع نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر يحتلون مكانة اجتماعية متميزة، إذ نجد ضمن كبار التجار عدة أسماء تنتمي إلى هذه الفئة الاجتماعية، وفي مقدمتهم الطالب ابن جلون، أكبر التجار الفاسيين على الإطلاق وأمين بيت المال بفاس خلال عهد المولى سليمان. كما احتل العلماء البلديون الصدارة ضمن فقهاء الحضرة الإدريسية، وتكفي الإشارة هنا إلى محمد الطيب ابن كيران (ت. 1226/1812) شيخ الجماعة، وعبدالقادر ابن شقرون (ت. 1220/1805) وقد نُسب للسلطان المولى سُليمان تقريبُه البلديين وتفضيلُهم على غيرهم. ونجد في تاريخ الضعيف انتقاداً صريحاً لموقف السلطان تجاه هذه الفئة. «وكان السلطان - يقول الضعيف - يُساعدهم ويُوافقهم في الأمور ويُحبهم محبة كبيرة ويفضلهم على غيرهم من أهل فاس ويُعاملهم بالمال ويدفع في أيديهم السِّلع، ونالوا معه وأدركوا مالاً وافراً». كما يورد المؤرخ الرباطي بيتين لشاعر مجهول يعكسان نفس التذمر من سياسة المولى سليمان تجاه فئة البلديين :

بنو قُريضة قد نالوا مرادهـــمُ ... مــن الأميـر وحـازوا غايـةَ الأربِ
لا عيب فيه سوى تفضيلِه لهمُ ... على بنـي المصطفى وجملة العربِ

ولا شك أن البلديين قد استفادوا خلال القرن الثالث عشر (19 م) من الاندماج التدريجي لاقتصاد المغرب ضمن النظام العالمي وخاصة عبر نمو المبادلات التجارية مع أوربا. كما أن حاجة المخزن المتزايدة للمال وذوي الخبرة في تسيير الشؤون المالية والإدارية سمحت للعديد من التجار البلديين بولوج أبواب الخدمة المخزنية. وكانت نتيجة ذلك أن اتسعت الفوارق الاجتماعية بين أهل اليسار وغيرهم من الفئات التي تضررت من الآثار السلبية للانفتاح التجاري على أوربا. وقد اتخذ تذمر هذه الفئات عدة أشكال من بينها انتفاضة الدباغين بفاس عام 1290/ 1873 ضد الأمين محمد بنيس الذي حُمل مسؤولية فرض المكوس على أصحاب الحرف بالمدينة. ولا أدل على استمرار مشاعر العداء للبلديين بفاس خلال النصف الثاني من هذا القرن من هذه الأبيات لمحمد العربي المشرفي (ت. 1313/1895) :

كم من مكان بيّضوه بالبنـا ... وسودوا وجهَ الإسلام بالغنـــا
أموالُهم قد كثرت من الرِّبـا ... ومن مكوس صعدت على الرُّبا
تقدموا ونالوا غايـة الأربْ ... تـأمَّروا وذلَّ أبنـاءُ العـــربْ

مؤلف مجهول، *ذكر قصة المهاجرين بفاس*، مخطوط خ. ع. ك 8/270 ؛ م. ميارة، *نصيحة المغترين*، مخطوط خ. ع. م. ك 923 ضمن مجموع ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تـ. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1977، 1986.

محمد المنصور

**بَلْطي**، جنس أسماك نهرية بالخصوص، من شائكات الزعانف ومن فصيلة البلطيات Cichlidae ويدعى أيضا المشط.

من مميزاته منخر واحد في كل جانب بدل اثنين عند باقي الأسماك الأخرى. الحراشيف دُوَيْرية.

موطنه الأصلي افريقيا الاستوائية وشبه الاستوائية وقد تم إدخالها إلى بلدان أخرى بآسيا وأمريك الجنوبية والوسطى وذلك لمحاربة يرقنات الناموس والبعوض بالبحيرات وكذلك لتربيتها التي أعطت نتائج مرضية.

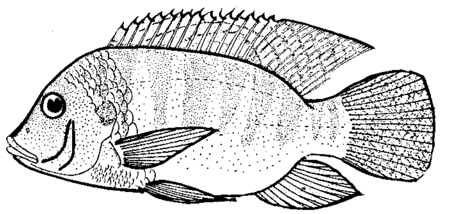

أنواع هذا الجنس كثيرة، جميعها متوسطة القد أو صغيرة يوجد منها نوعان بالمغرب بالأنهار القريبة من المناطق الصحراوية. يسمى النوع الأول بلطي زيلة Tilapia Zillü وهو شائع في الأنهار بأفريقيا الاستوائية والبيمدارية. **يبلغ طوله** 28 سم ويزن 1.000 - 1.070 غ. والنوع الثاني بلطي طبرية Sarotherodou galilaeus (Tilapia) يبلغ طوله 33-34سم ويزن 1.600 غ.

**تعيش هذه الأنواع بالأنهار المجاورة لتزنيت وتتغذى من الطحالب والبلانكتون والحيوانات الصغيرة ولكن الطيور الآكلة للحوم تُقْبل على اصطياده. أما الأهالي وإن اصطادوه فإنهم قلما يأكلونه لا لأنه غير صالح للتغذية، ولكن اعتباراً لعاداتهم الغذائية التي تلغي السمك غير البحري من مأكولاتهم.**

**يتميز البلطي بكون الأنثيات منه تبيض عدة مرات في السنة وتحتضن في أفواهها صغارها. لحمه لذيذ وكثيرا ما يكون جزءاً هاماً من الأسماك في أسواق عدة مدن إفريقية.**

J. Daget et J.R. Durand, *Les Poissons : Faune et flore aquatiques de l'Afrique Sahelo-Soudanienne* II, 1981 ; J.P. Farthouat, *Les ressources piscicoles des eaux du Maroc : Nature et forêts*, N° 5, 1975, p. 5 - 13.

محمد رمضاني ومحمد الملحاوي

**بلعيد، أحمد** بن محمد الزياني الرباطي، من حفاظ **الأشعار والموشحات والأزجال لطرب الآلة، ومن الماهرين في العزف على العود. كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، لكنه يتمتع بحس دقيق وذاكرة قوية، يلازم الوطني الغيور أحمد الجبلي العيدوني، ويعمل معه في ميدان الحركة الوطنية في عهودها الأولى، وعرف بالكرم والبذل على قلة ذات يده.**

**توفي بالرباط أوائل الخمسينات من هذا القرن.**

*تقاييد، ومعلومات خاصة.*

م. الأمين بلكناوي

**بَلْعيد** (الحاج ـ) **محمد** البعقيلي، من أكبر "الرّيّاس" الموسيقيّين الذين نتوفر على جزء مهم من أعمالهم ؛ فهو أشهر مؤلف موسيقي للأغنية الأمازيغية بالجنوب المغربي، وقد سجل أكثر من ستين قصيدة على أسطوانات " 78 دورة"، من بينها ثلاث عشرة أسطوانة أعيد تسجيلها على أسطوانات ميكروسيون " 45 دورة" قبل انتشار الشريط الصوتي (الكاسيط)، بالاضافة إلى مجموعة من القصائد الشعرية غير المسجلة. وبذلك يكون الحاج بلعيد من بين المغنين المغاربة الأوائل الذين سجلت إنجازاتهم الفنية في فونوغراف مع بداية العشرينات من هذا القرن، حيث بدأ الرايس بلعيد في تسجيل أغانيه لدى شركة "غراموفون" الانجليزية الأصل (قصيدة «وارلامان» رقم K 4094 مثلا) قبل أن يلتزم مع «بيضافون» التي تعتبر أكبر شركة غير أروبية للأسطوانات، والتي عملت في الشرق الأوسط وشمال افريقيا في مطلع هذا القرن (Racy : 39) ؛ إلا أن علاقة المغني السوسي بهذه الشركة لم تخل من مشاكل نتيجة لمحاولة ممثل بيضافون بالمغرب، السيد تيودور الخياط، استغلال الحاج بلعيد وفنه بأبخس الأثمان ؛ وتوجد عدة أدلة على ذلك من بينها رسالة مؤرخة بتاريخ 12 شعبان 1933/1352 يعبر فيها موجهها السيد محمد القباج لفناننا عن استعداده للتدخل لتسوية النزاع القائم بينه وبين الخياط. ومع ذلك فإن هذه المشاكل لم تمنع الحاج بلعيد من التعامل حتى السنوات الأخيرة من حياته مع شركة بيضافون في غياب بديل آخر.

كان الحاج بلعيد معلماً مشهوراً وسط "الروايس" في عهده. بل إن الكثير منهم تتلمذوا على يديه، حيث يكون تقديم أغانيهم عادة على الشكل التالي : الرايس فلان أمحضار ن ـ لحاج بلعيد (أي تلميذه).

سافر الحاج بلعيد إلى الشرق ومكث فيه سنتين متتابعتين حيث أدى فريضة الحج قبل رجوعه ليستمر في تكوين أفواج من" الروايس" إلى أن توفي قبل نهاية الحرب العالمية الثانية. وقد أشرف منذ الحرب العالمية الأولى على تكوين عدد من "الروايس" وعدة أجواق موسيقية. ويستفاد من رسالة مؤرخة بسنة 1919/1338 أنه كان يتم اللجوء إليه كفنان للحصول على بعض المغنين الأمازيغيين الراغبين في الغناء والرقص في المقاهي، وتفيد نفس الوثيقة أيضا أن الرايس محمد بُودْرَعْ كان عضواً في فرقته آنذاك قبل أن يعتزل المجموعة ليكون مجموعته الخاصة ؛ بينما ظل الرايس مبارك أ ُو ـ تْزرْوَالْتْ الذي رافقه منذ سنة 1927، إن لم نقل قبل هذا التاريخ، مرتبطاً به ووفياً له إلى آخر حياته. وكان الأمر كذلك بالنسبة للرايس العربي بن عبدالله.

ويحكى عن الحاج بلعيد أنه كان راعياً وهو غلام صغير في قريته أنُو ـ نْ ـ عْدُو التي تبعد عن مدينة تزنيت بمسافة اثني عشر كلم شرقاً. فكان آنذاك يتقن الغناء بالمزمار، مما جعله يلفت انتباه شيخ رماة سيدي محمد أ ُصالح أ ُتزروالت، الذي أدمجه في فرقته البهلوانية. وخلال تنقل الشاب بلعيد مع هذه الفرقة باعتباره واحداً ممن يتقنون الغناء بالمزمار، كان يعمد ـ في أوقات فراغه ـ إلى العزف على آلات موسيقية أخرى وخصوصاً منها الرّباب، وظل الأمر على هذا النحو إلى نهاية القرن الماضي تقريباً. وحسب أقدم وثيقة متوفرة لدينا، وهي وثيقة شخصية يعود تاريخها إلى سنة 1908 م، فإن الرايس بلعيد قد حل بمدينة طنجة قبل أن يسافر إلى الشرق العربي. وفي يوم 28 أكتوبر 1910 وصل بلعيد في طريق عودته من الحج إلى مدينة مرسيليا الفرنسية واتصل هناك بقنصلية الإمبراطورية العثمانية قبل عودته إلى طنجة ثم إلى الصويرة.

ومنذ ذلك الوقت والحاج بلعيد ينتقل مع مجموعاته المتوالية متجولا بين قصور القواد والأعيان في كل من سوس والأطلس وحتى في مراكش والصويرة. وما فتىء طوال هذه الفترة يتلقى من شتى مناطق البلاد دعوات مكتوبة يوجهها إلى بعض الرؤساء السياسيين والأغنياء، بل وحتى من الجاليات المغربية المقيمة بفرنسا. فالكل يود الاستماع إلى أغانيه وألحانه. كما كان في ذلك الوقت يتوصل بهدايا عينية بخاصة من القواد والأثرياء في الظروف العادية وحتى في أوقات الأزمات. وفي سنة 1932م كان الحاج بلعيد ضيفاً عند بروسبير ريكار Prosper Ricard في معهد الموسيقى المغربية الحديث التأسيس بالرباط، حيث قنن الباحث الموسيقي أليكسيس شوطان Alexis Chottin الخطوط الرئيسية لبعض أعماله الموسيقية شأنها شأن أعمال الرايس الساسبو والرايس إبراهيم (Service : 45-53). وكان الحاج التهامي الأكلاوي باشا مراكش هو الذي قدم الفنان السوسي للباحث الفرنسي المذكور.

وحسب ما رواه لنا المرحوم الشيخ الحاج موسى بن الطيفور، وهو واحد من الذين زودونا بأخبار الحاج بلعيد، فإن لقاء الأكلاوي بالحاج بلعيد كان في مدينة تزنيت إبّان الرّتْل (الطابور) الأول الموجه إلى سوس قصد الاحتلال سنة 1917 م بحضور القائد الطيب الكنتافي. ومنذ ذلك الوقت والحاج بلعيد ينزل ضيفا على أكلاوة بمراكش وتلوات.

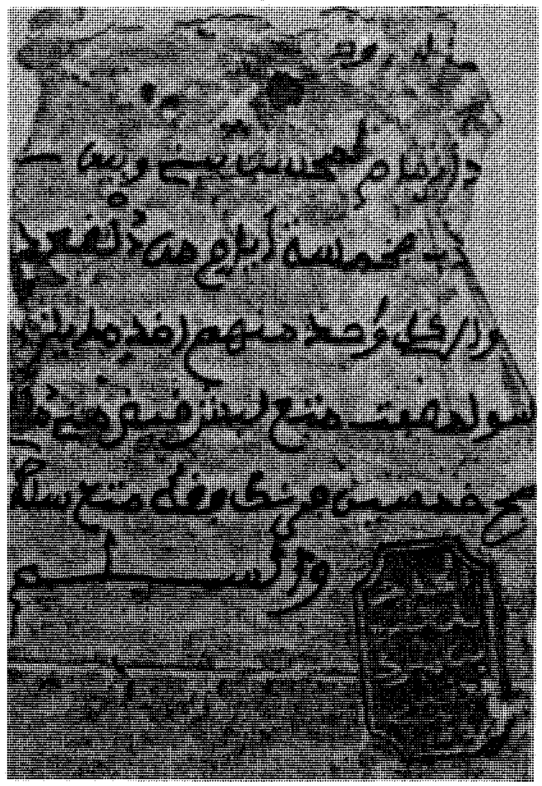

خط الحاج بلعيد وطابعه

كان الحاج بلعيد يقوم بجولات عمل في جنوب تزنيت إلى غاية نواحي أيت باعمران الواقعة آنئذ تحت حماية الإسبان، وفي شمالها حتى مراكش والصويرة، ولعل أطول جولاته وآخرها هي التي قام بها إلى العاصمة الفرنسية باريس سنة 1938. ولا شك أنه كان يطمح للذهاب إلى فرنسا منذ أن أنشد قصيدة بعنوان: أمُودُّون باريز (الرحلة الباريزية) يصف فيها - دون أن يكون موجوداً بعين المكان - حلول سلطان المغرب محمد بن يوسف بالعاصمة الفرنسية عام 1931 (Galand-Pernet : 47-51). ثم إنه توصل سنة 1935 بدعوة من الجالية المغربية بروبل - مالميزون (Rueil-Malmaison) بضواحي باريس وبأخرى بعد سنتين؛ غير أن الظروف لم تسمح له بتلبية الدعوتين. وفي الأخير فإن جولته في فرنسا جاءت نتيجة اتفاقه مع شخص يحمل اسم الرايس حماد شحوريم المعروف بكُّو - كْلُو كان يعمل في «سيرك» شعبي وأبرم مع فناننا عقداً مدته ثلاثة شهور يلتزم بموجبه الحاج بلعيد بتقديم سهرات موسيقية مقابل مبلغ ضئيل كل شهر. في حين التزم الرايس حماد هذا من جهته بتنظيم جميع جوانب العمل بما في ذلك سفر الحاج بلعيد وأفراد فرقته وإقامتهم. وقد غنى الحاج بلعيد خلال هذه الجولة في جانفيليي Genevilliers ونانتير Nanterre وكاتر- روت Quatre-Route بضواحي باريس، كما غنى في مدن أخرى حيث يوجد المهاجرون المغاربة كسانت - إيتيان Saint-Etienne وليون Lyon وغيرهما.

وخلال هذه الجولة سجل الحاج بلعيد لشركة بيضافون في باريس مجموعة من أخريات قصائده. وكانت هذه الأسطوانات تتميز بكونها تحمل في بدايتها الشعار الإشهاري التالي: «بيضافون الكومبنية الشهيرة، عمارة باريس، الحاج بلعيد والرايس مبارك والجماعة بحضور الأستاذ محمد عبدالوهاب». وكان من عادة هذه الشركة استعمال هذا النوع من المغالطات الإشهارية، مع العلم أن المغني المصري المذكور لم يكن حاظراً حسب المرحوم سيدي محمد أُبوبكر الذي كان آنذاك عضواً في مجموعة الحاج بلعيد. في الواقع كان الأستاذ عبدالوهاب قد أصبح شريكاً جديداً في شركة بيضافون منذ عام 1931 م لما توفي ممثل مصر داخل الشركة، السيد بطرس بيضا، وهو أحد الإخوان الثلاثة المسؤلين عن شركة بيضافون (Racy : 41).

وفي سنة 1940 نقرأ في وثائق الحاج بلعيد أنه قد أعفي من الخدمة المخزنية بسبب تقدمه في السن. وبعد بضع سنوات توفي الحاج بلعيد حوالي عام 1944/1364 بعد أسبوع من المرض ودفن في قريته أنو- ن - عدّو بإدا - أُوبعْقيل.

*اعتمدنا في هذا التعريف بالحاج بلعيد على استجوابات* مع شيوخ من تزنيت وضواحيها وعلى *بعض الوثائق* الموجودة في حوزة الرايس محمد ابن المرحوم. ومن بين *الأشخاص* الذين زودونا بمعلومات عن الحاج بلعيد الشيخ الحاج موسى بن الطيفور المتوفي في شهر فبراير 1990 عن سن تناهز المائة سنة، وكان ابن الطيفور يستضيف باستمرار الحاج بلعيد في رياضه بالعواينة؛ كذلك سيدي محمد أُبوبكر المتوفى في الثمانينات الذي كان عضوا في آخر فرقة رأسها الحاج بلعيد؛ والحاج محمد أُالعواينة والحاج الحسين إكيدر وكلاهما يستهويهما فن الحاج بلعيد من صباهما. فلهم جميعا منا جزيل الشكر.

Services des Arts Indigènes, *Corpus de musique marocaine*, fasc. II, Paris, 1933 ; P. Galand-Pernet, *Recueil de poèmes chleuhs*, Paris, 1972 ; A. Racy, *Record Industry an Egyptian Traditional Music : 1904 - 1932*, *Ethnomusicology*, 20 (1), 1976, p. 23 - 48.

عبد الرحمان لخصاصي

**البلغة**، جاء في معجم دوزي حول كلمة «بلغة» ما يلي: "... هي النعل المصنوع من الحلفاء، كما أشار أيضاً إلى البيت الشعري الذي نقله ابن عبدالمالك المراكشي (القرن 8هـ) عن ابن عسكر المالقي (ت. 636 هـ) حول البلغاء:

لتبليغها المضطرُ تدعى ببُلْغَة     وإن قست بالتشبيه شبّهتها نعلا

تبين مما سلف ذكره أن وجود البلغة بالغرب الإسلامي قد عُرف منذ القديم كما لا تزال تلك البلغة المصنوعة من

الحلفاء مستعملة في بعض مناطق المغرب خاصة الجبلية إلى حدود الستينات. وتسمى بالأمازيغية "أركَاسَنْ"، ويوجد نموذج من هذا الطراز معروضا بمتحف البطحاء في الجناح الخاص بالمجال القروي. وما يسمى الآن «البلغة» عند عامة الناس هو نوع من الأحذية المصنوعة من الجلد المدبوغ، يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع :

1 - بلغة الرجال : وهي كلها من الجلد "فالوجه" يتكون من جلد الماعز مبطن بجلد الغنم، والنعل يتكون من جلد البقر.

2 - بلغة النساء : وتسمى "الشربيل" ويكون هذا النوع مطروزا بخيوط مذهبة أو بالحرير أو الجلد الملون ويكون "الوجه" في بعض الأحيان من الثوب. و"الشربيل" يلبس عادة في مناسبات خاصة كالأعراس والأعياد.

3 - النوع الأخير يسمى "الرِّيحيَّة"، ويكون كله من الجلد وتطرز بالجلد الملون في بعض المناطَق المغربية.

وكانت صناعة البلغة في بعض المدن المغربية تعد من أنشط الحرف بها، فمدينة مراكش مثلا كانت تتوفر في سنة 1923 على 1411 صانعا يعملون في قطاع "البلاغي"، وكان هذا العدد موزعا على 300 معمل، كما توفرت في

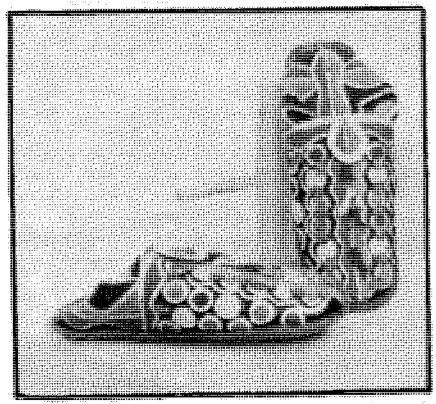

نفس السنة على واحد ومائة بائع لهذا الإنتاج.

أما مدينة فاس المشهورة بجودة إنتاجها في هذا القطاع في جميع أنحاء المغرب، بل حتى في بعض البلدان العربية الأخرى، فكان عدد "الخرازة" صانعي البلغة بها يصل إلى ألفي خراز سنة 1936، وكانت البلغة المغربية تصدر إلى باقي بلدان المغرب العربي ومصر والسينغال. وإذا كانت بعض المواد الحديثة "كالكارتون" و"البلاستيك" قد دخلت الآن في صناعة البلغة، بالإضافة إلى انتشار استعمال الأحذية العصرية، فإن البلغة ما زالت تتميز بجودتها وأناقتها واستطاعت أن تفرض وجودها في السوق الوطني وحتى في الخارج.

R. Dozy, *Supplèment*, T. 1 : 113 ; L. Massignon, *Enquête sur les corpotations d'artisans et de commerçants au Maroc, R.M.M.*, 1927, T. 58, p. 14 ; R. Guyot, R. Letourneau et L. Paye, *Les cordonniers de Fès, Hesp.*, T. XXIII, fasc., I, p. 8, 1936 ; P. Ricard. *Les métiers manuels à Fès, Hesp.*, 2ème Tr., p. 217, 1924.

علي أمهان

**البَلْغمِي** - أسرة - ← البلاغمة

**البَلْغمِي، التهامي** بن الحسن الفيلالي "الفقيه العلامة المشارك المطلع القاضي الأعدل المدرس النفاعة" (*سل النصال*)، ولد بفاس الجديد وبها نشأ وقرأ على كبار شيوخ عصره أمثال مَحمد القادري، ومَحمد گنون، ومحمد بن جعفر الكتاني، والمهدي الوزاني، وأحمد بن الخياط، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري.

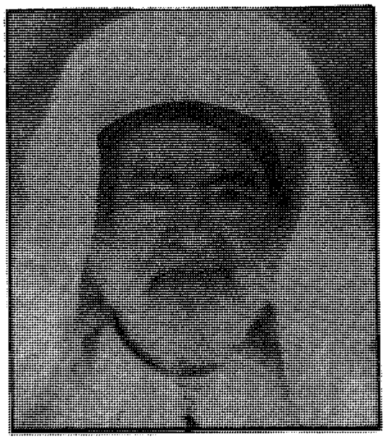

اشتغل مدة طويلة بالتدريس وانتفع به عدد كثير من الطلبة، ومنهم عبدالسلام ابن سودة الذي ترجم له في فهرس شيوخه *سل النصال*. وتولى القضاء في عدد من المدن، أخراها مدينة تازا التي ظل قاضيا بها إلى أن تقدمت سنه كثيرا، فأُخر عن القضاء، ورجع إلى مسقط رأسه فاس الجديد حيث أدركته المنية صباح يوم الاثنين خامس عشر شعبان عام 1379 / 14 فبراير 1960..

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1309 ؛ *سل النصال*، الترجمة 50.

محمد حجي

**بلغيث، عبدالواحد** بن يوسف بن علي الشريف، وبلغيث أو أبو الغيث كنية له بها عرف واشتهر فصار أولاده يعرفون بأولاد بلغيث ثم بالبلغيثيين. كان عبد الواحد بلغيث يشتغل بالتجارة موصوفاً من لدن معاصريه بالصلاح والنسك، وخلّف من الأولاد ستة بسجلماسة. كانت منازلهم معروفة هناك في قصر يسمى أَخَنُوس بجوار ضريح مولاي علي الشريف بالريصاني. لم نقف على سنة وفاة عبدالواحد هذا، ومرقده يوجد بمقبرة سيدي بوزكري بسجلماسة، وقبره مزارة هناك.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، 228 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، 297 ؛ *الدر السني*، 53 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 210 ؛ *الشجرة الشماء*، 275.

عبدالعزيز بوعصاب

**البلغيثي**، أسرة علوية من شرفاء سجلماسة الحسنيين، أخذت اسمها من الجد بلغيث (أبي الغيث) عبد الواحد بن يوسف بن مولاي علي الشريف سابق الترجمة.

وقد خرج أبناء بلغيث الستة من تافيلالت وتفرقوا في جهات المغرب فتكونت منهم فروع البلغيثيين في الحواضر والبوادي من بلاد توات بأقصى الجنوب إلى مراكش وفاس ومكناس وزرهون وتازا. وتكاثر البلغيثيون في الحاضرة الإدريسية وتفرعوا إلى أهل حومة العيون، وأهل الطالعة، وأهل حومة النجارين، وأهل الجزيرة، وأهل زقاق الحجر، حسبما هو مفصل في *الدرر البهية*. وأنجبت هذه الأسرة في القرون الخمسة الأخيرة عدداً من العلماء والأدباء والصالحين.

م. ابن الحاج، *الإشراف على بعض من فاس من الأشراف*، مخطوط ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 210 ـ 230 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 11.

**البلغيثي، أحمد** بن **العربي** العلوي الحسني، فقيه أديب شاعر، اختلفت فيه روايتا إدريس الفضيلي وعباس الحجرتي السجلماسي، وكلاهما معاصر له. فقد حلاه الأول في *الدرر البهية* (1 : 228) بقوله :"يتقلب في بحر الإنشاء، كيف يشاء، فإذا نظم جواهر اللآلي، في سلوك المعالي، أو أسس قواعد المباني، في عمود المعاني، أتقن مبانيه غاية الإتقان، وحذف ما ثبت لابن خاقان ..." وقال إنه تولى خطة الكتابة في بلاط الحسن الأول مدة طويلة، وكان ملحوظاً لديه إلى أن أدركته الوفاة. بينما قال عنه الثاني في *الروض اليانع* :"الفقيه العالم العدل الفرضي... كان رحمه الله يتعاطى الشهادة بسماط عدول هذه الحضرة (فاس)، ثم لما تولى القائد السيد عبد الله بن أحمد السوسي تولى الكتابة معه هو والسيد محمد الصنهاجي، وبقيا كذلك إلى أن صارا كاتبين مع الوزير السيد محمد بت العربي الجامعي".

فقد يكون المترجمان مختلفين متفقين اسماً ونسباً، وإلا أمكن الجمع بين الروايتين بأن أحمد البلغيثي اشتغل بالشهادة والكتابة مع القائد والوزير قبل أن ينتقل إلى البلاط السلطاني، وإن كان سياق الحجرتي يقتضي أن عمله مع الوزير الجامعي اتصل بمرضه التي توفي منه ليلة الأربعاء ثالث وعشري ربيع الثاني عام 1307 / 11 دجنبر 1889.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 229-228 ؛ ع. الحجرتي السجلماسي، *الروض اليانع*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1307 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

**البلغيثي، أحمد** بن **علي** بن محمد العلوي الحسني، من فرع البلغيثيين أهل زقاق الحجر بفاس، كان "علامة مشاركاً موقتاً معدلاً" (*إتحاف*)، له شرح *منهاج الطالب في تعديل الكواكب*، توجد نسخة منه بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا في 45 صفحة، لعله بخط الميقاتي محمد ابن علي الأغزاوي الفاسي. ومتن *منهاج الطالب* لأحمد ابن البناء المراكشي.

كان أحمد البلغيثي وثيق الصلة بالسلطان المولى سليمان، فوجهه صحبة ولده الطيب لزيارة ضريح الشيخ عبد السلام ابن مشيش فدخلوا تطوان وصعدوا أحد أبراجها، واتفق أن انفجر فيه صندوق بارود فمات أحمد البلغيثي بذلك الانفجار عام 1208 / 1793.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 227 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1208 ؛ م. حجي، *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية*، 515. 516.

**البلغيثي، أحمد** بن **المامون** بن الطيب العلوي الحسني. ولد بفاس عام 1282 / 1865 وبها درس على أعلام الشيوخ أمثال محمد بن عبد الرحمان العلوي قاضي الجماعة بفاس، وعبد الملك بن محمد العلوي الضرير، ومحمد بن المدني گنون، وأحمد بن الطالب ابن سودة، وجعفر بن إدريس الكتاني، وأحمد بن الخياط الزكاري، ومحمد بن قاسم القادري، ومحمد بن التهامي الوزاني، وعبد الله بن إدريس البدراوي. وأجازه بعضهم ورحل إلى المشرق ثلاث مرات، أولاها عام 1307 / 1889 حيث مكث ستة أشهر لقي خلالها جماعة من الشيوخ أخذ عنهم، وأجازه منهم بدر الدين بن يوسف المغربي الدمشقي.

كان أحمد بن المامون البلغيثي فقيهاً أصولياً معقولياً، وأديباً شاعراً ناثراً، وصوفياً تجانياً ذاكراً، ووطنياً غيوراً يشارك طلبته الشباب بفكره وعمله وماله، لا ينقطع عن التدريس في الإقامة والظعن، ولا يجف له قلم في تحرير الكتب التي يؤلفها، والرسائل والقصائد والمقامات التي يحبرها. وبالجملة كان وجهاً مشرقاً متميزاً في سماء المعرفة والأدب والشهامة بالمغرب طوال النصف الأول من القرن الرابع عشر (19 م). تولى خطة القضاء قبل الحماية

بالصويرة مرتين وبالعرائش. ثم عين عضواً بمجلس الاستيناف الشرعي بالرباط مرتين، فكان أكثر مقامه بمنزل باشا سلا العلامة الحاج محمد الصبيحي الذي كان شبه ناد علمي أدبي يغشاه كل مساء علماء العدوتين وأدباؤهما، وفي مقدمتهم الشاعر الطيب بن عبد الله ابن خضراء، والأديب المؤرخ محمد بوجندار. وكم لهم من مساجلات نثرية وشعرية تعد - لو جُمعت - طرفة أدبية رائعة. كما تولى قضاء الدار البيضاء ومكناس، ولم يكن يقرّ له قرار في مختلف الوظائف التي شغلها لصلابته في الحق وعدم مداراته فيه.

ألف أحمد بن المامون البلغيثي عدداً غير قليل من الكتب، طبع بعضها في حياته، وبقي معظمها مخطوطاً عند ولده الشاعر عبد المالك في فاس، وبعضها في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، منها :

*الابتهاج بنور السراج* شرح به قصيدة الأديب العربي المساري في العلم وآداب التعلم. طبع بمصر في جزءين عام 1319 ؛ *حسن النظرة في أحكام الهجرة*، طبع أيضاً ؛ ديوان شعر : *تنسم عبير الأزهار بتسنم ثغور الأشعار*، مخطوط في أربعة أجزاء ؛ *تشنيف الأسماع، بأسماء الجماع، وما يلائمه من مستلذات السماع*، جزآن، *مجلي الحقائق، فيما يتعلق بالصلاة على خير الخلائق* ؛ *تحبير طرسي، بعبير نفسي، في التعبير عن نفسي* ؛ *فتاوى وأحكام*، في ثلاثة أجزاء ؛ *بيان الخسارة، في بضاعة من يحط من مقام التجارة* ؛ *استدراك الفلتة على من قَطع بقطع البتّة* ؛ *تشطير قصيدة ابن أبي جمرة في ختم صحيح البخاري* ؛ *رحلة حجازية* مخطوطة، *رحلة حجازية* ثانية منظومة بعنوان *النحلة الموهوبة النجازية، في الرحلة الميمونة الحجازية*، طبع بفاس عام 1346 / 1927.

توفي أحمد بن المامون البلغيثي بفاس عام 1348 / 1929.

أ. البلغيثي نفسه، *تحبير طرسي*، مخطوط ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 225 ؛ م. القباج، *الأدب العربي في المغرب الأقصى*، 1 : 15 ؛ ع. ابن إبراهيم، *جواهر الكمال*، 1 : 52 ؛ م. المختار السوسي، *الإلغيات*، 2 : 227 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، 437 ؛ ع. الفاسي، *معجم الشيوخ*، 1 : 183 ؛ أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، 102 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1348 ؛ *سل النصال*، الترجمة 7 ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 39 - 40 ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 134 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 1 : 201 ؛ م. رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، 2 : 56 ؛ إ. البغدادي، *إيضاح المكنون*، 1 : 9 ؛ م. العلمي، *أحمد بن المامون البلغيثي وبعض مظاهر التجديد في شعره*، ندوة كلية الآداب - وجدة 1984، الدار البيضاء 1986 ؛ *تحقيق ديوان أحمد بن المامون البلغيثي*، د.د.ع.

**البلغيثي، إدريس** بن الطايع العلوي الحسني الفاسي. عالم رياضي موقت حكيم مشارك، امتاز في عصره بالتفوق في العلوم العقلية، وهو الذي صحح كتاب *إقليدس* حين طبع على الحجر بفاس.

توفي بفاس في 28 رجب عام 1322 / 8 غشت 1904.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1322.

**البلغيثي، إدريس بن عبد الرحمان** العلوي الحسني. "له باع طويل في التدريس والفتيا، إمام في سائر العلوم". اختصر *المعيار المغرب* لأحمد الونشريسي في سفرين. وعاش ممتعاً بالحظوة والثروة مع القناعة والزهد. ولم يذكر الفضيلي تاريخ وفاته.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 252 - 253.

**البلغيثي، الطاهر** بن أحمد العلوي الحسني. ولد عام 1276 / 1859، ودرس على كبار شيوخ القرويين بفاس إلى أن تخرج فقيهاً أديباً ناثراً شاعراً. وفي سنة 1296 / 1878 عمل كاتباً مع الحسن الأول ثم مع ابنه عبد العزيز. له كناشة علمية حافلة وقف عليها عبد السلام ابن سودة، كما وقف له على *قصائد* عديدة جلها في المدح، وأورد له قطعة خمّس به إحدى قصائد أبي نواس الخمرية.

توفي بمراكش يوم الاثنين ثامن ذي قعدة عام 1316 / 20 مارس 1899، ودفن بروضة الشيخ عبد القادر الجيلالي هناك.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 229 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1316 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 265 - 267.

**البلغيثي، الطايع** بن محمد بن هاشم العلوي الحسني، عالم عامل وصالح عارف. أخذ عن الشيخين التاودي ابن سودة، وابن شقرون وغيرهما، وكان على صلة وثقة بالولي أبي القاسم الوزير الغساني.

توفي بتافيلات في ربيع الثاني عام 1234 / يناير - يبراير 1819.

م. الكتاني، *سلوة*، 3، 28.

**البلغيثي، عبد الكريم** بن محمد بن أحمد العلوي الحسني، "فقيه نبيه، باقعة زمانه وأوحده نبلا وفضلا وسياسة وجوداً وشجاعة وإقداماً" (*إتحاف أعلام*، 5 : 294).

استوزره السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل، وقاسى معه شدائد الاضطرابات التي تسبب فيها جيش العبيد، ولا تعرف ظروف وفاته ولا تاريخه على وجه التحديد، وإنما يذكر أنه توفي بمكناس في حدود الخمسين 1150 / 1737 زمن الوباء. ومن المعلوم أن المولى عبد الله انهزم في هذه السنة أمام أخيه محمد ابن عربية الذي كان يؤازره عبيد البخاري، وطاردوه إلى تافيلالت، فانقطعت السبل وقلت الأقوات وعم الوباء.

م. القادري، *التقاط الدرر*، 2 : 276 - 381 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 5 : 294.

**البلغيثي، العربي** بن أحمد بن علي العلوي الحسني، حلاه السجلماسي الحجرتي في *الروض الطيب* "بالفقيه

العلامة الأصولي الفرضي الحيسوبي". تولى الخطابة بجامع الرصيف، ونقابة الشرفاء بفاس.

وكان إلى ذلك أديباً شاعراً، له *ديوان* صغير كله في المديح النبوي. توفي مطعوناً أواسط ربيع الثاني عام 1271/ يناير 1855، ودفن بوصية منه في مقابر الغرباء خارج باب عجيسة.

العباس السلجماسي الحجرتي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 227 ـ 228 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1271.

**البلغيثي، علي** بن محمد ابن الشريف الحسني، جد البلغيثيين أهل زقاق الحجربفاس. "كان عالماً عاملا مشاركاً، تفقه على الفقيه العلامة سيدي أحمد بن مبارك اللمطي البكري وغيره من أقرانه، وانتفع به خلق كثير". (*الدرر*).

سكن أولا مدينة تازا واشتغل فيها بالتدريس، ثم انتقل إلى فاس أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1171 ـ 1207 / 1757 ـ 1792) وكان حظياً لديه.

توفي بفاس (دون تحديد تاريخ) ودفن بضريح الشيخ عبد العزيز الدباغ خارج باب الفتح.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 226 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 204.

**البلغيثي، المامون** بن الطيب العلوي الحسني، والد العالم الأديب أحمد بن المامون البلغيثي سابق الترجمة. من الشرفاء البلغيثيين أهل حومة النجارين بفاس. حلاه في *الدرر البهية* بقوله :"أحد العباد القانتين، الأخيار المنتخبين الذاكرين الناسكين... وهو من أهل الثروة والمجادة، والتعظيم والسيادة". ولاه الحسن الأول نقابة الأشراف فأحسن السيرة إلى أن أدركته الوفاة يوم الجمعة عاشر ذي الحجة عام 1316 / 21 مارس 1899. ودفن بقبة الشيخ علي ابن حرزهم خارج باب الفتوح.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 224 ـ 225 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1316.

**البلغيثي، محمد بن أحمد** بن العربي العلوي الحسني "الشيخ العلامة المشارك الأصيل سلالة العلم والأدب" (إتحاف). أخذ عن والده أحمد البلغيثي ومحمد بن التهامي الوزاني، ومحمد بن المدني گنون، ومَحمد القادري، وعبد الله البدراوي وغيرهم.

كان ملازماً لضريح المولى إدريس الأزهر، منقطعاً للعبادة والإفادة، إلى أن توفي صبيحة الجمعة تاسع رجب عام 1335 / فاتح ماي 1917 ودفن بروضة الشيخ محمد بن الحسن خارج باب عجيسة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1335 ؛ *سل النصال*، مخطوط، الترجمة 161.

**البلغيثي محمد بن الطاهر** بن أحمد العلوي الحسني. ولد بفاس أواخر القرن الثالث عشر (19 م) ودرس على والده الطاهر البلغيثي، وعبد الله الكامل الأمراني، وعبد الملك العلوي الضرير، ومحمد گنون، ومحمد القادري، وأحمد بن الطالب ابن سودة وغيرهم. حلاه في *سل النصال* بقوله :"الشيخ الجليل العلامة المشارك المستحضر المطلع المدافع عن الحق بأقواله وأفعاله من غير خوف ولا وجل ولا مداهنة ولا نفاق".

ويعد محمد بن الطاهر البلغيثي في طليعة الوطنيين الذين رفضوا الحماية منذ فُرضت على المغرب، لذلك نُفي إلى إسبانيا مدة، ثم رجع واستقر بمراكش مشتغلا بالتدريس، وكان من الآخذين عنه عبد السلام ابن سودة، لذلك ترجم له في جملة شيوخه في فهرسه *سل النصال*، وذكر أن أكثر ما استفاد منه عن حوادث المغرب في بداية الحماية.

توفي، وقد أشرف على مائة سنة، في آخر ربيع الأول عام 1388 / 17 يونيه 1968، ودفن بدار سكناه في الزاوية العباسية بمدينة مراكش.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1388 ؛ *سل النصال*، مخطوط، الترجمة 185.

**البلغيثي، محمد** بن **الطيب** العلوي الحسني، من أهل زاوية زرهون، "فقيه علامة محقق عدل رضى وجيه بركة فاضل، منور السريرة وقور معتقد عالي الهمة صلب في دينه". ولي منصب نائب قاضي زرهون من عام 1250 إلى عام 1260، وألف *شرحاً على حكم ابن عطاء الله* في جزءين، ونسخ بخطه *صحيح البخاري* وغيره، واشتهر عقبه في زرهون بأولاد القاضي.

توفي بمسقط رأسه زرهون عام 1263 / 1846 ودفن بالظهير المقبرة المعروفة هناك.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : 188 ـ 189 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1263.

**البلغيثي، محمد المبارك** بن الطايع بن محمد بن هاشم العلوي الحسني، لا يُعرف عنه إلا أنه كان "علامة مشاركاً من أهل فاس".

توفي في آخر رمضان عام 1235 / 11 يوليوز 1820 زمن الوباء.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 29 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1235.

**البلغيثي، مصطفى** بن الطايع بن محمد بن هاشم العلوي الحسني. ديِّن صالح نسابة من أهل فاس، ينسب إليه *كتاب الدرة الفائقة في أبناء علي وفاطمة*.

توفي ليلة الخميس رابع وعشري شعبان عام 1268 / 13 يونيه 1852 ودفن بقبة الشيخ أبي القاسم الوزير بالقباب.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 30 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1268.

محمد حجي

**بَلْقاسم أُبراهيم،** (أهل ـ) تنتمي هذه الفصيلة إلى جدها الفعلي بلقاسم أُبراهيم بن داود بن الفقير بن سيدي أحمد الركيبي الجدّ الأسمي لقبيلة الركيبات. وإذا كان داود بن الفقير قد تزوج سنة 1680/1110 بامرأة من قبيلة سلام المعقلية (*جوامع المهمات*)، فإن ابنه إبراهيم تزوج بدوره من أخواله. وتزوج ابنه بلقاسم سنة 1762/1182 من فصيلة أولاد بوكرزي المنتمية إلى أولاد المولات المعقليين. وعن هذا الزواج تفرع أهل بلقاسم أُبراهيم الذين ينتمون كما نرى إلى القواسم من الركيبات.

ومما يؤكد الامتياز الروحي لأهل بلقاسم أُبراهيم من بين فصائل القبيلة، أن افراكهم تعرف عادة "بمحصر العناية". فقد اعتادوا ارتياد الكلأ والمراعي المحاذية للضفة الشمالية للساقية الحمراء (M. Dupat, *Notes*, 1937) حيث تربطهم بلفّيْ تكنة أوثق روابط التحالفات الحمائية، ومعلوم أن النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد عرف انجراف تجارة القوافل نحو السواحل حيث تسربت التجارة الأروبية بشكل قاتل، وبتفكك البنيات التجارية اختلّت الموازين التحالفية وأصبح على القبائل المرابطية المسالمة أن تتحمل مشقة الدفاع عن نفسها، وكانت قبل ذلك من مهام قبائل تكنة. وبذلك يدخل الركيبات في الدوامة العامة التي جعلت المواجهة تكون شاملة والصراع من أجل مراقبة المجال عنيفا.

وقد تسبب الاحتلال الفرنسي لمدينة تنبكتو سنة 1894 في احتدام الصراع خاصة بين الركيبات وتحكانت. فما كان من هؤلاء إلا أن تحالفوا مع البرابر لمباغتة محصر العناية بخنيگ السكوم بجوار الساقية الحمراء. فكانت النتيجة أن فقد أهل بلقاسم أُبراهيم جل رجالاتهم وإبلهم وخيامهم. وهو ما أفقد باقي الركيبات صوابهم فاندفعوا في أثر الغزاة إلى أن لحقوا بهم بالحمادة في المكان المعروف بالعريضة. ولكن تفوق عدد الغزاة تسبب في هزيمة الركيبات الذين فقدوا في المعركة خيرة محاربيهم وخاصة منهم أهل باد، كما أشار إلى ذلك محمد سالم ولد عبدالحي في مخطوطه *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*.


م. سالم ولد الحبيب ولد عبدالحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، ت.م. ناعمي، 1991.

M. Dupat, *Notes sur la confédération des Reguibats Legouacem*, CHEAM, N° 770, Paris, 1937 ; S. Caratini, *Les Reguibats*, Paris, 1988.


مصطفى ناعمي

**بلقاسم، لحسن** بن محمد، ولد سنة 1900 بأسًا، إقليم گلميم. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956، وشارك مشاركة فعالة في الكفاح المسلح الذي خاضه جيش التحرير بالصحراء المغربية، ضمن المقاطعة السابعة بقيادة مبارك منار. كما خاض عدة هجومات ومعارك الرغيوة، ووادي الصفا وغيرها إلى أن استشهد بحمادة بالصحراء المغربية سنة 1959.


*وثائق المندوبية السامية للمقاومة.*


عزالدين العلام

**بُلُكّين** بن **زيري** بن مناد، أول أمراء الأسرة الزيرية الصنهاجية التي استخلفها الفاطميون على افريقية بعد رحيلهم إلى مصر. أبوه زيري كان له الفضل في القضاء على ثورة أبي يزيد الخارجي (947/335) التي كادت تطيح بالعرش الفاطمي. وبعد مقتله سنة 970/360 في إحدى حروبه مع زناتة، تولى ولده بلكين زعامة صنهاجة، وبادر بتمهيد سبيل الثأر لأبيه، فسحق بني يفرن ومغراوة في المغرب الأوسط وطردهم إلى ما وراء نهر ملوية، مظهراً بذلك كفايته الحربية. فكان من الطبيعي أن يختاره الخليفة الفاطمي المعز (975.952/365.341) ليخلفه على افريقية عندما قرر نقل مقر الخلافة إلى القاهرة في 21 شوال 5/361 غشت 972. وقد شرفه بلقب أبي الفتوح، وسماه بيوسف.

كرس بلكين عهده (984.972/373.362) لتأكيد حضور الفاطميين أمام خصومهم الزناتيين وأمويي الأندلس. وقام في هذا الاطار بحملة كاسحة على المغرب سنة 979/369. قبيل هذه الحملة، كان الخليفة الأموي، الحكم الثاني (976.961/366.350)، قد أعاد المغرب إلى حظيرة السيادة الأموية بعد قمع ثورة الأدارسة بزعامة الحسن بن گنون (362.361 هـ). وبعد وفاته، تابع الحاجب الأموي المنصور بن أبي عامر سياسته القائمة على إبقاء هذه البلاد تحت سيطرة الأندلس لتكون خط دفاعها الأمامي ضد الخطر الشيعي.

في ظل هذه الظروف، خرج بلكّين من افريقية، وأناخ على فاس سنة 979/369، وقتل عامليها محمداً بن علي بن قشوش، وعبدالكريم بن ثعلبة، واستعمل عليها محمداً بن عامر المكناسي. وولى وجهه شطر سجلماسة، وقتل صاحبها ابن خزرالمغراوي. ثم اجتاح اقليم الهبط، وتعقب رؤساء زناتة الذين انحازوا جميعا إلى سبتة مستصرخين بالمنصور بن أبي عامر. وأما الجيش الضخم الذي أعده هذا الأخير بظاهر المدينة، لم يجد الأمير الزيري بداً من الرجوع أدراجه، لكنه اجتاح البصرة وهدمها، وزحف إلى أصيلا واستولى عليها، ثم قصد برغواطة وقتل أميرها صالح بن عيسى بن أبي الأنصار. وبذلك استولى على المغرب كله ـ عدا سبتة ـ ومحا دعوة بني أمية من بقاعة.

تعتبر هذه الحملة آخر محاولة هامة قام بها أتباع الفاطميين لاعادة بسط نفوذهم على المغرب. وبعد رجوع بلكين، ووفاته في 11 ذي الحجة 25/373 ماي 984، عاد الزناتيون إلى احتلال مواقعهم في البلاد.


H. R. Idris, *La Berbérie Orientale sous les Zirides, Xe - XIIe siècles*, Paris, 1962, T. 1, p. 55 - 59.


محمد الأمين البزاز

**بـلاّ** (ابن ـ) **مسعود** العبدي، فقيه صالح شهير في قبيلة عبدة في القرن الثالث عشر (19 م)، أصله من أولاد بو السباع، ثم استوطن عبدة وأسس بها مدرسة شمال ساحل أسفي على مقربة من سيدي بوشتا، وكان الطلبة يقصدونه من جميع النواحي المجاورة، ومازالت بناية هذه المدرسة قائمة، وبها اليوم مسجد وكتّاب.


*رواية شفوية واطلاع ميداني.*


عبد الرحيم العطاوي

**بـلاَ نْتَرْعَمْتْ**، أوبلاً واحْسين، حكيم شاعر، ومنشد شعبي يسترعي الانتباه في زمانه عندما يقف في الملاعب الأحواشية التي تقام احتفاءً بمختلف مناسبات الزفاف والعقيقة والإعذار وخلال الأعياد التي يحتفل بها سكان القبائل الواقعة فيما بين أيت باها وتافراوت وإداكنضيف إلى شتوكة على مشارف ماسة باقليم أگادير.

واسمه بلا نْترعمت مشلّح ومختصر لاسم (عبدالله الناقة) وُلد وترعرع بقرية تولحاج قبيلة أيت واسُّو بمنطقة أيت باها، وهو قصير القامة سذج بسيط في لباسه ومأكله وأسلوبه في الحياة، لكنه ذكي دقيق الملاحظة يتميز بموهبة شعرية وفنية، يمزج الشعر الشعبي الشلحي بالحكمة البالغة رغم أنه لا يقرأ ولا يكتب، وكان في قمة عطاءاته الشعرية خلال الثلاثينيات حيث ذاع صيته وامتدت شهرته إلى جميع مناطق سوس والجنوب المغربي، وما يزال البعض حتى الآن يحفظ أشعاره وأقواله المأثورة وخاصة ما يتعلق بحواراته مع أحد كبار شعراء أحواش بسوس وهو الشاعر الشعبي البنضيگ الكثيري.

توفي - حسب رواية بعض معاصريه - قبل الأحداث التاريخية التي عرفها مركز أيت باها ضد الاحتلال الفرنسي لمنطقة سوس سنة 1936 بعد أن تقدم به السن إلى درجة أنه كان في أواخر حياته يحمل عكازاً يتكئ عليه.

*روايات شفوية.*

أحمد أمزال لعسري

**بَـلاّرج**، طائر من فصيلة اللقلقيات Ciconiidae ورتبة طوال الساق، يسمى علمياً Ciconia coconia وبلارج هو اسمه الشائع في المغرب العربي ويعرف باللقلق أو اللقلاق في معظم البلدان العربية الشرقية، ويعرف أيضا بالعنز في مصر والحاج لقلق أو الحاج بلارج لزعم العامة أنه يحج. ويطلق عليه في لبنان البجع وهذا خلاف ما ورد في كتب اللغة لأن كلمة "بجع" تطلق على جنس Pelecanus وهو طائر مائي كبير له حوصله عظيمة، وتوزيعه الجغرافي يقتصر على بلدان شرق الأبيض المتوسط وآسيا وأستراليا ولا يوجد في المغرب إلا في حديقة الحيوانات.

سمي بلارج باللقلق للقلقته أي طقطقة منقاره فإنه لا يصوت من حنجرته كسائر الطيور. إنه طويل الساقين والعنق والمنقار، قصير الذيل، أحمر الرجلين والساقين والمنقار، أبيض اللون ماعدا قوادم الجناحين فهي سوداء. يتراوح طوله ما بين 100 و105 سم. غالباً ما يقف على ساق واحد أثناء الاستراحة.

إنه من الطيور القواطع يفرخ في شمال أوروبا وأواسطها والمغرب والجزائر وتونس وآسيا الصغرى والعراق، ويشتو في أفريقيا الاستوائية ولا يفرخ في مصر وإنما يعبرها في قطعه. شوهدت الطيور المختصة في المغرب في غانا ونجيريا ومالي كما شوهدت في المغرب الطيور المختصة في ألمانيا وإسبانيا. للتذكير فإن الخواتم توضع للصغار قبل مغادرة العش.

يعيش هذا الطائر بجوار الإنسان الذي أنسَه منذ القدم واحترمه. يتغذى من الحيوانات المضرة للإنسان كالأفاعي والفيران والجراد وباقي الحشرات والديدان ويأكل أيضا الضفادع. يتكون عشه الضخم من الأغصان والأعشاب والطين يبنيه عادة فوق أعالي المباني المأمونة والأشجار والصخور وكثيراً ما يُستعمل العش عدة سنين من نفس الطائر الذي يعود إليه بعد الهجرة الشتائية.

تبيض الأنثى عادة ابتداء من شهر فبراير وتمتد مدة التوالد إلى غاية شهر أبريل. تضع الأنثى في المرتفعات من 3 إلى 5 بيضات عادة ونادراً واحدة أو 6، لونها أبيض يبلغ طول قطريها 73×52 ملم.

تدوم مدة الحضانة 29 إلى 34 يوما ويقدم الزوجان للصغار الحشرات والديدان وأحيانا صغار الضفادع. وبعد 55 يوما يغادر العش ويلاحظ في شهر يوليوز مجموعات متعددة الأفراد تستعد للهجرة نحو افريقيا الاستوائية.

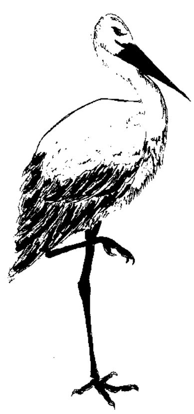

إن بلارج شائع في المغرب بينما عرف عدده انخفاضا ملحوظا في أوروبا. وهو طائر مقدس لا يُؤكل لحمه ويلاحظ في شمال المغرب أن بعض الأعشاش تفرغ من الصغار وذلك لأن بعض الناس يعتقدون أن هذا يحل مشكل العقم عند المرأة.

نذكر في المغرب أيضا نوعاً آخر من نفس الفصيلة اللقلاقية وهو البلارج الأسود Ciconia nigra المعروف بالعَنْز والمعز وهو أبيض البطن وأسفل الذنب، أحمر الرجلين والمنقار وسائره أسود، يبلغ طوله 97 سم.

يفرخ في شمال أوروبا وأواسطها وآسيا الصغرى ويشتو في جنوب افريقيا والهند. يعبر المغرب أثناء القطع خلال فصل الربيع وفصل الخريف وقد شوهد مراراً بماسة وأولوز والضويات ونواحي تطوان.

إنه أقل شيوعاً من البلارج الأبيض ولا يعيش بجوار الإنسان.

أ. معلوف، *معجم الحيوان*، ص 237.

H. Heinzel, F. Fitter et J. Pabslow, *Oiseaux d'Europe d'Afrique du Nord et du Moyen Orient*, Neuchatel, Suisse, p. 320; C. Harrisson, *Nids, œufs et poussins*, Bruxelles ; J. Pineau et M. Giraud-Audine, *Les oiseaux de la peninsule tingitane*, Trav. Inst. Sci. Zool, N° 38, Rabat.

محمد رمضاني

**بلأرج** (فندق ـ) ← **البوعنانية** بسلا

**بَلأوْ** (أهل ـ) تنتمي هذه الفصيلة إلى بلاو بن موسى بن علي بن سيدي أحمد الركيبي الجد الأسمى لقبيلة الركيبات بالصحراء الأطلنتية. وقد أدى اتساع فصيلة أولاد موسى إلى تمييز الوضع التسلسلي القرابي لأهل بلاّو باعتبارهم سليلي الابن الكبير لموسى. فمفهوم وحدة التسلسل القرابي ينشأ ابتداءً من مبدأ التدرج النسبي مضمراً بذلك أحقية الأخ الأكبر. وهكذا فإن أهل بلأو يتفرعون بدورهم إلى أهل يحيى، وأهل إبراهيم، وأهل بابا حمو، وأهل بوزيد وْبلاَ،ّو وأهل سوفي. وقد وجه مجمل هؤلاء فاعليتهم نحو التسيُّد على أولاد موسى الذين يتزعمون بدورهم اللف الساحلي للقبيلة. فنجد محمياتهم من التجزئات والفصائل الأخرى كأهل بوعلية، وأهل بويالله وأهل البويشير من قبيلة أولاد تيدرارين، وأهل مبروك، وأهل سويدي احمدُو من أهل داود، وأهل تايني ولد بشرة من أولاد الشيخ، وبعض أهل دادي، وأهل الكوري ولد عمار ولد داود من أهل لحسن، وأهل عبدالفتاح ولد الشيگر من أولاد بوالسباع، وأهل ددّي.

ويعود انشطار أهل بلأو إلى فصيلة مستقلة إلى فترة انتقال القبيلة الركيبية من مرابطية محمية من طرف تكنة الذين غادروا مسالك التجارة بعد انجرافها نحو المرافئ الأروبية، إلى مُحاربة تعتمد على نفسها في المواجهات الخارجية. ومعلوم أن انسحاب تكنة التدريجي نحو شمال الساقية الحمراء قد تسبب في مرحلة من الصراعات وتناقض المصالح بين سائر القبائل المحمية دامت زهاء قرن. وقد عُرف علي ولد بَلأو منذ نهاية القرن الثامن عشر بتصديه لقبيلتي تجكانت وأولاد بوالسباع شأنه في ذلك شأن الشيگر ولد باب المساوي. فقد كانا من بين الأوائل الذين استعملوا بنادق الوروار المحصل عليها بوادي نون ابتداءاً من 1796 (Larribaud, 253).

وهنا لا بد لكي نعني بالدور الحربي الطلائعي لأهل بلأو الذي يجرى مفعوله على العصبيات الأخرى من الإشارة إلى أهل أفريبط، فهؤلاء يمثلون أصلب تجزئة داخل فصيلة أهل بلأو تميزت بسمعة المحاربين الأشداء إلى ما بعد سنة 1934. فقد استطاع أهل أفريبط قلب الموازين الاعتيادية حين ادخلوا المعقليين أولاد سالم تحت حمايتهم بعد أن هزموهم. وبالرغم من أن منافسة الفصائل الأخرى وخاصة أولاد لحسن قد انتهت بكسر هذه العلاقة (*جوامع المهمات*، 91 ؛ Caratini, 88, 89) فإن سمعة أهل أفريبط ومن خلالهم أهل بلأو لم تزدد إلا قوة. لقد عُرف أهل أفريبط بأنهم أول من ناوش أعداء الركيبات التاريخيين أولاد دليم. فتعملوا الدفاع عن محميي أولاد دليم من أولاد أحمد وأولاد تيدرارين الذين اعتادوا منذ القرن الثاني عشر (18 م) دفع اغفار لحاميهم. وقد جاء هذا الدفاع عبر عملية عسكرية أفقدت أولاد دليم عشرة من محاربيهم وأُدخلت أولاد تيدرارين تحت حماية أهل أفريبط (*جوامع*، 91.92). كان محمد ولد الخليل يومها على رأس تجزئة أولاد القاضي من فصيلة أولاد موسى. وبالرغم من موقفه المنافس لأهل بلأو، فإن لجوء أولاد دليم إلى لف أيت الجمل التكني وخاصة أيت لحسن، إدى إلى التحام المواقف الركيبية ضد العدو الخارجي. لقد اضطر أولاد دليم يومها إلى طلب المساعدة من لف أيت الجمل عن طريق إزرگيين. ولكن هؤلاء رفضوا حسب ما أورده Caro Baroja مجبرين بذلك أولاد دليم على التوجه شمالا نحو أيت لحسن ومعلنين انتقال الصراع لأول مرة شمال وادي درعة.

هكذا وبالرغم من استحالة الدخول مع تكنة في مناوشات حربية فإن المساهمة الفعلية لأهل أفريبط تتجلى في رغبتهم التوسعية وتطوير الإطار الهيكلي للقبيلة جمعاء. على أن هذه الميزة الهجومية مهما اشتدت مع تطور الأحداث، فإنها تظل رهينة بظروف الترحال الرعوي التي تفرضها الظروف المناخية لتربية الإبل. فتدجين الوسط الطبيعي يقتضي تتبع الكلأ بضفتي الصحراء : أدرار التمر جنوباً ووادي درعة شمالا. نخلص بذلك إلى الارتباط العضوي بين فصائل هذه القبيلة والظروف المناخية المتوفرة بضفتي الصحراء حيث الكلأ والمرعى باستمرار. هذه المميزات الأساسية لمنطقة أدرار التمر جنوبا ستؤهل الحاكم الفرنسي في عين المكان للضغط على كبار الرحل بما فيهم اللف الساحلي لقبيلة الركيبيات. فقد أدت سنوات الجفاف إلى احتداد الأزمة السياسية بين فصائل هذه القبيلة لمعرفة ما إذا كان الأولى هو إبرام اتفاقيات مهادنة مرحلية مع الوجود الفرنسي بأدرار. وكان من نتائج الجفاف أن ظهرت عمليات مد وجزر قربت بين بعض الفصائل الركيبية والحاكم الفرنسي خلال سنوات الجفاف وفرّقت بينهم خلال السنوات المطرة. فكثيرا ما سجلت التقارير الفرنسية عدم احترام الفصائل لالتراماتها مع ظهور المطر والابتعاد داخل الصحراء. لم يكن إذن من المستغرب أن نجد أهل بلأو وأولاد القاضي من فصيلة أولاد موسى والتهالات بصدد ابرام اتفاقية مع الحاكم الفرنسي Gaden بسان لوي St Louis سنة 1925 (Brissaud, 1938). فعلينا أن نفرق هنا بين الضرورة التي فرضها الجفاف هذه السنة على مربي الإبل والاستراتيجية السياسية الفرنسية البعيدة المدى. لم يكن بين طرفي الالتزام أي تحالف موضوعي تفترضه إستراتيجية التغلغل الاقتصادي المشترك. بل الأولى أن نأخذ هذا الوضع بعين الاعتبار لفرز الخلط والخطأ النظريين إذ يتبين لنا أن وراءه خلفيتين سياسيتين متناقضتين. ذلك أنه بينما عرفت نفس السنة مغادرة الماريشال ليوطي للمغرب معلنة بداية الاستعدادات الفرنسية لمهاجمة الصحراء شمالا وشرقاً وجنوباً، يفقد أولاد موسى رئيسهم محمد ولد الخليل وتعرف التناقضات والمفارقات بين مواقف فصائل القبيلة تطوراً كبيراً. فقد بدأت جبهة هذه الفصائل في التصدع أمام الرحف الفرنسي المتزايد واختلفت المواقف بفعل العوامل الخاصة المميزة لكل فصيلة. وهكذا ستعرف

نفس السنة إمضاء أول اتفاقية بين الحاكم الفرنسي بأدرار وفصيلة القواسم من اللف الشرقي عن طريق كبيرهم لحبيب ولد البيلاّل (Brissaud, 1938). وستستمر الوضعية على ماهي عليه بفعل الجفاف المتزايد إلى أن عرفت سنة 1927 صراعاً عنيفا بين الفقرا ومعهم بعض التهالات المتمردين على اتفاقهم مع الحاكم الفرنسي من جهة، وأهل أفريبط ومحمييهم إدْ يعقوب والشيخ سعدبوه أخي الشيخ ماء العينين قرب مقطر من جهة ثانية. تسبب هذا الصراع في جرح أبي زيد ولد محمد أُبراهيم ولد افريبط بعد أن فقد 150 رأسا من قطيع إبله. وعلى أساس الأخذ بثأرهم انطلق محاربو أهل أفريبط (70 أو 80 مدفعا) إلى تندوف مصحوبين ببعض أهل محمد بن القاضي من السكَارني قصد مباغتة الفقرا من الناحية الشمالية الشرقية (Fournier, Archives Nationales, Nouakchott, 13/3/1927, A. P. E/2/77) وقد كان من نتيجة هذه العملية أن تسببت هزيمة الفقرا في مسارعتهم إلى أدرار التمر لإبرام اتفاقية سلام مع الحاكم العام. ويفيد الضابط Tranchant في تقرير له بتاريخ 1928/1/12 بأن محمد سالم ولد أفريبط كبير أهل بلاّو قد توجه إلى سان لوي St Louis للدفاع أمام الحاكم العام عن سياسته الحربية ضد باقي الفصائل المتمردة أو الرافضة لموالاة فرنسا، وهو موقف يبدو متطرفا من حيث حرصه على تركيز الوجود الفرنسي. ولكن علينا أن نفرق بين هذه الرؤيا والمعرفة المبنية على الموروث السلالي والقرابي كظاهرة أكثر بروزا. يجب أن نعلم بأن هذا الموقف لم يتأت إلا لمجابهة موقف محيمد ولد محمد ولد الخليل كبير أولاد موسى الذي تميز بموقفه ضد استعمال العنف. فنكتشف بذلك مرة أخرى طبيعة التنافس بين أهل بلاّو وأولاد موسى من أجل التسيُّد على رگيبات الساحل. الدليل على ذلك هو دور أمطار سنتي 1932 و1933 في تغيير مجرى الأحداث. فقد لعب انتشار فصائل الرگيبات بكل من الحنك وزمور والساقية الحمراء في اشتعال نار مجابهة الوجود الفرنسي بدائرتي أدرار والترارزة. هذا ما يمكن أن نسجله ابتداء من شهر سبتمبر 1931 الذي عرف عملية غزي تجونين. فقد قام مائة وعشرون محاربا رگيبيا على رأسهم محمد المامون وأحمد ولد حمادي وعلي ولد ميارة الذي لم يتجاوز يومها سن العشرين بالقضاء على كتيبة فرنسية وغنيمة أسلحتها وذخيرتها. وكان من نتائج هذه الغزوة أن خرج أولاد موسى عن التزاماتهم ليتبعهم بعد ذلك بقليل أهل أفريط ومجمل الفصائل والتجزئات المسالمة لفرنسا.

لم يكن من شأن استعمال الطائرات أن يضعف من عزيمة هذه الفصائل التي استفادت سياسيا وعسكريا من التناقضات الفرنسية - الإسبانية حول مراقبة المنطقة. كما أن بوادر الفتور قد بدت على ضباط "الگوم" من أبناء القبائل المحلية حيث رفضوا تدريجياً المحاربة باسم فرنسا. على أن أهم غزوة قام بها أولاد موسى، وأهل بلاّو المنشقون عن فرنسا انتهت بالفشل الذريع. وقد كان على رأس هذه الغزوة التاريخية المعروفة بغزي السودان في مارس سنة 1932 لعروسي ولد بابا حمُو من أهل بلاّو ومحمد سالم ولد عبدالحي قاضي رگيبات الساحل وصاحب كتاب *جوامع المهمات*. فقد اجتمع مائة وأربعون محارباً بعيون عبدالمالك لينطلقوا في اتجاه الجنوب الشرقي حيث يستهدفون كتيبة فرنسية قرب بئر تيجيجيل. وقد وقعت العملية في السادس من أبريل لتفشل بسبب الاستعداد المسبق للكتيبة التي كانت قد اتخذت جميع الاحتياطات بمجرد أن أخبرها البر ولد لحبيب من فصيلة أولاد الشيخ ومحمد ولد الناجم من كبار أهل بلاّو (Cercle de l'Adrar, *Rapport Politique*, Archives Nationales, Nouakchott, Juin 1932) لقد أعدت الكتيبة الفرنسية مدفعا رشاشاً للمناسبة وأحاطت تكنتها بالأسلاك الشائكة. وبالرغم من المحاولات المتكررة ووصول لعروسي رئيس الغزوة إلى الداخل فإن الكتيبة تمكنت من "قتله وحصد عدد قليل من الغزاة. وتمكن هؤلاء بعد مقتل رئيسهم من الانسحاب بعد أن قادوا أكبر عدد من الإبل منقسمين إلى قسمين. اتجه القسم الأول نحو الجنوب حيث وجد أمامه محاصرة فعلية من طرف قبيلة مشظوف بتمبدرة ولم ينج منها إلا بمشقة. أما القسم الثاني فقد اتجه نحو الشرق مضطراً إلى المرور ببئر القصيب بالحدود الفاصلة بين أزواد وتيرس. وهي عملية شاقة تقتضي تجنب أكبر عدد من الكتائب الفرنسية الملاحقة ومواجهة الإعياء والعطش والرياح الحارة التي أحرقت المراعي. وهكذا لم تصل إلا قلة قليلة إلى البئر لتجد في انتظارها كتيبتين تابعتين للدائرة الفرنسية بالسودان والدائرة الفرنسية بمالي، وقد قرر ضابط الكتيبة السودانية قتل جميع المسجونين بينما قرر الضابط الآخر الاحتفاظ بهم. وقر رأيهما أخيراً على توزيعهما إلى قسمين تنفذ فيهما التعليمات حسبما ارتأياه. وبذلك تنتهي هذه العملية المعروفة محليا بغزي تجيجيل والتي أفقدت أولاد موسى وأهل بلاّو سبعين محاربا وأفقدت أولاد القاضي أربعين محاربا.

وفي نفس شهر أبريل قام أحمد ولد حمادي وعلي ولد ميارة بتجميع جيش محلي مكون من أربعمائة محارب من أولاد دليم والعروسيين وأربعمائة محارب من القواسم من اللف الشرقي من الرگيبات ومائة وثمانين من محاربي اللف الساحلي وأربعين محارباً من قبائل مختلفة. على أن هذا الحجم قد تجلى من حيث هو كرمز للإرادة القبلية في التحدي والمواجهة أكثر منه جبهة متحدة. فقد فشلت جميع المحاولات التنسيقية ولم يقوموا بأي عملية خاصة، وأن الطيران الفرنسي قد أسهم بشكل كبير في كشف المحاولات وصدها. وكانت فصائل الرگيبات تنتظر إلى شهر غشت حين غزا بعض العناصر من قبيلة الكدادرة اهل الشيخ مبارك من أهل بلاّو وأهل داف من أولاد موسى (حوالي ألف رأس) بمنطقة عيون عبدالمالك. فجاءت هذه الغزوة من بين العوامل التي أطرت لعملية التونسي التاريخية التي

أفقدت دائرة الترارزة سبعة وثلاثين عسكريا ونجا فرنسي واحد. ففي عملية انتحارية انطلق أولاد دليم والعروسيون والركيبات من تيرس مخترقين مجمل التراب الموريطاني من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي في وقت تميزت شبكات المراقبة الفرنسية بقوتها وفعاليتها ومراكزها المحصنة وكتائبها المتحركة. وقد نشرت عمليات أبناء المنطقة الرعب الكبير بين الفرنسيين وأعوانهم بكل من أدرار وتگانت والترارزة قبل الرجوع من جديد إلى المنطقة الساحلية (Caratini, 189).

إن الاحتفاظ لأهل بلاّو بهويتهم الخاصة كنموذج لفصيلة لكبار الرحل ضرورة تفرضها المعرفة لذاتها. فقد عاشت وتعيش تجارب عصرها بما يشرح مواقفها وممارساتها أو يبررها. وهي ليست في الواقع إلا امتدادا للتجربة الكبرى، تجربة قبيلة الركيبات في وسطها الطبيعي والاجتماعي.

محمد سالم ولد لحبيب ولد الحسين ولد عبدالحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، دراسة وتحقيق م. ناعمي ، الرباط، 1991.

M. Brissaud, *Historique de la question Rgueibat*, Nouakchott, Archives nationales, A.P.E/2/82, 1938 ; J. Caro Baroja, *Estudios Saharianos, Instituto de Estudios Africanos*, Madrid, 1955 ; S. Caratini, *Les Rgaybat : Des Chameliers à la conquête d'un territoire*, T. I, Paris, 1989 ; J. Larribaud, *Tindouf et le Sahara Occidental*, Archives de l'Institut Pasteur d'Alger, XXX, N° 3, Alger, septembre 1952.

مصطفى ناعمي

## بلبريك بوجمعة (مغن شلحي) ← أنشّاد

**بَلّة** (أهل ـ)، يمثل أهل بلة إحدى فصائل أيت احماد أُعلي من قبيلة ازوافيط التكنية (م.ناعمي، *ازوافيط، معلمة*) ويرد ازوافيط احماد أُعلي إلى عثمان بن أحمد بن إبراهيم بن عثمان الذي قد يكون هو ابن مندى عامل عبدالله بن ياسين على نول لمطة خلال القرن الخامس (11م). أما مدى صلاحية انتماء أهل بلة إلى هذا النسب الصنهاجي، فإن تضارب الروايات يحدّ في الوقت الراهن الابحاث من الفصل فيه. ذلك أن ما يزيد من حدة التناقضات اختلاف أيت احماد أُعلي أنفسهم حول أنسابهم. فمنهم من يحد عدد الفصائل المؤسسة في بلة والمعطي واحماد واسعيد وحمو. ومنهم من يكذب أو يضيف إلى هذا العدد فصائل أخرى. ومهما يكن من أمرفإن أهل بلة الذين يهمنا أمرهم هنا ينتمون إلى احماد أعلى الذي يصعب تحديد هويته وتاريخه الفعلي. ويضيف أهل بلة بأن جدهم الفعلي قد خلف ابنين وبنتاً واحدة : علي واحماد ورقية، وقد خلف علي كلا من محمد مولود واحمدفال واعلي والبشير والحسين والكورية وفاطمة. أما احماد فقد خلف علي سالم والحريطاني الذي يحمل اسم أخواله من أبناء بوالسباع والأمين وعبدالله والسالكة وفاطمة وعائشة والباتول. أما رقية بنت بلة فلم تعقب. تعتبر هذه الأسماء أعلاما حقيقية لوحدات عائلية حديثة التكوين. ذلك أن أربعة أجيال فقط تفصل بينها وبين آخر أحفادها الحاليين.

وفي هذا السياق لا بد أن نشير إلى الاختلاف البين الذي ميز سيرورة هذه الأجيال الأربعة مركزين على الفوارق الجوهرية التي أصبحت تفصل أبناء علي ولد بلة عن أبناء احماد ولد بلة. فبينما يقتصر أبناء علي على ممارسة الفلاحة التقليدية وتربية المواشي، يتميز أبناء وحفدة احماد باهتمامهم الكبير بالتجارة عبر مسالك الصحراء، وقد عرفوا بخبرة واسعة في هذا الميدان الذي جعل منهم أسماء لامعة على ضفتي الصحراء. أما تديّن أهل الحريطاني وخاصة منهم أحمد وابنه محمد علي فقد جاء على ما يبدو نتيجة لتاثير أخوالهم من أولاد بوالسباع ذوي الصيت الذائع في هذا الباب (*جوامع المهمات*).

ولابد أن نشير أيضا إلى مساهمة أهل الحريطاني خاصة في تطوير وتأطير الوجود الزفاطي بموريتانيا منذ بداية هذا القرن. ولعله أمر يرجع إلى زمن اقرضوا فيه مجمل القبيلة مبالغ مالية أسهمت على حد قول السيد بلعيد ولد الحريطاني في حل بعض المشاكل العالقة يومئذ. من هنا ندرك إلى أي مدى يمكن لعائلة معينة أن تتميز بدور طلائعي يجعل منها وحدة متكاملة على المستويات الفلاحية والتجارية والدينية والسياسية.

م. سالم ولد عبدالحي، *جوامع المهمات*، ت. مصطفى ناعمي.

**بلّة** (أيت ـ)، إذا حاولنا تحديد المعطيات التعريفية لأيت بلّة وجدنا متطلبات الملاحظة المضبوطة تقتضي مقارنة كل القرائن التي تكشف عنها قبائل اتحادية تكنة على امتداد وادي نون وباني الغربية والساقية الحمراء.

تنقسم هذه الاتحادية إلى لف أيت عثمان شرقا ثم لف أيت الجمل الممتد غرباً على طول الشريط الساحلي من أيت باعمران شمالا إلى ما وراء الشبيكة جنوباً مروراً برأس الطارف والأذكن والحميديات وشبكة الأودية النابعة من سلسلة جبل زيني. ومن المعلوم أن تسمية أيت الجمل إنما تنبثق من مراقبة هذا الشريط الذي يسيطر عليه الترحال الرعوي بفعل العوامل المناخية والجيومرفلوجية. أما تسمية أيت عثمان فتشمل كل ما عدا هذا الشريط من أراض رعوية وفلاحية ومداشر (13 مدشراً لأيت الجمل و53 لأيت عثمان). وترتبط بالجد الاسمي عثمان بن مندي خليفة عبدالله بن ياسين على نول لمطة عاصمة المنطقة والأطلس الصغير حتى القرن السابع (13 م). هذا التفاوت في المساحات المراقبة يتجلى بوضوح أكبر إذا علمنا أن لف أيت الجمل يمثل أربع قبائل هي أيت لحسن وإزرگيين ثم أيت موسى أُعلي فأولاد بوعيطة، بينما يمثل أيت عثمان ثمانية قبائل تنقسم إلى أربع مجموعات فرعية هي أيت بلة وأيت الخمس وأيت النص وأيت أُسا.

يبتدئ تراب أيت عثمان غربا بمجموعة أيت بلة المجاورة للف أيت الجمل. وتنتهي هذه المجموعة بتراب أيت الخمس شرقا التي تنتهي بدورها بتراب أيت النص لنصل بعد ذلك مباشرة إلى تراب أيت أُسا.

أيت أُسا : من المعلوم أن هذه القبيلة اعتادت ارتياد مراعي تنفوشي وإيكيدي والخنك شرقا، أما جنوبا فهي ترتاد كلتة زمور ورأسي الشبيكة وطرفاية على الساحل الأطلسي. ويبدو جلياً أن قوة أيت أُسا وقدرتهم على التسلط على قبائل سلسلة جبل باني من امريبط وغيرهم هي التي أهلتها منذ أزيد من ستة قرون لمراقبة حمادة وادي درعة والطريق الرابطة بين عواصم وادي نون وتندوف عبر خنيك بولجير وخنيك أكحل بسلسلة واركزيز. كما أن هذه القبيلة اعتادت ارتياد البطانة حيث تتقاسم أفراوإيدار وزيني مع قبيلة يكوت التي انتهت بدخول لف أيت عثمان بعد أن غادرت لف أيت الجمل. وبذلك نجد تراب أيت أُسا تحد شمالا بباني وكير بينما تحدها شرقاً واحة تيكوراين ومعدري افتاس وتفتايس، وغربا لف أيت الجمل وتراب أيت النص. أما قبيلة يكوت فإنها تؤكد بانتمائها إلى أيث عثمان مدى قدرة هذا اللف على مراقبة الطرق التجارية والمحاور الرعوية بعيداً عن مجاله الفلاحي.

أيت النص : في إطار هذه المزاوجة بين المنظور المجالي ونظام التحالفات تستجيب مجموعة أيت النص المجاورة غرباً لأيت أُسا لمتطلبات التكامل الاقتصادي والسياسي. فقبيلة أيت براهيم المركزية بهذه المجموعة تشتمل خلال العشرينات من هذا القرن بمعزل عن حراطينها على ستمائة عائلة (La chapelle, *Les Tekna*, 97) ويمكن لأية دراسة متأنية حول هذه القبيلة أن تبرز التقابل بين التقسيم الترابي القديم والبنية الاجتماعية. ذلك أن أولوية التقسيم الترابي بالنسبة للعلاقات القرابية تتجلى بوضوح في الارتباط بالساقية والمداشر. بل إن تشكل مجموعة أيت النص حول أيت براهيم يعد مرهونا بالروابط القروية بين هذه المداشر الستة عشروأمها تاغجيجت (انظر *أيت براهيم*). ومعلوم أن تراب أيت النص تصل إلى أحواز أسا ودرعة المجاورة حيث يعد أيت براهيم من أشباه الرحل صغار النجعات. غير أنه ينبغي ألا نتناسى أن ارتباط أيت براهيم الشديد بلفها يعود أيضا إلى ذلك الجد الاسمي الذي يربطها بعثمان بن مندى. وهو مبدأ ينتعش إلى حد بعيد من العلاقة المتميزة التي تربط هذه القبيلة بأيت بلّة المرتكز المحوري لأيت عثمان.

أيت الخمس : أما اذا انتقلنا إلى قبيلة أيت احماد جارة مجموعة أيت النص فنجدها لا تكتفي بتصدر مجموعة أيت الخمس، بل تتمتع بسمعة حربية تجعل منها قوة متميزة بقدرتها على حرية القرار بمعزل عن أي طرف كان. وفي موقعها بين أيت بلة غربا وأيت النص شرقا تقدر هذه القبيلة حسب نفس المصدر بـ450 عائلة (*Les Tekna*, 97) تقيم بأوتلت وتوتلين وفصك وتاوريرت. وعليه فإن مميزاتها الآنفة الذكر وموقعها تؤكد جميعا دور المجال في إدماج المجموعات المتباينة أو المتكاملة وتكييفها مع مقتضيات الجوار، فإذا كانت الأودية المستعملة في تربية المواشي والأراضي البورية والمسقية هي الطاغية من حيث المساحة فقد استند النشاط الفلاحي - الرعوي إلى تبادل المنافع. وبذلك نرى أنه سواء تعلق الأمر بخطر الاستبداد الداخلي أم في إطار التصدي لعدوان جماعة مجاورة فإن تحالف هذه المجموعات في اطار أيت عثمان يفترض أن تعبئتها تتم على سلم النسق المحلي. هذا النسق يقتضي أن كل مجموعة تعد تجسيدا مجالياً لما تمخض عنه التجانس والصراعات من تحولات. كما أن كل مجموعة تعد في حد ذاتها تغييراً فعلياً عن تحقق الميكانزمات الواقية لمجموعة من صغريات الوحدات القبلية الملتفة حول قبيلة محورية.

من هنا فمجموعة أيت بلة التي تتصدرها قبيلة ازوافيط تتحدد أمامنا كبنية مجالية محشورة بين مجموعات أيت عثمان شرقا ولف أيت الجمل غرباً. فما من شك أنها مطالبة أكثر من المجموعات الأخرى بمقاومة عوامل الانشقاق والتفاوت بمجرد ما تظهر بوادرها الأولى. كما أن استمرارها لا يقتضي ركود عناصرها أو بقاءها في وضع ثابت قار، بل يتطلب قدراً معيناً من الدينامية في حدود النسق القائم. هنا يكون من المؤكد أننا باقتصارنا على هذا التعريف المجالي لن نكون قد عالجنا الموضوع من كل جوانبه ولا استوفينا كل مايطرحه من صعوبات وإشكالات.

أهم سؤال نكون قد وصلنا إليه الآن هو ما هي الأسباب التي جعلت تسمية أيت بلة تطغى باستمرار على تسمية أيت عثمان رغم المقدرات الحربية والمساحات الشاسعة والثقل الديمغرافي والسكني لأيت الخمس وأيت النص وأيت أُسا؟ هل هو الحجم الديمغرافي أم أنه الغطاء النباتي أو الموقع أم أن هناك عوامل أخرى؟ إذا نحن قارنا بين المنغرافيات الفرنسية لسنوات P. Marty, 1914 وF.C. de la Chapelle, 1943 وV. Monteil اتضح أن الحجم الديمغرافي لأيت بلة يتجاوز أكثر من نصف أيت الجمل مجتمعين. وقد أوضح الإحصاء الشخصي الوارد بآخر هذه المنغرافيات أنه بينما يمثل مجمل لف أيت الجمل 2780 عائلة يمثل لف أيت عثمان 6120 عائلة تحتل من بينها قبيلة أزوافيط دون باقي أيت بلة 1250 عائلة (*Les Tekna*, 6). ولكن هذا الرقم يكاد لا يتجاوز حجم أيت براهيم بينما يقل عن حجم أيت أُسا التي تعد بحق أكبر قبائل تكنة حجما. نزيح بذلك العامل الديمغرافي لمسائلة دور الغطاء النباتي كمميز لأيت بلّة عن باقي أيت عثمان. وهنا أيضا يتضح أن قبيلة أيت أُسا تعد بحق أغنى القبائل التكنية على الاطلاق. فقطيعها من الإبل يتجاوز حجم قطيع أيت لحسن وإززكيين القبيلتين المتخصصتين في هذا المجال. كما أن عدد نخيلها يصل حسب نفس المصدر إلى 30.000 نخلة متجاوزة نخيل كل مجموعات أيت عثمان بينما لا يملك أيت الجمل إلا القليل الأقل. وإذا كان سؤالنا ما يزال مطروحا، فإننا نكون قد استخلصنا منذ الآن أن مجموعات أيت عثمان تتحدد كبنيات مجالية بتراتباتها وبتفاوت مستويات وحداتها أكثر مما تتحدد بتجانسها أو بتكافؤ قبائلها المحورية.

يبقى أن نساءل موقع أيت بلّة عن دوره في تداخل التسميتين الذي يطرح هذه المجموعة كهيكل شمولي ينتظم داخله كل أيت عثمان. إذا كانت كبريات قبائل الرحل بالصحراء الأطلسية جمعاء تؤكد على هذه الحقيقة فذلك على ما يبدو راجع لما يرافق عادة تسمية ايت بلّة من ارتباط بكبريات إمارات الصحراء وحماية لصغريات القبائل. وهو عامل يكشف خلافا لما يراه De la Chapelle عن نزوع قبيلة ازوافيط الدائم إلى التوسع الحربي والسياسي (*Les Tekna*, 58-68-77). فندرك لماذا تعد هذه القبيلة بمثابة مركز الثقل الأساسي لأيت بلّة الملتفين حولها. بل الأوضح من هذا أن تسمية أيت بلة لا تفيد في نظر القبائل الجنوبية إلا الاسم الحقيقي لقبيلة أزوافيط (*Les Tekna*, 63). فنكون قد وصلنا إلى دور الموقع والوظيفة الحربية كعاملين أساسيين في تداخل تسميتي أيت بلّة وأيت عثمان.

وهنا لا بد من أن نتساءل ما إذا كان من الضروري الاكتفاء بهذين العاملين أم أن هناك عوامل خفية يجدر اكتشافها. فينبثق السؤال حول ما إذا كان المنظور الأصح يقتضي التحديد الدقيق والمفصل لمجمل تفرعات أيت بلة ككيان مندمج مع أزوافيط في الهيكل التأسيسي لهذه المجموعة ؟ هذا السؤال يطرح نفسه بإلحاح خاصة إذا علمنا أن القرابة بين هذه التجزئات تجعل منها أبناءً لبلّة المعاصر للقرن الحادي عشر (17 م).

حقا لقد كانت الوحدات القبلية تنتقل خلال هذه الفترة من إطار عام للعلاقات الاجتماعية إلى اعتبارها بنية محددة للكيانات الكمفدرالية، ولكن ظهور بلة وتطوره إلى جد اسمي يبدو نتيجة فعلية لتسيّد عصبية معينة. كما أن احتكار ازوافيط لهذا الشخص كجد أعلى تجعل العلاقة بينهم وبين وحدات المجموعة تسيطر على صعيد البنية برمتها حتى تشمل وظائفها بقية المستويات المتداخلة والمعقدة. فمثلا نسجل بأن نزوع أزوافيط الدائم إلى التوسع على حساب أراضي الجيران الساحليين لم يشمل وحدات أيت بلة التي هي أيت ياسين وأيت مسعود وأولاد بلحويلات وأيت بكو وإداأ ُلكان. هذا المعطى التاريخي الهام يبدو في حد ذاته كقاسم مشترك بين مختلف الفترات مثبتاً الإطار الجوهري المحدد لكيان أيت بلة (م. ناعمي، *أزوافيط، معلمة*، 2 : 367.364) ففي مجتمع يتميز بسيادة الملكية القبلية، يبدو جلياً أن عوامل الدفع إلى احتكار وتقسيم الأراضي المسقية والبورية هي التي أدت إلى تطوير أساليب التوثيق المكتوب من جهة وإلى ارتكاز الكيان الأساسي المتعايش لأيت بلة من جهة أخرى. ذلك أن التقسيم الترابي يعكس البنية الاجتماعية بحيث نجد أن معالم احتلال المكان والاقامة على الأرض تتطابق إلى مدى بعيد مع الحدود التي تجمع أيت بلة ككل متكامل موحد ومتماسك جغرافياً ومتمفصل بين باقي أيت عثمان وأيت الجمل. وبذلك ندرك أن الاقامة والدفاع عن الرقعة المشتركة من حقول وشبكات ري ومراعي وأراضي بورية يمكنها أن تتبلور في نفس الوقت مع تداخل الخطوط النسبية القرابية العريضة. فبحكم حاجات وطاقات أيت ياسين وأيت مسعود وأيت بكو وأولاد بلحويلات وإدا أ ُلكان يتحدد مدى التضامن والالتفاف مع أيت احماد أ ُعلي وأهل حايين وأيت الخنوس وأيت امحند أ ُلحسن في إطار يصعب معه معرفة أي هذه الفصائل أكثر انتماء إلى ازوافيط. مما يزكي هذه المقولة أن تماسك الروابط القرابية ما تزال تعمل حاليا على هيئة مشجر لما يسمى هناك بأولاد بلة. كما أن اتحادية تكنة التي تقسم نفسها إلى أصليين ومنتمين ومتحالفين تصنف أيت بلة في إطار الأصليين. وهو ما لاحظته المنغرافيات الفرنسية حيث اعتبر De la Chapelle أزوافيط بمثابة ثلث الأصليين من أيت عثمان (*Les Tekna*, 9). وندرك بذلك لماذا يتشبث أيت ياسين وأيت مسعود وأيت بكو وأولاد بلحويلات وإدا أ ُلكان بعثمان بن مندى كجد أسمي يربطهم بباقي أزوافيط. بل الأوفى من ذلك أنهم يرفضون إدماج "الأصليين" من لف أيت الجمل في نفس النسب (*Les Tekna*, 11).

وهنا لا بد أن نشير إلى كون هذه المقولة في حق أيت الجمل تعتبر بغض النظر عن مدى صلاحيتها اعترافا صريحا بتراتب مجتمع يعمد إلى كشف صراعاته. فإذا كان من خصوصيات مجموعة أيت بلة بالنسبة لباقي أيت عثمان منافسة لف أيت الجمل في مراقبة المسالك التجارية، فلأنها ملزمة بحكم موقعها بأن تمثل رأس حربة لفها. وهي حقيقة تعد من أهم الأسباب الداعية إلى احتكاكها المباشر بأيت لحسن وإزرگيين القبيلتين المحوريتين في لف أيت الجمل. ولا شك أن احتكاك هاتين القبيلتين بالمجال الترحالي جعلهما تفقدان استعمال الامازيغية بفعل تداخلهما مع القبائل المعقلية. فلم يعد غريبا والحالة هذه أن يتميز أيت احماد أ ُعلي الفصيلة الزفاطية الأكثر تصدراً للأحداث والأكثر احتكاكاً بالصحراء المعقلية، بالانتظام المبكر في سلك الناطقين بالحسانية (انظر تراب *البيضان*). من هنا تبدو خطورة التوقف عندما يدعيه أيت عثمان وعلى رأسهم أيت بلة بشأن انحطاط أصل أيت الجمل بانتمائهم إلى لف إگزولن. فهم يقولون على لسان أيت بلة بأن دخول أيت الجمل تحت حمايتهم هو الذي حال دون هؤلاء والبقاء في إطار لفهم الأصلي (*Les Tekna*, 14). غير أن أية نظرة متأنية تكشف عن مطالبة عدد من عائلات أيت لحسن وأيت موسى أ ُعلي بحقها في إرث نخيل وساقية أسرير وتيغمرت إلى الآن. وإذا كانت تنقلات قبيلة أيت موسى أ ُعلي من وإلى لف أيت بلّة قد تعددت، فإن مطالبة أيت لحسن تكشف عن طردها التعسفي من ممتلكاتها كعامل حسم نهائي بين اللفين. وهي هزيمة يمكن أن نستشفها أيضا من مطالبة إزرگيين بمدشري ازريويلة واوزرولت. فنحن على ما يتضح أمام تعبير عن إيديلوجية التمايز المجالي والسياسي بين لفين لا يعترف أضعفهما

صراحة بعلاقاته المحددة مع جيرانه، وهو بالفعل ما يدعو إلى إلغاء مفهوم «الديمقراطية القبلية» التي لا تخدم الا رؤساء القبائل والأحلاف دون غيرهم.

إن إبراز هذا الجانب التاريخي من علاقة اللفين يطرح بوضوح دور أيت بلة كإطار عام مجاور لأيت الجمل تتجسد من خلاله حدة الصراعات على تناقضاتها. فمن حيث هي كنسق مرجعي ترتبط بها مجموعات أيت عثمان كدعامة لوحدتها، تبرز مجموعة أيت بلة على صعيد الفوارق بين اللفين لتنتظم بها المقاييس ومقومات الهوية الجماعية واستمراريتها. تتجلى الأهمية الحقيقية لهذه المجموعة من خلال استقرارها بمداشر وعرون وزريويلة واوزرولت ودوبيان وأيت مَحند وأيت بكو وتالمكيست وسركس وبامهات القرى أسرير وتيغمرت المجسدتين لبقايا نول لمطة. لاشك أن الأهمية الاستراتيجية لهذه الأراضي الفلاحية المتميزة تجعل من أهلها مراقبي أهم المواسم وما يصلها من قوافل.

من هنا وبالنظر إلى تطورهذه المجموعة ككيان مركزي متصدر لإمكانات مجالية تنهض بمهام التنسيق بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، فإنه لا بد من مسائلة علاقتها بمحيطها القريب والبعيد. وسيكون أولى بنا آنذاك أن نتحدث عن أقرب الأزمات إلينا وأكثرها رسوخا في الذاكرة الشفوية والمقروءة. معلوم أن التماسك البنيوي بين لفي تكنة قد عرف خلال العشرينات بعض التفكك بفعل التغلغل الاستعماري المتزايد. وكان التعارض الانقسامي قد تجاوز مستوى الاتحادية ليشمل مجمل المحاور الشرقية في صراعها ضد الساحلية. وهكذا تبلور محور المدني الاخصاصي ـ أيت بلة ـ الرگيبات ضد محورأهل تزنيت ـ أيت الجمل ـ أولاد دليم. انطلاقا من هذا المنطق قام بعض أزوافيط خلال المگار سيدي بوعبداللي بتراب قبيلة أيت بْريِيم قرب تزنيت سنة 1928 بحث تجار قبيلة أيت ياسين على المشاركة في العمليات الحربية ضد أيت الجمل بحكم انتمائهم إلى أيت بلة. فما كان من التجار إلا أن طلبوا المهلة الكافية لإيصال حمولة قافلتهم إلى مقرهم بأفركط وأسرير حيث يصل عدد عائلاتهم يومها إلى أربعمائة (*Les Tekna*, 97). ولكن تصلب أزوافيط انتهى بمعركة مات فيها ثلاثة أفراد من كل طرف وفقدت أيت ياسين قافلتها المكونة من ستين جملاً من المواد الغذائية والأثواب وغيرها. وبذلك تجلى النسق القبلي لأيت بلّة على هيئة بنية مبتورة خاصة وأن موقف أيت ياسين أصبح يقتضي منهم التحالف مع لف أيت الجمل. على أن الأهم هو رفض أيت الجمل لأيت ياسين بدعوى مقدراتها الحربية الكفيلة بصد أزوافيط. هذا المبرر الذي يُبقي على أولوية التضامن بين قبيلتي أيت بلة رغم أن ديناميات اللامساواة بين اللفين يعد في حد ذاته معطى أساسيا. فاعتباراً لرغبة لف أيت الجمل وسيدته أيت لحسن في التغلب على أيت بلة لا يمكن تفسير هذا الموقف إلا من باب استحالة التطابق مع أيت ياسين على حساب أزوافيط. هذا التفسير يمكن أن يتأكد بصورة أكبر خاصة إذا علمنا بتوفق أيت أُسا في مساعيها السلمية بين الطرفين المتنازعين. فقد فقدت آليات التعارض بين الطرفين من مصداقيتها إذ لم تشمل وظائفها بقية المستويات الأخرى. هذا ما يمكن أن نتأكد منه إذا تمعنا جيدا في الكيفية التي انبثق عنها الخلاف. فحرمة المجال الترابي قد ظلت مقدسة بقدر ما سمحت بذلك المسافة الفاصلة بين فهم الطرفين لمعنى الحقوق والواجبات. وهو دليل على أن الاختلاف والتباين بين تجزئات أيت بلة لا يكتسي طابع التعارض أو تقابل المصالح الأساسية حتى في أحلك اللحظات. إن هذه التجزئات تتضمن مستويات متفاوتة، منها ما يقرب الشقة، ومنها ما يضفي على تقابلها صبغة تقاطب حاد. وإذا كانت العلاقات السلطوية تعد من مسببات التعارض، فإن البنية الانقسامية تتمكن في نهاية المطاف من استيعابها.

م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988؛ مواد: *إزرگيين، أزوافيط*، *أيت أسا*، *أيت اعزى ويهدي*، *أسرير بمعلمة المغرب*، 21؛ م. سالم ولد عبدالحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، ت. م. مصطفى ناعمي، 1991.

M. Marty, *Les Tekna du Oued Noun* in *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, Publications du comité de l'Afrique Occidentale Française, 1915 ; F. C. De la Chapelle, *Esquisse d'une histoire du Sahara occidentale*, Etudes, notes et documents sur le sahara occidental, VIIe congrés de l'IHEM, hesp, XI, 35-96, Rabat-Paris, 1930 ; *Les Tekna du S. O. Marocain, étude géographique historique et sociologique*, A. F., 1934, p. 109 ; Cl. Justinard, *Archives Marocaines*, vol XXIX, Paris Champion, 1933 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, IHEM, notes et documents, III, Paris, 1948, p. 59.

مصطفى ناعمي

**بَلّة** (سيدي ـ)، عبدالله ابن عزوز المراكشي، العباسي نسباً، السوسي أصلا، ويكتب أيضاً «بَـلّ» و«بَلاّ» وهو غير ابن عزوز الرحماني دفين بن گرير، وغير محمد ابن عزوز الرباطي المراكشي وزير الحسن الأول خلال مدة خلافته بمراكش (*الإعلام*، 6: 149).

لم تذكر المصادر تاريخ ميلاده ولم يبق اليوم من عَقِبِهِ بمراكش سوى سيدة. ومن أشهر شيوخه أحمد بن محمد الحبيب بن صالح اللمطي البكري الفيلالي المولود سنة 1629/1039 والمتوفى سنة 1751/1165، وكان صالحاً شهيراً قارئاً من الدرجة الأولى، عارفاً بعلوم الحديث والعقائد. أخذ عنه سيدي بلّة الطريقة الشاذلية، ولازمه مدة طويلة، وذكر في *أجوبته النورانية* العلوم التي تلقاها عنه (*السعادة الأبدية*، 1: 96،95). ويتصل سند اللمطي في الطريقة بعبدالسلام بن الطيب القادري، عن قاسم الخصاصي.

لم تذكر المصادر شيوخا آخرين في العلم لسيدي بلة، ومع ذلك أجمعت على أنه كان مفتوحا عليه في علمي الظاهر والباطن حتى كاد أن يعد من المجتهدين، ورأس الأئمة المعتبرين (*السعادة*، 93).

كان من أزهد الناس في وقته وأخشاهم لله متقشفا في دنياه، لا يأكل إلا من كسب يديه، وحرفته في ذلك صناعة

النعال الصغار، وككل الصوفية نسبت له كرامات ظهرت على يديه. إلا أن هناك من وصفه بالزندقة ورفض القواعد الشرعية وإبطال الصلاة (*الموسعة*، 2 : 59). وينسب لمحمد الحضيكي كتاب في الرد عليه وعلى طائفته الضالة التي كانت تنزل بجبل گيليز، ذكره المختارالسوسي (*سوس العالمة*، 193). وقال إنه رآه يباع في (دلالة) الكتب بمراكش (*خلال جزولة*، 4 : 193) وذكره ابن سودة كذلك إلا أنه لم يشر إلى موضوعه (*دليل*، 2 : 446).

ظهير حسني بتقديم على ضريح سيدي بلّة ابن عزوز بمراكش

وقد سبقت الإشارة إلى الالتباس الحاصل حول هذه الشخصية من وجود ابن عزوز الرحماني، وابن عزوز الرباطي، لذلك يصعب الحسم في هذا الموضوع بهذه السهولة.

وعلى العكس من ذلك فإن أغلب المصادر تشير إلى مكانته الاجتماعية والعلمية : فقد أصلح بين السلطان سيدي محمد بن عبدالله والعالم الفقيه التاودي بن سودة بعد الجفوة الواقعة بينهما بسبب رفض هذا الأخير توقيع حقوق الديوانة التي فرضها السلطان (*السعادة*، 1 : 95.93 ؛ *الحياة الأدبية*، 317).

عظمت مكانة سيدي بلة عند الشيخ التاودي بعد ذلك وصار يثني عليه، وجعل فيه تقييداً قال ابن المؤقت (أخبرني به من كان تحت يده) (*السعادة*، 1 : 95). وحظي بمكانة علمية محترمة فلقب (بحكيم الإسلام، ورأس الأئمة المعتبرين، وأحد الأفراد بالحضرة المراكشية). وكان يهتم، إلى جانب التصوف، بالطب والتنجيم وأسرار الحروف، تشهد على ذلك مؤلفاته التي بلغ عددها ستة عشر هي :

أ ـ في أسرار الحروف والأوفاق :

1 ـ *إثمِد البصائر في معرفة أحكام الظاهر*، توجد منه نسخة خ.ع، 1559 ك ونسخ في خ. ح. 6891. 7686. 1081.

2 ـ *الأمر الوافي والترتيب الكافي في السر الخافي*، مخطوط خ. ح. 758. 1678. 9023 وخزانة ابن يوسف بمراكش 340.

3 ـ *الأنوار في سر الاختصار*، مخطوط خ. ح. 31.

4 ـ *بحر الوقوف على سر الحروف*، ذكر في *السعادة*، 1 : 96، وفي *الإعلام*، 8 : 318.

5 ـ *الفصول في حل المعقود وعقد المحلول*، مخطوط خ. ح 4576.

6 ـ *لباب الحكمة في علم الحروف وعلم الأسماء الإلهية*، مخطوط خ. ع 269. 1752. خ. ح. 1081 و1514.

ب ـ في التصوف :

7 ـ *الأجوبة النورانية*، مخطوط خ. ح. 1139.

8 ـ *تنبيه التلميذ المحتاج في الجمع بين الشريعة والحقيقة*، مخطوط، خ. ع. 2635 ك و2010 ك ؛ خ. ح. 3212 و7741.

9 ـ *رسالة الصوفي للصوفي في التعرف بالاسم الأعظم المفرد الجامع الكافي*، مخطوط خ. ع. 2454 د، و478 ك، وخ. ح. 31 و5887 و7711.

10 ـ *قصيدة في التصوف*، مخطوط خ. ح. 6844.

ج ـ في الطب والحكمة :

11 ـ *ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة*، مخطوط خ. ع 173 د، 1133 د ؛ خ. ح. 314. 5774. 5799. 5880. 11.887.

12 ـ *كشف الرموز في العقاقير والأدوية*، مخطوط خ. ع 1551 د ضمن نفس المجموع.

د ـ في الفقه وأصوله :

13 ـ *الأسئلة والأجوبة*، ذكر في *السعادة*، 1 : 96، وفي *الإعلام*، 8 : 318.

هـ ـ في البدع :

14 ـ *التذكرة السانية في بدع الدنيا العانية*، مخطوط، خ. ح. 3429.

و ـ في الفهارس والبرامج :

15 ـ *المختصر الأزهر في فضل العلم والعمل*، مخطوط خ. ح. 6891. 7686.

وهي مؤلفات تبين مكانة المترجم له العلمية، ولا يسمح المجال بالحديث عنها بتفصيل. وكانت وفاة سيدي بلة بمراكش سنة 1204/1789، وهذا التاريخ يطابق ما جاء في آخر مؤلفاته، ووفاة معاصره التاودي ابن سودة. خلاف ما جاء ـ خطأ ـ عندابن الموقت في *السعادة*، وگنون في *النبوغ* من أنه توفي سنة 1295 هـ. ودفن في داره بدرب الحمام من حومة باب أيلان.

م. ابن المؤقت، *السعادة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ ع. گنون، *النبوغ* ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة* ؛ *خلال جزولة* ؛ ع. ابن سودة، *دليل* ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية* ؛ ع. بنعبدالله، *الموسعة*.

حسن جلاب

**بلْحاج** ـ أسرة فاسية ـ ← ابن الحاج السلمي

**بلحاج، أحمد** الحسين، ولد سنة 1919 بأيت عبلا أيت باعمران سيدي إفني. كان معروفا بغيرته الوطنية، الشيء الذي دفعه إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير سنة 1957، ورغم قصر المدة التي قضاها بين صفوفه أظهر شجاعة نادرة إلى أن استشهد في نفس السنة التي التحق فيها بصفوف جش التحرير في معركة تاموشة.

**بلحاج، محمد** الريفي، ولد سنة 1923 بدوار يوزيكي بورد أجدير دائرة أكنول إقليم تازا. التحق بصفوف جيش التحرير عند انطلاقته الأولى بالشمال في أكتوبر 1955. ورغم قصر فترة كفاحه بصفوف جيش التحرير فإنه أبان عن وطنية كبيرة وإيمان قوي وشجاعة نادرة. وقد استشهد بمعركة تمصرانت في الرابع أو الخامس من شهر أكتوبر 1955.

**بلحاج، مسعود** بن البشير، ولد سنة 1905 ببني خيران إقليم خريبكة، ونشأ في أحضان أسرة متواضعة. وعند اشتداد الأزمة المغربية ونفي محمد الخامس تحمس للعمل الوطني والكفاح المسلح فشارك مشاركة فعالة في المظاهرة الشعبية التي نظمت بوادي زم يوم 20 غشت 1955

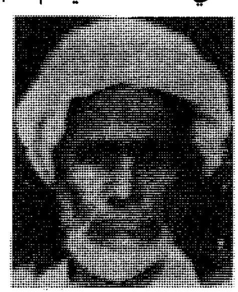

فسقط شهيداً في ساحة الشرف بعد أن أصابته القوات الاستعمارية بطلقات نارية.

*وثائق المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير ؛ كتاب الشهداء*، ج 1 و3.

عزالدين العلام

**بلحسن**، وتكتب أيضاً ابن لحسن أو ابن الأحسن، أسرة سلوية عريقة، لا يعرف تاريخ مجيئها إلى هذه المدينة وربما كان ذلك في القرن الحادي عشر (17 م)، كما لا يعرف إن كان لهم علاقة بمن يحملون نفس الاسم في مدينة مراكش وغيرها. وقد ذكرت المصادر والوثائق المكتوبة عدداً من آل بلحسن السلويين بالعلم والأدب، أو التجارة والجهاد البحري.

**بلحسن، أحمد** بن إبراهيم الضرير الملقب بنجم الدين. ولد بمراكش عام 1894/1312 بحي حارة الصورة. إذ نزح والده من بلاد مسفيوة إلى مدينة مراكش، واشتغل بالفلاحة في بعض بساتين المدينة وكان يأخذه معه ليساعده في أعماله الفلاحية، لكن سرعان ما أصيب الطفل بمرض العينين أدى به إلى فقد نور البصر، ولما أحسَّ والده بما يعانيه ابنه من الفراغ، أحاله على صهره السيد محمد (فتحاً) الجامعي الذي كان مدرراً بكتاب الحي، فاعتنى به، وسهر على تحفيظه القرآن الكريم في مدة وجيزة مع بعض المتون، ثم التحق أحمد بالجامعة اليوسفية فأخذ عن شيوخها أمثال : شيخ الجماعة الحاج العربي الرحماني، والفقيه الصوفي أحمد ولد الحاج المحجوب، وبلحسن الدباغ، وبوشعيب الشاوي، وابن كبور. وأجازه بعضهم.

ولما تأسس النظام بجامعة ابن يوسف كان المترجم من الأساتذة الأوائل الذين التحقوا بالتدريس فيها بعد اجتيازمباراة. وتدرج في أسلاك التعليم الثانوي إلى أن أصبح أستاذا بالقسم النهائي. وطوال المدة التي قضاها في التعليم كان محط إعجاب الطلاب والأساتذة. لحسن أدائه، وقدرته على امتلاك طلابه، ورواد مجالسه في الدروس الوعظية التي كان يلقيها بمسجد أبي العباس السبتي حيث كان يسكن بالزاوية العباسية.

إلى جانب هذا كان يتصف بالجود ، وعلى رأس المستفيدين من كرمه طلبة العلم، يوثرهم على أبنائه ليخفف عنهم وطأة العوز والغربة، فيطعم الجائع، ويكسو العاري، ويأخذ بيد المحتاج.

لقد وهبه الله لسانا ذاكراً، وقلبا خاشعاً، مع مسحة صوفية في جميع تصرفاته. ألف رسالة سمّاها : *مبرة الصلح والإلمام، بين الإخوان وذوي الأرحام*، وله *نظم صوفي* في الاستغفار والتوسل، و*نظم تعليمي* ضاع كله.

توفي رحمه الله في 27 صفر 1955/1375.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط ؛ *روايات شفوية*.

أحمد متفكر

**بلحسن، حجي** (الحاج ـ) من بين كبار تجار سلا الذين جمعهم خليفة العامل أحمد الطالبي بأمر من السلطان عبد العزيز، مع أمين المستفاد محمد بن الحاج قاسم جسوس والتجار اليهود بأساقفتهم وأعيانهم ليسترعي عليهم بأن من خاطر منهم بمتاعه وأعطاه لأحد ممن له يد تبصرف بالقبض والدفع من الولاة وموظفي المخزن فقد عرض ماله للتلف، كما سبق أن وقع تحذيرهم من طرف الحسن الأول ومحمد بن عبد الرحمان لأن جميع ما بيد أولئك الولاة هو لبيت المال.

وقد وقع الإشهاد على حجي بلحسن ومن معه من التجار في 3 شعبان عام 1318 / 26 نونبر 1900.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، 2 : 257 ـ 259.

**بلحسن، عبد الغني**، لعله ابن الأديب محمد بن الحاج عبد الغني آتي الترجمة. كان عبد الغني من رجال الطبجية الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا، ونال بهذه الصفة حظه من الصلة التي خصصها الحسن الأول للمجاهدين في 16 قعدة 1292 / 14 دجنبر 1875.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، الوثيقة 84.

**بلحسن، عبد الله** بن أحمد، كان كسابقه بحرياً في فرقة الطبجية. أدرج اسمه بهذه الصفة في لائحة المستحقين

للصلة التي خص بها الحسن الأول المجاهدين السلويين في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

**بلحسن، محمد** بن الحاج **بناصر** من قادة رجال المدفعية الطبجيين الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا، ولذلك كان من المستحقين للصلتين الحسنيتين، الأولى في 16 قعدة 1292 / 14 دجنبر 1875، والثانية في 28 حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84 ووثيقة 170.

**بلحسن، محمد** بن **عبد العزيز** فقيه ناسك، من بين الفقهاء والأئمة والأعيان الذين قدموا للسلطان عام 1294 مطالب تهم مدينة سلا، ومطالب شخصية. وقد طلب محمد بلحسن "أن يجود عليه بظهير شريف يتضمن توقيره واحترامه وعدم مطالبته بالوظائف المخزنية".

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، 2 : 164 ـ 165.

**بلحسن، محمد** بن الحاج **عبد الغني**، واسطة عقد هذه الأسرة، وعالمها الأديب الشاعر الناثر. ولاعتدال مزاجه ورقة طبعه كان ينظم القصائد بالفصحى وباللسان الدارج الملحون ويجيد في كل ذلك. كما كان يتميز بروح إسلامية ومزيد محبة في الشرفاء والصالحين، وبروح وطنية تجلعه يهتم بأمور قومه وبلدييه، يتألم لآلامهم ونكباتهم ويسجل بطولتهم ومآثرهم. وعلى الرغم من ضياع أكثر شعره، فإن ما بقي منه مبعثراً في بعض كتب السلاويين وكنانيشهم العلمية يدل على علو كعبه في هذا المضمار.

ومن قصائده الباقية بائية في مدح آل البيت يقول في مطلعها :

مِن غرة الغرب نجمُ السعد لم يغب
ودار سلمى على الدوام في طرب

وأخرى في مدح الجد أحمد حجي مكتوبة في لوح كبير بخط جميل وألوان زاهية معلق بالضريح امحت بعض كلماته غير أن المؤرخ السلوي محمد بن علي الدكالي نقل نصها كاملا في كتابه *السفينة المنجية بأخبار أهل الزاوية الحجية*.

ومن قصائد الملحون الباقية للمترجم *الجهادية* وهي طويلة وصف فيها هجوم الأسطول الفرنسي على سلا عام 1268 / 1851 مبرزاً دور المجاهدين السلويين في التصدي للأسطول المهاجم، منها :

حافت له الرجال التياكْ اغْــزاوْ فيه بالطعن الباترْ
هَــدُّوهْ بحربْ شديــدْ بعدْ جـانـا بشقوف النارْ

توفي محمد بلحسن بمسقط رأسه سلا في ثاني قعدة عام 1273 / 24 يونيه 1857.

م. ابن علي الدكالي، *الاتحاف*، 30، والهامش 13 ؛ *السفينة المنجية*، مخطوط ؛ أ. الصبيحي، *الروض*، مخطوط، 100.

محمد حجي

**بَلْحسَن، محمد** بن محمد الدباغ شيخ الجماعة بمراكش وأحد كبار العلماء الذين جمعوا بين العقل والنقل. ولد بمراكش في السبعينات من القرن الماضي، ونشأ بها وحفظ القرآن وهو صبي على يد الفقيه ابن علال الذي تتلمذ عليه العديد من أبناء أعيان البلد كأولاد بوعشرين وغيرهم. درس علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة ولغة وأدب وتفسير وحديث على الفقيه الهواري، كما كان يحضر دروس العلامة الحاج العربي الرحماني بجامع المنصوري بحي القصبة إلى جانب أبناء السلطان المولى الحسن الأول، وأنهى تعليمه في القاهرة بجامع الأزهر حيث درس المنطق وعلم الكلام والأصول والفلسفة، وأجازه عدد من علماء الجامعة المصرية. وكان قد وصل إلى مصر عام 1909 م برفقه أحد أعيان البلد إبراهيم ابن عثمان، بعد أن تم الاختيار عليه لفكره الثاقب وذكائه الراجح. وبعد ثلاث سنوات عاد الفقيه بلحسن متضلعا في المعقولات يكاد ينفرد بالتخصص فيها في ذلك الوقت.

وقد مارس حرفة الدباغة في صغره بحكم أن أباه كان أمينا لهذه الحرفة، ثم احترف الحدادة قبل أن يوظف بوزارة الأحباس ثم كاتبا عند الباشا.

ولما حل بمراكش السيد الجاي أول وزير للأوقاف بعد عقد الحماية رفقة السلطان المولى يوسف الذي عزم على إقامة عرس بناته بهذه المدينة، طلب الوزير من الباشا الأگلاوي أن يبحث له عن أستاذ كفء لتعليم أبنائه فاختار الباشا الفقيه محمد بلّحسن للقيام بهذه المهمة. ثم انتدبه الأگلاوي لتعليم ابنيه المهدي وإبراهيم. ولما أرسلهما الباشا إلى فرنسا للدراسة سنة 1924 اختار لرفقتهما الفقيه بلحسن الدباغ فبقي هناك إلى حدود عام 1933.

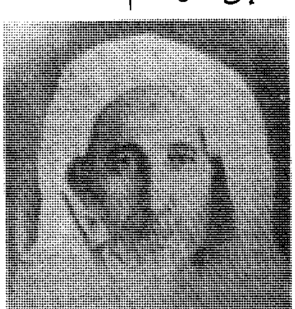

مكنت هذه الرحلة الفقيه بلحسن من القيام بأنشطة عديدة والتعرف على عدد من المستشرقين والعلماء مشارقة ومغاربة. وقد كان التدريس بمسجد باريز أهم هذه الأنشطة حيث تحلق حوله عدد من الطلبة المغاربة أمثال أحمد بلافريج ومحمد الفاسي. وتمخضت هذه الدروس والحلقات عن إنشاء رابطة للطلبة المغاربة يرأسها الفقيه بلحسن، هذه الرابطة التي كانت نواة لمنظمة طلبة شمال افريقية التي ما تزال قائمة إلى اليوم. وقد أنشئت هذه الرابطة لدحض الأفكار التبشيرية التي كانت تنشرها آنذاك ثلة من المسيحيين في أوساط الطلاب المغاربة المسلمين. وما يزال حفدة الشيخ يحتفظون برسالة المنتصر ابن عبدالجليل إلى أستاذه بلحسن الدباغ يخبره فيه بتخليه عن دين الاسلام واعتناقه ديانة المسيح ابن مريم. ومن الذين اجتمع بهم

بلحسن في باريز الدكتور فرج والأمير شكيب أرسلان والسلطان المولى عبدالحفيظ وعدد من المستشرقين أمثال ماسينيون ودرمنغيم وآخرين.

ومما طبع رحلته من الأحداث عقدُه قران الأغاخان الزعيم الروحي لفرقة الاسماعيلية مع الأنسة كارون Carron من مدينة إيكس ليبان في بداية شهر دجنبر 1929 م. وقد حضر الزفاف الرئيس دوميرگ وعدد من سامي الشخصيات الفرنسية، كما حضره الاستاذ محمد الفاسي للقيام بمهمة الترجمة. ومما يتميز به هذا الحدث هو أن الفقيه بلحسن لما سأل قبل عقد القران عن ولي الآنسة كارون قيل له إنه لا وليّ لها، فرفض كَتابة العقد باعتبار أن الولاية شرط صحة في المذهب المالكي الذي يلتزم به الشيخ. وبعد نقاش طويل اقترح محمد الفاسي هو أن يكون وليّ الآنسة الفرنسية فقبل الاقتراح وتم الزواج على الطريقة الإسلامية كما أراد الآغاخان، وفي إطار المذهب المالكي كما أراد الفقيه العدل بلحسن الدباغ.

ولما عاد الشيخ إلى المغرب في مطلع سنة 1933 استأنف دروسه بمختلف المساجد والزوايا بمدينة مراكش وأخذ يتحلق حوله عدد من التلاميذ أصبح معظمهم من العلماء الأعلام أمثال ابن عبدالقادر مسو، وعبدالجليل بلقزيز، والمختارالسوسي، وأحمد بنفضيل، والخليل الورزازي، والحسن ابن الصديق، وأحمد أكنسوس، ومحمد بنبين، والصديق العلوي وآخرين.

وفي سنة 1937 رفض الفقيه بلحسن مع عدد من علماء مراكش التوقيع على وثيقة هيأها الاستعمار بواسطة السلطات المحلية تتهم زعماء الحركة الوطنية بالإلحاد والكفر. فحكم عليه بثلاثة أشهر سجنا ونقلوا إلى حبس تارودانت. وكان من بين المحكوم عليهم عبدالله إبراهيم وعبدالقادر حسن وأحمد الملاخ وعمر الحركاني وعبدالقادر المسفيوي، وأحمد بنفضيل، وابن عبدالرزاق وابن المختار وآخرون.

وفي سنة 1939 دخل النظام الجامعة اليوسفية، وكان بلحسن من بين العلماء الذين رفضوا الدخول فيه، واستمر في التدريس الحر بمختلف المساجد بحيث كان الطلبة الذين يتحلقون حوله أكثر عدداً من طلبة ابن يوسف، الشيء الذي جعل رئيس الجامعة آنذاك الفقيه محمد ابن عثمان يطلب من الشيخ بواسطة الباشا الأگلاوي أن يلتحق بالجامعة ليجمع الشمل وتعم الفائدة، ولم يستجب بلحسن إلا في عام 1943 حين أصبح النظام يشمل السلك النهائي بابن يوسف.

هكذا استمر محمد بلحسن يدرس في جامعة ابن يوسف إلى أن وافته المنية في شهر يناير 1952 فكانت جنازته مشهودة، حضرها عامة المراكشيين وخاصتهم، ورثاه عدد من الشعراء، منهم تلميذه الصديق العلوي بيائية مطلعها :

أيها الشيخ ضاع فيك الشبابُ ... وبكتْكَ العلومُ والآدابُ

*معلومات شفوية من تلاميذ المترجم* ؛ *وتقاييد خاصة بمراكش* ؛ أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد شوقي بينبين

**بلحسني** . أسرة . ← ابن الحسني

**بَلْحْويلات** (أولاد ـ)، يتوسط مدشر وعرون حيث يقيم القارون من أولاد بلحويلات أهم منطقة فلاحية وتجارية بحوض وادي نون. هذه الأهمية الاستراتيجية للموقع تجعل منه نقطة مركزية لرصد المبادلات السلعية والتحركات البشرية من وإلى الصحراء من جهة ومن مراقبَين مقتدرين من ذوي الكفاءة السياسية والحربية الأكيدة. يعتبر هذا المدشر أقرب ما يكون لأهم الأسواق الأسبوعية والموسمية القديمة والحديثة. وهي دلالة واضحة على كفاءة أولاد بلحويلات تأخذه مغزاها العميق خاصة إذا علمنا أن الرواية المحلية تنسبهم إلى الغور السكاني اللمطي الجزولي الأقدم. فعلاوة على الحراطين المحليين الذي تنسبهم الروايات وتربطهم كل الدلائل بأبعد الفترات القديمة، نجد أولا بلحويلات يتقاسمون هذا المدشر مع أيت احماد أُعلي، أهم فصيلة في قبيلة أزوافيط.

عن هذا الجوار وارتباط أولاد بلحويلات باتحادية تكنة، فإن المتصفح لعقود جماعات أيت أربعين التي يعود بعضها إلى أزيد من قرنين، يسجل انتماءهم الدائم إلى لف أيت بلة. ونسجل كذلك بأن صيغ هذه العقود واللوائح المطولة تجعل من هذا الانتماء تحالفاً دائماً قد يصل في بعض الفترات التاريخية إلى حد الاندماج الفعلي بقبيلة أزوافيط المحورية في هذا اللف. وهي حقيقة تاريخية تضع أولاد بلحويلات في خانة فصائل أيت بكو وأيت ياسين وأيت مسعود التي تنسبها الرواية المحلية إلى أقدم سكان هذا الحوض (*أحرار تكنة*). نستطيع بذلك تلمس خلفيات التحالف الموضوعي من أجل مراقبة المجال الاستراتيجي، خاصة وأن وعرون يطل على الحدود الفاصلة بين مداشر لفي أيت الجمل غربا وأيت بلة شرقا. هذه الخصوصية المميزة لورعون تجعل بنيته الداخلية أكثر عرضة للحساسيات، والصراعات التي قد تحدّ من فعالية نظام التحالفات. وهنا لا بد من الاشارة إلى أن الاسم الأسبق لوعرون هو أگاوْس الوارد في وثيقة معاهدة مملكة بوطاطا وملك ومملكة قشتالة سنة 1499/904 (*معلمة*، 2 : 597). خلال هذه السنة كان محمد بن أحمد المنتمي إلى قبيلة أولاد عمران الهلالية هو شيخ أگاوس. وكانت تجمعه بكل من محمد ميمون شيخ مدينة تگاوست المجاورة وعلي بن اينو شيخ قصبة تسگنان رابطة النسب إلى أولاد عمران والمصاهرة، وقد كانت قصبة أگاوس تحتضن يومها مقر المقيم العام الإسباني على جزر كناريا. كان محمد بن أحمد شيخ أگاوس قد تميز عن سائر شيوخ القبيلة المنتشرين عبر سهول وهضاب أودية نون وافران وتمنارت بمعرفته اللغة الاسبانية مضيفا بذلك إلى حجم علاقته التحالفية مع الإسبان حاميه وحاميي قبيلته.

وكنا قد أشرنا في إحدى الدراسات بأن المنحنى الاسطوغرافي لهذه الوثيقة يميز شيوخ هذه القصبات الثلاث عن باقي شيوخ القبيلة بالاستقرار والمراقبة الفعلية. كما

انتهينا إلى أن الاختلاف بين موقف شيوخ هذه القبيلة وباقي الغور السكاني اللمطي الجزولي من التحالف مع الإسبان كان كبيراً وجوهريا. فالبعد الدلالي يكشف من خلال الاستعراض والمقارنة بين بنود ومراحل المعاهدة عن حدة الصراع بين أولاد عامر والغور السكاني القديم. من هنا فإن هذه المرحلة المضطربة لا تخلو من انعكاسات على بلورة الصيغة اللاحقة لأولاد بلحويلات.

إننا نجهل العوامل التي ساهمت في هيكلة هذه التجزئة القبلية على صيغة «أولاد» بدل «أيت» كما نتساءل ما إذا كانت تسمية وعرون تفيد حقا اسم شخص معين كما تريد ذلك بعض الروايات. لعل أقدم وثيقة ظهرت بها هذه التسمية هي عقد شراء ممتلكات الشيخ يحيى بن احماد الوعروني من طرف أمير إليغ بودميعة سنة 1633/1043 (P. Pascon, *La Maison*, 22) ندرك من هنا أنه ليس من السهل الإحاطة بتاريخ أولاد بلحويلات نظراً للقطيعات المحيطة به. ولما لم يكن لنا من مصادر تاريخية نعتمدها، فإننا نظل ملزمين بالاكتفاء بما يمكن أن تفضي به الرواية الشفوية. وهنا نلاحظ أن ذاكرة أولاد بلحويلات تكتفي بالتأكيد على أن عدم تدوين الأحداث إنما فرضته ندرة الاختلافات مع باقي فصائل القبيلة. وهو استنتاج يزيد من فعاليته الحضور البين لهذه الفصيلة على الواجهة السياسية والعسكرية من حيث هم كنموذج للوحدات الإثنية الجزولية اللمطية المتشبثة بمجالها القروي منذ ما قبل تشكل اتحادية تكنة. لقد كان سيد أولاد بلحويلات خلال الفترة الحاسمة التي عرفت طرد آخر الوحدات المعقلية من وادي نون والساقية الحمراء هو نفسه ولد مريزيگ الذي تزعم كل العمليات الحربية التكنية. وقد جاء طرد فصيلتي امْعَرِّفْ واسْنان في المعركة الفاصلة في الموقع حاليا بميگسم ولد مريزيگ. هاتان الفصيلتان كانتا تنتميان إلى اتحادية أولاد دليم التي كانت تشمل علاوة على الدليميين الحاليين أولاد سالم وأولاد المولات.

من هنا يتضح أن الاستنفاع بتراكمات التجربة المحلية يخضع أساسا لإدماج أولاد بلحويلات في باقي الفصائل الزفاطية. فأولاد بلحويلات قد شكلوا دائما كياناً مرتبطاً بالسياق العام للعلاقات المجتمعية للقبيلة كما تشير إلى ذلك أقدم وأحدث الوثائق على حد سواء. وهي حقيقة لا يمكننا أن ننتقل على ضوئها بالقرابة بين أولاد بلحويلات وقبيلتهم من مجرد إطار عام للعلاقات الاجتماعية التحالفية بل إلى اعتبارها بنية محددة لمجموع قبيلة أزوافيط. ذلك أن العلاقات القرابية تعد مهيمنة على صعيد بنية قبلية برمتها تشمل وظائفها بقية المستويات الأخرى مقننة الفاعليات السياسية وغيرها. وهو ما سيسجله الضابط الفرنسي P. Marty سنة 1914 حين نسب فصيلة أولاد بلحويلات إلى قبيلة أزوافيط محدداً عدد عائلاتها في 100 وحدة (*Les Tribus*, 68). إلا أن خلافا نجهل اليوم دقائقه حدث بعد ذلك بسنوات بين أولاد بلحويلات وأيت بليد انتهى بتعميق هوة الخلاف بينهما. وإذا كانت الأساليب التي اعتمدها أزوافيط في التقريب بين المتصارعين لم تأت بنتيجة، فإنهم يعتبرون أيت بليد الطرف المسؤول عن هذا النزاع الذي أضر بمصالح القبيلة. أما فيما يتعلق بمنظور الضباط الفرنسيين لهذا الخلاف فنجده سنة 1934 على لسان F. C. De la Chapelle حين يقول بأن خلافاً كبيراً قد عصف خلال العشرينات بانتماء أولاد بلحويلات إلى لفّ أيت بلة (*Les Tekna*, 93). وهو ما سيؤكده V. Monteil سنة 1948 مسجلا اقتراب أولاد بلحويلات من قبيلة أيت لحسن (*Les Tekna*,, 10-11-14) على أن مميزات أولاد بلحويلات منذ اشتعال الخلاف مع فصائل أيت احماد أُعلي الزفاطيين اقتصرت على التأرجح بين اللفين في إطار لا يسمح بالتشكيك الفعلي في انتمائها أساسا إلى لف أيت بلّة. وهنا لا بد أن نسجل بأن التعارض بين فصائل القبيلة الواحدة لا يكون دائماً مصدره مشاكل وصراعات جوهرية حول قضايا استراتيجية بل كثيراً ما يكون فقط نتيجة نزاع محدود بين شخصين لأسباب واهية. وإذا نحن ركزنا على تطور العلاقات الاندماجية بين أولاد بلحويلات وغيرهم من أزوافيط لم نعثر على أي انعكاس واضح للصراع الذي وقع خلال العشرينات. فعلى غرار آبائهم نجد أجيال ما بعد العشرينات توظف سعيها إلى تحديد وتثبيت البنية القرابية والفلاحية والاقتصادية على ما كانت عليه. أما فيما عدا ذلك فإن توجه أولاد بلحويلات إلى الانشطاريزول بمجرد ما يتم التركيز على الطبيعة الانقسامية لفصائل قبيلة أزوافيط.

إن الأساليب التي يعتمدها أولاد بلحويلات في تحصيل معاشهم تعتمد على نفس المقاييس التي تعتمدها باقي الفصائل الزفاطية بالمقارنة مع لف أيت الجمل مثلا. لقد أوضح De La Chappelle بأن ثلثي مدشر وعرون يدخل خلال الثلاثينات تحت مراقبتهم الفعلية المباشرة. وأن نصفهم ينتجع ما بين وادي نون والقعدة. كما أكد على أن طابعهم الحربي لم يزد إلا تطوراً مما جعلهم يدخلون تحت حمايتهم بعض وحدات أهل الشيخ من قبيلة الرگيبات. أما الهجرة إلى الموانئ المحيطية فقد قلصت حجمهم الدمغرافي إلى حد كبير. نجد أنفسنا بذلك أمام وضعية مطابقة لما كانت عليه فصائل أزوافيط المتبقية آنذاك. فتوطينها لأواصرها القرابية والتحالفية نجد الطرفين يختطان نفس الأسلوب في مواجهة هذا الظرف العصيب. هل معنى ذلك أن الروابط التي تشد الجماعات إلى أرضها أقوى وأمتن من الروابط التي تشدها إلى بعضها البعض. إن الصورة التي تحتفظ بها ذاكرة أزوافيط لشيخي أولاد بلحويلات إبراهيم ولد امبيركات والصديق ولد بوشلگة تؤكد إلى أي مدى لم يكن التعايش في نطاق القبيلة يكتسي صبغة تضامن ميكانيكي. كما أن السمات التي ما تزال تطبع المقولات المحلية على اختلافها هي من صميم البنية الاجتماعية

المتدة في التاريخ. وقد ساعدت التطورات المجتمعية خلال الستينات على احتواء الحساسيات القبلية القديمة. فقد تميز المهاجرون من أبناء هذه الفصائل بارتباطهم التام بسيرورة مجتمعهم.

ويعتبر المعطى الأساسي لأولاد بلحويلات الحاليين في المعركة التي يخوضونها من أجل الاحتفاظ بسماتهم الرئيسية هو الارتباط بالأرض. فالبنية الاجتماعية تبرز لنا اليوم كيف أن أولاد بلحويلات يتحدون على مواجهة كل ما يحدق بهم من خطر خارجي متجاوزين نزاعاتهم. وهنا لا بد من أن نشيد بالدور الطلائعي الذي يلعبه السيد محمد مولود ولد السالك الحبيشي الذي تميز بما يتميز به الخواص من ذوي النظرة البعيدة المدى.

م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة* ؛ أگاوس، *معلمة المغرب* ج : 2.

P. Marty, *Les Tribus de la Haute Mauritanie* ; F. C. De La Chapelle, *Les Tekna du Sud Ouest Marocain* ; Vincent Monteil, *Les Tekna du Sud Marocain* ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh*.

مصطفى ناعمي

**بلْخريف** (ابن ـ) علال، ولد سنة 1910 بقبيلة بني توزين بناحية الناضور، وعندما تأسس جيش التحرير، انخرط فيه وأبان عن فعالية كبيرة في المعارك والاشتباكات التي كان يَخوضها بمعية فرقته التي كانت ترابط بشمال المملكة بقيادة كل من السيد الحاج بخريف أحمد التوزاني والسيد محمد الغبوشي. وفي أحد الاشتباكات بين الثوار وجنود الاحتلال، سقط العديد من الشهداء ومن بينهم السيد بن بلخريف يوم 24 أكتوبر 1955.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 2.

عزالدين العلام

**بَلْخَضير** أو بَلْخَضِر، وتكتب أحيانا ابن الخَضِر، أسرة معروفة في رباط الفتح وأسفي ويحمل هذا الاسم أيضا جماعات في قبائل الرحامنة والشاوية والغرب. وينتسب آل بلخضير الرباطيون إلى الشيخ أبي الشكاوي الحسني الإدريسي صاحب الضريح بشالة. أما آل بلخضير الأسفيون فيستغرب من كون محمد الكانوني أغفل ذكرهم في كتابه *أسفي وما إليه* كما أغفل غيرهم، مع أنهم كانوا يحظون بمرتبة خاصة في مجتمعهم وأن الوثائق العدلية المتعلقة ببعضهم تشير إلى الأخوين الحاج الهاشمي بن محمد وشقيقه المكي بن محمد، وهما اللذان يشكلان فرعين كبيرين لآل بلخضير، وتضيف بعض الوثائق لقب الصفار إلى بلخضير، فتُسمّيهم "بلخضير الصفار" وكان منهم فقهاء وتجار وصناع.

**بلْخضير، أبو بكر** بن الحاج مُحمد، ولد عام 1318/ 1900، وتلقى تعليمه بأسفي وأخذ يمارس التجارة مبكراً، وخصوصاً في الحبوب، إذ كانت له علاقة متينة مع أهل البادية. ظل طيلة حياته يحظى بتقدير السكان فأمسى من رجالات المدينة ووجهائها وتوفي في غضون عام 1391/ 1971.

**بلْخضير، عبد السلام** الرباطي، من نجباء التلاميذ المنقطعين لطلب العلم في أوائل هذا القرن، لازم بالخصوص مجالس الشيخ المكي البطاوري وانتسخ له جل مؤلفاته. ثم أخذ يلقي دروساً بالزاوية التهامية إلى أن أدركته الوفاة، وهو مازال في مقتبل عمره، عام 1325 / 1904.

*رواية شفوية* عن م. الأمين بلگناوي.

**بلْخضير، محمد** الحسني الإدريسي الرباطي. حلاه صاحب *البدور الضاوية* بقوله : "كان من العلماء الأدباء المحاضرين ذوي الإجادة في النظم على اختلاف أنواعه ما بين قصائد موزونة وأزجال معربة وملحونة، وموشحات ذات أسماط وأنماط، تزري بجواهر الأسماط" وأورد له قصيدة رائية طويلة في مدح الشيخ علي العكاري مطلعها :

سما في سماء المجدِ عن كوكب البدرِ
ثناؤك يا شيخَ الجهابذةِ الغُرِّ

توفي عام 1180/1766.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ *رسوم عدلية ووثائق مختلفة* ؛ أ. بنجلون، *تاريخ أسفي*، مخطوط ؛ *بعض أسر أسفي*، مخطوط.

أحمد بنجلون وعبد الاله الفاسي

**بلْخضير، محمد** اليوسفي، وتكتب أحياناً بلخدير، ولد سنة 1328 / 1910. من رجال موسيقى الآلة بالرباط، أخذ عن أحد شيوخ الآلة في وقته المعلم أحمد زنيبر فابتدأ عنده بعزف الطار، ثم تحول إلى الكمان، وأصبح يباشر مهنته كفنان في الثلاثينات. عمل كأستاذ للموسيقى الأندلسية بمعهد مولاي رشيد بالرباط، تحت إشراف الأستاذ الفرنسي المختص في الموسيقى المغربية شوتان، وساعده على إنجاز عدد من الأعمال الخاصة بموسيقى الآلة، وبالخصوص في تنويط عدد من موازينها، بعد أن أخذ أصولها عن بعض كبار الأساتذة، مثل عمر الجعيدي، رئيس الجوق الملكي لموسيقى الآلة. وكان بلخضير من جملة الموسيقيين الذين شاركوا في الثلاثينات بالمعرض الدولي في أمريكا مع عبد السلام ملين والمعلم سلومو الصويري حيث رافقوا العبدي صاحب المقهى التقليدي بمتحف الأوداية.

كان بلخضير من أول العاملين في الإذاعة المغربية، حيث كان يقدم حصصاً موسيقية على رأس جوق من تلاميذه. ثم واكبه جوق ثان كان يضم موسيقيين آخرين على رأسهم المعلم حبيبي امبيركو. ثم نُحي الجوقان ليحل محلهما جوق البارودي. على أن بلخضير استأنف نشاطه الموسيقي كعازف كمان في الجوق الوطني بالإذاعة المغربية.

توفي بالدار البيضاء في 12 رمضان 1385 / 4 يناير 1986 وكانت له جنازة كبيرة.

*أرشيف الإذاعة ؛ استجواب مع المطرب صالح الشرقي.*

محمد زنيبر

**بلعامري** ←ابن العامري

**بلعربي** - أسرة سلوية -←ابن العربي

**بلغازي** - أسرة - ← ابن الغازي

**البِلَفيقي**، محمد بن محمد بن إبراهيم يُكنّى أبا البركات، وابن الحاج، من كبار أعلام القرن الثامن (14 م) قال عنه ابن خلدون: "شيخ المحدثين والفقهاء والأدباء والصوفية والخطباء بالأندلس. وسيد أهل العلم بإطلاق، والمتفنن في أساليب المعارف" (*تعريف*، 60) واشتهر البلفيقي باعتباره أحد شيوخ كبار أعلام الغرب الإسلامي، أمثال ابن الخطيب، وابن خلدون، والنّباهي، والسراج، وقد أفرد له هؤلاء تراجم مهمة تحدثوا فيها عن نسبه، ورحلاته، وشيوخه، ووظائفه وعلاقاته بسلاطين ذلك الزمان. وهكذا اهتم ابن الخطيب بالنسب العربي للبلفيقي وصعد به إلى عصور ما قبل الاسلام (*الإحاطة*، 2 : 143)، وذكر المقري بأن البلفيقي كان "من بيت كبير علما وصلاحا، وزهداً، وجده الامام العارف سيدي أبو إسحاق ابن الحاج، أشهر من نار على علم، وقبره مشهور بمراكش" (*نفح*، 5 : 474).

وقد عُرف البلفيقي أيضا برحلاته العديدة فقال عنه السراج في *فهرسته*، "رحل في طلب العلم قديماً وحديثا"، وتتخلل المصادر العديدة من الأخبار حول تنقلاته بين حواضر الغرب الإسلامي كفاس، وسبتة، ومراكش، وبجاية، وتلمسان، ومدن الأندلس. وخلال هذه الرحلات كان يتلقى إجازات كبار شيوخ عصره، فبالاضافة إلى ما تلقاه على شيوخ الأندلس تذكر بعض المصادر أنه أخذ عن الإمام المشدالي ببجاية (*نفح*، 5 : 485) وعن أبي الحسن الصغيّر الزرويلي بفاس. كما أخذ عن ابن البناء العددي بمراكش (*جذوة*، 292،295). وإذا كانت هذه الرحلات قد جعلت من البلفيقي عالما متنوع المعارف، حاصلا على مبتغاه من المعقول والمنقول فإنه كان أيضاً، وخلال هذه الرحلات يعقد مجالس للتدريس بمدن فاس، وسبتة، وبجاية، ومراكش وغيرها.

ولي البلفيقي قضاء الجماعة بالعدوتين وكان قاضياً بمدينة المرية ومربلة ومالقة وبجاية، واشتغل في نفس الوقت بالتدريس، ويذكر ابن خلدون أن السلطان أبا سالم المريني استقدمه عام 762 هـ للأخذ عنه، وكان ابن خلدون هو الذي يسرد على البلفيقي المدونات التي أخذها عنه السلطان، ومنها كتاب *الموطأ* للإمام مالك. وإلى جانب التدريس والقضاء أنيطت بالبلفيقي مهمة السفارة، فتردد عدة مرات على حواضر المغرب، ولا شك أنه قام بهذه الوظيفة لأن السلاطين كثيراً ما كانوا يختارون سفراءهم من ضمن قضاتهم، كما أن ذلك يرجع إلى المكانة التي كان يحظى بها لدى سلاطين عصره. وفي هذا السياق يذكر النباهي أن البلفيقي "استُعمل في السفارة بين الملوك فصحبه السداد، ورافقه الإسعاد" (*المرقبة*، 165). كما وصفه ابن خلدون بالمتفنن في "آداب الصحابة والملوك" (*تعريف*، 61.60) وفي هذا الصدد يذكر ابن خلدون أن البلفيقي قدم هو وأبو القاسم الشريف السبتي ليشفعا عند السلطان أبي عنان لفائدة القاضي أبي عبدالله الفشتالي آخر سنة 756 هـ (*تعريف*، 60) كما أشار إلى أنه قدم إلى فاس في سفارة بين ملك الأندلس وملك المغرب (*تعريف*، 305).

توفي محمد البلفيقي في شهر رمضان عام 772 / مارس - أبريل 1371.

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، ط. القاهرة 1974 ؛ *الكتيبة الكاملة*، ص 127 ؛ النباهي، *المرقبة العليا*، ص 164 ؛ ع. ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا* ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 5 : 471 وما بعدها ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. الرباط، 4 : 418. 442.

عمر بنميرة

**بلقاضي** - أسرة سلوية - ← ابن القاضي

**بلْقايد**، فرقة نابهة من قبيلة أولاد يعقوب بالسراغنة، ينتسبون إلى المولى عمران الإدريسي دفين دادس، ويكثر فيهم الفقهاء والقراء. وظلت قيادة القبيلة بأيدي آل بلْقايد مدة طويلة وكان آخرهم بالقبيلة القائد المدني بن المعطي.

**بلْقايد، المعطي** بن المدني اليعقوبي السرغيني. ولد بالسراغنة عام 1290 / 1873، وظهرت شجاعته وميله للفروسية في مراحل حياته الأولى، فانخرط، وهو لم يكد يبلغ العشرين من عمره، في جيش المخزن الحسني كقائد

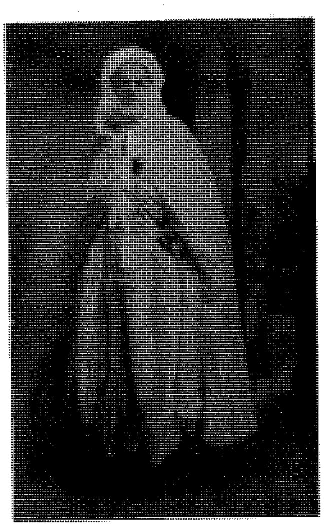

مائة، ثم رقاه الوزير الصدر الگباص إلى قائد الرحى (خمسمائة). وفي عهد الحماية أسندت إليه قيادة بلاد الغرب حيث عين باشا لمدينة القنيطرة قبل سنة 1925 ولم نقف على تاريخ وفاته.

J. et M. Gauvion, *Aayan al-Maghrib al-Akça*, 567 - 569

محمد حجي

**بلقزيز**، أسرة مراكشية، ينحدر أصلها من شرقاوة بجّعد ذرية الشيخ المعطي بن الصالح الشرقي. ويرجع تاريخ نزوح هذه الأسرة إلى مراكش إلى أيام السلطان المولى سليمان حيث نزح من أبي الجعد أخوان، هما أحمد ومحمد، وسكنا بحي أزبزط قرب جامع ابن يوسف. وكان لأحمد ذرية من امرأة حرة بحي أزبزط، وأخرى بالزاوية العباسية.

وبالرجوع إلى بعض عقود الأنكحة نرى أن هذه الأسرة عُرفت بادئ الأمر بالتادلي أما كلمة بلقزيز فهو لقب، يعني عند أهل مراكش نوعاً من (الخرشوف) البلدي المشوك. ومع انعدام الوثائق التي توضح سبب تسميتهم بهذا الاسم، فلا بأس أن نستأنس برواية شفوية عن قيدوم هذه الأسرة الفقيه القاضي محمد بلقزيز يقول :«إن أحد أفراد هذه الأسرة كان كلما أراد أن يشتري بلقزيز (أي الخرشوف) قطع قطعة منه وأكلها، ليتأكد من جودته وعدم مرورته، فيقول للبائع (آش هذا بلقزيز !؟!) » تنقيصا له من جودته، وعدم رضاه عن طعمه ومذاقه، وتكرر هذا مرات فأطلق عليه الباعة هذا اللقب، وأصبح الناس ينادونه به فيتقزز منه، لكنه مع مرور الأيام تقبله، وغدا آله يحملونه كلقب عائلي. ومن أبرز أفراد هذه الأسرة أيام السلطان مولاي عبدالرحمان الفقيه أحمد بلقزيز الذي أخذ عن سيدي البهلول بن علي بوسلهام الرحماني. أما الآن فيوجد لها فروع كثيرة بمراكش وغيرها.

*عقود أنكحة لآل بلقزيز ؛ روايات شفوية.*

**بلقزيز، عبدالجليل** بن أحمد المراكشي، ولد بمراكش عام 1900/1318، وكان والده ينوب عن المحتسب السيد عبدالرحمان المتوگي. ووالدته السيدة زينب بن داني، من حفظة القرآن الكريم، بعد حفظ القرآن الكريم، اشتغل قرابة عشر سنوات بطلب العلم، تلقى فيها مجموعة من العلوم على علماء مراكش وغيرهم أمثال : الفقيه محمد الداودي السرغيني، وبوشعيب الشاوي، وسيدي أحمد ولد الحاج المحجوب، ومولاي أحمد العلمي، وفتح الله بناني.

ومن حين لآخر كان يزور مراكش علماء نابهون أمثال : المدني بن الحسني ومحمد الرافعي وأبو شعيب الدكالي فينتهز فرصة وجودهم بمراكش ليُجالسهم ويأخذ عنهم العلم والمعرفة. وقد كان معجبا إعجابا خاصا بالفقيه الرافعي، يزوره من حين لآخر بمدينة الجديدة، ويتبادل معه الرأي فيما يراه مشكلا من قضايا الفقه والأصول والتفسير والحديث.

قام عبد الجليل بلقزيز بالتدريس في جامع ابن يوسف، حيث كان يلقي دروسا من الفجر إلى العشاء. وتختلف الدروس موضوعا ومستوى حسب قدرات الطلبة. ولما نظمت الجامعة اليوسفية يقول العلامة الرحالي الفاروق رئيس الجامعة : (عرضنا عليه أن يدعم الحركة العلمية بجامعة ابن يوسف، وعلى الرغم من أنه كان يميل إلى اكتساب الرزق عن طريق التجارة التي تعد عاملا قويا من عوامل التمدن والبناء، فقد لبى - رحمه الله - هذه الرغبة وانخرط في سلك النظام ...)

توفي بمراكش عام 1967/1387. ودفن بالزاوية الدرقاوية بسيدي بولعبادة.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

**بلقصيري** ← مشرع بلقصيري

**بلكاهية**، أسرة أسفية، ينسبون أحيانا بصيغة "الكواهي" ويذهب بعضهم إلى أنهم من أصل تركي، معتمدين في ذلك على لفظ "الكاهية" الدخيل الذي يعني "الخليفة" عند الأتراك. قد يكون هذا الزعم صحيحا نظراً لما كان للأتراك من نفوذ، ولو محدود، في شمال المغرب وفي الجيش المغربي خاصة. لكن صاحب أسفي وما إليه يقول إن أصل آل بلكاهية من دكالة، وإن أحد أجدادهم كان يسمى بلاً وسمي ابنه كاهية، فصار اسم الأسرة "بلاكاهية" ثم "ابن الكاهية" وتطور إلى بلكاهية. ويستبعد هذا بأن اسم بلا يوجد في المغرب الشرقي وبناحية ورززات، ولم يسمع قط بدكالي اسمه بلا.

ويذهب آخرون إلى أن أسرة بلكاهية نزحت إلى المغرب من الأندلس، فمنهم من استوطن الرباط وسلا، ومنهم من استقر بأسفي. وفعلا ما يزال يوجد قليل من آل بلكاهية بالرباط.

أما الذين أقاموا بأسفي، فإنهم يشكلون فرعين جدهما المشترك عبدالفضيل بلكاهية، ينحدر أحدهما من سعيد بن عبدالفضيل، والثاني من محمد بن عبدالفضيل. ويلاحظ أن فرع سعيد بلكاهية يسير نحو الانقراض اذ لم يبق منه إلا ثلاثة أفراد يقيمون حالياً بأسفي، بينما هاجر عقب محمد بلكاهية إلى مراكش وأگدير ولم يبق منهم بأسفي إلا امرأتان.

ومع ذلك، فإن لكلا الفرعين أفراداً، منهم من تقلد القيادة، ومنهم من برز في التجارة أو في ميدان العلم والموسيقى.

**بلكاهية، أحمد** (حمدان) بن محمد، من فقهاء أسفي ومن ألمع وجهائها. اشتهر بسداد الرأي وتفتح البصيرة ورحابة الصدر والفضيلة وسمو الأخلاق، فولاه السلطان سيدي محمد بن عبدالله القيادة على يهود أسفي الذين كانوا من قبل لا يقبلون قائداً أو مقدماً عليهم إلا منهم. وبعد ذلك، تولى عمالة أسفي والصويرة معا في عهد السلطان المذكور.

وافاه الأجل عام 1775/1189.

أحمد بنجلون

**بلكاهية، الطيب** الرباطي، من شيوخ موسيقى الآلة، ولد سنة 1318 / 1900، وكان والده من أهل الزاوية الحراقية ومن حفاظ موسيقى الآلة. وعن والده أخذ العزف عن الطار. ثم تتلمذ على الحاج عبد السلام بنيوسف الرباطي وعلى عزوز بناني الفاسي في النقر على تلك الآلة قبل أن يأخذ في حفظ موازين الآلة على عدد من الشيوخ من بينهم الحاج المختار الأوديي وعبد السلام الأزرق.

ولعله استمع كثيراً إلى الفقيه المطيري لما كان يرد على الرباط فتأثر بطريقته التي كانت تختلف عن طريقتي الجعيدي والبريهي، وإن كانت كل هاته الطرائق لا تختلف عن بعضها من حيث الرواية. على أنه استفاد كثيراً من عمر الجعيدي الذي لقنه جملة من الموازين تدخل في نوبات الاستهلال والأصبهان والرصد والعشاق.

ونظراً لنبوغه في هذا الفن، قدر له أن يترأس وهو لم يتجاوز العشرين، جوقاً يضم أحسن المطربين بالرباط من بين أفراده شيخه عبد السلام بنيوسف ومحمد السبيع ومحمد امبيركو ومصطفى المعروفي. وكان له دكان معروف بشارع الجزاء يصنع فيه أطر الصور ويبيع فيه بعض اللوازم الموسيقية.

اشتهر بالاستقامة الخلقية والروح الاسلامية والوفاء بالعهد. ومن جملة ما يشهد له بذلك أنه التزم هو وجملة من أفراد جوق الإذاعة في أيام الاستعمار بمقاطعتها لتحقيق بعض المطالب، فكان هو من الأفراد القلائل الذين تشبثوا بموقفهم إلى النهاية.

توفي بالرباط عام 1392 / 1972.

ع. بنمنصور، *مجموع أزجال وتواشيح* ؛ *استجواب مع المطرب صالح الشرقي*.

محمد زنيبر

**بلكاهية، الطيب** بن **محمد** بن عبدالله، من فروع سعد بن عبدالفضيل، تلقى تعليمه بأسفي ثم بمراكش، وتولى قيادة أسفي في عهد السلطان مولاي عبدالرحمان.

توفي عام 1833/1255.

**بلكاهية، عبدالرحمان** بن مَحمد بن أحمد، تلقى العلم بأسفي، وكان يزاوج بين التدريس والفلاحة، ويعدّ من أكابر تجار المدينة.

وافاه الأجل عام 1939/1358.

**بلكاهية، محمد** بن محمد بن الطيب، من مواليد سنة 1891 بأسفي، وبها نشأ ودرس على شيوخها ثم أتم دراسته بالقرويين بفاس، ولازم هناك بصفة خاصة الشيخ الفلكي سيدي مَحمد العلمي الذي انتهت إليه رآسة علم الفلك، وتعتبر تآليفه العديدة من أهم المراجع في هذا الفن.

بعد رجوع محمد بلكاهية من فاس إلى أسفي تلقى عنه طلبتها علم التوقيت بصفة خاصة، ولم يكن أحد يتقدم عليه في هذا المضمار. اشتغل بخطة العدالة، وكان أحياناً ينوب عن قاضي المدينة الفقيه الأصولي محمد العبادي.

عرف عنه التحري الشديد في تلقي الشهادة وتحريرها والتنزه عن كل ما فيه شبهة، كما كان له الباع الطويل في علم الفرائض والحساب.

وبصفة عامة، كان ثاقب الذهن، حاضر البديهة، دقيق الملاحظة، تطبع سلوكه الجدية وعلو الهمة، ذو نكت لطيفة.

توفي سنة 1377 / 1957.

م. الكانوني العبدي، *أسفي وما إليه* ؛ أ. بنجلون، *من تاريخ أسفي*، مخطوط ؛ ط. البواب، *مذكرات خاصة*.

أحمد بنجلون

**بلـگناوي**، أو ابن الأگناوي، أو ابن الأجناوي أو ابن الجناوي، وتكتب أحياناً بدون ابن : الأجناوي أو الجَناوي وحتى اللَجنوي، أسرة رباطية مجيدة أصلها من رجراجة أو من جبل العلم مقر الشيخ عبد السلام بن مشيش الإدريسي الحسني. وفي تطوان آل الجنوي الحسنيون العمرانيون كان فيهم علماء وقضاة، يوجد ظهير رحماني مؤرخ في 17 رمضان عام 1238 يجدد ما بأيديهم من ظهائر الملوك السابقين ويوصي بتعظيمهم وإعفائهم من الوظائف المخزنية مراعاةً لنسبهم الشريف واعتكافهم على التعليم، ولا يُعرف ما إذا كانت لهم علاقة بآل بلگناوي الرباطيين. وقد استوطن بعض هؤلاء بلاد زعير حيث أُقبر الشيخ الصالح محمد بن الطاهر بن المكي بلگناوي في كريفلة بجوار المجاهد عبد الله بن ياسين. وتذكر الوثائق وكتب التراجم والحوليات عدداً غير قليل ممن عرفوا من آل بلگناوي بالعلم والصلاح، أو بالتجارة وخدمة المخزن.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 198 ؛ *الاغتباط*، 244 ؛ م. بنسودة، *قبيلة زعير*، 2 : 217، 218.

**بلگناوي، إبراهيم** بن **محمد** بن الطيب الرباطي، فقيه عدل فرضي حيسوبي موقت، كان إليه المرجع في قسمة التركات، خطيباً بجامع السنة، إماماً راتباً بضريح مولاي المكي بحومة الدورة، قبل أن يعين قاضياً بالنيابة في الدار البيضاء، فاشتغل هناك بالتدريس والخطابة. وقد توسع في ترجمته تلميذه العربي الوزاني في *فهرس شيوخه*. وفي عام 1298 / 1880 رجع إلى مسقط رأسه فاشتغل عدلا بمرسى أسفي إلى أن توفي في قعدة عام 1311 / ماي ـ يونيه 1894 وأقبر بضريح مولاي المكي بالرباط.

العربي الوزني الرباطي، *فهرس الشيوخ*، مخطوط بنقل م. بوجندار؛ الاغتباط، 244، 245 ؛ م. دينية، *تعطير البساط*، 2 : 235 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1311 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 260، 1961.

**بلگناوي، إبراهيم** بن **محمد البدر** ولد بالرباط عام 1321 / 1903، وتلقى تعليماً مزدوجاً : تقليدياً على علماء الرباط، وعصرياً بثانوية مولاي يوسف. واشتغل بقسم الترتيب بإدارة المالية إلى أن طرد سنة 1944 لعواطفه الوطنية، ثم التحق بالإدارة الشريفة كترجمان. وبعد

الاستقلال نقل إلى قسم الترجمة برآسة الحكومة إلى أن توفي سنة 1391 / 1971.

*معلومات شفوية* عن م. الأمين بلگناوي.

**بلگناوي، احمد** بن إبراهيم الرباطي، فقيه أديب، عمل مدة ناظراً لأوقاف الصويرة، وكان يتّجر مع آل بنشقرون في منشستر. ثم أقام مدة بمراكش مراسلا لجريدة *السعادة*، حيث تعرّف على إدريس البوكيلي، وقدم معه إلى

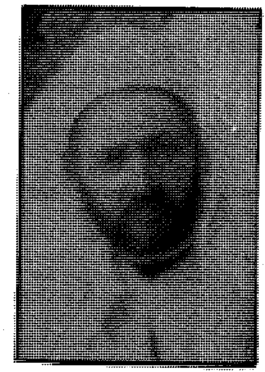

الرباط للعمل بدار المخزن في الصدارة، ثم في الاستيناف الشرعي، والأحباس. وأخيراً عاد إلى الصويرة حيث أدركته الوفاة يوم عيد الأضحى من عام 1361 / 19 دجنبر 1942.

**بلگناوي، الطاهر** بن المكي، أديب شاعر، فقيه مدرس نفاع، من تلامذته مولاي المكي بن محمد الوزاني صاحب الضريح الشهير بسيدي فاتح.

توفي بالرباط قبل عام 1150 / 1737.

**بلگناوي، عبد السلام** بن إبراهيم الرباطي، فقيه اشتغل مدة بالتجارة حيث كانت له دار سلعة (متجر كبير) بالسوق التحتي، وكان في نفس الوقت إماماً بمسجد سيدي عبد الله الحويشي في حي بوقرون. وقد رشحه السلطان مولاي يوسف سنة 1926 للإمامة والخطابة بجامع باريز،

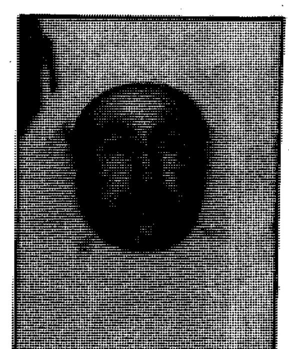

فكان ثاني إمام مغربي فيه. ولما رجع إلى مسقط رأسه التحق بالمحكمة العليا الشريفة رئيساً لقسم الضبط ثم عضواً فرئيساً للقسم الجنائي.

وتوفي بالرباط عام 1392 / 1972.

م. الأمين بلگناوي، *تقاييد*.

**بلگناوي، العربي** بن علي بن الطيب، حلاه في *تعطير البساط* بالفقيه العدل. عمل كاتباً خاصاً للخليفة السلطاني بالرباط المولى رشيد، ثم سمي خليفة للمحتسب، فعدلا في سماط شهود الرباط إلى أن توفي في جمادى الثانية عام 1243 / دجنبر 1827 - يناير 1828.

م. دينية، *تعطير البساط*، 2 : 272 ؛ م. الأمين بلگناوي، *تقاييد*.

**بلگناوي، علي** بن الطيب الرباطي، توفي والده وهو صغير طالب علم بمسقط رأسه، فخرج إلى مدينة فاس لإتمام دراسته أوائل عهد المولى سليمان (1207 - 1238 / 1792 - 1822)، ومكث بها مدة طويلة إلى أن كادت أخباره تنقطع عن أهله. وفي أول رسالة كتبها لهم أخبرهم بأنه أصبح من كتّاب المخزن المقربين إلى السلطان المولى سليمان.

وكان إلى جانب الكتابة يكلّف أحياناً بمهام مدنية وعسكرية. فقد وجهه المولى سليمان إلى الشرق مع مَن سار لصلة الرحم مع أخته زوجة شريف مكة، فتعرف هناك على الحركة الوهابية. كما كلفه السلطان بإخضاع بعض القبائل الثائرة، وقد جاء في رسالة سليمانية :"خديمنا الأرضى الفقيه المرتضى، الحاج علي اللّجناوي... فإن قبائل زعير قد زاغت وراغت فاخرج إليها فإن هي طاعت وأذعنت فذاك وإلا فاعمل فيها السيف". وأدرك علي بلگناوي حظوة لدى السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام (1238 - 1276 / 1822 - 1859) فعندما عقد لابن عمه المامون بن الشريف على كتيبة من الجند وجهها إلى وجدة عززه بالفقيه علي بلگناوي، ثم ولاه عمالة وجدة وما حولها.

كانت دار علي بلگناوي بدرب مولاي عبد الله من أكبر دور الرباط سعةً وأبهةً وكرماً، إذ كان له ثمانية عشر ولداً واثنتان وعشرون بنتاً، وأصهر إليه كثير من علية الأسر الرباطية والسلوية. وقد وشى به بعض الحساد إلى السلطان فانتقل إلى الصويرة، وفيها توفي مسموماً - على ما يقال - عام 1276 / 1859، ودفن بضريح سيدي مگدول.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 50 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 225 ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 198 ؛ م. الأمين بلگناوي، *مقيدات*.

**بلگناوي، محمد** بن **إبراهيم** المعروف بالبيضاوي، فقيه ناسك درس في الرباط على الشيخين المكي البطاوي وأبي شعيب الدكالي وغيرهما. اشتغل كاتباً بمرسى الرباط ثم محرراً بجريدة *السعادة*، وأستاذ بمعهد

الدروس المغربية العليا. تزوج بنت قنصل فرنسا بالرباط المترجمة الخاصة لزوجة المقيم العام ليوطي، ومديرة مدرسة البنات الأولى بالرباط. وقد أسلمت وسميت فاطمة. وأخيراً انتقل إلى العمل بالصدارة العظمى ككاتب أول رئيس قسم في الأملاك المخزنية، وفي نفس الوقت كان إماماً وواعظاً بمسجد الجزاء.

توفي بالرباط عام 1380 / 1960.

م. الأمين بلگناوي، *تقاييد*.

**بلگناوي، محمد** بن **أحمد**، فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، يحفظ عن ظهر قلب أهم متونه: *كمختصر* خليل *ورسالة* ابن أبي زيد، *وتحفة* ابن عاصم، *ولامية* الزقاق، *والعمل الفاسي*، لعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي، *والعمل المطلق* لبلديّه الرباطي. اشتغل بالعدالة والتوثيق في مسقط رأسه، كما كان يخطب مع انقطاع في كل من الزاوية الناصرية وجامع السنة، ملازماً لتلاوة القرآن وقراءة الأذكار.

توفي عام 1310 / 1892.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 202 ؛ ع. بنسودة، *إتحاف*، مخطوط، 1310؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 81 ؛ م. دينية، *تعطير البساط*، 2 : 234.

**بلگناوي، محمد** بن **علي** بن الطيب، فقيه واعظ عدل، أخذ عن شيوخ الرباط في عصره وفي مقدمتهم أحمد دينية، وانتصب للشهادة والتوثيق في سماط عدول الرباط ثم الدار البيضاء، وأسند إليه قاضي الرباط محمد البريبري النيابة عنه في قضاء الدار البيضاء - إذ كانت تابعة له - وكان يخطب فيها بجامع السوق، ويعقد مجالس الوعظ بالجامع الأعظم، إلى أن استشهد في واقعة الدار البيضاء حين هاجمها الفرنسيون عام 1325 / 1907. ودفن بضريح سيدي بليوط.

م. دينية، *تعطير البساط*، 2 : 272 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 221.

**بلگناوي، محمد المهدي** بن عبد السلام، (الدكتور)، ولد بالرباط عام 1339 / 1920. وتكون تكويناً مزدوجاً حيث درس أولا على الشيخ الصديق الشدادي وغيره من فقهاء المدينة مبادئ اللغة العربية والتوحيد والفقه، ثم دخل المدارس العصرية فأتقن اللغة الفرنسية.

وفي أثناء دراسته بباريز انتُخب رئيساً لطلبة شمال افريقيا المسلمين لمدة ثلاث سنوات، وتخرج في القانون والطب، وقد عمل في المعهد المولوي معيداً وأستاذاً مساعداً ملحوظاً من طرف محمد الخامس. ثم زاول مهنته كطبيب ناجح بالدار البيضاء معرضاً عن المناصب الإدارية السامية التي عرضت عليه بعد الاستقلال.

توفي في حادثة سير وهو راجع من يفرن إلى الرباط في صيف عام 1388 / 1963.

ع. ابن سودة، *فهرس إتحاف المطالع*، ساقط من المخطوط الذي تحت يدي ؛ م. الأمين بلگناوي، *تقاييد*.

محمد حجي

**بلكورة**، أسرة رباطية أصلها القريب من ليبيا، والبعيد من بلاد فارس - على ما يقال - انتقل ثلاثة إخوة منهم من ليبيا في القرن الثالث عشر (19 م) فاستوطن أحدهم المدعو الطاهر بفاس، بينما استقر الثاني، وكان فلاحا، بحمة سيدي حرازم، والثالث في مكان آخر. وأنجب الطاهر بلكورة ولداً سمّاه عبدالكريم، فانتقل هذا إلى الرباط واستوطنها ووُلد له فيه ثلاثة أولاد، المختار الذي انتقل إلى مكناس، والمصطفى الذي انتقل إلى سيدي قاسم فسيدي سليمان، وأحمد الذي استقر بالرباط إلى أن توفي فيه ودفن بزاوية سيد عبدالرفيع الأندلسي قرب سوق الغزل، ويرجع فرعا آل بلكورة الرباطيين إلى ابني الحاج أحمد هذا، وهما أبو بكر والحاج محمد.

**بلكورة**، أبو **بكر** بن أحمد بن عبدالكريم. ولد بالرباط عام 1884/1303، واشتغل في بداية أمره بصناعة الحرير، ثم التجارة إلى أن أصبح متجره بالسويقة قرب المسجد الأعظم بالرباط من أكبر متاجر الشاي والسكر. وإلى ذلك كان متدينا ملازما حضور المجالس العلمية الليلية التي تعقد بالمساجد لا سيما مجالس الشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي، فتشبّع بروح النهضة والاصلاح، وكان من الوطنيين الأولين الذين ناهضوا الاستعمار وسعوا في تأسيس المدارس الحرة، فحوالي 1928 شارك في فتح أول مدرسة قرآنية حرة بدرب والزهراء بالرباط، ثم المدرسة الرحمانية بحومة بوقرون. كما شارك في حركة الاحتجاج ضد الضرائب التي بدأ الفرنسيون يفرضونها على صغار التجار والصناع أيام أول مقيم عام المرشال اليوطي، وضد قيامهم بتوسيع شارع لعلو على حساب مقابر المسلمين. فكان أبو بكر بلكورة من بين المتظاهرين، وأحد أعضاء وفد أعيان العدوتين الرباط وسلا الذين ذهبوا إلى القصر الملكي يشتكون والي الإقامة العامة يحتجون. وعلى إثر هذه الحركة الاحتجاجية الأولى نُفي أبو بكر بلكورة وبنعيسى لعلو إلى مدينة أسفي، كما نُفي أربعة آخرون من رواد الحركة الوطنية بسلا والرباط إلى وجدة والصويرة وطنجة، وسجن الأستاذ عبدالرحمن حجي الذي قاد المظاهرة في سلا.

وبعد أن رجع أبو بكر بلكورة إلى مسقط رأسه، اتسعت دائرة نشاطه التجاري، وخاصة بالخميسات من بلاد زمور، فأصبح هناك داعية للسلفية والوطنية، رفيقا لطلائع الوطنيين الزموريين الذين ستكون لهم مواقف مشرفة ضد الظهير البربري سنة 1930. كما كانت دار أبي بكر بلكورة في الرباط ملتقى الوطنيين، وفيها حرر رجال كتلة العمل الوطني المطالب المسعجلة سنة 1934.

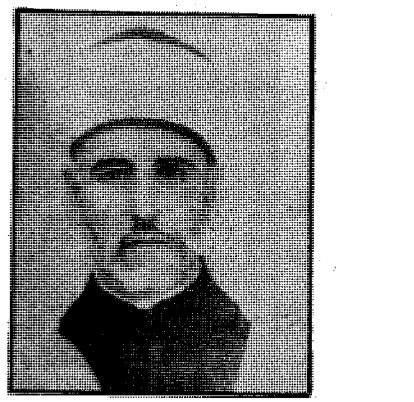

وفي هذه السنة كانت له تلك المواقف المشرفة مع قبيلة بني خيران بدائرة واد زم المهددة آنذاك من طرف الإدارة الاستعمارية بانتزاع ملكية أراضيها الفلاحية التي تبلغ 33.000 هكتار، وقد تطوعت القبيلة لبلكورة بتمليكه ثلث هذه الأراضي كمكافأة عن أتعابه، لكنه بعد أن أحسن الدفاع وسلمت الأرض لأصحابها وجاؤوه ليملكوه ثلثها، أكرمهم وأبى أن يأخذ منهم أي شيء عن عمل يعدّه خدمة للمواطنين.

وقد أتاح قيام الحرب العالمية الثانية الفرصة للفرنسين لينتقموا من أبي بكر بلكورة ويعملوا على تعطيل تجارته التي كانت تغطي معظم أسواق المغرب، واحتجاز منتجات ضيعاته من بقر وغنم وصوف وغير ذلك، ثم أجهزوا على نشاطه التجاري بعد تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال فعطّلوا جهازه التليفوني وسدّوا أمامه كل سبل الارتزاق، فما وهن لما أصابه في سبيل الله وما ضعف وما استكان حتى أدركه الأجل سنة 1373 / 16 شتنبر 1953 ودفن بمقبرة سيدي الخطاب المعروفة اليوم بمقبرة الشهداء.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية* ؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية* ؛ م. ابن سودة، *قبيلة زعير*، 2 : 236 . 251 ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، ج 1 ؛ *روايات شفوية* عن م. الأمين بلكناوي.

محمد حجي

**بلكوش**، أسرة من أشهر بُيوتات قبيلة أحمر وأعرقها حضارة واتصالا بالمخزن. تنتسب إلى علي بن ناصر الحمري شيخ رماة عصره مع أخيه سعيد، دفين باب الدباغ بمراكش. ومن أبرز أفرادها :

**بلكوش، العربي** بن محمد بن الحاج العربي بن الطاهر الناصري الحمري من زاوية الخنوفة، ولد سنة 1292 / 1875. وتوفي والده وهو ما زال صبياً، وفي أثناء رحلة السلطان إلى الجنوب نزل بقصبة الشماعية التي كان أنجاله الأمراء يتدربون فيها على الرماية وركوب الخيل تحت إشراف أهل زاوية الخنوفة حفدة الشيخ علي بن ناصر. ولما كان محمد بن الحاج العربي بلكوش من خدام المخزن، استفسر السلطان عن أولاده، فأُخبر بأنه لم يترك إلا ولداً واحداً هو العربي، فأمر الفقيه الحاج المختار بن حميدة النواصري بأن يسهر على تربية هذا الولد. وفعلا حفظ العربي القرآن وهو ابن خمس عشرة سنة براويتي المكي والبصري، ثم توجه عند خاله الفقيه الطاهر بن الحبيب الگدالي القاضي بناحية أسفي "الساحل" وهناك درس مبادئ الفقه والنحو، ثم رجع إلى زاوية الخنوفة واشتغل بالفلاحة. وسرعان ما وقع عليه الاختيار ليندرج في المناصب المخزنية، فعُين شيخا مع القائد عيسى ابن عمر العبدي، ثم اختير قائداً لحركة أهل احمر المتجهة إلى تازا لمحاربة بوحمارة. ولما دخلَ الفرنسيون إلى أسفى ألقي عليه القبض القائد أحمد ابن عيسى العبدي ثم أطلق سراحه، وبعد ذلك تولى منصب خليفة الزرّة احمر سنة 1916 م. وفي سنة 1918 عُين على الزّرّة احمر ثم أضيف إليه أولاد يوسف وأنعم عليه بعدة أوسمة.

عرف القائد العربي بلكوش بالاستقامة والتمسك بالدين والوطنية الصادقة، الأمر الذي جعله في خلاف مع المراقب المدني وخاصة في العقدين الثالث والرابع من هذا القرن. وفي سنة 1943 حظى باستقبال الملك محمد الخامس لما زار زاوية الخنوفة وبقى معروفاً بالاستقامة إلى أن توفي سنة 1365 / 1945.

**بلكوش، محمد** بن العربي. ولد سنة 1325 / 1907 وخلف والده في قيادة قبيلة احمر وسار على سنته في الوطنية والاستقامة، وهكذا أخلصت هذه الأسرة إلى الوطن فرفضت مؤامرة الاستعمار ضد العرش المغربي في غشت 1953 فأقيل القائد وخليفته شقيقه عبدالله ونُفيا إلى الجديدة ووُضعا تحت الإقامة الإجبارية إلى أن رجع محمد الخامس إلى العرش فأعاد إليهما اعتبارهما، وتوفي محمد بلكوش سنة 1395 / 1975.

*معلومات من أسرة بلكوش، وروايات شفوية أخرى.*

محمد ماگمان

**بلماحي**، أسر متعددة منتشرة في أنحاء المغرب، لا نعرف عنها كثيراً. وربما كان أشهرها أسرة بلماحي في تازا. ومنهم :

**بلماحي، محمد** بن مَحمد، المولود عام 1353 / 1934 بتازا. شبَّ يتيما فكفله أحد أعمامه، وكانت أمه تتفانى في خدمته، ولما أخذ المغرب يطبق النظام العصري للحالة المدنية، أضاف اسم أسرة أمّه "الوزاني" إلى اسمه العائلي فأخذ يعرف بـ "بلماحي ـ الوزاني".

كان طالبا متميزا متفوقاً في الرياضيات، حصل على دبلوم مهندس من جامعة بوليتيكنيك بلوزان (سويسرا) ثم

دكتورة الدولة في الفزياء من جامعة زوريخ (سويسرا) وانخرط في سلك أساتذة كلية العلوم بالرباط، ابتداء من فاتح أكتوبر 1965.

توفي في حادثة سير بالرباط أوائل شهر يوليوز 1977، له كتابان مخطوطان لم يطبعا بعد، الأول : *دروس في الفزياء*، والثاني : *مصطلحات فزيائية*. وقد سمي باسمه أحد المدرجات في كلية العلوم بالرباط.

*ملف المترجم في كلية العلوم بالرباط* ؛ *معلومات مستقاة من زملائه وأقاربه*.

أحمد بنجلون

**بَلْهاشمي، محمد** بن **عبدالقادر**، ولد عام 1905 بخنيفرة، وانخرط في صفوف المقاومة سنة 1955. ومن بين العمليات التي قام بها مجموعة من الحرائق والإتلافات ضد المصالح الاستعمارية، كما كان يشجع المتظاهرين بكل الوسائل المادية والمعنوية. وأثناء المعارك الحامية التي دارت بخنيفرة يوم 20 غشت 1955 استشهد برصاص الاستعمار.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 1.

عزالدين العلام

**بَلْهاشمي، محمد المسفيوي** المولد، المراكشي القرار والمدفن، ولد عام 1907/1325، بقرية تسمى الثلثية بمشيخة أيت فاسكة بمسفيوة، وفيها حفظ القرآن الكريم بروايتي ورش والمكي، وأتم دراسته القرآنية على يد عمه عمر نيت حَمْد بأمنوز مشيخة أيت عبدالسلام بمسفيوة. ودرس الأجرومية على الفقيه السيد سعيد المنتالي بفروكة، ثم انتقل عام 1917/1336 لطلب العلم على يد العلامة سيدي أحمد أكرام بمدرسة مولاي الجيلالي اجعيدي بالويدان بالرحامنة، ولزمه في مختلف العلوم من نحو وصرف وبلاغة وفقه وغير ذلك من العلوم التي تدرس آنذاك.

بعد ذلك التحق بالكلية اليوسفية، فدرس فيها علوما أخرى على يد شيوخها أمثال : الحاج عبدالسلام بن المعطي السرغيني، وأحمد أكرام اليعقوبي ومولاي أحمد العلمي ومحمد بن عمر السرغيني المعروف بابن نوح، ومحمد بن التاودي ومحمد بلحسن الدباغ وبوشعيب الشاوي، ومحمد المختار السوسي والحاج لحسن الشاوي والفقيه الصوفي أحمد ولد الحاج المحجوب. وأجازه بعضهم.

ولما آنس من نفسه القدرة على التدريس التحق بالجامعة اليوسفية كأستاذ عام 1939/1358 بقسمها النهائي، وتدرج من سلك الأُستاذية إلى مفتش بالجامعة اليوسفية، ثم مراقب للدروس إبّان مرض رئيسها السيد عبدالقادر المسفيوي. ولما عُزل هذا الأخير من منصبه كرئيس للجامعة اليوسفية بسبب مواقفه الوطنية عُين المترجم مكانه، وقد جاء هذا التعيين في ظروف حرجة، على إثر نفي السلطان محمد الخامس، وقد خلق له هذا المنصب الجديد متاعب ومشاكل في حياته التعليمية والاجتماعية.

ولما أحرز المغرب على استقلاله عَزل من رئاسة الجامعة. وأسندت الرآسة إلى العلامة الرحالي الفاوق، وعُين المترجم أستاذا بكلية اللغة العربية، وبقي بها إلى أن أُحيل على التقاعد. وتوفي عام 1983/1404، وأُقبر بمقبرة باب أغمات بمراكش.

أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط ؛ *روايات شفوية*.

أحمد متفكر

**البَلْهوان**، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر، وقد انقرضت في أوائل القرن الحالي.

محمد ابن عزوز حكيم

**بلْوازن**، قرية مندرجة اليوم بفرقة البحراويين من حوز تطوان، حسب التقسيم الاداري المعاصر. وأرضية القرية عبارة عن منخفض معلق بالجانب الشرقي من جبل "فتح المهر" شمال تطوان، مما يقابل رأس المضيق، المعروف بكدية الطيفور، حسب الاصطلاح المعاصر (الرأس الأسود)، ويستفيد التجمع السكاني من العيون المتدفقة المكونة لعدد من منابع واد اسمير.

شكلت قرية بلْوازن خلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري أهم نقط تجمع المجاهدين ضد سبتة، بما آوته من رؤساء الجهاد، فهي موطن رئيس المجاهدين عبو بن محمد وإخوانه وأبنائه. ولذلك حددت سبتة المحتلة موعداً لاقتحام دورها في جمادى الأولى 836 / ديسمبر 1433. ومن رجالها أيضا أحمد بن سلام بن مرزوق، رئيس المجاهدين سنة 833. 834 / 1430.

أ. الشراط، *تقييد*، نشره م. ابن عزوز حكيم بعنوان : لماذا نطالب بسبتة ومليلية، ص 31 ؛ *ظابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، ص 40.

Gomes Eanes Azurara, *Cronica do D. Duarte de Meneses*, p. 77 ; *S. I. H. M.*, Portugal, 4 : 173 ; J. Mascarenhas, *Historia de Ceuta*, p. 175.

حسن الفكيكي

**البَلّوري**، أسرة كانت بتطوان إلى حدود سنة 1701/1113 حيث انقرضت.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 50.43 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بلّوش** (ابن ـ) ← **البلّوشي**

**البَلّوشي**، أو **البَلّوشيّة**، أو الا بلوشية ـ كما ترد أحيانا عند محمد المختار السوسي ـ من الأسر العلمية الست التي وردت في *سوس العالمة* بالنسبة لمنطقة أيت باعمران وما إليها، باعتبار الشرط الذي التزمه المؤلف وهو أن يتسلسل العلم في أسرة مّا فترة معينة يقول : (وشروطُنا في الأسرة العلمية، أن يتوالى العلم فيها في ثلاثة أجيال على الأقل، أو جيلين إن تعدد فيها العلماء، فتجاوزوا الأربعة (*سوس العالمة*، 121).

على هذا الأساس، أورد هذه الأسرة، التي تنتسب إلى المقرىء عبدالله الملقب (بَلّوش). ولفظة (بلّوش) تصحيف لعبدالله، فقد صحف السوسيون اسم (عبدالله) هذا التصحيف العجيب، بعد أن اعتادوا أن يصحفوا (عبدالله) إلى (بلاّ) فزادوه الشين فقالوا (بَلّوش) (*المعسول*، 10 : 163) وتوجد بعض الأسر في سوس تحمل هذا اللقب ولا علاقة لها بهذه الأسرة العلمية الباعمرانية.

**البلّـوشي، محمد** بن عبدالله (بلّوش) بن عمر بن أحمد الباعمراني. ولد بقرية أدار في أيت عبدالله الباعمرانية سنة 1902/1320. أحد رجالات سوس العلمية، وفذّ من الأفذاذ، الذين تخرجوا من المدرسة (الإلغية)، وقد تكونت له حالة من الشهرة بعلمه وادبه وتدريسه، ثم بتوليه خطة القضاء في إفني سنين كثيرة (*المعسول*، 10 : 232) تخرج بالإلغيين، فكانت له أيضاً في الآداب يد، وقد تصدر للتدريس، والافتاء والقضاء في بلاده، وعلا شأنه، وبقي على ذلك إلى وفاته (*رجالات العلم في سوس*، 237) وقد حفظ القرآن على يد والده عبدالله بلوش فختم عليه خمس ختمات، ثم التحق بالمقرئ الأستاذ مبارك التباني، في مسجد العوينة فختم عليه ختمتين، وهما شيخاه في حفظ القرآن لم يتعداهما. ثم اتجه، صحبة أخيه الذي يكبره بعامين الحسن بن عبدالله (بلوش) إلى مدرسة (دُو أگدير) بـإلـغ، وهو لم يجاوز الثالثة عشرة من عمره وذلك عام 1333 / 1914 حيث ألقى عصا التسيار، ولازم المدرسة المذكورة ما ينيف عن أربع عشرة سنة، آخذاً عن أساتذتها المشاهير أمثال علي الالغي وأبي القاسم التاجر مونتي (ت. 1364) وأحمد بن محمد اليزيدي ( ت. 1364/3/24) والمدني ابن علي (ت. 1365/6/17) ومولاي عبدالرحمان البوزكارني (ت. 1380/9/17) سواء في المدرسة الإلغية أو في أيت باعمران، حيث كان يتردد عليه شيخه هذا، أثناء مشارطته في مدرسة قبيلته بأيت عبلاً وبعد توليه القضاء (بافني) سنة 1928/1347 وهي السنة التي توفي فيها عميد المدرسة الشيخ على بن عبدالله الإلغي.

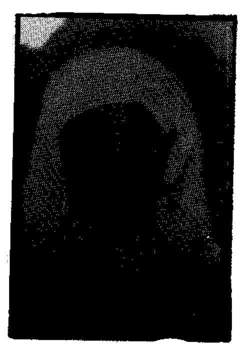

وبالرغم من أن المختار السوسي يؤكد أن القاضي محمد ابن بلوش أخذ كل معارفه في مدسة (إلغ) ولم يبرحها إلى غيرها إلاّ لكي يتولى التدريس ثم القضاء في بلده، فإنه يذكر في ترجمة الفقيه محمد بن عبدالله المعروف (بأقاريض) أن المترجم من بين تلاميذه، وهذا العلامة تردد بين المدرسة التي في تانالت بأيت صواب حيث أبطأ كثيراً، ثم مدرسة فوكرض نحو سنة 1911/1330، وبقي في الثانية إلى أن توفي عام 1352 (*المعسول*، 8 : 88،87 و95). وإن صح أن المترجم أخذ أيضا عن (أقاريض) فإن ذلك يتصور في مدرسة (فوگرض) لأن مسيرة حياته العلمية، بعد حفظه القرآن، لا تخرج عن إطار المدرسة الإلغية، ففيها بدأه وظل لا يبرحها إلى غيرها أزيد من أربع عشرة سنة، والشيخ أقاريض أمضى الفترة الطويلة من حياته، وهو يدرس في مدرسة تانالت قبل أن يحفظ المترجم القرآن ويشرع في الدراسة العلمية. وعلى التسليم بأخذه عن هذا الشيخ في المدرسة الثانية، بعد سنة 1330، فإني أرجّح أن يقع ذلك، وهو يغادر المدرسة الإلغية إلى بلاده في أيت باعمران بحيث لم يمض أكثر من سنة عند أقاريض ثم لم يلبث أن استجاب إلى رغبة قبيلته أيت عبلاً ليشارط في الجمعة ابتداء من عام 1347. ومما يجعلنا نرتاب في هذه المشيخة الأخيرة أن تلاميذه الذين تخرجوا على يده في فترة تدريسه الأولى، وتمثلوا في الرعيل الأول الذي أخذ عنه بعيد تخرجه من مدرسة إلغ يؤكدون في رواياتهم الشفوية، أنه شارط في قبيلته، خلال السنة التي توفي فيها شيخه علي الإلغي، ويقول أكبر مؤرخيه : "بعد تخرجه شارط في مدرسة قبيلته آيت عبلا في تلك السنة نفسها (يعني التي توفي فيها شيخه في إلغ) فلازمها اثنتي عشرة سنة، كان فيها مثال الجد والإكباب على التعليم" (*المعسول*، 10 : 233).

ولما قضى في المدرسة الفترة المذكورة، وأعطى ثمار تحصيله من إلغ أحسن ما يكون العطاء، وتخرج على يديه كثير ممن لا يزال بعضهم فاعلين في ميادين القضاء والتعليم، انتدبه الواجب ليقوم بمهمة أخرى رشحته لها مؤهلاته المتعددة، ذلك أنه، وهو منهمك في التدريس والإفتاء، طلب منه، بمعية فقيه نوازلي آخر من أيت باعمران أن يتقدما لتولي قضاء إيالة إفني على أن يختار أكفأهما لقضاء الجماعة، ويكون الثاني من بين القضاة النواب في مختلف نواحي أيت باعمران.

كانت إسبانيا بعد احتلالها مدينة إفني والقبائل التابعة لها من أيت باعمران ابتداءً من سنة 1934 عمدت إلى تنظيم الشؤون العامة للمنطقة ومن جملتها الشؤون الدينية، وذلك محاولة منها لتطبيق الاتفاق المبرم بينها وبين أعيان البلاد الذي ينص على عدم تدخل إسبانيا في شؤون الباعمرانيين الداخلية، وخاصة الشؤون الدينية والعمل بالأحكام الشرعية دون العرفية، واحترام العادات والتقاليد المحلية. وتطبيقاً لهذين البندين، وقع الاختيار من لدن القبائل الباعمرانية على محمد البلوشي من أيت عبلا وعلى فقيه آخر ليتوجها إلى مدينة تطوان في المنطقة الخليفية، قصد إجراء امتحانات هناك، فتفوق محمد البلوشي، وعين قاضي

القضاة في مدينة (إفني) سنة 1940/1359، ومن ثم عين نواباً عنه في كل النواحي التابعة للمدينة، باعتبارها عاصمة الباعمرانيين (*المعسول*، 10 : 229) وكانت محكمته في المدينة بمثابة استئناف، ترفع إليها أحكام القضاة الذين يتبعون إيالة إفني، كما كانت تسمى، وكان البلوشي وهو قاض لا يفتأ يدرس في الجامع الكبير بإفني، حيث انتقل معه جمع من طلبته المتقدمين، على حين بقي عدد منهم في مدرسة الجمعة تحت مسؤولية ابن أخيه الأستاذ أحمد بن اليزيد، الذي كان من أبرز المتخرجين على يده، فواصل سيرة عمه (*المعسول*، 10 : 231 ؛ *المدارس العلمية*، 337).

ظل البلوشي في خطته القضاء حوالي أحد عشر عاماً، إلى أن شعرت السلطات الاستعمارية بأن الشؤون الدينية أمست بعيدة كل البعد عن ضغوطها وتعليماتها، خاصة أن البلوشي يقوم بعدة مهام، كالتدريس في الجامع الكبير والخطابة أحيانا، بالاضافة إلى مهمته الرئيسية في القضاء، حينذاك بدأت السلطات تضايقه، وتحاول عرقلة أحكامه، خارقة بذلك بنود الاتفاقية المبرمة بينها وبين الأعيان حتى إنها لجأت إلى تنصيب هيأة من علماء خارج المنطقة، لنقض أحكامه، ففضّل مغادرة القضاء والرجوع إلى عمله الأول في مدرسة قبيلته بأيت عبلاً.

أعاد سيرته الأولى في مدرسة الجمعة مدعوا من قبيلته، ابتداء من 1951/1371، فحمدت تلك السيرة، وازدهرت بعودته العلوم والفنون من جديد.

وتمثل هذه الفترة مرحلة أخرى من مراحل حياته، استغرقت حوالي ثمان سنوات أعاد فيها المترجم إلى مدرسة الجمعة سالف مجدها، وتالد عزها، إذ استقطبت المدرسة من جديد طلبة أيت باعمران وغيرهم، حتى سنة 1379 / 59 ـ 1960 التي تعد من السنوات الحاسمة في تاريخه، إذ كانت أيت باعمران بجميع قبائلها تعيش معارك التحرير ضد اسبانيا منذ سنة 1957، مما جعل الظروف العامة غير مواتية للقيام بمهمة التدريس، فقد غدت البلاد كلها عرضة للهجمات الإسبانية خاصة القصف الجوي، فغادر مدرسة قبيلته إلى مدينة أگادير مترددا على الرباط ضمن الوفود الباعمرانية التي كانت تتوجه إليها، لعرض قضيتها على أنظار الملك الراحل محمد الخامس. وقال البلوشي في إحداها قصيدة مطلعها :

الحمد لله زال الذعر والحذر وجاء ما كانت الآمالُ تنتظر
ليت القوافيَ تدنو لي فأجعلَها في سلك مدحك لولا العي والحصر

وفي حياة محمد البلوشي جانب آخر لا يفتأ يتعهده بالصقل والتهذيب بالرغم من اشتغاله بالقضاء سنين طويلة، هذا الجانب هو القريض، ومن هنا حلاه مؤرخون بالأديب البارع، وسجلوا مشاركته في مساجلات أدبية، وندوات شعرية، كالتي شارك فيها، وهو ما زال طالباً بمدرسة إلغ إلى جانب فطاحل الأدب من شيوخه وكبار أدباء تلك المدرسة، بتاريخ 1923/1342 كما أثبت ذلك المختار السوسي في *المعسول* (2 : 45، 46، 47، 48).

والبلوشي، إلى جانب فقهه وعلمه، أديب طويل النفس، وأهم الأغراض التي تناولها في شعره : الإخوانيات، والوطنيات، وبعض قصائد المدح الخاصة بالملك محمد الخامس، نُشر بعضها، وما زال معظمها مخطوطاً. وله نظم أسامي البلاد ما يذكّر منها وما يؤنث، ونظم في أعضاء الإنسان، ما يذكر منها وما يؤنث، إضافة إلى نثره الفني، ورسائله العديدة بخط يده، وإجازات لبعض تلاميذه وأحكام قضائية بخط يده كذلك، وله تعليقات واستدراكات كتبها على *القاموس المحيط*.

ثم إن الظروف التي ساقته إلى أگادير، أدت به إلى تولّي القضاء من جديد، بعد الاستقلال، نزولا عند رغبة بعض طلبته، بالرغم من أنه كان يتمنى أن لا يغادر مدرسة قبيلته الباعمرانية بقية حياته، غير أن الأقدار عاجلته، ولما يمض على مقامه في أگادير إلا نحو أربعة شهور، فكان من الذين استشهدوا في الزلزال، أوائل رمضان 1960/1379 مع زوجته وبعض أولاده.

م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *رجالات العلم بسوس* ؛ ع. بنعبدالله، *الموسوعة المغربية للاعلام البشرية* ؛ *معلمة الصحراء* (ملحق 1) مادة : أدار، *معلمة المدن والقبائل* (ملحق 2) ص.19 ؛ المتوكل، عمر الساحلي، *المدارس العلمية العتيقة بسوس* ؛ *كناشات ووثائق خاصة في ملكية أسرته*.

عبدالحميد محيي الدين الباعمراني

**البلّوط** أو السنديان جنس من فصيلة السنديانيات Fagacées يحتوي هذا الجنس على ستمائة نوع تقريبا، تعيش متفرقة، حسب خاصياتها البيئية، في نصف الكرة الأرضية الشمالي وبصورة خاصة في المكسيك والولايات المتحدة الأمريكية وأوربا وشمال افريقيا والشرق الأوسط واليابان.

يعيش في المغرب ستة أنواع من هذا الجنس حيث تغطي مساحات شاسعة، وتلعب دورا اقتصاديا مهما.

الصفات النباتية للجنس : أشجار أو جنبات، البراعم حرشفية، الأوراق متساقطة أو دائمة، بسيطة أو مسننة أو مفصصة أو مجزأة، ريشية التعريق، نادرا ما تكون كاملة، الأزهار وحيدة المسكن، وحيدة الجنس، المذكرة (♂) رفيعة متهدلة بشكل نوارات. المؤنثة (♀)، دائرية أو مجتمعة بشكل نوارات قصيرة، الثمار جافة، تدعى "بلوطة"، محاط قسم منها بقمع يتألف من حراشيف رفيعة ومتطاولة، ملتصقة أم لا، متراكبة بعضها فوق بعض، تنضج خلال سنة أو سنتين حسب الأنواع.

الأنواع الموجودة في المغرب :

1 ـ **البلوط الفليني** Le chêne liège, Guercus suber L.

**فرنان ـ بشم ـ دلم ـ فرشي.**

**الصفات النباتية : شجرة يتراوح ارتفاعها ما بين 15 و20 مترا، كثيرة التفرع، تاجها مستدير، الجذع قصير طوله حوالي مترين، عرضه يصل إلى 50 سم في غالب الأحيان،**

تغطيه قشرة غليظة مجعدة تسمى "الفلين"، الأوراق دائمة 2 إلى 3 سنوات، معنقة، قاسية، ذات حرف مسنن أو شوكي، خالية من الأوبار على الوجه العلوي، وبرية على الوجه السفلي، الثمار عبارة عن بلوطة طويلة متفردة أو مجتمعة، قمعها له حراشيف وبرية ملتصقة تنضج الثمار خلال السنة الأولى، ولهامذاق حلو في غالب الأحيان. تعيش الشجرة من 100 إلى 500 سنة وتخلف بقوة بعد القطع.

الموطن : يعيش البلوط الفليني بصورة طبيعية في القسم الغربي من منطقة البحر المتوسط، حيث يوجد في يوغوسلافيا وإيطاليا وجنوب فرنسا، وكورسيكا، وفي إسبانيا والبرتغال والمغرب والجزائر وتونس.

يشكل هذا النوع في المغرب غابات تغطي حوالي 350.000 هكتار، تنتشر في مناطق شاسعة من الريف الغربي، وعلى الساحل ما بين الدار البيضاء وطنجة. كما يوجد كذلك في الهضبة الوسطى، وبصفة استثنائية في جبال الأطلس المتوسط والكبير. تعد غابة المعمورة الواقعة بين مدينة سلا وتيفلت والقنيطرة من أكبر غابات هذا النوع بالمغرب، حيث تغطي أكثر من 60.000 هكتار.

وجود البلوط الفليني في مناطق متفرقة بالمغرب يشهد على أنه كان يغطي مساحات كبيرة تقلصت بسبب الاستغلال المفرط من طرف الإنسان.

البيئة : يعيش البلوط الفليني خصوصا في الأراضي الرملية الحمضية، نافر من الكلس. يعيش في المناطق نصف الجافة والشبه الرطبة. في المناطق نصف الجافة، يفضل القرب من البحر حيث رطوبة الهواء تخفف عنه جفاف الطقس وقلة الأمطار. يقاوم البرودة نسبيا، إذ يصل إلى ارتفاع يفوق 2.000 متر عن سطح البحر في الأطلس الكبير.

الضروب : إن البلوط الفليني متعدد الأشكال وتوجد منه ضروب عديدة في المغرب تختلف حسب شكل الأوراق والثمار ومذاق الثمار، إلا أنها تعيش في نفس الظروف البيئية، ولذلك فإن تمييزها من الناحية النباتية ليس له فائدة كبيرة من الناحية الحراجية.

الاستعمال : تنتج غابات البلوط الفليني، الخشب والثمار والفلين، ولا يخفى كذلك أن عشائره النباتية غنية بالأنواع الصالحة للكلأ، بل حتى أوراقه تصلح لتغذية المواشي خصوصا في فصل الشتاء.

أما الخشب فإنه قاس ومتين وثقيل، يستعمل أحيانا لصنع الركائز وأيادي المعاول، ونادرا ما يستعمل لصنع الأثاث المنزلي، يصلح خصوصا للتفحيم وكوقود للتدفئة والطهي.

تحتوي قشرة البلوط الفليني على مادة عفصية تستعمل في الدباغة خاصة في البوادي. أما ثماره فتصلح لتغذية المواشي، وكذلك للإنسان.

الفلين : يتكون الفلين أو القرق من القلف الخارجي للشجرة، وهو غير متساو ومشقق وقيمته الاقتصادية ضعيفة. ولكن عندما يبدأ بنزع الفلين المذكر من الشجرة عند الأشجار التي يتراوح محيطها بين 50 و70 سم، تنمو طبقة فلينية أخرى تدعى الفلين المؤنث أو فلين التكاثر، وهو فلين منتظم وغير مشقق وقيمته الاقتصادية كبيرة.

يجري نزع الفلين من جذع الشجرة على ارتفاع يتراوح بين ميتر وثلاثة أمتار على رأس كل عشر سنوات تقريبا، وذلك حسب الظروف المناخية والبيئية. وأثناء هذه العملية تؤخذ الاحتياطات اللازمة بعدم جرح القلف الداخلي الذي قد يمنع تكوين قلف جديد في حالة تضرره، وربما هدد حياة الشجرة.

وأحد المشاهد العادية في غابات الفلين هو اللون الداكن المحمر للاجزاء المكشوفة. وينجز التقشير عادة في أوائل فصل الصيف حيث الجو أكثر ملاءمة. وتتلخص عمليات استخراج الفلين في عمل قطاعات عمودية ومستعرضة في جذع الشجرة ببلط أو منشار، ثم تنزع أجزاء القلف مع العناية التامة بأن تكون كبيرة.

استعمالات الفلين : يستخدم الفلين في أغراض كثيرة، وفي صنع عديد من المنتجات. ويستعمل تارة الفلين الطبيعي وتارة أخرى الفلين المركب الذي يصنع من قطع الفلين التي طحنت طحنا دقيقا وعوملت بمواد لاصقة. ومن بين السلع التي تصنع من الفلين الطبيعي : سدادات القنينات، والأحذية، والعائمات، ومقابض مضارب الگولف، والستارات، ومراس السفن وزوارق وألبسة الانقاذ وكور الأمواج. وتستعمل ألواح الفلين الطبيعي والمركب كمادة عازلة للمنازل وغرف التخزين الباردة والثلاجات. وتستعمل كذلك كوسيلة لتحسين الخواص الصوتية للحجرات، ولمنع الاصداء. ونظراً لمرونته يستعمل الفلين لعزل الآلات. ويدخل خصوصا في هذه الصناعات الفلين المؤنث، أما الفلين المذكر فيطحن ويدخل في صناعات أخرى. ويستعمل هذا النوع كذلك في بناء مساكن النحل التقليدية.

ويستعمل الفلين المركب لتبطين القبعاء، والأغطية المعدنية لختم الزجاجات، والسدادات، وفرش الأحذية، وعجلات التلميع، وبكرات الاحتكاك، وفي بعض لوازم السيارات وكذلك الطائرات، ويستعمل كذلك في أنواع مختلفة من الأغطية الأرضية، وتزيين الجدران والسقوف.

ويدخل الفلين المطحون في صناعات كثيرة مع الخشب أو دقيق الخشب.

2 ـ البلوط الأخضر *Quercus rotundifolia L.* كروش - كريش - تاسافت *Le Chêne vert*.

الصفات النباتية : شجرة يمكن أن يبلغ ارتفاعها 25 مترا، الجذع قصير ومعوج، يتفرع في سن مبكرة، تاجها مستدير فروعها غير مستقيمة، عمودية أو أفقيه، داكنة اللون، وبرية في السنة الأولى، القشرة رمادية داكنة إلى سوداء، متشققة في الكبر، الأوراق دائمة سنتين إلى 3 سنوات، متغيرة الشكل والقياس(0.5 - 5 سم ×1 - 8 سم)،

ذات حرف مُسنّن أو شوكي، نادراً شبه كاملة، معنقة قليلا، قاسية، خالية من الأوبار على الوجه العلوي، وبرية على الوجه السفلي، الأوراق الصغيرة داكنة وبرية على الوجهين، الأزهار المذكرة على شكل نوارات متهدلة، معنقة طويلا ومجتمعة، الأزهار المؤنثة صغيرة، غالباً مجتمعة، الثمار بلوطة وبرية من الرأس، ذات قمع شبه بيضوي وبري، حراشف القمع ملتصقة كثيرا به، تنضج الثمار خلال السنة الأولى، شبه حلوة عند بعد الظروف، تعيش الشجرة طويلا وتخلّف بقوة بعد القطع.

مناطق الانتشار : ينتشر البلوط الأخضر بصورة طبيعية في القسم الغربي من منطقة البحر المتوسط حيث يوجد كذلك البلوط الفليني، إلا أن المساحة التي يغطيها أكبر من مساحة هذا النوع، ذلك أن خصائصه البيئية تسمح له بالعيش في ظروف مختلفة من حيث المناخ، والتربة والارتفاع عن سطح البحر.

في المغرب يغطي حاليا مساحات شاسعة تقدر بـ 1.350.000 هكتار، ويأتي في الدرجة الأولى من حيث مساحته. وتشهد آثاره الموجودة في مناطق كثيرة من المغرب أن غاباته كانت تغطي أراضي جد شاسعة غير أن تعديات الإنسان عليه تسببت في إتلاف أجزاء كبيرة من أحراج هذا الشجرة.

ينتشر هذا النوع في جبال الريف، والأطلس المتوسط والكبير والصغير، وكذلك في الهضبة الوسطى وتلال بني إسناسن في الشرق.

البيئة : يعيش البلوط الأخضر على صخور مختلفة وهو لا يبالي بالتركيب الكميائي أو الفزيائي للتربة، إلا أنه يفضل التربة الكلسية في المناطق الباردة. يقاوم الحرارة والبرودة إذ يصل إلى ارتفاع 2.800 متر عن سطح البحر في الأطلس الكبير بسكساوة. يعيش في المناطق نصف الجافة والشبه الرطبة والرطبة. إنه من الأنواع الاليفة الثور والبطيئة النمو.

الاستعمال : الخشب قاس جدا، متين وثقيل، يستعمل بصورة خاصة للتفحيم وكوقود للتدفئة، فحمه من أجود الأنواع. يستعمل كذلك كركائز ومقابض المعاول، ويمكن استعماله أيضاً في صناعة الأثاث المنزلي ولبناء السكة الحديدة خصوصا عندما يكون جدع الشجرة مستقيما وطويلا.

تحتوي قشرته على مادة عفصية تستعمل في الدباغة، كما أن أوراقه وثماره تصلح كغذاء للمواشي خصوصا في فصل البرد حيث قلة المراعي وانعدام العشب تجعل الفلاحين يتوجهون إلى غابات البلوط الأخضر لقطع الفروع الصغيرة وحملها لقطعانهم التي تقضي جل أوقاتها في الاصطبلات. وهذا الاستعمال تسبب إلى حد كبير في انقراض مساحة شاسعة من هذا النوع خصوصا في ضواحي القرى والمنازل.

3 ـ البلوط القرمزي =.Quercus coccifera L الكريش = Le chêne Kermés

الصفات النباتية : شجرة صغيرة يمكن أن يصل ارتفاعها إلى 10 أو 12 مترا، عادة شجيرة، جذعها غير مستقيم، محشرف، أسود رمادي، التاج مستدير، الأغصان وبرية في السنة الأولى، الأوراق دائمة، قاسية حداً، بيضية أو طويلة ـ بيضية ذات عنق قصير، ذات حرف مسنن أو شوكي، لماعة على الوجهين وخالية من الأوبار، الأزهار تظهر في أبريل أو ماي، المذكرة على شكل نورات طويلة متهدلة، الأزهار المؤنثة صغيرة جدا دون عنق تقريباً، البلوطة منفردة أو مجتمعة، ذات شكل بيضوي، قمعها نصف كروي وله حراشيف وبرية صغيرة وحادة وغير ملتصقة. تنضج الثمار بعد سنتين من عمرها بخلاف الأنواع الأخرى، تخلف الشجرة بقوة بعد القطع.

مناطق الانتشار والبيئة : يعيش البلوط القرمزي بصورة طبيعية على جوانب البحر المتوسط الغربي. في القسم الشرقي يحل محله نوع قريب منه اسمه البلوط العادي Quercus calliprinos Webb. يوجد في المغرب قرب السواحل الشمالية والجبال الغير المرتفعة المطلة على البحر المتوسط من جبال الريف وبني إسناسن.

يعيش هذا النوع في الأراضي الفقيرة والصخرية وهو لا يبالي بالتركيب الكميائي أو الفزيائي للتربة، إلا أنه يفضل التربة الكلسية.

إنه من الأنواع الأليفة للنور والبطيئة النمو جداً. يعيش في المناطق نصف الجافة وشبه الرطبة والرطبة.

الاستعمال : خشبه قاس جداً ومتين وثقيل، يستعمل خاصة كوقود وللتفحيم، كما تستعمل قشرته في الدباغة، وتستخرج مادة القرمز، مصدر اسم الشجرة، من بويضات الحشرة التي تعيش عليها.

4 ـ بلوط الزان =.Quercus Faginea L التاش = تاشت = Le chêne Zéen

الصفات النباتية : شجرة متعددة الأشكال، يمكن أن يبلغ ارتفاعها ثلاثين متراً، ذات قشرة متشققة، حرشفية في بعض الأحيان، بنية اللون، أغصان السنة الأولى وبرية أو شبه وبرية، الأوراق معددة الأشكال، متساقطة أو شبه متساقطة (تصفر في الخريف وتسقط في الربيع)، معنقة، وبرية على الوجه السفلي، لماعة على الوجه العلوي، ذات حد مستقيم، متموجه، شبه مستقيمة، شبه مفصصة في بعض الأحيان أو مسننة، الأزهار شبه وبرية، المذكرة على شكل نوارات متهدلة ومعنقة، المؤنثة صغيرة وغير معنقة، البلوطة غير مستطيلة أو بيضاوية، قمعها نصف مستدير، يغطي ما بين ثلث وخمس البلوطة، الحراشيف ملتصقة وشبه وبرية. تنضج الثمار خلال السنة الأولى. تعيش الشجرة طويلا ولا تخلف بعد القطع إلا نادراً.

الموطن : يعيش بلوط الزان في القسم الغربي من حوض البحر المتوسط حيث يوجد في إسبانيا والبرتغال والمغرب والجزائر وتونس.

يغطي في المغرب مساحة تقدر بـ 16.000 هكتار يوجد القسط الأكبر منها في الريف الغربي والأوسط. ويوجد كذلك في الأطلس المتوسط والكبير وفي الهضبة الوسطى وفي هذه المناطق الأخيرة يغطي مساحات ضيقة حيث يقطن خاصة في الأودية والمنخفضات الرطبة بحثا عن الرطوبة الكافية والتربة الجيدة. تعد غابة "الجُعْبَة" الموجودة قرب مدينة إفران من أحسن غاباته حاليا بالمغرب حيث تغطي مساحة تقدر بحوالي 900 هكتار. أما غابات الريف فقد استغلها الإسبان أيام الحماية بشكل فظيع، ولم يبق من غابات جبال الخزانة والعلام وأبو هاشم الجميلة إلا الأشجار ذات القيمة الضعيفة الغير الصالحة لاستخراج الخشب أما الأشجار الجيدة فكلها قطعت وشحنت إلى إسبانيا قصد بناء خطوط السكة الحديدية هنالك.

البيئة : هذا النوع يعيش في المناطق الشبه الرطبة والرطبة، أما المناطق الشبه الجافة فإنه يصادف في الوديان والمنخفضات الرطبة حيث الماء والتربة الجيدة.

يصادف بلوط الزان على الصخور الكلسية والدولوميتية والبازلتية وكذلك الرملية. وهو لا يبالي بالتركيب الكميائي أو الفزيائي للتربة. إلا أنه يفضل التربة العميقة الرطبة. ينتشر ما بين سطح البحر قرب مدينة طنجة (الجبل الكبير) و2.000 متر في جبال الأطلس. يتحمل البرودة والثلج.

الاستعمال : الخشب قاس نسبيا متين وثقيل، كان ولا يزال يستعمل في بناء خطوط السكك الحديدية، خواصه التقنية أحسن من الأنواع الأخرى، يمكن استعماله لصناعة الأثاث المنزلي. يستعمل كذلك كوقود. أما للتفحيم فجودته ناقصة. الدراسات التي أجريت عليه في تونس، حيث يغطي مساحات شاسعة، أثبتت إمكانية الاستخراج منه خشبا جيداً بعد معالجته وتجفيفه. تستغل أوراقه كتغذية للماشية في فصل الصيف خصوصا في منطقة الريف.

5 ـ بلوط البرانس = البلوط الزغبي Quercus pyrenaica Willd = Quercus tauzae Bosc

Le chêne Tauzin = Le chêne des pyrenées تاشت

الصفات النباتية : شجرة قامتها متوسطة ، يمكن أن يصل ارتفاعها إلى عشرين مترا، جذعها غير مستقيم وقصير، تاجها خفيف، أغصانها بيضاء، كثيرة الوبر، القشرة سوداء،مشققة، الأوراق متساقطة، معنقة طويلا، مجزأة، مفصصة، وبرية على الوجهين، التوريق متأخر (مايو، يونيو)، البلوطة، صغيرة، بيضوية الشكل، معنقة قليلا، القمع رمادي، نصف كروي، محشرف، مزغب الحراشيف خفيفة التركيب. تنضج الثمار خلال السنة الأولى. يعرف بلوط البرانس بكثرة تخليفه بواسطة جذوره السطحية.

الموطن والبيئة : يعيش بلوط البرانس بصورة طبيعية في المنطقة الساحلية الأطلنطية من حوض البحر المتوسط، حيث يوجد في جنوب غرب فرنسا وشبه الجزيرة الإيبيرية والمغرب.

يغطي في المغرب مساحة ضيقة، ويعيش خصوصا في الريف الأوسط والغربي فقط. ينتشر في الجبال المتوسطة الارتفاع ما بين 900 و1.800 متر عن سطح البحر، حيث يكوِّن غابات نقية أو مختلطة مع بلوط الزان على الخصوص. يكثر في جبال تيزيرين وخزانة والسنة وأبو هاشم والعلام والوتكة، وجلها مكونة من صخور حتية تغطي أتربة حمضية. يتطلب هذا النوع رطوبة كثيرة، ولهذا لا نجده إلا في المناطق الممطرة من الريف الغربي والأوسط.

الاستعمال : لخشب قاس وثقيل وكثير العقد، يستعمل خصوصا كوقود. فحمه ضعيف القيمة، قشرته غنية بالعفص (الدباغ)، أوراقه تصلح لتغذية المواشي في فصل الصيف. وهذا الاستعمال الأخير تسبب في تدهور غابات هذا النوع، لأن الأغصان تقطع كل سنة مما يضعف الشجرة ويتسبب في إتلافها.

6 ـ البلوط القزمي :Quercus humilis L كريش = Quercus.Fruticosa Brot

الصفات النباتية : شجرة صغيرة جداً لا يتعدى ارتفاعها أكثر من متر واحد تشكر بكثرة حتى أنها تغطي الأرض، أغصانها معوجة، مزغبة، الأوراق تتساقط متأخراً، قاسية، معنقة قليلا، صغيرة (25 - 6 × 1,5 -3 سم)، لماعة على الوجه العلوي، وبرية على الوجه السفلي، شبه مسننة، البلوطة صغيرة، شبه معنقة، القلف صغير، نصف كروي، حراشيفه ملتصقة، تزهر الأشجار في مايو، تنضج الثمار خلال السنة الأولى.

الموطن والبيئة : يعيش في نواحي مضيق جبل طارق، ويوجد فقط في جنوب إسبانيا والشمال الغربي المغربي. في المغرب لا يتعدى منطقة طنجة وتطوان وسبتة. نافر من الكلس يعيش خصوصا على التربة الحمضية وفي المناطق الرطبة. استعماله محدود جداً، تأكله المواشي، جذعه صغير لا يصلح إلا كوقود.


أ. هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، تر.د. ع. زاهر وآخرون، المكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ؛ إ. نحال، 1983، *أساسيات علم الحراج*، منشورات جامعة حلب، كلية الزراعة، حلب سوريا.

E. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1988 ; A. Benabid, *Etude phytoécologique biogéographique et dynamique du Rif occitental (Maroc)*. Thèse d'état, Fac. St Jérome, Marseille, France, 1982 ; A. Zine El Abidine, *Application de l'Analyse multidimensionnelle à l'Etude taxinomique et phytoécologique du chêne Zéen et de ses peuplements au Maroc*. Thèse de Docteur Ingénieur, Fac. St Jérome, Marseille, France, 1987.


عبدالنبي زين العابدين

**البلوط**. ـ تاريخ ـ كانت الغابات أكثر كثافة مما هي عليه الآن، بينما غطت غابة البلوط الفليني السهول الساحلية والمرتفعات المجاورة لها من طنجة إلى وادي تانسيفت، فالحسن الوزان ذكر أن غابة البلوط تكسو الجبل الأخضر وضفاف بحيرته في دكالة (*وصف إفريقيا*، 1: 126)

أي أن غابة البلوط كانت تمتد إلى أن تختلط بغابة أركان جنوب تانسيفت.

إن تراجع غابة البلوط الفليني أساسه الكثافة السكانية التي عرفتها المنطقة الساحلية الرطبة منذ بداية العصر الوسيط وما صاحب ذلك من إحراق الغابات للحصول على الأراضي الزراعية الخصبة والمراعي أو إزالتها لأسباب أمنية، كما هو الحال أثناء الصراع البرغواطي الموحدي، وربما تسارعت وتيرة اجتثات غابة البلوط الفليني في المنطقة الساحلية وخاصة السهول (تامسنا ودكالة وأزغار والهبط) منذ العهد الموحدي وبصفة خاصة منذ نزول القبائل العربية بها - وأيضا للإقبال على استهلاك الفحم والحطب في الأفران والحمامات التي كثرت وكثر الإقبال عليها للتحسن النسبي في المستوى المعيشي (*القرطاس*، 414).

وقد تكون صناعة السفن أضعفت إلى حد كبير غابة المعمورة في العهد المريني، ذلك أن ندرة شجر الأرز والصنوبر، وجه هذه الصناعة نحو خشب البلوط الفليني (*الاستقصا*، 3 : 22). إذ قطعت أعداد كبيرة من الأشجار وبطريقة عشوائية غالباً لتزويد دار الصناعة بسلا بما تتطلبه من مواد خام. وقد استمر استنزاف غابة المعمورة من طرف هذه الصناعة التي ازدهرت بعد العصر المريني على ضفتي أبي رقراق موازاة مع نشاط الجهاد البحري منذ أواخر العهد السعدي - واستمر هذا الاستنزاف إلى العقود الأولى من هذا القرن - أو لنقل إلى بداية استيراد الأخشاب الأكثر صلاحية لهذه الصناعة عن طريق الأوروبيين.

وأكبر دليل على ما ذهبنا إليه آنفا أن وادي سبو الذي يخترق المعمورة وينتهي بمرسى عرفت بحلق المعمورة أو المهدية، كان يتلقى في العهد الموحدي خشب الأرز والصنوبر من جبال فازاز (الأطلس المتوسط) بالطريقة العصرية المعروفة اليوم في أنهار كندا والاتحاد السوفياتي، فتسير الأخشاب مع الماء إلى حلق المعمورة حيث دار صناعة السفن (*المن بالإمامة*، 4 : 214 ؛ *زهرة الآس*، 38).

لم تشر المصادر التاريخية إلى الفلين واستعمالاته رغم كثرته، اللهم إلا إذا قمنا ببعض الإسقاطات من القرن الثاني عشر (19 م) حيث وصفت البعثات العلمية الفرنسية التي زارت المغرب تمهيداً لاستعماره بعض حالات الاستعمال، كاتخاذه فراشاً في بعض المنازل في شمال المغرب، ومثال ذلك ضريح مولاي عبدالسلام ابن مشيش. واستعمل الفلين الأسطواني الشكل والمجوف، أجباحاً لتربية النحل إضافة إلى استعمال الصيادين لقطع منه في شباكهم واستعمال قطع منه بشكلها الخشن كسدادات للقارورات والجرد وقنافش (قلالش) السمن (*Archives Marocaines*, V, 17, 1911).

أما ثمرة البلوط فقد كانت تعتبر من الفواكه الخريفية (*اختصار الأخبار*، 94) فرغم كثرته وسهولة التقاطه فإنه كان يباع في المدن الكبرى خاصة فاس وسبتة (*وصف إفريقيا*، 1 : 166) ويحقق ملتقطوه وتجاره أرباحا لا بأس بها، يقول الحسن الوزان متحدثا عن المعمورة "... بها أشجار باسقة تثمر بلوطاً طويلاً غليظاً بحجم برقوق دمشق يبيعه الأعراب في فاس ويحققون ربحاً". ويزداد هذا الربح إلى درجة كبيرة أيام المجاعات وغلاء الأقوات، بل إنه يعتبر نعمة من الله يرسلها بسخاء وقت الشدة حتى يقتات به الفقراء وضعاف الحال في فترة المسغبة (*رسائل موحدية*، 199).

أ. البكري، *المغرب* ؛ ا بن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. الجزنائي، *جني زهرة الآس* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*.

محمد حجاج الطويل

**بلوط البحر ← بلان**

**بَلِّيشَاع** أو بن ليشاع Bellichaa أسرة يهودية اشتهرت بكون بعض عناصرها كانوا خداما لبعض ملوك المغرب في التجارة فأُطلق عليهم لقب تجار السلطان بمراكش والصويرة. ولهم فرع انجليزي في طليعته يشواع اللوب بَلِّيشاع، آتي الترجمة. وبعد إلقاء نظرة على شجرتهم التي وضعها حييم الزعفراني، نجد منهم :

**بليشاع، إسحاق** كان عام 1872 رئيسا للطائفة اليهودية "العربية الشرقية" المستقرة بمانشتير. لما توفي ابنه يعقوب، خلف من بعده صبيا اسمه ليلي (السلي) وتزوجت أرملة يعقوب بانجليزي من أسرة نبَيلَة اسمه سير أضير- هوري، فأصبح ليلي يسمى سير هوري - بَلِّيشاع (1894 - 1957)، كان موظفَا سامياً بالخزينة الوطنية (1932-1934) ثم وزيراً للنقل، ثم كاتبا للدولة في الشؤون الحربية 1937 ثم عضواً في مجلس اللوردات 1954.

**بلّيشاع، اللوب**، جدّ هذه الأسرة أصله برتغالي، قدم إلى المغرب عام 1491، ولقي به مصرعه عام 1517 فأطلق على ولده موشي لقب بلّيشاع (بن ليشاع).

**بليشاع، موسى** (1788 - 1851) تاجر بجبل طارق ومانشتير.

**بليشاع، يشُواع** اللوب (1738 - 1808) حصل حسب ما ورد في تقييد لأسرته على رخصة تأسيس أولى بيعة بالصويرة.

*دائرة المعارف اليهودية*، القدس، ج 4، عمود 437 ؛ ح. الزعفراني، *الآداب الشعبية اليهودية*، 303-307.

ليڤي شمعون

**بليمني**، - أسرة سلوية - ← ابن اليمني.

**بَلّيَمني حدّو**، قائد بزرهون، تلقى تربية مخزنية أهلته لتولي مناصب سياسية في منطقة زرهون شمال مدينة مكناس، كخليفة في مدشر بني عمار في عهد السلطان مولاي عبدالعزيز، ثم عينه المدني الأكلاوي - الصدر الأعظم في مخزن مولاي حفيظ - شيخاً لنفس المدشر الذي كان في مقره الرئيسي، إضافة إلى مداشر أخرى كانت تابعة لمشيخته كالصخيرات، وبني مرعاز، وأيت احساين،

والخنادق، وصار في نهاية الحكم الحفيظي قائداً لهذه المداشر.

خلال توجه الحملة الفرنسية من الدارالبيضاء إلى فاس لرفع حصار القبائل عن مولاي حفيظ، مرت قوات هذه الحملة عبر فج زكوطة وفي طريقها إلى فاس قصفت بالمدافع مقر قيادة بليمني حدو في بني عمار وذلك يوم 31 ماي 1911، وكان قائد القوات التي قامت بهذه الغارة هو الجنرال گورو Gouraud في حين كان قائد الحملة العام هو الجنرال موانيي Moinier وذلك لإظهار قوة فرنسا وإرهاب سكان المنطقة التي سهل فيما بعد احتلالها.

بعد احتلال القوات الفرنسية صحبة الجيوش المخزنية لمدينة مكناس يوم الخميس 8 يونيو 1911، توجهت لإخضاع سكان زرهون الذين استسلموا دون مقاومة تذكر، وأثناء اجتماع القائد العام لهذه القوات بأعيان وقواد وأشياخ وسائر رجال السلطة بالمنطقة وترك جلهم في مناصبهم، ومنهم حدّو بليمني الذي احتفظ بقيادة المداشر السالفة الذكر، وبقي في هذا المنصب إلى نهاية سنة 1918 حيث ألقت القوات الفرنسية عليه القبض بتهمة المشاركة في مؤامرة باشا مدينة مكناس بنعيسى بن عبدالكريم البخاري التي دبرها للإطاحة بالقيادة الفرنسية بمكناس في شهر نونبر من تلك السنة. وكانت الأحكام الصادرة في حق حدّو بليمني تتلخص في عزله عن وظيفته ومصادرة أملاكه - استرجع بعضها سنة 1925 - والحكم عليه بالسجن لمدة سنتين، يعود بعدها إلى قبيلته الأصلية أو يبقى تحت الإقامة الإجبارية في مدينة تعينها السلطات الفرنسية.

توفي حدّو بليمني في نهاية الثلاثينات من هذا القرن.

بوشتى بوعسرية

**بَلَنْجينة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Balaizena، وكان من بين أفرادها بتطوان الفقيه العدل :

**بَلَنْجينة، أحمد** بن عبدالنبي المتوفي سنة 1689/1100.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1690/1101.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos.*

محمد ابن عزوز حكيم

**بِلَنْد** Blende أو سفاليريت، زنك أوخارصين الكبريت ZnS. نظامه البلوري تكعيبي، غالباً ما تكون بلوراته متلاصقة على شكل صفائح رقيقة، ممتازة الانفصام. صلابته 4.3.5 كثافته 4.2.3.5 ؛ أسمر إلى أسود، أحيانا أصفر، مخضر إلى مصفر، قليلا ما يكون عديم اللون، صمغي اللمعان، احيانا شفاف مصحوب بانعكاسات ضوئية حمراء.

يعتبر البلند أهم معدن خام للزنك، ويوجد على الخصوص على طول التسللات الحرمائية، ومصاحبا للبغماتيت أو منتشراً على شكل حبيبات في الصخور الرسوبية.

الكثير من مكامن البلند تم تشخيصها بالمغرب : (انظر الخريطة)،

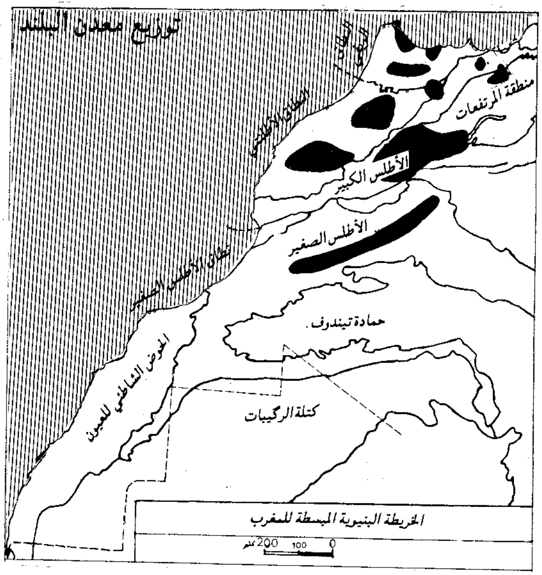


- منطقة ملوية العليا (مكامن أحولي، ميبلدن وزيدة).
- منطقة الأطلس الكبير المتوسطي وتافيلالت.
- المنطقة الشرقية لسلاسل الهورست منطقة المرتفات (تويسيت، بوبكر، بديبان ومكتة).
- منطقة الأطلس الصغير، وخصوصا بالطاوس وعدانة.
- المناطق المتعددة المعادن، كجبل عوام (مريرت)، والرحامنة، وتازكا والريف الداخلي (الجنوب الشرقي وشمال مدينة تطوان).

يستعمل معدن الزنك للغلفنة، والصناعات المعدنية، ونقل لمعادن الثمينة، وكذا لخاصيته كمختزل في الصناعة. أما كبريت الخارصين فيستعمل كخضاب في صناعة الصباغة والمطاط، والمنتجات الضيائية.

أنتج المغرب سنة 1976 حوالي 29.568 طنا من فلز الزنك، وصدر ما يناهز 31.385 طنا ؛ مقابل إنتاج 14.796 طنا وتصدير 15.023 طنا سنة 1987.

*مدخل إلى جيولوجيا المغرب*، مجلة المناجم والجيولوجيا منشور إدارة المعادن والجيولوجيا والطاقة - عدد 41، 1977.

A. Foucault et J. F Raoult, *Dictionnaire de géologie*, 3ème édition, Paris ; E. Saaidi, *Lexique de géologie et de géomorphologie* (français-arabe), Rabat, 1990, Rabat ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris ; Rudolf Duda et Lubos Rejl, *La grande encyclopédié des minéraux*, Paris, 1986 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains*, (substances métalliques et non métalliques associées), 2ème Edition, tome 1, notes et mémoires du Service Géologique n° 276, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains* (Phosphates), 2ème Edition, tome 3, notes et mémoires du Service Géologieque ; P. Lapadu-Hargues, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954.

عبدالقادر بوسحابة

**البَلَنْسِيَانو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Valencianus أي البلنسي نسبة لمدينة بلنسية Valancia، وكان من بين أفرادها بتطوان :

**البلنسيانو، العربي** المعلم المساعد للقضاء الذي كان حيا سنة 1737/1150.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1737/1150.

**بَلَنْصويلة**، أو بنوصويلة، أو بن صويلة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Valenzuela أو هكذا Palenzuela.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1677/1088.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 43 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 323 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 :331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بْلُونْدان**، Blondin مهندس عسكري فرنسي كان ضابطا في جيش الاستعمار الذي احتل الشاوية ابتداء من صيف سنة 1907، وهو الذي أشرف على بناء القنطرة العابرة لمصب وادي النفيفخ، ومازالت القنطرة قائمة إلى يومنا ويشهد ضيقها على وظيفتها العسكرية الأصلية، وتوفي الضابط المذكور بمركز الإسعاف المقام ببرشيد يوم 29 أكتوبر 1908 من أثر الجراح التي ألحقها به المجاهدون المغاربة، فأمر الجنرال داماد d'Amade إطلاق اسمه على تلك القنطرة وما زال الاسم رائجا على الألسن إلى يومنا.

Général d'Amade, *Campagne 1908 - 1909*, Paris ; Grasset, *A travers la Chaouia avec le Corps de débarquement*, Paris, 1911 ; Seconds, *La Chaouia et sa pacification*, Paris (s/d) ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939.

إبراهيم بوطالب

**البلوي، أحمد** بن محمد بن عبدالرحمن القضاعي الإشبيلي أبو القاسم قرطبي الأصل، عرفت أسرته في قرطبة ببني علي. والأصل الأقدم للبلويين من القحطانيين اليمنيين، وقد سكنوا الحجاز قبل الإسلام. وكان مولد أبي القاسم البلوي في أواسط سنة 1179/575.

اشتهر بمهنتي القضاء والكتابة، قد تولى القضاء في شبابه، حيث اشتغل مسددا في إستبونة (جنوب رندة) حوالي سنة 606 هـ (*العطاء*، 74.73). و قضاء السدد هو قضاء في الأمور الأقل خطورة خاصة في غير المدن الكبرى، وأحكامه قابلة للاستئناف. وكان على صلة برجال الدولة الموحدية، منهم كاتب الخليفة الناصر أبو عبدالله بن عياش، وكتب عن عدد من السادة (الأمراء) الموحدين منهم السيد أبو إسحاق إبراهيم ابن الخليفة يوسف والي اشبيلية (600 - 612) الذي كان ينجز في عهده كتابه المسمى *بالعطاء الجزيل*. يقول البلوي عن نفسه :"ابتدأت جمع هذا الكتاب في شعبان سنة 610 هـ وختمته الآن هنا في شعبان 613... وقد كنت سميته في الصدر : *تشبيب الإبريز، والمزيد اللاحق التبريز، على ما جاء من الترسيل في كتاب أبي عمر المسمى بالوجيز*... ولما كمل الآن قده ... زدته درجة في التفضيل، وسميته : *العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل*، فهو كتاب ذو اسمين، (*العطاء*، ص 172.171) ولهذا فإن الاشارات الواردة في بعض المصادر تذكر اسم المؤلف تحت عنوان : *تشبيب الأبريز* ... (*الذيل*، 1 : 455).

قسم البلوي كتابه إلى عشرين باباً، كل باب يخص فناً من فنون الأدب يقدم خلاله نماذج ابتداء من العهد الإسلامي الأول ويختم بمساهمته في كل فن، وأضاف بعد ختم الكتاب رسائل سماها "زوائد" يمكن إلحاقها بكل باب في الأبواب. غير أن النسخة الوحيدة بالخزانة الحسنية بالرباط مبتورة البداية، فلم يبق غير الأبواب من الخامس عشر إلى العشرين، ومبتورة النهاية حيث ضاع في الزوائد وسائل تهم الباب الأول والزوائد التي تهم الأبواب اللاحقة. وقد استفاد كاتب هذه المادة من بعض رسائل العطاء في إنجاز رسالة جامعية تحت عنوان : *مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية*.

يذكر ابن عبدالملك المراكشي في *الذيل* مساهمات لأستاذه البلوي في علوم أخرى، فبالإضافة إلى مكاتبه في ميداني الآداب والقضاء له معرفة بعلم الحساب والهندسة، كما أنه ترك تأليفاً في اللغة، وبدأ في أواخر حياته *تأليفاً في ميدان الشعر* لم يكمله (*الذيل*، 1 : 456).

ومما يدل على اهتمام رجال الدولة بأهل العلم أن كتاب *العطاء* (أو *تشبيب الابريز*) أنجزه البلوي باقتراح وتشجيع من المُشرف (أي المسؤول المالي) أبي عبدالله ابن عبدالرحمن بن سهيل الاشبيلي (*الذيل*، 1 : 359.358)، وأن رسائل *"الزوائد"* أطلعه عليها مخدومه السيد أبو إسحاق في خزانته وشجعه على تنقيحه بهذه الإضافات (*العطاء*، 172).

قضى البلوي أواخر حياته في مراكش التي دخلها في أول عهد الخليفة الموحدي المعتضد سنة 1243.42/640 إلى وفاته بها في رمضان من سنة 1259/657، وكان يعيش فيها من دخل بسيط من مهنة التوثيق في دكان له. هذه الفترة كانت فيها مراكش من أهم المدن التي تستقطب رجال الفكر الأندلسيين الفارين من المدن الأندلسية التي كانت تتساقط بأيدي الإسبان، وهذه الكثرة لرجال الفكر بمراكش وبالمغرب عامة تؤكدها كتب التراجم، رغم أن هذه الفترة تمثل تدهور أحوال الموحدين الذين ستنتهي دولتهم في مطلع سنة 1269/668.

أ. البلوي، *العطاء الجزيل* ...، مخطوط خ. ح. رقم 6148، ص 172.171 ؛ م. ا. عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة* ...س. 1 : 461.453 ؛ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، ج 2 ؛ م. المنوني، *مصادر تاريخ المغرب*، 1 : 123 ؛ أ. عزاوي، *مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية*، ق. 1 : 4 و18، د.د.ع. الرباط.

أحمد عزاوي

**البلوي، أبو بكر** عبدالرحمان بن سليمان السبتي، عالم أديب، وشاعر رقيق، رحل إلى الأندلس للأخذ عن مشيختها، وانتهى به المطاف إلى قرطبة، وكان من رفاق أبي محمد ابن حزم الإمام الشهير، يختلفان جميعا إلى حلقات الدرس، ويتجاذبان شئون الأدب، وربما أنشد كل

منهما الآخر ما عنده من شعر ؛ وكان لهما رفيق ثالث يكبرهما قليلا، هو الحسين بن علي الفاسي، قدم على الأندلس تحدوه الرغبة في طلب العلم والأخذ عن المشايخ، ورغم ما اشتهر به من نسك ووقار، وفضل وصلاح، فقد كانت له أريحة أدبية، حدث ذات مرة أن أنشد أبو بكر البلوي أبياتا له في صفة متجن معهود، يقول فيها :

سريع إلى ظهر الطريق وأنه إلى نقض أسباب المودة يسرع
يطول علينا أن نرقع وده إذا كان في ترقيعه يتقطع

فصادف حضور أبي علي الفاسي - وهو في طريقه إلى مجلس شيخه أبي القاسم الصواف - فتبسم وقال :

إلى عقد المودة - إن شاء الله ...

وتدفع نشوة الأدب أبا محمد بن حزم إلى أن يقول في نفس الموضوع : - عاتبا على المتجني صدوده ونقضه لأسباب المودة - مضمنا في ذلك قول صديقه الفاسي :

دع عنك نقض مودتي متعمداً واعقد حبال وصالنا يا ظالم
ولترجعنَّ - أردته أو لم تـرد - كرها - لما قال الفقيه العالم

ولا يخفى ما في البيت الأخير من ضعف، فقد جاءت كلمة : (الفقيه العالم) - ثقيلة الظل، ولعل للارتجال دوراً في ذلك ؛ بينما بيتا أبي بكر ليس فيهما ما يخدش وجه البلاغة.

ولأبي بكر قطعة أخرى أوردها الحميدي في *الجذوة*. ظل أبو بكر يتردد على مجالس العلم بقرطبة ردحا من الزمن وهي تعج بالعلماء والأدباء، ولما وقعت فتنة البربر بقرطبة، غادرها كثير من أهل العلم والأدب - وفيهم شيوخه أمثال أبي القاسم الصواف المصري، ورحل كذلك زميله أبو علي الفاسي - متوجها إلى المشرق، وتوفي في طريقه إلى الحج قبيل سنة 1026/417 ؛ وابن حزم نفسه لم يستطع المقام بقرطبة، فغادرها إلى المرية ومنها إلى بلنسية، ثم إلى جهات أخرى بشرقي الأندلس.

والمرجح أن أبا بكر البلوي قد عاد إلى سبتة، ويبدو من صنيع ابن حزم في *طوق الحمامة* : أنه كان في سنة 1027/418 لا يزال على قيد الحياة، فهو عندما يذكر أبا علي الفاسي لا يذكره إلا مقرونا بدعاء الترحم، والشأن أن يقال ذلك في حق من فارق هذه الحياة، بينما يذكر أبا بكر البلوي مجرداً من ذلك، ومعلوم أن تأليف ابن حزم *لطوق الحمامة* كان سنة 1027/418.

م. ابن حزم، *طوق الحمامة* ؛ الحميدي، *جذوة المقتبس*.

سعيد أعراب

**البَلَوي، خالد** بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن أبي خالد البلوي، يكنى أبا البقاء. وصفه الشاطبي بالشيخ الفقيه القاضي الأعدل (*نفح الطيب*، 2 : 532)، وترجم له معاصره ابن الخطيب في *الإحاطة*، ويستفاد من هذه الترجمة أنها ثانية اثنتين كتبهما هذا المؤلف للبلوي بعدما ترجم له في *الرحلة* التي قام بها برفقة السلطان الغني بالله النصري إلى البلاد الشرقية في الأندلس وهي المسماة *خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف* (*الإحاطة*، 1 : 500).

خالد البلوي من أهل قنتورية من حصون وادي المنصورة. وقنتورية هاته يذكرها البلوي مقرونة بكلمة بلدي (*تاج المفرق*، 2 : 155) وقد علق عبدالله عنان على الاختلاف في كتابة اسم هذا البلد بقوله إنها قنتورية المسماة بالإسبانية Cantoria وهي بلدة صغيرة من أعمال ولاية ألمرية على نهر المنصورة (*الإحاطة*، 1، هامش 500).

بهذه البلدة كان مولد البلوي في تاريخ غير معروف، من أسرة مشهورة بالعلم والجاه، وبها تلقى تعليمه الأولي على والده، ثم رحل إلى غرناطة وأخذ بها عن محمد بن محمد بن عاصم القيسي وغيره. ثم جاز البحر إلى العدوة فأخذ العلم بفاس عن عبدالعزيز بن محمد القروي وأحمد بن شعيب الجزنائي ومحمد بن عبدالكريم وعبدالرحمان الجزولي. كما أخذ بتلمسان عن أبي موسى بن الإمام وقاضي الجماعة أبي علي منصور بن هدية وعمران المشدالي والقاضي محمد بن عبدالنور (*جذوة الاقتباس*، 1 : 187.186) وقد عاد البلوي بعد ذلك إلى مسقط رأسه قنتورية ليغادرها مرة أخرى في اتجاه المشرق طلباً للاستزادة من العلم وأداء فريضة الحج. ذكر ابن القاضي أن رحلة البلوي كانت سنة 1337/737 (*درة الحجال*، 1 : 263). وهذا غير صحيح لأن هذه الرحلة دامت خمسة أعوام إلاّ شهرين وثمانية عشر يوما (*تاج المفرق*، 2 : 156) من تاريخ خروج المؤلف من قنتورية يوم السبت الثامن عشر لصفر من عام ستة وثلاثين وسبعمائة (*تاج المفرق*، 1 : 144) إلى تاريخ عودته إليها صبيحة يوم الاثنين أول ذي الحجة من عام أربعين وسبعمائة (*تاج المفرق*، 2 : 154).

اشتهر البلوي بكتابه الرحلة الحجازية المسماة *تاج المفرق في تحلية علماء المشرق*، وقد نقل المقري عن هذه الرحلة ووصفها بقوله مشحونة بالفوائد والفرائد، وفيها من العلوم والآداب ما لا يتجاوزه الرائد (*نفح الطيب*، 2 : 532) وللمؤلف تواليف أخرى نقل عن بعضها ابن القاضي (*جذوة الاقتباس*، 1 : 187.186) وأشار محقق الرحلة إلى أن للبلوي *تخريجا في حديث الرحمة* وأن له *ديوان شعر* من نظمه ومجموعة *شعرية منتقاة* اختارها من أشعار معاصريه (*تقديم تاج المفرق*، 36).

تقلد البلوي وظائف، أهمها اشتغاله بالكتابة لأمير تونس أبي زكريا يحيى الحفصي مدة قليلة من سنة 1340/740 (*الإحاطة*، 1 : 500) كما اشتغل بالقضاء في مناطق عديدة من الأندلس كبلده قنتورية وبرشانة وألمرية (*تاج المفرق*، 2 : 159 ؛ *جذوة*، 1 : 191).

قال ابن القاضي إنه لم يقف على تاريخ وفاة البلوي (*جذوة*، 1: 191). وذكر الزركلي أنه توفي بعد سنة 1364/765 (*الأعلام*، 2 : 297). وهذا التاريخ لا يفيد كثيرا في موضوع وفاة المؤلف لأنه لا يمثل شيئا بالنسبة لحياته ولا بالنسبة لكتابه. وكل ماهو مؤكد أن البلوي أكمل تدوين

رحلته في اليوم الأخير من شهر ربيع الأول من عام سبعة وستين وسبعمائة حسب ما ذكره حفيده خالد بن أحمد (*تاج المفرق*، 2 : 159). وقد ذكر محقق الرحلة أن وفاة المؤلف كانت قبل عام 680 هـ لأن ابن الخطيب ذكره في *الريحانة* وترحّم عليه (*تقديم تاج المفرق*، 26).

خ. البلوي، *تاج المفرق*، ت. الحسن السائح، مطبعة فضالة ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، 1973 ؛ ابن القاضي، *ذرة الحجال*، 1970 ؛ *جذوة الاقتباس*، 1973 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 1968 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 1979.

حسن الحافظي

**البليار** (جزر ـ) ← **بني غانية**

**البليار** (جزر ـ) ← **بني غانية**

**بلياش**، ويكتب أحيانا بِّلاش، ترجمة عن الفرنسية Pallache ؛ أسرة يهودية خرجت من إسبانيا الكاثوليكية والبرتغال بعد النكبة الأندلسية، في أواخر القرن الخامس عشر وما بعده. ومن اليهود البرتغاليين الذين لجؤوا إلى المغرب في ذلك الوقت، أسرة ورد ذكرها في الوثائق الأجنبية بلقب Pellache وجاءت في المراسلات السعدية بلقب بلياش، وهو اللقب الذي اعتمدناه إذ أنه هو المستعمل عبْرياً. ولو أن *يهاس فاس* أخبار فاس، المكتوبة بالعبرية بقَلم الربِّي حالسرفاتي لم تعالج هذا الموضوع.

كان أحد شيوخ أسرة بلياش، المدعو إسحاق ربّيا بفاس خلال القرن السادس عشر، وكان من بين أولاده، صمويل ويوسف، اللذين ظلا يبحثان عن الثروة والجاه فترددا على بعض البلاطات الأوربية قبل سنة 1579 حسب ما كتبه سفير فرنسا بمدريد، وترددا على فاس ومراكش وسلا، يعرضان خدماتهما على من يستطيع أداء الثمن. ثم أقام الأخوان صمويل ويوسف بأسفي التي كانت ميناء مراكش وثغراً هاماً للتجارة الخارجية ونقطة عبور إجبارية للبعثات الذاهبة من مراكش إلى الخارج أو الوافدة عليه من أوربا. وبأسفي تعرّف صمويل ويوسف، وهما يلمان باللغات الأجنبية، على تجار هولانديين، فحصلا على مساعدتهم للتوجه إلى هولاندا. وقد تقدم صمويل إلى السلطات الهولاندية للحصول على تأشيرة الدخول إلى أمستردام سنة 1608 وعرض خدماته كوكيل تجاري لشركات هولاندية بأسفي، فحصل على جواز سفر هولاندي بتاريخ 18 أبريل 1608، لكن السلطات الهولاندية تراجعت ولم تسمح لصمويل بالإقامة ولو مؤقتا ببلادها، خصوصا بعدما تذكرت عروضه الخالية من الجدّية، مثل غزو مدينة تطوان "المستعدة لاستقبال أي كان من الغزاة" واحتكار التجارة في الموانئ والمدن المغربية القارية، وبكونه على علم تام بأن ما تحتاجه هولاندا لصناعاتها، متوفر بالمغرب وبثمن بخس، مثل الأصواف وملح البارود والسكر وغير ذلك، كما أن المغرب الذي كانت له مشاكل مع إسبانيا والبرتغال وغيرهما يحتاج إلى التعامل مع هولاندا.

توجه صمويل بلياش إلى الملك زيدان بن أحمد المنصور السعدي واقترح عليه احتلال تطوان لكسب ثغر قريب من أوربا وذلك بعد أن ينقل إليها الجنود بحراً. فكيف يتأتّى ذلك وزيدان لا يملك أية سفينة ؟ فلوح صمويل بما يمكن جنيه من ثمار من التعامل مع هولاندا، زاعماً أنه يعرف هولاندا حق المعرفة وله فيها أصدقاء يهود برتغاليون وغيرهم ممن يسيطرون على القطاع التجاري والحربي.

استحسن زيدان الفكرة، وهكذا فتح صمويل باب النفوذ والدبلوماسية على مصراعيه لأخيه يوسف ولأبناء أخيه داود وموسى وإسحاق، وفتح باب البلاط السعدي لغيرهم من اليهود ليتلاعبوا بالمصالح العليا للمغرب،غير مهتمين إلا بمصلحتهم الخاصة.

**بلياش، إبراهيم** بن يوسف، كان يقوم بدور الرقّاص من مراكش إلى أسفي حاملا إلى الوكلاء الأجانب رسائل الملوك السعديين أو الرسائل التي يتسلمها من شقيقه موسى أمين زيدان الموجهة إلى هؤلاء الوكلاء أو إلى اليهود الذين كانوا يمسكون بشؤون ثغر أسفي وبالديوانة.

**بلياش، إسحاق** (الأعرج) كان كأخيه داود وأبيه يوسف، وعمّه صمويل، كان خبيراً في المناورات، استفاد كثيراً من الامتيازات الدبلوماسية والتجارية، ذلك ما جعل أسرة بلياش بكاملها تلعب دوراً كبيراً في العلاقات المغربية الهولاندية.

**بلياش، داود** بن يوسف. كان يقوم مقام السفير المغربي بلاهاي نيابة عن أبيه من عام 1620 إلى عام 1638، ثم صار وكيلا للسلطان محمد الشيخ الأصغر بهولاندا، من عام 1638 إلى عام 1649.

لم يحد داود عن الخطة التي كان يسير عليها أبوه وعمه، فافتضح أمره وظهر نفاقه وخداعه في علاقات المغرب بفرنسا، إذ تهاون في القيام بالواجب وأساء إلى سمعة المغرب والملك الوليد بن زيدان بشأن معاهدة بين البلدين، حيث توانى في تسليم نصها إلى ملك مراكش بعد ما وقعه لويس الثالث عشر. ولما انكشف الأمر، تبين أن داود كان يلفّق الوثائق الرسمية ويزوّر إمضاء الوليد، فطلب هذا الأخير من السلطات الهولاندية اعتقاله، لكن داود علم بذلك وفرّ إلى ألمانيا واختبأ بمدينة كولوني، ومنها أخذ يحرك الوساطات لتكذيب الاتهامات، فتوجت مساعيه بالنجاح وتراجع الوليد عن مطلبه وعفا عنه. الأمر الذي دفع الأوربيين إلى اتهام الوليد بالتواطئ مع اليهودي.

توفي داود بلياش بالمغرب سنة 1649.

**بلياش، صمويل** بن إسحاق، أشهر من قام في هذه الأسرة بأدوار سياسية وتجارية خطيرة في هولاندا كممثل للملك زيدان بن أحمد المنصور. لم تستطع السلطات الهولاندية أن ترفض صمويل بلياش كممثل الملك زيدان، حفيد الشرفاء، فقبلت أوراق اعتماده ممثلا لملك مراكش بلاهاي، وقبلت أن يكون شقيقه يوسف بلياش وكيل زيدان بأمستردام، وهكذا قضت مصلحة البلاد بتناسي ماضي

صمويل وغض الطرف عن مناوراته السابقة، فدام صمويل على رأس السفارة المغربية بلاهاي، من سنة 1609 إلى سنة 1616.

لم يلبث صمويل إلا أشهراً معدودات حتى أخذ يتبوأ مكانة مرموقة في هولاندا وصار زيدان يسبغ عليه كثيراً من النعم ويخصّه بالمزيد من العطف والثقة، فادعى اليهودي النبل بين الأوساط اليهودية والمسيحية في هولاندا واتخذ لنفسه شعاراً ولأسرته رمزاً تجسمهما قطعة نقدية من قيمة ريال ذهبي بيضوي الشكل يتوسطه أسد منحوت يعلوه تاج ملكي، فأضحى الهولانديون يسمونه "الكونت بلياش".

قلّما كان صمويل بلياش يُطلع زيدان على كل تفاصيل المفاوضات التي يجريها مع السلطات الهولاندية فانعكس ذلك سلبيا على مكانته لدى زيدان، وسخط عليه دبلوماسيو فرنسا وإسبانيا وانكلترا والبرتغال، خصوصاً عندما سمح لنفسه بامضاء الصفقات باسم ملك مراكش، دون أن يكون له تفويض خاص بذلك.

ما من وفد رسمي توجه من مراكش إلى هولاندا إلا وكان صمويل حاضراً في جلسات العمل، فيقدم النصائح ويحرر التقارير بالشكل الذي يخدم مصالحه أكثر مما يخدم مصالح المغرب، ولم ينكشف مكره إلا بعد وفاته، ذلك كان شأنه مع الوفد الذي ترأسه القائد حمو بن البشير أواخر عام 1608، ومع الوفد الذي ترأسه القائد أحمد بن عبدالله عامي 1611.1610 في شأن إبرام معاهدة تحالف بين المغرب وهولاندا التي كانت تضمر العداء لإسبانيا والبرتغال وانكلترا. وقد شارك في هذه المفاوضات موسى بن يوسف بلياش بصفته "مساعداً" للوفد المغربي، وقد أدرجه زيدان قبل ذلك في هيئة كتابه. وكذلك كان الأمر عندما قرر زيدان إيفاد بعثة ثالثة إلى هولاندا عامي 1613.1612 برياسة القائد أحمد الجزولي للتباحث مع الحكومة المحلية في شأن الباخرة الفرنسية التي كانت تقل خزانة كتبه وبعض النفائس من أسفي إلى درعة عن طريق أگدير والتي غيرت اتجاهها إلى الشمال فوقعت في أيدي القراصنة الإسبان.

وفي عام 1612، قاد صمويل وحده مفاوضات مع هولاندا قصد تزويد ملك مراكش بسفن حربية وأنواع من الأسلحة، وإيفاد مهندس للوقوف على أعمال تحصين المعمورة - قبل أن تقع في قبضة الإسبان - وتحصين أمگدول، أو كاستيلو ريال، تلك القلعة التي بناها البرتغاليون بجزيزة صغيرة تحادي اليوم ميناء الصويرة - ولم تكن الصويرة مبنية ذلك الوقت - لكن صمويل لم يفلح في تحقيق رغبات زيدان.

في منتصف سنة 1613، أبحر صمويل إلى روتردام في ظروف غامضة أثارت تشكك سفير انكلترا المقيم بأسفي، جون هارسون الذي نبّه حكومته إلى تحركات صمويل حيث اتهمه واتهم أخاه يوسف بالتحايل وخداع زيدان والنصارى.

في غضون سنة 1614، انتقل صمويل إلى انكلترا فألقي عليه القبض هناك بطلب من سفير إسبانيا الذي كان يقيم بمدينة درموت، لكنه التمس من الحكومة الهولاندية أن تتدخل لفائدته لدى جاك الأول عاهل انكلترا، ففعلت، فأطلق سراحه بعد عام تقريباً رغم معارضة دييگو دوكونيا السفير الإسباني. وعندما رجع إلى هولاندا، صادف عدة مشاكل في وجهه لأنه تطاول في البحر على يخت هولاندي فأغرقه، وحجز سفينتين برتغاليتين محملتين بالبضائع وأراد أن يحتفظ بالغنيمة دون إعطاء نصيب منها إلى بحارته، فتسبب له ذلك في متاعب جمة مع السلطات المحلية ومع الملاحين وغيرهم.

أصيب صمويل بمرض ألزمه الفراش، فتوفي بهولاندا يوم 5 فبراير 1616، وهو فقير، وتم دفنه بمقبرة اليهود البرتغاليين بمدينة "أدكيرك". ويحمل النصب الواقع عند رأسه، شعاره ورمزه البيضوي الشكل.

**بلياش، موسى**، قرّبه عمّه صمويل من زيدان، فاستحسن طلعته ومعرفته باللغات الأجنبية، وجعله عضواً في ديوانه، ثم سمح له بالسكنى بالقصر ليكون دائما قريباً منه، فصار موسى صاحب القلم كلما كانت لزيدان مراسلات مع الحكومات الأوربية أو مع ممثليها بأسفي أو مراكش أو غيرها. كان عندما يترجم الرسائل من العربية إلى اللغات الأجنبية يستبدل كلمة "ذمي" التي كانت تخص الوكلاء من أسرة بلياش، بلفظة "خديمنا" أو "مفوضنا الوفي". اشتكى منه العديد من الأجانب خصوصا بعدما أصبح على رأس الكتابة الخاصة لزيدان بمقام أمين السر، حيث تجلى مكره ورياؤه. والغريب أن أصداء تذمر الأجانب من سلوك أسرة بلياش لم تلق لدى السعديين صدى إلا في عهد محمد الشيخ الأصغر الذي نحّاهم تقريبا واستبدل بهم التاجر الانجليزي روبير بلاك.

**بلياش، يوسف**، تميزت حياته الدبلوماسية والتجارية بفترتين، الأولى واكبت أنشطة شقيقه صمويل (1616.1609) حيث كان ينوب عنه أثناء غيابه عن هولاندا، فكان بمثابة قائم مقام السفارات المغربية، والثانية ابتدأت عام 1616 وانتهت بوفاته عام 1638. وقد واصل الأعمال التي كان يقوم بها صمويل، فكسب ثقة زيدان، ثم ثقة ولده عبدالملك فالوليد بن زيدان فمحمد الشيخ الأصغر، وكل هؤلاء مضوا يدافعون عنه لدى السلطات الهولاندية كلما أثيرت الشبهات حوله أو تعرض لمضايقات بسبب لعبه على الحبلين.

لم يحد يوسف عن الخطة التي كان ينهجها صمويل، فأخذ يلازم مرافقة الوفود المغربية لدى الحكومة الهولاندية والتي كانت في بعض الأحيان لا تتشكل إلا من اليهود، مثل البعثة التي تألفت من رموخ ويعقوب بن روش اللذين أوفدهما السلطان زيدان إلى هولاندا لاقتناء الأسلحة. يلاحظ أن السعديين مضوا يبعدون المواطنين المسلمين عن الصفقات التجارية وغيرها التي يتفق في شأنها مع الدول

الأوربية ؛ ويعزى هذا إلى قوة نفوذ اليهود لدى البلاط السعدي وإلى إتقانهم حبك المؤامرات على المصالح المغربية والأوربية.

في عام 1921 أوحى يوسف إلى زيدان بفكرة بناء مرسى بين الجديدة وأسفي بموقع "أيير"، فاستحسن السلطان المشروع وكلفه بالدخول في مفاوضات مع هولاندا بشأن إنجازه، فطالت المفاوضات عدة شهور، ولما وافقت هولاندا، بعثت وفداً من الخبراء إلى عين المكان، يترأسه ألبير روييل، لكن هذا الأخير "اشتكى من سلوك آل بلياش وخاصة منهم يوسف وابنه موسى وكافة عصابة اليهود الذين يتلاعبون بمصالح المغرب ومصالح الأوربيين"، فلم ينجز المشروع وتوترت العلاقات بين البلدين بسبب تنطع يوسف بلياش الذي مضى يقدم لزيدان صورة عن الأوربيين مخالفة للواقع ويدّعي في نفس الوقت أنه مؤهل للتفاوض معهم وله كامل الصلاحيات لاتخاذ القرارات الملائمة. ولما عاد إلى أمستردام على متن السفينة التي كانت تقل البعثة التقنية الهولاندية اتهم روييل بتعذيب ولديه إسحاق وداود طيلة الرحلة في البحر.

كان يوسف بلياش يسدي النصائح إلى السلطات الهولاندية كلما انتقلت السلطة الرسمية في المغرب إلى سلطان جديد، وكان في بعض الأحيان يلتمس من الهولانديين مؤازرته لدى الحكومات الأوربية والثناء عليه لدى السلطان بالمغرب وكما أنه خلف أخاه، أفلح في استخلاف ابنه داود على رأس السفارة المغربية بلاهاي.

م. الإفراني، *نزهة الحادي* ... ؛ أ. بنجلون، *تاريخ أسفي*، (مخطوط).

A. Ruyl, *Journal, S. I. H. M, Pays Bas, France* ; M. Eisenbeth, *Les Juifs au Maroc.*

أحمد بنجلون

**بُليد** (أيت ـــ)، تقول هذه التجزئة بانتمائها إلى فصيلة أيت احماد أ'علي من قبيلة أزوافيط التكنية (أزوافيط، *معلمة*) على أن اختلاف أيت احماد أ'علي حول تحديد أنسابهم يحد من صلاحية هذه المقولة. ولعل أهل المهدي بقرية أسرير حيث موقع نول لمطة عاصمة المرابطين خلال القرن الخامس (11 م) هم أقدم أيت بليد وألزمهم رسوخا بالمنطقة. على أن التاريخ الفعلي لأيت بُليد يعد محط كثير من التساؤلات الكفيلة حقا باستنطاق سيرورة مداشر تغمرت وأسرير وازريويلة. فما معنى أن يعتبر أيت بُليد بعض وحداتهم دخيلة كأهل لحمير مثلا بينما يحتفظ هؤلاء بمنزلهم بتمسوفت تغمرت الموغلة في القدم وبساتين ونخيل يثبت إلى حد كبير انتماءهم القديم إلى عين المكان؟ وما معنى أن يرتبط جل أيت بليد بقرية أزريويلة التي لم يغادرها أصحابها من قبيلة إزرگيين إلا منذ ثلاثة قرون ونصف ؟.

يتميز هذا المدشر بمجاورته لمرس هام يحتوي على مجموعة من المثامير التي تحذ بها رعاية أيت إعزّى ويِهْدَى ذوي السلطة الروحية المتميزة بمجمل الأطلس الصغير وباني والساقية الحمراء. فالرواية الشفوية تُسبِغُ على هذا المرس من الأوصاف ما يجعله محط احترام جميع المحتالين وتقديسهم (*أيت إعزّى ويهدَى، معلمة*) وتضيف الرواية المحلية بأن قريتي ل ـار وازريويلة كانتا محايدتين لا تدخلان في الصراع القبلي بين لفي أيت الجمل وأيت عثمان التكنيين. كما أن التجار اليهود كانوا يضمنون أهل القريتين في عملياتهم التجارية.

نتساءل من هنا عن موقع أيت بُليد من هذه الوضعية خاصة وأن طبائعهم الاجتماعية لا توحي بأية تقاليد تجارية تزكي وجودهم قرب مرس البيِّض بزريويلة. فمن يكون أيت بُليد وما علاقتهم التاريخية باحماد أ'علي وما دورهم في بلورة القبيلة ؟ وإلى أي مدى يمكن تتبع مراحل تطورهم من خلال جرد لأنسابهم ومقارنتها من خلال تداخل العلاقات الزفاطية الأخرى ؟ تلك مجموعة من التساؤلات قد تسمح إذا ما هي نالت ما تستحقه من العناية بالوصول إلى أجوبة شافية. نكتفي هنا بالإشارة إلى سياسة فرنسا القاضية بالمحافظة للأعيان على مهامهم وأدوارهم التقليدية قد أدت بعد سنة 1934 إلى تعيين سيدينا ولد علي ولد عمار كشيخ لأيت بُليد. وقد تميز بمظهره الأنيق وشخصيته القوية خاصة عن أقرب المقربين إليه. على أن أيت بُليد قد عرفوا خلال نفس الفترة من الأعيان كعبدالحي وأخيه عبدالودود ولد عبدالله ما يجعل منهم فصيلة من أجدر الفصائل بالانتماء إلى قبيلة أزوافيط واتحادية تكنة.

مصطفى ناعمي

**بليدة**، منجم يقع قرب دوار بليدة وأخذ منه تسميته، وهو بكتلة بووازار الگرارا في قلب الأطلس الصغير الأوسط الذي يكتسب منه شخصيته الطبيعية، لذلك يزخر باطن وسطح أرض المنطقة بثروة معدنية شبه نفيسة متمثلة في معدن النحاس. هذا المعدن الذي ظل ملازما للحضارة البشرية منذ اكتشافه، حيث صنعت منه الأواني والحلي والأسلحة وضربت منه النقود، وكان عملة صعبة استبدله المغاربة بالعبيد والسكر والأسلحة، وذلك قبل أن ينال شهرته واستعمالاته المتعددة خاصة في الصناعة الكهربائية في وقتنا الحاضر.

ففي بليدة هذه، عثر المستكشفون المنجميون على استدلالات أثرية من حفر وآبار، وأدوات للاستخراج، ومصهرة للسبك وقرية منجمية تدل على الاستغلال المبكر للمنجم الذي لا يستبعد أن يستغل من قبل السكان المحليين فيما بين القرن الثالث والسابع (9.13 م)، والذي ذكره البكري باسم "تيناء ودادن". إلا أن هذا الاستغلال التقليدي لم يدم طويلا على غرار مناجم أخرى استمرت حتى التدخل الأوروبي. وقد يعود السبب في ذلك إلى نفاد المكامن السطحية، وركود تقنيات الاستغلال، ووعورة المسالك وانعدام الأمن، والبعد عن مواطن الاستهلاك ومنافسة مناجم أخرى أكثر استراتيجية.

وفي القرن العشرين، ولتعويض تكاليف الاحتلال، سنت الحماية قوانين وانشأت مكاتب وشركات بهدف استغلال المدخرات المعدنية المغربية، وتم بذلك فتح معادن "المغرب غير النافع" في وجه الصناعة الأوروبية، واعتبرت كتلة بووازار الكرارا من بين الحدائق الجيولوجية المغربية منذ اكتشاف معدن الكوبالط ببووازار سنة 1931.

هكذا، سعياً وراء تموين احتياطات منجم بووازار، تم العثور على كنوز بليدة وتم القيام بحملات استكشافية من قبل شركات منجمية دامت من سنة 1967 إلى 1973 حيث حددت المعالم الرئيسية للتمعدنات وأسندت مهمات الاستغلال للشركة المعدنية لبوكافر التي عملت على دراسة الصلاحيات التكنولوجية والاقتصادية للمنجم الذي افتتح رسمياً سنة 1982.

فمن حيث المعالم الرئيسية للتمعدنات أبانت الدراسة الجيولوجية والجيوكيماوية أنها من نوع "المكمن الكبريتي، البركان - الرسوبي" المنتمي إلى البروتروزويك الأعلى، تتكون معادنه من الكالكوبيريت، والبورنيت والبيريت. أهم مشتقاته هي النحاس، والحديد والكبريت يصل محتواها 3٪ في النطاقات الفقيرة و7٪ في النطاقات الغنية.

تكونت هذه المعادن في حوض مغمور بمياه المحيط على حاشية الدرع الشمالي الافريقي، حيث تعرضت مسطحة الدرع والحوض المرافق له لنشاط بركاني، وترسبت الطفوحات في الحوض منذ 623 ± 10 مليون سنة، وتعرضت هذه الترسبات للحركات الانتهاضية الكبرى لما قبل الكامبري الثاني والثالث لتأخذ الطبقات اشكالها بصفة نهائية : التوائية وانكسارية ذات اتجاه شبه عمودي إلى عمودي من الأسفل في اتجاه الأعلى مع تنضيد قوي.

ومن حيث تقنيات الاستغلال فقد استعملت أحدث آلات الاستخراج. وتمشياً مع الوضع الجيولوجي للافاق المعدنة اختيرت طريقة "الغرف الصاعدة المردومة" للاستخراج، وهي كلاسيكية في النطاقات الفقيرة وشبه ميكانيكية في النطاقات الغنية. صبيبها يجمع بباطن الأرض لينقل آليا إلى مركز المعالجة حيث يركز المعدن إلى أكثر من 30٪ من ركاز النحاس، وهي طريقة تختزل اليد العاملة حيث يشتغل بالمنجم أزيد من 300 عامل بصفة رسمية. هذا بالاضافة إلى عدد من اليد العاملة المؤقتة المسكوت عن أرقامها المطلقة.

النتيجة أن منجم بليدة ينتج كميات مهمة من ركاز النحاس كما يظهر في الجدول الأتي :

انتاج المعدن القابل للبيع بـ 1000 طن

| 1989 | 1987 | 1985 | 1983 | 1982 |
|---|---|---|---|---|
| 34،1 | 35،1 | 45،9 | 53،8 | 47،6 |

يوضح الجدول أعلاه أن الكميات المنتجة مهمة مع تراجعها من سنة لأخرى نظرا لارتفاع نسبة الشوائب وتقلص نسبة المعدن بعد استنزاف قلوب المكامن الغنية. وهذه الكميات جعلت المنجم ينتج 88٪ من نحاس المغرب ويحقق 80٪ من كمية المبيعات و93٪ من قيمة الصادرات سنة 1988. ومن شأن هذه النسب أن ترتفع مستقبلا بعد استغلال أكاسيد النحاس على السطح واكتشاف احتياطات مهمة بالواحة شرق بليدة وامكانية استغلال المكامن المتواضعة المحتوى نتيجة التحسن الذي عرفته أسعار خام النحاس في السوق الدولية. ذلك أنه بعد انخفاضها المحسوس سنة 1986 أخذت في الارتفاع لتصل إلى 1734،89 جنيه استيرليني سنة 1989 محققة بذلك تزايدا بلغ 29،8٪ بين السنتين.

ومن منظور آخر، نجد أن استغلال الثروة المعدنية ببليدة أدى إلى تغيير هياكل المنظومة المجالية الموروثة حيث كان نشاط السكان مرتكزاً على الرعي وزراعة الواحات في إطار حياة اجتماعية بسيطة، ثم حدث تحول جدري حيث أصبح الاقتصاد المحلي مرتكزا على النشاط المعدني ومرهوناً بالوظيفة المعدنية، التي أدت إلى فك العزلة على هذه الأرياف وأحدثت تقسيماً جديداً للعمل، وتعمل على إدخال أساليب النظام الرأسمالي بصفة عامة. ويضاف إلى ذلك ادخال آليات صناعية وسكن منجمي غير مألوفين، وسكان غرباء في محيطهم الجديد، حيث تأوي القرية المنجمية أزيد من 2.000 نسمة يعيشون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على النشاط المعدني، وقد استفادت منها بليدة خصوصا بعد إقفال منجم بووازار سنة 1983، وانتشار ظاهرة الجفاف الذي استفحل وقعه في الكرارا أيضا. هذا ويتعدى اشعاع منجم بليدة نطاقه المحلي إذ ينعش المراكز الحضرية المجاورة تازناخت وزاكورة، وينشط ميناء أكادير ويجلب العملة الصعبة للمغرب.

أخيراً أدى اخضاع الظروف الطبيعية من مناخ وتضاريس وجيولوجيا بفضل استعمال التقنيات الجديدة إلى تنشيط منجم بليدة، وساهم في ذلك الاستفادة من قوانين الاستثمارات المنجمية وتحسن ظروف التسويق. كل ذلك جعل منجم بليدة يحتل الصف الأول في انتاج النحاس بالمغرب. وتبقى الوظيفة المعدنية بالكرارة وظيفة موكولا عليها وستؤدي دورها كاملا بتدعيمها بوحدة للسبك لادخال الصناعة الاستخراجية في استراتيجية جديدة.


أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، جزء من كتاب المالك والمسالك، ص 165.155 ؛ ح. أقيوح، *النشاط المعدني بإقليم ورزازات، نموذج بليدة*، بحث لنيل الاجازة، جامعة القاضي عياض بمراكش، 1987.86 ؛ *مجلة صدى بليدة* رقم 4، 1985 ؛ مديرية التخطيط، *النشرة الاحصائية المغربية لسنة 1985 و1989* ؛ مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية لسنة 1982 إلى 1989.

P. Billau, *Les Structures panafricaines du gisement de cuivre de Bleida*, thèse de 3ème cycle, Univ. de Languedoc, 1977; J. Coefic, *Litho-Géochimie des minéralisations cuprifères, liées à un volcanisme acide sous-marin du Proterosoique supérieur (Bleida sud, Anti-Atlas)*, Mémoire de D.E.A, Univ. Montpellier, 1984 ; B. Rosenberger, *Les anciennes exploitations et les anciens centres métallurgiques du Maroc*, *RGM*, N° 17 - 18, 1970.


الحسين أقيوح

**البليدي**، أسرة تطوانية لعل أصلها من مدينة البليدية الجزائرية، ووجودها بتطوان كان قبل الهجوم الفرنسي على القطر الجزائري، حيث نجد أحد أفرادها وهو رايس البحر محمد البليدي من بين أعيان تطوان الذين وقعوا على وثيقة بيعة الأمير مولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد بتاريخ 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821، كما نجد من بين بحارة حامية تطوان سنة 1834/1250 أحمد البليدي وعباس البليدي ومصطفى البليدي وعبدالمومن البليدي.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 267 ؛ *مختصر تاريخ تطوان* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بْليشي**، (الدكتور ــ) Dr Bleicher عالم بيولوجي وطبيب في مستشفى وهران، رافق سفارة شارل تيسو وزير فرنسا المفوض بطنجة من هذه المدينة إلى مكناس سنة 1874. وخلّف كتابا عن رحلته بعنوان : *Un Voyage au Maroc*.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1527.

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 77.

مصطفى بوشعراء

**البليطة** أو البلطة، موضع يقع بالقرب من مدينة طنجة، ذكرت المصادر أنه هو المكان الذي التقى فيه يوسف ابن تاشفين بالمعتمد بن عباد عند قدوم هذا الأخير إلى المغرب طالبا نجدة المرابطين، ولم يرد ذكر هذا الموقع في المصادر الجغرافية، وأشار صاحب *القرطاس* (ص 144) إلى الموضع بقوله إنه يقع على ثلاث مراحل من سبتة، وهي نفس الرواية التي أوردها الناصري في *الاستقصا* (2 : 34) مع اختلاف في رسم الكلمة حيث كتبها هذا الأخير "بلطة" عوض "بليطة". أما ابن خلدون فلم يشر إلى هذا الموضع بل ذكر أن اللقاء تم بمدينة فاس.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 34 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 382.

عمر بنميرة

**بّلينيوس** أو بّلِينْ القديم Pline l'Ancien وموريطانيا الطنجية. ولد كايوس بلينيوس سوكندوس بكوم Côme بشمال إيطاليا ما بين 25 غشت عام 23 ق. م، و24 غشت 24 ب. م، وتوفي سنة 79. كان ينتمي إلى الطبقة البورجوازية التي زوّدت روما بالعدد الوافر من الأطر العسكرية والمدنية، إلا أننا لا نعلم الكثير عن طفولته وتربيته. استند هذا المؤرخ في مؤلّفه الشهير الحامل لعنوان *تاريخ الطبيعة* *Histoire Naturelle* إلى يوبا الثاني حيث استغل مباشرة كتاب عربيا Arabia وكتاب ليبيكا Lybyca، ومن المعلوم أن بلينيوس قد وصف بإسهاب موريطانيا الطنجية في بداية الكتاب الخامس من المؤلّف المذكور، حيث يعتبر هذا العمل أحد المراجع الأساسية للتعريف بالمغرب الأقصى القديم. وصف الشاطىء الأطلسي لهذا البلد، استناداً إلى رحلة بّوليبيوس Polybé، لكن يبدو المُؤلّف وجيزاً فيما يتعلق بشاطىء البحر المتوسط لموريطانيا الطنجية حيث وقعت الإشارة إلى بعض المواقع لكل من الضفة المغربية من المضيق والبحر الإيبيري وباقي الشاطىء المطل على البحر الداخلي إلى نقطة الحدود مع موريطانيا القيصرية. وإذا اعتبر رأس سبارطيل كأول نقطة جغرافية بالنسبة لشاطىء المحيط، فإن طنجيس Tingis تظل بمثابة الناحية الغربية للبحر المتوسط وتحمل اسم ترادكتايوليا Traducta Julia، كما تُقابل موقع بيلو Bélo على الضفة المقابلة بإقليم البتيك Bétique. وتُعَد الناحية الشرقية لطنجيس كمجال جبلي حيث تتم ملاحظة كل من سبتيم فراطريس Septem fratris وجبل أبيلا Abila ونهري تامودا Tamude واللود Loud ومدينة ريسادير Rhyssadir وأخيراً وادي المالفان Malvane. ومن المحتمل أن تنطبق هذه المواقع حسب بلينيوس على كل من الإخوة السبعة غرب سبتة وجبل أشُو Acho لهذه المدينة الأخيرة وعلى ريومارتيل Martil Rio ووادي لاو Laou ومليلية ونهر ملوية الذي يميزه عن وادي كيس Kiss. ومما يلاحظ أن بلينيوس لا يقترح أبداً المسافات الفاصلة ما بين المواقع الجغرافية المختلفة لشاطىء موريطانيا الطنجية المتوسطي، كما أن نفس المؤلف لم يقم بغض الطرف عن أنهار المحيط (لكوس Lixus وسوبوبوس Sububus وسالاتا Salata) وأنهار البحر المتوسط (تامودا واللود والمالغان)، بدراسة وافية لداخل أراضي شمال المغرب الأقصى القديم، إذ اقتصرت الإشارة على بعض السلاسل الجبلية الغير الموطنة بالتدقيق كالإخوة السبعة وجبل أبيلا Abila، بيد أننا نلاحظ نوعاً من اللبس في المنظور عندما يتعلق الأمر بالأطلس Atlas الذي يتعالى وسط الرمال بجوار المحيط في مجال ما بعد نهر السالاتا Salata مع ذكر الغابات العديدة والفيلة بجبال المضيق وكذلك بجنوب سلا كولونيا Sala Colonia. ثم يذكر مؤلّف *تاريخ الطبيعة*، بالإضافة إلى كل من روسادير Rhussadir وطنجيس Tingis وزليس Zilis ولكسوس Lixus ومولوكا Mulucha وسلا Sala وروتوبيس Rutubis، مدنا داخل الأراضي، لا سيما وليلي Volubilis وبناصا Banasa وبابّا Babba، وقد لا يشير إلى البلدان المجاورة للمغرب القديم ولا إلى الحدود بين الموريطانيتين، بل يكتفي بذكر نهر سالاتا Salata كحَدٍّ فاصل ما بين موروزيا Maurusie شمالا وجيتوليا Gétulie جنوبا. وبصفة عامة، قد يُلاحَظ نوع من القصور في التعريف بمظاهر موريطانيا الطنجية التي ستُسلّطُ عليها الأضواء طبقاً لمراحل الاحتلال الروماني لها. وبالتالي، ستتضح المعطيات الجغرافية، بل الجوانب الخاصة للولاية الجديدة في إطار أمني واستغلالي للأراضي الغربية والملحقة بالأمبراطورية الرومانية، ذلك ما سيقوم بإنجازه بتفصيل، العالم الجغرافي الأسكندري بطليموس القلودي Claude Ptolémée.

Pline L'Ancien, *Histoire Naturelle*, V, éd. J. Desanges, 1980 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; El Mostafa My Rchid, *Maurusia : Recherches sur la géographie historique du Maroc antique*, 1987.

المصطفى مولاي الرشيد

**بليوة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، يقول عنها الفقيه الرهوني إنها انقرضت سنة 1677/1088 على إثر الوباء الذي قضى على جل سكان تطوان. غير أننا نتوفر على وثيقة عدلية تثبت أنه كان موجوداً بتطوان على قيد الحياة سنة 1762/1175 شخص يدعى :

**بليوة، الحاج علي** كان شيخ النظر بالمدينة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 351 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بليوط**، (سيدي ــ) صاحب الضريح المشهور بالدارالبيضاء، الواقع في الركن الشمالي الشرقي للمدينة القديمة، قرب مدخل الميناء. الكنية الحقيقية لسيدي بليوط، هو أبو الليوث، الذي ورد كثيراً في المراسلات الرسمية المتعلقة بأحباس الضريح وأوجه صرفها. وقد غلب استعمال النطق العامي، فأصبح سيدي بليوط اسما مشهوراً عند سكان الدارالبيضاء، يطلقونه أحيانا على أولادهم.

وإذا تساءلنا عن صاحب هذه الكنية، فإننا لا نجد له ترجمة متفقاً عليها باسمه الحقيقي ولقبه المعروف. بيد أننا نثبت ما رجحه الشيخ هاشم المعروفي البيضاوي، في كتابه *عبير الزهور* من أن الاسم الحقيقي لسيدي بليوط هو : أبو حفص عمر بن هارون المديوني الذي ترجم له ابن الزيات في *التشوف*. وقال عنه "إنه كان عبداً من عباد الله الصالحين، كثير الاعتزال للناس مداوماً على الاختلاء بنفسه والجلوس في المقابر".

وقد ذكر صاحب *التشوف* أن أبا حفص عمر بن هارون توفي سنة 595 هـ. وذكر له كرامات أشهرها ما ارتبط بلقبه أبي الليوث فقد ذكر أن الأسد كان يأتيه في خلوته، فيمسح على ظهره ويقول له : "اذهب جعل الله رزقك، حيث لا تضر أحداً من المسلمين فينصرف عنه".

وهكذا نلاحظ أن سيدي أبا الليوث عاش، في زمن ظهر فيه كثير من أولياء الله الصالحين. مثل مولاي بوشعيب دفين آزمور ومولاي بوعزة (أبي يعزى) ومولاي عبدالسلام بن امشيش.

وتجدر الإشارة، كذلك، إلى أن بلاد تامسنا، كانت مشهورة بوجود الأسود فيها، كما أن منطقة الدارالبيضاء ما زالت تحتفظ ببعض الأسماء الدالة على وجود الحيوانات المفترسة، مثل : عين السبع، عين الذئاب.

على أن ما ينبغي ذكره، ونحن بصدد التعريف بسيدي بليوط، هو ما ارتبط بضريحه من أحداث تاريخ الدارالبيضاء. فنظرا لأهمية الضريح وحرمته عند السكان، توفر له دخل من الصدقات والمنافع المحبسة عليه لتصرف في أعمال البر والإحسان. وهكذا كانت الدولة المغربية، خلال القرن الماضي، تعين ناظراً لأحباس أبي الليوث. وكانت مداخيل هذه الأحباس تصرف لفائدة الضعفاء القاطنين بجوار الضريح، وفي ختان اليتامى وأبناء الضعفاء. كما كلف ناظر أحباس سيدي أبي الليوث بإيواء المرضى والأفاقيين مما يتوفر في ربيعة الضريح.

وهناك حدث آخر، يرتبط بالتدخل الأجنبي، جعل ضريح سيدي بليوط يدخل ضمن تاريخ الدارالبيضاء المعاصر. فعندما شرع في إصلاح مرسى الدارالبيضاء في بداية 1905 حدث أن مدت سكة حديدة من المرسى إلى محاجر قريبة ويظهر أن السكة مرت قرب الضريح فأصابت بعض أرض المقبرة المجاورة. فكان هذا الانتهاك مما حفز الناس إلى مقاومة أعمال الشركة الفرنسية.

ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ هـ. المعروفي، *عبير الزهور*.

علال الخديمي

**بليون**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bellon. وقد انقرضت بتطوان سنة 1708/1120، ومن المعلوم أن البليون في الاصطلاح المغربي هو جزء من 20 جزءاً من الريال. والكلمة مأخوذة من الإسبانية Real de Vellon.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بليون**، قطعة نقدية إسبانية من الفضة تساوي نصف عشر الريال الإسباني المعروف بدُورُو Duro. وكلمة بليون وجمعه بْلاين مأخوذة من اسم القطعة بالإسبانية Réal de Vellon.

وتبعاً للرواج الذي عرفته النقود الإسبانية بالمغرب وتصاعدها منذ نهاية القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر، فقد استعمل المغاربة كلمة بليون مرادفة لكلمة گرش جمعه گروش (قروش) بنفس المعنى لأن كلا منهما يعني 1/20 من الريال الإسباني. غير أن كلمة بليون شاع استعمالها غالبا في شمال المغرب وجبال الريف أي في مناطق النفوذ الإسباني، بينما شاع استعمال كلمة قرش في بقية جهات المغرب لنفس القطعة الفضية الصغيرة.

وبخصوص البليون هناك اختلاف في الاستعمال بين المغاربة والإسبان، فعلى حين يطلق الإسبان على البليون اسم ريال بليون انطلاقا من اسم القطعة سابقة الذكر، وأحيانا يسمونه ريال بدون ذكر اسم البليون، بينما يطلق المغاربة الريال على 20 بليونا، والبليون على جزء واحد من عشرين من الريال، وهكذا فالريال عند الإسبان يساوي بليونا واحداً وعند المغاربة يساوي 20 بليونا.

ولقد أدى هذا الاختلاف في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى مناقشة قانونية بين المغاربة والمفاوضين الإسبان حيث فرضت إسبانيا على المغرب غرامة

مالية من جراء حرب تطوان سنة 1860، وذلك أثناء تحرير فصول معاهدة الصلح، فلما وقع تحديد مبلغ الغرامة بعشرين مليون ريال، وعند تسجيله في المعاهدة، وقع التنصيص في الفصل التاسع على أن الغرامة تبلغ "20 مليون دورو" لأن الدورو لا يختلف من حيث الاستعمال لدى المغاربة والإسبان لكن وقع التأكيد باضافة تعبير آخر في نفس الفصل تحدد الغرامة ب "أربعمائة مليون من ريال بليون" وذلك لاختلاف الاستعمال بالنسبة للريال بين بليون واحد عند الإسبان وعشرين بليونا عند المغاربة، فالريال لا يدل في الواقع على القطعة الكبيرة من الفضة، ذلك أننا نجد احدى نماذج هذه القطعة وقد كتب على ظهرها 20 ريالاً بمعنى أن الريال هو ما يُطلق عليه المغاربة البليون، وقد ضربت هذه القطعة سنة 1859 في عهد الملكة إيزابيلا الثانية Isabel II (1833-1868)، وتزن 27,06 گراما من الفضة، وهي دورو Duro أما البليون فلا يزن إلا 1,453 گراماً من الفضة.

ولقد توطد هذا المصطلح في الاستعمال المغربي، بالخصوص بعدما اتخذ السلطان مولاي الحسن (1873-1894) النقود الإسبانية نموذجا للنقود المغربية التي ضربها بأوروبا سنة 1881. فكان المثقال الشرعي من عشرة دراهم مماثلا للدورو الإسباني ووحداته وذلك حسب الجدول التالي :

| المثقال | الدورو | القيمة |
|---|---|---|
| عشرة دراهم (ريال حسني) | 5 بسيطات (دورو/ريال) | 500 سنتيم |
| خمسة دراهم (نصف ريال) | نصف دورو | 250 سنتيم |
| درهمان ونصف (ربع ريال) | ربع دورو | 125 سنتيم |
| درهم شرعي | نصف بسيطة (2 بلايين) | 50 سنتيم |
| نصف درهم (گرش/بليون) | ربع بسيطة (1 بليون/گرش) | 25 سنتيم |

أما البسيطة فهي تقابل درهمين شرعيين وقد استعملت بسيطة حسنية كعملة حسابية أثناء عمليات الصرف.

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب*، ص. 140، 1980 ؛ ر. لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، (مترجم)، ص.413، م. داود، *تاريخ تطوان*، ج.12.

D. Eustache, *Corpus des monnaies Alawites*, p. 340 - 398, 1984 ; A. N. E., *Asociacion Numismatica Española*, Barcelona, 4 y 5 de Junio de 1970, (Catalogo).

عمر أفا

**بليونش**، وتكتب أيضاً بنيونش، أطلال قصور وسط جنان فسيحة تقع غربي مدينة سبتة على بعد ثمانية كلمترات، تطل شمالا على البحر المضيق، فيرتسم ساحلها على شكل هلال يتوسطه خليج بنزو Bensus. أما من جهة البر، فتحدها سلسلة من المرتفعات أكثرها علواً جبل موسى الذي يتاخمها من جهة الغرب (841 م). ومن المعلوم أن جبل موسى هذا أو "جبل القردة" - كما تسميه المصادر الكلاسيكية - أو أيضا جبل بليونش، هو الذي كان يعرف عند الإغريق والرومان باسم أبيلاً Abilla والذي كان يشكل مع جبل طارق أو كالبِّي Kalpé المقابل له على الساحل الأندلسي، ما عرف تاريخيا باسم أعمدة هرقل Colonnes d'Hercule (*Recherches*, 26) تشكّل هذه المرتفعات التي تغطيها غابة كثيفة حاجزاً طبيعيا يقي المنطقة من الرياح الجافة القادمة من الجنوب، بينما تنفتح بليونش في وجه الرياح الشمالية الرطبة (*اختصار الأخبار*، 55 ؛ *Les navigations*, 3 : 374).

تقع بليونش على بسيط مرتفع ينحدر تدريجياً في اتجاه البحر، وتخترق المنطقة مجموعة من السواقي كانت تدير في طريقها عدداً من الأرحى. وقد استطاعت هذه الأودية أن تحفر عند مصباتها خلجانا، استخدمت كمراسي طبيعية، أهمها اثنان : مرسى بليونش، ومرسى موسى اللذان اعتبرا من أهم المرافئ بالمنطقة لوجودهما في مأمن من الرياح طول السنة (*Description*, 207 - 209). كما ينبع من سفوح المرتفعات عيون كثيرة تتدفق منها مياه غزيرة كثيراً ما كان توزيعها وكيفية استغلالها مصدر خلاف بين أصحاب الجنان خلال العصور الوسطى (*مذاهب الحكام*، 22-23). والواقع أن هذه المياه الغزيرة هي التي كانت مصدر غنى وجمال بليونش، ذلك أنها كانت تعدُّ من أخصب القرى السبتية وأكثرها انتاجا. فعلاوة على أشجارها المثمرة المتعددة الأصناف وخضرواتها المتنوعة ولحومها وألبانها كانت المنطقة مصدراً مهما لبعض المواد الأولية المغذية لبعض الصناعات المحلية أو السبتية أو حتى العالمية، كقصب السكر الذي خصصت له مزارع بعينها. يضاف إلى ذلك الأخشاب ومعادن الحديد والقار المعدة لانشاء السفن وآلات الحرب وصناعة البناء وغيرها، (*نزهة المشتاق*، 2 : 528 ؛ *اختصار الأخبار* : 56 ؛ *Géographie*, 2 : 169). ولم يكن بحرها أقل من برها، إذ بسواحلها كان يتم جلب الأسماك والمرجان الذي كان يصنع بسبتة قبل تصديره إلى مختلف أسواق العالم (*نزهة المشتاق*، 2 :525 ؛ *الروض المعطار*، 386).

توفرت بمنطقة بليونش كل العناصر الضرورية لإقامة نواة حضرية، وهذه العناصر نفسها هي التي اعتمدها البحاثة الهليني فكتور برنار V. Bernard ليجعل من بليونش وجزيرة تورة Ile du Persil الواقعة وراء جبل موسى، مسرحاً حقيقيا لأحداث ملحمة الأوديسا Odyssée الشهيرة وإطاراً طبيعياً لتحركات بطلي القصة الرومنسية :

كليبسو Calypso ابنة أطلس إله المضيق وحارسه، وأسيرها أوليس Ulysse البطل الاغريقي - *Les navigations*, 353) 375 ; *Ceuta*, 40).

فإذا كنا نصنف ملحمة الأوديسا ضمن الاساطير التاريخية وذلك في غياب أدلة مادية تدعم ما يفترض حول وجود نواة حضرية افريقية - بربرية ببليونش منذ ذلك العصر، فلا يوجد - كل العكس - ما ينفي أن المنطقة عرفت منذ وقت مبكر تأثيرات رومانية. إن الاصطلاح بليونش الذي عُرفت به المنطقة وما زالت تعرف به، يتفرع عن الأصل اللاتيني Vignobles وتعني الكروم. وقد يكون الرومانيون أطلقوا هذا الاسم على المنطقة لكثرة انتاجها لهذه المادة (*Etymologies* ؛ *وصف افريقيا*، 1 : 317). ووسط بساتين الكروم هذه شيد الرومانيون حصنا لهم أطلقوا عليه اسم اكسلسيا Exilissia (*Recherches*, 30 ; *Ceuta*, 15). وقد استطاع هذا الحصن أن يصمد في وجه نوائب الدهر، فإلى حدود القرن الخامس (11 م) كانت آثاره ما تزالْ قائمة (*Description*, 208).

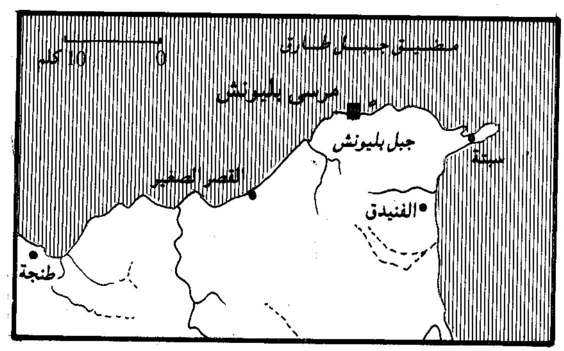

مرسى بليونش

خلال العصر الإسلامي توضحت المعالم الحضرية لبليونش بعد أن ارتبطت بسبتة فاستقطبت أنظار هواة النزهة ومحبي الطبيعة من أشراف سبتة والأندلس. فمنذ القرن الرابع (10 م) شدت إليها أنظار الخليفة الأموي عبدالرحمان الناصر (961.912/350.300) الذي بنى بها قصرا على أنقاض قصر قديم، إلا أن هذا الإنجاز لم يعمّر طويلا، إذ خرّبه أهالي مصمودة سنة 952.51/340 (*الاستبصار*، 138؛ *Description*, 207)، ثم خلال العهد العامري تجددت الرغبة في تشييد صرح أميري بالمنطقة، إذ أصدر الحاجب ابن أبي عامر أوامره ببناء قصر على الشاطئ وسط حدائق بليونش، وليحميه من أخطار الأعراب المجاورين وضعه تحت حراسة حصن يطل على البحر (*Histoire de l'Espagne*, 2 : 206).

لم تلبث أن ترسخت بين السبتيين هذه العادة الأندلسية، أو بالأحرى عادة أهل الحضر في اتخاذ منازل للنزهة بالبادية. وقد كان لعامل الأمن والاستقرار السياسي الذي شهدته تلك المنطقة أثر كبير في ازدهار بادية بليونش وزوال الجفوة التي غالبا ما كانت تطبع العلاقة بين البادية والحاضرة. فمنذ القرن الخامس (11 م)، يحدثنا ابن حيان القرطبي (ت. 1076/469). عن متنزهات بليونش وأبنيتها العظيمة (*أزهار الرياض*، 1 : 34). ويستفاد من مصادر أخرى أن بليونش كانت المتنفس الطبيعي لأهالي سبتة، بل المستودع البشري والحزام الغذائي والأمني للمدينة. في سنة 1184/580، صدرت أوامر من الخليفة يعقوب المنصور الموحدي (1198.1184/595.580) لجلب مياه بليونش إلى سبتة عبر قنوات باطنية، إلا أن ثمة عوارض حالت - على ما يبدو - دون تنفيذ المشروع إلى ما بعد حين (*الاستبصار*، 136) وفي سنة 1235/632. استنفر أهالي بليونش الغماريون وغيرهم من القرى للدفاع عن سبتة ضد الهجوم الجنوي، هذا الدور الدفاعي كان من المهام التي كثيراً ما كانت تُلقى على عاتق أهالي بليونش كلما تعرضت المدينة لتهديد خارجي، وسوف يتضح أكثر بعد سنة 1415/818. (*Ceuta*, 90).

خلال القرن الثامن (14 م)، ازدادت أهمية بليونش بتضاعف ساكنة سبتة وازدحام بناياتها فأصبحت الرئتين اللتين لا يمكن لسبتة أن تتنفس بدونهما، بل جزءا لا يتجزأ من النسيج الحضري السبتي. فببليونش أقيمت قصور الضيافة حيث يستقبل الوفود والزوار. وفي سنة 1362/763 نزل أبو عبدالله ابن الأحمر سلطان غرناطة في ضيافة أحمد الحسيني بأحد القصور البليونشية، أعد له هذا الأخير ولوفده المتكون من علي بن الحسن المعروف بالنباهي، قاضي غرناطة، ووزيره محمد ابن الخطيب ضيافة ملوكية «أكل من فضل هذه الضيافة - كما يقول المقري - معظمُ من كان بالقرية، من قوي وضعيف، ورفيع ووضيع» ومن إحدى مراسي بليونش، غادر سلطان بني الأحمر المغرب في اتجاه بلده غرناطة (*أزهار الرياض*، 1 : 38).

يحدثنا المقري عن الاستقبال الذي كان يخصصه الشريف أبو العباس الحسيني بجنانه البليونشية لذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب كلما نزل بسبتة موفدا من قبل سلطانه. ومن البديهي أن يثير جمال بليونش وجاذبية منظرها الطبيعي قريحة ابن الخطيب.. فمن بين ما أنشده فيها :

| | |
|---|---|
| بليونش أسنى الأماكن رفعةً | وأجلُّ أرضِ الله طراً شأنـا |
| هي جنةُ الدنيا التي مَنْ حلّها | نـال الرضا والرَّوْح والريحانـا |
| قالوا القرودُ بها فقلت فضيلةٌ | حيوانُها قد قاربَ الإنسانـا |

وقد سبقه إلى ذلك القاضي عياض وأبو الحجاج المنصفي، وأبو عبدالله محمد بن أبي عبدالرحمان الكميلي وأبو العباس البنشتي، وأبو الحسن بن سعيد العنسي وغيرهم (*أزهار الرياض*، 1: 35.34 ؛ *نفح الطيب*، 2 : 311 ؛ *الروض المعطار*، 103).

مع مطلع القرن التاسع (15 م)، اكتملت الصورة الحضرية لبليونش، إذ تحولت في ظرف ثلاثة أو أربعة قرون من قرية غارقة بين البساتين إلى مركز حضري لا يقل أهمية عن غيره من الحواضر يحتوي على كل المرافق الحضرية الضرورية من منشآت عمومية ودينية واقتصادية

وعسكرية، كالحمامات والمساجد والحوانيت والفنادق والأرحي والأبواب والأبراج. ويبدو أن انتظامها تم وفق تصميم فرضته طبوغرافية المنطقة : فتصافّت عمارتها على جوانب الطرق والمسالك، وأحاطت بها أسوار مدعمة بأبراج. ولعل أهم برج بها برج السويحلة الذي أفاض الانصاري في وصف جماله، وبديع فنونه (*اختصار الأخبار*، 53،52).

والغريب في الأمر أن بليونش - بالرغم من هذا التطور الحضري الذي عرفته - لم تستطع أن ترقى إلى مستوى المدينة، فظلت تُنعت في معظم المصادر بالقرية باستثناء ياقوت الحموي الذي أحال إليها باسم "المدينة" (*معجم البلدان*، 1 : 493) وقد يكون من العوامل التي حالت دون ذلك اثنان : أولهما افتقادها إلى حصانة طبيعية تقيها من أخطار البر، من ثم يمكن تفسير الطابع الدفاعي الذي اتخذته بيوتات بليونش المحصنة والمدعمة بالأبراج، كما كشفت عن ذلك البحوث الأركيولوجية (*Quelques remarques*, 218 ; *Las ruinas*, 286) ثانيهما وقوعها في حضانة سبتة وتحت تأثيرها.

العاملان معا يفسران - من جهة أخرى - سرعة اختفاء القرية مباشرة بعد الغزو البرتغالي لسبتة سنة 818/1415. وبالرغم من أن بليونش غدت سهلة الاستيطان بعد أن فر منها الأهالي، فإن البرتغاليين لم يقدروا على احتوائها وضمها إلى مستعمرتهم في سبتة، لضعف امكانياتها الدفاعية (*Le Maroc*, 98 - 99 - 104). بل ستصبح المنطقة مصدر خطر هدد الوجود المسيحي مدة طويلة سيما بعد أن ظهرت بعين المكان رباطات تقوم بتنظيم الحملات الجهادية. وقد أسفرت هذه الوضعية عن قضية شائكة في التاريخ المغربي - الإسباني، ذلك أن الإسبان سيسعون إلى محاولة فكّ الحصار المضروب عليهم من طرف قبائل أنجرة عن طريق المطالبة بضم بليونش، فكان ذلك بداية أزمة سياسية بين الطرفين ستستمرّ زهاء قرنين من الزمان.

إن المطلب الإسباني كان يخفي في الحقيقة أهدافا استراتيجية واقتصادية تمثلت في توسيع حدود سبتة إلى ما وراء وادي بليونش والاستفادة من خيرات المنطقة وخصوصا من مائها الذي لا يمكن لسبتة أن تنمو وترقى بدونه. ولم يفضّ هذا الخلاف إلا إبان الحماية الأجنبية، فرنسية وإسبانية، على المغرب، ذلك أن الإسبان استغلوا ظروف غياب السلطة الشرعية، فسارعوا إلى شق قنوات فولادية أوصلوا عن طريقها الماء إلى سبتة، بعد أن انتزعوا - بطرقهم الخاصة - حق ملكية عيون القرية من أصحابها. حتى إذا كانت فترة الاستقلال وأرغم الإسبان على التراجع إلى الحدود المعترف بها بعد حرب 1860، وجد الأهالي أنفسهم فوق أراض تكاد تكون جدباء، غير قادرين على إحياء قريتهم بعد أن فقدوا ملكية عيونها المائية التي كانت - قديما - مصدر جمالها وازدهارها وشهرتها.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار* ؛ م. حسن الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ الحميري، *الروض المعطار* ؛ م. بن عياض، *مذاهب الحكام في نوازل الأحكام*، مخطوط، خ. م. رقم : 4042 ؛ ي. الحموي، *معجم البلدان* ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، ج 1 ؛ *نفح الطيب*، ج 2 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الأجزاء 7، 8، 9.

Aboulféda, *Géographie d'Aboulféda*, T. II, 1ère partie, Trad. M. Renaud, Paris, 1848 ; G. Ayache, *Etudes d'histoire marocaine*, Rabat, 1979 ; A. El-Bekri, *Description de l'Afrique septentrionale*, Trad. M. G. de Slane, Alger, 1913 ; Z. Benramdan, *Ceuta aux XIIIe et XIV siècles : Essai de reconstitution de la civilisation musulmane à Ceuta*, T. D. L. Aix Marseille I, 1987 ; V. Berrad, *Les navigations d'Ulysse*, 3. *Calypso et la mer de l'Atlantique*, 1971 ; E. Levi-Provençal, *Histoire de l'Espagne musulmane*, Paris, 195 ; R. Ricard, *Le Maroc septentrional au XVe siècle d'après les chroniques portugaises*, *Hesp.*, 1936, T. XXIII, Fasc. 2 ; H. Terrasse, *Quelques remarques sur les édifices de Belyunés*, *Al-Andalus*, Vol XXVIII, 1963, Fasc. 1 ; M. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane*, Paris, 1977 ; L. Torres Balbas, *Les ruinas de Belyunes o Bullines*, *Tamuda*, T. V, 1957.

زليخة بنرمضان

**بليونش**، أو جبل موسى - معارك -، في يوم 28 ربيع الأول / 25 أكتوبر1859 أعلنت إسبانيا الحرب على المغرب، وفيما بين يوم 24 ربيع الثاني/20 نوفمبر و5 جمادى الثانية/30 ديسمبر جرت بجبل موسى المعروف عند الإسبان بجبل بليونش Sierra Bellones عدة معارك وذلك على إثر الغزو الذ تعرضت له أرض المغرب عندما خرج الجيش الإسباني من مدينة سبتة يوم 23 ربيع الثاني/19 نوفمبر

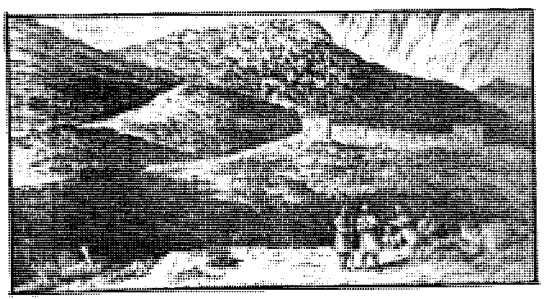

جبل بليونش الذي جرت فيه معارك نونبر - دجنبر 1859

واحتل معسكر دار البيضة الواقع بتراب قبيلة أنجرة، وفي اليوم التالي عندما شرع الإسبانيون في تحصين المعسكر المذكور هاجمهم المغاربة وجرت هناك المعركة الأولى التي أسفرت عن مقتل ثلاثة من الإسبانيين وجرح ستة وأربعين منهم.

وتلت هذه المعركة معارك أخرى جرت خلال الشهر المذكور نتيجة للهجومات التي قام بها المغاربة على النحو

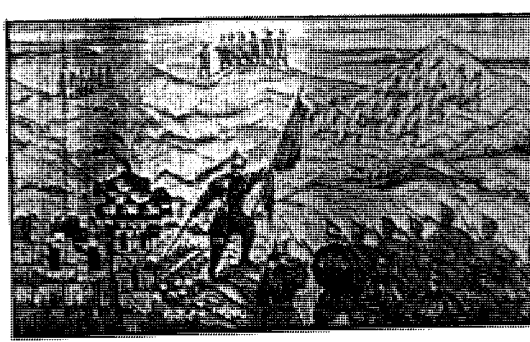

بليونش : معركة يوم 19 - 11 - 1859

التالي :

يوم 26 ربيع الثاني/22 نوفمبر حيث فقد الإسبان سبعة من القتلى وثمانية وأربعن من الجرحى.

يوم 5 جمادى الأولى /30 نوفمبر قتل سبعة من الضباط وخمسة وأربعون جندياً وجرح عشرون ضابطاً وثلاثمائة وستة عشر جندياً.

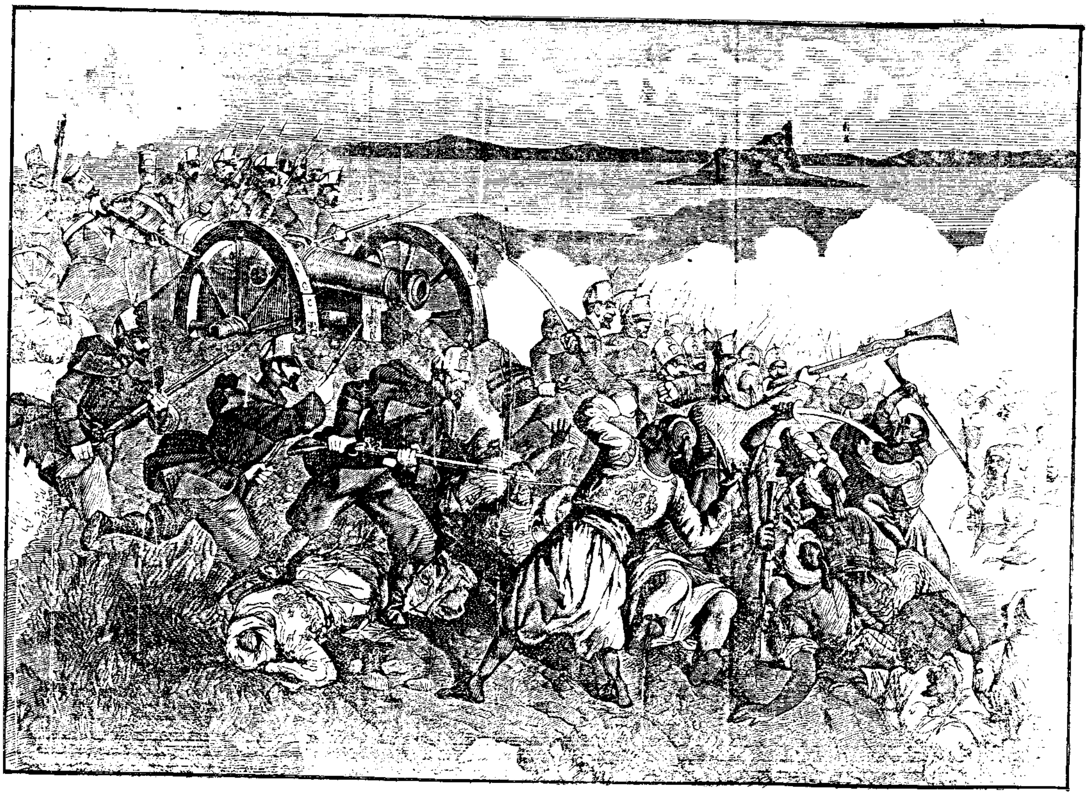

بليونش : معركة يوم 25 ـ 11 ـ 1859

يوم 27 ربيع الثاني/23 نوفمبر قتل منهم ثلاثة من الجنود.

يوم 28 ربيع الثاني/24 نوفمبر أسفر عن مقتل ثمانية وجرح تسعة وثلاثين.

يوم 29 ربيع الثاني/25 نوفمبر قتل ستة من الضباط وستة وثمانون جندياً وجرح عشرون ضابطاً ومائتان وثمانية وتسعون جندياً. وكان من بين القتلى الكولونيل بينيس Pinies ومن الجرحى قائد الجيش الجنرال اشاكوي Echagüe.

بليونش : معركة يوم 9 ـ 12 ـ 1859

يوم 14 جمادى الأولى /9 ديسمبر قتل خمسة من الضباط وخمسة وسبعون جندياً وجرح أربعة وثلاثون ضابطاً ومائتان وتسعون من الجنود.

يوم 20 جمادى الأولى/ 15 ديسمبر قتل ضابط واحد وستة وخمسون من الجنود و جرح خمسة عشر ضابطاً ومائة وسبعة وسبعون جندياً.

بليونش : معركة يوم 15 ـ 12 ـ 1859

يوم 25 جمادى الأولى/20 ديسمبر قتل ستة من الجنود وجرح خمسة عشر ضابطاً ومائة وتسعة من الجنود.

يوم 30 جمادى الأولى/25 ديسمبر قتل ثمانية جنود وجرح سبعة عشر ضابطاً ومائة وثمانية عشر جندياً.

بليونش : معركة يوم 30 ـ 12 ـ 1859

و أما في المعركة الحادية عشر التي جرت يوم 5 جمادى الثانية/30 ديسمبر فقد قتل فيها ضابط واحد وعشرة من الجنود وجرح أربعة من الضباط وسبعة وثمانون من الجنود.

الجنرال اشاكوي الذي جرح في إحدى معارك بليونش

والجدير بالذكر أننا لم نات إلا بخسائر القوات الإسبانية لاعتمادنا على الوثائق الإسبانية التي عندما تشير أحيانا إلى عدد الشهداء والجرحى المغاربة تعدهم بالمآت بل بالآلاف.

Alarcon, P. A *Diario, Campañas*, T. I, 212 - 225 ; Garcia Figueras, *Recuerdos ceutenacios de la guerra de Africa*, p. 10, 142, 200, 232, 274, 287.

**بليونش**، (مركيز جبل ـ) Marques de Sierra Bellones لقب منحته الملكة الإسبانية إيسابيل الثانية إلى الجنرال خوان ذى ثبالا إذي لا بوينطي Juan de Zabala de la Puente جزاء له عما قام به من أعمال في المعارك التي جرت بجبل بليونش (جبل موسى) أيام 20 و22 و23 و25 و30 نوفمبر وأيام 9 و15 و20 ديسمبر 1859 وأيام 15 و21 مارس 1860. وقد ولد هذا الجنرال بمدينة ليما Lima في البِّيرُو يوم 27 ديسمبر 1804 وهناك التحق بالأكاديمية العسكرية وبعد تخرجه منها برتبة ضابط صف توجه إلى إسبانيا سنة 1825 حيث شارك في قمع المحاولات العديدة التي جرت بإسبانيا لقلب النظام.

وعند إعلان الحرب ضد المغرب سنة 1860/1276 عُين الجنرال المذكور على رأس الفرقة الثانية للجيش الغازي الذي احتل مرتفعات جبل موسى المجاور لمدينة سبتة حيث جرت هناك عدة معارك عرفت بمعارك Sierra Bellones

ماركيز جبل بليونش

(معارك جبل بليونش) وقد تقلّد الجنرال ثاباه عدة مرات منصب الوزارة مثل وزارة البحرية ووزارة الدفاع وتوفي بمدريد يوم 29 ديسمبر 1879.

A. Domenech, *Zona Norte* ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, T. 70, p. 853 ; T. Garcia Figueras, *Recuerdos*, p. 264.

**البُمْباجي**، لعل أول من اتخذ هذا الاسم لأسرته هو المكلف بتسيير معمل القنابل المدفعية الذي أسسه السلطان مولاي إسماعيل بتطوان سنة 1694/1105، ومن المعلوم أن كلمة البمباجي تعني صانع البمب وكلمة البمب مأخوذة من الإسبانية Bambo أي القنبلة خصوصا ونحن نعلم أن دار البمبة أو البنبة الحالية كانت تعرف في الماضي بدار البمباجي، وبهذا الاسم نجده في الاحصاء الذي جرى بتطوان سنة 1841/1257.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 354.

*Vademecum de Interventiones*, (año 1931) 1932 (B).

محمد ابن عزوز حكيم

**بمكوت** (أيت ـ)، فصيلة من الرحل ذوي النجعات المحدودة تنتمي إلى قبيلة أيت لحسن من لف أيت الجمل التكني. هذه الفصيلة تحرص على إبراز مميزات المشترك الترحالي الرعوي وتقاسم نفس المواصفات مع قبيلتها ولفها. ترتاد عادة تيدرگيت ومشبوك مرورا بوادي درعة والساقية الحمراء. وتتجاوز في تتبعها للمرعى هذه المنطقة واصلة إلى زمور وتيرس حيث كان يوجد خلال العشرينات مَحمد الدليمي كبير أيت بوگزّاتن من نفس القبيلة (انظر أيت بلة). ومن المعروف أن احتكاك قبيلة أيت لحسن بالمجال الترحالي حيث تسيطر القيم اللغوية الحسانية قد افقدها استعمال اللغة الأمازيغية (انظر تراب البيضان). كما أن المشتركات الزراعية لهذه القبيلة تجعل من أراضيها البورية أراضي جموع تستغل حسب عادات وأعراف متوارثة منذ قرنين ونصف (انظر أزوافيط).

أما التنظيم الحربي والاجتماعي لدى فصائل أيت لحسن واستمراره عبر الزمن فتؤكده حماية أيت بمكوت لفصيلتي

السواعد وأولاد الطالب الرگيبيتين (La Chapelle ; Les Tekna, 76 - 77). حتى الثلاثينات من هذا القرن. خلال هذه الفترة كان كبير أيت بمگوت هو الشيخ علي ولد أحمد حسب ما أورده نفس المصدر وما تعززه الرواية الشفوية.

م. سالم ولد عبدالحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تح. م. ناعمي، 1991.

P. Marty, *Les Tekna du Oued Noun in les Tribus de la Haute Mauritanie*, Publ. du Comité de l'Afrique Occidentale Française, 1915 ; F. C. De La Chapelle, *Esquisse d'une histoire du Sahara occidental, Etudes, notes et documents sur le Sahara occidental, VIIe Congrès de l'IHEM, Hesp.*, XI, 35 - 96, Rabat - Paris, 1930 ; *Les Tekna du S. O. Marocain, Etude géographique, historique et sociologique, A. F.*, 1934, 9. 109 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, IHEM, notes et documents, III, 1948, p. 59, Paris.

مصطفى ناعمي

**بن أحمد** ـ مركز ـ ← ابن **أحمد** (رتب خطأ)

**بن سليمان**، أو بنسليمان أو ابن سليمان، إقليم يتكون إداريا من إحدى عشرة جماعة قروية موزعة على دائرتين : دائرة بوزنيقة : وتضم جماعات سيدي يحيى زعير وبوزنيقة وبني يخلف وسيدي موسى بن علي ؛ ودائرة بن سليمان : وتضم جماعات موالين الغابة وفضالات وموالين الواد وأولاد علي والزيايدة ومليلة وأحلاف.

بلغ عدد سكان إقليم بن سليمان سنة 1982 : 174.464 نسمة، من ضمنهم 24.125 في مركز بن سليمان و10.137 في مركز بوزنيقة.

ويمتد تراب الإقليم أساسا على المنطقة الواقعة بين واد الشراط والضفة اليسرى لواد المالح، وهي جزء من الهضاب المنخفضة الأطلنتية الوسطى. ويتعلق الأمر بأشرطة هضبية تنحدر من الجنوب، حيث لا يتجاوز ارتفاعها 400 م، نحو الشمال حيث تشرف على الشاطئ الأطلنتي بواسطة جرف بحري لا يزيد ارتفاعه عن بضعة أمتار. وتفصل هذه الهضاب محاور نهرية تأخذ على العموم اتجاه الانحدار العام عبر أودية متعمقة (واد الشراط، واد النفيفخ، واد المالح). وعلى غرار مجمل الساحل الأطلنتي الأوسط تظهر أشرطة طويلة موازية للشاطئ تمتد على شريط عمقه حوالي عشرة كيلومترات داخل اليابسة، وهي عبارة عن كثبان رملية متصلبة. ورغم الطابع المتقطع الذي تكتسيه أحيانا هذه التلال فإنها تحول دون انسياب المياه السطحية نحو البحر، باستثناء المجاري المتعمقة، وهذا ما يفسر جانبا من ظاهرة "الضايات" المنتشرة فوق هذه الهضاب. كما تتخلل السطح نتوءات صخرية تدعى محليا "بالصخور" من أبرزها صخرة بوشويطينة جنوب بن سليمان، وهي عبارة عن بروزات من الكوارتزيت المرتبطة بالقاعدة الصخرية القديمة.

وبالفعل تتشكل هذه الهضاب من قاعدة قديمة هي جزء من الهامش الشمالي للهضبة الوسطى. وتتكون أساسا من صخور شستية وحثية. ورغم الاستقرار الجيولوجي النسبي للمنطقة منذ الزمن الأول فقد ساهمت الحركات التكتونية والهزهزية في خلق بعض التنوع في التوضعات الرسوبية.

فالتوضعات المنتمية لحقبة الترياس تنتشر غرب واد النفيفخ في اتجاه مقعر برشيد. غير أن التوضعات الحثية ـ الكلسية "المغربية". (نهاية الزمن الثالث) والكثبان الرملية المتصلبة (الزمن الرابع) هي التي تساهم بصورة أكبر في التنوع الصخري لسطوح الهضاب. فالأولى تنتشر جنوب بن سليمان وغرب واد النفيفخ، بينما تنتشر الثانية على طول الساحل.

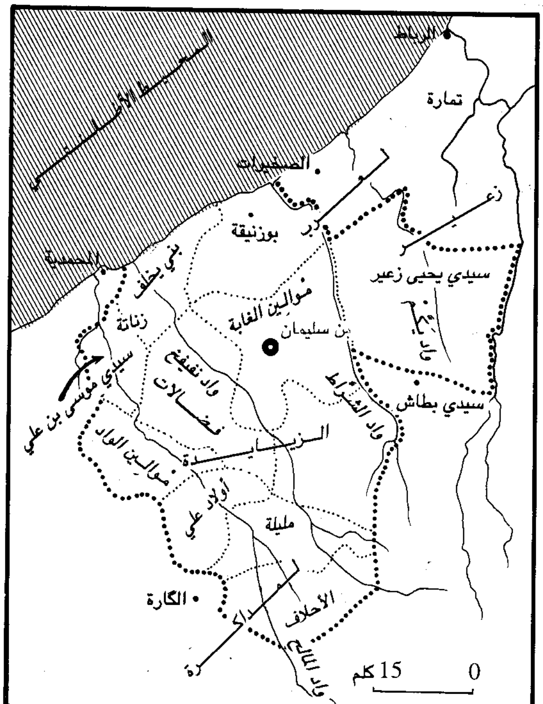


إقليم بن سليمان

ويشكل هذا التنوع الصخري، إلى جانب الوضع الطوبوغرافي، عاملا أساسيا في تنوع التربة. فتربة "التّرس" تنتشر فوق الكلس المغربي، على أن أنواعاً أخرى من "الترس" آلميّة تظهر في المنخفضات ووسط الضايات. أما تربة الحمري فترتبط عموما بالتلال الحثية المكونة من الكثبان الرملية المتصلبة. وفوق المناطق الشستية ـ الحثية المنتمية للقاعدة القديمة توجد تربة "الحَرْش"، وهي تربة خشنة تفتقر إلى المواد العضوية.

ويصنف إقليم بن سَليمان ضمن المجال المناخي المعتدل النصف جاف. فمتوسط الحرارة الدنيا لشهر يناير لا يقل عن 6،7 في بن سليمان و8،1 في بوزنيقة، بينما يتراوح متوسط الحرارة العليا لشهر يوليوز بين 31،4 في المحطة الأولى و26،8 في المحطة الثانية. وتندرج كميات التساقطات السنوية من 400 إلى 500 ملم في المتوسط، مع نزعة نحو ارتفاع هذه الكميات من الجنوب إلى الشمال، ومن الساحل نحو الداخل. (بوزنيقة 398 ملم، بن سليمان 479 ملم) وفي هذه الظروف يتشكل الغطاء النباتي من غابة البلوط الفليني وتشكيلة "الماطورال" التي تمثل شكلا من الأشكال الناتجة عن اتلاف الغابة.

وتعتبر غابة بن سليمان الممتدة على مساحة 10.000 هـ، نموذجاً نادراً لغابات البلوط الفليني في المجال المناخي النصف جاف من المنطقة المعتدلة. وإلى حدود مطلع القرن العشرين كان السكان باقليم بن سليمان يمارسون نمط عيش قائم على الزراعة والرعي المتنقل، باستعمال تكامل الرساتيق. فمحاط القبائل، ومنها على الخصوص قبيلة الزيايدة، كان يتكون من رستاق زراعي يمتد على تربة الترس، بينما يخصص الساحل للرعي في إطار ملك جماعي للأرض. وقد استطاع المعمرون اقتناء ما يقارب ربع أراضي الإقليم، في حدوده الحالية، وعلى حساب الملك الجماعي بالمنطقة الساحلية، وكان من نتائج ذلك انتشار زراعة الكروم التي تشكل حاليا إحدى أهم الزراعات في الضيعات المسترجعة.

يعرف النظام الفلاحي بالإقليم تنوعاً ملحوظاً، وذلك بالارتباط مع نظام حيازة الأرض وطبيعة التربة والموقع من الأسواق الحضرية الكبرى المتمثلة في الرباط والدارالبيضاء. فالمناطق الترسية الواقعة في جنوب الإقليم ترتبط من حيث نظامها الزراعي بالشاوية، حيث تسود بها زراعة الحبوب في دورة مع القطانيات. بينما على الساحل تسود زراعة الحبوب الواسعة إلى جانب زراعة الكروم، وتنتشر زراعة الخضر على الشريط الساحلي مستغلة وجود فرشة مائية مرتبطة بالكثبان الرملية المتصلبة، والقرب من الأسواق الحضرية، وهذا هو الشأن بالنسبة لجماعة بني يخلف وسيدي موسى بن علي. وإذا كانت تربية الماشية تشكل عنصرا أساسيا ضمن النظام الفلاحي بالإقليم، خصوصاً حيث تنتشر الغابة، فإن هذا النشاط قد عرف تحولات كبيرة ابتداءً من السبعينات، تمثلت في انتشار تربية الأبقار الحلوب منها على الأخص، وتحسين نسلها واستعمال الاسطبلات. وواكب ذلك تطور المساحات المزروعة بالعلف (الخرطال، الجلبان العلفي ...) كما أن قرب الاقليم من أسواق حضرية كبرى جعل تربية الدواجن تأخذ أهمية بارزة ضمن النشاط الفلاحي. ويتوفر الاقليم على بعض الامكانيات السياحية تتمثل من جهة في الشاطئ الذي يقصده المصطافون الآتون من الرباط والدارالبيضاء، وفي استغلال المجال الغابوي لممارسة القنص من جهة أخرى.

**بن سليمان**، مركز يقع على بعد حوالي خمسين كيلومتراً شرق الدارالبيضاء. وتعود نشأة كان بولهو Camp Boulhaut وهو الاسم الذي أطلقه الفرنسيون على النواة الأولى لمركز بن سليمان، إلى مطلع القرن العشرين حيث شكلت إحدى نقط الدعم العسكري لجيش الاحتلال إبان غزوه لمنطقة الشاوية. ولعل من أهم أسباب اختيارها وجودها وسط قبيلة الزيايدة، في موضع يستقطب إليه السكان حول سوق أسبوعي كبير (سوق الأربعاء) وبالقرب من ضريح الولي سيدي بن سليمان الذي دأبت قبيلة الزيايدة على إقامة موسمه سنويا إلى حدود الاحتلال الفرنسي.

وقد تحول موقع بن سليمان العسكري إلى مركز للخدمات لفائدة المعمرين الأوربيين الذين استقروا بالمنطقة. غير أن عدد السكان المغاربة بالمركز سار نحو الارتفاع. فمن 351 فردا سنة 1926 انتقل عدد المغاربة إلى 4.522 سنة 1951، في الوقت الذي مر فيه عدد الأوربيين من 308 إلى 651 فرداً خلال نفس المدة. وفي سنة 1960 سجل المركز أكثر من 10.000 نسمة ليرتفع هذا العدد إلى 17.000 نسمة سنة 1971، ثم إلى حوالي 2.400 سنة 1982.

السكان بجماعات إقليم بن سليمان

| الدائرة | الجماعة | المركز (ضمن الجماعة) | عدد السكان 1971 | عدد السكان 1982 |
|---|---|---|---|---|
| بن سليمان | | | **94.835** | **106.941** |
| | أحلاف | | 11.693 | 11.576 |
| | فضالات | | 15.504 | 15.580 |
| | مليلة | | 10.934 | 11.389 |
| | موالين الواد | | 7.818 | 8.354 |
| | موالين الغابة | | 11.382 | 13.588 |
| | | بن سليمان | 17.302 | 24.125 |
| | أولاد علي | | 8.876 | 10.081 |
| | الزيايدة | | 11.326 | 12.248 |
| بوزنيقة | | | **46.829** | **67.523** |
| | بني يخلف | | 11.723 | 20.010 |
| | بوزنيقة | | 13.205 | 20.946 |
| | | بوزنيقة | 4.942 | 10.137 |
| | سيدي موسى بن علي | | 10.979 | 13.760 |
| | سيدي يحيى زعير | | 10.922 | 12.807 |
| مجموع الإقليم | | | 141.664 | 174.464 |
| سكان حضريون | | | 22.244 | 34.262 |
| سكان قرويون | | | 119.420 | 140.202 |

وهكذا تكون ساكنة بن سليمان قد تزايدت بوتيرة أسرع من مجموع الساكنة الحضرية بالمغرب. فبين 1936 و1960 كان معدل تزايدها السنوي هو 6٪ مقابل 3.4٪ بالنسبة لمجموع السكان الحضريين، وبين 1960 و1971، 4.6٪ مقابل 4٪. غير أن وتيرة التزايد هذه عرفت بعض التقلص خلال الفترة 1971-1982 حيث لم تتجاوز 3.04٪ في حين كان هذا المعدل بالنسبة لمجموع الساكنة الحضرية هو 4.4٪ ويعزى النمو السريع الذي عرفته بن سليمان إلى الهجرة القروية، ذلك أن 87٪ من أرباب أسر المركز سنة 1971 وُلدوا خارج بن سليمان، حيث ينتمي 43٪ منهم إلى قبيلة الزيايدة. غير أن بن سليمان تشكل كذلك محطة للهجرة في اتجاه المحمدية والدارالبيضاء.

وتعتبر مدينة بن سليمان مركزاً للخدمات على صعيد منطقة الزيايدة. فالتجارة والخدمات تشغلان أكثر من 65٪ من الساكنة النشيطة، مقابل 48٪ بالنسبة لمجموع السكان الحضريين بالمغرب. وكان من المفروض أن يستفيد المركز من قربه من الدارالبيضاء فيستقطب بعض الأنشطة الصناعية، وبالفعل استقرت بالمدينة ثلاثة معامل (صناعة الصنابير، معمل للنسيج ومعمل للجوارب). إلا أن المخططات الحالية في مجال توطين الصناعة على الصعيد الوطني استثنت بن سليمان من لائحة المدن المرشحة لاحتضان مناطق صناعية جديدة، وذلك لفائدة بوزنيقة، بحجة الحفاظ على المؤهلات السياحية للمدينة. لذلك فإن الصناعة، بما في ذلك الصناعة

التقليدية، لاتشغل سوى 20٪ من السكان النشيطين (مقابل 30٪ على صعيد مجموع المدن).

وقد بقيت الوظيفة العسكرية طاغية على المركز حتى بعد الاستقلال. فمن خلال احصاء 1971 تبين أن 20٪ من الساكنة النشيطة كانت تزاول مهنة عسكرية أو شبه عسكرية، إلى جانب الوظيفة الإدارية التي كانت تهم 16٪ من السكان النشيطين. وقد تعززت الوظيفة الإدارية للمركز عقب إنشاء إقليم بن سليمان سنة 1977.

وكان من نتائج ارتقاء المركز إلى مقر عمالة أن شهدت بن سليمان تحولا عمرانياً سريعاً، حيث تم القضاء على أحياء الصفيح، خصوصا منها دوار عين العشرة شمال المركز.

تحريات ميدانية.

محمد الرفاص

**بن سودة**، أهم مركز في الضاحية الجنوبية لمدينة فاس ليس فقط من حيث عدد سكانه بل وكذلك من حيث توسعه المجالي. وقد ساعد على هذا التوسع موضعه الهضبي

**بن سودة**

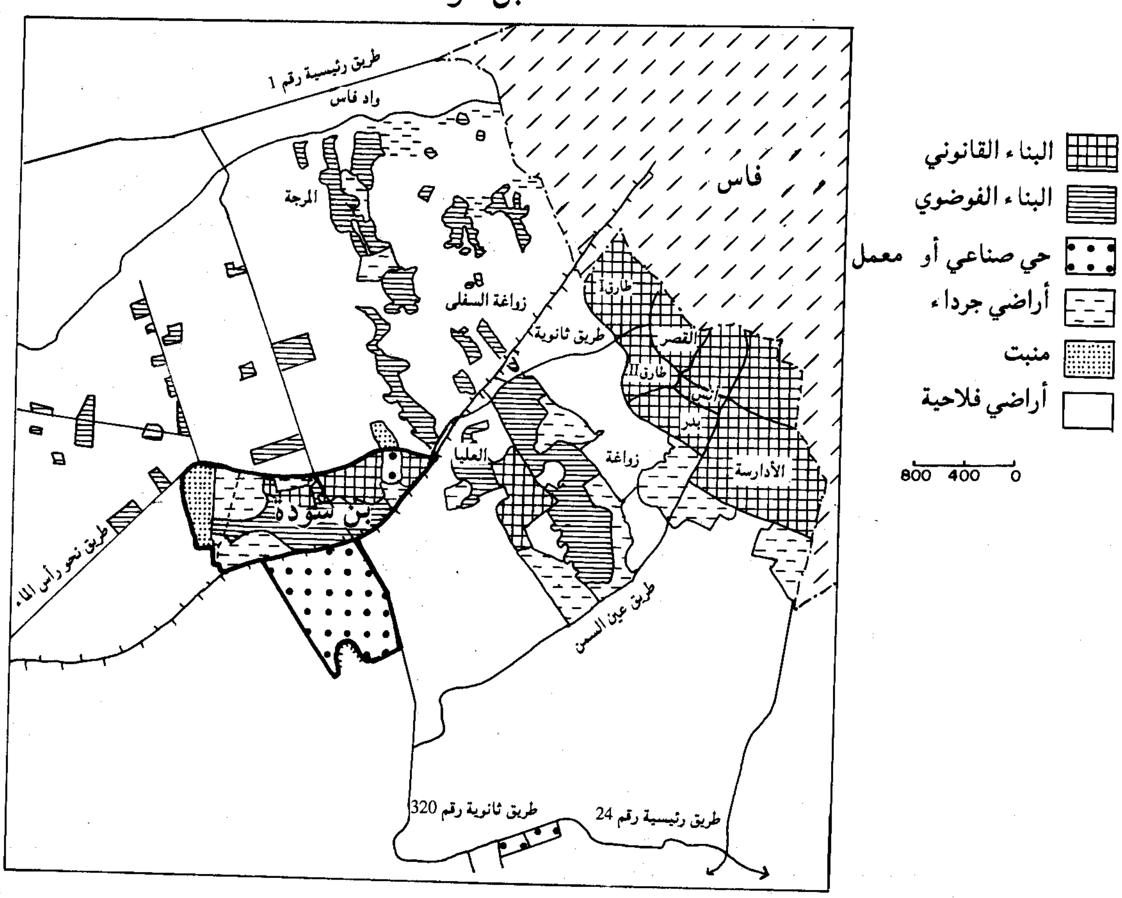


المنبسط، الذي يتوفر على فرشة مائية لا بأس بها، وموقعه وسط منطقة سايس الفلاحية جنوب غرب فاس تربطه طرق ثانوية بالمدينة الموجودة على مسافة أقل من ستة كلم وبالقرى المجاورة. وهو عبارة عن أملاك مخزنية تم بيعها للجماعة القروية عين الشقف التي كان مركز بنسودة ينتمي إليها قبل دجنبر 1990، ومنذ هذا التاريخ أصبح ينتمي لعمالة زواغة مولاي يعقوب تبعا للتقسيم الإداري الجديد. وعن تاريخ هجرة السكان إلى هذا المركز يرجح أنه ظهر في بداية الثلاثينات انطلاقا من تجمع عمال الضيعات الفلاحية والمقاطع الحجرية بمحاذاة السكة الحديدية، حيث عرف قطاعا الفلاحة والبناء ازدهارا مهما منذ العشرينات عندما استولى المعمر على الأراضي الفلاحية الجيدة وطرد منها قبائل الگيش وعندما أخذ في تشييد المدينة الجديدة لفاس، الشيء الذي جلب اليد العاملة لهذه المنطقة عامة وبن سودة خاصة.

ترجع تسمية هذا المركز إلى مقلع حجري كان مستغله يدعى ابن سودة. إنه عبارة عن ورش بناء عرف تحولات كبيرة منذ نشأته إلى اليوم. ففي البداية كانت هذه التحولات مرتبطة بالسيل الهائل للمهاجرين الذين يتهافتون على مسكن كيفما كان حجمه لاقترابه من سوق العمل الذي توفره نسبيا مدينة فاس وضيعاتها المجاورة،

ومنذ أواسط الثمانينات أصبحت هذه التحولات نوعية حيث أخذت الدولة تنظم هذا المجال مع إنشاء مرافق إدارية واقتصادية، غير أن هذه التحولات مهما كانت مهمة فهي تظل محدودة.

بن سودة مركز انفجار ديمغرافي : ظهر دور بن سودة لأول مرة في إحصاء سنة 1960 بـ 2814 نسمة، وارتفع هذا العدد إلى 5581 خلال إحصاء 1971 ثم إلى 17.120 نسمة خلال 1982.

وترتبط الزيادة العارمة التي عرفها هذا المركز بعامل الهجرة التي تهم نصف سكانه الذين أتوا من الأرياف المجاورة خاصة، ويمكن التمييز بين ثلاث فترات : الفترة الأولى قبل 1950 : يلاحظ في أوائل الثلاثينات أنه هاجر إلى بن سودة أرباب الأسر دون اصطحاب ذويهم كأنها هجرة موسمية لليد العاملة فقط، لكنها أخذت شيئا فشيئا تهم بعض أفراد الأسر، ورغم هذا فقد كان عدد أرباب الأسر يفوق باقي السكان، وكانت حصيلة هذه الفترة ضعيفة لم تتجاوز 4٪ من مجموع السكان الوافدين على المركز. الفترة الثانية خلال الخمسينات والستينات أي فترة الاستقلال وما بعده مباشرة. تضاعف خلالها حجم الهجرة وفاق حصيلة الفترة الأولى خمس مرات. أما الفترة الثالثة التي تاتي بعد 1970 فهي تتميز بهجرة مكثفة خاصة خلال النصف الثاني من السبعينات. وكان مجموع النازحين خلالها ثلاثة أضعاف الفترتين السابقتين.

المؤسسات التعليمية في بن سودة : خلال 1982 لم تكن هذه المؤسسات تجاوز ثلاث مدارس وإعدادية واحدة. وكانت نسبة تمدرس الأطفال آنذاك 53،1٪ من مجموع الأطفال وارتفعت هذه النسبة إلى 68،5٪ خلال 1986، وفي أواخر الثمانينات أصبح مركز بن سودة يتوفر على أربع مدارس وثانوية ومؤسسة التاجموعتي للتربية والتعليم مما أدى إلى ارتفاع نسبة تمدرس الأطفال.

بالإضافة إلى البناء "بحي الصفيح" الذي كان سائداً في بن سودة هناك مبانٍ صلبة لم تكن تمثل خلال إحصاء 1971 سوى 4،3٪ من مجموع المباني، وترجع هذه النسبة للمساكن التي ساهم في بنائها برنامج التغذية العالمي وهي تحمل اسم هذه المنظمة (بام) ويقترب عددها من 600 مسكن على شكل دور "مغربية" ذات طابق أو طابقين. وخلال 1982 انتقلت نسبة المباني الصلبة إلى 12٪ حيث تمّ تشييد مساكن لموظفي عمالة فاس ومجموعة أخرى لموظفي شركة لاسيميف. وخلال 1986 ارتفعت نسبة المباني إلى 24،1٪ حيث عرفت بعض المساكن الهشة تحولا في نوع بنائها بالاضافة إلى بعض المباني الجديدة. ومنذ يوليوز 1989 أخذت الدولة تعوض سكان الدور الهشة ببقع تتراوح مساحاتها بين 60 و80 $م^2$ حسب حجم الأسرة شريطة أن يتم هدم المسكن الهش لتسليم المستفيد رقم البقعة.

وهناك تحولات أساسية في مركز بن سودة سواء على مستوى نشاط السكان أو التجهيزات الاقتصادية للمركز. لقد ارتفعت نسبة النشيطين المشتغلين وعرفت تغيراً بين الفترتين الاحصائيتين إذ انتقلت من 24،7٪ سنة 1971 إلى 27،8٪ سنة 1982 وربما رجعت أهمية هذه النسبة إلى اعتبار بعض الأنشطة التي ليست سوى بطالة مقنعة مما جعل نسبة العاطلين تتقلص بشكل ملحوظ من 5،4٪ سنة 1971 إلى 1،8٪ سنة 1982.

انخفضت نسبة المشتغلين بالفلاحة بأكثر من الثلث بين 1971 و1982 بحيث لم تعد تشغل سوى 4،3٪ مما يدفعنا إلى التساؤل هل هذا التراجع ظرفي يعكس الأزمة الاقتصادية التي خلفتها فترة الجفاف أم تحول جذري ؟ نلاحظ أولاً أن العدد المطلق لليد العاملة بالفلاحة لم ينخفض إن لم نقل عرف ارتفاعاً طفيفاً إذ انتقل من 643 إلى 670 عامل بين 1971 و1982. ثانيا هناك علاقة بين تراجع المجال الفلاحي بمنطقة زواغة بن سودة وعدم ارتفاع نسبة المنشيطين به، بحيث إلى جانب ارتفاع سكان بن سودة عرفت منطقة زواغة نسبة تزايد سنوية مرتفعة بلغت 17،4٪ بالإضافة إلى ظهور عديد من التجزئات السكنية كتجزئة بدر التي تمتد على مساحة 25،4 هكتار وتجزئة طارق 1 و2 على مساحة 34 هكتار تقريباً. وإذا كان تاريخ الشروع في بناء هذه التجزئات هو سنة 1983، إلا أن التهيئة المجالية وتوزيع البقع على المستفيدين انطلقت منذ أواخر السبعينات.

ارتفعت الصناعة العصرية بنسبة 1٪ بين إحصائي 1971 و1982. وقد ظهرت وحدات صناعية في بن سودة لم تتعد الأربع، ففي سنة 1974 تم تأسيس شركة الصناعة الميكانيكية والكهربائية، وبدأ العمل بالشركة المركزية للحليب سنة 1979 ومعمل الغاز التابع للمكتب الشريف للبترول سنة 1980 ومعمل الخروب سنة 1981، لم يتجاوز عدد المشتغلين بهذه المعامل 48٪ من الساكنة النشيطة للمركز خلال إحصاء 1982. بينما كان الباقي من العاملين بهذا القطاع ينتقل يومياً إلى فاس خاصة إلى الأحياء الصناعية سيدي إبراهيم والدكارات. ورغم ما تضمه أنشطة البناء من عدد هائل لليد العاملة فإنها لم تسجل سوى ارتفاع 8،8٪ بين 1971 و1982 بينما سجلت قطاع الحرف ككل ارتفاع 17،9٪ وحرف الانتاج 17،5٪.

وعلى مستوى المؤسسات التعليمية بالاضافة إلى مدارس ابتدائية وثانوية أصبح المركز يلعب دوراً مهماً بحيث توجد به المدرسة العليا للأساتذة ومركز صناعي للتكوين تم افتتاحه في أكتوبر 1990، ومؤسسة خيرية للتربية والتعليم يلجأ إليها الأيتام والفقراء من أطفال كل المنطقة، ومؤسسة محمد الخامس للمكفوفين. وعلى المستوى الصحي توجد بالمركز إلى جانب المركز الطبي والمستوصف عيادة خاصة وصيدليتان.

وعلى الصعيد الصناعي تم إنشاء حي صناعي منذ أواخر السبعينات للتخفيف من الضغط الواقع على أحياء سيدي إبراهيم والدكارات الصناعية بفاس، على مساحة أكثر من 60 هكتار مقسمة على 132 بقعة تتراوح مساحاتها بين 500 $م^2$ وهكتار ونصف، وتشتمل على خط حديدي هو لحد الآن في خدمة معمل الغاز، ويمكن للوحدات الصناعية الأخرى استغلاله في نقل السلع وتوزيعها. وقد أخذت بعين الاعتبار نوع الصناعات التي ستقام بالحي لتجنب مشكل

التلوث سواء على مستوى المياه أو الهواء لمدينة فاس، لا سيما وهذه المنطقة توجد بعاليتها وقريبة من الاتجاه السائد للرياح الغربية. فالصناعة الموجودة بالحي هي إما غذائية أو تهتم بخياطة الملابس الجاهزة، وبلغ عدد المصانع الكبرى التي كانت تعمل به إلى حدود سنة 1986 عشرة أغلبها في حوزة الفاسيين الذين يعتبرون بن سودة كحي من أحياء فاس.

*دراسة معدة لنيل دبلوم الدراسات العليا.*

عائشة الخميري

**بن صميم** أو بنصميم، من أقدم القرى في الأطلس المتوسط الغربي (جماعة إركلاون، دائرة أزرو، إقليم يفرن) يقع في منطقة اتصال الهضبة العليا الكلسية ليفرن وسهل تگريگرا الغربي، محاذية للطريق الثانوية الرابطة بين يفرن وأزرو.

تحتل القرية موضع عالية سفح يعلو 1.400 م على شكل مدرج يشرف على وادي بن صميم الصغير. ونظراً لهذا الارتفاع وهذا الموقع يكون الشتاء بارداً وتنزل التساقطات التي تكون أحياناً ثلجاً بمعدل سنوي يفوق 800 ملم، مما يجعل المنطقة تتوفر على مؤهلات طبيعية مهمة تتمثل في غزارة المياه وانتشار غابات البلوط الأخضر والأرز. هذه الغابات تشكل مراعي للماشية وموارد للخشب. وقد مثل هذان الموردان العنصر الحاسم في تعمير المنطقة، إذ استقرت بها مجموعة من المزارعين الذين قدموا من تافيلالت وذلك منذ تأسيس الزاوية.

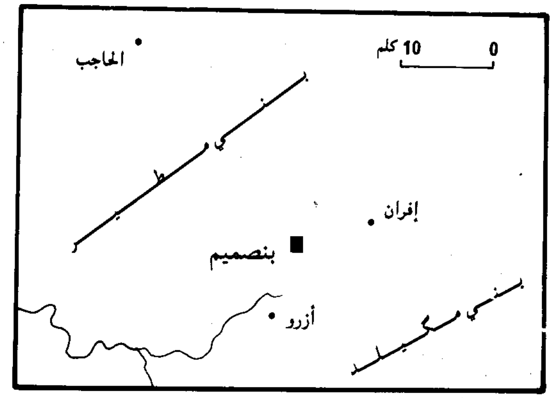


موقع بنصميم

لقد كانت قرية بن صميم تزود المراكز الحضرية المجاورة، كفاس ومكناس، بالأخشاب المنقولة على البغال التي كانت تعود محملة ببعض المواد الاستهلاكية. وبعد انقراض هذا النشاط تعاطى السكان منذ بداية القرن العشرين فلاحة هزيلة تعتمد على استغلال الامكانات المحدودة للمحيط الوحيد الذي يشكل إطار عيشهم. بالإضافة إلى زراعة الحبوب والقطاني البورية. تنتشر الزراعة السقوية المنتجة للخضر والفواكه على طول وادي بن صميم. وتتميز الحيازات بتشتتها عبر رساتيق مختلفة، كما تتميز بطابعها المجهري، إذ لا تتجاوز مساحة غالبيتها بضعة مئات من الأمتار المربعة. لذلك اهتم الفلاحون باستكمال النشاط الزراعي بتربية الماشية. غير أن قطعان الأغنام والماعز والبقر غالبا ما تكون هزيلة. وتجدر الإشارة إلى أن سكان بن صميم هم مربُّو الماشية المستقرون دون غيرهم من القبائل المجاورة، إذ أن قطعانهم ترعى محليا أو غير بعيد في المراعي الجماعية بالقرب من مطار يفرن.

نظراً لضعف الانتاج الفلاحي، يلجأ جل الفلاحين إلى البحث عن أنشطة مكملة في عين المكان، وذلك عندما تنعدم إمكانية الهجرة. لكن المخيمات الصيفية التي تقام بجانب القرية لا توفر إلا بعض فرص التشغيل المؤقتة، كما أن بناء أكبر مستشفى لمعالجة داء السل بالمغرب في الخمسينات على مقربة من القرية خلق العديد من مناصب الشغل بالنسبة للسكان وخاصة الشباب منهم بالإضافة إلى أن هذا المشروع ساهم في التعريف بالمنطقة التي تمتاز بجمال طبيعتها، إلا أن إغلاق هذا المركز الصحي في بداية العقد الأخير كان له وقع سيِّء على هذه القرية التي لم تعرف أي تحسن لوضعيتها منذ تلك الفترة، حيث سجل عدد سكانها انخفاضاً ملحوظاً من 1576 نسمة سنة 1971 إلى 1207 نسمة في سنة 1982.

يتمركز مجموع الساكنة داخل قرية بن صميم باستثناء بعض الدور المنعزلة، ويظهر السكن على شكل متراص ومزدحم. وينتظم النسيج السكني حول المسجد الذي يعتبر زاوية كذلك، على شكل بنية شعاعية. وباستثناء بعض الخلايا الصغيرة المنعزلة عن النواة في الغرب، فإن مجموع المنازل تنتظم على طول أزقة صغيرة تنتهي كلها عند ساحة الزاوية. وتتميز هذه الدور المنخفضة والمبنية بالطين بسطوحها المنبسطة المغطاة بالشيست المهشم المعروف بضعف مقاومته لتقلبات الجو الشديدة. ورغم أن هذه التقنية الصحراوية مازالت سائدة، فإن المواد الجديدة للبناء أخذت تغزو الإطار السكني لقرية بن صميم.

أما فيما يخص التجهيزات فعلى عكس بعض المجموعات الريفية الجبلية نجد أن هذه القرية تتوفر على الكهرباء والماء الشروب وشبكة الوادي الحار، كما تتوفر أيضا على بعض المرافق الاجتماعية ذات السمات الحضرية، كالحمام الذي تستغله الزاوية والفران ومدرسة ابتدائية ومستوصف ومركز للهاتف. إلا أن النشاط التجاري بقي محدوداً (جزار واحد وبعض بائعي التوابل). مما يدفع السكان للتنقل إلى أزرو قصد قضاء حاجياتهم والاستفادة من الخدمات التي لا تتوفر في المركز.

يستعمل المسجد علاوة على إقامة الصلاة كمقر للزاوية التي أسست على ما يبدو من طرف شرفاء أدارسة استعارت فخذات سكان بن صميم أسماءهم مثل أيت عبد الرحمان وأيت عبد القادر وأيت بلقاسم وأيت عبد الله أُلحسن الذين يعتقد أنهم قدموا من الجنوب واستقروا بهذا المركز منذ عهد قديم حيث كانت تمثل زاويتهم رباطاً. وكان

المقيمون بها ينعتون باللهجة البربرية "إمرابطن" أي المرابطين، وقد شكلت هذه الزاوية مركزاً دينياً ذا نفوذ كبير يحظى باحترام وتقدير قبائل بني مگيلد النصف الترحالية التي كانت تقدم إليها الهدايا والقرابين كلّما تنقلت نحو الجبل أو نزلت إلى أزغار. ومما يفسر هذا النفوذ أن الزاوية كانت مركزاً لتعليم القرآن والحديث وتطبيق التشريعات الإسلامية في تنظيم الحياة الاجتماعية القروية في الوقت الذي كانت المناطق المجاورة خاضعة للأحكام العرفية "إزرف" حيث كانت تحرر فيها عقود الزواج والبيع والشراء والإرث ويقوم الفقهاء بتقديم الفتاوى. وقد عرفت الزاوية فرقاً طرقية مختلفة من تجانية ودرقاوية مازالتا تتمتعان بنفوذ كبير في المنطقة. إلا أن هذا الاشعاع مافتئ أن تراجع حيث تقلص نشاطها وضعف نفوذها، ورغم هذا هناك من السكان من لايزال يعتبرها من مفخرة المنطقة.

*الخريطة الطبغرافية ليفرن، وأزرو، أطلس المغرب، أطلس الموارد الطبيعيه للمغرب، الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1971، الاحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1982، استمارة ميدانية ماي 1987.*

A. El Belghitit Alaoui, *Urbanisation et émigration du monde rural*, Thèse de doctorat de spécialité, 1978 ; G. Beaudet, *Les Bni Mguild Etude géographique de l'évolution récente d'une confédération semi-nomade du Maroc R.G.M.*, n° 16, 1969.

عائشة البلغيثي العنوي

**بن قرّيش** (دار ـ) وتكتب أيضا ابن قرّيش وبنقريش، قرية بفرقة الواد من قبيلة بني حزمر التي كانت تعرف قديما بقبيلة بني يجّم، وسبب تسمية القرية هو أنها من تأسيس أسرة أولاد بن قَرّيش الشريفة التي هاجرت من الساقية الحمراء في القرن التاسع الهجري (15 م).

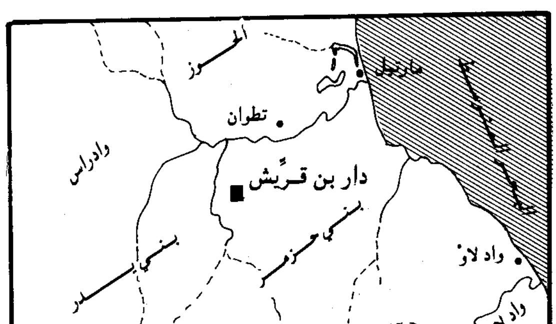


دار بن قرّيش

وليس لدينا ما يثبت تاريخ تأسيس القرية، وكل ما نتوفر عليه هو ما جاء في المذكرة التي أعدها القبطان الإسباني كوگويو دو Cogolludo رئيس فرقة الشرطة التي أحدثت بتطوان بمقتضى عقد الجزيرة الخضراء لسنة 1906، يقول القبطان المذكور إنه "في سنة 1100/1689 كانت القرية تشتمل على خمسة من الدور وأن عدد سكانها كان نحو أربعين نفرا، وذلك بعد مرور عشرات السنين على بناء الدار الوحيدة التي كانت بالقرية".

كما نجد مذكرة أخرى أعدتها إدارة المراقبة بالقبيلة سنة 1350/1931 تقول: "إن تأسيس القرية يرجع تاريخه إلى حوالي أربعمائة سنة وأنها كانت تعد بمثابة عاصمة لقبيلة بني حزمر سنة 1050/1640 حيث كانت بها مدرسة للتعليم الديني اندثرت عندما انتقل جل أفراد عائلة ابن قريش إلى تطوان في القرن الحادي عشر الهجري".

ولا شك أن واضع المذكرة الأخيرة اعتمد في كلامه على رواية شفوية كانت تروج بالقبيلة، وهي رواية تحتمل الصحة، لأن أسرة ابن قَرّيش اشتهرت فعلا بكون جل رجالها كانوا علماء وفقهاء يزاولون خطة القضاء والإفتاء والتوثيق والإمامة والخطابة والتدريس بمدينة تطوان من سنة 1037/1628 إلى سنة 1207/1793.

ويقول القبطان كوگويودو في *مذكرته*: إن جل الصناع التطوانيين الذين كانوا يربون دود الحرير في فصل الصيف كانوا يختارون الشرانق الجيدة و يضعونها في صناديق من خشب ثم يتوجهون بها إلى قرية دار بن قَرّيش فيتركونها بأحد أضرحة القرية إلى أن يأتي فصل الصيف الموالي فيعودون بها إلى تطوان، وسبب ذلك أن الناس كانوا يعتقدون أن الشرانق التي تحفظ بدار بن قَرّيش تنتج حريراً أكثر جودة من الشرانق المحفوظة في قرية أخرى.

وعلى إثر احتلال تطوان يوم 12 ربيع الأول 1331/19 فبراير 1913 لعبت قرية دار ابن قَرّيش دوراً رئيسياً في المقاومة المسلحة ضد الغزو العسكري الإسباني لناحية جبالة، حيث تأسس بالقرية أول رباط للجهاد يوم 20 ربيع الثاني 1331/29 مارس 1913. فتأخر سقوط القرية المذكورة بيد الجيش الإسباني إلى يوم 9 شوال 1338/26 يونيو 1920 حيث أنشأت بها إدارة للمراقبة العسكرية بالقبيلة ومنها انطلقت العمليات العسكرية التي مكنت القوات الإسبانية من احتلال مدينة شفشاون يوم 20 محرم 1339/4 أكتوبر 1920.

ولجودة مناخ القرية اختارتها إدارة الحماية لتشييد المصحة الوحيدة الخاصة بداء السل التي كانت توجد في شمال المغرب، فكان ذلك سبب ازدهار القرية التي أصبحت بعد الاستقلال مقر قيادة القبيلة.

*Cogolludo El bagalato de Tetuan* (Marreucos), 1920 ; *Intervencion de Ben Karrich, Memoria del año 1931* ; Comicion historica, *Geografia*, p. 52 - 54 - 61 - 164 - 175 - 493 ; *Campañas*, t. 2, p. 693 - 697 - 703 - 712 - 761 - 764 - 785 - 796 - 809.

محمد ابن عزوز حكيم

**بن گرير**، ويكتب أيضاً بن جرير وابن جرير، مركز ينتمي إلى المنطقة الاقتصادية لتانسيفت، ويمثل إحدى قيادات دائرة الرحامنة الثلاث، وهي قيادة الرحامنة الوسطى التابعة لعمالة إقليم السراغنة الواقعة شمال سلسلة الجبيلات.

تقع بن گرير عند تقاطع خط الطول 57' 7° وخط العرض 14' 32° شرق مدينة اليوسفية. يعبرها محور طريقي حيوي،

تمثله الطريق الرئيسية رقم 7 الرابطة بين مدينتي طنجة والعيون والمارة بمدينة الدار البيضاء في الشمال ومدينة مراكش مقر عمالة إقليم الحوز في الجنوب.

بدأ تطور هذا المركز مع إقامة أول قاعدة عسكرية أمريكية في منطقة الرحامنة منذ أواسط هذا القرن، انطلاقا من أقدم حي بالمركز يعرف بحي "الزاوية" الذي أقيم حول ضريح سيدي أحمد ابن عزوز.

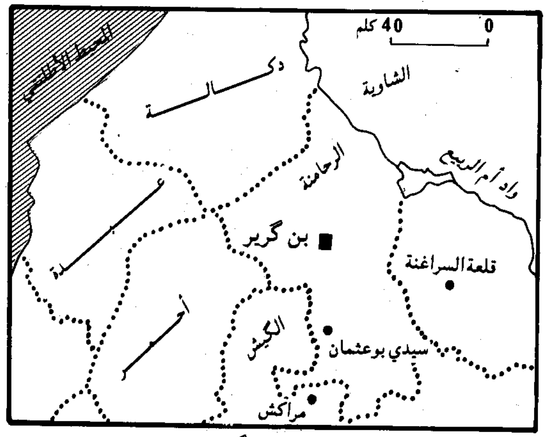


موقع بن گرير

ولا بد من الإشارة إلى أن مؤهلات ضواحي هذا المركز الطبيعية ضعيفة، فالقاعدة الصخرية أولية شستية تعتبر الهامش الجنوبي للرحامنة تغلفها في الهوامش الشرقية والجنوبية طبقات كلسية كريتاسية وايوسينية لهضبة الگنتور بنيتها منضدية. والمناخ قاري ينتمي للطبقة البيومناخية الجافة بتساقطات لا يتعدى معدلها 200 ملم مع شتاء بارد (0° و3°) وصيف جاف حار (35° في المتوسط). ويعكس هذا الجفاف غياب الغطاء النباتي الشجري، وكذا ضعف التربة التي تبقى هيكلية من نوع الخبار المؤهلة لإقامة نشاط رعوي إلى جانب نشاط زراعي بوري مقلال تسود فيه زراعة الشعير بمردودية ضعيفة.

الكثافة السكانية الإقليمية ضعيفة بأقل من 40 نسمة في الكلم². لكن المركز عرف مؤخراً تطوراً سكانياً سريعاً، فقد قفز عدد سكانه من 6.941 نسمة سنة 1971 إلى 22.354 نسمة سنة 1982. وتسببت في هذه الزيادة السريعة عدة عوامل منها : اكتشاف مناجم الفوسفاط بالمنطقة، وإنشاء مكتب جهوي للمكتب الشريف للفوسفاط تابع لمديرية اليوسفية منذ سنة 1974، لاسيما وأن فوسفاط بن گرير يعتبر من أجود أنواع الفوسفاط المغربي، كما يضم مدخراً يأتي في المرتبة الثالثة بعد مدخرات مناجم خريبگة واليوسفية. يتم تصديره خاماً إلى معامل المركب الكيماوي بأسفي وإلى مينائه عبر خط سكة حديدية أقيم لهذا الغرض.

كما أن حدة الجفاف الذي عرفته منطقة الرحامنة خلال السنوات الخمس 80 - 85 دفعت بالعديد من سكان الرحامنة وإقليم السراغنة إلى الهجرة في اتجاه مركز بن گرير بحثاً عن العمل، في مركز أصبح اليوم محطة أنظار سكان دائرة الرحامنة بعد اكتشاف مناجم الفوسفاط بضواحيه، ونظراً لوظيفة المركز التجارية كمحطة خدمات طرقية، يتنبأ لها بمزيد من النمو والازدهار. لذلك تم التخطيط لبناء مركب تجاري ضخم في السنوات القليلة القادمة، مع الشروع في بناء فندق من ثلاثة نجوم، لا سيما أنه كان ولايزال يشكل مقر سوق وطني للماشية التي توزع منه إلى جميع أنحاء المغرب، ولا سيما بعدما أصبح بن گرير مقراً لقيادة وجماعة الرحامنة الوسطى إلى جانب وجود ثانوية (الثانوية الجديدة) وإعداديتين، مع مفتشية للتعليم الابتدائي نظرا لتعدد المدارس الابتدائية بالمركز بالإضافة إلى وجود دار للشباب تابعة لوزارة الشبيبة والرياضة ومركز للتعاون الوطني.

هكذا تعرف رقعة مركز بن گرير توسعاً مطرداً سنة بعد أخرى، ويتمثل في تعدد أحيائه وهي : حي "الزاوية" ودوار الجديد، وحي الراضي، وحي افريقيا، إلى جانب الحي الإداري وحي الفوسفاط، وتتكون جميعها من سكن صلب، تنعدم فيه مساكن الصفيح.

وقد تطورت هذه الأحياء بصفة عامة على طول الطريق الرئيسية رقم 7 وعلى الجهة الشرقية للطريق بصفة خاصة. هذا التطور الذي يعكس ارتباط المركز بوظيفته التجارية القديمة كمحطة طرقية وكسوق للماشية، واتساعه الحالي في اتجاه الشرق صوب مناجم الفوسفاط المكتشفة مؤخراً.

*الخرائط الطبوغرافية* بمقياس : 1 / 50.000 التالية : *بن گرير* ؛ *صخور الرحامنة* ؛ *سيدي بوعثمان* ؛ *واد بوشّان* ؛ *خريطة المغرب الطبوغرافية* لمقياس 1 / 1.200.000 ؛ *خريطة جيولوجية عامة للمغرب* بمقياس 1 / 2.000.000 ؛ *أطلس المغرب للثروات الطبيعية* 1983، مغرب التنمية ؛ *السكان القانونيون للمغرب*، حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1982 ؛ ثانوية مركز بن گرير، *مجلة المشكاة*، العدد 8، سنة 1986 (عدد ممتاز وخاص عن منطقة الرحامنة) ؛ *بحث ميداني في عين المكان*.

*Carte métallogémique du Maroc*, ech. 1/2.000.000 ; Ch. Sauvage, *Atlas du Maroc, Etages Biclimatiques*, Rabat, 1963 ; H. Gaussen et J. Debrach, F. Joly, *Atlas du Maroc, Précipitations Annuelles*.

محمد الطيلسان

**بَـنْ گـيـزْ**، قرية كانت تقع على مشارف هسكورة السهل، شرق الجبل الأخضر غير بعيد عن واد أم الربيع، بين بولعوان ومشرع بن عبّو. ولم تسلم هذه القرية في أوائل القرن العاشر (16 م) من الهجومات العنيفة التي كان يشنها البرتغاليون على قبائل دكالة، رغم بعدها عن مراكز الاحتلال البرتغالي وقد وصلت إليها جيوش الاحتلال المرابطة بأزمور في فبراير 1514 م. وأرغمتها على الرضوخ لشروطها بعد أن عجز السعديون عن حمايتها.

أ. بوشرب، *دكالة*.

Marmol, *L'Afrique* ; *S.I.H.M, Portugal* I et II.

محمد الشياظمي

**الإنسان بالمغرب**
**الفك الأسفل للأنثلولتروب**
**مقلع طوماس : الدار البيضاء** (انظر صفحة 837)

*الفك الأعلى والأسفل*
**الإنسان الإيبيروموروسي** (انظر صفحة 838)

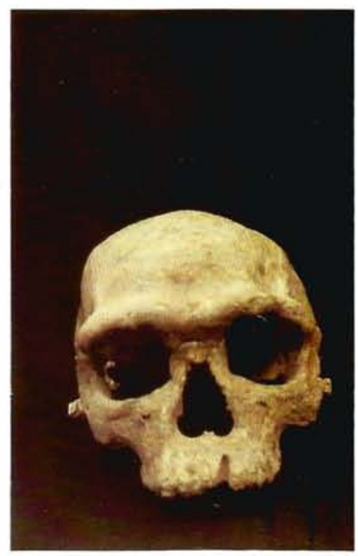

**الإنسان بالمغرب**
**إنسان إيغود** (انظر صفحة 838)

**هيكل عظمي**
**الإنسان الكارديالي**
**العصر الحجري الحديث القديم** (انظر صفحة 839)

**الإنسان بالمغرب**
**الإنسان العطيري** (انظر صفحة 838)

**الإنسان بالمغرب**
**جمجمة إنسان العصر الحديث** (انظر صفحة 839)

أوكاليبتوس : سيدي يحيى (انظر صفحة 907)

أوڭال : جبل بويبلان (انظر صفحة 916)

أوكاليبتوس : واد الشراط (انظر صفحة 907)

عملية التنقيب في فترة ما قبل التاريخ (انظر صفحة 917)

أوڭال : شجرة ضخمة (انظر صفحة 916)

الحضارة الإيبيروموروسية
عادة إزالة الأسنان في سن 14 (انظر صفحة 919)

أيفس : أوراق وثمار (انظر صفحة 930)

باريتين : معدن (انظر صفحة 987)

أيفس : كثبان الصويرة (انظر صفحة 931)

الباز (انظر صفحة 989)

إوزة رمداء (انظر صفحة 896)

بحيرة عواً (ضاية – ) ( انظر صفحة 1081)

بحيرة الوليدية (انظر صفحة 1082)

بحيرة أفوركاخ (ضاية ـ) (انظر صفحة 1081)

بحيرة الناضور (بوعرگ) (انظر صفحة 1081)

بحيرة إيفر (ضاية ـ) (انظر صفحة 1081)

بحيرة سيدي بوغابة (ضاية ـ) (انظر صفحة 1081)

بحيرة حشلاف (ضاية ـ) (انظر صفحة 1081)

بحيرة أكلمان سيدي علي
( انظر صفحة 1081 )

البط الخضيري (انظر صفحة 1264)

باخنّو (انظر صفحة 962)

بطم (انظر صفحة 1274)

بشنيخة

البغل (انظر صفحة 1296)

البقر (انظر صفحة 1298)

بلوط فليني (انظر صفحة 1364)

ألبقس (انظر صفحة 1299)

بلوط فليني (انظر صفحة 1364)

بلان (انظر صفحة 1326)

بلوط أخضر (انظر صفحة 1365)

بلوط قرمزي (انظر صفحة 1366)

البلوط الزغبي (انظر صفحة 1367)

بلوط الزان (انظر صفحة 1366)

البلوط الزغبي (انظر صفحة 1367)

البلوط الزغبي (انظر صفحة 1367)

البلوط القزمي : الكريش (انظر صفحة 1367)

تم طبع هذا الجزء من معلمة المغرب بمطابع سلا
في صفر عام 1419 / يونيو 1998
وأعيد طبعه في جمادى الأولى عام 1433/ أبريل 2012

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

مطـــابـع ســـلا

19، زنقة الحافظ السلفي
المعاريف - الدار البيضاء

✆ : 05.22.25.65.65

**Imprimerie de Salé**

« sala »

19, Rue El Hafid Salafi
Maârif - Casablanca
Tél.: 05.22.25.65.65

# Encyclopedie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

4

Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé**

1991 - 1411

Encyclopédie
du
Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

5

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

1992 - 1413

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 629



ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 8 - 005 - 03 - 9981 (الجزء 5)

بسم الله الرحمن الرحيم

تشكر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر
مؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج
والشركة الشريفة للبترول
على دعمهما لإنجاز المادة العلمية لهذا الجزء

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ . | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# إشارات

ما تزال الهيئة العلمية المشرفة على إعداد *معلمة المغرب* وتحريرها في طور التجربة والاستكشاف، تقف من حين لآخر أثناء عمليات الجرد والتنميط على حالات تستلزم كثيراً من التوقف والتأمل. فبعد صعوبات مواد حرفي الهمزة والباء التي حاولنا التغلب عليها وأشرنا إلى الحلول التي انتهينا إليها بشأنهما في مقدمتي الجزءين الأول والثالث من *المعلمة*، اعترضتنا حالات من نوع آخر في حرف التاء، منها اختلاف كتابة أسماء بالزيادة والحذف، وبخاصة أسماء الأماكن الأمازيغية التي تكتب تاؤها الأولى المفتوحة ممدودة بألف في بعض الأسماء وبدونها في أخرى، والمضمومة متلوة بواو تارة وبدونها تارة، والمكسورة مشبعة بالياء في بعض الحالات وبدونها في أخرى، بل كثيراً ما يختلف رسم نفس الكلمة الواحدة بالمد وبدونه، أمثال : تَركونت ـ تاركونت ؛ تَغجيجت ـ تاغجيجت ؛ تَمگروت ـ تامگروت ؛ تُبكال ـ توبكال ؛ تُفلعزت ـ توفلعزت ؛ تُنفيت ـ تونفيت ؛ تديكين ـ تيديكين؛ تسيت ـ تيسيت ؛ تكساس ـ تيكساس.

وإذا كان إثبات المد وحذفه لا يظهر له أثر يثير الانتباه في الكتابة المنفردة لأسماء الأماكن والأعلام البشرية المنسوبة إليها، فإن الأمر بعكس ذلك تماماً عندما تكون هذه الكلمات مداخل لمواد في *المعلمة*، فقد يختلف ترتيب الكلمة بعشرات الصفحات بل ومن جزء لآخر اعتباراً لكونها مبدوءة مثلا "بتَا أو تَرْ" "تُو أو تُبْ"، "تيـ أو تدْ". وبعد الاستقراء وإمعان النظر ارتأينا، في إطار توحيد المداخل، أن نثبت حروف المد بعد التاء الأولى ولو أن المد لا يوجد في اللسان الأمازيغي، واضطررنا مع ذلك إلى استثناء كلمات لا تُكتب عادة ممدودة مثل تكنة وتمسمان وتدغة وترغة، وتطوان، وإلى استعمال سهم الإحالة فيما يتعلق بكلمات أخرى تكتب بالمد وبدونه واستعملت أخيراً بدون مد مثل تيزنيت ← تزنيت.

إننا لا نزعم الكمال لاجتهاداتنا ولو أننا نبالغ المجهود في التحري والتمحيص، ونرحب بكل الانتقادات والاقتراحات البنّاءة سواء من طرف الزملاء المشاركين في المعلمة أو من عموم القراء.

الرباط، في : 25 جمادى الثانية عام 1413 / 21 دجنبر 1992

# المشاركون في تحرير مواد هذا الجزء

محمد **أبو طالب**، كلية الآداب، الرباط.
عبد الفتاح **أبو العز**، كلية الآداب، بني ملال.
محمد **أديوان**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **ازهار**، كلية الآداب، المحمدية.
أ. ح. **أُسادّن**، طبيب بفاس.
سعيد **أعراب**، أستاذ سابق بمعهد التعليم الأصيل بتطوان.
الحسين **أفا**، كلية الآداب، أكادير.
عمر **أفا**، كلية الآداب، الرباط.
عبد العزيز **أكرير**، كلية الآداب، بني ملال.
محمد **ألعيان**، المركز الوطني لتنسيق البحث العلمي، الرباط.
أحمد **أمزال العسري**، وزارة الاعلام.
علي **أمهان**، وزارة الشؤون الثقافية.
حسن **أميلي**، كلية الآداب، المحمدية.
حمدي **أنوش**، كلية الآداب، أكادير.
محمد **اوجامع**، كلية الآداب، مراكش.
عبد الحميد محيي الدين **الباعمراني**، كلية اللغة العربية، مراكش.
ثريا **برادة**، كلية الآداب، القنيطرة.
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب، المحمدية.
محمد **بريان**، كلية الآداب، الرباط.
عبد اللطيف **البرينسي**، كلية الآداب، بني ملال.
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **البقالي يدري**، باحث.
عبد السلام **البكاري**، باحث.
محمد **بلعربي**، باحث.
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب، القنيطرة.
البيضارية **بلكامل**، كلية الآداب، الرباط.
محمد الأمين **بلغناوي**، باحث.
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب، الرباط.
رقية **بلمقدم**، وزارة التربية الوطنية.
محمد **بنبراهيم**، كلية الآداب، وجدة.
أحمد **بنجلون**، باحث.
ماجدة **بنحبريط علمي**، كلية الآداب، بني ملال.
حسن **بنحليمة**، كلية الآداب، أكادير.
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب، المحمدية.
عبد اللطيف **بنشريفة**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **بنشريفة**، كلية الآداب، الرباط.
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين، سلا.
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب، بني ملال.
عمر **بنميرة**، كلية الآداب، الرباط.
عثمان **بناني**، كلية الآداب، الرباط.
لطيفة **بناني سميرس**، كلية الآداب، فاس.
عبد المجيد **بنيوسف**، وزارة الشؤون الثقافية.

محمد **بوخبزة**، محافظ سابق في قسم المخطوطات بخزانة تطوان.
فاطمة **بوخريص**، كلية الآداب، الرباط.
عبد القادر **بوراس**، وزارة التربية الوطنية.
رحمة **بورقية**، كلية الآداب، الرباط.
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب، فاس.
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية.
مصطفى **بوشعراء**، مديرية الوثائق الملكية، الرباط.
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب، المحمدية.
عبد الله **بوصحابة**، مهندس، الرباط.
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب، الرباط.
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب، مكناس.
عبد العزيز **بوعصاب**، المركز التربوي، القنيطرة.
العربي بن الحسن **بوعيادة**، باحث.
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب، الرباط.
أحمد **بومزكو**، وزارة التربية الوطنية.
أحمد شوقي **بينبين**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **بن تاويت**، كلية الآداب، الرباط.
جامع **بيضا**، كلية الآداب، الرباط.
عبد العزيز **التمسماني خلوق**، كلية الآداب، الرباط.
عبد العزيز **توري**، مديرية التراث بوزارة الثقافة، الرباط.
أحمد **التوفيق**، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط.
محمد **جادة**، خزانة كلية الآداب، الرباط.
عبد الرحيم **الجلدي**، باحث.
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية، مراكش.
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية.
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية، الرباط.
جعفر ابن **الحاج السلمي**، كلية الآداب، تطوان.
محند أيت **الحاج**، وزارة التربية الوطنية.
محمد **حجي**، كلية الآداب، الرباط.
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب، وجدة.
فاطمة **الحراق**، كلية الآداب، الرباط.
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب، الرباط.
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب، فاس.
محمد **حمام**، كلية الآداب، الرباط.
محمد أيت **حمزة**، كلية الآداب، الرباط.
علال **الخديمي**، كلية الآداب، الرباط.
أحمد **الخنبوبي**، باحث، بوردو.
إسماعيل **خياطي**، كلية الآداب، الجديدة.
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم، الرباط.
مارية **دادي**، كلية الآداب، وجدة.
حفيظة **الدازي**، كلية الآداب، القنيطرة.
محمد **دحماني**، كلية الآداب، وجدة.
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب، القنيطرة.

محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب، مراكش.
محمد **رزوق**، كلية الآداب، الدار البيضاء 1.
مبارك **رضوان**، كلية الآداب، أكادير.
محمد **الرقاص**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي، الرباط.
محمد **زرهوني**، كلية الآداب، الدار البيضاء 1.
محمد **زنيبر**، كلية الآداب، الرباط.
رشيد **السلامي**، كلية الآداب، مراكش.
عبد اللطيف **الشاذلي**، عمادة جامعة مولاي إسماعيل، مكناس.
الميلود **شاكر**، كلية الآداب، الرباط.
أحمد **الشرقاوي إقبال**، باحث، مراكش.
أحمد ابن **الشرقي**، باحث، مراكش.
مصطفى **شويكي**، كلية الآداب، الدار البيضاء 2.
محمد **الشياظمي**، باحث، الرباط.
عبد الحق **الصدق**، كلية الآداب، وجدة.
عبد الرزاق **الصديقي**، كلية الآداب، المحمدية.
علي **صدقي أزايكو**، كلية الآداب، الرباط.
محمد حجاج **الطويل**، كلية الآداب، الدار البيضاء 2.
عبد الرحمان **الطيبي**، باحث.
عبد العزيز بن **عبد الجليل**، وزارة الشؤون الثقافية.
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب، القنيطرة.
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث، الرباط.
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب، الرباط.
عز الدين **العلام**، المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير.
إسماعيل **العلوي**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **العلوي الأولوسي**، باحث.
حسن **علوي حافظي**، كلية الآداب، مراكش.
هاشم **العلوي القاسمي**، كلية الآداب، فاس.
أحمد **العماري**، كلية الآداب، فاس.
أحمد **عمالك**، كلية الآداب، مراكش.
صفية **العمراني**، كلية الآداب، مراكش.
عبد الله **العمراني**، باحث، تطوان.
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب، الرباط.
مصطفى **عياد**، كلية الآداب، الرباط.
حياة **الغراس**، باحثة.
أحمد **الغزالي**، كلية الآداب، فاس.
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب، القنيطرة.
عبد اللطيف **فضل الله**، كلية الآداب، الرباط.
حسن **الفكيكي**، كلية الآداب، القنيطرة.
مصطفى **فنيتير**، باحث.
عبد الرحمان **القادري**، كلية الحقوق، الرباط.
محمد مصطفى **القباج**، أكاديمية المملكة المغربية.
محمد **القبلي**، عمادة ة جامعة عبد الملك السعدي، تطوان.
عبد المجيد **قدوري**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **كربوط**، كلية الآداب، الرباط.
عبد القادر **كعيوا**، كلية الآداب، الدار البيضاء 1.

محمد حسن **كفناني**، باحث.
العربي **كنينح**، المدرسة العليا للأساتذة، فاس.
محمد **الكير**، وزارة التربية الوطنية.
ميشال **لافون**، باحث.
محمد **لبحر**، كلية الآداب، فاس.
محمد **اللحية**، كلية الآداب، أكادير.
علي **لغزيوي**، كلية الآداب، فاس.
أحمد **لقمهري**، كلية الآداب، الرباط.
سيمون **ليفي**، كلية الآداب، الرباط.
حسن **ليمان**، محافظ آثار وليلي.
محمد **المازوني**، كلية الآداب، أكادير.
محمد **ماكامان**، كلية الآداب، مراكش.
الملكي **المالكي**، وزارة التربية الوطنية.
أحمد **متفكر**، باحث، مراكش.
محمد **مجدوب**، كلية الآداب، المحمدية.
الحسن **المحداد**، كلية الآداب، أكادير.
علي **المحمدي**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **مرزاق**، وزارة التربية الوطنية.
محمد **مزين**، كلية الآداب، فاس.
أحمد **مزيان**، كلية الآداب، فاس.
محمد **مستاوي**، باحث.
محمد **مطيع**، كلية الآداب، مراكش.
آمنة **معطى الله**، وزارة التربية الوطنية.
محمد **مغراوي**، كلية الآداب، أكادير.
محمد **مقدون**، كلية الآداب، فاس.
محمد **المنصور**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **المنوني**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **منيوي**، المعهد العلوي، الرباط.
المصطفى **مولاي رشيد**، كلية الآداب، الرباط.
مصطفى **ناعمي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي.
إدريس **الناقوري**، كلية الآداب، الدار البيضاء 2.
زهراء **النظام**، كلية الآداب، المحمدية.
الشيخ **النواوي**، باحث.
محمد الحبيب **نوحي**، كلية الآداب، أكادير.
محمد عبد الجليل **الهجراوي**، متحف الآثار، الرباط.
المختار **الهراس**، كلية الآداب، الرباط.
عثمان **هناكا**، كلية الآداب، أكادير.
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب، مراكش.
علي **واحدي**، كلية الآداب، فاس.
أحمد **الوارث**، كلية الآدابـ الجديدة.
جمعة **واركي**، باحث.
محمد حمادي **الورياغلي**، باحث.
عبد الرحيم **وطفة**، باحث.
مصطفى **يعرف**، باحث.
سالم **يفوت**، كلية الآداب، الرباط.
عبد الرحمان **اليوبي**، كلية الآداب، بني ملال.

# أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها مع اختصارها


م. **أبو طالب**،

- *مواقف بريطانيا في مغرب القرن التاسع عشر*، ضمن أعمال ندوة الاصلاح والمجتمع المغربي، الرباط، 1983.

أ. **أحضري**،

- *ديوان الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع*، مخطوط. (ديوان الأمداح النبوية).

م. **أيت حمزة**،

- *ملامح التحولات السسيومجالية بحوض أسيف أمگون*، د. د. ع، الرباط، 1986.

ب. **باسكون**،

- *إعادة شراء أراضي تازروالت من طرف دار إليغ*، أبحاث، ع 4، 1984.
- *اغتيال هاشم زعيم دار إليغ*، أبحاث، ع 3، 1983.

ك. **الباعمراني**،

- *شهادة المقاوم كريم محمد بن إبراهيم الباعمراني*، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

**محمد الأمين البزاز**،

- *تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*، الرباط، 1992 (*تاريخ الأوبئة*).

ع. **بن منصور البزيوي**،

- *مجموعة من الرسائل في البونعماني إلى أسرته*، مخطوط.

ب. **البستاني**،

- *محيط المحيط*، بيروت، 1944 - 1979.

م. **البصري**،

- *مع الفقيد عبد الرحيم بين أول لقاء وآخر لقاء*، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

ر. **بلمقدم**،

- *الأوقاف بمكناس في عهد مولاي إسماعيل 1082 - 1139 / 1672 - 1727*، د. د. ع كلية الآداب، الرباط، 1991 (*الأوقاف بمكناس*).

أ. **بنجلون**،

- *من تاريخ أسفي*، مخطوط

ع. **بنجلون**،

- *عبد الرحيم : الزعيم المرشد*، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

م. **بنشريفة**،

- *علاقة مكناس بالأندلس والأندلسيين حتى نهاية العصر المريني*، *أعمال ندوة الحاضر الاسماعيلية*، 1988.
- *الفقيه الكانوني ومؤلفاته*، *كتاب أسفي، دراسات تاريخية وحضارية*، أسفي، 1989.
- *الماجريون*، ضمن كتاب *أبو محمد صالح : المناقب والتاريخ*، الرباط، 1990.
- *الماجريون*، *المناظرة*، ع 2.

**بنك المغرب**،

- *دراسات وإحصاءات*، ع 12، نونبر 1960.

**بورصة القيم**،

- *التقرير العام لسنة 1990*، الدار البيضاء، 1990.

ع. **بن بوزيد**،

- *تقييد في نسب آل بوزيد السلويين*، بنقل أ. الصبيحي، *كتاب التراجم*، مخطوط، خ ص.

أ. **بوشرب**،

- *عرض حول كتاب المؤرخ البرتغالي فيغاني*، نشر ضمن *أعمال ندوة أگادير الكبرى*، أگادير، 1990.

م. **بوشعراء**،

- *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 3 و4، الرباط.

إ. **بوطالب**،

- *الذاكرة أساس العقل*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

ح. **بوعشرين**،

- رحلة ضمن كتاب : *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، مخطوط.

م. **البوعصامي**،

- *إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع* أو *نزهة القوافي في حدائق الأغاني*، مخطوط، خ ح ع 11333 مجموع 14.

ط. **الهواب**،

- *مذكرات*، مخطوط.

ج. **بيضا**،

- *سقوط أگادير تحت الاحتلال الفرنسي وسياسة القواد الكبار في عهد ليوطي*، *أعمال ندوة أگادير الكبير*، 1990.
- *قضية الجواريط الأجنبية بطنجة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر*، *مجلة دار النيابة*، ع 18، ربيع 1988.

ل. ت. **بيندو**،

- *ديوان*، مخطوط.

م. **التازي سعود،**

- *سكان أرض المغارب في عصور التاريخ القديم*، مجلة كلية الآداب فاس، ع 2 ـ 3، 1979 ـ 1980.
- *التصميم التوجيهي لتهيئة المجموعة الحضرية للناظور*، الرباط، 1988.
- *تقييد عن شرفاء بني عمران بالقبائل الهبطية*، مخطوط، خ. ع.

ع. **التمسماني خلوق،**

- *حول علاقات المدينة المغربية بأحوازها في بداية القرن العشرين مثال حصار جبالة لتطوان، 1903 ـ 1904*، الباحث، ع 4، أبريل 1982.

أ. **التوفيق،**

- *أبو الحسن علي بن سليمان البوجمعوي الدمنتي ورسالته إلى آفاق الاسلام*، ضمن كتاب : في *النهضة والتراكم*، الدار البيضاء، 1986.

غ. **الجائي،**

- *دوحة المجد والتمسك في وزارة ونسب العالمين ابني العشرين*، مخطوط.

ع. **الجراري،**

- *أبو إسحاق إبراهيم التادلي*، الرباط، 1980.
- *المجالس الأدبية*، مخطوط، د. د.ع الرباط.

م. **جسوس،**

- *ما تعلمته من السي عبد الرحيم*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

م. **الحجوي،**

- *الرحلة الوجدية*، مخطوط، خ ع 123 ح.

ابن **حرزوز،**

- *ثبت*، مخطوط، خ ح بمراكش.

م. **الحضيكي،**

- *مناقب*، مخطوط.

ب. **حميش،**

- *عبد الرحيم الرمز المضيء*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

س. **الحوات،**

- *الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة*، مخطوط *(الروضة المقصودة)*.

ل. ابن **الخطيب،**

- *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار*، الرباط، *198*.

أ. بن صالح **الدرعي،**

- *الدرر المحمولة في شرح الهدية المقبولة*، مخطوط، خ ح 12030. *(الدرر المحمولة)*.

م. **الدلائي،**

*درة التيجان، ولقطة اللؤلؤ والمرجان*، مخطوط خ ع 598 د *(درة التيجان)*.

**م. ب. ع. الدلائي،**

- *فتح الأنوار فيما يعين على مدح النبي المختار*، مخطوط *(فتح الأنوار)*.

**الراشدي،**

- *الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني*، قسنطينة، 1973.

**ا. م. روزلي،**

- *اه لو عرفنا من يكون هؤلاء الرجال، الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

**م. ابن ريسون،**

- *فتح العليم الخبير*، مخطوط.

**م. ابن زاكور،**

- *الاستشفاء من الألم بذكرى صاحب العلم*، مخطوط. *(الاستشفاء)*.

**م. الزبادي،**

- *دوحة البستان ونزهة الاخوان في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمن*، مخطوط، خ ع د 390، 2339 ك.

- *سلوك الطريقة الوارية بالشيخ والمريد والزاوية*، مخطوط، خ ح 12444، خ ع 190.

**م. الزروالي،**

- *شمس القلوب لكل محبوب*، مخطوط، خ ع د 3694.

**ع. زمامة،**

- باب بوجلود بفاس، *المناهل*، ع 13، 1978.

**م. زنيبر،**

- شباب مشوب بالعزيمة المتقدمة، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

**أ. الزياني،**

- *تكميل الترجمان في خلافة مولانا عبد الرحمن*، مخطوط، خ ح 2746.

**م. الزياني،**

- *دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران*، مخطوط.

**م. السباعي،**

- *البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد مآثر السلطان مولاي الحسن*، مخطوط خ ع، د 1346.

**ع. السجلماسي الحجرتي،**

- *الروض الطيب العرف*، مخطوط.

**أ. السطاتي،**

- عبد الرحيم رمز الشموخ الوطني، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

**ابن السكاك،**

- *نصح ملوك الاسلام*، فاس (د. ت).

ع. **السكرادي،**

- *تحلية الطروس وبهجة النفوس في مناقب أعيان سوس (تحلية الطروس)* ، مخطوط.

ع. **سكيرج،**

- *نزهة الإخوان وسلوة الأحزان في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان (نزهة الاخوان)* ، مخطوط.

ع. **السوسي السملالي،**

- *منتهى النقول*، مخطوط خ ع 633 د.
- *السي عبد الرحيم بوعبيد، القائد الرائد*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

م. **شاكر،**

- *دراسة جيومرفلوجية للهوامش الشمالية الغربية لسلسلة الهورست : ممر تاووريت، العيون*، د.د.ع. الرباط، 1985.

ع. **الشاوي،**

- عبد الرحيم بوعبيد : *تجربة الرهان الديمقراطي*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

م. **شفيق،**

- *في أن أسماء الأماكن في المغرب جلها أمازيغية*، *البحث العلمي*، ع 27، يناير - يوليوز، 1977.

أ. **الصبيحي،**

- *مسودة كتاب أعلام سلا* ، مخطوط، خ ص.
- *كناشة علمية*، مخطوطة خ ص.

ع. **صدقي أزايكو،**

- *زاوية تاسافت*، *مجلة كلية الآداب*، الرباط، ع 16، 1991.
- *عرض مذكرات المؤرخ البرتغالي المجهول*، نشر ضمن أعمال ندوة أگادير الكبرى، أگادير، 1990.

**ابن صعد،**

- *النجم الثاقب*، مخطوط، خ ح 2491.
- *صفرو بين غنى الماضي واهتمامات الحاضر*، الملتقى الثقافي الأول لصفرو، فاس، 1987.

م. **الضوء السباعي،**

- *رجالات گسيمة*، مخطوط.

م. **طوليدانو،**

- *عبد الرحيم بوعبيد واحد من آخر العظماء*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

م. **ابن عباد،**

- *الرسائل الصغرى*، بيروت، 1976.
- *الرسائل الكبرى*، فاس 1320 / 1902.

محمد سالم بن الحبيب بن **عبد الحي**،

- *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تح. م. ناعمي، الرباط، 1991. *(جوامع المهمات)*.

ابن **عجيبة**،

- *شرح تائية البوزيدي*، مخطوط، خ. ت.

م.ابن **عزوز حكيم**،

- *حصار مولاي إسماعيل لمدينة سبتة من سنة 1106 / 1649 إلى سنة 1139 / 172*.
- *مشروع الدليل الدبلوماسي المغربي*، مرقون.

ع. **العزوزي**،

- *نشر المحاسن والمآثر*، مخطوط.

م. **العميري**،

- *فهرسة*، مخطوط.

ع. بن علي **عواد**،

- *كناشة*، مخطوطة خ ص.

ن. **العوفي**،

- *قراءة سريعة في التجربة التاريخية لسي عبد الرحيم بوعبيد، 1958 ـ 1960 : تقعيد الاقتصاد وشروط التاريخ*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

ز. **الفاسي**،

- *الفقيه بودميعة الحسن بن علي*، *الإرشاد*، ع 2، س 15، 1983.

ع. الحفيظ **الفاسي**،

- *الآيات البينات*، الرباط، (د. ت) ج 1.

ع. **فجال**،

- *النمو الحضري بمركز المنزل : مظاهره ونتائجه بالتنمية المحلية وتهيئة المجال بالمغرب، صفرو ومنطقتها نموذجا*، الملتقى الثقافي الثاني لصفرو، فاس، 1989.

أبو النصر **الفرابي**،

- *الدرة المنتخبة فيما صح من الأدوية المجربة*، مخطوط، خ ح 2995.

ابن فضل الله **العمري**،

- *مسالك الأبصار*، الدار البيضاء، 1988.

ح. **الفكيكي**،

- *مليلة حاضرة قلوع كرط*، دار النيابة، ع 7 و9.

أ. **القادري**،

- *عبد الرحيم بوعبيد : رجل وطني صادق وسياسي ماهر*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

ع. **القادري**،

- *مسيرة عبد الرحيم النضالية : عبد الرحيم المناضل القدوة*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

م. **القادري،**

- *الطرفة في اختصار التحفة*، مخطوط، خ ح 1271.

م. **القرشاوي،**

- *السي عبد الرحيم صحفيا* ، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

**القلصادي،**

- *رحلة*، تح. أبو الأجفان، تونس، 1978.

د. **الكرامي،**

- *بشارة الزائرين*، مخطوط.

إ. **كردية،**

- *القائد الوزير عيسى بن عمر العبدي.*

م. **كرم،**

- *السي عبد الرحيم : المحامي، الانسان*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

**كوستي ـ عشاش،**

- *بيوتات مدينة سلا* ، تح. نجاة المريني، سلا، 1992.

ع. **اللجائي،**

- *دوحة المجد والتمكين في وزارة ونسب العالمين النبي عشرين*، مخطوط خاص.

م. **اللحية،**

- *الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر*، د.د.ع، الرباط، 1984.

ع. **لغزيوي،**

- *أضواء على قبيلة بني يازغة وبعض أعلامها بصفرو ومنطقتها : بيئة، تاريخ، مجتمع*، الملتقى الثقافي الثالث لصفرو، ج 1، الدار البيضاء، 1990.

ح. **ليمان،**

- *حصيلة البحث الأثري بمنطقة العنصر، صفرو ومنطقتها : بيئة، تاريخ، مجتمع، فكر*، الملتقى الثقافي الثالث، مدينة صفرو، الدار البيضاء، 1990.

م. **مجدوب،**

- *مملكة المورين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*، د. د. ع. كلية الآداب فاس، 1990.

**مجهول،**

- *تقييد نسب قبيلة قلعية*، مخطوط، خ ع.
- *الروضة الغناء في أصول الغناء*، مخطوط، خ ع 192 د.
- *كناشة : تقييد المكاتب الموجهة للحضرة الشريفة*، خ ع، 2721 ك.
- *مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن*، مخطوط، خ ح.

ع. **المزريوي،**

- *مذكرة المزريوي*، مخطوط.

م. المشرفي،

- *الحسام المشرفي*، مخطوط.

أ. معنينو،

- *جلالة الملك عبد العزيز*، دعوة الحق، سنة 23، ع 1، 1982.

- *الدبلوماسية المغربية ومقاومة أطماع الاستعمار في العهد العزيزي*، *البحث العلمي*، يوليو - ديسمبر، 1976، ع 26.

م. المنوني،

- *التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور*، مجلة الثقافة المغربية، 7، 1972.

- *حياة فقد المغرب المختار السوسي*، *الإيمان*، ع 13، 1982.

ت. موساتوفا،

- روسيا - *المغرب : ماضي بعيد وقريب في نفس الوقت*، موسكو، 1990 (باللغة الروسية).

م. الناصري،

- *عبد الرحيم بوعبيد : رجل التراضي والحسم*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

م. المكي الناصري،

- *طليعة الدعة في تاريخ وادي درعة*، مخطوط.

م. ناعمي،

- *أهمية علاقات الرحل والمستقرين في التطور التاريخي لمجموع اتحادية تكنة*، *البحث العلمي*، ع 38، 1988.

ع. نجمي،

- *الملامتية*، مجلة *تاريخ المغرب*، ع 1، 1981.

أ. النميشي،

- *الشعر والشعراء بفاس*، فاس، 1343 هـ.

م. ع. الهجراوي،

- *الحضارة الايبروموروزية*، *معلمة المغرب*، ج 3، الرباط.

ع. الهواري،

- *النور الحنفي في مناقب الشيخ سيدي محمد الحنفي*، مخطوط.

م. الوديع الأسفي،

- شهادات للتاريخ عن المناضل السي عبد الرحيم بوعبيد، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

ق. الورطاسي،

- *إلى رياض الخلود*، *العلم*، 23 دجنبر 1991.

- *وصية الفقيد العزيز*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

م. الولاتي الشنقيطي،

- *الرحلة الحجازية*، تح. محمد حجي، بيروت، 1990.

ف. ولعلو،

- *عبد الرحيم بوعبيد مرجع اقتصادي لا محيد عنه*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

## Supplément
## à la bilbiographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie avec leurs abréviations


AKOKA, A.G. - *Le medical du XXème siècle, Enc. med.*, Paris, 1980.

ALCALA GALIANO, P. - *Desquerias y comercio en la costa N.O. de Africa*, Madrid, 1900.

ARDANT, H. - *Introduction à l'étude des banques et des opérations de banque*, Paris, 1954

ARIE, R. - *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides, 1232 - 1492*, Paris, 1973.

ARQUES - GIBERT - *Los Mogataces*, Ceuta ; Tetuan, 1928.

AZAM, P. - *Tagounit du Ktaoua quarante trois ans plus tard, La Koumia*, n° 115, Déc. 1989.

BALDOUI, J. - *Artisanat marocain à la foire de Marrakech, Hesp.*, XIX.

BARTHELEMY, A. - *Tazra : tapis et bijoux de Ouarzazate*, Casablanca, 1990.

BEAUBRUN, P. C., *Catalogue raisonné des poissons des mers marocaines, B.I.P.M.*, n° 23, 1978.

BEAUBRUN, P. C. - THEVENOT, M. - *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc, Janvier 1986 - 87 - 88*, Rabat, 1988.

BEL FAIDA, A. - *Le culte des divinités des eaux en Afrique du Nord à l'époque romaine*, Thèse 3ème cycle, Bordeaux, 1987.

BELTRANLLORIS - *El Comercio del aceite en el Valle del Ebro a finales de la Republica y colienzos del imperio in producion y comercio del aceite in la antiguedad, I Congreso internacional*, Madrid, 1980.

BENABDELJALIL, A. - SIJILMASSI, A. - AYAD, M. - *Etudes d'architectures régionales : région du centre*, Rabat, 1985.

BENOTHMANE, M.L. - *La profession bancaire au Maroc*, Rabat, 1985.

BENS, - *Mis memorias : 22 años en el deseirto*, Madrid, 1947.

BENTER, A. - *Os Sefardim Hakitia*, Belim (Brésil), 1981.

BERCQUART, M. - *Porte ce festin aux pauvres*, Paris, 1970.

BERRADA, M. A. - *Les techniques de banque et de crédit au Maroc*, Casablanca, 1985.

BESSIS, S. - *Abderrahim Bouabid : un démocrate d'état*, J. A., 24 Janv. 1992.

BIANCHI, G. - *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain, Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, Rome, 1984.

BIDWELL, R. - *French administration of tribal areas, 1912 - 1956*, London, 1973.

BOHUMIL, S. - *Les plantes sauvages*, Paris, 1973.

BOLIVAR, I. - *Dermaptera y ortopteras de España, Hist. Nat.*, 8, 1914.

BONELLI, E. - *Nuevos territorios españoles en la costa del Sahara, B.S.G* (Madrid), 18, 1885.

BONS, J. - *Les lacertiliens du Sud-Ouest marocain*, Rabat, 1959.

BOUBE, J. - *Amphores préromaines trouvées en mer au voisinage de Rabat, B.A.M.*, XII, 1979.

BOUBE, J. - *Supplément II au catalogue des marques de potiers, B.A.M*, VIII, 1968.

BOULLE, - *La France et les Beni Snassen : campagne du général Lyautey, Archives historiques de Vincennes.*

BRANGER, J. - *Les techniques bancaires*, Paris, 1975.

BREHM, A.E. - *La vie des animaux illustrée : les oiseaux 1910.*

BRUNSCHVIG, R. - *La Berbérie orientale sous les Hafsides : des origines à la fin du XVème siècle*, Paris, 1940 - 1947.

BRUNSCHVIG, R. - *Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XVème siècle*, Paris, 1936.

BUNIS - *History of later Rome empire from the death of Theodosius I to the death of Justinian, A.D. 395 to A.D. 565*, London, 1931.

CAMPS, G. - *Les derniers rois numides : Massinissa 2 et Arabion, B.C.T.H. Nelle Ser.*, fasc. 17 B, 1981.

CANO MARTIN, - *Bu Hamara y Melilla*, Mellila, 1989.

CHAINEAU, A. - *Mécanismes et politiques monétaires*, Paris, 1973.

CHASSIN, C. M. - *Bélisaire généralissime byzantin, 504 - 565*, Paris, 1957.

CHATELAIN, L. - *Inscriptions et fragments inédits de Volubilis et de Banasa, B.C.T.H.*, 1916.

CLAUDE, H. - *Histoire événementielle abrégée de Moulay Abdelaziz Ibn El Hassan, in Corpus des monnaies Alaouites*, Vol. 1, Rabat, 1988.

*Codex Justinianus*, Ed. Krüger, Berlin, 1877.

COELLO - *Mapa de las posesiones españolas en Africa*, Madrid, 1850.

COLIN, G.S. - *Baniqa, E.I 2.*

COLIN, H. - *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe*, Paris, 1977.

COLLES, [et al...] - *L'épave de Port-Vendres II et le commerce de la Bétique à l'époque de Claude, Archaemantica*, II, 1977.

COURSIMAUT, - *Ttata, A.B.*, Vol. 2, fasc. 3, 1917.

CRAVIOTO, C.G. - *La Costa Africana del Estrecho, siglos 15 - 16, C.B.E.T*, n° 21.

DAILLIERS, J. - *Enquête sur les associations agricoles et la situation économique et sociale des populations rurales, secteur de Fés - sud*, C.H.E.A.M., n° 4336.

DAVADIE, C. - *Etude de la baleine d'Europe et d'Afrique*, Paris, 1963.

DAVEAU, S. - *L'itinéraire de Tamdult à Aoudaghost*, in *Tegdaoust*, 1, Paris, 1970.

DELBREL, G. - *Geografia general de la provincia del Rif*, Melilla, 1911.

DESANGES, J. - *L'Afrique romaine et libycoberbère, in Rome et la méditerranée occidentale*, T. 2, Paris, 1978.

DESSAU, H. - *Benta, Real - Encyclopädie*, col. 277.

*Dictionnaire des personnalités passées et contemporaines : livre d'or*, Casablanca, 1934.

DUCY, R. - *Les problèmes du Khamessa au Maroc*, C.H.E.A.M., n° 2575.

DUFOURCQ, C.E. - *L'Espagne catalane et le Maghrib aux 13ème et 14ème siècles : de la bataille de Las Navas de Tolosa, 1212 à l'avènement du sultan Abul-Hasan*, Paris, 1966.

DUNN, R. - *Resistance in the desert : Maroccan response to French imperialism, 1881 - 1912*, Wisconsin, 1977.

EL GHARBAOUI, A. - *La terre et l'homme dans la péninsule Tingitane*, Rabat, 1980.

EMBERGER, L-MAIRE, R. - *Catalogue des plantes du Maroc*, Alger, 1941.

*Emergence de la province de Beni Mellal en tant que futur pôle de développement*, Casablanca, 1985.

EUZENNAT, M. - MARION, J. - *L'Archéologie marocaine de 1958 à 1960, B.A.M.*, IV.

EUZENNAT, M. - *Recherches récentes sur la frontière de l'Afrique, 1964 - 1974, Studien Zu du Militurgensen*, Roma, 2, *vorträge des 10 internationalum lines kongrassen in suddentschland*, Koln, Bonn.

FERNANDEZ DURO, C. - *Exploracion de una parte de la costa noreste de Africa, Bol. Soc. Geog.* Madrid, marzo 1879, n° 3.

FEVRIER, J. G. - *Bocchus le jeune et les Sosii, Sémitica*, 11, 1961.

FIGANIER, J. - *Historia de Santa Cruz do Cabo de Gue, Agadir, 1505 - 1541*, Lisbonne, 1945.

FISCHER, W. - SCHNEIDER, M. - BAUCHOT, M. L. - *Méditerranée et Mer noire*, in *Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1987.

GAHIZ - *Le livre de la couronne : Kitab at-Tag fi ahlaq al-muluk*, trad. par C.Pellat, Paris, 1954.

GAHIZ - *Le livre des avares*, trad. franc. C. Pellat, Paris, 1951.

GARCIA ARENAL, M. - *The Revolution of Fas in 869 = 1465 and the death of Sultan Abd al-Haqq al Marini, B.S.O.A.S.*, XLI.

GARCIA - BELLIDO, A. - *Fenicios y carthagineses en occidente*, Madrid, 1942.

GASCOU, J. - *Inscription antiques du Maroc, 2 : inscriptions latines*, Paris, 1982.

GASCOU, J. - *La population de Volubilis à l'époque romaine, B.A.M.*, IV, 1960.

GENEVOIS, H. - *Un rite d'obtention de la pluie : la fiancée d'Anzar, Actes du IIème congr. int. d'études des cultures de la médit. occid.*, Alger, 1975.

GIRARD, S. - *Banasa préromaine : un état de la question, Ant. Afr.*, 20, 1987.

GOMEZ MORENO, P. - *Pozos del Sahara*, Madrid, 1956.

GUASLLE, P. - *La evolucion de las exportaciones beticos durante el imperio, I Congreso internacional : produccion y comercio del aceite en la antiguedad*, Madrid, 1980.

GUERARD, M. - *Contribution à l'étude de l'art de la broderie au Maroc, H.T.*, 1969.

HADDOU, A. - *L'odyssée des Aït Hammou de Talsint, Lamalif*, n° 143, fév. - mars. 1983.

AL HAROCHI, R.M. - *Introduction et évolution religieuse et spirituelle de la confrérie Qadiriya au Maroc*, Mém. maitrise, 1986.

HARRISION, C. - *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977.

HEINZEL, H. - FITTER, R. - PARSLOW, J. - *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984.

HERPIN, E. - *Géographie du Maroc Oriental, B.E.P.M.*, 234, 1956.

HESNARD - LENOIR - *Les amphores du Cécube et du Falerne : prospection, typologie, analyse, M.E.F.R.A.*, 93, 1981.

HESNARD - *Un dépôt angustéen d'amphores à la Longarine, Ostie, in Roman Seabonne Commerce, M.A.A.R.*, (Rome), 1980.

*Informe reservado sobre los fostatos de Bukraa en el Sahara Español*, Madrid, 1970.

*Informe sobre los puntos de agua existentes en el Sahara Español*, El Ayun, 1943.

JAHIZ, - *Le kitab at-Tarbia' wat-t-tadwir*, introd., glos., table de fréquence, index, par C. Pellat, Damas, 1955.

JODIN, A. - *Bijoux et amulettes du Maroc punique, B.A.M*, VI, 1966.

JODIN, A. - *Les établissements du Roi Juba II aux iles purpuraires, Mogador*, Rabat, 1967.

JODIN, A. - *Mogador : comptoir phénicien du Maroc atlantique*, Rabat, 1966.

JOLEAUD, L. - *Gravures rupestres et rites de l'eau en Afrique du Nord,.J.S.A*, II, 1933.

JUSTINARD, L. - *Le Kennach : une expédition du Sultan Ahmad el Mansour dans le Sous, 985 / 1580, A.M.*, vol. 29, 1933.

JUSTINARD, C. - *Le Tazerwalt et les Oulad Jerrar, A.M.*, 23.

KERBOUT, M. - *Quelques aspects de l'évolution quantitative du peuplement dans le Moyen Atlas et le bassin de la Moulouya, R.G.M.*, vol. 12, n° 1, 1988.

KOCHER, L. - *Catalogue commenté des coléoptères du Maroc*, Rabat, 1956 - 1962.

LABADIE - LAGRAVE, H. - *Le mensonge marocain : contribution à l'histoire vraie du Maroc*, Casablanca, [1925].

LACOMBE, - *Le Khamessat au Maroc occidental*, C.H.E.A.M., n° 854.

LANÇON, - *Les dernières étapes de la pacification marocaine, 1931 - 1933, Revue militaire française*, Août - décembre 1934.

LANCRE, P. - *Répertoire alphabétique des agglomérations de la zône française de l'Empire Chérifien : résultats du recensement du 8 mars 1936*, Casablanca.

LAPIE - *Recueil des itinéraires anciens*, Paris, 1844.

LECOINTRE, G. - DELEPIN, G. - *Etudes géologiques dans la région paléozoïque comprise entre Rabat et Tiflet, Sehal et Belkacem, Notes et mem. Serv. geol. Maroc*, n° 28.

LESSARD, J. M. - *Sijilmassa : la ville et ses relations commerciales au 11ème siècle d'après El Bakri, H.T.*, 10, 1er - 2 ème fasc, 1969.

LUQUET, A. - *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Le Maroc punique, B.A.M.*, IX, 1973 - 1975.

MARCY, G. - *L'alliance par colectation, tad'a, chez les berbères du Maroc central*, Alger; 1936.

MARMOL, - *Historia del rebelion y castigo de los Moriscos del Reino de Granada*, Madrid, 1797.

MARTINEZ, J. - *Portulano*, Messina, 1579.

MARTINEZ CAMPOS, C. - *España belica : el siglo XX*, Madrid, 1972.

MAYET, E. - *Marques d'amphores de Maurétanie Tingitane : Banasa, Thamusida, Volubilis, M.E.F.R.A.*, 90 - 1, 1978.

MEAKIN, B. - *The Moorish empire : a historical epitome*, London, 1899.

MENIOUI, M. - *Contribution à la connaissance des peuplements infralittoraux superficiels de la côte méditerranéenne*, Thèse Doct. Univ., Mohammed V.

MENOUILLARD - *Mœurs et coutumes indigènes pratiques pour solliciter la pluie, R.T.*, 1910, n° 79.

MERAUD, M. - *Histoire des A.I, La Koumia*, 1990, Tome 2.

MEUNIE, J. - *Bijoux et bijoutiers du sud marocain, C.A.T.A.N.*, VI, 1960 - 1962.

MEUNIE, J. - ALLAIN, C. - *La forteresse almoravide de Zagora, Hesp.* 33, 1956.

MICHAUX - BELLAIRE, E. - *Le Bniqat ech-chikayat de Moulay Hafid, R.M.M.*, Juin 1908.

MINISTERE DE L'INTERIEUR - *Monographie de la province de Figuig*, Figuig, 1986.

MONCHICOURT, C. - *Les rogations pour la pluie, R.T.*, n° 108, 1915.

MULLER, C. - *Numismatique de l'ancienne Afrique*, Copenhague , 1960.

AL-MUQADDASI, Chams ad-Dîn, - *Description de l'occident musulman au IV - Xème siècle*, **trad., introd., notes et index par** C. Pellat, Alger, 1950.

NALLINO, C. A. - *La littérature arabe des origines à l'époque de la dynastie umayyade*, **trad. franc. C. Pellat, Paris**, 1950.

PAJARES, - *Apellidos y nombres de lugar hispano-marroquies*, Madrid, 1918.

PASCON, P. - *La maison d'Iligh et l'histoire sociale de Tazerwalt*, Rabat, 1984.

*Les pays inaccessibles du Haut Draa, R.G.M.*, 1929.

PEDECH, P. - *Notes sur la digraphie de polybe, Les études classiques*, XXIX, n° 2.

PELLAT, C. - *L'arabe vivant : mots arabes groupés d'après le sens et le vocabulaire* ***fondamental de l'arabe moderne***, Paris, 1952.

PELLAT, C. - *Etudes sur l'histoire socio-culturelle de l'Islam au VII - XVème S.*, Londres, 1976.

PELLAT, C. - *Intoduction à l'arabe moderne*, Paris, 1956.

PELLAT, C. - *Langue et littérature arabes*, Paris, 1952.

PELLAT, C. - *Le milieu basrien et la formation de Gahiz*, Paris, 1953.

PELLAT, C. - *Nemrod et Abraham dans le parler arabe des juifs de Debdou, Hesp.*, T. 39, 1 - 2ème trim., 1952.

PELLAT, C. - *Textes berbères dans le parler des Aït Seghrouchen de la Moulouya*, Paris, 1955.

PELLAT, C. - *Une charge contre les secrétaires d'états attribuée à Gahiz, Hesp.*, 1er - 2ème trim., 1956.

PEREDA ROIG, G. - *Capaz en la pacificacion de Gomara*, Ceuta, 1939.

PEREDA ROIG, G. - *El raid de Capaz por Gomara*, Tetuan, 1949.

PEYRE, C. - *Quelques aspects de la végétation du Massif du Bou-Iblane, in Etude de certains milieux du Maroc et de leur évolution récente*, Paris, 1973.

PEYRE, C. - *Recherches sur l'étagement de la végétation dans le massif du Bou-Iblane, Moyen Atlas Oriental*, Thèse 3ème cycle, Aix-Marseille, 1979.

PICARD, - *Les religions de l'Afrique antique*, Paris, 1954.

PICARD, G. ET C. - *Vie et mort de Carthage*, Paris, 1970.

PIERSUIS, - *Etudes sur les communautés rurale des Beni Ahsen*, Rabat, 1947.

PINTOINE, M. - *Coléoptères carabiques du Maroc*, Rabat, 1955 - 1961.

PLINIO EL VIEJO, - *Naturae historiarum*, Leypzig, 1906.

PONSICH, M. - *A propos d'une lampe grecque trouvée à Banasa, B.A.M.*, VI.

PONSICH, M. - *Fours de potiers puniques en Maurétanie Tingitane, in Acta del Congreso Nacional de Arqueolagia*, Saragosse; 1969.

PONSICH, M. - *Nouvelles perspectives sur l'olivier du Bas- Guadalquivir, in produccion y comercio del aceite en la antiguedad, I, Congreso internacional*, Madrid, 1980.

PONSICH, M. - DOUAS, M. - *Port antique et carrefour des voies de Maurétanie Tingitane, B.A.M.*, **VII, 1967.**

POTOCKI, J. - *Voyage en Turquie, en Egypte, en Hollande et au Maroc*, Paris, 1980.

*El pozo fuente de vida capital en el Sahara*, El Ayun, 1948.

AL-QAYRAWANI, Muhammad Ibn Charaf, - *Questions de critique littéraire : masâ'il al-intiqâd*, **texte arabe établi et trad.** avec introd. et notes par C. Pellat, Alger, 1953.

QUEZEL, P. - SANTA, S. - *Nouvelle flore de l'Algérie*, Paris, 1963.

QUEZEL, P. - VINDT, J. - *Flore du Maroc analytique, descriptive et illustrée*, Rabat, 1953.

*Rapport sur l'étude des parcours dans la province de Figuig*, Oujda, 1984.

READE, W. - HOSKING, E. - *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids*, Paris, 1968.

RIVET, D. - *Ethnographie et conquête du Moyen Atlas, 1912 - 1913, in Sciences de l'homme et conquête coloniale*, Paris,.

ROCHE, J. - *L'atérien de la grotte de Taforalt, Maroc oriental, B.A.M.*, VII, 1967.

ROCHE, J. - *La grotte de Taforalt, L'anthropologie*, 57, 1953.

ROCHE, J. - *La grotte de Taforalt, B.S.H.M.*, 3, 1970 - 71.

ROCHE, J. - *La grotte de Taforalt : note préliminaire sur la grotte de Taforalt, Maroc oriental, Hesp.*, T. 40, 1953.

ROCHE, J. - *Les industries paléolithiques de la grotte de Taforalt, Maroc oriental : méthode d'étude, évolution technique et typologique, Quaternaria* (Rome), XI, 1969.

ROGE, J. - *Recherche sur l'organisation du commerce maritime en Méditerranée sous l'Empire*, Paris, 1966.

SAIDI, E. K. - *Etude géomorphologique de la région de Tiflet et des conditions morphostructurales et sédimentologiques de genèse de la formation de la Mamora*, Thèse 3ème cycle, Rabat, 1974.

SAULAY, J. - *Zaïd ou Ahmed : le dernier dissident de l'Atlas central marocain, 1934 - 1936, Bull. de la Koumia*, Déc. 1979.

*Schéma d'armature rurale : région du centre*, Rabat, 1972.

*Schéma directeur d'urbanisme du groupement du grand El-Jadida : rapport de synthèse*, Rabat, 1983.

*Schéma directeur de la ville de Beni-Mellal*, Hambourg, London, 1978.

SCHOUTEN, J. - RAMDANI, M. - *Fish of the Nifiss Lagonn and the Tarfaya coast*, Rabat, 1988.

SEGONDS - *La Chaouia et sa pacification*, Paris, [s.d.].

SEMACH, Y. D. - *Yahas de Fès, Hesp.*, XIX, 1934.

SERYOUHI, I. - *Le Moyen Atlas plissé, in Ressources en eaux du Maroc, T. 3 : domaines atlasique et sud atlasique*, Rabat, 1977.

SHATZMILLER, M. - *L'historiographie mérinide*, Leiden, 1982.

SHATZMILLER, M. - *Marinides, E.I.*, Nlle éd., vol VI.

SIMONEAU, A. - *La région rupestre de Tazzarine, R.G.M.*, n° 20, 1971.

SLOUSCH, N. - *Notes sur l'histoire des juifs du Maroc, A.M.*, VI, 1905.

SORIANO, R. - *Geografia del Kert*, Melilla, 1941.

SOUVILLE, G. - *Beni Gorfet, in Atlas préhistorique du Maroc*, Paris, 1973.

TARRADELL, M. - *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : région de Tetouan, B.A.M.*, 4, 1960.

TARRADELL, M. - *Las excavaciones de Tamuda de 1949 a 1955*, Tamuda, IV, 1956.

TARREDELL, M. - *La necropolis punico-mauretania del Cerro de San Lorenzo en Melilla, I Congreso Arqueolagico del Marruecos español*, Tetuan 1953, Tetouan, 1956.

TARRADELL, M. - *El Poblamiento antiquo del Valle del Rio Martil, Tamuda*, 5, 1957.

TCHERNIA, A. - *Les amphores romaines et l'histoire économique, J.S.S*, 1967.

TERRASSE, C. - *Médersas du Maroc*, Paris, 1927.

THEVENOT - BERGIER - BEAUBRUN - *Compte-rendu d'ornithologie marocaine : statut, répartition et écologie, Annales CEEP*, n° 3, 1987.

THOUVENOT, R. - *La côte océanique du Maroc : ce qu'en ont connu les anciens, B.E.P.M.*, n° 215, 1951.

THOUVENOT, R. - *Rapport sur l'activité du Service des Antiquités du Maroc, 1948, B.C.T.H.*, 1950 et 1951.

THOUVENOT, R. - *Rapport sur l'activité de l'Inspection des Antiquités du Maroc pendant le second trimestre 1954, B.C.T.H.*, 1955 - 56.

THOUVENOT, R. - *Une colonie romaine : Valentia Banasa*, Paris, 1914.

THOUVENOT, R. - *L'urbanisme romain dans le Maroc antique, Revista de la Universidad Complutensis*, T. 18, 118.

TIANO, A. - *La politique économique et financière du Maroc indépendant*, Paris, 1963.

TOFIÑO DE SAN MIGUEL - *Derrotero de las Costas de España*, Madrid, 1847.

TURBET - *Le droit coutumier des Beni Ouarain, Cheraga, R.A.T.M.L.J.*, T. 47, 1931.

*Vademecum de la intervencion territorial de Gomara*, 1946.

*Vademecum de la intervencion territorial del Kert*, 1948.

*Vademecum de la intervencion territorial del Lukus*, 1948.

*Vademecum de la intervencion territorial del Rif*, 1946.

*Vademecum de la intervencion territorial de Yebala*, 1948.

VIENNET, Cap. - *Trouvaille à Banasa, B.C.T.H.*, 1912.

VOLLERIE, P. - *La pénéntration militaire au Maroc*, Paris, 1934.

WARMINGTON, B. - *Histoire et civilisation de Carthage*, Paris, 1961.

WORTHE, Ch. - *Les routes et le trafic commercial dans l'Empire romain*, Paris, 1938.

*Yebala y el bajo Lucus, 1934*, [s. l.], 1935.

## Liste des principales abréviations des périodiques

**A.A.N :** *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
**Acad. Sc. Col. :** *Académie des Sciences Coloniales.*
**A.E.S.C :** *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
**A.F :** *Afrique Française.*
**A.F : R.C :** *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
**A.I.E.A :** *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
**A.I.E.O :** *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
**A.M :** *Archives Marocaines.*
**A.M.S :** *Archives Marocaines de Sociologie.*
**And. :** *Al-Andalus*
**Ann. Rech. Forest. Maroc :** *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
**Ant. Afr. :** *Antiquités Africaines.*
**B.A.M :** *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
**B.A.R :** *British Archeological Reports.*
**B.C.T.H :** *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
**B.E.P.M :** *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
**B.E.S.M :** *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
**B.I.F.A.N :** *Bulletin de L'Institut Français d'Afrique Noire.*
**B.M.S.A.P :** *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
**B.L.O.A.B :** *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
**B.L.S :** *Bulletin de Liaison Saharienne.*
**B.S.G :** *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
**B.S.G.A :** *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
**B.S.G.A.O :** *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
**B.S.O.A.S :** *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
**B.S.P.M :** *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
**Bull. Archéol. :** *Bulletin Archéologique.*
**C.A.A :** *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
**C.A.T.A.N :** *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
**C.B.E.T :** *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
**C.C.E.J :** *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
**C.E.A :** *Cuadernos de Estudios Africanos.*
**C.H.I :** *Cuadernos de Historia del Islam.*
**C. Méd. :** *Cahiers de la Méditerranée.*
**C.R.A.I.B.L :** *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**C.R.A.S :** *Comptes Rendues des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
**C.T :** *Cahiers de Tunisie.*
**E.I.1 :** *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*

**E.I.2 :** *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
**E.T.A.M :** *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
**Et. Medit. :** *Etudes Méditerraniennes.*
**F.S.S.A.N :** *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
**Hesp :** *Hespéris.*
**H-T :** *Hespéris-Tamuda.*
**H.T.E :** *Hommes, Terre et Eaux.*
**I.G :** *Information Géographique.*
**I.H.E.M :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**I.H.E.M : N-D :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. :** *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe*
**I.S.C :** *Institut Scientifique Chérifien.*
**Isl. Cult. :** *Islamic Culture.*
**I.S.P.M :** *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
**J.H.S.N :** *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
**M.A.I.B.L :** *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**Medit :** *Méditerranée.*
**N.A.M.S.L :** *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
**P.I.H.E.M :** *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**P.S.A.M :** *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
**P.S.H.M :** *Publications de la Section Historique du Maroc.*
**R.A :** *Revue Africaine.*
**R.A.P :** *Revue de l'Action Populaire.*
**R.C.C :** *Revue de la Chambre de Commerce.*
**R.D.M :** *Revue des Deux Mondes.*
**R.E.I :** *Revue des Etudes Islamiques.*
**R.E.L :** *Revue des Etudes Latines.*
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. :** *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
**R.G.M :** *Revue de Géographie du Maroc.*
**R.H.M.C :** *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
**R.M.D.E.D :** *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
**R.M.M :** *Revue du Monde Musulman.*
**R.P.P :** *Revue Politique et Parlementaire.*
**S.G.L :** *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
**S.I :** *Studia Islamica.*
**S.I.H.M :** *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. :** *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*
**Trav. Inst. Sc. :** *Travaux de l'Institut Scientifique.*

**بن مسيك - سيدي عثمان**، إحدى العمالات الست المكوِّنة لولاية الدار البيضاء الكبرى، وقد تم إحداثها على إثر التقسيم الإداري الذي شهدته مدينة الدار البيضاء خلال شهر يوليوز سنة 1981. وتمتد جنوبا على مساحة 27870 هكتار أي ما يعادل 27٪ من المساحة الإجمالية للدار البيضاء الكبرى (انظر الرسم).

أما على المستوى الديمغرافي، فتمثِّل هذه العمالة أهم تجمع سكاني بالولاية حيث يتركز بها حوالي 640.000 نسمة حسب إحصاء السكان الأخير الذي أجرى في سبتمبر 1982، أي ما يعادل 26٪ من مجموع سكان الولاية. وقد ارتفع هذا العدد سنة 1988 إلى 851.000 نسمة حسب تقديرات مديرية الإحصاء.

ويتوزع هؤلاء السكان بشكل متفاوت في مختلف الجماعات المكونة للعمالة كما يظهر من خلال الجدول رقم 1.

| الجماعات | المساحة (هكتار) | ٪ | عدد السكان (1982) | ٪ | كثافة السكان |
|---|---|---|---|---|---|
| الجماعة الحضرية لابن مسيك | 480 | 1.7 | 308.276 | 48.2 | 642 |
| الجماعة الحضرية لسيدي عثمان | 1.270 | 4.7 | 213.862 | 33.4 | 168 |
| الجماعة الحضرية لسيدي مومن | 1.020 | 3.6 | 59.569 | 9.3 | 58 |
| الجماعة القروية لتيط مليل | 15.500 | 55.6 | 41.469 | 6.5 | 2.7 |
| الجماعة القروية لمديونة | 9.600 | 34.4 | 16.390 | 2.6 | 1.7 |
| المجموع | 27.870 | 100 | 639.566 | 100 | 23 |

جدول رقم 1 : توزيع السكان بعمالة بن مسيك - سيدي عثمان

جدول رقم 1 : توزيع السكان بعمالة بن مسيك - سيدي عثمان

لقد تفرعت عمالة بن مسيك - سيدي عثمان عن جماعة بن مسيك التي تم إحداثها بعد التقسيم الإداري الذي خضعت له مدينة الدار البيضاء سنة 1976 والذي قسم ترابها إلى خمس جماعات (عين الذياب، مرس السلطان، عين السبع، عين الشق، بن مسيك). وفي سنة 1981 أصبحت هذه الجماعة مقراً لإحدى عمالات ولاية الدار البيضاء، يشمل نفوذها الإداري خمس جماعات :

- ثلاث جماعات حضرية : بن مسيك، سيدي عثمان، سيدي مومن، ثم أُلحقت هذه الجماعة أخيراً بعمالة عين السبع - الحي المحمدي بعد إنشاء عمالة سيدي البرنوصي - زناتة في أواخر سنة 1990.
- جماعتان قرويتان : تيط مليل ومديونة.

ويستخلص من الجدول رقم 1 أن الجماعات الحضرية لا تغطي سوى 10٪ من تراب العمالة في حين يتركز بها أكثر من 90٪ من سكانها.

ولقد ظل هذا الجزء من الدار البيضاء مهمشاً لسنوات عديدة مشكلا وسط استقبال للاعداد الكبيرة من المهاجرين المتوافدين على المدينة ومكوِّناً ما يمكن أن نسميه "بغرفة انتظار" قبل ولوج العالم الحضري.

هذا التهميش كانت له انعكاسات سلبية كثيرة سواء على مستوى ظروف عيش السكان أو على مستوى أشكال السكن والنسيج الحضري. فابن مسيك - سيدي عثمان تضم الأحياء الأكثر فقراً والأكثر كثافة بالدار البيضاء، بحيث يتراوح معدل كثافة السكان ما بين 500 و2000 نسمة في الهكتار حسب الأحياء، مما يوضح الظروف الغير الملائمة لإقامة السكان.

أما من حيث المعمار وأشكال السكن فإن الطابع الغالب هو تتابع المباني والتجزئات السكنية بشكل روتيني ومتراص في غياب المساحات الخضراء والتجهيزات الاجتماعية الأساسية.

ومما يميز هذه العمالة على مستوى السكن تركيزها لأضخم أحياء الصفيح بالدار البيضاء، وبالخصوص حي بن مسيك حيث يقطن حوالي 90.000 نسمة.

فحسب المخطط المديري لولاية الدار البيضاء، كان عدد السكان في أحياء الصفيح في بداية الثمانينات يقدر بحوالي 360.000 نسمة، يسكن نصفهم مجال عمالة بن مسيك سيدي عثمان. وقد اتخذت مجموعة من التدابير

التقسيم الإداري لولاية الدار البيضاء الكبرى 1990

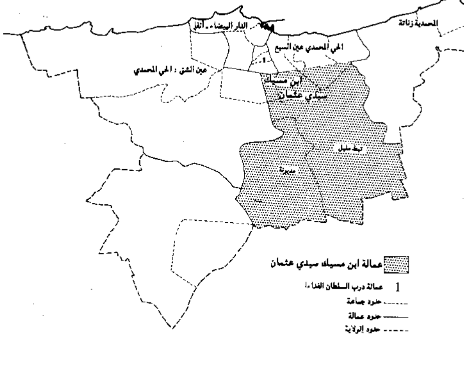

منذ سنة 1984 للقضاء على هذه المساكن الهشة، وتم إنشاء مؤسسة "التشارك" وهي مؤسسة عمومية للإشراف على عمليات القضاء على أحياء الصفيح بابن مسيك. ومن أبرز العمليات التي أُنجزت في هذا المجال إعادة إسكان 6.500 عائلة بحي مولاي رشيد، غير أن أعداداً كبيرة من السكان تقدر بحوالي 150.000 مازالت تقطن في هذه الأحياء الفقيرة المنتشرة وسط جماعات العمالة (سيدي مومن، بن مسيك، سيدي عثمان، مديونة، تيط مليل).

أما من حيث الأنشطة والوظائف، فإن هذه العمالة تبقى مجالا سكنياً بالدرجة الأولى، فهي لا تتوفر على صناعات أو أنشطة ثلاثية هامة، بل يتميز اقتصادها بسيادة الوحدات التجارية التقليدية المنتشرة داخل الأحياء السكنية بالإضافة إلى النشاط الفلاحي بالجماعات القروية الذي أصبح مهدداً نتيجة للتوسع السريع للمدينة.

أما من حيث النشاط الصناعي، فالعمالة لا تتوفر إلا على 61 وحدة إنتاجية في معظمها صغيرة الحجم موزعة مجاليا كالشكل التالي :

جدول 2 : توزيع الصناعات بعمالة بن مسيك سيدي عثمان

تُشغل صناعات العمالة 7.362 عاملا أي حوالي 3٪ من مجموع اليد العاملة الصناعية بالدار البيضاء. تتركز هذه الصناعات بشكل أساسي في جماعتي سيدي مومن وتيط مليل حيث يشتغل أكثر من 90٪ من اليد العاملة خاصة في قطاعات الصناعة الكيماوية والحديدية. أما باقي الجماعات الحضرية، وخاصة سيدي عثمان وبن مسيك التي تركز أكثر من 80٪ من السكان، فإن النشاط الصناعي بها شبه منعدم. لذلك ينتقل آلاف العمال يومياً نحو الأحياء الشرقية أو الوسطى من الدار البيضاء حيث تتركز الصناعات والأنشطة التجارية والخدماتية الهامة، مما يعطي لهذه الجماعات طابعا "مناميا" بدرجة أولى.

ولإيجاد حلول لمشاكل هذه المنطقة، تعرف عمالة بن مسيك - سيدي عثمان منذ الثمانينات تحولات هامة في إطار توجهات المخطط المديري لولاية الدار البيضاء. فبالإضافة للعمل على التخفيف من السكن الهزيل وإنجاز بعض التجهيزات الاجتماعية، تبذل مجهودات في الميدان الاقتصادي للحد من الطابع السكني المميز لهذه العمالة. فقد تقرر إنشاء ثلاث مناطق صناعية بكل من سيدي عثمان وتيط مليل ومديونة، تغطي حوالي 100 هكتار لاستقبال الصناعات الصغيرة والمتوسطة.

مديرية الإحصاء، الرباط، *إحصاء السكان والسكن سنة 1982* ؛ ع. كعيوا، *النسيج الصناعي بالدار البيضاء* ؛ *أطلس ولاية الدار البيضاء*، منشورات مجموعة *أبحاث ودراسات حول الدار البيضاء*، كلية الآداب 1 الدارالبيضاء ومركز أوربانا للدراسات الحضرية - تور - فرنسا، 1989.

عبد القادر كعيوا

**البنات،** (جامع -) يقع بحومة السانية بتطوان قرب برج اللفعة، ويعرف كذلك بجامع السانية، وتقام به الصلوات الخمس، وقد أسسه الموريسكيون الذين هاجروا إلى تطوان سنة 1610/1019 وتم تجديد بنائه سنة 1920/1338، وليس لدينا ما يدلُّ على سبب تسميته بجامع البنات.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 5.

F. Villalta, *Tetuan y sus mezquitas* ; *Revista de tropas coloniales*, 1924 - 1925.

محمد ابن عزوز حكيم

**بَنَاسا** أو بَنَاصا، موقع جغرافي، تمّ تحديده من طرف شارل تيسو على الضفة اليسرى لنهرسبو، إذ يصفه بالعبارات التالية : "بقايا (بناسا)... تغطي مرتفعا ممدودا، أو ثلاث قمم موازية للنهر (سبو) الذي يغمر المرتفع الشمالي ..." (Ch. Tissot, 1878, p. 277-279). يوجد هذا

| نوع الصناعات | صناعة غذائية | | صناعة النسيج والجلد | | صناعة الخشب | | صناعة الورق | | صناعة مواد البناء | | صناعة حديدية | | صناعة كيماوية | | المجموع | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الجماعات | عدد المصانع | عدد العمال | عدد المصانع | عدد العمال | عدد المصانع | عدد العمال | عدد المصانع | عدد العمال | عدد المصانع | عدد العمال | عدد المصانع | عدد العمال | عدد المصانع | عدد العمال | عدد المصانع | عدد العمال |
| سيدي مومن | - | - | 3 | 1107 | 2 | 664 | - | - | 3 | 113 | 12 | 1923 | 4 | 804 | 24 | 4620 |
| سيدي عثمان | - | - | 1 | 80 | - | - | 1 | 22 | - | - | 2 | 115 | - | - | 4 | 217 |
| بن مسيك | 3 | 100 | - | - | - | - | - | - | 1 | 46 | - | - | - | - | 4 | 146 |
| تيط مليل | 4 | 426 | 1 | 60 | 1 | 210 | - | - | 4 | 240 | 7 | 329 | 6 | 762 | 23 | 2027 |
| مديونة | 1 | 45 | 1 | 80 | - | - | - | - | - | - | 4 | 227 | - | - | 6 | 352 |
| المجموع | 8 | 571 | 6 | 1327 | 3 | 874 | 1 | 22 | 8 | 399 | 25 | 2594 | 10 | 1566 | 61 | 7362 |

جدول رقم 2 : توزيع الصناعات بعمالة بن مسيك - سيدي عثمان

موقع بالضبط ما بين الانعطافين السادس والسابع اللذين يرسمهما واد سبو.

تبعد بناسا من ناحية الغرب عن شاطئ المحيط الأطلسي بـ 30 كلم، ومن ناحية الشرق بـ17 كلم عن مدينة مشرع بلـقصيري. فالمرتفعات التي تغطيها مدينة بناسا يمكن اعتبارها النتوآت الوحيدة بسهـل الغرب. ولقـد اقتـرن موقـع بناسا باسـم أحد الأضرحة التي تحتـل قمة إحدى المرتفعات الثلاثة، وبالضبط بسيدي علي بوجنون (R. Roget, 1924, p. 40).

حظيت مدينة بناسا عند المؤرخين القدماء بإشارات عديـدة، فبلينيـوس يتكلـم عن مدينـة بناسا، التي يحددها خطئاً بالنسبة للكسوس بـ75 ميلا، وبالنسبة لوليلي بـ35 ميلا. ويصنفها ضمن مستعمرات أغسطس، كما أنه يشير إلى لقبها وهو "فلنتيا".

"A b, Lixo... et Tertia (Augusti Colonia).
Banasa, LXXV millia, Valentia Cognominata"

ويشير إليـها بعبارات أخرى كالتـالي : "Amnis Sububus preter Banasam Coloniam defluens, magnificus et navigabilis (Pline *H. N*, V, 5

أما بطليموس فيصنفها ضمن المدن الداخلية لموريطانيا الطنجية ويحددها تحديداً يكاد مضبوطاً يكون بالنسبة لوليلي وبالنسبة كـذلك لمصب واد سـبـو بـ 20 و6 د، 15 و30 د، (Bx' Vx (Ptolemée, 4, 1, 7).

أما في مسلك أنطونان أو مرحليته فنجد الإشارات التالية على الطريق الرابطة بين طنجة وسلا : فإن بناسا توجد على بعد 32 ميلا شمال تموسيدا، وعلى بعد 34 ميلا جنوب مدينة فريجداي (*Itineraire Antonin*, 7). أمـا الجغرافي الرافيني Géographe de Ravenne فيكتفي بالإشارة إليـها في كتابـه *(Guide de Géographie)* (*Anonyme de Ravenne*, 5, 11 ; 5, 4).

أما الجغرافي پومپيوس ميلا، فلا يعتبرها من بين المدن الغنية بموريطانيا الطنجية (Hominum. pars uribus a gunt quarum ut inter pariva oputentissimae procul a mari gilda vo dvbritnia (Pompius Mela, 3, 107)

فيما يخص إشارة ميلا، اقترح فريك Frick استخلاص اسم مدينة بناسا من هذه الفقرة الغامضة (J. Gascou, 1982, p. 69 et R. Roget, 1924, p. 29) واستخلاص أو تقارب Brisciana من بناسا بدون أن يدلي ولو بشرح صغير لهذا التحريف. أما الباحث توفنو فيظن أن Prisciana تفهم أو تشرح جيدا بواسطة علم الكتابة المنقوشة ويتساءل : ألا يمكن أن تقرأ Taenia عوض Prisciana (Thouvenot, p. XI).

أما المرجع المعروف بـ *Notitia Dignitatum* فيشير إلى Castra Beriensica والتي تم تصحيحها من طرف Bockling. بـ Castra Banasasencia (R. Roget, p. 37).

أما في لوائح الاپيسكوپال فقد وردت إشارة مقاربة للسابقة وهي Banasensis épiscopus.

وفي العصر الوسيط ربما لم تكن تعرف أو لم تُذكر من طرف الرحالين العرب والمسلمين، إذ لم ترد ولو إشارة الى هذه المدينة لا عند البكري ولا الإدريسي، ولا عند الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي أو عند مارمول. وقد يرجع هذا إلى أن المدينة لم تكن توجد على الطريق الرابطة بين طنجة وفاس، بل أكثر من هذا فإنها لم تحظ كذلك ولو بإشارة من طرف الرحالين الأروبيين (Thouvenot, p.XII).

تاريخ البحث بالموقع : انطلاقا من سنة 1844 اقترح لاپي أن موقع بناسا يتطابق مع ضريح سيدي علي بوجنون (Lapie, 1844 ; Roget, 1924, p. 40). وفي 1871-1874 أعطى شارل تيسُّو، الذي كان في هذه الفترة يشغل منصب

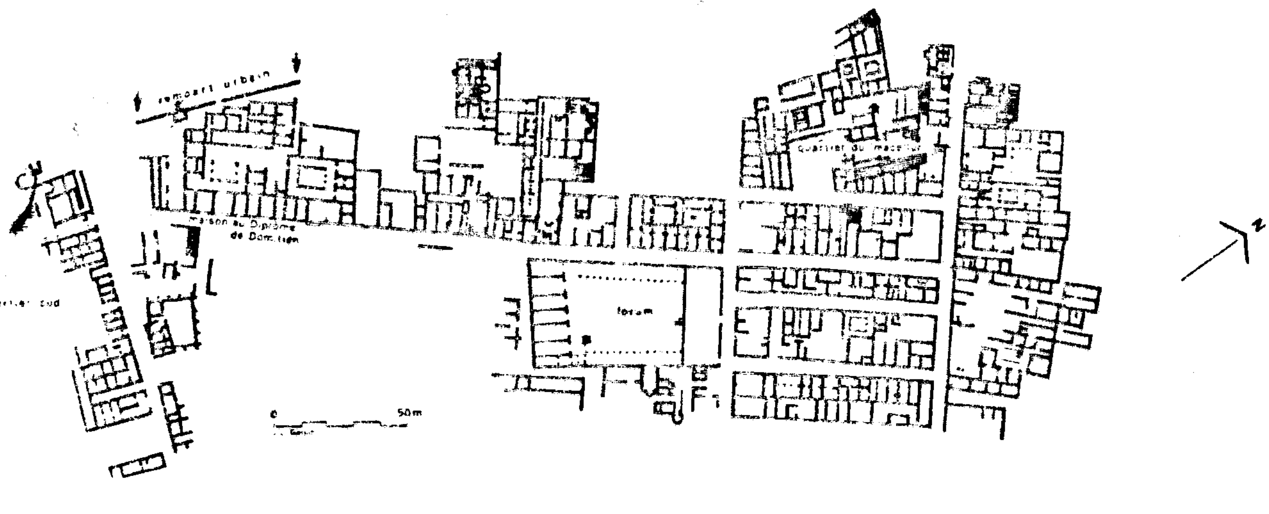


رسم 1 : تصميم عام لمدينة بناسا الرومانية

سفير فرنسا بطنجة، وصفا دقيقا لموقع بناسا. وعندما مر هذا الباحث بالموقع، عثر على قطعة أحد النقوش اللاتينية، فنسبها مباشرة إلى الأمبراطور كمود Comode بالإضافة إلى تاجين كورنتيين.

أما في سنة 1889، فإن هنري دو لامارتينيير H. De La Martinière عندما كان متوجها إلى مدينة وليلي، عرج على مدينة بناسا، حيث عثر على الجزء الأعلى من النقش اللاتيني الذي سبقت الإشارة إليه والذي وجده تيسو، فنسب لامارتينيير القطعتين معا إلى الأمبراطور مارك أوريل، وشاهد التاجين المشار إليهما من طرف تيسو (H. De La Martinière, 1887, p. 442 et 1888, p. 357, et Thouvenot, 1941, p. XV).

نظمت أول حفريات في بناسا سنة 1911، قام بها أحد العسكريين الفرنسيين يدعى فيني Viennet وهو قبطان فيلق المشاة الاستعماريين. ونتج عن هذه الحفريات استخراج رأس جينو Junon وبعض القطع من البرونز تنتمي لمشكاة مستطيلة، وكذلك بعض القطع الأخرى التي تنتمي إلى

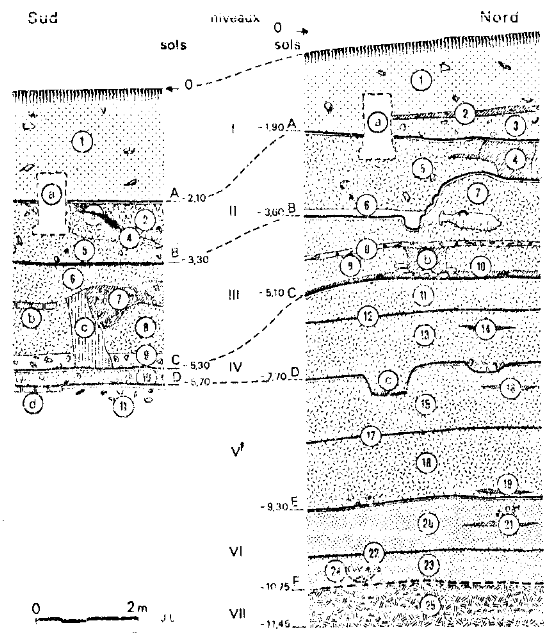


رسم 2 : مقطع إستراتيغرافي لأحد الاستبارات التي أجريت بموقع بناسا

تمثال مدرع. كما أن كشف عن حمامات في الموضع الذي كان تسّو قد اقترح أنه موضع باب المدينة. لقد أظهرت هذه الحفريّات مجموعة من البنايات (R. Thouvenot, 1941, p. XII) (*B. C. T. H.*, 1912, p. CLXXXVII, et CXCIX).

في 1916، أشار شتلان الذي كان يشغل منصب مفتش المباني التاريخية بالمغرب إلى مجموعة من النقوش اللاتينية (L. Chatelain, 1916, p. 164).

لكن الحفريات المنتظمة لم تبدأ بموقع بناسا إلا سنة 1933، وذلك تحت إشراف ريموند توفنو برفقة كل من أوجين ألبرتو وأرموند ليكي. كان الهدف الرئيسي من هذه الحفريات هو محاولة إبراز بعض معالم المستعمرة الرومانية. وشكلت نتائج هذه الحفريات مادة خاما لمؤلَف عن هذه المدينة تحت عنوان *دراسة عن مستعمرة رومانية بموريطانيا الطنجية : فلانتيا بناسا* (R. Thouvenot, 1941).

في 1953 أجريت عدة استبارات في أحياء متعددة من المدينة، وبالأخص في الساحة التي تحمل اسم الفُرُوم. لقد لاحظ توفنو تحت البنايات السطحية مستوى أقدم بكثير اعتبره مستوى المستعمرة الأصلية أو نواة بناسا الأولى ويكوّن قسماً من المدينة القديمة، المستعمرة الجوليانية البدائية المتواضعة جداً (R. Thouvenot, 1954, p. 79 - 90). وبقي توفنو متشبثا بهذه الفكرة إلى سنة 1979، ثم عدل عنها، وقد بين هذا في مقال خصه لمشاكل التعمير الروماني بالمغرب القديم (R. Thouvenot, 1979, p. 321-349).

لقد عثر في المستوى السابق الذكر على مجموعة من الأفران التي اعتبرت من طرف ثوفنو كأفران للفخار أو الآجرّ (R. Thouvenot, 1950, p. 58-59 et 1951, p. 154-155). وفي سنة 1955 عمل أرمون ببكي تحت إشراف م. أوزينا، مدير المباني التاريخية بالمغرب واستطاع أن يظهر الحيّ الشمالي، وأبان عن الشارع الرئيسي في اتجاه الشرق. وفي جهة الجنوب تم التنقيب عن منزلين ؛ أما في جهة شمال الشارع الرئيسي فقد أظهر عمارة كبيرة مازالت غامضة (M. Euzennat, 1957, p. 202).

وشجع اكتشاف الفخار ذو البرنيق الأسود المعروف بالفخار الكمباني الباحثين على إقامة استبارين عميقين. فالزخرفة التي يحملها هذا الفخار تذكرنا بالفخار المعروف تحت اسم الفخار الإيبيري (M. Euzennat, 1956, p. 232). أقيم الاستبار الأول في مركز الساحة ب والثاني شمال الشارع الرئيسي. أظهر هذان الاستباران ستة مستويات متتالية للسكن منضدة على سمك أكثر من 10،75م، تفصلها مستويات الرسوبات النهرية. تمثل المستويات الستة المشار إليها ثلاث مراحل للمدينة الرومانية، وثلاثة مستويات للسكن المحلي متتالية يرجع أقدمها إلى القرن الثالث قبل الميلاد على الأقل (Euzennat, 1957, p. 202) (الرسم 2).

هذه المستويات التطبيقية يمكن ترتيبها من الأحدث إلى الأقدم كالتالي :

- بناية رومانية مؤرخة بالقرن الثاني والثالث بعد الميلاد، يتميز هذا المستوى بوجود الكثير من الفخار ذي البرنيق الأحمر.

- الفخار ذو البرنيق الأحمر، الفخار المصبوغ، ثم أفران مبنية بالآجرّ والطوب.

- بقايا أفران ومبان متشابهة، مع وجود الفخار

المصبوغ بكثرة، وكذلك الفخار العادي.

- في المستوى السادس لم يعثر على أثر أية بناية، إلا ما كان من بعض المواقد التي تحتوي على قطع من الفخار المصبوغ والأمفورات. فكما هو الشأن في الحي الجنوبي ليس هناك إلا المباني الرومانية المنتمية للمستوى الأول التي كانت مشيدة بالحجارة. أما المستويات السفلى فلم تكن مبنية إلا بالآجرّ والطوب (M. Euzennat, 1957, p. 202).

لقد تم إتمام هذه الاستبارات سنة 1956، إذ تم حفر خندق للمراقبة على طول 30 م يقع في الجهة الشمالية على طول الشارع الثانوي (Cardo) وذلك ما سهل وضع بعض المقاطع الستراتيغرافية أو التطبيقية (S. Girard, 1984, fig 5 et 6) لموقع بناسا (الرسم 2).

فاللقى الأثرية التي استخرجت من هذه الاستبارات متنوعة ومتعددة. بعد معاينة م. فيلار لهذه اللقى، استطاع أن يستخلص غياب الفخار الإغريقي، وتأثير الأشكال الأتيكية والأيونية التي تنتمي إلى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، الشيء الذي يسمح بتأريخ التعمير والاستقرار في هذا الموقع وهو استقرار قديم جدا (M. Euzennat et J. Marion, 1960, p. 541 ; M. Villard, 1960, p. 10 - 12 ; M. Ponsich, 1960, p. 465 - 468)

لقد حاولت س جرار S. Girard أن تقدم عملا كليا يجمع بين اللقى الأثرية والمقاطع التطبيقية (الستراتيغرافية) (S. Girard, 1984, p. 11-93). فكل المعطيات المقدمة، ساعدت على إظهار دوام تاريخ هذا الموقع، وحل مشكل أصل المرتفعين الذين شيدت عليهما مدينة بناسا (S. Girard, 1984, p. 145-154). بالإضافة إلى هذا، أقيمت دراسة عددية لمختلف قطع الفخار المصبوغ التي عثر عليها في كل مستوى على حدة، مكنت من ضبط الأهمية الإيجابية لإنتاج هذا الفخار، وكذلك التحولات التي طرأت خلال فترات الاستقرار المتتالية (S. Girard, 1984, p. 24). وفي هذه الدراسة كذلك، تمت إعادة النظر في المقطع الستراتيغرافي ومستويات التعمير للموقع، حيث لوحظ أن المستوى الثاني يشابه المستوى السابق، ويتميز عنه بظاهرتين أساسيتين :

أولا، وجود الفخار المبرنق (بدون تحديد النوع) والتوقف المفاجئ لإنتاج الفخار ذي البرنيق الأسود المحلي الذي يحدد جان پول موريل توقف صناعته بحوالي سنة 40 قبل الميلاد. يضاف إلى هذا أن المرور من المستوى الثالث والثاني ببناسا يمثل بدون شك وضع اللبنة الأولى للمستعمرة الرومانية الأولى التي أسست من طرف أوكتاف Octave بعد موت الملك بوكوس ما بين سنة 33 و27 قبل الميلاد (S. Girard, 1984, p. 90).

لقد عرف الموقع الأثري ببناسا بحثا آخر قام به أوزينا وأليي حول الساحات العمومية بموريطانيا الطنجية (M. Euzennat et G. Hallier, 1986, p. 78) إذ تمت دراسة الساحة العمومية لبناسا بمقارنتها مع كل من ساحات مدينة وليلي وسلا كولونيا، حيث تم ربط علاقة تقارب بين هذه المباني العمومية وما يسمى بـ "Principia à Vorhalle" (M. Euzennat et Hallier, 1986, p. 78). وآخر دراسة تقام حاليا بالموقع الأثري بناسا، تنصب على أحد المباني العمومية المسماة بحمامات ذات الصباغة الحائطية "Thermes aux Fresques" رغم أن هذا المبنى قد تم التنقيب فيه ونشر أبحاث التنقيب في إحدى مجلات مصلحة الآثار المغربية. (R. Thouvenot, 1951, p. 21-80) فما زال محط دراسة وتنقيب لما لوحظ من فجوات وجوانب لم توخذ بعين الاعتبار من طرف الباحثين السابقين. هذه الحمامات أقيمت على مبنى قديم جدا، يؤرخ ببداية القرن الأول قبل الميلاد، وعرفت تطورات وتغيرات عمرانية عديدة خلال القرن الثاني والثالث بعد الميلاد. وانطلاقا من هذا المبنى يهدف الفريق المشرف على هذا البحث إلى تعميم الحفريات إلى مناطق جديدة بالموقع نفسه.

تاريخ المدينة : تم الاستقرار بمدينة بناسا منذ القرن الرابع قبل الميلاد أو قبل هذا التاريخ بقليل، كانت قرية موريطانية بهذا المكان حوالي القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد كما يدل على ذلك كثرة الأفران التي كان يطبخ فيها الفخار الذي يحمل اسم الفخار المصبوغ لبناسا. وهي أفران مبنية بالآجرّ المطبوخ ومن الطوب مؤرخة بنفس الفترة. وهو فخار مصبوغ مستنبط من الفخار البونيقي ومن الأشكال الإيبيرية. ومن جهة أخرى ارتبطت هذه الفترة بمجموعة من المقابر توجد بالجنوب الشرقي للساحة العمومية، وقد عثر فيها على مجوهرات بونيقية يمكن أن تؤرخ بما بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد. لكن الأثاث المأتمي متأخر عن هذا التاريخ. (M. Euzennat, 1976, p. 140). في هذا الموقع أسس أوكتاف (الامبراطور أغسطس فيما بعد)، مستعمرة لجنوده سميت : كولونيا يوليا ڤلانتيا بناسا، ما بين موت الملك بوكوس وتنصيب يوبا الثاني (33 . 25 ق.م). لقد كانت بناسا، بدون شك، هي المؤسسة الرومانية الأولى التي عانت من الفوضى التي عمت موريطانيا بعد موت الملك بطليموس سنة 40 بعد الميلاد، وكذلك من جراء ضم مملكته إلى الأمبراطورية الرومانية (Euzennat, 1976, p. 140).

أما بالنسبة للفترات التالية، فإننا لا نتوفر إلا على شذرات من تاريخ هذه المدينة، تترجمها الوثائق الأثرية التي عثر عليها بالموقع نفسه وهي النقوش اللاتينية. نعرف بواسطة طاولة شفاعة، أنه خلال السنة السابعة من حكم فزبازيان (75 بعد الميلاد) أن معمري مستعمرة يوليا فلانتيا بناسا بالمقاطعة الجديدة لموريطانيا، قد جمعوا كلمتهم حول حاميهم أو شفيعهم سكستوس كايسيلينوس Sextus Sentus caecilianus الذي كان يشغل مهمة قاصد رسولي أمبراطوري من منصب حاكم شرعي مكلف بإعادة

تنظيم الموريطانيتين. وقد تم إثبات هذا الإجماع على لوحة من البرونز بواسطة شخصيتين مهمتين هما ليسيوس كيسليوس كالفوس وليسيوس سليستيوس R. Thouvenot, 1941, p. 79 et L. Chatelain, 1968, p. 73 et J. Gascou, 1982, p. 110, n° 126).

هناك وثيقتان وهماعبارة عن نقشين لاتينيين يحملان في طياتهما مجموعة من المعطيات التاريخية التي تهم مدينة بناسا. الأولى وهي ما نسميها بطاولة بناسا التي تؤرخ ببداية حكم الأمبراطور مارك أوريل. من بين ما تحمله هذه الوثيقة أن بناسا قد حصلت على لقب جديد وهو أوريليا نسبة إلى الأمبراطور مارك أوريل، وسكانها أصبحوا يدعون بالأوريليين.

يذهب ج. كسكو إلى القول بأن مارك أوريل في بداية حكمه استطاع منح المواطنة الرومانية لمجموعة من المعمرين الرومان الذين يسكنون بناسا، وأن تنمية الكتلة المدنية بالمستعمرة قد ساعد على الإسراع بإعطاء لقب أوريليان للمدينة (J. Gascou, 1982, p. 70, n° 94 et M. Euzennat et Seston, 1971, p. 468 - 490).

وفيما يخص الأسماء والألقاب الممنوحة للمدينة، يضيف هذا الأخير أنه ليس بديهيا أن تكون بناسا قد تخلت نهائيا عن الأسماء السابقة : يوليا فلانتيا، لصالح اللقب الجديد أوريليا. ولكن ما هو مؤكد إلى حد الآن هو انعدام الوثائق التي من شأنها أن تؤكد على أن المدينة قد حملت اللقبين معا (يوليا أوريليا فلانتيا، أو فلانتيا أوريليا (J. Gascou, 1982, p. 70, n° 94).

الوثيقة الثانية وهي مرسوم الأمبراطور كَرَكَلاَّ، حيث وافق للموريطانيين كلهم على تخفيض مما تبقى من الضرائب نقداً وقمحا كانت ستذهب لبيت المال (J. Gascou, 1982, p.89) وهذا مخالف تماما لمقال شاتلان (L. Chatelain, 1968, p. 71).

تضاف إلى هذه الوثائق مجموعة أخرى، وهي شهادات عسكرية سنشير إليها حسب الترتيب الزمني. الشهادة العسكرية الأولى مؤرخة بـ 9 يناير 88 بعد الميلاد، منحت لأحد الجنود من أصل سوري وبالضبط من مدينة فيلاديلفيا (J. Gascou, 1982, n° 234).

الثانية هي كذلك شهادة عسكرية مؤرخة في 14 أكتوبر 109 بعد الميلاد، منحت للجندي بْركاتيس، من أصل سوري كذلك (J. Gascou, 1982, n° 235). أما الشهادة الأخيرة فقد منحت للجندي المسمى ماركوس أنطونيوس ماكسيموس، وذلك في عهد الأمبراطور أدريان. وهذه الوثيقة مؤرخة بـ 18 نونبر 122 بعد الميلاد. (J. Gascou, 1982, n° 239).

هذه الشهادات العسكرية تحمل مجموعة من المعلومات، فهي أولا تخبرنا عن وضعية الجنود الذين كانوا مواطنين رومانيين من أصل إيطالي أو أجنبي، فضلوا الاستقرار بدون شك في المكان الذي كانت ترابط به فرقهم العسكرية، كما تخبرنا عن تكوين الفرق العسكرية المرابطة بموريطانيا الطنجية أو التي كانت في حالة عبور لا غير.

حظيت مدينة بناسا بكل ميزات المركز الحضري، فقد كانت تتوفر على مجموعة من المباني العمومية، نذكر من بينها أولا الساحة العمومية :فوروم Forum الذي يدخل في إطار البنية الأخيرة الشبه متعامدة للمركز الحضري. وهي عبارة عن ساحة مبلطة، ذات شكل شبه منحرف، منظم حول بهو مستطيل متطاول، مؤطر برواقين ومقفل من جانبه الصغير الشمالي بواسطة قاعة ذات جناح فريد يرجح أنها المحكمة (بازيليك). ومن الناحية الجنوبية كانت الساحة العمومية مسدودة بواسطة بناية أقيمت على منصة تجاور ست قاعات عميقة، في مؤخرة المعبد المستعرَض. في هذه الجهة بالضبط لوحظ استعمال جدران بناية قديمة، خاصة في أسس القاعات الثلاث الشرقية الموجودة في الجانب الجنوبي.

وفيما يخص الساحة العمومية يمكن إبراز مستويين مختلفين : المستوى الأول يمكن ربطه بالمستوى الروماني القديم، اعتماداً على المقطع الستراتيغرافي، وهو مستوى مستعمرة أغسطس، أما المستوى الثاني فيمكن تأريخه بحكم الأمبراطور تراجان Trajan. لقد اعتمد في التأريخ لهذين المستويين على مجموعة من النقود التي تم العثور عليها خاصة في الردم الوسطوي لهذه البناية، وتؤرخ هذه النقود بما بين 41 و98 بعد الميلاد، يضاف إلى هذه المجموعة، نقد مؤرخ بـ 104. 110 بعد الميلاد عثر عليه تحت باب إحدى القاعات وبالضبط، في ملاط الحائط (M. Euzennat et G. Hallier, 1986, p. 78)

ثانيا، الحمامات : تتوفر مدينة بناسا على مجموعة من الحمامات إضافة إلى البنايات الصغيرة الموجودة بجوار الساحة العمومية. فالحمامات الكبرى عددها خمسة، مركزة في نفس الحي أي الحي الغربي وهي كالتالي من الجنوب الغربي إلى الشمال الغربي : الحمامات ذات الصباغة الحائطية، الحمامات الغربية الكبرى، الحمامات الغربية الصغرى، الحمامات الشمالية (R. Touvenot, 1941, et 1951, p. 21 - 80).

كما كانت المدينة تتوفر على سوق Maccelum يوجد غرب الساحة العمومية (R. Thouvenot, 1951, p. 81-99) يضاف إلى هذا أن بناسا كانت محاطة بسور حضري ربما كان راجعا إلى عهد تأسيس المستعمرة، أو فيما بعد، في القرن الثاني بعد الميلاد. لقد تم إظهار جزء من هذا السور، بالضبط في الجنوب الغربي من المدينة (R. Thouvenot, 1941, p. 4) (انظر التصميم العام للمدينة ) (الرسم 1) واعتمادا على الصور الجوية التي أخذت للمدينة، يمكن أن نميز بقايا معسكر، وكذلك بقايا قلعة صغيرة أقل أهمية. هذه البقايا لا يمكن معاينتها على سطح الأرض. وجود هذه المباني العسكرية بالموقع يؤكد الوجود العسكري بالمدينة

.(M. Euzennat, 1976, p. 141)

لقد دام الاستقرار بهذا المركز الحضري إلى غاية القرن الثالث بعد الميلاد، وتم تدميرها في أواخر هذا القرن، فغدت بناسا بعد ذلك عبارة عن محطة من المحطات الموجودة على الطريق الرابطة بين طنجة وسلا.

Pline, *Histoire Naturelle*, V ; Ptolémée, *Géographie*, éd. Carl Muller ; *Itinéraire Antonin*, éd. Cuntz ; *Anonyme de Ravenne*, V ; Pompius Mela, *Géographie*, éd. C. Frick ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie*, Mémoires présentés à l'Académie des Inscriptions, t. 9, Paris, 1878, p. 277 - 279 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; R. Thouvenot, *Une colonie romaine : Valentia Banasa*, Paris, 1914 ; *Rapport sur l'activité de l'Inspection des Antiquités du Maroc pendant le second trimestre 1954*; *B.C.T.H.*, 1955 - 1956, p. 79 - 90 ; *L'urbanisme romain dans le Maroc antique, Revista de la Universidad Complutensis*, t. XVIII, 118, V, P. 171 - 149 ; *Rapport sur l'activité du Service des Antiquités du Maroc*, 1948, *B.C.T.H.*, 1950, p. 52 - 59, et aussi dans *B.C.T.H.*, 1951, p. 154 - 155 ; *Les thermes du Nord et de l'Ouest et les thermes aux fresques, P.S.A.M., 1951, p. 21 - 80* ; Lapie, *Recueil des itinéraires anciens*, Paris, 1844 ; H. De La Martinière, *C. R. A. I.*, 1887, p. 422 et 1888, p. 357 ; Capitaine Viennet, *Trouvailles à Banasa, B.C.T.H.*, 1912, p. CLXXXVI et CXCIX ; L. Chatelain, *Inscriptions et fragments inédits de Volubilis et de Banasa, B.C.T.H.*, 1916 ; *Le Maroc des Romains*, Paris, 1968 ; M. Euzennat, *L'archéologie marocaine de 1955 à 1957, B.A.M*, II, 1957, p. 202 ; *Fouilles opérées à Banasa en 1955, B.C.T.H.*, 1955- 1956, p. 232 ; *Banasa*, in *the Princeton encyclopedia of classical sites*, R. Stillwel éd., Princeton, 1976 ; *Recherches récentes sur la frontière de l'Afrique (1964 - 1974), Studien Zu du Militürgenzen*, Roma, 2, *Vorträge des 10è internationalumlimes kongrassen in suddentschland*, Kölin, Bonn, p. 431 et suivantes ; M. Euzennat et J. Marion, *L'archéologie marocaine de 1958 à 1960, B.A.M.*, IV, p. 10 - 12 ; M. Euzennat et G. Hallier, *Les Forums en Tingitane : observation sur l'influence de l'architecture, sur les constructions civiles de l'occident romain, Ant. Afr.*, 22, 1986, p. 78 et suivante ; M. Euzennat et Seston, *Un dossier de la chancelerie romaine : La tabula Banasatina, C.R.A.I.*, 1971, p. 468 - 490 ; S. Girard, *Banasa préromaine : un état de la question, Ant. Afr.*, 20, 1987, p. 11 - 93 ; *L'alluvionnement de Sebou, premier Banasa, B.C.T.H.*, fasc, 178, 1981, (1984, p. 145 - 154) ; M. Ponsich, *A propos d'une lampe grecque trouvée à Banasa, B.A.M.*, VI, p. 465 - 468 ; J. Gascou, *Inscriptions antiques du Maroc*, 2, *Inscriptions latines*, Paris, 1982

حسن ليمان

## البَنّان ← الموز

**البنّاينو** أو البَـنَّيْنُـو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد انقرضت بتطوان سنة 1784، وبقيت بشفشاون. ولعل أصل هذه الأخيرة يختلف عن أصل الأسرة التطوانية.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 47 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد بن عزوز حكيم

**البناينو، المفضل** (الحاج.) بن محمد بن عبد الكريم، من أسرة أندلسية استقرت بمدينة شفشاون حيث يوجد زقاق يحمل اسم الأسرة. وقد قام بدور تاريخي إلى جانب البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي. كان الإسبان يصفون المغرب آنذاك بكونه "مقبرة شباب إسبانيا"، حينما كان المستعمر يواجه معارضات قوية لمحاولة فرض سلطته على القبائل المجاهدة بالشمال.

كان الحاج المفضل البناينو يشتغل بالفلاحة وتجارة المواشي، وكذا بالمتاجرة في الأسلحة التي كانت متوافرة عند الكثيرين. وبمجرد تنفيذ خطة الجنرال بيرنگير Berenguer لاحتلال منطقة شفشاون في خريف سنة 1339 / 1920، حيث لم تكن آنذاك خاضعة لسلطة الجيش الإسباني، قاد البناينو جماعة من المجاهدين في سلسلة من عمليات "البارود" دامت أزيد من أربع سنوات. من تلك العمليات عملية غاروزم خارج المدينة ليلة دخول الإسبان بالذات، عملية "دمنة المخزن" بقلب المدينة (حيث يوجد فندق شفشاون حاليا) وعمليات القبض على مجموعة من المتعاونين مع الإسبان، إضافة إلى محاصرة القوافل الوافدة بالمؤونة من بني حسان إلى شفشاون. وفي تلك الأثناء كانت قوات ابن عبد الكريم الخطابي تنتشر إلى حدود شفشاون بعد التغلب على عدد من قبائل غمارة. وهناك عملية دامت سنة كاملة، وذلك بإرسال خمسين مجاهداً كل يوم إلى رأس الجبل المطل على مدينة شفشاون بالتناوب، قصد إطلاق النار على جيش الاحتلال. ومع استقرار التنظيمات الهجومية قام فريق البناينو في أواخر غشت من سنة 1921 بهجوم على مدينة شفشاون، انطلاقا من الدردارة بقبيلة الأخماس في اتجاه المعسكر الإسباني بعقبة القُلّة بين بني يسف وبني زكار، وإثر معركة حامية الوطيس مات العديد من الخونة، وكذا ما لا يقل عن سبعمائة إسباني. ولم تسترجع القوات الاستعمارية نَفَسَها إلا في شهر دجنبر.

ومن أهم العمليات معركة أكراط ومعركة وفاء الدشر ومعركة دار الراعي التي أنزل فيها العدو أزيد من مائة قنبلة مسمومة تسببت في إحراق ما كان يعترض طريقها. وهناك معركة مرابطش ومعركة مشكرالة التي شارك فيها مبعوث الخطابي إدريس خوجة ومعركة تزرار ببني ورياغل ومعركة عين الرامي ومعركة دار الزلال بوغابش وعملية دار العزف.

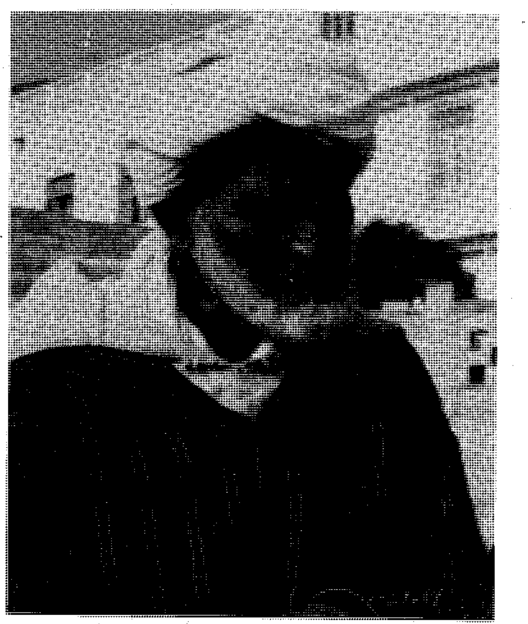

عندما حاول الإسبان إغراء البنباينو عن طريق أحد المتعاونين بمنحه امتيازات مغرية في حالة تخليه عن تحركاته كان الرد اللجوء إلى مدشر القلعة للفتك بمن ساعدوا على دخول قوة الاحتلال.

وفي هذه المرحلة قام القائد الإسباني كاسترو خيرونة Castro Girona بتفاوض مع مولاي أحمد الريسوني الذي جمع المجاهدين ليخبرهم باستلائه على سبع عشرة قبيلة بموافقة الحكومة الإسبانية، باستثناء غمارة التي لم تسانده قط حيث تم إبرام اتفاقية سنة 1922، تنفيذاً لأحد أهم أهداف سياسة حكومة سانشيز گيـرّا Sanchez Guerra. ويتحدث البنباينو باستمرار عن متابعة تلك القبائل الفعلية للريسوني، وأنه رفض الخضوع لذلك واعتزل بجماعته للاستمرار في تحركات بطولية سرعان ما بلغ صداها ابن عبد الكريم الخطابي الذي كان أحمد حريرو أو خريرو (من دار خرخور أصلا) قد التحق به بعد شق عصا الطاعة على الريسوني. وهكذا أصبحت القوافل الريسونية هي الأخرى تتعرض لتحركات لم تزدد إلاّ تمكناً بفضل تشجيعات الخطابي.

وبعد أن استطاع ابن عبد الكريم أن يتغلب على مجموع تلك القبائل تقريبا على إثر خوض معركة دار الراعي أوفد شقيقه مَحمد إلى البنباينو يعرض عليه الالتحاق بمركز فراحة بقبيلة اغزاوة وشغل منصب قائد على قبائل بني زكار وبني يسف وسوماتة وبني عروس وأهل سريف وبني گرفط وبني يدر، باستثناء قبيلتي بني منصور وجبل الحبيب اللتين عين الزلال قائدا عليهما. وبعد ذلك أسندت إلى البنباينو مهمة محاصرة مدينة شفشاون إلى أن أرغم الإسبان على الشروع في الخروج منها في شتنبر ومغادرتها نهائيا في نونبر سنة 1924، مما أدى إلى انهزام كاسترو خيرونة ودخول الخطابي الذي تعرض لقصف إسباني - فرنسي. وإثر ذلك عين الخطابي البنباينو باشا على المدينة، وسنه يقارب الأربعين. وبمجرد استلامه السلطة أخذ يتخلص ممن كان يغضبه تعاملهم مع المستعمر، حيث عوض عددا من المسؤولين بأبناء أسر ريفية مثل أسرة العمارتي، الأمر الذي أثار استياء كبيراً. وما كان يسعه إلا أن يقدم استقالته.

وبعد التخلي عن الباشوية استأنف البنباينو نشاطه الميداني سواء بمواجهة قوة الاحتلال أو ملاحقة التحركات الريسونية، كما كلفه الخطابي بقيادة عملية عسكرية بقبيلة الأخماس.

أثناء مواجهة مع كتيبة ريسونية تم أسر البنباينو، ذلك القائد الذي قيل عنه إنه الشخص الذي شاهد عن كثب انهيار قوات الشريف مولاي أحمد، ثم سيق إلى تازروت حيث ألقي في السجن مكبلا وكأنه "النمرود"، كما كان يقول مازحاً.

وفي تلك الأثناء كان الخطابي يعد للهجوم على مقر قيادة الريسوني بتازروت. ففي أواخر جمادى الآخرة عام 1343 / أواخر يناير 1925، انطلق فريق بقيادة محمد ابن سعيد الحساني وآخر بقيادة الطالب الشاوني السوماتي قصد تنفيذ العملية. وبعد هجوم محكم أفضى إلى تطويق العاصمة الريسونية أطلق سراح البنباينو الذي أسرع للالتحاق برفاقه المجتمعين، ومن جملتهم مَحمد البكار العروسي ومحمد رمبوك والقائد ولد القرْفة السعيدي واليزيد بن صالح الغماري والفقيه محمد بن علي بولحية والفقيه الحداد الخمسي وأحمد خريرو ومحمد الشاعر الأنجري والبغدادي اليدري وأحمد ولد الفقيه القنفودي. ولما دخل الجميع على الشريف الذي لم يستطع التحرك بسبب ورم في رجليه، انطلقت مشاجرة حادة بين الجانبين دون أن يمنع هذا من البتّ في مصير الأسير وذويه. ومن سخرية الموقف أن يكلف البنباينو بمرافقة الشريف في موكبه والسهر على أمنه وراحته أثناء الرحلة إلى مقر منفاه ومثواه الأخير حيث وافته المنية في أبريل من نفس السنة.

ومع استمرار المعارك وحبك المكائد لإضعاف قوى المجاهدين لم تتمكن القوات الإسبانية من دخول شفشاون من جديد واحتلالها بصفة رسمية إلا في 25 أغسطس من سنة 1926، أي قبيل الإعلان عن انتهاء الحرب بقليل. ولم يمنع توقف القتال البنباينو من القيام بعمليات انفرادية مضايقة للإسبان الذين كانوا يحاولون إلقاء القبض عليه، مما اضطره إلى الهروب لمدينة طنجة حيث لم يعد منها إلى شفشاون إلا بعد استقلال المغرب، فكان بذلك الشفشاوني الوحيد الذي لم يعرف الحكم الإسباني.

توفي الحاج المفضل البنباينو في طنجة يوم الثلاثاء 25 ذي القعدة عام 1410 / 19 يونيو 1990.

*تصريحات مسجلة للبنباينو في فترات مختلفة وعلى مدى عدة* سنوات ؛ طوماس كارثيا فيگيراس، *المغرب* Marruecos، تطوان، مطبعة كريماديس، 1955، ص. 196، 199، 223 ؛ *حول المغرب الفيودالي : حقب من حياة الشريف الريسوني* Del Marruecos feudal : Episodios de la vida del Cherif Raisuni، مدريد، منشورات الشركة الإيبيرية الأمريكية، 1930، ص. 209 ؛ ف. هرنانديث مير، *من الكارثة إلى النصر* Del Desastre a la victorie، مدريد، 1926، ص. 37 ؛ إليسيو بيرمودو صوريانو، *الريسوني : قائد جبالة* El Raisuni : Caudillo de Yebala، مدريد، منشورات فرانسيسكو ڤيثينتي الأدبية، 1941، ص. 71.

محمد أبو طالب

**بنباروخ**، أو بن باروخ Ben Barukh **داود**، المكنى ربِّي إفلاح أي الشيخ داود، مداح شهير بالصويرة، ولد عام 1867. قال عنه حييم الزعفراني : " قيل انه كان في كثير من الأحيان يتلقى الدعوة للحضور إلى القصر الملكي بالرباط ومراكش في عهد مولاي يوسف ومحمد الخامس ليكون ضمن فريق الجوق الملكي أي ما يسمى الستارة. كان أحد العناصر الذين ينقلون المعلومات إلى أ. شوطان - أستاذ الموسيقى بالرباط - والذي نشر صورته في كتابه *نظرة*

عامة عن *الموسيقى المغربية* (اللوحة 15). وإلى هذا الربي وزميله ربّي داود ألقَـيِيم وغيرهما من المداحين بفاس توجه ألبير إدلسون خلال القيام ببحثه في الموسيقي اليهودية بالمغرب وجمع القصائد والتراتيل التي ألف بها الجزء الخامس من موسوعته التي تحمل عنوان: *الموسيقى الشرقية والعبرية*، وألف بمشاركة ربّي داود ألقَيِيم وحيِيم أفريات المنتخبات شير يديدوت (أناشيد في حب الله) لمرتلين مختلفين تغنوا بها على طبوع النوبات الأندلسية، وقد طبعت هذه المنتخبات بمراكش عام 1913 وأعيد طبعها عام 1921، كما طبعت بالقدس عام 1961 و1968.

**بنباروخ، هَكُّوهن** داود، ربي قبالي عاش خلال القرن الثامن عشر، ويوجد قبره غير بعيد من تارودانت ببلدة أزرو نُوبَا حمُّو، ويشكل إحدى المزارات التي كان اليهود يحجون إليها بكثرة.

ح. الزعفراني، *الموسيقى اليهودية في الغرب الإسلامي*.

H. Zafrani, *Kabbale ; Poésie Juive*, 101.

سيمون ليڤي

**بنبراهيم، حماد** بن العربي، ولد سنة 1922 بالدار البيضاء. وانخرط في صفوف "الهلال الأسود" و"اليد السوداء" حيث بدأ عمله الفدائي المسلح ضمن هاتين المنظمتين، وشارك في عدة عمليات، منها زرع قنبلتين في منزل أحد الخونة، وأخرى بطريق مديونة صحبة ابن عزوز. فاغتالته منظمة اليد الحمراء الإرهابية التي أطلقت عليه الرصاص وهو يضع قنبلة بإحدى القاعات السينمائية فأصيب إصابات خطيرة نقل على إثرها إلى المستشفى يوم 22 دجنبر 1955 حيث توفي رحمه الله يوم الغد.

*وثائق* المندوبية السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

**بنْتا**، Benta من المحطات المجهولة في المغرب القديم، يوطنها الجغرافي بطليموس (*Géog.*, IV, 1 - 11) ضمن المدن الداخلية بموريطانيا الطنجية، حسب الإحداثيات التالية (9° 30° - 32° So') الشيء الذي يمكّن من توطينها إلى الجنوب الشرقي من وليلي. وحسب الباحث بيسني (*A. M.*, I, 1904) فإن محطة بنتا تحمل اسم "Gent" عند جغرافي راڤينا واسم "Bervic" عند Ximénés Hispanus وهذه المحطة الأخيرة "Bervic" تبقى مجهولة لدينا، فمدونة النقائش اللاتينية لا تضم سوى نقيشة واحدة عثر عليها بهذه المحطة وهي عبارة عن نقيشة مأتمية لشخص يدعى كونيتوس بومبونيوس روگاتوس (*CIL*, VIII, 10002).

أما بالنسبة للباحث موللير C. Muller فإن محطة بنتا بالإضافة إلى محطات تريسيديس Trisidis (10° - 33° -9°) وگالافا Galapha (11° - 32° - 40°) ومولوشا Molochat (10° - 33° - 5') توجد شرق موريطانيا الطنجية، أي على الطريق المؤدية إلى موريطانيا القيصرية عبر محطة توكولوسيدا، أي ما يطابق حاليا الطريق الرابطة بين فاس وتلمسان عبر مدينة تازا.

وهذه الفرضية يدعمها اكتشاف مركز روماني عند بوحلو. إذن، هل يمكن اعتبار هذا المركز هو المكان الذي وجدت فيه بنتا قديما؟ من الصعب الإجابة عن هذا السؤال ما دامت معلوماتنا ضئيلة لا تمكّن من القيام بمقارنات في هذا المجال.

H. Dessau, *Benta*, *Real-Encyclopädie*, col, 277 ; Ptolemée, *Géographie*, éd., C. Muller, p. 590 ; *Cil*, VIII ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc, P.S.A.M.*, 4, 1938, p. 28 - 29 ; p. 45 - 55 et p. 82.

عبدالعزيز بل الفايدة

## بَنْجَر ← باريا

**بَنجيُو** أو بنجو، Benjyo ou Benjo، حمل هذا الاسم عدد من اليهود بطنجة والدارالبيضاء، وتفرع عن هذه الأسرة فرع يحمل اسم بن دْرَاعُو. وأشهرهم المسمى مردخاي بنجو (1825-1917) الذي تم تعيينه ربياً أكبر بطنجة عام 1855 وعمره يومئذ لا يتجاوز ثلاثين سنة، وهو المنصب الذي تولاه إلى يوم وفاته، أي مدة اثنتين وستين سنة، ذلك ما جعله يتمتع بحظوة كبرى ومكانة عظمى معنويا وفقهيا. أسس خلال مهامه الدينية بيعة عيص حاييم (أي شجرة الحياة) ومنشأة تربوية تحمل اسم توراة وحاييم والتي تقابلها بالعربية عبارة "دين ودنيا" الهدف منها إدخال تعليم المواد غير الدينية في المدارس الدينية اليهودية، يتولى تلقينها معلمون مستقلون عن الرابطة الإسرائيلية العالمية، ويلقنون كذلك، اللغات الأجنبية إلى جانب الرياضيات وغيرها.

*جريدة طنجة*، 14 . 1 . 1967.

S. Y. Benaim, *Les pélerinages juifs*, 160 - 164.

سيمون ليڤي

**بنخديجة**، قائد إزاجن (أسجن الحالية) الواقعة شمال مدينة وزان على بعد نحو تسعة كيلومترات. أصله من مصمودة جبل رهونة، من مدشر أمزو، على واد اللكوس غرب رهونة، حيث لا يزال أحفاده حتى الآن. تولى منصب قيادة إزاجن في بداية عام 934 / آخر 1527، إثر مقتل السابق له المدعو القائد محفوظ، نتيجة حصوله على تعضيد حاكم شفشاون إبراهيم بن علي بن راشد العلمي، وتزكية أحمد الوطاسي له، جزاءً لما قدمه من المساندة للسلطان، إذ كان بنخديجة من مدبري الانقلاب على أبي حسون، إلى جانب إبراهيم العلمي. ومن ذلك جاءت العلاقة الحسنة التي ربطت بين حاكمي إزاجن وشفشاون، تمثلت في تزويج بنت بنخديجة بعبدالله سلمة، أخي مولاي إبراهيم.

سار بنخديجة على اتباع تقليد حكام إزاجن في الدأب على سنة الجهاد بالثغور الهبطية. بدأ أولى حركاته سنة 1532/939، حين زحف بنحو مائتي فارس وعدد من كبار رجال فاس، كان من بينهم المرابط أحمد بن بوبكر وعلي بن شقرون، أحد إخوة قائد قصبة فاس، وحاكم العرائش سابقا

(1521.1515). وبمعية بنخديجة قواد الهبط (مولاي إبراهيم والمنظري والناصر العروسي). ففي يوم الجمعة 10 صفر عام 939 /12 شتمبر 1532 وصل بنخديجة إلى محلة واد شرقان، رافد واد عياشة، على بعد فرسخين من أصيلا المحتلة من طرف البرتغاليين. وهناك رابط قائد إزاجن نحو ثلاثة أشهر لإقلاق راحة جنود أصيلا تارة وحامية طنجة تارة أخرى. وإلى غاية 30 نوفمبر 1532 كان ما يزال بالمكان في نفس المهمة. عاد بنخديجة مرة أخرى إلى ميدان أصيلا سنة 941 /1534 برفقة قواد الهبط مساهما بنحو ألف فارس. وكانت الغاية من تلك الحركة التمهيد لزحف أحمد الوطاسي نحو الثغور الهبطية.

تحول ميل بنخديجة عن الوطاسيين لصالح السعديين مع ميل قواد الهبط إلى محمد الشيخ السعدي إثر دخوله مدينة فاس عام 956 /1549. وبذلك كان من جملة الحاضرين في اجتماع القصر الكبير الخاص ببحث التدابير المطلوب اتخاذها تجاه الوجود الأجنبي.

استمر بنخديجة في حكم إزاجن إلى حين عودة أبي حسون الوطاسي إلى فاس معززا بقوة حلفائه أتراك الجزائر، وبذلك فر بنخديجة إلى تطوان، حيث بقي إلى انتهاء أمر الوطاسيين في خريف سنة 961 /1554. وبعد ذلك اختفى عنا أمره.

ح.الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 528 . 539 . 540 . 625.

B. Rodriques, *Anais de Arzila*, 1 : 224 ; 2 : 105 - 239 ; F. Andrade, *Cronica de D. Joao 3*, p. 288.

حسن الفگيگي

**بنداود**، أسرة تنتمي إلى بعض قبائل الگيش المخزني كانت لها مصاهرة مع الحاجب ابّا احماد بن موسى. والمعروف منهم بمراكش محمد وأحمد، لكن أشهرهم وآخرهم هو عباس.

**بنداود، عباس**، باشا مراكش، أثارت حدته غضب الخرازة وتزعمهم علال بلحسن الخراز في أول انتفاضة لهم، حاصروه بداره في روض الزيتون القديم. وهذه الدار ما زالت قائمة تحت صابة تسمى صابة بنداود.

لم يرض السلطان محمد بن عبدالرحمان أن تُهان السلطة الرسمية، فقصد إلى مراكش لمعاقبة أهلها رغم أنهم ذهبوا للقائه وتبرأوا مما فعل من فعل فلم يعبأ بهم. غير أن الموت عاجله ونجوا من العقاب. وروى دو لامارتينيير، أنه حضر هو وأصحابه مأدبة غذاء أقامها الباشا بنداود دامت ثلاث ساعات من كثرة الصحون المقدمة إلى الضيوف وكؤوس الشاي المنعنع.

كان ذلك على إثر وقوف الزوار الأجانب لتحية عاهل المغرب في إحدى زياراته، فسأل عن هويتهم فكان الباشا بنداود يشرح للسلطان هويتهم، فابتسم لهم السلطان ورد التحية، فكانت المأدبة وحصل تغيير كبير في علاقاتهم مع الناس والجيران.

ويذكر عن الآنسة مكنب الإنجليزية أنها زارت مراكش ومرت بسوق النخاسة فوجدت ما بقي من أهل دار بنداود يباعون هناك في السوق الذي يسمى اليوم (سوق الغزل) وقد بيعت الطباخات بأغلى ثمن إذ بلغ ثمن إحداهن 250 دولار.

لامارتينيير، *مراكش على عهد السلطان مولاي الحسن*؛ ع. بن جلون، *جولات في تاريخ مغرب أمس*.

أحمد ابن الشرقي

**بنداود**، (أولاد سيدي ـ) من قبائل الشاوية، تكوّن مع قبائل أولاد سعيد والمزامزة وأولاد بورتيرى، مجموعة قبائل الشاوية الجنوبية التي كان يطلق عليها خلال القرون الماضية أولاد بورزق.

تقع قبيلة أولاد سيدي بنداود إلى الجنوب الشرقي من سطاتِ حول قرية گيسر في منتصف الطريق الرابطة بين مدينة سطات وقصبة ابن الشافعي المسكيني.

وإذا كان موقع القبيلة يجعلها تحتل أقصى نقطة في جنوب الشاوية بعيداً عن مؤثرات المحيط وعن السهول الخصبة، فالواقع هو أن أرضها صالحة لزراعة الحبوب خاصة القمح بنوعيه حيث يتميز بجودته ونضارته.

وقد اختلف في أصل أولاد سيدي بنداود، فالرواية المحلية تؤكد انتماءهم لسيدي بنداود، أحد أتباع الشيخ عبدالعزيز التباع وتقول إن أصله إدريسي. لكن النسابين المغاربة يشيرون إلى أن أصله من أولاد بوزيري المجاورين لأولاد سيدي بنداود. وكذلك تدعي الرواية الشفوية بأولاد بوزيري، أن أولاد سيدي بنداود إخوان لأولاد بوزيري انفصلوا عنهم. وقد تسبب هذا الادعاء في عدة فتن بين القبيلتين.

ويدعي أولاد سيدي بنداود أن جدهم سيدي بنداود، جاء من الساقية الحمراء، واستقر بأولاد بوزيري، داعياً إلى الجهاد، لكنه طرد من الشاوية واستوطن تادلا. وقد ندم الذين طردوه فطلبوا منه العودة فرفض. وبعد الإلحاح أرسل معهم ثلاثة من أبنائه، هم :

سيدي أحمد الطالب، الذي استقر بگيسر، وضريحه موجود بها وإليه تنتمي القبيلة.

سيدي محمد بن الكبير الذي استقر بأولاد حريز، وهو مدفون بأولاد بن صالح.

سيدي خمليش، الذي استقر برأس العين بقبيلة أمزاب حيث ضريحه، وإليه تنتمي فرقة الخمالشة. وبقي هو هناك حيث يوجد قبره بأزراراگ قرب إغرم نْ لَعْلام بالأطلس المتوسط.

وقد خلف سيدي أحمد الطالب ثلاثة أبناء هم : عبد العزيز والصغير وسيدي زكاك، وهم أجداد فرق أولاد سيدي بنداود الثلاثة : أ ـ أولاد عبدالعزيز : الحمادات، أولاد المامون، الدغاغنة، الهباطات، أولاد أحمد. ب ـ أولاد الصغير : أولاد القاضي، أولاد الصغير،

أهل الزاوية الگزازرة. ج ـ أولاد زكاك : أولاد زكاك بن الهبطي، أولاد زكاك بن أحمد، أولاد الزموري، أولاد الهواري.

والملاحظ أن الفرقة الأخيرة اندمجت في الفرقة الأولى. بحيث كان أولاد سيدي بنداود خلال القرن الماضي منقسمين إلى فرقتين هما : أولاد عبدالعزيز وأولاد الصغير.

وفي عهد الاحتلال الفرنسي أضيفت ثلاث فرق أخرى لأولاد سيدي بنداود، أُخذت من أولاد بورْيْر هي : ريمة، سنينات، بني يگرين.

قدرت إحصاءات جيش الاحتلال عدد خيام أولاد سيدي بنداود سنة 1914 كالآتي :

| | | |
|---|---|---|
| أولاد عبدالعزيز | : 561 | خيمة |
| أولاد الصغير | : 210 | خيمة |
| ريمة | : 221 | خيمة |
| سنينات | : 337 | خيمة |
| بني يگرين | : 120 | خيمة |
| المجموع | = 1449 | خيمة |

وقد وصف القاضي العربي العزوزي أولاد سيدي بنداود بأنهم في أعلى "درجة الشجاعة والفروسية، لهم شهرة في ذلك عظيمة، وأخبار في الحروب عجيبة" *(المحاسن والمآثر)*. وبالفعل يعتبر أولاد سيدي بنداود من أكثر قبائل الشاوية مقاومة للاحتلال الفرنسي. واشتهر سكان القبيلة منذ أواخر القرن التاسع عشر على الأقل بتمردهم على الحكام المحليين، ودخولهم في صراعات مع القبائل المجاورة الأكثر منهم عدداً. وخلال انتفاضة الشاوية بين 1903 و1906، كان زعماء أولاد سيدي بنداود من بين الرؤساء المسيّرين للانتفاضة. والملاحظ أن انتفاضة القبيلة لم توجه لقائدها آنذاك وهو الجيلالي بن الرغاي الذي كان مرتبطاً بجماعته ومدافعاً عن مصالح قبيلته كما كان أخوه وخليفته القرشي بن الرغاي من أشهر زعماء انتفاضة الشاوية.

ولقد أبلى مجاهدو أولاد سيدي بنداود، بلاء حسناً وأبدوا من أنواع الصمود والمقاومة ما تحدث به الناس وقتا طويلاً، وكان قائدهم في الجهاد حول الدارالبيضاء وفي معارك سطات هو القرشي بن الرغاي نفسه الذي قتل في إحدى المعارك التي جرت بمدينة سطات سنة 1908.

ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية المشاهير*، مخطوط ؛ ع. الخديمي، *حادثة الدارالبيضاء واحتلال الشاوية*، د.د.ع.

علال الخديمي

**بنداود بن الغزواني**، إدريس. مقاوم ولد سنة 1904 بقبيلة بني سمير بوادي زم، من الأوائل الذين انضموا إلى صفوف الثورة فخاض مظاهرة يوم 20 غشت 1955 شاهراً بندقية في وجه قوات العدو، أسقط بها العديد من الذين تصدوا له إلى حدود الساعة الثانية بعد الظهر حيث تدخلت قوات فرنسية مدججة بأحدث الأسلحة، وتم تفريق المتظاهرين. قامت قوات الاحتلال بتفتيش واسع النطاق، كان بنداود من الذين شملتهم عمليه التفتيش فحاولوا القبض عليه لكنه استعصى عليهم. وعند لجوئه إلى منزله حاصروه بالدبابات والرشاشات إلى أن ألقوا عليه القبض واقتادوه إلى مركز الشرطة لاستنطاقه وبعد التحقيق قرر العدو إرجاعه إلى منزله وقتله بالرصاص، ثم حطموا بندقيته على رأسه فانشطر إلى قسمين وذلك يوم 22 غشت 1955.

*وثائق* المندوبية السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

**البندقي، رايس**، يعرف في المصادر الأجنبية بـ Venetia، كان في بداية أمره من لصوص البحر الإيطاليين، قبل أن يُسلم وينخرط في صفوف أسطول الجهاد البحري المغربي بسلا، ثم في أسطول مولاي إسماعيل. وقد اشتهر بشجاعته وجرأته، وتميز بالخصوص خلال موسم 1683/1094 بنجاحه في السيطرة على سفينة إنجليزية للقبطان بلامي Bellami بعد معركة ضارية.

R. Coindreau, *Les corsaires de Salé*, p. 82.

حسن أميلي

**البندقي**، Sequin de Venise، قطعة نقدية ذهبية كانت تضرب بمدينة البندقية بإيطاليا، ونظراً لشهرة هذه المدينة كميناء لعب دوراً مهماً في التجارة البحرية، انتشرت هذه القطعة النقدية مع التجارة الإيطالية في كافة بلدان حوض البحر المتوسط، وكذا في بلدان المشرق العربي. ولما كانت العملة الإيطالية من العملات القوية، فقد أصبح اسم البندقي وخاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، يطلق على عملات ذهبية متعددة سواء في بعض البلدان الشرقية أو في المغرب الأقصى.

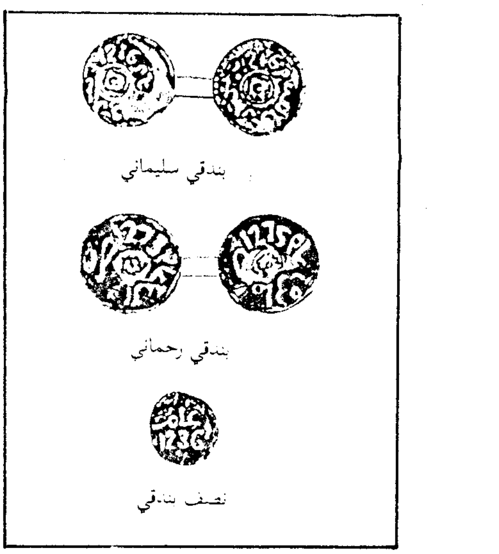


نماذج من عملة البندقي الذهبي

غير أن مصطلح البندقي لم يستعمل للدلالة على نقد ذهبي مغربي قبل القرن التاسع عشر حيث كان يستعمل مصطلح الدينار أو مصطلح المثقال للدلالة على القطعة الذهبية الكبيرة إلى حدود سنة 1766 حينما قام السلطان محمد بن عبدالله بإصلاحه النقدي فأصبح هناك تمييز بين المصطلحين، صار المثقال دالا على قطعة نقدية فضية من عشرة دراهم، بينما استعمل الدينار للقطعة الذهبية التي يبلغ وزنها الشرعي 4،25 گرام.

وقد ضرب الدينار المغربي باسم البندقي ابتداء من عهد السلطانين مولاي سليمان (1207 . 1238 / 1792 . 1822) وعبدالرحمان بن هشام (1238 . 1276 / 1822 . 1859) فكان وزن البندقي في العهد السليماني هو نفس الوزن الشائع في العهد الإسماعيلي وهو : 3،50 گرام، لكن هذا الوزن تناقص مع مرور الزمن بحيث لم تعد تزن بعض قطع البندقي الرائجة في عهد السلطان محمد بن عبدالرحمان سنة 1868 سوى 2،21 گرام، وكلها أوزان مخالفة للوزن الشرعي بالقياس إلى أوزان النقود الذهبية الرائجة ما بين العهدين الموحدي والسعدي. وللبندقي عدة أجزاء منها النصف ويزن 1،6 گرام، والربع ويزن بين 0،80 و0،75 گرام، وأصغر هذه الاجزاء كان عباره عن قطعة صغيرة تمثل 1/16 من البندقي.

حدد المخزن الصرف الرسمي للبندقي سنة 1269 / 1852 بسعر 40 أوقية من الفضة، بينما كان صرفه الحقيقي في المعاملات التجارية بسعر 50 أوقية في نفس السنة.

وقد استمر رواج القطع الذهبية المغربية عموماً وقطع البندقي على وجه الخصوص إلى أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر. حيث انسحبت العملة الذهبية المغربية من التداول نهائيا واختفت في السنوات التي تلت سنة 1862 حينما دفع المغرب القسط الأول من غرامة حرب تطوان، وبعد سنة 1868 لم يعد الذهب يروج إلا نادراً، وبالخصوص على شكل ذهب (تبر) وكان ديناره موزونا، فأصبحت الفضة والنحاس القاعدة النقدية المزدوجة للعملة المغربية، وهي بداية الأزمة النقدية التي عرفتها هذه العملة في القرن التاسع عشر.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 64 ؛ الكرملي، أنستاس ماري، النقود *العربية وعلم النميات*، القاهرة، 1939، ص 62 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن 19*، ص 130 . 222.

J. D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, p. 241 ; A. G. P. Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaines au Sahara de 1504 à 1904 au Maroc de 1894 à 1912*, p. 13 ; R. Dozy, *Supplément*.

عمر أفا

**البندقية**، سلاح ناري ينسب إلى مدينة البندقية الإيطالية، ويسمى "المكحلة" باللسان الدارج المغربي نسبة إلى لون البارود الأسود. تعتبر البندقية من الأسلحة المنتشرة في جميع أنحاء المغرب منذ أواخر القرن العاشر (16 م)، ثم أصبحت البنادق تُصنع محلياً في القرون الأخيرة. وفي هذا الإطار يقول دوشيني : كان "جنود المخزن في عهد سيدي محمد بن عبدالله مسلحين أساسا بالبنادق والسيوف وكلها مصنوعة بالمغرب (*Recherches*, 3 : 237).

وقال أنطوان بوريل Antoine Burel وهويتحدث من جهته أيضا عن جنود المولى سليمان : "أسلحتهم لا تتكون إلا من بندقية من نوع واحد طولها خمسة أو ستة أقدام ولكنها خفيفة... وكثير من البنادق والسيوف مصنوعة في البلاد من الحديد المنتج في منطقة الريف" (*La Mission*, 3 : 66).

انتشرت معامل صنع البنادق في مختلف مناطق المغرب، ويمتاز كل مركز بأسلوب إنتاجه المميز، فالبندقية المصنوعة بإداوْلْتيتْ (الأطلس الصغير) تمتاز بمؤخرتها الخفيفة التي تكاد تكون أسطوانية الشكل، وبدقة زخرفتها، إذ ترصع بالعاج والعظام والصدف وتزين بالفضة المنقوشة والمطلية.

ويمتاز الطراز المصنوع بمركز إغرم (الأطلس الصغير) بدوره بتلفيف البندقية بسبائك من فضة كما تربط بين الفوهة والخشب حلقات فضية.

أما فيما يخص البندقية المصنوعة بمعامل تَاغزُوتْ (الريف) فتكون في غالب الأحيان خالية من الزخارف ومؤخرتها الخشبية عريضة وضخمة بالمقارنة مع النموذجين المذكورين آنفا.

وتجدر الاشارة إلى أن البنادق المصنوعة بالمدن كمراكش وفاس تشبه كثيراً إنتاج منطقة الريف، إلا أن أغلبها مزخرف بماء الذهب، أو مرصع بخيوط فضية ويكتب على بعضها آيات قرآنية أو أدعية أو اسم الصانع أو المالك بخط نسخي جميل.

ونشير إلى أن بعض النماذج من هذا الطراز معروض بمتحف الأسلحة بمدينة فاس.

أما من الناحية التقنية فيوجد بالمغرب بصفة عامة نوعان من البنادق : بوشفر، وبوحبة (انظر بوشفر).

L. De Chénier, *Recherches historiques sur les Maures et histoire de l'Empire de Maroc*, Paris, 1787, 3 : 237 ; J. Caillé, *La mission du Capitaine Burel au Maroc en 1808*, Paris, 1953, p. 66.

علي أمهان

**البندقية**، Venise مرفأ ومدينة تقع في الشمال الشرقي من إيطاليا على ضفة بحر الأدرياتيك، كانت خلال العصر الوسيط جمهورية تتحكم مع الجمهوريات الإيطالية الأخرى (بِيزا وجنوة وفلورنسا ونابْل) في ملاحة وتجارة البحر المتوسط. وبالرغم من أن الكنيسة، وعلى رأسها البابا، كانت قد شجّعت المسيحيين على الحروب الصليبية ضد المسلمين بشمال افريقيا، فان المصالح التجارية لهذه الجمهورية كانت عائقا أمام عقيدتها الدينية، وبالفعل كانت التجارة قوام البندقية فأشرفت على نشأة رجال الأعمال والرأسماليين خلال القرن الحادي عشر الميلادي، أما فيما يتعلق بمعلوماتنا حول العلاقات التجارية والسياسية التي كانت قد أبرمتها مع المغرب فهي جد قليلة إن لم نقل منعدمة نظراً لندرة المصادر في شأنها، وربما يرجع ذلك

أيضا لمنافسة مدينتي جنوة وبِّيزا لها في هذا الميدان .إلا أن المعروف والموثوق به هو أن البندقية كانت تتعامل خاصة مع تونس، وقد يبدو أيضا أن سفن هذه الجمهورية إلى جانب سفن جنوة وبِّيزا قد وصلت إلى سبتة وسلا خلال القرن السادس (12 م).

F. Braudel, *La Méditerranée et le monde méditerranéen* ; Y. Renouard, *Les Hommes d'affaires italiens du moyen-âge*, Paris, 1968.

أحمد الخنبوبي

**بَنْدَلَة**، أو ابـــن دلة، **أحمد** بن عثمان، وطني من الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال. ولد بمدينة فاس سنة 1327 / 1909 وتعلم في الكتّاب القرآني بمدرسة درب بن يعيش، كما كان يتابع بعض دروس القرويين إلى سنة 1345 / 1926. وبعدها انتقل إلى القنيطرة حيث مارس التجارة. وفي سنة 1349 / 1930 انضم إلى الحركة الوطنية وساهم في مقاومة الظهير البربري برفقة عبدالعزيز صقال ومحمد الزرهوني والعربي الدكالي ومحمد الديوري وبوشتى الجامعي والجيلالي بناني وولديه محمد ومَحمد ومحمد برادة المدعو (الفقيه). وفي هذه الفترة كان منزله ناديا لعمال الميناء بالقنيطرة.

كان يخرج متنكرا كبائع حبوب إلى فاس وإقليمها ينشر الدعوة الوطنية وينقل المناشير السرية، ونظراً لانسجامه التام مع المجموعة أطلقوا عليه لقب (الخاوة).

أُلقي عليه القبض مع مجموعة رفاقه سنة 1356 / 1937 بعد صلاة العصر من يوم الجمعة بالزاوية التجانية بالقنيطرة، وحكم عليهم بسنتين سجناً، وكان أحمد بندلة أول من غادر الزاوية آنذاك وهو يردد يا قهار يا جبار بعد تلاوة اللطيف. وقد نقل في البداية إلى الريش حيث ساهم في بناء قنطرة أطلق عليها اسم قنطرة الوطنيين، ثم نقلوا إلى سجن عين مومن بناحية سطات. وبعد انقضاء مدة السجن نُفي إلى مسقط رأسه فاس سنة 1358 / 1939. وفي أواخر السنة التالية انتقل إلى الدارالبيضاء، حيث استقر بمنزله المشهور بشارع فيكتور هيكو الذي قال فيه الشاعر عبدالواحد السلمي :

يوم الوثيقة ذكراه تذكّرنــا ماضي رجالٍ ذوي عزم وإيمان
دارُ بَنْدِلَة خلف القصر كعبتُنا وبيتُ أحمد ليلاً ركنُنا الحاني

وفي البيضاء صار يمارس التجارة بطريق مديونة. وقد اشتهر بخصاله الحميدة وبتمسكه بمبادئه وتفانيه وإخلاصه معروفا بالتواضع ودماثة الأخلاق، مرحا متفائلا مهما كانت الظروف، يضرب المثل بكرمه الحاتمي.

تمّ التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944 بالدارالبيضاء بمنزله من طرف مجموعة من الوطنيين، وأصبح منزله بالدارالبيضاء ملتقى الوطنيين الأحرار.

اعتقل أحمد بندلة أولاً بالدارالبيضاء يوم 20 ربيع الأول 1372 / 8 دجنبر سنة 1952، ثم اعتقل ثانياً يوم 9 ذي الحجة عام 1372 / 20 غشت 1953 حيث سيق إلى سجن غبيلة بالدارالبيضاء ثم إلى أغبالو نكردوس حيث أصيب بداء السكري نتيجة قسوة التعذيب. وبعد إطلاق سراحه في آخر شهر مايو 1954 بقي تحت الحراسة الإجبارية بمنزله، ثم أُلقي عليه القبض مرة أخرى أوائل سنة 1375 / 1955 وسيق إلى مركز القُوّاد الذين جاؤوا بهم إلى الدارالبيضاء ونصبوا لهم الخيام وجهزوها بكل وسائل التعذيب لينكلوا بالوطنيين. وفي مركز القائد محمد، المعروف "بداركم" المشهور بشدته وقساوته، مكث بندلة عدة أسابيع ذاق فيها شتى أنواع العذاب حتى تفجرت قدماه، وكان يفترش الأرض ويلتحف السماء، ويتوسد حجرة أعطاها لجارته في سجنه السيدة فاطمة الروداني.

وبعد إطلاق سراحه سافر إلى مدريد حيث التحق بالحاج أحمد بلافريج ثم ذهب معه إلى فرنسا لينضم إلى إخوانه العاملين في مكتب المغرب العربي، ولم يعد للمغرب حتى عاد محمد الخامس.

توفي في 10 جمادى الثانية عام 1392 / 22 يوليوز سنة 1972.

*روايات شفوية* عن ابنة أحمد بندلة التي لا تزال بالدارالبيضاء، وبناصر حركات، وأم كلثوم الخطيب، والهاشمي الفيلالي، وإبراهيم الكتاني الذي ذكره أيضا في كتابه : *مذكرات سجين مكافح*.

لطيفة بناني سميرس

**بَنْدُو، الحسن** بن الحاج محمد التامري الحاحي، فقيه ومقرئ ومدرس. ولد عام 1349 / 1930 بقرية تاسيلا التي تُكوِّن مع قرية أفرا وتبَنْدُوت دوار أيت عمرو من دواوير قبيلة أيت أمر بحاحة الجنوبية الغربية.

تعلم القراءة بمسقط رأسه بمساجد القرى المجاورة وحفظ القرآن الكريم على الطريقة السائدة في جيله (وقد تحدث المترجَم له عن هذه الطريقة بشيء من التفصيل وبنوع من الطرافة في مذكرات حياته).

ثم أخذه أبوه إلى زاوية "المحصر" التجانية بقبيلة إنْكَنافْنْ، التي أنشأها هناك قبيل الحماية الفرنسية أحد دعاة الطريقة التجانية بحاحة، وهو الشيخ محند بن سعيد التامري المشهور بالتلضى، وبها تلقى المتون العلمية الرائجة في مدارس البوادي والحواضر التقليدية على الشيخ الفقيه سيدي محمد بن إبراهيم أوبلاً المكرادي السوسي،

وهذا هو شيخه الوحيد في العلوم، لازمه نحو ثلاث عشرة سنة، إلى أن استقدمه بعض وجهاء قبيلة إيداوسارْن إثر استقلال المغرب، لتعمير مدرسة سيدي بوالبركاتَ بالإقراء والتدريس، فاستقر بها أزيد من ربع قرن إلى حين وفاته بها فجأة في نهاية عام 1403/1982.

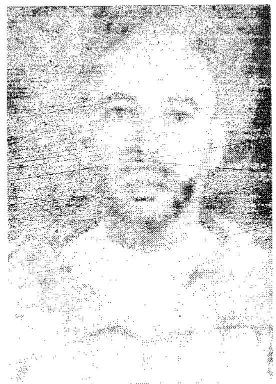

قرأ على بِّندو طلبة كثيرون في حاحة، فاستتم حفظ القرآن الكريم عنده العشرات منهم، وتتلمذ عليه في علوم العربية والدين أكثر من هؤلاء، وأحصى هو نفسه من تتلمذوا عليه فبلغ عددهم أكثر من ثلاثمائة طالب، كلهم تأثروا به في العلم والعمل واعترفوا له بالتفرد في وسطه، وقدرته على العطاء الكثير، لو وجد مجالاً غير مجاله.

ومن آثاره الأدبية : *مذكرات حياته ومجموعة أشعاره* على شكل ديوان مخطوط قام هو بترتيبه. وفيما يلي أبيات مقتطفة من قصيدته المطولة في وصف موطنه حاحة قالها عام 1397/1979 :

حاحا الحبيبةُ ان راحــك راحــي　　حُيِّيت يا حاحا تحيّةَ حاحي

وطني العزيز، رأيتُ حبّك في الحشا　　أمضى من الأسياف والأرمـــاح

مـرحى أيا حاحا ففيك صبَاحةٌ　　وصبابةٌ فـي قلبْـيَ المسْـراح

آيات حسنك واضحـاتٌ كالضُّحـا　　تُتلى وتُقرأ مثل وحْي الْواحـــي

وقد ذكر فيها المآثر التاريخية والعمرانية والمظاهر الطبيعية الجميلة في حاحة وذلك في مائة بيت.

ح. بـنـدو، *مذكرات* ؛ *ديوان شعر*، مخطوطان ؛ م. الطيب الصويري، (تلميذ بندو وصهره)، *ترجمة بندو*، مخطوط.

محند أيت الحاج

**بَنْدوصَة**، أو بَنْضوصة أو مَنْدوصة، أو مَنْضوصة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Mendoza أو هكذا Mendosa. ويقول الفقيه الرهوني (6 : 178) إنها انقرضت بتطوان سنة 1130/1717.

**بندوصة، علي**. أديب شاعر تطواني، قال فيه ابن زاكور في *نشر أزهار البستان* (ص 36) "الأديب الذي حاك من برود الأدب كل قشيب، وهصر من أفنانه كل غصن رطيب" كما قال فيه ابن الطيب العلمي في *الأنيس المطرب* (ص 343) : "شاعر مفلق، فقير من التوقف مملق، يقيّد ما شاء من القوافي ويطلق، ويفتح أبواب المعميات آونة وتارةً يغلق". وقد أتى ابن الطيب بنماذج من شعر بندوصة، وأضاف إليها الفقيه داود نماذج أخرى في كتابه *تاريخ تطوان* (1: 384).

لم نقف على تاريخ وفاة هذا الأديب الذي نعلم أنه كان حيا سنة 1094/1683. ويقول الفقيه داود إن وفاته تأخرت إلى الربع الأول من القرن الثاني عشر الهجري في حين يؤكد الفقيه الرهوني أنه توفي سنة 1130/1718.

وهناك رسوم عدلية مؤرخة في سنة 1201/1787 تشهد بأنه كان يوجد آنذاك بالمدينة تاجر يدعى :

**بَنْدوصَة، علي** بن **عبد الباقي**. ونتوفر كذلك على وثيقة تثبت أنه كان بتطوان سنة 1078/1668 شخص يدعى :

**بَنْدوصة، محمد** (الحاج.) كان من بين أعيان المدينة الذين شهدوا بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم عندما قرر السلطان مولاي رشيد استغراق ذمتهم وبيع أملاكهم، والوثيقة مؤرخة في 21 شوال عام 1078/4 أبريل 1668.

**بَنْديبية**، أو بن ديبية، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث توجد هناك أسر إسبانية تحمل حتى اليوم نفس الاسم Valdivia، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1142/1730.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 6 : 178 ؛ م. ابن الطيب العلمي، *الأنيس المطرب*، ص 343 ؛ م. ابن زاكور، *نشر أزهار البستان*، ص 36 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*. 1 : 239 ـ 384 ؛ 2 : 355 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البندير**، عبارة عن دائرة من خشب، قطرها حوالي 40 سم وعلى حاشيتها ثقب يولج فيه الناقر إبهام يده اليسرى، وتغطي أحد جانبيه قطعة من جلد الماعز قد يبسط على امتدادها من الخلف وتران من المصران بغرض إحداث اهتزازات صوتية عند النقر.

ويعتبر البندير إحدى الآلات الرئيسية في ضبط الايقاع الموسيقي، ولذلك فهو يعتمد في مصاحبة كثير من أنماط الموسيقى الشعبية العربية والأمازيغية.

ويعمد الناقرون في العادة إلى تعريض جلود البنادير للحرارة قبل استخدامها، ثم يضربون عليها على طرائق، أبرزها :

ـ النقر علَى وسط البندير بسبابة اليمنى. ويحدث ذلك رنات صوتية عميقة الدرجة.

ـ النقر على حاشيته بالبنصر والخنصر والوسطى من اليد اليسرى بينما يمسك بالآلة الابهام والسبابة. ويحدث ذلك رنات متوسطة الحدة.

لا يستخدم البندير عادة في طرب الآلة، ولا في طرب الملحون، ولكنه ـ مقابل ذلك ـ يستعمل في كثيرمن أنماط الغناء الأمازيغي والأهازيج الشعبية الحضرية.

فبالنسبة للطرب الأمازيغي يضطلع البندير بمصاحبة رقصات أحيدوس وأحواش. ومما يدل على علو شأنه في أحواش ـ مثلا ـ أن شيخ الفرقة (الرايس) يعلن من خلاله عن انطلاق الرقصة، فينقره نقرات موسعة في البدء، ثم تنطلق البنادير الأخرى في حوار منسق ومنظم يحدد حركات الراقصات ويضبط توقيع خطواتهن، حتى لا تكاد تسمع في النهاية إلا دقات البنادير ممزوجة بقصف الأرجل وصرخات الأصوات الحادة.

أما بالنسبة للطرب الشعبي الحضري فللبندير ـ إلى جانب التعاريج والغيطات والأبواق ـ دور رئيسي في مصاحبة الأهازيج لدى أغلب الفرق الشعبية كعيساوة، وأهل توات، والدقة المراكشية، وأغاني الشيخات في الأفراح والمواسم والأعياد، حتى أصبحت هذه الآلة مما تحرص الأسر على اقتنائه في بعض المناسبات كيوم عاشوراء.

ومما يدل على أهمية البنادير في هذه المناسبات أنها كثيرا ما تتفرد بأداء فقرات إيقاعية معقدة البنية دونما مصاحبة آلية.

A. Chottin, *Corpus de musique marocaine*, fasc. II.

عبدالعزيز بن عبدالجليل

**بنديوان، عمران**. ولد بالخليل (فلسطين) وتوفي بوزان عام 1782، معروف عند اليهود بأنه "ربّ عمران بن ديوان). أقام بفاس ثم بصفرو ثم بتازا، مدفون على بضعة كيلومترات من المقبرة اليهودية المسماة أسجن، تحت جدار ـ كركور ـ من الحجر، فأصبح الموقع يشكل إحدى المزارات الشهيرة التي تستقطب اليهود فيحجون إليه من كل البقاع خصوصا بمناسبة موسم هيلوله الذي يقام خلال شهر ماي، وتنسب بعض الكرامات إلى هذا الرّبي.

Y. Benaïm, *Malke Rabbanan* ; *Les pélerinages juifs*.

**بَنْرقّاصة** أو بن وقّاصة، خليفة، Ben Roqqasa, Khalifa كان أحد أفراد حاشية السلطان المريني أبي يعقوب يوسف، وتوفي عام 1302 م، وقد وقع عدم ضبط كتابة الاسم العائلي لتشابه حرفي الراء والواو الواردين في المخطوطات التي أتى فيها ذكره، لذا التبس علينا الأمر بين رقاصة ووقاصة، علما أن الناصري صاحب *الاستقصا* كتب : وقاصة، كما أن ابن خلدون ذكره باسم وقاصة حسب طبع بولاق عام 1867 م، لكن دوسلان كتب رقاصة، غير أنه يوجد في الأوساط غير اليهودية اسم الوقاش والوقاشي ووقاشة بني أيوب. ولئن كان هذا ليس دليلا قاطعاً يستدل به، فإننا نضيف أن "بن رقاصة" اسم نادر ولكنه ظل متداولا وواردا إلى أواخر القرن التاسع عشر، فمن ذلك أن لاريدو (ص. 1103)، ذكر إسحاق بنرقاصة وقال عنه : هاجر من تطوان إلى كاركاس . نفس اللقب نجده عند بنايم في كتابه *مالكي ربنام* (ص. 194) وعند داود كركوص في كتابه *اليهود في عهد الدولة المرينية*.

إن أهم مصدر يتناول أسرة بنرقاصة هو كتاب *العبر* لابن خلدون حيث نقرأ ما معناه : "كان أبو يعقوب يوسف يدمن في شبابه على الخمر مع أصدقائه فتعرف على يهودي يدعى خليفة بن رقاصة كان معاهدا بفاس، فربطتهما الصداقة، فعينه علافا جريا على العادة التي كانت سارية لدى الملوك والأمراء. وعندما أصبح أبو يعقوب يوسف ملكا، عين ذلك اليهودي قيما على أموال القصر، فصار ذا جاه وسلطة، يصدر الأوامر للشخصيات المخزنية والوجهاء، ثم فتح باب القصر لأخيه إبراهيم ولصهره موسى السبتي ولابن عمه خليفة الصغير، غير أن أبا يعقوب بمجرد ما اكتشف أن الوزراء والعلماء والشرفاء من بني مرين وغيرهم يسعون إلى كسب مودة اليهودي، ارتاب في أمر هذا الأخير وخشي أن يحدث ما يندم عليه، فقرر إبعاده عن القصر. وهنا تدخل صديق الملك، عبدالله بن أبي مدين الذي بيّن له ما ينبغي أن يتذرع به لإدانة اليهودي.وخلال شهر شعبان عام 701 /1302، أُلقي القبض على خليفة وإبراهيم بن رقاصة وموسى السبتي وإخوته في معسكر المنصورة بتلمسان، فتعرضوا جميعا للتعذيب ثم قتلوا،كما تعرض لنفس العقاب أعضاء عائلتهم ولم ينج إلا خليفة الصغير لأنه كان ما يزال شابا فلم يثر إلا احتقار وازدراء الملك".

لم يكشف ابن خلدون التهمة التي وجهها متملق للقضاء على متملق آخر فيما ينبغي وضعه في إطار الصراع الصامت والدسائس المحبوكة التي تحاك خيوطها في الخفاء والمؤامرات من أجل الاستحواذ على السلطة والتي ستؤول إلى مقتل أبي يعقوب نفسه.

لم تتوقف تلك المؤامرات في عهد الملك أبي الربيع (707 ـ 709 / 1307 ـ 1310) الذي قرب منه خليفة الصغير بن رقاصة ذلك أن هذا الأخير سيعارض مقاصد أبي مدين الذي سيقتل بسبب إثبات خيانته، كما أن خليفة الصغير سيلقى نفس المصير بعد ذلك.

قال ابن خلدون : إن شيخه الآبلي هو الذي أطلعه على هذه الأنباء، لكننا نلاحظ أن *القرطاس* الذي كتب عام 1326، أي في الفترة التي وقعت فيها هذه الأحداث، لا يشير إليها لا من قريب ولا من بعيد.

ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، 7 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4.

Y. Benaïm, *Malki Rabbanan*.

**بنزاقين** Ben Zaqèn **صمويل**، ولد بفاس عام 1660 وتوفي بها عام 1740. ربّي وصاحب مؤلفات أهمها : *سفر بيري عيصْ ها ـ گان*، يتضمن شرحا للتوراة ومعناه : *"ثمار شجر البستان"* جاء الكتاب في جزئين، طبع بالقدس عام 1904، ثم له : *گفينْ پوريخْ* (حقل العنب الخصيب) حول الشريعة غير المكتوبة *"ميشنا"*، وله في الأمثال *"أگادوت"*

بيري مغاديم وعدة فتاوي.

**بنزاقين، ليون** - إلياهو (الدكتور) وكان اسمه يكتب في الجرائد العربية بالكاف : بنزاكين. ولد عام 1901، ينتمي إلى أسرة طنجية الأصل استقرت بالدارالبيضاء. وتخرج من إحدى كليات الطب بباريس متخصصا في الأمراض الرئوية، اشتغل بالدارالبيضاء وساهم بصورة فعّالة في أنشطة عصبة مقاومة أمراض السل ابتداء من عام 1930. كان له الفضل في تأسيس مركز علاج أمراض السل ببلدة "ابن أحمد" وهو المركز الذي ساعد على علاج عدد هام من أفراد الطائفة اليهودية القاطنة بالدارالبيضاء. كان يتمتع برصيد كبير من الاحترام والتقدير من لدن جميع اليهود، الأمر الذي جعله يحظى بثقة الملك محمد الخامس فأسند إليه منصباً وزاريا في الحكومتين الأولى والثانية بعد الاستقلال (كان وزيراً للبريد والهاتف والبرق في الحكومة التي ترأسها مبارك البكاي عام 1955 وفي الحكومة الثانية التي تأسست في أبريل 1958. ومن عام 1967 إلى عام 1977 وهو تاريخ وفاته تقلد منصب رئيس للطائفة اليهودية بالدارالبيضاء.

A. J. Larédo, *Les Noms des Juifs* ; Y. M. Tolédano, *Ner Hama'arab.*

سيمون ليفي

**بَنْزْطيطْ** ← **معنينْ بنزطيطْ**

**بَنْزْميرُو**، أسرة يهودية أندلسية هاجرت من غرناطة في جملة من هاجر من المسلمين واليهود. ويعرفون في أسفي بأولاد بنزميرو، وقد لعبوا دورا سياسيا واجتماعيا في الحياة المغربية خلال الاحتلال البرتغالي لأهم ثغور المغرب ولا سيما في الفترة المتراوحة ما بين عام 1498م وعام 1550م التي تزامن نصفها الثاني مع قيام مملكتين بالمغرب، مملكة مراكش الخاضعة لمحمد الناصر بوشنتوف الهنتاتي ومملكة فاس التي كانت تحت سلطة الوطاسيين قبل أن يبسط السعديون نفوذهم على كافة التراب الوطني بما في ذلك ما كان يسمى بمملكة مراكش.

زيادة على الدور السياسي والاجتماعي الثابت تاريخيا الذي لعبته أسرة بنزميرو بالمغرب، تتميز كذلك بما كسبته من حُظوة خاصة لدى أهالي أسفي والمناطق المجاورة، يهوداً ومسلمين، فاعتقد العامة "أن سبعة إخوة منهم دون تحديد اسم لأي منهم، وهبوا أنفسهم للعبادة والقراءة، يرقدون في مقبرة مجاورة للأسوار، لا أحياء ولا أمواتا، لهم بركات ويحققون المعجزات، فيستقطبون الزوار من المسلمين واليهود يشفون المرضى ويحوّلون عقم النساء إلى خصوبة..." إلا أن هذه الشهرة الخرافية مالت إلى التردي في السنوات الأخيرة بسبب تقلص عدد أفراد الطائفة اليهودية وانسلاخ متوسطي العمر والشبّان المسلمين عن المعتقدات الأسطورية.

أما عن ماذا تعني كلمة بنزميرو، فمن المرجّح أن تكون مشتقة من الكلمة العبرية - العربية "زمر" ومن العبرية "زِمْرة" التي تفيد الغناء والشدو.

يقول بعض الباحثين إن أسرة بنزميرّو لجأت إلى البرتغال تحت قيادة شيخها إبراهيم بنزميرو، الربّي الطبيب الذي لقي الترحاب لدى ملك البرتغال حين كان في خلاف تام مع ملوك قشتالة بإسبانيا بسبب نزاعات إقليمية وأخرى تتعلق باكتشافات البلدين في ما وراء البحار، بافريقيا وآسيا وأمريكا. بعد سنوات قليلة توجهت أسرة بنزميرو إلى المغرب، فاستقر بعض أفرادها بالعرائش التي كانت خاضعة للبرتغال منذ عام 1471. نزل اثنان منهم بأولادهما في أزمور، وهما إسماعيل وإسحاق، أخوا إبراهيم، ونزل إبراهيم وأخوه موسى وابنه يعقوب بآسفي، وذلك عام 1499.

**بنزميرو، إبراهيم**، أظهر هذا الربي كثيرا من الوفاء والإخلاص إلى التاج البرتغالي ومضى يعمل على صيانة مصالح اليهود بالتوازي مع خدمة النفوذ البرتغالي بالمغرب، فحظي بثقة عمانويل الأول ملك البرتغال الذي جعله ترجمانا رسميا بالمدينة ومستشاراً سياسياً في الشؤون المغربية، ثم عينه ربيا كبيرا على يهود أسفي وأكد له هذا التعيين برسالة ملكية تحمل تاريخ 5 يونيو 1510، أضاف إليها لقب القاضي الأعلى لليهود مع اختصاصات قضائية وتنفيذية تجعل من اليهود رعايا للبرتغال منفصلين عن تدخل الحاكم المسلم المحلي في شؤونهم أو سجنهم مع المسلمين، إذ خصص لهم سجنا يديره اليهود ومنع بناء حي خاص بهم معتبراً أن المدينة كلها لهم وأن المسلمين هم الدخلاء عليها، وخفّفت عليهم من الإتاوات إذ لم يعودوا يدفعون إلى البرتغال إلا أوقية ذهبية في السنة بالنسبة لكل دار مهما كان دخل أصحابها.

زيادة على هذه الامتيازات، استطاع إبراهيم بنزميرّو أن ينتزع من البرتغال الوعد بأن يهود أسفي لن يجبروا على مغادرة المدينة في حالة ما إذا أمرت السلطات الدينية البرتغالية بتهجيرهم، وحتى إذا حدث ذلك فلن يجردوا من ممتلكاتهم وأمتعتهم، ويمكنهم الرجوع إلى أسفي متى شاؤوا لتفقد مصالحهم.

ظل إبراهيم بنزميرو على اتصال وثيق بالحاكم العسكري المحلي وبالسلطات العسكرية بالبرتغال، فكان يبلّغ إلى المحتلين أنباء عن السكان ويطلعهم على ما يتوصلون به من أخبار عن أهل البوادي وعما يتناقلونه من معلومات حول مملكتي مراكش وفاس وتحركات المجاهدين. فكان إبراهيم مع زمرة من اليهود كأعوان في الاستعلامات، يفيدون البرتغال ويستفيدون منه.

كان إبراهيم يتشكك في إخلاص يحيى بن تاعفوفت للبرتغال وقد عينه عمانويل الأول قائداً على أسفي، فكان إبراهيم يرقب تحركات يحيى ويوافي الملك البرتغالي بتقارير خطيرة يضمنها ما مضى يسميه بتواطؤ يحيى مع القبائل المناوئة للوجود البرتغالي وتصرفه في المنطقة وكأنه ذو

سيادة وأقوى من ملك البرتغال.

عندما ضرب ملك مراكش الناصر بوشنتوف أواخر عام 1511 حصاراً على أسفي دام عدة أسابيع، بعث إبراهيم موفدا عنه إلى يهود أزمور يطلب منهم النجدات، فقام إسماعيل وأخوه إسحاق بنزميرو بتعبئة مائتي يهودي وبعض المرتزقة ثم زودهم بالعتاد والمؤونة وأرسلهم بحراً إلى أسفي. وذات ليلة، بينما كان الأهالي المسلمون وعساكر ملك مراكش نياما، تمكّن إبراهيم وعصابات يهودية من فتح باب البحر في الأسوار وأشاروا إلى يهود أزمور، فنزلوا من سفنهم فشكلوا، مع يهود آخرين التحقوا بهم، جماعات انقضت على الخيام مع جنود الاحتلال البرتغالي وفتكوا بجيش الناصر بوشنتوف، وأسروا عددا من الأفراد، رجالا ونساء، وحصلوا على غنائم أخرى.

أخذ نجم إبراهيم يتألق في الأوساط البرتغالية، فما كانت تنظّم محادثات أو مفاوضات بين وفود مغربية وحكام البرتغال إلا وكان إبراهيم حاضراً ليترجم أقوال هؤلاء وأولئك وليدلي برأيه في هذا الموضوع أو ذاك.

لا يدري أحد متى ولد إبراهيم بنزميرو هذا ولا أين توفي ومتى. كان له، علاوة على موسى، ولد آخر اسمه يعقوب، برحا معا آسفي - ولا ندري متى - إنما كان إبراهيم على قيد الحياة عام 1527. هذا وقد ورد في الوثائق الأوربية ذكر موسى ويعقوب مشفوعاً بلقب "الروتي"، فقيل موسى الروتي ويعقوب الروتي.

وجاء في بعض المصادر أن يهودياً اسمه إبراهيم بنزميرو كان ترجمانا بالبريجة - مَزيكَانْ في عهد البرتغال، الجديدة حاليا - عام 1527، لكن الأمر لا يتعلق بإبراهيم الطبيب الربي الأكبر.

**بنزميرو، موسى** الترجمان، استوطن مدينة فاس، فتقرّب من السلطان السعدي أحمد الأعرج وأصبح ترجمانه لدى البرتغاليين عام 1536، ثم وسيطا بينه وبينهم. وقد استقر أخوه يعقوب بأصيلا ومضى يمارس التجارة ويربط العلاقات المتينة مع معظم أهل المنطقة ورجالات السلطة بفاس، وذلك بعدما تولى مهمة الترجمة بأسفي عام 1523 قبل وفاة أبيه إبراهيم.

غير أن أحد الزعماء الدينيين البرتغاليين ذهب يلاحق الأخوين بدعوى أنهما على غير دين النصرانية، وأنه يجب طردهما شرعاً من أي موقع من مواقع الاحتلال البرتغالي، متناسيا المعاهدة المبرمة بين سلطان فاس محمد الشيخ وملك البرتغال التي نصّت على أن اليهود المغاربة القاطنين في المدن المحررة أو الذين برحوا المواقع المحتلة من طرف البرتغال، إنما هم رعايا السلطان، مثلهم مثل المسلمين ولا يحق لجنود البرتغال ملاحقتهم أو إلقاء القبض عليهم. من أجل ذلك توترت العلاقات بين فاس ولشبونة بعدما تم إلقاء القبض على موسى (الروتي) بنزميرو بطنجة حيث كان في مهمة رسمية من قبل السلطان مولاي أحمد الأعرج والتي أعقبتها موجة من الاحتجاجات نقلها يعقوب بنزميرو إلى السلطات البرتغالية التي كانت تؤاخذ موسى بمناوشاته لبعض المسيحيين وتوسطه لبيع الأسلحة البرتغالية إلى مملكة تلمسان بعدما صدر أمر باباوي بحظر بيعها إلى بلاد المسلمين، كما تؤاخذ شقيقه يعقوب بشن حملة ضد المصالح البرتغالية بالمغرب وتحريض الأسرى النصارى بالمغرب من أصل برتغالي على اعتناق اليهودية أو الانسلاخ عن طاعتهم وولائهم لملك البرتغال.

انتهت الاحتجاجات السلطانية بإطلاق سراح موسى وعدم ملاحقة أخيه يعقوب الذي صار، فيما بعد، شيخ الطائفة اليهودية بفاس. وقد ورد في الوثائق الأنجليزية المؤرخة بعام 1590 . 1591، اسم تاجر يهودي يدعى يعقوب الروتي، وليس من المستبعد أن يكون من أسرة بنزميرو، وقد يكون حفيدا ليعقوب بن إبراهيم أو ابن أحد إخوته أو أعمامه، بينما ذكرت وثائق أخرى يهوديا اسمه يعقوب الروتي كان ترجمانا لدى أحمد الوطاسي ملك فاس، من عام 1524 إلى عام 1550. وهناك يهودي آخر بنفس الاسم.

**بنزميرو، موسى** أو موشي، موثق بتطوان، توفي عام 1778، له كراسات وشروح في موضوع التوراة. كان ابنه صموئيل إبراهيم (1737 . 1830) ربّيا وقاضيا بفاس، ولحفيده رحاميم حبيم *داود* ديوان في السّجع تحت عنوان *مليصة* ما زالت قطع منه موجودة ضمن مجموعة يوسف بنايم بنادي اللاهوت اليهودي في نيويورك.

أ. بنجلون، *من تاريخ آسفي*، مخطوط.

*S.I.H.M. France, Portugal, Angleterre, Espagne, Pays-Bas*; P. De Cénival, *Hesp.*, 1925, p. 180 ; Y. D. Semach, *Yahas de Fès*; *Hesp.*, XIX, 1934, p. 92 - 93 ; A. Antona, *La région des Abda* ; M. Eisenbeth, *Les juifs du Maroc* ; L. Voinot, *Pélerinages Judéo-Musulmans du Maroc* ; E. Doutté, *En tribu* ; Y. M. Toledano, *Ner Hama`arab* ; H. Zafrani, *Les juifs du Maroc*; A. Laredo, *Les noms des juifs au Maroc*.

أحمد بنجلون

**البَنْزي** أو البّانزي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ponce. وكان جل أفراد هذه الأسرة بتطوان يعملون في فرقة البحرية التابعة لحامية المدينة بمرتبل سنة 1830/1246 حيث تذكر الوثائق منهم أسماء البحارة : البّنزي سلام ؛ البّنزي عبدالخالق بن أحمد ؛ البنزي عمر ؛ البنزي قدور.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 7 . 47 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 212 . 211 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بنزي، محمد** بن عبدالسلام، مقاوم ولد سنة 1941 بقبيلة مسفيوة دوار بولكرار، واختار العمل السري صحبة مجموعة من المقاومين الشباب، وانخرط في المقاومة المسلحة السرية و"الهلال الأسود" سنة 1954، فكان صديقا للسيد أحمد بن صالح وعلى اتصال بالسيد عبدالله

الحداوي، وقد عرف منذ شبابه بالغيرة الوطنية والحماس ومناهضة الظلم والاستعمار ومن أعماله مشاركته في تفجير سيارة "جيب" في ملك فرنسي، كما أطلق الرصاص على عدد من الجنود الفرنسيين في كل من مكناس والرباط والبيضاء، وبقي مستمراً في عمله بكل شجاعة إلى أن اتفق المسؤولون عن منظمة الهلال الأسود على تكليفه بمهمة رئاسة إحدى خلايا الفرقة بمراكش، إلا أن أيدي المستعمر الغاشم لم تمهله حيث اغتالته في 7 يوليوز 1954.

*المندوبية* السامية للمقاومة ؛ *كتاب الشهداء*، ج 3.

عزالدين العلام

**بنزيان**، أو ابن زيان، أسرة وجدية، ربّما ترجع نسبتها إلى الشيخ الشهير محمد بنزيان دفين خارج مدينة وجدة.

**بـنْـزيان، محمد** المعروف بصاحب البر والبحر، لما نسب له من كرامات بنجدته للحجاج في البحر وقت الشدة والأهوال، وهو من سلالة عبدالحاكم بن عبدالقادر سيد الشيخ أي أولاد سيد الشيخ الغرابة.

كان الشيخ محمد بن زيان رحالة دائم التنقل عبر ربوع إقليم وجدة ومناطقه إلى أن وافته المنية حوالي سنة 1194 / 1780 بمدينة وجدة فدفن خارجها وقد أقام بوعمامة على قبره قبة غدت مزارة شهيرة.

م. مرزاق، *الشيخ محمد بن بوزيان وزاويته بالقنادسة*، مرقون، د. د. ع. كلية الرباط 1988 ؛ *وثائق محلية* ؛ *روايات شفوية*.

محمد مرزاق

**بنساسي**، (زاوية ـ) تقوم هذه الزاوية حول ضريح الشيخ عبد الله بنساسي آتي الترجمة، قرب ملتقى واد تانسيفت بواد الحجر (الذي يتكون من واد أوريكا وواد الزات). بالضفة اليسرى، وبوالوروص بالضفة اليمنى، بمكان غني بالمياه الجوفية القريبة والعيون النابعة من ضفة تانسيفت الجنوبية، يعرف بالولجة أو الويدان بحوز مراكش التقليدي، وقد استولى الرحامنة على هذا الجزء في القرن الثاني عشر (19 م). وتتميز الأراضي هنا باستوائها وخصوبتها، وتلقّيها حوالي 250 ملم من الأمطار سنوياً.

وقد توسعت الزاوية فغدت قصبة محاطة بسور قديم مبني بالحجارة والجير، على علو 443 م، بها قبة ضريح منقوشة، ومسجد بصومعة منقوش نصفه الأسفل تقام به صلاة الجمعة. بنيت الزاوية فوق قاعدة شستية ترتفع عن سرير الواد بحوالي مترين، محصورة بين واد تانسيفت شمالا وسيل عرضي بالجنوب الشرقي، يوجد بداخلها سبعة وعشرون منزلا بلغ سكانها 402 ن سنة 1982 مبنية بالتراب المدكوك من طبقة واحدة معظمها في طريق الانهيار ولا يوجد بها سوى منزل واحد من طبقتين. ولا يوجد بالزاوية من التجهيزات العمومية سوى بئر يـزوِّدُ السكان بالماء الشروب. ويكوِّن حفدة الولي الصالح نصف سكانها، يمتلكون بساتين بجوارها، كما أن هناك بساتين محبسة على الزاوية وأخرى على أضرحة أولياء أيت أمغار بمراكش.

توجد زاوية بنساسي ضمن جماعة أولاد حسون، مساحتها 150 كلم$^2$ وسكانها 26.639 نسمة، تابعة لدائرة الأحواز بإقليم مراكش (مشيخة بنساسي) وتغطي الجماعة بساتين مروية تقليدية ترجع ملكية الكثير منها إلى حضريين بمراكش وبعض الملكيات للأحباس، إلى جانبها ملكية صغيرة مفتتة لفلاحين محليين. كما استقر بها المعمرون الأوربيون الذين طبقوا أساليب استغلالية حديثة سرعان ما نقلها الفلاحون وعم انتشارها.

تستفيد الزراعة من السقي من مصادر مياه عديدة : واد تانسيفت وواد الحجر وفيض مسيلات ومياه العيون والخطارات وأخيرا الضخ الآلي. وتغطي الأشجار حوالي 50٪ من مساحتها : زيتون وعنب ومشمش وفواكه متنوعة، وهي تتحول اليوم لتصبح ضاحية حليبية وبقلية لمدينة مراكش. ويزداد اهتمام الفلاحين العصريين والتقليديين بتربية الأبقار الحلوب "الرومية" المستوردة والمهجنة، وبإنشاء الحضائر العصرية، ويوجد بالجماعة خمس محطات لجمع الحليب. ويرافق مسلسل رأسمالة الزراعة حركة دمج الملكيات وغزو الملاكين الحضريين على حساب الفلاحين الصغار الذين يبيعون بقعهم الصغيرة ويتحولون إلى عمال زراعيين أو يهاجرون، والعديد من شباب الجماعة يعمل بمراكش ويسكن بقريته الأصلية، يتراقص يوميا بينهما مستفيدا من وصول حافلات النقل الحضري إلى قنطرة واد الحجر ومن سهولة النقل على الدراجات الهوائية والنارية والعربات. كما ينتشر السكن المتشتت بالمزارع العصرية بينما يبقى السكن التقليدي بالدواوير. ويوجد بالجماعة عدد من المراكز الكبرى التي تسير في طريق التمدين والنمو العمراني أهمها مركز الشويطر ومركز واد الحجر على طريق مراكش ـ فاس حيث ظهرت منشآت عمومية واجتماعية وسويقة دائمة.

ربطت زاوية بنساسي مؤخراً بطريق ثلاثي مرصف بالطريق الرئيسي عند قنطرة واد الحجر طوله خمسة كيلومترات، وتبعد هذه الأخيرة عن مراكش بسبعة عشر كيلومتراً وكان يعقد بجانب الزاوية موسم ديني للولي بنساسي لكنه توقف منذ عقود من السنين، كما كان ينعقد بجانبها سوق أسبوعي يوم الجمعة يفصله الواد عن الزاوية، مما يجعل السوق ينقسم إلى سوقين يعقد كل منهما بضفة عند فيضان الواد، ونقل السوق في بداية الستينات إلى مكان مجاور لقنطرة واد الحجر حيث صار يعقد يوم السبت، وما زال يحمل اسم سوق بنساسي، يعرف نشاطا متزايدا، إذ يقصده كثيرمن السكان الحضريين لشراء الخضر الطازجة واللحوم، وهو سوق حديث حسن التجهيز به سوق للمواشي وآخر للجزارة : سبعون دكاناً، وحوالي ثلاثين دكاناً آخر وبعض المنشآت الإدارية. يقام بوسطه خيام وسقائف لبيع منتجات حضرية يشتريها الريفيون أو ريفية يشتريها الحضريون والريفيون. ونظرا لموقع الزاوية المهدد بفيضان الواد فإنه لم يشيد حولها أي بناء، وظهرت بعض الدكاكين

والمباني الجديدة على بعد 100 م منها بجانب الطريق يحيط بها عدد من القرى وسط البساتين، وظل عدد سكانها ثابتا منذ عقود، فإن استفادت قديما من موضعها الحصين بمكان غني فلاحيا فإنها صارت اليوم ضحية هذا الموضع الضيق الخطير، الذي حكم عليها بالركود، كما عانت من سياسة التهميش الاستعمارية وفقدت موسمها وسوقها والكثير من شبابها.

*بحث ميداني في خريف 1990 ؛ بحوث السنة الرابعة في الجغرافيا* لبعض الطلبة بكلية الآداب بمراكش.

أحمد هوزالي

**بنساسي، عبدالله** السبعي، نسبة على غير المشهور إلى أولاد بوالسباع الذين كانوا يقيمون بحوز مراكش أواخر القرن التاسع (15 م). ويكتب أيضا مفصولا : ابن ساسي. نشأ في بادية قومه السباعيين، وأخذ علم الظاهر والباطن في مدينة مراكش. وإذا كنا لا نعرف العلماء الذين تتلمذ لهم، فإن المصادر تؤكد أنه سلك طريق القوم على يد الشيخ عبدالله الغزواني تلميذ عبدالعزيز التباع أشهر مريدي الشيخ مَحمد بن سليمان الجزولي مجدد الطريقة الشاذلية ومؤلف *دلائل الخيرات*. وقد أذن له شيخه الغزواني - بعد أن اكتمل حاله - باتخاذ زاوية له على ضفة واد تانسيفت بمكان كان يدعى تانفريت وأصبح يعرف بزاوية بنساسي.

لم ترتبط شهرة بنساسي بمجال التصوف فحسب، وإنما اشتهر أيضاً بإسهاماته الفعالة المتعددة في مقاومة المحتلين البرتغاليين للشواطئ المغربية، ولا سيما في إقليم دكالة. ولعل من أهم الشواهد الدالة على ذلك، القصة المسماة في بعض المصادر "قصة المرابطين" (*مدينة*، 76) وفي بعضها الآخر "أسرى أزمور" (*ممتع*، 86). وتقول هذه القصة إنه لما أجْلي البرتغاليون عن مدينة أزمور، عقب فتح محمد الشيخ السعدي لأگادير سنة 1541/947، تسارع إليها جماعة من الصوفية والمجاهدين على رأسهم أبو محمد عبدالله بنساسي السبعي ورفيقه في طريق القوم أبو محمد عبدالله الكوش، بقصد حراستها حتى يأتي مدد المسلمين ومن يعمرها منهم مخافة أن يرجع إليها المحتلون. فإذا بالبرتغاليين المحتلين لمازيغن (الجديدة) قد اقتحموها عليهم قبل وصول المدد، وأسروهم ثم ساقوهم إلى مازيغن، ولم يقبلوا بإطلاق سراح الوليين المذكورين إلا مقابل فدية بلغت ألفي ريال ومائتي ريال، أداها عنهما المسلمون بأمر من سلطان مراكش أحمد الأعرج السعدي. (*الاستقصا*، 5 : 20).

وإلى جانب ذلك، وعلى غرار أولياء مراكش، كان عبدالله بنساسي ممن ساند الحركة السعدية المتنامية في الجنوب المغربي، وممن ساعد زعيميها أحمد الأعرج ومحمد الشيخ على الدخول إلى مراكش (*الأولياء*، 2 : 632). على أن أبرز دور قام به هذا الشيخ لصالح الحركة السعدية هو توسطه في النزاع الذي نشب بين الأخوين الأميرين أحمد الأعرج ملك مراكش، ومحمد الشيخ ملك سوس عقب فتح هذا الأخير مدينة أگادير، وذلك تتميما للدور الذي قام به كل من الشيخ رحال الكوش البدالي المتوفى سنة 1543/949، ثم الفقيه الجيهاني المراكشي (*افريقيا*، 1 : 461 - 464 - 465).

فبعد سلسلة من الصراعات، حدث أن التقى الأخوان في معركة القاهرة (مكان بجهة جبل سكساوة) الشهيرة 1544/950، وكان النصر فيها لمحمد الشيخ الذي اقتحم عاصمة أخيه مراكش، بينما التجأ أحمد الأعرج إلى زاوية عبدالله بنساسي واحتمى بحماها. (*افريقيا*، 1 : 465 - 466).

أوفد أحمد الأعرج من ملجئه ابنيه زيدان والناصر في طلب النجدة من غريمه الأسبق أحمد الوطاسي بفاس. ولما شاع خبر هذه الوفادة في الأوساط المراكشية اتصلت مجموعة من الفقهاء والصوفية، وعلى رأسهم الشيخ عبدالله بنساسي، بأحمد الأعرج وأقنعوه بالعدول عن رأيه، ونظموا بينه وبين أخيه لقاءً أخيراً على مقربة من العاصمة. (*تاريخ*، 93). وانتهى اللقاء بمبارحة أحمد الأعرج للمنطقة إلى تافيلالت، ورجوع محمد الشيخ إلى مراكش وانفراده، بالتالي، بالسلطة.

توفي عبدالله بنساسي ليلة الجمعة 26 شعبان 27/961 يوليوز 1554، ودفن بزاويته بضاحية مراكش.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 110 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة* ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع*، 82 ؛ مارمول، *إفريقيا* ؛ دييگو دي طوريس، *تاريخ الشرفاء* ؛ م. الافراني، *نزهة*، 19 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ أ. الوارث، *الأولياء ودورهم في مغرب القرن السادس عشر*، د. د. ع. كلية آداب فاس، 1988.

أحمد الوارث

**بَنْسَبَات**، Bensabat أسرة يهودية أصلها من المغرب استوطنت البرتغال خلال القرن الثامن عشر، منهم :

**بنسبات، شلوم** بن أبراهام، كان ربيا بتامَسّارت آخر القرن السابع عشر وطرفا من القرن الثامن عشر، صاحب كتاب *هليا گامور* (الحمد المطلق)، 1726. يقول بنايم في كتابه *مالكي ربنان* : إن كتاب هذا الربي قد يعتبر مقدمة *لمعارة سدة همحبيلة* لموشي ابنصور وهو مؤلَّف قبالي مكتوب شعراً.

**بنسبات، ليفي**، وابنه ماركوس اللذان خاضا معا صراعا ضد حكومة ضوم ميكيل 1828 - 1834.

A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc* ; *Encyclopaedia Judaica.*

**بنسبات، يعقوب**، ولد بالمغرب وتوفي بليفورن عام 1858. صاحب ديوان شعر ديني مقدس *(بيوتيم)* نشر تحت عنوان *ويغل يعقوب* (وابتهج يعقوب) نشر بليفورن عام 1887. وله أيضا خطب ومواعظ نشرت مجموعة بليفورن عام 1881 تحت عنوان *رواح يعقوب* (نفس يعقوب)، ويتعلق

موضوعه بمقالات وفصول حول القواعد العشر للأخلاق الواردة في النشيد الخامس عشر من *الزبور*، لكل فصل مقدمة بالنثر المسجوع أي بالمليصة عندهم. وقد قام حييم الزعفراني بتحليل هذا الكتاب واتخذه نموذجاً للآداب اليهودية المغربية المكتوبة بالعبرية.

Y. Benaïm, *Malki Rabbanan* ; H. Zafrani, *Poésie juive en Occident musulman.*

سيمون ليفي

**بنسعيد** (أسرة سلاوية ـ) ← ابن **سعيد**

**بنسلامة**، أسرة رباطية أصلها من الشاوية، انتقلت إلى الرباط في تاريخ مبكر، وأصبحت لها وجاهة ومكانة، حتى إن زنقة حملت اسمها في بوقرون أهم أحياء المدينة القديمة، بين زنقة اليوسفي وزنقة الرايسي. وأكثر اشتغالهم في تجارة المنسوجات والملابس بالسوق الفوقي، (شارع القناصل اليوم)، معدودون في أتباع طريقة شرفاء وزان، مذكورون في ذوي المبرات والصدقات، لا سيما الحاج المحجوب والحاج التهامي بنسلامة التاجرين الكبيرين.

**بنسلامة، المعطي** بن **المحجوب** (الحاج ـ) من نبغاء طلبة الرباط في أواخر القرن الثالث عشر (19 م). كان ملازماً دروس شيخ الجماعة إبراهيم التادلي، وهو السارد بين يديه، مما يدل على أنه في طليعة الدارسين. وكان المعطي بنسلامة أثيراً لدى الشيخ مقربا إليه، إلا أن المنية عاجلته وهو ما زال في شرخ الشباب.

توفي قبل عام 1311 / 1893، ودفن بدار الشيخ إبراهيم التادلي بحي تحت الحمّام في البيت الذي يدرس به العلم. وفي هذا البيت أقبر الشيخ التادلي بعد وفاته.

**بنسلامة، المعطي** بن **الهاشمي** بن الحاج التهامي، من شبان الرباط المتعلمين تعليما مزدوجاً في المدارس العصرية، ومن السباقين إلى الانخراط في الحركة الكشفية المغربية، كان من أفراد الفرقة الكشفية المغربية التي قامت لأول مرة باستعراض في يفرن وخيمت به سنة 1934، ثم أصبح لاعباً لكرة القدم في فرقة المغرب الرباطي. وكانت له بعد ذلك مساهمة في الحركة الوطنية وفي المقاومة بعد أزمة سنة 1953، وتوفي بمسقط رأسه حوالي عام 1980.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 261 ؛ *رواية شفوية* عن م. الأمين بلكناوي.

محمد حجي

**بنسلمة الغياثي**، دأب قواد إقليم الهبط خلال القرن العاشر (16 م) على تعيين نواب عنهم لحراسة القبائل الهبطية من غارات جنود الثغور الشمالية الواقعة بيد البرتغال. وسموا هؤلاء النواب بالمقدمين. ففي هذا الإطار عين طلحة العروسي، قائد القصر الكبير سنة 915 / 1509، المدعو بنسلمة الغياثي مقدما على جبل بني عروس، لحراسة قرى أفكير وميسرة وسوق اثنين بني عروس، وهي أكثرها عرضة لغارات جنود أصيلا. وكانت مهمته الأساسية مراقبة مدخلين : شمالي واقع بين جبل حبيب وجبل بني عامر، يتوسطه مجرى واد الخروب، وآخر جنوبي ينفتح بين جبل سماتة وجبل بني عامر، يخترقه واد المخازن.

قام بنسلمة الغياثي بمهمة مقدم خلال سنوات عديدة من مدة حكم طلحة العروسي وابنيه أحمد (1511 ـ 1530) وعبد الواحد (1530 ـ 1559). واعتاد التحرك بعدد من الفرسان بين 70 و80 فارسا. بقي في عمله إلى سنة 1534، حينما توارت عنا أخباره.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, vol, 1, p. 30 - 46 - 203 - 207 ; vol, 2, p. 259.

حسن الفگيگي

**بنشطون، زكري** بن نسيم كان ربّيا لطائفة اليهود البلديين أي تُشابِيمْ المحليين (الأهالي) بفاس، وهو التعبير الذي يُضادّ به اليهود النازحون من إسبانيا الملقّبين بالعَجْميين أي الروميين الملقبين أيضا بالمغوارشيم (انظر بنّايم، مالكي ربّنان).

**بنشطون، شطون** بن شاويل هالفي، كان أحد الأعيان المرموقين من بين اليهود البلديين عام 1525 (انظر طوليدانو، *نير همعرب*، ص. 60).

وكان لقب بنشطون متداولا بأصيلا بين سكانها اليهود من القرن الرابع عشر إلى القرن العشرين، وكان هناك ربّي يدعى بنشطون مسعود هالفي على قيد الحياة خلال القرن الرابع عشر (انظر لاريدو، *أسماء*...، ص. 775).

Y. Benaïm, *Malki Rabbanan* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs*; Y. M. Toledano, *Ner Hama'arab.*

**بَنْشيمُولْ أبراهام**، Benchimol، كان ترجماناً بالقنصليّة العامة لفرنسا بطنجة في أوائل القرن التاسع عشر، وقد خلف أباه موشي في هذه المهنة التي مارسها من عام 1805 إلى عام 1813. شارك بصورة فعالة في المفاوضات المغربية الفرنسية التي أفضت إلى اتفاقية إسْلي المبرمة بين البلدين بتاريخ 10 شتنبر 1844. وفي شأن أبراهَام بنشيمول كتب لاريدو يقول : "منحه السلطان مولاي عبد الرحمان ظهيراً للتوقير اعترافاً بالخدمات التي أداها للمغرب، وعندما أحيل على التقاعد، عينه السلطان أميناً مديراً لجمرك طنجة".

خلفه في مهام الترجمة بطنجة ولداه موشي وحييم اللذان حصلا على الحماية الفرنسية مدى الحياة، عَام 1863.

**بَنْشيمُولْ حَيِّيمْ**، ابن أبراهام المذكور، اشتغل بالترجمة في المندوبية الفرنسية بطنجة بعد أخيه موشي. وهكذا أصبح عام 1868 يعمل برتبة نائب موثق بنفس المؤسسة. ثم في عام 1884 صار خليفة قنصل شرفيا، ثم أنشأ بنك حييم بنشيمول، وكان يمثل كمبانية پاكي Paquet للملاحة. ساعد على فتح المدارس اليهودية التابعة للرابطة الإسرائيلية العالمية، وانتخب عام 1890 رئيساً لأولى لجنة للطائفة اليهودية، ثم أسس بطنجة مستشفى بنشيمول وأهداه للمدينة.

A. Lahlou, *Notes sur les banques* ; A. Laredo, *Les noms des Juifs*, p. 1125.

سيمون ليفي

**بُنْصْ** أو **بُونْص**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Pons، وهو اسم قرية بناحية لاردة Lérida، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ سنة 1149 / 1737.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بَنْصالح**، لعزيزية بنت بوعزة، مقاومة ولدت سنة 1910 بدوار العمامرة، فرقة أولاد عبدون، قبيلة أولاد بحر الصغار، بإقليم خريبكة. شاركت في المظاهرة الصاخبة التي عرفتها مدينة خريبكة والنواحي بمناسبة ثورة الملك والشعب يوم 20 غشت 1955. وعندما اشتدت الأمور على الفرنسيين أطلقوا النار بطريقة عشوائية ووحشية فكانت لعزيزية من بين الضحايا الذين سقطوا في ساحة الشرف حاملة العلم الوطني عالياً.

*شهداء الاستقلال*، ج 2.

عز الدين العلام

**بَنْضُونَادُو**، أو بن**ضُونَادُو**، أو **مَلْضوناضو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Maldonado. وكان من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان التاجر علي مَلْضُونَاضُو، الذي كان حيا سنة 1062 / 1652. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1090 / 1679.

Et-Tabyi (Eduardo Maldonado), *Miscelanea Marroqui*, Ceuta, 1953, p. 183 ; Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بنضوصة** ← **بندوصة**

**بنطاطا، يعقوب**، المولود عام 1895، محام ورجل قانون بطنجة، له كتاب في الفولكلور كتبه باللغة الإسبانية، عنوانه *الخوگلاردولوس سوكوس* أي "مطرب الأسواق" عضو مراسل لأكاديمية التاريخ الإسبانية، وكان أحد الثلاثة الذين يمثلون الطائفة اليهودية في المجلس التشريعي بطنجة إبان النظام الدولي. وبعد الاستقلال هاجر إلى كاركاس.

A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc*, p. 602.

سيمون ليفي

**بَنْعَوْدة، محمد** بن العربي، مقاوم ولد سنة 1932 بدوار بنعودة بأولاد المنكار بأحفير، إقليم وجدة. وبحكم قربه من المنطقة الشمالية انخرط في صفوف جيش التحرير في الوحدة التي كانت مرابطة ببني إزناسن تحت إمرة السيد ميمون الرحماني، فشارك في جل المعارك التي كانت تخوضها وحدته ضد جنود الاحتلال. وأثناء هجوم للعدو الفرنسي على موقع رجال جيش التحرير بمنطقة تسمى أَزْرَعَلُو حيث وقع اشتباك عنيف استعملت فيه أفتك الأسلحة، أصيب بنعودة بشظايا قنبلة مدفع فسقط جريحاً. وبعد إلقاء القبض عليه قام الجنود الفرنسيون بقطع عضوه التناسلي، فمات رحمه الله بعد أن لقي من جنود الطغيان أبشع تعذيب وتمثيل يوم 23 ماي من سنة 1956.

*شهداء الاستقلال*، ج 2.

عز الدين العلام

**بنعبّاد**. أسرة. ← ابن **عبّاد**

**بنعبد النبي**. أسرة. ← ابن **عبد النبي**

**بنعبود**. أسرة. ← ابن **عبود**

**بنعجيبة** ← ابن **عجيبة**

**بنعيسى** (شيخ عيساوة) ← ابن **عيسى**، محمد

**بَنْغبا، البصير** بن محمد، مقاوم ولد سنة 1922 بدوار الأحواز بالسماعلة، ناحية وادي زم، إقليم خريبكة. شارك في المظاهرة التي انطلقت بمدينة وادي زم والنواحي يوم 20 غشت 1955 حيث قامت قوات الاحتلال بإطلاق الرصاص على المتظاهرين فسقط قتيلا رحمه الله.

*شهداء الاستقلال*، ج 2.

عز الدين العلام

**بنغبريط**، أسرة تلمسانية انتقل منهم إلى المغرب في أواخر القرن التاسع عشر أبناء أحمد بنغبريط الخمسة : عبد الرحمان والغوثي وقدور ومحمد ومصطفى. وكانوا جميعاً يحسنون اللغة الفرنسية الأمر الذي أهلهم للعمل كتراجمة قبل فرض الحماية وبعدها. وقد نوه أوجين أوبان E. Aubin في مقدمة كتابه *مغرب اليوم* *Le Maroc d'aujourd'hui* (ص 3) بالمساعدة التي قدمها لها قدور بنغبريط منذ وصوله إلى طنجة في شتنبر سنة 1902 قائلا : "كان لي السيد قدور خلال رحلتي الطويلة عبر المغرب الشمالي أوفى رفيق وأحسن مخبر".

وتفرق آل بنغبريط بعد سنة 1912 في مختلف حواضر المغرب كفاس والرباط وتأقلموا مع الوسط الجديد لباساً وعيشةً باستثناء الغوثي الذي ظل في وجدة محتفظاً بهندامه "الواسطي".

**بنغبريط، أحمد** بن محمد بن أحمد التلمساني أصلا، تلقى تعليمه بالمغرب وعرف بنشاطه الاجتماعي والرياضي، فكان من المؤسسين للحركة الكشفية بالمغرب.

سعى أحمد بنغبريط إلى اعتراف السلطات بجمعية الاتحاد الرياضي الرباطي السلوي، فتم ذلك يوم 7 أكتوبر 1932، وأصبح هو رئيساً لمجلسها الإداري الذي ضم عدداً من شباب العدوتين، أمثال السيتل العيساوي، ومسعود الشيگر، وعبد الجليل القباج، ومحمد الرشيد ملين. وكان الاتحاد يتكوّن من خمس فرق : كرة القدم، وكرة السلة،

والسباحة، والرياضة البدنية، والكشفية.

نمت فرقة الكشفية بانضمام شبان مغاربة كانوا يدرسون في "ليسي گورو" إليها، وصارت تحمل اسم "الكشافة الحسنية" بعد أن قبل محمد الخامس - رحمه الله - تعيين ولده مولاي الحسن رئيساً شرفياً لها (انظر المرسوم الملكي) وقام هؤلاء الكشافة بأدوار طلائعية في الحركة الوطنية الأولى ابتداءً من صيف 1933، وأصبح لها فروع بفاس والدار البيضاء والجديدة وغيرها من الحواضر المغربية، وتكاثر عدد الشباب المنخرطين فيها، فكانت مدرسة للتربية والتوعية والتنشيط.

وعرف أحمد بنغبريط كذلك بنشاطه الثقافي والصحافي، إذ ساعد الحاج أحمد بلافريج في مرحلة تأسيسه لمدرسة مَحمد جسوس بالرباط، أول مؤسسة تربوية حديثة بالمغرب، وعمل مع سعيد حجي في إرساء قواعد جريدة *المغرب*، أول جريدة وطنية يومية صدرت بالمغرب، وملاحقها الثقافية التي تطورت إلى مجلة *الثقافة المغربية*.

ولما توفي سعيد حجي سنة 1942 تولى أحمد بنغبريط إدارة مجلة *الثقافة المغربية*، فكبّر حجمها وأطال عنوانها : *الثقافة المغربية للآداب والعلوم والفنون*، وجعل سنة إصدارها بهذا الشكل سنة ثانية اعتباراً للاعداد السابقة التي أصدرها مؤسس المجلة سعيد حجي سنة أولى. صدر العدد الأول من السلسلة الجديدة يوم الثلاثاء 19 شعبان عام 1361 / 9 . 1 . 1942 واستمر صدورها بانتظام، عشرة اعداد في كل سنة، إلى أن توقفت عن الصدور بالعدد المزدوج من السنة الرابعة، عدد 9 . 10، بتاريخ رجب - شعبان عام 1364 /جوان - جويي 1945، وذلك بسبب امتناع صاحب المطبعة الوطنية بالرباط عن الاستمرار في طبعها.

وأصدر أحمد بنغبريط بعد *الثقافة المغربية* بيسير جريدة أسبوعية سماها *المرشد*، توقفت هي كذلك عن الصدور سنة 1945 بسبب رفض نفس الطابع.

وبعد الاستقلال انعزل أحمد بنغبريط عن الحياة العامة، واستقر في ضيعة له بضاحية سلا إلى أن أدركته الوفاة يوم الأربعاء 25 جمادى الثانية عام 1412 / فاتح يناير 1992 عن سن تناهز اثنتين وثمانين سنة.

أ. معنينو، *ذكريات*، 2 : 41 . 46 ؛ *مجلة الثقافة المغربية*، سنوات 1942 . 1954 ؛ جريدة *العلم* ليوم 5 . 1 . 92 ص. 10.

**بنغبريط، قدور** بن أحمد، ولد في مدينة تلمسان سنة 1872، وتعاطى مهنة الترجمة منذ أواخر القرن التاسع عشر، وارتبطت شهرته في المغرب بالأدوار التي قام بها كمترجم للمفوضية الفرنسية بطنجة، وللبعثات الفرنسية الموجهة إلى العاصمة المغربية في بداية القرن العشرين. ومنذ ذلك التاريخ، أصبح من الصناع المهرة والمديرين النشيطين للمحادثات الدبلوماسية التي كانت المفوضية الفرنسية تجريها مع موظفي المخزن بدار النيابة بطنجة من جهة ومع المخزن بفاس من جهة أخرى.

دخل قدور بنغبريط عالم الدبلوماسية عندما أشركه ريفوال Revoil في القضايا الدبلوماسية المتعلقة بشمال أفريقيا عامة وبالمغرب بصفة خاصة ابتداءً من سنة 1901، فقد صحب سفارة وزير الخارجية المغربية عبد الكريم ابن سليمان إلى باريز وإلى روسيا سنة 1901، وأصبح يلعب دوراً حيوياً في كل المفاوضات والاتصالات بين الفرنسيين والمخزن، كما كان عضواً بارزاً في كل السفارات التي ذهبت إلى فاس. وهو الذي ترجم كل الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدت بين فرنسا والمغرب في بداية القرن العشرين بما فيها معاهدة الحماية المنعقدة سنة 1912.

ظل قدور بنغبريط شخصية سياسية مرتبطة بالسياسة الفرنسية في المغرب وشمال أفريقيا، وتولى رئاسة جمعية أحباس الحرمين الشريفين، وبهذه الصفة كُلّف بإعادة تنظيم تلك الأحباس، فكان يقوم بزيارات لأقطار شمال أفريقيا

والحجاز، ويدعو لعقد اجتماعات سنوية يشارك فيها مندوبون من تونس والجزائر والمغرب. وأول هذه الاجتماعات انعقد في 20 غشت 1917 بالرباط (Lyautey, *Paroles d'action*, 231)

ويبدو أن الاحتفال بوضع حجر الأساس لبناء معهد إسلامي ومسجد بباريز في 19 أكتوبر 1922 كان عملا رائعاً في نظر المسلمين، خاصة أولائك الذين تحتل فرنسا بلدانهم. ولاشك أن قدور بنغبريط، كرئيس لجمعية أحباس الحرمين الشريفين، كان له دور فعال في إبراز ذلك العمل الحضاري للوجود، فهو الذي استدعى وفود الدول الإسلامية لحضور التدشين، وأشرف على الاحتفال وافتتحه.

ولقد ظل قدور بنغبريط يدير شؤون مسجد باريز إلى وفاته سنة 1954 فدفن فيه.

ع. الطرابلسي، *سمط الآلي في سياسة المشير ليوطي نحو الأهالي*.

Lyautey, *Paroles d'action*, 1926 ; J. Caillé et F. Charles-Roux, *Missions diplomatiques*.

علال الخديمي

**بنغبريط، محمد** بن أحمد التلمساني، أخو قدور بنغبريط سابق الذكر، اشتغل سنين عديدة ترجماناً بالمحكمة الباشوية بالرباط. وكان إلى ذلك ولوعاً بالطرب، يتقن العزف على الكمان، وبهذه الصفة حضر مؤتمر الموسيقى العربية بالقاهرة سنة 1932. وكان يصحبه بالرباط جماعة من الهواة خاصة الشباب، يأخذون عنه الموسيقى صناعة وتدريباً على آلاتها المختلفة بمقهى مجاور لزنقة العريفة المسماة زنقة الأوراوي في طريق الجزاء، شارع محمدالخامس اليوم. ويعد محمد بنغبريط في طليعة مَن أدخلوا الطرب الغرناطي إلى الرباط. ومن أشهر المتخرجين على يده في هذا الفن الحسين بن المكي وابن عمر وأحمد بناني رئيس جوق الطرب الغرناطي الرباطي.

توفي محمد بنغبريط بالرباط حوالي سنة 1359 / 1940.

*تقاييد خاصة*.

محمد الأمين بلگناوي

**بنفسج**، نبات عشبي من فصيلة البنفسجيات Violaceae ومن جنس ڤيولا Viola. يعيش منه في العالم أزيد من أربعمائة نوع من بينها سبعة عشر نوعاً توجد في المغرب، تساهم أغلبها في تكوين حراج الغابة.

الجذور زاحفة، الساق مرتفع يتراوح طوله عامة ما بين 5 و40 سم، الأوراق قاعدية، الأزهار طيبة الرائحة وعطرة. تتكون من خمس تويجيات تنتهي السفلى منها بشوكة، ألوانها بنفسجية عادة زرقاء بيضاء أو صفراء. الثمرة جافة متفتحة تشمل عدة بذور ذهنية يتغذى منها النمل عادة.

من أهم أنواع البنفسج بالمغرب نجد : ڤيولا مومبينا Viola Mumbyana نوع من البنفسج مستوطن في غابات ومغاضر شمال إفريقيا ابتداءً من 1.200 م من الارتفاع. إنه عشب معمِّر، يثمر عدة مرات في حياته. له أزهار جميلة، بنفسجية مبقعة بالأحمر الأرجواني، بيضاء، صفراء أو زرقاء. يعيش في حراج غابات جبال الأطلس المتوسط الشرقي وجبال الريف. يُعد من النباتات العطرة ويستعمل في الطب التقليدي. ينتج المغرب كمية ضعيفة من أزهاره حيث يحتل هذا العشب الصف 66 من بين 112 عشبة طبية الأكثر رواجاً في متاجر الأعشاب.

استخرج أول دليل ملون في الكمياء من البنفسج ومايزال يستعمل بكثرة في هذا الميدان.

وهناك أنواع وضروب أخرى تستعمل للزينة في الحدائق.

L. Emberger et R. Maire, *Catalogue des plantes du Maroc*, Alger, 1941 ; S. Bohumil, *Les Plantes sauvages*, Paris, 1973 ; M. Ibntattou, *Les Angiospermes ou plantes à fleurs, Gr. Enc. Maroc, Flore*, 1987 ; J. Bellakhdar, *Plantes médicinales : plantes toxiques, Gr. Enc. Maroc, Flore*, 1987.

نجاة الخياطي

**بنفضيل، أحمد** بن محمد، من أسرة نزحت من الأندلس إبان محاكم التفتيش. ولد بمراكش عام 1321 / 1903 وبها نشأ وتعلم، آخذاً عن الفقهاء أمثال ماء العينين وابن المدني وابن كبور وسيدي أحمد ولد الحاج المحجوب وسيدي حمو والمحدث أبي شعيب الدكالي. ثم اشتغل بالتدريس تارة بجامعة ابن يوسف، وأخرى ببعض مساجد مراكش، أو بمنزله. وقد تخرج على يديه عدد كثير من الطلبة. وأسس هو وثلة من أصدقائه مدرسة حرة بحي أزبزض، درب القاضي. لكن سرعان ما أقفلتها السلطات الاستعمارية. كما عمل في صفوف الحركة الوطنية واعتقل أكثر من مرة، واعتلّت صحته في السجون والمنافي. وكان إماماً وخطيباً في عدة مساجد كجامع المختارين وجامع حارة الصورة وجامع سيدي غانم.

توفي بمراكش عام 1368 / 1948.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

**البنك بالمغرب**، كانت الأبناك والمؤسسات المالية أثناء فترة الحماية أجهزة دخيلة على المغرب، وكانت غايتها الأساسية تعبئة أموال البلاد واستثمار خيراتها في أقرب الآجال، لذلك كان على الدولة المغربية بمجرد استرجاعها للاستقلال أن تتدخل في شؤون تلك الأبناك وفي مجال الرواج النقدي الذي يعتبر من أخطر أدوات السيادة الوطنية شأنا، ولكن كان عليها أيضاً أن تتحلى بمنتهى الصبر والأناة بحكم استحالة محو نصف قرن من التبعية الاقتصادية بجرة قلم أو لمجرد إرادة دولة الاستقلال ذلك، فإن النقود شأنها كشأن وسائل النقل مثلا، فلا يكفي أن يمسك بزمام أمورها أبناء الوطن ليستمر الإنتاج وتزاول المبادلات بسرعة وسلام. ولما كان الرأسمال المحرك لدولاب الإنتاج بالمغرب سنة 1956 مازال كله بيد الأجانب، كان لا مناص من التريث في إجباره على شيء من المراقبة الوطنية، حتى لا يفقد أربابه كل ثقة بالبلاد فيسحبوا

أموالهم دفعة واحدة، فتنقطع المعاملات النقدية والمبادلات التجارية ويتحول الاستقلال إلى أزمة وشماتة. ولذلك سارت الحكومات الأولى، غداة الاستقلال، باللازم من التبصر، واكتفت ببعض الإجراءات التحفظية، فتلافت مضاعفات تخفيض الفرنك الفرنسي الذي وقع في شهر غشت 1957 وقت كان الفرنك المغربي مازال مرتبطا به، وأحدثت مكتب مراقبة الصرف في 22 يناير 1958، وأقدمت في فبراير 1958 على جعل حد لرواج البسيطة الإسبانية في المناطق التي كانت خاضعة للحماية الإسبانية وعوضتها بالفرنك المغربي، كما أدخلت التنظيمات البنكية التي كان معمولا بها في المنطقة الفرنسية السابقة بتلك الجهات، وذلك دعما لوحدة التراب الوطني الذي كان منقسما بين فرنسا وإسبانيا منذ 1912. ولكن لما أقدمت الحكومة الفرنسية مرة أخرى على تخفيض قيمة الفرنك الفرنسي يوم 28 دجنبر 1958 ولم تشعر المسؤولين المغاربة بذلك إلا في آخر اللحظات، وجدت الحكومة المغربية نفسها مضطرة لفصل الفرنك المغربي عن الفرنك الفرنسي على الفور، لحماية المصالح الوطنية، وترتب على ذلك سلسلة من الإجراءات التي عززت السيادة الوطنية وجعلت حداً لتلك المرحلة من التناقض بين الاستقلال السياسي وحرية التصرف بالرواج النقدي والمالي، وكان من ذلك، بالترتيب الزمني، إحداث صندوق الإيداع والتدبير (10 فبراير 1959)، وإلغاء امتيازات البنك المخزني وإحداث بنك المغرب (30 يونيه 1959)، وإحداث البنك الوطني للتنمية الاقتصادية (24 يوليوز 1959)، وإحداث البنك المغربي للتجارة الخارجية (فاتح 1959) وإحداث الدرهم المغربي وحصر قيمته بالذهب (أكتوبر 1959)، وإلحاق منطقة طنجة الدولية بالنظام النقدي والبنكي الوطني (مارس 1960)، وإعادة النظر في نظام القرض الشعبي (2 فبراير 1961)، ثم إصدار القانون المنظم لمهنة الأبناك بمرسوم ملكي مؤرخ بيوم 21 أبريل 1967، وإحداث القرض العقاري والفندقي يوم 18 مايو 1967، إلى غير ذلك من القرارات التأسيسية التي استوجبتها المصلحة الوطنية وانتهى إليها تطور وظيفة الأبناك في النصف الثاني من هذا القرن في جميع الأقطار.

فمن جهة المصلحة الوطنية، كان من الضروري أن تقام وسائل مراقبة الرسمال الأجنبي، لكون الرأسمال الوطني في تلك السنوات الأولى من الاستقلال كان مازال في مستويات من التراكم متواضعة، وكان من غير الصواب أن تترك الأموال الأجنبية على ما كانت عليه إبان الحماية من حرية الاستثمار والمضاربة، وكان لا بد أن تلزم بالانصراف إلى ما فيه النهوض باقتصاديات البلاد، لا على أساس أن تجني كمشة من الأفراد أكبر الأرباح في أقرب الآجال، ولكن على أساس أن تكون التعبئة المالية دعما لوسائل الانتاج والاستهلاك لفائدة جميع طبقات الشعب في المدى البعيد. فكان لا مناص من تعزيز سلطات البنك المركزي، ومن إنشاء البنك الوطني للتنمية الاقتصادية، وتدعيم القرض الشعبي، وإنماء القرض الفلاحي مثلا، لتتأتى مراقبة الأموال الأجنبية الضرورية للتجهيزات الوطنية الأساسية، وأيضا لتعبئة الرسمال الوطني ليعوض الأموال الأجنبية التي انسحبت من المغرب المستقل الناشئ، ولذلك كان حتماً على دولة الاستقلال أن تتمسك بالنهج الليبرالي وبمبدأ حرية المبادرة الاقتصادية، على أن تكون تلك الليبرالية موجهة حتى لا تتحول إلى فوضى وأنانية، فكان الاتجاه إلى تشجيع كل مبادرة إلى إقامة أدوات الإنتاج والاستهلاك الأساسية، وكان الحرص على الحيلولة بين أرباب رؤوس الأموال، سواء منهم الأجانب أو المواطنون، وبين أن يوظفوا أموالهم في المضاربات المالية والنقدية، لأن ذلك الشكل من المعاملات يزيغ بالنقود عن أطوارها الطبيعية، لأن النقود في الأصل وسيلة لتيسير المبادلات التجارية، فلا ينبغي أن تحول إلى بضاعة قائمة بذاتها تباع وتشترى لتدر على أصحابها أرباحاً آنية طائلة فيُحرم سلك الإنتاج من ريعها وينتهي الأمر إلى الكساد.

وكان العالم أجمع قد مر من تلك المخاطر خلال الأزمة الاقتصادية الكبرى لسنة 1929، وكان سبب انفجارها تسلسل المضاربات المالية والنقدية آنذاك، في إطار اقتصاديات كانت مازالت لم تصلح شؤونها بعد من جراء ما لحق بها من الدمار والتآكل أثناء الحرب العالمية الأولى، وكان من مفعول ذلك انهيار الإنتاج وارتفاع الأسعار، مع إصرار حكومات الدول العظمى على أن يبقى صرف النقود الائتمانية (الورق البنكي) على ما كانت تصرف به ذهبا قبل الحرب، وكان ذلك ضربا من المستحيل، ولم تدرك تلك الحكومات خطأها إلا بعد أن سار الاقتصاد العالمي بخطى حثيثة نحو الأزمة التي اندلعت يوم الخميس 29 أكتوبر 1929، ويومئذ عم الوعي بخطورة ترك الرواج النقدي، الذي زاد في ضخامته تعميم الرواج الائتماني والنقود الكتابية، إلى المبادرة الفردية الحرة، واقتنع المسؤولون في كبريات الدول الرسمالية بوجوب إدخال شيء من المراقبة والتأطير في الرواج المالي، وكان من ذلك، فيما يعني المغرب، تأميم البنك المركزي بفرنسا في صيف 1936 على يد حكومة الجبهة الشعبية المنبثقة عن أحزاب اليسار، ولم يكن ذلك منها تصرفا إيديولوجيا بل ضرورة وطنية، ودليل ذلك ما كان من إثبات القرار على يد حكومة المارشال بيتان اليمينية النزعة، المعادية للجبهة الشعبية أشد العداء، بالقانون الذي صدر عنها لتنظيم مهنة الأبناك في دجنبر 1940، وكان أول قانون فرنسي يرمي إلى إخضاع أرباب الرساميل إلى شيء من الانضباط ويقضي بحصر المضاربات في حدود معينة. ولما كان المغرب آنئذ واقعا تحت سلطة الحماية، وكانت جل الأبناك المقامة على ترابه مرتبطة بالأبناك الفرنسية ارتباط الفرع بالأصل، كان من الحتمي أن يتسرب شيء من تلك الإرادة التنظيمية إلى

البلاد، وتجلى ذلك في ظهير 2 مارس 1943 الذي خول مدير المالية في إدارة الحماية سلطة إقرار ما يراه مناسباً من الترتيبات في مجال مهنة الأبناك وتبادل القيم المنقولة، وصدر في نفس التاريخ أول قرار مديري في الموضوع، وأدخلت عليه بعض الإصلاحات وبعض الإضافات في السنتين الأخيرتين من عهد الحماية (1954 و1955)، وأهم ما كان من تلك التقنينات إدراج الأبناك العامة بمنطقة الحماية الفرنسية في لائحة رسمية لإلزام أربابها بطلب رخصة مسبقة لمزاولة مهنتهم، وإحداث لجنة الأبناك، مركبة من مدير البنك المخزني الذي أسندت إليه رئاستها، ومن ممثلي كل الأبناك المأذون لها بالعمل، ومن مندوب للإدارة العمومية، وعهد إلى تلك اللجنة بمتابعة قضايا المهنة وإرشاد مدير المالية عن أحوالها، لدى حاجيته إلى اتخاذ القرارات المنظمة لشؤون الإيداع والقرض والمنافسة بين الأبناك، أو بالأحرى لدى وجوب الفصل في الأحوال الذاتية أو الموضوعية لأربابها كلما وقعوا تحت طائلة القانون.

ولم تكن تلك المحاولات التقنينية مع ذلك لتفقد الأبناك، بما فيها البنك المخزني ماكانت عليه من حرية التصرف شبه المطلقة في دولة الاستعمار، لإن الإدارة العمومية، في ذلك الإطار، لم تكن قائمة لخدمة الصالح العام، وإنما أقيمت لتيسير استثمارات الخواص ولدعم مصالحهم، ولذلك كان لزاماً على دولة الاستقلال أن تراجع تلك القوانين وأن تصححها أو تزيدها مفعولا، فتجعل الأموال في خدمة الانتاج وليس الانتاج في خدمة المضاربات الخاوية، سواء كانت تلك الأموال من مساهمات او قروض اجنبية او كانت من تعبئة الاذخار الوطني، وهكذا أقيم، في أقل من عشر سنوات، نظام بنكي متماسك رأسه بنك المغرب وقوائمه مؤسسات مالية متخصصة، عمومية أو شبه عمومية، ولحامه شبكة من الأبناك الخصوصية، مما سنعرض له فيما يلي فنبسط القول شيئا ما في ما يحمل من هاته المؤسسات اسم البنك، ونكتفي بالإشارة إلى ما يحمل عناوين أخرى، مثل "صندوق" أو "قرض"، ونحيل على مكانها من هذه المعلمة للتفاصيل.

بنك المغرب : أنشئ بنك المغرب بظهير مؤرخ بيوم 30 يونيه 1959، ويحتوي هذا الظهير على ثلاثة وسبعين فصلا موزعة على تسعة أبواب، ووظيفة بنك المغرب الأساسية أن يقوم بأعباء البنك المركزي في السوق النقدية والمالية المغربية، وهو جهاز عمومي رسمي، ممول باكتتابات الدولة دون سواها، وذلك خلافا لما كان عليه البنك المخزني الذي كان شركة بنكية تابعة لبنك باريس والأراضي المنخفضة، على أن بنك المغرب مؤسسة عمومية تتمتع بالشخصية المدنية وبالاستقلال المالي، ويعتبر شركة تجارية قابلة للتعامل مع جهات غير جهات الدولة، ولذلك لا تخضع حساباته لقوانين المحاسبة العمومية وإنما تخضع لأسلوب المحاسبة المعمول به في التجارة، وتقرر أن تكون مدينة الرباط، عاصمة المملكة، هي المقر المركزي للبنك، عوضاً عن طنجة التي كانت المقر الرسمي للبنك المخزني، ويبقى بيد الدولة أن تنقل هذا المقر إلى أي مكان آخر من البلاد كلما اقتضت المصلحة الوطنية ذلك.

ولبنك المغرب غايات ووظائف وردت تفاصيلها في البابين الثاني والثالث من الظهير المذكور، من الفصل 5 إلى إلى الفصل 42، وتندرج إجمالا على ثلاثة مستويات : المستوى النقدي والمستوى المالي والمستوى الاقتصادي.

فعلى المستوى النقدي، وظيفة البنك الأولى، يتولى إصدار العملة المغربية، وهي الدرهم، سواء منها القطع النقدية أو الأوراق النقدية، وهذه الوظيفة موقوفة على بنك المغرب، وهي امتياز لا يتمتع به بنك آخر في المغرب، لتبقى ميزة الرواج النقدي الشرعي والقوة الإبرائية حكراً على تلك العملة، بحيث لا يحق لأي امرئ أن يرفض التعامل بها داخل التراب الوطني، ويعاقب كل من يروم تقليدها أو تزييفها بأشد العقاب، وإذا كانت القوة الإبرائية للأوراق النقدية لا حد لها فإن القوة الإبرائية للقطع المعدنية لا بد في شأنها من مرسوم يرخص برواجها. ولبنك المغرب على كل حال، أن يختار الأشكال العامة لتلك النقود الائتمانية، وحجمها ووزنها وألوانها ومادتها من الورق أو المعادن، كما له أن يسحب من الرواج ما فسد منها أو تآكل أو تقرر إلغاؤه لسبب من الأسباب، وعليه أن يبدلها لأصحابها كلما وقف على اندثار معالمها، ولا يُسأل البنك عن تلك الأمور إلا من لدن السلطة الحكومية المكلفة بالشؤون المالية (فصول 14 إلى 20).

على أن النقود الائتمانية ليست غاية في حد ذاتها، بدليل افتقارها لكل قيمة مادية، سواء منها ما يُسكُّ من المعادن المبتذلة مثل البرونز أو النحاس أو النيكل، أو ما يطبع منها ورقاً بالأحرى، إنما النقود وسيلة من وسائل تيسير الرواج التجاري الملموس، وحافز لجمهور المنتجين والمستهلكين على تبادل البضائع بأسرع سبيل، ولما كانت سرعة المبادلات لا تتأتى إلا بضمان الثقة التامة في الأداة النقدية، فإن البنك المركزي يكون بمثابة قطب الرحى بالنظر إلى كل المعاملات النقدية والمالية التي تتم داخل التراب الوطني، كما يكون مقدماً على جميع العمليات التي تتم مع الأسواق الخارجية، سيما إن كان البلد مازال بحال المغرب في طريق النمو، وكان عليه أن يحمي مذخراته النقدية وإنتاجه الوطني. ولذلك كان من مهام بنك المغرب أن يسهر على قيمة الدرهم، وأن يحفظ شروط صرفه، كما عليه أن ينهض بالسوق النقدية المغربية، وأن يرتب شؤونها مع مراعاة سلامة المعاملات بين المؤسسات المالية الكبرى والأبناك الخصوصية، ومسايرة حاجيات الاقتصاد الوطني، وتتم صيانة قيمة الدرهم بحفاظ صندوق البنك على مخزون من الذهب (قطعا نقدية أو سبائك)، أو على رصيد من العملة الصعبة القابلة للتحويل في الأسواق العالمية، يتراوح بين تُسع (1/9) وثلث (1/3) ما يروج من الدرهم في مجموع

البلاد (فصول 21 إلى 23)، فلا ينبغي أن ينزل هذا المخزون دون الحد الأدنى حتى لا يحصل تضخم نقدي وتتحول المبادلات إلى مضاربات، ولا ينبغي أن يتجاوز الحد الأعلى لئلا يقع انكماش نقدي ويُعاق الرواج التجاري من جراء قصور الكتلة النقدية، ولذلك خُوِّل بنك المغرب، شأنه في ذلك شأن كل الأبناك المركزية عبر المعمور، امتياز الاستقلال المالي، حتى لا يكون أداة طيعة في يد الحكومة التي قد تحملها الطوارئ السياسية على ما لا تحمد عقباه من القرارات المالية. وبنك المغرب مستشار الحكومة المالي (فصل 6)، وهو ووزارة المالية ملزمان بالعمل يداً في يد للحفاظ على التوازنات الأساسية، بل بنك المغرب يقوم لدى الحكومة بالوظائف المعهودة في كل بنك، فيما يتصل بالعمليات النقدية أو القروض المالية، أو عند الحاجة إلى التدخل في السوق المالية داخل التراب الوطني أو خارجه، فبنك المغرب ككل الأبناك يقوم بأعباء الإيداع والصرف والاكتتاب في قروض الدولة، وهو بنك الخزينة العمومية التي تودع فيه لزوماً كل مداخيل الدولة، وتتصرف فيها بواسطة حساب جارٍ يموِّل، من بين ما يمول به، بالقروض العمومية والأوراق التجارية العمومية والقروض التي تصدر بضمان من الدولة داخل الوطن أو خارجه، ويشارك بنك المغرب في المفاوضات المتصلة بالقروض المبرمة لحساب الدولة أو بضمان منها (فصل 7)، وله في هذا الصدد حق إنجاز جميع العمليات النقدية على الذهب أو على العملات الأجنبية بيعاً وشراءً، وأيضاً على جميع الأوراق التجارية الوطنية والأجنبية لصرفها بما تقتضيه الظروف من الخصم أو الفائدة (فصول 25 إلى 27).

ولبنك المغرب أن يتصرف بالودائع الضخمة التي تتوفر لديه، فيخصم أو يقتني أو يحفظ لديه أو يفوت الأوراق التجارية ما لم يتجاوز استحقاقها 120 يوماً انطلاقاً من تاريخ خصمها، وكل الأوراق التجارية الصادرة عن الدولة أو بضمان منها، شريطة أن لا تحاز مباشرة من الخزينة العمومية أو من الجهات المصدرة، وله أيضاً أن يقرض أمواله أو يمنح تسبيقات لأجل معين شريطة أن يكون ذلك بضمان الدولة، أو أن يكون مرهوناً بالذهب أو بالعملة الصعبة أو على شكل أذينَات بالعملة الصعبة، أو بقيم منقولة أو أوراق تجارية صَادرة عن الدولة، أو مضمونة من قبلها، أو بأي نوع آخر من القيم يقبله البنك (فصل 28)، ولتلك القروض والتسبيقات شروط وردت تفاصيلها في البنود 29 إلى 34 سعياً في سلامة المبادلات واجتناب المضاربات المجحفة. من ذلك أن الأوراق التجارية لا تخصم في المدى القريب إلا إذا كانت تحمل ثلاثة توقيعات موثوقة، ولا تخصم في المدى المتوسط (سنتين إلى خمس سنوات) إلا إن كانت تحمل ثلاثة توقيعات، يكون أحدها توقيع مؤسسة مالية للقرض المتوسط المدى، مقبولة لدى وزارة المالية، لأن الغاية من تلك القروض غاية اقتصادية يراد منها تنمية وسائل الإنتاج أو النقل مثلا، أو تعزيز التجهيزات الأساسية أو تشجيع بعض الصادرات أو بعض الواردات عند الاقتضاء، (فصول 36 إلى 39).

تلك في الحقيقة هي الغاية القصوى من أعمال بنك المغرب، فإننا لم نميز بين الوظائف النقدية والمالية والاقتصادية إلا لنساير بيان الظهير المؤسس في بعض جزئياته، أما جوهر القول فهو أن بنك المغرب يقوم مقام المنسق لحركة المبادلات في الداخل والخارج، فهو بنك الدولة وبنك الأبناك، والساهر على التصرف بأموال الدولة وبالكتلة النقدية الوطنية في الاتجاهات التي ترسمها السلطات العمومية، ولذلك يكون البنك المركزي صلة الوصل مع المؤسسات المالية الأجنبية، خاصة في عصرنا هذا الذي تداخلت فيه الأسواق وأقيمت أبناك مثل البنك الدولي للبناء والتنمية، والصندوق النقدي الدولي، بقصد مساعدة الدول على تخطي العقبات الظرفية أو البنوية التي تعترض سبيلها، وبنك المغرب لدينا هو المكلف بالتفاوض مع تينك المؤسستين وهو المسؤول عن تنفيذ ما يبرم معها من الأوفاق، ولذلك يشارك في مراقبة مداخيل الدولة ونفقاتها بالعملة الصعبة، كما يشارك في وضع لوائح الاستيراد كلما أرادت الدولة أن تحمي الإنتاج الوطني أو تخفف من مقتنياتنا من الخارج (فصول 8 إلى 10)، وقد تُكلف الدولة بنك المغرب بإدارة بعض المؤسسات المالية ذات المصلحة العامة، إن كانت تحت إشرافها أو كانت قائمة بضمان أو كفالة منها، ويكون البنك الوكيل المالي على المؤسسات التي تكتسي طابعاً عمومياً فينجز عملياتها البنكية من إيداع أو قرض داخل المغرب أو خارجه، والبنك على الإطلاق مكلف بالسهر على أحوال المهنة البنكية، وعلى التزام الأبناك الخصوصية بقوانين الحرفة ومتطلبات السوق النقدية والمالية (فصول 11 إلى 13).

ويدير بنك المغرب بمقره المركزي بالرباط هيئة تشرف على قيامه بوظائفه عبر مجموع التراب الوطني، وتتركب تلك الهيئة من جهاز إداري وآخر استشاري، وثالث للمراقبة والمحاسبة.

أما الجهاز الإداري فيوجد على رأسه والٍ يعين بظهير، وهو المسؤول الأول عن أعمال البنك (فصول 44 إلى 46) يساعده نائب الوالي أو مدير عام يقوم مقام الوالي كلما تغيب أو كلفه الوالي بمهام معينة (فصول 46 إلى 46)، ويشتغل تحت إمرة هذين الرئيسين مجموعة من المصالح، تعنى بما على البنك من المسؤوليات في ميدان النقود والقروض، وفي ميدان التسيير المادي والتقني للمؤسسة، وفي ميدان تسيير شؤون موظفيها والسهرعلى تكوينهم، ولقد انضاف إلى هذه المصالح سنة 1988 دار السكة التي وُكِّل بها أمر سك القطع النقدية وطبع الأوراق البنكية. ويشترط في هذه الهيئة الإدارية أن لا تمارس أية وظيفة زيادة على وظيفها في بنك المغرب، سواء كان ذلك في

السلك السياسي أو بالأحرى في القطاعات المالية الأخرى، وأعضاؤها ملزمون بكتمان أسرار البنك (فصول 50 إلى 62).

ويتكون الجهاز الاستشاري من مجلس مركب من والي البنك ونائب الوالي، ومن رؤساء بعض المؤسسات شبه الحكومية المكلفة بالقرض يعينهم وزير المالية، ومن ممثلَيْن لوزارة المالية، وممثل لوزارة الفلاحة، وممثل لوزارة التجارة والصناعة والمعادن والملاحة التجارية، ومن أربع شخصيات يعينها وزير المالية اعتماداً على خبرتها بشؤون الرواج المالي والاقتصادي، ويجتمع هذا المجلس مرة كل ثلاثة أشهر بدعوة من والي البنك، أو كلما دعا إلى انعقاده ثلاثة من أعضائه على الأقل، ومن وظائفه وضع شروط القانون الداخلي للبنك، وشروط تنظيم الملحقات والوكالات، وشروط إنجاز عمليات البنك المركزي، ومنها أيضاً وضع ضوابط مكأفأة مستخدمي البنك، والإدلاء برأيه في تعيين نائب الوالي والمدراء وتحديد مرتباتهم، ومنها وضع المواصفات العامة للنقود الائتمانية التي يصدرها البنك، أوراقاً أو قطعاً معدنية، وإقرار رواجها أو الأمر بسحبها، ومنها تسعير عمليات إعادة التمويل وخصم الخصم (Réescompte) ومراقبة عمليات القرض التي يقوم بها البنك وكذا العمليات المنجزة بالعملة الصعبة، ومنها مناقشة المعاهدات والأوفاق النقدية والمالية وإقرار أوجه استعمال أموال البنك المركزي الخاصة به، مع الفصل في أمر اقتناء عقاراته، أو بيعها، إضافة إلى المصادقة على ميزانية المؤسسة وعلى ما يمكن أن يطرأ عليها من التغيير أثناء موسمها، ومنها فوق ذلك كله الإدلاء برأيه في كل ما يتصل بأنظمة البنك وسياسته العامة (فصول 49 إلى 51).

أما جهاز المراقبة فينحصر في شخص مندوب الحكومة، الذي يعين من بين كبار موظفي وزارة المالية بمقتضى ظهير، ومهمته مراقبة أعمال البنك نيابة عن الجهاز الحكومي، ومراقبة علاقات البنك بالخزينة العمومية على وجه التخصيص، وله أن يحضر جلسات مجلس البنك وجلسات ما قد يتفرع عنه من لجان مصغرة، كما له حق حضور جلسات هيئة المحاسبين، وله أن يطلع على جميع الوثائق والمستندات، وأن يرشد إلى بعض القرارات، وأن يطالب المجلس بإعادة النظر في بعض ما يكون قد اتخذه من القرارات، ولا يتم الفصل في حسابات البنك (الحصيلة النهائية، حساب الأرباح والخسائر) إلا إذا صادق عليها المجلس وأقرها المندوب الحكومي الذي يلزمه القانون بأن يبعث لوزير المالية بتقرير عن مهامه على رأس كل ستة أشهر (الفصلان 54 و55). ويعزز هذه المراقبة العامة، مراقبة مالية تجري على أيدي ناظرين اثنين، يعينان باقتراح من وزير المالية بظهير لمدة أربع سنوات، وظيفتهما مراقبة حسابات البنك وإحصاءاته، ولهما في ذلك منتهى السلطة ليطلعا على مذخرات البنك من مختلف النقود الائتمانية والكتابية والعملة الصعبة والأوراق المالية والتجارية، وعلى ممتلكاته العقار بالمقر المركزي أو بمقر فروعه ووكالاته، ولهما أن يقوما بأعمال المراقبة والتفتيش كلما بدا لهما ذلك ضروريا، وإذا كانت لهما ملاحظات في الأمر، فإنهما يرفعانها إلى والي البنك الذي يلزمه القانون بالرد عليها في ظرف أسبوعين، فإن وقع التصويب فذاك، وإلا فمن واجبهما أن يُشْعرا مندوب الحكومة بذلك، ولمجلس البنك، بحضور المندوب والناظرين، القول الفصل بغير مشاركة الهيئة الإدارية في القرار النهائي (فصول 54 إلى 58).

وتنص الفصول الباقية من الظهير التأسيسي على بعض المقتضيات الإدارية والقانونية المختلفة أو الانتقالية، منها ما يتصل برسمال البنك وبممتلكاته وبمواعد حصر حساباته، وبإعفائه من الضرائب وواجبات التنبر، ومنها ما يحدد العقوبات التي تتخذ في حق من يزيف السكة أو يروم تقليدها أو تقليد مستندات البنك على العموم.

المؤسسات البنكية والمالية المتخصصة : يقوم إلى جانب البنك المركزي، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، مؤسسات بنكية أو مالية متخصصة، يميز القانون المغربي، إلى حد كتابة هذه السطور، بينها وبين أبناك الخواص، بالرغم مما طرأ عليها في السنوات الأخيرة من أسباب التحول التي توحي باحتمال مراجعة النظام البنكي المغربي في مجمله، وهذه المؤسسات المتخصصة ثمانية :

- الصندوق الوطني للقرض الفلاحي
- الصندوق المركزي للضمان
- الصندوق المغربي للصفقات
- صندوق الإيداع والتدبير
- البنك الوطني للتنمية الاقتصادية
- الصندوق الوطني للتوفير
- القرض العقاري والفندقي
- الشيكات البريدية

وتتميز الأبناك والمؤسسات المالية المتخصصة عن أبناك الخواص بكونها أجهزة مالية عمومية منشأة بإيعاز من الدولة، وتدار بإشرافها مباشرة أو بشكل غير مباشر، ولا تخضع لقانون 21 أبريل 1967 المنظم لمهنة الأبناك، بل لها قوانينها الخاصة بها، وتختلف الغاية منها عن الغاية المتوخاة من أبناك الخواص من حيث إنها تستثمر الأموال المرصودة لها في التجهيزات الأساسية وتكون لذلك قروضها للأمد المتوسط أو الطويل، بينما وظيفة أبناك الخواص تعبئة الأموال للمعاملات والمبادلات التجارية فتكون قروضها للأمد القصير، والمؤسسات المالية المتخصصة تعمل في المدى البنيوي، بينما لا تعمل أبناك الخواص إلا في المدى الظرفي، ولما كان هذا الفرق في المهام، ترتب عليه فرق في نوع الأموال المسخرة لها، فإن أموال المؤسسات المتخصصة تجعل رهن إشارتها من قبل الدولة أو بواسطة قروض وطنية أو أجنبية، أما الأموال التي تعتمدها أبناك الخواص، فإنها أموال كتابية تدخلها إلى السوق المالية من ودائع زبنائها، بحيث يكون الفاصل

الأساسي بين أبناك الخواص والمؤسسات المتخصصة في قدرة الأولى على إحداث نقود كتابية واستحالة ذلك على الأخرى، أو كان هذا هو جوهر الفرق إلى أن مُنح الصندوق الوطني للقرض الفلاحي، سنة 1970، رخصة تلقي ودائع العموم، وإن كانوا من غير قطاع الفلاحة، ورخص بنفس الرخصة، منذ 1986، للبنك الوطني للتنمية الاقتصادية وللقرض العقاري والفندقي، فصارت هذه المؤسسات الثلاث تفتح الشبابيك البنكية هي الأخرى وتقوم بما تقوم به باقي الأبناك من الخدمات المصرفية، ويعزى هذا التحول إلى نمو الادخار الوطني نسبيا في السنوات الأخيرة، وإلى تواضع تكاليف تعبئته بالنظر إلى تكاليف القروض الأجنبية. وهكذا صار الفرق بين المؤسسات المالية المتخصصة والأبناك التجارية أبين في الأشكال القانونية وفي الأهداف الاقتصادية منه في الحيثيات المالية والنقدية. ونعرض فيما يلي لبعض تفاصيل البنك الوطني للتنمية الاقتصادية، بما أنه يُدعى بنكاً، ونرجئ الحديث عن باقي المؤسسات المالية المتخصصة لمكانها من هذه المعلمة (شيكات، صندوق، قرض...).

البنك الوطني للتنمية الاقتصادية : أنشأت الدولة هذا البنك بتاريخ 24 يوليوز 1959، وجعلته شركة خفية الاسم خاضعة للقانون الخصوصي، واكتتبت أغلبية الأسهم المركبة لرأسماله ومازالت ماسكة بجلها بالرغم من تقلص نسبة مساهمتها في السنوات الأخيرة بالنظر إلى تقدم المساهمات الأجنبية وتقدم مساهمات التوفير الخصوصي الوطني. ويدير البنك مجلس إدارة يعين الرئيس المدير العام الذي يعمل إلى جانبه مديران مساعدان. وينص الفصل الثالث من القانون الأساسي على أن الغاية من هذا البنك النهوض بالاقتصاد المغربي على الإجمال، إلا أن وجود مؤسسات متخصصة في القرض لبعض القطاعات الحيوية من الاقتصاد، مثل صندوق القرض الفلاحي والقرض العقاري والفندقي، حصر حتماً أعمال البنك الوطني للتنمية الاقتصادية في مجال الإنتاج الصناعي، وكان تاريخ إنشائه قد واكب فترة انطلاق المخطط الخماسي 1960 - 1964، واعتبرته الدولة أداة رئيسية لإنجاز مقتضيات ذلك المخطط في ميدان التصنيع واستقطاب الأموال الأجنبية للنهوض به، ولذلك استرعى البنك، بمجرد إحداثه، انتباه المؤسسات الدولية الأجنبية، مثل الشركة المالية الدولية، التابعة للبنك الدولي، وبعض الأبناك الأجنبية التي تساهم في رأسمال المؤسسة، وكان هذا الرأسمال في أواخر الثمانينات 210 من ملايين الدراهم، كان توزيعها في نهاية 1984، على الشكل التالي : 34,16٪ بيد الدولة، 24,50٪ بيد الأبناك والمؤسسات المالية المتخصصة المغربية الأخرى، 24,33٪ بيد المؤسسات المالية الأجنبية، 17,01٪ بيد الخواص من المواطنين، وهذا الرقم الأخير مثير للانتباه بما يوحي به من نمو الادخار الوطني، ولذلك أصبحت أسهم البنك الوطني للتنمية الاقتصادية قابلة للتفويت ضمن باقي قيم البورصة منذ 1973، ورخص له مؤخراً بفتح شبابيك لتلقي ودائع العموم، لكنه مازال في حاجة إلى السوق المالية الأجنبية، ولقد بلغ مجموع اقتراضاته من الخارج 47٪ في ختام سنة 1987، وكان الباقي من اقتراضات وطنية سندية ومن قروض طويلة الأمد من الخزينة العمومية، وأهم ما يقوم به البنك من الأعمال منح القروض المتوسطة أو الطويلة الأمد لقطاع التصنيع أو للشركات التي تتعاطى القروض الإيجارية، والمشاركة في بعض المقاولات، مع خصم بعض الورق التجاري للأمد المتوسط بعد ترخيص بنك المغرب بذلك وإعادة تمويل ذلك الورق لديه، كما يجوز له أن يدير بعض القروض الممنوحة من قبل المنظمات المالية الدولية لقطاع الصناعة الصغرى والمتوسطة، وذلك نيابة عن الخزينة العمومية.

الأبناك التجارية : تخضع الأبناك التجارية لمقتضيات المرسوم الملكي الصادر في 21 أبريل 1967 الذي يضم واحدا وأربعين بنداً موزعة على ستة أبواب. فالباب الأول (البنود 1 إلى 13) ينص على مفهوم المهنة البنكية وعلى شروط مزاولتها، فالبنك كل مؤسسة تزاول وظيفة تَلَقِّي الأموال من العموم على وجه الإيداع أو لغرض آخر وتستعملها إما لحسابها وإما لحساب زبنائها أو جهات أخرى في عمليات مالية أو في القرض أو الصرف أو أعمال البورصة، ولا بد لكل مؤسسة تتعاطى هذه العمليات من رخصة لمزاولتها، يمنحها إياها وزير المالية بعد استشارة بنك المغرب، ويحفظ بنك المغرب لديه قائمة الأبناك المرخص لها بالعمل ويضيف إليها أسماء الأبناك الجديدة أو يمحو منها أسماء الأبناك التي توقفت عن العمل بإرادة أصحابها أو لسبب من الأسباب المضبوطة في القانون، كما يراقب بنك المغرب كل تغيير يطرأ على بنيات الأبناك الإدارية أو المالية، أو على مقر مراكزها أو وكالاتها عبر التراب الوطني، وينص نفس هذا الباب الأول على أجل الودائع التي تودع بالأبناك، فإن كانت ودائع تحت الطلب فلا ينبغي أن تتجاوز أمد السنتين، ويكون من هذه الودائع الحسابات الجارية والأموال المودعة لأمد معين أو لإشعار مسبق، وكذا الودائع في مقابل أوراق سند الصندوق، سواء ترتب عنها فائدة أو لم تترتب، وينص البند التاسع على وجوب انتظام الأبناك التي يوجد مقرها الرسمي بالمغرب في شكل شركات خفية الاسم، لخضوع هذا النوع من الشركات لترتيبات إدارية مضبوطة في مدونة المعاملات التجارية، كما ينص نفس البند على ضرورة محافظة كل بنك على حد أدنى من الرأسمال يقدره وزير المالية، ويتعين أن يكون هذا الحد الأدنى مدفوعاً، وأن يكون الواجب للبنك يفوق باستمرار الواجب عليه بما لا يقل عن ذلك الحد الأدنى من الرأسمال، وعلى الأبناك العاملة بالمغرب وعلى وكالاتها وفروعها أن تسهر على ضبط ما تزاول من العمليات داخل البلاد وأن تلتزم برصد الأموال لذلك طبقاً لما يقرره وزير المالية بعد استشارة البنك المركزي

واستشارة مجلس القرض والسوق المالية. وتنص باقي بنود هذا الباب الأول على استحالة مزاولة الأعمال البنكية بدون رخصة رسمية، وعلى امتناعها على أصحاب السوابق الجنائية والمفلسين، ولا ينبغي للأبناك أن تزاول أعمال الصناعة أو التجارة التي لا صلة لها بالأعمال البنكية إلا بترخيص من وزير المالية.

وتنص بنود الباب الثاني (بنود 14 إلى 18) على إقامة مجلس القرض والسوق المالية، وعلى طبيعة المهام المنوطة به وعلى تركيبه وكيفية مزاولة أعماله، فهو مركب من وزير المالية رئيسا، ومن والي بنك المغرب نائبا للرئيس، ومن نائب والي بنك المغرب ومدير الخزينة والأموال الخارجية بوزارة المالية، ومن مندوب الحكومة لدى بنك المغرب ومدير التصميم، ومدراء البنك المركزي الشعبي والبنك الوطني للتنمية الاقتصادية والصندوق الوطني للقرض الفلاحي والصندوق العقاري والفندقي، إضافة إلى أربع شخصيات من رجال الأبناك التجارية، تنتخبهم تعاضدية الأبناك لمدة سنتين، ويجوز للمجلس أن يستدعي لجلساته كل شخص يرى ضرورة الاسترشاد برأيه من جهة ما هو مطوق به من مهام اقتصادية أو إدارية أو لمجرد خبراته. وعلى بنك المغرب ضبط كتابة هذا المجلس الذي يجتمع مرة كل ثلاثة أشهر على الأقل، لينظر في كل ما يتصل، مباشرة أو بشكل غير مباشر، بالقروض وتوزيعها، والنقود ورواجها، والتوفير وسعر الفائدة، وأحوال السوق المالية، وكيفية تمويل الاستثمارات والنهوض بالإنتاج والمبادلات. ولوزير المالية أن يكلفه بإجراء الدراسات والخبرات المتصلة بميادين اختصاصاته. وعلى المجلس أن يبعث لوزير المالية، كل ستة أشهر، بتقرير عن أوضاع القرض والسوق المالية. ويجوز أن تتفرع عنه لجينات دائمة يوكل لها متابعة بعض القضايا الخاصة، من ذلك مثلا اللجنة المصغرة المركبة من والي بنك المغرب، ومدير الخزينة والأموال الخارجية ومندوب الحكومة لدى بنك المغرب وممثلين عن تعاضدية الأبناك ممن يحضر اللجنة الكبرى، وتنظر هذه اللجنة المصغرة في القضايا الفردية والشخصية، وتعنى بتسجيل الأبناك الجديدة أو بما يفتح من الفروع والوكالات، كما تعنى بأمر حذف ما يستحق منها ذلك، إما تأديباً له وإما لأسباب عرضية أخرى. وينص البند 17 على اضطرار الأبناك للانخراط في تعاضدية الأبناك، التي لها أن تضع قانونها الداخلي بناء على شروط إقامة الجمعيات، ويشرط أن يحظى ذلك القانون بموافقة وزير المالية، والمهمة الأساسية لهذه التعاضدية هي السهر على تطبيق ما يصدر من قرارات خاصة بأعمالها من لدن وزارة المالية أو من لدن البنك المركزي، فما هي إلا مستوى آخر من مستويات مراقبة السلطات العمومية لأعمال الأبناك.

وتتم تلك المراقبة حسبما ورد في بنود الفصل الثالث (بنود 19 إلى 22) على يد وزير المالية الذي يصدر القرارات المناسبة في ميدان النِّسَب الدنيا والعليا التي يجب أن تكون بين موجودات الأبناك ومطلوباتها، ونسب تغطية المبالغ الواجبة عل الأبناك بالسندات العمومية في المدى القصير أو بودائع لدى بنك المغرب الموقوفة عن التصريف، كما يقرر وزير المالية في النسب العليا أو الدنيا للفوائد، وفي مدتها وحجمها، وفي شروط منح القروض على اختلاف أشكالها، وبنك المغرب مكلف بالسهر على تنفيذ تلك القرارات، وعليه أن يشعر وزير المالية بكل المخالفات، وعليه أن يستقصي أمر الأبناك دوريا بتتبع أوضاعها المالية، مالها وما عليها، وعليه أن يتتبع حساباتها بانتظام حتى لا يقع أي خلل بسوق الأموال، وتبقى مهنة الأبناك منحصرة في حدود المتوخى منها، الذي هو النهوض بالإنتاج وتيسير المبادلات، واجتناب أن تتحول إلى مجرد مضاربات فارغة في الوقت الذي أضحت فيه النقود كتابات ورموزاً.

ويتطرق الباب الرابع (بند 23) لضوابط المؤسسات المالية التي تقوم بأعمال القرض والبورصة والصرف دون تلقي الودائع، فهي ملزمة كذلك بالتصريح بتأسيسها لدى وزارة المالية، وبأن توضح طبيعة ما تنجزه من العمليات، وبرأسمالها الأساسي، ومن هم أعضاء مجلس إدارتها، وعليها أن تشعر السلطات المالية بكل ما يطرأ عليها من التغيير، وعليها أن تبعث إليها بحساباتها وبأوضاعها المالية بشكل دوري، ولبنك المغرب على كل حال حق إجراء أعمال التفتيش والمراقبة في تلك المؤسسات في كل وقت وحين.

وردت تفاصيل العقوبات التي تلحق بكل من يخالف القانون أو يتلاعب به في بنود الباب الخامس (بنود 24 إلى 33)، وجاء في الباب السادس والأخير (بنود 34 إلى 41) مقتضيات مختلفة أو انتقالية تنص على كيفية تطبيق القانون وإلغاء القوانين والقرارات السابقة له، ومنها بالخصوص ظهير 31 مارس 1943 والقرارات المترتبة عليه. ومن الترتيبات المختلفة الواردة في هذا الباب شروط تعيين إدارة موقتة من قبل السلطات المالية العمومية لكل بنك عجزت إدارته الأصلية عن مزاولة نشاطها أو وقع إخلال كبير بأعماله، ومنها أيضاً إلزام الأبناك بوضع حساباتها السنوية رهن إشارة زبنائها من مودعي الأموال أو مقرضين أو مقترضين، أو مفوتي السندات، أو المفوت لهم بها. والأبناك ملزمة بالمساهمة في عمليات إصدار الدين العمومي ومجاراته طبقاً للشروط التي يقرها وزير المالية، وعلى كل من يعمل في مجال لجنة القرض والسوق المالية وفي بنك المغرب ويشرف على أعمال الأبناك، أن يلتزم كتمان أسرار المهنة.

قائمة الأبناك التجارية : كان عدد الأبناك الخصوصية العاملة بالمغرب سنة 1954 يناهز سبعين بنكاً، وكانت مراكزها الرسمية جميعها، إما بطنجة وإما بالدار البيضاء، لكن ما أن استقلت البلاد وصارت الدولة المغربية تمسك بزمام مسؤولياتها، وامتدت التنظيمات البنكية التي كان

معمولا بها في المنطقة الجنوبية إلى المنطقة الشمالية وإلى المنطقة الدولية حول طنجة، حتى أقدمت جل تلك الأبناك والمؤسسات المالية على سحب أموالها من المغرب، مشيرة بذلك إلى أنها كانت تسعى في المضاربات النقدية أكثر مما كانت تسعى في إدارة دولاب الانتاج بالبلاد، فانخفض عدد الأبناك التي ظلت شبابيكها مفتوحة أمام الجمهور، أو انصهر بعضها في بعض أثناء السنوات الأولى من العقد الستيني، وكان ذلك أحياناً بإيعاز من الدولة، بحيث نزل عدد الأبناك المرخص لها بالعمل من ستة وعشرين أواخر سنة 1961 إلى ستة عشر أواخر 1966. ولما صدر الأمر بمغربة الرساميل المستثمرة بالمغرب أصبح عدد الأبناك أربعة عشر، ثم انضاف إليها البنك المركزي الشعبي لما أذنت الدولة بذلك.

وجميع هذه الأبناك أبناك إيداع، ولما كانت ودائعها إما تحت الطلب وإما لاستحقاق لا يتعدى السنة الواحدة، فإن القروض التي تمد منها السوق المالية لا يمكن أن تتجاوز الأمد القصير، ولكن القانون لا يمنعها (وهو أيضاً لا يحثها على ذلك) من أن تقرض للأمد المتوسط أو البعيد، شريطة أن لا يخل ذلك بتوازناتها المالية وبالتزاماتها حيال أصحاب الودائع. وفيما يلي قائمة هذه الأبناك بالترتيب الأبجدي، مصحوبة برموزها بالحرف اللاتيني وعدد شبابيكها في المغرب سنة 1988 :

| | عدد الشبابيك |
|---|---|
| ـ ألجمين بنك المغرب ABM | 8 |
| ـ البنك التجاري المغربي BCM | 109 |
| ـ البنك المركزي الشعبي BCP | 212 |
| ـ البنك المغربي لإفريقيا والشرق BMAO | 21 |
| ـ البنك المغربي للتجارة الخارجية BMCE | 126 |
| ـ البنك المغربي للتجارة والصناعة BMCI | 72 |
| ـ بنك الوفا WAFA BANK | 67 |
| ـ الاتحاد البنكي الاسباني المغربي UNIBAN | 18 |
| ـ الاتحاد المغربي للبنك UMB | 6 |
| ـ سيتي بنك (المغرب العربي) CITIBANK | 3 |
| ـ شركة البنك والقرض SBC | 10 |
| ـ الشركة العامة المغربية للأبناك SGMB | 78 |
| ـ الشركة المغربية للإيداع والقرض SMDC | 18 |
| ـ مصرف المغرب CM | 65 |
| ـ البنك العربي للمغرب ARAB BANK | 5 |

ويثير الانتباه في توزيع هذه الأبناك عبر التراب الوطني، (وهذا بغض الطرف عن شبابيك المؤسسات المالية المتخصصة أو شبابيك بنك المغرب)، أنها ملموسة التجمع أفقيا وعموديا، ففي ختام سنة 1987، كان 89٪ من مجموع الشبابيك تابعا لسبعة من تلك الأبناك، بل وكان 40٪ منها في ملك بنكين اثنين، بحيث لم يكن في ملك الأبناك الثمانية الباقية سوى 11٪ من مجموع الشبابيك، ويزيد في حدة هذا التجمع الوظيفي تجمع جغرافي يصور بوضوح لما أحدثه الاستثمار الرأسمالي في المغرب خلال الحماية من تفاوت بين الأقاليم الداخلية للبلاد والشواطئ الأطلسية، ويمكن التمييز بين ثلاث مناطق متباينة من حيث الكثافة البنكية، إذ يوجد 46٪ من الشبابيك في مدن الساحل الأطلسي، بل وعلى محور طنجة ـ الدار البيضاء بوجه خاص، بل 25٪ منها في مدينة الدار البيضاء وحدها التي تأوي مجموع مقرات الأبناك الرسمية، وهناك منطقة متوسطة الكثافة تمتد من فاس إلى مراكش ومن الجديدة إلى خنفيرة وحول ميناء أگادير، تتوزع 26٪ من الشبكة البنكية مع تجمع الشبابيك في مدنها الكبرى : ست وستون وكالة بين فاس ومكناس، وإحدى وثلاثون وكالة في مراكش، وعشر وكالات في بني ملال، وسبع وستون وكالة في أگادير ومحيطها من الجنوب الغربي الذي يضم 8٪ من مجموع الشبابيك، ويدخل باقي التراب الوطني في منطقة ثالثة ضعيفة الكثافة تتوزع 20٪ من الشبابيك البنكية، يوجد أكثرها على محور وجدة بركان. وبالرغم من إدراك السلطات العمومية لهذا التفاوت الذي يوحي بتفاوت في وتيرة النمو بين مختلف جهات المملكة، وبالرغم من سعيها في الحد منه وتصويبه، فإن المناطق القوية الكثافة هي التي تقدمت فيما بين 1976 و1986 من 43٪ إلى 46٪ من مجموع عدد الشبابيك، بينما ظلت المناطق الضعيفة الكثافة واقفة عند نسبة 20٪.

ويثبت هذا التفاوت الجغرافي، تفاوت في نسبة العمليات البنكية المنجزة وفي التشكيلة المالية للأبناك، من حيث العمليات، فإن أبناك محور طنجة الدار البيضاء كانت تتلقى، أواخر 1987، 52٪ من الودائع وتستفيد من 76٪ من القروض، وكان نصيب الدار البيضاء وحدها 35٪ من الودائع و59٪ من القروض، هذا بالرغم من تقلص طفيف في هذه النسب بين 1976 و1986 على هذا المحور.

أما من حيث القوة المالية، ففي نفس التاريخ (31 دجنبر 1987)، كانت حصيلة بنكين اثنين، بملايين الدراهم : 40.820، وهي نسبة 49,9٪ من مجموع حصيلات الأبناك يومئذ، وكانت حصيلة ستة منها 35.430 م. د، وهي نسبة 43,3٪، وكان نصيب السبعة الباقية 5.609 م. د، وهي نسبة 6,8٪، مما يعني أن ثمانية من أصل خمسة عشر بنكاً كانت تتصرف في 93٪ من مجموع حصيلات الأبناك، وأن اثنين منها فقط يتصرفان فيما يناهز 50٪ من تلك الحصيلات.

هذا، ولقد رخص للأبناك المغربية منذ 1971 بفتح شبابيك لها خارج التراب الوطني لتساير المعاملات مع الأسواق الأجنبية عن كثب، ولتستقطب مذخرات الجالية المغربية المقيمة بالخارج، وكان عدد الشبابيك المفتوحة خارج البلاد في نهاية 1987 عشرين شباكاً.

ويتميز من هذه الأبناك، البنك الوطني للتجارة الخارجية والبنك المركزي الشعبي، لما هو منوط بهما من المهام وأيضاً

لطبيعة رأسمالهما الأصلي، فلا مناص من ذكر بعض تفاصيل ذلك.

البنك المغربي للتجارة الخارجية : إن الدولة هي التي أنشأت هذا البنك بتاريخ فاتح شتنبر 1959 وشاركت في اكتتاب رأسماله إلى جانب مؤسسات عمومية مغربية وأجهزة مالية أجنبية، وكانت الغاية من هذا البنك، إضافة إلى قيامه بالوظائف البنكية العادية، تيسير السبل المالية لمبادلات المغرب مع الخارج، ولذلك سرعان ما أضحى أمر استيراد بعض المواد الاستهلاكية الكبرى، مثل الشاي والسكر والحبوب والنفط حكراً عليه، ومنحته الدولة بظهير 23 أبريل 1974، امتياز إدارة شؤون التأمين الخاص بعمليات التصدير.

البنك المركزي الشعبي : أنشئ القرض الشعبي أول الأمر تحت هذه التسمية، وكان ذلك بظهير 25 مايو 1926، لكن نظامه الأساسي تجدد غداة الاستقلال بمقتضى ظهير 2 فبراير 1961، وكانت الغاية الخاصة من ذلك تنشيط الصناعة التقليدية وتنميتها ومساعدة المقاولات المتوسطة والصغرى من خلال قروض قصيرة أو متوسطة أو طويلة الأمد. والبنك مكلف إلى ذلك بالأخذ بأيدي العمال المغاربة في الخارج، ومساعدتهم على تمويل بعض مشاريعهم من اقتناء العقار أو نقل مذخراتهم بأيسر سبيل، ولتلك الغاية أقيمت وكالات للبنك حيثما توجد جاليات مغربية كثيفة بفرنسا وبلجيكا. ويتميز البنك المركزي الشعبي، الذي يعد من أغزر الأبناك المغربية ودائعا، بانتظامه حول شبكة من الأبناك الشعبية الجهوية وبنك مركزي شعبي تشرف عليه لجنة إدارية مركبة من ممثلي وزارات المالية والتجارية والصناعة والصناعة التقليدية والداخلية، وبنك المغرب وصندوق الإيداع والتدبير والبنك الوطني للتنمية الاقتصادية، إضافة إلى ممثلين منتخبين من قبل الأبناك الشعبية الجهوية، وممثل عن هيئة التجار وأرباب الصناعات العصرية وآخر عن هيآت الصناعة التقليدية. ورأسمال البنك الشعبي متغير تكتتبه الدولة بمشاركة بعض المؤسسات العمومية أو شبه العمومية، مثل بنك المغرب وصندوق الإيداع والتدبير ومكتب التنمية الاقتصادية، والبنك الوطني للتنمية الاقتصادية، والصندوق المغربي للصفقات، والبنك المغربي للتجارة الخارجية، والصندوق العقاري والفندقي، زيادة على اكتتابات الأبناك الشعبية الجهوية واكتتابات المساهمين الذاتيين والمعنويين من القطاع الخاص.

وقد يبدو مما سبق أن واقع الممارسات البنكية بالمغرب بات يختلف كثيراً عن لفظ القوانين المؤسسة لها، فيضيق عنها بالنظر إلى الأبناك التجارية، أو يتجاوزها بالنظر إلى المؤسسات المالية المتخصصة، مما قد يوحي بافتقار المهنة إلى نظام مضبوط بالرغم من وفرة النصوص التقنية، لكن هذا الارتسام السطحي مفند بما يلمس من سعي الدولة بوتيرة متباطئة وربما متذبذبة، لكنها واضحة الاتجاه، في دعم الرأسمال المغربي وتقويته، لا بإغلاقه على نفسه، ولكن بجعله قادراً في أجل قريب، على الانفتاح إطلاقا على الأسواق المالية الأجنبية للعمل فيها بثبات، وإغراء الأموال الأجنبية بفائدة الاستثمار في كبريات مشاريع التجهيز الوطني. ولقد خطت السلطات العمومية في هذا الاتجاه ببعض الخطوات المثيرة التي منها إصدار ظهير يسمح بإقامة أبناك للاستثمار بالبلاد، مع إعفاء الرساميل الموظفة في هذه النوع الجديد من الأبناك من شرط أن يكون نصفها على الأقل مغربياً، ومنها عزم الدولة على السماح للأبناك الأجنبية، على اختلاف مشاربها، بأن تعمل في المغرب "أوف شور" (Off Shore) يعني أن تفتح شبابيك لها على التراب الوطني وتحتفظ بحرية عملياتها في الخارج بالعملة الصعبة.

أبناك الاستثمار : تقرر إحداث هذا الصنف من الأبناك بمقتضى ظهير 2 أكتوبر 1984، ومنطوقه مختصر لا يتجاوز ثلاثة بنود، يعرف البند الأول بوظائف هذه الأبناك التي هي أساساً مشاركة في رساميل مختلف المقاولات المقامة أو التي قد تقام بالمغرب أو بالخارج، مع المشاركة في إدارة شؤونها، ولأبناك الاستثمار مع ذلك أن تمارس باقي أعمال المهنة المنصوص عليها في الفصل الأول من مرسوم 21 أبريل 1967. وينص البند الثاني على الشروط المالية التي تخضع لها هذه الأبناك، من وجوب الالتزام بحد أدنى من الرأسمال في حصيلتها يشير به وزير المالية، والالتزام أيضاً بالحدود الدنيا والعليا لما ينبغي أن يكون ثابتاً من النسب بين عاملين أو أكثر من الواجب لكل بنك استثمار والمطلوب منه. أما الفصل الثالث، فإنه يعفي هذه الأبناك من شرط مغربة رأسمالها بحيث من حق أصحابها من الأجانب أن يتمسكوا بأكثر من نصف رأسمالها إن أبوا إلا ذلك. وهذا دليل على قصور نفس الرأسمال الوطني وحاجة البلاد إلى الاستثمارات الأجنبية.

بنك العمل : لم ينشأ من أبناك الاستثمار، إلى حد كتابة هذه السطور، سوى بنك العمل، أُحدث بالدار البيضاء بتاريخ 28 مارس 1989، رأسماله الأصلي مليونان من الدراهم، وهو شركة خفية الاسم اكتتب أسهمها بنك المغرب والبنك الشعبي والبنك الوطني للتنمية الاقتصادية وصندوق الإيداع والتدبير والصندوق العقاري والفندقي وأبناك أخرى، هذا بغض النظر عما قد يكون من الاكتتاب في المستقبل، وإن الغاية من هذا البنك تمويل الاستثمارات التي من شأنها أن تنهض بالاقتصاد والمجتمع المغربي، كما أن إحدى غاياته الكبرى مساعدة مواطنينا المقيمين بالخارج كلما عادوا إلى البلاد وأرادوا استثمار مذخراتهم، ويمكن أن يتم ذلك إما بالمشاركة في المقاولات على اختلاف مجالات أعمالها، وإما بمنح قروض إشراكية أو قروض عادية في الأمد المتوسط أو الطويل، ومن وظائفه أيضاً تلقي الودائع والاقتراض للأمد المتوسط أو الطويل، وله أن

يوظف فائض أمواله في العمليات المالية، أيا كان نوعها. وغني عن البيان أن هذه المؤسسة مازالت في نشأتها الأولى، ولا سبيل إلى استخلاص أي عبرة من سيرها أو مقاصدها، سوى ما أومأنا إليه آنفا من اتجاه المشرع في المغرب إلى مراجعة نظام الأبناك على أساس وضع جذع مشترك من الوظائف تتفرع عنه بعض التخصصات.


*بنك المغرب، دراسات واحصاءات*، عدد 74 مكرر (دجنبر 1980) ؛ *بنك المغرب : نبذة تاريخية* (1987) ؛ *الجريدة الرسمية*، سنوات 1943 . 1954 . 1955 . 1958 . 1967 . 1984 ؛ فتح الله ولعلو، *الاقتصاد السياسي* (3 أجزاء)، الدار البيضاء ـ دار النشر المغربية (1972 ـ 1975).

H. Ardant, *Introduction à l'étude des banques et des opérations de banque*, Paris, 1954 ; M. L. Benothmane, *La profession bancaire au Maroc*, Rabat, 1985 ; M. A. Berrada, *Les techniques de banque et de crédit au Maroc*, Casablanca, 1985 ; J. Branger, *les techniques bancaires*, Paris, 1975 ; A. Chaineau, *Mécanismes et politiques monétaires*, Paris, 1973 ; J. J. Laurendon, *Psychanalyse des banques*, Paris ; A. Tiano, *La politique économique et financière du Maroc indépendant*, Paris, 1963.


إبراهيم بوطالب

**بنك پاريبا** Paribas، هو اختصار لبنك باريز والبلدان المنخفضة Banque de Paris et des Pays-Bas، من المؤسسات المالية الأجنبية التي امتزج اسمها بالتاريخ الاستعماري في المغرب، تأسس في باريس سنة 1872 باندماج بين بنك باريس المؤسس سنة 1865 وبنك البلدان المنخفضة للقرض والإيداع المؤسس سنة 1863. وهذا البنك الذي كان بنك أعمال أداره لمدة نصف قرن هوگو فورالي Hugo Furaly (1844 . 1914)، وابنه Horace هوراس (1871 . 1945) وعرف تطوراً سريعاً ومستمراً. ومنذ أواخر القرن التاسع عشر أصبحت المعاملات المالية وكل القروض في الساحة الباريزية تخضع لمراقبته بفضل تحكمه في اتحاد الأبناك Consortium الذي كونه، كما بدأت سيطرته الاقتصادية في فرنسا بتأسيسه الشركة العامة للكهرباء وشركة الأسلاك التيليفونية.

مع أزمة فائض الانتاج التي عرفتها أوربا بين سنوات 1880 . 1895، وضيق مجال الاستثمار في أوربا، بدأت المؤسسات الرأسمالية الأوربية تضغط على حكوماتها لتسلك سياسة استعمارية نشيطة، وصار المغرب بحكمه من بين البلدان القليلة التي احتفظت باستقلالها في إفريقيا مركز الضغط الاستعماري ومحط أنظار ومناقشة رجال الأعمال في هذه الفترة.

فمنذ سنة 1886 بدأ بنك پاريبا Paribas يولي اهتمامه للمغرب، فكان من بين مؤسسي "لجنة المغرب" Comité du Maroc التي كان يترأسها Eugène Etienne أوجين إتيان نائب وهران وخليفة رئيس مجلس النواب آنذاك، وكان من أعضاء هذه اللجنة التي ضمت مجموعة من رجال الأعمال الفرنسيين ومديري شركات الملاحة وممثلي المعمرين بمنطقة وهران الجزائرية الخ.

وفي سنة 1901 حاول بنك پاريبا Paribas أن يؤسس بنكاً فرنسياً مغربياً، ولكن محاولته باءت بالفشل بسبب اعتراض Delcassé وزير الخارجية الفرنسية آنذاك، وكان هذا الوزير يسعى إلى المحافظة على الوضعية القائمة في المغرب statu quo، وللتغلغل "السلمي" بالوسائل الدبلوماسية وعدم إثارة انتباه الآخرين. وذلك يتطلب الحد من المناقشة والصراع بين رجال الأعمال، كما كان Delcassé يميل إلى إعطاء الأسبقية لشنيدر Schneider سيد الصلب وصناعة الأسلحة في لوكروزو Le Creusot، للحظوة التي كان يتمتع بها داخل القصر، واحتكاره للميدان الاقتصادي في المغرب خصوصا بعد تأسيس شركة مؤسسات گوتش Gautsch في 12 أبريل 1902، هذه الشركة التي تحولت إلى الكبانية المغربية في 30 مايو من نفس السنة، وفتحت فرعين في طنجة وفاس وكان من بين المساهمين فيها صاحب الشركات الملاحية المرسيلي نيكولا باكي Nicolas Paquet.

ولكن منذ سنة 1902، باشتداد الأزمة المالية والاقتصادية في المغرب وفراغ الخزينة بسبب ارتفاع المصاريف في عهد مولاي عبد العزيز، كمصاريف الجيش ومختلف التعويضات المالية للأجانب ومصاريف القصر، وتضاؤل المداخيل بعد حذف الضرائب التقليدية من زكاة وأعشار ونايبة. وتعذر استخلاص الضريبة الجديدة المسماة بـ "الترتيب"، التي ضغطت الدول الأوربية على مولاي عبد العزيز لفرضها منذ 1901 ولم تصادق عليها إلا في 1903، تحت وطأة هذه الوقائع كلها دشن مولاي عبد العزيز عهد القروض وبدأت أهمية المؤسسات البنكية تفوق أهمية الدبلوماسية والشركات الصناعية، فدخل بنك پاريبا Paribas الذي كان يسانده وزير المالية الفرنسي موريس روفيي Maurice Rouvier في صراع ضد الأخوين جوزيف أوجين Josephe Eugène وأدولف شنيدر Adolph Schneider، واحتدم هذا الصراع في قرض 1903، بلغ أوجه بعد "الاتفاق الودي" بين أنجلترا وفرنسا في 8 أبريل 1904 وانسحاب أنجلترا من ساحة التنافس على المغرب، حيث انفتحت أمام الرأسمال الفرنسي آفاق واسعة، وبدأ الانسجام بينه وبين رجال السياسة الاستعمارية حيث اختلطت "مصالح الأبناك بمصالح السياسة".

وتدخلت الحكومة الفرنسية للضغط على شنيدر Schneider لصالح بنك باريس والبلدان المنخفضة، فاضطر شنيدر Schneider تحت تهديد الحكومة بتقليص طلباتها من الأسلحة إلى أن يقوم بتنازلات ويقبل اتفاقاً يحصر نشاط الكبانية المغربية "La Compagnie Marocaine" في الميدان التجاري والصناعي، ويعطي لبنك Paribas حق احتكار كل المبادرات البنكية.

وجاء قرض 1904 ليدشن عهد هيمنة پاريبا Paribas على الحياة المالية والاقتصادية والسياسية في المغرب. ولم

تنقطع هذه الهينمة حتى في عهد الاستعمار. فقد تزعمت باريبا Paribas المفاوضات التي جرت بين اتحاد الأبناك الفرنسيةConsortium وبين الحكومة المغربية التي كانت قد تقدمت في 29 يناير 1904 بطلب قرض للحكومة الفرنسية بواسطة نائبها في طنجة حيث سلمه الحاج عبد الرحمن بنيس خليفة الحاج محمد بن العربي الطريس، النائب السلطاني في طنجة، رسالة شخصية من مولاي عبد العزيز يطلب قرضاً جديداً من الحكومة الفرنسية.

وانتهت المفاوضات الطويلة التي استعملت فيها Paribas كل أنواع الأساليب من ضغط ومن رشوة بعض أعضاء المخزن، بتوقيع اتفاق في فاس في 12 يونيو 1904. وقعه عن الطرف المغربي عبد الكريم بن سليمان وزير الخارجية ومحمد بن عبد الكريم التازي وزير المالية، وعن الطرف الفرنسي Georges Langaussiano ممثل بنك باريس والبلدان المنخفضة نيابة عن اتحاد الأبناك الفرنسية. ويمكن اعتبار هذا الاتفاق أول لبنة فعلية للاستعمار الفرنسي في المغرب.

فقد منح البنك قرضاً للمخزن مبلغه الرئيسي اثنان وستون مليون وخمسمائة فرنك، بفائدة سنوية قدرها 5٪، وقسم إلى مائة وخمسة وعشرين ألف التزام Obligations على شكل سندات بين الأبناك، قيمتها 80٪ من القرض أي 50 مليون فرنك. وحجزت 20٪ الباقية من "القيمة الاسمية" Nominal (23٪ حسب بعض الجهات) وعند القيام بتطبيق الإجراءات العملية للقرض، لم يتسلم المغرب فعليا إلا عشرين مليونا وخمسمائة ألف فرنك، إذ أن الأبناك احتجزت تلقائيا اثنين وعشرين مليون فرنك لتأدية القروض السابقة التي كانت كثير من الأبناك المكونة لاتحاد الأبناك Consortium قد ساهمت فيها، كما احتجزت خمسة عشر مليون وخمسمائة ألف فرنك وهو ثمن النقود المعدنية التي كان المخزن قد سكها في برلين وباريس والتي فاقت تكاليفها قيمتها بسبب ارتفاع سعر الفضة المقتناة من أوربا والعمولات التي أديت لمختلف الوسطاء وسعر السك.

وتقرر أن يسدد الدين بكامله بعد خمس وثلاثين سنة ابتداء من 1 يوليوز 1906، ومنع على المغرب أن يقوم بأي تسديد مسبق أو مستعجل قبل خمس عشرة سنة ابتداء من تاريخ تسديد الدفعة الأولى من الالتزامات المؤداة "Obligations amorties" أي قبل 1 يناير 1922 وذلك لأن الأبناك تخوفت من أن يلجأ المغرب إلى التخلص من عبء مديونيته قبل مدة طويلة بسبب ارتفاع قيمة الفائدة المفروضة خصوصاً وأن العملة كانت مستقرة في وقت الاتفاق، وأنه لم يضرب حساب للتقلبات المالية التي نتجت عن الحرب العالمية الأولى فيما بعد. كما نص الفصل 11 من العقد على إعطاء الأسبقية لتسديد هذا القرض، وأن يكون التسديد من مجموع مداخيل الجمارك من صادرات أو واردات جميع الموانئ الموجودة في تاريخ عقد القرض والتي ستنشأ فيما بعد، وعين لهذا الغرض ممثل للأبناك لمراقبة وتحسين مداخيل الديوانة ومراقبون إلى جانب الأمناء في كل الموانئ لاستخلاص 60٪ من مداخيل "الديوانة" يوميا. كما اشترط في الفصل 33 إعطاء الأسبقية في كل القروض التي يلجأ إليها المخزن مستقبلاً لاتحاد الأبناك التي قدمت إليه السلف، أي أن اتحاد الأبناك الذي يترأسه بنك باريبا Paribas صار يتحكم في المداخيل الوحيدة للمخزن ويتحكم في كل المعاملات المالية والنقدية في المغرب منذ 1904.

ومن الشروط التي وضعت على المغرب حق هذا البنك Paribas في الأسبقية في كل إصدار نقدي يقوم به المغرب في المستقبل أي أن اتحاد الأبناك الفرنسي الذي يتزعمه باريبا Paribas صار يتحكم في المداخيل الوحيدة للمخزن، ويحتكر المعاملات المالية والنقدية في المغرب منذ 1904، ورغم أن باريبا Paribas تنازلت عن مراقبة الدين واحتكار الميدان المالي للبنك المخزني الذي كان تأسيسه من بين الشروط التي وضعتها باريبا Paribas في قرض 1904 - وإن كانت الاتفاقية النهائية لم تنص عليه، فإن حصصها (Parts) في رأس مال البنك المخزني عام 1907 إلى جانب ثلاث عشرة دولة أوربية التي كان لكل منها حصة واحدة، وحصولها على أسهم النامسا في 10 سبتمبر 1919 بعد الحرب العالمية الأولى، وعلى أسهم روسيا بعد الثورة البلشفية، كلها عوامل جعلتها تمارس كل أنواع الضغوط على المخزن قبل الحماية وأثناءها، إذ لم تستطع حتى السلطات الاستعمارية بعد 1912 أن تحد من نفوذها.

كانت لبنك باريبا Paribas أثناء فترة الحماية سلطة سياسية ومالية واقتصادية حقيقية على "المملكة الشريفة" التي أصبحت مستعمرة لها خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية حيث ركزت مجهودها على ترسيخ مكتسباتها وعلى استغلال الثروات المعدنية، وتوسيع المنطقة الجغرافية لنفوذها وأصبح لها منذ 1949 فرع دائم في الدار البيضاء يسهر على نشاطاتها المتعددة.

وبواسطة هذا الفرع في الدار البيضاء وعن طريق أسهمه في البنك المخزني وامتلاكه لعدة شركات عملاقة، صار بنك باريبا يتحكم في جميع الميادين الحيوية للاقتصاد المغربي بما فيها المواصلات والطاقة والمعادن، ومن بين هذه الشركات العملاقة التابعة لهذا التجمع Holdings :

I - الشركة المغربية العامة، وقد أسسها البنك في 1912، لـ"غرض اجتماعي وتنمية الاقتصاد المغربي" حسب تعبير البنك. قد تحكمت هذه الشركة إلى ما بعد الاستقلال في مجموع السكك الحديدية المغربية بواسطة شركات متفرعة متعددة منها : الشركة الفرنسية الإسبانية للسكك الحديدية بطنجة، وشركة السكك الحديدية بالمغرب، وشركة السكك الحديدية بالمغرب الشرقي.

كما كانت الشركة المغربية تتحكم في توزيع الماء والغاز والكهرباء بواسطة شركات تابعة له منها :

- الشركة المغربية لتوزيع الماء والغاز والكهرباء Compagnie Marocaine de Distribution d'Eau, de

Gaz et d'Electricité

. شركة الإنارة والطاقة في المغرب :

Compagnie d'Eclairage et de Force au Maroc

. الطاقة الكهربائية للمغرب :

Energie Electrique du Maroc

. الشركة الفاسية للكهرباء :

Compagnie Fassie d'Electricité

كما كان يتحكم في المواصلات البلدية في مدينة الدار البيضاء، وفي عدة شركات مغربية مهمة في ميدان الصناعة الغذائية والمطاحن، وفي صناعة النبيذ والسكر الخ، وأهم هذه الشركات :

شركة مطاحن المغرب : Société des Moulins du Maghreb التي تتوفر على ثلاث مطاحن في الدار البيضاء ومكناس وأسفي.

شركة مصانع البيرة للمغرب :

Société des Brasseries du Maghreb

شركة مجهولة الاسم للصيد والمصبرات الغذائية :

Société Anonyme de Pêcheries et de Conserves Alimentaires

شركة ستيوفيتا : Société Steovita (تعليب وبيع المواد الحليبية)

الشركة المغربية للزراعة والمقاولة :

Sté Marocaine de Culture et d'Entreprise

الشركة الإفريقية للنباتات العطرية :

Sté Africaine des Plantes à Parfum

المجازر البلدية والصناعية المغربية :

Les Abattoirs Municipaux et Industriels du Maroc

وكانت كذلك تتحكم في الأشغال الكبرى والبناء بواسطة :

الشركة العامة للمقاولات بالمغرب :

Société Générale d'Entreprise au Maroc

شركة المناجم المغربية :

Société des Carrières Marocaines

الشركة الشريفة للجبس :

Compagnie Chérifienne du Plâtre

الشركة العقارية الفرنسية المغربية :

Compagnie Immobilière Franco-Marocaine

الأومنيوم التقني

O.T.H, Omnium Technique

شركة الجير والإسمنت في المغرب :

Société des Chaux et Ciments du Maroc

شركة المغرب للسكنى :

Société d'Habitation du Maroc

شركة الدراسات والمقاولات المعدنية لتادلا:

Société d'Etudes et d'Entreprises Minière de Tadla

الشركة الشريفة لفحم جرادة :

Société Chérifienne des Charbonnages de Djerada

كما كانت الشركة المغربية العامة تتحكم في الموانئ عن طريق عدة شركات :

شركة ميناء طنجة Société du Port de Tanger،
بالإضافة إلى الشركات التي ساهم في تأسيسها في ما بعد فرع بنك Paribas في الدار البيضاء مثل :

شركة تنمية ميناء نيمور :

Société pour l'extension du Port de Nemours

ومجمع لدراسة وإحداث مرافئ ومستودعات لميناء الدار البيضاء :

Groupement pour l'Etude et la Création de Docks et d'Entrepôts pour le Port de Casablanca

الشركة الشريفة لاستغلال المنجزات البحرية.

II ـ أما الشركة العملاقة فهي أمنيوم الشمال الإفريقي O.N.A.، وقد ساهم بنك باريبا في تأسيسه بـ 1،58٪ و4 ممثلين في المجلس في أكتوبر 1966 ويعتبر من بين المنتجين الأساسيين للكوبالت، ويتحكم في الانتاج المغربي للكوبالت والمنغنيز والنحاس عن طريق شركات تابعة له، أهمها :

. شركة تفنوت ـ تيغانيمين :

Compagnie de Tifnout - Tiranimine

. مناجم بوازار وگرارة :

Mines de Bouazzer et du Grara

. شركة مناجم بوسكور :

Société des Mines de Bouskour

. أومنيوم المناجم : Omnium des Mines

احتل في عهد الحماية مكانة مهمة في ميدان النقل عبر الطرق ويحتكر النقل الخاص نحو الجنوب المغربي والصحراء ويضم عدة شركات :

شركة النقل الإفريقي :

Société des Transports Africains

شركة النقل المعدني :

Société des Transports Miniers

شركة مجهولة الاسم لنقل سيارات سوس :

Société Anonyme des Transports Automobiles du Souss

كما تحكم في الميدان التجاري والعقاري عن طريق شركات منها :

عبر الافريقية لتمثيل السيارات :

Interafricaine de Représentation d'Automobiles

المغربية للمقاولات التجارية والصناعية Marocaines d'Entreprise Commerciale et Industrielle التي تمثل شركة Peugeot في المغرب.

الشركة العقارية للبحر Société Immobilière de la Mer التي تملك حاليا فندقا يستعمله نادي البحر المتوسط.

وإلى جانب هذين التجمعين Holdings للشركتين العملاقتين الأساسيتين فالبنك كان يسيطر على :

الشركة العالمية المهتمة بتبغ المغرب :

Société Internationale de Régie intéressée des Tabacs du Maroc

وهو منح امتيازي سلم في 1910 لليون ويل Léon Weill ممثل بنك باريس بعد الاتفاق مع رجل الأعمال الإسباني جوان مارك Juan March الذي كان له الاحتكار الفعلي للتبغ في المنطقة الإسبانية، وهذه الشركة احتكرت صناعة نبات التبغ في المغرب فحققت أرباحاً باهظة. كما يتحكم في شركات متفرعة عن شركات فرنسية كانت بنفسها تابعة لمقر البنك بباريس، ولم تحدث أي تغييرات أساسية منذ نهاية عهد الحماية على نشاط وسياسة باريبا Paribas، فقد اكتفى بتبديل أسماء الشركات ما عدا فيما يخص البنك المخزني Banque d'Etat du Maroc والسكك الحديدية. فالأول أوقف نشاطه في 30 يونيو 1959 (انظر البنك المخزني)، إلا أن "الموجودات المالية" المهمة "actifs" لهذا البنك حولت لفائدة شركة مالية جديدة هي :

الشركة العالمية للتمويل وتوظيف الأموال : Société Internationale de Financement et de Placement (Soginterr) التي اندمجت في بنك باريس في جوان 1960.

وهكذا يكون بنك باريس، كما تقول صحيفة الحياة الفرنسية *La Vie Française* في 3 جوان 1960 "قد قام بعملية جديدة مربحة".

وبالفعل فإنه ضمن الموجود المالي للبنك المخزني كان يوجد مقدار ستين مليون فرنك بالعملة استعملت لتأسيس رأس مال بنك باريبا كوربوراسيون Paribas Corporation وهو فرع جديد لبنك باريس فتح في نفس السنة في نيويورك.

أما بالنسبة للسكك الحديدية فقد استرجعت الحكومة المغربية سنة 1963 الامتياز concession الذي لم يكن من المقرر استرجاعه إلا في سنة 1975 و1999 لعدم توقع بنك باريبا Paribas نهاية الاستعمار قبل هذه الفترة.

وكان هذا "الامتياز" concession في يد شركة المغرب للسكك الحديدية وشركة المغرب الشرقي للسكك الحديدية، وشركة المغرب للطاقة الكهربائية، وقد وقع الاتفاق مباشرة بين بنك باريس والحكومة المغربية دون اشتراك الشركات المعنية المذكورة في المفاوضات.

وحددت التعويضات التي أعطيت للشركتين الأولين بمقدار مائة وسبعة وسبعين مليونا وثلاثمائة وستين ألف فرنك فرنسي (ثقيل) وستين مليون وستمائة ألف درهم للشركة الثالثة من بينها ثلاثة وعشرون مليونا يمكن تحويلها transferable، والباقي غير قابل للتحويل، وقد تحولت الشركات الثلاث فيما بعد إلى شركة قابضة Holdings حيث تحولت الشركة المغربية للسكك الحديدية سابقاً إلى الشركة الفرنسية المغربية، وتحولت شركة المغرب الشرقي للسكك الحديدية إلى الشركة المغربية للإقليم الشرقي Société Marocaine de l'Oriental وشركة المغرب للطاقة الكهربائية إلى الشركة المالية الفرنسية المغربية للدراسات والتجهيزات : Société Financère Franco - Marocaine d'Etudes d'Equipements (Erielfir).

وقد استعمل بنك باريبا Paribas رؤوس الأموال المسترجعة على الخصوص خارج المغرب واستعملت المقادير "المجمدة" في المغرب في تأسيس شركات جديدة منها مثلا شركة الدراسات والإيداع الصناعية التي أسستها الشركة الفرنسية المغربية باتفاق مع الحكومة المغربية "لتنمية الاستثمارات في مختلف ميادين الاقتصاد المغربي" ومن بين إنجازاتها تأسيس أول شركة ليزينگ Leasing "القرض الايجاري" في المغرب : مغرب ليزنك سنة 1965 Maroc Leasing مساهمة فيها بنسبة 40٪ وشارك في رأس مالها بنك باريبا Paribas بنسبة 10٪ والبنك الوطني للتنمية الاقتصادية بالمغرب بـ 20٪ والشركة المغربية لتوزيع الماء والغاز والكهرباء، وستة أبناك أمريكية من بينها كوهن لوب وشركاؤه : Kuhn Lob and Co والإخوان لهمان Lehman Brothers.

وإذا كانت شركة مغرب ليزينك Leasing قد أسست كما تقول مجلة Entreprise لتساهم بفعالية في حل المشاكل التي تسببها قلة رؤوس الأموال الخاصة للاستثمار في هذه البلاد، فإن Paribas باستثمارها مجموع التعويضات القابلة للنقل transférables التي سددتها لها الحكومة المغربية، خارج المغرب في الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإسبانيا، تكون قد ساهمت مساهمة كبيرة في التقليص من رؤوس الأموال الخاصة في المغرب، وبالفعل فإنه منذ 1960 صرفت الشركات المغربية التابعة لها قسما مهما من أموالها في اقتناء أسهم في شركات صناعية فرنسية كمقاولات فوجرول Entreprise Fougerolle، وكوفر Cofor وفورنكو Forenco ولاروشيل سمبا La Rochelle Cempa، مما عزز تحكم بنك باريبا Paribas في هذه الشركات.

وفيما يخص سياسة باريبا Paribas في بقية القارة الافريقية، فقد وجه هذا البنك بعد الحرب العالمية الثانية اهتمامه للتغلغل خصوصاً في اتجاه الجزائر وافريقيا السوداء التي بقيت مناطق بعيدة عن نفوذه، واهتم على الخصوص بالثروات الباطنية الصحراوية ودشن هذا التغلغل في 17 يناير 1955 بفتح فرع في الجزائر العاصمة (لتصنيع هذه المنطقة ولاستثمار الثروات المعدنية في الأرض الجنوبية).

*L'Acte Général de la Conférence d'Algésiras* ; *Rapport de la Banque de Paribas* ; St. René Taillandier, *Les origines du Maroc Français* ; Bornet, *La Banque d'Etat du Maroc et le problème marocain* ; A. Roland Lebel, *Impôt agricole au Maroc "le Tertib"*, Paris, 1925 ; A. Reynier, *La Banque d'Etat du Maroc* ; H. Claude, *Histoire évenementielle abrégée de Moulay Abdelaziz Ibn El Hassan* (dans *Corpus des monnais Alaouites*, Volume I) ; A. J. Marty, *Le Franc marocain* ; A. Ayache, *Le Maroc* ; J. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 4 ; C. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes* ; M. Bouarfa, *Le Rial et le Franc*; *Revue Française* du 3 Juin 1960.

ثريا برادة

**البنك المخزني**، كان يطلق عليه دولياً : بنك الدولة المغربية. أو "البنك". يرجع تأسيسه إلى عقد مؤتمر الخزيرات

سنة 1907، وتحول إلى بنك المغرب في 30 يونيو 1959.

تختلط الظروف التاريخية لتأسيس البنك المخزني بالظروف التاريخية التي هيأت المغرب لمعاهدة الحماية، وجاء قانونه الأساسي ليجسم الحجْر الدولي الذي فرض على المغرب منذ معاهدة الخزيرات، كما أن تطوره مرتبط بتطور النفوذ الأجنبي في المغرب من 1906 إلى 1959 أي إلى ما بعد ثلاث سنوات من استقلال المغرب.

1) ـ الظروف التاريخية لتأسيس البنك المخزني :

يمكن اعتبار تاريخ البنك المخزني جزءا لا يتجزأ من تاريخ بنك پاريبا في المغرب، ومن التاريخ الاستعماري بصفة عامة. فمنذ سنة 1902 بدأ بنك باريس والبلدان المخفضة (پاريبا) يفكر في مشروع خلق بنك تابع له في المغرب، وكان هذا المشروع من بين الشروط التي طرحها سنة 1904 أثناء المفاوضات المتعلقة بالقرض الفرنسي للمخزن.

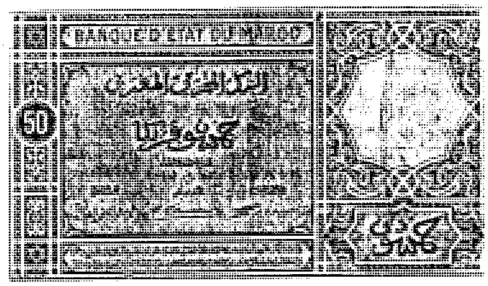

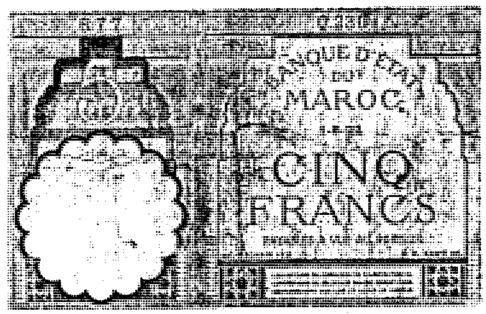

أوراق البنك المخزني

من إصدار سنوات 1339 ـ 1341 / 1920 ـ 1922

فقد تقدم لانكسيانو Langaussiano باسم التجمع البنكي التابع لبنك پاريبا، بطلب إلى المخزن لكي يمنح التجمع البنكي المقرض، امتياز تأسيس بنك مخزني.

وإذا كان موقف المخزن من هذا الطلب، لم يظهر بوضوح، فإن الحكومة الفرنسية أرجأت هذا الطلب، حتى يدرج داخل مخطط عام (للإصلاحات) كانت فرنسا تعتزم فرضه على المخزن وهو مخطط لم يكن قد هيء له بعد دبلوماسياً وتقنياً.

فعلى الصعيد الدبلوماسي تزامن طرح موضوع البنك مع المفاوضات الأنجليزية الفرنسية التي سبقت "الاتفاق الودي" والتي تعهدت فيها فرنسا بأخذ "مصالح إسبانيا في المغرب بعين الاعتبار"، وكان حصول مؤسسة مالية فرنسية على الاعتبارات اللازمة لتأسيس بنك مخزني، يتعارض مع هذا التعهد، خصوصاً وأن النقد الإسباني كان يلعب دوراً كبيراً على الساحة النقدية في المغرب.

لهذا كان من الضروري إعطاء إسبانيا ضمانات كافية، تجعلها تتنازل عن المشاركة في الإصلاحات المالية والنقدية.

وأثناء المفاوضات التي دارت بين باريس ومدريد في هذا الشأن تقرر إشراك نقابة أبناك إسبانية بمفعول رجعي في قرض 1904، مع كل الامتيازات التي تنشأ عن هذه المشاركة، خصوصاً فيما يتعلق بحق الأسبقية في القروض وإصدار النقود في المستقبل، كما أن فرنسا تعهدت في فصول سرية في التصريح الفرنسي الإسباني المؤرخ بـ 13 أكتوبر 1904 بإشراك الممثلين الإسبان في مراقبة الجمارك المغربية وأن لا تتخذ أي تدابير تمس بمصلحة البسيطة كعملة داخل السوق المغربية.

وعلى الصعيد التقني والسياسي كانت فرنسا لازالت لم تتوفر على الوسائل الكافية التي تمكنها من فرض برنامج "الإصلاحات" الاقتصادية والإدارية والإشراف مباشرة على تطبيقه خصوصا وأن تأسيس بنك مخزني تسند إليه الأمور المالية والاقتصادية وحتى الأمور ذات الطابع الإداري، كان يتطلب مراقبة مباشرة ومستمرة وواسعة النطاق على الأجهزة الاقتصادية والإدارية في المغرب.

وبعد الاتفاق الفرنسي الأنجليزي في أكتوبر 1904 كُلف سان روني طاياندي St René Taillandier ممثل فرنسا في طنجة بالتوجه لفاس لتقديم برنامج الإصلاحات الذي كان يشتمل إلى جانب الإصلاح العسكري وإصلاح الموانئ على الإصلاح المالي الذي كان يقتضي تأسيس بنك الدولة "ليتكلف" بالشؤون المالية الشريفة ويساهم في حدود الإمكان في تقديم الوسائل المالية التي من طبيعتها أن تقوِّم التدهور الحالي للنقد المغربي.

وبعد أن استنفد مولاي عبد العزيز كل الوسائل ليتجنب الرضوخ للمطالب الفرنسية التي كانت تعنى فقدان المخزن ما تبقى له من سلطة داخل البلاد كتمطيط المفاوضات واللجوء إلى تأسيس مجلس الأعيان للنظر في قضية الإصلاحات، لجأ في الأخير إلى قبول اقتراح ألمانيا المتمثل في عقد مؤتمر دولي لدراسة القضية المغربية، وطرح قضية "الإصلاحات" على مؤتمر دولي. وكان مولاي عبد العزيز يؤمل الاستفادة من التنافسات الدولية لمقاومة هيمنة فرنسا والحد من تدخلها المباشر في المرافق الحيوية للبلاد. وبعد عدة جولات من المفاوضات حصل الاتفاق بين ألمانيا وفرنسا في سبتمبر 1905 على إقامة المؤتمر في مدينة الخزيرات وحول برنامجه الذي كان الإصلاح المالي من بين عناصره. ابتدأ المؤتمر أشغاله في 16 يناير 1906 بمشاركة الدول الاثنتي عشرة الموقعة على معاهدة مدريد في 1880 وانضمت إليها روسيا.

ومنذ البدء ظهر الخلاف بين ألمانيا وفرنسا حول النقط الأساسية لتكوين البنك، ومن هذه النقط النظام القانوني للمؤسسة وتوزيع رأس المال وتكوين مجلس الإدارة. فقد

كان المشروع الفرنسي يقترح أن يكون رأس مال البنك بالعملة الذهبية ويقسم حسب الدول المشاركة بنسبة قسمة لكل دولة تريد المساهمة في البنك، زيادة على أربع قسمات للتجمع البنكي التابع لبنك باريس والبلدان المنخفضة، صاحبة قرض 1904، نظراً للحقوق المعترف لها بها في الفصل 33 من عقد القرض. ولحصر المجموع في خمس عشرة قسمة، اقترح المشروع الفرنسي أن تشترك السويد وروسيا في قسمة واحدة وأن يتنازل المغرب عن قسمته، كما اقترح أن يكون مجلس الإدارة مكوناً من خمسة عشر عضواً وأن تسند المراقبة إلى مراقب Commissaire مغربي ولجنة دولية. وأن يخضع البنك للقانون الفرنسي. وفي 3 مارس تقدمت هيئة تحرير المؤتمر بمشروع قانون "تكوين بنك الدولة" وكان هذا المشروع الذي درس في الجلسة العامة العاشرة مستوحى من المشروع الفرنسي. وقد طالب الكونت طاطنبات Tattenbath باسم الوفد الألماني بإدخال تعديلات على المشروع، منها : أن يكون رأس المال بالعملة الإسبانية ومقسماً إلى ثلاث عشر قسمة متساوية بين الدول المشاركة، وأن يضم مجلس الإدارة ستة وعشرين عضواً : عضوين لكل دولة، ولجنة الوزراء ممثلي الدول المعنية في طنجة، وأن تخضع النزاعات للقوانين المختلطة المصرفية.

المقر الأول للبنك المخزني بطنجة عام 1325 / 1907

وقد طغى الصراع الطويل بين فرنسا وألمانيا حول قضية البنك المخزني، على اشغال أغلبية جلسات المؤتمر، وانتهى الأمر بالاتفاق في نهاية شهر مارس 1906 على مشروع البنك في الشكل الذي تقدمت به فرنسا مع بعض التعديلات لإرضاء الطرف الألماني. وفي معاهدة الخزيرات الموقعة في 7 أبريل 1906 من طرف كل الدول المشاركة ماعدا المغرب، احتل تأسيس البنك المخزني الفصل الثالث واشتمل هذا الفصل على 27 بنداً من النبد 31 إلى البند 58 من المعاهدة.

2) القانون الأساسي للبنك المخزني :

جاء الفصل الثالث من معاهدة الخزيرات ليكرس الحجر الدولي الذي فرض على المغرب في شكل "بنك دولة المغرب" وحددت الامتيازات التي يمنحها "السلطان" للبنك لمدة أربعين سنة ابتداء من توقيع العقد في 27 فصلا.

ولتتميم وتوضيح هذه الامتيازات والقوانين أُضيف نصان وضعتهما لجنة خاصة نصت عليها المعاهدة، وترأسها جورج بالان George Pallain رئيس بنك فرنسا بين 1897 و1920 وصودق على هذه القوانين أثناء الجمع التأسيسي لـ 2 فبراير 1907.

وفاقت صلاحيات وامتيازات وحقوق البنك المخزني المغربي الذي أسس على شكل شركة مجهولة الاسم خاضعة للتشريع الفرنسي، الصلاحيات والامتيازات المخولة عادة للأبناك حتى المركزية منها ذات الطابع الوطني المحض، مما جعل جان جوريس يقول سنة 1912 "إن هذا البنك ليس بنكاً، وإن رأس المال الذي يكونه ليس في الحقيقة إلا وسيلة لتغلغل مختلف الدول الأوربية في المغرب، وان البنك في الحقيقة ليس إلا مجلساً أوربياً كبيراً".

فقد قسم رأس المال الذي حدد في 15.400.000 فرنك ذهبي إلى أربع عشرة قسمة متساوية منها إحدى عشرة قسمة للدول الأوربية المشاركة بعد انسحاب الولايات المتحدة وقسمة للمغرب وقسمتان للتجمع البنكي الفرنسي الذي ترأسه باريبا، وبلغت أسهم كل دولة 2.200 سهم من مجموع 80.800.

وأُعطي للبنك امتياز إصدار الأوراق النقدية، وسك العملة، والأسبقية في القروض التي يلجأ إليها المخزن في المستقبل وصلاحية اتخاذ كل أنواع التدبير التي يراها ضرورية لإصلاح الحالة النقدية في المغرب ـ شرط احترام تداول العملة الإسبانية ـ وامتياز اشتراء المعدن النفيس والقيام بوظيفة الخزينة العامة، حيث ينص الفصل 33 على أن المخزن يودع في البنك أهم مداخيل الخزينة وهي مداخيل الجمارك ـ ماعدا القسط المخصص لتأدية قرض 1904 ـ ومداخيل الضريبة الخاصة التي نص عليها الفصل 66 من نفس المعاهدة، كما عهد إليه بتأدية الرواتب المخزنية.

وإلى جانب هذه الامتيازات التي كانت تعني تدخل البنك بكيفية غير مباشرة في الشؤون الداخلية المغربية الاقتصادية منها والسياسية، كان البنك بمقتضى البندين 45 و46 خارجاً عن نطاق القانون المغربي، إذ لم يُعط للمحاكم المغربية حق التدخل في النزاعات التي تخص البنك ماعدا في حالة دعوى للبنك ضد مواطن مغربي غير محمي، أما

في غير هذه الحالة فيكون حل النزاع من اختصاص ثلاثة أنواع من المحاكم الأجنبية.

- المحكمة القنصلية في حالة نزاع بين البنك وبين طرف أجنبي أو طرف محمي.

- محكمة خاصة مكونة من ثلاثة قضاة قناصلة، وعونين قضائيين في حالة دعوى ضد البنك. ويختار قضاة هذه المحكمة من بين لائحة للقضاة والأعوان تضعهما كل سنة الهيئة الدبلوماسية في طنجة، وتتبع هذه المحاكم القانون التجاري الفرنسي.

- المحكمة الفيديرالية في لوزان Lausanne في حالة استيناف حكم المحكمة الخاصة، في حالة نزاع بين المخزن والبنك، أو بين المشاركين والبنك، وفي كل الحالات يكون الحكم الصادر عن المحكمة نهائياً وغير قابل للاستيناف أو الطعن.

- كما أن الامتيازات الجبائية التي أعطاها له الفصل 41 من المعاهدة الدولية جعلته خارجاً عن نطاق السيادة المغربية، فقد أعفى من جميع أنواع الضرائب سواء على المعاملات أو على الأملاك التابعة لمصالحه أو على الرسوم والأسهم والأوراق المالية أو تصدير واستيراد المعادن والنقود المعتمدة لعملياته.

وأسندت كل السلط والصلاحيات تقريباً لمجلس إدارة مكون من أربعة عشر عضواً بنسبة عضو لكل دولة مساهمة.

وبما أن اكتتاب كل دولة في رأس مال البنك كان عن طريق شركات بنكية - ماعدا المغرب - فإن أعضاء مجلس الإدارة كانوا - مبدئياً - تقنيين تعينهم المؤسسات المكتتبة. وفي حالة تنازل إحدى هذه المؤسسات عن نصف أسهمها لطرف آخر تفقد حقها في تعيين عضو لها، ويصبح هذا من اختصاص الجمع العام للمساهمين الذين يقوم بانتخاب عضو جديد في مجلس الإدارة.

ورغم أن ألمانيا طالبت أثناء مؤتمر الخزيرات بإخضاع مجلس الإدارة لمراقبة جهاز سياسي مكون من قناصلة الدول المكتتبة المعتمدين في طنجة للحد من السلطات الواسعة التي خولت له، فإن المعاهدة اكتفت بإسناد مراقبة المجلس لجهازين لم يكن لهما في الحقيقة أي نفوذ ولا أي تأثير على سير البنك، فقد أوكل البند 42 من المعاهدة العامة السهر على مصالح المخزن الشريف لمراقب سام يعينه المخزن بعد موافقة المجلس الإداري، وينحصر دوره في الاطلاع على شؤون البنك وإعلام حكومته دون أن يكون له حق التدخل في شؤون البنك أو الحضور في اجتماعات مجلس الإدارة أو الاطلاع على الوثائق. كما أوكل البند 51 من المعاهدة حق مراقبة الحسابات وحضور اجتماعات المجلس، والقيام بتقارير سنوية عن نشاط البنك، لأربعة مراقبين تعينهم أبناك دولة ألمانيا، وإسبانيا وفرنسا وأنجلترا دون أو يخول لهم أي حق في التدخل في إدارة الشؤون الداخلية للبنك أو في المعاملات، كما أن التقرير يرسل إلى مجلس الإدارة الذي يطلع عليه ويضيفه إلى تقريره السنوي قبل أن يرسله إلى حكومات الدول الموقعة على المعاهدة. وبحكم احتلال بنك باريس والبلدان المنخفضة لثلاثة مقاعد في مجلس الإدارة : مقعدين باسم مجموعة الأبناك الفرنسية صاحبة قرض 1904، ومقعد باسم الدولة الفرنسية التي اكتتبت بواسطتها، فقد ظهر التأثير الفرنسي منذ البدء على مجلس الإدارة الذي كان يعقد اجتماعاته في باريس عوض المكتب المركزي لطنجة المخصص لهذا الغرض، كما أن الحسابات كانت تجرى بالفرنك الفرنسي.

تطور البنك المخزني بين 1906 و1959 :

كانت معاهدة الخزيرات التي بقي مولاي عبد العزيز يماطل في توقيعها إلى 18 يونيو 1906 بداية العد العسكري لنهاية استقلال المغرب، حيث اختلطت ردود الفعل الداخلية العفوية بالاضطرابات التي شجعتها فرنسا ضد مولاي عبد العزيز والمصالح الأوربية في المغرب، لتبرير تدخلها العسكري والقضاء على الصبغة الدولية التي أعطاها مؤتمر الخزيرات للقضية المغربية.

وبدأ البنك المخزني نشاطه في 22 أبريل 1907 في طنجة والدار البيضاء والصويرة في الوقت الذي بدأ فيه الاحتلال العسكري الفرنسي للمغرب احتلال وجدة في مارس 1907 والدار البيضاء في 5 غشت من نفس السنة.

ويمكن تمييز ثلاث مراحل في تطور البنك تلتقي إلى حد كبير مع مراحل الاستعمار الفرنسي في المغرب هي : مرحلة ما قبل الحماية، ومرحلة من بداية الحماية إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، ومرحلة من نهاية الحرب إلى استقلال المغرب.

أ) مرحلة ما قبل الحماية : وهي مرحلة مارس فيها البنك مراقبة مالية وسياسية غير مباشرة على المخزن، فقد ركز البنك نشاطه على تتبع "الإصلاحات" التي نصت عليها معاهدة الخزيرات كتأسيس جهاز الأمن والسهر على أمن الأوربيين حيث بلغت مجموع التسبيقات التي قدمتها للمخزن لهذا الغرض سنة 1907 ما قدره 57٪ من رأس مالها الأساسي. كما تكلفت بتقديم قرض للمخزن لتأدية مختلف أنواع الغرامات والتعويضات للدول الأجنبية. ولمستوطنيها في المغرب، والمحميين المغاربة من يهود ومسلمين. وهكذا قام البنك سنة 1910 بتقديم قرض للمخزن يقدر بـ 101.124.000 فرنك بفائدة 5٪ لمدة 75 سنة على أن لا يبدأ في تأديته قبل خمس عشرة سنة ابتداء من 1926.

وخصص هذا القرض لتأدية تعويضات خسائر الحرب بفرنسا وإسبانيا، ففرنسا فرضت على المخزن 70 مليون فرنك كتعويض للخسائر التي أصابتها أثناء حملاتها "التأديبية" في وجدة والدار البيضاء، وإسبانيا طالبت المخزن بـ 65 مليون بسيطة كتعويض للأضرار التي لحقتها أثناء حملتها على الحضور وسلوان لـ"تأديب" القبائل التي

هاجمت مشروع بناء سكة حديدية بناحية مليلية.

كما خصص لتأدية مختلف التعويضات للأجانب والمحميين التي قدرت في 1910 بثلاثة عشر مليون فرنك فرنسي.

وكضمان لهذا القرض استولى البنك على ما بقي من مداخيل الديوانة واحتكار التبغ والكيف والمكس والزكاة والأملاك المخزنية المحيطة بالموانئ وحصة المخزن من الضريبة البلدية. وإذا كان هذا القرض لم يحل في شيء مشاكل الخزينة المغربية التي بقيت مجبرة على اللجوء إلى قروض أخرى، فإن البنك على العكس من ذلك استطاع بفضل القرض، ورغم ضعف العمليات التجارية أن يُضاعف أرباحه ثلاث مرات، كما أن البنك استطاع بفضل هذا القرض تنشيط بنيته المالية التي كانت راكدة قبل 1910.

وبفضل هذا التحسن الذي طرأ على النسبة المالية قام البنك بإصدار أول الأوراق النقدية من قيمة "20 ريال مخزني فضة".

كما قام بسك قطع نقدية في باريس من قيمة ريال و1/2 ريال و1/4 ريال.

وقام بفتح فروع جديدة في الرباط ووجدة.

ب) البنك بين 1912 و1920 :

بعد التحولات الطارئة على العلاقات الدولية وانسحاب ألمانيا من ساحة التنافس في المغرب وانفراد فرنسا وإسبانيا بالمغرب بعد معاهدة الحماية عام 1912، وجد البنك المخزني المغربي نفسه أمام مقاومة السلطات الاستعمارية، إذ صارت تعتبر طابعه الدولي وامتيازاته متنافية مع نظام الحماية الذي كان من المفروض أن يلغي معاهدة الخزيرات، كما أن النظام الاستعماري الذي كان غرضه الأساسي التوحيد السياسي والاقتصادي لإفريقيا الشمالية تحت السلطة الفرنسية، كان يرى من الضروري توحيد النقد في عملية ائتمانية يصدرها بنك الجزائر الفرنسي مائة في المائة.

ولم يستطع البنك المخزني الصمود إلا لتخوف السلطات الاستعمارية من نقض معاهدة دولية كمعاهدة الخزيرات، وللوزن الذي كان لبنك باريس والبلدان المنخفضة داخل فرنسا وداخل البنك المخزني، وكذلك للتحولات التي طرأت على تركيبة البنك بعد الحرب العالمية الأولى. وقد ظهرت نية السلطات الاستعمارية في التدخل في شؤون البنك والحد من امتيازاته منذ المعاهدة الفرنسية الإسبانية لـ 26 نوفمبر 1912. بالرغم من أن هذه المعاهدة نصت على أن إرساء الحماية في المغرب، وتقسيمه إلى عدة مناطق سياسية مستقلة لا يمس في شيء الحقوق والامتيازات التي منحتها معاهدة الخزيرات للبنك المخزني على مجموع تراب الأمبراطورية فإن الحكومة الفرنسية والإسبانية كانتا تعتزمان التدخل مباشرة في الميدان النقدي الذي كان من اختصاص البنك، وبدأتا تنسقان عملهما لتعديل نظام البنك ليصير ملائما للنظام الداخلي لكل منطقة، ولتمكين الحكومة الإسبانية من تسمية مراقب مغربي ثان في منطقة نفوذها تكون له نفس الاختصاصات التي كانت للمراقب الأول.

أما البنك الجزائري فقد بدأ منذ تأكد بوادر الحماية الفرنسية على المغرب، يهيء المجال لتعويض البنك المخزني المغربي ذي الطابع الدولي، حيث طالب في فبراير 1912 بممارسة حقه في فتح فرع في المغرب معتمداً على قانون 29 دسمبر 1911 الذي يعطي للحكومة الحق في السماح للبنك الجزائري "بخلق فروع في البلدان التي لها علاقات تجارية خاصة مع الجزائر وتونس".

كما أن البنك الجزائري كان يطمح إلى منازعة البنك المخزني امتياز الإصدار، إذ أن قانون يوليوز 1900 أُعطي لهذا البنك الذي كان موجوداً في الجزائر منذ 1851، وكان له امتياز إصدار الأوراق النقدية في الجزائر وتونس إمكانية مزاولة نشاطه وإصدار الأوراق البنكية في المستعمرات الفرنسية في إفريقيا.

وأمام تخوفات السلطات الفرنسية من عواقب خرق معاهدة الخزيرات الدولية ورفضها لطلب البنك الجزائري، قام هذا الأخير بالاستقرار في المغرب، بصفة غير مباشرة، عن طريق فتح بنك تابع تحت اسم البنك الجزائري التونسي للتجارة والتصدير الذي أصبح يتوفر منذ بداية 1914 على عدة فروع في طنجة ووجدة والدار البيضاء والرباط، واستطاع أن يحصل من الحكومة الفرنسية على حق أداء أجور جيش الاحتلال الفرنسي بالعملة التي يصدرها، مما جعل العملة الجزائرية (الفرنك الجزائري) تغزو الميدان البنكي المغربي.

وحاول البنك المخزني بمساعدة بنك باريس والبلدان المنخفضة أن يكسب الوقت، ولهذا خضع في أغلب الأحيان لأوامر السلطات الاستعمارية، فكرس كل جهوده للمحافظة على استقرار قيمة الفرنك الفرنسي الذي كان يتدهور باستمرار أمام البسيطة الحسنية والريال، ولتعويد السكان في المغرب على استعمال أوراق النقد الفرنسي والجزائري، ولهذا الغرض قام بين مارس 1912 و1914 بفتح ثلاثة فروع في العرائش وأسفي والجديدة. كما قام بسك عدة قطع نقدية جديدة وإصدار عدة أوراق نقدية مغربية من فئة تساوي 20 بسيطة من الحسني و4 ريالات، وحاول تحديد قيمة الفرنك الفرنسي بالنسبة للبسيطة الحسنية والريال، ولكن عجز البنك عن تزويد السلطات والنظام البنكي بالأوراق البنكية اللازمة أثناء الحرب وفشله في الحفاظ على قيمة الفرنك الفرنسي بالنسبة للنظام المغربي، جعل بنك الجزائر يعود من جديد للمطالبة بفتح فرع بالرباط، تسانده في ذلك الأوساط الاستعمارية التي اعتبرته أكثر صلاحية للإصدار من البنك المخزني، وحظي طلبه هذه المرة

بالقبول من طرف الحكومة الفرنسية (13 غشت 1914). ولكن قرار الحكومة لم ينفذ بسبب تطورات الحرب وتقدم الجيوش الألمانية في الأراضي الفرنسية، وانتقال الحكومة من باريس إلى بوردو، وكذلك بسبب اعتراض الجنرال ليوطي المقيم العام الفرنسي بالرباط الذي كان يريد إيجاد حل للمشكل النقدي بالمغرب، دون أن يربط النظام النقدي المغربي ببنك يوجد مقره المركزي بالجزائر. ولهذا الغرض طلب تعيين لجنة لدراسة مشكل النقد بصفة عامة. وفي 7 مايو 1915 عينت اللجنة بقرار من وزارة المالية الفرنسية وأسندت رئاستها لأرنوني Arnauné مستشار في محكمة الحسابات، وشارك فيها عدة موظفين كبار من وزارة المالية والخارجية ورئيس مجلس إدارة البنك المخزني والمدير العام لبنك الجزائر ونائب مدير بنك فرنسا الذي كان في نفس الوقت مراقباً في البنك المخزني.

وبعد عدة اجتماعات، أصدرت اللجنة في 18 مارس 1916 اقتراحاتها التي جاءت في اتجاه طموحات بنك الجزائر، إذ اقترحت تعويض العملة المغربية بالعملة الفرنسية ونزع امتياز الإصدار من البنك المخزني لصالح بنك الجزائر. وقد أثار الاقتراح الأخير احتجاج بنك باريس والبلدان المنخفضة وانسحاب رئيس مجلس إدارة البنك المخزني من اللجنة، وساند نائب مدير بنك فرنسا موقف بنك باريس والبلاد المنخفضة الذي كان يرى أنه من الممكن أن يدع النظام النقدي المغربي في النظام النقدي الفرنسي مع محافظة البنك المخزني على امتياز الإصدار.

وشرعت السلطات الاستعمارية منذ 1916 في اتخاذ التدابير العملية لتعويض النقد المغربي بالنقد الفرنسي فبدأت بالتدخل مباشرة في سوق الصرف لفرض تعادل بين النقد المغربي والفرنك الفرنسي الذي كانت قيمته تتدهور باستمرار. وبعد عدة تدخلات حصر التعادل فى 5 فرنكات للريال لتعويد السكان على الحساب بطريقة النقد الفرنسي. كما صار الفرنك في أكتوبر 1917 هو العملة الرسمية للحماية الفرنسية، وصارت الميزانية والأداءات العمومية بالفرنك، كما شجع على استعمال الفرنك في دفع ضريبة الترتيب، وحُظر استعمال غير العملة الفرنسية في تحديد الأسعار منذ يناير 1918. ولكن آثار الحرب على الاقتصاد الفرنسي، وارتفاع قيمة الفضة في السوق العالمية، وتهافت السكان على الريال الحسني، أفقد الفرنك تعادله وجعل قيمته تسقط عام 1919 بنسبة 34٪ بالمقارنة مع الريال الشيء الذي أثار حملة في الصحف الاستعمارية كجريدة لافيجي ماروكين *La Vigie Marocaine* وليزانال *Les Annales* ضد البنك المخزني والسلطات الاستعمارية، وقام المستوطنون الفرنسيون بمظاهرات أمام مقر البنك، وأسست لجنة الدفاع عن الفرنك ترأسها بول لافيت Paul Lafitte مدير الجريدة اليومية الاستعمارية *La Vigie*.

وعينت الحكومة الفرنسية برون Peronne المفتش العام في المالية لدراسة الأزمة النقدية في المغرب، وقام هذا الأخير معززاً بالمدير العام لبنك الجزائر بتقديم تقرير في 9 دسمبر 1919 يقترح فيه من جديد إعطاء امتياز الإصدار لبنك الجزائر وتعويض الريال الحسني بصفة نهائية بالفرنك الفرنسي.

وقد زادت هذه الأزمة في تهميش البنك المخزني الذي انحصر دوره في اشتراء الريال الحسني لحساب السلطات الاستعمارية، بينما أخضعت هذه الأخيرة كل عملية تحويل لمراقبة تأشيرة السلطات المالية للحماية.

وابتداء من نهاية سنة 1919، وبطلب من الإقامة العامة بالرباط، عينت الحكومة الفرنسية لجنة ثانية يترأسها كورتان Courtin رئيس غرفة في محكمة الحسابات تضم عدة موظفين كبار من وزراء المالية والخارجية الفرنسية، ولم يشارك في هذا الاجتماع لا البنك المخزني ولا بنك الجزائر، ولكن اقترح أن يقوما باجتماعات ثنائية. وفي هذه الأثناء كانت فكرة نزع امتياز الإصدار من البنك المخزني لصالح بنك الجزائر قد بدأت تلوح دون صبر، بسبب التحولات التي طرأت على توزيع الأسهم داخل البنك المخزني وعلى طابعه الدولي، بعد معاهدتي فرساي وبعد تحركات بنك باريس والبلدان المنخفضة للرفع من أسهمه داخل البنك.

فبمقتضى البند 141 من معاهدة فرساي تخلت ألمانيا عن كل الحقوق والامتيازات والرسوم التي خولتها لها معاهدة الخزيرات الدولية في 7 أبريل 1906، كما نص البند 145 من نفس المعاهدة على تحويل أسهمها إلى "الشخص" الذي تعينه لها الحكومة الفرنسية وأن تخصم قيمة هذه الأسهم من تعويضات الحرب على أن تقوم الحكومة الألمانية بتعويض المساهمين الألمان في البنك المخزني. كما أن الإجراءات التي قام بها بنك باريبا لاقتناء أسهم أنجلترا وروسيا في البنك المخزني كانت تؤكد أن فرنسا ستتحكم مستقبلا في مجلس إدارة البنك المخزني. لهذه الاعتبارات جاءت اقتراحات لجنة كورتان Courtin في اتجاه نظرية السلطات الاستعمارية في ما يخص سحب جميع القطع النقدية المغربية التي تحمل سك السلاطين وكذلك أوراق الريال، وتعويضها بنقد من نوع الفرنك، ولكنها لم تشر إلى البنك الذي سيقوم بإصدار هذه الأوراق الجديدة.

ولكن الظهير حول الإصلاح النقدي في الأمبراطورية الشريفة وتاريخه 19 مارس 1920 نص على أن إصدار ورقة الفرنك سيكون من اختصاص البنك المخزني. في حين لم يتوصل البنك المخزني والجزائري لأي اتفاق.

2) البنك المخزني من 1920 إلى 1956 :

منذ 1920 تأكدت "فَرْنَسَةُ" البنك المخزني وتأكدت كذلك امتيازاته، وبدأت آمال بنك الجزائر في تعويض البنك المخزني تتضاءل.

فمنذ يوليوز 1920 ارتفعت نسبة الأعضاء الفرنسين في مجلس الإدارة ونسبة الأسهم الفرنسية، فمن جهة صارت

نسبة مشاركة بنك باريس والبلدان المنخفضة 5 من 14 عوض 2 من 14 الأولية باشترائه لقسمة الأمبراطورية الروسية التي كانت في حوزة بنك الشمال، وكذلك بحصولها على قسمة الأمبراطورية الهنغارية النمساوية التي أرغمها البند 100 من معاهدة سان جرمان آن لي على التنازل عن أسهمها في البنك المخزني لصالح فرنسا. كما أن حصول فرنسا في شخص بنك الجزائر على القسمة الألمانية في البنك بمقتضى معاهدة فرساي رفع عدد الأعضاء الفرنسيين في مجلس الإدارة إلى 6 من 14 من بينهم الرئيس، زيادة على العضو المغربي الحاج إبراهيم بن جلون الذي كانت السلطات لا تشك في إخلاصه للمصالح الفرنسية والذي بقي في مجلس الإدارة إلى وفاته في 1932 رغم أن أغلبية الأسهم المغربية التي كانت فيها قبل لتجار مغاربة يمثلهم الحاج إبراهيم بن جلون فوتت للمستعمرين الفرنسيين. وبعد وفاة هذا الأخير عوض بعضو فرنسي، ومنذ 1921 شرع في سحب الأوراق النقدية الجزائرية والفرنسية وتعويضها بالفرنك المغربي الذي يصدره البنك المخزني.

وبربط البنك المخزني نهائياً بفرنسا، وإخضاع النظام النقدي المغربي للنظام النقدي الفرنسي وقع اتفاق بين وزير المالية الفرنسية پول دومير وستيفان درفي رئيس مجلس إدارة البنك المخزني في 29 دسمبر 1921، ينص على أن الحساب المفتوح باسم البنك المخزني في سجلات الخزينة الفرنسية يقوم بدور الوسيط بين فرنسا والمغرب.

وفي دجنبر 1924 أصدر ظهير يؤكد امتياز البنك المخزني في التصدير وينص على العقوبات اللازمة في حق مزوري الأوراق مما جعل بنك الجزائر يتخلى نهائياً عن فكرة تعويض البنك المخزني في الإصدار، ويعقد معه اتفاقية يتعهد فيها الطرفان باحترام حقوق الآخر وبالامتناع عن كل تدخل مباشر أو غير مباشر في شؤون الآخر، وأن يعملا على تسهيل العلاقات بين الجزائر والمغرب وأن يشتري البنك المخزني العقد التجاري للبنك التونسي الجزائري (فرع الجزائر في المغرب) بعدما سحب كل الأوراق النقدية الجزائرية.

وابتداء من 1925 فتح للبنك المخزني حساب العمليات في الخزينة الفرنسية تحت رقم 20.0.77 مما ربط نهائياً الفرنك "المغربي" بفرنك الدولة المستعمرة. وفي سنة 1925 دشن البنك المخزني مقراً جديداً في الرباط صار هو المقر المركزي، جاعلا بهذا حداً نهائياً للطابع الدولي الذي كان يضفيه عليه استقراره بطنجة، كما دشن فرعاً جديداً في مكناس انضاف إلى الفروع الموجودة في الدار البيضاء والقصر الكبير والجديدة والصويرة وفاس والقنيطرة والعرائش ومراكش ووجدة ووادزم وأسفي وسطات وتطوان.

وقد أدخلت على القانون الداخلي للبنك عدة تعديلات في اجتماعات غير عادية في 8 مايو 1926 و26 مايو 1930 و11 مايو 1936 و2 شتنبر 1946.

وفي 26 ماي 1946 بعد انتهاء مدة الامتياز الممنوح للبنك التي كان عقد الخزيرات قد حددها في أربعين سنة ابتداء من 1906، أصدر ظهير يمدد هذا الامتياز لمدة 20 سنة إلى تاريخ 31 دسمبر 1966. ولكن باستقلال المغرب سنة 1956 أصبحت قوانين وامتيازات البنك المخزني متنافية مع السيادة المغربية، وكان على المغرب المستقل أن يسترجع سلطته النقدية والمالية، وأن يجعل حداً لوجود البنك المخزني ويعوضه بمؤسسة وطنية.

وطرح المشكل على المجلس الوطني الاستشاري وقدمت عدة اقتراحات أهمها :

- اشتراء الأسهم التي كانت متفرقة بين عدة دول وغالباً بين أيدي مصالح عمومية أو أبناك خاصة، ولكن هذا الاختيار كان يقتضي أن تبقى المؤسسة الجديدة التي تحوز الأسهم في شكل شركة مجهولة الاسم، قد تشارك فيها أطراف أجنبية.

- استدعاء البلدان الموقعة على معاهدة الخزيرات لمناقشة التسيير المالي المنصرم وطرح المشاكل التي كانت لازالت موضوعة أمام المغرب المستقل، كمشاكل الحدود، ومشاكل القوات الأجنبية التي بقيت فوق التراب الوطني.

وبعد عدة جلسات ظهر فيها الصراع بين مختلف التيارات السياسية في البلاد تقرر أن تجرى مفاوضات بين البنك المخزني والحكومة المغربية في شخص وزير المالية آنذاك السيد عبد الرحيم بوعبيد، يكون الغرض منها استرجاع امتياز الإصدار من البنك المخزني قبل حلول الأجل المحدد وبدون تعويضات، وجعل حد لنشاطه البنكي، وخلق مؤسسة وطنية تمارس هذه الامتيازات دون أي طابع استمراري. وبدأت المفاوضات رسمياً سنة 1958 وانتهى الأمر باتفاق يشمل ثلاث نقط أساسية : 1) تحويل الامتياز 2) المستخدمين 3) اجراءات مختلفة. ويشتمل الاتفاق على 24 بنداً.

وبمقتضى هذا الاتفاق تنازل البنك المخزني ابتداء من فاتح يوليوز 1959 عن امتياز إصدار النقد والامتيازات الأخرى التي خولتها له معاهدة الخزيرات والتي أعيد تجديدها بظهير في 26 مايو 1946 لمدة 20 سنة، كما تقررت عودة هذه الامتيازات للدولة المغربية التي سلمتها في نفس التاريخ إلى بنك المغرب باعتباره معهد الإصدار الجديد، كما نصت الاتفاقية على أن يبيع البنك إما مباشرة أو بواسطة الشركة التابعة له، وهي شركة إفريقيا الشمالية العقارية، كل أملاكه العقارية لبنك المغرب مقابل مليار وأربعمائة مليون فرنك 1.400.000.000، وكذلك التجهيزات من أثاث وسيارات وآلات مقابل مبلغ 260.000.000 فرنك مغربي. ووقع هذه الاتفاقية وزير المالية آنذاك السيد عبد الرحيم بوعبيد عن الطرف المغربي ورئيس مجلس إدارة البنك المخزني السيد دوروا Deroy، وقد أنهى البنك المخزني نشاطه البنكي رسميا في 1 يوليوز 1959، وحل محله بنك المغرب الذي أعطيت رئاسته للسيد محمد

الزغاري وحدد قانونه الأساسي في 73 بنداً بظهير رقمه 1.59.233 بتاريخ 23 ذي الحجة 1378 موافق 30 يونيو 1959. وحول البنك المخزني موجوداته المالية وأرباحه إلى شركة مالية جديدة هي الشركة العالمية للتمويل والاستثمار Sofinter التي استولى عليها بنك باريس والبلدان المنخفضة (باريبا) سنة 1960.

*القانون الأساسي لبنك المغرب، خطاب السيد عبد الرحيم بوعبيد وزير المالية* في 2 يوليوز 1959 بمناسبة تدشين *بنك المغرب* من طرف السلطان محمد الخامس.

*L'Acte Général de la Conférence d'Algésiras. Rapports de la B.P.P.B.* ; Bomet, *La Banque d'Etat du Maroc*. St. R. Taillandier, *Les Origines du Maroc* ; A. Roland Lebel, *Le Tertib* ; A. Reynier, *La Banque d'Etat du Maroc* ; A.J. Marty, *Le Franc Marocain* ; H. Claude, *Histoire, réalité et destin d'un monopole* ; A. Ayache, *Le Maroc* ; M. Bouarfa, *Le Rial et le Franc*.

ثريا برادة

**بنك المغرب ← البنك بالمغرب**

**بنموسى. أسرة ← ابن موسى**

**بنموسى، إبراهيم** ربّي قبّالي، عاش في المغرب خلال القرن السابع عشر، له كتاب حول التلمود، مخطوطاته المتعلقة بالموضوع، مثل *"يوما"* و*"سُوطاح"*، ماتزال محفوظة برفوف "بوضليان" بأكسفورد. المقال الذي يعالج موضوع *"الناظر"* طُبع بمدينة ليفورن عام 1800 (مجموعة بريت يعقوب).

**بنموسى، إبراهيم** بن **شلومو**، ربّي بتطوان ثم بتونس. له مؤلفات في شرح الأعمال القبّالية *لإسحاق لوريا*، وشرح حول *المشنة* (الشريعة غير المكتوبة)، والهگادة (هجرة اليهود من مصر) في إطار الصوفية القبّالية والأغاني الدينية (بيوتيم) الرثائية *(قينوط)* ويذكر حييم الزعفراني وجود دروس تفسيرية *(بيؤريم)* تتعلق بابن ميمون الأندلسي، ضمن مجموعة يوسف بنّايم. وهي من تأليف إبراهيم بنموسى. ونشير إلى أن مجموعة بنايم توجد بمعهد الدراسات اليهودية بنيويورك.

*دائرة المعارف اليهودية*، 1907، ج 1 : 116.

A. Laredo, *Les Noms des Juifs* ; Y. M. Toledano, *Ner Hama'arab*.

سيمون ليڤي

**بنميرة، الهاشمي** بن عمر السلامي السرغيني المراكشي ولد بأولاد سلامة في قبيلة السراغنة عام 1324 / 1906 من أسرة عريقة استوطنت المنطقة منذ أزيد من قرنين، درس في مسقط رأسه وفي بعض المدارس والزوايا بأحواز مراكش خاصة مدرسة الفقيه محمد البصري بفنطاسة السراغنة وأجازه هذا الأخير، ثم التحق بجامع ابن يوسف بمراكش فأخذ عن الشيوخ محمد بن عثمان المسفيوي، ومحمد بن الحسن المراكشي، والمختار السباعي وغيرهم، وتلقى الحديث عن الحافظ أبي شعيب الدكالي وأجازه فيه، وأخذ الكلام والمنطق والبلاغة عن الشيخ محمد العلمي بفاس، وأجازه فيها كذلك، وحصل على شهادة العالمية في مباراة بالرباط سنة 1358 / 1939.

التحق الهاشمي بنميرة بجامع ابن يوسف مدرساً، وبعد أن امتُحن سنة 1953 وأوقف عن عمله لموقفه الوطني، عين بعد الاستقلال أستاذاً بثانوية ابن يوسف، ثم بكلية اللغة العربية حين أسست بمراكش سنة 1963. وكان في نفس الوقت يقوم بمهام إدارية كمفتش في التعليم الأصيل، ودينية كالوعظ والإرشاد والافتاء والإمامة والخطابة بعدد من المساجد.

أما آثار قلمه فما زالت كلها مخطوطة، وهي في التعليم والتصوف، ومنها رحلة حجازية وخطب جمعة.

توفي بمراكش في ثامن شوال عام 1388 / 29 دجنبر 1968.

*تقاييد المترجم وإجازاته ؛ ترجمة له كتبها الفقيه الكنسوسي المراكشي، ترجمة له كتبها عبد الرحمان الكتاني في جريدة الميثاق*، بتاريخ 15 ربيع الأول 1389.

عمر بنميرة

**ابن البنّاء، أحمد** بن **محمد** بن **عثمان** الأزدي نسباً، المراكشي مولداً ووفاة (654 . 721 / 1256 . 1321). يكنى بابن البنّاء لأن والده كان يحترف بصناعة البناء، ويلقب بالعددي إعلاما بأنه كان متميزاً في علم الأعداد.

تلقى القرآن عن محمد بن بشير، وعن الشيخ الأحدب وهما كانا لوقتهما من خيرة المقرئين بمراكش، وأخذ علوم السنة عن أبي الحجاج يوسف بن أحمد بن حكم التجيبي قاضي الجماعة بفاس، وعن أبي يوسف يعقوب بن عبد الرحمان الجزولي، وعن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري. ودرس الفقه والأصول على أبي عمران موسى بن أبي علي الزناتي المراكشي، وأبي الحسن محمد بن عبد الرحمان المغيلي، وتلقّن العربية عن محمد بن علي بن يحيى الشريف المراكشي، وعن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد السلام الصنهاجي المعروف بالعطار، وتعلم العروض على أبي بكر محمد بن إدريس بن مالك القضاعي المعروف

**بالفأر، وتتلمذ في العدد على محمد بن علي المعروف بابن أبي حجلة، وفي علم النجوم على محمد بن مخلوف السجلماسي نزيل مراكش، وفي الطبِّ على حكيم من أهل زمانه يعرف بالمريخ، وقد تظنن عبد الله گنون أنه الذي هجاه الحسن بن نصر الدباغ بزجل يقول فيه :**

| | |
|---|---|
| إن رأيت من عاداك | يشتكي من تلطيخ |
| وتريد أن يقبـــــر | احملـه للمريــــخ |
| قد حلف ملك الموت | بجميع أيمــانــو |
| ألا يبرح ساعــه | مــن جوار دكـَّانُــو |

وتربى صوفياً بالشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن عبد الكريم الهزميري وانتهى إلى طريقته الأغماتية، وكان يحدِّث ويقول :"كنت إذا أشكل علي شيء ركبت دابتي وانصرفت إلى أغمات وريكة فأجتمع بسيدي عبد الرحمان، فيشرح لي ما انبهم علي من المسائل، ثم أعود إلى منزلي، ولقد كنت أسير في بعض الأحياء فأجد الناس قد أحدقوا به فلا أجد كيف أجتمع به، فأقعد خلف السارية التي يستند إليها فيتكلم على المسائل التي جئت أستفتيه فيها مسألةً مسألةً حتى يأتي على آخرها فأخرج وأركب دابتي وأرجع إلى مراكش من يومي".

وأخذ عنه العديد من طلبة العلم كان فيهم أعلام، نذكر منهم عبد الرحمان بن محمد التلمساني المعروف بابن الإمام الفقيه المجتهد، وأخاه أبا موسى عيسى بن محمد الذي كان في الفقه من طبقة أخيه السابق الذكر، ومحمد بن علي التلمساني المعروف بابن النجار شيخ التعاليم لوقته، ومحمد بن إبراهيم الآبلي أحد حكماء الإسلام وشيخ عبد الرحمان بن خلدون، ومحمد بن أحمد بن شاطر المراكشي الصوفي الظريف المليح، وأبا البركات محمد بن إبراهيم البُلَّفيقي أحد أشياخ ابن خلدون الكبار، وعبد الرحمان بن سليمان اللجائي الذي كان كثيرا ما يقول :"ما وجدت إلا بركة ابن البنَّاء، وما وجد ابن البنَّاء إلا بركة الهزميري".

يعتبر ابن البنَّاء أحد المؤلفين الموسوعيين المكثرين، فقد أحصى له مترجموه ما ينيف على الثمانين تأليفا ما بين كتاب ورسالة ومقالة، وذلك ما نذكر جلَّه مصنفاً على المواضيع في المسارد الآتية :

له في القرآن وما إليه : *اختصار كشاف الزمخشري*، وحاشية عليه ؛ وكتاب *في منحى ملاك التأويل، في المتشابه اللفظ من آي التنزيل* لمعاصره أبي يعقوب أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الغرناطي، ورسالة *في تسمية الحروف* وخاصية وجودها في أوائل سور القرآن، ورسالة *في تفسير الاسم من البسملة*، وأخرى في *تفسير الباء من البسملة*، وهما توجدان مخطوطتين ضمن مجموع بمكتبه جامع القرويين بفاس، و*عنوان الدليل، في مرسوم خط التنزيل*، كتبه في تعليل رسم المصحف الإمام، وهو يوجد مخطوطا بالخزانة العامة بالرباط، وبالخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط.

وله في الأصول والفقه : *منتهى السول، في علم الأصول*، و*شرح على تنقيح الشهاب القرافي*، و*الفصول في الفرائض*، و*شرح على بعض مسائل الحوفي*، و*مقالة في الإقرار والإنكار*، و*مقالة في المدبر*، و*مقالة في المكاييل الشرعية*.

وله في العربية والأدب : *الروض المريع، في صناعة البديع*، صدر محققا بعناية الأستاذ رضوان بشقرون عن دار النشر المغربية بالبيضاء سنة 1985، وله *كليات في العربية*، و*قانون في الفرق بين الحكمة والشعر*، و*قانون في معرفة الشعر*، و*قانون في عيوب الشعر*.

وله في الحساب والجبر والهندسة : *التلخيص في أعمال الحساب*، وهو أشهر كتبه، وعليه شروح تنيف على العشرة، منها *اللباب، في شرح أعمال الحساب* لعبد العزيز علي الهواري، منه مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة تمت كتابته سنة 746 هـ، و*التمحيص في شرح التلخيص* لابن هيدور (مخطوط)، و*شرح القلصادي* (مخطوط) وعقده ابن غازي المكناسي نظماً في ألفية سماها *منية الحساب* وشرحها شرحا سماه *بغية الطلاب* والنظم وشرحه مطبوعان معاً بفاس سنة 1317 هـ، وكان *التلخيص* قد ترجم إلى الفرنسية بعناية المستشرق الفرنسي أرستدمار Aristide Marre، طبعت الترجمة بروما سنة 1864، و*التلخيص* حققه الدكتور محمد سويسي، وطبع التحقيق بتونس سنة 1964، وله *رفع الحجاب عن وجوه أعمال الحساب*، وهو شرح له على التلخيص، قال عنه ابن خلدون في مقدمته وهو يتكلم عن علم العدد :"أدركنا المشيخة تعظِّمه، وهو جدير بذلك"، وقد قام الباحث المغربي محمد أبلاغ بتحقيقه، وأصحبه بتحليل رياضي له، ودراسة فلسفية عليه، وقدم ذلك أطروحة لنيل دكتوراه من جامعة باريس (1) پانثيون - سربون فنالها بدرجة تشريف، وعلى *رفع الحجاب* تقييد لابن هيدور سماه "*تحفة الطلاب، وأمنية الحساب*" منه مخطوطة بالفاتيكان برقم : (1403 عربي).

ومن ذلك رسالة في *الأعداد التامة والزائدة والناقصة والمتحابة*، جمعها الدكتور محمد سويسي ونشرها في حوليات الجامعة التونسية بالعدد 13 سنة 1976. وكتاب *في الجبر والمقابلة*، و*مقدمة على أوقليدس*، ورسالة *في الأشكال المساحية* حققها الأستاذ محمد العربي الخطابي ونشرها بالعدد 256 من مجلة دعوة الحق 1406 / 1986.

وأخرج في الفلك وما إليه زهاء العشرين تأليفاً نستعرض جلها فيما يأتي :"*منهاج الطالب، في تعديل الكواكب*"، نقله المستشرق الإسباني خينيس پيرنيت إلى الإسبانية، ونشرت الترجمة مع النص العربي بعناية معهد الأبحاث بتطوان سنة 1952 وله *اليسارة*، *لتعديل السيارة*، وعليه شرح لأحمد بن حميدة المطرفي سماه *المقصد الأسنى في حل مقفل يسارة ابن البنا*، منه مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ؛ و*الإشارة في اختصار اليسارة*، وكتاب *في الأنواء* ترجمه الدكتور رينو إلى الفرنسية ونشره معهد الدروس العليا المغربي نصاً وترجمة سنة 1948 ؛ ورسالة *في معرفة الأوقات بالحساب*، وقد حققها الأستاذ محمد العربي

الخطابي وأودعها كتابه : *علم المواقيت* المطبوع بفضالة سنة 1986، *ورسالة في العمل بالصفيحة الزرقالية*، وقد نشرها الأستاذ محمد العربي الخطابي محققة بالعدد 242 من مجلة دعوة *الحق* سنة 1305 / 1985 ثم أعاد نشرها ضمن كتابه *المواقيت* السابق الذكر، *والمنهاج في تركيب الأزياج*، وكتاب *في أحكام النجوم*، وثلاثة *مداخل في أحكام النجوم*.

وله في العلوم الخفية : *رسالة في الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر* ؛ وكلام على *خط الرمل*، وكلام على *الزجر والفال والكهانة*؛ وكلام على *العزائم والرقى والتمائم*، وكلام في *خواص بعض الدعوات* ؛ ورسالة *في صناعة الأوفاق*، وكلام *في عمل الطلسمات*.

ثم له كتبٌ أفرادٌ أو مجهولةُ الكُنهِ نعزلها في السرد التالي :

*كلام في الصرع الروحاني والصرع المزاجي*، *اختصار في الفلاحة*، *رسالة في مسائل فقهية ونجومية*، *رسالة في العلوم الثمانية* ؟ *رسالة في الحملاء الستة* ؟ *الرد على ابن عبد العظيم في خلوته*، *الرد على البوني*.

كان ابن البناء يُجوِّد كتبه تجويداً اعتبر به إماما في صناعة التأليف على عهده بالغرب الإسلامي، ففي *روضة الأقحوان من أزهار الرياض* (3 : 23) ما نصه :"**انتهت صناعة التأليف في علماء المغرب لشيخ شيوخ العلماء في وقته ابن البناء المراكشي في جميع تصانيفه، أوجب ذلك براءة نسبه من البداوة، وملكته في التصرف التي هي نتيجة تحصيله**".

**وقد كان في كلامه عامةً وفي تآليفه خاصة دقيقا، شديد التركيز، ميالا إلى الإيجار، فجاء ذلك تصديقاً لقوله في أبياته المشعورة :**

| | |
|---|---|
| قصدت إلى الوجازة في كلامي | لعلمي بالصواب في الاختصار |
| ولم أحقرْ فهوماً دون فهمي | ولكن خفتُ إزراء الكبار |
| فشأنُ فحولة العلماء شأني | وشأن البسط تعليم الصغار |

**وكان ابن البناء قوي الشخصية حسن السمت، وقور المجلس محبوبا في الخاصة والعامة، مشغولا بالعلم أخذا وإعطاءً، وكان إذا تكلم ألقى إليه الحاضرون بالأسماع، حتى قيل عنه إنه عمل طلَّسماً يرغم له الحاضرين على السكوت والإصغاء، وكان متنعما في عيشه طعاما وملبسا ومسكنا، يشهد على ذاك حكاية أوردها ابن قنفذ في *أنس الفقير* (67 . 68) نقتضبها فيما يأتي :**

**"خرج أبو عبد الله الگومي إلى زيارة الفقيه اليڤُوري قال : فوجدته بين كتبه على التراب، وعليه مرقعة غليظة، وعرقه يقطر، ثم خرجت إلى زيارة ابن البنا فوجدته في قبة رياضه، وعليه ثياب كتان من عمل تونس. وفي القبة أقطعة ومخاد، وعليها حجاب حسن، فنادى الخادم، فقدمت الأطعمة والسكر والبطيخ، فقلت في نفسي : سبحان الله ! كيف تركت اليڤُوري ووجدت هذا الرجل ! فقال لي : دع الفضول، لو كان اليڤُوري في هذا المقام وأنا في مقامه لاختلَّ حال كل واحد منا".**

**واطلاع ابن البنَّاء على ما دار في خلد الگومي، قد حكى عنه مترجموه أشياء من أمثاله، وجائز فيه أن يكون من بابة الكشف، ويجوز في بعضه أن يكون من قبيل الزُّكانة، وبعض حاسديه يدعي عليه أنه من النجامة، ويكذب ذلك ما كان عليه من سلامة العقيدة وشدة التديّن، ويفنده أيضا أن له تأليفاً في إبطال أحكام النجوم.**

**ثم نختم الكلام في ابن البناء بذكر أثارتين بمراكش إحداهما دار تعرف بدار الفقيه الجبلي يقال عنها إنها كانت دار سكناه، وهي بحي قاعة ابن ناهض الواقع بوسط مراكش العتيقة، ونُذكِّرُ بأن غير واحد من مترجميه ذكروا أنه ولد بذلك الحي، وعليه فمن المحتمل أن تكون على مكان ولادته، وأن تكون على موضع سكناه الذي زاره فيه الگومي، والأخرى مدفنه المعروف بالبرج الركني والواقع بحي جنان بوسكري من شرق مراكش العتيقة.**

**ابن قنفذ**، *أنس الفقير* (60 . 69) ؛ ابن حجر العسقلاني، ***الدرر الكامنة*** (1 : 297 . 298) ؛ ابن'هيدور التادلي، ***مقدمة التمحيص في شرح التلخيص*** (مخطوط) ؛ القلصادي، *مقدمة شرحه على التلخيص* (مخطوط) ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* (1 : 148 . 152) ؛ *درة الحجال* (1 : 14 . 16) ؛ أحمد بابا التبكتي، ***نيل الابتهاج*** (65 . 68) ؛ م. مطيع، *كفاية المحتاج*، دراسة وتحقيق ؛ رسالة جامعية (مرقونة) ؛ الشوكاني، *البدر الطالع* (1 : 108 . 109) ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة*، (2 : 52) ؛ سوتير وابن أبي شنب، ***دائرة المعارف الإسلامية***، 1 : 102 . 103 من الترجمة العربية ؛ ألدو ميبلي، *العلم عند العرب* (411 / 412 . 413) من الترجمة العربية؛ ابن الموقت، *السعادة الأبدية* (1 : 70 . 74) ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* (2 : 202 . 210) ؛ خ. الزركلي، الأعلام (1 : 222) ؛ ع. گنون، *ابن البناء العددي*، العدد 32 من *الذكريات* ؛ قدري طوقان، *تراث العرب العلمي* (429 . 432) ؛ م. العربي الخطابي، *علم المواقيت أصوله ومناهجه* (86 . 99 / 136 . 174) ؛ م. بن عبد العزيز الدباغ، *ابن البناء المراكشي وكتابه تفسير الاسم من البسملة*، *دعوة الحق*، العدد 262، الجماديان 1407 / يناير . فبراير 1987.

H.P.J. Renaud, *Notes critiques d'histoire des sciences chez les musulmans : Ibn Al-Banna de Marrakech, sûfî et mathematicien. Hesp*, T. XXV, 1938 1er trim., p. 13 - 42.

أحمد الشرقاوي إقبال

**البنَّاء** (ابن .)، **أحمد** بن **محمد المالقي**، يوافق ابن البناء العددي المراكشي اسما وكنية وسكنى. ولد بمالقة عام 647 / 49 . 1250، وبها درس حتى أصبح فقيهاً مشهوراً فأسند إليه قضاء أغمات. وكانت وفاته بمراكش عام 741 / 1340 . 1341. حسب أحمد ابن القاضي في *لقط الفرائد*، وحسب ما ورد في *نيل الابتهاج* وفي *كفاية المحتاج* نقلا عن *فهرسة* محمد بن إبراهيم الحضرمي بخطه. كانت وفاته سنة 724 / 1323 . 1324.

أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد* ؛ أ. باب السوداني، ***نيل الابتهاج*** ؛ ***كفاية المحتاج***، د.د.ع كلية الآداب، بالرباط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*.

محمد مطيع

**بناصر**، شيخ درعة ← ابن **ناصر**

**بنّاصر عمرو** ← **الزموري** عمرو بناصر

**بنّاصر، محمد** بن **العربي** بن الحبيب بن المصطفى، من آل الولي الصالح سيدي أحمد بن علي دفين غريس قرب معسكر، الذي ينتسب إلى الحسين بن علي بن أبي طالب. هكذا كتب اسمه بخطه (محمد بناصر) بينما كتب "ناصر" في قائمة الشرف.

ولد بمدينة وجدة عام 1325 / 1907، وبها حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ علوم اللغة والدين، واستظهر من المتون *الآجرومية*، *والألفية*، *ولامية الأفعال*، *والمرشد المعين*، *ومقدمة السنوسي* في التوحيد، ومعظم *مختصر خليل*، *وورقات* إمام الحرمين، *وسلّم* الاخضري.

أخذ بالمدرسة العلمية بمدينة وجدة عن والده الذي كان يشغل منصب مديرها، وعن عمه أحمد بن الحبيب الذي كان متخصصا في عمل النحو والأدب، وأبي بكر بن زكري الفاسي، ومحمد بن الحاج المازوني، والقاضيين محمد بن قدور العبادي، وإسماعيل الادريسي، وعبد الرحمن الشفشاوني. وحصل على شهادة العالمية بوجدة إلا أن الفرنسيين انتزعوها منه في جملة ما انتزعوا من مخطوطاته ووثائقه أثناء حملاتهم التفتيشية بمنزله. وبعد ذلك تمكن من دراسة اللغة الفرنسية في ليسي مدينة وجدة إلى أن وصل إلى القسم ما قبل البكالوريا.

عرف الوطنية منذ سنة 1930 فندّد بالظهير البربري في المساجد والنوادي، وقام سنة 1936 بتحرك وطني هام مع السيد عبد السلام الوزاني الذي أوفده الحزب الوطني إلى وجدة، وحكم عليه بالسجن سنتين على إثر الأحداث التي عرفتها هذه المدينة، ثم أفرج عنه كسائر المعتقلين. ودخل السجن مرة أخرى سنة 1937 بعد نفي الزعماء حيث قضى سنتين بسجن غبيلة بالبيضاء. ووقّع على عريضة المطالبة بالاستقلال نيابة عن المغرب الشرقي، واعتُقل على إثر ذلك مع مجموعة من الوطنيين حيث قضى عامين آخرين بسجون وجدة وغبيلة وعين علي مومن.

شغل عدة مناصب إدارية، فعمل رئيسا لمصلحة الحالة المدنية بوجدة، ثم مراقب الجمارك بنفس المدينة. وبعد الاستقلال انخرط في سلك القضاء حاكما للسدد ببركان، ثم عضواً بالمحكمة الإقليمية بفاس. وأدركته المنية بالرباط يوم 13 دجنبر 1970 ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه وجدة حيث دفن في مقبرة أسرته.

*ترجمة بقلمه وخطه* في ملف الحاج أبي بكر الصبيحي، مخطوط خ. ص ؛ لجنة الإعلام والنشر لحزب الاستقلال، *قائمة الشرف*، 106 - 107.

**بناني**، أسرة بفاس والرباط، يذكر أحد المصادر أن بنّان (بنون مشددة) هو ابن يعقوب الكندي الكوفي المعروف بالزقومي أخو حمدان، ويقول ابن ماكولا إن ابن الأعرابي تحدث عنه وروى عنه ابن منده وأبان بن عبد الله بن أبان. ونقل عن أبي القاسم البرزلي في *تاريخ افريقيا* أن بني بنّان قرية بافريقية قرب باجة، وإليها ينتسب آل بناني أو البناني بفاس وبلاد المغرب، وردوا منها مع من ورد أيام يحيى بن محمد بن إدريس أوائل القرن الثالث الهجري (9 م).

وفي أيام المولى إسماعيل انتقل الحاج عبد السلام بناني من فاس إلى الرباط بأمر من السلطان حيث أقام بالمدينة للتدريس ونشر العلم، وتناسل عقبه بها، وإليه تنتسب أغلبية الأسرة البنّانية الموجودة حاليا بالرباط. وقد عرفت أسرة البنّانين سواء الذين بقوا بفاس منهم أو الذين نشأوا بالرباط بالعلم والدين واشتهر منهم قضاة وعلماء ومتصوفة. ويظهر أن فرعاً آخر من آل بناني انقرض من الرباط في حدود سنة 1200 / 1785 حسب ما عند بوجندار في *مقدمة الفتح* (ص 190).

ومنذ القرن الثامن عشر برزت في كل من مدينتي فاس والرباط شخصيات مرموقة من هذه الأسرة واستمرت هذه المكانة فيها إلى الآن، فمنذ سنة 1222 / 1807 كان رئيس مرسى الرباط هو الحسن بناني. وفي نفس الوقت برز الكاتب الطاهر بناني الذي أرسله السلطان محمد بن عبد الله سفيراً إلى الدولة العثمانية كما عاصر هذين الشخصيتين ناظر أحباس الرباط الحاج العربي بناني. وبعد ذلك تولى الحسبة كل من محمد بناني وابن عمه وسميه الحاج محمد بالرباط. وهذا الأخير هو والد الأمين الحاج أحمد بناني المثري الشهير صاحب العقارات الكبرى بالرباط المعروف بحميدو بناني. أما في فاس فعدد العلماء والوجهاء البنانيين كثير.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، الرباط 1345 هـ ؛ *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*، 1345 ؛ *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، 1986؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، 297 - 377 ؛ ع. بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 262 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 137 - 162 - 188 - 208 - 232.
*Dictionnaire des personnalités passées et contemporaines, livre d'or*, Casablanca, 1934.

**بناني، أحمد** بن **الصالح** بن أحمد. ولد بفاس عام 1216 / 1801 وأخذ فيها عن كبار علماء عصره، كمحمد بن عبد الرحمن الحجرتي الفيلالي، وعبد القادر الكوهن، وبدر الدين الحمومي، ومحمد السنوسي. وكان - كأبيه - صوفياً درقاوياً. اشتغل بالتدريس، وبعد وفاة والده المريد المباشر للشيخ العربي الدرقاوي، غلب عليه النسك وتربية المريدين.

توفي بفاس عشية يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الثاني عام 1286، ودفن بجوار والده بروضته خارج باب الفتوح.

م. الكتاني، *سلوة* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1286.

**بناني، أحمد** بن **عبد السلام** بن محمد بن أحمد أحد

العلماء البارزين في عهد المولى سليمان (1792 ـ 1822). تتلمذ على كبار علماء عصره مثل شيخ الجماعة بفاس محمد الطيب ابن كيران، ورحل إلى المشرق في سنة 1218 / 1803 لأداء فريضة الحج، وكان الوهابيون آنذاك يحاولون فرض سيطرتهم على الحرمين الشريفين فتعرض المترجم للكثير من المضايقات على يد أتباعهم المتشددين. ولما عاد إلى مسقط رأسه بفاس حمل معه رسالتين في موضوع الدعوة الوهابية فسلمهما إلى شيخه ابن كيران قبل أن تصلا إلى يد السلطان المولى سليمان.

وإذا كان الطيب بن كيران قد كُلف من طرف المولى سليمان بالرد على أقوال الوهابيين فإن أحمد بن عبد السلام بناني انتصب هو الآخر لتفنيد حججهم من خلال مؤلفين له سمّى الأول *الفيوضات الوهبية في الرد على الطائفة الوهابية* والثاني *الصواعق والدواهي في الرد على المبتدع الوهابي*. كما ترك هذا العالم عدة مؤلفات في مواضيع شتى منها ما له علاقة بالجدل الذي قام في وقته حول بعض الطرق الصوفية : *المعيار المعرب عن فضيحة التيجاني بين أهل المشرق والمغرب* ومنها ما له علاقة بمسألة البلديين التي كثر فيها الخلاف بين علماء فاس منذ وقت طويل. وبخصوص هذه المسألة وضع المترجم مؤلفاً سماه *تحلية الآذان والمسامع بنصرة الشيخ ابن زكري العلامة الجامع*، وفيه ينفي تهمة الشعوبية عن العالم المذكور ويدحض حجج الذين يميزون بين المسلمين على أساس العرق أو الانحدار من أصل يهودي كما هو الشأن بالنسبة للعديد من الأسر الفاسية.

توفي أحمد بن عبد السلام بناني في سنة 1234 / 1818، ولا يستبعد أن يكون من ضحايا الوباء الذي أصاب البلاد بين سنتي 1818 و1820. وذكر ع. ابن سودة في *الإتحاف*، أنه توفي في القيروان بتونس.

أ. بناني نفسه، *بعض مؤلفاته* ؛ ع. ابن سودة، *دليل*؛ *إتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد المنصور

**بناني، أحمد** بن **عبد السلام** بن **محمد** بن أحمد بن الصالح، أديب من رواد القصة والمقالة في المغرب. ولد بفاس في بيئة علمية، إذ كان والده عبد السلام مدرساً بالقرويين، وعمه عبد العزيز فقيهاً قاضياً بفاس. وتكوّن أحمد تكويناً مزدوجاً، درس العربية قبل أن يلتحق بالتعليم العصري. وبعد إنهاء دراسته بثانوية مولاي إدريس انتقل إلى الرباط لدراسة الحقوق والترجمة بمعهد الدراسات المغربية العليا. وبعد تخرجه عُين كاتباً مترجماً بإدارة الشؤون الشريفة التي كانت الواسطة بين القصر الملكي والإقامة العامة، ثم في ديوان الصدر الأعظم الحاج محمد المقري. وقد عرف السجن والنفي لأفكاره ومواقفه أيام الكفاح الوطني. وبعد الاستقلال عينه محمد الخامس رئيساً للتشريفات، ثم تقلد مناصب سامية أخرى كالسفارة وغيرها.

ظهر نبوغ أحمد بناني مبكراً في ميدان الكتابة الأدبية والاجتماعية فكان من رفاق سعيد حجي يكتب في جريدة *المغرب وملحقها* الأدبي، *والثقافة المغربية* وغيرها. وتميز أسلوبه بالسلاسة والوضوح والمتعة.

وفيه يقول الأستاذ قاسم الزهيري : "لم يكن أسلوب المرحوم ـ أحمد بناني ـ يخفى وسط أساليب الكتاب من أبناء وطنه، فكانت مقالاته السياسية وقصصه الاجتماعية حديث المجالس ومثار التفكير والتأمل. يكتفي منها القراء العاديون بمسحتها الساخرة الضاحكة، بينما يحاول المثقفون أن ينفذوا إلى ما تبطنه من خفي المعاني. وفي أيام الاستعمار كانت مقالاته موضع اهتمام قلم الرقابة يحتار في إدراك مضامينها، وكلما أعجزه الفهم لجأ إلى الشطب والحذف فبات أضحوكة القراء. وإمعانا في النكاية بالرقابة نشر أحمد بناني مقاله الشهير "حذفته الرقابة" معرضاً إياها للسخرية والتسفيه".

من آثاره المنشورة، علاوة على المقالات العديدة التي تتضمنها الجرائد والمجلات الوطنية، كتاب *فاس في سبع قصص* (1968)، وكان في آخر حياته يكتب تاريخ المغرب ويقول إنه سيصدر قريباً.

توفي بالرباط يوم 12 محرم عام 1399 / 12 ديسمبر 1978، وأقيمت له ذكرى الأربعين شارك فيها جماعة من أصدقائه رجال الفكر والأدب، وأشادوا بمزاياه نثراً وشعراً.

*أحمد بناني فقيد الأدب والوطنية*، حياته اتجاهاته الأدبية والفكرية، الرباط 1981.

محمد حجي

**بناني، أحمد** بن **محمد** بن الحسن بناني الرباطي. فقيه وأديب وشاعر. ولد بالرباط سنة 1260 / 1844. قال عنه

عبد الحفيظ الفاسي في *معجم الشيوخ* "كان عالماً مشاركاً في كثير من العلوم العقلية والنقلية، ماهراً في علم النحو، مبرزاً في علم التوثيق، ضابطاً متقناً، منقبضاً عن الناس متباعداً عن مخالطتهم، متصوفاً، عارفاً بزمانه، مقبلا على شأنه، مستعملا الجد في سائر أحواله، مكباً على المطالعة والتقييد، معمراً أوقاته بنوافل الخيرات، وكان معظم الجناب موقراً عند الخاص والعام" (2 : 116).

قرأ على شيوخ الرباط في وقته كالقاضي محمد البريبري (تـ 1326 / 1908)، وإبراهيم التادلي (تـ 1311 / 1894) وسيدي العربي بن السايح (تـ 1309 / 1891). ورحل لفاس ومكناس وزرهون ولقي كثيراً من أهل العلم والفضل (*الاغتباط*، 77). وفي يوم السبت 26 رجب عام 1287 / 1870، قصد تطوان وبها أخذ الطريقة الريسونية عن الشيخ سيدي محمد ابن ريسون، ومكث هناك مدة يدرس بالزاوية العيساوية. ثم رحل للمشرق مرتين فحج وزار، واستقر مدة بمكة والمدينة والقاهرة، وأخذ العلم عن بعض شيوخ الحجاز ومصر. وكانت حجته الأولى سنة 1284 / 1867، والثانية سنة 1292 / 1875. وقد أجازه من الرباط شيخه إبراهيم التادلي، ومحمد البريبري، وفتح الله ابن الشيخ أبي بكر بناني الرباطي (تـ 1353 / 1933)، ومن الديار المقدسة محمد بن خليفة المدني (تـ 1313 / 1895)، وأجازه إجازة عامة مفتي مكة أحمد بن زيني دحلان المكي الشافعي(تـ 1304 / 1886) صاحب كتاب *الفتوحات الإسلامية* الذي قال عنه صاحب *فهرس الفهارس* (1 : 391) "أحد من نفع الله به الإسلام في الزمن الأخير في تلك الربوع العربية".

بعد عودة أحمد بناني من حجته الأولى عُين في خطة الشهادة ودام يزاولها نحو ثلاثين سنة. ثم عُين إماما بالزاوية الناصرية بالرباط وأُسندت إليه سائر وظائفها الدينية من خطبة وإمامة ووعظ وتدريس، فقام بما أسند إليه خير قيام، واعتكف على نشر معارفه بالزاوية المذكورة (*الاغتباط*، 77). وكان مجلسه كما قال بوجندار في *تعطير البساط*(ص. 45) "مجلس الفحول من الرجال ومما تشد له الركاب والرحال"، ولا غرو في ذلك، فقد كان الفقيه أحمد بناني يُعتبر في بداية هذا القرن قمة من القمم الثقافية في مدينة الرباط.

وأخذ عن أحمد بناني مجموعة من الفقهاء والأدباء، منهم زين العابدين ابن أبي بكر بناني (تـ 1310 / 1892)، ومَحمد والزهراء (تـ 1325 / 1907)، وعلي بن عبد الله الرباطي (تـ 1342 / 1922)، ومحمد بن أحمد بناصر ملين (تـ 1342 / 1922)، ومحمد بن عبد الواحد بنونة الرباطي (تـ 1345 / 1926)، وعلي بن مَحمد عواد السلاوي (تـ 1354 / 1935)، ومحمد المكي البطاوري (تـ 1355 / 1936)، ومحمد ابن عبد السلام السايح (تـ 1367 / 1948). وقد أجاز من هؤلاء محمد ملين ومحمد السايح، وأجاز من فاس عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي صاحب *معجم الشيوخ* (تـ 1383 / 1964)، كما أجاز عبد الحي الكتاني (تـ 1382 / 1962) إجازة عامة (*فهرس الفهارس*، 1 : 391).

اشتهر أحمد بناني بالمشاركة في فنون وعلوم شتى، وتشهد كناشاته التي تم الاطلاع عليها على أنه نثر ونظم وساجل وكاتب وأجاز وأفتى. ولا يُعرف من مؤلفاته سوى: *الفتح الودودي* وهو عبارة عن حاشية على المكودي على ألفية ابن مالك في ثلاثة أجزاء، ابتدأها من أبواب الإشارة؛ *وكشف الستارة عن خطبة ميارة*، وهو شرح على خطبة ميارة ؛ *والفتح الهادي*، وهوتقييد على لامية المجرادي في الجمل ؛ *وإتحاف أهل المودة*، وهو شرح على ميمية البوصيري (البردة)، لم يكمل ؛ *وإكرام الضيف بشرح المفاخرة بين القلم والسيف*، وهو عبارة عن تعليق على *رسالة* ابن نباتة في المفاخرة بين السيف والقلم ؛ *والعمل بالتلغراف* وهوتقييد فقهي ؛ و *حاشية على شرح ميارة على المرشد المعين*، وصل فيها إلى الصلاة ؛ *ونظم في التصريف على نهج لامية ابن مالك* ؛ *وشرح أحاديث من الجامع الصغير* التزم فيه نقل كلام أهل الحديث والصوفية والأدباء؛ *وشرح مختصر على جوهرة اللقاني* ؛ *ورسالة عن المدينة المنورة*، ختمها المؤلف بالحديث المسلسل بالمشابكة بينه وبين العلامة الحجازي محمد بن خليفة المدني.

وقد دلت هذه التقاييد والمصنفات على اطلاع المترجم وقدرته على الكتابة والتأليف، وهي مع الأسف ماتزال كلها خطية حيث لم يطبع منها شيء. ولأحمد بناني ثلاثُ كناشات، واحدة بالخزانة العامة بالرباط، والثانية بالمكتبة الصبيحية بسلا، والثالثة في ملك حفيدته عائشة بنت الفقيه محمد بن الحفيان الشرقاوي. وهذه الكناشات حافلة بمعلومات متنوعة تاريخية واجتماعية وسياسية وثقافية وشخصية. وبعض المعلومات تتعلق بأحداث هامة عاشها صاحب الكناشة أو نقلها مباشرة عن شخصيات عاشتها وساهمت فيها، مثل "خبر الهزيمة التي وقعت للمحلة العزيزية قرب مراكش وكانت يوم الأربعاء الموافق للواحد والعشرين من رجب الفرد الحرام 1326" (*كناشة الخزانة الصبيحية*، 398). وقد قال د. محمد حجي عن *الكناشة* المحفوظة بالمكتبة الصبيحية :"هذه الكناشة آية في الوراقة المغربية حيث كُتبت ـ خلال عشرات السنين ـ بعناية فائقة بحيث لا تجد فيها محواً ولا شطباً، ولا اختلافا في الخط الدقيق الجميل، وهي مليئة علما وأدبا وفوائد نادرة" (م. حجي، *فهرس*، 608). وكتب عبد الله الجراري عن *كناشة الخزانة العامة* "كناش مليئ بفوائد علمية، يمكن الباحث فيه أن يستخرج من كل فن من فنونه كتاباً" (ع. الجراري، *أعلام*، 2 : 365).

ولأحمد بناني أشعار ورسائل أدبية عديدة، ويمتاز شعره بحسن السبك والرقة، وهو يدور في الأغراض المألوفة في وسط أدباء العصر كالمدائح والمراثي والفكاهات والمعارضات. ومن أحسن قصائده توسلاته ومدائحه للرسول

الكريم (إ. السولامي، *الشعر*، 226). وكنموذج من شعره ما نظمه ردا على الأديب الرباطي أحمد بن قاسم جسوس (ت 1331 / 1912) :

وافى قريضكـمُ والكـونُ أجمعُـهُ — بنوره يستضي والشمسُ والقمـرُ
والأفقُ من طيبـه وعـرف مأرجـه — قد أخجـل الطيبين الوَردُ والزهرُ
ولِمْ وكيف وقد خطتـه أقـلامُ منْ — بزهر آدابه الشمُّا استضا العمُرُ
وهل يسود الفتى من غير ما أدبٍ — وإن علاه المشيبُ واعترى الكبـرُ

وفي يوم الأربعاء 23 شعبان 1317 / 1899، تولى أحمد بناني قضاء الرباط، فدام في ولايته حتى يوم السبت 8 ربيع الأول 1323 / 1905، أي نحو الخمس سنين كان فيها كما قال بوجندار في *الاغتباط* : "مثال العدل والجد والصرامة... وزهد وورع، وبُعد عن الطمع، ورسوخ دونه رسوخ الأوطاد وثبات يزري بثبات الأوتاد" ( *الاغتباط*، 80). وبعد تخليه، لم يبق يتعاطى سوى وظيف الإمامة والخطبة والوعظ بالزاوية الناصرية بالرباط. وقد طولب لأن يكون قاضي الجماعة بفاس فامتنع تورعاً، كما خاطبه السلطان المولى يوسف في قضاء الرباط مرة أخرى، فاعتذر بضعف الحال والعجـز عن القيـام بالخطـة وفق مقتضيـات الأحوال ( *الاغتباط*، 79).

وكانت للقاضي أحمد بناني منزلة خاصة عند السلطان المولى يوسف الذي كان يصطفيه للخطبة به في الأعياد وبعض الجمع، وعينه من جملة العلماء الذين يحضرون مجلسه الحديثي ( معجم، 1 : 118)، بل إنه استدعاه قبيل وفاة والدته ليتلو في حضرتها بعضاً من آي الذكر الحكيم، ثم قدمه للصلاة عليها بعد وفاتها. وقد توفي القاضي أحمد بناني بالرباط في ليلة الثلاثاء 16 ربيع الثاني عام 1340 / 17 دجنبر 1921، ودفن بالزاوية الناصرية، وكانت له جنازة حافلة حضرها السلطان المولى يوسف ووقف على شفير قبره إلى أن وُوري بالتراب.

أ. بناني نفسه، *كناشة أحمد بناني*، مخطوط خ. ص. بسلا ؛ ع. الفاسي، *معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب*، جزآن، الرباط، 1932 ؛ *تعطير البساط*، مخطوط ؛ م. بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، الرباط، 1987 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 3 أجزاء، بيروت، 1986 ؛ م. حجي، *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*، الكويت، 1985 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر* ؛ إ. السولامي، *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية 1912 - 1956*.

L. Mercier, *Les Mosquées et la vie religieuse à Rabat. A. M.*, Vol. 8, 1906.

**بناني، أحمد المدعو حميد** بن محمد بن عبد السلام الفاسي، فقيه مشارك، قال عنه عبد الحفيظ الفاسي في معجمه (2 : 20) إنه كان "من أكبر علماء عصره وأشهرهم، مشاركاً في كثير من العلوم، متبحراً في العربية، متضلعا في الفقهيات، عارفاً بالنوازل المعرفة التامة". أخذ بالسماع عن طبقة عالية كالشيخ بدر الدين الحمومي ومحمد بن أحمد السنوسي، والشيخ محمد صالح البخاري، وأجازه قاضي الرباط أحمد بناني. تولى قضاء طنجة سنة 1294 / 1878، وظل كذلك حتى نقل إلى فاس حيث تولى القضاء بها سنة 1304 / 1888. واستمر في ولاية القضاء أزيد من ثلاث وثلاثين سنة كان فيها من أفضل قضاة زمانه وأعدلهم وأعفهم. وهو من الفقهاء الذين استشارهم السلطان الحسن الأول في 6 ربيع الثاني 1300 / 1883 في تجاوز يهود فاس لتبعيتهم المغربية وعملهم على الاستقلال عن حاكم فاس حيث نصبوا حكاما منهم للفصل في تظلمهم ( *إتحاف*، 2 : 235)، كما كان ضمن الفقهاء الذين استشارهم السلطان في عام 1303 / 1886 في مسألة التجارة مع أوربا ورفع الحظر عما كان تصديره ممنوعاً كالحبوب والأنعام والدواب ( *المصادر*،2 : 144). ولأحمد بناني *حاشية على شرح بنيس على الهمزية* لم تكمل، *وثبت صغير* ترجم فيه لمشايخه، وذكر بعض أسانيد الكتب المستعملة والمسلسلات، جمعه له تلميذه عبد الرحمان بن جعفر الكتاني بإعانة عبد الحي الكتاني ( *فهرس الفهارس*، 1 : 346).

توفي أحمد المدعو حميد بناني يوم الاثنين 15 صفر سنة 1327 الموافق 8 مارس 1909 بعدما تجاوز التسعين ودفن بروضة الصقليين بفاس.

ع. الفاسي، *معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة*، 2 : 20 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ م. المنوني، *المصادر العربية*.

عثمان بناني

**بناني، إدريس** (الحاج ـ) بن عبد السلام ولد بفاس عام 1300 / 1882. وعندما وُقع الاتفاق في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 على إنشاء البوليس بالموانئ المغربية ووافق المخزن على تحمل نفقاته، عين الحاج إدريس بناني أمينا لفرقة البوليس التي أُنشئت بتطوان سنة 1907، وبعد أن احتلت إسبانيا مدينة تطوان سنة 1913 وانتهت مهمة هذا البوليس عين إدريس أميناً بميناء مرتين ثم أميناً بمدينة تطوان ثم مستشاراً بالصدارة العظمى في الحكومة الخليفية.

وفي نوفمبر من سنة 1927 عينه الخليفة السلطاني في الشمال الأمير مولاي الحسن بن المهدي ضمن الوفد الذي قدم البيعة للملك محمد الخامس بفاس برآسة الصدر الأعظم محمد ابن عزوز ووزير العدل الفقيه أحمد الرهوني،

وبالمناسبة مُنح الحاج إدريس بناني الوسام العلوي.

وفي سنة 1933 عين إدريس بناني باشا بمدينة أصيلا وعاملا على إقليمها، ثم أميناً للأمناء في الحكومة الخليفية سنة 1937.وظل بهذا المنصب إلى أن استقل المغرب سنة 1956.

ولما انتهت مهمة الحكومة الخليفية في شهر أبريل من نفس السنة منحه الملك محمد الخامس لقب مستشار بوزارة المالية في شؤون الجمارك اعترافاً بالخدمات التي قدمها للمخزن في الميدان الجمركي زهاء أربعين سنة.

وخلال عمله في الإدارة المخزنية في الشمال عُين عضواً في المجمع العلمي الذي تأسس بتطوان، وفي لجنة الآثار والسياحة والضرائب. كما عين عضواً في الوفد الذي مثل الخليفة السلطاني بالمعرض الإيبيري - الأمريكاني الذي انعقد بإشبيلية. وقد رشح للصدارة العظمى بالشمال بعد وفاة ابن عزوز سنة 1931، وكان في جيله من القلائل الذين يتقنون اللغة الإسبانية.

توفي بمدينة طنجة سنة 1391 / 1971.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 3 : 46 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *الحاج عبد السلام بنونة*، 3 : 17.

Delegacion de Asuntos Indigena, Seccion Politica, *Expediente personal*, num. 1214 : Hach Dris Bennani.

محمد ابن عزوز حكيم

**بناني**، أبـو **بكر** بـن **إبراهيم** (المقدم) ولد بالرباط وعرف بالأخلاق الحميدة وكثرة الذكر. وكان منخرطاً في الطريقة الدرقاوية الدباغية التي أخذها عن سميه الشيخ أبي بكر بناني آتي الترجمة، وهو وإن كان رباطياً فليست له صلة قرابة مع البنانيين المنحدرين من عبد الله بن عبد السلام، إذ ينتسب إلى فرع بناني آخر. وكان مقدماً بزاويتهم البنانية الموجودة بالسويقة في الرباط.توفي سنة 1310 / 92 - 1893.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص 261.

عبد الإله الفاسي

**بناني**، أبـو **بكر** بـن **أحمد** بن محمد الرباطي، فقيه أديب شاعر. ولد بالرباط في 11 رمضان عام 1301 / 5 يوليوز 1885 *(كناشة القاضي بناني)*، حفظ القرآن على يد والده والفقيه محمد التادلي، وأخذ النحو عن المكي الأوديي ومحمد بن العباس العلمي، والفقه عن القاضي عبد السلام بن إبراهيم، والسيرة عن القاضي المكي البطاوري، والحديث عن الشيخ أبي شعيب الدكالي، ودرس ذخيرة سيدي المختار الكونتي على الفقيه عبد السلام الرّندة، والأصول على أديب الرباط الشاعر أحمد جسوس. ولم يقف أبو بكر بناني بثقافته عندما أخذه عن علماء الرباط، بل سافر إلى مراكش وأخذ عن شيخ الجماعة بها محمد بن إبراهيم السباعي والشيخ النظيفي. ثم سافر إلى فاس وأقام بها من سنة 1916 إلى 1920، حيث درس بجامع القرويين على شيوخه المشهورين مثل محمد بن علال الوزاني، وعبد السلام العلوي، وعبد الله الفضيلي، ومحمد بن العربي العلوي وأحمد بن الخياط، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري. وأجازه شيخ الجماعة بالجديدة المحدث محمد بن إدريس القادري. وقد أورثته دراسته على هؤلاء الشيوخ وملازمته لهم واجتماعه بالعديد من العلماء والأدباء غيرهم ملكة قوية في الفقهيات والأدبيات.

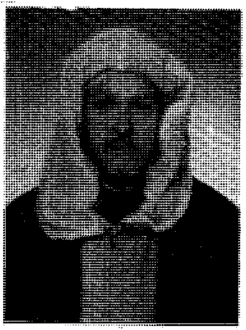

تقلب في مناصب عديدة، عمل أولا محرراً في جريدة السعادة، ثم في إدارة عقل الأملاك الألمانية والنمساوية، ثم بإدارة الشؤون الجنائية بالقصر الملكي، ثم بمجلس الاستيناف الشرعي، فبقي به إلى أن أحيل على المعاش في نهاية سنة1956. وكان في نفس الوقت سارداً في الدروس الحديثية بالمجالس اليوسفية والمحمدية والحسنية، وبقي يزاول ذلك إلى أن ضعف بصره في منتصف السبعينات.

يُعتبر أبو بكر بناني من فحول الشعراء المغاربة الذين حافظوا على مكانتهم الشعرية طيلة العقود الأولى من القرن العشرين، ويعد من الشعراء المخضرمين أمثال محمد غريط، والمكي البطاوري، ومحمد بوجندار، ومحمد اليمني الناصري، فشعره ينطلق من مفهوم معين للشعر، هو المفهوم الذي يربط الشعر بثقافة العالم أو الفقيه باعتباره عنصراً مكملا لهذه الثقافة، ووسيلة لإظهار القدرة التعبيرية، وباعتبار دوره لا يتعدى الترويح عن النفس وتبادل العواطف مع الآخرين. ولهذا نجد أن الموضوعات التي اهتم بها أبو بكر بناني كانت في الغالب موضوعات ذاتية كالغزل ووصف الطبيعة، وإخوانيات ومطارحات ومساجلات وشعر مناسبات من مدح ورثاء وهجاء، يضاف إلى ذلك المديح النبوي. لكن الشاعر بناني لم يحصر نفسه في هذه الموضوعات، وإنما تجاوب مع حركة النهضة التي ظهرت في أعقاب دخول الحماية وجاءت كرد فعل لها، ولذلك نجده ينظم الشعر في موضوعات اجتماعية ووطنية غير مألوفة. وأهم ما يُذكر به الشاعر بناني مساندته للثورة الريفية قولا وعملا، واشتهر من نظمه نشيد هذه الثورة الذي جاء فيه :

يابني المغرب ما هذا الرقـــاد مالكم صرتـم كأمثال الجماد
فدعوا النوم وقوموا للجهـــاد واسألوا اللـه انتصـار الريفيين

* * *

يابني المغرب سيروا للأمـــام وارفعوا راية مولانا الإمـــــام
فخرنا عبد الكريم ابن الكرام واسألوا الله انتصـار الريفيين

* * *

يــابني المغرب هبّـوا هـبـّةً   واضـربوا وجـه فرنسـا ضربـةً
ذكـرُهــا يبقى عليـها سبــةً   واسـألوا اللـه انتصـار الريفيين

* * *

يــا بني المغرب موتوا شهـدا   واسلبوا في الحـرب أرواح العدا
مــزّقوا الكفر وأشراك الرّدَى   واســألوا الله انتصـار الريفيين

ويلاحظ أن هذا النشيد نشره بعضهم بألفاظ مخالفة قليلا لما هنا، وهذا النص أرويه مباشرة عن الشاعر. وقد صاغ أبو بكر بناني نشيده هذا صياغة ثورية وبأسلوب خطابي. والسر في ذلك هو أن الروح التي أملته هي روح الوطنية الصادقة والإيمان القوي بحق المغرب في حريته واستقلاله، مع الاعتقاد الجازم بأن القوة هي السبيل الوحيد لتحقيق المطامح القومية، واللغة التي يفهمها المستعمر الغاشم (ع. گنون، *الأدب المغربي*، 4).

وقد ساهم أبو بكر بناني في العديد من المساجلات الأدبية التي أبرزت موهبته الشعرية واتجاهاته الفكرية، ومن ذلك قصيدة عنونها بـ *"غليان الصدر على شباب العصر"* أجاب بها الشاعر السلاوي عبد الرحمن بن أحمد حجي الذي طلب منه إعطاء أفكاره في شباب العصر، والتي ختمها بالأبيات التالية :

وحسبي في التمدن دين ربي   أدين لـه كراهـــة أن أضــلا
وترقية الصنائع في بــلادي   وتحصيل العـلوم لَديَّ أعـلـى
وتعليم اللغات لطيف معنى   تذود عـن الـورى جهـلا وذلاّ
توصلنــا لمقصدنــا المرجَّـى   ونقـدر بينـهـم أن نستقــلا
فهذي فكرتي لا شك فيهــا   حــواها نظم ذي أدب تجلّى

لم يكن الشاعر بناني يهتم بنشر آثار قلمه، باستثناء ما ظهر بجريدة *السعادة*، فتفرقت أشعاره بأيدي أصدقائه ومعارفه، وتناثرت في بعض الكتب والكناشات والتقييدات، وقد زاد من حدة إتلاف ما تركه مكتوباً عنده أنه فقد بصره قبل وفاته بمدة طويلة، وخلال ذلك نُهبت مكتبته ثم اندثرت وكانت تضم الغالي والنفيس من كتبه ومخطوطات والده القاضي أحمد بناني.

ورغم تقدم سنه وهو مكفوف البصر، ظل يتمتع حتى آخر لحظة في حياته بذاكرة قوية وتوازن عجيب، إلى أن توفي رحمه الله يوم 12 رمضان عام 1407 / 11 مايو عام 1987، ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

إ. السولامي، *الشعر الوطني* ؛ أ. بناني، *كناشة القاضي أحمد بناني*، مخطوط خ. ص رقم 373 ؛ ع. الجراري، *العالم المجاهد*، 1985 ؛ *من أعلام الفكر المعاصر* ؛ ع. گنون، *أحاديث* ؛ ع. بن المنصور، *أعلام المغرب العربي*، ج 1 ؛ العربي بنونة، *واضع لحن نشيد حزب الاستقلال :"مغربنا وطننا"*، العلم، 6 يونيو 1990 ؛ م. الأمين بلگناوي، *رواية شفوية*.

**بناني**، أبو **بكر** بن **العربي** بن مُحمد بن مَحمد. ولد بفاس عام 1262 / 1845، وأخذ بها عن مشاهير علماء الوقت مثل محمد بن عبد الرحمان العلوي، وعبد الله بوغالب، وجعفر الكتاني، وأحمد بناني، ومحمد بن المدني گنون، كانت له معرفة بالنحو، لكن لم يكن له تحصيل ولا يد في الفقه. وله تقييد مشتمل على اثنتي عشرة ورقة من القالب الرباعي في تراجم الرجال السبعة بمراكش، كتبه للسلطان الحسن الأول.

وولي أبو بكر بناني القضاء بالصويرة والجديدة، ثم بمراكش حيث ظل قاضيا بها طيلة الفترة من 1298 إلى 1314 (1880 ـ 1897 م)، وبعدها نُقل لقضاء الدار البيضاء، ثم أعفي، ورجع إلى فاس، وبها كانت وفاته في حادي عشر جمادى الثانية سنة 1330 / 28 ماي 1911.

ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، الجزء 1 : 222 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 261.

عثمان بناني

**بناني**، أبو **بكر** بن **محمد** (الشيخ ـ) من حفدة عبد الله بن عبد السلام آتي الترجمة جد البنانيين الرباطيين.

نشأ أبو بكر بناني في مسقط رأسه الرباط آخذاً عن والده محمد وعمه المكي، ثم رحل إلى فاس فاستقر بمدرسة الصفارين سنين عديدة يدرس على شيوخ القرويين أمثال المعقولي عبد السلام بوغالب الذي أخذ عنه العلوم العقلية والنقلية والمتصوف عبد الواحد الدباغ الذي يقول عنه بوجندار "على يده لاحت أنواع العناية الإلاهية وأدرك ما أدرك من المعارف والعوارف الحقانية".

ولما عاد إلى الرباط تصدى للتعليم والإرشاد والتربية وبواسطته فتح الله على أفواج من علماء الظاهر والباطن وكانت له مشاركة في عدة علوم مثل التفسير والحديث زيادة على التصوف، وأحدث بالرباط زاويته المشهورة بعد أن منحت له البقعة التي أنشأها بها، وكانت بقعة خالية بالسويقة.

وذكر ابنه الشيخ فتح الله بناني أن تآليف والده تزيد عن ستين، إضافة إلى رسائل وقصائد تجمع بين مدح الرسول وبين أغراض شعرية أخرى، مثل القصيدة التي مدح بها الوزير محمد بن العربي الجامعي وزير السلطان المولى عبد الرحمان سنة 1268 (انظرها في *الانبساط*، *189*، وفي *الاغتباط*، 270)، أما مؤلفاته المشهورة فهي :

- *بلوغ الأمنية في شرح حديث إنما الأعمال بالنية.*
- *شرح نوابغ الزمخشري*(لم يتم).
- *مدارج السلوك إلى مالك الملوك* (مطبوع).
- *بغية السالك وإرشاد الهالك...* (مطبوع).
- *الفتوحات الغيبية في حل ألفاظ الصلاة المشيشية.*
- *شرح الحكم العطائية.*
- *الفتوحات القدسية في شرح القصيدة النقشبندية.*
- *الفتح الوهبي في التعريف بالشيخ مولاي عبد الواحد وشيخه مولاي العربي.*
- *الفصول الفاصلة في بيان الزاد والراحلة.*
- *تحفة الملوك والممالك في شرح ألفية ابن مالك.*
- *حديقة الأزهار في نتائج الصمت وما فيه من الأسرار.*

ـ *جواب عن سؤال يتعلق بالحلول والاتحاد*.

ـ*كتاب الطبقات، في ذكر شيوخه والوصايا والنصائح*.

ومن المؤسف أن جل هذه التآليف قد صار في حكم الضائع.

توفي الشيخ أبو بكر بناني فجر يوم الأربعاء 17 جمادى الثانية سنة 1284 / 16 أكتوبر 1867 م. ودفن بزاويته بالرباط.

**بناني، التهامي** بن محمد، من فقهاء الرباط ومدرِّسيه المشاهير، أخذ عن عدد من العلماء أشهرهم أحمد دينية الذي قيل إنه لم يكن يطالع إلاَّ من أجل تلميذين له هما ابنه علي دينية والتهامي بناني بسبب عمق بحثهما أثناء تدريسه للطلبة، ومن أشهر تلاميذه مفتي الرباط الجيلاني بن ابراهيم والمكي البطاوري، وقد أفرد له ابن أخيه الشيخ فتح الله بناني ترجمة في *طبقاته* ذكر فيها أنه عزم مرة على افتتاح درس في توحيد *المرشد المعين* بشرح الشيخ الطيب بن كيران مع بعض الطلبة فأرسل إليه القاضي عبد الرحمان البريبري يأمره بتوقيف الدرس، ومنذ ذلك الوقت أخذ يتعاطى التجارة وقل تدريسه.

توفي في محرم 1300 / نونبر ـ دجنبر 1882 ودفن بالزاوية الدرقاوية البنانية.

**بناني، الجيلالي**، وطني مكافح. ولد بفاس عام 1316 / 1898، وبها تلقى تعليمه الأولي الأصيل، ثم اشتغل بالتجارة وانتقل إلى مدينة القنيطرة عقب إحداثها سنة 1914، وكان متشبعاً بالروح الوطنية، فاختير ليمثل سكان القنيطرة في الوفد المرافق للسلطان المولى يوسف في رحلته إلى فرنسا. وبعد الرجوع أسندت إليه رآسة الغرفة التجارية، وبقي يشغل هذا المنصب إلى سنة 1951، مع العضوية في المجلس البلدي والجمعية الخيرية. وكان من بين العاملين على إنشاء مدرسة حرة في القنيطرة هي مدرسة التقدم التي مازالت تعمل حتى الآن.

ألقي عليه القبض إثر الاضطرابات التي عرفها المغرب بعد نفي الزعماء الوطنيين، وأدخل السجن المركزي بالقنيطرة يوم 23 شعبان عام 1356 / 29 أكتوبر 1937 مع ولديه محمد ومَحمد، ثم نقلوا إلى معسكر الريش بالصحراء فسجن عين مومن فسجن الدار البيضاء ولم يطلق سراحهم إلا يوم 7 رمضان عام 1358 / 21 أكتوبر 1939، وكان الجيلالي بناني من الموقعين على عريضة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال فازداد ضغط المستعمر عليه والتضييق به، وكان عضواً بمجلس شورى الحكومة بصفته ممثلا للغرفة التجارية.

توفي في 7 محرم 1399 / 8 دجنبر 1979.

ترجمته *بقلمه وخطه* في ملف أبي بكر الصبيحي، خ. ص ؛ لجنة الإعلام والنشر لحزب الاستقلال، *قائمة الشرق*، 34 ـ 35.

محمد حجي

**بناني، الحسن** بن أحمد بن محمد ـ فتحاً ـ صنو العلامة أحمد كلا بناني سابق الذكر. عالم أديب، وصوفي صالح، كان ذا حظوة خاصة عند الشيخ أحمد التجاني، كتب له بيده في اللوح سورة الرحمن ودعا له بالفتح فكان عند أصحاب الشيخ معظماً مبجلا. قال في حقه محمد التاشفينتي في *اللؤلؤ المكنون* : "الفقيه الأجل العالم المدرس. أخذ عن أشياخ عديدة، وله مجالس بالقرويين وجامع فاس الجديد في النحو والمنطق والبيان وغير ذلك، إمام بجامع الرنج بزقاق الحجر".

انتقل إلى مراكش، ودرَّس وأفاد، وبها أدركته الوفاة في ربيع الأول عام 1271 / نونبر ـ دجنبير 1854، ودفن بها.

م. التاشفينتي، *اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون بنقل صاحب الإعلام* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1271.

**بناني ، حمدون** بن محمد بن عبد السلام، واسمه أحمد وإنما اشتهر بحمدون، نشأ في حجر والده الشيخ الصوفي محمد بن عبد السلام فغلب عليه النسك والزهد، وكان إلى ذلك ـ كما جاء في *إتحاف المطالع* ـ علامة مشاركاً مفتياً.

توفي حاجاً بمكة المكرمة أو المدينة المنورة عام 1190 / 76 ـ 1777.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1190.

**بناني حميد** ← **بناني أحمد** المدعو **حميد**

**بناني الديوان، محمد** بن محمد بن عبد القادر، عرف بالديوان لكونه كان إماماً راتباً بجامع الديوان. فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي مشارك في كثير من العلوم النقلية والعقلية، كثير التدريس، تولى القضاء بفاس الجديد بالنيابة مدة، وكان تجاني الطريقة ذا اعتقاد راسخ في الشيخ أحمد التجاني حتى انتقده بعضهم وعدَّه مغالياً. ألف عدة كتب، منها : *تأليف في نوني التوكيد*، وشرح *منظومة الشيخ الطيب ابن كيران في الاستعارة* (طبعت

على الحجر بفاس عام 1321 في 68 صفحة)، *والسر الرباني في مولد النبي العدناني* (طبع على الحجر بفاس عام 1325 في 68 صفحة، ومرة ثانية سنة 1332 في 30 صفحة).

توفي بفاس في حادي عشر شعبان عام 1344 / 24 فبراير 1926. ودفن بروضة الشيخ المزالي داخل باب عجيسة.

ع. علوش، *فهرس المخطوطات*، 1 : 342 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1344 ؛ *سل النصال*، الترجمة رقم 227 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 44 . 45.

**بناني، زين العابدين** ابن الشيخ أبي بكر الرباطي ولد عام 1277 / 60 . 1861، وأشهر الشيوخ الذين تعلم على يدهم إبراهيم التادلي الذي أجازه سنة 1303، بجميع مروياته كما أخذ عن أحمد بناني وعن السلاويين البارزين القاضي عبد الله بن خضراء والشيخ أحمد بن موسى وغيرهم.

انتصب للتدريس بالرباط بإشارة من الشيخ إبراهيم التادلي فدرّس النحو والتصريف والفقه والبيان والحديث والسير، وكان يحضر مجالسه عدة علماء منهم شقيقه فتح الله بناني، والقاضي محمد الرندي، والقاضي عبد الرحمان بريطل، والفقيه محمد بن عمر دينية. واشتغل بالعدالة في أوائل القرن الرابع عشر، وكان الفقيه علي دينية الخطيب الشهير ينيبه عنه في الخطبة بجامع السوق.

وفي سنة 1306 رشح للعمل كعدل بمرسى أسفي فبقي فيها سنتين، ولما رجع إلى الرباط انكب على التدريس، وفي آخر عمره ذهب إلى فاس وحضر دروس الفقيه التهامي الوزاني الذي اشتهر بتدريسه *للمختصر*، ودروس المحدث جعفر الكتاني في *الجامع الصحيح* بالزاوية الكتانية.

ومن آثاره *تعليق على شرح الخرشي للمختصر*، *وفهرس* يضم أسانيده التي رواها عن شيخه إبراهيم التادلي، وعدة تقاييد في الأدب والنحو والعقيدة وأشعار أثبتها من ترجموا له.

توفي يوم الثلاثاء 28 جمادى الثانية 1310 / 7 يناير 1893، ودفن بالزاوية البنانية.

**بناني، الطاهر** (الحاج ـ) بن الحسن، لا نعرف مدى قرابته من عبد السلام الجد. وهو فقيه أديب كاتب، أحد سفراء السلطان محمد بن عبد الله، وجهه مع الخياط عديّل الفاسي سنة 1174 / 1760 سفيرين إلى القسطنطينية في وفد من أعيان المغرب لربط العلاقات الودية مع الدولة العثمانية، وقد اصطحب السفيران هدية فخمة ورجعا مع وفد السلطان العثماني بهدية قوامها مدافع وآلات حرب. ويخالف المؤرخ أحمد الناصري المؤرخ ابن زيدان في توقيت هذه السفارة التي يجعلها الناصري سنة 1175، ويذكر الناصري أيضا أن السفير بناني أُرسل مرة أخرى من طرف السلطان سنة 1179 صحبة الفقيه الطاهر بن عبد السلام السلاوي باشدورين إلى السلطان مصطفى العثماني حاملين هدية نفيسة تتكون من خيول سروجها مذهبة ومرصعة بالياقوت والجوهر والأحجاز الكريمة وسيوف مذهبة مرصعة بالياقوت الملون، ورجع السفيران من الدولة العثمانية بهدية قوامها مركب محمل بالمدافع والمهاريس والبارود زيادة على ما تحتاجه المراكب القرصانية من "إقامة".

كان الطاهر بناني مقربا إلى السلطان، ففي سنة 1198 اصطحبه إلى الصويرة في جملة الفقهاء والعلماء والكتاب، ولم تنته شهرة هذا الكاتب بموت سيدي محمد بن عبد الله بل استمرت أيام خليفته المولى سليمان، إذ بعثه صحبة ولده المولى ابراهيم إلى الحجاز سنة 1227، مع بعض الكتاب وأفراد الحاشية. وفي هذه الرحلة زار الطاهر بناني الشام ومصر والعراق، وبعد أداء مناسك الحج عرج على تونس بأمر من المولى إبراهيم فكان له لقاء مع العالم الأديب الشهير إبراهيم الرياحي، وأنشأ هذا الأديب قصيدة في مدح المولى سليمان نقلها كل من أكنسوس والناصري وصاحب كتاب *تعطير النواحي*، واصطحبها بناني معه وسبق الأمير في القدوم إلى *طنجة*، ومنها توجه إلى فاس حيث استقبل ببالغ الحفاوة وقدم القصيدة إلى السلطان فوصله بصلة مهمة ونفّذ له زيادة على ذلك مرتبا خاصا من أحباس الرباط، وعاش بقية حياته مشمولا برعاية المخزن إلى أن توفي في حدود 1230 / 1814 .

**بناني، العباس** بن أبي بكر بن العربي الفاسي. ولد بمراكش عام 1301 / 1883 حيث كان والده يتولى خطة القضاء، ورجع صغيراً إلى فاس حين عاد إليها والده، فأتمّ حفظ القرآن الكريم ودرس العلوم الإسلامية على شيوخ القرويين البارزين آنذاك، أمثال والده أبي بكر وأعمامه البنّانيين عبد العزيز وعبد السلام بن الحسن وعبد السلام ابن محمد ومحمد بن محمد بن عبد القادر، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، وعبد الله الفضيلي، والتهامي گنون، وأحمد بن الخياط، ومحمد القادري، ومحمد بن جعفر الكتاني، وأحمد بن المامون البلغيثي وغيرهم.

قضى معظم حياته في التدريس بالقرويين، وكان من السابقين إلى الالتحاق بالتعليم النظامي بعد إصلاح القرويين عام 1350 / 1931، وأسندت إليه مواد جديدة *كمقدمة* ابن خلدون، *ومحاضرات تاريخ الاسلام* للخضري، بالإضافة إلى إعجاز القرآن وأصول الفقه. وقد تولى سنة 1336 قضاء قبيلة شراگة لبضع سنوات، ثم رجع إلى التدريس إلى أن أحيل على المعاش بعد الاستقلال.

توفي بفاس يوم الاثنين سابع رمضان عام 1392 ودفن بروضة أولاد ابن موسى بالقباب، وأقيمت له ذكرى الأربعين أبّنه فيها نثراً وشعراً بعضُ تلاميذه وزملائه العلماء.

محمد بن الفاطمي ابن الحاج، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، 1412 / 1992، ص. 344 . 350.

**بناني، عبد السلام** (الحاج ـ) الجد الأعلى لآل بناني الرباطيين، أصله من فاس وبه تلقى العلم واشتغل

بالتدريس ثم ارتحل للحجاز لأداء فريضة الحج. ولما رجع إلى فاس أمره السلطان المولى إسماعيل بالانتقال إلى الرباط بقصد التدريس ونشر العلم، وكان من المعاصرين للشيخ علي العكاري، وقد ذكره الحفيد العكاري في جملة من تلقى العلم عن جده الشيخ المذكور، وترك الحاج عبد السلام بالرباط ذرية حملت أعباء العلم وظلت تتوارثه حتى الآن.

**بناني، عبد السلام** بن **الحسن** بن أحمد، علامة مشارك، كان عليه رونق العلم وأبهة الأستاذية، ومع ذلك يميل إلى الانعزال والخمول. كثير التدريس والإفادة، أخذ عنه جم غفير من طلبة فاس، ومنهم عبد السلام ابن سودة الذي أفرد له ترجمة من بين شيوخه في *سل النصال*.

توفي بفاس يوم الأربعاء حادي وعشري جمادى الثانية عام 1347 / 5 دجنبر 1928. ودفن بروضة العراقيين بحوانيت سيدي عبد الله.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1347 ؛ *سل النصال*، الترجمة رقم.

**بناني، عبد السلام** بن **محمد** بن العربي فقيه عالم مشارك، من رجال التدريس بالقرويين، وكان إلى ذلك يتعاطى الطب ويباشر العلاج حتى مهر في ذلك. تخرج على يده عدد كثير من طلبة فاس الذين أصبح لهم شأن يذكر في التدريس والتآليف.

توفي بفاس في رمضان عام 1329 / غشت - شتنبر 1911. ودفن بروضة آل بناني بالقباب خارج باب الفتوح.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1329.

**بناني، عبد العزيز** بن محمد بن أحمد بن الصالح. ولد بفاس سنة 1278 / 1861، وأخذ عن مجموعة من الشيوخ أجازه منهم أحمد بن الخياط، ومحمد الطيب بن كيران، ومحمد ابن قاسم القادري، ومحمد بن التهامي الوزاني.

كان عبد العزيز بنّاني عالماً مشاركاً في الحديث والتفسير والفقه والتصوف، مبرزاً في الأصول والمنطق والكلام والعربية، واسع الاطلاع حسن السمعة طيب الذكر. له مؤلفات كثيرة منها ما لم يتم. وقد قضى معظم حياته في التدريس، وتولى إلى جانب ذلك القضاء بفاس، ثم أعفي وعين نائباً لرئيس المجلس العلمي بنفس المدينة، وظل كذلك إلى أن توفي في ثاني جمادى الثانية عام 1347 / 1928.

ع. الفاسي، *معجم الشيوخ*، الرباط، 1932، 2 : 100.

عثمان بناني

**بناني، عبد الكريم** بن محمد بن عبد السلام، قال في حقه صاحب *إتحاف المطالع* كان "علامة مشاركاً مطلعاً". ألف في ترجمة والده الشيخ محمد بن عبد السلام بناني كتاباً سماه *تحفة الفضلاء الأعلام بالتعريف بالشيخ أبي عبد الله بناني ابن عبد السلام*.

توفي بفاس يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة عام 1196 / 23 شتنبر 1782. ودفن في زاوية والده بحومة الصاغة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1196.

**بناني، عبد الله** بن **حمدون** بن عبد الهادي بن محمد فرعون الفاسي، القاضي الفقيه النحوي المدرس، ولد بمدينة فاس خلال الأربعينات من القرن الثالث عشر (19 م) على ما يظهر من معلومات دراسته. تلقى تعليمه في القرويين على يد علماء عصره، أمثال الشيخ بدر الدين الحمومي، واليزمي، والحجرتي، والمهدي بن سودة وغيرهم. كما أخذ التصوف وأوراد الطريقة الناصرية التي كانت الزاوية البنانية تتولى إعطاءها بإذن من شيخها محمد ابن ناصر الدرعي لما زار مدينة فاس.

اشتهر عبد الله بناني بتضلعه في علمي الفقه والنحو، وكان له كرسي لتدريسهما بالقرويين، كما أن تضلعه في الفقه وأحكامه رشحه لمنصب القضاء حيث عين قاضياً بطنجة ثم بالصويرة وغيرهما فأثنى الناس عليه. وقبل ذلك كان يتعاطى الشهادة بسماط العدول بفاس، واشتهر بالتحري والاحتياط.

توفي ليلة الخميس 3 ربيع الثاني سنة 1307 / 27 نونبر 1889، ودفن بالزاوية البنانية بدرب القطان من عدوة القرويين بين الصاغة والديوان.

م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 149 - 150 ؛ إدريس الجعيدي، *الابتسام*، مخطوط خ. ح. 1204 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص 431، 1698، م. الحجوي، *الفكر السامي*، 4 : 138 ؛ ع. السجلماسي، *الروض الطيب*، مخطوط، ص. 37 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، 1307.

أحمد العماوي

**بناني، عبد الله** بن **محمد** بن عبد السلام اشتهر كخطيب ومفت، وقد ذكره الضعيف عند حديثه عن كسوف الشمس في شوال من سنة 1195 وجفاف تلك السنة فقال : "وصلوا صلاة الاستسقاء، فصلوا برباط الفتح للمرة الأولى، وكان الخطيب السيد عبد الله البناني".

ويذكر كل من محمد بوجندار ومحمد بن علي دينية أن عبد الله بناني كان من أبرز من تصدر للشهادة والإفتاء، كما اشتغل بالتدريس وبرع في الخطابة وبرز ككاتب، وتولى خطة القضاء بالرباط، لكن لا يعرف متى تولاها بالضبط ولكن رسماً مسجلا عليه اسمه مؤرخ بسنة 1205، وأعفى منها سنة 1209 حسب قول الضعيف : "وفي الثامن والعشرين من شعبان عام تسعة ومائتين وألف عزل قاضي الرباط وهو عبد الله بناني وولي محمد بن عبد الله الغربي".

لا تعرف سنة وفاته، ولكن حياته اتصلت إلى حدود العشرين من القرن الثالث عشر 1220 / 1805.

**بناني، عبد الهادي**، لا تعرف له ترجمة، إلا أنه على ما يبدو كان يعيش في أوائل القرن العشرين بفاس، وله مسكة أدبية لا بأس بها، يتابع الأحداث السياسية في

عصره عن قرب، ويتمتع بعاطفة وطنية متأججة يعبِّر عنها بالشعر الملحون. وله في ذلك قصيدتان شهيرتان. أولاهما تسمى *الدرر البهية في مدح رجال الشاوية*، قالها عندما ثار الشاويون ضد الفرنسيين لما هاجموا الدار البيضاء سنة 1907. وقد طبعت على الحجر بفاس في ثمان صفحات. والثانية قالها في الأزمة السياسية الداخلية التي أدّت إلى خلع السلطان عبد العزيز والفتن التي نشأت عنها. وقد طبعت هي أيضاً على الحجر بفاس في أربع صفحات.

إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، ص. 41.

**بناني، فتح الله** بن أبي بكر الرباطي، توفي والده وهو ابن ثلاث سنوات، فنشأ في حجر أكابر أصدقاء والده نشأة حسنة، وبعد حفظ القرآن على يد المؤدبين الهاشمي القصري وعلي بن أحمد النجار، أخذ العلم عن أخيه زين العابدين، وإبراهيم التادلي الذي أجازه بجميع مروياته إجازتين، والجيلاني بن إبراهيم. كما أجازه محمد ابن جعفر الكتاني، والمحدث محمد بن خليفة المدني والعالم بكري العطار الدمشقي، ويوسف بن إسماعيل وعبد المجيد بن محمود الدرغوتي، وإبراهيم السندروسي.

أخذ الطريقة الشاذلية الدرقاوية الدباغية عن أصحاب والده. أما الذين تتلمذوا له فجماعة منهم القاضي أحمد بناني ومحمد المكي البطاوري وأحمد بن محمد العلميَ، وأخوه الماحي، والمامون العلوي، والغازي سباطة، وعمر مُلين، وابن عمه العربي، والحاج محمد عاشور، والعباس دينية، ومحمد سباطة. وله مؤلفات ورسائل منها :

- *فتح الله في مولد خير خلق الله* (مطبوع).
- *تحفة أهل الفتوحات والأذواق في اتخاذ السبحة وجعلها في الأعناق*.
- *الطبقات* المسماة *المجد الشامخ فيمن اجتمعت بهم من أعيان المشايخ* (مخطوط).
- *تحفة الأصفياء في بيان معنى القول بعصمة الأنبياء*.
- *إتحاف أهل الغاية الربانية في اتخاذ طرق أهل الله وإن تعددت مظاهرها الحقانية*.
- *خلاصة الوفا في مقدمة الشفا*.
- *تحفة الأحباب فيمن تكلم في المهد بالأمر العجاب*.
- *فتح الله فيما يتعلق بأسماء الله*.
- *النصيحة الوفية*.
- *تعليق على جامع الشيخ خليل وشرحه للشيخ التاودي*.
- *تعليق على اختصار المواهب*، والتعليقان لم يكملا.
- *رسالة الإخوان* وغير ذلك من التقاييد والتصانيف.

وقد مدحه عدد من الشعراء بقصائد منهم الشاعر أحمد الزعيمي، وأحمد بن العياشي سكيرج ومصطفى بن أحمد ملين.

وأصدر السلطان المولى يوسف ظهير توقير واحترام في حق الشيخ فتح الله بتاريخ 9 ذي الحجة 1330 يوصي زيادة على ذلك بمراعاة الفقراء ومعاملتهم بما يجب من المبرة والإحسان.

وكانت وفاة الشيخ فتح الله بناني عام 1353 / 1933، ودفن بزاويته المسماة باسمه، واستمر أتباعه الفقراء يقيمون ذكراه كل سنة.

عبد الإله الفاسي

**بناني فرعون، محمد** بن **أحمد** الفاسي. لم تذكر المصادر تاريخاً لولادته بمدينة فاس، ويظهر أنه ولد في الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري.

تلقى دراسته الأولى كما هي العادة في الكتّاب، ثم انتقل إلى القرويين لدراسة العلوم الشرعية والعربية على علمائها المشهورين أمثال الشيخ التاودي ابن سودة، والطيب بن كيران، وعبد القادر بن شقرون، وحمدون بن الحاج ومحمد بنيس وغيرهم، حتى برز في العلوم النقلية والعقلية، خصوصاً في الفقه والفرائض التي نبغ فيها.

لم يكن يهتم بالتدريس كثيراً وإنما كان يتعاطى شيئا منه أحياناً، ويظهر أن الضرورات المادية للحياة ألجأته إلى العمل في سلك العدول بفاس، ومارس مهنة الفتوى التي تؤكد تضلعه في الفقه وأحكامه. كما كانت له معرفة بالتوثيق، فهو مؤلف الوثائق الفاسية المشهورة *بالوثائق الفرعونية* رتبها وفق منهج علمي سهل، وبذلك أصبحت متداولة بين الطلبة ومصدراً أساسياً في التدريس، وهي تكشف جانباً من جوانب أزمة المناهج في التعليم المغربي آنذاك. طبعت على الحجر بفاس مراراً وتكراراً، أولها عام 1320.

توفي عن سن عالية يوم الخميس 7 محرم فاتح عام 1261 / 17 يناير 1845 ودفن بالزاوية البنانية بدرب القطان التي أقيمت على ضريح جده محمد بن عبد السلام بناني سنة 1163 هـ، حيث كان المترجم يقضي جل أوقاته في الذكر وإعطاء الورد الناصري.

م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 149 ؛ ع. اللجائي، *المفاخر العلية في الدولة الحسنية*، مخطوط خ. ح 460 ؛ إ. الجعيدي، *الابتسام عن دولة ابن هشام*، مخطوط خ. ح. رقم 104 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 4 : 132 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، ص. 43.

**بناني كلاً، أحمد** بن أُحمد بن مَحمد ـ فتحاً ـ أحد الإخوة العلماء الثلاثة (هو والحسن وعلي آتيا الترجمة)، وسبب شهرته بكلاً كثرةُ جريانها على لسانه في التدريس. قال في حقه صاحب *إتحاف المطالع* : "الشيخ الامام المشارك الأصولي البياني، شيخ الجماعة في وقته، له سند عال، وتخرج على يده عدد من فطاحل العلماء".

توفي بفاس عند شروق يوم الجمعة ثامن جمادى الأولى عام ستة وثلاثمائة وألف / 11 يناير 1889 ودفن بروضة آل بناني في القباب خارج باب الفتوح.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1306 ؛ م. السجلماسي، *الروض الطيب*، مخطوط ؛ م. الوزاني، *فهرس*، مخطوط.

محمد حجي

**بناني، محمد** بن **أحمد الرباطي**، ولد عام 1295 / 1878. فقيه غيور، تولى الإمامة بالزاوية الناصرية خلفا لأبيه القاضي أحمد بناني، ثم تولى خطة العدالة والشهادة بأحواز الرباط حتى وفاته. قال عنه في *أعلام الفكر* (2 : 410) إنه كان ذا همة عالية ونفس أبية.

سعى مع بعض الوطنيين في إنشاء مدارس حرة بالرباط مثلما حدث بفاس وسلا والدار البيضاء، الهدف منها تطوير التعليم التقليدي المغربي وترقيته منهجا وبرنامجا ونظاما، حتى يوقف التيار الفرنسي أو يحد من غلوائه على الأقل (*الحافظ الواعية*، 111). أسست المدرسة الحرة الأولى بالرباط في الزاوية المباركية سنة 1920، وكانت ميزانيتها من تبرعات بعض الأعيان كبناصر والزهراء وعبد الواحد برگاش. وكان من ضمن العاملين بالمدرسة، مؤسسها محمد بناني، يقومون بعملهم مجانا. وقد درّس بالمدرسة مجموعة من العلماء والأدباء كالطيب بن الحسن مرسيل (ت 1968) قاضي الرباط فيما بعد، ومحمد بن أحمد البارودي السلوي (ت 1956) والتهامي بن المعطي الغربي (ت 1959) قاضي الرباط فيما بعد، وهو من أدباء الرباط وشعرائها، وكان يلقي دروساً في النحو والأدب، وعبد الله بن العباس الجراري، (ت 1983)، وكان علاوة على حصصه المعتادة في البرنامج، يلقي دروساً كانت تعتبر يومئذ جديدة في الجغرافيا مستعينا بخرائط جلبت من مصر، ومعتمداً على كتاب *النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية*. وقد ظلت مدرسة الزاوية المباركية تقوم بنشاطها إلى حدود سنة 1930.

توفي الفقيه محمد بناني ليلة الثلاثاء 10 صفر عام 1370 / 21 نوفمبر 1950، ودفن بزاوية سيدي القجيري بمدينة الرباط.

ع. الجراري، *العالم المجاهد* ؛ *من أعلام الفكر* ؛ *الحافظ الواعية*.

عثمان بناني

**بناني، محمد** بن **أحمد الفاسي**، يعرف أيضا بالعلمي، أحد الطلبة الذين توجهوا في العهد الحسني للتعلم بإيطاليا. ولما عاد أواخر سنة 1882 عُين أميناً بمراس مغربية متعددة.

ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 2 : 150 ؛ م. المنوني، *مظاهر*، 1 : 146، الطبعة 2 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1354 ؛ *الوثائق المغربية*.

مصطفى بوشعراء

**بناني، محمد** بن **الحسن** بن مسعود فقيه نحوي علامة محقق، ولد بفاس عام 1133 / 1720 وأخذ عن شيوخها أمثال أحمد بن مبارك ومحمد جسوس ومحمد بن عبد السلام بناني. وسار مع هذا الأخير إلى تطوان في مجاعة عام خمسين ومائة وألف هـ، فأخذ هو وأخوه بها على الشيخ أحمد الورزازي ومولاي الطيب الوزاني بوزان.

وبعد أن حج رجع إلى فاس وبدأ يدرس بجامع القرويين *مختصر خليل*، و*ألفية* ابن مالك، حيث أخذ عنه جم غفير، منهم الشيخ عبد الرحمن الحائك والشيخ الرهوني والشيخ الطيب بن كيران والشيخ بنيس والشيخ حمدون بن الحاج والشيخ سليمان الحوات والشيخ عبد القادر شقرون وأحمد ابن الشيخ التاودي وغيرهم.

له مؤلفات عديدة، معظمها شروح وحواش، منها :

- *حاشية على شرح الزرقاني على مختصر خليل*.
- *حاشية على مختصر السنوسي* في المنطق.
- *شرح على السلم* في المنطق.
- *حواش على تحفة ابن عاصم* في القضاء.

إضافة إلى *فهرسين* عامّ في جميع مروياته، وخاص بأسانيده الفقهية.

وتوفي بفاس عام 1194 / 1780 حسب صاحب *شجرة النور الزكية*، أو أواخر العشرة السادسة أو أوائل السابعة بعد مائة وألف حسب صاحب *النشر*.

م. القادري، *نشر المثاني*، 4 : 214 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 169 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص 357 ؛ م. المنوني، *مصادر*، 1 : 228.

**بناني، محمد** بن **الطاهر** فقيه متمكن، مدرس نفاع يعرف بالقاضي بناني. لأنه تولى القضاء مدة طويلة في كل من الدار البيضاء والقصر الكبير. وبعد تأخيره عن القضاء حصل له خلل في عقله، فصار يطوف في الأسواق بما يستر عورته من خلق الثياب يتكفف الناس خاصة وعامة، ويحضر الولائم بتلك الحالة ويتناول الطعام ويذهب به إلى بيته، ثم عوفي من هذا المرض ورجع للتدريس والافتاء إلى أن أصابته علة ألزمته المكوث في داره إلى أن أدركته الوفاة يوم الجمعة خامس عشر شوال عام 1346 / 16 أبريل 1928 فكانت جنازته حافلة ودفن بروضتهم بالقباب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1346 ؛ *سل النصال*، الترجمة رقم 188.

**بناني، محمد** بن الطيب، فقيه مشارك، وأديب كاتب، غلب عليه طابع الأدب فلم يحفل به أصحاب كتب التراجم ولا يُعرف شيء من آثار قلمه سوى ما وُصف به من البلاغة والمقدرة المتميزة في الكتابة.

توفي بفاس يوم الأحد سابع رمضان عام 1347 / 17 فبراير 1929. ودفن بروضتهم بحي القباب خارج باب الفتوح.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1347.

**بناني، محمد** بن عبد السلام، وأكثر ما يكتب بالألف واللام : البناني، إمام فقيه نظار شيخ الجماعة. كان له إذن في تلقين الأوراد الناصرية، إذ لقي أحمد ابن ناصر الدرعي مراراً عديدة بفاس وأخذ عنه. كما أخذ عن الشيخ ميارة الصغير وأبي سالم العياشي والحسن اليوسي. يذكر صاحب *السلوة* أنه اشتهر بين الناس بأخلاق كريمة وأوصاف حميدة. وكان مجلسه مجلس وقار وهيبة يتردد عليه كبار عصره أمثال : الشيخ التاودي ابن سودة، وعبد المجيد المنالي، وعلي بن محمد قصارة، وعبد القادر بوخريص، ومحمد ابن الخياط بن إبراهيم، وأحمد الشرايبي، ومحمد بن محمد بردلّة.

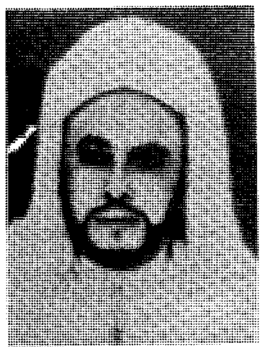

كان يدرس الفقه بالصف الأول من القرويين ضحوة كل يوم، وقبله كان يعقد مجلساً للحديث بمسجد القاضي عياض، وبين العشاءين كان يعقد مجلساً *لصحيح البخاري* و*رسالة ابن أبي زيد* القيرواني، وذلك بالمدرسة المصباحية.

ويذكر صاحب *النشر*، أنه كان في ميدان الفقه ملازماً لتدريس *مختصر خليل*، وكانت طريقته في التدريس مبنية على الاختصار والإيجاز ببيان مدلول اللفظ دون أن يعرض لبحث أو تقليب نظر أو مناقشة. كما أن أسلوبه في العرض يقوم على سرد فقرات من *المختصر* ويشرحها دون تطويل.

له تآليف عديدة معظمها شروح، منها :

- شرح *الاكتفاء* للكلاعي، في ستة أسفار.
- شرح *لامية الزقاق*، في الأحكام، في سفر صغير.
- شرح *منظومة* عبد الرحمن الفاسي في الأسطرلاب.
- شرح *الحزب الكبير* للإمام أبي الحسن الشاذلي.
- شرح *صلاة عبد السلام ابن مشيش*.
- شرح *أرجوزة الشاطبي* في التقاء الساكنين.
- شرح *حزب النصر* لمَحمد ابن ناصر.
- شرح *حدود ابن عرفة*.
- *اختصار شرح الشفا للشهاب*.

رحل إلى تطوان في المجاعة العظمى التي عرفها مطلع النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، فخصص له عاملها مرتباً، وظل يدرس بها إلى أن انتهت المجاعة وعاد إلى فاس. ثم لزم الفراش نتيجة المرض الذي لازمه مدة طويلة وتوفي عن سن تناهز الثمانين في السادس عشر من ذي القعدة عام 1163 / 1749. وبوصية منه، بنى عليه أولاده زاوية، وكان بدء بنائها في حياته، وهي مجاورة لزاوية أبي عياد ابن جلون دفين حومة الصاغة بفاس.

عبد الكريم بناني (أخوه)، *تحفة الفضلاء الأعلام بالعريف بالشيخ محمد البناني ابن عبد السلام*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 4 : 80. 81 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 146. 169 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 353 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 2 : 53.

سالم يفوت

**بناني، محمد** بن الهادي بن محمد فرعون. فقيه مشارك اشتهر بالتضلع في فروع الفقه المالكي، يقوم على تدريس *تحفة ابن عاصم* وغيرها من كتب أحكام القضاء.

توفي بفاس ليلة السبت خامس رمضان عام 1264 / 5 غشت 1848. ودفن بزاويتهم بحومة الصاغة.

م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 149 ؛ ع. السجلماسي، *الروض الطيب*، مخطوط، ص. 14 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1269.

**بناني، المكي** بن القاضي عبد الله بناني الرباطي. أخذ عن جماعة من الفقهاء المشهورين بالرباط وسلا وفاس ووزان. أمثال محمد بن أبي القاسم السجلماسي، ومحمد ابن أحمد الغربي، وعبد الرحمان السرايري، ومحمد الرهوني، ومحمد المير، وعبد السلام حركات، والتاودي ابن سودة، ومحمد بنيس، ومحمد بن إبراهيم الدكالي.

اشتهر المكي بناني بالأدب والشعر، وأشعاره مبثوثة في تأليف مخطوط، لمحمد بن علي دينية عنوانه *التحفة العنبرية في الألغاز الفرضية*، واشتهر أيضاً بعلم النوازل والإفتاء، وله *تقاييد* متضمنة لكثير من فتاويه وفتاوي مشايخه ومعاصريه.

أسندت إليه الخطابة بجامع مولاي سليمان وانخرط في سلك الطريقة الدرقاوية على يد أحمد النجار العلمي من تلاميذ الشيخ العربي الدرقاوي، كما قام بالتدريس فتعلم على يده جماعة أمثال أحمد دينية وصهره البدوي السرايري، والهاشمي الزياني. واشتغل بخطة الشهادة أحيانا، فهناك رسم باسمه مؤرخ بعام 1227 اطلع عليه صاحب كتاب *الانبساط*. ويذكر المؤرخ الضعيف أن المكي بناني كان سنة 1226 / 1811 مع بطانة القاضي عبد القادر مُرينُ أثناء الخلاف الذي حدث بين القاضي وبين ناظر

أحباس الجامع الكبير، فكان القاضي قد أخبر السلطان المولى سليمان بعدم نزاهة العربي ملين الناظر واختلاسه لأموال الأحباس بمعية العدلين محمد بن جلون ومحمد البوعزاوي، وكان المكي بناني يؤيد موقف القاضي، وذلك ما أدى إلى إدخال المتهمين إلى السجن، ولم يسرحوا إلا بعد أداء ما بذمتهم من مال. (انظر بعض شعره وإجازته لأحد تلاميذه في *الاغتباط*، 346 ـ 349).

توفي المكي بناني عام 1255، ودفن بمقبرة لعلو جوار قبر شيخه العلمي المذكور بناء على وصيته.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، 137 ـ 144 ـ 162 ـ 163 ـ 188 ـ 208 ـ 267 ؛ م. بوجنبدار، *الاغتباط*، 263 ـ 284 ـ 298 ـ 315 ـ 346 ـ 349 ـ 388 ـ 310 ؛ *تعطير البساط*، 21 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 3 : 162 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 17 ـ 25 ـ 31 ـ 54 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، 167 ـ 183 ـ 258 ـ 364 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط*، 122 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، من ص. 377 إلى 383.

عبد الإله الفاسي

**بناني، المهدي** بن محمد (الحاج ـ) محتسب فاس. فقيه نزيه، تولى خطة الحسبة بفاس طوال ثلاثين سنة، فحمدت سيرته وأثنى الناس عليه خيراً. ضبطت أسواق فاس في عهده، وقل الغش والتدليس.

قلده الحسبة السلطان عبد الرحمن بن هشام أواسط عام 1275 / 1859 وظل يزاول هذه الخطة إلى أن أدركته الوفاة ليلة الأحد سابع عشر شعبان عام 1305 / 29 أبريل 1888، ودفن بروضة آل بناني بالقباب خارج باب الفتوح. وخلفه في الحسبة بفاس محمد بن محمد ابن الحفيد الشامي.

ع. السجلماسي، *الروض الطيب*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1305.

**بناني الهادي ← بناني عبد الهادي**

**بناني، الهاشمي** بن البشير بن محمد الصديق الأقاوي، وسماه صاحب معجم *المطبوعات المغربية* : محمد الهاشمي. ولد عام 1311 / 1893. وأصله من آل بناني الفاسيين. استوطن أقّا بالسوس الأقصى فنُسب إليها. فقيه متمكن وأديب شاعر، ولي قضاء أقا السوسية مما يلي بلاد الصحراء مدة طويلة وألف عدة كتب في موضوعات مختلفة، منها : *كشف الغوامض عن الأضرُب والأعاريض*، و*كشف الغياهب عن إعفاء اللحى وقص الشوارب*، وله معارضة قصيدة كعب بن زهير : بانت سعاد، سماها *بغية الإرفاد في مدح خير العباد*، وشرحها بكتاب سماه *نيل المراد بشرح بغية الإرفاد في مدح خير العباد*، طبع بفاس عام 1368 في 314 صفحة.

توفي الهاشمي بناني وهو قاض بأقّا في رابع ربيع الثاني عام 1375 / 20 نونبر 1955.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 208 ؛ *المعسول*، 9 : 138 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1375 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، ص. 45.

محمد حجي

**البنّانيون** المكناسيون، هم من الأسرة البنّانية الفاسية النبيلة الشهيرة، وأول من انتقل منهم إلى مدينة مكناس في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) هو والد الحاج عبد الرحمن ابن محمد بناني الذي يعدُّ رأس الفرقة الأولى من البنّانيين المكناسيين.

1 ـ اشتغل أفراد من فرقة الحاج عبد الرحمن بناني بالتجارات الواسعة فأثروا وأسندت لبعضهم وظائف مخزنية محترمة، ومنهم بناة القصور الشامخة في حي زقاق القرموني بنفس المدينة، ثم اتجه شباب منهم للدراسات العصرية فأحرزوا على درجات عملية متنوعة. وتعتبر هذه الفرقة أكثر شفوفا وأوفر عدداً، يقول عنها الحاج العربي المشرفي خلال حديثه عن مكناس : "ومن البيوتات المشاهير بها ـ الآن ـ في هذه الدولة المحمدية (دولة محمد الرابع)... دار أولاد بناني بيتهم سعد وسؤدد، وحرز ومركز مجد، ووجاهة وجاه وعز...".

وقد انتشرت فروع الحاج عبد الرحمن من أبنائه الثلاثة: الأمين الحاج عبد الكريم المتوفى عام 1320 / 1902 والحاج محمد ضما، والطالب الحاج مَحمد فتحاً.

أ ـ الحاج عبد الكريم هو والد الطالب الحاج عبد الله المتوفى عام 1359 / 1940، وأخيه الأمين الطالب الحاج التهامي، وكان هذا أشهر أفراد الأسرة ثروة ووجاهة واعتباراً رسمياً وشعبياً، المتوفى عام 1355 / 1936. وقد خلّف الحاج عبد الله الشقيقين سَميَّ جده الفاضل الحاج عبد الكريم دُعي بّاسيدي، ثم صغيرَه السيد الصديق.

وأعقب الحاج التَهامي من أبنائه الثلاثة : الطالب السيد محمد دُعي سيدْهُم والسيد لحسن والسيد علال وكلهم متوفون. وكانت وفاة أولهم السيد محمد عام 1364 / 1945.

وأبناؤه هم الأشقاء : المهندس الفلاحي السيد إبراهيم المتوفى بمراكش، ثم الضابط المصطفى المتوفى عام 1370 / 1951، وثالثهم الأستاذ السيد العربي موظف سام بالداخلية إلى أن تقاعد، والرابع الحاج الطاهر الذي لم يعقّب.

أما السيد الحسن بن الحاج التهامي، فالباقي من أبنائه هم الأشقاء السادة : المهدي مهندس فلاحي وعبد الحفيظ مفتش بوزارة الشغل والحسين مهندس في عمالة الدار البيضاء. وكان مولده يوم 18 جمادى الأولى عام 1355 / 1936. وخلّف السيد علال ثالث أبناء الحاج التهامي ولده المرحوم السيد المكي.

ب ـ أما الحاج محمد ضما بن عبد الرحمن فهو والد الإخوة الثلاثة : الحاج الطالب محتسب مكناس في الدولة الحفيظية والسيد محمد الخنفوري الخليفة الأول لباشا الدار البيضاء ثم أمين الأملاك بمراكش أيام الملك محمد الخامس

المتوفى سنة 1945، وأخوهما السيد العربي. وكلهم متوفون.

ج - والثالث الحاج مَحمد فتحاً بن عبد الرحمن خلّف ثلاثة أبناء : الشقيقين الحاج عبد الوهاب والحاج إدريس وأخاهما للأب الحاج السعيدي الذي لم يعقّب ذكراً.

وقد عقب الحاج عبد الوهاب من ولديه الشقيقين السيد الهادي المتوفى عام 1362 / 1943 والسيد عمر.

فالسيد الهادي أبناؤه هم الشقيقان السيدان عبد الرحمن وعبد الملك مدير مدرسة درب السلوي بمكناس، ثم الشقيقان السفير فاضل المتوفى عام 1391 / 1971 وعبد المولى مندوب وزارة الشغل بفاس.

وأبناء السيد عمر هم الاشقاء : الكولونيل السعيدي والطيب ملحق بوزارة البريد بالرباط والسيد محمد، وأخوهم للأب السيد حميد سينمائي.

2 - فرقة محتسب مكناس الحاج مَحمد - فتحاً - بن أحمد بناني، المتوفى عام 1327 / 1909، وأبناؤه كلهم متوفون، وهم الوجيهان السيدان حسن وعبد القادر، والشقيقان عبد النبي وعبد الرحيم، وابن أخي المحتسب الحاج أحمد دُعي منقار، وسكنى غالبهم كانت بالدار الكبرى التي ابتناها عميدهم في حي حمام الجديد بأقصى درب الشيخ عبد الرحمن التاغي.

3 - فرقة الطالب أحمد دُعي حميدة بناني، أمين الأملاك بمكناس أول العهد اليوسفي والمنشد البارع المتوفى عام 1340 / 1921، وعقبه من ابنيه الفاضل السيد بوبكر والفقيه العدل سجين الثبات على المبدإ السيد المهدي المتوفى عام 1413 / 1992، وهو والد الشقيقين د. الحاج أحمد وأخيه.

4 - فرقة السيد عبد الوهاب بناني والد الأخوين الفقيه العدل الفارض للنفقات السيد عبد الرحمن المتوفى عام 1358 / 1939، والتاجر السيد مَحمد فتحاً أبي الأخوين الوطنيين باشا سلا السيد عبد الوهاب والقايد السيد عبد القادر.

5 - فرقة بناني الدّقيوَقْ، ونزولهم بمكناس يرجع إلى أواخر العهد العزيزي، وهم من فريق قاضي الرصيف بفاس الشيخ حميد بناني. وأول قادم منهم ورد بوصفه ناظراً لأحباس كبرى مكناس وهو السيد المدني بن عبد الكريم بن عبد السلام بناني المتوفى عام 1341 / 1923. ومن بعده استوطنها أبناؤه وأحفاده... وكان أبناؤه - مباشرة - هم الخليفة الباشوي بنفس المدينة السيد مَحمد - فتحاً - المتوفى أواخر الخمسينات وأخوه السيد محمد ضما وسواهما.

ع. المشرفي، *الحسام المشرفي*، مخطوط خ. ع، 2276 ك : فقرة منه ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، مخطوط، خ. ع، 1281 ك : إشارة واحدة عند مادة بيت بناني الفاسي ؛ *ثلاث وثائق / أسرة بناني* ؛ *جريدة السعادة* ؛ *تحريات شخصية، ورواية شفوية عن الحاج عبد الكريم بناني.*

محمد المنوني

**البناي**، أسرة تطوانية لم نجد في الوثائق ما يدل عن أصلها، وكل ما نعرفه عنها أنه كان من بين أفرادها :

**البناي، أحمد** كان يشغل منصب مقدم حومة الترنكات بتطوان سنة 1257 / 1841.

**البناي، أحمد** بن **محمد** كان حياً سنة 1126 / 1714.

**البناي، التهامي**، أشهر أفراد أسرة البناي التطوانية المنقرضة، قال عنه تلميذه مؤرخ تطوان الأول الفقيه عبد السلام سكيرج إنه كان فقيها أديباً شاعراً عالماً بالتوثيق ملازماً للشهادة في سماط العدول الموالي للجامع الكبير التطواني، وهذا ما تؤكده الوثائق العدلية التي نتوفر عليها وتشهد بأنه كان يزاول خطة العدالة من سنة 1184 / 1770 إلى سنة 1201 / 1787 باستثناء سنة 1196 / 1782 التي غاب خلالها عن تطوان، حين عين صديقه الفقيه عبد الكريم ابن قريش ضمن الوفد الذي رافق السفير محمد ابن عثمان إلى مالطة ونابولي، وهي السفارة التي ألف فيها ابن عثمان رحلة سماها *البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر*، ومنها يُعرف أن السفارة غادرت مراكش يوم ثاني ذي الحجة عام 1195 / 19 نوفمبر 1781 متوجهة إلى مكناس ففاس ثم طنجة التي غادرتها يوم 7 ربيع الأول سنة 1196 / 20 فبراير 1782 في اتجاه جزيرة مالطة ومملكة نابولي من أجل افتداء الأسرى المسلمين.

ونجهل تاريخ وفاة التهامي البناي الذي كان مازال على قيد الحياة سنة 1201 / 1787.

م. ابن عثمان، *البدر السافر لهداية المسافر* (مخطوط) ؛ ع. سكيرج، *نزهة الاخوان*، (مخطوط) ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 23 / 5 : 216 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 310 - 344 / 6 : 264 / 7 : 267 / 8 : 357 / 2 : 280 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البناي، العربي** بن أحمد باعدِّي، مقاوم شهير، ولد في مراكش سنة 1351 / 1933 فكان من الوطنيين السابقين للدفاع عن البلاد بعد الاعتداء على العرش المغربي في 20 غشت 1953، فكان من الحرفيين الذين انضموا إلى خلية المقاومة التي أسسها محمد البقال بمراكش، فأصبح رفيقه في الكفاح المسلح ضد الاستعمار وأذنابه، غير أن هذه الخلية لم تعمر إلا بضعة شهور حيث تم إلقاء القبض على أفرادها بتاريخ 23 ربيع الثاني 1373 / 20 دجنبر 1953، فحوكم البناي بتهمة وضع عبوات لنسف السكة الرابطة بين مراكش والدار البيضاء والمشاركة في الاغتيال وإحراق ممتلكات المعمرين، ونفذ الاستعمار فيه الإعدام بسجن العادر بتاريخ 13 شعبان 1373 / 22 أبريل 1954.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، *ملخصات عن حياة وكفاح شهداء الاستقلال*، ج 1 ؛ م. الحبيب الفرقاني، *صفحات*

*من تاريخ المقاومة وجيش التحرير*، ج 1.

محمد ماگمان

**البناي، علي** بن محمد، من أفراد الأسرة التطوانية الآنفة الذكر. كان على قيد الحياة سنة 1214 / 1800.

**البناي، محمد** بن التهامي، فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1184 / 1770 إلى سنة 1201 / 1787.

**البناي، يوسف** بن عاشور، معلم من خبراء تطوان، كان على قيد الحياة سنة 1156 / 1743.

وقد انقرضت أسرة البناي بتطوان ولم يبق ما يذكّر بها سوى زنقة تحمل اسمها بحومة العيون.

محمد ابن عزوز حكيم

**بنّعمان**، نبات عشبي سنوي من الفصيلة الخشخاشية (پاپڤيراسي Papaveraceae) التي تضم أربعة أجناس في المغرب : پاپڤير Papaver، وكيليدونيوم Chelidonium، وگلوسيوم Glaucium وروميريا Roemeria. الاسم الشائع في المغرب هو بنّعمان أو بلّعمان، وفي الشرق العربي خشخاش منثور وشقائق النعمان. ينبت اثنا عشر نوعاً من هذه الفصيلة في المغرب، لها أزهار جميلة تتكون من فصيلتين و4ـ6 تويجيات مَثْنية داخل الزر الزهري. النوع الشائع في المغرب هو پاپڤير روياس Papaver rhoeas الذي يصادف بكثرة في الحقول ومزارع الحبوب والأراضي المستريحة. يبلغ طول النبتة 25ـ80 سم، السويقة قائمة وبدون فروع تتخللها شعيرات مشوكة. الأوراق كبيرة، مسعفة الشكل. الأزهار حمراء، مبقعة أحياناً بالسواد في قاعدة التويجيات. الثمرة جافة متفتحة، بيضوية الشكل، يبلغ طولها سنتمترين. تنتج كل نبتة ما يقرب من خمسين ألف حبة. تختلط هذه الحبوب غالبا مع القمح والشعير إبان الحصاد. من أهم مكونات النبتة الحليب Latex الخالي من الأفيون. تحتوي الأزهار على كمية ضعيفة من قلويد سام Rhéadine يمكنه أن يسمم الإنسان والماشية.

استعمل بنعمان منذ القدم في الطب التقليدي لمعالجة السعال. نقيع تويجياته الجافة مسكن ونافع للصدر ومعالج للسعال. ينتج المغرب كمية كبيرة من أزهار بنعمان ويحتل هذا العشب الصف الثامن والأربعين من بين مائة واثنتي عشرة عشبة طبية أكثر رواجاً، ويعد من الأربعين عشبة طبية الأكثر استعمالا في المغرب.

يوجد بنعمان في العديد من دول العالم، وكثيراً ما تغنّى به الشعراء منذ القدم، وجعل منه الرسامون عدة لوحات لجمال أزهاره.

يوجد في المغرب نوع آخر من بنعمان هو پاپڤير صومنيفيروم Papaver somniferum وهو عشب سنوي يزرع. توزيعه الجغرافي متوسطي، إنه نبات أجرد، الأوراق رمادية خضراء كبيرة، والأزهار على رأس كل سويق طويل، بنفسجية بيضاء، مبقعة بالأحمر المسود في قاعدة التويجيات. تسمى ثمرته خشخاشة. ألبُوم Album هو ضرب من هذا النوع. في حالة جرح خشخاشته يسيل حليب غني بالأفيون يستخرج منه المورفين وقلويدات أخرى تستعمل للتنويم في الطب.

نيگروم Nigrum هو ضرب آخر من نفس النوع يستخرج منه زيت التويم (زيت الخشخاش).

P. Quezel et J. Vindt, *Flore du Maroc, analytique, descriptive et illustrée*. Fasc. 1 n° 4 : Trav. Inst. Sci. Chérif., 1952 ; Bohumil Slavik, *Les plantes sauvages*, Bruxelles,1973, p. 183 ; M. Ibn Tattou, *Les Angiospermes ou plantes à fleurs*, 1987, *Gr. Enc. Maroc*, 58 ; J. Bellakhdar, *Plantes médicinales, plantes toxiques*, 1987, *Gr. Enc. Maroc*, 212 - 215.

نجاة الخياطي

**بنغموش**، أسرة سلوية ربما رجع أصلها إلى قبيلة النغامشة في زعير جنوبي الرباط، التي يبعد ترابها عن قرية زحيليگة بنحو أربعة كيلو ميترات. وقد اشتهرت قبيلة النغامشة أخيراً بمعركة المحروگ التي جرت بها سنة 1330 / 1911. وأكثر ما يعمل آل بنغموش السلويون في التجارة، ولا سيما تجارة الثياب، ومنهم حرفيون وعاملون في البحر، ومن المتأخرين منهم :

**بنغموش، محمد** (الحاج ـ) من رجال البحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية بمدينة سلا، وبهذه الصفة أدرج اسمه في قائمة الذين أنعم عليهم الحسن الأول بالصلة في ثامن وعشري ذي الحجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

**بنغموش، مَحمد** ـ فتحاً ـ بن محمد، كان تاجراً في الثياب كأبيه، وتولى أمانة القيسارية مدة طويلة. وكان إلى ذلك من المسار عين إلى المشاريع الاجتماعية، عضواً مؤسساً لمدرسة الفتاة السلوية الحرة سنة 1365 / 1945، وأمين صندوقها، والعامل على نشر الدعوة لها إلى أن أصبحت مؤسسة تربوية مهمة تحمل اسم الأميرة عائشة.

توفي بسلا في 29 ربيع الثاني عام 1405/ 22 يناير 1985.

ابن سودة، *قبيلة زعير* ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 225 ؛ *معلومات شخصية وشفوية*.

**بنُّور** (سيدي ـ) أو أبو النُور، عبد الله بن وكريس الدكالي. صالح وفقيه من أكبر أولياء دكالة. أصله من مشنزاية، إحدى القبائل المصمودية التي كانت تعمِّر تلك المنطقة. كان يعيش في قرية يليسكاون في النصف الأول

من القرن السادس الهجري الذي ازدهرت فيه حركة التصوف والزهد، معاصراً السلطان علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي.

ومن أقرانه شيوخ التصوف أبو يعقوب تَصُولي ابن وابُوسْكَط المحاسبي، وأبو وَلْجوط، وغانيم ابن وابُوط الدكالي، وأبو حفص عمر ابن مَيْكْسوط الدغوغي، وأبو علي منصور بن إبراهيم المسطاسي. ومن أشهر تلاميذه الولي الصالح أبو شعيب أيوب السارية دفين أزمور.

خصص صاحب كتاب *التشوف* لسيدي بنور ترجمة قصيرة أشاد فيها بصلاحه وتقواه، لكنه لم يذكر تاريخ ولادته ولا وفاته. ومن جملة ما حكاه عنه أنه لما مات أخوه تزوج امرأته، فقدمت له طعاماً لكنه لما وقع في نفسه أن في هذا الطعام نصيب أولاد أخيه، أمسك عن الأكل وبات طاوياً.

دفن سيدي بنُّور بسوق الثلاثاء على الطريق الذاهبة من الجديدة إلى مراكش غير بعيد عن مسقط رأسه قرية يليسكاوْن، فأصبح هذا السوق يعرف باسم دفينه سيدي بنّور.

وقد بنى السلطان سيدي محمد بن عبد الله قبة على قبره، ثم قام بتزيين هذه القبة القائد السيد رحال كان يحكم قبيلة أولاد جابر بدكالة، في عهد السلطان الحسن الأول. وقامت حول ضريح هذا الشيخ قرية ما زالت تتسع حتى أصبحت اليوم مدينة من أهم مدن دكالة.

**بنُّور** (سيدي ــ)، مدينة تقوم حول ضريح الولي الصالح عبد الله بن وكريس، وتتوسط سهل دكالة الذي يسمى أحياناً باسمها، وتبعد بحوالي مائة وعشرين كيلومتراً عن مراكش وسبعين كيلومتراً عن الجديدة. إلا أن موقع هذه المدينة المتطرف بالنسبة لإقليمها سمح في ظرف وجيز بظهور وتزايد إشعاع سيدي بنور على كل أرجاء السهل، حيث تتفرع اليوم من هذا الملتقى وفي كل الجهات عشرات المسالك، والطريق الرئيسية نحو مراكش والجديدة، والطريقان الثانويتان نحو أربعاء العونات وسبت المعاريف والطرق الثانوية الأربع نحو خميس الزمامرة وأربعاء أولاد عمران وأحد العونات وجمعة بني هلال.

إن هذا الموقع في قلب منطقة تعرف تعميراً قديماً وكثيفاً وتحولات اقتصادية جذرية قد عجّل بترقية سيدي بنور من صف الأسواق والمراكزالفلاحية إلى مكانة المدن الصغيرة التي قلما نشاهد مدينة في حجمها بالمغرب تنمو عمرانيا وديمغرافيا بمثل وتيرتها السريعة : 5.479 ن سنة 1960 و11.140 ن سنة 1971 و23.429 ن سنة 1982.

يساهم التوافد الريفي بالقسط الأوفر في تضعيف سكان المدينة مرتين، إذ بلغت نسبته العامة 62،6٪ بين 1960 و1971 و70،5٪ في الفترة المتراوحة بين 1971 و1982. وإذا كانت أسباب النزوح تكمن أساساً في البنيات الزراعية والمعيشية للأرياف المحلية، حيث يتوافد منها ثلثا عدد المهاجرين حسب احصاء 1982، فإن حيوية المدينة الوظيفية تزيد الاستقطاب حدة.

بالفعل، بعد مدِّ القناة السفلى من سد إمفوت سنة 1963 وبعد تجهيز قطاع سيدي بنور بين 1970 و1974 وريه بواسطة القناة الوسطى، انتقل الاقتصاد المحلي في النمط الاكتفائي إلى نمط الزراعة التسويقية والصناعية، وكل المزروعات التي تم إدخالها (قطن، علف، شمندر سكري) أو تكثيفها (قمح، ذرة، قطاني) مكنت المدينة من احتضان وتطوير أهم قطاع صناعي فلاحي بالإقليم يشغل ربع اليد العاملة (1982).

يعتبر معمل قنوات وأنابيب الري أقدم وحدة صناعية بالمدينة، إذ شيد سنة 1959 على يد شركة حرة تشغّل 30 شخصاً يعملون بشكل متقطع حسب أهمية الطلب داخل أو خارج الإقليم. ثم تأسست بعد استصلاح السهل باقي المصانع الأخرى. يتعلق الأمر بتعاونية تلفيف البواكر قبل تصديرها وبمعمل صنع غذاء الدواجن والماشية الذي أسسته الشركة الوطنية لتنمية تربية الماشية ليوفر 50 منصب شغل، وبمشروع المطحنة الضخمة التي يملكها مجموعة من الفلاحين الكبار. أما معمل العلف الذي شيد سنة 1976 لإنتاج 40 ط يوميا ولتشغيل 40 عاملا دائما فقد أغلق سنة 1983 لأسباب عديدة. غير أن مكانة المدينة الصناعية تتمثل على وجه الخصوص في وجود معملي القطن والسكر اللذين افتتحا في نفس السنة (1970).

يشغّل معمل حلج القطن حوالي 150 عامل (جلهم موسميون) ويستمد مادته الأولى محلياً وحتى من منطقة الحوز. لكن لا يوظف سوى 44٪ من طاقته الإجمالية، نظراً لتذبذب الإقبال على زراعة القطن بدكالة. أما معمل السكر الذي تساهم الدولة في رأس ماله بنسبة 40٪ وشركة كوزيمار بنسبة 21،9٪ فهو أكبر وحدة صناعية بالمدينة سواء من حيث عدد المشتغلين بها (400 فرد نصفهم قار) أو من حيث الانتاج، ذلك أن الطاقة الأصلية لمعالجة الشمندر تضاعفت منذ 1974 وأصبح الإنتاج السنوي يتعدى 60.000 ط. من السكر الخام الذي ينقل إلى معمل كوزيمار بالبيضاء لتصفيته. ومما زاد زراعة الشمندر تنمية كذلك إنتاج أكثر من 20.000 ط من العلف سنويا.

إذا كان اشعاع مدينة سيدي بنور الوظيفي يتجلى أساساً في النمو الصناعي فإن أنشطة القطاع الثالث تشغل بدورها سنة 1982 ثلثي اليد العاملة بنسبة 45٪ في الخدمات و23،6٪ في التجارة. وتمثل سيدي بنور قبل كل شيء بالنسبة للريفيين سوق الثلاثاء الأسبوعي الذي يعتبر ثاني سوق على الصعيد الوطني بعد سوق أربعاء الغرب من حيث الرواج، بإمكانه استقبال 50.000 زائر في أوج نشاطه. لقد استمر منذ سنة 1978 في أقصى الجنوب الشرقي على طريق مراكش بعد أن تحول مرتين من مركز المدينة.

بالنسبة للأنشطة التجارية اليومية التي تتركز خصوصا

في وسط المدينة وعلى طول المحاور الرئيسية، أحصى تقرير سنة 1984 للغرفة التجارية والصناعية بالجديدة 332 محلا تجارياً للمنتجات الغذائية والحرفية وستة محلات لتجارة الجملة، من بينها الشركة الفلاحية التي تهيمن على كل الإقليم. لقد تأسست سنة 1977 ويعمل بها عشرون مشتغلا في مجال بيع أنواع الآلات الفلاحية العصرية بالإضافة إلى آلات الضخ والسيارات الصغيرة والدراجات النارية.

تتحكم المدينة كذلك في منطقتها بواسطة معظم الخدمات النادرة والمتخصصة. ومن أهم المنشآت الاجتماعية سبع مدارس عمومية وثلاث حرة وثانوية واحدة (28 حجرة و1.385 تلميذ سنة 1988) وإعدادية للبنين (33 حجرة و1.917 تلميذ) وإعدادية للبنات (39 حجرة و2.631 تلميذ وتلميذة). وإذا كانت المدينة تفتقر لمستشفى فإنها تتوفر على مركز صحي صغير (13 حجرة) يسيِّره اثنان وعشرون ممرضاً وطبيب عام وآخر اختصاصي. وإضافة إلى بعض مؤسسات الخدمات الرئيسية (قاعة سينما، 5 شبابيك بنكية، 6 محطات بنزين، 3 صيدليات، 3 مكاتب للطب الخاص...) يبرز نفس التقرير للغرفة التجارية والصناعية وجود 115 محل للحرف والخدمات المتنوعة و60 محلا خاصا بالمقاهي والمطاعم و13 محل إصلاح السيارات والجرارات.

ما سبق ذكره من نمو ديمغرافي ودينامية وظيفية عمل على هيكلة المساحة المبنية (أكثر من 1000 هـ) ولو أنها لم تستطع بعد إفراز وحدات متباينة ومتكاملة تماما، نظراً لحداثة العمران وتطوره وفق تصميم حضري يرجع تاريخ وضعه إلى سنة 1951.

تتخذ المدينة شكلا متكتلا وتصميما مركزاً في الجهة الوسطى وشعاعيا على العموم، حيث تتفرع من المركز عدة محاور رئيسية، كلها عبارة عن امتداد للطرق. وبإنشاء السلطة الاستعمارية سنة 1914 شركة فلاحية، وسنة 1915 دار الحاكم (مقر الدائرة الحالي) والسجن والثكنة العسكرية، تكون قد اختارت أن تجعل من سيدي بنور مركزاً فلاحياً وللمراقبة، فسلمت في العشرينات بعض التجزئات للإداريين الفرنسيين أقيمت حولها مرافق إدارية واجتماعية.

توجد كل هذه المنشآت في الحي الإداري الذي يضم اليوم مقر الجماعة والمحكمة والمكتب الوطني للكهرباء، وفي امتداده على طول شارع الجيش الملكي وحي المستشفى (درك، شرطة، مصلحة الشركة الفلاحية وأهم الخدمات المالية والاجتماعية والمحلات التجارية)، ويفصل بين الحي الإداري والمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي في الشمال الحي العسكري الذي يتضمن بجانب الثكنة منازل أرضية كثيفة.

لم تكن القرية في ظل السياسة الاستعمارية مؤهلة لاستقبال كل الأعوان والمهاجرين الأوائل، لذلك تضخمت الدواوير الهامشية وتكونت أخرى بعد الحرب العالمية الثانية (قبر النصراني العبدي، الحاكم). مازالت كلها تفتقر إلى الماء والكهرباء وتتخذ مظهراً قروياً رغم اندثار الأكواخ والنوالات وتصلب السكن بنسبة 70٪.

أما أولى تجزئات خصصت للإداريين والتجار المغاربة فيرجع تاريخها إلى سنة 1930، حيث بدأت تتضح معالم المزكر الفلاحي انطلاقا من طريق مراكش ومركز المدينة الذي يطلق عليه الناس اسم "الفيلاج"، وهو حي مكتظ بالسكان، تتوزع فيه المنازل الأرضية أو ذات الطابق الواحد وفق تصميم غير منتظم وأزقة ضيقة. ما زال الحي بدوره يعرف مشكل عدم تعميم الكهرباء والماء الصالح للشرب. لكن الشوارع التي تحفه وتخترقه تعد أهم محاور في المدينة من حيث النشاط التجاري والحرفي (محمد الخامس، الحسن الثاني، مولاي عبد الله، ابن الدرقاوي).

في الجهة الوسطى، وبمحاذاة مركز المدينة، تتنوع المنازل الحديثة. وإذا كانت المحلات التجارية والحرفية به قليلة فإن مساحة مهمة اقتطعها منه الملعب الرياضي وثانوية طارق. وما يطلق عليه اسم الحي الصناعي يتألف في حقيقة الأمر من نواتين : الأولى في الشمال، وتضم معمل السكر على بعد كيلومترين (10 هـ) ومعمل القنوات بعد أربعة كيلومترات (10 هـ)، والثانية في الجنوب، وتشمل معمل القطن (10 هـ) والمطحنة المبرمجة مؤخراً.

لقد قام المكتب الوطني للاستثمار الفلاحي بتشييد عمارتين وڤيلات لفائدة موظفيه قرب معمل القطن، وأسست شركة السكر لمستخدميها حيا قائما بذاته منعزلا عن باقي الأحياء (يطلق عليه الناس اسم لاسيتي)، إذ يتوفر على مائة مسكن وسط شجر الأوكليبتوس تشتمل على ڤيلات وعمارات ومنازل أرضية.

في نفس الفترة (بداية السبعينات) شرع في بناء حي بّام بالجنوب الشرقي في إطار برنامج التغدية العالمية وتحت إشراف المنظمة العالمية للتغدية، شيد على مساحة 20 هـ يضم 800 بقعة أرضية من بينها 732 منزل وبعض الأنشطة والخدمات اليومية. من جراء ذلك، فهو يُعد حاليا من أعلى الكثافات السكانية بالمدينة.

أخيراً، تتوسع المدينة بسرعة نحو الشمال في اتجاه الجديدة ونحو الجنوب الغربي (حي الفتح الاقتصادي) وخاصة نحو الشرق والجنوب الشرقي، انطلاقا من قلب المدينة (تجزئة الموظفين) إلى تجزئة أرض الخير الموجهة لأصحاب الدخل المحدود من الموظفين أساسا (بين حي سمافت السكني والإعدادية الجديدة) والتجزئات الخاصة العديدة.

تجدر الإشارة إلى أن مدينة سيدي بنور تسلم أكبر عدد من رخص البناء وسط الإقليم (394 رخصة سنة 1986) وتحظى بثاني مساحة للسقوف بعد الجديدة (39661 م$^2$). ولم تحتسب في هذا العدد تلك المساحة المبنية في الوحدات الريفية للتجهيز والتسيير التي تحيط بالمدينة. وهي قرى

نموذجية تكلف ببنائها المكتب الوطني للاستثمار الفلاحي ابتداء من سنة 1973 لتجميع السكان بعد ضم الأراضي لإقامة تجهيزات جماعية وتكييف السكن مع أسلوب الري. لقد تقرر بناء أربع عشرة قرية بمنطقة سيدي بنور من فئة إيواء 200 إلى 300 ن، لكنّ أربعاً منها فقط رأت النور لحد الآن على شعاع 3 كلم إلى 7 كلم من وسط المدينة ؛ گريشات الرگ وكدية المريسات والعطاطرة والمويسات.

ستعرف منطقة دكالة في المستقبل القريب ولا شك تحولات أخرى من شأنها إنعاش وظائف مدينة سيدي بنور وتوسيع رقتعها بنفس الوتيرة، أو بأسرع منها. ويتعلق الأمر بالسكة الحديدية التي ستربط على مسافة 130 كلم بين الجرف الأصفر وسيدي بنور واليوسفية وبالتهيئة المائية على مساحة 40.000 هـ جنوب المدينة، من المرتقب إنهاء تجهيزها في حدود سنة 2000، كما يتعلق الأمر باكتمال تجهيزات مشروع شمال دكالة الذي سيكون مجمعا صناعيا وحضريا ضخما بين أزمور والجديدة والجرف الأصفر.

ع. ساعلي وأ. إدريسي، *تطور مدينة سيدي بنور وعلاقتها بالهوامش الريفية*، بحث إجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1984 . 1985 ؛ مديرية الإحصاء، وزارة التخطيط، النشرة *الإحصائية السنوية للمغرب*، 1987 ؛ *نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى*، 1960، 1971، 1982.

A. Benabdeljalil, A. Sijilmassi, M. Ayad, *Etudes d'architectures régionales, Région du Centre*, M. H. A. T., 1985 ; R. Fosset, *Le Réseau urbain des bas plateaux atlantiques moyens*, Tours, 1977 ; *Société rurale et organisation de l'espace, les Bas Plateaux Atlantiques du Maroc Moyen, Chaouia, Doukkala, Abda*, Th. d'Etat, Montpellier, 1978 ; ORMVAD, *Plan d'ensemble de Souk Tléta de Sidi Bennour*, 1/1000, El Jadida ; M. H. A. T., SCET, *Schéma Directeur d'Urbanisme du groupement du grand El Jadida, Rapport de synthèse*, Rabat, 1983 ; M.H.E., CERF, *Schéma d'armature rurale, Région du Centre*, Rabat, 1972.

مصطفى عياد

**بنونة**، أسرة نابهة توجد في فاس وتطوان والرباط وغيرها. قال عنها الأستاذ الطيب بنونة التطواني : "لا توجد عندنا وثائق تاريخية في شأنه ـ النسب ـ وان كان المرحوم الحاج عبد السلام بنونة قد وقف على شهادة تثبت انتسابهم إلى شخصية عربية إسلامية كبيرة، لكنه زهد في اقتنائها من الشخص الجزائري الذي أطلعه عليها وحاول أن يستفيد من هذه الفرصة مادياً. ونحن نأبى أن ندعي هذا الانتساب دون أن تكون تحت يدنا حجة، ونكتفي بحمد الله بالانتساب إلى أسرة مسلمة. وكل ما هو ثابت عندنا أن عائلة بنونة كانت في الأندلس لوجود أفراد منها في طبقات الفقهاء، وفي تلمسان مقبرة لآل بنونة بجوار ضريح سيدي أبي مدين الغوث، وبها كتابات على الرخام عن شخصيات هذه العائلة. وأما آل بنونة في تطوان فقد جاء جدهم الفقيه المحدث الحاج محمد بن عبد الواحد من فاس في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة (18 م). والحاج عبد السلام هو ابن الحاج العربي بن المهدي بن العربي بن محمد بن الحاج محمد بن الفقيه الحاج محمد بن عبد الواحد بنونة (الفاسي الأصل)".

وكان الحاج عبد السلام بنونة يبحث عن نسب أسرته وسبب تسميتها ببنونة، وممن استفسرهم في الموضوع الأمير شكيب أرسلان الذي أجابه في رسالة بتاريخ 31 أكتوبر 1930 يقول فيها :

"وأما "بنونة" فرأيي أنا أنه محرف من "أبي النونة" وأنه وجد رجل له نونة في ذقنه لطيفة فقيل له "أبو النونة". وقد اشتهر هذا الرجل فاشتهر الاسم المذكور، إذ لو لم يشتهر المسمى لم يشتهر الاسم، وبعد ذلك قيل له "بنونة" وغلب عليه وعلى نسبه".

كما نجد في رسالة أخرى للأمير المذكور إلى بنونة بتاريخ 21 فبراير 1931 ما يلي :

"أما ما جاء في *تاج العروس* عن بنونة فهو هذا بالحرف من الجزء التاسع صفحة 146 :"وبنونة كسفودة لقب رجل. وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن حمدون البناني الفاسي روى عنه شيخنا العلامة الإمام محمد بن عبد الله ابن أيوب التلمساني وشيخنا إسماعيل بن عبد الله بن علي المدني وغيرهما رحمهم الله تعالى".

الطيب بنونة، *نضالنا القومي*، 130، 163، 164، 417.

**بنونة، الطيب بن عبد السلام** التطواني. ولد في فاتح صفر عام 1329 / فاتح فبراير سنة 1911 بمدينة تطوان.

وابتدأ تعليمه في عهد لم تكن فيه مدارس على النمط العصري، فقرأ القرآن الكريم في الكتاتيب ودرس مبادئ اللغة العربية والدين بالمساجد على مجموعة من علماء تطوان، كالزواقي والرهوني واللواجري والكحاك والقاسمي والخطيب. وعندما أُسست المدرسة الأهلية سنة 1925 كان

من أول الملتحقين بها، فتلقى التعليم العصري على أساتذتها وفي مقدمتهم محمد داود ووالده الحاج عبد السلام بنونة. وعمه الحاج مُحمد بنونة ومَحمد النبخوت وأحمد القرطاخ.

وفي سنة 1927 انتقل للدراسة في القرويين بفاس فدرس على مجموعة من العلماء كابن العربي العلوي وعبد المجيد أقصبي، ومحمد بن الحاج، ومحمد بن العباس بناني والحسين العراقي وغيرهم.

وعندما قرر والده إيفاد بعثات إلى الشرق كان الطيب في أول بعثة خرجت من تطوان في أكتوبر سنة 1928 إلى نابلس بفلسطين، فتلقى دروسه الثانوية بمدرسة النجاح الوطنية على يد الشاعر إبراهيم طوقان والأستاذ أكرم زعيتر والرياضي قدرى طوقان والدكتور عمر فروخ والشيخ عبد الحميد السائح وغيرهم. ونال الشهادة الثانوية سنة 1932 بتفوق، ومكنته هذه الشهادة من حق الالتحاق بالجامعة الأمريكية ببيروت، لكن الحكومة الفرنسية منعته من الدخول إلى لبنان نظراً لما كانت تكنه لوالده من العداء، فالتحق بالسنة الأولى من قسم الهندسة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، ومنها انتقل إلى الجامعة الأمريكية باستانبول (روبرت كوليج) حيث درس سنتين في كلية الهندسة الميكانية الكهربائية. وفي سنة 1935 توفي والده الحاج عبد السلام فاضطر إلى العودة إلى مسقط رأسه ليشرف على شؤون العائلة وتربية إخوته الثمانية الصغار.

شارك الطيب بنونة منذ سنة 1926 في اجتماعات الجماعة الوطنية الأولى من شباب الرباط وسلا، وكان له دور في ربط الصلات الروحية بينهم وبين جماعة تطوان. وحضر المؤتمر الإسلامي العام بالقدس كملاحظ سنة 1931، وكان عضواً في عدد من الجمعيات والهيئات بالشرق العربي أثناء دراسته بفلسطين والقاهرة، وساهم في الكتابة بالصحف العربية عن القضية المغربية، وكان أول من ألقى محاضرة في نادي جمعية الشبان المسلمين للتعريف بالمغرب وتاريخه ووضعيته تحت سيطرة المستعمرين، وشارك بالخطابة في شتى المناسبات، والاتصال بالزعماء والسياسيين ناشراً قضية المغرب العادلة، ومدافعاً عن وطنه وفاضحاً مكايد المستعمرين في عهد كانت فيه الآذان العربية ماتزال صماء وقضية المغرب مجهولة.

وعند عودته سنة 1935 إلى المغرب التحق بكتلة العمل الوطني في الشمال وحل محل والده في عضويتها، وأصبح يعمل إلى جانب الأستاذ الطريس في الحركة الوطنية بالشمال، فوضعوا قوانين الكتلة التي انتخب الطريس رئيساً لها. وكان أحد مؤسسي المدرسة الثانوية الأولى بتطوان (المعهد الحر) وحزب الإصلاح الوطني (أول حزب وطني في تاريخ المغرب) وكان عضواً في لجنته التنفيدية، وأحد أركان القيادة في فرق الفتيان التي نظمها الحزب.

اشتغل الطيب بنونة مديراً لشركة التعاون الصناعية ومديراً للمعهد الحر ورافق بعثة المعهد إلى القاهرة وبذل مجهوداً مع الحكومة المصرية لإدماج أعضائها في الكليات والمعاهد العلمية، فتخرج منهم الطبيب والمهندس والمعلم. وشارك مع الطريس في المؤتمر البرلماني للدفاع عن فلسطين بالقاهرة سنة 1938.

زاول الطيب بنونة مهنة التعليم الثانوي الحر متطوعاً عدة سنوات وعين عضواً في المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي وشارك في وضع نظم التعليم بمنطقة الشمال. كما ناضل كأحد قادة الحركة الوطنية في الشمال بقلمه وخطبه ومقالاته في الصحافة الوطنية. كان مديراً لجريدة *الأمة* وحرر عريضة المطالبة بالاستقلال (في الشمال) سنة 1944 ووقعها مع لجنة الحزب وناب عن الطريس في تسيير شؤون الحزب أثناء غيابه في الشرق وكان صلة الوصل بين الحزبين : حزب الإصلاح الوطني وحزب الاستقلال.

ومن سنة 1946 إلى سنة 1953 قام بزيارات سرية عديدة للملك الراحل محمد الخامس لمشورته باسم حزب الإصلاح الوطني وإطلاعه على جهود رجال الحزب في الداخل والخارج وتلقي الإرشاد والتوجيه من العاهل الكريم. وقد ساعده هذا الاتصال ليكون أول شخص من المواطنين اطلع على رغبة صاحب الجلالة في الرحلة إلى طنجة. وقد نُفي من تطوان سنة 1948 وبقي مهاجراً في المنطقة الدولية بطنجة رفقة الطريس، ودام هذا النفي أربع سنوات.

بعثه حزب الإصلاح الوطني إلى القاهرة سنة 1951 وقضى مدة في الجامعة العربية يعمل مع ممثلي الأحزاب الوطنية المغربية : علال الفاسي ومحمد الحسن الوزاني، وأحمد ابن سودة في تقديم الوثائق عن القضية المغربية للأمين العام للجامعة ومساعديه ودراسة القضية قبل عرضها على هيئة الأمم، وشارك في نشاط مكتب المغرب العربي بالقاهرة.

وبعد إلغاء قرار النفي عاد الطيب بنونة إلى تطوان في أبريل 1952 واستأنف نشاطه السياسي كأمين عام لحزب الإصلاح الوطني، واعتقلته السلطات الإسبانية سنة 1953 برفقة الأستاذ الخطيب وحاكمته على ما كان يبعثه إلى هيئة الأمم من شكاوى وتفاصيل عن حالة المنطقة الشمالية وحكمت عليه بالسجن والنفي لمدة عشر سنوات لكنه شمله عفو الخليفة السلطاني فعاد لميدان العمل.

عمل مع الأستاذ الطريس في مساندة المقاومة المغربية ومساعدة الفدائيين اللاجئين بتطوان وإمداد المقاومة بالمال والسلاح الذي كان يجمع من الشعب. وكان أميناً لصندوق جمع التبرعات من جميع أنحاء الشمال. وبعد إدماج حزب الإصلاح الوطني في حزب الاستقلال أصبح مفتشاً عاماً لمنطقة الشمال.

وفي 30 يوليو سنة 1956 عين كأول عامل على إقليم تطوان وساهم في فترة الجلاء والوحدة والإدماج. وفي 2 يوليو سنة 1958 عينه محمد الخامس سفيرا لجلالته في مدريد. وكانت هذه السفارة تعتبر الثانية في الأهمية،

واستطاع السفير بنونة أن يلعب دوراً إيجابياً في خدمة بلاده وحل بعض المشاكل القائمة بين البلدين.

وشّح جلالة الملك محمد الخامس عنق عامله بنونة بالوسام العلوي من درجة كمندور في حفل رسمي كبير بساحة الحسن الثاني بتطوان. وفي 5 سبتمبر سنة 1961 انتهت مهمة بنونة كسفير بإسبانيا، فمنحه الجنرال فرانكو بهذه المناسبة وسام (كران كروث دي إسابيلا لا كاثوليكا).

وبعد العودة إلى المغرب كلف السفير بنونة بإدارة قسم آسيا والشرق في وزارة الخارجية بالرباط. وفي 29 فبراير سنة 1962 عين سفيراً بإيران، كما أُسندت إليه في نفس الوقت أعباء السفارة بتركيا، فقام بدور مهم في ربط صلات الأخوة الإسلامية بين القطرين الشقيقين إيران وتركيا وبين المملكة المغربية.

انتهت مهمته كسفير لبلاده في إيران وتركيا في متم سنة 1964 وعاد في السنة الموالية للاستقرار بتطوان بعيداً عن النشاط السياسي والمهام الحكومية، لأن صحته لم تعد تساعده على ذلك. نعم، رضي بأن يشغل نفسه بعضوية أو رآسة بعض المجالس الإدارية في شركات صناعية وتجارية وسياحية وفلاحية، وذلك لأنه ما انقطع طيلة حياته وخاصة في فترات الوظيف الحكومي عن الكسب عن طريق التجارة تارة والصناعة أو الفلاحة تارة أخرى.

وقد انتهى إلى نادي الأسد (ليونس) وكان رئيساً لهيئته بتطوان. وكان في السنوات الأخيرة يكرس أوقاته للمطالعة وخاصة دراسة التفاسير القرآنية ويحاول أن يجمع شتات الوثائق والمعلومات والمذكرات الوطنية التي تزخر بها خزانته عن الحركة الوطنية المغربية وعن نشاطه خلال سنوات الكفاح الوطني قبل الاستقلال وبعده في المهام الرسمية. وفي سنة 1980 نشر بطنجة الرسائل المتبادلة بين والده عبد السلام بنونة والأمير شكيب أرسلان تحت عنوان: *نضالنا القومي*.

وكانت وفاته بتطوان يوم 5 ربيع الثاني عام 1399 / 4 مارس 1981.

م. ابن عزوز حكيم، *لمحات من بيان المجاهد الأستاذ الحاج الطيب بنونة*، الرباط، 1981؛ جمعية الطالب المغربية، *فقيد الوطن الأستاذ الطيب بنونة في ذكراه الأربعينية*، تطوان 1986.

محمد ابن عزوز حكيم

**بنونة، الطيب** بن **العناية** المكناسي الضرير. قال في حقه تلميذه عبد الرحمن ابن زيدان في *الاتحاف* (3 : 117) "فقيه نبيه ذو إدراك وتأن وإنصاف وتواضع. كف بصره بعدما شبّ وقرأ، ولم يزل ملازماً دروس شيوخه إلى أن شاب". درّس بالضريح الإسماعيلي وغيره، وكان يحسن التعليم، ويجيد العبارة والتفهيم.

توفي بمكناس في جمادى الأولى عام 1325 / يونيه - يوليوز 1907.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 3 : 117-118؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1325.

**بنونة، الطيب** بن **محمد** بن عبد السلام بن عبد الله الفاسي، من العلماء الأدباء المؤلفين له قدرة على قرض الشعر، لا سيما النظم التعليمي والملحون. ومن آثاره في ذلك *نظم رجال سلوة الأنفاس* لمحمد بن جعفر الكتاني، *ونظم الآجرومية*، إلى غير ذلك.

توفي بفاس يوم الخميس تاسع عشر ربيع الثاني عام 1347 / 4 أكتوبر 1928، ودفن بروضة آل بنونة قرب ضريح أبي غالب بحومة صريرة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1347.

**بنونة، عبد السلام** (الحاج.) بن **العربي**، ولد بتطوان في عشرين رجب عام 1305 / 2 أبريل 1888، وبها تعلم القرآن الكريم في الكتّاب، ومبادئ العلوم اللغوية والشرعية في الزوايا والجامع الكبير، وكان من رفقائه في الدرس الفقيه الشهير محمد المُرير، ومحمد بن التهامي أفيلال الذي أصبح وزيراً للعدل في الحكومة الخليفية على عهد الحماية بشمال المغرب.

كانت هواية الحاج عبد السلام بنونة في الانكباب على مطالعة الكتب عاملا أساسياً في تكوين نفسه تكويناً متيناً، كما كان ميالا إلى كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات والرياضيات والفلك والطب والسياسة، الشيء الذي جعل منه المغربي الأول والوحيد الذي صعد المعارج الراقية للأكاديمية الملكية الإسبانية للتاريخ بمدريد يوم 5 نوفمبر 1921. ومكنه ذلك من الالتحاق بالهيئة العليا لتاريخ المغرب وجغرافيته بالعاصمة الإسبانية يوم 6 فبراير 1922.

إنه من الصعب، والحق يقال، أن نجد مثله في تاريخ المغرب شخصاً خاض وحده غمار الكفاح الوطني دون مؤازرة أحد عندما رأى وطنه محتلاً وبلاده ممزقة، وأمته فاقدة الآمال في استرجاع مكانتها ومجدها واستعادة حقوقها الضائعة، خصوصا أن عمله كان يقابل بالجهل والتعصب وعدم التفهم ويلاقي أحياناً تنكر الرفقاء. غير أنه تحدّى العراقيل والصعاب في سبيل الوصول إلى الأهداف التي كان يسعى إليها جاهداً، والتي استحق من أجلها لقب "أبي الحركة الوطنية" من طرف زعيم العروبة والإسلام الأمير شكيب أرسلان.

كان الحاج عبد السلام بنونة يرى أن الكفاح الذي ينبغي أن يخوضه المغاربة لمواجهة الغزاة الإسبانيين والفرنسيين يجب أن يتخذ طابعاً سلميا وسياسياً، خاصة وأنه يدور في ميدان يختلف عن ميدان المقاومة المسلحة، أي أنه يدور في المدينة وليس في البادية، وفي تطوان بالذات التي كانت عاصمة الشمال. ومنها انطلق بنونة عندما شعر بأنه مدعوٌ لقيادة المقاومة السلمية السياسية، وتيقن بأن الواجب يحتم عليه أن يهب حياته لخدمة وطنه والدفاع عن قيمه المقدسة وحقوق شعبه المهضومة، ولم تكن تعوزه المواهب الطبيعية ولا روح النضال اللازمة للقيام بعمل جليل وعظيم كهذا.

تتبين الخطة السياسية التي آمن بها بنونة في رسالة بعث بها إلى ولده الطيب بتاريخ 26 غشت 1930 جاء فيها :"الاستقلال والحرية شيء يؤخذ ولا يعطى، وأخذه بقوة السلاح مع الجهل لا يدوم، ونتيجته الثورة المتتابعة القاضية على البلاد وأهلها، والوصول إلى الاستقلال التام بقوة العلم وكثرة المعارف يكاد يكون من قبيل المحال، اللّهم إذا ساعدت الظروف بأسباب خارجية. ومحصل هذا كله أن الأمة المغربية تتوقف على رجال ذوي مقدرة في المعارف بأنواعها ليكونوا قادة للشعب، يسيرونه حسب إرادتهم لمصلحة الدين والوطن، ويجب إيجاد هؤلاء الرجال عاجلا ما دام بالقبائل الداخلية رمق من الحياة الحربية.

وقد طبق هذه الخطة في المرحلة الأولى من نضاله الوطني على النحو التالي :

أ) المشاركة في الحكومة الخليفية وإدارة الحماية قصد تحقيق اتصال مباشر برجال المخزن والسلطات الإسبانية، ليتمكن من التعرف عليهم وتتبع أعمالهم عن كثب، وللاستفادة من خبرتهم واكتساب ثقتهم.

ب) تكوين الشبان المغاربة وتثقيفهم على أساس اللغة العربية.

ج) العمل على تأسيس اقتصاد وطني تساهم فيه جميع طبقات الأمة بواسطة شركات صناعية وتجارية وفلاحية تعاونية.

د) القيام بالدعاية المنظمة من أجل توعية الأوساط الشعبية وبث الروح الوطنية في نفوس المغاربة.

كان من نتائج خطة بنونة في المرحلة الأولى من كفاحه (1916 ـ 1926) تخفيف حدة رجال الحماية الإسبانية وتمتع شمال المغرب ببعض الحقوق السياسية والاجتماعية التي لم يكن يسمح بها الاستعمار الفرنسي في منطقة حمايته.

كان أول منصب شغله الحاج عبد السلام بنونة هو وظيف أمين الأملاك المخزنية والمستفاد من فاتح أبريل 1915 إلى 14 ماي 1916، ثم منصب محتسب تطوان من 15 ماي 1916 إلى 19 أبريل 1918، فنائب رئيس المجلس الصحي الأعلى من سنة 1918، فوزير للمالية في 9 شتنبر 1922 إلى 3 شتنبر 1923، كما كان عضواً في اللجنة العليا للسياحة من 1921 إلى 1927، وفي المجلس الأعلى للآثار التاريخية والفنية من سنة 1921 إلى سنة 1929، ومستشاراً بلجنة التشريع إلى غاية سنة 1934.

يعتبر الحاج عبد السلام بنونة صاحب فكرة تأسيس المجمع العلمي المغربي بتطوان يوم 27 ديسمبر 1916، هذا المجلس الذي كان يضم مائة من أبرز العلماء والفقهاء والأدباء والفنانين والمثقفين عامة بالمنطقة الشمالية، وفكرة إنشاء المدرسة العربية الإسبانية التابعة للمجلس المذكور (يناير 1917) وهو الذي أُنشئت فيه مطبعة الإصلاح العربية، وجريدة *الإصلاح* التي كانت لسان حال المجلس، ومدرسة الصنائع التقليدية الأولى من نوعها بالمغرب.

وإن المدرسة الأهلية المؤسسة بتطوان يوم 20 ديسمبر 1924 هي من عمل الحاج عبد السلام بنونة الخاص، وكانت أول مدرسة ابتدائية عصرية عربية حرة بشمال المغرب بإدارة الفقيه محمد داود. كما أرسل بعثات طلابية إلى الشرق العربي في أكتوبر سنة 1928، ثم في سنوات 1929 و1930 و1932 و1933 و1934. وحاول إنشاء كلية عربية بتطوان (29 سبتمبر 1929) تدرس فيها الآداب والفلسفة والهندسة والمعمار والفلاحة والطب والبيطرة والترجمة، ويتم فيها تكوين الأساتذة والمحامين والعدول.

وفي ميدان الاقتصاد تمكن الحاج عبد السلام بنونة من إنشاء عدة مؤسسات تعاونية وطنية كشركة التعاون الصناعية (فاتح مارس 1928) والمطبعة المهدية (21 نوفمبر 1928) ومعمل الثياب الوطنية (فاتح يناير 1931) وشركة الزرابي الشفشاونية (16 يوليوز 1934).

كان أول ما فكر فيه المترجم، في ميدان التوعية الوطنية، هو إنشاء جريدة عربية. وقد تقدم بعدة طلبات إلى الإدارة الإسبانية لتأسيس جريدة *النهضة* (29 يونيو 1927) وجريدة *البيان* (25 أكتوبر 1928) وأخيراً تقدم بمشروع ثالث لتأسيس جريدة وطنية باللغة الإسبانية تحت عنوان *La Gaceta de Marruecos* *(جريدة المغرب)* بتاريخ فاتح يناير 1930.

وقد استضاف بنونة الأمير شكيب أرسلان عند زيارته التاريخية لتطوان في شهر غشت من سنة 1930 حيث اجتمع بعدد من قادة الحركة الوطنية من جميع أنحاء المغرب، وعلى إثر هذه الزيارة قام بنونة بإنشاء الهيئة الوطنية السرية الأولى بشمال المغرب يوم 5 شتنبر 1930.

وعلى إثر الإعلان عن الجمهورية الإسبانية في أبريل من سنة 1931 فكر المترجم في استغلال تلك الفرصة لتقديم أول وثيقة تضم مطالب الأمة المغربية بتاريخ فاتح ماي، كما كان وراء تقديم أول وثيقة بالمطالب العمالية المؤرخة في يوم 5 من نفس الشهر. وعندما عاد عبد الخالق الطريس من القاهرة وفكر في تأسيس حزب سياسي باسم : "هيأة وفد مطالب الأمة" كان بنونة بجانبه، وعين فيه مستشاراً (19 يونيو 1931).

ولما قررت الإقامة العامة الإسبانية تلبية أحد مطالب الأمة الخاصة بإجراء انتخابات بلدية حرة بالمنطقة في 24 شتنبر 1931، فازت اللائحة الوطنية، وكان بنونة من بين مرشحيها، وعين نائباً لرئيس المجلس البلدي.

ويرجع الفضل للمترجم في القرار الذي اتخذته الحكومة الإسبانية بشأن إنشاء المعهد العالي للدراسات الإسبانية ـ العربية بمدينة سبتة (9 أكتوبر 1931) وإحداث مفتشيّة للتعليم المغربي بالمنطقة (21 يناير 1932)، وإنشاء معهد الدراسات العربية بغرناطة (27 يناير 1932).

وفي 5 مارس 1932 عاد عبد الخالق الطريس من فرنسا إلى تطوان فأسس بمشاركة المترجم جمعية الطالب المغربي (23 مارس) وأعيد تنظيم هيئة وفد مطالب الأمة بشمال المغرب التي كانت تتكون من جماعة علنية برآسة الفقيه محمد الصفار ومن جماعة سرية برآسة المترجم.

قام الحاج عبد السلام بنونة بتحركات وطنية مكثفة إلى مدريد وجنيف خلال سنة 1932 وشارك كعضو نشيط في الهيئة التحضيرية لوضع نظام حزب الإصلاح في 15 يناير 1933، وفي هيئة العمل الوطني بشمال المغرب في 20 نونبر 1933. وسافر مع الطريس في مطلع سنة 1934 باسم هذه الهيئة للتباحث مع الحكومة الإسبانية في السياسة المتبعة في المنطقة الخليفية. وكانت له إسهامات مادية في جريدة *الحياة*، وفرقة الكشاف المهدية، والجمعية الخيرية بالشاون، ولجنة مقاطعة فرنسا ومقاومتها.

وفي أواخر 1934 طرأ انحراف على صحة الحاج عبد السلام بنونة، فتوجه إلى مدينة رندة بالأندلس حيث وافته المنية يوم 3 شوال 1353 / 9 يناير 1935.

م. ابن عزوز حكيم، *أبو الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة : حياته ونضاله*، في 6 أجزاء، طبع منها 3 أجزاء (1987 ـ 1988) ؛ الحاج عبد السلام بنونة ـ *مجلة الإيمان*، عدد 95، أبريل ـ ماي 1980.

محمد ابن عزوز حكيم

**بنّونة، محمد** (الحاج ـ)، كان يتاجر بجبل طارق. ولما توفي الحاج سعيد بن أحمد جسوس وكيل السلطان بالصخرة عُيِّن الحاج محمد بنونة مكانه سنة 1890 وظل يشغل هذا المنصب إلى أن توفي بجبل طارق سنة 1316 / 1898، وخلفه عبد السلام بن أحمد بوزيان.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 1 :83 / 4 : 1554 ؛ *الوثائق المغربية*.

مصطفى بوشعراء

**بنونة، محمد** بن **محمد** الفاسي، فقيه مدرس عدل من شيوخ المهدي ابن سودة، وكان في عام 1240 قاضياً بالنيابة في فاس البالي.

توفي بفاس عام 1261 / 1845.

أ. الزياني، *شرح ألفية السلوك* (طرة) بنق ؛ ع. بن سودة، *إتحاف المطالع*، 1261.

**بنونة، محمد** بن **المعطي** الرباطي، فقيه أديب سياسي اشتغل في الدواوين المخزنية في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فكان الكاتب الأول بالمالية في عهد الحسن الأول وابنه عبد العزيز، كما كان الكاتب العام للوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1298 / 1880، وله *كناشة* تشتمل على نصوص ظهائر ومعاهدات أبرمها المغرب مع الدول الأجنبية في تلك الفترة، نقل عنها ابن زيدان في *الإتحاف* (2 : 505 ـ 508) ظهيراً عزيزياً يتضمن الأوامر للرياس والبحارة المشتغلين عل ظهر السفينة المسماة بشير الإسلام، وهو مؤرخ في تاسع وعشري رجب عام 1317 / 3 دجنبر 1899.

لم نقف على تاريخ وفاته.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 505 ـ 508.

محمد حجي

**بنّيس**، أسرة فاسية عريقة، عرفت بنشاطها التجاري، ذكرها روني لوكلير R. Leclerc وروجي لوطورنو R. Le Tourneau ضمن لائحة التجار الرئيسيين في تاريخ فاس الحديث كآل لحلو وبرادة وگسوس.

وهناك آل بنيس آخرون بتطوان يبدو ألاّ علاقة لهم بآل بنيس الفاسيين، ومنهم :

**بنّيس، أحمد**، بحار كان تابعاً لحامية مدينة تطوان سنة 1246 / 1830. وإلى هذه الأسرة ينتمي شاب اعتنق المسيحية سنة 1257 / 1841.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 47 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 211 ـ 256 ـ 274 ـ 344 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Familias ilustres* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932 (B).

محمد ابن عزوز حكيم

**بنّيس، عبد الكريم** بن العربي، ولد ونشأ بفاس، ودرس على كبار شيوخ عصره، أمثال عبد السلام بوغالب، والمهدي ابن الحاج، والمهدي ابن سودة، ومحمد بن المدني گنون، وأحمد بناني كلاً وغيرهم. تخرج عالماً مشاركاً، وأديباً شاعراً (من آخر مَن نظم الشعر على طريقة أهل الأندلس مع الإجادة) (*سل النصال*).

درّس بالقرويين سنين طويلة، وانتفع به عدد عديد من الطلبة "مع ضيق في عبارته" وكان تجاني الطريقة، يلازم ضريح الشيخ أحمد التجاني ويدرس فيه لا يكاد يفارقه.

توفي عن سن عالية يوم الاثنين فاتح جمادى الأولى عام 1350 / 14 شتنبر 1931 ودفن بروضتهم بالقباب خارج باب الفتوح.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1350 ؛ *سل النصال*، الترجمة، 93.

**بنِّيس، العربي** بن أحمد الفاسي، فقيه أديب. كان "علامة مشاركاً مدرساً.. له شعر متوسط الجودة". (*الإتحاف*).

توفي بعد زوال يوم الثلاثاء آخر ذي الحجة عام 1213 / 4 يونيه 1799 ودفن بروضة داخل باب عجيسة.

ج. الكتاني، *الشرب المحتضر*، 6 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1213 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 205.

محمد حجي

**بنِّيس، محمد بن أحمد** بن محمد الفاسي، وصفه صاحب *السلوة* وغيره بألقاب بلغت النهاية في الكفاءة والتقدير، منها :"الفقيه العلامة الدراكة المحقق الفهامة، الضابط المتقن.. الماهر في الفرائض والحساب الفائق فيهما جميع الطلاب، البركة الصالح، المهتدى بهداه الواضح".

ولد بفاس ليلة الاثنين منتصف رجب من سنة 1160 / 1747، وأخذ عن أشياخ كثيرين منهم : شيخ الجماعة محمد ابن قاسم جسوس وعبد الرحمان المنجرة ومحمد بن الحسن بناني وعبد القادر بن شقرون ومحمد بن عبد السلام الفاسي. كما أخذ التصوف عن الشيخ أحمد الهلالي لما زار مدينة فاس، اتصل به بنيس وهو طفل بدار جده لأمه.

توجه بنِّيس إلى المشرق لأداء فريضة الحج سنة 1196، وفي طريقه لقي جماعة من علماء مصر والحجاز وتبادل معهم المعارف العلمية ثم رجع لفاس وتصدر للتدريس بالقرويين وبضريح المولى إدريس الأزهر، فأخذ عنه جماعة منهم السلطان المولى سليمان العلوي، درس عليه النحو والفقه والفرائض والحساب، وحمدون بن الحاج وأحمد بن عجيبة وعبد القادر بن أبي جيدة الكوهن.

كان محمد بنيس هذا مع التاودي بن سودة وعبد القادر بن شقرون وحمدون ابن الحاج من أكبر العلماء الذين يتصدرون مجلس السلطان المولى سليمان، ومن الذين لهم تأثير كبير في توجيه الدراسة والحياة العلمية والسياسية بالبلاد، وهو التوجيه الذي كان يتقوقع حول الأوضاع الداخلية الضعيفة المغلقة المتدهورة التي كانت تزداد تغلغلا في الانغلاق والضعف، حتى إن الإحساس بما يجري حول البلاد كان مجهولا وغير مُبالىً به. ولذلك يشكل عصر بنيس عصر الانتقال من الانهيار إلى السقوط.

توفي بالوباء عام 1213 / 1798. ودفن بباب الجيسة، وترك عدة تآليف منها :

- *لوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية البوصيري* مطبوع.
- *بهجة البصر في شرح فرائض المختصر*، لخليل، مطبوع.
- *حاشية على بغية الطلاب في شرح منية الحساب* لابن غازي.مطبوع.
- *تلخيص وتحصيل ما للأئمة الأعلام في مسائل الحيازة الدائرة بين الحكام*. مخطوط خ. ع، 1447 د.

م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، تح. أحمد العماري ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 / 204 ـ 205 ؛ ع. اللجائي، *المفاخر العلية في الدولة الحسنية*، مخطوط. خ. ح. رقم 460 ؛ إ. الجعيدي، *الابتسام عن دولة ابن هشام*، مخطوط. خ. ح. رقم 1204 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 6 : 15.

**بنِّيس، محمد بن عبد القادر**، طالب نجيب متحمس للقضية الوطنية إبَّان الأزمة، كان يتابع دراسة الطب بمدينة بوردو، فاغتاله هناك أحد الاستعماريين المتعصبين في أوائل شعبان عام 1373 / أبريل 1954. ونقل إلى مسقط رأسه فاس حيث أقبر مأسوفاً على شبابه (28 سنة) ووطنيته.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1373.

أحمد العماري

**بنِّيس، محمد** (الحاج ـ) بن **المدني**، أمين الأمناء، كان من الأثرياء الوجهاء بمدينة فاس، خبيراً بالشؤون التجارية والمالية، بالإضافة إلى أنه كان يحظى بثقة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، وكانت له عنده "يد ومكانة مكينة لما اتصف به من رجحان العقل والإصابة في الرأي وعدم التدخل فيما لا يعنيه" ( *الإتحاف*، 2 : 134) ولعل ذلك ما رشحه لتقلد مسؤولية أمين الأمناء.

كان أمين الأمناء يعد بمثابة وزير، إلا أنه لم يكن يحمل هذا اللقب ( *العز والصولة*، 1 : 273) وهو الذي كان يقوم بتفقد أحوال أمناء المراسي، ويراجع أعمالهم، ويقوم بتصفية حسابات مداخيلهم، كما كان يشرف على تنفيذ كل الصوائر التي يأمر بها السلطان. وأثناء عقد بيعة السلطان مولاي الحسن، كتب أمين الأمناء إلى كل من كان إلى نظره من الأمناء بمختلف المدن الساحلية والداخلية بالانضمام إلى هذه البيعة. فاستحق بذلك رضى السلطان وعطفه ( *الوثائق*، 2 : 456. الوثيقة 299).

وإذا كان الحاج محمد بن المدني بنِّيس قد حظي بثقة السلطان وأقره على منصبه كأمين للأمناء منذ بداية عهده، فإن هذه الثقة سرعان ما اصطدمت بوقائع وأحداث نسبت إليه وأوقعته في محنة قاسية.

تورط الحاج محمد بن المدني بنّيس في أحداث فاس : تعد المرحلة الانتقالية بعد وفاة سلطان وتولية آخر من أدق مراحل التاريخ السياسي في المغرب، ويشير العارفون بحقيقة الأمور إلى هذه المرحلة بأنها "وقت الوسوسة" وكثيراً ما يميل الناس خلالها إلى "الطمع وبالأخص المخازنية" ( *الوثائق*، 3 : 47، الوثيقة 316).

عند بيعة مولاي الحسن ارتبطت هذه الحالة بمسألة المكس الذي كان مفروضاً على الأسواق منذ القرن الثامن

عشر، وكان مرفوضاً من طرف عامة الناس، لأنه لم يكن في اعتقادهم يستند على أساس شرعي. وفي الوقت الذي تقررت فيه بيعة السلطان اعتقد السكان أن المكوس التي كانت موظفة على الأبواب والأسواق، ومن جملتها ما كان يؤدى على بيع الجلد، قد ألغيت. وكان أمين الأمناء بفاس الحاج محمد بن المدني بنِّيس هو صاحب التفويض في ذلك، فاجتمع بمن كان مرشحاً لقبض الواجبات المتحصلة من فندق بيع الجلد، واقترح عليه إعادة المكس على سوق الجلد. وبعد استشارة أمين الأمناء لبعض أعيان المدينة، أشار عليه أحدهم بالتأخر عن هذا الأمر قليلا حتى تطمئن النفوس ( *الاستقصا*، 9 : 129) وحذّره وأنذره وأشار عليه بإرجاء الطلب إلى مقدم السلطان، لكن أمين الأمناء أصرَّ على إعادة المكس، وهو بلا شك كان يريد أن يستنفد مدة عقده لأنه هو الذي استأجر محصول هذه الضريبة (عياش، *دراسات*، 133) فكان ذلك الموقف منه هو السبب في انفجار "انتفاضة الدباغين" ضده.

كان بنّيس وظف على سوق الجلد نصف موزونة للمثقال تؤدّى عند البيع. وذكر ابن زيدان أخذاً من كتاب *الدر المنتخب المستحسن* لابن الحاج أن بنيس لما سمع بعض الحاضرين يتحدثون بأن سبب هذا الحادث هو عزمه على ردّ المكس بفندق الجلد، حلف يميناً جمع فيها كل الأيمان الراجعة للبتات وغيره أنه ما أذن في ذلك ولا عزم عليه ( *الإتحاف*، 2 : 137) لكن الدباغين اعتبروا ذلك بمثابة استفزاز لهم، فتجمهروا وثاروا، وحاولوا عرض القضية على أنظار أمين الأمناء ومراجعته في الأمر، وهبُّوا إلى داره بالقطانين يوم الأحد 12 شعبان سنة 1290 / 4 أكتوبر 1873. فمنعهم حراس الدار من مقابلته، واستفزهم أحد خدامه (عبيده) بسبهم وشتمهم وسد الباب في وجههم، وحضر من نهاهم عن ذلك فعزموا على الرجوع، فإذا بعمارة بارود وأحجار ضربوا بها من داخل الدار ( *الوثائق*، 3، الوثيقة 405) وزاد هذا من استفزازهم وتصعيد حدة التوتر، فاجتمع الغوغاء من كل حدب وصوب وقرروا الهجوم على الدار.

صادف الحال أن الحاج محمد بنّيس لم يكن بداره، بل كان يغتسل بحمام ابن عباد بحومة القطانين. لذلك عمّ الذعر والخوف عياله داخل الدار، فحاول بعض جيرانه تهريبهنّ عن طريق السطح خوفاً عليهن من الفضيحة، وأوعز إليهن أن يصحبن معهن مالهن من الحلي والمجوهرات والذخائر النفيسة الخفيفة الحمل الغالية الثمن. وما هي إلا برهة حتى اقتحمت دار بنّيس ووقع بها النهب واستولوا على ما بها من النفائس والذخائر والأموال... وكذلك الأثاث والأمتعة، بل حتى أواني الخليع والسمن والزيت والدقيق وما أشبه ذلك ( *الإتحاف*، 2 : 135).

ولـمّا بلغ الخبر إلى رجالات المخزن بالمدينة، حاولوا القيام بمبادرة لوقف الفتنة، فبعث الخليفة السلطاني بفاس مولاي إسماعيل بكتيبة من العسكر المخزني تحت قيادة الباشا الحاج سعيد، لوقف عملية النهب داخل دار بنّيس، ولما دخل الدار بمن معه من أهل النجدة لم يعبأ به أحد ولم يرفع إليه رأس، فرجع من حيث أتى ناجياً بنفسه. كما حاول عامل البلد إدريس السراج إيقاف الفتنة، ولما وصل الدار ورام كف أولئك المتمردين باللين في القول لم يبال أحد بمقاله وأعرضوا عنه إعراضاً كلياً. كذلك فعل قاضي الحضرة الفاسية الذي ذهب بنفسه إلى دار بنّيس، فلم يلتفت إليه أحد، ولا وقع بصره على من يعرفه.

هاجت الفتنة بالمدينة وماج الناس بعضهم في بعض، خصوصاً بالقطانين والعقبة الزرقاء. وانتقلت عملية النهب من دار بنّيس بالقطانين إلى عرصته بالدوح فنهبوا جميع ما بها وأزالوا حتى الأبواب والسراجب وجوائز السقف وخربوها وتركوها بلاقع في أقرب الأوقات وأقصرها.. كما عمّ النهب باقي أملاكه وعزبانه خارج المدينة بكل من حميان بسايس غربي فاس، والحياينة شمال شرقي فاس على نهر سبو.

وحاول الشرفاء الأدارسة وباقي الأعيان إنقاذ بنّيس، واجتمعوا بين العشاءين، وأخرجوه من الحمام حيث كان مازال مختبئا وهو في حمايتهم، وتوجهوا به إلى الحرم الإدريسي.

ولما وصل الخبر إلى السلطان، وهو بمراكش، عقد للقائد إدريس بن العلام على عشرين من الخيل ووجههم بكتاب شريف لكافة أهل فاس وذلك يوم الخميس 23 شعبان عام 1290 / 15 أكتوبر 1873. فلم يصل إلى فاس إلا يوم الأربعاء 7 رمضان.وفي الغد، ثامن رمضان، قرئ الكتاب على منبر القرويين وفق المقرر المألوف في المكاتب السلطانية، ومما جاء فيه ".... إن بعض السفهاء ظهر منهم طيش وبغي، واستهواهم الشيطان، فاتبعوا سبيل الغي فتمالأوا على خديمنا الأمين الحاج محمد بن المدني بنّيس، ونهبوا داره، ولم يراعوا ماله بسبب خدمتنا الشريفة من حقوق، ولا خافوا سطوة الخالق ولا استحيوا من المخلوق، وذلك لا يحمل الإغفاء عنه ولا سكوت عليه". (*إتحاف*، 2 : 138). ولما تُلي الكتاب، اعتقد الناس أنه تهديد وأمر بردّ ما نهب من دار بنيس، فتجمهروا واجتمعوا وسط مسجد القرويين حتى اكتظ بهم وامتلأت الطرقات المؤدية إليه، وخاف السكان من عودة الفتنة.. ومدّ اليد في الأسواق ودكاكين التجار. وكثر اللغط وارتفعت الأصوات، واتخذ التجار والأعيان منهم الحرس "العسس" على أبواب دورهم ودكاكينهم ووقع الناس في حيص بيص (*إتحاف*، 2، 139).

حاول ولاة المدينة وأعيانها تدبر الأمر، فاجتمعوا بمقصورة القرويين قصد التشاور فيما يمكن القيام به لتهدئة الأحوال وتصفية الأجواء، واتفق نظرهم على توجيه وفد لمقابلة أمين الأمناء الحاج محمد بنّيس لطلب مسامحته فيما نهب من داريه ويخرج من الحرم آمناً. وتوجه الوفد صبيحة يوم الجمعة 9 رمضان إلى الحرم الإدريسي حيث يقيم محمد بنّيس ووجدوا معه جماعة من الأعيان.. فسلّوه ووعظوه وبالغوا في استعطافه للمسامحة، فأبى كل

الإباية، وصرّح لهم بأنه ضاع له أضعاف ما في بيت المال (*إتحاف*، 2 : 140) ولما فشلت مساعيهم مع بنّيس بدأ الذعر والحذر يسود ولاة المدينة وأعيانها، فكثر اللغط والهرج، وحاول الخليفة السلطاني مولاي إسماعيل تسكين روعة الناس وتفهيمهم مراد السلطان من كتابه لأهل فاس وهو إغراء بالكف وزجر على العودة خوفاً من أن يقع للغير ما وقع لبنّيس، لكن عودة الاضطرابات من جديد حالت دون ذلك.

توجهت جموع المنتفضين إلى الحرم الإدريسي بقصد قتل الحاج محمد بنّيس، فاتخذ الشرفاء الأدارسة إجراءات أمنية لحراسته، وأنزلوه بشماسة وطاقة من شماسات الضريح، وأقفلوا أبواب الحرم، وتقلدوا الأسلحة، وأطلقوا النار من السطح، فأصاب بعض الفقراء. وفي الجهة المقابلة طلعت جموع أخرى للسطوح العالية المشرفة على سطح الحرم الإدريسي لقتل جميع من راج به. وكادت أن تؤدي هذه المواجهة إلى كارثة كبرى لولا تدخل القاضي مولاي محمد مع جماعة من الأعيان حالوا دون خرق الجموع لحرمة الحرم الإدريسي.

ولم يستقر الوضع بصفة نهائية داخل مدينة فاس، حيث تجدد النهب في الأسواق والدكاكين صبيحة يوم الأحد 11 رمضان، وحمل التجار سلعهم لدورهم وجعلوا على أبوابهم وسطوحهم العسس الكافية، وازداد الأمر شدة، وحاول القاضي والعلماء والأعيان - مرة أخرى - وضع حد لهذه الانتفاضة، فاجتمعوا في جامع القرويين بعامة الناس وخاصتهم قصد شرح كتاب السلطان ومراد خليفته مولاي إسماعيل، وقام القاضي ووعظ وذكّر وحذّر وأنذر، وخوّف من بأس السلطان وسطوته، وضمن لهم ألاّ يروا من السلطان، إن هم أذعنوا وأطاعوا، ما يكرهون، ولا يعنّف أحداً منهم. فرضوا بذلك والتزموه.

وأمر الأشراف الأدارسة بفتح الحرم الإدريسي، ففتحت أبوابه وانفرجت الأزمة بعد أن انتقل الحاج محمد بنّيس إلى منار ضريح مولاي إدريس الأزهر، وبذلك أصبح آمناً على نفسه، وبقي أمره معلقاً وقراره بيد السلطان.

عجّل السلطان مولاي الحسن بقدومه إلى مدينة فاس لإنقاذ الموقف، فاتخذ إجراءات أمنية، وعزل أمين الأمناء الحاج محمد بن المدني بنّيس وعيّن مكانه أحمد بن محمد ابن شقرون المراكشي وأمره أن يرتب الوظيف المجعول على أبواب فاس وأسواقها على ما كان عليه أيام السلطان سيدي محمد رحمه الله ففعل. كان ذلك أواخر شهر ذي القعدة الحرام عام 1290 (*الاستقصا*، 9 : 136).

كان الإجراء الذي اتخذه السلطان بعزل الحاج محمد بن المدني بنّيس من منصبه مجرد إجراء سياسي لتهدئة النفوس، ومع ذلك كان صدمة بالنسبة لبنّيس تجرع منها الأمرين : ذلّ الإعفاء وشماتة الأعداء، وكتب رسالة إلى الحاجب أحمد بن موسى يشكو حالته ويطلب الرحيل من المغرب فراراً من الذل والهوان.

وقد حاول الحاجب أحمد بن موسى تطمين بنّيس عدة مرات، وذكر له في إحدى رسائله بأن السلطان :"... لم يُسلمك ويَفُتْك، ولازال أيده الله ينظر في جبر كسرك وخلف ما ضاع لك".

بعد محنة الحاج محمد بنّيس، على إثر عزله وضياع متاعه، ومحاولة استبداد الآخرين بعقاراته، التفت إليه السلطان مولاي الحسن بعد أن هدأت الأحوال لإرجاع الاعتبار إليه، وتعويض ما ضاع وما نهب من متاعه. فأنعم عليه في بادئ الأمر بتنفيذ "مائتي ألف فنيكة (مكيال إسباني كالمدّ) من القطاني قصد وسقها من المراسي" (*الوثائق*، 3 : 335) على مراحل، وأصدر في هذا الصدد ظهيراً يرخص بمقتضاه للحاج محمد بنّيس بحق تصدير القطاني إلى الخارج من بعض المراسي المغربية وإعفائه من واجب الصاكات. فانتدب بنيس صديقه الطيب بن كيران ومحمد بن عبد الجليل للذهاب إلى مراسي الدار البيضاء والجديدة وأسفي لينوبا عنه في تحقيق ما أنعم به عليه السلطان، وباع الوكيلان رخص التصدير للتجار الأجانب لقاء مبلغ مالي معلوم، وتركهم يتولون مهمة شراء القطاني وتصديرها، وطالب وكيلاه بنسبة 5٪ من قيمة المعاملات مقابل أتعابهما إلا أن بنيس اختلف معهما ولم يرضه ذلك.

ثم أصدر السلطان ظهيراً آخر بإسقاط ما كان بذمة بنّيس لجانب بيت المال بعد قيام الفتنة، وذلك قصد إعانته وتعويضه عما ضاع له. وبعد مضي حوالي ثلاث سنوات فقط، بدأ الحاج محمد بن المدني بنّيس يسترجع مكانته فعينه السلطان وكيلا عنه في حيازة مناب والدة السلطان لالاّ فاطمة. وأصبح بهذا المعنى وكيلا شرعياً يقوم بتصفية التركات وينوب عن المحاجير. وفي هذا السياق كذلك وكّل الوزير إدريس بوعشرين - حين هجرته إلى المدينة المنورة - الحاج محمد بن المدني بنّيس على أملاكه وجعله مقدماً على عياله، فبعث السلطان برسالة إليه يستوصيه خيراً بأبناء الوزير جزاء لسابق أعماله وتفانيه وإخلاصه في خدمة السلطان. ولتعويضه عن الخسارة التي لحقت داره بالقطانين وعرصته اللتين خربتا أيام "وقعة بنّيس" أصدر السلطان ظهيراً يأمر فيه أمين البناءات السلطانية الحاج عبد السلام المقري، بإصلاح داره وعرصته. (*الوثائق*، 3 : 380).

وما هي إلا شهور مرّت على تاريخ صدور ظهير إصلاح دار الحاج محمد بنّيس حتى أصابه مرض خفيف لم يلزمه الفراش إلا أياما قليلة توفي على إثرها في شهر ذي القعدة عام 1298 / سبتمبر 1881. ودفن بضريح مولاي أحمد الصقلي بمدينة فاس.

*الوثائق*، ع 2 و3 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 ؛ *العز والصولة* ؛ ج. لوتورنو، *فاس قبل الحماية*، 1 (الترجمة) ؛ ج. عياش، *دراسات في تاريخ المغرب* ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، 1.

مصطفى فنيتير

**بنهيمة**، وتكتب في بعض الوثائق مفصولة : ابن هيمة، أسرة عريقة بمدينة أسفي، يبدو أن أصلها من مراكش، وأن أول شخص ورد منها إلى أسفي يسمى عبد السلام، لكننا لا ندري في أي تاريخ، إلا أن قولا في الأدب الشعبي ينسب إلى الشيخ عبد الرحمن المجذوب ذكر لفظ "هيمة" في سياق حديثه عن أسفي، في زجل له يقول فيه :

أهل أسفي هينين لينين (.....)
ما فيهم غير هيمة وقارة وقرقارة وشقارة

من المحتمل إذن أن آل بنهيمة وجدوا بأسفي خلال القرن العاشر (16 م). ذكر محمد العبدي الكانوني بعض رجالهم وأغفل بعضاً من الذين عاشوا قبله ممن كان لهم صيت كبير بالمدينة. كان فيهم العلماء والقضاة ورجال المخزن، قواداً وأمناء. التصق اسمهم بأسفي مسقط رأسهم، فتكاثروا فيه بحيث أخذوا يشكلون أربعة فروع، حتى إن بعضهم يكاد يجهل اسمه الحقيقي، ومنهم من التصق به اسم أحد أجداده مثل "بن ابراهيم" أو أحد أخواله مثل "العلج" أو ارتبط به لقب من الألقاب مثل "البنانة"، وكلهم في الواقع من آل بنهيمة تنفرد بهم أسفي فلم ينزحوا إلى مدن أخرى.

**بنهيمة، إبراهيم** بن الحاج المحجوب بن عبد السلام. تلقى تعليمه على أيدي فقهاء أسفي ومراكش، وكان عدلا خيِّراً ناسكاً، ولّى ظهره لمتاع الحياة الدنيا، حتى إن إرثه كان بسيطاً للغاية. توفي عام 1252 / 1836 عن عدة أولاد انتسبوا إليه وأصبحوا يسمون "بآل بن إبراهيم" وقليل من الناس يعلم أنهم من آل بنهيمة.

م. العبدي الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ *جواهر الكمال* ؛ عبد الله بنهيمة، *مذكرات* ؛ أ. بنجلون، *تاريخ أسفي*، مخطوط ؛ *بعض أسر أسفي*، مخطوط ؛ *رسوم ووثائق مختلفة*.

أحمد بنجلون

**بنهيمة، أحمد** بن **الطيب** بن الغالي، ولد عام 1348 / 1927 بمدينة أسفي، وتلقى تعليمه الثانوي بمراكش ثم التحق بفرنسا حيث حصل على الإجازة في الحقوق من جامعة نانسي ودبلوم معهد العلوم السياسية بباريز. خلال مقامه بفرنسا ترأس جمعية الطلبة المغاربة وتولى شؤون حزب الاستقلال بكل من فرنسا وبلجيكا، وناضل في صفوف فرع المقاومة المغربية بالخارج مما جرَّ عليه مضايقات الاستعمار، فاضطر إلى التوجه إلى سويسرا لاجئاً سياسياً بمدينة لوزان. ولدى عودة جلالة المغفور له محمد الخامس إلى سان جرمان أون لي سنة 1955 عُيِّن عضواً في الديوان الملكي ثم مديرا لديوان وزارة الدولة المكلفة بالمفاوضات فكاتباً عاماً للوفد المغربي المكلف بالمفاوضات من أجل الاستقلال فوزيراً مستشاراً لأول سفارة مغربية بباريز.

وبعد ذلك تقلّد مناصب دبلوماسية وقام بنشاط بارز كعضو في الوفد المغربي بمنظمة الأمم المتحدة توج بانتخابه عضواً في مجلس الأمن الذي ترأس اجتماعاته خلال فترتين (يونيه 1963 ويوليوز 1964). ومن سنة 1964 إلى سنة 1966 تولى وزارة الشؤون الخارجية، وفي سنة 1966 عُيِّن وزيراً مديراً للديوان الملكي، ثم عاد لتحمل مسؤولية وزارة الشؤون الخارجية سنة 1972 ثم وزيراً للدولة في الأنباء سنة 1977.

وخلال قيامه بالمهام الدبلوماسية مثّل المغرب في عدد كثير من المؤتمرات الجهوية والدولية ومؤتمرات القمة العربية والإسلامية والإفريقية.

حين أسس جلالة الملك الحسن الثاني أكاديمية المملكة المغربية عيّنه عضواً بها، وأول أمين سر لها إلى أن توفاه الله في 17 صفر عام 1401 / 25 دجنبر 1980.

*وثائق وزارة الخارجية، والإعلام، وأكاديمية المملكة المغربية.*

محمد مصطفى القباج

**بنهيمة، أحمد** بن **محمد** بن ابراهيم. ولد عام 1285 / 1868، وتلقى تعليمه بأسفي ومراكش وفاس عن عبد الله التريكي (أسفي) وعلي بن سليمان الدمناتي (مراكش) وأحمد بن الخياط ومحمد بن التهامي الوزاني ومحمد بن عبد السلام گنون (فاس). ثم اشتغل بالتدريس بأسفي، وتولى الخطابة بالمسجد الأعظم وبمسجد الرباط (رباط أسفي)، كما كان ناظراً للأحباس وعدلا.

توفي بمسقط رأسه أسفي عام 1355 / 1936.

**بنهيمة، إدريس** بن محمد الطيب. والده هو القاضي آتي الترجمة. ولد إدريس يوم 25 شوال عام 1294 / 1877. وقرأ بأسفي على عبد الرحمن المطاعي ومحمد بن إدريس ومحمد التريكي وأحمد الصويري. ولمّا رحل إلى فاس قرأ على أحمد بن الخياط ومحمد بن قاسم القادري والتهامي گنون وجعفر الكتاني وغيرهم.

كان محبّاً للعلم قلّما يفارق مجالس الأدباء مثابراً على التدريس متزهداً في الحياة. توفي بالدار البيضاء على إثر عملية جراحية عام 1351 / 1932.

**بنهيمة، حمزة** بن الطيب. كان له إلمام بالعلوم العربية، وكان في صغره يخالط التجار والفلاحين الذين

كانوا على صلة وثيقة بأبيه القائد الطيب بنهيمة، فتعاطى التجارة في أول شبابه بمدينة أسفي، ثم ارتحل إلى مراكش في أوائل عهد السلطان الحسن الأول، فحصل له جاه كبير بسبب ما كان لأبيه من حظوة لدى المخزن، كما توفق في تجارته فتوفرت له أرباح طائلة.

تولى حمزة عمالة أسفي بعد وفاة أخيه عبد الخالق بنهيمة، وذلك من شهر شوال 1311 / أبريل - ماي 1894 إلى شهر ربيع الثاني 1322 / يونيه - يوليوز 1904. وبعد شهر ورد عليه الأمر المولوي بالسفر إلى طنجة والإقامة بها، حيث عيّنه السلطان مولاي عبد العزيز باشا وكلّفه بترتيب استقبال أمبراطور ألمانيا گيوم الثاني الذي قام بزيارة رسمية لطنجة يوم 31 مارس 1905. وفي عام 1325 / 1907 أُعفي حمزة بنهيمة من هذا المنصب فعاد إلى ممارسة التجارة بأسفي. وبعد مدة قصيرة ولاّه مولاي عبد العزيز أمانة مرسى أسفي إلى أن تولى مولاي عبد الحفيظ الملك فأبعد جميع الأمناء الذين كانوا على موانيء المغرب من قبَل أخيه، فعاد حمزة مرة أخرى إلى تجارته.

غير أن تقلبات الظروف السياسية بالمغرب بعد الحماية الفرنسية كانت من أسباب إفلاسه وإفلاس غيره من التجار المغاربة، فمات حمزة على بساط الفقر والفاقة يوم الخميس 24 رجب 1351 / 24 نونبر 1932، عن سن تناهز خمسا وثمانين سنة.

م. العبدي الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ *جواهر الكمال* ؛ عبد الله بنهيمة، *مذكرات* ؛ أ. بنجلون، *تاريخ أسفي*، مخطوط ؛ *بعض أسر أسفي*، مخطوط ؛ *رسوم ووثائق مختلفة*.

أحمد بنجلون

**بنهيمة، الطيب** بن محمد بن المحجوب، ولد بمدينة أسفي حوالي عام 1235 / 1819، وتربى في كنف أبيه الفقيه العدل محمد بن المحجوب، وتلقى تعليمه الأولي بمدينة أسفي، آخذاً عن شيوخها، وتعاطى التجارة مع أبيه في بداية الأمر إلى أن صار من أعيان المدينة، وتأهل لتقلد مهام مخزنية.

أول مهمة تقلدها الطيب بن محمد بنهيمة كانت خطة الأمانة بمرسى أسفي التي ولاّه إياها السلطان المولى عبد الرحمان حوالي سنة 1264 / 1847 وذلك نظراً "لحزمه وضبطه ومروءته". وقد مكّنه منصب أمانة المرسى من ترسيخ نفوذه وزيادة ثرائه، والدخول في معاملات تجارية مع الأجانب المقيمين بمدينة أسفي مثل گرارة الأنجليزي وجُويل الأطرش اليهودي السوري المتفرنس المقيم بالصويرة، بل كان مشتركاً مع هذا الأخير مناصفة في تصدير القمح إلى مرسيليا وجنوة، وذلك حوالي عام 1271 / 1854. ولعل هذا ما جعله من مشاهير التجار حسب تعبير الكانوني.

وبعد تولية السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، جمع الطيب بن محمد بنهيمة أعيان المدينة لمبايعته، فحظي لدى السلطان، وسمّاه عاملا على أسفي في بداية عهده، حيث نجد رسائل موجهة من هذا السلطان تشير إلى الطيب بنهيمة بصفته قائد أسفي، وتأمره بمعالجة قضايا تهم المدينة. وقد أورد الكانوني مجموعة منها يعود تاريخها إلى سنة 1278 / 1862. ونذكر من بين هذه الرسائل أمراً ورد على القائد الطيب بنهيمة في أواسط شوال من سنة 1278 / أبريل 1862 يأمره بحصر رسوم الريال في ثلاثين أوقية وعشرة أوجه، وكان صرفه أربعين ؛ وأمر آخر ورد عليه بتاريخ 4 شوال عام 1278 / 4 أبريل 1862 يقضي بعزل العمال - ومنهم عامل أسفي - عن النظر في شؤون المراسي واستقلال الأمناء بذلك تحت نظر السلطان. وكان هذا الأمر معمماً على كل العمال بالمراسي.

كما تفيد رسالة أخرى مؤرخة بتاريخ ربيع الأول سنة 1280 / غشت 1863 بما حدث في إيالة عامل أسفي الطيب بنهيمة، حينما تعرض أحد نواب الإسبان الذي كان يقبض غرامة حرب تطوان بمرسى أسفي، إلى القتل، على يد أحد اليهود. وكان على العامل أن يتدبر الأمر داخل إيّالته، ويخبر السلطان بذلك، ويتخذ الاجراءات اللازمة لضبط الأمن.

وفي إبّان القحط والغلاء الذي عمَّ المغرب سنة 1284 / 1867، بعث السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى عامله على مدينة أسفي الطيب بنهيمة، لمواجهة هذه الحالة داخل المدينة، وأمره في رسالة موجهة إليه بتاريخ 28 قعدة عام 1284 / 22 مارس 1868، بتنفيذ عشرين خبزة يوميا توزع على المساكين والمحتاجين الذين هم برباط الشيخ أبي محمد صالح، وبغيره من المواضيع التي يجتمع فيها المساكين، ويكون ذلك من مال الأحباس، وعلى يد ثقة.

وقد استغل العامل الطيب بنهيمة مركزه، وزاد من احتكار المعاملات التجارية، خصوصاً في مجال تسويق الحبوب من أسواق عبدة، خلال فترة القحط والمجاعة، ممّا جعل السلطان يُحذِّره من مغبة هذا التصرف في رسالة جاء فيها :"…. فقد بلغ لعلمنا الشريف أنك وجهت أولادك وأصحابك لأسواق عبدة، يسوقون لك بها القمح والشعير بقصد التجارة فيها، فاقتدى بك جميع التجار في ذلك، وانكبوا على شرائها بتلك الأسواق حتى تضاعف ثمن العبرة بسبب ذلك، مع أن شراء ما ذكر واذّخاره فيه حرام في جميع الملل والأديان، في هذا الوقت الذي لازال أثر المسغبة فيه ظاهراً في الناس".

ولم يكن المنطق التجاري يمنع العامل الطيب بنهيمة من التمادي في احتكاره لمعظم العمليات التجارية والمالية المربحة، وهذا ما جعل المخزن خصوصاً في عهد السلطان المولى الحسن، يكثر من العيون لمراقبة تصرفات العمال، وبالأخص الأمناء الذين كانوا يراقبون كل شاذة وفاذة، ويبعثون إليه إثر كل نازلة تستلزم الإخبار بها. ونعثر في هذا الصدد على رسالة بعثها أحد أمناء أسفي وهو أبو بكر بن الحاج الباشا إلى موسى بن أحمد بتاريخ 20 رمضان

1291 / 31 اكتوبر 1874 يفهم منها أن العامل الطيب بنهيمة تواطأ مع أمينين سابقين (....) بطريقة التدليس والاحتيال من أجل حيازة المكس بأبخس ثمن، كما تحايل لأجل توفير مبلغ من المال لصالحه، حينما رفع من قيمة المبلغ الذي قُوِّم به بناءُ أحد الأسوار من 43 ألف الذي قوم بها في البداية إلى مبلغ 69 ألفا. ويكون بذلك قد وفَّر لصالحه مبلغاً قدره 26 ألفا.

كان العامل الطيب بنهيمة يقدِّم أحياناً مصالحه التجارية على مهامّه المخزنية التي عُيِّن كعامل لمدينة أسفي من أجلها، وبالأخص منها رعاية الواجبات وانضباط العموم لها، فكان بصفته عاملا وتاجرا في نفس الوقت، يخرق هذه العادة، ممَّا تسبب في تفشيها وانتشارها وسط بقية التجار وبالأخص منهم شركاؤه وتجار الأجناس. ونستشهد في هذا الصدد برسالتين بعث بهما أمين المستفاد بمرسى أسفي الحاج محمد الحساني إلى برگاش.

الأولى مؤرخة بتاريخ 9 رمضان 1299 / 25 يوليوز 1882 جاء فيها :

"... والعامل (الطيب بنهيمة) هو الذي يغريهم على كل ما يفعلونه (امتناع الأجناس عن دفع الأداء) ليندرج هو وشركاؤه في ذلك، لأن غالب التجار غير القوانص شركاء لبنهيمة. وهذا الثغر الأسفي أمره غير منضبط كما لا يخفى عليك - حفظك الله - من أجل تجارة العامل والقوانص به". والرسالة الثانية، لا تهم فترة عمالة الطيب بنهيمة، لكن، نفهم منها صراحة أنه هو الذي كان امتنع من الأداء أولاً عمّا يدخله من الحبوب هو وأولاده، فسمع بذلك الأجناس فا متنعوا من الأداء عن الحبوب. وكل ذلك تعلَّمُوه من عامل البلد القائد الطيب بنهيمة.

وفي جمادى الأولى عام 1295 / ماي 1878 اختار الحسن الأول الطيب بنهيمة سفيراً إلى ألمانيا، فبالإضافة إلى كونه عاملا لمدينة أسفي التي كانت لها خصوصية في المعاملات التجارية مع الأجانب فإنه كذلك، كان تاجراً له علاقات مع عدد من التجار الأجانب، وعارفاً بلا شك بعقليتهم وطريقة تعاملهم، وكذلك كان بارعاً في عقد الصفقات التجارية، وربَّما كان في علاقته مع بعض الوسطاء من التجار الألمان، كلُّ هذه الاحتمالات هي التي رشحته، على ما يظهر، لرآسة السفارة. وتجب الإشارة في البداية إلى أنه توجه سفيراً إلى البرتغال، دون معرفة تاريخ ولا دواعي السفارة، ومن المحتمل أن يكون ذلك عند سفارته لألمانيا سنة 1878، فعرَّج على البرتغال، ونستشف ذلك من إحدى الرسائل التي أشارت عرضاً إلى أحد أعضاء السفارة، جاء فيها ".. كان ممن توجه مع الوالد رحمه الله (الطيب بنهمية) لبر ألمان والبرطقيز، وكان بيده نيشانان من الجنسين" (*الاستيطان*، 3، 1026).

كانت السفارة إلى ألمانيا تضم بعثة تتألف من خمسة عشر عضواً إلى جانب السفير الطيب بنهيمة. واستقبل أثناء حلوله بألمانيا من طرف الأوساط الرسمية بحفاوة بالغة، ووجد أثناء إقامته بألمانيا التي دامت شهراً كاملا، كرم الضيافة وحسن الاستقبال. وأول زيارة قام بها أثناء وجوده بألمانيا، كانت إلى معامل إيسن Essen لصناعة الأسلحة، ممَّا يبين أن مهمة هذه السفارة كانت بالدرجة الأولى تسعى إلى عقد صفقة لشراء الأسلحة الألمانية.

وخصص يوم 23 ماي لاستقبال الامبراطور الألماني غليوم الأول للسفير بنهيمة بصفة رسمية، وقدَّم له السفير عشرة خيول مغربية كهدية من سلطان المغرب المولى الحسن. كما عقد عدة اتصالات مع شخصيات ألمانية من بينها كاتب الدولة الألماني بيلو Bûlow الذي أجرى معه محادثة بمحضر ويبر Weber ودو ملهميه De Melhameh، ومع ذلك فقد عبَّر السفير المغربي عن وجهة نظر السلطان المغربي بأنه ".. لم تعد له الثقة الكاملة في ألمانيا، وكذلك في باقي الدول الأوربية الأخرى". كما أكّد رغبته في تمتين العلاقات مجدّداً مع ألمانيا، وأعرب عن أمله في أن تظهر ألمانيا عطفها وتأييدها لموقف المغرب في مسألة الحمايات.

واعتباراً لكون هذه المحادثة لم تكن تدخل في الإطار الرسمي، فقد اكتفى كاتب الدولة بطمأنة السفير المغربي بدون الإعلان عن موقف رسمي، وعاد الطيب بنهيمة إلى المغرب بدون عقد اتفاق محدد، ومع ذلك فقد أثارت هذه السفارة ردود فعل دولية ركزت بصفة خاصة على أن المغرب وقَّع مع ألمانيا اتفاقية منح بموجبها لألمانيا ميناءً على ساحل الريف، وفنَّدت ألمانيا هذا الادعاء، حسب خطة بسمارك السياسية، وزعمت أن السفير المغربي الطيب بنهيمة منح ميناءً بالساحل الريفي لألمانيا مقابل تقديم ألمانيا إلى المغرب مساعدة عسكرية.

وبعد عودة الطيب بنهيمة من ألمانيا، رجع إلى منصبه عاملا على أسفي، وقد ازدادت مكانته لدى السلطان، وتقوّى مركزه الاجتماعي بعد أن ازدهرت تجارته وأصبح شريكاً لكل تجار أسفي بمن فيهم الأجانب، إلى أن وافاه الأجل في منتصف سنة 1302 / 1885.

**بنهيمة، عبد الخالق** بن الطيب، تولّى عمالة أسفي بعد وفاة والده الطيب سنة 1302 / 1885. وتفيد بعض الرسائل أنه كان أكثر حزما وامتثالا من أبيه لأوامر السلطان، ممَّا جعل الكانوني يصفه بأنه "كان خير العمال" (*أسفي وما إليه*، ص19). ونقف فعلا على بعض التصرفات التي تؤكد حزمه وعدم تردده في تنفيذ الأوامر المخزنية ولو كانت صادرة في حق أهله وذويه، وهذا ما تحدثنا عنه بعض الرسائل المخزنية. فقد انضبط لأمر السلطان القاضي باعتقال أخيه "الطالب عمر بنهيمة" رغم ما سبَّبه هذا الاعتقال من إحراج للعامل أوضحه في رسالته الموجهة إلى غريط يقول فيها :"... ومن اليوم التالي سافر من هنا (الطالب عمر بنهيمة) وأولاده مقابلون لنا يبكون علينا وينوحون". ومثل ذلك وقع له مع ابن عمه أحمد بن محمد بنهيمة الذي حاول انتحال شخصية أبيه، وتجاسر على أحد قناصل الدول، فعلق نيشاناً كان لأبيه وذهب عند قنصل

البرطقيز، وقال له :"يكون منه على بال". ولما رأى العامل منه ذلك الطيش لم يتردد في تأديبه، وأمر باعتقاله لوضع حد لتصرفاته وتجاسره على القناصل.

ورغم ما عرف عن عبد الخالق بنهيمة من استقامة وإنصاف، فإنه مع ذلك كان ينساق أحياناً مع مصالحه الشخصية سعياً وراء منفعة مالية أو تجارية، كاحتكاره مثلا لضاية الملح المسماة "زيما" ونسوق في هذا الصدد رسالة رفعها الأمين الحساني إلى السلطان مولاي الحسن يشكو فيها احتكار العامل لاستغلال هذه المملحة دون مراعاة مصلحة المخزن، تقول الرسالة :".. إن الذين يريدون مزاحمته عليها كانوا ينالون عقابه لأن السمسار كان يذكر أن كل من يريد الزيادة فيها لا يزيد حتى يقدم عند القائد، فكل من ورد عليه يوصيه بعدم الزيادة". (*الاستيطان*، 3 : 1028) ومعلوم أن احتكاراً من هذا القبيل لا يقبله المخزن لأن فيه شططاً في استعمال السلطة ويضيع جزءاً من مصالح الدولة.

ولم تدم ولاية عبد الخالق بن الطيب بنهيمة على عمالة أسفي أكثر من تسع سنوات، حيث وافاه الأجل بمراكش، لـمّا ذهب على رأس وفد من أهل أسفي لتهنئة السلطان بسلامة عودته من تافيلالت، وذلك يوم الأربعاء 11 شوال عام 1311 / 1893، ودفن بأمر من السلطان في ضريح الشيخ عبد العزيز التبّاع.

*وثائق خ. ح* ؛ م. الكانوني ، *أسفي وما إليه* ؛ *علاقة أسفي ونواحيها بملوك المغرب*، مخطوط ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج 3.
P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1965.

مصطفى فنيتير

**بنهيمة، عبد الله** بن محمد بن الطيب. ولد عام 1869/1286 بأسفي، وتلقى العلم عن والده القاضي وبعض فقهاء المدينة. عمل عدلا ثم أذن له القاضي أبو بكر بناني، عام 1898/1316، ليعمل كاتباً بقنصلية فرنسا بأسفي إلى عهد آخر قنصل بها، مدة تسعة أعوام، أي إلى سنة 1325 / 1907. وأثناء هذه المدة عُيّن عدلا بجمارك أسفي، وبعد عامين استقال من هذا المنصب وتفرغ لخدمة القنصلية. وفي عام 1918/1337، أسندت إليه خطة الحسبة التي دام فيها مدة إلى أن توفي إثر مرض عضال.

**بَنْهيمَة، محمد** بن **الطيب** بن **الغالي** (الدكتور.)، ولد بمدينة أسفي في 22 ذي القعدة عام 1342 / 25 يونيو 1924، وبها تابع تعليمه الابتدائي، وتلقى تعليمه الثانوي بمراكش، والعالي بفرنسا إلى أن تخرج طبيباً من جامعة نانسي سنة 1954.

تقلد منذ بداية الاستقلال مناصب سامية، فكان مدير ديوان وزير الصحة، (1956 . 1957) ثم كاتباً عاماً لوزارة الصحة، فعاملا على إقليم أگادير وطرفاية. وفي عام 1381 / 1961، صار وزيراً للأشغال العمومية، ثم وزيراً للتجارة والصناعة التقليدية والمعادن والتجارة البحرية ابتداء من 10 يوليوز 1962. وفي عام 1383 / 1963 تقلد من جديد مهام وزير الأشغال العمومية.

شغل منصب وزير التربية الوطنية والشبيبة والرياضة من عام 1965 إلى عام 1967. ثم عاد مرة ثالثة إلى منصب وزير الأشغال العمومية (ماي - يوليوز 1967) وبعدها أسندت إليه مهام وزير أول مكلف بالشؤون الاقتصادية والتخطيط وتكوين الأطر. وفي 7 أكتوبر 1969، عين وزيراً للفلاحة والإصلاح الزراعي إلى 6 غشت 1972، ثم وزيراً للدولة مكلفاً بالتعاون ؛ ثم وزيراً للدولة مكلفاً بالشؤون الداخلية من 10 أكتوبر 1977 إلى مارس 1979.

توفي بالرباط يوم الاثنين 27 جمادى الأولى عام 1413 / 23 نونبر 1992، ودفن بمقبرة الشهداء.

*وكالة المغرب العربي للأنباء* ؛ *جريدة العلم*، يوم 25 . 11 . 92.

**بنهيمة، محمد** بن **الطيب** بن **محمد**. تلقى العلم بأسفي وفاس، ولـمّا استكمل تكوينه اتخذه والده كاتباً له بعد استئذان السلطان مولاي عبد الرحمان. ثم صار عدلا فأميناً لمرسى أسفي عام 1856/1273. وبعد ذلك دعاه القاضي محمد بن عبد الخالق لينوب عنه، فمارس هذه النيابة عدة مرات، وخطب بالمسجد الأعظم. ثم عُين قاضياً بأسفي بعد وفاة محمد بن عبد الخالق عام 1869/1286 وبقي قاضياً إلى أن توفي يوم فاتح ربيع الثاني عام 1302 / 1884، قبل أبيه العامل الطيب بنهيمة بعدة أشهر. وكان خلال مهامه، يلقي دروساً بالمدرسة وبالمسجد الأعظم.

م. العبدي الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ *جواهر الكمال* ؛ عبد الله بنهيمة، *مذكرات* ؛ أ. بنجلون، *تاريخ أسفي*، مخطوط ؛ *بعض أسر أسفي*، مخطوط ؛ *رسوم ووثائق مختلفة*.

أحمد بنجلون

**بَنْوَعيش، إبراهيم**، Benwaïs رئيس الطائفة اليهودية بمراكش في مستهل القرن الحادي عشر (17 م)، وأحد التجار الكبار الذين كانوا يعملون لحساب المخزن السعدي حوالي عام 1606 (طوليدنو، *نير همعرب*، ص 106 . 107 . 111) وحسب يوسف طوليدانو: *مناقب الأسر*، ص 113، فإن إبراهيم بنواعيش كان يحتكر تصدير السكر إلى هولندة

في عهد مولاي زيدان.

**بَنْوَعيش، إبراهيم**، رئيس الطائفة اليهودية بمكناس، في أواخر القرن الحادي عشر (17 م) ويقول يوسف طوليدانو، *مناقب الأسر* (ص 113) إن إبراهيم بنوعيش قام بحملة ضد العادات المسيحية المستوردة مثل إطالة شعر الشاربين كما كان يفعله بعض اليهود القاطنين بالمدن الشاطئية.

**بَنْوَعيش، صمويل** (1739 ـ 1817) ربِّي يقوم بعملية الختان، وكان له سجل ضمّنه أسماء كل الأطفال الذين ختنهم، وله كذلك *مذكرات* عن تنقلاته عبر المغرب الشرقي والجزائر.

Y. M. Toledano, *Ner Hama`arab* ; *Saga.*

**بَنْوَلِيد** ـ أسرة ـ يكتب هذا الاسم غالبا هكذا Bengwalid باللغة الإسبانية، وهو اسم لعدد من الرِّبيين والوجهاء بشمال المغرب، يغلب على الظن أنهم ممّن هاجروا من الأندلس، نخص منهم بالذكر :

**بَنْوَلِيد، إسحاق**، ربِّي أكبر بتطوان، توفي عام 1870، وقد بلغ من العمر 93 سنة، وهو ابن الربي شيم طوب بَنْوَلِيد، وله مؤلف بعنوان *وأمير إسحاق* في الفقه اليهودي يعتمده بالخصوص الربيون والقضاة اليهود بالمغرب، (وقد طبع هذا المؤلف في جزءين بمدينة ليفورن عام 1876).

خلفه ولداه شيم طوب وبيدال تباعا في مهامه الدينية بتطوان، أما ولده يوسف فإنه تولى الربّية بوهران، وهناك ألف كتاب *شيم يوسف* الذي طبع بالقدس عام 1907. يتضمّن هذا المصنف شروحاً وتعاليق موضوعها التلمود والقوانين الدينية، توفي يوسف بوهران سنة 1914.

**بَنْوَلِيد، شيم طوب** ابن يوسف المذكور أخيراً، تولى مهام والده وحده، وكان لمدة سنوات أحد الممثلين الثلاثة للطائفة اليهودية بالمجلس التشريعي بطنجة خلال النظام الدولي في النصف الأول من هذا القرن.

A. Laredo, *Les Noms des Juifs*, p. 534 - 534.

**بَنُولِيبِيل خوسي**، B. José (يوسف)، من مواليد طنجة سنة 1858 وبها توفي سنة 1936 تخرج من مدارس "الرابطة الإسرائيلية العالمية" ومن "المدرسة الشرقية بباريس" التي أناطت به مهمة التدريس بحيفا ثم بطنجة والصويرة وأخيراً بلشبونة التي التحق بها عام 1881 فصار يدرس الفرنسية بعدة ثانويات والعبرية بأقسام معهد الدراسات الأدبية والعبرية التابع "لأكاديمية الدراسات الحرة".

ولما أُحيل على المعاش عام 1921 رجع إلى طنجة حيث تولى رأسة مجلس الطائفة اليهودية، علاوة على اشتغاله كمراسل لعدة مؤسسات علمية مثل أكاديمية العلوم بالبرتغال وأكاديمية إسبانيا ومعهد كويمبرا، وجمعية الجغرافيا بلشبونة، وغيرها. كان يتقن اللغات العبرية والعربية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية، وله ديوان شعر بالبرتغالية عنوانه *"إيكو دا سليداو"* (أصداء الانعزال) وله بالفرنسية *"فار"* (منارات)، ومؤلفات أخرى بالإسبانية والعبرية. يقول لاريدو إنه ألف في نفس اللغات والعربية أيضاً كتباً مترجمة عن البرتغالية كأمويس وجواوودوس وغيرهما .. كما أن له نصوصاً دينية بالعبرية. (ارجع إلى اللائحة الكاملة التي نشرها لاريدو : *Les Noms des Juifs*, .928

ألّف بَنُولِيبِيل خوسي كذلك *قاموساً* "فرنسيا ـ برتغاليا" وكتاباً في النحو الفرنسي كان متداولا في الثانويات البرتغالية.

غير أن الكتاب الأكثر أصالة والأكثر شهرة للمؤلف يبقى هو *الحكيتية* المتعلق بالدارجة اليهودية ـ الإسبانية ـ المغربية، كما تحدث بها اليهود الذين استوطنوا تطوان وطنجة وأصيلا والعرائش والشاون والقصر. يتضمن الكتاب الذي صدر باللغة الإسبانية العصرية دراسة عن تركيب الكلمات (الأفعال والمصادر والأسماء، والصفات والأعلام والحروف) ومنتخبات من الأمثال وعبارات القسم والسخط، ممّا هو متداول بكثرة، وذلك في ثلاثين صفحة وواحد وعشرين نصّاً من الأشعار الشعبية باللهجة الحكيتية، وختم الكتاب بمائة صفحة من المصطلحات عددها 4423 من بينها 1714 أصلها عربي ومئات منها أصلها عبري. فلا غنى إذاً عن هذا الكتاب للباحث في الدارجة الإسبانية المنعزلة حتى القرن التاسع عشر، بالديّار الإسبانية ـ وهكذا فإن بنوليبيل استطاع أن يحدد أصالة الحكيتية ويحفظها من تأثير الإسبانية العصرية. صدر هذا المؤلف بعنوان *"ديا ليكتو جديو ـ اسبانو ـ مروك او حكيتية"* في نشرة الأكاديمية الملكية الإسبانية، المجلد 13، فصلة 62 (1926) ص 209 ـ 233، ثم فصلة 63، ص 342 ـ 363، ثم فصلة 64 (1926) واستمر في الصدور بنفس النشرة إلى عام 1952. وقد جمع رفائيل بن أصراف ما نشر متقطعاً بمدريد عام 1977 في 267 صفحة في كتاب عنوانه :*"جوزي بَنُولِيبِيل، ديا ليكتو..."* وقدم لهذا الكتاب يعقوب بن تاتة، بطلب من بن أصراف.

ترجم الكتاب إلى البرتغالية، أبراهام راميرو بن التيس، وهو جنرال، متقاعد بالجيش البرازيلي، أصله من طنجة. وأضاف إلى النص المترجم نصوصاً بقلمه الخاص بعنوان *"اوس سفرديم"*.

A. Benter, *Os Sefardim Hakitia*, Belim, Brésil Mitograph. éd., 1981, p. 309.

**بَنُولِيبِيل**، يهودا المتوفى سنة 1839. كان رئيساً للطائفة اليهودية بجبل طارق ورئيس الغرفة التجارية هناك وقنصلا للنمسا والمغرب بهذا الموقع، ولعب دوراً في الخلاف الذي كان قائما بين المغرب ومملكة سردينيا سنة 1836. وحسب الأخبار المتواترة، كما أوردها لاريدو، فإن الفضل يرجع إلى مساعيه لدى السلطان مولاي عبد الرحمان الذي أذن سنة

1822 بإعادة بناء بيَع طنجة التي دُمِّرت عام 1820 كنتيجة لمشاجرة بين يهوديَين في المدينة داخل إحدى هذه البيع.

Laredo, *Les Noms des Juifs*, p. 925 - 928.

سيمون ليڤي

**بني احمايد**، وتكتب أيضاً بدون ألف : بني حمايد، فرقة صغيرة تابعة في الوقت الحاضر لقبيلة بني يدر من إقليم شفشاون. وهي تضم مداشر الاثنين، والقلعة، والزيتونة، وعين قمور، والبوال، وأزگاوط، والزاوية، وأبراق. وهي موزعة حول مجرى واد الخروب، منتظمة على الضفة اليسرى. تعرفنا على التجمع الأصلي بما أخبرتنا به *حوليات أصيلا*. فقد تكرر اسم بني أحمايد، وعيّن موقع القرى حول منابع واد الخروب، عند قدم جبل الزاوية (1040 م) والاسم معروف لدى ابن خلدون.

كانت جماعة بني احمايد تابعة لإمارة شفشاون العَلَميَّة، واشتهرت بما آوته من السكان الفارين من غزو جنود أصيلا، وبما تجمَّع لديها من رؤوس الأبقار التي التجأ بها أهلها إلى تلك الجبال، تفادياً لوقوعها بيد البرتغاليين. ولهذا السبب تعددت الغارات عليها طيلة بقاء البرتغاليين بأصيلا، رغم الحماية التي كانت تتلقاها من جبل حبيب وجبل بني عامر ومن بني عروس.

ابن خلدون، *العبر*، 6 : 572 ؛ *ضابط الأمور الوطنية* بالمنطقة الخليفية، ص. 14.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 29 - 32 - 55 - 206, 2 : 24 - 257 - 259.

حسن الفگيگي

**بني احمد**، هناك في شمال المغرب قبيلتان تحمل كل منهما اسم بني احمد. تقع الأولى بالريف بناحية صنهاجة السّراير (إقليم الحسيمة) وتحيط بها قبائل زرقات وبني بشير وبني بوشيبت وتغزوت وبني بونصار. تقدر مساحتها بـ 106 كلم مربع، وكان عدد سكانها 4.302 نسمة سنة 1946 يتكلمون باللهجتين العربية الدارجة والصنهاجية، ويوجد بالقبيلة أربعة عشر مسجداً وثلاث زوايا وثلاثة أضرحة وثمانية عشر كتاباً قرآنياً.

موقع بني أحمد

تنقسم القبيلة إلى ثلاث فرق هي : بني اعلاهم (6 مداشر) وأطيل (3 مداشر) والأحلاف (10 داشر). وفي التقسيم الإداري الحالي تكوِّن هذه القبيلة مع قبيلة بني بشير جماعة قروية واحدة تسمى جماعة تابرانت.

وتقع قبيلة بني احمد الثانية بناحية جبالة (إقليم شفشاون)، وتحيط بها قبائل اغزاوة والأخماس وبني خالد وبني زروال وبني مسّارة، وتعرف هذه القبيلة ببني أحمد السراق لوجود مدشر اسمه السراق بفرقة اضوار. تقدّر مساحة القبيلة بـ 347 كلم مربع، وكان عدد سكانها 16.341 نسمة سنة 1946، يتكلمون اللهجة العربية الدارجة، وتوجد بالقبيلة سوق الثلاثاء وسوق سبت عنقود كما تتوفر على ستة وخمسين مسجداً وستة عشر ضريحاً وخمس زوايا واثنين وخمسين كتاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى عشر فرق هي : اشتوان (6 مداشر) اضوار (4 مداشر) تلوان (3 مداشر) ككات (9 مداشر) تلانداود (5 مداشر) بومان (3 مداشر) بني مسترة (9 مداشر) تغزة (4 مداشر) بني لاوة (12 مدشرا) تلازمور (6 مداشر).

وفي النظام الإداري الحالي تنقسم القبيلة إلى ثلاث جماعات هي : جماعة بني أحمد الشرقية وجماعة بني أحمد الغربية، وجماعة الملحة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 105، 388 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 263.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la Zona española de protectorado en particular*. - s. l., s. a. ; Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, t. II, passim ; A. Domenech, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Mellila, 1926, passim ; *Vademecum de la Intervencion Territorial del Rif* (1946).

محمد ابن عزوز حكيم

**بني إزناسن** (جبال ـ) تقع عند النهاية الشمالية الشرقية للمغرب، وتمتد من الحدود مع الجزائر شرقا، إلى الأحواض الداخلية لگرواوو وحاسي بركان غربا، حسب اتجاه عام من شرق الشمال الشرقي إلى غرب الجنوب الغربي، وعلى مسافة تصل إلى 130 كم، بينما لا يتعدى اتساع السلسلة 25 إلى 30 كم. وتبلغ أعلى قمة 1532 م عند رأس أفوغال في الجزء الشرقي من الكتلة الجبلية.

وتمثل بني إزناسن القسط الأوسط من شريط جبلي متشخص يمتد من مقدمة الريف حتى واد تافنة في القطر الجزائري. هذا الشريط مُكوّن غربا من مجموعة مزگوط بني بوياحي التي يفصلها عن بني إزناسن ممر واسع يتمثل في منخفض گرواو ـ حاسي بركان. أما شرقا، فإن فجا منخفضا يمثل حلقة وصل بين بني إزناسن وسلسلة اترارا ـ فلاوسن الجزائرية.

وتشرف السلسلة شمالا وجنوبا على منخفضات منتظمة على شكل ممرين موازيين لها، أحدهما ساحلي

يتمثل في سهل تريفة - صبرة الذي يفصلها عن كبدانة، والثاني داخلي مكوّن من مجموعة من الأحواض تمتد على شكل شريط من تاوريرت غربا إلى وجدة شرقا ويفصلها عن المجموعة الجبلية التي تكون النهاية الشمالية للهضاب العليا (سلسلة جرادة).

وتختلف تضاريس بني إزناسن من جهة إلى أخرى. فهي تبتدئ غربا بهضاب لا تتعدى 400 م تحف بنهر ملوية. ثم تقوى ارتفاعاتها في الجهة الوسطى والشرقية، لتنخفض من جديد على مقربة من الحدود المغربية الجزائرية (حوالي 600 م عند فج الگربوز).

وكما تتنوع التضاريس من الشرق إلى الغرب، فإنها تتناقض بين الواجهتين الشمالية والجنوبية. ذلك أن السفح الشمالي قوي المدى بسبب إشرافه على سهول ساحلية منخفضة. وهو بالتالي معرض للتقطيع والتعرية. كما أن موقعه المواجه للرياح الممطرة يجعل منه سفحا أرطب وأكثر اعتدالا، تكسوه نباتات كثيفة نسبيا. أما الواجهة الجنوبية فهي أضعف مدى لأنها تشرف على سهول عالية. لهذا السبب وكذا بسبب ندرة التهاطلات، فإن الموارد المائية لهذه الواجهة ضعيفة، تتلخص في مسيلات متفرقة وبعض المجاري الصغيرة.

إلا أن أهم تغاير فيها هو التغاير الذي بين جزئي السلسلة : الغربي والشرقي. ذلك أن هذا التغاير ليس مظهريا فقط، بل هو إلى جانب ذلك أساسي لأنه يُسجَّل على كل المستويات الجيولوجية والتضاريسية والمناخية والنباتية والترابية.

- الأشكال التضاريسية : يمكن أن نفرق بين أربعة مظاهر تضاريسية من الشرق إلى الغرب :

- الهضاب الغربية : تحف بملوية التي تقطعها على شكل خوانق عميقة ما بين مشرع قليلة ومشرع حمادي. وتتشخص بها بعض الأعراف المعزولة مثل جرف أحمر أخضر.

- الجزء الأوسط من السلسلة أكثر تكتلا وارتفاعاً. وميزته الأساسية الشكل البنيوي للتضاريس التي تتخذ طابع الأعراف غير المتماثلة الجوانب والتي تشرف على أودية عميقة وعلى بعض الأحواض العالية المتقطعة.

- تستمر نفس التضاريس المشكلة من أعراف في الجهة الشرقية، إلاّ أنها لا تبقى خطية ومتوازية بل تصبح متفرعة انطلاقاً من عنصر هضبي شاخص، يصل ارتفاعه إلى حوالي 1500 م ويكوّن قمة السلسلة (جبل فوغال).

- شرقا، تنخفض التضاريس تدريجيا، بينما تتحول الأعراف الحادة إلى متون محدبة. وفي نفس الوقت تضيق السلسلة في منطقة الحدود مع الجزائر (فج الگربوز).

تبلغ السلسلة إذن، أقصى امتداد لها في ناحيتين : أولا، ناحية رأس فوغال بين مركزي عين الصفا جنوباً وعين گادة شمالا. هنا يتأكد الطابع الجبلي المتمثل في الارتفاع والتكتل وصعوبة المواصلات وارتفاع الفجاج الرابطة بين الأودية. أما الناحية الثانية فتمتد غربا عند مستوى تالزرت شمال غرب مدينة العيون. هنا تمتد السلسلة على اتساع يقترب من 30 كم، لكن التضاريس تظل متواضعة من حيث الارتفاع والتكتل، بل تمتاز، عكس ذلك، بالتهوية وسهولة الاتصال بين هذين المجالين، تضيق السلسلة بوضوح في جزئها الأوسط عند مستوى تافوغالت وذلك بسبب امتداد حوض كبير يحفها جنوباً ويتعمق في الحاشية الجبلية شمال مركز بوهورية (حوض بلاد الدير).

الحواشي الجبلية شديدة التنوع. ففي جهة الشرق، تمتاز جوانب الجبل بالخطية على الواجهتين الشمالية والجنوبية، مع تَسنُّنات ضعيفة المدى وذلك رغم توفر عدد من التلال والأعراف المعزولة، تتقدم الهامش الجبلي.

أما جهة الغرب، فإن حاشية السلسلة تمتاز بالتقطع الشديد، حيث تتكون من تضاريس تلّية بارزة، تفصلها خلجان واسعة تتعمق إلى داخل السلسلة. وخير مثال على هذه الوضعية، الهامش الجبلي ناحية الشويحية شمال غرب بني إزناسن.

الشبكة المائية معقدة، ميزتها الأساسية عدم تماثل واضح بين الواجهتين، وذلك بسبب التفاوت التضاريسي من جهة والأهمية الخاصة لنهر ملوية من جهة أخرى. فملوية في الواجهة الشمالية الغربية، شريان أساسي يجلب إليه أغلبية المجاري، أيّاً كانت أهميتها. أما غربا، فكل المجاري تصل إلى ملوية بعد مسار جبلي شرق - غرب وانعطاف واضح نحو الشمال عند الاقتراب من خانق ملوية. وبعض هذه المجاري أصله من خارج بني إزناسن، فنهر قصب مثلا قادم من الجبال الجنوبية ناحية العيون، يجتاز السهل الذي تتوسطه هذه المدينة ثم يسير بمحاذاة السفح الجنوبي لبني إزناسن قبل أن يقطع هذه السلسلة في اتجاه جنوب - شمال.

شرقا، يظل عدم التماثل مهيمناً بالرغم على الابتعاد عن ملوية. فواد زگزل - شراعة يصرف أغلبية السلسلة الوسطى، وتنطلق بعض روافده من الجهة الجنوبية. كما أن جزءاً كبيراً من شبكة الجهة الشرقية تصب في نهر كيس الحدودي. في الجهة الجنوبية الشرقية وحدها، نجد شبكة مائية منتظمة، تصب في سهل البصارة أو أنگاد.

يستخلص من هذا أن سلسلة بني إزناسن التي تكوِّن حاجزاً تضاريسياً واضحاً، لا تمثل أبداً حداً فاصلا على المستوى المائي حيث تجتازها مجار هامة قادمة من الجنوب، أهمها واد القصب وواد ملوية.

الوضع البنيوي : السلسلة عبارة عن محدّب كبير وكتلي، مرفوع حديثا بين مقعَّرين مختلفين من حيث قوة وسرعة التهدّل، إلاّ أن المحدّب ليس تقببا بسيطا. ذلك أنه يمكن الفصل بين نوعين مختلفين من الناحية البنوية، على جانبي حادث أساسي يتوسط السلسلة اتجاهه ش غ - ج شـ.

الجهة الشرقية (شرق تافوغالت) عبارة عن ظهر محدّب، محوره قوسي، هذا الاتجاه ليس له أثر على الشكل

التضاريسي، إلاّ أنه أصل في توزيع الصخور. فالنواة الأولية الشستية والگرانيتية تابعة لهذا التخطيط القوسي، ويحيط بها حزام من المنخفضات الضيقة محفورة في الصخور الترياسية الهشّة. وتشرف على هذه المنخفضات أعراف بنيوية لياسية ثم جوراسية، متشكّلة في صخور كربوناتية متماسكة. تمثل الواجهة الشمالية النزول العادي للطبقات الجوراسية المائلة إلى ما تحت سهل تريفة. أما السفح الجنوبي فهو معقد، حيث تلتصق محدّبات ثانوية فرعية بالمحدّب الرئيسي، بالإضافة إلى العديد من الانكسارات.

الجهة الغربية، سلسلة أكثر امتداداً وتجانساً، وذلك بسبب غلبة نوع صخري واحد، يتمثل في المواد الكربوناتية والحثكلسية. وتمتاز البنية هنا ببساطتها حيث تسود طيّات ضعيفة المدى هي عبارة عن تموجات أكثر ممّا هي التواءات، لكن الحوادث البنيوية تتدخل لتجزئ هذه الطيات الواسعة، وتزيد كثافة الانكسارات ناحية ملوية ما بين مشرع حمادي ومشرع قليلة فيُصبح السطح مكوّناً من كتل مربعة الشكل تقريبا، شديدة التفاوت من الناحية الجيولوجية. إلا أن التفاوت ليس محسوساً في التضاريس، ذلك أن التعرية سوّت هذه المنطقة ومحت التغايرات الارتفاعية الأصلية.

وقد سمح هذا التسطح بتقدم البحار الميوسينية التي تمكنت من تغطية أجزاء واسعة من السلسلة الغربية وبعض الخلجان في السلسلة الشرقية. وتظهر بقايا هذه الرواسب الثلاثية منافرة للبنية الأطلسية الملتوية والمنكسرة بعد تسويتها.

هذا التاريخ القديم للسلسلة، وخاصة تسطيح أجزاء واسعة منها قبل الميوسين هو ما يجعلها متشخصة بالنسبة للشريط الريفي - التلي الذي توجد ضمنه من حيث الموقع. تمثل بني إزناسن، في الحقيقة، مجالا انتقاليا بين الميدانين الجيولوجيين الأطلسي والريفي. وتشخصيها هذا قديم يعود إلى الفترة الجورسية. ففي ذلك العهد مثلت بني إزناسن مجالا غير مستقر، انتقالياً بين الرصيف الثابت ضعيف التهدل الذي كوّنته الهضاب العليا المغربية - الجزائرية والأخدود الريفي الذي انطلقت عمليات تهدّله الناشئ. وعدم الاستقرار الدائم الذي عاشه الميدان الذي تغطيه حالياً السلسلة الزناسنية هو المسؤول عن التنوع الصخاري الكبير خلال الحقبة الرسوبية الواحدة بين المواطن المختلفة للتوضع.

لكن المنطقة لم تبق طويلا ميداناً انتقالياً. بل منذ بداية الطباشيري، ومع التراجع العام الذي عرفه البحر، أصبحت مرتبطة وبصفة نهائية بالمجال الأطلسي الذي بدأ يعرف النهوض بينما انفصلت تماما عن الميدان الريف - تلي الذي ظل مجالا متهدّلا يعرف الإرساب.

وجاءت التكتونية الأطلسية الأولى خلال الأيُوسين بنظام بنائي بسيط يعتمد على الطيّات العمودية الواسعة.

وأعقبت هذه المرحلة الانضغاطية، فترة ارتخاء خلال الاوليگوسين تعرضت فيها هذه الطيّات لانكسارات كبرى عادية جزأت المجال إلى كتل واسعة، وفصلت، خاصة، فصلا واضحا بين ميدان شرقي ناهض ومجال غربي مستقر. وتلت هذه الحركات البنائية مرحلة تعرية طويلة أتت على قمم المحدّبات ومحت العديد من المرتفعات، والشاهد على ذلك أن البحر النيوجيني القادم من الشمال غمر الحواشي الشمالية من السلسلة، وتقدم داخل خلجان واسعة، بل استطاع أن يغطي أجزاء واسعة من الميدان الغربي المنخفض خاصة على جوانب ملوية. ونجد الرواسب النيوجينية منافرة لقاعدة مسوّاة : فهي غربا متوضعة فوق الجوراسي الأعلى، وشرقا فوق اللّياس بل محليا فوق الترياس أو القاعدة الأولية. وهذا دليل على أن الجزء الشرقي من بني إزناسن قد أصابته قبل النيوجين تعرية قوية أزالت من النواة الوسطى الغطاء الرسوبي الجوراسي واللّياسي لتظهر القاعدة القديمة.

وهذا يوضح بأن المعالم الحالية للسلسة معالم موروثة في أغلبها، وأن التطورات اللاّحقة منذ النيوجين لم تغير الكثير من المظاهر العامة. فقد وقع بعد التراجع العام للبحر النيوجيني رفع إجمالي للسلسلة حدث على إثره تعمق الأودية. هذا التعمق المنطبع هو المسؤول عن تنوع تضاريس الأودية التي تتخذ محليا مظهر الخوانق الضيقة، وفي محلات أخرى نجده مسؤولا عن تشكيل الأحواض المتسعة، وذلك ارتباطاً بنوعية الركيزة الصخرية التي تخترقها.

فالصخور والوضع البنائي عاملان رئيسيان في تنوع المظاهر الجيومرفلوجية. أمّا المناخ فدوره ثانوي بسبب تواضع ارتفاع السلسلة. ودوره لا يتعدى تأثيره على الغطاء النباتي والتربة. بينما لا تلاحظ عند القمم مظاهر تذكر بتأثير البرد والصقيع أو تراكم الثلوج.

يمتاز مناخ السلسلة بالميزات العامة العادية للمناخ المتوسطي : أمطار جد متغايرة من سنة إلى أخرى، وعدم انتظام فصلي، وعنف التهاطلات التي لا تغطي إلا فترة وجيزة خلال السنة بل خلال الفصل الممطر نفسه. زد على هذا تناقضاً كبيراً بين جهتي السلسلة يظهر في ناحية غربية جافة وشرقية أرطب، وبين واجهتيها الشمالية المقابلة للرياح الممطرة والجنوبية القاحلة.

هذا التوزيع الرديء له آثار على تصرف الأمطار بعد التهاطل. فالعنف يؤدي إلى ضعف التسرب، رغم غلبة الصخور الكربوناتية المتشققة، وأهمية السيل وبالتالي قوة الضياع عن طريق التبخر. لذا فإن الأنهار التي تصرف السلسلة تمتاز بصبيب ضعيف (في شراعة 100 متر مكعب / ثانية ما بين 70 و120 في كيس). وتمتاز ملوية وحدها بصبيب هام لكنه غير صادر عن المنطقة الزناسنية نفسها.

كما أن المواد المائية الباطنية تمتاز بضآلتها وخاصة في الجهة الغربية الجافة ذات التركيب الصخري غير المساعد.

في الجهة الشرقية ارتفاع التهاطلات وتوفر الطبقات اللّياسية الكربوناتية يفسر وجود خزّانات مائية كارستية. والفرشة العميقة تميل نحو الشمال وتساعد في تزويد سهل تريفة بمياه جوفية، كما تغذي عدداً من العيون والآبار توجد في منطقة قدم الجبل، كعيون كيس وركادة وأغبال.

A. Laouina, *Le Maroc nord-oriental : reliefs, modèles et dynamique du calcaire*, Thèse d'Etat, Univ. Paris I, 1987.

عبد الله العوينة

**بني إزناسن**، اتحادية قبائل كبرى بالمغرب الشرقي، وتُكتب أيضاً في بعض النصوص "بني يزناسن" و"بني يزناتن" تذكيراً بنسبتهم إلى قبيلة زناتة الشهيرة، بينما تتفق المصادر على أن أصولهم متعددة، وبطونهم مختلفة، يرجع بعضها إلى زناتة، والبعض الآخر إلى صنهاجة، والبعض الثالث إلى أصل عربي.

فابن خلدون، عقد لزناتة باباً خاصاً بها كقبيلة من القبائل، بينما تحدث عن بني يزناسن ( *العبر*، 6 : 114) كبطن من البطون العربية، خلال حديثه عن نفزارة التي هي من البُتر. وهناك رواية تقول، بأن بني يزناسن إخوة غيساسة، يجتمعون معهم في جدهم لوا، ومن لوا كان نفزاوا الذي هو جد نفزاوة التي تفرع منها بطن بني يزناسن، على الرأي القائل بأنهم برابرة، ويجتمع بني يزناسن مع زناتة في زحيك ابن مادغيس الأبتر، الجد الأعلى للبرابرة.

وهناك فصائل من بني إزناسن، ترجع في أصولها إلى صنهاجة، كالبرنوصيين من فرع بني منقوش، وكذلك بطن بني حماد، الذين ينسبون إلى أصحاب قلعة بني حماد أمراء المغرب الأوسط قبل عصر الموحدين. ثم بطن أهل الوادي، من فرع بني وريمش، الذين ينسبون إلى بني عبد الواد، ملوك تلمسان المشهورين من بني يغمراسن. هذا إلى جانب عدد من البطون العربية التي دخلت في القبيلة عبر الزمن، وعد من الأسر الشريفة التي يغلب عليها النسب الإدريسي. وكل هذه الفروع والبطون تحمل اسم بني إزناسن، إما من إطلاق الجزء على الكل، أو من إطلاق اسم المكان على الحال به.

يتضح مما سبق أن بني إزناسن من المجموعات البشرية التي عمرت المغرب قديماً، ولكن لا نعرف بالضبط متى كان ذلك. فحتى ابن خلدون، لم يشر إلى تاريخ استقرارهم بالجبال التي يوجدون بها، وقال فقط بأنهم يستوطنون الجبل المطل على وجدة، وهي الجبال التي يوجدون بها اليوم. بينما ذكر دارس فرنسي (A. BERNARD, 4) أنهم كانوا يستقرون خلال القرن الهجري الأول ( ق. 7 م) بسهل قرب مدينة معسكر، ثم تراجعوا بسبب ضغط القبائل نحو الغرب، وتحصنوا في الكتل التي يوجدون بها اليوم، والتي تحمل اسمهم. ومن هذا الموقع الحصين، استطاعوا أن يصمدوا أمام ضغط القبائل الزاحفة من جهة الشرق، أو من جهة الغرب.

وهكذا، فالمساحة التي تستقر عليها قبيلة بني يزناسن اليوم، تقع ما بين سهول تريفة في الشمال، وسهول أنكاد في الجنوب، وتميل غربا إلى وادي ملوية، وشرقا إلى الحدود المغربية الجزائرية، بل كان بنو منقوش وعطية من بني إزناسن شرق خط الحدود سنة 1845 حسبما جاء في آخر الشرط الثالث من اتفاقية الحدود، الذي أوضح بأن فرنسا تعترف لهم باستغلال أرضهم، رغم كونهم من رعية المغرب. وعموماً، فإن مجموعة بني إزناسن تنقسم إلى أربعة فروع كبرى هي :

- فرع بني خالد : وهو الفرع المستقر على الحدود الجزائرية المغربية، ما بين أولاد الزعيم على بعد 17 كلم جنوب وجدة... ثم سهل تريفة شمالا. وهو قسم يقع ضمن سهل أنكاد الشرقي، ما بين الكربوص غربا، ونصب 17 كلم جنوبي وجدة، ومعظم هذا القسم يتحدث العربية فقط، ومن عرب السقاينة المشهورين بعروبتهم، وأقليته تتحدث الشلحة، وأرض هذا القسم فقيرة. القسم الثاني، يمتد من

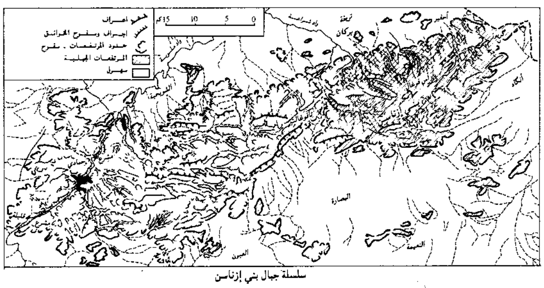

سلسلة جبال بني إزناسن

ربوة الكربوص إلى حدود سهل تريفة، ومعظمه يستعمل الشلحة والعربية، وأقله يستعمل العربية فقط. يضاف إلى هاتين المجموعتين عدد من الأسر الشريفة، أشهرها : أولاد سيدي عبد الله عزة، الذين اشتهروا هناك بزاويتهم التي كان يرأسها الشيخ الحاج محمد الهبري الكبير. وكذلك الشرفاء القادريون أولاد سيدي المختار بوتشيش، الذين اشتهروا بالزاوية البوتشيشية، التي ينتشر أتباعها اليوم في مختلف مدن وبوادي المغرب كله. ثم الشرفاء أولاد بن العالم الذين هم أقل شهرة بهذا الاسم هناك.

- فرع بني منقوش، لا ينتسبون إلى زناتة، بل ينتسبون إلى منقوش الذي هو من أعلى الجدود الصنهاجيين، الذين كان بلكّين المنقوش من أكبر قوادهم، قد اشتهروا تاريخياً باسم صنهاجة المنقوشيين، كانوا يعيشون بصحراء سجلماسة، ثم تغلبوا على المغرب الأوسط، وكان بينهم وبين أمراء زناتة حروب تعرض لها ابن خلدون بتفصيل. غير أن هناك أسراً زناتية وإزناسية اختلطت ببني منقوش، إلى جانب بطون كثيرة أخرى، لا تنتمي إلى الأسر المذكورة، مثل بطن بني مريضن الذين يتحدثون العربية فقط. وكذلك عدد من عائلات قبيلة بصارة (الأبصار)، فهم لا يعرفون

الشلحة الإزناسية أصلا. يضاف إلى عدد من أسر الشرفاء المختلطة بعناصر هذا الفرع، مثل : أولاد سيدي علي البكاي، الأسرة التي كان منها المناضل مبارك البكاي الذي كان في أول وزارة تكونت في المغرب بعد الاستقلال. والبكايون من بني وكيل الأدارسة، نسبة إلى سيدي البكاي، الذي يوجد قبره بقرية أجدير، إحدى قرى هذا الفرع الجميلة. ثم أولاد بنيعقوب، وآل وگوت، وكسينيون، والورمضانيون، والوليون، وأولاد الطاهر بناحية عين الصفا، ثم قبيلة بني خلوف التي يتكلم معظمها العربية فقط. ثم هناك عدد من أسر الشرفاء تتكلم الشلحة بطلاقة، وبعضها يتكلمها بصعوبة.

ومن أشهر بيوتات بني منقوش بيت الاكرارجة الذي كان منه عدد غير قليل من الزعماء والقواد، وبيت أُشْنْ (وأشن بالشلحة معناه : الذئب)، وتتحدث المصادر أيضا عن بيت أولاد الهبري، الذي كان منه الثائر بوعزة الهبري على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، ثم قضى عليه السلطان الحسن الأول وأنهى تمرده. وفي سهل بني منقوش تقع قصبة عين الركادة التي أعاد بناءها السلطان المولى إسماعيل العلوي سنة 1090 هـ، ومن عجيب هذه العين أن ماءها تارة يغور وتارة يفور، وقد تتدفق في وقت الجفاف، وتغيض في وقت المطر.

- فرع بني عتيق، بنو عتيق من مغراوة الزناتية الذين كان لهم سلطان تلمسان، كما يوجد من بينهم، بطن بني حماد الصنهاجيين الذين يستقرون قرب تافوغالت، بالإضافة إلى أسر عربية متعددة، وأسر الشرفاء الأدارسة، خصوصاً الحافيون والسغروشنيون وأولاد مولاي أحمد بن العياشي والورطاسيون وآل تيزي أزمور والصبانيون. وتمتد أراضي بني عتيق ما بين بني منقوش شرقاً وبين وريمش غرباً، وأرضهم من أخصب الأراضي وأجملها، ويرويها وادي شراعة ووادي زگزل، إلى جانب عدد من العيون المتدفقة مثل عين تافوغالت الشهيرة بمائها العذب البارد ومناخها الجميل، حيث إن قريتها تشبه إلى حد كبير مدينة إفران بالأطلس المتوسط، باعتبارها تقع على مرتفع جميل تنهمر فيه المياه جنوب وادي زگزل. وإلى الشمال منها مدينة أبرگان عند ملتقى وادي شراعة بوادي أبركان. واسم أبركان هذا معناه بالشلحة : الأسود، وهو اسم علم اطلق على الشيخ محمد (فتحاً) أبركان الذي توجد قبته بمقبرة مدينة أبركان على ضفة وادي شرعة. وعند جنوب بركان بثلاث كيلومترات تقع بحيرة (دولوت) التي تحيط بها الحدائق من جميع الجهات، فترتوي منها حدائق البرتقال الموجودة على مرتفع يظهر من بعيد كجزيرة صغيرة. وأبرز العائلات التي كان لها نفوذ على بني عتيق عدة قرون : عائلة أولاد الهبيل التي ينتسب إليها البكاي السالف الذكر.

- فرع بني وريمش، أصل هذا الفرع من زناتة، وقد اختلطت به بطون من أهل الوادي، من بني عبد الواد الذين ملكوا تلمسان، وأهم بطون هذا الفرع هي بنو بوعبد السير وأولاد علي الشاب ورسلان وتاگمة وبنو محيو المجاورون لقصبة عيون سيدي ملوك. بالإضافة إلى عدد من أسر الشرفاء الأدارسة، كأولاد سيدي علي وسعيد وأولاد سيدي سعيد العرعار، وأولاد معبورة من أولاد سيدي موسى، وأولاد فسير، وأولاد عطية، وأهل وريس، وبني وال، والتميميين بقرى رسلان، وبني نوكة، والشقارنة. وأشهر بيوتاتهم في الحكم قديماً : أولاد البشير، الذين منهم القائد ولد البشير على عهد السلطان الحسن الأول. وكان بنو وريمش يمثلون أكبر فرع في بني إزناسن من حيث عدد السكان والقوة العسكرية، وأرضهم تتميز بالجفاف والقحولة وقلة عيون الماء. وأشهر قراهم هي : التكمة ورسلان وكامنين.

يظهر من كل هذا أن اتحادية بني إزناسن تتركب من عناصر كثيرة معقدة ومختلفة، تجانست كلها بنفس الطريقة التي تجانسب بها بقية المجموعات القبلية، فهي نموذج لتركيب البنية البشرية بالمغرب خصوصا، والمغرب العربي عموماً.


مجهول، *الذخيرة السنية* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، ج 1 ؛ ق. الورطاسي، *بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني 1390 / 1970* ؛ أ. العماري، *مشكلة الحدود الشرقية واستغلالها في المخطط الفرنسي المسيطرة على المغرب*، د.د.ع. كلية الآداب بالرباط، 1981.

H. M. P De La Martinière et N. Lacroix, *Document sur le Nord-Ouest africain,1894 - 1897* (4 vol) V.I. p. 196 et s ; Mohamed Ben Rahal, *A travers les Beni-Senessen*, *B.S.G.A.O.*,1889. p. 1 - 50) ; G. Mandenilles, *La Frontière marocaine et Figuig, Questions dipl. et col.* 1ère année, 15 mai 1897, n° 6. p. 329 ; A. Bernard, *Les Confins algéro- marocains*, Paris, 1911 ; *La frontière algéro-marocaine* : *Region d'Oudjda, A. F.* 205 - 216 ; Ch. René Leclerc, *Les Régions Nord et Sud de la frontière marocaine*, Tanger, 1909.


أحمد العماري

**بني انْصار**، لا يُنطق بالهمزة ولكنها تكتب، مركز حضري أسس سنة 1331 / 1913 ليكون مقر إدارة الجمرك وشرطة الحدود الوهمية، ولم يكن به لغاية سنة 1936 سوى 649 إسبانياً و11 يهودياً ولا أحد من المغاربة المسلمين. وصلت ساكنته سنة 1985 إلى 10.450 نسمة. يقع على الطريق الرئيسي رقم 39 الرابط بين مدينتي مليلية والناظور، وعلى بعد 13 كم من مدينة الناظور. ويحتل هذا المركز موضعاً هاماً. فهو يوجد على نقطة العبور الرئيسية على الحدود التي تفصل مدينة مليلية المحتلة من طرف الإسبان عن باقي البلاد ؛ وهو ينفتح على البحر المتوسط بفضل البحيرة الساحلية "سبخة بوعارگ" ؛ كما أن موضعه الطبغرافي يعتبر هو الممر الرئيسي الذي يمكن الوصول عبره إلى السهم الرملي الساحلي الذي يفصل سبخة بوعارگ عن البحر (شكل رقم 1).

وتنعكس مميزات هذا الموضع على أنشطة مركز بني

انصار وتوسعه الحضري. فهو رغم صغر حجمه وموقعه الهامشي بالنسبة للمحور الاقتصادي للمغرب الأطلنتي، قد سجّل تزايداً سكانياً ما بين 1982 و1985 وصل إلى 24٪. ويعزى هذا التزايد المرتفع إلى الأنشطة المتنوعة التي ظهرت ببني انصار والمرتبطة جلها بموضعه الهام.

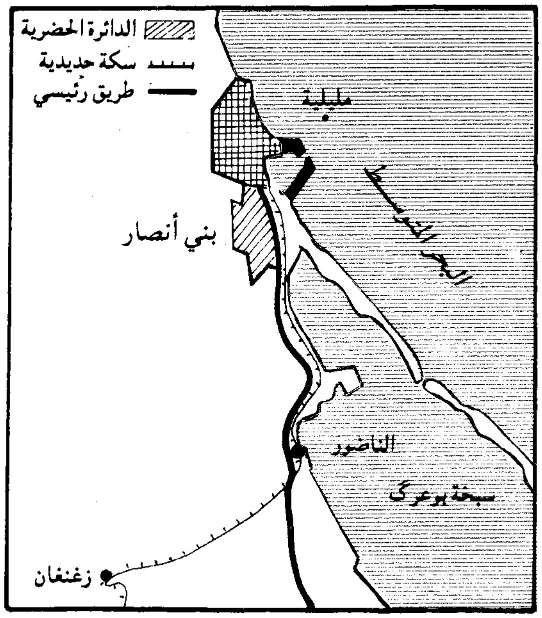


موقع مركز بني أنصار

فبالإضافة إلى الوظيفة الجمركية، جُهز مركز بني انصار بميناء هام مرتبط بالصناعات التي أُنشئت في منطقة الناظور. غير أنه يجب أن نضيف انعكاسات نشاط التهريب وكذا عائدات العمال المغاربة بالخارج إذا أردنا فهم التوسع الحضري الذي يعرفه حالياً مركز بني انصار.

بني انصار هو مركز الحدود الوحيد الذي يربط مدينة مليلة المحتلة بالناظور ومدن المغرب الشرقي الأخرى. وبالتالي فإن حركة المرور في الاتجاهين كثيفة نسبياً. فدون أن يصل سيل المارين بمركز حدود بني انصار إلى الحجم الذي يعرفه مركز باب سبتة مثلا، فإن هذا السيل يتعدى دائماً 100.000 مسافر سنوياً. أما الخاصية التي تطبع هذه التيارات فهي طغيان العنصر المغربي والمغاربي بين المارين. فبينما يُكوِّن السواح الأجانب نصف التيّار الذي يمر عبر باب سبتة أو عبر ميناء طنجة، فإن هذا الصنف من المسافرين لا يمثل سوى 30٪ من مجموع العابرين بحدود بني انصار. وهكذا فإن مركز بني انصار يعتبر باب دخول المهاجرين المغاربة والجزائريين العاملين بالدول الأوروبية بمناسبة عودتهم إلى بلدانهم. ومن المعلوم أن أقاليم الريف تبعث بآلاف العمال المستقرين بفرنسا وهولندا وألمانيا.

وتعيش المنطقة كذلك بواسطة نشاط التهريب وإدخال البضائع القادمة من مليلة وترويجها في الأسواق الشمالية الشرقية (الناظور ـ وجدة) بل وحتى في الأسواق الجنوبية.

إلى جانب الأنشطة المرتبطة بنقطة الحدود استفادت بني انصار من إنشاء ميناء كبير بالناظور. ويعتبر ميناء الناظور الذي تم إنجازه في السنوات الأخيرة أهم منشأة اقتصادية (بالإضافة إلى مركب الصلب) بالشمال الشرقي. وقد صُمم بشكل جعله يُكوِّن مع ميناء مليلة المحتلة وحدة متكاملة ستوفر مجمعاً مينائياً يوم استرجاع مليلة إلى حظيرة الوطن. والمميزات التقنية لهذا الميناء (مكسر طوله 2634 م، حوض ماء مساحته 140 هـ، أرصفة مجموع طولها 2227 م، منطقة مستودعات وصناعة مساحتها 500 هـ) عناصر تجعل منه مركباً في عداد أكبر الموانئ المغربية. وقد أحدث هذا الميناء، ليكون أهم نافذة للمغرب الشرقي على البحر، إذ يلعب دوراً رئيسياً في تصدير المواد الفلاحية لمنطقة ملوية السفلى، كما أنه عنصر أساسي لمخطط تنموي جهوي يرتكز على النشاط التجاري والصناعة الثقيلة المتمثلة في وحدة "صوناصيد" لصناعة الحديد التي توطنت بسلوان على بعد 32 كم من بني انصار، وتربية الأسماك (شركة ماروسط) بسبخة بوعارگ.

وما من شك في أن هذا الميناء الذي بدأ نشاطه في السنوات الأخيرة سيكون له تأثير متزايد على تطور النسيج الحضري لمركز بني انصار.

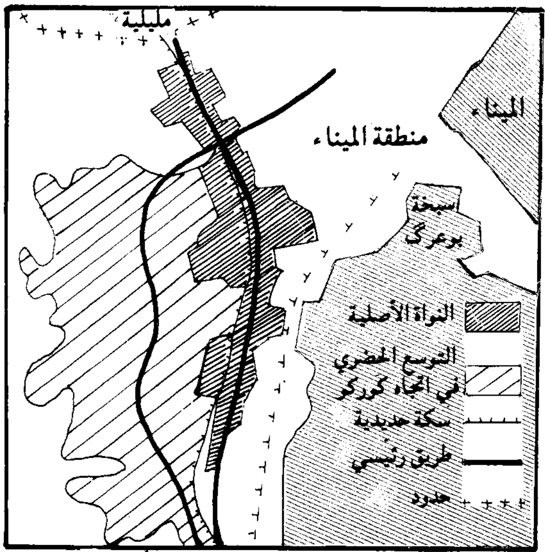


البنية الحضرية لمركز بني أنصار

تُغطي الدائرة الحضرية لمركز بني انصار 440 هكتار، 168 منها معمرة، ويتميز هذا التعمير بطابع عشوائي واضح نصادفه في جل مدن ومراكز الناظور الكبير. كما يتميز النسيج الحضري بضعف الكثافات (24 نسمة / كلم²). وتعزى هذه الكثافات الضعيفة إلى طغيان البنايات المكونة من طابق سفلي فقط وكذا تشتتها المجالي. أما بنية المركز فرغم تشتت البنايات وعشوائية التوسع فإننا نلمس فيها، وبوضوح، تأثير خط السكة الحديدية الرابطة بين مناجم حديد ويلساف ومليلة والطريق الرئيسي رقم 39. وهكذا فإن النواة الأصلية انتظمت على طول هذين الخطين وعلى امتداد

1200 م. غير أن الطلب المتزايد على السكن والمرتبط بالأنشطة الحضرية المختلفة التي ذكرناها بالإضافة إلى كون العمال المهاجرين إلى الخارج من المنتمين إلى المنطقة يقومون باستثمار قسط كبير ممّا يوفرونه في الميدان العقاري، كل هذا جعل المركز ينتشر في اتجاه الغرب مكتسحا مجالا واسعا يصل حتى انحدارات كتلة گوروگو (انظر الصورة والشكل رقم 2)

مديرية التعمير وإعداد التراب الوطني والبيئة 1988، *التصميم التوجيهي لتهيئة المجموعة الحضرية للناظور*.

محمد بريان

**بني أولينت**، قرية بقبيلة أنجرة، تعرفنا عليها أول مرة سنة 1531، كانت آنذاك واقعة على السفح الشمالي من جبال أنجرة، مما يجاور مجرى واد أليان. ولا تظهر في السجلات والتقسيمات الإدارية الحالية. نظم جنود طنجة البرتغاليون غارتهم على القرية إلا أن إبراهيم بن علي ابن راشد العلمي (923 . 946 / 1517 . 1539) كان لهمبالمرصاد فكانت الحملة كارثة على المغيرين.

ح. الفكيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 444.

Rodrigués, *Anais de Arzila*, p. 2 / 198.

حسن الفكيگي

**بني بختي**، أسرة أو قبيلة من فرع بني يعلى الزناتيين المنحدرين من بني خزر ملوك تلمسان منذ القرون الهجرية الأولى. تنسب أسرة بني بختي إلى رئيس القبيلة بختي بن يعلى بن محمد الخير، قَاتَلَ نفسه في معركة مع بلكين بن زيري الصنهاجي. عاصر بختي الغزو الهلالي للمغرب الأوسط. وحينما فتح المرابطون تلمسان (473 هـ) وجدوا بها العباس بن بختي وقتلوه، فتم إجلاء الأسرة إلى حيث نجدها اليوم مستقرة بناحية جرادة بالمغرب الشرقي.

تحتل قبيلة بني بختي في الوقت الراهن الفراغ الأوسط من مجرى واد زا، من مضيق الغورس غربا إلى جبل جرادة. ويحيط بالقبيلة من جهة الشمال من الغرب إلى الشرق على التوالي : بني بوزگو وهدين وزكارة وبني يعلى. ويقابلها من جهة الجنوب بني مطهر، ومن الشرق المهاية، وأولاد عمرو من ناحية الغرب. أهم مراكز الاستقرار تختص به مدينة جرادة وگفايت. ويتنقل البدويون بين سيدي بوقنادل وسيدي الشيخ وسيدي سماحين، بين واد زا وروافده بقصد الانتجاع.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 1265، 7 : 94.

حسن الفكيگي

**بني بشير**، قبيلة تقع بناحية صنهاجة السّراير (إقليم الحسيمة) وتحيط بها قبائل بني زروال وبني عمارت ومزرقات وبني أحمد. تقدر مساحتها بـ 81 كلم مربعا، وكان عدد سكانها سنة 1946 يقدر بـ 3.980 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، باستثناء سكان بعض المداشر التابعة لفرقة أوطيل الذين يتكلمون باللهجة الصنهاجية، ويوجد بالقبيلة ستة مساجد وضريحان وزاوية وثمانية كتاتيب قرآنية.

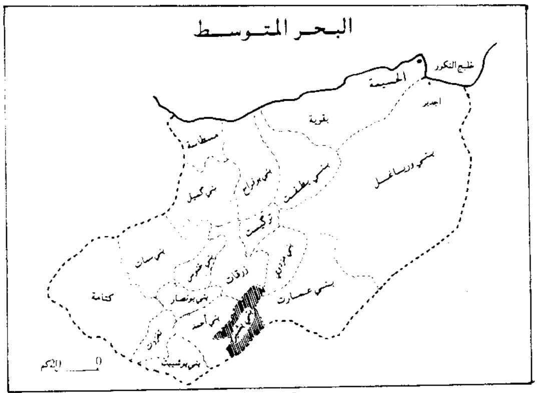


موقع بني بشير

تنقسم القبيلة إلى فرقتين هما : تطيشت وأوطيل اللتين تحتوي كل واحدة منهما على ثمانية مداشر.

وفي النظام الإداري الحالي تكوِّن هذه القبيلة مع قبيلة بني احمد جماعة قروية واحدة اسمها جماعة تابرانت.

ع.بنعبد الله، *الموسوعة*، 107.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*. - s. l. s. a. ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid 1936, t. II passim ; A. Domenech, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla 1926, passim.; *Vademecum de la Intervencion Territorial del Rif*, 1946, p. 95.

محمد ابن عزوز حكيم

## بني بگّار ← بگّار

**بني بُوزْرا**، وتكتب أيضاً بالتاء : بوزرة، قبيلة تقع بناحية غمارة (إقليم شفشاون) وتحد شمالا بالبحر المتوسط، وتحيط بها القبائل التالية : بني گرير وبني منصور وبني سلمان وبني زيّات. تقدر مساحتها بـ 148 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 يقدر بـ 5.106 نسمة يتكلمون باللهجة المعروفة بالشلحة البوزراتية باستثناء سكان فرقة بني منسلمان الذين يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، ويوجد المركز الرئيسي للقبيلة في بوحمد.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : تبندمان (4 مداشر) وبني منسلمان (11 مدشراً) والوسطين (7 مداشر) وبني موسى (15 مدشراً) وفي التقسيم الإداري الحالي تكوِّن جماعة قروية تحمل اسم القبيلة نفسه.

وهناك جزيرتان صغيرتان في البحر المتوسط تنسبان لبني بوزرة لوقوعهما بالقرب من شاطئ هذه القبيلة الغمارية، وتعرفان عند الإسبان بـ Los Mellizos (التوأمتان) غير أنه منذ سنة 1271 / 1854 أصبحتا تذكران في الخرائط الأوربية باسم جزر جاجيرشميت Jagerschmidt، وسبب ذلك هو أنه في شهر ربيع الأول / دسمبر من السنتين المذكورتين تمكن القائم بأعمال فرنسا بطنجة وهو

Charles Jagerschmidt من الحصول على إذن السلطات المغربية ليقوم كل من المهندس البحار - Vincendou Dumoulin والكومندار Kerhallet على ظهر الباخرة الفرنسية فار Phare بجولة عبر الشاطئ المغربي الموالي للبحر المتوسط لوضع خريطة له، وعندما وضعت هذه الخريطة أراد واضعوها تسمية جزيرتي بني بوزرة باسم القائم بأعمال بلادهم بالمغرب اعترافاً منهم له بالجميل.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 107 و325.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la Zona española de protectorado en particular*, s.l. s.a. ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Capaz, *Geografia de Gomara*, Ceuta, 1931, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, t. II ; A. Domenech, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Mellila 1926, passim ; *Vademecum de la Intervencion territorial de Gomara*, 1946, p. 89 ; A. Domenech, *Zona Norte*, p. 49 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos*, p. 63 ; Et-Tabyi (Eduardo Maldonado), *Retazos de historia marroqui*, Tetuan, 1955, p. 157.

محمد ابن عزوز حكيم

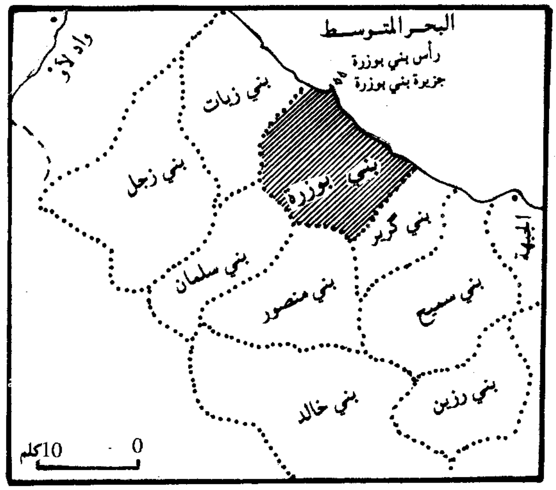


موقع بني بوزرة

** ينتسب سكان بني بوزرا - تاريخياً - إلى أحد عمالها الذي قدم فيما يبدو - مع موسى بن نصير أواخر القرن الأول الهجري. وهو أبو بَزَرَى كَجَمَزَى. وممّن يحمل هذه الكنية يزيد بن عطارد القيسي من التابعين - كما يقول الشيخ مرتضى في *التاج* (بزر)، وحذف الواو من (أبو) شائع في الاستعمال.

وممّا يؤكد ما ذهبنا إليه أن باقي قبائل غمارة تحمل هذه التسمية، أمثال : بني زيّات، وبني سلمان، وبني زجل، وبني منصور، وبني جرير، وبني سميح، وبني خالد، وبني رزين ؛ وهي جميعا في أصلها البربري تنتمي إلى غمار بن مصمود، ومن أبنائه : نال ويال ؛ فتفرّع عن يال - بالياء - : بنو بوزرا، وبنو زيّات، وبنو سلمان، وبنو منصور ؛ وتفرع عن نال - بالنون - باقي القبائل كما يقول نسّابتهم.

تعربت هذه القبائل قديما، ويرجع ذلك إلى أوائل الفتح الإسلامي عندما جاء موسى بن نصير بجماعة من الفقهاء ليعلّموا الناس القرآن والفقه، منذ ذلك التاريخ انتشرت الكتاتيب القرآنية في كل جهة ؛ فهي - جميعا - تتكلم العربية ماعدا طرفاً من قبيلة بني بوزرا ونحو سبع قرى من قبيلة بني منصور المجاورة لها، فإنها تتكلم الشلحة السوسية. ومعلوم أن أهل سوس نزحوا إلى هذه الجهات في فترات من التاريخ، ولا تزال بقايا منهم إلى الآن.

وبقبيلة بني بوزرا مدارس عتيقة للعلم والقراءات السبع، منها :

1 - جامع تندمان أقدم جامع بها، ويقال إنه من بناء أحمد بن عمر حفيد مولاي إدريس، وعلى مقربة منه روضته.

2 - جامع أناري. أقرأ به أبو العباس أحمد بن عبد المومن التجكاني، وكان عالماً مقرئاً وشيخاً صوفيا، توفي عام 1262 / 1845.

3 - جامع أحلاوث.

4 - جامع أدار ميمون.

5 - جامع إعرابن الذي اشتهر بالقراءات السبع، ومن قرائه البارزين : الفقيه أحمد بن محمد بن سليمان أعراب، كان يحفظ السبع بالعدد، وعنه انتشرت بقبائل غمارة، ومعلوم أن مدرسة العدد أنشئت أخيراً بشمال المغرب.

ويحدثنا عن هذه المدارس العتيقة وعن العلوم التي كانت تدرس بها الشيخ علي بن ميمون البوزراتي (ت 917 / 1511) فيذكر أنه لم يرحل إلى فاس حتى حفظ القرآن وهو دون البلوغ، وحفظ *نظم الخراز* في رسم القرآن وضبطه، و*منظومة ابن بري* في مقرأ نافع برواية ورش وقالون، وحفظ *الأجرومية* في النحو و*نظم أبي مقروع* في معرفة حساب السنة وغيره، وأنه تصور كل هذه الفنون على شيوخ البلد.

وبعد البلوغ حفظ *رسالة* ابن أبي زيد القيرواني في الفقه، و*نظم* أبي إسحاق التلمساني في الفرائض واشتغل بمبادئ علم الحساب ومعرفة المناسخات والتركات وسائر أبواب فقه الحساب حفظ كل هذه الفنون وتصورها على الشيوخ - وهو ابن عشرين سنة - لم يدخل فاس بعد.

والقبيلة إلى ذلك معروفة برباطها وجهادها العتيد، وقد أصدر السلطان المولى محمد بن عبد الله ظهيراً مؤرخا بأوائل صفر عام 1174 جدد لهم فيه التوقير والاحترام، وأعفاهم من الكلف المخزنية، لما يقومون به من الرباط في وجه العدو وجعل زكواتهم وأعشارهم في ضعفائهم، وما فضل عن ذلك يُصرف في الرباط.

وهناك وثائق عدلية مؤرخة بعام 1171 هـ، تزكي أعمالهم الجهادية، وتشيد بمقاومتهم للعدو، ومع ظهائر أخرى سنذكر بعضها في حرف (ت) عند حديثنا عن مرسى "تارگا".

ومن الآثار التاريخية بقبيلة بني بوزرة :

1 - قصر تارگا الآتي وشيكا في حرف (ت).

2 - زاوية الولي الصالح أحمد الفيلالي. ت 998 / 1589.

3 - قصبة سيدي يحيى أعراب على شاطئ البحر، وهو من أهل القرن التاسع الهجري (15 م).

4 ـ رأس السريجة المعروف بأغيلْ أُوكْنيونْ. وأَغيلْ ـ بالبربرية ـ جبل، وهو على شكل السرج، ولذا يسميه بعضهم برأس السريجة. وإكْنيونْ ـ بالشلحة : التوأمان، ويقال له ذلك. لأنه يسامت حجرتين كبيرتين شبه جزيرتين بالبحر، على بعد نحو ستمائة متر من الشاطئ، وبهذا المكان خططت البعثة الفرنسية خريطة شاطئ المتوسط سنة 1855 تحت رئاسة جارجير شميت القائم بأعمال فرنسا بطنجة لذلك العهد، وتقديراً لأعماله أطلقت البعثة اسمه على هذا الموضع، وكان أحد أبنائه يتردد عليه من حين لآخر، وهو برتبة كومندار في الجيش الفرنسي.

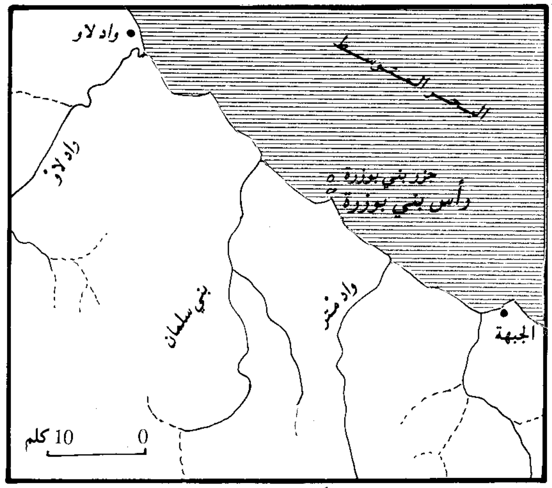


رأس بني بوزرة

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 ؛ ع. بن ميمون، *رسالة الاخوان*، مخطوط ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ أبو راس، *الأندلس ووهران*، مخطوط ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية* ؛ ع. الخطيب، *شارل جارجير شميد*، مجلة تطوان، ع 7 ؛ س. أعراب، *ظهائر سلطانية*، مجلة دعوة الحق س 13 ع (6. 7)، 1970، و ع 268، 1988.

سعيد أعراب

**بني بوزگو**، قبيلة تستوطن المنطقة التي عُرفت بهذا الاسم، تشمل الجزء الجنوبي من هضاب وسهول ممر تاوريرت ـ العيون (بني بوزگو الوطا)، وجزءاً من الهوامش الشمالية الغربية لسلسلة الهورست (بني بوزگو الجبل) وعلى الخصوص جبل بوخوالي وهوامشه. يجاورها من الناحية الشمالية والشمالية الغربية سهول تاوريرت والعيون وقبائل الشجع وبني وكيل وأولاد سيدي الشيخ. على طول وادزا جنوبا، تمتد قبائل بني شبل وأولاد عمرو ثم بنو گولال وأولاد الميدي بالجنوب الغربي. من الناحية الشرقية تتجاور على الخصوص بقبيلة بني يعلا.

تتميز قبيلة بني بوزگو بتنوع فصائل سكانها وذلك رغم انتمائها إلى إحدى القبائل الزناتية التي استقرت بالمنطقة منذ القرن الثالث عشر للميلاد، ورغم تحدث الأغلبية الساحقة لسكانها بالبربرية. من بين الفصائل المتميزة، الشرفاء الذين استقروا بالمنطقة منذ تفكك الأدارسة، تتكلم بعض دواويرهم تشلحت والأخرى احتفظت بالعربية للتخاطب. تتميز هذه الفصيلة بعادات مخالفة نسبيا للفصائل الأخرى وذلك مثل عدم التمازج بالنسب غير الشريف عن طريق المصاهرة.

أما الفصائل الأخرى مثل أولاد علي، فتعتبرهم الرواية الشفوية كسكان أصليين، أما ختيين وأولاد موسى، فقد يكونون قدموا من فگيگ، كما ترجع الرواية أصل الزيايتة إلى أحد تجار مادة الزيت استقر بالمنطقة منذ قديم. أمام غياب المصادر سيكون من العبث محاولة تحديد أصل الفصائل الأخرى مثل إقدورن وأولاد علي بن أحمد وأولاد عبُّو وأولاد لحسن وإسْغَارْن والمصامدة، وأولاد موسى وأولاد تلحولت امختارن... كما تنقسم جماعة حديين إلى فصائل مماثلة، حيث ترجع الرواية أصل بعضها إلى عرب بني هلال والأخرى إلى برابر زناتة.

رغم تنوع الفصائل استطاعت أن تتوحد في إطار قبيلة لهجتها الشلحة، عصبيتها ولَفُّها وميعادها، "بوزگاوي"، دون أن نتمكن حتى من معرفة أصل ومفهوم اللفظ نفسه.

لم نعثر على وثائق حول هذه القبيلة إلا ابتداء من القرن التاسع عشر، وعلى الخصوص منذ احتلال فرنسا للجزائر. أصبح حضور المخزن واضحاً ومكثفاً بالمنطقة، وذلك للتحكم في دينامية القبائل تحسبا لكل التطورات التي أخذت تعرفها الواجهة الشمالية الشرقية من المغرب.

تميزت قبيلة بني بوزگو خلال كل النصف الثاني من القرن التاسع عشر بالانضباط والاستقرار وولائها للسلطة الشرعية. وقد لاحظ هذا الاستقرار الرّحالة دوفوكو (*Reconnaissance*, 389) الذي مرّ بالمنطقة سنة 1884. على خلاف هذا، عاين دوفوكو تفكك بعض القبائل المجاورة وانضمت بعض فصائلها "لعمالة البزگاوي". من بين القبائل التي عرفت صراعاً داخلياً، بنو يعلا التي كانت تصنف ضمن أكبر قبائل المنطقة، إلا أنها انقسمت إلى ثلاثة أقسام، بنو يعلا شراگة وغرابة وبنو يعلا الصفاصيف الذين انضموا إلى بني بوزگو منذ عام 1884. كما التحقت بقيادة البوزگاوي فصائل : إيقوين وأولاد الخير وأولاد يسعدون المنتمية أصلا لقبيلة أولاد عمرو، وكذلك إعثمانن وأولاد بندينار من قبيلة بني شبل، وايغثمانن من أولاد الميدي. وحسب مراجع فرنسية أخرى (La Martinière et Lacroix, *Documents*, t. 1) كانت قبيلة بني بوزگو تضم كذلك فصائل من بني وشكل وأولاد بختي وأولاد خليفة وبني ورغ، لكن أغلب هذه الفصائل ألحقها التقييد المخزني (كناش الخزانة الحسنية رقم 62) بالقيادة المخزنية لقصبة (عيون سيدي ملوك)، رغم عدم اتصال أراضيهم بها.

هكذا ظلت قبيلة بني بوزگو متماسكة، لم تعرف انقسامات داخلية ولا صراعاً مع القبائل المحاذية لها، وذلك على خلاف بني يعلا، وبني يزناسن وأهل أنگاد والمهايا المجاورين لهم.

يمكن تفسير سكون قبيلة بني بوزگو رغم تنوع فصائلها

إلى سلطة القايد حمادة الذي ظل على رأس القبيلة من 1876 إلى 1905. تدل مجموعة من الوثائق بالخزانة الحسنية (برحاب، *شمال المغرب*...) وأخرى بحوزة ورثة حمادة، على المكانة التي حظي بها هذا القائد لدى المخزن، خاصة بعد مصاهرته لمولاي الحسن ببنته. عظم شأن البوزگاوي حينما أنعم عليه السلطان بظهير توقير واحترام، وأسقط عنه المغارم السلطانية والتكاليف المخزنية (ظهير مؤرخ بموافق 7 / 11 / 83 عند الورثة). أصبح السلطان يثق في البوزگاوي ويستشيره حتى في أمور قبائل عمالة وجدة (*رسالة* من حمادة إلى السلطان بتاريخ موافق 16 / 12 / 1879، خ ح، محفظة 14 وأخرى بتاريخ موافق 23 / 12 / 1879 بمحفظة 11). لكن مع ذلك لم يتمكن حمادة من مد سلطته على قصبة العيون المجاورة له، وذلك للاعتناء الخاص الذي أولاه السلطان مولاي الحسن للقصبة منذ حركته إلى وجدة سنة 1876، حيث عَيَّنَ بها قائدا مخزنيا ليس له أي عصبية من بين القبائل المجاورة. ارتأى السلطان ذلك للأهمية الاستراتيجية للقصبة كمكان وممر تجاري هام ومنطقة اتصال قبائل مختلفة. ومع ذلك أعفى السلطان قائد القصبة من مهامه واستبدله كُلّما دخل في صراع مع البوزگاوي، بل في الواقع لم يعد سوى خليفة له بالقصبة. ( *رسالة حسنية* بتاريخ موافق 6 / 5 / 1892، خ ح، محفظة 696).

- في الواقع كانت مصاهرة حمادة البوزگاوي للسلطان وإخلاصه في خدمة المخزن حجاباً لقبيلته، حيث لم تتعرض لأي هجوم أو أطماع من القبائل المجاورة لها خاصة القادمة من غرب الجزائر تحت ضغط الفرنسيين.

لكن على خلاف القبائل المجاورة التي كان بإمكانها أن ترفض أو تقبل أحد قوادها وتطالب المخزن بالتدخل للحدّ من طغيانه أو استبداله، فإن قبيلة بني بوزگو تميزت بالخضوع والخنوع لما كان لقائدها من نفوذ لدى المخزن.

ازدادت سلطة حمادة بعد المجزرة التي دبّرها بقصبته لمجموعة من أنصار الروگي (بوحمارة) الثائر ضد السلطة الشرعية، وذلك بعد أن تظاهر له البوزگاوي بالطاعة والامتثال وقبول مصاهرته. نوّه السلطان مولاي عبد العزيز بهذا العمل، وأنعم عليه بظهير شريف وأمر عمال وجدة بتعيين الأماكن المناسبة له ولولده وتنفيذ المؤونة لهم جميعاً ( *رسالة عزيزية إلى القائد حمادة بتاريخ موافق* 26 / 8 / 1904 *بحوزة الورثة*). استفاد ورثة حمادة من ظهائر الاحترام والتوقير حيث ظلوا على رأس قبيلة بني بوزگو إلى ما بعد فترة الاستقلال، لكن الرواية الشفوية لبعض المسنين تتحدث عن أسلوب حكم النگادي بن حمادة بجانب السلطات الفرنسية التي استعملته بدورها في ضبط القبيلة وردع المقاومة حيث دبّرت مؤامرة إلقاء القبض على القايد گرطيط ونفيه إلى الأبد عقابا له على مساعدته سريّاً لحركة التحرير. يعتبر ذلك أول صراع داخلي حيث حاولت السلطات الفرنسية إضافة قيادة أخرى للقبيلة. رغم تآزر سلطة الحماية وأتباعها من أعيان القبيلة لردع المقاومة المسلحة، فإن وعورة المنطقة سمح بتنظيم جيش التحرير، والدليل على ذلك عدد البطاقات الموزعة على المقاومين البوزگاويين.

قبيلة بني بوزگو من أقدم قبائل المنطقة، شأنها في ذلك شأن بني يعلا والزكارة وبني يزناسن، ومع ذلك ظلت محاصرة بالجبال وهوامشها لعدم الاستقرار في السهول التي ظلت أراضي جماعية إلى بداية القرن العشرين حيث استقرت بها، وبشكل نهائي، قبائل قادمة على الخصوص من غرب الجزائر مثل بوعمامة وإخوانه. منذ إعلان الحماية حددت فرنسا مجال كل قبيلة لتجبرها على الاستقرار، إذ ذاك أصبحت قبيلة بني بوزگو محرومة من النزوح نحو السهول من ممر تاوريرت - العيون. اقتصر نشاط سكانهاعلى الرعي بالمنطقة الجبلية وهوامشها الهضبية الشمالية، أمّا الزراعة فيمكن اعتبارها يانصيبية لتردد سنوات الجفاف على المنطقة.

يمكن القول حاليا إن السكان وخاصة الشباب منهم، لا يعيرون أي اهتمام للفظ قبيلتهم، حيث اختزل من كل معانيه القديمة وأهدافه.

عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873 - 1907*، الرباط، 1987.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance*, op. cit. p. 389 ; La Martinière et Lacroix, *Document*, T 1, 1894 ; Lt. Gaquière, *Les Beni Bouzeggou*, *B. S. G. A. O.*, 1910, p. 491 - 515.

شاكر الميلود

**بني بوشيبت**، قبيلة تقع بناحية صنهاجة السراير

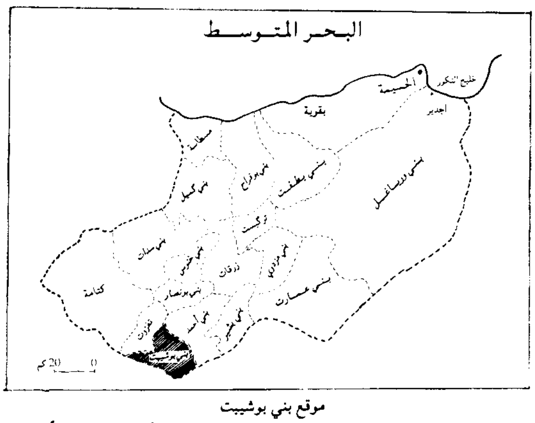


موقع بني بوشيبت

(إقليم الحسيمة) وتحيط بها قبائل تـغْزُوتْ وبني أحمد وبني سلامة. تقدر مساحتها بـ 88 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 يقدر بـ 3.603 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة بالرغم من وجودها وسط قبائل تتكلم باللهجة الصنهاجية، وبالقبيلة ثمانية مساجد وضريحان وزاوية وتسعة كتاتيب قرآنية.

تنقسم القبيلة إلى فرقتين هما : الفوقى (4 مداشر) والسواحل (5 مداشر).

وفي التقسيم الإداري الحالي تكون مع قبيلة تاغزوت جماعة قروية واحدة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 11، 107 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 :

259 ؛ + ببيليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني بوعياش**، جماعة قروية بإقليم الحسيمة، تنتمي - من حيث التقسيم الإداري للمملكة - إلى دائرة بني ورياغل الريفية. عدد ساكنتها، حسب الإحصاء العام لسنة 1982، يقدر بـ 31.232 نسمة.

تشير التقارير الإدارية الإسبانية إلى أن ساكنة دائرتها بلغت، حسب إحصاء 1940 الذي وقع إنجازه بالمنطقة الخليفية، 60.132 نسمة، وكانت تتكون من التجمعات السكانية التالية : بني بوعياش وأيت يوسف أُعلي وإمرابطن وبني عبد الله وبني حذيفة.

مديرية الإحصاء، *السكان القانونيون للمغرب* عام 1971 و1982.

عبد العزيز خلوق التمسماني

**بني بوفراح**، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الحسيمة)

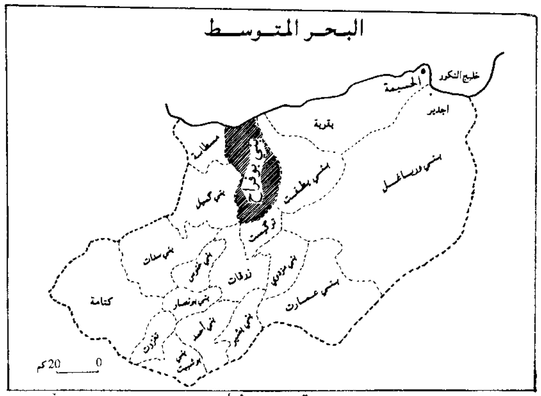


موقع بني بوفراح

وتحد شمالا بالبحر المتوسط وتحيط بها قبائل بني يطفت وتَارگيست وزرقات وبني گميل ومسطاسة. تقدر مساحتها بـ 150 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 يقدر بـ 6.512 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة باستثناء أربعة مداشر يتكلم سكانها اللهجة الريفية. وتوجد بهذه القبيلة قلعة صنهاجة المعروفة عند الإسبان بـ Cuatro Torres de Alcala أي القلعة ذات الأبراج الأربعة، كما تتوفر القبيلة على ستة عشر مسجداً وتسعة أضرحة وأربع زوايا وعشرين كتاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : السواحل وأولاد عيسى وابحيانا واگني. تحتوي كل واحدة منها على خمسة مداشر.

وفي التقسيم الإداري الحالي تكوِّن هذه القبيلة جماعة قروية تحمل اسمها.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 13 ؛ + ببيليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

**بني بوگافر**، قبيلة تقع ناحية گلعية (إقليم الناظور) تحد شمالا بالبحر المتوسط، وتحيط بها قبائل بني شيكر وبني سيدال وبني سعيد. وبهذه القبيلة كانت توجد مدينة غساسة، لذلك سميت القبيلة في الماضي بقبيلة اغصاصة وتقدر مساحتها بـ 70 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 يقدر بـ 9.139 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية، ويوجد بالقبيلة اثنا عشر مسجداً وأربعة أضرحة وزاوية وثلاثة عشر كتَّاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

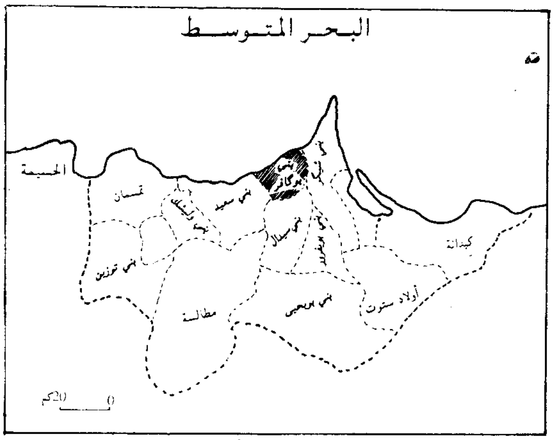


موقع بني بوگافر

تنقسم القبيلة إلى ثلاث فرق هي : امهياتا (5 مداشر) وبوحوى (3 مداشر) واحبصاتا (6 مداشر). وفي النظام الإداري، الحالي تكون هذه القبيلة الجماعة القروية المسماة "اعزانين".

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 13 ؛ + ببيليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني بولعيش**، جبل بأنجرة الحالية، تستقر فيه عدة قرى تنسب إليه. يقع الجبل في الزاوية الجنوبية من تراب أنجرة، ويميز رقعته التفاف مجرى واد مگوكا الأعلى بها، على طريق تطوان عند مخرجه من طنجة، مَا بين جبل الخراب وجبل تفغالت.

يتألف الجبل حالياً من ثلاث قرى : بني واسين والبرج ومزيب ابن أبي العيش، أو العيشي. ولا نعرف الشخص الذي نسبت إليه القرية الرئيسية، فبهذا الاسم عرف الجبل بالمصادر البرتغالية (Benaulente) و(Benavolence). والظاهر أن الاسم مستمد من إحدى الأسر الإدريسية المنتشرة بالشمال الغربي المغربي منذ القرن الرابع الهجري. وظهرت تجمعات الجبل خلال القرن التاسع بالقوة التي أوحى للبرتغاليين بنشوء إمارة مستقلة بالجبل. ولم يكن ذلك سوى بعض الامتيازات التي حظي بها الشرفاء الأدارسة من طرف أمراء بني مرين. وسرعان ما كثر عدد سكان الجبل، نتيجة الهجرة التي تلقاها من فحص طنجة القريب منه، فراراً من الغارات البرتغالية. إلا أن جنود القصر الصغير لم يتأخروا عن مداهمة قرى الجبل في العاشر من أبريل 1462. وبذلك هاجر السكان إلى جبل حبيب وجبال أخرى. وفي الربع الأول من القرن العاشر الهجري وجد أحد أفراد أسرة بني العيش بقلعة خروب من جبل حبيب، بصفته مقدم

مجاهدي الجبل.

*ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، ص 39.

Gomes Eanes de Azurara, *Cronica do D. Duarte de Meneses*, p. 243, 237, 265, 312, 213, 314, 316 ; Fernando de Meneses, *Historia de Tanger*, p. 127, 145, 155, 161.

حسن الفكيكي

**بني بُونْصار**، قبيلة تقع بناحية صنهاجة السراير (إقليم الحسيمة)، وتحيط بها قبائل بني خنوس وزرقات وبني احمد وتغزوت وبني سدات. تقدر مساحتها بـ 49 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 : 1.503 نسمة يتكلمون اللهجة الصنهاجية والعربية الدارجة، وبالقبيلة تسعة مساجد وثلاثة أضرحة وزاوية وتسعة كتاتيب قرآنية، وتحتوي هذه القبيلة على تسعة مداشر.

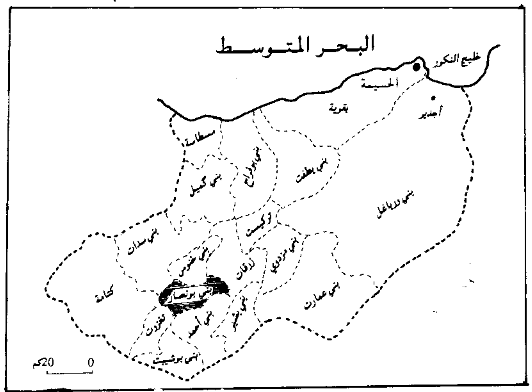


موقع بني بونصار

وفي التقسيم الإداري الحالي تكوِّن هذه القبيلة مع قبيلة بني خنوس جماعة قروية واحدة. ولعل هذه القبيلة هي التي ذكرها الوزان الفاسي ( ص 257) باسم بني منصور.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 15، 366 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 257.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T.II, passim ; A. Domenech, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926, passim ; *Vademecum de la Intervencion Territorial del Rif* (1946), p. 89.

**بني بويحيي**، قبيلة تقع بناحية الگارت (إقليم الناضور( وتحيط بها قبائل : بني سيدال وبني بويفرور وأولاد ستوت ومطالسة. ومراكزها الرئيسية توجد بحاسي بركان وتيزطوطين والروي. وتقدر مساحة القبيلة بـ 1.229 كلم مربع، يتكلمون باللهجة الريفية، ويوجد بالقبيلة خمسة وأربعون مسجداً وسبعة أضرحة وزاويتان وخمسون كتَّاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى تسع فرق هي : أولاد عبد الدائم (9 مداشر) وأولاد عبد السميح (مدشران) وأولاد قطومة (4 مداشر) وأولاد علي (مدشران) وأولاد موسى (4 مداشر) واخيانين (5 مداشر) وأولاد عبد الله (4 مداشر) وبني وكيل (9 مداشر) وأولاد رحو (11 مدشراً).

وفي النظام الإداري تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة تيزطوطين وجماعة حامي بركان.

**بني بُويفرُور**، قبيلة ريفية تقع بناحية گلعية (إقليم الناضور)، وتحيط بها القبائل التالية : بني يويحيى وبني شيكر ومزوجة وأولاد ستوت وبني سيدال ؛ وهي التي سماها الوزان الفاسي (ص 268) ازغنغان، وتقدر مساحتها بـ 250 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 يقدر بـ 24.378 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية. وقد تناقص عدد السكان في إحصاء سنة 1982 فأصبح لا يتجاوز 14.105 نسمة.

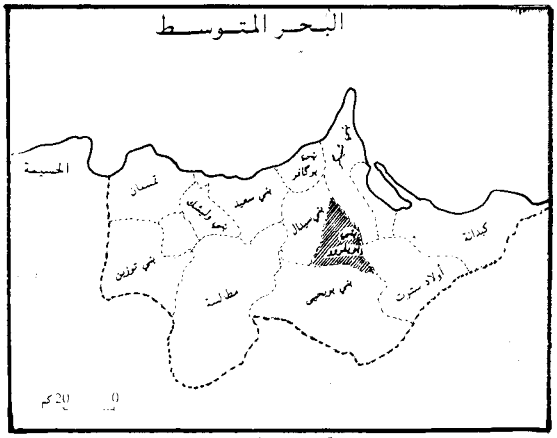


موقع بني بويفرور

وبهذه القبيلة يوجد منجم للحديد والرصاص وقصبة سلوان التي أسسها مولاي إسماعيل، وتحتوي القبيلة على ثلاثين مسجداً وعشرة أضرحة وثلاث زوايا وواحد وثلاثين كتاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى سبع فرق هي : اعلاصا (5 مداشر) وازغنغان (7 مداشر) واگزولة (8 مداشر) وويكسان (6 مداشر) وأولاد شعيب (3 مداشر) وارگانة (4 مداشر).

وفي النظام الإداري الحالي تنقسم القبيلة إلى ثلاث جماعة قروية : جماعة ازغنغان - جماعة بني بويفرور - جماعة سلوان.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 268 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 15 ؛ مديرية الإحصاء بالرباط، *السكان القانونيون للمغرب*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني تاجيت**، (أو بْني تْجِّيتْ)، حسب النطق المحلي، اسم يطلق على قصر قديم يقع في قلب الأطلس الكبير الشرقي على الضفة اليسرى لوادي أيت عيسى، وهو عالية وادي بوعنان، وقد تطور استعمال الاسم ليشمل أيضاً مركزاً حديثاً يوجد على مسافة أقل من كيلومترين من القصر بالضفة اليمنى نحو سافلة الوادي نفسه، وقد أنشأته إدارة الاحتلال الفرنسي التي جعلت منه أول الأمر مركز

استغلال معدني تابع لبوذنيب (1912) ثم لمركز تالسينت بعد ذلك. ومع تطوره وتوسعه أصبح مركز جماعة قروية تابعة لدائرة الريش (إقليم قصر السوق = إقليم الرشيدية حالياً). وفي سنة 1974 أنشئ إقليم فگيگ فأصبحت بني تاجيت إحدى دائرتيه، وقد تكونت من جماعات تالسينت وبوعنان وعين الشواطر إضافة إلى جماعة بني تاجيت، وكلها فصلت آنذاك عن إقليم الرشيدية.

يرتبط مركز بني تاجيت بالشبكة الطرقية الوطنية عبر طرق ثلاثية معبدة جزئياً، وتفصله عن بوعرفة حيث مقر عمالة إقليم فگيگ مسافة 170 كلم، كما تفصله عن ميسور حيث مقر عمالة إقليم بولمان مسافة 135 كلم، ويبعد عن الرشيدية بمسافة 125 كلم.

تعتبر جماعة بني تاجيت أصغر الجماعات القروية بإقليم فيجيج من حيث مساحتها إذ لا تزيد عن 1601 كلم², وتقع في الجزء الغربي من الإقليم محاذية لإقليم الرشيدية وتضم عدداً من القصور والدور المنتشرة على ضفاف وادي أيت عيسى وروافده التي تخترق مجموعة من الأحواض والسهول الرسوبية المتسعة بين التلال والأعراف الكلسية والدولومية الجوراسية الأطلسية التي يتجاوز ارتفاع بعض قممها 2000 م. وتنتشر هذه التجمعات السكنية في واحات صغيرة فوق المصاطب الرباعية عموماً، على ارتفاعات تتراوح بين 980 م في سافلة وادي أيت عيسى (قصر بني باصيا) و1380 م في عاليته (أيت حدو).

تقع جماعة بني تاجيت في وسط يتسم بمناخ قاري وقاحل تتجلى قساوته من خلال الحرارة المرتفعة صيفاً والمنخفضة شتاءً، ومن خلال معدلات التساقطات السنوية التي لا تتعدى 100 ملم في قعور المنخفضات وحوالي 200 ملم في القمم المرتفعة، وتتسم هذه التساقطات بعدم الانتظام، وقد تشمل أحياناً ثلوجاً لا تدوم طويلا، أما التربات فإنها طميية رملية حصوية، فقيرة عموماً ومالحة أحياناً، ينمو عليها غطاء نباتي هزيل وضعيف الكثافة، يشمل السدرة أساساً وبعض النباتات الشوكية الأخرى التي تتلاءم مع شدة التبخر والنتح، فيما تؤوي قعور بعض الأودية باقات من الدفلى وبعض النباتات الملحية لا سيما قعر وادي أيت عيسى المتميز بدوام جريانه على ضعف صبيبه الذي تغذيه بعض العيون، كما أن بعض القمم وأعالي السفوح لازالت تحمل بقايا غابات خليفة تضم بعض أشجار العرعر المتناثرة.

تمتد جماعة بني تاجيت على نطاق قبيلة أيت عيسى وتشكل جيباً من أحلاف أيت يفلمان متوغلا داخل المحيط العام لمجموعة قبائل أيت سغروشن التي ينحدر منها عدد من سكان الجماعة نفسها ؛ وتتكلم هذه القبائل كلها الأمازيغية بلهجات متقاربة. وقد كانت الجماعة تضم عدداً من السكان اليهود قبل أن يغادروها، وقد استوطنوا بصفة خاصة أيت وازاگ وقصر بني تاجيت قديما، ثم مركز بني تاجيت خلال فترة الحماية مشتغلين بالحرف والتجارة.

تبلغ الكثافة السكانية بالجماعة في معدلها 6،5 نسمة/كلم². أما عدد السكان فقد بلغ 7.087 نسمة سنة 1960 ثم 9.363 نسمة سنة 1971، أي بزيادة 32٪ مقابل 10،7٪ فقط بين هذه السنة الأخيرة وسنة 1982 التي بلغ عدد السكان فيها 10.373 نسمة. ويرتبط هذا النمو السكاني البطيئ باحتداد وتيرة الهجرة، وخاصة نحو المدن، علماً بأن الهجرة نحو الخارج ضعيفة، إضافة إلى هجرة داخلية يستقطبها أساساً مركز بني تاجيت الذي ارتفع عدد سكانه من 2.455 نسمة سنة 1971 إلى 3.871 نسمة سنة 1982. وهذا ما يعكس زيادة بنسبة تفوق 57٪. وقد كان هذا المركز منذ نشأته يستقطب السكان النازحين من داخل الجماعة ومن خارجها، ولا سيما من واحات بوذنيب. أما القصور والتجمعات السكنية الأخرى فمنها التي تناقص عدد سكانها بشكل ملحوظ مثل قصر بني تاجيت وقصر بني باصيا وأيت داود أيوب وقصر موغل بصفة خاصة، ومنها التي تزايد عدد سكانها بوضوح مثل السبايك وأيت وازاگ وأيت السبع وأيت فضولي...

يتميز السكن بجماعة بني تاجيت بطابع تقليدي من حيث التصميم المتراص، ويحتوي عادة على طابق من حيث المواد المستعملة في البناء، وهي تشمل الطين والحجارة والأخشاب. غير أن عدداً من المساكن الحديثة ظهرت في العقود الأخيرة داخل القصور وبجوارها، مشيدة من طابقين أحياناً، وقد استعمل في بنائها الحديد والإسمنت والآجر وخاصة في مركز بني تاجيت الذي أصبح فيه البناء خاضعاً للتصميم منذ 1984. وينفرد هذا المركز عن باقي التجمعات

منظر عام لبني تاجيت

السكنية في الجماعة بتنظيم هندسي لأحيائه الممتدة على الضفة اليمنى لوادي أيت عيسى، مقابلة للأراضي الزراعية بالضفة اليسرى. أما الأزقة والشوارع فإنها غير معبدة وضيقة في غالبيتها. وينفرد مركز بني تاجيت أيضاً بعدد من التجهيزات والمرافق الاجتماعية والمصالح الإدارية والاقتصادية والتي منها مطار صغير وقديم وسوق مغطاة وأخرى أسبوعية تنعقد أيام الأحد ومحطة بنزين ومستوصف قروي ومدرسة إعدادية وبعض المؤسسات التربوية والاجتماعية للأطفال والشباب. أما المدارس الابتدائية فتوجد أقسام منها في كثير من التجمعات السكنية بالجماعة. شأنها شأن المساجد. وتوجد بالجماعة بعض الزوايا وبعض الأضرحة لشيوخ من الأدارسة مثل سيدي محمد السبع الموجود ضريحه بايت السبع إقديمن، أو من العلويين المدغريين مثل مولاي علي بن العابد بألمو الشرفا ومولاي عبد الله المدغري بخنيق الزاوية (زاوية قورة)، غير بعيد عن برج لحسن أُيبدير بتاغناميت وهو أحد أبطال المقاومة المسلحة في فترة الحماية، إذ كان له دور في تموين المتطوعين لمعركة بوگافر الشهيرة (1933).

تشكل الفلاحة والتعدين أهم الأنشطة الاقتصادية المحلية لجماعة بني تاجيت، وهي فلاحة معاشية تعتمد على السقي بواسطة مياه العيون والخطارات وسواقي السدود التقليدية الصغيرة، على ضفاف وادي أيت عيسى وروافده وتشمل المحاصيل البقول والمواد العلفية وبعض الحبوب مثل الذرة والقمح والشعير إلى جانب بعض الأشجار المثمرة، وخاصة منها الزيتون والتين، مع العلم أن النخيل على قلة عدده ينتشر أساساً في أقصى الجنوب الشرقي المتاخم للحد الشمالي لنطاق التمر. ويهتم السكان أيضاً بتربية الماشية وخاصة منها الغنم والماعز، إضافة إلى بعض الأبقار لدى المستقرين منهم. أما التعدين فيشغل أعداداً كبيرة من السكان تشغيلا موسمياً في الغالب، ويبلغ هذا التشغيل أوجه خلال فترات الجفاف مما يجعل الإنتاج متذبذباً، ويشمل هذا النشاط أساساً مناجم الرصاص والزنگ حول بني تاجيت، وخاصة بجبل بوظهر، وبالرغم من قدم هذا النشاط فإن طرق الاستغلال تقليدية في إطار تعاونيات تؤطرها وتسوق منتوجها خارج المنطقة بعض المؤسسات مثل مكتب الشراء والتنمية للمنطقة المنجمية لتافيلالت وفيجيج (C.A.D.E.T.A.F.) التي أنشئت سنة 1960. أما النشاط الصناعي فلا يتعدى بعض المطاحن وبعض مشاغل النجارة والحدادة وصناعة بعض مواد البناء ويستحوذ مركز بني تاجيت على أغلبها، وتعتمد هذه المنشآت جزئياً على الطاقة الكهربائية الحرارية المحلية التي لا تتجاوز مدة إنتاجها بضع ساعات يومياً في المساء إلى جانب صناعات تقليدية تلبي حاجيات محلية من أدوات ومنتوجات مختلفة.

*بحث ميداني.*

عبد الرحمان الحرادجي

**بني تاودا**، اسم لقبيلة وحصن، القبيلة تعد من بطون فشتالة الكبرى وهي إحدى قبائل اتحادية صنهاجة التي وصلت منطقة الشمال إلى جانب قبيلة لمطة الكبرى في عهد المرابطين. وقد استوطنت هذه الاتحادية ما بين مدينة فاس والسفوح الجنوبية لجبال الريف (*نزهة المشتاق*، 3 : 248 - 249).

بنى المرابطون حصن بني تاودا في مكان استراتيجي وموضع يتحكم في الدخول إلى جبال غمارة والخروج منها من هذه الجهة. وكان الهدف من بناء الحصن وتوطين تلك القبائل بالمنطقة محاصرة قبائل غمارة في جبالها ومنعها من النزول إلى السهول، وهذه خطة مرابطية طبقت منذ بداية دولتهم على طول الجبال المغربية حيث بنوا سلسلة من الحصون. ولعل اسم الحصن والقبيلة أخذ من تضاريس الموضع الذي بني عليه فهو شاهق ومخيف. والخوف والرعب في اللهجة البربرية (تاودا) (*التشوف*، 272 - 273) وقد يكون الاسم كذلك منبثقاً من شراسة القبيلة في محاربتها لقبائل غمارة أو للسببين معا وهو الأرجح.

كان الموقع معروفاً ومستغلا منذ القديم، فهو يستفيد من مياه وادي ورغة ومن حوضه الخصب في الفلاحة، وذلك ما أكدته الحفريات الأثرية المكتشفة بالصدفة (*Hesp.* 1938, 4ème tr.) ففي العهد الروماني شغلت الموقع مستعمرة رومانية، أو أنه كان تابعاً لها، وأقيمت فيه مشاريع فلاحية اعتمدت على السقي من مياه ورغة ومن الينابيع المجاورة. اندثرت تلك المشاريع مثلها مثل باقي المستعمرات الرومانية في فترة تدهور الأمبراطورية الكبيرة. وفي العهد الإسلامي الأول استرجع الموقع نشاطه (وجدت آثار وبقايا تجهيزات فلاحية إسلامية إلى جانب الآثار الرومانية) الفلاحي والاستراتيجي فقد استعملته قبائل غمارة للإنذار المبكر ومراقبة تحركات خصومها وتحركات التجار على الطريق المتجه من فاس نحو الساحل المتوسطي.

استغل الأدارسة مواقع استراتيجية لنفس الأغراض قريبة من بني تاودا كقلعة حجر النسر مثلا، جاء المرابطون فاستخدموا نفس المواقع فبنوا عدة حصون أشهرها بني تاودا وأمرگو الذي يعرف اليوم بمولاي بوشتا الخمار (*البحث العلمي*، ع. 27 يناير - يوليوز 1977).

لعب حصن بني تاودا الدور الذي بني من أجله، فقد كان نشيطاً عسكرياً وإدارياً واقتصادياً في تفاعل مع القبائل المرابطية المجاورة ومستفيداً من الإمكانيات الفلاحية والتجارية، فأصبح مدينة من المدن المرابطية الهامة في المنطقة مما جعل المرابطين يتخذونه مقراً لولايتهم هناك (*الاستبصار*، 190) ويقيمون به داراً للسكة كانت من أهم دورهم (*H.T.* 1970, Vol. 11) نظراً لموقع المدينة ومراقبتها للطرق التجارية الرابطة بين ساحل البحر المتوسط والداخل، خاصة طريق (فاس - طنجة) إضافة إلى نشاطها

الاقتصادي (فلاحة وتجارة) أي أن المدينة كانت تتزود بما يلزمها من الذهب والفضة لضرب العملة المرابطية (المرجع نفسه أعلاه). هدمت المدينة في العهد الموحدي، إلا أنها لم تهدم في إطار الصراع الموحدي المرابطي. ذلك أن المنطقة خضعت بسهولة للموحدين، ولم تهدم إلا في فترة لاحقة، أي فترة الثورات العارمة التي قامت ضد الموحدين، وتحديداً بعد ثورة مرزدغ الغماري الذي استفاد من مميزات الحصن وذلك سنة 557 / 62 . 1163، إلا أن الإدريسي (*نزهة المشتاق*، 249) وقد عاش إلى سنة 548 / 53 . 1154. يقول : "... وهي أول مدينة من مدن الغرب التي حل بها الفساد ونزل بها التغيير واستأصلها المصامدة وهدموا أسوارها... ولم يبق من هذه المدينة المنسوبة إلى بني تاودا إلا مكانها، وقد تراجع إلى مكانها نحو من مائة رجل فعمروها..." يعني قول الإدريسي فيما يعني أن المدينة قد هدمت قبل التاريخ المشار إليه، لكنه قال أيضاً إنها بدأت تستعيد نشاطها، مما يعني أن تحطيم المصامدة لمدينة تاودا كان عدة مرات (على الأقل مرتين) كلما ثار بجبال غمارة ثائر ضد الموحدين، وأشهر هؤلاء الثوار مرزدغ الغماري، وسبع بن منغفاد، على أن المدينة والموقع عرفا التجدد بعد ذلك، فالحسن الوزان (*وصف افريقيا*، 1 : 238) تحدث عنها قائلا: "مدينة على نهر ورغة بعيدة عن فاس بحوالي خمسة وأربعين ميلا كان بها قديما نحو ثمانية آلاف كانون.." وإحصاؤه لكوانينها لا يرجع ولا شك إلى العهد الموحدي بل إلى عهد قريب منه.

تحمل قرية بني تاودا اسم فاس البالي (هامش في *وصف افريقيا*، 1 : 238) ويقع فاس البالي ببطن البوار من قبيلة فشتالة بقيادة قلعة سلاس، كان تابعا لإقليم فاس، ولا يعرف أصل هذه التسمية، إلا أنه قد يكون بسبب وجه الشبه مع موقع فاس في القديم (كثرة المياه والخصب) عند اختيار إدريس له.

ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*.

محمد حجاج الطويل

**بني توزين**، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الناظور) وتحيط بها قبائل تمسمان وتافرسيت ومطالسة وگزناية وبني ورياغل. تقدر مساحتها بـ 610 كلم مربع، سكانها يتكلمون باللهجة الريفية، يوجد سوق القبيلة الرئيسي بعزيب ميضار. وأما القبيلة فإنها تحتوي على ثلاثة وستين مسجداً وثمانية أضرحة وثلاث زوايا واثنين وسبعين كتاباً قرآنياً ومدرستين للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى خمس فرق هي : اغربين (28 مدشراً) وأيت تاسفت (14 مدشراً) وبني بلعيز (21 مدشراً) وبني عكي (14 مدشراً) وبني تعبان (7 مداشر).

وفي النظام الإداري الحالي تنقسم القبيلة إلى ثلاث جماعات قروية : جماعة ميضار وجماعة ايغرماواس

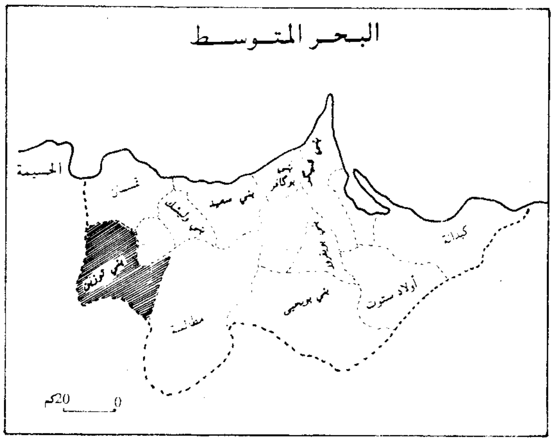


موقع بني توزين

وجماعة ثلاثاء ازلاف.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 114 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 269 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف*، 1 : 56 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني حذيفة**، جماعة قروية بإقليم الحسيمة. دائرة بني ورياغل. بلغ عدد سكانها 11.611 نسمة حسب إحصاء سنة 1982.

مديرية الإحصاء، *السكان القانونيون للمغرب عام 1971 وعام 1983*، الرباط.

عبد العزيز خلوق التمسماني

**بني حرشن**، قرية وقلعة. إحدى التجمعات السكنية الكائنة بقبيلة بني مصّور، من قبائل الشمال الغربي المغربي، عرّف بها ابن عسكر الشفشاوني والمصادر البرتغالية، يتفق موقعها مع قرية القلعة الحالية الواقعة في موضع مجاور لمر بني مصور الذي يشكله واد الحريشة. ولما كانت قلعة بني حرشن ملجأ مجاهدي القبيلة وجيرانهم بجبل حبيب، فإن جنود أصيلا البرتغاليين أغاروا عليها سنة 924 / 1518 أولا، ثم عادوا فغزوها ثانية سنة 955 / 1548. نعرف من مقدميها المجاهد تمام الحرشني، والفارس البارز علي الحرشني، وهما معاً من رجال القرن العاشر الهجري.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. محمد حجي، 24 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحلتة*، 2 : 402، 503، 513.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, 386 - 241 - 2 / 13 ; F. de Meneses, *Historia de Tanger*, 135 - 139 - 140.

حسن الفگيگي

**بني حزمر**، قبيلة تقع بناحية جبالة (إقليم تطوان). تحد شرقا بالبحر المتوسط وتحيط بها قبائل الحوز وبني يدر وبني عروس وبني ليث وبني حسان وبني سعيد. تقدر

مساحتها بـ 303 كلم مربع، وكان عدد سكانها 10.248 نسمة سنة 1949، يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، وهذه القبيلة التي يوجد مركزها الرئيسي بدار بن قريش تتوفر على ثلاثة وستين مسجداً وتسعة وعشرين ضريحاً وخمس زوايا وواحد وأربعين كتّاباً قرآنياً وعشرين مدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى خمس فرق هي : الواد (7 مداشر) والجبل (7 مداشر) وامطيل وبني راطن كل واحدة منهما تحتوي على ثلاثة مداشر، وفرقة بني معدان التي تحتوي على أربعة مداشر.

وفي النظام الإداري الحالي تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة بن قريش الفوقية، وجماعة بن قريش البحرية. بلغ مجموع سكانهما سنة 1971 : 17.392 نسمة، وصار 24.724 نسمة في إحصاء سنة 1982.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 108ـ115ـ118 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 155ـ289، 3 : 13 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 221، 4 : 100 ؛ مديرية الإحصاء بالرباط، *السكان القانونيون للمغرب*؛ + ببيليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

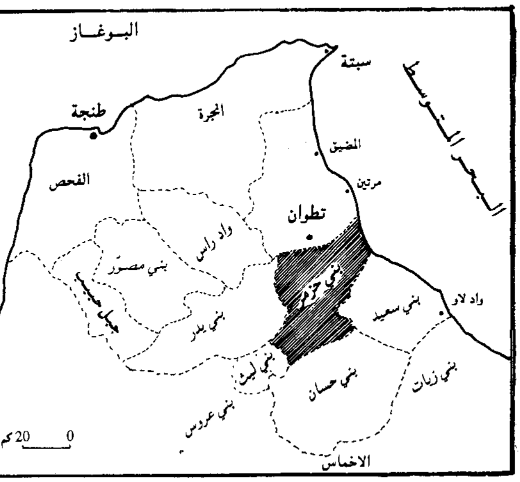


**بني حسان**، قبيلة بناحية جبالة (إقليم تطوان) وتحيط بها قبائل بني حزمر وبني سعيد وبني زجل والأخماس وبني ليث. تقدر مساحتها بـ 366 كلم مربع، وكان عدد سكانها 13.903 نسمة سنة 1946، يتكلمون اللهجة العربية الدارجة، ويوجد سوقها الرئيسي بسوق الأربعاء، كما تحتوي القبيلة على عشرة ومائة مسجد وأربعة عشر ضريحاً وثلاث زوايا وثلاثة ومائة كتّاب قرآني وثلاث مدارس للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى ثلاث فرق هي : بني علي (9 مداشر) وبني مهرون (7 مداشر) والخُمس (4 مداشر).

وفي النظام الإداري الحالي تنقسم القبيلة إلى ثلاث جماعات قروية هي : جماعة أولاد علي منصور وجماعة الواد، وجماعة إيسوماتن التي أُضيفت إليها قبيلة بني ليت.

والجدير بالذكر أنه يوجد بهذه القبيلة المسجد الذي بناه موسى بن نصير والمعروف بجامع البيضة وبجامع الملائكة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 108 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 249 ؛ + ببيليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني حسن**، اتحادية قبائل استقرت، مع مطلع القرن

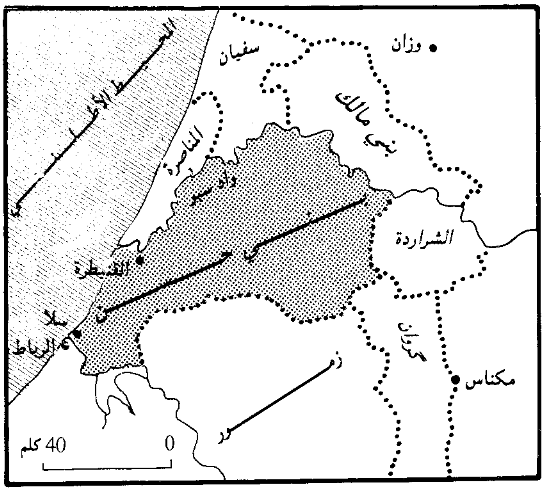


موقع بني حسن

العشرين، بالمنطقة الواقعة بسهل الغرب، بين مشارف غابة المعمورة جنوباً والضفة اليسرى لنهر سبو شمالا ومقدمة جبال الريف شرقا (تلال بلاد الشراردة) والمحيط الأطلنتي غربا، في تلك البقعة من أرض المغرب التي كانت تعرف قديماً "بأزغار" والتي قال عنها مارمول كربخال في كتابه "*افريقيا*" (2 : 188) :".. وهذا أغنى إقليم بافريقيا قمحاً وماشية وصوفاً وسمناً وجلداً...".

ومازال يمثل مجال بني حسن هذا أحد أغنى المجالات الفلاحية رغم تغير أنماط العيش والإنتاج به. فبعدما كان حتى بداية الأربعينات من هذا القرن يطغى عليه طابع الزراعة البعلية لإنتاج الحبوب وطابع الرعي التقليدي المعتمد على استغلال الغابة في الشتاء والمرجات في الصيف، تحول مجال بني حسن في الخمسينات وفي الستينات بالخصوص، إلى منطقة تنتشر بها زراعة النباتات السكرية من شمندر وقصب سكري وتتكاثر بها ضيعات الحمضيات.

وأصبح هذا التحول ممكناً بفضل تسرب نمط الإنتاج الرأسمالي الذي ساير غزو الاستعمار للبلاد. ففي نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات عرفت المنطقة استصلاحاً قامت خلاله إدارة الأشغال العمومية بتجفيف المستنقعات (المرجات) التي كانت تغطي بمجال بني حسن زهاء 30.600 هكتار (ج سيليري، *مرجات سهل سبو*، هسبريس م II، سنة 1922). وبشكل مواز شرعت في تجهيز المنطقة الواقعة في سافلة سد القنزرة على نهر بهت مما ساعد على توسيع رقعة المغارس سيما الحمضيات. ثم أقدمت الدولة على تمديد

شبكة السقي باستعمال مياه كل من نهري بهت وسبو. وأدخلت مزروعات جديدة في الستينات من سكريات وقطاني مما أضفى على المنطقة طابعاً متميزاً بالمقارنة مع ما كانت عليه قبل جيل أو جيلين.

وساعد انتشار المغروسات والمزروعات الجديدة هذا على ظهور مراكز صناعية وبزوغ مدن لم يكن لها وجود في بداية القرن كالقنيطرة وسيدي سليمان وسيدي يحيى ودار الگداري، وتعرف تطوراً سريعاً ومطرداً. وهكذا تحقق حلم أحمد سكيرج الذي جاب المنطقة في شهر دجنبر 1911، عشية فرض نظام الحماية على المغرب، حيث قال في مؤلفه *غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود* (نسخة مرقونة بالخزانة العامة : د 3847) :".. وسرنا على بساط أرض بني حسن... إلا أنه لا حرث بتلك الأراضي ولا غرس إلا فيما قل منها. ويا للأسف على ضياع مثل هذه الأرض الناعمة ! ولو وجدت من يقوم بعمارتها حرثاً وغرساً فإنها تكون جنة الدنيا بالنعم التي تخرج منها للفلاحين..."

لكن إذا كان حلم سكيرج قد تحقق على مستوى المشهد الجغرافي وأصبحت "الأراضي مخضرة بالدوالي المنبسطة والأشجار المصطفة..." وتقوى الإثراء الاقتصادي العام، فإن أرض بني حسن لم تصبح جنة بالنسبة للجميع. ذلك أن الثراء الملحوظ لم يعم السكان، إذ أدى النمو الديمغرافي وتمركز ملكية الأرض بيد أقلية إلى تفاقم الفقر بالمنطقة وتكاثر عدد الشباب العاطلين كما يؤكد ذلك ج. لوكوز في أطروحته (*الغرب : فلاحون ومعمرون*، 1964، ص. 523) حيث يشير إلى أن 5٪ من مجموع السكان كانوا يحتكرون في بداية الستينات 32٪ من الأراضي الصالحة للفلاحة. وزكى تلك الملاحظة نجيب بودربالة في مقال نشره في بداية السبعينات (ن. بودربالة، *بعض المعطيات الابتدائية عن تطور البنى الفلاحية بسهل الغرب* م. ج. م. رقم 20 سنة 1970).

ومرت اتحادية بني حسن عبر تاريخها من مراحل رئيسية ثلاث حيث بدأت حياتها في نوع من الكتمان قبل القرن السادس عشر، ثم شرعت في تنقلاتها من مكان إلى آخر وحجمها يتغير أحياناً تنضاف إليها فصائل وفروع جديدة وأحياناً أخرى تفقد أجزاء منها كما سنتعرف على ذلك من خلال مسايرتنا لبني حسن من منطلقهم إلى مكان استقرارهم الحالي، أي ما كان يسمى بأزغار وما نسميه حاليا بالجزء الجنوبي من سهل الغرب.

كان البدء متواضعاً فعلا وكان بمنطقة المغرب الشرقي وبصفة أدق بناحية تالسينت بالأطلس الكبير الشرقي. وغالب الظن أن النواة الأصلية كانت تنتمي لقبائل معقل العربية من دوي عبد الله أو دوي منصور، وكلهم متفرعون من أولاد بني حسن المنتمين إلى عمارة أولاد حسان. ثم انتقلت القبيلة إلى أعالي وادي ملوية مع مطلع القرن السادس عشر وجعلت من وزغت المشرفة على حوض ميسور مركزها الرئيسي. ولازال سكان المنطقة يعتبرون لحد الساعة، سيما منهم أولاد عباد وأولاد سقير، أن لهم قرابة ببني حسن. ومما دفع بنا إلى تزكية هذا الادعاء التشابه الملحوظ بين لقبي أولاد عباد القاطنين بأعالي ملوية والعبابدة الحسنويين، وكذلك بين اسم أولاد سقير المتداول حالياً بمنطقة ميسور واسم أهم بطن لبني حسن خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

وإذا ما رجعنا إلى الوثائق التاريخية، نجد في مؤلف الحسن الوزان *وصف افريقيا* ما مفاده أن بني حسن هم عرب كانوا ينتجعون بقطعانهم بين أعالي وادي نهر ملوية شتاء والسفوح الشرقية لجبال الأطلس المتوسط صيفاً إلى حدود فج أبخنانس الذي كان يسمى في القرن السادس عشر بخنق الغربان وهو أحد الممرات الملحوظة على الطريق الرابطة بين تافيلالت وفاس. ونجد نفس التصريح عند مارمول (الجزء الثاني ص 279).

اغتنم بنو حسن فترة الاضطرابات التي ميزت ظهور الدولة السعدية للتقدم نحو الشمال الغربي فعبروا جبال الأطلس المتوسط وجعلوا من سفوحها الغربية، بناحية گيگو، مراعي لقطعانهم في الصيف ومن نواحي صفرو والعنصر مراعي في فصل الشتاء.

ولا شك في أن زحف بني حسن هذا لا يعزى إلى فترة الفوضى التي سادت مع نهاية حكم بني وطاس فقط، بل مرده كذلك إلى عوامل كثيرة منها صعوبة العيش بمنطقة السفوح الشرقية للأطلس المتوسط مقارنة بما تقدمه السفوح الغربية من خيرات. ومن الأسباب أيضاً مخلفات وباء "الطاعون الأسود" الذي أفرغ في نهاية القرن الرابع عشر مناطق كانت آهلة بالسكان كمنطقة صفرو. كما يمكننا أن نضيف أيضا الضغوط التي أصبحت تمارسها اتحادية أيت عطا التي تكونت في منتصف القرن السادس عشر للقضاء على هيمنة القبائل العربية بالمغرب الشرقي.

وكدليل على وجود بني حسن على مشارف مدينة فاس، بمنطقة صفرو، في القرن السادس عشر، يمكن بالإضافة إلى ما جاء به ج. س. كولان في مجلة *هيسبيرس* (م 25، سنة 1938) في مقالة "الأصل العربي للحركة السكانية البربرية الكبرى"، الاستدلال بظهير لأحمد المنصور الذهبي يولي ابن سودة "قضاء بني حسن وبني علي وبلدة تازا" (*نشر المثاني*، الجزء الأول، ص. 54) كما يمكن الاستدلال بمكان لازال، لحد اليوم، يسمى ببلاد بني حسن بالقرب من ضاية عوا بالأطلس المتوسط.

وكتأكيد على هذا الوجود بمقربة من فاس هناك مساهمة بني حسن في الفتن التي تلت وفاة المنصور الذهبي، سنة 1603، حيث ورد في تاريخ الدولة السعدية لمؤلف مجهول (نشره ج. س كولان) ما مفاده أن بني حسن، بقيادة رئيسهم الشيخ سرحان، أحاطوا بشراقة المحاصرين لمدينة فاس لصالح عبد الله بن الشيخ السعدي (1613-1624) واستطاعوا بذلك فك حصار المدينة.

وباستثناء هذا الحدث لم نجد أثراً لعمل برز من خلاله

بنو حسن في الفترة الفاصلة بين انهيار الدولة السعدية وظهور الدولة العلوية.

وفي بداية عصر المولى إسماعيل (1672 ـ 1727) قام عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (حوالي سنة 1680) بتضمين مؤلفه *الأُقنوم* (ص 518) قائمة بالقبائل المكونة لبني حسن القاطنة بضواحي فاس. ويقسم تلك القبائل إلى أربعة بطون رئيسية هي : الجماعات وبنو محمد والعلاونة وغمرة. ويضيف بعد الإشارة إلى غمرة :"ولكن دخلوا في بربر لوقتنا ونقلوا". فهل يشمل هذا التعليق مجموعة قبائل بني حسن أم يقتصر على بطن غمرة ؟ إننا لا نجد مبرراً يمكننا من الفصل في هذه المسألة.

ويتقدم عبد الرحمان الفاسي، بعد ذلك، بسرد لجميع الفرق والفروع التي كان يتكون منها قبيل بني حسن.

والملاحظة الأساسية التي نستخلصها مما جاء في *الأقنوم* هي أن بعض بطون بني حسن كما نعرفها اليوم أو كما وردت علينا في تقاييد المؤرخين بعد القرن السابع عشر لم توجد ضمن المجموعة التي أتانا بها عبد الرحمان الفاسي. هكذا فبنو سگير الذين سيبرزون داخل القبيل الحسناوي، في نهاية القرن الثامن عشر وفي بداية القرن التاسع عشر، كانوا مستقرين، حسب *الاقنوم*، بعيداً عن بني حسن، مثلهم في ذلك مثل مختار الذين يكوِّنون حاليا مع أولاد يحيى أحد البطنين الرئيسيين لمجموعة بني حسن.

فحسب *الأقنوم*، كان مختار القاطنون حينئذ بحوز مكناس يحاذون قبائل السهول وحصين ويعتبرون من الفصائل القريبة عرقياً من سفيان وبني مالك جاء في *مناهل الصفا* للفشتالي (ص. 108) أن مختار من بين القبائل التي كانت، خلال قرون ثلاثة، من شيعة بني مرين مع الخلط وسفيان وكلهم من جشم، أي من أحد بطون بني هلال وليسوا من معقل.

ويمكن دعم هذا التصريح بالرجوع إلى ترجمة الشيخ الكامل سيدي محمد ابن عيسى كما جاء بها ابن زيدان في *الإتحاف* (4 : 12) حيث قال : "هو محمد ابن عيسى الفهدي السفياني الأصل المختاري النشأة المكناسي الدار والإقبار".

أما بنو سگير فكانوا مجاورين حسب *الأقنوم* دائما للقاودة الذين كانوا يفصلونهم عن مدينة سلا.

وتجدر الإشارة هنا إلى رسالة للأمير العياشي، أتى بها الأستاذ عبد اللطيف الشاذلي في كتابه *الحركة العياشية* ص 166، يشار فيها إلى بني مالك وسفيان والخلط وحصين وكذلك لأولاد سگير ومختار والصباح. ولا يلقب لا أولاد سگير ولا مختار ببني حسن.

ومع بداية القرن الثامن عشر، يبدو أن بني حسن خضعوا إلى ضغط أيت يوسي وجيرانهم من البربر الذين أرغموهم على الرحيل من منطقة گيگو وصفرو والاقتراب من مدينة مكناس، ثم اكتساح المنطقة الواقعة بين نهري بهت وأبي رقراق، في حين أن مختار كانوا مستقرين بمنطقة عين العرمة غرب مكناس (*الضعيف*، ص. 124 وص. 318).

وبعدما فقد القبيل الحسناوي، في معركته مع أيت يوسي وأيت مڤيلد، بعض عناصره كالفرقة الملقبة بأيت غياث والتي تنتظم حالياً تحتَ لواء بني مگيلد والتي مازال أفرادها يصرحون أنهم من شظايا أولاد غياث من بني حسن، انضاف إليه بأحواز مكناس مختار وبنو سڤير المكونون من أولاد يحيى والصفافعة وأولاد بن حسين وأولاد نعيم والتوازيط.

فما هو السر في هذا الانضمام وهذا الالتفاف ؟

هل يرجع، بالنسبة لمختار، إلى شعور بنوع من العزلة بعدما غادر سفيان وبنو مالك أحواز فاس ومكناس ليستقروا، مرة أخرى، وبشكل نهائي، بالغرب، سيما والقبائل البربرية أخذت في زحفها نحو الغرب والشمال الغربي بشكل مكثف بعد وفاة المولى إسماعيل ؟ أم يعزى سبب ذلك الالتحاق ببني حسن إلى عامل آخر نجهله ؟ أما فيما يخص بني سگير فلا يسعنا إلا أن نتساءل، وكل ما يمكننا أن نثير الانتباه إليه، في إطار هذا التساؤل، هو أن هناك، في المنطقة الأصل لبني حسن، مجموعة تدعى أولاد سگير سبق أن أشرنا إليها.

هل انفصل بنو سگير عن باقي بني حسن في مرحلة من مراحل تجوال القبيل بين أعالي ملوية وأحواز مكناس لسبب نجهله ثم استعاد مكانته بعد ذلك عندما صعب الأمر على جميع القبائل ذات الأصل العربي في القرن الثامن عشر فاجتمع شمل القبيل مرة أخرى ؟ إن هذا الافتراض وارد، لكننا لا نستطيع إثباته.

وفي العقد الثالث من القرن الثامن عشر، أي إبان الفتنة التي أودت بمعظم منجزات المولى إسماعيل والتي دامت زهاء ثلاثين عاما تميز نشاط قبائل بني حسن لدرجة أنها أصبحت، في حجمها الجديد، مع مختار وبني سگير، من القبائل الفاعلة في جميع الأحداث السياسية التي طبعت تلك الحقبة، فكان مجالها يمتد من أحواز مكناس إلى ضواحي سلا إلى أزغار أي إلى مشارف سهل الغرب مع تمركز بين نهري بهت وأبي رقراق وأصبحت حلتهم العسكرية تجوب شمال البلاد من منطقة العرائش إلى ناحية تالمغت أي إلى ما يسمى حاليا ببلاد زعير.

وفي نزاع أبناء المولى إسماعيل على الملك، اختار بنو حسن أن يكونوا من شيعة المستضيء ضد أخيه عبد الله، فحاصروا مكناس سنة 1151 / 1738 وأخذوا يقطعون الطرق حتى أوقع بهم الباشا الحوات، قائد عبيد الرملة، الهزيمة وأرغمهم على الاستسلام مؤقتاً (*الضعيف*، ص. 126). ثم عادوا إلى غيهم فنهبوا قيصارية مكناس بقيادة كبيرهم قاسم أبي عريف سنة 1156 / 1743 (*الاستقصا*، 7 : 151 ؛ *الروضة السليمانية*، ص. 93).

وفي نفس السنة، انهزمت فلولهم المساندة للمولى المستضيء والتي كان ضمنها عشرة آلاف من الخيل في معركة دار العباس على ضفاف نهر اللكوس (*الاستقصا*، الجزء 7، ص. 167 ؛ *الروضة*، ص. 93) حيث فقدوا خمسة

آلاف من الخيل وكميات كبيرة من السلاح ومات لهم أزيد من ألف محارب.

ثم في العام الموالي أي سنة 1157 / 1744، بعدما قام بنو حسن بمحاصرة الرباط (*نشر المثاني*، 4 : 49 ؛ *الضعيف*، ص. 149) نهض إليهم المولى عبد الله بجيوشه وكبدهم هزيمة شنعاء ببسيط زبيدة بتالمغت بالقرب من مركز الرماني الحالي (*الاستقصا*، 7 : 167 ـ 168 ؛ *الإتحاف*، 4 : 343 ؛ *الضعيف*، 249).

ويبدو أن سبب نصرة بني حسن للمستضيء وتعرضهم للمولى عبد الله يعزى إلى الدعم والمساندة اللذين ما فتئ يقدمهما المولى عبد الله إلى بربر گروان حيث لم يعارض تقدمهم نحو سهل مكناس الذي كان يمثل مجالا من مجالات بني حسن. كما نجد سبب نصرتهم للمستضيء في العداوة التي كانت بينهم وبين العبيد منذ بداية فترة الفتنة. أضف إلى ذلك أن بني حسن عندما أرغمهم گروان على التخلي عن سهل مكناس، اتجهوا نحو الغرب وجعلوا من أودية الجداول التي تخترق غابة المعمورة جزءا من مجالهم الجديد. فلهذا السبب ضيقوا على العبيد القاطنين بها ولا سيما بمركزهم مشرع الرملة إلى أن أرغموهم على مغادرته سنة 1159 / 1746، قبل أن يقوموا بنهب ما تركه عبيد البخاري من دور وأثاث (*الضعيف*، ص. 152 ؛ *الاستقصا*، 7 : 192).

ويذكر الزياني في *الروضة السليمانية* أن المولى عبد الله أقدم في نفس السنة على قتل رؤساء بني حسن (*الروضة*، ص. 93).

مهما كان من أمر فإن بني حسن دخلوا بعد سلسلة الانهزامات التي تكبدوها طيلة ثماني سنوات متتالية، فترة استقرار امتدت من نهاية ولاية المولى عبد الله إلى نهاية عهد ابنه سيدي محمد، أي لمدة أربعين سنة تقريبا، في حين أن مجالهم أصبح ينحصر بين غابة المعمورة ونهر بهت شمالا ونهر أبي رقراق جنوبا.

وكتأكيد على إخضاع بني حسن للحكم المركزي ودخولهم في طاعته، أقدم سيدي محمد بن عبد الله على عزل قائدهم أبي عريف وجعل مكانه محمد القسطالي الذي كان خديم والده، وأصبح بعد ذلك من أصهار الملك (الزياني، *الروضة*).

لكن الاستقرار كان ظاهرياً فقط، حيث امتازت السنوات الأخيرة من عهد سيدي محمد بن عبد الله بتأزم المجتمع المغربي نتيجة تفاقم ظاهرة الجفاف (1161 ـ 1190 / 82 ـ 1776) مما أدى إلى اندفاع جديد للقبائل البربرية نحو السهول. فأخذت زمور تزاحم بني حسن وتناوشهم وتدفع بهم إلى أمام نحو سهل الغرب. وكان ذلك من الأسباب التي جعلت سيدي محمد بن عبد الله يناصر أصهاره من بني حسن وينظم حركة ضد زمور انتهت بهزيمتهم في معركة تافدايت سنة 1198 / 83 ـ 1784 (*الروضة*، ص. 120)، قبل أن يوطن گروان بجوارهم بعدما ردهم من الغرب وذلك ليقوموا بمراقبة زمور.

وبعد الاضطرابات التي زامنت وفاة سيدي محمد، رجعت قبيلة بني حسن عن غيها واستمر الأمر على هذا المنوال طوال عهود كل من المولى اليزيد (1204 ـ 1206 / 1790 ـ 1792) والمولى سليمان (1206 ـ 1237 / 1792 ـ 1822) مع تغيرات طفيفة طرأت على مستوى قيادة القبيلة حيث بدأ نجم سقير يلمع بعدما أخذ نجم القساطلة يختفي تدريجياً.

أما على مستوى كيان القبيلة فالملاحظ هو أن بني حسن أخذوا يتوغلون أكثر داخل سهل الغرب بحثاً عن أراض جديدة تعوض ما يضيعون فيه بسبب ضغط زمور المستمر عليهم. في هذا الإطار يجب إدراج هجومهم على عرب الصباح سنة 1205 / 1790 وهم الذين سبق أن التجأوا إلى دخلة وادي سبو (*الضعيف*، ص. 222) ذلك الهجوم الذي أدى إلى تشتيت رحى الصباح حيث انضاف جزء منهم إلى زعير وجزء آخر إلى زمور.

لكن لم يحفظ هذا العمل الشنيع بني حسن من شر زمور، فاستمر الضغط، لأن زمور، هم بدورهم، كانوا خاضعين لضغوط مَن خلفهم. فأدى كل ذلك إلى إقصاء بني حسن من الأراضي التي استقروا بها في القرن الثامن عشر وإلى تقدمهم نحو الغرب رغم ما حاول المولى سليمان القيام به سنة 1232 / 1817، إذ أمر زمور بالخروج من بلاد حسن الذين سبق أن أدرج الجيد من خيلهم سنة 1226 / 1811 في صفوف جنده (*الضعيف*، ص. 369). ولهذه الغاية، كلف الباشا سليمان بن القرشي السگيري بالنزول على دار الغازي بوسط بلد زمور بالحلة والمحلة (*الضعيف*، ص. 379).

لكن لم يجد ذلك فتيلا. فاستمر الأمر على ما كان وزحف زمور يتقدمون أحياناً ببطء وأحيانا بشكل عنيف إلى نهاية القرن التاسع عشر حيث تمكنت قبائل زمور من معظم اراضي بني حسن. واستقر بنو حسن في الضفة اليسرى لنهر سبو على حساب سفيان وبني مالك الذين أرغموا على عبور النهر والاكتفاء بضفته اليمنى (*لوكوز*، ص. 244).

وخلال عهود كل من مولاي عبد الرحمان وسيدي محمد ومولاي الحسن ومولاي عبد العزيز، لم يظهر ذكر بني حسن إلا في بعض الأحداث كمشاركتهم في القضاء على انتفاضة الوداية بفاس الجديد سنة 1247 / 31 ـ 1832 (*الاستقصا*، 9 : 37) ومساهمتهم ضمن جيوش المولى عبد الرحمان في التنكيل بالزاوية الشرادية بضواحي مراكش، نادى بالثورة من صفوف قبيلة سفيان المجاورة لهم سنة 1267 / 1850 رغم أن البعض منهم كالصفافعة والتوازيط وكلهم من أولاد سگير سبق لهم أن تمردوا عند الاعلان عن بيعة المولى عبد الرحمان سنة 1238 / 1822.

أما في عهد سيدي محمد فلم يسجل عليهم سوى بعض الاضطرابات التي كان يتسبب فيها أولاد سگير وخصوصاً منهم أولاد يحيى والصفافعة، وهي اضطرابات

أدت بمولاي الحسن، الذي بويع في نفس الإبان، إلى النهوض إليهم والإيقاع بهم في وقعة شنيعة (*الاتحاف*، 2 : 151).

ومع نهاية العهد الحسني وبداية العهد العزيزي (1309 ـ 1313 / 1892 ـ 1896) استأنف زمور نزوحهم نحو الشمال وأخذوا ينافسون بني حسن في استغلال غابة المعمورة، لدرجة أن بني حسن كادوا أن يفقدوا سيطرتهم على مجموع مجال الغابة، لولا تجميد الوضع نتيجة دخول عهد الحماية، علماً بأن بني حسن لم يتأثروا بثورة الجيلالي الروگي. هكذا استقر بنو حسن في النهاية في البقعة التي أصبحت تلقب بلقبهم في يومنا بعدما دام مسيرهم زهاء أربعة قرون اتخذ في بعض الأحيان شكل الملحمة وأحياناً أخرى مظهر التزحزح البطيء عبر المجال، فانضاف لهم في عهد العزة بعض البطون التي لم تكن منهم في الأصل، كما فقدوا بعض فرقهم في فترات الضعف والتقهقر. وآخر من انضاف إليهم، كمجموعة قائمة بذاتها جماعة من المهاجرين الجزائريين الرافضين لاحتلال بلدهم في منتصف القرن التاسع عشر وهم الملاينة الآتون من مليانة غرب الجزائر.

وفي الخلاصة، نلاحظ من بين ما نلاحظه، أنه مع تعاقب الأجيال تفقد الذاكرة الجماعية بعض الألقاب وبعض الأسماء لمدة طويلة، فلا أحد اليوم يعترف بأن مختار دخلاء على القبيلة الأصلية، ولا أحد يتذكر بني سگير وإن حكموا القبيلة لمدة من الزمن، فهذه الظاهرة مضافة إلى ظواهر أخرى، تجعلنا نشك في المفهوم الذي يعطى عادة إلى القبيل والذي يقول إنه مجموعة تستوحي تجانسها في أصل واحد. ومن دون شك فإن تاريخ قبيل بني حسن في خطوطه العريضة تاريخ معظم المجموعات القبلية المغربية التي شاركت في هذا الزحف الهائل للقبائل التي أتت من فيافي المغرب الشرقي إلى هضاب المغرب الغربي وسهوله كزمور وزعير مثلا، ذلك الزحف الذي بدأ في القرن السادس عشر وتقوى في القرن الثامن عشر إلى أن انتهى قهراً مع الاحتلال الاستعماري.


ع. ابن خلدون، *التاريخ* ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ ع. الفاسي، *الأقنوم* (باب الأنساب) ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ أ. الزياني، *الروضة السليمانية* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ أ. سكيرج، *غاية المقصود* (نسخة مرقونة في خ. ع) ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*؛ *الدرر الفاخرة*.

G. S. Colin, *Origine arabe* ; J. Le Coz, *Le Rharb* ; J. Célérier, *Marécage de la vallée de Sebou*, *Hesp.* 2, 1922 ; *Villes et Tribus du Maroc*, T. 3 ; *Répertoire alphabétique de confédérations*... ; Piersuis, *Etudes sur les communautés rurales des Beni Ahsen*, Rabat, 1947 ; *Formation du patrimoine foncier de la tribu des Mokhtar*.


إسماعيل العلوي

## بني خمايد ← بني احمايد

**بني خالد**، قبيلة تقع بجبال غمارة (إقليم شفشاون) وتحيط بها قبائل بني سميح وبني رزين وبني زروال وبني احمد والأخماس وبني سلمان وبني منصور. تقدر مساحتها بـ 515 كلم مربع، وكان عدد سكانها 13.495 نسمة سنة 1941 يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، ويوجد بالقبيلة سوق اثنين باب برد وسوق سبت تاموروت، كما تتوفر على خمسة وثلاثين مسجداً وتسعة أضرحة وأربع زوايا وخمسة وثمانين كتاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

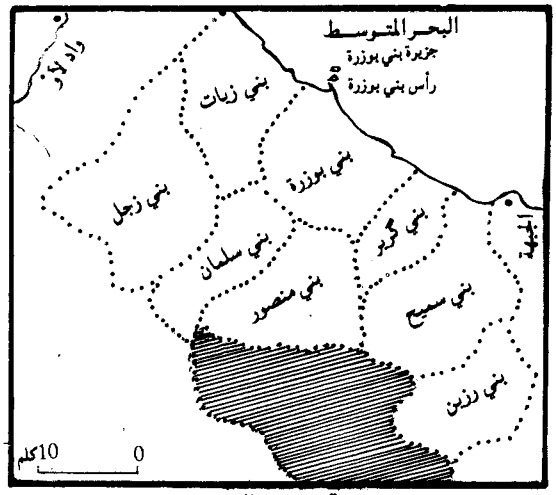


موقع بني خالد

تنقسم القبيلة إلى ست فرق هي : بني اخيار (9 مداشر) وبني انبات (14 مدشراً) وبني عبد العزيز (15 مدشراً) وبني عاصم (18 مدشراً) وبني عمران (10 مداشر) وازراولا (9 مداشر).

وفي النظام الإداري الحالي تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة باب برد وجماعة تاموروت.


ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 257؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 108، 325 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.


محمد ابن عزوز حكيم

تعدُّ قبيلة بني خالد من فروع بني نال ـ بالنون ـ أحد بطون غمارة. يقال إن نال ويال أخوان من أبناء غمار بن مصمود، الجد الأعلى لغمارة، ولعل هذا حسب موقعهم الجغرافي قديماً، وإلا فالناليون المستوطنون بجبال غمارة شرفاء حسنيون، يتصل نسبهم بالمولى إدريس ـ حسب ما بأيديهم من وثائق وظهائر سلطانية ـ. وتبعد قبيلة بني خالد عن شفشاون بنحو 45 كلم، وهي وعرة المسالك، شديدة البرودة في الشتاء، حصينة بطبيعتها، منيعة بجبالها. ومن أشهرها جبل تيزيران، ويدعى بجبل الكواكب، لأن قممه تناطح النجوم، ويرتفع عن سطح البحر بـ 2000 متر، وكانت هذه الجبال ـ قديما ـ ملجأ الثوار، ومأوى السباع والنمور.

ومن الأسر العلمية بها : أولاد النالي الذين ورثوا العلم أباً عن جد منذ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، استقر بعضهم بفاس، ورحل جماعة منهم إلى الجزائر واستوطنوا تلمسان، وتولوا مناصب عليا هناك، واشتهر جماعة منهم في موطنهم بني خالد ؛ وأولاد أكثاو،

منهم : الفقيه البشري (تقدمت ترجمته)، والقاضي الحاج عبد الله بن لحسن أكثاو، وأخوه محمد الوافي، عاشا في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ؛ وأولادالبكاري ؛ وأولاد ابن جامع السني دفين الزاوية السفلى بكثامة، لم ينقطع العلم فيهم، منهم الفقيه القاضي محمد الراضي، وأخوه العالم عبد السلام ؛ وأولاد أخرشيش، منهم : الفقيه احميدو اشنيول، وأخوه المفضل. والخالديون المنسوبون إلى القبيلة جماعة تأتي تراجمهم في حرف الخاء.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ ع. الزياتي، *الجواهر المختارة، في نوازل غمارة*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية* ؛ *وثائق خاصة* ؛ *وروايات شفوية*.

سعيد أعراب

**بني خزرون**، أو بني وانودين، فرع من قبيلة مغراوة التي كانت لها الكثرة والرياسة - إلى جانب بني يفرن وجراوة - في قبائل زناتة ( *العبر*، 7 : 11). وكانت مواطن مغراوة كما هو الحال بالنسبة لأغلب بطون عصبيتهم بالمغرب الأوسط الذي كان يعرف بوطن زناتة (*العبر*، 7 : 3). ثم انتقلت هذه العناصر من مواطنها الأولى في اتجاه الغرب بفعل ضغط الجيوش الصنهاجية المناصرة لدعوة العبيديين.

فكر الخليفة المنصور الفاطمي في إبعاد مغراوة وغيرها من بطون زناتة عن المغرب الأوسط لما تيقن من مناصرتها لأعدائه والثائرين عليه، خصوصاً وأن أبا يزيد مخلد بن كيداد وجد مساندة كبيرة من طرف هذه القبائل. وهذا ما دفع بالخليفة الفاطمي إلى العمل على إبعاد هذه المجموعات القبلية المعادية للشيعة لتسهل عملية القضاء على مخلد بن كيداد (صاحب الحمار) زعيم الخوارج من جهة وليجعل من المغرب الأوسط مجالا جديداً لاستقرار حلفائه الصنهاجيين من جهة ثانية، لأن الدفع بزناتة في اتجاه الغرب كان يعني بالنسبة للفاطميين التخلص من عناصر خطيرة طالما اعترضت مجهوداتهم في السيطرة على بلاد المغرب ومنعتهم من الوصول إلى المغرب الأقصى بتصديها المتوالي لحملات مصالة بن حبوس (*Histoire du Maroc*, 73 et 172).

أوكل الخليفة المنصور الفاطمي أمر إبعاد الزناتيين عن المغرب الأوسط إلى بلكين بن زيري الصنهاجي. فقام هذا الأخير بشن حملة عليهم سنة 361 / 972 وتمكن من القضاء على عناصر كثيرة منهم، كما تمكن من قتل بعض زعمائهم كالخير بن محمد زعيم مغراوة. فارتحلت زناتة على إثر هذه الهزيمة إلى ما وراء ملوية بالمغرب الأقصى وصار المغرب الأوسط كله لصنهاجة ( *العبر*، 7 : 39).

تابع بلكين بن زيري مطاردته للزناتيين بعدما عينه الفاطميون أميراً على أفريقية، وزحف زحفه المشهور نحو المغرب الأقصى سنة 369 / 980 فأجفلت أمامه جموع زناتة.

واستصرخ أمراؤها المنصور بن أبي عامر ليعينهم على مواجهة جيوش بلكين، فعين لهم جعفر بن علي الذي اجتمع إليه أمراء مغراوة، وهم وقتئذ محمد بن الخير ومقاتل وزيري بن عطية وخزرون بن فلفول ( *العبر*، 7 : 39. 40)، فزاد ارتباط مغراوة بدار الخلافة في قرطبة على رابطة الولاء بفعل هذا الحدث.

لقد تمكنت القبائل الزناتية من إقامة إمارات لها بالمغرب الأقصى بعد تحالفها مع الأمويين بالأندلس، ومن هذه الإمارات نذكر إمارة زيري بن عطية بفاس وإمارة خزرون بن فلفول بسجلماسة وإمارة لقوط الزناتي بأغمات. ويهمنا هنا إمارة بني خزرون التي نسب ابن خلدون أمراءها إلى الطبقة الأولى من مغراوة. وقد عرفت هذه الإمارة التي قامت على أنقاض إمارة الخوارج المدرارية الصفرية بسجلماسة باسم مؤسسها خزرون بن فلفول وهو من أعيان قومه وأمراء مغراوة وقادتها في القرن الرابع الهجري (10 م) ( *العبر*، 7 : 50).

كان - الجد - خزرون بن فلفول كسائر أمراء زناتة بالمغرب الأقصى على صلة بالخلفاء الأمويين بالأندلس. فأقام الدعوة بسجلماسة للمؤيد بالله هشام بن الحكم، وهي أول دعوة قامت للمروانية بالمغرب على حد قول صاحب *مفاخر البربر* (ص.67). وإذا كان لزحف جيوش الزيريين الصنهاجية المتحالفة مع الفاطميين على المغرب الأقصى الدور الكبير في ولاء العناصر الزناتية للأمويين بالأندلس، فإن هذا الصراع الفاطمي - الأموي حول مناطق النفوذ ببلاد المغرب، وهو صراع كانت تحكمه عوامل سياسية متمثلة في الصراع حول الخلافة وعوامل اقتصادية متمثلة في السيطرة على طرق التجارة الصحراوية، جعل كلا من القوتين المتنازعتين تولي اهتماما بالغاً لما يجري في الجزء الغربي من بلاد المغرب. فاعتمد الفاطميون اعتماداً كلياً على حلفائهم الزيريين في حين اعتمد الأمويون على حلفائهم الزناتيين.

وقد كان المنصور بن أبي عامر القائم بأمر الدولة هشام المؤيد يقتصر في تسيير شؤون المغرب الأقصى على التحكم في مدينة سبتة - بوابة المغرب على الأندلس - فاهتم بأمرها اهتماماً خاصاً وعين على إدارتها من يثق بقدرته وكفاءته من رجال الدولة وقادة الجيش في حين كان يوكل أمر الدفاع عن باقي مناطق المغرب الأقصى إلى أمر زناتة، وهذا ما يبرره قول ابن خلدون بأنه كان يعول عليهم في ضبط الثغور، فكان يفيض إليهم فيض الإحسان وكانوا هم يزدلفون إليه بوجوه التقربات وأسباب الوصائل ( *العبر*، 7 : 50).

وككل أمراء زناتة الذين ارتبطوا بخدمة دار الخلافة في قرطبة زحف خزرون بن فلفول إلى مدينة سجلماسة وتمكن من الانتصار على أميرها المدراري المعتز بن الشاكر لله سنة 367 / 978 وكتب بالفتح إلى هشام المؤيد وبعث له برأس المعتز ليشهر به بقرطبة، كما استولى على أموال بني مدرار وسلاحهم معلناً نهاية حكمهم لسجلماسة (*مفاخر البربر*،

67 ؛ *العبر*، 51).

كافأ الخليفة هشام المؤيد خزرون بن فلفول على ما بذله من جهود في السيطرة على أهم محطة للتجارة الصحراوية وقتئذ، فعقد له عليها وعلى جهاتها. وقد استمر هذا الأمير المغراوي على حكم سجلماسة إلى تاريخ زحف بلگين ابن زيري على المغرب الأقصى سنة 369 / 980 بدليل أن ابن خلدون يحدثنا عن مقاومة ابنه وانودين لهذه الحملة، الأمر الذي يؤكد بأن خزرون بن فلفول قد هلك قبل الحملة بزمن قليل وأن إمارة سجلماسة صارت لابنه وانودين من بعده (*العبر*، 7 : 51).

اضطر وانودين بن خزرون إلى الفرار عن عاصمته سلجماسة أمام جيوش بلگين بن زيري كما هو الحال بالنسبة لسائر أمراء مغراوة الذين تحصنوا بمدينة سبتة على مقربة من مناطق الدعم والمساندة الأموية. وقد عين بلگين بن زيري عماله على جميع المدن التي سيطر عليها، ثم تفرغ لحرب برغواطة التي أبدت مقاومة عنيفة ضد هذا الزحف الزيري. وقد مكن صمود البرغواطيين أمراء مغراوة من الخروج من مناطق تحصنهم ومنحهم الفرصة لمعاودة سيطرتهم على مناطق نفوذهم (*العبر*، 7 : 51).

زحف وانودين بن خزرون على سجلماسة لما علم بضعف شوكة الجيوش الصنهاجية بعدما طال بها المقام بالمغرب الأقصى. وقد تمكن من اقتحام عاصمة ملكه عنوة على عامل الزيريين بها، فتقبض عليه واستولى على ما كان معه من الأموال والذخيرة. وكان ذلك على ما يظهر سنة 373 / 984، أي بعد خروجه عنها بما يقرب من أربع سنوات وهي المدة التي قضتها الجيوش الصنهاجية بقيادة بلگين بن زيري بالمغرب الأقصى من تاريخ بداية الحملة سنة 369 / 980 إلى تاريخ وفاة قائدها سنة 373 / 984 بمكان يعرف بواركش ما بين سجلماسة وتلمسان في طريق عودته إلى المغرب الأدنى من غارته الطويلة هاته (*العبر*، 6 : 207).

لقد خلعت مغراوة طاعة المروانيين وتخلت عن دعوتهم مدة من الزمن بعد توالي حملات الزيريين على المغرب الأقصى. ويرجع سبب هذه القطيعة إلى فساد العلاقة بين زيري بن عطية والمنصور بن أبي عامر حاجب المؤيد. فقد نقل ابن عذاري عن ابن حيان قوله بأن زيري بن عطية نكث على بن أبي عامر بعد الحب الشديد والوفاء الأكيد، وطعن عليه سلبه لملك هشام وغلبته عليه (*البيان*، 1 : 252). وقد كان من الطبيعي أن تعرف علاقة بن أبي عامر تراجعاً واضحاً مع باقي أمراء مغراوة بعد فساد علاقته بابن عطية لأن هذا الأخير كان في ذلك الوقت أمير زناتة كلها (*البيان*، 1 : 252).

اضطر ابن أبي عامر أمام هذه التطورات إلى أن يبعث فتاه واضحا في جيش كثيف لردع أمير فاس، لكن فشل هذا القائد في تحقيق ما قدم من أجله جعل المنصور يبعث بابنه عبد الملك في جيش آخر لتعزيز جيش واضح، ولحق بهم هو نفسه على رأس جيوش ضخمة إلى الجزيرة الخضراء ليكون قريباً من مناطق الأحداث ولتكون عملية الإمدادات سهلة سريعة. وقد أسفرت حروب عبد الملك مع زيري بن عطية عن هزيمة هذا الأخير واستفحال أمر الأول بالمغرب وما والاه إلى سجلماسة وتلمسان وتيهرت. وقد عاد عبد الملك إلى الأندلس سنة 389 / 999 بعد أن استخلف على المغرب فتى أبيه واضحا الذي أقام بمدينة فاس وعمل على تسيير باقي مناطق المغرب الأقصى عن طريق عماله أو أمراء مغراوة بعد أن تعاقد معهم على مال يدفعونه له وعلى رهائن كان يشترط فيهم أن يكونوا من أبناء هؤلاء الأمراء ضماناً لبقائهم على الطاعة (*البيان*، 1 : 253).

لقد عين واضح يعلى بن حميد الكتامي، وهو أحد وجوه قواد البربر، والياً على سجلماسة (*مفاخر البربر*، 77) ثم عزله عنها بعدما تقرب منه وانودين بن خزرون وخضع له، فعقد له واضح على سجلماسة مقابل عدد من الخيل والدرق وجملة من المال كل سنة بالإضافة إلى أحد أبنائه رهينة (*البيان*، 1 : 254). وقد عاد وانودين إلى سجلماسة سنة 390 / 1000 وأقام بها مجدداً دعوة المروانيين واستمر على ذلك إلى أن ضعفت الخلافة الأموية بقرطبة فاستبد بالأمر، ثم استغل ما أصبحت تنعم به إمارته من قوة فتوسع على حساب المناطق المجاورة لها مبتدئاً عمله العسكري بالسيطرة على درعة (*العبر*، 7 : 52).

كان للتوسع الذي حققه وانودين بن خزرون في مناطق درعة أثره في اضطراب علاقته بالمعز بن زيري أمير فاس. فقد حاول هذا الأخير منع أمير سجلماسة من السيطرة على المناطق المجاورة لعاصمته لأن في ذلك ضرراً بمصالح إمارة فاس التي كانت بدورها تعمل على الاستفادة من موارد التجارة الصحراوية عبر التحكم في بعض واحات الجنوب وعلى رأسها واحات وادي درعة. وقد نهض المعز بن زيري سنة 407 / 1017 على رأس جيش من مغراوة واتجه نحو سجلماسة لمحاربة أميرها وانودين، فتمكن هذا الأخير من إلحاق الهزيمة بجيوش المعز وكانت هذه الهزيمة سبباً في اضطراب أمر أمير فاس إلى أن هلك (*العبر*، 7 : 52).

استغل وانودين بن خزرون انتصاره على المعز بن زيري استغلالا كاملا ووجه اهتمامه نحو مدينة فاس للسيطرة عليها، فاستولى على جميع قصور ملوية وبعض المراكز الواقعة بعد مرحلة من فاس، وعين على كل هذه الجهات ولاة من أهل بيته فكان ما حققه من نجاح عسكري يمثل أوج ما وصلت إليه إمارة بني خزرون من قوة ونفوذ واتساع.

ولا نعرف تاريخ وفاة وانودين بن خزرون، وكل ما هو معروف أن الذي تولى أمر سجلماسة بعده هو ابنه مسعود الذي داهمته جيوش المرابطين بقيادة عبد الله بن ياسين وقضت على إمارته بسجلماسة (*العبر*، 7 : 52).

لم تسجل لنا المصادر التاريخية أي معلومات عن الأمير مسعود بن وانودين ولا عن الأحداث التي عرفتها

إمارته قبل مهاجمة المرابطين لها، غير أنه من الواضح أن سجلماسة قد عرفت في عهده ازدهاراً ملحوظاً بدليل أن ما هو معروف من الدنانير المغراوية التي ضربت بسجلماسة قد سك في عهد هذا الأمير. فمن بين الدنانير الستة المغراوية المعروفة الآن نجد خمسة منها تحمل اسم الأمير مسعود في حين لا يحمل الدينار السادس اسم أي أمير من أمراء بني خزرون (*سجلماسة وإقليمها*، 434).

إن كل ما وصلنا عن الأمير مسعود بن وانودين هو ما يتعلق بصراعه ضد المرابطين، فمن المعروف أن صنهاجة بقيادة عبد الله بن ياسين قد افتتحت عهدها في مناطق الشمال بالسيطرة على درعة سنة 445 / 1054 واستولت فيها على خمسين ألف ناقة كانت في ملكية الأمير مسعود بن وانودين (*القرطاس*، 128) ثم أغارت جموع صنهاجة على سجلماسة بعد سيطرتها على درعة، وكان ابن ياسين قد خاطب أهلها وأميرهم ودعاهم للدخول في طاعة المرابطين فلم يجيبوه إلى ذلك (*المغرب*، 167 ؛ *الحلل*، 22) فدخل المرابطون إلى هذه المدينة بعد سنة من سيطرتهم على درعة وقتلوا أميرها مسعود، وتفرقت جموعه شذرمذر فلم يقم لبني خزرون قائمة بسجلماسة بعد ذلك (*العبر*، 7 : 52).

وحول تاريخ دخول عبد الله ابن ياسين والمرابطين سجلماسة انفرد ابن أبي زرع بالتأريخ لذلك سنة 447 / 1056 وحصر السبب في دعوة فقهاء سجلماسة ودرعة ابن ياسين للقدوم عليهم قصد تطهير بلادهم من المنكرات (*القرطاس*، 127).

ولم تكن حملة ابن ياسين على سجلماسة كافية للقضاء على نفوذ مغراوة بها فقد زحفت جموع هذه الأخيرة على المدينة بعد أن غادرتها جيوش صنهاجة فتمكنت من دخولها وقتل من كان بها من الملثمين في نفس سنة سيطر ابن ياسين عليها أي في سنة 446 / 1055. وقيل بعد هذا التاريخ بسنتين (*البيان*، 4 : 13). وقد عانى المرابطون من مقاومة مغراوة لهم كلما وصلوا مجالا من مجالاتهم بالمغرب الأقصى. فقد قاومهم بنو خزرون في مدينة صفرو التي لم يتمكن المرابطون من السيطرة عليها سوى في سنة 455 / 1063، وقتلوا من كان بها من أولاد وانودين وبقية مغراوة، كما لم يدخلوا مناطق ملوية التابعة لأبناء وانودين أيضاً إلا في سنة 463 / 1071 (*العبر*، 7 : 52).

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 و7، نشر خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، 1988 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، مخطوط، خ. ع رقم د 1020 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تـ. كولان وليفي بروفنسال، بيروت، 1983 ؛ ج. 4، تـ، إحسان عباس، بيروت، 1983 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ أ. البكري، *المغرب*، باريس، 1865 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، تـ. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979 ؛ ح. الحافظي، *سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن (14 م) مساهمة في دراسة مجتمع الواحات في العصر الوسيط*، د.د.ع بفاس، 1989.

J. Brignon (et al...), *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1967 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc : des origines à l'établissement du protectorat français*, T. I, Casablanca, 1949.

حسن علوي حافظي

**بني خنوس**، قبيلة تقع بناحية صنهاجة السراير (إقليم الحسيمة) وتحيط بها قبائل زرقات وبني بونصار وبني سدات. تقدر مساحتها بـ 62 كلم مربع، وكان عدد سكانها 1.356 نسمة سنة 1946، يتكلمون باللهجتين العربية الدارجة والصنهاجية، ويوجد بالقبيلة ثمانية مساجد وثلاثة أضرحة وزاويتان وأحد عشر كتاباً قرآنياً وتحتوي على أحد عشر مدشراً.

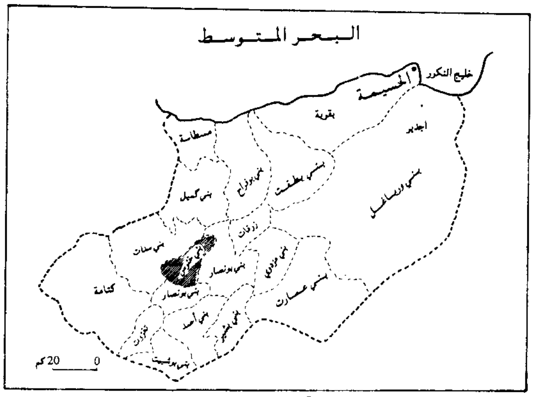


موقع بني خنوس

وفي التقسيم الإداري تكوِّن مع قبيلة بني بونصار جماعة قروية واحدة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 108 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني خيران**، اتحادية قبائل نتوفر على عدة تقديرات حول سكانها يرجع أحدها إلى عام 1330 / 1912، وأفاد بوجود 1170 خيمة، والآخر عام 1333 / 1915 وأعطى 1735 خيمة، وذكر التقدير الأخير لعام 1338 / 1920 أن هؤلاء بلغوا 1811 خيمة مما قد يعني نمواً مهماً للسكان.

يقيم بني خيران في شمال الطريق الذاهبة من واد زم إلى الدار البيضاء. ويجاورهم زعير شمالا والسماعلة جنوباً وشرقاً، وورديغة جنوباً والشاوية غرباً. ويتميز ترابهم بأنه منطقة هضاب متقطعة تخللتها نتوءات، وامتدت شمال وادزم، ومنطقة جبلية متعرجة ربطت تادلا ببلاد زعير والشاوية. وقطعت هذا الإقليم أودية عميقة ومنخفضة منها *خندق واد زمران وواد العطش، وهي مغلقة في الشمال* بواسطة مرتفعات شاهقة مثل جبل تاخسيت (845 م)، وبواسطة كتلة أولاد زيريك في الغرب. وضمت هذه الاتحادية قبيلتين هما :

- موالين الدندون : وعددهم 1.316 كانوناً، وتفرعوا إلى

أربع فخذات هي بالترتيب : أولاد بوغادي وبني منصور وأولاد فطاطة والشرفا. وأقام أولاد بوغادي في شمال الشرفا وانتشرت مساكنهم شاملة ناحية "قرن" الوعرة، ذات الركامات المبعثرة، وهي منتصبة حتى علو 2901. وأقام بني منصور في غرب الاتحادية وجنوبها، وضموا ستة دواوير ونصبوا خيامهم على هضبة واقعة بين واد زمران وواد العطش، وكان قلب تجمعاتهم في اتجاه دشر بني منصور. وأقام أولاد فطاطة في الركن الشمالي الشرقي للاتحادية، وهو إقليم جبلي متوسط، ارتفاعه 800 م. يضم أولاد فطاطة أربعة دواوير. وأقام الشرفاء في جنوب شرق بني خيران، وتفرعوا إلى ثلاثة دواوير، وتشيعوا لجيرانهم أولاد بوغادي وبني منصور حتى بدون الاستناد إلى أصل مشترك.

ـ الگناديز : وعددهم 535 كانونا. تفرعوا إلى فخذتين هما أولاد بركات وأولاد الحاج. وتكتل أولاد بركات في شرق "قرن" مجاورين لأهل فطاطة وأهل بوغادي وتشيعوا لهم، وتفرعوا إلى خمسة دواوير. وأقام أولاد الحاج في شمال غرب تراب الگناديز. ويشمل ترابهم واد عطفيف وخط المرتفعات الذي امتد من مرتفعات الگناديز إلى تاخسيت، وتفرعوا إلى ثلاثة دواوير. وهم خاضعون شيئا ما، منذ عدة أعوام لبني منصور الذين رغبوا في منع إعادة تشكيل فرع الگناديز المنقسم بسبب صراعات داخلية. ويضم بني خيران لـ 9.255 نسمة تقريباً، مثلوا أصغر مجموعة بشرية بين الاتحاديات العربية لتادلا. وليس بينهم انسجام تام لوجود جماعات غريبة عن القبيلة بين ظهرانيهم مثل الشرفاء الذين ضموا ثلاثة دواوير أقامت في جنوب شرق بني خيران وتشيعوا لجيرانهم بني منصور وبوغادي.

كان بني خيران أقل ثراء، بينهم كثير من البؤساء، لكنهم ملكوا قطعاناً من البقر وغابات مهمة من البلوط.

في عهد الحماية، اجتاحت القوات الفرنسية تراب بني خيران واحتلته في دجنبر 1912 لقربه من زعير والشاوية. ويبدو أن مقاومتهم التي استحقت الذكر ليست في بداية الغزو وإنما في الخمسينات لما شاركوا مع السماعلة في ثورة وادزم عام 1953، منخرطين بذلك في الثورة الوطنية ضد الاستعمار.

*Rapport Mensuel du Protectorat, 1913* ; R. Peyronnet, *Le Tadla*, p. 68.

الملكي المالكي

**بني خيري**، أسرة من أصل إيبيري، اهتم أفرادها بالميدان القرصني بمضيق جبل طارق. ففي النصف الأول من القرن التاسع الهجري (15 م) وجد ثلاثة منهم كانوا حديثي عهد بالإسلام : محمد بن خيري، اسمه منويل، يقود سفينة من نوع خمسة عشر مقعداً. ثم القائد بدر، رئيس سفينة من فئة أربعة عشر مقعداً. وآخر يدعى حبيب بن خيري صاحب سفينة أخرى مماثلة.

تركزت هذه الأسرة بالقصر الصغير منذ الاحتلال البرتغالي لسبتة (818 / 1415) في رعاية حاكم المدينة المدعو الحسين. ويظهر أن الأسرة تحولت إلى سكنى مدينة تطوان إثر الاحتلال البرتغالي للقصر الصغير سنة 862 / 1458. وفي بداية القرن العاشر الهجري (16 م) اعتمد النشاط القرصني بتطوان على أخوين من أفراد هذه الأسرة. فكل أعمالها البحرية البارزة بين 1516 و1520 كانت من مبادراتهما، خاصة تلك التي استهدفت سبتة المحتلة وجبل طارق الذي استرده الإسبان منذ 1462. وسبق للأخوين خيري أن نظما غاراتهما البحرية على مدينة سانتا كاترينا، في الغرب البرتغالي. فبسبب تصاعد عمليات القرصنة التطوانية تشوف الإسبان إلى تخريب مدينة تطوان ثانية، إلا أن لشبونة خططت سنة 1520 للتحكم في مرسى واد تطوان (مرتيل بعد ذلك) بواسطة بناء برج بمدخله. وهذا ما لم يتم، مما يبين استمرار نشاط بني خيري. وما يزال هذا الاسم موجوداً بين الأسر التطوانية الأندلسية الحالية.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 123 ـ 124، 2 : 447 ـ 449.

Gomes Eanes de Zurara, *Cronica de D. Pedro de Meneses*, chap. 20, p. 555 ; Damiao de Gois, *Cronica do rei D. Manuel*, 4 : 129 - 130.

حسن الفگيگي

**بني راشد**، أسرة من قبيلة بني عروس الهبطية، ذات الأصل الإدريسي العلمي من فصيلة المشيشيين العبدسلاميين. ففي بداية القرن السابع الهجري استقر علي (المدعو علال) بن عبد السلام بن مشيش بقرية غروزم، بجوار شفشاون، فأصبحت مركزاً لأبنائه وأحفاده، كان منهم راشد والد علي مؤسس مدينة شفشاون وأبو الأسرة الحاملة لهذا الاسم.

حازت هذه الأسرة مكانتها في المجال السياسي بإقليم الهبط منذ تأسيس مدينة شفشاون والإمارة العلمية الجهادية سنة 876 / 1471، مع بداية الدولة الوطاسية، واستمر هذا الدور إلى ما بعد منتصف القرن العاشر على عهد عبد الله الغالب السعدي.

ففي إطار هذه الحقبة الزمنية لمع مؤسس الأسرة والإمارة علي بن راشد العلمي ما بين سنة التأسيس وسنة 922 / 1517، بمواقفه الجهادية الخاصة ومساندته للجهاد الوطاسي على عهد محمد الشيخ وابنه محمد. وبرز ابنه إبراهيم منذ توليته قيادة شفشاون سنة 922 / 1517 إلى 945 / 1539 سواء في العمل الجهادي أو في القيام بمهامه السياسية كوزير لدى أحمد الوطاسي (1527 ـ 1539) إلى وفاته في هذه السنة الأخيرة.

وخلال مدة تغيب مولاي إبراهيم عن شفشاون أناب عنه عمه علال بن راشد، ثم أخاه عبد الله سلمة. وإثر وفاة إبراهيم تولى بعد ابنه محمد الذي عاصر الفترة الأخيرة من عهد الوطاسيين وبداية حكم السعديين بالشمال. وكان إلى جانب قواد الهبط الذين سارعوا إلى مساندة محمد الشيخ السعدي سنة 1547 ضد أحمد الوطاسي وأبي حسون، كما

كان آخر حكام شفشاون منذ حصار السعديين للمدينة سنة 1564 أو التي بعدها. وبذلك أسدل الستار على أسرة بني راشد، ليحل مكانهم حكام من الأسرة الريسونية.

عرفت لأسرة بني راشد علاقات بباقي مدن الهبط، تمثلت في الدرجة الأولى بمدينة تطوان التي كانت تحت حكم المنظريين، حفدة علي المنظري الغرناطي. وقد توطدت تلك العلاقة بالعمل الجهادي المشترك بين تطوان وشفشاون طوال هذه المدة، سيما بعد علاقة الصهر التي ربطت بين المنظري الثاني وبين علي بن راشد العلمي الذي زف ابنته الست الحرة إلى قائد تطوان. وقد أعطت هذه العلاقة لبني راشد الهيمنة على تطوان، بجمع إبراهيم بين قيادة المدينتين، إلى أن تسلمت القيادة الست الحرة بنت علي بن راشد، خلفاً لزوجها المنظري الثاني، لتبقى في نفس الرتبة ما بين عام 1525 وعام 1541.

ورسخت علاقة بني راشد أيضاً بقيادة القصر الكبير العروسية وبمدينة إزاجن الرهونية، إذ كان قواد شفشاون حريصين على التنسيق بين جهود قواد بلاد الهبط لقيادة الحملات الجهادية ضد أصيلا وطنجة. وتجاوزت تلك العلاقات إلى روابط الصهر : فإبراهيم تزوج بنت طلحة العروسي المسماة يطّ، كما تزوج عبد الله سلمة، أخو إبراهيم، بنت بنخديجة قائد إزاجن.

يمكن تحديد إمارة بني راشد من جهتي الغرب والشمال، وعلى خلاف ذلك فإن المهمة صعبة أمام كل محاولة لحصر القبائل الداخلة تحت نفوذها من ناحيتي الشرق والجنوب. فبالتوجه نحو الشمال نجد مؤسس الإمارة قد سارع إلى ضم قبيلة بني حسان، التي يفصلها عن جبل الشاون مجرى واد لاَوْ الأوسط، كمرحلة أولى مستعملا المتوفر لديه من بني زجل ورجال شفشاون وما توصل به من محمد الشيخ الوطاسي. علمنا هذا مما سجله الحسن الوزان. ونعتقد أن الأمر مماثل بالنسبة لجبل حبيب الذي كان يتصدر العمليات الجهادية قبل قيام الإمارة. وينطبق هذا على الأراضي الفاصلة بين جبل حبيب وبني حسان التي ظهر بها بعد ذلك بنوحزمار وبنو يدر وبنو ليث.

وتقاسم بنو راشد مع حكّام حوز بادس إقليم الريف المشار إليه من طرف الحسن الوزان، فاختصوا بالساحل الشرقي الممتد من رأس الجبهة شرقاً إلى مصب واد لو غربا، عند اتصاله بحد إقليم الهبط من تلك الجهة. ويضم امتداد الساحل الداخل في نطاق الإمارة الراشدية، بني زيات وبني بوزرة، وبني جرير، وبني رزين.

وضمت الحدود الجنوبية جبال الاخماس بقسميها العلوي والسفلي. فالعلوي المشرف على بني عروس وعلى اغزاوة مؤلف من فرقتي بني فلواط وبني صالح. أما السفلي فيشرف على الساحل الشرقي بفرق : بني زرويل وبني جبارة وبني جافن وبني تليد.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري*، أطروحة دكتوراة دولة، كلية الآداب بالرباط، 1990.

حسن الفكيكي

**بني رزين**، قبيلة تقع بناحية غمارة (إقليم شفشاون حالياً)، وتحيط بها قبائل متيوة البحر وكتامة وبني خالد وبني سميح، وتقدر مساحتها بـ 153 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 3.467 نسمة، يتكلمون باللهجة

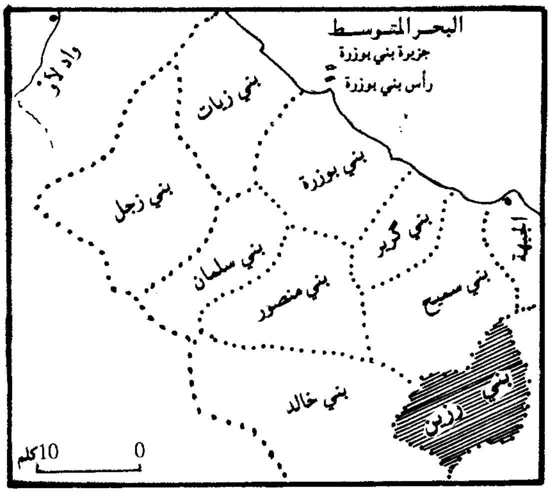


موقع بني رزين

العربية الدارجة، وبالقبيلة سبعة وعشرون مسجداً وعشرة أضرحة وزاوية وأربعة وعشرون كتّاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي، وأما سوق القبيلة الرئيسي فيوجد بأحد بني مراق.

تنقسم القبيلة إلى خمس فرق هي : بني مراق (8 مداشر) وأوفاس (4 مداشر) وتمريخت (6 مداشر) وبني قاسم (4 مداشر) والوسطي (8 مداشر).وفي التقسيم الإداري تكوِّن جماعة قروية تحمل اسمها.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 105، 109، 325 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 258 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

**بني زَجَل**، قبيلة تقع بجبال غمارة (إقليم شفشاون حالياً) وتحيط بها قبائل بني زيات، وبني سلمان،

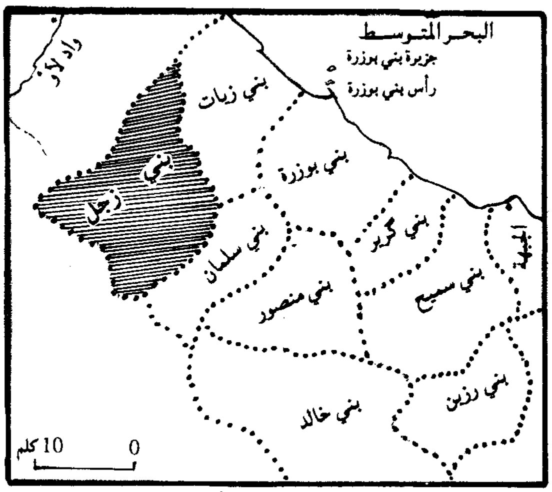


موقع بني زجل

والأخماس، وبني حسان، وبني سعيد، وتقدر مساحتها بـ 385 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 7.241 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة. وبالقبيلة ثلاثة وستون مسجداً وثلاثة عشر ضريحاً وأربع زوايا وستة وأربعون كتّاباً قرآنياً واثنتا عشرة مدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى سبع فرق هي : القلعة (10 مداشر) بني منصور (7 مداشر) والوسطيين (5 مداشر) وبني شكورة (10 مداشر) وبني بوشداد (5 مداشر) وبني موسى (4 مداشر) وبني سملولة (5 مداشر).

وفي النظام الإداري تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة تالَنْبُوط الشمالية، وجماعة تالَنْبُوط الجنوبية.

ولعل الوزان الفاسي عندما يشير إلى وجود قبيلتين باسم بني منصور يعني من جهة القبيلة الغمارية التي تحمل هذا الاسم، ومن جهة أخرى يعني فرقة بني منصور التابعة لقبيلة بني زجل.

الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، 256 ـ 257 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 109، 325 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

** تذكر بعض كتب التاريخ أن قبيلة بني زجل ربما أخذت اسمها هذا من اسم شخص استوطنها في أواخر القرن الأول الهجري يدعى محمد زجل قدم من المشرق مع موسى بن نصير، ويرتفع نسبه إلى أبي هريرة (*فوائد الهبطي*) لا ندري السنة التي دخل فيها القبيلة بالضبط، ولكن الشيء المعروف هو أنه انتقل إليها زمن الارتداد، وهذا ما يفهم من قول أحمد ابن عرضون :"الذي تلقيناه من والدينا وأسلافنا رحمهم الله أن زجل قرشي النسب، وأنه كان رجلا صالحاً خيراً قدم مع موسى بن نصير عامل عبد الملك بن مروان حين افتتح المغرب والأندلس وأنه كان بفحص طنجة، فلما ارتدت قبائل المغرب فر بدينه من شاهق إلى شاهق، إلى أن دخل وادي (لْـمانْ) فأعجبه. ويقال إنه هو الذي سماه "وادي الامان" وبقي فيه مدة ثم صعد إلى "بومنار" وبنى به مسجداً باقية رسومه إلى الآن، وتوفي هناك (*تقييد*، ص. 164). ويذكر أيضاً أنه كان شاعراً، وأن زجل لقبه، ويعلق على ذلك بقوله :"وفي الزبيدي أن زجل في اللغة، هوالفصيح الكلام وان اسمه محمد، وأما نسبته إلى قريش، فجارٍ على ألسنة الناس من السلف (*ناصر الحكام* ؛ وثمرة *أنسي*، ص 53).

ويظهر أن هذه القبيلة كانت مهداً لكثير من القرشيين منذ بداية الفتح الإسلامي فقد جاءتها أفواج منهم استقروا فيها وتناسلوا حتى ضاقت بهم القبيلة فانتقلوا إلى قبائل أخرى مجاورة. فمحمد الصغير الهبطي يذكر من هذه العائلات كثيراً، فبالإضافة إلى زجل هذا هناك أولاد أ ُوتُول القرشيون، وأبناء سليمان بن هلال وأولاد ملّول وغيرهم، بل يذكر أنه قدم إلى هذه القبيلة وفدٌ من التابعين والأنصار، والجل من ذرية الخلفاء الأربعة (*فوائد الهبطي*)، ويذكر عبد الله گنون أن بها أنساباً عربية غريبة، وأنساباً شريفة قديمة لا تعرف بالمغرب كالنسب العباسي (*مجلة لسان الدين*، ج 4 السنة 8 ص 17). وكثيراً ما نجد بعض الأسر مازالت تحافظ على سلسلة نسبها الذي يرتفع إلى بعض الصحابة كأسرة آل خَجُّو مثلا المنحدرين من الصحابي الجليل حسان بن ثابت.

ويذكر الهبطي في *المنهاج* بأنها قبيلة الأشراف الأولين، وكعبة الزهاد المتبتلين منذ الفتح الإسلامي. ومن الفاتحين الأولين لهذه القبيلة أبو العباس أحمد جلال وبلعيد بن أبان بن عثمان. وتذكر بعض الروايات أن زجل كان يلقب أحياناً بجلال لكثرة ترديده لاسم الجلالة، ومن ثم تدعى القبيلة أحياناً بالقبيلة الجلالية (*فوائد الهبطي*)، غير أن الهبطي يجعلهما شخصين : أحدهما محمد زجل، وهذا ينتسب إلى أبي هريرة، والآخر أحمد جلال، وينتسب إلى علي بن أبي طالب، وهذا ما حكاه عن أبيه قائلا :"سألت سيدي الوالد رحمه الله عن هذه القبيلة فقال لي : كانت هذه القبيلة من إقليم بني حسان وأهل سوس، وكانوا ـ والله أعلم ـ على غير طريق مستقيم، فمكث عليهم الشرقي بضبابه ما ينيف على عشرَ سنين وانتقلوا منها، وبقيت خالية، ولما أراد الله عمارتها جاء إليها رجل من المشرق هارباً، وهو من ذرية سيدنا علي رضي الله عنه ويدعى أحمد جلال بن سيدي عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، وكانت هجرته من المشرق في خلافة الوليد سنة 90 هـ، وسمي بجلال لأنه كثيراً ما كان يردد (لا إله إلا الله) ونزل بهذه القبيلة فسميت باسمه.

ومهما يكن فإن زجل كان بمثابة الفاتح الحقيقي لهذه القبيلة، وأكثر سكانها من ذريته وأقاربه، وقبره مزارة مشهورة هناك تقام له الذكرى على رأس كل سنة، وكان نزول زجل هذا بحجر الجبل الأشهب بموضع يسمى (تلوشت) ومكث هناك إلى أن مات ودفن بمقبرة انغران بجبل العباد بتازروت، وكان في فصل الخريف والشتاء يأوي إلى وادي الأمان، وهو موضع بعمق سحيق لا يرى منه إلا بعض أطراف السماء، ولا تكاد تراه الشمس إلا في بعض فصول السنة. وفي هذا الموضع تزوج بامرأة من ذرية سيدنا عثمان جاءت بعده بعامين مع جماعة من أهله وترك معها أولاداً انتشروا في هذه القبيلة (*فوائد الهبطي*)، وهي من أوائل القبائل المغربية التي تعربت وانمحت منها البربرية بالمرة، وانتشر فيها التعليم انتشاراً واسعاً (*الميثاق*، عدد 48) لدرجة أنه كانت هناك مداشر في هذه القبيلة لا يوجد فيها أمي واحد، وحتى إن بعض المستشرقين قال :"إنه كان بهذه الجبال مدرسة للحساب (*مجلة الشراع*، السنة 2 عدد 5 ص. 13) وهذا غير مستبعد إذا عرفنا أن هذه القبيلة عُرفت منذ القدم بكثرة علمائها وفقهائها الذين كان لبعضهم تجديد في التشريع الفقهي، ليس هذا فحسب بل إن كثيراً من أسر

هذه القبيلة تسلسل العلم فيهم كابراً عن كابر، يكفي أن نذكر من بين هذه الأسر : أسرة الملوليين القرشيين، وأسرة الشداديين، وأسرة مخشان،و وأسرة أجليان، وأسرة آل أحَفَّاف، وأسرة أُوثول، وأسرة الهبطيين، دع عنك أسرة ابن عرضون الذين طارت شهرتهم في الآفاق...

م. الصغير الهبطي، *فوائد*، مخطوط ؛ م. ابن عرضون، *تقييد في التعريف بقبيلة بني زجل*، مخطوط، خ. ح ؛ م. ابن عرضون الصغير، *ناصر الحكام*، مصور خ. ع ؛ س. الحوات، *ثمرة أنسي*، مخطوط.

عمر الجيدي

**بني زروال**، من القبائل الجبلية الشهيرة بشمال المغرب، وهي تنقسم إلى خمس فخذات أوفرق هي : بومعان وأولاد قاسم وبنو إبراهيم وبنو ملول وبنو مكة، ولذلك يسميها أبناؤها بقبيلة خَمس خُمُوس. يحدها من الشرق قبيلة كتامة ومزيات، ومن الغرب بني مستارة وسطّة وبني مزگلدة وبني ورياغل، ومن الجنوب قبائل سلاس وفشتالة والجاية، ومن الشمال غمارة وبني يحمد. وتشغل مساحة تقدر بحوالي ألف كيلومتر مربع. وهي اليوم تابعة إدارياً لعمالة إقليم تاونات.

أرض القبيلة تطغى عليها المرتفعات التلية، ومن أشهر مرتفعاتها جبل ودكة الواقع شمال القبيلة، والذي لا يتعدى ارتفاعه ثمانمائة متر. (*قبيلة*، 15). أما أهم أنهارها فهي واد أولاي، وواد أوضور، وواد أوضير، وواد أمزاز، وكلها تنحدر من جبال غمارة، ثم تشق القبيلة من شمالها إلى جنوبها لتصب في نهر ورغة الذي هو الحد الطبيعي بين بني زروال وقبيلة فشتالة. كما توجد بها عيون ماء غزيرة، من أشهرها عنصر تازْغَدْرَة ببني إبراهيم، وعنصر العبّاد بجبل ودكة، وعين تاسياست بأولاد قاسم، وعين القليعة ببني إبراهيم (*قبيلة*، 8).

أما جغرافيتها الاقتصادية، فهي شهيرة بأشجار الزيتون من جهة، وأشجار الكروم من عنب وتين من جهة ثانية، وحسبنا علماً أن الرحالين القدامى سموها بجبل الزبيب أي العنب المجفف (*وصف*، 1 : 125).

هذا، وقد اختلف النسابون في تحديدهم لأصل بني زروال. فالبعض يرى أن سكان القبيلة بربر من غمارة من مصمودة (*قبيلة*، 9) بينما يرى البعض الآخر أنهم من صنهاجة (*العبر*، 6 : 275). لكن إذا كانت قبيلة بني زروال بربرية الأصل فإنها تعربت تماماً، وانعدمت منها البربرية كلية، ولم يبق لها منها إلا الاسم شأن قبائل كثيرة بالمغرب. ويرجع سبب تعريبها إلى قربها من فاس، من جهة، ومساكنة الأعراب لسكانها وامتزاجهم بهم، وخصوصاً زمن المرابطين والموحدين الذين نقلوا قبائل عربية من الرحل وأسكنوها مع بني زروال لأغراض ساسية، من جهة أخرى (*قبيلة*، 9)، إلى جانب إقدام العلويين على تأسيس مراكز لهم بالقبيلة أسكنوها جالية عربية من قبيلتي الأوداية وشراگة، وكذا هجرة أسر عربية إلى القبيلة نفسها، (*قبيلة*، 9 ؛ *الحركة*، 2 : 475). وفي هذا الصدد يقال عند النسابين إنه لا توجد بالمغرب قبيلة اجتمع بها أبناء الخلفاء الأربعة إلا بنو زروال وسجلماسة (*مجموعة*، 4).

ومن أقدم مداشر هذه القبيلة وأهمها على الإطلاق، نذكر على الخصوص، مدشر تازْغَدْرَة، الشهير بضريح وليها الشيخ محمد بن علي الشطيبي، أحد متصوفة الطريقة الزروقية الشاذلية خلال القرن العاشر (16 م)، (*دوحة*، 16)، ومدشر عين الباردة، الشهير بمساجده السبعة ؛ والمدشران معاً بفرقة بني إبراهيم. ثم مدشر النقلة بسفح جبل ودكة، ومدشر أفوزار الشهير بمسجده المزخرف المنمق، ومدشر زاوية أولاد خزار المشهور بعيونه المنهمرة وقبب صلحائه من الشرفاء العلويين، ثم مدشر بني مجرو بفرقة بني مكة على الحدود بين غمارة وبني زروال، والشهير بسوقه الكبير، الذي كان ومازال، يعمر كل يوم سبت، وبسكانه الذين ينتمون إلى العلم والاختصاص في النوازل الفقهية. (مشاهدة عينية).

ومن المداشر المهمة بفرقة أولاد قاسم : مدشر الزاوية الوارثية، ومدشر تَلاَوَاغْرَاس حيث يوجد ضريح الشيخ محمد النيجي أحد أولياء الطريقة الجزولية خلال القرن الحادي عشر (17 م)، ثم مدشر بني دَرْكُول الشهير بكثرة أضرحة صلحائه من جهة، وبكونه كان مسرحاً لمعارك حربية ذات أهمية بين الفرنسيين والمجاهدين أثناء الحملة الريفية بقيادة المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي (*قبيلة*، 26).

ومن مداشر فرقة بومْعانْ المهمة نذكر مدشر بني عبد الله حيث توجد الزاوية الدرقاوية، ثم مدشر بني خالد، ومدشر البابة المعروف بمسجده في أعلى قمة هناك...

وإذا علمنا أن المدن لا وجود لها بقبيلة بني زروال يبقى مركز غفساي، وهو حديث العهد بالتأسيس، أهم نقطة حضرية بها في وقتنا الحالي. لكن يفهم من بعض الإشارات أن القبيلة كانت بها مدن كبرى في الأزمنة الغابرة، كما تشهد على ذلك بعض الآثار التي عثر عليها هنا وهناك، وخصوصاً قرب مدشر عين الباردة. (*الموسوعة*، ملحق 2 : 109).

وإلى جانب كل هذا، عرفت القبيلة تأسيس عدد كثير من الزوايا، من أشهرها وأقدمها : زاوية الشيخ محمد بن علي الشطيبي المتوفى سنة 963 / 1556، الواقعة بمدشر تازْغَدْرة، وزاوية الشيخ أبي النجا سالم الروداني الشاوي، المتوفى سنة 969 / 1561، بمدشر تلاواغْراس (*ممتع*، 68)، وزاوية أبي العباس بن جامع الخالدي، المتوفى سنة 1021 / 1613، بمدشر بني خالد على الحدود مع غمارة (*صفوة*، 14)، وزاوية الشيخ أبي عبد الله محمد النيجي المتوفى سنة 1030 / 20 . 1621، بمدشر تلاوَغْرَاس (*مرآة*، 210)، وزاوية محمد ابن الفقيرة المتوفى سنة 1045 / 1635، بمدشر المحجرة (*ممتع*، 128)، ثم الزاوية الدرقاوية الأم بمدشر بوبْريح، ومؤسسها هو الشيخ محمد العربي الدرقاوي، سنة 1201 هـ/

1789 ؛ والزاوية الحمومية الأم، بمدشر بفرقة بني إبراهيم بالقرب من مدشر عين الباردة، وهي من تأسيس الشيخ أحمد بن الحسن الحمومي خلال القرن الثاني عشر (18 م). (*قبيلة*، 17 ـ 18).

ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ م. ابن عسكر، دوحة *الناشر* ؛ ح. الوزان، *وصف أفريقيا* ؛ م. ع. الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ م.م. الفاسي، *ممتع الأسماع* ؛ م. الأفراني، *صفوة* ؛ م. بلبشير الفاسي، *قبيلة بني زروال* ؛ أ. ابن الخياط، مجموعة *رسائل* أبي عبد الله العربي الدرقاوي ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*.

أحمد الوارث

**بني زكّار**، قبيلة كانت تعرف ببني فنزكار وتقع بناحية جبالة (إقليم العرائش حالياً) تحيط بها قبائل الأخماس، والرهونة، وبني يسف. وتقدر مساحتها بـ 50 كلم مربع. سكانها يتكلمون باللهجة العربية، ويوجد بالقبيلة عشرة مساجد وضريحان وزاوية وعشرة كتاتيب قرآنية ومدرسة للتعليم الديني الثانوي، وتحتوي القبيلة على أحد عشر مدشراً.

وفي التقسيم الإداري الحالي تكوّن هذه القبيلة مع قبيلة بني يسّف جماعة قروية واحدة اسمها جماعة سوق القلّة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 114 ؛ حسن الوزان، *وصف أفريقيا*، 1، 248 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

**بني زمور**، قبيلة كبرى بمنطقة تادلا تضم فرقاً من العرب والأمازيغ تجاور سفوح الأطلس المتوسط، يحدها شمالا مجرى واد كرو وبلاد زايان، وشرقاً منطقة سيدي لامين، وجنوباً قبيلة أيت الربع وبني عمير، وغرباً ورديغة والسماعلة، وبينما تتكون جهاتها الشمالية من المرتفعات المغطاة بالأدغال والأشجار الشوكية فإن باقي المناطق تغلب عليه الطبيعة الجرداء. قبائلها الأربع في بداية القرن العشرين هي : أولاد يوسف وبني بتاو والشوكران والرواشد.

كان عدد سكانهم آنذاك حوالي 15.000 نسمة يعيشون أساساً على تربية الأغنام وبعض الحرث.

تعد بجعد حاضرة بني زمور، وكانت تربط بعض فرقهم مثل أولاد مومن روابط أُخُوة بالرضاع (تاضا) مع فرق من أمازيغ الأطلس المتوسط.

قاوم بنو زمور الغزو الاستعماري، والتحق مجاهدوهم بمجاهدي زايان أو عند أيت إسحاق وأيت حوذي.

*رواية شفوية وتحريات ميدانية*.

R. Peyronnet, *Le Tadla*.

المالكي الملكي

**بني زيّات**، قبيلة تقع بناحية غمارة (إقليم شفشاون حالياً) وتحد شمالا بالبحر المتوسط، وتحيط بها قبائل بني بوزرة وبني سلمان وبني زجل وبني سعيد. تقدر مساحتها بـ 200 كلم مربع. ويتكلم سكانها باللهجة العربية الدارجة توجد بهذه القبيلة قرية ترغة الحضرية التي لها تاريخ مجيد في الجهاد البحري المغربي. وبالقبيلة ستة وخمسون مسجداً وثمانية عشر ضريحاً وأربع زوايا وواحد وستون كتاباً قرآنياً وثلاث مدارس للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى عشر فرق هي : بني غفار (8 مداشر) وبني گلوم (9 مداشر) وبرمان (8 مداشر) وقاعسراس (مدشران) وبني بخت (9 مداشر) وبني هليل (8 مداشر) وبني بارون (4 مداشر) وبني بداس (9 مداشر) وبني جلا (3 مداشر) وترغة (مدشران). ويعتمد السكان على الفلاحة والرعي وصيد الأسماك، وتكثر بها أشجار التين والكروم وجميع نباتات البحر المتوسط.

وفي التقسيم الإداري تكوِّن جماعة قروية تحمل نفس الاسم.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 110 ـ 325 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

** توجد بقبيلة بني زيات مراكز حضرية ضاربة في

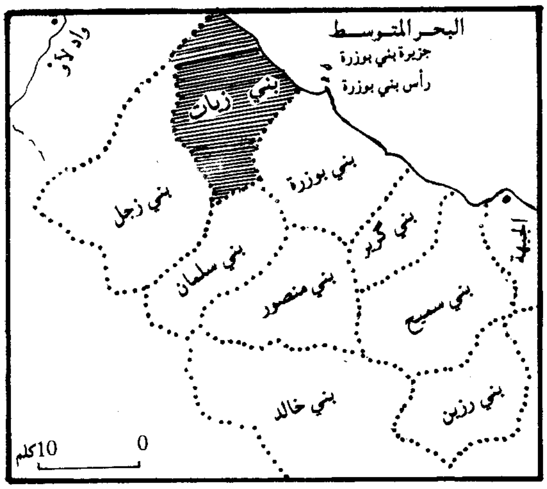


**موقع بني زيات**

أعماق التاريخ كمركز (تْزگَان) الذي كان ومازال حتى وقت متأخر مرفأ لصناعة السفن واشتهر أهله منذ القدم بمهارتهم في التعامل مع البحر، وبه انتُهب المؤرخ ابن خلدون عندما كان عائداً من غرناطة. وغير بعيد من هذا المركز يوجد مركز (ترغة) الشهير، وإلى الشرق من هذا الموكز توجد (تجسَاسْ) القديمة.

كانت قبيلَةَ بني زيات على اتصال دائم بالأندلس، فالرحلات ظلت عبر العصور مستمرة بين الضفتين، حتى إن سكانها من شدة اتصالهم بالأندلس كانوا في أحكام بعض الفروع على مذهب أهل الأندلس كما يذكر ذلك الشيخ أبو عبد الله محمد النالي الغماري (*نوازل الشريف العلمي*، 2 : 45) حتى إذا حلت بالأندلس كارثة السقوط في يد الإسبان هاجر إليها الكثير من الأندلسيين حتى ضاقت بهم القبيلة، وما تزال بعض الأسر الأندلسية الوافدة تحافظ على اسمها

إلى اليوم، كأسرة البرجي، والسراج، والقلالوسي، وهرندو، وابن سعدون... وغيرها من الأسر التي كان لها تاثير كبير على القبيلة، سواء على مستوى نمط حياة السكان أم على مستوى أسماء الأماكن. ففي القبيلة تجد أسماء قرطبة، وشاطبة وشيبية التي قد تكون تحريفاً لإشبيلية (ابن عرضون الكبير، ص 70).

بل إن بها مدشراً كبيراً لا يزال يعرف بأزغار الأندلس تمييزاً له عن أزغار البقالين. وقد نبغت في القبيلة أسر علمية كثيرة، كُتبت الشهرة لواحدة منها وهي أسرة آل مهدي الزياتيين الذين ما تزال إسهاماتهم العلمية شاهدة تحتفظ بها بعض الخزائن المغربية، كما نبغ فيها أعلام كان لهم تأثير خارج القبيلة أمثال الشيخ عبد الرحيم القنائي الترغي الذي رحل إلى مصر ونشر مدرسته الصوفية هناك، ولا يزال أهل مصر يتبركون بضريحه إلى الآن ويعتبرونه من الأقطاب الثلاثة في ميدان التصوف إلى جانب أحمد البدوي وأحمد الرفاعي (*أقطاب التصوف الثلاثة*). وإلى بني زيات ينتسب الحسن الوزان المعروف بليون الافريقي، كما صرح بذلك في *وصف افريقيا* (1 : 264) إلى جبل إجافن، وهو مدشر من مداشر القبيلة ما يزال يعرف بهذا الاسم حتى يوم الناس هذا، يقول الوزان في ذلك : "وأستطيع أن أتحدث عن هذا الجبل (يقصد جبل إجافن) لأنني كنت على اتصال بهؤلاء الجبليين خلال فترة طويلة من حياتي، إذ كان لأبي أملاك بهذا الجبل، إلا أنه كان يعاني الشدائد لاستخلاص محصول أراضيه الزراعية وكرومه"، كما تذكر بعض الروايات أن طارق بن زياد من هذه القبيلة (*البحث العلمي*، ع 31 ص. 41) إلى غير هؤلاء من الأعلام الذين لهم تاثير في المجال العلمي والجهادي والإصلاحي...

م. العلمي، *نوازل*، ط. الحجرية ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ ع. الجيدي، *ابن عرضون الكبير* ؛ صلاح عزام، *أقطاب التصوف الثلاثة*. مجلة البحث العلمي، ع 31.

عمر الجيدي

**بني سادْنْ** أو أيت سادّن، ـ بالجمع ـ مفرده أُسادّن، قبيلة تنتمي إلى فرع صنهاجة المسمى إزناجن، وتقيم على أرض مساحتها 192 كلم$^2$ محاذية للطريق الرئيسي بين فاس وتازا على بعد 30 كلم شرقي فاس. تحدها شرقاً قبائل أيت سغروشن وأودية مسوسة وبوزملان ومطماطة، وغرباً أولاد الحاج على الضفة اليمنى لنهر سبو، وجنوباً قبيلة بني يازغة من الجنوب الشرقي وواد سبو من الجنوب الغربي، وهي المنطقة التي تشكّل حدودها مع بلاد العُواطة وقبيلة أيت يوسي، وشمالا، الجزء الجنوبي لقبيلة الحياينة التي تقيم بالضفة اليسرى لنهر إنّاون.

تشكل بلاد بني سادن نجداً يرتفع بنحو 600 م عن مستوى البحر، وكانت أرضيته إلى عهد قريب مغطاة بنبات الدوم، وتكسوها هنا وهناك غابات الجم التي ترعى بين جنباتها قطعان الأغنام والأبقار، إلا أن الدوم اقتلع منها مؤخراً فحل محله الرعي وزراعة الحبوب. ويبدو أن هذه الأراضي كانت في الماضي موطناً لقبائل انقرضت أو هاجرت نحو شرق البلاد، مثل بني واريثن والگراجة وبني يازغة.

الساكنة، يشير إحصاء سنة 1982 إلى أن قبيلة بني سادن تتألف من 17.801 نسمة مقابل 9.470 نسمة عام 1936، يتحدثون بالبربرية في معظمهم إلا مجموعة منهم يتحدثون بالعربية ويوجدون حول الزاوية الوزانية. لا يوجد من بين سكان القبيلة أي عنصر يهودي في الظروف الراهنة، ولئن كانت طائفة يهودية تعيش بينها إلى الثلاثينات من هذا القرن حيث إن كل دوار كان يحتضن يهودياً أو يهوديين تحت حمايته يتقنان البربرية ويعيشان بعيدين عن أسرتهما المقيمتين بفاس أو صفرو. وبهذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن إحصاء 1982 لم يشمل إلا المستوطنين القارين، دون إدخال المهاجرين في الاعتبار، سواء منهم من رحلوا إلى خارج المملكة أو الذين انتقلوا للعمل في جهات أخرى من البلاد.

التنظيم الإداري : كان لأيت سادن قديماً نظام تشاوري تجسمه الجماعات المتألفة من أشخاص قادرين على حمل السلاح وتحت إشراف الحكماء، أي كبار القبيلة. وكانت هذه الجماعات تنتخب شيخاً، أي "امغار" بمعنى "الكبير" تسلم له مقاليد الشؤون الجارية والاجتماعية والدفاع. أما أمغار فإنه يتميز بصفات معترف بها، إلا أن التفويض الذي يمنح له يكون لمدة زمنية محدودة. ثم تعين السلطة المركزية "قائداً" على القبيلة من بين أفرادها، إلا أن سلطات الاستعمار أقدمت سنة 1929 على تنحية القائد عمر نتود، وهوسادني النشأة، بسبب تحفظه إزاء الموقف الاستعماري من حرب الريف ومعارضته لاستيطان معمرين فرنسيين بأراضي القبيلة، فعوضته بالقائد علي العياشي الذي أتت به من خارج القبيلة.

أما اليوم فإن بني سادن تتبع ملحقة لقيادة أحواز فاس، ولها شيخان كل واحد منهما على رأس نصف القبيلة، ويسمى النصف الأول إحَمُّودن والنصف الثاني أيت مزالة :

1 ـ إحَمُّودن (كلمة مشتقة من إحمُّوتن، أي المنتسبين لحمو) اسم لنصف القبيلة المقيم غرباً الذي يتألف من أيت صالح وأيت سعيد وأيت علاّ وأيت عطُّو وأيت الشّاو وأيت عامو أُلشّاوْ وأيت ناصر وأيت جابر وأيت بردال وأيت إييتين وأيت إدريس. وتجدر الإشارة إلى أن الأفخاذ الأربعة الأخيرة كانت تنتمي إلى النصف الآخر الموجود شرقاً، إلا أنها فضلت مغادرته على إثر تقدم قبيلة أيت واراين التي اكتسحت أرضها، فانسجمت هذه الأفخاذ الأربعة مع تقاليد وسطها الجديد بكيفية سريعة، ومن ناحية النطق واللهجة.

أيت سادّن الشرقية المعروفة حالياً بأيت إملول، لم

يستوطنوا المنطقة إلا في غضون النصف الثاني من القرن التاسع عشر، قادمين من أقصى شرق هذه الجهة، تاركين الفراغ أمام ضغط قبائل أقوى منهم وأكثر عدداً (مثل بني وارين وأيت سغروشن وغيرهما).

وإلى حدود العشرينات من هذا القرن، ظلت أيت سادن الشرقية أو أيت إملول تتشكل من مجموعتين :

أيت سليمان المتألفة من الأفخاذ التالية : أيت عمّار، وأيت حميدان وأيت ميمون وأيت امُوياسن وأيت بوزمور وأيت دلحة وأيت إلقِّيمَنْ الذين انقرضوا اليوم تماماً، ثم أيت أُبلحسن وهي الفخذة التي اشتهرت بحصولها على شجرة الشرف التي تربطها بالأدارسة، ويرون مع ذلك أنهم من أعقاب الجزولي برابر أقحاح.

2 ـ وأيت مزالة : عنصر قديم جداً منقرض، كان يتألف من أيت بن علي، وأيت حركات وأيت بن عثمان وأيت أُبركان وأيت بوعزة وأيت احساين وأيت بن حَنْد.

من ناحية الأحكام، كان العرف هو السائد عند قبيلة بني سادّن وذلك إلى سنة 1926 حيث التمست من السلطات المركزية أن يطبق عليها الشرع الإسلامي.

النظام العقاري : تتميز بلاد بني سادّن بأسماء مواقع عربية لأن السكان كانوا في زمن من الأزمان ينتسبون إلى جماعات مستعربة نذكر منها بالخصوص : بني يازغة والحبوس وجنان الحمراء والزاوي بوگرين، مع الإشارة إلى أسماء الجماعات البربرية البائدة مثل أيت ملال، وإبادسَنْ وأيت دلحة وإلقِّيمَنْ وغمارة ولواته. إن سكان زاوية بوگَرين وبعض عناصر قبيلة بني يازغة المجاورة أقاموا عدة مرات دعاوي ضد بني سادّن مطالبين بحقوقهم الموروثة، وهم يدلون بوثائق صحيحة وقديمة، إلا أن المحاكم، لاعتبارات سياسية واجتماعية، أصدرت في الموضوع أحكاماً تعلن أن الأراضي المتنازع في شأنها أراض جماعية يحق لمن يعيشون عليها أن يستغلوها جماعياً.

منذ القدم ظلت كل أسرة تمتلك أرضاً للفلاحة، وأرضاً للرعي وساحة عمومية، وآباراً مشتركة. وفي عام 1927، أقبلت السلطات الاستعمارية على تجريد السكان من ملكية 3.000 هكتار وزعتها على معمرين فرنسيين وطردت أصحاب الأراضي الشرعيين.

تتألف الأراضي الفلاحية اليوم من ملكيات خاصة ذات أهمية قليلة أو متوسطة وأراض جماعية ابتدعتها سلطات الحماية لتوطين الملاكين الذين أفقدتهم ملكياتهم، ثم الأراضي المسترجعة في شكل تعاونيات. غير أن هذه الأراضي كلها رغم خصوبتها وإنتاجها المتميز لا تفي بحاجيات أهلها الذين يعدون من بين الجماعات الأكثر تطوراً في المغرب، كما لا توجد أي صناعة بالمنطقة ولا نشاط تجاري هام، فأدت هذه الأوضاع إلى تشجيع الهجرة نحو المدن، ودفعت بالشبان إلى الانخراط في الجيش والوظيفة العمومية أو الهجرة إلى الخارج.

- بني سادن والقبائل المجاورة لها : تم استيطان بني سادن في مواقعهم الحالية إما باللجوء إلى السلاح أو بفضل إعادة شراء الأراضي أو على إثر الفراغ الذي خلفه من هاجر من السكان على إثر العمليات الزجرية التي مارستها السلطات ضدهم. وهكذا وجدوا أنفسهم مقحمين بين قبائل مناهضة تكنُّ لهم العداء مثل أيت يوسي وبني يازغة والحياينة وأولاد الحاج. ولربما تمكنوا من السيطرة على هذه القبائل عدة سنوات إلى أن ظهرت قبيلة بني وراين من وراء جبل بويبلان لمساندة أبناء عمومتها أيت سغروشن. وهكذا فإن بني وراين وحلفاءهم أيت سغروشن وبني يازغة وإغزرن وحتى مرموشة النائية فرضوا حرباً ضروساً على بني سادن استغرقت زهاء ثلاثين عاما. ولما أحست قبيلة بني سادن بقرب تقهقرها واندحارها لجأت إلى تحالف مع قبائل غياثة أعداء خصومها، وعقدت معهم اتفاقاً أشرف عليه أعيان الجانبين، الأمر الذي حتم على بني وراين تجميد عملياتها الحربية حينا من الدهر إلى أن احتلت فرنسا المغرب.

تميزت علاقات بني سادن مع جيرانها أيت يوسي بتوتر كبير إلى عام 1920 حيث تدخل الصلحاء بين الطرفين لحل المشكل الشائك الناجم عن وضع النساء المحصنات الفارات من بيوتهن بإحدى الضفتين اللاجئات إلى الضفة المقابلة (من نهر سبو).

لم يكن بين الحياينة وأولاد الحاج المنضوين تحت لواء المخزن، أي علاقة تجارية أو غيرها مع بني سادن، إن لم تكن المعارك الدامية التي تتسبَّبُ فيها مواجهات الجانبين بين الحين والحين والتي لم تتوقف إلا مع احتلال المغرب من طرف القوات الأجنبية.

مقاومة الاحتلال الفرنسي : استبد رجال بني سادن الذين كانوا مدربين على الحرب رغم قلة عددهم في مواجهة الجنود الفرنسيين، خصوصاً أثناء المعارك التي دارت رحاها بأحواز فاس. واتفق أن أعداء الأمس بني سادن وبني وراين نسوا خلافاتهم وتحالفوا على الجهاد ضد الفرنسيين الذين احتلوا فاس، وذهب المحتلون يشنون العديد من الغارات الانتقامية الفتاكة ضد قبيلة بني سادن ويقيمون الحاميات في مواقعها الاستراتيجية. ورغم احتلال بلاد بني سادن، فإن رجالها نظموا شبكة للمقاومة مع بني وراين الذين لم يكونوا قد استسلموا بعد، فتألق هؤلاء وأولئك في معارك خلدت أسماءهم مثل معركة سيدي بوقنادل، ومعركة أيت ميمون اللتين نظمت على إثرهما الأشعار الحماسية ومضى القوم يتغنون ببطولة علي أُرَحّو ومُحند أُمبارك وگربوب وغيرهم. ومما ورد في إحدى هذه القصائد : "أوَا إمُّوتْ علي، أيا عسَّاس يِنْ أوَا" ومعناه :"اذهب وقل للحراس (الفرنسيين) إن علي أُرحو مات هذه المرة، فيمكنهم أن يناموا مطمئنين".

لم تتغيب قبيلة بني سادن عن الحقل السياسي والوطني من عام 1938 إلى عام 1956، ولم يغيبوا عن المقاومة المسلحة ضمن صفوف جيش التحرير.

الأنشطة الثقافية والفنية والاجتماعية : اشتهرت قبيلة بني سادن بصرامة مبادئها، فإلى الأربيعات من هذا القرن، كان يعتبر مساساً بالأخلاق وتدنيساً للقيم الاجتماعية، التدخين وترك الشعر على الرأس وحلق اللحية واتخاذ الملابس الأوربية والتسوّل والأكل أمام العموم والغناء والرقص أمام الآباء والأولياء وممارسة التجارة. أما خروج المرأة إلى السوق فإنه كان أمراً محظوراً.

قبل أن يدخل الراديو إلى البيوت وتغزوها التلفزة، كان الناس يقصون في سمرهم، على الشبان والأطفال، الأعمال البطولية التي سجلها المجاهدون في صفحات تاريخ البلاد، مركزين على ما أداه فلان وفلان. أما الأمهات، فإنهن كن يربين أبناءهن على تقديس التقاليد والصالحين والدفاع عن القيم الأخلاقية مثل الشجاعة والضيافة واحترام الكبار، وكنّ كذلك لا يغفلن عن تذكير الأطفال بوجوب الاقتداء بالأسلاف.

ظلت الفروسية إلى السنوات الأخيرة الرياضة المفضلة لدى أهالي المنطقة، غير أن هذه الرياضة تقلصت واضمحلت بسبب انتشار وسائل النقل المكانيكية، وتأتي بعد ألعاب الفروسية، لعبة الشَّرّى المماثلة لرياضة الكولف، وكرة القدم التقليدية، والصيد.

يمارس أحيدوس عادة بمناسبة الأعياد والحفلات عشية، وقد يستمر إلى ساعة متأخرة من الليل، تشارك فيه فتيات، وحتى نساء متزوجات في مناسبات استثنائية، يتخللن صف الراقصين الذكور في تدلل رائع تحت الأنظار اليقظة لأوليائهن وأزواجهن. ويتحتم على كل العناصر القائمة بأحيدوس أن يبرزوا بالزي التقليدي الأصيل ولا يسمح لهم مطلقاً بالظهور بأي ابتداع أجنبي، ويبقى الناي والطبل (البندير) الآلتين الوحيدتين المستعملتين. يقدر الناس تقديراً بالغاً الشعراء المنشدين بلباسهم الأنيق والآلات الموسيقية.

تحتفل قبيلة بني سادن بكيفية رائعة بالأعياد الدينية والمواسم المحلية. ينظم الشبان بمناسبة عيد الأضحى مثلا زيارات ليلية إلى مختلف الدواوير أثناء ثلاث ليال متتالية، يقدمون التهاني للسكان ويلتمسون منهم مساعدة لإقامة مأدبة. وينظمون كذلك بمناسبة عيد الأضحى حفلا شعبياً يسمى "عجونة" فينتقلون من دوار إلى دوار ومن قبيلة إلى أخرى، في جو من الغناء والطرب يشارك فيه الذكور والإناث، فيستضيفهم الوجهاء اتقاءً لنقدهم إن هم فرطوا في إكرامهم أو أهملوا وفادتهم.

بمناسبة عيد المولد تقام احتفالات شعبية كبرى، وتنظم رحلات إلى مكناس للمشاركة في موسم عيساوة، وحوالي الثلاثينات انضوى عدد هام من الناس تحت لواء الزاوية التجانية. وتجدر الإشارة إلى عدم وجود زوايا بأراضي بني سادن. باستثناء الزاوية الوزانية التي أنشئت قبل الحماية برأس تابودا. وما من شك في أن وجهاء الطريقة الوزانية المحليين تدخلوا كثيراً لتسوية نزاعات بين الأفراد.

إلى جانب هذه الاحتفالات، تقام بالمنطقة مواسم عند أضرحة بعض الصالحين، مثل سيدي عبد الرحمان وسيد مبارك وسيدي عبد الرزاق وسيدي المشهور وسيدي علي أُحمد وسيدي بوعلي (ومن المحتمل أن يكون هو أبا علي اليوسي الذي تجاذب جثمانَه لمدة طويلة كلٌّ من أيت سادن وأيت يوسي).

ونشير في الأخير إلى الاحتفال "بتَاغُنْجة" الذي ينظمه الشبان بمناسبة الاستسقاء عند الجفاف.

يتباهى السادنيون بتدينهم وكثرة مساجدهم لكن من الغريب أن الأئمة والمؤذنين والمدررين الذين يعلمون الصبيان قراءة القرآن كلهم أجانب عن القبيلة.

غير أننا نشاهد تطوراً كبيراً في أوساط القبيلة، من ذلك المرونة التي أصبحت تطبع الخصائص الاجتماعية والأعراف المتشددة. أما سلهام الرجال وحاف النساء والعمامة وغيرها فإن كل هذا ترك المجال للزي الأوربي وأضحى اللباس التقليدي مخصصاً لأيام الأفراح والمناسبات الدينية. لكن النزعة الفردية التي يتميز بها المجتمع حالياً لم تسلك بعد طريقها إلى هذه المنطقة حيث مازال ما يسمى "بالتويزة" عملا جارياً لفائدة شخص تفوق متطلبات الشغل قدراته في العمليات الفلاحية، أو في غزل الصوف بالنسبة للنساء.

فيما يخص منتجات الصناعة التقليدية، لا نجد سوى الزربية الجميلة ذات الطابع المحلي الخاص التي يوجد منها نموذج معروض بمتحف البطحاء بفاس، يرجع تاريخه إلى 150 عاماً. وقد اختفى صنع الخيام منذ 1942، بعد أن حلت محلها المنازل المبنية، وكذلك الحلي الفضية والوشم فإننا لا نجدهما اليوم إلا عند العجائز.

لمحة تاريخية : أيت سادن تعني أولاد النور، وهم خلف أيت عطا الصنهاجيين، وأيت عطا من أيت يافلمان (أيت مرغاد، أيت حْدِّيدُو، أيت إزْدَغْ)، أيت إزْدَغ من أيت أُوفَلاً (أيت أوفلُّو، ضواحي ميدلت) (أيت أوفلُّو، واد النجَا، فاس ـ مكناس).

خلَّف أيت أُوفَلاً آثارهم طوال الطريق المتجهة من الجنوب نحو الشمال (الأطلس الكبير، القصابي، أيت إزْدَغْ، أيت عياش بميدلت، أيت امكيلد، أولاد خاوة، أيت سغروشن، أيت نْضير، واد انْجَا بالقرب من تاوجطات حيث ما تزال بعض الأسر).

أما الفرع الثاني من أيت سادن فإنه يستوطن اليوم مواقعه على بعد أربعين كيلومتراً شرق فاس في الخط المؤدي إلى تازا.

من المحتمل أن يكونوا جاوروا أيت عطا بمنطقة واد زير، وأيت إمور بمنطقة واد غريس، وأيت يافلمان (أيت مرغاد وأيت حْديدُو وأيت ازْدغْ) شمالاً بالأراضي التي كان يقيم عليها سابقاً أيت نضير وكروان وإملوان. وهكذا يمكننا أن نتتبع خطوات هذه القبيلة في هجرتها نحو الشمال

والمواقع التي مرت بها والتي نسردها فما يلي :

- أَسُولْ وما حولها، في هذه الناحية يروى أن أيت سادن اصطدمت بشرفاء زاوية سيدي بويعقوب.

- إِفْري نْوامان، مكان مرتفع يقع بين أسول واميلشيل.

- بْرطَاط على ضفاف واد زير حيث إن جماعة من أيت أُفلاً تسمى أيت سادن.

- تولال وفيها مسجد أيت سادن.

- تيعلالين وهي مجموعة من القصور التي لا يجهل فيها أحد لفظ أيت سادن.

- بعض الأطلال والروايات والألقاب الموجودة والجارية بناحية بولمان - الميس بمرموشة (أيت إدراسن وأيت سادّن وإغرم أملال لأيت سادن ألميس بمرموشة. ولربما عاش أيت سادن خلال حقبة من الزمن بين بولمان وألميس مرموشة بعد أن أجلوا السكان الأصليين من المنطقة، وأنهم مشهورون عند أيت يوسي بممارستهم الفلاحة وتربية المواشي فتميزت حياتهم بالرخاء والازدهار. ومن المحتمل أن يرجع إلى هذا العهد تحالفهم مع أيت ولاّل بإشراف وتشجيع من أحد الصلحاء المحليين اسمه سيدي بوطيب الذي سيأتي الحديث عنه فيما بعد.

- أيت جَلِّيدَاسن، قبيلة صغيرة وهي جزء من تكتل أُوارايْن شرق جبل بويبلان والتي تضم من بين سكانها عناصر من أيت سادن ومن أيت عطا وغيرهم.

- وأخيراً، نرى في غرب المنطقة الحالية عناصر من أيت أُوارايْن توجد من بينهم آثار باقية وأطلال وبساتين وألفاظ تذكّر كلها بما خلفه مرور هذه القبيلة بالإقليم المذكور.

- ومن جهة أخرى ليس من الغريب العثور على جماعات سكانية تحمل لفظ"سادّن" حول مهد زاوية الدلاء التي كانوا من أعظم أنصارها وأكثر من غيرهم وفاءً لها. وتسمى تلك الجماعات :

أيت أُسادّن من بين سكان أيت عياش بميدلت.

أيت أُسادّن من قبيلة أيت عبد اللُّولي بالقصيبة.

أيت أُسادّن بأيت إيكّو (أيت ويراً، أيت سْري).

أيت علي أُكّو سادّن نت أيتَ ويراً (أيت سَيدي بن داود).

أيت خويا أُسادّن لأيت خويا (أيت ويراً)

أيت خويا أُسادّن (لأيت إشُّو).

أيت سادّن - أيت إدراسن - زاوية الدلاء : يشكل أيت إدراسن تكتلا معروفاً منذ عهد الموحدين وتعني لفظة إدراسن مجموعة من المواشي من غنم وبقر مربوط بعضها إلى بعض من جيادها ومرتبة لحمل البضائع أو التشغيل، وتعني الكلمة كذلك "أصحاب الأغنام" أو "الذين تحالفوا وتعاهدوا".

كان تكتل إدراسن يتألف أصلا من بني إملوان (الذين يشكلون فخذة من أيت عطّا) ومن سكان فركلة وغريس وتُدغة الذين انضم إليهم عناصر آخرون لتعزيز صفوفهم ضد قبيلة گروان وأيت أُمَالُو (زيان، أيت اسحاق، إشقرن، أيت أُحند، أيت يسْري، أيت شُخْمَان) وكلهم توحدوا حول زاوية بربرية، هي الزاوية الدلائية التي أسسها المجاطيون (إمجّاض) على مقربة من زاوية أيت اسحاق.

فلا غرابة أن نرى إذن تكتل قبائل إدراسن وضمن صفوفهم أيت سادّن يساندون الزاوية الدلائية في حركاتها السياسية. كانت هذه المجموعة من القبائل التي تنضوي تحت لوائها قبائل أخرى مثل أيت إمور وإمجّاض وأيت ولال وأيت أُفلاً وأيت سادّن وإملوان وأيت عياش فوق مجموع تراب فزاز (بالأطلس المتوسط الأوسط) وحوض ملوية العليا بنواحي صفرو وگيگو.

في عهد مولاي سليمان، شارك أيت سادن ضمن تكتل إدراسن الذي لم يفقد حيويته وقوته في المحلة التي توجهت لعقاب قبيلة گروان التي شقت عصا الطاعة. وفي عهد مولاي سليمان كذلك، كانوا من بين الجنود الذين قاتلوا أيت أُمالو الذين عبأهم أبو بكر إمهاوش لغزو مكناس والاستيلاء على الغرب. وهكذا فإن أيت سادّن قاسموا إدراسن مصيراً واحداً إلى أن تصدع تكتل قبائلهم وتمزق في عهد مولاي عبد الرحمان. لكن أيت سادن حُملوا على الهجرة نحو شرق البلاد، وتقطعت الأسباب التي كانت تربطهم بحلفائهم السالفين، غير أنهم لم يتأثروا بنائبة الدهر، فحافظوا على قواتهم وأعدادهم واستطاعوا الحياة مستقلين وفرض وجودهم وسيطرتهم على القبائل المجاورة لهم. ويُروى بهذا الصدد أن مولاي عبد الرحمان كان وراء نفيهم إلى أزغار (الغرب) لكنهم طفقوا يعودون إلى مواطنهم ليلا. ويتناقل الناس أيضاً نبأ مطاردتهم وعقابهم من طرف مولاي الحسن الأول حتى إذا اشتد عليهم الخناق أوفدوا أطفالهم يحملون ألواح القرآن لالتماس عفو السلطان وأمانه.

وبالأمس القريب، كانت أيت واراين الغريمة التي استنجدت بها أيت سغروشن الخاضعة منذ القدم لنفوذ أيت سادن، أقول كادت أيت وراين الآتية من وراء الجبال أن تخترق الصفوف في زحفها نحو فاس، مكتسحة أيت سادن وكل الأراضي، ولولا يقظة أيت سادن وشجاعة رجالها الذين قطعوا عليهم المسالك والممرات، لأعلن أيت وراين تلاحمهم مع أيت نضير ولشكلوا قوة منيعة قبل وصول الفرنسيين.

التحالف الدائم مع أيت ولاّل : لا نكاد نعرف شيئاً عن التاريخ والظروف التي تم فيها التحالف بين أيت ولال وبني سادن الذين كانوا من بين العناصر المشكلة لتكتل أيت إرداسن، وتفصل اليوم مسافة مائة كيلومتر بين القبيلتين. ومع ذلك، فإن التعاهد بين القبيلتين لا يزال قائماً إلى اليوم، يلتزم به بكيفية دقيقة الرجال والنساء والأطفال. وقد اتفق القوم على اجتناب كل الأعمال التي من شأنها أن تخلق النزاعات والحزازات بين أفراد القبيلتين، والتي يمكن أن تكون مصادرها التجارة والكتابة والزواج. وبالطبع فإن

كلتا القبيلتين تدعي الشرف. ويسمى عندهم هذا التعاهد "تاظا" أي الرضاعة، فإذا ما التجأ أحدهم من عشيرة إلى أخرى لتحميه من عشيرته، بحث حيناً عن امرأة مرضعة ورضع منها، إذ ذاك تحتضنه العشيرة الثانية ويصير عضواً منها له عليها حقوق الحماية، ولا يمكن لأحد نقض هذه الحماية خوفاً من الإخلال بالشرف. ويمكن لهذه الممارسة أن تتطور إلى أكثر من هذا، إذ يمكن لعشيرتين، في نطاق العرف والتقاليد الاجتماعية الخاصة الذبح على قبور الأسلاف وتبادل السلاهم والعمائم وتبادل الرضاع في بعض الأحيان الذي يعتبر كروابط الدم مع اللجوء إلى احتكام ولي صالح، وإبرام معاهدة للتعاون قصد درء الأخطار الخارجية، وإن كل من تسول له نفسه خرق هذه الاتفاقية ضُربت عليه الذلة والمسكنة وباء بغضب من الله.

تلك كانت الحالة بالنسبة لأيت سادن وأيت ولال الذين احتكموا إلى سيدي بوطيب دفين ميسور. وتروي الأخبار أن سيدي بوطيب كان ممتطياً بغلة وقادماً لزيارة أيت سادن القاطنين بين بولمان ومرموشة، والناس يعرفون مكان سقوط بغلته، ذلك ما يدل على صلات الجوار التي كانت تربط القبيلتين، وأنهما ظلتا تقفان صفاً واحداً في حالة مجابهة الأعداء أو كلما هدد كيان إحداهما خطر من الخارج.

ما هي الطريق التي سلكها أيت سادّن في تنقلاتهم من زاوية الدلاء إلى مواقعهم الحالية ؟ يفترض أولا أنهم انتقلوا إلى سرغينة ثم ألميس ثم انتشروا نحو الشمال غرب بويبلان ثم عرجوا نحو الغرب غادين رائحين إلى أن استقر بهم المقام فيما هم فيه اليوم. أما الافتراض الثاني فإنهم يكونون قصدوا ألميس وسرغينة وسايس شرقاً ابتعاداً عن المخزن ليعودوا مرة أخرى نحو الغرب تحت ضغط مجموعات أقوى منهم.

كان للوجود الفرنسي تأثير في دفع السكان إلى الاستقرار، فاغتنمتها قبيلة أيت سادن الصغيرة فرصة ثمينة لتحقيق نهضة ديمغرافية واقتصادية رغم استيلاء الاستعمار على أجود أراضيها. غير أن الهجرة أخذت تُضعف صفوف هذه القبيلة بصورة خطيرة للغاية حيث جعلت تفقد تدريجياً ما اتصفت به من حيوية ودينامية، ولئن طفق الشبان يغوصون في ذاكرة الماضي فإن عناصر أيت سادّن مايزالون أوفياء للعمل بحزم وشجاعة أمام الشدة والأزمات معتزين بالتضحيات التي قدمتها القبيلة في سبيل تحرير الوطن من الاستعمار. وفي هذا الصدد يقول شاعر الملحون :

"السَّادني يا الزَّنْبُورْ مْحزَّم للشـرّْ ديمَا"

وقد نظمت هذه القصيدة خلال القرن التاسع عشر. وأضيف أن السادني إن كان قاسياً وعنيداً، فإنه كذلك ذو أخلاق كريمة، وليس من باب التشاؤم القول بأن بني سادن مهددون بالانقراض الاجتماعي كغيرهم من المجموعات البشرية المتميزة وذلك بسبب الهجرة المتفشية والعصرنة والانفعال بالتيارات الحضارية الحالية.

*معلومات شخصية ودراسة ميدانية.*

أ. ح. أُسادّن

**بني سالم**، قرية واقعة بالسفح الشرقي من جبال حوز تطوان، عند بداية إشراف جبل فتح على منابع واد أُليلى، مجاورة هناك لمدشر بلوازن، داخلة اليوم ضمن فرقة البحري من حوز تطوان.

وقد ظل السفح الشرقي من جبال مجكسة (حوز تطوان) موطن رجال المقاومة منذ احتلال البرتغاليين لسبتة (818 / 1415)، إذ كانت قراه مستقر رئيس المجاهدين الأول عبو بن محمد ومساعده زيان، ودار الشيخ أحمد بن سلام ابن مرزوق. وفي سنة 836 / 1432 كان أحد أبناء عبو بن محمد، واثنان من إخوته المدعوان موسى وأبا بكر يُعدون للغارة على سبتة بنحو خمسين محارباً من أجود شجعان مجكسة. ولما كان حاكم سبتة غير غافل عن تتبع خطوات المقاومة والحركة الدائرة بقرية بني سالم، لجأ لاستدراج المجاهدين إلى ميدان سبتة، بناء على خطة الظهور بساحة القرية، ثم التظاهر بالتراجع إلى حيث كان الجنود متربصين بكمينين يجعلان المغيرين بين شقي الرحى، وهذا هو ما حدث، فاستشهد الرئيس ابن عبو مع عدد ممن كانوا معه، بينما التجأ الباقون إلى قرية بلوازن، وأصبحت القرية لذلك هدف حاكم سبتة.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 162 . 163 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، ص. 40، تطوان، 1953.

Gomes Eanes de Zurara, *Cronica de D. Pedro de Meneses*, p. 72 - 78 ; Osorio Baltazar, *Ceuta e a capitania de D. Pedro de Meneses*, p. 168.

حسن الفگيگي

**بني سدات**، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الحسيمة حالياً) وتحيط بها قبائل : متيوة البحر - بني گميل - زرقات - بني خنوس - بني بونصار - تغزوت - كتامة، وتقدر

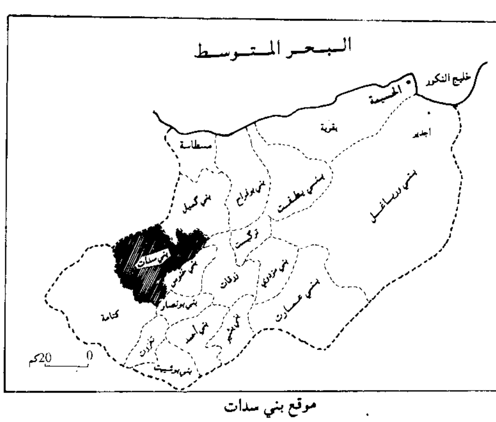


موقع بني سدات

مساحتها بـ 189 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 4.421 نسمة يتكلمون باللهجتين العربية الدارجة والصنهاجية، وتتوفر على أحد عشر مسجداً وستة أضرحة وزاويتين واثني عشر كتّاباً قرآنياً.

ويوجد بالقبيلة سهل يعرف بإيساگين أطلق عليه الإسبان اسم L'ano amarillo (السهل الأصفر) وقد جرت به المناورات العسكرية التي كانت انطلاقة الانقلاب العسكري الذي أطاح بالجمهورية الإسبانية سنة 1936.

تنقسم القبيلة إلى ثلاث فرق هي : الدوين (5 مداشر) وعربي (4 مداشر) وتلارواق (5 مداشر).

وفي التقسيم الإداري تكوِّن هذه القبيلة جماعة قروية تحمل اسم ايساگين.

**بني سعيد**، - الريف - قبيلة تقع بإقليم الناظور حالياً، وتُحد شمالا بالبحر المتوسط، وتحيط بها قبائل بني بوگافر وبني سيدال ومطالسة وبني وليشك وتمسمان. وتقدر مساحتها بـ 406 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 22.468 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية.

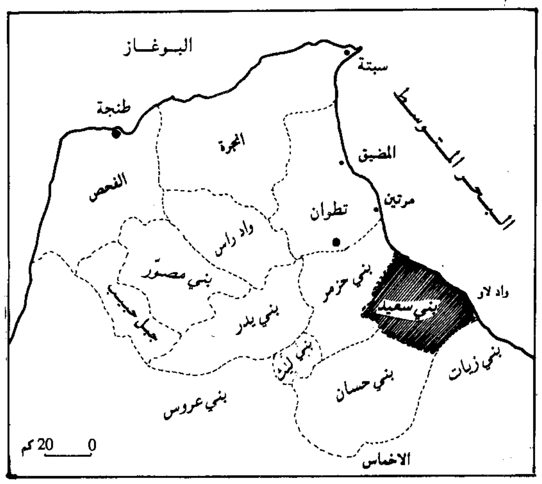


موقع بني سعيد

ويوجد بهده القبيلة أهم منجم للحديد بالريف بعد منجم قبيلة بني بُويفْرور، والمركز الرئيسي للقبيلة يوجد بدار الكبداني، وفي القبيلة خمسة وتسعون مسجداً وثمانية وثلاثون ضريحاً وست زوايا ومائة وواحد وعشرون كتّاباً قرآنياً وأربع مدارس للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى خمس فرق هي : أولاد عبد الدائم (33 مدشراً) واقمايت (62 مدشراً) وامجاو (32 مدشراً) وازعوماً (32 مدشراً) وتشوكت (12 مدشراً).

وفي النظام الإداري تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين : جماعة دار الكبداني وجماعة تازغين.

يقول الوزان الفاسي (ص. 268) إن جبل بني سعيد كان يمتد من غساسة إلى نهر النكور وتتقاسمه عدة قبائل.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 268 ؛ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 111.

**بني سعيد**، - **غمارة** - قبيلة تقع بناحية جبالة (إقليم تطوان حالياً) وتحد شمالا بالبحر المتوسط، وتحيط بها قبائل : بني حزمر وبني حسان وبني زجل وبني زيات. وتقدر مساحتها بـ 237 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1949 : 11.833 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة. ومركزها الرئيسي يوجد بقرية وادْ لاوْ حيث يقام سوق أسبوعي كل يوم سبت. بالقبيلة ستة وسبعون مسجداً وثلاثة عشر ضريحاً وسبع زوايا وخمسة وسبعون كتّاباً قرآنياً، ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى إحدى عشر فرقة هي : وراق (12 مدشراً) وبني بزاز (14 مدشراً) واغنُوري (10 مداشر) وتزگة (8 مداشر) وازرزا (7 مداشر) وتنوذت (9 مداشر) وانسول (7 مداشر) وامسا (5 مداشر) وتغزة (7 مداشر) وبني عاصم (5 مداشر) وغرفة (3 مداشر).

وفي التقسيم الإداري تتكون القبيلة من جماعتين قرويتين هما : جماعة زاوية سيدي قاسم، وجماعة عبد اللاتين.

أبو بكر البكري، *المسالك*، 101 - 102 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 268 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، ص. 11 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني سلمان**، جبل بدرعة السفلى. يتفرع جبل باني عند نهايته الشرقية إلى فرعين قبل أن يخترقه وادي درعة، يتجه الفرع الأول نحو الشمال الشرقي بينما يتجه الثاني، وهو جبل بني سلمان (831 م) نحو الجنوب الشرقي. ويضم الفرعان بينهما واحة اكتاوة التي ينعرج بعدها الوادي نحو الغرب في اتجاه المحيط.

ارتبط جبل بني سلمان في خيال بعض السكان بالملك سليمان وبتاريخ يهود درعة حسب ما تحكيه رواياتهم، حيث يعتقد يهود اكتاوة أن أحد قواد الملك داوود طارد الفلسطينيين حتى هذا الجبل، وأن حجراً منقوشاً (سموه حجر سليمان) وجد قديماً هناك، وفيه إشارة إلى تلك المطاردة. وعند الحد الجنوبي لجبل بني سلمان توجد أطلال مدينة تيدري التي ينسبها يهود المنطقة إلى أجدادهم الوافدين من الشرق في عهد النبي داوود (ق 10 ق. م). كما تزعم نفس الروايات اليهودية المحلية أن المجموعة الهائلة من الأرجام المنتشرة على سفح هذا الجبل إنما هي مقابر قديمة لسكان تدري اليهود، وقد احتفظ يهود المنطقة حتى أمد قريب بصلات متميزة مع جبل بني سلمان وأطلال تدري حيث يوجد ضريح "سيدي بواسحاق" الذي يشاركون المسلمين في التردد عليه للزيارة والتبرك.

J. Gattefosse, *Juifs et Chrétiens du Draâ avant l'Islam*, *B.S.P.M.*, 1935, 3 - 4, p. 39- 66 ; D. Jacques-Meunié, *La Nécropole de Foum el Rjam, Tumuli du Maroc présaharien*, *Hesp.*, 1958, 1 - 2, p. 95 - 142 ; *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982, T. 1, p. 181 - 182.

محمد الحبيب نوحي

**بني سلمان**، قبيلة بضاحية غمارة (إقليم شفشاون

حالياً) وتحيط بها قبائل : بني زيات وبني بوزرة وبني منصور وبني خالد والأخماس وبني زجل. وتقدر مساحتها بـ 208 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 6.083 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة. وبالقبيلة ثلاثة وخمسون مسجداً، وخمسة عشر ضريحاً، وثمان وعشرون زاوية، وثمانية وخمسون كتّاباً قرآنياً، ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى خمس فرق هي : أسيفا (8 مداشر) والوسطيين (12 مدشراً) وبني بوحلو(5 مداشر) وبني فنزر (19 مدشراً) وبني احلو (12 مدشراً).

وفي التقسيم الإداري تكوِّن هذه القبيلة الجماعة القروية التي تحمل اسم جماعة سبت أسيفان.


ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 3 : 325.

Carta de Battista Agnesi, 1524 ; A. Domenech, *Zona Norte*, p. 36 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos*, p. 87.


محمد ابن عزوز حكيم

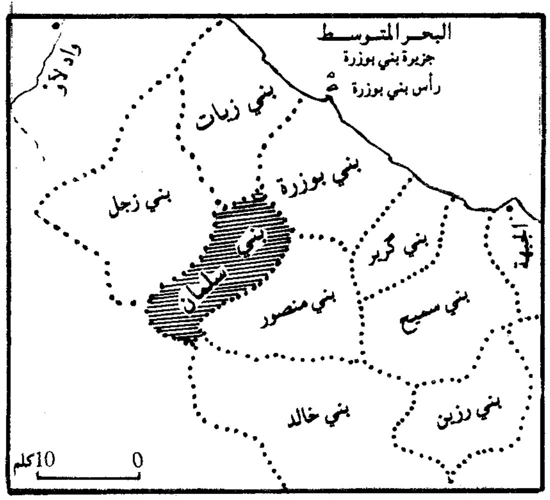


موقع بني سلمان

** تُعرف قبيلة بني سلمان، في التاريخ ببسالتها وشدة مراس أهلها في الحروب، وقد ذكرها البيذق في الحرب التي شنها الموحدون على قبائل غمارة حيث نزلوا - كما يقول - بأرض بني سلمان فطوقوهم وأحاطوا بهم. (*أخبار المهدي*). وبها أسر علمية، ومدارس للعلم والقراءات. ومن الأسر العلمية الشهيرة بها : أولاد برو (سبق الحديث عنهم)، وأولاد القاضي، وأقدمهم - فيما نعلم - محمد القاضي، التحق بفاس وأنهى دراسته بها، وبقي هناك مدة اشترى خلالها بيتاً من بيوت المدرسة المصباحية وجعله حبساً على طلبة غمارة، وظلوا يتوافدون عليه إلى أن نظمت الدراسة بالقرويين، وأدخلت تعديلات على مدارس سكنى الطلبة. ومنهم أولاد أخريف، آل محمد بن العربي أخريف معاصر الشيخ البوزيدي، وبينهما مراسلات ومكاتبات في شئون الدين وطريق القوم. والفقيه حساين أخريف الذي تولى سلطنة الطلبة بفاس فعينه الحسن الأول قاضياً على قبائل غمارة، وأصدر ظهيراً بتوقير واحترام آل أخريف في 23 ربيع الثاني 1294، والمقرئ الكبير محمد بن أحمد أخريف المدعو أقلال الذي كتب مصحفاً بخط يده، وله عليه تعاليق ورموز، فرغ منه عام 1280 هـ. ومنهم أولاد العمراني، من متأخيرهم : التهامي بن أحمد العمراني، أنهى دراسته بفاس عام 1321 / 1903 وكان آية في الذكاء والحفظ وولي القضاء بظهير من ابن عبد الكريم الخطابي أيام الحرب الريفية. وأولاد عبد الرزاق، منهم : أحمد بن عبد الرزاق، عالم يميل إلى التصوف، لم يشتغل بقضاء ولا إفتاء. وأولاد التاغي، منهم أحمد بن محمد بن قدور التاغي، تولى القضاء والافتاء ببلده، توفي في حدود 1318 / 1900. وأولاد مسرة، من كبار علمائهم محمد بن أحمد مسرة، الذي درس بفاس وولي القضاء والإفتاء بقبائل غمارة، وكانت له مكتبة زاخرة بالنفائس ونوادر المخطوطات، والمقرئان الاخوان خليل ومَحمد اللذان كانا يحفظان السبع بالعدد.

وستاتي في حرف السين تراجم عدد من الفقهاء المنسوبين إلى القبيلة الأم بني سلمان.


أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ع. الزياتي، *الجواهر المختارة*، مخطوط؛ م. عبد الله عنان، *عصر المرابطين والموحدين* ؛ ع. بن عبد الله، *الموسوعة المغربية* ؛ العباس بوخزار، *تقييد في تاريخ قبيلة بني سلمان* (مصورة خاصة) ؛ *وثائق وروايات شفوية*.


سعيد أعراب

**بني سليم**، يذكر المؤرخون أنهم من القبائل العربية التي هاجرت صحبة الهلاليين من مصر إلى المغرب في منتصف القرن الخامس (11 م)، لكنهم فضلوا المقام ببرقة وطرابلس قبل أن يتوغلوا في افريقية التي دخلوها في القرن السادس (12 م)، يشهد لذلك دورهم في مساندة ابن غانية وحليفه قراقوش ضد الموحدين.

وعلى العموم، كانت قبائل سليم، مثلها مثل قبائل هلال، تساهم في الأحداث السياسية والعسكرية بافريقية، بالانضمام لطرف من أطراف مواجهة قبائل أخرى ثائرة، وساهمت قبائل سليم بدورها في إفشال مشروع أبي الحسن المريني الرامي إلى توحيد أقطار المغرب الكبير، بعد أن ألحقت الهزيمة بجيشه على مقربة من القيروان سنة 749 هـ.

ويبدو أن بني سليم لم يصلوا إلى المغرب الأقصى ولم يجاوزوا المغرب الأوسط، اللهم إلا ما كان من نقل بعض أشياخ قبائلهم في عهد أبي الحسن الذي أنزلهم بجوار أمثالهم من أعراب المغرب الأقصى.


ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، تح. ع. التازي، بيروت، 1964 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 3، خاص بالدولة الموحدية، تح. *ميراندا والآخرين*، تطوان، 1960 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح، أ. مختار العبادي، *الدار البيضاء*، ب. ت ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، وج6 و7، بيروت، 1967 ؛ *المقدمة* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980 ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*، ج 1.

W. Marçais, *Comment l'Afrique du nord a été arabisée*, *A.I.E.O.*, T V, année 1939, p. 6 - 16 ;G. Marçais, *La berberie musulmane et l'Orient au moyen âge*, Paris, 1946 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1949 ; H. R. Idris, *La berberie orientale sous les Zirides au XIIè siècle*, Paris, 1962 ; J. Poncet, *Le mythe de l'invasion hilalienne*, *A.E.S.C.*, n° V, sep. - oct. 1967, p. 1099 - 1120 ; H. R. Idris, *De la réalité de la catastrophe hilalienne*, *A.E.S.C.*, N° II, mars - arvil 1968, p. 390 - 396 ; A. Laroui, *Histoire du Maghreb*, Paris, 1970 ; Y. Lacoste, *Ibn Khaldoun*, Paris, 1978 ; G. Ayache, *Ibn Khaldoun et les Arabes*, in *Etudes d'histoire marocaine*, Rabat, 1983.

رضوان مبارك

**بني سمغرة**، قرية وتجمُّع سكانيّ قديم من أصل مصمودي، حدد البكري موطنه بجبل مرسى موسى، أراد بذلك الإشارة إلى الفراغ الواقع بين مؤخرة غرب جبل موسى وجبل العتبة من أنجرة الحالية. ومكان القرية معروف اليوم بنفس الموضع، ويقسم نفس الفراغ مجرى وادٍ سريع الجريان، معروف بواد مرسى موسى. ففي القسم الشرقي وبالقرب من الضفة اليمنى كان مستقر بني سمغرة، موضع القرية بالزاوية الجنوبية الغربية من جبل موسى.

والقرية بمرساتها مشهورة لدى الأنصاري، صاحب *اختصار الأخبار*، وأن مبانيها كانت قائمة، يبرز من بينها ما وصف بالقصر. قاد البرتغاليون من سبتة نحو القرية غارتين في أبريل ثم في يونيه سنة 1416، في نطاق استراتيجية إخلاء سكان قرى ساحل مضيق جبل طارق، إذ أن القرية كانت عيناً على تحركات السفن البرتغالية والقشتالية الداخلة إلى مياهه. تمت الغارتان بإيعاز من حاكم مدينة طريف، حينما أخبر حاكم سبتة بالتعبئة التي كانت تتهيأ على يد رجال المقاومة بزعامة عبو بن محمد المجكسي، والشيخ زيان والمقدم أبي علي.

م. البكري، *المغرب*، 104 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، 51 ـ 56 ؛ حسن الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 99 ـ 100.

Gomes Eanes de Zurara, *Cronica de D. Pedro de Meneses*, 141 ; C. G. Cravioto, *La costa Africana del Estrecho, sigolos 15 - 16*, *C.B.E.T.*, n° 21 - 22, p. 117.

حسن الفكيكي

**بني سَمْكِينْ**، (قصر ـ) يعرف في المصادر التاريخية بتَالَكْتَاوْتْ، ويقع هذا القصر في المدخل الشمالي لواحة اكتاوة في منبسط من الأرض بالضفة الشرقية لواد درعة. وفي السبعينات من القرن العاشر الهجري (16 م)، زار مارمول الإسباني واحة اكتاوة، فلاحظ أن قصر بني سمكين يعتبر من القصور الكبرى بالمنطقة، إذ يقدر عدد كوانينه بثلاثة آلاف كانون (*افريقيا*، 3 : 148). وإذا ما قدرنا خمسة أفراد لكل كانون، فإن سكان قصر بني سمكين في القرن العاشر (16 م) يقدرون بحوالي خمسة عشر ألف نسمة. وهو رقم مبالغ فيه ولا شك خاصة أن قصر تَالَكْتَاوْتْ (كتاوَة مارمول) لا يزال قائماً إلى اليوم.

وبالرغم من التطور الكبير الذي عرفته الحركة العمرانية بواحة اكتاوة، فإن عدد كوانين قصر بني سمكين في مطلع القرن العشرين لم يتجاوز مائة كانون (*Districts et tribus*, 167) مع العلم بأن قسماً كبيراً من قصر بني سمكين الحالي قد استحدثته قبيلة بني مُحمد التي طرأت على واحة اكتاوة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري (19 م)، ولا توجد بالمنطقة أطلال ظاهرة حتى يمكن القول بأن كتاوة مارمول قد اندثرت وانقرضت مع مرور الأيام. فهل هناك مدينة أخرى بهذا الاسم لا تزال مطمورة تحت الرمال ؟ وإذا كانت هذه المدينة موجودة فعلا فلماذا لم يشر إليها صاحب *أنس الساري والسارب* ابن مليح السراج المراكشي، الذي زار واحة اكتاوة في بداية العقد الرابع من القرن الحادي عشر الهجري (17 م)، وأشار إلى بعض قصور المنطقة مثل قصري بني حيون وبني مسنان (*أنس الساري*، 27). فهل كان مارمول يقصد بإشارته هذه واحة اكتاوة ككل ؟

يذكر مارمول أن كتاوة من القصور القديمة التي أحدثها دراوة بالمنطقة (*افريقيا*، 3 : 148) وهذا يعني أن سكان قصربني سمكين من الحراطين، وهو أمر أكدته المصادر التاريخية، والواقع المعاش حيث لا يزال سكان قصر بني سمكين يتشكلون في غالبيتهم من الحراطين، إلى أن خالطتهم قبيلة بني مَحمد في بحر القرن الثالث عشر الهجري (19 م) وزاحمتهم على الأرض والماء، الأمر الذي جعل الحراطين يطلبون الحماية من قبيلة أيت إسفول. وقد استقرت بالقصر أيضاً عدة أسر من الأشراف الأدارسة.

مارمول، *افريقيا* ؛ ابن مليح السراج، *أنس الساري والسارب* ؛ ابن الحبيب التمنوگالتي، *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draâ*.

أحمد البوزيدي

**بني سميح**، قبيلة تقع بناحية غمارة (إقليم شفشاون، حالياً) وتحيط بها قبائل : متيوة البحر وبني رزين وبني خالد وبني منصور وبني گرير، وتقدر مساحتها بـ 131 كلم مربع. وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 3.340 نسمة

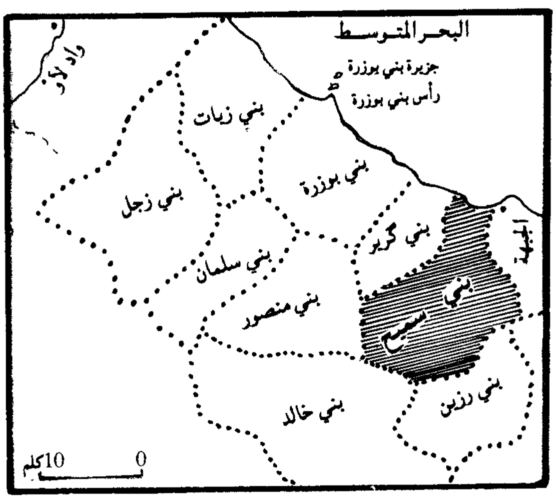


موقع بني سميح

يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، وتوجد بهذه القبيلة مدينة الجبهة، كما تتوفر على اثنين وثلاثين مسجداً وثلاثة

أضرحة أشهرها ضريح سيدي أحمد البوهالي البقالي بأفغال وزاوية وسبعة وعشرون كتاباً قرآنياً.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : بني صدرات (5 مداشر) وبني يزرف (12 مدشراً) وبني بوگضافن (11 مدشراً) وبني بوزكري (6 مداشر).

وفي التقسيم الإداري تكوِّن هذه القبيلة جماعة قروية تحمل نفس الاسم.

**بني سيدال**، قبيلة تقع بناحية گلعية (إقليم الناظور حالياً) وتحيط بها قبائل : بني بوگافر وبني شيكر وبني بْويفْرور وبني بويحيى ومطالسة وبني سعيد. وتقدر مساحتها بـ 390 كلم مربع. وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 26.606 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية، والسوق الرئيسي للقبيلة ينعقد بثلاثاء بني سيدال، وتحتوي على خمسة وأربعين مسجداً وأحد عشر ضريحاً وثلاث زوايا وسبعة وأربعين كتّاباً قرآنياً، ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : بني فكلان (10 مداشر) وعدوية (12 مدشراً) وأولاد ياسين (12 مدشراً) واجاوة (15 مدشراً).

وفي النظام الإداري تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة ثلاثاء الجبل، وجماعة ثلاثاء الوْطَا.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 112.

Carta de Battista Agnesi, 1524 ; A. Domenech, *Zona Norte*, p. 36 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos*, p. 87.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني شداد**، فرقة تدخل في الوقت الراهن ضمن قبيلة بني زجل الغمارية بإقليم شفشاون، وتشكّل فرقة مكونة من خمسة مداشر مركزها تَـلَـنْـبُـوطْ، ثم أگومي وسلاف وإگرمان وتورات. عرّفنا بوجودها القديم أبوعبد الله البكري، في المكان الذي تحتله تلك المداشر، حول منبع واد تلنبوط، رافد وادْ لاَوْ بمجراه الأوسط، بين جبلي عبدون وجبل عزرة، شمال شرق مدينة شفشاون. وفي بني شداد ظهر قبل القرن الخامس الهجري العراف المدعو آنذاك "بوحلاوت" المذكور من طرف البكري.

أ. البكري، *المغرب*، 101 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 65، تطوان، 1953.

**بني شيكر**، قبيلة تقع بناحية گلعية (إقليم الناظور حالياً) وتُحد بالبحر المتوسط، تحيط بها قبائل : مزوجة وبني بْويفْرور وبني سيدال وبني بوگافر، وتقدر مساحتها بـ 170 كلم مربع. وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 22.740 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية، ويوجد بالقبيلة أربعون مسجداً وتسعة أضرحة وثلاث زوايا وستة وأربعون كتّاباً قرآنياً، ومدرستان للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : عبدونة (13 مدشراً) وبجيوة (9 مداشر) وبني عثمان (14 مدشراً) وبني بوغمران (10 مداشر).

وفي التقسيم الإداري تكوِّن القبيلة جماعة قروية تحمل نفس الاسم.

**بني شيكر**، نهر توجد منابعه بجبل تازوضي ويسقي أراضي قبيلتي بني شيكر ومزوجة ثم يصب في البحر المتوسط جنوب مدينة مليلية وشمال بحيرة بوعرگ، ويعرف هذا النهر أيضاً بوادي فرخانة وبوادي المدور. وقد أطلق عليه الإسبان اسم وادي الذهب Rio de Oro وأقدم خريطة نجده فيها بهذا الاسم هي خريطة باطيسطا انيسي Battista Agnesi الموضوعة سنة 1524 م.

وإلى غاية سنة 1288 / 1871 لم يكن مصب هذا النهر بالمكان الذي يوجد به الآن وذلك لأن الإسبانيين هم الذين غيّروا مجراه وجعلوه يصب بعيداً عن مدينة مليلة ليتمكنوا من توسيع رقعة الأرض المحتلة بقبيلة مزوجة.

ولهذا التحويل قصة يرجع تاريخها إلى اليوم الذي هزمت فيه القوات المغربية في حرب تطوان سنة 1276 / 1860 حيث فرضت على المخزن معاهدة الصلح ليوم 26 أبريل 1860 تنفيذاً للاتفاقية الخاصة برسم الحدود الوهمية لمدينة مليلية المبرمة يوم 24 غشت 1858، هذه الاتفاقية التي مكنت إسبانيا من توسيع رقعة الأرض المجاورة للمدينة المذكورة، غير أن إسبانيا لم تستطع القيام بالاحتلال الفعلي لتلك الأرض إلا في أواخر سنة 1287 / أوائل سنة 1871 فكان أول عمل قامت به هو تحويل مجرى وادي بني شيكر، ولكنها لم تتمكن من ذلك بسبب المعارضة الشديدة التي لقيتها من أصحاب الأرض.

واحتجت إسبانيا لدى السلطان محمد بن عبد الرحمن وهددته باستعمال القوة، فوقّع معها اتفاقية طنجة ليوم 22 ربيع الثاني 1288 / 11 يونيو 1871 وافق بمقتضاها على أن تتم عملية التحويل يوم 15 جمادى الثانية / فاتح سبتمر، وبالفعل أرسل السلطان إلى ناحية مليلية وزيره الحاج إدريس بن إدريس على رأس كتيبة تتكون من 500 جندي في منتصف شهر جمادى الثانية / أواخر شهرغشت، غير أن هذه القوات لم تتمكن من إرغام السكان على مغاردة أراضيهم، الشيء الذي جعل السلطان يرسل إلى عين المكان جيشاً يتألف من 3.000 جندي برآسة ولده الأمير مولاي عبد الله، فحول الإسبانيون مجرى النهر في شعبان / نوفمبر من نفس السنة.

ع. بنعبد الله، *موسوعة*، 369-370.

Carta de Battista Agnesi, 1524 ; A. Domenech, *Zona Norte*, p. 36 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos*, p. 87.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني صالح**، - أسرة وإمارة - الأسرة التي أسست إمارة النكور وتوالى أفرادها على حكمها بظهور مؤسسها في أواخر القرن الأول الهجري إلى سنة 473 مع تخريب المرابطين لمدينة النكور. وخلال هذه المدة توالى على الحكم أمراء بني صالح، جدهم الأعلى صالح بن منصور الحميري، الذي وصل برفقة أول فوج عربي فاتح للمغرب الأقصى، وتمكن إثر ذلك

من الحصول على جبال بطوية المحيطة بحوض واد النكور، زمن الوليد بن عبد الملك، إقطاعاً له ولعقبه من بعده.

تأسست إمارة بني صالح النكورية بمبادرة القائد صالح ابن منصور الحميري، أحد قواد موسى بن نصير، رافقه في زحفه نحو المغرب الأقصى بعد سنة 86 هـ. ثم عاد حوالي عام 92 هـ. بنية الاستقلال بجبال بطوية بعد إسلام أهلها. وقد تمكن له ذلك بعد مدة ومواجهة السكان وتقلب أحوالهم بين الإسلام والردة. وفي الربع الأول من القرن الثاني كان قد تحقق مرماه، تاركاً لأولاده الثلاثة : المعتصم وصالح وإدريس إتمام عمله. وقد تأكد نجاح الأسرة بظهور سعيد بن إدريس (ت. 141 هـ) وتأسيس مدينة النكور، وفتح المجال لتعاقب أبنائه على كرسي الإمارة.

بلغ عدد أمراء بني صالح الحاكمين اثني عشر فرداً مماعرفتنا بهم المصادر، أغلبهم من أبناء سعيد بن إدريس ابن صالح، إذ بلغ عددهم تسعة، بينما انحدر الباقون من المعتصم بن صالح (اثنان)، ومن صالح بن صالح (واحد). وهناك عدد آخر لا نعرف أسماءهم، من نسل جرثم بن أحمد (336 ـ 360 هـ)، المرتب في المرتبة الثانية عشرة، حكموا ما بين 360 و374 هـ. باستثناء سنوات تغلب ازداجة وهران على الناحية.

لا يتيح مصدر تاريخ إمارة بني صالح الوحيد المتمثل فيما نقله أبو عبيد الله البكري عن محمد الوراق من الاطلاع على حدود الإمارة الصالحية. ويظهر أن مدلول مصطلح بلد النكور الممتد من حوض النكور إلى مصب واد ملوية، كان ذا دلالة جغرافية مجردة من المفهوم السياسي. فالحدود الظاهرة خلال فترة حكم بني صالح كلها لم تتجاوز جبال تمسمان (بني يصليتن) وبني توزين (جبل تسفت وقلعة بني عكي)، هذا من جهة الشرق. أما جهة الجنوب فقد امتد نفوذ الإمارة إلى جبل البرانس، أهل كزناية. ولا بد أن نفهم أن مثل ذلك النفوذ وصل إلى جبل بقُّويَة بالإضافة إلى بني ورياغل، قلب الإمارة، باحتضانها لمدينة النكور.

ويعود ضيق تلك الحدود وجمودها إلى المشاكل التي عانت منها الإمارة، بدءاً بالنزاعات العائلية. وعلى الرغم من تفتحها على البحر المتوسط وعلاقاتها الحسنة مع أمراء الأندلس، خاصة على عهد عبد الرحمن الناصر، فإن حدود الإمارة لم تكن مأمونة من جهة مكناسة التسول وموسى بن أبي العافية (317 و320 هـ). وتلقت إمارة بني صالح غارات قوية على يد العبيديين (305 و309 و323 هـ). كما تمكن إزداجة ناحية وهران من السيطرة على النكور سنة 410 و460. وكان تخريب العاصمة الصالحية أخيراً على يد يوسف بن تاشفين سنة 473 / 1080 وبذلك أُسدل الستار عن الأسرة والإمارة معاً.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 90 ـ 99 ؛ ابن حيان الأندلسي، *المقتبس*، 193 ـ 253 ـ 291 ؛ ابن أبي، زرع، *القرطاس*، 85.

حسن الفيگيگي

**بني صبيح**، ـ قصر ـ يقع وسط واحة أكْتاوَة، وقد بني هذا القصر في منبسط من الأرض بالضفة الغربية لنهر درعة على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات من مركز تاكَنيت الحالي بإقليم ورزازات.

وسكان هذا القصر، كانوا ولا يزالون، في غالبيتهم من الحراطين، وقد كانت تساكنهم، منذ القديم وإلى غاية منتصف القرن العشرين، طائفة كبرى من اليهود، قُدِّر عدد كوانينها في مطلع القرن العشرين بثمانين كانوناً (*Districts et tribus*, 181) لم يبق منها اليوم إلا بقايا حيهم الملاح حيث هاجر آخر فوج من اليهود في بداية الخمسينات إلى المدن الشمالية أو إلى خارج الوطن. وتساكن الحراطين أيضاً بعض الأسر من قبائل بني مَحمد ودوي منيع (*Cités rurales*, 25) بالإضافة إلى بعض الأسر من الأشراف الأدارسة. وهكذا يتضح أن قبيلة قصر بني صبيح، مثلها في ذلك مثل كل قبائل القصور بدرعة، تتكون من عناصر متباينة الأعراق والأصول.

يعتبر قصر بني صبيح من القصور القديمة بواحة اكتاوة، إذ يرجع تاريخ بنائه إلى ما قبل القرن العاشر الهجري (16م). ولا يستبعد أن يكون هذا القصر من بناء قبيل هسكوري يعرف ببني صبيح (*الاستقصا*، 2 : 210) خاصة أن مجالات التجمعات الهسكورية، قبل تفكك اتحادياتها الكبرى، كانت تمتد من السفوح الشمالية للأطلس الكبير إلى نواحي زاگورة بنهر درعة ( *البحث العلمي*، 27 : 226).

ويفيدنا الحسن الوزان الفاسي، الذي زار وادي درعة في مطلع القرن العاشر الهجري (16 م)، أن قصر بني صبيح يعتبر من القرى المهمة ليس بواحة اكتاوة فحسب وإنما في كل واحات درعة، للدور الذي كان يقوم له هذا القصر، في التبادل التجاري، حيث كانت القوافل التجارية ترتاده من كل الآفاق، وكان سكان هذا القصر يدركون أهمية هذا الدور الذي كان يقوم به قصرهم في تنشيط الحركة التجارية بالمناطق الصحراوية فكانوا يكرمون التجار ويقومون بواجب ضيافة القوافل مدة إقامتهم بالقصر دون مقابل (*وصف افريقيا*، 2 : 119 ـ 120) وبعد قيام الدولة السعدية وتمكنها من بسط سيطرتها على واحات وادي درعة بصفة نهائية ابتداء من سنة 942 / 1535، أولى سلاطينها عناية خاصة لواحتي اكتاوة ومحاميد الغزلان، لموقعهما على أبواب الصحراء ولدورهما الكبير في تنشيط الحركة التجارية بين المغرب وإفريقيا جنوبي الصحراء، فأقاموا بقصر بني صبيح حامية عسكرية قوية (*إفريقيا*، 3 : 147 ـ 148) قدَّرتها مصادر متأخرة بحوالي مائتي فارس وثلاثمائة من حملة البنادق (*Districts et tribus*, 50).

ونستشفُّ من إشارات بعض الأوربيين مثل طوماس پلو (Thomas Pellow) وشارل دوفوكو (Charles de Foucauld) وغيرهما من الذين زاروا بلاد درعة خلال القرنين 18 و19م أن قصر بني صبيح استطاع الحفاظ على وضعيته كمحطة

تجارية مهمة على أبواب الصحراء في عهد الدولة العلوية التي كانت تعهد إلى الخلص من رجالها بحكم واحتي اكتاوة ومحاميد الغزلان انطلاقاً من قصبة بني صبيح، الأمر الذي كان يسمح لسكان هذا القصر بالاستمرار في تنشيط الحركة التجارية، وفي هذا الإطار كان يعقد بقصر بني صبيح أكبر سوق تجاري بواحات درعة على الإطلاق وذلك يومي الأحد والخميس من كل أسبوع بالإضافة إلى سوق صغيرة كانت تعقد مساء كل يوم بباب القصر "سويقة بني صبيح" (Cités rurales, 2) ومما يدل على الأهمية التجارية لسوق بني صبيح، أن سكان واحتي اكتاوة ومحاميد الغزلان، ظلوا إلى وقت قريب يتعاملون بمكاييل وموازين تنسب إلى سوق بني صبيح. ولا شك أن الطائفة اليهودية الكبرى التي كانت تستوطن قصر بني صبيح منذ القديم، قد ساهمت بدور كبير في تنشيط الحركة التجارية ببني صبيح خاصة، وواحتي اكتاوة ومحاميد الغزلان بصفة عامة، حيث كانت هذه الطائفة تتحكم في رؤوس الأموال وتهيمن على بعض الصناعات التقليدية خاصة دباغة الجلود وصياغة الحلي وغيرها. وقد ظل قصر بني صبيح يقوم بهذا الدور التجاري، رغم ما يعتبر من فتور إبان الأزمات السياسية والاجتماعية التي كانت تتعرض لها المنطقة إلى حين تأسيس مركز تاكنيت في أواسط الثلاثينات من القرن الحالي، حيث عمدت سلطة الحماية إلى نقل السوق إلى جوار تاكنيت، كما عمدت في نفس الوقت إلى الحد من تنقلات القبائل والقوافل التجارية عبر المناطق الصحراوية.

ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ مارمول، *افريقيا* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. بن الحبيب التكنوكالتي، *العقود الجوهرية في الانباء الدرعية*، مخطوط ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، مجلة *البحث العلمي*، العدد، 27، 1977.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draâ* ; P. Azzam, *Les cités rurales du Ktawa*, C.H.E.A.M., n° 829, Paris, 1946 ; D.J. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien* ; M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow*.

أحمد البوزيدي

**بني صولي**، تنطق بصاد مشمومة زايا ـ قصر ـ يقع في المدخل الشمالي لواحة ترناتة بالضفة الشرقية لنهر درعة. ويعتقد أن هذا القصر قد بني بأمر من السلطان أحمد المنصور السعدي في أواخر القرن العاشر الهجري (16 م) (*مذكرة*، 8).

وعلى الرغم من كوننا لا نتوفرعلى ما يسمح لنا بتأكيد هذا الاعتقاد أو نفيه، فلا نستبعد أن يكون القصر قد بني فعلا بأمر من السلطان أحمد المنصور السعدي (986 ـ 1012 / 1578 ـ 1603) حيث لم ترد أي إشارة عن قصر بهذا الاسم في *وصف افريقيا* للحسن الوزان الذي زار بلاد درعة في مطلع القرن العاشر الهجري (16 م) أو في كتاب *افريقيا* لمارمول الإسباني الذي زار درعة في السبعينات من نفس القرن. ولعل ما يدعم هذا الاعتقاد أيضاً أن السلطان أحمد المنصور قد اعتنى عناية خاصة بواحات درعة بعد فترة وجيزة من توليه أمر المملكة بعد معركة وادي المخازن، ويرجع هذا الاهتمام بوادي درعة إلى ما كانت تمثله المنطقة من أهمية في مشروع المنصور السعدي الذي كان يخطط لفتح بلاد السودان (*التاريخ الاجتماعي لدرعة*، 161).

يتمتع قصر بني صولي بمجموعة من الخصائص الاستراتيجية، فالقصر يقع على مقربة من فَمْ أزْلاگْ الذي يربط بين واحة تينزولين شمالا وترناتة جنوبا، وبإمكان المتحكم في قصر بني صولي أن يراقب الحركة التجارية بالمنطقة، كما يراقب من جهة أخرى فَمْ وَرْثي الذي يربط بين وادي درعة جنوباً ومنطقتي دادس وسكورة شمالا. وتدل كل المعطيات والقرائن التاريخية على أن قصر بني صولي بُني في الأصل ليكون مقراً للعامل المخزني على الواحات الجنوبية من وادي درعة في أواخر العصر السعدي وردحاً كبيراً من عهد الدولة العلوية قبل أن يتحول المقر إلى قصبة أغْلان في العقدين الثالث والرابع من القرن الثاني عشر (18 م) عندما عين السلطان مولاي إسماعيل ابنه مولاي الشريف عاملا على وادي درعة (*التاريخ الاجتماعي لدرعة*، 185).

وقد عاد مقر العمالة مرة أخرى إلى قصر بني صولي خلال القرن الثالث عشر الهجري (19 م). وكان القائد مبارك بن الطاهر الرحماني آخر من تولى مسؤولية القيادة بقصر بني صولي قبل توقيع معاهدة الحماية سنة 1330 / 1912.

تتشكل قبيلة قصر بني صولي في غالبيتهم من الحراطين، تساكنهم عدة عناصر ينحدرون من أصول متباينة، ويسود الاعتقاد أن هذه العناصر قد انحدرت من قبائل أيت حديدو وأيت يَفَلْمان بالإضافة إلى عناصر أخرى من وادي دادس وتادلا (Districts et tribus, 96). وقبل أن تتمكن فرنسا من بسط سيطرتها على وادي درعة، ظل سكان قصر بني صولي يقومون بدورهم العادي الموالي للمخزن. وبعد تأسيس مركز زاگورة سنة 1352 / 1932 فقد قصر بني صولي أهميته السياسية وتحول إلى قصر عادي من قصور درعة. وقد تحول القصر في السنوات الأخيرة إلى مقر لجماعة بني صولي القروية، ثم إلى مقر لخليفة القائد الممتاز.

عبد الكريم المزريوي، *مذكرة عبد الكريم المزريوي*، مخطوط ؛ أحمد البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي لدرعة*، د.د.ع. الرباط، 1988 ؛ الطيب بن لحبيب، *تاريخ درعة*، مخطوط ؛ *وثائق قصر بني صولي*.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draâ*, *A. M.*, Vol. 9, Tome II, Paris, 1931.

أحمد البوزيدي

**بني عامر**، بطن من زغبة الهلاليين، وهم ـ حسب الوزان ـ أشرف فروع بني هلال الأربعة وأهم فرقهم على الإطلاق. ذوو شجاعة فائقة، وثروة طائلة، عدد مقاتلتهم نحو ستة آلاف فارس من أحسن الفرسان وأقواهم عتادا.

كانت مواطن بني عامر في مطلع القرن العاشر (16 م)

بتخوم مملكتي تلمسان ووهران، ويرحلون إلى صحراء تيگورارين. ونظراً لمجيء الأتراك إلى هذه المنطقة وهجوم الإسبانيين على وهران والمرسى الكبير، كانت لبني عامر مواقف فُسرت على أنها انحياش للمسيحيين، ولُمزوا لذلك وشُنع عليهم. وقد دخلت فرقة من العامريين إلى المغرب الأقصى مع من سُموا عرب شراگة، في النصف الثاني من القرن العاشر، فأكرم السعديون وفادتهم، وأنزلوهم بضاحية فاس، واتخذوا منهم فرقة في جيشهم. وبعد ذلك انتشر بنو عامر بضواحي سلا والعرائش وطنجة، وكانوا في فترات ضعف السلطة المركزية يعيثون في الأرض فسادا، فيوقع بهم الملوك وينكلون بهم. ولما احتلت فرنسا الجزائر وأخذت تتحرش بالمغرب أوحت إلى أعراب بني عامر وبني جشم أن يبدوا الرغبة في الرجوع إلى مواطنهم الأصلية بالمغرب الأوسط. وتقدمت فرنسا بطلب رسمي لملك المغرب عبد الرحمن بن هشام بالسماح لهاتين القبيلتين بالرجوع إلى الجزائر، فتم ذلك بمقتضى رسالة ملكية مؤرخة في 18 صفر عام 1264 / 25 يناير 1848 إلى عامل الغرب بوسلهام بن علي أزطوط. ووُصفوا بالمتنصرة لأنهم أظهروا الرغبة في الدخول تحت حكم النصارى، ولم يبق منهم بالمغرب سوى فرقة صغيرة مستقرة شمالي مدينة سلا، في طريق القنيطرة، وقد عادوا إلى العيث في السنة الموالية، فبعث إليهم المولى عبد الرحمن القائد الباشا فرجي حاكم فاس الجديد في فرقة من الجيش أوقعت بهم حتى التجؤوا إلى حصن الغراگ قرب المهدية، وركنوا إلى السكينة.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الترجمة العربية، 1 : 49 و51 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ أ. توفيق المدني، *حرب الثلاثمائة سنة* ؛ ع. بنعبد الله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق*، 65 ـ 66 و107.

محمد حجي

**بني عبد الحميد** العروسيين، تنتسب إليهم مجموعة من قواد القصر الكبير الذين حكموا المدينة منذ عام 876 / 1471 مع بداية أمر الوطاسيين. وأصل جد الأسرة من قبيلة بني عروس الهبطية. وفي منتصف القرن التاسع الهجري كان شيخها عبد الله العروسي أقوى رجل بإقليم الهبط. وقد قدمت هذه الأسرة العون الكبير الذي مكن محمد الشيخ الوطاسي من فتح فاس والقضاء على حكم الأدارسة الجوطيين بها. ونعرف أول أفراد هذه الأسرة الذين تولوا قيادة القصر الكبير على العهد الوطاسي المدعو طلحة العروسي (1471 ـ 1509) ثم ابنه أحمد (1509 ـ 1530) ثم عبد الواحد بن طلحة (1530 ـ 1559) والناصر بن أحمد قائد العرائش (1527 ـ 1554). وانتهى حكم بني عبد الحميد سنة 967 / 1559 بتعيين عبد الله الغالب عبد الرحمن بن تودة العمراني قائدا على أصيلا والقصر الكبير والعرائش.

م. ابن عسكر، دوحة، تح. محمد حجي ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 628.

حسن الفگيگي

**بني عبد الله**، جماعة قروية بإقليم الحسيمة، دائرة بني ورياغل. قُدر عدد سكانها ـ حسب إحصاء 1960 بـ 12.710 نسمة. وبالمقارنة مع معطيات إحصاء 1971، فإن نتائج إحصاء 1982 تظهر زيادة إجمالية مهمة خلال إحدى عشرة سنة.

*مديرية الإحصاء، السكان القانونيون للمغرب، عام 1971، وعام 1983.*

عبد العزيز خلوق التمسماني

**بني العجوز**، من بيوتات سبتة الكبرى، أصلهم من قبيلة كتامة. قدموا من أصيلا إلى سبتة في عهد جدهم الأعلى عبد الرحيم المتوفى سنة 413 / 1022. يذكر لهذا الجد رحلة إلى القيروان سمع أثناءها من ابن أبي زيد القيرواني (ت. 386 / 996) وأخذ عنه جميع تصانيفه ومروياته، فأورث أبناءه مكتبة حافلة عدت من أفخر الخزائن العلمية القديمة بسبتة، وكانت البحر الذي غرف منه أبناؤه وحفدته من بعده، مما أهلهم لتبوُّء مناصب مهمة في القضاء والفتيا في عدد من مدن العدوتين، كالجزيرة الخضراء وسلا وفاس ومراكش. كما جلسوا للتدريس فتتلمذ لهم جملة من علماء المغرب والأندلس كالقاضي عياض الذي أخذ عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد ابن العجوز المتوفى سنة 515 / 21 ـ 1122، ومحمد بن عيسى التميمي الذي قرأ على محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد ابن العجوز المتوفى سنة 474 / 81 ـ 1082.

الأنصاري، *اختصار الأخبار*، 1983، ص 23 ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بن شريفة، الرباط، 1984، القسم الثاني، ص 538 ؛ القاضي عياض، *الغنية*، تح. محمد بن عبد الكريم، ليبيا ـ بيروت، 1978، ص 230 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج*، بيروت، ص 150 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، الرباط، 1973، القسم الأول، ص 252، القسم الثاني، ص 408.

زليخة بنرمضان

**بني عروس**، قبيلة تقع بناحية جبالة (إقليم العرائش حالياً) وتحيط بها قبائل : جبل حبيب، بني يدر، بني

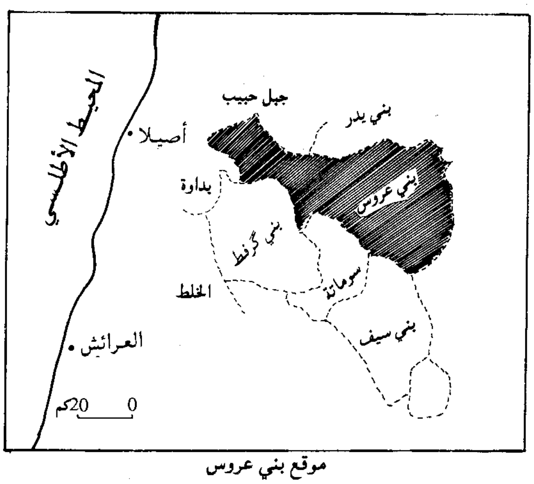


موقع بني عروس

حزمر، بني ليت، الأخماس، بني يسف، سماتة، بني گرفط، بداوة، امزورة. وتقدر مساحتها بـ 492 كلم مربع، سكانها يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، والمركز الرئيسي للقبيلة هو قرية تازروت، كما أن القبيلة تتوفر على خمسة وسبعين مسجداً وواحد وأربعين ضريحاً وزاويتين وثمانية وسبعين كتّاباً قرآنياً وست مدارس للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى ست فرق هي : ورا الظهر (18 مدشراً) والعزابة (17 مدشراً) ويدلول (14 مدشراً) وبني أومراس (12 مدشراً) وابياط (10 مداشر) وفرقة المداشير (7 مدشراً).

وفي النظام الإداري تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة تازروت وجماعة خميس بني عروس، وهناك جزء من القبيلة العروسية تم ضمّه إلى جماعة أربعاء العياشة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 106 ؛ حسن الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 249 ؛ الطاهر عبد السلام اللهيوي، *حصن السلام بين يدي أولاد مولاي عبد السلام*، الدار البيضاء، 1978، ص 296 ؛ بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني العَزَفي**، ـ بفتح العين والزاي ـ إحدى الأسر السبتية النبيلة، تزامن ظهورها كأسرة رآسة وعلم مع أواخر العهد الموحدي والعصر الأول المريني. يتفق المترجمون لبني العزفي على أن أصلهم من عرب بني لخم اليمنية ( *الوافي بالوفيات* ؛ *برنامج*، 42 ؛ *جذوة*، 432....) وينفرد المقري بذكر رواية لابن الخطيب يذهب فيها إلى أن بعض أهل سبتة يزعمون أن أصلهم بربري من قبيلة مجكسة ( *أزهار*، 2 : 376). قد يكون هذا الزعم وُضع في وقت متأخر من طرف أعدائهم الصقليين الحسينيين لتحكم العداء بين الطرفين، وذلك بهدف النيل من مكانة العزفيين المتأخرين وسط المجتمع السبتي.

اختلف الرواة في ضبط شجرة أنسابهم. يتفق أحمد بابا التنبكتي مع الرعيني حول سلسلة النسب التي تربط أبا العباس العزفي والد أبي القاسم العزفي مؤسس مجد الأسرة الأميرية بسبتة بجدهم الأكبر محمد ابن أبي عزفة، ولم يختلف الأول عن الثاني إلا في جعله ابن أبي عرفة (بالراء) في مؤخرة لائحة نسبهم دون أن يهمل نسبهم اللخمي العزفي الذي اشتهروا به. فجاءت ترجمته لأبي العباس العزفي على النحو التالي :"أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي عرفة اللخمي العزفي السبتي "(*نيل*، 77 ؛ *الإعلام*، 7 : 218). أما ترجمة الرعيني لأبي العباس فجاءت على هذا الشكل :"أحمد بن القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد اللخمي. عرف بابن عزفة" (*برنامج*، 42) وهو بذلك يلتقي مع ابن الخطيب حول سلسلة نسبهم (*الإحاطة*، 4 : 340). أما المقري فخالف الثلاثة وأقحم في نسب أبي العباس أسماء جديدة لم يرد ذكرها عند سابقيه. فجاءت شجرة النسب عنده على هذا النحو : "أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين بن الفقيه الإمام علي بن محمد بن سليمان بن محمد، الشهير بابن أبي عزفة اللخمي" (*أزهار*، 2 : 374).

بالرغم على هذا الإشكال في ضبط سلسلة نسب بني العزفي يبدو أن ما جاء به الرعيني أقرب إلى الصواب، لأنه نقله من خط أستاذه أبي العباس العزفي عندما أجاز له كتبه ومروياته. وهو أمر يثبته الرعيني بقوله :"هكذا كتب اسمه بخطه" (*برنامج*، 42).

لم يرد في نسبتهم ما يدل على أن أصلهم من الأندلس أو حتى من افريقيا بالرغم مما ذكره المقري من أن جدهم الإمام علياً كان معاصراً لابن أبي زيد القيرواني وأخذ عنه ( *أزهار*، 2 : 374).

ارتبطت شهرة العزفيين بأبي القاسم العزفي الذي استقل بحكم سبتة في عهد المرتضى الموحدي وذلك سنة 647 / 1250. وأورث الحكم أولاده وحفدته من بعده بالاستقلال تارة والتبع تارة أخرى.

ابتدأت إمارة العزفيين بسبتة في ظروف استراتيجية ـ عسكرية، وربما سياسية ـ اقتصادية. ضموا إلى إيالتهم طنجة وأصيلا (*تاريخ*، 7 : 384). فكانت إمارة بني العزفي في الشمال الغربي أداة صون جعلت المنطقة بمنجاة من الأهوال والمحن التى كانت تعج بها البلاد غداة سقوط دولة الموحدين وبداية المرينيين، كما وضعتها في مأمن من أخطار البحر خصوصاً خطر بني الأحمر الذين سُجلت لهم محاولة لاحتلال سبتة سنة 660 / 1262 (*L'Espagne*, 63). لكن عندما استتب الأمر لبني مرين بعد أن قطعوا دابر بني عبد المومن وقلصوا من أخطار بني عبد الواد أصحاب تلمسان، أذعن لهم بنو العزفي بالطاعة وقدموا لهم إتاوة سنوية، وذلك سنة 672 / 1274 (*تاريخ*، 7 : 385 ؛ *القرطاس*، 312).

لعب بنو العزفي دوراً مهماً في إنجاح السياسة الجهادية لبني مرين في الأندلس وذلك بإرسال الحملات العسكرية، أو ببث دعوات الجهاد وإثارة الشعور الديني بين القبائل عن طريق الخطب والرسائل ( *القرطاس*، 313 ؛ *رسائل*، 67). لكن عندما تأزم الوضع الأمني في المضيق عقب سقوط طريفة سنة 691 / 1292، وانسحاب بني مرين مؤقتاً من الساحة الأندلسية ليشتغلوا بحروبهم ضد بني عبد الواد، أعلن بنو العزفي استقلالهم عن الدولة المرينية. إلا أنهم لم ينعموا طويلا بهذا الاستقلال، إذ انقض عليهم بنو الأحمر، فذهبوا ضحية مؤامرة دبرها ضدهم قائد أسطولهم ابن مخلص بالتعاون مع أبي سعيد فرج أحد أمراء بني الأحمر وحاكم مالقة، وتم ترحيلهم إلى بلاط محمد الثالث في غرناطة، إلا أن نهاية الصراع المريني ـ العبد الوادي عجل بعودة سبتة إلى حظيرة الدولة المرينية، ومن ثمة رجوع بني العزفي إلى فاس حيث استقر بهم المقام. ومع وصول السلطان أبي سعيد إلى الحكم، استعاد بنو العزفي في

شخص أبي زكريا يحيى بن أبي طالب إمارة سبتة في إطار التبعية لبني مرين، لكن لم يسمح لهم بتسلم مقاليد أمور سبتة إلا بعد ترك أحد أمراء بني العزفي رهينة لدى السلطان، الأمر الذي أثار أزمة جديدة في العلاقات بين الطرفين كان من نتائجها تملص العزفيين من التبعية المرينية ثم زالت الجفوة بين الطرفين بعد التهديد العسكري المريني لسبتة وخصوصاً بعد استعادة العزفيين لرهينتهم. فاعترف العزفيون من جديد بسلطة بني مرين ووافقوا على دفع الضريبة السنوية المعتادة.

وبعد وفاة أبي زكريا سنة 720 / 1320، خلفه ابنه محمد، فلم يستقم له الأمر بعد أن نافسه على السلطة أحد بني عمه، فكانت فرصة لأبي سعيد المريني لعزل بني العزفي نهائياً عن حكم سبتة، وترحيلهم إلى عاصمة ملكه، وذلك سنة 728 / 1328 (*تاريخ*، 7 : 518 ؛ *نثير*، 120 ؛ *جذوة*، 300).

شجرة نسب بني العزفي

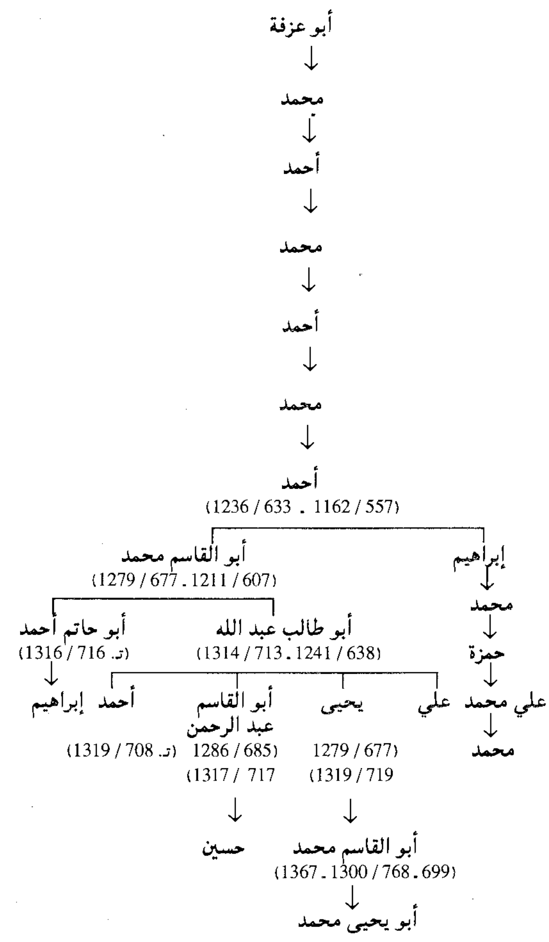


هكذا جمعت الأسرة العزفية بين العلم والرآسة. فلم يقتصر دورها على رعاية العلم والعلماء، بل سعى أفرادها إلى المساهمة في إثراء الحركة الفكرية، فكانت لهم شهرة في علوم الشريعة واللسان، ويعد جدهم أحمد العزفي الذي أحدث الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب وكتب عدة تآليف مرموقة في ميدان الأدب والطب كعلي محمد بن حمزة بن محمد بن إبراهيم بن أحمد العزفي الذي عُدَّ حكيم الحضرة الحفصية من دون منازع (*تاريخ*، 6 : 783)، وأبي زكريا يحيى وأبي القاسم عبد الرحمن ابني عبد الله أبي طالب، وأبي القاسم محمد بن يحيى. وقد كان لهذا الأخير سوق نافقة في ميدان الشعر، وهي خصلة ورثها عن عمه أحمد بن أبي طالب الذي عد الشاعر البليغ والأديب النابغ في الأسرة العزفية على الإطلاق.


ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ إ. ابن الأحمر، *نثير الجمان*، تح. محمد رضوان الداية، بيروت، 1976 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طرابلس، 1989 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1397 / 1977، المجلدان الثالث والرابع ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1981، المجلدان السادس والسابع ؛ الرعيني، *برنامج شيوخ الرعيني*، تح. إبراهيم شبوح، دمشق، 1381 / 1962 ؛ خ. الصفدي، *الوافي بالوفيات*، بيروت، 1389 / 1969، الجزء السابع ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، الرباط، 1973 ؛ ع. كنون، *أبو العباس العزفي*، *ذكريات مشاهير رجال المغرب*، عدد 27، 1960 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، القاهرة، 1358 / 1939، الجزء الثاني ؛ *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1388 / 1968، المجلد السادس ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، بيروت، 1980 ؛ خلف الغافقي القبتوري، *رسائل ديوانية في سبتة في العهد الغزفي*، تح. محمد الحبيب الهيلة، الرباط، 1399 / 1979.

R. Arié, *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides, 1232- 1492*, Paris, 1973 ; Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles*, Thèse de 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siècles : de la bataille de Las Navas de Tolosa, 1212 à l'avènement du sultan Abul-Hasan* , Paris, 1966.


زليخة بنرمضان

**بني عشرة**، اسم أسرة سلاوية قديمة، ويُدعى أعلام هذه الأسرة أيضاً ببني القاسم، أما تسميتهم ببني عشرة فلها تفسيران : أولهما تاريخي، وهو أنها نسبة إلى عشرة الذي هو الجد الأعلى للأسرة، وقد كان من رؤساء المغرب في القرن الرابع الهجري. والتفسير الثاني لهذه الشهرة أسطوري، وخلاصته أن بني عشرة كانوا عشرة إخوة توائم. وقد وردت هذه الأسطورة في عدد من المصادر، ومنها *مختصر ابن عرفة* الفقهي الذي ورد فيه ما نصه : "سمعت من غير واحد ممن يوثق به أن بني العشرة الذين بنى والدهم مدينة سلا بأرض المغرب كان سبب بنائه إياها أنه وُلد له عشرة ذكور من حَمْل واحد من امرأة له فجعلهم في مائدة ورفعهم إلى أمير المومنين يعقوب المنصور فأعطى كل واحد منهم ألف دينار، وأقطع أباهم أرضاً بوادي سلا فبنى بها مدينة تعرف إلى الآن ببني العشر". وقد انتقد المؤرخ ابن عبد الملك المراكشي هذه الرواية ونعت قائليها بأنهم أغمار.

وعشرةالذي تنسب إليه الأسرة شخصية تاريخية معروفة، نصَّت المصادر التاريخية على دخوله الأندلس واشتراكه في صوائف المنصور ابن أبي عامر، وقد نوهت

بعض الاشعار بجهاده ومواقفه، وهو ينتسب إلى أحمد ابن المدبر أحد رجال الدولة العباسية المعروفين، ويبدو أن أول قادم من ذرية هذا الكاتب إلى المغرب نزل بفنزارة التي لم تكن تبعد كثيراً عن موقع سلا.

وأما تسمية أفراد هذه الأسرة ببني القاسم فهي نسبة إلى جدهم الأقرب وهو القاسم بن محمد بن موسى بن عيسى بن عشرة، والقاسم هذا هو مجدد بناء مدينة سلا حسبما يرويه بعض المؤرخين، وتسمية بني قاسم هي التي نجدها في *القلائد* لابن خاقان و*الذخيرة* لابن بسام و*موشحات* ابن بقي وغيره.

ويبدو مما ذكرناه أن أسرة بني عشرة ظهرت على مسرح الحياة السياسية في عهد اليفرنيين بالمغرب والعامريين في الأندلس وذلك خلال العقود الأخيرة من القرن الرابع الهجري، وكان الأولون من هذه الأسرة معروفين بالفروسية والشجاعة، ولكن الذين خلفوهم استبدلوا خطة السيف بخطة القلم وأصبحوا من رجال الفقه والقضاء، وولي عدد منهم خطة القضاء في سلا ومكناس وغيرهما وذلك في عهد المرابطين وفي عهد بني مرين.

وقد بلغت أسرة بني عشرة أوج قوتها وشهرتها في عصر المرابطين نظراً للحظوة التي كان يتمتع بها قضاة الأسرة لدى يوسف بن تاشفين وولده علي، ونظراً كذلك لما عرف به هؤلاء القضاة من كرم حاتمي وجود برمكي وحماية للأدباء ورعاية للشعراء، وكانوا في هذا أشبه بالأمراء منهم برجال القضاء، وقد استقبل قصر بني عشرة خلال العصر المذكور عدداً من الشعراء منهم يحيى ابن بقي وابن سوار الأشبوني، أما الأعمى التطيلي فإنه وجه إلى بني عشرة عدداً من قصائده وموشحاته، ومن الشعراء الذين مدحوهم ابن حمديس الصقلي وعيسى ابن الوكيل اليابري وأبو الوليد إسماعيل بن ولاد الذي له مجموع شعري خاص ببني عشرة.

أما أعلام بني عشرة في هذا العهد فمنهم القاضي أبو الحسن علي ابن عشرة وولده أبو العباس أحمد وأخو هذا أبو علي الحسن الذي يعرف أيضاً بحسون، وسترد تراجمهم في محلها من هذه المعلمة.

ونظراً للعلاقة الخاصة التي كانت لبني عشرة بالمرابطين فقد كان *طبيعياً* أن يلقوا إهمالا في عهد الموحدين وقد انعكس هذا الاهمال على حياة أولاد القضاة المذكورين حيث نجد بعضهم ينصرف إلى الزهد والتصوف ويقبل على أعمال البر والخير، بينما ترك آخرون سلا وتوجهوا صوب المشرق، وعدد من هؤلاء مذكورون في كتاب *التشوف* للتادلي وغيره، وستذكر تراجمهم في مواضعها من هذه المعلمة.

وعندما قامت دولة بني مرين وقع رد الاعتبار لبني عشرة وعادت إليهم خطة القضاء، ومن قضاتهم في هذا العصر أبو علي حسن ابن عشرة الذي كان من جملة الأسرى الذين حملهم القشتاليون إلى إشبيلية إثر غارتهم على سلا، وقد افتداه أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق.

أما في العصور المتأخرة فإننا لا نجد ذكراً لبني عشرة أو بني القاسم، ولسنا ندرك هل انقرضوا أو أنهم غيروا اسمهم، كما أن قصرهم المشهور الذي وصفه الشعراء لم يبق له اليوم عين ولا أثر، ويذهب مؤرخ سلا الفقيه ابن علي الدكالي إلى أنه في محل هذا القصر بنيت المدرسة المرينية المعروفة اليوم بالقرب من الجامع الكبير الذي توجد به ثلاثة قبور لأعلام من بني عشرة.

مقالتي، *أسرة بني عشرة*، المنشورة في مجلة *تطوان*، ومجلة *البحث العلمي*، س 1967، ع. 10.

محمد بنشريفة

## بني عشرين ← بوعشرين

**بني عصام**، إحدى الأسر التي حكمت سبتة عقب ثورات الخوارج في شمال المغرب، تنحدر من قبيلة غمارة. يعرف جدهم الأعلى باسم ماجكن أو ماجكس المشيد الحقيقي لمجد هذه الأسرة، وإليه تنسب قبيلة ماجكسة، أحد فروع قبيلة غمارة.

تذكر كتب التواريخ أن ماجكس نزل بسبتة فوجدها فارغة مقفرة لأن أهاليها أرغموا على مغادرة ديارهم تحت تهديد برابرة طنجة في فترة اندلاع ثورات الخوارج، فأعاد بناءها وتعميرها بعد أن اعتنق الإسلام. وبعد وفاته خلفه ابنه عصام الذي حكم المدينة مدة طويلة، وباسمه ارتبط اسم هذه الأسرة الأميرية. وبعد موت عصام تعاقب على السلطة أبناؤه مجبر والرضى، وفي عهد هاذين الأخوين استقبلت المدينة عدداً كثيراً من المهاجرين الأندلسيين خصوصاً من قلسانة. يُذكر أن بني عصام كانوا يدينون بالولاء للأدارسة ولو أنهم كانوا منعزلين سياسياً عنهم، مستقلين بحكم سبتة. ولم ينته حكم بني عصام بسبتة إلا بعد أن داهمهم جيش عبد الرحمن الناصر، بزعامة قائده نجاح ابن غفير سنة 319 / 931.

أ. البكري، *كتاب المغرب*، باريس، 1965، ص 104 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1981، 6 : 435.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIII et XIV siècles : Essai de reconstitution de la civilisation musulmane*, Thèse de 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987, p. 56 - 57.

زليخة بنرمضان

## بني عقيلة ← بعقيلة

**بني عمارت**، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الحسيمة حالياً) وتحيط بها قبائل : بني ورياغل، مغزاوة، مرنيسة، بني مزدوي، بني بشير، وتقدر مساحتها بـ 250 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 11.884 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية. وبالقبيلة خمسة وعشرون مسجداً وتسعة أضرحة وزاويتان وثمانية وعشرون كتّاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : اجعونة (9 مداشر) وأولاد حساين (6 مداشر) وأولاد سعيد (8 مداشر) وأولاد عبو (6 مداشر).

وفي التقسيم الإداري تكوّن هذه القبيلة الفرقة القروية التي تحمل اسمها.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 113، 317 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني عمير**، اتحادية قبائل عربية في تادلا. يسكنون هضبة خصبة بين أم ربيع والبروج وورديغة وبني زمور وبني ملال. وقبائلهم الأربع هي بني شكدال ومركزهم عند أولاد مبارك. ثم أولاد محمد الشلأض، ومن أسواقهم أربعاء الفقيه بن صالح. ثم أولاد محمد البگاگ أو الرگاگ. وفيهم خدام للزاوية الشرقاوية، ثم خلفية ومن أعيانها شرفاء أولاد سيدي ميمون.

كان عدد سكان بني عمير في بداية هذا القرن 27.755 نسمة، حيث يأتون في المرتبة بين قبائل تادلا بعد ورديغة وبني موسى. اشتغلوا بتربية الأغنام غير أنهم قاسوا من الجفاف. كانوا في ماضيهم يمرون من فترات توازن واختلال توازن قد يصاحبه العنف والاضطراب.

كان من قوادهم في عهد الحماية محمد بن الصالح بن عمران على رأس بني شكدال، والمهدي ولد محمد بن الجيلالي عند أولاد الشلأض، وعبو بن حمادي عند أولاد الرگاگ. وقدور بلحاج على رأس خلفية.

قاوم بنو عمير الغزو الاستعماري وتزعمهم في تلك المقاومة عبد الله ابن جابر بينما زحف إليهم عتاة الجنرالات على رأس طوابير مدججة بالسلاح انطلاقاً من واد زم والبروج. وكانت أشهر معارك بني عمير في كدية الريح (15 مارس 1913) وكان مجاهدو بني ملال وأيت الربع يعززون مقاومة بني عمير إلى أن اضطر عبد الله بن جابر للخضوع يوم 10 ماي 1913.

**بني عيَّاط**، من قبائل جنوب واد العبيد، وهم أمازيغيون بلغ عددهم 1232 خيمة حسب تقديرات 1338 / 1920. أقاموا فوق منحدرات الأطلس المتوسط بين أيت بوزيد من جهة الشرق، وبني موسى من جهة الشمال، وأيت عتاب من جهة الغرب، وواد العبيد من جهة الجنوب. بلادهم جبلية يتعدى ارتفاعها 1500 م، تطل على السهل من جهة الشمال وعلى حوض بين الويدان وواويزغت من جهة الجنوب.

تتكون اتحادية بني عياط من قبيلتين هما :

- إيزفاون، وعددهم 807 خيمة، تشمل هذه القبيلة أربع فخذات هي أيت إمِلول (305 خ)، وأهل الدير (233 خ)، ومگونة (99 خ). واستوطن إيزفاون القسم الغربي من تراب الاتحادية.

- أهل الشعبة : عددهم 425 خيمة. شملوا ثلاث فخذات هي أيت أعبو (170 خ) وأيت يحيى (131 خ) وإيفغراس (124 خ). وقد سكن أهل الشعبة في شرق تراب الاتحادية.

وفي عهد الحماية، عد بني عياط من بين حلفاء أيت سخمان إلى جانب أيت سري وأيت عتاب وأيت بوزيد وأيت عطا أمالو. عددهم حوالي 6.160 نسمة، أقاموا فوق منحدرات الأطلس المتوسط بمحاذاة واد العبيد. وكانت جميع فخذات إيزفاون (وعددهم حوالي 4.530 ن) ثائرة ضد الغزاة، وكذلك جميع فخذات أهل الشعبة (وعددهم حوالي 2125 ن) وظلت قبائل بني عياط مواطن للغزاة وملاذاً يلجأ إليه المجاهدون من كافة جهات تادلا. وفي فترة خضوع بني موسى، بذل العياطيون كل جهودهم لدفع غزاة بني موسى إلى الثورة، وتوفقوا في ذلك. وتعرضوا لاعتداءات وحشية من قبل الغزاة الفرنسيين نفذها جيش الحراسة المتنقل لتادلا في شعبان 1334 / يونيو 1916. ولبني عياط مهارة في الحرب، اشتهروا بملكيتهم لعدد من الخناجر واستعمالها ضد الغزارة.

R. Peyronnet, *Le Tadla*, p. 123 - 124.

الملكي المالكي

**بني غانية**، سلالة مرابطية من قبيلة مسوفة الصنهاجية وهي إحدى القبائل الكبرى التي قامت على عاتقها دولة المرابطين. أما التسمية فهي نسبة إلى غانية، الأميرة الصنهاجية التي تزوجها جد الأسرة علي بن يوسف المسوفي أيام يوسف بن تاشفين. اشتهر بنو غانية في تاريخ المغرب بقيامهم بثورات ضد الموحدين بأقاليم افريقية والمغرب الأوسط، دامت حوالي نصف قرن (580 - 633 هـ) وكلفت دولة المصامدة مجهودات ضخمة. وكانت لها عواقب اقتصادية وعمرانية وسياسية سلبية.

بنو غانية في جزر البليار : نال بنو غانية مناصب ووظائف إدارية وعسكرية هامة خلال العهد المرابطي، فجدهم المذكور، علي بن يوسف، كان له نفوذ وسمعة في دولة يوسف بن تاشفين، مما أهل أبناءه لتولي أمر عدة جهات بالأندلس خاصة، وقد تميز من بينهم ابنه محمد الذي كان يتولى جزر البليار إبان سقوط دولة الملثمين، فرفض الخضوع للموحدين واستمر يدعو في خطبه لبني العباس، فأصبحت إمارته قبلة يؤمها فلول المنهزمين والفارين أمام زحف جيوش عبد المومن، فشكلوا دعامة عسكرية وبشرية للإمارة الفتية التي كانت تعيش على موارد القرصنة البحرية والاتجار مع بعض مدن البحرالمتوسط، مثل بيزا وجنوة اللتين ارتبطتا مع بني غانية بمعاهدات تجارية، وفي عهد إسحاق بن محمد كانت قبضة الموحدين قد بدأت تشتد على مناطق شرق الأندلس، مما جعله يسلك سياسة متناقضة، إذ كان يرسل قسطاً من موارد القرصنة إلى مراكش دون أن يقطع الدعوة لبني العباس، لذلك طلب منه الخليفة الموحدي الخضوع والاستسلام، وتوفي وهو متردد بين الاستجابة لدعوة الموحدين وبين رغبة أصحابه في المقاومة ورفض الاستسلام، تاركاً بذلك أمر الحسم لخلفه وابنه محمد الذي لم يكد يستوي على عرش الإمارة حتى وصله رسول الموحدين، علي بن الربرتير، بغرض تسلم الجزر وضمها إلى الأمبراطورية الموحدية، فكاد الرسول ينجح في

ماموريته لولا أن علياً بن غانية أطاح بأخيه وسجن ابن الربرتير. إلا أن علياً، ورغم حركته تلك، كان يدرك أن إمارته غنيمة سهلة أمام أسطول الموحدين المتفوق، فاتخذ قراراً خطيراً في أبعاده ونتائجه، وهو البدء بالهجوم ونقل الحرب إلى إفريقية والمغرب بدل الاتصال المقلق في جزر البليار.

استطاع محمد المعزول، بمساعدة ابن الربرتير، الإطاحة بطلحة، الذي كان ينوب عن أخيه علي، إلا أن محمداً، الذي كان التردد ملازماً له، خشي على مصيره ومصير إمارته لما علم بعزم الموحدين على إرسال جيش لضمها، فارتكب خطأ آخر واستنجد بقمط برشلونة، مما أثار غضب أصحابه فخلعوه للمرة الثانية ووضعوا مكانه أخاه تاشفين، بينما بعث علي، لما علم بالوقائع الجديدة وهو في طريقه إلى بجاية، أخاه عبد الله الذي آل إليه الأمر واستمر حاكماً في جزر البليار حتى احتلها الموحدون آخر القرن السادس واضعين بذلك حداً لاستقلالها.

بنوغانية في بجاية والمغرب الأوسط : انطلق علي ابن غانية، وعدته اثنان وثلاثون مركباً، قاصداً مدينة بجاية التي احتلها دون كبير مقاومة يوم الجمعة 6 شعبان 580 هـ، وكان واليها، أبو الربيع سليمان، خارجاً عنها متجهاً إلى تلمسان. وما أن علم بالخبر حتى أسرع في العودة لينهزم أمام بني غانية بعد أن خذلته العناصر العربية في جيشه لتنضم إلى صفوف العدو الذي ارتفعت معنوياته بفضل هذا النصر، فراح يكتسح بقية مدن المغرب الأوسط، فاحتل الجزائر ومليانة وموزية، ثم اتجه صوب الشرق واحتل قلعة بني حماد وشرع في حصار قسنطينة المنيعة. وفي تلك الأثناء كان الخليفة الموحدي يعقوب المنصور لا يزال يوطد أسس حكمه بعد وفاة والده فجأة في حصار شنتمرية، فلما علم بانتصارات علي جهز حملتين ؛ برية وبحرية بهدف محاصرة العدو، تمكنتا بسهولة من استرجاع المدن المذكورة، وتم بعد ذلك تتبع ابن غانية الذي انسحب في اتجاه الجريد دون أن ينال من أسوار قسنطينة. أما الحملة الموحدية فقد اكتفت بما حققه من إنجازات وقفلت راجعة إلى المغرب ولم تغامر بتتبع المنهزمين في الصحراء.

وبهذا تنتهي الجولة الأولى بين الطرفين، والتي كان هدف ابن غانية منها احتلال مدينة بجاية حاضرة المغرب الأوسط كمرحلة أولى لمشروع طموح ربما كان يسعى إلى إلحاق ما أمكن من الأقاليم التابعة للموحدين.

ولا شك أن بني غانية ما كانوا ليقدموا على هذه "المغامرة" لولا توفر بعض الشروط والمعطيات لصالحهم. فعبد الواحد المراكشي، القريب من الأحداث، يذكر أن جماعة من أعيان مدينة بجاية راسلوا بني غانية يدعونهم لدخولها "ولولا ذلك لم يجرؤوا على دخولها"، وما يؤيد وجود تواطئ بين أهل بجاية وبني غانية. تعاطف فقيهها الكبير عبد الحق الأزدي مع هؤلاء ونقل بني حمدون من طرف الموحدين بعد استرجاع المدينة إلى سلا، عقاباً لهم على ميلهم السافر لبني غانية، هذا كله فضلا عن الظرف المختار لاقتحام المدينة والذي "صادف" وفاة الخليفة. مما يحتمل معه حدوث صراع داخلي في بيت بني عبد المومن حول منصب الخلافة، يشغلهم عن حماية تلك المناطق. يضاف إلى ذلك أيضاً دخول المدينة في غياب حاكمها. وهذه المعطيات لا تعني إلا شيئاً واحداً هو أن عملية احتلال بجاية جاءت على إثر خطة مسبقة مبنية على توفر حظوظ لا يستهان بها للنجاح.

بني غانية في إفريقية : لم يكن بنو غانية، رغم الظروف المشار إليها أعلاه، قادرين على الصمود أمام جيش الموحدين المنظم، ولذلك فضلوا الفرار إلى الجريد، لتبدأ مرحلة جديدة من المواجهات والصراعات الدامية بين الطرفين. فهناك في صحاري افريقية وطرابلس، سيلتقي بنو غانية بالقبائل العربية الهلالية - جشم ورياح منها بصفة خاصة - التي كانت على أتم الاستعداد للانضمام إلى كل من يقودها إلى النهب والسلب والسطو على أموال وأهالي المنطقة. فيتمكن علي بن غانية، مدعماً بالأعراب الأشداء، من احتلال توزر وقفصة والتوغل في اتجاه طرابلس، فالتقي بقراقوش الغزي الذي قدم افريقية بإيعاز من الأيوبيين لخلق المتاعب لدولة الموحدين المستقلة عن دولة الخلافة وخدامها في الشرق. وقد استطاع هذا المغامر بدوره احتلال مناطق فزان وزويلة وغيرهما. حينئذ تشكل حلف ثلاثي يجمع بين أطرافه عنصر واحد على الأقل وهو العداء لدولة المصامدة.
ولقد أدرك الخليفة الموحدي يعقوب المنصور حجم الخطر الذي أصبح يهدد امبراطوريته في نصفها الشرقي، فخرج بنفسه في مستهل سنة 583 هـ على رأس حملة بلغ عدد أفرادها عشرين ألف جندي، فتراجع ابن غانية تراجعاً تكتيكياً نحو الصحراء لما بلغه خبر الحملة، فكلف الخليفة ابن عمه أبا يوسف باقتفاء أثره والقضاء عليه، فالتقى الجيشان بنواحي قفصة في منطقة تعرف بـ"عُمرة" وانهزم الموحدون انهزاماً قاسياً أودى بأغلب الجيش وقتل أثناءها قادة مرموقون، من أمثال علي بن الربرتير، القائد المسيحي الذي كان في خدمة الموحدين، وأبو علي بن يغمر وعمر بن أبي زيد وغيرهم. وكانت هذه الضربة كافية لإقناع المنصور بالخروج بنفسه على رأس حملة عسكرية أخرى أكثر عدة وعدداً، فهزم ابن غانية وحلفاءه في معركة "الحمة" (شعبان 583). ولم ينس الخليفة بعد هذا النصر، إنزال العقاب بحلفاء بني غانية، فحاصر قراقوش في قابس حتى استسلمت، واسترجع قفصة وتوزر وخرب مضارب القبائل العربية المتعاونة مع الأعداء، بل غرب عدداً من تلك القبائل ونقلها نحو المغرب الأقصى، فانزل رياحاً في الهبط وجشماً في تامسنا، إلا أن يعقوب المنصور سيضطر للعودة بسرعة إلى المغرب، دون قطع دار الفتنة نهائياً، وذلك حين بلغ خبر قيام بعض أقربائه بالدعوة لأنفسهم وخلع طاعته، أما علي بن غانية فقد اختفى من مسرح الأحداث، والراجح أنه توفي متأثراً بجروحه في معركة الحمة رغم أن ابن الأثير

يذكر أنه بقي على قيد الحياة حتى سنة 591 هـ.

ابن غانية يستولي على إفريقية ومدنها : وسواء توفي علي على إثر هزيمة الحمة سنة 583 هـ، أو ظل على قيد الحياة حتى سنة 591، فإن قيادة المعارك في المرحلة التالية من ملحمة بني غانية، ستؤول إلى أخيه يحيى الذي كان يتمتع بخصال حربية نادرة. فرغم الهزائم والنكسات والأخطار التي واجهته، فقد ظل يحارب أعداء الموحدين طيلة أربعين سنة دون يأس أو ملل، حتى تفرق عنه معظم أصحابه، بل إنه أصبح في بعض الفترات سيد افريقية وأعمالها دون منازع، وحتى ولو كان ذلك لمدة قصيرة، فإنه يجوز الحديث عن "دولة" بني غانية بافريقية في نهاية القرن السادس. فبمجرد أن آلت إليه قيادة أمر بني غانية بدأ يهدد أمن افريقية وحواضرها، فبدأ أولا بحصار قسنطينة المنيعة، ثم حاول تحقيق الحلم القديم بالاستيلاء على بجاية ولما لم يوفق دخل مدينة بسكرة ونكل بأهلها وقطع نخيلها، أساس ثروتها، ثم ولى أعنته نحو الشرق ليلتقي بقراقش حليفه الذي لم يكن بدوره يفلت الفرص السانحة، فقد استولى ثانية على قابس وثروات بعض الأعراب بالخديعة، وتعززت صفوف يحيى بوصول الجماعات الأولى من قبائل سليم، مما زاده قوة على قوة. لكن سرعان ما ظهر خلاف بينه وبين قراقوش، انتهى لصالحه بفضل سفينتين أرسلهما أخوه عبد الله من جزر البليار، وهذا يعني وجود حد أدنى من التنسيق والتعاون بين الأخوين، رغم البعد والأخطار. وبينما كانت قوة بني غانية تتعزز وخطرهم على أفريقية يستفحل في نهاية الثمانينات، أعطى يعقوب المنصور الأسبقية للجهاد في الأندلس، وجهز حملته الشهيرة التي ستنتصر في معركة الأرك، تاركاً شرق الأمبراطورية يواجه خطر الثوار بإمكانيات ضعيفة. وزاد الطين بلة حدوث انشقاق بين رجال الدولة الموحدية بأفريقية، فقد أعلن عبد الكريم الركراكي، وهو قائد عسكري موحدي، العصيان على والي تونس وأصبح يعمل لحسابه الخاص. ويبدو أن سبب الخلاف عائد إلى اقتسام الغنائم التي كان هذا القائد يحصل عليها من غزواته ضد الأعراب، وقد سجلت المصادر "تخصصه" في التنكيل بهؤلاء، وذلك أمر كاف لإحساسه بالاعتزاز والتجبر، فاحتل المهدية وحاصر تونس عاصمة افريقية. وتعود أهمية هذا الحدث، بالنسبة لموضوعنا، إلى استنجاد والي تونس بيحيى بن غانية لإيقاف عبد الكريم عند حده، بل أرسل سفينتين موحديتين لاسترجاع المهدية ووضعهما رهن إشارة ابن غانية الذي لم يكن يعلم بأكثر من ذلك، فانتزع المهدية من عبد الكريم وأجهز على ما تبقى من المدن بيد الموحدين وتوغل نحو تونس فدخلها سنة 600 وأصبح سيد البلاد بلا منازع وقام بالدعوة لبني العباس. فها هو يحيى الآن يتربع على كرسي مملكة افريقية الشاسعة، ويحاول أن يظهر بمظهر الملوك، فقد أخذ بثأر أجداده من هؤلاء المصامدة الذين اجهزوا على دولة المرابطين قبل الأوان... إلا أن هذا الزعيم المتمرس بالحروب والشدائد، والذي كان قائداً عسكرياً ممتازاً، وكان معظم جيشه يحارب من أجل متع الغنائم والنهب، لم يستطع أن يتحول بسهولة إلى الاشتغال بأمر حقيقي للمسلمين، فقد فرض على السكان العزل ضرائب وغرامات فوق الاحتمال، أما جيوشه فلم تعرف التوقف عند حد، بل زاد عيثها وفسادها مما أخل بالعمران والاستقرار والإنتاج، فبدأت النواحي البعيدة تخلع طاعته وتتملص من أداء الضرائب بمجرد تواريه عن الأنظار، مما اضطره إلى القيام بحملات في مختلف الاتجاهات لتأديب المنشقين واستخلاص الضرائب. وما كاد يعود من إحداها حتى بلغه خبر قدوم الخليفة الناصر بعدد وعدة، فأخلى تونس بعد أن أودع المهدية المحصنة كنوزه وعين عليها ابن عمه علي بن الغازي، ثم توغل كعادته كلما جد الجد نحو جنوب البلاد.

أبو محمد عبد الواحد يضبط أمر أفريقية : فتحت تونس أبوابها للخليفة الموحدي ورحبت به وبجيشه بعدما شهدته من معاناة ومآسي على عهد يحيى رغم قصره، فقتل أنصار بني غانية، وتكفل أبو محمد عبد الواحد (حفيد أبي حفص الهنتاتي) بتتبع يحيى الهارب إلى الجنوب، ليلحق به هزيمة نكراء في معركة "تاجرة" (ربيع I 602) وتقول المصادر بأن معظم أصحاب يحّيى قد قتلوا في تلك المعركة وعلى رأسهم أخوه جبارة، بينما تمكن أبو محمد من افتكاك أسرى الموحدين، ومن بينهم بالخصوص أبو زيد حاكم تونس السابق، ولما رجع القائد منتصراً وجد الخليفة لا يزال يحاصر المهدية، لكن خبر الناصر زاد من حماس الموحدين وفت من عضد المحاصرين، فاستسلمت المدينة وقائدها علي بن الغازي الذي انحاز بعد ذلك مختاراً إلى الموحدين، وبعد أن أنزل الناصر العقاب بحلفاء يحيى من الأعراب، أرسل حملات متعددة لتطهير أقاليم أفريقية، توغلت حتى سرت وبرقة وسويقة... إلا أن الناصر لم يسرع في العودة بمجرد تحقيق هذه الانتصارات الأولية، كما أنه لم يفكر في الحل الذي لجأ إليه والده حين نقل الأعراب إلى المغرب، ربما لأن تلك الجماعات المستقرة بسهول المغرب بدأت في عهد تقلق راحة الدولة، بل فكر في حل نهائي لمعضلة أفريقية من شأنه أن يضع حداً لمغامرات بني غانية الذين كانوا يجدون أكبر السند في القبائل العربية المنتشرة هناك، ويتمثل في إسناد أمر أفريقية لشخصية مرموقة مقتدرة، فوقع اختياره على أبي محمد عبد الواحد، سليل أبي حفص عمر إينتي، أحد كبار قادة الدولة الموحدية عند نشأتها، وصاحب الفضل الأكبر على تولية بني عبد المومن خلافة الموحدين. غير أن هذه التولية، ليست عادية، فأبو محمد، الذي ستثبت الأحداث مدى حنكته لم يقبل التولية إلا بشروط تخوّل له سلطات واسعة في تنظيم شؤون تلك البلاد وبتولية من يشاء وعزل من يشاء دون أن يحاسب على ذلك من طرف أي كان. وقد أدرك المؤرخون خصوصيات ومميزات هذا التنصيب، فيذكر التيجاني صاحب *الرحلة*، حواراً دار بين الناصر وأبي محمد، فخيره

الخليفة بين الذهاب إلى مراكش، بينما يبقى هو في أفريقية!، صحيح أن هذه دعوة إلى منصب الخلافة، حتى كان في ذلك مبالغة من وضع الرواة، ومهما يكن فأبو محمد، لم يجرؤ بطبيعة الحال على ترك الخليفة نائباً عنه بأفريقية ليستأثر هو بالخلافة في المغرب، بل قبل الخيار الثاني بشرط ألا تتعدى مدة ولايته، وفي جميع الظروف ثلاث سنوات. أما ابن خلدون فلم يفته بدوره الإشارة إلى ميزة هذه التولية عن غيرها، إذ يقول بعد حديثه عن وداع الناصر العائد إلى المغرب متحدثاً عن أبي محمد : "وقعد مقعد الإمارة بقصبة تونس في السبت العاشر من شوال سنة ثلاث وستمائة".

ومن جهة أخرى، فإن كل ما سبق لا يعني نهاية خطر بني غانية، لكن هؤلاء لم يعودوا يصولون ويجولون كذي قبل، كما أن المواجهات بين الطرفين أصبحت من هذا التاريخ كلها على يحيى بن غانية، الذي لم ييأس، فقد عاود الكرة ابتداء بالتعرض لجيش الناصر العائد إلى المغرب على مقربة من نهر شلف. ولما لم ينل منه طائلا واجه جيش أبي محمد الذي هزمه سنة 604، وطلب على إثر ذلك الانتصار الإعفاء من منصبه. لكن الخليفة استمهله وأغراه بجملة من الهدايا. وعلى العموم، فإفريقية وأعمالها لم تعد ميداناً ملائماً لثورات وفتن بني غانية حين تولى أمرها قائد مقتدر خُوِّل سلطات واسعة وأعطي إمكانيات مادية وبشرية مناسبة. ولقد أدرك يحيى هذه الحقيقة فعمل على نقل الحرب إلى مناطق أخرى، فتوغل حتى سجلماسة بمساندة قبائل زناتة، ثم اتجه شمالا حتى تلمسان التي كاد أن يستولي عليها، وتوجه شرقاً فخرب مدينة تاهرت وعاث فساداً في مداشر وقرى الناحية، وبعد حين مُني بهزيمة أخرى قاسية أمام ابن زيد بجبل نفوسة، فقد خلالها معظم رفاقه وتفرق عنه الباقون، فبدا كزعيم عصابة، وأدرك أن مواجهة جيش الموحدين المنظم ضرب من المغامرة، وكان لتقدم سنه، فضلا عن كل ما سبق، دوره في تضاؤل نشاطه وحيويته.

لقد انتهت ثورات بني غانية وقل خطرها عملياً منذ تولية أبي محمد عبد الواحد، وإن سجلت كتب التاريخ أن يحيى ظل حياً حتى سنة 633 / 1235 أي بعد أزيد من نصف قرن على خروج أخيه عليّ من جزر البليار التي لم يقدر له أن يراها مرة أخرى، ولكن هذه النهاية لم تتأت إلا والدولة الموحدية نفسها تعيش بداية النهاية، فقد كثرت النزاعات بين الخلفاء منذ وفاة الناصر، وظهرت حركات انفصالية في الأندلس وارتد المامون عن تعاليم المهدي واغتال معظم الأشياخ وراح يحارب منافسه يحيى ابن الناصر، وتمتعت افريقية، في ظل ذلك كله، وبفضل أبي محمد بنوع من الاستقرار، سيتم خلاله، رغم بعض العراقيل التمهيد للدولة الحفصية. ويمكن اعتبار ذلك أهم النتائج السياسية لثورات بني غانية بافريقية، فقد اضطر معها الموحدون إلى منح "استقلال ذاتي" لتلك البلاد. غير أن نتائج ثورات بني غانية لم تنحصر في الجانب السياسي، فقد أدت إلى اضطراب الطرق التجارية وإلى تراجع النشاط الفلاحي في عدة جهات من افريقية، وكم من مدينة وقرية لم تقم لها قائمة بعد أن ضربتها الفتن المتكررة. ويتحدث ابن خلدون عن مدن وقرى لم تعد موجودة في عصره، يعود تخريبها إلى عهد الفتنة "الغانية" أما المؤرخ الفرنسي H. Terrasse فيرى أن التخريب الذي أحدثه بنو غانية وحلفاؤهم يتجاوز ما أصاب المنطقة أثناء الزحف الهلالي الأول (القرن الخامس) وفي ذلك الرأي نوع من المبالغة لا شك. والواقع أن بني غانية قد أدركوا أن افريقية مواتية للقيام بثورات لأن هناك ما يكفي لإيقاد نارها، ويتمثل في قبائل هلال وسليم فضلا عن صنهاجة. ومعظم هذه الجماعات والأجناس كانت تتمتع باستغلال موارد المنطقة في شكل الاستئثار بإمارات أو إقطاعات، قبل العهد الموحدي، وقد أزاح عبد المومن في منتصف القرن السادس كل هؤلاء من مواقعهم ففقدوا امتيازاتهم وأصبحوا يؤدون الضرائب للأسياد الجدد. ولكن هذا الوضع كان مرفوضاً من طرف هؤلاء الذين استقبلوا بني غانية وجاورهم في الأهداف والمصالح... أما الدولة الموحدية - وهذه إحدى معضلاتها الكبرى - فلم تكن قادرة على حماية الأندلس وإفريقية معاً، فقد "فضل" أقوى خلفائها - المنصور - التوجه إلى الأندلس أواخر القرن السادس بدل حسم أمر أفريقية.

ومن جهة أخرى يرى بيل A. Bel أن الحرب بين بني غانية وبين الموحدين اكتسبت صبغة حرب دينية في شكل جهاد. وهو يلمح بذلك إلى الاختلاف المذهبي والعقيدي بينهما، وراح يستعرض فقرة طويلة مقتبسة من دراسة فنية قام بها المستشرق النمساوي كولتسيهر Goldziher منذ أزيد من قرن، غير أن هناك خلطاً لا بد من توضيحه : فالأمر بالنسبة لكولتسيهر يتعلق برأي المهدي بن تومرت في المرابطين وفقهائهم الذين وصفهم بالكفر والتجسيم، لأنه كان معولا على كشف عوراتهم لأصحابه وتبرير محاربتهم وإسقاط دولتهم، والأمر خلاف ذلك بالنسبة لبني غانية، إذ أن المصادر لا تتحدث عن العنصر الديني الذي بدأ يتوارى تاركاً المجال للمصالح السياسية والاعتبارات المادية، فبنو غانية أنفسهم، قد حاولوا التحالف مع برغواطة تامسنا الخارجين عن الإسلام، بإيعاز من القاضي عياض[9]، الثائر أيضاً ضد الموحدين بمدينة سبتة. لكن بني غانية، كان عليهم وهم يواجهون دولة استوفت كل الشروط التنظيمية والإديولوجية، أن يبحثوا عن "المشروعية"، ولذلك كانوا حريصين دائما على إعلان تبعيتهم لبني العباس، ولا يستبعد أن يكون هؤلاء، بدورهم قد شجعوا الثائرين لضرب دولة الموحدين التي ولت الشرق ظهرها في جميع المجالات، ومن هذه الناحية يمكن اعتبار ثورة بني غانية ذات حمولة مذهبية ولو بكيفية غير مباشرة ؛ حيث تخدم مصالح صحوة سنية في المشرق بالقضاء، أو بمحاولة القضاء على دولة الموحدين التي تميزت بمذهب وعقيدة مخالفين للنهج

## شجرة نسب بني غانية

- علي بن يوسف المسوفي، زوج غانية قريبة يوسف بن تاشفين
  - محمد: حاكم جزر البليار عام 520 هـ (ت. 546 أو 550 هـ)
    - علي
    - إسحاق: حاكم جزر البليار من (550 إلى 580 هـ)
      - الحسن
      - يوسف
      - عمر
      - طلحة: حاكم البليار بالنيابة (580 هـ)
        - يحيى: حاكم الجزائر (580)
      - تاشفين
      - جباره: مات في معركة تاجرة
      - المنصور
      - سير
      - الغازي
        - محمد: مات بجبل نفوسة عام 606 هـ
      - عبد الله
      - يحيى: خلف أخاه علياً في قيادة الثورة ضد الموحدين بالمغرب (584 ـ 633 هـ)
      - علي: ملك البليار (580) هاجم الموحدين في افريقية
      - محمد: خلف أباه إسحاق على عرش جزر البليار (579) عزله أخوه عليّ وحلّ محله
    - عبدالله: حاكم جزر البليلر، اغتيل من طرف أخيه إسحاق
      - الغازي
        - علي: حاكم المهدية عام 600 هـ
        - تاشفين: حاكم طرابلس عام 600 هـ
      - تاشفين: حاكم طورنة
  - يحيى: حاكم الأندلس العام (ت.543 هـ) بغرناطة

(عن كتاب أ. بيل A. Bel)

السني الشرقي في كثير من المظاهر.

ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابـن عـذاري، *البيان المغرب*، 3 ؛ أ. الغبريني، *عنوان الدراية* ؛ التجاني، *رحلة* ؛ م. الرشيد ملين، *عصر المنصور الموحدي*.

A. Bel, *Les Banu Ghanya*, Paris, 1903 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, T. I.

رضوان مبارك

**بني گرْفَـطْ**، قبيلة تقع بناحيـة جبالة (إقليم العرائش حالياً) وتحيط بها قبائل بني عروس وسماتة وأهل سريف والخلط وبداوة، وتقدر مساحتها بـ 253 كلم مربع، سكانها يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، وتتوفر القبيلة على أحد عشر مسجداً وثمانيـة أضرحة وثلاث زوايا وستة عشر كتّاباً قرآنياومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : الكيفان (4 مداشر) والصخرة، وبوهاني وشفراوش، كل واحدة من هذه الفرق الثلاث تحتوي على ثلاثة مداشر.

وفي النظـام الإداري تنقسم القبيـلة إلى جماعـتين قرويتين هما : جماعة بني گرفط وجماعة زعرورة. وحسب إحصاء سنة 1960 بلغ عدد سكان بني گرفط 16.993 نسمة، ولم يـزد إلا قليــلا في إحـصـــاء سنة 1982 حيـث أصبـح يقـدر بـ 17.302 نسمة.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 251 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 114؛ مديرية الاحصاء بالرباط، *السكان القانونيون للمغرب* ؛ + ببيليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

** وفي الجانب الأثـري، أشار الكثـير من البـاحثين إلى وجود عدة بقايا أثرية بمختلف مناطق جبال بني گرفط قرب مدينة العرائش وخاصة منطقة سيدي بوجبل،و سيدي بوحاجة وديمنا وكذا الولف. وهكذا قام بالتنقيب كل من بيريدا، وبيريز دي باردو ثم موزان، ولقد أرجع هذا الأخير هذه المخلفات بالأخص إلى الحضارة الموستيرية المتميزة بـالـرؤوس الموستيـريـة والمحكات والمكاشط، وكذا إلى الحضارة الإبيروموروزية المتميزة بالأدوات على الشفرات والعظام...

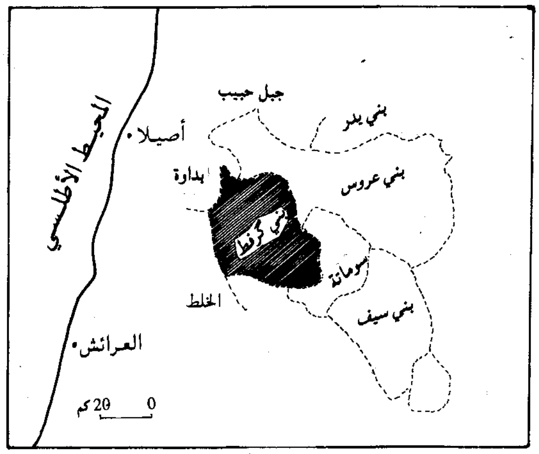


موقع بني گرفط

C. Moran, *El Paléolitico de Beni Gorfet (Marruecos)*, *Junta superior de monumentos historicos y artisticos, Larache*, n° 4, 1941 ; G. Souville, *Beni Gorfet, Atlas préhistorique du Maroc*, 1973, p. 37.

محمد ع. الهجراوي

**بني گـرير**، قبيلة تقع بناحية غمارة (إقليم شفشاون حالياً)، وتحد شمالا بالبحر المتوسط وتحيط بها قبائل بني سميح وبني منصور وبني بوزرة، وتقدر مساحتها بـ 93 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 2.884 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، ويوجد بالقبيلة ثلاثة وعشرون مسجداً وستة أضرحة وزاوية وتسعة عشر كتاباً قرآنياً، ومركزها الرئيسي هو القرية الحضرية المعروفة بـ "تغاسة".

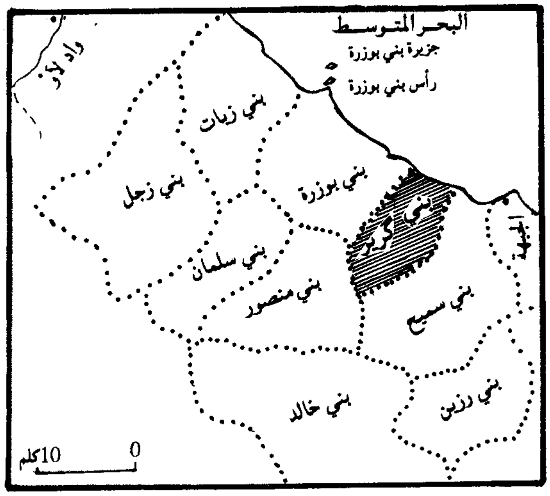


**موقع بني گرير**

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : بني حمدون (5 مداشر) وبني الحاج (8 مداشر) وبني سگود (10 مداشر) وبني كرامة (مدشران).

وفي التقسيم الإداري الحالي تكون جماعة قروية تحمل اسمها.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 256 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 106، 171، 325 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني گـمـيـل**، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الحسيمة حالياً)، وتحيط بها قبائل مسطاسة وبني بوفراح وترگيست وزرقات وبني سدات ومتيوة. تقدر مساحتها بـ 157 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 6.131 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة باستثناء سكان ثلاثة مداشر من فرقة بني أشبون الذين يتكلمون اللهجة الصنهاجية. ويوجد بالقبيلة خمسة وأربعون مسجداً وخمسة أضرحة وزاوية وسبعة وأربعون كتاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي. وأما السوق الرئيسي للقبيلة فيوجد بثلاثاء ياسيرين.

تنقسم القبيلة إلى ثلاث فرق هي : المكصولين (30

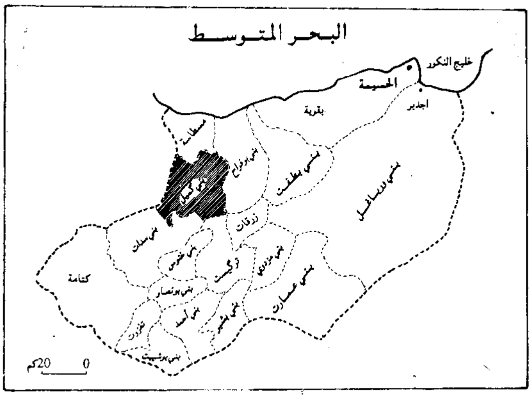


موقع بني گميل

مدشراً) والثلث الوسطي (7 مداشر) وبني اشبون (12 مدشراً). وفي التقسيم الإداري الحالي تكوّن هذه القبيلة مع قبيلة مسطاسة جماعة قروية واحدة.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 15، 60 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 244 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني كـوف**، ـ قرية ـ يحمل هذا الاسم تجمع سكاني هام بحوز تطوان، اختار الاستقرار بوادي جبلي معلق بمؤخرة جبل فتح لمهر من جهة الشمال. ويظهر التجمع الحالي منفصلا إلى الكوف الفوقي، وهو جنوبي تلتف سكناه حول منابع تشارك في جريان أحد روافد أسمير، على ارتفاع 300 م. وتظهر قرارات الكوف السفلي في القسم الأسفل من الوادي المعلق على ارتفاع 171 م. ويستغل أهله بدورهم منابع أخرى منحدرة إلى نفس مجرى واد أسمير. وتندرج القرية بقسميها في فرقة البحري من حوز تطوان.

ـ مقاومة بني كوف : أشار الإخباري البرتغالي "ومس إيانس دي زورارا" إلى أهل هذا الجبل بمناسبة زحف العاهل البرتغالي الفونص الخامس على جبل الدرقة من حوز تطوان في ربيع الثاني 868 / يناير 1464، والهزيمة التي لقيها على يد السكان ومقتل "ضون ضوارتي دي منيسيس"، حاكم القصر الصغير، بعد أن عانت من غاراته قرى الحور وأنجرة وبني حزمار وطنجة.

*ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، ص. 40 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية*، 1 : 276 ـ 281.

Gomes Eanes de Azurara, *Cronica de D. Duarte de Meneses*, p. 352 - 353.

**بني گومَنْ** ← **بني گيل**. تاريخ.

**بني كيسان**، قرية تنتمي إدارياً إلى قبيلة الساحل الجنوبي من ناحية العرائش. تحتل الشعاب المجاورة لمنابع واد بوفكران، رافد واد المخازن، في نقطة النطاق الغابوي، مما يقابل قرية البلاط شمالا وتركونت شرقاً.

شكلت القرية نقطة عبور برتغاليي أصيلا إلى مجرى واد المخازن والدخول إلى حوز القصر الكبير، بعد المرور بقرية تاورات المجاورة لها، طيلة مدة الوجود البرتغالي بأصيلا.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 352 ـ 354 ـ 359 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 51.
B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 155 - 205 - 206.

حسن الفكيكي

**بني گيل**، اسم يطلق على مجموعة من القبائل التي تعيش على تربية الماشية في الهضاب العليا الشرقية. تنتظم هذه القبائل حالياً من الناحية الإدارية داخل جماعتين قرويتين هما : جماعة بوعرفة، حيث مجموعة بني گيل الجنوبية، وجماعة تيندرارا، حيث مجموعة بني گيل الشمالية. أما المساحة التي تغطيها الجماعتان القرويتان، فتبلغ 20.000 كلم2، إذا ما اعتبرنا التقسيم الإداري الذي حدد بشكل كبير المجال الرعوي السابق لهذه القبائل. وحسب إحصاء 1982، فإن عدد السكان المعنيين كان يبلغ 22.058 نسمة، دون مدينة بوعرفة ومركز تيندرارا، حيث يستقر عدد كبير من السكان "الگيليين".

جوانب تاريخية واجتماعية : لا نعرف شيئاً عن أصول هذه القبائل، وعن ظروف تكوينها واستقرارها النهائي بالمنطقة، إذ أن المصادر المكتوبة حولها تكاد تكون منعدمة وقد وضعت بعض التقارير المبنية على الرواية الشفوية في عهد الحماية، ويمكن تكملتها انطلاقاً من ملاحظات حديثة قام بها كاتب المقال. إن مجال الهضاب العليا المغربية الجزائرية عرف انتشار قبائل من الرحل الرعاة منذ عهود قديمة، ويبدو أن الوضع الحالي الذي تجمد مع دخول الاستعمار الفرنسي لم يكن بهذا الصدد سوى نتيجة دينامية متواصلة. والمجموعات القبيلة من لغمور، ودوي منيع، وجرير، وبالأخص بني گيل اعتمدت كما سنرى على نظام "بدارة" متميز، تستغل بمقتضاه الموارد الرعوية على مسافات كبيرة تتجاوز أحياناً 300 كلم من الشمال إلى الجنوب (مثلا من گعدة دبدو إلى جنوب جبل گروز)، ومن الغرب إلى الشرق (مثلا من بلغاضه إلى جبل الدوخ). وقد ارتبط ترحال بني گيل بتكامل مع بعض الركائز الواحية، أهمها فگيگ، وبعض الواحات الموجودة حالياً بالتراب الجزائري.

وإذا ما اعتبرنا البنية الحالية لقبائل بني گيل فما من شك أن تنظيمها السياسي والاجتماعي كان نتاجاً لضرورات الدفاع المتواصل عن الموارد الممتدة في هذا المجال الواسع. فبني گيل هي عبارة عن اتحادية حقيقية لتجمعات قبيلة لا ترتبط بادعاء مشترك لجد واحد، بقدر ما ترتبط بضرورة ضمان ولوجها لموارد رعوية ومائية متكاملة مجالياً وزمنياً فوق مساحات شاسعة. ولعل هذه الحقيقة تجعلنا نفترض أن أصول القبائل الگيلية بعيدة كل البعد عن التجانس. فاللغة المستعملة هي العربية، ولكن أصل بعض التجمعات يرجع إلى قبائل "البرابر" المحاذية لبني گيل في الجهة الشرقية. لكن سيادة الثقافة البدوية (لغة، وتقاليد، وفي عدة جوانب مادية) أمر أكيد من جهة أخرى، مما يدل على أن الأصل العربي هو السائد.

وعند نهاية القرن التاسع عشر، كانت اتحادية بني گيل تتكون من خمسة أخماس هي :

1 ـ أولاد إبراهيم : ويتكون هذا الخمس من "أولاد إبراهيم"، "أولاد شعيب البويض" و"أولاد شعيب الزورگ".

2 ـ أولاد حجي : ويتكون هذا الخمس من : "أولاد حجي" و"أولاد علي بن ياسين".

3 ـ أولاد فارس : وهذا الخمس يتكون من "أولاد فارس" و"أولاد بلحسن".

4 ـ أولاد يوب : وهو خمس يتكون من "أولاد يوب" و"أولاد سلامة".

5 ـ أولاد احمر : ويتكون هذا الخمس من "أولاد عبد الكريم"، "أولاد أحمد بن عبد الله"، "أولاد علي بلحسن" و"لعلاونة".

كما أن الرواية الشفوية تتحدث عن وجود تنظيم سياسي داخلي على شكل لفين أساسيين هما : بني غمراسن وبني گيمي أو گيمن : اللف الأول يجمع قبائل شرقية حول "أولاد فارس"، "أولاد بلحسن"، و "أولاد علي بلحسن"، بينما اللف الثاني يضم القبائل الغربية، وأهمها خُمُس "أولاد يوب".

إلا أن دخول الاستعمار أدى إلى القضاء تدريجياً على التنظيم السياسي العُلوي وسط هذه الاتحادية، فأصبحت "القبيلة" بمفهومها الوظيفي المتعلق باستغلال الموارد هي الوحدة الأساسية. وهكذا، فإن التقسيم الإداري الحالي قد ارتكز على هذه الوحدات (= فخذات)، ويبلغ عددها اليوم بجماعة بوعرفة سبعة (أولاد حجي، أولاد بنحمامة، أولادعبد الكريم، أولاد شعيب البويض، أولاد شعيب الزورگ، أولاد إبراهيم وأولاد رمضان)، في حين يبلغ هذا العدد تسعة بجماعة تندرارا : أولاد بلحسن، أولاد فارس، أولادعلي بلحسن، أولاد أحمد بنعبد الله، أولاد جابر، أولاد علي بنياسين، أولاد مبارك، أولاد يوب.

بني گيل حالياً : الخصائص الطبيعية للمجال : يمتد المجال المستعمل من طرف قبائل بني گيل لأغراض رعوية على مساحات كبيرة نتج عنها وجود تنوع بارز في مظاهر السطح، وفي الخصائص البيومناخية، وهي خصائص تفسر إلى حد كبير النمط الرعوي المتبع في الماضي وكذلك في الحاضر.

فمن الناحية التضاريسية، يتكون هذا المجال من قسمين كبيرين :

أ ـ الهضاب العليا بمعناها الضيق، ونعني بها المجال الممتد ما بين گعدة دبدو إلى جبال جرادة شمالا، وسلسلة الأطلس الكبير الشرقي ذات الاتجاه غرب ـ شرق من جبل لعراك إلى جبل الكلخ جنوباً. هذه الهضاب تعرف ارتفاعاً

متوسطاً ما بين 1400 م إلى 1200 م، وتضاريس متنوعة، وأحياناً متقطعة وبارزة، أهمها ما يسمى "بالطرايد" (طرايد الدفلة، طرايد بن الرملي، طرايد غرس الله). ويحد هذه الهضاب شرقاً منخفضات هي عبارة عن شطوط كبرى أهمها شط تيغري، والشط الغربي (الذي يمتد أساساً داخل التراب الجزائري).

ب - المجموعة الأطلسية الشرقية : وتمتد ما بين سلسلة جبل لعراك - جبل بوعرفة - جبل الكلخ شمالا، جبل گروز جنوباً (حيث الحدود المغربية الجزائرية). في هذه المجموعة، نجد بعض المرتفعات الجبلية المتوسطة الارتفاع (ما بين 1500 و2000 م) التي تشرف على منخفضات واسعة (ارتفاعها ما بين 1100 م إلى 1300)، مثل منخفض تاملالت، منخفض المنگوب، منخفض عصارين، منخفض ركتة النعام - زولاي، منخفض معدر الكبش وتيسرفين.

أما من الناحية البيومناخية، فإن المجال المعني يمتاز بالقحولة، على أن امتداده الكبير يرتبط بوجود تنوعات إقليمية بارزة، أهمها الاختلاف البيومناخي ما بين الهضاب العليا الشمالية، حيث يتأثر المناخ بمؤثرات أطلنتية (أقصى التساقطات تتم في فصل الشتاء وفي نهاية الربيع) في حين تكون البرودة كبيرة إلى غاية منتصف فصل الربيع، بينما القسم الأطلسي الشرقي الموجود جنوباً يتميز بمؤثرات صحراوية حقيقية، تتمثل في تساقطات مبكرة (بداية فصل الخريف وبداية فصل الربيع) وفي حرارة أقل برودة. وإذا كانت التشكيلات النباتية لا تعرف تغييراً كبيراً في الجزءين (غطاء الحلفاء، وسهوب الشيح التي تتوزع حسب خصائص ترابية محلية)، فإن نمو النباتات الفصلية التي ترعاها الماشية يتأثر بالاختلافات الإقليمية الكبرى، وهو الأمر الذي يفسر نمط الترحال الذي اتبعته مجموعات بني گيل في الماضي، ولازالت إلى حد ما تتبعه حالياً.

الترحال الرعوي عند بني گيل : يتميز هذا النمط المعيشي بتنقلات رعوية على مدى واسع، فمجموعات بني گيل كانت في الماضي تغادر الهضاب العليا (وتسميها الظهرة) في بداية الخريف نظراً للبرودة المفرطة ولتوقف نمو النباتات، متجهة نحو القسم الجنوبي (وتسميه الصحراء) حيث الظروف ألطف. وبالمقابل فإن موسم الهجرة نحو الهضاب العليا كان يتم مع منتصف فصل الربيع.

وقد كانت الإبل والأنعام الصغرى (وأهمها الأغنام من فصيلة متميزة سميت "بفصيلة بني گيل" هي أهم الحيوانات. ولم تكن التنقلات الرعوية "فوضوية" عبر المجال، إذ يبدو أن لكل قبيلة مجالا مفضلا ومعترفاً به يسمى "الوَلْف". ولعل هذه المجالات المفضلة هي التي استقطبت أصحابها حالياً، بعدما توقف الترحال الواسع، وبدأت الأنشطة الزراعية تنمو تدريجيا، فقد قدرت المساحة المزروعة في السنوات الأخيرة بأكثر من 10.000 هكتار.

إن توقف التنقلات الرعوية الكبرى وتزايد الاستقرار الفعلي يعتبران أهم تغيير أصاب مجموعات بني گيل في الحاضر. والزراعة المتبعة هي أساساً بعلية، تتم في "المعادر" التي هي منخفضات كبرى يتجمع فيها الجريان المرتبط بوابل الأمطار، أو في "السهوب"، وتعني محلياً مجاري الوديان التي تنقل أحياناً بعض المياه. ونظراً للتضاريس الجبلية الجنوبية، فإن "المعادر" كثيرة في جماعة بوعرفة، بينما تتم الزراعة في "السهوب" بجماعة تيندرارا. وقد تطور النظام الرعوي بشكل مواز لتزايد النشاط الزراعي، فأصبحت التنقلات قصيرة، في حين يجتمع الرعاة حول الأراضي المزروعة بعد حصادها. وإذا كانت الأراضي جماعية قانونياً، فإن التملك الفعلي، سواء منه الفردي، أو على مستوى التجمعات الصغرى، قد أصبح شائعاً.

وأخيراً، فإن وجود مركزين أساسيين (بوعرفة وتيندرارا) قد أدى بدوره إلى تغيير عميق في النشاط الرعوي، إذ توافدت على المركزين أعداد كبيرة من هؤلاء الرحل، وأصبح هذان المركزان أهم مواطن لاستقرارهم. ويلخص الجدول التالي أهم المعطيات الخاصة ببني گيل حالياً.

| اسم القبيلة | عدد السكان سنة 1982 | المساحة المزروعة بالهكتارات 1989 | عدد الأغنام 1989 | عدد الماعز 1989 | عدد الأبقار 1989 | عدد الإبل 1989 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| أولاد مبارك | 1.119 | 2.178 | 11.141 | 2.402 | 118 | 30 |
| أولاد بلحسن | 14.23 | 2.544 | 15.458 | 2.960 | 350 | 96 |
| أولاد فارس | 3.298 | 4.387 | 36.494 | 7.408 | 771 | 35 |
| أولاد علي بنياسين | 1.331 | 2.5[illegible]0 | 25.602 | 3.507 | 336 | 30 |
| أولاد يوب | 1.551 | 3.884 | 19.745 | 2.817 | 160 | 30 |
| أولاد جابر | 1.523 | 5.140 | 22.648 | 3.184 | 235 | 31 |
| لعلاونه | 1.073 | 4.186 | 16.423 | 3.479 | 371 | 41 |
| أولاد علي بلحسن | 585 | 4.237 | 10.652 | 2.517 | 388 | 0 |
| أولاد أحمد بنعبد الله | 1.973 | 4.212 | 35.309 | 3.663 | 487 | 3 |
| أولاد تيندرارا | * 816 | 1.878 | 7.036 | 646 | 431 | 1 |
| أولاد شعيب | 1.260 | 1.408 | 12.278 | 4.338 | 214 | 28 |
| أولاد بنحمامة | 422 | 2.183 | 3.947 | 2.329 | 5 | 116 |
| أولاد رمضان | 977 | 1.021 | 9.545 | 5.671 | 176 | 46 |
| أولاد حجي | 1.460 | 2.119 | 16.089 | 5.263 | 47 | 156 |
| أولاد إبراهيم | 942 | 996 | 10.832 | 5.053 | 299 | 35 |
| أولاد عبد الكريم | 1.960 | 2.188 | 20.294 | 6.149 | 333 | 160 |

* بالنسبة لمركز تيندرارا، فإن الرقم المشار إليه يهم عدد مربي الماشية فقط.

(المصدر : نشرات إحصائية مختلفة)

*تحريات ميدانية* للكاتب.

عبد اللطيف بنشريفة

تتشكل قبيلة بني گيل تاريخياً من فرعين كبيرين هما : يغْمُراسْنْ وبنو گومن. وهي إحدى أهم قبائل المغرب الشرقي، تنتشر بخيامها وقطعان مواشيها في معظم الهضاب العليا المغربية فيما يعرف عند سكان المنطقة بالظهرة.

أصول هذه القبيلة غير معروفة، فلم يرد اسمها عند ابن خلدون أو غيره ممن تعرض لأنساب وأصول قبائل المغربين الأقصى والأوسط حسبما اطلعنا عليه. وإذا رجعنا إلى ابن خلدون في حديثه عن بطون زغبة من بني هلال نجده يشير إلى اقتسام بعض قبائل زغبة (خاصة منهم بنو عامر)

ومعقل إلى جانب القبائل الزناتية لمجالات القفار الصحراوية والتلال والحواضر الشمالية فيما يشكل مملكة تلمسان، بعد صراعات عديدة للظهور والسيطرة على هذا المجال بين الأطراف المذكورة. ولما كانت زغبة أكثر احتكاكاً، إن سلماً أو حرباً، بملوك بني زيان في تلمسان، فقد نقل يغمراسن بني زيان أحد بطون زغبة من صحراء بني يزيد شرقاً وأسكنهم بصحراء تلمسان لمنع توسع القبائل المعقلية نحو شمال المنطقة، "واستقروا هنالك يتقلبون بين قفارها في المشاتي ويظهرون إلى التلول في المرابع والمصايف" ( *العبر*، 6 : 105) .

عندما تحدث ابن خلدون عن قبائل بني معقل ذكر أن مجالاتهم تمتد من المحيط الأطلسي إلى ما يسميه بقبلة تلمسان مجاورين بذلك أوطان بني عامر. ومعقل ثلاثة بطون : ذوي عبيد الله، وذوي منصور، وذوي حسان. وقد هاجر ذوي عبيد الله إلى الشمال واستوطنوا المنطقة ما بين تلمسان وتاوريرت وهم بذلك جورة لبني عامر بن زغبة. (*العبر*، 6 : 131) . وفي رواية شفوية نقلها مخبرون فرنسيون عن بعض شيوخ قبيلة بني گيل أواخر القرن الماضي وبداية القرن الحالي (القرن العشرين) يدعون فيها الانتساب لبني حسين وهم فرع من بطن ذوي منصور القاطنين في زمن ابن خلدون ما بين ملوية ودرعة، وتضيف الرواية الشفوية أن اسم بني گيل أطلق على بعض الفرق من بني حسين التي قيّلت لبعض الوقت في منطقة الظهرة للاستراحة ثم استهواها المكان ففضلت الاستقرار بها وامتنعت عن اللحاق بأخواتها من بني حسين الذين سبقت لهم الهجرة إلى منطقة التل بالشمال. ويعزز ذلك ما ورد في *وصف افريقيا* (1 : 46) أن فرقة من بني حسين فرع ذوي منصور المعقلية تقيم في صحراء الظهرة وأنهم قوم ضعاف لا مال لهم ولا سلطة. وعلى أي حال فإن الإشكال لا يكمن في هذه النقطة فقط بقدر ما يتعلق بنسب البطنين الأساسيين اللذين يكونان قبيلة بني گيل : بني يغمراسن وبني گومن، وهما اسمان لقبيلتين بربريتين من القبائل الزناتية، فبنو يغمراسن نسبة إلى مؤسس الدولة الزيانية بتلمسان يغمراسن بن زيان، وبنو گومن هم قبيلة گومية. فكيف يطلق هذان الاسمان البربريان على بطنين رئيسيين لقبيلة تتحدث لغة عربية دارجة لا تختلف في شيء عن لهجات القبائل العربية الأخرى في المنطقة، وعاداتها وتقاليدها شبيهة تمام التشابه بما عند تلك القبائل نفسها وفروع هذين البطنين تحمل كلها أسماء عربية ؟.

إن التهميش الذي قوبلت به هذه القبائل وغيرها من مناطق القفار بوسط وجنوب التخوم المغربية الجزائرية من لدن كتب الحوليات والانساب لا يسمح بالجواب عن هذا الإشكال، ولا يسعنا إلا أن نفترض امتزاج عناصر قبلية متباينة من زناتة وعرب معقل وبني عامر ممن استوطن الظهرة والأطراف المتاخمة لها، تساكنت وانصهرت مع بعضها فكونت قبيلا واحداً لا يجمع بينها الانتساب لجد مشترك بقدر ما يجمعها التضامن والتماثل في نمط العيش داخل مجال جغرافي مشترك مادامت النسبة إلى القبيلة في الشمال الإفريقي تكون أيضا قابلة للاحتضان والانتشار الواسع حسب رأي جاك بيرك (*Qu'est ce qu'une tribu..*).

فابن خلدون نفسه يترصد استيطان زناتة وخاصة منهم شعوب بني واسين بصحراء المغرب الأقصى والأوسط إلى صحارى إفريقية قبل اجتياحها من طرف قبائل بني هلال في المائة الخامسة، واقتسمت فرق بني بادين (بني عبد الواد وبني توجين وبني مصاب وبني زردال... الخ) . هذه المواطن مع بني مرين، فكان لشعوب بني بادين المنطقة الصحراوية والمتاخمة لها شمالا ما بين مصاب وجبل راشد إلى فكيگ ووادي ملوية، وانتشر بنو مرين شرقها. ومع مجيء الموحدين وانحياز بني بادين إليهم، أقطعوهم تلال وضواحي تلمسان وشمال المغرب الأوسط فحل محلهم بالصحراء بنو مرين ( *العبر*، 7 : 127) ، وقد يحدث أن تفضل بعض الفرق من بني بادين البقاء في مواطنها الأصلية بالصحراء أو الاستقرار بالهضاب العليا (الظهرة حالياً) لظروف أمنية بعيداً عن تزاحم قبائل بني ومانو وبني يلومي مع بني بادين المهاجرين الجدد إلى الشمال إلى جانب ظروف مناخية ملائمة لعيشهم ولعيش مواشيهم. هذه الفرق البادينية (نسبة لبني بادين) ، حسب هذا الافتراض، كونت النواة الزناتية الأولى لقبيلة بني گيل (بني گومن وبني يغمراسن) قبل توافد عناصر بني عامر بن زغبة وذوي منصور المعقلية على المنطقة طوال القرون الموالية للقرنين الخامس والسادس (11 ـ 12 م) ، فتعربت العناصر الزناتية تدريجياً لغلبة العنصر العربي، فحمل هذا القبيل المكون من العناصر العربية والبربرية جميعه اسم "بني گيل" بينما احتفظ باسمي يغمراسن وبني گومن كمؤشر لبقايا نواة بربرية قديمة قامت عليها اتحادية القبائل التي تكون بني گيل.

تتكون اتحادية بني گيل من قسمين كبيرين :

1 ـ بني يغمراسن الذين ينقسمون بدورهم إلى بطنين كبيرين كما جاء في تقرير فرنسي كتب عام 1902.

أولاد أيوب، وعلى رأسهم في وقت كتابة هذا التقرير، القائد عبد الرحمن الگيلي، عينه السلطان مولاي الحسن بظهير عام 1310 / 1892.

أولاد أيوب، ينقسمون إلى فروع منها :

أولاد بلقاسم وأولاد مبارك وأولاد بدة وأولاد سلامة وأولاد جابر وأولاد رحو الذين ينتمي إليهم القائد عبد الرحمان الگيلي.

أولاد حجي ينقسمون بدورهم إلى : أولاد محمد بن ناصر وأولاد العموري وأولاد علي بن ياسين وأولاد حمامة وأولاد ملوك.

2 ـ بني گومن يسكنون بخيامهم شرق الظهرة قريباً من الحدود المغربية الجزائرية وينقسمون إلى ثلاثة فروع.

أولاد فارس، ومنهم : أولاد محمد وأولاد بلحسن.

أولاد إبراهيم، ومنهم : أولاد علي بلحسن وأولاد رمضان وأولاد شعيب.

أولاد أحمد بن عبد الله، ومنهم : أولاد أحمد بن عمرو وأولاد أحمد بن عبد الله وأولاد علي وأولاد محمد وأولاد محجوب وأولاد مولود وأولاد مسعود والعلاونة وأولاد عبيد وأولاد بن ناصر.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 1 و6 و7 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* (الترجمة العربية) ؛ علي السوسي السملالي، *منتهى النقول*، مخطوط ح. ع. 633 د ؛ أ. العماري، *مشكلة الحدود الشرقية*.

De la Martinière, N. Lacroix, *Documents pour servir à l'histoire du nord-ouest africain*, V. 2, Alger, 1893 ; Marchand, *Renseignement sur l'Ouest Algérien*, (16 octobre 1902), A.O.M., Aix-En-Provence, 1 J. 151 ; L. Rousselet, *Sur les confins du Maroc*, Paris, 1912.

أحمد مزيان

**بني لَيْت**، قبيلة كانت في الماضي تكون فرقة من فرق قبيلة بني حسان، وتقع بناحية جبالة (إقليم تطوان حالياً)، وتحيط بها قبائل بني حزمر وبني حسان والأخماس وبني عروس. وتقدر مساحتها بـ 77 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 2.367 نسمة يتكلون باللهجة العربية الدارجة، وبالقبيلة واحد وعشرون مسجداً، وثلاثة أضرحة وأربع زوايا وعشرون كتَّاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي. تحتوي القبيلة على ستة مداشر، وتنتمي في التقسيم الإداري الحالي إلى الجماعة القروية "إسوماتن" التابعة لقبيلة بني حسان.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 114.

Carta de Battista Agnesi, 1524 ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, p. 36 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos*, p. 87.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني ماگر**، أو بني ماجر، اسم يطلق على قبيل ومكان، فأما القبيل فهم بنو ماگر أو الماگريون أو إيماگرن، وهي صيغة الجمع باللسان الغربي أي البربري، ومعنى ذلك الأكابر والأسياد، وكفى به اسما دالا على رفعة القدر وعلو المكانة اللتين كان يتمتع بهما هذا القبيل الذي لم يبق منه اليوم إلا عائلات معدودة على أصابع اليد الواحدة، ومن المعروف أن قبيل بني ماجر هو بطن من بطون دكالة، وهو أشهر بطونها في القديم، وقد أطلق اسم بني ماجر زمناً على كافة الدكاليين من باب التغليب لأهميتهم ومما يدل على ذلك أن هذا القبيل أنجب عدداً كبيراً من الأعلام سنشير إليهم فيما بعد.

ويطلق اسم "بني ماگر" أيضاً ـ كما ذكرنا ـ على مكان هو موطن هذا القبيل الذي يدعى "وطن بني ماگر" أو "جبل بني ماگر" أو "بلاد بني ماگر" أو "أرض بني ماگر" وقد كان هذا المكان أو المجال الذي يعيش فيه الماگريون فسيحاً في القديم، ولعله كان يشمل معظم الإقليم المعروف اليوم باسم عبدة، وكانت مدينة أسفي حاضرة هذا الإقليم تعرف برباط بني ماگر كما في *العبر*، وفي عصر ابن خلدون زار صديقه ابن الخطيب بلاد بني ماجر ومركزها في البادية ووصف سور هذا المركز الذي ماتزال أطلاله قائمة، وقد ذكر أن وطن بني ماجر كثير العمران متعدد الديار والأشجار وفيه كثير من الصالحين وأولي الخير وأرباب التلاوة أي حفاظ القرآن الكريم، في هذا القرن الثامن الهجري إذ كان للماجريين موقعان مشهوران أحدهما على ساحل المحيط هو رباط أسفي الذي أسسه الولي الصالح أبو محمد صالح مُحْدث ركب الحاج المغربي، وثانيهما يقع في الداخل هو جبل بني ماجر وهو الذي تقدم وصف ابن الخطيب له ويبعد عن رباط أسفي بنحو 40 كيلومتراً، وكان بين هذين الموقعين تواصل مستمر، ويذكر الوزان الذي زار الموقعين في القرن العاشر الهجري أن أهل جبل بني ماجر كانوا فلاحين وصناعاً يملكون جميعاً دوراً بأسفي، وكان الإنتاج لديهم عديداً والخير عندهم كثيراً لا سيما من القمح والزيت.

وبعد القرن العاشر الهجري أخذ مجال الماگريين في الانكماش وعددهم في الانحسار، ويرجع السبب في ذلك إلى احتلال البرتغاليين للمنطقة واضطرار الماگريين إلى الهجرة إلى فاس وغيرها وذلك لأنهم لم يرضوا بالعيش تحت سلطة المسيحيين كما يقول الوزان.

ولم يبق في الأزمنة الأخيرة من مقر بني ماگر في البادية إلا زاوية متواضعة توجد في دائرة الأسوار المندثرة. وآخر الشيوخ المدرسين فيها هو السيد محمد الكبير الماجري المتوفى عام 1391 هـ، ويوجد اليوم عدد محدود من أبناء هذه الزاوية يحملون اسم الماجري، كما يوجد من يحمل هذا الاسم بناحية ورزازات. أما في أسفي فإن الشيخ أبا محمد صالح وأولاده وحفدته الأولين كانوا يدعون بالماجريين، ولكن هذه النسبة تنوسيت بمرور الزمن، والنسبة الماجرية غير معروفة بينهم اليوم.

ونشير في آخر هذه الفقرة إلى أن بني ماجر كان لهم في القديم أثر بارز في الحياة المغربية سواء على الصعيد الإقليمي أو على الصعيد الوطني، وهو أثر متعدد الجوانب، فمنها جانب ديني أو روحي تجلى من خلال رباط الشيخ أبي محمد صالح (انظر رباط هذا الشيخ)، ومنها دور سياسي تمثل فيما كان لبعض أعلام هذا القبيل من نفوذ وسلطة في عهود الموحدين والمرينيين. ومنها دور جهادي نلمسه في دفاعهم عن حوزة الوطن خلال الاحتلال البرتغالي كما نلمسه في إسهامهم للتطوع بالجهاد في الأندلس.

ومنها جانب علمي يبدو بوضوح من عدد أعلام العلم الماجريين المذكورين في كتب التراجم، وقد أحصينا منهم نحو الثلاثين عالماً ومؤلفاً يمثلون مختلف العصور أي من القرن السابع الهجري إلى وقتنا هذا، وسترد أسماء بعضهم في مواضعها من هذه المعلمة.

محمد بنشريفة، *الماجريون*، والمصادر الواردة في آخره في كتيب *"أبو محمد صالح : المناقب والتاريخ"* ط. الرباط، 1990 ؛ مجلة *المناظرة*، س 1، ع 2 من ص 27 إلى ص 39.

محمد بنشريفة

**بني مالك**، قبيلة استقرت منذ القرن العاشر (16 م) بمعية قبيلة سفيان، في سهل الغرب حيث احتلتا جميع بسيط أزغار (سهل الغرب) قبل أن يتقلص مجالهما نتيجة اكتساح قبيل بني حسن لمجموعة الأراضي الواقعة جنوب نهر سبو في القرن الثالث عشر (19 م) وبداية القرن العشرين.

ويصعب تحديد المجال الجغرافي الخاص ببني مالك نظراً لانصهارهم مع قبيلة سفيان. لكن رغم ذلك يمكن القول إن معظم أراضي بني مالك تتوسط شطري سفيان الغربية والشرقية وتتمحور حول أودية نهر مضاء في الشمال، ونهري ورغا ورضات في الجنوب الشرقي ؛ كما تحد في أقصى الشمال أراضي الخلط وسرسر ومصمودة. أما في الجنوب الشرقي فإنها تتصل بأراضي حجاوة والشراردة، في حين أن نهر سبو يمثل الفاصل بينهما وبين أرض بني حسن.

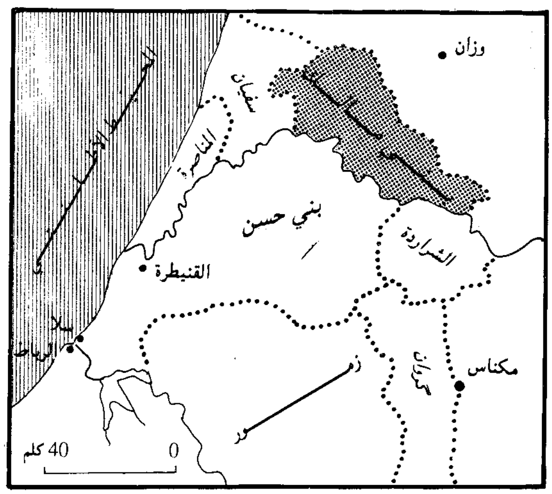


موقع بني مالك

والصعوبة النسبية التي تحصل للباحث عندما يريد تحديد المجال الجغرافي الحالي لبني مالك تزداد عندما يرغب في ضبط تاريخهم. فإذا كنا نجد اسم بني مالك وارداً في تاريخ ابن خلدون حيث يقول :"وأما بنو مالك بن زغبة فهم بطون ثلاثة سويد وهو بطنان : العطاف والديالم.." (*العبر*، 6 : 59)، فإننا لا ندري هل يهم الأمر نفس القبيلة التي نعرفها اليوم !.

ويرجع السبب في حيرتنا إلى كون بني مالك الذين تكلم عنهم ابن خلدون كانوا، حسب زعمه، يقطنون، في عهده، غرب الجزائر وشرق المغرب ؛ كما أننا لا نجد أثراً بارزاً لبني مالك من القرن الثامن (14 م) إلى القرن العاشر (16 م) مع العلم أن بني مالك الذين كانوا مستقرين بمناطق مستغانم بالجزائر لم يدخلوا المغرب الأقصى، أو على الأقل، لم نعثر على وثائق تاريخية تثبت ذلك.

وبعد هذا الاختفاء، يأتي الكلام من جديد عن بني مالك في مؤلف مارمول كربخال الذي يشير إلى أن "أعراب بني مالك من سفيان" كانوا يقطنون، في زمانه، أي في القرن السادس عشر، ضواحي سلا ومنطقة المعمورة حتى جوار مدينة مكناس (*افريقيا*، 2 : 136). ويضيف أن الأراضي المجاورة لفنزارة القريبة من سلا اقتطعت لهم في نهاية عهد المرينيين أي في منتصف القرن التاسع (15 م). فهذا يعني، إن كان مارمول على صواب، أن بني مالك اندمجوا في قبيلة سفيان منذ القرن التاسع (15 م) على الأقل، أي بعد قرن من وجودهم في غرب القطر الجزائري حسب ما جاء به ابن خلدون (*العبر*، 6 : 59).

كيف يا ترى وصلت قبيلة بني مالك إلى أقصى المغرب؟ وكيف انصهرت مع سفيان دون أن تفقد شخصيتها كلية ؟

لحل هذه الإشكالية، علينا أن نلجأ إما إلى الافتراض الذي تقدم به الأستاذ عبد اللطيف الشاذلي في كتابه *الحركة العياشية* حيث يظن أن انتقال بني مالك من الغرب الجزائري إلى غرب المغرب متصل بهيمنة حصين في نهاية القرن الرابع عشر، أو إلى افتراض ثان نستند لتقويته وتدعيمه على *وصف افريقيا* للحسن الوزان وإلى *الأقنوم* لعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي وإلى *الاستقصا* للناصري. فيقول الحسن بن محمد الوزان "وتنقسم هلال من جهتها إلى أربعة فروع : بني عامر ورياح وسفيان وهوازن. ويتفرق بنو عامر إلى عروة وعقبة وهبرة ومسلم.. (*وصف افريقيا*، 1 : 41).

ويقول الناصري من جهته إن من بين القبائل الهلالية التي نقلها المنصور الموحدي إلى تامسنا، في نهاية القرن السادس (12 م). قُرَّة وعاصم. وإذا ما رجعنا إلى *الأقنوم* الذي كتب في نهاية القرن الحادي عشر (17 م) وإلى التنظيم الحالي لكل من قبيلتي سفيان وبني مالك، فسنجد أن قُرَّة كانت في القرن السابع عشر، بطناً رئيسياً من بطون قبيلة سفيان. أما عاصم فمازالت لحد اليوم فرقة من فرق بني مالك، مثلها في ذلك مثل عُروة.

لذا يمكننا القول بأن بني مالك القاطنين في الغرب ليومنا هذا هم القبائل التي كانت تسمى بعُروة وبعاصم عندما قرر المنصور الموحدي نقل سليم وبعض القبائل الهلالية من غرب إفريقية (تونس الحالية) إلى أقصى غرب مملكته بتامسنا. واحتفظت هذه القبائل في ذاكرتها الجماعية، بالانتساب إلى بني مالك إلى أن استرجعت في الوثائق التاريخية وعند العامة هذا اللقب في القرن العاشر (16 م).

هكذا يمكننا أن ندرك سر احتجاب اسم بني مالك لفترة من الزمن فيما يَخص قبيلة بني مالك الغرباوية. وهذا الافتراض الذي حاولنا تزكيته يفسر لنا في نفس الوقت تعايش سفيان (قرة) وبني مالك (عروة وعاصم).

وإذا كان افتراضنا صحيحاً فهذا يعني أن بني مالك قضوا زمناً طويلا في تامسنا جنوب أسفي ثم في تادلا، بمعية سفيان، ثم ما بين مكناس وسلا، وساهموا في الجيش الموحدي ثم المريني وأدى بهم ولاؤهم لبني مرين ولبني عمومتهم من وطاس إلى نبذهم من طرف السعديين الذين

أقدموا على نفي أعيانهم إلى مراكش وانتزعوا من أفراد القبيلة خيلهم وشطبوا عليهم من ديوان الجندية لمدة من الزمن ووطنوا ضداً فيهم، بجوارهم، "أهل سوس" من أولاد جرار وأولاد مطاع وزرارة (*الاستقصا*، 7 : 52). وبقيت حالتهم على هذا المنوال إلى أن أبلوا البلاء الحسن في معركة وادي المخازن الشهيرة 986 / 1578، فأعيد إدماج البعض منهم بين صفوف قبائل "الجيش". لكن بني مالك وسفيان، بعد استردادهم مكانتهم، أرادوا منع عرب مطاع من البقاء بالغرب مما أغضب المنصور الذهبي الذي ردهم إلى مصاف الرعية سنة 988 / 1580 (*مناهل الصفا*، ص. 109).

لكن هذه السلسلة من الأحداث لم تمنع نجم بني مالك من أن يتألق في منتصف القرن الحادي عشر (17 م) مع الحركة الجهادية التي واكبت تقهقر الدولة السعدية وتقوية شوكة العدو الإسباني. فتصدرت قبيلة بني مالك الجهاد ضد الغزاة وتبوأ أبناؤها المكانة المرموقة لا في باب الجهاد بل وكذلك في باب الزهد والتصوف. وأكبر شخصية أنجبتها بنو مالك في هذه الفترة شخصية أمير الجهاد مَحمد بن أحمد العياشي الذي كان ينتمي إلى فرقة بني زيان (980 ـ 1051 / 1573 ـ 1641)، والذي عبأ قوى قبائل ومدن الساحل الأطلنتي، شمال أسفي ونهر أم الربيع، ضد المحتلين الاسبان إلى أن قتل، وبسطت الزاوية الدلائية نفوذها على المناطق التي كان يجوبها، مما أدى إلى خمود نار بني مالك.

ومع ظهور العلويين، لم تقم بنو مالك بأي عمل مشهود إلى أن مات المولى إسماعيل 1139 / 1727 حيث اتخذوا، بمعية أهل فاس، مبادأة إيقاد نار الفتنة بانتفاضتهم على المولى أحمد الذهبي سنة 1139 / 1727 (*الضعيف*، ص. 105) مما سمح للعبيد بقيادة الحوات بأن يهاجموهم إلى أن انتهى الأمر بهزيمة كل من بني مالك وسفيان في معركة حدثت بالقرب من زاوية وزان سنة 1141 / 1728 (*الإتحاف*، 1 : 288 ؛ *الضعيف*، ص. 109). وتمكن بعد ذلك الحوات من الاستيلاء على جميع الغرب سنة 1149 / 1736 (*الضعيف*، ص. 124).

وفي صراع أبناء المولى إسماعيل على السلطة، كانت قبائل بني مالك من شيعة المولى عبد الله عموماً، وساهم البعض منهم بقيادة بوسلهام الحامدي في معركة دار العباس التي حطمت أطماع المولى المستضيء بوفاة أكبر وأقوى سند كان يتوفر عليه وهو القائد ابن حدو الريفي سنة 1155 / 1742. لكن هذا لم يمنع بني مالك من التمرد سنة 1160 / 1747، ممّا أرغم المولى عبد الله على ردع حركتهم. عليهم. ورغم ذلك أخذت بنو مالك توسع نفوذها بقيادة الحبيب الحمادي الذي ولاه المولى عبد الله ليس فقط على قبيلته بني مالك وعلى سفيان بل وكذلك على الخلط والطليق وعلى جميع قبائل الجبال (*الاستقصا*، 4 : 442)، وبقي يسيطر على هذه القبائل وهذه الأنحاء إلى أن عزله سيدي محمد ابن عبد الله سنة 1180 / 1767 وزجّ به في السجن إلى أن مات فيه، (*الاستقصا*، 8 : 30).

ولم يكتف سيدي محمد بن عبد الله بذلك، بل وطن بجوار بني مالك وسفيان قبائل گروان لمدة عقد من الزمان على وجه التقريب 1184 / 1771 ـ 1195 / 1882 ثم قبائل مجاط.

وبعد وفاة سيدي محمد بن عبد الله 1204 / 1790 ناصر بنو مالك ابنيه الشقيقين المولى اليزيد ثم المولى مسلمة قبل أن يولوا أمرهم إلى المولى سليمان. واستعاد بنو مالك بعضاً من دورهم في بداية عهد المولى عبد الرحمان 1137 / 1822 حيث مكنوا السلطان من دخول مكناس ضداً في القبائل التي كانت خاضعة للنفوذ الروحي لأمهاوش والتي كانت تسعى إلى منعه من الوصول إلى "دار الملك".

وساهموا كذلك تحت إمرة مولاي عبد الرحمان في تخريب الزاوية الشرادية بحوز مراكش. لكن، من سوء حظهم أن تقرر توطين شظايا تلك الزاوية بأرض كانت لسفيان (منطقة سيدي قاسم) مما زاد ـ إضافة إلى عواقب زحف بني حسن في الضفة الجنوبية لنهر سبو ـ في تقلص أراضي القبيلتين (بني مالك وسفيان) وازدياد "تداخلهما المجالي". وهكذا وُجد بنو مالك في موطنهم الحالي جد مختلطين مع سفيان.

وفي الخلاصة، نلاحظ في شأن بني مالك ما يمكن أن نلاحظه في شأن عدد كبير من القبائل ببلادنا، إن لم نقل في جلها، ألا وهو أن الفروع المكونة لها لا تعرف استقراراً لا على مستوى وزنها الاجتماعي ولا على مستوى نفوذها الترابي. فهناك فروع تتصدر القبيلة لفترة من الزمن قبل أن يتقلص شعاعها وتفنى تماما، فلم يبق أحد يتذكر حتى اسمها. وهناك فروع تتقوى لدرجة أن البطن برمته يحمل لقبها. إن سر اختفاء اسم بني مالك لمدة طويلة من الزمن يعزى هو نفسه من دون شك إلى هذه الظاهرة. وكتوضيح لما نقوله نقترح المقارنة بين الأوضاع التي كانت عليها قبيلة بني مالك في نهاية القرن الحادي عشر (17 م) كما أوردها عبد الرحمان ابن عبد القادر الفاسي في *الأقنوم* وأوضاعها كما سجلها لوكوز في منتصف القرن العشرين.

| نهاية القرن الحادي عشر (17 م) | أواخر القرن الرابع عشر (20 م) |
|---|---|
| **بطن عروة** : أولاد نوال ـ زائد عبد الواحد ـ زهير ـ حمدان ـ أولاد مرة بنو خصيب.<br>**بطن حنيش** : عاصم وأولاد زيان بنو خليفة ـ بنو باكر ـ أولاد ميمون ـ أولاد واحد. | **عروة** : أولاد نوال ـ عبد الواحد ـ حمدان<br>**أولاد عاصم** : أولاد زيان ـ بنو باكر ـ أولاد عيسى ـ أولاد حماد ـ زهير. |

ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ ك. مارمول، *إفريقيا* ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ م. الضعيف، *تاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ ع. الشاذلي، *الحركة العياشية*.

J. Le Coz, *Le Rharb.*

إسماعيل العلوي

**بني مَحَلّي**، أسرة بطوئية من بني توزين، مقر سكناها في بداية القرن السابع الهجري بجماعة بني عكي، المستقرة على القسم الشمالي الغربي من جبل تاسفت المشرف على مجرى واد النكور. ولا يزال المكان معروفاً إلى اليوم بطلعة سيدي علي بن محلي البطوئي، نسبة إلى جد هذه الأسرة المعروف في مستهل القرن السابع (13 م).

برز علي بن محلي مع بداية دخول بني مرين إلى جبال بطوية وكان آنذاك من أكبر شيوخ ناحية بطوية وقبيلة بني توزين خاصة، مما جعل عبد الحق بن محيو المريني، الداخل الأول إلى تلك الجبال يستميله ويصهر إليه في ابنته أم اليمن، والدة ابنه يعقوب، وذلك قبل سنة 607 هـ. ومرتبة الخؤولة هي التي فتحت لبني علي محلي المساهمة في المجال السياسي إلى جانب سلاطين بني مرين.

نعرف من أبناء علي ثلاثة وأحد أحفاده. فابنه محمد ظل عامل مراكش منذ افتتاحها سنة 668 هـ. إلى أن نكبه السلطان يوسف بن يعقوب سنة 687 هـ. متأثراً بما جناه أخواه طلحة وعمر في حق الدولة. فطلحة الذي ظهر إلى جانب يعقوب المنصور سنة احتلال مراكش، لم يلبث أن غدا مصدر قلق بسبب ثوراته، أولاً بأزرو سنة 674 هـ. ثم ببني توزين والأندلس عام 677 هـ، وأخيراً ببلاد سوس، حيث تم قتله سنة 686 هـ. وسار أخوه عمرعلى منواله. فحينما تنازل محمد بن أشقيلولة ليعقوب بن عبد الحق المريني عن مالقة سنة 676 هـ. عُيِّن عليها عمر بن علي بن مَحْلي. وفي السنة الموالية التي كان فيها أخوه طلحة بالأندلس فاراً من السلطان، أشار عليه بإسلام مالقة إلى ابن الاحمر والاعتياض عنها بمدينة شلوبانية والمنكّب. وبعد أن استعاد طاعته سنة 681 هـ. عاد إلى موالاة ابن الاحمر.

ولم يظهر أفراد أسرة بني مَحلي بعد ذلك إلا على عهد أبي سعيد عثمان وابنه أبي الحسن. فقد سبق ليحيى بن طلحة بن علي بن محلى أن كان وزير أبي سعيد عثمان إلى سنة وفاته. وفي سنة 732 هـ، أثناء تغلب أبي الحسن المريني على جبل طارق واسترجاعه له، عين عليه يحيى بن طلحة، ثم انتدبه لوزارته، وبقي بها إلى أن هلك أثناء حصار السلطان لتلمسان سنة 736 هـ.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 184 . 408 . 410 . 415 . 417 . 439 . 525 . 527 . 528 . 531 . 532 . 732 . 767 ؛ إ. ابن الاحمر، *روضة النسرين*، 24.

حسن الفكيكي

**بني مَحمد**، من القبائل الصحراوية، ويرجح أن تكون قد تشكلت من بقايا بني معقل ومن في حسابهم، في زمن مّا من القرن العاشر الهجري (16 م) بالصحاري الممتدة جنوب شرق تافيلالت، بعد تفكك التجمعات الكبرى للمعاقلة بهذه المناطق على عهد الدولة السعدية.

وتدل كل القرائن على أن قبيلة بني مَحمد قد انطلقت من مجالات انتشارها الأولى بالصحارى الشرقية في اتجاه الصحارى الغربية حيث وصُلت إلى الساقية الحمراء بالصحراء المغربية (*Les Oasis des Ktaoua*)، ومن هنا جاءت تسميتهم بعرب الساحل (*Les Aït Atta*, 95) ويظهر أن بعض عشائر قبيلة بني مَحمد قد وصلت إلى وادي درعة منذ وقت مبكر من القرن الحادي عشر الهجري (17م) حيث كانت بعض هذه العشائر تهاجم قصور المستقرين بواحتي لكتاوة ومحاميد الغزلان وتقطع الطريق على قوافل التجار، الأمر الذي جعل الشيخ محمد بن ناصر، شيخ زاوية تامگروت يفكر في الاستعانة بقبائل الرُّوحا وأولاد يحيى لجعل حد لعيش قبائل بني مَحمد بالمنطقة (*الدرر*، 291) ونستشف من بعض الإشارات التاريخية أن قبيلة بني مَحمد كان لها حضور قوي في الأحداث التي عرفتها واحات درعة وتافيلالت إبان الصراع على هاتين المنطقتين بين السملاليين والعلويين في نهاية العقد الخامس من القرن الحادي عشر الهجري (17 م)، وقد كان شيوخ القبيلة وأعيانها إلى جانب السملاليين في هذا الصراع، ثم ما لبثوا أن تحولوا إلى جانب مولاي مَحمد ابن الشريف (*إيليغ*، 130).

ويبدو أن قبيلة بني مَحمد قد تكاثرت أعدادها من فلول القبائل الصحراوية حتى أضحت خلال القرن الثاني عشر الهجري (18 م) أقوى قبيلة عربية بالجنوب الشرقي حيث كانت تتحكم في الحركة التجارية بين بلاد السودان وتافيلالت عبر محور فاس ـ السودان (*Le Tafilalt*, 219). وقد تحالفت قبيلة بني مَحمد مع قبيلة أيت خباش وأضحى الخباشيون يوفرون لها الحماية التامة بالمناطق الصحراوية ومسالكها التجارية (*Le Tafilalt*, 219).

وفي أواخر القرن الثالث عشر الهجري ومطلع القرن الرابع عشر الهجري (19 . 20 م) تحولت جل عشائر قبيلة بني مَحمد إلى الاستقرار والارتباط بالأرض وأصبحت تشكل قبائل قصور مثلها في ذلك مثل باقي سكان الواحات. وتستقر عشائر هذه القبيلة في الوقت الحالي ببعض قصور وادي درعة بواحتي لكتاوة ومحاميد الغزلان مثل بني صْبيحْ وبني حَيُّون وبني هْنيتْ وقصبة أيت خَرْدي وقصر طلحة (*Districts et tribus*, 189). إلا أن غالبية عشائر القبيلة تستوطن شمال غرب واحة تافيلالت حيث تتداخل قصورها مع قصور عرب الصبّاح وغيرهم من سكان المنطقة.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ م. المختار السوسي، *إيليغ قديماً وحديثاً*.

Dj. J. Meunié, *Les Oasis des Lektaoua et des M'Hamid*, *Hesp.*, Vol. 27, 1947 ; G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra* ; L. Mezzine, *Le Tafilalt*.

أحمد البوزيدي

**بني مدرار**، سلالة من قبيلة مكناسة الزناتية، أسست إمارة بمدينة سجلماسة وبعض نواحيها، دام حكمها أزيد من قرنين (140 . 366 هـ). وكان هذا الحدث عقب الثورة التي قام بها المغاربة ضد بعض ولاة بني أمية، والتي كان من نتائجها قيام مجموعة من الإمارات والدول المستقلة بالمغرب.

قامت إمارة بني مدرار حوالي سنة 140 هـ، وتأسست عاصمتها سجلماسة في نفس الفترة، على أرجح الروايات، إلا أن ظروف الحدثين الهامين لا يزال يكتنفهما الغموض. فالبكري يذكر أن عيسى بن يزيد الأسود (140 . 155 هـ)، هو الذي أسس المدينة وكان أول حاكم لها، إلا أنه يعرض علينا رواية تنسب التأسيس إلى مدرار بن عبد الله بعد فراره من ثورة الربض (202 هـ). إلا أننا نعرف أن تلك الثورة كانت متأخرة عن تأسيس مدينة سجلماسة بأكثر من نصف قرن، وهكذا فلا يستقيم السياق إلا إذا كان الأمر يتعلق بأحداث أخرى شهدتها الأندلس قبل قيام دولة بني أمية. ففي هذه الحالة يمكن إيلاء الرواية بعض الأهمية، خاصة وأنها ستحل إشكال نسبة الإمارة إلى "مدرار"، ولعل هذا الاشكال هو ما دفع ابن خلدون إلى أن يطلق على الأسرة اسم "بنو واسول" بدل بني مدار.

يمكن تمييز مرحلتين في عهد بني مدار : الأولى تمتد من قيام الإمارة إلى سنة 296 هـ وتمثل عهد الاستقلال الكامل، والثانية تمتد من السنة المذكورة إلى سقوط الإمارة سنة 366 هـ، وخلالها كانت تتأرجح بين الخضوع للفاطميين وبين محاولات الاستقلال.

- المرحلة الأولى : كان أول أمير كما ذكرنا، هو عيسى بن يزيد الأسود الذي حكم مدة خمس عشرة سنة، غير أن زعماء مكناسة عزلوه، بل وقتلوه شر قتلة. ويرجح عدد من الباحثين أن توليته حكم الإمارة كان بفضل وفرة العناصر الزنجية في المنطقة، حتى إذا توافدت جموع مكناسة وزعماؤها خلعوه وولوا مكانه بعض كبارهم. قد يكون هذا الافتراض في محله، كما يمكن أن يكون وصول عيسى إلى الحكم مستنداً فقط إلى خصاله الدينية، فهو من زعماء الخوارج ومن موالي العرب.

ومهما يكن، فقد "نقمت عليه أشياء" فتسلم الحكم بعده أبو القاسم سمگو بن واسول. وعاشت الإمارة بعد ذلك استقراراً داخلياً نسبياً لم يكدره سوى حدثين : أولهما يتمثل في النزاع الذي نشب بين الأخوين إلياس (168 . 170 هـ) واليسع (170 . 208 هـ)، وانتهى لصالح هذا الأخير الذي تميز عهده الطويل بعدة منجزات، أهمها اتساع رقعة إمارته وتسوير المدينة. أماالحدث الثاني فيتمثل في الصراع الذي حدث أيضاً بين الأخوين ميمون بن بقية (تقية) وميمون بن الرستمية. وموجز المسألة أن أباهما مدراراً (208 .224 هـ) كان قد تزوج من أميرتين، إحداهما رستمية والثانية مدرارية، أنجبت كل منهما ولداً سمي ميموناً، تنازعا على السلطة في حياة أبيهما الذي لم يخف ميله إلى ابن الرستمية وتنازل له عن الحكم، ورغم ذلك فقد حسم الخلاف لصالح ميمون بن بقية بفضل دعم شيوخ مكناسة، على ما يبدو.

- المرحلة الثانية : كانت ذريعة الغزو الفاطمي لسجلماسة هي افتكاك أسر عبيد الله المهدي بعد أن انتهى به المطاف، لسبب غير واضح، إلى عاصمة المدراريين. إلا أن الدافع الحقيقي لاحتلال سجلماسة يتمثل أيضاً في رغبة أبي عبد الله الشيعي في الاستيلاء على ثروات المدينة المشهورة بغناها. وبعد اكتساحها عين عليها الفاطميون والياً من قبلهم اغتاله بنو مدرار بمجرد تواري الجيش الفاطمي عن الأنظار، ووضعوا مكانه أميراً من سلالة بني مدرار، وبعد ذلك، يبدو أن الفاطميين قد اقتنعوا بحل وسط وهو قبول استمرار بني واسول على رأس الإمارة مقابل الحفاظ على مصالحهم الجبائية.

وعلى العموم، فقد دخلت سجلماسة في خضم الصراع الفاطمي الأموي الذي طبع أحداث المغرب طيلة معظم القرن الرابع الهجري. وفي أثناء ذلك كان أمراء بني مدرار يحاولون باستمرار خلع طاعة الفاطميين، وكان من أبرز المحاولات تلك التي قام بها الفتح بن ميمون الذي تلقب بأمير المومنين وضرب الدراهم باسمه واعتنق مذهب مالك. وهذه الشعارات كافية لتدخل الفاطميين من جديد ليضعوا حداً لتلك الحركة.

وفي سنة 366 هـ زحف خزرون بن فلفول المغراوي، الموالي للأمويين، على سجلماسة فاحتلها واضعاً الحد لإمارة بني مدرار.

عاصرت إمارة بني مدرار مجموعة من الدول والإمارات الإسلامية، تختلف من حيث القوة وامتداد الرقعة والنفوذ. ففي المغرب الأقصى كان لها جيران ومنافسون أبرزهم الأدارسة، وبعيداً عنها كانت هناك دول أخرى لها دور وأثر في أوضاع المغرب عموماً، وأوضاع الإمارة المدرارية خصوصاً. فالدولة الأموية كان لها، وحسب ما يستنتج من المصادر، علاقات ودية مع سجلماسة، وربما يعود ذلك إلى وجودعدو مشترك متمثل في الأدارسة الذين اصطدموا بإمارات مغربية يمكن اعتبارها حليفة طبيعية لبني مدرار، كما أن الأدارسة مدوا نفوذهم إلى بعض مدن الجنوب المغربي في محاولة لمنع أي توسع مرتقب لبني مدرار في تلك الجهات. أما الأغالبة الذين يمثلون مشيئة الدولة العباسية في المنطقة، فهم، من الناحية المبدئية، أعداء تاريخيون لبني مدرار، فقد كان فقهاء القيروان في العهد الأغلبي يحاصرون فرق الخوارج الصفرية، كما منعهم سحنون (160 . 240) من الإمامة وتعليم صبيان المسلمين. إلا أنه، ورغم هذا التنافر المذهبي، لم يسجل التاريخ أي مواجهة مباشرة بين الطرفين، ولعل ذلك عائد إلى وجود حاجز الدولة الإباضية التي كانت لها، على العموم، علاقات ودية مع بني مدرار، وذلك رغم أن بعض الأحداث الداخلية في سجلماسة تظهر رغبة بني رستم في ممارسة نوع من الوصاية على إخوانهم في المذهب.

لقد ألح المؤرخون - قدماء ومعاصرون - على أهمية الموقع الذي تتمتع به مدينة سجلماسة، عاصمة المدراريين، فهي بوابة الصحراء وممر ضروري لمن يريد الاتجاه إلى السودان حيث معدن الذهب. ونعلم بواسطة ابن حوقل أن القوافل التجارية القادمة من مصر قد تخلت، لأسباب

أمنية وطبيعية، عن طريق كان يربطها مباشرة بالسودان لتعرج على سجلماسة فازدادت بذلك أهميتها في المبادلات التجارية العالمية، وازدادت بالتالي مواردها الاقتصادية والمالية التي قدرها ابن حوقل، في منتصف القرن الرابع، بأربعمائة ألف دينار مقابل ثمانمائة ألف لمجموع المغرب.

وليست المدينة معبراً لتجار الآفاق وحسب، بل إن أهلها كانوا مهرة في الصفقات والعمليات التجارية المتقدمة، وقد سجل لنا الجغرافي المذكور قصة الصك الذي تسلمه أحد تجار سجلماسة مقابل دين له على أحد تجار أودغشت، بلغ قدره أربعين ألف دينار.

وكانت المبادلات التجارية تعتمد على استيراد سلعتين أساسيتين من السودان، هما الذهب والرقيق، وعلى تصدير مواد صناعية من نسيج ونحاس، وفلاحية من قمح وتمور وزبيب، وهذا يعني أن النشاط الفلاحي كان يحقق فائضاً للتصدير.

من الطبيعي أن ينعكس هذا الازدهار والرواج الاقتصادي على المجتمع المدراري، فأهل المدينة كانوا مياسير يباينون أهل المغرب في المخبر والمنظر حسب تعبير ابن حوقل، أما البكري، فيذكر أن الذهب عندهم جزاف يتبايعونه بلا وزن. ومن مظاهر الرقي الاجتماعي كثرة الحمامات - رغم أن البكري يصفها بالرداءة - وظهور أصناف راقية من الأطعمة التي كانت الخادمات الزنجيات يتفنن في صنعها. لكن هذا الرخاء لم يك شاملا - بطبيعة الحال - إذ لا يتوفر إلا لكبار التجار والأمراء وأصحاب النفوذ بوجه عام. أما الأغلبية الساحقة، في المدينة وضواحيها فقد تركت وشأنها تعيش البؤس والحرمان. ومن أبرز الفئات الاجتماعية جيوش الرقيق التي يستوردها التجار من السودان للخدمات الفلاحية والمنزلية أو لخفر القوافل التجارية وكذلك للعمل في المناجم.

وإلى جانب فئة الرقيق المستضعفة، هناك أقلية ذمية من اليهود، لم تشر إليها المصادر إلا بمناسبة التنكيل بهم من طرف أبي عبد الله الشيعي بعد أن اتهمهم بالوشاية بالمهدي لدى الأمير المدراري. وإلى جانب الفئات المذكورة، وإلى جانب مكناسة التي تشكل أغلبية سكان المدينة، استقطبت سجلماسة أفواجاً وجماعات من الآفاق (الشام، إفريقية، الأندلس، المغرب الأقصى) الشيء الذي أكسبها سمات حاضرة كبرى تجوز مقارنتها بالقيروان وفاس وقرطبة في ذلك العهد.

يمكن القول إذن بأن مدينة سجلماسة قد بلغت أوج عزها وازدهارها خلال فترة حكم بني مدرار، خاصة في القرنين الثالث والرابع. غير أن الازدهار كان أيضاً سبباً في تواتر الغزو على المدينة وأهلها، مما أدى إلى تراجع دورها مع مر السنين.

لم يسجل لنا المؤرخون والجغرافيون أي شيء يذكر حول الحياة الدينية والفكرية في عهد بني مدرار، ولعل غياب هذا الجانب راجع، حسب رأي بعض المؤرخين إلى إحراق أو إتلاف خزائن الكتب والمصنفات التاريخية والدينية من طرف الفاطميين حينما دخلوا المدينة. وسواء كان هذا الرأي وجيهاً أم لا، فإننا مجبرون على الاكتفاء بتأويل بعض الأحداث الثابتة في تاريخ المدينة عسى أن نلقي بعض الضوء على الوضعية الدينية والمذهبية. فليس من شك في وجود علاقة بين قيام إمارة بني مدرار وبين ثورات الخوارج التي اندلعت بالمغرب في بداية القرن الثاني الهجري، ومن المؤكد أيضاً، وحسب ما جاء في عدد من المصادر، أن أبا القاسم سمگو بن واسول وعيسى بن يزيد الأسود كانا من زعماء الخوارج الصفرية. ولكننا لا نعرف ما آلت إليه المسألة المذهبية بعد تأسيس الإمارة واستقرار الأوضاع، فابن خلدون يذكر أن أبا القاسم هذا "دعا في عمله للمنصور والمهدي من بني العباس"، وهذا موقف يتنافى مبدئياً مع نظرة الخوارج في الحكم والسياسة. لكن من المعروف أن بداية تولية أبي القاسم صادفت رد فعل قوي للخلافة العباسية ضد ثورة الخوارج في إفريقية، وقد يكون ذلك دافعاً لمداهنة العباسيين.

وفي عهد إليسع (170 - 208) تبرز المسألة المذهبية على مسرح الأحداث، فالمصادر تصفه بكونه "جباراً عنيداً" حاول توسيع رقعة إمارته وإظهار الصفرية، فهل يفيد ذلك أن المذهب الصفري لم يكن ظاهراً من قبل وأن بني مدرار لا يزالون، بعد نصف قرن من تأسيس إمارتهم، يعملون بمبدإ التقية المعروف عند بعض الشيعة، وهل ذلك التخوف من الخطر العباسي ما يزال قائماً ؟

ويبدو، من جهة أخرى، أن المذهب الصفري المدراري لم يكن يواجه الخطر العباسي أو السني فحسب، بل إن جيران بني مدرار الرستميين الذين هم أيضاً خوارج من الفرع الإباضي، حاولوا، حسب ما يبدو، فرض مذهبهم على إخوانهم الصفرية، ويتضح ذلك من خلال الصراع الذي نشب بين الأخوين ميمون بن بقية وميمون بن الرستمية، إذ ليس مستبعداً أن هذا الأخير، الذي كسب أباه إلى صفه كان يعمل بإيعاز من أخواله لنشر المذهب الإباضي في سجلماسة، وأن فشله في الوصول إلى الحكم لا يعني نهاية كل المحاولات في نفس الاتجاه، فمحمد بن ميمون كان "إباضياً صفرياً" على حد قول ابن خلدون. وقبل أن نتهم هذا المؤرخ بالخلط والجهل، كما ذهب بعض الباحثين، ألا يجوز أن نستشف من موقف محمد بن ميمون محاولة لحسم النزاع باعتبار المذهبين الصفري والإباضي مقبولين في إمارته ؟.

وعلى العموم، فإن هناك مجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية، أدت إلى إكساب العقيدة صبغة الاعتدال في عهد بني مدرار، الشيء الذي مهد لظهور المذهب السني المالكي منذ منتصف القرن الرابع الهجري على الأقل. صحيح أن للفاطميين الشيعة دوراً واضحاً في دفع بني مدرار، أيام الفتح بن ميمون، إلى اعتناق مذهب مالك، لكن اتجاه المغاربة إلى المذهب السني المالكي،

وبالذات منذ القرن الرابع، لم يكن، من بعض الوجوه سوى رد فعل سياسي ضد أطماع الدولة الفاطمية.

ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ البكري، *المغرب* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن الخطيب، *اعلام الإعلام* ؛ الحبيب الجنحاني، *المغرب الاسلامي*.

J. M. Lessard, *Sijilmassa : la ville et ses relations commerciales au 11ème siècle d'après El Bakri*, *H. T.*, vol. 10, 1e-2e fasc., 1969, p. 5 - 36.

مبارك رضوان

**بني مَـرْقـي**، قرية مندرجة في الوقت الحاضر بقبيلة أهل سريف، ضمن فرقة بني أقماح، واقعة بالزاوية الشمالية الغربية من جبل أهل سريف، مشرفة على الممر الفاصل بينها وبين جبل بني كرفط. عرف برناردو رذريگس، صاحب *حوليات أصيلا* بموقعها خلال القرن العاشر الهجري. ظلت القرية نقطة متقدمة لرجال المقاومة من أهل سريف، بإشرافها على ما اعتبر خلال الوجود البرتغالي بأصيلا حوزاً للمدينة المحتلة، وطالعاً لمراقبة تحركات الجنود، وتقديم المساعدة الحربية لبني كرفط، ولقرية الصخرة المقابلة لها خاصة. وإلى نفس القرية أشارت رسالة جواو الثاني البرتغالي (1481 ـ 1495) الموجهة إلى طلحة العروسي، قائد حوز القصر الكبير، في نطاق استمالة قواد الهبط لقبول الحماية البرتغالية.

*ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 58 ؛ حسن الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 434.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, 41 - 43 - 44 - 235 ; Archivo National do Torre do Tombo, Chanceleria de D. Joao II. Livro 16, fl. 97v, 98v.

حسن الفگيگي

**بني مـرين**، اسم لمجموعة قبلية بربرية تمكنت في منتصف القرن السابع الهجري من إقامة دولة بالمغرب الأقصى عمرت حتى منتصف القرن التاسع واشتهرت بنفس الاسم، كما عرفت بدولة بني عبد الحق.

يرتفع نسب القبائل المكونة لهذه المجموعة إلى العصبية الزناتية الكبرى وتنتمي من بين بطونها حسب النسابة إلى بطن بني واسين. ذكر أنها نزحت أواخر القرن الخامس من موطنها الأول ببلاد الزاب بإفريقية بعد دخول القبائل العربية الهلالية وتحت تأثير مدها المباشر. ويبدو أن هذه القبائل المرينية النازحة قد اتجهت في مرحلة أولى صوب تلول الشمال الغربي للمغرب الأوسط فدخلت في صراع مستمر دائر مع قبائل زناتية أخرى من بطن بني وادين ثم أقصيت في مرحلة ثانية إلى القفر جنوب هذه المنطقة غداة دخول عبد المومن بن علي الموحدي مدينة تلمسان سنة 539 / 1145 وتسخيره ضدهم لبقية القبائل الزناتية المنافسة ومن بينهم بنو عبد الواد.

والظاهر أن قبائل بني مرين قد عدلت لأمد غير قصير عن الابتعاد عن مجالها الأخير هذا ببلاد الواحات بالمغرب الأوسط فلم تتقدم نحو المغرب الشرقي الحالي حسبما يبدو إلا في مطلع القرن السابع حيث صار لها مجال آخر للرحلة يمتد ما بين فگيگ بالجنوب وأراضي وادي ملوية بالشمال. وبديهي أن حضور هذه القبائل الرعوية المتنقلة هنا على أبواب المنافذ قد ساعدها على القيام بوثبتها الأولى نحو التل سنة 610 / 1213 بمجرد ما ظهر ضعف الحامية بانكسار الجيوش الموحدية بالعقاب ببلاد الأندلس في السنة الفارطة.

انطلاقاً من هذه الوثبة الأولى وفي انتظار سقوط عاصمة الموحدين سنة 668 / 1269 على الأقل، سوف يكون على القبائل المرينية أن تمر في تطورها نحو الحكم من عدة أطوار تندرج في الغالب ضمن سياق جهوي واسع معقد يتجاوز حركتها الخاصة التي ظلت تعيش بالدرجة الأولى على الغارة الظرفية والإتاوة وتحين الفرص إلى أن دخلت في خدمة الحفصيين المنشقين بتونس قبيل منتصف القرن السابع فاكتسحت عامة بلاد المغرب الأقصى كما افتتحت مراكش باسم الخلافة الحفصية وبتفويض منها. أما بعد هذه الفترة التمهيدية المتقطعة الطويلة وتغلب الغزاة بزعامة بني عبد الحق، فالملاحظ أن هناك مرحلتين متقابلتين تقتسمان تاريخ الدولة المرينية حتى مقتل آخر أمراء هذه الأسرة سنة 869 / 1465.

أما المرحلة الأولى فتبدأ بقيام الحكم وتنتهي مع نهاية عهد السلطان أبي عنان سنة 759 / 1358. ولعل من أهم ما يميز هذه المرحلة أنها كانت مرحلة امتداد وتجاوز لفترة البدايات إذ اهتمت بوضع قواعد الدولة وترسيخ الحكم وتبريره مع توسيع رقعة النفوذ بالمنطقة. يتجلى كل هذا باختصار شديد في الأهمية الخاصة التي أعطيت للحملات العسكرية الطويلة المتكررة التي قادها كل من يعقوب بن عبد الحق (656 / 1258 ـ 685 / 1286) في اتجاه الأندلس وابنه يوسف (685 / 1286 ـ 706 / 1307) في اتجاه المغرب الأوسط مع التركيز على إمارة بني عبد الواد بتلمسان قبل أن تأخذ الدولة بعض نفسها لمدة ربع قرن تقريباً أيام أبي ثابت (706 / 1307 ـ 707 / 1308) وأبي الربيع (707 / 1308 ـ 709 / 1310) وأبي سعيد (709 / 1310 ـ 731 / 1331) ليقوم أبو الحسن (731 / 1331 ـ 752 / 1351) بالاستيلاء على مجموع بر العدوة بالشمال الإفريقي مع ضمان حضور قوي متمركز بالحوض الغربي للأبيض المتوسط في انتظار أن يتلقب ابنه أبو عنان بلقب الخلافة على حساب بني حفص. ومن جهة أخرى فإن سلاطين هذه المرحلة قد دعموا توجههم الغالب نحو التصدر والزعامة فأردفوه بسياسة دينية ـ اجتماعية تعتمد المذهب المالكي وتلاحق "بدعة الخوارج" من بقية أتباع الموحدين، كما تقوم على بناء المدارس واستمالة الفقهاء ومحاولة التقرب من رجال التصوف ورعاية أهل البيت. وبالتالي فإن الفترة تبدو في خطوطها الكبرى فترة تألق وتجديد مذهبي وسعة نفوذ وإشراك متعدد المشارب والأبعاد لولا أن اكتنفتها سلبيات جبائية مرتبطة بكل هذا، فانطبعت في عمقها بكثير من التذمر الكمين المتسرب عبر مختلف المجموعات المتساكنة من جراء كثرة الاستنفار وتعدد الجبهات المتطلعة و"اختلاف الأيدي على الرعية".

ولم تلبث هذه الوضعية أن كشفت عن مخاطرها مع بداية المرحلة الثانية عندما برزت ظاهرة تنصيب الأمراء من لدن أعوان الدولة من الوزراء والحجاب ومن بجانبهم من أشياخ القبائل المرينية وزعماء بعض القبائل الأخرى. فكان أن اهتز كيان الدولة من الأساس فانقسمت رقعة البلاد وبادر حكام "مملكة فاس" إلى الاعتراف رسمياً بكل من إمارتي مراكش وسجلماسة ابتداء من منتصف عام 763 / 1363. وكان أن تعاقب الملوك من جهة أخرى بوتيرة غير معهودة حتى الآن فلم تعد تعدو مدة ولاية أغلبية الأمراء "المحجوبين" من سلاطين الفترة كلها إلا سنة فما دونها أو زهاء السنتين باستثناء من قام منهم ضد "أوصيائه" فتخلص منهم كأبي فارس (767 / 1366 - 774 / 1372) ومن نجا بنفسه كأبي العباس الذي نصب مرتين فيما بين سنة 776 / 1374 وسنة 796 / 1393.

ومما يلاحظ بهذا الصدد أن العلاقات بين ضفتي البوغاز قد دنت هنا من المنعطف الذي سوف يؤدي عما قريب إلى احتلال مدينة سبتة على يد البرتغال سنة 818 / 1415. ذلك أن غرناطة المسلمة قد أخذت تستغل الظرفية الجديدة بالمغرب الأقصى بمعية إشبيلية المسيحية أثناء العقود الأخيرة من القرن الثامن فأصبح لكل منهما مرشحوه أيضاً من بين أمراء بني مرين. ومع تردي الأوضاع وتفاحش استياء "الرعية" بسبب التجاوزات المتنوعة وضياع سبتة من حوزة أبي سعيد الثالث (800 / 1398 - 823 / 1420)، فإن أنظار كل من تونس وتلمسان قد أخذت تتجه هي الأخرى نحو العاصمة المرينية عسى أن تؤثر من جهتها على اختيار الأمير "الأنسب" للقيام بالأمر بمدينة فاس.

ومع أننا نكاد نجهل كل شيء عن دقائق الأمور في هذه الفترة الحالكة من تاريخ المغرب الأقصى الوسيط، إلا أننا نعلم أنها جمعت بين تقدم البرتغال نحو السواحل وبين تحفز بقية الجيران بالشرق والشمال مع استمرار الانقسامات الداخلية المرينية وتواتر الحروب بين العاصمة ومجموعة متجددة من الحركات القبلية أو الإقليمية المناوئة كحركة اللحياني بمنطقة الغرب وحركة أنگاد بالمغرب الشرقي وحركات عرب المعقل بالجنوب والجنوب الشرقي برسم محاولة النفوذ نحو السهول الأطلسية وخاصة منها السهول الوسطى والشمالية - الغربية. أما عن "العامة" من الأهالي، فالظاهر أنهم كانوا قد ألفوا اللجوء منذ بداية المرحلة كلها إلى التنظيمات الصوفية المنبثة بالمدن والأرياف بحثاً عن العزاء وتعبيراً عن نوع من العزوف المبدئي والمقاطعة. لذا كان من الطبيعي أن يزداد التعلق بهذه التنظيمات المتطورة تبعاً للأوضاع العامة إلى أن قامت ثورة عارمة بفاس أودت بحياة السلطان عبد الحق بن أبي سعيد الثالث فكان بذلك آخر ملوك دولة بني عبد الحق وبني مرين.

ويبقى بعد هذا أن "العصر المريني" قد خلف من الآثار الاجتماعية والمعطيات الثقافية العامة ما سوف يحدد معالم المغرب الأقصى في "العصر الحديث". من أهم هذه المعطيات وتلك الآثار حركة نزوح كل من قبائل زناتة وقبائل عرب المعقل نحو السهول الغربية عبر جبال الأطلس المتوسط على الخصوص. ومنها بداية الاحتكاك الفعلي والتواصل بين هذه العنصرين بالذات وكذا بين العنصر الزناتي وبقية القبائل النازلة بالسهول المذكورة. ومنها أيضاً بداية رسوخ المذهب المالكي وبالتالي بداية ظهور الوحدة المذهبية ووحدة العقيدة ووحدة الحساسية الدينية بوجه عام سواء من خلال الحياة اليومية أو من خلال المواسم المستحدثة والاحتفالات الشعبية "المبتدعة" بمناسبة عيد المولد النبوي. وأخيراً فإن مقتضيات أسلوب الحكم المريني قد أدت في النهاية إلى إفراز فئة اجتماعية جديدة أصبحت تعي نفسها كطاقة دينية - سياسية وقوة قابلة لأن تكون بديلا ممكناً بالمغرب الأقصى هي فئة الشرفاء.


ابن عذاري، *البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب*، المجلد الثالث، تطوان، 1960 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*،7، بيروت، 1959 ؛ *التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً*، القاهرة، 1951 ؛ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، القاهرة، د. ت. ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار*، الدار البيضاء، 1988 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر، 1981 ؛ ابن عباد، *الرسائل الكبرى*، فاس، 1320 / 1902 ؛ *الرسائل الصغرى*، بيروت، 1976 ؛ ابن السكاك، *نصح ملوك الإسلام*، فاس، د. ت. ؛ أ. الونشريسي، *المعيار المعرب*، 13 ج، بيروت - المحمدية، 1981 - 1983 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1980.

R. Arié, *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides 1232 - 1492*, Paris, 1973 ; R. Brunschvig, *Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XVe siècle...*, Paris, 1936 ; *La Berbérie orientale sous les Hafsides : des origines à la fin du XVe siècle*, 2 vol., Paris, 1940 - 47 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIV siècles*, Paris, 1966 ; M. Garcia - Arenal, *The Revolution of Fas in 869 / 1465 and the death of Sultan Abd-al-Haqq al-Marini*, *B. S. O. A. S.*, XLI, 43 - 66 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen-Age*, Paris, 1986 ; A. Khaneboubi, *Les Premiers sultans mérinides*, Paris, 1987 ; Ma. Shatzmiller, *L'historiographie mérinide*, Leiden, 1982, id ; *Marinides*, *E. I. 2*, vol. VI, 556 - 559; *Relaciones de la Peninsula Iberica con el Magreb, Siglos XIII - XVI, Actas del Coloquio,* editas por M. Garcia-Arenal y Ma. Viguera, Madrid, 1988.


محمد القبلي

**بني مزدوي**، قبيلة تقع بناحية صنهاجية السراير (إقليم الحسيمة حالياً) وتحيط بها قبائل بني ورياغل وبني عمارت وزرقات وتارگيست. تقدر مساحتها بـ 107 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 2749 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية. في القبيلة ثمانية مساجد وضريحان وزاوية وتسعة كتاتيب قرآنية، وتحتوي على تسعة مداشر.

تكون هذ القبيلة في النظام الإداري مع قبيلة زرقات جماعة قروية واحدة اسمها جماعة بن عبو.


ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 343.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y

Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T.II ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926, passim ; *Vademecum de la intervencion territorial del Rif*, 1946, p. 91.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني مَزْكَلْدَة**، إحدى قبائل منطقة جبالة، تقع على الضفة اليمنى لنهر ورغة إلى الشمال من فاس وإلى الغرب من وزان. تحيط بها قبائل بني مسارة من الشمال والغرب، وبني زروال من الشرق، وفشتالة وسطّة من الجنوب. ويعد ابن خلدون هذه القبيلة ضمن المجموعة الصنهاجية.

تتكون أراضي القبيلة من منطقة جبلية في الجزء الشمالي منها، ومنطقة منخفضة الارتفاع في جزئها الجنوبي. لذلك نجد أن الزراعة بالقبيلة تتنوع وتشتمل على مزروعات الجبل (أشجار الزيتون والتين وكروم العنب) ومزروعات السهل (الحبوب). وتكثر في القسم الشمالي مياه العيون وهو ما يسمح بزراعة سقوية تنتج الخضر والفواكه التي يُباع قسط هام منها في الأسواق الأسبوعية للقبيلة والقبائل المجاورة لها.

سكان القبيلة فلاحون مستقرون ويظهر أن موقعهم الحالي هو نفس الموقع الذي وطّنهم فيه ابن خلدون في القرن الثامن (14 م). ويذكرهم الحسن الوزان عند بداية القرن العاشر (16 م) ويشير بصفة خاصة إلى انتاج الزيت الذي كان يستعمل محلياً لصنع الصابون. كما يشير صاحب *وصف افريقيا* إلى وجود العديد من حفظة القرآن والطلبة بهذه القبيلة.

تتكون القبيلة من الأفخاذ التالية : ونّانة، الگزوليون، الزيتون، فراوة، بني بوراشد، بني خالد، بني ربيعة، دار الواد، جامع الواد، أولاد بذر الطرفانية. وكان عدد السكان عند بداية هذا القرن يقدر بحوالي ألفي كانون.

كانت القبيلة في القرن التاسع عشر تابعة لعمالة العرائش مثلها في ذلك مثل بقية القبائل الجبلية، وضمن هذه العمالة كانت القبيلة تابعة لقائد الغرب. ونظراً للطبيعة الجبلية للمنطقة فإن بني مزگلدة لم تكن دائماً خاضعة للسلطة المركزية، خاصة في أوقات ضعف هذه الأخيرة كما كان الحال عند أواخر القرن الماضي. وكثيراً ما اضطر المخزن إلى القيام بحملة تأديبية ضد القبيلة كما حدث في سنة 1882 عندما وجّه المولى الحسن حركة ضد كل من بني مزگلدة وبني مستارة. وفي سنة 1889 عندما قام هذا السلطان بحركته إلى المناطق الجبلية فرض على هذه القبيلة أداء واجب الجباية المؤخر لسبع سنوات.

إن تلاشي السلطة المخزنية بعد وفاة مولاي الحسن قد سمح للقبيلة بالتنصل من جديد من الواجبات المخزنية والتصرف بحرية أكبر تجاه المخزن. وبعد تقسيم المغرب بين فرنسا وإسبانيا سنة 1912 كانت قبيلة مزگلدة من نصيب الفرنسيين، لكن سكان القبائل الجبلية قاوموا لعد سنوات تقدم قوات الاحتلال. وفي سنة 1925 شاركت القبيلة في الهجوم الكبير الذي شنه زعيم الثورة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي على المواقع الفرنسية. ولم تتمكن قوات الاحتلال الفرنسية من اتمام سيطرتها على القبيلة إلا في سنة 1927 بعد أن تحالفت الجيوش الفرنسية والإسبانية ضد المقاومة بالمنطقة.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. حجي والاخضر، الرباط وبيروت، 1983.

Mission scientifique du Maroc, *Villes et tribus du Maroc : Rabat et sa région*, Tome IV : *Le Gharb*, Paris, 1918.

محمد المنصور

**بني مسارة**، قبيلة جبلية صنهاجية تقع شرق مدينة وزان ضمن قبائل جبالة الممتدة على جبال الريف الغربي، ويطلق على هذه المرتفعات التي تشغلها القبيلة مع باقي القبائل المجاورة "جبال الزبيب" وهي امتداد طبيعي لجبال الريف الكبرى. ومناخها هو مناخ البحر المتوسط، حار صيفاً وبارد شتاء ومعتدل ربيعاً. وقد يرجع ذلك إلى كثرة الجبال والنجود والهضاب والروابي، منها ما هو جبلي ومنها ما هو عبارة عن أجزاء هضبية على شكل مسنن متقطع بواسطة الشبكة المائية في إطار التعرية النهرية، لاستقبال المنطقة لتساقطات مهمة خلال فصل الشتاء. ومن هذه المرتفعات : عين سليلان، والكدية، والبياضة، ويسوال، وعبد القادر، وتراسة وقرميم.

تضم القبيلة جملة من الأنهار السريعة الجريان الغزيرة المياه شتاء، إلا أن بعضها يصاب بالجفاف في فصل الصيف. من هذه الأنهار : أَوْضُور، والفحص، وزومي والقشاشدة والزاوية. كما تحتوي على عيون جارية، منها عين الحموية، وفوارة الحمام، ونفزي، وتغنيث. ويمتاز القسم السفلي من القبيلة بالسهول الزراعية والهضاب. وأعلى جبل فيها جبل حجر بني عيش الذي به آثار قديمة.

قبيلة بني مسارة محصورة بين غابتين هما : غابة إيزارن في الغرب وغابة خليعة في الشرق، وهي تعين المنطقة على تربية المواشي وخاصة منها الماعز. وتربض القبيلة المسارية وسط قبائل جبلية تحيط بها من كل الأرجاء وهي بالتتابع : مصمودة (أهل الربع) وسفيان، وبني مالك، وعوف، وسطة، وبني مزگلدة، وبني زروال، وبني أحمد، واغزاوة، ورهونة، ثم مدينة وزان من الجهة الغربية.

يقدر عرض القبيلة من الشمال إلى الجنوب بحوالي 50 كلم وطولها من الشرق إلى الغرب بحوالي 100 كلم، وبذلك تشغل مساحة تقدر بحوالي 5000 كلم$^2$.

أخذت كلمة مسارة من "أمْسار"، وهي مثل كلمة أمغار - وزناً ومعنى - تعني الرفعة والشرف والجاه، وهي كلمة بربرية مشتركة بين برابرة الريف وزمور وسوس، مع شيء من التحريف في النطق والتعبير، فبعضهم ينطق بها بالواو وأوسار، وتعني الشيخ الوقور المبجل الذي يرجع إليه في الملمات كالحروب والشؤون السياسية والاجتماعية والفصل في النزاعات، كما يطلق أوسار على الرجل المُسن العادي. وقد تُنادي المرأة طفلها "يا أمسار" على

وجه التفاؤل. وقد حذفت الهمزة من أول الكلمة، وزيدت التاء بعد السين المسكنة المخففة وتشد السين في مسارة، لذلك تكتب مرة "مَسَّارة" وأخرى "مَسْتارة" وتدل بعض الوثائق والرسوم على أن ذلك يرجع إلى ما قبل الحماية بكثير. ورغم هذا فالكلمة الأصلية كانت تكتب مسارة، والنسبة إليها مساري.

عد صاحب *الحلل الموشية* (ص 186) هذه القبيلة من أعياص البربر حيث قال : الاعياص هم : مسارة، وهوارة، ومغيلة. وقال ابن خلدون في *العبر* (4 : 478) أثناء كلامه على حران ومسار، إن حصن مسار هو الذي ظهر فيه الصليحي وهو إقليم من أقاليم حران. وقال صاحب *الفكر السامي* (4 : 136) قبيلة مسارة حوز وزان، وفيها فرقة أولاد جنون المعروفة بالعلماء والصلحاء.

موطن القبيلة الأول : تشير بعض مذكرات وكنانيش فقهاء القبيلة إلى أن موطن بني مسارة الأول كان بنواحي تازناخت الواقعة حالياً بإقليم ورزازات، وكانت تابعة لمدينة أگادير تاريخياً إلا أن بعض فروعها وطوائفها جاؤوا من كل حدب وصوب كما جاء بعضهم من الجزائر. ( *الاشارة*، 22 ـ 30).

وقد حافظت القبيلة على عروبتها ووحدتها الإدارية والسياسية عبر تاريخها الطويل، منفصلة عن القبائل المجاورة لها وساد بين أفرادها اتحاد كامل ضد كل من رام السيطرة عليها أو إذلالها من القبائل المتصلة بها، ولا سيما قبل الحماية أو أثناءها، وكم جرَّت هذه الحمية على القبيلة من الويلات والحروب، ولم تتوقف هذه الحروب إلا باستيلاء الجيوش الفرنسية على بني مسارة سنة 1927.

الحالة الإدارية : كانت قبيلة بني مسارة قديماً تنتمي إلى عمالة مدينة فاس في عهد القائد محمد بن محمد القيسي الوطاسي (1258 ـ 1290 هـ) وظلت على هذا الحال حتى انتقلت العاصمة من فاس إلى الرباط بعد الحماية فأصبحت تابعة للرباط إدارياً إلى أن أنشئ إقليم القنيطرة سنة 1958 فأضحت القبيلة تابعة له. وفي سنة 1974 انقسمت القبيلة إدارياً إلى قسمين :

1 ـ قسم جبالة أضيف إلى إقليم شفشاون سنة 1974 بعد نشأته.

2 ـ قسم لُوطا بقي خاضعاً لإقليم القنيطرة حتى نهاية سنة 1982، عندما أنشئ إقليم سيدي قاسم فأضيف إليه هذا القسم من القبيلة. وكان لهذا التقسيم الأثر البالغ في نفوس السكان بافتقاد الوحدة التي عرفتها القبيلة طيلة حياتها السياسية.

ـ القسم العلوي من القبيلة قاعدته زومي، التي تضم كل المصالح الإدارية والاجتماعية وتحتوي على 25 دائرة انتخابية، ومن أعضاء هذه الدوائر تتكون الجماعة القروية لزومي، وعدد سكان الجماعة حسب إحصاء سنة 1982 هو 34.706 نسمة، وتضم الجماعة ست فرق هي : فرقة الشرفاء، وبوقرة، ومشيوة، وأولاد خيرون، والجحرة التي أضيفت إليها فرقة بني راوس، وبني يمل التي أضيفت إليها فرقة بني قيس، والمركز القيادة، وبهذا الجزء من القبيلة نسبة عالية من التمدرس حيث يضم سبع مجموعات مدارس ابتدائية، وإعدادية، وثانوية.

ـ القسم السفلي وقاعدته سيدي رضوان وبه كل مصالحه الإدارية والاجتماعية ويحتوي على 25 دائرة انتخابية، ومن أعضائها تتكون جماعة سيدي رضوان التي يبلغ سكانها 29.192 نسمة حسب إحصاء سنة 1982. وبجماعة سيدي رضوان توجد فرق : أولاد جنون، وجحر بني عيش، وبني كلّة. ونشير إلى أن نسبة التمدرس فيها أقل من الجزء الأعلى، ففيها أربع مجموعات مدارس ابتدائية، وإعدادية واحدة.

تاريخ وأحداث : كانت قبيلة بني مسارة من أنصار المرابطين في حروبهم، كما كانت من أعداء المصامدة أيام حكمهم للمغرب، وقد عامل هؤلاء المساريين معاملة قاسية أثرت عليهم في حياتهم السياسية مع كل الدول المتعاقبة على حكم المغرب. وأول ملك تذكر المصادر التاريخية زيارته لبني مسارة هو أبو فارس المريني حوالي سنة 786 ـ 788، وهو في طريقه إلى غمارة لمحاربة بعض الخارجين عليه. كما زارها المولى إسماعيل ونزل بمكان يقال له "الكنيّر". ومازال هذا المكان يعرف بخزانة المولى إسماعيل أي خيمته.

وفي سنة 1258 / 1842 عين المولى عبد الرحمان بن هشام على القبيلة الشيخ محمد بن محمد القيسي الوطاسي حاكماً فدام حكمه إلى سنة 1290 / 1873، حيث تألب عليه سكان القبيلة وأهل اغزاوة وأرادوا قتله إلا أنه فر إلى فاس، وكان قاسياً يطبق الأحكام العرفية على جل السكان، وقد بنى على كاهلهم قصره بعين أقطار، وقصر الرَّوَى الذي هدمته الجيوش الفرنسية وبنت بأحجاره القيادة الحالية، وكان يسمي القبيلة "بني مَرْد" ويعني بذلك أهل الفوضى والشعب.

وفي 18 ربيع الأول عام 1306 زار المولى الحسن الأول بني مسارة ونزل شرق القبيلة بمكان يقال له خولان، لتأديبهم على عزل الوُلاة وإثارة الاضطرابات، إلا أنهم توسلوا إليه بحفاظ القرآن فعفا عنهم. كما زار بني مسارة المولى عبد العزيز ونزل بسيدي بودومة أسفل القبيلة، وعاقب رؤساء الفتنة وقتل منهم سبعين رجلا.

وضع بنو مسارة حداً لثورة بوحمارة يوم 5 شعبان عام 1327 / 21 غشت 1909، وكان ذلك في ضريح مولى عمران جد الشرفاء العمرانيين، وقد سُلّم بعد القبض عليه إلى الجيش الحفيظي الذي نقله إلى فاس حيث أعدم هناك. كما شارك المساريون في ثورة الريف (1921 ـ 1926) وقهر الجيوش الفرنسية بجبل يسوال سبع سنوات (1920 ـ 1927)، وزارها البطل الريفي محمد بن عبد الكريم الخطابي سنة 1343 / 1924 ـ 1925، وسلم شرفاء القبيلة ظهائر التوقير والاحترام، وعيّن من رجالها بعض قواد المائة لجيش الريف.

وفي سنة 1927 وقعت معركة القشاشدة التي لقن فيها رجال القبيلة العدو أقسى الدروس في المقاومة، فقتلوا مئات الجنود، ومن ضمنهم القائد العسكري على المنطقة، واستطاع رجال القبيلة أن يقاوموا الاحتلال الفرنسي سنة كاملة بعد سقوط أجدير ونفي الزعيم الريفي، ولم يستسلم بنو مسارة إلا بعد سنة 1927.

وفي يوم 25 يبراير سنة 1951 زار القائد الفرنسي المقيم بوزان والمسؤول عن منطقة الريف الغربي القبيلة واختار منها رجالا سلحهم بالهراوات وأرسلهم إلى الرباط، وكان الغرض من هذه اللعبة تهديد الملك محمد الخامس، ووصل هؤلاء الرجال إلى مدينة سلا وأخذت لهم بعض الصور ثم أعيدوا إلى القبيلة في اليوم الموالي.

وفي يوم 16 يناير سنة 1952 ألقت السلطة الفرنسية القبض على ثلة من الفقهاء العاملين في الحركة الوطنية، ونقلوا إلى سجن العدير وحكم عليهم سنتين سجناً، ولم يطلق سراحهم إلا يوم 16 يناير سنة 1954، وكان عدد هؤلاء عشرة رجال، وقد منعت السلطة الفرنسية اتصال الناس بهم بعد خروجهم من السجن.

وأخيراً زار محمد الخامس بني مسارة يوم 18 ربيع الأول عام 1359 / 1940، ونزل بالمكان الذي نزل فيه المولى إسماعيل. وكان المساريون قد شاركوا في أعمال المقاومة والفداء بعد نفي محمد الخامس وتحملوا نصيبهم من السجن والمعاناة إلى أن تحقق الاستقلال.

مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 4 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ أ. المنجور، *فهرس* ؛ ع. البكاري، *الإشارة والبشارة*.

عبد السلام البكاري

**بني مسكين**، قبيلة تقع في الجهة الجنوبية الشرقية ضمن مجال اتحادية الشاوية الممتد بين واد أم الربيع جنوباً وواد الشراط شمالاً. وتنتشر مواطن بني مسكين بين قبائل أولاد بوزيري وأولاد سيدي بنداود في الغرب والشمال الغربي والسراغنة والرحامنة في الجنوب، حيث يفصل بينهما واد أم الربيع. ويحدها من الشمال مزاب وورديغة ومن الشرق بني عمير وبني موسى.

تنقسم قبيلة بني مسكين إلى خمس عشرة فخذة وهي : عَيْن بْلال، بني خْلوگ، ليسَاسْفة، أولاد بوعلي، أولاد الجامعي، أولاد العكارية، أولاد سيدي بوقفا، أولاد سيدي مسعود، أولاد فارس، أولاد فريحة، أولاد سيدي يحيى بن يعيش، أولاد عامر، لَخْناسْة، لَقْرافْرة، أولاد عَبّو. ويعد أولاد عامر أكبر هذه الفخذات، إذ ينقسمون بدورهم إلى عدة بطون هي : أهل الربطة، لَمْسَاسَهْ، أولاد حميدة، أولاد حمو، أولاد سالم (*Répertoire Alphabétique*, 42 - 45).

يبدو أن مجال قبيلة بني مسكين لم يكن كثيف الاستيطان قبل عصر الموحدين، ذلك أن المنطقة كانت تبدو خالية، لذلك قصدها بعض اللاجئين من جهات بعيدة، لا سيما في القرن الرابع (10 م) حيث تميزت تلك الحقبة بسيادة عدة اضطرابات، منها ما ارتبط بالقحوط والمجالات التي شهدتها البلاد آنذاك ؛ (*الاستقصا*، 1 : 192 - 193) ومنها ما كان ناتجاً عن المذابح التي دبرها موسى بن أبي العافية وأبناؤه ضد الأدارسة (ن. م. س 186 - 187).

ويعتقد كثير من بني مسكين أن بعض الأدارسة وفدوا على أرضهم واستوطنوها. ومن أشهر أولئك الأدارسة الشيخ عبد الله بن عبد الغني الذي ما تزال ذريته إلى اليوم في عين بلال. ولاشك أن حلول ذلك الرجل بتلك المنطقة المخوفة ذات التربة الفقيرة كان بسبب الخوف من الوقوع في أيدي آل ابن أبي العافية ؛ لكنه ربما كان له الفضل وهو شريف يمكن أن يلوذ به كل مضطهد أو مظلوم، في تعمير تلك البلاد فيما بعد.

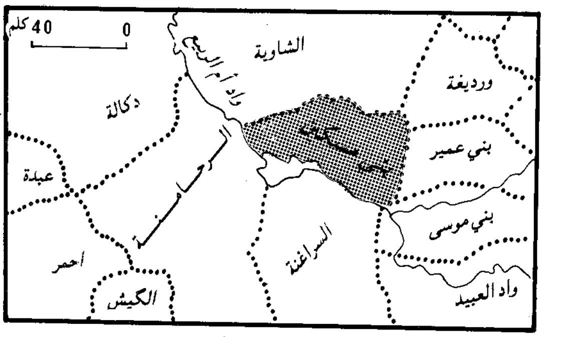


موقع بني مسكين

ومهما يكن من أمر فإن المصادر تشير إلى أن بني مسكين قد دخلوا إلى المغرب زمن السلطان أبي الحسن المريني وأن أصلهم يرتبط بعرب بني سليم (*العبر*، 6 : 108)، الذين ظلوا يشاغبون مدة على السلطان المذكور بإفريقية، (*الاستقصا*، 3 : 158). وبذلك انضافوا إلى القبائل العربية - من جشم وهلال - الذين جلبهم يعقوب المنصور الموحدي إلى المغرب سنة 580 / 1188 "وأنزلهم تامسنا" (*العبر*، 5 : 428). وليس معنى هذا أن بني مسكين كلهم عرب، بل من الممكن أن تنضم إليهم عناصر بربرية ؛ ذلك لأن السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني نقل قبائل أخرى - من العرب والبربر - من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى، ووطنهم كذلك بالشاوية (التقي العلوي، 118)، بالإضافة إلى القبائل العربية التي كان جلبها يعقوب المنصور الموحدي إلى المغرب قبل ذلك.

ولا نعرف ما إذا كانت قبيلة بني مسكين قامت ببعض الأدوار السياسية أو العسكرية في عهود بني مرين والسعديين، لذلك لم تذكرهم المصادر المعروفة. وأول إشارة إلى بني مسكين جاءت في مصدر أجنبي ومن طريق غير مباشر. ففي عهد السلطان إسماعيل مرت الحركة السلطانية المتوجهة من مكناس إلى مراكش وسط قبيلة بني مسكين، في سنة 1722. ويذكر طوما پيلّوْ الذي شارك في تلك الحركة أن سكان البروج استقبلوا الجيش السلطاني بمزيد من الحبور. (*Relation*, 102).

وفي عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله كانت

قبيلة بني مسكين من ضمن عمالة السراغنة الممتدة آنذاك من اكلاوة إلى بني مسكين. وكانت هذه العمالة الواسعة إلى نظر القائد محمد الصغير السرغيني ( *المجتمع المغربي*، 143). وتفيد الرواية الشفوية أن بني مسكين أصبحوا تابعين بعد ذلك لقيادة بني موسى. وفي سنة 1203 / 1788 وجه نفس السلطان حركة إلى بني مسكين تأديباً لهم لأنهم آووا بعض العناصر من قبيلة مزاب الذين ثاروا على قائدهم عبد الله الرحماني (*عبير الزهور*، 159). وربما كان ذلك إيذانا ببداية ظهور بني مسكين على الساحة السياسية.

وفي عهد السلطان اليزيد نجدهم في حرب مع مزاب ووردیغة ( *الضعيف*، 219) ويتواتر منذئذ ذكر قبيلة بني مسكين في المصادر، ذلك لأن ترابهم صار طريقاً مطروقة من قبل مختلف السلاطين أثناء تنقلاتهم بين العاصمتين مراكش وفاس. وكانت محلاتهم تتخذ من قصبة البروج نزلا للاستراحة قبل مواصلة الطريق (*معلمة المغرب*، البروج). وهكذا تأثرت قبيلة بني مسكين بمختلف الأحداث التي عرفتها البلاد منذئذ. ففي بداية حكم المولى سليمان نجد بني مسكين في مدينة فاس. ( *الضعيف*، 292). وفي سنة 1224 / 1809 يشير نفس المصدر إلى أن السلطان قد بات ببني مسكين أثناء رجوعه من مراكش إلى فاس (ن.م.س. 347).

وفي سنة 1230 / 1815 نجدهم في حرب مع جيرانهم أولاد بوزيري، هذه الحرب التي دامت أكثر من أسبوعين، (ن.م.س. 389 ـ 390). وذكرهم الرحالة الاسباني خواكين گاتيل في *رحلته*. ففي يوم 22 مايو من سنة 1862 اجتازت الحركة السلطانية المتوجهة إلى مراكش لقمع ثورة الرحامنة بأراضي بني مسكين. ومعلوم أن گاتيل هذا كان على رأس طبجية السلطان آنذاك. وقد أشار إلى أن بني مسكين شرعوا في الحصاد قبل حلول الحركة بين ظهرانيهم (گاتيل، 83). لعل ذلك مرتبط بإشارة وردت في *إتحاف أعلام الناس* (2 : 117)، تفيد أن قبيلة بني مسكين "تنحرفت عن الجادة"، فبعث إليهم السلطان محمد بن عبد الرحمن بابنه مولاي الحسن لتأديبهم. ولعل ذلك قد ارتبط بالقلاقل التي عمت معظم جهات البلاد في السنوات الأولى من حكم ذلك السلطان. ومن الممكن أن الجيوش السلطانية التي كانت متوجهة آنذاك إلى الرحامنة عاثت في زروعهم ونهبت مواشيهم. وقد أشار گاتيل إلى أن المخزن كثيراً مّا أحرق الزروع وأطلق أيدي الجيوش فيها، إما من أجل التخويف أو التأديب. كما تفيد إشارة "انحرفت عن الجادة" إلى أنها لم تكن من بين القبائل التي اعتاد المخزن خروجها عن الطاعة (ن. م. س).

وفي الإصلاح الجبائي الذي قام به السلطان محمد بن عبد الرحمن كانت قبيلة بني مسكين من القبائل التي ساهمت بانتظام في دفع الضرائب في القرن الثالث عشر (19 م) (عياش، 13). ففي سنة 1865 فرض المخزن على قبائل الشاوية دفع 150.000 ريال. ناب منها بني مسكين 15.000 ريال. ويستنتج الأستاذ عياش أن ما ناب هذه القبيلة تضاعف أربع مرات ومع ذلك يظهر أنها لم تُبد أية معارضة.

ومع ظهور القائد الشافعي المسكيني يبدو أن قبيلة بني مسكين تألق نجمها، لا سيما وأن هذا الرجل أظهر شهامة وصرامة في تدبير الأمور. ففي عهده الذي لا نعرف متى ابتدأ، أصبحت القبيلة تحت قيادة مستقلة، تدار انطلاقا من قصبة الشافعي الموجودة في تراب أولاد العكارية. وترجع المكانة التي تبوأها القائد الشافعي العكاري المسكيني إلى الخدمات التي أسداها إلى المخزن، وخاصة في عهد السلطان مولاي الحسن. فقد بعث هذا السلطان بالقائد المذكور ليأخذ له الثأر من غياثة الذين هزموا المحلة السلطانية مرتين متتاليتين بجبال الأطلس المتوسط. فقام هذا القائد بمعية إخوانه من بني مسكين بحسم مادة التمرد وأوقع بالقبيلة المذكورة "فشكر السلطان صنيعه وأثنى عليه" ( *إتحاف*، 2 : 160 ـ 161).

ولما قبض السلطان على ابن البشير وصهره "رأسي الفتنة" بعث بهما مع "القائد الشافعي المسكيني وإخوانه" وهكذا تصدر هذا القائد للمهمات الخطيرة في عهد السلطان مولاي الحسن. وظل كذلك على ولائه حتى وفاته سنة 1308 / 1890.

يظهر أن قبيلة بني مسكين قد صارت من القبائل التي يمكن للمخزن أن يأمن غوائلها. بل أصبحت من القبائل المقربة من المخزن. لذلك شكلت مرحلة من مراحل الطريق السلطانية المعتادة حتى فرض الحماية سنة 1912. فحين توفي السلطان مولاي الحسن سنة 1311 / 1894 بدار ولد زيدوح من بني موسى، كتم الوزير أحمد بن موسى البخاري موت السلطان ولم يعلنها إلا بعدما ألقت الحركة عصى التسيار بقبيلة بني مسكين. هنالك عقد الوزير المذكور اجتماعا مع أعضاء المخزن بجامع البروج، وأعلن عن وفاة السلطان، ونصر ابنه عبد العزيز ( *إتحاف*، 5 : 372). بل لقد أطلقت المدفعية خمسين طلقة واستراح الناس وتم غسل جثة السلطان المتوفى (Arnaud, 84). إذن ما كان يتم كل ذلك في هدوء واطمئنان لولا أن قبيلة بني مسكين لم تكن "ممخزنة" ولعل هذه الوضعية هي التي جعلت السلطان عبد العزيز يوجه فيما بعد الدعوة إلى قبيلة بني مسكين ـ ضمن قبائل أخرى ـ لتبعث بمندوبين عنها إلى فاس قصد المساهمة في دراسة المطالب الفرنسية التي قدمها السفير الفرنسي طايا نديبه إلى السلطان سنة 1322 / 1905 (*مظاهر*، 2 : 191 ـ 192).

وعلى إثر مقتل الطبيب الفرنسي موشان سنة 1907، احتلت فرنسا مدينة وجدة، فاضطربت الأحوال في عدة جهات من المغرب ولا سيما في الشاوية، ومن ضمنها قبيلة بني مسكين. ولتدارك الأمر وجه السلطان رسائل إلى مختلف القبائل، منها رسالة وجهها إلى بني مسكين يحذرهم فيها من القيام بأي رد فعل ضد الفرنسيين، لأن

المفاوضات كانت جارية بين المخزن وفرنسا من أجل تسوية القضية. يتضح من الرسالة التي افتتحها السلطان بـ"خدامنا الرضين قبيلة بني مسكين..." أن للقبيلة وضعية في سياسة المخزن العامة خاصة وأنها تقع بين قبائل سريعة الفوران مثل الرحامنة وبني موسى وغيرها (الوثائق الملكية).

وفي أثناء الصراع بين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ يظهر أن قبيلة بني مسكين قد أبدت تمسكها ببيعة المولى عبد العزيز، لا سيما وأن بني مسكين كانوا مرتبطين بهذا السلطان عن طريق المصاهرة. فقد أهداه قائدهم ابن الشافعي إحدى بناته. لكن المولى عبد الحفيظ أسرها في نفسه ولم ينسها للقائد حسن بن أحمد بن الشافعي. فعندما انتصر على أخيه، اهتبل فرصة مروره ببني مسكين فاحتال على القائد المذكور واعتقله مدة ثمانية عشر شهراً، إلا أنه عفا عنه بعد هذا الامتحان وعينه قائد رحى. فاستمر في قيادته على قبيلته حتى انعقاد الحماية. فكان من ضمن القواد الذين خلعتهم سلطات الحماية وعوضته بمخزني يدعى محمد بن بوحافة سنة 1913 الذي دخل في خدمة الفرنسيين ومهد لهم الطريق إلى قصبة الشافعي أولا ثم إلى البروج بعد ذلك. وبالمقابل قامت السلطات الفرنسية بمصادرة أملاك القائد القديم واحتلت قصبته وأرغمته على الانتقال إلى مدينة مراكش حيث مكث حتى وفاته سنة 1916. وبذلك انتقلت قيادة بني مسكين من أولاد العكارية إلى فخذة ليساسفه أهل محمد بوحافة.

وبسبب وجود هذا القائد الموالي للسلطات الفرنسية، وبسبب الظروف الطبيعية لم تكن سنة 1914 قد انصرمت حتى اكتمل خضوع قبيلة بني مسكين للمخزن الجديد... لتحول مركز القبيلة إلى قصبة البروج التي صارت ملحقة إلى نظر مراقب مدني تابع لمنطقة الدار البيضاء (Répertoire alphabétique, 40). وقد بلغ عدد سكان قبيلة بني مسكين 41.785 نسمة، حسب إحصاء سنة 1936.

وفي ميادين العلم والقضاء والتصوف كان لبني مسكين حظها الوافر. ففي الجانب العلمي نذكر المعطي الشاوي القرقوري المتوفى بسطات (*إتحاف*، 4 : 314) الذي كانت له صداقة خاصة مع ابن زيدان بمكناس. وفي ميدان القضاء محمد بن الطالب المسكيني (ظهير توليته مؤرخ في 19 جمادى الأولى عام 1331). وفي مجال التصوف ينبغي أن نشير إلى زاوية عين بلال التي ظلت سند العلم والدين طيلة قرون في تلك المنطقة المنعزلة.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 5، 6 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن زيدان، *اتحاف* ؛ *العز والصولة* ؛ المعروفي، *عبير الزهور* ؛ ج. عياش، *الأزمة المالية* ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة* ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*... البحث العلمي (33) ؛ مديرية الوثائق الملكية، مجلة... ؛ أ. عمالك، *البروج، معلمة* (4) ؛ خواكين گاتيل، *رحالة المغرب* ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي* ؛ *التحري الميداني ووثائق خاصة*.

T. Pellow, *Relation*.... ; *Répertoire alphabétique*...

أحمد عمالك

**بني مصالة**، أو مزالة بزاي مفخمة، معدودون ضمن تقسيمات قبيلة كتامة الجزائر، ومازالت بقاياها إلى اليوم بالقرب من بجاية وجيجل. وتتمثل بقاياها بالشمال الغربي المغربي، بجوار حدود سبتة، غرب واد المناول (حالياً كنديسا) في قرية صغيرة واقعة على السفح الشرقي "تارسيف". أشار إليها محمد الأنصاري صاحب كتاب *اختصار الأخبار*، في بداية القرن الثامن الهجري (15 م). وعاصر سكان القرية نزول البرتغاليين بسبتة، كما عانوا هم بدورهم ما عاناه سكان تلك الجهات من غاراتهم المباغتة على تلك النواحي، وأولى تلك الغارات مؤرخة بيوم 3 ديسمبر 1416. وكانت آنذاك معدودة ضمن قرى وادي متنة، المعروف إلى اليوم بالاسم البرتغالي "كستييخوش".

م. الأنصاري، *اختصار الأخبار*، 56 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 106، أطروحة غير منشورة، الرباط، 1990 ؛ ع. بن منصور، *قبائل المغرب*، 321.

Gomes Eanes de Zurara, *C. do D. Padro*, chap. 26, p. 99.

حسن الفكيكي

**بني مْصَـوَّرْ**، قبيلة تقع بناحية جبالة وينتمي قسم منها إلى إقليم تطوان والقسم الآخر إلى إقليم طنجة. تحيط بها قبائل وادراس وبني يدر وجبل حبيب والفحص. تقدر مساحتها بـ 272 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1949 هو 14.244 نسمة يتكلون باللهجة العربية الدارجة، وتوجد بهذه القبيلة قصبة قديمة بالقرية المعروفة بدار الشاوي، كما تتوفر القبيلة على أربعة وخمسين مسجداً وخمسة عشر ضريحاً وزاويتين وستين كتاباً قرآنياً وثلاث مدارس للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى فرقتين : الحيط الفوقي وبها 43 مدشراً، والحيط السفلي وبها 16 مدشراً. وفي النظام الإداري تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة اثنين بني حرشن التابعة لإقليم تطوان، وجماعة دار الشاوي التابعة لإقليم طنجة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 115.

Carta de Battista Agnesi, 1524 ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, p. 36 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos*, p. 87.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني مَطْهَر**، قبيلة عربية تستوطن المنطقة المحيطة برأس العين جنوب مدينة وجدة، ويمتد مجالها الترابي على شكل دائري حول رأس العين التي تعتبر الحد الفاصل بين منطقة التل ومنطقة الظهرا، أما أصول القبيلة فهي غير معروفة على وجه التحديد، غير أن بعض المصادر، بناء على الرواية الشفوية، اعتبر أن بعض عناصرها وفدت من الساورة والبعض الآخر وفد من الساقية الحمراء في تاريخ غير محدد. خضعت القبيلة دائماً للقبائل المجاورة، فبعد أن كانت تابعة للأحلاف في منتصف القرن التاسع عشر أيام

تألق نجم القائد بوزيان الشاوي، تحولت إلى تبعية المهاية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد اتخذ قائد المهاية من عين بني مطهر مركزاً مستقراً له وشيد به قصبة سنة 1899.

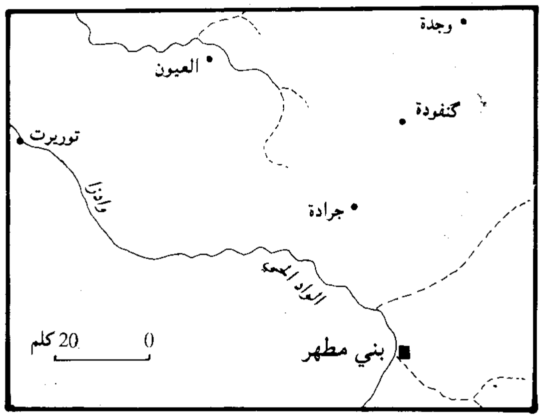


موقع بني مطهر

بعد توقيع اتفاق 20 أبريل 1902 بين المغرب وفرنسا، صارت عين بني مطهر سوقاً مشتركة، وكان هذا السوق كثير الرواج فيما يخص الماشية، فأُتي إليه بالأجلاب من بني گيل والشجع والمهاية، وكلها قبائل اشتهرت بكسب المواشي، وقد استغلت فرنسا أحداث الثائر بوحمارة، ففرضت اتفاقاً على أعيان قبيلة بني مطهر يوم 28 فبراير 1904، وبموجبه تنازلت القبيلة عن قطعة أرض للسلطات الفرنسية قصد بناء سوق وحامية للجيش الفرنسي بالإضافة إلى استغلال مياه رأس العين. استغلت فرنسا موالاة بني مطهر للروگي ورغبتهم في الإفلات من عقاب المخزن، ففرضت عليهم الاتفاق المذكور، خصوصاً بعد أن استقر بوعمامة البوشيخي قرب مضاربهم، وبعد ذلك بقليل وقع احتلال رأس العين (15. 6. 1904)، فتمركزت بها قوة عسكرية فرنسية، وأطلقت اسم برگنت (Berguent) على الموقع المحتل، وقد استعادت رأس العين اسمها الأصلي بعد الاستقلال، وصارت مركزاً حضرياً من إقليم وجدة.

ع. إسماعيلي العلوي، *تاريخ وجدة وأنگاد*، 1 : 235. 241 ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي*، ص. 68. 69، 329. 330، 352. 353.

La Martinière et Lacroix, *Documents* ; T. 1 ; A. Cour, *Notes sur la région de Berguent, B. S. G. A. O.*, 1909, p. 31 - 77 ; C. Galinier, *Les Béni Mathar de Ras El-Aïn, Berguent, B. S. G. A. O.*, 1917, p. 129 - 174 ; Lt. Gaquière, *Berguent Ras El-Aïn 1904 - 1906, B. S. G. A. O.*, 1913, p. 21 - 82 et 112 - 153.

عكاشة برحاب

**بني مطير**، اتحادية صغرى أو قبيلة كبرى، تحتل حالياً حيزاً مهماً من هضبة سايس، تنحدر من أيت إدراسن الذين كانوا يشكلون قبل القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، فرقة من مسوفة إحدى قبائل صنهاجة اللثام التي كانت مضاربها في الصحراء الغربية، جنوب جبال درن (*آثار التدخل الأجنبي*، 1 : 8). ومع قيام الحركة المرابطية، اضطر أيت إدراسن، ومن ضمنهم قبيلة بني مطير إلى الهجرة نحو الشمال الشرقي، تحت ضغوط طبيعية واقتصادية وبشرية، فقد ورد الحديث في مخطوط بزاوية سيدي بوكيل، عن وجود أيت إدراسن في أعالي زيز وغريس منذ القرن الخامس الهجري (11 م) (*La vie pastorale*, 14) وحسب نفس المصدر، فإن هذا القبيل وفد على تلك المنطقة قادماً من تافيلالت حوالي سنتي 1012. 1013 م. وكانوا في هذا العهد يمثلون فرقة من صنهاجة القبلة ضمن جماعة أهل تيارت التي كانت تضم أهل فركلة وتُدغة وغريس وملوانة. (*المقتبس*، 55). وكانت مواقعهم في هذا الوقت في المصبات الجنوبية للأطلس الكبير. وقد استقر هؤلاء القوم على ضفاف واد زيز وغريس، وامتهنوا الزراعة والتجارة والحرف، وبنوا القصور. (*الإحيا*، 7)، وظلوا هناك مدة من الزمن إلى أن اضطروا، تحت فعل الضغط المعقلي ومضايقة اتحادية أيت عطا لهم، إلى استئناف الرحلة نحو الشمال. (*آثار التدخل الأجنبي*، 1 : 17. 18). فعندما ترجم صاحب *الإحيا والانتعاش* (ص. 18) لمحمد بن أبي بكر العياشي، ذكر أن بني مطير زمن هذا الشيخ (991. 1067) كانوا ينتجعون في أحواز ملوية. وقد توقفت هذه القبيلة مدة من الزمن في هذه المنطقة قبل أن تستأنف الهجرة نحو الشمال في اتجاه واد گيگو، قبل وصولها إلى هضبة سايس موطنها الحالي. ومازالت آثارها قائمة في نواحي ملوية، حيث يوجد هناك قصر يحمل حتى الآن اسم قصر بني مطير.

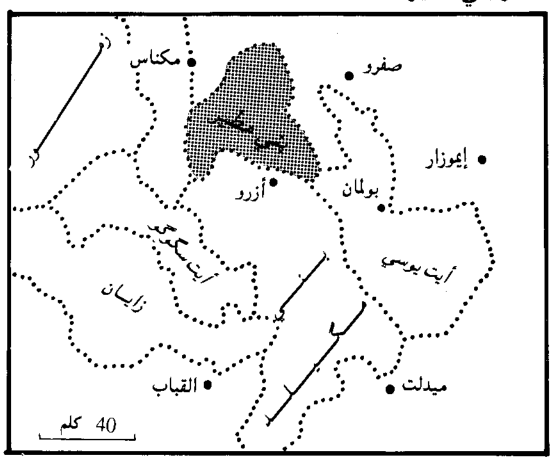


موقع بني مطير

ومنذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري (17 م) دخل أيت إدراسن ومعهم بنو مطير في احتكاك مباشر مع السلطات المركزية الحاكمة، وخضعوا لنفوذ الدولة، فقد أصبح بنو مطير منذ سنة 1636 يشكلون عصبية الإمارة الدلائية وحميتها، وأنزل السلطان محمد الحاج الدلائي كلا من بني مطير ومجاط وأيت يمور وأيت إسحاق وگروان في مدينة الدلاء، وتمكن بواسطة هذه القبائل من امتلاك أهم مناطق المغرب لمدة تزيد على ثلث قرن (*الزاوية الدلائية*، 153). وبعد وصول الأسرة العلوية إلى الحكم وقف المطيريون إلى جانب محمد الحاج الدلائي إلا أنه بعد تغريب الدلائيين وتخريب زاويتهم، وبعد حركات السلطان المولى إسماعيل في الأطلس المتوسط، انحاش بنو مطير وأيت إدراسن إلى الأسرة العلوية وخضعوا لسلطتها، وأصبحوا

يشكلون شيعة الدولة وعصبيتها (*آثار التدخل الأجنبي*، 20 . 21). وصار المخزن يعتمد عليهم ويسخرهم لتنفيذ أدواره السياسية والعسكرية في المنطقة. ومنذ هذا التاريخ أصبحوا أيضاً يشكلون حزاماً بشرياً واقياً يحول دون نزول قبائل اتحادية أيت أُومالو التي كانت تسعى تحت ضغط القبائل الصاعدة من الصحراء للوصول إلى السهول والهضاب الخصبة. وقد وقف بنو مطير وأيت إدراسن طيلة العصر العلوي الأول إلى جانب الدولة في حروبها مع أيت أُمالو. ولعبت أسرة محمد واعزيز المطيري أدواراً سياسية وعسكرية مهمة في المنطقة (*آثار التدخل الأجنبي*، 1 : 21 . 28). إلا أنه بعد تقاعس أيت إدراسن على السلطان مولاي سليمان في معركة زيان (1234 / 1818) تدهورت العلاقة بين بني مطير والسلطة المركزية، بسبب تجبر أيت إدراسن وطغيانهم في المنطقة. وفي هذه الفترة صار بنو مطير وأيت إدراسن يشكلون خطراً على الدولة نفسها. وقد ازدادت في هذا التاريخ ضغوط قبائل الجبال، وكثرت انتفاضاتهم مع وصول قبيلة كروان إلى مشارف هضبة سايس. ولم تهدأ الأحوال في هذه الناحية إلا في عهد مولاي عبد الرحمان. فعند توليه السلطة ، لجأ إلى نقل أيت يمور وملوان من مواطنهم وغربَّهم إلى نواحي مراكش وأنزل قبيلة بني مطير في بسيط سايس ونفذ لها الأرض هناك ( *اختصار الابتسام*، 381). وبذلك انحاز بنو مطير من جديد لجانب المخزن وخضعوا لسلطته وصار القواد يضطلعون في المنطقة بأدوار سياسية وعسكرية رائدة لصالح الدولة. ومنذ ذلك الحين، تصدع أيضاً حلف أيت إدراسن وافترقت كلمته، ولم تعد قبائله تقوم أو تقعد تحت لواء واحد. وقد تميزتاريخ بني مطير طيلة القرن التاسع عشر بتمرد كثير على السلطة بسبب ثقل وطأة الجباية وضعف إمكانيات السكان المادية. وانتهت تلك الأحداث بحصار لمدينتي فاس ومكناس في ربيع 1911، وتدخل فرنسا لفك ذلك الحصار وفرض نظام الحماية على البلاد (*آثار التدخل الأجنبي*، 2 : 374).

تنقسم قبيلة بني مطير من الناحية المورفولوجية إلى عشرة عظام هي : أيت حماد، أيت وارتيندي، أيت إيقدرن، أيت بورزون، أيت بومدمان، أيت حرزلا، أيت نعمان، أيت سليمان، أيت عياش، أيت ولاَّل (*Voyage au Maroc*, 11 : 116) وكان عدد سكانها سنة 1879 يقدر بحوالي 44.000 نسمة (*آثار التدخل الأجنبي*، 1 : 82). وكانت هذه القبيلة تعيش على الرعي ونصف الترحال وتعتمد في عيشها على الزراعة وتربية الماشية. وكان نشاطها التجاري يتم في غالبيته في مدينتي فاس ومكناس. وكان مركزا الحاجب وأكوراي سوقين ثانويين تلجأ إليهما القبيلة وقت انسداد فاس ومكناس في وجهها أيام توتر علاقاتها بالسلطة المركزية، وبالرغم من تمردها طوال القرن التاسع عشر، فقد تمكن المخزن من بسط سيطرته على القبيلة والإمساك بزمام الأمور فيها. ولهذه الغاية قسم القبيلة إلى عدة إيالات صغيرة، تعاقب على حكمها عدد من العمال المنتمين جميعاً إلى أهلها، فقد ورد في إحدى الوثائق أن بني مطير في أوائل العهد الحسني كانت مقسمة إلى سبع قيادات على رأسها سبعة قواد موزعون على عظامها كما يلي :

أيت عياش : قائدها عبد الوهاب العياشي.
أيت ولاَّل : قائدها محمد بن التهامي الولاَّلي.
أيت بورزون : قائدها يوسف البورزوني.
إقدارن : قائدها حمو والحاج القداري.
أيت بومدمان : قائدها لحسن بومدماني.
أيت حرزلا : قائداها محمد وهبي الحرزلاوي، وعَقّ وسلو الحرزلاوي.
أيت نعمان : قائداها محمد أُبراهيم النعماني، وبوعزة بن لحسن النعماني.

أ. البيدق، *المقتبس من كتاب الأنساب*، الرباط، 1971 ؛ ع. العياشي، *الإحيا والانتعاش*، مصور خ. ع.، الرباط رقم د، 1433 ؛ *وثائق* خ. ح. محفظة، رقم 369 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ ع. اكنينح، *آثار التدخل الأجنبي في المغرب على علاقات المخزن بقبيلة بني مطير* 1873 . 1912 د. د. ع. بكلية الآداب، الرباط.

Marquis de Segonzac, *Voyage au Maroc, 1899 - 1901*, Paris, 1903 ; Couvreur, *La vie pastorale dans le Haut Atlas central*, *R.G.M.*, N° 13, 1968.

العربي اكنينح

**بني معدن**، تجمُّعٌ سكاني مندرج اليوم في قبيلة بني حُزْمَرْ. تنتظم مداشره الأربعة (دار علالو، المعاصم، قنقرة، الظهر) على الحافة الشمالية من جبل الطور (348 م)، آخر منحدرات شرق جبل غرغيز، كما أنها تشرف على المجرى الأدنى لواد مرتيل إلى مصبه من جهة ضفته اليمنى.

مرسى : استفاد سكان بني معدن خلال الفترات التاريخية من مجاورتهم للبحر المتوسط وانتشار دورهم على طول الضفة اليمنى من واد تطوان للاتجاه نحو النشاط البحري، مشاركين بذلك مدينة تطوان في المرسى المعروف منذ القرن الخامس الهجري، حسبما أشار إليه البكري. وخلال القرن الخامس كانت مبادرة الإشراف على المرسى لبني معدن، إلى درجة أنه عرف باسم الفرقة. وحدد موقع المرسى على بعد كيلومترين ونصف على مجرى نهر مرتيل بالنسبة للمصب الحالي.

رايس : قامت سفن بني معدن بدور في الجهاد البحري خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر، حسبت له سبتة المحتلة حسابه. وعرف آنذاك رئيسها البحري أبو بكر قنديل، الذي كون ثورة هامة من جراء جولاته البحرية بالمضيق. ولهذا السبب باغتته سفن سبتة سنة 1435 وداهمت منزله، حيث قتل.

*ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، ص. 45، تطوان 1952.

*Vademecum*, p. 26, *Tetuan*, 1931 ; Gomes Eanes Azurara, *Cronica de D. Pedro de Meneses*, I / chap. 41, p. 346 ; 2 / chap. 15, p. 531, chap. 36, 620 ; *Cronica do D. Duarte de Meneses*, p. 97, 98, 99.

حسن الفكيكي

**بني معقل**، قبيلة عربية دخلت بلاد المغرب ضمن

المجموعة الهلالية التي كانت عبارة عن أخلاط من القبائل كبني سليم، وهم أقوى وأغنى عناصر هذه المجموعة، وبني هلال الذين غلب اسمهم على كل من رافقهم، وبني معقل الذين كانوا قليلي العدد. أما زغبة ورياح اللتان انضمتا لهذه المجموعة فهما قبيلتان كانتا تقيمان على الحدود الغربية لمصر في إقليم برقة (*أثر القبائل*، 57).

ولا نعلم الشيء الكثير عن أنساب عرب معقل لأن ما أتت به المصادر في هذا الباب متناقض ومتضارب. ويعتبر اعتراف ابن خلدون بغموض نسب هؤلاء الأعراب خير دليل على ما نقول، خصوصاً وأنه المؤرخ الوحيد الذي اعتمد في تدوين أخبارهم على ما ذكره نسابتهم، وهم يزعمون أن نسبهم فى أهل البيت إلى جعفر بن أبي طالب، وليس ذلك بصحيح، لأن الطالبيين والهاشميين لم يكونوا أهل بادية ونجعة. والصحيح أنهم من عرب اليمن، فإن فيهم بطنين يسمى كل واحد منهما بمعقل : أحدهما من قضاعة بن مالك بن حمير، والآخر من بني الحرق بن كعب بن عمرو بن علة بن جلدين مذحج. والأنسب أن يكونوا من هذا البطن الآخر الذي من مذحج (*العبر*، 6 : 79).

أبطل الناصري صحة القول بالأصل اليمني لهذه القبائل ورد على ابن خلدون في هذا الموضوع قائلا "ولفظ معقل الذي في بني الحرث ابن كعب ضبطه صاحب القاموس بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر القاف المشددة بوزن مُحَرِّثْ، وضبطه بعض الحفاظ بفتح القاف المشددة بوزن مُعَظَّمْ" (*طلعة المشتري*، 114). كما أكد على انتساب هذه القبائل لآل البيت وربط بين مجيئهم إلى بلاد المغرب وصراعهم مع أبناء عمومتهم العباسيين (*طلعة المشتري*، 110 ـ 111).

كان عرب معقل قلة في المجموعة الهلالية، يقال إنهم لم يبلغوا المائتين، واعترضهم بنو سليم فأعجزوهم، وتحيزوا إلى الهلاليين منذ عهد قديم، ونزلوا بآخر مواطنهم مما يلي ملوية ورمال تافيلالت وجاوروا زناتة في القفار فعفوا وكثروا وأنبتوا في صحاريْ المغرب الأقصى فعمروا رماله وتغلبوا في فيافيه (*العبر*، 77).

تطلب تكاثر عرب معقل بمناطق الصحراء فترة تزيد عن قرنين من الزمن، أي من تاريخ دخولهم بلاد المغرب رفقة الهلاليين في القرن الخامس الهجري (11 م) إلى تاريخ مشاركتهم القوية والفعالة في الأحداث السياسية بالمغربين الأوسط والأقصى في نهاية القرن السابع الهجري (13 م) وبداية القرن الثامن الهجري (14 م). وهكذا فإن قلة عددهم زمان دخولهم بلاد المغرب ثم تكاثرهم بسرعة لدرجة أصبحوا معها في القرن الثامن الهجري من أوفر قبائل العرب وأقواها يثير تساؤلات عديدة ويدفع إلى البحث عن الأسباب الكامنة وراء ذلك.

إن الذي ساعد بني معقل على التقوي والتكاثر هو انعزالهم في مناطق نائية ـ بعيدة عن مجال الصراع القبلي ـ مدة طويلة من الزمن. فالقفر بخصائصه الطبيعية القاسية لم يكن في يوم من الأيام منطقة إغراء تشجع الجماعات على الهجرة إليها، وبالتالي حدوث مواجهات عنيفة بين الأهالي القدماء والطارئين. ومن ثمة، فإن القبائل التي اختصت باتخاذ الصحارى موطناً لها كانت تجمع فيما بينها قواسم مشتركة عديدة وهو ما ساعدها على التعايش والتساكن رغم اختلاف أصولها وانتمائها العرقي. عكس ما كان عليه الأمر في المناطق الشمالية لبلاد المغرب حيث اتخذ الصراع القبلي طابعاً عنيفاً وقوياً في أغلب الأحيان.

لم يظهر عرب معقل على مسرح الأحداث السياسية ببلاد المغرب طيلة القرنين الخامس والسادس الهجريين لأن عددهم لم يكن يساعدهم على الدخول في مواجهة مباشرة مع القبائل القوية، لذلك ابتعدوا عن مناطق الصراع الساخنة مدة طويلة، حتى إذا حل القرن السابع الهجري (13 م) وجدوا أنفسهم مؤهلين من حيث العدد لفرض سيطرتهم فتحركوا من مناطق الصحراء إلى الواحات الواقعة شمالها وأحكموا قبضتهم على هذه المناطق بمجرد حلولهم بها (*Les Arabes*, 365).

وقد تكاثر المعقليون بمن اجتمع إليهم من القبائل من غير عصبيتهم لأن فيهم من أشجع أحياء كثيرة وفيهم الشظة من كرفة والمهاية من عياض والشعراء من حصين والصباح من الأخضر ومن بني سليم وغيرهم (*العبر*، 6 : 79). وتجب الإشارة إلى أن بني معقل لم يدخلوا بلاد المغرب بجميع أعدادهم وإنما بقي منهم بأفريقية جمع قليل اندمجوا في جملة بني كعب من بني سليم حتى كانوا وزراءهم في الاستخدام للسلطان (*العبر*، 6 : 77).

احتل المعقليون القصور التي اختطتها زناتة في القفار قبل نزوحهم شمالا نحو المناطق المجاورة لمرتفعات درن. وقد حدث ذلك بعد أن تمكنت هذه القبائل من إقامة دول لها ببلاد المغرب (*العبر*، 6 : 78). وقد ذهب أحد الباحثين إلى القول إنه منذ بداية القرن السابع الهجري (13 م) حاولت قبائل معقل الوصول إلى السواحل الجنوبية الغربية للمحيط الأطلسي، وقطعت الطريق في وجه صنهاجة وحالت دونها ومناطق الشمال، لكن صنهاجة نجحت مع مرور الزمن في الوصول إلى غايتها واجتازت أغلب بطونها مجالات القفر ولم يبق منها سوى جماعات قليلة خضعت لنفوذ الطارئين الجدد (*Esquisse*, 66).

لم يصل النصف الثاني من القرن السابع الهجري (13 م) حتى كان عرب معقل قد شغلوا كل الواحات الواقعة جنوب وشرق جبال دَرَن، وأصبحوا أسياد هذه المناطق دون منازع. وقد حاولت هذه القبائل من غير شك مواصلة رحلتها شمالا، لكن تحكم بعض القبائل القوية في الممرات المؤدية إليها منعها من ذلك.

كان المرينيون ـ الذين يمثلون القوة الضاربة في مناطق الشمال وقتئذ ـ يتحكمون في مضيق تازا. ومعنى ذلك أن مرور عرب معقل من المغرب الشمالي الشرقي لا يمكن أن يتم إلا بموافقتهم ورضاهم. كما أن ممرات الأطلس الكبير والمتوسط كانت تحت مراقبة القبائل الجبلية المستقرة بهذه

المناطق منذ قديم الزمن، ومعها بعض الجماعات التي وصلت متأخرة بفعل زحف العناصر المعقلية من جهة الجنوب. وكل هذه العناصر لم تكن لتسمح بمرور جموع معقل عبر مجالاتها دون مشاكل. وهذا ما دفع بهؤلاء الأعراب إلى البقاء في المناطق الواقعة خلف جبال الأطلس بمدة طويلة من الزمن.

تشكلت المجموعة المعقلية التي وصلت في القرن السابع الهجري إلى مجالات المغرب الأقصى من ثلاثة بطون هي : ذوي عبيد الله وذوي حسان وذوي منصور. وقد عدد ابن خلدون بطون هؤلاء مجتمعة كما ذكرها نسابتهم وقال إن جدهم معقل كان له من الولد سحير ومحمد. فولد سحير : عبيد الله وثعلب، فمن عبيد الله ذوي عبيد الله، ومن ثعلب الثعالبة الذين ببسيط متيجة في نواحي الجزائر. وولد محمد : مختار ومنصور وجلال وسالم وعثمان، فولد مختار بن محمد : حسان وشبانة. فمن حسان ذوي حسان أهل السوس الأقصى، ومن شبانة الشبانات جيرانهم هناك. ومن جلال وسالم وعثمان والرقيطات بادية لذوي حسان ينتجعون معهم. وولد منصور بن محمد : حسن وأبو الحسين وعمران وشنب يقال لهم جميعاً ذوي منصور (*العبر*، 6 : 79).

وهذه البطون الثلاثة لعرب معقل حسب مجالات استقرارها في المغرب الأقصى من الشمال إلى الجنوب :

- ذوي عبيد الله : استقروا بالمغرب الشمالي الشرقي وكانت مواطنهم بين تلمسان ووجدة والمناطق الواقعة جنوبهما. وكانوا أحلافاً لبني عبد الواد في القرنين السابع والثامن الهجريين. ولم يتقربوا من الدولة المرينية إلا في القليل النادر. ويرجع السبب في تشيعهم للزيانيين إلى علاقات الجوار التي كانت تجمع بينهم، بحكم قرب مجالات استقرارهم من العاصمة الزيانية تلمسان. ولم تقتصر مواطن ذوي عبيد الله على مناطق المغرب الشمالي الشرقي فحسب بل كانت رحلاتهم توصلهم إلى مناطق أبعد من ذلك. وهذا ما يوضحه قول ابن خلدون :"وتنتهي رحلتهم في القفار إلى قصور توات وتمنطيت، وربما عاجوا ذات الشمال إلى تاسابيت وتيگرارين وهذه كلها رقاب القفر إلى بلد السودان" ( *العبر*، 6 : 81).

كانت مجالات ذوي عبيد الله تحد جنوباً بمجالات ذوي منصور الذين استقروا بمناطق سجلماسة. ويظهر أن رحلة ذوي عبيد الله كانت تقودهم إلى هذه المناطق الأخيرة وإلى ما يقع إلى الجنوب منها في اتجاه بلاد السودان، كما هو واضح في إشارة ابن خلدون أعلاه. غير أن من احتك من بطونهم بمدينة سجلماسة هو بطن الخراج الذي كان حليفاً للمرينيين خلافاً لعموم عصبيته. وهذا ما أكده ابن خلدون حيث قال إن الخراج يجاورون بني منصور ولهم تاوريرت وما إليها وخدمتهم في الغالب لبني مرين وإقطاعاتهم من أيديهم ورجوعهم إلى عبد الواد في الأقل ( *العبر*، 6 : 82).

- ذوي منصور : كانت مجالاتهم سجلماسة والمناطق المجاورة لها. وقد حدد ابن خلدون الأماكن التي يصلون إليها في رحلاتهم ما بين تاوريرت ودرعة عبر سجلماسة وقال إنهم كانوا يستولون على ملوية كلها ( *العبر*، 6 : 87).

إن المناطق التي اتخذها هؤلاء موطناً لهم كانت تتوسط مجالات بني معقل عموماً أي أنها تقع بين مجالات ذوي عبيد الله في الشمال ومجالات ذوي حسان في الجنوب، وربما كان لقوتهم وكثرة عددهم أثر في اختيارهم هذه المنطقة بالذات. فقد أشار ابن خلدون إلى أن ذوي منصور كانوا يشكلون غالبية العناصر المكونة لعموم معقل وقال :"فهم معظم هؤلاء المعقل وجمهورهم. وبطونهم أربعة : أولاد حسين وأولاد أبي الحسين وهما شقيقان. والعمارنة : أولاد عمران والمنبات : أولاد منبا وهما شقيقان أيضا، ويقال لهذين البطنين جميعا الأحلاف" (*العبر*، 6 : 87).

إن ذوي منصور هم أكثر بطون بني معقل تأثيراً في أحداث المغرب السياسية منذ قدومهم من مناطق القفر، فقد أصبحت سجلماسة - مدينة القوافل التجارية - منذ النصف الثاني من القرن السابع الهجري (13 م) خاضعة لنفوذهم، واستمرت على ذلك إلى حين تخريبها في أواخر القرن الثامن. وهذا ما يمكن قياسه أيضاً على كل واحات المغرب الأقصى وصحاريه. وبما أن هذه العناصر قد مثلت القوة الضاربة بكل هذه المناطق فلا بأس أن نستعرض القبائل التي كانت تكونها وأن نذكر توزيعها في هذا المجال حسب ما أورده ابن خلدون الذي عاصر فترة قوتها وسيادتها، ويتعلق الأمر بالبطون الثلاثة لذوي منصور : أولاد حسين، والأحلاف، وأولاد أبي الحسين.

فالبنسبة لأولاد حسين كانوا بدرعة في أواخر القرن السابع الهجري ثم انتقلوا إلى سجلماسة في النصف الثاني من القرن الثامن، وهؤلاء هم أغلبية ذوي منصور، ولهم العزة عليهم. وكانت رياستهم أيام السلطان أبي الحسن المريني لعلي بن غانم، وهلك إثر كائنة طريف فصارت لأخيه يحيى، ثم لابنه عبد الواحد بن يحيى ثم لأخيه زكرياء ثم لابن عمه أحمد بن رحو بن غانم ثم لأخيه يعيش ثم لابنه يوسف بن علي بن غانم ( *العبر*، 6 : 87).

إن تعداد ابن خلدون لأعضاء أولاد حسين في القرن الثامن كان وليد الأهمية التي كانت لهم في أحداث المغرب خلال تلك المرحلة. فقد سبّبوا مشاكل كثيرة للمخزن المريني في أواخر القرن السابع وأرغموه على تجهيز حملات عسكرية بغرض إخضاعهم. وفي القرن الثامن تحالف أولاد حسين مع بني عبد الواد سلاطين تلمسان بفضل مجهودات عبد الله بن مسلم عامل المرينيين على درعة، كما ساهموا بقسط وافر في تولية وعزل أبناء أبي علي عمر بن أبي سعيد عثمان أمراء سجلماسة في النصف الثاني من نفس القرن.

كان أكثر استقرار أولاد حسين بدرعة ومن بإزائه في فسيح جبله من قبائل البربر صناگة وغيرهم ولهم عليهم ضرائب وخفارات ووضائع ولهم في مجابي السلطان

إقطاعات (*العبر*، 6 : 79). وقد أصبحت مواطنهم في القرن العاشر الهجري (16 م) حسب رواية الوزان فيما بين مملكة فاس وسجلماسة، ويحكم رئيسهم مدينة تدعى گرسلوين، وهم سادة مختلف ملوك بني مرين جزاءً لما قدمته لهم من عون فائق في بداية دولتهم (*وصف افريقيا*، 1 : 44 ـ 45).

أما الأحلاف الذين هم ثاني أهم بطون ذوي منصور فيتكونون من العمارنة والمنبات ومواطنهم مجاورة لمواطن أولاد حسين من جهة الشرق ومجال تنقلهم بالقفر تافيلالت وصحراؤها، وبالتل ملوية وقصور وطاط وتازا وبطّوية وغساسة، لهم على ذلك كله الإتاوات والوضائع، وفيها الاقطاعات السلطانية (*العبر*، 6 : 89). وكان الحديث عن العمارنة في القرنين السابع والثامن الهجرين مرتبطاً بالحديث على المنبات لأن هؤلاء الأخيرين هم أصحاب الزعامة في الأحلاف، وهم الذين تحكموا في مدينة سجلماسة العاصمة الحضرية الوحيدة في مجالات درعة وتافيلالت وقتئذ. أما العمارنة فاندمجوا مع أحلافهم المنبات مدة من الزمن بالمناطق المجاورة لسجلماسة ثم غادروها إلى المناطق الواقعة إلى الشمال منها على الطريق المؤدية إلى مدينة فاس. وقد ذكر الوزان أنهم كانوا يستقروان في زمانه بالرتب ومدغرة ووصفهم بقوله "وهم نبلاء في غاية الشجاعة، لذلك اعتاد ملوك فاس أن يتخذوا كلهم تقريباً زوجاتهم من بنات هؤلاء الأعراب ويربطوا معهم وشائج القربى (*وصف افريقيا*، 1 : 45).

أما المنبات الذين سيطروا على سجلماسة في أواخر القرن السابع وأعلنوا تبعيتهم ليغمراسن بن زيان سلطان تلمسان فيعتبرون القوة الرئيسية فيما يسمى بالأحلاف من ذوي منصور. لعبوا دوراً مهماً في توجيه التجارة الصحراوية نحو عاصمة الزيانيين تلمسان في فترة صراعهم مع بني مرين، ثم لعبوا نفس الدور فيما بعد في ربط سجلماسة بالمدن المغربية الأخرى بعد أن استطاع المرينيون طرد الزيانيين من مدينة سجلماسة وفرضوا سيطرتهم عليها.

أشار ابن خلدون إلى أن الأحلاف بمن فيهم المنبات والعمارنة كانوا على خلاف دائم مع أولاد حسين لكن العصبية في حرب مَنْ سواهم (*العبر*، 6 :89). ولهذا الكلام مغاز عديدة في تاريخ سجلماسة والمناطق المجاورة لها في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري الذي كان مسرحاً لمواجهات عنيفة بين الطرفين، فكان الأحلاف يؤازرون الأمير المريني عبد الحليم بن أبي علي عمر، وكان أولاد حسين يريدون خلعه وتولية أخيه عبد المؤمن. غير أن صراعهم مع أعدائهم كان يدفعهم إلى الاتحاد، وهو ما حدث في خلافهم مع المرينيين سنة 770 / 1369 حيث اجتمعت بطون ذوي منصور بسجلماسة وخلعت طاعة السلطان أبي فارس عبد العزيز والتجأ زعماؤها إلى أبي حمو موسى سلطان الزيانيين. قال يحيى ابن خلدون :"وفي هذه السنة ـ 770ـ وصل إلى بابه الكريم عرب المغرب كافة، أولاد حسين والعمارنةوالمنبات طرداء خوف ملكهم أبي فارس عبد العزيز متذممين بأمير المسلمين أيده الله فأجارهم وأكرم مثواهم وأكبر إقطاعاتهم (*بغية الرواد*، 2 : 228).

أما البطن الثالث والأخير من بطون ذوي منصور الذي هو أولاد أبي الحسين فلم يكن له تأثير كبير في مجريات الأحداث خلال فترة قوة بني عمومته. ويرجع السبب في ذلك إلى قلة جموعه واختياره الاستقرار بدل الترحال مباشرة بعد تحرك المجموعة المعقلية من مناطق الصحراء نحو الواحات الواقعة جنوب وشرق جبال الأطلس في القرن السابع الهجري. وقد ذكر ابن خلدون أن أولاد أبي الحسين عجزوا عن الظعن ونزلوا قصوراً اتخذوها بالقفر ما بين تافيلات وتيگورارين (*العبر*، 7 : 86).

وأخيراً فإن المجموعة الثالثة من بطون عرب المعقل المعروفة بذوي حسان التي تقع مجالاتها إلى الجنوب من مجالات ذوي منصور، من درعة إلى البحر المحيط، وينزل شيوخهم بلاد نول قاعدة السوس كانوا يستولون على السوس الأقصى وما إليه، وينتجعون كلهم في الرمال إلى مواطن الملثمين من گدالة ومسوفة ولمتونة (*العبر*، 6 : 77). وأهم بطون ذوي حسان البطن الذي يعرف بهذا الاسم والذي غلب اسمه على سواه، والشبانات والرقيطات ومنهم أيضاً الجياهنة وأولاد أبورية (*العبر*، 6 : 91). كان ذوي حسان على خلاف مع سلاطين بني مرين فانحازوا إلى بني يدّر في صراعهم مع المرينيين، ثم ناصروا الأمير المريني عمر المستقل بسجلماسة وأعانوه في القضاء على بني يدر لكنهم بعد ذلك خرجوا عن الطاعة وفرضوا الإتاوات بمجالاتهم.


ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 6 و7، ط. بيروت، 1988 ؛ ي. ابن خلدون، *بغية الرواد*، ط. الجزائر، 1903 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج. 1 تر. محمد حجي ومحمد الاخضر، الرباط، 1980 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ مصطفى أحمد أبو ضيف، *أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين*، الدار البيضاء، 1982.

G. Marçais, *Les Arabes en Berbérie du XIe au XIVe siècle*, Paris, 1913 ; La Chapelle, *Esquisse d'une histoire du Sahara occitental, H. T.* XI, 1930.


حسن الحافظي

**بني مَكادَة**، تجمُّعٌ سكاني قديم معروف خلال القرن التاسع الهجري بفحص طنجة، لا يزال محتلا المنحدرات الشرقية من كدية المرس جنوب طنجة بنحو ثمان كيلومترات، على الجانب الأيسر من الواد المعروف باسم المدشر، أحد روافد واد مگوگا. شكل التجمع إحدى نقط الخصوبة بفحص طنجة، بما كانت تمد به من المزروعات، لذلك امتد إليها نظر جنود القصر الصغير فأغاروا على القرية خلال نوفمبر 1463 مرتين متواليتين. وحينما عرج الفونس الخامس على الفحص في السنة الموالية كانت

خالية. واستمر المكان خالياً خلال الوجود البرتغالي بطنجة.

ونشأ على هذا التجمع القديم مدشر حديث معروف ببني مگادة الجديدة، اختارالسابقون إلى الاستقرار به موضعاً واقعاً في الشمال مقابلا لبني مگادة القديمة، يبعد عنها بنحو أربعة كيلومترات. وهو الداخل اليوم بطنجة، مما يلي الجنوب الشرقي.

Gomes Eanes de Azurara, *Cronica do D. Duarte de Meneses*, p. 334 - 336 ; Fernando de Meneses, *Historia de Tanger*, p. 77 - 114 - 138 ; Mascarenhas, *Historia de Ceuta*, p. 209.

حسن الفگيگي

**بني مگيلد**، اسم يطلق جغرافيا على مجموعة من القبائل البربرية المقيمة في شمال غرب هضاب الأطلس المتوسط وأطرافه، حيث نمط معيشتها يعتمد على نصف الترحال أو الانتجاع.

من الصعب القيام بتعريف تاريخي - سلالي واضح لهذه التجمعات القبلية التي حدد عددها اصطلاحياً في أربع وحدات قبلية كبرى، توجد بالشمال الغربي لهضاب الأطلس المتوسط ومناطق اتصاله بالهضبة الوسطى الشرقية.

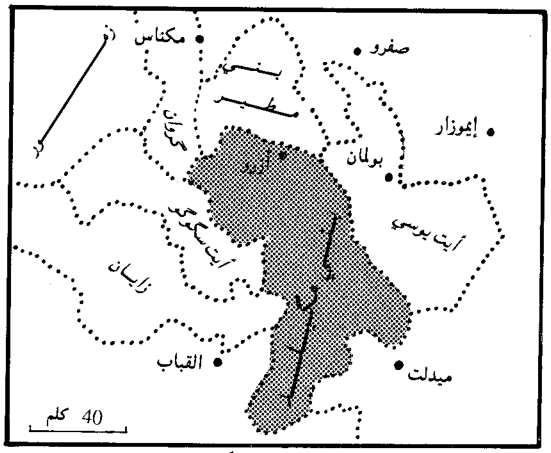


موقع بني مگيلد

هذه الوحدات الأربع هي : إركْلاون (وتتكون من 8 فخذات) وأيت عَرْفَة (4 فخذات)، وأيت عبدي (6 فخذات)، وأيت سگوگو (4 فخذات). وتنتمي هذه المجموعات البشرية إلى السكان الصنهاجيين الذين توافدوا في حركة متواصلة منذ القرن التاسع (15 م) (على الأقل) من الأجزاء الشرقية للأطلس الكبير مارين عبر منخفض ملوية الأعلى في اتجاه الأطلس المتوسط والمنخفضات المحيطة به غرباً. وقد تواصلت حركة الهجرة هذه إلى غاية القرن التاسع عشر. ولا توجد المعلومات التاريخية الكافية حول تفاصيل هذه الحركة بل إن جل التقارير والكتابات الحديثة حول أصل السكان وظروف تنقلهم (انظر Beaudet، 1969، على سبيل المثال) هي نتاج لتركيب انبنى على الرواية الشفوية، أو على بعض المقارنات اللغوية والمادية. أما التوزيع الحالي لما يعرف ببني مگيلد الشماليين فهو حصيلة ما وصلت إليه حركية السكان إلى غاية أوائل القرن التاسع عشر و"تجمد" الوضع مع الاستعمار الفرنسي. ولا يجوز أن نغفل ارتباط القبائل الأربع إلى حدود حوض ملوية الأعلى، رغم جهلنا لحد الآن بالعلاقات القديمة بين كل هذه المكونات السكانية. وسنكتفي بعرض الجوانب الجغرافية لبني مگيلد بالمفهوم الاصطلاحي فقط.

العلاقات بين الانسان والبيئة إلى غاية وصول الاستعمار الفرنسي : إن أهم ما يميز هذا الجانب هو اعتماد قبائل "بني مگيلد" على نظام رعوي متنقل يسمى نصف الترحال كأداة لاستغلال الموارد المتوفرة في المجال المتاح لهم، وهي موارد موزعة بشكل متكامل زمنياً ومكانياً اعتباراً لخصوصيات البيئة المعنية. ذلك أن هذا المجال يمتد على قسمين مختلفين من حيث التضاريس والعناصر البيومناخية.

من جهة، الأطلس المتوسط الشمالي - الغربي : ويتعلق الأمر بالنصف الجنوبي لهضبة الحاجب وبالأخص هضبتي أزرو تيمحضيت، ويتراوح ارتفاعها ما بين 1330 م إلى 2000 م، مع وجود تضاريس أكثر بروزاً هي عبارة عن براكين خامدة (مثل جبل هبري، جبل هَبري، جبل الكدية...). ويشكل هذا الجزء ما يسمى محلياً "بأدرار" (الجبل)، الصخور الكلسية هي السائدة فيه. التساقطات هنا مرتفعة (تتجاوز 1000 م كمعدل سنوي في يفرن مثلا)، التشكيلات النباتية الغابوية متدرجة (البلوط الأخضر، الأرز، العرعر "توريفير") باستثناء الأحواض حيث السهوب التي تقدم مراعي غنية لقطعان الماشية. إلا أن العامل المحدد في هذا الجزء يتمثل أساساً في البرودة الشتوية الشديدة من جهة والتي تقترن بسقوط الثلوج، هذا يفسر صعوبة استعمال هذا الجزء خلال فصل الشتاء، وبداية الربيع من طرف مجموعات ذات عادات رعوية غير متكيفة.

- من جهة أخرى، نجد المنخفضات المحيطة بهذه الهضاب غرباً، وهي منخفضات جانبية تمثل مناطق الاتصال بين الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى، وتسمى محلياً بأزغار وتتخللها أعراف خطية أبلاشية النمط. ويتميز أزَغَارْ بحرارته المعتدلة نسبياً في فصل الشتاء، وبتساقطات مهمة، رغماً عن تباين توزيعها حسب الأماكن، وعن كمياتها الأقل بالمقارنة مع الجزء الأول، وكذا حرارات صيفية جد مرتفعة.

وبناء على هذه الظروف المختلفة بين أدرار وأزغار، انبنى نظام استغلال الموارد، لذا فمجموعات "بني مگيلد" على التكامل الرعيزراعي بينهما. لذا نجد أن كل مجموعة كانت تتوفر على محاط يضم أراضي جماعية موزعة في كليهما، باستثناء قبيلة أيت عرفة التي كان محاطها في أزغار محدودا (ولربما يرجع ذلك إلى وصولها المتأخر إلى المنطقة). أما قبائل إرْكْلاَوْنْ (أزرو)، وأيت عبدي (جماعة عين اللوح) وأيت سگوگو (جماعة الحمام)، فلا زالت إلى اليوم تتوفر على هذا التوزيع المتكامل.

كان نظام الرعي المتبع يعتمد على نصف الترحال بمعناه

الدقيق، فكل العائلات تنتقل بقطعانها (وخاصة الأغنام) إلى الجبل من نهاية الربيع إلى بداية الخريف، وإلى أزغار من بداية الخريف إلى نهاية الربيع، ويوجد وصف دقيق لهذه الحركات الرعوية القديمة عند Beaudet (مجلة جغرافية المغرب، سنة 1969).

وهكذا، فإن هذا النظام الرعوي، المتميز يشكل خاصية فريدة في نماذج الترحال الموجودة عبر العالم. ذلك أن المجال الذي انتظمت فيه هذه الحركات الرعوية يتميز برطوبته الكبيرة (خاصة في الجزء الجبلي)، ويتوفر على إمكانيات فلاحية هائلة. ولعل سيادة النظام الرعوي قد ارتبطت بأسباب تاريخية (حركة الزحف المتواصل الذي جعل منها ممراً كبيراً). وقد زاد في ذلك دور البرودة والثلوج المميزة لفصلي الشتاء والربيع، إذ لا يمكن الاستقرار دون حضور استراتيجيات ملائمة للتكيف معهما. لكن وجدت بعض الاستثناءات التي تتمثل في زوايا قديمة (زاوية يفرن، وبنصميم على سبيل المثال).

التطورات الحديثة وسط بني مگيلد : كان لدخول الفرنسيين إلى المنطقة ثلاث نتائج أساسية أدت إلى تغيير عميق في نمط استعمال الموارد لدى بني مگيلد داخل مجالها :

1) تجميد حركة الزحف السكاني، وقيام خريطة مستقرة لتوزيع القبائل داخل حدود ثابتة.

2) تحديد الأراضي الجماعية لكل قبيلة، بعدما تم اعتبار كل المجالات الغابوية جزءاً من الأراضي المخزنية، وتقنين ولوجها واستعمالها.

3) انتشار التعمير الفلاحي الفرنسي في الأراضي المنخفضة (أزغار)، وهذه العملية أدت إلى اقتلاع الأشجار من حوالي 10.000 هكتار بشكل متفرق، خاصة حول أزرو وفي سهل تيگْريگْرا.

وقد أدى هذا التغيير إلى الحد من أشكال التنقلات الرعوية القديمة، نظراً للعراقيل التي أحدثها، وإلى الإخلال الذي أدخله على التكامل التقليدي بين أزغار وأدرار، فترتب عن كل هذا نزوع إلى الاستقرار، وضغط متزايد على الأرض (خاصة مع التزايد الديمغرافي السريع)، وقيام الأنشطة الزراعية كعنصر جديد وحاسم في الاقتصاد المتبع. ويمكن أن نميز حالياً بين ثلاثة أوضاع مختلفة داخل مجال بني مگيلد :

أ - أيت عرفة گيگو : انفصلت روابط هذه القبيلة تماماً عن أزغار، وتحدد مجالها في هضبة تيمَحْضيتْ، بين جبل هبري - ميشليفن شمالا إلى حدودَ أگلمانَ سيدي علي جنوباً. وهكذا، ظهر هنا اقتصاد جبلي صرف، انبنى على الاستعمال الرعوي المتواصل للمراعي المتوفرة، بعدما أمكن مقاومة البرد المفرط وأخطار الثلوج بإقامة اصطبلات متكيفة. لكن أهم تطور هو استقرار المجموعات الأربع المكونة لأيت عرفة، على طول نهر گيگو، وإقامة قرى متجمعة، وتبني الزراعة على نطاق واسع، بعدما تم عدن الأراضي، والتحكم في مياه النهر، وادخال السقي بتقاليده الملائمة (كإقامة شبكة من السواقي، ووضع دورة للسقي تمتد على 33 يوماً، الخ...)

ب - نظام إركلاون : باستثناء الأراضي التي استحوذ عليها الاستعمار الفلاحي، فإن المجموعات البشرية المكونة لهاته القبيلة قد حافظت على امكانية الولوج إلى الموارد المتكاملة الموجودة في كل من أدرار وأزغار. وعلى العموم، فقد تم الاستقرار بأزغار نهائياً، وأصبحت الزراعة تمثل عنصراً أساسياً وأحياناً كثيفاً (يدل على ذلك، مثلا، انتشار السقي وتبني منتجات تسويقية كشجر التفاح). أما حركة نصف الترحال، فقد توقفت في شكلها القديم، وتم تعويضها بحركات الانتجاع، ويقوم به الراعي، دون باقي أفراد الأسرة. كما أصبح الارتعاء في الجبل متواصلا، وخاصة في فصل الخريف والشتاء (عكس ما كان في الماضي)، نظراً لانتشار الفلاحة في الأسافل.

ج - تطور قبيلتي أيت عبدي وأيت سگوگو : نظراً لبنيتهما الداخلة المعقدة، فإن هاتين المجموعتين قد عرفتا تغييرات تتأرجح ما بين نموذج أيت عرفة ونموذج إركلاون. ذلك أن أيت عبدي وأيت سگوگو يشكلان اتحاديات قبلية حقيقية، لذلك نجد أن بعض أجزائها قد استوطن في الأعالي (مثلا حول بكريت) وأقام نظاماً رعيزراعياً جبلياً، في حين يعرف الباقي تطوراً شبيهاً لما حدث بإركلاون، مع تقلص حدة الزراعة وبالأخص كثافتها.

خاتمة : إن دراسة تطور التعامل بين الإنسان والبيئة يوجب إثارة ملاحظتين أساسيتين :

1) تغيير استعمال الموارد من نمط رعوي صرف إلى نمط رعيزراعي، وخاصة في الجبل، وهو أمر يفند التفاسير الحتمية حول حدود الفلاحة بهذا المجال.

2) الإخلال بالتكامل العمودي بين أزغار وأدرار أدى إلى تزايد الضغط الحيواني على هذا الأخير وظهور بوادر تدهور بيئي حقيقي، وهو أمر استوجب الاعتناء به (يوجد منذ خمس سنوات مشروع رعوي - زراعي كبير بهدف إعداد هذا المجال ومقاومة مظاهر تدهوره، هو مشروع الأطلس المتوسط الغربي).

G. Beaudet, *Les Beni Mguild du Nord,* 1969 ; W. Boyle, *Contract and kinship : The economic organization of the Beni Mguild Berbers of Morocco*, Ph. D, University of California, Los Angeles.

عبد اللطيف بنشريفة

** لا نعرف بالضبط تاريخ دخول قبيلة بني مْگيلْد إلى الأطلس المتوسط واستقرارها في مجالها الحالي. فقد وردت الإشارة إلى أيت بوگمان إحدى فرق بني مگيلد في القرن السادس الهجري (12 م) في كتاب *المقتبس* من كتاب الأنساب. وكانت تشكل في هذه الفترة فرقة من بني صطاط أحد أفخاذ صنهاجة الظل. (*المقتبس*، 56 - 57). وعندما خرج عبد المومن الموحدي من تنمل لغزو صنهاجة القبلة، ذكر البيذق الذي رافقه في هذه الرحلة أن "الخليفة" عرج أثناء رجوعه من غريس على قبيلة سلام بن حمامة

التي تشكل الآن فرقة من إخْلُوَن تحتْ اسم أيت حمامة (*أخبار المهدي*، 51) ولا نستطيع وضع اليد على جميع فصائل هذه الاتحادية وتحديد مواقع فرقها في الفترة السابقة للقرن السادس الهجري، إلا أنه يظهر من خلال السياق العام لتاريخ القبائل الصنهاجية أن قدوم هذه القبيلة إلى منطقة واحات الجنوب الشرقي قد تم في مرحلة متأخرة، وواكب هجرة قبائل أيت إدْرَاسَنْ التي خرجت من الصحراء الغربية في اتجاه الشمال الشرقي مع بداية قيام الحركة المرابطية. ( *آثار التدخل الأجنبي*، 8). وقد استقرت مع القبائل المذكورة في أعالي زيز وغريس فترة من الزمن إلى أن اضطرت في أوائل القرن الحادي عشر (17 م)، تحت ضغوط طبيعية (الجفاف) واقتصادية وبشرية، إلى استئناف الهجرة في الشمال.

عندما ترجم صاحب *الإحيا والانتعاش* لمحمد بن أبي بكر العياشي (981 / 1067) أورد حكاية تتعلق بكرامات ومناقب هذا الرجل، تفيد أن بني مگيلد زمن هذا الشيخ بدؤوا في التسلل إلى جبال فازاز (الأطلس المتوسط) والتحرك في اتجاه ملوية، (*الإحيا*، 18). وعندما ترجم صاحب *مباحث الأنوار* (ص. 309)، لجده ذكر أن قريتهم في ملوية كانت لا تسلم من قبائل الجنوب التي "عادتها حرفة الحرابة ولا سيما في أوقات الغلاء".

اتبعت هذه القبيلة نفس الخط الذي سلكه بنو مطير في رحلتهم نحو الشمال، فقد ذكر كدنفيلد نقلا عن رولفز أن بني مطير كانوا يحتلون في السابق نفس المجال الذي كان بنو مگيلد ينتشرون فوقه وقت مروره بالأطلس المتوسط سنة 1864 (*Divis. et Répart.*, 43).

لا نعرف شيئاً عن علاقة بني مگيلد بالسلطة المركزية في العصور السابقة للدلائيين بسبب قلة المعلومات التي وصلتنا عنهم في الفترة المذكورة، إلا أنه بعد هذا التاريخ، نعثر في المصادر على أخبار كثيرة تتعلق باتحادية أيت أُمالو التي كان المگيلديون يشكلون فرعاً مهماً منها، ففي إمارة الدلائيين، صارت هذه القبيلة، كغيرها من برابرة ملوية، تساند هذه الزاوية وتعتقد كثيراً في رجالاتها ولا تتجاوز رأيهم وأوامرهم (*نزهة الحادي*، 278). وطيلة العصر العلوي الأول، وردت في الحوليات التاريخية أخبار كثيرة عن انتفاضة بني مگيلد واتحادها مع قبائل أيت أُمالو ضد اتحادية أيت إدراسن التي أصبحت منذ عهد السلطان المولى إسماعيل تشكل شيعة الدولة وحميتها، وتقف باستمرار في وجه هذا القبيل تصد تحركاته التي كانت ترمي إلى التسلل نحو الهضاب والسهول الخصبة الموالية لجبال الأطلس المتوسط من جهتيه الشمالية والغربية. وقد خاض بنو مگيلد معارك عديدة ضد محلات المخزن وشيعتهم أيت إدراسن منذ العهد الإسماعيلي، وانتصروا عليهم في معركة زيان الشهيرة 1234 / 1818 ( *الاستقصا*، 8 : 136)، ومنذ ذلك التاريخ، خرج بنو مگيلد عن سلطة المخزن، ولم تنلهم الأحكام السلطانية منذ وقعتهم الشنعاء مع السلطان العادل مولاي سليمان عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف على حد تعبير ابن زيدان في *الإتحاف*، في سياق حديثه عن الحركات التي وجهها مولاي الحسن لتطويع عموم سكان الأطلس المتوسط ( *الاتحاف*، 2 : 249)، إلا أنه بعد تولية هذا الأخير، اضطر بنو مگيلد إلى الخضوع من جديد لسلطة الدولة بعد حركة عام 1291/ 1874 ( *الاستقصا*، 9 : 136)، وقد عثرنا في الوثائق المخزنية على عدد من العمال المعينين من قبل الدولة على بني مگيلد، كما وقفنا أيضاً على قوائم حسابية تتعلق بعدد الجبايات التي كان المخزن يأخذها من القبيلة في العهد الحسني.

لا نتوفر سوى على معطيات متأخرة تتعلق بحياة بني مگيلد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بسبب تخوف الرحالين الأروبيين من التوغل بعيداً في بلادهم، وتمرد القبيلة طيلة تاريخها على السلطة. فقد ذكر كدنفلت نقلا عن رولفز أيضاً أن القوة الحربية لبني مگيلد وقت مروره بالأطلس المتوسط كانت تقدر بـ 2.000 رجل مسلح (*Divis. et Rép. art.*, 49). وفي تقرير متأخر أنجزه أحد الضباط الفرنسيين سنة 1919 عن الحالة السياسية والاجتماعية في نواحي مكناس، نعثر على معلومات هامة تتعلق بحيـاة هذه القبيلة، فقد كان عدد خيامها في ذلك التاريخ، يقدر بـ 9.000 خيمة تضم حوالي 35.500 نسمة (*Monographie*, 31). وكانت حسب نفس المرجع تنقسم إلى ثلاثة أفخاذ كبرى تشتمل على عدد من الفرق موزعة كما يلي :

أيت إخلون : عدد خيامها 2.000، تضم أيت بويوشو وأيت حمامة، وأيت عبدي : عدد خيامها 3.000، تنقسم إلى خمسة أقسام هي : أيت واحدي، أيت مغوال، أيت محمد أُلحسن علالي، وأيت أُمناصف : عدد خيامها 4.000، تنقسم إلى أيت ودير، وأيت مسعود، وأيت بوگمان وأيت كبلي (*Monographie*, 32).

كان بنو مگيلد يعيشون أساساً على الرعي وتربية الماشية، ويتحكمون في طريقين تجاريين هامين يربط الأول مكناس بتافيلالت عبر الحاجب وأزرو، ويصل الثاني فاس بتافيلالت عبر الأطلس المتوسط أيضاً، وكانت خفارة الطريق تدر عليهم مبالغ هامة من المال. فقد أشار كدنفلت نقلا عن الرحالة رولفز، أن بني مگيلد، بعد سيطرتهم على ممرات الأطلس المتوسط، صاروا يطالبون التجار بأداء مكوس للمرور بسعر ثمانين فرنكاً لكل دابة ويأخذون منهم رسوماً أخرى، لذلك اضطر التجار إلى التخلي عن الطريق المعتاد الذي كان يربط فاس وتافيلالت عبر الأطلس المتوسط، ويفضلون عوضاً عن ذلك تحمل مشقة الدوران حول الأطلس الكبير من الجنوب.

كان بنو مگيلد في العهد الحفيظي، حسب إشارة إحدى الوثائق، مقسمين إلى ثلاث قيادات على رأسها كل من محمد وعمار المگيلدي، وقصّو أُزروال المگيلدي، وحمّ الفصكاوي المگيلدي. وهي تقسيمات إدارية تنسجم مع التقسيم المرفلوجي للقبيلة، المشار إليه آنفاً.

أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت* ؛ *المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب* ؛ ع. العياشي، *الإحيا والانتعاش*، مصور خ. ع. بالرباط، رقم 1433 د ؛ أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 8 و9 ؛ ع. ابن زيدون، *اتحاف اعلام فاس*، 2، 24 ؛ ع. اكنينح، *آثار التدخل الأجنبي في المغرب على علاقات المخزن بقبيلة بني مطير*، 1873 - 1912، د. د. ع. 1984.

M. Quédenfelt, *Division et répartition de la population berbère au Maroc*, Alger, 1904 ; Abès (Commandant), *Monographie d'une tribu Berbère, les Aït N'dhir, A. B.*, Fasc., 1 et 2, 1915 - 1917 ; Arnaud (Commandant), *Monographie de la région de Meknès*, *B. S. G. M.*, N° 2, 1916.

العربي اكنينح

**بني ملال**، رابع قبيلة كان يتألف منها گيش (جيش) أيت الربع إلى جانب بني معدان وسَمْگت وگْطاية. وقد كان هذا الگيش مكلفاً بحراسة تنقلات سكان الجبال المشرفة على تادلا ومراقبة أمن السابلة وضبط الأمن في الطرق التي تعبرها. وكان ذلك منذ القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 و19 م) على أقل تقدير.

والقبيلة المذكورة فرع من بني جابر المنتسبين إلى بني جشم أحد البطون الكبرى لعرب بني هلال الوافدين إلى المغرب في عهد السلطان يعقوب المنصور الموحدي والمستقرين "ببلاد تامسنا بين سلا ومراكش" ابتداء من القرن السادس (12 م). وهي بذلك قبيلة عربية الأصل تتصل في النسب مع قبائل بني موسى وبني عمير وبني معدان وبني مسكين كما يبين الرسم التوضيحي المرفق. وقد انضافت إليها على مر القرون عناصر أخرى من سكان المغرب الأصليين وفدوا عليها إما من الجوار القريب أو من الآفاق البعيدة. لذلك فإن الساكنة الملالية تتكون من عناصر عربية أصيلة ومستعربة وأمازيغية لكن الجذع العربي هو الغالب عليها، إلى درجة أن السواد الأعظم من سكانها الحاليين يتكلمون كلهم بالعربية ولا يحسن الأمازيغية منهم إلا القليل.

تنقسم قبيلة بني ملال إلى قسمين :

- أهل القبيلة ويتكونون من ثلاث فرق كبيرة هي أولاد سالم وأولاد سعيد وأولاد گناو، كل فرقة تحتضن عدداً من الفخذ تندرج ضمنها بدورها مجموعة من العظام.
- أهل الصومعة ويتألفون من ثلاث عشائر رئيسية تضم كل عشيرة منها مجموعة من الأسر الكبرى تتفرع عنها أسر صغرى. ويعتبر أهل الصومعة أنفسهم حفدة للمرابط أحمد بن قاسم الصومعي دفين الصومعة وأحد تلاميذ الشيخ سعيد أمسناو مؤسس زاوية الصومعية. وقد انضافت إليهم عناصر أخرى من غير حفدة هذا الولي على مر القرون، إلا أنهم كانوا يحرصون أشد الحرص، إلى أمد غير بعيد على ضبط أنسابهم، كما كانوا يفضلون الانعزال عن قبيلة بني ملال على الرغم من أنهم يشاركونها نفس المجال الجغرافي.

وقد ظل تاريخ القبيلة لعدة قرون مندمجاً ضمن تاريخ تادلا إذ لم تكن كتب التاريخ تتحدث قبل القرن الثالث عشر (19 م) إلا عن بني جابر الجذع القبلي الأكبر الذي تفرعت عنه هذه القبيلة. لكن اسم قبيلة بني ملال أصبح ابتداء من مطلع هذا القرن يرد في المراسلات المخزنية وفي بعض الوثائق الخاصة والكتب المؤلفة إما داخل المنطقة أو خارجها. لذلك غدت قبيلة بني ملال متميزة عن غيرها من القبائل. وكان السلاطين يعينون عليها القواد ويكلفونهم بالسهر على الأمن والهدوء فيها وإجراء الأحكام السلطانية بالتنسيق مع قائد گيش أيت الربع المقيم بقصبة تادلا ونقيب الشرفاء العلويين المقيم بالقصبة الزيدانية. وفي منتصف القرن الثالث عشر (19 م) كانت القبيلة كلها موكولة إلى نظر قائد واحد، لكن المخزن قسمها سنة 1870 إلى ثلاث قيادات هي قيادة أولاد سالم وقيادة أولاد سعيد وقيادة أولاد گناو، وبعد مرور ثلاث عشرة سنة من التاريخ المذكور جعلها ستة بعد تمرد سنة 1883 الذي شاركت فيه قبيلة بني ملال إلى جانب قبائل گيش أيت الربع الثلاث الأخرى. وابتداءً من سنة 1891 أمر المخزن بتقسيم القبيلة إلى ثمان قيادات، وكان هذا العدد هو نفسه الذي وجده الفرنسيون حينما حطوا الرحال بأرض القبيلة لأول مرة سنة 1916.

هذا وقد تأسس في مجال هذه القبيلة مركز حضري يضرب بجذوره في أعماق التاريخ، هذا المركز الذي نما وتطور عبر القرون حتى أصبح هو مدينة بني ملال الحالية.

لقد استقر الإنسان الأمازيغي في دير بني ملال منذ عهود تاريخية سحيقة بسبب غناه وتنوع موارد العيش فيه. وعندما وصل الأدارسة إلى تادلا وجدوا فيها عدة تجمعات بشرية كانت من بينها داي وفشتالة وتاگزيرت. وقد أشار الحميري إلى أن داي كانت قبل تأسيس دولة الأدارسة من أكبر مدن تادلا وأضخم مراكزها الفلاحية والتجارية، كما أكد صاحب *التشوف* أنها كانت هي قاعدة تادلا في عهد الأدارسة. وفي عهد المرابطين تعرضت هذه المدينة للنقمة فحاصرها هؤلاء وخربوها وشتتوا سكانها بسبب إيوائهم ومساندتهم للأمير لاغوط المغراوي بعد فراره من عاصمته أغمات التي استولى عليها المرابطون. لكن هؤلاء عوضوها بعد حين بحصن داي الذي بنوه غير بعيد عنها ليحل محلها وأقاموا بجواره مسجدا وصومعة. ومع توالي السنين استعادت المدينة بعض سابق أمجادها وقصدها المهاجرون من داخل تادلا وخارجها فتكاثر سكانها. وما أن حل عهد السعديين حتى أصبحت داي / الصومعة هي الحاضرة الرئيسية في تادلا. فقد اتخذها الأمير زيدان بن أحمد المنصور الذهبي، لما ولاه والده على تادلا، مقراً لإمارته بضع سنوات في انتظار بناء مقر إقامته الجديد في القصبة الزيدانية التي انتقل إليها فيما بعد. ورغم هذا الانتقال استمرت الصومعة محتفظة بأهميتها الدينية والعلمية كما كانت القصبة الزيدانية تحتفظ بدور الإشراف السياسي والتسيير الإداري. وكان لشيخ زاويتها أحمد الصومعي عدة لقاءات وجلسات دينية وعلمية مع الأمير السعدي

احتفظت الرواية التاريخية ببعض منها.

وفي سنة 1688 أمر السلطان المولى إسماعيل بإضافة جزء جديد إلى الصومعة. كان هذا الجزء هو القصبة الكوشية التي بادر السلطان المذكور إلى تعميرها ووضع خمسمائة فارس فيها إلى جوار قصبة تادلا التي كانت تحتضن ضعف هذا العدد من الفرسان. وكان الهدف أن يتم التعاون بين القصبتين من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار في ربوع تادلا. وعندما زار دوفوكو تادلا سنة 1883 وجد فيها نواتين حضريتين منفصلتين عن بعضهما : الصومعة والقصبة الكوشية. إلا أن اسم القصبة الكوشية بدأ يتوارى مع مطلع القرن العشرين إلى أن اختفى تدريجيا من التداول وحل محله اسم جديد هو قصبة بني ملال، كما تشهد بذلك مراسلات قوات الاستعمار الفرنسي حين احتلت المدينة فوجدتها عبارة عن قصبة تحيط بها الأسوار من كل جهة وتخترقها الأبواب، هذه الأبواب التي ظلت قائمة إلى أن أسقطها الفرنسيون سنة 1934 لتوسيع المدينة.

كانت الدوائر الاستعمارية الفرنسية تخطط لاحتلال قبيلة بني ملال وقصبتها منذ أن احتلت قصبة تادلا سنة 1913 لعلمها بأن تكسير مقاومة سكان جبال الأطلس لن يتأتّى دون السيطرة عليها. إلا أن التهييئ لذلك تطلب أكثر من ثلاث سنوات كاملة لوضع التجهيزات الضرورية لعملية الاحتلال، فهيأت المسالك ومدت الجسور وأجرت الاتصالات مع قواد گيش أيت الربع وتأكدت من مساندتهم وجمعت الأخبار وبثت المخبرين والعملاء في كل مكان وراقبت أصحاب النفوذ وذوي الحيثيات الدينية والدنيوية وخاصة منهم علي إمْهـواش ومحمد أوسعيد اليراوي والحسن أوتمگا السُّخماني والتيجاني الملالي.

وما أن حلت سنة 1916 حتى أصبحت كل الظروف مواتية للاحتلال، فصدرت الأوامر للقوات الفرنسية باكتساح تراب القبيلة ووضع حد لمقاومة المتشددين من فخذها، فاكتسحت أولاد عياد ثم أولاد مبارك فأولاد موسى، واقتحمت قصبة بني ملال ورفعت العلم الفرنسي فوقها وعسكرت بجنودها في ضواحيها. وابتداء من سنة 1919 شرعت في تعيين أعضاء أول جماعة محلية موالية لها في القبيلة، كما بادرت إلى اقتطاع الأراضي من ملكيات أصحابها لتفويتها للمعمرين، وأسست دائرة بني ملال التي وكل إليها أمر الإشراف على مناطق واسعة في السهل والدير والجبل.

وقد قاوم الملاليون قوات الاحتلال بما توفر لهم من إمكانات رغم تفوقها عليهم رجالا وعتاداً. وتذكر الوثائق والمستندات الفرنسية نفسها أن المقاومة المسلحة الملالية للاستعمار كانت عبر ثلاث مراحل :

فقبل الاحتلال شارك الملاليون سائر إخوانهم المقاومين التادليين في الدفاع عن وادزم والحيلولة دون احتلالها سنة 1912. كما وضعوا يدهم في يد جيرانهم اليراويين والسخمانيين والعطاويين لعرقلة احتلال قصبة تادلا سنة 1913. وعندما عزمت قوات الاحتلال على تجاوز واد درنة سنة 1915 للتوجه نحو بني ملال لاحتلالها شكل الملاليون مع جيرانهم العرب والأمازيغيين جبهة موحدة لمنعها من ذلك.

ولما شرعت القوات الفرنسية في احتلال بني ملال سنة 1916 استعان الملاليون من جديد بجيرانهم وأبلوا البلاء الحسن في المقاومة وتكبدوا عدة خسائر وعانوا من كل أشكال الحصار في مرحلة أولى. وفي مرحلة ثانية، لما عجزوا عن مواجهة المحتلين في عين المكان، غادروا ديارهم وأراضيهم والتحقوا بالجبال المجاورة، ومنها أججوا المقاومة في عدة جبهات كما تشهد بذلك التقارير العسكرية الاستعمارية السرية نفسها.

ولم يستسلم سكان بني ملال للاستعمار بعد الاحتلال فقاموا بالتنسيق المستمر مع سكان الجبال المجاورة وهاجموا الفرنسيين في عدة واجهات محاولين طردهم من القصبة وضواحيها. وكانت بعض هجوماتهم عنيفة ومرعبة مما أجبر القوات الفرنسية إلى اللجوء إلى المدفعية الثقيلة وسلاح الطيران وفرسان الگوم ومع المقاتلين في گيش أيت الربع بقيادة باشا قصبة تادلا قائد هذا الگيش لوقف زحفهم. ومع ذلك لم تتوقف هجوماتهم بل كانت تتكرر كل سنة تقريباً. وكان آخر هجوم عنيف شنه المقاومون الملاليون على قوات الاحتلال هو هجوم سنة 1921 الذي أطره وساهم في تنظيمه وتنفيذه كل من القائد محمد أُسعيد اليراوي والحسين أُتمگا السخماني وكشوم المازغي. وابتداء من سنة 1922 كان علي إمْهـواش ومحمد أُحمو الزاياني قد توفيا، أما محمد أُسعيد اليراوي فقد هرم وأصبح بدون مأوى يأويه ففقدت الجبال زعماءها الكبار ورضخت بني ملال للإرادة الاستعمارية وفتحت لمشاريع الاستغلال الفلاحي واستعملت كأكبر قاعدة عسكرية للتوغل في المرتفعات الجبلية المجاورة.

م. الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1975 ؛ ي. التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، الرباط 1982 ؛ أحمد بن أبي قاسم الصومعي، *المُعزى*، مخطوط خ. ح. رقم 517 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. بن زيدان، *إتحاف* ؛ أحمد ابن قاسم الزاياني، *تاريخ خنيفرة*، مخطوط خ. ح. رقم 102.37 ز ؛ محمد بن البشير بوسلام، *تاريخ قبيلة بني ملال*، الرباط 1991.

R. Peyronnet, *Tadla, moyen Atlas, pays Zaïan*, Alger, 1923 ; *Histoire du Tadla des origines à 1910*, Alger 1924 ; S. Guenoun, *La montagne berbère, les Aït Oumalou et le pays Zaïan*, Rabat 1933 ; A. Quillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central*, Paris 1946 ; A. Savine, *Le Maroc il y a cent ans*, Paris s.d. ; P. Vallerie, *La pénétration militaire au Maroc*, Paris 1934 ; Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc 1883* -

محمد بوسلام

** ومن الناحية الجغرافية نجد مدينة بني ملال تقع عند نهاية الأطلس المتوسط الغربي (ارتفاع 580 م) بالدير المحاذي لسهول تادلا. وإذا رجعنا إلى الواقع الجغرافي لمدينة بني ملال فنجده قد سار عبر مرحلتين أساسيتين :

- مرحلة ما قبل الحماية حيث استفاد المجال الملالي من وجوده بأهم طريق تجارية بالمغرب في تلك الفترة (طريق

السلطان) التي تربط بين مراكش وفاس الشيء الذي فسر ظهور عدة قصبات وقلع لحماية الطريق التجارية (قصبة تادلا) ومن بينها بني ملال (قصبة بلكوش التي تعرف اليوم بحي لَمْدينَة).

كما استفاد مجال المدينة من وجود زاوية أحمد بن قاسم الصومعي التي وصل نفوذها إلى السراغنة والشاوية من جهة، ومن موقعها عند التقاء السهل بالجبل حيث كانت قبائل تادلا تملك رساتيق تتكون من أجزاء سهلية رعوية وأجزاء بالدير وأجزاء بالجبل، ويصعب في هذه الفترة ضبط التيارات الهجرية وتكميمها.

- مرحلة الحماية وعهد الاستقلال : نظراً لما عرفه المغرب من تغيير للبنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية استجاب المجال الجغرافي لهذه المتغيرات الجديدة وخاصة منها بناء القصبة الزيدانية وسد بين الويدان بالمنطقة مما سمح بسقي ما يقارب 20.000 هكتار ببني عمير وبني موسى. وحيث إن هذه الأراضي انتُزعت من القبائل من طرف المعمرين الأجانب وجهزت بتقنيات السقي، فإن ذلك فسر ارتفاع تيارات الهجرة من المنطقة نحو المدينة إضافة إلى وصول مهاجرين آخرين من أراض لم تسق مثل سهل السراغنة وأرياف سوس والجبال المجاورة والشاوية..

وفي هذا الإطار تعدت مساحة المدينة عشرين كلم$^2$ وانتقل عدد سكانها من 4.500 نسمة سنة 1920 إلى 10.471 نسمة سنة 1936، ثم 15.968 نسمة سنة 1952 ليرتفع إلى 28.933 سنة 1960، ثم إلى 53.826 نسمة سنة 1971، ليبلغ سنة 1982 : 95.003 نسمة، ويناهز اليوم 120.000 نسمة.

وإذا أضفنا إلى ذلك تحول مركز الثقل المجالي نحو الطريق الساحلية يمكن الحكم بأن بني ملال منفصلة عن مجالها الريفي الذي يخضع لتخطيط منذ أزيد من ستين سنة ؛ في حين نجد مجال المدينة يتوسع بدون تخطيط إلى حدود 1978 وهي سنة ظهور أول تصميم مديري للمدينة. إلا أن هاته لم تستفد من أدنى إرشاداته.

ونظراً لغنى المنطقة الفلاحي رشحت المخططات الوطنية والجهوية بني ملال لتلعب وظيفة التنمية الجهوي، إلا أنها رغم ذلك لا تتوفر إلا على عدد هزيل من الوحدات الصناعية.

- صناعة السكر : تتوفر بني ملال على معمل واحد من الثلاثة الموجودة بالمنطقة. شرع معمل سكر بني ملال في العمل سنة 1969 وينتج اليوم 44.555 طن من السكر سنوياً. ويشغل مساحة 100 هكتار، ويُشغل 269 عاملا يعملون بشكل دائم، و200 يعلمون بشكل موسمي ومؤقت.

- الصناعات الأخرى : تضم ثلاثة معامل للزيتون (استخراج الزيوت والتصبير، مطحنة كبرى، مبرد كبير للخضر والفواكه، معمل للتلفيف (تلفيف الفواكه والخضر). معمل لإنتاج مواد الماشية الغذائية، معمل لحلج القطن، معمل للدباغة ومقاولة للنجارة، وتُشغل هذه الوحدات كلها 244 عاملا دائماً.

بالإضافة إلى ذلك تتوفر المدينة على بنية إدارية هامة، إذ أنها مقر عمالة إقليم بني ملال، كما تتوفر على مندوبيات إقليمية لوزارة البريد ووزارة السكنى ووزارة النقل والطاقة والمعادن، ووحدة إقليمية لبنك المغرب وكليتين (كلية الآداب التي يدرس بها حالياً 3.600 طالب، وكلية العلوم والتقنيات التي ستفتح أبوابها قريباً.

إلا أن هذه الوحدات وهذه التجهيزات مازالت دون مستوى عدد النشيطين القادرين على العمل (450 نشيط يمتهنون مهناً غير قارة أي باعة متجولون...)

بالإضافة إلى ذلك فإن بني ملال - مدينة المياه الأرتوازية - تعاني من مشكل تدبيرها حيث تتعرض البيئة الحضرية لتلوث خطير مما سبب عدة أمراض سيما وأن السواقي عارية وتشكل مكاناً لرمي الفضلات. كما أن مشكل التوسع الفوضوي للبنايات يؤدي إلى اجتثات شجر الزيتون وباقي الأشجار الأخرى.

إن التوسع السريع للمجال في إطار الانفصال عن المجال الريفي جعل المدينة القديمة تتدهور، إضافة إلى ظهور الأحياء الصفيحية (حي للاعائشة) منذ 1970. ونظراً لوجود المدينة بين الجبل من جهة والأراضي المسقية من جهة ثانية فإن تصميمها واتجاه توسعها يتخذ شكلا طولياً حيث تتوسع البنايات على طول طريق فاس وقصبة تادلا (حي الهدى) أو على طريق مراكش (الحي الإداري). أما النواة الأولى التي يشكلها حي الصومعة مقر ضريح أحمد بن قاسم الصومعي فإنها معزولة في الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة.

وإذا حاولنا تنميط المجال الحضري الملالي حسب درجة التجهيز ونوع البناء والمستوى المهني للسكان نجده ينقسم إلى ثلاث بنيات كبرى :

- بنية شبه متطورة وتوجد بجنوب غرب المدينة وتضم خمسة أحياء.
- بنية مركبة وتتركز شرق المدينة وبالضبط في شمالها الشرقي وجنوبها الغربي وتتكون من خمسة أحياء سكنية.
- بنية ضعيفة أساسها سكن الصفيح أو المختلط وتضم ستة أحياء بالشمال الغربي والجنوب الغربي للمدينة، وشرق المدينة.

ع. أبو العز، *الجهاد الحضري بتادلة : بني ملال قطب غير مكتمل*، أطروحة السلك الثالث، السنة الجامعية 1989 - 1990.

F. Couvreur-Laraichi, *Beni Mellal : une ville moyenne marocaine*, thèse du 3ème cycle, Strasbourg, 1973 ; *Emergence de la province de Beni Mellal en tant que futur pôle de développement*, Délégation pour la région économique du centre, Casablanca, 1985 ; *Schéma directeur de la ville de Beni Mellal*, Document de synthèse, Office Allemand de la coopération technique, S.A.R.L. Planco consulting, G.M.B.H. Essen - Hambourg - London, 1978.

** ينتمي إقليم بني ملال إلى الجهة الاقتصادية الوسطى، يحده شمالا إقليم خنيفرة، وشرقاً إقليما الرشيدية وأزيلال، وجنوباً إقليم قلعة السراغنة، وغرباً إقليم خريبگة، وفي الجنوب الغربي إقليم سطات.

تبلغ مساحته 7.075 كلم مربع، ويرتفع عن سطح البحر بمعدل 570 متر، ويتكون من الناحية الإدارية من بلدية بني ملال، وباشوية قصبة تادلا، وخمس دوائر، وواحد وثلاثين جماعة قروية.

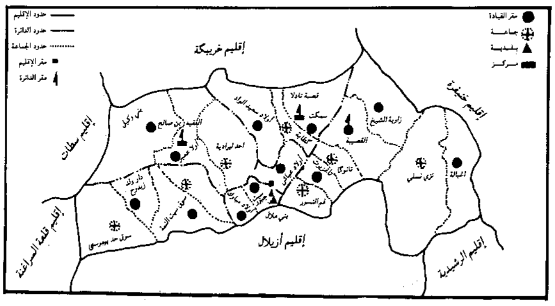


إقليم بني ملال

وهكذا احتفظ التقسيم الجديد (1992) بنفس الدوائر، وحذف أسماء ثلاث جماعات تجزأت هي نفسها إلى عدة جماعات (بني عمير، زاوية الشيخ، سبت أولاد النمة)، وأضاف جماعة اقتطعها من إقليم أزيلال (فمّ أودي)، وأضاف أيضا ثلاث عشرة جماعة أخرى استمدت أسماءها من فخذات أو دواوير سابقة.

يبلغ مجموع سكان إقليم بني ملال 873.000 نسمة فيهم 374.000 حضريون والباقي ريفيون يتوزعون بكثافة تصل إلى 123،4 نسمة في الكلوميتر المربع.

ويعتبر مناخ الإقليم من النوع القاري الشبه جاف إذ لا تتعدى الأمطار 375 ملمتر في السنة، مع العلم أن معدل الحرارة القصوى يبلغ 43،3° مائوية ؛ في حين لا يتعدى معدل الحرارة الدنيا 16،1° مائوية.

من الناحية التضاريسية يتكون إقليم بني ملال في معظمه من سهل تادلا، ومن دير بني ملال في الشرق، ومن بعض المرتفعات الجبلية في الشمال والشمال الشرقي.

ويعتبر الإقليم غنياً من حيث المياه الارتوازية (عين أسردون، عين تمگنونت، إضافة إلى عيون أخرى...). ومن حيث المجاري المائية التي يعتبر نهر أم الربيع أهمها حيث بني عليه من سنة 1929 سد القصبة الزيدانية الذي يسقي 30.000 هكتار بقطاع بني عمير علاوة على السقي بالأدرع المحورية والآبار والعيون.

إلا أن أهم تجهيز سقوي يتمثل في سد بين الويدان الذي بني سنة 1953. وإن كان موقع هذا السد بإقليم أزلال فإن النتائج الفعلية لمياهه تروي إقليم بني ملال حيث ارتفعت المساحة المسقية بفضله إلى ما يقارب 120.000 هكتار حالياً، بما في ذلك قطاع بني عمير وقطاع بني موسى.

وتعتبر طاقة خزن هذا السد الضخم من أهم المكاسب على الصعيد الوطني حيث تصل إلى 1،5 مليار متر مكعب من الماء.

وبفضل التجهير الهيدروفلاحي المبكر أصبح الإقليم يتوفر على 9.500 هكتار مخصصة لإنتاج الخضروات، و4.200 هكتار للأشجار المثمرة، و1.200 هكتار للعلفيات

و4.200 هكتار للأشجار المثمرة، و1.200 هكتار للعلفيات
و1.600 هكتار للزراعات الصناعية.

ويصل مردود الشمندر بالإقليم إلى 40 طناً للهكتار، مقابل 15 قنطار للهكتار من القطن، و35 قنطاراً للهكتار من الحبوب، و17 طناً للهكتار من الحوامض، و30 قنطاراً للهكتار من الزيتون، و200 قنطار للهكتار من التفاح. وتغطي الغابة بالإقليم مساحة مهمة تصل إلى 166.292 هكتاراً بما تحتويه من ثروة خشبية وحيوانية هامة.

أما الأراضي البورية فتخصص للزراعة وتربية المواشي مستخدمة بشكل متفاوت التقنيات الموروثة بجانب بعض التقنيات المحدثة، وتبلغ مساحة هذه الأراضي 194.000 هكتار.

وبالنسبة لقطاع المواشي، يحتضن الإقليم تربية 142.000 رأس من الأبقار، و850.000 رأس من الأغنام، و180.000 رأس من الماعز، و37.000 رأس من الخيول، وينتج سنوياً 11.500 طناً من اللحوم و30.000.000 لتر من الحليب.

ويتوفر إقليم بني ملال على تجهيزات صناعية لابأس بها لخدمة المجال الفلاحي تتكون من ثلاثة معامل كبرى للسكر (معل بني ملال، معمل سوق سبت أولاد النمّة ومعمل خميس أولاد عياد)، وست عشرة وحدة صناعية متنوعة، وسبعة مختبرات فلاحية.

وإذا كان المجال المسقي سقياً حديثاً قد أصبح يعرف وحدة قانونية، ضماً للأراضي استجابة لمتطلبات الفلاحة الحديثة، فإن المجال البوري مازال يعاني من تشابك مختلف أنواع الملكيات (خاصة وجماعية) ومن تبديد الملكيات بفعل التوارث.

*دراسة ميدانية.*

عبد الفتاح أبو العز

**بني منصور**، من قبائل غمارة الوسطى وأحد بطون بني يال - بالياء - تبعد عن ساحل البحر بنحو 15 كلم، وأكثر أراضيها جبال صخرية تمتد على مسافة ثمانية أميال - تقريباً - كما يذكر الوزان في *وصف افريقيا*.

وأهم ما تمتاز به هذه القبيلة مؤسستان، إحداهما لمداواة الأدواء الروحية، وهي زاوية تجكان التي أنجبت دعاة مصلحين، وعلماء عاملين، حاربوا الجهل والضلال مدى قرون. والأخرى لمعالجة الأمراض البدنية وهي زاوية آل أحمدون، تأسست فيما تذكره بعض الروايات الشفوية أواخر القرن العاشر الهجري (16 م) بإذن من الشيخ علال الحاج الأغصاوي دفين الحرائق. ومن أشهر أطباء هذه المؤسسة الفقيه محمد أحمدون، وهو الذي نقل مقرها من مدشر أُتْليغا إلى قرية ترزاث على بعد نحو عشرة كيلومترات، فلمع اسمه هناك واشتهر بين قبائل غمارة كلها، وخلفه ولده الحسن، فحفيده المفضل، ثم برز الحاج الصديق نجل المفضل هذا، فغطت شهرته على كل الذين سبقوه، وكانت له مهارة عجيبة في معالجة الكسر والفك والرضوض والعروق وبعض عوارض البطن، وبعض الأمراض الجلدية كالريشة وغيرها،

وله علاج خاص لمرض بوصفار (أو بوصفّير)، وكان لهذا المستشفى الخيري دور فعال في مداواة الجرحى أيام الحرب الريفية.

وستأتي في حرف الميم تراجم مجموعة من علماء بني منصور الأمغاريين.

تحيط بقبيلة بني منصور، قبائل بني بوزرة وبني گرير وبني سميح وبني خالد وبني سلمان. تقدر مساحتها بـ 148 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1949 هو 4.845 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة باستثناء سكان ستة مداشر من فرقة بني عروس الذين يتكلمون اللهة البوزراتية الأمازيغية، وبالقبيلة خمسة عشرون مسجداً وثمانية عشر ضريحاً وعشرون زاوية أشهرها زاوية تجكان، وخمسة وثلاثون كتّاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى ست فرق هي انسوان (4 مداشر) وبني عروس (10 مداشر) وافرنعمان (7 مداشر) وتليغة (5 مداشر)، وبني بزور (7 مداشر) وبني اوكتة (5 مداشر). وفي التقسيم الإداري الحالي تكون القبيلة الجماعة القروية التي تحمل اسم ثلاثاء أسيفا.

أشار الوزان الفاسي في *وصف افريقيا* (ص. 256. 257) إلى وجود قبيلتين باسم بني منصور، ولعله يعني من جهة القبيلة التي نحن بصددها ومن جهة أخرى يشير إلى فرقة بني منصور التابعة لقبيلة بني زجل الغمارية.

ويقول ع. بنعبد الله في *الموسوعة* (ص 31) إن قبيلة بني منصور كانت تسمى قديماً بـ "أسيفان" دون أن يذكر المصدر الذي اعتمد عليه في ذلك.

ح. الوزارن، *وصف افريقيا* ؛ م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ ع. الزياتي، *الجواهر المختارة*، مخطوط ؛ م. التسولي، *النوازل* ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة* ؛ وثائق خاصة وروايات شفوية.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Capaz, *Geografia de Gomara*, Ceuta, 1931, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T.II ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926, passim ; *Vademecum de la intervencion territorial de Gomara*, 1946, p. 99.

سعيد أعراب ومحمد ابن عزوز حكيم

**بني منگوش**، قبيلة زناتية من فخذ بني توجين وفرع رسوغين، إخوة يرناتن وبني تيغرين. مواطنهم الأصلية منذ القرون الهجرية الأولى ما بين ونشريس ومتيجة من المغرب الأوسط. ظلوا خلال العصر المريني الأول في صراع مع جيرانهم، ومع بني عبد الواد تارة وبني مرين تارة أخرى. وحينما حاول بنو منگوش استرجاع ملكهم إثر نكبة أبي الحسن المريني تقبض أبو عنان على رئيسهم أبي سعيد بن عبد الرحمن ونقله إلى فاس، وبذلك انقرض ملكهم بتلك البوادي وتفرقوا في الجهات، فكانت منهم الجماعة التي استقرت بجبال بني إزناسن، ولا تزال بها إلى الوقت الراهن.

تمتد أراضي القبيلة على السفوح الشرقية من جبال بني إزناسن، حول جبل أَفُغَالْ (1535 م). وللقبيلة انبساط على سهل تريفة شمالا، ابتداء من سيدي المخفي. وتقع مساحة مدينة أبركان ضمن أراضي القبيلة، وتشرف أراضيها من جهة الجنوب على سهل أنگاد، حيث بني وكيل، ويستغل سكان القرى مياه منابع واد صفرو وواد بورديم. ويحدد الامتداد الطولي للقبيلة من الشمال إلى الجنوب كل من قبيلة بني عتيق غرباً وبني خالد شرقاً، من قبائل بني إزناسن.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 117، 320.

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 192.

**بني موريل**، اسم حملته مجموعة من المهاجرين الأندلسيين، أصلهم من ناحية بسطة الواقعة بيد القشتاليين سنة 894 / 1488. وهذا التاريخ صالح لتقريب تاريخ الهجرة إلى موطنها بقبيلة الساحل الجنوبي من إقليم الهبط. وهناك إشارة واردة في كتاب *نبذة العصر في أخبار بني نصر* تفيد هجرة بعض الجماعات الأندلسية إلى ساحل أصيلا في آخر القرن التاسع. وفي بداية القرن الموالي ضبط جنود أصيلا جماعة مكونة من ثمانية أفراد بساحل بني موريل كانت في طريقها للالتجاء إلى القرية. ويقع ساحل بني موريل بين مصب واد النخلة وواد الساحل جنوباً، يتوسطه واد يحمل حاليا اسم واد المصابن. وقد اختفى اسم بني موريل من السجلات الإدارية الحالية. وأغلب الاعتقاد أن البقعة التي كانت تحتلها الجماعة الأندلسية هي المعروفة حالياً بمدشر "الرواح"، إذ أن اسم الجماعة مازال عالقاً بكدية مشرفة على المدشر المذكور (179 م) من جهة، وعلى الحافة البيضاء المعروفة منذ ذلك الوقت من جهة أخرى.

مجهول، *نبذة العصر في أخبار بني نصر*، ص. 48 ؛ ح. الفكيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 358.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 1 / 50 - 62 ; 2 / 55 - 57 - 92- 161 - 243 ; Marmol Carbajal, *Historia del rebelion y castigo de los Moriscos del Reino de Granada*, Madrid, 1797, p. 72.

حسن الفكيگي

**بني موسى**، اتحادية قبائل عربية، من بين اتحاديات تادلا. ظلوا خاضعين للسلطة المركزية في الغالب. زاد عدد كوانينهم بالتدريج وبلغ 5.824 حسب تقديرات سنة 1338 / 1920. أقامت الاتحادية على ضفتي أم الربيع بين بني عمير شمالا والسراغنة غرباً وأيت عتاب جنوباً وأيت الربع في الشرق. تميزت بلادهم بالانبساط وتكاد تخلو من كل عوائق تضاريسية.

تضم اتحادية بني موسى ثلاث قبائل هي :

- بني وجين وعددهم 3.013 خيمة في التاريخ المذكور. تفرعوا إلى أربع فخذات هي بالترتيب أولاد النمة، وأولاد إبراهيم (أو أولاد لحسن وأولاد الغزواني)، وأولاد عياد، ومسكونة. أقام أولاد النمة على الضفة الجنوبية لأم الربيع فوق السهل الواقع بين النهر وبلاد الشلوح وأولاد عاريف. وضم أولاد إبراهيم تسعة دواوير استوطنت قبل بني موسى

أهمها المعازيز وعبد النبي والخلالطة وعلي محمد. وكان سوقهم المعروف بالاثنين موجوداً قرب مركز ولد زيدوح، وقامت هذه الأخيرة فوق تراب دوار عبد النبي. وأقام أولاد عياد في أطراف بني عياط، وضموا فرقتين وست زوايا، وكان مركزهم في سوق خميس تيطمرين. وضمت مسكوتة أربعة دواوير هي المرابطية، وبكر، والدهرة، وعريبات. وأقامت على الضفة الشمالية للنهر في اتجاه شمال شرق دار ولد زيدوح.

ـ أولاد بوموسى وعددهم 1.482 خيمة، تفرعوا إلى ثلاث فخذات هي أولاد بوموسى، وأولاد بركات، وأولاد مبارك. وأقام أولاد بوموسى في غرب الاتحادية، وضمت فخذاتهم الثلاثة : ثلاثة عشر دواراً أهمها أولاد أيلول وأولاد فريج وأولاد گنيش وأولاد عيسى وأولاد محمد وأولاد محمود والعدادشة ومرابطية وأولاد سلطان، وأولاد زعير، وأولاد العافية. وتوفروا على زوايا أهمها زاويتا تارماست وكاف البيوض في شمال أم الربيع. وكان مركزهم عند سوق السبت الذي يعد ملتقى لعدة مسالك.

ـ أولاد عاريف وعددهم 1.329 خيمة. تفرعوا إلى ثماني فخذات أقامت ست منها على أراض ممتدة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي على طول أم الربيع، وهم بني عون وأولاد سميدة وأولاد زمان وأولاد زهرة وأولاد مراح والعصارا.

بني موسى في عهد الحماية : بعد أن ظلوا محايدين مؤقتاً، أثار حميتهم الدينية والوطنية تلك الأعمال العدائية الناجمة عن الغزو الفرنسي لجيرانهم بني عمير وبني ملال. وهبّوا لنجدة الآخرين لكنهم وصلوا إلى ضواحي المدينة متأخرين مساء 4 جمادى II / 11 أبريل 1912. وفي اليوم التالي حاولوا اعتراض طابور الغزاة عند مشرع الزيدانية على الضفة اليمنى لأم الربيع لكنهم رُدُّوا على أعقابهم. وفي 10 جمادى II / 17 أبريل توجه طابور مانجان لغزو تجمعات بني موسى ونشبت بين الطرفين معركة ضارية عند مشرع أم رجيلة. وفي خضم المعركة انضم ولد زيدوح قائد بني موسى إلى صف الفرنسيين. وكان لهذا الشيخ المسن البدين سوابق، خاصة وأنه سبق أن نظم استقبالا حسناً لطابور أوبير عام 1328 / 1910، ومع ذلك لم ينل من صمود بني موسى، وزاد الاشتباك عنفاً وامتد إلى حلول الظلام، فهرب الطابور وأفلت بعد اجتيازه النهر. وفي اليوم التالي (12 جمادى I / 19 أبريل) جاءت نجدة من مراكش بقيادة صافي Savy لتنضم إلى طابور مانجان، وبذلك أُرغم بني موسى على الاستسلام. ونصب الفرنسيون عليهم قواداً جدداً موالين وهم بالنسبة لبني وجين : القايد الطاهر ولد لحسن ولد الغزواني على رأس أولاد إبراهيم، والقايد المولودي ولد سعيد على رأس أولاد النمة، والقايد عبد السلام بن الحاج على رأس أولاد عياد ؛ ونصبوا على رأس أولاد بوموسى القائدين محمد بن الصالح والقائد العربي ابن محمد ؛ والقائد عبد السلام بن الحبيب على رأس مسگونة، ونصبوا على رأس أولاد عاريف القائد المولودي بن الگرنة.

*Rapports mensuels du Protectorat (1913, 1914)* ; R. Peyronnet, *le Tadla*, P. 64, 67, 69, 71, 73, 74, 76, 158, 159.

المكي المالكي

**بني هلال**، قبائل عربية استوطنت صعيد مصر مدة ثم انتقلت إلى افريقية والمغرب ابتداءً من منتصف القرن الخامس الهجري. وتشمل التسمية مجموعة كبيرة من القبائل والعشائر ترفع نسبها إلى جد أعلى يدعى هلال بن عامر. ومن أبرز تلك القبائل في تاريخ المغرب، الاثبج ورياح وزغبة وجشم وسفيان، وكلها تتفرع أيضاً إلى أفخاذ وعشائر يصعب حصرها.

وسواء كانت هجرة تلك القبائل إلى افريقية بعد قرار سياسي اتخذته الدولة الفاطمية لمعاقبة الزيريين المنشقين، أم كانت تنقلا عادياً يستجيب لأسلوبها في الحياة، فإنها شكلت حدثاً أثَّر بعمق على أوضاع افريقية. فقد استطاع الهلاليون، بفضل تفوقهم العسكري، اقتطاع عدة مدن وأقاليم من الدولة الزيرية التي تقلص نفوذها وانحصر في بعض المدن الشاطئية. وفضلا عن ذلك أصاب البلاد اضطراب وخراب، من أبرز مظاهره تخريب مدينة القيروان التي كانت، إلى ذلك الحين، إحدى حواضر الغرب الإسلامي.

بنو هلال في المغرب خلال عهد الموحدين والمرينيين : من المرجح أن بني هلال لم يصلوا إلى المغرب الأقصى قبل العصر الموحدي، وإن كان هناك من يذكر أنهم شاركوا في حروب الأندلس أيام المرابطين. وإذا ثبت ذلك، فأغلب الظن أن الأمر يتعلق بجماعات محدودة العدد والأهمية.

وبخلاف المرابطين، فإن الموحدين تعاملوا مع قبائل هلالية طيلة عهدهم. وكان أول لقاء مباشر بين الطرفين في معركة سطيف (547 هـ) حين انهزم التحالف الهلالي أمام جيش المصامدة الذي توغل نحو افريقية وأخضعها وفرض الخراج على الجميع. وفي تلك الفترة نقل الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي مجموعات من هؤلاء الأعراب إلى المغرب الأقصى.

ويبدو أن القبائل الهلالية لزمت الهدوء طيلة عهد عبد المومن وابنه يوسف، لكنها سرعان ما اغتنمت فرصة قيام ثورة بني غانية بافريقية، في محاولة لاسترجاع الامتيازات التي فقدتها بعد إخضاع المنطقة من طرف الموحدين. ولقد اضطر الخليفة الثالث، يعقوب المنصور إلى التوجه بنفسه إلى شرق إمبراطوريته في محاولة للقضاء على بني غانية وحلفائهم من بني هلال. وعلى إثر تلك الحركة، نقل بدوره قبائل رياح وأنزلها بلاد الهبط، ونقل جشما وأنزلها بلاد تامسنا. وتذكر المصادر أنه استبعد تجنيدها في الجهاد لعدم ثقته في ولائها.

ورغم ما تميز به عهد هذا الخليفة من قوة وازدهار، فإنه لم يتمكن من القضاء على تحالف بني هلال وبني غانية،

ويجب انتظار عهد ابنه وخلفه الناصر (595 ـ 613) الذي سيعيد جو الهدوء والاستقرار لذلك الإقليم حين اقتنع بتفويض أمره إلى قائد مقتدر هو أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص. غير أنه ما كاد يحسم أمر إفريقية (بداية القرن السابع) حتى دخلت الأمبراطورية الموحدية في طور الضعف والانقسام. حينذاك سوف تتغير علاقة الدولة بالعرب الهلاليين، من عصاة يتم تأديبهم، مع ما يكلفه ذلك من مجهودات مادية وبشرية، إلى مرتزقة يبحث الخلفاء والثائرون من الموحدين عن دعمهم ومساندتهم، بل ويخضعون لضغوطهم ونزواتهم في كثير من الحالات. وفي هذه المرحلة، برزت على الساحة العسكرية والسياسية قبيلتان هلاليتان، هما الخلط (من جشم) وسفيان اللتان ستلعبان أدواراً خطيرة طيلة ما تبقى من عمر الدولة.

فخلال النزاع الذي حدث بين المامون (626 ـ 629) ويحيى (624 ـ 626) انضم عرب الخلط إلى صف الأول وسفيان إلى الثاني. وحين وفاة المامون، كان قواد النصارى وشيوخ الخلط أول من بايعوا ابنه الرشيد (629 ـ 639). بدأ هذا الأخير يفكر في التخلص من نفوذهم المتزايد، فلجأ إلى البحث عن مساندة أشياخ الموحدين الذين أزاحهم أبوه من قبل اتقاءً لشرهم أيضاً. ولما لم يُجده ذلك اختار الغدر والحيلة، فاستدعى إلى قصره زعماء الخلط وقتلهم مما جر عليه نقمة ذويهم الذين أسرعوا لحصار مراكش، ففر الرشيد بأعجوبة تاركاً عاصمة ملكه غنيمة سهلة أمام جحافل الأعراب. ولم تكن هذه التجارب البئيسة عبرة للخليفة السعيد (639 ـ 645) الذي لجأ بدوره إلى الاستعانة بالخلط في مواجهة الثائرين من أمثال ابن وانودين الذي حظي بدعم سفيان، أو من أمثال بني عبد الواد الذين تواطأ معهم الخلط للتخلي عن الخليفة الموحدي في إحدى المعارك بين الطرفين، مما أدى إلى هزيمة جيشه ومقتله. أما المرتضي (645 ـ 665)، فقد ثأر للسعيد وقتل بدوره عدداً من زعماء الأعراب.

وعلى العموم، فإن التاريخ العسكري الموحدي غني بأمثلة من الهزائم والنكسات التي كان من أسبابها القوية خذلان وتراجع مرتزقة الأعراب الذين كانوا لا يترددون في الانسحاب أو التراجع متى استصعبوا المواجهة أو توقعوا الهزيمة، أو في التخاذل في ساحة المعركة نفسها.

أما بنو مرين فكانوا في بداية ظهورهم في خدمة الدولة الموحدية، إلا أنهم سرعان ما تطلعوا إلى إنشاء دولة أو إمارة. ولقد فطنوا منذ تلك المرحلة إلى خطورة القبائل الهلالية ودورها في الصراع القائم بالمغرب آنذاك، فحاولوا استمالتها بالطرق السلمية وصاهروا بعض كبار الخلط وسفيان وزغبة لكنهم لجأوا فيما بعد إلى استعمال القوة، فشتتوا شمل عرب رياح القاطنين بسهل الهبط واغتالوا حوالي مائة من زعمائهم، مما ألقى الرعب في نفوس سفيان الذين أسرعوا بالانضمام إلى صف الدولة الناشئة. ويذكر الحسن الوزان أن قبائل الأعراب أصابها القحط والمجاعة بعد سقوط دولة الموحدين وصعود بني مرين الذين نقلوا قبائل أخرى من هوارة وزناتة إلى السهول الأطلنطيقية لمزاحمة وإضعاف القبائل الهلالية. ويجب أن نفهم من إشارة الوزان أن الدولة المرينية تمكنت من ضبط هؤلاء حين بسطت نفوذها على مجموع المغرب الأقصى.

قبائل بني هلال بعد الدولة المرينية : من المعروف أن الدولة المرينية مرت، عبر عهدها الطويل، بفترات أزمات وضعف، وخلالها كانت القبائل الهلالية ترجع في المناطق التي تنتشر فيها إلى أسلوبها في النهب والسلب. إلا أنه ابتداءً من القرن الخامس عشر، طرأت على أوضاع المغرب متغيرات جديدة سياسية واجتماعية، داخلية وخارجية، جعلت أدوار بني هلال تبدو أقل بروزاً مما كانت عليه زمن الموحدين والمرينيين، يضاف إلى ذلك كون بعض تلك القبائل بدأت تندمج تدريجياً في المجتمع المغربي.

ورغم ذلك، فإن العرب، والخلط منهم بصفة خاصة، ظلوا يخلقون بعض المتاعب للدولة المغربية. فقد كان على السعديين الأوائل إعادة إخضاعهم وضرب الحصار على مواطنهم بواسطة قبائل معقل التي استقدموها من الجنوب، واضطر أحمد المنصور بعد ذلك بمدة إلى إسقاطهم من الجندية. ويبدو أن الدولة العلوية تمكنت من إخضاع قبائل الخلط في نهاية المطاف، ويورد الناصري فقرة تحكي تطور علاقات هؤلاء مع ملوك الدولة العلوية حيث يقول :

"ولما أشرفت الدولة السعدية على الهرم اجتمعوا إلى أزغار فغلبوا عليه وعفوا وكثروا وأكثروا من الخيل والسلاح، إلى أن جاء الله بالمولى إسماعيل رحمه الله فانتزع منهم خيلهم وسلاحهم لغيرهم من قبائل المغرب وضرب عليهم المغارم، واستمروا على ذلك إلى أيام المرحوم المولى محمد بن عبد الله، فظهروا في دولته وكانوا يعكسون (كذا) معه في حروبه ويغرمون ما وجب عليهم من الزكوات والأعشار، وكذلك مع ابنه المولى سليمان وابن ابنه المولى عبد الرحمان بن هشام رحم الله الجميع بمنه، وهم اليوم في عداد القبائل الغارمة".

آثار القبائل الهلالية على المجتمع المغربي : يميز المهتمون بتاريخ المغرب الوسيط بين الموجة العربية الأولى المتمثلة في جنود وقادة الفتح والمتمثلة أيضا في بعض المهاجرين لأهداف مختلفة الذين كانوا يقصدون الحواضر القديمة، أو يؤسسون مدناً جديدة ليستقروا بها، ويتولون وظائف السلطة والإدارة وبين الموجة الثانية المتمثلة في بني هلال الذين كانوا يتوجهون إلى السهول والسهوب التي تستجيب أكثر لمطالب الحياة البدوية. وإلى جانب هذا الفرق، يتميز الهلاليون بكونهم مجتمعاً كاملا متنقلا يضم النساء والأطفال والشيوخ، فضلا عن فئة المحاربين. وإذا كان العرب الفاتحون قد أثروا على المدن المغربية في كثير من المجالات الثقافية والتنظيمية والعمرانية، وأعطوها كثيراً من معالم الحواضر المشرقية، فإن الهلاليين كان لهم أيضاً تأثير كبير في المناطق السهلية التي نزلوا فيها. وأول مظاهر ذلك التأثير يتعلق بالجانب اللغوي، حيث يرى أغلب

المؤرخين أن تلك القبائل قد تمكنت من تعريب سكان السهول والمناطق التي حلت بها.

وإلى جانب التأثير اللغوي الذي ليس موضوع خلاف بين المؤرخين، هناك انعكاسات أخرى للوجود الهلالي بالمغرب، تتعلق بالمجالات الاقتصادية والعمرانية. وهذه المسألة هي التي حظيت باهتمام عدد كثير من الباحثين، فبعض هؤلاء يرون أن إحلال قبائل بدوية بمناطق فلاحية وحضرية كان من الأسباب الأساسية في تدهور الفلاحة وتراجع العمران ؛ وكل ذلك في جو من انعدام الأمن والاستقرار وتعذُّر المبادلات التجارية. وتستند هذه التحاليل إلى نصوص وسيطية، أبرزها كتابات ابن خلدون، كما تستند إلى نظرية مجردة تلح على إبراز التنافي بين شكلين من النظم الاجتماعية ـ البدو والحضر ـ معروفين بالمغرب منذ ما قبل الزحف الهلالي بعدة قرون. وليس هناك مجال الاسترسال وراء النقاش والجدال الذي أثير ولا يزال يثار حول ما يمكن أن نطلق عليه "المسألة الهلالية" في تاريخ المغرب، وإنما سنكتفي بعرض مثال إقليم تامسنا الذي نزلت به بعض القبائل الهلالية، سعياً إلى إبراز الحجم "الحقيقي" لأثرها على الفلاحة والعمران. وفي هذا المجال، سجل لنا ابن الخطيب الذي زار المغرب في منتصف القرن الثامن معلومات هامة حول ذلك الإقليم، فهو يتحدث عن ازدهار فلاحي يتجلى في حجم إنتاج الحبوب الذي كانت تسخر له أزواج فلاحية بلغ تعدادها ثلاثة آلاف زوج. وبعد ذلك التاريخ بقرنين، يذكر الحسن الوزان أن عرب تامسنا كانوا يحصلون على خمسين ضعف مازرعوا، وأنهم كانوا يودعون أدواتهم الفلاحية بجوار أحد أوليائهم حتى تكون في مأمن من اللصوص. غير أنه يستنتج أيضاً من سرد المؤلفين وغيرهما استمرار جو من انعدام الأمن والاستقرار، مما يحول بلا شك دون انتشار الفلاحة وازدهارها، هذا، فضلا عن امتداد مجال الحياة الرعوية، مما يضر بالفلاحة، وخاصة منها الشجرية. فمن الثابت أن عرب رياح كانوا رعاة لماشية الدولة المرينية بتلك الأقاليم. ويتساءل بعض المؤرخين عما إذا كان امتداد مجال الرعي هو السبب في تراجع الفلاحة، أم فقد نتيجة لذلك.

وفيما يخص التخريب الهلالي، الذي ألح عليه عدد من الدارسين أيضاً، سنكتفي ببعض الإشارات التي وردت عند الحسن الوزان حين وصفه لإقليم تامسنا، فهو يذكر أن مدينة تگيت قد خربت من جراء فتن برغواطة، كما أن عدداً من المدن الأخرى بالإقليم، ومن بينها أنفا، هدمت من جراء العدوان البرتغالي، وكل هذه الأسباب سابقة عن الهلاليين لكن الأعراب هم أيضاً مسؤولون عن تخريب مدن أخرى كمدينة المنصورة. ويعلق الحسن الوزان بعد ذلك قائلا : إن ضعف ملوك فاس هو المسؤول عن تعاسة الناس وتراجع العمران. لذلك لا يمكن إرجاع ما أصاب إقليم تامسنا ـ الذي اخترناه مثالا ـ إلى دور الأعراب وحدهم، بل لا بد من إدخال ظروف وعوامل تاريخية أخرى في الاعتبار.

هكذا انقسم المؤرخون حول "المسألة الهلالية" في تاريخ المغرب إلى فريقين، الأول يريد تعليل الانتكاسة العمرانية التي شهدها المغرب منذ نهاية الدولة الموحدية، باجتياح بني هلال لأرضه، وذلك بالاعتماد على نصوص تاريخية كقول ابن خلدون "العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب" ؛ والفريق الثاني يلح على نفي أي دور سلبي لتلك القبائل أو يسعى إلى التماس أعذار مبنية على حجج ليست دائماً مقنعة. وإذا كان الفريق الثاني يتغاضى عن بعض الأخبار التاريخية، فإن الفريق الأول يبالغ بدوره حين يفسر التحولات الكبرى في تاريخ بلد شاسع كالمغرب بعامل وحيد، هو الزحف الهلالي.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، تح.ع. التازي، بيروت، 1964 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 3، خاص بالدولة الموحدية، تح. ميراندا وآخرين، تطوان، 1960 ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء ب. ت ؛ ع. ابن خلدون، *العبر، المقدمة*، ج6 و7، بيروت، 1967 ؛ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980 ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*، ج 1.

W. Marçais, *Comment l'Afrique du Nord a été arabisée*, *A.I.E.O.A.*, T. V, Année 1939, p. 6 - 16 ; G. Marçais, *La Berbérie musulmane et l'Orient au moyen âge*, Paris, 1946 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc...*, Casablanca, 1949 ; H. R. Idris, *La Berbérie orientale sous les Zirides au XIème et XIIème siècle*, Paris, 1962 ; J. Poncet, *Le Mythe de l'invasion hilalienne*, *A.E.S.C.*, N° 5, sep. oct. 1967, p. 1099 - 1120 ; H. R. Idris, *De la réalité de la catastrophe hilalienne*, *A. E. S. C.*, N° II, mars-avril, 1962, p. 390 - 396 ; A. Laroui, *Histoire du Maghreb*, Paris, 1970 ; Y. Lacoste, *Ibn Khaldoun*, Paris 1978 ; G. Ayache, *Ibn Khaldoun et les arabes*, in *Etudes d'histoire marocaine*, Rabat, 1983.

رضوان مبارك

**بني واسول**، من البربر البتر، من قبيلة مكناسة الزناتية التي تضم بطوناً عديدة، أهمها : صولات وبوحاب وبني ورفلاس وبني وردنوس وقيصارة ونبعة وورقطنة وبني أبي نزول ( *العبر*، 6 : 170 ـ 171). وكانت زعامة مكناسة في بني أبي نزول، ثم انقسمت هذه الزعامة إلى قسمين بعد مجيء الإسلام، وصارت رئاسة بطون مكناسة في مناطق سجلماسة وما إليها لبني واسول بن مصلان بن أبي نزول في حين صارت رآسة المكناسيين بجهات تازا وتسول وملوية ومليلة لبني أبي العافية بن أبي نائل بن أبي الضحاك بن أبي نزول، والي هؤلاء ينتسب موسى بن أبي العافية ( *العبر*، 6 : 171 و176).

كانت مواطن بني واسول بسجلماسة والمناطق المجاورة لها، في حين كانت مواطن أغلب بطون مكناسة إلى الشمال منها ما بين منابع وادي ملوية ومصبه في البحر المتوسط أي في نواحي تسول وتازا وگرسيف ومليلة ( *العبر*، 6 : 170 و176). وكان بنو واسول على مذهب الخوارج الصفرية لأنهم أخذوا تعاليم هذا المذهب عن بعض أئمتهم وهو أبو القاسم سمگو بن واسول بن مصلان بن أبي نزول مؤسس إمارة سجلماسة الصفرية التي يسميها البكري وابن عذاري بإمارة بني مدرار ( *المغرب*، 149 *والبيان*، 1 : 157) ويسميها ابن خلدون بإمارة بني واسول ( *العبر*، 6 : 171).

ينحدر مؤسس هذه الإمارة من أسرة مختصة في الزعامة ومعروفة بالعلم والجاه في بني واسول. وقد سافر إلى القيروان وأخذ بها عن عكرمة مولى ابن عباس تعاليم مذهب الخوارج الصفرية صحبة ميسرة المطغري وطريف أبي صالح زعيم برغواطة. شارك أبو القاسم في ثورة ميسرة سنة 122 هـ / 741 م ضد الولاة الأمويين بالمغرب، ثم عاد إلى مجالات قبيلته بسجلماسة بعد أن افترقت جموع خالد بن حميد الزناتي الذي خلف ميسرة على قيادة الخوارج بالمغرب الأقصى، وشرع في نشر دعوة الخوارج الصفرية بها حتى دخل سائر مكناسة من أهل تلك الناحية في مذهبه وصارت خيمته ملتقى لكل أتباعه (*العبر*، 6 : 172)، حتى إذا اجتمع على هذا المذهب زهاء أربعين من رجالاتهم أعلن قيام إمارته بسجلماسة سنة 140 هـ / 757 م ( *العبر*، 149 ؛ *الاستبصار*، 201 ؛ *البيان*، 1 : 156 ؛ *العبر*، 6 : 172) وهي الإمارة التي عرفت في أغلب المصادر باسم إمارة بني مدرار رغم أن العصبية التي قامت عليها هي عصبية بني واسول المكناسية، ورغم أن مؤسسها هو أبو القاسم سمگو بن واسول وليس مدرار بن أبي منصور اليسع الذي هو حفيد المؤسس ورابع أمراء الخوارج الصفرية بسجلماسة.

إن نسبة الإمارة لأميرها الرابع نابع من الدور الذي لعبه مدرار في تاريخها من جهة، والخصوصية التي امتازت بها فترة حكمه من جهة أخرى. فمن المعروف أن هذا الأمير حكم سجلماسة ما بين 208 . 224 هـ / 823 . 839 م أي بعد نصف قرن من تاريخ تأسيسها، غير أنه رغم بعد فترة حكمه عن تاريخ ظهور الإمارة وتاريخ ظهور عاصمتها سجلماسة أيضاً، فإن الروايات التاريخية تنسب إليه بناء هذه المدينة كما تنسب ذلك لجده أبي القاسم. فقد ذكر البكري أن أبا القسام شرع في بناء عاصمة إمارته بعد أن اجتمع إليه الأتباع. وفي رواية أخرى أن مدرار كان حداداً من ريفية الأندلس، قدم إلى سجلماسة بعد وقعة الربض وكان يحضر بما يعده من آلات الحديد سوق البربر الذي كان يقام بموضع سجلماسة ثم ابتنى خيمة وسكنها وسكن البربر حوله فكان ذلك أصل عمارتها (*المغرب*، 149).

ويستفاد مما كتبه البكري في موضوع تأسيس سجلماسة عاصمة بني واسول أن تاريخ بنائها يكتنفه غموض كبير، إذ ذكر تاريخين مختلفين في معرض حديثه عن بناء أبي القاسم سمگو بن واسول للمدينة وهما 104 / 723 و140 / 757 (*المغرب*، 149) وفي معرض حديثه عن مدرار أشار إلى تاريخ ثالث هو ثورة الربض التي خرج بعدها مدرار من الأندلس إلى سجلماسة واشتغل بالحدادة قبل ظهور المدينة إلى الوجود. وثورة الربض تمت على مرحلتين بقرطبة عاصمة الأمويين في خلافة الحكم بن هشام بن عبد الرحمان : المرحلة الأولى سنة 189 / 806 وقد أخمدها الخليفة بسهولة، أما الثانية فكانت سنة 202 / 818 وأسفرت عن تشريد أهل الربض في جميع أقطار الأندلس ومنهم من جاز البحر إلى العدوة بالأهل والولد ( *البيان*، 2 : 77).

فيكون مدرار قد قدم إلى سجلماسة في التاريخ المذكور، غير أن البكري نفسه أبطل صحة هذه الرواية حين قال إن الأصح في عمارة سجلماسة هو أن أبا القاسم سمگو بن واسول هو صاحب الفضل في ذلك ( *المغرب*، 149).

وحول رواية البكري عن تأسيس مدرار لسجلماسة كما تناقلتها المصادر فيما بعد ـ تساءل ماك كوك وقال : كيف يعقل أن يبني مدرار هذه المدينة إذا كان جده قد بناها من قبل ؟ أو كان عيسى هو الذي بناها أيام جده ؟ إنه لغريب حقاً أن ينسب بناء المدينة إلى الثالث من رجال دولتها ( *الروايات*، 27). إن نسبة بناء المدينة وتسمية الإمارة التي قامت بها باسم مدرار يرجع بالأساس إلى عاملين : أولهما أن أغلب ما وصلنا عن أخبار الخوارج الصفرية بسجلماسة كان عن طريق ما دونه البكري في *المسالك والممالك*. وعليه، فإن تسمية الإمارة بإمارة بني مدرار أساسه النقل عن البكري الذي تحدث عنها بهذا الاسم خلافاً لابن خلدون الذي ذكرها باسم إمارة بني واسول كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وثانيهما : أن الأمير مدرار تمتع بشهرة كبيرة مقارنة مع غيره من أمراء بني واسول حكام سجلماسة. فقد شهدت الإمارة في عهده ازدهاراً كبيراً حتى أصبحت لها مكانة متميزة بين مثيلاتها ببلاد المغرب كإمارة الرستميين وإمارة البرغواطيين ، خصوصاً وأن الأمير مدرار استفاد من النجاح العسكري الذي حققه أبوه اليسع في المناطق المجاورة لسجلماسة في الجنوب والغرب. يضاف إلى ذلك ما قام به هذا من اتصالات مع باقي إمارات الخوارج ومنها إمارة تاهرت على وجه الخصوص كانت تجمعه بها روابط متينة بحكم زواجه من أروى بنت عبد الرحمان بن رستم في عهد أبيه ( *العبر*، 6 : 172).

كان لهذا الزواج أثره في أن يتميز عهد الأمير مدرار بميزات خاصة أهمها الصراع الحاد الذي دار بين ولديه حول ولاية العهد وهو صراع تكمن وراءه خلافات مذهبية صرفة خصوصاً وأن الأمر كان يتعلق بأميرين أحدهما من أميرة رستمية وثانيهما من امرأة من أهالي سجلماسة. فانحاز من كان من الإباضية بإمارة بني واسول لابن الرستمية في حين انحاز الصفرية لابن بقية السجلماسية ( *البيان*، 1 : 157؛ *العبر*، 6 : 172 . 173).

لقد انعكست صراعات ميمون ابن الرستمية مع أخيه ميمون ابن بقية حول ولاية العهد في حياة أبيهما على سمعة مدرار، وساهمت كثيراً في أن يكون لاسمه صدى واسع في تاريخ الإمارة حتى ارتبطت تسميتها باسمه واقترن تأسيس عاصمتها بعهده أيضاً. وعليه، فإنه إذا كان سياق الحوادث التاريخية التي شهدتها سجلماسة في عهد مدرار لا تدفع إلى الاعتقاد بأن شخصية هذا الأمير كانت على درجة كبيرة من القوة، فإن وصف البكري له بأنه كان حداداً من ربضية الأندلس وارتباط هذه الصفة بأبنائه أيضاً لأنهم هُجوا بذلك ( *المغرب*، 149) يوحي بأن يكون مدرار

قد امتاز بشدة البأس والصبر والجلد، وهي الصفات التي جعلت لقب الحداد يقترن باسمه خصوصاً وأن هذه الحرفة يشترط في أصحابها التمتع بالقوة اللازمة لتطويع الجديد رغم صلابته. وقد احتفظت منطقة تافيلالت التي توجد بها أطلال مدينة سجلماسة، باسم مدرار الذي هو اليوم اسم لأحد قصور أيت عيسى بوادي بوعنان. وتجب الإشارة هنا إلى أن هذا القصر يقع في قرى بني بصري التي ذكر الوزان في القرن العاشر (16 م) أن بها منجم حديد يزود جميع إقليم سجلماسة بحاجته من هذه المادة (*وصف افريقيا*، 2 : 132).

أ. البكري، *المغرب*، نشر دي سلان، باريس، 1965 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تـ. ج. س، كولان وليفي بروفنسال ؛ ع. ابن خلدون، العبر، ج 6. ظ. بيروت، 1988 ؛ مجهول، *الاستبصار*، تـ. زغلول عبد الحميد، البيضاء، 1985 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1982، ج 2 ؛ ماك كوك، *الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة*، تر. محمد الحمداوي، الدار البيضاء، 1395.

حسن الحافظي

**بني واسين،** قبيلة توجد حالياً بسهل أنگاد بناحية وجدة وبفحص طنجة، في تجمعات سكانية صغيرة. ووجود هذه القبيلة قديم جداً، عرفت بها أكبر الفصائل الزناتية منذ الفتح الإسلامي على الأقل. وقد بين لنا ابن خلدون، نقلا عن ابن حزم والنسابين الأمازيغيين أصل انحدار بني واسين. فهم زناتيون لا شك في ذلك، إخوة مغراوة وبني يفرن وبني يرنيان، من ولد يصليتن بن مسرا بن زاكيا. استوطن بنو واسين بلاد قسطنطينة من المغرب الأوسط، لكنهم انزاحوا عنه مع الزناتيين إلى حوض ملوية الأوسط، نتيجة الضغط المتوالي لقبيلتي كتامة وصنهاجة المغرب الأوسط حليفتي العبيديين في أواخر القرن الثالث الهجري. وقد أثبتت رسالة موسى بن أبي العافية المكناسي إلى الخليفة الناصر الأموي وجود جماعات بني واسين سنة 323 هـ. بسهوب تاوريرت وحول واد زا (صا).

بقي بنو واسين بتلك المواطن الجديدة يمثلون صلة وصل بين المغربين الأقصى والأوسط. وفي بداية القرن الثاني الهجري تعرفنا على أميرهم المسمى قاسم الوسناني، صاحب واد زا (صا) والكدية وهي تاوريرت، وهو معاصر لصالح بن سعيد النكوري (تـ. 206 هـ) وكانت بينهما علاقة طيبة.

استخدم مكناسيو تسول قبيل بني واسين ضد زناتة بني خزر اليفرنيين بتلمسان، كما سار المغراويون على منوال المكناسيين لحراسة ممر أنگاد. واستنفرهم ملوك صنهاجة المغرب الأوسط بدورهم أثناء حملاتهم ضد المغرب طوال القرن الرابع الهجري. وعظمت حاجة بني حماد الصنهاجيين إليهم أثناء الانسياح الهلالي في النصف الأول من القرن الخامس. وكذلك فعل المرابطون والموحدون بعدهم إذ استخدموهم أثناء قيادة الحملات العسكرية في اتجاه المغرب الأوسط، إلى أن صعد نجم المرينيين، إخوة بني بادين وبني توجين، وكلهم من بني واسين.

ما تزال آثار استقرار بني واسين شمال سهل أنگاد، مما يجاور الحدود المغربية الجزائرية بمحاذاة واد كيس، بين أحفير ووجدة. قسم منهم داخل بالتراب الجزائري.

ونجد بني واسين أيضاً بفحص طنجة، مستقرين بحوض واد مغوغا الأعلى، جنوب جبل الخريب. ربما كانت هذه الجماعة من بقية بني واسين الذين نقلهم أبو الحسن المريني إلى بلاد غمارة. وإلى جانب التجمع الواسيني يوجد عزيب بني أبي العيش وقرية البرج.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 93، باريس، 1965 ؛ ابن حيان الأندلسي، *المقتبس*، ص. 370، مدريد، الرباط 1979 ؛ ابن حوقل النصيبي، *صورة الأرض*، ص. 103 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 10 ؛ ع. ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، 15-20.

حسن الفكيگي

**بني وانودين،** (إمارة -) تأسست بمدينة سجلماسة على أنقاض إمارة بني مدرار سنة 366 هـ، ودام عهدها إلى منتصف القرن الخامس (حوالي 447 هـ) حين دخل المرابطون سجلماسة. ويطلق على بني وانودين اسم بني خزرون لأنهم فرع واحد من قبيلة مغراوة (انظر بني خزرون). كما تعرف هذه الإمارة في بعض المصادر التاريخية بإمارة بني خزرون، نسبة إلى المؤسس الأول خزرون ابن فلفول المغراوي. أما وانودين فهو الأمير الذي تميز عهده بتحقيق استقلال كامل لإمارته التي كانت تتنازعها من قبل الدولتان الفاطمية والأموية.

ففي بداية القرن الخامس الهجري، تراجع الضغط الفاطمي عن المنطقة المغربية، وعصفت الثورات والفتن الداخلية بما تبقى من سلطة بني أمية بالأندلس. وفي تلك الظرفية نهج وانودين سياسة توسعية مكنته من بسط سلطته على مناطق درعة وصفرو وعدد من قصور ملوية. وفي عهد الأمير الثالث مسعود بن وانودين افتتح المرابطون مدينة سجلماسة بعد أن قضوا على جيشه المتواضع.

وتذكر المصادر أن فقهاء المدينة، وعلى رأسهم وگاك الشهير، تواطؤوا مع الفاتحين ودعوهم لتغيير المناكر المتفشية في المجتمع السجلماسي. بل إن القاضي عياض ينسب قتل الأمير مسعود بن وانودين إلى أحد الفقهاء المتحمسين للدعوة المرابطية.

ومهما يكن فإن سقوط إمارة بني وانودين في منتصف القرن الخامس الهجري، يمثل نهاية الدور السياسي لمدينة سجلماسة، بعد أن استمر ثلاثة قرون، إلا أن ذلك لا يعني نهاية دورها الاقتصادي والتجاري الذي سوف يستمر - رغم تناقصه - لعدة قرون أخرى.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تح. سعيد أعراب، ج 8 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تح. إحسان عباس ج 4 ؛ ابن أبي زرع،

*روض القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 7، بيروت 1968.

رضوان مبارك

**بني ورّا**، قبيلة صغيرة، تقع أراضيها جنوب غرب الزيايدة، وإذا كانت قد ضمت للزيايدة تحت حكم واحد في بعض الفترات التاريخية، فإن قبيلة بني ورّا في الواقع مستقلة سلالياً عن الزيايدة. يدعي بني ورّا أن أصلهم من نواحي تازا وفاس وأنهم إخوان بني وَرَايْن، طردوا أو نقلوا من موطنهم الأصلي إلى موطنهم بالشاوية على وادي شراط. وعن سبب نقلهم تشير الرواية إلى أن ذلك حدث بعد سلسلة من أعمال السرقة والنهب. والجدير بالملاحظة أن تبادل أعمال السرقة والنهب، عرفت عند القبائل المتساكنة قرب بني ورّا، مثل الزيايدة وأعراب الرباط وزعير زيادة على بني ورّا، خلال القرن الماضي. ولعل ذلك كان مرتبطاً بوجود طريق القوافل الساحلية المارة وسط هذه القبائل، وبظرفية معينة، سياسية واقتصادية مرت بها تلك القبائل.

وبالجملة لا يمكننا أن نكتفي بهذا السبب وحده لتفسير توطين بني ورّا في موقعهم المعروف بالشاوية، لأن حوادث السرقة والنهب وقطع الطرق، كانت تقع عند قبائل عديدة وفي جهات مختلفة في فترات معينة، غالباً ما كنت ترتبط بضعف السلطة المركزية.

وعلى كل حال فإن قبيلة بني ورّا خضعت أحياناً كثيرة، خلال القرن التاسع عشر، مع الزيايدة موالين الغابة، لقيادة واحدة. وهذا ما كان عليه الحال أيام حكم القائد محمد بن العربي الزيادي حوالي 1874 - 1894. وفي بداية عهد مولاي عبد العزيز 1312 / 1894، سجن أحمد بن موسى، القائد محمد بن العربي الزيادي وفصل بني ورّا عن موالين الغابة، وعين القائد الشرقي بن محمد على قبيلة بني ورّا. وهو ينتمي إلى فخذة بني مغسال أكبر أقسام بني ورّا.

كانت قبيلة بني ورّا تنقسم إلى ثلاثة أقسام : بني مغسال وگطابة وأولاد يونس. كانوا من أكثر قبائل الشاوية صموداً في وجه الاحتلال. قاموا، مثل الزيايدة موالي الغابة المجاورين لهم، بدور كبير في جهاد الشاوية ضد الاحتلال الفرنسي، وشاركوا في المعارك الأولى التي جرت حول الدار البيضاء خلال شهر غشت 1907، كما شاركوا في المعارك التي جرت بأرض الزيايدة وأولاد علي والمذاكرة، وخاصة معركة برابح 16 - 17 فبراير 1908، وفخفاخة في 29 فبراير من نفس السنة.

ويظهر أن موقع بني ورّا الذي يتميز بالتعرج وتعمق الأودية ساعدهم كما ساعد جيرانهم موالين الغابة على الصمود في وجه العدو، بعكس فرقة الزيايدة الأخرى التي لم تبد مقاومة شديدة نظراً لموقعها في السهل الساحلي.

وتجدر الإشارة إلى أن قبيلة بني ورّا أصبحت منذ 1914 تمثل فرقة من فرق الزيايدة التي قسمت إلى أربعة أقسام :
1 - موالين الوطى، 2 - موالين الغابة، 3 - الفضالات، 4 - بني ورّا.

*Villes et Tribus du Maroc : Casablanca et Chaoui*, T : 2.

علال الخديمي

**بني وراين**، واحد من أهم الألفاف القبلية بالأطلس المتوسط الشرقي. ولا يقل عدد القبائل المنتمية لهذا اللف الكبير عن أربع عشرة قبيلة، متفاوتة الأهمية من حيث عدد أفرادها واتساع رقعة ترابها وقوة سالف نفوذها.

تغطي بلاد بني وراين نحو أربعة آلاف كيلومتر مربع، ممتدة على الجانبين الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي من جبل بويبلان، أو كما يدعوه أهل المنطقة جبل موسى وصالح، الذي يصل في أعلى قمة له إلى 3190 متر. ففي الاتجاه الأول، تصل أرض بني وراين حتى نهر إناون، شمال مدينة تاهلة، بينما تمتد في الاتجاه الثاني إلى مشارف نهر ملوية الذي تبلغه جنوب مدينة گرسيف. وهكذا تنتشر قبائل بني وراين على أزيد من مائة كيلومتر من الشرق إلى الغرب ونحو ثمانين كيلومتراً من الشمال إلى الجنوب، مع اتساع رقعتها شرق بويبلان وضيقها تدريجياً غرب هذا العارض الجبلي. وجاء انتشار هذا المجال والشكل الذي اتخذه نتيجة التطور التاريخي المعقد الذي عرفته القبائل الوراينية خاصة طيلة القرن الماضي وأثناء الربع الأول من القرن الحالي.

تتكلم قبائل بني وراين لهجة لها صلة وقرابة وثقى باللسان السائد في جبال الريف ومرتفعات المغرب الشرقي، مما يرجح أن لها أصلا زناتياً (على غرار العديد من الجماعات البشرية المجاورة مثل أيت سغروشن ومرموشة). وليس لسان قبائل الأطلس المتوسط الغربي. لذا يظهر أنها قدمت هي الأخرى ضمن الجماعات الزناتية من السهوب التونسية عبر المغرب الأوسط حتى بلغت وادي ملوية. ومن الصعب معرفة متى كان وصولهم إلى هذه المنطقة. فالحسن الوزان لم يذكر، في *وصف افريقيا* في أوائل القرن السادس عشر اسم بني وراين عند حديثه عن إقليم الحوز أحد أقاليم مملكة فاس، ولدى تعرضه لجبل وَبْلا (بويبلان) الذي وصفه بأنه "خال من السكان" إلا من أحفاد أسرة كانت قد اعتزلت هناك في أعقاب فتن حدثت قديماً. وكان هؤلاء الأحفاد يعيشون، كما يقول الوزان "عيشة بسيطة زاهدة. ونظراً لكونهم متأدبين يعيشون مستقيمين، فإن لهم مكانة كبيرة عند ملك فاس". الظاهر أنه يلمح هنا إلى زاوية تَنَكْرَرْمْت التي أنشأها، حسب بعض الروايات، الشيخ مَحمد بن محمد الفَرْحي عند قدم جبل موسى وصالح. أسوة بوالده الشيخ محمد بن القاسم الذي كان قد أقام زاوية بِتغْزَة، قرب بركين، في القرن التاسع الهجري.

وعلى غرار ما حدث في مناطق عديدة أخرى من المغرب، فإن هذه الزوايا قامت بدور التعليم والتحكيم بين القبائل المحلية، مما أعطى بعضها شأناً كبيراً ونفوذاً واسعاً في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وتعزز ذلك وتبلور بتطلعات سياسية واضحة لما سمحت ظروف الأزمة والفتن التي عمت المغرب في بداية القرن التاسع

عشر مع ثورة القبائل وتمرد الزوايا، مما أنعش من جديد حركة مد كاسحة حملت قبائل السفوح الجنوبية والشرقية من الأطلس (أيت أُمالو) في زحف متواصل نحو السفوح والهضاب والسهول الأطلنتية الأوفر مرعى وماءً. وفي هذا الإطار العام انضمت قبائل بني وراين إلى الحلف القبلي الذي تزعمه أبو بكر أمهاوش المناوئ للمخزن، في تواطؤ مع الزاوية الدرقاوية البالغة النفوذ. وكانت في انضمامها هذا تسعى إلى الخروج من مجالها الجبلي الضيق العسير واكتساب منتجعات شتوية خصبة بأراضي أزغار.

هكذا نفهم انطلاق بني وراين في اتجاهين، واحد حملها إلى الشمال الشرقي صوب سهل كرسيف، والثاني ذهب بها إلى الشمال الغربي نحو واد إناون. وبينما تم نزولها في الاتجاه الأول دون عناء كبير وفي ظرف وجيز نسبياً، نظراً لعدم وجود عوائق كثيرة في طريقها عبر سهول ترحال ضعيفة التعمير، فإن حركتها في الاتجاه الثاني صادفت صعوبات كثيرة في جهات كانت تقطنها عدة قبائل استقرت بها منذ قديم، تمارس تربية الماشية والزراعة المسقية (بسبب وفرة مياه العيون والأنهار) والبعلية في الأودية والأحواض والمنخفضات. وتعيش في قرى ومداشر متعددة، بعضها جيد التحصين، مما منح أهلها قدرة على الدفاع والمقاومة والصمود في وجه الجماعات الغازية، هذا علاوة على أن نوعية السطح الشديد والتضرس لم يسمح باكتساح الأراضي بنفس السهولة التي تمت بها الأشياء في جهة الشرق.

لذا جاء نزول بني وراين على مراحل ودفعات متفاوتة الضغط، تفصل بينها فترات سلم أو فترات توقف الهجوم بسبب انتفاضات صمود تبديها القبائل المحلية نتيجة إبرامها معاهدات أو تحالفات أو تلقيها بعض الدعم من الحكم المركزي عندما تسمح له الظروف بذلك. غير أن الغلبة كانت في نهاية الأمر لبني وراين والقبائل المتحالفة معها، مثل أيت سغروشن ومرموشة. وساهم في ذلك تظافر عدة عوامل، من أهمها قدرة القبائل الورايينِّة على التحرك السريع واتخاذ المبادرة في الهجوم وتنظيم الحملات المباغتة ومنها إصرارها وتصميمها على بسط سلطتها على أراضي آزغار ومنها تعبئتها المتواصلة من طرف الزوايا والزعامات المحلية ومنها أخيراً عجز المخزن على تقديم الدعم اللازم لقبائل المناطق المنخفضة الموالية له.

وتم تقدم بني وراين بشكل متفاوت. فبينما لم يكسبوا سوى بعض الأراضي في الشمال على حساب قبائل غياتة الشديدة البأس الجيدة الاعتصام بمرتفعات تازكّة المنيعة، فإنهم استولوا على جزء لا بأس به من بلاد بني علاهم وبني يازغة في الغرب، في حين توسعوا بالأساس، صحبة حلفائهم أيت سغروشن، فوق أراضي بني سادن وخاصة

وتم تقدم بني وراين بشكل متفاوت. فبينما لم يكسبوا سوى بعض الأراضي في الشمال على حساب قبائل غياتة الشديدة البأس الجيدة الاعتصام بمرتفعات تازكّة المنيعة،

فإنهم استولوا على جزء لا بأس به من بلاد بني علاهم وبني يازغة في الغرب، في حين توسعوا بالأساس، صحبة حلفائهم أيت سغروشن، فوق أراضي بني سادن وخاصة الحياينة في الشمال الغربي، وكان الحياينة ينتشرون في الوادي وعلى الهضبة جنوب نهر إناون. ويظهر أن بني وراين أدركوا الموضع الذي يوجد به سوق ثلاثاء الزراردة حوالي 1308 / 1890، فأمر آنذاك السلطان الحسن الأول ببناء قصبة تاجِّنة (حوالي 6 كم شمال مركز تاهلة الحالي، عند مخرج عين نضاخة) قصد مكافحة تقدمهم ومنعهم من الوصول إلى إناون وبالتالي التحكم في الطريق الحيوية الرابطة بين فاس وتازاوين شرق البلاد وغربها.

لكن ذلك لم يوقف الزحف الورايني إلا لفترة قصيرة، إذ أن موت السلطان وما تلاه من احتدام الفتنة واشتعال الثورات وتمزق البلاد أضعف كثيراً قبائل بني سادن والحياينة وفتّ في عضدها، في حين شجع بني وراين على استئناف تحركم وتقدمهم نحو الشمال. ففي مطلع السبعينات من هذا القرن، كان لا يزال على قيد الحياة عدد هام من شيوخ بني وراين يذكرون جيداً كيفّ أنهم نزلوا أطفالا أو شبابا مع آبائهم للاستقرار فوق الأراضي التي طردوا منها بني سادن والحياينة حتى عبروا وراءهم النهر وأصبح لهم موقع قدم قار على ضفته الشمالية. وبرز بذلك بني وراين كأنهم قوة قبلية شرق فاس، مما دفع السلطان عبد الحفيظ إلى الاستنجاد بهم عندما حاصرته القبائل الثائرة في قصره بفاس خلال شهري مارس وأبريل 1911، لكنهم تأخروا عن نجدته.

لم تشارك كل القبائل الورايينية في هذا النزول من بويبلان إلى إناون بنفس الحدة ونفس الأعداد البشرية، فبعضها اكتفى بالتوسع عند قدم الجبل، بينما أرسل بعضها الآخر رجالا قلائل إلى المناطق المنخفضة واستقر جزء كبير من قبائل أخرى في جهات مختلفة من أزغار، لكن دون قطع الصلة مع الجبل. لذا نجد بعض هذه القبائل تجتمع في مكان واحد مثل أولاد علي، في حين ينقسم بعضها إلى جزءين أو ثلاثة أو أربعة أجزاء متفرقة، ممتدة من الجبل حتى الوادي، مستغلة رساتيق رعوية وزراعية مختلفة ومتكاملة، مثلما هو الحال بالنسبة لقبائل أيت عصّو وزراردة وإمغيلن وبني بوزَرْت وبني عبد الحميد وأيت بن علي، وكذا جماعات تعتبر دخيلة على اللف الورايني مثل أولاد الفرْح وبني مْكود، وإلى حدما أيت سغروشن.

غير أن بني وراين لم يتمتعوا طويلا بهذه الأراضي الجديدة والمنتجعات الشتوية الثمينة التي بذلوا من أجل اكتسابها مجهودات جبارة طيلة قرن من الزمن. ذلك أن الجيوش الفرنسية بادرت، غداة معاهدة الحماية، إلى احتلال ممر إناون الإستراتيجي الذي يراقب بني وراين وغياتة مدخليه الشرقي والغربي، قصد ضمان الربط والمواصلات مع المغرب الشرقي الذي تتقدم منه كتائب فرنسية أخرى.

كانت تلك نهاية توسع بني وراين وبداية محنتهم. فبعد

أن استولى الفرنسيون كلية، بسهولة نسبية، على ممر إناون في 1914، إثر إخضاع قبائل بني سادن والحياينة، واجهوا مقاومة عنيفة من طرف غياتة وخاصة بني وراين نظراً لحنكتهم الحربية وسرعة تحركهم وتوفرهم على ظهير جبلي أرعن يلتجئون إليه. فعلى مدى ثماني سنوات استطاع بنو وراين الذين أخذوا ينسحبون تدريجياً إلى موطنهم الجبلي من حيث انطلقوا عقوداً قبل ذلك، مقاومة تقدم الجيوش الفرنسية التي فقدت أعداداً كثيرة من العساكر والضباط في معارك ضارية. غير أن الحصار الطويل الشديد في جبل قارس البرودة، شحيح العطاء، ثم استخدام الغزاة لأحدث وأفتك السلاح والعتاد المتوفر آنذاك، أفقد بني وراين أعداداً هائلة من البشر في ميادين القتال وبسبب الجوع والأمراض، كما أحدث بين القطعان موتانا شنيعاً، مما حمل زعماء القبائل على قبول الاستسلام سنة 1921، أملا في استرجاع أراضي أزغار كما وعدهم بذلك المحتلون في حالة إلقائهم السلاح.

ومع تراجع بني وراين نحو الجبل، تمكنت جماعات من بني سادن والحياينة من استعادة جل الأراضي التي ضاعت منها في الماضي. غير أن الفرنسيين احتفظوا لفائدة المخزن بمساحات هامة على طول الوادي بدعوى إقامة منطقة عازلة قصد تفادي نشوب نزاعات جديدة بين القبائل المحلية، وذلك بموجب ظهير 16 شتنبر 1918. وفي السنة التالية، أقاموا مركزين عسكرين بمطماطة والشبابات، مستعينين بجند من الحياينة الذين لم يجدوا بداً من مساعدة الفرنسيين الذين أعادوا إليهم أرضهم.

وباستسلام بني وراين برز مشكل كثير التعقد، ذلك أن إرجاع الأراضي إلى بني وراين، كما تم الوعد بذلك، استلزم انسحاب بني سادن والحياينة من جديد، إضافة إلى ضرورة اقتطاع جزء من أجود الأراضي لحساب المعمرين. وبموجب ظهير 8 يناير 1923، احتجزت السلطات 1250 هكتار من الأرض داخل الوادي وعلى هوامشه الجنوبية لفائدة المعمرين بدعوى أن هذه المساحة المحدودة لا تقلل شيئاً من تراب قبائل رحالة أو شبه رحالة خاصة بعدما قلصت الحرب من عدد سكانها وماشيتها. وانطلقت عملية توزيع الأراضي على المعمرين سنة 1928 لتستمر حتى تدنو الحرب العالمية الثانية. واسترد بني وراين باقي الأراضي مقابل استسلامهم النهائي ومساندتهم نظام الحماية.

ولضمان هذا المسعى الأخير، ألحق الفرنسيون أعداداً كبيرة من شباب بني وراين وكهولهم بصفوف جيش الاحتلال بهدف شل كل نزعة إلى التمرد ثانية من جهة، وبغية الاستفادة من قدرة الجندي الورايني الذي خبروا بأسه طيلة سنوات المقاومة المسلحة من جهة أخرى. كما حثوا أعيان القبائل على إرسال أبنائهم إلى المدارس العسكرية بالدار البيضاء ومكناس وغيرهما، وكذا إلى الثانوية الفرنسية البربرية بأزرو ؛ وحرصوا أيضاً على إدخال يتامى المحاربين الوراينيين في الحرب العالمية الثانية وحرب الهند الصينية إلى المدارس العسكرية. غير أن جل الأُسر ظلت متحفظة تجاه عملية التجنيد هذه في صفوف جيش أجنبي نصراني شرد القبائل وفتك بها، فجاءت طلبات الانخراط الطوعية محدودة العدد.

ومع عودة بني وراين إلى المناطق المنخفضة، اضطروا إلى تغيير أسلوب عيشهم القديم المعتمد على الترحال. فسلطات الاحتلال راحت ترصد تحركات القبائل وتقنن دخول المواشي للغابات وتفرض عليها انتهاج بعض المسالك، مع حث الجماعات البشرية على الاستقرار قصد تسهيل مراقبتها. كل هذا جعل نشاط الرعي يفقد كثيراً من حريته وإن حافظ على كل أهميته الاقتصادية والاجتماعية، خاصة وأن جل الأراضي جماعية. غير أن ظاهرة امتلاك الأرض من طرف الأفراد والأسر بدأت تترسخ وتشيع لتجعل شيئاً فشيئاً من الملكية العقارية أساس القوة والثروة والجاه عوض أهمية قطيع الماشية كما كان في الماضي. ومع ذلك تدعمت تدريجيا ظاهرة الاستقرار وممارسة الزراعة، في تكامل مع تربية الماشية التي غدت تنزع أكثر فأكثر نحو شبه الترحال والانتجاع.

بيد أن هذه التغيرات ظلت طفيفة ومحدودة في المكان، طيلة فترة الحماية، وذلك بسبب ضعف الاستيطان الاستعماري واقتصار الاقتصاد العصري على المناطق الهامشية وعدم توغله داخل البلاد الوراينية، وافتقار هذه الأخيرة إلى طرق المواصلات المعبدة، وابتعادها عن تازا وخاصة عن فاس مما جنبها بسط البرجوازية الحضرية يدها على أراضي القبائل مثلما حدث عند الجيران بني سادن والحياينة، لا سيما أن الظروف الطبيعية عسيرة وأن غالبية الأراضي ملكية جماعية.

لم تأت التحولات الأساسية في حياة السكان وإشكال استغلال الأرض إلا بعد الاستقلال تبعاً لتظافر عوامل شتى، يمكن انتقاء الرئيسية منها. فالجرح الديمغرافي العميق الذي أحدثته عقود من النزاعات القبلية وبالخصوص سنوات من القتال المرير والمقاومة الباسلة ضد المستعمر والحصار الجبلي الشامل، صار يلتئم تدريجياً خلال الفترة التي استغرقها الاحتلال، مما ساهم فعلا في إنعاش تزايد السكان وأظهر الحاجة الماسة إلى البحث عن موارد أخرى غير تربية الماشية، في عين المكان وخارج المنطقة.

فعوض الهجرة إلى المدينة أو إلى خارج الوطن، فإن الجندية قد تمثلت لبني وراين المنفذ الأساسي لامتصاص فائض السكان. وتأكد ذلك أكثر عندما أدمج الجيش المغربي في صفوفه العناصر الوراينية التي جندها الاستعمار، بل أصبح العديد من ضباطه هم أبناء الأعيان الذين كانوا قد التحقوا بقوات الاحتلال، مما ولد الحسرة والندامة عند كل الذين لم يفعلوا مثلهم في إبانه ليلقوا نفس النجاح. وهكذا انطلقت موجة تجنيد عارمة بين شباب أكثر في صفوف الجند. وعلى غرار جماعات أخرى من بلاد زيان أو الريف مثلا، أصبحت قبائل بني وراين تعتمد في

حياتها على الخدمة العسكرية التي توفر الشغل القار والمكانة في المجتمع والريع المادي للجندي والمتقاعد والمحال على المعاش ولأسرتهم.

لكن حركة التجنيد بدأت تسجل فتوراً ملحوظاً انطلاقاً من السبعينات، علاوة على أن عدداً من الأسر الوراينية راحت تتطلع إلى تكوين أبنائها في غير الجندية حتى يتقلدوا مكاناتهم في مختلف الوظائف المدنية.

وإذا كانت الجندية قد سمحت بانفتاح بني وراين على العالم الخارجي، فإن عوامل أخرى، اقتصادية واجتماعية وثقافية، ساهمت في هذا بشكل أوضح وأبلغ، أهمها تعبيد بعض المسالك الموروثة وشق طرق جديدة (في إطار الإنعاش الوطني) أخرجت المنطقة من عزلتها بعض الشيء وسهلت انتعاش الحركة التجارية في الأسواق الأسبوعية رغم أن هذه الأخيرة تبقى متواضعة، خاصة داخل المجال الجبلي. كما أن تعزيز الإدارة المحلية، بتقسيم المنطقة إلى أربع جماعات قروية، عمل على تحسين محسوس في التجهيزات الأساسية والمرافق العمومية وخاصة في ميداني الصحة والتعليم. وقد أدى هذا التحسن النسبي إلى تراجع نسب الوفيات، لكن بصفة موازية انطلقت الهجرة إلى خارج المنطقة وإلى مركز تاهلة، خاصة بين فئات المتعلمين. وإذا علمنا أن نسبة الولادة هي هنا أقل من المتوسط المغربي، أدركنا لماذا تتميز قبائل بني وراين بمعدلات تزايد ضعيفة لا تربو على 1٪ سنوياً، بل أدنى من ذلك في جهات متعددة كما هو الحال عند مغراوة.

نسب التزايد السنوية لسكان بني وراين حسب الجماعات القروية بين 1936 و1982 (نسب مائوية)

| الجماعات القروية | 1960.1936 | 1971.1960 | 1982.1971 |
|---|---|---|---|
| تاهلة * | 2.60 | 2.26 | 1.13 |
| ثلاثاء الزراردة | 2.46 | 1.34 | 1.40 |
| بركين | 0.83 | 2.27 | 1.25 |
| مغراوة | 0.86 | 1.58 | 0.67 |
| المجموع | 1.34 | 1.97 | 1.10 |

* ناقص فخذة الزاوية غير الوراينية

وعلى أساس هذا التطور، يمكن تقدير سكان أرياف بني وراين بنحو 80.000 نسمة في مستهل عقد التسعينات، يتوزعون على الشكل التالي حسب الجماعات :

تطور عدد سكان الجماعات القروية بين 1936 و1991

| الجماعات القروية | 1936 | 1960 | 1971 | 1982 | 1991 |
|---|---|---|---|---|---|
| تاهلة * | 5.865 | 10.853 | 13.875 | 15.696 | 17.500 |
| ثلاثاء الزراردة | 3.793 | 6.804 | 7.879 | 9.182 | 10.500 |
| بركين | 17.038 | 20.758 | 26.574 | 30.473 | 33.000 |
| مغراوة | 11.269 | 13.824 | 16.421 | 17.667 | 19.000 |
| المجموع | 37.965 | 52.239 | 64.749 | 73.018 | 80.000 |

* ناقص فخذة الزاوية غير الوراينية.

يظهر من خلال نمو السكان كيف أن القبائل الشرقية من بني وراين (الموجودة بجماعتي بركين ومغراوة) هي التي زودت بالسكان المناطق الغربية (بجماعة تاهلة والزرارة) في الماضي، فنمت الأولى، بين 1936 و1960، بمعدل سنوي يقل عن 1٪ بينما فاقت زيادة الثانية 2.5٪ ؛ ذلك أن الجهات الشرقية أكثر ارتفاعاً ووعورة وانعزالا، وهي أقسى برودة مع تلقيها كميات هامة من الثلوج تغطي قمم وسفوح بويبلان وبوناصر، لكن هناك أحواضاً جافة مثل حوض نهر زبزيط الذي لا تتهاطل به أكثر من 400 مم سنوياً في المتوسط. لذا تحتاج الزراعة هنا إلى الري، وتظل تربية الغنم والمعز نشاط السكان الأساسي، مما لا يسمح إلا بوجود كثافات سكانية ضعيفة نسبياً لم تكن تتجاوز في المعدل عشرة أشخاص في الكيلومتر المربع سنة 1960، ولا تزيد على خمسة عشر حالياً.

أما الجهات الغربية، فظروفها الطبيعية أرحم وتتوفر على مؤهلات فلاحية أفضل، خاصة في هضبة تاهلة حيث يمارس السكان، أكثر فأكثر، زراعة متنوعة تمزج بين الحبوب وغراسة الزيتون، مع تنظيم الري في بعض الأودية وعند مجاري العيون الكبرى، هنا تتعدى الكثافة السكانية اليوم الخمسين بعدما تجاوزت الثلاثين قبل ثلاثة عقود. فهذه المناطق المنبسطة على العموم أسهل اتصالا مع باقي المغرب عبر ممر إناون. وإذا كان مركز التعمير الفلاحي الذي أنشأه الفرنسيون باكراً بمطماطة لم يكتب له النجاح، فإن المركز الإداري الذي أقاموه بتاهلة قد عرف نمواً سريعاً، خاصة بعد الاستقلال بسبب استقطابه لعديد من الأسر الوراينية والسغروشنية الراغبة في الاستفادة من التجهيزات الاجتماعية (الصحة، التعليم، الإدارة ...) المتوفرة به مما أدى بعدد سكان هذه المدينة الصغيرة، الوحيدة ببلاد بني وراين إلى الارتفاع بسرعة فائقة، من 2.500 نسمة سنة 1960 إلى نحو 4.000 سنة 1971 ثم 11.000 في 1982 ونحو 20.000 في مستهل عقد التسعينات (انظر مادة تاهلة)، ليصبح مجموع سكان بني وراين حالياً حوالي 100.000 نسمة.


ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الجزء الأول، تر. محمد حجي وأحمد الأخضر ؛ *إحصاء السكان* لسنوات 1936، 1951، 1960، 1971، 1982.

J. Brignon (et al...), *Histoire du Maroc*, 1967 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc*, Paris, 1970 ; A. Fadloullah, *La Vie humaine dans le plateau de Tahla - Matmata*, 1974.


عبد اللطيف فضل الله

**بني ورتدى**، ارتبط اسم بني ورتدى أو ورتيدى بأقدم سكان جبل قبيلة قلعية إحدى قبائل إقليم الناظور الواقعة بجبل أگرگور المشرف على مليلة المحتلة. يعود أول ذكر لبني ورتدى إلى سنة 250 هـ، حينما أدخلت القبيلة سعادة الله، أخا سعيد أمير بلد النكور، قلعة جارة (قلعة تَزُوطا المرينية).

وقد يكون اسم التجمع السكاني مركب من لفظ "ور" المحوّل عن الأصل الأمزيغي "أر" أو "أرى" الموازي للفظ "بني". وبناء على ذلك فإن الكاتب العربي أضاف اللفظ

العربي إلى المقابل له باللهجة المحلية. أما لفظ "تدى" أو "تيدى" فهو اسم التجمع السكاني القديم، سواء كانت نسبته مرتبطة بالجد المستقر أو بالوسط الجغرافي.

والراجح أن يكون معنى وَرْتَدِّي بكسر الدال، مركباً من "وَرْ" الذي يعني "فاقد الشيء" ومن "تدِّي" وتعني "القامة"، فيكون بني ورتدي هم أبناء القصير ولعلها عند زناتة تقابل جزولة عند المصامدة.

والمعروف أن ورتدى منتمون إلى فصيلة بطوية، سكان الجبال الساحلية المشرفة على المتوسط من إطار الريف الشرقي، سواء كانت الفصيلة منحدرة من الأصل الصنهاجي أو النفزي. ويفهم من البكري أن ورتدى كانوا يمثلون العنصر الغالب بمليلة ونواحيها، إذ أنهم كانوا سكان قلوع كرط (قلعية) والمتحكمين في القلعة، تنضوي تحت حكمهم تجمعات أخرى، مثل غساسة النفزية ومطماطة وبني يفرن وغمارة.

قامت تجمعات ورتدى بالدور الأساسي في تعمير مليلة وترويج بضائع التجارة الصحراوية بها منذ بداية أمرها في منتصف القرن الثاني الهجري إلى أن تم استيلاء موسى بن أبي العافية على قلعتهم (319 هـ). وانتهى أمرهم بتخريب مليلة على يد جوهر الصقلي (347 هـ).

اختفى اسم بني ورتدى من المصادر، ولم يدل على بقائهم بمواطنهم سوى انتمائهم إلى بطوية القرن السادس الهجري. وفي أواخر هذا القرن كانت بعض جماعاتهم مستقرة على رأس طرف تغلال (حالياً سيدي شعيب المفتاح)، الكتلة البركانية المشرفة من أراضي قبيلة تمسمان.

أ. البكري، *المغرب*، 94 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 171 ؛ عبد الحق البادسي، *المقصد الشريف*، 51. 61 ؛ حسن الفكيكي، *مليلة حاضرة قلوع كرط*، دار النيابة، العددان السابع والتاسع.

حسن الفكيكي

**بني ورْياغل**، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الحسيمة) وتحد شمالا بالبحر المتوسط وتحيط بها قبائل تمسمان وبني توزين وگزناية وبني عمارت وبني مزدوي وترگيست وبني يطّفت وبقّوية، وهي أكبر قبيلة بالريف. ولا شك أن زعامتها لجميع القبائل الريفية يرجع سببه لكون مدينة النكور التي أسس بها صالح الحميري إمارته في الفتح الإسلامي الأول، كانت توجد بهذه القبيلة إلى أن هدمها يوسف بن تاشفين سنة 473 / 1080، كما أن مدينة المزمة كانت هي الأخرى تقع بأرض بني ورياغل.

تقدر مساحتها بـ 1029 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 يبلغ 65.957 نسمة يتكلمون اللهجة الريفية، وأهم مركز بالقبيلة هو مدشر أجدير، ويوجد بالقبيلة ثمانون مسجداً وواحد وثلاثون ضريحاً وتسع زوايا وثلاثة وثمانون كتاباً قرآنياً وسبع مدارس للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى ست فرق هي : أيت يوسف وعلي

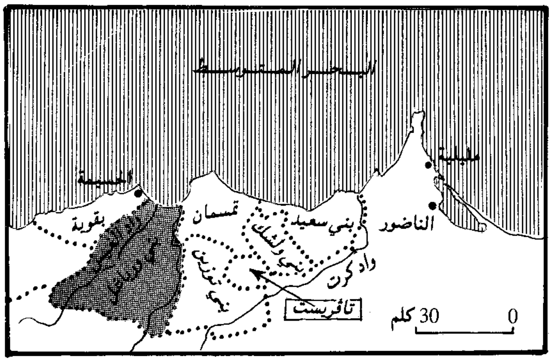

موقع بني ورياغل

(18 مداشر) والمرابطين (15 مدشراً) وبني عبد الله (22 مدشراً) وبني حذيفة (12 مدشراً) وبني بوعياش (17 مدشراً) والجبل (16 مدشراً).

وفي النظام الإداري، تنقسم القبيلة إلى ست جماعات قروية هي : جماعة أيت يوسف وعلي، وجماعة المرابطين، وجماعة بني عبد الله، وجماعة بني بوعياش، وجماعة بني حذيفة، وجماعة أربعاء تاوريرت.

ومن المعلوم أنه بالقرب من شاطئ هذه القبيلة توجد جزيرة النكور المحتلة من طرف الإسبان.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 110 ؛ أ. البكري، *المسالك*، 90، 92 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 117.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T.II ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926, passim ; D. Hart, *Tamuda* V, 1957, p. 242 ; *Vademecum de la intervencion territorial del Rif*, 1946, p. 71.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني ورياگل**، قبيلة من فصائل صنهاجة المغرب الأوسط. وهي غير بني ورياغل البطّوئية المستقرة بوادي النكور، بالرغم من التقارب الموجود بين الاسمين، مما يثير التساؤل. كما أن قدم استقرار بني ورياغل بالمغرب أمر ثابت. أما بنو ورياگل فدخولهم إلى المغرب تم في بداية العصر الموحدي.

تعود أسباب نزوح جماعات بني ورياگل من موطنها الأصلي ببجاية إلى مطاردتهم من طرف أميرها نتيجة حمايتهم للمهدي بن تومرت الملتجئ إليهم سنة 512 هـ. إثر أوبته من المشرق، وكانوا بذلك النواة الموحدية الأولى. وإذا قدرنا أن دخولهم المغرب تم خلال السنوات اللاحقة مع بداية ظهور أمر الدولة الموحدية، فإننا لن نتمكن من تقدير الفترة التي استقروا فيها بالموطن المعروف باسمهم، بجزء من حوض واد ورغة الأعلى. والراجح أن الموحدين هم الذين أقطعوهم إياه لسابق صنيعهم مع داعيتهم. نعرف منهم الشيخ الصالح أبا عثمان الورياگلي المتوفى عام 617 هـ وهو نفس الموطن الذي كانو يحتلونه خلال القرن العاشر الهجري بشهادة الحسن الوزان، وهو نفسه الذي أثبته لهم مخبر

موليراس، حيث لا يزالون إلى اليوم.

يحدد الفراغ الذي تحتله القبيلة مجرى واد ورغة الأعلى، ابتداء من مخرجه من أراضي جنوب بني زروال، ليشكل المجرى من تلك الجهة حدود القبيلة الشرقية، ويعرف هناك واد ورغة باسم "واد أُوْلاَي"، وهو الفاصل بينها وبين قبيلتي الجاية ومزراوة. ويرسم واد ورغة من هناك الحدود الجنوبية للقبيلة، مما يقابل قبيلتي سلاس وفشتالة، إلى أن يدخل في أراضي مزگلدة التي يفصل بينها وبني ورياگل واد أفناس.

ولا تظهر بسطح أرض بني ورياگل من المرتفعات سوى ما يلاحظ في جهتها الشرقية المحاذية لواد ورغة (جبل أفناس، جبل البيبان، جبل تمسرات). أما باقي المساحة فسهلية، شهد الوزان بخصبها وتنوع إنتاجها، وكثرة قراها (60 قرية) وعدد سكانها، يشير إلى ذلك عدد المحاربين (12.000 محارب). إلا أن هذا العدد كان قد تقلص إذا ما صدقنا ما جاء به كتاب موليراس (800 محارب. 5.600 ساكن). وتظهر أهم التجمعات في الوقت الراهن بقرية تبودة من جهة الجبل وفي قرية بني كيسان بالمنطقة السهلية.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 259 ـ 302 ـ 363، 7 : 602 ـ 688 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 297 ؛ *الذخيرة السنية*، 54 ـ 85 ـ 110 ؛ ح. الوزان، 1 : 263 ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*، 335.

Marmol Carbajal, *L'Afrique*, 1 : 255 ; A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 2 : 761 - 762.

**بني وَرِيـمْـشْ**، قبيلة من القبائل المستقرة بجبال بني إزناسن منذ القديم، وردت الإشارة إلى وجودها بالمكان الذي تحتله في الوقت الراهن خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري، وتعد بذلك من القبائل المغربية المحتفظة بالاسم والموطن طوال هذه القرون، فلا تزال تجمعاتها بالموضع الذي أشارت إليه رسالة موسى بن أبي العافية المكناسي إلى الخليفة الناصر الأندلسي سنة 317 هـ.

تحتل تجمعات بني وريمّش الكتلة الجبلية الغربية من بني إزناسن، منتشرة بالسفوح المطلة على مجرى واد ملوية المسايرة للضفة اليمنى، وعلى الفراغ الممتد بين واد "شراعة" شمالا، وواد "إفران" جنوباً. وتشرف تلك القرى على جبل كبدانة ومجالات أولاد ستوت من سهوب كرط. كما تطل قرى السفوح الشرقية الممتدة بين منابع واد شراعة إلى الحوض الأعلى من واد إفران على السهوب المحيطة حول "عيون سيدي ملوك".

تعد بني وريمش من القبائل اليزناسنية الكبرى، إلى جانب تريفة الواقعة خارج حدود القبيلة من جهة الشمال، وبني محيو المتصلين بها من جهة الجنوب الغربي. ويجاور بني وريمش من جهة الشرق قبيلة بني عتيق، جارة بني منگوش، بالكتلة الشرقية اليزناسنية.

وتغطي أراضي قبيلة بني وريمش مساحة غابوية هامة، تظهر بجبل "تَـلـزَارْتْ"، حيث القرية المعروفة بنفس الاسم، ثم جبل تَـافُـغَـالْـتْ (1153 م) المعروف بتجمعاته ذات التاريخ المتوغل في عصور ما قبل التاريخ. وتنتظم التجمعات السكانية على طول المنابع والأودية المتجهة عادة من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي من الكتلة. وأهم الفرق، بدءاً من الجنوب إلى الشمال : أولاد علي الشباب الموزعون على كل من واد ثلاث تلغامت وواد علي الشباب. ثم أولاد عبو المستقرون حول منابع واد "تغيت"، وأولاد عبد السيد المتجولون على طول السهل المرافق لمجرى واد ملوية من جبل "أكليم الكبير" إلى واد شراعة.

ابن حيان الأندلسي، *المقتبس*، 5 : 251 ؛ *خريطة طبوغرافية* لسنة 1954.

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 2 : 192.

**بني الوزير**، أسرة تعد إحدى الجماعات الوطاسية الخمس الأساسية، احتفظت لنفسها بالمكانة والصولة إلى جانب بني مرين، منذ دخولهم حدود المغرب الشرقي إلى أن انتهى أمرهم في آخر القرن السابع (13 م). ويلقب رأس الأسرة بالوزير، الداخل مع عبد الحق بن محيو المريني إلى الريف الشرقي وقلعة تزوطا. فإلى الوزير وأبنائه من بعده كانت ترجع رآسة بني وطاس خلال القرن السابع. وظلت تلك الرآسة مصدر طموح بني الوزير وتوجس بني مرين، مما جعل الأخيرين يتركون تحت نظر الأسرة ومن معها من جماعات بني وطاس (بني يتفادمو، بني فاتح، بني أبي جابر، بني فنتس) جميع بلاد الريف، شرقها وغربها، وسكنى ضواحيها واقتسام أعمالها وجباية رعاياها وأمصارها، باستثناء قلعة تازوطا.

ولم يكن ذلك كافياً لإرضاء طموح أسرة بني الوزير، فقد تطلع أفرادها إلى القبض على زمام القيادة المرينية وهي في مهدها. ظهر هذا في بداية عهد الأمير أبي بكر (أبي يحيى) بن عبد الحق (642 ـ 656 هـ) ففي هذا التاريخ كان الوزير قد توفي وترك الرآسة بيد ابنيه يحيى مساعد المرينيين في حربهم للموحدين، وهو حامل بيعة بني مرين إلى السعيد الموحدي، أثناء إقامته برباط تازا سنة 645 هـ. وياسين الذي تعرفنا عليه أثناء جولاته بجبال بطوية، وتوقفه بتمسمان عند رابطة أبي داود، وشيخها آنذاك إبراهيم بن عيسى بن أبي داود، المتوفي سنة 650 هـ.

ويمكن أن يقال إن طموح بني الوزير تأكد للانفراد بحكم بلاد الريف بعد استيلاء المرينيين على رباط تازا سنة 646 هـ. وأن أعينهم كانت موجهة نحو الاستحواذ على قلعة تازوطا التي ظل منصبها حكراً على أفراد الأسرة المرينية دون منافسيهم الوطاسيين. هذا هو ما عبر عنه اثنان من أبناء يحيى بن الوزير. كان عمر وأخوه عامر رئيسين على بني وطاس خلال عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق. وبوفاة هذا الأخير (685 هـ) وتولية ابنه يوسف تهيأت لهما فرصة الاستقلال بقلعة تازوطا والناحية الريفية. ففي شوال 691 / 1291 وثب عمر بن يحيى على القلعة وبها منصور بن عبد الواحد، ابن أخي السلطان، فغلبه عليها. وبوصول منصور إلى فاس، سرح السلطان يوسف إلى تازوطا وزيره عمر بن

المسعود بن خرباش الحشمي، ثم سار في أثره. وبعد الحصار الذي دام نحو ثمانية أشهر أمكن القضاء على أسرة بني الوزير. فعامر وعمر تمكنا من الفرار إلى تلمسان، بينما قتل باقي أفراد الأسرة في آخر جمادى الثانية من سنة 692 / 1292. وبذلك أسدل الستار على هذه الأسرة.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982، ص. 62 ؛ ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، 71 ؛ *القرطاس*، الرباط، 1973، 381 ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، 11 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تطوان، 1960، 3 : 387 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 450.

حسن الفكيكي

**بني وطاس**، ـ قبيلة وإمارة ـ (869 ـ 961 / 1464 ـ 1553)، ينتسب الوطاسيون إلى بني وطاس، بطن من بني مرين الزناتيين، استقروا في بلاد الريف ما بين مصب وادي ملوية شرقاً ووادي النكور غرباً عندما دخل بنو مرين إلى المغرب الأقصى واقتسموا جهاته بين قبائلهم، فكانت بلاد الريف من نصيب بني وطاس منهم "فكانت ضواحيها لنزلهم، وأمصارها ورعاياها لجبايتهم، وكان حصن تازوطا من أمنع معاقلهم" (حسب تعبير ابن الأعرج).

يذكر المؤرخون أن ملوك بني وطاس ووزراءهم يرجعون إلى أسرة بني الوزير التي اشتهرت بالرياسة في بني وطاس عبر التاريخ، وأسرة بني الوزير هذه أسرة صنهاجية دخيلة على الوطاسيين الزناتيين، تنسب إلى عقب علي بن يوسف ابن تاشفين، نزلوا على بني وطاس عند سقوط دولة الملثمين (المرابطين)، ورسخت فيهم عروقهم حتى لبسوا جلدتهم "ولم يزل السمو متربعاً بين أعينهم، والرياسة شامخة بأنوفهم، ويرون أنفسهم أسمى قدراً من بني عبد الحق المرينيين وإن كانوا وزراء لملوكهم".

وكان أهل النجدة من سلاطين بني مرين يدركون هذا التطلع عند بني وطاس مما جعلهم يعتنون بحصن تازوطا (معقل الوطاسيين)، وينزلون به من أوليائهم من يثقون بولائه ومعرفته لسياستهم ليكون آخذاً بناصية هؤلاء الرهط وما يتطلعون إليه، ومع ذلك ظهرت منهم محاولات عديدة كانوا يهدفون منها القفز إلى العرش ولكنها فشلت في المهد إلى أن كانت حادثة عبد الحق بن أبي سعيد آخر سلاطين بني مرين حينما أقدم على قتل الوزير يحيى بن يحيى الوطاسي وعشيرته. ولم يفلت من الوطاسيين سوى محمد الشيخ بن أبي زكرياء، ومحمد لحلو صنو الوزير المقتول اللذين فرا نحو الصحراء، ثم رجعا مع من نجا إلى حصنهم تازوطا في جبال الريف، فاجتمع محمد الشيخ الوطاسي هناك بقبيلته، ولحق به بقية رجال الدولة المرينية الذين استاؤوا مما فعله السلطان عبد الحق. وهناك جمعوا شتاتهم واجتمعت عليهم جموع أهل النجدة من عرب معقل وغيرهم، فاشتغلوا في البداية برد هجومات البرتغاليين وصدهم عن سواحل المغرب. وتحت شعار الجهاد انضم لمحمد الشيخ الوطاسي عدد من زعماء القبائل. ولما استفحل أمره اتفقت جموعه على إمارته فبايعوه، ونصب أخاه محمد لحلو وزيراً له ودخل في حزبه قبائل جبال الهبط وعرب الخلط أواخر سنة 863 / 1458. فاتخذ أصيلا عاصمة له، وأنزل بها ذخائره وأمتعته وخرج غازياً إلى بعض السواحل المجاورة ففاجأه أسطول البرتغال بالهجوم على أصيلا واحتلالها على حين غفلة من أهلها ،فذهبت ذخائره التي أودعها بها، كما أسر ولده محمد وظل عند البرتغاليين سبع سنين ـ وهو الذي سمي فيما بعد بمحمد البرتغالي ـ وبذلك دخل محمد الشيخ الوطاسي في حروب طويلة ومتواصلة مع البرتغاليين على ساحل المغرب الأطلسي قبل أن تجره الأحداث إلى الحاضرة.

تطورت الأحداث بمدينة فاس تطوراً سريعاً عندما قام السلطان عبد الحق بن أبي سعيد آخر سلاطين بني مرين وعين وزيرين يهوديين : هارون وشاويل وحرضهما على الانتقام من سكان مدينة فاس، فتصرفا بشكل جعل خطيب القرويين عبد العزيز الورياغلي يقود انقلاباً حقيقياً ضد السلطان عبد الحق المريني، ويرشح للعرش محمد الحفيد العمراني الجوطي، بحيث عمل على إخراج السلطة من يد المرينيين نهائياً وحولها إلى بيت الشرفاء الأدارسة.

لما نجح الانقلاب وقتل عبد الحق آخر سلاطين بني مرين سنة 869 / 1465، وتولى عرش المغرب محمد الحفيد العمراني، توجه محمد الشيخ الوطاسي من القصر الكبير إلى فاس والتحم في معارك مع الشريف العمراني الذي انهزم في النهاية واضطر أن يتنازل عن العرش للشيخ الوطاسي سنة 875 / 1469، وبذلك تسلمت الأسرة الوطاسية عرش المغرب رسمياً لمدة تسعة عقود تقريباً.

كانت الظروف التي وصل فيها محمد الشيخ الوطاسي للعرش تتميز بالتعقد، وتحمل مؤشرات عديدة تدل على حدوث متغيرات مختلفة واستقبال المغرب لمرحلة جديدة تتطلب شعاراً جديداً أقوى من شعار العصبية ومفعولها.

يعتبر المد الإيبيري ومشروع التطويق الذي جاء به المرتكز الأساس في هذه المتغيرات، حيث سيكون الفاعل الذي يفرز ردود الفعل في شمال المغرب وجنوبه. فلما تأكد أن الإسلام في المغرب يواجه تهديداً حقيقياً خطيراً، وأن سلطة العصبية عاجزة عن حمايته برزت قوات جديدة تقوم على مبدئي الشرف والجهاد اللذين تبين أنهما أقوى من جاذبية العصبية، وهذا ما يفسر ظهور إمارة بني راشد بزعامة الشرفاء العلميين وبنائهم قلعة شفشاون بجبل العلم سنة 867 / 1472، على جبهة مدينة سبتة التي كانت قد سقطت منذ 818 / 1415. وظهور الشرفاء السعديين بسوس قبالة جبهة حصن فونتي الذي بناه البرتغاليون قرب أگادير، وتنظيمهم هجومات ناجحة ضد البرتغاليين بساحل سوس وزحفهم نحو الشمال. وظهر في نفس الوقت أمام جبهة العرائش وأصيلا الشيخ الغزواني الذي كوّن قوة شعبية للدفاع عن الإسلام. ورغم أن محمداً الشيخ الوطاسي أخمد حركته في المهد فإن الظروف كانت تدعو إلى البديل سيما مع ظهور الأتراك بالجزائر وامتدادهم للمغرب الأقصى لنفس

الأسباب.

توالى على العرش الوطاسي أربعة ملوك هم :

المؤسس محمد الشيخ بن أبي زكرياء الوطاسي (863 - 920 هـ)، وولده محمد المهدي (920 - 932 هـ) الذي كان يحمل لقب محمد البرتغالي ؛ ثم أحمد الوطاسي (932 - 965 هـ) الذي جمد حركات الجهاد ضد الإسبان والبرتغال نهائياً، وعقد معهم هدنة، وسمح بجعل مدينة القصر الكبير مركزاً تجارياً تدخله البضائع الأوربية بشكل نشيط، ويلتقي فيه التجار المغاربة والأوربيون بحيث دخل في علاقة استغلال تجاري - حسب *زهرة الشماريخ* -، وتوجه بكليته إلى السعديين.

لقد أصبح حوز مراكش منطقة رباط لجيوش الوطاسيين ضد السعديين ومن بين المعارك الكثيرة بينهما اشتهرت وقعة أنماي التي حدثت بين أحمد الأعرج السعدي والسلطان أحمد الوطاسي سنة 935 / 1528 والتي أسفرت عن تكافؤ القوتين واقتسام المغرب بينهما إلى مغرب جنوبي للسعديين ومغرب شمالي الوطاسيين، وتحول الحوز إلى منطقة حدودية بينهما. ثم وقعة أبي عقبة على وادي العبيد خلال شهر صفر سنة 943 / 1536 التي جاءت بعد معارك طويلة ومتسلسلة استمرت أكثر من سنة. وقد انتهت وقعة أبي عقبة بانهزام شنيع للوطاسيين تراجع السلطان أحمد الوطاسي على إثرها إلى فاس، واضطر أن يقضي حوالي عقد من السنين في جمع صفوفه وبناء قوته من جديد، ثم قرر أن ينزل بكل ثقله في المعركة ضد السعديين، فحسب احتياطيه القوي من جبهة وادي لكوس البرتغالية، وهو الاحتياطي الذي كان يرأسه أخوه يحيى الذي كان يمثل القيادة الأولى في التنظيم العسكري الوطاسي، وزحف على السعديين بمراكش، فخرج إليه محمد الشيخ السعدي (الذي كان قد نجح في تنحية أخيه أحمد الأعرج وتولى هو زعامة السعديين)، فانهزم الجيش الوطاسي شر انهزام وتشتت شمله في معركة وادي درنة بتادلا سنة 952 / 1545 وسقط يحيى قائد الجيش الوطاسي وهو أخو السلطان أسيراً في يد السعديين. وبذلك فقد السلطان أحمد الوطاسي أقوى ما عنده في الجيش، فكان ذلك مؤشراً حقيقياً لسقوط الدولة الوطاسية، حيث زحف الزعيم السعدي محمد الشيخ إلى مدينة فاس وضرب عليها حصاراً شديداً، فبلغه أن عمود الوطاسيين يقوم على رموز علمية إذا استمالها استسلمت له المدينة بسهولة، فلما خاطب زعيم هذه الرموز العلمية، وهو عبد الواحد بن أحمد الونشريسي، رفض مراجعة عقد البيعة الوطاسية. ولما تبين أن رفض الونشريسي لا يقوم على حجة فقهية، وأن هذا الرفض سيزيد من صعوبة فتح مدينة فاس، أمر الشيخ السعدي بقتل الونشريسي، فقتل، ثم اقتحم الشيخ مدينة فاس ودخلها وأسر أحمد الوطاسي وأرسله مصفداً في الأغلال إلى مراكش سنة 953 / 1546.

وأفلت من يد السعديين علي بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بعلي المخلوع، وأبو حسون الذي استعان بالأتراك. لكنه سقط في النهاية قتيلا قرب أسوار فاس سنة 961 / 1553، وبموته انقرضت الدولة الوطاسية، وحلت محلها دولة الشرفاء السعديين.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 4 ؛ م. ابن الأعرج السليماني، *زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ*، مخطوط. خ. ع. بالرباط رقم 3657 د ؛ *اللسان المعرب عن تهافت المعمرين حول المغرب*، مخطوط خ. ح. رقم 297، وليست النسخة المختصرة المطبوعة بالرباط سنة 1971.

**بني وكيل**، أو الوكيليون، نسبة إلى أبي وكيل من أحفاد المولى إدريس الثاني الذين تعرضوا للاضطهاد على يد موسى بن أبي العافية على ما يظهر. فالوكيلي كالحجامي والوزاني والمشيشي والريسوني، هم أبناء عمومة من الفصائل الإدريسية التي تشتتت في شمال المغرب واستقرت في جهات مختلفة بناحية وجدة والحسيمة والناظور أو جهة الشاون والقصر الكبير وطنجة وغيرها.

ينقسم بنو وكيل إلى أربع مجموعات متفرقة في أربع نقط بشمال المغرب، منها مجموعتان بالمغرب الشرقي قرب مدينة وجدة، ومجموعة ثالثة بالريف قرب الحسيمة، ومجموعة رابعة بالحيانية قرب تيسة على المشارف الشمالية لوادي اللبن.

تكلم الضابط الفرنسي لوكلير Ch. René Leclerc عن مجموعتي بني وكيل في المغرب الشرقي قرب مدينة وجدة باختصار شديد حيث وصف موقعهما وتجمعاتهما وأوضاعها الاجتماعية الاقتصادية وصفاً سريعاً، فذكر أن المجموعة الأولى لبني وكيل تستقر بسهل تريفة على الجبهة الشرقية لهوارة شرق وادي ملوية. والمجموعة الثانية توجد بسهل أنكاد إلى الشرق من المجموعة الأولى قرب بني بوزكو. وكان استقرار المجموعة الأولى بسهل تريفة في الخيام فقط خلال مطلع القرن العشرين. كما أن تجمعات الوكيليين كانت من أفقر التجمعات في المنطقة. فمجموعة سهل تريفة مثلا، وهي أقوى المجموعات الأربع، كانت في مطلع هذا القرن تملك حوالي 5.000 رأس من الغنم وخمسين حماراً فقط.

وتستقر المجموعة الثالثة في نقطة گارت جنوب شرق الحسيمة بقليل في مدشر بني وكيل الذي يختلط فيه الشرفاء بغيرهم، وتمثل مجموعة فقيرة أيضاً مما جعل عدداً كثيراً من أسرها تغادر المنطقة إلى جهات مختلفة من مدن وبوادي المغرب، وخصوصاً إلى فاس حيث يتكاثرون بها، كما يوجد بعضهم بمكناس والرشيدية.

أما المجموعة الرابعة فتوجد بدوار بني وكيل بمركز بياضة المطل على مجرى وادي اللبن بالحيانية (أولاد اعليان) جنوب مركز تيسة بحوالي خمسة كيلومترات تقريباً. ويظهر أن ضعفهم الاقتصادي وانقسامهم إلى مجموعات متباعدة جداً فيما بينها وعدم بروزهم في الميدان العلمي جمّد دورهم السياسي والاجتماعي (الطرقي) تجميداً كاملا عكس الوزانيين والريسونيين مثلا.

ق. الورطاسي، *بني يزناسن*، ص 41 ؛ *روايات شفوية*.

أحمد العماري

**بني ولْيشْك**، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الناظور) وتحيط بها قبائل بني سعيد ومطالسة وتافرسيت وتمسمان وتقدر مساحتها بـ 221 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 18.505 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية. ويوجد مركز القبيلة الرئيسي بابن الطيب، كما تحتوي القبيلة على خمسة وأربعين مسجداً وتسعة أضرحة وثلاث زوايا وأربعين كتّاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى خمس فرق هي : أزرو (16 مدشراً) أمزيلا (17 مدشراً) بني يخلف (14 مدشراً) بني عبد السلام (10 مداشر) وبني جيار (11 مدشرا).

وفي النظام الإداري تكوِّن القبيلة جماعتين قرويتين هما : جماعة المهاجر وجماعة بن الطيب.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T.II ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926, passim ; *Vademecum de la intervencion territorial del Kert*, 1948, p. 119.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني ومْراس**، إحدى الفرق الهامة المكونة لقبيلة بني عروس الهبطية. تتوزع أشهر تجمعاتها السكانية على المساحة الواقعة في الشمال الغربي من تراب القبيلة، بين جبل حبيب وبني گرفط، بما تتضمنه من القرى الجبلية والعزائب والمسارح التابعة لها، مكونة بذلك الجبهة الوحيدة المشرفة من أراضيها على منخفضات الهبط الأصلي. فالجبل عبارة عن كتلة صغيرة غير مرتفعة (523 م) ينحصر طولها المنتصب من الشمال نحو الجنوب على شكل شبه عمودي بين واديين : واد الخروب الذي يجري في حدها الشمالي، وواد المخازن المار بجنوبها، بينما يضيق عرض الكتلة بين كل من واد عساك، رافد واد الخروب شرقاً، وواد عياشة مما يلي الغرب. ويظهر فراغ العزائب والمسارح ابتداء من منحدرات الجبل الغربية إلى الأراضي المنبسطة الواقعة غرباً بين واد الخروب وواد عياشة. وكانت هذه العزائب خلال القرن السابع الهجري من أملاك العلميين المشيشيين، ومنهم الشيخ عبد السلام بن مشيش الذي كان له عزيب بقرية بومهدي.

تتألف فرقة بني ومراس في الوقت الراهن من تسع قرى جبلية (دار براطية، المغزليين، الخنادق، بوقمو، الخالدين، عيادش، عين الاقصاب، عين الاسوار، عين معبد)، وثلاث قرى سهلية (بومهدي، دار الخيل، الحنانشة). ويحمل اسم ومراس حالياً مدشر يوجد ضمن فرقة أبياط التابعة لنفس القبيلة.

مقاومة بني ومْراس : تحدث برناردو ردريگس في *حوليات أصيلا* مرات عديدة عن بني ومراس، وسماهم Benamares. ولاحظ (سنة 914 / 1508) أن الجبل كان قبل وجود البرتغال بأصيلا وطنجة آهلا بالسكان، إلى درجة أن عددهم فاق ما كان مستوطناً بجبل بني گرفط، وهذا الأخير قدر عدد قراه بنحو خمس وتسعين قرية. وأضاف الإخباري البرتغالي أن جل السكان قد غادروا مساكنهم متوجهين إلى نواح أخرى بعيدة، مشيراً كمثال إلى الجماعة التي اختارت الاستقرار بالضفة اليمنى من وادي اللكوس الممتدة بين العرائش والقصر الكبير. ولا يفسر أسباب تلك الهجرات سوى ما تعرضت له القرى منُ الغارات على يد جنود أصيلا منذ احتلال المدينة، وخاصة إثر الهجمات المتوالية التي تلقتها ما بين 1508 و1526. ولا أدل على ذلك من بقاء قرى بني ومراس خالية طوال الوجود البرتغالي بأصيلا. ونشير كمثال إلى قرية بومهدي ودار الخيل. ولم يظهر بقرية المنصورة سنة 1516 سوى العدد الضئيل من أهلها.

لقد عد البرتغاليون أراضي الفرقة داخلة فيما أسموه بحوز أصيلا، كما شكل الجبل وأهله عقبة لا بد من اجتيازها للوصول إلى بني حمايد وبني عروس الجبلية عبر ممر الأبواب السالك بجوار واد الخروب، وظهر القصبة النافذ بين بني ومراس وبني گرفط.

وينبغي الرجوع إلى سنة 901 / 1495 لمعاينة موقف قرى بني ومراس، قبل افتراقها، تجاه الوجود البرتغالي بأصيلا خاصة، إذ أنها القرى الأولى التي عبرت عن الثورة، بدءاً برفض النظام الضريبي المفروض عليها بمقتضيات بنود 1471، ثم مع جواو الثاني سنة 1489. وقد تمكن علي بن راشد العلمي أمير شفشاون من مساندة القرى بتعيين اثنين من أبناء عمه على رأس الثورة، وهما : موسى ويعقوب. ووضع ما يزيد على ألفي محارب تحت تصرف الجميع. ففي ربيع الثاني من عام 901 / ديسمبر 1495 كانت مساهمة علي بن راشد قد أتت أكلها، إذ أن القرى المجاورة لأصيلا (جبل حبيب، بني مصور، بني گرفط) سرعان ما انضمت إلى حركة بني ومراس، وكانت المناسبة التي أعلن فيها عن مقتل حاكم أصيلا، مما حرك لشبونة للقيام بحملة تأديبية ضد أهل الجبل، فكان اللقاء بين الطرفين معركة حقيقية.

برز من رجال بني ومراس المقدمين على الجبل أعضاء أسرة النجار، نعرف منهم عمر النجار وولديه الحسين ويعقوب. وفي صيف 1416 عين علي بن راشد صهره "مرتين فرناندو" (علي فرناندو) مقدماً على الجبل لحراسة ممراته، مساعدة لمقدم جبل حبيب علي الرواص. بقي مرتين فرناندو بتلك الصفة إلى سنة 1518، ثم أسندت مهمة حراسة جبل بني ومراس إلى قيادة جبل حبيب.

الطاهر اللهيوي، *حصن السلام بين يدي أولاد مولاي عبد السلام*، ص. 332 ـ 340 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة : ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية*، ص. 56، تطوان، 1953.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 1 : 32 - 55 - 96, 2 : 24 - 25- 266 - 271 - 307 - 308.

حسن الفگيگي

**بَنـي وَنْجَـنْ** أو بني ونجل، اسم لمجموعتين بشريتين بمنطقةَ الريف، واحدة في شماله بغمارة، والثانية بمنطقة ورغة العليا. كما أنه بجنوب هضبة تاسكيُّوت بأعالي وادي تيزلت، تحمل فخذة من مسفيوة اسم أيت وَنْجَا (*Contribution*, p. 146). وهذا الاشتراك في جذر الكلمة بين المجموعات المذكورة يفرض علينا اعتبار اسم بني ونجن. وحسب لاوست فإن الجذر ن. ج. ي. الذي من المحتمل أن تنتمي إليه الكلمة يحيل في تشلحيت، عند الكلام عن أحد الوديان، إلى فعل "جرى" ويحيل عند الهوگـار إلى فعل "سال" أي إلى وجود مياه سائلة على السطح نتيجة هطول أمطار حديثة (الإحالة السابقة). أما كيف مُرِّر هذا المدلول اللفظي فصار اسم علم للتجمعات البشرية هذه، فيبدو من الصعب جداً تخمين ذلك، ولو أنه في حالة بني ونجن الواقعة على واد ورغة، والتي هي محور هذه المادة، تغري ظاهرة تعدد شعابها وكثرتها مع امتلائها بالسيول في الأوقات المطيرة إلى اعتبار الظاهرة الطوبوغرافية في تقريب هذا التفسير.

تحتل قبيلة بني ونجن المقترحة، منحدر الضفة الغربية لواد ورغة، على بعض كيلومترات غرباً من مركز طهر - سْوق، ويجاورها من القبائل : مرنيسة شرقاً وتَـافْرَاوتْ شمالا وفَنَّاسة غرباً وبنو عيسى جنوباً. وهي تشترك في موقعها العام مع قبائل المنطقة بانزوائها في هذا الركن من رأس ورغة، بعيدة عن أي مسلك تجاري نشيط وعن المراكز الحضرية التي كانت في الماضي صانعة الأحداث السياسية، مما يفسر تاريخياً تغييب اسمها في المصادر إلا في القليل النادر.

تقتصر الإشارات الوحيدة والقليلة عن هذه القبيلة قبل القرن التاسع عشر الميلادي على ما تضمنته بعض كتب المناقب ضمن نشاطات رجال التصوف، يقدم البادسي عنها، من خلال ترجمة الشيخ محمد بن عبد الله الحسني، تلميذ الشيخ أبي يحيى أگرْوم دفين تامْشاشت، أقدم إشارة ترجع للقرن السابع للهجرة / نهاية القرن الثالث عشر الميلادي. فيرسم المؤلف اسمها ببني ونجن ويوضح بأنها كانت من المناطق التي شملها آنذاك النفوذ الروحي للشيخين. عندما يذكر من بين كرامات الشيخ الحسني، سعيه في الصلح بين القبيلة وجارتها بني عيسى ( *المقصد*، ص. 144). ويخبرنا القادري بأن المنطقة في القرن السابع عشر الميلادي خضعت لنفوذ الطريقة الزروقية في شخص الشيخ أبي محمد عبد الله ابن أبي بكر الذي دفن بها بموضع باب الحائط( *الطرفة*، ص.7). وأخيراً يعد مؤلف *قبيلة بني زروال* (ص.42) منطقة بني ونجن من جملة المناطق التي احتضنت فروع الزاوية الدرقاوية بالمغرب في بداية القرن الثالث عشر (19 م).

أما بالنسبة لمصادر هذا القرن ووثائقه، فنعثر فيها على بعض المعلومات التي تقربنا من التبعية الاقتصادية والسياسية للقبيلة تجاه مدينة فاس. هكذا يتعرض الزياني لذكر حادث وقع بين سكان بني ونْجن وباشا مدينة فاس الأودي، مضمنه أن الباشا احتجز لهم مواشيهم لما قدموا أسواق المدينة، مقابل وظائف وظفها عليهم، ثم بعث معهم من يستوفي ذلك بالقبيلة، فلما توسطت خيله بين ظهرانيهم، استولوا عليها وبعثوا إلى الباشا يقولون إن تسريحها رهين بتسريح مواشيهم (*تكميل الترجمان*، ص. 18). هذا الحادث العارض الذي يعقب عليه الزياني بأنه كان السبب في التعجيل بعزل باشا مدينة فاس السيء السمعة يوضح جانباً من ارتباط المنطقة بمدينة فاس ويصلح إلى جانب ذلك لتقدير الصعوبات الخاصة بضبط وجباية مثل هذه المناطق الوعرة في الجبال، وهذا ما يلمح إليه أيضاً المشرفي عندما يشبهها وباقي القبائل الجبلية المجاورة بعظام الرأس أدقهم يجرح (*الحلل البهية*، ص. 306).

غير أن ما يقربنا أكثر من الوضع السياسي للقبيلة المذكورة وثائق العهد الحسني في نهاية القرن التاسع عشر، ففي بعضها أن القبيلة ساهمت بنصيبها في الحركة إلى الريف سنة 1306 / 1889 (*كناش خ. ح*. 199). وأن أقسام القبيلة المساهمة هي : أيْدة، جامع الدُّلم، بُوعلالو الحجر، العروسة أُويَـنْـتُور، أولاد مَدَّان (*كناش خ. ح*. 192، ص. 11).

أما من حيث التنظيم السياسي، فالقبيلة تدخل في عداد ما تسميه الوثائق بقبائل "رأس ورغة". وتتضمن إلى جانب بني ونجن هذه كلا من صنهاجة عين مديونة وصنهاجة غَدُّو ومْثيوة ومَرْنيسة وأولاد بوسلامة وفَنَّاسة وقَصيوة، وجميعها كانت تابعة لباشا مدينة فاس ولد أبَّ مَحمد الشرگي وابنه العربي من بعده ( *كناش خ. ح*. 160) ؛ لكن مع فارق التسيير الداخلي ؛ فبينما نُصِّب قائد مخزني على كل من قبائل صنهاجة ومثيوة، فإنه في حالة بني ونجن ومرنيسة وقصيوة، تُرك أمر تسييرها إلى الأعيان والأشياخ، فلا تخاطب الرسائل غيرهم ( *كناش خ. ح*. 160) ولقد برز من أعيان قبائل رأس ورغة، في بداية القرن الحالي، أسرتان تنافستا الزعامة والنفوذ على كافة منطقة ورغة العليا، وهما : آل اليَدْري بمرنسية وأولاد حْميدُو بقصيوة والمنطقة المسماة بالبرابر، وهذا إلى حدود سنة 1926، تاريخ ابتلاع الحماية للإقليم.


ع. البادسي، *المقصد الشريف*، تح. سعيد أعراب ؛ م. القادري، *الطرفة في اختصار التحفة*، مخطوط خ. ح. رقم 1271 ؛ أ. الزياني، *تكميل الترجمان في خلافة مولانا عبد الرحمن*، مخطوط خ. ح. رقم 2746 ؛ م. المشرفي، *الحلل البهية في ذكر ملوك الدولة العلوية*، مخطوط خ. ع. رقم د 1463 ؛ *كنانيش الخزانية الحسنية*، أرقام 160، 192، 199 ؛ محمد البشير الفاسي، *قبيلة بني زروال*، الرباط 1962 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، الرباط 1977.

E. Laoust, *Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas*, Paris, 1942.


محمد اللحية

**بني وَنْكَاسْنْ**، أو ونجاسن، إحدى فصائل بني مرين، من ونگاسن بن ورزيز بن فجوس بن جرماط بن مرين.

اختص أبناء ونكاسن بسكنى جبل دبدو منذ دخول بني مرين إلى المغرب الشرقي في بداية القرن السابع الهجري. نعرف من فروعهم، بني علي في مواطنهم الواقعة على الكتلة الغربية من الجبل المشرف على سهل تافراطا والضفة الشرقية لواد ملوية، مما يقابل گرسيف. وقد سمى الحسن الوزان سكان جبل دبدو بني ورتاجن، ولكن الحقيقة هي التي ذكرها ابن خلدون المعاصر لعدد من رجال القبيلة.

اتضح الدور السياسي الذي اضطلع به بنو ونكاسن تجاه الدولة منذ بداية أمرها، فهم بحكم مواطنهم الجبلية أصبحوا الحارسين لحدودها الجنوبية الشرقية من تسرب نفوذ بني عبد الواد التلمسانيين، خاصة وأن جيرانهم بني يعلا وبني مطهر يوجدون في مقدمة تلك الحدود. ولذلك أنشأ بنو ونكاسن قلعتين إحداهما تدعى قلعة إكلوان اختص بها بنو سيد الناس من بني علي، ثم قلعة دبدو المشهورة لبني محمد بن زگدان. واستندوا كذلك إلى جارهم وحليفهم حاكم گرسيف المتحصن في قلعة مرادة.

برز دور بني ونكاسن بجبل دبدو، بصورة أوضح منذ بداية النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، بمشاركتهم في الأحداث المرافقة لتنازع البيت المريني على الحكم، إذ أنهم كانوا حلفاء الفدوديين المستبدين بالسلطة على ملوك بني مرين، بزعامة محمد بن زگدان، شيخ قلعة دبدو، وموسى بن سيد الناس، شيخ قلعة إكلوان. فهما اللذان بايعا عبد الحليم بن أبي الحسن المريني بعد إطلاق سراحه من غرناطة وخروجه من تلمسان (763 / 1361). وإلى بني ونكاسن التجأ الأمير عبد الرحمن بن أبي يفْلُوسَنْ والوزير مسعود بن ماساي الفودودي إثر فشل محاولاتهما.

ولم يكن في وسع ملوك بني مرين الاستغناء عن بني ونكاسن وموقع جبلهم الذي يشكل أحد الدروع الواقية من نفوذ تلمسان الزيانية، فحينما جرد السلطان أبو حمو الزياني حملته ضد دبدو سنة 766 / 1364 رد السلطان عبد العزيز (767 - 774) الاعتبار لبني ونكاسن سنة 772 / 1370.

ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، 20 - 88 ؛ *القرطاس*، 389 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 116 . 266 . 490 . 657 . 667 . 681 . 683 . 720 . 737 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 273 ؛ مارمول، *افريقيا*، 2 : 270.

**بني يابان**، إحدى فصائل بني مرين الهامة من جرمط بن مرين، إخوة بني فجوس. وينتمي إلى هذه الأسرة الكبرى أقسام أخرى منحدرة منها، مثل بني علي وبني عيسى وبني ورنكال وبني تاشفين وبني عزم وبني خلفي. برز دور هذه الأسرة على الصعيد السياسي منذ عهد السلطان أبي عنان (749 - 759 هـ)، حينما أصبح عبد الله بن علي الياباني وزيراً من وزرائه، وصار ابنه عمر بن عبد الله بن علي الياباني حاجباً للسلطان. ولا شك أن الأسرة شاركت بني فودود في الاستبداد بالأمر بعد مقتل أبي عنان على يد عميد الأسرة الفودودية الحسن بن عمر الفودودي، فقد ظهر إلى جانبه محمد بن العباس بن أبي يحيى الياباني إلى جانب وزراء أبي بكر السعيد بن أبي عنان (759 - 760 هـ).

ومن بني يابان الوزراء يعيش بن علي بن فارس الياباني على عهد محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن (788 - 789 هـ) وإدريس بن موسى بن يوسف الياباني، وصالح بن حمو الياباني اللذان تم استوزارهما على عهد أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن (789 - 796 هـ). وقد حاز بنو يابان قصب السبق في الوزارة على يد صالح بن حمو الياباني السالف الذكر، إذ مكث في الوزارة إحدى عشرة سنة، ابتداء من عهد أحمد بن أبي سالم، ثم خلال حكم كل من عبد العزيز بن أبي سالم (796 - 799 هـ) وعبد الله بن أحمد أبي سالم (799 - 800 هـ) إلى أن توفي في بداية القرن التاسع مع مستهل حكم عثمان بن أبي سالم (800 - 825 هـ).

وبرز كذلك صالح بن صالح بن حمو الياباني الذي أسند إليه عثمان بن أبي سالم مهمة حراسة مدينة سبتة من بني الأحمر أثناء حرب السلطان لأخيه محمد السعيد. وقد فاجأ الأسطول البرتغالي صالح الياباني بمدينة سبتة (818 / 1415)، وظل بطنجة وأصيلا حاكماً لهما إلى وفاته سنة 844 / 1440. وآخر من نعرف من هذه الأسرة أبو بكر بن صالح الياباني الذي خلف أخاه لمدة قصيرة على أصيلا إلى أن انتزعها منه أبو زكرياء يحيى الوطاسي، بينما التجأ اثنان من أبناء صالح إلى جبل حبيب.

إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*، ص. 28 . 31 . 38 . 40 . 41 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 307 . 308 . 736 . 737 . 739 . 880 ؛ ع. الجزنائي، *جني زهرة الآس*، ص. 1 . 2، الرباط 1967 ؛ ح. الفكيگي، مقاومة *الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية*، ص. 692.

حسن الفكيگي

**بني يازغة**، قبيلة تنقسم اليوم إلى جماعتين قرويتين تنتميان من الناحية الإدارية إلى دائرة صفرو بإقليم فاس وتمتدان على 340 كلم$^2$ موزعة بين 190 كلم$^2$ لجماعة المنزل و150 لجماعة أولاد مكودو. وتعد هذه الأراضي جزءاً من الهضاب الكلسية بالأطلس المتوسط الشمالي. يصل ارتفاعها المتوسط إلى 1.000 م، وتتوصل سنوياً بمعدل 500 مم من التساقطات. وهي كمية تؤمن المحاصيل الزراعية البورية والديمومة لعدد كبير من العيون التي تستعمل مياهها في الري. وتعتبر هذه الظروف الطبيعية الملائمة من العوامل المفسرة لاستقرار السكان منذ قرون عديدة ولأهمية كثافتها (الوزّان).

وصل عدد سكان هذه القبيلة سنة 1982 إلى 26.326 نسمة مما يفسر ارتفاع الكثافة بالمقارنة مع المعدل الوطني (77,4 ن / كلم$^2$ مقابل 29 ن / كلم$^2$). ولم يكن هذا العدد سوى 15.000 نسمة في 1950. وقد سجل معدل النمو الديموغرافي السنوي 1,01٪ فيما بين 1971 و1982. وهو دون المعدل الوطني (2,6 ٪). ويدل على تلاشي وتيرة تزايد السكان كما يفسر تقلص أهمية فئة السن دون 5 سنوات. ويبدو أن هذا الضعف وانعكاساته ناتجان عن الهجرة. فمنذ

الستينات فقدت القبيلة ما يعادل ثلث سكانها الحاليين (1990). وتهم حركة النزوح جماعة أولاد مكودو أكثر من جماعة المنزل.

يرتكز اقتصاد اليازغيين في الوقت الراهن على الزراعة وتربية الماشية وعلى الموارد الخارجية (المعاشات والحوالات من العاملين بالخارج) وأخيراً على بعض الأنشطة المحلية.

ففي ما يخص النشاط الفلاحي، عُرف اليازغيون باستقرارهم القديم وبتعاطيهم للزراعة (الوزان). وهو نشاط لازال يحتل المرتبة الأولى في موارد السكان وتشغيلهم إلى يومنا بالرغم مما لحقه من تهميش خلال العقد الأخير. فموقع أراضي بني يازغة على نهر اللكوس يفسر امتداد الأراضي الفقيرة غير المشجرة ويفسر امتداد الغابة على 8320 هـ. أي ما يقرب من ربع المساحة العامة، وهو ما يشكل ظرفاً إيجابياً لتربية الماشية إلا أنه يجعل المجال الزراعي ضيقاً ومنحصراً في المنخفضات (الصورة : بنو يازغة 1 و2). فلا تمتد أراضي الحرث سوى على ما يقرب من 12.500 هـ. أي ما يمثل 36٪ فقط من الأراضي الإجمالية، منها حوالي 1.000 هـ. مسقية.

ونظراً لقدم الاستقرار وارتفاع الكثافة السكانية وللتوارث واستحواذ المعمرين وبعض الأعيان على جزء من الأراضي يقدر بحوالي 1.000 هـ. فالملكية، ومن ثَمَّ الاستغلالية، تبقيان ضيقتين ومساراتهما متشتتة. وإذا استثنينا وحدات الإنتاج الموروثة من عهد الاستعمار، وبعض الوحدات التي تكونت في العقد الأخير، فمساحة الحيازة الواحدة من معظم الحيازات لا تتجاوز خمسة هكتارات. ويقوم توازن هذه الأخيرة على التكامل بين استغلال الأرض البورية، حيث تسود زراعة الحبوب والقطاني وغراسة الزيتون، والأرض المسقية التي تخصص للذرة والخضروات وأشجار الفواكه، وحيازة الماشية وكذلك على موارد خارجية (معاشات وحوالات المهاجرين). وتخضع هذه الأراضي الزراعية من الناحية القانونية إلى الملك الخاص في المرتبة الأولى، وأراضي الدولة التي تسيرها شركتا التنمية الفلاحية وتسيير الأراضي الفلاحية وأراضي الأحباس.

ونظراً لما أحدثه الاستعمار من تحولات في البنيات التقليدية ولتدخل الدولة منذ الاستقلال (مركز الأشغال، القرض الفلاحي) وتوافد بعض أصحاب الأموال، وتفطن الفلاحين إلى وجوه الربح، فقد سجلت تغييرات كبيرة في النظام الزراعي وظروف تربية الماشية. فقد أدخلت أنواع مستوردة من الأبقار والأغنام وبذلت مجهودات كبيرة في استغلال المياه الباطنية وفي غراسة أشجار الورديات بجانب الزياتين وزراعة الخضر، وتم تأسيس عدد كبير من تعاونيات الخدمات منذ 1979، ويزداد الإقبال على استعمال الآلات.

وإذا كانت الفلاحة تشكل قطاعاً اقتصادياً حيوياً، فقد أصبحت الهجرة مورداً لا يقل أهمية عنها. ولا تأتي هذه الأهمية من كونها ظاهرة سكانية فحسب بل من كونها كذلك مورداً اقتصادياً وعامل تحول. كانت محدودة في الماضي نظراً للخوف من المغامرة ولكون المهاجر محتقراً. لكن هذه الوضعية تغيرت مع دخول الاستعمار وإدخال عدد كبير من أبناء القبيلة في الجيش وجعلهم يتمتعون بامتيازات مادية ومعنوية حولتهم إلى رمز للنجاح في الحياة في أعين غيرهم.

ومنذ الاستقلال انتشرت المدارس بكل الدواوير وفتحت ثانوية المنزل، فتمدرس عدد كبير من الشباب، لكن نسبة كبيرة منهم لم يساعدهم الحظ في مواصلة الدراسة مما جعلهم يلجون الصفوف الدنيا في الجيش أو يهاجرون نحو الخارج. ويقدر معدل المهاجرين لكل أسرة باثنين في الوقت الراهن.

وإذا كانت هذه الهجرة موقتة ومقتصرة على الأفراد قبل السبعينات، فمنذ ذلك التاريخ تحولت إلى هجرة نهائية وأصبحت تشمل الأسر بكاملها، فتدهور القطاع الفلاحي وقلة المياه بسبب الجفاف، والاعتماد على السوق لتلبية معظم الحاجيات والرغبة المتزايدة في الاستفادة من بعض الخدمات (المدرسة، الطبيب ...) جعلت المهاجرين الشباب يقدمون على تهجير أسرهم إلى أماكن عملهم أو إلى المراكز الحضرية القريبة (المنزل وصفرو، بالأساس).

وتشكل الهجرة منذ الحماية عامل تحول اجتماعي واقتصادي ومجالي. فبعد ما كان المجتمع اليازغي يعرف نوعاً من التجانس ظهر به "الگوم" (المجندين) منذ الأربعينات كطبقة متميزة تملك الإمكانات على شراء الأرض وتحسين ظروف السكن وإدخال عدد من مواد الاستهلاك الجديدة، وبعد الستينات برزت طبقة المهاجرين نحو الخارج والموظفين والجنود الذين يعيشون وأهلهم على موارد الهجرة والذين فرضوا تحولات واضحة تتجلى في تطوير السكن وتهميش النشاط الفلاحي والتمدين السريع.

وتظهر أهمية الهجرة كمورد اقتصادي في كون ما يقرب من ربع عدد الأسر اليازغية كانت تتوصل بمعاشات فرنسية خلال الستينات والسبعينات. كما تظهر في توصل القبيلة بحقنات مالية كبيرة يعكسها عدد الحوالات الموزعة من طرف مكتب البريد بالمنزل وملحقته بأولاد مكودو والذي يتجاوز 3000 سنوياً خلال الثمانينات. ولا نغفل بأن عدد الحوالات المبعوثة بطرق أخرى لا يقل عمّا يوزعه البريد.

تسخر هذه الموارد لتحسين ظروف السكن (البناء بالاسمنت والحجارة) وتجهيز المنازل على غرار ما في المدن، ولشراء أرض البناء بمنطقة المنزل ومنطقة بودرهم وبنائها. وتصرف كذلك في تغطية حاجيات الأسر من المواد الغذائية والملابس والتطبيب وأخيراً في النقل حيث ارتفع عدد الشاحنات وسيارات نقل البضائع (Pick-up) من 5 في 1970 إلى 40 في 1990. وهذه الشاحنات في ملك اليازغيين وتستعمل للربط بين الدواوير فيما بينها من جهة وبينها

وبين المركز بل ومجالات أخرى من جهة ثانية.

وإذا كانت الفلاحة والهجرة تمثلان ركيزتين أساسيتين بالنسبة للاقتصاد اليازغي، فهناك قطاعات أخرى تظهر أهميتها على المستوى المحلي مثل التجارة بما في ذلك تجارة الماشية (بالتسمين قصد إعادة البيع) وهي تجارة أصبحت تهم كل الدواوير وإن كان ذلك بشكل متفاوت، ومثل بعض الصناعات التقليدية (النسيج والغزل والعقد والحلفاء والخزف) وأخيراً استغلال معدن الملح بدوار ملاحة.

مركز المنزل عاصمة بني يازغة : يبقى الحديث عن تحولات المجال اليازغي ناقصاً بدون الحديث عن مركز المنزل الذي ينعكس به جزء من هذه التحولات. فهو بمثابة عاصمة لبني يازغة. يبدو أن له تاريخاً قديماً جداً، فقد شكل حصناً منيعاً في عهد المولى إسماعيل (القرن الحادي عشر ـ 17 م ـ) كما تشهد على ذلك الآثار القائمة إلى يومنا هذا. وفي عهد المولى سليمان شيد به المسجد الكبير وصومعته المشهورة لدى اليازغيين. كان يقام به سوق ويستقر به عدد من التجار والحرفيين مما جعله يفرض دوره القيادي على ظهيره. وقد تقوى هذا الدور في عهد الحماية بعد نقل القيادة من أولاد مكودو إليه، وخلق بعض المرافق الإدارية والاجتماعية به. لكن لم يكن هذا ليطور المركز بشكل ملحوظ. ومنذ الاستقلال ساعد انتشار المدارس بالقرى، وظهور ثانوية المنزل والانخراط الكبير لأبناء القبيلة بالجندية، والهجرة نحو الخارج أو مناطق أخرى من المغرب على توسعه توسعاً سريعاً جداً تصاحبه مشاكل اجتماعية واقتصادية وبيئية. فعدد سكانه ارتفع من 1.312 ن في 1936 إلى 2.386 ن في 1960 و6.617 ن في 1982 ولا يستبعد أن يكون قد وصل إلى 10.000 ن في 1990، وقد سجل معدل النمو الديموغرافي السنوي به 4،74٪ فيما بين 1960 و1982. ويعد أعلى معدل سجل بمراكز منطقة صفرو. وتفسر سرعة النمو هذه بالإضافة إلى النمو الديموغرافي الطبيعي بالتوافد. وقد أصبح ثلث سكان بني يازغة يتركزون بالمنزل في سنة 1990.

ومما صاحب هذا التطور السكاني تحول ملحوظ في البنية المهنية ـ الاجتماعية بحيث لم تعد الفلاحة تشكل النشاط الرئيسي، إذ نزلت نسبة النشيطين بها من 27،8٪ إلى 15،6٪ بين 1960 و1982 (*النمو الحضري*، ص 130).

وكذلك توسع في الرقعة المبنية، فقد سلم بين 1979 و1987 ما مجموعه 704 رخصة بناء وبنيت مساحة مجموعها 63.300 م$^2$ (منوغرافية قيادة المنزل 1987).

وقد نتج عن تزايد طلبات البناء ارتفاع في ثمن الأرض (400 درهم للمتر المربع) جعل الملاكين يتخلون عنها بسهولة. وهي أرض مسقية عموماً كانت تشكل غُوَيْطَة تحف المنزل ودوار القلعة.

ومن نتائج هذا التوسع العنيف والعشوائي، تراجع الغويطة بالثلثين وتحويل ما يقرب من نصف صبيب عين كبير لسد حاجيات المركز بعدما كانت كل المياه تستعمل في السقي. وتحول عدد من السواقي إلى مجار ملوثة تهدد حياة السكان. ومما أدى إلى هذه الوضعية نذكر عدم تطبيق تصميم تهيئة المركز والدواوير المجاورة له وهو تصميم وضع في 1982 ولم يصادق عليه بعد.

إن تطور مركز المنزل وما يطرحه من مشاكل لا يمكن فصله عن تطور ظهيره. ولا يمكن التخفيف من مشاكله بدون الاهتمام بالأرياف المجاورة والعمل على ضمان نمو متوازن وحقيقي بها. ويقتضي ذلك تجهيزها ومراعاة رغبات سكانها والاستغلال العقلاني لمواردها وإنعاش مركز بودرهم الناشئ بجماعة أولاد مكودو.


علي لغزيوي، *أضواء على قبيلة بني يازغة وبعض أعلامها بصفرو ومنطقتها : بيئة ـ تاريخ ـ مجتمع ـ فكر*، الجزء الأول *الملتقى الثقافي الثالث لصفرو*، الدار البيضاء، 1990، ص. 53ـ82 ؛ علي فجال، *النمو الحضري بمركز المنزل : مظاهره ونتائجه*، *بالتنمية المحلية وتهيئة بالمجال بالمغرب، صفرو ومنطقتها نموذجا، الملتقى الثقافي الثاني لصفرو*، فاس، 1989، ص. 125ـ136.

Anonyme, *Les Beni Yazgha, R.G.M.* XVème année, n° 2, juin 1931, p. 149 - 153 ; M. Kerbout, *Les Mutations des campagnes du Moyen Atlas Oriental : le cas des Beni Yazgha et des Marmoucha, in Le Maroc : espace et société. Actes du colloque Maroco-Allemand, Passau 1989*. Passavia Universitas Verlag Passau 1990, pp. 49 - 62 ; La Martinière, *Les Beni Yazgha et le poste d'El Menzel*, Mémoire de stage, E.N.A., section économique et financière 1950 ; Reisser (capitaine) et Bachelot, *Notice sur le cercle de Sefrou, B.S.G.M.*, n° 4, 3ème année, Février 1918, p. 29 - 51 ; *Recensements généraux de la population et de l'habitat de 1960, 1971 et 1982.*


محمد كربوط

** تؤكد المصادر التاريخية أن الموطن الأصلي لبني يازغة هو مدينة فاس الحالية وبالتحديد فيما أصبح يعرف بعدوة الأندلس، فقبل بناء مدينة فاس، كان يسكن بها قبيلتان من زناتة، هما : زواغة وبنو يزغتن (الاسم القديم لبني يازغة). وكانوا أهل أهواء مختلفة، منهم من يدين بالإسلام، ومنهم من يدين بالنصرانية أو اليهودية، ومنهم من كان على المجوسية.

أما قبيلة زواغة فكان موطنها هو ما أصبح يعرف بعدوة القرويين، وأما بنو يازغة فكانوا يسكنون بخيامهم في المنطقة التي عرفت فيما بعد بعدوة الأندلس (*القرطاس*، 31)، ويذكر ابن أبي زرع أن بيت نارهم كان هو (الشيبوبة)، ولا يزال مكان الشيبوبة معروفاً إلى اليوم بين قنطرة (بين المدن) وحدادي النخالين.

وقد كان القتال بين القبيلتين متوالياً على مر الأيام إلى سنة 191 هـ، وهي السنة التي وصل فيها عمير بن مصعب الأزدي وزير المولى إدريس بن إدريس إلى تلك المنطقة، بهدف ارتياد البلاد واختيار مكان مناسب لبناء مدينة، فاستحسن بقعة هؤلاء لكثرة مياهها، وطيب تربتها، واعتدال هوائها وصحتها، ووجد بني يـزْغْتـنْ وزواغة يقتتلون فيما بينهم على حدود الأرض، فأخبر المولى إدريس بما وقع عليه اختياره، فاستحسنه واشترى الأرض منهم بما يرضيهم، ثم نزلها وشرع في بناء مدينة فاس (*جذوة الاقتباس*، 1 : 29).

غير أن هذه الإشارات التاريخية المتواترة لا تشير إلى الموطن الحالي للقبيلة في سياق حديثها عن موطنهم القديم بمدينة فاس، فنحن لا نعرف على وجه اليقين إلى الآن، أكان بنو يازغة مستقرين بأسرهم في الموضع المشار إليه آنفا من مدينة فاس قبيل بنائها، ثم تحولوا بعد بيع أرضهم إلى المولى إدريس بن إدريس إلى مواطنهم الحالية الواقعة بالجنوب الشرقي من مدينة فاس، وهي المنطقة التي كانت تسكنها قبيلة فندلاوة ؟ أم كانت تسكن فرق منهم فقط بذلك الموضع ؟ (*جذوة الاقتباس*، 1 : 21).

ويمكن أن نستنتج من تلك الإشارات أن قبيلة بني يازغة طرأت على هذه البلاد التي تنسب إليها بعد خروجها من مدينة فاس، وأن اندماج فندلاوة فيها دليل على قوتها وتأثيرها، بحكم اندماج الضعيف في القوي وانقياده له. ولا شك أن إقبال بني يازغة على اعتناق الإسلام واستعرابهم منذ ذلك العهد قد زاد من قوتهم، بل إن كثيرا من أبنائها قد اكتسبوا الشرَف الإدريسي الحسني عن طريق المصاهرة وغيرها. فظهر من أسرها شرفاء حسنيون ينتهي نسبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، مروراً بالنسب الإدريسي، وموضوع نسب شرفاء بني يازغة مبسوط مفصل في كتب الأنساب والمناقب، مثل كتاب *الدرر البهية* لإدريس الفضيلي، وكتاب *دلائل النبغاء في معرفة أنساب الشرفاء*، وكتاب *السلسلة الوافية والياقوتة الصافية* المقتطف من الجمهرة الكبرى لأبي عبد الله ابن أبي القاسم العشماوي، وكتاب *ذكر نسب بعض الصحابة ونسب الأشراف الإدريسيين* وغيرهم لأبي بكر السيوطي وغير ذلك، بالإضافة إلى كتب التراجم والمصادر التاريخية وما تضمنته من إشارات، وهو ما تعززه ظهائر ملوكية عديدة، ومنها ظهائر إسماعيلية ومحمدية وعزيزية وغيرها.

تغلب الطبيعة الجبلية على أرض هذه القبيلة، فهي امتداد لسلسلة جبال الأطلس المتوسط، كما كانت تكثر بها المراعي والعيون، بالإضافة إلى هبة من الله هي وادي سبو. وتتخلل جبالها سهول تتفاوت خصوبتها، وهذا ما جعل نشاط سكانها قديماً متأثراً بهذه الموارد الاقتصادية وطبيعتها، فربوا الماشية، وقطعوا الأشجار من أرضهم أو من الغابات المجاورة لها، إذ كانت تحيط بها غابات الأرز بصفة خاصة، وفلحوا الأرض، وعصروا الزيوت وصنعوا الأقمشة الصوفية الرفيعة.

وهذا وصف عام يورده ابن أبي زرع، يتحدث فيه عن موقع القبيلة، ويذكر بعض مواردها الاقتصادية ونشاط أبنائها يقول فيه :

"وعلى مسيرة ثلاثين ميلا من فاس جبال بني يازغة، حيث يقطع خشب الأرز فيجلب إلى المدينة منه في كل يوم ما لا يحصى كثرة، ومن هذه الجبال ينبعث نهر سبو، من عنصر واحد شبه مغارة فيسير حتى يمر بمشرق مدينة فاس، على مقدار الميلين منها، فيصيد أهل المدينة الشابل والبوري وأصناف الحوت...".

ولعل أهم وصف يمكن أن نقرأه عن القبيلة وغناها ومكانتها المحترمة، هو ما سجله الحسن الوزان في *وصف افريقيا* خلال القرن العاشر الهجري (16 م)، وقد زارها فجاء وصفه وصف شاهد عيان، وفيه يقول عن جبل بني يازغة :

"تسكن هذا الجبل قبيلة غنية محترمة جدا لأدبها وطريقة عيشها. ولسكان جبل بني يازغة عدد كثير من الماشية، لأن البلاد قليلة الأشجار وصوف أغنامهم شديدة النعومة، تصنع منه نساؤهم أقمشة كأنها من حرير. يتخذن منها لباساً لهن وأغطية للأسرة. ويباع الواحد من هذه الأغطية في فاس بثلاثة مثاقيل أو أربعة، ويستخرج هؤلاء الناس كذلك زيتاً كثيراً من زيتون جبلهم، لكنهم خاضعون لملك فاس، ويدفع خراجهم الذي يؤدونه إلى عامل فاس القديم، وقد يصل هذا الخراج إلى ثمانية آلاف مثقال تقريباً".

اكتست هذه القبيلة طابعاً عسكرياً عبر تاريخها الإسلامي، ومن أبرز مظاهر هذا الطابع ما يلي :

1 - لجوء بعض الثوار إليها للتحصن بجبالها وقلاعها الطبيعية المنيعة، من ذلك ثورة الأمير عمر بن عثمان بن يوسف الهسكوري الذي تمرد على الخليفة المريني أبي يعقوب يوسف بن يعقوب، وخروجه عليه سنة 685 هـ وتحصنه بقلعة فندلاوة من جبال بني يازغة.

2 - اصطباغ أسماء مداشر القبيلة بالصبغة العسكرية الواضحة، ومنها مدشر القصبة، ومدشر الگعدة، ومدشر القلعة، ومدشر المنزل، وحصن فندلاوة أو قلعة فندلاوة، وهكذا.

3 - إحاطة بعض المداشر بأسوار شاهقة واتخاذ أبواب لها على غرار المدن المسورة تحسباً لأي هجوم، ولا تزال معالم من تلك الآثار شاهدة على ذلك إلى اليوم.

وبعد فرض الحماية على المغرب قاومت قبيلة بني يازغة مقاومة مستمية، ولم تخضع لجيش الاحتلال الفرنسي إلا سنة 1914، فعرفت حينئذ تحولات اجتماعية واقتصادية ومجالية.

م. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ *بيوتات فاس في القديم* ؛ ع. المراكشي، *الذيل والتكملة*، 8 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ ع. زمامة، *معالم وأعلام من فاس القديمة*، مجلة البحث العلمي، ع 13، 1389.

علي لغزيوي

**بني يجّم**، قبيلة مستقرة بالجبال المقابلة لتطوان جنوباً، مما يجاور قبيلة بني سعيد الجبلية منذ العهد المريني، إذ أن المرينيين نقلوهم من ناحية غير معروفة لدينا إلى تلك الجبال لضبط هذه الجهات قبل القرن التاسع الهجري (14 م). أشار الإخباري البرتغالي "زورارا" إلى وجود بني يجم بالمكان، وكانوا من ألد منافسي حاكم بادس منصور بن زيان الوطاسي في بداية القرن التاسع. وقد شاركت القبيلة في حرب البرتغاليين بسبتة، سيما أثناء الحصار المغربي

الأندلسي للمدينة المحتلة، خلال سنتي 821 و822 / 1418 و1419. وقد أكد ابن عسكر الشفشاوني وجود هذه القبيلة مشيراً إلى أحد شعرائها أحمدُ اليجمي المتوفى في منتصف القرن العاشر (16 م). منزله بمدشر بوخلاد فرقة الواد من بني حُزْمَر الحالية.

م. ابن عسكر، دوحة، تح. محمد حجي، ص. 20 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 132 - 136، 162 - 163.

Gomes Eanes de Zurara, *Cronica do D. Pedro de Meneses*, chap. 39, p. 150, chap. 40, p. 159, chap. 66, p. 269 ; A. El Gharbaoui, *La Terre et l'homme dans la Peninsule Tingitane*, p. 151, Rabat 1980.

حسن الفكيكي

**بني يِدَرْ** - جغرافيا - قبيلة تقع بناحية جبالة (إقليم تطوان) وتحيط بها قبائل وادراس والحوز وبني حزمر وبني عروس وجبل حبيب وبني مصور. وتقدر مساحتها بـ 330 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1949 هو 12.206 نسمة، يتكلمون باللهجة العربية الدارجة. ويوجد بالقبيلة اثنان وسبعون مسجداً وثمانية وسبعون ضريحاً وسبع زوايا وواحد وتسعون كتّاباً قرآنياً وأربع مدارس للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : سيلولة (32 مدشراً) والسحترين (27 مدشراً) والعنصر (16 مدشراً) وبني حمايد (8 مداشر).

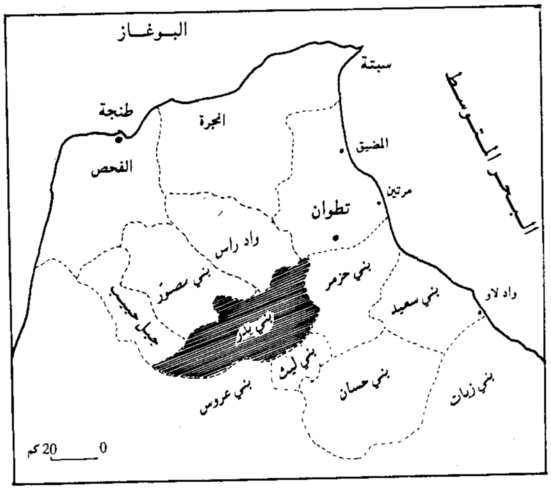


موقع بني يدر

وفي النظام الإداري تكوّن القبيلة جماعتين قرويتين هما : جماعة بني يِدَرْ الشرقية وجماعة بني يدر الغربية. وفي إحصاء سنة 1982 بلغ مجموع سكان الجماعتين 15.948 نسمة.

ومن الملاحظ أن الوزان الفاسي (ص. 261) ذكر جبل بني يِدَرْ ضمن جبال ناحية الريف.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 119 ؛ ح. الـوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 261.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T.II ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926, passim ; Intervenciones militares de Yebala, *Memoria relativa a las cabilas de esta región*, s. l., s. a. ; Sociedad española de historia natural, *Yebala y el bajo Lucus*, 1934, s. 1., 1935, passim ; *Vademecum de la intervención territorial de Yebala*, 1948, p. 135.

محمد ابن عزوز حكيم

** ضربت قبيلة بني يِدَرْ حصاراً على تطوان سنتي 1903 - 1904. وهذا الحدث مرتبط بظروف تاريخية طارئة. لقد أخذت مؤشرات الصراع بين تطوان والقبيلة اليدرية تظهر منذ سنة 1899 بنهب العزائب والتحرش بالحضريين.

إن المؤرخ داود تعرض لوقائع الحصار بشيء من التفصيل، فأورد الروايات الشفوية ومراسلات معاصري الحدث، وقد مزج في سرد الأحداث بين إصدار الأحكام على المنتفضين وإدراج ملاحظات حول علاقة تطوان ببواديها من خلال الحركة اليدرية، فأبرز أن قساوة ظروف الحياة القروية هي التي حددت المواقف العصيانية وزرعت بذور الحقد المتفجر ضد الحضريين.

م. داود، *تاريخ تطوان*، مجلد 10 ؛ ع. خلوق التمسماني، *حول علاقات المدينة المغربية بأحوازها في بداية القرن العشرين : مثال حصار جبالة لتطوان* 1903 - 1904، *الباحث*، العدد 4، أبريل 1982، بيروت.

A. Joly, *Le siège de Tétouan par les tribus des Djeballah, 1903 - 1904, A.M.*, Vol III, 1905, p. 266 - 300.

عبد العزيز خلوق التمسماني

**بني يِرْنِيَان**، زناتيون من ولد جدهم يصليتن، وهم إخوة مغراوة وبني يفرن. اشتهرت مواطنهم منذ القرون الهجرية الأولى على طول الضفاف الشرقية من واد ملوية الأوسط، واستمرت عبر مرتفعات جبال أيت سغروشن وأشرفت على تخوم سجلماسة عبر مجرى واد زيز. وجبل بني يرنيان مقابل لكدية تملت شمالا. وبفضل تلك المواطن أمكنهم المساهمة في نقل بضائع التجارة الصحراوية.

بَنَى بنو يرنيان قصورهم على واد ملوية ما بين ميسور وگرسيف على مسافات متقاربة، مستفيدين من مجرى واد ملوية ومن الأراضي السهلية الممتدة على طول امتداده، وهي المعروفة منذ تلك العهود إلى اليوم بأوطاط. والتحقت جماعة منهم بالأندلس على عهد الحكم المستنصر خلال القرن الرابع الهجري للعمل بجند الأندلس.

بقي بنو يرنيان بمواطنهم محالفين لمكناسة ثم لمغراوة طيلة تلك القرون إلى منتصف القرن الخامس الهجري، حيث أبعدهم المرابطون إلى التلال الجنوبية، منحاشين إلى فلول زناتة المتجولة بين سجلماسة وفگيگ، وبقوا على تلك الحال خلال العهد الموحدي. ولم يبق في مواطنهم الأصلية سوى المجموعات التي التجأت إلى شرق جبل غياثة، مشرفة من هناك على المواطن الأصلية، وهي المجموعة المعروفة ببني وطاط، حسبما قدمه ابن خلدون في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري.

وبالزحف الزناتي على المغرب الشرقي في بداية القرن السابع الهجري على يد رئيسهم عبد الحق بن محيو، رافق بنو يرنيان بني مرين وشاركوهم في اقتسام أعمال المغرب، فكان من نصيبهم الأراضي الخصبة الممتدة بين سلا والمعمورة علاوة على مواطنهم الأصلية.

ولم يلبث بنو يرنيان أن اقتحموا الميدان السياسي بالمشاركة في الوزارة والجيش والعمالة. فكان منهم في الوزارة إبراهيم بن عيسى بن ماخوخ اليرنياني، وزير السلطان أبي ثابت عام (706 ـ 708 هـ) وأبي الربيع سليمان (708 ـ 710 هـ) وأبي سعيد عثمان (710 ـ 731 هـ). وقد ورث ابنه موسى الوزارة على عهد أبي الحسن علي المريني (731 ـ 752 هـ) وابنه إبراهيم بن أبي الحسن (760 ـ 762 هـ). كما نال الحظوة آخرون من أبناء موسى على عهد أبي الحسن وابنه أبي عنان (مسعود، حسون، موسى ومحمد السبيع)، سواء في الوزارة أو العمالة.

ابن حوقل، *وصف الأرض*، 102 ؛ أ. البكري، *المغرب*، 88 ـ 90 ؛ ابن حيان الأندلسي، *المقتبس*، 251 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، 119 ـ 337 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 102 ـ 103 ـ 104 ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*، 22 ـ 23 ـ 24 ـ 31 ؛ ع. ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، 36.

حسن الفكيكي

**بني يزْناسَن ← بني إزْناسَن**

**بني يسْتيتن**، ويكتب أيضا بدون ياء أولى : بني ستيتن أو أهل ستيتن. من شعوب كتامة المستقرة بالمغرب الشرقي في جبل يعرف باسمهم خلال القرن العاشر (16 م). توجد طائفة منهم في الجزائر غير بعيد عن مدينة الأبيض مدفن سيد الشيخ، وهم ما يزالون هناك حتى الآن. وطائفة أخرى يقول عنها المنجور في *فهرسه* عند ترجمة شيخه محمد بن أحمد بن عبد الرحمان اليستيتني إنها مندرجة في بني گلال المستقرة على واد زا غيْرَ بعيد عن دبدو بإقليم وجدة، والحسن الوزان يوطنها هو أيضا بهذه المنطقة. وينفرد المنجور بذكر انتمائهم إلى الشرف من فاطمة البتول رضي الله عنها، ثم يستدرك قائلا : "لكن لم يثبت لهم ذلك كالمشاهير بالشرف من القبائل" (*فهرس*، 37) مستدلا على ذلك بأن شيخه اليستيتني كان يهرب من الانتساب إلى الشرف مخافة أن تلحقه لعنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويصفهم الوزان بحسب ما سمع عنهم أنهم : "ذوو متربة يمشون حفاة ويلبسون أسمالا حقيرة ويسكنون أكواخاً من قصب، والتعليم عندهم منعدم فلا أحد يعرف القراءة منهم (*وصف*، 279). ويبدو أن اعتبار طائفة من بني يستيتن ضمن قبائل گلال، لم يعد اليوم واقعاً، إذ أكد لي بعض شيوخ هذه القبائل ومنهم الشيخ محمد بن عيسى بن محمدُ گرواز المولود سنة 1895 ببني گلال دائرة تاوريرت إقليم وجدة أن هذه الطائفة لا وجود لها في منطقتهم وضمن قبائلهم. وهذا الطرح الجديد يجعلنا أمام عدة احتمالات، إما أن تكون هذه الطائفة قد انقرضت، وإما أن تكون قد هاجرت إلى منطقة أخرى، وهذا هو الأرجح، وإما أن تكون قبائل بني گلال التي جعل المنجور والوزان بني يستيتن منها هي قبائل أخرى تحمل نفس الاسم فيما كان يعرف من قبل بمنطقة دبدو والتي كان لها مجال واسع.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج. 1 ؛ أ. المنجور، *فهرس* ؛ مارمول كربخال، *افريقيا*، 1 : 283 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة*، 58 ـ 59 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 246 ـ 247 ؛ *روايات شفوية*.

*A.B.*, 1 : 292 - 298 ; *A. M.*, n° 26, note 57.

محمد مرزاق

**بني يَسَّفْ**، قبيلة تقع بناحية جبالة (إقليم العرائش حاليا) وتحيط بها قبائل بني عروس والاخماس وبني زكار والرهونة وأهل سريف وسماتة، يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، وبالقبيلة واحد وأربعون مسجداً وستة أضرحة وزاوية وخمسة وأربعون كتّاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى خمس فرق هي : أحدادين (11 مدشراً) وبني يحيى (5 مداشر) وبني عبد الله (9 مداشر) وبوهادي (12 مدشراً) وازلاوين (9 مداشر).

وفي التقسيم الإداري تكوِّن هذه القبيلة مع قبيلة بني زگار جماعة قروية واحدة اسمها جماعة سوق القلة.

وقد ذكر الوزان الفاسي (ص 257) قبيلة بني يسف بإقليم الريف، ولعله لا يعني قبيلة بني يسف الجبلية بل يعني فرقة أيت يوسف أُعلي من قبيلة بني ورياغل.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 139 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 257.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T.II ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926, passim ; Sociedad española de historia natural, *Yebala y el bajo Lucus*, 1934, s. l., 1935, passim ; *Vademecum de la intervención territorial del Lukus*, 1948, p. 118.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني يَصْليتَنْ**، يمكن التعرف على الأصل الذي انحدر منه بنو يصليتن من خلال ما سرده ابن خلدون. فهم من زناتة، وينسبون إلى يصليتن بن زكريا، جد بني يفرن ومغراوة وبني واسين وبني يرنيان. وقد احتفظت جبال تمسمان من الريف الشرقي باسم بني يصليتن، أهم التجمعات السكانية المعروفة منذ القرن الثاني الهجري، حدد البكري موطن جماعاتها داخل أراضي تمسمان، فعين لهم مستقراً جبلياً معروفاً بجبل أبي الحسن المسيطر على المنابع الوسطى الغربية لواد تمسمان (واد أمقران)، وما زال هذا الاسم موجوداً إلى يومنا بنفس الجبل المعروف بجبل القامة (743 م) يحمل آثار قلعة قديمة. وتوزع بنو يصليتن أيضا على طول مجرى واد تمسمان إلى مصبه، بمرسى واد

البقر.

نزل صالح بن صالح اليمني أول ما نزل بتمسمان والتف حوله بنو يصليتن وساعدوه على نشر دعوته وبناء أسس إمارة النكور. ولكنهم أصبحوا من الموالين للأمير سعادة الله القائم على ابنه عمه سعيد بن صالح بن سعيد، كما آووا موسى بن المعتصم المعروف بابن رومي بجبلهم أثناء غزو ميسور الخصي الفاطمي لمدينة النكور، ثم ساعدوه لاسترجاع مدينة النكور بعد مقتل الحاكم الفاطمي سنة 323 هـ.

أ. البكري، *المغرب*، 94. 98. 99 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 11. 50. 58 ؛ ل. ابن الخطيب، *تاريخ المغرب في العصر الوسيط*.

حسن الفكيكي

**بني يطّفت**، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الحسيمة حاليا) وتحد شمالا بالبحر المتوسط وتحيط بها قبائل بقوية وبني ورياغل وبني بوفراح. تقدر مساحتها بـ 178 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 8.060 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة باستثناء سكان قريتي إيزروالا وأيت عيسى الذين يتكلمون باللهجة الريفية، وتوجد بهذه القبيلة قصبة اسنادة وستة وعشرون مسجداً وخمسة عشر ضريحاً وزاويتان وثمانية وعشرون كتاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : اعماير (5 مداشر) والواديين (9 مداشر) ايزروالا (10 مداشر) وأيت عيسى (4 مداشر).

وفي التقسيم الإداري تكوّن هذه القبيلة جماعة قروية تحمل اسم جماعة اسنادة.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 125 ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*، 1 : 306 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 119 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف*، 1 : 129.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T.II ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926, passim ; *Vademecum de la intervención territorial del Rif*, 1946, p. 79.

محمد ابن عزوز حكيم

**بني يعلى**، قبيلة بربرية من أصل زناتي، استوطنت الجبل الذي اشتهر باسمها الواقع جنوب جبل الزكارة بإقليم وجدة في تاريخ غير معروف. كانت القبيلة المذكورة مصنفة ضمن القبائل المغربية الكبرى، غير أن الصراعات الداخلية أدت إلى تفككها، فانفصلت عنها عدة فصائل، منها الزكارة وأولاد بختي وأولاد عمرو. وفي مطلع القرن التاسع عشر وقع انشقاق داخل القبيلة الأم، فخضعت بعض فصائلها إلى قائد قبيلة بني بوزكو، بينما دخل البعض الآخر تحت السلطة المباشرة لعامل وجدة، وقد حاول قائد القبيلة أحمد بن بوزيان البويعلاوي في نهاية القرن الماضي توحيد كل الفصائل لتستعيد القبيلة هيبتها ونفوذها بين قبائل شرق المغرب، غير أنه اصطدم بإرادة المخزن المركزي في إخضاع القبيلة لسلطته المباشرة، نظراً لقرب موطنها من الحدود وتفادياً لحدوث مشاكل مع الفرنسيين.

ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي*.

La Martinière et Lacroix, *Documents*, T. 1 ; L. Voinot, *Oujda*.

عكاشة برحاب

**بني يغمراسن** ← **بني گيل**. تاريخ.

**بني يفْراسْنْ**، قرية من قبيلة بقّوية، واقعة حول التلال الجنوبية الشرقية المشرفة على مرسى بوسكور، مندرجة حاليا بفرقة إزمّورْنْ. وما زالت القرية معروفة باسم أفراس مجاورة هناك لقرية *طلعة يوسف*. اشتهرت القرية خلال القرن السادس (12 م) بإنجاب اثنين من رجال التصوف هما الشيخ الحاج يحيى بن مخلوف اليفراسني المتجول ببلاد الريف والأندلس والمشرق، ومنزله بجوار المسجد المشرف على الوادي المنحدر من مرسى بوسكور. ثم الشيخ عبدون بن يخلفتن بن علي اليفراسني الذي درس على الشيخ حسون الأدوزي البقيوي.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، ص. 122. 128، الرباط، 1982 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية*، 1 : 248.

حسن الفكيكي

**بني يفْرَنْ**، لا تسعفنا المصادر القديمة والأبحاث الحديثة بمعلومات دقيقة لضبط قبائل بني يفرن، وكل ما نعرفه هو أنها من المجموعات الزناتية الكبرى التي انتشرت بين نهر شلف بالمغرب الأوسط ونهر ملوية بالمغرب الأقصى. وأقدم وصف سلالي يرد فيه ذكر بني يفرن نجده مرتبطاً بأبي قرة (العقيلي أو المغيلي، أو اليفرني) الذي كان على رأس زعماء خوارج البربر في بلاد المغارب سنة 150 / 767. وقد يرجع اسم بني يفرن إلى معنى الكلمة البربرية إفري بمعنى المغارة أو جناح الطائر حسب النطق الذي يحدد المعنى الدلالي للكلمة. والمهم أن بني يفرن من زناتة الكبرى. وقد ورد اسم يفرن في عمود الأنساب الزناتية باعتباره أحد أجداد المجموعة اليفرنية عند النسابين البربر ومن اعتمد عليهم من المؤرخين العرب (ابن حزم، *الجمهرة*، ص. 496 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 22 و611). وقد اعتمد هذا التخريج دوزانج J. Desanges في بحثه المعجمي عن القبائل القديمة بافريقيا الشمالية *Catalogue des tribus africaines*, p. 23 كما حاول أن يقارب التسمية القبلية بني يفرن بالمعنى المرتبط بالمغارات الذي ينتشر في بلاد المغرب كله، وإن حاول M. Benabou أن يربطه بمعنى ديني قديم لدى الرومان *La Résistance*, 296 وفي تقديري أن إطلاق بني يفرن لا يعني اسماً عرقياً خالصاً بقدر ما يعني مصطلحاً عصبياً تحالفياً حوله منظومة قبلية زناتية متحدة في الأهداف ومتوافقة في المواقف الاجتماعية والسياسية تطورت ضمن هذا الاتجاه منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الكبير إلى أن اختفت قوتها العصبية في منتصف القرن

الخامس الهجري مع الفتح المرابطي، حيث سيطرت صنهاجة الجنوبية على مجالاتهم الحيوية القبلية.

التاريخ السياسي لبني يفرن : قبيلة بني يفرن قليلة العدد على المستوى البشري، لكنها كانت ذات قوة عصبية في مجال وجودها بمنطقة النجود العليا بين نهر ملوية (إلى حدود ممر تازا) وبين نهر شلف، ثم بين وهران شمالا إلى تخوم تلمسان وتاهرت. وفي نفس الوقت كان هذا المجال مشتركاً مع قبائل بربرية زناتية أخرى مثل مكناسة ومغراوة، وهذا ما طبع بني يفرن بروح المنافسة مع أقاربهم وجيرانهم. ويرى ابن خلدون أن بني يفرن كانوا أقوى قبائل زناتة في عصر الفتح الإسلامي، لكن القرائن التي وصلت إلينا قد لا تؤيد ذلك، وكذلك عملية البحث والتقصي (*العبر*، 7 : 15).

نعم إذا نظرنا إلى بني يفرن داخل العصبية الزناتية، فإننا نجدهم في حركية مستمرة، وخاصة أثناء الثورة الخارجية الكبرى في النصف الأول من القرن الثاني الهجري (8 م). وفي هذه الظروف يبدأ تاريخهم السياسي، الذي يمكن أن نقسمه إلى ثلاث مراحل : مرحلة التكوين وبداية الزعامة، ومرحلة البروز والفعل السياسي، ومرحلة الإمارات اليفرنية المجزأة والذوبان السياسي.

تبتدئ مرحلة الزعامة مع تطور ثورة خوارج المغرب ابتداءً من ميسره المطغري (122 / 740)، في شمال المغرب الأقصى، إلى أن استفحل أمرها وأخذت تهدد القيروان وخاصة في سنة 150 / 768، حيث نجد زعيم بني يفرن قائداً لهذه الثورة، وهو أبو قرة اليفرني الذي انتخبه قومه أميراً عليهم بتلمسان، فكان بذلك أول مؤسس لإمارة يفرنية زناتية في المجال الحيوي لزناتة المغرب الأوسط. لكن إمارته لم تعمر أكثر من ربع قرن وكانت النهاية الفعلية عندما قدَّم شيخ مغراوة وأميرها بيعته لإدريس الأول، فقد بايعه محمد أبن خزر وجميع وجوه تلمسان ومغراوة سنة 174 / 790.

بعد هذا نلاحظ فتوراً واضحاً في تاريخ بني يفرن، ولكنهم حافظوا على استقلالهم القبلي. وأما على المستوى المذهبي فنلاحظ أنهم تحولوا في العهد الإدريسي من الخارجية إلى السنية، غير أن ضبط تاريخ هذا التحول غير متيسر حالياً. ونلاحظ أيضا أن قبائل بني يفرن بدأت تهاجر إلى مناطق أخرى بعيداً عن مناطق نفوذها السابقة بتلمسان والمغرب الأوسط، حيث تتحدث المصادر عن متطوعين يفرنيين في وقت مبكر في جيوش الأندلس قبل عهد الخلافة الأموية، كما نجد أسماء بعض رجالاتهم ضمن الذين ساهموا في حروب المغاربة بصقلية في بداية القرن الثالث الهجري. بالإضافة إلى هذا ربما تكون بداية الانتقال اليفرني إلى المغرب الأقصى في عهد إدريس الثاني. ومازالت قبيلتهم الكبرى مرنجيصة تحمل هذا الاسم قرب فاس وهي مرنيسة شرق عاصمة الأدارسة، كما أنه توجد قبيلة صغيرة مستقرة قريباً من مرنيسة تحمل اسم بني قرة. كل هذه ظواهر تتطلب البحث ومزيداً من التمحيص والتحقيق.

ولما تمكن النفوذ الأندلسي في المغرب الأقصى أصبح اليفرنيون يمسكون زمام المبادرة فيه. يقول ابن خلدون : "واستفحل سلطان يعلى - اليفرني - في ناحية المغرب، وخطب على منابرها لعبدُ الرحمن الناصر ما بين تاهرت إلى طنجة واستدعى من الناصر تولية رجال بيته على أمصار المغرب، فعقد على فاس لمحمد بن الخير بن محمد بن عشيره، ونسك محمد لسنة من ولايته واستأذن في الجهاد والرباط بالأندلس فأجاز لذلك واستخلف على عمله ابن عمه أحمد بن عثمان بن سعيد (أحمد بن أبي بكر) وهو الذي اختط مئذنة القرويين سنة 344 ولم يزل سلطان يعلى ابن محمد بالمغرب عظيماً إلى أن أغزى المعز لدين الله

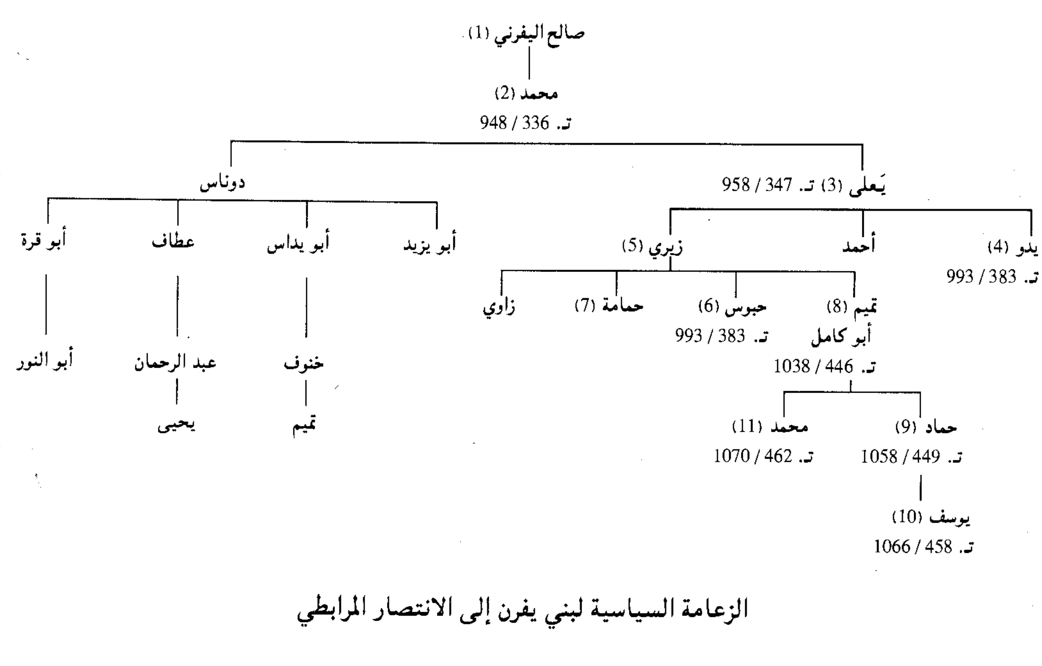


الزعامة السياسية لبني يفرن إلى الانتصار المرابطي

كاتبه جوهر الصقلي من القيروان إلى المغرب سنة 347 (*العبر*، 7 : 36).

وابتداءً من هذه الحملة دخل الحلف اليفرني في مرحلة الضعف السياسي على مستوى القوى العصبية الزناتية في بلاد المغربين الأوسط والأقصى، وأخذت الجموع القبلية التي كانت موالية لزعامة يعلى اليفرني تبحث عن مجالات حيوية لها في المغرب الأقصى، ونكاد نتأكد من أن قبائل بني يفرن منذ حملة 347 / 958 لا نجدهم إلا في القسم الشمالي من المغرب الأقصى (حوض نهر سبو ونهر أم الربيع). ومنذ هذا التاريخ لم تعد تتكلم المصادر عن بني يفرن إلا في امتداد جغرافي لا يتجاوز حوضي النهرين السابقين. ولم تسلم باقي القبائل الزناتية الأخرى من المتابعة والمطاردة إلى ما وراء ملوية غربا. يعني هذا أن زناتة أصبحت قوة بشرية فعالة في المغرب الأقصى منذ منتصف القرن الرابع الهجري (10 م). والملاحظ أن هذه الجموع لم تعد أوزاعاً وإنما أخذت تلملم جموعها وقبائلها بالمغرب الأقصى رغم أنها لم تهمل خلفيتها بالمغرب الأوسط، مما أدى إلى تكرار الحملات العسكرية الفاطمية على المغربين الأوسط والأقصى، لإضعاف شوكة قبائل زناتة وتحالفها مع أمويي الأندلس.

ويمكن أن يُعالج التاريخ السياسي لبني يفرن بطبيعته المغربية الصرفة منذ زعامة يدُّو بن يعلى اليفرني لمجموعته منذ سنة 369 / 980 أي منذ أن فر أمام الجيش الصنهاجي الشيعي إلى المغرب الأقصى، وأخذت قبائل هذه المجموعة تركز انتشارها في اتجاه غرب ملوية إلى حوض سبو، والأطلس المتوسط وحوض أبي رقراق وسلا والغرب إلى حدود نهر لكوس الذي كان يعرف في العهد الزناتي بنهر سفدد، ثم امتد نفوذ مجالهم الحيوي إلى بلاد تامسنا (منطقة أنفا) ثم سهل تادلا. في هذه المناطق الغنية زراعياً ورعوياً انتشرت القبائل الزناتية الموالية والمناصرة لبني يفرن. ومن الطبيعي أن تصبح مدينة فاس ومركزهم شالة مسرحاً للحياة الاجتماعية والسياسية في المغرب الأقصى خلال العصر الزناتي.

وهناك حدثان هامان هما حملة تميم في تادلا التي كان امتدادها في هذا العصر يشمل الحوز المراكشي بما في ذلك مدينة أغمات. ففي سنة 446 / 1055 تمكن بنو يفرن من انتزاع هذه المدينة من الأمير المغراوي الذي كان يحكمها، وحكمها حاكم باسم بني يفرن منذ هذا التاريخ إلى الانتصار المرابطي.

والحدث الثاني هو هجومات بني يفرن على البرغواطيين. ولكن لا نملك معلومات مصدريه دقيقة عن وقائع وأحداث الصراع بين الطرفين، رغم أن مخطوطة *بهجة الناظرين* لابن عبد العظيم الأزموري، تثبت رسالة متبادلة بين تميم بن زيري اليفرني وأحد شيوخ أيت امغار بدكالة مؤرخة بعام 409. لكن جحافل المرابطين لم تلبث أن وصلت إلى منطقة أغمات فملكتها ثم استولت بعد ذلك على شالة وما وراءها، فكان ذلك نهاية إمارة بني يفرن.


ابن حزم، *الجمهرة* ؛ ابن الرقيق، *تاريخ افريقيا والمغرب* ؛ اليعقوبي، *البلدان* ؛ أ. البكري، *المسالك والممالك* ؛ المقريزي، *اتعاظ الحنفا*، ج. 1 ؛ ابن حيان، *المقتبس*، تح. ع الحجّي ؛ ابن الاثير، *الكامل*، ج. 7 ؛ الدرجيني، *الطبقات* ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ *المقدمة* ؛ مجهول، *مفاخر البربر* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 1 ؛ عمار محجوبي، *تاريخ افريقيا العام*، ج. 2 ؛ م. الطالبي، *الدولة الأغلبية* ؛ محمود إسماعيل، *الخوارج في بلاد المغرب*.

J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines* ; M. Benabou, *La Résistance africaine à la romanisation*, Paris, 1976 ; E. F. Gautier, *Le Passé de l'Afrique du Nord* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc* ; H. R. Idris, *La Berbérie orientale sous les Zirides*, Paris, 1962.


هاشم العلوي القاسمي

**بنيالوز**، محمد، يكتب اسمه في الوثائق الأوروبية بعدة أشكال : Pinaleez, Penalosa. وورد مرة بشكل : بن لوزة. ووقع بخط يده على وثيقة مؤرخة في 23 شتنبر 1659 بشكل "الحاج امحمد" (وثائق دي كاستر، السلسلة الهولندية، 6 : 562). وهو من رجالات سلا أواسط القرن الحادي عشر (17 م)، كانت له شهرة بالجهاد البحري، وكان تحت نظره عدد من السفن الجهادية.

وقد كلفه عبد الله بن محمد الحاج الدلائي بأن يسفر له في جماعة لدى الولايات العامة للأراضي الواطئة، ووصلت السفارة إلى هولندا في 7 غشت 1659، وقامت بمهمتها، وخصصت لها الولايات العامة يوم 31 أكتوبر 1659 لتوديعها. وقد ترك الهولندي Dapper وصفاً مطولا لهذه السفارة ورجالها.


*S. I. H. M, Série Saadienne, Pays-Bas*, Tome VI.


عبد اللطيف الشاذلي

ابن **بَنْيَاهُو**، لحسن بن أحمد. مقاوم ولد سنة 1929 بأسًا، إقليم كلميم، وانخرط في المقاطعة السابعة بجيش التحرير بقيادة السيد ايدي ولد التامك حيث شارك في عدة معارك ضد قوات الاحتلال بأسّا والصحراء، وظل يجاهد إلى أن سقط شهيداً في معركة عنيفة باحمادي بالصحراء يوم 15 يوليوز 1959.


كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 2.


عز الدين العلام

**بَنْيَخْلَف**، أو ابن يخلف، أسرة وجدية، جاءت بعد الاحتلال التركي من سهل غريس (معسكر)، وهم من حفدة سيدي بنيخلف الذي ينسب إلى آل البيت. ولعله هو :

**بنيخلف، إبراهيم** بن عبد السلام التِّنَسي المطماطي الذي انتهت إليه رآسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كلها. كان من أولياء الله الجامعين بين علمي الباطن والظاهر (*البستان*، 66). غادر بلدته تَنَس واستوطن تلمسان للتدريس بترغيب من فقهائها وسلطانها أبي يحيى يغمراسن، فانتفع به خلق كثير من بينهم محمد بن الحاج العبدري. وتوفي الشيخ إبراهيم بنيخلف بتلمسان أواخر

القرن السابع (13 م). ويحمل اسم بنيخلف عدد كثير من العلماء المتأخرين نذكر منهم :

**بنيخلف، الحسن** الوجدي، كانت سكناه قرب مسجد الزيتونة بحومة أولاد عمران حيث كان له دكان يتعاطى فيه الكتابة العمومية بالعربية والفرنسية. وكان له ثلاثة أبناء اشتغلوا بالتعليم والطب، واحتل بعضهم مناصب سامية في جهاز الدولة المغربية بعد الاستقلال. وهناك أيضاً :

**بنيخلف، عبد الله** الأندلسي الفاسي. كان محل جلوسه لتجويد الطلبة عليه بصدر مسجد القرويين. توفي في سابع وعشرين من ذي القعدة عام 1162 / 1748.

م. ابن مريم، *البستان* ؛ م. الحفناوي، *تعريف الخلف*، القسم الثاني؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج 3 ؛ *بحث ميداني* ؛ *رواية شفوية*.

محمد مرزاق

**بْنيدة** أو بْنيدا، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Peneda، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1141 / 1729.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بنيقة**، لا تتفق كتب اللغة على معنى محدد دقيق لكلمة بنيقة، فهي من مادة بنق وأبنق إليه بمعنى وصل، أو من بنّق (بالشدة على النون) بالمكان بمعنى أقام به، أو بنّق الكلام : جمعه وسواه، والبنيقة إما رقعة تزاد في طوق القميص لتوسيعه أو لتركيب أزراره، أو هي عند آخرين رقعة أو لبنة مثلثة الشكل تجمع بين أطراف القميص من تحت الإبطين لنفس غاية التفريج، ومن ذلك طريق مُبَنّق، يعني "واسع"، ومغارة مبنوقة بمعنى موصول بها، فتكون البنيقة على العموم كل ما يضاف إلى الشيء على وجه التوسيع في صناعة الخياطة أو في الهندسة المعمارية، ولقد التزمت الكلمة بهذا المعنى الهندسي في المغرب الأقصى إذ البنيقة كما وصف عبد الوهاب ابن منصور : "بيت صغير في المنزل تخزن به بعض المواد الغذائية ويخبأ بعض أثاث المنزل"، لكن البنيقة كانت أكثر من ذلك أحياناً، إذ كانت في بعض المنازل تكملة أو امتداداً لغرفة كبرى متصلة بها، فتبقى تلك الغرفة مصونة مخصصة للاستقبالات الرسمية والجلسات العائلية الكبرى ومأوى الرجال على العموم، بينما تكون البنيقة مجال الحياة اليومية والمأوى العادي للنساء والذرية والخدم. ولذلك ارتقت الكلمة للدلالة على الغرف التي يشتغل فيها الوزراء وكتاب دار المخزن، إلا إذا كان الانتقال إلى هذا المعنى قد حصل من جهة صناعة الخياطة، إذ يحتمل أن تكون البنيقة هي منديل الحرير الذي كان الوزراء والكتاب يلفون فيها وثائقهم، ولقد دخلت اللغة الإسبانية على شكل ألبانيگة (albanga) وهي الشبكة التي تجمع فيها المرأة وفرتها. ويحتمل أيضا أن تكون البنيقة مما كان يضاف إلى أفراگ السلطاني من الأخبية الجزئية بداخله للخدام القائمين بخدمة شخص السلطان، أو للكتاب والوزراء وكبار ضباط الجند القائمين بخدمة الدولة.

وكانت القصور السلطانية، سواء في الحل أو في الترحال، منقسمة إلى ذينك القسمين الرئيسين، قسم داخلي يأوى إليه العاهل والحريم والخدم الشخصي ويشرف عليه الحاجب، وقسم خارجي وهو المشور في الاصطلاح المغربي، ويضم مختلف خدام الدولة من أصحاب السيف وأصحاب القلم ويشرف عليه قائد المشور.

ولما كانت الدولة مشخصة في أسرة معينة، وجب أن تقتبس أساليب خدماتها من أساليب الحياة المنزلية العادية، وهكذا أطلقت كلمة بنيقة على مكاتب مساعدي السلطان، لأنه، كما جاء في *العز والصولة* (1 : 271) كان "هو المسير لكل شيء في داخل القصر وخارجه وهو صاحب الرأي والتنفيذ في جميع الشؤون و(...) كانت له هيأة معينة لها أسماء خاصة".

ولقد وصف تلك الهيأة في بنائقها بعض المخبرين الأوروبيين في طليعة هذا القرن مثل أوجين أوبان (Eugène Aubin) سنة 1903 أو ميشو بلير (Michaux Bellaire) سنة 1908، وذكرا كلاهما أنها كانت عشر بنائق : بنيقة الصدر الأعظم، وبنيقة وزير البحر المكلف بالشؤون الخارجية، وبنيقة أمين الأمناء وهو وزير المالية، وبنيقة أمين الداخل (أمين المداخيل)، وبنيقة أمين الصائر (النفقات)، وبنيقة أمين الحساب (المحاسبات)، وبنيقة العلاف الكبير المكلف بشؤون الجند، وبنيقة أمين رباع المخزن (الأملاك المخزنية)، وبنيقة وزير الشكايات، وأخيراً بنيقة قائد المشور، وكانت كل بنيقة غرفة مفروشة بالزرابي ويجلس بداخل وسطها صاحب المنصب، ويجلس عن يمينه وشماله كتابه ومساعدوه على ترتيب دقيق يوحي بدرجتهم في الوظيف، بحيث يكون أعلاهم درجة أقربهم إلى الوزير وأدناهم أبعدهم منه، ففي بنيقة الصدر الأعظم كان يجلس عن يمينه الكاتب المكلف بقضايا الأقاليم الشمالية من البلاد ومن يساعده من صغار الكتاب، ويجلس عن شماله الكاتب المكلف بقضايا أقاليم الجنوب ومساعدوه كل حسب درجته، وأثبت ميشو بلير أن بنيقة الشكايات كانت بمدخل المشور حتى لا يشوش المتوافدون عليها، على السكينة الضرورية لأعمال باقي البنيقات.

ولقد حرص المسؤولون عن الحماية غداة انعقادها على المغرب عل الإبقاء على نظام البنيقات حرصاً واضح الدلالة، إذ كان يقصد منه توسيع النظام الدخيل وتبريره بترك باب الموازنة مفتوحاً باستمرار بين نجاعة الإدارة الجديدة وعجز الهيأة المخزنية العتيقة، في الوقت الذي انتقلت فيه أسباب السلطة الحقيقية من قبضة رجال المخزن إلى قبضة رجال الاستعمار، كما كانت الغاية منه إيهام المغاربة بأن شيئاً لم يتغير من حياتهم في الوقت الذي صار المعمرون والرسمال الأجنبي يقلبون الأرض المغربية رأساً على عقب، وكان من تلك الانقلابات إلغاء جل البنائق

الوزارية السابقة والحفاظ على اثنتين منها، وهما بنيقة الصدر الأعظم أو البنيقة الكبرى، وبنيقة العدل وهي بنيقة الشكايات القديمة، مع إحداث بنيقة جديدة لشؤون الأحباس، وعلل هانري گايار (Henri Gaillard) ذلك، لما كان كاتبا عاما للحماية سنة 1916، بقوله : "ينبغي للقواد وللرؤساء الدينيين الذين يقصدون إلى إحدى بنائق المخزن أن يجدوا الوزير محاطا بكتابه وهم يشتغلون في دائرة حوله جالسين على الزرابي حسب العادة القديمة، ولو كان لهم أن يدخلوا المكاتب المؤثثة على النسق الأوربي لغمرهم الشعور بأن المخزن القديم قد ولّى، وأنهم أمام هيأة جديدة على الإطلاق لا يقوم فيها أبناء ملتهم إلا بالأدوار الثانوية". وهكذا ظل العمل بالبنائق جاريا طيلة عهد الحماية ولم يلغ إلا باسترجاع المغرب لاستقلاله سنة 1955.


الزمخشري، *أساس البلاغة*، القاهرة، 1960 ؛ الفيروزآبادي، *القاموس المحيط*، بيروت ؛ عبد الحميد بنشنهو، *البيان المطرب لنظام حكومة المغرب*، الرباط، 1951 ؛ع. بن زيدان، *العز والصولة*، الرباط، 1961.

G. S. Colin, *Baniqa*, *E. I.*, Nlle. Ed. ; E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904 ; Ed. Michaux-Bellaire, *La Bniqat ech-Chikayat de Moulay Hafid*, *R.M.M.*, Juin 1908 ; H. Gaillard, *La réorganisation du gouvernement marocain*, *R.C.*, Juin 1916.


إبراهيم بوطالب

**البَنيوري**، أسرة رباطية أصلها من ضاحية المدينة، من بني ورًا بين قبيلتي الزيايدة والعرب بناحية الصخيرات. انتقل البنيوريون إلى الرباط في تاريخ غير محدد، واشتغلوا فيه بالتجارة وصناعة الزليج، وعرفوا على العموم بالمروءة والإحسان وحفظ القرآن الكريم.

**البَنيوري، إدريس** الملقب بالخَاوا، ولد بالرباط عام 1312 / 1892، وبه حفظ القرآن الكريم قبل أن يشتغل بالتجارة في "بازار" مهم بالسوق البلدي ثم بالسويقة قرب الجامع الكبير، فكسب وأثل، وكان ذا روح وطنية صادقة ينفق أمواله في المشاريع الاجتماعية بدون حساب، وبخاصة مساعدة التلاميذ والطلبة المعوزين على متابعة دروسهم، إلى أن بدّد ثروته الطائلة وافتقر في آخر حياته، وما عند الله خير وأبقى.

توفي بالرباط يوم الأحد ثاني ربيع الثاني عام 1382 / 2 شتنبر 1862 وأقيم له حفل تأبين في سينما الملكي بالرباط.

كان ممن أبّنه فيه أحمد بن عبد السلام بناني رئيس التشريفات ونشرت كلمته جريدة العلم.


أ. الصبيحي، *مختصر تاريخ سلا*، مخطوط خ. ص. صفحة 26 ؛

أ. بناني، *العلم* ؛ *معلومات شفوية* من م. الامين بلگناوي.


محمد حجي

**بَنيور**، Baniurae أول من تحدث عنهم كإحدى تجمعات قبلية في موريطانيا أو المغرب هو بلينيوس. يؤكد هذا الكاتب ان البنيور ينتمون للگيتوليين (Gaetulii) مثل الأوطولول (Autololes)، وأن البنيور زحفوا من مواطنهم تجاه الشمال وحلوا محل الموريين الذين أفنتهم حروب طاحنة دون ذكر تاريخ هذه الحروب.

يشير الجغرافي بطوليمايوس (Ptolemaeus 1.5) إلى هؤلاء القوم بصيغه محرفة قليلا، فسماهم كما يلي : البنيوباي (Banioubai) ويوطنهم جنوب غرب موريطانيا في المجال الگيتولي بجوار الزگرنسيس.

كما يشير الشاعر الروماني سيليوس إيطاليكو (Silius Italicus, III, 303 - 306) إلى البنيوراي (Baniurae) ومعهم الأوطولول (Autololes) مؤكدا أنهم كانوا مجندين مع حنحبل في حملته على إيطالية سنة 218 ق.م.

وأمام الطابع الأسطوري الذي تتسم به روايات هذا الشاعر، فإن حكايته عن البنيور تعكس اشتهارهم بالشجاعة وتمرسهم على فنون القتال، وهو المعنى الذي نلمسه في إشارة بلينيوس بأنهم زحفوا على مواطن الموريين.

إن هذا الزحف الذي يؤكده بلينيوس يرتبط في اعتقادنا بتدهور أحوال المملكة المورية بعد سقوط حكم بگون، وتمسك رعاياه باستقلال بلادهم، وبناء على ذلك فإن الحروب التي أفنت الموريين ترجع إلي غزو القائد الروماني أو كتافيوس وحليفه بوكوس الثاني على مملكة بگون والإطاحة به سنة 38 ق.م. وقد أثبتت الدراسات الأثرية في المغرب أن عدة مدن أحرقت وخربت في هذه الفترة مثل تامودة وزيليل ولكسوس، ويعكس ذلك عنف مقاومة الموريين للتدخلات الرومانية.

والغالب أن البنيور دخلوا في علاقة مع الرومان بعد وفاة بوكوس الثاني سنة 33 ق.م، حيث اصبح أو كتافيوس يقرر في مصير موريطانية، وهو عازم على إنشاء مستوطناته بها. ونرجّح أن أوكتافيوس عمد إلى مصالحة بعض القبائل الگيتولية مثل البنيور والزگرنسيس، وشجع زحفهم نحو الشمال لاتخاذهم حزاما أمنيا حول المستوطنتين الرومانيتين الداخليتين في حوض سبو وهما بابا Babba وبناسا Banasa (محمد مجدوب ص. 162 . 166).

لقد عثر في بناسا على قطعة خزفية نقش عليها اسم البنيور باللاتينية Baniurai، ويجد الدارس لهذه الوثيقة أحد الشواهد على استقرار البنيور جنوبي بناسة، وهو موقع يوافق الجهة التي وطن فيها الجغرافي الرافيني Le Géographe de Ravène البنيور الذين ذكرهم كما يلي :

Bonioricis وذلك بين مدينتي وليلي وگيلدة (Rebuffat, 457 - 456).

يبقى السؤال مطروحا حول ما إذا كان لبنييور القدماء روابط عرقية مع القبائل المعروفة حاليا باسم : بني وراين أو أيت وراين المقيمين جنوبي إقليم تازا، ونجد إشارات لهم عند ابن خلدون، يجيب محمد التازي سعود (ص. 55 الهامش 19) بالإيجاب عن هذا التساؤل ويظن ان البنيور القدماء هم قبيل بني وراين الحاليين، ويحاول تحليل كلمة "بني" التي يتكون منها الاسم الحالي لأيت وراين مبيناً أن لا علاقة لها مع الاشتقاق العربي لهذا الاسم.

م. التازي سعود، سكان *أرض المغارب في عصور التاريخ القديم*، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية فاس، ع. 2ـ3، 1979ـ1980، ص. 49ـ59 ؛ م.مجدوب، *مملكة المورين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق.م*، .د.د.ع. كلية الآداب، فاس، 1990.

J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; R. Rebuffat, *Les Baniures : un nouveau document sur la géographie ancienne de la Maurétanie Tingitane*, *Mélanges offerts à R. Dion*, Paris, 1974, p. 451 - 463.

محمد مجدوب

**البهالي** (مولاي إبراهيم) ← **العلمي** المريسي إبراهيم

**البهاليل**، أو البهلوليون اسم يطلق على المجموعة البشرية المستوطنة شمال غرب صفرو على بعد بضعة كيلومترات، وجنوب فاس على بعد 20 كلم. ونظرا لكون البهلوليين قد تجمعوا منذ زمن بعيد في قرية تحولت اليوم إلى مركز حضري، فإن الاسم يطلق كذلك على المركز كما يطلق على الأراضي الموجودة في حوزة سكانه. وبحكم موقعها هذا تكون البهاليل تابعة إداريا إلى دائرة صفرو بإقليم فاس وجغرافيا إلى منطقة الدير.

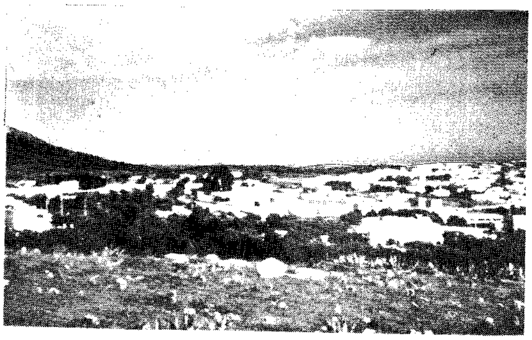

ينتمي البهلوليون إلى قبيلة بهلولة أو بني بهلول الزناتية المذكورة في العديد من المصادر التاريخية المشهورة مثل *العبر* و*القرطاس* و*بيوتات فاس الكبرى* و*سلوة الأنفاس*. كانت أراضيها شاسعة تمتد بين الأطلس المتوسط ومرتفعات زرهون. لكن رغبة القبائل المجاورة في الاستيطان والتوسع جعل البُهلوليين يتخلون عن الجزء الأكبر منها بعد صراع طويل. ومن الشائع أن بعض البهلوليين قد يكونون من أصل روماني. فالوجود الروماني بالمنطقة واردٌ بالرغم من الضبابية التي تحيط بالموضوع. فإلى يومنا هذا ما زالت بعض الآثار تشهد على ذلك مثل دشر الروم. ثم هناك بعض الرسوم اللاتينية بقلعة ميميط التي يبدو أنها كانت ضمن سلسلة المحطات الرومانية للإنذار بواسطة الأضواء. إلا أن المعطيات الجديدة حول موريتانيا الطنجية التي أتى بها محافظ وليلي (*حصيلة البحث الأثري بمنطقة العنوصر...*) تعيد النظر في هذا وتطرح عدة تساؤلات لن يتأتى الجواب عنها بدون القيام بأبحاث معمقة.

على العهد الإدريسي، تم فتح حصن بهلولة على يد إدريس الأول سنة 173 هـ. ويروى أن الوزير عمير بن معصب الأزدي الوافد مع قومه من الأندلس صاهر كلا من زواغة والمولى إدريس الثاني (عاتكة بنت إدريس بن إدريس) وبني بهلول. وقد أورد صاحب *بيوتات فاس الكبرى* أن هذا الوزير دفن بمقبرة بني بهلول (*بيوتات*، 13).

وعلى العهد المرابطي كانت البهاليل ضمن الحلف الذي واجه يوسف بن تاشفين. وقد أدى انهزام هذا الحلف إلى تخريب عدة قرى ومداشر من قبيلة بهلولة. ومن المعارك الضارية التي دارت رحاها فوق أرض البهاليل نذكر تلك التي وقعت في جمادى الثانية سنة 693 / غشت 1255م بين أبي يحيى المريني والمرتضى الموحدي. ومنذ العصر المريني والبهاليل تنعت بالعصيان تجاه السلطة المركزية.

ويبدو أن البهاليل الحالية قد تكونت في بداية الأمر من سكان المداشر التي كانت تتكون منها القبيلة. فقد تجمع هؤلاء تحت اسم ثلاث "فخذات" : القصبة والخندق وأغَـزْديس، وسكنوا في مرحلة أولى الكهوف قبل بناء الدور وإحاطتها بالأسوار حيث أبقي على بعض الأبواب. ويبدو أن أجزاء كبيرة من هذه الأسوار قد حطمتها القوات الفرنسية سنة 1911.

ولا يعني تقسيم البهلوليين إلى ثلاث فخدات وجود أصل جغرافي واحد للسكان وروابط دموية بينهم داخل كل وحدة. فمن الأسر البهلولية الحالية من انحدر من الجنوب مثل أولاد يوسف وأولاد الهواري، ومنهم من أتى من جبالة مثل أولاد منصور العروسيين وأولاد فقيه الدين (الراجي) السريفيين والشرفاء أولاد مرون العلميين. وهناك من انحدر من الموريسكيين كأولاد عيسى والشقنديين ...إلخ. وهذا استنتاج ينطبق على المجموعات الريفية عموما إن على مستوى القبيلة أو مستوى الدوار.

وبالرغم على أصلهم الزناتي أي البربري، فإن البهاليل يتخاطبون في الوقت الراهن باللغة العربية. وقد تم استعرابهم، شأنهم في ذلك شأن القبائل التي كانت في مدار فاس، خلال القرن السادس (12 م) (*نزهة المشتاق*، 3 : 246) مثل بني يازغة.

الإطار الجغرافي للبهاليل ودعائم اقتصادها : يتشكل محيط البهاليل من درجات متفاوتة الارتفاع. فهو يمتد على الحاشية الجنوبية لسايس (600ـ750م)، وعلى

منحدرات "الحافة" الفاصلة بين هذا الأخير وهضاب الأطلس المتوسط الغربي (750 ـ 950 م) وأخيرا على جزء من هذه الهضاب (أكثر من 950 م). ومع هذا التدرج والاختلاف التضاريسي تختلف المعطيات الجيومورفلوجية وتتنوع معها الخصائص الترابية مما يسمح بتنويع الاستغلال الفلاحي.

وبحكم موقعها المتفتح على المؤثرات المحيطية وخصائصها الجيولوجية (الانتشار الكبير لصخور الكلس الدولوميتي المنفذة) تعتبر أراضي البهاليل غنية نسبيا بالمواد المائية. فهي تتوصل سنويا بمعدل 600 مم من التساقطات التي تمكّن من نجاح الزراعة البورية، ويجرى بها واد أگاي، كما توجد بها مجموعة من العيون (عين كبير، عين زواوة، عين جنان القايد، عين غزال، عين برار...) مكنت منذ القديم من القيام بالزراعة المسقية. وبفضل انتشار الأراضي الفقيرة المكسوة بالنباتات و"الغابات" خاصة فوق الهضاب، فقد توفرت مراع شاسعة.

عملت كل هذه الظروف الطبيعية عل جعل البهلوليين ـ شأنهم في ذلك شأن مجموعات أخرى بالدير ـ فلاحين متميزين. فقد ارتكز اقتصادهم، منذ استقرارهم، على التكامل بين الزراعة البورية التي تهم الحبوب والقطاني والزياتين بالأساس، والزراعة المسقية، وقطاع تربية المواشي.

وتمتد الأراضي البورية اليوم على حوالي 6000 هـ، والأراضي المسقية على حوالي 100 هـ. وحسب ما توصل إليه خليفة إدريس والرويقي حازم *La Vie économique et sociale à Bhalil,* ص5 و6، قد تكون مساحة المراعي 8000 هـ.

وبحكم الاستقرار القديم، فكل الأراضي الزراعية تقريبا تخضع للملكية الخاصة التي تتميز بصغرها وتشتت مشاراتها بحيث لا يصل متوسط المساحة لكل ملاك سوى أربعة هكتارات. ونظرا لاحتكاك البهلوليين منذ العقد الثاني من هذا القرن بالمعمرين الذين استولوا على جزء من أراضيهم الخصبة، ولدور الإرشاد الفلاحي منذ الاستقلال، ولرغبة الأسر في تغطية حاجياتها وتحسين ظروف عيشها، ولتوفر إمكانيات التسويق ... فقد سجل النظام الزراعي تحولات ملموسة تتجلى في توسع مغارس الزياتين وزراعة الخضراوات (أساسا البطاطيس)، وفي الإقبال على ضخ المياه الباطنية للريّ وغرس أشجار الورديات في الأعوام الأخيرة... لكن كل هذه التحولات لم تبق على القطاع الفلاحي كركيزة أساسية للنشاط نظرا لعجزها عن توفير الشغل الكافي للسكان من جهة، ولارتقاء البهاليل إلى وضعية مركز حضري وهجرة العديد من أبنائه من جهة ثانية.

البهاليل المركز : من القرية إلى المدينة، التوسع وآفاق المستقبل. تجمع سكني قديم استقر على ارتفاع 960 م فوق دريجة تتشكل في معظمها من الرصاصة Tuf بالقرب من عين كبيرة، وهو موضع معلق يشرف على سايس كان يتشكل من ثلاثة "أحياء" يُؤوي كل واحد منها فخدة من الفخدات الثلاث المكونة للبهاليل : القصبة وأغزديس والخندق، ويبدو أن كل البهلوليين تجمعوا به وأنه كان محاطا بالأسوار إلى مطلع القرن الحالي، الشيء الذي يثبت أهمية الصراع الذي خاضه السكان مع جيرانهم كما ورد أعلاه.

وعلى الرغم من أهمية عدد السكان وتطورهم وظهور بعض التجهيزات مثل المدرسة ومعصرتين للزيتون وملعب للرياضة وإيصال الكهرباء أيام الحماية، فقد ظل عبارة عن قرية كبيرة إلى مطلع السبعينات حيث عمل استقرار عدد من المصالح الإدارية وقيام عدد من التجهيزات على الارتقاء به إلى وضعية مركز حضري. فقد أُنشئت به سوق أسبوعية في سنة 1971 وتم تزويده بالماء الشروب سنة 1973. وفي نفس السنة استقرت به الوكالة المستقلة لتوزيع الماء والكهرباء. وفي سنة 1974 خلقت القيادة، وخلال 1975 و1976 أصبح المركز مركزا حضريا مستقلا وأنشئت به إعدادية وناد نسوي ودار للشباب ومستوصف وصيدلية. وبعد هذا التاريخ توالت التجهيزات فشملت مكتباً للبريد ومدرسة ابتدائية أخرى والواد الحار ... إلخ.

وإذا كان هذا التطور قد عمل على توسع الرقعة المبنية وعلى التحول في البنية والمهن الاجتماعية للسكان، فهو لم يؤد إلى زيادة كبيرة في عدد السكان على غرار ما يحدث ببعض المراكز الأخرى بالمنطقة كإيموزار كندر والمنزل.

ففيما يخص التوسع المجالي، يمكن تحديد أهميته من خلال المساحة المبنية التي غطت ما يقارب 12 هـ بين عام 1980 وعام 1987، ومن خلال أهمية الرخص المسلمة في نفس الفترة إذ بلغ عددها 968.

والواقع أن المساحة التي توسع المركز فوقها أكبر بكثير مما تشير إليه رخص البناء، فلا تُظهر هذه الأخيرة الأراضي المخصصة للأزقة وللشوارع، كما لا تظهر مساحة المجالات الخضراء وبعض التجهيزات التي لا تحتاج إلى بناء.

ومما رافق هذا التوسع ظهور أحياء جديدة (الركيبة ومسيلة) تتعارض والنواة العتيقة تنظيما وتهوية وبناءً وكذلك على مستوى محتواها الاجتماعي (الأحياء الجديدة وخاصة مسيلة، يسكنها عموما فئات الموظفين والأطر، بينما يسكن النواة فئات محدودة الدخل (الصورتان : البهاليل 1 والبهاليل 2).

أما فيما يخص تحول البنية المهنية ـ الاجتماعية، فيلاحظ أن مكانة الفلاحة قد تراجعت لصالح قطاعي الإدارة والخدمات، وهذه ظاهرة تهم كل المراكز في طور التحول من الطابع الريفي إلى الطابع الحضري .

وبالرغم من كل هذه التحولات، لم يتزايد عدد السكان بين سنوات 1917 و1982 سوى بـ 3299 نسمة أي بوتيرة للنمو بطيئة (0،9٪ سنويا). ولا يمكن تفسير هذا البطء سوى بمشاكل المركز، ومنها ضيق منطقة نفوذه وضيق قاعدته الاقتصادية مما لا يوفر الشغل لكل السكان ويدفع بعدد منهم إلى النزوح. وتشكل الهجرة عاملا نشيطا في توسع المركز. فقد وصلت نسبة المنازل الجديدة التي كان يملكها

الموظفون البهلوليون خارج البهاليل 76,5٪ في مطلع الثمانينات، ووصلت نسبة المنازل التي هي في ملكية العمال بالخارج آنذاك 8,8٪ (M. Kerbout).

بعدما ظلت البهاليل قرية كبيرة يتجمع بها كل سكان المجموعة البشرية المعروفة بهذا الاسم بقرون، تحولت منذ نهاية الستينات إلى مركز تتوفر به معظم مقومات المدينة. وتوسعت بشكل سريع أدى إلى ارتفاع ثمن أرض البناء وتفاوت توزيع التجهيزات بين الأحياء وقضم الأراضي الفلاحية الخصبة ... وقد كانت هذه المشاكل سببا في التفكير في تنظيم هذا التوسع في إطار تصميم للتهيئة لم يصادق عليه بعد ولم يطبق.

وإذا كان المركز قد عرف قفزة نوعية في "تمدينه"، وقفزة كبيرة في توسعه المجالي خلال العقدين الأخيرين، فيبدو أنه لن يحافظ على نفس النَّفَس نظراً لقربه من فاس ومن صفرو ولضيق منطقة نفوذه التي تكاد تقتصر على المحيط البهلولي ومن ثم لضعف الركيزة الاقتصادية. ومما يعزز هذه النظرية ما لوحظ من بطء في وتيرة تطور السكان. لكن قد تتغير هذه الوضعية في حالة ما إذا تحول المركز إلى منامة بالنسبة لفاس ولصفرو وإذا ما أحدثت به بعض الصناعات (*تصميم التنمية والتهيئة الإقليمية للجهة الاقتصادية الوسطى الشمالية*) (S.D.A.R / C.N).

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط 1980 ؛ إسماعيل بن الأحمر وآخرون، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط 1972 ؛ حسن ليمان، *حصيلة البحث الأثري بمنطقة العنصر، صفرو ومنطقتها*، بيئة - تاريخ - مجتمع - فكر، الجزء الأول ؛ *الملتقى الثقافي الثالث - مدينة صفرو*، الدار البيضاء 1990 ص. 33-52 ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ ع. ابن خلدون ، *العبر*، المجلد السادس، بيروت 1979 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1973.

D. Khalifa et H. Rouiqui, *La Vie économique et sociale à Bhalil*, Mémoire de Licence, Sciences économiques, Faculté des Sciences Juridiques, Sociales et Economiques, Rabat, 1977 ; M. Kerbout, *Les périmètres irrigués du Dir moyen - atlasique septentrional d'Agouraï à Al-Manzal*, Thèse de troisième cycle, 2 T, Tours, 1981 ; N. Kossovitch et F. Benoit, *Une tribu inconnue du Maroc, les Bahloula*, Extrait de *l'Anthropologie*, T. 45, n° 3 - 4, Paris, 1935.

محمد كربوط والحسين البعاوي

**بهت**، واد يجري في الناحية الشمالية الغربية من المغرب. ينبع من الأطلس المتوسط الهضبي من جهته الشمالية الغربية وينتهي في سهل الغرب حيث يصب في نهر سبو، 60 كلم قبل وصوله إلى البحر. محور اتجاهه العام جنوب شرقي - شمال غربي، إلا أنه يتغير كثيرا من منطقة إلى أخرى، نظرا لاختلاف الوحدات الطبغرافية التي يقطعها الوادي من المنبع حتى المصب على طول حوالي 250 كلم.

يحتفظ بهذا الاتجاه في العالية، وعند تجاوزه الأطلس المتوسط يصبح جنوبي - شمالي، يجري في منعطفات متعمقة ومتقاربة في هضبة أيت ميمون وأيت اوريبل ثم في منعطفات أقل تعمقا في منخفض سوق أربعاء بهت.

أما جريانه فيعتبر دائما رغم الاختلاف الذي يسجل بين فترة الشح وفترة الوفرة، وبين سنة وأخرى.

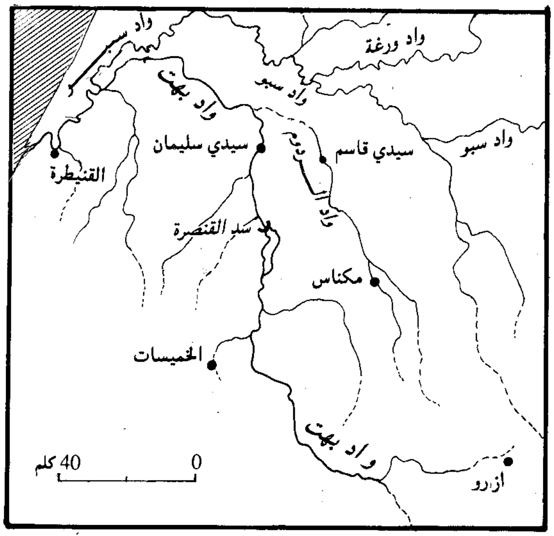


واد بهت

الحوض والتصريف : يقطع واد بهت ثلاث وحدات تضاريسية. روافده العليا تنزل من الأطلس المتوسط الهضبي حيث تصل الارتفاعات القصوى إلى 1600 متر، ثم يصل إلى المجال الثاني الأساسي الذي يتمثل في الهضبة الوسطى وارتفاعاتها في مستوى الوادي يتراوح ما بين 1400 و300 متر. وعندما يتجاوز سد القنصرة، يدخل إلى الوحدة الثالثة التي هي عبارة عن وحدة سهلية تتكون من أراض منخفضة هي سهل الغرب.

يعتبر حوض وادي بهت من الأحواض الثانوية الرافدة لحوض سبو. مساحته حتى المصب تبلغ حوالي 7000 كلم$^2$ أي بادخال حوض واد الردم الذي يرفده من الضفة اليمنى في مستوى سهل الغرب، لكن مساحته في مستوى سد القنصرة لا تتعدى 4540 كلم$^2$، موزعة بين الأطلس المتوسط الغربي وجزء من سهل الغرب. تحده شرقا مناطق مكناس والحاجب، وغربا حوض بورقراق، وشمالا الأقسام الجنوبية لسهل الغرب، وجنوبا كويسطات الأطلس المتوسط الغربي .

يتميز الحوض بتعمق أوديته الكبير، وبظهور خوانق في بعض قطاعاته، وانتشار منخفضات واسعة في قطاعات أخرى حيث تظهر المنخفضات الطبوغرافية الكبرى كتضاريس إفراغية تتوسط الأجزاء الهضبية، وتشكل حدا فاصلا بين الهضاب الأولية المرتفعة في الجنوب والهضاب المنخفضة ذات الغطاء الرسوبي الحديث في الشمال. ومن أهم هذه المنخفضات نذكر :

منخفض سوق أربعاء بهت : هو من أهم هذه المنخفضات، إذ يخترقه واد بهت من الجنوب إلى الشمال حيث يلتقي به أهم روافده.

يتخذ هذا المنخفض شكلا مثلثا ويمتد على مساحة تقدر بـ 13 كلم من الجنوب الغربي إلي الشمال الشرقي و10 كلم من الجنوب إلى الشمال. وقد سمح بهذا الاتساع التراجع الكبير للسفوح في صخور هشة، وتكون هذه السفوح في

غالب الأحيان مقعدة، وقد تطورت عند أقدامها مستويات نهرية ممتدة تدل على مراحل توقف الحفر النهري.

يوجد قعر منخفض سوق أربعاء بهت على ارتفاع متوسط يقدر بـ 160م، وهو بذلك ينخفض عن مستوى سطوح الهضاب المشرفة بـ 300م تقريبا. قعره لا يعرف تجانسا كبيرا، بل تتخلله أشكال طبوغرافية عديدة. منها الأشكال البارزة التي تتمثل في مجموعة التلال الطولية التي تمتد على الضفة اليمنى لواد بهت المتخلفة عن تقطيع هضبة أيت ميمون التي تعلو المنخفض بـ 150م. وقد ساهمت هذه التلال في فرز منخفض ثانوي هو منخفض العطشان الذي يمتد ما بينها وبين متن بوعرعر ـ الدموكي.

ـ منخفض برجلين : يعتبر امتداداً لمنخفض سوق أربعاء بهت نحو الجنوب الغربي ويربط بينه وبين باقي المنخفضات الممتدة حتى الرمّاني. يتميز هذا المنخفض بقلة اتساعة وبشكله المستطيل، يمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي. ويتوفر هذا المنخفض على مستويات نهرية أقل عددا وأقل امتدادا مما هي عليه في منخفض سوق أربعاء بهت، كما تتخلله أيضا منخفضات مغلقة يوجد معظمها على الضفة اليسرى لواد برجلين عند نقطة التقائه بواد بومعجون التي تعرف بضايات الملح، ضاية الناموس، وحفور الكمين.

تنتشر المنخفضات المغلقة فى كلا المخفضين المحفورين في الصخور الترياسية الطين ـ ملحية، وتظهر مجاورة للمحاور النهرية عند أقدام السفوح التي تربط قعور المنخفضات الكبرى بسطوح الهضاب. وتتميز هذه المنخفضات باختلافاتها من حيث شكلها، واتساعها وكذا تعمقها.

يتميز بعضها بالجفاف الدائم في حين يظهر البعض الآخر كضايات موسمية أو دائمة قد تنتهي فيها بعض الجداول الموسمية المرتبطة بفترة التساقطات.

ما يميِّز حوض بهت إذن هو هذا التضرس المهم الذي تختلف حدته من جزء لآخر، سواء تعلق الأمر بالهضاب أو المنخفضات. وقد لعبت الشبكة المائية دورا كبيرا في تحقيقه بالإضافة إلى عوامل أخرى. ومن الملاحظ ان معظم روافد المجري الرئيسي تلتقي في منخفض سوق أربعاء بهت.

يتركب حوض التصريف من صخور متعددة تطغى فيها المواد الشستية وهي المكون الأساسي للهضبة الوسطى. أما العالية فتبرز بها بعض الصخور الكربوناتية اللياسية. وتظهر في أحواض العالية كذلك طفوح بركانية حديثة.

مناخ حوض بهت : ينتمي عموما إلى المناخ المتوسطي، قاري في الجنوب الشرقي ومحيطي في سهل الغرب. يتميز بوجود فصلين متباينين : فصل جاف ويشمل فترة فصل الصيف مع نهاية فصل الربيع وبداية فصل الخريف، وفصل رطب يوافق الفصل البارد إلا أن امتداد الحوض على وحدات طبغرافية مختلفة تدخل فوارق مهمة على القاعدة العامة.

الحرارة : يبلغ متوسط درجات الحرارة 19،4 درجة في محطة القنصرة، إلا أن هذه القيمة لا تعبر عن خصائص الحوض الحرارية التي ترجع بالأساس إلى عامل الاختلاف الكبير بين العالية والسافلة بالإضافة إلى عامل قارية الأجزاء الداخلية من الحوض. فأقصى الحرارات الدنيا يسجل في شهر يناير قرب المنبع ويقدر ناقص 5 درجات، في حين يبلغ درجتين عند سد القنصرة. أما أقصى حرارة فتسجل في شهر غشت وتصادف أيام هبوب رياح الشرگي الساخنة، وذلك في منخفض واد بهت حيث تصل إلى 45 درجة. يتسبب ارتفاع الحرارة هذا في تبخر مهم للمياه حيث يبلغ متوسط كمية النتح في القنصرة ما قدره 240 ملم سنويا والتبخر 1790 ملم.

التساقطات : يعرف هذا العنصر تغايرية كبيرة مجاليا وزمنيا. ففي سافلة الوادي يسجل ما متوسطه 400 ملم سنويا، وفي مستوى سد القنصرة 424 ملم، إلا أن المجموع السنوي يتراوح ما بين 222 ملم و696 ملم عموماً. أما في العالية فقد يتعدى المتوسط 100 ملم في محطة أزرو، يرجع جزء مهم منها إلى التساقطات الثلجية الشتوية.

الشبكة المائية : يتم صرف مياه حوض بهت عبر شبكة كثيفة من المجاري المائية متفرعة في العالية ومتلاشية في السافلة. تقل في المناطق المنبسطة كهضبة الخميسات وتكثر عند حواشي الهضاب المشرفة على سوق أربعاء بهت وبرجلين. ويمكن التمييز داخل هذا التوزيع بين الضفة اليسرى التي لا تتوفر على أودية مهمة، والضفة اليمنى الأكثر كثافة وأهمية وهي تشمل واد القل وروافده وواد اشكات وروافده.

تتفاوت أهمية العناصر المكونة لهذه الشبكة المائية بالمنطقة إذ تتدرج من أنهار مهمة دائمة الجريان إلى مجار صغيرة موسمية.

المجاري الدائمة : يعتبر واد بهت أهم محور مائي بالمنطقة، يجري به الماء طيلة السنة بصبيب يختلف حسب الفصول والسنوات كما هو الشأن بالنسبة للأودية المتوسطية. يبلغ متوسط صبيبه 31،5 م$^3$ في الثانية كحد أعلى و7 و3م$^3$ / ث كحد أدنى. ويعرف هذا النهر فيضانات عنيفة من حين لآخر أهمها يرجع إلى سنة 1963 حيث بلغ الصبيب 564 م$^3$ /ث.

تلعب هذه الفياضانات دورا أساسيا في تغيير معالم المجرى النهري وذلك بنحت أو تحطيم ضفافه، كما تؤثر على الدرجات الحديثة بتحطيم أجزاء منها. يزود واد بهت بروافد أساسية خارجية، تنبع من حافة الأطلس المتوسط أو من الهضبة الوسطى، وتلتقي به في منخفض سوق أربعاء بهت، وأخرى ثانوية تغذيها عيون مائية من الفرشة الموجودة تحت الرمال والحث البليوسينيين، فمن الضفة اليمنى نجد واد أوشكات وروافده و واد القل وراوفده، ويصبان في بهت في منخفض سوق أربعاء بهت ثم واد الردم الذي يلتحق

ببهت قرب قرية دار الكداري. أما من الضفة اليسرى فالروافد قليلة نسبيا أهمها واد بولحام وواد بومعجون النابعين من حافة الأطلس المتوسط.

المجاري الموسمية كثيفة لكنها ضعيفة الأهمية من الناحية الهدرولوجية لأنها ترتبط بفترة التساقطات فقط، وهي عبارة عن جداول صغيرة تجري في شعاب متعمقة نسبيا (50 إلى 70م) مثل واد الحايص، وواد الولجة وواد بوزحاليليس وواد المالح الخ ... ويوجد أغلبها على الضفة اليسرى لبهت.

يقتصر الجريان في هذه المجاري على فترة التساقطات وخلال السنوات الرطبة، لذلك تبقى جافة في غالب الأحيان لأنها لا تتغذى من العيون إلا في حالات نادرة. أما المسيلات الصغرى فتصب في جداول أو تغذي ضايات موسمية تجف في الصيف تاركة أملاحا على جوانبها لشدة ملوحتها.

الغطاء النباتي : يغطي مساحة محدودة من الحوض تقدر بـ 25.5٪ من مساحته الإجمالية. ويتمركز بالخصوص في الحوض الأعلى ثم الأوسط حتى سوق أربعاء بهت. وفي الشمال الغربي، حيث غابة معمورة، يحتوي على تشكيلات نباتية مختلفة، أهمها الأرز في أقصى الجنوب، ثم البلوط بنوعيه الأخضر والفليني. وعموما لا يظهر الغطاء النباتي إلا في المناطق التي تقل إمكانية الاستغلال الزراعي فيها.

ونظرا لتدهور هذا الغطاء النباتي الطبيعي والتقلص المستمر الذي يصيبه، وضعت مشاريع لإعادة التشجير خصوصا بالصنوبر والأوكلبتوس وذلك منذ سنة 1931، وهمت بالخصوص الأحواض وقيعان الأدوية مثل وادي بهت جنوب مركز سوق أربعاء بهت، ومنخفض برجلين عند عالية التقاء واد برجلين برافده بومعجون.

ومن أهم المشاريع المائية التي عرفها واد بهت إقامة سد القنصرة الذي اكتمل بناؤه الأولي سنة 1934، ثم رفع من علوه سنة 1968.

ويعتبر أول سد شيد بالمغرب، كان الغرض منه سقي أراضي منطقة سيدي سليمان بالإضافة إلى إنتاج الطاقة الكهربائية (انظر : القنصرة، سد).

من خلال التحاليل التي أقيمت على مياه بحيرة السد، تبين أن مياه حوض بهت تتميز بقاعدية مرتفعة، إذ أن نسبة الهيدروجين تتراوح ما بين 8 و9. ومرد ذلك إلى طبيعة صخور الحوض النهري خصوصا الكلسية منها والملحية. فالمحلولات الكلسية تأتي عبر واد بهت والقل من حافة الأطلس المتوسط، ومن الكلس البحيري لسايس، والمحلولات الملحية تأتي من القاعدة الصخرية التي تجري فوقها الأنهار بمنخفض سوق أربعاء بهت، وهي الطين الترياسي الغني بملح الطعام والجبس، كما تأتي بهذه الأملاح الشعاب الرافدة لبهت وهي التي يطلق على عدد كبير منها تعبير "واد المالح". وقد تسببت وفرة هذه الأملاح بالمنطقة في جعل كل الأنهار تقريبا مالحة بما فيها واد بهت، وغير صالحة للري أو الاستهلاك المنزلي باستثناء مياه واد القل فهي عذبة.

*أطلس حوض سبو* ؛ حدوش نبية : *دراسة جيومورفولوجية لمنطقة الخميسات*، د.د.ع.الرباط 1988 ؛ غبد العزيز شعري : *بحث السنة الرابعة جغرافيا* ـ كلية الآداب القنيطرة سنة 1989.

Direction de l'Hydraulique, *Ressources en eau du Maroc*, Rabat, 1971 ; J. Le Coz, *Le Rharb : Fellah et colons*, Rabat, 1964; G. Beaudet, *Le Plateau Central marocain et ses bordures : étude géomorphologique*, Rabat, 1969.

أحمد لقمهري، واركي جمعة

** وفيما يتعلق بالتاريخ القديم، يوجد بواد بهت بالقرب من القنطرة الرئيسية الموجودة على الطريق الفاصلة بين مدينتي الرباط ومكناس وعلى الضفة اليسرى لواد بهت، عدة مواقع أثرية (مغارة على الهواء الطلق).

وقد تعاقب على المنطقة عدة باحثين في الميدان الأركيولوجي وذلك منذ بداية الثلاثينات نذكر من بينهم دريش، رولمان، بالوت، أنطوان، سوفيل وغيرهم. ولعل أهم موقع تشير إليه النصوص هو الموقع المتميز بأدوات ذات عنق تعود إلى حضارة العصر الحجري الحديث. فالأدوات التي تم استخراجها منه جد متنوعة وكثيرة، غير أنه مع الأسف الشديد فان مكتشفيها وخاصة رولمان لم يشر في أي لحظة إلى موقعها بتحديد بل اكتفى بذكر اسم الموقع وذلك ما ينقص شيئا ما من قيمتها التاريخية. ومن أهم الأدوات نذكر الحجر المصقول، فهو جد كثير ومتنوع بحيث تم جمع ما يفوق 750 قطعة، كما عثر على ما يناهز 25 رحي وعدة أدوات محفورة من أهمها أدوات ذات "عنق". صنعت هذه الأخيرة من الحجر الغرانيتي، وتكون عامة ذات حجم مستطيل مستدقة الرأس، ونجد بحوالي الثلث الأعلى للأداة حفرة دائرة بها شبهت بالعنق. وقد يصل طول القطعة إلى 20 سنتم وعرضها إلى 10 سم وسمكها إلى 6 سم (انظر الصورة) كما قد نجد في بعض الحالات حفرة ثانية متعامدة بالنسبة للأولى أو متوازية معها. ويعتقد رولمان أن هذا النوع من الأدوات قد استعمل لأغراض فلاحية، في حين تم العثور على أدوات مشابهة لها بمعدن الملح الموجود على ضفاف نفس النهر استعملت لاستخراج الملح. ولا بد من الإشارة هنا إلى عدم تحديد تاريخ هذه المواقع بدقة، ويكتفي جل الباحثين بارجاعها إلى حضارة العصر الحجري الحديث.

محمد عبد الجليل الهجراوي

**بهتيت**، اسم أسر يهودية كانت بفاس ومكناس خلال القرنين 17 و18، كما أن بيعة عتيقة كانت بمكناس حملت هذا الاسم، ولربما كان الذي أسسها هو يشعيا بن بهتيت حسب ما أورده طوليدانو Toledano في كتابه *La Saga des familles* (ص 78) ومن بين الذين حملوا لقب بهتيت، نذكر كذلك :

يوسف بهتيت ربي بمكناس، له عدة فتاو، وتوفي عام 1716. (معلومات مستقاة من مخطوطات خزانة أسرة أبن

سُور بفاس التي توجد اليوم ضمن ذخائر كلاكسبالد Klagsbald بباريس. انظر كذلك كتاب حييم الزعفراني : *Les Juifs du Maroc*) ثم يعقوب بهتيت، ربي بمكناس خلال القرن الثامن عشر.

بنايم، *مالكي ربنان* ؛ طوليدنو، *نير همعرب* ؛ لاريدو. *أسماء اليهود*، 399.

سيمون ليفي

**البهجة**، أسرة تطوانية يقال إن أصلها من مراكش، وقد انقرضت بتطوان في العقد الثاني من هذا القرن.

**البهجة ← مراكش**

**البَهْرُوري**، أسرة أصلها من إحدى قبائل جبالة كانت بتطوان وانقرضت في أواخر القرن الماضي ولم يبق ما يُذكِّربوجودها سوى الأرض التي حبَّسها أحد أفراد الأسرة المذكورة لدفن الموتى، تعرف اليوم بمقابر سيدي البَهْرُوري، وتقع بالقرب من جامع المزواق خارج أسوار المدينة في الطريق المؤدية إلى مدشر سامسة.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بَهْلُول**، كلمة تقتضي شرحين : الأول عام في معناه، والثاني خاص. ويمكن استخلاص الأول من خلال الحكايات والأقاصيص والأساطير التي روتها مختلف الكتب من مستويات شتى، قديما وحديثا، على حد سواء. وبها نجد البهاليل يشتركون في أوصاف مميزة تدل على "الفطنة" و"سرعة البديهة"، و"الذكاء"، مع "النبل والحكمة"، وما شاكل ذلك؛ ولكن في لباس وتصرفات توحي بالبلاهة والجنون، الذي لا يبعد أن يكون مصطنعا. (*دائرة*، 4 : 271). وهي تقريبا نفس المعاني، التي أوردتها معاجم اللغة، حيث فسرت كلمة بهلوب بـ"الضحاك"، أو "الحي الكريم النبيل"، أو "السيد الجامع لكل خير" (لسان، 1 : 279 - *Supplément*, 123).

أما المعنى الثاني للبهلول، وهو خاص بالصوفية، فيطلق على معتقد في خيارته من نوع خاص، لا يقل شأنا، في نظرهم، عن الولي الصوفي السالك أو الولي المجذوب. ويشبه هذا الأخير، بالخصوص، في كيفية وصوله إلى مقام الولاية.

ولابن خلدون وصف جامع لكل ما تفرق من أقوال الصوفية المشارقة منهم والمغاربة، في الولي البهلول، استهله بقوله : "ومن المتصوفة قوم بهاليل معتوهون أشبه بالمجانين منهم بالعقلاء، وهم مع ذلك، قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين، وعلِمَ ذلك من أحوالهم مَن يَفْهم عنهم من أهل الذوق، مع أنهم غير مكلفين، ويقع لهم الإخبار بالمغيبات عجائب، لأنهم لا يتقيدون بشيء، فيطلقون كلامهم في ذلك، ويأتون منه بالعجائب. وربما ينكر الفقهاء أنهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم، والولاية لا تحصل إلا بالعبادة، وهو غلط، فإن فضل الله يوتيه من يشاء، ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها. فإذا كانت النفس الإنسانية ثابتة الوجود، فالله تعالى يخصها بما يشاء من مواهبه". مضيفا إلى ذلك :"والبهاليل لم تَعْدم نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال المجانين، وإنما فقد لهم العقل الذي يناط به التكليف، وهي صفة خاصة للنفس، وهي علوم ضرورية للإنسان يشتد بها نظره ويعرف أحوال معاشه واستقامة منزله، وكأنه إذا ميز أحوال معاشه واستقامة منزله لم يبق له عذر في قبول التكاليف لإصلاح معاده، وليس من فقد هذه الصفة بفاقد لنفسه ولا ذاهل عن حقيقته، فيكون موجود الحقيقة معدوم العقل التكليفي، الذي هو معرفة المعاش، ولا استحالة في ذلك، ولا يتوقف اصطفاء الله عباده للمعرفة (الولاية) على شيء من التكاليف"، (*مقدمة*، 111).

فالولي البهلول، كما يظهر إذن، ولي، لا يصل إلى ما يصل إليه من درجات القرب من الله بمثابرته على المجاهدات والرياضات الصوفية ومكابدته على قطع مفاوز الطريق، كما هو مطلوب من سالك طريق القوم، وإنما تسوقه إلى ذلك مجرد العناية الإلهية والمنن الاصطفائية، مثله في ذلك مثل الولي المجذوب، الذي يجذبه الله إليه من غير سعي منه ولا طلب ولا سلوك ولا تعب،ومن دون أن يجعل عليه منة لشيخ أو غيره. فكلاهما ممنوح الولاية (*جمهرة*، 1 : 239 ؛ *إظهار*، 2 : 53 ؛ *من تاريخ*، 38). ويظهر من جهة ثانية، أن البهلول ولي ذهب عقله وحسه، كما هو حال المجنون، وغاب عن شاهده وحسه، بحيث لم يبق له تمييز ولا شعور بشيء من عوالمه البشرية، مع انشغاله الدائم في نفسه بما نزل به، كما هو حال الولي المجذوب، واستغراقه فيما هو فيه، لم يبق له التفات لغيره.

وفي تمييزه للبهاليل يحدد ابن خلدون ثلاث علامات. أولها : "...أن البهاليل لا تجد لهم وجهة أصلا". وثانيها : "أنهم يخلقون على البله من أول نشأتهم، والمجانين يعرض لهم الجنون بعد مدة من العمر، لعوارض بدنية طبيعية، فإذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة ... والثالثة كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر، لأنهم لا يتوقفون على إذن لعدم التكليف في حقهم، والمجانين لا تصرف لهم" (*مقدمة*، 111). وهذه مميزات تسهل علينا تمييز المجذوب عن البهلول، والمجنون عن البهلول بسهولة، والبحث عن نقط الاشتراك بينهم.

هذا، وإذا كان من المتعذر علينا تعيين أول بهلول عرفه تاريخ التصوف المغربي، نستطيع أن نقول بأن البهللة قديمة قدم التصوف في المغرب، كما نستطيع أن نقول، باطمئنان كبير، إن القرنين العاشر والحادي عشر (16 و17 م) يمثلان فترة ازدهار البهللة في المغرب. (*الأولياء*، 1 : 221 - 229). ولعل من أشهر بهاليل هذه الفترة الشيخ محمد بن موسى الشاوي، المعروف بمولاي بوشتى الخمار دفين زاويته بجبل أمرگو بقبيلة فشتالة من حوز فاس، المتوفى سنة 997 /

1589، الذي اعتبرت زاويته مدرسة حقيقية في هذا المجال، لكثرة المتخرجين على يده من البهاليل وأهل الأحوال، حتى قيل إن أكثرهم ممتدون منه في عصره (*ممتع*، 73) إلى جانب الشيخ البهلول أبي الروابن أحمد العبدلي (ت. 963 /1556) دفين مكناس (*دوحة*، 76) والشيخ البهلول أبي الحسن علي الصنهاجي المعروف بالدوّار (ت. 941 /1535) دفين فاس (*مرآة*، 190)، والشيخ محمد البصري المكناسي (ت. 991 / 1583) دفين مكناس (*صفوة*، 65)، ومحمد الحصار (ت. 1005 /1597) دفين فاس (*التقاط*، 1 : 37)، والشيخ محمد الحاج الرامي التواتي (ت. 1012 /1603) دفين فاس (*سلوة*، 3 : 101)، والشيخ أبي عبدالله الخلطي (ت. 1016 / 1607). والشيخ عبدالعزيز الأندلسي المدعو عزوز دالله (ت. 1031 / 1631) والشيخ يدير بن محمد الگوراري (1042/ 1631)، والشيخ موسى السوسي (ت. 1042 / 1631)، وكلهم دفنوا بفاس (*الروض*، 99 ب، 132 أ، 158 أ)، والشيخ أحمد بن عمر البهلول المعروف بحزانة، المتوفى بفاس العشرة السابعة من القرن الحادي عشر (17 م) (*ممتع*، 159)، والشيخ عبدالملك البهلول، وهو من أهل القرن الثامن عشر الميلادي، (*الاعلام*، 2 : 374) وغيرهم كثير.

وقد تبين لنا في معرض قراءتنا لتراجم البهاليل المغاربة أنهم يشبهون كثيراً في تصرفاتهم جماعة الملامتية، إلى جانب تمتع عدد منهم بخاصية المكاشفة وبمظاهر سقوط التكليف.

وإلى جانب كل ذلك، حظي البهاليل عموما بمكانة سامية سواء لدى العامة أو الخاصة، في شتى عصور تاريخ المغرب، وخصوصا زمن الوطاسيين والسعديين والعلويين الأوائل. فالشيخ علي الصنهاجي الشهير بالدوار، على سبيل المثال، لم يكن يجد أدنى عسر في دخول قصر سلاطين بني وطاس بفاس، وعند دخوله "يتلقاه النساء والأولاد فيقبلون يديه وقدميه، ويدفعون إليه الحوائج الرفيعة والذخائر النفيسة، ويلبسه السلطان من أشرف لباسه" (*دوحة*، 81)، ولا غرو فقد كانت ولايته عند أهل فاس قطعية كفلق الصبح، وشأنه عظيم عندهم، كما يقول ابن عسكر (*دوحة*، 81).

وكان السلطان محمد الشيخ السعدي، وابنه السلطان أحمد المنصور يقربان إليهما البهاليل ويستعينان بهم في حل المشاكل العظمى، كما حدث مثلا لمحمد الشيخ عندما استعصى عليه اقتحام عاصمة بني وطاس (*دوحة*، 80)، كما لم يكن أي سلطان منهما على غرار غيرهما من سلاطين الدولة السعدية يؤذي بهلولا من البهاليل، رغم ما كان يتفوه به هؤلاء من كلام يثير غضاضة في النفس، كما حدث للمنصور مع البهلول الذي طلب منه رأيه في قصر البديع عندما أتم بناءه، فقال : إذا هدم كان كدية من التراب (*نزهة*، 113).

وفي هذا الصدد أيضا لم نقرأ ما يشير إلى محاربة العلويين للبهاليل، بقدر ما عثرنا على كثير من الإشارات التي تفيد بأن البهاليل كانوا يتنبأون، إن لم نقل يتمنون، أن يطول عهد دولتهم (*روضة*، 43 ؛ *الإعلام*، 3 : 65).

ع. ابن خلدون، *مقدمة* ؛ م. ابن منظور، *لسان العرب* ؛ م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ م. ع. الفاسي، *مرآة* ؛ م. م. الفاسي، *ممتع الأسماع*؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ *روضة التعريف* ؛ *صفوة* ؛ ح. اليوسي، *رسائل* ؛ م. ابن عيشون، *الروض العطر الأنفاس*، د. د. ع. الرباط ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *التقاط الدرر* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ *إظهار الكمال* ؛ م. المنوني، *جمهرة الأولياء* ؛ ع. نجمي، *الملامتية*، مجلة تاريخ المغرب، ع. 1، 1981 ؛ أ. الوارث، *الأولياء ودورهم في مغرب القرن السادس عشر*، د. د. ع. كلية آداب فاس، 1988 ؛ *دائرة المعارف الإسلامية*.

أحمد الوارث

**البهلول**، أسرة سلوية معروفة منذ القرن الثالث عشر (19 م) ولا ندري إن كان أصلها من قبيلة البهاليل الزناتيين المستقرين اليوم بناحية صفرو.

**البهلول، أحمد**، من وجهاء المدينة وظرفائها، يتأنق في لباسه غاية مع أنه لا يشتغل ولا يتكسب وإنما يعيش في كنف والدته وأخيه قدور الذي كان من أشياخ الملحون. يتكلم أحمد بتؤده ويمشي الهوينا ويتحرك بوقار، لم يتزوج قط ولم يكن يظهر عليه أثر انزعاج أو قنوط له حاسة جمالية مرهفة، وذوق أدبي رفيع بالرغم عن كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب. كثيراً ما يلجأ إليه المتأدبون والشعراء لأخذ رأيه فيما تنتج قرائحهم وينزلون عند رأيه، ولهم فيه كتابات ومقطعات مما ينشد في مجالس الأنس، ونوادره وفكاهاته لا تكاد تحصى. ومن متناقضاته أنه كان يجالس بدون تحرج الشبان المترفين المسرفين على أنفسهم، ويحضر مجالس الذكر مع شيوخ الزوايا.

توفي بسلا حوالي عام 1390/ 1970.

**البهلول، أحمد** بن **عمر** أو عمرو الشريف. لم تذكر المصادر التي ترجمت له متى وُلد ولا أين ولد، وإنما عرضت أحداث حياته، أو بالأحرى مظاهر كراماته الكثيرة كأحداث ومظاهر جرت كلها بمدينة فاس، مما يدل على أن ولادته ونشأته كانت بهذه المدينة، كما أنه توفي بها أيضا سنة 1654/1066، ودفن داخل باب عجيسة المواجه لمقابر المرينيين بالجهة الشمالية للمدينة، ومن ثمة يمكن القول إن أحمد البهلول فاسي الأصل والنشأة والوفاة.

لم تشر المصادر كذلك إلى أنه تعلم أو تلقى تكوينا معينا، ولا كيف نشأ، واكتفت بالحديث عن كراماته بتوسع وإعجاب، لتضفي عليه - انطلاقا من ذلك - هالة تقديس كبيرة كشخصية من شخصيات الصلاح والكشف. وقد ربطت المصادر هذه الكرامات والتقديس الذي أحيط به بطبعه وتكوينه الشاذ وذهنه الغريب : لقد كان في تكوينه ناقص الذكورية حيث وُلد مبتور الأعضاء التناسلية مما جعله لا يتزوج في حياته، وهي خصوصية أعطته تقديراً خاصا في نظر الناس. كما أن ذهنه كان يخلط المعقول

باللامعقول، ولا يَحترم الحدود والأعراف عند الناس مثل دخوله على النساء في الدور بدون استئذان وتعامله مع الناس بجدية خاصة، وإرسال أقوال ورموز وإشارات معينة اعتاد الناس أن يجتهدوا في تأويلها لتنسجم مع الأحداث. وهذا ما جعل الناس يطلقون عليه لقب (بهلول) المرادف للمجذوب تقريباً.

تذكر المصادر أن أحمد البهلول كان يكشف للناس الذين يردون على فاس لأول مرة عن أسرار حياتهم الداخلية كأسماء زوجاتهم وأبنائهم وأنماط عيشهم مثلا، بل زعموا أن البهلول كان يملك قدرة خاصة يستطيع بها أن يؤثر في حياة الناس أو معرفة ما يكنّون في ضمائرهم، مما جعل بعض الناس يتعلقون به (ويعتقلونه) في إحدى المناسبات خلال نهاية فصل الربيع ويطلبون منه أن يضمن لهم وصول الإنتاج الزراعي لذلك العام ولم يطلقوا سراحه حتى ضمن لهم ذلك (!).

م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 198 ؛ م. القادري، نشر، 2 : 77 ـ 80 ؛ *المقصد الأحمد*، 36.

*A. M.*, 4 : 74.

محمد مزين

**بهلول** بن **عبد الواحد** المدغري، تكتب الدال أحيانا بالطاء (المطغري) وبالضاد وتصبح (المضغري) نسبة إلى مدغرة أحد بطون البرابرة البتر وأوفرهم عدداً (*العبر*، 6 : 239 ـ 245). كانت هذه القبيلة قد اعتنقت المذهب الخارجي الصفري بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب، ولعبت أدواراً في الثورة على ولاة بني أمية بالمغرب الأقصى تحت زعامة ميسرة المدغري ( *العبر*، 6 : 239 ـ 243 ؛ *البيان المغرب*، 1 : 52 ـ 53) وقد انتهت مشيخة مدغرة في عهد الأدارسة إلى بهلول بن عبدالواحد إذ "كان رئيساً في أهله وأصحابه، معظماً في قومه" (*جذوة*، 170).

قام بهلول بأمر إدريس الثاني وبايعه وأصبح من خاصته وأركان دولته. لكن في إطار الصراع الذي كان محتداً بين الأغالبة والأدارسة حاول إبراهيم ابن الأغلب عامل بني العباس على إفريقية جلب بهلول إلى جانبه وإغراءه بالأموال حتى تغيّر على إدريس ونقض بيعته وبايع هارون الرشيد. ونشير في هذا الصدد إلى أن المصادر أوردت في ذلك مكاتبات شعرية تبودلت بين الطرفين ذكرها صاحبا *الحلة السيراء والقرطاس*. وقد كتب إدريس الثاني إلى بهلول يعاتبه ويعنفه :

أضلك إبراهيمُ مِن بُعدِ دارِهِ  فأصبحتَ مُنقاداً بغيرِ قيادِ

بعد هذا الحادث يلاحظ من روايات المصادر التي تتبعت أخبار مدغرة أن هذه الأخيرة تضاءلت قوتها وتراجع مجال نفوذها، كما تفرقت جموعها خلال الفترة الموحدية والمرينية حول أحواز فاس وتلمسان وسجلماسة وصحراء المغرب ثم المغرب الأوسط وإفريقية (*العبر*، 6 : 244 ـ 245).

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 1 ؛ ابن الأبار، *الحلة السيراء*، تـ. حسين مؤنس، ج 1 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 1.

رشيد السلامي

**بهلول** بن **علي** بن مَحمد ـ فتحا ـ بن الحسن الرحماني البوبكري المحمدي، يعرف ببوسلهام. ولد في العشرة الأخيرة من القرن الثاني عشر للهجرة، وأخذ القراءات والعلم عن الأستاذ الصالح محمد بن هدِّي السرغيني الزرّادي بمدرسة أولاد زرّاد بضواحي قلعة السراغنة. ثم استقر بمراكش ودرّس بجامع ابن يوسف وجامع أبي العباس السبتي، حيث أخذ عنه أولاده الثلاثة عبدالرحمان وعبدالوهاب وعمر، وأحمد الدمناتي اليملحي، ومحمد بن هاشم العلوي، والفقيه بلقزيز وغيرهم.

لقيه السلطان المولى عبدالرحمان فأُعجب بغزارة علمه وأصبح يُحضره في جملة العلماء في قراءة البخاري بمجلسه، بل كان يفضله على علماء فاس ويحتج به عليهم. ونظراً لماكان للبهلول من كلمة مسموعة في قبيلته ولاه السلطان على أخذ زكواتها وجعل مرجع أمور القبيلة إليه، الشيء الذي أوغر صدر عاملي الرحامنة علال بن عبدالله الشيظمي وزورال، فسوّدا صحيفته لدى السلطان زاعمين أن الرحامنة لا يستقيم لهم أمر ما دام البهلول بين أظهرهم. فألقي عليه القبض سنة 1270/1854 ثم رُحل لفاس وبقي بها إلى أن مات بعد سنتين ودفن بروضة العلماء هناك.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 78 ؛ *وثائق خ. ح.*

عبدالرزاق الصديقي

**بهلول**، لقب لربيين عديدين، ظهروا في المغرب منذ القرن الرابع (10 م)، أقدم الربّيين بالمغرب بهلول بن يوسف، والعزار بهلول الفاسي الربّي الناسخ الذي ساعد الطبيب اليهودي يعقوب قطان فيما وقف عليه من خصائص بعض النباتات في علاج الأمراض.

أما بمكناس، فإن عدداً كثيراً من الربّيين المنتمين إلى أسرة واحدة كانوا يحملون لقب بهلول، وقد عاشوا خلال القرون الثلاثة الميلادية الأخيرة (17 ـ 19). منهم دانيال، وأبناؤه الثلاثة : صمويل والعزار وإبراهيم الذي مارس مهامه بفاس، ثم نجد سليمان ويوسف وموشي.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن دانيال بهلول المذكور كان من أنصار الحركة التي أنشأها شبطاي صبي والقائمة على الاعتقاد بأن المسيح سيعود إلى الأرض لفرض الإيمان بدين الله.

Tolédano, *La Saga des familles*, p. 77 ; A. I. Laredo, *Les Noms des Juifs au Maroc*, p. 398, Madrid, 1978.

سيمون ليفي

**البهلولي، بوشعيب** بن الرامي المزابي الشاوي أحد العلماء الأعلام الذين اشتهروا بسطات خاصة وبالشاوية عامة خلال النصف الأخير من القرن الماضي وبداية القرن العشرين، ولعله هو المقصود بالتعريف الذي أورده محمد المنوني بقوله : "الشيخ شعيب بن محمد بن محمد البهلول الشاوي المزابي".

درس الشيخ بوشعيب علوم الدين من تفسير وحديث وتصوف وبيان، واشتهر كأستاذ لعلوم القرآن والدين. وقد كان يدرس مختصر *خليل* بمدينة سطات.

وفي سنة 1321 / 1903 عندما وقعت حادثة سطات، هاجر إلى مدينة مراكش، حيث واظب على التدريس وإرشاد الخلق متجافياً عن الشهرة معرضاً عن أصحاب النفوذ، وظل بمراكش بعد الاحتلال الفرنسي للشاوية عام 1326 / 1908. لكن الأقدار أبت إلا أن يدفن بتراب قبيلته امزاب، حيث وافته المنية خلال زيارة للأهل، فدفن قرب ضريح أحد أجداده : سيدي محمد البهلول المعروف بامزاب، وقد رثاه الأديب بنشقرون بقصيدة أشاد فيها بعلم الفقيه بوشعيب البهلولي وببراعته في التدريس ومشاركته في علوم كثيرة.

ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر* ؛ م. المنوني، *الوجه الثقافي للشاوية عبر العصر الحديث، الملتقى الأول لفنون الشاوية*، نشر وزارة الثقافة 1989.

علال الخديمي

**البهلولي، علي** بن الحاج شقرون، ينتمي إلى أسرة البهاليل أو بني بهلول الزناتية التي استقرت بفاس (*بيوتات فاس*، 13. 14). وهناك موقع جبلي بنواحي فاس يسمى بجبال بهلولة حيث توجد حمة مولاي يعقوب التي تنتسب إلى الشيخ الصالح يعقوب بن الأشقر البهلولي المتوفى عام 689 / 1291.

كان عليّ البهلولي قائداً لقصبة فاس على عهد بني وطاس حيث توفي سنة 912 / 1507، ودفن بروضة الولي أبي زيد الهزميري بإزاء مسجد الصابرين. وأعتقد أن ما جاء في *درة الحجال* (3 : 252، 253) عن وفاة البهلولي سنة 712 / 1312 في أيام بني مرين هو سبق قلم حيث نجد ترجمته قد وردت ضمن وفيات المائة العاشرة للهجرة كما هو الحال في *لقط الفرائد* لنفس المؤلف (*ألف سنة*، 280).

إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى* ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، ج 3 ؛ *لقط الفرائد*، ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات، تح. م. حجي.

رشيد السلامي

**البهلولي، محمد** بن **قاسم**، صوفي صالح، أخصّ مريدي الشيخ الخضر ابن قدورة الشجعي ناشر الطريقة الحراقية، وخليفته في زاويته بحومة المخفية بفاس. أخذ عن البهلولي جماعة من العلماء وغيرهم طريق التصوف، وكانوا يحضرون معه مجالس الذكر والسماع ويعتقدونه ويتبركون به.

توفي ليلة السادس من شوال عام 1321 / 26 دجنبر 1903 بالقرب من جبل كندر ودفن هناك. ومازال أتباعه يقيمون له موسماً كل سنة.

ع. ابن سودة، *إتحاف*، 1321.

محمد حجي

**البهلولي، محمد** بن **يحيى**، متصوف ومجاهد شهير. لا نعرف إن كانت نسبته إلى قبيلة البهاليل جنوبي مدينة فاس، أو إلى الجد الصوفي. عاش هذا الشيخ بمدينة فاس أيام محمد الوطاسي المكنى بالبرتغالي (911. 931 / 1505. 1524) وحسب ابن عسكر فإن البهلولي كان يناصر السلطان في حركاته الجهادية ضد البرتغاليين المحتلين للثغور الشمالية، وسانده ماديا ومعنوياً، يشارك بنفسه ويحث الناس على المشاركة في الجهاد بقصائد سجل مطلع إحداها ابن عسكر ونقلها عنه صاحب *الممتع*، و*تحفة الإخوان*. وكان محمد الوطاسي قد عين له جزية أهل الذمة بفاس لقوته.

وبعد وفاة السلطان محمد البرتغالي تغيرت الأمور حيث عرف الوطاسيون تراجعا واضحاً في قوتهم. فمن جهة استطاع السعديون الاستيلاء على مراكش 1549 / 1956 وتهديد السلطة الوطاسية في وسط المغرب، ومن جهة ثانية تقوت شوكة البرتغاليين وأصبحوا يقومون بحملات خارج الثغور المحتلة، مما اضطر معه السلطان الجديد أحمد الوطاسي إلى توقيع هدنة مع المسيحيين عام 935 / 1528. "فبلغ ذلك الشيخ البهلولي وآلى على نفسه أن لا يلقى السلطان المذكور ولا يمشي إليه ولا يقبل منه ما كان والده عينه له ... فمكث على ذلك إلى أن حضرته الوفاة".

ومن إيغاله في تقدير الجهاد أنه كان ينفي صفة الذكورة أو الرجولة عن المخلَّفين الذين لا يشاركون في أعمال الجهاد ويعتبرهم كالنساء لا تجوز الصلاة وراءهم.

اشتهر برفضه لصلاة الجنازة التي أقيمت على زوجته بنت بكار بإمامة الشيخ غازي ابن الشيخ محمد بن غازي لعدم توفر شرط الرجولة في الإمام المتقاعس عن الجهاد.

توفي أول العشرة السادسة حوالي 960 / 1554.

م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع* ؛ *تحفة الاخوان*.

محمد مزين

- **البهليل**، (سيدي ـ) أحد الأولياء السباعيين، ينتسب إلى أولاد عزوز إحدى فرق أولاد إبراهيم من فخذ أولاد عمرو، ويوجد ضريحه قرب صخور الرحامنة. وبجواره قرية هاجر إليها بعض السباعيين بعد الفتنة التي عاشتها قبيلتهم وانتهت باعتقال القائد الحبيب، وذلك فيما بين جمادى الثانية ورجب من سنة 1281 / نونبر، دجنبر 1864.

*رواية شفوية* عن الباقر مولاي علي أحد العارفين والمهتمين بأنساب السباعيين بسوق الزربية بمراكش ؛ م.ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، د. د، ع. 1988.

م. حسن كفناني

**بهليل، قاسم** بن إدريس بن دحمان، أصله من شقوندة بالأندلس، استقر أجداده منذ أربعة قرون في قصبة بهليل. وتوارثوا قيادة هذه المنطقة، وتولوا نظارة الأحباس، وكان منهم فقهاء مدرسون. ولد قاسم عام 1287 في قصبة بهليل، ودرس في مسقط رأسه ثم انخرط في جند المخزن فأصبح قائد المائة عام 1306 أيام الحسن الأول، ثم رُقي إلى قائد

الرحى أيام ابنه عبد العزيز، وشارك في قتال الثائر بوحمارة، وأخيراً سمى قائد بهليل والناحية سنة 1329 / 1911 واستمر قائداً أيام الحماية إلى ما بعد سنة 1931. لم نقف على تاريخ وفاته.

M. E. Gouvion, *Aâyân al-Maghrib*, 786 - 787.

محمد حجي

ابن **بـهي، إبراهيم** بن علي. مقاوم من مواليد 1337 / 1918 بدوار الركن أيت الخمس أيت باعمران إقليم تيزنيت. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1377 / 1957 بعد خروجه من السجن حيث كان قد سجن من طرف الاستعمار الإسباني بالداخلة من يوم 18. 11. 1955 إلى 12 ماي 1956 لسبب سياسي. وكان من الذين خاضوا عدة معارك قاسية ضد قواعد الجيوش الإسبانية بأيت باعمران، وقام بدور هام مع الجماعة التي يترأسها حيث كان يحمل رتبة قائد المائة بالمقاطعة العاشرة إلى أن فاز بشرف الشهادة في معركة أملو وذلك بتاريخ 8. 12. 1957.

ابن **بهي، مولود** بن علي، مقاوم ولد سنة 1035 / 1625 بدوار أسيف إدْرَارْن أيت النص بأيت باعمران. وحين اندلاع الكفاح المسلح بالجنوب التحق بصفوف جيش التحرير بمركز تزكي تحت مسؤولية المرابطي الأنصاري محمد بن المختار، وحمل السلاح ضد الاستعمار وشارك في معارك عديدة منها معركة الگزيرة التي دارت رحاها بتاريخ 25 نوفمبر 1957 واستشهد أثناءها.

*كتاب شهداء الاستقلال*، ج 1.

عزالدين العلام

ابن **بهي** (أسرة بحاحة) ← **أُبهي**

**بُوَابُوض**، قصبة. اسمٌ مركب من أَبُوضْ الذي يعني بالأمازيغية السرة، ومن بُو الذي يعني الإضافة . وهو اسم يطلق على المكان الذي كان مقراً لقيادة مْتُوگَة باعتباره يقع وسطها بفخذة إداوْتَلِيلْت، لكن هناك رواية أخرى تقول إن لفظ بوابوض كان يُطلق على سكة لها انتفاخ في الوسط على شكل السرة حتى إنه كان الناس يضربون بها المثل في العزة فيقولون ولو أعطيتني بوابُوض.

تقع قصبة بـوَابُوض على هضبة عند ملتقى واد صغير مع وادي إگْزَنزار الذي يسمى وادي القصب عند مصبه في المحيط الأطلسي قرب الصويرة. ويشكّل ذلك الموقع مثلثا حصينا من ثلاث جهات. ولقد عبر تقرير للمخابرات العسكرية الفرنسية أنجز في يناير 1912 بالصويرة عن مناعة قصبة بوابوض ذاكراً أنها منيعة ضد هجوم بالبنادق ولكنها ممكنة المنال بالمدفعية.

اكتسب بـوَابُوض الشهرة من كونه مركز قيادة مْتوگة منذ أوائل القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين غداة الاستقلال، وإن هذا الوضع السياسي لبوابُوض الذي دام أكثر من قرن ونصف هو الذي يفسر مدى أهميته التاريخية خاصة في ذاكرة سكان منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، لمّا كانت قيادة متوگة تبسط نفوذها على منطقة شاسعة، امتدت في بداية القرن العشرين لتشمل معظم الدير جنوب غرب مراكش.

شرع في بناء أول منشآت قصبة بوابُوض أوائل القرن التاسع عشر لما انتقل القائد المتوگي إليها من مكان على وادي إگْزَنزال يسمى أسْدْرْم وما تزال هناك دار صغيرة تعتبر الأصل. وتكاثر البنيان بالقصبة مع استمرار القيادة. وتضم منشآت لمصالح مختلفة من دور للسكة ومنشآت اقتصادية ومسجد وسجن، وكانت كلها محاطة بالسور. لكن إهمال القصبة بعد زوال القيادة عنها نجم عنه خراب معظم تلك المنشآت التي لم تعد سوى أكوام من الانقاض، لا سيما أن زلزال سنة 1380 / 1960 الذي ضرب أگدير خرب

منظر عام لقصبة بوابوض

جزءاً مهما من الدور.

وغير بعيد عن القصبة توجد الآن دار للجماعة بسوق سبت متوگة. وهو سوق بدأ انعقاده في النصف الأول من القرن العشرين، لما كان إبراهيم بن عبدالملك قائداً على متوگة، وحُول من مكانه الذي كان يجاور القصبة إلى المكان الذي يوجد فيه الآن وتنتهي عنده طريق معبدة ترتبط بالطريق الرئيسي الرابط بين مراكش وأگدير قرب إيمي نْ تانوت.

*استطلاعات ميدانية.*

محمد زرهوني

**البْـوَاخَـر** ← **البُـخاري** (عبيد ـ)

**البْـوَاخَـر** (جامع ـ) بالصويرة، شيّده السلطان سيدي محمد بن عبدالله عندما أسس مدينة الصويرة، وجعله في حي جيش البخاري منها، "وكان القائم على بنائه من أموال الديوانة الباشا قاسم البخاري وعلى يده تمّ، وكان يُعرف بمسجد قاسم ثم اشتهر بجامع البواخر، وله بأبان شمالي وجوفي".

أُحدثت به صلاة الجمعة في حدود عام 1844/1260، وتقام فيه صلاتها متأخرة بعد أن يسبقه جامعا القصبة وابن يوسف.

وجرت العادة أن يكون خطيب جامع البواخر صويرياً،

بينما يكون خطيبا الجامعين الآخرين من حاحة والشياظمة.

م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 37.

محمد حجي

**بُـوَازَار**، اسم قرية عمالية ومنجم للكوبالت بالأطلس الصغير الأوسط بالجماعة القروية لـتَـازْنَـاخْتْ دائرة أَمْـرْزْگَـانْ، إقـليـم ورزازات. يوجد بـواد صخري قـاحـل بالطرف الغربي لمنخفض گورار (70 كلم طولا 10 ـ 30 كلم عرضا). تظهر بـه عروق معـدنيـة على السطح ذات لون قرمزي يستخرج منها البعض مبيداً للفئران. وكان عثور أحد الأوربيين على هذا المبيد بمراكش هو سبب اكتشاف المنجم سنة 1347 / 1928. والكوبالت يكون 1٪ من مركب معدني صهيري يحتوي على مواد ثانوية كالزئبق والنيكل والحديد وغيرها. يوجد على شكل عروق تملأ فوالق تمتدّ بحافة منخفض گورارة الذي يتميز بالانخفاض التدريجي من السفوح الجبلية نحو الوسط حيث يبلغ ارتفاعه 1.300 م. وهو عبارة عن بهرة ترجع إلى ما قبل الكمبري تتفق في اتجاهها من الشرق إلى الغرب مع فوالق هرسينية، كشفت عن صخور اندفاعية : ريوليت وگرانو ديوريت وركامات بركانية رسوبية ترجع إلى الزمن الأول، تتخللها صخور صلبة كلسية وكوارتزيت تكوِّن أعرافاً طويلة، توجد بحافة القاعدة الإفريقية القديمة على الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير الأوسط. ورغم الفارق الضعيف في الارتفاع بين الأعراف والأحواض فإن المنطقة يطغى عليها منظر مجال صحراوي جبلي أجرد جاف لا يعرف سوى أمطار إعصارية في بعض أيام الربيع، 60 ملم/السنة. ولا يظهر به سوى نباتات شوكية قليلة وأعشاب نادرة، وكانت مجالا لتنقل الرعاة الرحل بين أگدز وتازناخت، لم يحدث بها استقرار. وهي منطقة اتصال بين مجالي أيت عطا وأيت واوزگيت.

مركز بُوَازَارْ : يظهر بواد جاف محفور في صخور هشة يقع جنوب تازْنَـاخْتْ على بعد 32 كلم، شرع في استغلال المنجم بطرق شبه تقليدية في الأربعينات لعروق صغيرة سهلة، وبعد الحرب الثانية استغل عرق غني عن طريق منجم كبير في مركز بُـوازار يقع على عمق 150 م، ثم منجم آخر منه بأغبار على بعد 15 كلم منه، وارتفع الإنتاج إلى 10 ـ 20 ألف طن، مما جعل المغرب خلال الخمسينات والستينات يعد رابع منتج للكوبالت بالعالم : 14.700 طن سنة 1962 و6.700 طن سنة 1980. وزود المنجم بمحطة كهربائية وجلبت له المياه عبر أنبوب طوله 30 كلم من بئر بمجرى واد جاف بتالوسْتْ قرب تازْنَـاخْت وأنشئ معمل لتركيز المعدن إلى 10٪ وأوراش إصلاح ومخازن وإدارات وسكن. يدخل الكوبالت في صناعات علمية كثيرة ويوجه إنتاجه إلى الأسواق العالمية التي تتعرض دوما لأزمات، مما جعل إنتاجه يتذبذب من سنة لأخرى، بل أدت الصعوبات التسويقية والاقتصادية والاجتماعية إلى إغلاق المنجم سنة 1404 / 1983. لكن أعيد فتحه سنة 1408 / 1987 وربط بالشبكة الكهربائية عن طريق ورزازات، لكن العمل لا يزال حالياً في مرحلة تحضيرية إذ لم تُعطَ احصائيات رسمية عن الإنتاج أو المبيعات بعد، ويستغل المنجم حاليا من طرف شركة أومنيوم شمال افريقيا.

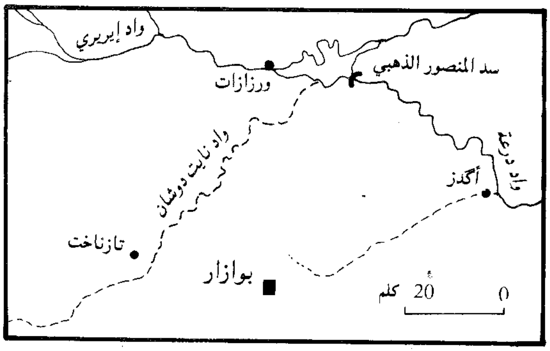


موقع بوازار

لم يكن يوجد بمنطقة هذه المناجم سكن ولا زراعة ولا أشجار سوى شجرة تين أزَارْ في مجرى واد جاف، ومنها استمد المركز تسميته بوازار، يقع على ارتفاع 1.400 م ويتكون من أربع تجمعات تمتد على طول منحدر واد جاف أسفل الطريق الموازي له وهي : منشآت معالجة المعدن والأوراش الميكانيكية والمخازن ومحطة الشاحنات بمنطقة غير مستوية تتخللها تلال المعدن والفضلات الصخرية. حي سكن الأطر الإدارية والتقنية به حوالي 35 منزلا معظمها تخلف من الفترة الاستعمارية وسط خميلة من أشجار الأوكالبتوس أضيف إليها بعد الاستقلال مساكن أخرى مخضرمة. حي عمالي يتكون من بيوت صغيرة هندسية متشابهة مصطفة على خطوط مستقيمة، بقربها صف من الحوانيت، ذات بناء حديث. وإلى جانبه بالطرف القصي ظهر حي هامشي هزيل مبني بالحجارة بطريقة ريفية مسقوف بصفائح الزنك أو القش والتراب أنشأه مهاجرون يعيشون على هامش النشاط المعدني. إنها قرية منجمية ظهرت في وسط قاحل مناهض لكل استقرار يكثر بها العزاب خاصة من بين العمال المؤقتين، كما أن الكثير من المتزوجين يتركون أسرهم في قراهم الأصلية أو بتازناخت، ومعظم العمال من السكان المحليين للمنطقة أو من تازناخت التي تعد المستفيد الأول من الرواج التجاري لمركز بوازار الذي يمكن اعتباره ضاحية منجمية لها. ولقد ساهم المنجم في تكوين خلية "مؤقتة" لسكان مستقرين في وسط لم يكن يعرف غير الرعي والترحال. ويصعب إحصاء أو تقدير سكان بوازار نظراً لحركة المد والجزر للعمال، والاستقرار غير الدائم للعمال المؤقتين الذين يتعاقدون مع مقاول لاستغلال مناجم ثانوية صغيرة.

قُـدِّر عدد العمال بـ 800 عامل سنة 1961 في قمة الإنتاج، وسكان المركز بـ 2.000 شخصا لكن هذا العدد تضاءل اليوم كثيراً إذ لا يزيد عدد العمال حاليا عن 180 عاملا حسب المعطيات الرسمية ما بين عمال رسميين ومؤقتين وأطر، ويقدر بالتالي عدد سكان المركز بحوالي

800 نسمة. ويذكر المسؤولون أن العمل ما زال في مرحلة تحضيرية واستكشافية. ويبدو أن ضعف احتياطي المنجم وتأثر إنتاجه بالمنافسة العالمية يجعله مهدداً بالإغلاق ويتحول مركزه السكني ذات يوم إلى مدينة أشباح.

*بحث ميداني في خريف* 1990 ؛ *بحوث السنة الرابعة جغرافيا لبعض طلبة كلية الآداب بمراكش* ؛ تحليل خرائط طبوغرافية وجيولوجية.

A. André et J. Le Coz, *Economie minière, Notice de l'Atlas du Maroc*, Rabat, 1961 ; P. Oliva, *L'activité minière au Maroc en 1967, RGM*, N° 19, 1969.

أحمد هوزالي

**البْواشْري**، أو البْواشريّة، أسرة زعرية ينتسبون إلى جدهم البشير المباركي. هكذا يقال لهم بلغة زعير، ولو أن النسبة إلى البشير هي بَشيرى. والبواشرية هم الإخوة الأربعة :

**البواشري، البشير**

**البواشري، الحبشي**

**البواشري،عبد القادر**

**البواشري، العربي**

وهم أبناء البشير المباركي الزعري الذين تزعموا حركة المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي المعروفة بحركة البواشرية.

يعد عبدالقادر بن البشير الباني الأول لمجدهم ورافع رايتهم والمتصدي لفض مشاكلهم الظرفية بالمجتمع القبلي الزعري، وكان بذلك شخصية اجتماعية وسياسية وروحية مرموقة لها مكانة كبرى في نفوس الناس، ويدلك على ما كان له من تعظيم وإكبار عند الخاصة والعامة ما وقفت عليه من إشهاد عدلي مؤرخ بعام 1314 / 1896 "يشهد فيه نخبة من قواد زعير ووجهائها يبلغ عددهم اثني عشر شاهداً من بينهم الخليفة الصديق برگاش، يشهد هؤلاء السادة بأن المشهود فيهاصاحبنا السيد عبدالقادر، لا يدخل إلا في الخير ولا يشتغل في القبائل إلا بالإصلاح والسداد وأنه يقتحم المشاق في دوام الهدنة والصلاح وأنه لا يحض إلا على لزوم الطاعة والخير".

وقد أتت هذه الشهادة، بمالها من وزن في تلك الفترة، في عقب صدور ظهيرين من لدن السلطان مولاي عبدالعزيز، يضفيان على صاحبهما مزيداً من التوقير والاحترام، وقد ورد في الظهير الأول المؤرخ في 23 جمادى 1 عام 1313 هـ ما نصه :"يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا جددنا لحملته أولاد البشير المباركي ما بيدهم من ظهير سيدنا الوالد قدسه الله وبسطنا عليهم أردية الأمان، فلا يهضم لهم جناب، ولا تمتد إليهم يد اعتداء بظفر ولاناب، والواقف عليه يعلمه ويعمل به ولا يحيد عن كريم مذهبه" وينص الظهير الثاني المؤرخ في جمادى 2 عام 1313 هـ على ما يلي : "يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره، أننا بحول الله وقوته ويمنه ومنته، أذنّا للمرابط السيد عبدالقادر المباركي في بناء زاويتهم وأسد لنا عليها رداء المراعاة والاحترام، وسلكناها مسلك الزوايا في كل مقام ..." من ثنايا هذين الظهيرين نفهم أهمية المكانة والدور الكبيرين المنوطين بشخصية السيد عبدالقادر المباركي (البواشري)، بل وكذلك محاولة السلطان مولاي عبدالعزيز، استمالة واحتواء نفوذ هذه "الحركة الروحية" في وقت عصيب غطته ظاهرة المد الاستعماري (1907.1900 كمرحلة أولى) والأزمة العزيزية /الحفيظية. ولاشك أن الظرفيتين الداخلية والخارجية المرتبطتين معا، تفسران بروز أهمية دور هذه الزعامات الروحية من جديد، إذ يلزم البحث عن مثل تلك الشخصيات الروحية لتأسيس الهيمنة وبسط النفوذ والسلطة. ولبلوغ هذا الهدف، لا بد من امتيازات استثنائية لجلب هؤلاء الصلحاء والمرابطين. فقد أهدى المولى عبدالعزيز للسيد عبدالقادر المذكور مركبة فخمة كان يتجول بها في القبيلة لأنه كان مريضاً لا يقدر على التجول بدون أن يحمل، وما ذلك إلا تعظيماً لشأنه لما اتصف به هذا الرجل من الإخلاص إليه ولزعامته في قبيلته لأنه كان مسموع الكلمة.

ونظرا لما أصبحت تكتسيه شخصية عبدالقادر البواشري المباركي من أهمية على الصعيد المحلي والمخزني، حاول الاستعمار الذي حل بالشاوية وضواحيها منذ 1907 أن يتعرف عليها قصد جلبها لخدمة أطروحته والاستفادة من احتواء شهرته وسلطته. يقول سيگارد (Sicard) في تنظيم زعير إن التأثير الديني والسياسي مشخص عند "الگفيان" (وهي القسم الثاني من قبيلة زعير والقسم الأول هو المزارعة) في السيد عبدالقادر بن البشير الذي كان ينتسب إلى العائلة المرابطية المباركية الموجود جدهم بجبال زيان.

وأما عن نفوذ عبدالقادر البواشري وحدوده ـ حسب سيگار ـ فإنه يمارس سلطته مباشرة على "المخاليف" و"أولاد بني عبيد" ويظهر أن هذا الرجل لم تضعفه السنون بل إنه كان مريضاً بمرض لم يجد له دواء بحيث يمنعه من التجول، فكان يحمل على محمل لكي يأخذ "الزيارات" من أهل "المخاليف" و"أولاد بني عبيد" "الزيارات".

وكانت للعربي بن البشير سلطة على "أولاد دحو" و"الرواشد" و"الحلاليف" وقيل حتى على "أولاد خليفة"، لكن المزارعة لا تتردد في طلب حمايته متى تعين ذلك. ويمكن القول إجمالا، إن صيته كبير على "أولاد خليفة".

وكذلك كان للسيد الحبشي بن البشير نفوذ على "السلامنة" و"بني عبيد" و"الرمامحة" و"أولاد طيب" وقد ابتعد عن ابنه محمد بعدما سخط عليه وذلك بعد جريمة اقترفها.

أما البشير بن البشير وهو أصغر الإخوة الأربعة فكان يقطن مع أخيه عبدالقادر ويرافقه في زياراته. وكان مرشحاً من طرف أخيه المذكور للخلافة من بعده في تلك المدة التي كانت بينه وبين العربي نزاعات. لكن عبدالقادر أقام صلحاً

وهدنة مع أخيه العربي كما تصالح مع علي بن حمو. ويستطرد سيگار قائلا : "يظهر أن العربي نظراً لما يمتاز به من الخصال الحميدة ولسنه أصبح مرشحاً ليخلف أخاه عبدالقادر.

أما فيما يرجع للصلح الحاصل بين عبدالقادر وعلي بن حمو الذي كان يجسّد "المقاومة" ضد الفرنسيين فلا بأس أن نذكر سبب خصومتهما :فقبل سفر السلطان مولاي عبدالعزيز إلى مراكش كان قد منح المرابط عبدالقادر "عتاداً وسلاحاً" لكي يواجه به السلطان مولاي عبدالحفيظ في الرباط. والذي يظهر أن عبدالقادر لم يكن بغريب عن قتل اليوتنان ميو Lt Miyou. ومما يدل على هذا أنه شوهد مع علي بن حمو ليلة قتل العسكري المذكور، مع أن علي بن حمو كان عدواً للفرنسيين.

وقد عين البشير هذا، فيما بعد، قائداً على قبائل "الرواشيد" و"الحلاليف" و"أولاد حمو" لمدة تناهز إحدى عشرة سنة، عزل بعدها من طرف الإقامة العامة ثم لم يوظف إلى أن مات. ويستنتج من هذه السير الأربع أن عبدالقادر بن البشير المباركي لم يكن مسالماً لفرنسا ولم يرضخ لمخططها الاستعماري الذي كان يحاول احتواء قبيلة زعير في فترة حاسمة. كما يبدو من خلال السياسة الاستعمارية لفرنسا، أنها تعتمد على سياسة قبلية بشقيها الزعامي والمرابطي لفرض الهيمنة على المغرب بناء على تجربة لا تختلف عن التي نهجت أسسها في الجزائر، مستفيدة كذلك من الأزمة العزيزية ـ الحفيظية والانتكاسة التي عرفتها الإصلاحات الحفيظية بعد 1326 / 1908. وبالرغم مما يقال عن انهزامية المقاومة المرابطية التي تشبث بها جل الزوايا المغربية في تلك الفترة، فإن الحركة البواشرية تبين بجلاء مدى الصمود في وجه المستعمر ودسائسه المتمثلة في لعبة الاستقطاب على مستوى الزعامات الروحية والسياسية بالقبائل (D. Rivet, *Ethnographie*, 1978, 168 - 172).

**البواشرية**. ـ مقاومة وزاوية وقصبة ـ تكونت البواشرية كحركة مقاومة مسلحة ضد الاحتلال الفرنسي عندما نزلت القوات الفرنسية بالدارالبيضاء (أنفا) سنة 1325 / 1907 في الانتفاضة المشهورة، فقد طمعت العساكر الفرنسية في احتلال أراضي الشاوية والقبائل المجاورة لها، وتم لها بعد مدة وجيزة اغتصاب أرض "الزيايدة" الخصبة، وتقدمت إلى عبور وادي "شراط" الفاصل بين قبيلتي الزيايدة وزعير، فتمكنت بذلك من احتلال جزء مهم من تراب زعير، بعد فرض "حركات" متتالية تواً على كل فصائل زعير الموالية لقضية "الزيايدة".

استعان الاستعمار الفرنسي، لتوطيد قدمه بأرض زعير، ببعض القواد الذين أصبحت مصلحتهم مرتبطة مع الهيمنة الاستعمارية، بل خلق الاستعمار أحيانا هذه المصالح لاستقطابهم. وكانت مهمة هؤلاء الأعوان والخدام تقتصر على مد مراكز الاستخبارات بكل المعلومات عن الأشخاص المناوئين للاستعمار وعن القبيلة وأعيانها، وتحالفاتها، وتنظيماتها، وقدراتها الحربية وعدد الخيول والرماة التي تملكها... إن هذه المعلومات هي التي أسست ما سماه دانييل ريفي (D. Rivet) بالاثنولوجيا النشيطة التي تزامنت وغزو القبائل باسم التهدئة.

لقد ساهم بعض الأعوان الأهليين في تقدم الجيوش الفرنسية بأرض قبيلة زعير. فقد بَصَّرَ بعض القواد المتحالفين مع فرنسا العساكر المغيرة بأهم النقط الرئيسية في القبيلة وسهلوا بذلك مأمورية الهيمنة والاحتلال. ومن أمثال هؤلاء القواد الذين قدموا ولاءهم للاحتلال الفرنسي عمار بن المنصر السلماني الشعالي وعسو بن عبو السلماني أيضاً، والبشير ولد الحراگة، وشاركهم في هذه المهمة بعض خلفاء القواد أمثال بوعزة السلماني والعربي بن القائد سليمان الجزولي وبعض أشياخ القبيلة وغيرهم من المتعاونين (*ابن سودة*، 108).

وقد تمكن الاستعمار الفرنسي بفضل كل هؤلاء المتعاونين من تنفيذ خططه بدقة في الزمان والمكان ونزلت عساكره أولا بـ"المشرع" قرب "وادي المالحة" بتراب "الشلحيين" بالمكان المعروف بـ"الضرضة". وفي إحدى ليالي فصل الربيع من سنة 1911 م هاجم جيش الاحتلال آل زعير الذين كانوا يترقبون من حين لآخر مفاجأتهم للعدو الذي كان بدوره يتربص بهم الدوائر،وفي صبيحة تلك الليلة رأى سكان زعير، وهم في فزع مهول، ما كانوا يخافون منه : أخيراً شرع الاستعمار الفرنسي في تنفيذ خطته العدائية، إلا أن القبيلة وقفت لها بالمرصاد وبدأت مقاومة باسلة بما هو معهود فيها من قوة ونجدة وحمية. وقد تطايرت أخبار هذا الهجوم في الصباح، في كل أرجاء زعير وافتضح الغدر المباغت الذي لحق بهم، وتفشت أسرار المتعاونين مع قوى الغدر من أهل القبيلة والناحية وإثر هذا الهجوم قامت القبيلة برد الأعداء المغيرين وأرغمتهم على الرجوع من حيث أتوا وكبدتهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد فلم ينفعهم إلا الفرار بعد أن سقط في صفوفهم الكثير من "عرب الواسطة" المتعاونين معهم، ومن السنغاليين والجنود الفرنسيين. وبعد هذه الهزيمة التي مني بها الاستعمار في أول جسه لنبض قبيلة زعير تقهقر إلى أرض "الزيايدة" استعداداً لكرة أخرى أعنف وأشد من سابقتها.

وكما كان متوقعاً، وتحت دافع من استعادة الاعتبار لقوة عظمى مثل فرنسا آنذاك ومسحاً لآثارالهزيمة الأولى، رجع الجنود الفرنسيون للهجوم مرة ثانية على زعير بعدما استعدوا لذلك أيما استعداد إبان فصل الصيف الذي يشتغل "الأهالي" فيه بدرس محاصيلهم الزراعية. كان وقع هذه الكرة عنيفاً، إذ فتك الاحتلال بالمقاومين من القبيلة فتكاً ذريعاً، وأحرق محاصيلهم، وأنزل عدته الثقيلة وعساكره بـ"الضباب" في المحل المعروف بـ"عرگوب السلطان". ومن ثَمّ بدأ الاستعمار بضرب القبائل الزعيرية بالمدافع الثقيلة، كما فعل بالماضي القريب في أنفا 1907 وأحوازها انتقاماً

للهزيمة الأولى. جرت المعركة الثانية في مطلع شهر يوليوز من عام 1911م ودامت حتى 14 منه بقيادة كل من الجنرال موانيي Moinier والجنرال بيرليير Berlier والكولونيل بليندا Blinda والضابط مارشال Marchal. واستشهد في هذه المعركة من جانب المجاهدين الزعيريين نحو خمسة عشر نفراً. أما الخسائر البشرية التي مني بها الاستعمار الفرنسي في هذه الواقعة، فغير معروفة بالضبط، ويصعب تحديدها حتى في قوائم ما سمته الحماية الفرنسية بشهداء التهدئة القبلية، والذين نشرت أسماؤهم بشكل عام في أحد أعداد نشرة مجموعة افريقيا الفرنسية (*B.C.A.F.*, 1936).

وجرت بعد ذلك خلال سنة 1329 / 1911 أربع عشرة معركة بين قبيلة زعير بقيادة البواشرية وبين جيش الاحتلال الفرنسي، هي معارك "جنين السباع" بأرض أولاد خليفة والفج قرب سهب رياح حيث اشتهر كثير من المجاهدين، منهم عبدالرحمان الهدهدي، وبوعمرو، والبزايري المعروف بولد حدو. وسيدي محمود قرب قصبة مغشوش، ومرزاگة وسيدي تيسيلي، بتراب المراكشية، والرماني التي قتل فيها الضابط الفرنسي مارشال، والطوالع وزحيليكة حيث قتل القبطان كريستيان إلى جانب عدد كثير من المرتزقة السنغاليين و"نظق العبد" بتراب أولاد موسى، والمحروگ، بتراب النغامشة، وعين السي موسى بأرض الرواشد، والرديف بتراب الغوالم على الطريق الذاهبة إلى وادزم، والسي داود بتراب أولاد موسى أيضا، والكلموس على بعد نحو كيلومتر واحد من زحيليكة. دارت هذه المعارك بقبيلة زعير التي ثارت منذ بداية تقدم الجيوش الفرنسية نحو ترابها، وتشكل حلقة من الحلقات الأولى في سلسلة المقاومة المغربية. ومن الأكيد أن زعيمها الروحي محلياً كان هو المجاهد عبدالقادر بن البشير المباركي البواشري، واستمرت هذه المقاومة عامين قيد حياته، وبعد وفاته قام أخوه الحبشي بن البشير المباركي بإتمام الخطة التي نهجها أهل زعير ضد الاحتلال. وسقط في ساحة الشرف خلال تلك المعارك عدد غير قليل من المجاهدين الزعريين.

هزيمة البواشرية واحتلال قبيلة زعير: إن حصار القبيلة من كل الجهات من طرف الجيوش الفرنسية والتقدم الذي تحرزه مدفعيتها باستمرار الهجمات العنيفة، وإتلاف محاصيل القبيلة وإعدام الغيورين على حريتهم من الزعريين وقيام ضباط الاستعلامات والاستخبارات الفرنسية باستقطاب مطرد لذوي النفوذ من شخصيات البلاد، عوامل جوهرية أدت كلها إلى استسلام القبيلة جزءاً جزءاً مما أفضى إلى إضعاف المقاومة بزعير واستسلامها النهائي.

وحسب ما ساقته التعاليق الفرنسية حول آخر المعارك ضد مقاومة زعير، كان الانتصار حليف أنصار التهدئة القبلية لأن فرنسا تملك قوة حقيقية قضت على كل هذه العمليات "الفوضوية" وان انتفاضة زعير درس ضد عوامل ما يسميه الاحتلال الغاشم بـ"السيبة القبلية".

فبعد تأكيد انتصار قوى الاحتلال على مقاومة زعير وجهادها، في أواخر سنة 29. 1330 / 1911 استسلم للسلطة الاستعمارية عدد من القواد، لكن ظلت مجموعة من الأفخاد القبلية لم تستسلم إلا بعد عمليات تمشيطية أخيرة قام بها الجنرالان "بري لبير" و"موانيي" والكولونيل "بليندا". وبعد إمضاء معاهدة الحماية سنة 1912 فر البواشرية بأولادهم وأتباعهم إلى أرض "زيان" بخنيفرة، وانضموا إلى حركة "محا أحمو الزياني" ومكثوا في أحضان مقاومة قبائل زيان التي سجل لها التاريخ بطولات رائعة في معركة "الهري" الشهيرة. وبعد أن قضى الفرنسيون على مقاومة قبائل زيان سنة 1914 رجع البواشرية إلى بلادهم بزعير، فألقت السلطة القبض على أولاد السيد عبدالقادر والسيد العربي البواشريين ونفتهم خارج قبيلتهم إلى أزمور بأرض دكالة، فأقاموا إقامة محروسة إجبارية ببلدة محمد التريعي ثمانية أعوام.

وأثناء نفي البواشرية المذكورين، قامت السلطة الاستعمارية باحتلال أراضيهم الشاسعة الجيدة التربة بقبيلة زعير، وأوعزت إلى القائدين عسو بن عبو وعمار بن المنصر السلمانيين الشعاليين وإلى الخليفة العربي ابن القائد سليمان الجزولي "وإلى غيرهم من أشياخ هاته القبيلة البعيدة عن قصبة البواشرية بنحو 50 كلم بمهمة الاستيلاء على أرض زعير الخصبة. فوضعوا عقوداً مزورة لبلاد البواشرية ثم باعوها للفرنسي "بوسي" بالبيضاء والمهندس "كوط" بالرباط. وكل هذه الملكيات والبيوعات أقيمت في تواريخ متقاربة ما بين فاتح ربيع الأول وذي الحجة سنة 1330 / فبراير - نونبر 1912.

وهكذا أصبحت كل أراضي البواشرية التي تقدر بـ 2.500 هكتار رسماً عقارياً واحداً بالمحافظة العقارية للرباط تحت رقم 661 في اسم المعمر الفرنسي "فابر".

رجوع البواشرية من منفاهم : بعد قضاء ثماني سنوات في المنفى رجع البواشرية إلى مسقط رأسهم زعير، وبالرغم من أفول مجدهم بانتهاء المقاومة واستسلام قبيلة زعير وتفكيك مقاومة زيان بالأطلس، فقد كان المراقبون المدنيون الذين تعاقبوا على إدارة الشؤون بالرماني يتابعون تحركاتهم اليومية خيفة انبعاث سلطتهم الروحية من جديد، وأُرسل تقرير إلى الإقامة العامة بالرباط يتعلق بمسألة رجوعهم إلى موطنهم الأصلي وبرّر بطول المدة التي قضوها بالمنفى انتفاء السبب الداعي إلى نفيهم. وفي النهاية إعتمدت الدوائر العليا على نفس التقرير وتذاكرت في شأن رجوعهم مع قائد موطنهم السيد بوشعيب بن الحاج المذكوري الذي كان قائداً على أولاد دحو والحلاليف والرواشد من قبيلة زعير، فساعدهم على ما أرادوا بعدما تكفل بهم قائدهم المذكور والسيد أحمد الجبلي. وبالرغم من هذه الضمانات المعنوية وتعقيد التواصل الإداري لم تتم الموافقة الفعلية على رجوعهم إلى بلادهم إلا بعدما أدوا أربعة آلاف ريال حسنية سكة تاريخه على يد الضامنين

السالفين. ومنذ فجر الاستقلال والبواشريون يطالبون باسترداد ما ضاع منهم من أراضي مغتصبة من طرف الدولة الكولونيالية الحامية.

أما زاوية البواشرية وقصبتها بمغشوش في أرض أولاد زيد من قبيلة زعير، فيرجع بناؤها إلى حدود سنة 1311 / 93 . 1894، أي قبل التاريخ الوارد في ظهير مولاي عبدالعزيز المذكور آنفا بنحو عامين، وقد تولى تشييدها المرابط عبدالقادر بن البشير المباركي بعد أن اشترى أرضها قبل ذلك بأعوام كثيرة تزامنت مع أزمة عالمية كانت عواقبها على المغرب وخيمة، إلى حد ارتباطها بالمجاعة. وتسمى هذه الزاوية، كما هو متداول، بزاوية "مغشوش" وتشتمل على ثلاثة منازل للسكنى وبها مسجد صغير وبئر. ويبلغ طول السور الذي يحيط بها حوالي 266 متراً على وجه التقريب، وعرضه 250 م تقريبا. وتقع في غرب "مارشال" وهو مركز الرماني الحالي. وتبتعد عنه بنحو 12 كلم تقريباً، وكان الغرض من بناء هذه الزاوية العبادة والنسك والإرشاد والهداية، وكانت في نفس الوقت رباطا يأوي إليه المقاومون الأحرار من قبيلة زعير. ولا شك أنها قد لعبت، نظراً لما لها من مكانة في قلوب أهل المنطقة خصوصاً في أوائل القرن العشرين، دور تنظيم المقاومة العنيفة ضد التدخل الفرنسي، فلم يلبث المستعمر أن صوب إليها مدافعه، ففتك بأهلها وهتك أعراض حريمهم، وحولها إلى أطلال.

*ظهير عزيزي* بتاريخ 23 جمادى الأولى، 1313 ؛ *ظهير آخر* بتاريخ جمادى الثانية 1313 هـ ؛ *معلومات مقتبسة من كتاب موجه إلى مصلحة الأملاك المخزنية من لدن الإقامة العامة* بتاريخ 4.1.1917م ؛ ت.ابن سودة، *البواشرية ومقاومة الاستعمار الفرنسي بقبيلة زعير، البحث العلمي*، ع. 23 السنة 11 ماي/ غشت 1974 ، ص 104 .105 .106 .108 .112 ؛ *قبيلة زعير*، جزآن ؛ أ. الزايدي، *انتفاضة الشاوية سنة 1907*، ص 94.

Sicard, *Organisation des Zairs* ; D. Rivet, *Ethnographie et conquête du Moyen Atlas, 1912 - 1913* in *Sciences de l'homme et conquête coloniale*, Paris, p. 159- 179 ; *A.F : R.C.*, N° 8, 1934 et 1935, Aout -Sept., 1936 (N° portant sur *Les étapes de la pacification du Maroc de 1907 à 1934*).

محمد الكير

**بْـوَاشُـو، إدمـون** جوست فكتور Boichut Edmond Just Victor جنرال فرنسي قائد أعلى لجيش الاحتلال الفرنسي بالمغرب بين 24 ديسمبر 1925 ونوفمبر 1926، ولد بواشو في مدينة ميليزي Mèlisey في السون العليا Haute Sône في 7 غشت 1864، وتوفي في فيشي Vichy في 4 يونيو 1941. وانخرط في الجيش في أكتوبر 1884 حيث درس في المدرسة العليا بّوليتكنيك Polytechnique متخصصا في المدفعية فصار ملازما أول Sous-lieutenant سنة 1887 وليوتنان ملازم سنة 1889 وقبطانا سنة 1897 ورئيس فيلق Chef d'escadron في 1906 وليوتنان كولونيل ملازم Lieutenant Colonel في 24 سبتمبر 1911 وكولونيل في 23 سبتمبر 1913 وجنرال Général de Brigade سنة 1915 وجنرال فرقة Général de Division في 1917 ثم عين قائداً أعلى للجيش الفرنسي في 24 ديسمبر 1925 بالمغرب، وعضوا في المجلس الأعلى للحرب، وحاكما عسكريا بمدينة ستراسبرگ في فبراير 1927.

عمل بواشو داخل جيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر من 12 مارس 1891 إلى 5 ماي 1893 وشارك في الحرب العالمية الأولى على الجبهة الألمانية بين 2 غشت 1914 و23 أكتوبر 1919، ثم عاد من جديد للجزائر في أكتوبر 1921 على رأس الفرقة 19، ومكث هناك إلى 18 فبراير 1925 حيث قضى فترة ما بين 22 مايو 1924 و24 أبريل 1925 في المناطق الصحراوية. وفي ديسمبر 1925 عين قائدا أعلى للجيوش الفرنسية في المغرب، وبين 19 يناير 1926 و25 نوفمبر 1926 شارك في قمع حرب الريف حيث حصل على استسلام المجاهد محمد بن عبدالكريم الخطابي، كما استطاع القضاء على المقاومة بناحية تازا. وفي أكتوبر 1926 عين في لجنة بوزارة الحرب الفرنسية للتنظيم العسكري والإداري للمغرب.

وقد حاز مقابل الخدمات التي أسداها للاستعمار الفرنسي والإسباني داخل المغرب على "الميدالية الاستعمارية" سنة 1926 وعلى "ميدالية سلم المغرب" الإسبانية سنة 1930.

كما أن المارشال بيتان Pétain طالب بالاحتفاظ به داخل الأركان العليا للجيش دون اعتبار للسن مكافأة له على الدور الذي لعبه في "تعميم السلم الاستعماري في المغرب".

*Grand Larousse Encyclopédique*, t. 2, Paris, 1960 ; Archives du Ministère de la guerre, Vincennes, cp 3 / 758, 3ème serie.

ثريا برادة

**بُـواض، جوفروي** Buad Geoffroy نبيل فرنسي كان رئيسا للبعثة التي أوفدها الأمير أنطوان دوبوربون إلى الملك السعدي الغالب بالله، في يوليوز 1560، في محاولة لإقناع الملك بالتنازل لفرنسا عن موقع القصر الصغير، وتجدر الإشارة إلى أن رئيس البعثة الحقيقي كان هو الضابط البرتغالي المدعو ملشيور فايز أزفيدو، الخبير في الشؤون المغربية.

يبدو أن عبدالله الغالب لم يرفض طلب السفير الفرنسي، وكانت فرنسا تنوي إذا ما تحققت رغبتها أن تسلم القصر الصغير إلى إسبانيا مقابل استرجاع المنطقة التي تحتلها بإقليم ناڤار الفرنسي.

لكن رغبة فرنسا لم تتحقق بسبب مرض حل بالنبيل بواض ألزمه الفراش عدة شهور بفاس، ولما أبحر من العرائش نحو فرنسا ونزل بمرسيليا أُلقي عليه القبض. لأن مرسيليا لم تكن من التراب الفرنسي. وقضى عدة شهور بالسجن مكبل القدمين، معرضا للتعذيب.

*S.I.H.M.* ; A. Cour, *L'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc*.

أحمد بنجلون

**بُـوايّه دي لا تـور**، پيير Boyer De La Tour, Pierre ضابط فرنسي وآخرُ مقيم عام فرنسي من عهد الحماية،

ضرب رقماقياسيا في قصر مدة الإقامة إذ لم تتجاوز مدة حكمه سبعين يوما. عيّن يوم 30 غشت 1955 واستقال يوم 11 نونبر من نفس السنة، احتجاجا على إعلان استقلال المغرب وعودة سيدي محمد بن يوسف إلى عرش أجداده.

كان نموذجا من نماذج سلك ضباط الشؤون الأهلية، تقلب في عدة دوائر من أقاليم المغرب تارة بالشمال وتارة بالجنوب، ومرة بالجبال وأخرى بالسهول، يمارس في كل المناصب وظائف إدارية وسياسية إلى جانب القيادة العسكرية، فكان من أولائك الضباط الذين داهموا الجماهير المغربية بالمدن والقرى يوم كانت، ما زالت على فطرتها الأولى وتقاليدها المتآكلة فاقتحموا مجالها واحتلوا أراضيها وأرغموها على الطاعة قسراً، ثم أرادوا لها أن تبقى على ما وجدوها عليه من ضعف التفكير وبساطة العيش والطاعة لأوامرهم، وكان بوايّه دي لاتور من أنصار سياسة التفرقة بين العرب والبربر، الراغبين في محو آثار العروبة بهذه البلاد، فلقد كان يوصي المعلمين في بعض مراكز سلطته "بأن يعلموا الأطفال الصغار بأنهم فرنسيون، على أن يحرصوا كل الحرص على أن لا يعلموهم أشياء كثيرة".

وتسلق أعلى الدرجات العسكرية حتى صار جنرالا، وكان الفضل في ذلك لاستبسال جنود إفريقيا الشمالية في الحرب العالمية الثانية، شأنه في ذلك شأن جوان وگيوم سلفيه في الإقامة العامة، وكان قد وكّل إليه أمر تجنيد العديد من الطوابير المغربية سراً بمنطقة أزلال غداة التوقيع على الهدنة بين فرنساالمنهزمة وألمانيا النازية (22 يوليوز 1940) بالرغم مما نصت عليه الهدنة من تسريح جميع الجيوش الفرنسية سواء بفرنسا أو بالمستعمرات التابعة لها، وتلك الجيوش هي التي كان لها الدور الحاسم في عودة فرنسا إلى ميدان القتال بعد نزول الجيوش الأمريكية بشواطىء المغرب والجزائر ابتداء من 8 نونبر 1942، ولقد شارك بوايه دي لاتور في تلك المعارك تحت إمرة الجنرال جوان وصار من يومئذ من أخلص أتباعه.

ولما عين جوان مقيما عاما بالمغرب، استوظفه معه ابتداء من فبراير 1951، وأسند إليه الكتابة العامة للشؤون السياسية والعسكرية التي كانت تضم إدارة الداخلية وإدارة الشؤون الشريفة وإدارة الأمن والديوان العسكري للمقيم، فأدلى بوايه دي لاتور بدلوه فيما صار جوان يرتب له، بشكل مكشوف، لعزل سلطان البلاد الشرعي سيدي محمد بن يوسف عن عرش أسلافه، ولقد علق على ذلك في تقرير له بتاريخ 30 شتنبر 1951 قائلا :"لقد حسبنا أننا من القوة بحيث نستطيع أن ننحي عاهلا باتت معارضته الشخصية تضايقنا بشكل متزايد، وبدا كل شيء سائراً سيراً حسنا، إلا أننا لم نوصل العملية إلى نهايتها". وهذا هو الواقع التاريخي لأواخر شهر فبراير 1951، لكن بْوايه دي لاتور بدّل فيه وغيّر لمسايرة الدعاية الاستعمارية آنذاك عندما كتب في مذكراته الصادرة سنة 1956 تحت عنوان حقائق عن إفريقيا الشمالية قائلا بمنتهى البهتان : "إن الخلاف القائم بين السلطان والگلاوي، إضافة إلى معارضة السلطان لكل إصلاح، انتهى بأزمة كاد أن يذهب ضحيتها". وهذا هو عين التضليل لأن الإدارة الاستعمارية صارت منذ تعيين جوان مقيما عاما سنة 1947، لا تهدف إلا إلى إرغام الملك على التنازل عن جزء من سيادة المغرب لفائدة طائفة المعمرين، وكان لبوايه دي لاتور ضلع كبير في تلك المؤامرة، ولقد افتخر في مذكراته المشار إليها آنفا بأنه كان المسؤول عن إصدار ظهير الجماعات المحلية (يونية 1951) الرامي إلى منحها بعض السلطات الجزئية، لا حبّاً فيها، ولكن لتفتيت ما كان قد بقي من السيادة الوطنية المغربية وتمهيد السبيل لانتخاب المعمرين في المجالس المزمع إقامتها، كل ذلك من وراء دعوى إرساء الديمقراطية في البلاد ومقاومة استبداد الملك في زعمهم، وجاء بقلم بوايه دي لاتور في هذا الصدد ما يلي : "يمكن حصر مسطرة العمل في بضع كلمات، إن الأمر يتعلق، بعد إثبات سلطة المقيم العام من جديد، بالتخلي عن المركزية وبإرساء الديمقراطية، وهذه المهمة، بالرّغم مما قد يبدو في ذلك من التناقض، لا يمكن أن يقوم بها إلا إطارنا الإداري والسياسي الفرنسي، على أن يعود إليه شباب الفكر وأن تتجدد مناهجه، أما إذا ما تكسر هذا الاطار أو كتب له أن يندثر، فإن الشعب المغربي لن يحصل أبدا على الحريات الأساسية التي أصبحت الآن ضرورية لازدهاره الكامل، أو إذا حصل عليها لن يكون ذلك إلا بعد أفظع الانقلابات".

وهكذا نصب بوايه دي لاتور نفسه، وهو الضابط المتعجرف المتسلط، وصيا على الديمقراطية بالمغرب، ولم يكن الهدف الحقيقي من ذلك سوى إشراك المعمرين في السيادة المغربية ابتداء من المجالس المحلية ثم في وقت لاحق في المجالس الجهوية والبرلمان فيما بعد. ولم تكن الحيلة لتنطلي على الملك سيدي محمد فامتنع عن وضع طابعه الشريف على مشاريع الظهائر الممهدة لذلك، وعبثا حاول بوايه دي لاتور أن يغطي على تلك المؤامرة بما أشرنا إليه من أساليب التمويه في تقرير كتبه قبل استقالته من منصبه ككاتب عام للشؤون السياسية والعسكرية لدى تعيين الجنرال گيوم خلفاً لجوان في الإقامة العامة في خريف سنة 1951.

وعين بوايه دي لاتور قائداً للجيوش الفرنسية المرابطة بالنمسا، فأقام هنالك إلى دجنبر 1953، ثم عين في شهر مارس 1954 قائداً أعلى للجيوش الفرنسية المرابطة بالإيالة التونسية، وكانت الإيالة في أوج نضالاتها من أجل الاستقلال، وازداد الحماس الوطني قوة على إثر انهزام الجيوش الاستعمارية في معركة دْيِنْ بِينْ فُو على أيدي الشعب الفيتنامي، وكان من نتائجها تشكيل حكومة جديدة بفرنسا يرأسها مانديس فرانس Mendès-France السياسي المتفتح الذي جعل من مهامه الأولى إخراج فرنسا

من ورطة الهند الصينية، ثم الاتصال بالوطنيين التونسيين لإعادة الأمور بالإيالة إلى مجراها الآمن، فاحتاج في هذا الصدد إلى التورية لدى الأوساط الاستعمارية بتعيين الجنرال بوايه دي لاتور مقيما عاما بتونس ابتداء من يوم 31 يوليوز 1954 مع الاحتفاظ بقيادة جيوش الاحتلال العليا، وكان عليه أن يُنفذ برنامج الحكومة الرامي إلى منح الشعب التونسي وسائل تسيير شؤونه الذاتية على أن تحتفظ فرنسا بالشؤون الخارجية وبالقضايا العسكرية، وظن بوايه دي لاتور أن مهاراته العالية في المخاتلة والمراوغة تمكنه من اللعب على كل الحبال سواء لدى الوطنيين التونسيين أو لدى طائفة المعمرين. وكانت نتيجة مناوراته أن افتضح أمره لدى الجميع وبخاصة لدى المعمرين القائمين بتونس الذين نقموا عليه اتصالاته بالوطنيين وتمالأوا عليه وتبرأوا منه في مظاهرات عنيفة حزت في نفسه بشكل قوي، فلذلك لما أقدمت حكومة إدگار فور Edgar Faure التي تشكلت في شهر فبراير 1956، على معالجة القضية المغربية فأدركت أن لا سبيل لحلها إلا بإرجاع السلطان الشرعي إلى عرشه، احتاجت هي كذلك أن تورى لدى الأوساط الاستعمارية بتعيين بوايه دي لاتور مقيما عاما بالرباط يوم 30 غشت 1955 بمهمة فتح باب التسيير الذاتي أمام المغاربة مثلما كان قد فعل مرغما في تونس في الشهور السابقة. لكن بوايه دي لاتور جاء إلى المغرب بهاجس واحد ذكره به رئيسه الوحيد المارشال جوان قبل أن يلتحق بالرباط، وهو أن لا يثير غضب المعمرين بالمغرب وأن لا يتعرض أبداً لمظاهرات بني جنسه مثلما كان قد جرى عليه بتونس. ولذلك سرعان ما اكتشفت الحكومة الفرنسية بشهادة پيير جولي وزير الشؤون التونسية والمغربية أنها كانت قد "نصبت خصما لها بالرباط" مقيما عاما معارضا لكل قراراتها ماهرا في القول بمالا يفعل والعمل بما لا يقول، يطلب من محمد بن عرفة أن يتنازل عن العرش بناء على أوامر باريس، ويتفق مع زعماء الفرنسيين وأذنابهم من خونة المغرب على وجوب إرغامه على عدم التنازل، ويسعى في الظاهر في تركيب مجلس الوصاية على العرش بناء على ما وقع الاتفاق عليه مع الوطنيين في لقاءات إيكْسْ لي بان Aix- les- Bains ومع سيدي محمد بن يوسف بمدغشقر، ويجتهد في الخفاء ليكون المجلس تحت سيطرة أنصار الوجود الفرنسي، ويتغنى بإخلاص القبائل البربرية لفرنسا ويحاول عبثا طمس كون الطلقات الأولى التي أطلقها جيش التحرير كانت بقلب جبال الأطلس، في إيموزار مرموشة، على أن تأرجح المقيم العام بين تلك التناقضات العنيفة لم يكن سوى دليل قاطع على قرب انهيار الحكم الاستعماري بالمغرب، فلما أدرك بوايه دي لاتور ذلك بوضوح من خلال انتقال سيدي محمد بن يوسف من مدغشقر إلى فرنسا وتصريح الحكومة الفرنسية بحق المغرب في استرجاع استقلاله، قدم استقالته يوم 11 نونبر وغادر البلاد غير مأسوف عليه، ولقد صبّ جام غضبه وفنون تصريحاته في الكتاب الذي أصدره سنة 1956 وختمه بالتنبؤ للمغرب بشتى أنواع المصائب في غير حماية ضباط الشؤون الأهلية، وكان ذلك من سخافاته وقصر نظره وما كان يختلج بصدره من الأحقاد.

Amine, Boutaleb, Brignon, Martinet et Rosenberger, *Histoire du Maroc* ; S. Bernard, *Maroc 1943 - 1956*, Bruxelles, 1963 ; R. Bidwell, *Morocco under colonial rule : French Administration of tribal areas 1912 - 1956*, London, 1973 ; Ch. A. Julien, *L'Afrique du Nord en marche*, Paris, 1952 ; *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978 ; P. July, *Une république pour un roi*, Paris, 1974 ; R. Le Tourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane, 1920 - 1961*, Paris, 1962.

إبراهيم بوطالب

**بُويدْماني، عَقّ أ ُلحسن** أحد قواد بني مطير من فخدة بويدمان أكثر عظام هذه القبيلة من حيث عدد أفرادها.

عانى بويدماني عق أ ُلحسن مع قبيلته ـ قبيل الاحتلال الفرنسي لمرابعهم ـ من سوء تصرف الصدر الأعظم المدني الأگلاوي من أعضاء مخزن مولاي حفيظ الذين نهجوا سياسة تعسفية إزاء هذا القائد والقبائل المجاورة لمدينة مكناس، مما دفع ببني مطير أن تجتمع حول قائدها عقّ الذائع الصيت. وقد تعرض هذا الأخير للسجن من قبل الأگلاوي الذي أسره في فاس أواخر سنة 1910 لعدة شهور، ولم يطلق سراحه إلا في شهر يناير 1911 مقابل فدية مالية باهظة دفعها لسجانه، فكان هذا أحد أسباب تذمر هذا القائد وتمرده. دخل عقّ بويدماني على رأس جموع المطيريين إلى مدينة مكناس عنوة يوم 27 أبريل 1911 فنصب سلطانا آخر بها مما يعنى الغاء بيعة مولاي حفيظ المقيم بفاس المحاصرة من طرف بعض القبائل بزعامة فخذات من المطيريين، وحصل هذا الدخول وهذا التنصيب بسهولة، لأن الكثير من عامة المدينة انضموا إلى عق وآووا الثائرين. ويرجع سبب ذلك إلى ضعف الجهاز المخزني بمكناس وتعسفه على ضعفه في ممارسة السلطة لأن همه الوحيد صار هو جمع الضرائب، رغم عدم قدرة السكان على دفعها كما أن المخزن الحفيظي بفاس لم يمد يد المساعدة لأهل مكناس لما استنجدوا به لإيقاف الحملات البربرية على المدينة قبل ذلك التاريخ.

تمكن عقّ بويدماني من تنصيب مولاي الزين ـ أخي مولاي حفيظ ـ سلطانا في مكناس بحضور "أشياخ الربيع" من البربر وأعيان وكبراء وقضاة وعدول وأشراف، وفيهم عبدالرحمان بن زيدان وعلماء المدينة وجميعهم وقعوا على صك البيعة.

بعد احتلال القوات الفرنسية التي كان يرأسها الجنرال موانيي Moinier لمدينة مكناس يوم الخميس 8 يونيو 1911 فر عقّ أ ُلحسن بويدماني مع المطيريين والتحق بموطنه الأصلي جنوب المدينة وبقي متمرداً على الفرنسيين رغم احتلال العقيد هنريس Henrys لأراضي القبيلة السهلية سنة 1913 واستسلام أغلب سكانها، وكان يناوشهم بين الفينة والأخرى ويمنّيهم بالاستسلام أحيانا، إلى أن تم اعتقاله ووضعه تحت الاقامة الإجبارية بمدينة مكناس، ومنها كان

يتصل سريا مع أنصاره القدماء، مما أقلق راحة المسؤولين بالمدينة سنة 1917، ففكروا في إبعاده عن الإقليم. وبعد سيطرة القوات الفرنسية على المنطقة بأجمعها أطلق سراح بوبدماني الذي التحق بوادي الجديدة بين فاس ومكناس، وكان ما يزال بهذا المكان إلى سنة 1928 دون أن يشكل وجوده هناك أدنى خطر على المحتلين.

ع. ابن زيدان، *اتحاف*، مخطوط. خ. ح. 11769 ؛ ب. بوعسرية، *علاقات مكناس بباديتها*، 1907&1918، مجلة دار النيابة، ع 21، 1989.

بوشتى بوعسرية

**بوبْرادع**، سمك يسمى هكذا في جل أسواق الأسماك المغربية، ويطلق على سبعة أنواع من الأسماك البحرية تستهلك كلها وتلعب دورا هاما في تغذية الإنسان واقتصاد البلاد.

تنتمي إلى رتبة شائكات الزعانف وفصيلة الأسبوريات Sparidae وجنس الأسبور Diplodus الذي يسمى بالفرنسية (Sar) وبالأنجليزية (Seabream). الجسم مضغوط جانبيا، بيضوي الشكل تتخلله عدة بقع كبيرة تميز الأنواع التي نذكر منها :

أسبور برطام، سمك ضخم الشفتين يسمى علميا Diplodus cervinus. يدعى بوبرادع في كل من طنجة، والعرائش، والدار البيضاء، والجديدة وأگادير، ويسمى (برداي) في مولاي بوسلهام، و(شرو) في مهدية و(طمبور شرغو) في الصويرة. يسمى بالفرنسية Sar à grosses lèvres وبالأنجليزية Zebra seabream. طوله شائع ما بين 20 و35 سم ولا يتعدى 55 سم. تتركب الزعنفة الظهرية من 11. 12 شوكة ومن 11. 14 شعاع. يحمل الفك العلوي 10. 12 قواضم و8 في الفك السفلي. اللون رمادي فضي، ذهبي اللمعان. تميز هذا النوع 5 بقع داكنة وطويلة على كل جانب كما يوضح الرسم ذلك.

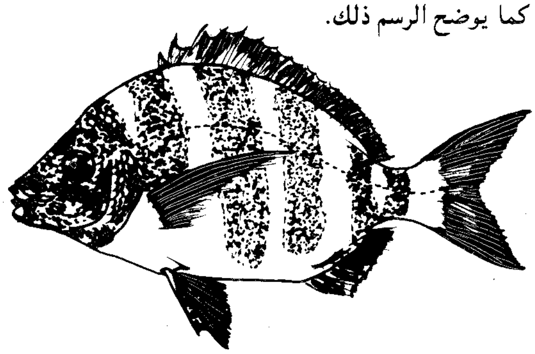

يعيش في البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي الشرقي من خليج كاسكورن إلى الرأس الأخضر. يفضل المناطق الساحلية الغنية بالوحل والصخور التي توجد في أعماق تتراوح ما بين 25 و300 متر.

أثناء التوالد الذي يتم في فصل الصيف تظهر بقعة صفراء تحت عينيه. يتغذى من اللافقريات الصغيرة ومن الطحالب. يتم صيده بواسطة شباك مختلفة وبالصنارة ويوجد بانتظام في أسواق الأسماك المغربية.

أسبور مستدق الفم Diplodus puntazzo، يدعى كذلك بوبرادع في طنجة، وشَرْغو في مولاي بوسلهام والعرائش والرباط، وشيليا في الدار البيضاء. يسمى بالفرنسية Sar à museau pointu وبالأنجليزية Sharpsnout seabream. فمه مستدق ويحمل على كل جانب 5 .7 بقع داكنة وطويلة تتوسطها 5 .7 بقع فاتحة ورقيقة. تتكون الزعنفة الظهرية من 12 شوكة ومن 12 .15 شعاع. يحمل كل من الفكين 8 قواضم منحنية إلى الأمام. طوله شائع ما بين 15 و30 سم ولا يتعدى 60 سم.

يعيش في البحر المتوسط والبحر الميت والمحيط الأطلنطي وذلك على الصخور الساحلية التي لا تتعدى 150 مترا من العمق. إنه سمك قارت ياكل الإربيان وبوزروگ والديدان والطحالب. يصاد بشباك مختلفة وبالصنارة ويوجدو كذلك بانتظام في الأسواق المغربية.

أسبور شرغو Diplodus Sargus يدعى بالفرنسية Sar commun وبالأنجليزية White seabream ويسمى شرغو في كل من الحسيمة والناظور. يحمل الفكين 8 قواضم. الشفتان رقيقتان. تتكون الزعنفة الظهرية من 11. 13 شوكة و12. 15 شعاع. الجوانب مخططة بثمانية خطوط داكنة وغليظة. اللون رمادي فضي اللمعان. طوله شائع ما بين 15 و30 سم ولا يتعدى 45 سم.

يعيش على الصخور والرمال الساحلية وتكثر الصغار في البحيرات الساحلية خلال فصل الربيع ثم تعود إلى البحر في الخريف. الصغار قارتة والكبار لاحمة تتغذى من الديدان والقواقع والقشريات والأخينوسات. يقتصر توزيعه الجغرافي على البحر المتوسط والبحر الأسود.

صيده شبه صناعي (Semi-industrielle) في المغرب وفي صقلية، وتقليدي في باقي الدول المجاورة. هناك محاولة في تربيته في كل من قبرص وصقلية.

الأسبور الشائع Diplodus vulgaris يسمى بوبرادع في مهدية وشرغو في كل من طنجة، ومولاي بوسلهام، والرباط، والبيضاء والجديدة ويدعى اداد في كل من الجديدة، وأسفي، والرباط وأصيلا. يسمى بالفرنسية Sar à tête noire وبالأنجليزية Common two-banded seabream.

يتميز ببقعة داكنة وكبيرة فوق رأسه وأخرى في مؤخرته. لونه رمادي ولا يتعدى طولة 45 سم. يعيش على الصخور والرمال الساحلية التي لا تتعدى 130 مترا في العمق.

يعيش في البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي وصيده شبه صناعي وتقليدي. إنه سمك شائع في أسواق الأسماك المغربية.

أسبور شرغو المغربي Diplodus sargo cadenati يسمى بوبرادع في طنجة والعرائش، وشرغو في مولاي بوسلهام والبيضاء والجديدة، والحنبل في مهدية وشراغي في أصيلا وطرفاية والعيون والداخلة. يدعى بالفرنسية Sar commun du Maroc وبالإسبانية Sargo marroqui.

يعيش على الصخور الساحلية من المحيط الأطلنطي وذلك بين سطح البحر و150 متر من العمق. لونه رمادي فضي اللمعان ولا يتعدى طوله 45 سم، وشائع ما بين 15 و25 سم. صيده تقليدي بواسطة الشباك والصنارة.

الأسبو السنيغالي Diplodus bellottii يدعى شرغو في البيضاء وكرفولي في المحمدية، وشجون وكفيفي وكريل في العرائش. له بقعة في مؤخرته وأخرى رقيقة وأفقية تتوسط الجوانب. لونه رمادي فضي اللمعان ولايتعدى طوله 30 سم. يعيش في أعماق لا تتعدى 100 متر ويتغذى من الطحالب والديدان والقشريات الصغيرة. يقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل الأطلنطية الشرقية وصيده تقليدي.

الأسبور الحلقي Diplodus annularis يدعى شرغو في الناظور والحسيمة ويسمى بالفرنسية Sparaillon commun وبالأنجليزية Annular seabream. يتميز عن الأنواع الأخرى بحلقة عريضة في مؤخرته. لونه رمادي مصفر فضي اللمعان. لا يتعدى طوله 24 سم وشائع ما بين 8 و18 سم. يعيش في البحر المتوسط والسواحل البرتغالية والفرنسية وجزر الكناريا وجزيرة ماديرا. كثيراً ما يوجد في البحيرات الساحلية. يتغذى من الديدان والقشريات والقواقع. صيده تقليدي في المغرب.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطفة، القاهرة، 1932.

J. Schouten et M. Ramdani, *Fish of the Khnifiss lagoon and the Tarfaya coast*, Trav. Inst. Sci. Rabat, Mémoires hors série, 1988, p. 101 - 104 ; W. Fischer, M. Schneider et M.L. Bouchot, *Méditerranée et Mer noire, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1987 ; G. Bianchi, *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, Rome, 1984.

**بُوبراهيم**، أو بّاجُو، سمك بحري شائع في أسواق الأسماك المغربية ينتمي إلى رتبة شائكات الزعانف وفصيلة الأسبوريات Sparidae وجنس Pagellus المدعوّ بالفرنسية Pageot، تعيش أربعة أنواع في السواحل المغربية وتوجد بانتظام في أسواق الأسماك :

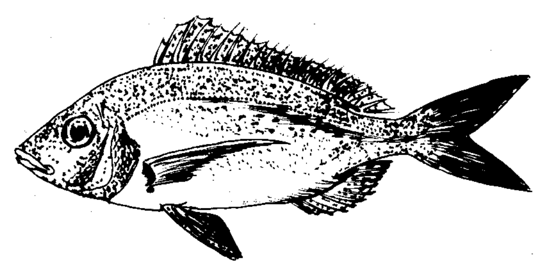

Pagellus acarne يدعى بوبراهيم في كل من الصويرة وأسفي وطانطان وطرفاية والعيون والداخلة، ويسمى باجو صغير وتازناخت في البيضاء، وباجو أبيض في الرباط، وباجو في باقي المدن المغربية، وبزوكا وبوكا وبوخا في العرائش وطنجة وأصيلا.

الجسم مغزلي الشكل ومضغوط الجوانب. تتكون زعنفته الظهرية من 12 ـ 13 شوكة ومن 10 ـ 12 شعاع. اللون رمادي وردي داكن جهة الظهر وفاتح جهة البطن. يتميز ببقعة سوداء في قاعدة الزعنفة الصدرية. الزعانف وردية فاتحة. طوله شائع ما بين 10 و25 سم ولا يتعدى 36 سم.

يعيش في البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي من بحر الشمال إلى السنغال وذلك في أعالي البحار بين أعماق تتراوح ما بين 40 و100 متر. يتغذى من الطحالب والديدان والقشريات والوقاقع وصغار الأسماك. تصاد منه في المغرب ما بين 900 و1300 طن كل سنة.

Pagellus bellottii يدعى بوبراهيم في الجنوب المغربي وبزوكا في شمال المغرب ويسمى بالفرنسية Pageot à tache rouge. إنه سمك أحمر اللون تتخلل جوانبه عدة نقط زرقاء. تميزه بقعة حمراء في مقدمة الخط الجانبي وعلى طول مؤخرة الخياشم. لا يتعدى طوله 42 سم ويعيش وسط مجموعات كبيرة في أعماق تتراوح ما بين 40 و250 متر. إنه سمك قارت يعيش في السواحل المتوسطية الجزائرية والمغربية ونجده في المحيط الأطلنطي الشرقي من طنجة إلى سواحل انكولا.

Pagellus bogaraveo يدعى بوبراهيم الوردي في جنوب المغرب، وزگاغ في طنجة والعرائش، وباجو في الجديدة، وزريقة في الرباط والبيضاء، وبوكا في الجديدة وأصيلا. ويسمى بالفرنسية Dorade rose.

يتميز ببقعة كبيرة سوداء في مقدمة الخط الجانبي ولونه أحمر رمادي. طوله شائع ما بين 15 و50 سم ولا يتعدى 70 سم.

إنه سمك قارت يعيش على الرمال والوحل والطحالب في أعماق تتراوح ما بين 40 و800 متر. يقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل المتوسطية والأطلنطية من بحر الشمال إلى الرأس الأخضر. شائع في أسواق الأسماك المغربية وصيده تقليدي بواسطة الشباك والصنارة.

Pagellus erythrinus يدعى بوبراهيم الأحمر في أصيلا وفي الجنوب، وبريشا في المحمدية، وامزوغ في أسفي، وبريكا والديك الأحمر في البيضاء وأصيلا والعرائش.

يعرف في مصر بالفريدي، وبالفرنسية Pageot commun وبالإسبانية Breca. لونه أحمر وردي داكن منقط بالأزرق وتميزه بقعة حمراء داكنة في قاعدة الزعنفة الصدرية. طوله شائع ما بين 10 و30 سم ولا يتعدى 60 سم. يعيش ما بين 20 و100 متر من العمق في كل من المحيط الأطلنطي والبحر المتوسط، وهو موجود بانتظام في أسواق الأسماك المغربية.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطفة، القاهرة، 1932.

J. Schouten et M. Ramdani, *Fish of the Khnifiss lagoon and the Tarfaya coast*, Trav. Inst. Sci. Rabat, Mémoires hors série, 1988, p. 101 - 104 ; W. Fischer, M. Schneider et M.L. Bouchot, *Méditerranée et Mer noire, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1987 ; G. Bianchi, *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, Rome, 1984.

محمد رمضاني

**بوبركات**، (سيدي علي ـ) ويقال له أيضا سيدي أبو القناديل، صاحب الضريح الشهير بحومة تحت الحمام بالمدينة القديمة بالرباط. تقصده النساء الحبليات تبركاً به

لتكون الولادة بدون وجع. وهذا الاعتقاد نابع من حكاية تقول إنه ولد بدون وجع المخاض المعتاد.

ويقال إن سيدي بوبركات من الأمغاريين أهل تامصلوحت بناحية مراكش، واسمه محمد أُعلي وأنه كان زمن السلطان المولى إسماعيل. والبناء الذي بالضريح حديث من عمل الأمين الحاج أحمد بلافريج المتوفى في رجب عام 1302. وتذكر لصاحب الضريح كرامات شائعة عند الناس.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، 17 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 444.

عبدالاله الفاسي

**بوالبركات** البربري المغربي، أو أبو البركات، شخص لا نعرف عنه إلا ما ذكره ابن بطوطة في *الرحلة* من إسلام أهل جزائر ذيبة المهل في أرخبيل أندونيسيا على يده. قال إن أهلها كانوا كفاراً، وكان يظهر لهم عفريت من الجن في كل شهر، يأتي من ناحية البحر كأنه مركب مملوء بالقناديل، وكانت عادتهم إذا رأوه أخذوا جارية بكراً فزينوها وأدخلوها إلى "بدخانة"، وهي بيت الأصنام وكان مبنيا على ضفة البحر، وله طاق ينظر إليه منه، ويتركونها هنالك ليلة، ثم يأتون عند الصباح، فيجدونها مفتضة ميتة، وما يزالون في كل شهر يقترعون بينهم، فمن أصابته القرعة أعطى بنته، ثم إنه قدم عليهم مغربي يسمى بأبي البركات البربري وكان حافظا للقرآن العظيم، فنزل بدار عجوز منهم بجزيرة المهل، فدخل عليها يوما وقد جمعت أهلها وهن يبكين كأنهن في مأتم، فاستفهمهن عن شأنهن فلم يفهمنه، فأتى ترجمان فأخبره أن العجوز كانت القرعة عليها، وليس لها إلا بنت واحدة يقتلها العفريت. فقال لها أبو البركات : أنا أتوجه عوضاً من بنتك بالليل، وكان سناطا لا لحية له، فاحتملوه تلك الليلة وأدخلوه إلى بدخانة وهو متوضئ وأقام يتلو القرآن ثم ظهر له العفريت من الطاق فداوم التلاوة، فلما كان قريبا منه بحيث يسمع القرآن غاص في البحر وأصبح المغربي يتلو على حاله. فجاءت العجوز وأهل الجزيرة ليستخرجوا البنت على عادتهم فيحرقوها، فوجدوا المغربي يتلو فمضوا به إلى ملكهم، وكان يسمى (شنورازة) وأعلموه بخبره فعجب منه، وعرض المغربي عليه الإسلام ورغّبه فيه فقال : أقم عندنا إلى الشهر الآخر، فإن فعلت كفعلك ونجوت من العفريت أسلمت. فأقام عندهم وشرح الله صدر الملك للإسلام فأسلم قبل تمام الشهر، وأسلم أهله وأولاده وأهل دولته... ( *الرحلة*، ص. 579).

إننا لا نملك إلا أن نتعجب من تطابق شبه تام بين هذه القصة وبين قصة تحكى بصدد شخص معروف تاريخيا وهو أبوالبركات خصوصا إذا علمنا الغموض الذي يلف حول حياة الرحالة العبدري الحاحي الذي لا نعرف شيئا عن نشأته وطلبه للعلم والأدب، وتقلبات حياته في الشباب والكهولة والشيخوخة باستثناء ما جاء في رحلته إلى الحجاز ذهابا وإيابا. أما ما قبلها وما بعدها فهو ما يزال مجهولا.

يحكي الرواة الشعبيون في حاحة أن العبدري لما وصل إلى بلدة (إداويسارْن) استضاف أهل بيت فأضافوه، فلما دخل وجد ربة البيت تطحن قليلا من القمح وهي تبكي بكاء شديداً، فسألها عن سبب بكائها فأجابته بأن في هذه الغابة غولا عجيبا تسلط على سكان هذا البلد، ففرض عليهم أن يعشيه كل واحد منهم على التناوب بنته. قالت: وهذه نوبتي قد حضرت اليوم، وستمشي بنتي العزيزة عليّ عشاءً للغول. فقال لها العبدري الضيف : أهذا كل ما يبكيك ؟ أبْشري، فإن الله يكفيكم شر هذا الغول منذ الليلة، قالت : وبارك الله في ذلك الطحين فأصبح كثيراً جدا مع أن القمح كان قليلا جداً ولما أظلم الليل أقبل الغول ليتسلم عشاءه، فتلقاه الضيف بعصاه، وجعل يطعنه بها وهو يهرب منه ويتبعه حتى أدخله إلى نفق هناك بالغرب يسمى اليوم (أُودِّيغْ) وهو نفق عميق لا يدري أحد حدود قعره، يقال إنه يخرج في بحر المحيط بدليل أنه تشم منه رائحة البحر على ما يزعمون. ولما شاهدت تلك المرأة من ضيفها هذه الكرامة والبركة أطلقت عليه هي وسكان القرية اسم : (سيدي بوالبركات) وبقي هو منذ ذلك الحين يسكن وينتقل في تلك البلاد حتى توفي بها.

م. ابن بطوطة، *الرحلة* ؛ *روايات شفوية*.

**بوالبركات** (سيدي ـ)، وهي مدرسة علمية عتيقة، في قلب قبيلة إداوسَارْنّ ـ إحدى قبائل حاحة الغربية ـ تحمل من قديم اسم دفينها المتبرك به العلامة الرحالة أبي البركات محمد العبدري الحاحي، صاحب *الرحلة المغربية* الغنية بالدلالات التاريخية والثقافية، على أن مقام المؤلف وأسرته بحاحة مقام علم ودين وآداب عريق في القدم. فمن ذلك ما جاء في مستهلها : "كان سفرنا ـ تقبله الله تعالى ـ في الخامس والعشرين من ذي قعدة عام 688 هـ مبدؤه من حاحة صانها الله وكان طريقنا على بلاد القبلة، فزرنا بموضع أنسا من أعلى بلاد السوس الأقصى قبر الشيخ الصالح أبي حفص عمر بن هارون وهو من كبار الأولياء ومن عظماء الصالحين ـ نفعنا الله بهم ـ ذكره صاحب *التشوف* وبالغ في الثناء عليه، وذكره الشيخ الصالح أبو سعيد الحاحي المترازي في كتابه *منار العلم*، وقال إنه كان يدخل عليهم في الدرس فيقول : تهنيكم عبادة القلوب والألسن والأيدي والأعين، يعني العلم، وهذا كلام من أُيد بالتوفيق، وأُمد بالتحقيق (*الرحلة*، 7) ومع ذلك فهو لم يحدثنا كثيراً عن نفسه وموطنه بحاحة لذلك لا نعرف شيئا عن أولية هذه المدرسة، إلا أن القبة المشيدة على قبر دفينها العبدري تحمل تاريخ 1768/1182 ولهذا التاريخ دلالة خاصة على مستوى محيط المدرسة الإقليمي، فقبله بأربع سنوات فقط أمر السلطان سيدي محمد بن عبدالله العلوي بتأسيس مدينة الصويرة عام 1178 /1764.

ويبدو أن جميع بناياتها الماثلة بها الآن، التي وقع ترميم بعضها وتجديد الآخر إنما أُحدثت بعد التاريخ المذكور. ومعظمها من بناء بعض قادة (إداكَلولْ) من أسرة إدبْلحاج الحاكمة خلال فترة (1881/1299 ـ 1932/1351). أو

من بناء بعض الخواص من نفس قبيلة المدرسة.

ساهمت مدرسة سيدي بوالبركات بقسط غير يسير في الحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية في منطقة حاحة طيلة فترات متقطعة من القرنين الثالث عشر والرابع عشر (19-20 م) بفضل جهود المدرسين المشارطين فيها، أمثال الشيخ المقرئ سيدي أحمد بن مبارك (ت. 1272/1855) دفين مدرسة قبيلة إداوتْغُمَّا. ثم الفقيه محمد بن العربي الأحميني الذائع الصيت بين المقرئين في وقته، ثم العلامة المدرس للعلوم الرسمية الحاج محمد بن الطاهر البعريري الهواري، تنقّل بالشرط في عدد من مدارس حاحة إلى أن توفي عام 1321 / 1903. وممن اشتهر بالتدريس فيها من علماء حاحة وفقهائها المتأخرين :

- الحسن بيحبوس النكنافي الذي لازم التدريس بها وبغيرها إلى أن توفي عام 1354/1935.

- محمد بن مبارك ألعربي الخلفي والمتوفى أخيرا بمدرسة إيمي الحد عام 1400 / 1979.

- إبراهيم بن العواد الوساري ـ نسبة إلى قبيلة إداوسَارْنْ ـ شارط بها إلى أن توفي.

- محمد أسكنض التامري المتوفى في منتصف القرن الرابع عشر الهجري.

- عمر بن الطيب النكنافي خريج مدرسة تالمست المتوكية، مارس التدريس بمدرسة أبي البركات وغيرها حتى بلغ من الكبر عتيا وتوفي بُعيْد الاستقلال حوال 1379 / 1959.

وأخيرا الأستاذ الأديب الحسن بن محمد التامري الملقب (بِنْدُو) والمتخرج بمدرسة المحصر النكنافية العتيقة عام 1376/1956 م ثم تصدر للتدريس بمدرسة أبي البركات رافعاً اسمها بين المدارس العتيقة في منطقة حاحة وسوس، وتزعم بها حركة الإصلاح والتجديد في مناهج المدارس العتيقة متأثراً بتيار الحركة الوطنية التي قامت على عهد الملك محمد الخامس، مما ظهر أثره الحميد على كثير من تلامذتها المتخرجين بها منذ عام 1380/1960 إلى حين وفاة هذا الأستاذ شنقا بهذه المدرسة في ظروف غامضة عام 1403/1982. وله ديوان شعر مخطوط منه قصيدة عرّف فيه بالعبدري ورحلته مطلعها :

| | |
|---|---|
| العبدري "بوالبركات" لقبُـهُ | بلهجة المحل، أما نسبــهُ |
| فينتهي إلى قصي بن كلاب | خامس آباء الرسول بالحساب |
| عن ابنه المبرور عبـد الـدار | لذاك فهو عبـدري النجــار |

العبدري، *الرحلة* ؛ محمد الصويري، (أحد تلاميذ المدرسة)، *تقييد*؛ الحسن التامري بيندو، *ديوان*، مخطوط ؛ *تحريات ميدانية*.

محند أيت الحاج

**بُوبْريح**، قرية تنتمي إلى قبيلة بني زروال، إحدى أهم قبائل جْبالة، وتعتبر من الناحية الإدارية دواراً ملحقاً بفخذة تافوغالت (جماعة تابودة، دائرة غفساي، إقليم تاونات).

يبعد بوبريح عن زومي على خط مستقيم نحو الغرب بحوالي 30 كلم، وعن غفساي على خط جنوبي ـ شرقي بحوالي 25 كلم، لكنه يوجد في موقع منحرف عن الطريق الثانوية رقم 304 التي تربط تاونات بوزان. وأقرب طريق معبدة تبعد عنه بحوالي 7 كلم نحو الشمال الغربي، وهي التي تنطلق من بني أحمد صوب الطريق الرئيسية رقم 39 الرابطة بين تطوان والحسيمة. غير أن مسالك عديدة تقلل من هذه العزلة وتفضي إلى القرى المجاورة (بني أحمد، بو علاّل، القْداوَد، عين الوْدَن).

تقع القرية على علو 410 م في عالية سفح تل مكون من صخور ليّنة تتمثل في الطَّفل والطَّفل الشِّيسْتي وتصبح فصلياً عُرضة لانزلاقات للتربة، خصوصاً وأن معدل التساقطات يفوق سنويا 500 مم. ورغم اعتدال التضاريس محليا، فإن الطابع الجبلي هو السائد، بالنظر إلى وعورة السفوح وتعمق الشبكة المائية. والمجرى المائي الذي تشرف عليه القرية مباشرة هو واد تَاسْرَافْت، رافد وادي أودُور، الذي هو بدوره رافد واد ورغة. بذلك تكون كثافة الشبكة المائية وانجرافات التربة هي السبب الرئيسي في لجوء السكان إلى الاستيطان في قمم التلال وعاليات السفوح.

إن الكثافة السكنية المرتفعة بالمنطقة (100 ن/ كلم²) تعكس تعدد السكن على شكل حزام حول القمم يتكون من دواوير متزاحمة البنية ومتوسطة الحجم. وقد بلغ عدد سكان بوبريح 712 نسمة سنة 1982، بينما كان يبلغ 654 نسمة سنة 1971. وهذا النمو الضعيف يبرز مدى تأثير الهجرة القروية ومدى ضعف الاقتصاد المعاشي المحلي في تثبيت السكان.

ولقد اتخذت قرية بوبريح مكان تكامل الرساتيق، نظراً لضعف مردود الأرض وضيق الحيازات الفلاحية، وهذه الوضعية تمكنها في آن واحد من استغلال رُستاق مغارس الزيتون الشاسعة في الشمال ورستاق الأراضي الزراعية المتنوعة في الجنوب والتي تعتمد أساساً على الحبوب البكرية في الخريف (الشعير) والحبوب المُزْوزِية في الربيع (الذرة). وإضافة إلى ذلك يمارس الشكان نشاطا رعوياً تكميليا على البوار والمروج.

مديرية الإحصاء بالرباط، *السكان القرويون حسب الاحصاء العام للسكان والسكنى* لسنة 1971، 1982 ؛ *أطلس المغرب*، نشر اللجنة الوطنية الجغرافية المغربية، الرباط ؛ *مجموعات خرائط حوض سبو، وزارة الفلاحة والاصلاح الزراعي*، الرباط، 1970 ؛ ج. موري، *خريطة جيومرفلوجية للريف الأوسط*، مقياس 1/ 300.000، المعهد العلمي الشريف، الرباط، 1965.

مصطفى عياد

**بوبريص**، أو الوزغ ويسمى أيضاً بُرَيْص، وسَامّ أبْرص، وأبوبريص، وثعبة، وصداد، وأبا كفّ، جنس من الوزغ جيكو Gecko وهو من الفصيلة الوزغية Geckonidae ومن رتبة العَظاء اللحيمات الألسنة أكاميدي Agamidae ومن طائفة الزواحف Reptilia.

تتكون الوزغيات من خمسين جنساً وحوالي ستمائة وخمسين نوعاً تعيش في المناطق الحارة، وهي زواحف

صغيرة الحجم. رأسها مثلث الشكل وكبير. عيناها كبيرتان تغمضان يغطيهما غشاء شفاف كما هو الشأن عند الثعابين، معظمها ليلية النشاط. وخلافا لباقي أجناس العَظاء تصدر الوزغيات أصواتا خفيفة وحادة، تتسلق الأشجار والجدران والسقوف بواسطة أصابعها اللصوقة. معظم الأنواع تعيش في المباني وخاصة الديار المهجورة والجدران المشقوقة وتتغذى من الحشرات والعناكب ولا تضر بالإنسان.

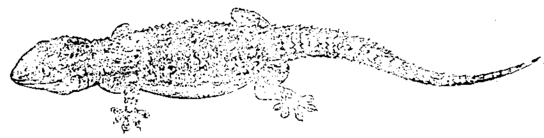

يتغير لون بوبريص بسرعة فيصير قاتما أو فاتحا حسب المكان لتنجو من أعدائها.

يعيش بالمغرب ثمانية أجناس من بوبريص تضم أربعة عشر نوعاً.

الوزغة الشائكة الجفون Quedenfiltia Trachyblepharus مستوطنة في النصف الجنوبي الغربي من جبال الأطلس، شائعة في المناطق شبه الصحراوية وفي أعالي جبال الأطلس الكبير (4.000 م). الظهر رمادي بنّي، البطن أبيض مصفر يميل إلى الرمادي، توجد على الكتف عدة بقع سوداء وصفراء. لا يتعدى طولها 10 سم جمعا بين الذنب والجسم. تضع الأنثى ما بين أبريل ويونيه بويضات طولها 12 ملم. يعيش هذا النوع في المغاور وبين الصخور ويتغذى من الحشرات. إنه نشيط بالنهار فقط خلافا لباقي الوزغات، ولا يؤثر على نشاطه انخفاض الحرارة الشتائية. أصابعه حادة في مؤخرتها وتساعده على التسلق بهسولة.

نصفية الأصابع Hemidactylus, Turcicus لا يتعدى طولها 16 سم. تكسو جسمها حذيبات صغيرة. الظهر مصفر بني فاتح تتخلله عدة بقع سوداء غير منتظمة. الذنب تتخلله خطوط حلقية. يعيش هذا النوع في المغاور وبين الصخور وعلى الأشجار وبين الأغصان وفي المباني المسكونة والمهجورة. يحسن التسلق ويتغذى من الحشرات والعناكب شائع في السهول والهضاب الساحلية الأطلسية وكذلك بالمناطق المجاورة للسواحل المتوسطية. نشيط بالليل وأثناء طلوع الشمس وغروبها.

جنس طارانطولا Tarentola يختلف عن باقي الأجناس الأخرى بأصابعه العريضة في موخرتها وبالمخالب في الأصبع الثالث والرابع. ونذكر من الأنواع التي تعيش منها في المغرب :

موريطانيكا T. Mauritanica لا يتعدى طوله 16 سم. القوائم قصيرة والأصابع عريضة شديدة الالتصاق. يعيش في المغاور والجدران وبين الصُخور وداخل المباني. توجد على الظهر والذنب عدة حديبات تعطي للحيوان شكلا شائكا. اللون رمادي بنّي، وتخلل الذنب خطوط حلقية سوداء. في حالة كسره ينمو ذنب آخر قصير ومنعدم الحديبات.

تمتد مدة التوالد من فصل الربيع إلى فصل الخريف. تضع الأنثى من اثنين إلى ثلاث بيضات يبلغ طولها 11 ملم. يعيش ضرب موريطانيكوس T. m. mauritanicus في الهضاب والمرتفعات الساحلية المتوسطية والأطلسية وفي جزر الكناريا، بينما يعيش ضرب دسرتي T. m. diserti في المناطق الصحراوية بجنوب المغرب.

يمتاز نوع طرانطولا Tarentola ephipiata بمتك طويل وحديبات صغيرة ناعمة، ويعيش في ضواحي طاطا وعوينة توركز. ويعيش نوع پانوزي T. panousei في حمادة درعة ويختلف عن الأنواع الأخرى بحراشفه الكبيرة.

وهناك نوع صحراوي Ptydactylus hasselquistii أصابعه عريضة تنتهي كلها بمخالب، لا يتعدى طوله 10 سم. يعيش في ضواحي فكَيك (بني ونيف) وحوض درعة. تضع الأنثى من ثلاث إلى أربع بيضات في فصل الربيع. طول الواحدة منها 12 ملم وقطرها 10 ملم. ونوع آخر نادر في المغرب Geckonia chazaliae تكسو جسمه حراشف وحديبات غير منتظمة. توجد على عنقه حديبات كبيرة تفصل الرأس عن الجسد. الذيل قصير وحاد. لونه أصفر فاتح. لا يتعدى طوله 8 سم. يعيش في المناطق الصحراوية الساحلية من تيزنيت إلى موريتانيا.

J. Bons, *Les Lacertiliens du Sud-Ouest marocain*, Trav. Inst. Sci. Chérif. Zool., N° 18, 1959 ; E. N. Arnold et J.A. Purton, *Tous les reptiles et amphibiens d'Europe*, Paris, 271 p ; *Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et Techniques, Zoologie II*, 283 - 284.

محمد رمضاني

**بوبْطايْن**، ويدعى بالأمازيغية الشلحيّة بيلْماوْن ويسمى في مناطق أخرى : بوجلود، وتامُوكَايت أي البقر لأنه يلعب دور بقرة الحرث في تمثيل يجري بمناسبة فرجة العيد. هو شخص يسلّي الناس في عيد الأضحى، خاصة في القرى، فيلبس جلد ضحية أسود يحتفظ بأطرافه وقرونه.

وللحصول على حركة لرأس الدابة موازية لحركة رأس بوبطاين أو بيلماون يتم ربط جلد أسفل الوجه بجلد أسفل القفا بواسطة خيط دقيق يضمن تماسك الرأس والقناع أثناء الجري أو الحركات العنيفة. ويوضع مكان الأنف في جلد الرأس ثقب يثبت فيه جذرة أو قصب الذرة أو غيرها من الأشياء ذات الطول النسبي والصالحة لتمثيل الأنف في القناع الجلدي.

ويتم ربط جلود أطراف الدابة بأطراف الشخص بدقة متناهية بحيث تبدو الأظلاف على أطراف اليدين والرجلين أحياناً، كما لو أنها جزء لا يتجزأ من جسد بوبطاين، ويتم في النهاية وسط موجة عارمة من الضحك إلصاق شارب كث على فم بوبطاين يكاد يغطي معظم معالم القناع، قبل

أن يخرج إلى الجمهور يخاطبهم ويجري خلف الأطفال وسط ضجيج وصياح وضحك متعال.

وفي الجنوب المغربي يتم خلال هذه اللعبة تهييء مجموعة أخرى من الشبان الذين يمثلون جماعة اليهود، يرافقون بيلماون في تكوين فرقة الفرجة، يطوفون على الدور يجمعون الهدايا، ويتبذلون في الكلام مع الرجال والنساء. كما يتم تسويد وجه أحدهم ليمثل دور العبد (إسمخ). وخلال فترة التهييء هذه تسمع أصوات وأهازيج أحواش في خارج كتاب المسجد (تخربيشت) وفي الساحة التي يقع عليها الاختيار لتكون مسرحاً لأحداث الفرجة التي يعد بيلماون من أشخاصها البارزين.

وبعد مرحلة التهييء، يخرج بيلماون محدثاً زوبعة فيتجه نحو الجموع المنتظرة، ويكثر الصخب والضوضاء ويتزايد صراخ الأطفال عندما يتبعهم بهيئته المخيفة.

تتبع جماعة اليهود بيلماون مهرولين، وهو يجري وراء الجموع المتفرجة، ثم يسير بيلماون والعبد والناس في الساحة العريضة وتنطلق أهازيج أحواش في الفضاء. وبعد قضاء مرحلة النهار في الغناء والرقص إلى أن تميل الشمس نحو المغيب تنسحب الجوقة لتنضم إلى المتفرجين من الرجال والنساء والأطفال ويترك الميدان للتمثيل.

يستغل بوبطاين أو بيلماون في ضبط نظام الفرجة الجماعية (الغناء الجماعي والرقص في ساحة وسط القرية) بمناسبة العيد، ويشارك في "المسرحية" التي تدور أحداثها حول الحياة الفلاحية، وتكون مناسبة يرفع فيها التكليف عن هؤلاء الممثلين ليتعرضوا باللمز والغمز لكل من يستحق النقد في مدة عام منصرم من حياة القرية.

يبدو أن هذه الظاهرة عميقة في القدم، ولكنها ما تزال حاضرة في عدة جهات من المغرب.

*رواية شفوية.*

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, Paris, 1899 ; E. Doutté, *Marrakech*, Paris, 1905 ; C. Monchicourt, *La fête de l'Achoura, R. T.*, N° 17, 1910, p. 278 - 301 ; E. Laoust, *Noms et cérémonies des feux de joie chez les berbères du Haut et de l'Anti Atlas*, 1921 ; A. Hammoudi, *La victime et ses masques : Essai sur le sacrifice et la mascarade au Maghreb*, Paris, 1988.

محمد أديوان

**بوبكر (الحاج.)** قائد بني إزناسن ← **بوبكر مركز**

**بوبكر**، مركز منجمي صغير بالمغرب الشرقي، يقع في الجنوب الشرقي لمدينة وجدة على بعد 40 كلم عبر الطريق الثانوية رقم 408. ويحد شرقا بالحدود المغربية الجزائرية التي لا تبعد عنه إلا بكيلومترين.

يعتبر مركز بوبكر من المراكز الحضرية المنجمية الحديثة النشأة، ويعيش حاليا أزمة اقتصادية خانقة منذ اغلاق منجمه سنة 1969. ويستمد هذا المركز اسمه من "الحاج بوبكر"، وهو شخصية بارزة في تاريخ المنطقة، استطاع أن يخضع قبيلة بني يزناسن ثم قبيلة بني مطهر التي وضعها السلطان مولاي الحسن تحت قيادته سنة 1291 / 1875، وقد توفي هذا القائد متأثرا بجراحه في 4 مارس 1886 بعد أن قضى على القائد عبدالرحمان الشعايبي في معركة حاسمة وتولى بعد ذلك ابنه السهلي قيادة المهاية.

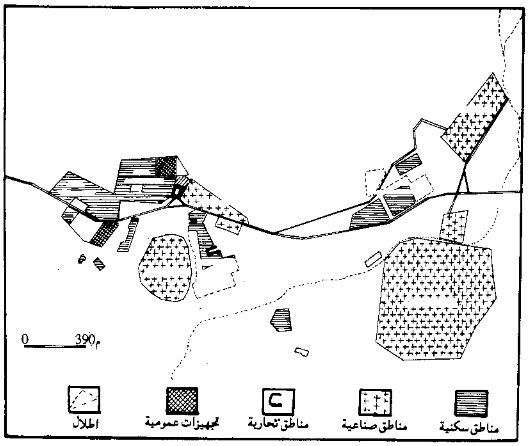


بوبكر

لم يكن بهذه المنطقة قبل سنة 1925 إلا قبة شيدت على قبر الحاج بوبكر بالمكان الذي يعرف بـ "سهب زغلول". ويعتبر هذا الموقع موضع اتصال بين الهضاب العليا التي تمتاز بالتقطع في هذه المنطقة، وبين سلسلة جبال جرادة. وتمتاز هذه المنطقة بالارتفاع إذ يصل متوسطه إلى 1100 م.

بدأ تعمير هذه الجهة مع الحماية الفرنسية وبداية البحث والتنقيب عن المعادن سنة 1907. وقد ظهر التنقيب والبحث في بداية الأمر اعتماداً على معلومات مسبقة انطلاقاً من بعض المناجم القديمة ومن آثار بعض الآبار المنجمية التي كانت تستغل بطريقة تقليدية في العهد المرابطي والعهد الموحدي. ونذكر بالخصوص جرف وزان وسيدي رحو وجبل المحصر. وتجب الإشارة إلى أن هذه المناطق لا تبعد إلا ببضعة كيلومترات عن مركز بوبكر الذي اكتشف به معدن الرصاص والزنك.

تمتاز منطقة بوبكر بتكوين جيولوجي يطغى عليه وجود النشوز والأخفوضات الناتجة عن انكسارات متوالية. ولقد بدأت هذه التكتونية في الزمن الجيولوجي الأول، وتوجد بعض المعادن على شكل عروق، وأخرى تكونت في رواسب طبقية من غطاء القاعدة، كما توجد بعض التمعدنات على امتداد الانكسارات.

اكتشف معدن الرصاص والزنك سنة 1907 ولم يشرع في استغلاله إلا سنة 1927، من قبل الشركة المنجمية زليجة La Societé minière de Zellidja. تعد هذه الشركة المشيد الرئيسي لكل المركز سواء منه الأحياء الصناعية أو الأحياء السكنية أو الأحياء التجارية والتجهيزات الضرورية الأخرى. وامتد هذا البناء والتشييد إلى حدود سنة 1969 وهو تاريخ إغلاق الشركة أبوابها نتيجة نفاد المنجم. ومن هذه المعطيات الأولى يمكن تقسيم حياة المركز إلى مرحلتين متباينتين: المرحلة الأولى الممتدة من بداية استغلال المنجم إلى سنة 1969، ويمكن تسميتها بمرحلة الازهار، والمرحلة الثانية التي تمتد من سنة 1969 إلى يومنا هذا وهي مرحلة

الأزمة. وهذا التقسيم في حياة المركز ينطبق على كل الميادين سواء السكنية أو العمرانية أو الاقتصادية.

الحياة السكانية : لم يكن بهذه المنطقة ـ كما أشرنا إلى ذلك في المقدمة ـ إلا ضريح الحاج بوبكر الذي كان يقصده بعض الزوار دون أن يؤدي ذلك إلى أي استقرار بجانبه. فقد بدأ تعمير المنطقة مع بداية استغلال المعدن، وكان سكان المنطقة هم أول من اهتم بالعمل داخل الشركة نظرا لقساوة الظروف الطبيعية للمنطقة. ومن هذه القبائل التي التحقت بالعمل المنجمي تلك التي اكتشف المعدن على أراضيها وخاصة منها فخذة بني حمليل التي تضم ستة دواوير، وفخذة بني بوحمدون التي تضم خمسة دواوير.

استقطب مركز بوبكر كباقي المراكز المنجمية المغربية عدداً كبيرا من سكان المنطقة سواء على الصعيد المحلي أو على الصعيد الجهوي. فقد بلغ عدد المشتغلين المحليين بالشركة المنجمية 323 شخص سنة 1950 بينما بلغ عدد الجهويين 595، وقد مثل المحليون والجهويون 55٪ من مجموع المشتغلين بالشركة سنة 1950. أما عدد السكان بالمركز فقد بلغ 4856 نسمة سنة 1952 أغلبيتهم من الشباب وخاصة منهم العزاب. ويمكن القول إن بنية السكان كانت بنية شابة وحديثة الاستقرار وخاصة بالنسبة للذين قدموا من مناطق بعيدة كالريف والأطلس الكبير وسوس. وقد تأثرت البنية السكانية للمركز بالعدد الكبير من الشباب المستخدم من قبل الشركة المنجمية. وقد مثلت هذه الفئة نسبة 63 ٪ من مجموع المستخدمين.

ارتفع عدد سكان المركز بشكل سريع إذ بلغ 8721 نسمة سنة 1960، وقد بلغت نسبة الزيادة السنوية المتوسطة 7،8٪ بين تعداد 1952 واحصاء 1960. وزيادة السكان هذه لم تكن مرتبطة بالتشغيل في الشركة لأن عدد العمال لم يعرف أي تطور يذكر، ولكن يمكن ربطها بمراحل الاستقرار في هذا المركز الحديث، فبعد أن يقضي العامل سنة أو سنتين بالمركز يعود إلى مسقط رأسه ليرجع هذه المرة بصحبة عائلته الصغيرة. كما تجدر الإشارة إلى بعض الهجرات المحلية، وهذا ما لوحظ من استقرار بعض العائلات تحت الخيام بالقرب من الأحياء السكنية، في محاولة الحصول على شغل بالشركة أو بالقطاعات الأخرى (تجارة وخدمات ...).

وضعت سنة 1969 ـ وهو تاريخ إغلاق المنجم ـ حدا لتطور السكان بهذا المركز. فبدلا من الدور الاستقطابي الذي لعبه المركز، تحول منذ هذا التاريخ إلى مركز طرد للسكان، إذ غادرته عدة عائلات بكاملها مباشرة بعد إغلاق المنجم وخاصة تلك التي قدمت من مناطق بعيدة. وتظهر الأزمة السكانية للمركز من خلال إحصاء سنة 1971 حيث انخفض عدد السكان إلى 2218 نسمة وبلغ معدل نسبة التطور السنوي 11،7٪ ما بين إحصاء 1960 وإحصاء 1971 وقد أخذت هذه الهجرة عدة اتجاهات، منها تلك التي قصدت المراكز المنجمية الأخرى لاسيما بالأطلس المتوسط كمركز العولي بينما انتقل عدد آخر من السكان إلى مدينة وجدة (العاصمة الجهوية) بحثا عن وظائف جديدة، كما هاجرت مجموعة أخرى إلى أوربا.

عرف المركز بعض الانتعاش بين إحصائي 1971 و1982 بحيث ارتفع عدد السكان في الاحصاء الأخير إلى 2925 نسمة بزيادة سنوية متوسطة قدرها 2،5٪، ويرجع هذا النمو النسبي للسكان إلى كون نسبة مهمة من عمال الشركة المنجمية لتويست Compagnie minière de Touissit جعلت من مركز بوبكر "مركز منام" خاصة وأنه لا يبعد عن تويست إلا بثلاثة كيلومترات وأن الشركة تضمن نقل العمال. يرجع اختيار هؤلاء العمال لمركز بوبكر إلى وفرة المنازل الفارغة والشاسعة التي تركها السكان الذين غادروا المركز إلى مناطق مختلفة كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

أما النسيج الحضري لبوبكر فلا يختلف كثيراً عن باقي المراكز المنجمية الأخرى سواء المغربية أو العالمية. فمركز بوبكر يتكون من أحياء سكنية شيدتها الشركة بين سنة 1937 و1955 وهي تختلف حسب مستوى الطبقة العاملة. ويمكن تقسيم هذه الأحياء السكنية إلى ثلاثة أحياء متباينة وهي الحي العمالي وحي الأوربيين وحي الأطر العليا. يتألف الحي العمالي من منازل صغيرة جدا، تتميز بأزقتها الضيقة، وقلة التجهيز، أما الأحياء الأوربية وأحياء الأطر العليا التي تتسم بطابع معماري أوربي فهي عبارة عن فيلات واسعة مجهزة بكل وسائل الراحة وتخترق هذه الأحياء طرق واسعة تلتقي في ساحة فسيحة تحيط بها متاجر متخصصة وسينما ومركز البريد وبعض المرافق الأخرى التي كان يتردد عليها الأوربيون.

أثرت الأزمة بشكل واضح على توسع المركز إذ لم يعرف أي تطور يذكر منذ سنة 1969 إذا استثنينا التطور الضعيف الذي عرفه حي المقدم الطيب الذي شيد ونما بطريقة عشوائية. بل بالعكس خربت عدة أجزاء من الأحياء بعد رحيل الشركة وخاصة الجزء الجنوبي من الحي العمالي والجزء الشرقي من حي شراگة.

أما الأحياء التجارية فهي صغيرة وقليلة نحصرها في الحي التجاري الأوربي وهو اليوم مشلول، والمركز التجاري المغربي أو ما يطلق عليه "القيصرية" يقع بالحي العمالي وكان مخصصاً لبيع المواد الغذائية، ولكن بعد اغلاق المنجم أصبحت هذه القيصرية مشلولة أيضا، فجل الدكاكين مغلقة عدا خمسة منها لا زالت تحتفظ بنشاطها إلى اليوم. أما المركز التجاري الثالث الذي كان مخصصا لبيع الخضر والفواكه فهو اليوم عبارة عن خراب. أغلبية الدكاكين التجارية التي احتفظت بنشاطها وعددها ثلاثة عشر تتجمع بحي المقدم الطيب على الطريق الرابطة بين مركز تويست وحي شراگة العمالي وهي متاجر بسيطة وجزء كبير منها في حالة متدهورة.

لعب مركز بوبكر دوراً مهما من الناحية الاقتصادية في هذه الجهة من المغرب الشرقي، إذ أدى تطور استخراج معدن الرصاص والزنك إلى ظهور أنشطة صناعية مرافقة

كالمغاسل مما ساعد على إنشاء حيين صناعيين. أحدهما بالقرب من حي شراكة والثاني في وسط المركز. فكان الرصاص والزنك يغسلان ويصفيان في المغاسل قبل أن ينقلا إلى مسبكة وادي الحيمر التي تقع على بعد 15 كلم في الشمال الغربي لبوبكر وعلى الطريق الثانوية رقم 408 المؤدية إلى مدينة وجدة. ومن الملاحظ أن مركز بوبكر لم يشهد ظهور أي صناعة تابعة أخرى سواء عصرية أو تقليدية. وبعد نفاد المنجم رحلت الشركة بعد أن باعت كل الآلات المتبقية في الأحياء الصناعية. ولم يبق في بوبكر إلا بعض الآثار التي تشهد على أن المركز قد عرف صناعة استخراجية مهمة، وتتجلى هذه الآثار بالخصوص في النفايات التي تنتشر على مساحات شاسعة جداً والتي بقيت تشكل خطراً على سكان المركز.

أما الأنشطة الأخرى للسكان فتتجلى في كون عدد كبير من السكان النشيطين المشتغلين يعملون حاليا بمناجم بَدْيان وواد مَكْتة بمركز تويست. أما التجارة والخدمات فهي ضعيفة جداً وكذا التجهيزات العمومية والتي نحصرها في مدرسة موروثة عن شركة زليجة ومركز صحي. وبحكم موقع المركز على الحدود، توجد به ثكنة عسكرية مهمة ومصلحة للجمارك كما توجد به دار من أكبر دور العجزة بالمنطقة الشرقية حيث تؤوي أكثر من 150 شخصا. تهتم أقلية صغيرة من السكان بالفلاحة لأن المركز يقع في منطقة فقيرة فلاحيا. فجماعة تويست التي ينتمي إليها المركز لا تتوفر إلا على 6040 هكتار من الأراضي القابلة للفلاحة وهي تمثل 5،1٪ من أراضي الجماعة. وجل الأراضي المستغلة هي أراض بورية (93،6٪) وهي مزروعة بمغروسات حولية (شعير وقمح وذرة وخرطال) أما الأراضي المسقية فهي مخصصة للزراعات المعاشية. وعلى العموم يمكن القول إن الفلاحة في هذه المنطقة فلاحة احتمالية ولا يمكن للسكان الاعتماد عليها.

A. Essaddek, *Les petites villes minières du sud d'Oujda ; étude géographique*, thèse de 3ème cycle, Tours, 1989.

عبدالحق الصدق

**بوبكر، (مولاي ـ)** ابن السلطان مولاي الحسن، هو الأخ الشقيق للسلطان مولاي عبدالحفيظ، أمهما هي العالية الشاوية. قام بدور كبير في نجاح بيعة أخيه عبدالحفيظ بمراكش في 16 غشت 1907 م. وكان الساعد الأيمن لأخيه في تهييء القوات لمواجهة أخيهما السلطان مولاي عبدالعزيز. ولما انتقل سلطان الجهاد من مراكش متوجها إلى بلاد الشاوية لمساعدة المجاهدين ثم احتلال العاصمة فاس، عين مولاي بوبكر خليفة بمراكش والجنوب المغربي. وقد بقي في وظيفته هذه إلى زمن الاحتلال الفرنسي سنة 1912.

وتجدر الإشارة إلى أن علاقة مولاي بوبكر، لم تكن على ما يرام مع الأكلاويين الذين كانوا تحت النفوذ الفرنسي، وخاصة منذ إعفاء المدني الأكلاوي من منصب الصدر الأعظم سنة 1911.

*وثائق الخزانة الحسنية، الرباط.*

علال الخديمي

**بُـوتاس،** أو الأملاح البوتاسية، يستخرج ملح البوتاس أساساً من السلفين (Sylvine) والكرنليت (Carnallite).

السلفين هي أهم أملاح البوتاس (Kcl)، نظامها البلوري مكعب، صلابتها 2،0، كثافتها 2،1–2،2، لونها ضارب إلى البياض، أو الزرقة أو الحمرة، لمعانها زجاجي شفاف، أحيانا باهت. ويوجد السلفين في مكامن الملح الصخري الناتجة عن تبخر المياه المحلية الراكدة حيث نجده أحياناً مجتمعاً إلى الملح الصخري. يُكون هذا الأخير مع السلفين ما نطلق عليه اسم السفينيت.

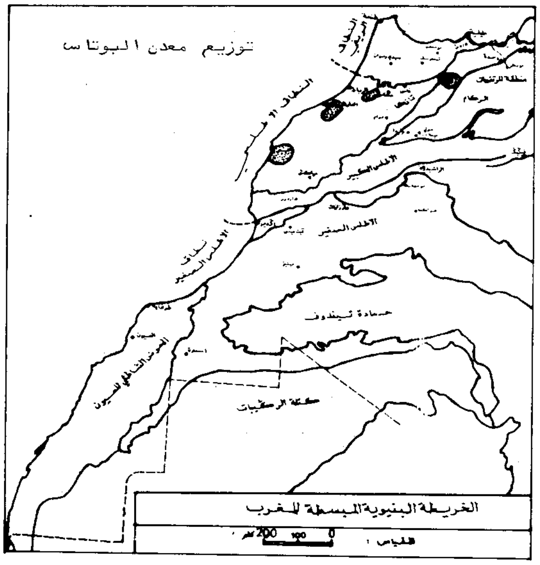


يُستعمل السلفين في الصناعة، وعلى الخصوص تهييء أسمدة البوتاس كالقينيت مثلا (Kaïnite)، وصابون البوتاس، ويُستعمل كذلك كعامل حفاز في إنتاج المطاط التأليفي.

الكارنَليت (منسوبة إلى فون كرنال، Von Carnall مهندس المعادن بألمانيا) هو ملح البوتاس والمانيزيوم المتموه ($Mg\ Cl_3K,\ 6H_2O$)، نظامه البلوري معيني مستقيم، صلابته 1،0، كثافته 1،6، لونه أبيض يميل إلى الحمرة، لمعانه شفاف، شديد التفسفر، مذاقه شديد المرارة. يُستغل الكارنليت كمادة أولية في صناعة البوتاس، والأسمدة المعدنية، ونشير هنا إلى أن الكارنليت ينتج عن توضعاتها تبخر المياه الملحية الراكدة كما هو الشأن بالنسبة إلى السلفين.

إن رواسب الأملاح البوتاسية بالمغرب متعددة في الثلاثي وفي الميوسيني وبخاصة في الأحواض الشاطئية المطلة على المحيط الأطلنطي (دكالة، برشيد، الخميسات) والتي وصلت فيها عملية التبخر إلى ترسيب الأملاح البوتاسية (الكارنليت) حيث أدت عملية التنقيب الجيولوجي بواسطة آبار في حوض الخميسات إلى التعرف

على احتياطي هام بنسبة 11٪ من ملح البوتاس، وفي حوض برشيد إلى التعرف على دلالات من الكرنليت والسلفينت في طبقات الثلاثي الأسفل.

عبد الله بوصحابة

**بوتان** پول Buttin Paul، ولد في 27/2/1893م بساڤوا العليا بفرنسا، حصل على الباكالوريا في الفلسفة ثم على الإجازة في الحقوق. وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى تم تجنيده فكان حظه أن أصيب بجروح بليغة في يوليوز 1915.

في يناير 1920، حل بالمغرب بعد أن أرشده إليه أحد إخوته الكبار العاملين بقطاع النقل في هذا البلد. ولم تشرف السنة على نهايتها حتى استقر بوتان بمكناس حيث اختار ممارسة مهنة المحاماة التي يؤهله لها تكوينه الجامعي.

عاين عن كتب السنوات الأخيرة التي قضاها الماريشال ليوطي بالإقامة العامة، ومن ثمة كان باستطاعته أن يلمس انحراف خلفائه عن نهجه السياسي. ولم يتردد بوتان، ابتداء من 1927 م، من التنديد بالسياسة المتبعة من طرف فرنسا بالمغرب، والرامية إلى تنحية المغاربة عن كل مناصب المسؤولية.

خلال الثلاثينيات، قام بوتان بالدعاية والترويج للجريدة الفرنسية سبعة *Sept* التي كانت تمثل تيارا مسيحيا ملتزما بقضايا عصره. وقد شكل من أجل ذلك "مجموعة أصدقاء سات" بمكناس. وبنفس الحماس والإخلاص، قام بوتان بمساندة مجلة *الوقت الراهن* *Temps Present* بعد أن توقفت *"سات"* عن الصدور.

في سنة 1939 م، انتخب پول بوتان، نقيبا للمحامين بفاس ومكناس، وشغل هذا المنصب حتى تاريخ استقالته (22.3.1944). ولقد اشتهر في كل مهامه لدى المحاكم بتشبثه بالدفاع عن كل من جعلته الظرفية السياسية في حاجة إلى ذلك، فدافع أيام نظام ڤيشي عن الدوكوليين والماسونيين والشيوعيين واليهود. وبعد أن أفل نجم ذلك النظام، دافع، إبان محاكمة مشهورة، عن Pierre Pucheu، أحد الوزراء السابقين في نظام الثورة الوطنية.

في كل هذه الحالات، وغيرها، كان بوتان يستنير بأدبيات مهنته ولم يكن يبالي بموضة العصر أو متطلبات الظرف.

وفي سنة 1944، أسس مجلة شهرية *"بلدان إفريقيا"* *Terres d'Afrique* الموجهة أساساً إلى المسيحيين الذين استوطنوا شمال افريقيا. وقد حفلت أعداد هذه الدورية بمقالات عبر فيها بوتان عن اقتناعه الراسخ بضرورة مراجعة المعمرين لتصرفاتهم اليومية ولضمائرهم حتى يكون التقارب المغربي - الفرنسي ممكنا.

كان بوتان مستعدا لتشجيع أي خطوة تقوم بها الأوساط الرسمية نحو ذلك الاتجاه. وهذا ما يفسر إصداره، في مارس 1946 لأسبوعية *Méditerranée* التي تجندت فيها الأقلام لمؤازرة السياسة الإصلاحية للمقيم العام الجديد لابون Eirik Labonne، وإذا كانت هذه المجلة قد اختفت في دجنبر 1946، فإن زميلتها *"بلدان افريقيا"* قد استمرت في مهمتها حتى ماي 1950. ولم تكن لهجتها الجريئة تنال رضى الأوساط الفرنسية المحافظة، خاصة غداة خطاب السلطان سيدي محمد بن يوسف بطنجة (أبريل 1947) عندما أخذ بوتان يبدي تعاطفا صريحا مع بعض طموحات الوطنيين المغاربة. وقد ازداد هذا التعاطف وضوحا في النصف الأول من الخمسينات عندما كان بوتان يقف أمام المحاكم للدفاع عن المعتقلين المغاربة. وكان موقفه هذا يدخل ضمن تيار ليبرالي أخذت تتحدد ملامحه في صفوف نخبة من الفرنسيين المقيمين بالمغرب. وفي مستهل 1955 م، نشر بوتان كتابا تحت عنوان *"مأساة المغرب* *Le Drame du Maroc"*، ضمنه انطباعاته وخواطره فيما يتعلق بمستقبل العلاقات المغربية - الفرنسية. ولم يتردد المؤلف في التأكيد بأن أنجع السبل للخروج من "المأساة" هي الاستجابة لطموح المغاربة نحو الاستقلال.

لما تحقق هذا الاستقلال، نهل بوتان من طاقته النضالية أفكاراً جديدة، فأسس مجلة *مُلتقى* *Confluent* الصادرة أولا بالرباط، ثم بعد ذلك بباريس، بدأت المجلة مسيرتها في أبريل 1956، وكانت منبراً للأصوات الداعية إلى تقارب مغربي - فرنسي وإسلامي - مسيحي.

ظل بوتان وفيا لاقتناعاته حتى فارق الحياة في 22/4/1966 م.

*Terres d'Afrique*, 1944 - 1950 , *Méditerranée*, Mars 1946, Décembre 1946 ; *Confluent*, Avril 1956, Avril 1967 ; H. Bleuchot, *Les libéraux français au Maroc 1947 - 1955*, Aix-en-Provence, 1933 ; P. Buttin, *Le drame du Maroc*, Paris, 1955.

جامع بيضا

**بُوتبَّان**، أسرة تطوانية أصلها من غمارة. والتبّان هو السروال الصغير، وكان جل أفراد هذه الأسرة ينتمون إلى الجندية بحامية تطوان سنة 1246/1830 مثل :

بُوتبّان، عبد القادر المدفعي.
بُوتبّان، عبدالكريم.
بُوتبّان، محمد البحار.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 7 ؛ م. داود،، *تاريخ تطوان*، 8 : 212 . 214 . 355 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum.*

محمد ابن عزوز حكيم

**بوتَزُولْت**، يعرف كذلك بإميني لوقوعه على واد إميني، رافد واد ورززات بالمنحدرات الجنوبية الشرقية للأطلس الكبير بجماعة أيت زينب دائرة أمرزگان، إقليم ورززات. وتزولت تعني الكحل، وكان معروفا بهذه المناطق، يظهر على شكل عروق سوداء على السطح يستعمل لتكحيل العيون وعلاجها. ارتبط تكوينه في وسط مائي حار بخط فوالق الحادث الكبير الجنوب أطلسي ومنطقة

اتصال كتلة سيرُوًا وهامش القاعدة الإفريقية القديمة المكونة للأطلس الصغير، يوجد على شكل عدسات رقيقة أفقيه تقطعها فوالق مندسة في شقوق القاعدة قبل الكامبرية من الريوليت مغطاة بمواد ثانوية تنتمي إلى الكريطاسي والإيوسين تنتشر فوق مساحة 4.500 كلم$^2$ حول بوتزولت. والمغنير مركب معدني رسوبي أسود يحتوي على 45. 57٪ من المنغنيز المعدني وبعض العروق تأكسدت وتحولت إلى منغنيز كيماوي تحتوي على 92٪ من بيوكسيد المنغنيز وهي المستغلة حاليا لقيمتها وندرتها في السوق العالمية.

اكتشف المنقبون هذه المكامن سنة 1929 وبدأ الإنتاج سنة 1938 بمركز تيويت الذي يبعد عن إميني بـ 25 كلم في اتجاه ورزازات لكنه أغلق سنة 1968 لضعف نسبة المنغنيز. أما مناجم بوتزولت الواقعة قرب قرية صغيرة تعرف بهذا الاسم فقد شرع في استغلالها سنة 1946 وبنيت قربها منشآت إدارية وتقنية ومخازن وسكن مما كون المركز المعدني الأول لبوتزولت على بعد 16 كلم من الطريق الرئيسي رقم 32 الرابط بين مراكش وورزازات. وعندما تزايد الإنتاج (أكثر من 100.000 طن في الخمسينات) بني معمل لتركيزه بمكان اسمه تيمقيت على بعد 1,5 كلم من الطريق حيث نمت قرية عمالية كبيرة. أما المركز الإداري وسكن بعض الأطر التقنية فقد استقر بربوة على الضفة اليمنى لواد إميني قرب الطريق الرئيسي يعرف بأكُوكْ. وتعتبر مناجم بوتزولت ـ إميني من أغنى مناجم المنغنيز بالمغرب إذ تحتوي على احتياطي مؤكد يقدر بـ 5,5 مليون طن. وقد طرح نقله مشكلا لصعوبة عبور الشاحنات لفج تيزي ن تيشكا، فأنشىء ناقل هوائي (تيليفريك) طوله 28 كلم سنة 1951 ينقل المعدن عبر سلسلة الأطلس من أكَلموس عند بداية طريق تيزي ن تيشكا إلى أربعاء تيغدوين بواد الزات الأوسط بالسفوح الشمالية، ويكمل المعدن طريقه على الشاحنات إلى مراكش ثم إلى ميناء أسفي أو الدارالبيضاء حيث يعالج بمعمل سيدي معروف قبل تصديره. وتوقف نقل التيليفريك سنة 1969 عند استعمال شاحنات قوية قادرة على عبور تيزي ن تيشكا. لقد تراجع إنتاج المنغنيز المعدني إلى أن توقف نهائيا في بداية السبعينات ولم يعد يستغل اليوم سوى المنغنيز الكيماوي الذي بلغ إنتاجه 47 ألف طن سنة 1989 (132 ألف طن سنة 1980). وتستغل المناجم من طرف شركة S. A. C. E. M. تساهم فيها شركة فرنسية وB.R.P.M. وS.A.C.E.M. ويستغل حاليا عرق غني بالمنغنيز الكيماوي على عمق 80 م سمكه 80 سنتم.

بلغ عدد العمال 281 عاملا سنة 1990 منهم ستون شخصا من الأطر المتوسطة والكبرى، يضاف إليهم 130 عاملا مؤقتا يعملون مع ثلاثة مقاولين لاستغلال مناجم ثانوية صغيرة بطرق تقليدية. تقع هذه المنطقة المعدنية بالمنحدرات الجنوبية للأطلس الكبير، الجافة أمطارها ـ 200 ملم / سنة. نادرة السكان تدخل ضمن مجال قبيلة تيديلي من مجموعة أيت واوزگيت، ليست بها مجار مائية مهمة ذات تربة بدائية حمراء أقرب ما تكون إلى مفتتات صخرية بها نباتات شوكية وأعشاب قليلة، ولا يزرع السكان الحبوب إلا في بعض المنخفضات التي تتجمع فيها التربة ومياه الفيض، فهي تكون مرعى طبيعيا لا بأس به للمواشي الصغيرة ترتادها مجموعات رعوية من أيت واوزگيت وغيرهم.

وقد ساهم الاستغلال المعدني في تكوين خلية استقرار ولو كانت مؤقتة تتكون من ثلاث نويات هي :

بوتزولت : أغلقت مناجمه القديمة لكن ما زال يوجد به مخازن وأوراش ومحطة كهربائية. توقفت سنة 1986، وقرية سكنية عصرية حسنة التجهيز كانت خاصة بالأطر الأوربية يوجد بها 140 مسكنا، منها 45 ڤيلا منتشرة على منحدر بين أشجار الأوكالبتوس يعلوها مركب ثقافي ومسبح وروض أطفال وكنيسة مغلقة، ويوجد أسفلها فندق للشركة ومركب تجاري ورياضي يقابلها فوق أكمة ثكنة عسكرية قديمة. ومنازلها مزودة بالكهرباء والماء الشروب الذي يأتي من قرية تزولت على بعد 9 كلم، بواد تيديلي، يسكنها حالياً أطر تقنية وبعض العمال كما يوجد بها خليفة القائد وبعض المخازنية ومدرسة ابتدائية.

تيمْقّيتْ : يوجد بها معمل لتركيز المعدن وأوراش وقريةَ عمالية كبيرة بها جزء قديم بنيت منازله في عهد الاستعمار على طريقة حديثة روعي فيها أصالة البناء المحلي، وأقسام جديدة بنيت في صفوف مستقيمة وبها مركب تجاري صغير ومدرسة. تضم 230 منزلا مزودة بالكهرباء والماء الشروب.

أ ُوكُّوكْ : مركز إداري يوجد على بعد كيلومتر من تيمقيت يضم سكن الأطر العليا يتكون من إدارات وڤيلات قليلة وسط الأشجار. توجد قربه محطة التحويل الكهربائي ومحطة ضخ المياه من بئر بمجرى واد إميني لتزويد المعمل والقرى السكنية. من الصعب تحديد عدد العمال وبالتالي سكان المركز لأنه يزيد وينقص حسب ظروف الإنتاج والتسويق، وقد وصل عدد العمال إلى 1.200 في منتصف الستينات لكنه تناقص كثيراً بسبب تقلص الإنتاج ومكننة العمل وارتفاع المردودية التي يتقاضى عنها العمال منحاً إضافية. والكثير من العمال يسكنون في قرى بعيدة عن المركز. يعيشون وحدهم في منازل القرية العمالية. ويقدر سكان المركز بحوالي 1.200 نسمة، وعدد العمال بحوالي 400 عامل لكنهم يتركون العمل بسرعة إلى أنشطة أخرى لأسباب عديدة.

*بحث ميداني في خريف 1990 ؛ معلومات من المدير الإداري لمنجم بوتزولت ـ إميني.*

A. André et J. Le Coz, *Economie minière : Notice de l'Atlas du Maroc*, Rabat, 1961 ; P. Oliva, *L'activité minière au Maroc en 1967, R.G.M.*, N° 19, 1961 ; R. Fosset, *Situation et avenir du manganèse marocain, R.G.M.*, n° 19, 1969.

أحمد هوزالي

**البوتشيشي ← البودشيشي**

**بُوتفّاح**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر،

وكان من بين أفرادها :

**بوتفّاح، المصطفى** بن الهاشمي فقيه توفي سنة 1901/1319.

**بوتفّاح، محمد** عالم توفي سنة 1838/1357، ومازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 19 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزو حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بُوتكين بِيُوتر**، سرگيـيفتش Botkin Piotr Sergueievitch دبلوماسي روسي، ابن عم الأديب الشهير بوتكين فاسيلي آتي الترجمة. عينته الحكومة الروسية وزيراً مقيماً وقنصلاً عاماً لبلاده في المغرب سنة 1906 خلفا لباخيراخت، وبقي يشغل هذا المنصب في مدينة طنجة إلى غاية 1912.

**بُوتكين فاسيلي**، بِتْـروفِتْش Botkin Vassili Pétrovitch فيلسوف وأديب روسي قام برحلة إلى مدينة طنجة سنة 1954 وكتب عنها دراسة على صفحات مجلة سوفرميينِّك Sovremennik، كما خصص لنفس المدينة فصلا كاملا في مذكراته التي عنوانها *رسائل عن إسبانيا* المنشورة في سان بترسبورگ سنة 1857.

ت. موساتوفا، *روسيا ـ المغرب : ماضي بعيد وقريب في نفس الوقت*، موسكو 1990.

**بوتُوتْسكِي يان**، Potocki Jan، أديب وعالم وتاجر من أصل بولوني، ولد في فارسوفيا سنة 1761، يحمل الجنسية الروسية بعد تقسيم بولونيا سنة 1795.

قام بوتوتسكي في الفترة الممتدة ما بين 1784 و1805 بعدد كثير من الأسفار في كل من أوروبا وبلدان حوض البحر المتوسط والشرق الأقصى وشمال افريقيا. فزار المغرب سنة 1791 وخصص لرحلته هذه كتابا يعتبر مرجعاً ثمينا للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالمغرب في أواخر القرن الثامن عشر.

دوّن بوتوتسكي في هذا الكتاب مذكراته حول الناس الذين لقيهم والمدن والمناطق التي زارها مثل طنجة وتطوان وأصيلا والعرائش وسلا والرباط حيث استقبله السلطان مولاي اليزيد. وعنوان هذا المؤلف الذي كُتب أصلا باللغة الفرنسية وطبع سنة 1792 بفارسوفيا : *رحلة إلى الامبراطورية المغربية قام بها يان بوتوتسكي عام 1791.*

J. Potocki, *Voyages en Turquie, en Egypte, en Hollande et au Maroc*, Paris, 1980.

عبدالرحيم العطاوي

**بُوالتُّومَّات**، أحمد (الحاج.) بن عبد المالك بن موسى الإنزگاني الحاحي، يعتبر هذا الرجل ذاكرة شاهدة على أحداث عصره بما ساهمَ فيه من وقائع وما حضره من مواقف تاريخية تمتد من المرحلة السابقة للحماية، وفي عهد الحماية، وتطورات ما بعد الاستقلال، فقد امتد به العمر قرنا من الزمن.

ولد بمدينة إنزگان حوالي سنة 1294 / 1877 من أسرة تنتمي إلى منطقة حاحة الجنوبية، حيث عرفت تلك الأسرة باسم "أُوموسى" بقبيلة إداوتْغُمَّا ( *المعلمة*، 1 : 222) مع القوافل التجارية، واستقر لدى عائلة الگسيمي التي تتولى القيادة، وتزوج من أسرة أيت بوحسن التي تولت المشيخة فيما بعد. وقد نشأ أحمد بو التُّومَّات في ظل أسرة تدور في فلك أيت القايد التي ترتكز القيم فيها حول السلطة واستعمال القوة، وتأثرت نشأته بهذا الاتجاه، فلم يهتم بالتعليم، وتركزت شخصيته على الجسارة وركوب الخيل والرماية، ومن ثم أصبح شابا يافعا اشتهر بسداد الرأي وبذهنية يقظة وبجرأة نادرة في خوض المعارك، امتهن التجارة في أوائل عهده، ومن خلالها تعرف إلى شخصيات كثيرة فربط إنزگان / گسيمه بالمثلث الحضاري الجنوبي : تارودانت والصويرة ومراكش.

وكانت عائلة أيت القايد الگسيمية في حاجة إلى أمثال هذه الشخصية تستفيد من آرائه ومن شديد جرأته. عاصر المراحل المضطربة التي عاشتها مراحل تأسيس مدينة إنزگان (*المعلمة*، 3 : 834) قبل الحماية، وتحدث إلينا عن كثير من الأحداث التي شاهدتها المنطقة فيما سماه بالصراعات الأهلية الناشئة عن "السيبة"، بين القبائل، وخاصة ما نشأ حول تولي القيادة بقبيلة گسيمة، ويذكر أن تولي القيادة وظيفة قديمة في أسرة الگسيمي، وتعود إلى القرن الثامن عشر حيث توجد لدى العائلة ظهائر إسماعيلية، كما تحدث عن مشاهداته حول وضعية سوس في أعقاب وفاة السلطان مولاي الحسن عام 1311 / 1894، وقال "بمجرد موت السلطان مولاي الحسن، وكان قد جاء إلى سوس مرتين، وقع التشريد لكثير من قواده على سوس فخُربت دورهم ونهبت أموالهم وخربت دور الشيوخ، باستثناء الگسيميين لم تخرب دورهم لأنهم استعانوا بأهل هشتوكة وهوارة لحمايتهم" واسترسل في روايته الشفوية (1972) يقول : "وبعد هذا التخريب عين السلطان مولاي عبد العزيز وصيفه الباشا حمو على تارودانت، وكان قائدا على مكناس من قبل، وامتدت سلطته من تارودانت إلى جميع السهول حتى إنزگان وأگادير" فاستطاع توطيد الأمن في أرجاء سوس : "فقام الباشا حمو بجمع سبعين من رؤساء الفتنة وقطع رؤوسهم وعلقها في ساحة (أسراگ أوراغ) بتارودانت لمدة أسبوع ثم نقلت لتعلق في مراكش، وكان يرسل أحمالا من السلع تحملها الجمال إلى أگادير بدون حراسة دون أن يتعرض لها أحد، فتأكد إذ ذاك من شيوع الأمن في هذه البلاد".

وفي فترة الزحف الفرنسي للسيطرة على ربوع المغرب بعد فرض معاهدة الحماية سنة 1330 / 1912، شرع أحمد بوالتُّومَّات يتحدث عن مساهمته الفعلية ضمن حركة أحمد الهيبة، وقد ازداد حماسا، فقال : "في عام ثلاثين عربي -

يقصد التاريخ سابق الذكر - كنت في السادسة والثلاثين من عمري حينما حضرت مع أعيان إنزگان في حضرة أحمد الهيبة في تيزنيت وقد كانت لي صحبة سابقة مع أخيه (مربِّيه ربّه بن الشيخ محمد فاضل) بسبب وجودي مع القواد الگسيميين وبسبب الاتجار، فعرف بي وأدخلني لدى أحمد الهيبة الذي عرض علي الذهاب معه إلى مراكش بقصد الجهاد، وقد قبلت فكلفني بفرقة من المجاهدين إلى جانب القائد الناجم الأخصاصي وكان هو قائد الطبجية يشرف على اثني عشر مدفعا كان أصلها من أنگلترا.

ولما وصلنا إلى مراكش وتمت الاستعدادات قصدنا سيدي بوعثمان، وتحدث كثيرا عن وصف ذلك اللقاء في لهجة مليئة بالحسرة، ولم يذكر أي عدد للمجاهدين واكتفى بالقول : بأن "معركة سيدي بوعثمان ضد الفرنسيين معركة المغاربة جميعا اشترك فيها الصحراويون والسوسيون والدكاليون والعبديون وغيرهم ..." وعن التنظيم ذكر أنه تم تقديم ثلاثة فيالق عسكرية من المجاهدين تتبعها الدواب ثم النساء والأطفال، ووصف الجانب الفرنسي بأنه أكثر قوة، وكانت قوته تتمثل في كثرة المدافع وعنفها. قال : "بدأت المعركة في الصباح وكان دويُّ المدافع قويا، وكانت الخيل لم تألف هذا الهدير، فقد أطلق أربعين طلقة مدفعية انزعجت منها الخيل وهاجت واستعصى كبحها، فكلما كان اللجام غير قوي تقطع وجمحت الخيول بركّابها وكثر الرعب ووقع الانكسار والهزيمة، واندفعنا إلى مراكش التي وصل إليها النصارى في اليوم الثاني، فأقفلت الأبواب وأصبحت المدافع تضرب الأبراج، ورجعنا مع أحمد الهيبة عن طريق تاحناوت ثم مولاي إبراهيم وعبر تيزي نتاست وصلنا إلى تارودانت حيث التقى بنا الحاج حيدة بن مايس قائد تارودانت" وتخلص إلى أن أحمد الهيبة لم يبق في مراكش غير خمسة عشر يوما ثم بقي في تارودانت ستة أشهر انتقل بعدها إلى أسرسيف ثم إلى كردوس حيث مكث إلى أن توفي. وقبل أن يفضي برأيه في أحمد الهيبة قال : "لقد كنت أدخل عليه وأخرج في كل وقت دون أدنى تكلف وأتحدث إليه في كل شيء، إنه لا يعرف أي شيء من أمور المال والسياسة، إنه رجل صالح لم يفارق الصلاة ولم يشتغل بملذات الحياة، وقد استصحب معه العلماء - ذكر الأمثلة - لأخذ البيعة له من أهالي مراكش ولكن الأعراب أشاعوا التخريب في قصر الباهية، ورخص لهم المهر فكان ثمنه فرنكا ونصف الفرنك خوفا من إفشاء نكاح الحرام".

وشاهد بوالتُّومّات كيف انقلبت موازين القوى في منطقة سوس بعد الانهزام في سيدي بوعثمان، وبالخصوص في أگادير وإنزگان، وكان الهيبة قد عين نائبا عنه على مدينة أگادير قبيل الحماية، وأرسل أربعمائة فارس لمنع نزول الجيش الفرنسي بأگادير بينما كان قائد إنزگان وقبيلة گسيمة محمد بن عبد الرحمان بن الحاج العربي المؤيد لحركة الهيبة يسيطر على هذه الجهة. وفي 15 ذي القعدة 1331 / 16 أكتوبر 1913 بدأ الأسطول الحربي الفرنسي يضرب أگادير والدشيرة وإنزگان، وقد حكى بوالتُّومّات كثيراً من التفاصيل عن دخول الاستعمار إلى هذه المنطقة ومشاهداته للقذائف التي كانت تُسقط الأبراج في كل من الدشيرة وإنزگان، فاستطاع الجيش الفرنسي الدخول إلى قصبة أگادير وقرية (فونتي) بعد أن أخرج منها جنود أحمد الهيبة.

"وفي هذا الظرف - يقول - ذهب محمد بن الحاج الحسن الگسيمي فاتصل بالفرنسيين على متن الباخرة - الفرگاطة - بأگادير وتسلم قيادة إنزگان ثم بعد ذلك تولى باشوية أگادير. حينما تولى محمد الگسيمي كان في حاجة إلى تنظيم جهازه الإداري، وشرع تحت حماية الاستعمار في مسلسل مارس فيه كثيراً من العنف خلال الاثنتي عشرة سنة التي دام فيها حكمه قبل عزله ونفيه إلى الدار البيضاء سنة 1341 / 1925 (*المعسول*، 14 : 191).

وفي تلك الأثناء كان (محمد أگسيم) في حاجة إلى شخصيات ذات كفاءات أمثال بوالتُّومّات الذي تمرس بالمعارك وخوضها بشجاعة نادرة، وكان لا يتهيَّب أثناء الحركات للتعرض للرصاص. وقد أصيب جسمه بالرصاص تسع مرات (من رواية ابنه محمد) ولهذه المزايا عينه الگسيمي في البداية "مخزنيا" عوناً وترقى حتى كان يسمّى "الخليفة" : النائب، لأنه كان ينوب عن الگسيمي في مهمات الأمور سواء على المستوى المحلي أو في الاتصال بالقواد في المنطقة، أمثال قواد هشتوكة الدليميين، أو خارجها أمثال : القائد خُبّان بالصويرة. وكان بوالتُّومّات حريصا على عدم ذكر كثير من التفاصيل عن القائد الگسيمي مكتفياً بالقول بأنه كان (شديد) يعاقب كل شخص بما يستحق، ومن لا يفعل شيئا لا يخاف شيئا، وعلى الرغم مما أسداه بوالتُّومّات للقائد الگسيمي من خدمات طوال حياته القيادية فإن الگسيمي أمر من يقوم باغتيال بوالتُّومّات، وكان يومئذ قد عزل، ولم ينج بُوالتومات إلا لكونه فر إلى بلاد حاحة حيث أقام سنة كاملة حسب رواية ولده محمد.

كان بوالتُّومّات شديد الكراهية للاستعمار وجهازه الإداري، ويتذكر كل ممارساتهم العنيفة تجاه السكان بدءاً بأول حاكم في أگادير القبطان (لي پيير) إلى حاكم إنزگان فيما بعد القبطان (أ'ولْوا) الذي ذكر كيف كان تعسفه في إعادة تخطيط إنزگان بحيث تخترق الأزقة أواسط الدور انطلاقا من باب دائرة إنزگان من الشرق في اتجاه الغرب، وإحداث أزقة أخرى من الجنوب إلى الشمال بشكل متعامد، فتخربت كثير من الدور وبقيت الأمتعة خارجها، وكان ذلك في أحد أعياد الأضحى بعد الحرب العالمية الثانية دون أن يذكر التاريخ.

وبخصوص المقاومة الوطنية ضد الاستعمار في إنزگان قال : "عندما نفى الاستعمار محمد الخامس أصاب الناس حزن شديد وأضربوا عن كل شيء حتى عن الأضاحي التي تعتبر من السنّة. "ولما سألته عن أسماء بعض الأشخاص

الذين اشتركوا في المقاومة المسلحة في إنزكان وسوس استعمل الإجابة التي تدل على مدى حنكته وتخلصه من المزالق فقال : "كل الناس قاموا بالعمل الفدائي ليرجع الملك، أما الفدائيون فقد ماتوا جميعا".

وهكذا كان الحاج أحمد بوالتُّومَّات ـ كما عرفناه بعد الاستقلال ـ رجلا مهيبا محباً للصلاح ملازماً لصلاة الجماعة، وكان يتمتع بمركز اجتماعي جعله أحد أعيان إنزكان المرموقين، وقد خلّف أربعة أبناء (اثنان منهم ذكران وعشرات الأحفاد، وتوفي ـ رحمه الله ـ بإنزكان في تاسع ربيع الأول عام 1396 / 11 مارس 1976.

*مذكرات شفوية* من المرحوم أحمد بوالتومات سنة 1972 ؛ *مذكرات شفوية* عن ولده بوالتومات محمد سنة 1992 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 14 : 191 ؛ *معلمة المغرب*، 1 : 222، 3 : 834.

عمر أفا

**بوجبيرة**، أسرة من قبيلة جبل حبيب كانت بتطوان إلى غاية سنة 1890/1307، وكان من بين أفرادها من يشتغل بالتطبيب، ولعل اسم الأسرة له علاقة بمهنة أفرادها.

وقد انقرضت بتطوان في أوائل هذا القرن.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

**بُوجَدَّين**، أسرة وقرية وزاوية. موطن الأسرة بقبيلة بني توزين الريفية، استقرت بموضع القرية المعروفة بنفس الاسم منذ منتصف القرن العاشر (16 م) على أقل تقدير دون أن نعرف المكان والجهة اللذين انتقل منهما الجد الأول. ولفظ بُوجَدَّين لقب خص به جد الأسرة الثامن، الشيخ المرابط محمد بن عبد الله. ربما لمكانة جده من أمه المدفون بتازا، مضافاً إلى ما عرف به جده من أبيه من الصلاح ببني توزين.

والمرابط محمد هو واسطة عقد من نعرف من الأسرة، مؤسس فرع الزاوية الناصرية. توفي قبل عام 1202 / 1787، وهو التاريخ الذي أمر فيه السلطان محمد بن عبد الله بهدم زاويته وروضته وروضة والده، وترحيل أفراد الأسرة إلى مكان نجهله. ومنذ ذلك غابت أخبارهم إلى أن ظهروا بموطن أجدادهم في مستهل القرن الرابع عشر (أواخر القرن 19 م) بصفتهم مقدمي الأسرة، يتمتعون باعتبار الحسن الأول، ولهم نفوذ ديني وسياسي بالريف الشرقي. نعرف منهم أحمد بُوجَدَّين (قبل 1301 / 1783) والمختار بن محمد بُوجَدَّين (1301 / 1307)، وابنه محمد (1308 / 1309) ومحمد بن أحمد 1309...). ولا تزال الأسرة محتفظة بنفس الاسم العائلي إلى الوقت الراهن.

ومن تكاثر أفراد الأسرة والملتفين حولها وحول الزاوية، نشأت قرية بُوجَدَّين بعد اندماج التجمعين القديمين المتمثلين في كل من إوَرْدِيغَن (ورديغة) وإمَرْشُوشَنْ (مرشوشة) في محيطها الإداري. ففي آخر القرن التاسع عشر كانت القرية مؤلفة من 300 كانون، إذا صدقنا ما جاء به أوغست موليراس (A. Moulieras). أي ما يوازي تقريباً 1.500 ساكن. والقرية مندرجة اليوم بفرقة بني بَلْعيز، دُورُها محيطة بزاوية بُوجَدَّين.

ويعود اشتهار الأسرة والقرية معاً إلى ظهور زاوية بُوجَدَّين. مبناها واقع وسط القرية بين إورديغن وإمرشوشن على ارتفاع 1.132 متر. اختير لها موضع مشرف على حافة شمالية شرقية من جبل إسَكَّوَعْفِيفْ. تنبع بالقرب منها ووسط القرية حمة ساخنة، ظلت مصدر التبرك والاستشفاء للزائرين الوافدين عليها من مختلف جهات الريف خاصة.

يرتبط تأسيس الزاوية بظهور المرابط محمد بن عبد الله بُوجَدَّين وتسلمه زمام مشيخة الناصرية ببني توزين، وذلك قبل عام 1197 / 1782، تاريخ وفاة شيخه يوسف بن أحمد الناصري (1157 ـ 1197). وبقي بتلك الصفة إلى حين وفاته قبل عام 1202 / 1787. وعلى الرغم مما يبدو من تأسيس الزاوية على يد المرابط محمد بُوجَدَّين، فإن وجود الزاوية ودخول الناصرية إليها سابقان لظهور شيخ بني توزين. فرسالة تزكيته وتعيينه تبين أن شيخ تامگروت يوسف بن أحمد كان قد عين ابنه عليها نائبا عنه بزاوية بني توزين في حياة عبد الله والد محمد بُوجَدَّين، أي في الوقت الذي كان فيه محمد على الأرجح بتامگروت يتابع هناك دراسته، منهمكا في التمكن من تعاليم الطريقة الناصرية.

وحينما تأكد الشيخ يوسف من أهلية تلميذه أذن له بالتوجه إلى موطنه وبيده الكتاب التالي : "ليعلم الواقف عليه ومن انتهى أمرُه إليه من جميع الإخوان والفقراء والطلبة والأحبة وجميع الأعيان من بني توزين وغيرهم من النواحي، حاضرة وعموداً عموماً وخصوصاً، داخلا وخارجاً. أننا ولينا، إن شاء الله، الأحب الأرضى الأعز الاحظى، وليّنا في الله سيدي محمد بُوجَدَّين، يذكّر الناس ويعظ الجاهل، ويلقّن الأوراد مَن أحب. فقد أذناه في ذلك إذناً عاماً، لكونه معدن الأسرار، وقلبه سالم من الأقذار، وألبسناه ملابس البها، حتى يذكر بلساننا، وينظر بعيننا، له مالنا، وعليه ما علينا، يجب له من التعظيم والاحترام والتوقير ما يجب لنا، فدمُه دمُنا، ولحمه لحمنا، فمن تعرض له في شيء أو آذاه فلا يخافن إلا نفسه، فالعاقبة نصب عينيه والأشياخ في أثره. فقد وليناه مكان سيدي علي...". ولما كان التعيين غير مؤرخ، فإننا نرجح أنه على الأقل صادر في آخر حياه الشيخ يوسف، أي قبل عام 1782 / 1197.

ويبدو من جهة أخرى أن محمد بُوجَدَّين قد وجد بني توزين وغيرها من جهات الريف مستعدة لتقبل الناصرية، وبذلك أصبحت زاويته مقصد الزوار الريفيين. إلا أن تحركاته بدأت تثير شكوك مخزن سيدي محمد بن عبدالله، مما دفع السلطان إلى تجريد حملة ضد الزاوية إثر وفاة محمد بُوجَدَّين، كلّف بها القائد العباس السفياني، كان ذلك في أوائل رمضان عام 1202، ولا شك أن عودة الأسرة إلى موطنها بعد تخريبها خلال ما تبقى من حياة السلطان، إذ

أننا نعلم أنها كانت بموطنها خلال عهد السلطان المولى سليمان تمارس مهمتها، ولكنها لم تنجُ من بطش السلطان وخلفائه. فحينما داهمت قوات المولى سليمان بني توزين أوقعت بزاوية محمد بُوجَدَّين، ودفع ما وجد فيها من المال ونحو خمسين قنطاراً من الحبوب. وسار السلطان عبد الرحمن بن هشام وابنه محمد على منواله. ولم يظهر شيء من ذلك على عهد الحسن الأول الذي وجد في مقدمي الزاوية ونقباء الأسرة أعواناً له لاستقرار أوضاع القبيلة خاصة والريف الشرقي بصفة عامة.

م. الضعيف، *تاريخ*، 194 ـ 345، الرباط، 1986 ؛ *مراسلات مخزنية خاصة* ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 92 ؛ *جائزة الحسن الثاني للوثائق* 1980.

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 1 / 113.

**بُوجَدَّين، المختار** بن محمد، المرابط الطالب الفقير، أحد أحفاد الشيخ محمد بُوجَدَّين، مؤسس فرع الزاوية الناصرية ببني توزين، أصبح مقدم الزاوية ونقيب الأسرة البوجدينية سنة 1301 / 1883، إثر وفاة قريبه أحمد بُوجَدَّين، وبقي بنفس الصفة إلى غاية سنة 1308 / 1891، ليحل مكانه ابنه محمد. وتأكدت لنا من خلال فترة إشرافه على الزاوية عودة دور زاوية بُوجَدَّين إلى الظهور على عهد الحسن الأول. فقد حاول المرابط المختار، في نطاق رعاية مصالح الأسرة والزاوية والملتفين حولها، الاحتفاظ بالسلطة المحلية بيد أسرة بُوجَدَّين لتسيير شؤون ثلث مشيخة بني بلعيز من فرقة إغَرْبِيّين الجبل. وقد تم تعيينه على ذلك القسم عام 1301 / 1883، لوقف أطماع جاريه حميدو التوزاني ومحمد بوزيان التوزاني المعيّنين على فرقة إغَرْبِيين الوطا. وقد نتجت تدخلاته ضدهما على انتزاع بني تعبان التوزانية لابن عمه محمد أمغار التوزاني. وعلى غرار ما كان يقوم به رجال الزوايا من الوساطة أبدى عطفه على أسرة عبد السلام التفرسيتي لدفع تعديات العربي الوليشكي، قائد بني وليشك خلال هذه الفترة عن الأسرة. وحينما فشلت مهمة الوساطة ضد ما كانت تقوم بعض جماعات بني توزين بمساعدة المطالسة، كتب إلى السلطان الحسن الأول المراسلة التالية :

"وبعد فإن بعض الفُسَّاد من بني توزين الذين تحزبوا مع المطالسة لما قُرئ عليهم كتاب سيدنا، الذي فيه النهي عن تحزبهم بحضوري، استكبروا وتبعوا هواهم، وهم : أولاد إبراهيم بن علّ وأولاد القاسم وأولاد مَلول. فبدعوته سلط الله عليهم النقمة في القريب بسبب العداوة مع إخوانهم بني بُييير، فقتلوا منهم ثمانية رقاب وأكلوا مالهم وهدموا ديارهم. وبعد هذا لم ينتهوا، بل صاروا يذبحون في أسواق المطالسة، وساكنوهم وصاروا كواحد منهم. فالأصلح للجانب العالي بالله يوظف على الفُسَّاد خمسة آلاف ريال : ثلاثة آلاف ريال على بني ملول، وألف على أولاد إبراهيم بن علّ، وألف على أولاد القاسم. في 13 ربيع الأول 1308".

وحينما تضارب الرأي بالبلاط المخزني في المقادير التي يجب أداؤها للمخزن من طرف قبائل الريف، استشار الحسن الأول المختار بُوجَدَّين في الأمر، فرد إليه الجواب متضمنا القائمة التالية " يوظف على قلعية 40.000 ريال ؛ بني سعيد 10.000 ريال ؛ تمسمان 9.000 ريال ؛ بني وليشك 8.000 ريال ؛ تافرسيت 6.000 ريال ؛ بني توزين 8.000 ريال؛ أجزناية 9.000 ريال ؛ بني ورياغل 9.000 ريال ؛ وأبدى رأيه في تحرير الشرفاء من الواجبات المخزنية قائلا : "يعلم سيدي لا تخلو قبيلة من المدعين للشرف. وإذا كانت دار واحدة شريفة في القبيلة، ينحاز إليها جل القبيلة للتحرر. فإذا وظف على القبيلة عشرة آلاف ريال يسقط منها الثلث لقاء الداعين. فإذا أراد سيدنا جميع المال فلا يحرر أحد، لأن هذا زكاة وأعشار. في 4 رمضان 1301".

*وثائق مخزنية خاصة.*

حسن الفكيكي

**بوجدور**، رأس يقع على خط العرض 26 درجة شمالا بمقاطعة الساقية الحمراء، ويبلغ ارتفاعه على سطح البحر نحو 60 مترا، وكان يعد من طرف البحارة الأجانب الحد الأقصى للملاحة إلى أن اجتازه للمرة الأولى البحار البرتغالي گونْثالو فيلهو كابرال Gonzalo Velho Cabral سنة 1416.

وإلى أوائل هذا القرن كان بوجدور يعد النقطة الفاصلة بين ناحية الساقية الحمراء وناحية وادي الذهب، ولا أدل على ذلك من أنه عندما فكرت إسبانيا في بسط نفوذها على شاطىء الصحراء المغربية الموالية للجزر الخالدات وأصدرت بلاغها المؤرخ في 26 ديسمبر 1884 أعلنت أن حمايتها على الشاطىء المذكور تمتد من رأس بوجدور شمالا إلى الرأس الأبيض جنوبا، كما أنه تم التوقيع على أول معاهدة إسبانية فرنسية بخصوص اقتسام المغرب بين الدولتين في 27 يونيو 1900 ذكرت المعاهدة أن مقاطعة وادي الذهب تحد برأس بوجدور شمالا والرأس الأبيض جنوبا.

وهناك رأس آخر يقع شمال رأس بوجدور يعرف برأس حَرْبَاز عند المغاربة وبفَالْسو كابُو بوجدور Falso Cabo Bojador (رأس بوجدور الغير الحقيقي) عند الإسبان.

A. Domenech Lafuente, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946 ; A. Flores Morales, *El Sahara Español* ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid, 1955 ; T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña : Ifni, Sahara*, Madrid, 1941.

محمد ابن عزوز حكيم

** كان رأس بوجدور يعتبر خلال القرون الوسطى، وإلى حين تغلب البرتغاليين على الصعوبات التي كانت تطرحها الملاحة جنوبه، بداية "بحر الظلمات". فحتى سنة 838 / 1434، لم يستطع أحد تجاوز رأس بوجدور في اتجاه الجنوب والعودة من هناك. فمن بين المحاولات التي تمت، وصلتنا أصداء محاولتين فاشلتين، قام بالأولى جنويان، الاخوان ڤيڤالدي Vivaldi اللذان انطلقا سنة 690 / 1291 في رحلة بحرية قصد الوصول إلى الهند عبر المحيط Ad partes

Indiae por Mar Oceanum، غير أنهما لم يعودا. وقام الكطلاني J. Ferrer في غشت سنة 1346، برحلة بحرية قصد الوصول إلى "وادي الذهب" الذي كانت الخرائط الأوروبية تشيد بوفرة التِّبر به. ومما لا شك فيه أن محاولات أخرى سبقت أو تلت المحاولتين المذكورتين. فقد أنفق هنري الملاح أموالا طائلة للتغلب على رأس بوجدور، وتم له ذلك بعد اثنتي عشرة سنة من المحاولات الفاشلة، أي إلى أن استطاع خديمه جيل يانس Gil Eanes سنة 838 / 1434 تجاوز الرأس والعودة منه، فاتحا بذلك في وجه البرتغال، الذي كان في أمس الحاجة إلى الذهب والعبيد، منطقة "غينيا" الغنية.

وبالطبع، لا عبرة بما أوردته المصادر العربية عن أسباب استحالة تجاوز رأس بوجدور. وقد أعطت كتب الرحلات البرتغالية خلال القرن التاسع (15 م) وبداية القرن التالي صورة عن الصعوبات الطبيعية التي كانت تحول دون عودة السفن من جنوب بوجدور، والتي أكدتها الدراسات الحديثة. فرأس بوجدور يوجد بعيداً عن سوس بحوالي 800 كلم، وهذه المسافة صحراوية، تكاد تنعدم بها المياه والنباتات، مما يفرض التزود بكميات هائلة من الأقوات والماء ذهابا وإيابا، أي لمسافة تبلغ على الأقل 1.600 كلم. كما أن المنطقة كثيرة الضباب، وتعرف تيارات (تيار الكناري) تحول حسب تعبير الاخباري البرتغالي E. Zurara دون العودة في اتجاه سوس، ويقل عمق المياه كثيراً بمحاذاة الساحل. لذا لم يتم التغلب على هذه العقبات إلا بمعرفة جيدة للمنطقة، وبالتخلي عن وسائل وطرق الملاحة بالأبيض المتوسط، أي باعتماد مركب شراعي، وبالابتعاد عن الساحل وقت الاتجاه جنوباً بحوالي أربعين كيلومتراً للوصول إلى عمق مقبول. أما في حالة العودة إلى البرتغال، فإن السفن كانت تبتعد عن التيار والرياح المعاكسة بالاتجاه غربا وشمال - غرب، حتى أرخبيل الأسُور، قبل التحول نحو البرتغال.

لم تستفد بوجدور من الكشوف الجغرافية، ومن تحول الطرق التجارية الدولية نحو المحيط، وذلك للعوامل الجغرافية السابقة الذكر. ولم تعرف بوجدور نمواً حقيقياً إلا بعد جلاء الإسبان عنها والتحاقها بالوطن الأب.

E. Zurara, *Cronica de Guiné*, Lisbonne, s.d., chap. VIII et IX; Pacheco Pereira, *Esmeraldo*...., p. 70 - 72 ; P. Chaunu, *L'expansion européenne*..., Paris, 1969, p. 138 - 139.

أحمد بوشرب

** يمثل رأس بُوجْدُور بين رأس جوبي (طرفاية) شمالا وشبه جزيرة الداخلة جنوبا، أكثر نقط ساحل الصحراء المغربية تقدما داخل المحيط الأطلنتي، ومن ثم أتت أهميته كمعلم رئيسي يهتدي به البحارة والصيادون منذ القديم، على طول هذا الساحل القفر.

وقد حفل النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) بمحاولات متكررة وعمليات شتى ذات طابع استكشافي أو تجاري، وأحيانا عسكري، قامت بها بعض الدول الأوربية، بصفة رسمية أو عبر مبادرات خاصة، تهدف إلى السيطرة على ساحل الصحراء المغربية. وكان رأس بوجدور وما حوله، من بين الأماكن الأولى التي شهدت عمليات النزول الأوربي. وبحكم وجودها بالجزر الخالدات، فرضت إسبانيا نفسها كأنشط قوة في المنطقة، بحيث استدرجت الدول الأخرى (خاصة منها فرنسا وبريطانيا وألمانيا)، في خضم المساومات الجارية آنذاك بينها لاقتسام العالم، إلى الاعتراف لها بحقوق خاصة هنا. ففي عام 1884، صدر قرار عن الحكومة الإسبانية يقضي بوضع كل الأراضي الممتدة بين وادي نون والرأس الأبيض (حيث توجد الگويرة ونواديبو حاليا) تحت نفوذ إسبانيا ومراقبتها. وبعد ثلاث سنوات صدر مرسوم عن ملك إسبانيا أُلْحق بموجبه هذا الساحل، وعلى عمق 150 ميل، بالسلطات الإسبانية المستقرة بالجزر الخالدات.

غير أن الوجود الإسباني لم يبتعد كثيراً عن الساحل والأراضي الخلفية المباشرة له. فالسيطرة على الجهات الداخلية لم تتم بالفعل إلا في نهاية الثلاثينات من القرن العشرين. وعلى عكس مقاطعتي الساقية الحمراء شمالا ووادي الذهب جنوبا، حيث أدى الاحتلال الإسباني إلى ظهور بعض أشكال الاستقرار والتعمير والاستغلال الاقتصادي العصري، خاصة خلال الستينات وبداية السبعينات، فإن منطقة بوجدور الواقعة في الوسط، لم تحظ بأي اهتمام يذكر.

وقد فرض استرجاع المغرب لصحرائه سنة 1975 العمل على النهوض بها لا سيما وأن بها امكانيات وموارد طبيعية لا يستهان بها. ومن أجل إبراز خصوصيات المنطقة والمساعدة على تنميتها، أنشئ هنا إقليم إداري قائم بذاته، مقره مركز بوجدور.

** يقع إقليم بوجدور بين خطي العرض الشماليين 26 د و27 د ونصف، وخطي الطول الغربيين 12 د و15 د، يحده المحيط الأطلنتي غربا، وموريطانيا شرقا، وإقليما العيون وسمارة شمالا وإقليم وادي الذهب جنوبا. وبذلك تبلغ مساحته نحو 40.000 كلم2، أي 15٪ من مجموع الصحراء المسترجعة.

يتألف الإقليم من ثلاث وحدات تضاريسية كبرى، تنتظم بصفة موازية مع ساحل المحيط. فعلى طول هذا الأخير، يمتد سهل منخفض، يظل سطحه دون 200 م، يغلب عليه منظر الانبساط، مع انتشار الكثبان الرملية وبروز نتوءات صخرية منعزلة، كما تتعدد، من جهة الداخل، أحواض صغيرة دائرية الشكل، يغطي قعرها المستوي طبقة رقيقة من التربة الرملية والطينية تدعى "بالگرارات" لها أهمية فلاحية كبيرة. وتنفتح أحيانا منخفضات واسعة، تغمرها مياه السيل فتتحول إلى سباخ بفعل التبخر وتوضُّع الأملاح. أما الساحل فإنه يتخذ شكلا مستقيما وينتهي بأجراف صخرية قائمة، كما تتخلله منخفضات طولية، محصورة بأشرطة رملية تتسرب إلى داخلها مياه البحر.

أما الوحدة التضاريسية الثانية، فهي هضبة واسعة، عبارة عن حمادة مكونة من طبقات كلسية سميكة، وهي التي تحتوي على مذخرات الفسفاط في منطقة بوكراع شمالا (إقليم العيون). وأخيراً، في جهة الشرق، تنتصب كتلة زمور ذات الصخور القديمة والسطح المتموج على شكل تلال ومتون يصل ارتفاعها إلى 650 ـ 700 م.

رغم كون المناخ صحراويا في مجموع الأقاليم، فإنه يسجل اختلافات جهوية محسوسة تبعا للبعد أو القرب من البحر. فالجهات الساحلية تتميز بهبوب رياح بحرية خفيفة عادة، لكنها تشتد أحيانا لتنتج عنها عواصف رملية عنيفة. وغالبا ما تكون السماء غائمة هنا، خاصة في الصباح، مع تكرار حالات الضباب، مما يقلل من قوة التبخر. ونظرا لرطوبة الجو العالية (80 إلى 90٪)، فإن تساقط الندى يحدث في المعدل بين 25 و30 ليلة في السنة، الشيء الذي يعوض نسبيا ضعف الأمطار التي لا تزيد عن 50 إلى 60 مم في العام. أما الحرارة، فتبقى معتدلة مع فوارق بسيطة طيلة السنة. ففي بوجدور يتراوح المعدل الشهري بين 18 د في فبراير وماي، و22 درجة في غشت، بينما يصل معدل الحرارة السنوية العليا 29 د ومعدل الحرارة الدنيا 13 د.

وعلى بعد 20 إلى 40 كلم من الساحل، حسب الجهات، تتناقص بسرعة مؤثرات البحر الملطفة لتتلاشى تماما في الداخل، حيث يكون أديم السماء صافيا وتنزل نسبة رطوبة الجو إلى أدنى من 30٪ مما يزيد من معدل الإشماس (3.000 ساعة في السنة مقابل 2.500 ببوجدور)، وتتعمق الفوارق الحرارية اليومية والسنوية. وتتقلص كميات الأمطار فوق الحمادة إلى ميلمترات معدودات تسقط بضع مرات في السنة على شكل وابل عنيف ومركز، لتزيد من جديد في هضبة زمور بسبب الارتفاع.

وبحكم سيادة الجفاف طيلة السنة، وكذا هبوب الرياح الصحراوية (إرفي)، فإن الغطاء النباتي هزيل جداً على العموم، إلا في موقعين : في الجهات الساحلية حيث يساعد تهاطل بعض الأمطار وأكثر من ذلك، وفرة الندى، على نمو أعشاب ونباتات شوكية مختلفة، خاصة في الگرارات والأحواض ثم في گلتة زمور التي تعرف أوديتها تكاثف النباتات العشبية مع بعض الأشجار مما يعطي منظرا يحاكي منظر منطقة الساحل السوداني.

إلى جانب العشب، يمثل الماء العنصر الأساسي لحياة الأنعام والسكان. فإذا كانت كل الأودية جافة، لا يجري بها الماء مؤقتا إلا إثر تهاطل وابل من المطر، فإن المهمة منها تحتفظ ببعض الجريان الباطني لمدة أطول. وتنبعث جل الأودية من مرتفعات زمور (واد الخط، الساقية الحمراء) التي تتوفر أيضا على أهم تجمع مائي سطحي دائم (الگلتة)، وقد مثلت دائما نقطة رئيسية في تحركات القوافل التجارية والرحل. كما أن هناك سُدُماً جوفية متفاوتة العمق والقيمة، ماؤها عذب أحيانا وأُجاجٌ أحيانا أخرى، تغذي عدة آبار، خاصة بالمناطق الساحلية التي تحمل بالفعل اسم "الحسيان" (ج حاس = بئر).

إن هذه الظروف الطبيعية العسيرة، السائدة بالصحراء الغربية عموما، لا تشجع على استقرار السكان وازدهار العمران. لذا فإن الحياة البشرية هنا ظلت تعتمد على الرعي والترحال، مستغلة الموارد المائية والنباتية المحدودة، المتقطعة في الزمان والمتفرقة على مجال جد فسيح. فهذا الإقليم يدخل ضمن مناطق تنقل قبائل الرگيبات التي دأبت منذ قرون على التحرك مع قطعان الإبل التي تمدها باللبن (عماد التغذية اليومية، مع الشاي والتمر والشعير) وتسمح لها بالمتاجرة عبر كل المجال الممتد من وادي درعة شمالا إلى نهر السنغال جنوبا، ومن المحيط غرباً إلى تندوف وأطار في الداخل.

إلى جانب الرگيبات الواسعة الانتشار، نجد بناحية بوجدور قبائل أولاد تيدْرَارين، وبناحية زمور قبائل أولاد دليم، التي كانت تشتغلَ هي الأخرى بالتجارة وتربية الإبل، إلى جانب تربية الأغنام والماعز نظراً للوفرة النسبية في الماء والكلإ التي تميز هاتين المنطقتين، إضافة إلى ممارسة زراعة الشعير في الگرارات والأحواض والأودية.

ولم يقلل الوجود الإسباني، المنحصر في بعض الثكنات العسكرية والمراكز الواقعة على الساحل أساسا، من أهمية تحرك هذه القبائل. فظلت بوجدور في الغرب، وگلتة زمور في الشرق من بين أهم المحطات الواسعة على طرق القوافل. إلا أن الحرب التي اندلعت في أعقاب استرجاع الصحراء من طرف المغرب واستمرت طويلا، قد وضعت حدا لحياة الترحال مرغمة السكان على الاستقرار بالمراكز والمدن.

وقد سمح البناء التدريجي للجدران الأمنية بإعادة الاستقرار إلى المنطقة، ومن ثم باستئناف حياة الرعي، بأشكال جديدة، وبتطوير الفلاحة وبنمو العمران وازدهار الصيد البحري. فعدد السكان لم يكن يزيد عن أربعة أو خمسة آلاف نسمة قبيل استرجاع الصحراء، ارتفع إلى نحو 8.500 حسب إحصاء 1982، ليناهز 14.000 في 1990. مع ذلك يبقى إقليم بوجدور أقل الأقاليم الصحراوية المغربية تعميراً وتمدينا، إذ أن متوسط الكثافة السكانية العامة يقل عن 4 أشخاص في كل 10 كلم² ويعيش جل هؤلاء السكان في مركزين هما گلتة زمور وبوجدور.

فالأول، الواقع قرب الحدود الموريطانية، كان يضم نحو 2.500 نسمة في سنة 1974. إلا أن ظروف الحرب جعلت غالبية السكان يلتجئون إلى المناطق الشمالية والغربية الآمنة، فلم يُحصَ بالمركز إلا 625 نسمة في سنة 1982. أما بوجدور، فلم يكن به أكثر من 590 نسمة سنة 1974، لكن عودته إلى التراب الوطني وترقيته إلى عاصمة إقليم جديد وتدعيمه بالعديد من المنشآت الأساسية والمرافق العمومية كانت عوامل أدت إلى توافد السكان إليه، فارتفع عددهم إلى 3.600 سنة 1982.

** تقع مدينة بوجدور على بعد 170 كلم إلى الجنوب الغربي

من العيون، وقد نمت أصلا انطلاقا من منارة للملاحة أقامها الإسبان سنة 1953 على ساحل الرأس الذي تحمل اسمه، نشأت بجانبها ثكنة عسكرية وبعض البنايات الخفيفة. وغداة الرجوع إلى المغرب، انطلقت عدة أعمال عمرانية هامة : بناء محطة لتحلية ماء البحر (1976)، إقامة مولّدين كهربائيين يعملان بالديزل، توسيع وتجديد شبكتي الماء والكهرباء، مد قنوات التطهير والطرقات، فتح عدة أوراش للبناء، توزيع قطع أرضية على الأسر، استقرار المصالح الإدارية الإقليمية، تشييد المسجد الكبير ومدارس وإعدادية ومركز للتكوين المهني ومستشفى بطاقة 30 سريراً (1987)، الخ....

كما أدى النمو السريع للسكان إلى استغلال المياه الجوفية الواقعة في ضواحي المدينة التي تنتظم حالياً حول نواة مركزية بها المنشآت الإدارية والعمومية، وتتوسع تدريجيا نحو البحر، أي في اتجاه الميناء الذي يمثل القلب الاقتصادي للاقليم. ذلك أن ميناء بوجدور هو الوحيد الذي يوجد بين ميناء العيون والداخلة على ساحل مديد تزخر مياهه بواحدة من أكبر الثروات السمكية في العالم. فمرور تيار بحري بارد (تيار الخالدات) بصفة موازية مع الساحل ينشئ هنا أحسن الظروف لوفرة العلق وبالتالي لتكاثر مختلف أنواع الأسماك والقشريات. وقد دأبت جماعات من الأهالي (خاصة منهم إمْزاگن والشّناگلة)، منذ قديم، على ممارسة أشكال بدائية من الصيد قرب الشاطئ، بدون قوارب، مستعملين شباكا بسيطة يعترضون بواسطتها سبيل أسراب السمك المتنقل.

وقد عمل المكتب الوطني للصيد البحري على تشجيع الصيادين المحليين وذلك بمنحهم مساعدات مادية وتقنية تمكنهم من الحصول على قوارب جيدة وتزويدها بالمحركات حتى يستطيعوا الابتعاد عن الساحل وتحسين مردودية نشاطهم. كما دفع بالصيادين إلى أن ينظموا أنفسهم في تعاونية تساعدهم على شراء حاجاتهم وتسويق إنتاجهم في ظروف تضمن لهم مستوى عيش أفضل. ومن جهة أخرى، شُيِّد حاجز يقي القوارب من الأمواج وجُهِّز الميناء الجديد ببعض المرافق الضرورية للعمل. وهكذا أصبح الصيد وما يتفرع عنه من أنشطة التجارة والنقل والخدمات، أهم قطاع لتشغيل سكان المدينة التي يدنو عددهم من 10.000 نسمة سنة 1990.

أثر هذا النشاط بعمق في حياة السكان المحليين، إذ أن السمك غدا عنصرا أساسيا في تغذيتهم، والإنتاج الأساسي للتسويق الداخلي والتصدير، علاوة على أن الصحراويين، الذين طالما أداروا ظهرهم للبحر في الماضي، أصبحوا يرتبطون بهذا الأخير ارتباطا شديداً. ويمكن أن يزيد تأثير البحر ومنتجاته على اقتصاد المدينة والإقليم إذا ما توفرت الظروف والوسائل لاستغلال أفضل للمذخرات السمكية الهائلة القريبة التي تظل هبة تتهافت عليها الأساطيل الأجنبية الوافدة من كل أنحاء العالم، والمجهزة بأحدث وسائل وتقنيات الصيد والتبريد والتصنيع المتطورة.

وأمام تزايد سكان المدينة وتوسع وتنوع سوقها الاستهلاكية، وقع الاهتمام بالزراعة الصحراوية، فاستصلحت عدة گرارات وأحواض قريبة من بوجدور، على مساحة إجمالية تناهز 10.000 هكتار، يُحرث جزء منها بالجرار ويُزرع بها الشعير. كما خصصت بعض المساحة المسقية بالمدينة لإنتاج الخضروات. وأنشئت وحدات لتربية الماشية، وجلبت أعداد من الإبل للاستفادة من المراعي المحلية ... كذلك يسعى المسؤولون إلى تنمية السياحة الصحراوية المعتمدة على القنص نظراً لتنوع الوحيش بالمنطقة. وأخيراً يدعم دور بوجدور كمرحلة عبور أساسية بين العيون والداخلة اللتين تربطهما طريق رئيسية.

*تحريات ميدانية.*

عبداللطيف فضل الله

**بوجعران**، أو أبو جعران أو أم جعران، ويسمى في المعاجم جُعَل، وجلاّلة، وقلقولة. جنس حشرات Insecta من الخنافس السوداء مغمدات الأجنحة Coleoptera ومن فصيلة الجُعليات Scarabaeinae التي يفوق عدد أنواعها الألف في العالم.

تدعى كل الأنواع في المغرب بوجعران وخنفوس وزرنان في المناطق الشرقية. تعيش كلها على براز الحيوانات العاشبة وتقتات يرقاتها من الروث الذي يخفيه الزوجان في جحور تحفرها في الحقول وتساهم بهذا في تسميد التربة بالمواد العضوية.

من أشهر الأنواع الجُعل المقدس Scarabeus sacer المسمى بالفرنسية Scarabé sacré وبالأنجليزية Sacred beetle. يبلغ طوله 25 ملم ولونه أسود لامع، الجناحان أملسان وغير مخطوطين، ينتهي الفكان بأسنان دائرية تساعده على قطع البراز. تتميز الأنثى بغياب المبيض الأيمن لديها. يتعاون الزوجان في صنع كرة صغيرة من البراز يتراوح قطرها ما بين 15 و40 ملم ويسيران بها مسافات طويلة ليضعاها داخل جحر عميق ويقسمانها قطعا صغيرة لتضع الأنثى بيضة في كل منها. تتغذى اليرقة من هذه القطعة وتنمو فيها.

يضم جنس القلقولة Géotropes عدة أنواع في المغرب يتراوح طولها ما بين 12 و25 ملم، أشهرها Géotropes vernalis، لا يتعدى طوله 18 ملم، الأجنحة ملساء، غير مخططة، سوداء مخضرة اللمعان.

يبلغ طول Géotropes stercorarius 25 ملم. جناحاه مخططان، لونه أزرق مسود معدني اللمعان، البطن بنفسجي.

تطير هذه الأنواع في الغروب والشروق وتحدث صوتا قويا يسمع من بعيد. تقوده حاسة الشم القوية إلى مكان براز الحيوانات العاشبة ويحفر الزوجان مباشرة تحت مكان الروث لتضع فيها قطعا إجاصية الشكل من البراز وتضع الأنثى في كل منها بيضة. يتراوح عمق الجحر ما بين 20

و90 سم وكثيرا ما تشعبه الأنثى لتضع في كل منتهى قطعة من البراز.

بوجعران شائع في جميع أنحاء المغرب ووجوده مرتبط بالحيوانات العاشبة.

المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

M. Pintoine, *Coléoptères carabiques du Maroc*, Mem. Soc. Sc. Nat. Phys. Maroc, Série zoologie, 9 fascicules, 1955 - 1961; L. Kocher, *Catalogue commenté des coléoptères du Maroc*, Trav. Inst. Sc. Cher., Série zoologie (12 Fascicules), 1956 - 1962 ; *Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et Techniques, Zoologie* II, 117 - 119, 1984.

نجاة الخياطي

**بوجلود** (باب ـ)، أحد أبواب فاس اللافتة للأنظار بهندستها وزخرفتها وجمالها. وأهميته تأتي أيضاً، من كونه أقرب الأبواب إلى فاس الجديد والقصر السلطاني، بحيث كان هو المدخل العادي لمن يأتي من تلك الجهة للمدينة. وأصبح في العصر الحديث هو الباب الذي يلج منه السواح، في الغالب، إلى فاس بقصد زيارتها، لكن من الواجب التذكير، بادئ ذي بدء، بأن الباب الجميل الحالي ليس هو الباب التاريخي لقصبة بوجلود. وقد أخطأ جملة من الكتاب والمؤرخين حين اعتقدوا أنه من الأبواب الأثرية وأكدوا أنه من أقدم الأبواب في أسوارها القديمة.

إنه الباب الذي أنشئ في أول عهد الحماية الفرنسية سنة 1913. وقد كان الباب التاريخي يقع على يساره، وهو على شكل عادي في صورة حربة، وقد أغلق وظل مغلقاً إلى اليوم، وكان يُدعى باب القصبة القديمة كما ورد في *نشر المثاني*، إشارة إلى قصبة المرابطين.

أما الباب الحالي فهو ذو ثلاث فتحات مزخرفة بالزليج الأزرق الفاسي من الواجهة الخارجية وبالأخضر من الواجهة الداخلية، وقد تحرى مهندسوه الفرنسيون أن يحاكوا النماذج المغربية التقليدية فجاء على شاكلتها، وبذلك اشتهر في العالم وقُدم في النشرات السياحية، وتوهم الكثير أنه من مخلفات الماضي.

والحقيقة أن ذلك الباب أثار مشاعر الفاسيين الذين كانوا ساخطين على نظام الحماية الاستعماري، فسموه باب النصارى وتشاءموا منه، ورفض البعض أن يجتازوا تحت قوسه، برغم كون الفرنسيين سموه "باب الأمة". وعلم الفرنسيون بهذا التذمر العام، فاستعملوا وسائل السلطة، وكان من جملة التدابير التي لجأوا إليها أن أغلقوا باب القصبة القديم. وكما ورد في مقال للأستاذ عبد القادر زمامة "تناسى الناس اسم باب النصارى، لكنهم لم يستعملوا باب الأمه، وإنما استعملوا باب بوجلود أو باب أبي الجنود". وقد فسرنا في مادة "قصبة بوجلود" الآتية أصل هاته التسمية.

وهذا الباب له أهميته في نشاط المدينة العام، فهو كما بيَّن لوتورنو يدخل في محور مهم هو محور باب محروق ـ بوجلود ـ المركز، فيتصل مباشرة بالشارعين التجاريين الكبيرين اللذين يخترقان المدينة : الطالعة الكبيرة والطالعة الصغيرة، حيث توجد القيساريات والأسواق وعدد من الحرف التقليدية. وهو، على أي حال، أحد الأبواب الثلاثة التي كانت تمر منها تجارة فاس وهي باب عجيسة وباب فتوح وباب بوجلود.

ومن الناحية الاجتماعية يقع باب بوجلود في حي شعبي حيث يكثر البيطريون، والفنادق، وأصحاب المطاعم البسيطة، والمقاهي. وكان صغار القوم وحدهم مع الأسر التي مازالت لم تستقر بعد بفاس هم الذين يقبلون هذا الجوار الصاخب، العامي، الكريه الرائحة، المواتي للمغامرات (لوتورنو، *فاس*، ص. 324).

ولعلها في المشروعات العمرانية الجديدة الهادفة لإنقاذ مدينة فاس كإحدى الحواضر التاريخية في العالم ستدخل في أطوار أخرى.

**بوجلود**، (قصبة ـ) بناها يوسف بن تاشفين في شمال مدينة فاس. لكن قبل التعريف بها، من الواجب التحقيق في هذا الاسم بوجلود الذي ارتبطت به، وأصبح لاصقا بها. والحقيقة أنه اسم لم يرد في المصادر التاريخية قديمها وحديثها، فلا ذكر له لا في *المعجب* ولا عند البيذق ولا عند ابن عذاري وابن خلدون وابن الخطيب وابن أبي زرع، ولا عند المؤرخين الذين كتبوا في عهد السعديين والعلويين. بل هنالك اختلاف حتى في كتابة هذا الاسم، إذ منهم من دعاه أباالجنود أو أباجمود.

وكل هذا يدل على أن الاسم ليس بقديم. وفي مقال للأستاذ عبد القادر زمامة اجتهاد محمود في تحقيق هذا الاسم. فبالرجوع إلى الحوالة الخاصة بالقرويين المدعوة بالإسماعيلية ذكر *عرصات أبي الجلود وعرصة بوجمود*. فهي كما ورد في المقال "بقعة جميلة أحاطت بها الأشجار والمياه وامتلك الناس بها على مر العصور الحدائق الغناء، وغرسوا بها الأشجار والرياحين بين فاس المرينية وفاس الإدريسية" ومن دون شك إن هذا الاسم اشتهر منذ أواخر القرن الثاني عشر (18 م) باشتهار جنان بوجلود الذي بنيت فيه عدة قصور منذ عهد السلطان اليزيد. فيكون هذا الاسم، إذن، حديثا والنسبة إليه حديثة.

وكما ذكرنا، في الأول، فإن يوسف بن تاشفين هو باني القصبة بفاس. وقد عانى الكثير من أجل فتح المدينة. وذكر *روض القرطاس* أنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها إلا في الفتح الثالث الذي جرى سنة 462 / 1070 وقتل من أهلها عددا كثيرا. وعندئذ قام بإصلاحات عمرانية كبيرة منها هدم الأسوار التي كانت تفصل بين عدوتي القرويين والأندلس وجعلها مدينة واحدة. وأمر ببناء المساجد وأجبر سكان الأزقة والأحياء على بناء المساجد فيها، و"بنى الحمامات والفنادق والأرحاء، وأصلح أسواقها وهذب بناءها وأقام بها إلى شهر صفر سنة ثلاث وستين وأربعمائة".

وإذا كان *القرطاس* لا يذكر القصبة، فقد تحدث عنها صاحب *الاستبصار* قبل ذلك بقرنين على الأقل، حين ذكر "قصبة السلطان" وأشار إلى وجود جامع بها "لأن القصبة

منحازة عن البلد بسور، فوجب أن يكون فيها جامع" (ص. 181). والمصدر الذي ترك لنا وصفا مسهبا للقصبة هو الحسن الوزان، فهو يذكر أن القصبة أسست أيام لمتونة، مشيراً بذلك إلى يوسف ابن تاشفين. وكانت مساحتها كبيرة مثل مساحة مدينة. وكانت واقعة بجنب سوق السراجين وصناع الرماح. فيتوسطها "شارع في غاية الجمال يمتد من الباب الغربي إلى قصر مشيد تسكنه أخت الملك أو غيرها من أقاربه" (ص. 240).

وحديث الوزان هنا يعني عهد الوطاسيين، إذ كان معاصرا لهم، لكن القصبة في أصلها كانت هي المركز السلطاني في المدينة، تبعا لنمط المدينة الإسلامية مثل بغداد وقرطبة. وهو ما يؤكده الوزان حين يقول : "وقد كانت قديما مقر إقامة عمال فاس وأمرائها قبل أن تصبح المدينة عاصمة المملكة" (ص. 248)، مما يعني أنها قامت بهذا الدور في عهدي المرابطين والموحدين.

لكن، ألا يتناقض ذلك مع ما أورده *روض القرطاس* من كون عبد المومن أمر بهدم سور فاس وأحدث فيه ثلمات كثيرة ومسافات وقال : "إنا لا نحتاج إلى سور، وإنما الأسوار سيوفنا وعدلنا"، ويضيف نفس المصدر أن عبد المومن انتقم من فاس التي قاومته بإطلاق السيل عليها بعد أن حبس النهر فكان ذلك سببا في هدم سورها وهدم ألفي دار من بيوتها.

إنهما روايتان تحتاجان إلى شيء من التحقيق، لأنهما لم تردا في كل المصادر. وعلى فرض أنهما صحيحتان، فهذا لا يعني أن عبد المومن خرب القصبة التي كانت مقر السلطان، وإنما سلط انتقامه على الأحياء السكنية. وهو ما يتماشى مع المنطق. على أن الموحدين عادوا في أيام المنصور والناصر فأصلحوا ما خرب جدهم. فيذكر الجزنائي في *زهرة الآس* أن المنصور أمر ببناء ما هدمه جده "وكمله ولده أبو عبد الله محمد الناصر وبنى قصبة الوادي التي بها الآن" (ص. 43).

وبناء القصبة، من جديد، قد يفهم منه أنها خربت أو أنها قد بليت وتهدمت بفعل الزمان بعد أن مضى على بنائها ما لا يقل عن قرن ونصف. وأنا أميل إلى الفهم الأخير. وينوه الجزنائي بما أدركته فاس في عهد المرابطين والموحدين بالعبارات التالية :

"وانتهت مدينة فاس في أيام المرابطين والموحدين من بعدهم من الغبطة والعمارة والرفاهية والدعة والأمن والعافية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب، لا سيما في أيام المنصور الموحدي وولده محمد الناصر" (ص. 43).

فنفهم من هذا الكلام أن فاس استكملت كل وسائل تحصينها في عهد الموحدين ومنها القصبة. والالحاح على هذا الموضوع يدل على أن فاس كان لها دور عسكري خاص، كما أدرك ذلك لوترنو Le Tourneau وسنعود من بعد للموضوع.

لكن، هل عرفت القصبة تطورات أخرى في عهد المرينيين ؟ يجيبنا الوزان على ذلك بأن ملوك بني مرين منذ أن أسسوا فاس الجديد سنة 674 / 1276، تخلوا عن القصبة التي تحولت إلى دار إقامة للوالي. لكن، يظهر أنها دخلت في طور من التدهور منذ ذلك الحين إلى أن فقدت الكثير من معالمها في مستهل القرن العاشر (16 م) كما يشهد بذلك الوزان :

"وقد اندثرت معالم القصور التي كانت بها في أيامنا هاته وصار مكانها بساتين، ولم يبق منها سوى قصر واحد يسكنه العامل، وأبنية أخرى لأسرته. وهنالك أماكن خاصة مجهزة بمقاعد، يعقد فيها العامل جلساته للنظر في القضايا والحكم بين الناس. وتضم القصبة كذلك سجنا مبنيا على شكل كهف، سقفه معقود على أعمدة عديدة. وهو فسيح جدا يمكن أن يسع ثلاثة آلاف شخص، ليس فيه أية درج مفصولة أو سرية، لأنه ليس من العادة بفاس أن يوضع أحد في زنزانة. ويخترق القصبة جدول لحاجات العامل والترفيه عليه" (ص. 248).

وبالجملة، فالقصبة عرفت عهدا من النمو والازدهار في عهد الدولتين المرابطية والموحدية، فكانت مدينة بكل معنى الكلمة بمسجدها وأسواقها وشارعها الجميل الذي يخترقها، لكن مع تقلص دورها في عهد المرينيين، اندثر الكثير من أبنيتها وتحول إلى بساتين تتوسطها دار الوالي.

وقد ظل هذا شأنها، على العموم، في عهد السعديين والعلويين. لكن الشيء الذي يثير الانتباه، عند استعراض تاريخ القصبة، وهو الدور العسكري المهم الذي كان منوطا بفاس ودعا الموابطين والموحدين إلى الاهتمام بالقصبة. يقول لوتورنو في هذا الصدد :

"وأصبحت فاس، مع يوسف بن تاشفين، القاعدة الرئيسية لعملية أمبراطورية كبيرة، وامبراطورية حربية. فسواء تعلق الأمر بالزحف إلى الشرق، نحو تازا وملوية وتلمسان وحتى الجزائر، كما حدث ذلك من 1070 إلى 1082، أو أراد يوسف إخضاع قبائل الريف وجبالة وإماراتهما إلى سلطته، أو ذهب لإغاثة مسلمي إسبانيا المضطهدين من طرف المسيحيين، أو ذهب بعد ذلك بقليل لفتح إسبانيا المسلمة، فإنه كان يتخذ فاسا دائما كقاعدة أساسية، ولهذا الغرض بنى القصبة التي يمكن التعرف عليها بالحي الذي مازال يسمى بقصبة بوجلود. فكانت هذه القصبة مفصولة تماما عن باقي المدينة وتشرف عليها إشرافا مباشرا" (ص. 84).

ونضيف أن القصبة كانت أيضا أهم وسيلة للدفاع الداخلي عن المدينة التي بحكم موقعها وثرائها كانت تغري الفاتحين والمغيرين من كل الأصناف والمستويات. والتاريخ يقدم لنا أمثلة كثيرة على ذلك. وكان، بالطبع، لإنشاء هاته القصبة الكبيرة أثرها في الحياة الاقتصادية، إذا اعتبرنا أن الجيوش التي كانت تستقر بها، ولو لمدة محدودة، كانت تتزود منها كما كان لها انعكاسها على التطور العمراني للمدينة بما أدخلته من تغييرات على

تخطيطها الأولي.

وفي أيام السعديين لم يبق للقصبة أهمية عسكرية كبيرة، بعد أن بنوا قصبتهم بالمدينة الجديدة، المعروفة بقصبة بطاطحة، وبعد أن بنوا أبراجا بفاس الجديد وجعلوا جنب كل واحد منها قصبة لإيواء حراسه.

ورافق هذا التدهور المتواصل في دورها العسكري تحول الكثير من بقعها إلى أراضي زراعية كانت عبارة عن عرصات، دعيت عرصات بوجلود كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وهكذا اندثرت هاته القصبة، ولم يبق منها إلا بعض المعالم القليلة التي تدل عليها مثل الباب، والمدرسة البوعنانية التي بناها المرينيون قريبا منها، والجامع الجميل الذي بناه الموحدون ومطامير مرابطية.

ويذكر لوتورنو أن المثلث الواسع لبوجلود كان خاليا تقريبا مما أهله لأن يصبح مخيما لرجال القوافل أثناء مرورهم، وميدانا لأصحاب الحلقات من قصاصين وسحرة ومشعوذين الخ... ومن شواهد تلك المنطقة الخضراء التي تحول إليها معظم القصبة ذلك البستان العمومي الجميل المعروف بجنان السبيل والذي يعد من أروع منتزهات فاس. وسيأتي الحديث عنه في مكانه.

مجهول، *الاستبصار*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، الرباط، 1967 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، بيروت، 1983 ؛ لوتورنو، *فاس قبل الحماية*، بيروت، 1986 ؛ عبد القادر زمامة، *باب بوجلود بفاس*، *مجلة المناهل*، ع 13 / 1978.

محمد زنيبر

**بوجلود** (فولكلور) ← **بويطاين**

**بوجَدْيَان**، قرية واقعة بجبل أهل سريف، فرقة بني إدريس، مستقرة عند جبل بوعلي 639 م. حول عين بوعمر، إحدى منابع واد وارور، رافد واد المخازن. يجاورها هناك عين سمان وباب الكبيرة ودار الواد.

عرفنا بوجود القرية برناردو ردريگس، صاحب *حوليات أصيلا* بمناسبة تعرضها لغارات البرتغاليين المنطلقة من طنجة وأصيلا سنة 951 ـ 952 / 1545. إذ أن القرية كانت طالع الجبل وحوز القصر الكبير، بالاضافة إلى أنها كانت نقطة تجمع فرسان المجاهدين، سواء وقت الهجوم البرتغالي أو أثناء إعداد الغارات على أصيلا المحتلة.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 350، 428، 436، 518، 529 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 58.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 1 : 30, 31, 343, 382 ; 2 : 377, 381.

حسن الفكيكي

**بوجمادى**، اسم للقسم الشرقي من قبيلة أولاد بو السْباع عندما يقسمها وادي شيشاوة إلى شطرين. وهو سهل واسع يتراوح ارتفاعه بين 400 م و500 م. مع انحدار من الجنوب نحو الشمال وميل عام في اتجاه الوادي، وتربته فقيرة لأنها تحتوي في معظمها على قشرة كلسية. وقد وصف دوتي Doutté سهل بوجمادى عند اجتيازه القبيلة في بداية القرن العشرين بأنه عقيم مليء بالأحجار، ولهذا يطلق السكان على الجزء الذي يمتد إلى محاذاة مرتفعات إدويران اسم "الحرش" (*En Tribu*, 245).

وتنتشر الأراضي الخصبة في بعض المناطق المحدودة كالمجُون شمال سهل بوجمادى المجاور لقبيلة تكنة وعلى ضفاف الوادي. وتتميز منطقة بوجمادى بوجود بعض المعالم التاريخية الدينية والمخزنية. ففيها قصبة ابن الشيگر مقر أول قيادة مخزنية في القبيلة، بناها مولاي أحمد بن الشيگر عندما عينه السلطان مولاي عبدالرحمان قائداً على السباعيين أواسط القرن الثالث عشر (19م). وتشمل منطقة بوجمادى عدداً من القرى نذكر من بينها قرية العوامر حيث تتميز دار القائد العربي السباعي بأبراجها الأربعة، وهو من الأعيان، كان في خدمة السلطان مولاي عبدالعزيز بمشور مراكش، وصار باشا في زناتة بعدما توفق هو ومن معه في إلقاء القبض على بوحمارة حوالي سنة 1909.

وتحتضن أيضا قرية الهلالات مقر قيادة القائد مبارك ابن البشير السباعي، بينما تعتبر قرية أولاد الزير معقل أسرة القائد علي بركاتو. وقد شيدت ببوجمادى زوايا ومدارس علمية ما زالت قائمة حتى اليوم، مثل مدرسة السعيدات، ومدرسة بوعنفير، ومدرسة أولاد عبدالمولى. وتوجد بها السوق الأسبوعية التقليدية التي كانت وما تزال تنعقد كل يوم جمعة.

*خريطة القبائل* 1949، مقياس 1/500.000 ؛ *خريطة إيمي ـ ن ـ تانوت* مقياس 1/100.000 ؛ *خريطة حدود قبيلة أولاد بو السباع وأهم قراها* ؛ *خريطة شيشاوة*، مقياس 1/200.000 ؛ م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، د. د. ع. 1988 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*.

E. Doutté, *En Tribu*, Paris, 1914 ; M. et E. Gouvion, *Kitab Aâyane al-Maghrib L-Akça*, paris, 1939.

م. حسن كفناني

**بوجمعة**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الخلط، وكان جل أفرادها ينتمون إلى الجندية حيث نجدهم يعملون بحامية تطوان سنة 1246/1830 مثل : بوجمعة، عبدالسلام المدفعي، بوجمعة، محمد البحار، ومازالت هذه الأسرة بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 212، 213، 356 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوجمعة**، (الباشا ـ) بن مبارك المسفيوي باشا بني ملال الشهير. ولد بفخذة تَاسُّورْت من قبيلة مسفيوة، حوالي سنة 1303/1885، ونشأ كأبناء الفلاحين في عصره لا يقرأ ولا يكتب، وغادر مسقط رأسه وهو ابن ست عشرة سنة لينخرط كجندي في جيش مولاي عبدالعزيز بفاس، وظهر نبوغه العسكري ضمن جماعة من الشبان الذين ترقوا

سريعاً في درجات الجندية إلى أن أصبحوا قادة مرموقين، ثم تقلدوا مهام سامية في تسيير شؤون البلاد قبيل الحماية وبعدها، مثل محمد بن بوشتى ابن البغدادي الذي أصبح باشا فاس، وإدريس بن بوشتى الذي تقلّد مهام أمين صائر العسكر.

جاء بوجمعة بن مبارك إلى بني ملال في حدود سنة 1913/1332 كخليفة لبوعودة قائد تادلا. لكن هذا الأخير لم يلبث أن توفي فسمى بوجمعة مكانه باشا بني ملال وقائد أيت الربع (مجموعة من قبائل تادلا) وعامل تادلا. فكانت إيالته شاسعة تشمل السهل والجبل، واتخذ لذلك منزلين، أحدهما ببني ملال يقيم به أربعة أيام والآخر بقصبة تادلا يقيم به ثلاثة أيام من كل أسبوع.

كان الباشا بوجمعة متدينا كريماً متعففاً لا يشتم أحداً، تجاني الطريقة، بنى زاوية بجوار منزله ببني ملال يؤدي فيها الصلوات الخمس مع الجماعة، وداراً للضيوف يأوي إليها عابرو السبيل فيطعمون فيها ما مكثوا من الأيام دون أن يسألوا عن هويتهم أو اتجاههم، حتى إذا عزموا على الرحيل أعطاهم مقدم الدار شيئاً مما بيده من مال زكاة حرث وأنعام الباشا بوجمعة. وكان منظما في أعماله يجلس للنظر في أحوال الناس صباحاً و مساء، ويتناول الطعام مع ضيوفه، ويمكث مع أهله بين الظهرين في مباسطة ومفاكهة اشتهر بهما. وكان إذا جاء إلى الرباط في الأعياد وغيرها من المناسبات الرسمية أقام بمشهد سيدي العربي ابن السايح وتردد على منزلي صديقيه الحاج عبدالرحمان برگاش باشا الرباط، والحاج محمد الصبيحي باشا سلا.

ولما توفي الباشا محمد ابن البغدادي عُرضت على الباشا بوجمعة باشوية فاس فرفض، مخافة أن يلجئه الفرنسيون إلى الإساءة إلى العلماء والوطنيين فيها، فكان ذلك مما زاد في متانة علاقاته الطيبة مع رجال الوطنية الذين كانوا يزورونه بين الفينة والأخرى في مقر ماموريته. وكان يحمل عدة أوسمة راقية مغربية وفرنسية وتونسية تثقل صدره، وظل يزاول مهامه كباشا لبني ملال إلى أن أدركته الوفاة سنة 1942/1361 وترك عشرة أولاد وعشر بنات.

*رواية شفوية عن صهره الأستاذ مصطفى شفيق.*

محمد حجي

**البوجمعوي، علي** بن سليمان الدمناتي، ينسب إلى أيت بوجمعة، قرية قرب مدينة دمنات على بعد مائة وعشرين كلم شرقي مدينة مراكش. ولد عام 1818/1234 في بيئة حافلة بالأحداث وفي وسط لا يتكلم أطفاله بل وحتى معظم كهوله إلا لغة بربرية بين لهجة تاشلحيت ولهجة تامزيغت. فأقبل على تعلم العربية وعلوم الشرع، وذكر في فهرسه *أجلى مسانـد علي الرحمان في أعلى أسانيد علي بن سليمان* أن ما حصل عليه من رتبة العلم كان بفتح مسبوق برؤيا. توفي والده وهو مراهق لم يحصل بعد على شيء.

تجول علي البوجمعوي بأنحاء المغرب طلبا للدرس، وكان من شيوخه أبو العباس التيمگديشتي وأحمد بن عمر الدكالي. وفي حدود عام الستين من القرن الثالث عشر ذهب إلى زاوية تامگروت الناصرية وتزوج من أسرة أهل الزاوية وأخذ الورد عن رئيسها إذ ذاك أبي بكر عبدالله بن علي، وكان لهذا الاتصال بالناصريين أثر علمي وديني كبير على حياة البوجمعوي.

حج البوجمعوي أعوام 1267 و1275 و1284 و1286 و1293 و1302. وكانت رحلاته إلى الحجاز رحلات مناسك وعلم وفضول، دخل الإستانة وأقام بعدد من بلدان المشرق كمصر التي يذكر أخذه عن شيوخ مذاهبها دون تمييز، ومنهم الدهلوي ودحلان والشرقي الحنبلي وحسين الأزهري المكي وجمال بن عمر المكي.

كان للبوجمعوي تدريس بمراكش إلى أن توفي بها ودفن بالروضة الملاصقة لضريح الشيخ أبي العباس السبتي (سيدي بلعباس) وذلك عام 1306 / فاتح يناير 1889.

ألف البوجمعوي كثيراً من الكتب التعليمية شارحاً ومختصراً ومحاذياً في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ. وله نظم. وكان حريصا على طبع كتبه في المشرق لكن معظمها ظل مخطوطاً وقد جاوزت عناوينه الستين توجد بكثرة في خزانة زاوية تامگروت.

ألف رسالة جريئة إلى آفاق الإسلام شرقا وغرباً يدعو فيها إلى عقد مؤتمر لعلماء الإسلام بقصد اختيار طريقة موحدة للمسلمين تجمع بين الشريعة والحقيقة يتوضح بها السبيل لمن تحير في أمر الاقتداء، وهذه الرسالة مؤرخة بعام 1865/1282 - 1866، وتوجد مخطوطة منها بالخزانة العامة بالرباط.

أ. التوفيق، *أبو الحسن علي بن سليمان البوجمعوي الدمنتي ورسالته إلى آفاق الإسلام*، بحث في الأعمال المهداة إلى محمد المنوني والصادرة في منشورات دار تبقال عام 1986 تحت عنوان : *في النهضة والتراكم* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1306 ؛ إ. الادريسي، *وفيات*، مخطوط.

أحمد التوفيق

**بوجْميع**، حگُور بوجمعة، فنان شعبي من الأفراد البارزين المؤسسين لمجموعة "ناس الغيوان" التي أحدثت انقلاباً في الطرب المغربي منذ بداية السبعينات بمزجها

الايقاع بالصوت. كان بوجميع فناناً ومبدعاً في نفس الوقت، مؤلف كلمات وممثلا ومغنياً.

بدأ حياته الفنية ممثلا في فرقة المسرح البلدي بالدار البيضاء، وعرف بالوداعة والصبر وصفاء الضمير. ومن كلماته التي غناها ومازالت تطرب الناس :

غير خلّوني لله غير خلّوني
وما صابرْ أنا على اللي مْشاو أنا ما صابر
الصفايحْ في يْدينْ حداد وأنا ما صابر
غير خلّوني لله غير خلّوني

قال عنه أحد رفاقه في مجموعة ناس الغيوان : "بوجميع أحبه الجمهور كثيراً، وأنا كواحد من الفرقة كنت أشعر بقوة خارقة معي فوق الخشبة، وكان يطربني صوته".

توفي يوم السبت 9 شوال عام 1394 / 26 أكتوبر 1974.

جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 27 أكتوبر 1991 بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة بوجميع.

عبد الرحيم الجلدي

**بوجميعة**، أسرة سلوية كانت تشتغل بالجهاد البحري، وولي بعضهم رياسة المدينة أيام السلطان المولى سليمان (1207 ـ 1238 / 1792 ـ 1822) وقد انقرضت هذه الأسرة اليوم من سلا، منهم :

**بوجميعة، عبد القادر**، كان من بين المجاهدين السلويين الذين أنعم عليهم الحسن الأول بصلة في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

**بوجميعة، عبد الله**، يظهر أنه أخو عبد القادر سابق الذكر، ويوجد معه في لائحة المجاهدين الذين حظوا بالصلة الملكية في التاريخ المذكور أعلاه.

**بوجميعة، عمر**، ربما كان ثالث الإخوة، يشتغل أيضاً بالجهاد البحري، ونال كالسابقين الصلة الملكية بالتاريخ أعلاه.

**بوجميعة، محمد** (الحاج ـ) بن بوعزة. كان في بداية أمره مجاهداً من كبراء الأبراج في الاصقالة الجديدة، ثم أصبح عاملا على مدينة سلا أيام السلطان المولى سليمان. ويبدو أن المدينة لم تكن منضبطة في آخر عهده فكثر عيث أعراب حُصين وقطعُهم الطريق أمام القوافل التجارية الخارجة من سلا أو الداخلة إليها، دون أن يستطع العامل بوجميعة كبح جماحهم، فظهرت زعامات محلية ربما كانت السبب في تنحيته عن عمالة المدينة.

توفي بسلا عام 1227 / 1812، ودفن بالمقبرة الكبرى المحيطة بضريح الشيخ أحمد ابن عاشر، وعلى قبره حوش كتب على مشهده تاريخ وفاته.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 155 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 46 ـ 47 و150 + الهامش 44 ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 113 ـ 139 ـ 151 ـ 153، *رسوم عدلية قديمة* عند العدل السيد عبدالنبي النجاري.

محمدحجي

**بوجميل**، قرية عرَّف بها أبو عبيدالله البكري، حينما حدد موضعها بمنبع واد نكرو من الجبل الذي يحمل اسم القرية. ولا تزال القرية بموضعها القديم. توجد مباني القرية معلقة بواد صغير واقع عند المجرى الذي يجمع مياه منابع أربعة. وحسب البكري فإن السكان المنتشرين على طول وادي نكرو هم من مصمودة، من بني عفان بن خلف، قصرهم بمقربة من مصب واد نكرو.

احتفظ سكان جبل بوجميل بأمكنة استقرارهم خلال القرن التاسع (15 م). والفضل في ذلك عائد إلى الحصانة التي وفرها لهم موقعهم الجبلي بعلو 600 م. بعد أن تعرضت جارتهم قرية عين لين لغارة جنود سبتة. والقرية مندرجة اليوم بفرقة البحري من حوز تطوان.

أ. البكري، *المغرب في ذكر افريقية والمغرب*، ص 106 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، ص 40.

حسن الفكيگي

**بوجندار**، أسرة. ليس هناك ما يؤكد أصلها إلا ما جاء في *مقدمة الفتح* من أنها من عرب الساقية الحمراء تنتسب إلى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وإن كان نفس المؤلف في *الاغتباط* لا يخفي عدم اطمئنانه إلى ذلك معتمدا على ما قاله ابن عبدالسلام التونسي وتلميذه ابن عرفة من أنه يصعب إثبات نسب له ستمائة سنة. غير أن المؤلف بوجندار عاد فتبنى القول الأول تقليداً لسلفه المكي بوجندار الذي اعتمد الانتماء إلى النسبة المذكورة.

ولا نجد في *تاريخ الضعيف* الذي لا مثيل له في التعريف بشخصيات مدينة الرباط في الفترة التي أرّخ لها شخصيات مرموقة في أسرة بوجندار تصدرت للعلم أو تقلدت مناصب عليا في الدولة، لكن الضعيف يتحدث عن ابن جندار لا بوجندار مما يجعلنا نتساءل عما إذا كانت الكنيتان تتعلقان بأسرة واحدة.

فالمؤرخ الضعيف تحدث عن القائد الذي سماه ابن جندار وهو رابع القواد الذين نصبهم أهل الرباط وقتلوهم في نفس السنة التي نصبوا فيها وهي سنة 1166 / 1752 أيام السلطان المولى عبدالله، عندما كان الرباطيون مستقلين لوقت ما عن

السلطة المركزية. وقد قتلوا قبل ابن جندار كلا من أحمد وزِّهرة، واللوشي، وميدون. أما الشخص الثاني من أسرة ابن جندار فهو المعلم البوينجي الذي لا يذكر الضعيف اسمه الشخصي بل يكتفي بذكر حرفته التي هي حرفة جندي في المدفعية. وقد ذكره في أحداث سنة 1796/1211.

وفي القرن الثالث عشر (19 م) اشتهرت أسرة بوجندار وبرزت منهم شخصيات سنتحدث عنها بعد هذا.

**بوجندار، محمد** بن مصطفى، ولد بالرباط سنة 1307/ 1889 وحفظ القرآن وشرع في المطالعة وهو ابن عشر سنين على يد التهامي الوزاني، ثم أخذ يحضر الدروس التي كان يلقيها العلماء في الزوايا فأخذ في الزاوية القادرية عن القاضي أحمد بن إبراهيم، والجيلالي بن إبراهيم. كما كان يحضر دروس أحمد جسوس في الفقه والحديث بالزاوية التجانية. وانتدبه شيخه عبدالرحمان لُبريس للقراءة والسرد بين يديه، وأجازه جماعة من العلماء كالمكي البطاوري وأحمد بن الخياط، ومن أساتذته أيضا محمد دينية الفقيه الشهير.

ظهر ذكاء محمد بوجندار وحماسه في وقت مبكر فكان يحادث ويجادل ويساجل أساتذته وهو في سن السادسة عشرة، كما شهد بذلك الجزولي في كتيبه *ذكريات من ربيع الحياة*. ونظراً لتفوقه انتُدب كاتباً بمكتب الترجمة لدى المقيم العام. وعُين سنة 1915/1333 أستاذاً للغة العربية بمعهد الدروس العليا، وتعرف بحكم مهنته على كثير من المستشرقين الفرنسيين، ووقف على عدة مصادر ومخطوطات ووثائق عند تأسيس الخزانة العامة بالرباط. وفي هذا الوقت ظهر أول كتاب له : *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

اعتنى محمد بوجندار بالبحث والتنقيب ومال إلى التاريخ ومعرفة رجالات بلده. ولكنه أيضا اهتم بالأدب والشعر، وقد ترك أشعارا تشهد له بالإجادة على الطريقة القديمة. رحل إلى فاس عام 1335 / 1916 للاطلاع على مكتبة عبدالحي الكتاني وما فيها من نفائس الكتب وذخائر المخطوطات واطلع على النسخة الأصلية *لتاريخ الدولة السعيدة* للضعيف الرباطي.

ولما عاد إلى الرباط أصيب بمرض تصلب الشرايين والعمود الفقري شل رجليه وصار لا يتنقل إلا راكبا.

وكانت داره الواقعة في زنقة وزِّهرة في نهاية حي بوقرون بالرباط منتدى علمياً يحضره عِلْيةُ القوم من الشعراء والأدباء.

ولم يقعده المرض عن مواصلة البحث والتأليف. ففي سنة 1343 / 1924 ألف كتابه *مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح*. وفي سنة 1344 / 1925 صدر كتابه *الاغتباط بتراجم علماء الرباط*. ومن تآليفه أيضاً *شالة وآثارها*، طبع. ومنها شرح مختصر سماه : *فتح المعجم من لامية العجم*. ومؤلف عن حياة أستاذه المكي البطاوري سماه : *العطر المسكي في حياة شيخنا المكي*. *والاستشفا بتخاميس أبيات الشفا*، مطبوع. كما ألف كتاب *الدروس الأولية للمدارس الثانوية في المبادىء والاصطلاحات الجغرافية*. وله فهرس سماه : *مبتدأ خبري* وضمنه حياته ونشأته. ومن مؤلفاته في اللغة : *الكلمة والكلمة النموذجية*، وهي رسالة تتعلق بلفظ النموذج.

وقد ظل مواصلا للبحث والتأليف إلى أن مات وهو في ريعان الشباب في 19 ربيع الثاني 27/1345 أكتوبر 1926.

**بوجندار، المكي** بن أحمد الرباطي أخذ العلم بفاس عن شيوخ القرويين بعد أن لازم بالرباط مجالس قاضيها الشهير الطيب بَسِّير الذي كان عمدته ومن عدوله المقربين وربما ناب عنه في القضاء. وقد تعاطى الإفتاء وأخبر بعض أولاده المؤلف محمد بوجندار أنه استدعي ليكون قاضياً فامتنع. وقد أطنب محمد بن علي دينية في مدحه في *مجالس الانبساط* واستمر في خطة العدالة أيام القاضي بسير إلى أن تولى القضاء عبدالرحمان البريبري فعزله هو ورفيقه الطاهر بريطل، لكنه سرعان ما ردهما عندما تأكد من كفاءتهما في الخطة ومن نزاهتهما.

كان الفقيه المكي بوجندار يخطب بجامع تمارة ويؤم بالجامع السليماني، ويحضر دروسه عدد من الطلبة الذين أصبحوا بعد ذلك علماء وقضاة كالقاضي عبدالله بن إبراهيم والقاضي أحمد ملين والفقيه أحمد بن الغازي، والعالم الصوفي عمر عاشور.

وقد أخبر مؤلف كتاب *الاغتباط* من طرف نجل الفقيه المكي بأن القاضي عمر عاشور هذا ترجم له، وتوفي في حدود 63/1280 .1864.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح*، 189 ؛ *الإغتباط*، 1.2.3. 344 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر بالعدوتين*، 2 : 207 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، 156. 277 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين*، 115 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 187.

عبدالإله الفاسي

**بوجَنَّة**، أسرة تطوانية أصلها من شفشاون وإليها تنسب زنقة بُوجنّة بحومة العيون.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 7 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البوجنوني، بوسلهام** بن علي المودن الخلطي المكناسي، من جيش البخاري حفظ القرآن وأتقن تجويده بالروايات ثم اختير مع تسعة من نجباء طلبة جيش البخاري بأمر من السلطان عبد الرحمن بن هشام لتعلم الحساب والفلك، فأخذوهما عن الشيخ عبد الرحمن بن محمد بصري، وكان البوجنوني أنجبهم، ونبغ في ذلك فاستُخدم بالبلاط السلطاني.

قال في حقه في *الإتحاف* (2 : 76) : "فقيه أستاذ حيسوبي ميقاتي كانت له وجاهة وحظوة ومكانة ورياسة على علماء الميقات في زمانه". وذكر أيضا أن السلطان عبد الرحمن كان يحضره ويأمره بالقراءة بحرف حمزة وهو منصت له وكلما ختم أفاض عليه سجال عطاياه. فكان البوجنوني يجمع بدورة الأساتذة ويكرمهم غاية الإكرام.

توفي بمكناس عام 1265 / 1848 ودفن بروضة الشيخ الكامل من ناحية باب البراذعيين وقبره معروف.

**البوجنوني، محمد** بن بوسلهام بن علي المودن الخلطي. درس القرآن والقراءات بمسقط رأسه، وقرأ الحساب بمنية ابن غازي على الشيخ إدريس البلغيثي الفاسي، كما أخذ الفلك عن علماء آخرين. وكان يعمل بالبلاط يقدَّم تارة ويؤخَّر أخرى، إلى أن جاء عهد الحسن الأول فنال لديه حظوة كبيرة لا يفارقه في تنقلاته وحركاته. وأمره أخيراً بأن يسجل حركاته ويؤرخ لها بالعربي والعجمي، فكتب *رحلات السلطان* في نسختين، قدم إحداهما لمخدومه، وبقيت عنده نسخة نقل منها العلمي صاحب *المقيدة*.

توجه محمد البوجنوني إلى العرائش بأمر من الحسن الأول لتعليم طلبتها الحساب والميقات فجد في ذلك حتى تخرج على يده العديد منهم. كما رشحه السلطان عبد العزيز لتعليم جيش قصبة المنشية، فاجتهد في تعليمهم إلى أن نجحوا في الامتحان بمحضر بعض العلماء المتخصصين.

وكانت وفاته بعد عام 1341 / 1922 ـ 1923.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 76 ـ 77 ؛ م. العلمي البخاري، *مقيدة*، نشرها م. المنوني، *مظاهر*، 1 : 420 ـ 421 و429 ـ 431.

محمد حجي

**بوجْنيبة**، أو "عقرايشة" حيوان بحري تسميه العامة في المغرب هكذا لأنه لا ينتقل في سيره إلى الأمام ولا إلى الخلف كسائر الحيوانات وإنما يسير إلى الجنب عن اليمين أو عن الشمال. واسمه الفصيح سرطان وهو من الحيوانات اللافقريات، مفصليات الأرجل، القشريات عشاريات الأرجل والماشيات. ويعتبر من الحيوانات المائية في معظمها بحرية باستثناء نوع واحد يسمى Potamon edule لا يمكنه العيش إلا في المياه القارية الجارية.

تعد أنواع هذا الحيوان بالآلاف، وتحتوي شواطئ المغرب على حوالي مائتي نوع بما في ذلك الشواطئ المتوسطية والمحيطية.

يتباين حجم بوجنيبة بتباين الأنواع حيث تتسلسل الأحجام ما بين بضع مليمترات إلى أكثر من أربعة أمتار.

يتكون جسم بوجنيبة من ثلاث جهات : الرأس إلى الأمام، والصدر في الوسط، والبطن إلى الخلف. يلتحم الرأس والصدر من جهة الظهر بواسطة قشرة صلبة تحمي الجسم وتحمل (deprasriaus) أمامية (حيث توجد الحواس الرأسية) وبطنية حيث يحتمي (Abdomen).

تحمل العينان كل منهما على ساق متحركة يتوسطهما زوجان من الزوائد الحسية بطنيا، وبالإضافة إلى الزوائد التي تحيط بالفم والتي لها دور رئيسي في التقاط المواد الغذائية ومضغها، يحمل الصدر خمسة أزواج من الزوائد وهي عبارة عن أرجل تختلف الأولى منها عن الأخريات. وبالفعل يتميز الزوج الأول من الأرجل بوجود مقابض تمكن بوجنيبة من الدفاع عن نفسه من ناحية، ومن الإمساك بالطرائد من ناحية ثانية. أما الأرجل الثمانية الأخرى فهي ماشيات تمكِّن السرطان من التنقل فوق الرمال والصخور إلا أنه عند بعض الأجناس وخاصة منها مصفحة المفاصل الأخيرة للزوج الخامس من الأرجل وذلك على شكل مجدافين مما يساعدها على السباحة والتنقل في الماء بكل حرية كسائر الحيوانات المائية، يتنفس بوجنيبة بالأكسجين الذائب في الماء حيث يمتص بواسطة خياشيم متمركزة إلى الإمام على جانبي الصدفة التي تحمي جسمه.

يكوِّن بوجنيبة حلقة تتوسط السلسلة الغذائية البحرية، فمنه ما يتغذى بالطحالب، ومنه ما يتغذى باللافقريات الصغيرة، كالقشريات الأخرى والحلقيات والرخويات كما أن منه ما يتغذى ببقايا الحيوانات الأخرى الميتة. ويكون بوجنيبة نفسه طريدة لعدد كثير من الحيوانات البحرية الأخرى كبعض طيور البحر والعديد من الأسماك بالإضافة إلى الإنسان.

خلال فترة التوالد تلتصق الأنثى بالجهة البطنية للذكر فيتم بذلك التزاوج فيحمل الذكر كذلك الأنثى لعدة ساعات بطنا لبطن إلى أن تتم فترة التزاوج. تضع بعد ذلك الأنثى الآلاف من البيض الملقح لا يعيش إلى القليل جدا منه حيث يموت بعضه ويلتهم البعض الآخر. أما البيض الذي تخطى كل العقبات فهو يعطي يرقة لا تشبه بأي شكل من الأشكال بوجنيبة، وتمر هذه اليرقة من عدة مراحل قبل أن تعطي فردا صغيرا له نفس خصائص نوعه.

بعد أن يستكمل بوجنيبة الصغير تكوينه الأولي عليه أن يزداد حجما حتى يؤدي واجبه البيئي والفزيولوجي. إلا أن هذا الازدياد في الحجم يتم بطريقة تدريجية نظراً لصلابة الصدفة التي تحمي جسمه، وبالفعل فإن جسم الفرد يزداد حجما داخل الصدفة إلا أنه، لضيق المكان داخلها، يبقى منكمشا حتى ينسلخ الجسم منها. عندئذ يكبر الجسم بسرعة إلى أن تصبح الصدفة الجديدة صلبة، وتتكرر هذه العملية عدة مرات في حياة بوجنيبة. تعيش هذه الحيوانات في الماء إلا أن السواد الأعظم من الأنواع يعيش بالبحر باستثناء واحد Potamon edule يعيش في وديان أو مياه قارية جارية.

تعيش الأنواع البحرية في عدة مناطق، فهناك ما لا يوجد إلا في المياه الأجاجة كنوع Carcinuspaeuas مثلا الذي يفضل العيش في مصب الأنهار والبحيرات المالحة.

أما النوعان Pachygrapus mermaratus وPachygrapus transversus فيفضلان العيش في منطقة المد والجزر بحيث إنه في فترة الجزر تخرج من الماء لتبحث عن غذائها فوق أو

بين الصخور. أما نوع Porcellana platycheles فيمتاز بموطنه بين الصخور والطحالب حيث يكثر الموج وتمتد قوته إلا أن أغلب الأنواع يعيش في أعماق كبيرة نسبيا تتراوح ما بين 15 متر وأكثر من 500 م ونخص بالذكر :

- Clappa granulat التي تعيش في الرمال.
- Ilia nucleus التي توجد بين النباتات.
- Pinnotheres pisun السرطان الطفيلي الذي يعيش داخل صدفة بعض الرخويات والذي يتغدى ببقايا غذائها.

الجنس Maja وبالأخص M. Sguinado الذي يعش في الرمال من أكبر الأنواع حجما في بلادنا ويباع في أسواق السمك Acanthony Lumutates وهو النوع الأكبر تأقلما مع ظروف الموج القوي.

أما عن توزيع بوجنيبة الجغرافي فإن أغلب الأنواع الموجودة في المغرب هي ذات موطن جغرافي محدود يمتد أقصاه من جنوب المملكة البريطانية إلى السواحل الموريطانية والسنيغالية بما في ذلك البحر المتوسط. أما الأنواع ذات التوزيع الجغرافي الشاسع (أي أكثر من محيط) فنسبتها ضئيلة جدا.

H. Boue et R. Chanton, *Biologie animale, Zoologie. I. Invertebrés*, tome I , Paris., 1962 ; M. J. Forest et M. A. Franc,*Les cephalopodes, la grande encyclopédie alpha sciences et des techniques*, 1974, Fasc., 29 : 180 - 187 ; Ministère des pêches et des Océans du Canada, *Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche atlantique Centre-Est* ; *Cephalopodes*, Fiches F.A.O. 89 p ; C. F. E. Roper, M. J. Sxeeney et C. E. Nauen, F.A.O. species catalogue, vol. 3, 1984 ; *Cephalopods of the world, F. A. O. Ficheries synopsis n° 125*, 276 p ; B. Salvat, *Les animaux, l'Encyclopédie des animaux dans la nature*, vol. 6. *Panorama du monde animal* ; *Mollusques*, Paris, 991 - 1001.

محمد منيوي

**بوجنيبة**، مركز حضري احتل المرتبة الثامنة والسبعين داخل لائحة المراكز الحضرية المغربية من حيث عدد السكان حسب إحصاء 1982. يقع على الطريق الرئيسية رقم 13 الرابطة بين مدينتي برشيد وقصبة تادلا، على بعد 12 كلم من مدينة خريبگة و21 كلم من مدينة وادزم.

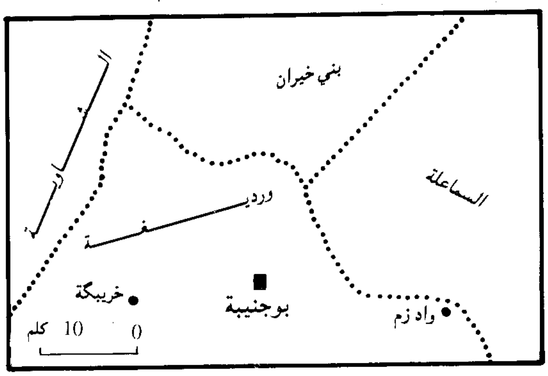


موقع بوجنيبة

ينتمي إداريا إلى إقليم خريبگة، ويكوِّن مقراً لجماعة أولاد إبراهيم القروية التابعة لدائرة خريبگة، وتشكل بوجنيبة مدينة صغيرة حديثة جداً لم يشرع في تشييدها إلا مع بداية استغلال مناجم الفوسفاط الغنية بهضبة أولاد عبدون، حوالي سنة 1920، عند الهامش الشرقي لهضبة خريبگة وداخل أراضي قبائل أولاد بحر الكبار.

لما تمكن أحد مقدمي الجيش الفرنسي وهو بُرْسو (Bursaux) من اكتشاف مكامن فوسفاطية بضواحي مدينة وادزم، في مطلع سنة 1917، وجاءت أبحاث جيولوجية متنوعة ومتعددة ومتتالية لتؤكد أهميتها الاقتصادية، ظهرت الحاجة إلى استغلال هذه الثروة المعدنية فتأسس المكتب الشريف للفوسفاط (م. ش. ف) للإشراف على كل مراحل هذا الاستغلال.

اتضح منذ اكتشاف مناجم الفوسفاط وتأسيس المكتب الشريف للفوسفاط، أنه لا بد أن ينطلق العمل من الصفر، لأن المنطقة لم تكن تتوفر على البنية التحتية اللازمة للشروع في الإنتاج. كما أن السكان المحليين كانوا يعيشون على نمط نصف الترحال على امتداد أراضي هضبة الفوسفاط والهضبة الوسطى، ولم يكونوا متعودين على العمل المأجور أو على العمل داخل أروقة المناجم الباطنية. وهكذا طرح منذ البداية مشكل توفير اليد العاملة ومشكل إيوائها، وذلك على مستوى خلق الأحياء السكنية اللازمة، أو على مستوى توطين هذه الأحياء. وقد طرحت عدة حلول، فقرر تقنيو المكتب الشريف للفوسفاط في نهاية المطاف خلق مجموعة من المراكز السكنية المتفرقة، وذلك لأسباب سياسية واجتماعية وتقنية. وهكذا ظهرت مراكز : خريبگة وسيدي بونوار وجتان وفم تيزي وبوجنيبة.

لقد تم اختيار موقع بوجنيبة عند الهامش الشرقي لهضبة خريبگة، وبالضبط جنوب المجال المعروف باسم "الگعيدة" عند ارتفاع 840م، وفي مكان يشرف بفارق ارتفاعي يتعدى 100م على منخفض واد بلغراف أحد عناصر نظام أم الربيع الهدرولوجي. وقد جاء هذا الاختيار لكي يكون مركز بوجنيبة قريباً من مركزي الاستخراج رقم 6 و9، بشكل يسمح للعمال بالذهاب إلى العمل بوسائلهم الخاصة، وفي نفس الوقت يجعلهم بعيدين بقدر كاف عن المنشآت المنجمية في حالة وقوع أي اضطراب اجتماعي.

لقد عمل المكتب الشريف للفوسفاط (م. ش. ف.) في مرحلة أولى على خلق مجموعة من النقط المائية عند موقع بوجنيبة، فتجمع حولها السكان المحليون داخل الخيام والنوايل. غير أن هؤلاء لم يتكيفوا مع العمل داخل المناجم، ولم تكن مردوديتهم كافية لتحقيق الإنتاج المطلوب رغم "التويزة" التي فرضت عليه. فتم التفكير في مرحلة ثانية لخلق سجن سنة 1923 قصد توفير اليد العاملة الكافية والمنتظمة، كون النواة الأولى التي تطور حولها مركز بوجنيبة الحضري فيما بعد. غير أن ارتفاع الطلب على الفوسفاط في السوق العالمية دعا إلى ضرورة الزيادة في عدد اليد العاملة والبحث عنها عبر كافة أرجاء التراب الوطني. وتطلب هذا الأمر بناء مجموعات سكنية لإيواء العمال الوافدين من المناطق المغربية النائية، فكانت مرحلة البناء الثالثة التي شيدت خلالها بيوت صلبة وعصرية قصد تشجيع العمال على الاستقرار النهائي. وهكذا ظهر

حي م. ش. ف. الذي يكون 3 وحدات تطورت شيئا فشيئا إلى أن أصبحت تكون هالة تحيط بشعبة تعتبر منطلق أحد روافد واد بلغراف.

- الحي القديم شيد على الجهة الغربية، عند مدخل الطريق الرابطة بين بوجنيبة ومركز الاستخراج رقم 9. يتركب من مجموعات سكنية مشكلة من غرفة واحدة.

- حي "المدينة" شيد في الجهة الشرقية على نمط المدن المغربية القديمة.

- حي البئر شيد بين الحيين السابقين بطريقة عصرية، وتم خلقه لإيواء العائلات.

ناقص تصميم مركز

لكن رغم هذا المجهود كله، لم تنجح الإدارة في خلق الأنشطة الكافية خاصة منها الأنشطة التجارية، فظهرت مجموعة من الأحياء الهامشية استفادت من البنية التحتية التي تم خلقها. وهكذا نشأ "درب عبو" على شكل زقاق تجاري بين الحي القديم وحي البئر، ونشأ مركز تجاري ثان خارج حي "المدينة" (السويقة)، وتطورت أيضا مجموعة من أحياء الصفيح : دوار العربي، دوار السالك، دوار الميلودي، دوار خريبش، دوار الرايس، دوار براركـ كبور. ومع مرور الوقت تحول بعض هذه الأحياء الهامشية إلى تجزئات سكنية خاصة ساهم في بنائها العمال المتقاعدون.

هكذا فإن مركز بوجنيبة الحضري - وعلى غرار المراكز الأخرى المماثلة - أسس لتكون له وظيفة رئيسية هي إيواء العمال الذين يشتغلون بمناجم الفوسفاط. ودون أي شيء آخر. وظل يحتفظ بهذه الوظيفة إلى اليوم. وإن كانت مراكز الاستخراج 6 و9 التي كانت تؤوي العمال الذين يشتغلون بها، وقد نضبت منذ فترة طويلة. فإن العمال قد أصبحوا ينتقلون إلى مراكز استخراج أخرى أبعد، مثل : سيدي الضاوي والمركز 10. مستعملين في تنقلهم اليومي حافلات شركة النقل الجهوي التابعة للمكتب.

وقد بلغ مجموع سكان مركز بوجنيبة سنة 1982 قرابة 10.450 نسمة، أي بتزايد نسبة بـ 1،5٪ من ساكنة المركز سنة 1971 وهي نسبة جد متواضعة. بالمقارنة مع المعدل الوطني الذي يبلغ 4،4٪ سنويا، أو مع معدل نمو سكان إقليم خريبكة الحضريين الذي يبلغ 4،8٪ في السنة.

| | 1971 | | 1982 | | التزايد السنوي |
|---|---|---|---|---|---|
| | العدد | ٪ | العدد | ٪ | ٪ |
| مركز بوجنيبة | 8.812 | 29،5 | 10.442 | 32،1 | 1،5 |

وإذا قارنا نسبة نمو سكان مركز بوجنيبة خلال الفترة المذكورة مع فترات سابقة. فإننا نجد أن هذا المركز كان يعرف خلال الفترة 1959 - 1971 نسبة نمو سنوي وصلت إلى أكثر من 2٪، الأمر الذي يدل على أنه يعرف تراجعا في وتيرة تطوره. ويمكن إرجاع هذه النزعة إلى هجرة السكان نحو المراكز الحضرية المجاورة مثل خريبكة ووادزم، إذ أنهما وفرتا مرافق اجتماعية واقتصادية لم تستطع بوجنيبة توفيرها بالقدر الكافي، وإن كانت قد بذلت مجهودات مهمة في سبيل خلق مرافق تعليمية ابتدائية وإعدادية وثانوية كما تم العمل على ربط بوجنيبة بخريبكة بواسطة خط لحافلات النقل الحضري.

G. Lazarev (et al.), *Les villages miniers de la région de Khouribga, Notes marocaines*, 1960, 14 - 39 - 58 ; Ministère du Plan, *Population légale du Maroc*, Rabat, 1982.

الحسن المحداد

**بوجو، طوماس روبير، ماركي** Bugeaud, Thomas Robert (1784 - 1849) "**قائد الجيش الفرنسي في معركة إسلي**" Marquis de la Pilonnerie, Duc d'Ysly et Maréchal de France، من أصل إرلندي، ابتدأ حياته العسكرية داخل الحرس الأمبراطوري سنة 1804 وتميز في الحرب البروسية والپُولونية والإسبانية. ساند نابليون بونابارت إبان فترة 100 يوم مما تسبب في إبعاده من الجيش بعد "الرجوع الثاني للملكية" فاشتغل بالفلاحة داخل ضيعته في منطقة پيريگور Périgord محاولا عدة مرات، ولكن دون جدوى، الرجوع إلى الحياة العسكرية وولوج الحياة السياسية، مثلا إبان الحرب الإسبانية وفي انتخاب سنة 1829. ولم تخرجه من عزلته إلا ملكية يوليوز، حيث عاد للجيش من جديد، وانتخب ممثلا لدردونيا Dordogne في البرلمان، وكلف بحراسة دوقية بيري Duchesse de Bery في قلعة دوبلي، مما عرضه لكراهة "الشرعيين" وعداء الجمهوريين خصوصا بعد أن قتل أثناء مبارزة نائبا برلمانيا جمهوريا Dulong لكونه نعته بالسّجان geolier وكذلك بعد مساهمته الدامية في قمع ثورة أبريل سنة 1834 التي خلفت استياءً كبيراً في الأوساط الباريسية.

وفي سنة 1836 أرسل للجزائر لفك الحصار عن معسكر تافنة، وبعد انتصاره في يوليوز 1836 عاد لباريس، ليرجع من جديد إلى الجزائر في أبريل 1837 باستدعاء من الجنرال Danrémont الذي خلف الجنرال كلوزيل Clauzel بعد فشله في الهجوم على قسنطينة وقد عين قائداً لجيش وهران، فقام بإبرام معاهدة تافنة مع الأمير عبدالقادر، التي أتاحت للفرنسيين ربح الوقت وتكثيف كل قواتهم للهجوم على قسنطينة التي سقطت في أيديهم سنة 1837 بعد مقتل الجنرال Danrémont وتعويضه بالجنرال Valèe الذي عين مارشالا وحاكما عاما للجزائر.

وبعد انهزام هذا الأخير أمام مليانة عام 1841 عين الجنرال بوجو Bugeaud خلفا له. ويمكن اعتبار تعيين بوجو حاكما عاما للجزائر، انطلاق مرحلة جديدة في السياسة الفرنسية الجزائرية.

فرغم الأفكار التي أظهرها بوجو حينما رجع من مهمته الأولى سنة 1836 في الجزائر والتي كانت تعارض توسع الوجود الفرنسي في الأراضي الجزائرية، فقد نهج سياسة توسعية عسكرية عنيفة، مصحوبة بحركة احتلال للأراضي الفلاحية وأعاد تنظيم اللفيف الأجنبي Légion étrangère، وأعطى هيكلا قانونيا للرماة الأهالي والاصباحيين Spahis

بتأسيسه سنة 1841 فيلقا من الرماة الأهالي في كل إقليم، وجيشاً من الاصباحية مكونا من عشرين فيلقا، وقوى مديرية الشؤون الأهلية بخلق "مكاتب العرب Bureaux Arabes" وجعلها تحت رقابته المباشرة، وكلفها بشؤون الموظفين الأهالي، وبالعلاقات مع القبائل والاستعلامات السياسية والعسكرية. وقد استعمل الخبرة التي اكتسبها في ميدان حرب العصابات أثناء وجوده بالجيش الفرنسي في إسبانيا ضد المقاومين الجزائريين، فعارض إقامة مراكز عسكرية بقرب المدن وفي الأماكن البعيدة، وخفف من عدد الجنود والوحدات للتقليل من عدد نقط المرور، تلافيا للتعرض لكمائن المقاومين، مفضلا التحرك في أعالي الجبال واختياره بنفسه محل المعركة.

وكان يعتبر أن الفرق بين السياسة التي استعملت قبله وسياسته هو تماما الفرق بين "المدى الذي تقطعه البندقية والمدى الذي تقطعه الأرجل".

وكان ضد الحُلُول الوسطى، ويرى أن أحسن طريقة لإخضاع البلاد هو التوغل فيها طولا وعرضاً لضمان إخلاص وحماية القبائل المساندة لفرنسا.

ولتطبيق سياسته هذه، رفع من عدد القوات الفرنسية في الجزائر حيث وصلت إلى 106.000 جندي سنة 1846 عوض 63.000 سنة 1841، وأحاط نفسه بمساعدين اشتهروا بأسلوبهم العنيف ضد الأهالي مثل لاموريسير La Moricière، وشانگارنيي Changarnier وبيدرو Bedereau وبدأ باحتلال منطقة التل، وإقامة حاميات تتحول إلى وحدات متحركة. وقد شرع منذ سنة 1841 في مطاردة الأمير عبدالقادر، واحتلال مدن نفوذه كمعسكر، وتكدمت، وبكار، مدمراً في طريقه كل القرى بعد مباغتتها ونهبها لإضعافها من جهة ولتزويد جيوشه بما تحتاج إليه من جهة أخرى.

وفي 10 ماي سنة 1843 رقي إلي رتبة مارشال على إثر سقوط جيش الأمير عبدالقادر في يد دوق أومال Duc D'Aumale.

وبعد لجوء الأمير عبدالقادر إلى الأراضي المغربية على إثر تضييق الخناق حوله انتقلت سياسة العنف التي كان يمارسها بوجو في الجزائر، إلى الحدود المغربية، إذ كان يؤمن بأن الوسيلة الوحيدة لتهدئة ما سماه "التعصب الديني للقبائل المغربية" هو "طلقات البنادق والمدافع وضربات السيف" وأن الأمن في الجزائر لن يتم إلاّ بالتغلب على المغرب حيث قال : "إن الجزائريين لن يتحركوا ما دامت فرنسا تتغلب على القبائل المغربية تماما كما كانت بلاد الغال النربونية La Gaule Narbonnaise لا تتحرك حينما كان الرومان يغلبون Vercingétorix والسويسريين والألمان. وقد ترتب عن سياسته هذه عدة مواجهات عنيفة مع القوات المغربية كمواجهة 30 ماي 1844 و15 يوليوز 1844 التي قتل فيها 275 من المغاربة، والتي كانت من بين الأسباب الرئيسية التي جعلت المخزن يرسل الجيش في اتجاه وجدة.

وإلى جانب سياسة العنف والضغط على الحدود المغربية كان بوجو يرى أن حصارا مشدداً لكل الموانئ المغربية سيسوي مسألة الأمير عبدالقادر والقبائل في ظرف لا يتعدى ستة أسابيع مادامت الواجبات الجمركية تمثل أهم مداخيل الأمبراطورية المغربية.

وكان يرى أن هذا الحصار يمكن أن يتم إما عن طريق إقناع إسبانيا بالهجوم على الموانئ المغربية وشغل المخزن أو عن طريق هجوم البحرية الفرنسية.

وقد دخل في صراع مع فيليب دورلْيان Philippe D'Orléans الذي كان يرى أن سياسة بوجو تثير غضب السكان وتهدد أمن المواطنين الأوربيين في المغرب، وأن بوجو يحاول أن يكتفي بانتصارات سهلة "ليخفي عجزه الناتج عن السن والمرض".

وقد استطاع المارشال بوجو في الأخير أن يحصل على الموافقة بالهجوم على الموانئ المغربية وقام جوان ڤيل De Joinville بقنبلة طنجة والتوجه نحو الموانئ الأطلسية، في نفس الوقت الذي وصل فيه بوجو إلى وجدة وقام بمناورات حربية استعدادا للهجوم الذي كان يهيئه على القوات المغربية المرابطة في إسلي، حيث قسم جيوشه إلى أربعة أقسام تتماسك مع بعضها على شكل "رأس خنزير".

وعلى إثر موقعة إسلي التي حاز فيها انتصاراً سريعا وسهلا أُعطيَ لقبَ دوق إسلي. وبقي بوجو في الجزائر ثلاث سنواتٍ بعد معركة إسلي مارس خلالها، دون هوادة، حركات قمعية عنيفة ضد القبائل الجزائرية والمغربية غير مبال بانتقادات الأوساط السياسية في باريس، ولكنه اضطر إلى الاستقالة سنة 1847 على إثر وقائع جرجورة Djurjura، وعدم اتفاق رئيس الحكومة سولف Soulf مع أساليبه الاستعمارية العسكرية، تاركاً المكان لدوق أومال، وتاركا وراءه في الأوساط العسكرية الفرنسية في الجزائر أغنية الأب بوجو. وأثناء ثورة سنة 1848 أسندت له رئاسة الحرس الوطني في باريس.

وفي نفس السنة صار عضواً في المجلس الدستوري إثر انتخابات جزئية وصار المحافظون ينظرون إليه كمرشحهم للانتخابات الرئاسية ولكنه تنازل للوي نابليون Louis Napolèon الذي عينه قائدا لجيش الألب.

وفي سنة 1849 انتخب عضواً في المجلس التشريعي Législative، ولكنه توفي على إثر إصابته بوباء الكوليرا في نفس السنة.

ث. برادة، *الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر*، د. د. ع. كلية آداب الرباط.

Ministère des Affaires Etrangères, Quai d'Orsay, *Correspondance politique, Mémoires et documents, Maroc*, N° 11 ; Weygand, *Histoire de l'armée française*, Paris, 1953.

ثريا برادة

**بوجيدة**، (سيدي ـ) أو أبو جيدة، أحمد الفاسي اليزغيتني أو اليازغي نسبة لبني يزغيتن أو بني يازغة، وهي قبيلة بربرية تقع في الجنوب الشرقي لمدينة فاس. فقيه

من علماء فاس المشاهير وصلحائها، يقال إنه كان يحترف الدرازة ويتقن مذهبي مالك والشافعي، له تآليف في وثائق الشافعية وتصانيف ورحلة إلى المشرق أفاد فيها واستفاد. وقد ألف بعضهم في مناقبه تأليفاً سماه : *مناقب الشيخ الجليل أبي جيدة بن أحمد اليزغيتني*. ومما اشتهر عند العامة من كراماته أن مَن واظب على زيارة قبره لحاجة دينية أو دنيوية أربعة أيام من أيام الأربعاء وقيل أربعين يوما متوالية قضيت حاجته.

كان سيدي بوجيدة معاصراً للفقيه دراس بن إسماعيل المتوفى بفاس سنة 357 / 967، لذلك فهو من أهل القرن الرابع. والأقرب لوفاته هي سنة 975/365 ودفن بفاس خارج باب بني مسافر من عدوة الأندلس، وهو الباب الذي يحمل اسمه. وإليه ينسب حي سيدي بوجيدة المعروف حاليا بفاس، وله عقب بفاس وطنجة.

أ. ابن القاضي، *جذوة*، ص 107 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، د.د.ع. الرباط، ص 433 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 92 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1 : 221 ؛ ع. التازي، *جامع القرويين*، 1 : 155.

زهراء النظام

**بوجيدة، أمحلي**، إن الصراع السياسي في المغرب، زمن السلطان المولى إسماعيل، (1082 ـ 1139 / 1672 ـ 1727) وما أثمره من عنف، فضلا عن الميراث الصوفي المغربي القديم، جعل ذلك العصر يعرف "بكثرة أوليائه"، وظهور طائفة من "أكابر الأولياء" فيه. وعلى رغم ضبابية الصورة التي ترسمها المصادر لهذه الشخصيات الصوفية، فإن مجرد تقييد ذكراها يدل على تفاعلها الكبير مع بيئتها الاجتماعية.

لا ندري متى ولد بوجيدة أمحلي ولا أين. ولعل وفاته بتطوان سنة 1726/1138، وتردده الطويل على هذه المدينة، واسم أمحلي، وهو اسم عائلة تطوانية منقرضة، ما يزال ينسب إليها الحمام المشهور بالربض الأسفل من تطوان القديمة، إشارات دالة على أنه رجل من أهل تطوان، وينتسب إلى هذه الأسرة المنقرضة. ونحسب أن اسم "أمحلي" إن هو إلا "تمزيغ" للصيغة العربية ابن محلي التي هي في العرف الثقافي المغربي المغني والقوال. وقد كان هذا الاسم موجوداً في سبتة في صورة ابن المحلي.

إننا نجهل كل شيء عن طفولة هذا الولي المجذوب. والظاهر من تسميته ببوجيدة، وهو اسم الولي الفاسي الشهير، أن أسرته لم تكن تخلو من منزع صوفي. وربما كانت ذات علاقة صوفية أو تجارية بفاس، فسمت ابنها باسم الولي الفاسي. ولا سيما أن اسم "بوجيدة" ليس من الأسماء الشائعة بتطوان قديما ولا حديثا.

إن هذه التخمينات قد تفسر تفسيراً نسبياً "سياحة" بوجيدة أمحلي، وتنقله الدائم بين تطوان وفاس ومكناس وتازا، واهتمام المصادر غير التطوانية بذكره.

وإذا كانت هذه المصادر قد أجمعت على أن بوجيدة أمحلي كان "مجذوبا سائحا" و"صاحب كرامات"، فإنها لم تورد من كراماته شيئا، ما خلا أحمد ابن الحاج في *الدر المنتخب*، وهو متأخر، فإنه أورد نموذجا من كراماته نستشف منها بعض الأحداث التاريخية المطموسة. وملخص هذه "الكرامة" أن أبا جيدة أمحلي كثيراً ما تعرض لأذى أولاد يهود تطوان. فلما طال عليه الأمر، وعلم أن ذلك كان بإشارة من آبائهم، تنبأ لهم بأن كل من آذاه من أولاد اليهود يسلم، وفعلا أسلموا.

إن هذه الكرامة قد تفيدنا أن أبا أجيدة كان على علاقة مًا بملاح اليهود ولعله كان يقوم في الملاح بنشاط تبشيري إسلامي بطريقة الايحاء الصوفي، أو "الجذب" وهو الأمر الذي ما كان ليمر دون أن يسخط شيوخ اليهود ويعملوا على التخلص من هذا الضيف الثقيل بأنواع الاذاية وصنوفها. والظاهر أن أحداثا ذات بال، لم تشر إليها الكرامة، جعلت طائفة من يهود تطوان يسلمون، فارتبط إسلامهم بتنبؤ أبي جيدة الولي المجذوب السائح. ولعل بعض العائلات التطوانية الإسرائيلية الأصل إنما يرجع تاريخ إسلامها إلى عصر هذا الولي المجذوب، الذي ما يزال ضريحه قائما في شارع الخرازين، بربض البلد.

م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي ؛ *نشر المثاني*، تح. م. حجي و أ. التوفيق ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب المستحسن*، مخطوط ؛ ع. سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*.

جعفر ابن الحاج السلمي

**بوجيدة، العماري**، يمثل نموذجا للزعامات المحلية التي تتألق فجأة ثم تختفي بنفس السرعة التي ظهرت بها. ينحدر من بني عمار من قبائل جبل زرهون. نزح جده إلى فاس. وبدأ بها حياته بداية متواضعة. ثم ما لبث أن اشترى بقراً وتخصص في بيع الحليب. وتلك هي المهنة التي ورثها حفيده. صاحب الترجمة، والتي استمر يزاولها إلى عام 1150/1737 ـ 1738، حينما تسبب قحط جارف في هلاك جميع أبقاره، فاحترف عندئذ حرفة أخرى أكثر رواجا، هي تجارة الحبوب.

في ذلك التاريخ كانت ظروف المجاعة وانعدام الأمن قد أدت إلى تحطيم شروط الاستقرار بالمدينة فانجلى الكثيرون عنها، واندثرت أسر بكاملها، بينما فقدت أسر أخرى مركزها الاجتماعي. إلى هذا كان الصراع السياسي على أشده بين "أهل فاس"، من معارضي السلطان مولاي عبدالله، وبين مناصريه ضد أخيه السلطان محمد بن عربية، من شرفاء وأصحاب زوايا. في ظل هذه الظروف، حيث أصبحت الكلمة الأخيرة لقوة السلاح، والأمن مطلبا ملحا، كان السكان، خاصة منهم الضعفاء، مستعدين لمنح ولائهم لمن يجدون فيه الحماية والأمن. وقد وجدوا ضالتهم في بوجيدة العماري. فبفضل الثروة التي جمعها من تجارة الحبوب تألق نجمه بعد أن كان مجرد شخص مغمور، واستقطب فرقة مسلحة من "الرماة" (الحامية الحضرية)،

وأصبح "مقدما" (رئيسا) للأحياء الثلاثة الواقعة شمال العدوة: الصفاح والرميلة والكدان. وقد تمكن من فرض الأمن في هذه الأحياء وحمايتها من اللصوص الذين استشرى خطرهم آنذاك.

غير أن تجارة الحبوب لم تكن تخلو من مشاكل في ظل القحط، هذا فضلا عن أن الشرفاء، الحريصين على امتيازاتهم التقليدية، لم يكونوا لينظروا بعين الارتياح إلى تصاعد نفوذ بوجيدة. فاحتدم الصراع ذات يوم من صفر 1151/ماي 1738. بينه وبين أحد الشرفاء، المدعو علي الجوطي. بعد تبادل الشتائم، تطور الأمر إلى استعمال السلاح، وسقط الشريف صريعاً بطلقة نارية من خصمه. وفي اليوم التالي، هاجم الشرفاء أحياء بوجيدة العماري، وتمكنوا من قتله مع شر ذمة من أتباعه واضعين بذلك حداً لصعوده المفاجئ.

م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، 4 : 224 ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب*...، مخطوط. خ. ح. رقم 1920، ج 8، ص 322، 325.

محمد الأمين البزاز

**بوحاجة**، كنية الولي الصالح إبراهيم الأندلسي آتي الترجمة، ثم حمل هذه الكنية أسرة سلوية لا ندري إن كانت من حفدته أو من محبيه، تذكرها الوثائق إلى أواخر القرن الثالث عشر (19 م).

**بوحاجة، إبراهيم**، من رجال البحر السلويين المجاهدين الذين منحهم السلطان الحسن الأول صلة بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

**بوحاجة**، (سيدي ـ) **إبراهيم** بن **أحمد** بن إبراهيم الأموي الرندي، انتقل إلى المغرب أيام أبي عنان المريني (749 ـ 760 / 1348 ـ 1358) واستقر بمدينة سلا في نفس الفترة التي استقر بها الشيخ أحمد ابن عاشر الجزيري الشُّميني، وكان مثله من كبار الزهاد الصالحين. ، ويُذكر أن ترجمة الشيخ سيدي بوحاجة كتبها كل من المؤرخين محمد بن علي الدكالي صاحب *الإتحاف*، وجعفر بن أحمد الناصري، إلا أنهما لم تُنشرا، ولم نقف على تاريخ وفاته، وقبره معروف بسلا كانت عليه قبة متوسطة ملاصقة للسور الذي شيده يعقوب بن عبد الحق المريني، وبجانبه باب يحمل اسم (باب سيدي بوحاجة). وقد هدم الفرنسيون هذا الضريح في أواخر الثلاثينات من هذا القرن ونقلوا رفاة سيدي بوحاجة إلى المكان الذي يوجد فيه حالياً، على بعد نحو خمسين ميتراً من السور وبنوا عليه قبة قريبة من التي هدموها.

**بوحاجة، أحمد** (سيدي ـ) من أعيان السلويين المسجلين في قائمة مكتوبة قبل عام 1279 / 1862 تبيِّن مَن بمدينة سلا من الفقهاء المدرسين والنجباء (من الطلبة) والذين يلونهم في الرتبة والشهود والأساتيذ.

**بوحاجة**، (باب سيدي ـ) أحد الأبواب الخمسة القديمة لمدينة سلا، يقع في طرف سورها الغربي مما يلي بابي دار الصنعة، ويُسمى أيضاً "باب الخباز" نسبة إلى الفقيه الأديب ميمون ابن الخباز المدفون خارج هذا الباب. والظاهر أن هذا الباب من عمل يعقوب بن عبد الحق المريني الذي شيد هذا السور على إثر الغارة القشتالية الغادرة على المدينة في آخر يوم من رمضان عام 658 / 8 شتنبر 1260.

وكان بهذا السور في الطرف الآخر القريب من برج الدموع باب آخر قديم يسمى باب المعلقة، ثم أحدث بينهما في عام 1243 باب ثالث سمي الباب الجديد.

هدم الفرنسيون في الثلاثينات باب سيدي بوحاجة مع ضريح هذا الولي المجاور له قصد توسيع المدخل لتتمكن آلياتهم الحربية من ولوج المدينة العتيقة، وبعد الاستقلال حطم الباب وجزء من السور المتصل به بقدر نحو ثلاثين ميتراً ليتم الاتصال بين المدينة القديمة والجديدة. ومازال الموقع حتى اليوم يحمل اسم باب سيدي بوحاجة، ويُعد المدخل الرئيسي للمدينة لوجود بناية العمالة والبلدية بجواره، وانفتاحه على الأسواق الرئيسية والأحياء السكنية الهامة.

**بوحاجة**، (سيدي ـ) من الأولياء المعروفين بفاس، وهو أحد صلحاء ستة بباب الحمراء. لم يذكر ابن عيشون ولا صاحب *السلوة* تاريخ وفاته.

**بوحاجة**، (سيدي ـ) من الأولياء المعروفين بالقصر الكبير، ضريحه بالفخارين من عدوة الشريعة، يقصده الناس لقضاء حوائجهم.

م. ابن عيشون، *الروض*، د. د. ع. بالرباط، ص. 450 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 119 ـ 120 ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 60 و157؛ *ذيل الاتحاف الوجيز*، 150 ؛ المجلس البلدي، *مدينة القصر الكبير*، 1989، ص. 104 ؛ *معلومات شخصية وشفوية*.

محمد حجي

**بوحافة**، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل الريف. والحافة هي الصخرة، وما زالت هذه الأسرة بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 7 ـ 61 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوحافة، محمد** (القائد ـ) العكاري المسكيني من الأعيان المشهورين*بقبيلة بني مسكين في العهدين العزيزي (1894 ـ 1908) والحفيظي (1908 ـ 1912) ويظهر أنه انضم للحركة الحفيظية، وبايع مولاي عبدالحفيظ لما خيم بمشرع الشعير قرب قبيلة بني مسكين، خريف 1907.

كان القائد محمد بوحافة، من المعارضين للوجود الفرنسي بالشاوية ثم بني مسكين. ويظهر أن موقفه هذا جعله ينتقل إلى مدينة فاس مع السلطان مولاي عبدالحفيظ في صيف سنة 1908، لكنه ظل بفاس لأن الفرنسيين احتلوا قصبة ابن الشافعي المسكيني وبسطوا نفوذهم على القبيلة المجاورة بالشاوية.

ولما تبين لبوحافة، أن النفوذ الفرنسي لا يمكن زحزحته، قرر العودة لبلاده، وربط الاتصال مع سلطات الاحتلال لتساعده على توطيد نفوذه، ضد منافسيه من القواد الآخرين وذلك سنة 1308 / 1910.

*وثائق الخزانة الحسنية.*

علال الخديمي

**بوحَبة.** سلاح ← **بوشفر**

**بوحجرة** ← **التازي بوحجرة محمد**

**بوحدّو**، أسرة سلوية انتقل بعض أفرادها - حسب *الاستقصا* - إلى فاس ومكناس. وإذا صح هذا فيكون انتقال آل بوحدو إلى مكناس قد تم في القرن الحادي عشر (17 م) أو قبله. إذ أن أشهر آل بوحدو المكناسيين، وهو الطاهر بن الهادي آتي الترجمة، هو من حفدة الشيخ عبد الله الجزار دفين مكناس. وهذا هو شيخ الجد أحمد حجي صاحب الضريح الشهير بالسوق الكبير بسلا. والعلاقة بين البوحديين والحجيين وطيدةً مصاهرةً ومجاورةً ومصافاةً طوال القرون الأربعة الأخيرة حسبما هو مسطر في رسوم أنكحة وغيرها. واسم عبد الله الجزار جد البوحديين المكناسيين أصبح من الأسماء الخاصة بالحجيين منذ القرن الحادي عشر حتى اليوم. ولآل بوحدو السلويين علاقة وطيدة كذلك بآل المير وهي من الأسر النابهة بالمدينة كما سنرى. ونشير كذلك إلى أنه يوجد "مسجد بوحدو" في حي رأس الشجرة قرب الجامع الأعظم بسلا.

**بوحدو، الحسن** (الحاج.) من أعيان مدينة سلا عقد نكاح رقية بنت أخيه المتوفى الحاج أحمد بوحدو للعلامة محمد بن الطاهر المير بتاريخ 24 ذي القعدة، عام 1214 / 19 أبريل 1800، فأنجبت له ابناً يسمى أحمد، وبنتاً تسمى الطاهرة حسبما هو في رسم إراثته.

**بوحدو، الطاهر** (الحاج.) بن **الحسين** السلوي، فقيه وجيه، كان يزاول العدالة بمدينة سلا عام 1248 / 1832.

**بوحدو، الطاهر** بن **الهادي** (الحاج.) بن العناية المكناسي، من حفدة الشيخ عبد الله الجزار، عالم كبير، وأديب شهير، وناسك صالح. درس في مسقط رأسه مكناس على الشيخ العربي بن السائح الشرقي قبل أن ينتقل إلى الرباط، وعلى الشيخ العربي بصري، ثم قرأ بفاس على الشيخ المهدي ابن سودة، والشيخ العباس بن كيران، وكان قارئ مجلسه.

اشتغل في مكناس بتلقي الشهادات في سماط العدول، وأقبل على التدريس فكثر الآخذون عنه حتى إن معظم فقهاء مكناس وأدبائها المتأخرين يعدون من تلاميذه. وقد سعى خصومه لدى السلطان محمد بن عبد الرحمن فأُخر عن الشهادة وهي مكسبه الوحيد، فانتقل إلى مراكش، وسار فيها سيرته الأولى بمكناس معززاً مكرماً من أهلها وطلبتها، وكثر فيها أيضاً تلامذته. وأخيراً رجع إلى مكناس وتابع عمله في التدريس وتلقي الشهادات، إلا أنه في آخر حياته زهد في العدالة وعاش عيشة عفاف وكفاف متقشفاً معرضاً عن الدنيا وزخرفها مقبلا بكليته على الأعمال الصالحة.

كانت للطاهر بوحدو مساجلات أدبية مع معاصريه، وأورد له ابن زيدان في *الاتحاف* (3 : 405 - 414) قصائد ومقطعات بعضها مع أدباء العدوتين سلا والرباط، وبخاصة أحمد الناصري صاحب *الاستقصا*.

توفي بمكناس عشية الأربعاء ثالث وعشر حجة الحرام عام 1306 / 21 غشت 1889 ودفن بضريح جده عبد الله الجزار.

**بوحدو، عبد السلام** (الحاج.) السلوي كان يسكن في دار بحي رأس الشجرة من حومة الطالعة أسفل الجامع الأعظم، ويوجد اسمه ضمن قائمة السلاويين الذي أحصوا للتمتع بصلة سلطانية في شهر قعدة عام 1290 يناير 1874.

**بوحدو، محمد** بن الحاج **الطاهر** السلوي، فقيه حيسوبي حازم تولى أمانة مرسى الدار البيضاء هو والامين محمد بن عبد المجيد ابن جلون الفاسي. غادر أمانة مرسى الدار البيضاء، في شوال عام 1270 / يونيه - يوليوز 1854 وحل محله الحاج محمد بن المكي الحارثي السلوي.

**بوحدو، محمد** بن **محمد** من فقهاء سلا وعدولها المبرزين في أوائل القرن الثالث عشر (19 م). كان يشهد مع رفيقه الفقيه العدل محمد بن محمد حجي السمار. ومن ذلك شهادتهما في إراثة مؤرخة في عاشر شوال عام 1239 / 8 يونيه 1824. وقد خاطب على شهادتهما وأعلم بثبوتها قاضي سلا محمد الهاشمي أطوبي. كما شهد محمد بوحدو ورفيقه السمار في رسوم أخرى متعلقة بهذه الإراثة.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 3 : 103 - 116 - 461 - 462 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، 2 : 406 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1306 ؛ م. بوشعراء، *العريف*، 2 : 1356 ؛ *ذيل الاتحاف الوجيز*، 150 - 151 ؛ *رسوم عدلية* قديمة عند العدل السيد عبد النبي النجاري السلوي.

محمد حجي

**بوحديد**، أسرة تطوانية لعل أصلها من الأندلس، وكان جل أفرادها في الماضي يحترفون صناعة الأحذية فكانت "بلغة" بوحديد تروج بسوق تطوان أكثر من غيرها، ولا زالت هذه الأسرة بتطوان غير أنها لا تتعاطى حرفتها القديمة.

**بوحراتْ**، أسرة تطوانية نجهل كل شيء عنها سوى أنه كان لها دار بحومة الترنكات سنة 1257/1841 حسب الإحصاء الذي جرى بالمدينة في السنة المذكورة.

**بوحرْمة**، أسرة تطوانية من شرفاء جبل العلم أولاد ابن عبدالوهاب، وكان من بين أفرادها عدة فقهاء أمثال :

**بوحرْمة، أحمد** بن عبدالصادق المتوفى سنة 1295/ 1878.

**بوحرمة، البشير** بن التهامي المتوفى سنة 1891/1308.

**بوحرمة، محمد** بن عبدالصادق المتوفى سنة 1269/ 1853.

**بوحرمة، الهاشمي** بن المختار المتوفى سنة 1319/ 1901.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 12-16 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 350-352 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 :330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوحصيرة**، عبدالقادر العتيقي، ثائر مغربي ينتمي إلى قبيلة بني عتيق، إحدى فصائل بني إزناسن الكبرى بإقليم وجدة، ظهر أمره في بداية سنة 1321 / 1903 بمكان يدعى "المقام" بناحية الظهرا جنوب عين بني مطهر، وزعم انه السلطان المولى عبدالعزيز، وأنه فرّ من سجن الانكليز وأدى فريضة الحج، وعاد لمساعدة أخيه مولاي مَحمد (الروگي بوحمارة)، وبذلك دخل بوحصيرة في خدمة الروگي إلى أن استعادت السلطة الشرعية السيطرة على اقليم وجدة، فالتجأ الثائر بوحصيرة إلى غرب الجزائر خوفاً من عقاب "المخزن"، وبعد أن شرع الفرنسيون في احتلال شرق المغرب دخل في خدمتهم وعيّن عوناً مخزنياً بمركز أبركان المستحدث سنة 1326 / 1908 إلى أن توفي هناك في تاريخ غير معروف.

م. الحجوي، *الرحلة الوجدية*، مخ، خ. ع. رقم 123 ح ؛ ع. ابن زيدان، *اتحاف*، 1 : 406 ؛ ع. بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 405-406.

L. Voinot, *Les conséquences de la lutte du Makhzen et du Rogui à proximité de la frontière algerienne 1903 - 1905*, *B.S.G.A.O.*, 1934 ; A. Laroui, *Origines*, p. 353.

عكاشة برحاب

**بوحصيرة**، كنية يهودية معروفة خاصة بتافيلالت، وقد حملها العديد من الربيين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، منهم :

**بوحصيرة، إبراهيم** بمكناس، عضو المحكمة اليهودية بالدارالبيضاء (1868 - 1948).

**بوحصيرة، إسحاق** الربي الفيلالي، كان موضع قصيدة بالعربية الدارجة المغربية، يعرفها كافة اليهود الفيلاليون (انظر يهودا سمحون : *شيباح ورينا*، *أمداحا وأناشيد*، طبع بمكناس سنة 1946).

**بوحصيرة، داود** (1866-1920) كان ربيا متصوفا وقباليا بتافيلالت، لقي حتفه أثناء إحدى ثورات القبائل المحلية ضد التوغل الفرنسي بالمنطقة. طبعت مؤلفاته الدينية بالقدس ومنها : *سفَر شكيل طوب ويطاح هاؤهيل وسفر ريشة والصوف عالَ وسفَر بيريشيت وشموت*، ويعالج هذا الأخير بالخصوص سفري التكوين والخروج.

**بوحصيرة، يعقوب** (1808 - 1880) أكثر الربيين شهرة في هذه الأسرة وقد عرف بقدسيته وبركاته. يوجد قبره بدمنهور (مصر) كان يحج إليه اليهود الفيلاليون مرة في السنة، وكان كذلك قاضيا ومتصوفا قباليا. له عدة مؤلفات نشرت بعد وفاته، وهي *طوريش طوب* أي "الخطيب الموفق" (القدس، 1884 و1965)، *شعاري لروخة*، أي "الأبواب الكبرى" وهي دروس في الأخلاق (القدس، 1883)، بتوحي *حطام* أي "صور الطابع" وهو شرح للتوراة (القدس، 1883) ثم *بوروشيطيخا ليعقوب* "فتاوي فقهية" (القدس، 1883) *ويغدي هسراد*، "لباس الاحتفال" شرح وتعليق على خروج اليهود من مصر (القدس، 1888)، *محسوف هلبان ومعغالي صدق*، "طرق العدالة" شرح آخر للتوراة (القدس، 1892) ثم *گنزي هملخ* "گنوز الملك" وهي مقالة حول التكوين (القدس، 1893) ثم *ألوف بينا* "تعليم الحكمة" (القدس، 1893) *يُغل يعقوب*، ديوان شعر (الجزائر، 1908) *ولُبوناركا* "البخور الخالص" *شعاري تشوبه* "أبواب التوبة"، شبت قوديش، حول السبت، (انظر طوليدنو : *نير هما عرب*، 212، الزعفراني، *الأديب الشعبي*، ص 273 و303، لاريدو : *أسماء اليهود*، 204.

إن الكرامات المنسوبة إلى هذا الربي ألهمت أصحاب الأقلام في الأدب الشعبي المكتوب والمنقول تأليف الأساطير والقصائد بشأنه، وكلها بالعربية.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama`arab* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc*.

سيمون ليڤي

**بوحمارة، الجيلالي** بن عبدالسلام اليوسفي الزرهوني، ثائر مغربي غلبت على اسمه كنية بوحمارة ولقب الروگي. كان موظفا مخزنياً بسيطاً قبل أن يعلن ثورته ضد السلطان عبدالعزيز في خريف سنة 1320 / 1902. انتحل في بداية أمره اسم مولاي مَحمد وادّعى أنه صنو السلطان عبدالعزيز الذي استولى على ملك أبيه واستبدّ به بعد أن رماه في السجن، وأذاع الثائر بين الناس موالاة السلطان ومخزنه للكفار ورغبتهم في نقل نظمهم وعاداتهم وإدخالها إلى المغرب، وتعززت دعوته بمعارضته للإصلاح الجبائي، وكان السلطان آنذاك قد أعلن عزمه على تطبيق مشروع "الترتيب".

لقيت دعوة الثائر إقبالا بين قبائل ناحية تازا، مما عزز مكانته ورفع قدره، فبايعته أول الأمر قبيلة غياثة، وتعهدت بنصرته وحمايته، وبعد أن كثُرت جموع أنصاره تجرأ على مواجهة الجيوش السلطانية في نهاية سنة 1902، واتخذ من مدينة تازا مقراً لحكمه وخطب به على منابرها باسم السلطان مولاي مَحمد. غير أن السلطة الشرعية استعادت المدينة في شهر أبريل من سنة 1903، فحوّل بوحمارة حينئذ وجهته شطر شمال شرق المغرب، وأوفد رسله وأتباعه لبث دعوته هنالك بين القبائل واستمالتها إليه، وقد كان على علم بأوضاع شمال المغرب الشرقي قبل أن

يجهر بدعوته. إذ سبق له أن جاب المنطقة الشرقية ودخل إلى الجزائر سنة 1901، واتصل ببعض مريدي طريقة صوفية بمدينة غيلزان قرب مستغانم، ثم عاد إلى المغرب سنة 1902، فزار وجدة واتصل بأعيان قبائل أنكاد وبني إزناسن.

إن توجُّه الروگي نحو شمال المغرب الشرقي واضح المغزى. وهو ضمان الحصول على منفذ بحري يتيح له الاتصال بالخارج والتزود بالأسلحة والذخائر الحربية، خصوصاً وأن المنطقة المذكورة قد عُرفت بازدهار نشاط التهريب. ومنذ البداية حرص الثائر على الاتصال بالسلطات الفرنسية بغرب الجزائر، فبعث رسائل إلى حكام وهران وتلمسان ومغنية. ووجّه كل اهتمامه للسيطرة على المنطقة الشرقية والقضاء على القوات المخزنية المرابطة بها حتى يؤمن مؤخّرته من أي هجوم، ثم انتقل إلى قصبة سلوان قرب مليلية، وخيم بها في منتصف شهر أبريل من سنة 1903.

وما أن اقترب بوحمارة من "عمالة وجدة"، حتى وقعت القبائل في حيرة من أمرها، فلم يدر الناس أيْن يُولّون وجوههم، خصوصاً بعد أن تلقّت القبائل رسائل عزيزية حذّرتها من دعوة "الفتان". بينما دعتها رسائل "مولاي مَحمد" الروگي إلى خلع طاعة السلطان عبدالعزيز وإعلان بيعته هو. فواجه المخزن الشرعي دعوة الروگي بالاعتماد على بعض القواد والأعيان الذين ظلوا على ولائهم للسلطان عبدالعزيز، غير أن أتباع الثائر بثّوا دعوته بين القبائل الوجدية تمهيداً لحلوله بالمنطقة الشرقية، خصوصاً بعد أن ناصرته جموع كثيرة بقصبة سلوان، فاضطر السلطان الشرعي إلى توجيه عمّه مولاي عرفة إلى "عمالة وجدة"، فدخلها يوم 27 فبراير 1903 عن طريق غرب الجزائر بسبب انقطاع المواصلات بين فاس ووجدة، وقد كلّف مولاي عرفة بتجهيز جيش من العرب ومن بربر بني إزناسن لمواجهة أتباع الروگي والمحافظة على وجدة من أنصاره. وفي ذات الوقت بعث السلطان رسائل إلى قواد قبائل "عمالة وجدة"، دعاهم للتأهب للحركة والعمل على قبض "الفتان". لم يكتف المخزن بحض القبائل واستمالتها إليه، فصارت تتأرْجَح بين المخزن الشرعي وبين الثائر بوحمارة بعد أن أصبحت محطّ مزايدة بين الطرفيْن.

فشلت كل جهود المخزن من أجل إيقاف زحف الثائر نحو مدينة وجدة، فالتجأ مولاي عرفة إلى الغزوات في انتظار ترحيله إلى طنجة، وبعد أن فشل عامل وجدة أحمد بن كروم في مواجهة أنصار الروگي فرّ بدوره إلى مغنية، غير أن أعيان وجدة أقنعوه بالعودة إلى محلّه لتنظيم المقاومة ضد انصار الروگي، فاستجاب لرغبتهم وعاد إلى وجدة، لكن بعدما تأكد من تزايد أنصار الثائر بالمدينة فرّ مرة ثانية إلى مغنية في نهاية شهر أبريل 1903. وبعد ذلك بقليل أخْلى القائد علال الشرادي قصبة عجْرود والتجأ بدوره إلى الجزائر مع من تبقّى معه من العسكر.

لم يستحسن السلطان رجوع مولاي عرفة إلى طنجة، خصوصاً وأنه لم يقع ما يوجب تعجيل إيابه على الهيئة المرجفة، فحاول تدارك الأمر، بإرسال بعثة مخزنية برئاسة الحاجب أحمدالركينة إلى حدود وجدة عن طريق الجزائر، وعزّزه ببعض الأعيان والعمال، منهم القائد عبدالرحمان بن عبدالصادق والقائد بوبكر بن محمد الحباسي ومَحمد الجباص ومحمد بن الحسن الحجوي، وقد فوّض السلطان لأحمد الركينة في اتخاذ كل ما تقتضيه المصلحة وما تدعو إليه الضرورة من طلب المساعدة من الإسبان.

اتصل أحمد الركينة بشيوخ القبائل وأعيانها وببعض القواد الموالين للسلطان عبدالعزيز، ورغّبهم في الوقوف إلى جانب السلطة الشرعية، وبذل المال الكثير من أجل ذلك، ورغم ما نشره أحمد الركينة من المال لاستمالة القبائل إليه، فقد تكاثر أنصار الروگي، ودبّ اليأس في الرعية المتشبّثة بالسلطان عبدالعزيز، وحُسم الأمر بالنسبة للأغلبية عندما عبر بوحمارة نهر ملوية في اتجاه مدينة وجدة، ودخلها يوم 26 يونيه 1903 بدون قتال، فبويع بها وخطب به على منابرها باسم السلطان "مولاي مَحمد"، وهيأ بها كل لوازم الإمارة، وترتب عن سقوط وجدة في يد الثائر استسلام غالبية قبائل المنطقة إلى الأمر الواقع والاعتراف بسلطته، غير أن مُقامه بالمدينة لم يطل كثيراً. إذ غادرها يوم 10 يوليوز 1903 بعد أن بلغه سقوط مدينة تازا في يد المخزن، فعمّرها جيش السلطان عبدالعزيز الذي جاءها من طنجة عن طريق الجزائر، فدخلها بدون قتال يوم 10 غشت 1903.

بعد أن عادت السلطة الشرعية إلى وجدة، سارعت بعض القبائل الوجدية إلى تأكيد ولائها للسلطان عبدالعزيز، بينما ظلت قبائل أخرى على انحياشها للروگي، فاشتدت الحرب بين أنصار المخزن وأنصار الثائر، ومما أذكى الصراع بين الجانبين عودة الروگي إلى عمالة وجدة في صيف 1322 / 1904، بعد أن تعززت جموعه بأتباع بوعمامة البوشيخي، فزحف إلى وجدة وحاصرها، وفي شهر شتنبر من سنة 1905 تراجع الثائر إلى قصبة سلوان بعد أن يئس من احتلال المدينة بسبب تخلي كثير من القبائل عن دعوته، وافتضح أمره لدى الخاصة والعامّة بعد أن شاعت أخبار اتصالاته بالفرنسيين والإسبان من أجل طلب المساعدة لمواجهة المخزن مقابل منحهم امتيازات هامة. وقد استغل بوحمارة النزاع الذي قام بين المولى عبدالعزيز وأخيه المولى عبدالحفيظ حول المُلك (غشت 1907) فأحكم سيطرته على جل القبائل الواقعة غرب نهر ملوية، بعد أن انقسم جيش المخزن بين موال لهذا الطرف أو ذاك وتوالت عليه الهزائم. لكن تواطؤ الثائر مع الإسبان وتطبيق سياسة جبائية مجحفة دفع القبائل الريفية بالخصوص إلى النفور منه والدعوة إلى محاربته وتعقّب أنصاره، فتراجع إلى المنطقة التي انطلق منها في أول أمره، وذلك في نهاية سنة 1908، غير أنه لم يلق الدعم المعوّل عليه من طرف قبائل أحواز تازا، وتعقّبته حينئذ جيوش السلطان عبدالحفيظ إلى أن ألقت القبض عليه في زاوية مولاي عمران يوم 5 شعبان عام 1327 / 22

غشت 1909، واقتيد إلى فاس سجيناً في قفص، وأعدم بها يوم الخميس 23 شعبان عام 1327 / 9 شتنبر 1909.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 1 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 20؛ ع. بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، ج 1 ؛ ع. الإسماعيلي العلوي، *تاريخ وجدة وأنكاد*، ج 1 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الإحتلال الفرنسي*.

*E. I.* 2, vol 1, p. 1320 - 1321 ; L. Arnaud, *Au temps des Mehallas ou le Maroc de 1860 à 1912*, Casablanca, 1952 ; A. Maîtrot de la Motte-Capron, *Le Rogui*, *B. S. G. A. A. N.*, 1929, p. 515 - 576 ; F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947 ; E. Maldonodo, *El-Rogui*, Ins. General Franco (s. d. 1949); Laroui, *Origines*, p. 354 - 366 ; Cano Martin, *Bu Hamara y Melilla*, Melilla, 1989 ; M. Bekraoui, *La révole pré-colonial*, thèse, Poitiers 1980 ; L. Voinot, *Les conséquences de la lutte du Makhzen et du Rogui à proximité de la frontière algèrienne 1903 - 1905*, *B. S. G. A. O.*, 1934.

عكاشة برحاب

**بوحموش**، أسرة سلوية معروفة، ربما كان أصلها من جبال الريف، ويرجع أقدم تاريخ لمن ذكرته الوثائق التي اطلعنا عليها إلى القرن الثالث عشر (19 م)، فيهم فقهاء وأساتيذ وتجار ومجاهدون في البحر. بعضهم كانوا يسكنون في بوقاع بحي باب سبتة، وبعضهم في درب الأخيار المتصل برحيبة زركالة أسفل الجامع الأعظم. منهم :

**بوحموش، بومدين** (الحاج -) الجد، يوجد اسمه في تقييد الأسر السلوية المستوطنة حي باب سبتة التي أنعم عليها الحسن الأول بصلة في خامس ذي الحجة عام 1290 / 24 يناير 1874، وكان عدد أفراد داره 15 نفراً، ومبلغ الصلة ثلاثة مثاقيل.

**بوحموش، بومدين** الحفيد، فقيه أديب فلكي مشارك، عمل محتسباً بمدينة سلا مدة طويلة، وهو الذي خلف المحتسب الشهير إدريس عمور، ثم اشتغل بالكتابة في المصالح البلدية، وقبل ذلك في إدارة المالية (الترتيب). توفي في حدود سنة 1380 / 1960.

**بوحموش، عبد الله** بن محمد الباشا آتي الترجمة. من المتعلمين في المدارس العصرية، عمل في وزارة الشبيبة والرياضة والشغل والشؤون الاجتماعية، داخل المصالح المركزية بالوزارة وفي مصالحها الخارجية بالأقاليم، وعمل نحو عشر سنوات في منطقة العلم العربي بالشرق. وبعد رجوعه إلى المغرب التحق بمقر الوزارة، وأدركته الوفاة فجأة في الرباط حوالي سنة 1403 / 1983.

**بوحموش، محمد** (الحاج -)، كان من المجاهدين في البحر، ونال معهم صلة الحسن الأول بتاريخ 16 ذي القعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875. كما يوجد اسمه في قائمة سكان درب الاخيار بالمدينة، مع عدد من أبناء عمه البوحموشيين.

**بوحموش، محمد** (الحاج -) بن **العياشي**، قد يكون هو المذكور قبله لأنه هو أيضاً من المجاهدين البحريين، والتاريخ يقبله. يوجد اسمه في قائمة الطبجية العاملين في المدفعية "الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا" كما جاء في طالعة الوثيقة المؤرخة في ثامن وعشري ذي الحجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

**بوحموش، محمد** (الحاج -) بن **محمد** (الحاج -) من كبار تجار مدينة سلا وأعيانهم، عينه السلطان عبد العزيز هو وأحمد الصابونجي لمحاسبة وكيل الغيب والمهملين من الأيتام، الصبيحي الذي انتهت ماموريته وخلفه محمد بن عبد القادر السدراتي، كما جاء في رسالة عامل سلا بالنيابة أحمد الطالبي إلى الوزير أحمد بن موسى في ثالث ربيع الأول عام 1315 / 2 غشت 1897. وبعد ثلاث سنوات نجد الحاج محمد بوحموش ضمن كبار تجار مدينة سلا الذين حذرهم السلطان من الاستمرار في معاملة ولاة الشؤون العامة من العمال والأشياخ ومن في معناهم، وقد جمعهم خليفة عامل المدينة بحضور أمين المستفاد محمد بن الحاج قاسم جسوس وعدلين لتجديد الاسترعاء عليهم، وتم الإشهاد على الحاج محمد بوحموش ومن معه من التجار المسلمين في ثالث شعبان عام 1318 / 26 نونبر 1900.

**بوحموش، محمد** بن **محمد**، من أعيان مدينة سلا ووجائها، فقيه أديب أنيق، جميل الطلعة حلو الحديث. بعد إنهاء مرحلة الطلب في مسقط رأسه سلا، اشتغل فيها بالتجارة في الثياب بالقيصرية، ثم عُين وكيلا للغُيب بها قبل أن ينقل إلى أگادير كأمين للأملاك المخزنية، وطال مُقامه في هذه المدينة إلى أن عُزل باشاها إبراهيم الحاحي، فسمي محمد بوحموش باشا مكانه، وصادف ذلك إبان الأزمة السياسية في بداية الخمسينات، فكانت فترة قاسية بالنسبة إليه انتهت بعزله بعد الاستقلال، فانعزل متنقلا مع ولده عبد الله سابق الترجمة واستقر أخيراً بمدينة الرباط في دار متواضعة اشتراها بحي بوقرون إلى أن أدركته الوفاة بها في حدود عام 1401 / 1980.

ب. الصبيحي، *كناشة*، مخطوطة ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 139 . 150 . 220 . 222 . 241 . 258 . 280 ؛ *ذيل الاتحاف الوجيز*، 151 ؛ *معلومات شفوية* من التاجر الحاج علي حمدوش ومن العدل السيد عبد النبي النجاري السلويين.

محمد حجي

**بوحْميدْ**، أو أبو حماد، كما ذكرته المصادر القديمة، قصر كان قائما بسجلماسة بوادي إفلي ويسكنه أولاد أبي القاسم الذين ينتسبون إلى الفرع السادس من فروع سيدي يوسف بن علي الشريف. وفي القرن العاشر الهجري انتقلت أسرة هذا القصر إلى مدغرة تافيلالت وشيدت بها قصراً عرف بنفس الاسم، وهو لا زال قائماً إلى اليوم.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، 389 ؛ الأنوار الحسنية، *الدر السني*، 53؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 231.

عبدالعزيز بوعصاب

**بوحوت**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني شيكر الكرتية، وما زالت موجودة بتطوان، وكان من بين أفرادها :

**بوحوت، حدو** بن أحمد، ترجمان بإدارة الحماية

بتطوان سنة 1921/1339.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوخاتم،** نوع من الأسماك العظمية ومن رتبة Zeiformes. ينتمي إلى فصيلة Zeidae ويسمى علميا Zeus faber وSaint Pierre أو Doré بالفرنسية وJohn Dory بالأنجليزية.

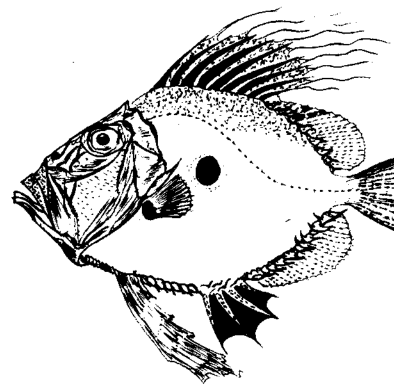

الجسم مضغوط جانبيا، الرأس كبير، الفم كبير ومنحن، تتركب الزعنفة الظهرية من تسع إلى إحدى عشرة شوكة ومن واحد وعشرين إلى خمسة وعشرين شعاعاً، وتوجد بقاعدتها عدة شويكات وصفيحات عظمية كما هو الشأن في قاعدة الزعنفة الشرجية. تتركب الزعنفة الذيلية من ثلاث إلى خمس شوكات ومن عشرين إلى أربع وعشرين شعاعاً.

تكسو الجسم حراشف صغيرة رمادية صفراء، توجد على الجانب بقعة سوداء كبيرة، دائرية الشكل ومحاطة بحلقة رمادية صفراء توحي بالخاتم مما أدى إلى تسميته ببوخاتم، وهو اسم شائع في جميع أسواق الأسماك المغربية.

إنه سمك متوسط الحجم لا يتعدى طوله 66 سم وهو شائع ما بين 10 و50 سم. لا يحسن السباحة ويعيش غير بعيد عن السواحل المتوسطية والأطلنطية الشرقية ولا يتعدى الأعماق التي تفوق 600 متر ويفضل العيش في الأعماق المتراوحة ما بين 150 و300 متر وذلك فوق الأماكن الموحلة والغنية بالرمال.

يتوالد في فصل الربيع والصيف ويصير بالغاً بعد أربع سنوات. يأكل الأسماك الصغيرة والقشريات والقواقع. صيده شبه صناعي في إسبانيا وفرنسا وصقلية والبرتغال، وتقليدي في المغرب والدول المجاورة. يُصاد بواسطة الشباك الجيبية وبالصنارة. يوجد في الأسواق المغربية بشكل منتظم أو موسمي حسب المناطق وتبقى كميته قليلة، وسعره مرتفع للذة طعمه.

W. Eischer, Schneider et Bouchot, *Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1987, Vol. II, *Vertébrés* : 1421 - 1422.

محمد رمضاني

**بوخبزة،** أسرة جبلية تطوانية عمرانية تنسب إلى الجد الجامع للأشراف الأدارسة العمرانيين بالمغرب : عمران بن يزيد بن صفوان بن خالد بن يزيد بن عبدالله بن إدريس الأول. وهذا الفرع منها ينتهي إلى الولي الصالح الشيخ أبي الحسن علي بن محمد العمراني الشهير بـ (سيدي علي بوخبزة) من أهل القرن التاسع الهجري تقديرا، وهو أول مَن كُني (بوخبزة) منهم. دفين مجشر (أغبالو) بالحرم العلمي من قبيلة (بني عروس) حاليا. كان هذا المجشر قديماً من قبيلة بني يدّر إلا أن ابن زاكور ذكره داخل حدود الحرم العلمي في كتابه : *الاستشفاء من الألم بذكرى صاحب جبل العلم*، ونقله عنه سليمان الحوات في *الروضة المقصودة، في مآثر بني سودة*. ويُدْعى أفراد هذه الأسرة باسم (أغبالو) إلا الفرع الذي استوطن تطوان قديماً فيدعى (بوخبزة). ولما كان بين هذا الفرع وبين العلميين مصاهرة وتمازج قديم ظن من ظن من الناس - وفيهم فقهاء وعلماء - أنهم علميون، وكنت إلى هذا الظن مرتاحاً لدورانه على الألسنة خصوصاً من ذوي الاطلاع والدراية كشيخنا المحدث أحمد بن محمد ابن الصديق الغماري الطنجي الذي كتب إليّ منذ نحو ثلاثين سنة في مساجلة أدبية يقول :

أطلت فيه أطال الله مجدكم ودمت فخر الهداة من (بني العلم)

إلى أن وقفت على جليّة الأمر من نصوص النسابين المعتبرين كالنقباء أحمد بن أحمد ابن عبدالوهاب في *مجموعه الاسماعيلي*، ومحمد بن الصادق ابن ريسون في *فتح العليم الخبير، بتحرير النسب العلمي بأمر الأمير*، وعبدالسلام بن الطيب القادري في *الدر السني فيمن بفاس من أهل النسب الحسني*، والامامين محمد القصار وأبي القاسم ابن خجو كما عند ابن عرضون في *الكتاب اللائق لمعلم الوثائق* وغيرهم. كما وقفت على رفع النسب المحفوظ عند الأسرة في رسوم الأصدقة وغيرها، وفي الوثائق الملكية بالرباط بعض ظهائر التوقير والاحترام المتعلقة بهذه الأسرة.

وكان نزوح هذه الأسرة إلى تطوان نهائيا في أول القرن الثالث عشر الهجري، وإن كان كثير من رجالها يترددون عليها قبل ذلك بغرض الجهاد والمرابطة على سبتة. وسمعت من شيوخنا أن منهم من استشهد، ودفن داخل قبة سيدي أحمد بن كيران بتطوان، وبمقابر النخلة، ومنهم من أُسر حياً ولم يعرف مصيره.

وكان الغالب على آل بوخبزة طلب العلم والقيام بوظائف الدين كالتدريس والخطابة والإمامة والعدالة والفتوى، ويلاحظ مما تبقى من آثارهم أن الغالب عليهم الاهتبال بالقرآن الكريم وعلومه من تجويد ورسم وضبط وقراآت وغريب.

**بوخبزة، أحمد** بن أحمد بن أبي القاسم، الفقيه العدل الأستاذ المقرئ يوجد بخطه كتاب *إيضاح الأسرار والبدائع، في شرح الدرر اللوامع، في أصل مقرأ الإمام نافع* لابن المجراد السلاوي، بخزانة تطوان رقم 862 فرغ من نسخه عام 1236 هـ.

**بوخبزة، الطيب** بن أحمد الأستاذ المقرئ النحوي، كان

يتردد على تطوان، وشارط بقبيلة بني عروس في مجشر أفَرْنو وكتب بخطه الحسن كثيراً يوجد منه *تنبيه العطشان، على مورد الظمآن* للشوشاوي، وهو أحفل شروح المورد في مجلد ضخم، بخزانة تطوان رقم 847 فرغ منه سنة 1236 هـ. وذكر بآخره رفع نسبه الشريف. كما يوجد عند الأسرة بتطوان مصحف شريف مرموز برموز القراء السبعة وعلى هامشه كلمات القرآن ذات الأوجه المتعددة. وبخزانه الأسرة بخطه شرح علي بركة الأندلسي على *الأجرومية*، وهو من أحفل شروحها وأنفعها.

**بوخبزة، عبدالله** بن أحمد بن أحمد العدل المقرئ الأستاذ. قال الرهوني عنه في *عمدة الراوين* : "كان أستاذاً مشاركاً في النحو والتصريف والفقه والوثائق وكان يشارط بقبيلة (جبل حبيب) ثم استقر أخيراً بتطوان". توفي يوم الاثنين 26 ربيع الأول عام 1329هـ ودفن بمصلى الجنائز من باب المقابر بتطوان، كتب بخطه كثيراً، ومن منسوخاته : مجموع بخزانة تطوان رقم 870 يحتوي على تآليف في الطب والفقه والفرائض، من غريبها *أرجوزة* طويلة في غريب القرآن لمحمد بن يوسف الصلتان في نحو ثلاثة آلاف بيت.

**بوخبزة، علي** بن أحمد ـ وهو غير الجد الجامع سابق الذكر ـ ترجم له الفقيه الرهوني في *عمدة الراوين* ووصفه بالعلاّمة النحوي المقرئ الأستاذ المدرس وأنه من شيوخ محمد بن علي عزيمان قاضي تطوان. توفي بتطوان ما بين سنة 1220 ـ 1240.

**بوخبزة، محمد** بن **أحمد**، شهر (بابن سِّي أحمد) الطالب المجاهد، البطل المغوار. اشتهر بمقاومته للاستعمار الإسباني بقبيلته (بني يدّر) لأنه من مجشر (تازروت) اليدري، وغيرها من قبائل الجبل. ولعظيم نكايته للعدو واستمراره في المقاومة إلى أن كان من آخر من استسلم ووضع السلاح مقهوراً بسوق (ثلاثاء بني يدر) بعد أن ضُيق عليه الخناق وأرهقته خيانة عشيرته، وأحاط به العدو من جهتين بقيادة القائدين الإسبانيين (كبّاص وبّابْلو) فاستُنزل من معقله بالأمان، واحتفل الإسبان يوم استسلامه مع جماعته، ولكن الاستعمار لم ينس جهاده وقوة شكيمته وطويل صموده، فلفق له تهمة المشاركة في ثورة ابن الصديق في الخمسينات واعتقله بواسطة قائد القبيلة وأعوانه، وسيق إلى تطوان وهو شيخ كبير فصدر الحكم بإعدامه ثم خفف إلى السجن المؤبد، وأودع زنزانة خاصة بسجن (وادْ لاَوْ) بقبيلة بني سعيد حيث قضى سنوات توفي بعدها سجيناً غريباً وحيداً رحمه الله، ومازالت ذكراه واسمه ومواقفه على ألسنة الناس من شيوخ قبيلته وغيرهم.

**بوخبزة، محمد الأمين** بن عبدالله، الفقيه العدل المدرس الخطيب، ولد سنة 1311 / 1893 بتطوان وبها أخذ العلم عن شيوخها، قال شيخه الرهوني عنه في *عمدة الراوين* : "تقلّب في عدة وظائف من عدالة وكتابة مع عمال تطوان وخلافة عن باشاها وعن قاضيها إلى أن توفي رحمه الله زوال يوم الاثنين فاتح رجب 1367 هـ ودفن بناحية سور البلد خارج تطوان.

روايات شفوية ؛ م. ابن زاكور، *الاستشفاء من الألم بذكرى صاحب العلم*، مخطوط ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، مخطوط ؛ ع. القادري، *الدرر السني* ؛ م. ابن ريسون، *فتح العليم الخبير*، مخطوط ؛ ابن عرضون، *الكتاب اللائق لمعلم الوثائق*، ج 2 ؛ أ. المريبطو التطواني، *المآثر الجليّة في رجوع نسب آل العلوي للشعبة الحمودية الإدريسية الحسنية*، طبع تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط.

محمد بن الأمين بوخبزة

**بوخُرْص**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد اشتهر أفرادها بمهارتهم في المدفعية حيث نجد بحامية تطوان سنة 1830/1246 مدفعيين هما الأخوان :

**بوخرص، عبد الرزاق** بن أحمد وأخويه عبدالسلام وعبدالله، ويستفاد من الاحصاء الذي جرى بتطوان سنة 1841/1257 أن هذه الأسرة كان لها داران بحومة الترنكات في السنة المذكورة.

**بوخرص، عبد القادر.**

**بوخرص، محمد**، كما نجد بنفس الحامية سنة 1249/ 1834 المدفعي.

**بوخرصة**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الفحص، وقد انقرضت بتطوان في أوائل هذا القرن. وهي غير أسرة بُوخُرْص. وأما الخرصة في اللهجة الدارجة فهي مقرعة الباب.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 16 ؛ 4 : 224 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 213 ـ 354 ـ 356 ؛ *مختصر تاريخ تطوان* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بُوخْرِيص**، أحد أبناء محمد البرتغالي الوطاسي، برز إثر وقوع السلطان أحمد الوطاسي في أسر محمد الشيخ السعدي سنة 1547/953، حينما تحصن عمه أبو حسون وأخوه القصري بفاس الجديد، تعبيراً عن رفض تسليم

المدينة لافتداء السلطان والده. كان بوخريص راغبا في أن يؤول الملك إليه لولا امتناع أبي حسون الذي بادر إلى مبايعة القصري.

د. دي طوريس، *تاريخ الشرفاء*، ص 103، تر. م. حجي وم. الأخضر.

حسن الفگيگي

**بوخريص**، أسرة من تافيلالت، سكن بعض أفرادها مدن فاس ومكناس وسلا، وأنجبت في القرنين الأخيرين عدداً من الفقهاء والمدرسين والقضاة.

**بوخريص، الجيلالي** بن محمد الكاملي. فقيه مطلع مشارك تولى القضاء مدة بمدينة أسفي وله *كناشة* علمية حافلة نقل عنها محمد الكانوني في بعض كتاباته.

توفي بأسفي - على ما يُظن - في أواسط القرن الثالث عشر (19 م).

ع. ابن زيدان، *الاتحاف*، 3 : 334 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1300.

**بوخريص، عبدالرحمان** ابن عبدالقادر ابن العربي الكاملي الجعفري الفيلالي ثم الفاسي. أحد علماء مجلس السلطان سيدي محمد ابن عبدالله الذين كانوا يلازمونه حضراً وسفراً يسردون ويؤلفون على مقتضى إشارته كتب الحديث والفقه.

اختلط اسمه عند المتأخرين باسم والده العلامة الشيخ عبدالقادر بوخريص الذي تولى قضاء فاس مدة أربع وثلاثين سنة. وهكذا أورد صاحب *الاتحاف* أن المترجم تولى قضاء فاس بينما لم يشر إلى ذلك الزياني في *تحفته* التي خصصها لقضاة هذه المدينة وولاتها.

أ. الغزالي، *اليواقيت الأدبية*، مخطوط، خ. ع. 1207 ك ؛ أ. الزياني، *ولاة فاس وقضاتها*، مخطوط، خ. ع. 224 ك ؛ *الروضة السليمانية*، مخطوط، خ. ع. 1275 ك الورقة 126 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 3 : 184 و336 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 122 - 123.

فاطمة الحراق

**بوخريص، عبد القادر** بن **عبد الرحمن** بن عبدالقادر الكاملي، أديب بارع في نظم أشعار الملحون، وله فيه *ديوان* وقف عليه صاحب *إتحاف المطالع* وقال عنه : "أكْثَرَ فيه من الأمداح والتغزلات".

توفي في العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري.

**بوخريص، عبد القادر** بن **العربي**، قاضي فاس، علامة فقيه مشارك، ولد سنة 1706/1118 وأخذ عن محمد العراقي الحسيني، أحد كبار نحويي زمانه، وعن محمد المسناوي الدلائي، ومحمد بن عبدالسلام بناني، وأحمد الوجاري وأحمد بن مبارك وهو معتمده الذي أفنى عمره في خدمته. وأخذ عنه عبدالقادر ابن شقرون الفاسي وعبدالسلام بن محمد الدّلائي.

ظل عبدالقادر بوخريص متوليا خطة القضاء بالحضرتين الإدريسية والمرينية نحو أربع وثلاثين سنة، وعزله في آخر عمره لكبر سنه السلطانُ محمد بن عبدالله. ويذكر عنه أنه سار في القضاء سيرة حسنة فكان ذا عفة في نفسه وماله، مشهورا باقتصاره في التدريس على المتن، مع ذكر ما لا بد منه والضروري فقط من الشروح والتعليقات مع مَيل كامل إلى طريقة التحقيق. وكانت وفاته سنة 1774/1188.

ع. السلجماسي، *الروض الطيب*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 147 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص 365 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : في أماكن متعددة.

**البُوخْصيبي**، أسرة عربية تنتسب إلى عمر بن الخطاب استقرت مدة بجبال *طرابلس*، وأول قادم منهم إلى المغرب عليّ المدعو علال والد يحيى آتي الترجمة، جاء من ناحية الصحراء مجاهداً أو من ناحية كرت، وربما كان ذلك بعد تضييق البرتغاليين على مدينة سبتة، نزل البوخصيبيون بأرض الخلط في أزغار شمال مدينة سلا في قبيلة بني مالك التي كان يحكمها أخوالهم أولاد الدغوغي، ثم انتقلت رآسة هذه القبيلة إلى أسرة البُوخْصَيْبِي عن طريق المصاهرة والوراثة.

**البوخصيبي، محمد** بن يحيى بن علي المعروف بعلال ابن موسى بن يحيى بن غانم، الشهير بقدار (گدار) المالكي. (*ممتع*، 46، 132) وهذا يعني أنه عربي الأصل، بل تذهب بعض المصادر إلى القول بأن نسبه ينتهي إلى الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (*رسالة*، 248).

وقد نشأ أبو عبدالله محمد قدار البوخصيبي في بيت تصوف وصلاح. فجده علال كان ولياً صالحا، ومن مريدي الشيخ عبدالعزيز التباع، أخص أصحاب الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (*الروض*، 19 ب). وهذا الجد هو مؤسس الزاوية البوخصيبية الأولى في موضع يسمى تيزغوين من بلاد أزغار ببلاد الغرب (*الروض*، 19 ب). أما والده يحيى فقد كان وليا جزوليا أيضا، وممن صحب عبدالعزيز التباع كذلك. ولما توفي الجد المذكور، أوائل المائة العاشرة (16م) تصدى يحيى للمشيخة بنفس الزاوية إلى أن توفي سنة 1539/945 (*ابتهاج*، 48).

في هذا البيت، وفي تلك الزاوية تربى أبو عبدالله محمد قدار، واقتدى بوالده وجده، فانخرط في طريق القوم. معتمداً في هذا الصدد على الشيخ سعيد بن أبي بكر المشنزائي دفين مكناس، وهو جزولي الطريقة (*مرآة*، 46). فعلى يد هذا الأخير فتح له، وبلغ درجة الكمال في الطريقة الصوفية الجزولية، حتى إذا توفي والده يحيى وجد نفسه مؤهلا ليتصدر مشيخة الزاوية البوخصيبية.

وقد حصل في هذا المضمار على شهرة واسعة، كما تدل على ذلك مختلف التراجم التي عقدت له، منها قول صاحب *المرآة* : "كان صاحب الترجمة كبير الشأن جليل القدر ظاهر الولاية شهير البركة، مقيما لرسوم الشريعة متحققاً بأسرارالحقيقة... شديد الاتباع للسنة، وكان يقال إذ ذاك الفقير هو سيدي قدار الذي أقام السنة في وسط أزغار.

وكان قويا في السلوك، يخبر بالمغيبات والوقائع المستقبلية، وكان لا ينام الليل، فيقال إنه كان من حراس المغرب في وقته. واعتبره أبو المحاسن (يوسف الفاسي) من أجل الفقراء عنده ..." (*مرآة*، 46).

وقد عمّر الشيخ قدار طويلا، حيث تولى المشيخة بزاوية والده إبان فترة الصراع السعدي الوطاسي حول المغرب، وتوحيد البلاد على يد محمد الشيخ السعدي، ثم امتد به العمر ليعاصر فترة الصراع الذي اندلع بين أبناء أحمد المنصور، بعد وفاة هذا الأخير. وإذا كانت المصادر لا تمدنا بأية أخبار حول علاقته بالوطاسيين أو بالسعديين قبل المنصور، فيفهم من الكرامات والخوارق التي ظهرت على يديه إبان الأزمة المذكورة أنه لم يكن من المناصرين لا للأمير زيدان ولا لمحمد المامون. كما يفهم من نفس الكرامات أنه كان معارضاً بشدة لهذا الأخير، حتى إنه تنبأ بقتله على يد الأولياء (*ممتع*، 132).

وقد توفي الشيخ قدار يوم 6 ربيع الأول عام 1014 / 22 يوليوز 1605 وسنه مائة عام وعام واحد، وبنيت على قبره قبة عظيمة قريبة من خلوة أبيه بأزغار (*التقاط الدرر*، 68).

م.ع. الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ م. م. الفاسي، *ممتع الأسماع* ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب* ؛ م. ابن عيشون، *الروض العطر* ؛ م. القادري، *التقاط الدرر* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

أحمد الوارث

**البوخصيبي، يحيى** بن علال بن موسى القرشي العُمري ثم المالكي. ولد يحيى سنة 1458/863 وكان شيخا جليل القدر، إماما في العلم والعمل، من كبار أصحاب الشيخ عبدالعزيز التباع، وكذلك كان أبوه. أما جده الأعلى خُصَيْب فهو من أصحاب الشيخ أبي محمد صالح بن قيصاري.

وأخذ يحيى أيضا عن أحمد الحارثي مريد الشيخ مَحمد بن سليمان الجزولي. وأسس زاوية ببلاد الخلط في موضع يقال له تيزغري قرب وادي أردم، وفيها أخذ عنه الشيخ عبدالرحمان المجذوب. واشتهر يحيى بكراماته واتِّباعه الجادة ومحاسبة النفس، وكان له مسجد حفر في محرابه قبراً إذا وجد من نفسه فتوراً دخل ذلك القبر ومد نفسه فيه كالميت وبات فيه يعاتب نفسه طول الليل.

توفي بفاس في ربيع الثاني عام 945 / غشت - شتنبر 1538، ودفن خارج باب الفتوح بقرب روضة علي ابن حرزهم بوصية منه ليكون في طريق موكب الحجاج. وقد حضر دفنه جل سكان فاس والسلطان أحمد المريني، وتزاحم الناس على جنازته وتقاسموا أعواد نعشه تبركا به. وبني عليه بناء خفيف، ثم جدد هذا البناء من طرف السلطان الحسن الأول الذي بنى عليه قبة صغيرة، ويسميه العامّة سيدي الغسال لغسل الموتى الذين يأتون من خارج فاس في ضريحه ليدفنوا بمقبرة باب الفتوح.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 140، تح. م. حجي ؛ أ. الفاسي، *المنح الصافية*، 15، مخطوط خ. ع. رقم 1234 د ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، 190 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، 144، تح. حفيظة الدازي، د. د.ع بكلية الآداب بالرباط، 1992 ؛ م. ابن عيشون الشراط، *الروض*، 67، تح. زهراء النظام، د. د. ع بكلية الآداب بالرباط 1989 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع*، 46 ؛ *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط، 29 ؛ ع. القادري، *المقصد الأحمد*، 298 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 66.

حفيظة الدازي

**بُوخَـنْ**، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل غمارة لعلها قبيلة بني خالد، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان. وأما بُوخَنُّو في اللهجة الدارجة فيعني ثمار النبات المعروف بالقَطْلَبْ.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegecion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوخْوالي**، كتلة جبلية بالهوامش الشمالية الغربية لسلسلة الهورست بالمغرب الشمالي الشرقي، تُعرف كذلك بجبل بني بوزگو القبيلة التي تستوطنه. تحد غربا بمرتفعات مرگشوم المشرفة على تاوريرت، وجنوبا بوادي زا، وشرقاً بمنخفض مطروح، أما في الشمال فتمتد الكتلة لتشرف على هضاب ممر تاوريرت - العيون. لكونها تحتوي على أعلى قمة بالمنطقة (1725 م بجبل أوسرطان)، استعملت كقاعدة عسكرية أمريكية للمراقبة تحولت حالياً إلى محطة البث للإذاعة والتلفزة بالأقاليم الشرقية.

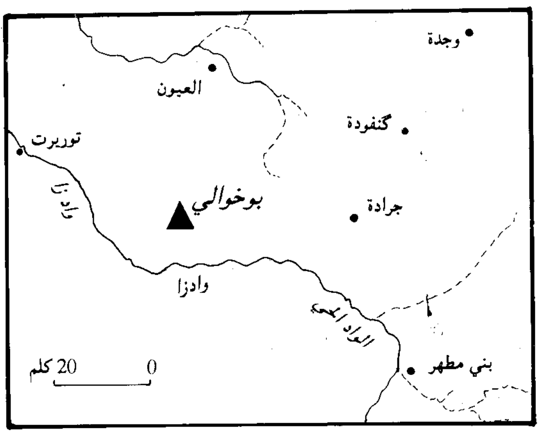


موقع بوخوالي

من أبرز خصوصيات المنطقة الجبلية، أنها أكثر رطوبة بالمقارنة مع الهضاب والسهول المجاورة، حيث المعدل السنوي بمحطة أعياط يزيد على 450 ملم، ولا يتجاوز 240 ملم بتاوريرت و265 ملم بمحطة العيون. ولذا كانت المنطقة الجبلية المخضرة نسبيا محط أنظار جل السكان المحيطين بها، وخاصة كلما اشتد الجفاف بالسهول.

وقد أدى تزايد تردد السكان على المنطقة الجبلية، وارتفاع عدد رؤوس الماشية إلى التدهور البيئي والإخلال ببعض توازناته.

- تجمع المنطقة بين الخصائص الجبلية والهضبية، إذ يشتد الارتفاع والانحدار بالأعراف المشرفة على الأحواض

الشمالية، ويخف بالسطوح الشبه هضبية المتجانسة الارتفاع (1200 ـ 1400 م)، الأحادية الميل والانحدار في اتجاه محور واد زا بالجنوب.

نتجت هذه الأحجام التضاريسية عن تطور مرفوتكتوني طويل ومعقد. ترجع الصخور القديمة ببهرة منطقة تنشرفي إلى الفيزي الأعلى، وهي عبارة عن شست وحث، وصخور اندفاعية أهمها الميكروگرانيت والميكروديوريت الكوارتزيتية التي تشكل متون وتلال توريرين. أما الگرانيت المبيض، الخشن والمتفسخ فيبرز بوسط الحوض. وفي منخفض تانزارت تظهر على الخصوص الصخور البركانية مثل الأندزيت والداسيت.

ظلت الكتلة القديمة معرضة للتعرية إلى حدود غمرها بالبحر الترياسي، ثم اللياسي. لكن سرعان ما أخذ البحر في التراجع عن قمة بوخوالي التي أخذت تنهض حيث لا يتجاوز سمك الكلس اللياسي/ 20 إلى 30 م. أما عند الهوامش ذات النزعة التقعرية فقد استمر بها الترسيب إلى نهاية الجوراسي. ويزيد سمك الكلس عن 400 م بمقعر واد زا.

عرفت المنطقة من جديد حركة تكتونية وتعرية قارية خلال نهاية الزمن الثاني وبداية الزمن الثالث، مما أدى إلى افراغ المحدبات على شكل أحواض مثل تنشرفي وتانزارات. وانطلاقا من أجراف انكسارية هامة أخذت أحواض أعياض ودادّ علي والدواوش تتوسع خلال الميوسين، حصل غمر بحري جديد للهوامش المنخفضة الشمالية ولم يمتد البحر إلا محليا على شكل خلجان تُلامِسُ هوامش الكتلة الجبلية.

وبعد تراجع البحر الميوسيني نتيجة انتهاض جديد، اشتد افراغ الأحواض الجبلية، حيث امتدت المواد الرملية الناتجة عن تفسخ گرانيت تنشرفي نحو الشمال على شكل مخروط واسع.

ورغم ضيق المجال المخصص للزراعة بالكتلة الجبلية، استطاع الانسان خلق مجال ملائم للاستغلال الفلاحي وذلك ببناء دريجات عدة، خاصة بالمجالات المسقية.

الأحواض الشمالية الواسعة لا تستفيد إلا جزئيا من الفرشة المائية لكتلة بوخوالي، وذلك لميل الطبقات الكلسية نحو الجنوب، حيث يشكل مجرى واد زا، المستوى القاعدي المحلي.

تتعدد العيون ببعض الأحواض، يرتفع صبيبها في أحسن الظروف، بحوض أعيان مثلا، إلى 50 ل/ ثانية، مما يسمح بري حوالي 40 هـ (ثلثي مساحة الحوض)، لكن أغلبها يجف ويقل الصبيب العام عن 4 ل/ ثانية، وذلك كلما اشتد الجفاف الذي يؤثر بسرعة على الفرشة المائية.

يعتمد سكان بوخوالي في عيشهم على ممارسة أنشطة متنوعة، مثل الزراعة الشجرية وأهمها اللوز وزراعة الخضروات. لكن تعتبر تربية الماشية، وخاصة الماعز، المورد الأساسي للسكان. ويعتبر ذلك أهم أسلوب لاستغلال غابة وأدغال الجبل.

أغلب السكان يعتمدون على موارد خارجية، مثل زراعة الحبوب بالسهول الشمالية، ومردود اليد العاملة المهاجرة إلى داخل وخارج الوطن، إلا أن أغلب أسر المهاجرين إلى أوربا يفضلون حاليا الاستقرار بالمراكز الحضرية المجاورة. هذه الهجرة مرتبطة بنقص الموارد بالجبل وخاصة بعد إغلاق مناجم المنغنيز بتانورالت وحوض أعياط سنة 1967، والتي كانت تشغل ما يقرب عن 400 منجمي. اشتدت الهجرة كذلك لانعدام المراكز الصحية وصعوبة الاتصال ورداءة الطريق. أما المدارس في حالة وجودها ببعض الدواوير، فإنها لا توفر إلا المستويين الأولين.

حاليا، رغم الهجرة إلى المدن، فإن الكتلة الجبلية "المخضرة" في طريق الإقحال. وتحتوي المنطقة على غابة حقيقية تتكون من أشجار البلوط والشجر العفصي البونيقي، وأدغال من الضرو والعرعار واليازير والحلفا، إلا أن الاستعمالات المكثفة تؤدي إلى انفتاحها بشكل سريع ومهول.

كثافة سكان الجبل لا تزيد عن 10ن/كلم مربع، ومع ذلك يمكن اعتبارها عالية إذا ما قيست بقلة الموارد وبالهشاشة الطبيعية للمنطقة. ويعتبر الجفاف أهم أسباب تراجع الغطاء النباتي خاصة أنه يدفع السكان لممارسة استعمالات مكثفة لسد حاجياتهم. وباشتداد الجفاف، تزايد تهريب الحطب والفحم كما يعتمد الرعاة على قطع أغصان الأشجار لعلف ماشيتهم. في سنة 1990 أصبح معدل رؤوس الماشية الصغيرة بالهكتار ببوخوالي يزيد عن ثمانية، بدل رأسين/هـ كمعدل عام لسلسلة الهورست، ويرجع ذلك إلى زحف عدد من قطعان السهول التي اشتد قحطها، إلى الجبل الرطب والمخضر نسبيا.

وفي إطار محاربة الانجراف وحماية بحيرات السدود من الأطماء ظهرت مشاريع تشجير بعض السفوح المجاورة للتجمعات البشرية كما هو الشأن حول حوض تنشرفي. انطلقت التجربة سنة 1969 حيث تم تشجير المناطق المتضررة، بصنوبر حلب، وذلك تحت إشراف مصلحة المياه والغابات. لكن حاليا ظهر بجوار الحزام المغروس وبشكل مواز له، مجال آخر متضرر لكونه أخذ يعرف ضغطا رعويا متزايداً منذ تشجيز الحزام الأول.

يكون بذلك مشروع الاستصلاح قد أغفل الأساس، وهو المشكل الرعوي الذي كان السبب في عراء السفوح المجاورة للدواوير وفي انفتاح الغابة بقص الأغصان.


م. شاكر، *دراسة جيومرفلوجية للهوامش الشمالية الغربية لسلسلة الهورست، ممر تاوريرت ـ العيون*، د. د. ع. الرباط، 1985.

A. Laouina et M. Chaker, *La montagne du Boukhouali : le milieu et l'homme, R. G. M.*, N° 1, 1977.


شاكر الميلود

**بوخيمة**، أحد قواد محمد الشيخ السعدي الملازمين لحركاته. توجه معه سنة 964 / 1557 إلى جبل الأطلس

الكبير، وحضر مقتل السلطان بموضع أكلكال على يد جماعة من الأتراك، ونجا بوخيمة بنفسه مسرعا لإخبار مولاي عبدالمومن، خليفة والده على مراكش، ثم عاد برفقة الأمير إلى نفس المكان مقتفيا أثر الأتراك.

**بُودْبيرة**، أحد قواد محمد الشيخ السعدي، ظهر بتلك الصفة منذ حوالي سنة 1526/932 بمناسبة افتداء أحد إخوته من لشبونة، وساهم في جميع الحروب التي خاضها السعديون إلى جانب محمد الشيخ. وحينما زحف السلطان السعدي على تافيلالت سنة 1544/951 لمحاصرة زيدان بن أخيه أحمد الأعرج، كلفه بمهاجمة باب المدينة بنحو ثلاثة آلاف رجل.

د. دي طوريس، *تاريخ الشرفاء*، تر. م. حجي و م. الأخضر، ص. 118 ـ 213 ـ 212 ـ 225.

حسن الفكيكي

**بُودْبيرة، حمُّو**، قائد تطوان. إن الصراع على السلطة بين أولاد المنصور السعدي (ت 1603/1012) قاد المغرب إلى حرب أهلية طويلة مدمرة ظهرت فيها أسماء عسكرية ومدنية كثيرة.

لا تمدنا المصادر إلا بمعلومات قليلة عن شخص قائد تطوان حمو بودبيرة وكل ما نعلمه أنه كان من أشد أنصار المأمون السعدي إخلاصا، وأنه ولاه في زمن غير محدد حكم مدينة فاس، حيث كان يسعى في كبت فكرة الجهاد، وتثبيط همم المجاهدين. ثم بعد أن سلم المأمون السعدي مدينة العرائش للاسبانيين سنة 1610/1019، ولاه حكم مدينة تطوان بالنظر إلى ازدياد أهميتها عند السلطان المذكور، والتجائه إلى أقصى الشمال متمنعا بجباله، ومتقربا من دول أوربا.

وإذا كان أهل المغرب في عمومهم قد نقموا على المامون السعدي تسليمه للعرائش، فإن قبائل الهبط كانت أشد نقمة لإحساسها بالخطر الأجنبي الداهم، ولقد عد الجميع هذا العمل خيانة ولعنة، فسعوا سعيا حثيثا في التخلص من هذا السلطان. هكذا ائتمر أشياخ القبائل الهبطية مع بعض أعيان تطوان، بزعامة المقدم أحمد بن عيسى النقسيس التطواني، لتدبير انقلاب على المأمون السعدي. فكانت أول خطوة قطعوها في هذا السبيل أن قاموا بقتل قائد تطوان حمو بودبيرة في نفس السنة واستولوا على المدينة، قبل أن يغتالوا السلطان المذكور في ضواحي تطوان. وبهذا يكون مصير القائد حمو بودبيرة قد ارتبط بمصير سلطانه السعدي. هذا، ولم يخلف أي أثر في الذاكرة العامية التطوانية.

مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*. نشر، جورج كولان ؛ م. الافراني، *نزهة الحادي*. نشر، هوداس، باريس 1888 ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، ت. هاشم العلوي ؛ *نشر المثاني*، ت. م. حجي وأ. التوفيق ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط.

جعفر بن الحاج السلمي

**بودْراع، محمد**، (الرايس ـ) شاعر فنان ومطرب شعبي ولد بإحدى قرى سموگن بمنطقة إفران بالأطلس الصغير، وينتمي إلى عائلة أيت بوجمعة. غادر مسقط رأسه وهو صغير حيث تعاطى فنّ أمارگ أي الطرب إلى أن شكل مع عناصر أخرى مجموعة فنية مع الرايس الحاج بلعيد وتمكن من زيارة عدد من مناطق سوس وحاحة ومراكش، وأقام مدة بمدينة الصويرة قبل أن يتحول عنها الازدهار الاقتصادي والتجاري إلى الدارالبيضاء.

وبعد سنوات قليلة من ظهور آلة تسجيل الاسطوانات بادر الرايس بودراع إلى تسجيل زهاء عشر أسطوانات من لفة 78 انقرض بعضها بينما يحتفظ الخواص بالبعض الآخر، وإلى حد الآن تدرج على أمواج الإذاعة والتلفزة المغربية وغيرها بقية القطع الغنائية التي يلاحظ خلال الاستماع إليها تآكلها بفعل قدمها وتأثير عشرات السنين التي مرت على تسجيلها.

ورغم بعد الرايس محمد بودراع عن مسقط رأسه لم ينس ذكرياته وخلد حبه لأهله وتشبثه بأرضه ومنطقته وسجل أسطوانة عنوانها باسم قبيلته (سموگن)، وله أسطوانة أخرى بعنوان : (إفران) وأخرى بعنوان (تيمگيديّشت) وأخرى تحمل اسم (الأحباب) بينما تحمل أسطوانة عنوان : (الغزلان).

وللرايس محمد بودراع كذلك مساجلة شعرية فنية على الأسطوانة مع المرحوم الرايس الحاج بلعيد حيث جرى الحوار الشعري الغنائي بين الفنانين بصيغة الهجاء، وجه فيه الرايس الحاج بلعيد انتقادات للرايس بودراع ولم ينس التعرض لبشرته السوداء، وبذكاء رد عليه الرايس بودراع مؤكداً قيمة وأهمية جل الخيرات ذات اللون الأسود كالعنب والزيتون والعسل إلى غير ذلك.

وقد أحسن الرايس محمد بودراع في تسجيل قصة خيالية بين عاشقين، وأبدع في هذه القصة شعراً ولحناً وأداء، بحيث يمكن اعتبارها ذات قيمة فكرية وفنية رائعة.

لا يعرف بالضبط تاريخ ولادة الرايس بودراع ولا وفاته، وإنما يعرف أنه عاش في أواسط هذا القرن العشرين.

أحمد أمزال لعسري

**بودرهم**، أسرة تطوانية منقرضة أصلها من إحدى قبائل الريف.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البودشيشي**، أو البوتشيشي، أسرة قادرية بالمغرب الشرقي، اشتهر منها مجاهدون ومتصوفة عرفت طريقتهم بالبودشيشية، وأصبح لها زوايا في مختلف أنحاء المغرب منهم :

**البودشيشي، بومدين** بن المنور بن الحاج المختار بن المختار الأول بن مَحمد (فتحا) بن الشيخ علي بن محمد

بودشيشة، ولد حوالي سنة 129؟ / 1877 وأخذ الإذن في طريقة أسلافه القادريين من الشيخ المختار بن محيي الدين ولم يكتف بهذه التلمذة بل استنار بمواعظ وإرشادات سيدي محمد (فتحاً) لحلو الفاسي (شيخ درقاوي) (*تاريخ وجدة وأنكاد*، 2 : 154) كما تتلمذ على يد المهدي بلعريان السباعي (وثيقة عائلية بخط نجل الشيخ الحالي للطريقة البودشيشية).

طريقة سيدي بومدين لها وراثة صوفية دينية من أربعة مصادر تعلّم المجاهدة في العبادة من قيام الليل والصيام وتلاوة القرآن والتمسك الصارم بالشرع من سيدي الطيب الشرگي. وأخذ الورد أيضا عن سيدي محمد بن موسى مقدم الطريقة التيجانية بأحفير. كانت أمارات الجذب ظاهرة عليه فورث عنه أسراراً تتعلق بالحقيقة المحمدية وتجلياتها، كما ورث عن شيخه مَحمد (فتحا) لحلو "الحال" وهو ما يظهر عليه وعلى تلامذته من اضطرابات ظاهرية تصحبها رجفة القلب فيتغير لون المريد أو يكثر بكاؤه أو يقوم كهيئة الراقص من شدة الوجد. كما استفاد من أخذه عن الشيخ بلعريان السباعي معاني التوحيد وذاق على يديه الفناء الصوفي، وكان يتمنى لو أنه اكتفى بهذا الشخص (معلومات استخلصت من المقابلة مع الشيخ الحالي للطريقة بتاريخ 8 / 4 / 84).

من الواضح أن سند هذا الشيخ في الطريق قادريّ شاذلي خلوتي، وكان شديد التعلق بالشرع غير متهاون بأمور الظاهر زيادة على أمور الباطن، كثير الاهتمام بنظافة ثيابه وطهارتها.

"كان يقطن بدوار بويحييى جنوب أحفير، يعيش عيشة الكفاف والعفاف. كان مثالا للورع المفرط، فإذا اشترى نعلاً أو ثيابا أو تسلّم نقوداً كان يَحرص قبل كل شيء على أن يغسلها بيده، وكان لا يأكل طعام الأعيان الذين يرى فيهم شبهة في دينهم وسلوكهم ولو حضر مجالسهم مع الضيوف، ولا يحمل أحد متاعه حتى يغسل يديه، وكان يشترط في مريديه الالتحاء" (*تاريخ وجدة وأنكاد*، 2 : 154).

بقدر ما كان الشيخ بومدين متمسكا أشد ما يكون التمسك بظاهر الشرع كان أيضا يخاصم كل مظاهر البدعة والدعوى والتواكل في مجال التصوف، ولذلك كان له تصور خاص للطريق إلى الله. فهو لم يقصد مشايخ الطرق الصوفية الأخرى غير القادرية إلاّ من أجل تكسير تقليد كان ساري المفعول عند أصحاب الزوايا، وهو الاعتماد على الانتماء التقليدي الضيّق لطريقة صوفية معينة، فحينما قصد الشيخ محمد (فتحا) لحلو وغيره فمن أجل أن يأتي بالجديد في هذا المجال.

ولقد أبدع الشيخ بومدين في مسألة الخلافة، فهو لم يترك الأمر من بعده لأبنائه من صلبه، بل تركه لمن يستحقه في نظره وهو سيدي العباس والد الشيخ الحالي للطريقة. وهذا تحدٍّ واضح للتقليد الطرقي الصوفي بصفة عامة في أغلب الحالات. أما الاعتماد على النسب أو الاكتفاء به فهذا ما لم يكن يقبله الشيخ بومدين بأي حال. ومن مظاهر سلفيته أنه كان يردّ على العقائد الشعبية السائدة بنوع من الحزم والصرامة، كما كان يمنع مريديه من التحدث عن الأسرار الربانية عن طريق المحاكاة والتعلم، أما إذا تكلم مريدوه فكلامهم يكون في حدود المعقول والمنقول أومع إشارات رمزية إلى الحقائق الكبيرة، فهو قد نهض لمحاربة الشطح الصوفي ومبالغاته وحارب البدع داعياً إلى التوحيد كركيزة أساسية في الدين : إذا كان العوام يلجؤون في كل شيء إلى الأولياء في قضاء الحوائج والاستسقاء والاستشفاء، فإن هذا الشيخ كان ينادي مرة بأعلى صوته في أحفير "يابني إزْناسن لا تقصدونا في قضاء الحوائج وطلب الغيث فإن الله هو الذي يُقصد في كل شيء.

كانت وفاة الشيخ بومدين البودشيشي في 15 رمضان عام 15/1376 أبريل 1957.

**البودشيشي، العباس** بن المختار بن محيي الدين بن الحاج المختار بن المختار بن مَحمد (فتحا) بن الشيخ علي بودشيش دفين تاغجِّيرت ببني إزناسن، الشيخ القادري الشهير، ولد بقرية بويحيي جنوب أحفير في الجبل المطل عليه في بيت علم وتقوى ونشأ في كنف والده فدخل الكتّاب وحفظ القرآن وبعض المتون، شأنه في ذلك شأن أقرانه الذين يتلقون ثقافة على يد فقهاء الزاوية.

ولما بلغ الشيخ العباس سن الرشد تكلف بأمور الزاوية في علاقاتها مع المخزن، واهتم خاصة بالجانب الفلاحي، بينما تكلف أخوه الأكبر السيد المكي (تـ 1936) بتسيير أمور الطريقة في جانبها التنظيمي خلفاً لوالده الشيخ المختار (تـ 1914) غير أن العباس كان لديه ميل مبكّر لسلوك طريق القوم، فنصحه أحد الزهاد بالصبر والانتظار إلى أن يأتي الوقت المناسب. وبالفعل جاء بومدين البودشيشي عند العباس ليقدم إليه التعازي بمناسبة وفاة إحدى بناته، فالتمس منه المكوث عنده في منزله بمداغ وظل يسترشد به في كيفية طريق التصوف، إلى أن فُتح له على يده وأصبح وارث سره دون أن يكون طامعاً من قبل في تلك

المنزلة.

وقد أوفده أخوه المكي بن المختار السالف الذكر في مهمة إلى مدينة فاس وأحوازها خاصة إلى قبيلتي أشجع وأولاد جامع من أجل إصلاح ذات البين ومحو نزاع طرأ بين المقدم السيد البشير وبعض المريدين، واتصل في تلك المناسبة بالشيخ محمد لحو الدرقاوي، فأُعجب بالعباس كثيراً وتفرس فيه بلوغ المقام العالي في المستقبل.

بقي العباس ملازما لأخيه المكي بإشارة ونصيحة من أحد الصالحين بوجدة، إذ بدونه لا تستقيم أحوال الزاوية. فهو وإن لم يكن رئيساً لها فإن الدور الذي كان يقوم به - بكيفية لاشعورية - كبير، فهو مصدر و"عين مدد وبركة" بالنسبة لأخيه المكي، كما كان أبوه الشيخ المختار مصدر مدد وبركة لأبيه محيي الدين. وكذلك الأمر بالنسبة للشيخ عبدالقادر الگيلاني الذي كان يستمد من أحد مريديه حسب بعض الروايات.

جمع السيد العباس بين صفتي التسامح والكرم مع الشيخ بومدين ومع إخوانه المريدين، بل إنه قد جاد بنفسه لإرضاء شيخه : أعطاه "فلسه ونفسه" من أجل علاج "قلبه المريض".

أوراده وأحزابه : تعتمد الطريقة القادرية البودشيشية في زمن الشيخ العباس على الأوراد القادرية والشاذلية في نفس الوقت، لكن المعتمد فيها الاستغفار بصيغة "استغفر الله العظيم" 100 مرة أو أكثر، والهيللة (لاإله إلا الله) بعدد كبير، المفضل أن يفوق خمسة عشر ألف مرة. والاسم المفرد (الله) للمجتهدين فقط. والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بلفظ. "اللهم صل على سيدنا محمد الذي ملأت قلبه من جلالك، وعينه من جمالك، فأصبح فرحا مؤيداً منصوراً، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما، والحمد لله على ذلك" 100 مرة صباحاً ومساءً.

أما ورد المجتهدين لديه فهو تلاوة حزبين من القرآن الكريم في اليوم وذكر الله الاسم المفرد بدون حصر، وأسماء الله الحسنى : يالطيف بعدد 4444 مع الدعاء المتعلق به : "اللهم لافرج إلا فرجك، فرِّج عنا كل هم وغم وكرب وشدة، يا من بيده مفاتيح الفرج اكفنا شر من يريد أن يضرنا من إنس وجان وباغ وحاسد، وادفعهم عنا بيدك القوية إنك على كل شيء قدير" سبعين مرة، يا قوي يا عزيز، 400 ؛ يا حي يا قيوم، 1.000 ؛ حزب النصر للشيخ عبدالقادر الجيلاني.

الحزب (الوظيفة) : الذكر الجماعي. بعد صلاة المغرب تعقد مجالس الذكر يتلى فيها ما تيسر من القرآن وخاصة سورة الفتح إلى قوله تعالى "لقد رضي"، سورة الفاتحة 10 مرات، يالطيف 100 مرة، لاإله إلا الله 100 مرة، حسبنا الله ونعم الوكيل 100، الله 100، هُوَ هُو 100، سورة الواقعة، الدعاء، التلاوة الفردية، الدرس التوجيهي المتعلق بالسلوك الصوفي أو بالمسائل الشرعية التعبدية. القصائد الصوفية والأمداح النبوية، وهي متنوعة المواضيع في الحب الإلهي وذكر فضائل أهل الطريق.

والملاحظ أن مريدي الشيخ العباس كانوا يردِّدون أشعار الصوفية من مختلف العصور كابن الفارض والحسن اليوسي والششتري، وسيدي عبدالرحمان المجذوب، والشيخ الحراق وغيرهم، كما أن هناك قصائد من إنتاج الطريقة نفسها.

أملى الشيخ العباس قبل وفاته بحوالي أربع سنوات وصيته على أحد مريديه لأنه لم يكن بالإمكان أن يكتبها هو بنفسه لأنه كان قد فقد بصره، لكنه وقّعها أمام السلطة المحلية بمدينة السعيدية.

أما كاتب الوصية فهو أحد أعيان مدينة وجدة مدير مدرسة سيدي زيان يحيى العتيقي. تتناول الوصية مسألة الخلافة، ويؤكد فيها أن المأذون في خلافته نجله الحاج حمزة.

يبشر صاحب الوصية بانتشار طريقته في عهد خليفته وبظهور العلم والحال والصلاح فيها، وبنجاح دعوته المعتمدة على الصدق والتمسك بالشرع. ثم إنه يوصي مريديه خاصة والمسلمين عامة بالتمسك بحبل الله المتين متعاضدين سالكين الصراط المستقيم ملتفين حول مرشدهم، كما يوصي ابنه الحاج حمزة بأن يهتدي بهدي الإسلام ويسير على ضوء تعاليمه السامية وأن يكون ناصراً للحق متفقداً أحوال المريدين أنّى كانوا عطوفا عليهم محترماً للعلماء ورثة الأنبياء واصلاً لقرابته.

توفي الشيخ العباس يوم الثلاثاء 15 ذي الحجة 22/1391 فبراير 1972 بمصحة الدكتور اليعقوبي بوجدة عن سن فاقت الثمانين، وقرئت وصيته قبل مواراته في قبره.

ق. الورطاسي، *بنو يزناسن* ؛ ع. القادري، *الزاوية القادرية عبر التاريخ والعصور* ؛ ع. اسماعيل العلوي، *تاريخ وجدة وأنكاد* ؛ يشو الحبيب، دراسة *مونغرافية للزاوية البودشيشية ببركان*، *مقابلات وتحقيقات* مع نجل الشيخ العباس (خليفته من بعده)، مع أحد أفراد العائلة البودشيشية 29 / 8 / 89 بزاوية مداغ ؛ *وثائق عائلية* تثبت النسب القادري للعائلة كما يؤكده الشيخ عبدالحي القادري في كتابه : *الوصية* التي تنص على الخليفة وهي موقعة بتاريخ 3 / 4 / 1968.

M. Amrous, *Les confréries religieuses et l'islamisme au Maroc au XIX et XX e S.* Thèse de 3ème cycle, Paris, Nanterre, 1986 ; M. Tozy, *Champs et contre champ politico-religieux au Maroc*, Thèse de doctorat d'état, Aix-en-provence, 1984.

أحمد الغزالي

**البودشيشي، المختار** بن محيي الدين، شيخ الزاوية القادرية بجبل بني إزناسن في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) ومطلع القرن الذي يليه، ينتمي إلى فرقة أهل تاغجِّيرت من قبيلة بني خالد، واشتهر بمقاومته للاحتلال الفرنسي بشرق المغرب في نهاية سنة 1325 / 1907، وهو حفيد الشيخ المختار بودشيش الذي عاصر الأمير عبدالقادر الجزائري وناصره في الجهاد ومقاومة الغزاة الفرنسيين، مما زاد في إشعاع الزاوية و قَوّى نفوذها بين قبائل شرق المغرب، غير أنه من الصعب تتبع سلسلة نسب البودشيشين، وحسب بعض الروايات فإن الزاوية تأسست في منتصف القرن الثاني عشر (18 م) على يد الشيخ علي

ابن محمد البوتخيلي، وفي أيامه اشتهرت باسم الزاوية البودشيشية نظراً لإطعام الوافدين إليها الدشيشة أثناء المجاعات والقحوط، وخلال القرن الذي يليه تعززت مكانة الزاوية في المنطقة الشرقية بعد أن أنعم السلاطين العلويون على شيوخها بظهائر التوقير والاحترام، وكان المختار بن محيي الدين يُستشار من طرف السلطان مولاي الحسن في أمور القبائل، ويُعهد إليه بالتحكيم وحل النزاعات بينها، وهذا ما أكسبه هيبة كبيرة وأهلية ليتزعم المقاومة ضد الجيش الفرنسي بجبال بني إزناسن في نهاية سنة 1907 (أكتوبر- دجنبر)، حيث حاول الجنرال ليوطي آنذاك استغلال الخلافات الواقعة بين قواد بني إزناسن بسبب ثورة الجيلالي الزرهوني، فاستمال البعض منهم إليه وبادر إلى التدخل لحمايتهم، حينئذ التفّت قبائل بني إزناسن حول الشيخ المختار بن محيي الدين. الذي انتصب زعيما للجهاد بعد أن صالح بين القبائل وسوّى الخلافات الموروثة عن صراع المخزن مع الروگي في المنطقة.

بلغت المقاومة ذروتها خلال الشهور الثلاثة الأخيرة من سنة 1907، فطارد المجاهدون الجيوش الغازية داخل التراب الجزائري وألحقوا بها هزائم متتالية، غير أن الجنرال ليوطي استقدم إمدادات عسكرية كبيرة من وهران، وحاصر المجاهدين داخل جبل بني إزناسن ؛ ثم اقتحم مواطن قبيلة بني خالد في بداية شهر دجنبر سنة 1907 - وبها مقر الزاوية البودشيشية - فدمر الجيش الفرنسي زاوية الشيخ المختار باعتباره من أهم متزعمي حركة المقاومة، وبعد ذلك بقليل وقع اكتساح شامل لجبل بني إزناسن انطلاقا من سهل تريفة شمالا ومن بسيط أنگاد جنوباً، فاضطر الشيخ المختار إلى الاستسلام للقوات الفرنسية قرب أغبال يوم 26 قعدة عام 1325 / 31 دجنبر 1907، بعد أن طلب الأمان لنفسه ولكافة القبائل والتزم بقبول شروط المستعمر، ولم يعمّر بعد ذلك طويلا، إذ توفي سنة 1332 / 1914، وبعد وفاته تفرّعت الزاوية إلى عدة فروع، أهمها الفرع الذي استقر قرب قرية مداغ بسهل تريفة، حيث كان الشيخ المختار يمتلك أراضي هناك، وقد صار هذا الفرع يمثل الزاوية الرئيسية، وله مريدون كثيرون في جل مناطق المغرب.

ق. الورطاسي، *بنو يزناسن*، ص 16 ؛ ع. اسماعيل العلوي، *تاريخ وجدة وأنگاد*، 2 : 152 - 156 ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي*، 372 - 374.

L. Voinot, *Confréries et zaouias au Maroc : les établissements religieux du Maroc Oriental*, *B.S.G.A.O.*, 1936, p. 247 - 248 ; *L'illustration*, N° 1, (25 / 1 / 1908), p. 63.

عكاشة برحاب

**البودشيشية**، طريقة صوفية متفرعة عن الطريقة القادرية الكبرى، يرجع ابتداؤها إلى منتصف القرن الثاني عشر (18 م) وظهر في سندها رجال من الطرق الأخرى الشاذلية وفروعها. وتنسب إلى مجددها عليّ بن محمد بودشيشة بن البودخيلي الإزناسني، المغربي موطناً ونشأة. وهو دفين تاغجِّيرت بلدة جبلية في المغرب الشرقي من قبائل بني إزناسن (فرقة بني خالد) ويتصل نسبه - حسب الوثائق العائلية - بالشيخ عبدالقادر الجيلاني من ولده عبدالرزاق إلى الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

ذكرت تاغجِّيرت في مؤلفات المؤرخين الأجانب والمغاربة كمكان نظمت فيه المقاومة والجهاد ضد المستعمر الفرنسي على يد رجال من أصل بودشيشي قادري، ذكر ذلك المكان في كتاب *تحفة الزائر* (1 :497) محمد بن الأمير عبدالقادر، فمنه انطلقت مفاوضات الأمير مع الجنرال الفرنسي لامورسيير Lamoricière من أجل أن يقدم نفسه حيث كان نازلا فيها على صديقه المختار بودشيش.

كما ذكرها المؤرخ ڤوانو Voinot في كتابه *وجدة والعمالة* في مواطن مختلفة، وإسماعيلي عبدالحميد في *تاريخ وجدة* (2 : 152) وتحدث قدور الورطاسي عن الزوايا ببني إزناسن فذكر الزاوية البودشيشية وربطها بالشيخ عبدالقادرالجيلاني كما تحدث عن الدور الجهادي الذي قام به أبناء الزاوية (*بنو يزناسن*،61). وهناك دراسات جامعية تتحدث عن عودة الطرق إلى الحياة اليومية المغربية كظاهرة تجديدية، وتتمحور هذه الأبحاث حول البودشيشية، كأطروحة محمد الطوزي (Aix, 1984) ومصطفى عمروس (Nanterre, 1986).

عرفت البودشيشية، قبل ظهورها كطريقة، كعائلة مجاهدة يقصد أفرادها للتبرك. وراعى لها الملوك تلك الحرمة، وقد ورد في ظهير 1876/1293 "إننا بحول الله وقوته أقررناهم على عادتهم المألوفة وطريقتهم المعروفة بحيث لا تخرق عليهم عادة، ولايحدث في جانبهم نقص ولا زيادة، ونأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه" (*تاريخ وجدة وأنگاد*، 2 : 153).

أما كلمة بودشيش فآتية من الدشيش، لقب به جدهم سيدي علي أثناء مجاعة اجتاحت المنطقة وأهلكت الضرع والزرع، فجاء الأهالي من كل حدب وصوب وضربوا خيامهم بجوار الزاوية، فأطعمهم الطعام المعروف بالدشيشة حتى زالت المخمصة وظهرت سُبلُ الكسب والعيش. وبفضل هذه الأعمال الاجتماعية المقرونة بالتأثير الروحي بلغت الزاوية

البودشيشية شأواً كبيراً عند الخاص والعام فأسدل عليها الملوك العلويون رداء التوقير والإجلال وانتظم في سلكها أصحاب الرياسة والجاه" (*تاريخ وجدة*، 2 : 152).

ثم اشتهر حفيده الحاج المختار بمؤازرة الأمير عبدالقادر الجزائري في محاربته للاستعمار الفرنسي كما هو مشار إليه في *تحفة الزائر* وكتاب *الزاوية القادرية*. يقول قدور الورطاسي : و"لقد استنجد الحاج عبدالقادر (أي الجزائري) ببني إزناسن وعلى رأسهم الشيخ الشهير السيد المختار بودشيش صاحب الزاوية القادرية" (*بنو يزناسن*، 77).

ولقد ذكر الشيخ العباس بودشيش في وصيته المخطوطة أن الشيخ المختار صديق الأمير عبدالقادر كان من مجددي الطريقة أهل الاذن في ذكر الاسم المفرد (الله).

وقد عرفت الطريقة البودشيشية تجديداً عميقاً مع الشيخ بومدين بن المنور بن محيي الدين بن الشيخ المختار صديق الأمير عبدالقادر، إذ أخرجها من طبيعتها التبركية كما أخرجها مما يمكن أن يعتبر عصبية طرقيّة، وراح يلتمس المدد من كثير من الطرق، وكلما سمع بشخص فيه خير وتصرّف في القلوب قصده، ولذلك تتلمذ لشيوخ درقاويين وتجانيين زيادة على الورد الأصلي الذي أخذه عن قطب العائلة البودشيشية الشيخ المختار الذي قاوم الاستعمار الفرنسي سنة 1326 / 1908.

تجاوزت الطريقة البودشيشية ميدانها الإقليمي بركان وأحفير وبولحيبي، وبوعمالة ووجدة، وظهرت بأهم المدن المغربية كسلا والدارالبيضاء وخريبگة ومراكش وأگادير ثم فاس وتازا ومكناس في عهد سيدي العباس وارث سرّ سيدي بومدين. ثم زاد انتشارها في عهد ولده ورفيقه في الطريق حمزة فأصبح لها أتباع حتى خارج المغرب.

خصائص هذه الطريقة : تحدث صدى قويا لما تتميز به من الانتشار السريع والتأثير العميق في سلوك المنتمين الجدد، إذ تظهر فيهم بوادر الاستقامة السريعة المفاجئة ويحدث انقلاب في سلوك المنتمين لها ولو كان ماضيهم غير لائق من الناحية الأخلاقية. يحدث في سلوك المريدين تغيّر بالغ فيقبلون على العبادة والذكر الكثير بشغف حتى إن بعض الأبناء يفاجئون آباءهم المتدينين بعد أن أتعبوهم في محاولة إصلاحهم وتقويم اعوجاجهم ويصبحون أشد تعلقاً بالدين. وهذا ما استخلصناه من مقابلاتنا مع من استجوبناهم.

بالاضافة إلى سرعة الانتشار والتأثير العميق الذي يحدثه الانتساب إلى هذه الطريقة من الناحية الأخلاقية السلوكية يسجل الملاحظون أو الحاضرون في مجالس الذكر لتلك الطريقة قوة التأثر، فمنهم من يبكي خشوعا، ومنهم من يصيح اضطراراً، ومنهم من يقوم راقصا أو يتكلم كلاماً غير مفهوم يدل فقط على الابتهاج وهو مكون من كلمات متقطعة وحروف منفصلة. يتميز الحال بسرعة الانتقال من شخص إلى آخر كأنه تيار كهربائي ينتقل بالمحاكاة والعدوى.

ويظهر أن أفراد الطريقة البودشيشية لا يهجرون الدنيا ولا يهملونها وعياً منهم بأن الزهد في الدنيا والإعراض عنها ليس في ترك الأسباب، فالمرغوب فيه هو تحصيل الدنيا من أجل بذلها في الخير. فهم لا يرون بأسا في الاستمتاع بها بشرط الإنفاق على الآخرين وصرف المال فيما يرضي الله. التعامل مع الآخرين في إطار المصالح المادية لا ينبغي بحال أن يغلب عليه في نظرهم طابع الأنانية والأثرة، فالمال والجاه ليسا مرفوضين في حد ذاتهما أو مستهجنين كما يمكن أن يفهم من تصرف بعض الزهاد المتقدمين. فكل عمل في الدنيا يؤجر عليه صاحبه إذا كان مطلوبا من قبل الشرع.

ويتميز شيوخ الطريقة البودشيشية بعلاقة وقار مع ولاة الأمور في الماضي والحاضر، إذ كانوا يقومون بدور الوساطة في نزاع القبائل زمن "السيبة" وبتكليف من طرف الملوك في بعض الأحيان أو من طرف القواد (*تاريخ وجدة*، 2 : 153). وفي الحاضر يلاحظ عدم تدخل الطريقة في الأمور السياسية، بل إنهم رسموا لأنفسهم طريق الحياد والاهتمام بأمور المسلمين كافة معتمدين على الإخلاص لله في الغيب والشهود تاركين مبدئيا العمل السياسي لغيرهم من المشتغلين به.

الأوراد والأحزاب : تنبني الطريقة على أنواع الذكر، من قراءة *القرآن الكريم* و*دلائل الخيرات* وجميع الأذكار المعروفة في الطريقة الشاذلية والقادرية من أحزاب وأدعية، فهي كلها مقبولة مبدئيا، إلا أن الشيخ هو الذي يأذن بها لمن يشاء ما عدا *القرآن الكريم* فهو فرض، وأما *دلائل الخيرات* للإمام الجزولي، ولاإله إلا الله، والاستغفار، فإن الإذن فيها عام، وكذلك الصلاة الجمالية التي ذكرها يوسف بن إسماعيل النبهان في كتابه *أفضل الصلوات على سيد السادات* واعتبرها من أفضل الصلوات وهي كذلك مذكورة في كتاب الجزولي *دلائل الخيرات* في حزب يوم الأربعاء.

أما الأدعية والأذكار الخاصة التي أصبحت شبه راتبة فيذكرها كل من أصبح لديه الذكر اعتياديا فهي *لطيف* ابن حجر الهيتمي، و*حزب النصر* للشيخ عبدالقادر الجيلاني.

وإن مقياس حرارة الإيمان والنجاح للاجتماعات العامة يقاس بمدة الذكر والمذاكرة والتواجد وغلبة الأحوال.


م. بن عبدالقادر الجزائري، *تحفة الزائر*، ط 2، 1964 ؛ ق. الورطاسي، *بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني* ؛ ع. القادري، *الزاوية القادرية عبر التاريخ والعصور* ؛ ع. إسماعيلي العلوي، *تاريخ وجدة وأنگاد في دوحة الأمجاد* ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي* 1873 - 1907، رسالة. د. د. ع. الرباط، 1987 ؛ يشو الحبيب، *دراسة مونوغرافية للزاوية البودشيشية ببركان*، رسالة لنيل الإجازة بفاس، 86 - 1987.

L. Rinn, *Marabouts et khouan*, Alger, 1884 ; Ben Ridouane (Cheikn Oud al-Hadi), *Etude sur le soufisme*, trad. Arnaud, *R. A.*, 1887 ; O. Depont et Coppolani, *Les confréries religieuses musulmanes*, Alger, 1897 ; Lieutnant Boullé, *La France et les Beni Snassen : campagne du général Lyautey*, Paris, (s. d.), Archives historiques de Vincennes, Opérations contre Beni Snassen D2 3H 72 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912 ;

M. A. Al Aini, *Un grand Saint de l'Islam : Abd Al-Qader Guilani*, Paris, 1938 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris ; M. Tozy, *Champ et contre champ politico-religieux au Maroc*, Thèse de doctorat d'état, Aix-en-provence, 1984 ; R. M. Al Harochi, *Introduction et évolution religieuse et spirituelle de la confrérie Qadiriya au Maroc*, Mémoire de Maîtrise, 1986 ; M. Amrous, *les Confréries religieuses et l'Islamisme au Maroc au XIX et au XX s.*, Thèse de doctorat 3ème cycle, 1986.

أحمد الغزالي

**بودعكات**، سليمى، مقاوم ولد سنة 1925 بأسَّا إقليم كلميم، وشب يتيما وتكفل به شقيقه الأكبر لوفاة والديه وهو طفل صغير. ولما بلغ الواحدة والثلاثين من عمره انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 بإيعاز من شقيقه، وكان تحت قيادة المرحوم مبارك منار وبعده إيد ولد التامك. وعند مشاركته في معركة الحمادة التي دافع فيها عن مبادئ الوطنية والدين بكل شجاعة وإيمان استجاب الشهيد لنداء ربه سنة 1959 وهو دفين منطقة "وين سكور" بالبطانة بين البورات والزاگ بالصحراء الجنوبية.

*المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير ؛ كتاب الشهداء*، ج. 3.

عزالدين العلام

**بودغية، محمد** بن عبدالسلام الفقيه العالم المجاهد، ولد في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري (19م)، بقرية تغلان، فرقة بني كلون بقبيلة بني زيات إحدى قبائل غمارة الشاطئية. تعلم ببلده وأنهى دراسته بفاس، ثم شد الرحال إلى البقاع المقدسة فأدى فريضة الحج. وبعد عودته وجد أكثر مناطق شمال المغرب قد طوقها المستعمر، فكان ممن شارك في حرب دار ابن قريش الأولى، وبعد سنتين تكونت دار ابن قريش الثانية، فانتخب رئيس محلة غمارة؛ ثم التحق بالزعيم ابن عبدالكريم الخطابي - وكان من قواده في الحرب التحريرية بالمنطقة الشرقية - وأبلى البلاء الحسن في طرد الإسبان من الشواطىء الغمارية وترأس متطوعي غمارة في حرب بني ورياغل والبرابر مع الفرنسيس، وحققوا انتصارات باهرة في عدة معارك. وكان ساعده الأيمن أخوه عبدالرحيم، وهو من الأبطال الشجعان، ولاه ابن عبدالكريم قيادة قبيلته بني زيات.

وبعد استسلام ابن عبدالكريم سنة 1926، اعتصم الفقيه بودغية وبعض أصحابه بجبال غمارة، وكانوا إذا عسعس الليل هاجموا ثكنات العدو، ومع طلوع الفجر يتسللون إلى معاقلهم، ولم يستسلموا إلا بعدما نفد كل ما كان عندهم من زاد وعتاد، وقد ألقي القبض على الفقيه بودغية، وأودع السجن الكبير بسبتة مرتين ؛ وبعد أن أطلق سراحه عين قاضياً على قبيلتي بني زيات وبني سلمان، ولم يلبث أن عزل، فتفرغ لشئونه الخاصة، وأعطى كل اهتماماته لتعليم بناته، فكن فقيهات يحفظن كتاب الله عن ظهر قلب.

توفي سنة 1955/1375 عن سن تناهز التسعين.

*روايات شفوية ؛ تقاييد ووثائق خاصة.*

سعيد أعراب

**بودميعة**، أسرة كبيرة بجنوب المغرب نشأت في تازروالت بالأطلس الصغير، وقد استمدت نفوذها من الانتماء إلى أشهر صلحاء منطقة سوس، الشيخ سيدي أحمد أُموسى الذي عاش في القرن العاشر(16م) ويوجد ضريحه بتازروالت، ارتقت هذه الأسرة سياسيا إلى مستوى تكوين الإمارة المعروفة بإمارة بودميعة أو الإمارة السملالية في الجنوب المغربي في أعقاب انهيار الدولة السعدية وعلى اثر الاحداث التي تلت وفاة أحمد المنصور الذهبي، فاستطاع زعيمها بودميعة، المعروف بأبي حسون السملالي، آتي الترجمة أن يؤسس بحاضرة إيليغ الإمارة المذكورة.

أنجبت أسرة بودميعة عددا من قواد المخزن خلال الفترة الممتدة ما بين بداية القرن التاسع عشر وأواسط القرن العشرين، وهذا جدول بأهم رجالات هذه الأسرة.

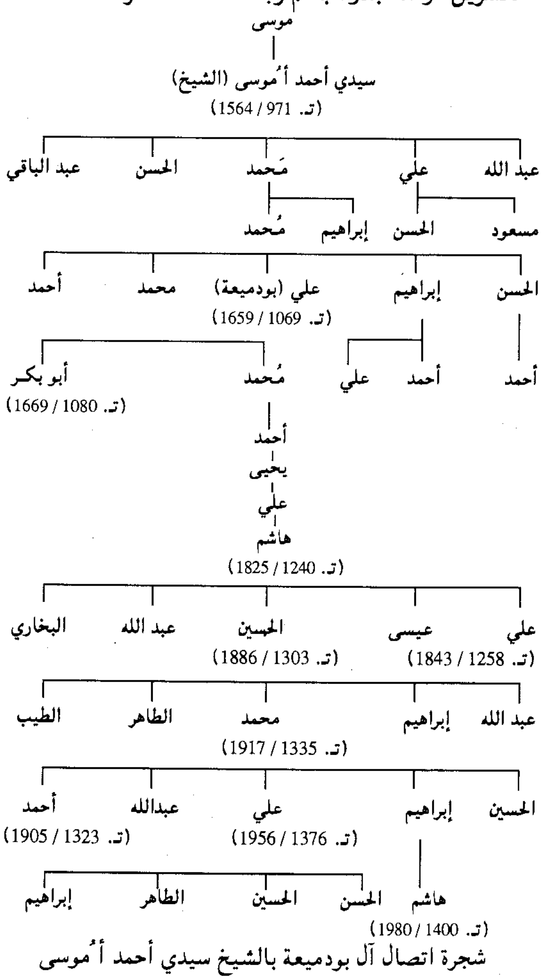

شجرة اتصال آل بودميعة بالشيخ سيدي أحمد أُموسى

**بودميعة، أبو بكر** ابن الأمير علي أبي حسون السملالي صاحب إليغ، لكن أبا بكر انتهج في حياته الخاصة منهاجا يعتمد الزهد والصلاح، ولم ينخرط في المجال السياسي والشؤون الدنيوية، كما هو الشأن لدى كثير من رجالات أسرة بودميعة التازروالتيّن.

اتخذ أبو بكر صومعة للنسك والعبادة في أحد الأبراج التي ما تزال آثارها قائمة بأطلال إليغ حتى الآن، ومع ما كان لهذا الرجل الصالح من الذكر الحميد على ألسنة العامة والخاصة، فإننا لا نعثر على تفاصيل مكتوبة عن أطوار

حياته الخاصة أو عن مدى مبلغ علمه، ولعل وفاته كانت سنة 1670/1080 قبيل إسدال الستار على إليغ القديمة وهدمها في عهد السلطان مولاي رشيد عام 1081 / 1671.

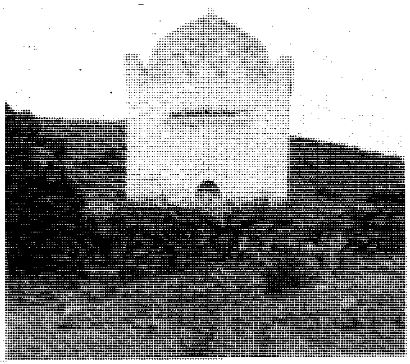

ونظراً لما اشتهر به أبو بكر بودميعة من الصلاح والنسك وقع تكريمه بإقامة ضريح له على إحدى التلال المطلة على إليغ عن يمين الطريق الرابطة بين أطلال هذه المدينة المندثرة وزاوية جده الشيخ أحمد بن موسى.

ماتزال مناقبه وأخباره في الصلاح والكفاف تتردد بين أهله وذويه وعامة السكان.

*روايات شفوية.*

عمر أفا

**بودميعة، الحسن** بن علي بن محمد بن الحسين أهاشم، من رجالات إليغ الأفذاذ، لم يجعل همه التعلق بالسياسة والسلطة كما كان الشأن بالنسبة لأسلافه، وإنما كان كل اهتمامه منكباعلى العلم والمعرفة، ويعد آخر من عرفته دار إليغ من نماذج الفقهاء المهتمين بالحديث وعلومه، وبالآداب والتاريخ. وإن هذا الاتجاه العلمي يمثل بالنسبة لدار إليغ منعطفا جديدا، ذلك أن جذوة السياسة بدأت تخبو في وسط هذه الأسرة منذ عهد والده علي، نتيجة التطورات التي عرفها المغرب، ومنطقة سوس بالخصوص، على يد سلطات الحماية الفرنسية، وكان والده قد عبر عن هذا المنعطف باعتزاله ميدان السياسة، بعدما استخلف أكبر أبنائه الحسين. وهناك عنصر آخر يمكن إدخاله في الاعتبار وهو رسوخ التقاليد العلمية بدار إليغ على يد زعمائها بما كانت تزخر به من علماء وقضاة وكتاب. وعندما ولد الحسن بودميعة سنة 1922/1341 نشأ في هذا الوسط وتعلم القرآن ومبادئ العلوم بإليغ على يد تلة من الفقهاء أمثال : محمد بن سعيد البوريني المشهور بالمودن، ومحمد أُبريك، والمكي بن صالح، وبوطالب الخرازي، كما درس بعض أمهات العلوم على الفقيه أحمد الدشيري المعدري.

بعد ذلك انتقل الى مراكش مع محمد المختار السوسي فلازمه بمدرسة الرميلة بباب دكالة حيث تفرغ للدراسة ما يقرب من ست سنوات، واستطاع في نفس الوقت أن يتصل بجامع ابن يوسف ويتلقى الدراسة على أشهر علمائه، وقد تخرج على يد كل هؤلاء بحصيلة من المعارف والفنون شملت الفقه وعلوم الحديث والتاريخ والأدب.

عاد الحسن من مراكش إلى إليغ مليء الوطاب، فأخذ في أول الأمر يساعد والده في بعض المهام وبالخصوص الاتصالات الشخصية مع الحكام المخزنيين، واستقبال الزوار الوافدين على دار إليغ،وكان مؤهلا لهذه المهام لما اكتسبه من صفات حضارية وتكوين اجتماعي، فكان الجميع يحظى منه بحسن المعاملة.

وفي سنة 1954/1373 انخرط في الوظيفة العمومية حيث اشتغل مدرسا في التعليم بإليغ ثم انتقل في عدد من المدارس بمنطقة سوس، طوال إحدى عشرة سنة.

وفي سنة 1965/1384 استقال من التدريس ليتفرغ لشؤون الأسرة والاهتمام بأملاكها إلى جانب أخويه الحسين والطاهر، وليتفرغ بالخصوص للاهتمامات العلمية التي وضع لها برنامجا دقيقا يتضمن :

1 ـ الاهتمام بتثقيف العامة بعقد دورية للدروس الدينية والادبية والتاريخية.

2 ـ الاهتمام بشرح *صحيح البخاري* لمدة ثلاثة أشهر في السنة تبدأ قبل شهر رمضان بشهرين.

3 ـ الاهتمام بقراءة الصحف والمجلات ومتابعة أهم الإذاعات الوطنية والدولية مما جعل حديثه يتميز بسعة الاطلاع على ما جريات الأحداث.

وكان من أهم إسهاماته البارزة قيامه بدور الباحث المتضلع بخصوص ما يتصل بتاريخ تازروالت وأسرة آل بودميعة، وبتاريخ المغرب عموما، بحيث يعتبر مرشدا عاما لزوار منطقة تازروالت ورواد زاوية سيدي أحمد أُموسى يفيدهم بكل ما يتصل بتاريخها، كما يعتبر مرجعا خبيرا لكل من يود الكتابة عن هذه الجهة فيما يخص تاريخها العام أو تاريخ رجالاتها المشهورين.

وفي هذا الاطار كان يستقبل ـ في رحابة صدر وكرم بالغ ـ العلماء والطلبة والباحثين، ونذكر إلى جانب عشرات من الباحثين والمؤلفين المغاربة من بينهم محمد المختار السوسي عددا من الباحثين الأجانب أمثال الكولونيل جوستينار Justinard وكينيت براون K. Brown وروزانبيرجي Rosenberger وبول باسكون P. Pascon وغيرهم.

كما يعد من إسهاماته العلمية، الحفاظ على خزانة

أسرته الغنية بأمهات الكتب والمخطوطات من مختلف الفنون، وكذلك الحفاظ على ذخيرة من الوثائق التاريخية النادرة المتعلقة بمختلف أطوار دار إليغ، بما في ذلك المراسلات المخزنية، والسجلات التجارية، والرسائل المتبادلة مع أشهر علماء سوس والمغرب عموما، وكان يتفانى في فهرستها وتقديمها للباحثين حسب اهتماماتهم إلى أن أدركه أجله رحمه الله بتاريخ 22 شوال 1400/3 شتنبر 1980.

أما عن انتاجه الشخصي فقد خلف بعض الآثار المكتوبة من بينها :

1 - مجموعة *فتاوى فقهية* تعكس بعض القضايا المحلية.

2 - *تقاييد علمية وتاريخية* في مواضيع مختلفة.

3 - *رسائل* وجهها لوالده من مراكش تنم عما له من معرفة بأحوال البلاد إضافة إلى تعبير أدبي صقيل وخط مغربي جيد، ورثه عن والده ( *إيليغ قديما وحديثا*، ص 311) وورثه عنه ابنه الأستاذ البخاري.

4 - *مجموعة من المقطوعات الشعرية* في أغراض متنوعة نسوق نموذجا منها ضمنه احدى رسائله المتاخرة يعبر فيها عن دور المراسلة في التواصل :

ولما نأيتم ولم أستطع     مسيراً لحضرتكم بالقدم
سعيت إليكم برجل البريد     وخاطبتكم بلسان القلم

**بودميعة الحسين** أُهاشم ← **الإلغي الحسين** أُهاشم

**بودميعة، علي** بن **محمد** بن الحسين أهاشم. تسلم هذا الرجل زعامة دار إليغ بعد مرور قمتين عاليتين في قيادة هذه الحاضرة. وهما قيادة والده محمد وجده الحسين أُهاشم، وبذلك يعتبر زمن عليّ زمنَ انحدار في سلطة آل بودميعة ونفوذ تازروالت، فقد صادفت توليته بداية عهد الحماية الفرنسية وانتشار سلطتها نحو مدينة تيزنيت وجبال جزولة قبل سيطرتها على كامل البلاد.

زيادة على هذا العامل فان علياً حينما تولى القيادة سنة 1916/1335 لم يكن يملك ما كان يملكه أسلافه من الأموال والجيوش والعبيد، ولذلك اعتمد في إدارة شؤون القيادة والحفاظ على ما تبقى من نفوذ آل بودميعة على عناصر أخرى، من ضمنها : أنه بلغ حظاً من العلم أكسبه هالة لم يكتسبها أهله بما كانوا يملكون، وأن حسن معاملته للناس جلبت له مقدارا من الود والتقدير، إلى جانب مرونته في الاتصال بسلطة الحماية وممثليها في نطاق مهامه المخزنية وبالخصوص المراقب المدني بتيزنيت القبطان جوستينار، والحكام العسكريين الذين تعاقبوا على مكتب الشؤون الأهلية بأنزي، وحسب وثائق دار إليغ نذكر من بينهم : (داتيي) و(شون) و(توورني) و(لوگرو).

ونظرا لأننا لم نعثر على ظهير تولية عليّ للقيادة فقد استغربنا كيف كانت المراسلات المخزنية الصادرة إليه من مكاتب حكام أنزي وتيزنيت تحمل صفات متغيرة فاسمه كان مقرونا باسم الشيخ أو أمغار أحيانا، وباسم القائد أحيانا أخرى.

وعلى الرغم مما يقوم به عليّ من الضبط في تازروالت وسملاله عموما - حسب الوثائق سالفة الذكر - فان سلطات الحماية سعت إلى معرفة حدود سلطة دار إليغ وأحفاد سيدي أحمد أُموسى بقصد تطويقها، وذلك بجمع المادة التاريخية على يد جوستينار وضمنها كتابه : *مملكة بربرية صغيرة : تازروالت* (Justinard, *Un petit royaume berbère : Le Tazeroualt*) وقد عملت هذه السلطات على تقليص نفوذ آل بودميعة اعتبارا للميراث التاريخي لهذه الأسرة، ويعبر عن ذلك نوع المعاملة تجاه علي زعيم دار إليغ الهادفة إلى التضييق عليه بشريا وماديا.

فمن الناحية البشرية، حددت سلطة الحماية عدد الأشخاص بدار إليغ ممن يحررون من الكلف المخزنية والخدمات الإجبارية بحيث لا يتجاوزون أربعة عشر شخصا بمن فيهم علي، منهم تسعة أفراد من الأسرة الإليغية وخمسة من المستخدمين وهم بقايا عبيد دار إليغ، مما يشكل اختلافا بين هذه الوضعية والوضعية التي كانت عليها تلك الدار وهي تعج بالعساكر والعبيد والأعوان ومشاهير العلماء.

ومن الناحية المادية فان ممتلكات القائد علي بودميعة ليست معفاة من الضرائب، وقد استفدنا من لائحة الإحصاء المقدمة لتحصيل (الترتيب) مدى تقلص الإمكانات المادية لهذه الدار وضآلتها بالقياس إلى ما كانت تزخر به من ثراء، وفيما يلي لائحة تلك الممتلكات وقد احصيت سنة 1359/40 . 1941 :

| | | | |
|---|---|---|---|
| الماعز | 168 | الزيتون | 33 |
| الغنم | 131 | الرمان | 104 |
| البقر | 10 | التين | 31 |
| الابل | 6 | السفرجل | 28 |
| البغال | 3 | الزريعة | 130 غرارة من الزرع. |
| الحمير | 2 | | |

ويضاف إلى هذا التقلص في المجال الزراعي توقف النشاط التجاري لدار إليغ، الشيء الذي لم يرض طموحات عليّ المادية والحضرية، وكانت هذه الطموحات قد نمت عنده نتيجة تفتحه واختلاطه بأهل المدن، وكان لنمو ذوقه أثر في شغفه بالألبسة الأنيقة وبالآلات الحديثة ويعتبر أول من اقتنى السيارة سنة 1945، في هذا الوسط القروي.

غير أن الأحوال تغيرت نتيجة استحكام سلطة الحماية وتقلص نفوذ آل بودميعة وزوال نظام الأحلاف القبلية، ولم تعد هناك قبائل مناهضة لدار إليغ فتقلص اهتمام عليّ بها، ودخل في شبه عزلة بعد أن قدم ابنه الحسين (ما يزال حيا سنة 1991) ليخلفه في تسيير شؤون القبيلة وتنفيذ المهام التي تأمر بها الحكومة لضبط أحوال هذه الجهة وتسيير بعض الأعمال الفلاحية، كما يساعده ابنه الثاني الحسن سابق الذكر في بعض الاتصالات الشخصية مع الحكام المخزنيين، فتفرغ علي للاهتمام بالجانب العلمي

والديني وقد انكب على بعض المطالعات الفقهية إلى جانب اهتمامه بالتاريخ، وكان قد كتب نبذة مختصرة عن تاريخ أجداده سنة 1936/1355، وساهم في إفادة جوستينار أثناء تأليفه عن تاريخ تازروالت، وزاره المؤرخ عبدالرحمان ابن زيدان سنة 1937/1356 في إطار الاهتمام بتاريخ المنطقة.

وكان ملازما للعلامة الشهير سيدي محمد الأنصاري نزيل إليغ (*خلال جزولة*،2 : 26) في مجالسات علمية ودينية منصرفا إلى الاهتمام بدينه إلى أن وافاه أجله في السنة الأولى من استقلال المغرب سنة 1956/1376.

**بودميعة، علي** بن **هاشم** الإليغي انتقلت إليه السلطة بعد اغتيال والده سنة 1825/1240. وكان عليّ يتميز ببعض الخصال، فهو مهتم بجانب من العلوم والمعارف، وله طموح سياسي واسع يدفعه إلى ركوب المغامرة، ومن أجل ذلك خاض معارك عديدة على المستوى المحلي في إطار الحفاظ على نفوذ أسرته آل بودميعة ذرية سيدي أحمد أُموسى.

وبخصوص علاقة علي بن هاشم بالمخزن لا تظهر لنا بغاية الوضوح، فقد كان يعاصر الفترة الأولى من حكم السلطان مولاي عبدالرحمن بن هشام، وتدل إحدي رسائل هذا السلطان على أنه تلقى هدية من علي سنة 1832/1248 فكانت هذه الرسالة مناسبة ليذكره بما يتميز به أسلافه من آل الشيخ أحمد أُموسى من الصلاح ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم يؤكد عليه بأن يشد عضد عامل السلطان بسوس فيما يحتاج إليه من أمور تلك النواحي، ويخلص له في النصيحة. غير أن ما نتوفر عليه من الوثائق المخزنية لا تسعفنا في الكشف عن تطور علاقة علي مع المخزن بقدر ما اسعفتنا في متابعة نشاطه التجاري مع السودان، والذي كان يمارسه بكامل الحرص (السجلان 4. 5 من *وثائق دار إليغ*) كما اسعفتنا أيضا في معرفة مدى محاولاته استقطاب القبائل المجاورة بشتى الوسائل وبالخصوص اللجوء إلى عقد أحلاف مع تلك القبائل. ونستدل بالحلف المنعقد بقيادته بين آل بودميعة وجماعات : تاگوت، وأيت الخمس، وأيت إسك، وآل تازلاخت، وذلك بموجب قانون عرفي تنص بنوده على ضرورة استقرار الأمن في الطرقات والأسواق بفرض ذعائر على المخالفين. كما ينص على أن أهل تازلاخت يتعهدون بإعطاء قنطار من النحاس الخالص سنويا لعلي بن هاشم (ص 42 *السجل التجاري* 5).

على الرغم من تعدد هذا النوع من المحاولات، عجز علي بن هاشم عن توحيد القبائل وعن إخضاع المناهضين لآل بودميعة، فمنذ أن تسلم السلطة خاض عددا من المعارك المحلية نذكر من بينها معارك : تيغمي، واداگاگمار، والعرگوب، وكان أغلبها قد دار ضد قبائل إداو باعقيل وأولاد جرار، واستمر هذا الصراع المسلح فعلا طوال الفترة القصيرة من زعامة علي، بل فاضت روحه في غمار إحدى هذه المعارك سنة 1258/42. 1843 في ظروف غامضة تدعو إلى التشكك، وقد شاع بأن بعض آقاربه هو الذي عمل على تنحيته بالقوة، بعد أن دس له من يغتاله، وذلك نظرا لعدم قدرة علي على حل النزاع المحلي القائم في وجه آل بودميعة، ولعدم نجاحه في الثار من قتلة والده، وبذلك أمكن للحسين أن يتسلم الزعامة بدار إليغ ويتصدى لتينك المهمتين.

**بودميعة، محمد** بن **الحسين** أُهاشم، يدين هذا الرجل بنشأته إلى المحيط العلمي والاجتماعي الذي كان شائعا في حاضرة إليغ في عهد والده، فبعد أن تلقن القرآن وبعض المبادئ الدينية استفاد من مجالس العلماء التي كان يحرص على ملازمتها، ومن جانب آخر اهتم بالفروسية والرماية فتعلمها على يد فرسان والده وعبيده، فاشتهر طوال عمره بحبه للعلم والعلماء، وبخوضه المعارك الناشبة بين القبائل نتيجة الصراع القائم بين آل بودميعة ومناهضيهم، وقد تأهل ليقوم - نيابة عن والده - بمهام كثيرة بما في ذلك تمثيله لدى المخزن.

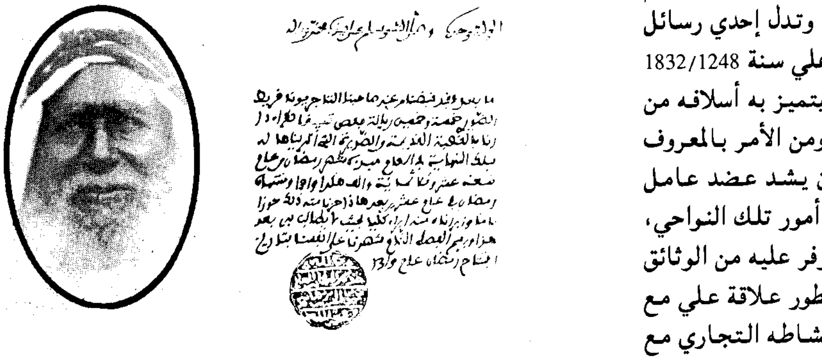

نهض محمد بودميعة بإدارة شؤون دار إليغ بمجرد موت والده سنة 1886/1303. ولما استرجع مكانة هذه الدار بالثأر لوالده من أعدائه البعقليين صمم على مخطط يهدف إلى نهج أسلوب والده الإداري للحفاظ على استمرارية نفوذ آل بودميعة بتازروالت، غير أن الأوضاع السياسية الناتجة عن الضغوط الأجنبية تجاه المغرب في هذه الفترة جعلته يوفق نسبيا في جوانب التسيير ذات الصبغة المحلية المحدودة، وينفلت منه الزمام بخصوص الشؤون التي توثر فيها الأحداث الخارجية، وفي هذا السياق استطاع الحفاظ على مجالس العلماء الذين كانوا يترددون على دار إليغ أمثال الحاج الحسين الأفراني، ومحمد بن العربي الأدوزي، والحاج الحسن التامودوزتي وغيرهم مثل محمد يحيى الولاتي الشنقيطي الذي قضى زمنا في إليغ وهو في طريقه لقضاء مناسك الحج وقد حفظت لنا *رحلته الحجازية* نموذجا من المحاورة الفكرية التي أجراها مع الفقيه محمد بن العربي الأدوزي مما يشهد بالمكانة العلمية الرفيعة للمجالس العلمية الإليغية.

وقد استطاع ايضا أن يسير في نهج والده في اطار

التوازنات الاجتماعية بين قبائل سوس، تلك التوازنات القائمة على أساس الحلفين السياسيين : تاحوگات وتاگوزلت، فكان حلف تاگوزلت الذي يتزعمه محمد بن الحسين أُهاشم أداة لمناصرة آل بودميعة تجاه حلف تاحوگات، والجدير بالذكر أن هذين الحلفين لم يبق استمرارهما طويلا في عهد هذا القائد، إذ سرعان ما كانت بداية انهيارهما بمجرد وصول نظام الحماية الفرنسية إلى المنطقة، وقد فقد محمد بن الحسين وآل بودميعة عموما دعامة كبرى لضمان استمرار نفوذهم بسقوط هذين الحلفين تدريجيا.

وإذا استطاع محمد بن الحسين أن ينجح في تنظيم موسم سيدي أحمد أُموسي التجاري في العهد الحسني فان هذا التنظيم ارتبك منذ أوائل العهد العزيزي وازداد ذلك الارتباك تفاقما بعد سنة 1907/1323.

وبخصوص استمرار تجارة دار إليغ لم يستطع ابن الحسين أن يحافظ عليها، ويظهر أنها انهارت بمجرد موت والده، وعلى الرغم من انتعاش نسبي للتجارة الصحراوية عموما في الأسواق والمواسم المحلية، فقد تأثر هذا الانتعاش في أواخر العهد الحسني نتيجة التدخل الأجنبي والضغوط التي تعرفها سواحل سوس والجنوب المغربي من قبل الشركات الأجنبية، مثل "شركة شمال غرب افريقيا The North West African Company" التي أسسها ماكينزي Mackenzie البريطاني، وكانت هذه الشركات تسعى لنزع الزعامات المحلية وبالخصوص من عائلة بيروك في واد نون، مما جعل الجنوب المغربي يعرف اضطرابا سياسيا، فقامت السلطات المغربية لمواجهة الوضع هناك بجد، حيث قاد السلطان مولاي الحسن بنفسه حركتين إلى سوس، وكانت الحركة الثانية (1886/1303) قد وافقت وفاة الحسين أهاشم وتولية ابنه محمد زعامة إليغ وقيادة المنطقة. وقد عملت الشركات المذكورة على تحويل تجارة القوافل نحو السواحل وخاصة بعد احتلال تنبكتو سنة 1894. كل هذه العوامل - وهي عوامل خارجية - أدت إلى انهيار تجارة إليغ الصحراوية بعد ما بلغت ذروة الازدهار في عهد الحسين أُهاشم، ويعبر عن هذا الانهيار عدم عثورنا على أي سجل تجاري بعد وفاة الحسين من بين سجلات دار إليغ التسعة سواء في عهد محمد أو من جاء بعده، ويعد الانهيار التجاري لهذه الدار بمثابة مؤشر ينذر ببداية انهيار سلطة آل بودميعة، مما هو بارز في الممارسة السياسية لمحمد ابن الحسين.

فقد بدأت علاقته مع المخزن مبكرا أثناء اتصالاته بالحضرة الحسنية بمراكش نيابة عن والده، وحظي بعد والده بتعيينه قائدا على مجموعة من القبائل الواقعة جنوب واد ولغاس، واستنادا إلى ظهائر التعيين فهذه القبائل هي : كافة سملالة سهلا وجبلا، وآل المعدر، وأيت حامد، وأيت صواب، وأيت عبدل، وتهالة، وأيت إسافن نايت هارون، وأيت رخاء، وأيت وافقا. أما أهل تاسنولت والجوابر وهما على ضفة وادي ولغاس اليسرى فقد أسندت إليه أمورهم ما عدا في الكلف المخزنية فهي مع قبيلة ماسة، وكان المخزن يحرص علي أن ينحصر نفوذ آل بودميعة جنوب وادي ولغاس : (واد ماسة) إلى الصحراء درءا لما قد ينجم عن ذلك النفوذ من متاعب، وقد استثنى المخزن مدينة تيزنيت من ذلك النفوذ بحمايتها من قبل قواد أولاد جرار عند حدود الدرع الأبيض :(إغير ملولن) نحو الغرب إلى البحر.

ولقد مارس القائد محمد بن الحسين سلطته المخزنية على هذه الرقعة الجغرافية الواسعة. وكان نفوذه يغذيه رصيده من العلاقة المباشرة بالسلطان مولاي الحسن بما فيها من أثر لهيبة والده الحسين أُهاشم وكذلك ما اشتهر به محمد أيضا من قوة الشخصية، فنال لدى المخزن حظوة تتجلى في حصوله على منزل للسكنى بمدينة الصويرة كميراث لوالده في العهد الحسني، وكذلك حصوله علي عقار بأحواز مراكش في العهد العزيزي، زيادة علي تكليفه في هذه الفترة بحراسة السواحل الجنوبية، واستمر في ركاب المخزن إلى العهد اليوسفي.

غير أن نفوذه - وهو نفوذ آل بودميعة - قد اضطرب بعد موت السلطان مولاي الحسن، وذلك باضطراب الأحوال في سوس في العهد العزيزي نتيجة السياسة التي انتهجها الوزير أحمد بن موسى : (ابّا احماد) في ضبط الأمور، فقد بعث إلى سوس حملة بقيادة القائد سعيد الگيلولي الحاحي، وكانت حملة مستبدة، ولمااستقرت في (تابوحنيكت) بهشتوكة (1897/1314) نفر القواد منها خشية الابتزاز، فكادوا يتفقون على تطويق الحملة، ولكن الگلولي استطاع السيطرة على قواد هشتوكة واعتقال بعضهم.

وكان محمد بن الحسين تصدى للحملة في (توبوازار) ولكنه لم يستطع الصمود أمام الأسلحة الجديدة للجيش الحكومي، وقد استغربت الرسائل المخزنية لهذا الموقف، ولكن لهجتها لا تضمر قطع العلاقة مع زعيم إليغ، غير أن هذا الأخير التزم الحذر تجاه المخزن بعد اكتساح الگلولي للمنطقة سنة 1898/1315 وبعد ما أحس به من تضيق، وفي هذه الفترة ظهر ابنه احمد ليقوم مقامه في تعزيز نفوذ آل بودميعة واستمر إلي نهاية الفترة التي نشبت فيها ثورة بوحمارة وخرج الحاحيون من تيزنيت، وبعد رجوع أحمد من الحج وكان على نفقة المخزن صحبة وفد مرافق، توفي بطنجة سنة 1905/1323.

وإذا كان القائد محمد حافظ لدار إليغ على هيبتها ونفوذها بحيث لم يلحقها التخريب كما حدث لدور القواد المخزنيين بدءا من العهد العزيزي، فان هذا النفوذ تسرب إليه الوهن لعوامل متلاحقة، منها ضعف الأهمية التجارية لدار إليغ، وارتباك في تنظيم موسم سيدي أحمد أُموسى، وانهيار حلف تاحگات وتاگوزلت، إضافة إلى تعاقب السنوات العجاف التي رافقت هذه الفترة، كل هذه العوامل قللت من هيبة القائد محمد بن الحسين بعد فراغ مخازنه،

وتفرق عنه كثير من خدامه وعبيده، وجرى خلاف بينه وبين ابنه علي، فهاجره لمدة سنتين، التجأ محمد بعدها إلى ممارسة التصوف.

ولما قامت حركة الهيبة بتيزنيت سنة 1912/1330 التزم الحياد تجاهها، فاكتسحت سلطات الحماية مدينة تيزنيت في السنة الموالية، وعينت عليها القائد محمد بن دحان العبدي إلى جانب المراقب المدني الفرنسي القبطان جوستينار Justinard وفي هذه الأثناء انتقل محمد إلى هذه المدينة فاستقر بها زمنا، فكانت له صلات ودية مع حكامها ،وبعد عودته إلى إليغ التزم النسك والعبادة، يقضي أوقاته مع بعض العلماء أمثال ابن عمه علي بن عثمان بن علي بن هاشم وأحمد بن مبارك الدشيري والفقيه الزفضي. وظل كذلك إلى أن وافته المنية في 27 رمضان 19/1335 يوليوز 1917.

**بودميعة، هاشم** بن علي، حفيد أبي حسون السملالي، استطاع أن يتولى الزعامة في تازروالت ويقوم بتحقيق كثير من الوسائل المادية الكفيلة بإرساء نفوذ دار إليغ الحديثة، وذلك على إثر المحاولات الأولى التي قام بها بعض أحفاد أبي حسون بودميعة لاسترداد نفوذ دار إليغ سنة 1790/1205، وكانت الأعمال التجارية وتوسيع رقعة النفوذ مما يسر كثيرا من هذه الوسائل، ومنها :

1 - بناء قلعة جديدة هي قلعة تالعينت التي تبعد عن دار إليغ القديمة بثلاثة كيلومترات، فكانت مركزا محصنا لنفوذ آل بودميعة، وفي نفس الوقت محطة لاستقبال القوافل التجارية الوافدة من الصحراء وافريقيا الغربية.

2 - إحياء التجارة بإعادة تنشيط موسم سيدي أحمد أ ُموسى وتنظيمه وضمان أمنه واستقراره، وكانت كل القبائل تحرص على المساهمة في استتباب الأمن اثناء المواسم، لأنها تلبي رغباتها في استقبال تجارة القوافل الواردة من تيندوف وتنبكتو عبر واد نون، كما تعتبر مجالا لتصريف الإنتاجات المحلية.

3 - استقبال يهود إفران من بطش الثائر "بوحلاس" وعتوه، والاستفادة مما نقلوه من مال، ومن خبرتهم التجارية، وكان يحرص كل الحرص على استعادة أراضي تازروالت وممتلكاتها العقارية التي كانت لآل بودميعة قبل سنة 1670/1081 عندما وقع تخريب إليغ القديمة في عهد السلطان مولاي رشيد.

لقد شكلت هذه الوسائل دعما ماديا حقيقيا وقع تعزيزه بالحلف القبلي (تاگوزلت) ضد حلف (تاحگات) فراح هاشم يوسع منطقة نفوذ آل بودميعة نحو الغرب عبر منطقة إغير ملولن التي تؤدي إلى أزغار وإلى مدينة تيزنيت وتسمح بالانفتاح على الشواطئ الأطلسية، وقد تمكن فعلا من محاصرة تيزنيت دون السيطرة عليها، كما توجهت جهوده التوسعية نحو الشمال عبر جبال ولتيتة للاستيلاء عليها.

وكانت تحركات هاشم هذه ضايقت ممثلي المخزن المحليين فتصدى العامل على سوس محمد بن يحيى أغناج الحاحي - وكان يقيم بتارودانت - لمقاومة حركة هاشم والقضاء عليها خلال السنوات الست (1225 - 1232 / 1810 - 1816) وتكررت غاراته على إليغ قصد تحطيم قوة هاشم. ورغم أنه حطم دار إليغ مرتين، فان هاشما كان يتمكن دائما من الانفلات من غارات أغناج، كما كان قواد أولاد جرار يتصدون له من جهة الغرب، ويحاصرون نفوذ آل بودميعة من منطقة إغير ملولن.

إذا كان هذا هو موقف ممثلي المخزن المحليين تجاه هاشم، فان المخزن المركزي لم يكن له نفس الموقف - وهو تناقض واضح - نظراً لأنه كان في بداية القرن الثالث عشر (19 م) يسعى فقط لتأليف الجبهة الداخلية لمواجهة التحرشات الأجنبية التي شرعت في تنفيذ مخططها التوسعي. من أجل ذلك كان ينظر إلى هاشم بنوع من الثقة والتقدير مما نستخلصه من رسائل السلطان مولاي سليمان الذي يصف فيها هاشما بأنه يسعى في صلاح المسلمين لقاء مرضاة الله كما كان أسلافه الكرام، بل ويصف ما قام به القائد أغناج (بالدسائس والشيطنة). وحينما عزل أغناج (1820/1236) عين مكانه ابن اخيه بناصر بن عبدالرحمن عاملا على سوس، فاستوصى المخزن هاشما بابن أخيه : "بأن يشد عضده، وأن يكون له خير معين على مصالح المسلمين ويؤلف له قلوب الناس، وان يكون له ولدا بارا".

وبفضل هذه الحظوة ازداد نفوذ هاشم سياسيا فاستطاع سنة 1823/1238 أن يحتفظ بالأسرى الإسبان الذين تم أسرهم من طرف قبائل أيت باعمران بعد تعرضهم للغرق حول الشواطئ، فقام بالتفاوض مع قناصلهم بالصويرة من اجل تحريرهم، مما يؤكد مكانته السياسية في هذه الجهات.

وإلى جانب ما واجهه هاشم من مقاومة القواد المحليين السابقة الذكر، فإن منطقة تازروالت عانت من انقسام سياسي على المستوى المحلي، فزيادة على الحلفين المذكورين سلفا نشب صراع بين مجموعتين من أبناء سيدي أحمد أ ُموسى : مجموعة إليغ ومعها أيت رخا وبعض ولتيته وجزء من مجاط، ومجموعة أ ُمحمود ومعها الجزء الآخر من مجاط وأولاد جرار، وقد نجم هذا التقسيم عن المنافسة القديمة بين أحفاد سيدي أحمد أ ُموسى، وبالرغم على قصة المس بالكرامة التي يشاع بأنها كانت السبب في اغتيال هاشم التازروالتي، فلا شك أن هاشما إنما ذهب ضحية هذه المنافسة، حيث كان اغتياله من طرف أ ُمحمود بموسم سيدي أحمد أ ُموسى بتاريخ 15 شعبان عام 4/1240 أبريل 1825، ظلت آثار تلك المنافسة تظهر أحيانا في عهود الزعامات اللاحقة التي تعاقبت على مركز السلطة في دار إليغ.

د. الگرامي، *بشارة الزائرين*، مخطوط ؛ م. الأدوزي، *نزهة الجلاس*، مخطوط ؛ *وثائق دار إليغ*، مجموعة رسائل مخزنية وأخرى شخصية محفوظة لدى آل بودميعة (نسخة مصورة) ؛ *السجلات التجارية لدار إليغ* (نسخة مصورة) ؛ م. الولاتي الشنقيطي، *الرحلة الحجازية*، تح. محمد حجي، 1990 ؛ م. المختار

السوسي، *إيليغ قديما وحديثا*، الرباط، 1966 ؛ *خلال جزولة*، 2 : 22 ـ 30 ؛ *المعسول*، 12 : 5 ـ 67 ؛ م. المنوني، *حياة فقيد المغرب المختار السوسي*، مجلة *الإيمان*، ع. 13 سنة 1982 ص 32 ؛ ز. الفاسي، *الفقيه بودميعة الحسن بن علي*، *الإرشاد*، ع.2 سنة 15 (1983) ص 14 ـ 16 ؛ م. أبو طالب، *مواقف بريطانيا في مغرب القرن التاسع عشر* ـ *أعمال ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي* ـ منشورات كلية الآداب بالرباط 1983 ؛ ب. باسكون، *اغتيال هاشم زعيم دار إليغ*، مجلة *أبحاث*، ع.3 سنة 1983 ص 17 ـ 27 ؛ *إعادة شراء أراضي تازروالت من طرف دار إليغ*، مجلة *أبحاث*، ع.4 سنة 1984، ص 64 ـ 81 ؛ *معلمة المغرب*، أغناج، ص 542 ؛ *روايات شفوية* مسجلة على لسان المرحوم بودميعة الحسن وعن أخويه الحسين والطاهر.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc*, Paris, 1930 ; L. Justinard, *Un Petit Royaume Berbère : Le Tazeroualt*, Paris, 1954 ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh et l'histoire sociale du Tazerwalt*, Rabat, 1984 ; M. Ennaji, et P. Pascon, *Le Makhzen et le Sous Al Aqsa* (1821 - 1894) , Paris Casablanca, 1988.

عمر أفا

**بودميعة، علي** بن محمد بن مَحمد بن قطب سوس الشيخ أحمد بن ُموسى السملالي. يكنّي نفسه بأبي الحسن، وتكنيه معظم المصادر بأبي حسّون السملالي، بينما تخصه الرواية الشفوية وحتى بعض المصادر المكتوبة ببودميعة.

يفيد الكرامي بأن إبراهيم أخا علي بودميعة هو أول من قام للإمارة في 29 جمادى الآخره عام 1018/29. 9. 1906، وهي إشارة تجعل من الصعب التعمق في الشروح العائلية وقيودها العرفية الصارمة التي تسبب فيها الامتياز.

فقد أدى الانفراد بالسلطة على ما يبدو إلى مقتل إبراهيم راسما بذلك الحدود التي تؤدي إليها الممارسات السلطوية داخل كبريات العائلات. لكن لماذا استطاعت العائلة الحفاظ على وحدتها وتماسكها وهي التي تخترقها تناقضات الرؤساء ؟ قد يكون الجواب على هذا السؤال، أن إبراهيم أوصى أن يؤول الأمر من بعده إلى ابن عمه الحسين ابن علي مبرهنا بذلك على المرونة والحكمة في تجاوز مفهوم النسب القريب. مهما يكن فإن انتقال الرئاسة من أبناء محمد إلى أبناء علي الذي توفي بسجن المنصور يعد أهم منجزات إبراهيم مؤكداً بذلك قدرته الفعلية على تثبيت الإمارة (*S.I.H.M., Hollande*, 1ère série, I : 469). إن العائلة لا تعين رئيسها وإنما يفرض نفسه رئيسا عليها بما يتمتع به من الصفات وما يظهره من مقدرات تحالفية. وهنا لا بد أن نشير إلى أن إبراهيم قد اقتطع أهل سيدي امحند أ ُبراهيم الشيخ التمنارتي القطب الثاني بسوس وصهر وصديق سيدي أحمد أ ُموسى بعض الممتلكات من أرض وساقية بقرية تين إيسلان (*إيليغ*، 38). والنتيجة الحتمية لمثل هذه الممارسات أنه ما مات إلا بعد أن وطد عرى تضامن أبناء علي ومحمد ابني القطب وأحاطهم بالمساندة الفعلية لزاوية تمنارت المحج الثاني لبلاد إكزولن منذ ولادة عبدالله بن ياسين. وهكذا تتجه أحوال عائلة سيدي أحمد أ ُموسى نحو الحد من حدة التناقضات رغم ظهور المصالح الخاصة والتسابق المعلن على السلطة. وهي نتيجة سيكرّس لها أحمد بن إبراهيم حياته كما تؤكد على ذلك الذاكرة الشفوية. فما تزال هذه الذاكرة الانتقائية تستحضر وجهه الذي وصفه العلماء المقربون "بسيدنا الإمام، القائم بوظائف الاسلام عمدة الأنام وملجأ الضعفاء المرتضى الأسعد" ( *إيليغ* : 39). لقد كان يمارس القضاء ويسدي النصيحة للعلماء أنفسهم ويسهر على أمور الرعية. وإذا لم تسجل المصادر دخوله في صراع مع عشيرته وأهل عصبيته، فذلك لأنه لم يحاول الانفراد بالأمر مسهلا على الحسين بن علي المأمورية التي رأينا إبراهيم يوصي له بها. وباختصار يمكن القول إن هذا النوع من الممارسات كان مبنيا على سياسة كسب تحالفات الأقربين والأبعدين وتعزيز مكانة العشيرة على جميع الأصعدة. على أن وفاة أحمد بن إبراهيم لن تسبق وفاة الحسين بن علي إلا بقليل. أما وفاة هذا الأخير بتارشنين بتازروالت في 5.4. 1020/17. 6. 1611 فتعد أمراً غامضا تشمل تفاصيلها وصول علي بودميعة خليفته إلى الحكم حسب ما أورده الكرامي.

يعد علي بودميعة الأمير الثالث في هذه العائلة حسب ما رأينا. وتضفي عليه الروايات الشفوية ما يجعله بحق سيد إكزولن الذي لا ينازع ( *إيليغ*، 24، 46، 67، 48). فإذا كان أخواله أهل سيدي بلقاسم أ ُعلي بتانكرت إفران قد لعبوا دوراً حاسما في مبايعته البيعة الصغرى بـ 900 فارس تحت شجرة قرية السوق ( *إيليغ* : 51). فإن الصيغة التاريخية لبيعته الكبرى بتازروالت توفر علينا مشقة الإثبات. لقد اجتمع رؤساء الأطلس الصغير ووادي نون وباني والساقية الحمراء وبسيطي هشتوكة وماسة ومنطقة أيت باها بقبر سيدي أحمد أ ُموسى ليجسدوا بيعة هي أشبه ما تكون ببيعة السعديين. فقد بدا جليا أن الفقهاء لم يكونوا أقل تحمسا شأنهم في ذلك شأن ذوي العلم الباطن الذين استهدفوا يومها تأطير نظام الحكم على يد شاب لم يتجاوز الواحد والعشرين. وهو بالضبط ما يخلص بالجميع ساعتئذ إلى ضرورة تهميش الصراعات العائلية قصد معالجة الوجهة الشرعية والسياسية لدولة إكزولن وتابعيها من أعراب ماسة ووادي نون (*S.I.H.M., France*, 1ère Série, III, 358). نخلص من هنا إلى أن علي بودميعة كان مطالبا بالاحتفاظ بحكمه وبإرضاء رعيته عبر تطوير شوكته وتحقيق أكبر المشاريع. وبذلك تكون دولة إكزولن في هذا الطور قوية مرهوبة الجانب نافذة الكلمة على جميع المناطق التي يمتد إليها سلطانها وهي مسيرة لن تنتهي إلا سنة 1070/1651 بانتهاء المرحلة الأولى من عمر الإمارة.

إن الذي يعنينا هنا من شخصية بودميعة هو تلك المؤشرات والخصائص الذاتية التي تحكمت في مفهوم المرونة السياسية. فعند بيان نشأة حكمه وتطوره نتساءل لماذا لم يكتسح مدينة مراكش ؟ هل لأن علاقاته تتسم بالرفق والتسامح أم لأن ظروفاً موضوعية أو أخطاء تاريخية حالت دونه وتحقيق مبتغاه ؟ من حيث صيغة الحكم التي تمنح

بودميعة التأثير في زواره وزبنائه من التجار والسياسيين المسيحيين، كان هذا السلطان يلزمهم تقبيل رجليه (*إيليغ* : 192). وهو ما يصعب تعميمه على رجال السلك الدبلوماسي أو المسلمين من أبناء المنطقة في غياب شواهد إثبات. أما من حيث امتداد سلطته في المكان فقد حاول توظيف جميع المستويات الدبلوماسية لجلب شيوخ وقواد السعديين وعلمائهم بسوس ودرعة وتافيلالت والأطلس الكبير. وإذا كانت استراتيجيته قد اصطدمت منذ البداية بالتطلعات التاريخية ليحيى الحاحي، فإن الصراعات الكلامية بين الرجلين قد أكدت على أهمية المساجلات الشعرية والحربية في تعزيز المكانة المتميزة التي كان يحظى بها سلطان إگزولن. فالمناهضة الشديدة والجيش الجرار الذي كان يقوده الحاحي باسم زيدان بن المنصور حتى سنة 1025 / 1617 (*إيليغ* : 59) لم يؤديا إلى أكثر من انتزاع تارودانت من أبي حسون سنة 1615/1023. وإذا كانت ضربات الحاحي التي استهدفت تفكيك الهياكل العسكرية والتجارية والسياسية لإمارة إگْزُولَنْ قد فشلت، فإن أبا حسون اكتفى على هذه الواجهة الشمالية بالتشكيك في المرامي الخفية التي كان الحاحي يسعى إلى تحقيقها تحت مظلة السعديين. وقد تأكد تدريجيا بأن إلهاب المشاعر ضد مشروعية سلطان إگزولن لم يحل دون الحاحي والدعوة لنفسه بعد أن أعلن اختلافه مع زيدان (*إيليغ* : 57، 80، 81 ؛ *المعسول*، 19 : 75). لم يعد الحاحي يستمد استماتته في مهاجمة إگزولن من مشروعية السعديين بقدر ما أصبح حليفا موضوعيا لإمارة الشبانات برآسة كروم الحاج لتمتين الجبهة الشمالية التي تحدّ بشكل حاسم من تطلعات إمارة إگزولن نحو مراكش. يتوقف إذن مدى اتساع رقعة هذه الإمارة على حال عصبيتها من جهة، وحال عصبية الجبهة الشمالية من جهة ثانية. فما الداعي والحالة هذه لكراء مرسى أگادير لزيدان بن المنصور الذي لم يحترم تعهده بأداء الواجب ؟ (*إيليغ*، 173). لقد كانت Santa Cruz تطلق يومها على مرسى حصن أگادير وعلى مرسى فونتي المجاور له. ومن مميزات هذا الموقع انفراده بتجارة الصحراء. فيتضح بذلك الخطأ التاريخي الذي يصعب تحديده في قلة التجربة أو تبريره بالمرونة السياسية. ولا أدل على ذلك من أن سلطان إگزولن لم يلبث أن حاصر المرسيَيْن ابتداءً من 1623/1033 بما لا يقل عن 1.400 محارب. وإذا كان قد احتل مرسى فونتي بعد هذا التاريخ بقليل، فإن نتائج هذا الخطأ قد دعته إلى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحد من تسرب القوافل نحو أگادير. لقد اعتمد بشكل أساسي على مرسى ماسة الذي فتحه خصيصا لهذا الغرض. كما اعتنى بمرسى الولي سيدي محمد بن عبدالله بين قبيلة أيت باعمران وقبيلة الساحل. ومن جهة أخرى كان عليه أن يؤمن تجارة مرسى فونتي عبر استيلائه على برج تلفى (تالبرجت حاليا) حادا بذلك من كل المحاولات التجارية لحصن أگادير الذي حاصره عشر سنوات. وهنا يجب أن نسجل بأن الضربات التي كان بمقدور سلطان إگزولن أن يسددها لخصومه لم تحل دونه وادماج الاقتصاد المحلي في سوق المبادلات العالمية بشكل ملحوظ ومكثف. فقد استثمر الثوابت والمتغيرات التجارية المحلية والإقليمية رابطا بين شبكة الصحراء والطرق البحرية. وعلى أساس هذه المعاينة فإن تفرغه لاحتواء درعة العليا سنة 1612/1021 يوافق بداية الأشغال في بناء عاصمته إليغ. وهي رؤية تطورية مرادفة لمعنى التفتح، ترسم مسبقا حركية سياسة الرواج الذي كان يعرفه ميناء ماسة. وتؤكد المصادر مراراً على العدد الكبير من البحارين والتجار الذين تحطمت سفنهم على شواطئ الصحراء المجاورة ليصلوا مسجونين عند بودميعة الذي كان يتسلمهم مقابل أثمان معينة ليستعملهم في بناء إليغ الذي استمر عشر سنوات وليعيد بيعهم بأثمان مربحة. على أن تقييم مشروع من هذا الحجم في مجال غير قابل للقياس الكمي يقتضي تحديد أثره على البنية الاجتماعية وعلى البيئة البشرية والمادية.

كل هذه المواقف تدعونا إلى التمعن في خلفيات الاستراتيجية المرنة والثابتة لبودميعة. فإن كانت الوضعية العسكرية تكشف صعوبة الوصول إلى مراكش عبر تارودانت فإنها توضح المسببات التي حالت دون سعيد بن عبدالله المراكشي قائد بودميعة واحتواء درعة العليا قبل وفاة الحاحي سنة 1626/1035 ( *إيليغ* : 79 . 85). ولا أدل على ذلك من أن هذه السنة عرفت دخول جيش إگزولن إلى قصبة تِينْزُولِينْ بعد هروب الزيدانيين بينما تم احتواء تارودانتَ ثلاثَ سنوات بعد ذلك. وما دام الأمر على هذا النحو فإننا نتبين قدرة هذا الجيش على الاستمرارية في المواجهة المعلنة كشرط مادي ومعنوي يحد صلابة الجبهات الداخلية لإگزولن. بل إن اتساع حدود الإمارة لم يحل دون أهل تافيلالت والتشبث بسلطة بودميعة حين وصل إليهم الشريف بن علي العلوي سنة 1633/1043 ( *الضعيف* : 7 ؛ *إيليغ*، 88). وعلى هذا المستوى فإن عصبية إگزولن تكون يومها قد تجاوزت حدودها لتشمل بالإضافة إلى درعة جبال دادس المشرفة على مراكش عبر جبل اگلاوة وكذلك منطقة إداوْتنان ومنطقة حاحة حتى بوريقي القريبة من الصويرة الحالية (*إيليغ*، 154). ومما يؤكد قدرة أگزولن يومها على الاحتفاظ بهذه المناطق التجارية الاستراتيجية إنشاء قصبة وربما عدة قصور بدرعة العليا ( *إيليغ* : 91)، وهي إشارة بينة إلى أن العصبيات الدرعية لم تكن مناوئة لإگزولن أو سلطانهم. كان جيش الإمارة يومها قد ناهز 150 ألف محارب ( *إيليغ*، 152) يعززون حاميات الدولة التي اتسعت رقعتها. ويمكن التأكيد هنا على أنه إذا كان دخول مراكش من الأهداف التي ركزت عليها المصادر المعاصرة وحث عليها شعر المديح ببلاط بودميعة، فإن الأسلحة والعدد الحربية كانت تصل بوفرة كبيرة إلى الإمارة (*S.I.H.M.*, *Angleterre*, 1ère Série, 1 : 134). وقد كان يبدو جليا للأوروبيين بأن "سيدي علي" كان قادرا على الاستيلاء على

مـراكش "بدون شك ولا ريب" (S.I.H.M., France, 1ère Série, III : 544). نقتنع من هنا بأن تطورا من هذا المستوى إنما يفيد مرونة وحنكة السلطان وبلورته لمفهوم السلطة من منطلق متميز. وهو ما يدعونا لأن نجد مكانا مناسبا لموقف سيد إكزولن من أحمد بن زيدان السعدي سنة 1638/1047. ففي هذه المرحلة من حياته السياسية كان سيد إكزولن مسلحا بتجربة جعلت منه علاوة على كونه المرشح الأكبر لاحتواء مراكش، الاستراتيجي الذي كاد يساعد أحمد بن زيدان على دخول المدينة (*إيليغ* : 155). وهي فكرة قد تدخل في إطار مخطط لاحتواء المدينة من خلال السيطرة على هذا السلطان السعدي الذي لم يعد يومها قادراً على مسايرة الأحداث. على أن كثافة الوجود الشباني يبدو العامل الرئيسي في الحيلولة دون سيد إكزولن والمجازفة في مغامرة قد تستنزف سياسته وجيشه أكثر مما تفيده. بل إن نفس المخطط سيتكرر تسع سنوات بعد ذلك 1647/1056 مع محمد الشيخ الثالث آخر السعديين الذي كان قد تزوج بنت سيد إكزولن (S.I.H.M., Hollande, 1ère Série, V : 140).

هذه الأسباب كلها وما أضيف إليها من أعباء عسكرية مترتبة عن مجهود حربي متواصل منذ سنة 1612/1021 تدعونا إلى استيعاب طبيعة سيرورة سيد إكزولن وقدرته على مواجهة الهزات الاجتماعية والسياسية. على أننا لكي نحيط بالخطوط العريضة لممارساته اليومية كرجل دولة طموح فإنه يحسن بنا تتبع مختلف مظاهر شخصيته وسلوكه من خلال الظروف السائدة في مجتمعه. نسجل في البداية بأن الزيادة في عدد الممتلكات الفلاحية والعقارية قد عرفت خلال حكمه ما بين 1613/1021 و1659/1069 حجما لم يسبق له مثيل. فقد بلغ عدد مشترياته ببسيطي إليغ وتازروالت وأزغار تيزنيت ووادي ماسة ووادي نون ما لا يقل عن 136.224 ملكية إذا لم نأخذ بعين الاعتبار ما أُهدي له (La Maison, 21). وإذا نحن علمنا بأن أداء هذه المشتريات كان يتم عموما بربع المثقال السعدي الذي كان يزن 0،814 غرام ذهب، أدركنا حجم الاستثمارات وما قد يترتب عنها. لقد كشفت دراسة بول پاسكون لديوان بودميعة بأن الفترة الممتدة بين 1625/1035 و1653/1064 التي توافق انتقاله من تكجكالت مجاط إلى عاصمته إليغ، سجلت استثمارات هائلة على شكل نفقات استصلاح عيون وسواقي وشبكات ري تازروالت. أما أثمان المشتريات فإن الديوان لم يصرح إلا بثمن الأراضي والمنازل الفلاحية. وقد أحصى پاسكون مجموع ممتلكات دار إليغ سنة 1640/1050 ليجد بأن مساحاتها الإجمالية تناهز خمسة أو ستة آلاف هكتار إذا ما استثنينا المرافق الجماعية من أسواق ومروس وطاحونات وأسوار ومنازل مجهولة الاستعمال (La Maison, 14 - 20). ثمن هذه المساحات لم يكن يقل ساعتها عن 230.000 مثقال ذهب (185 كلغرام ذهب باعتبار الغرام يساوي سنة 1981 ما قدره 80 درهما).

ونلاحظ بأن هذه المرحلة التاريخية المتميزة من تاريخ سلطان إكزولن ستنتهي سنة 1641/1051 بأول هزيمة مني بها جيش الإمارة بتافيلالت. فنحن نرى أنه بقدر ما كان سيد إكزولن منهمكا في العمل على توسيع نطاق الإمارة، بقدر ما نجده مشغولا باحتواء أراضي وسواقي الأطلس الصغير ووادي نون وباني. من هذه الزاوية، فإن الخطوات التي سار عليها واحدة بعد أخرى لإنجاز مدينة إليغ خلال عشر سنوات تؤكد بأن فاعليته كانت مشروطة بأحواله النفسية ودوافعه الذاتية. فتملك أبناء عمه وحدهم لبسيط إليغ لم يحل دونه والبدء في مشروعه مستخدما جل الرهائن الأوربيين الذين غرقت سفنهم بشواطئ المنطقة علاوة على العمال المحليين. وما أن تمت عملية البناء حتى كان أبناء عمه علي قد اندثروا بكيفية نجهل اليوم عنها كل شيء (La Maison, 23 - 24). فما موقع بودميعة من هذا الفصل المظلم من تاريخ دار إليغ ؟ هل ذهبت به المطامع إلى حد التهور الذي يقطع على صاحبه خط الرجعة أم أنه كان واقعيا في سلوكه الشخصي وطموحه السياسي ؟ لعل في رأي بعض المتعاملين معه من الأروبيين وبعض المقربين من أفراد أسرته الصغيرة ما يؤكد عدم احترامه لبعض الالتزامات التجارية والسياسية ( *إيليغ*، 175 . 176 . 177 ؛ S.I.H.M., Hollande, 1ère Série, IV : 4 - 5). أما من حيث هو كأكبر تاجر في المغرب فقد تجسدت ممارساته في الاعتماد الكلي على يهود ملاح إليغ ( *إيليغ* : 193. 194). على أنه ليس من الإنصاف أن نقول اعتماداً على هذه الإشارات بأن سيد إكزولن كان ذا نزعة سلطوية انتهازية. فعدة مؤشرات تؤكدها شهادات الأروبيين تسبغ عليه نزعة واقعية تمتزج فيها الروح الدينية الإسلامية بالروح العقلانية المرنة (S.I.H.M., France, 1ère Série, III : 544). وفي هذا السياق فإن صراع بودميعة مع زيدان حول مراقبة تجارة السواحل تكتسي صبغة خاصة نظراً لما تعالجه من ممارسات مرتبطة بالسياسة الاقتصادية لبودميعة.

لم تكن ثروة أحمد المنصور السعدي تأتيه أساساً من تجارة قصب السكر السوسي كما هو معلوم. لقد كان يجلب العنبر الأشهب وريش النعام والنيلة والعاج والعبيد والذهب (بكميات متناقصة) من الصحراء عبر تگاوست بوادي نون وسجلماسة بتافيلالت (S.I.H.M., Angleterre, 1ère Série, III : 393). من هنا فإن تجارة وادي نون ودرعة الوسطى قد جعلت من سيد إكزولن المخاطب الأول منذ توليه، بالنسبة للهولانديين (S.I.H.M., Hollande, 1ère Série, IV : 488 - 492). والبريطانيين (S.I.H.M., Angleterre, 1ère Série, III : 358) والفرنسيين (S.I.H.M., France, 1ère Série, III : 544). حول مشاكل الأسرى الذين غرقت سفنهم بالمنطقة الساحلية للصحراء. قبل وصوله منطقة تافيلالت وتجارتها كان الإيبريون المتاجرون آنذاك مع البرازيل والهند وجنوب إفريقيا يعتبرونه المحطة الرئيسية تجاريا وعسكريا وسياسياً. إلا أن الاختطافات والغزوات التي كان يمارسها

الإسبان انطلاقا من الجزر الكنارية جعلت كل محاولاتهم للمتاجرة مع أهل الأطلس الصغير تبوء بالفشل. وبذلك يكون بودميعة قد وجد منذ رآسته لإكزولن بنية تجارية جنوبية قائمة الذات ماكان منه إلا أن يعمل على احتكارها باستمرار. ويبدو أنه صاغ مخططه لمراقبة المجال بشكل عسكري وسياسي محكم. فقد استعمل جيشا جرارا (50.000 محارب حسب بعض الروايات) لمنع سلطان مراكش من المشاركة في إحدى القوافل السنوية المتوجهة نحو تنبكتو متدرعا بأسباب دينية محضة (*إيليغ*، 218ـ217؛ *S.I.H.M., France*, 1ère Série, III : 372). كما أنه تطلع إلى احتواء بعض المقتطعات من إمبراطورية سنغاي عندما أبدى بعض الطوارق استعدادهم للتعامل معه كسلطان، ( *إيليغ*، 96) ولعل من المفيد هنا التساؤل عن السبب الذي حدا ببعض الأوربيين إلى القول بأنه احتوى مملكة كاكو وغينيا وملاحة تغازي (*S.I.H.M., France*, 1ère Série, 3 : 544). وهنا لا نجد مبررا سوى الوقع الحسن الذي خلفته سمعة بودميعة وحجم قوافله نحو الجنوب وعدد الواردين عليه من الضفة الجنوبية للصحراء كأداة تم توظيفها في اتجاه تعزيز مركزه الإفريقي. لقد فتحت الشبكة التجارية الجنوبية المجال أمام طموحاته ومشاريعه السياسية فأخذ يشترط لإطلاق سراح رهائنه من البحارين والتجار الأروبيين فدية ماليه. والملاحظ فعلا أن بودميعة خاصة لما ابتدأ السعديون يظهرون رغبتهم في مزاحمته تجاريا (*S.I.H.M.. Hollande*, 1ère Série, 3 : 40)، اتجه أكثر فأكثر إلى فرض إرادته والتقليص من مخاوف التجار المسافرين مستعملا في ذلك أحيانا أساليب شتى من الدهاء ومن الضغط أو الزجر العنيف. وإذا أضفنا إلى ذلك أيضا التكتلات والأحلاف السياسية التي سيعمد إلى خلقها بمنطقة وادي نوان والساقية الحمراء، أدركنا أن الدور التجاري للصحراء يساهم في تثبيت كيان الدولة القائمة (إيليغ، 96ـ220 ؛ *S.I.H.M., France*, 2ème Série, 2 : 267).

ندرك إذن لماذا كثر تردد الأروبيين على Santa Cruz وماسة منذ قيام بودميعة (*S.I.H.M., France*, 1ère Série, 3 : 544). ولعل أهم وثيقة معاصرة عن أهمية مرسى الامارة الأول بماسة ما كتبه قنصل فرنسا إلى ريشيليو Richelieu بتاريخ 1631/2/10 قائلا : "يتولاها مرابط كبير يسمونه سيدي علي. وهو رجل صالح في نظرهم تمرد على سلاطين مراكش، وتتسع مملكته يوما بعد يوم نظراً لعدله، فقد استولى على تارودانت ودرعة ونواح أخرى، ولذلك خلص له الذهب المجلوب من تنبكتو، ومملكته تفيض ذهبا وريش نعام وغير ذلك من المواد الصالحة للتجارة، وهو يحب التجار ويعاملهم معاملة حسنة كيفما كانت جنسيتهم مرحبا بهم أينما حلوا، وقد نُقلَ إلي كل هذا وسمعته بأذني مرات كثيرة من لدن أناس كانوا في تلك البقاع" ( *إيليغ* : 217 ؛ *S.I.H.M., France*, 1ère Série, 3 : 217). وبالرغم من نزوع سيد إكزولن المتزايد إلى تركيز السلطة بين يديه، فإن تجارة ماسة لم يزدها خضوع الأعراب المحليين إلا ازدهاراً. لقد كانت جوازات المرسى تضمن للأروبيين باستثناء الإسبان حرية التجول (*S.I.H.M., France*, 1ère Série, 3 : 358)، كما أن ما كان يؤدي بهذه المرسى من واجبات ورسوم جمركية يتجاوز باقي المراسي علما بأن هذه المراسي كانت تقتصر على نسبة 10٪ بينما تؤدى المبيعات على ظهر السفن بماسة نسبة 7٪. هذا الامتياز الكبير لم يكن يعني أن تجارة أهل سوس كانت تقتصر على المراسي المحلية بل تتجاوزها إلى مراكش حيث يحتلون الصدارة (*S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, 3 : 235). وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن هذا الامتياز كان يطبعه تنافس الأنجليز والفرنسيين والهولانديين خاصة. فبعد الاندماج الذي غلب عليه الطابع الدولي لتجارة ماسة نجد قناصلة هذه الدول يحذرون حكوماتهم مغبة التهاون في تمتين العلاقات مع سيد إليغ (*S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, 3 : 358). وقد أدى الأمر بأحد الدبلوماسيين الأنجليز إلى تنبيه حكومته إلى خطورة المنافسة البرتغالية قائلا سنة 982 / 1574 بأن ملك البرتغال لو تمكن هذه السنة من احتكار تجارة الميناء لأصبح "هو المسيطر الوحيد على تجارة المغرب جمعاء" (*S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, 1 : 141) من هنا نتأكد من أن تجارة هذا الميناء الصحراوي تندرج ضمن القطاع الذي يحظى بالأولوية والأفضلية في مخطط التنمية الاقتصادية للمنطقة. يكفي أن نضيف لوضوح الرؤية بأن العلاقات التجارية بين دار إليغ وانجلترا كانت منذ هذه السنة المبكرة في تاريخ الإمارة هي السبب في الخلافات الكبيرة بين هذه الأخيرة والسلطان السعدي (*S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, 3 : 176 - 214 - 220 - 235).

إن المنطق السلعي القائم على اعتبارات تجارية وسياسية هو الذي سيصوغ بوضوح الإشكالية المركزية لتوجهات بودميعة. ويمكن فهم تلك الإشكاليات من خلال التقسيم السلعي الآتي :

1 ـ دور السلع السوسية المحلية في نشر إشكال الاندماج التجاري بين تجار الميناء وتجار الأطلس الصغير ووادي نون وباني. فمن ناحية يصعب إرجاع مسؤولية انحطاط مزارع السكر حوالي تارودانت إلى بودميعة الذي لم يحتوهذه المنطقة إلا سنة 1629/1039 بعد وفاة الحاحي كما رأينا. وإذا كان سيد إكزولن قد أسهم في الصراعات التي أدت قبل هذه السنة إلى انحطاط هذه المزارع، فإن دوره التجاري في بيع مادة السكر بماسة (*S.I.H.M., France*, 1ère Série, 3 : 358). يحدد اختياره الاقتصادي الأساسي (*S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, 1 : 29). وفي الواقع فإن هذه المرحلة التاريخية يطبعها تقدم كبير في اندماج صوف ومعادن وتمر وجلود سوس علاوة على ملح البارود وشمع العسل ( *إيليغ* : 178ـ184 ؛ *S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, 3 : 235 ; *Hollande*, 1ère Série, 4 : 492). بل

إن التحولات الناتجة عن هذه الفترة ستشكل اقتصاد المنطقة المحلي على الأقل خلال القرن الثامن عشر.

2 - إن سرعة إيقاع التطور الذي عرفه ميناء ماسة يرتبط أساسا بسلع الصحراء حيث تمثل تگاوست ساعتها القاعدة الفعلية لتجارة المسالك الأطلسية. لقد كان العنبر الأشهب والنيلة وريش النعام والعاج والملح والايواز والصمغ العربي والعبيد يمثلون المواد الأساسية المصدرة من الميناء. أما الذهب فيطبع تصديره بكميات متناقصة تعدد المواقف. ذلك أنه في إطار الفوضى النقدية كانت العقلانية المحلية تفرض ذاتها بشأن المسكوك من العملة الذهبية. وتبرز التقارير القنصلية المعاصرة تقلص هذا الاتجاه نظرا لتقلص حجم العملة الذهبية. على أن أهل سوس والصحراء لم يكونوا يستعملون الحلي والسبائك الذهبية (*إيليغ*، 218 ؛ (*S.I.H.M., France*, 1ère Série, 3 : 372). وهو ما يتيح إمكانية قياس أهمية الذهب باعتباره قيمة عادية لا تزيد كثيرا عن القيم المجتمعية. بل إن توزيع بودميعة لكميات الذهب الواصلة إليه عبر القوافل تكشف لنا رؤية اقتصادية مقنعة بنمطين من الحتمية. يقتضي الأول الحد من تراكم الذهب كبعد لا اقتصادي يتبوأ مكانة الصدارة. وهو ما يعني عدم الوعي بمحدودية التنمية المادية. أما النمط الثاني فيفيد الغرق في عالم اقتصادي واجتماعي حيث تشكل الفردانية في هذه المجالات الفضيلة الأساسية. لم يكن أهل سوس يتعاملون بالسلف ولا يعتقدون إلا في المعاملات الحرة، وهو خضوع لنشاط الميكانيزمات التبادلية المبسطة (*S.I.H.M., France*, 2ème Série, 2 : 219 - 220 - 267).

3 - من بين السلع التي كان يتوصل بها ميناء ماسة ليوزعها على سلا ومراكش والضفة الجنوبية للصحراء نجد المنسوجات الشفافة والأثواب والملف والمرجان والزجاج الملون (*S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, 1 : 17) والزنجبيل والقطن وبعض الدلاء الكبار والأسلحة النارية (*إيليغ*، 184). علاوة عن طرابيش الصوف والكاغد والأفيون (*إيليغ*، 221 ؛ *S.I.H.M., France*, 2ème Série, 2 : 26) وهكذا تتحدد هذه البنية الاستيرادية في الملاءمة المرحلية القائمة بين تحديد الاختيارات وتنفيذها. أما عملية المراقبة الجمركية والسلعية فقد كانت تتجلى في حضور الإدارة المحلية وارتفاع نسبة الرسوم الجمركية بالنسبة لباقي المراسي. وهنا نسجل بأن الضرائب والرسوم الجمركية والإمدادات المالية التي يوفرها إطلاق سراح الرهائن الأوروبيين كانت في حد ذاتها بمثابة تكاليف أو منافع على مستوى المؤسسة الرسمية ومشاريعها العسكرية والعمرانية. ومن ثمة فهي ليست مجرد تحويلات على صعيد الصندوق الخاص الممول لمشاريع سيد إگزولن الشخصية. فلم تكن الأسعار المستعملة على صعيد الأسرى الأوروبيين أرباحا حقيقية تمكن من السعي في نهج تنمية الاقتصاد الفعال الناجح (*إيليغ*، 181 ؛ *S.I.H.M., Hollande*, 1ère Série, 140 : 5).

إن العمل على تعرية هذه الحقائق المقنعة يجبرنا على القول بأنه ليس من السهل معاينة واقع تحيط به قطيعات على مستويات تاريخية مختلفة. ذلك أن فهما أفضل وإحاطة أعمق يتطلبان إطارا نظريا وأدوات مدققة. وفي هذا الاتجاه تنبثق من بين أهم التساؤلات الرغبة في معرفة الأسباب الحقيقة الخفية لتقهقر سيد إگزولن التدريجي منذ سنة 1641/1051 أمام العلويين. وهو تساؤل يصب في نفس الاتجاه الذي انطلقنا منه لاستنطاق أبعاد السلوك الذي ميز شخصية بودميعة. ومن هنا أيضا التساؤل عن الفرضيات التي تشكل قاعدة العلاقة بينه وبين العلويين. لقد شهد الدلائيون وهم أعداء بودميعة السياسيون بأن شرف العلويين هو الذي حال دونه وسفك دم الشريف بن علي عندما كان سجينه بإليغ (*إيليغ*، 115. 121). وقد أكدت عدة شهادات معاصرة حضور أمر الدين في منظور سيد إليغ السياسي. ولعل مما يصب في هذا الاتجاه تحاشيه مواجهة امحمد بن الشريف في وقت كان يتوفر فيه على أهم وأكبر جيش بالمنطقة (*إيليغ*، 152). وهنا نشير إلى أنه مهما يكن من دور أهل تابوعصامت في توسيع هوة الخلاف بين الطرفين سنة 1637/1047 (*إيليغ*، 105. 110)، فإن بودميعة لم يكن يرغب أساسا في اعتقال الشريف (*تاريخ الضعيف*، 8). وحتى وإن تعلق الأمر هنا بصراع حقيقي فعلا بين بودميعة وامحمد بن الشريف، فإن الشريف بن علي حظي بموفور العناية في سجنه. فقد أهداه بودميعة خناثة بنت بكار المغافرية التي ولدت له المولى إسماعيل قبل أن يطلق سراحه في نفس السنة التي ستعرف أكبر هزيمة في حياته السياسية. لقد انطلق بودميعة إلى درعة سنة 1641/1015 ليفقد بعد 41 يوما من المواجهة 950 محاربا (*إيليغ*، 116). وإذا كانت المرحلة الأخيرة من حياته السياسية ستعرف تقلص أرجاء الإمارة من الناحية الشرقية، فإن ازدهار التجارة سيستمر إلى أن يقوّض المولى الرشيد إليغ سنة 1670/1081 أي بعد وفاة بودميعة باثنتي عشرة سنة.


م. الگرامي، *بشارة الزائرين* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *إيليغ قديما وحديثا* ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري.

De Castries, *S.I.H.M.* ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh.*


مصطفى ناعمي

**بُودْهِير**، تل كبير محدب الشكل، يمتد على مسافة عدة كيلومترات شمال شرق واحة ترناتة، إحدى واحات وادي درعة. اشتهر هذا التل بالمعركة الضارية التي وقعت على أرضه في أواسط العقد السادس من القرن الحادي عشر الهجري(17م) بين مولاي مَحمد بن الشريف العلوي وأبي حسون السملالي (*إيليغ*، 125) ولا تزال الذاكرة الشعبية بترناتة تحتفظ بذكرى هذه المعركة إلى اليوم بقولهم "لاَيَدّيكْ لأرُو وَلْكْلابْ يَتْـهَـارُو" ولا يزال قصر أرُو قائما

إلى اليوم شمال بودهير، ويكشف لنا هذا المثل الشعبي عن عنف المعركة بين المتحاربين. ويظهر من خلال الرسائل المتبادلة آنذاك بين السملالي ومولاي مَحمد بن الشريف (*إيليغ*، 124) أن معركة بُودْهير تعتبر من المعارك التي أنهت سيطرة أبي حسون السملالي على وادي درعة.

كان بودْهير في زمن مَّا موطنا لقبائل الروحة الوَسْطانية حيث لا تزال آثار هذه القبائل مطبوعة على أسماء الأماكن والمواقع الجغرافية وبعض الأطلال المندثرة، وقد خلفتهم على المنطقة خلال القرن الثاني عشر الهجري (18م) بعض قبائل أيت عطا من إِنَمْشانْ وأيت أُونيرْ.

م. م. السوسي، *إيليغ* ؛ أ. البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي لدرعة* ؛ *وثائق محلية وتحريات ميدانية*.

أحمد البوزيدي

**البُودي** رايس، أو علي البودري، من رياس الجهاد البحري المغربي العاملين بمصب أبي رقراق على عهد مولاي إسماعيل، تعرض خلال موسم 1681/1092 م للأسر من قبل المركي دلانجرون Le Marquis de Langeron أحد قواد الأسطول الحربي الفرنسي المكلفين بمواجهة نشاط الجهاد البحري المغربي بقيادة الأميرال شاطو رينو Chateau Renaud. كان الرايس علي البودي على متن سفينة مجهزة بست قطع مدفعية، وطاقم مُكون من خمسة وأربعين بحاراً مسلماً، وخمسة عشر أسيراً مسيحيًا، وبرفقته غنيمة أوربية، وكان أسره هذا مصادفاً لفترة توقيع معاهدة المعمورة (رجب/يوليوز) بين المغرب وفرنسا، مما أدى إلى حدوث أزمة دبلوماسية، ومطالبة القائد عمر بن حدو باستعادة المركب وتحرير طاقمه استناداً إلى المعاهدة الموقعة.

H. de Castries, *S.I.H.M.*, *Série Filalienne, France*, T. I, p. 557 - 559 ; R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé*, p. 82.

حسن أميلي

**بوديِنار**، (حوض ـ) من الأحواض الرسوبية النيوجينية الساحليّة بالجزء الشرقي من سلسلة جبال الريف، وقد بدأ ظهوره خلال الفترة الطُّرطونية العليا، واستمر فيه الترسيب خلال بقية حقبة الميوسين (الزمن الجيولوجي الثالث)، وذلك إثر انتهاء مرحلة زحف الطيات الريفية المختلفة، مما جعل منه وحدة مُرفوبنيوية تختلف عن محيطها المكون من صخور متحولة وبنية ملتوية زاحفة معقدة ويمتد هذا الحوض على مساحة تبلغ حوالي 300 كلم2، ويتخذ شكل مثلث منفتح على البحر المتوسط حيث يشكل الساحل أحد أضلاعه في الشمال. أما في الشرق وفي الجنوب فتنتصب سلسلة جبال بني توزين وبني سعيد التي تفصل حوض بودينار عن حوض وادي كرْتْ وتمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، كما تفصله في الغرب سلسلة جبال كتلة تَمْسَمَانْ عن حوض وادي نْكُورْ. وتشتمل كلتا السلسلتين الجبليتين على أعراف مختلفة الامتداد والاتجاه، لا يزيد ارتفاع قممها على 1.000 م إلا نادراً وإن كان أعلاها يرتفع إلى حوالي 1.600م في الجنوب، حيث يفصل بينهما وادي أمقْران الذي يصرف أكبر جزء من الحوض إلى جانب وديان أخرى قصيرة وأهمها "إِغْـزْرْ سيدي صالح" في الشمال الشرقي و "إغْزْرْ تغْزاً" في الشمال الغربي. ولقد تشكلت هذه الجبال من طَيات زاحفة "طيات أكْنُولْ وكُتامَة" في الجهة الغربية والجنوبية الغربية و"طيات بني سعيد ـ تمسمان" في الجنوب وفي الشرق، وكل هذه الطيات من المجال الريفي الخارجي تتكون من صخور شيستية وكلسية من عصور الجوراسي والكريتاسي والميوسين الأسفل والأوسط، تخترقها في بعض الأماكن عروق وكتل اندساسية في الجنوب الغربي، كما تكسوها وتمددها في الشمال الغربي كتلة بركانية تتكون من طفوحات الأنْدزيت النيوجينية التي تحتوي على بعض المعادن (حديد وكبريت وذهب ...).

بودينار

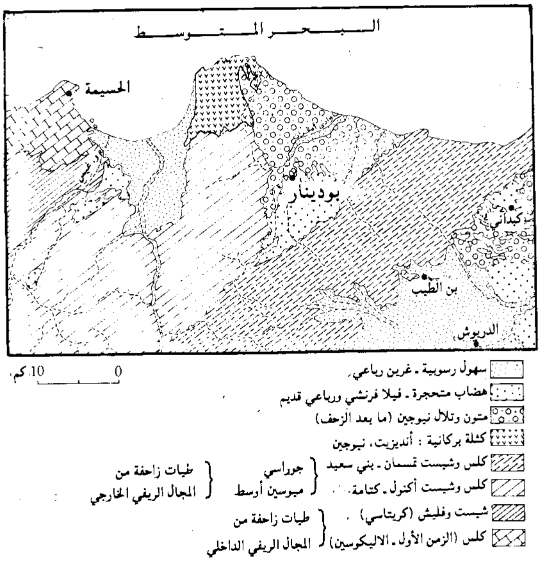


أما صحن الحوض فيحتوي على بعض العراقيب الهضبية الفيلافرَنْشية في الجنوب وهي متحجرة وتشرف على حادورات معلقة تشكل أيضا هضبة متحجرة من المستوى الرباعي الخامس "الرّقراقي". وتشرف هذه الحوادير على قعور أودية عميقة ومنعرجة، تضيق أحيانا وتتسع أحياناً أخرى، فيما تنتصب في الشمال تلال وجبال قليلة الارتفاع وهي مشكلة في صخور نيوجينية (رصيص وطَفل وكلس)، ولقد امتدت بعض هذه التلال حتى الساحل في الشمال، فيما انسطح البعض الآخر فكون هضبة تشرف مباشرة على البحر بواسطة جرف صخري ملطوم أو تشرف عبر جرف مهجور على سهل ساحلي ضيق يشكل امتدادا لشاطئ رملي. ومن سمات هذه المنطقة الساحلية وفرة المستويات الرباعية البحرية، إذ تُظهر تدرّجا واضحا وكاملا.

تتسم السفوح في حوض بودينار بوعورة ملحوظة، كما أن معظمها عارٍ اجتُث نباته وانجرفت تربته وخارت غطاءاته الفتاتية، لا سيما في أقدامها حيث تتراكم

المهيلات وتمتد الحوادير، وقد ظهر التخديد على بعضها بشكل مثير. وتساهم في هذا التدهور البيئي إلى جانب الإنسان تساقطات تكون أحيانا عنيفة، ويبلغ معدلها السنوي حوالي 450 مم في محطة بودينار وأكثر من 600 مم في قمم الكتل الجبلية المحيطة بها، والتي مازالت بعض سفوحها مكسوة بنباتات تشمل العرعر الأحمر والصنوبر الحلبي والحلفاء والعتم والدوم، بينما تنتشر على البعض الآخر تربة حمراء وبنية متقطعة، وهذه كلها مؤشرات تصنف المنطقة ضمن النطاق المتوسطي شبه القاحل.

J. J. Barathon, *Bassins et littoraux du Rif Oriental, Maroc, Evolution morphoclimatique et tectonique depuis le néogène supérieur, Ed. Médit*, Poitiers, 1989 ; H. El Abbassi, *Essai sur la dynamique des milieux dans le Bassin de Boudinar, Rif Oriental, Maroc*, Thèse Doct. N.R. Strasbourg, 1987 ; J. P. Houzay, *La géologie du Bassin de Boudinar*, Thèse de 3ème cycle, Université Paris VI, 1975 - 1982 ; G. Maurer, *Les montagnes du Rif Central : étude géomorphologique*, Thèse Doct. Université de Paris, 1968.

**بودينار**، مركز يعد مقراً إدارياً صغيرا توجد به قيادة قبيلة تمسمان التي تضم جماعتين قرويتين هما جماعة بودينار وجماعة تمسمان (دائرة الريف). وتقع جماعة بودينار في الجزء الشمالي الغربي من إقليم الناظور. تمتد هذه الجماعة على مساحة تبلغ 153 كلم$^2$ يقع معظمها على الضفة اليسرى لوادي أمْقْران، في أقصى شمال غرب حوض بودينار، وتتسم أراضيها بالتضرس ولا تربطها بالشبكة الطرقية الوطنية سوى مسالك وطرق غير معبدة وشديدة الوعورة، مما يجعلها في موقع هامشي معزول رغم امكاناته السياحية غير المستغلة.

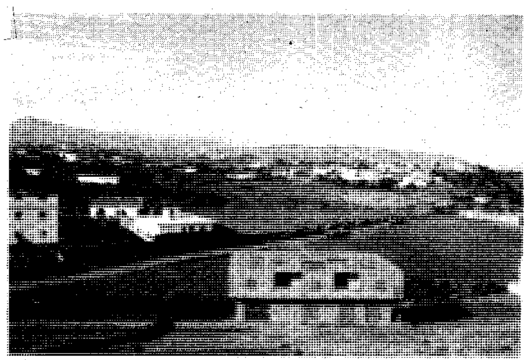

يتكون سكان جماعة بودينار من مجموعتين أمازيغيتين بني بُوبِّيدير وبني ثعبان وهم مستقرون في تجمعات سكنية تدعى محلياً "دْشَرْ" يفوق عددها الثلاثين من بينها خمسة يفوق عدد سكان كل منها 1.000 نسمة. وتبلغ الكثافة السكانية بهذه الجماعة حوالي 132،6 ن/كلم$^2$، أما عدد السكان فقد تطور من 12.827 نسمة سنة 1960 إلى 16.204 نسمة سنة 1971 ثم إلى 20.303 نسمة سنة 1982 أي بزيادة إجمالية بلغت نسبتها على التوالي 3،26٪ و3،25٪، وهي زيادة متواضعة تعزى إلى أهمية تيارات الهجرة نحو بلدان أوربا الغربية التي تطورت فأصبحت عائلية بعد أن كانت فردية، إضافة إلى الهجرة نحو بعض المدن المغربية مثل الناظور وطنجة والحسيمة ومكناس أو بعض المراكز المجاورة مثل العروي.

يظهرالسكن بجماعة بودينار متراصاً أحياناً ومفككاً أحيانا أخرى، وهو عشوائي لا يخضع لأي تصميم، كما أنه متجمع في "دواوير" أو متناثر فوق السفوح وحول المسالك الرئيسية، ومنه التقليديي المبني بالحجارة والطين والأخشاب وهو في طريق التقلص والانقراض، ومنه العصري المبني بالإسمنت والحديد والآجر وقد أخذ ينتشر بشكل لافت للانتباه بطابقين أو أكثر وبمرافق ذات طابع حديث، وذلك بفضل الإيرادات المالية الهامة للعمال بالخارج، التي أصبحت في الآونة الأخيرة تستثمر بعيداً عن الجماعة في المدن ولا سيما القريبة منها مثل الناظور (95 كلم) والحسيمة (60 كلم). وهكذا لم يعرف أي من التجمعات السكنية بالجماعة نمواً كبيراً، فحتى مركز بودينار الذي جعلت منه الادارة الاستعمارية الاسبانية مركزا إداريا منذ سنة 1929، والذي أصبح فيما بعد مقر قيادة في عهد الاستقلال، بقي صغيراً لم يتجاوز عدد سكانه 592 نسمة سنة 1982، بينما احتفظ بالقرب منه دوار بودينار على عدد من السكان بلغ خلال السنة نفسها 852 نسمة، ويكاد يستحوذ هذا المركز على جل التجهيزات الجماعية الأساسية مثل المستوصف ومجموعة دكاكين وبعض المصالح الإدارية، كما يحتوي على شبكة توزيع الكهرباء وأنابيب توزيع الماء الشروب التي لا يستفيد منها إلا القليل من "الدواوير" المجاورة، بينما تبعد عنه السوق الأسبوعية "خميس تمسمان" بحوالي 3 كلم صوب الجنوب، ويذكر التاريخ المعاصر أن معركة أنوال الشهيرة دارت رحاها سنة 1921 بالقرب من هذا المكان بقيادة الزعيم محمد ابن عبدالكريم الخطابي ضد الغزاة الإسبان. أما المساجد وأقسام المدارس الابتدائية فتنتشر في جل التجمعات السكنية بالجماعة ولا سيما الكبيرة منها، كما أن المنطقة لم تخل من تأثير بعض الزوايا منها الدرقاوية والتجانية بصفة خاصة.

تتلخص الأنشطة الاقتصادية المحلية بجماعة بودينار في فلاحة معاشية بورية مدعمة أحيانا بالسقي. وتضم المحاصيل الزراعية الحبوب مثل الشعير بصفة رئيسية إلى جانب القمح والذرة، وكذلك القطاني وبعض البقول والمواد العلفية، إلى جانب بعض الأشجار المثمرة مثل الزيتون والتين والمشمش وغيرها، كما تهتم الساكنة أيضا بتربية الغنم والمعز والأبقار. ولقد تدهورت هذه الأنشطة كثيراً بسبب الجفاف وندرة الماء.

*استطلاعات ميدانية.*

عبدالرحمان الحرادجي

**بوذنيب**، اسم يطلق على الوحدة الشرقية للأخدود الجنوب أطلسي الذي يضم أيضا منخفضي ورزازات في الوسط وسوس في الغرب. وتعزى هذه المنخفضات الثلاث أساسا إلى الحركات التهدلية التي عرفها هذا المجال على طول الحادث الجنوب أطلسي.

يعتبر منخفض بوذنيب الوحدة الأكثر اتساعا وامتدادا:

350 كلم من تينغير غربا إلى تالزازة شرقا، وعرضه يتراوح بين 4 كلم في حدوده الشرقية (ممر بَنْ زرَكْ) و75 كلم على خط طول يمر بمركز بوذنيب. وتتلخص حدود منخفض بوذنيب كما يلي (شكل 1).

- في الشمال، الحادث الجنوب أطلسي الذي تطغى عليه صفة التعقيد من حيث بنيته المتمثلة في انكسارات وطيات منقلبة متوازية ومتتالية.

- من ناحية الجنوب، يمكن رسم حدود المنخفض على طول حافة التضاريس الهضبية المتشكلة من كلس ودولومي للتيروني، على طول السفح الشمالي لكتلة صَاغْرو- أُوكْنات (الأطلس الصغير الشرقي).

- شرقا، يضيق المنخفض لينتهي بشكل مشذوف باقتراب كل من كتلة تَالْزَازَة - استمرار لبنية الأطلس الصغير الشرقي - والحادث الجنوب أطلسي، جنوب سهل تاملألت التهدلي.

- غربا، يضيق المنخفض بمنطقة تينغير - إِمضَرْ (10 كلم فقط) عند اقتراب بنية صاغرو الكتلية جَنوباً والحادث الجنوب أطلسي شمالا، هذه المنطقة تشكل مدخلا بين كل من منخفضي ورزازات وبوذنيب.

ويتكون أخدود بوذنيب من منخفضات وسهول إلى جانبه تضاريس هضبية تعرف بالحمادات : حمادة مسكي السفلى وحمادة بوذنيب الوسطى وحمادة گير العليا، توافق العطاء الرسوبي الذي يغشى القاعدة القديمة المشكلة من صخور الزمن الأول والتي تظهر في الهوامش الشمالية لسلسلة صاغرو أُگْـنَاتْ على شكل تضاريس أپلاشية مرتبطة بالتعرية الانتقائية داخل التناوب الصخري المميز لطبقات هذا العصر.

رسم مورفوبنيوي لمنخفض بوذنيب

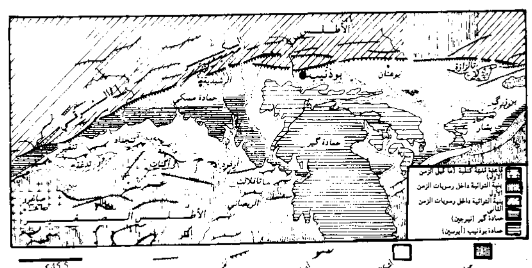

بالنسبة للغطاء الرسوبي الموالي، تغلب الطبقات الحثية والصلصالية والكربوناتية التي ترجع إلى الزمن الثاني. أما فترات الزمن الثالث فتميزت بعدم التجانس من حيث انتشار إرساباتها داخل المنخفض، تمثل منطقة گير الأوسط والأسفل، جنوب مركز بوذنيب، المجال الوحيد الذي يضم طبقات هذا الزمن، وهي عبارة عن توضعات فتاتية متفاوتة الصلابة وتوضعات كربوناتية حيوية تشهد على التطور التكتوني والكارستي للتضاريس الجنوبية للأطلس الكبير الشرقي. يتم التصريف داخل منخفض بوذنيب بفضل وديان رئيسية تنحدر من الأطلس الكبير الشرقي : غريس وزيز في الغرب والوسط ثم گير في الشرق. على أن الخطوط العامة للشبكة المائية تتخذ أشكالا خاصة أثناء نزول مجاريها في اتجاه المنخفضات والحمادات المجاورة، وتمتاز بالتعمق الشديد راسمة خوانق (خَنْگْ أو فُمْ في المصطلح المحلي) تشهد على سلفيتها بالنسبة للحركات البنائية النهائية للأطلس الكبير الشرقي.

ويوجد منخفض بوذنيب ضمن النطاق المناخي الصحراوي ذي النظام المتوسطي (شتاء بارد يعرف بعض الأمطار - صيف حار جاف).

وانفتاحه على الجنوب الصحراوي يعرضه للرياح الجافة كما أن وجوده تحت ظل سلسلة الأطلس الكبير الشرقي يحجب عنه الرياح الشمالية الممطرة الشيء الذي لا يسمح بإقامة أي نشاط زراعي خارج الواحة : فالماء يشكل أهم عنصر تنتظم حوله كل أشكال الحياة.

أهم المراكز الحضرية بالمنخفض : تينغير وتينجداد وگوليمة والرشيدية (مقر العمالة) وبوذنيب وبوعنان، كلها متراصة على طول الطريق الرئيسي رقم 32، الرابط بين أگادير وفگيگ والذي يتقاطع مع نظيره رقم 21 بالرشيدية، الرابط بين مكناس والريصاني.

مركز بوذنيب أهم مركز إداري لگير الأوسط، لكنه أصلا يطلق على قصر قديم يقع على الضفة اليمنى لوادي گير وجنوب المركز القروي الذي يوجد على ارتفاع يبلغ 925 م.

وقد أنشئ هذا المركز من قبل إدارة الاحتلال الفرنسي في بداية هذا القرن سنة 1908، جعلت منه اول قاعدة لمدها الاستعماري في اتجاه الشمال والغرب وخاصة في اتجاه سهل تافيلالت الذي لم يتم الاستلاء عليه إلا سنة 1933. يقع مركز بوذنيب على بعد 661 كلم من الدارالبيضاء و628 كلم من وجدة و95 كلم من الرشيدية (قصرالسوق سابقا)، وهو مقر الجماعة القروية التابعة لدائرة الرشيدية، في الجزء الشرقي للإقليم، محاذية لإقليم فگيگ، والتي تضم عدداً من القصور المنتشرة على ضفتي وادي گير. تنتشر هذه التجمعات السكنية في واحات متفاوتة الأحجام، تمثل واحة بوذنيب أهمها، وهي تضم كلا من قصور بوذنيب الشرفاء والطاوس وأولاد علي - بني أوزيم (أو أوزين) والسهلي، على طول 20 كلم تقريبا وتبلغ مساحة جماعة بوذنيب 4722 كلم2، تتلخص حدودها الإدارية كما يلي : من جهة الشرق قيادة بوعنان ومن الغرب قيادة مدغرة والْحَنْكْ ومن الشمال قيادة بني تاجيت ومن الشمال الشرقي قيادة كُرَامَة ثم من الجنوب التخوم المغربية - الجزائرية.

كما تتدرج جماعة بوذنيب ضمن نطاق نفوذ قبيلة أيت يَفْلْمَانْ، إلا أن سكانها ينحدرون في الواقع من مجموعة قبائل متنوعة، أقدمها مجموعات عربية سكنت عدداً من القصور : قصر بوذنيب (بقايا عرب بني معقل وشرفاء

نزحوا من تافيلالت في القرن الحادي عشر (17 م) وقصر بني أوزيم (عرب منشقّون عن سلطة قصر بوذنيب) الشرفاء انضم إليهم بعض العرب الوافدين من الجنوب الشرقي والشرق (الجزائر حاليا)، وقصر السهلي (وهم عرب ينتسب بعضهم إلى سيدي ابن عبدالرحمان صاحب الزاوية المعروفة بالقصر وهو بدوره ينتسب إلى صاحب زاوية القنادسة - منطقة گير الأسفل بالتخوم الجزائرية - المغربية المعروف بسيدي محمد بن بوزيان.

تشكل هذه الفئة بقصر السهلي الأسياد أو "المرابطين" إلى جانب مجموعة عربية أخرى تمثل الخدم جلبت أغلب عناصرها من الشمال الشرقي (قبيلة بني گيل) والشرقي (أولاد الناصر).

إلى جانب هؤلاء العرب هناك ساكنة أمازيغية تنحدر من مجموعة قبائل أيت عطا وأيت سغروشن ثم أيت زْدَگْ، وكلها تتكلم الأمازيغية بلهجات متباينة نوعا مّا. فاستيطان أيت عطا مثلا بقصر الطاوس، جنوب قصر بوذنيب، جاء نتيجة وفاق الاستغاثة التي طلبها أهل بوذنيب في القرن الثالث عشر (19 م) من هؤلاء الأمازيغيين المقيمين بمنطقة حمادة مسكي، ضد أهل بني أوزيم الذين كانوا يحاربونهم باستمرار. أقام هؤلاء فيما بعد وفاقا مضادا مع قبيلة أيت زدگ وقبيلة أيت سغروشن الذين وفدوا من وسط الأطلس الكبير الشرقي، ولم تتم الهدنة والأمن فيما بين القصرين إلا في بداية القرن العشرين.

وقد سكنت أقلية يهودية قصر بوذنيب منذ عهد قديم، فكان لها حيها الخاص "الملاح" وتشتغل ببعض الحرف والوظائف البسيطة داخل القصر وخارجه (الخياطة والتلحيم...) انتقلت مع بداية الاحتلال الفرنسي داخل المركز الإداري الحديث حيث انشأت محلات تجارية لا زالت قائمة إلى عهدنا هذا. ولقد رحلت آخر أسرة يهودية من بوذنيب عام 1969.

توجد واحة بوذنيب في سهل منخفض يشرف عليه حادث تَازُوگَارْتْ - لُوكْسيعاتْ من الشمال، الذي لا يتجاوز ارتفاع أعلى قممه 1.400 م، وهو فرع من الحادث الجنوب أطلسي والحمادة الوسطى التي تحمل اسم الواحة في الجنوب على ارتفاعات تقل عن 1.100 م.

أما المناخ فهو ذو طابع صحراوي جاف وحار حيث لا يتعدى متوسط الأمطار 100 ملم في السنة، تسقط غالبيتها خلال فصلي الخريف والربيع وتوافق فترات فيض الشريان الرئيسي، واد گير، وتزيد حرارة فصل الصيف أحيانا على 38° كما أنها تنخفض إلى ما دون الصفر أحيانا خلال فصل الشتاء، وهذا ما يفسر اعتماد السكان بالواحة على المياه الجوفية : العيون ومياه بعض السدود الصغيرة.

تتكون التربات داخل الواحة عموما من خليط من طمي وصلصال ورمل تفتقر نسبياً إلى المادة الدبالية التي تعوض بالأسمدة الحيوانية المخصبة، في حين تتميز خارجها بكونها فقيرة، رملية إلى فتاتية مع نسب ضعيفة من الطمي والصلصال ما عدا داخل الضايات - فوق سطح الحمادات - ومناطق المغدر أو الگرار حيث تتجمع المواد المعدنية والدبالية أثناء الفيض لتسمح بإقامة زراعة بورية. أما الغطاء النباتي فيتلخص في بعض الشوكيات التي تقاوم عمليات التبخر أو بعض النباتات المحلية داخل الأودية الرئيسية.

الكثافة السكانية بجماعة بوذنيب ضعيفة لا تتجاوز في متوسطها 3 نسمة/كلم$^2$، وقد بلغ عدد سكانها حسب إحصاء سنة 1971 حوالي 10.677 نسمة، تطور هذا العدد ليصل سنة 1982 إلى 12.559 نسمة بزيادة مطلقة قدرها 1882 نسمة في ظرف إحدى عشر سنة، أي بنسبة 17،6٪.

هذا ويلاحظ نمو سريع للسكان الحضريين بمركز بوذنيب نتيجة نزوح السكان من داخل الجماعة، خاصة من قصور واحة بوذنيب، ثم استقرار أغلب الرحل بعد سنة 1975، الذين كانوا ينتقلون في المجال الحدودي المغربي - الجزائري إلى جانب عودة مجموعة من الأسر المغربية التي كانت تقيم بالجزائر.

يتميز السكن داخل القصور بطابع تقليدي من حيث التصميم (طابق أرضي للدواب والعلف وأدوات العمل وطابق علوي للسكنى). كما أن مواد البناء تشمل الطين المدكوك والأخشاب. وقد ظهرت في العشر سنوات الأخيرة مساكن حديثة خارج بعض القصور (الطاوس وبني أوزيم وخاصة قصر السهلي)، استعمل في بعضها الحديد والاسمنت والحجر أو الآجر مع الاحتفاظ في الغالب بطابق واحد فقط.

أما مركز بوذنيب فيعرف تصميما هندسيا لأحيائه المتعددة والممتدة في اتجاه الشمال وعلى الجهة اليمنى من الطريق الرئيسي. هذا التصميم يرجع في أصله إلى التخطيط الذي وضعته إدارة الاحتلال الفرنسي. ومنذ سنة 1984 أصبح مركز بوذنيب خاضعا للتصميم الحضري الذي يستوفي شروط البناء العصري، إذ يشكل حاليا نواة مركز حضري ببناياته الإدارية (القيادة والتكنة) والاجتماعية (مكتب البريد ومستوصف قروي ومستشفى ودار الشباب

ومركز نسوي ومدرسة وإعدادية). معظم النشاط الاقتصادي للجماعة القروية منحصر كذلك بمركز بوذنيب : مركز الاشغال الفلاحية وتربية الماشية - أكثر من 250 محل تجاري إلى جانب سوق حضري مغطى وسوق أسبوعي (يوم الأحد).

أما النشاط الصناعي فينحصر في بعض المطاحن ومشاغل الحدادة والنجارة التي تعتمد جزئيا على الطاقة الكهربائية المحلية التي لا تتجاوز فترة انتاجها ستّ ساعات كل ليل.

يقوم استغلال الأرض داخل الواحة أساسا على النشاط الفلاحي رغم ضعف مدخوله، وهو عبارة عن زراعة معاشية تعتمد على مياه عدد من العيون التي تجلب بفضل نظام تقليدي يعرف بنظام "الفُكَّارات" أو "الخَطّارات" والتي تسقي حقولا ذات ملكية مجهرية تشمل محاصيلها : الحبوب (شعير، قمح ، ذرة) والبقول والمواد العلفية إلى جانب أصناف من الأشجار المثمرة، يمثل الزيتون والنخيل أهمها من حيث الانتاج المسوق. وتقدر الأراضي المسقية داخل الجماعة بحوالي 1.200 هكتار.

هذا، وتبقى التقنيات المستعملة في الاستغلال عتيقة ومعقدة تتكيف مع الظروف البيئية المحلية التي تعاني من حدة الجفاف وزحف الرمال والاجتثاث وبعض الأمراض الطفيلية مثل "البيُّوض" بالنسبة للنخيل. وتتلخص تربية الماشية في الرعي في مراع جماعية خارج الواحة وتخص المعز والغنم، وتربية مستقرة للماشية داخل القصور أو بالمساكن الحديثة المجاورة (غنم وبقر).

ونتيجة لضعف الموارد المحلية أصبح المجتمع الواحي ببوذنيب خاضعا للنفوذ الاقتصادي الخارجي، بحيث شهد العقد الأخير هجرة مكثفة لليد العاملة نحو المراكز النشيطة في الشمال الشرقي ومنطقة سايس أو مباشرة إلى أوربا. كما أن عدداً كبيراً من الشباب انخرط في صفوف القوات المسلحة الملكية بعد سنة 1975.

كل هذا ساهم في تلاشي النظام الاجتماعي والثقافي بالواحة، فالوحدة الجغرافية والاجتماعية التي هي القصر عرفت تشتتا وتلاشيا مستمرين، وكذلك الأسرة، إلى جانب استقلالية الفرد عن الجماعة.

فهل سيساهم السد التلي الذي يقام على واد ادويس (رافد ثانوي لواد گير)، جنوب قصر أولاد علي، في التنمية الفلاحية لواحة بوذنيب واعادة التوازن المختل للمنطقة ؟ وهل سيعمل توسيع الشبكة الكهربائية الوطنية والانخراط الأوتوماتيكي للهاتف، على فك العزلة التي يعرفها هذا المجتمع الواحي ؟.

M. Ben Brahim, *Le couloir de Boudenib et ses bordures : étude géomorphologique*, Thèse de 3ème cycle. Ins. Géog., Paris, Sorbonne, 1983 ; M. Laugel, *Les Abid de Kenadsa. B. L. S.*, t. IV, N° 13, p. 22 - 30 ; Niclausse, *Une tribu du Sud marocain : Les Aït Atta du Sahara*, 1957, 14 p, N° 2691 ; E. Mercier, *Histoire de l'Afrique septentrionale, Berbérie, depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française*, 3 vol., Paris, 1888- 1891 ; Enquêtes de terrain.

محمد بنبراهيم

**بوالذهب** (سيدي ـ) ضريح بالمدينة القديمة بأسفي يواجهه البحر غرباً في المكان المعروف بالمريسة الصغيرة، ولقد اختلف الناس في إثبات أو نفي وجود دفين بداخله. وكان يقصده قديما المسلمون واليهود للزيارة، ولقد ذكره ڤوانو L.Voinot في كتاب *Pélerinages judéo-musulmans du Maroc*, p. 18 بما مضمونه : يُجهل كلّ شيء عن الدفين بهذا الضريح الذي يقصده المسلمون واليهود على السواء، وقد يكون اسمه الحقيقي "بوالأدْهم"، تقول عنه بعض الروايات إنه قد يكون ولياً صالحاً أتى من مكة المكرمة أو المدينة المنورة لتقديم يد المساعدة للشيخ أبي محمد صالح في نشر الإسلام عند قبائل هذه المنطقة، وهناك روايات تقول بأن أصله من ركراگة، وحسب روايات أخرى فإنه قد يكون ابن الولي الصالح سيدي عبدالرحمن مولى البرگي المعروف في فخدة تمرة بناحية أسفي. كما ذكره الفقيه السيد محمد بن أحمد العبدي الكانوني في كتابه *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ص 134، بقوله : "... وقد بالغت في البحث والتنقيب فلم أجد من أشار إليه ولو أدنى إشارة...". وفي سنة 1929/1348 تقرر هدم بناية الضريح وتشييد قبة جديدة، فاغتنم الفقيه الكانوني الفرصة ليقف على حقيقة أمر القبر الموجود بداخله، وقال : "... وكان البناءون من أصدقائنا فسارعوا للإجابة إلى طلبي (...) ثم أزلنا الحجارة عن المحل المزعوم أنه قبر "فإذا هي فوق التراب العادي ولاشيء تحتها مما يُشعر بأنه كان هناك أحدٌ...".

أما سبب تسمية هذا الضريح بـ "سيدي بوالذهب" فيرجع دون شك إلى أن الناس كانوا يبحثون قديما على قطع من المعدن الثمين في هذا المكان الذي كانت توجد بجواره دار السكة.

م. الكانوني، *جواهر الكمال*.

L. Voinot, *Pélerinages judéo-musulmans du Maroc*, Paris, 1948.

عبدالرحيم العطاوي

**پور ليوطي** Port-Lyautey أو ميناء ليوطي، أطلقت هذه العبارة على مدينة القنيطرة لمدة النصف الثاني من فترة الحماية، وبالضبط ابتداءً من يوم 18 محرم 24/1351 ماي 1932 وهو تاريخ صدور القرار الوزيري الموقع من قبل محمد المقري الصدر الأعظم ولوسيان سان Lucien Saint المقيم العام آنذاك، والقاضي بتعويض اسم القنيطرة باسم پور ليوطي وذلك بناء على ملتمس تقدمت به الهيئات المنتخبة وجمعيات القنيطرة بتاريخ 11 فبراير 1932 إلى المقيم العام، وبناء على قرار الجماعة البلدية ليوم 12 فبراير الموالي، وبناء على لزوم إشراك المخزن الشريف في تلك "المبرّة" التي جاءت اعترافاً بجميل صنع المارشال ليوطي في المغرب عامة وفي القنيطرة على وجه التخصيص، إذ هو الذي أمر بجعل القنيطرة ميناء يستفيد منه معمرو الغرب وسايس، وكان القرار بمثابة حلقة أخرى من حلقات أسطورة ليوطي التي لم يتورّع عن صياغة جوانب كبيرة منها بنفسه يوم كان مقيما عاما بالرباط،حتى إذا أبعد عن المغرب قام

خلفاؤه بإتمامها وإرسائها سواء في حياته أو بعد مماته بالأحرى في شهر يوليوز سنة 1934.

إبراهيم بوطالب

**بوراس**، أسرة تطوانية يقول عنها الفقيه الرهوني إنها كانت تدّعي الشرف، ومازالت هذه الأسرة بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 11 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.
Delegacion, *Familias* ; *Vademecum.*

محمد ابن عزوز حكيم

**بُورْحَى**، (سيدي علي.) دفين باب شالة، تقصده النساء غير المتزوجات أو اللاتي تغيَّب عنهن أزواجهن. وعرف ببُورْحى لما يحكى أنه كانت ظهرت له كرامات في قضية رحى.

ذكر الفقيه ابن الغازي الكبير أن سيدي علي بورحى وسيدي الحسن الإمام بشالة، وسيدي أحمد الشريف بوقّاصة ثلاثتهم من أصل واحد، وأن لهم حفدة في الرباط ومراكش، كانوا في الثلث الأول من القرن العشرين يتصرفون في "فتوحات" هذه الأضرحة وربما مازالوا يتمتعون بذلك حتى الآن.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 443.

عبدالاله الفاسي

**بورحيم**، أسرة من الجراريين الذين استقروا بالصحراء أوائل القرن الثامن (14م)، ثم جاء أفرادها إلى أزغار بضواحي تيزنيت في القرن العاشر (16 م)، فأقاموا بوادي تدايغت إزاء ضريح الولي سيدي موسى جنوب شرق تيزنيت، وهي منطقة خصبة وافرة المياه، كانت لهم بها أملاك، غير أن ظهور "عين حسون" بتالعينت بأولاد جرار سنة 1718/1129 كان مؤشراً لتغيرات ديموغرافية وسياسية بالمنطقة حيث استقطب الماء وافدين جدداً من ضمنهم أسرة بورحيم التي اكتسبت حصتها من الماء إما بالرهن أو الشراء أو الكراء. ولم يكن توزيع الماء وتنظيم المجال ليخلو من صراعات بين المالكين الأصليين والوافدين الجدد الذين تتزعمهم أسرة بورحيم التي ازداد نفوذها بازدياد ثروتها، فاكتسبت المؤيدين والأنصار لتدشن الصراع حول زعامة القبيلة، وقد بلغتها بعدما فتك علي بن بورحيم بزعيم أولاد جرار الشيخ بِّيه النكيفي حوالي سنة 1824/1240. ومنذ ذلك الحين انتقل مركز الزعامة من الركادة إلى تالعينت، ومعه انتقلت الزعامة إلى أسرة بورحيم، فتوارثها أفرادها أزيد من مائة وعشرين سنة ظهر خلالها منهم رجال كبار لعبوا أدواراً كثيرة في تاريخ سوس المعاصر، أمثال :

**بورحيم، عبدالسلام** بن محمد، قائد، هو ابن الشيخ محمد بن علي آتي الترجمة الذي قُتل بسجن تازروالت. تلقى تعليمه بمدرسة تالعينت فسار على نهج عمه في أخذ الورد الدرقاوي، وكان خليفته فتمكّن من معايشة الأحداث التي عرفتها القبيلة في فترة رآسة القائد محمد، واكتسب بذلك تجربة كبيرة في تسيير شؤون القبيلة. وبعد وفاة عمه سافر إلى تافيلالت صحبة أعيان أولاد جرار الذين قدموه للسلطان مولاي الحسن فعينه قائداً على القبيلة خلفاً لعمه وذلك سنة 1894/1311.

نهج القائد عبدالسلام في تسييره للقبيلة سياسة مكنته من ضبطها، فعزز نفوذه على مجموع دواوير القبيلة، وعين بها شيوخاً جدداً. وفي عهده اكتسبت تالعينت طابعها المعماري المتميز، فهو الذي سورها وبني بها داره الكبيرة الفاخرة، فتحولت تالعينت من مقر القيادة البورحيمية إلى مركز استقطاب علماء سوس وأعيانها، هؤلاء الذين يهرعون إليه لإنجادهم كلما ثارت ضدهم قبائلهم، فكان عبدالسلام أحد قواد سوس الذين ساهموا في إخماد الفتن المستشرية بعد وفاة السلطان مولاي الحسن الأول. بل ساعد بعض القواد الذين طردتهم قبائلهم وخربت منازلهم على استرجاع نفوذهم، غير أن تردده في بيعة مولاي عبدالحفيظ جعل هذا الأخير يتماطل في تجديد تعيينه على قبيلته. وقد أشار المختار السوسي إلى أن استرجاعه لمكانته لدى السلطان تطلب منه أموالا كثيرة، وزيارات متكررة لفاس. ولم يتم له ذلك إلاّ بعدما توسط له كل من الشيخ الحسين الإفراني، وعبدالمالك المتوكي لدى الوزير المدني الأكلاوي وبعد تقديم اعتذاره للسلطان.

وهكذا مُنح عبدالسلام ظهير تعيينه قائداً على قبيلة أولاد جرار مع إضافة قبيلة أيت بريم (على حدوده الغربية مع أيت باعمران) وترسخت علاقته بالمخزن المركزي لدرجة أنه كان من أشد قواد سوس معارضة لحركة أحمد الهيبة، وأكثرهم تشبثاً ببيعة مولاي عبدالحفيظ، فبادر إلى عقد مؤتمر بتالعينت ضم أعيان وعلماء سوس حثّهم فيه ليردوا على دعاة الحركة، غير أن إعلان بيعة أحمد الهيبة بتيزنيت أفشل خطته. ورغم تماطله في إعلان بيعته فإنه ما لبث أن أذعن وقد راعه ما لاحظه من إجماع الناس، فقصد تيزنيت وبايعه وقدم هديته، رغم عدم اقتناعه بذلك.

كانت حياة عبدالسلام ثمناً لموقفه هذا حيث اغتاله أصحاب الهيبة بعد عودتهم جميعا من مراكش. واستقرارهم بأسر سيف بهشتوكة يوم الثلاثاء 27 جمادى الثانية 3/1331 يونيو 1913، ودفن هناك إلى سنة 1914/1332 حين نقَلَ جثمانَه ابنُه الشيخ محمد ليدفن بمقبرة تالعينت.

**بورحيم، عبدالله** بن عياد، أكبر أولاد القائد عياد آتي الترجمة وخليفته، كان تجانيّ الطريقة، عين قائداً على قبيلة أولاد جرار بعد عزل والده حرصاً على بقاء الرآسة في أهله. فكان من منفذي سياسة فرنسا لكنه لم يكن مدركاً لمخططاتها، فانساق مع أطروحاتها، وعُدَّ من عيونها بالسوس الأقصى. وقد جر عليه موقفه هذا نقمة الوطنيين وقادة جيش التحرير، فأخر عن الرآسة بعد الاستقلال ونُفي إلى الصحراء هو وجماعة من السوسيين المتعاونين مع فرنسا، ثم نُفذ فيهم جميعاً حكم الإعدام في ظروف من

الكتمان سنة 1957. ومازالت وقائع هذه الأحداث غامضة، ويتحاشى المخبرون الحديث عنها. وبوفاة القائد عبدالله انتهى العهد الزاهر لأسرة بورحيم وانتقلت الرآسة إلى غيرها. لكن آثارها العمرانية التي خلفها أفرادها مازالت شاهدة على قوتها وعظمتها.

**بورحيم، علي** (الشيخ -)، أول من تزعم قبيلة أولاد جرار من أسرة بورحيم انتقل إلى تالعينت انتقالَ استقرار، كان بارزاً بماله بين الجراريين. وتميزت مرحلة زعامته للقبيلة بصراعه مع جيرانه التزروالتيين حول منطقة إيغير ملُولن على الحدود بين نفوذهما، لأن المسيطر على هذا الموقع الإستراتيجي يراقب الطريق الصحراوية التي تخترق أزغار. وقد دارت حوله معارك بين الطرفين قُتل في إحداها زعيم تازوالت علي بن هاشم سنة 1842/1258.

لم يمنع الانتصار ظهور فتن داخلية بأولاد جرار ساهم في إذكائها الزعماء الجراريون المتضررون من نفوذ علي بن بورحيم الذي اغتيل سنة 1858/1275، من طرف أحد أفراد أولاد حسون الذين تنسب إليهم "عين تالعينت" ليتولى بعده زعامة القبيلة ابنه محمد.

**بورحيم، عياد** بن محمد، أكبر قواد سوس وأغناهم وأحبهم للعلم وأهله، وأكبر أبناء القائد مَحمد بن علي آتي الترجمة، كانت ولادة عياد سنة 1882/1299 وتلقى تعليمه بتالعينت ثم استكمل تكوينه وصقل مواهبه بمجالسة العلماء الذين كانت لهم مكانة خاصة عنده، حتى إنه في مجالسته لهم أصبح في نفس درجتهم ومستواهم العلمي.

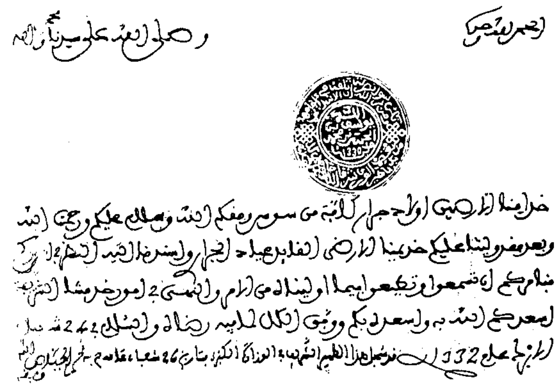

عُيِّن خليفة للقائد عبدالسلام بظهير عزيزي سنة 1894/1311، وكان الحاكم الفعلي بقبيلته، حيث لعب أدواراً أساسية بمنطقة سوس عامة، كما كانت له مواقف متميزة وأحيانا متناقضة مع مواقف القائد. اتضح ذلك أثناء قيام الهيبة بتيزنيت فناصره عياد على عكس ابن عمه عبدالسلام. وقد مكنه نشاطه هذا من اكتساب تجربة سياسية أهلته لتزعم قبيلته. فعين قائداً على أولاد جرار بظهير من مولاي يوسف بتاريخ 24 شعبان 18/1332 يوليوز 1914. في نفس الظرف الذي شرعت فيه فرنسا في التوسع جنوب أگادير حيث قام رئيس الاستعلامات بالمنطقة الجنوبية الجنرال دولاموط De Lamothe بزيارة للقائد عياد في تالعينت (يوليوز 1914) حاثًا إياه على مواصلة جهوده لتهدئة القبائل الثائرة على قوادها، الرافضة لسياسة فرنسا، مستعينا بإمكانياته الخاصة لأن الوقت وقت الحرب العالمية الأولى، وفرنسا لا تملك من القوة ما يمكّنها من الحرب في أكثر من واجهة. رغم أن عياداً التزم بالعمل على إخماد الفتن المستشرية في السوس الأقصى وتهدئة القبائل بدون طلب مساعدة من سلطات الحماية، فإنه قام بهذا الدور بدهاء سياسي، حيث كان يلعب على الحبلين، فغزا بعض القبائل وسيطر عليها، كأيت بريم، وسرَّب السلاح والمال لبعض مناوئي أعدائه من القياد. وكانت فرنسا قد تفطنت لسلوكه هذا لكنها لم تنتقم منه حتى أكملت سيطرتها على مجموع سوس.

لم تمنع كثرة الحروب التي خاضها عياد من تفرغه للبناء والتشييد، فهو الذي مدّن تالعينت وبنى بها رياضه الفخمة، وأجرى عين الرگادة، وبنى صهريجه الشاسع فأصبحت بفضله تالعينت إحدى مدن السوس الأقصى، يقصدها الرؤساء للتفاوض وعقد الأوفاق وتلقّي التعليمات، حيث كان عياد صلة وصل بينهم وبين المخزن، خاصة حينما استقبل بها السلطان مولاي يوسف في 2 جمادى الثانية 8/1345 نونبر 1926. كما كانت مركزا لأهل العلم والأدب حينما أنشأ مجلساً علميا ببيته، وخزانة كتب عامرة. كان القائد عياد حريصا على تخليد آثاره وآثار معاصريه، لذلك أشار على المؤرخين محمد بن أحمد الإگراري وعلي بن الحبيب السكرادي بأن يكتبا *روضة الأفنان وتحلية الطروس في تاريخ رجالات سوس.*

كان عياد عين سلطات الحماية التي لا تنام ومنفذ سياستها، وفي نفس الوقت كان من مؤيدي مقاومة الجبال، ويرجّح أن هذا كان من بين أسباب عزله ونفيه، حيث غاب عن داره نحو خمس سنين في ميدلت وزعير والجديدة، حتى مرض وحُمل إلى تالعينت فكانت وفاته بها يوم الأربعاء 9 ذي القعدة عام 8/1361 نونبر 1942.

**بورحيم، محمد بن علي (الشيخ)** تولى المشيخة بعد اغتيال والده، فأخذ بثأر أبيه حين أجلى أسرة علي بن حسون عن المنطقة، وربما ورث أراضيهم وحصصهم من الماء، واكتسب بذلك نفوذاً مادياً جعله يتطلع إلى السيطرة على مناطق الحدود بينه وبين تازروالت التي كانت تتحين الفرصة لتأخذ بثأرها من اغتيال زعيمها.

هكذا تجدد الخلاف واستحكم العداء بين الطرفين متجاوزاً النزاع حول إغير ملّولن ليصبح صراعاً حول زعامة سوس، بل جسّد الصراع بين حلفي تحگّات الذي تتزعمه أسرة بورحيم، وتَاگيزُولْتْ الذي تتزعمه تَازْرْوَالْتْ.

كان محمد بورحيم معروفا بين قبيلته بقساوته وتعسفه بما يفرضه على منطقة نفوذه من ضرائب باهضة، وكُلَف مرهقة عبر عنها الشاعر الأمازيغي ابن بغيل في إحدى

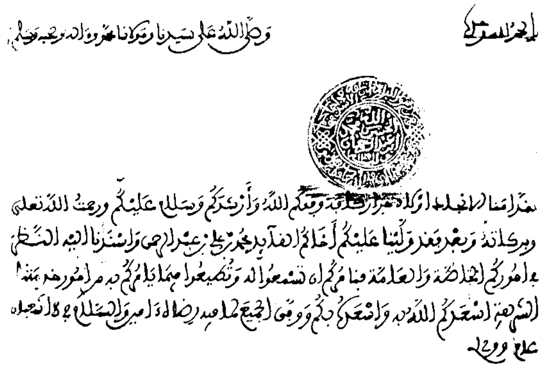

قصائده. وكان هذا التصرف حافزاً لعدد من الدواوير الجرارية للخروج عن طاعته واستغاثتها بالحسين أُهاشم التّازْروالتي الذي أنجدها. وجرت حرب بين الطرفين، حوصر على إثرها الشيخ محمد بتالعينت مدة واضطر إلى اللجوء إلى أغبولة (أحد الدواوير الجرارية المحصّنة) ودخل التازروالي إلى تالعيت واستولى على ممتلكات الأسرة، ثم لاحق الشيخ الفارّ إلى أن ألقى عليه القبض سنة 1291/ 1874 وأودعه سجنه بتازروالت وبقي هناك إلى أن توفي سنة 1875/1392.

**بورحيم، مَحمد** بن علي، **القائد**، أخو السابق.
تولى أولاً مشيخة القبيلة حوالي سنة 1875/1292 وورث عن أخيه وضعية معقدة اتسمت بانقسام القبيلة بين مؤيد للأسرة ورافض لنفوذها، إضافة إلى تشتت الأسرة وانتقال أملاكها إلى رؤساء تازروالت، فكان عليه في آن واحد لمّ شتات قبيلته وإعادة تعمير تالعينت التي هجرتها أسرته قسرا. ولن يتأتى له ذلك إلا بنهج سياسة مسالمة لتازروالت واستمالة أعدائه من الجرارين.

ساعده في تحقيق ذلك ما كان له من صيت طيب بأزغار وما اتصف به من ورع وزهد. وكان لاتجاهه هذا دور في تعزيز نفوذه السياسي وذلك بجلب عطف أشهر علماء وشيوخ المنطقة، أمثال الشيخ الصوفي مبارك التمودزتي الذي أخذ عنه الطريقة الدرقاوية. كل هذا ساعد في اختياره ضمن القواد المخزنيين بسوس من طرف السلطان مولاي الحسن أثناء حركته الأولى إلى سوس سنة 1882/1299. وبذلك عاد المجد لآل بورحيم وعادت معه قوتهم، لكن المنافسة بينه وبين تازروالت تجاوزت الصراع حول منطقة إغير ملُولن لتشمل إغرم أحد الدواوير الحدودية الغنية. غير أن القائد مَحمد استطاع الحفاظ على مجال نفوذ الأسرة زمن جده علي، وحصل على تزكية المخزن له. فتحققت بذلك رغبته في توحيد قبيلة أولاد جرار وتعمير تالعينت لتصبح من أهم المراكز السياسية والتجارية بسوس خلال فترة ولايته التي امتدت حوالي ثمان عشرة سنة. وكانت وفاته سنة 1893/1310.

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن 19* ؛ م. الأكراري، *روضة الأفنان*، تح. ح. أنوش، د. د. ع. الرباط 1989 ؛ ج. بيضا، *سقوط أكادير تحت الاحتلال الفرنسي وسياسة القواد الكبار في عهد ليوطي*، أعمال ندوة أكادير الكبير 1990 ؛ ع. السكرادي، *تحلية الطروس وبهجة النفوس في مناقب أعيان سوس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 3.4.16.18.19 ؛ إيليغ ؛ *خلال جزولة*، 1 ؛ *سوس العالمة* ؛ *طاقة ريحان*.

H. Dugard, *La colonne du sous 1917*, Paris, 1918 ; M. et E. Gouvion, *Kitab Aâyane Al-Maghreb Al Akça*, Alger, 1939 ; C. Justinard, *Un grand chef berbère : Le Caïd Goundafi* ; *Un petit Royaume berbère : Le Tazaroualt* ; *Le Tazerwalt et les Oulad Jerrar, A. M.*, t 23, p. 92 - 99 ; R. Montagne, *Les berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1930 ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh et l'histoire sociale de Tazerwalt*, Rabat, 1984 ; M. Ennaji, *Le Makhzen et le Sous Al-Aqsa, 1821 - 1894*, Casablanca, 1988.

حمدي أنوش

**بُوردَان**، أو بوردَام أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني كرير الغمارية، ويقول كل من الفقيه سكيرج والفقيه الرهوني إن أحد أفراد هذه الأسرة اسمه محمد قد تولى قيادة مدينة تطوان في حدود سنة 1591/1000. والغريب هو أن الفقيه داود أشار إلى ذلك دون أن ينفيه، والحالة أنه ليس هناك ما يثبت دعوى سكيرج والرهوني. وعلى كل حال فإن المؤشر الوحيد الذي يثبت وجود أسرة بوردان بتطوان هو الزنقة الموجودة بحومة العيون التي تحمل اسم الأسرة المذكورة. أما أولاد الردّام فما زال بعضهم بقرية أزغار بقبيلة بني كرير.

سكيرج، *نزهة الاخوان* ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 6 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 129 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوردَان، محمد**، قائد تطوان. إن المادة التي تقدمها المصادر التاريخية عن هذا القائد قليلة مضطربة. وهو ما جعل صورته التاريخية غير واضحة المعالم تماما. كما أن الذاكرة العامّية لا تذكره على الإطلاق بخير أو بشر.

نستخلص مما ذكره المؤرخون في صورة إشارات أن القائد محمد بوردان ولي حكم تطوان بعد القائد المشهور بلقبه القدحي "الوسخ" أو بعد القائد "الصبان" وأنه ظل قائداً على تطوان حتى وفاته. وهذا يعني أنه كان يعيش في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري (16 م)، وأن حكمه جرى في زمن الاضطرابات الكبرى التي شهدها المغرب عند تحول السلطة من الوطاسيين إلى السعديين. ولعل هذا الاضطراب السياسي أعان على طمس صورته التاريخية.

ونستشف من اسمه أنه لم يكن ينتمي إلى مجموعة العائلات التطوانية الأندلسية والفاسية التي جددت تطوان. فلعله، إذن، من "الغرباء" الذين اعتاد المخزن أن يرسلهم لحكم تطوان، أو من مهاجرى بعض القبائل الغمارية.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*.

جعفر بن الحاج السلمي

**بُوالرّوايَنْ**، أو أبوالروائن محمد بن حسين العبدلي

السهلي الشهير بالمحجوب، ولا يعلم سبب أكيد لهاته التسمية، وقد نجد التفسير فيما وصفه به محمد ابن عسكر في *دوحة الناشر* (ص. 79) "كان هذا الشيخ من عجائب الدهر، على طريق الملامتية، يتكلم بكلام فاحش، ويصبح غنيا ويمسي فقيراً... يدفع كل موجود له للضعفاء والمساكين وأحوال تعتريه على الدوام...". وقد نعته ابن زيدان في *الإتحاف* (4 : 24) بأنه "جليل القدر... جمالي الحال واسع النظر عالي الهمة حسن السمت رفيع اللباس..."

ولد بوالرواين فيما بين 900 و903 هـ، وأخذ الكثير عن شيخه الشهير محمد بن عيسى الفهدي (ت. 933) دفين مكناس "الشيخ الكامل". وتروى عنه كرامات وخوارق عادات من ذلك أنه إذا صادف أحد الأمراء وأرباب الأموال، يقول له : اشتر مني نفسك أو ولايتك بالمال، فإن فعل قال له : أنت آمن، وإن لم يفعل دعا عليه فيعزل أو يقتل، فمدينة فاس لم تفتح للسلطان محمد الشيخ السعدي إلا بعد أن دفع خمسمائة دينار التي طلبها منه بوالرواين.

كما تنبأ بمقتل الفقيه الحسن بن أحمد حرزوز وابنه حسب ما جاء في *الدوحة* (ص. 80) "وبعث يوما إلى الفقيه الخطيب أبي علي حرزوز وهو يقول : اشتر نفسك مني، فلم يكترث بكلامه، فقال أبو الرواين للرسول : ارجع إليه وقل له سيقتل ذبيحا هو وولده ويعلقان على باب دارهما في القرب" فكان الأمر كما ذكر. وكان يتصدق بكل المال الذي يقدم له على الفقراء والمساكين، ولا يمسك منه لنفسه شيئا.

ولفهم شخصية "بوالرواين" لا بد من النظر إليها ضمن عناصر الظرفية التي عاش فيها والمتميزة بشيوع مريدين من نوع جديد أمثال علي ابن أحمد الصنهاجي الدوار (ت. 947) وعبد الرحمن المجذوب (ت. 976) وغيرهما. مما يستوجب تحليلا لسنا بصدده في هذا التعريف الوجيز.

ويبدو من الاوصاف التي أضفاها عليه الذين كتبوا عنه - وهم قلة - أنه كان بسيطا عامي الفكر، فهم لم يشيروا إلى الجانب العلمي والمعرفي في حياته، ومع ذلك كان يتمتع بتقدير واحترام العامة والخاصة.

كانت وفاته بمكناس سنة 963 / 1555 ودفن على مقربة من شيخه مَحمد ابن عيسى، وقبره مزارة مشهورة.

م. ابن عسكر، *دوحة*، تح. م. حجي، ص. 79 . 81 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : 24 . 27.

رقية بلمقدم

**بورزق**، (أولاد -) تكتبها الحوليات التاريخية أولاد بورزق والنسبة إليها البورزقي، وتنطق كذلك أولاد بُورْزَگْ، كما رسمها مؤلف *مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن* (مخطوط، خ. ح) ويطلق على قسم من قبائل الشاوية. وقد ظل هذا الاسم شائع الاستعمال إلى عهد الاحتلال الفرنسي، ومن المؤلفين من استعمله أثناء حديثه عن أحوال الشاوية في القرن العشرين.

لا نعرف بالتدقيق كيف أطلق هذا الاسم، لكن يظهر أنه تبعاً لعوامل مختلفة، إدارية وجبائية، وربما عرقية كذلك، وزعت اتحادية الشاوية إلى ثلاثة أقسام :

أولاد بورزق، وأولاد بوعطية والشهاونة. والملاحظ أن القسمين الأولين مستعملان بكثرة في حين لا يرد الاسم الثالث إلا نادراً. وقد ظن المكلفون بجمع أخبار القبائل المغربية، خلال بداية الاحتلال الفرنسي، أن قبائل الشاوية كانت موزعة إلى ثلاثة أقسام، كل قسم كان يؤدي ثلث الواجبات الجبائية بالتساوي : وهو ظن غير صحيح.

فمن خلال تتبع تقسيمات قبائل الشاوية، من حيث تنظيماتها الأولية، تأكد لنا أن الشاوية - في الواقع - كانت تنقسم إلى قسمين كبيرين هما : أولاد بورزق، وأولاد بوعطية ؛ وأن هذا التقسيم كان على أساس إحصاء عدد الدواوير التي تتكون منها كل قبيلة، وانطلاقاً من عدد الخيام الدالة على عدد السكان. ويظهر أن هذا التنظيم على أساس سجل معين (ديوان)، قد حدد منذ نهاية القرن الثامن عشر.

وعلى كل حال، فخلال القرن الثالث عشر (19 م) كان اسم "أولاد بورزق" يعني نصف قبائل الشاوية، وتضم قبائل الشاوية الجنوبية الآتية : المزامزة، أولاد سعيد، گدانة، أولاد بوزيري، أولاد سيدي بنداود، ثم قبيلة زناتة المجاورة لمدينة المحمدية.

كانت هذه القبائل تمثل في مجموعها خمسين دواراً من مجموع مائة دوار وزعت إليها اتحادية الشاوية. وبما أن الدوار كان يمثل 100 خيمة، فتقدير خيام أولاد بورزق في بداية تسجيلهم في "ديوان" المخزن هو 5.000 خيمة. ولسنا في حاجة إلى التنبيه إلى أن هذا الإحصاء يبقى - في حقيقة الأمر - أمراً نظرياً في سجلات الدولة على أساسه توزع الواجبات من زكاة وأعشار، وكذلك كُلف المخزن، من سخرات ومؤن وهدايا ومساهمة في الحركات، وصيانة لحيوانات النقل ... أما واقع السكان في تطوره فيتجاوز ما في سجلات المخزن باستمرار، الأمر الذي كان يؤدي في كثير من الأحيان، إلى عدم تطابق بين ما يفرضه المخزن على مجموعة من السكان وبين قدرة هذه المجموعة التي تعرضت للنقص أو الزيادة بفعل عوامل كثيرة، طبيعية وسياسية واقتصادية ....

كان أولاد بورزق يمثلون خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 . 19 م) مجموعة قبلية قوية دخلت في صراعات دموية مع جيرانها، وآخر الصراعات المشهورة هي الحرب بين أولاد بورزق وبين قائد تامسنا عبدالخالق المعروف بگريران الحريزي. وإثر تمرّد أولاد بورزق على هذا القائد، أواخر عهد مولاي سليمان سلك خلفه مولاي عبدالرحمان (1822 . 1859)، سياسة توزيع الشاوية إلى قيادات عديدة صغيرة بدل قيادة واحدة، وهذا ما سار عليه السلطان محمد بن عبدالرحمان ثم مولاي الحسن (1873 . 1894). وهكذا أصبح أولاد بورزق موزعين سنة 1307 /1889 . 1890 على القيادات الآتية :

| القيادة | القبيلة | عددالدواوير |
|---|---|---|
| الحاج المعطي بن عبدالكبير المزامزي | المزامزة + گدامة | 13 |
| القائد السعيدي | أولاد سعيد | 13 |
| قيادة أولاد بوزيري (2 أو 3) | أولاد بوزيري | 13 3/4 • |
| القائد الداودي | أولاد سيدي بنداود | 02 1/4 |
| الزناتي | زناتة | 08 |

وتجدر الإشارة إلى أن مجموعة قبائل أولاد بورزق تمثل مجموعة اقتصادية هامة داخل قبائل الشاوية، فأرضها منبسطة خصبة جداً، وموقعها يتحكم في المواصلات الرابطة بين الدارالبيضاء والشاوية من جهة وبين الحوز عبر وادي أم الربيع. ولهذا نمت بها مراكز حضرية أهمها سطات، التي لعبت أدواراً هامة في قيادة أولاد بورزق زمن القائد الغازي، وخاصة في عهد القائد الحاج المعطي بن عبدالكبير المزامزي (1877 ـ 1908)، الذي كان السلطان يوسع نفوذه أحياناً على أولاد سعيد وأحياناً أخرى على أولاد بوزيري المجاورين لقبيلة المزامزة.

ومما ينبغي ذكره، أن أولاد بورزق، لعبوا أدواراً رئيسة في الأحداث التي عرفتها الشاوية في بداية القرن العشرين. فقد انطلقت انتفاضة الشاوية (1903 ـ 1908) من أولاد بوزيري وأولاد سعيد. وساهمت قبائل أولاد بورزق في جهاد الشاوية ضد الاحتلال الفرنسي منذ غشت 1907. إذ خاض مجاهدوها غمار المعارك حول الدارالبيضاء، وسطات وأبانو عن شجاعة واقتدار في مواجهة الغزاة الفرنسيين.

وننهي الكلام عن أولاد بورزق بالإشارة إلى أن هذه المجموعة البشرية منحت البلاد كثيراً من الفضلاء والعلماء الذين ساهموا في بناء الحضارة المغربية.

ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر*، مخطوط ؛ هـ. المعروفي، عبير *الزهور*، 1987 ؛ مجهول، *مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن*، مخطوط، خ. ح.

*Villes et Tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, t 1 et t 2.

علال الخديمي

**البورصة**، سوق عمومية تتبادل فيها القيم المنقولة، وكانت أول الأمر سوقا بالجملة لمطلق المبادلات التجارية، اشتق اسمها من اسم أسرة ڤان دير بورسن Van der Bursen الفلامنكية التي كان التجار قد تعودوا، خلال القرنين الرابع والخامس عشر، الاجتماع بمنزلها لإمضاء صفقاتهم. ولما تقدم الاقتصاد الرأسمالي وصارت الأسهم والبطرات وسندات القروض والنقود على اختلاف أصنافها بضاعة قابلة للرواج، أصبح من الضروري جعل سوق خاصة بتلك المنقولات، وكانت أول بورصة من الطراز العصري بورصة لندن المعروفة تحت اسم "السطوك اكستجانج Stock Exchange" التي انطلقت سنة 1802.

وأنشئت أول بورصة بالمغرب سنة 1929، في مدينة الدارالبيضاء، وكان ذلك بمبادرة من الأبناك الموجودة بالبلاد آنذاك، دليلا على إحكام السيطرة المالية الأجنبية على السوق المغربية، وكان اسم تلك البورصة "مكتب معاوضة القيم المنقولة"، تعرض فيها قيم مسومة أو غير مسومة بالأسواق الخارجية، ولكن المعاملات ظلت منحصرة إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، واقتضت الأوضاع مراقبة الصرف بالمغرب، فعندئذ اعترفت السلطات العمومية للمكتب بالوجود الرسمي من خلال مصادقتها على قانونه الداخلي سنة 1942. ولما تقرر إخضاع أعمال الأبناك إلى شيء من المراقبة، وذلك بمقتضى ظهير 31 مارس 1943، كان من الضروري الاهتمام بالسوق التي تتم بها مبادلة القيم، فصدر سنة 1948 ظهيران وضعا بعض الترتيبات للمكتب وحصرا اختصاصاته، فخول الشخصية المدنية والاستقلال المالي وبات اسمه الرسمي "مكتب سوم القيم المنقولة".

ولما استعاد المغرب حريته، وأعيد النظر في قانون الأبناك سنة 1967، كان من الحتمي أن يعاد النظر في بنيات المكتب، فصدر مرسوم ملكي بتاريخ 14 نونبر 1967 أرسى الاسم الحالي، وهو بورصة القيم، ثم صدرت نصوص وزارية حول الهيئات المسيرة لها وقانونها الداخلي، فهي مؤسسة عمومية ذات شخصية مدنية واستقلال مالي خاضعة لوصاية وزارة المالية، ويشرف على سيرها مجلس إداري ومدير معين بظهير. يرأس المجلس الإداري وزير المالية، وأعضاؤه تسعة يمثلون بنك المغرب، وصندوق الإيداع والتدبير، والبنك الوطني للتنمية الاقتصادية، والشركة الوطنية للأسهم، والتعاضدية المهنية للأبناك المغربية، والفدرالية المغربية لشركات التأمين، والجمعية المهنية لوسطاء البورصة، وممثلين عن فدرالية غرف التجارة والصناعة. وللمجلس أن يفوض بعض مسؤولياته للمدير، منها حصر ميزانية المؤسسة، والسهر على سيرها العام، وإخبار وزارة المالية بكل ذلك. ومدير البورصة مكلف بإدارتها اليومية، وعليه أن يحضر جلسات السوق وله أن يتدخل عند الاقتضاء، ومن مهامه تلقي طلبات الانخراط وعليه أن يفحصها، وهو الذي يشرف على نشر مجلة البورصة المحتوية لكل أخبارها.

أما تنظيم سوق القيم وسيره، فذلك من اختصاص لجنة تقنية تتكون من مدير البورصة ومن أربعة أعضاء يمثلون الشركة الوطنية للأسهم والتعاضدية المهنية للأبناك المغربية والفدرالية المغربية لشركات التأمين والجمعية المهنية لوسطاء البورصة، وهذه اللجنة هي التي تضع القانون الداخلي للبورصة وهي التي ترشد وزير المالية بشأن تعيين الوسطاء، وتراقب سيرتهم معنويا ووظيفيا، كما أنها تعلن القيم التي تدرج في جداول السوم، وتأمر بسحب تلك التي تقرر سحبها، على أن المراقبة العامة تبقى من اختصاص مندوب الحكومة الذي يحضر جلسات المجلس الإداري واللجنة التقنية.

وتقوم ميزانية البورصة على مداخيل تأتيها من واجبات التسجيل المفروضة على الصفقات، وأيضا من بيع مجلة البورصة وكراء المقصورات للزبناء ومن تسبيقات الخزينة

العمومية بل ومن إمدادات الدولة عند الاقتضاء.

ولا تتم المبادلات بالبورصة إلا على يد وسطاء معترف بهم، كما نص على ذلك قرار وزيري بتاريخ 2 أكتوبر 1969، ويجوز للوسيط أن يكون شخصا بالذات، وعندئذ لا بد أن يكون قد بلغ من العمر ثلاثين سنة واشتغل خمس سنوات على الأقل في مناصب بنكية مرموقة، هذا فضلا عن سلامته من كل سابقة جنائية داخل المغرب أو خارجه. ويمكن للوسيط أن يكون شخصا بالمعنى وعندئذ يكون إما بنكا وإما شركة سمسرة للقيم منظمة على شكل الشركات الخفية الاسم أو شركات القراض، مما لا يتعاطى سوى عمليات البورصة، ورأسمالها 50.000 درهم محررة على التمام. وعلى الوسيط في كلتا الحالتين أن يودع بالخزينة العمومية ضمانة نقدية، أو يقيم الخزينة، قدرها 40.000 درهم، وعليه أيضا أن يكون منخرطا في الجمعية المهنية لوسطاء البورصة التي يقوم نشاطها على ما يقتطع من أعمال سمسرة القيم وقدر ذلك الاقتطاع 2٪.

ولا يقبل في قائمة التسويم، إضافة إلى السندات الرسمية إلا أسهم الشركات التي تتقدم للمدير بملفات تُخبر بكل دقة عن أصحابها وقوانينها ورأسمالها وحساباتها مع التزام عرض 20٪ من أسهمها بالبورصة. وأنواع القيم المتبادلة إما أسهم شركات، وتلك أسهم متقلبة المردود، وإما سندات موجبة وهي قيم ثابتة الربح، وتكون المساومة إما مشافهة بالمزاد العلني، وإما كتابة، وتلك مساومة بالمعارضة، وهنالك أنواع أخرى من المساومة أقل شأنا مثل ما يتم "خارج السوم"، أو على هامشه إطلاقا بالنسبة للقيم التي لا محل لها في الجدول الرسمي ولا "خارج السوم" وبورصة الدارالبيضاء مازالت لا تعمل إلا بالأداء الناجز، وإن كان القانون لا يمنع الأداء إلى أجل مسمّى، لكن السوق المالية المغربية مازالت لم تصل بعدُ إلى تلك المستويات من غزارة القيم وسرعة التفويت ويُسر المواصلات التي تسمح بهذا النوع من الأداء، وهي كذلك مازالت تسمح بتفويت القيم مباشرة بين الماسكين بها، ولا يشترط لديهم إلا أن يسجلوها بسجلات البورصة، وفي ذلك دليل آخر على أن سوق القيم مازالت في أطوارها الأولى.

وكانت البورصة قد عانت من انسحاب الأموال الأجنبية غداة الاستقلال ومن عجز الرأسمال الوطني الخاص عن القيام مقامها، فتقلص نشاطها في الستينات والسبعينات، ولم يكن ذلك نتيجة ضعف الرواج المالي وحسب، وإنما كان أيضا نتيجة صرامة المراقبة الحكومية المباشرة، من جهة المشاركة في إدارة البورصة، وغير المباشرة، من جهة ثقل الضرائب على تفويت القيم المنقولة، فلقد تقرر سنة 1978 اقتطاع محسوس من مردود الأسهم من عينه، لكن الدولة أخذت تراجع سياستها المالية جملة وتفصيلا مع حلول الثمانينات، وذلك بعد أن تبين عجز الرأسمال المغربي عن مواجهة أعباء المغرب التي كانت قد تقررت لصالحه سنة 1973، جاءت القرارات الجديدة في اتجاه التخفيف من المراقبة العمومية، وفتحت السوق المغربية أمام الاستثمارات الأجنبية كلما رغبت في ذلك، وبادرت الدولة إلى ضرب المثل بنفسها حيث أحدثت الشركة الوطنية للأسهم وأعلنت عن إرادة التخلي عن عدد من المقاولات العمومية الكبرى لفائدة الرأسمال الخاص في إطار خوصصة واسعة تعنى بإنجازها وزارة أقيمت خصيصا لذلك، وتقرر من جهة أخرى، في ميزانية 1983 تخفيض واجبات التسجيل والتنبر، بما لا يقل عن 50٪، على ما يحصل من الزيادة في رأسمال الشركات المسومة أسهمها بالبورصة، فانتعشت بكل ذلك سوق القيم وبدا أن فترة الركود قد ولت، ودليل ذلك عناية الدولة بمراجعة بنيات البورصة على أساس التخفيف من مراقبتها عليها، بل وربما على أساس إلغائها وترك زبنائها يقومون بأعباء إدارتها وترك السوق لقوانينها التلقائية، وينتظر من ذلك أن يكون حافزا للجمهور على توظيف مذخراته في القيم المنقولة. ولقد ارتفع حجم القيم المتبادلة بشكل واضح في السنوات الأخيرة من الثمانينات حيث انتقل من 396،2 مليون درهم سنة 1987، إلى 653،9 م. د سنة 1988 إلى 672،5 م. د سنة 1989، لكن يلاحظ أن أغلبية تلك المبادلات كانت تدور حول السندات العمومية التي بلغ حجمها 313،2 م. د. سنة 1987، و385،1 سنة 1988، و538،1 سنة 1989. وفي ذلك إشارة أخرى إلى ضعف الرأسمال الخصوصي الوطني.

بنك المغرب، *دراسات واحصاءات*، عدد 12 نونبر 1960 ؛ *بورصة القيم، التقرير العام لسنة* 1990 ؛ *الجريدة الرسمية*، سنوات 1948 ـ 1967 ـ 1969.

M. A. Berrada, *La technique de banque et de crédit au Maroc*, Casablanca, 2ème édit., 1985.

إبراهيم بوطالب

**بُورْطُو** أو البُورْطُو أو بُورْطُ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم وهو اسم مدينة بالبرتغال Porto، ومن بين أفراد هذه الأسرة بتطوان تذكر الوثائق :

**بُورْطُو، قاسم** معلم كان حيا سنة 1721/1133. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1769/1182، وهي غير أسرة البويرطو آتية الذكر.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 320 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias*; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بورقراق**، أو بورگراگ، وبالفصحى أبو رقراق، من الأنهار الأطلنتية التي تخترق الهضبة الوسطى باتجاه عام من ج ش إلى الشمال غ. طوله 179 كلم ومساحة حوضه 10.000 كلم2، ويصل عدد سكان هذا الحوض 1،2 مليون نسمة.

ينبع من منطقة مريرت عند ارتفاع 1.100 م تقريبا وذلك

بالمنخفض الشرقي الذي يفصل بين الهضبة الوسطى والأطلس المتوسط الهضبي. ترفده في حوضه الأعلى أودية صغيرة مثل وادي تانوس، ووادي كسيكسو، وبعد عبوره المنخفض الشرقي يدخل هضبة الثلث في البلاد العليا المكونة من صخور فليشية تعود للزمن الأول مكونا خوانق متعرجة قبل وصوله إلى المنخفضات الترياسية التي يشكل فيها أحواضا متسعة مثل حوض المعازيز، ثم يتعمق من جديد داخل الحث الأولي مشكلا خوانق عميقة بحوالي 150 - 200 م، تفصلها منخفضات مهمة مكونة في طبقات الصلصال المسينية : مثل منخفض أربعاء السهول، ومنخفض سيدي محمد بن عبدالله، حيث شيد النهر عدة مصاطب نهرية ذات أتربة خصبة.

الحوض النهري لبو رقراق

يلتقي أبو رقراق مع أهم روافده وادي گرو، ووادي كريفلة قبل دخوله في آخر الخوانق التي أقيم عليها سد سيدي محمد بن عبدالله، ثم يوسع النهر مجراه من جديد ضمن الإرسابات الصلصالية مشكلا الولجة قبل وصوله إلى مصبه بين مدينتي سلا والرباط على المحيط الأطلنتي، حيث تشرف المدينتان على النهر بحوالي 50 م قبل أن يقل هذا الارتفاع تدريجيا باتجاه البحر.

يعرف صبيب بورقراق تذبذبا خلال السنة بحيث يسجل الصبيب الأدنى في الصيف بمعدل أقل من 1 م$^3$ /ثا، في حين يسجل أقصى صبيب في فصل الشتاء ويتعدى 15 م$^3$ /ثا، وخصوصا في شهر فبراير الذي يصل معدل صبيبه 41 م$^3$ /ثا ووصل إلى حالة فيضان جارفة في سنة 1978 إذ بلغ 1560 م$^3$ /ثا. أقيم على النهر سد سيدي محمد بن عبدالله الذي يبلغ طوله حوالي 340 م، ويحجز وراءه بحيرة تصل مساحتها إلى 28 كلم$^2$، تخزن ما مقداره 500 مليون م$^3$ والهدف من هذا السد هو الحد من خطر الفيضانات من جهة، وتأمين المياه الصالحة للشرب لكل المنطقة الساحلية الواقعة بين القنيطرة شمالا والجديدة جنوبا من جهة أخرى.

وبناء على الحاجيات الملحة للمياه الصالحة للشرب تقرر رفع علو السد انطلاقا من سنة 1986 لرفع القدرة التخزينية إلى 1،5 مليار م$^3$ أي بزيادة قدرها 2،6 مرة على الوضعية الحالية.

من أهم آثار جريان بورقراق قدرته الكبيرة على اقتلاع وحمل حوالي 700 ألف طن سنويا من المواد الصلبة التي تصل إلى بحيرة السد وتدل على إزالة سنوية هامة للأتربة تعتبر أساسا بيئيا هاما في حوض أبي رقراق والتي تتعرض حالياً للتدهور بسبب التراجع الذي يلحق بالغطاء النباتي والاستغلال البشري العشوائي.

*دراسة ميدانية.*

عبدالرحيم وطفة

**بورقية،** أسرة تلمسانية الأصل، استقرت أولاً بمكناس وانتقل بعض أفرادها إلى الرباط. كانوا يعرفون بأولاد ابن عبدالرحمان، ثم اشتهروا باسم جدتهم للأب الأعلى رقية، منهم :

**بورقية، أحمد،** انتقل من مكناس إلى الرباط، ووصفه صاحب *مجالس الانبساط* بالفقيه الحيسوبي المهندس العدل، كان يعلّم الحساب والهندسة في عهد السلطان المولى الحسن وبأمر منه، درس الهندسة صحبة الأمير محمد بن عبدالرحمان حيث خصص لهما السلطان المولى عبدالرحمان من يلقنهما تلك الدروس الرياضية. ومارس العدالة والتوثيق وكان منخرطا في الطريقة التجانية، ملازما للنادي الرباطي السلوي الذي كان يعقد بمنزل القاضي أحمد بناني وبأحد منازل علماء سلا. توفي بالرباط عام 1906/1324.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، 2 : 33 ؛ م. دينية، مجالس الانبساط، 267.

عبدالإله الفاسي

**بورگبة،** أسرة مراكشية أصلها من دكالة، دوار فطنسة، المعروف باسم (أيت الكفاف). وكانت هذه الأسرة محط تقدير واحترام الخاص والعام لما عرفت به من الفضل والصلاح.

ولما انتقل جدهم محمد بن المكي إلى مراكش كان يتجر مع ابنه عبد السلام في البارود والصابون البلدي، وكان من عادتهما أن ينحرا جملا في كل سنة يصنعان منه "خليعا"، وفي إحدى السنوات دبغ الجد رقبة الجمل وصنع منها وعاء (جراباً) يضع فيه ما تجمع لديه من نقود بيع البارود والصابون، فلما امتلأ حمله على عاتقه، وما أن رآه بعض المارة حتى قال مشيراً إليه بأصبعه : بورگبة، بورگبة، فعلقت هذه الكنية به وبأبنائه من بعده.

**بورگبة، محمد** بن عبد السلام بن محمد بن المكي الدكالي المراكشي، ولد بمدينة مراكش عام 1318 / 1900، وبعدما حفظ القرآن الكريم، وحذق مبادئ القراءة والكتابة،

تعلقت همته بطلب العلم، وملازمة حلقات الدرس بجامع ابن يوسف ومساجد مراكش الأخرى. ومن أبرز شيوخه الفقهاء بوشعيب الشاوي البهلولي، والحاج العربي الرحماني البربوشي، وأحمد ولد الحاج المخجوب، واليزيد الروداني.

تقلب محمد بورگبة في عدة مناصب، فعين عام 1342 / 1923 كاتباً بنظارة الأحباس الصغرى بمراكش، وقد أبان في وظيفته هذه عن كفاءة ومقدرة أهلته لأن يُعين مندوباً لوزارة الأحباس عام 1345 / 1926 لإحصاء أوقاف بني ملال ونواحيها. وفي عام 1347 / 1928، انتصب للشهادة بسماط العدول بمراكش ثم عين نائباً لقاضي محكمة المواسين الشرعية لعدة سنوات.

وفي عام 1359 / 1940 عين مراقباً للدروس بجامع ابن يوسف، ثم أصبح مراقب الدروس ونائب الرئيس ومفتش التدريس في آن واحد، فعرف كيف يضطلع بكل هذه المسؤوليات الجسام، ويقوم بها خير قيام حرصا منه على استمرارية الجامعة، والحفاظ على مستواها الثقافي الأصيل والمتين. وله *ديوان* شعر مطبوع.

وفي عام 1370 / 1950 عُين قاضياً مستشاراً في محكمة الدار البيضاء ولأسباب صحية وإدارية عاد في نفس السنة إلى مسقط رأسه لنفس الوظيفة وبقي فيها إلى أن عين وزيراً للأحباس أيام الأزمة السياسية، ومات قتيلا في الفتنة التي قامت بمراكش يوم الأربعاء 20 رمضان عام 1377 / 2 ماي 1956.

جريدة *السعادة* 9 / 2 / 1954 ؛ *روايات شفوية*.

أحمد متفكر

**بُورگعة**، أو بُورگيعة، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل جبالة، وكان من بين أفرادها سنة 1830/1246 : علي بورگعة، وهو قائد عسكري تابع لحامية تطوان.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان في أوائل هذا القرن.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 216 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البُوركي، يونس** بن قاسم الغرباوي، نسبة إلى بُورك جبل صغير بضاحية سوق أربعاء الغرب. ولد في 8 قعدة عام 1390/5 يناير 1971 وتابع دراسته الابتدائية والثانوية بالرباط. وحصل بميزة، وهو ابن سبع عشرة سنة، على 3 بكالوريات في نفس السنة : بكالوريا رياضيات بالتعليم المغربي، بكالوريا رياضيات بالتعليم الفرنسي، بكالوريا أميركية من المدرسة الأمريكية، فهيأه نبوغه وتفوقه إلى التسجيل بمعهد ماساتشوساتش للتكنولوجيا Le Massachusetts Institute Of Technology في جملة من المرشحين الممتازين من العالم أجمع. لم يكد يمضي سنتين في الدراسة بهذا المعهد حتى تمكن من إنجاز اختراعات مهمة، وأسهم ضمن مجموعة البحث التي التحق بها في اختراع قُفَّاز ليد الإنسان يمكن استعماله في أمرين : في المراقبة عن بعد لليد الميكانيكية للإنسان الآلي "الرُّوبُو" وبذلك يمكن مراقبة وتوجيه وإنجاز أعمال في عمق البحر أو القمر أو غير ذلك. وكان دور يونس البوركي في هذا المضمار وضع برنامج يصبح به القفاز ذكياً.

والثاني في الاستعمال الإداري للحاسوب التوضيحي الذي يمكّن من إصلاح المركبات الفضائية من الخارج باستعمال الطيار الفضائي أصابع يده من خلال القفاز المتطور. ويمكن أن يطبق هذا الاختراع في مجالات أخرى كالجراحة الدقيقة.

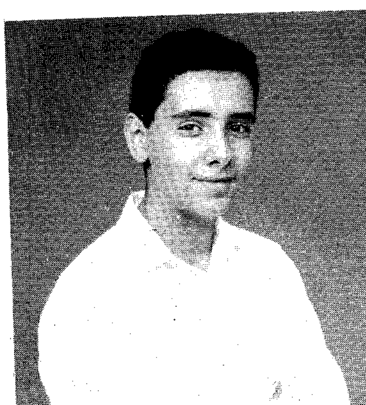

توفي يوم فاتح أكتوبر 1990 بنفس المعهد الذي يدرس فيه بالولايات المتحدة الأميركية في ظروف غامضة وعمره تسع عشرة سنة وتسعة أشهر، ونقل جثمانه إلى الرباط حيث أقبر - مأسوفا عليه - في الزاوية القادرية.

وبمناسبة ذكرى مرور سنة على وفاته أنشأ معهد ماساتشوساتش للتكنولوجيا مؤسسة لتشجيع البحث العلمي تحمل اسم الشاب المخترع المغربي : "يونس البُوركي".

تقييد الوالد قاسم البوركي، جريدة *العلم*، 31 . 10 . 1991.

*Le Matin du Sahara*, 17 - 10 - 91.

محمد حجي

**بُورگيطي**، ريكاردو، Burguetey Lana Ricardo جنرال إسباني ولد سنة 1871. وفي سنة 1891 تخرج من الأكاديمية العسكرية والتحق بالجيش برتبة ضابط صف، فشارك في

الحروب التي خاضتها إسبانيا في كل من كوبا والفلبيين حيث حصل على أعلى وسام عسكري إسباني سنة 1894، ثم شارك في الغزو الإسباني للمغرب بناحية الكرت سنة 1909، وفي شهر غشت 1911 كلف بتنظيم الحملة العسكرية التي كانت ستنطلق من الجزر الخالدات من أجل احتلال مدينة سيدي إفني، غير أن الحكومة الفرنسية حالت دون تنفيذ المشروع الإسباني.

وفي 15 يوليوز 1922 عين مقيما عاما لبلاده بالمغرب، فحاول تحرير الأسرى الإسبان الذين كانوا بيد الأمير الخطابي واتصل بالسلطان السابق مولاي عبدالحفيظ بمدينة مالقة وطلب منه أن يتوسط بينه وبين الأمير في الحصول على اتفاق في الموضوع، لكن بدون جدوى، لأن الأمير فضل أن يتفاوض في شأن الأسرى مع المثري الإسباني إسيفاريطا Echevarrieta الذي نجح في وساطته وتم إطلاق سراح الأسرى يوم 24 يناير 1923 أي بعد أن أعفي الجنرال بورگيطي من منصبه.

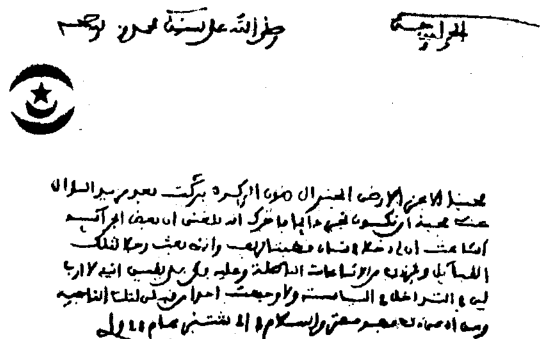

وفي نفس السنة عين بورگيطي مديراً عاما للحرس المدني Guardia Civil (الدرك) بمدريد، حيث ظل إلى أن عين سنة 1931 رئيساً للمجلس الأعلى للجيش والبحرية، وهو المنصب الذي كان يزاوله عندما ثار الجيش ضد الجمهورية الإسبانية سنة 1936، فاختار بورگيطي البقاء بجانب النظام الجمهوري وظل بمدينة بلنسية إلى أن وافته المنية بها سنة 1937.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*، 2 : 275.

*Campañas* ; 2 : 275 ; G. Martinez Campos, *España bélica, El siglo XX* (Marruecos), p. 13 - 123 - 273 - 275 - 280 - 371 ; M. Rubio Cabeza, *Diccionario de la guerra civil*, t 1, p. 142.

محمد ابن عزوز حكيم

**بورماد ← الشرادة**

**بورنازيل**، ضابط من ضباط جيش الاحتلال الفرنسي، اسمه الكامل هانري دي ليسبناس دي بورنازيل (Bournazel, Henri de Lespinasse de ...) (1933 - 1898) ينتمي إلى تلك الطبقة النبيلة الفرنسية التي وجد أبناؤها في المستعمرات ما أضحى مستحيلا عليهم في فرنسا الجمهورية، من ضرورة صرف أهوائهم الطبقية من حيث الأنانية والكبرياء وحب التباهي في القتال الذي كان في سالف العصور صناعتهم الوحيدة، شأنه في ذلك شأن العديد ممن كان له ضلع في الحماية الفرنسية بالمغرب ابتداءً من ليوطي وانتهاء ببوايه دي لاتور Boyer de La Tour، نشأ بورنازيل بإقليم كورّيز Corrèze على ما ينشأ عليه طفل نبيل من العيش الرغيد في البادية، يتعاطى الرياضات العسكرية مثل السباحة وركوب الخيل، ويتسلى بقصص المعارك والحروب التي كانت تحكى له عن أخواله وأعمامه الذين كان جلهم من ضباط الجيش الفرنسي، وكانت ثقافتهم منحصرة في الثقافة الدينية القائمة على التعصب الشديد للكنيسة الكاثوليكية، فلم يتأهل الطفل لغير مهنة القتال، وأبى إلا أن ينزل ميدان المعارك في الشهور الأخيرة من الحرب العالمية الأولى، ولما وضعت الحرب أوزارها التحق بمدرسة سان سير Saint-Cyr العسكرية فتخرج منها ضابط صف، فصار يبحث عن ميادين "رياضته" المفضلة، يعني الحرب في قوله، فاجتذبه المغرب الذي كانت أشواط تلك الرياضة مازالت تدور بجميع جهاته، وعين ببعض فرق الخيّالة الصبايحية المقاتلة بالمغرب، فتخصص من توّه في قيادة فرقة المرتزقة المغاربيين والگوم والمخازنية يسوقهم إلى القتال في طلائع جيش الاحتلال، فشارك في جميع المعارك التي دارت في "بقعة تازة"، سواء في جنوبها لدى أيت سغروشن ومرموشة حول جبل تيشوكت وقيادة المجاهد سيدي رحو، أو شمالها لدى البرانيس وبني زروال وگزناية وبني ورْياغل حول قمم الريف الشرقي وقيادة المجاهد محمد بن عبدالكريم الريفي، ومرّ هكذا من تهالة ومطماطة ومديونة وتازوطة والمرس ودار القائد المدبوح وبورد، وتجلت مواهبه القتالية، الموروثة عن طبقته والقائمة على حب الأمجاد العسكرية، في معركة المرس سنة 1923، وفي معارك الريف سنتي 1924 و1925، حيث اشتهر بلقب "بوفيسطا حمرا"، نسبة إلى رداء الصبايحية الأحمر القاني، وقيل إن المجاهدين الريفيين جعلوا مكافأة مالية لمن يتمكن من شخصه حيا أو ميتاً، ولكن بورنازيل خرج سليما من معارك الريف، وكانت "الرياضة" مع ذلك قد نالت من أعصابه، ففضل العودة إلى

فرنسا سنة 1926 فأقام بثكنة باريس، ثم كان مساعداً للولي العسكري باستراسبورغ Strasbourg وتزوج سنة 1927، ثم عاد إلى باريس كملحق بأركان الحرب، لكن تلك الحياة العسكرية الرتيبة في مناصب الامتثال التام كات تمسُّ بكبريائه وحبه لقيادة الأبطال في الأوعار، فسئمها وطالب بالعودةُ إلى المغرب الذي كانت "الرياضة" مازالت جارية به سنة 1931، وكان الجيش الاستعماري يستعد لاقتحام آخر معاقل المقاومة المغربية المتمسكة بالواجهة الجنوبية للأطلس الكبير انطلاقا من تافلالت إلى الساقية الحمراء، وعُيِّن بورنازيل في فرق الصبايحية ببوذنيب التي كانت في نطاق قيادة الجنرال جيرو Giraud قائد التخوم الجزائرية المغربية، فشارك في العمليات التي اضطرت المجاهد بلقاسم النگادي إلى إخلاء تافيلالت، وعلى إثرها عين في هيئة ضباط الشؤون الأهلية "حاكما" للرصاني، وهناك استقبل المقيم العام لوسيان سان Lucien Saint استقبالا رسميا في يناير 1932 احتفاء بدخول تافيلالت في طاعة الحماية، وأحيى في مقاطعته شيئا مما كان محروما منه في فرنسا من تسخير البشر لإرادته وتجديد العهد بالروح الفيودالية فحاول أن يقلِّد بالريصاني ما كان أستاذه ليوطي قد رامه بباقي المغرب من العناية بشؤون المعمار الرسمي الفاخر، ولكن حب القتال كان يسيطر لديه على حب التعمير ولذلك استأذن الجنرال جيرو للمشاركة في معارك جبل صغرو فأذن له وهناك ألهب حماسه بما أظهره مجاهدو حمو ويسام من الاستبسال فكان يحاول اقتحام معاقلهم مرتدياً برنسا أحمر على سبيل التحدي والرياء فلم يخطئوه يوم 28 فبراير 1933 فبات من أبطال "التهدئة" وأطلق اسمه على ثكنة بالدارالبيضاء توجد بطريق الخروج إلى الگارة.

R. Bidwell, *French administration of tribal areas 1912 - 1956*, London, 1973 ; H. Bordeaux, *Henry de Bournazel*, Paris, 1935 ; M. Durosoy, *Lyautey mon général*, Paris, 1956 ; J. D'Esme, *Bournazel l'homme rouge*, 1952.

إبراهيم بوطالب

**بورنيت**، Bornite : كبريت الحديد والنحاس $Cu_5FeS_4$، نظامه البلوري تكعيبي، صلابته 3، كثافته 4،9 - 5،3 ؛ يظهر على شكل كتل متراصة، لونه أسمر بنفسجي، مع قزح زرقاء، حمراء نحاسية إلى برونزية أو بنفسجية كلون حلق الحمام.

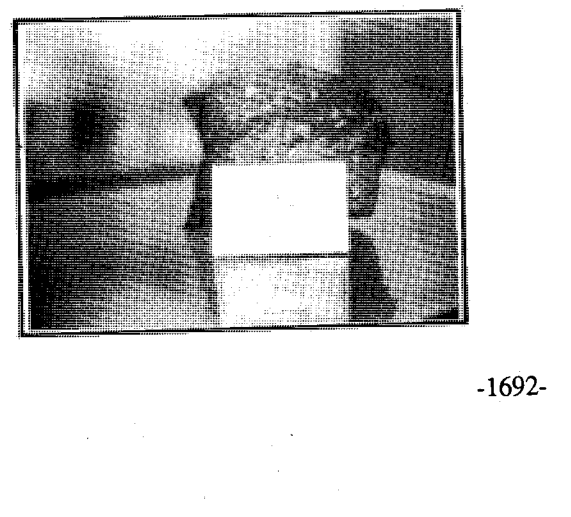

يعتبر البورنيت أهم معدن للنحاس، ونجده خصوصاً في المكامن الحرمائية والصخور الصهيرية.

يستعمل ركاز النحاس في الصناعات المعدنية، وتلوين الخزف، والصناعات الكهربائية وكذا كحَافِزٍ للأشعة السينية.

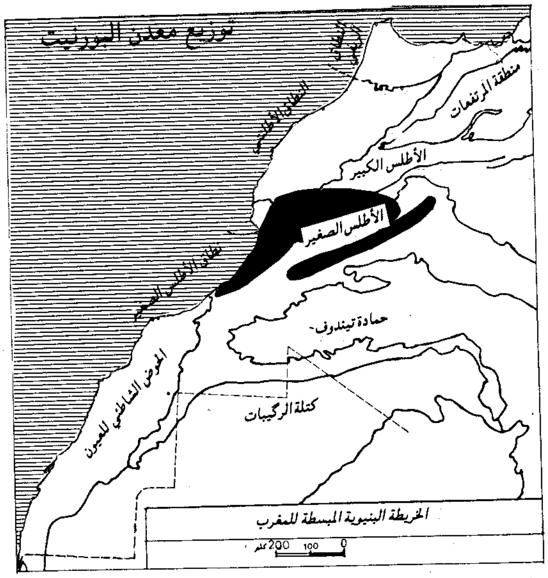


نجد البورنيت بالمغرب، في الأطلس الصغير على الخصوص وكذلك في الأطلس الكبير الغربي.

يعتبر البورنيت إلى جانب الكالكوبيريت ومعدن النحاس الخام من أهم مصادر النحاس بالمغرب. ففي سنة 1976 أنتج المغرب 16.380 طناً صدرت للخارج. ولقد وصلت هذه الكمية من الإنتاج والتصدير سنة 1987 إلى ما يزيد على 29.000 طنا من النحاس.

عبدالله بوصحابة

**البوري**، أسرة شهيرة أصلها من بلاد درعة وراء الأطلس الكبير. وربما كان أول من انتقل منهم إلى فاس هو الفقيه محمد التهامي البوري آتي الترجمة. وهناك بوريون آخرون في تطوان لا يُدرى إن جاؤوا إليها مباشرة من درعة، أو انتقلوا إليها من فاس. وجلّ البوريين التطوانيين كانوا يحترفون الدباغة، ومنهم فقهاء وأساتذة، أمثال الفقيه الهاشمي بن أحمد البوري الذي كان على قيد الحياة عام 1296 / 1879، والفقيه عبد النبي بن محمد البوري الذي كان له كتّاب قرآني بالقرب من سيدي ناجي بحومة العيون سنة 1301 / 1884، والفقيه التهامي بن المكي البوري الذي كان يشتغل بالعدالة سنة 1309 / 1892، والفقيه رشيد بن علال البوري المتوفى سنة 1319 / 1901. ومازالت هذه الأسرة بكل من تطوان وفاس، وانتقل بعضهم إلى الرباط والدار البيضاء.

Cagigas, *Familias* B ; *Vademecum*, 1931 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البوري، محمد التهامي** بن محمد المدعو بلسان قومه حمّو، ولد ونشأ بدرعة وانتقل إلى فاس فدرس بها على الشيخ الطيب ابن كيران ومن في طبقته، وأصبح فقيها كبيراً شهيراً، يحضر دروسه بالقرويين أعيان الطلبة ونجباؤهم. ثم أُسند إليه قضاء مدينة مكناس فكان يدرّس بها ويخطب بجامعها الأعظم، وحُمدت سيرته، ثم أُسند إليه قضاء مدينة صفرو. قال في حقه صاحب معجم *المطبوعات المغربية* : "الفقيه العلامة المشارك، المتضلع النحرير الفاضل الناسك، المدرس النفاع، المحرر الضابط الحجة المحقق الخطيب المصقع البليغ القاضي الأعدل".

اشتهر شرحه لأرجوزة *شيخه الطيب ابن كيران في الاستعارة*، وطبع على الحجر بفاس مراراً، وكان من الكتب المعتمدة في التدريس بالقرويين إلى ما قبيل الاستقلال.

توفي بفاس عام 1243/1827، ودفن بروضة العلماء بالقباب.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 7 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 107 ؛ ع. كحالة، *معجم المؤلفين*، 3 : 94 ؛ ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1243 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 49.

محمد حجي

**بوري**، عبدالرحمان (الحاج ـ) Buret، فرنسي عالم بالترجمة. أسلم وحسن إسلامه واستقر بمدينة سلا وتزوج مسلمة شريفة وارتدى اللباس المغربي وحج مرتين. اختلط بالأوساط العلمية ودرس بالقرويين. له بعض الدراسات عن الأدب المغربي الشعبي نشرت بالفرنسية، *وترجمة كتاب الحكم* لابن عطاء الله الاسكندري، نشرت الترجمة الفرنسية مع النص العربي بالرباط، سنة 1992. وكان أستاذاً بمعهد الدراسات العليا المغربية بالرباط. ومات بسلا سنة 1380/1960.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، 2 : 338 ؛ *كشاف المراجع البيبليوغرافية عن فاس*، 34 ـ 35.

مصطفى بوشعراء

**البوري**، جنس أسماك عظمية من فصيلة البوري أو البياح Mugilidae طويلة الجسم، الرأس عريض وأفطح، الفم قابل للمد، بالمنخر فتحتان في كل جانب، الأسنان قليلة إلى منعدمة. الزعنفتان الظهريتان متباعدتان، تتكون الأولى من أشواك حادة والثانية مواجهة للشرجية. الحراشف كبيرة ودائرية.

البوري هو الاسم الشائع في أنحاء المغرب ويسمى أيضا البوري في المغرب العربي وفي الشرق ويعرف كذلك بالبَيَاح في مصر والعراق.

يعيش في السواحل المغربية ثمانية أنواع نذكر منها :

ـ بوري غليظ الشفتين Mugil chela = Chelon labrosus ظهره وجوانبه رمادية زرقاء، البطن فضي مذهب. يبلغ طوله 40 سم على الأكثر. تلد الأنثى بيضها وسط البحار وتصعد الصغار غالبا في فصل الصيف الأنهار والبحيرات المالحة لتبحث عن الأكل.

إنه سمك شائع في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ما بين الرأس الأخضر والدول الاسكندناڤية ونادر في البحر الأسود.

ـ بوري الحشو Mugil capito = Liza ramada، الظهر رمادي مخضر، الجوانب فضية، يصل طوله إلى 70 سم. يلد البيض في البحر وتقضي الصغار مدة طويلة في الأنهار والبحيرات المالحة. شائع في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي منذ الدول الاسكندافية إلى المغرب.

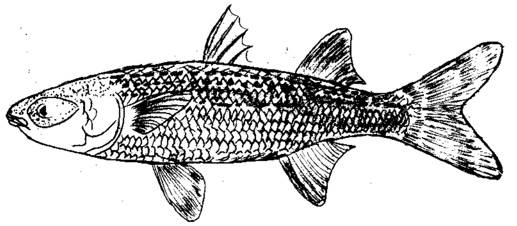

ـ بوري عريض الرأس Mugil cephalus أكبر أنواع البوري (4 كلغ و1,20 متر من الطول)، الظهر رمادي أزرق مخضر، البطن والجوانب فضية لامعة، الزعانف رمادية وتكون البطنية أحيانا صفراء. شائع جداً في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد ويسبح عادة غير بعيد عن سطح البحر. يتوالد وسط البحار ويبحث عن أكله في الأنهار والبحيرات الشاطئية (بحيرة مولاي بوسلهام وبوعرگ).

ـ بوري مذهب Mugil auratus = Liza aurata : الظهر رمادي بني، الجوانب والبطن فضية مذهبة، الزعانف البطنية أصغر من الصدرية. لا يتعدى طوله 45 سم. شائع في البحر الأسود والبحر المتوسط والمحيط الأطلسي، يعيش في جميع الأنهار والبحيرات الشاطئية المغربية.

ـ بوري نطاط Liza saliens رمادي أو بني، البطن والجوانب فضية لامعة، لا يتعدى طوله 40 سم، يتوالد في البحار ويصعد الأنهار والبحيرات الشاطئية ليبحث عن الأكل، شائع في البحر الأسود والبحر المتوسط والمحيط الأطلسي.

يعيش البوري غير بعيد عن سطح البحر ولا يبتعد عن السواحل. يبحث عن أكله المكون من الطحالب والقشريات الصغيرة، في أعماق الأنهار والبحيرات وكثيرا ما يقوم بقفزات على وجه الماء أثناء تنقلاته.

يتم صيده قرب الموانئ ومصب الأنهار بواسطة الشباك أثناء فترة المد. لحومه بيضاء دسمة، جيدة المذاق. شائع في أسواق الأسماك المغربية.

P. C. Beaubrun, *Catalogue raisonné des poissons des mers marocaines* (3ème partie), *Ordre des Mugiliformes, Bull. Inst. Pêches Marit.*, N° 23, 1978 ; G. Gianchi, *Guide des ressources halieutique de l'Atlantique marocaine*, F. A. O.

محمد رمضاني

** تشير المصادر التاريخية للعصر الوسيط إلى وجود البوري بالمغرب. أشار إليه صاحب *الاستبصار*، (ص. 184)، عندما تحدث عن نهر سبو في العهد الموحدي فقال :

"...ويدخل في هذا الوادي الحوت الكثير، ويتصيد في بعض الأحيان البوري الكبير...".

والواضح من كلام المؤلف أن هذا النوع من البوري لا يكون في النهر باستمرار إنما يأتيه من خارجه أي من البحر. ويحدث ابن أبي زرع الذي أتى بعد صاحب *الاستبصار* بأزيد من قرن ونصف من الزمن عن وجود البوري في وادي فاس قائلا : "ويخرج فيه أيضاً أنواع من الحوت من اللبيس والبوري ..."(*القرطاس*، 35. 36) أي أن البوري قد يتجاوز في صعوده من البحر إلى النهر، وادي سبو فيصل إلى وادي فاس، نفس الإشارة نقلها صاحب *جنى زهرة الآس* (35) عن ابن أبي زرع.

نوع البوري الذي تحدث عنه صاحب *الاستبصار* كبير، مما يعني أنه حديث العهد بالصعود في المياه الحلوة قادماً من البحر، ويفهم ذلك أيضا من ثمن بيعه فهو سعر مرتفع بالمقارنة مع أنواع أخرى، قال صاحب *الاستبصار* (184) "...وذكر الثقات أنه بيع واحد بثلاثة عشر درهماً، ورطل كبير منه بدرهم ونصف..." وبعملية حسابية بسيطة نعرف أن وزن البوري المباع يتجاوز ثمانية أرطال ونصف رطل أي حوالي 5 كلغ ونادراً ما يوجد اليوم في المياه العذبة بوري بهذا الحجم (*La pêche au Maroc*).

البوري اليوم من الأسماك التي ليس عليها إقبال كبير خاصة منه البوري البحري، لأنه من الأسماك الساحلية الصخرية، وبسبب تلوث السواحل فإن به رائحة غير مقبولة، بينما البوري النهري خال منها والإقبال عليه أكثر. بقي أن نشير إلى أن البوري النهري وحتى البحري سهل الاصطياد لأنه ساذج ولا يتأنف في اختيار قوته، حتى إن المبتدئين في الصيد عادة ما يشجعهم البوري على المضي في عملية الصيد، والمصادر الوسيطية ترد بها إشارات كثيرة عن أخذ الحوت وصيده باليد المجردة أو بوسائل بدائية كالأحجار أو الحبال (*التشوف*، 162. 415) من ذلك ما رواه وشاهده الحسن الوزان (*وصف إفريقيا*، 127) في بحيرة الجبل الأخضر، ولما ذهب ملك فاس محمد الشيخ الوطاسي إلى دكالة أقام بجوار هذه البحيرة ثمانية أيام وكلف بعض الناس بالصيد، فشاهدت الطريقة التي استعملوها في ذلك وهي أنهم خاطوا أعناق بعض القمصان ووتروا أسفلها بقضبان ثم أنزلوها إلى أسفل البحيرة وبهذه الطريقة أخذوا كثيراً من السمك ..." سمك أغلبه من البوري.

مجهول، *الاستبصار* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس* ؛ ع. الجزنائي، *جني زهرة الآس* ؛ ابن رزين، *فضالة الخوان* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*.

محمد حجاج الطويل

**بوريالة، الحسين** (أو أبوريال) مجاهد من أيت إمور شارك في حرب تطوان سنة 1860/1276 ويبدو أن شجاعته النادرة وأعماله البطولية جعلته يتبوأ درجة بطل تلك الحرب. بدليل أنه المجاهد الوحيد الذي سجلت كتب التاريخ أعماله.

يقول عنه الناصري في *الاستقصا* (4 :215) "أبدأ وأعاد وأتى بما لم يسمع إلا في زمان الصحابة رضي الله عنهم. حكى من حضر وتواتر عنه أنه كان معلماً براية صفراء وكان يضمها إلى صدره ويسددها نحو العدو ثم يحمل على صفهم فيخرقه حتى يأتي من خلفه ويفتك فيهم أشد الفتك ثم يعود ويستلب خيل العدو ويقودها بأرسانها ويأتي بها حتى يدفعها لمن بإزائه، وكان إذا تقدم نحو العدو يقول لمن حوله تقدموا فأنا درقتكم وأنا سوركم، تكرر ذلك منه المرة بعد المرة".

كما يقول عن مشاركته في معركة يوم 29 جمادى الثانية 1276 /23 يناير 1860 : "أبدأ أبو ريالة وأعاد في هذا اليوم، هلك تحته فرسان وأرسل له المولى العباس فرسه وكان يعتني به وينوه بقدره ويبعث الطبل يقرع على خبائه، وأصابته في هذا اليوم جراحة خفيفة".

ولا شك أن بوريالة هو الذي أشاد به الصحفي الإسباني مانويل مونيديرو Manuel Monedero الذي رافق الجيش الإسباني أثناء الحرب قائلا عن معركة اليوم المذكور آنفاً : "كنا نرى في هذا اليوم يتقدم الفرسان المغاربة ذلك الفارس الذي رأيناه في مقدمة إخوانه في المعارك السابقة يحمل راية صفراء ويبرهن على أنه لا يهاب الموت".

أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 215 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 4 : 193. 194.

M. Monedero, *La guerra de Africa* (MS. propiedad del general Melis de Clareria, Madrid).

محمد ابن عزوز حكيم

**بُوريقي**، سهل يوجد بقبيلة نكنافة في حاحة على بعد حوالي 45 كلم جنوب شرق مدينة الصويرة، اشتهر لدى المؤرخين وسكان المنطقة بمعسكر المولى الحسن الذي بعثه والده السلطان محمد بن عبدالرحمن ومعه جند كثيف سنة 1871/1288 لتسوية النزاعات القائمة بين قبائل حاحة ومتوگة بعدما انهزمت محلة حاحة أمام متوگة، وقتل محمد ابن سعيد : خليفة القائد محمد أمعذور ولد الحاج عبدالله أُبيهي ومحمد بن بلة، وعلي القاضي ومن

ضارعهم من وجوه القبيلة، وكانت النتيجة خراب أزغار (قصبة ولد بيهي) على يد سكان متُوكَّة (الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 101)، ومن آثاره الباقية في بوريقى سور يدعى سور مولاي الحسن، وهو عبارة عن ثلاثة جدران يبلغ ارتفاعها حوالي متر واحد ونصف، تحيط بساحة مربعة على الواجهات الثلاث ما عدا الواجهة الرابعة الموالية لنهر أيت واضيل فقد تُركت بدون جدار، كأن النهر بمثابة الجدار الرابع.

وقد بُني هذا السور بمثابة سياج حول خيام الحرس المرافق للأمير مولاي الحسن. وقد استمرت إقامة الأمير المولى الحسن بفُسطاطه المذكور حول وادي أيْت واضيل في بوريقي إلى أن وصلته أخبار وفاة والده السلطان محمد بن عبدالرحمان يوم الخميس 18 رجب عام 1290 / 11 شتنبر 1873، فوافته البيعة العامة وأصبح ملكا على المغرب باسم المولى الحسن الأول، فقدم مراكش في السابع والعشرين من رجب سنة تسعين ومائتين وألف.

م. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 128 ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 101 ؛ *تحريات ميدانية*.

محند أيت الحاج

**بوريل**، أنطوان .Burel A، ضابط فرنسي، ولد حوالي سنة 1773. وكلف سنة 1808 بحمل رسالة نابوليون الأول إلى السلطان المولى سليمان بقصد استجلابه إلى جانب فرنسا ضد انجلترا أثناء الحصار الذي كان يضربه الأمبراطور الفرنسي على أعدائه بأروبا، وكذلك بقصد أن يلتقط المعلومات عن الحالة بالمغرب.

وصل بوريل إلى طنجة قادماً من مدريد يوم فاتح ربيع الثاني عام 1223 / 27 ماي 1808، وبعد أيام اتجه صحبة قنصل فرنسا بها أورنانو Ornano نحو فاس ووصل إليها يوم 18 غشت فاستقبله السلطان وتلقى منه رسالة الأمبراطور. ثم أتم المذاكرة مع مولاي عبدالسلام شقيق السلطان فذكر له أن فرنسا ترغب من المغرب أن يكون في صفها ضد أعدائها. لكن السلطان لم يجبه إلى طلبه وأمر السفير بوريل والقنصل بمغادرة فاس فوراً إلى طنجة التي ركب منها يوم 27 فبراير 1809.

أما المعلومات عن المغرب والجيش فقد ضمنها في مذكراته. فقدر عدد سكان المغرب بنحو أحد عشر مليونا، ووصف التحصينات والمسالك والأودية، وقدم كل ذلك إلى نابلويون في 69 صفحة خلال شهر أبريل 1810.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1521 - 1522.

J. Caillé, *La Mission du capitaine Burel au Maroc*.

مصطفى بوشعراء

**بوزاگلو، داود**، Bouzaglo، يهودي من مواليد الدار البيضاء توفي بحيفا عام 1975. مداح له باع طويل وخبرة واسعة بموسيقى الآلة وبالأناشيد الدينية التي ترتل في البيَع. كان ضريراً ولكن حالته لم تمنعه من تكوين جماعة من المواهب الفتية الذين واصلوا عمله الأصيل خصوصا بالدار البيضاء حيث أمسوا يحيون الاحتفالات الدينية ولا سيما منها ما يسمى "البقاشة" وهي نوع من الأشعار الدينية التي ينشدها أصحابها على أسلوب معين عند طلوع الفجر، وأهم ديوان معروف بالمغرب لهذه الأناشيد هو ما يسمى *شيريديدوت*.

D. Benbarrakh, *Poésie Juive*, p. 249 - 288 - 298.

**بوزاگلو دوپّاز** يوسف، de Paz, Yosef، كان يمارس التجارة ويقوم مقام المترجم لدى المخزن في عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله، وقام بدور هام في العلاقات المغربية - الدانماركية، وإليه يرجع أمر تأسيس شركة تجارية دانماركية بالمغرب سنة 1749، وقد وصفه بالمغامر كل من لاريدو وطوليدانو. ألقي عليه القبض ذات يوم وأودع السجن، ثم بعد تسريحه، دخل سلك المترجمين للغة الفرنسية في البلاط المغربي.

H. de Castrie, *Le Danemark et le Maroc*, *Hesp*, 1926.

**بوزاگلو، شلوم**، قبالي ولد بمراكش خلال القرن الثامن عشر، وتتلمذ على شيوخ متضلعين في القبالة، مثل أبراهام أزولاي ويعقوب بينتو ويشعيه هكوهن. هاجر إلى فلسطين ومنها ذهب إلى أوربا في مهمة جمع الأموال والتبرعات لفائدة اليهود، وبهذه المناسبة أقام مدة طويلة بلندرة. ألف كتبا عرض فيها ما تلقاه من آراء ودروس عن شيوخه، وهي تشكل شروحا لكتاب زُهَر : *هكداش مليخ* (حرم الملك) أمستردام، 1750 في خمسة أجزاء، بريزميل، 1880، أعيد طبعه ست مرات، ثم *هدرة مليخ* (عظمة الملك)، أمستردام 1766، لندرة عام 1770، *كيس مليخ* (عرش الملك)، أمستردام عام 1769، لوف 1860، *هوض مليخ* (جلالة الملك)، لندرة، بدون تاريخ. *بيرُوس عال تِقُّونْ رب شمعون بن يوحاي*، أمستردام 1774، وهو الذي سار الناس على نهج الاعتقاد بأنه مرتبط بكتاب زُهَر وهو القاعدة التي تعتمدها القبالة.

في هذه الأثناء تم اكتشاف التلقيح ضد الجذري بأوربا، فذهب الربيون يناقشون حليتها أو حرمتها حسب ما تمليه الشريعة الموسوية في مثل هذه الحالات فكان شلوم بوزاگلوا من المؤيدين لاستعمال ذلك التلقيح.

**بُوزاكْلو، مردخاي**، قبالي أصله من درعة، عاش خلال القرن السادس عشر، وحسب الأخبار المتواترة، فإنه قد يكون رأى النبي إلياس في المنام، وربما ذهب إلى الصفد لدراسة القبالة والتبحر في التفسير الباطني للتوراة على الربي والشيخ القبالي حييم فيتال، ويقال إنه هو الذي ألف الكتاب رقم 921 الذي تحتوي عليه لائحة مخطوطات أوهيل داود الموجودة بخزانة ساسون، كما ينسب إليه مخطوط ضاع، عنوانه : *معنيوت هاحخمة* (منابع الحكمة) الذي يذهب حييم الزعفراني إلى القول في شأنه : "إن القباليين قد يكونون أتلفوه قصداً حتى لا يطلع أحد على أبواب الأسرار التي فتحها المؤلف وهي أسرار محرم معرفتها على الجمهور".

تشير بعض المصادر إلى "رب مردخاي الدرعي" مؤلف *معنيوت هاحخمة*. الكتاب المفقود ولا تزيد شيئا على هذه الإشارة.

يذكر لاريدو في كتابه عن *أسماء اليهود* (ص 198)، ربيين آخرين يحملون لقب بوزاگلو منهم : شلومو، بفاس عام 1526 وموشي بسلا خلال القرن السابع عشر، وأبرهام بمراكش، القرنان 16 و17، وموشي آخر، القرنان 17 و18، وفي هذا العهد كذلك، شلومو بن يهودا بفاس.

H. Zafrani, *Kabbale* ; Y. M. Toledano, *Ner Hama`arab* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs*.

سيمون ليفي

**بوزاليم، محمد** بن مبارك بن الشيخ علي الباعمراني، يلتقي مع عائلة آل الشيخ همو الخلفيين في الجد التاسع باها. عاش هذا الأخير حتى سنة 940 / 1533، وتسلسلت في هذه العائلة شخصيات كثيرة في ميدان تدريس الروايات والقضاء بين الناس وقيادة القبيلة منذ قرون ولديهم ظهائر سلطانية كل في ميدانه.

ولد الشيخ محمد بوزاليم حوالي عام 1280 / 1863 وحفظ القرآن واشتغل بالفلاحة والتجارة، ثم قرَّب إليه العلماء الكبار من التّدراريّين، وكوّن لنفسه قافلة من الجمال تربط ما بين الصحراء المغربية حتى مدينة الصويرة ومراكش، مروراً بمدينة تيزنيت، وصاحَبَ باشا تيزنيت ابن دحان والحاحيين، وكان الحصار يضرب على تلك الجهات ماعدا القافلة التجارية لبوزاليم، وخاصة عندما بدأ الأوربيون يظهرون في تلك الشواطئ، كما أن الحملتين المرسلتين لاحتلال أيت باعمران سنة 1335 / 1917 فشلتا، إذ قضى نهائيا على حملة الباشا حيدا بن مِّيْس وحلت الخسائر بحملة الجنرال دولاموط De Lamothe فلم يكن في وسع السلطة المركزية إلا أن تبحث عمن يمد خيطها إلى تلك النواحي، فكان الشيخ محمد بوزاليم هو ذلك الرجل. لذلك أمدته الحكومة بالمال والسلاح، تارة مباشرة عن طريق قافلته التجارية، ومرة أخرى عن طريق القائد الجراري، ووعدته بأن تعينه قائدا على مشارف الصحراء، إذا استطاع أن يضم أيت باعمران إلى الحماية الفرنسية، ومعه في ذلك الاتجاه الشيخ سعيد الخمسي لكن من طرف خفي، إلا أن أيت باعمران رفضوا قبول حكم فرنسا، وعلى رأسهم عائلة إدّ الشيخ همّو.

استطاع الشيخ محمد بوزاليم أن يقسم أيت باعمران إلى قسمين، قسم يدعو للانضمام إلى الحماية الفرنسية، وقسم يرفضها، فأدى ذلك إلى حروب قبلية ذهب ضحيتها شجعان وأموال هدراً، وشاع أن ذلك كله من تخطيط الجنرال دولاموط. وكانت المراسلات نشيطة بين باشا تيزنيت وبين بوزاليم، وكلمة بوزاليم لدى سلطات الحماية بسوس بمثابة جواز سفر، وكان له طابع يختم به مراسلاته، ونجحت فرنسا فعلا في تقسيم أيت باعمران، وبالتالي انهار اقتصاد المنطقة بذلك الحصار، ثم ساهم الجفاف الخطير في تعميق الأزمة ما بين سنوات 1340 و1345 هـ فانتشرت المجاعة، ولم يبق لفرنسا إلاّ أن ترسل حملة عسكرية لتحتل أيت باعمران. لكن حدث أن توفي الشيخ محمد بوزاليم سنة 1342 / 23 ـ 1924 فتولى مكانه أخوه محند الذي قتل بعد سنتين، فاجتمعت المشيخة كلها في عائلة بني الشيخ همّو، وتغير المناخ وانتعشت البلاد، وتوحدت القبائل من جديد ضد فرنسا.

في هذا الوقت بدأت حكومة الحماية تستكمل غزوها للأطلس الصغير، في حين شرعت إسبانيا في ربط علاقاتها بشكل مكثف مع أعيان أيت باعمران. وفي 21 ذي الحجة عام 1352 / 6 أبريل 1934 م، قدم الكولونيل كبّاص من تطوان بحراً ونزل بشاطئ سيدي إفني، ثم أنزلت إسبانيا قواتها في المراكز المخزنية القديمة، ومنها دار الشيخ بوزاليم حيث بنيت تكنة تغْزَى، وشاءت الأقدار أن يكون هجوم جيش التحرير في الخمسينات من دار الشيخ بوزاليم لطرد الإسبان وانضمام أيت باعمران إلى المملكة المغربية المستقلة.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط.

الحسين جهادي

**البُوزْراتي**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني بوزرة الغمارية، وكان من بين أفرادها :

**البُوزْراتي، عبدالله** بن محمد، فقيه زاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1842/1258 إلى سنة 1844/1260، وكان في نفس الوقت يعلم القرآن الكريم بكُتّابه الواقع بالساقية الفوقية. وقد توفي بمصر عقب رجوعه من الحج سنة 1851/1268، وقد حلّ محلّه في خطة العدالة وفي تسيير الكتاب ابنه :

**البوزراتي محمد**، المتوفى سنة 1886/1303.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 219 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 251 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البُوزراتيّة**، لهجة بني بُوزْرة.الرأي السائد هو أن اللهجة البربرية الريفية هي التي يتكلم بها سكان جميع قبائل الريف في نواحيها الجغرافية الثلاث : الريف والكرت وصنهاجة، مع أنه توجد في هذه النواحي الثلاث قبائل أو فرق أو مداشر يجهل سكانها اللهجة الريفية أو يعرفونها ولكنهم لا يتكلمون بها أو يستعملونها مزدوجة مع اللهجة العربية الدارجة.

ولا غرابة في ذلك لأنه ممّا لا شك فيه أن اللهجة الريفية كانت هي السائدة في جميع قبائل الشمال وخاصة في قبائل غمارة المجاورة للريف التي أصبح سكانها يستبدلون باللهجة الريفية اللهجة العربية الدارجة ؛ ولا أدل على ذلك من وجود قبيلتين من قبائل غمارة مازالت بعض فرقها أو مداشرها تتكلم لهجة بربرية شبيهة باللهجة

الصنهاجية الحالية، وتعرف هذه اللهجة بالشلحة البوزراتية نسبة لقبيلة بني بوزرة الغمارية التي نجد ثلاثة أرباع سكانها يتكلمون بها، ويتعلق الأمر بالفرق الثلاث التالية:

- فرقة تاندمان بمداشرها الأربعة.
- فرقة الوسطيين بمداشرها السبعة.
- فرقة بني موسى بمداشرها الخمسة عشر.

وأما الفرقة الرابعة من قبيلة بني بوزرة وهي فرقة بني مانسلمان بمداشرها الأحد عشر فسكانها يتكلمون باللهجة العربية الدارجة.

ونجد فرقة واحدة من قبيلة بني منصور المجاورة لقبيلة بني بوزرة يتكلم سكانها بالشلحة البوزراتية، ويتعلق الأمر بفرقة بني عروس التي تتكون من المداشر التالية : تاگّنزا، توارت المرابطين، أغل عازب، أجعادان، بني عفارة، إيسوكا، تازمورت، تجگان، إيطروهاش، بوسف، إحافدانا.

وأما سكان الفرق الخمس الأخرى من نفس القبيلة المنصورية فإنهم يتكلمون باللهجة العربية الدارجة.

وهكذا نجد بقبيلة بني بوزرة ستة وعشرين مدشرا يتكلم سكانها الشلحة البوزراتية وأحد عشر مدشرا فقط يتكلمون باللهجة العربية الدارجة ؛ في حين نجد بقبيلة بني منصور ستة وعشرين مدشرا يتكلم سكانها العربية الدارجة وأحد عشر مدشرا فقط يتكلمون بالشلحة البوزراتية.

والدليل على أن الشلحة البوزراتية تسير في طريق الانقراض أنه في العشرينات من هذا القرن كانت ما زالت تستعمل في المداشر الخمسة لفرقة إفران عمان من قبيلة بني منصور.

وكان أول من أشار من الأوربيين إلى وجود الشلحة البوزراتية هو الفرنسي موليراس M. A. Moulieras سنة 1899، وفي سنة 1928 زار منطقة الشمال الفرنسيُّ كولان G. S. Colin من أجل دراسة اللهجة المذكورة وقد حصل على بعض النصوص المكتوبة بها، غير أنه لم يستطع القيام بدراسة ميدانية.

M. A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 1899 ; Bernard et Moussard, *Annales de geographie en 183*, p. 272 ; G. S. Colin, *Le parler berbère, Hesp.*, 1929.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوزْروگ** - كما يسمى في المغرب - أو بلح البحر حيوانات بحرية، من الرخويات مسطحات الخياشيم أو ثنائيات الصدفة، ويعيش منها في المغرب ثلاثة أنواع أساسية هي: Mytilus: M. edulis, picta Perna , galloprouincialis إلا أن الدراسات الحديثة والدقيقة أثبتت أن النوعين الأولين يكوِّنان صنفا واحداً، حيث إنه من الصعب جداً التمييز بينهما بالإضافة إلى أنه يمكنهما التجانس بينهما والتوالد.

هاته الأسماك بأنواعها الثلاثة الرئيسية تكثر في بلادنا، لكن هناك أنواع أخرى لا تقل أهمية، من الناحية البيئية، عن سابقاتها، تعيش في سواحلنا كأجناس وهي : Lithophaga, Pholas, Musculus, Modiolus التي تملك صغاراً من الصعب جداً تمييزها مظهريا عن صغار الأنواع الثلاثة الأولى.

كل هاته الأنواع والأجناس بحرية محض تعيش على ما يحتويه ماء البحر من نباتات مجهرية، حيوانات وحيدة الخلية، مشطورات وجراثيم، أو بعبارة أخرى عن الجزئيات الدقيقة من المواد العضوية. فبلح البحر يتوفر على خياشيم مسطحة كالمشط تمكنه من تصفية ماء البحر، فيتغذى بما التقطته الخياشيم من مواد عضوية ويلقي بالباقي إلى خارج الصدفات.

تلعب التغذية دوراً رئيسيا في التوزيع الموطني لبوزروگ. نجده بوفرة إما قرب الموانئ أو الأماكن الملوثة حيث تكثر نسبة المواد العضوية في الماء وبالتالي كمية الغذاء، وإما في الأماكن المواجهة لتضارب أمواج البحر حيث تساعد تيارات هاته الأمواج على تصفية كمية أكبر من الماء وبالتالي توفر كمية مناسبة من الغذاء.

من المعروف عن بوزروگ وخاصة الجنس Mytilus أنه يكون دليلا جيداً للكشف عن التلوث العضوي لمياه البحر، حيث إن علو نسبة المواد العضوية بالمياه الشاطئية تؤدي حتما إلى استبدال معايش حيوانية ونباتية أصلية بمجموعات مكثفة من بلح البحر.

بوزروگ أو بلح البحر من الرخويات ثنائيات الجنس أيّ أنه ليس هناك أي فرق خارجي بين الذكر والأنثى. والطريقة الوحيدة للتميز بينهما هو الاعتماد على ألوان الأجهزة التناسلية : بيضاء عند الذكر وبرتقالية لدى الأنثى. في وقت التناسل يلقي كل من الذكر والأنثى بمواده التناسلية في الماء حيث يتم تلقيح البويضات. بعد فقس هاته الأخيرة تقضي اليرقات الصغيرة حوالي ثلاثة أشهر عائمة قبل أن تلتصق بالصخور أو بأي من الدعامات الصلبة الأخرى، وذلك بعد أن تتحسس الموقع وتجد كل الظروف الهيدرولوجية المثلى.

كما أن بلح البحر يعتبر عدوا مفترسا للعديد من الحيوانات المجهرية العالقة بما في ذلك بويضاته وصغاره، وله كذلك أعداء طبيعيون. فهناك ما ينافسه على الغذاء كالقربيات Ciona intestinalis, Ascidia mentula وطفيليات كـ Mylicola intestinalis (مجذافيات الأرجل) التي توجد داخل أمعائه.

إن شوكيات الجلد كنجوم البحر، وحيوانات أخرى كالحلقيات Polydora Ciliata والرخويات Murex والقشريات عشاريات الأرجل، وبعض الأسماك أيضا يمكن أن تحدث أضراراً فادحة وسط مجموعات بوزروگ، خاصة إذا كانت في أحواض التربية. إلا أن أكثر أعدائه شراسة هو الإنسان الذي يتغذى به ويعتبره من ألذ الأطباق.

أما فيما يخص التوزيع الجغرافي لبوزروگ، ولنأخذ فقط الأنواع الثلاثة الرئيسية، فإن M. galloprouincialis, Mytilus edulis يوجد على طول الشواطئ المغربية الأطلنتية والمتوسطية بينما Perna picta لا يعيش إلا على صخور شواطئ المغرب الأطلنتية.

R. Boue, H. Chanton, *Biologie animale zoologie-invertébrés*, t 1, Paris, 1962 ; G. Bitar, *Etudes du peuplement benthique de la côte atlantique méditerranéenne du Maroc : Impact de la pollution, comparaisons biogéographiques*, Thèse Doct. Et. et Univ. Marseille, 1987 ; A. Campbell et Nicholls, *Guide de la faune et de la flore littorales des mers d'Europe*, Suisse, 1986 ; M. Menioui, *Contribution à la connaissance des peuplements infralittoraux superficiels de la côte méditerranéenne du Maroc : Etude faunistique, écologique et biogéographique*. Thèse Doct. Et. et Univ. Mohamed V ; C. Davadie, *Etude de Baleine d'Europe et d'Afrique*, Paris, 1963.

محمد منيوي

**بوزگاوْ**، (جبل -) تتكون الكلمة من شقين "بو" بمعنى صاحب، و"أزگاوْ" بمعنى القفة، والاسم جاء من منظر طبيعي، يتراءى من بعيد، كأنه رجل يحمل قفة على كتفه.

وبوزگاو جزء من أدْرَارْ نايْت إخلْف، وأعلى قمة فيه تصل إلى 655 م فوق مستوى البحر، حسب الخريطة الطبوغرافية لسيدي إفني، وجبل بوزگاو منيع طبيعيا، لشدة الانحدارات من جميع الجهات، لذلك كان ملجأ للسكان منذ القديم، وإليه التجأ السكان في أيت باعمران عندما هاجمتهم حملة الجنرال دولاموط سنة 1917 م، وفي هذا الجبل تحصن جيش التحرير ضد الاستعمار الإسباني سنة 1957، نظراً لارتفاع هذا الجبل النسبي، فإنه ينعم بكمية كافية من الأمطار مما جعل زراعة الشعير فيه مضمونة كل سنة، كما يتوفر فيه الغطاء النباتي، وبالتالي تربية الماشية.

ورغم كثافة السكان المرتفعة في جبل بوزگاو فإن الكلمة متى أطلقت مجرّدة تنصرف إلى عائلة تحمل هذا الاسم منذ مدة طويلة، منهم :

**بوزگاو، الحسين** (الحاج -) بن الحاج محمد بن بهي الخلفي، ولد عام 1312 / 1894 نشأ في عائلة محترَمة، فتحمل المسؤولية وهو صغير، فكان يشارك في أمور القبيلة، ويحضر "أجْموع" لقبيلة أيت إخلف، فحنكته التجارب. وقد عدّ من فرسان القبيلة وعمره ثمان عشرة سنة، لذلك حضر كفارس في مدينة تيزنيت عند تعيين أحمد الهيبة على رأس المجاهدين ضد الحماية الفرنسية على المغرب عام 1330 / 1911. قال : "كانت مهمتنا نحن الفرسان الصغار، هي الوقوف مصطفين على جانبي الطريق حتى تؤدى صلاة الجمعة كل أسبوع، ويعاقَب كل من تخلف عن ذلك".

حدث أن زار الحاج الحسين بوزگاو مدينة الصويرة سنة 1332 / 1914، فإذا بفرنسا تسجّله مع جماعة نقلوا فوراً إلى البيضاء، ومنها إلى ظهر باخرة للمشاركة في الحرب العالمية الأولى، ومن حسن حظه أن اختير كعامل في صناعة السلاح، فإذا بفرنسا تنهزم، قال : فهربت منها سنة 1916 إلى تونس، ورجعت إلى أيت باعمران، فوجدت فرنسا التي انهزمت في عقر دارها، صارت تشن أقوى الغارات على أيت باعمران. قال : "وكان ذلك عندي من الدهشة بمكان، وأغرب من ذلك، أنني كلما قلت للناس إن فرنسا منهزمة، لا يثقون بما أقول، إذ لو عرف الناس انهيار فرنسا لسهل عليهم القضاء عليها في المغرب، لكن فرنسا لما عجزت عن إلحاق هزيمة بأيت باعمران، صارت تبث التفرقة بينهم، حتى تفرقت القبائل، وانتشرت الحروب القبلية، فكان مترجمنا في مقدمة الأعيان والفرسان من جديد، فتعرضت عائلته للنهب والسلب ظلما وعدوانا، كما أثرت عليها الضرائب الثقيلة المتتالية التي كان يفرضها حكام المخزن بتيزنيت على أيت باعمران، وكان المشرف على ذلك القائد محمد بن القائد إبراهيم الوجداري الحوضي، فاضطر الناس للهروب إلى قمم الجبال، أو إلى القبائل المجاورة، حتى دبّرتْ القبيلة قتل القائد محمد، وكل من عينهم من الشيوخ على قبيلة أيت إخلف، فاستراح الناس من شر الضرائب.

وفي سنة 1352 / 1934 خرجت إسبانيا من أيت باعمران، فعينه الحاج عبدالكريم شيخ قبيلة أيت إخلف، "انْفلوساً" على ربع القبيلة، إلى أن ثار أيْت باعمران ضد إسبانيا سنة 1376 / 1957 فحمل الحاج الحسين بوزگاو من جديد بندقيته كمجاهد، كما أنفق ماله وماشيته في سبيل حرب التحرير، وقد كانت حياة هذا الرجل حافلة بالمغامرات، وكان نموذجا لذلك الجيل الذي أدرك ما قبل الاستعمار وما بعده، أجريت معه استجوابا سنة 1397 / 1978 م ومما ختم به كلامه "من يخبر هذا الجيل بما مرّ علينا ليشكر الله الذي سهل عليه كل شيء". وكانت وفاته عام 1400 / 1981.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط.

الحسين جهادي

**بوزكري**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني زكار الهبطية، وقد انقرضت بتطوان،وليس لهذه الأسرة علاقة بأسرة ابن زكري ولا بأسرة زكْري.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوزكْري**، (سيدي -)، زاوية ومدرسة علمية عتيقة تقع بقبيلة إداوْسارْنْ الحاحية، قرب مركز (سْميمُو) على بعد 35 كلم جنوب مدينة الصويرة، اشتهرت منذ القديم باسم (سيدي بوزكري) نسبة إلى الشيخ الحاج الشهير أبي زكرياء يحيى بن أبي عمرو عبدالعزيز بن عبدالله بن يحيى الحاحي المذكور في *مفاخر البربر* ص 68، الذي أسند إليه ابن

قنفذ القسنطيني (740 ـ 810 هـ) زعامة طائفة حاحية صوفية اشتهرت بالمغرب في آخر المائة السابعة الهجرية، حيث قال: والطائفة الخامسة : الحاحيون، ومنهم جملة من جبل درن وهو الجبل العظيم الذي ليس على وجه الأرض مثله في الارتفاع والمياه والخصب... وهذه الطائفة الخامسة طائفة الشيخ الحاج الشهير أبي زكرياء يحيى بن أبي عمرو عبدالعزيز بن عبدالله بن يحيى الحاحي، ويقال إنه من آل بيت النبي الكريم، وشرفه غير ظاهر بين الناس في المغرب وإنما انتسب أحفاده إليه. وقبره بتيغزا من بلاد حاحة... والموضع موضع خير وعلوم وقراءة وتدريس... وكان لأبي زكرياء هذا عند الجمهور قبول تام وله في الفقر كلام حسن وتحقيق وتدقيق ووصايا حسنة بكلام لا يصدر إلا من عالم أو ولي ولم أذكر تاريخ وفاة الشيخ أبي زكرياء يحيى إلا أن ظهوره كان في آخر المائة السابعة (*أنس الفقير*، 64).

تشهد البنايات الضخمة القديمة الماثلة اليوم على عظمة هذه المدرسة وقدمها، منها قبة كبيرة شيدت حولها ببراعة ودقة أربع قبب صغيرة في زواياها الأربع، وبجانب هذا الضريح مسجد كبير تؤدى فيه صلاة الجمعة، ومدرسة علمية عتيقة بها حجرات كثيرة مخصصة لإيواء طلبة العلم المقيمين بها، مما يدلّ على وفرة الطلبة المنتسبين إليها ولا سيما في العهد السعدي الذي يرجح أن معظم تلك البنايات الضخمة شيدت فيه، نظراً لما للسعديين من اهتمام بهذه الناحية تتجلى في تشييد معاصر السكر وزراعة قصبه على وادي القصب حول الصويرة القديمة. وقد كانت هذه المدرسة قبلة لأكابر علماء حاحة وسوس لأنهم يجدون لدى أبناء الشيخ ومريديه المقيمين بجوار المدرسة تقديراً وتكريماً لرجال العلم والدين جريا على ديدن أسلافهم.

ومن أساتذتها المشهورين بالتدريس والإرشاد الديني فيها أخيراً : عبدالله الخنبوبي السوسي وإبراهيم الكردوسي والحسن بن أحمد بن الطاهر الأدوزي ثم عبدالله إيميحى التامري الحاحي الذي أحيى فيها تدريس القراءات والعلوم في العقد الأخير من القرن الرابع عشر (20 م). وفي التصوف قام الشيخ الحاج بلخير السوسي بنشر طريقته بين البوزكريين وغيرهم من جيران المدرسة الذين حفظوا عددا كثيراً من المنظومات الفقهية والصوفية التعبدية باللسان الأمازيغي (الشلحة) حتى تفقهوا في علوم الدين رغم أنهم أُميون لا يقرأون ولا يكتبون باللسان العربي. وقد شهدت هذه المدرسة ـ كغيرها من المدارس القبلية العتيقة ـ فترات إهمال وشغور بسبب القحط والمجاعة كما حدث في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) عندما مر بها الفقيه الصوفي الأديب محند ابن محمد أمغار التغماوي الحاحي (ت 1318) فقال : فلما ذهبنا للصويرة بقصد زيارة الإخوان ـ التجانيين ـ والتبرك بهم، ساقتنا القدرة الأزلية إلى موطن أبي المواهب الشريف، سيدي ومولاي أبي زكرياء في تيغزا...".

مجهول، *مفاخر البربر* ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير* ؛ امبارك أشغوغ (حفيد أبي زكرياء)، كنانيش ؛ *تحريات ميدانية*.

محند أيت الحاج

**بوزكْري**، (سيدي ـ)الزيدي من صلحاء أولاد زيد، يوجد ضريحه برباطه بفرقة الجحوش قرب زاوية سيدي الراضي من ساحل البحر على بعد نحو أربعين كيلومتراً شمال مدينة أسفي. وكانت توجد مدرسة بهذا الرباط يقصدها العلماء والطلبة من جميع النواحي المجاورة، ومن ألمع الشخصيات المتأخرة التي درست بها الفقيه محمد بن أحمد الكانوني صاحب تاريخ *أسفي وما إليه*.

م. بنشريفة، *الفقيه الكانوني ومؤلفاته*، في كتاب : *أسفي : دراسات تاريخية وحضارية*، 1988.

**بوزكري**، (سيدي ـ) الماگري. أحد أبناء الشيخ أبي محمد صالح الماگري الستة واسمه يحيى. مات غريقاً في البحر في حياة والده، ويقال إن الشيخ أمر بدفنه على الشاطئ بالقرب من المكان الذي أخرجه فيه البحر. ولقد ورد ذكره في كتاب *المنهاج الواضح* (ص. 145). ويوجد ضريحه بمدينة أسفي بجوار الميناء. وللبحارين اعتقاد كبير فيه ويقيمون بجواره حفلا دينيا كبيراً مرة في السنة في بداية موسم الصيد، ويسمونه "سلطان الصالحين" في القصائد التي ينشدونها في هذه المناسبة.

*المنهاج الواضح*، 145 ؛ *معلومات ميدانية*.

عبد الرحيم العطاوي

**البُوزگاوي**، حمّادة بن محمد بن المختار، قائد قبيلة بني بوزگو من سنة 1295 / 1876 إلى سنة 1323 / 1905، وتستوطن هذه القبيلة المنطقة الممتدة من جنوب مدينة العيون إلى وادي زا بإقليم وجدة. اشتهر حمّادة البوزگاوي بنفوذه وسلطته في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م)، مما دفع السلطان مولاي الحسن إلى تعيينه قائداً لقبيلته سنة 1293 / 1876 لضمان الأمن وفرض طاعة المخزن، وقد عظم شأنه بعد مصاهرته للسلطان مولاي الحسن بنته. فحظي من طرفه بتقدير كبير، وحصل على ظهائر التوقير والاحترام وإسقاط الكلف المخزنية، فصار السلطان يثق به ويستشيره في أمور قبائل "عمالة وجدة"، ولما استقر الثائر "بوحمارة" بشمال المغرب الشرقي، تظاهر له البوزگاوي بالطاعة والامتثال، ودبّر مذبحة لأنصاره بعد أن تظاهر بالموافقة على مصاهرته، ففتك بعدد كثير منهم يوم 8 جمادى الثانية عام 1322 / 20 غشت 1904، ثم فرّ إلى مدينة وجدة واحتمى بالجيش السلطاني المخيم هناك، فنوّه السلطان عبدالعزيز بهذا العمل،وأنعم عليه بظهير شريف لم يتقدم مثله منه لأحد وأهداه هدية معتبرة، وصدرت الأوامر لعامل وجدة قصد الاعتناء به وبأهله، وبعد ذلك بقليل وافته المنية بوجدة سنة 1323 / 1905.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 20 : 46 ـ 47 ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي*.

La Martinière et Lacroix, *Documents*, T. 1 ; C. Voinot, *Oujda* ; L. T. Gaquière, *Les Beni Bou Zeggou*, *B.S.G.A.O.*, 1910, p. 491 - 515.

عكاشة برحاب

**بوزنيقة**، مدينة صغيرة ارتبط وجودها بالطريق الوطنية رقم 1 التي تشكل حاليا مركزها، حيث استقرت على جنباتها منذ الاستقلال بعض الدواوير ومجموعة من المحلات التجارية للاستفادة من حركة المرور وتقديم خدمات سريعة للمسافرين نحو الرباط والدار البيضاء. وتبقى القصبة الموجودة خارج المدار الحضري التي شيدت في فترة حكم المولى عبد الرحمن (1238 . 1276 / 1822 . 1859) هي النواة الأولى لمدينة بوزنيقة إلا أنها أهملت نظراً لموقعها المنعزل.

عرفت المنطقة ظهور أول تجمع سكاني صفيحي سنة 1860 (دوار محجوبة) ليتحول في بداية الستينات بُعَيْد الاستقلال إلى حزامين من المحلات التجارية تحف بالطريق وعلى مقربة منها استقر السوق الأسبوعي.

توجد بوزنيقة على بعد 52 كلم من مدينة الرباط و51 كلم من مدينة الدار البيضاء و22 كلم من مدينة بن سليمان وتنتمي إدارياً إلى إقليم بن سليمان وتحتل داخل هذا الإقليم موقعاً استراتيجياً حيث يوجد بها مقر الدائرة التي تضم ثلاث جماعات هي جماعة بوزنيقة وجماعة بني يخلف وجماعة سيدي محمد بن علي، وكلها جماعات ساحلية.

عرفت الساكنة بالمدينة تطوراً سريعاً، ففي سنة 1936 كان عدد السكان لا يتعدى 474 منهم عدد من الأجانب خاصة بالمنطقة الساحلية، ليرتفع هذا الرقم إلى 2.600 نسمة سنة 1960 وتضاعف هذا العدد سنة 1971 ليصبح 4.942، لكن في الفترة الممتدة ما بين 1982 . 1989 عرفت الساكنة نوعاً من الاستقرار نظراً لتلاشي تيار الهجرة واعتبار بوزنيقة مجالا منعزلا حيث كان عدد السكان سنة 1982 هو 10.137 نسمة ووصل إلى 13.500 نسمة سنة 1989. ويعزى هذا الاستقرار إلى عامل فتح الطريق السيار الذي وضع بوزنيقة في أزمة ديموغرافية واقتصادية كما حرمها من الموقع الاستراتيجي الذي كانت تتوفر عليه داخل المحور الطرقي الدار البيضاء ـ القنيطرة.

تتراوح الكثافة السكانية ما بين 112 نسمة في الهكتار الواحد كأدنى تركز سكاني وتصل في أقصاها إلى 800 نسمة في الهكتار، وتعتبر المنطقة الاقتصادية الوسطى هي المغذي الأساسي لتيار الهجرة نحو مدينة بوزنيقة نظراً لقربها منها.

في سنة 1971 ارتقت بوزنيقة إلى مستوى مجال حضري حيث تتوفر اليوم على تجهيزات أساسية كالطرق والكهرباء والماء الشروب وشبكة التطهير وعلى شبكة من المرافق الإدارية المختلفة (دائرة، جماعة، قيادة، محكمة، مركزالدرك، قباضة)، بالإضافة إلى احتضانها لمجموعة من الخدمات الاقتصادية والاجتماعية (محطة قطار، مؤسستين بنكيتين، معمل فلين، تجهيزات تجارية، مكتب بريد، مستوصف، إعدادية وثانوية، 4 مدارس وفرعيات، صيدليتان، مركز للتكوين المهني، دار الشباب، وملعب لكرة القدم).

ارتكز نشاط الساكنة الاقتصادي على قطاع التجارة المرتبط أساساً بحركة المرور، ويتجلى ذلك في المحلات التجارية والسوق الأسبوعي ومحطات الوقود وبعض المقاهي والمطاعم. وقد شكل هذا القطاع 31،50٪ من اليد العاملة. وتعرض هذا النشاط بدوره لتراجع ملموس بعد فتح الطريق السيار. وهذا ما يفسر أن هذه الخدمات كانت موجهة لغير المحليين بل للعابرين.

وبالنسبة للوظيفة العمومية عرفت هي كذلك نسبة لا بأس بها 31،50٪ نظراً لارتفاع عدد المصالح الإدارية والمؤسسات الاجتماعية والمتمدرسين في بوزنيقة. أما قطاع الصناعة فيشكل نسبة 20،80٪ ومع ذلك يبقى متواضعاً رغم وجود عدة مؤسسات صناعية كمعمل الفلين الذي يشغل حوالي 300 عامل ومعمل معدات الصباغة PRIMAR ومعمل النسيج SOFIMAT ومعمل صنع معدات تربية الدواجن، كل هذه المؤسسات تبقى عاجزة عن تعويض فرص الشغل التي افتقدت إثر فتح الطريق السيار، وأمام هذا المشكل تقرر إنشاء منطقة صناعية داخل المدار الحضري وتم تحديد موقعها بين الخط السككي والطريق السيار وهذه المنطقة تبلغ مساحتها 500 هكتار اقتنيت من الخواص بواسطة صندوق الإيداع والتدبير لكن هذا المشروع لم ينفذ أمام إلحاح الساهرين على إقليم بن سليمان للحفاظ على البيئة وامتداد المجال الأخضر وكذلك توجه المسؤولين عن بوزنيقة نحو سياسة إنشاء المركبات السياحية خاصة بالشواطئ.

أما على مستوى العمران فقد عرفت المدينة توسعاً كبيراً ابتداء من سنة 1964 إلى حدود 1968 في اتجاه الجنوب على الطريق المؤدية إلى بن سليمان بسبب خطورة الطريق الوطنية رقم 1 كما تم إبعاد السوق الأسبوعي نحو الجنوب بحوالي كيلوميترين وحل محله الحي الجماعي الذي أنشأته الدولة بمساعدة منظمة التغذية العالميّة.

هذه الطفرة العمرانية مازالت مستمرة وبوتيرة سريعة ساعدها في ذلك البنية العقارية المتميزة للمنطقة بسبب شيوع الملكية الخاصة وغياب باقي أنواع الملكية. والمثير في الأمر أن القطاع العام لا يملك سوى 61،10 هكتار من مجموع الأراضي، أما الباقي فهو مسجل محفظ باسم الخواص. الشيء الذي فتح باب المضاربات العقارية وحال دون تطبيق التصميم العمراني للمدينة. كما تعرف التجمعات الصفيحية انتشاراً واسعاً خاصة في الشمال (دوار سيدي المعطي).

تظل بوزنيقة كباقي التجمعات المرتبطة بحركة المرور تسير بوتيرة سريعة نحو حياة التمدين ويبقى مصيرها مرتبطاً بالمحور الطرقي متأرجحاً بين فترات ازدهار وتلاش،

كما أنها في المدة الأخيرة عرفت بعض الانتعاش حيث بدأت تعرِّج عليها قوافل المسافرين خاصة الشاحنات.

أنوار حميد، *أشكال التوسع العمراني بمدينة بوزنيقة* : جماعة بوزنيقة، المصلحة التقنية، معلومات عامة : *الخريطة الطبوغرافية لمدينة بوزنيقة*، مقياس 1 / 50.000 ؛ *الخريطة الطبوغرافية لمدينة بن سليمان*، مقياس 1 / 50.000 ؛ *تحريات ميدانية*.

J.F., Troin, *Les Agglomérations routières du Maroc vers un nouveau mode de fixation des activités*, R. Méditerranée N^os 1 et 2, 1979.

محمد بلعربي

**بوزويع**، أو بوزبع أسرة فاسية يظن أن أصلها من الأندلس، انتقل بعض أفرادها إلى تطوان في القرن الثاني عشر (18م) ثم انقرضوا بها. أما الفاسيون منهم فما زالوا بالحاضرة الإدريسية حتى اليوم.

**بوزويع، أحمد** بن **محمد التطواني**، فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1780/1194 إلى سنة 1800/1215.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 28 ؛ 7 : 22 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 300 ؛ 7 : 242 . 257 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوزويع، أحمد** بن **محمد الفاسي**، "الشيخ الوقور الخير العلامة المشارك المدرس. كان يدرس العلم بالقرويين ويقبل عليه الطلبة ويتنزل معهم حتى يفهموا الدرس مهما كان صعبا" *(سل النصال)*.

درس على شيوخ عصره بفاس أمثال محمد القادري، وعبدالسلام الهواري، وعبدالعزيز بناني، والمهدي الوزاني، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، وأحمد بن الخياط.

كان إلى جانب التدريس يتعاطى التجارة في حانوت بالحرارين، ثم انتقل أولاده للتجارة بالدارالبيضاء فانتقل معهم، وكان يعقد هناك مجالس علمية للطلبة ولعامة الناس. ومن الآخذين عنه عبدالسلام ابن سودة الذي ترجم له في فهرس شيوخه *سل النصال*. وكانت وفاة أحمد بوزويع بالدارالبيضاء في متم رجب عام 28/1354 أكتوبر 1935 ودفن بروضة أهل فاس هناك.

ع. ابن سودة، *اتحاف المطالع*، 1345 ؛ *سل النصال*، الترجمة 23.

**بُـوزويع، محمد عبده**، أديب ملتزم يهتم بقضايا المجتمع، وبخاصة حالة المستضعفين، ينظم الشعر الحر في مواضيع لا تخرج عن تصوير معاناة المحرومين، ونشر

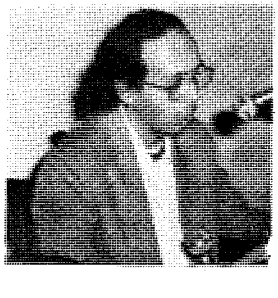

ديوانين، *أوراق من الحرب السابعة*، صدر سنة 1985، *وحفريات في الصمت والحجر*، صدر سنة 1989.

توفي وهو مازال في ريعان الشباب في شهر ذي القعدة عام 1410 / يونيه 1990.

جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، ليوم 20 . 6 . 90.

محمد حجي

**بُوزويع، مَحمد** بن **محمد** بن علال، ولد بفاس عام 1346 / 1927، ونشأ في أسرة عرفت بانتمائها إلى الطائفة العيساوية، فقد كان والده رئيساً لهذه الطائفة بفاس، يحفظ مستعملاتها الغنائية، ويجيد استخدام آلات الوزن الضابطة للإيقاع كالبندير والطبلة والتعريجة والطبل وبوجناجل (بندير كبير الحجم له في حواشيه صفائح نحاسية).

تلقى الفنان مَحمد بوزويع عن والده الأمداح العيساوية بزاوية الطائفة التي كانت تشغل جانباً من منزل جده. ولما شب أخذ يرتاد مجالس الفنانين ممن يمارسون مختلف فنون الموسيقى المغربية، فاستفاد من محفوظاتهم واكتسب القدرة على أداء الأغنية العصرية والموشحة الشرقية، والصنعة الأندلسية، والمقطوعة الدزيرية (الجزائرية). غير أن محفوظاته من طرب الملحون كانت أوسع وأغزر، الأمر الذي حدا به إلى الانقطاع، بعد وفاة والده، عن الزاويه العيساوية، والتحول إلى ممارسة هذا الفن، فانتظم في سلك مجموعة فنية كانت تضم من الشيوخ أمثال البقالي والزكيري ومحمد ابن جلون ومحمد بنغانم ومحمد بن الحبيب وإدريس العلمي ومحمد عمور والتهامي الهروشي والغالي الدمناتي والعيساوي الفلوس.

وقد استفاد مَحمد بوزويع خاصة من هذا الأخير وتأثر بطريقته في الانشاد، كماتأثر بمحمد عمور في أسلوب عزفه.

وفي عام 1952 عين على رأس جوق الإذاعة الجهوية لطرب الملحون بفاس، الذي كان من أعضائه نخبة من الشيوخ فيهم من الحفاظ عبدالكريم گنون وعبدالمالك اليوبي، ومن العازفين على الكمان إدريس بن جلون وعلى العود العابد زويتن وعبداللطيف عمور، وعلى الگنبري محمد الغياتي ومحمد بن العربي وحميد الغزاوي.

دخل مَحمد بوزويع تجربة النظم، فوضع خمس قصائد سجل بصوته إحداها بالإذاعة الوطنية عام 1961، وهي قصيدة "ليلى". غير أن المنية عاجلته سنة 1382 / 1962، فلم يتأت له تسجيل القصائد الأخرى التي توجد نصوصها الشعرية في حوزة ابنه الفنان محمد بوزويع.

*رواية شفوية عن أسرة المترجم بمدينة فاس.*

عبدالعزيز بن عبدالجليل

**بُوزُوگ**، قرية بقبيلة گسيمَة تقع على بعد ستة كيلوميترات من مدينة إنزگانَ على الطريق المؤدية إلى تارودانت، ويسكنها قوم من سملالة انجبوا فيها أسرة عالمة صالحة، منهم :

**البُوزُوگي، أحمد** بن محمد بن حماد السملالي الگسيمي، من طبقة العلماء المرموقين بما اشتهر به من تفوق في العلوم العربية والإسلامية، وما قام به من دور في تربية جيل من التلاميذ الذين قاموا بمتابعة رسالته في التربية والتعليم.

ولد بقرية بوزوگ عام 1860/1277 وفيها أتقن حفظ كتاب الله على يد ثلة من الأساتذة أمثال علي بن عبدالمالك الگسيمي وعمه محمد بن يحيى البوزوگي وعبدالله الركراگي المزاري بالدشيرة. ثم تنقل بين عدة مدارس حتى أتقن علوم اللغة والفقه والتفسير، وعلم الفرائض والحساب والمنطق والبيان والأصول والعروض. وقد تخرج على يده صفوة من العلماء أمثال عبدالله البيبُوركي ومحمد أعبُّو الهشتوكي وأحمد أمزارگو السَندالي وأحمد الجشتيمي.

وعقب ذلك تصدر للتدريس في عدد من المدارس العتيقة على هذا الترتيب :

- مدرسة بّوابُوض في متّوگة سنة 1895/1313.
- مدرسة تازَنْتون بإداوْتانان سنة 1902/1320.
- مدرسة سيدي ميمون في گسيمة سنة 1926/1345.
- مدرسة سيدي بيبي في هشتوكة سنة 1927/1346.
- مدرسة أولاد داحّو في هوّارة سنة 1928/1347.
- مدرسة دوار لوبّاير في هوارة سنة 1931/1350.

تولى أحمد البوزوگي القضاء في فترة وجيزة بتارودانت نيابة عن قاضي رودانة الفاطمي الشرادي، وتخرج على يده عدد من مشاهير فقهاء سوس منهم أحمد بن المصلوت الروداني الذي تولى التدريس بالجامع الكبير بتارودانت قبل خطة القضاء، والحاج مسعود بن أحمد الوَفْقاوي الشهير في مدرسة إغيلالن العلمية. وأحمد بن مبارك أُتينَهْمُّو الهشتوكي المتصوف المشهور، والأحسن البعقيلي صَاحب المؤلفات في التفسير والتصوف. كما تخرج على يده جملة من أبنائه وأحفاده، وبالخصوص ابنه الحسين الذي برع في الفقه والتفسير وخلفه في مدرسة لوبّايْر فهو المدرس والإمام في مسجدها الجامع حتى سنة 1380 / 1960.

من آثاره : *مجموعة فتاو* كتبها عندما قرّبه بعض القواد أمثال القائد عبدالمالك المتّوگي لما أصبح مدرساً في مدرسة بوّابوض، والقائد محمد بن الحاج الگسيمي، وكان يفتي في عهده مرغماً حتى أعفي هذا القائد في عهد الحماية. و*مجموعة قصائد* في موضوعات متنوعة. ونسخ بيده العديد من الكتب والدواوين، كما كان كثير الحفظ للآداب والتواريخ وأنساب الناس وتراجم الصالحين.

توفي خلال عمله بمدرسة لوبّاير بهوارة في 12 رجب عام 14/1365 فبراير 1946.

**البوزوگي، مبارك** بن محمد بن حماد الگسيمي شقيق أحمد المذكور قبله. ولد ونشأ بقرية بوزوگ، وبها تعلم القرآن والمبادئ الأولية خاصة على يد أخيه أحمد.

وفي أوائل الثلاثينات عند بداية عهد الحماية التحق بمدرسة إغيلالن بقبيلة مسگينة عند الشيخ الحاج مسعود الوفقاوي أخذ عنه مختلف العلوم.

وإثر تخرجه انتقل للتعليم بمدرسة سيدي ميمون بقبيلة گسيمة قرب قرية المزار لمدة محدودة، وانتقل في سنة 1922/1340 للاشتغال بمهام التدريس في مكان شيخه الحاج مسعود بمدرسة إغيلالن إثر مغادرته لها بسبب مضايقات تعرّض لها من قبل القائد محمد بن الحاج الگسيمي. وحينما أُعفي هذا الأخير من منصبه سنة 1924/1342 عاد الشيخ الحاج مسعود إلى محله ورجع الفقيه مبارك البوزوگي إلى مدرسة سيدي ميمون مرة أخرى حيث بقي يعمل بها ثلاث سنوات.

وفي سنة 1345 / 26ـ1927 عم الجفاف جميع أنحاء المغرب، وانتقل الفقيه البوزوگي مع طلبته إلى جامع أيت ملُّول على ضفة نهر سوس، فتحول هذا الجامع إلى مدرسة علمية. وفد عليها طلاب كثيرون للشهرة العلمية ولضمان الخصب بهذه الناحية لكثرة مياه نهر سوس الذي لا ينقطع جريانه ـ يومئذ ـ صيفا وشتاء.

وقد ذاع صيت الفقيه مبارك البوزوگي نتيجة مواصلة الجهود في الدروس العلمية وفي نشر التوعية الدينية. فكان ممن تخرج على يده وورث من علمه وأدبه الفقيه الحاج عبدالرحمان الحداد الإنزگاني ولم نطلع على إنتاج له باستثناء *قصيدة شعرية* في مدح الشيخ أحمد التجاني، إذ كان من أتباع الطريقة التجانية.

توفي مبارك البوزوگي عام 1937/1356.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3 : 66ـ67 ؛ 8 : 237ـ255 ؛ 18 : 43 ؛ 14 : 309ـ311 ؛ 11 : 159 ؛ ر. المصلوت، *الفهرس العلمي*، ص 44ـ117 ؛ م. الضوء السباعي، *رجالات گسيمة*، مخطوط ؛ *رواية شفوية* عن القاضي رشيد المصلوت، والفقيه محمد الضوء السباعي.

عمر أفا

ابن **بُوزيان**، أسر ثلاث بالمغرب الشرقي، الأولى هي الأسرة التاغَجِّيرتية الخالدية الإزناسنية، ويعرف أفرادها بأولاد الرامي، وهم فرع من بني مريسان من أهل تاغجِّيرت التي تكوِّن إلى جانب قبائل بني درار وأولاد الغازي مجموع قبائل بني خالد الإزناسنية.

دشرة أولاد الرامي تُدعى القنطرة لأنها تقع في ملتقى الطرق الجبلية المؤدية إلى عدد من المدن الصغيرة والقرى خاصة بركان وأحفير وتافوغالت وعين الصفا. وهي، أي الدشيرة، أقرب إلى هذه الأخيرة من غيرها مروراً بطريق الكاف أو الكهف، وقد كانت إلى بداية الاستقلال تضم حوالي اثنين وثلاثين كانونا منقسمة إلى أربعة بطون هي :

أولاد بوزيان وأولاد محمد وأولاد رمضان وأولاد مولود.

لم تستقر أسرة ابن بوزيان التاغجيرتية بوجدة استقراراً

نهائياً إلا ابتداءً من سنة 1953 بعد أن هيأ لها كبيرُها آنذاك الحاج ميمون بن محمد بن بوزيان الشروط المادية والمعنوية من سكن وغيره.

وهناك آل ابن بوزيان، أو أولاد بوزيان القبيلة الحمامية الدرارية الخالدية الإزناسنية، وهي قبيلة تسكن سهل أنگاد بني درار على بعد حوالي 20 كلم إلى الشمال من وجدة في اتجاه بركان، وهي فرع من أولاد الحمام العرب القادمين من كرت أو كرط غرب مرتفعات كبدانة.

يوجد عدد كثير من أولاد بوزيان هؤلاء بمدينة وجدة لكنهم يدعون حاليا بالزياني أو البُوزياني.

وأخيرا هناك أولاد بوزيان، الشرفاء الفگيگيون الوتدغيريّون، ويحملون كلهم اسم الميموني، كاسم عائلي أخذاً من اسم جدهم الأول ميمون بن علي بن يعقوب، كما حملوا كنية جدهم المتأخر بُوزيان بن حمادي بن المسعودي بن علي بن ميمون بن علي السابق الذكر.

ابن **بوزيان، الأخضر** أسرة وهرانية تمغربت، كان جدهم بوزيان الأخضر يعمل برتبة قبطان في فرقة المغطسين Los Mogataces التي أنشأها الإسبان بوهران سنة 1734، وعندما سلمت الحكومة الإسبانية مدينة وهران إلى داي الجزائر يوم

29 ديسمبر 1791 انتقل بوزيان الأخضر ضمن جنود الفرقة المذكورة إلى سبتة حيث وافته المنية سنة 1817، تاركاً فيها أبناءه. واشتغل بعده ابنه بوزيان بن بوزيان الأخضر كضابط بنفس الفرقة إلى أن توفي سنة 1842. ثم حفيده بن بوزيان الأخضر عبدالقادرالذي كان يعمل كقبطان في نفس الفرقة سنة 1863. وممن يُذكر من آل بن بوزيان في تاريخ العلاقات المغربية ـ الإسبانية.

ابن **بوزيان، الأخضر عبد القادر** بن عبدالقادر المولود بسبتة سنة 1845. انخرط سنة 1860 في فرقة المغطسين التي أصبحت تسمى ابتداء من 23 أكتوبر 1861 فرقة رماة الريف Compania de Tiradores del Rif.

وفي سنة 1886 كان الحاج عبدالقادر بن بوزيان الأخضر المغربي الوحيد الذي رافق البعثة الاستعمارية التي أرسلتها إسبانيا إلى منطقة إيجيل في الصحراء المغربية كمترجم، وقد تم تحرير محضرين من طرف أعضاء البعثة يوم 12 يوليوز 1886 ينصان على أن سكان الناحية وأمراءها يقبلون حماية إسبانيا. وكان الحاج عبدالقادر بن بوزيان الأخضر من بين الموقعين على المحضرين (انظر إيجيل).

Arques-Gibert, *Los mogataces*, Ceuta - Tetuan 1928 ; J. Cervera, *Expedicion al Sahara : de Rio de Oro a Iyil, Rev. geografia comercial*, II, num. 25 - 30, Madrid, Julio-Septiembre 1886 ; F. Quiroga, *El Sahara occidental y sus moradores, Rev. geografia comercial*, II, num. 25 - 30, Madrid ; T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña-Ifni-Sahara*, Madrid ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Por que reivindicamos Rio de Oro*, Rabat, 1966.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوزيان، الشاوي**، برز في بداية القرن التاسع عشر كشيخ ذي نفوذ قوي وواسع على قبائل الكرارمة التي تشكل جزءاً من الأجزاء الخمسة التي تتكون منها قبائل الأحلاف ذات الأصل العربي المعقلي الملالي والتي استقرت منذ زمن بعيد بجوار نهر ملوية وتوسعت في ضواحي تازا. وهي اليوم تستقر حول مدينة تاوريرت على ضفتي وادي زا.

بلغ الكرارمة في زمن الشيخ بوزيان هذا أوج عزهم وعظمتهم، إذ تمكن من جمع كل قبائل زا وملوية تحت إمرته، فاعتُرف به قائداً على المنطقة كلها إلى أن عينه السلطان المولى عبدالرحمان بن هشام عاملا على تازا حوالي سنة 1244 / 1828. ولما مات فَقَدَ الكرارمة ومن ورائهم كل الأحلاف قوتهم ونفوذهم.

**بوزيّان، عبدالسلام** بن أحمد، تعاطى التجارة بمسقط رأسه، وكان مكلفا بمهمات في النيابة بطنجة. ولما توفي الحاج محمد بنونة قنصل المغرب بجبل طارق سنة 1890 تولى هو مهام القنصلية إلى سنة 1906 حين خلفه محمد بن الحاج مرتيل التطواني.

ع. التازي، *سفارة عن السلطان مولاي عبدالعزيز إلى لندن* ؛ *البحث العلمي*، ع 29ـ30 ؛ *الوثائق المغربية* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 1 : 415 ؛ 4 : 1555.

مصطفى بوشعراء

ابن **بوزيان، محمد** بن عبدالرحمان بن محمد، الشيخ (مؤسس الطريقة الزيانية) يتصل نسبه بالشيخ عبدالله الغزواني دفين مراكش، ويكنى في الكتابات ابن زيّان ويدعوه العامة بَنْ بُوزيان القندوسي نسبة إلى القنادسة الواحة الواقعة على بعد حوالي 25 كلم إلى الجنوب الغربي من بشار.

وُلد الشيخ محمد بن بوزيان حوالي سنة 1650/1062 بتاغيت أحد قصور گومي على الضفة اليمنى لنهر زوسفانة. ودرس في سجلماسة على يد شيخه مبارك بن عبدالعزيز الغرفي إلى موته، ثم ارتحل إلى فاس فأخذ عن عدد من الشيوخ أمثال عبدالقادر الفاسي وعبدالسلام بن حمدون جسوس وأحمد بن العربي ابن الحاج وغيرهم. ثم

ظهرت له كرامات فخرج إلى القنادسة حيث أسس زاوية وأحدث طريقة صوفية استمدت تعاليمها واقتبست أورادها من الطريقتين الزروقية والجزولية.

أصبحت هذه الزاوية نقطة إشعاع وسط الصحراء، جذبت إليها الطلبة والمدرسين والمريدين من كل المناطق وانتفع بها خلق كثير، نذكر منهم الشيخ علي السوسي، إدريس المنجرة، محمد بن عبدالله التلمساني وغيرهم.

توفي الشيخ محمد بن بوزيان بالقنادسة سنة 1732/1145 ودفن بها بعدما أقعده المرض مدة وذهب بصره ومازالت زاويته قائمة هناك حتى الآن.

م. مرزاق، *الشيخ محمد بن بوزيان وزاويته بالقنادسة*، مرقون، د. د. ع. كليه الآداب بالرباط، 1988 ؛ وثائق محلية.

Voinot, *Oujda et Amala*.

محمد مرزاق

**بُوزَيْتون**، جبل يكوِّن جزءاً من جبل غرغيز الواقع بقبيلة بني حزمر الذي يوجد به منبع وادي هليلة، وعلو بوزيتون على سطح البحر 1209 م، وبه نصَّب الأمير محمد ابن عبدالكريم الخطابي سنة 1925 مدفعاً كان يقصف به مدينة تطوان إلى أن استطاع الإسبانيون الاستيلاء على الجبل المذكور يوم 22 شعبان 7/1344 مارس 1926.

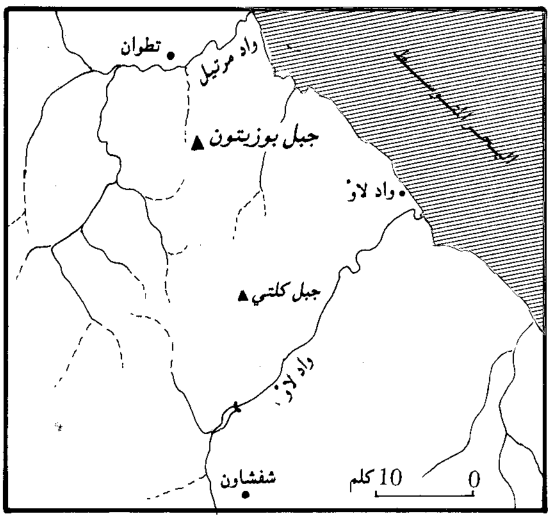


جبل بوزيتون

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, p. 29 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, p. 69 ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos (protectorados y posesiones de España en Africa)*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بُوزيد**، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل جبالة وكان من بين أفرادها : عبدالله بن عبدالرحمن بوزيد، فقيه زاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1780/1194 إلى سنة 1790/1204.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 3 : 28 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 28 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **بوزيد**، أو بَنْبُوزيد أو ابن أبي زيد، ويُسقط عامة السلويين كلمة ابن أو يُبدلونها ميماً فيقولون "بوزيد" و"مْبُوزيد". أسرة سلوية نبيلة أصلها من قبيلة إداوْبوزيّا فرقة حاحة، من ذرية الصالح الشهير عبدالله بن سعيد بن عبدالمنعم المناني الحاحي (ت 1603/1012) وأول من قدم منهم إلى سلا محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبد المنعم حسبما في *تقييد* بخط العدل عبدالرحيم بن محمد بوزيد آتي الترجمة. ومعلوم أن عبدالله بن سعيد انتقل من مسقط رأسه بحاحة إلى زداغة بحدود الأطلس الكبير شمال تارودانت بأمر من الملك السعدي عبدالله الغالب. وقد يكون ولده محمد هذا أنف من الطلوع إلى الجبل فذهب إلى سلا، وذلك في أواخر القرن العاشر (16 م). وفي نفس *التقييد* المشار إليه آنفاً تسلسلُ نسب عبدالله بن سعيد بن عبدالمنعم إلى إدريس الأزهر عن طريق ابنه أحمد. ولم أر هذه النسبة الإدريسية فيما وقفت عليه من الكتب التي ترجمت لآل عبدالمنعم الحاحيين.

أنجب آل بوزيد السلويون كثيرا من الفقهاء والعدول والأمناء وكبار الموظفين في حكومة المخزن منهم :

ابن **بوزيد، إبراهيم**. فقيه أديب نسابة، كان مولعا بتقييد الأحداث والوفيات في *كناشة علمية* وقف عليها معاصره المؤرخ محمد بن علي الدكالي ونقل عنها، وعندي منها ورقات بخطه الجميل تتعلق بزاويتنا الحجية. ولا نعرف من خدماته المخزنية إلا أنه كان أمين المحلة السلطانية التي كانت تطارد الثائر بوحمارة، كما يوخذ ذلك من رسالة وجهها بهذه الصفة إلى عامل سلا عبدالله بن سعيد بتاريخ 4 صفر عام 10/1323 أبريل 1905.

ع. ابن بوزيد، *تقييد في نسب آل بوزيد السلويين*، بنقل أ. الصبيحي، كتاب *التراجم*، ص. 76 ؛ *معلمة المغرب*، 221. 222 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 19 : 28 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 331 (الهامش 433).

ابن **بوزيد**، أبو **بكر** بن مَحمد السلاوي باشا الدارالبيضاء قبل الاحتلال. وعلى الرغم من مساهمته في أحداث مصيرية، طبعت تاريخ المغرب المعاصر، لم نعثر له على ترجمة أو تعريف في الكتب التي اهتمت بأحداث تاريخ المغرب، خلال القرن الثالث عشر (19 م) والذي يليه.

نشأة ابن بوزيد : لا نعرف من هذه النشأة إلا أن الرجل ولد في أسرة سلاوية معروفة. وحصل على تعليم متين بمسقط رأسه، أهله لينخرط في سلك الفقهاء والعدول. ويرشح إلى وظيف مخزني هام. اشتغل في البداية في ميدان التجارة لحسابه الخاص في مسقط رأسه بسلا فاكتسب ثروة ونفوذا حتى عدّ من بين تجار سلا الذين مثلوا مدينتهم في بيعة السلطان مولاي الحسن. (*دورية الوثائق*، 3 : 124) كما أن الاشتغال بالتجارة، هيأ الرجل ليشغل وظيف أمين داخل المخزن. ففي سنة 1302 / 84. 1885، كان أبو بكر بن بوزيد أحد أميني المستفاد بمدينة

مراكش.

وقد رشح ليتولى الأمانة بالدارالبيضاء بعد مراكش، وهو منصب لم يكن يرشح له إلا الأمناء الأكفاء. ثم ترقى إلى قيادة المدينة، الأمر الذي يدل على كفاءته ونزاهته. لأهمية المدينة الاقتصادية ونشاطها التجاري المتزايد، ووجود جالية أوربية كبيرة بها.

ومن الجدير بالملاحظة أن مصير القائد أبي بكر بن بوزيد ارتبط بمهامه الإدارية في مدينة الدارالبيضاء، فقد عُين سنة 1316 / 1898 في عهد الوزير أحمد بن موسى قائداً للدارالبيضاء وظل في منصبه إلى سنة 1318 / 1900، حيث كلف بوظيف الأمانة بديوانة المدينة. ويظهر أنه ظل في هذه الوظيفة إلى سنة 1323 / 1905، حيث نجد السلطان مولاي عبد العزيز يسند إليه من جديد قيادة الدارالبيضاء.

تدل هذه الثقة على أن أبا بكر كان حقاً من خيرة موظفي المخزن. ذلك أن ظروف اختياره لقيادة المدينة للمرة الثانية، ارتبطت باضطراب الأحوال بالشاوية، واشتداد ردود الفعل ضد التدخل الأجنبي بالمنطقة، وخاصة لما أعلنت مقررات ميثاق الجزيرة الخضراء في صفر - ربيع الأول 1325/ أبريل سنة 1906.

وقد ساءت علاقة القائد المغربي مع القنصل الفرنسي بالمدينة، وبالتالي مع المفوضية الفرنسية بطنجة، منذ صيف سنة 1906. ففي ذلك التاريخ كان المغاربة أعلنوا رفضهم لقرارات الجزيرة. وانتشرت الدعوات إلى الجهاد. وأقوى هذه الدعوات صدىً، ارتبطت بزيارة الشيخ ماء العينين لفاس في جمادى الأولى عام 1324 / يوليوز 1906 ودعوته لمقاطعة الفرنسيين بالشاوية والحوز.

وإذا علمنا أن زيارة ماء العينين للسلطان، كانت تهدف إلى تنسيق المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي للأقاليم الصحراوية الجنوبية، فهمنا عداوة الفرنسيين للشيخ وتدخلهم ضده في المناطق التي مر منها. فبمناسبة مروره بالشاوية، ادعى القنصل الفرنسي بالدارالبيضاء، أن أصحاب ماء العينين، حرضوا السكان ضد الفرنسيين وأنهم أساءوا لمصالحهم وتدخلت الهيئة القنصلية، بسعي من قنصل فرنسا، لدى العامل أبي بكر بن بوزيد، وطلبوا منه اتخاذ الإجراءات اللازمة ليغادر الشيخ وأصحابه منطقة الشاوية. ولم يكتف القائم بأشغال المفوضية الفرنسية بذلك، بل اتهم العامل بأنه لم يفعل شيئاً لحماية الفرنسيين من أصحاب الشيخ، وحشد كل ما استطاع من تهم كاذبة ضد قائد المدينة لدفع حكومته إلى التدخل ضد المخزن.

وبالفعل وافقت وزارة الخارجية الفرنسية، على تقديم احتجاج للمخزن، اتهمت فيه أبا بكر بن بوزيد بالسلبية وبعدم التعاون مع الهيئة القنصلية لمنع "اضطرابات الدارالبيضاء" المزعومة (*وثائق دبلوماسية فرنسية*، 15 . 19 شتنبر 1906).

ولقد ازدادت علاقات عامل المدينة بالقنصل الفرنسي Malpertuy توتراً بمناسبة الدعوة إلى الجهاد التي انتشرت في قبائل الشاوية ونسبته إلى تحريض الشيخ البوعزاوي. ففي 15 أكتوبر 1906، كتب القنصل الفرنسي إلى المكلف بالأشغال الفرنسية بطنجة، يخبره بأن حركة عامة ضد الدارالبيضاء، تتهيأ عند القبائل المجاورة. وأنه لا يمكن الاعتماد على سلطة المخزن، لأن عامل المدينة، ابن بوزيد هو مثال "للموظف المتعصب" كما ظهر من تصرفه بمناسبة مرور الرجال الزرق أصحاب ماء العينين ودعا إلى العمل على عزله، لأنه يمثل خطراً على الأوربيين حسب زعم القنصل.

وهكذا تدخلت الهيئة الدبلوماسية بطنجة لدى النائب السلطاني الحاج محمد الطريس، ليتخذ المخزن "الاجراءات اللازمة لحماية الأوربيين بالدارالبيضاء". وأطلع المكلف بالأشغال وزير الخارجية الفرنسي بهذه التطورات، مؤكداً على رغبة قناصل الدارالبيضاء في عزل باشا المدينة وتعويضه بموظف آخر.

هكذا نلاحظ، أن الفرنسيين، انزعجوا، من الدعوات إلى الجهاد التي انتشرت في المغرب وأخذوا يتهمون كل مغربي يحب بلاده بالتعصب وكراهية الأجانب، كما فعلوا مع أبي بكر بن بوزيد. وبعملهم هذا، كانوا يهدفون إلى محاصرة التيار المعارض لتدخلهم ويضغطون على المخزن لحماية تدخلهم، وليعزل عامل الدارالبيضاء الذي لم تكن مواطنته وضميره يسمحان له بمسايرة قنصل فرنسا بالدارالبيضاء في جميع التأويلات التي يفسر بها تحركات المغاربة.

وبالفعل، كان السلطان مولاي عبدالعزيز على بينة من تصرف عامله بالدارالبيضاء فرفض عزله، بالرغم من تكرار المطالب الفرنسية بذلك، واصفاً إياه بأنه من أحسن الموظفين المخزنيين.

هيأ حادث مقتل تسعة عمال أوربيين، بمدينة الدارالبيضاء، في 30 يوليوز سنة 1907، الفرصة المنتظرة، ليشرع الفرنسيون في احتلال المدينة وبلاد الشاوية. كما منحهم الحادث المبرر ليتخلصوا من القائد بوبكر بن بوزيد، الذي طالما رفض الانصياع لرغبات القنصل الفرنسي.

في الواقع، لم تكن هناك تهم ثابتة تدين الرجل، لكن

المحتلين، عاملوه منذ البداية معاملة سيئة. فقد كلفوه بمراقبة تسخير بعض السكان لتنظيف الأزقة والساحات، من الجثث التي تسببت فيها قنبلة المدينة ودفنها. ثم ألقي عليه القبض وحبس على ظهر بارجة القيادة.

وإذا تساءلنا عن التهم التي استندت عليها سلطات الاحتلال لحبس ابن بوزيد، لا نجد سوى ترديد لاتهامات عامة سابقة مثل معاداة النفوذ الفرنسي خاصة والنفوذ الأوربي عامة والتواطؤ مع سكان البادية.

وردت هذه الاتهامات في رسالة جوابية بعثها قائد جيش الاحتلال الجنرال درود Drude، من الدارالبيضاء إلى وزير الحربية الفرنسي. كما ورد في الرسالة أن حبس ابن بوزيد قد تقرر بالاتفاق مع القنصل الفرنسي، ومع قائد الأسطول الأميرال فيليبير Philibert.

وقد وجه القائد المغربي إلى مدينة وهران بالجزائر، وسمح لأحد خدامه بالركوب معه، لأن المحتلين قرروا أن يتكلف أبو بكر بن بوزيد بمؤونة نفسه.

والجدير بالذكر أن القائد المغربي أبدى صموداً جديراً بالملاحظة والاعتبار، فقد حاول معه الفرنسيون أن يزكي الرواية الفرنسية التي تتهم المغاربة بالبدء في إطلاق النار يوم 5 غشت فرفض. وتحمل الحبس والإبعاد على مسايرة المحتلين. وهذا موقف لم يقفه أي قائد آخر من قواد المنطقة الذين كان همهم المحافظة على مناصبهم ولو تحت ظل الاحتلال.

ومن حسن حظ بوبكر بن بوزيد، أن النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد الطريس، هو الذي بادر بالدفاع عنه، ونبه المخزن إلى ضرر السكوت عما فعله المحتلون مع القائد ابن بوزيد. كتب النائب أولا للسلطان مبينا براءة الرجل، ومنبها إلى أنه من الإخلال بحقوق المخزن السكوت عما يتعرض له موظفوه من إهانات في بلادهم، وحتى لو ثبتت تهمة الرجل فالنظر يرجع للمخزن في معاملته بما يستحقه. وتدخل النائب مرة أخرى،ليلح على وزير الخارجية عبدالكريم بن سليمان لكي يتدخل لدى السلطان من "أجل استنقاذ هذا المسكين مما أصيب به، حتى يرجع لأهله سالماً".

ويظهر أن المخزن المغربي تدخل في النهاية مطالباً الفرنسيين بتخفيف حبس الرجل، أو تقديمه للقضاء.وإذا كنا لا نعرف هل حوكم القائد المغربي أم لم يحاكم، فالمؤكد أن أبا بكر بن بوزيد قد أطلق سراحه بعد شهور من الحجز بالجزائر، دون أن ينال منه الفرنسيون شيئاً. ودون أن تثبت إدانته بشيء.

ويؤكد الذين عاصروا الرجل، وتعرفوا عليه هذه الحقيقة. فحسب بعضهم (الحاج العربي بن سعيد) إن أبا بكر بن بوزيد، حُمل للجزائر وسُجن ببوسعادة بضعة أشهر، ثم أطلق سراحه، ليعود إلى مسقط رأسه بسلا دون أن تلين قناته للفرنسيين.

وأكد البعض الآخر (الحاج أحمد معنينو) أنه كان "من الأحرار في الدولة العزيزية"، وأنه وقف وقفة الشهامة في معركة احتلال الدارالبيضاء فلم يطاوع الفرنسيين ولم يقبل اتهاماتهم للمغاربة.

وتجدر الإشارة في الختام إلى أن أبا بكر بن بوزيد، أصيب بدوره في كارثة هدم المدينة. لا في التضييق عليه وسجنه فحسب، بل في ضياع ماله ومتموله ونهب داره حسبما بيّن في رسائل وجهها إلى عبدالله بن سعيد الذي كان قد رشح في البداية لعضوية لجنة تعويضات الدارالبيضاء.

*دورية الوثائق*، 3 : 124 ؛ *وثاق الخزانة الحسنية، العهد العزيزي* ؛ *وثائق خزانة الحاج العربي بن سعيد السلاوي* ؛ أ. معنينو، *جلالة الملك عبدالعزيز*، دعوة الحق عدد 1، السنة 23ـ1982، ص 110 ؛ ع. الخديمي، *حادثة الدارالبيضاء*، د. د. ع. 1985، ص 331ـ337.

*Archives de guerre conservées au Chateau de Vincennes*, Paris, 3 H. 76 ; *Archives Etrangères*, Paris, N. S. T. 45 , p. 142 ; *Documents diplomatiques: Affaire du Maroc*, 3, 1907 - 1908.

علال الخديمي

**ابن بوزيد ، بنعيسى** السلوي، فقيه مشارك، مدرس نفاع، وهو الثاني، بعد القاضي العربي ابن منصور، في قائمة الفقهاء الملازمين للتدريس بالمدينة عام 1862/1279. ومن أشهر الآخذين عنه القاضي الخطيب محمد بن محمد السدراتي كاتب سفارة ابن سعيد إلى باريس.

عمل بنعيسى بن بوزيد عدلاً في نظارة الأحباس مع الناظر الحاج عبدالوهاب محبوبة، وما زال عقد شهادته في جزاء ساقية الماء الداخل إلى مدينة سلا، وهو مؤرخ في مهل محرم عام 20/1250 ماي 1834. وقد نفذ له الحسن الأول السكنى بدار الأمين جغالف، بعد موت هذا الأخير وتصفية تركته. وأقر السلطان عبدالعزيز أولاد الفقيه بنعيسى بن بوزيد على سكنى هذه الدار بظهير مؤرخ في سادس عشر ذي القعدة عام 11/1312 ماي 1895. الأمر الذي يدل على وفاة المترجم قبل هذا التاريخ.

*رسوم عدلية قديمة عند العدل عبد النبي النجاري* ؛ م. بوشعرة، *التعريف*.

محمد حجي

**بوزيد ، الحسن** بن **محمد** الخمسي، نسبة إلى قبيلة الأخماس على مراحل من شفشاون، مقرئ من حفاظ العشر. أخذ عن شيوخ القراءات بقبائل الجبل، في مقدمتهم : علي بن علي الحساني، ثم رحل إلى فاس فأخذ عن شيخ القراء بها محمد بن عبدالسلام الفاسي. ويذكر أنه لم يحدث بالبدور العشرة حتى ختم القرآن بجميعها نحواً من ستين ختمة وافية كاملة عرضا ودرسا، وأنه لم يكن يصحب وقت طلبها إلا من انتهت إليه في تحقيقها الرآسة الشامخة ؛ وكان مع ذلك في لسانه لكنة تمنعه من النطق الصحيح ببعض الحروف، يقول : "ومع شأني هذا، كانت لي في إخراج الضاد لكنة، حتى منّ علي واقي العباد من العناد بصحبة من لا يزال فؤادي بلوعة شوقه يقاسي، شيخي وأبي الروحي محمد بن عبدالسلام الفاسي ؛ سمّعني

تجويده بحسن نطقه، وكريم لفظه".

وقد رافقه في رحلته إلى فاس شقيقه علي، وكان من حفاظ السبع.

خلّف الحسن بوزيد مؤلفات في علم القراءات منها :

- تأليف في التجويد أسماه : "*تحفة ذوي الألباب، من القراء والكتاب*" - كتبه بالقنادسية - بلدة بالجزائر سنة 1788/1203.

- *روضة المقام، في مشهور الوقف على الهمز لحمزة وهشام*، فرغ من إنشائه بالزاوية الخمليشية بالريف في 3 شعبان عام 1796/1211.

م. الدليرو، م. بوخبزة، فهرس *مخطوطات خزانة تطوان*، قسم القرآن وعلومه ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

ابن **بوزيد، سالم** الصحراوي مقاوم، ولد سنة 1334 / 1915 وكان قبل انخراطه في صفوف جيش التحرير يعمل كسّابا من البدو الرحل، واستقر بواد درعة بالصحراء المغربية، وفي سنة 1957 انضم إلى صفوف إخوانه المجاهدين وهو في الثانية والأربعين من عمره، ودافع عن مقدسات وطنه إلى أن لبّى داعي ربه في معركة "كسيكسو" الواقعة بجبال واركْزيز سنة 1959 وهو دفين "فم أدقان" بوادي درعة.

المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير، *كتاب الشهداء*، ج 3.

عزالدين العلام

**بوزيد** (سيدي -)، هناك أضرحة بهذا الاسم في كل من أسفي وبني ملال والجديدة. فسيدي بوزيد أسفي يوجد ضريحه بالحي الذي يحمل اسمه، وتكاد تنعدم المعلومات حول دفين هذا الضريح، يقال إن أصله من ركراكة، وإنه كانت توجد قديماً بالضريح تقاييد حول ترجمته غير أنها ضاعت. ذكره أحمد الصبيحي في *باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة*، قائلا عنه : "من الصلحاء المشاهير، ولحسن موقع ضريحه خارج المدينة على شاطئ البحر في ربوة من الأرض يقصده أهل أسفي كثيراً للنزهة فتصرف لديه الأموال الطائلة في سبيل ترويض البدن وترويح النفس".

أ. الصبيحي، *باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة*، مخطوط.

عبدالرحيم العطاوي

** وسيدي بُوزيد بني ملال، يظن أنه أبو زيد عبدالرحمن ابن إسماعيل الصومعي من رجال القرن العاشر (16م) كان عالماً صالحاً عاصر أحمد المنصور الذهبي وألف كتاباً في التصوف على غرار التشوف لابن الزيات سماه : *تشوف الراغبين إلى السادة الكرام المتصوفين، أو التشوف في السادات رجال التصوف*، ويعرف *بالتشوف الصغير* تمييزا له عن التشوف "الكبير" ليوسف ابن الزيات. وعلى غرار ما يحدث في بعض كتب التراجم يبدو أنه ألحقت به تراجم وأخبار متأخرة عن عصر المؤلف فظن بعضهم أن حياة سيدي بوزيد تأخرت إلى نهاية القرن الحادي عشر (17 م).

"يوجد ضريحه مهملا في المنحدر بين قصر عمالة بني ملال ووادي تامكنونت من ناحية القصبة الكبيرة في مقبرة متلاشية".

م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 506 ؛ م. عربوش، *من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال*، 58 - 62.

محمد حجي

** وفي دكالة ضريحان يدعى كل منهما بسيدي بوزيد، الأول في بلاد القواسم ... يقال إنه عبدالرحمن أمغار من صلحاء تيط المشهورين. والثاني بضاحية مدينة الجديدة بعيد عنها بخمسة كيلومترات جنوباً والذي أصبح اليوم مُصطافا هاما.

وكل من هاتين القبتين تقعان على شاطئ البحر، وكان صيّادُو السمك يُكنُّون لهما كثيراً من التقدير والاحترام ويستمدون منهما العون والمساعدة عندما يتوجهون إلى البحر.

ويَعْتَبِرُ البعض أن كلمة "زيد" هنا ما هي سوى تحريف لكلمة "صَيْد"، أي أن عبارة "بوزيد" تتحول بسهولة إلى عبارة أخرى موازية لها هي "بوصَيْد" ؛ ومن جهة أخرى فإن مادة "صيد" هي التي أعطت عدداً من المدن أسماءها مثل "صَيْدُون" و "صَيْدَا" بلبنان. ولاغرابة في ذلك، فإن كل هذه المدن واقعة على شاطئ البحر، وكلها لها علاقة وثيقة بالصيد وبشؤون البحر.

ومن المعلوم كذلك أن من بين الآلهة الاسطورية التي كان اليونانيون يقدسونها، يوجد إلاهُ البحر الذي كانوا يسمونه (بُوصَيْدُون Poseidon) ؛ وكان موجوداً كذلك عند الرومان، باسم نبْتون Neptune، يمثلونه حاملاً حَرْبة مُثلثة الأسنة، دلالةً علَى سلطته على البحر وعلى الرياح. ولم يكنَ مجهولا عند أهالي إفريقيا الشمالية قبل الإسلام، إذ أن البعض منهم كانوا يقدمون القرابين إلى (بوصيدون) وغيره، فحانون القرطاجي يقول في *الرحلة* التي قام بها حول المغرب في القرن السادس قبل الميلاد، ما يلي "...ثم توجهنا إلى ناحية الغرب، فوصلنا إلى لسان من أرض ليبيا (المغرب) تكتنفه الغابات ويُدعى سُولاييس Soloeis، وشيّدنا به معبداً لبُوصيدون".

ويؤكد ذلك سكيلاكس Scylax الاغريقي في *الرحلة* التي قام بها في القرن الرابع للميلاد بقوله إنه يوجد في المكان المذكور معبد عظيم مخصص لبوصيدون نُقشَتْ عليه وجوه آدميّة ورسُوم سباعٍ ودلافين ويقال إن ذلكَ كان من صُنع ديدالسْ Dédale، المهندس اليوناني الذي يُنسَبُ إليه اختراع عدَة أدوات للنَحت والبناء والذي بنى مَتاهةَ أقْرِيطشْ.

وعلى هذا، فمن الممكن اعتبارُ "مقامات" سيدي بوزيد التي توجد على شواطئ البحر من مخلفات تلك المعتقدات التي كانت سائدة في تلك العصور السحيقة، والتي مازالت ذكراها حية بصفة غامضة في أعماق بعض صيادي السمك.

م. الشياظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*

(مخطوط) ؛ هيرُودُوت، نشر وترجمة جْزيل بالجزائر 1916.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*.

محمد الشياظمي

** يقع مركز سيدي بوزيد في الضاحية الجنوبية الغربية لمدينة الجديدة (5 كلم) على جرف يعلو الخليج الرملي الوحيد بالشاطئ الصخري الممتد إلى مولاي عبدالله (4.5 كلم) ثم إلى حدود الجرف الأصفر (12 كلم). وتربطه بتلك المراكز الطريق الثانوية رقم 121 والطريق الثلاثية الشاطئية رقم 1301 والسكة الحديدية (منذ سنة 1984) التي تستعمل لنقل الفسفاط من النواصر إلى الجرف الأصفر.

يقع سيدي بوزيد وسط منطقة عرفت تعميرا قديما، بين البريجة أومازيغن (الجديدة) والمركز التجاري الفينيقي أقدم رباط ساحلي بالمغرب (تيط، مولاي عبدالله). وينتمي حاليا إلى فخذة العبابْدة المنادْلة التي تشهد نمواً سكانيا مطردا منذ سنة 1960، نظرا لمستواها الفلاحي ومحاذاتها مدينة الجديدة. أمام هذه الكثافة الريفية المرتفعة (150 ن /كلم²) وحجم الدواوير المجاورة : الجعافرة المنادلة في الجنوب (284 ن) والبْحارة الشّعْبات في الشمال (766 ن)، يبدو سيدي بوزيد سنة 1982 مجرد قرية متواضعة من الناحية السكانية، يقطنها الأجانب والأطر بصفة خاصة بجانب الحراس والمشتغلين بالمؤسسات السياحية (30 أسرة و137ن).

إن هذا الرقم يتناقض مع التكهنات المرتبطة بمشروع ميناء الجرف الأصفر التي كانت تتوقع سنة 1990 عدداً يتراوح بين 5000 و10000 ن. إذ أن التقديرات كانت قد ارتكزت على مخلفات المشروع الضخم للتعبئة الحضرية والصناعية الممتد على مسافة 25 كلم تقريبا انطلاقا من مدينة أزمور والذي دشن سنة 1974. لقد شرع فعلا في تحقيق برنامجه سنة 1978 لبناء أكبر ميناء إفريقي استوطنت حوله صناعات فسفاطية وبتروكيماوية. إلا أن سير كل تلك المنشآت بكامل طاقتها لن يتم إلا بعد سنة 1992.

من الطبيعي إذن أن ينتظر تضاعف سكان مدن ومراكز المنطقة في ظرف وجيز، خصوصا وأنه روعي تجنب خلق مدينة بالجرف الأصفر بالنظر إلى التلوث الناجم عن المركبات الصناعية الذي يساهم حاليا في تقليص النشاط الزراعي والرعوي وبالتالي في الزيادة من الضغط الديمغرافي على المراكز الحضرية.

في التوصيات الملحة لكل خطط تصنيع وتعمير هذه المنطقة الحفاظُ على الطابع السياحي والاستجمامي الوطني الذي يظل النشاط السائد إلى اليوم بسيدي بوزيد، حيث تغطي 520 بنگلو ذات المعمار الجذاب 26 هكتاراً والمجمعات الاصطيافية 7 هكتارات في ملك مؤسسات عمومية وبنكية (المكتب الوطني للكهرباء، البنك المغربي للتجارة والصناعة، القرض الفلاحي، المكتب الوطني للسكك الحديدية...). كما يتوفر المركز على نزل مشهور بالمنطقة، وإذا كان المكتب الوطني للفسفاط يعتزم إسكان 8000 من مأجوريه في الجديدة (60٪) ومولاي عبدالله (20٪) وسيدي بوزيد (20٪) فإن المكتب الوطني للسكك الحديدية كان أول من عبر عن إرادة تخصيص ثلاثة هكتارات بالمركز لبناء بنگلات لموظفيه.

تجدر الإشارة إلى أن سيدي بوزيد يكون غاصا في فصل الصيف بالمصطافين والزوار الذين يقدر عددهم بحوالي 10.000 ن، لكنه يفتقر إلى كثير من التجهيزات التحتية الاقتصادية والاجتماعية. حيث أصبح يزود بالماء الصالح للشرب بواسطة قناة ممتدة من سد الدورات بعد أن كان يزود بخزان الجديدة، غير أن الأرضية الحثية والقشرة الكلسية تتطلبان استثمارا وجهدا كبيرين لمد قنوات الماء الحار.

لقد وضع المخططون الحضريون ثلاثة أنواع مختلفة من الإسقاطات المجالية للتطور الحضري والصناعي بالجديدة، كلها في ارتباط وثيق بنمو مركز سيدي بوزيد. والنوع الذي وقع عليه اختيارهم هو الذي يأخذ بعين الاعتبار التطور العفوي الحالي للمدينة. ذلك أن الجديدة تمتد نحو الجنوب الشرقي والوسط الشمالي والجنوب الغربي إلى حدود دوار الشعيبات. وسيفصلها عن سيدي بوزيد الذي يتوسع بين البحر والطريق الشاطئية منتزه إقليمي متعدد الأنشطة، ومنطقة فلاحية خفيفة مثل التي تعزله عن مولاي عبدالله.

يشترط هذا البرنامج العمراني توفير مائة هكتار إضافية بسيدي بوزيد لإنعاش السياحة وإقامة تجهيزات متنوعة وتنمية السكن، ويرتقب توزيع المساحات المستحدثة على أربعة قطاعات، إذ سيتم خلق مناطق خضراء بجانب المتاجر الحالية في الوسط (3 هـ) ويتعلق الأمر بحديقة قرب منطقة الخدمات وبمغروسات تزيينية على المنحدرات المشرفة على الشاطئ (4 هـ) وبشريط مشجر عرضه 150 م على طول الطريق الثانوية رقم 121 إلى حدود المنتزه الإقليمي، وستتم إقامة منشآت تجارية وترفيهية وخدمات متنوعة في المنطقة الوسطى (8 هـ). كما ستتوسع المساحة السكنية على 16 هـ من الفيلات الكبرى (1000 م²) و17 هـ. من فئة البنگلات، وأخيرا تم اقتراح تدعيم قطاع الفنادق والمجمعات الاصطيافية بحوالي 3600 سرير على 36 هكتار.

M. Ayad, *L'organisation de l'espace rural dans le plateau d'El Jadida et le Sahel d'Azemmour*, D. E. S., Rabat, 1982 ; *El Jadida, plan urbain*, 1/10.000, Direction de la Conservation Foncière et des Travaux Topographiques, IGN, Rabat, Paris, 1977, M. H. A. T., SCET, *Schéma-Directeur d'Aménagement Urbain du Grand El Jadida, Rapport de synthèse*, 1983 ; M. H. E., CERF, *Schéma d'Armature Rurale, Région du Centre*, Rabat, 1972.

مصطفى عياد

ابن **بوزيد، الطيب** بن عبدالقادر السلوي. فقيه عدل خطيب صوفي من أعيان الزاوية التجانية الملازمين لها، عاش منتصبا لتلقي الشهادات وكتابتها في حانوت ما زالت تعرف باسمه حتى اليوم، تقع في ملتقى سوق القشاشين وطريق سوق الغزل، وينفتح أمامها مباشرة سوق الجزارين وجامع مولاي سليمان. كان يخطب بجامع سيدي

أحمد حجي ويقوم بالنيابة عن قاضي المدينة عبدالقادر التهامي الوزاني، ومات أثناء عقد معاوضة عقار حبسي بباب سبتة بعد أن ورد ظهير محمد الخامس بالإذن في ذلك وحضر الطيب بن بوزيد السمسرة نائبا عن القاضي التهامي، وعند إتمام عملية المعاوضة يوم 14 ربيع الأول عام 9/1349 غشت 1930 كان قد قضى نحبه.

ابن **بوزيد، عبدالرحمن** بن مسعود الحاحي النكنافي نشأ وتعلم مبادئ اللغة والدين بقبيلته نكنافة الحاحية، ثم انتقل عام 1280 / 1863 إلى فاس لطلب العلم، فأخذ عن شيوخها، ثم استوطن ثغر الصويرة وصار إمام الزاوية القادرية ومدرس العلم بها وخطيب جامع القصبة. قال في حقه صاحب *إظهار السريرة* : "كان أحد العلماء المحققين، ومهرة المفتين، غير أن لسانه البربري كان لا يطاوعه على الإفصاح عما في ضميره من العلوم العربية، حتى كان لا يحضر دروسه إلا القليل من الطلبة ولكن قلمه يفصح عن غزارة علمه واطلاعه وتحقيقه".

أُسند إليه قضاء قبيلته نكنافة بظهير مؤرخ في فاتح شوال عام 1301 / 25 يوليوز 1884، ثم استعفى من هذا المنصب فأعفي بظهير مؤرخ في 5 صفر عام 1304 / 23 أكتوبر 1887 ورجع إلى الصويرة للقيام بالإمامة والخطابة والتدريس. وفي عام 1311 / 93 . 1894 نفذت له دار مخزنية يسكنها بأمر سلطاني، وما زال مقبلا على شأنه منقطعاً للعبادة والتدريس ونسخ الكتب دون كلل أو ملل، حتى إن معظم ما في خزانته من كتب بخطه.

توفي بالصويرة يوم السبت خامس ربيع الأول عام 1330 / 24 فبراير 1912. ودفن بضريح سيدي مگدول.

م. الصديقي، *اظهار السريرة*، 121 . 123.

ابن **بوزيد، عبدالرحيم** بن أبي **بكر** باشا الدار البيضاء. من المتعلمين السلويين السباقين إلى ولوج المدارس العصرية. أنهى دراسته بثانوية مولاي يوسف بالرباط وتكون تكويناً بيداغوجياً فأصبح معلماً للغة الفرنسية في عدد من المدن، وأخيراً أسندت إليه إدارة مدرسة السور بسلا (مدرسة أبناء الأعيان سابقاً) فكان مثال المدير الحازم والمربي الخبير.

توفي بمسقط رأسه في 25 رجب عام 1405/ 16 أبريل 1985.

ابن **بوزيد، عبد الرحيم** بن **محمد**. كان منذ صغره معدودا من نجباء طلبة مدينة سلا، وبهذه الصفة أدرج اسمه في قائمة الفقهاء والطلبة الذين خرجت لهم صلة سلطانية قبل عام 1862/1279 ورقمه فيها 30. وقد انتصب لتلقي الشهادات وكتابتها في سماط العدول، وهو صاحب *التقييد* في نسب البوزيديين. آخر ما وقفت عليه من شهاداته تعريفه بعلامة العدلين الفقيه الأمين الحاج محمد بن أحمد جغالف ورفيقه الفقيه محمد بن علي السوسي، بتاريخ 25 ذي الحجة عام 23/1306 غشت 1889.

ابن **بوزيد، عبد السلام**، من فقهاء مدينة سلا وعدولها ونجباء طلبتها يوجد اسمه تحت رقم 50 في وثيقة الصلة السلطانية المشار إليها أعلاه.

ابن **بوزيد، العربي** بن عبدالسلام، من كبار تجار مدينة سلا ووجهائها الذين وجه إليهم تحذير سلطاني بعدم التعامل مع ولاة المخزن من عمال وأشياخ ومن في معناهم مع التذكير بالأوامر الصادرة في هذا الشأن من مختلف السلاطين. ووقع الاشهاد عليهم في ثالث شعبان عام 26/1318 نونبر 1900.

ابن **بوزيد، علي** بن الطيب بن عبدالقادر، من آخر وجهاء هذه الأسرة بمدينة سلا، درس على والده ومن في طبقته من فقهاء سلا، وبرع في الكتابة وجودة الخط،

فانخرط في مقتبل العمر في الخدمة ببنيقة الأحباس في دار المخزن، وظل يعمل بها إلى أن توفي بمسقط رأسه في 20 ذي القعدة عام 1404 / 18 غشت 1984.

ابن **بوزيد، محمد** بن **إبراهيم** من فقهاء مدينة سلا وعدولها، كان له حس تاريخي كأبيه واعتناء بتسجيل الأحداث. وهو الذي أمد عمي إدريس بن عبدالهادي حجي بأوراق من *كناشة* والده العلمية تتعلق بالزاوية الحجية.

آخر ما وقفت عليه من شهاداته رسم مؤرخ في 13 جمادى الاولى عام 25/1353 غشت 1934. ولعله المقصود في *كناشة عمر عواد العلمية* (ص 7) بالفقيه محمد بن بوزيد المتوفى في متم شوال عام 19/1360 نونبر 1941.

ابن بوزيد، محمد بنعيسى، هكذا يوقع اسمه في غير ما رسم من الرسوم التي شهد فيها بدون كلمة "ابن" بين محمد وبنعيسى، ويكتب كنيته أحيانا : ابن أبي زيد. لذلك ظننت أنه غير محمد بنعيسى المترجم بعده. وآخر شهادة له وقفت عليها بتاريخ 21 رجب عام 1241/فاتح مارس 1826.

ابن بوزيد، محمد بن بنعيسى. هو غير السابق، معدود من فقهاء مدينة سلا المدرسين، وعدولها المبرزين. ذكر اسمه مرتين في قائمة علماء المدينة المكتوبة قبيل عام 1862/1279، الذين خرجت لهم صلة ملكية. فهو الثامن والثاني عشر في القائمة بصفته من الفقهاء الملازمين للتدريس.

ابن بوزيد، محمد بن الطيب، من طلبة مدينة سلا النجباء، فهو السابع والثلاثون في قائمة الطلبة والفقهاء الذين نفذت لهم صلة ملكية قبل عام 1862/1279.

ابن بوزيد، محمد بن محمد (الحاج ـ) من تجار مدينة سلا ووجهائها الذين رشحهم القائد محمد بن سعيد لمنصب أمين مرسى أسفي والعرائش. (رسالة القائد إلى السلطان في 17 رجب عام 28/1294 يوليوز 1877) وهو من كبار التجار الذين وقع الاسترعاء عليهم حتى لا يعودوا إلى التعامل مع ولاة المخزن وأشهد عليهم بذلك في 3 شعبان عام 26/1318 نونبر 1900.

ابن بوزيد، مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد، فقيه ناسك عاش عيشة عفاف وكفاف. لم يشغل وظيفة قط حتى استنابه رفيقه في الطلب الفقيه الأستاذ أحمد بن الحسن ابن إسماعيل، حين مرض، في الإمامة بمسجد سيدي أحمد حجي، فلم يقبل هذه النيابة إلا بعد لأي. ولما توفي الفقيه ابن إسماعيل في سادس ذي القعدة عام 1356 / 8 يناير 1938 صار مصطفى ابن بوزيد إماماً راتباً بمسجد سيدي أحمد حجي في الصلوات الخمس وواعظاً فيه قبيل صلاتي الظهر والعصر، وخطيباً بالنيابة أحياناً، وظل قائماً بكل هذه المهام الدينية بانتظام دقيق إلى أن جاءه اليقين في حدود عام 1390 / 1970.

ابن بوزيد، الهاشمي. فقيه مدرس بمساجد سلا، وعدل منتصب للشهادة في السماط. واسمه هو الخامس والأربعون في قائمة فقهاء المدينة الذين حظوا بالصلة الملكية قبيل عام 1862/1279.

ع. بوزيد، *تقييد في نسب آل بوزيد السلويين*، بنقل أ. الصبيحي في مسودة كتابه في *التراجم*، ص 76 ؛ *معلمة المغرب*، 221 ـ 222 ؛ *رسوم عدلية قديمة* عند العدل عبدالنبي النجاري السلاوي ؛ أ. الصبيحي، *مختصر تاريخ سلا*، مخطوط خ. ص، ص 87 ؛ م. بوشعراء، *ملاحق الاتحاف الوجيز*، 151 ؛ التعريف، 2 : 45 ـ 234 ؛ *معرفة شخصية وروايات شفوية*.

محمد حجي

البوزيدي، أحمد بن محمد بن عثمان، لا ندري إلى أي بلد ينتمي هذا المقرئ من تلاميذ عبدالرحمان بن القاضي، له مؤلفات في علم القراءات، منها :

1 ـ *تسهيل العسير، في قراءة ابن كثير*، فرغ منه في شهر ربيع الثاني عام 1673/1084 أدمج في هذا الكتاب قصيدة له في حكم ياءات الإضافة، كان نظمها قبل. وألحق به كذلك أبياتا ضمنها ما خالف فيه ابن كثير نافعا في الوقف.

2 ـ *لامية في رسم القراء السبعة جعلها تكملة لمورد الظمآن*، تأليف الخراز.

3 ـ *شرح على رسم ابن كثير*، لعل كتاب الرسم هذا لشيخه ابن القاضي.

4 ـ *الرقيا، لرسم أبي العلا*، قصيدة لامية في 80 بيتا.

5 ـ *لامية في اختلاف القراء في الوقف والوصل*، نظم فيه كتاب شيخه ابن القاضي.

لم نقف على تاريخ وفاته، وهو طبعاً من أهل القرن الحادي عشر الهجري(17 م).

م. الدليرو، م. بوخبزة، *فهرس خزانة تطوان*، قسم القرآن وعلومه ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

البوزيدي، محمد بن أحمد السلماني، نسبة إلى بني سلمان إحدى قبائل غمارة الوسطى، من شيوخ التصوف المربين، اشتغل أولا بتجويد القرآن وكان شبه ورده، ثم تجرد للسياحة والعبادة سنين إلى أن اتصل بالشيخ العارف مولاي العربي الدرقاوي، فتتلمذ له مدة ست عشرة سنة حتى رشّده وأذن له في التربية، وكان يقول له : أنت خليفتي حيا وميتاً، فأسس زاويته بموقع يدعى أبا سلامة في قرية تَلاوُذْمام مسقط رأسه، وكان له أتباع ومريدون كثيرون، ولا تزال زاويته هذه قائمة العين إلى الآن، يشرف عليها بعض حفدة الشيخ أحمد بن عبدالمومن التجكاني بوصية منه.

ومن أبرز تلاميذه : العالم العامل أحمد ابن عجيبة اللنجري التطواني، الذي عاش بهذه الزاوية ردحا من الزمن، وكان من خدامها الأوفياء، وقصته مع شيخه البوزيدي من غرائب الأمور. عالم بطيلسانه يحسن أزيد من خمسة وعشرين علما، درّس بمساجد تطوان ست عشرة سنة أو تزيد، يتتلمذ لشيخ بدوي ثقافته محدودة، يتحكم فيه تحكم الغاسل في ميته، فيأمره أن يتجرد من كل شيء، ويعلق في عنقه جرابا كبيراً وسبحة طويلة، يقف في الأسواق وعلى أبواب مساجد تطوان مع العجزة والعميان، يمد يده بالسؤال ويقول : من يعطي شيئا في سبيل الله ...؟

وهذا غاية في قتل النفس، وكبح جماحها ورعونتها، ثم يهجر داره وأهله وذويه، ويخرج إلى البادية لخدمة الشيخ، ويبيع جل ما يملك فينفقه عليه وعلى مصالحه، وظل ابن عجيبة في خدمة الشيخ البوزيدي إلى أن فرق الموت بينهما، وكانت وفاة التلميذ قبل موت الشيخ بسنوات، فأقبره بيده. وقرأ عليه : *(ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي*

*إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، وادخلي جنتي)*.

لم يكن ابن عجيبة التلميذ الوحيد للبوزيدي ـ كما أسلفنا ـ بل كانت هناك جماعة وافرة، أكثرهم من قبائل الجبل وخصوصا اغمارة، وقد كتب إليهم في بعض رسائله يقول وهو يحدد لهم منهج مدرسته وطرق تربيته :

"وبعد : فطريقته الصوفية مبنية على ثلاثة أصول : الصدق، والخروج عن النفس، الخروج عن المال.

فالصدق أساس، والخروج عن النفس سور، والخروج عن المال سقف، فالصدق هو امتثال كل ما يشير به عليه، والخروج عن النفس هو خروجها عن جميع العوائد. ومنها جميع اللذائذ لشهوتها الفانية، ومن العوائد المبالاة بالمخلوقات، وحب الجاه، وحب الرفعة، وحب العز، وحب الغنى، وحب المدح. وسبب العوائد كلها : حب الدنيا الساكن في القلب لا غيره، ولو خرج حبها لامتلأ القلب بنور الله، ولكان العبد عبداً لله، ولشهد سر الله ...".

وفي أخريات حياته انتقل الشيخ البوزيدي إلى سهل تيجيساس بقبيلة بني زيات حيث أسس زاوية ثانية هناك، وظل بها إلى أن توفي ليلة الأحد تاسع محرم عام 1229/ فاتح يناير 1814.

وصيته : توجد وثيقة عدلية مؤرخة بأوائل رمضان عام 1228 أي قبل وفاته بسنة، تشهد بأن الشيخ أوصى بكل ما يملك عدا ما ورثه عن أبويه على أنه حبس مؤبد، ووقف مخلف على الفقراء المتجردين المنقطعين إلى الله في الزاويتين، إحداهما بأبي سلامة بقبيلة بني سلمان،والأخرى بتيجيساس ببني زيات، وهي أحباس كثيرة تدر غلات وافرة.

من آثاره :

*الآداب المرضية، لسالك طريقة الصوفية.*

*مجموعة رسائل.*

*رائية في آداب السلوك.*

*تائية في الخمرة الأزلية*، وقد شرحها تلميذه ابن عجيبة.

م. البوزيدي نفسه، *الآداب المرضية*، مخطوط خ. ع ؛ مجموعة رسائل، مخطوط خ. ت ؛ ابن عجيبة، *شرح تائية البوزيدي*، مخطوط خ. ت ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان* ؛ ع. الصغير، *إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 18 و19* ؛ ع. بوخزار، *تقييد عن أعلام قبيلة بني سلمان* ؛ س. أعراب، *وثائق خاصة*.

سعيد أعراب

**بوزيري** (أولاد ـ)، قبيلة مشهورة ضمن اتحادية الشاوية تنتمي إلى مجموعة أولاد بورزق التي تضم قبائل المزامزة وأولاد سعيد وأولاد سيدي بنداود وگدانة. وهي القبائل التي تمثل الشاوية الجنوبية، تقع أراضي أولاد بوزيري جنوب قبيلة المزامزة، ويحدهم من الغرب أولاد سعيد ومن الجنوب وادي أم الربيع وبني مسكين ومن الشرق أولاد سيدي بنداود.

أصول أولاد بوزيري فيها اختلاف مثلهم في ذلك مثل أولاد سيدي بنداود. ويظهر أن العناصر الأولى للقبيلة من أصل صنهاجي ينتمون إلى زيري بن مناد الصنهاجي، مؤسس دولة صنهاجة.

وعلى كل حال فأولاد بوزيري كسائر قبائل الشاوية لا يمكن الجزم بتحديد أصل معين لها وربما كانت ذات أصول مختلفة فهناك عناصر بربرية لاشك فيها، مصمودية وصنهاجية، استعربت واندمجت في الموجات العربية التي استقرت فوق أراضي تامسنا خلال قرون عديدة.

وصف العربي العزوزي أولاد بوزيري بخفة الروح وسرعة الانتقام وبالكرم والشجاعة والشهامة. وقد اشتهروا خلال القرن الثالث عشر (19 م) بصعوبة الانقياد إلى حكامهم المحليين، الأمر الذي جعل المخزن يولّي عليهم عدداً من القواد. وتجدر الإشارة إلى أن انتفاضة الشاوية انطلقت من أولاد سعيد وأولا بوزيري في البداية. وأن أولاد بوزيري قاموا بجهد كبير في جهاد الشاوية، فقد شاركوا في حصار الفرنسيين بالدارالبيضاء، وخاضوا معظم المعارك حول المدينة وحول سطات، وظلوا حاملين لواء الجهاد إلى آخر لحظة. كما انضموا لمولاي عبدالحفيظ وكانوا مع أولاد سيدي بنداود والمذاكرة والأعشاش آخر من استسلم للفرنسيين.

ينقسم أولاد بوزيري إلى قسمين كبيرين : أولاد بوزيري الغرابة، وأولاد بوزيري الشراگة. وقدرت استخبارات جيش الاحتلال الفرنسي عدد خيامهم حوالي سنة 1914 كالآتي : أولاد محمد : 155 خيمة ، أولاد عمران : 185 خيمة، أولاد يسف : 182 خيمة، التوامية : 108 خيمة، مليتة : 110 خيمة، أولاد حفيف : 300 خيمة، الطوالات : 346 خيمة، الربعة : 170 خيمة. المجموع = 1553 خيمة.

تتميز قبيلة أولاد بوزيري بوجود عدة قصبات فيها، أشهرها قصبة بني جدادة وهي مركز القبيلة. كما يوجد بها عدة أضرحة ومزارات أشهرها : ضريح سيدي بودرگة، الذي ينتسب إليه درقاوة، وأصله من بني زروال. كما يوجد بالقبيلة مكان يقدسه اليهود ويعرف "بضاد Dad" يقال إنه اسم لأحد أحبارهم وفد من المشرق ودفن هناك بالقبيلة.

ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر*، مخطوط ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، مجلة البحث العلمي عدد 33، ص. 123.

*Villes et Tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia.*

علال الخديمي

**بوزيري**، قرية بشمال المغرب في الحد الجنوبي لجبالة، عند اتصال قبيلة مصمودة بقبيلة بني مالك. وهي الآن دوار من فخذة وادي زازْ، جماعة امْزَفْرُون، دائرة وزان. ويبعد الدوار عنْ مدينة وزان بحوالي اثني عشر كيلوميترا على خط مستقيم نحو الغرب، على مقربة من الطريق الثلاثية المؤدية إلى الطريق الرئيسية رقم 23 الرابطة بين وزان وسوق

أربعاء الغرب.

يكون بوزيري قد تجنب إفريز تل ظهر ابن حمرا الذي يبلغ أوجه في علو 457 م. باتخاذه موضع درجة طبغرافية على ارتفاع معدله 300 م، ويتكون كباقي تلال المنطقة من طَفْل وزان الباليُوسيني الذي تعلوه محليا صخور صلبة مْيُوسينية منَ الحَثّ والرصيص والتي تأخذ أحياناً كل عوارض. ووجود الصخور غير المنفذة في القاعدة مكّن من بزوغ عدة منابع تغذي عالية أحد روافد وادي زَازْ الذي يصب مباشرة في لكوس.

إن الكثافة السكانية المرتفعة في جلّ أنحاء تلال ما قبل الريف تتناقض ومحدودية إمكانيات العيش المتوفرة. ذلك أن معدل كثافة جماعة امْزَفْرُون الذي يتعدى 100 ن/كلم$^2$ والنمو البطيء في عدد سكان قرية بوزيري، من 778 نسمة سنة 1971 إلى 852 نسمة سنة 1982، يعكسان بوضوح مدى الإشباع السكاني الذي تعرفه المنطقة، بالنظر إلى الاقتصاد الفلاحي المعاشي المرتكز عليه بالدرجة الأولى.

اتخذت قرية بوزيري، لتجاوز الظروف المحلية غير الملائمة ولتنويع الموارد الممكنة، بنية متجمعة وشكلا مديداً عند التقاء ثلاثة رساتيق أساسية. إذ تمثل قمم التلال المكسوة بالأحراش وبالحافة الشرقية من غابة الرمل الفلينية مرتعا للرعي الخفيف، وتحمل السفوح العليا البقع الأخيرة من زياتين اجبالة، وتستغل السفوح الوسطى والسفلى في زراعة الحبوب المقلالة (شعير وذرة) رغم وفرة التساقطات (600 ـ 777 مم سنويا) الكافية لإقامة زراعة بعلية.

مديرة الإحصاء الرباط، *السكان القرويون حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1971 و1982* ؛ *أطلس المغرب*، نشر اللجنة الوطنية الجغرافية المغربية، الرباط ؛ مجموعات *خرائط حوض سبو*، وزارة الفلاحة والاصلاح الزراعي، الرباط، 1970 ؛ *أطروحة* Fay، 6.

مصطفى عياد

**البوزيري**، أسرة علمية بيضاوية، أصلها من قبيلة أولاد بوزيري الشاوية في ضواحي مدينة سطات. انتقل أفراد منهم في أوائل القرن الرابع عشر (20 م) إلى مدينة الدارالبيضاء، فكان منهم بها مدرسون وعدول وغيرهم.

**البوزيري، أبو بكر** بن بوشعيب الشاوي، درس بمسقط رأسه على والده وغيره، ثم انتقل إلى الدارالبيضاء مع من انتقل إليها من أهله، وكان "عالما مدرسا". من الآخذين عليه أخوه الشيخ محمد البوزيري آتي الترجمة.

توفي بالدارالبيضاء عام 1343/24ـ1925.

**البوزيري، بوشعيب** بن محمد بن عزوز الشاوي، أستاذ قرية بني جرادة وفقيهها، قال في حقه ولده وتلميذه محمد البوزيري آتي الترجمة بنقل صاحب *الإتحاف* : "كان علامة مدرسا".

توفي بمسقط رأسه في ضاحية سطات في شهر رمضان عام 1354/ نونبر ـ دجنبر 1935.

**البوزيري، محمد** بن بوشعيب بن محمد عزوز الشاوي. ولد بقصبة بني جرادة من قبيلة أولاد بوزير بضاحية مدينة سطات حوالي عام 1316/98ـ1899، وبها حفظ القرآن الكريم، وأخذ مبادئ اللغة العربية والدين عن والده بوشعيب سابق الترجمة. وعن عمه مَحمد ـ فتحاً ـ البوزيري، وبلديّه الشيخ محمد بن عبدالكبير الإسماعيلي البوزيري، وعلى الشيخ أحمد بن محمد العوني الدكالي وغيرهم، ثم انتقل إلى فاس عام 1333/14ـ1915 فأخذ عن علماء القرويين أمثال المهدي الوزاني والحسين العراقي ومحمد بن الطيب البدراوي، وأحمد بن الجيلالي، ومَحمد النميشي، ومحمد بن عبدالقادر ابن سودة، وأجازه كل من الشيوخ أحمد بن الصديق الغماري، وصالح بن فضول السوسي، وبوشعيب البهوسي المراكشي.

استقر بالدارالبيضاء مع من استقر بها من بني عمه، وانقطع للتدريس في الجامع اليوسفي، منتصبا للشهادة في سماط العدول. وانتفع به الجم الغفير من الطلبة، أفرد له عبدالسلام ابن سودة ترجمة في فهرس شيوخه *سل النصال* بطلب منه بعد أن أملى عليه ترجمته شفويا بالدار البيضاء، قال : "اتصلت به وخالطته مراراً، وهو الآن بها ـ الدارالبيضاء ـ كثير التدريس، وخصوصا بالجامع اليوسفي، مع خيرة ونسك، محبوبا عند أهل الداالبيضاء وطلبتها".

توفي بعد عام 1387/1967.

ع. ابن سودة، *سل النصال*، مخطوط، الترجمة رقم 171.

محمد حجي

**بوالسباع**، (أولاد ـ) أو أبو السباع، والنسبة إليهم سباعي. ويحذفون أحياناً ألف الوسط فتكتب : بوالسِّبَع، والَنسبة البوسبَعي والسِّبَعي. قبيلة تفرقت فروعها في كثير من جهاتَ المغرب.نجد فرقة تعيش في الحوز منذ أزمنة بعيدة، وأخرى في سوس، وثالثة تنتشر بين الساقية الحمراء وجنوب الصحراء المغربية وشنقيط، بل خرج بعضهم إلى جنوب وهران في المغرب الأوسط(*قبيلة*، 48 ؛ *En Tribu*, 254).

ينتسب أولاد بو السباع إلى جدهم الأول عامر الهامل المكنى بأبي السباع والمدفون في الخلوة التي كان يتعبد فيها ببلاد بعقيلة في سوس على قمة جبل شاهق يسمى أُضَاض مَدَّن، أي أصبع الناس ( *الدفاع*، 56ـ57) ولعله عاش في القرن الثامن (14 م) ويقام بجوار ضريحه موسم سنوي تحضره قبائل كثيرة من الأعراب والبربر.

يرجع سبب كنيته بأبي السباع إلى قصة مشهورة عند السباعيين تقول إنه وُلد في فاس وبها نشأ ودرس حتى صار فقيها، وغادرها سائحاً يعبد الله في الخلوات على عادة أهل التصوف حتى وصل إلى سوس، فاشتهر ورعه وكرمه وذاع صيته. وصارت القبائل تعظمه وتكرمه. فلما سمعت بذلك قبيلة البرابيش، أرسلت إليه نفراً من أعيانها ليتحققوا من أمره، فاستقبلهم بفرح وذبح لهم شاة هيأ بها

طعاما. إلا أن القوم استصغروا ما قام به في حقهم وطالبوه بذبح شاة لكل واحد منهم، وأصروا على مطلبهم مستحوذين على الغنم لتنفيذ رغبتهم. فتحولت الغنم إلى سباع (!) فاندهش القوم وصاروا يصرخون "كف عنا سباعك يا أبا السباع" ! واعترفوا بصلاحه وصاهروه.

ينقسم أولاد بو السباع إلى فرقتين كبيرتين هما : أولاد عمران وأولاد عمرو نسبة إلى ولدي جدهم الهامل. وهما معاً مدفونان في الأقصابي بوادي نون حيث بُنيت عليهما قبة وبإزائها مقبرة يقام قربها موسم شهير في فصل الصيف (*الدفاع*، 43). وتتفرع كل فرقة منهما إلى فروع، ففرقة أولاد عمرو تتكون من أربعة أفخاذ، كل فخذ ينتمي إلى أحد أبناء عمرو بن عامر الهامل وهؤلاء هم عامر، وإبراهيم، والحاج، والغازي. وتتكون فرقة أولاد عمران من أربعة أفخاذ كذلك ينتسب كل منها إلى أحد أولاد عمران ابن عامر الهامل وهم بوحسين، ومخلوف وإدريس، والسعيد. ولعل أغلبية المنحدرين من أولاد عمرو تستوطن الصحراء، بينما تكوّن فرقة أولاد عمران أغلبية سكان القبيلة السباعية بالحوز.

ينتسب السباعيون إلى إدريس بن عبدالله الكامل، عن طريق محمد بن إدريس الأزهر مؤسس مدينة فاس. ويحفظ السباعيون سكان الصحراء وأهل الحوز قصائد شعرية تتضمن سلسلة نسبهم (*المعسول*،15 : 267 ؛ *Une Tribu*, 249). وقد شكل الحفاظ على النسب وتوثيقه ظاهرة ملحوظة عندهم، وذُكروا في عدة كتب مهتمة بشرفاء المغرب في عداد الشرفاء الأدارسة، وصُنِّفوا فيها معهم. كما حملت أخبار ذلك عدة وثائق.

وقد ذكرت بعض المصادر مشاركة أولاد بوالسباع في محاربة البرتغاليين بالساقية الحمراء، وأخبار انتصاراتهم على النصارى مشيدة ببسالتهم وتفانيهم في الجهاد إلى حد اعتبار أن طرد الأجانب من المنطقة كان على يدهم. وقد سقط منهم شهداء في ساحة الوغى وهم المدفونون قرب اسمارة إزاء ضريح سيدي أحمد العروسي، خلّدت بطولتهم كثير من القصائد التي مدحت السباعيين ودورهم في الدفاع عن حوزة البلاد. وربما توجه عدد من المجاهدين السباعيين من الصحراء إلى جبال الأطلس الكبير يحاربون العدو، ويحرضون السكان على المقاومة، قبل أن يذهب إليها محمد القائم بأمر الله تلبية لنداء حاحة والشياظمة. واستشهد عبدالمالك بن عامر السباعي قرب أگادير (حصن) الذهب بقبيلة دمسيرة سنة 909 / 1503 حيث ضريحه. كما يوجد في قرية بولعوان بسكساوة ضريح يحمل اسم سيدي غانم السباعي. ومعلوم أن هذا الأخير كان أحد تلامذة الغزواني تلميذ عبد العزيز التباع أشهر مريدي الشيخ مَحمد بن سليمان الجزولي (*دكالة*، 67).

وفي سنة 921 / 1515 م بعث حاكم أسفي البرتغالي نونو فيرنانديس دو أطايد Nuno Fernandez de Ataide فرقة من الجيش مدعمة ببعض القبائل قصد مداهمة مقر إقامة السعديين داخل الجبال بعدما غادروا ثغر أمغور. وخلال الحملة تلقى العدو خبر مرابطة حوالي اثني عشر دواراً من أولاد بو السباع على مقربة من حصني اغبالوا وأگلاگل. وترأس لوبو دوباريگا Lopo de Barriga حشوداً تضم أربعمائة من رماة الشياظمة ومائة وخمسين من رماة عبدة بالإضافة إلى المحاربين البرتغاليين. واتجهت هذه الحشود إلى مكان وجود أولاد بو السباع قبل غروب شمس يوم ثالث دجنبر 1515م.

ومن غير المستبعد أن القوات البرتغالية وحلفاءها لقيت هزائم على يد المسلمين. ويظهر ذلك من خلال الارتباك الذي أصابها وأرغمها على التراجع : *S.I.H.M., Portugal*, 1 : 764).

وهناك إشارات لتطوع فقهاء سباعيين في المقاومة بمنطقة دكالة. فقد حل بها سنة 914 / 1508 أحمد بن رحال السباعي أحد أساتذة القراءات السبع وبنى بها مدرسة. كما كان عبدالله بن ساسي من بين المجاهدين الذين دافعوا عن ثغر أزمور سنة 919 / 1513. ولما أسره النصارى هناك افتكه المسلمون (*دكالة*، 360 ؛ *جواهر الكمال*، 1 : 61 ـ 62 ؛ *دوحة الناشر*، 110) وتعتبر مشاركة السباعيين في حركة الجهاد من العوامل التي مهدت السبيل لاستقرارهم بالحوز. والجزء الكبير من السهل المحاذي للدير الذي يشغله أولاد بوالسباع، كان إلى عهد الدولة المرينية مجالاً تمارس فيه قبائل سكساوة زراعة الحبوب وتسميه "دارالحرث" (*Structures*, 59 - 104 - 105).

ومن المعلوم أن الفقهاء والمجاهدين المتطوعين كانوا دعامة السعديين، ولهذا كان سيدي ملوك وابنه سيدي مبارك من بين السباعيين الذين مهدوا الطريق لنزول القبيلة في هذه المنطقة. ولعل أول نواة للاستقرار كانت في المكان المسمى بـأمَسْكَسْلان. وهناك قصة مليئة بالكرامات والخوارق تشرح العوامل التي ساعدت السباعيين على الاستيطان بهذه المنطقة. وقد عثرنا على نسخة من رسم قديم حبس بمقتضاه القائد حمو الشيّن الشيظمي الموردي جميع أملاكه بأمَسْكَسْلان على "الولي الصالح والقطب الواضح سيدي مبارك بن ملوك السباعي العامري" وتضمنت هذه الأملاك أراضي وبنايات وعيناً وبئراً. وضريح سيدي مبارك معروف في زاوية الخنيگ على الحدود مع قبيلة متوگة.

ومما دعم استقرار السباعيين بالحوز، في مرحلة ثانية، قدوم الولي سيدي المختار من الصحراء، وشراؤه أرض تغسريت ـ وهي الناحية الغربية من القبيلة السباعية حيث يوجد ضريحه ـ من الرجراجيين بست وستين ناقة وذلك في بداية عهد السلطان المولى إسماعيل.

كان لأولاد بوالسباع حُظوة كبيرة عند السلطان سيدي محمد بن عبدالله، لسابق معرفته ببعض فقهائهم وأعيانهم بالصحراء قبل خلافته (*البستان*، 97) لكن الحروب التي وقعت في الحوز بين السباعيين وجيرانهم من القبائل السوسية وغيرها، جعلتهم يفقدون مكانتهم عند السلطان

ويتعرضون لعقاب المخزن ونتج عن ذلك تشتت السباعيين في كثير من أنحاء البلاد ( *الروضة السليمانية*، 125).

وقد ساعدت الفتنة التي انتشرت في الحوز عقب وفاة السلطان سيدي محمد بن عبدالله السباعيين على العودة إلى الحوز. ولما آلت الخلافة إلى السلطان مولاي سليمان، أنعم عليهم بالعفو، و"قابلهم بالاحترام ورجعوا إلى عزهم" ( *البستان*، 100) وتوسع مجال القبيلة عندما شمل منطقة بوجمادى. ثم توطد استقرار السباعيين بالحوز في عهد السلطان مولاي عبدالرحمان الذي وجد فيهم دعما قوياً عندما نكل بالشراردة. فكافأهم بضم منطقة الـمَجُّون وهي الأراضي التي انتزعت من قبيلة تكنة حليفة الشراردة، إلى بلادهم، كما عين عليهم قائداً سباعياً من أهل الصحراء يسمى أحمد بن الشيگر. وهو تاجر مرموقٌ وفقيه جليل. وأصدر لهم ظهيراً يقر تملكهم الأرض ويتضمن حدود قبيلتهم. وقد احتل السباعيون من جديد رتبة رفيعة عند السلطان ولا سيما عندما شفيت ابنته مما كان يعتريها من توترات عصبية على يد الفقيه محمد الضوء البگاري. فكان المخزن لا يكلف السباعيين بما كانت تكلّف به العامة عدا الزكاة الشرعية بوجهها (*المعسول*، 15 : 267 ؛ *البستان الجامع*، 100).

لقد كان الشعور بالانتماء إلى الجد المشترك وعنصر الشرف الناتج عن الانتساب إلى الأدارسة من بين عناصر التلاحم والتماسك التي كانت توحِّد السباعيين مهما اختلفت أنماط عيشهم وتباعدت مواطن استقرارهم. ولعل إضافة عنصر العلم إلى ذلك ساعد على اكتمال بنيان الشخصية المعنوية للقبيلة. وكان السباعيون يؤمنون بأن من بين السمات التي تميزهم عن غيرهم من القبائل توفرهم على عدد كثير من العلماء الفطاحل وانتشار العديد من المدارس والزوايا في ربوع بلادهم.

ورغم ما كانت تعرفه القبيلة من نزاعات بين بعض الأفخاذ المتنافسة على القيادة، فإن عدة عوامل جعلت عناصر التلاحم والتماسك أقوى من بوادر الخلاف. وكانت القبيلة بالحوز تدافع عن مصالحها الحيوية من ماء ومرعى وأراض زراعية، كما كانت تستميت في الحفاظ على حدودها مع جيرانها، ولم يكن ذلك يمنع السباعيين من ربط علاقات حسن الجوار مع القبائل المحاذية لها. وقد ساد التفاهم عند استغلال مياه الأودية أو عند الانتجاع في الأراضي السهلية. وكان المخزن يتدخل لحسم الخلافات وفض النزاعات، فيقوم بإصدار الظهائر كلما اقتضت المصلحة ذلك. وقد لعبت زوايا المنطقة ومدارسها دوراً أساسياً في استمرار الوئام بين القبائل بتذويب الخلافات وتلطيف العلاقات إضافة إلى دورها التربوي والتعليمي. ولم تكن مظاهر الدفاع عن القبيلة تقتصر على ضمان المصالح الحيوية وإنما توسع إطارها ليشمل عدة ميادين. فقد ألف الفقيه محمد بن إبراهيم السباعي *البستان الجامع* ليرد على ما كتبه أكنسوس في *الجيش العرمرم* من معلومات متعلقة بقبيلة أولاد بوالسباع، فقدم تصحيحات تاريخية استناداً إلى وثائق، وأعطى شروحاً دينية للحكم على بعض المواقف. وتميزت ردود أخرى بطابع السجال العنيف.

ولما كان النسب الشريف من أكبر مشاغل السباعيين فإنهم ظلوا شديدي الحساسية تجاه كل من حاول إنكاره. وفي هذا الصدد ألف عبدالله بن عبدالمعطي *الدفاع وقطع النزاع عن شرف أبناء أبي السباع*.

ظلت العلاقات بين السباعيين في الحوز وإخوانهم في الصحراء وطيدة رغم البعد واختلاف ظروف العيش. وتجلى ذلك في كثير من المجالات : في القيام بالزيارات المتبادلة لصلة الرحم، وفي المعاملات المتبادلة بينهم وبين جيرانهم. فكلما أصاب السباعيين مكروه في الحوز، تألم له إخوانهم في الصحراء وعبَّروا عن لوعتهم بشكل من الأشكال. وكذلك الآخرون، وظل السباعيون في أقصى الصحراء، كإخوانهم سكان الحوز، متشبثين بمغربيتهم رغم تقلب الظروف والأحوال.

م. ابن عسكر، دوحة ؛ م. ابن عبدالعظيم الأزموري، *تقييد في بعض شرفاء المغرب*، مخطوط، خ. ع. ضمن مجموع رقم 1595 د ؛ أ. الزياني، *رسم التحبيس* مؤرخ بـ 1641/1051 ؛ أ. الزياني، *الروضة السلمانية*، مخطوط، خ. ع. رقم 658 ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ ع. ابن زيدان، *اتحاف* ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ أ. العشماوي، *التحقيق في النسب الوثيق*، مخطوط، خ. ع. 1049 د ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ أ. بوشرب، *دكالة* ؛ م. السباعي، *البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد مآثر السلطان مولاي الحسن*، مخطوط، خ. ع. 1346 د ؛ع. السباعي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، الرباط، 1940 ؛ ظهير السلطان مولاي عبدالرحمان مؤرخ بـ 10 شوال 1261 ؛ م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*. د. د. ع. 1988.

Abes, *Monographie d'une tribu berbère : Les Aït Ndhir (Beni Mtir)*, *A. B.*, Vol. 2, Fasc. 2, 1917, p. 149, Fasc. 4, p. 337 - 416 ; L. Baritou, *Les grandes lignes de l'histoire des populations de Chichaoua*, *Hesp.*, N° 45, p. 8 - 50 ; J. Berque, *Antiquités Seksawa*, *Hesp.*, T. XL, 3 et 4ème trim., 1953, p. 359 - 419 ; *Structures sociales du Haut Atlas*, 3ème Edit., Paris, 1978 ; C. Bonafas, *Une tribu marocaine en Mauritanie : Les Oulad Bou Sbaâ*, *B. S. G. A. O.*, 52e année T. L, Fasc., 183, 1929, p. 249 - 267 ; P. Cenival, *S. I. H. M.*, T. 1 et 2 ; F. Lachapelle, *Esquisse d'une histoire du Sahara occidental*, *Hesp.*, 1930, 35 + 95

م. حسن كفناني

## البُوسبَعِي ← السباعي

## البُوسبَعِي عبدالله ← بنساسي عبدالله

**بوستة**، أسرة مراكشية قديمة، أصلها من تافيلالت. كان جدهم الأول الأمين الحسن بن محمد بوستة حجاماً متطبباً عند السلطان المولى إسماعيل. وفي فتنة ابنه محمد العالم أمر السلطان بوستة بقطع يده ورجله من خلاف حين ألقي القبض عليه فتنصل من هذا الموقف الحرج تعظيماً لآل البيت، فغضب عليه السلطان وطرده، ثم رد إليه اعتباره

وكتب له ظهير التوقير والاحترام، جاء فيه بعد التقديم : "إننا وقرناه واحترمناه لثقتنا به، وله علينا جميل في احترامه لولدنا مولاي مَحمد رحمه الله حين أمرناه بقطع يده فتنصل من ذلك وأبى إباية شهدت له بديانته واحترامه الأشراف من آل النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك جعلنا داره حرما لمن يجيء إليه".

وتوثقت صلة آل بوستة بالأسرة العلوية الشريفة لما صاهرهم المولى سليمان، وتزوج بنت القايد عمر بوستة الذي مات هو وقاسم الرحماني في وقعة الشرادي. وقد عُرفت هذه الأسرة في مراكش بالتدين، وفعل الخير، وحب آل البيت، وحسن الظن بالناس، إلى جانب خفة الروح، وحضور البديهة، والنكتة المستملحة.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 4 : 66 ؛ *روايات شفوية*.

**بوستة، أحمد** (الجد) بن القايد عمر ولد بمراكش بحومة قاعة ابن ناهض في الدرب المعروف بدرب بوستة. ونشأ بين أحضان أسرة تجمع بين التنعم والتدين. وسهر والده على تعليمه، حيث أدخله إلى كتاب الحي لحفظ القرآن الكريم ومبادئ الدين واللغة، ثم التحق بجامع ابن يوسف ودرس على علمائه. فأجازوه إجازة تقدير واستحقاق. ومن شغفه بالعلم نسخ بخطه *شرح ابن أبي جمرة لمختصره على البخاري*، في ثمانية أجزاء.

ولي أحمد بوستة عمالة مراكش أيام السلطان مولاي عبدالرحمان في سابع عشر ربيع النبوي عام 1842/1258. ولما قتل أحمد بن المؤذن الفرجي عام 1873/1290، الذي كان خليفة للمترجم، صار أحمد بوستة عاملا على مدينة أزمور متنقلا إليها من ولاية مراكش.

لقد استطاع الوشاة أن يوغروا صدر السلطان عليه فأمر باعتقاله يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة عام 1279 / 3 ماي 1863، حسب *البستان الجامع*، أما كتاب : *الاستيطان والحماية* فيجعل اعتقاله سنة 1863/1280. وقد خلفه في هذا المنصب الجيلالي بن حمو، إلا أنه سرعان ما أعيد إلى سالف منصبه.

يقول السباعي في *البستان الجامع* (ص 32) : "... لم تشغله ولايته ولا أمور دنياه عن آخرته، فكان السلطان مولاي عبدالرحمان يحبه جداً لما يعرف عن ديانته، وعادت عليه بركة محبته.

...لما ودعه هو وأهل مراكش في سفره للغرب الذي كان آخر عهدهم به قال على رؤوس الأشهاد : الطالب أحمد بوستة طهرت صحيفتي مع أهل مراكش طهر الله صحيفتك، ثم التفت إليهم وإليه وقال : *(إنك ميتٌ وإنهم ميِّتون، ثم إنَّكم يومَ القيامة عند ربِّكم تختصمُون)*.

وكان له اهتمام خاص *بدلائل الخيرَات* للجزولي يعمل على نشره في جميع الآفاق. كان له طائفة من الطلبة يكرمهم ويكريهم على ملازمة انتساخ هذا الكتاب، فيجمع عدداً من النسخ ويسفرها ويجلدها، وحيثما جاءت الأركب من الآفاق يعطيهم عدداً منها مجاناً ويأمرهم بإعطائها لمن يستحقها حتى انتشرت في الأقطار كالصحاري ونحوها، ثم زاد أن جعل للعميان الملازمين مقام أبي العباس السبتي خراجاً على حفظه، فلم يبرحوا أن حفظوه عن ظهر قلب، وبعد ذلك تنافس في حفظه المبصرون، ثم عمد إلى أنفس بساتينه فحبسه على من يقرأ *دلائل الخيرات* تجاه الروضة الشريفة بالمدينة المنورة، فأطلع عليه السلطان مولاي عبدالرحمان فأمضاه".

ولما توفي السلطان مولاي عبدالرحمان اجتمع المترجم مع أهل مراكش بجامع الكتبيين لبيعة المولى محمد بن عبدالرحمان، وقراءة نص البيعة التي كتبها الأديب الوزير محمد أكنسوس.

توفي أحمد بوستة بفاس في واحد وعشري جمادى الثانية عام 25/1292 يوليوز 1875 ودفن في الركن المقابل لباب الصومعة من زاوية سيدي عبدالقادر الفاسي.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 418 ؛ *البستان الجامع*، 32 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 3 : 970، 1120.

**بوستة، أحمد** (الحفيد) بن عمر. ولد بمراكش عام 1889/1307 بحي قاعة ابن ناهض درب بوستة. وتربى تربية دينية، فحفظ القرآن الكريم، وتلقى علومه الأولية من قراءة ورسم وتجويد على يد الفقيه الجبلي، بعدها انصرف إلى جامع ابن يوسف فدرس على شيوخه، أمثال : أحمد ولد الحاج المحجوب، و بوشعيب الشاوي، ومحمد الداودي السرغيني، وغيرهم.

لما استكمل دراسته، اشتغل عدلا بالأوقاف، ثم مراقباً للدروس بالجامعة اليوسفية التي ترك فيها بصماته كمرب أديب، فأحبه الطلبة، وأكبره الشيوخ والعلماء، لما حباه به الله من دماثة الأخلاق، وسعة الصدر، وروحه المرحة المشبعة بالنكتة. ثم انتقل إلى فاس كمراقب للدروس بجامعة القرويين صحبة رئيسها الجديد مولاي مبارك العلوي المراكشي.

يقول عبدالهادي بوطالب في *مذكراته* : "كان للتجديد والإصلاح دعاته بين الطلاب والعلماء معا، وكان للجمود

والتمسك برواسب الماضي أنصاره بين الطلاب والعلماء معا.... ويعود الفضل في كسر طوق هذا الجمود في النهاية، وإجبار الطلبة والعلماء المتعصبين على الخضوع لمقتضيات نظام الإصلاح إلى رئيس الجامعة مبارك العلوي، ومساعده المراقب العام أحمد بوستة اللذين حققا هذا الإنجاز العظيم ...".

وبعد رجوع أحمد بوستة إلى مراكش، أسندت إليه مهمة الإشراف على الكتاتيب القرآنية. ولم تكن كل هذه المهمام لتشغله عن قرض الشعر في شتى أغراضه، وكتابة المقالات الأدبية والتاريخية في المجلات المغربية كالمغرب والسعادة وغيرهما إلى جانب إلقاء محاضرات بإذاعة مراكش.

كان له ـ رحمه الله ـ اهتمام بتاريخ مراكش، ومعرفة تامة بالأسر المراكشية، وعادات هذه المدينة العريقة وتقاليدها، فهو نسابة، اكتسب هذه المعرفة بفضل شعبيته، واطلاعه على كتب التراجم والأنساب والتاريخ. وكانت تخامره فكرة الكتابة عن مراكش، لكن مرض القلب لم يسعفه، ولم يترك له مجالا، إذ عاجلته المنية عام 1958/1378، ودفن بضريح الولي الصالح ابن العريف، تاركاً *ديوان شعر* لا يزال مخطوطاً عند أحد أبنائه.

ومن شعره قوله :

| | |
|---|---|
| أحسن الأيام يوما أجدك | يا غزالا جل رب موجدك |
| تهْ وَجُرْ واعدل وَزُرْ وانْه ومُرْ | إنني في كل حال أحمدك |

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط ؛ *روايات شفوية*.

**بوستة، عباس** بن عبدالسلام، من كبار شعراء الملحون المراكشيين،، عاش حياته زاهداً في الدنيا، مؤثراً العزلة والانطواء على نفسه قنوعا بلقمة الحلال.

ولد عام 1882/1299 بحي قاعة ابن ناهض درب بوستة الكبير، ونشأ في كنف والده الذي أدخله إلى الكتّاب القرآني القريب من دارهم، ثم مات والده فكفله شقيقه الأكبر الفقيه محمد بوستة المعروف بلقب (السِّي أمان)، لكن الطفل لم تكن لديه رغبة في القراءة رغم حرص أخيه، وتشجيعه إياه على حفظ القرآن. وأخيراً قرر الطفل مغادرة مراكش دون أن يعلم أحد بمكان سفره، وانقطع خبره مدة طويلة ولم يعد إلى مراكش إلا بعد أن شبّ، لكن إقامته بمراكش لم تطل، إذ سافر إلى مدينة فاس فأقام بها خمس عشرة سنة، وهو يعمل كقهواجي في حانوت جعلها مقراً له وسكنى، ونظراً لما يتحلى به من سلوك قويم وتدين صحيح وزهد وعفة، أحبه الناس، واحتل عندهم مكانة لا ينالها إلا من أحبهم الله تعالي.

ثم انتقل إلى مدينة سلا حيث مكث فيها زهاء عشرين سنة، يتعاطى نفس المهنة التي كان يتعاطاها بفاس، ومكنته هذه المدة التي عاشها بسلا من أن يتعرف على مجموعة من رواة الملحون فأقبلوا على حفظ قصائده ونشرها بين الناس. وقبل الأربعينات التحق بمدينة أسفي بنفس الحالة التي كان عليها، متورعاً عن المحرمات، زاهداً في الدنيا وزخرفها، محافظاً على دينه، فاكتسب بهذا السلوك إخواناً وأصدقاء، أحبوه وتعشقوا قصائده وحفظوها.

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية رجع إلى مسقط رأسه مراكش، فاقتنى دكانا بباب القسارية الجديدة واستقر به كقهواجي لأهل السوق. وكان لا يفضل على مراكش سوى مكة المكرمة، والمدينة المنورة.

لالَةْ لَمْدُونْ، صولي يامولاتي البَهْجا
صُلتِي عن كل بلد، إلاَّ مكّا ومْدينة يَثْرِبْ

يتمتع عباس بوستة بقدرة فائقة على صياغة شعر الملحون وتنويع البحور والقوافي. وشعره متنوع الأغراض، طارق كل أبواب القول. وبالرغم من أنه كان أمياً فإن شعره لم يخلُ من حكم مستمدة من القرآن الكريم، والحديث النبوي، أو أقوال الفقهاء، كما كان يوظف بعض الأمثال والحكم الشعبية المنسية، أو التي في طريق النسيان. لكن الجانب الذي يثير الانتباه في شعره هو الجانب الانتقادي المتشائم، أو شعره السياسي الذي يلتقي فيه مع الفكرة المشهورة : "السلطة تُفسد الرجال". فقد انتقد الحكام، وأصحاب المال والجاه بسبب عبثهم بالحياة والناس، وعدم تقديرهم حقوق العباد، ومن قصائده الانتقادية : العتلة، والداعي، والفرية ... الخ ومن كلامه في اعتزال الناس والحثّ على تجنب مصاحبة الخلق :

يالمَولى تكفيني هولْ شَرّ الاصْحابْ
مابْقى مَنْ تعْمَلْ في ذَا الزْمانْ صاحَبْ

وله في النصائح والمواعظ والحض على التقوى، ورحمة الناس والاستغناء عن الخلق بالخالق، كلام كثير منتشرٌ في جل قصائده، كقصيدته : (الموري) أو (المگانة) التي يقول في مطلعها :

إذا وْقَفْ المُوري فْساعةْ الانْسانْ

توفي بمراكش عام 1948/1367 ودفن بمقبرة باب أغمات.

أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط ؛ *روايات شفوية* من أسرة الفقيه، ومن جمعية الملحون ورئيسها الأستاذ عبدالله الشليح.

أحمد متفكر

**بوستة،** (سيدي ـ) ميمون بن أحمد بن عبد الحق، وكني بذلك لأنه كان له ستة أولاد يحيون كلهم حياة مثالية. ولقد تفرق أحفاده، فذهب بعضهم إلى وادي درعة، ومنهم من استقر بتادلا وبعضهم بسوس وآخرون ذهبوا إلى الزاب بالمغرب الأوسط وإلى الاسكندرية.

توفي سيدي بوستة سنة 714 / 13 ـ 1314 ودفن بالخضاضرة بدكالة وعلى قبره حوش.

سلسلة *مدن وقبائل المغرب*، ج 10، دكالة، تر. م. الشياظمي.

**بوسجدة،** (سيدي ـ) إسماعيل ابن المجاهد سعيد الدكالي المشنزائي آتي الترجمة. أسس الزاوية التي تحمل اسمه (زاوية سيدي إسماعيل) الواقعة جنوب الجديدة، على

الطريق الذاهبة من هذه المدينة إلى مراكش، وبنى بها مسجداً ومدرسة قرآنية.

تتلمذ سيدي إسماعيل بوسجدة على الشيخ مَحمد ابن ناصر الدرعي، وكان عالما جليلا كثير الورع والجهاد، يسير على نهج والده، فانضوى تحت لواء المجاهد مَحمد العياشي السلاوي لمقاومة البرتغال.

وتوفي سنة 1094 / 82 ـ 1683. وهو مدفون بزاويته، وعلى قبره قبة مشهورة.

سلسلة *مدن وقبائل المغرب*، ناحية دكالة، تر. م. الشياظمي، مخطوط ؛ م. الشياظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. الكانوني، *أسفي وما إليه*.

**بوسجدة،** (سيدي ـ) سعيد بن علي بن قاسم الدكالي المشنزائي، مجاهد صالح، ساهم في مقاومة الاستعمار البرتغالي. يُذكر أنه نهض إلى الجبل الأخضر وجمع حوالي اثني عشر ألفاً من الرجال وزحف بهم إلى مدينة البريجة، ووافقه على ذلك قائد أزمور وبعض أشياخ الشاوية، وكانوا نحو مائتين وخمسين من الفرسان. وشدد البرتغاليون الحراسة في الأسوار. ودام الحصار ثلاثة أيام. غير أن سيدي بوسجدة قائد الحملة قُتل أثناء ذلك الحصار، فافترق الجمع. وكان ذلك حوالي سنة 1034 / 1624.

محمد الشياظمي

**بوسداّجة،** أسرة كانت بتطوان انقرضت، وهذا الاسم محرّف عن كلمة سجّادة، وكان من البوسداّجين التطوانيين:

**بوسداّجة، محمد بن أحمد،** فقيه كان يزاول خطة العدالة من سنة 1627/1037 إلى سنة 1630/1040.

**بوسداّجة، محمد بن الطاهر،** فقيه كان يزاول نفس الخطة من سنة 1770/1183 إلى سنة 1797/1211.

**بوسداّجة، محمد بن عبد السلام،** فقيه تعاطى خطة العدالة أيضا من سنة 1670/1080 إلى سنة 1699/1111.

وفقيه يحمل نفس الاسم ويزاول نفس المهنة من سنة 1841/1257 إلى سنة 1868/1285.

**بوسداّجة، المهدي،** مدفعي كان يعمل بحامية تطوان سنة 1830/1246.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 17 ؛ 4 : 217 ؛ 7 : 8 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 282 . 301 ؛ 2 : 299 ؛ 7 : 244 ؛ 8 : 214 . 351 . 354 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 300 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوسدرة،** زاوية توجد في قبيلة الحوزية بفخذ القرامشة، ناحية مدينة أزمور. أسسها مجموعة من الشرفاء يحملون اسم شرفاء بوسدرة، وهم من أبناء مولاي عبد السلام بن مشيش يتوفرون على ظهائر تثبت صحة نسبهم، وجدهم هو سيدي أحمد بن إبراهيم الذي قدم من مراكش، تلبية لنصيحة شيخه سيدي لحسن بن إبراهيم، واستقر عند أهل مسكَيلدة بالقرب من نهر أم الربيع. وارتبط شرفاء بوسدرة بالقرامشة، أهل البلد الأصليين، فصار القرامشة بفضل هذا الارتباط يكوِّنون عائلة مرابطية واحدة تشكل اليوم فخذاً من قبيلة الحوزية.

وتحتوي زاوية بوسدرة على مسجد ومدرسة صغيرة يدرس فيها القرآن الكريم، كما توجد بجانبها عين مشهورة بعذوبة مائها.

وفي مدينة سلا، يوجد خارج السور ضريح سيدي بوسدرة، يقال إنه نبي الله يونس الذي التقمه الحوت، ثم نجا وخرج في شاطئ سلا وأنبت الله عليه شجرة من يقطين (القرعة السلاوية).

سلسلة *مدن وقبائل المغرب*، مدينة أزمور وضواحيها، تر. م. الشياظمي.

محمد الشياظمي

**بوسرغين،** (سيدي ـ) سليمان بن إبراهيم بن عبد الحليم، دفين صفرو، يتصل نسبه بإدريس الأزهر عن طريق ابنه أبي القاسم. ولم يُذكر في ترجمته إلا أنه كان ولياً صالحاً. وينتشر الشرفاء البوسرغينيون في كَلوان بنواحي تازا، وبني يازغة بناحية فاس، وبني ليت قرب أسفي، وبزمور الشلح، والسوس الأقصى، والصحراء. وقد سقط من نسبهم "بو" فأصبحوا يدعون السرغينين، واختلط بهم كثير من العوام. وذكر الفضيلي في *الدرر البهية* فرق السرغينين الشرفاء الذين استوطنوا فاس، وسكناهم ـ كما قال ـ بحي جزاء برقوقة، وحومة المخفية، وتلك النواحي لا غير. وسيأتي ذكر بعض المشهورين منهم في حرف السين.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 58.

محمد حجي

**البوسعيدي، أحمد** بن علي السوسي الهشتوكي الصنهاجي، العالم الفقيه الصوفي الزاهد، من قبيلة بني أبي سعيد هشتوكة في بلاد سوس، والصنهاجي وصفه به عبدالله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي في إجازة كتبها له قال البوسعيدي عنها في كتابه *بذل المناصحة* : "فتأملت قوله في نسبي الصنهاجي فوجدت النسبة لم تعرف لي ولا لآبائي الأقربين فبحثت في أصول الأجداد الأقدمين فوجدت النسب كذلك فعلمت أنه اطلع على ذلك عن طريق المكاشفة."

ولد في سوس في حدود سنة 990 / 1582 وقرأ ببلاده هشتوكة وبمراكش ثم انتقل لفاس حيث أقام بالمدرسة المصباحية إلى أن توفي.

كان زاهداً يقتصر على الضروري في مأكله وملبسه ويتقوت من زرع يحرثه بيده في بليدة وهبها له بعض أهل الخير والدين مع أن الناس كانوا يقصدونه بالعطايا الجزيلة والصدقات الوافرة فلم يكن يأبه بها. وكان يداوي الأمراض

بدقيقه ويقول : "إن الحلال ترياقُ الأمراض الصعبة، وما أكل مريض من حلال إلا كان كأنما نشط من عقال". ويُبعد نفسه من أن يتبرك به أو تنسب له خصوصية.

ومن ورعه كذلك أنه كان لا يمر بصحن جامع القرويين لأن بعض ولاة الأمر فرشه بالآجر فكان يتحاشى المشي عليه.

ولما كتب الشيخ محمد بن أحمد ميارة شرحه *الكبير* على *المرشد المعين* أتاه بالشرح ليكتب له عليه تعليقاً، فلما تصفحه استحسنه لكنه عاب عليه كونه لم يتعرض فيه لشيء من أحوال الآخرة، وإذا عرّف فيه بأحد أشياخه قال في حقه القطب أو العارف بالله أو نحو ذلك وكتب في ذلك رسالة ذكرها بحروفها الشيخ ميارة في آخر شرحه المذكور.

أخذ البوسعيدي عن عدة مشايخ : قرأ القرآن ببلده على محمد بن أحمد البعقيلي، والفقه والعربية على محمد ابن عبدالرحمان الگرسيفي، ولازم الشيخ عبدالله بن سعيد ابن عبدالمنعم الحاحي إلى أن مات. وأخذ عن أحمد بن عبدالعزيز الحسني نزيل درعة، وعبدالله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي، والقاضي أبي القاسم بن أبي النُّعيم، وأخذ أيضا على أستاذ درعة أبي القاسم الكوش الدرعي، والحسن الدادسي، ومَحمد بن أبي بكر الدلائي، وبمراكش أخذ عن أحمد بابا السوداني وصافحه وأجازه، وبفاس أخذ عن عبدالواحد بن علي بن عاشر، وأحمد المقري، ولازم العارف عبدالرحمان الفاسي.

له تآليف شهيرة منها : *وصلة الزلفي في التقرب بآل المصطفى*، *وبذل المناصحة في فعل المصافحة*، *وتأليف في التعريف بالعشرة الكرام وبالأزواج الطاهرات* ؛ وآخر في أهل بدر عرف فيه بهم وبأسمائهم وأنسابهم وسماه : *إشراق البدر في التعريف بأهل بدر*، *وذيل لألفية العراقي*، *ومجموعة نوازل*، *ومؤلف حول القرآن*، *ووصية صغيرة*، *وأنظام في مدح الرسول* صلى الله عليه وسلم. وغالب كلامه في الوعظ والإيقاظ والتذكير بأحوال الآخرة والإنذار بأهوال يوم القيامة.

توفي بفاس سنة 1636/1046 ودفن بالكغّادين بجوار أبي زيد الهزميري داخل باب الفتوح.


ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط، 193 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، د. د. ع. 296 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 356 ؛ *التقاط الدرر*، 1 : 105 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 1 : 55 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 85 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 1 : 181 ؛ م. مخلوف، *شجرة*، 1 : 301 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 2 : 276 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 314 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 1 : 176 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 180 ؛ م. حجي، *الحركة*، 173. 264.


زهراء النظام

**البوسعيدي، الحسين بن الفضل**، مقاوم ولد سنة 1927 بالساقية الحمراء، وانخرط في صفوف جيش التحرير بجنوب المغرب، وعمل ضمن المقاطعة الثامنة بمركز الروضة تحت مسؤولية السيد الهاشمي، وشارك ببسالة نادرة في معركة مركالة ضد المستعمر الفرنسي حيث استشهد سنة 1956.


*شهداء الاستقلال*، ج 1.


عزالدين العلام

**البوسعيدي، الحسين بن محمد** بن علي بن شرحبيل، أبو محمد وأبو علي، اشتهر أيضاً بالشرحبيلي. ولد سنة 1659/1079، ودرس بتامگروت على يد مشاهير الأساتذة الناصريين، وخاصة أحمد بن محمد الجزولي الهشتوكي، "وعليه استفاد واعتمد أي اعتماد" (*الدرة الجليلة*، 193). وتلقن الذكر الشاذلي عن الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، فصحبه واختص به حتى صار مستشاره وأمين سره، ومتولي أموره الزمنية والروحية (*طلعة المشتري*، 2 : 10). ورافقه في رحلتيه الحجيتين 1110/1109 و1122/1121 وشاركه فيمن لقي في أثنائهما من العلماء والشيوخ. وكان من بين أصهاره، مما يدل على أنه نال حظوة كبرى لدى الناصريين، حتى شاع أن أحمد ابن ناصر عهد إليه بالخلافة من بعده، بل إن بعض المصادر تؤكد وجود وصية صادرة عن الشيخ الناصري برسم البوسعيدي.

وعلى إثر وفاة الشيخ أحمد ابن ناصر سنة 1717/1129، قام نزاع بين البوسعيدي وبين موسى بن محمد الكبير الناصري، من أجل ولاية شؤون الزاوية. وبسبب هذا النزاع فضل البوسعيدي الانتقال إلى سوس، حيث أسس زاوية ناصرية قرب تازناخت، وهي الزاوية الموسومة بأمَنْ مِلُّولْنْ (الماء الأبيض) وتدعى أيضا زاوية الرحمة وزاوية الأمان (*المعسول*، 18 : 245)، وظلت زاويته قائمة بتوارثها أخلافه إلى عهد قريب.

اشتهر البوسعيدي كعالم إلى جانب نشاطه الصوفي، شأنه في ذلك شأن شيوخ الناصريين آنذاك. يشير صاحب *الدرر المرصعة* إلى أنه "كان متفننا في جملة من العلوم العقلية والنقلية"، وخلّف البوسعيدي مصنفات عدّدها صاحب *الدرر*، منها شرح *أرجوزة* الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي *سيف النصر على كل ذي بغي ومكر* ؛ *وإنارة البصائر في ترجمة الشيخ ابن ناصر*، بالإضافة إلى شرح *صغرى السنوسي*. كما شرع في شرح *غنيمة العبد المنيب* فاخترمته المنية قبل إتمامه.

توفي البوسعيدي يوم الخميس ثامن جمادى الثانية سنة 1142 / 29 دجنبر 1729.


م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط، 167. 169 ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *خلال جزولة*، 3 : 65 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب* ؛ م. المنوني، *المصادر العربية*.


أحمد عمالك

**بوسْكو، هنري** Bosco, Henri شاعر وقاصّ فرنسي

غزير الإنتاج، ولد بأفينيون عام 1888 وتوفي بنيس عام 1976، كتب أربعين عملاً أدبياً، ألف عشرين منها ونشرها أثناء مقامه الطويل بالمغرب.

بدأ عمله بالمغرب عام 1931 مدرساً للآداب بليسي گورو بالرباط، وكان مسكنه بزقاق مراكش في حي المقيمية ملتقى لهواة الأدب من أمثال فرانسوا بونجون القاص، وآيدي لوگران الرسام، وگابرييل جرمان المتخصص في أدب الإغريق.

أسس مجلة *أگدال Aguedal* عام 1936 فكانت من معالم الحياة الأدبية إلى سنة 1944، مع توقف مقصود إثر حوادث عام 1940، وقد كان محتواها يتناول جوانب الحياة المشرقية والمغربية وقصائد الشعر الجيد وأبحاثا موثقة في التاريخ ومعلومات وافية عن المنشورات والمعارض ووقائع السينما والمسرح ولاسيما في مدينتي الرباط والدارالبيضاء....

أبدع بوسكو أهم كتاباته أثناء الحرب العالمية الثانية مثل *بستان الياقوت Le Jardin d'hyacinthe* و*دار طيوتيم Le Mas Théotisme* و*الولد والنهر L'enfant et la rivière* و*السيد كاري بونوا في البادية Monsieur Carre-Benoit à la campagne*. وما أن وضعت الحرب أوزارها حتى مُنح جائزة روندو الأدبية عن قصته ماطيوتيزم.

وحتى نهاية الحرب يعتبر من المستلهمين من بروفانصيا بلده الذي يستوحي من مناخه الثقافي، فقد استطاع أن يتحف جمهوره فيما بين 1948 و1954 بأشهر مؤلفاته التي تتعلق ببلاد المغرب.

وأول هذه الأعمال *ورقات مغربية Pages Marocaines* وهو باقة من الحكاية والشعر والتأمل والطرافة تزيّنها ريشة الفنان لوي ريو Louis Riou وقد أصدرته منشورات رواق ديرش بالدارالبيضاء Editions de la Galerie Dershe وأعادت طبعه دار گاليمار تحت عنوان *Des sables à la mer*.

أما العمل الثاني في هذا الاتجاه فعنوانه *مواقع وسراب*، وهو مستوحى من حياة مدينة الجزائر، يشبه العمل السابق في إحالاته على الحضارة الإسلامية وفي جريان مقالته على لسان بطل رحالة قاص.

أما قصته *جامع العاديات L'Antiquaire* فحوادثها تجري في فرنسا والمغرب، وقد ضمنها صورة بلد يحكمه الاحتلال والعنف مع التلميح إلى وقائع صارخة في هذا الاتجاه مثل وادي المخازن وأنوال وبوگافر و20 غشت إلخ. وهي وقائع لها صدى في كتابة بوسكو الذي لم يكن ليواجه محيطه المغربي باللامبالاة لأنه رجل مشاعر وإحساس.

م. البقالي يدري

**بوسكُور**، (رأس، ونهر، ومرسى) رأس بشاطئ قبيلة بقيوة الموالي للبحر المتوسط، يقع غرب المرسى التي تحمل نفس الاسم، وبه كانت قديماً رابطة للأمنّانة (أم أيْمَن)، ولاشك أن هذا هو الرأس الذي سمّاه صاحب رحلة أنطونينيو *Itinerario de Antoninio* بـ Promunturunu (رأس)، ونجده في جميع خرائط الملاحة الأوربية للقرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي يحمل اسم رأس بوسنكور Busencor كما نجده في خريطة هومين Homen الموضوعة سنة 940/1572. وفي خريطة خوان مارطينيث Juan Martines الموضوعة بمسينة Messina سنة 1579 م هكذا بوشنكور Buxancor، وأما خريطة البحر المتوسط الموضوعة سنة 1843م فإنها تذكره باسم بوسيكو Bousikou.

نهر بوسكور توجد منابعه بجبل تاريست، وبعد أن يلتقي مع رافديه : وادي بوهن ووادي المرقة يسقي أراضي قبيلة بقيوة، أما مصبه ففي البحر المتوسط بالقرب من رأس بوسكور، وطوله من منبعه إلى مصبه نحو أربعين كيلومترا تقريبا.

مرسى بُوسكُور بشاطئ قبيلة بقيوة الريفية الموالي للبحر المتوسط. وهو من المعالم الجغرافية المغربية القليلة التي احتفظ الإسبانيون باسمها العربي Cala Busicur وقد ذكرها البكري (ص 90) باسم مرسى بقوية، في حين أطلق عليه الشريف الإدريسي اسم بوزكور (ص 111)، وأما ما جاء في *موسوعة المدن والقبائل* (ص 10) بأن اسمها هو "أبو زكور (مرسى) هي نكور" فلا أساس له.

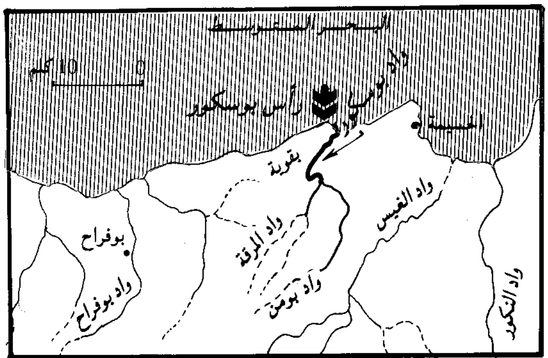


رأس وواد بوسكور

وفي هذه المرسى هاجم بحارو بقيوة السفينة التي كان يسافر على ظهرها الأمير أدالبيرطو ذي بروسيا Adalberto de Prusia سنة 1836 م. وفي نفس المرسى نهبت السفينة الحربية الإسبانية جنرال كونشا General Concha عندما ارتطمت بالشاطئ سنة 1913 م.

أبو عبيد البكري، *المغرب*، 906 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 111.

*Portulano de Homen*, Venecia 1572, *Portulano de Juan Martinez*, Messina, 1597 ; Carta del Mediterraneo, 1843 ; Blazquez y Delgado, *Estudios geografico-historicos de Marruecos*, Madrid 1913 *(Itinerario de Antonino)* ; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 48 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, p. 63 - 88 ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos (protectorados y posesiones de España en Africa)*, Madrid, 1936

محمد ابن عزوز حكيم

**بوسكورة**، جماعة قروية تقع في الجنوب الغربي للدارالبيضاء، وتنتمي إدارياً لعمالة عين الشق ـ الحي

الحسني التي أحدثت بعد التنظيم الإداري الذي شهدته الدارالبيضاء سنة 1981.

وتغطي هذه الجماعة مساحة 15.400 هكتار أي ما يعادل 46٪ من مجموع مساحة عمالة عين الشق - الحي الحسني، كما يصل عدد سكانها حسب إحصاء سنة 1982 إلى 26.340 نسمة. ولقد عرفت تطوراً هاما وتحولات كبيرة في وظائفها منذ الاستقلال نتيجة لقربها من العاصمة الاقتصادية.

يعود إحداث النواة الأولى لمركز بوسكورة للفترة الاستعمارية حيث استعمله الفرنسيون كمركز لحماية الخط الحديدي الرابط بين الدارالبيضاء وبرشيد، وأقاموا به لهذه الغاية ثكنة لقوات البحرية ومجموعة من المساكن للضباط، ونتيجة لموقعه الجغرافي ومناخه الجميل، شكل هذا المركز نقطة جذب لسكان البيضاء لمدة طويلة قصد الاستجمام والراحة.

غير أن هذه الوظيفة السياحية تقلصت الآن بشكل كبير بفعل التحولات التي طرأت على استعمال هذه الضاحية والضغط الذي تمارسه المدينة الكبرى المجاورة لها.

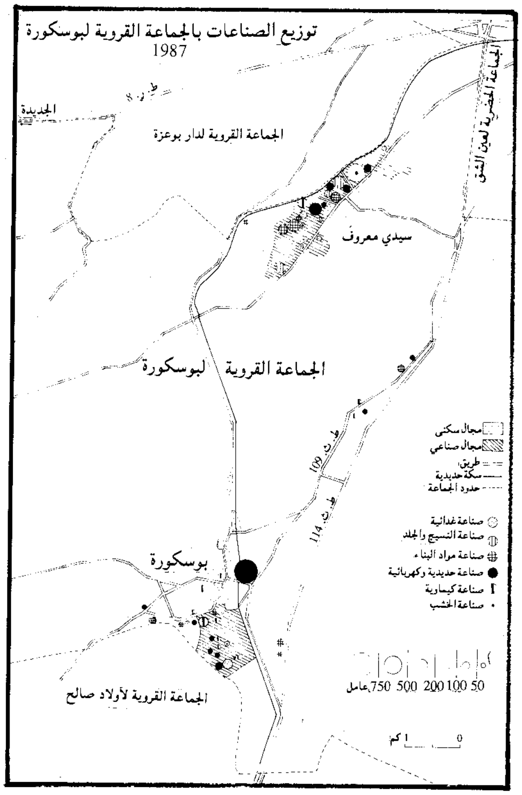


فالإمكانيات العقارية التي توفرها الضاحية القروية والتغيير الإداري الذي شهدته جماعة بوسكورة منذ بداية الثمانينات أدى إلى توافد عدد هام من السكان والأنشطة ومن الموظفين للاستقرار بها مما نتج عنه توسيع في رقعتها المبنية وتراجع في مجالها الفلاحي.

وهكذا فالجماعة تشتمل اليوم على ثلاثة مراكز سكنية مهمة :

- مركز سيدي معروف، الذي يعتبر وحدة هامة داخل الجماعة إذ يقدر عدد سكانه حاليا بـ 15.000 نسمة ويوجد به مقر دار الجماعة والقيادة، بالإضافة إلى بعض المنشآت الأخرى، وتعود هذه الكثافة السكانية إلى توفر هذا المركز على قاعدة صناعية هامة مما يستدعي وجود يد عاملة كثيرة، يستقر جلها في مساكن هشة.

- مركز بوسكورة الذي يوجد على مسافة 17 كلم من الدارالبيضاء تقطن به حوالي 2.000 نسمة، ويتضمن بعض المنشآت الإدارية من ضمنها ملحق للجماعة، بالإضافة إلى السوق الأسبوعي وعدد هام من الوحدات الصناعية، وقد جلب مناخها الملائم عدداً كبيراً من الفئات الغنية بالبيضاء للاستقرار بها بشكل دائم أو موسمي.

- مركز سيدي مسعود، يطغى على هذا المركز الطابع الديني نظراً لوجود الولي الصالح سيدي مسعود الذي يستقبل يومياً أفواجاً من سكان البيضاء، أما الأنشطة الاقتصادية فهي شبه منعدمة باستثناء سوق أسبوعي صغير.

غير أن العامل الأساسي الذي ساهم وما زال يساهم في التغييرات التي تعرفها هذه المنطقة يبقى مرتبطاً بالنشاط الصناعي. فلقد استقبلت بوسكورة خلال السنوات العشر الأخيرة عدداً من الوحدات الصناعية التي تم نقلها من داخل البيضاء بسبب غياب مناطق صناعية كافية والضغط الذي تعرفه المصانع خاصة وسط الأحياء السكنية.

وهكذا أصبحت جماعة بوسكورة حلقة صناعية هامة ضمن شريط من المراكز القروية المحيطة بالدارالبيضاء، والتي تتطور باستمرار، ارتباطا مع ما تسجله العاصمة الاقتصادية من تحولات في نسيجها الحضري ومجالها الإنتاجي.

| القطاعات الصناعية | عدد المصانع | ٪ | عدد العمال | ٪ | الحجم المتوسط للمصانع |
|---|---|---|---|---|---|
| صناعات غذائية | 11 | 15 | 779 | 10 | 71 |
| صناعات النسيج | 7 | 9 | 697 | 9 | 99 |
| صناعات الخشب | 5 | 7 | 685 | 9 | 137 |
| صناعات مواد البناء | 20 | 27 | 2137 | 27 | 107 |
| صناعات حديدية وكهربائية | 16 | 22 | 2851 | 37 | 178 |
| صناعات كيماوية | 15 | 20 | 626 | 8 | 42 |
| المجموع | 74 | 100 | 7775 | 100 | 105 |

توزيع الصناعات بالجماعة القروية لبوسكورة سنة 1987

المصدر : عبد القادر كعيوا : *النسيج الصناعي بالدارالبيضاء* - *أطلس ولاية الدارالبيضاء* - منشورات مجموعة أبحاث ودراسات حول الدارالبيضاء - *الدارالبيضاء ومركز أوربا للدراسات الحضرية* تور، فرنسا، 1989.

تتوفر الضاحية القروية للدارالبيضاء حالياً على أكثر من 200 وحدة صناعية، تشغل حوالي 18.000 عامل. هذه الصناعات يتركز جلها بجماعة بوسكورة حيث تنتشر 74

وحدة صناعية مشغلة حوالي 8.000 عامل أي 44٪ من مجموع اليد العاملة الصناعية بالضاحية القروية.

يظهر من خلال الجدول أن البنية الصناعية لهذه الجماعة جد متنوعة، غير أن قطاعات الصناعة الميكانيكية والكهربائية وصناعة مواد البناء تبقى هي المهيمنة نظراً لتضمنها وحدات إنتاجية ضخمة مثل معمل الاسمنت الجديد ـ سينوكا ـ ومعمل طومسون للتركيب الكهربائي ... فهذه القطاعات تشغل حوالي 5.000 عامل، أي ما يمثل ثلثي اليد العاملة بالجماعة.

على مستوى التوزيع الجغرافي، تتركز هذه الصناعات في منطقتين رئيسيتين : (انظر الرسم).

ـ نواة رئيسية أولى جنوب مركز بوسكورة، مكونة من مصانع مختلفة الأحجام ومستودعات لحفظ المنتجات، يصل عددها إلى أربعين مصنعاً.

ـ نواة رئيسية ثانية بمركز سيدي معروف الذي استقبل الصناعات الأولى بالضاحية القروية. فهذا المركز يتضمن حوالي 50٪ من معامل الجماعة التي تركز أكثر من 3.000 عامل في قطاعات النسيج والخشب ومواد البناء. وقد شكل استقرار الصناعة أهم عنصر في تعمير هذا المركز الذي يمثل اليوم أول تجمع سكاني بجماعة بوسكورة.

هذا التوافد المتوالي لوحدات الانتاج أدى إلى استهلاك مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة. فلقد استقبلت بوسكورة خلال العقد الأخير 60 وحدة صناعية تطلب استقرارها حوالي 500 هكتار، فمعمل الإسمنت الجديد يغطي وحده 228 هكتار جنوب الجماعة.

لقد تحولت هذه الجماعة تدريجيا، وعلى غرار باقي الجماعات القروية إلى مجال خصب للمضاربات العقارية بهدف إقامة أحياء سكنية أو إعادة توطين صناعات المدينة الكبرى، الشيء الذي سيؤدي لا محالة إلى مخاطر كثيرة سواء على مستوى تقليص المجال الفلاحي أو على مستوى التطور المنسجم لولاية الدارالبيضاء (مشاكل التنقل، النقص في التجهيزات، مشاكل التلوث...) إذا لم يتم تدارك هذا الوضع بسرعة.

*دراسة ميدانية.*

عبدالقادر كعيوا

**بُوسْلَهَامْ**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني توزين وكان من بين أفرادها :

**بوسلهام، (سيدي ـ) أحمد** رجل صالح من أسرة الكوش التي أصلها من قبيلة بني توزين الكرتية، اشتهر باسم أبيه ولذلك يعرف ضريحه بسيدي بوسلهام ويوجد أمام باب مسجد العيون بتطوان.

ولد هذا الولي بتطوان سنة 1713/1125 وعند بلوغه سن الرشد حلَّ محل والده كمخزني بجانب الباشا أحمد الريفي فصار ينطق بكلام لا يحبُّه الحاكم فسجنه الباشا بطنجة مدة سنتين حيث لم يطلق سراحه إلاّ بعد مقتل الباشا المذكور.

توفي سيدي بوسلهام بتطوان سنة 1798/1212. ودفنه رجل كان يعتني به ويخدمه إلى آخر أيام حياته في بيت من داره وهو المعلم محمد بن عبدالعزيز مولاطو الأندلسي.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 30 ؛ 3 : 12 ؛ 4 : 90، 125 ؛ 7 : 22 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 155، 267 ؛ 6 : 190 ؛ 7 : 244 ؛ 8 : 356 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ م. علي الزبادي، *سلوك الطريقة الوارية* ؛ سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum.*

**بوسلهام، عبدالرحمن** بن محمد، فقيه زاول خطة العدالة من سنة 1793/1207 إلى سنة 1809/1224 :

**بوسلهام، محمد**، من الموقعين على بيعة مولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236/7 مارس 1821.

محمد ابن عزوز حكيم

**بُوسَلْهام، (مولاي ـ)** من أكبر صلحاء ناحية الغرب ودفين البلدة التي تحمل اسمه، على شاطئ البحر الأطلنتي، والتي أصبحت من أهم مراكز الاصطياف، خصوصاً بالنسبة لأهل فاس ومكناس.

لا يُعرف مولاي بوسلهام إلا بهذا الاسم ؛ ويرى البعض أن اسمه هو أبو سعيد المصري، بينما يرى غيرهم أنه هو أبو عبدالله عليّ العاصي ؛ لكن صاحب *سلوة الأنفاس* يؤكد أن مولاي بوسلهام شريفٌ حسني وأن اسمه الحقيقي هو أحمد بن عبد الله بن سليمان.

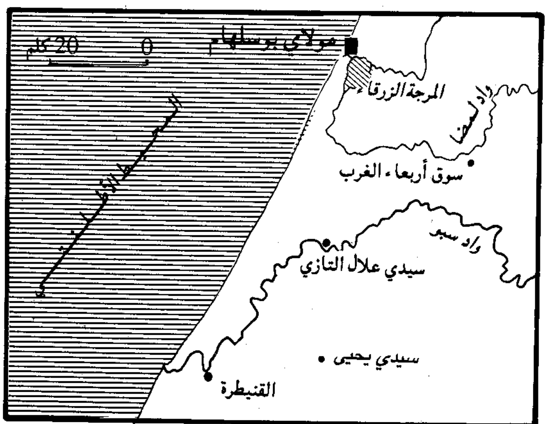


موقع مولاي بوسلهام

وهنا لا بدّ من ملاحظة أن هذا الولي ليس هو الوحيد في المغرب الذي عُرفَ بلباسه، فهناك غيره من الأولياء كانوا يحملون هذا الاسم، لكن باللهجة الأمازيغية : "بُوخْنيف" (*مدينة أزمور وضواحيها* ؛ *ممتع الاسماع*)، ويظهر

إذا ما صحت رواية صاحب *السلوة*، قد أخفى بالفعل اسمه الحقيقي اتقاءً لما كان يحدق بالشرفاء من أخطار في ذلك الوقت.

وبناء على بعض الروايات، فإن مولاي بوسلهام ظل يتنقل من جبل بوهلال بمصمودة إلى قبيلة بني كرفط، إلى تْشيمَشْ Lixus إلى حجرة النسر إلى الشاطئ حيث وافاه الأجل المحتوم حوالي عام 340/51 . 952، أي بعد نكبة الأدارسة بثلاث وعشرين سنة. فدُفن في المكان الذي يوجد فيه قبره الآن، شمال المَرْجة الزرقاء.

ومما تجدر الإشارة إليه أن قبة مولاي بوسلهام تضم كذلك رأسَ المجاهد الكبير سيدي مَحمد العياشي السلوي، بينما دُفن باقي جُثّته بمولاي بُوشتة ؛ كما أن قبر ابنه سيدي عبدالله العياشي يوجَد بالقرب من ضريح مولاي بوسلهام.

قد تكون هذه الذكريات التي لها علاقة بالجهاد من الأسباب التي جعلت الناس يُولُون هذه الأهمية الكبرى إلى ضريح مولاي بوسلهام، وهذه العناية الخاصة لإقامة موسم سنوي فيه، عند نهاية فصل الربيع قبل الحصاد، أي في شهر ماي، فيتوارد عليه الزوار من كل حَدَب وصَوْب، ويتجمعون يوم الخميس بسوق جمعة لالّة ميمونة تَاكْنَويتْ ويقضون به يومي الجمعة والسبت ؛ ومن هناك يتوجهون يوم الأحد إلى مشرع الْحضَرَ في حفل كبير، وهم يلعبون بالبارود، إلى أن يصلوا إلى الضفة اليمنى لواد الدّرادَرْ، فتضرب الخيام من مشرع الحضَرْ إلى عين تَسّاوتْ وضريح مولاي بوسلهام. ويوم الإثنين يبدأ الموسم بانْعلَ حيث تُقدّم القرابين لمولاي بوسلهام فتذبح الأبقار والأغنام وتقام الحفلات ويزدهر البيع والشراء.


م. الفاسي، *ممتع الأسماع* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ مدن وقبائل المغرب، *مدينة أزمور وضواحيها*، تر. م. الشياظمي.

E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui* ; G. Salmon, *Quelques légendes relatives à My Bou Selham, A. M*, t IV ; *Villes et Tribus*, t IV, *Le Gharb*.


محمد الشياظمي

** يقع مركز مولاي بوسلهام في أقصى الشمال الغربي من سهل الغرب على بعد أربعين كيلوميتراً من سوق أربعاء الغرب، وهو محطة سياحية تتميز بموقع ساحلي عند فم المرجة الزرقاء وفوق سطح كثبان رملية متصلبة مما جعلها تتأثر بالظروف الطبيعية العامة للمنطقة الساحلية من سهل الغرب.

تنقسم تضاريس المنطقة إلى قسمين : القسم المرتفع : ويتمثل في كتلة ظهر الدوم وظهر العارگة وكتلة الخلوط شمالا ؛ والقسم المنخفض : ويشمل منخفض واد الدرادر.

المناطق المرتفعة عبارة عن مجموعة من الكثبان الرملية التي تكونت خلال فترة السلطاني وتمتد بصفة طويلة وموازية بمحاذاة الساحل، ارتفاعها لا يتعدى في أقصى الجنوب 100 م و80 م في كتلة الخلوط شمالا، يشغل سطحها بعض المنخفضات الصغيرة. هذه الكثبان الساحلية تشرف في واجهتها على منخفض طولي موازٍ لها، وهو عبارة عن وَهْدَة تكتونية نتجت عنه ولجة واسعة يصل اتساعها إلى حوالي 500 م في بعض المناطق والارتفاع ضعيف لا يتعدى 6 م. وهذا شأن منطقة المرجة الزرقاء التي تشغل مساحة كبيرة وتصل إلى 30 كلم2 يغمرها واد الدردار وقناة الناظور من جهة ومياه البحر أثناء المد من جهة ثانية، وذلك عبر خانق مولاي بوسلهام الذي يقطع الكثبان المتصلبة الساحلية من الجهة الغربية لهذه الكثبان، يمتد شاطئ رملي اتجاهه من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي وهو عبارة عن ساحل خطي غير متقطع تنعدم به الأجراف الصخرية، يتسع هذا الشاطئ في اتجاه البحر بنوع من الانحدار الخفيف مما يسمح بظهور شاطئ بحري ضعيف العمق، فعلى مسافة 1,5 كلم انطلاقاً من مركز مولاي بوسلهام لا يزيد العمق داخل البحر إلا بـ 20 م مّما يساهم في التخفيف من قوة الموج لذلك الشاطئ، ويمتاز بالهدوء النسبي رغم انفتاحه على المحيط، كما توجد به رمال نقية وجيدة.

أما من الناحية المناخية فالمنطقة تنتمي إلى المناخ المتوسطي المتميز بتعاقب فصلين فصل بارد وممطر وفصل حار وجاف. وبحكم الانفتاح على المحيط فإن المنطقة تخضع للتأثيرات البحرية التي تأتي بتساقطات مهمة تتراوح في بعض الحالات العادية ما بين 600 و800 مم خاصة في فصل الشتاء. وبالنسبة للحرارة فإنها تتأثر بنسيم البحر الذي يصل مداه نحو الداخل إلى حوالي 20 كلم، وتصل درجات الحرارة الدنيا في شهر يناير ما بين 6 د و8 د. أما الحرارة القصوى فتبلغ 30 د في شهر غشت خلال الصيف، كما أن المنطقة تعرف موجات من الضباب خلال النصف الأخير من الليل لتنقشع في الصباح الباكر.

ظروف التعمير والاستقرار : عرفت هذه الفترة ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : كانت فيها المنطقة عبارة عن فضاء فارغ باستثناء بعض الدور القائمة حول ضريح مولاي بوسلهام، وأصحابها من خدام الضريح ومقدميه، وهذه المرحلة غير محددة زمنياً.

المرحلة الثانية : بعد الاحتلال الفرنسي للمغرب ظهر الاهتمام أكثر بالساحل، وبرزت بعض المراكز الصغيرة على الساحل الأطلسي الغربي كان من بينها مركز مولاي بوسلهام. وكان أول معمر فرنسي استوطن المنطقة شخص يدعى فرانسيس دوبيل Francis Debelle سنة 1921 ثم تلاه عدد آخر من الفرنسيين من منطقة الغرب وسايس ومكناس. وفي سنة 1925 أصبح المركز عبارة عن محطة سياحية حيث تكونت جمعية اتخذت لها اسم جمعية الشاطئ مستغلة بذلك مساحة ثمانية هكتارات مجهزة بالمعدات الشاطئية الخاصة بالسياحة والصيد. وفي الفترة الفاصلة ما بين سنة 1954 . 1955 أنشأ الفرنسيون حوالي مائة بيت خشبي مقابل أربعة منازل صلبة.

المرحلة الثالثة : بعد الاستقلال غادر معظم الفرنسيين

المنطقة واستغلت بعض الأسر الميسورة هذا الوضع لتحل مكانهم وذلك باقتنائها لعدد من البيوت بأثمان زهيدة. وابتداءً من السبعينات لم يبق سوى أربع أسر فرنسية. وإلى حدود سنة 1980 وصل عدد المنازل المشيدة حوالي 800 منزل بين ڤيلات وبيوت تقليدية وعصرية، ومازالت حركة البناء في استمرار دائم. وقد ساعدت موجة البناء هذه على إنشاء بعض المصالح العمومية كالمدرسة الابتدائية والمستوصف القروي ومركز الدرك الملكي وسوق لبيع الخضر واللحوم، وكذا عدد من الدكاكين وصيدلية بالإضافة إلى حمام وفرن عموميين.

النشاط الفلاحي والصيد البحري : أدى الاختلاف الطبيعي بين مختلف نطاقات السهل إلى تقسيمه إلى مناطق متنوعة، أهمها المنطقة الداخلية ثم الساحلية. هذه الأخيرة هي التي تضم في أقصى شمالها الغربي مركز مولاي بوسلهام، طبيعة هذا الساحل المكونة من كثبان رملية خلفها مباشرة يمتد نطاق منخفض تشغله الولجة وبعض المرجات إضافة إلى طبيعة التربة الرملية، كل هذا سوف ينعكس على نوع النشاط الفلاحي السائد في هذا النطاق المتمثل في زراعة الخضر، خاصة الطماطم واللوبياء والقرع وبعض الفواكه كالبطيخ والدلاح وتوت الأرض، كما يهتم فلاحو المنطقة بتربية الماشية كنشاط مكمل لزراعة الخضر، وذلك باقتناء الأبقار الحلوب من النوع الجيد، الشيء الذي حتم إنشاء تعاونية لجمع الحليب. كما أن هناك عدة ضيعات لتربية النحل واستخراج العسل. وتم إنشاء وحدة صناعية غذائية تسمى الشركة الصناعية الفلاحية للدرادر تهتم بجمع المحاصيل الزراعية للمنطقة وتصديرها بعد معالجتها.

يعرف الصيد البحري هو كذلك نشاطاً كبيراً يغلب عليه الطابع التقليدي ويتوفر على مرفأ طبيعي يوجد به نحو 80 زورقاً يشغل حوالي 200 عامل يعملون بصفة دائمة عدا البعض منهم الذي يشتغل في بعض المواسم الفلاحية في الحقول. وتنقل الكميات المصطادة إلى المدن المجاورة نظراً لعدم الرواج طيلة السنة. أما في فصل الصيف فتسوق في عين المكان نظراً لإقبال الزوار على اقتناء كل أنواع السمك المصطادة وبأثمنة جد مرتفعة.

النشاط السياحي : تتوفر المحطة على وحدات مختلفة لإيواء الوافدين .

1 - هناك فندق من فئة ثلاثة نجوم "يتوفر على ثلاثين غرفة طاقتها الاستيعابية 70 سريراً، يشغّل حوالي 35 شخصاً به مقهى ومسبح ومطعم وناد ليلي.

2 - المخيم المصنف : يوجد قرب المرجة الزرقاء تابع لوزارة السياحة يسمى "الضيافة" طاقته 600 خيمة، مجهز بالماء والكهرباء، به مسبح ومقهى وناد ليلي وملاعب للأطفال وقاعة للاستقبالات، يشتغل به حوالي 54 عاملاً.

3 - المخيم الشعبي : طاقته تفوق أحيانا 1.200 خيمة، تابع للجماعة القروية للاميمونة، يفتقر إلى التجهيزات الضرورية كالماء ومرافق النظافة.

بالإضافة إلى المخيمين والفندق هناك الدور الخاصة التي تصل إلى 600 دار وتعتبر النواة الأصلية لظهور النشاط السياحي بالمنطقة.

كما تنتشر بجوار المحطة بعض الغابات التي تعتبر مجالا هاما لانتشار الصيد البري، وقد أدى ذلك إلى إنشاء شركة للقنص تجلب أعدادا مهمة من عشاق هذه الرياضة.


أطلس حوض سبو، *الخريطة الطبوغرافية لمولاي بوسلهام* ؛ م. رزوق وآخرون، *التيارات السياحية الداخلية المتجهة نحو شاطئ مولاي بوسلهام*، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا تحت إشراف أ. محمد بريان.

J. Lecoz, *Le Rharb : Fellahs et colons* ; M. Berriane, *Tourisme international et espaces touristiques*, Rabat.


محمد بلعربي

**بوسمارة** . بسيط . ← **بوعيطة**

**البوسملالي**، أسرة تطوانية أصلها من قرية بوسملال الواقعة بفرقة الواد من قبيلة بني حزمر المجاورة لمدينة تطوان، وكان من بين أفراد هذه الأسرة :

**البوسملالي، أحمد** بن عبدالله.

**البوسملالي، عبدالقادر** بن أحمد

**البوسملالي، المكي** بن أحمد. وكلهم فقهاء كانوا يزاولون خطة العدالة بتطوان فيما بين سنة 1231/1814 وسنة 1242/1827.

وفي سنة 1250/1834 كان بالمدينة تاجر مشهور اسمه : محمد بن علي البوسملالي كانت له علاقة تجارية مع جبل طارق.

**بوسْنَانْ**، أسرة أصلها من قبيلة أهل سريف كانت بتطوان إلى حدود سنة 1272/1856 حيث انقرضت، وكان من بين أفرادها :

**بُوسْنَانْ، الزبير** بن أحمد فقيه زاول خطة العدالة بتطوان سنة 1266/1850.


م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 290 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.


محمد ابن عزوز حكيم

**بوسنّة** أو البوسنّي، أسرة حَمْرِيّة تنتسب إلى سعيد بن ناصر الحَمْري شقيق علي الحمري صاحب مدرسة الرماية ببلدة احمر الشهيرة. عرف أسلافهم بالتصوف والإشراف على زاويتهم لتحفيظ القرآن وتلقين الورد الناصري. وسرعان ما اشتهروا بالغنى وسعة الأملاك الفلاحية بكل من قبيلتي احمر وعبدة المحبسة على الزاوية الواقعة بجماعة جنان بّيه على هضبة تعرف بتكرّت في حدود احمر وعبدة على بعد بضعة كيلمترات من الشماعية. وتعتبر من المؤسسات الاجتماعية التربوية التي ارتبطت بالمخزن منذ

القرن الحادي عشر (17 م) إلى منتصف القرن العشرين، فكل الظهائر التي أنعم بها الملوك العلويون على شيوخ هذه الزاوية تحث الولاة على التوقير والاحترام والدفاع عن مصالح البوسنيِّين وتنعتهم بالمرابطين وتوصي بهم خيراً.

ونظراً لما تميزت به هذه الأسرة من غنى ورفاهية اهتم شيوخها بتشييد الرياض الفخمة ذات القبب العالية والزخرفة في السقوف والجدران حتى ليخيل إلى الزائر لها في منتصف هذا القرن أنه في كبرى الحواضر لما تتميز به من تقدم في العمران ورقي في الحضارة. فتجمعت فيهاجملة من خصائص الفن المغربي الأندلسي في وسط قروي تسوده المفارقات.

**بوسنّة، عبد الحفيظ** بن عبدالسلام، من آخر شيوخ زاوية البوسنّي، فقد أنعم عليه محمد الخامس في 18 محرم 1366 بظهير توقير مسجل بالوزارة الكبرى بتاريخ 15 صفر 1366 موافق 8 يناير 1947. وكانت وفاة عبدالحفيظ بوسنة سنة 1957.

**بوسنة، عبدالسلام** بن الطيب. جاء في ظهير للحسن الأول : "ولّينا المرابط السيد عبدالسلام بن الطيب بن عبدالسلام الحمري أمر زاويتهم وأسندنا إليه النظر في مصالحها وعمارتها والكلام مع من كان يتكلم معهم والده".

توفي عبدالسلام هذا سنة 1344 / 1925. وأثناء مشيخته حدثت له مشاكل مع بعض الفلاحين المتعاملين معه في عهد السلطان المولى عبدالعزيز، فطلبت الحكومة من القائد عيسى بن عمر العبدي أن يقف بجانب المرابط. وهذا مضمن التوصية :

"خديم سيدنا الأرضى القائد عيسى بن عمر العبدي. وبعد، فقد اشتكى المرابط السيد عبدالسلام بوسنة الحمري بأن الناس الموسومين بطرته من احمر له عليهم مائة وخمسون ريالاً ولما طالبهم بأدائها عمدوا مع بعض الرعاع إلى عزبته وأفسدوا زرعه ونهبوا ما فيها وطردوا أصحابه وأوجعوا بعضهم ضرباً، عدواناً وظلماً، وكتبنا لعاملهم القائد بن القاضي بانصافه منهم حتى لا تبقى له قلامة ظفر. وعليه فشد عضده عليهم حتى يتمكن منهم".

**بوسنة، محمد** أول من تصدر من البوسنيين للمشيخة، وهو تلميذ الشيخ مَحمد بن ناصر الدرعي الذي أطلق عليه هذه الكنية تيمناً بإحياء السنة في بلاد احمر عند رجوعه إليها. ويحتوي ضريحه على خمس قبب عالية.

ومن جملة الظهائر التي تهم هذا الشيخ ظهير للسلطان المولى عبدالله بن إسماعيل مؤرخ في منتصف شوال 1144 / 10 أبريل 1732، جاء فيه : "السيد الصالح المبارك العارف بالله المنتسب إليه السيد محمد بوسنة. أما بعد فقد بلغنا كتابكم الأسنى الذي كتبتم لنا ودعوتم لنا بالخير والصلاح، فالله يجازيكم خيراً فنحن أحوج الناس إلى دعاء الصالحين لأجل ما قلدنا الله وكلفنا من رعاية خلقه. أعاننا الله بالقيام بحقه. وما أوصيتنا به على المساكين والضعفاء والصالحين والعباد فذلك الذي نريد منك ...".

وأما الأميرة خناثة زوجة السلطان المولى إسماعيل ووالدة السلطان المولى عبدالله فقد شملت الزاوية البوسنية برعايتها ووصايتها لما توفي الشيخ محمد بوسنة، وجاء ذلك في رسالتها إلى الباشا موسى : "خديمنا الأرضى الباشا موسى ... وإنني أؤكد عليك أشد التأكيد زاوية الولي الصالح السيد محمد بوسنة ألا تترك من يترامى عليها أو يطوف بساحتها. فالزاوية تركها سيدي محمد بوسنّة بيدي وأنا الوصية عليها. وإياك ثم إياك فاحترمها بما تحترم به أمثالها ووقرها... في منتصف شوال 1145 هـ.

**بوسنة، محمد المفضل**، خلف والده سابق الترجمة بعد وفاته في رعاية الزاوية. ومما جاء في أحد الظهائر المؤرخ في 19 شوال 1156 / 6 دجنبر 1743 : "وكذلك وقرنا أصحابهم المعروفين لهم وأسقطنا عليهم الكلائف المخزنية والوظائف السلطانية". وكان للشيخ محمد المفضل أخوان طاب لهما المقام بمدينة السعيدة بالجزائر عند رجوعهما من المشرق بعد أداء فريضة الحج وبقيت ذريتهما هناك.

وبموت المتأخر من هذه الأسرة عبدالحفيظ سنة 1377 / 1957 صارت الزاوية البوسنية في خبر كان وضاعت أحباسها بين فروع الأسرة، بعد أن مثلت فترة تاريخية ومؤسسة اجتماعية متميزة امتدت ثلاثة قرون.

*ظهائر لدى الأسرة البوسنية* ؛ *رواية شفوية من بعض أفراد الأسرة* ؛ إ. كردية، *القائد الوزير عيسى بن عمر العبدي*.

محمد ماگامان

**بُوسْنو دومنيك** Busnot Dominique راهب فرنسي زار المغرب وأقام بالعاصمة الإسماعيلية فيما بين 1116 / 1704 و1118 / 1706 بقصد افتداء الأسرى المسيحيين الذين كانوا في خدمة المولى إسماعيل، وكان ينتمي إلى دير الثالوث Trinité الذي كان قد جعل من أعمال الافتداء تجارة مربحة، شأنه في ذلك شأن أديرة مماثلة كانت تعمل لنفس المقاصد بدار الإسلام، فكان الرهبان يجمعون بعض الأموال ويصرفونها في أسفارهم وفي المبالغ التي كانت تؤدى في الفدية، حتى إذا عادوا بالمفديين من بني ملتهم إلى أوربا ظلوا يطوفون بهم عبر الأقاليم ويعرضونهم على الجمهور استدراراً لهباته وصدقاته، فتحصل لهم من ذلك أرباح ملموسة، لكن مساعي الأب بونسو لدى المولى إسماعيل لم تُجْد فتيلا نظراً لإلحاح ذلك السلطان الأعظم على ألاَّ يكون الافتداء بالمال، ولكن أن يكون بالمفاداة، فيعطي المغرب نصرانياً في مقابل ثلاثة من المسلمين، وذلك لأن الأساطيل الأوربية، كانت قد تفوقت على أساطيل المسلمين وأضحت قادرة على أسر أعداد من المسلمين تتجاوز بكثير ما كان يقع بأيدي أصحاب المراكب الإسلامية من النصارى.

كانت الرحلة الأولى للأب بوسنو فيما بين شتنبر ودجنبر

من سنة 1704، جاء من قادس إلى سلا بحراً ثم انتقل إلى مكناس في نونبر واستُقبل من لدن المولى إسماعيل وسلمه الهدايا الثمينة التي كان محملا بها، وقال إنها وقعت من العاهل موقع الرضى، ولما تكلم في أمر الفدية أجابه السلطان بضرورة التزام المفاداة في ذلك وألح عليه بالتدخل لدى حكومة لويس الرابع عشر لتعمل بهذه الطريقة وأمر بتسريح بعض العجزة من الأسرى تشجيعا له وجزاء له على هديته، ثم أذن له بالانصراف، فعاد الأب بوسنو إلى قادس، وبينما هو مقيم بها، إذ جاءه خبر يوجب الرحيل مرة أخرى إلى مكناس لتجديد المفاوضات، فكرّ راجعاً ودخل الحاضرة الإسماعيلية، أواخر يوليوز سنة 1705، محملا بهدايا جديدة تحتوي على مجوهرات وأقمشة ناعمة وساعة حائطية، واستُقبل من لدن السلطان الذي كان لم يغيِّر شيئا من موقفه المبدئي، فلم يحصل بوسنو على أكثر من تسريح تسعة أسرى، بل وأزعج إزعاجا من مكناس في حالة من الذعر ليس بعدها ذعر، على ما روى، فخرج مسرعا إلى قادس ومن قادس انتقل براً عبر إسبانيا إلى مرسيليا، وبينما هو في مرسيليا في أكتوبر سنة 1705 جاءه الخبر باحتمال إتمام الافتداء على يد القائد علي بن عبدالله، قائد الريف والأقاليم الشمالية، فرحل للمرة الثالثة إلى المغرب في شهر مارس سنة 1706، ودخل من سبتة قاصداً تطوان مصحوباً بشيء من المال وبعشرين من الأسرى المسلمين فكان حصيلة ما افتدى عشرين من النصارى سرحهم القائد المذكور فعاد بوسنو إلى فرنسا غضبان أسفا، ولما كان سلس القلم حديد اللسان، فإنه انكب على تدوين رحلاته الثلاث، لينتقم لنفسه ولديره وللملته مما شاهد وعانى وتخيل من شؤون المغرب بروح الصليبية وأسلوب التشويه، ويعتبر كتابه نموذجا وقمة في سلسلة ما دوِّن من رحلات الافتداء المسيحي، لما كان يلبِّي، لدى القراء الأوربيين، من حاجة إلى التشفي في الإسلام ورغبة في الأقاصيص الملفقة، لاسيما أن أكثر الكلام فيها عن سفك الدماء وانتهاك الحرمات وأكل القوي للضعيف، ولقد لعب هذا النوع من الكتابة الأدبية أدواراً غير هينة في تشويه شؤون الإسلام وتبرير ما أصبحت المدافع والأساطيل الأوربية تمارسه في حق المسلمين من أعمال العنف بذريعة الدفاع عن النفس والرد بالمثل، وكان ذلك كله إعداداً للنفوس ليوم السطو والاستعمار. ولقد جعل الأب بوسنو لكتابه عنواناً مسهبا واضح الدلالة يوم نشره أول مرة سنة 1714، جاء فيه : *"تاريخ عهد المولى إسماعيل ملك مراكش وفاس وتافيلالت وسوس وما إلى ذلك، وتاريخ عدد من أبنائه ومصيرهم المأساوي ومصير عدد من أزواجه الفظيع، وطريقة تعذيبه للعديد من ضباطه وأبناء رعيته، وعبقريته وسياسته وكيفية حكمه للإمبراطورية، وما يعانيه الأسرى المسيحيون في إيالته من القساوة والاضطهاد مع حكاية ثلاث رحلات إلى مكناس وسبتة لافتدائهم، إضافة إلى مجموعة من المباحث في تقاليد الكنيسة للإفراج عنهم"* .

ولا أدلّ على ما لعبته هذه الكتابات في مقدمة الاستعمار، بالرغم مما تتضمنه هنا وهناك من الاشارات التاريخية الحية، من إقدام بعض دور النشر في باريس على تجديد طبع الكتاب سنة 1928 تحت عنوان مناسب لأذواق الوقت وهو : *"حكاية مغامرات أيام لويس الرابع عشر"* وجاء في مقدمته : "من شأن كتاب الأب بوسنو أن ينال من جديد شيئا من الحظوة، ومن شأنه أن يخفف من الانتقادات الموجهة عموما للعمليات الاستعمارية، علماً بأن بقايا الجنايات الفظيعة التي ارتكبها المولى إسماعيل كانت إلى عهد غير بعيد منا، مازالت ملموسة لدى بعض خلفائه". وهذا عنوان العداء الرخيص والاتهام بالإيحاء ومثال ما كانت تنبني عليه الدعاية الاستعمارية.

Père Dominique Busnot, *Histoire du règne de Moulay Ismaïl Roy du Maroc*, ... Paris, 1714 ; *Récits d'aventures aux temps de Louis XIV*, Pierre Roger, Paris, 1728 ; M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow : Une lecture du Maroc au XVIII siècle*, Paris, 1938.

إبراهيم بوطالب

**بوسي فرانسيس** Busset Francis معمر ورجل أعمال فرنسي، حل بالمغرب سنة 1912 وتعاطى أنشطة مختلفة في ميادين العقار والفلاحة والصناعة والمناجم، وبموازاة ذلك، لعب دوراً مهماً في مجال الصحافة.

وفي سنة 1913 أسس جريدة *لابريس ماروكين La Presse Marocaine* التي حادت شيئا فشيئاً عن خطة المقيم العام ليوطي، بل وطالبت أحيانا بتنحيته. وعقابا لصاحبها على هذا الاتجاه، دُبِّرت مؤامرة أسقطت الجريدة بين أيدي مجموعة ترأسها كلٌ من وكالة "هاڤاس" و"بنك باريس والبلاد المنخفضة". ولم يتمكن "بوسي" من استرجاع صحيفته إلا عام 1927م، أي بعد أن رحل ليوطي عن المغرب بسنتين.

عند اندلاع الحرب العالمية الثانية ودخول المغرب تحت مظلة نظام ڤيشي، رفض فرانسيس بوسي أن يجعل جريدته مجرد بوق للسياسة الرسمية. فتميزت من بين الصحف الأخرى بلهجة تستشف منها محاباة للانكليز، الشيء الذي عرضها مرات عديدة لمضايقات الرقابة والحجز.

لما ضاقت الإدارة ذرعا بجرأة "بوسي" رمت به، يوم 16 يونيو 1941، في غياهب السجن بتهمة مؤازرة الحركة الدوگولية، ثم مثل يوم 16 دجنبر من نفس السنة أمام محكمة عسكرية، ففرضت عليه الإقامة الجبرية التي تحملها حتى غداة النزول الأمريكي بالمغرب.

لكن العهد الجديد لم يكن يضمر لبوسي وجريدته أياما سعيدة. فالمنافسات السياسية والمواقف المتشددة، في جو تصفية الحسابات، جعلت بوسي موضع اتهامات تطعن في مواقفه السياسية القديمة. فاتهم بالتعاطف مع نظامي موسولوني وفرانكو في الثلاثينيات، بل والتعاطف مع نظام الثورة الوطنية أيام ڤيشي !.

لم يستطع بوسي الصمود في وجه كل هذه العواصف، ففضل التخلي عن النشاط الصحافي بعد أن باع "لابريس

ماروكين" لأطراف مؤهلة أكثر منه للتأقلم مع الظرفية الجديدة.

H. Labadie-Lagrave, *Le mensonge marocain : Contribution à l'histoire vraie du Maroc*, Casablanca, s.d., (1925) ; Archives du Quai d'Orsay.

جامع بيضا

**بوسيدان، داود**، كان ربّيا خلال القرن الثامن عشر، أصله من تـمْلَت، نزل بمكناس حوالي عام 1780 رفقة جمهور من قبيلة يتألف من 150 نسمة. يتداول يهود مكناس أخباره المدهشة بما تحمله من أساطير في شأنه. يوجد قبره بالمقبرة القديمة اليهودية بالعاصمة الإسماعيلية.

J. Toledano, *Le Temps du Mellah*, p. 4.

سيمون ليفي

**بوسيف**، أو أبو سيف و سياف البحر، سمك بحري كبير الحجم له منقار طويل يساعده على قتل فريسته، يعرف في طنجة بـصْبادا واصبادون Espadon وبوخباله في العرائش والسيف في مولاي بوسلهام وبوسيف في المحمدية والدارالبيضاء.

ينتمي إلى فصيلة Xyphiidae ويسمى علميا Xyphias gladius وبالفرنسية Espadon وبالأنجليزية Swardfish. ينتهي الفك العلوي بمتك طويل (منقار) شبيه بالسيف يبلغ طوله حوالي ثلث مجموع طول الجسم. الجسم مغزلي الشكل، يصل طوله عند الكبار إلى أربعة أمتار ونصف، وشائع ما بين 80 . 200 سم، يتراوح وزنه ما بين 60 . 150 كلغ. الظهر والجوانب سوداء بنية والبطن رمادي. يختلف شكل الزعانف الظهرية والشرجية عند الصغار والكبار: متواصلة عند الصغار ومتباعدة عند الكبار. تتكون الزعنفة الأمامية من 34 . 49 شعاع وتتكون الخلفية من 4 . 6 شعاعات. الزعنفة الذيلية هلالية الشكل عند الكبار ومقورة عند الصغار. توجد الزعانف الصدرية في الجهة السفلى من الجوانب. يتكون العمود الفقري من ست وعشرين فقرة وتكسو جسم الصغار حراشف كبيرة بينما تبقى أجسام البالغين بدون حراشف.

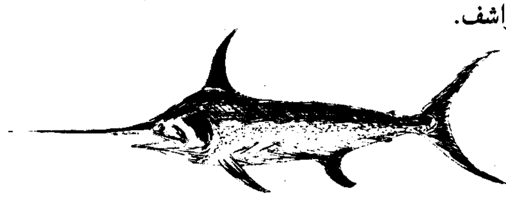

إنه سمك أوقيانوسي Pelagique يفضل العيش في أعالي البحار ما بين سطح البحر و700 متر من العمق. غالبا ما يتنقل منفردا ويكون أحيانا أفواجا قليلة الأفراد. يقوم بهجرات من المياه الباردة إلى المياه المرتفعة الحرارة أثناء مرحلة التوالد التي تمتد من يونيه إلى شهر غشت بالنسبة للأفراد التي تعيش في البحر المتوسط، ومن فبراير إلى أبريل بالنسبة للأفراد التي تعيش في المحيط الأطلنطي وذلك جنوب بحر سركاس. يبلغ قطر البيض 1,8 ملم وتعيش الصغار في الطبقات السطحية من الماء.

يتغذى من الأسماك الأقيانوسية والساحلية ومن القشريات والرخويات، وكثيرا ما يخلف خسائر كبيرة في محصولات الصيد ويقطع الشباك. يصاد بواسطة شباك مختلفة وبالصنارة. صيده شبه صناعي في إسبانيا وقبرص وتقليدي ورياضي في باقي الدول المتوسطية.

يشمل توزيعه الجغرافي البحر المتوسط والمحيط الأطلنتي وبحر الشمال والمحيط الهندي. يوجد بانتظام في أسواق الأسماك المغربية ويستهلك طريا أو مجمدا أو معلبا و طعمه لذيد.

يطلق أيضا اسم بوسيف Espadon في أسواق الأسماك المغربية على خمسة أنواع من فصيلة Istiophoridae وهي كثيرة الشبه بالنوع المذكور من حيث المنقار والشكل. كلها أسماك مهاجرة تلعب دورا هاما في اقتصاد البلاد :

Istiophorus albicans (voilier de l'Atlantique) يسمى بالأنجليزية Atlantic salifish. ويبلغ طوله 315 سم ويعيش في أعالي البحار بالمحيط الأطلنتي والبحر المتوسط الغربي الممتد من صقلية إلى طنجة. إنه سمك أوقيانوسي يفضل العيش قرب السواحل و يأكل الأسماك الصغيرة والقشريات. صيده تقليدي بالمغرب.

Tetrapterus albidus (Makaire blanc de l'Atlantique) يسمى بالأنجليزية Atlantic White marlin، ويبلغ طوله 300 سم ويصل وزنه إلى 80 كلغ. يعيش عادة بعيدا عن السواحل في البحر المتوسط الغربي وفي المحيط الأطلنتي الممتد من إسبانيا إلى الجنوب الإفريقي.

هناك نوع يوجد في أعالي البحار (Marlin de la Méditerranée) Tetrapturus belone ويسمى بالأنجليزية Mediterraneen spearfish ويعيش ما بين سطح البحر و200 متر من العمق. يقتصر توزيعه الجغرافي على البحر المتوسط فقط ويتغذى من الأسماك الصغيرة. يبلغ طوله 240 سم ويصاد بواسطة الصنور والشباك.

يعيش نوع (Makaire bleu) Makaira nigricans في المحيط الأطلنتي ويبلغ طوله أربعة أمتار، شائع ما بين مترين ونصف وثلاثة أمتار.

(Makaire épée) Tetrapturus georgei نوع نادر جدا. يعيش في المحيط الأطلنتي من الشواطئ البرتغالية إلى الجنوب الغربي من المحيط، وكذلك في غرب البحر المتوسط. لا يتعدى طوله مترين.

G. Bianchi, *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocaine*, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche, 1984, p. 65 - 66 ; W. Fischer, M. Schneider, M. L. Bauchot, *Méditerranée et Mer Noire*, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche, 1987, p. 1128 - 1131 - 1419 - 1420.

محمد رمضاني

**بوشارين**، قرية قديمة ذكرها برناردو ردريگس، صاحب *حوليات أصيلا*، كانت من جملة القرى التي تعرضت لغزو أصيلا، خلال الوجود البرتغالي بالمدينة. مازالت القرية قائمة بنفس المكان في الجنوب الشرقي من مدينة العرائش وعلى بعد منها بنحو أربعة كيلومترات، جنوب مجرى واد اللكوس، مما يقابل التقاء واد المخازن باللكوس. والقرية

مندرجة في الوقت الراهن بفرقة العوامرة.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 440 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 54.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 93.

حسن الفكيكي

**بوشاقور**، (سيدي ـ) عبد الله حسو صاحب الضريح الشهير بسلا، من أصحاب الشيخ قاسم بن أحمد بن عيسى السفياني المعروف بابن اللوشي (ت رجب 1077 / يناير 1667) دفين وادي أرضَم من بلاد أزغار. قال في حقه القادري في *نشر المثاني* (3 : 120) "كان ـ عبد الله حسو ـ صالحا ملامتيا ذا جذب وأحوال... كثير التواضع والامتحان والصبر على حمل المصائب، يحترف بقطع أحجار الرحا ويتقوت منها، وبنى قبة، وهي التي دفن بها، بيده، وله كرامات وأحوال تدل على صدق حاله مع الله تعالى".

وهذه القبة مازالت قائمة، إلا أن اسم الشيخ قاسم اللوشي تُنُوسي، وأصحبت الزاوية تسمى اليوم زاوية سيدي عبد الله بوشاقور. وهي واقعة أمام مسجد ابن عبّاد، بجوار الزاوية الناصرية، بين رحيبة زركالة وعقبة الجامع الكبير.

توفي عبد الله بوشاقور عام 1112 / 1700 ـ 1701.

م. القادري، *نشر*، 3 : 120 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 103.

محمد حجي

**بوالشبوك**، أسرة تنتمي إلى سيدي مَحمد بن عمرو اللمطي دفين نول لمطة بوادي نون جنوبي الأطلس الصغير حيث ما تزال المواسم السنوية الهامة بجوار ضريحه بأسْرير تشهد على أهميته التاريخية (*التشوف*، 344). ونتساءل عمّا إذا كان تضلع هذه العائلة في علوم الظاهر والباطن هو الذي ألصق بها تسمية إگلدان (السلاطين) قبل تسمية بوالشبوك ؟ فقد أهلها جدها حيا وميتا لتصدر الأحداث بشكل لافت للنظر (*المعسول*، 12 : 190 ـ 191). واكتفى محمد المختار السوسي بالإشارة إلى أن محمد أگلّيد كان حياً سنة 1845/1261 (*المعسول*، 12 : 191). فنتساءل بذلك متى أطلقت تسمية إگلدان التي تحظى داخل تقسيم ماء ساقية أسرير (28 يومياً مائياً) بوحدة كاملة (24 ساعة مائية) ؟ هذا السؤال يعيدنا مباشرة إلى سيدي مَحمد بن عمرو الذي حرص حياً على توزيع الماء بين تيغْمرت المجاورة وأسْرير من جهة، وتقسيم ماء ساقية أسَرير على أهلها من جهة ثانية. فهذا الإشكال الذي كان قائما خلال القرن السادس (12 م) يربط حفدة الجد الأكبر بممارسة توزيع ماء الساقية وتنظيمه على امتداد الفترات. وهو ما يمكّننا من التساؤل عن الفترة التي أعيد خلالها توزيع الماء وما إذا كانت لاحقة لوفاة محمد أگليد ؟. هذا الخيط الرفيع يصب في ثاني سؤال يجب أن تستنطقه التحريات الميدانية وهو حول معرفة أي حفدة محمد أگليد لقب لأول مرة باسم بوالشبوك ؟ يجيبنا على هذا السؤال الأستاذ محمود بن أحمد بن محمود بن عبدالرحمان موضحا بأن هذا الأخير هو المعني بالسؤال. فيصبح بذلك العلامة الفقيه القاضي عبدالرحمان بن محمد بن علي بن محمد بن لحبيب المتوفى سنة 73/1290 ـ 1874 هو أول من لقب بأبي الشبوك حسبما أكده أيضا المختار السوسي (*المعسول*، 12 : 191). أما سبب التسمية فإن الأستاذ محمود يردها إلى خلاف وقع حول تحريم أو تحليل ذبح بقرة كتب العلامة عبدالرحمان فتوى بشأنه. وبعد أن أقرأها لأحد الأئمة العلماء السوسيين، نطق هذا الأخير بعد تأمل طويل قائلا بالشلحة : "شبكت غياد بوالشبوك".

يؤكد حفدة عبدالرحمان بوالشبوك أنه كان من وجهاء گلميم وأسرير مستدلين على ذلك بظهائر التوقير والاحترام السليمانية والرحمانية. على أن الظهائر السعدية والعلوية الأخرى التي بحوزتهم تصب كلها في نفس الاتجاه. فهذه عائلة مرابطية لمطية تقوم على النسب والتخصص في توزيع المهام كشرط مادي لحياتها. وهو ما أكسبها صفات معينة تطورت تلقائيا إلى سلطة دينية ودنيوية فعلية. فلا بد في هذه المنطقة التي يعيش بها الجماعات القرابية بشكل يكاد يكون متنافراً من زوايا مرابطين يوجهون قواهم ونشاطهم غير وجهة الصراع القبلي، بل الأكثر من هذا أن هذه العائلة تستمد أصالتها من ربطها بين العصبية وبين الشروط الموضوعية لفاعليتها السياسية. هذا ما يثبته التوقير والاحترام الذي تكنه قبائل تكنة وخاصة قبيلتي أزوافيط بأسرير وأيت موسى أُعلي بگلميم. إننا إذا تناولنا عبدالرحمان بوالشبوك كنموذج لأسلافه وأحفاده وجدناه ملتزما تدبير شؤون زاوية جده الأكبر بأسرير وحريصا في نفس الوقت على تحسين سمعته الدينية والقضائية بگلميم حيث يقيم غير بعيد عن أسرير. وهو اليوم يرقد بزاوية جده شأنه في ذلك شأن أسلافه الذين ماتزال سمعتهم تجعل منهم احدى السلطات المعنوية الفعلية بالمنطقة.

لقد استطاع محمد الابن الأكبر لعبدالرحمان بوالشبوك أن يصاهر بيروك بن عبيدالله أُسالم شيخ گلميم وسيد تجارتها خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر (19 م). أما محمود بن عبدالرحمان، فإنه لم يتوف إلا سنة 1915/1333 عن سن تناهز 118 سنة قضاها في مزاولة علمي الظاهر والباطن وترسيخ صورته وسمعة عائلته. وقد عين شأنه شأن أخيه محمد قاضيا من طرف مولاي سليمان كما تثبت ذلك ظهائر التعيين. وإذا كان المختار السوسي قد اكتفى من أبناء عبدالرحمان بهذين العالمين (*المعسول*، 12 : 191)، فإن الأستاذ محموداً يضيف إليهما صالحاً الذي يعد بدوره من ألمع الوجوه الدينية المتألقة محليا. ولسنا ندري ما إذا كان بالإمكان إضافة محمد الغزالي كأخ رابع أم لا ؟. لقد اجتمع أحمد بن محمود بن عبد الرحمان الذي كان بدوره قاضياً كبيراً، بالمولى الحسن لدى زيارته للمنطقة سنة 1886/1303. وقد تميز موقفه من الاحتلال الفرنسي

سنة 1934 بمرابطته في زاوية جده بآسرير حيث توفي ودفن قرب الجدار الأيمن لباب الضريح صبيحة الجمعة 16 ربيع الثاني عام 1367/ 27 ـ 2 ـ 1948.

ولكي يتأتى لمن يقوم باستقراء وصفي لممارسة الأبناء والحفدة استحضار العامل الخفي المؤطر ندرج تطور أعلامها الحاليين. لقد خلف الأستاذ محمود وأخوه زين العابدين أباهما أحمد بشكل يستند إلى ما رأيناه من مسلمات. فقد تابع محمود دراسته لدى آل عبدالمعطي السباعيين ببوجمادة بمراكش لينتقل بعد ذلك إلى جامع ابن يوسف فكلية الحقوق بالرباط. وكان بديهيا أن ينتهي به المطاف إلى ميدان القضاء حيث حصل على المعاش ليلتحق بالمحاماة. وهو يجمع بين علمي الظاهر والباطن وله ممارسات سياسية تجعله في مصاف محاربي الوجود الفرنسي. أما ابنه محمد الأمين فلم يتوان عن الاشتغال بالمحاماة معززاً بذلك البناء العائلي وأعمدته. ويعكس الفقيه اللمطي عمر بن أحمد بن محمد ابن محمود بن عبدالرحمان تمسكه بالقواعد المؤسسة لعائلته. فهو شيخ گلميم الروحي وإمامها. وهو ما لا يختلف كثيراً عن ممارسات اللمطي عثمان بن أحمد بن محمد بن محمود بن عبدالرحمان الذي برز في ميدان المقاومة وما لقيه من قمع ونفي. وما تزال سمعته بمدينة الدارالبيضاء وگلميم تشهد على تشبثه بالقيم العائلية.

نخلص بذلك إلى أننا إزاء توسع آلي للوظيفة العائلية التي تمتص باقي الوظائف والتخصصات القريبة والبعيدة. وهو طرح يتطلب الاستشهاد ببعض المؤلفات العائلية القديمة والحديثة كدليل على التزام الخلف بمنظور السلف، ومنها للعلامة أحمد بن محمود بن عبدالرحمان : *هبة خالق النجوم على شرح لامية ابن جروم* ؛ وللعلامة محمود بن عبدالرحمان : *هدية المريدين* ؛ والأستاذ محمود بصدد إعداد كتاب : *الدرر المفيدة في تصحيح العقيدة*.

ي. التادلي، *التشوف* ؛ م. الحضيكي، *طبقات الحضيكي* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 ؛ *خلال جزولة*، 9 ؛ *مدارس سوس العتيقة*.

مصطفى ناعمي

**ابن بوشتى، أحمد** بن إدريس ولد بمدينة فاس سنة 1328 / 1910 وبها نشأ وتعلم في مدارسها العصرية، وبعد أن أنهى دراسته بثانوية مولاي إدريس بفاس انتقل في أوائل الثلاثينات إلى معهد الدراسات العليا المغربية بالرباط، وحصل على دبلوم الدراسات القانونية والإدارية.

انخرط في سلك القضاء بالمحكمة العليا الشريفة بالقصر الملكي، ثم استعفى وزاول مهنة المحاماة أمام المحاكم المخزنية طيلة أربعة عشر عاماً وهو من الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير سنة 1944 في جملة قدماء تلاميذ ثانوية مولاي إدريس، واعتُقل على إثر ذلك.

وبعد الاستقلال أُسندت إليه رآسة المحكمة الإقليمية بتازا ثم بفاس، ثم عين رئيساً لغرفة الجنايات بالاستيناف فعاملا على فاس والإقليم. وبعد ذلك أصبح وزيراً للعدل ثم وزيراً للداخلية.

توفي يوم الأربعاء ثاني ذي القعدة عام 1393 / 18 نونبر 1973.

**ابن بوشتى، إدريس**، من الذين نشؤوا نشأة عسكرية في الجيش المغربي المجدَّد على عهد الحسن الأول. كان مستقيم السيرة، تجاني الطريقة، ترقى سريعاً في مراتب الجندية ومراتب المخزنية وأصبح أمين الصائر، ثم خليفة الحاجب السلطاني أيام المولى عبد الحفيظ. وكان على صلة كبيرة في فاس بالأسر العلمية خاصة آل بناني. ولما توفي رفيقه في الطريقة التجانية الشيخ عبد السلام بن محمد بناني كفل ولده أحمد بناني الذي سيصبح رئيس التشريفات، وربّاه كابنه أحمد بن بوشتى، فتخرجا معاً من ثانوية مولاي إدريس ثم من معهد الدراسات المغربية العليا، وكان لهما معاً دور بارز في ميدان الحركة الوطنية التحريرية وفي بناء الاستقلال بعد بزوغ عهد الحرية.

لم نقف على تاريخ وفاته.

*كناشة الحاج أبي بكر الصبيحي في التراجم*، مخطوطة خ. ص ؛ *قائمة الشرف*، ص. 21 ؛ *أحمد بناني فقيد الأدب والوطنية*، ص. 15 ؛ *معلومات شفوية عن السيد مصطفى شفيق*.

محمد حجي

**بُوشتَّى** أو بوشْتَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم. ومازالت هذه الأسرة بتطوان، وكان جل أفرادها يتعاطون الفلاحة مثل عبدالقادر بن أحمد بوشتة الذي كان على قيد الحياة سنة 1135/1722 ؛ ومحمد بن المكي بوشتة الذي كان حيا سنة 1125/1713.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 350 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 33 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بُوشتَّى، (سيدي ـ)**، أحد الأولياء بناحية أسفي، يوجد ضريحه على مرتفع ساحلي في غاية الجمال في المكان المعروف باسمه على بعد حوالي خمسة وعشرين كيلومتراً شمال المدينة قرب مدرسة سيدي مسعود بن بلاّ، وكانت توجد بحوزة الساهرين على الضريح عدة وثائق تثبت نسب هذا الولي الصالح وظهائر التوقير من مختلف ملوك الدولة العلوية، إلا أن جلها قد ضاع.

*معلومات ميدانية*.

عبد الرحيم العطاوي

**بُوشتَّى، (مولاي ـ) الخمار**، أو أبوالشتاء أو بوشتة. هو الشيخ محمد بن موسى الشاوي النسب، دفين أمرگو من بلاد فشتالة، بين نهري ورغة وسبو. وصفه صاحب *السلوة* بأنه "من كبار المشايخ وأهل الأحوال الربانية والجذب ودوام

الغيبة عن الخلق". وذكر صاحب *الممتع* أنه أخذ عن الغزواني وعن سيدي احماموش "خمّس عليه خمس سنين"، وعن عبدالوارث اليالصوتي، لكن المصادر الأخرى التي اهتمت بترجمة مولاي بوشتة الخمار لا تؤكد إلا على أنه أخذ عن عبدالله الغزواني "دفين القصور من داخل مراكش". والمعروف أن صحبة مولاي بوشتى للغزواني لم تطل، بل إن محمد العربي الفاسي أكد في *المرآة* "أنه ما لقيه إلا مرة واحدة بقبيلة الشاوية، فأمره من حينه وخلع على وجهه".

ويستشف من بعض النصوص أن مولاي بوشتى كان أخرس، أو على الأقل كان نادر الكلام، لم يحفظ القرآن، ولم يحضر دروسا، بل كان بهلولا "ساقط التكليف، له البركات الشهيرة التي لا تحصى والخوارق العظيمة". وما ذكره صاحب *الممتع* من أنه "خرّج على يديه كثيراً من البهاليل"، وما أكده صاحب *السلوة* من أنه "كان كثير التلاميذ وخرج منه كثير من البهاليل وأهل الأحوال" يبين بوضوح أنه لم يكن فقيها ولا عالما، بل شيخا صوفياً له أتباع "مهتدون بهديه لقوة حاله التي شهد بها مشايخ عصره".

أما تكنيته بأبي الشتاء فترجع، حسب صاحب *ابتهاج القلوب* إلى إحدى زياراته لجبل العلم عند الشيخ الشريف عبدالرحمن بن ريسون، وكانت الأيام أيام جفاف في تلك البلاد. فجاء الناس إلى الشيخ المذكور يطلبون منه الاستسقاء، فأشار عليهم بسيدي محمد بن موسى، ففعلوا وأمطروا في الحين، فسمي لذلك بأبي الشتاء.

استقر مولاي بوشتى بأمرگو من بلاد فشتالة، في الطريق المؤدية إلى ضريح القطب مولاي عبدالسلام بن مشيش. وحسب صاحب *المقصد* فإنه يصعب تجاوز هذا المدشر دون زيارة الشيخ.

توفي مولاي بوشتى ضحوة يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال سنة 977 / 19 مارس 1588. ومازال ضريحه حتى الآن مزارة يحج إليها خلق كثير.

م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب* ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة العمراني، ص 86 ـ 87 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 145.

محمد مزين

**بوشحموض**، سالم بن علي. مقاوم ولد بدوار أورير أملو إدموسكنة، بأيت باعمران، دائرة إفني، إقليم تيزنيت.

انضم إلى صفوف جيش التحرير المغربي وشارك في المعارك التي دارت رحاها بمنطقة أيت باعمران بين جيش التحرير والجيش الإسباني، إلى أن استشهد سنة 1377 / 1957 على إثر غارة شنتها طائرات العدو على الدوار الذي كان ينتمي إليه.

*شهداء الاستقلال*، ج 2.

عزالدين العلام

**بوشرابة**، (سيدي ـ) فارْبة بن أحمد بن الشيخ، من قبيلة مُقَدّم العربية التي جاءت لدكالة وتامسنا في نهاية القرن السادس (12 م)، مع عاصم وسفيان والخلط وجشم. كان من الأولياء، لا يعرف تاريخ وفاته ودفن في حوش مشهور عند قبيلة الضّروسة بدكالة.

سلسلة مدن وقبائل *المغرب*، ج 10 ؛ *دكالة*، تر. م. الشياظمي.

محمد الشياظمي

**بوشرون**، Boucheron، ضابط من ضباط جيش الاستعمار الفرنسي الذي نزل بالشاوية في صيف سنة 1325 / 1907 تمهيداً للحماية، سقط قتيلاً على أيدي مجاهدي قبيلة المذاكرة بمعركة سيدي عسيلة يوم 25 صفر عام 1326 / 29 مارس 1908، فأطلق اسمه لفترة الحماية على قرية الگارة المجاورة (انظر الگارة).

ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب* (1849 ـ 1910)، *حادثة الدارالبيضاء واحتلال الشاوية*، الدارالبيضاء، 1991.

Général d'Amade, *Campagne 1908 - 1909*, Paris ; Grasset, *A travers la Chaouia avec le corps de débarquement*, Paris, 1911 ; Segonos, *La Chaouia et sa pacification*, Paris, s. d. ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939.

إبراهيم بوطالب

**بوشْعْرَة**، أو أبو شعرة، وقد يحذفون التاء أو يستبدلون بها ألفاً مقصورة أو ممدودة فيقولون : بوشَعْرَ، بوشعرا، بوشعراء، أسرة سلوية عريقة، يقال إن جدهم كان يحتفظ على وجه التبرك بشعرة من شعرات النبي عليه السلام فكُنِّي أبا شعرة، وهم ذوو مروءة وفضل ونسك، فيهم فقهاء مدرسون، وعدول مبرزون وتجار و حرفيون، وموظفون سامون في حكومة المخزن.

**بوشعرة، أحمد** بن عبدالقادر، كان ممن يشتغلون بالبحر، وبهذه الصفة أدرج في قائمة البحرية الذين نالوا منحة ملكية في أواخر القرن الثالث عشر (19 م).

**بوشعرة، الحسن** من أعيان مدينة سلا وأنجادها، كان خليفة لعاملها القوي الشهير عبدالحق بن عبدالعزيز فنيش فيما بين عامي 1169 ـ 1755/1180 ـ 1766.

**بوشعرة، عبد الرحمن** (الحاج ـ) من كبار المسؤولين عن "البحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية" ففي توزيع الصلة التي أنعم بها الحسن الأول على هؤلاء في ثامن وعشري ذي الحجة عام 2/1311 يوليوز 1894، حاز الحاج عبدالرحمن بوشعرة من السلف القديم الذي له 390 ريالا. وهو أضعاف ما حازه رؤساء البحر الآخرون.

**بوشعرة، عبد القادر** كان مجاهداً بحرياً، ومتعبداً ناسكاً، يؤذن بالزاوية العيساوية القريبة من دار سكناه، ويشارك البحارة في حركاتهم، لذلك نجد اسمه في قائمة الصلة المنعم بها على البحرية في سادس عشر ذي القعدة عام 14/1292 دجنبر 1875.

**بوشعرة، علي** بن محمد، من فقهاء سلا المرموقين، وعدولها المبرزين. من الآخذين عن الشيخ علي بن محمد العكاري. قال في حقه صاحب *الاتحاف الوجيز* (ص 102) "كان ـ رحمه الله ـ فقيها عدلا نوازليا فارضا حاسباً".

توفي بسلا سنة تسع أو عشر ومائة وألف/97.1698، ودفن قرب ضريح الشيخ ابن عاشر.

**بوشعرة، قاسم** بن الطيب، مجاهد بحري، يوجد اسمه في قائمة الصلة المنعم بها على البحارة في 16 ذي القعدة عام 14/1292 دجنبر 1875، وفي قائمة الصلة المنعم بها على "البحرية القائمين على وظائف الأمور الجهادية" بتاريخ ثامن وعشري ذي الحجة عام 2/1311 يوليوز 1894.

**بوشعرة، محمد حجي** (الحاج.) بن الحاج الهاشمي فقيه فلكي ميقاتي، ولوع بالتقييد ونسخ الكتب القيمة بخطه الجميل، حتى ضعف بصره ثم عمي في آخر حياته. له خزانة قيمة مشتملة على أهم المخطوطات والمطبوعات في الفنون العقلية والنقلية التي يُعنى بها، اطلعت على بعض منتسخاته بمنزله في درب معاننة، وآل بعضها بالشراء إلى

الخزانة العلمية الصبيحية بسلا بعد أن بُددت بفعل سوء تصرف أحد أصهاره، لأنه لم يعقب، وإنما ترك بنتاً.

توفي بسلا حوالي 1951/1370.

**بوشعرة، محمد** بن الطيب. فقيه موثق مشارك، كان في إبان طلب العلم معدودا من بين النجباء، حسب قائمة تضم من بالمدينة من الفقهاء والمدرسين والطلبة والعدول، مكتوبه قبل عام 1862/1279، وهو يحمل فيها رقم 27 مذكور باسمه دون اسم أبيه. وقد اشتغل بالتدريس وتلقي الشهادات، وكان إلى ثالث رجب عام 5/1306 مارس 1889 يشهد مع رفيقه العدل محمد بن العربي بن منصور.

**بوشعرة، مَحمد** ـ فتحا ـ بن **عبد الرحمن** (الحاج.) بن الطاهر (الحاج.) فقيه أستاذ، كان له كتاب بدرب ابن شعبان يعرف بمسيد الفقيه التيال. حفظ عليه كتاب الله وجوده عددٌ لا يحصى من طلبة سلا وفقهائها. كان إماما في تراويح رمضان بالمسجد الأعظم بسلا، يتسابق الناس للصلاة خلفه والاستماع إلى تلاوته الحلوة التي لا يظهر عليها أي تكلف مع التزامه الدقيق بقواعد التجويد. قرأت عليه وختمت سلكة بالتجويد من القرآن العظيم والحمد لله. بعد أن حفظت القرآن على يد الفقيهين الجيلالي النجار ومحمد الجبلي.

توفي بسلا في رابع رجب عام 4/1365 يونيه عام 1946.

**بوشعرة، محمد** بن **عبدالقادر**. من البحارة القائمين على أسطول الجهاد بسلا. أُدرج اسمه في أكثر من قائمة للبحارة الذين يحظون بالصلات الملكية، تارة باسمه محمد فقط وتارة باسمه واسم أبيه. وهكذا نجده يحمل رقم 86 و282 في قائمة المجاهدين الذي أنعم عليهم الحسن الأول بصلة في 16 قعدة عام 14/1292 دجنبر 1875، ورقم 191 في قائمة الصلة المنعم بها على "الطبجية الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا" في ثامن وعشري ذي الحجة عام 2/1311 يوليوز 1894.

**بوشعرة، الهاشمي بن الحسن** صالح ناسك، وبحار مجاهد. كان يسكن بعقبة التيايلة من حومة زناتة ويؤذن بمسجد درب ابن شعبان. وفي نفس الوقت يعمل في السفن الجهادية. فنجد اسمه في قائمة البحريين الذين نالوا الصلة الملكية في 16 ذي القعدة عام 14/1292 دجنبر 1875، وفي اللائحة الكبرى "البحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية" المؤرخة في ثامن وعشري ذي الحجة عام 2/1311 يوليوز 1894.

**بوشعرة، الهاشمي** (الحاج.) بن العربي (الحاج.) من التجار المشهورين بالأمانة وحسن التدبير، انتدبه قاضي سلا للنيابة عن المحاجير أبناء العلامة محمد بن الطاهر المير في القسم والمخارجة مع باقي الورثة حسب رسم الاراثة المؤرخ في مفتتح محرم عام 21/1221 مارس 1806.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 110 ؛ م. ابن علي، *الاتحاف الوجيز*، 102 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : 97. 98 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، 122. 130 ؛ عمر بن علي عواد، *كناشة*، مخطوطة خ. ص ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 53. 123. 130. 132. 135. 151. 157. 158. 224. 225. 228 ؛ *ملاحق الإتحاف*، 153 ؛ *رسوم عدلية قديمة* عند العدل عبدالنبي النجاري السلوي.

محمد حجي

**بوشعيب** بن عبدالقادر، مقاوم اشتهر باسمه، من مواليد أيت عمار ناحية وادي زم، كان يعمل بشركة للمعدن في آيت عمار.

وفي يوم السبت 20 غشت 1955 شارك في المظاهرة التي نظمها الوطنيون بمناسبة ذكرى نفي جلالة المغفور له محمد الخامس وأسفرت عن قتل جماعة من المعمرين بالمنطقة.

وصبيحة يوم الأحد 21 غشت 1955 قدمت تعزيزات القوات الفرنسية من وادي زم فطوقت المنطقة وأطلقت نيران رشاشاتها على المواطنين حيث سقط عدد من الشهداء كان من بينهم بوشعيب بن عبدالقادر الذي لفظ أنفاسه على الساعة التاسعة صباحاً قرب مكان يدعى سيدي الحسن بعد أن أصيب بخمس رصاصات.

ابن **بوشعيب، محمد** مقاوم، ولد سنة 1925 في أكنول بإقليم تازا. وانضم إلى صفوف جيش التحرير بشمال المغرب، حيث شارك في عمليات فدائية في أكنول وغيرها من المراكز الأخرى منذ 2 أكتوبر 1955، كما كان يساعد

المجاهدين على التنقل بين مختلف المراكز.

سقط رحمه الله شهيداً في ساحة الشرف برصاص الاستعمار الفرنسي في أكنول أوائل عام 1375 / أواخر 1955.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 2 ؛ *وثائق المندوبية السامية للمقاومة*.

عزالدين العلام

ابن **بوشعيب، محمد**. الدكتور. بن الحاج أحمد الأوديي نسباً. نشأ عند خاله الحاج الحسن بِّيرو من تجار الرباط الوطنيين. فسهر على تعليمه إلى أن تخرج طبيباً في أوائل الاستقلال، وكان خاله بِّيرو عضواً نشيطاً في حزب الشورى والاستقلال فعُين الدكتو ابن بوشعيب وزيراً للسكنى والتعمير في الحكومة الأولى التي ترأسها مبارك البكاي بعد الاستقلال سنة 1956، وبعد ذلك أصبح عاملا بعاصمة الرباط، ثم سفيراً للمغرب بتركيا.

توفي بالرباط حوالي سنة 1390 / 1970 ودفن بمقبرة شالة.

*رواية شفوية عن محمد الأمين بلگناوي.*

محمد حجي

**بُوشْفَر**، عرف المغرب أنواعاً متعددة من البنادق تختلف من حيث تقنيتها، نذكر على سبيل المثال، بندقية ذات قدح الكبسولة المسماة بـ "بُوحَبَّة" لأن الكبسولة تسمّى في اللسان الدارج المغربي "الحبة"، غير أن النوع المنتشر بكثرة في المغرب يسمى "بوشفر" وهو عبارة عن بندقية ذات قدح من الصوان، وقد سميت بهذا الاسم لأن استعمال قدحها يعتمد أساساً على شفرة من الصوان.

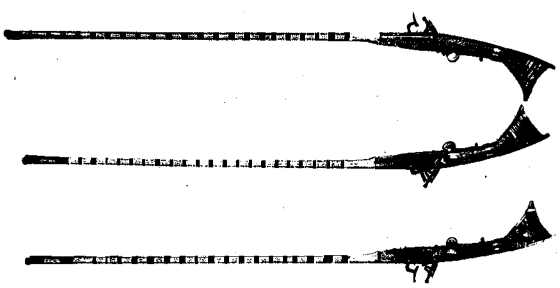

ولقد كان هذا الطراز من البنادق منتشراً في جميع أنحاء المغرب إلى حدود الثلاثينات من القرن العشرين، وقد استمر استخدام بوشفر رغم التطور التقني الذي عرفته الأسلحة النارية بالمغرب خاصة في عهد السلطان الحسن الأول الذي أسس في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) معمل "الماكنة" بفاس لصنع الأسلحة وإصلاحها وتطويرها.

ولعل أصدق دليل على استمرارية استعمال "بوشفر" هو أن جل البنادق التي جردت منها المقاومة المغربية من طرف جنود الاستعمار عند دخولهم المغرب وخلال تحركاتهم المسماة بحملات التهدئة Pacification كانت من طراز "بوشفر".

ونشير إلى أن بعض هذه البنادق ما زالت محفوظة بمتحف الأسلحة بفاس.

علي أمهان

**بوشفرة، عبد المالك**، أصله من قبيلة الأوداية. وينعت في الوثائق بخال السلطان أحمد الذهبي ابن مولاي إسماعيل ؛ عينه هذا الأخير باشا على تطوان عام 1727 م بعد عزل الباشا الشهير أحمد بن علي الريفي. وحسب رواية الإنجليزي بريتويت Braithwaite فإن بوشفرة اشترى في مكناس منصب ولايته بمبلغ 500 ضبلون ذهبا، وهو أمر غير مستبعد نظراً للفساد الذي استشرى في الجهاز الإداري بعد وفاة مولاي إسماعيل. ويستفاد من ظهير تعيينه، المؤرخ في 20 ذي القعدة 10/1139 يوليوز 1727، أن ولايته شملت، بالإضافة إلى تطوان، النواحي القريبة منها، بينما انحصر حكم الباشا أحمد الريفي في طنجة وأصيلا والعرائش. كما يستفاد من إحدى الرسائل الموجهة إليه، أن السلطان أحمد الذهبي فوض إليه أمر مباشرة المفاوضات مع الأجانب المقيمين بتطوان بقصد التجارة، على أن يرجع إليه في المسائل الهامة، أما في غيرها فقد أذن له في اتخاذ القرارات باعتباره المندوب الوحيد له في المدينة. مع ذلك كانت سلطة بوشفرة ضعيفة، وكان الحل والعقد بيد قادة أهل تطوان. كما أن مدة ولايته لم تدم سوى أشهر معدودة.

أهم حدث عرفته تطوان خلال هذه المدة الوجيزة معركة "عيطة السبت"، وهي المعركة التي دارت بين أهل تطوان وبين الباشا أحمد الريفي الذي غزاها يوم السبت 24 صفر عام 1140 / 11 أكتوبر 1727 ؛ وكان النصر حليفه في الجولة الأولى، فاقتحم المدينة وعاث جنوده فيها فسادا، بينما فر المترجم إلى الجبال ؛ ثم عادت الكرة على الريفي، فغادرها مندحراً إلى مقره بطنجة. ويفهم من رواية بريتويت أن الذي تولى الحكم في تطوان عقب انسحاب أحمد الريفي هو مجلس متكون من الأعيان يعرف بـ "الديوان". وفي مدة حكم هذا "الديوان" عاد بوشفرة إلى تطوان، فقابله أهلها ببرودة، ولم تبق بيده أي سلطة حقيقية. ثم سرعان ما وقع استدعاؤه إلى مكناس، فخرج إليها في منتصف ربيع الأول عام 1140 / بداية نوفمبر 1727 مع المبعوث الانجليزي ج روسل Russel ووفد يمثل قادة تطوان. وهناك صدر الأمر بإعادة الباشا أحمد الريفي إلى الولاية على هذه المدينة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 48 وما بعدها.

J. Braithwaite, *Histoire des révolutions de l'empire de Maroc*... Amsterdam, P. Mortier, 1731.

محمد الأمين البزاز

**بُوشْمَايم**، أسرة أصلها من وهران كانت بتطوان إلى غاية سنة 1910/1328 حيث انقرضت، وكان جل أفرادها يعملون كمرتزقة في الجيش الإسباني المحتل لمدينة سبتة.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوشنافة، محمد** بن الجيلالي الجامعي الطربي، أحد رجال الحركة المخزنية التي قادها الشريف مولاي عثمان، أخو الحسن الأول إلى الريف وقلعية في ذي القعدة عام 1891/1309. ولهذا التاريخ علاقة بتعيين بوشنافة الجامعي على ثلاثة أخماس قلعية : بني شكر بعد محمد بن الهادي الشكري، وبني بوكافر بعد محمد بن العربي وعمر بن موسى، وبني بويفرور بعد كل من حميدة بن شلال ومحمد بن حدو بن محمد أَبَرُودي. وبقي في نفس المهمة إلى أن تم عزله في رمضان عام 1894/1311.

فالظاهر أن جميع ما كان تحت نظر حمان السعيدي منذ رمضان عام 1307 أسند إلى بوشنافة الجامعي ابتداء من 6 ذي القعدة عام 1309، وهو التاريخ الذي حلت فيه حركة مولاي عثمان بقصبة سلوان، وبرفقته بوشنافة الذي كان قائدا على اكزناية أيضا. وقد أكدت مراسلات تالية (7 و14 و22 ذي الحجة 1309) على ممارسة عمله. ويبدو من خلال هذا التعيين أن الحسن الأول كان قد عدل عن نظام توزيع القبيلة إلى عدة قيادات. ولكن هذا لم يكن سوى إجراء مؤقت، وسيعود التقسيم إثر عزل بوشنافة مباشرة.

يحتل خمس بني شكر جميع أراضي شبه جزيرة هُرك (وُرك أيضا) الممتدة على شكل رأس كبير مثلث الشكل، قاعدته منحصرة من ناحية الجنوب بين حدود مليلة المحتلة عند رأس تَافْرَسْت شرقاً ورأس غساسة مما يلي الغرب، ورأسه عند رأس هُوك. وحسب التوزيع الإداري الذي كان عليه الخمس في أواسط شعبان عام 1309، فإن ثلاث فرق هي التي تألفت منها قبيلة بني شكر، مع ملاحظة أن فرقة بني واغْمْرَن التي كانت تابعة لها خلال القرن العاشر (16 م)، حسبما أشار إليه *تقييد نسب قبيلة قلعية*، أصبحت ضمن بني بويفرور، مندرجة في فرقة بني بومْحمد. والفرق الثلاث هي :

1 ـ العثامنة : أخذت اسمها من أولاد عثمان العرب المعقليين الذين استقروا بقلعية منذ العهد المريني، (*قلعية*، 1 : 55). وما تزال بقايا نسلهم معروفة إلى اليوم. جمعت الفرقة حولها عدداً هاماً من المداشر بلغ أربعة عشر مدشراً، موزعة على حوض واد المدور الأعلى والأوسط، ابتداء من سفح القرمود إلى هضبة أهَيْدوم.

2 ـ عبدونة : تشغل الفرقة المساحة الواقعة بين حدود مليلة المحتلة من جهة الشمال وحوض واد تغرْفَتنْ بالشمال الغربي لتمتد إلى مرسى تَيْذَنْتْ على ساحل شبه جزيرة هُرك الشرقي. وتتألف من ثلاثة عشر مدشراً.

3 ـ بجيوة : أصغر الفرق، وتضم تسعة مداشر، موزعة على القسم الغربي من شبه جزيرة هُرك، بعد الاتصال بعبدونة والعثامنة.

لم تخبرنا الوثائق بقيادة بوشنافة الجامعي على القبائل الثلاث دفعة واحدة. فأول ما عرفنا تسييره لشؤن بني بوكافر في 7 ذي الحجة عام 1309. وعلمنا نفس الشيء بالنسبة لبني بويفرور في 14 من نفس الشهر والسنة، بينما لم نخبر بالنسبة لبني شكر إلا في 3 صفر عام 1310.

اختار بوشنافة الاستقرار في جنادة فرخانة، وهي القصبة الواقعة بجماعة فرخانة من مزوجة، مما يقابل حدود مليلة. ووجوده على رأس بني شكر المشرفة على المساحة المحتلة، واستقراره بقصبة فرخانة يجعل القائد مسؤولا عن حوادث تلك الحدود وحراستها. لكن السلطان لم يفوض له فصل الدعاوي والاتصال بحاكم مليلة. في وقت كانت خالية من الإدالة المعهودة بالقصبة بعد انسحاب العربي بن حميدة الشرگي منها (6 صفر 1320) ولذلك سأل بوشنافة السلطان في ربيع الأول عام 1310 عما إذا كان ذلك من حقه أم لا. وليس هناك من الوثائق ما يثبت له التفويض، إلا أننا نرجح ذلك، إذ أن الحسن الأول تساءل عن مهمة سابقه العربي بن حميدة الشرگي، حينما قرئت الرسالة على مسمعه، للرد عليها. ونحن نعلم أن قائد الإدالة السابق كان مشرفا على أمور الحدادة أيضا. (11 ربيع الأول 1310).

عاصر بوشنافة الجامعي أصعب مرحلة عرفتها قبيلة قلعية تجاه مليلة. مترتبة عما نسميه بحرب سيدي ورياش، الواقعة في آخر أيام حياة الحسن الأول. فمن المعلوم أن الإسبان كانوا قد انهوا مشكل رسم الحدود باتفاقية سنة 1890/1308. وشرعوا بعد ذلك في تعبيد الطريق في اتجاه ضريح سيدي ورياش، وبناء برج هناك بجواره. وحينما شرع الإسبان في البناء أقدم القلعيون من مزوجة وبني شكر على هدم ما تم بناؤه أولا وثانيا، ومن أجل ذلك وقعت الحرب بين الطرفين، مما سياتي تفصيله في مادة الحدادة بحول الله.

ولم تكن أحوال محمد بوشنافة على ما يرام مع الأخماس الثلاثة الداخلة تحت نفوذه منذ بداية أمره. إذ أن توليته على أهلها كان أمرا مفروضا، وبدون رضاهم، كما هو المعتاد. فكانت طريقة بني شكر وبني بوگافر وبني بويفرور لمعارضته اللجوء إلى عدم أداء الواجبات المخزنية والزكاة والأعشار على يده، مفضلين تقديمها مباشرة إلى من يعينه السلطان لذلك.

وفي بداية عام 1310 كان الواجب على بوشنافة من جباية الأخماس الثلاثة ما مقداره 16.175 ريال عن السنة الفارطة خاصة. وإلى غاية رمضان عام 1311 أصرّ أهل الأخماس الثلاثة على امتناعهم من تسليم الواجبات المخزنية والزكاة والأعشار للعامل بوشنافة (3 و16 ومتم صفر ؛ فاتح ومنتصف ربيع الثاني) بدعوى زيادته في طلب الجباية.

وأغلب الاعتقاد أن الصعوبات التي وجدها المخزن مع بوشنافة نتيجة تماطله وتهربه من أداء ما بذمته، وعدم استقامة أمور القبائل معه هي الأسباب التي عجلت بعزله وتعيين أربعة قواد بدله قبل رمضان عام 1311، أصلهم من تلك القبائل نفسها. ويعني ذلك العودة إلى النظام السابق المنبني على طريقة التعدد.

بقي بوشناقة الجامعي بقلعية بصفته قائد إدالة قصبة فرخانة، مشرفا على أمور الحدود وعلى سائر قبائل قلعية إلى أن حل مكانه محمد أنفلس الحاحي في الأشهر الأولى من عام 1312.

*وثائق خ. ح.* بالرباط ؛ *كنانيش خ. ح.* بالرباط ؛ ح. الفكيكي، *قلعية*، 1 : 32، 33، 120.

حسن الفكيكي

**بوشنتوف**، أو الشنتوفي، أسرة سلوية مجيدة، تنتسب إلى القطب المولى عبدالسلام ابن مشيش جد شرفاء العَلَم المشاهير. وإن كان بعض الناس ينكر عليهم هذه النسبة الإدريسية ويقول إن آل بوشنتوف هم غير الشنتوفيين الشرفاء. وقد عُرفت هذه الأسرة بالمروءة والاستقامة والوجاهة، وأنجبت عدداً من الفقهاء والأدباء والمدرسين، والتجار والحرفيين، والمجاهدين البحريين.

**بوشنتوف، أحمد** بن أبي بكر، أديب بارع، شاعر ناثر، درس في مسقط رأسه على والده وعلماء سلا وأدبائها، وارتحل صغيراً إلى الدارالبيضاء عندما أصبح والده قاضياً بها. وكان عام 1923/1314 من بين تلاميذ "المدرسة الوطنية الإسلامية"، وهي من المدارس العربية الحرة الأولى التي أنشأها رُواد الوطنية، وقد زارها يوم 18 محرم عام 10/1341 شتنبر 1923 قائد سلا الغيور الشهير عبدالله ابن سعيد في جماعة من السلويين واحتفلت المدرسة بمقدمه، وألقى مديرها الشاعر محمد بن اليماني الناصري كلمة ترحيب أجاب عنها القائد بن سعيد بأخرى، وكتب أحمد بن أبي بكر بوشنتوف بطاقة باسم التلاميذ يطلبون فيها أن يُعطوا فسحة (عطلة) بمناسبة هذه الزيارة. وتدل إنشاء البطاقة على نباهة هذا التلميذ وسلامة أسلوبه. (جميع هذه النصوص في *التعريف*، 1 : 278 - 279).

وبعد ذلك صحب أحمد والده إلى مراكش عندما انتقل إليها، ثم لازم خاله العالم الأديب محمد بن عمر ابن سعيد الذي كان يقيم بضيعته في بلاد عبدة. وفي نهاية الأزمة السياسية سنة 1955 حين أُسس مجلس العرش عُين أحمد بوشنتوف كاتباً للمجلس باقتراح من باشا سلا محمد بن الطيب الصبيحي، وظل بعد ذلك كاتباً بالديوان الملكي إلى أن أتاه اليقين.

تفرق شعر أحمد بوشنتوف بين أصدقائه الذين مات معظمهم. ومن آثاره التي وقفت عليها قصيدة تعزية بخطه وجّهها إلى صديقه العربي بن عبدالله بنسعيد السلوي استهلها بنثر مسجع على الطريقة الأندلسية، يعزيه في صهره الأديب العربي معنينو، بتاريخ فاتح المحرم عام 6/1365 دجنبر 1945. القسم النثري طويل وأبيات القصيدة تسعة عشر مطلعها :

| | |
|---|---|
| ماذا يفيد البكا وينفع الحذَرُ | من كل ما قد قضى بحكمه القدَرُ |
| أُفٍّ لدهر خؤونٍ لا يدوم على | حالٍ ولا ينتهي من كيدِهِ الكـدَرُ |

**بوشنتوف، أبو بكر** بن عبدالهادي. ولد في مدينة سلا حوالي عام 1880/1298، وبها درس على الفقيه المحدث أحمد بن موسى تلميذ سيدي العربي ابن السايح، والقاضي عبدالله ابن خضراء، والمؤرخ أحمد بن خالد الناصري صاحب *الاستقصا*، "وهو عمدته وعليه تخرج، ومن عشه درج، لازمه عدة سنين بمجالسه العامة، ودروسه الخاصة بمنزله، وكان حظيا عنده، مقرباً إليه" (*أعلام الفكر*، 2 : 264) ثم ارتحل إلى فاس فأخذ عن شيوخ القرويين أمثال، محمد القادري، ومحمد گنون الكبير، وعبدالقادر الفاسي، وأحمد بن الخياط.

اشتغل أبو بكر بوشنتوف مدة بالتدريس في المسجد الأعظم بسلا، ومما أقرأه فيه *ألفية ابن مالك، وتلخيص المفتاح، ومقامات الحريري*. ثم انخرط في سلك الخدمة المخزنية، فعمل أميناً بمرسى أسفي وغيره أيام السلطان عبدالعزيز. وقد صحب عامل سلا السيد عبدالله بن سعيد في سفره إلى مراكش لعرض الخلاف بينه وبين قاضي سلا الحاج علي عواد، فاستُخدم هناك مع الخليفة السلطاني المولى عبدالحفيظ. ولما انتقل الملك إلى هذا الأخير بعث به سفيرا مع الفقيه البوعصامي إلى ألمانيا وثلاث دول أوربية أخرى لأجل الاعتراف به ملكاً على المغرب بدل أخيه المخلوع. وبعد ذلك أصبح أبو بكر بوشنتوف أمين الصائر بمراكش، ثم قاضياً بمدينة وجدة فمكث هناك ستة أعوام، ثم نائبا عن وزير الأملاك المخزنية الحاج عمر التازي بالرباط ثلاث سنوات، ثم قاضياً بأحواز الدارالبيضاء. وقد نُكب أكثر من مرة وأُخّر عن وظائفه بسبب وشايات حساده، قالوا مرة إنه هجا عبدالحفيظ وأقذع في هجوه، وقالوا أخرى إنه يتشبه في بيته بحياة الملوك في قصورهم، وزعموا أنه استغنى غنى فاحشاً من قضاء ناحية الدار البيضاء، مع أن الثابت المؤكد أنه استعفى عن طيب خاطر من هذا المنصب وأعرض بعده إعراضاً كلياً عن الوظائف والتحق بمراكش فسكنها بقية حياته.

نعم كان يسير في حياته على ما نشأ عليه في أسرته المجيدة من رغد العيش وما اقتضاه طبعه الأدبي المرهف من تمثّل بالحضارة الأندلسية وأمرائها الأدباء وكتابها المشاهير، فكان له كثير من الخدم والحشم ذكوراً وإناثاً، وقد أوجز

ذلك صاحب *أعلام الفكر* في قوله : "وكان يعيش عيشة أندلسية تتجلى فيها الراحة والأريحية، يمثل منزله منازل وزراء وكتاب قرطبة في عهد الخلافة الأموية، والأيام العامرية ...لا يخلو مجلسه من أدب ينقل، أو شعر يروى ويعقل، أو طرب أندلسي يشفي النفوس من العلل، وملحون مغربي يفسح في دائرة الأمل، وموائد ممدودة، ونعم لا ممنوعة ولا مفقودة".

كانت له دروس شيقة مفيدة أينما حل وارتحل، في وجدة والدارالبيضاء ومراكش، وله مؤلفات، منها *أجوبة* متنوعة في الحديث والتوحيد والفقه وأحكام القضاء والتوقيت (مخطوط خ. ص. رقم 441) *والبستان الفسيح بشرح همزية المديح*، وهو شرح مطول مستوعب لجوانب دقيقة من السيرة النبوية، توجد مسودة المؤلف بخطه في (خ. ص. رقم 445) في 769 صفحة وهي ناقصة تقف عند البيت :

وتوالت للمصطفى الآيةُ الكبرى    عليهـــمْ والغـارةُ الشعـــواء

*وديوان* يشتمل فقط على 52 صفحة، مع العلم أنه شاعر مطبوع مكثر، فلعل هذا جزء من ديوان جُمع أو بقي في مرحلة الجمع. على أن أهم آثار قلمه هو *كناشاته العلمية السبع* التي كتبها بخطه الجميل وأودعها مختارات أدبية، وفوائد وطرائف، تتخللها قصائده ومقطعاته ومراسلاته ومقاماته الدالة على رقة حسه، وسلامة ذوقه، وعلو كعبه في العلوم، ورسوخ قدمه في ميدان الأدب بصفة خاصة. وقد وصفنا هذه الكناشات وذكرنا مجمل محتوياتها في فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا (ص 380، 381، 605، 607).

توفي أبو بكر بوشنتوف بمراكش يوم السبت سادس صفر عام 1359/16 مارس 1940، ودفن في ضريح مولى القصور الشيخ عبدالله الغزواني. أخبرني الفقيه العدل السيد عبدالنبي النجاري ـ عن مشاهدة ـ أن جنازته كانت حافلة مشهودة، أعلن البراحون موته فأقفلت المتاجر وتعطلت حركة المدينة لتشييع جنازته. ولا عبرة بما في *أعلام الفكر* من أنه توفي عام 1355/1936، وتبعه في ذلك كل من عبدالوهاب ابن منصور في *أعلام المغرب العربي*، وعبدالعزيز بنعبدالله في *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق*. ولا بما في *ملاحق الاتحاف الوجيز* من أنه توفي عام 1346/1926. والصحيح ما ذكرته نقلاً من خط المرحوم الحاج بوبكر الصبيحي في كتابه عن أعلام سلا رواية مباشرة عن صديقه ولد المترجم الأديب أحمد بوشنتوف.

**بوشنتوف، عبدالسلام**، من المجاهدين البحريين، وبهذه الصفة أُثبت اسمه في قائمة الذين نالوا صلة ملكية بتاريخ 16 ذي القعدة عام 1292/14 دجنبر 1875. ويظهر أنه كان متعدد الاختصاصات وافر النشاط بالنسبة لأقرانه، فنجد اسمه في نفس الوثيقة ثلاث مرات، أولاً تحت عدد 45 في جملة البحرية، وثانيا تحت عدد 278 مع أصحاب الشكيف، وثالثاً تحت عدد 327 مع أصحاب الفلايك الصغار، وبذلك حصل على ثلاث صلات.

**بوشنتوف، العربي**، وأحياناً يكتب محمد العربي، من فقهاء سلا ووجهائها، كان قبيل عام 1278/1862 يعمل بالمرسى أمينا. وفي الثاني والعشرين من ذي الحجة عام 1290/10 فبراير 1874. كان من المرشحين للصلة التي أنعم بها الحسن الأول على أهل سلا. وكان في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) كاتباً في دار النيابة السلطانية بطنجة.

**بوشنتوف، محمد**، من طلبة سلا حفظة القرآن الكريم، المشتغلين في الأسطول البحري. ويوجد اسمه تحت عدد 71 في قائمة من سمّتهم الوثيقة "البحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية" الذين نالوا صلة ملكية في ثامن وعشري ذي الحجة عام 1311/2 يوليوز 1894.

**بوشنتوف، مصطفى**، من رجال البحر المجاهدين. نجد اسمه تحت عدد 56 في قائمة البحرية الذين نالوا صلة ملكية بتاريخ 16 ذي القعدة عام 1292/14 دجنبر 1875، وفي القائمة الكبرى "للبحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية" تحت عدد87، الذين نالوا صلة مهمة بتاريخ ثامن وعشرى ذي الحجة عام 1311/2 يوليوز 1894.

إ. الفضلي، *الدرر البهية*، 2 : 105 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 263 . 265 ؛ أ. الصبيحي، مسودة *كتاب أعلام سلا*، مخطوط خ. ص ؛ ع. بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 266 . 268 ؛ م. حجي، *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية*، في مواضع متعددة ؛ ع. بنعبدالله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق* 58 ؛ م. بوشعراء، *ملاحق الإتحاف الوجيز*، 152 ؛ *التعريف*، 1 : 279 ؛ 2 : 57، 146، 156، 160 ، 161، 226.

محمد حجي

**البوشواري، الحسن** بن الطيب ← **باها** (آيت.)

**بوشْويهَة، سعيد** بن محمد المحمدي الشرادي، نسبة إلى قبيلة شراردة بُوغْزاون إحدى قبائل المخزن المستقرة جنوب فاس. حمل لقب بوشويهة لكثرة ما كان له من غنم (شويهات) وعيّنه المولى عبدالحفيظ سنة 1326 / 1908 قائداً على مدينة صفرو غير أن منصبه الجديد في السنة التالية كأحد خلفاء باشا فاس الجديد التي سكنها كباقي قواد قبائل المخزن، جعله يسيِّر مدينة صفرو انطلاقاً من محل سكناه. وإليه تنسب قصبة بوشويهة أو قصبة القايد سعيد (قصبة الشراردة) بين كسيكسو بحافة مولاي إدريس وظهر الخميس. ويملك حفدة القائد سعيد بوشويهة رسماً عقارياً يثبت ملكية جدهم القائد لهذه القصبة.

عاش بوشويهة أحداث فاس سنة 1912، ويبدو أنه توفي في نهاية هذه السنة حيث لم يعد له ذكر في الوثائق بعدها.

ر. لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، ذكر في النص الفرنسي (ص 264) باسم بوشويشة، وفي الترجمة العربية، (1 : 385) باسم بوشوية،

وفي هامش 41، (1 : 162) ورد اسمه صحيحا ؛ الحسن الشافعي علوي، *التنظيم البلدي بالمغرب قبل الحماية، نموذج مدينة صفرو ؛ صفرو بين غنى الماضي واهتمامات الحاضر*، الملتقى الثقافي الأول، منشورات الجواهر فاس، أبريل 1987، ص 97.

آمنة معطى الله

**بوصحابة، عبدالقادر** بن أحمد. مقاوم ولد سنة 1933 بتاغجيرت دوار القلعة. وفي سنة 1955 انخرط في جيش التحرير بمنطقة تاغجيرت ملحقة أحفير في فرقة بوعلي لخضر حيث شارك في عدة عمليات وهجومات ضد الجيش الفرنسي، منها مشاركته في هجوم الكربوس، كما شارك في اختطاف جندي فرنسي وظل نشيطاً متحمساً إلى أن استشهد إثر إصابته برصاصة في رأسه أثناء الهجوم على تاغجيرت سنة 1956.

*وثائق* المندوبية السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

**بوصخور، محمد العربي**، مرابط يُنسب إلى قبيلة الأخماس من أعمال شفشاون. ادعى الصلاح وحرّض قبائل جبالة ضد الأمير سيدي محمد بن عبدالله متنبئاً بأن مدة ولايته لن تطول. وكانت دعوته هذه، حسب بعض المصادر، سبباً في عدم حضور قبيلتي الأخماس وغمارة بيعة هذا السلطان عام 1171 / 1757.

اشتهر أمر هذا الدعي في أواخر دولة السلطان مولاي عبدالله حين ضعف هذا الأخير عن الحركة واستقلت عدة مدن ومناطق، فنهض خليفته في الجنوب، الأمير سيدي محمد، لسدّ هذا الثلم والقيام بأعباء الدولة. وفي هذا الإطار تصدى للفتنة التي أثارها بوصخور في جبالة وبعث عام 1168 / 1755 القايد العياشي لتثبيت الأمن في شفشاون، والباشا مسرور لإحكام السلطة على القصر الكبير. لكن مهمة القايد العياشي باءت بالفشل حيث سدّ سكان شفشاون أبواب المدينة في وجهه قبل أن يحاصروه في القصبة.

اختلفت المصادر في تاريخ قتل بوصخور فجعلها الضعيف عام 1171 / 1757، قبل وفاة مولاي عبدالله، حيث صعد إليه الأمير سيدي محمد في جباله وقتله بسوق سبت رهونة على ضفاف واد اللكوس ثم مرّ بشفشاون فقطع أشجارها عقوبة لسكانها على حصار قايد المخزن.

أما الزياني ومن نقلوا عنه مثل أكنسوس والناصري وابن زيدان، فقد أرّخوا لوفاته بسنة 1172 / 1758، أي في بداية دولة السلطان سيدي محمد بن عبدالله، حيث يذكرون أن هذا الأخير، بعد زيارته لفاس وترتيبه لأمور الدولة، ترأس حركة استهدفت "إخماد نار الفتن التي قام بإضرامها بوصخور في قبائل جبالة". وبعدما مكنته تلك القبائل من الدعيّ قتله ووجّه رأسه ليعلق على أبواب فاس ومكناس "ليزول ما بالأوهام". بينما نقل ابن الحاج الروايتين عاكساً بذلك تناقض مصادره في هذا الشأن، في حين أن القادري لم يورد أي خبر عن ثورة بوصخور أو مقتله.

وسواء كانت وفاته عام 1171 / 1757 أو عام 1172 / 1758 فمن المؤكد أن قيام بوصخور في هذه المنطقة الوعرة التي تعتبر معقلاً للشرفاء الأدارسة والتي ارتبط تاريخها بتاريخ الجهاد والتصوف المغربي وفي هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الدولة العلوية، قد مثّل تحدّياً كبيراً لمشروع سيدي محمد ابن عبدالله في إعادة تثبيت دعائم الدولة التي خربتها ثلاثون سنة من الفتن والأهوال.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الرباط، 1986، ص 157 ـ 160 ؛ ي. الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط خ. ع، 1275/د، الورقة 114 ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مخطوط، خ. ع، 339/د، ص 211 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، ج 9، مخطوط، خ. ح، 12184/1875. ص 273 ـ 275 ؛ والمخطوط عدد 1920، ص 46 ـ 48 ؛ع. ابن زيدان، *الاتحاف*، 3 : 157 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 10.

فاطمة الحراق

**بوصفيحة**، أحد روافد نهر مرتين، بنى فوقه باشا تطوان أحمد الحداد سنة 1853/1270 قنطرة لم يكن لها مثيل في شمال المغرب، وقد دخلت هذه التاريخ عندما أبرمت الهدنة بين المغرب وإسبانيا على إثر حرب تطوان يوم فاتح رمضان 23/1276 مارس 1860 ووقع الاتفاق على أن تكون القنطرة المذكورة هي الحد الفاصل بين الجيشين المغربي والإسباني إلى أن يتم التوقيع على معاهدة الصلح النهائية.

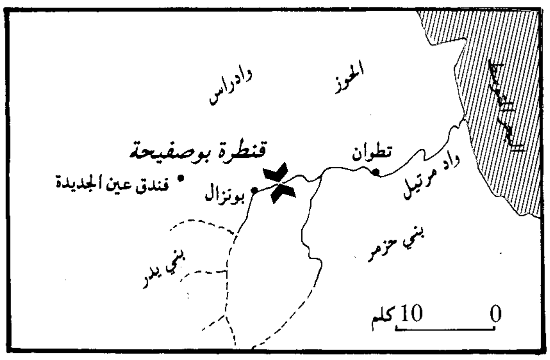


قنطرة بوصفيحة

والجدير بالذكر أن اتفاقية الهدنة المذكورة أبرمت بالمكان المعروف ببونزال الواقع قرب قنطرة بوصفيحة حيث التقى رئيس الجيش الإسباني الجنرال أودونيل Odonnell ورئيس القوات المغربية الأمير مولاي العباس بن عبدالرحمان تحت شجرة الزيتون المعروفة بزيتونة ابن سالم.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 3 : 175 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 339 ؛ 5 : 214 ـ 253 ـ 265 ـ 270 ؛ ع. بنعبدالله، موسوعة، 11، 368.
Comision historica, *Geografia*, p. 484 ; *Campañas*, 2 : 687 - 696 - 703 - 712 - 872.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوصْفيّة، مَحمد** (الحاج ـ) الكبداني، بهذا يعرف في الوثائق المخزنية، واسمه مَحمد بن صفية، من فرقة أولاد

الحاج برأس كبدانة. قائد الحسن الأول فيما بين سنة 1889/1301 و1892/1310. ولاه في 16 شوال 1301 على أربع فرق من مجموع الفرق التسع، إثر مقتل القائد عمر هرفوف الكبداني. تشكلت قيادة بوصفية من الفرق التالية : أولاد الحاج، وأولاد داود، وبني قياطن، والزخانين. وقد نافسه في تلك التولية الفقيه محمد بن أحمد الكبداني، قائد الفرق الخمس الباقية.

تحددت أولى مهمات بوصفية بمراقبة تجارة التهريب الجارية بين قبائل المنطقة الشرقية ومركز الوجود الإسباني بجزر كبدانة (الشفارين)، لما كان يهرب إليها من الحبوب والأبقار وغيرها من بني بويحيي وأولاد ستوت وبني إزناسن وسهل تريفة. ومركز الحراسة كائن بمقدمة رأس كبدانة بالموضع المعروف بالرباط أو جنادة، وهو يشرف مباشرة على الجزر المذكورة. وحينما آخذ السلطان بوصفية على التقصير في العسة أجاب بأن كل جماعة من جماعات كبدانة لها هناك عساكر، ولن يلحق المسلمين ضرر من جانب مرسى جناده.

عاصر بوصفية الشطر الأول من حرب بني إزناسن لكبدانة التي بدأت سنة 1885/1303 ولم تتوقف إلا سنة 1902/1320. أشعل تلك الحرب ضدها الحاج محمد بن البشير أمسعود الإزناسني، حينما رفضت الدخول في حلفه الموجه ضد بني بوزگو. وانضاف إليه أعراب كرط بقيادة ميمون بن لهبيل، الأمر الذي دفع بوصفية إلى طلب المساعدة من السلطان والقوات المخزنية التي يقودها رؤساء المحلة، ومن قواد قبائل الريف.

شارك بوصفية في جميع الحركات المخزنية التي تم استدعاؤه إليها، خاصة بمناسبة جمع الواجبات المخزنية. ولهذه الغاية حضر إلى جانب مولاي عثمان، رئيس المحلة المخزنية المرابطة بقصبة سلوان عام 1819/1309. كما أن السلطان استدعاه إلى المساهمة في حركة ضد مهاية المغرب الشرقي، والتوجه إلى أوطاط الحاج برفقة بعض عمال الريف ومحمد الأمراني رئيس المحلة سنة 1892/1310. ولكن أهم الدعوات هي التي تلقاها بتاريخ 4 ربيع الثاني عام 15/1311 أكتوبر 1893 يأمره السلطان بالالتحاق بجنادة فرخانة (قصبة فرخانة)، الواقعة على حد مليلة المحتلة بجمعة سيدي ورياش، قصد المرابطة مع أخي السلطان مولاي عرفة هنالك، ومساعدته على فض النزاع القائم آنذاك بين قلعية وجنود مليلة. ذلك أن قبطان مليلة كان قد بدأ في بناء برج بجوار قبة سيدي ورياش، فتصدى له أهل تلك الحدود وهدموا ما بناه الإسبان مرتين متواليتين، ثم وقع الضرب بين الطرفين، مما أدى إلى سقوط عدد من القتلى والجرحى من الجانبين. كان هذا الحادث سبباً في انطلاق ما دعي بحرب سيدي ورياش التي سيتم الاتفاق في شأنها يوم 29 شعبان 24/1312 أبريل 1895.

بقي بوصفية مرابطاً بفرخانة إلى أن تحول مجرى المحادثات بين المغرب والإسبان حول مشكل بناء البرج المذكور إلى طنجة. ولا تسمح الوثائق المخزنية التي بين أيدينا لمعرفة استمرار بوصفية أبعد من ذي الحجة عام 1312/يونيه 1895. حينما تم إخباره بما تبقى بذمته من الواجبات المخزنية البالغ مقدارها آنذاك 12.611 ريال.

*وثائق مخزنية خاصة ؛ وثائق خ. ح.*

حسن الفكيگي

**البوصِيري، محمد** بن سعيد الصنهاجي، يكنى بشرف الدين. ويرجع أصله إلى قبيلة صنهاجة، وبالضبط إلى بني "حيون" الذين هم من فروعها الذين قطنوا بالمغرب (*دائرة المعارف الإسلامية*، 4 : 329).

ويصرح البوصيري بأصله المغربي في شعره حيث يقول :

فقل لنا من ذا الأديب الذي ... زاد بـه حبـي ووسواسـي
إن كـان مثلي مغربيا فما ... في صحبة الأجناس من بـاس

(*الديوان*، 174)

ولد يوم الثلاثاء فاتح شوال سنة 608 / 7 مارس 1212 ببهشيم من أعمال بهنسا بمصر في أسرة فقيرة. وأمه من دلاص وأبوه من بوصير. لذلك اشتهر بالبوصيري نسبة إلى مسقط رأس أبيه على أرجح الآراء.

بدأ بحفظ القرآن ثم انتقل إلى القاهرة حيث درس العلوم الدينية واللغوية والتاريخ الإسلامي.

عاش البوصيري في بلبيس وكان خطاطا ماهراً. حضر دروس أبي العباس المرسي، واشتهر بشغفه بالسنة النبوية وأثر ذلك في نزوعه الشعري، كما تلقى تربية دينية في صغره، وتكويناً روحياً في شبابه وكهولته على أيدي شيوخ التصوف في عصره، وعلى رأسهم كبار تلامذة الشيخ أبي الحسن الشاذلي المتوفى بالإسكندرية سنة 616 هـ إذ أخذ عن تلميذه أبي العبس المرسي، علوم الطريقة وتعاليم التصوف على النهج الشاذلي.

وقد اشتغل البوصيري في الدواوين فعانى من ذلك وقسا عليه أصحاب مهنته، وأكثروا عليه الوشايات والتهم، فأثرت هذه الجوانب في حياته كشاعر، ووصف احتيال الموظفين على الأبرياء، واختلاسهم لأموال المسلمين من طرق غير مشروعة، كما وصف ظلم القضاة وتملق الرؤساء.

كان مجتمع مصر في عهد الحكم الأيوبي وحكم المماليك الأتراك يعرف الثراء الفاحش عند بعض الفئات والفقر المدقع للغالبية العظمى من الناس، فخلفت تلك الوضعية متهالكين متزلفين ويائسين متزهدين.

أما الشعر فقد ازدهر من زاوية فنية التعبير، ولعل ديوان البوصيري يدلنا على جانب من ذلك.

البوصيري الشاعر : لعل أهم ما وصل إلينا من البوصيري يتمثل في *ديوانه* المطبوع (طبعة 1، 1955، مصر، تح، م. سيد كيلاني).

يتألف المتن الشعري في الديوان من حوالي 3.300 بيتا موزعة على ستين قصيدة متباينة الأغراض والموضوعات.

ويمكن تقسيم أغراض شعر البوصيري إلى شعر المدح النبوي والتصوف والشعر الاجتماعي.

واشتهر من شعره في المدح النبوي قصيدته المعروفة بالبردة التي مطلعها :

أمن تذكُّر جيرانٍ بذي سلم     مزجت دمعاً جرى من مقلة بدمِ

وقصيدته الهمزية التي مطلعها :

كيف ترقى رقيك الأنبياءُ     يا سماء ما طاولتْها سماء

أما شعر التصوف عنده فمنتثر المعاني في قصائده المدحية وفي غيرها وهو يتسم بالاعتدال، يتحدث عن الشاذلي بقوله :

إن للإمام الشاذلي طريقــة     في الفضل واضحة لعين المهتدي

على اعتبار النبي منبع الشريعة والحقيقة.

أما شعره في النقد الاجتماعي فمن أبرز ما فيه وصف أحوال المستخدمين وفساد أخلاقهم حيث يقول مثلا :

فخذ أخبارهم منّي شفاهـا     وأنظـرني لأخبـرك اليقينـا

فقد عاشرتهم ولبثت فيهم     مع التجريب من عمري سنينا

فهو قد خالطهم ووقف على حقيقة نفوسهم الخبيثة، يقول:

ثكلت طوائف المستخدمينا     فلـم أر فيهـم رجـلا أمينـا

( *الديوان*، 218)

ويفضح أساليب اغتنائهم من طرق غير مشروعة فيقول :

وكلهم على مال الرعـايـا     ومال رُعـاتــهـمْ يتحايلـونـا

تحيلت القضـاة فخان كـل     أمانتَـه وسمُّـوهُ الأمـيـنـــا

وكم جعل الفقيه العدلَ ظلماً     وصيَّر باطـلاً حقـاً مبينـا

( *الديوان*، 220)

تلك هي الأغراض الكبرى في شعر البوصيري، وهي تصور نواحي تجربته في الحياة. فقد جاء شعره عاكساً لأوضاع مجتمعه بمختلف بنياته السياسية والاجتماعية المختلفة، كما كان عاكسا لنفسية الشاعر الذي تألم وقاسى وعانى فسُبكت أحاسيسه وانفعالاته شعراً رقيقاً فيه رصانة وقوة تذكرنا بالشعر العربي في عهد ازدهاره، وفيه نقمة على الأوضاع ونقد ذاتي واجتماعي ينم عن نزوع إسلامي إصلاحي تارة، وعن نزوع صوفي تارة أخرى. وهما نزوعان كانا في صميم تجربة البوصيري الشعرية كما كانا مكونين بارزين في شخصيته وثقافته.

هكذا عاش البوصيري في تلك البيئة الموبوءة وظل ساخطا على الناس والأوضاع إلى أن توفي في القاهرة سنة 695 وقيل سنة 694 والرأي الأول للسيوطي والثاني لحاجي خليفة، وذهب كل من المقريزي وابن شاكر إلى القول بوفاة البوصيري سنة 696، وقبره قريب من قبر الإمام الشافعي.

م. البوصيري، *ديوان شعر*، تح. م. سيد كيلاني، طبعة مصطفى البابي الحلبي ؛ سليمان البستاني، *دائرة المعارف* ؛ ابن شاكر الكتبي، *فوات الوفيات*، تح. إ. عباس، المجلد 3، ط 2، 1974.

*E.I.*, Nlle éd. supplément, livraison 3 - 4, Leide, 1981.

محمد أديوان

**بُوضَاض،** علي الأخصاصي (صاحب الأصبع) وبويحلبان، من مدشر "إدغزال" من فخذة أيت بويفلن من قبيلة الأخصاص السوسية، قال عنه صاحب *رجالات العلم العربي في سوس* (ص 179)، "عالم سَنيُّ القدر له مشاركة، غير أن علمه الذي اشتهر به هو الفرائض. ووصفه بالمسكنة والتواضع، وبملازمة المشارطة في المساجد، والسياحة على رجليه".

وأضاف *المعسول* : "كانت له يد طولى في علم الفرائض والحساب، إليه يقصد في تلك النواحي من أراد أن يتعلم هذا العلم ويمهر فيه، لذلك قصده علي بن عبدالله الإلغي الأستاذ المعروف حوالي سنة 1300 هـ، كما استقدمه إلى مدرسة إلْغ كمدرس، ونعته سيدي موسى بن الطيب الإلغي، بكون أخلاقه لطيفة، وإنه ساكن النامة خامل، منحاش إلى المسكنة"، أما الأستاذ عبدالله بن محمد علامة إلغ فكان يقول للأخصاصيين : "ليس فيكم إلا عالم واحد، هو سيدي علي بويحلبان".

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي بسوس*، 179 ؛ *المعسول*، 8 : 134.

الحسين جهادي

**بوضريات،** (سيدي.) **محمد** بن محمد الغازي صاحب الضريح الشهير بالقرب من جامع مولاي سليمان بمدينة الرباط. تذكر المصادر التي ترجمت له، وهي قليلة جداً، أنه كان معاصراً للسلطان أحمد المنصور السعدي، دون أن تحدد تاريخا لا لولادته ولا لوفاته ( *الاغتباط*، 1 : 98).

كان سيدي بوضريات هذا من الأولياء المجاذيب، ( *الانبساط*، 17). وممن نوَّه به وبكراماته الشيخ أبو بكر بناني، في *مدارج السلوك، لدى ذكر من جريت إجابة الدعاء عند مقامهم من أهل الجذب والسلوك* ( *الاغتباط*، 98).

وما زال مقامه مقصودا للزيارة من سائر أصقاع المغرب، وخصوصا ممن سلب عقله أو أصيب بالاعتلال والاختلال ( *الاغتباط*، 87).

م. بوجندار، *الاغتباط*، مخطوط ؛ م. ابن الموقت، *الانبساط بتلخيص الاغتباط*، طبعة مصر.

أحمد الوارث

**بُوضَرِيَّة،** أسرة تطوانية ومراكشية، أصلها من الجزائر كانت بتطوان إلى حدود سنة 1890/1307 حيث انقرضت ومازال أولاد بوضرية في مراكش حتى الآن.

**بوضرية، أحمد** بن محمد المراكشي، كان فقيهاً نزيهاً، وعالماً ربانياً، وواعظاً ناصحاً، درس بمراكش على جلة علمائها، والواردين عليها كالمهدي بن سودة الذي مدحه المترجم بقصيدة في بعض ختماته عام 1272 / 1055. وقد تولى أحمد بوضرية الخطابة بجامع الشرفاء بحي المواسين أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، كما أُسند إليه الوعظ به بعد صلاة الصبح. كان ذا صوت حسن جهوري، نفاعاً في دروسه، محبوباً عند الناس. وقد كان والده وأخوه الكبير محمد خطيبين أيضاً بنفس المسجد، كما

تولى خطابة هذا المسجد من بعده ابنه الفقيه المشارك السيد محمد بوضربة.

توفي أحمد بوضربة يوم الخميس 13 صفر الخير عام 1320 / 22 ماي 1902، واحتفل الناس بجنازته، وحضرها الخاص والعام، وأقبر بمقبرة باب أغمات.

ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، 2 : 455 ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، ص. 51.

أحمد متفكر

**بوضربة، مصطفى** التطواني، كان يشتغل بالتجارة، حيا سنة 1258/1842.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 318 ـ 375 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.
Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوطالب**، أو أبو طالب، أسرة إدريسية فاسية شهيرة، يعرفون في كتب الأنساب بالشرفاء الطالبيين الجوطيين. سمّوا جوطيين نسبة إلى جدهم يحيى (الثاني) الجوطي حفيد إدريس الأزهر، الذي خرج من غمرة محنة الأدارسة من فاس إلى جوطة، وهي مدينة قديمة على الضفة الجنوبية لواد سبو في بلاد الخلط، اندثرت في حروب قيام الدولة المرينية، وقبر يحيى الجوطي معروف هناك. وسمّوا طالبيين لوجود أربعة من جدودهم يسمى كل واحد منهم أبا طالب، إذ جدّهم الأقرب الذي يجتمع فيه الطالبيون هو محمد بن محمد بن أبي طالب (الرابع) بن أحمد بن أبي طالب (الثالث) بن أحمد بن أبي طالب (الثاني) بن محمد بن أبي طالب (الأول) بن سليمان بن محمد بن قاسم ابن العباس بن محمد بن علي بن حَمُّود بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى الجوطي بن محمد بن يحيى بن القاسم بن إدريس الأزهر.

يتميز الطالبيون بكونهم يمثلون فرعاً واحداً متماسكاً من فروع الجوطيين السبعة، بينما ينقسم بَنُو عمهم العمرانيون إلى فرعين، والشبيهيون إلى أربعة فروع. وقد قال في حقهم إدريس الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 50) : "وأما الشرفاء الطالبيون فهم من أصرح الأشراف نسباً، وكبرائهم حسباً، وأعلاهم منصباً، وأكرمهم أماً وأباً، وهم من السراة المشهورين، والأفاضل المذكورين، بيتهم بين البيوت شهير، وقدرُهم عند الناس خطير".

كان الطالبيون سَدَنَةَ ضريح جدهم المولى إدريس الأزهر، ويسكنون لذلك دار القيطون، إلى أن أُجلي الأدارسة عن فاس، ثم كانوا بعد انتهاء المحنة أولَ مَنْ رجع من الأدارسة إلى فاس في بداية عهد دولة بني مرين، وتولّوا شؤون الضريح الإدريسي بعد إظهار معالمه وسكنوا دار القيطون، إلى أن أخرجهم منها أبو الحسن المريني أو ولده أبو عنان بسعي من الفقيه ابن مرزوق التلمساني صهر العمرانيين، فانتقل الطالبيون لدرب السعود والصفّاح من عدوة الأندلس، وعُوضوا عن فتوحات الضريح الإدريسي بفتوحات ضريح سيدي علي بوغالب، واستمر ذلك إلى الآن.

كان عدد الطالبين في مطلع القرن الحادي عشر (17م) أربعة عشر رجلا ما بين آباء وأبناء، حسبما أورده النسابة عبدالسلام بن الطيب القادري في *الدر السني فيمن بفاس من أهل النسب الحسني*، ولم يتغير هذا العدد في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) حيث أكد الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 51) بقوله : "وأظنهم اليوم في زمننا هذا إنما يبلغ عدد ذكورهم هذا القدر ـ 14 ـ يزيد شيئاً أو ينقصه" وأورد تراجم الطالبين الذين عاصرهم، وهم جميعاً فضلاء أخيار.

م. العربي الفاسي، *مرآة*، 185 ؛ ع. الفاسي، *الأقنوم*، مخطوط ؛ م. الدلائي، *درة التيجان*، مخطوط ؛ ع. القادري، *الدر السني*، مطبوع على الحجر ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 12 ـ 53.

محمد حجي

**بوطالب، عبدالحفيظ** ابن الشهيد عبدالعزيز بن الحسن، شعلة من الذكاء ومثال في نبل الأخلاق وقدوة في الحزم والعزم بالرغم مما كان لزمه من نحافة الجسم من جراء ما أصيب به من مرض الربّو منذ نعومة أظفاره، تجلى نبوغه باكراً وتفوّق على الأقران في المدرسة الابتدائية والثانوية، مما جعله يحظى بانتباه ملك المغرب الراحل سيدي محمد بن يوسف، طيب الله ثراه، الذي أصدر الأمر بإلحاقه بالثانوية الملكية لدى تأسيسها سنة 1942 بالرباط، ليكون من رفاق ولي العهد آنذاك الأمير المولى الحسن في الدراسة، لكن مناخ العاصمة لم يناسب أحواله الصحية، فعاد إلى مسقط رأسه فاس، ومنها رحل، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، إلى باريس لإتمام دراسته الثانوية والشروع في الدراسة العليا، ولقد انكب، في آن واحد، على دراسة التاريخ حتى حصل على دبلوم الدراسات العليا ببحث قيم، لم يكتب له النشر إلى حد الآن، عن الأطماع الاستعمارية الإيبيرية في المغرب أثناء القرن السادس عشر الميلادي، كما انكب على دراسة العلوم القانونية حتى حصل فيها على الإجازة.

وهكذا لما بزغ فجر الاستقلال بالمغرب سنة 1956، كان عبد الحفيظ بوطالب من تلك النخبة المعدودة التي شقت طريقها إلى العلم والعرفان عبر الحواجز التي كانت سلطات

الحماية تضعها عمداً في طريقها، وكان مؤهلا ليدخل الجهاد الأكبر من بابيه، باب التعليم لنشر ما حصل لديه من المعلومات في شعب متعطش إليها، وباب الإدارة العمومية لحاجة الدولة المغربية إلى من يقوم بالوظائف التي كانت بيد الأجانب في ظرف وجيز، ولقد قام المرحوم بكلا الواجبين، كمدير لديوان الوزارة المكلفة بالمفاوضات مع الدولة الحامية، ثم كمدير للوظيفة العمومية من جهة، وكأستاذ للتاريخ بالمدرسة الوطنية للإدارة العمومية، وبالنواة الأولى لكلية الآداب من جهة ثانية، وامتد ذلك من سنة 1956 إلى طليعة الستينات، حيث عين مديراً للشؤون الإدارية بوزارة الداخلية، واشتغل بتلك المهام إلى أن عينه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نائباً لكاتب الدولة بنفس الوزارة سنة 1964، ثم وزيراً للشغل والشؤون الاجتماعية سنة 1965، ثم وزيرا للأشغال العمومية سنة 1967، ثم وزيراً للعدل سنة 1969، ثم وزيراً للشغل والشؤون الاجتماعية مرة ثانية سنة 1970. ولما كانت واقعة الصخيرات، استعفى من الوزارة فأعفي، ثم عين بعد حين مديراً لشركة الإسمنت لافارج الفرنسية ليسهر على مغربتها، فانكب على تلك المهمة بنفس ما كان معهوداً فيه من الجد والمثابرة، دون أن يمهله مرضه المزمن الذي ترتبت عليه سنة 1974 مضاعفات لم ينفع معها العلاج، فلبى داعي ربه يوم السبت 3 صفر عام 1395 / 15 فبراير سنة 1975، مأسوفاً عليه مذكوراً بخير لدى الجميع، تغمده الله برحمته.

**بوطالب، عبدالعزيز** بن الحسن بن الحفيد بن الغالي، سيدي الوالد، شهيد المغرب ومناضل من مؤسسي الحركة الوطنية بفاس أواخر العشرينات وأثناء الثلاثينات.

ولد بفاس سنة 11ـ1312 / 1894، وكان مقداما شهما وعمدة في الاستقامة وحب الوطن، يريد الخير ويسعى فيه للجميع، تفتحت قريحته واتسعت نظرته السياسية والثقافية باكراً، بعد أن كتب له أداء فريضة الحج وهو مازال في سن المراهقة، فرأى من أحوال المشرق العربي وأدرك من أحوال العالم الإسلامي إبان ثورة تركيا الفتاة ما جعله يعود إلي المغرب مقتنعا بضرورة التشمير عن سواعد الجد ونبذ الخمول ودخول العصر بلا إفراط ولا تفريط، وانكب يتعلم الفرنسية من تلقاء نفسه، كاتماً سرّ الأمر عن والده الذي ما أن علم بالخبر حتى امتحنه امتحاناً كاد أن يهلك منه، لأنه كان لا ينبغي لشاب مسلم ينتمي إلى السلالة النبوية الشريفة بالأحرى، أن يتعلم لغة أعداء الملة وأن يطالع ما يكتبون.

ولما وقعت الواقعة وفرضت الحماية على البلاد، ازداد الشهيد رحمه الله يقينا، بما كان يرى من وجوب النهوض والتفتح والنضال من أجل الانتصار يوما مّا على الخصم الاستعماري في نفس ميدانه، ولما صار يشتغل بالتجارة أخذ يسافر إلى الجزائر ثم إلى فرنسا، فوقف على أسباب التقدم هناك واستخلص منها أسباب الركود والخنوع لدينا، وأيقن أن أول الأسباب تقدم التعليم عندهم وانهياره لدينا، ونشاط روح الإبداع فيهم وانكسارها فينا، فتحول إلى ميدان الطباعة ورواج الكتب والمنشورات لأجل أن ينتعش بالمغرب حب المطالعة والاطلاع، فكان يستورد آخر ما يصدر بالمكتبة العربية ويعمل على توزيعها في الجمهور بالرغم من الصعوبات المادية والسياسية، وأبى إلا أن يطبع من ماله الخاص كتاب *فواصل الجمان في أخبار الوزراء وكتاب الزمان* لمحمد بن محمد غريط وقدم له بكلمة تنمّ عن رغبة وهاجة في إحياء التراث وشغف بالتاريخ مثير، قال : "بادرنا لنشره خدمة لأدباء العصر، وعززنا به *قلائد العقيان وسلافة العصر*، وليعلم أن في زوايا المغرب خبايا، ستصيرها روح النهضة جلايا، بسعادة صاحب الإمامة العظمى والإمارة الكبرى سلطاننا الأفخم الأمجد، أبي عبدالله سيدي محمد". وكان إلى جانب ذلك يناضل ويدعو إلي الاستنفار الوطني وتجنيد الصفوف، فكان ممن زُجّ بهم في السجن في قضية الظهير البربري، واقتنع باكراً أن النضال الوطني إنما كان سبيلا للمعركة الحاسمة.

ثم إنه اجتاز مباراة لولوج سلك المدافعين لدى المحاكم الشرعية في طليعة الأربعينات وبات يعمل في المجال العدلي، مما زاده اطلاعا على تصرفات سلطات الحماية المشينة، فلما كانت بداية سنة 1944 وتقدم الحزبان الوطنيان، الاستقلالي والشورى، بعريضتيهما المطالبتين بجعل حد واضح للحماية، أمضى عريضة حزب الشورى والاستقلال، ولما أقدمت سلطات الحماية على إلقاء القبض على محرري العريضة الاستقلالية، دخل مسجد القرويين صبيحة يوم الاثنين 30 يناير 1944 لقراءة اللطيف مع الجماهير، ثم خرج معهم متظاهراً بالاحتجاج، لكن جيش الاحتلال كان قد أحاط بالمسجد من كل جهة وصار يرمي الناس بكل ما كان لديه من نيران البنادق والقذائف، فكان الشهيد عبدالعزيز بوطالب من أول من سقط مثخنا بالجراح بباب المسجد المقابل للشماعين، فنقل إلى مستشفى الشراردة واستحال علاجه بسبب رفض السلطات الفرنسية إمداد الأطباء باللازم من السولفاميد، فتوفي يوم الأربعاء 14 صفر عام 1363 / 9 فبراير 1944، رحمه الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه.

*وثائق عائلية.*

**بوطالب، عبدالمجيد**، قائد من قواد السلطان سيدي محمد بن إسماعيل المدعو ولد عربية، سعى في مبايعته ونصرته إلى جانب عبدالرحمان الشامي الذي كان له اعتقاد في هذا الأمير، فمنّاه بالملك واستقدمه من تافيلالت إلى فاس حيث أسكنه بمنزله إلى أن تألب أهل فاس للمرة الثانية على المولى عبدالله، فأعلنت بيعة سيدي محمد بن عربية في جمادى الأولى أو الثانية (على اختلاف في الرواية) من سنة 1149 / شتنبر - أكتوبر 1736، ودخل أهل مكناس في هذه البيعة بعد حين إلى جانب قواد الجيش البخاري. وكان مما التزم به سيدي محمد بن عربية أن يلغي المكوس على الإطلاق، لكن بيت المال كان فارغاً فرأى السلطان أن يملأه باستخلاص الواجبات الشرعية كاملة غير ناقصة بعد حذف البراءات وأن يأخذها لجانبه من الجميع، سواء منهم الشريف أو المشروف، الخاصة أو العامة، فانقلب الناس عليه وفي طليعتهم "الشرفاء والعلماء والمرابطون والزوايا وغيرهم من أهل النسبة"، كما جاء في قول الضعيف الرباطي، ولما كان المترجم له، عبدالمجيد بوطالب قائد سيدي محمد بن عربية على فاس، فإنه قام بأدوار لم تغفر له بعد أن عمت الفتن "وأدبر من الخير ما كان مقبلا وأقبل من الشر ما كان مدبراً" كما قال الضعيف أيضا، وقام المولى المستضيء ليدلي بدلوه في ذلك الخضم ودخل مكناس فاتحاً، ففر منها سيدي محمد بن عربية وترك خلفه أنصاره وأعوانه، ومن جملتهم عبدالمجيد بوطالب فوقع في قبضة المولى المستضيء الذي امتحنه ليستوفي منه ما كان مظنونا بيده من الأموال فمات من ذلك عام 1148/36-1737.

م. القادري، *نشر المثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*.

إبراهيم بوطالب

**بوطالب، محمد بن عبد الرحمن** الرباطي، ينتسب إلى الأدارسة، ولا ندري إن كانت له علاقة بالطالبيين الجوطيين بفاس. يقال إن أحد أجداده انتقل إلى الرباط قبل نحو قرنين. ولد محمد بوطالب بالرباط في 29 ربيع الثاني عام 1347 / 15 أكتوبر 1928، وحفظ القرآن الكريم على الأستاذ المحجوب المدور، ودرس اللغة العربية ومبادئ الدين على بعض علماء الرباط وفاس، ثم انخرط في سلك التعليم بعد أن تخرج من قسم المعلمين بالرباط.

كان نشيطاً أيام الحركة الوطنية، ودخل السجن على إثر حوادث 29 يناير 1944، وكتب عدة مقالات تربوية في جريدة العلم.

توفي بالرباط في أواخر عام 1412 / 1991.

ق. الورطاسي، *إلى رياض الخلود*، *جريدة العلم*، 23-12-1991.

**بوطالب، محمد بن العربي**، صوفي صالح أخذ عن الشيخ مولاي الطيب الوزاني بواسطة مقدمه في فاس قاسم ابن رحمون. "كان - بوطالب - ثقة متعففاً ورعاً زاهداً يترك كل ما فيه شبهة.... له مال من الماشية والفلاحة وأجنة غرسها بيده... كريماً جوادا كثير الصدقات" (نشر، 4 : 221) وكان يفرق غلة أجنته الصيفية والخريفية على الضعفاء من أولاد الرماة الذين يحرسون مدينة فاس، ويتنبأ باختلال الأمن بعد وفاة المولى إسماعيل، فعدّ ذلك من مكاشفاته.

توفي في أواخر العشرة الرابعة بعد مائة وألف/حوالي 1725 م.

م. القادري، *نشر*، 4 : 221-224.

محمد حجي

**بوطبول** Botbol، أسرة يهودية عاشت في فاس، وظهر من بين أفرادها ربيّون كثيرون. أمثال :

**بوطبول، سليمان** ربّي (القرن 17)، والربّي داود (القرن 18) والربّي هارون (مستهل القرن 20). ومنهم :

**بوطبول، موريس** الذي كان موظفا سامياً في عهد الحماية الفرنسية خلال الفترة 1940-1950 حيث كان يقوم بمهام مفتش للمؤسسات اليهودية.

سيمون ليفي

**بوطلير، جاكوبو** اليخاندرو J. A. Butler، عمل نائباً لقنصل إسبانيا بمدينة الجديدة سنة 1861 إلى أن عُزل سنة 1866. وهو انجليزي الأصل تجنس بالجنسية الإسبانية، من مواليد تطوان وفيها نشأ منذ صغره. وفي سنة 1866 قام برحلة استكشافية إلى الجنوب فركب بحراً إلى الصويرة ومن ثم التحق بوادي نون واتصل بالشيخ الحبيب بن بيروك، غير أنه اعتقل من طرف الأشياخ المحليين ولم يفرج عنه إلا بعد أداء فدية مالية عنه من لدن إسبانيا ولو أنها تبرأت رسمياً من مغامراته.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 1001-1004.

J. L. Miège, *Documents d'histoire économique et sociale marocaine au XIX siècle*, 117 - 122.

مصطفى بوشعراء

**البُوطي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم، ومعناه القنِّينة، وما زالت هذه الأسرة بتطوان.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 3 : 51 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzu Hakim, *Apellidos*.

**بُوطيط** - طائر - ← **بيبيط**

**بُوطيُور**، اسم أطلق على شخص أسطوري يقال إنه كان يتجول في قبائل شمال المغرب ويلقبها بأسماء الحيوانات أو أشياء أخرى تلفت نظره عند دخوله أرض القبيلة، وهناك من يزعم أن بُوطيُور كان من أهل هذه الناحية، يقول البعض إنه من قبيلة بني زروال في حين يؤكد آخرون أنه من الإسكندرية. وقد لقب بِبُوطيور لأن أغلب الألقاب التي أطلقها على القبائل كانت من أسماء الطيور،

وهذا ما لا يتفق والواقع.

وفيما يلي نذكر الألقاب التي أطلقها بُوطْيُور على قبائل غمارة وجبالة والهبط وبعض قبائل صنهاجة :

- الأخماس : القرد
- أنجرة : الثور
- أهل سريف : طيور الباز (الصقر)
- بني أحمد : عُقْرَيْشة (السرطان)
- بني بوزرة : قدرة القطران
- بني حزمر : طاكُّوك (الوقواق)
- بني حسان : النملة الحمراء
- بني خالد : البرغوت
- بني رزين : المَرْزية (المشوهة أو الفاسدة)
- بني زجل : بني منجل
- بني زكار : الدّرب (الشيهم)
- بني زيات : البقرة
- بني گرفط : الگرانة (الضفدع)
- بني گرير : الحمارة
- بني ليت : الفَار
- بني مصور : البلّيقة (الحسون)
- بني عروس : الخطّيفة (الخطاف)
- بني سلمان : الحمقة (الحمقاء)
- بني سميح : الحيّة
- بني سعيد : الباز
- بني يدر : القشور (الفلين)
- بني يسّف : الذّيب (الذئب)
- جبل حبيب : الحمامة
- الحوز : جداد الماء (دجاج الماء)
- الخلوط : السّلوگي (السلوقي)
- كثيوة : المهدية
- الغربية : بوفسّاس (الخنفساء)
- اغزاوة : سيوانة (الشاهين)
- الساحل : الفكرون (السلحفاة)
- سماتة : القملة
- واد راس : العودة (الحجل)

وأما المدينة الوحيدة التي لقبها بوطيور باسم طائر فهي القصر الكبير، لقبه ببلأرج (اللقلاق).

A. Domenech, *Zona Norte*, p. 61 ; *Delegacion* ; *Vademecum*; E. M. Et-Tabyi, *Retazos de historia marroqui*, p. 83.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوعادل**، قرية تشكل جزءاً من صنهاجة الظل، الواقعة على الضفة اليمنى لوادي ورغة، التي تضم أيضا قريتي أولاد آزم وبني قرة. وهذه القرى الثلاث تكوّن حاليا جماعة بوعادل التي تبعد عن تاونات المركز بحوالي ثلاثين كيلوميتراً. وتمثل صنهاجة الظل القسم الثاني مما كان يعرف سابقاً باسم صنهاجة مصباح أو لكي (نسبة إلى جبل لكي أحد جبال مقدمة الريف)، أما القسم الآخر فيعرف بصنهاجة الشمس، الذي يضم عدة قرى منها : عين مديونة وأولاد بوحسن، وتيزغوان وبني سلمان. وقد حصل التمييز بينهما على أساس ما يتوفران عليه من مياه متدفقه وبساتين : فالقسم الثاني، وخاصة قرية بوعادل، يتمتع بوفرة المياه وتنوع الأشجار وكثرتها مما جعل ظلاله وارفة.

ويبدو من خلال عقود المعاملات والروايات الشفوية أن لفظي صنهاجة الظل وصنهاجة الشمس لم يتم تداولهما إلا في عهد الحماية، بينما كانت تعرف المنطقة قبل ذلك بصنهاجة مصباح أو صنهاجة لكي أو لكي فقط مثلما ورد عند الحسن الوزان ومارمول كاربخال، حيث قدّما لمحا عن علاقة لكي بفاس، وبعض ما تنتجه من ثمار وغلات (*الوزان*، ص 261 ؛ *مارمول*، ص 253 ـ 254). ومازالت المنطقة غنية بالأشجار المثمرة (حوامض، تين، زيتون، رمان، برقوق، كرز، إجاص...)، بفعل تدفق المياه بكثرة من قرية بوعادل، وقد أعطى "المنبع" شهرة واسعة للبلدة، مما جعلها تستقبل أعداداً غفيرة من الزوار خلال فصل الصيف على وجه الخصوص.

وتضم قرية بوعادل حاليا خمسة مداشر، هي : الظاهر وأولاد ميمون واخراشة، وأولادعرفة ودارالمخزن التي عرفت بهذا الاسم باعتبار أن بعض أفرادها عملوا في السلك المخزني، ومن بينهم : القائد علي بن قدور أحد قواد السلطان مولاي الحسن الأول، ثم ولده القائد الطيب بن علي بن قدور وشقيقه محمد بن علي بن قدور المعروف بالقائد الهزهاز. وقد هاجر إلى القرية في فترات مختلفة عدد من الأسر لا سيما من شمال المغرب، ومنها أسرة التوزاني من بني توزين بالريف، والغماري من غمارة، والعلمي من جبل العلم، والجزنائي من جزناية، والدخيسي من دخيسة بنواحي مكناس... ويدّعي أولاد ميمون أنهم أول من استوطن بوعادل.

شارك البوعادليون في المعركة التي وقعت بعين مديونة بين قوات المهدي المنبهي وقوات الجيلالي الزرهوني "بوحمارة"، دعما لقوات المخزن، من أعلى جبل لكي، وسقط صريعا من جراء تلك المواجهة : أحمد بن محمد بن المكي الأزمي البوعادلي. وساهم البوعادليون في الانتصار الذي حققته صنهاجة بشطريها مدعومة ببعض الريفيين على القوات الفرنسية في معركة جبل لكي سنة 1334 / 1916 التي أسفرت عن بقاء المنطقة خارج النفوذ الفرنسي إلى سنة 1926، واستشهد خلال هذه المعركة خمسة بوعادليين، هم : احميدو بن أحمد بن علي، احميدو بن مَحمد بن علي العرفاوي، احميدو بن المقدم، احميدو بن عبدالسلام الميموني واحميدو بن مَحمد الشاغ. وبعد اندحار الفرنسيين دخل الريفيون البلدة، وعُين الشريف الورياغلي صديق الشاري لتولي شؤونها، غير أنه لم يحسن التصرف وارتكب من الأمور ما أغاظ السكان المحليين والزعيم محمد بن عبدالكريم الخطابي، فعزل وزج به في سجن تارگيست (*البوعياشي*، 374 ـ 376). وقد تجند عدد من

البوعادليين للعمل ضمن عسكر المجاهد الخطابي، ومنهم : عبدالعزيز بن التهامي ومحمد بن عميمر بن الحاج الكواش وعبدالقادر بن الفضيل وعلي بن بلقاسم استيتو ومحمد بن عمر المريني ومحمد بن محمد بن صالح المعروف باشويرح. وقد ألقي القبض على هؤلاء بعد استسلام محمد بن عبدالكريم الخطابي، وحكم عليهم في عين مديونة بنزع سلاحهم وأداء غرامة قدرها ستون ريالا.

لم يحظ أعلام البلدة باهتمام كتاب التراجم، باستثناء الفقيه محمد بن عبدالرحمان الصنهاجي الذي ترجم له العربي المشرفي بقوله : "ومن علماء القرى العلامة الدراكة الفهامة أبو عبدالله السيد محمد بن عبدالرحمان الصنهاجي بقرية بوعادل، وكان عالماً أديباً (...)، تولى القضاء بجبل صنهاجة وأحسن السيرة وأخلص السريرة" (ص 458 ـ 459). وقد عاصر الفقيه المذكور ـ المعروف محليا بالفقيه بن يعيش ـ فترة حكم السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان، وتولى خطة القضاء بالنيابة عن قاضي الجماعة بفاس على قبائل صنهاجة ورغيوة ومزيات حسب ما يظهر من رسم مؤرخ بسنة 1288 / 1871، وخلف في ذلك القاضي علي بن رهون البوعادلي. ومازال العديد من سكان البلدة يذكرون زهده وورعه وعدله، كما أن قبره الموجود قرب مسجد الغرارسة ببني قرة يستقطب الزوار خلال المناسبات الدينية.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1 ؛ مارمول، *إفريقيا* ؛ ع. المشرفي، *نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار*، مخطوط خ. ع، ك 579 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف*، ج 2.

أحمد المكاوي

**بُـوعام**، بهذا الاسم يعرف قصر هو الآن مندمج ومرتبط بمدينة الريصاني، وقد سكنه قديماً شرفاء أولاد مولاي محمد ابن علي الشريف، ومازال هذا القصر اليوم محتفظا بطابعه القديم.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، 401.

*Répertoire des Tribus.*

عبدالعزيز بوعصاب

**بوعبدلّي، إبراهيم**، كان واحدا من أبرز قواد دير الأطلس الكبير المراكشي في العقدين الأولين من القرن الثاني عشر (18 م). ينتمي إلى عائلة عريقة. دفع الطموح السياسي برؤسائها إلى الخوض في الأحداث الكبرى التي شهدتها منطقة الجنوب وعاصمتها مراكش بصفة خاصة.

ويبدو أن المصدر الوحيد الذي يشتمل على بعض أخبار هذا القائد هو *رحلة الوافد*... لعبدالله بن إبراهيم التاسافتي. أما سبب حديثه عنه فراجع إلى كون الظروف جمعت القائد بوعبدلّي وشيخ زاوية تاسافت، والد المؤلف، لأسباب مختلفة، لما كانا هاربين من قبضة باشا مراكش عبدالكريم بن منصور التكني، ولائذين بجبال وادي نفيس، فعاشا في وضعية متشابهة مدة تزيد عن ثلاث سنوات. فتداخلت وقائع رحلتيهما في *رحلة الوافد*.

القائد إبراهيم بوعبدلي (أو ابن بوعبدلي) الگدميوي التيزگيني، هو كما يدل عليه اسمه من مجموع إيگدْميونْ الذين تقع أراضيهم جنوب غرب مراكش ؛ وتِيزْگين مجموعة من قراهم تقع في الدير إلى الغرب من أَمَزميزْ. وقد عد البيذق أيت تيزگين من گدميوة الفحص. وبوعبدلّي هذا هو قائدهم في هذه الفترة التي نتحدث عنها. وهو كما وصفه مؤلف *الرحلة* : "فارس من فرسان أبطال گدميوة ومن أخيار كماتهم في الطعن والضرب، وجواده من أحرار الصافنات الجياد...".

كانت العلاقات بين القائد بوعبدلي وباشا مراكش عبدالكريم بن منصور غير ودية. ثم تحولت فيما بعد إلى عداوة مستحكمة، خصوصاً بعد أن استغل بوعبدلّي فرصة غياب الباشا عن مراكش، واقتحم منزله الموجود في گوزمت بإيحَاحَان (حاحة)، هو وأصحابه وعاثوا فيه فساداً.

وبعد رجوع الباشا من مكناس إلى مراكش، هرب القائد بوعبدلّي بأهله من بلده تيزگين إلى إينْ ـ مَاغُوسْ (ماغوسة) بأعلى بلادإيگدْميونْ واستجار بهم. وهناك حاصر بعض أصحاب الباشا ووقعت بينهم مناوشات دامت أيّاما حتى استغاثوا بالباشا. وأمر هذا الأخير القائد علي ابن إيدار بقصبة أمزميز بتحصين قصبته وشد الخناق على سكان الجبل والفقراء المنتمين إلى زاوية تاسافت.

انتقل القائد بوعبدلي إثر ذلك إلى وادي نفيس بعد أن كاتب بعض كبار البلد بمن فيهم شيخ زاوية تاسافت، ورحبوا به، كما ضمنوا له الأمان هو ومن معه. ولما علم الباشا بذلك، ازداد غيظه وبغضه للجبل وأهله، فأمر بتجديد الحصار عليهم من كل ناحية.

وفي الوقت نفسه أرسل الباشا خمسمائة مثقال فضة إلى أصدقاء بوعبدلّي من أشياخ وادي نفيس لإغرائهم بغدره وقتله. لكنهم أخبروا بوعبدلّي بذلك، وردوا للباشا مثاقيله.

وفي تلك الأثناء ذهب القائد بوعبدلّي خفية إلى تارودانت، واستقبله بها خليفة السلطان عبدالمالك بن إسماعيل، غير أننا لا نعرف شيئاً عما دار بينهما. ولكننا نلاحظ أنه بعد هذه الزيارة، لم يرجع بوعبدلّي إلى وادي نفيس، بل استقر ببلاد إيدَاوْزْدَاغْ على الواجهة الجنوبية لجبل دْرْنْ، بعد أن أفلت من محاولة تستهدف إلقاء القبض عليه في سهل سوس، دبرها أحد أصدقائه بإيعاز من الباشا عبدالكريم بن منصور.

التحق به أهله في مستقره الجديد، وبقي يتنقل في بلاد إيداوْمْساطُوگ بإيداوْزْدَاغ من مكان إلى آخر كلما حاول الباشا إرشاء من يقتله، إلى أن ورد عليه كتاب العفو من السلطان عام 1127 / 1715 بواسطة الشيخ واكريم الفروگي صديقه وواحد من أصهار السلطان.

وبعد ذلك بمدة ورد عليه رسل السلطان، وهم في هذه المرة من الأوداية أصهار القائد بوعبدلّي، ومعهم كتاب العفو وإذن السلطان له بالالتحاق بمكناس. ولما اطلع الباشا

على الكتاب، أذن هو بدوره للقائد بوعبدلّي بامتثال أمر السلطان ولكنه بعث في الوقت نفسه إلى أصحابه بحوز مراكش ومنهم القائد بَنْشتيَّة الگدميوي، وأشياخ إينْ ـ زُوضْنْ (مزوضة)، يأمرهم بمراقبة أبواب الجبل، لإلقاء القبض على بوعبدلّي والحيلولة دون انفلاته ووصوله إلى مكناس.

بعد إقامة الأُودابة بضعة أيام مع القائد بوعبدلّي في مقر إقامته بأمْنْدَارْ ببلاد إيدَاوْمْسَاطُوگْ، ودعهم وأرسل معهم أهله واتجهوا نحو مراكش عن طريق وادي نفيس، في حين اتجه هو نحو زينيتْ بإيسْكْساوَن (سكساوة)، يحرسه نحو مائة رجل من إيدَاوْمْسَاطُوگْ إلى أن أوصلوه إليها. وبقي هناك مع بعض منهم يترقب الفرصة للنزول إلى السهل دون السقوط في أيدي أصحاب الباشا.

لقد تمكن من ذلك فعلاً بعد أن أفلت بأعجوبة من الحراس، ووصل إلى أصدقائه الفروگيين، الذين أخفوه عندهم مدة، ثم ساعدوه على الوصول إلى مكناس.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن ما قام به الفروگيون بخصوص هذه المسألة، ما كان ليتم لو لم يكونوا مستقلين عن سلطة باشا مراكش. وهذا الاستقلال منحهم إياه السلطان لكونهم تربطهم به صلة المصاهرة كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ولما علم الباشا بذلك خاف من مغبة ما سيخبر به القائد إبراهيم بوعبدلّي السلطان بخصوص الأحداث التي عاشها أو تتبعها عن قرب أثناء حركة الباشا ضد جبال دَرْنْ وسوس. ولذلك كان لابد له من إيجاد مدافع عنه لدى السلطان حين قدومه إلى مكناس لدفع ما جمعه من أموال. ومن أجل ذلك "كان يرسل لصاحبه حاجب الملك القائد عبدالمالك المهري بالهدايا الخفية والحوائج المرضية، يتكلم بكلامه في بساط الملك وإيوانه وفي الدار العالية بالله".

والمهري هذا هو وأصحابه كانوا هم الذين دافعوا عن الباشا عبدالكريم بن منصور حين اتهمه بوعبدلّي، أمام السلطان، بإخفاء جزء كبير مما جمعه من أموال الجنوب. وقالوا للسلطان : إن ما قاله بوعبدلّي ضد الباشا "كان بسبب العداوة الكائنة بينهما". هذه العداوة لا أعتقد أنها ابتدأت بحادث هجوم بوعبدلّي على دار الباشا بگُوزْمْتْ كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ويبدو أن هذا الحادث ليس، على العكس، إلا نتيجة لعداوة متأصلة بين الرجلين. أما سببها فيرجع حسب تقديرنا إلى وجود تنافس بينهما يعود إلى ما قبل تعيين عبدالكريم بن منصور باشا في مراكش، لأنهما تعارفا أثناء حملة زيدان بن إسماعيل على مراكش وتارودانت ضد أخيه محمد العالم الثائر على أبيه.

فقد ذكر مؤلف *الرحلة* أن محمد العالم حينما هاجم حاحة ومراكش عام 1115 / 1703، قتل من بين من قتل القائد علي بن بوعبدلّي بتيزْگِيْنْ، وشرد عائلته، وكان إبراهيم بوعبدلّي ممّن أفلت بالتّجائه إلى جبال أوگدْمْتْ. ثم بعد ذلك التحق بمكناس وأقام بها شهرين، جهز السلطان إثرها جيشاً بقيادة ابنه زيدان ومعية القائد إبراهيم بوعبدلّي.

وحين حديثه عن الباشا كتب مؤلف *الرحلة* ما يلي : "وهذا الباشا رجل أمّي لم يقرأ ولا تعلم شيئا من أمر الطلب، وإنما هو من أصحاب ابن الأمير المذكور مولاي زيدان بن إسماعيل وتربيته..."، وأضاف بأنه قبل الدخول في الخدمة المخزنية كان "حمّاراً يتجر في المغزل بوادي أَغْبَارْ في أعلى وادي نفيس، يشتريه ويذهب به لمراكش يبيعه بها، مدة طويلة".

يبدو أن اختلاف الأصول العائلية لكل من القائد بوعبدلّي والباشا عبدالكريم، ربما كان هو الذي جعل القائد بوعبدلّي الذي ينتمي إلى عائلة من القواد متأصلة في قبيلتها إيگدْميونْ العتيدة، يشعر بارتفاع شأنه، وبأحقيته في احتلال مكانة أكثر رفعة من التي يتبوأها الباشا بائع المغزل أو المغازل سابقاً. ومما يؤكد ذلك ما جرى له مع باشا مراكش الجديد، بعد موت منافسه عبدالكريم بن منصور، الذي يشاع أنه قتل مسموما على يد الباشا مْسَاهْل أثناء حركته الأخيرة إلى نواحي دمنات.

حينما عين السلطان الغازي بوحفرة اللمطي، أحد عبيد الرمل الملتزمين الوقوف بين يديه، على مراكش وسوس، طلب القائد إبراهيم بوعبدلّي من السلطان أن يسمح له بمرافقته للرجوع إلى داره بإيگدْميونْ، فأجاز له ذلك، وحين وصوله إلى مراكش "شيع البراوات من هناك لقبائل الدير سهلاً ووعراً (...) كل فريق يدعوه إليه للمجيء، وأنه هو رب البلاد. وأتاه القوم بهداياهم، فكل من بلغ لمراكش يقصده، ويُعرضون عن بساط الغازي وإيوانه إلا النادر".

كل هذا جعل الغازي بوحفرة يحنق على القائد بوعبدلّي، واتفق مع أعداء هذا الأخير ومنهم القائد بنشتية الگدميوي على الفتك به، وأعد وليمة كبيرة استدعى إليها شيوخ الدير وأبناء بوعبدلّي، واجتمع الجميع في الجنان الكبير بمراكش. وبعد الأكل ألقي القبض على بوعبدلّي وعلى إخوانه وأصحابهم، ولم يفلت منهم إلا الشيخ حمّو بن عبدالقادر التيزگيني وهو من صناديد أصحابهم، تمكن من الهرب حينما أحس بالمكيدة، وتمكن من الوصول إلى الجبل على ظهر فرسه. أما القائد إبراهيم بوعبدلّي ومن كان معه من الإخوان والأصحاب، فقد قُتلوا خنقاً حوالي عام 1131 / 1718.

وهكذا اختفت هذه الشخصية المليئة بالطموح، دون أن تتجاوز مستوى الموروث العائلي من السلطة والجاه، رغم أن الشخص كان يبدو من خلال سلوكه ذكياً وشجاعاً وسياسياً يعرف كيف ينسج شبكة من العلاقات الضرورية التي لابد منها للخوض في المستوى الذي كان يخوض فيه. وصفاته هاته تتضمن ملامح شخصيات بعض من جاء بعده من قواد أطلس مراكش وديره كالگنتافي والاگلاوي والمتوگي... ولو أن الظروف لم تساعده للوصول إلى ما وصلوا إليه من قوة

ونفوذ.

ع. بن إبراهيم التاسافتي، *رحلة الوافد* ... تح. علي صدقي (تحت الطبع).

صدقي علي أزايكو

**البُوعبْدلّي، عبدالعزيز** بن محمد السكتاني المراكشي، قاضي الجماعة بمراكش ونواحيها على عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله (1171 ـ 1204 / 1757 ـ 1790). نعته الضعيف "بالفقيه" ومحمد بن القاسم المراكشي مؤلف *الحلل البهيجة* "بالعلامة الأديب" والشيخ المرتضى الزبيدي "بالشيخ الفاضل الفقيه"، وعرّف به صاحب *الإعلام* في موضوعين.

وبينما وسمه ابن المعطي "بالمختص في فن القضاء بمزيد التثبت والتحرير" فإن الزياني ومن نقلوا عنه أرجعوا سبب عزله من منصبه عام 1759/1173 إلى "سلوكه غير الجاد في "خطته" و"مخالفته المشهور في أحكامه". وقعت له مواجهة بهذا الشأن مع أحد علماء مجلس السلطان عبدالله بن إدريس المنجرة، فعُزل وسُجن على إثرها وحيزت ممتلكاته. ثم سرّحه سيدي محمد بن عبدالله لأداء فريضة الحج. وخلال رحلته هذه التقى بالشيخ مرتضى الزبيدي الذي أجازه إجازة عامة. وبعد رجوعه من الحج أعاده السلطان إلى قضاء مراكش لكنه أشرك معه قضاة آخرين، مثل عبدالعزيز بن حمزة.

حضر البوعبدلي فتح البريجة عام 1182 / 1768 إلى جانب السلطان وخطب به هناك خطبة عيد الفطر. وذكر الضعيف أنه لعب دوراً أساسياً في تمكين سيدي محمد من المرابط "كلخ" الذي أثار فتنة كبيرة بمراكش ونواحيها سنة 1771.

اختلف في تاريخ وفاة عبد العزيز البوعبدلي بين 1191 و1192 / 1777 و1778. وقد ترك عدة *فتاوي* نقل بعضها المهدي الوزاني في *المعيار الجديد*.

م. المراكشي، *الحلل البهيجة في فتح البريجة*، مخطوط خ. ح.6977، الورقة 13 ؛ أ. الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط، خ. ع.1275/د، الورقة 19 ؛ *الترجمان المعرب*، تر. هوداس، باريس، 1886، ص 72 ـ 73 ؛ م. بن المعطي، *حديقة الأزهار*، مخطوط، خ. ع. 1287/ك ؛ م. الوزاني، *المعيار الجديد*، 10 : 15 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ص 175 ـ 179 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 444 ـ 449 ؛ ع. بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 3 : 159 ـ 337.

فاطمة الحراق

**بوعبولة**، أسرة مراكشية يبدو أنها أخذت هذه الكنية تشبيهاً لبعض رجالها بذلك الحيوان اللزج المعروف، على عادة عامة المراكشيين في النبز بالألقاب مع دقة الملاحظة. منهم :

**بوعبولة، الهاشمي** فقيه انتفع به الناس كثيراً، وحفظوا عنه أمور دينهم، وسيرة نبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ولد بمراكش ودرس على شيوخها أمثال سعيد جيمي، ومحمد أزنيط، وعبدالقادر الدكالي، والطاهر بوحدّو المكناسي نزيل مراكش، والحسن المزميزي، والسيد ابن الفاضل وغيرهم.

امتاز بوعبولة عن أقرانه بذاكرة تستوعب كل ما تسمعه، وتحفظ الشيء لأول مرة. ولما تصدر للتدريس برّز فيه لحسن إلقائه، وفصاحة لسانه، ومعرفته بصناعة التلقين، وجلب الأنظار إليه. إلى جانب عفته ونزاهته.

تولى الإمامة بضريح الإمام أبي العباس السبتي، والتدريس به وبجامعه الكبير *مختصر خليل*، *والهمزية*، *والبردة*، وكان يسرد الشفا للقاضي عياض في رمضان. وكانت حلقات دروسه يغشاها جمهور غفير من الأوساط الشعبية، لا سيما إذا كانت بالضريح العباسي. كما تولى الخطابة بضريح سيدي غانم ابن سعد السباعي.

توفي يوم الأحد ثاني جمادى الثانية عام 1325 / 14 يوليوز 1907.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 10 : 183 ؛ *روايات شفوية*.

أحمد متفكر

**بوعبيد**، أو ابن بوعبيد أسرة سلوية عريقة أنجبت كثيراً من التجار والحرفيين والبحارين والموظفين المخزنيين، واشتهرت أخيراً بنبوغ الوطني الكبير عبد الرحيم بوعبيد.

**بوعبيد**، بن **حدو**، مقاوم من مواليد سنة 1312 / 1895 بقبيلة بني خيران. كان من أوائل المشاركين في الحركة المسلحة ضمن منظمة "اليد السوداء" كما قام بأعمال بطولية أثناء معركة 20 غشت 1955 بوادي زم حيث جرح وأُلقي عليه القبض ونقل إلى سجن الدارالبيضاء ثم مراكش، وتعرض لعذاب شديد، ثم أفرج عنه لكنه توفي بعد مدة قصيرة من جراء التعذيب وذلك يوم الخميس 29 شوال عام 1375 / 10 ـ 5 ـ 1956.

*وثائق* المندوبية السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

**بوعبيد** (سيدي ـ) شيخ تادلا ← **الشرقي**

إقامتهم ووضعية الأراضي التي أنزلهم فيها إلا بعد أن أصدر السلطان ظهيراً سنة 1845/1269 ينص على أن العطاء هو عطاء تمليك وليس إقطاع استغلال.

انتهى شغب أيت إمور وتنقلاتهم، وكذلك جهود السلاطين العلويين من أجل الحد من قوتهم، بتوطينهم بأجود الأراضي وتمليكهم إياها، ولم يعودوا ملزمين تجاه المخزن إلا بأداء الضرائب. أما مشاركتهم في الحركات والحروب فكانت باعتبارهم مساهمين لا باعتبارهم من الجيش الذي يعرف في الاصطلاح المخزني بالمسخرين أو الگيش. أما فيما يخص أيت إمور الذين ظلوا على ضفاف نهر سبو، فلا نعرف عنهم سوى مشاركتهم سنة 1860/1277 في حرب تطوان، إذ يقول الناصري (*الاستقصا*، 9 : 88)، إن من الذين قاتلوا بنية خالصة وأحسنوا الدفاع البعض من أيت إمور».

عرف أيت إمور باستقرارهم بالحوز نفس تنظيم قبائل «الگيش» دون أن يعودوا كذلك، وعندما حلت سلطات الحماية بالبلاد عرفت عملية الاستحواذ على الأرض طرقا معقدة وغريبة، وفي إطارها عُد أيت إمور من ضمن قبائل الجيش وحولت خدمتهم العسكرية إلى أداء مسخرات وضرائب خاصة تدفع إلى باشا مراكش.

أ. الزياني، *البستان الظريف*، مخطوط خ.ع. د 1577 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* 7، 8، 9 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ *العز والصولة*.

De La Chapelle, *Un document sur la politique du Moulay Ismail* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc* ; J. Drouin, *Un cycle oral hagiohraphique* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, t.I.

عبد العزيز بوعصاب

**أمُوزيغ**، أسرة يهودية كثيرة العدد عاشت أجيالا عديدة بمدينة فاس، وكان منهم فيها أحبارمشهورون، أمثال : أمُوزيغ (القرن 17) شمْطوب، ابن أموزيغ (القرن 18) وهذا الأخير مؤلف لمجموعة مواعظ.

ابن **أمُوزيغ، الياهو**، حبر ومؤلف وناشر، هاجر والداه المولودان بفاس إلى الصويرة، ثم إلى ليڤورن حيث ولد عام 1822. وتعاطي دراسة الفلسفة وعلم اللاهوت محاولا التوفيق بينهما. وعين أستاذا لعلم اللاهوت بالمدرسة الرّبية بليڤورن. وأسس في هذه المدينة داراً مهمة لنشر الكتب العبرية، أصبحت مشهورة في العالم اليهودي وألف الكتب الآتية : *إسرائيل والإنسانية*، وهي دراسة حول مشكل الدين العالمي وحله (باريس، 1914) *إمَتْ مَقْجيا* «خشية المناقض»، وهو رد على انتقادات ليون دي مودينا ضد القبلانية، في مجلدين. (ليڤورن، 1858) *إمْ لاَ مقْرا* «أم الكتابات» وهو شرح أسفار موسى الخمسة، مع ملحوظات نقدية-فقهية لغوية وعرقية حول عقائد وتاريخ وأحكام وعادات الشعوب القديمة نشرت مع النص تحت عنوان *طَرَة أدُونَايْ* «حكم الله» (ليڤورن وباريس، 1862-65). وله مؤلفات أخرى بالعبرية، وتاريخ باللغة الإيطالية : تاريخ السانيين (فلورانسا، 1865)، *الأخلاق اليهودية والأخلاق المسيحية*، دراسة مقارنة متبوعة ببعض التأملات حول مبادئ الإسلام (باريس،1867) *جريمة الحرب مفضوحة أمام الإنسانية* (باريس،1881) نال هذا الكتاب مكافأة رابطة السلم.

توفي الياهو أمُوزيغ سنة 1900.

أ. لا ريدو، أسماء يهود المغرب، 332 ؛ الموسوعة اليهودية، ص 684.

سيمون ليڤي

**أمون ← سمك**

**الأمويون والمغرب**، لم يكن من الممكن استراتيجيا وعسكريا، ومن حيث متطلبات العقيدة نفسها، فضلا عن المغريات الاقتصادية، أن يتوقف الفتح الأموي عند مصر دون امتداده غربا. وقد اقتضت السياسة الأموية المشرقية، أن تتريث جيوش الدولة في مسألة الانتشار العقيدي، على أن تضمن استقرار الدولة سياسيا واقتصاديا، وتترك للمجتمعات حرية اعتناق الإسلام ولو أنها (أي الجيوش) تمارس سياسة الشدة في البداية. والواقع أن الفتوح الأولى للمغرب الكبير بدأت فيما بين 22 و23 هـ حيث توغلت جيوش عمرو بن العاص في الأراضي الليبية. ثم كان الزحف الثاني أيام الخليفة عثمان على إفريقية، وكانت مواجهة البطريق جرجير المنشق عن هرقل، وذلك حول سبيطلة، وبعد هذه الأحداث نسمع عن نشاط عقبة عبر المناطق الداخلية من ليبيا ثم إفريقية.

وأول عملية لفتح المغرب الأقصى بدأت سنة 62 أيام الخليفة الأموي يزيد بن معاوية بجيش من خمسة آلاف من عرب مصر، أي الذين استوطنوها بعد الفتح. ويظهر أن الانطلاقة تمت من تاهرت باتجاه غمارة حيث أسلم عدد كثير من سكانها، وتعرف عقبة على يُلْيَان الغماري وهو قوطي كان يحكم سبتة باسم العرش القوطي، وبلغ عقبة مدينة نفيس على النهر المعروف باسمها، وفتح السوس وطرقلة (ترغلة ؟) أي تارودانت (فيما بعد). وواجهته مقاومة صنهاجة عبر الصحراء الغربية وموريتانيا. ومع أن سرايا عقبة بلغت سفوح الأطلس الكبير والمتوسط، فإن قلة الجيش لم تضمن إلا انتشارا محدودا للإسلام، ويؤكد ابن خلدون أن يليان زود عقبة بمعلومات دقيقة عن السكان والمناطق، وأن هذه المعلومات دلته على عوراتهم كما قال.

ومما يستحق التأمل أن المقاومة المغربية في عمومها، لهذه الحملة، كانت ضعيفة، إلا ما كان من مصامدة الأطلس الذين نجا عقبة وجيشه منهم بمساعدة زناتة.

وبعد رجوع عقبة، وقع تدبير مؤامرة لاغتياله بمنطقة أوراس، وبمساهمة أوربة وعناصر بيزنطية، ومعلوم أن قسما كبيرا من أوربة كان يوجد بالأطلس الجزائري، ثم كانت حملة زهير بن قيس التي أدت إلى مصرع كسيلة وانسحاب معظم أوربة إلى وليلي وما جاورها حيث آزر أعقابهم

وقع تقديم وتأخير في فقرات صفحة 794 من الجزء الثالث من *المعلمة* فأعيد ترتيبها هنا.

وطبعت هذه الصفحة أيضا في ورقة مستقلة لتصلق فوق الصفحة المغلوطة.

تمّ طبع هذا الجزء من معلمة المغرب بمطابع سلا
في شهر رجب عام 1413 / دجنبر 1992

مطابع سلا
الحي الصناعي لتابريكت
الهاتف: 78-87-02 سلا

**Imprimerie de Salé**

« sala »

*Lot 14, Zone Industrielle de Tabriquet - B.P. 596 - Salé*
*Salé - MAROC (07) 887.02*

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN ( Tome V ) 9981 - 03 - 005 - 8

# Encyclopedie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

5

Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé**

1992 - 1413

Encyclopédie
du
Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

6

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

1992 - 1413

## المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 629



ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 6 - 006 - 03 - 9981 (الجزء 6)

بسم الله الرحمن الرحيم

تشكر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر
مؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج
والشركة الشريفة للبترول
على دعمهما لإنجاز المادة العلمية لهذا الجزء

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ . | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في تحرير مواد هذا الجزء

محمد **أبو طالب**، كلية الآداب، الرباط.
عبد الفتاح **أبو العز**، كلية الآداب، بني ملال.
محمد **أديوان**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **أزهار**، كلية الآداب، المحمدية.
أ. ح. **أسادّن**، طبيب بفاس.
سعيد **أعراب**، أستاذ سابق بمعهد التعليم الأصيل بتطوان.
الحسين **أفا**، كلية الآداب، أكادير.
عمر **أفا**، كلية الآداب، الرباط.
عبد العزيز **أكرير**، كلية الآداب، بني ملال.
محمد **ألحيان**، المركز الوطني لتنسيق البحث العلمي، الرباط.
أحمد **أمزال العسري**، وزارة الاعلام.
علي **أمهان**، وزارة الشؤون الثقافية.
حسن **أميلي**، كلية الآداب، المحمدية.
حمدي **أنوش**، كلية الآداب، أكادير.
محمد **أوجامع**، كلية الآداب، مراكش.
عبد الحميد محيي الدين **الباعمراني**، كلية اللغة العربية، مراكش.
ثريا **برادة**، كلية الآداب، القنيطرة.
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب، المحمدية.
محمد **بريان**، كلية الآداب، الرباط.
عبد اللطيف **البرينسي**، كلية الآداب، بني ملال.
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **البقالي يدري**، باحث.
عبد السلام **البكاري**، باحث.
محمد **بلعربي**، باحث.
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب، القنيطرة.
البيضاوية **بلكامل**، كلية الآداب، الرباط.
محمد الأمين **بلكناوي**، باحث.
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب، الرباط.
رقية **بلمقدم**، وزارة التربية الوطنية.
محمد **بنبراهيم**، كلية الآداب، وجدة.
أحمد **بنجلون**، باحث.
ماجدة **بنحبريط علمي**، كلية الآداب، بني ملال.
حسن **بنحليمة**، كلية الآداب، أكادير.
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب، المحمدية.
عبد اللطيف **بنشريفة**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **بنشريفة**، كلية الآداب، الرباط.
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين، سلا.
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب، بني ملال.
عمر **بنميرة**، كلية الآداب، الرباط.
عثمان **بناني**، كلية الآداب، الرباط.
لطيفة **بناني سميرس**، كلية الآداب، فاس.
عبد المجيد **بنيوسف**، وزارة الشؤون الثقافية.

محمد **بوخبزة**، محافظ سابق في قسم المخطوطات بخزانة تطوان.
فاطمة **بوخريص**، كلية الآداب، الرباط.
عبد القادر **بوراس**، وزارة التربية الوطنية.
رحمة **بورقية**، كلية الآداب، الرباط.
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب، فاس.
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية.
مصطفى **بوشعراء**، مديرية الوثائق الملكية، الرباط.
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب، المحمدية.
عبد الله **بوصحابة**، مهندس، الرباط.
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب، الرباط.
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب، مكناس.
عبد العزيز **بوعصاب**، المركز التربوي، القنيطرة.
العربي بن الحسن **بوعيادة**، باحث.
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب، الرباط.
أحمد **بومزكو**، وزارة التربية الوطنية.
أحمد شوقي **بينبين**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **بن تاويت**، كلية الآداب، الرباط.
جامع **بيضا**، كلية الآداب، الرباط.
عبد العزيز **التمسماني خلوق**، كلية الآداب، الرباط.
عبد العزيز **توري**، مديرية التراث بوزارة الثقافة، الرباط.
أحمد **التوفيق**، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط.
محمد **جادة**، خزانة كلية الآداب، الرباط.
عبد الرحيم **الجلدي**، باحث.
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية، مراكش.
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية.
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية، الرباط.
جعفر ابن **الحاج السلمي**، كلية الآداب، تطوان.
محند أيت **الحاج**، وزارة التربية الوطنية.
محمد **حجي**، كلية الآداب، الرباط.
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب، وجدة.
فاطمة **الحراق**، كلية الآداب، الرباط.
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب، الرباط.
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب، فاس.
محمد **حمام**، كلية الآداب، الرباط.
محمد أيت **حمزة**، كلية الآداب، الرباط.
علال **الخديمي**، كلية الآداب، الرباط.
أحمد **الخنبوبي**، باحث، بوربو.
إسماعيل **خياطي**، كلية الآداب، الجديدة.
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم، الرباط.
مارية **دادي**، كلية الآداب، وجدة.
حفيظة **الدازي**، كلية الآداب، القنيطرة.
محمد **دهماني**، كلية الآداب، وجدة.
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب، القنيطرة.

محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب، مراكش.
محمد **رزوق**، كلية الآداب، الدار البيضاء 1.
مبارك **رضوان**، كلية الآداب، أكادير.
محمد **الرقاص**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي، الرباط.
محمد **زرهوني**، كلية الآداب، الدار البيضاء 1.
محمد **زنيبر**، كلية الآداب، الرباط.
رشيد **السلامي**، كلية الآداب، مراكش.
عبد اللطيف **الشاذلي**، عمادة جامعة مولاي إسماعيل، مكناس.
الميلود **شاكر**، كلية الآداب، الرباط.
أحمد **الشرقاوي إقبال**، باحث، مراكش.
أحمد ابن **الشرقي**، باحث، مراكش.
مصطفى **شويكي**، كلية الآداب، الدار البيضاء 2.
محمد **الشياظمي**، باحث، الرباط.
عبد الحق **الصدق**، كلية الآداب، وجدة.
عبد الرزاق **الصديقي**، كلية الآداب، المحمدية.
علي **صدقي أزايكو**، كلية الآداب، الرباط.
محمد حجاج **الطويل**، كلية الآداب، الدار البيضاء 2.
عبد الرحمان **الطيبي**، باحث.
عبد العزيز بن **عبد الجليل**، وزارة الشؤون الثقافية.
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب، القنيطرة.
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث، الرباط.
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب، الرباط.
عز الدين **العلام**، المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير.
إسماعيل **العلوي**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **العلوي الأوفوسي**، باحث.
حسن **علوي حافظي**، كلية الآداب، مراكش.
هاشم **العلوي القاسمي**، كلية الآداب، فاس.
أحمد **العماري**، كلية الآداب، فاس.
أحمد **عمالك**، كلية الآداب، مراكش.
صفية **العمراني**، كلية الآداب، مراكش.
عبد الله **العمراني**، باحث، تطوان.
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب، الرباط.
مصطفى **عياد**، كلية الآداب، الرباط.
حياة **الفراس**، باحثة.
أحمد **الغزالي**، كلية الآداب، فاس.
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب، القنيطرة.
عبد اللطيف **فضل الله**، كلية الآداب، الرباط.
حسن **الفكيكي**، كلية الآداب، القنيطرة.
مصطفى **فنيتير**، باحث.
عبد الرحمان **القادري**، كلية الحقوق، الرباط.
محمد مصطفى **القباج**، أكاديمية المملكة المغربية.
محمد **القبلي**، عمادة ة جامعة عبد الملك السعدي، تطوان.
عبد المجيد **قدوري**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **كربوط**، كلية الآداب، الرباط.
عبد القادر **كعيوا**، كلية الآداب، الدار البيضاء 1.

محمد حسن **كفناني**، باحث.
العربي **كنينح**، المدرسة العليا للأساتذة، فاس.
محمد **الكير**، وزارة التربية الوطنية.
ميشال **لافون**، باحث.
محمد **لبحر**، كلية الآداب، فاس.
محمد **اللحية**، كلية الآداب، أكادير.
علي **لغزيوي**، كلية الآداب، فاس.
أحمد **لقمهري**، كلية الآداب، الرباط.
سيمون **ليفي**، كلية الآداب، الرباط.
حسن **ليمان**، محافظ آثار وليلي.
محمد **المازوني**، كلية الآداب، أكادير.
محمد **ماكامان**، كلية الآداب، مراكش.
الملكي **المالكي**، وزارة التربية الوطنية.
أحمد **متفكر**، باحث، مراكش.
محمد **مجدوب**، كلية الآداب، المحمدية.
الحسن **المحداد**، كلية الآداب، أكادير.
علي **المحمدي**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **مرزاق**، وزارة التربية الوطنية.
محمد **مزين**، كلية الآداب، فاس.
أحمد **مزيان**، كلية الآداب، فاس.
محمد **مستاوي**، باحث.
محمد **مطيع**، كلية الآداب، مراكش.
آمنة **معطى الله**، وزارة التربية الوطنية.
محمد **مغراوي**، كلية الآداب، أكادير.
محمد **مقدون**، كلية الآداب، فاس.
محمد **المنصور**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **المنوني**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **منيوي**، المعهد العلوي، الرباط.
المصطفى **مولاي رشيد**، كلية الآداب، الرباط.
مصطفى **ناعمي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي.
إدريس **الناقوري**، كلية الآداب، الدار البيضاء 2.
زهراء **النظام**، كلية الآداب، المحمدية.
الشيخ **النواوي**، باحث.
محمد الحبيب **نوحي**، كلية الآداب، أكادير.
محمد عبد الجليل **الهجراوي**، متحف الآثار، الرباط.
المختار **الهراس**، كلية الآداب، الرباط.
عثمان **هناكا**، كلية الآداب، أكادير.
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب، مراكش.
علي **واحدي**، كلية الآداب، فاس.
أحمد **الوارث**، كلية الآداب، الجديدة.
جمعة **واركي**، باحث.
محمد حمادي **الورياغلي**، باحث.
عبد الرحيم **وطفة**، باحث.
مصطفى **يعرف**، باحث.
سالم **يفوت**، كلية الآداب، الرباط.
عبد الرحمان **اليوبي**، كلية الآداب، بني ملال.

# أهم المصادر والمراجع المحال عليها مع اختصارها


م. **أبو طالب،**

- *مواقف بريطانيا في مغرب القرن التاسع عشر، ضمن أعمال ندوة الاصلاح والمجتمع المغربي،* الرباط، 1983.

أ. **أحضري،**

- *ديوان الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع،* مخطوط. (ديوان الأمداح النبوية).

م. **أيت حمزة،**

- *ملامح التحولات السسيومجالية بحوض أسيف أمكون،* د. د. ع، الرباط، 1986.

ب. **باسكون،**

- *إعادة شراء أراضي تازروالت من طرف دار إليغ،* أبحاث، ع 4، 1984.
- *اغتيال هاشم زعيم دار إليغ، أبحاث،* ع 3، 1983.

ك. **الباعمراني،**

- *شهادة المقاوم كريم محمد بن إبراهيم الباعمراني، الاتحاد الاشتراكي،* 16 فبراير 1992.

**محمد الأمين البزاز،**

- *تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر،* الرباط، 1992 *(تاريخ الأوبئة).*

ع. **بن منصور البزيوي،**

- *مجموعة من الرسائل في البونعماني إلى أسرته،* مخطوط.

ب. **البستاني،**

- *محيط المحيط،* بيروت، 1944 - 1979.

م. **البصري،**

- *مع الفقيد عبد الرحيم بين أول لقاء وآخر لقاء، الاتحاد الاشتراكي،* 16 فبراير 1992.

ر. **بلمقدم،**

- *الأوقاف بمكناس في عهد مولاي إسماعيل 1082 - 1139 / 1672 - 1727،* د. د. ع كلية الآداب، الرباط، 1991 *(الأوقاف بمكناس).*

أ. **بنجلون،**

- *من تاريخ أسفي،* مخطوط

ع. **بنجلون،**

- *عبد الرحيم : الزعيم المرشد، الاتحاد الاشتراكي،* 16 فبراير 1992.

م. بنشريفة،

- *علاقة مكناس بالأندلس والأندلسيين حتى نهاية العصر المريني*، *أعمال ندوة الحاضر الاسماعيلية*، 1988.

- *الفقيه الكانوني ومؤلفاته*، *كتاب أسفي، دراسات تاريخية وحضارية*، أسفي، 1989.

- *الماجريون*، ضمن كتاب *أبو محمد صالح : المناقب والتاريخ*، الرباط، 1990.

- *الماجريون*، *المناظرة*، ع 2.

**بنك المغرب،**

- *دراسات وإحصاءات*، ع 12، نونبر 1960.

**بورصة القيم،**

- *التقرير العام لسنة 1990*، الدار البيضاء، 1990.

ع. بن بوزيد،

- *تقييد في نسب آل بوزيد السلويين*، بنقل أ. الصبيحي، *كتاب التراجم*، مخطوط، خ ص.

أ. بوشرب،

- *عرض حول كتاب المؤرخ البرتغالي فيغاني*، نشر ضمن *أعمال ندوة أگادير الكبرى*، أگادير، 1990.

م. بوشعراء،

- *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 3 و4، الرباط.

إ. بوطالب،

- *الذاكرة أساس العقل*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

ح. بوعشرين،

- رحلة ضمن كتاب : *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، مخطوط.

م. البوعصامي،

- *إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع* أو *نزهة القوافي في حدائق الأغاني*، مخطوط، خ ح ع 11333 مجموع 14.

ط. البواب،

- *مذكرات*، مخطوط.

ج. بيضا،

- *سقوط أگادير تحت الاحتلال الفرنسي وسياسة القواد الكبار في عهد ليوطي*، *أعمال ندوة أگادير الكبير*، 1990.

- *قضية الجوازيط الأجنبية بطنجة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر*، *مجلة دار النيابة*، ع 18، ربيع 1988.

ل. ت. بيندو،

- *ديوان*، مخطوط.

م. التازي سعود،

- سكان أرض المغارب في عصور التاريخ القديم، مجلة كلية الآداب فاس، ع 2 ـ 3، 1979 ـ 1980.

- التصميم التوجيهي لتهيئة المجموعة الحضرية للناظور، الرباط، 1988.

- تقييد عن شرفاء بني عمران بالقبائل الهبطية، مخطوط، خ. ع.

ع. التمسماني خلوق،

- حول علاقات المدينة المغربية بأحوازها في بداية القرن العشرين مثال حصار جبالة لتطوان، 1903 ـ 1904، الباحث، ع 4، أبريل 1982.

أ. التوفيق،

- أبو الحسن علي بن سليمان البوجمعوي الدمنتي ورسالته إلى آفاق الاسلام، ضمن كتاب : في النهضة والتراكم، الدار البيضاء، 1986.

غ. الجائي،

- دوحة المجد والتمسك في وزارة ونسب العالمين ابني العشرين، مخطوط.

ع. الجراري،

- أبو إسحاق إبراهيم التادلي، الرباط، 1980.

- المجالس الأدبية، مخطوط، د. د.ع الرباط.

م. جسوس،

- ما تعلمته من السي عبد الرحيم، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

م. الحجوي،

- الرحلة الوجدية، مخطوط، خ ع 123 ح.

ابن حرزوز،

- ثبت، مخطوط، خ ح بمراكش.

م. الحضيكي،

- مناقب، مخطوط.

ب. حميش،

- عبد الرحيم الرمز المضيء، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

س. الحوات،

- الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة، مخطوط (الروضة المقصودة).

ل. ابن الخطيب،

- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، الرباط، 198.

أ. بن صالح الدرعي،

- الدرر المحمولة في شرح الهدية المقبولة، مخطوط، خ ح 12030. (الدرر المحمولة).

م. الدلائي،

درة التيجان، ولقطة اللؤلؤ والمرجان، مخطوط خ ع 598 د (درة التيجان).

م. ب. ع. **الدلائي**،

- *فتح الأنوار فيما يعين على مدح النبي المختار*، مخطوط *(فتح الأنوار)*.

**الراشدي**،

- *الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني*، قسنطينة، 1973.

ا. م. **روزلي**،

- *اه لو عرفنا من يكون هؤلاء الرجال*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

م. ابن **ريسون**،

- *فتح العليم الخبير*، مخطوط.

م. ابن **زاكور**،

- *الاستشفاء من الألم بذكرى صاحب العلم*، مخطوط. *(الاستشفاء)*.

م. **الزبادي**،

- *دوحة البستان ونزهة الاخوان في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمن*، مخطوط، خ ع د 390، 2339 ك.

- *سلوك الطريقة الوارية بالشيخ والمريد والزاوية*، مخطوط، خ ح 12444، خ ع 190.

م. **الزروالي**،

- *شمس القلوب لكل محبوب*، مخطوط، خ ع د 3694.

ع. **زمامة**،

- *باب بوجلود بفاس*، *المناهل*، ع 13، 1978.

م. **زنيبر**،

- *شباب مشوب بالعزيمة المتقدمة*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

أ. **الزياني**،

- *تكميل الترجمان في خلافة مولانا عبد الرحمن*، مخطوط، خ ح 2746.

م. **الزياني**،

- *دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران*، مخطوط.

م. **السباعي**،

- *البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد مآثر السلطان مولاي الحسن*، مخطوط خ ع، د 1346.

ع. **السجلماسي الحجرتي**،

- *الروض الطيب العرف*، مخطوط.

أ. **السطاتي**،

- *عبد الرحيم رمز الشموخ الوطني*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

ابن **السكاك**،

- *نصح ملوك الاسلام*، فاس (د. ت).

ع. **السكرادي،**

- *تحلية الطروس وبهجة النفوس في مناقب أعيان سوس (تحلية الطروس)*، مخطوط.

ع. **سكيرج،**

- *نزهة الإخوان وسلوة الأحزان في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان (نزهة الاخوان)*، مخطوط.

ع. **السوسي السملالي،**

- *منتهى النقول*، مخطوط خ ع 633 د.
- *السي عبد الرحيم بوعبيد، القائد الرائد*، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

م. **شاكر،**

- *دراسة جيومرفلوجية للهوامش الشمالية الغربية لسلسلة الهورست : ممر تاوريرت، العيون*، د.د.ع. الرباط، 1985.

ع. **الشاوي،**

- *عبد الرحيم بوعبيد : تجربة الرهان الديمقراطي*، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

م. **شفيق،**

- *في أن أسماء الأماكن في المغرب جلها أمازيغية*، البحث العلمي، ع 27، يناير - يوليوز، 1977.

أ. **الصبيحي،**

- *مسودة كتاب أعلام سلا*، مخطوط، خ ص.
- *كناشة علمية*، مخطوطة خ ص.

ع. **صدقي أزايكو،**

- *زاوية تاسافت*، مجلة كلية الآداب، الرباط، ع 16، 1991.
- *عرض مذكرات المؤرخ البرتغالي المجهول*، نشر ضمن أعمال ندوة أگادير الكبرى، أگادير، 1990.

**ابن صعد،**

- *النجم الثاقب*، مخطوط، خ ح 2491.
- *صفرو بين غنى الماضي واهتمامات الحاضر*، الملتقى الثقافي الأول لصفرو، فاس، 1987.

م. **الضوء السباعي،**

- *رجالات گسيمة*، مخطوط.

م. **طوليدانو،**

- *عبد الرحيم بوعبيد واحد من آخر العظماء*، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

م. **ابن عباد،**

- *الرسائل الصغرى*، بيروت، 1976.
- *الرسائل الكبرى*، فاس 1320 / 1902.

محمد سالم بن الحبيب بن **عبد الحي**،

- *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تح. م. ناعمي، الرباط، 1991. *(جوامع المهمات)*.

ابن **عجيبة**،

- *شرح تائية البوزيدي*، مخطوط، خ. ت.

م.ابن **عزوز حكيم**،

- *حصار مولاي إسماعيل لمدينة سبتة من سنة 1106 / 1649 إلى سنة 1139 / 172*.

- *مشروع الدليل الدبلوماسي المغربي*، مرقون.

ع. **العزوزي**،

- *نشر المحاسن والمآثر*، مخطوط.

م. **العميري**،

- *فهرسة*، مخطوط.

ع. بن علي **عواد**،

- *كناشة*، مخطوطة خ ص.

ن. **العوفي**،

- *قراءة سريعة في التجربة التاريخية لسي عبد الرحيم بوعبيد، 1958 ـ 1960 : تقعيد الاقتصاد وشروط التاريخ*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

ز. **الفاسي**،

- *الفقيه بودميعة الحسن بن علي*، *الإرشاد*، ع 2، س 15، 1983.

ع. الحفيظ **الفاسي**،

- *الآيات البينات*، الرباط، (د. ت) ج 1.

ع. **فجال**،

- *النمو الحضري بمركز المنزل : مظاهره ونتائجه بالتنمية المحلية وتهيئة المجال بالمغرب، صفرو ومنطقتها نموذجا*، الملتقى الثقافي الثاني لصفرو، فاس، 1989.

أبو النصر **الفرابي**،

- *الدرة المنتخبة فيما صح من الأدوية المجربة*، مخطوط، خ ح 2995.

ابن فضل الله **العمري**،

- *مسالك الأبصار*، الدار البيضاء، 1988.

ح. **الفكيكي**،

- *مليلة حاضرة قلوع كرط*، دار النيابة، ع 7 و9.

أ. **القادري**،

- *عبد الرحيم بوعبيد : رجل وطني صادق وسياسي ماهر*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

ع. **القادري**،

- *مسيرة عبد الرحيم النضالية : عبد الرحيم المناضل القدوة*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

**م. القادري،**

- *الطرفة في اختصار التحفة*، مخطوط، خ ح 1271.

**م. القرشاوي،**

- *السي عبد الرحيم صحفيا*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

**القلصادي،**

- *رحلة*، تح. أبو الأجفان، تونس، 1978.

**د. الكرامي،**

- *بشارة الزائرين*، مخطوط.

**إ. كردية،**

- *القائد الوزير عيسى بن عمر العبدي*.

**م. كرم،**

- *السي عبد الرحيم : المحامي، الانسان*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

**كوستي - عشاش،**

- *بيوتات مدينة سلا*، تح. نجاة المريني، سلا، 1992.

**ع. اللجائي،**

- *دوحة المجد والتمكين في وزارة ونسب العالمين النبي عشرين*، مخطوط خاص.

**م. اللحية،**

- *الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر*، د. د. ع، الرباط، 1984.

**ع. لغزيوي،**

- *أضواء على قبيلة بني يازغة وبعض أعلامها بصفرو ومنطقتها : بيئة، تاريخ*، مجتمع، الملتقى الثقافي الثالث لصفرو، ج 1، الدار البيضاء، 1990.

**ح. ليمان،**

- حصيلة *البحث الأثري بمنطقة العنصر*، صفرو ومنطقتها : *بيئة، تاريخ*، مجتمع، فكر، الملتقى الثقافي الثالث، مدينة صفرو، الدار البيضاء، 1990.

**م. مجدوب،**

- *مملكة الموريين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*، د. د. ع. كلية الآداب فاس، 1990.

**مجهول،**

- *تقييد نسب قبيلة قلعية*، مخطوط، خ ع.
- *الروضة الغناء في أصول الغناء*، مخطوط، خ ع 192 د.
- *كناشة : تقييد المكاتب الموجهة للحضرة الشريفة*، خ ع، 2721 ك.
- *مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن*، مخطوط، خ ح.

**ع. المزريوي،**

- *مذكرة المزريوي*، مخطوط.

م. المشرفي،
- الحسام المشرفي، مخطوط.
أ. معنينو،
- جلالة الملك عبد العزيز، دعوة الحق، سنة 23، ع 1، 1982.
- الدبلوماسية المغربية ومقاومة أطماع الاستعمار في العهد العزيزي، البحث العلمي، يوليو - ديسمبر، 1976، ع 26.
م. المنوني،
- التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور، مجلة الثقافة المغربية، 7، 1972.
- حياة فقد المغرب المختار السوسي، الإيمان، ع 13، 1982.
ت. موساتوفا،
- روسيا - المغرب : ماضي بعيد وقريب في نفس الوقت، موسكو، 1990 (باللغة الروسية).
م. الناصري،
- عبد الرحيم بوعبيد : رجل التراضي والحسم، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.
م. المكي الناصري،
- طليعة الدعة في تاريخ وادي درعة، مخطوط.
م. ناعمي،
- أهمية علاقات الرحل والمستقرين في التطور التاريخي لمجموع اتحادية تكنة، البحث العلمي، ع 38، 1988.
ع. نجمي،
- الملامتية، مجلة تاريخ المغرب، ع 1، 1981.
أ. النميشي،
- الشعر والشعراء بفاس، فاس، 1343 هـ.
م. ع. الهجراوي،
- الحضارة الايبروموروزية، معلمة المغرب، ج 3، الرباط.
ع. الهواري،
- النور الحنفي في مناقب الشيخ سيدي محمد الحنفي، مخطوط.
م. الوديع الأسفي،
- شهادات للتاريخ عن المناضل السي عبد الرحيم بوعبيد، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.
ق. الورطاسي،
- إلى رياض الخلود، العلم، 23 دجنبر 1991.
- وصية الفقيد العزيز، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.
م. الولاتي الشنقيطي،
- الرحلة الحجازية، تح. محمد حجي، بيروت، 1990.
ف. ولعلو،
- عبد الرحيم بوعبيد مرجع اقتصادي لا محيد عنه، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

# Supplément
# à la bilbiographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie avec leurs abréviations


AKOKA, A.G. - *Le medical du XXème siècle, Enc. med.*, Paris, 1980.

ALCALA GALIANO, P. - *Desquerias y comercio en la costa N.O. de Africa*, Madrid, 1900.

ARDANT, H. - *Introduction à l'étude des banques et des opérations de banque*, Paris, 1954

ARIE, R. - *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides, 1232 - 1492*, Paris, 1973.

ARQUES - GIBERT - *Los Mogataces*, Ceuta ; Tetuan, 1928.

AZAM, P. - *Tagounit du Ktaoua quarante trois ans plus tard, La Koumia*, n° 115, Déc. 1989.

BALDOUI, J. - *Artisanat marocain à la foire de Marrakech, Hesp.*, XIX.

BARTHELEMY, A. - *Tazra : tapis et bijoux de Ouarzazate*, Casablanca, 1990.

BEAUBRUN, P. C., *Catalogue raisonné des poissons des mers marocaines, B.I.P.M.*, n° 23, 1978.

BEAUBRUN, P. C. - THEVENOT, M. - *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc, Janvier 1986 - 87 - 88*, Rabat, 1988.

BEL FAIDA, A. - *Le culte des divinités des eaux en Afrique du Nord à l'époque romaine*, Thèse 3ème cycle, Bordeaux, 1987.

BELTRANLLORIS - *El Comercio del aceite en el Valle del Ebro a finales de la Republica y colienzos del imperio in producion y comercio del aceite in la antiguedad, I Congreso internacional*, Madrid, 1980.

BENABDELJALIL, A. - SIJILMASSI, A. - AYAD, M. - *Etudes d'architectures régionales : région du centre*, Rabat, 1985.

BENOTHMANE, M.L. - *La profession bancaire au Maroc*, Rabat, 1985.

BENS, - *Mis memorias : 22 años en el deseirto*, Madrid, 1947.

BENTER, A. - *Os Sefardim Hakitia*, Belim (Brésil), 1981.

BERCQUART, M. - *Porte ce festin aux pauvres*, Paris, 1970.

BERRADA, M. A. - *Les techniques de banque et de crédit au Maroc*, Casablanca, 1985.

BESSIS, S. - *Abderrahim Bouabid : un démocrate d'état*, J. A., 24 Janv. 1992.

BIANCHI, G. - *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain, Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, Rome, 1984.

BIDWELL, R. - *French administration of tribal areas, 1912 - 1956*, London, 1973.

BOHUMIL, S. - *Les plantes sauvages*, Paris, 1973.

BOLIVAR, I. - *Dermaptera y ortopteras de España, Hist. Nat.*, 8, 1914.

BONELLI, E. - *Nuevos territorios españoles en la costa del Sahara, B.S.G* (Madrid), 18, 1885.

BONS, J. - *Les lacertiliens du Sud-Ouest marocain*, Rabat, 1959.

BOUBE, J. - *Amphores préromaines trouvées en mer au voisinage de Rabat, B.A.M.*, XII, 1979.

BOUBE, J. - *Supplément II au catalogue des marques de potiers, B.A.M*, VIII, 1968.

BOULLE, - *La France et les Beni Snassen : campagne du général Lyautey, Archives historiques de Vincennes.*

BRANGER, J. - *Les techniques bancaires*, Paris, 1975.

BREHM, A.E. - *La vie des animaux illustrée : les oiseaux 1910.*

BRUNSCHVIG, R. - *La Berbérie orientale sous les Hafsides : des origines à la fin du XVème siècle*, Paris, 1940 - 1947.

BRUNSCHVIG, R. - *Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XVème siècle*, Paris, 1936.

BUNIS - *History of later Rome empire from the death of Theodosius I to the death of Justinian, A.D. 395 to A.D. 565*, London, 1931.

CAMPS, G. - *Les derniers rois numides : Massinissa 2 et Arabion, B.C.T.H. Nelle Ser.*, fasc. 17 B, 1981.

CANO MARTIN, - *Bu Hamara y Melilla*, Mellila, 1989.

CHAINEAU, A. - *Mécanismes et politiques monétaires*, Paris, 1973.

**CHASSIN, C. M.** - *Bélisaire généralissime byzantin, 504 - 565*, Paris, 1957.

**CHATELAIN, L.** - *Inscriptions et fragments inédits de Volubilis et de Banasa, B.C.T.H.*, 1916.

**CLAUDE, H.** - *Histoire événementielle abrégée de Moulay Abdelaziz Ibn El Hassan, in Corpus des monnaies Alaouites*, Vol. 1, Rabat, 1988.

*Codex Justinianus*, Ed. Krüger, Berlin, 1877.

**COELLO** - *Mapa de las posesiones españolas en Africa*, Madrid, 1850.

**COLIN, G.S.** - *Baniqa, EI 2*.

**COLIN, H.** - *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe*, Paris, 1977.

**COLLES, [et al...]** - *L'épave de Port-Vendres II et le commerce de la Bétique à l'époque de Claude, Archaemantica*, II, 1977.

**COURSIMAUT,** - *Ttata, A.B.*, Vol. 2, fasc. 3, 1917.

**CRAVIOTO, C.G.** - *La Costa Africana del Estrecho, siglos 15 - 16, C.B.E.T*, n° 21.

**DAILLIERS, J.** - *Enquête sur les associations agricoles et la situation économique et sociale des populations rurales, secteur de Fés - sud*, C.H.E.A.M., n° 4336.

**DAVADIE, C.** - *Etude de la baleine d'Europe et d'Afrique*, Paris, 1963.

**DAVEAU, S.** - *L'itinéraire de Tamdult à Aoudaghost*, in *Tegdaoust*, I, Paris, 1970.

**DELBREL, G.** - *Geografia general de la provincia del Rif*, Melilla, 1911.

**DESANGES, J.** - *L'Afrique romaine et libycoberbère, in Rome et la méditerranée occidentale*, T. 2, Paris, 1978.

**DESSAU, H.** - *Benta, Real - Encyclopädie*, col. 277.

*Dictionnaire des personnalités passées et contemporaines : livre d'or*, Casablanca, 1934.

**DUCY, R.** - *Les problèmes du Khamessa au Maroc*, C.H.E.A.M., n° 2575.

**DUFOURCQ, C.E.** - *L'Espagne catalane et le Maghrib aux 13ème et 14ème siècles : de la bataille de Las Navas de Tolosa, 1212 à l'avènement du sultan Abul-Hasan*, Paris, 1966.

**DUNN, R.** - *Resistance in the desert : Maroccan response to French imperialism, 1881 - 1912*, Wisconsin, 1977.

**EL GHARBAOUI, A.** - *La terre et l'homme dans la péninsule Tingitane*, Rabat, 1980.

**EMBERGER, L-MAIRE, R.** - *Catalogue des plantes du Maroc*, Alger, 1941.

*Emergence de la province de Beni Mellal en tant que futur pôle de développement*, Casablanca, 1985.

**EUZENNAT, M. - MARION, J.** - *L'Archéologie marocaine de 1958 à 1960, B.A.M.*, IV.

**EUZENNAT, M.** - *Recherches récentes sur la frontière de l'Afrique, 1964 - 1974, Studien Zu du Militurgensen*, Roma, 2, *vorträge des 10 internationalum lines kongrassen in suddentschland*, Koln, Bonn.

**FERNANDEZ DURO, C.** - *Exploracion de una parte de la costa noreste de Africa, Bol. Soc. Geog.* Madrid, marzo 1879, n° 3.

**FEVRIER, J.G.** - *Bocchus le jeune et les Sosii, Sémitica*, 11, 1961.

**FIGANIER, J.** - *Historia de Santa Cruz do Cabo de Gue, Agadir, 1505 - 1541*, Lisbonne, 1945.

**FISCHER, W. - SCHNEIDER, M. - BAUCHOT, M. L.** - *Méditerranée et Mer noire*, in *Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1987.

**GAHIZ** - *Le livre de la couronne : Kitab at-Tag fi ahlaq al-muluk*, trad. par C.Pellat, Paris, 1954.

**GAHIZ** - *Le livre des avares*, trad. franc. C. Pellat, Paris, 1951.

**GARCIA ARENAL, M.** - *The Revolution of Fas in 869 = 1465 and the death of Sultan Abd al-Haqq al Marini, B.S.O.A.S.*, XLI.

**GARCIA - BELLIDO, A.** - *Fenicios y carthagineses en occidente*, Madrid, 1942.

**GASCOU, J.** - *Inscription antiques du Maroc, 2 : inscriptions latines*, Paris, 1982.

**GASCOU, J.** - *La population de Volubilis à l'époque romaine, B.A.M.*, IV, 1960.

**GENEVOIS, H.** - *Un rite d'obtention de la pluie : la fiancée d'Anzar, Actes du IIème congr. int. d'études des cultures de la médit. occid.*, Alger, 1975.

**GIRARD, S.** - *Banasa préromaine : un état de la question, Ant. Afr.*, 20, 1987.

**GOMEZ MORENO, P.** - *Pozos del Sahara*, Madrid, 1956.

**GUASLLE, P.** - *La evolucion de las exportaciones beticos durante el imperio, I Congreso internacional : produccion y comercio del aceite en la antiguedad*, Madrid, 1980.

**GUERARD, M.** - *Contribution à l'étude de l'art de la broderie au Maroc, H.T.*, 1969.

**HADDOU, A.** - *L'odyssée des Aït Hammou de Talsint, Lamalif*, n° 143, fév. - mars. 1983.

AL HAROCHI, R.M. - *Introduction et évolution religieuse et spirituelle de la confrérie Qadiriya au Maroc*, Mém. maitrise, 1986.

HARRISION, C. - *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977.

HEINZEL, H. - FITTER, R. - PARSLOW, J. - *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984.

HERPIN, E. - *Géographie du Maroc Oriental, B.E.P.M.*, 234, 1956.

HESNARD - LENOIR - *Les amphores du Cécube et du Falerne : prospection, typologie, analyse, M.E.F.R.A.*, 93, 1981.

HESNARD - *Un dépôt angustéen d'amphores à la Longarine, Ostie, in Roman Seabonne Commerce, M.A.A.R.*, (Rome), 1980.

*Informe reservado sobre los fostatos de Bukraa en el Sahara Español*, Madrid, 1970.

*Informe sobre los puntos de agua existentes en el Sahara Español*, El Ayun, 1943.

JAHIZ, - *Le kitab at-Tarbia` wat-t-tadwir*, introd., glos., table de fréquence, index, par C. Pellat, Damas, 1955.

JODIN, A. - *Bijoux et amulettes du Maroc punique, B.A.M*, VI, 1966.

JODIN, A. - *Les établissements du Roi Juba II aux iles purpuraires, Mogador*, Rabat, 1967.

JODIN, A. - *Mogador : comptoir phénicien du Maroc atlantique*, Rabat, 1966.

JOLEAUD, L. - *Gravures rupestres et rites de l'eau en Afrique du Nord, J.S.A*, II, 1933.

JUSTINARD, L. - *Le Kennach : une expédition du Sultan Ahmad el Mansour dans le Sous, 985 / 1580, A.M.*, vol. 29, 1933.

JUSTINARD, C. - *Le Tazerwalt et les Oulad Jerrar, A.M.*, 23.

KERBOUT, M. - *Quelques aspects de l'évolution quantitative du peuplement dans le Moyen Atlas et le bassin de la Moulouya, R.G.M.*, vol. 12, n° 1, 1988.

KOCHER, L. - *Catalogue commenté des coléoptères du Maroc*, Rabat, 1956 - 1962.

LABADIE - LAGRAVE, H. - *Le mensonge marocain : contribution à l'histoire vraie du Maroc*, Casablanca, [1925].

LACOMBE, - *Le Khamessat au Maroc occidental*, C.H.E.A.M., n° 854.

LANÇON, - *Les dernières étapes de la pacification marocaine, 1931 - 1933, Revue militaire française*, Août - décembre 1934.

LANCRE, P. - *Répertoire alphabétique des agglomérations de la zône française de l'Empire Chérifien : résultats du recensement du 8 mars 1936*, Casablanca.

LAPIE - *Recueil des itinéraires anciens*, Paris, 1844.

LECOINTRE, G. - DELEPIN, G. - *Etudes géologiques dans la région paléozoïque comprise entre Rabat et Tiflet, Sehal et Belkacem, Notes et mem. Serv. geol. Maroc*, n° 28.

LESSARD, J. M. - *Sijilmassa : la ville et ses relations commerciales au 11ème siècle d'après El Bakri, H.T.*, 10, 1er - 2 ème fasc, 1969.

LUQUET, A. - *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Le Maroc punique, B.A.M.*, IX, 1973 - 1975.

MARCY, G. - *L'alliance par colectation, tad'a, chez les berbères du Maroc central*, Alger; 1936.

MARMOL, - *Historia del rebelion y castigo de los Moriscos del Reino de Granada*, Madrid, 1797.

MARTINEZ, J. - *Portulano*, Messina, 1579.

MARTINEZ CAMPOS, C. - *España belica : el siglo XX*, Madrid, 1972.

MAYET, E. - *Marques d'amphores de Maurétanie Tingitane : Banasa, Thamusida, Volubilis, M.E.F.R.A.*, 90 - 1, 1978.

MEAKIN, B. - *The Moorish empire : a historical epitome*, London, 1899.

MENIOUI, M. - *Contribution à la connaissance des peuplements infralittoraux superficiels de la côte méditerranéenne*, Thèse Doct. Univ., Mohammed V.

MENOUILLARD - *Mœurs et coutumes indigènes pratiques pour solliciter la pluie, R.T.*, 1910, n° 79.

MERAUD, M. - *Histoire des A.I, La Koumia*, 1990, Tome 2.

MEUNIE, J. - *Bijoux et bijoutiers du sud marocain, C.A.T.A.N.*, VI, 1960 - 1962.

MEUNIE, J. - ALLAIN, C. - *La forteresse almoravide de Zagora, Hesp.* 33, 1956.

MICHAUX - BELLAIRE, E. - *Le Bniqat ech-chikayat de Moulay Hafid, R.M.M.*, Juin 1908.

MINISTERE DE L'INTERIEUR - *Monographie de la province de Figuig*, Figuig, 1986.

MONCHICOURT, C. - *Les rogations pour la pluie, R.T.*, n° 108, 1915.

MULLER, C. - *Numismatique de l'ancienne Afrique*, Copenhague , 1960.

AL-MUQADDASI, Chams ad-Dîn, - *Description de l'occident musulman au IV - Xème siècle*, trad., introd., notes et index par C. Pellat, Alger, 1950.

NALLINO, C. A. - *La littérature arabe des origines à l'époque de la dynastie umayyade*, trad. franc. C. Pellat, Paris, 1950.

PAJARES, - *Apellidos y nombres de lugar hispano-marroquies*, Madrid, 1918.

PASCON, P. - *La maison d'Iligh et l'histoire sociale de Tazerwalt*, Rabat, 1984.

*Les pays inaccessibles du Haut Draa, R.G.M.*, 1929.

PEDECH, P. - *Notes sur la digraphie de polybe, Les études classiques*, XXIX, n° 2.

PELLAT, C. - *L'arabe vivant : mots arabes groupés d'après le sens et le vocabulaire fondamental de l'arabe moderne*, Paris, 1952.

PELLAT, C. - *Etudes sur l'histoire socio-culturelle de l'Islam au VII - XVème S.*, Londres, 1976.

PELLAT, C. - *Intoduction à l'arabe moderne*, Paris, 1956.

PELLAT, C. - *Langue et littérature arabes*, Paris, 1952.

PELLAT, C. - *Le milieu basrien et la formation de Gahiz*, Paris, 1953.

PELLAT, C. - *Nemrod et Abraham dans le parler arabe des juifs de Debdou, Hesp.*, T. 39, 1 - 2ème trim., 1952.

PELLAT, C. - *Textes berbères dans le parler des Aït Seghrouchen de la Moulouya*, Paris, 1955.

PELLAT, C. - *Une charge contre les secrétaires d'états attribuée à Gahiz, Hesp.*, 1er - 2ème trim., 1956.

PEREDA ROIG, G. - *Capaz en la pacificacion de Gomara*, Ceuta, 1939.

PEREDA ROIG, G. - *El raid de Capaz por Gomara*, Tetuan, 1949.

PEYRE, C. - *Quelques aspects de la végétation du Massif du Bou-Iblane, in Etude de certains milieux du Maroc et de leur évolution récente*, Paris, 1973.

PEYRE, C. - *Recherches sur l'étagement de la végétation dans le massif du Bou-Iblane, Moyen Atlas Oriental*, Thèse 3ème cycle, Aix-Marseille, 1979.

PICARD, - *Les religions de l'Afrique antique*, Paris, 1954.

PICARD, G. ET C. - *Vie et mort de Carthage*, Paris, 1970.

PIERSUIS, - *Etudes sur les communautés rurale des Beni Ahsen*, Rabat, 1947.

PINTOINE, M. - *Coléoptères carabiques du Maroc*, Rabat, 1955 - 1961.

PLINIO EL VIEJO, - *Naturae historiarum*, Leypzig, 1906.

PONSICH, M. - *A propos d'une lampe grecque trouvée à Banasa, B.A.M.*, VI.

PONSICH, M. - *Fours de potiers puniques en Maurétanie Tingitane, in Acta del Congreso Nacional de Arqueolagia*, Saragosse; 1969.

PONSICH, M. - *Nouvelles perspectives sur l'olivier du Bas- Guadalquivir, in produccion y comercio del aceite en la antiguedad, I, Congreso internacional*, Madrid, 1980.

PONSICH, M. - DOUAS, M. - *Port antique et carrefour des voies de Maurétanie Tingitane, B.A.M.*, VII, 1967.

POTOCKI, J. - *Voyage en Turquie, en Egypte, en Hollande et au Maroc*, Paris, 1980.

*El pozo fuente de vida capital en el Sahara*, El Ayun, 1948.

AL-QAYRAWANI, Muhammad Ibn Charaf, - *Questions de critique littéraire : masâ'il al-intiqâd*, texte arabe établi et trad. avec introd. et notes par C. Pellat, Alger, 1953.

QUEZEL, P. - SANTA, S. - *Nouvelle flore de l'Algérie*, Paris, 1963.

QUEZEL, P. - VINDT, J. - *Flore du Maroc analytique, descriptive et illustrée*, Rabat, 1953.

*Rapport sur l'étude des parcours dans la province de Figuig*, Oujda, 1984.

READE, W. - HOSKING, E. - *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids*, Paris, 1968.

RIVET, D. - *Ethnographie et conquête du Moyen Atlas, 1912 - 1913, in Sciences de l'homme et conquête coloniale*, Paris,.

ROCHE, J. - *L'atérien de la grotte de Taforalt, Maroc oriental, B.A.M.*, VII, 1967.

ROCHE, J. - *La grotte de Taforalt, L'anthropologie*, 57, 1953.

ROCHE, J. - *La grotte de Taforalt, B.S.H.M.*, 3, 1970 - 71.

ROCHE, J. - *La grotte de Taforalt : note préliminaire sur la grotte de Taforalt, Maroc oriental, Hesp.*, T. 40, 1953.

ROCHE, J. - *Les industries paléolithiques de la grotte de Taforalt, Maroc oriental : méthode d'étude, évolution technique et typologique, Quaternaria* (Rome), XI, 1969.

ROGE, J. - *Recherche sur l'organisation du commerce maritime en Méditerranée sous l'Empire*, Paris, 1966.

SAIDI, E. K. - *Etude géomorphologique de la région de Tiflet et des conditions morphostructurales et sédimentologiques de genèse de la formation de la Mamora*, Thèse 3ème cycle, Rabat, 1974.

SAULAY, J. - *Zaïd ou Ahmed : le dernier dissident de l'Atlas central marocain, 1934 - 1936, Bull. de la Koumia*, Déc. 1979.

*Schéma d'armature rurale : région du centre*, Rabat, 1972.

*Schéma directeur d'urbanisme du groupement du grand El-Jadida : rapport de synthèse*, Rabat, 1983.

*Schéma directeur de la ville de Beni-Mellal*, Hambourg, London, 1978.

SCHOUTEN, J. - RAMDANI, M. - *Fish of the Nifiss Lagonn and the Tarfaya coast*, Rabat, 1988.

SEGONDS - *La Chaouia et sa pacification*, Paris, [s.d.].

SEMACH, Y. D. - *Yahas de Fès, Hesp.*, XIX, 1934.

SERYOUHI, I. - *Le Moyen Atlas plissé, in Ressources en eaux du Maroc, T. 3 : domaines atlasique et sud atlasique*, Rabat, 1977.

SHATZMILLER, M. - *L'historiographie mérinide*, Leiden, 1982.

SHATZMILLER, M. - *Marinides, E.I.*, Nlle éd., vol VI.

SIMONEAU, A. - *La région rupestre de Tazzarine, R.G.M.*, n° 20, 1971.

SLOUSCH, N. - *Notes sur l'histoire des juifs du Maroc, A.M.*, VI, 1905.

SORIANO, R. - *Geografia del Kert*, Melilla, 1941.

SOUVILLE, G. - *Beni Gorfet, in Atlas préhistorique du Maroc*, Paris, 1973.

TARRADELL, M. - *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : région de Tetouan, B.A.M.*, 4, 1960.

TARRADELL, M. - *Las excavaciones de Tamuda de 1949 a 1955*, Tamuda, IV, 1956.

TARREDELL, M. - *La necropolis punico-mauretania del Cerro de San Lorenzo en Melilla, I Congreso Arqueolagico del Marruecos español*, Tetuan 1953, Tetouan, 1956.

TARRADELL, M. - *El Poblamiento antiquo del Valle del Rio Martil, Tamuda*, 5, 1957.

TCHERNIA, A. - *Les amphores romaines et l'histoire économique, J.S.S*, 1967.

TERRASSE, C. - *Médersas du Maroc*, Paris, 1927.

THEVENOT - BERGIER - BEAUBRUN - *Compte-rendu d'ornithologie marocaine : statut, répartition et écologie, Annales CEEP*, n° 3, 1987.

THOUVENOT, R. - *La côte océanique du Maroc : ce qu'en ont connu les anciens, B.E.P.M.*, n° 215, 1951.

THOUVENOT, R. - *Rapport sur l'activité du Service des Antiquités du Maroc, 1948, B.C.T.H.*, 1950 et 1951.

THOUVENOT, R. - *Rapport sur l'activité de l'Inspection des Antiquités du Maroc pendant le second trimestre 1954, B.C.T.H.*, 1955 - 56.

THOUVENOT, R. - *Une colonie romaine : Valentia Banasa*, Paris, 1914.

THOUVENOT, R. - *L'urbanisme romain dans le Maroc antique, Revista de la Universidad Complutensis*, T. 18, 118.

TIANO, A. - *La politique économique et financière du Maroc indépendant*, Paris, 1963.

TOFIÑO DE SAN MIGUEL - *Derrotero de las Costas de España*, Madrid, 1847.

TURBET - *Le droit coutumier des Beni Ouarain, Cheraga, R.A.T.M.L.J.*, T. 47, 1931.

*Vademecum de la intervencion territorial de Gomara*, 1946.

*Vademecum de la intervencion territorial del Kert*, 1948.

*Vademecum de la intervencion territorial del Lukus*, 1948.

*Vademecum de la intervencion territorial del Rif*, 1946.

*Vademecum de la intervencion territorial de Yebala*, 1948.

VIENNET, Cap. - *Trouvaille à Banasa, B.C.T.H.*, 1912.

VOLLERIE, P. - *La pénéntration militaire au Maroc*, Paris, 1934.

WARMINGTON, B. - *Histoire et civilisation de Carthage*, Paris, 1961.

WORTHE, Ch. - *Les routes et le trafic commercial dans l'Empire romain*, Paris, 1938.

*Yebala y el bajo Lucus, 1934*, [s. l.], 1935.

## Liste des principales abréviations des périodiques

**A.A.N :** *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
**Acad. Sc. Col. :** *Académie des Sciences Coloniales.*
**A.E.S.C :** *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
**A.F :** *Afrique Française.*
**A.F : R.C :** *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
**A.I.E.A :** *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
**A.I.E.O :** *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
**A.M :** *Archives Marocaines.*
**A.M.S :** *Archives Marocaines de Sociologie.*
**And. :** *Al-Andalus*
**Ann. Rech. Forest. Maroc :** *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
**Ant. Afr. :** *Antiquités Africaines.*
**B.A.M :** *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
**B.A.R :** *British Archeological Reports.*
**B.C.T.H :** *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
**B.E.P.M :** *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
**B.E.S.M :** *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
**B.I.F.A.N :** *Bulletin de L'Institut Français d'Afrique Noire.*
**B.M.S.A.P :** *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
**B.L.O.A.B :** *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
**B.L.S :** *Bulletin de Liaison Saharienne.*
**B.S.G :** *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
**B.S.G.A :** *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
**B.S.G.A.O :** *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
**B.S.O.A.S :** *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
**B.S.P.M :** *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
**Bull. Archéol. :** *Bulletin Archéologique.*
**C.A.A :** *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
**C.A.T.A.N :** *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
**C.B.E.T :** *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
**C.C.E.J :** *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
**C.E.A :** *Cuadernos de Estudios Africanos.*
**C.H.I :** *Cuadernos de Historia del Islam.*
**C. Méd. :** *Cahiers de la Méditerranée.*
**C.R.A.I.B.L :** *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**C.R.A.S :** *Comptes Rendues des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
**C.T :** *Cahiers de Tunisie.*
**E.I.1 :** *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*

**E.I.2 :** *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*

**E.T.A.M :** *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*

**Et. Medit. :** *Etudes Méditerraniennes.*

**F.S.S.A.N :** *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*

**Hesp :** *Hespéris.*

**H-T :** *Hespéris-Tamuda.*

**H.T.E :** *Hommes, Terre et Eaux.*

**I.G :** *Information Géographique.*

**I.H.E.M :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*

**I.H.E.M : N-D :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*

**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. :** *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabet*

**I.S.C :** *Institut Scientifique Chérifien.*

**Isl. Cult. :** *Islamic Culture.*

**I.S.P.M :** *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*

**J.H.S.N :** *Journal of the Historical Society of Nigeria.*

**M.A.I.B.L :** *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*

**Medit :** *Méditerranée.*

**N.A.M.S.L :** *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*

**P.I.H.E.M :** *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*

**P.S.A.M :** *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*

**P.S.H.M :** *Publications de la Section Historique du Maroc.*

**R.A :** *Revue Africaine.*

**R.A.P :** *Revue de l'Action Populaire.*

**R.C.C :** *Revue de la Chambre de Commerce.*

**R.D.M :** *Revue des Deux Mondes.*

**R.E.I :** *Revue des Etudes Islamiques.*

**R.E.L :** *Revue des Etudes Latines.*

**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. :** *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*

**R.G.M :** *Revue de Géographie du Maroc.*

**R.H.M.C :** *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*

**R.M.D.E.D :** *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*

**R.M.M :** *Revue du Monde Musulman.*

**R.P.P :** *Revue Politique et Parlementaire.*

**S.G.L :** *Sociedade de Geografia de Lisboa.*

**S.I :** *Studia Islamica.*

**S.I.H.M :** *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*

**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. :** *Société des Sciences Naturelles .. Physiques du Maroc.*

**Trav. Inst. Sc. :** *Travaux de l'Institut Scientifique.*

**بوعبيد، عبدالرحيم** بن موسى السلاوي، ولد بسلا عام 1920/1339، وبها تابع دراسته الابتدائية، في مدرسة أبناء الأعيان، والثانوية بكوليج مولاي يوسف بالرباط، ثم انخرط في سلك التعليم، والتحق بقسم المعلمين للتكوين البيداغوجي، فعين مدرسا في فاس سنة 1938، واستطاع باجتهاده، واعتماده على نفسه، أن يحصل على شهادتي البكالوريا الأولى والثانية.

وفي سنة 1942 التحق معلماً بمدرسة أبناء الأعيان بسلا إلى أن صدر أمر باعتقاله يوم 30 يناير 1944 في أعقاب أعظم مظاهرة شعبية عرفتها مدينة سلا يوم 29 يناير، احتجاجا على الاتهامات التي ألصقت بزمرةٍ من قادة الحركة الوطنية، وعلى سياسة القمع التي قرر المقيم العام گابريال پيو شنها ضد قادة حزب الاستقلال بالخصوص، الذين أقدموا على المطالبة بالاستقلال، في وقت كانت فيه فرنسا ما تزال تتجرع مرارة احتلالها من طرف القوات النازية.

وبعد استسلام المانيا، يوم 8 مايو 1945، أفرج عنه وعن جميع الوطنيين داخل المغرب، وبعد ذلك ببضعة شهور التحق عبدالرحيم بوعبيد بباريز، لمتابعة دراسته الجامعية، وتمثيل حزب الاستقلال في فرنسا وربط الاتصال مع النخبة ومكونات الطبقة السياسية للتعريف بالقضية المغربية، وللاضطلاع كذلك بمهمة الإشراف على شؤون الطلبة، وتنظيم الجالية المغربية وتعزيز دور من سبقوه في هذا المجال.

تجلى منذ ذلك التاريخ، أن الرجل يجسد فضائل الكرامة، والجرأة، والتفاني في خدمة الصالح العام، والابتعاد عن أي شبهة، وظل طيلة حياته متصفا بهذه الخصال كمسؤول وكمناضل.

لقد حبا الله ذلك الوطني الفذ بموهبة النضج وبعد النظر، منذ بداية العقد الثالث من عمره، فاستأثر باهتمام من كانوا يكبرونه سنا من القادة الوطنيين، الذين سارعوا بالاقتراع عليه للانضمام إلى "الطائفة"، أهم جهاز للقرار آنذاك، الجهاز السري الذي لم يكن يعرف مجموع أعضائه إلا القليل من الناس.

واشتهر أيضا بالافتتاحيات التي كان يكتبها باستمرار، عندما عهد إليه بالإشراف على جريدة الحزب الأسبوعية : *الاستقلال Al-Istiqlal* مدشنا بذلك حرب القلم، وأبلى فيها البلاء الحسن. كانت تلك الافتتاحيات تتطلب منه وقتاً كبيراً، باذلاً قصارى الجهود لصيانة جمال اللغة، التي يتوجه بها إلى الخصم، منتقدا بالحجة والأرقام برنامج الإصلاحات الفرنسية، ومبرزاً الطابع الاستعماري للسياسة الفرنسية في المغرب، ومندداً بانتهاج الدولة الحامية، سياسة الإدارة المباشرة، خرقاً لمحتوى معاهدة الحماية الموقعة

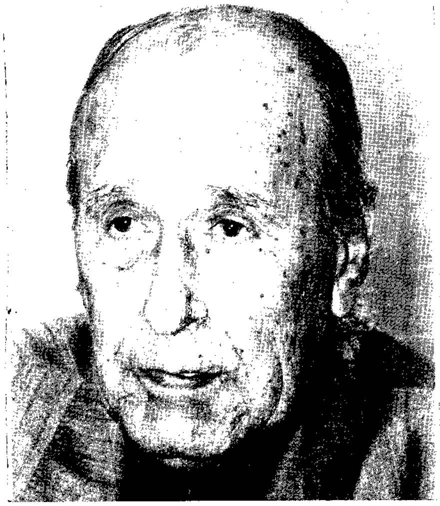

في 30 مارس 1912، إضافة إلى التمادي في سياسة التجهيل والتفقير ونزع الملكية بدون قانون، والاستيلاء على المزيد من الأراضي، واستسلام السلطات العمومية في فرنسا أمام اللوبي الاستعماري المتألف من كبار المعمرين والصناع وأرباب العمل ومساندتها لتيار المتخلفين فكريا.

فتحليلاته والعناية الفائقة بالمقالات التي كان يحررها، والتي كانت تجمع بين الأسلوب الرصين والتعمق في التفكير والنقد اللاذع، كل هذه الخصال دفعت الملك الراحل، محمد الخامس، إلى اتخاذ قرار بإلحاقه بالثلة التي كان يعهد إليها بإعداد أهم مذكرة قدمت إلى رئيس الجمهورية الفرنسية ڤانسان أوريول، في النصف الأول من أكتوبر سنة 1950، خلال الزيارة الرسمية التي قام بها جلالة الملك الراحل لفرنسا، والتي طرح فيها مسألة تقييم طبيعة العلاقات، بين المغرب وفرنسا، وبالتالي ضرورة التخلي عن

معاهدة سنة 1912، وتعويضها باتفاقية جديدة، تأخذ بعين الاعتبار ما تمّ إنجازه منذ أربعة عقود، ومؤكداً، في نهاية محادثاته مع رئيس الحكومة ووزير الخارجية أيضاً، بأن مغرب أواخر 1950 ليس هو مغرب 1912.

كما أشرف عبدالرحيم بوعبيد على تنظيم العمال، في الدارالبيضاء أكبر ميناء في المغرب، وفي أسفي أعظم ميناء للصيد البحري آنذاك، لاقتناعه بأن حزب الاستقلال، الذي يناضل في صفوفه وأصبح من أبرز قادته منذ بداية الأربعينيات، لن يرقى إلى حزب جماهيري ذي مصداقية، بالنسبة للخصم أيضاً، وذي تأثير فعلي، إلا إذا تمكن من تأسيس نقابة عمالية قوية، نقابة وطنية لا تنتمي عضويا لا للكونفيديرالية العامّة للشغل ولا للقوة العمالية الفرنسيتين.

وستبرز شخصية عبدالرحيم بوعبيد، كمفاوض، يجمع بين الذكاء وبعد النظر والتركيز على الجوهر ـ عند انطلاق مفاوضات إيكس لي بان في غشت 1955 ـ فلقد كان الناطق باسم الوفد الرباعي لحزب الاستقلال، المتألف منه ومن المرحومين محمد اليزيدي وعمر بن عبدالجليل والمهدي بن بركة، كما أشيد باعتداله ونبوغه السياسي من طرف من كانوا لا يعرفونه إلا سطحياً، ومن بينهم أنطوان پيني، وزير الشؤون الخارجية الفرنسي، الذي كان من كبار قادة الحركة المعروفة بوسط المستقلين والمزارعين.

وسيتجلى بوعبيد كخبير في الشؤون الفرنسية، وكمفاوض قدير، يعي أبعاد سياسة الخصم، عندما تمكن من إعادة صياغة البلاغ المشترك، المغربي ـ الفرنسي، المؤرخ في 16 . 11 . 1955 الذي لم يكن في صيغته الأولى يشير صراحة إلى الإلغاء الضمني، لمعاهدة الحماية، واستطاع بذلك إفشال مخطط انطوان پيني رئيس الدبلوماسية الفرنسية.

وتأكد تكوينه السياسي، بالنسبة لرجالات المغرب، في أواسط الخمسينات، عند انعقاد المؤتمر الاستثنائي لحزب الاستقلال، قبيل تشكيل أول حكومة مغربية في عهد الاستقلال، ذلك أنه تقدم أمام أعضاء المؤتمر ببرنامج شامل ومشرِّف، يعود عادةً إعداده إلى من يضطلع بمهام الرئيس الفعلي للحكومة في الأقطار الديمقراطية.

يتطرق ذلك البرنامج لانشغالات واهتمامات النخبة الواعية والملتزمة في البلاد، مركزاً أولا، والمغرب يستعد لتدشين عهد جديد في علاقاته مع فرنسا، على ضرورة إلغاء معاهدة الحماية الذي لا تراجع فيه، ويحدد مضمون هذه العلاقات التي وإن كانت تشيد بالتعاون المتبادل مستقبلا بين البلدين، فإنه يرى لزاما أن تكون مقيدة باحترام كامل لسيادة كل قطر من القطرين المقبلين على إبرام اتفاقيات جديدة بينهما، في مختلف مجالات التعاون الثقافي والاقتصادي والتجاري وتكوين الأطر.

لكن الحكومة الأولى ـ التي ستتشكل، في سابع دجنبر 1955، طالبت أيضا ـ وعرض عبدالرحيم لأواخر نونبر يشير إلى ذلك ـ بإعطاء الأولوية للشؤون الداخلية. وهكذا كان التقرير يتضمن ما يلي :

ـ إلغاء الظهائر والقرارات الوزارية التي حاول الفرنسيون من خلالها تكريس السيادة المزدوجة.

ـ إصلاح القضاء عن طريق إحداث محاكم جديدة، وإعداد قانون أساسي للقضاة، وتوحيد مختلف المحاكم القائمة.

ـ مضاعفة عدد المستوصفات في الأحياء داخل المدن الكبرى، وإقرار برنامج للتكوين السريع، بالنسبة للممرضين.

ـ الاعتماد على تجنيد جميع الطاقات لتشييد أكبر عدد ممكن من المدارس.

ـ تعميم الحق النقابي لكي يشمل أيضاً العمال المزارعين.

ـ إحداث نواة للضمان الاجتماعي، والعمل من أجل الزيادة في الأجور.

ـ مواجهة مشكلة السكن، والعناية بالعالم القروي.

أما فيما يخص الجانب المتعلق بدمقرطة المؤسسات، فيقترح التقرير الذي أعده بوعبيد في نهاية نونبر 1955، والذي يجعل منه بمثابة البرنامج الذي ينبغي للحكومة المزمع تشكيلها بعد أيام على انعقاد المؤتمر المذكور، إقراره:

ـ إحداث مجالس محلية منتخبة، مع تأمين نزاهة الانتخابات وتجنب تدخل الجهاز الإداري.

ـ إحداث مجلس استشاري مؤقت تتلخص اختصاصاته فيما يلي :

ـ الإدلاء بالرأي حول مشاريع القوانين التي يعرضها جلالة الملك عليه.

ـ تمكين الحكومة من الاطلاع على آراء المجلس الاستشاري ومقترحاته حول مشاريع الإصلاح التي تعرضها عليه، وعند الحاجة، القيام باتخاذ توصيات تتعلق بالشؤون العامة.

ـ الشروع في دراسة وإعداد مشروع للدستور المغربي الذي يعود إلى جلالة الملك، وإلى المجلس الوطني المنتخب، العمل بهذا الدستور أو تعديل جانب من مقتضياته أو رفضه. وإن من شأن إحداث هذا الجهاز المؤقت، الذي لا يجسد الكمال، في هده المرحلة الانتقالية، يقول عبدالرحيم بوعبيد في أواسط الخمسينيات، أن يسهم في إشراك شرائح واسعة من الشعب المغربي، في تدبير شؤون البلاد، وخلق حياة سياسة عامة في المغرب.

لقد كان عبدالرحيم بوعبيد واعياً، بصفته أحد رموز القيادة الوطنية، بضرورة الاستجابة لمطالب المواطنين المحكمة التي كانت تكتسي طابع الاستعجال، فأدرجها ضمن أولويات برنامج أول حكومة في عهد الاستقلال، لكنه كان مقتنعا، في نفس الوقت، بأن الجهاز التنفيذي لن يكون منسجماً ولن يكون نصيب الحزب الرئيسي فيه ـ وهو ينتمي إلى صفوفه منذ الإعلان عن تأسيسه في نهاية سنة 1943 ـ نصيباً يتفق وتمثيليته، التي لا ينازع فيها أحد،

ودوره الطليعي في محاربة الاستعمار الفرنسي، والتضحيات التي تكبدها في سبيل ذلك، انطلاقا من الأحداث التي أعقبت صدور الظهير البربري في مستهل الثلاثينيات، وإرغام المخاطب الفرنسي بالرغم من مكابرته، في نهاية المطاف، على الاعتراف بطامح الشعب المغربي في الحرية والاستقلال.

ولتكوين فكرة عن سلوك عبدالرحيم بوعبيد كرجل دولة، تجدر الإشارة إلى أنه قد تمكن، ما بين 26 أكتوبر 1956 و20 مايو 1960، عند اضطلاعه بمهام وزير الاقتصاد الوطني والمالية ثم نائب لرئيس الحكومة، مع الاحتفاظ بحقيبة الوزارة السابق ذكرها، في عهد كل من حكومات مبارك البكاي وأحمد بلافريج وعبدالله إبراهيم، من إحداث مجموعة من المؤسسات نذكر من بينها : البنك المغربي للتجارة الخارجية، والبنك الوطني للإنماء الاقتصادي، ومكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية، ومكتب الدراسات والمساهمات الصناعية.

كانت تلك المبادرات الجريئة تهدف إلى وضع الأسس الضرورية التي من شأنها أن تجعل المغرب يتوفر على اقتصاد عصري ديناميكي، وتحقيق استقلاله الاقتصادي الذي بدونه لن يكون هناك استقلال سياسي فعلي للبلاد.

واعتقد عبدالرحيم جازماً، ومنذ نهاية الخمسينيات، أن المصلحة العليا للوطن تقتضي التفكير جديا في إنجاز إصلاح زراعي، في أقرب الآجال، وذلك لجعل المغرب يؤَمِّن اكتفاءه الذاتي من الحبوب الرئيسية : القمح الطري، القمح الصلب، الشعير، الذرة ... وكأنه كان يتوقع ومنذ أكثر من ربع قرن، ما حدث بالفعل، ومنذ بداية الثمانينيات بالخصوص، عندما لجأت الدول الغربية - الولايات المتحدة وفرنسا على سبيل المثال - إلى استعمال سلاح التغذية كوسيلة ناجحة لفرض التبعية على الأقطار التي لا يكفي إنتاجها الداخلي لإرضاء احتياجاتها من هذه المواد الحيوية، ومن بينها أقطار في الوطن العربي وفي إفريقيا، ذلك أنه منذ إقصائه من الحكومة، في 20 مايو 1960، اختارت الحكومات المغربية المتتالية إعطاء الأولوية للصادرات من الحوامض، غير واعية بالمستقبل وباحتمال منافسة شرسة من طرف إسبانيا، في حالة انضمامها، طال الزمن أم قصر، إلى مجموعة السوق الأوربية المشتركة.

لقد كان يعتقد أن مصلحة البلاد تكمن في تعميم عمليات الحرث التي دشنت، انطلاقاً من خريف 1957، على مختلف الأقاليم وتشجيع تعاونيات المزارعين لمضاعفة الإنتاج الفلاحي، وصولاً إلى الاكتفاء الذاتي المنشود بالنسبة للحبوب.

وظل عبد الرحيم طيلة العقد المنصرم، عقد الثمانينيات، يعبر بمرارة عن خيبة أمله وعن حسرته أمام استسلام الحكومات المتتالية ورضوخها لأوامر صندوق النقد الدولي، القاضية بتقوية القطاع العمومي والتضحية بالقطاعات المنتجة في البلاد.

وتنبغي الإشارة كذلك إلى نضاله من أجل وحدة فصائل المعارضة الوطنية التي تشرّف بقيادتها منذ أواسط الستينيات، وموقفه من قضية الوحدة الترابية لبلادنا ومباركته للتجارب الوحدوية التي عاشتها وتعيشها أقطار المغرب العربي.

فبالنسبة للنقطة الأولى، فبمجرد الإعلان عن مشروع الدستور الجديد الذي عرض على الاستفتاء بتاريخ 24 يوليوز 1970 بادر بالاجتماع بالمرحوم الأستاذ علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال ورئيسه، وبعد ذلك اللقاء التاريخي، بعد قطيعة دامت أكثر من عشر سنوات، تمّ الاتفاق على تأسيس الكتلة الوطنية، التي كانت بحق، حدثا في نضال الحركة الوطنية، كما أنها أعطت المعارضة نفَساً ومصداقية كانت في أمس الحاجة إليها، وعجلت بنهاية التجربة البرلمانية الثانية حيث إنها لم تتجاوز السنة وطويت صفحتها في مستهل أكتوبر 1971.

أما فيما يخص قضية الأقاليم الجنوبية المحررة فيمكن أن نؤكد بأنه منذ 14 يوليوز 1974، كان الاتحاد الاشتراكي قد قرر تلبية لرغبة جلالة الملك الحسن الثاني المشاركة في حملة واسعة لتحسيس الرأي العام الدولي، بشأن نزاع المغرب مع إسبانيا، حول استكمال وحدته الترابية وتصفية الاستعمار في أقاليمه الصحراوية.

اضطلع عبدالرحيم بهذه المهمة، مبرهنا عن اقتناعه الراسخ أمام رجالات السياسة والصحافيين بأحقية المغرب في مطلبه مدافعاً بكل ما أوتي من حماس واطلاع واسع وقدرة على الإقناع، ومعرِّفاً بالملف المغربي، في معظم الأقطار الأسيوية والأوروبية التي زارها طيلة شهر غشت 1974، وكذلك في هيأة الأمم المتحدة. ولقد تمكن في خريف نفس السنة، من إفشال مخطط خصوم المغرب بفضل الاتفاق الذي وقعه مع السيد ولد مكناس وزير الشؤون الخارجية الموريطاني آنذاك في نيويورك.

ولقد كان أيضا من المتتبعين للتجارب الوحدوية التي تعرفها منطقة المغرب العربي، منذ بداية الثمانينيات. وهنا لا بد لي أن أدلي بشهادة حول هذه النقطة بالذات : فعبدالرحيم بوعبيد اغتنم فرصة انعقاد دورة اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، أعلى هيأة تقريرية بالنسبة للحزب الذي كان كاتبه الأول ما بين 12 يناير 1975 إلى وفاته بتاريخ 8 يناير 1992، فركز على حدث لم يكن مسجلا في جدول أعمال دورة 19 غشت 1974، التي كان من المفروض، أن تخصص لدراسة جواب الحكومة آنذاك، حول الضمانات التي كانت تطالب بها الأحزاب الوطنية لإجراء الانتخابات التشريعية، بعد الحوادث الجسيمة ليونيه 1983 التي عجلت بإنهاء عهد حكومة السيد المعطي بوعبيد، في أعقاب الانتخابات الجماعية لتلك السنة.

فعبدالرحيم بوعبيد اعتقد بصدق، في تلك الدورة أن من الضروري أن تعطى الأسبقية للحدث المتعلق بالاتحاد العربي الإفريقي، ذلك الاتحاد الذي تم الاتفاق على الإعلان

عن ميلاده في أعقاب اللقاء التاريخي الذي جمع جلالة الملك الحسن الثاني بالرئيس الليبي معمر القذافي في وجدة بتاريخ 13 غشت 1984. وتم التوقيع على تلك المعاهدة، بحضور عبدالرحيم بوعبيد، الذي طلب منه جلالة الملك أن يرافقه إلى وجدة، لإقناع الشخصية الثانية في القيادة الليبية السيد عبدالسلام جلود الذي لم يكن مقتنعا بجدوى الاتفاقية المزمع إبرامها آنذاك.

فخلال عرضه أمام أعضاء اللجنة المركزية يوم 19 غشت 1984، الذي كان بمثابة محاضرة في القانون الدولي تتسم بالتعمق والشمولية، حول إشكال الاتحادات : الاتحاد الشخصي، الاتحاد الفيدرالي، الاتحاد الكونفدرالي، تجلى لنا جميعاً أنه كان متحمساً جداً لتلك الخطوة الوحدوية، مقتنعاً بأن تحييد ليبيا في النزاع حول الصحراء المغربية حدثٌ بالغ الأهمية، من شأنه أن يعود بفوائد جمة على المغرب، بل قد يؤدي إلى تصفية الانفصاليين لأنهم سيُحرمون من المعونات الضخمة التي كانت تتدفق عليهم من ليبيا، منذ 28 فبراير 1976، تاريخ التوقيع على الاتفاق المغربي - الإسباني حول الأقاليم الجنوبية المسترجعة.

كما سجل عبدالرحيم بوعبيد بتفاؤل صادق الخطوات الأولى، لاتحاد المغرب العربي، منذ الإعلان عن تأسيسه في مراكش، بتاريخ 17 فبراير 1989، متمنيا أن يستخلص أعضاؤه الخمسة، الدروس من التجارب الوحدوية في الماضي، على الصعيدين العربي والإفريقي، والتي لم توت ثمارها، وأن تقتنع الجزائر بأن من مصلحتها العليا أن تسهم في تدعيم هذا الوليد، وأن تحترم جميع فصول المعاهدة، وأن تكف، في نفس الوقت، عن مساندة موقف خصوم وحدتنا الترابية في منظمة الوحدة الإفريقية، وعن شن حملة مغرضة ضد المغرب الذي كان بجانبها في أحلك الظروف التي مرت بها طوال حرب التحرير التي خاضتها ضد فرنسا، ما بين فاتح يونيو 1954 و19 مارس 1962.

لقد ناضل عبدالرحيم بوعبيد كذلك من أجل التنسيق والتعاون بين فصائل المعارضة الوطنية في بلاده وظل يومن إيماناً راسخاً، طيلة عقدين، بضرورة تحقيق هذا الهدف، مشترطاً أن يكون العمل الوحدوي جاداً وعقلانياً لتأمين نجاحه، وبالفعل تم اجتياز خطوات واعدة في سبيل ذلك، تجلت عند مناقشة ملتمس رقابة ضد الحكومة في ماي 1990 وبالخصوص منذ الإعلان عن ميلاد الكتلة الديمقراطية وتقديم مذكرتين حول الإصلاحات الدستورية في أكتوبر 1991 ويونيه 1992 إلى جلالة الملك.

لقد أدرك المواطنون جسامة الفاجعة، عندما بلغهم نعي عبدالرحيم بوعبيد، وشاركوا بمآت الآلاف من معظم أقاليم المغرب، في تشييع جنازته التي لم تشهد الرباط نظيراً لها، إلا في ثلاث مناسبات : 28 فبراير 1961، 15 مايو 1974 وأخيراً 9 يناير 1992، فهؤلاء المواطنون من مختلف الشرائح الاجتماعية ومختلف الأعمار أبوا إلاَّ أن يشاركوا في وداعه لمثواه الأخير، لأن عبدالرحيم بوعبيد جسّد الوفاء للمبادئ، التي ناضل من أجلها طيلة نصف قرن، فكان باستمرار بجانب المستضعفين، أنصفهم عندما كان في الحكم ما بين 1956 و1960، مخصصاً قسماً كبيراً من العروض التي كان يتقدم بها، أمام اللجنة المركزية للحزب الذي ينتمي إليه - الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية - للوضعية المأساوية التي تعاني منها فآت واسعة من المجتمع المغربي، من المسحوقين - حسب تعبيره - مستدلا بإحصائيات لا يمكن الطعن فيها إطلاقاً لأنها تستند إلى وثائق ومستندات صادرة عن معاهد ومؤسسات متخصصة، حول تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وشاعراً كوطني له غيرة كبيرة على بلاده، بهول المديونية الخارجية التي تفرغ، يوماً بعد يوم، السيادة الوطنية من محتواها.

لقد ظلت الجماهير الوفية لقادتها النزهاء تردد اسمه، على طول المسافة، التي تفصل ما بين مسجد السنة بالرباط ومقبرة الشهداء، ترديده بتقدير كبير وبتأثر بالغ، مجددة له العهد على الاستمرار في الطريق، الذي اختاره، مرددة شعارات كلها إشادة بتضحياته والتزام متجدد، لأنه بحق كان القدوة، ولأنه رفض مقايضة حريته في التعبير وفي النقد البناء، وفي التوجيه وفي التحذير أحيانا أخرى، أيا كان المخاطب. لقد رفض بإباء أن يقايض حريته بالمال، فلم يضعف أمام المال، أو الجاه، لأن الرائد القدوة يحرص كل الحرص على الحفاظ على كرامته، والكرامة فضيلة ثمينة جداً، لا يمكن لمن يحترم نفسه أن يضحي بها أيا كان الثمن وأيا كانت العواقب.

عبد الرحمان القادري

** بعض ما كُتب عن عبد الرحيم بوعبيد :

ك. الباعمراني، *شهادة المقاوم كريم محمد بن إبراهيم الباعمراني*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16 فبراير 1992، ص. 37 ؛ م. البصري، *مع الفقيد عبد الرحيم بين أول لقاء وآخر لقاء*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16 فبراير 1992، ص. 21 ؛ ع. بنجلون، *عبد الرحيم : الزعيم المرشد*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16 فبراير 1992، ص. 23 ؛ إ. بوطالب، *الذاكرة أساس العقل*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16 فبراير 1992، ص. 32 ؛ م. جسوس، *ما تعلمته من السي عبد الرحيم*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16-2-1992، ص. 16-17 ؛ ب. حميش، *عبد الرحيم : الرمز المضيء*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16-2-1992، ص. 14 ؛ أ. م. روزلـي، *آه لو عرفنا من يكون هؤلاء الرجال*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16-2-1992، ص. 33 ؛ م. زنيبر، *شباب مشوب بالعزيمة المتقدمة*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16-2-1992، ص. 31 ؛ أ. السطاتي، *عبد الرحيم رمز الشموخ الوطني*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16-2-1992، ص. 12 ؛ ع. الشاوي، *عبد الرحيم بوعبيد : تجربة الرهان الديمقراطي*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16-2-1992، ص. 26 ؛ م. طوليدانو، *عبد الرحيم بوعبيد واحد من آخر العظماء*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد

خاص، 1992.2.16، ص. 30 ؛ ن. العوفي، *قراءة سريعة في التجربة التاريخية لسي عبد الرحيم بوعبيد، 1958. 1960، تقعيد الاقتصاد وشروط التاريخ، الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 1992.2.16، ص. 14.13 ؛ أ. القادري، *عبد الرحيم بوعبيد : رجل وطني صادق وسياسي ماهر، الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 1992.2.16، ص. 23 ؛ ع. القادري، مسيرة *عبد الرحيم النضالية : عبد الرحيم المناضل القدوة، الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 1992.2.16، ص. 7.5 ؛ م. القرشاوي، *السي عبد الرحيم صحفيا، الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 1992.2.16، ص. 22 ؛ م. كرم، *السي عبد الرحيم : المحامي، الانسان، الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 1992.2.16، ص. 24 ؛ م. الناصري، *عبد الرحيم بوعبيد رجل التراضي والحسم، الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 1992.2.16، ص. 19 ؛ م. الوديع الأسفي، *شهادات للتاريخ عن المناضل السي عبد الرحيم بوعبيد، الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 1992.2.16، ص. 30.28 ؛ ف. ولعلو، *عبد الرحيم بوعبيد مرجع اقتصادي لا محيد عنه، الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 1992.2.16، ص. 8. 11 ؛ *السي عبد الرحيم بوعبيد القائد الرائد، الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 1992.2.16، ص. 48 ؛ *وصية الفقيد العزيز، الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 1992.2.16، ص 2.

S. Bessis, *Abderrahim Bouabid : un démocrate d'état*, *J. A*, 24 Janv. 1992.

من كتابات عبد الرحيم بوعبيد (مرتبة ترتيباً زمنياً) :

أ ـ في جريدة Al-Istiqlal :

*Après l'indépendance : l'unité*, n° 3, 13 Avr. 1956 ; *Nous qui voulons sortir du drame*, n° 6, 4 mai 1956 ; *Ce que nous voulons*, n° 11, 8 Juin 1956 ; *Préserver l'esprit de confiante coopération entre français et marocains*, n° 24 bis, 21 Sept. 1956 ; *M. Bouabid ouvre devant l'assemblée consultative le débat sur l'économie nationale*, n° 36, 7 Déc. 1956 ; *Exposé devant l'assemblée nationale consultative sur le budget de l'année 1957*, n° 43, 25 Jan. 1957 ; *Lemaigre - Dubreuil : un symbole*, n° 58, 11 mai 1957 ; *Il est essentiel pour la France d'avoir le Maroc comme partenaire dans la zône franc*, n° 62, 8 Juin 1957 ; *La lutte contre le chômage et le sous-emploi*, n° 63, 15 Juin 1957 ; *(Opération - labour)*, n° 75, 12 Oct. 1957 ; *(Economie nationale)*, n° 85, 14 Déc. 1957 ; *Unifions le Maghreb*, n° 99, 30 mars 1958 ; *L'Egypte a dégagé des crédits pour ses secteurs productifs grâce à la politique d'austérité mais aussi par des réformes administratives*, n° 102, 20 Avr. 1958 ; *La politique économique du gouvernement*, n° 120, 11 Oct. 1958 ; *(Complot contre le parti et le pays)*, n° 122, 25 Oct. 1958 ; *Le franc marocain après la dévaluation française*, n° 134, 17 Jan. 1960, p. 8 - 9.

ب ـ في جريدة Libération :

*Les fondements économiques de l'unité maghrébine*, n° 15, 16 Déc. 1964, p. 6 - 7 ; *Pour un gouvernement responsable*, n° 38, 26 mai - 1 juin 1965, p. 12 ; *Libération et démocratie : deux termes d'un même processus*, n° 65, 10 sept. 1976, p. 2 - 5 ; *Notre choix est clair : la démocratie et le socialisme : intervention au comité central de l'USFP*, n° 70, 15 oct. 1976, p. 3 ; *Le Polisario est d'abord une invention du régime franquiste : le processus démocratique est absolument irréversible*, n° 72, 29 oct. 1976 ; *L'U.S.F.P, toujours debout et pousuivant la lutte pour la démocratie*, n° 74, 11 Nov. 1976 ; *L'option démocratique : un choix populaire, un engagement national et international : intervention devant le comité central de l'U.S.F.P*, n° 77, 3 Déc. 1976 ; *Nous ne sommes pas disposés à cautionner un jeu démocratique à sens unique et falsifié*, n° 89, 18 fév. 1977, p; 4 - 5 ; *La démocratie c'est l'expression libre et conscience des masses : interview au journal Al-Mouharrir*, n° 92, 11 mars 1977, p. 2 - 7 ; *Nous demandons à la gauche française d'observer un minimum de réserve et de prudence*, n° 105, 22 mai 1977, p. 2 ; *Approfondissons la lutte pour la démocratie*, n° 106, 23 mai 1977, p. 2 ; *La société nouvelle que nous voulons pour notre pays ne peut être qu'une société socialiste*, n° 108, 25 mai 1977 ; *Oui, nous nous réclamons du socialisme*, n° 113, 10 mai 1977 ; *Votre résolution est un motif d'espoir*, n° 116, 2 Juin 1977 ; *Le prochain gouvernement comme les précédents : parlementaires U.S.F.P dans l'opposition*, n° 133, 23 Sept. 1977 ; *Le sursaut palestinien a donné une dimension nouvelle au problème*, n° 134, 30 Sept. 1977 ; *L'expérience nous a appris que les problèmes du Maroc ne peuvent être résolus du jour au lendemain*, n° 137, 14 oct. 1977, p. 2 - 3 ; *Nous nous sommes rendus à Madrid en tant que militants et en tant que patriotes marocains : la position de l'I.S risque d'être le point de départ à d'autres positions*, n° 138, 21 Oct. 1977, p. 2 - 3 ; *Une position à partir de trois considérations : intervention au comité central*, n° 146, 16 Déc. 1977 ; *Nous ne serons jamais d'accord sur un accord séparé : déclaration à Baghdad*, n° 147, 23 Déc. 1977, p. 5 ; *Nous agissons comme si le dossier était véritablement clos : interview*, n° 157, spécial Sahara, 28 fév. - 3 mars 1978, p. 2 - 5 ; *Eviter le bureaucratisme : intervention au séminaire de l'USFP sur la formation sociale au Maroc*, n° 178, 28 Juil. 1978, p. 5 ; *Jean Dresch : précurseur militant de la décolonisation*, n° 192, 3 Nov. 1978, p. 8 - 9 -10 ; *Pour que cessent les crimes de la junte (chilienne)*, n° 192, 3 Nov. 1978 ; *Le premier gouvernement marocain était destiné à rassurer l'opinion française : il n'était pas le reflet du courant d'opinion marocaine*, n° 193, 10 Nov. 1978 ; *Enthousiasme, vigilance et conscience : discours à la clôture du troisième congrès de l'USFP, Casablanca, décembre 1978*, n° 198, 15 Déc. 1978, p. 6 - 7 ; *Le peuple doit se tenir prêt pour défendre sa cause sacrée : intervention devant la commission administrative nationale de l'U.S.F.P*, n° 203, 19 Jan. 1979 ; *On ne nous aura pas à l'usure : interview accordée à Jeune Afrique*, n° 213, 28 mars 1979, p. 13; *Nous tirons notre enseignement de la volonté populaire*, n° 219, 10 mai 1979, p. 2 - 3 ; *Situation générale : l'échec est partout, Sahara, le maintien sur le terrain ne suffit pas*, n° 234, 5 Oct. 1979 ; *La Maroc d'aujourd'hui n'est pas celui de 1944 ou de 1956*, n° 248, 11 Jan. 1980, p. 3 ; *Le gouvrenement est devant deux choix : accepter la démocratisation ou revenir au pouvoir absolu, dans les deux cas, le parti n'en sortira que renforcé*, n° 257, 14 mars 1980, p. 8 et 15 ; *Le Sahara est marocain ; la Palestine est arabe*, n° 262, 18 avr. 1980.

ج ـ في جرائد مختلفة :

*Interview : les changements en cours*, *Lamalif*, n°

65, Sept. 1974, p. 20 - 23 ; *Impératifs qui commandent le développement de l'économie marocaine, Confluent*, n° 6, Mars - Avril 1960, p. 185 - 197 ; *Les rapports du Maghreb avec les organismes européens*, in *Industrialisation au Maghreb*, Paris, Maspéro, 1963, p. 241 - 260, (Coll. Les textes à l'appui) ; *La gauche et le conflit du Moyen-Orient, Démocratie Nouvelle*, n° 21, Mars 1968, p. 57 - 61 ; *L'Elargissement du Marché Commun Européen : un accord d'association peu propice à l'épanouissement de l'économie du Maroc, Le Monde Diplomatique*, n° 184, Juil. 1969, p. 6 ; *L'U.S.F.P et le problème du Sahara : interview* réalisée par Jean Wolf, *Remarques africaines*, n° 458 - 459, 28 Fév. 1975 ; *Interview, propos recueillis* par Jean Wolf, Remarques africaines, n° 480 - 481, 29 fév. - 15 mars 1976, p. 100 - 101 ; *Interview au journal Erraï El Am, L'Avant - Garde*, n° 60, 9 Avril 1960, p. 2; *Le Maroc et le Tiers-Monde, L'Avant - Garde*, n° 504, 5 Déc. 1970, p. 1 et 2 ; *Il arrivera peut-être un moment où l'on dévoilera tout l'historique de la rencontre entre le mouvement national et le regretté Mohammed V, L'opinion*, n° 1983, 12 Jan. 1971 ; *Nous l'appelions Moha Ou Zitoune, J. A.*, n° 820, 24 Sept. 1976, p. 40.

د ـ تصريحات وكتابات متنوعة :

*تصريح السي عبد الرحيم أمام الشرطة في سنة 1973*، **الاتحاد الاشتراكي**، عدد خاص، 16 فبراير 1992، ص. 35 ؛ *شهادة مناضل*، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع 13، شتنبر 1985، ص. 17 ـ 22 ؛ *في الذكرى الأربعينية للمرحوم علال الفاسي*، **الاتحاد الاشتراكي**، عدد خاص، 16 فبراير 1992، ص. 36 ـ 37.

*Interview de M. Abdelkader Benjelloun, et de M. Abderrahim Bouabid, France Observateur*, 15 Août 1955, p. 12 - 13.

G. Delanaoe, *Lyautey, Juin, Mohammed V : fin d'un protectorat, mémoires historiques, avec une annexe de Abderrahim Bouabid*, ancien ministre, T. 1, Paris, L'Harmattan, 1988, p. 223; R. La Haye, *Les entreprises publiques au Maroc : essai d'analyse des formes d'action médicale de la puissance publique*, Préf. A. Bouabid, Rabat, 1961 ; M. Lahbabi, *Les années 80 de notre jeunesse*, Préf. A. Bouabid, Casablanca, 1970 ; F. Nataf, *L'indépendance du Maroc: témoignage d'action*, 1950 - 1956, Préf. A. Parodi, Av. prop. A. Bouabid, Paris, 1975 ; F. Oualalou, *L'assistance étrangère face au développement économique du Maroc*, Préf. A. Bouabid, Casablanca, 1969 ; *Tableaux économiques du Maroc, 1915 - 1959*, Présent. A. Bouabid, Rabat, 1959.

عبد المجيد بنيوسف

**بوعبيد،** (وَلْد ـ) **محمد** الشاوي، ينتمي إلى فخذة أولاد محمد المشهورة بصلابتها وجهادها ضد الاحتلال الفرنسي للشاوية. وهي من فرقة الأعشاش التي بدورها تنتمي إلى قبيلة أمزاب إحدى القبائل الكبرى المكونة لاتحادية الشاوية.

كان ولد بوعبيد زعيماً ومقدماً روحياً للأعشاش خاصة، ولامزاب عامة. برزت زعامته أواخر القرن الثالث عشر (19 م)، خاصة في عهد مولاي عبدالعزيز، زمن الفتن التي عرفتها القبيلة عقب وفاة السلطان الحسن الأول (1312 / 1894)، وتأكدت قيادته الحربية لامزاب خلال انتفاضة قبائل الشاوية وجهادها ضد التدخل الأجنبي في العقد الأول من القرن العشرين، فكانت امزاب عامة تقف عند أمره ونهيه، يقودهم في الحرب ويتفاوض باسمهم بالرغم من كونه لم يكن قائداً رسمياً معيناً من طرف المخزن. وإنما نال هذه المكانة، نظراً لشجاعته ولاستقامته وصدقه، وخدمته لمصالح إخوانه، ودفاعه عن كرامتهم بنفسه وماله.

وقد أشارت التقارير العسكرية إلى دوره أثناء قيادة القبيلة في معارك الدارالبيضاء وخاصة في معركة دار بوعزة (28 غشت 1907).

ولما حل مولاي عبدالحفيظ بمشرع الشعير، قرب الشاوية، كان ولد بوعبيد من بين زعماء الشاوية الذين انضموا إليه فأقره سلطان الجهاد قائداً على إخوانه ويقال إنه سلّمه ظهير القيادة. وانتقل ولد بوعبيد، كغيره من زعماء الجهاد إلى فاس صحبة مولاي عبدالحفيظ، لما تخلى هذا الأخير عن قتال فرنسا وقرر متابعة المساعي الدبلوماسية لإخراج جيش الاحتلال من الدارالبيضاء والشاوية. وظل المجاهد الشاوي بعيداً عن إخوانه الذين فُرض عليهم الاحتلال بالقوة، إلى أن توفي بفاس في ظروف غامضة حوالي عام 1328 / 1910، وتقول بعض الروايات إنه مات مسموما. وعلى كل حال فقد حضر الجم الغفير من الناس جنازته ومنهم المرابط محمد بن الطيب البوعزاوي، وهو الذي صلى عليه (*نشر المحاسن*، 39).

ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر*، مخطوط ؛ ع. الخديمي، *حادثة الدارالبيضاء واحتلال الشاوية*.

*Archives de guerre, Chateau de Vincennes*, Paris (A.G.V.) ; Mege, *Les Achache et les Mzab, A.B.* Vol. 3, 1918, p. 187 - 257.

علال الخديمي

**بوعبيدي، بوعزة** بن أحمد بن المعطي، مقاوم ولد سنة 1916 ببني سمير بأحواز وادي زم، إقليم خريبكة. شارك في حوادث الانتفاضة الشعبية الكبرى التي نظمت يوم 20 غشت 1955. وقام أثناءها بتنفيذ عدة عمليات فدائية أصيب في إحداها برصاص جنود الاحتلال الفرنسي فسقط شهيداً في ساحة المعركة.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 2.

عزالدين العلام

**بوعثمان،** (سيدي ـ) دائرة ومركز وجماعة قروية بإقليم قلعة السراغنة مساحتها 568 كلم$^2$ وسكانها 18.939ن (1982)، تنتشر فوق جزء من الجبيلات الوسطى التي تمثل سلسلة جبال هرسينية، تمتد من الشرق إلى الغرب فاصلة بين سهلي الحوز والبحيرة طولها 170 كلم وعرضها 10 إلى 20 كلم. أثرت عليها عوامل التعرية المتغايرة فكونت أحواضا وشعاباً واسعة بالصخور الهشة : شيست، وگرانيت وأعراف طويلة تطابق الصخور الصلبة : كوارتزيت، ديوريت ... أعلى قمة تگزيم 1.060 م تندس بها عروق اندفاعية وبركانية مما وفر مكامن معدنية أهمها بيروتين

قطّارة وبارتين إيغُودْ،ومكامن صغيرة للرصاص والزنگ. استُغل بعضها في عهد الاستعمار، ومحاجر لصخور البناء وترصيف الطرق. وهي جبال جرداء لا يظهر ببعض جوانبها سوى نباتات شوكية قصيرة وأعشاب متباعدة إثر سقوط الأمطار، وبها مناطق تشجير عديدة : أوكالبتوس وصبير ينبع منها بعض المسيلات العرضية كما تضم الجماعة جزءاً من سهل البحيرة وهو سهل رسوبي رباعي مغلق. ينتمي سكانها إلى مجموعات من قبائل الرحامنة : الغرابة وسلام العرب، يمارسون الرعي الواسع للأغنام وزراعة يناصيبية للشعير بالأماكن المحظوظة. لكن وفرة المياه الجوفية تعوض قلة الأمطار 250 ملم. كما تتوفر الجماعة على إمكانيات معدنية، وأدى موقعها على محور مهم للمواصلات بين مراكش والدارالبيضاء وجوار المدينة الكبيرة مراكش إلى تحولات مجالية، بحيث تعرف زراعتها حالياً توسع السقي الحديث باستعمال الضخ الآلي والأدرع المتحركة بجزئها السهلي، وتنتج مقادير متزايدة من القمح والخضر، كما تتوسع زراعة الأشجار خاصة الزيتون والمشمش، لكن معظم السكان مازالوا يحترفون الرعي وزراعة مقلالة للحبوب.

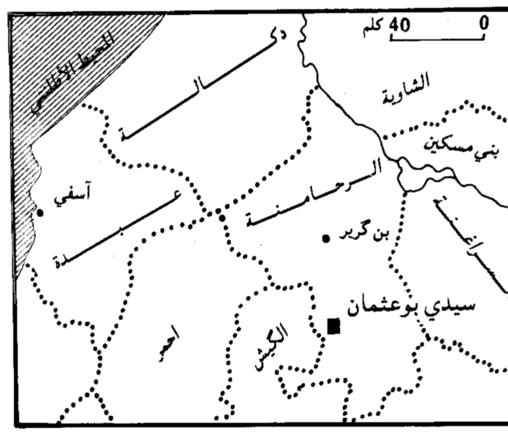


موقع سيدي بوعثمان

مركز سيدي بوعثمان، هو نزالة قديمة على طريق مدينة مراكش نحو الشمال، يبعد عنها بـ 35 كلم، علوه 524 م، معدل أمطاره 204 ملم في السنة. يقع بالمخرج الشمالي لممر عريض بالجبيلات أفرغ في صخور هشة من الشيست، كانت به قرية وسوق قديم بجانب ضريح الولي سيدي بوعثمان الموجود داخل مقبرة، ولا يعرف عنه السكان المحليون شيئاً، ربما لانقطاع التعمير وتبدل السكان عدة مرات خلال القرون الأخيرة. اشتهر المكان في التاريخ المعاصر بمعركة دارت بين جيوش الاستعمار وجيوش مولاي أحمد الهيبة ابن ماء العينين. استفاد الموقع كثيراً من مرور الطريق الوطني رقم 7 وخط السكك الحديدية بين مراكش والدارالبيضاء، لكن جفاف المنطقة وقرب مراكش يؤثر على نمو الديموغرافي إذ يسلبه فائض سكانه بالهجرة. استغل قربه منجم للرصاص ومعمل لتركيزه ظهر إلى جانبه قرية عمالية لكن نشاطه توقف سنة 1962. وعند تطبيق سياسة اللامركزية في بداية الثمانينات وتقوية التجهيزات الحضرية ببعض المراكز ذات الموقع الحساس، استفاد سيدي بوعثمان من ذلك، فصار تابعاً للإقليم الجديد قلعة السراغنة، وأنشئ به قيادة ومركز دائرة وعدد من المنشآت الإدارية التابعة لمختلف الوزارات، وأخيراً إعدادية سنة 1986. إلا أن الكثير من الموظفين مازالوا يسكنون بمراكش، ولتشجيعهم على السكن به أنشئت تجزئة سكنية للموظفين (40 منزلا) دعمت الحي الإداري ثم أضيف إليها تجزئتان بإحداهما 40 منزلا للجماعة القروية، كما ازداد سكان الدواوير القديمة. ومن المشاريع التي أنعشت سوق الشغل افتتاح محجر كبير على منحدر قريب من الجبيلات للسكك الحديدية لاستخراج وتصنيع مواد تدعيم أرضية السكك الحديدية يشتغل به حوالي مائة عامل.

يتكون مركز سيدي بوعثمان اليوم من أربع وحدات : هي دوار النزالة القديم بغرب الطريق الرئيسي، ودوار ايگود شرقه، والحي الإداري الذي يتوفر على منظر حضري، والمجمع التجاري الإداري المرتبط بالطريق الرئيسي، ويتكون من مقاهي ودكاكين أعيد بناؤه وتجميله لأنه يصير في طريق التحول إلى محطة طريقية. ويتوفر المركز على تجهيزات أساسية : كهرباء وماء شروب ومحطة بنزين. ويعقد بسيدي بوعثمان سوق أسبوعي يوم الاثنين يتجاوز نشاطه المجال الرسمي المحدد بسور ليشمل كل دكاكين ومنشآت مركز سيدي بوعثمان التي تعرف في صباح هذا اليوم نشاطاً اقتصادياً واجتماعياً كبيراً لتوقف كثير من الحافلات والسيارات به وقدوم سكان قسم كبير من سهل البحيرة والجبيلات والحوز الشمالي لقضاء حاجياتهم.

*بحث ميداني ؛ كتب عامة لجغرافية المغرب.*

أحمد هوزالي

**البوعثماني، محمد** بن عبدالعزيز الواويزغتي، حفيد الشيخ الصوفي سعيد بن علي السوسي الهشتوكي تلميذ الشيخ عبدالله بن حسين التمصلوحتي (*ممتع*، 187). ويرجع الزبادي نسبه إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (*دوحة*، 58).

أخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ الحسن بن مسعود اليوسي، وحين توفي هذا الأخير زار البوعثماني تامگروت، حيث تلقن الورد الناصري عن الشيخ أحمد ابن ناصر الذي أذن له في تلقين الأوراد، فتصدَّر للمشيخة. ولاقى قبولا حسناً لدى سكان تلك المنطقة التي عمتها آنذاك موجة التصوف ؛ لا سيما وأنه كان "مجتهدا في عبادة ربه، وفي نصح عباده، يصوم النهار ويقوم الليل" (*الدرة الجليلة*، 363). مما أهله لأن يصير ممن تعقد معهم المحبة، فأعطى العهود ولقن الأذكار والأوراد.

إلا أننا لا نعرف شيئا عن مستواه العلمي ؛ إذ لم يرد في تحليته ما ينبئ عن ذلك. يقول مترجمه محمد بن عبدالله الخليفتي : "الشيخ الفياض، الولي الكامل،الصالح الرباني..." (*الدرة الجليلة*، 358).

يتضح مما سبق أنه شيخ صوفي، أو أن التصوف هو الغالب عليه. وقد بلغ درجة عالية من الصلاح في تلك المنطقة التي كانت من بين مجالات عبور أيت عطا. بل إن واويزغت كانت من أهم مستوطناتهم ؛ إذ استقرت بعض فرقهم بها مبكراً ( *الدرة الجلية*، 358، هامش 942). ولقد لعب الشيخ البوعثماني دورا مهما في فض النزاعات والتحكيم بين المستقرين هنالك، أو بين هؤلاء وبين الرحل، وخاصة بين أيت عطا الطارئين وأيت بوزيد الأصليين.

واشهر مثال يساق للتدليل على ذلك، توسطه بين الباشا أحمد العتابي - أحد قواعد المولى إسماعيل - وبين أيت عطا. فقد حرك الممثل المخزني إلى واويزغت، وضرب الحصار على أيت عطا، ولم يرفعه إلا بعد ما تدخل البوعثماني.

كل ذلك جعل أمر هذا الشيخ يشتهر ليصير مقصوداً بالزيارة من طرف سكان مختلف القبائل كأيت خليفت وأيت عتاب وأيت بوزيد. وكانت قبائل تلك الجهات تقدم له مختلف الخدمات، وتقوم بالأعمال المشتركة لصالحه : (التويزة مثلا). فاتسعت ممتلكاته في المنطقة حتى اجتمعت - ذات مرة - كل أزواج الحرث التي يملكها أيت بوزيد لحراثة أراضيه ( *الدرة الجليلة*، 361). ولم يكتف بالوساطة والفصل في النزاعات القبلية، بل صار مقصودا كذلك من أجل قضاء بعض المآرب، إذ كان يمد الناس هنالك بالميرة وعلف الدواب وغيرها... مما يفضي إلى القول إن تلك الزاوية الصغيرة، في عهد البوعثماني، قد صارت مركزاً يعيد توزيع الثروة في تلك الجهات.

توفي البوعثماني بواويزغت سنة 1724/1133. ودفن بالقرب من مشهد جده سعيد بن علي الهشتوكي.

م. القادري، *نشر المثاني* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*.
M. Morsy, *La Relation de Thomas Pellow* ; *Les Ahansala*.

أحمد عمالك

**بوعَجّارة**، محمد الجبلي الغماري ثم الفاسي. وليٌّ صالح مجذوب غائب عن حسه ساقط التكليف، تُنسب إليه كرامات ويعتقده الناس. توفي عام 1189 / 75 ـ 1776 ودفن بزاوية الشيخ بسقاية الدمناتي. وإليه تنسب عرصة بوعجارة الشهيرة بفاس التي أصبحت اليوم حياً سكنياً كبيراً قرب باب الجديد.

ع. ابن سودة، *إتحاف*، 1189.

محمد حجي

**بوعجيبة**، مكان قرب واد تاساوت، عند التقائه بسهل الحوز، غير بعيد عن قبيلة مسفيوة. جرت به معركة شديدة وفاصلة بين السلطان مولاي عبدالعزيز وقوات أخيه الثائر مولاي عبدالحفيظ. وقد نشبت معركة بوعجيبة في يوم الأربعاء 21 رجب عام 1326 / 19 غشت سنة 1908، وانتهت بعد قتال شديد بانهزام القوات العزيزية التي تحول تراجعها إلى فرار وفوضى شاملة نتج عنها نهب مخيم السلطان بكامله. فكانت هزيمة بوعجيبة الضربة القاضية على السلطان عبدالعزيز، واضطر على إثرها إلى اللجوء إلى الشاوية، حيث قوات الاحتلال الفرنسية، ومن ثم تنازل عن العرش وانتقل إلى طنجة.

ع. الخديمي، *حادثة الدارالبيضاء*، 1985.

علال الخديمي

**بوعراقية**، (سيدي ـ) أو بوعراقية **الخضراء**، **محمد** الحاج البقال من أكبر أولياء مدينة طنجة، ينتمي إلى الشرفاء الأدارسة الحسنيين الذين يتصل نسبهم بسيدي علال الحاج البقال، مؤسس زاوية الحرائق بين قبيلة اغصاوة والأخماس من جبال الهبط، والمتوفى عام 944 / 1537. وقد اشتهر بلقبه "بوعراقية الخضراء" لما كان يتوج به رأسه من قلنسوة منسوبة إلى القطر العراقي، رمزا لانتسابه إلى دفين النجف الإمام علي بن أبي طالب. ولد بقبيلة بني حسان، ومنها انتقل إلى قبيلة الأخماس، ونزل ببني جبارة حيث تلقى دراسته الإسلامية. وفي عهد السلطان مولاي إسماعيل (1082 ـ 1141 / 1672 ـ 1727) تحركت همته للجهاد، فقصد مع شقيقه سيدي الحاج الغزواني مدينة طنجة المحتلة وقتذاك من طرف الانجليز. وهناك التقى بالمجاهد علي بن عبدالله الريفي وولده القائد أحمد، فحاصر معهم المدينة بالمجاهدين المتقاطرين من جبال الريف، وقد تولى المجاهد علي الريفي وولده أحمد الزعامة السياسية، بينما تولى المترجم مع شقيقه القيادة الدينية، ونجحوا في شد الخناق على العدو وإرغامه على الجلاء. وإلى هذا الدور الذي لعبه في حركة الجهاد يرجع الفضل في الصيت الكبير الذي حظي به في طنجة وفي سائر المنطقة الشمالية الغربية من البلاد، بعد تحرير هذه المدينة.

أقبل المترجم على نشر التعاليم الإسلامية بين المجاهدين وتهذيب اخلاقهم، وقد زهد في الدنيا وزخرفها، إلى ان توفي بطنجة سنة 1130 / 1717 ـ 1718 في داره الكائنة قرب الجامع الكبير، ودفن في مغرسة له كما يستشف ذلك من الوصية التي تركها بخط يده والمؤرخة في 20 جمادى الثانية 1126 / 3 يوليوز 1714. وكان ضريحه، الواقع خارج باب الفحص، يتكون من مجرد "حوش" يحيط بقبره. وفي وقت متأخر، قد يرجع إلى بداية القرن الرابع عشر (20 م)، بنى عليه أتباعُه قبة كبيرة تحف بها قباب أخرى أصغر منها، ثم بُني به مسجد أصبحت تلقى فيه خطبة الجمعة. وكان ضريحه، وما يزال، قبلة للزوار من طنجة وخارجها، يحرص حتى السلاطين على زيارته عند حلولهم بالمدينة. وقد زاره السلطان الحسن الأول يوم الثلاثاء 28 محرم عام 1307 / 24 شتنبر 1889. كما كان يقصده الحجاج للتبرك قبل إبحارهم في اتجاه الديار المقدسة، لذلك عرف بـ"مصيفط" (مرسل) الحجاج. أما موسمه، الذي يقام يوم السابع من عيد المولد النبوي، فكان إلى عهد قريب يوما مشهوداً في حياة المدينة.

*لوحة كبيرة بضريح المترجم تتضمن نبذة عن حياته.*
*Villes et Tribus du Maroc*, vol VII ; *Tanger et sa zone*.

محمد الأمين البزاز

**بُوعَرْفَة**، مدينة منجمية تحولت إلى مدينة إدارية. وهو مثال فريد من نوعه في المغرب، ذلك أنها نشأت فجائيا على مشارف الصحراء الكبرى واستطاعت أن تستفيد بسرعة من الأزمة التي سببها توقف استغلال مناجمها، لتحتضن مقرّ المصالح الإدارية لإقليم فكَيگ، نظرا لموقعها المتطرف على الحدود المغربية الجزائرية.

توجد مدينة بوعرفة على بعد 75 كلم من تانْدْرارة و107 كلم من فكَيك و280 كلم من وجدة، على فجّ يخترق الشريط الجبلي البارز وسط الهضاب العليا الشاسعة، بين جبل بوعرفة 1885 م وجبل حْزَام الأحمر 1759 م. وما يبرّر هذا الموضع في منطقة قارية وقاحلة لا يتعدى فيها حجم التساقطات 100 ملم سنويا هو معدن المنغنيز (على بعد 4 كلم شمال المدينة) الذي يتخلل دولوميت اللياسي على شكل جيوب متقطعة من الأكداس المتفتتة.

من أجل نقل المنغنيز وتصديره عبر ميناء الغزوات الجزائري، عمدت السلطات الفرنسية إلى بناء سكة حديدية عادية سنة 1929 تربط بين وجدة وبوعرفة، وقد مدّتها إلى بشّار بالجزائر سنة 1941 ثم إلى القنادسة سنة 1948، لكن العمل بهذا الخط توقف منذ نهاية الستينات، بعد إغلاق المنجم، وكذلك الشأن بالنسبة للمحطات الحديدية الموجودة شمال وجنوب المدينة. منذ ذلك الوقت، أصبح كل الرّواج داخل الإقليم وخارجه يمر أساساً عبر الطريق الرئيسية رقم 19 نحو وجدة (الشمال) وفكَيگ (الجنوب الشرقي) والرشيدية (الجنوب الغربي) والطريق الثانوية نحو تالْسِينْت (الغرب) والطريق الثلاثية نحو واحة إشْ (الشرق).

وفضلا عن موقع مفترق الطرق الذي تحظى به المدينة فإنها تتوسط مجموعة من القبائل المنتمية إلى اتحاد بني گيل (أولاد بلحسن، أولاد مَحمد بن إبراهيم، أولاد عبدالكريم، أولاد مسعود، أولاد حاجي، أولاد العْمُور...)، وكلها قبائل رحل تتخذ محاطاً لها في الجنوب منخفض تامْلَكْت الصحراوي وفي الشمال الهضاب العليا الملتوية محليا وشطّ تيگْري، وهو أكبر شط في المغرب وأرطب وأغنى واحد بالإقليم.

استقر جزء من أفراد هذه القبائل بمدينة بوعرفة لأسباب اقتصادية وأخرى اضطرارية، بصفة خاصة بعد سنة 1971، حيث توالت على المنطقة عدة سنوات من القحط ؛ مما يفسر نموها السكاني السريع والمطرد ابتداءً من هذا التاريخ حيث تلعب الهجرة دوراً بنسبة 61،3٪ بين 1971 و1982 بالمقارنة مع مدينة فكَيگ التي تشهد نمواً بطيئاً.

| | 1960 | 1971 | 1982 |
|---|---|---|---|
| بوعرفة | 8775 | 6181 | 13471 |
| فكَيگ | 12108 | 13660 | 14542 |

إن هذه المعطيات الإحصائية وفترات تعداد السكان السابقة تبرز أن النزوح (والنزوح المضاد) يمثل العامل الرئيسي في النمو الديمغرافي، بارتباط وثيق مع الأنشطة الأساسية الثلاثة التي يمارسها سكان المدينة وأهل المنطقة.

ولما كانت بوعرفة عبارة عن واحة جدّ متواضعة وسوق صغير للماشية، فإن التنقيبات عن المعادن أخذت تتكثف منذ سنة 1920. وشرع سنة 1930 في استخراج المنغنيز ومعالجته محليا معالجة أولية لتركيز حمولته المعدنية بنسبة 33٪ ثم تصديره عبر ميناء الغزوات لاستعماله في صناعة بعض الأنواع الخاصّة من الفولاذ.

نتيجة لذلك، قفز عدد السكان في فترة الثلاثينات إلى زهاء ألف نسمة، لكن التطور الحضري الحقيقي سيتم خلال الأربعينات، مع تزايد إنتاج المنغنيز والشروع سنة 1950 في استغلال منجم النحاس بجبل الكْلَخ (على بعد حوالي 20 كلم نحو الشمال الشرقي)، وهو منجم قديم كان يزوّد الصناعة النحاسية بفاس، في تلك السنة وصل عدد سكان المدينة إلى 4755 نسمة. وفي نفس الفترة وضعت السلطات الاستعمارية مشروعاً اقتصاديا ضخماً يحمل اسم "منطقة التنظيم الصناعي بإفريقيا" (ZOIA) ويشمل المغرب الشرقي والصحراء الجزائرية الدنيا، لخلق منطقة صناعية كبرى تتوفر على الفحم بجرادة والقنادسة ومعادن متنوعة ببوبْكر وتويسِّيت وبوعرفة وتربطها سكة حديدية بين الغزوات ووجدة وبوعرفة وبشار والقنادسة.

إلا أن هذا المشروع لم ير النور لأسباب متعددة. كما أن نزول الأثمان في السوق العالمية وحدة المنافسة من طرف منغنيز إميني والاتحاد السوفياتي، وكذا ارتفاع تكاليف الإنتاج وصعوبة التسويق، كلها عوامل أدت إلى انخفاض إنتاج المنغنيز (بينما كان أوج الإنتاج بين سنتي 1950 و1956 بمقدار 80.000 طن سنويا)، بل وإلى إغلاق منجم بوعرفة ومنجم جبل الكْلَخ في نهاية الستينات، مما جعل عدد السكان يتراجع سنة 1971 بأكثر من 25٪. أما الآن، فيقتصر النشاط المنجمي على استغلال بعض المعادن بطريقة تقليدية في إطار تعاونيات تسوّق منتجاتها إلى "شركة الشراء والتنمية المعدنية لتافيلالت".

لم تمر سوى بضع سنين على الأزمة الاقتصادية والانهيار الدّيمغرافي حتى انتعشت المدينة من جديد بعد اختيارها مقراً لإقليم فكَيگ سنة 1974، فتضاعف عدد سكانها أكثر من مرتين بين 1971 و1982.

من جهة أخرى، وبما أن الزراعة شبه منعدمة في جماعة بوعرفة (حوالي 1500 هكتار فقط مزروعة تمثل 0،2٪ من المساحة الإجمالية)، فقد أصبحت مدينة بوعرفة محطّ توافد القبائل الرّحل التي ضعفت مراعيها (الحلفاء والشيح) وتقلصت تنقلاتها الشتوية (نحو وادي ملوية الوسطى) والربيعية (نحو هضاب الظهرة وفي الأودية المحلية) والصيفية (نحو مرتفعات الأطلس الكبير الشرقي) بسبب توالي سنوات الجفاف، وما زال بعض من استقر بها يمارسون الرعي والانتجاع داخل الإقليم بواسطة الشاحنات.

تنحصر المدينة حاليا داخل مثلث يتألف من ضلع شرقي (واد بوعرفة) وآخر غربي (مجرى موسمي) وقاعدة جنوبية في مستوى المحطة الحديدية القديمة لتامْلَلْت والحد الشمالي للمطار الصغير. وتتخذ تصميماً مروحياً تشع فيه ثلاثة محاور رئيسية نحو الجنوب (شارع المنكوب وزنقة وشارع المسيرة) يقطعها في الوسط محوز رئيسي يتجه نحو فگيگ والرشيدية.

أما توزيع الوحدات الحضرية فيعكس بالفعل أن الأمر يتعلق بمدينة إدارية بالدرجة الأولى، حيث تتجمّع المرافق الإدارية الإقليمية في معظم الأحياء.

1 ـ المركز المنجمي : لا زالت آثار التجهيزات المهجورة في الشمال بارزة بين المحطتين الحديديتين. وقد استوطنت حولها بعض المؤسسات المتنوعة : ثكنة القوات المساعدة والدرك ومركز نسوي ومدرسة ومنزل العامل ومنزل القائد ومصلحة فلاحية وورشة العمالة وخزان الماء....

2 ـ المدينة القديمة : تحتل النواة الحضرية الأصلية الجزء الغربي الشمالي والوسط، وهي عبارة عن حي سكني هش : حي الجبل في الشمال وحي الطوبة في الوسط، يفصل بينهما السوق المركزي.

3 ـ التوسع الأول : امتدت المدينة أولا بين شارع المنكوب في الغرب وشارع المسيرة في الوسط، وأفرزت نسيجاً حضرياً متنوعاً يضم بعض المصالح الإدارية والاقتصادية والاجتماعية : السوق الأسبوعي والشرطة والشبيبة والرياضة والمجازر... لكن المندوبيات والمصالح الإقليمية تتركز أكثر في الجزء الوسط الشرقي، على امتداد شارع المسيرة : البريد والدرك والقوات المسلحة والمسجد والمكتب الوطني للنقل والأشغال العمومية والمركز الصحي والإنعاش الوطني ومقر الجماعة ومدرسة ابن تاشفين والمكتب الوطني للكهرباء والتعاون الوطني والسينما... وفي الركن الجنوبي الشرقي من هذه الوحدة الحضرية بني حي سكني يحمل اسم الورد.

4 ـ التوسع الثاني : توسعت المدينة مؤخرا على مساحة شاسعة جنوب طريق فگيگ والرشيدية على مسافة كيلومترين. تنتشر في الجزء الغربي بعض المرافق الاجتماعية (ملعب ومدرسة المنجم ومركز التربية والتشغيل وثانوية ومستشفى ...)، لكن الحي الإداري الحديث في الجزء الشرقي هو الذي يتوفر على جل التجهيزات المتنوعة: الأشغال العمومية والدرك والمعادن ومندوبية التعليم والعمالة وسكنى العامل ومصلحة الضرائب وقاعة الحفلات والمحكمة والمديرية الإقليمية للفلاحة والخزينة العامة والتجهيزات والإنعاش الوطني ودار الطالب والمسجد والقباضة المالية ومصلحة تربية المواشي... وأخيراً تتجه المدينة نحو السكة الحديدية في الجنوب التي تفصلها عنها فراغات تتسع تدريجيا وبنايات عسكرية (ثكنة كبيرة ومجموعات سكنية لأعضاء الجيش والقوات المساعدة...).

*الإحصاء العام للسكان والسكنى*، مديرية الإحصاء، وزارة التخطيط، 1960، 1971، 1982 ؛ ع. بنرابح، *مدينة بوعرفة، دراسة مونغرافية*، بحث إجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس 1984 ـ 1985 ؛ جماعي، *دراسة اجتماعية للمناطق الصحراوية المغربية وتنميتها بين العوائق والحوافز*، بحث إجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1979 ـ 1980 ؛ ع. عيساوي، و م. بابا، *النشاط الرعوي بجنوب المغرب الشرقي*، بحث إجازة، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1986 ـ 1987.

*Bouarfa, Carte Topographique*, 1/100.000, Service Topographique, Ministère de l'Agriculture, Rabat, 1967 ; *Etude pour l'aménagement des terrains de parcours du Maroc Oriental*, M.A.R.A., ERES, Paris, 1972, 2 vol ; E. Herpin, *Géographie du Maroc Oriental, B.E.P.M*, 234, 43e année, Rabat, Fév. 1956, pp. 5 - 28 ; *Monographie de la province de Figuig*, Ministère de l'Intérieur, 1986 ; *Rapport sur l'étude des parcours dans la province de Figuig*, D.P.A., Oujda, 1984.

مصطفى عيّاد

**بُوعَرْگ**، أو بوعارگ (سبخة) تعتبر أكبر بحيرة ساحلية بالمغرب وأبرز عنصر جغرافي لموضع مدينة الناظور طولها 24 كلم ومساحتها 114 كلم$^2$. حجم المياه المتجمعة بها يقدر بحوالي 340.000 م$^3$. أما العمق فهو قليل إذ يقدر متوسطه بأربعة أمتار ولا يتعدى ثمانية أمتار.

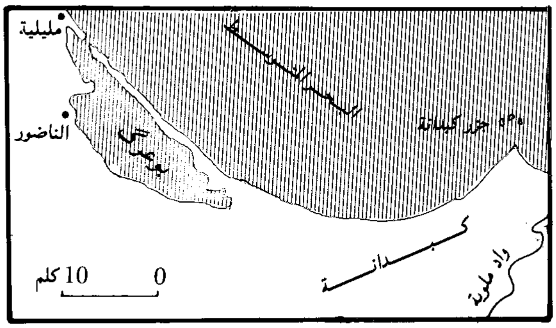


موقع بوعرگ

يفصلها عن البحر المتوسط سهم رملي ساحلي يصل طوله إلى 27 كلم بينما يتراوح عرضه ما بين 500 و1.500 م. ويتكون هذا السهم من كثبان رملية متصلبة ترتكز عليها كثبان رملية حديثة حية. ينفتح هذا السهم في جزئه الشمالي ـ الغربي ليصل بين مياه البحر ومياه البحيرة عبر ممر مائي.. وهكذا فإن البحيرة هي عبارة عن منظومة بيئية خاصة ترتكز على المزج بين مياه البحر ومياه القارة. غير أن هذا الممر ينغلق باستمرار نتيجة العواصف البحرية التي تحمل كميات هامة من الرمال. فقد كان اتساع هذا الممر لايتعدى 50 م سنة 1399 / 1978. ثم انغلق نتيجة عواصف شتاء نفس السنة ودامت الوضعية كذلك حتى سنة 1403 / 1982 حيث انفتح من جديد من جراء عواصف عنيفة جداً جعلت عرضه يصل إلى 200 م وزادت بذلك في حجم المياه وعنف التيارات القادمة من البحر. وبالطبع فإن نتائج هذه التغيرات تقلبات مهمة على مستوى المنظومة البحيرية التي تسجل تطورات من حيث نوعية وكمية الحيوانات والنباتات التي تعيش بالبحيرة. ونظراً لأهمية استمرار الاتصال بين البحر والبحيرة فقد تمت تقوية الممر الذي انفتح سنة 1982 بإقامة تجهيزات اصطناعية لمنع انغلاقه من جديد.

ورغم أن استغلال البحيرة مازال لم يصل إلى المستوى المرغوب فيه فإنه يلعب دوراً اقتصادياً لا بأس به على الصعيد المحلي. يعتبر الصيد بالبحيرة نشاطاً اقتصادياً تقليدياً إذ يوفر سنوياً للصيادين المحليين البالغ عددهم 2.000 صياد، ما يقرب من 600 طن من الأسماك والقشريات. كما أن هناك نشاطاً ثانوياً لاستخراج الملح.

وتتلخص الأنشطة المستقبلية لسبخة بوعرگ في تربية الأسماك والسياحة. فبالاضافة إلى المياه الهادئة والدافئة يعتبر السهم الرملي أكبر شاطئ رملي للمنطقة. وهو ذو واجهتين : واجهة بحرية وأخرى بُحيرية. ويستقطب هذا الشاطئ العديد من السواح المغاربة غير أن هذه المؤهلات السياحية المهمة مازالت لم تستغل استغلالا حديثاً.

وما من شك أن تعثر الإعداد السياحي بالمنطقة يفسر بتطور نشاط تربية الأسماك، هذا النشاط الذي ينافس القطاع السياحي. فقد خلصت دراسات تقنية أقيمت ما بين سنة 1981 وسنة 1984 همت كل البحيرات الساحلية وبعض الخلجان (مولاي بوسلهام، الوليدية، بوعرگ، طرفاية، بوجدور، الداخلة) إلى إمكانية إنشاء مؤسسة عصرية لتربية الأسماك والصدفيات بسبخة بوعرگ. وهكذا أسست سنة 1406 / 1985 شركة حرة (ماروست) تابعة "لأمنيوم شمال افريقيا"، عُهد إليها باستغلال 12.000 هكتار من مساحة البحيرة لتطوير تربية الأسبوريات (كسمك المرجان) والقاروس والسلور، وكذا الصدفيات والأربيان. تشغِّل شركة ماروسط حاليا 240 عاملا دائماً بالاضافة إلى عدد مهم من العمال الموسميين، كما تُنتج سنوياً 230 طناً من الأسماك الأسبورية و200 طناً من الصدفيات و80 طناً من السلور وطناً واحداً من الأربيان. وتخطط الشركة، التي مازالت في مرحلتها الانتاجية الأولى لكي يصل انتاجها إلى 1.500 طن من الأسماك تحتاج إلى 600 عامل دائم. ويسوق جل الإنتاج إلى أوربا (إيطاليا، إسبانيا).

غير أن توسع هذا النشاط الحديث يضع مشكلين أساسيين، الأول اجتماعي والثاني بيئي. فتصنيع 120 كلم$^2$ من مساحة البحيرة يقع على حساب الأنشطة الأخرى كالصيد التقليدي الذي فقد هذه المساحات. أما وجود تجمع حضري ضخم بجوار بحيرة ساحلية شبه مغلقة فيطرح مشكل مراقبة تلوث هذا الوسط الذي يتلقى المياه الفاسدة القادمة من مدينة الناظور. من أجل هذه المراقبة أقيمت بمدينة الناظور محطة لمعالجة الماء الحار تعتبر من المحطات القلائل بالمغرب التي تسير سيراً عادياً ومرضياً. وقد شُرع في استغلال هذه المحطة من طرف المصالح التقنية للبلدية منذ سنة 1980 ثم تَم توسيعها في أواخر الثمانينات قصد تفويت تسييرها إلى وكالة توزيع الماء الصالح للشرب. غير أن طاقة المحطة ستعجز بسرعة عن معالجة كل المياه الفاسدة التي تنتجها مدينة الناظور. فقد قدرت الدراسات التقنية تطور صبيب المياه الفاسدة لمدينة الناظور وحدها على هذا الشكل :

| | |
|---|---|
| 1990 | 14.540 متر مكعب في اليوم |
| 1995 | 19.560 " " " " |
| 2000 | 26.100 " " " " |
| 2005 | 23.200 " " " " |

بينما ستصل طاقة المحطة بعد الانتهاء من توسيعها إلى معالجة 10.000 م$^3$ في اليوم. هذا في وقت يقترح فيه التصميم المديري للتجمع الحضري لمدينة الناظور ربط شبكة الواد الحار لمركز أزغَنْغان بشبكة مدينة الناظور والزيادة بالتالي في حجم المياه الفاسدة التي يجب معالجتها قبل الالقاء بها بالبحيرة. وينتج عن هذا التفاوت بين طاقة المحطة وحجم التدفقات الحضرية توصل البحرية بمياه معالجتها غير كافية إذ ما زالت غنية بمواد أزوطية ملوثة. هذا ويجب إضافة مصادر تلوث أخرى تهدد البحيرة كبعض الأحياء التي تلقي بمياهها الفاسدة مباشرة بالبحيرة والعديد من الدور التي تستعمل الحُفر والآبار الغير المرتبطة بشبكة الواد الحار والتي تتصل حمولتها بمياه البحيرة عن طريق التسرب ومياه الأمطار السائلة التي تصل إلى السبخة بعد عبور المزبلات المنتشرة بضواحي المدينة وأخيراً واد سلوان الذي يتلقى المياه الفاسدة لمركزي سلوان وجبل العروي وخاصة مياه معمل كبير لتصبير السمك لينقلها بدوره إلى السبخة. ويساهم النشاط الفلاحي كذلك في هذا التلوث عن طريق وصول المخصبات كالأسمدة ومواد معالجة النباتات كالمبيدات المستعملة بكثرة بالقطاع السقوي لبوعرگ القريب جداً من البحيرة.

*التصميم التوجيهي لتهيئة المجموعة الحضرية للناظور*، مديرية التعمير وإعداد التراب الوطني والبيئة 1988 ؛ *شركة ماروسط*، استجواب أكتوبر 1990.

محمد بريان

من الناحية التاريخية هناك وثائق إسبانية تشهد بأن الاسبانيين منذ احتلالهم لمدينة مليلية سنة 1797/903 وهم يفكرون في الاستيلاء على بحيرة بوعرگ، ولعل أول رسم لها هي الخريطة التي وضعتها المصلحة المختصة التابعة للبحرية العسكرية الإسبانية سنة 1564/971، وعلى إثر هذه الخريطة وضع في البلاط الملكي الإسباني مشروع بتاريخ 20 أكتوبر 1571 يقضي "بضرورة العمل على احتلال البحيرة وضمها إلى الممتلكات الإسبانية بأرض افريقيا".

وكما تعرف البحيرة بسبخة بوعرگ تُعرف أيضاً بسبخة الگرت، ونجد ذكرها في خريطة الملاحة التي وضعها بيطروس فيسكونطي Petrus Vesconte سنتي 1311 و1318 م باسم مملحة Salline وفي خريطة هومين Homen لسنة 1572 م باسم مملحة Salini كما نجدها في خريطة خوان مرطينير Juan Martiner الموضوعة سنة 1579 م باسم بورطو نوفو Porto Novo أي الميناء الجديد، وأما اليوم فإنها تعرف عند الإسبان بمارشيكا Marchica (البحر الصغير).

وهناك شبه جزيرة بُوعَرگ على شكل لسان يفصل

بحيرة بوعرگ عن البحر المتوسط طوله عشرون كيلومتراً وعرضه نحو ثلاثمائة متر، وقد أطلق عليه الإسبان اسم فرضة طوفينيو Restinga de Tofiño وطوفينيو هذا هو اسم الخبير الإسباني في الشؤون البحرية Vicente Tofiño الذي سمح له السلطان سيدي محمد بن عبدالله بوضع خريطة لشواطىء المغرب الموالية للبحر المتوسط ولتخليد الجولة التي قام بها البحار المذكور أطلق الإسبان اسمه على شبه جزيرة بوعرگ سنة 1786 م.

وبهذه الجزيرة أنشأ الروگي بوحمارة سنة 1908 م حصناً باتفاق مع بعض المغامرين الفرنسيين الذين كانوا يزودونه بالسلاح والمعدات الحربية، وقد أطلق عليه اسم "المحمدية" وسماه الإسبانيون بحصن الفرضة Fuerte Restinga ويقول عنه صاحب *معلمة المدن والقبائل* (ص 258 و356) - خطأ - إنهم أطلقوا عليه اسم "مارتشيكا" (يعني Marchica أو البحر الأحمر) وذلك لأن Marchica هو اسم البحيرة لا اسم شبه الجزيرة ولا الحصن.

وعندما قررت إسبانيا القيام باعتداء جديد على التراب المغربي بناحية مليلة اختارت حصن بوعرگ فقامت باحتلاله يوم 9 محرم 1326/14 فبراير 1908 وبالرغم من الاحتجاجات الشديدة التي قامت بها حكومة المغرب آنذاك فإن الجيش الإسباني لم ينسحب من الحصن المذكور إلا في شهر ذي القعدة 1375/يونيو 1956.

ع. بنعبدالله، *معلمة المدن والقبائل*، 258 ، 356.

Petrus Vesconte, *Carta marinera 1311 y 1318*; *Homen Portulado*, Venecia 1572; J. Martinez, *Portulano*, Messina 1579; Coello, *Mapa de las posesiones españolas en Africa*, Madrid, 1850; G. Delbrel, *Geografia general de la provincia del Rif*, Melilla 1911; Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos historicos de Marruecos*, Madrid, 1913; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 47; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan 1951, p. 62; Comision historica de las campañas de Marruecos (protectorados y posesiones de España en Africa) Madrid, 1936; Tofiño de San Miguel, *Derrotero de Las Costas de España*, Madrid, 1847.

محمد ابن عزوز حكيم

**بُوعَرْوَة**، (سيدي -) أو أبوعروة الزبير بن أحمد بن محمد (ثلاث مرات من قبيلة سفيان، قدم أجداده إلى دكالة في عهد السلطان الموحدي يعقوب بن يوسف. كان سيدي بوعروة غزير العلم مقداما في الحرب، ساهم في المعارك التي شُنَّت على البرتغاليين أيام السلطان السعدي عبد الله الغالب ابن محمد الشيخ، وبعد انصراف تلك الجيوش ظل سيدي بوعروة مرابطا يحارب البرتغاليين المحتلين لمدينة البريجة إلى أن توفي سنة 971 / 1563 ودفن بالهمامدة بالقرب من الجديدة ؛ وعلى قبره بناء متواضع.

سلسلة *مدن وقبائل المغرب*، ج 10، دكالة، تر. م. الشياظمي.

محمد الشياظمي

**البوعزاوي**، أسرة نبيلة تنتسب إلى الولي الشهير مولاي بوعزة (أبي يعزى تـ. 572 / 76 . 1177) دفين تاغية بالأطلس المتوسط بين وادزم وخنيفرة. يوجد البوعزاويون في عدة مدن وبواد مغربية، وبخاصة فاس وسلا، وهم ذوو مروءة واستقامة، وفيهم فقهاء وعدولٌ وتجار وحرفيون.

**البوعزاوي، أحمد** بن محمد المهدي بن محمد بن العباس بن صابر الفاسي. كان قبيلُه يعرفون بأولاد ابن صابر، ثم صاروا يعرفون بأولاد ابن العباس، لذلك كثيراً ما يكتب اسمه أحمد بن العباس البوعزاوي، فقيه أديب لغوي مشارك واعية. ولد بمدينة فاس عام 1271 / 54 . 1855، وبها حفظ القرآن وتعلم مبادئ اللغة والدين قبل أن يلتحق بالقرويين للأخذ عن أعلامها أمثال المدني ابن جلون، ومحمد بن عبد الرحمن العلوي قاضي الجماعة بفاس، ومحمد ابن المدني گنون، وعبد الرحمن الشرفي، وأحمد بناني كلا وغيرهم كثير ممن اشتملت عليهم مجموعة *إجازاته*.

انقطع أحمد البوعزاوي للعلم منذ صباه إلى مماته، لا يكاد يفتر عن المطالعة والتقييد والتأليف، إلا أنه كان قليل التدريس لضيق في عبارته. وأُسندت إليه مهمة الإشراف على خزانة القرويين فكان القيم عليها مدة، نظَّم أسفارها، وكمَّل نقص بعض مخطوطاتها نسخاً بخطه المليح الدقيق. وقد تحامل عليه - زوراً وبهتاناً - أحمد النميشي في مسامرته *الشعر والشعراء* بفاس ورماه بالعبث بكتب القرويين إبان إشرافه عليها. وأبان عبد السلام ابن سودة في *سل النصال* أسباب هذا التحامل المادية النفعية، وأكد بناء على حضوره بيع خزانة البوعزاوي بعد موته بالمزاد العلني أنه لم يوجد فيها شيء من كتب القرويين.

ألف أحمد البوعزاوي عدداً من الكتب في مختلف الموضوعات، منها *كتاب في ترجمة جده الشيخ أبي يعزى* في ثلاثة أجزاء، ومجموعة *فتاوى* أثبت فيها أجوبته وأجوبة غيره من معاصريه الفقهاء، في ثمانية أجزاء، ومجموعة *إجازاته*، وهي شبه فهرس لشيوخه الكثيرين الفاسيين وغيرهم، لأنه كان شغوفاً بالرواية والسند، و*اختصار البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية*، لسليمان الحوات.

وانتسخ بخطه الدقيق الجميل عدداً كثيراً من مؤلفات المغاربة، لا سيما الصغيرة، وهو من العلماء الفاسيين الذين ساعدوا المطبعة الحجرية بالنسخ والتصحيح. وأشرف على طبع *المعيار* للونشريسي وتصحيحه عام 1315 / 1897 في اثني عشر جزءاً (4289 صفحة)، وكتب ترجمة المؤلف الونشريسي في بداية الجزء الأول موثقة منسوبة في أربع صفحات، كما كتب خاتمة في صفحتين مبيناً قيمة الكتاب، وما بذله من جهد في البحث عن مخطوطاته العتيقة الجيدة للاعتماد عليها في الطبع والمقابلة، فكانت بذلك نسخة *المعيار* المطبوعة "أحسن وأصح وأنفع" واعتذر عما بقي فيه من نقص وتصحيف بقصيدة من صنف نظم الفقهاء مشتكياً من صروف الدهر وتراكم الخطوب.

توفي بفاس صبيحة يوم الأربعاء عاشر ذي الحجة عام 1337 / 3 شتنبر 1919 ودفن بداخل روضة الشيخ محمد ابن

عباد بكدية البراطيل داخل باب الفتوح.

*معيار الونشريسي*، الطبعة الحجرية، ج 1، التقديم، ج 12، الخاتمة ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : 175 ؛ أ. النميشي، *الشعر والشعراء بفاس* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1337 ؛ *سل النصال*، الترجمة 32.

**البوعزاوي، محمد** بن **بناصر** السلوي. من رجال البحر المجاهدين، ورد اسمه تحت عدد 25 في قائمة "الطبجية الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا" الذين نالوا صلة ملكية بتاريخ 28 ذي الحجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894، كما ورد اسمه في لائحة الطبجية السلويين الموجهين للحركة السلطانية في 2 ذي الحجة عام 1318 / 23 مارس 1901 بصفته أحد نائبي قائدي المائة الطاهر بن دحمان والحاج عبد الله بن دحمان.

**البوعزاوي، محمد** بن **بوعزة** الفاسي، فقيه أستاذ، وشيخ صالح، من حفده الشيخ مولاي بوعزة دفين تاغيا. أخذ مباشرة عن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وتربّى به حتى صار من الأولياء الكبار، وقضى حياته في التدريس والوعظ وتربية المريدين، قال عنه معاصره الشيخ جعفر الكتاني : "صاحب جد واجتهاد ومعرفة بطريق القوم ذوقاً ووجداً، حسن السياسة والتعليم للجاهل، والتنبيه للغافل".

توفي بفاس يوم الخميس عشري ربيع الأول عام 1270 / 21 دجنبر 1853 ودفن بروضة أولاد الهزاز بباب الحمراء داخل باب الفتوح.

ج. الكتاني، *الشرب المحتضر*، طبعة حجرية بفاس، 24 ـ 25 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، 1270 ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 222 ـ 260.

محمد حجي

**البوعزاوي، محمد بن الطيب** شيخ الطريقة البوعزاوية في الشاوية. تختلف المصادر حول أصله. لكنها تتفق على أنه من حفدة الشيخ الكبير مولاي بوعزة دفين تاغيا، وأن ظهوره كان بقبيلة مزاب ثم هاجر قبيلته، بعد ذلك، واستقر في قبيلة أولاد سعيد بالشاوية حيث أسس زاويته المشهورة.

ولد محمد بن الطيب البوعزاوي ـ حسب بعض الروايات ـ في دوار أولاد شبانة أو دوار البهالة بقبيلة مزاب، وبعد تعلمه أصبح كاتبا عند القائد الحاج أحمد بأولاد ابن عريق. وتضيف هذه الرواية أن وظيفته ساعدته على ربط علاقات مع بعض كتّاب السلطان، وبفضل هذه العلاقات انتقل إلى فاس حيث عاش وسط رجال المخزن إلى حدود عام 1308/1890 ـ 1891. ولما رجع إلى مسقط رأسه اشتهر بصلاحه وتدينه وبدأ يفكر في تأسيس طريقة صوفية خاصة. وتشير رواية أخرى إلى أن الشيخ البوعزاوي، كان حوالي عام 1294 / 1877 يدرس بفاس، ولما أنهى دراسته، رجع إلى بلاده حيث اشتهر وأسس الزاوية البوعزاوية (Martin, *Quatre siècles*).

ومهما يكن من أمر، فمن مقابلة الروايات المختلفة التي تعرضت لذكر الشيخ البوعزاوي ونشاطه بالشاوية، بما في ذلك الرواية الشفوية التي تلقيناها من سكان المنطقة، يظهر أن محمد بن الطيب البوعزاوي أكمل تعليمه بفاس وأنه كان معاصراً للشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني وأخيه عبدالحي الكتاني. ونستفيد من بعض الإشارات، التي وردت في الوثائق الرسمية للمخزن، أن محمد بن الطيب البوعزاوي، كان مدرساً محسوباً على المخزن، إذ تنعته تلك الوثائق بالأستاذ، وينفذ له المخزن بعض ما يحتاج إليه.

يعني كل هذا أن الشيخ البوعزاوي كان قادراً على أن يتولى وظيفاً رسمياً لو سعى إليه، لكنه فضّل البقاء بين ذويه يتعاطى التعليم. ثم تبين له أن بإمكانه أن يلعب دوراً اجتماعياً ودينياً أكبر في وسطه البدوي، بتأسيس طائفة دينية يكون زعيمها الروحي.

الدور الديني للبوعزاوي : يظهر أن دعاية البوعزاوي لطائفة جديدة في الشاوية عامة، وقبيلة مزاب الكبرى التي كانت تضم قبيلة الأعشاش بصفة خاصة، لم تصادف نجاحاً في بدايتها. ذلك أن هذه القبائل كانت مسرحاً لاضطرابات قُبيل وعقب وفاة السلطان مولاي الحسن مباشرة 1311/ 1894. لقد تعرضت قبيلة مزاب لهجومات متوالية من طرف إخوانهم الأعشاش تارة، ومن طرف قبائل أولاد حريز والمذاكرة تارة أخرى. وخلال هذه الفتن يظهر أن الزاوية التي أسسها محمد بن الطيب في البداية بمزاب تعرضت للضرر، أي أن مشروع الشيخ في مسقط رأسه قد فشل. ولهذا انتقل البوعزاوي المدرس إلى قبيلة أولاد سعيد التي توجد غرب مدينة سطات، وهناك طاب له المقام وأسس زاويته المعروفة. وفي هذه الزاوية اشتهر أمرُه وذاع صيته بين قبائل الشاوية والقبائل المجاورة، وتكاثر مريدوه. ذكر القاضي العربي العزوزي، أن الشيخ البوعزاوي الذي كان في ابتداء أمره مشتغلا بالتدريس مال إلى طريق الصوفية وتبحر في فهم علومها وأنه "أفنى عمره في إرشاد الخلق وتلقين الأوراد".

وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ البوعزاوي، تعاطى التأليف أيضاً، ومن المؤلفات التي تنسب إليه، *رسالة المريد في منهل أهل التجريد* ؛ *والنحو المطلوب في شمائل النبي المحبوب*. وله كذلك *قصائد* يحفظها مريدوه.

وبالجملة أخذت الطريقة البوعزاوية، ابتداء من سنة 1321 / 1903، تكتسح منطقة الشاوية على الخصوص على حساب الطوائف الأخرى، حين بدأ الشيخ البوعزاوي يظهر على مسرح الأحداث وارتبط ذكره بفتن الشاوية واضطراباتها وبأحداثها الاجتماعية والسياسية.

وإذا كانت تلك الاضطرابات في حقيقتها تمثل ردود فعل شعبية ضد الاستغلال الأجنبي واستبداد قواد المخزن في ظروف فتنة بوحمارة، فإن دور المرابط الشاوي فيها تعدى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى المساهمة في توجيهها، عن طريق تأثيره المباشر على بعض زعماء الانتفاضة الذين كان عدد منهم واقفاً عند إشارته (1903.

1907) لأن معظمهم كانوا مقدمين في قبائلهم يجمعون بين الزعامة العسكرية والدينية، أي أنهم كانوا مجاهدين يقودون فرقهم للدفاع عن مصالح الجماعة. وهم الذين قادوا قبائلهم في الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي ابتداء من غشت سنة 1907.

البوعزاوي والدعوة للجهاد : الواقع أن دعاية المرابط الشاوي المضادة للتدخل الأجنبي لم تتضح إلا في صيف سنة 1906. ففي تلك السنة بدأت تقارير القناصل الأجانب بالدارالبيضاء، وخاصة تقارير القنصل الفرنسي، تتحدث عن نشاط الشيخ البوعزاوي بالشاوية. وأشارت إلى أنه سيتزعّم حركة عامة ضد الدارالبيضاء. اتهم القنصل الفرنسي الشيخ البوعزاوي بالتعصب، كما اتهم قائد الدارالبيضاء أبا بكر بن بوزيد بالعجز والتعصب أيضا. وإذا كنا نتفهم اتهامات القنصل الفرنسي التي كانت تجري ضمن مخطط استعماري مدروس لإظهار عجز المغرب عن حماية الأمن، بهدف التمهيد للتدخل الفرنسي، فالجدير بالإشارة أن تحرك الشاوية سنة 1906 . 1907 وتردد كلمة الجهاد بها كان يجري في إطار حركة شعبية عامة معارضة لمقررات مؤتمر الجزيرة، ورافضة لمظاهر التدخل الأجنبي في الشؤون المغربية، ومن أبرز مؤشرات هذه الحركة، زيارة الشيخ ماء العينين الشنقيطي للسلطان مولاي عبدالعزيز بفاس صيف سنة 1906، ومروره بالشاوية ودعوته إلى معارضة الأطماع الفرنسية. واستدعاء الشيخ البوعزاوي من طرف مولاي عبدالحفيظ حيث استقبله بمراكش بين ماي ويونيو سنة 1906.

يستنتج من كل ذلك أنّ نشاط الشيخ البوعزاوي لم يكن نشاط رجل دين متعصب ضد النصارى، بل إنه نشاط لم يزد على أن ساهم ـ كغيره من زعماء الشاوية ـ في تيار شعبي متحرك. ودعا إلى الاتحاد والائتلاف بين جميع القبائل ضد تدخل الأجانب وأطماعهم في المغرب.

ولقد اتضح دور البوعزاوي في جهاد الشاوية منذ نزول القوات الفرنسية بالدارالبيضاء في غشت سنة 1907 إذ ساهم في تنظيم المجاهدين وإمدادهم بالمشورة وبالسلاح، خاصة لما أصبح ممثلا للسلطان مولاي عبدالحفيظ، الذي أعلن الجهاد بعد عزل أخيه وعسكر قرب الشاوية للحصول على جلاء القوات الفرنسية عنها.

ولما تمكن الفرنسيون من بسط سيطرتهم على بلاد الشاوية، هاجر الشيخ البوعزاوي إلى مدينة مراكش. وعلى الرغم من ذلك ظل الفرنسيون يعدُّونه من بين أعدائهم، مثلُه في ذلك مثلُ زعماء الجهاد الذين هاجروا إلي مراكش أو إلى فاس مع مولاي عبدالحفيظ.

إن نشاط الشيخ البوعزاوي. المعارض للاحتلال الفرنسي قد زاد من شهرته ومن أعداد مريدي طريقته، على عكس بعض الطوائف الأخرى التي تعاونت مع المحتلين مما أدي إلى أفول نجمها بالشاوية.

وخلال أحداث سنتي 1911 . 1912، حيث تبين أن الفرنسيين في طريقهم للسيطرة على المغرب كله، سعى الشيخ البوعزاوي إلى الحصول على الحماية الألمانية فنالها سنة 1912، على الرغم من احتجاجات الفرنسيين، لكنه لم يلبث أن توفي بمراكش عام 1333 / 1914، فخلفه ابنه الحاج محمد المهدي، على رأس الزاوية البوعزاوية.

وثائق رسمية مغربية، وأخرى من الحربية الفرنسية ؛ ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية المشاهر*، مخطوط ؛ ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة المغربية بالمغرب* 1894 . 1910 ؛ حادثة الدارالبيضاء واحتلال الشاوية، 1991 ؛ الكوكب الضاوي، مخطوط.

E. Mège, *Les Mzab et les Achaches, A. M.* ; *Villes et tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, T. I - II, 1918 ; A.G.P. Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaine*, 192.

علال الخديمي

**البوعزاوي، محمد بن محمد** السلاوي، فقيه عدل موثق، كان منتصباً للشهادة بمسقط رأسه، وكان يشهد أيضاً في الرباط أيام السلطان المولى سليمان حسبما جاء في *تاريخ الدولة السعيدة*. ولعل ذلك في فترة من الفترات التي كان فيها قاض واحد للعدوتين معاً.

توفي بعد عام 1248 / 1832.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، 366 ؛ م. بوشعراء، *ملاحق الاتحاف الوجيز*، 154.

محمد حجي

**البوعزاوية**، طريقة صوفية تنتسب إلى الشيخ محمد بن الطيب البوعزاوي الشاوي سابق الترجمة. وقد ظهرت هذه الطريقة عندما أسس الشيخ المذكور زاوية بقبيلة مزْاب حوالي عام 1316/1898 ثم بقبيلة أولاد سعيد غرب مدينة سطات. وعرفت نمواً سريعاً وانتشاراً واسعاً في قبائل الشاوية خاصة. واقترن هذا الانتشار بالاضطرابات التي شهدتها بلاد الشاوية منذ 1903، وازداد انتشار الطريقة البوعزاوية على حساب الطرق الأخرى مثل الشرقاوية والكتانية، خلال فترة الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي ابتداء من سنة 1906. لأن الشيخ البوعزاوي كان من زعماء الجهاد بالشاوية كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

لقد أحصى الفرنسيون، خلال الحرب العالمية الأولى، عدد المريدين والمقدمين التابعين للطائفة البوعزاوية، فوجدوا أن عددهم يصل إلى 2235 مريد و51 مقدماً بقبيلتي مزاب والأعشاش فقط، وهذا عدد كثير إذا قورن مثلا بعدد مريدي الطوائف الأخرى، فالكتانيون مثلاً لم يكن لهم بهاتين القبيلتين سوى مقدمين. وكذلك الطائفة الشرقاوية التي كانت منتشرة انتشاراً واسعاً قبل الاحتلال الفرنسي تراجعت.

كان مقدمو الطريقة البوعزاوية يجنّدون الأتباع، وينشرون مبادئ الطريقة، لكنهم لم يكن من حقهم منح الأوراد التي كان الشيخ وحده المؤهل لإدخال المريد رسمياً في الطائفة عن طريق منحه الورد خلال زياراته المتكررة.

للطريقة البوعزاوية عدة أوراد : ورد للعامة وأوراد للخاصة. وكان المريدون يجتمعون كل يوم جمعة، في أماكن

معينة، مثل الأضرحة أو عند مقدميهم لقراءة الورد البوعزاوي وللتحدث عن الطائفة وأحوال أعضائها، وحول الأمور السياسية الوقتية.

فقد أشارت الروايات الفرنسية إلى أن البوعزاويين بالرغم من مظهرهم المسالم للاحتلال الفرنسي فإنهم منطوون على كراهية الفرنسيين، وأن دعواتهم كانت تنتهي دائماً بهذه العبارة : "اللهم ارم الفرنسيين وراء البحر واجعل علم الإسلام خفاقاً وحده فوق المغرب".

والملاحظ أن الورد البوعزاوي للعامة بسيط كما يفهم من الإجازة التالية المنسوبة إلى الشيخ محمد المهدي الذي خلف أباه الشيخ محمد بن الطيب البوعزاوي، على رأس الطائفة بعد وفاته سنة 1333 / 1914 : "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. يُعلم من هذا أننا أذنَّا لأخينا في الله والمحب من أجله سيدي [فلان] ذكر الله وجميع أوراد والدنا وخصوصاً ورده للعامة وهو :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً (3) أستغفر الله مائتين (200) اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلِّم مائتين (200) لا إله إلا الله ستمائة (600) وعلى رأس كل مائة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم...".

وتجدر الإشارة إلى أن الطريقة البوعزاوية، انتشرت في القبائل المجاورة للشاوية كدكالة وزعير. لكن أتباعها في زعير محدودون في القبائل المجاورة للشاوية مثل الرواشد والحلاليف والغوالم والنغامشة.

وأن الخلاف الحاد نشب بين شيخ الطريقة البوعزاوية وشيخ الطريقة الكتانية اللذين كان كلاهما من أتباع الطريقة الدرقاوية في البداية. الأمر الذي دفع عبدالحي الكتاني إلى العمل على إغلاق الزاوية البوعزاوية واعتبارها قد اتُّخذت ضراراً للزاوية الكتانية.

E. Mège, *Les Mzab et les Achaches*, *A. B.*, 1918 ; *Villes et Tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, T. I - II ; *Les Doukala*, p. 116, *Rabat et sa région*, p. 160 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, 1951, p. 103 et 272.

علال الخديمي

**بوعزة** (مولاي ـ)، بهذا الاسم يعرفه عامة الناس. هو صاحب الضريح المزار في أعلى جبل تاغيا الذي يصعد إليه من خنيفرة أو من وادزم أو من الرباط. عاش في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وتوفي في فاتح شوال عام 572 / أبريل 1177، بعد أن عمر مائة عام وثلاثين سنة على الأقل. كان له ولد اسمه إعَزّ أو يعْزَى وهي صيغة أمازيغية في العزيز. أما اسمه عند كتاب مناقبه فهو يلنُّورْ (إلـ النور) أي ذو النور. ولا شيء يؤكد أن هذا الاسم هو اسمه قبل أن تلوح أنواره، أي قبل أن يصير شيخا مقصودا معتقدا فيه. ولكن المؤكد هو أنه لم يدع الانتساب إلى الشرف ولم ينسبه إليه معاصروه، وإنما تكفل بذلك أهل القرون المتأخرة الذين قدموا اسمه بلقب "مولاي".

وينسب إلى الطلعاء عبد الحي الكتاني رسالة في نفي هذه النسبة عن المترجم عنوانها *الاستهزا بمن يدعي الشرف لأبي يعزى*.

اشتهر أبو يعزى وكَتَب مناقبَه معاصرُه محمد بن عبد الكريم التميمي المتوفى بفاس عام 603 أو عام 604 هـ في كتابه *المستفاد في ذكر الصالحين والعُبَّاد بفاس وما يليها من البلاد*. قال إنه رأى أبا يعزى في زيارة قام بها هذا الشيخ إلى فاس، وكان التميمي ولدا صغيرا حمله والده ليتبرك بأبي يعزى. ورآه ثانية بمراكش لما استدعاه عبد المومن الموحدي للتحقيق السياسي لما كثر اجتماع الناس عليه وتوجههم إليه فحبسه مدة بصومعة الجامع الكبير ثم سرحه. أما المرة الثالثة التي لقي فيها التميمي الشيخ أبا يعزى فكانت في مقر الشيخ بجبل إرُوگَّانْ، وهذا هو الاسم الذي عرف به الجبل الذي به ضريحه اليوم. أقام التميمي أياما عند الشيخ وراقب أحواله وكتب عنه مشترطا ألا يذكر إلاّ ما شاهده هو بنفسه وسماه بشيخ المغرب، وذكر شهرته بإجابة الدعوة والفراسة الصادقة. يكتفي في مأكله بالحشائش وأوراق الدفلى ودقيق البلوط. كان مقامه بالجبل يتكون من دار ومسجد ولا يجاوره أحد. كان يداوي المصروعين ويتكلم على الخاطر. لا يحفظ من القرآن غير ما يصلي به ولا يتكلم إلا باللسان الغربي (لسان البربر)، وكل من لا يعرف هذا اللسان من زواره احتاج معه إلى مترجم. كان أسود اللون لا يلبس إلا جبة من الشعر المطرق وشاشيته من العزف وقد احترقت رجلاه من ثلج الجبال لما كان سائحاً بها قبل النزول إلى السهل ليخدم أبا شعيب السارية الذي بأزمور وغيره من الشيوخ. وقد ذكر التميمي كثرة زوار أبي يعزى وعناية القبائل التي على الطريق إليه بأولئك الزوار، وذكر أن الشعراء التي تحيط بداره مليئة بالسباع ولكنها لا تعتدي على زوار أبي يعزى ولا تخيفهم.

بلغ صيت هذا الشيخ بلاد المشرق فقيل إن معاصره الشيخ عبدالقادر الجيلاني سئل عن قرين له في المقام فقال: رجل عجمي بالمغرب يحمل شاشيته من العزف. وبلغ ذكره الأندلس حيث يشير إليه صاحب *السر المصون* الذي ذكر أن عمره عند ذلك مائة وخمسة وعشرون عاما وأن أخبار كراماته طبقت الآفاق.

كتب يوسف التادلي مناقب أبي يعزى في كتابه *التشوف*، وهو لم يدرك الشيخ حيث ألف تلك الأخبار عام 617 هـ ولكنه أخذها رواية بالسند عمن أدركوا أبا يعزى أو أدركوا أصحابه. وفي ما جاء عند التادلي أن هذا الشيخ من هسكورة أهل الجبل المطل على دمنات. أورد يوسف ابن الزيات هذا اخباراً لم ترد عند التميمي تخص احوال ابي يعزى ولكنها لا تضيف شيئا ذا بال إلى ما ورد عند التميمي. ولكن يستفاد من مزيد الكرامات التي نسبها إليه أن أبا يعزى كان له أسلوب في التعامل متناسب مع مقضيات إدماج أهل القبائل في حياة الامتثال للشرع برهبة

الدعاء وهيبة الكرامة وسطوة المكاشفة.

كان لأبي يعزى زوار وأصحاب ولم يرد ما يدل بوضوح على أنه كان صاحب إذن في أوراد، ويحتاج سند الأخذ عنه إلى مزيد تحقيق. بل يرجح أنه كان شيخ تبرك ينال رضاه بالخدمة وامتثال الشرع، مع إسداء النفع والإكرام وموافقة المعتقدات المحسوسة للعامة بمثل رقية الطعام وإصلاح ذات البين وما يماثل تلك المبادرات. وكان هؤلاء الزوار يأتون من الأقاصي والأداني من سوس وسبتة وسلا وفاس الخ. وكان يطعمهم ويعاملهم على قدر مراتبهم، إذ كان يقصده جلة العلماء كما كان يرد عليه الحكام والكافة.

عظم صيت أبي يعزى وقدره بعد وفاته حتى إن قاضي سبتة أبا العباس العزفي المتوفى عام 633 هـ قد ألف في مناقبه كتابا سماه *دعامة اليقين في زعامة المتقين*. جمع فيه بنوع من التوسع كرامات أبي يعزى بأسانيد ولا سيما من أشهر أصحابه وهو أبو الصبر أيوب السبتي.. وألف في مناقبه في القرون التالية آخرون أشهرهم أحمد بن أبي القاسم التادلي الصومعي صاحب الكتاب الذي عنوانه *المعزى في مناقب أبي يعزى*، في القرن العاشر الهجري (16م). ولا شك أن أخبار أبي يعزى قد وقع تضخيمها وأضيفت إليها ألوان من الغلو وهي في أصلها منقبية محيرة حتى على لسان معاصريه. وقد شاهد الحسن الوزان في القرن السادس عشر جموعا غفيرة من أهل القبائل يتوجهون لزيارة ضريح أبي يعزى.

وهناك مناقب شفوية تتواتر على لسان أهل القبائل المجاورة لمقام أبي يعزى وبعضها يتغنى به، ولا صلة لها بالذي كتبه جهابذة الرواة الذين تحدثوا عنه. وقد زكّى السلاطين العلويون هذا التعظيم الشعبي لأبي يعزى، فشيد المولى رشيد والمولى إسماعيل قبته الحالية ومسجده الفخم، وأظهر المولى الحسن من جهته عناية بهذا الضريح، وزاره المولى يوسف عام 1918. ولا شك أن إضافة "مولاي" إلى اسم بوعزة قد وقعت في العهد السعدي أو في العهد العلوي.

م. التميمي، *المستفاد*، (قطعة منه يشتغل بتحقيقها محمد بنشريفة وأحمد التوفيق) ؛ *السر المصون*، (قطعة منه بمكتبة برلين تشتغل بتحقيقها حليمة فرحات) ؛ ي. التادلي، *التشوف*، ط. كلية الآداب بالرباط، 1948 (يتضمن هامش بداية الترجمة لائحة بأسماء المصادر التي ذكرت أبا يعزى) ؛ أ. العزفي، *دعامة اليقين*، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1989 ؛ أ. التادلي الصومعي، *المعزى*، تح. علي الجاوي، مرقون بمكتبة كلية الآداب بالرباط ؛ أ. التوفيق، *التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى*، ضمن منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 1، بعنوان *التاريخ وأدب المناقب*، ص. 80 - 82 . منشورات عكاظ، 1989، انظر المراجع باللغة الفرنسية في :

A. Faure, *Abu Ya`zâ*, in *Encyclopédie Berbère*, 1, Edisud, 1984.

أحمد التوفيق

** وحول ضريح مولاي بوعزة يوجد مركز صغير بداخل الهضبة الوسطى، والقيادة تمثل إحدى جماعات دائرة خنيفرة وتمتد على مساحة 1030 كلم$^2$ على مسافة 50 كلم شمال - جنوب. و40 كلم غرب - شرق. وتحدها جماعات أُلماس من الشمال الشرقي وتيداّس من الشمال الغربي وزحليگة من الغرب وجماعات أولاد فنان، براكسا وشگرات من الجنوب، وأگلموس من جهة الشرق.

ينتمي مركز مولاي بوعزة للهضبة الوسطى، وبالضبط إلى الجهة الداخلية منها، تلك المكونة من هضاب عليا متقطعة، تعلوها أعراف متشخصة. ويتراوح الارتفاع بين 300 م في أعمق الأودية و1.200 م عند أعلى القمم. هذا ما يجعل تضاريس المنطقة تتخذ شكلا جبليا، رغم سيادة المساحات العليا المنضوية، ورغم تواضع الارتفاعات العامة.

تشتمل تضاريس المركز على أشكال مختلفة : في القمة أعراف متوازية أعلاها جبل إغيرأ ُورومي بارتفاع 1.220 م وتتكون هذه الأعراف من أشرطة كوارتزيتية ضيقة، تعتبر أشكالا أبلاشية ناتجة عن التعرية الانتقائية، داخل صخور رسوبية أولية متفاوتة الصلابة. وتمتد عند قدم هذه الأعراف على ارتفاع 1.000 م هضبة فوغال المستوية. وتمتاز برتابة سطحها المكون من متون محدبة القمة، تقطع صخوراً تمتاز بالتجانس والصلابة.

- تحت ووسط مجال الاعراف، توجد بعض الأحواض، تمتاز بموقعها المعلق، لكن تمتاز بالخصوبة. وأهمها حوض بلاد مسرسر، الذي تمتد الزراعة فوق كل نواحيه.

- تتكون المنطقة كذلك من طفوح بركانية مسطحة وحديثة، تعلوها براكين مخروطية واضحة، مثلا بركان بولكراكر.

- وأخيرا تتعمق في المنطقة أودية هامة. خاصة مجرى كسيكسو وگرو اللذين يحيطان بهضبة فوغال. واد كسيكسو متعمق بمعدل 300 إلى 400 م تحت الأعراف الكوارتزيتية، وتمتاز سفوحه بتغطية نباتية مستمرة، تدل على اعتدال ورطوبة بيئته، بينما گرو يعتبر واديه منفتحا، مكوناً أساساً من سلسلة من الأحواض، الشيء الذي يتحكم في بيئته، من جهة بسبب نزعة مناخه نحو الجفاف، من جهة ثانية أهمية استغلال الغطاء النباتي انطلاقاً من المنخفضات محدثاً بذلك اجتثاثا متقدماً وبالتالي تعرية نشيطة للتربة.

يسكن جماعة مولاي بوعزة حالياً ما يفوق 25.000 نسمة (حوالي 11.000 سنة 1936، و19.000 سنة 1971 و24.333 سنة 1982). ويتوزع هؤلاء السكان كالتالي : 16٪ منهم يقطنون مركز مولاي بوعزة، والباقي سكان ريفيون. وينتمي السكان لقبيلة بوحسوسن، التي تضم ست فخذات، أربع منها من أصل بربري، واثنتان من أصل عربي هم البوعزاويون والمباركيون. وكل فخذة تشغل ميداناً خاصاً بها.

يعيش السكان من عدد من الثروات على رأسها الغابة

التي تغطي 70٪ من الأراضي، أهم أشجارها البلوط الأخضر. إلا أن الغابة جد متدهورة قلما يكون انتاجها الخشبي مفيداً، بحيث يطغى بها الاستغلال الرعوي. والرعي المتنقل هو السبب الأول في تدهور الغطاء النباتي. الثروة الحيوانية للجماعة تتألف من 60.000 من الماعز، 50.000 من الغنم و12.000 من البقر. وترعى هذه الماشية في الغابة 66.000 هكتار وفي مراعي عشبية تقدر مساحتها بـ 20.000 هكتار. ولذا فالتدجين هو النشاط الأول للسكان، إضافة إلى استغلال ثروات الغابة من خشب وفواكه، ووحيش.

أما الزراعة، فلا تغطي سوى 10.000 هكتار، ويمتاز مردودها بالتواضع (معدل 8 إلى 10 قناطير في الهكتار من الشعير)، والمغروسات لا تغطي سوى 500 هكتار، بينما لا تقام الزراعة المسقية إلا على ما يعادل 100 هكتار.

الانشطة الإضافية جد هزيلة : صناعة استخراجية للرصاص متوقفة منذ 1961 ويتم البحث حاليا عن سبل لإعادة تنشيطها، وتجارة إقليمية تقوم على تبادل المواد الزراعية أساساً، في أسواق ريفية أسبوعية أهمها سوق أحد بوحسوسن وسوق أربعاء مولاي بوعزة.

عبدالله العوينة

**بُوعَـزَّة**، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل الريف، ولعلها قبيلة مزوجة، وقد انقرضت بتطوان في أوائل هذا القرن.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 25.
Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوعزة**، بن **أحمد**، مقاوم ولد سنة 1912 ببني سمير وادي زم، إقليم خريبگة، ومنذ شبابه عرف بالاستقامة ونقاوة الضمير وثبات الجأش. وانخرط في صفوف التشكيلة التي كان يرأسها ممدوح بوشعيب وكان من بين الذين نظموا المظاهرة التي عرفتها وادي زم يوم 20 غشت سنة 1955. وفيها قتل رحمه الله.

**بوعزة**، بن **حمو**، مقاوم من مواليد سنة 1344 / 1925 بدوار لقوارة قبيلة أولاد بحر الصغار. اختار العمل المسلح، وفي مظاهرة 20 غشت 1955 كان من بين الأوائل الذين تصدوا للمستعمرين وظل مشاركاً في المظاهرة طيلة النهار. وفي اليوم الموالي 21 غشت 1955 توفي متأثراً بجراح أصيب بها من جراء قصف جوي للمنطقة.

ابـن **بوعزة الـفشـار**، بوعزة بن العربي السفياني الأصل، نزيل مكناس. ينسب إلى جده بوعزة ويلقب بالفشار، من جيش البخاري. كان ذكياً حازماً استخدمه السلطان عبد الرحمن بن هشام كفراش في القصر، وترقى في عمله إلى أن أصبح أمين بيت المال وتقلد مناصب سامية أخرى في الدولة.

توفي بمكناس يوم الأحد 22 حجة عام 1300 / 24 أكتوبر 1883. ودفن بجامع الأقواس بحومة بني العراش.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 77 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1300.

ابن **بوعزة**، **محمد**، مقاوم ولد بدوار اطرش بأولاد عياد السماعلي ناحية خريبگة سنة 1327 / 1909. شارك في مظاهرة 20 غشت 1955 وقتل برصاص المستعمر في ذلك اليوم المشهود.

ابن **بوعزة، المكي** بن علي، مقاوم ولد سنة 1327 / 1909 بقبيلة السماعلة بنواحي وادي زم. كرّس حياته وماله وأهله لقضية الوطن. وعند اندلاع انتفاضة وادي زم التاريخية، خرج إلى جانب رفاقه في تلك المظاهرة العارمة رافعاً شعارات معادية للمستعمر ورامياً القوات الاستعمارية بالحجارة ومشعلا النار في مصالح المعمّرين وممتلكاتهم، إلى أن استشهد برصاص العدو بتاريخ 20 غشت 1955 بمدينة وادي زم.

*وثائق المندوبية السامية للمقاومة* ؛ *كتاب شهداء الاستقلال*، ج 2.

عزالدين العلام

**بوعزة، مول الشربيل** (أي صاحب الحذاء النسوي) أحد رؤساء جيش العبيد في عهد المولى إسماعيل، كان يُدعى الباشا ويُعتبر من أهم رجال الدولة في ذلك العهد. قال عنه عبدالكريم الريفي صاحب *زهر الأكم* إنه "كان قديم الخدمة لأمير المومنين مولانا إسماعيل، عارفاً بأمور الخلافة والسياسة، ذا رأي وحزم ونجدة وشجاعة وتدبير". لكن الباشا بوعزة لم يظهر على الساحة السياسية بشكل جلي إلا خلال الاضطرابات التي تلت وفاة المولى إسماعيل في سنة 1140 / 1727.

كان هذا القائد يترأس فرقة من جيش العبيد عرفت باسم "عبيد الزنقة" وهي التي ساندت المولى عبدالله بن إسماعيل ضد أخيه المستضيء الذي كان يحظى بدعم فرقة أخرى من العبيد بقيادة فاتح الدكالي. وبوعزة مول الشربيل هو الذي تزعم خلع المستضيء سنة 1164 / 1750 ومُبايعة المولى عبدالله مكانه. وبعد أن انحاز العبيد إلى جانب المستضيء مرة أخرى في سنة 1154 / 1741 عادوا لمبايعة المولى عبدالله في سنة 1156 / 1743، وكان المترجم من متزعمي هذه المبايعة الجديدة. وفي تلك السنة بالذات استطاع مولاي عبدالله أن يهزم أخاه المستضيء ويضع حداً لتمرد أهم حليف كان يسانده وهو الباشا أحمد بن علي الريفي.

توفي بعد سنة 1156 / 1743.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ت. أ. العماري، الرباط 1986.

محمد المنصور

**بوعزة، ولد آخره** (الحاج ـ)، ويكنيه العامة "بولَدْ لاَخيرِهْ" أصله من قَبِيلة مديونة، كان يسكن مدينة الدارَالبيضاء قبل الاحتلال الفرنسي لها سنة 1907 واشتهر

بالغنى وكثرة الإنفاق على العلماء والفقراء، وفي سبل الخير عامة.

قام الحاج بوعزة ولد آخره، بدور هام في مقاومة الاحتلال الفرنسي، إذ تذكر الرواية الشفوية أنه كان يعلم المجاهدين بأحوال الفرنسيين وكان وسيطا بين التجار الألمان والمجاهدين في الحصول على السلاح والذخائر. ويبدو أنه كان محمياً ألمانياً، أو حصل على الحماية الألمانية بعد الاحتلال، وظل يقدم مساعدته لإخوانه ويتعاون مع الجالية الألمانية في تهريب السلاح للمجاهدين. ولما ثبت الاحتلال الفرنسي للشاوية، فضل الهجرة إلى الديار الحجازية، حيث جاور في البيت الحرام. وظل على عادته في الإحسان وبذل المعروف إلى أن وافته المنية هناك في تاريخ غير محدد.

ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر* ؛ الرواية الشفوية.

علال الخديمي

**بوعْزيزْ**، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر، وكان من بين أفرادها :

**بوعْزيزْ، أحمد**، عالم توفي بتطوان في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وحل محله ابنه.

**بُوعْزيزْ، محمد** بن أحمد خطيب مسجد السوق الفوقي المتوفى سنة 1898/1316.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 8 ؛ 6 : 115 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.
Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوعسرية**، (سيدي ـ) أحمد بن عبد الله الصنهاجي صالح يزار، قبره بجانب قرية قديمة كانت تسمى تيماسَنْ، وهي من قرى صنهاجة أزمور التي امحت آثارها. وكانت وفاته سنة 899 / 92 ـ 1493، ودفن بالهمامدة في دكالة وعلى قبره قبة.

سلسلة *مدن وقبائل المغرب*، ج 10، دكالة، تر. م. الشياظمي.

محمد الشياظمي

**بُوعْسل**، أسرة تطوانية اشتهر أفرادها بمهارتهم في المدفعية حيث نجد البعض منهم ينتمون إلى حامية تطوان مثل :

**بُوعْسل، أحمد** بن **التهامي** سنة 1884/1301.

**بُوعْسل، أحمد** بن **عبد الخالق** سنة 1875/1291.

**بُوعْسل، عبدالسلام** بن أحمد سنة 1868/1285.

وكانت هذه الأسرة من الأسر التي غادرت تطوان قبل احتلالها من طرف الجيش الإسباني سنة 1860/1276 حيث هاجرت إلى شفشاون.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 6 ـ 163 ؛ داود، *تاريخ تطوان*، 5 : 228 ؛ 8 : 213 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.
Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوعشرة**، (أولاد ـ) ينتمون إلى مجموعة أيت النص التابعة لقبيلة أيت براهيم التكنية (انظر أيت براهيم وأيت بوهو). وتقيم بمدشر تيدالت الذي يعد ملكها كما تتوفر على مجموعة من المنازل بتاغجيجت (انظر أيت بلة).

مصطفى ناعمي

**بوعَشْرَة**، اسم تحمله شخصيتان مختلفتان ومتباعدتان، كان ظهورهما واختفاؤهما فجأة على مسرح الأحداث السياسية في كل من حاحة وإداوْتَنانْ أيام الحسن الأول :

**بوعشرة، عبدالرحمان** الگيلُولي، كان شيخاً كبيراً (أمغار) في قبيلته إداگيلُول تحت قيادة الحاج عبدالله أُبيهي، وكان من خدامه المخلصين إلى أن توفي القائد عام 1867/1284 وتولى ابنه محمد أمعدور (الأبله) الذي قيل إنه كان رجلاً جائراً طائشاً لا يستقر على حال، فسفهه معظم أعيان القبائل وشيوخها ماعدا الشيخ بوعشرة عبدالرحمان فإنه قد ظل على العهد وفياً لروح القائد الراحل فأخلص في خدمة خلفه أمعدور الذي سما في نظره بوعشرة حتى اتخذه مستشاره في الملمات وخليفته عند الغياب، إذ لم تمض إلا شهور على وفاة القائد الكبير حتى اشتعلت نار الصراعات بين قبائل حاحة التي كانت مضغوطة بقوته وهيبته، كما استيقظت أطماع الجيران المتوگيين ـ الأعداء التقليديين لحاحة ـ فصاروا يغذون الفتن الداخلية بمناوشاتهم على الحدود، فحاول محمد أمعدور حسم المشاكل بالعنف فالقى القبض على مآت الأعيان والشيوخ ورمى بهم في سجن موكادور الذي لم يخرجوا منه إطلاقا. وبينما كان القائد محمد أمعدور، ذات مرة، بمراكش صحبة الخليفة عبدالرحمان بوعشرة الگيلُولي، اجتمع رؤساء حاحة على نزع القيادة من أمعدور وطرده، فتمردت كل القبائل الشمالية وتحالفت مع متوگة. عاد الخليفة بوعشرة من مراكش بسرعة مكلّفاً من طرف القائد أمعدور بإخماد الثورة، فجمع إداگيلُول وقبائل الجنوب واستنجد بقبيلة هوارة من سوس، لأنهم أخوال القائد أمعدور واستطاع بواسطتهم إخماد الثورة ولو مؤقتا، وطرد المتوگيين من إيداوزمزم المتنازع عليها. وتجدد النزاع بين عامل حاحة القائد محمد أمعدور وعامل متوگة القائد الحاج عمر ابن سعيد المتوگي سنة 1287 واستمر إلى خامس عشر ربيع الثاني عام 1271/1288. حيث انهزمت محلة حاحة أمام متوگة وفر محمد أمعدور فخرب المتوگيون قصبته بأزغار. ( *إيقاظ السريرة*،1 : 101) فأثار ذلك قلق السلطان محمد بن عبدالرحمان وقرر أن يبعث ابنه المولى الحسن على رأس جيش كثيف إلى حاحة لتسكين الفتن فعسكر ببوريقي، وبينما الأمير منهمك هو وأعيان القبيلة في تسوية الخلافات وتدعيم ممثلي المخزن، فإذا بنعي والده

يصله من مراكش عام 1873/1290. فبايعه أعيان حاحة الذين عينهم شيوخا (إمغارن) على فرقهم وهم :

1 ـ الشيخ مبارك أنفلوس على نكنافة وقبائل حاحة الشمالية، وكان كاتباً خاصاً للقائد السابق.

2 ـ الشيخ الحاج علي بن القاضي اليوساري على ايداوسارن الذي سمي قائداً على إيداوسارن.

3 ـ الشيخ عبدالرحمان بوعشرة على إيداكيلول وإيداوتْغمّا، والذي سمي قائداً فيما بعد.

4 ـ الشيخ الحاج الحسن أوتكزيرين على قبيلة أيت أمر، والذي سمي قائداً فيما بعد.

5 ـ الشيخ محمد بويفنزى البوزيادي على قبيلة إداوبوزيا، والذي سمي قائداً فيما بعد.

6 ـ الشيخ محمد بن زيان الكزوتي على قبيلة إيداوكازو، الذي ظل شيخا إلى أن توفي.

7 ـ الفقيه السيد محمد بن بلا المجرادي على أمكراد الذي ظل شيخا إلى أن توفي. وكلهم قبلوا بالسمع والطاعة (*لب الوقائع على تولية حاحة والبدائع*، لمجهول، مخ، ص 71). وبعد تربُّع المولى الحسن الأول على عرش أسلافه بمراكش (توجه إليه جماعة من أعيان حاحة بالبيعة والهدية على العادة عام 1875/1292. وفي ذلك الحين ولى عليهم ثلاثة قواد : القائد مبارك أنفلوس (في شمال حاحة). والقائد عبدالرحمان بوعشرة (في الوسط) والقائد الحاج الحسن أوتكزيرين (في الجنوب). وهذا التقسيم إن كان يخدم سياسة السلطان الجديد الرامية إلى تقسيم مناطق النفوذ، فإنه لم يرض أحدا من هؤلاء القواد الذين يحلمون بتحقيق الهيمنة التامة التي كانت لحاحة في عهد الحاج عبدالله أُبيهي، والتي ما زالت ذكراها ماثلة في أذهانهم، فسعى كل واحد في بناء الوحدة بالقوة من جديد، ولكن لصالحه فقام الصراع بين مبارك أنفلوس الذي حل محل ولد بيهي في الشمال، وبين بوعشرة عبدالرحمان المهيمن على مداخل الطريق التجارية بين الصويرة والجنوب عامة، فتمكن أنفلوس من قطع الطرق ليعزل بوعشرة عبدالرحمان حينا ثم تخلص منه بأن دس إليه من قتله غدراً حوالي عام 1878/1295. وبذلك اختفى بوعشرة عبدالرحمان الحاحي فلم تبق له إلا أخبار وحكايات طريفة يرويها الشيوخ الثقات، ودار أثرية لا تزال ماثلة بقبيلة إيداگيلول.

**بوعشرة مبارك** التناني، كان طالب قرآن وأنفلوساً (ممثلا) لفخذته أويركا من قبيلة أيت واعزون التنانية، ثم عينه السلطان الحسن الأول قائداً على جميع التنانيين بعد "أن زحف إليهم مرجعه من سوس عام 1885/1303. فأدار بهم الجيوش من كل جهة... حتى استولى على قمة الجبال في بسيط إيقى المشهور، فساحت الجيوش حتى أطلت على الشعاب والأوطئة، فلم يجد التنانيون مناصا من الانقياد، فقدموا الهدايا ودفعوا المؤن، ثم لم يلبث السلطان أن ذهب بغتة إلى حال سبيله بعدما جعل لهم رئيساً قائداً على جميع التنانيين يسمى أبا العشرة ثم غادره وحده بلا جند يدعمه، فلم يكد السلطان يذهب حتى أجلاه التنانيون ثم قُتل بعد ذلك فرجعت هيف إلى أديانها، وقد ترك السلطان في منزله كثيرا مما قدم مؤونة لجيشه" (*خلال جزولة*، 4 : 88). ومما يحكى بالتواتر أن بوعشرة كان له صديق حميم يدعى علي أُتَنَانْ يترأس غارات إداوتنان من الجبال على قوافل المخزن والتجار في عهد الحاج عبدالله أُبيهي الذي استنفذ جميع الحيل والإمكانيات المتوفرة لديه دون إخضاع إداوتنان لحكمه، فألزم شيخه بوعشرة عبدالرحمان بأن يُحضر إليه رأس صديقه علي أُتنان حياً أو ميتا، وإلا حل محله في العقاب، فطلب بوعشرة من القائد أن يساعده في مهمته بإلقاء القبض على جميع الشيوخ (أمغارن) مثله فشاع خبر ذلك بين الناس، فلاذ بوعشرة بالفرار ملتجئاً إلى صديقه في إداوتنان : علي أتنان متظاهراً بالخوف، وبعد بضعة أيام طلب منه أن يذهب معه ليساعده على ترحيل أولاده وأمتعته إلى إداوتنان، فاصطحبه هو وأخوه محند أُتَنَانْ وثلة من أصحابه إلى حاحة وعندما وصلوا دار بوعشرة ليلا، حيث حضّر له كمينا إزاء قاعة الضيافة فيه أربعة رجال مسلحين، وحتى يُشغله عنهم أكثر أخرج له صندوقاً من الحديد، ادعى أن مفاتيحه قد ضاعت منه، فطلب منه هو وأخوه أن يعملا على فتحه لإخراج ما به من ذخائر ريثما يجمع هو ما خلف من أمتعته، وبينما كان عليّ أتَنان وأخوه منهمكين في فتح القفل فإذا بالجماعة المختبئة في الكمين تطلق عليهما سربا من الرصاص مستهدفة علياً أكثر لأنه شجاع مهاب لا يُغلب في المبارزة. ويحكى أنه أخرج خنجره من غمده ودار في الغرفة فلم يظهر له أحد فغرسه بقوة في عمود خشبي وسط الغرفة وذلك تحت تأثير حرارة الموت ثم سقط صريعا. فحز بوعشرة رأسه وأسرع به إلى القائد الذي حدّق فيه متفحصا ملامحه، فوجده نحيلا لا لحية له إلا بعض الشعيرات في الذقن فقال مستغرباً ومستصغراً إياه : "هذا هو الرأس الذي أثار قلق المخزن عدة سنوات !" ثم أمر بتعليقه فوق باب قصبته أزَغَارْ ليكون عبرة لأمثاله كالعادة، وألقى بأخيه محند أتنان سجينا في مطمورة. (وقد سمعنا هذه الحكاية من عدة شيوخ موثوق بهم وأوردناها للاستئناس).

مجهول، *لب الوقائع على تولية حاحة والبدائع*، مخطوط مبتور عند ورثة المختار السوسي، فيه بعض أخبار رؤساء حاحة من 1171هـ إلى 1294 هـ ؛ الصديقي، *إيقاظ السريرة* ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4 ؛ *روايات شفوية*.

محند أيت الحاج

**بوعشرين**، هكذا جرى على الألسنة اليوم وفي الكتابات المتأخرة تخفيفاً للكنية القديمة بني عشرين أو أبي عشرين التي اشتهرت بها الأسرة الأنصارية الخزرجية الأندلسية المعروفة.

وكان أولَ من خرج منهم من الأندلس إلى العُدوة أبو الحجاج يوسف ابن عشرين البياسي، من سادات زمانه علماً وديناً وضخامة قدر وجلالة جاه، انتقلوا إلى تونس ثم إلى فاس، حيث اشتهر ذكرهم ونمت فروعهم. ومنها خرجوا إلى

سلا ثم إلى مكناس. قال عنهم عبدالرحمان الفاسي في تأليفه عن *مشاهير بيوتات فاس* "... ومنهم بيت بني عشرين الخزرجيين، بيت علم وأصالة، ومنهم فقهاء أئمة، كالفقيه علي بن عشرين، كان فقيها حافظاً محصّلا مستبحراً في الفقه، وتفقه عليه فقهاء المغرب، وكان يحفظ *المدونة*، ومن صَدْره نُقلت بعد أن أحرقها ملوك الموحدين بني عبد المومن بن عَلي. يُروى أنها لما جبذت (نزعت) من صدره في أول الدولة المرينية، قوبلت بعد ذلك مع نسخة وجدت، فوجدوها كهي، لا خلاف بينهما إلا في واو أو فاء...".

لم تنقطع شهرة بني عشرين على مر العصور، وهذا ما أكده أخيراً صاحب *الحسام المشرفي* في القرن الماضي : "...فرفعةُ قدر بني عشرين بالعلم والعدالة، وشهرة بيتهم الرفيع العماد في القرن الثامن أظهر من نار على علم، وامتدت إلى قرننا هذا".

**بوعشرين، إبراهيم** بن الطيب، كان وزيراً لمولاي عثمان ابن السلطان الحسن الأول وخليفته بمراكش، وتوفي في 3 صفر الخير عام 14/1312 يوليوز 1894. ودفن بزاوية درقاوة بمدينة مراكش.

**بوعشرين، إدريس** بن الطيب، ولد بمدينة مكناس في فاتح سنة 1844/1260 وتربى في كنف أبيه آتي الترجمة، وأخذ عنه في بداية أمره مع بقية إخوته، ففضل أبوه عدم إبقائه بمكناس ونقله إلى فاس "ليبقى متعاطياً للعلم تعلماً بها وتعليماً". ولما شب وترعرع، وأخذ من علوم عصره ما يكفي حتى صار "كاتبا بارعاً مترسلا عارفاً بالإنشاء بليغاً" أخذ أبوه يقرِّبه من الأوساط المخزنية، وقبل وفاته بقليل أوصى به جناب السلطان.

تولى إدريس الوزارة بعد وفاة أبيه سنة 1869/1286 لفترة ما تبقى من حكم السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان وكانت توليته بإشارة من الحاجب موسى بن أحمد الذي زادت سطوته وتوسعت دائرة نفوذه، ولم يكن ذلك منه "نصيحة صريحة، ولا مودة صحيحة، بل ليلاً تخرج سياسته عن مناطها، وتنحل حيلته عن رباطها" (*فواصل الجمان*، 72. 73) فلم تكن توليته إذن للصدارة إلا صوريّة، ولما مات السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان عام 1873/1290 وبويع السلطان مولاي الحسن أبقاه في منصبه. لكن أمر الحاجب ازداد نفوذاً وشهرة، واستتب له على رؤساء الدولة اثرة وامرة، وحظي بثقة السلطان، فظهرت سطوته "وصارت أنوار الوزير الصدر إدريس بوعشرين تنطفي، وأزهاره تذبل وتختفي، إلى أن لم يبق اسم له ولا مُسمّى، فضاق ذرعه" (*التنبيه المعرب*، ص 30)، فاستقال إدريس وأقاله السلطان مولاي الحسن، وتصدر محله موسى ابن أحمد، وذلك سنة 1876/1293، وكانت مدة توليه الوزارة لا تتعدى سبع سنوات، أربع سنوات منها في عهد السلطان سيدي محمد، وثلاث سنوات في عهد السلطان مولاي الحسن.

استقر إدريس بوعشرين بمدينة مراكش بداره المعروفة بدار الزليج الكائنة بروض الزيتون، ثم ضاقت به الأحوال من شدة سطوة الحاجب الوزير أحمد بن موسى، فقرّر الهجرة والرحيل، وتاقت نفسه للجوار بالمدينة المنورة ورتّب أموره بعد أن فوت عرصته الشهيرة بمراكش "عرصة بوعشرين" للحاجب الوزير، وجعل الأمين محمد بن المدني بنّيس قيماً على أملاكه مقدماً على بعض عياله وأولاده، وذلك سنة 1876/1293، فرحل إلى الحج بأهله وذويه، وأقام بمكة إلى فاتح عام 1879/1297 فانتقل إلى المدينة المنورة. وليست لدينا معلومات كثيرة عن مرحلة استقراره بالشرق، سوى إشارات متفرقة تبين أنه تنقل في بعض دول المشرق، فزار مصر سنة 1884/1302 "ودخل الاستانة العظمى لمعالجة ألم ألمّ به، فلقي من السلطان عبدالحميد ورجال دولته تكرمة وإجلالا، ثم عاد إلى المدينة". وبعد تسع سنوات عاد إلى المغرب لإحياء صلة رحم قرابته، وقضاء مهامّه، فوجد السلطان بالثغر الرباطي "فأجله واعتنى بشأنه، ورافق جنابه العلي إلى الحضرة المكناسية، فراوده وألحّ عليه في المقام في وظيفة فاعتذر واستعفى.وأبى إلاّ العودة لجوار المصطفى، فساعده الإسعاد بالمساعدة، وعاد لمدينة خير رسول معرضاً عن كل ما يثبطه ويلهيه، وأقبل على عبادة ربه" (*الاتحاف*، 2 : 27).

وفي سنة 1886/1304 أتم بناء روضه الشهير بالمدينة المنورة، واستقر به إلى أن وافاه الأجل يوم 5 رجب 18/1305 مارس 1888 وصلى عليه بعد فريضة الظهر من يومه بالروضة الشريفة، ودفن بالبقيع، وخلف بالمدينة أولاداً وداراً.

**بوعشرين، الحسن** بن الطيب، كان عضواً في سفارة الأمين بناصر غنام، سفير السلطان عبدالعزيز إلى الجزائر، وكتب عن هذه الرحلة كتابا سماه رحلة بوعشرين كما أنه كتب تأليفاً في التاريخ سماه *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، وكان بقيد الحياة سنة 1906/1324.

**بوعشرين، الطيب** بن اليماني، من المحتمل أن تكون ولادته حوالي سنة 1796/1211 بمكناسة الزيتون، ونشأ داخل أسرة علمية أحاطته بكل رعاية، فقرأ على والده اليماني بوعشرين منذ صباه وأخذ عنه جملة من المتون في مختلف الفنون، كما أخذ عن أكابر المشايخ ممن يشار إليهم بالرسوخ والاتقان "واعتكف على طلب العلم، فنبغ فيه بالحفظ والفهم" (*الإتحاف*، 3 : 97)، وبعدما اكتمل تكوينه انتقاه السلطان المولى عبدالرحمان بن هشام لتعليم أبنائه، فكان الطيب بن اليماني بمثابة المرشد والموجه لمحمد بن عبدالرحمان. وإقراراً بفضله وعلمه ووجاهة رأيه تمسك به وجعله وزيراً له عندما تولّى خلافة أبيه، فكان خير معين له في كل أمور الخلافة.

ولما عقد السلطان مولاي عبد الرحمان لولده وخليفته محمد بن عبدالرحمان على الجيش المغربي لمواجهة التحرشات الفرنسية على الحدود المغربية - الجزائرية سنة

1844/1260، كان الطيب بوعشرين آنذاك مرافقاً له ملازما لحجابته، قائماً بكتابته. ولما وقع ما وقع في إسلي، نُسب إليه وإلى كبراء الجيش التهاون وسوء التدبير. ويذكر الناصري في *الاستقصا* (9 : 51) أنه في الليلة التي وقعت الحرب صبيحتها "جاء رجلان من أعراب تلك الناحية، وطلبوا الدخول إلى الحاجب وهو الفقيه السيد الطيب بن اليماني المدعو بأبي عشرين فدخلا عليه وقالا : إن العدو عازم على أن يُصبِّحكم غداً إن شاء الله، فاستعدُّوا له وأعلموا الأمير، فيقال إن الحاجب قال : إن الأمير الآن نائم ولست بالذي أوقظه. ثم جاء عقب ذلك أربعة أناس آخرون يُعلمون بأمر العدو فكان سبيلهم سبيل الأولين، ولما طلع الفجر وصلّى الخليفة الصبح، جاء عشرة من الخيل قيل من الأعراب، وقيل من حرس الخليفة، فأعلموا بمجيء العدو وأنهم تركوه قد أخذ في الرحيل".

ولما وقعت الواقعة وانهزمت الجيوش المغربية في موقعة إسلي الشهيرة حمِّل الخليفة محمد بن عبدالرحمان الطيب ابن اليماني جانباً من المسؤولية. "لذلك نسب إليه وإلى كبراء الجيش التهاون وسوء التدبير في ذلك الحدث الكبير، ووضعت يد الإحصاء والتثقيف، على مالَهم من تليد وطريف، ولولا الشفاعة لصوت في لحاهم الجلم، وصاروا في التنديد أشهر من نار على علم" (*فواصل الجمان*، 71. 72). وتعرض بسبب ذلك إلى محنة دامت خمس سنوات عاشها الطيب بن اليماني في عناء وشدة بمدينة مكناس ما بين سنة 1260 / 1844 وسنة 1266 / 1849.

وبعد ذلك أعاد إليه الخليفة سيدي محمد بن عبدالرحمان الاعتبار، فأرجعه إلى سابق خدمته، حيث استمر ملازماً له إلى حين مبايعته كسلطان على المغرب سنة 1859/1276، "فنظر إلى حقوق قضاها، وخدمة في نفعه أمضاها، فأسند إليه أمر الصدارة".

واجه الطيب بوعشرين منذ تولّيه أمر الصدارة ظروفاً سياسية صعبة، عرفها المغرب خلال حرب تطوان وبعدها، وعُرف عنه أنه كان في مقدمة المتحمسين للحرب والمقتنعين بقوة الحكومة المخزنية وتفوق قوتها على قوة الإسبان، كما صرح بذلك لوفد تطوان. ولما اعتزم السلطان استفتاء أهل العلم ورجال الرأي على الطريقة التي يقع بها الحصول على المال المطلوب، ألقى عليهم سؤالا كان من إنشاء الوزير الطيب بوعشرين. ورغم ما كان للوزير الصدر من حظوة لدى السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان، فإنه لم ينج من مضايقة أقرانه، وبالأخص منهم الحاجب موسى بن أحمد، الذي كان يناصبه العداء، بل أصبح يزاحمه في تدبير شؤون الوزارة، حتى شاركه ...في الجليل والحقير، ومكث يراوغ الأيام، ويعالج الأسقام". ونسوق في هذا الصدد رواية أوردها صاحب *البستان* مفادها أن السلطان كان يستشير الوزير الصدر في أمور كثيرة، ويثق برأيه السديد في بادئ الأمر، فحينما قبض على عامل مراكش أحمد بوستة وعزم على تولية أحمد ابن داوود المراكشي، أظهر له الوزير الصدر عدم الاستحسان". فساعده السلطان على مقتضى نتيجة المشاورة، وولّى قائد مشوره السعيد القايد الجيلالي بن حمّ البخاري المكناسي على عمالة مراكش، ثم لم يلبث أن عزله وولى مكانه أحمد بن الطاهر الأزموري إلى حين وفاته. وكان الحاجب موسى بن أحمد ورفيقه عبدالسلام البقالي آنذاك من المتحمسين لتولية أحمد بن داوود المراكشي لمنصب عمالة مراكش "فتعاونا وأبديا ما لديهما في ذلك من ردٍّ رأي السيد الطيب بوعشرين، فتقوّى بذلك ما كان عزم عليه السلطان من توليته قبلُ، فولاه عمالة مراكش. فشعر الوزير الصدر بتقلب الأحوال وتزايد خطورة أحمد بن موسى لدى السلطان، فتخوف على أهله وذويه، وكتب إلى السلطان يتشفع إليه بإسدال ظهير التوقير والاحترام على أبنائه، فاستجاب السلطان لطلبه، وأصدر ظهير التوقير والاحترام في حق أبنائه أينما كانوا ساكنين مجتمعين أو متفرقين.

استمر الطيب بوعشرين في منصب الوزارة مدة عشر سنوات، لا شك أنه كان يشكو خلالها من مرض لازمه طوال هذه المدة، فقد عثرنا في سجلاته ورسائله على ما يفيد ذلك. وقد وقفت على رسائل شخصية بعثها إلى محمد بركاش يستفسره عن بعض الأدوية. أولى هذه الرسائل تعود لسنة 1859/1276 وآخرها لسنة 1868/1285. وفي الرسالة الأخيرة التي جاءت سنة واحدة قبل وفاته تحمل أخباراً بوصول "الحقنات" لكن حاملها لم يكن يتحفظ عليها. ولعل هذا المرض هو الذي كان سبباً في وفاته، فقد أشار في *الاستقصا* (9 : 122) إلى "أنه كان به داء الحصر فدخل الميضأة التي بمشور أبي الخصيصات من دار السلطان بحضرة مراكش، فيقال إن مثانته تمزّقت" فمات على إثر ذلك عن سن تناهز خمساً وسبعين سنة وذلك عشية يوم الخميس الرابع عشر من شهر شعبان سنة 19/1286 نوفمبر 1869، وصُلي عليه بعد الجمعة بمسجد المواسين، وحضر جنازته الجم الغفير، ودفن عن يمين الداخل لضريح الشيخ عبد الله الغزواني بحومة القصور بمدينة مراكش، وترك الطيب بوعشرين بعد وفاته أحد عشر ولداً موزعين على مراكش ومكناس وفاس.

**بوعشرين، محمد** بن **إدريس**، ولد بالمدينة المنورة عام 1879/1297 أي سنة انتقال والده إلى الشرق، فتلقى تعليمه هناك، ولم يرجع إلى المغرب إلاّ بعد وفاة الحاجب أحمد بن موسى حوالي سنة 1905/1323، وكان عمره آنذاك لا يتعدى السادسة والعشرين. وبعد وصوله إلى مدينة فاس، نظم قصيدة في مدح السلطان مولاي عبدالعزيز لقيت منه استحسانا وقبولا، وطاب مُقام محمد بوعشرين في المغرب، واهتم برعاية مصالح أسرته تاركاً في القاهرة أخاه مصطفى بن إدريس.

تقلد محمد بوعشرين مناصب مخزنية ككاتب للعدلية بعد عودته من الشرق، ثم نائب الوزير الصدر المدني الأگلاوي في عهد السلطان مولاي عبدالحفيظ. وبعد فرض

الحماية على المغرب تقلد مناصب إدارية جديدة منها منصب مفتشية الأحباس بمدينة الرباط، ثم انتقل ناظراً لأحباس

مدينة مكناس زرهون، قبل أن يصبح خليفة أول لباشا فاس الجديد، فرئيساً للمحكمة العليا الشريفة بالرباط، فنائب مندوب السلطان بمدينة طنجة، وأخيراً قائداً لأولاد مطاع.

وتوفي عام 1961/1381.

**بوعشرين، محمد** بن **بوشعب** (الحاج.) الأنصاري، ولد بفاس حوالي 1882/1300. وبها حفظ القرآن ثم أخذ العلم على أشهر شيوخ عصره، أمثال عبدالسلام الهواري، وعبدالعزيز بناني، وأحمد بن الجيلالي، وأحمد بن الخياط، ومحمد القادري وأحمد بن المامون البلغيثي. ولما استد ساعده العلمي اشتغل مدة في التدريس بالقرويين وغيرها من مساجد فاس ومدارسها، وانتفع به عدد كثير من الطلبة.

وفي عام 1916/1335 عين قاضياً بزعير ثم بالزيايدة وأولاد سعيد حيث قضى زهاء ثلاثين سنة في القضاء، اشتهر خلالها بالضبط والحزم والنزاهة. ولم ينقطع عن التدريس في أيام القضاء فنمت معلوماته واتسعت مداركه، وألف عدداً من الكتب في الفقه والحديث والكلام والمنطق، طبع بعضها، ومعظمها شروح وحواش، وله أيضا *تقييد في التشنيع على طوائف عيساوة وحمادشة وغيرهما*، وهو مطبوع، وآخر في *الحض على صرف قسط من الزكاة في تشييد المدارس*.

وأدركته الوفاة بمدينة سطات حيث كان يقيم أيام قضائه بأولاد سعيد وذلك يوم الخميس 12 جمادى الثانية عام 1944/1364 ودفن قبالة باب سيدي الغنيمي.

**بوعشرين، مصطفى** بن إدريس، كل ما نعرف عنه أن أخاه محمد بن إدريس تركه بالقاهرة حوالي سنة 1905/1323، وأنه كان مدرساً بجامع الأزهر.

**بوعشرين، اليماني** بن أحمد المكناسي، عاش في عهد السلطان مولاي سليمان، واشتغل في بادئ الأمر نساخاً ثم أصبح كاتباً فرئيساً للكتبة، قال عنه صاحب *الحسام المشرفي* : "وعلى يده كتبة الديوان، وأمناء الصرح والإيوان، سوى قرينه في الصدارة، جليل المفاخر تحفة المجالس وحضرة الإمارة، أبو اليمن والبركة، الموفق في السكون والحركة، الكاتب الأشهر، الكبريت الأحمر، بقية الأماني عزيز الكَتَبة السيد اليماني".

وقد أهله علمه ومكانته ليحتل موقعاً داخل الجهاز المخزني، فكان "...للوزير الصالح القائد أحمد (مول أتاي) به اعتناءٌ زائد، خارق للعوائد، لا يفارق جنبه الأيمن في صدر الديوان، لأنه لا يتلون بغير الصدق والعفاف والمروءة بشيء من الألوان" (*الجيش*، 2 : 156) وكان أكنسوس من بين الكتبة الذين اشتغلوا معه وتأثروا به وأثنوا عليه.

ونظراً لطبيعة العلاقة الوطيدة التي كانت تربط أكنسوس باليماني بوعشرين استطاع أن يدقق في كثير من المعطيات المتصلة ببيته، وكانت وفاة اليماني عام 1825/1241.

م. أكنسوس، *الجيش*، ج 2 ؛ *حسام الانتصار في وزارة بني العشرين الأنصار*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ غ. الجائي، *دوحة المجد والتمسك في وزارة ونسب العالمين ابني العشرين*، مخطوط ؛ *دوحة المجد والنسرين في نسب أبناء أبي العشرين* ؛ م. غريط، *فواصل الجمان* (ط 1 بفاس 1346) ؛ بوعشرين الحسن بن الطيب المراكشي، *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، أشار في أحد أبوابه إلى نسب أسرته ووزارة أبيه ؛ *رحلة بوعشرين*، كتبها عن رحلته إلى الجزائر عضوا في سفارة الأمين بناصر غنام سفير السلطان مولاي عبدالعزيز ؛ م. المشرفي، *الحسام المشرفي*، مخطوط ؛ م. السباعي، *البستان الجامع*، مخطوط خ. ع 1346 د ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ م. ابن سودة، *قبيلة زعير*، 2 : 128 - 135.

مصطفى فنيتير

**البوعصامي**، أسرة فيلالية أصلها من قصر تابوعصامت الشهير بالقرب من مدينة سجلماسة المندثرة. انتقل بعض أفراد هذه الأسرة إلى مكناس في أواسط القرن الحادي عشر (17 م) وتكاثروا فيها. كما استقر بعضهم بفاس والرباط وغيرهما، وأنجبوا عدداً من الفقهاء والأدباء. ولعل محمد البهلول البوعصامي آتي الترجمة هو أول من انتقل إلى مكناس أيام المولى محمد بن الشريف لطلب العلم واستقر بها، ولا ندري هل بقي اليوم من أفراد هذه الأسرة من يسكن مدينة مكناس، فابن زيدان عند تحقيقه في بداية هذا القرن لأحساب وأنساب ساكني الحاضرة المكناسية ( *المنزع اللطيف*، 265) لم يذكر منهم آل البوعصامي.

**البوعصامي، أحمد** بن عبدالرحمان، بهلول متبرك به "كان أحد أدباء عصره، وفريد وقته ومصره، له سجية في نظم الشعر، وله أنظام عجيبة، وأساليب غريبة، في مدح الأولياء والعلماء والكتب. نحويّ قرأ *ألفية* ابن مالك. وله

*مراسلات* بأنظام مستحسنة، جلبُها هنا يطول، وخبره شهير غير مبطول". بهذا حلاه محمد بن الطيب القادري في *نشر المثاني*، ولم يذكر - للأسف - نماذج من شعره، ولا أخبار تعلمه وتعليمه، بل لم يتحقق لديه حتى تاريخ وفاته، وإنما حشره في خاتمة الكتاب ضمن أشياخ القرن الثاني عشر (18م). ولم نقف له على ترجمة في كتاب آخر.

م. القادري، *نشر*، 4 : 200.

محمد حجي

**البوعصامي، الفقير**. ولد بمدينة مكناس واختار طريق النسك والفقر منذ صغره، فارتحل إلى مدينة فاس وأخذ طريق القوم على يد الشيخ العربي بن عبدالله معن الأندلسي، وبهذه المدينة كانت وفاته سنة 1780/1195.

**البوعصامي، محمد البهلول** بن عبدالرحمان. عرف بالبهلول لقباً. من فقهاء مكناس ومن العلماء الذين درّسوا فيها أيام السلطان مولاي إسماعيل، ولا نعرف شيوخه في العلم. وفي *مباحث الأنوار* (ص 78) أن البهلول البوعصامي كان بالزاوية الدلائية أيام محمد الحاج الدلائي، لكنه لم يذكر بأي صفة كان هناك، والراجح أن البوعصامي كان كثير التجوّل قبل أن يستقر بمدينة مكناس ويرتبط بالسلطان مولاي إسماعيل.

وبالرغم من كونه كان ضريراً فقد شهد له تلامذته بالحذق وجودة الإدراك، وأجمع من ترجموا له على علو كعبه في عدة فنون، فهو أديب ماهر، ونحوي مدرس نفّاع، تخرج عليه كثير من العلماء المكناسيين، كأبي القاسم بن سعيد العميري، ومحمد العربي بصري وغيرهما. وإليه انتهى التحقيق في كثيرمن المعارف. وفي ذلك يقول :

وقالوا قد عميت فقلتُ كلاّ    فإني اليومَ أبصرُ من بصيرِ
سوادُ العين زاد سواد قلبي    ليجتمعا على فهم الأمـور

كانت وفاته بمدينة مكناس عام 1714/1126، ودفن بها قرب ضريح أحمد الحارثي.

**البوعصامي، محمد** بن أبي بكر فقيه وأديب رباطي، اشتغل كاتباً بدار المخزن، ووجهه السلطان مولاي عبدالحفيظ سفيراً لبعض الدول، وهو صهر الفقيه محمد بن عزوز، ثم استوطن مراكش ومات بها سنة 1919/1338 ودفن بمقبرة باب دكالة.

**البوعصامي، محمد بن محمد**، عالم، فقيه مدرس بالجامع الأعظم بمدينة مكناس وحسب ابن زيدان (*الإتحاف*، 3 : 303) أنه كان يقبض المرتب العلمي كما وقف على ذلك بحسابات النظار.

كان على قيد الحياة عام 1641/1151 ولم نقف على سنة وفاته.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 290 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 3 : 118، 127 ؛ م. العلمي، *الأنيس المطرب*، مخطوط، خ. ح. 3493 ؛ م. العميري، *فهرسة*، 343، مخطوط ؛ م. بصري، *منحة الجبار*، 138، مخطوط ؛ م. دينية، *مجالس الإنبساط*، 325.

عبدالعزيز بوعصاب

**البوعصامي، محمد الموسيقي** أحد أدباء العهد الإسماعيلي، تتلمذ عليه الأديب محمد بن الطيب العلمي، وترجم له في كتاب *الأنيس المطرب* وتردد ذكره - أديباً وشاعراً وموسيقياً - في مصادر أخرى منها : *الروضة الغناء*، و*تاريخ الضعيف*، و*ديوان الأمداح النبوية*.

وبالرجوع إلى هذه المصادر يتبين أن البوعصامي عاش في الفترة المتراوحة بين أواخر القرن الحادي عشر وأواسط القرن الثاني عشر للهجرة : فقد أخذ عنه العلمي المتوفى عام 1133 هـ وخدم السلطان المولى عبدالله وكان من جملة شعرائه بعد بيعته الأولى عام 1141، وعاصر جملة من أعلام الأدب كان من بينهم المؤرخ محمد الصغير الإفراني المتوفى عام 1151 هـ.

أما عن ثقافته فيخبرنا العلمي أنه رحل إلى الشرق حيث أخذ علوم العربية حتى "بلغ درجة فاق بها معاصريه... ونودي باسمه فارتفع بالإفراد والعلمية" كما أخذ علوم المنطق والبيان والتفسير، وأصبح له في مجال الشعر ضلع ضليع، وإلى ذلك فقد "أخذ علم الموسيقى قراءة وإجازة عن عدة أشياخ من علماء مصر والقاهرة وشهدوا له فيه بالتقديم" حتى أتى في الموسيقى بكل خارق وأنسى ذكر الموصلي ومخارق، "وأصبح له في هذه الصنعة قدم راسخة، ومكانة مكينة شامخة".

وقد وقفت أخيراً على كناشة مخطوطة بعنوان *إيقاد الشموع* لمؤلف مجهول. يتبين من قراءة القسم الأول منها أنها هي الدروس الموسيقية التي أثبتها العلمي في *الأنيس* نقلا عن أستاذه محمد البوعصامي، ومن هنا يتجلى واضحاً أن الكناشة هي من تأليف البوعصامي.

وقد قسم المؤلف *الكناشة* إلى قسمين : يحتوي القسم الأول على مقدمة عرف فيها المؤلف بعلم الموسيقى وحقيقته وفائدته، ثم تحدث عن النغمات الثمان التي عليها مدار الألحان، وطريقة استخراجها من أوتار العود بواسطة ثمانية حروف أبجدية اتخذها بمثابة علامات لدرجات السلم الطبيعي وهي : أ ب ج د هـ و ز ح. وبعد ذلك بين طريقة تسوية العود وترتيب الأوتار في محلها وختم القسم بذكر الطبوع الأصول والفروع وعلاقتها بالطبائع مورداً في الموضوع منظومة العالم أحمد الونشريسي.

وضمّن القسم الثاني ديوان الأشعار التي تنشد على الطبوع الموسيقية ابتداء من طبع الأصبهان. وقد أصاب هذا القسمَ بترٌ في وسطه وآخره مما أدى إلى ضياع جزء كبير من الديوان شكل بعضا من نوبة الماية وسائر ميازين نوبات الاستهلال ورصد الذيل ورمل الماية وعرق عجم وغريبة الحسين.

ومما تتميز به *كناشة* البوعصامي احتواؤها على ميزانَيْ قائم ونصف الحجاز المشرقي وقائم ونصف الرصد، وهما مما سكت عنه محمد بن الحسين الحايك في مجموعه الشهير. ويدل وجود هذين الميزانين في المخطوطة على أنهما كانا حتى عهد السلطان مولاي عبدالله في النصف الأول من

القرن الثاني عشر ما يزالان قيد التداول بين أرباب "الآلة" ومن هنا لا يسع الباحث إلا أن يتساءل - باستغراب - عن أسباب ضياعهما خاصة وأن الفترة الفاصلة بين هذا التاريخ وبين تاريخ جمع كناش الحايك 1214 هـ لا تتجاوز - في أقصى الحالات - ثمانية عقود من السنين.

إن الكشف عن نسبة كناشة *إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع* إلى محمد البوعصامي سيكون من نتائجه حث الباحث المختص على إعادة النظر في كثير من مسلمات موسيقى "الآلة". وسوف يكون في مقدمة ما يهتدى إليه : - أن أول إنجاز في مجال تجميع أشعار الآلة تمّ على الأرجح - في النصف الأول من القرن الثاني عشر للهجرة، أي قبل عهد محمد بن الحسين الحايك بما لا يقل عن ثمانين سنة وهي الفترة الفاصلة بين سنة 1133 / 1720 تاريخ وفاة محمد بن الطيب العلمي الذي ترجم للبوعصامي في *الأنيس المطرب* وبين عام 1214 / 1799 تاريخ انتهاء الحايك من إنجاز كناشه.

- إن ترتيب النوبات الإحدى عشرة المتداولة بيننا اليوم قد جرى - هو أيضا - على عهد المولى إسماعيل على الأقل وليس على عهد المولى سليمان الذي شهد نهاية جمع *كناشه الحايك*.

م. البوعصامي، (مؤلف مجهول)، *إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع أو نزهة القوافي في حدائق الأغاني*، مخطوط خ. ح. عدد 11333 مجموع (14) ؛ م. العلمي، *الأنيس المطرب*، ص من 168 إلى 193 ؛ مؤلف مجهول، *الروضة الغناء في أصول الغناء*، مخطوط، خ. ع. 192 د، ص 197 - 198 - 199 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. أ. العماري، ص 112 ؛ أ. أحضري، *ديوان الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع* ؛ م. بن العربي الدلائي، *فتح الأنوار فيما يعين على مدح النبي المختار*، مخطوط ؛ ع. بن إبراهيم، *الاعلام* عند ترجمته لأحمد أحضري ؛ ع. بن زيدان، *إتحاف*، ج 4، ص 118 و303 و304 ؛ ع. الخطابي، *فهارس الخزانة الحسنية*، المجلد الرابع، ص 63.

عبدالعزيز بن عبدالجليل

**بوعطية**، (أولاد -) اسم كان يطلق على نصف الشاوية. فقد كانت قبائل الشاوية مقسمة إلى قسمين كبيرين : أولاد بورزق وأولاد بوعطية. وإذا كنا لا نعرف متى بدأ هذا التقسيم، فيظهر أنه حدث تبعاً لعوامل جبائية وإدارية وربما عرقية. كانت بلاد الشاوية منذ القرن الثاني عشر (18 م)، وخاصة منذ القرن الثالث عشر (19 م)، مقسمة إلى قسمين كبيرين، على أساس عدد الدواوير والخيام، بهدف توزيع الجبايات والتحملات. يضم أولاد بوعطية داخله مجموعة متميزة هي مجموعة الشهاونة. وبما أن الشاوية وزعت إلى مائة دوار وبما أن الدوار كان يضم مائة خيمة، فإن أولاد بوعطية كانوا يمثلون خمسين دواراً أي 5.000 خيمة. كانت مجموعة أولاد بوعطية، تضم القبائل الاتية : أولاد حريز، المذاكرة، أولاد عليّ، مديونة، أولاد زيان، مزاب، الأعشاش، الزيايدة، بني ورى.

وكانت هذه المجموعة مقسمة إلى قسمين متميزين : أولاد بوعطية، يضم القسم مجموعة قبائل مزاب والأعشاش وأولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي. ثم الشهاونة، مديونة وأولاد زيان والزيايدة وبني ورى. وكان كل قسم من هذين القسمين يضم 25 دواراً أي ربع الشاوية. ويكوِّن القسمان كما ذكرنا نصف الشاوية ويطغى عليهما اسم أولاد بوعطية. ففي سنة 1307/1889 - 1890 كان أولاد بوعطية موزعين في ديوان المخزن إلى القيادات والدواوير الآتية :

| القيادة | القبيلة | عدد الدواير |
|---|---|---|
| عبدالسلام برشيد | أولاد حريز<br>المذاكرة<br>أولاد علي | 12,5 |
| أحمد بن العربي المديوني | مديونة<br>أولاد زيان | 18 |
| محمد بن أحمد المزابي | مزاب، الأعشاش | 12.5 |
| الزيادي | الزيايدة وبني ورى | 07 |
| | المجموع | 50 |

ومن الملاحظات التي ينبغي إبداؤها، أن قبائل أولاد بوعطية، تحتل مواقع استراتيجية هامة داخل الشاوية، زيادة على أهميتها الاقتصادية. فهي تتحكم في المواصلات بين الرباط والدارالبيضاء والحوز، كما تمتلك أهم المناطق الجبلية والغابات بالشاوية، حيث أهم الملاجئ التي كان السكان يلتجئون إليها لمقاومة المغيرين، وخاصة لمقاومة المحتلين الفرنسيين خلال سنتي 1325 - 1326 / 1907 - 1908. ونظراً لهذا الموقع، نمت بها مراكز حضرية هامة مثل برشيد، مديونة، ابن أحمد، الگارة، بن سليمان، بوزنيقة، وأخيراً مدينة الدارالبيضاء التي تقع في أرض قبيلة مديونة.

وقد قام أولاد بوعطية، بدور كبير خلال جهاد الشاوية، وساعدتهم جبال المذاكرة والزيايدة على الصمود في وجه جيش الاحتلال حيث دامت الحرب أكثر من سنة بين الطرفين. وكانت أراضي المذاكرة والأعشاش آخر ما احتله الفرنسيون في إطار إخضاعهم قبائل الشاوية.

مجهول، *مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن*، مخطوط، خ. ح ؛ ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر*، مخطوط ؛ هـ. المعروفي، عبير الزهور ؛ ع. الخديمي، *حادثة الدارالبيضاء*.

*Villes et Tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, T. 1 - 2.

علال الخديمي

**بوعقبة** ← **مشرع بوعقبة**

**بوعگاز** (باب -) بمراكش ← **البستان** (باب -)

**بُوعلْبة**، رأس يقع جنوب رأس خوبي Cabo Juby بإقليم طرفاية، ويعد من المعالم الجغرافية المغربية القليلة التي احتفظ الإسبان بأسمائها الأصلية.

I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-Saharico*, Madrid, 1955, p. 33.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوعَلّو**، أو بُوعَلُّ، أسرة سلوية معروفة أصلها من تلمسان، انتقل جدهم المدعو محمد الصيني أيام السلطان مولاي إسماعيل، وكان عالماً مدرساً، فأقام مدة بمكناس ثم انتقل إلى مدينة سلا واستوطنها هو وأولاده. وقد أنعم عليهم السلطان المذكور بدار وفرن ورحى قرب المسجد، وأنعم عليهم بأخذ أعشار وزكوات قبيلة عامر (بني عامر) بالضاحية، وقسط من دخل الفلك الجارية بين سلا والرباط. وقد تورط آلَ بوعلّو باعتبارهم من أعيان سلا في الفتن السياسية التي أعقبت وفاة المولى إسماعيل، فهاجمهم جيش الأوداية واستولى على أمتعتهم، ثم عفا عنهم السلطان عبدالله بن إسماعيل وأصدر سنة 1734/1147 ظهيراً بردّ ما ضاع منهم، وجدد لهم في السنة التالية ظهير التوقير والاحترام الذي عندهم من قبل أبيه.

**بوعلّو، إبراهيم** من فقهاء سلا، ذكر معاصره الضعيف الرباطي في *تاريخ الدولة السعيدة* (ص 371) أنه كان عدلاً أيام السلطان المولى سليمان، وكاتبا بالأسطول.

**بوعلّو، أحمد** بن عبدالرحمن، من فقهاء مدينة سلا، عينه السلطان عبدالعزيز في 16 صفر عام 17/1315 يوليوز 1897 مكلفاً بالنظر في المواريث والنيابة عن المخزن في استيفاء تركة من مات ولا وارث له خلفاً للفقيه أبي بكر بن بوزيد وهو والد الأديب عبدالكريم بوعلو آتي الترجمة.

توفي أحمد بوعلو بمسقط رأسه حوالي سنة 1922/1314.

**بوعلّو، عبدالرحمن**، كان أمينا للخرص أيام السلطان عبدالرحمن بن هشام (1238 ـ 1822/1276 ـ 1859) فهو لذلك من أهل الخبرة بالفلاحة يقدر الزكوات والأعشار الواجبة على الفلاحين.

**بوعلّو، عبدالكريم** بن أحمد، ولد بسلا يوم سابع شوال عام 5/1323 دجنبر 1905، من السابقين إلى دراسة اللغة

الفرنسية بمسقط رأسه، ثم بالثانوية اليوسفية بالرباط، فكان معدودا في طليعة الشباب العصري بالمدينة، عضواً مؤسساً للنادي الأدبي السلوي، ورئيسا له. وقد مثل النادي الأدبي، أوائل الثلاثينات، صحبة ممثل جمعية المحافظة على القرآن الكريم بسلا، في تهنئة الملك محمد الخامس بأحد الأعياد الدينية، فنالا من الحظوة والرعاية ما عدّ في طليعة صلات الشباب المغربي بصاحب العرش. وبعد ذلك تقلد بوعلو مناصب إدارية عديدة، منها رآسة تحرير جريدة *السعادة* اليومية.

توفي بسلا في 23 ربيع الثاني عام 6/1378 نونبر 1958.

وتعدّد اسم محمد في آل بوعلو، وتذكر الوثائق منهم :

**بوعلّو، محمد**، فقيه كان يشتغل بالعدالة في سلا عام 1766/1180.

**بوعلّو، محمد** بن **إبراهيم**، كان فقيها أستاذا يعلم الأطفال القرآن الكريم في كتّاب بحومة زناتة. توفي في 18 ربيع عام 1336/فاتح يناير 1918.

**بوعلّو، محمد (الحاج.)** من كبار الفلاحين من هذه الأسرة، كان يتعاطى الفلاحة ببلاد دكالة أوائل عهد الحماية.

**بوعلّو، محمد** بن **عبدالله**، فقيه انتصب للشهادة في سماط العدول بسلا، وكان يزاول هذه الخطة عام 1832/1248.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، 371 ؛ ج. كوستي، وعشاش، *بيوتات مدينة سلا*، تح. نجاة المريني، 119. 121 ؛ بوبكر الصبيحي، كناشة، مخطوطة خ. ص ؛ م. بوشعراء، *ملحق الاتحاف الوجيز*، 152 ؛ *التعريف*، 2 : 240 . 241 ؛ أ. معنينو، *ذكريات*، 2 : 21 . 22 ؛ *رسوم عدلية قديمة* عند العدل السيد عبدالنبي النجاري السلاوي.

محمد حجي

**بوعلي**، أسرة أصلها من قبيلة جبل حبيب يرجع تاريخ وجودها بتطوان إلى أوائل القرن العاشر الهجري (16 م). حيث نجد من أعيان هذه المدينة شخصين يحمل كل منهما اسم أحمد :

1 ـ أحمد بُوعلي، مجاهد، كان يملك عدداً من الأسرى الإسبانيين، تم افتداؤهم من طرف جماعة من مواطنيهم الإسبان في شهر رمضان عام 929/ غشت 1523.

وتدل الوثائق التي نتوفر عليها على أن معظم آل بوعلي التطوانيين كانوا من المجاهدين يشاركون في عمليات الحصار التي تقام على الغزاة البرتغاليين في مدينتي سبتة وطنجة.

2 ـ أحمد بوعلي، الذي كان ينافس حاكم تطوان المقدم عبدالله النقسيس، ومن أجل ذلك التحق بالمجاهد العياشي الذي عينه مقدما على رباط الخرُّوب بقبيلة جبل حبيب وأسند إليه أمر محاربة المقدم النقسيس، وقد استطاع أحمد بوعلي أن يتغلب على المقدم المذكور.

وهناك مجاهد ثالث من هذه الأسرة هو : عبدالرحمن بوعلي، كان على قيد الحياة بتطوان سنة 1641/1051.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 13 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 229 . 288 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم،

*عائلات تطوان*.

*Revista Mauritania*, Tanger, n° 182, Enero 1943 ; Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوعلي**، (القائد ـ) بن إدريس الدكالي الفرجي، نسبة إلى قبيلة أولاد فرج، أحد قواد دكالة المشهورين في العهد العزيزي. اشتهر خاصة بعلاقته بأحداث انتفاضة القبائل.

ذلك أن بوعلي، تولى عام 1319 / 1901 قيادة قبائل أولاد فرج والحوزية وشتوكة والشياظمة والغربية. ويبدو أن سيرته لم تحمدها تلك القبائل، كما لم تحمد سيرة خليفته.

ونتيجة لكراهية السكان لحكم القائد بوعلي وخليفته، لم يزد حكمه للقبائل المذكورة على عامين اثنين. ففي الوقت الذي ذهب فيه القائد بوعلي على رأس حركة إخوانه لمساعدة السلطان على مواجهة ثورة بوحمارة شرق فاس، انتفضت قبيلة القائد أولاد فرج، وهاجم المنتفضون قصبة القائد وخربوها. فكانت الشرارة التي انطلقت منها الانتفاضة إلى القبائل المجاورة بالشاوية ودكالة ثم إلى الحوز.

وهكذا انتهى حكم بوعلي في بداية عام 1321 / 1903، حيث عين على كل قبيلة زعيمٌ منها، فنجد مثلا أن قبيلة الحوزية عين عليها القائد محمد ولد التريعي. وكذلك القبائل الأخرى.

وإذا لم يكن في إمكاننا الآن تأكيد أو نفي عودة القائد بوعلي إلى حكم إخوانه، فإننا نستطيع أن نؤكد أنه تمكن من أن يتولى باشوية مدينة أزمور، ولعل ذلك حدث بتدخل النفوذ الفرنسي سنة 1328 / 1910.

*Villes et Tribus du Maroc, Les Doukkala*, T.2 ; *Azemmour et sa banlieue*, 1936.

علال الخديمي

**بُوعمامة**، أسرة جزائرية، كانت بتطوان إلى أن انقرضت في أوائل هذا القرن.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 18 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان* ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوعمامة، محمد** بن العربي البوشيخي، نسبة إلى قبيلة أولاد سيدي الشيخ التي قُسّمت إلى مجموعتين بمقتضى اتفاقية مغنية حول الحدود سنة 1261 / 1845، فصار اولاد سيدي الشيخ "الشراگة" تابعين للجزائر المحتلة آنذاك، وكان موطنهم بالبيّض جنوب وهران، بينما صار أولاد سيدي الشيخ "الغرابة" ضمن القبائل المغربية، وإلى هذه المجموعة ينتمي بوعمامة الذي ولد بواحة فكيگ سنة 1256 / 1840.

اشتهر بوعمامة في مرحلة أولى بالدعوة إلى الجهاد ضدّ الفرنسيين، 1292 ـ 1302 / 1875 ـ 1884، فتزعّم ثورة كبرى سنة 1299 / 1881 تعدّ استمراراً لما قام به أولاد سيدي الشيخ ضد الفرنسيين منذ سنة 1281 / 1864، وبعد فشل هذه الثورة ظل يتنقل بين واحات جنوب شرق المغرب، فأظهر الولاء لسلطان المغرب تارة، وتنكّر له تارة أخرى، وفي الوقت ذاته تطلّع إلى مهادنة الفرنسيين والتقرّب منهم تارة، ودعا إلى مقاتلتهم ومقاتلة أتباعهم تارة أخرى، هذا ما أضفى على حركته تعقيداً وغموضا بسبب ازدواجية خطابه مع هذا الجانب أو ذاك. هذا الغموض نفسه أفضى إلى مواقف متباينة من حركته بين المؤرخين المغاربة والجزائريين، فقد اعتبره الجزائريون بطلا تحريرياً حمل مشعل المقاومة ضد المستعمر في نهاية القرن الثالث عشر (19 م)، غير أنهم التزموا الصمت عن نشاط حركته في مطلع القرن العشرين، وهي الفترة التي انكشف خلالها تعاون بوعمامة مع الفرنسيين. أما الاسطوغرافية المغربية فقد اعتبرته زعيما دينياً ورئيس ثورة من أصل مغربي، حاول بسط نفوذه على منطقة ضعُفت فيها سلطة الدولة بسبب بعدها عن المركز ونظراً لتلاعب الفرنسيين في ما يخص تحديد معالم الحدود الجنوبية بين المغرب والجزائر.

في مطلع القرن العشرين وبعد أن توسّع الفرنسيون في جنوب شرق المغرب تقلّص مجال تحرّك بوعمامة في الجنوب، فاتجه إلى الشمال نحو منطقة التّل وحط رحاله قرب عين بني مطهر، وصادف ذلك قيام ثورة بوحمارة وزحفه نحو شمال شرق المغرب 1321 ـ 1324 / 1903 ـ 1906، فأعلن موالاته له، ودعا أتباعه إلى نصرة الثائر، وبعد انسحاب بوحمارة من "عمالة وجدة" وشروع الجيش الفرنسي في احتلال المنطقة (29 مارس 1907) تقاعس بوعمامة عن مقاومة الفرنسيين إلى جانب قبائل بني إزناسن، فافتضح أمره باعتباره أحد المتعاونين مع المستعمر، واستغل نفوذه الروحي لتوسيع منطقة الاحتلال إلى قصبة العيون، التي صارت موطناً له ولأهله وأتباعه.

وقد تظاهر بوعمامة طيلة حياته بالزهد والتصوف باعتباره وريثاً للزاوية البوشيخية الأم، فاستمال إليه كثيراً من الأتباع والمريدين من بين القبائل المغربية والجزائرية بمنطقة التخوم الجنوبية، خصوصاً بعد أن أسس زاوية، مدّعياً تجديد طريقة أسلافه. وفي نهاية سنة 1323 / 1905 استقرت الزاوية العمامية (نسبة إلى بوعمامة) قرب قصبة العيون حيث وافته المنية يوم 12 رمضان عام 1326 / 8 أكتوبر 1908.

أ. مزيان، فجيج. *مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر* 1845 ـ 1903، ص 480 ـ 500، الدارالبيضاء، 1988 ؛ ع. بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، 2 : 72 ـ 93 ؛ ع. زوزو، *ثورة بوعمامة، جانبها العسكري*، الجزائر، 1981 ؛ ثورة بوعمامة، جانبها السياسي، الجزائر، 1983 ؛ *نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر* 1830 ـ 1900، الجزائر، 1984.

La Martinière et Lacroix, *Documents, Nord-Ouest*, T. 2 ; A. Bernard, *Bou-Amama, Questions diplomatiques et coloniales*, 1901, Vol. XI, p. 622 - 626 ; L. Voinot, *La situation sur la frontière algéro-marocaine du Tell lors de l'insurrection des Ouled Sidi Cheikh dans l'Oranais*, 1864 - 1870, *R. A.* 1919, p. 399 - 465 ; *La menace des Ouled Sidi Cheikh contre le Tell algérien et les dangers de leurs intrigues au Maroc, 1870 - 1873, R. A.* 1920, p. 62 - 133 ; *Confréries et Zaouias au Maroc, Les*

établissements religieux du Maroc Oriental Nord, B.S.G.A.O., 1936, p. 44 - 47 ; S. E. Howe, *Les Héros du Sahara*, Paris, 1931, p. 21 - 28 ; D. Sari, *L'insurrection de 1881 - 1882*, Alger, 1981.

عكاشة برحاب

**بوعماير،** (باب.) أحد الأبواب الثمانية التي بناها السلطان مولاي إسماعيل بمكناس (*الإتحاف*، 1 : 230) وتنسب هذه الباب إلى الوادي الذي يمر بين المدينتين القديمة والحديثة، كان هذا الوادي غزير المياه جميل المنظر مما أوحى لمحمد بن يحيى بن محمد بن جابر الغساني المتوفى سنة 1423/827 بالقول في أرجوزته المسماة *بنزهة الناظر عن وادي أبي العمائر* ما يلي :

فلن ترى في سائر العمائر مثل محاسن أبي العمائر

يقع باب بوعماير خارج باب الحجر في اتجاه حمرية ـ المدينة الجديدة ـ ومنها إلى الطريق المؤدية إلى فاس شرقا، ويقابل هذا الباب، باب دار البارود التي كانت معدة لتصفية ملحه، وبقي باب بوعماير قائماً إلى أن هدمته الإدارة الفرنسية المستعمرة يوم فاتح 14 جمادى الأولى عام 1330 / ماي 1912 لتسهيل حركة النقل وسير العربات والسيارات الداخلة إلى المدينة القديمة والخارجة منها، وسميت الساحة الكائنة بين باب الحجر وباب بوعماير بساحة الجنرال دالبيز Dalbiez الحاكم العسكري لإقليم مكناس (1911 ـ 1914) وتعرف الآن بساحة بوعماير.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 ؛ *دراسة ميدانية*.

بوشتى بوعسرية

**البوعمراني،** أسرة شريفة بوادي دادس، ينتسبون إلى مولاي بوعمران، دفين قرية بوادي دادس الأوسط تعرف باسمه إلى اليوم (أيت بوعمران). يقال إنه من أحفاد مولاي إدريس الأصغر. تقول الرواية الشفوية المتداولة بين أوساط السكان بوادي دادس إنه حكم منطقة دادس وغيرها من المناطق المجاورة خلال فترة يصعب معرفتها معرفة دقيقة نظراً لانعدام الوثائق المكتوبة. وحسب نفس الرواية، فإن مولاي بوعمران عندما غزا هذه المنطقة اصطحب معه إليها جيشا مكونا من أيت سدرات الذين يعتقد أن أصلهم من ضواحي مكناس أو فاس. وقد شدت قبائل أيت سدرات عضد مولاي بوعمران بهذه المناطق. ويظهر أن دادس شهد انقلاباً سياسياً وبشرياً على إثر ذلك الاستيطان.

كثر نسل مولاي بوعمران فانتشر في عدة أماكن بنفس المنطقة، فنجد الشرفاء البوعمرانيين في قصور تاوريرت زگاغْن وتَـلْـتْـنْمَرْت وأيت لحسن أ ُبوزيد وتيميشًا، وإماسين. كما نجدهم أيضا في سكورة (هسكورة) وفي بُومَحْشَاد (أيت عبدالقادر) وتَمَسْنْنْت (أيت ادريس).

وإلى يومنا هذا يقام موسم سنوي بزاوية مولاي بوعمران تؤمه قبائل المنطقة.

G. Couvreur, *La Vie pastorale* ; M. Hammam, *Coutumes inédites des Qsurs-s Ayt Ihya : Groupe de Qsur-s Ayt Sedrate de l'Oued Dades 1881, H. T.*, Vol. XXV, 1987, p. 91 - 106.

محمد حمام

**البوعمري،** أسرة مراكشية ماجدة، تنتسب إلى الشيخ الكبير أبي عمرو القسطلّي الأندلسي المراكشي (ت. 974/1566) صاحب الضريح المشهور بروض العروس. تتكون الأسرة البوعمرية من فرعين : أبناء الشيخ أبي عمرو بمراكش ؛ وأبناء أخيه الشيخ الوالي القاطنين بزعير.

وقد أوصى الشيخ أبو عمرو بتقسيم المهام بينهم، وذلك بأن يُختار المقدمون من حفدة أبي عمرو المنحدرين من صُلب ابنه محمد الكبير، وأن يكون لهم الحق وحدهم في التصرّف في الفتوحات ودخْل أملاك الزاوية. وفي مقابل ذلك حبّس أبو عمرو على أبناء أخيه الوالي أرض الگفيان الشاسعة بزعير التي تعدل كل أملاكه بمراكش.

وهكذا اشتغل آل بوعمري زعير بالفلاحة والرعي، بينما تفرغ آل بوعمري مراكش لخدمة الزاوية وروادها من مريدين وطلبة وفقراء وكانوا يتوارثون الإشراف على الزاوية أباً عن جد. وكثيراً ما كانوا يضطرون إلى الاستنجاد بالمرابطين وأعيان المدينة لحل النزاعات القائمة بينهم حول المواريث والمستحقات والمداخيل أو التقديم. وكثيراً ما كان يُرفع ذلك إلى السلطان أو خليفته في المدينة أو إلى الباشا. (*محفظة الوثائق البوعمرية*، وثيقة 8 و14).

وقد احتُرمت بنود وصية الشيخ خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17 ـ 18 م) ومع ارتفاع مداخيل الزاوية واتساع أملاكها (أراض شاسعة باغواطيم ومراكش. ودور سكنية، وحوانيت تجارية، وفنادق، ودرازات وأفرنة وطاحونات...) أبدى حفدة الشيخ الوالي طمعاً فيها، فطالبوا بنصيب من أملاك الزاوية سنة 1813/1228 م، وتكررت هذه المطالبات خلال سنوات 1866/1283 م، 1303 / 1885 م، 1886/1304 م، 1887/1305 م، 1888/1306 م، وكانوا كل مرة يواجَهون برغبة المحبِّس، مع إنعام أبناء عمومتهم عليهم بهبات وعطايا إلى أن حسم الأمر سنة 1908/1326 م، في نازلة الشريف بن بوعزة حيث سمح لحفدة الوالي بالدخول في القسمة المعهودة بين حفدة محمد الكبير لكل من جاوز مُقامُه بمراكش ثلاث سنوات وكان متأهلا (*وثيقة 86* من المحفظة).

لم تشتهر الأسرة البوعمرية بالعلم، ولم يُعدّ منهم من العلماء إلا محمد الكامل بن أبي عمرو، وعرف أخيراً مَحمد البوعمري بولعه بالشعر الملحون، وكان معاصراً للباشا الأگلاوي. وخلّف ديواناً يشتمل على زهاء أربع وعشرين قصيدة.

انصرف البوعمريون إلى استغلال أملاكهم والعيش على ريعها، ومنهم من كان يمارس تجارة الشاي والشمع والصوف في بداية القرن، وهناك وثائق وسجلات تجارية تحدد معاملاتهم مع كبار تجار المغرب ومع بعض اليهود (*وثائق*، 25 ـ 72 ـ 104 ؛ *وكناش*، 1 ـ 2 من المحفظة).

واتجهوا مؤخراً نحو استغلال عرصاتهم بمراكش بعدما بلغها المد العمراني، فأقاموا تجزئات سكنية أهمّها تجزئة سيدي عباد. ويبلغ عدد أفراد الأسرة البوعمرية اليوم بمراكش حوالي ثلاثمائة فرد يتقاسمون بالتساوي مداخيل المبيعات والأكرية لا فرق بين كبير وصغير.

**البوعمرية**، (الزاوية ـ) بمراكش، فتح الشيخ أبو عمرو القسطلي زاويته بحومة حمام الذهب حي (زاوية الحضر) بمراكش حوالي سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة، فنهضت بأدوار علمية وتربوية واجتماعية وسياسية مهمة، حتى قيل إن عدد المتخرجين على أبي عمرو بلغ حوالي سبعة عشر ألف مريد (*الإعلام*، 1 : 342). ترجع هذه الكثرة إلى ما اشتهرت به من نشاط علمي ولقربها من جامع ابن يوسف الذي يقصده طلبة العلم، وكذا لما كانت تقدمه من أصناف الأطعمة لزوارها من المريدين والطلبة. وكانت الكتب المقروءة بها مزيجاً من كتب الفقه والتصوف، إضافة إلى أوراد وصلوات في مختلف أوقات النهار، (*شمس المعرفة*، 210 ـ 216). ومن أشهر الصوفية المتخرجين من الزاوية البوعمرية أبناء الشيخ : محمد الكبير ومحمد الكامل. وهذا الأخير هو الذي تولى أمر الزاوية بعد والده ؛ وأبو بكر المجاطي الدلائي مؤسس الزاوية البكرية الدلائية في الأطلس المتوسط، ومحمد بن مبارك الزعري التستاوتي مؤسس زاوية زعير وغيرهم.

وقد تحدثت المصادر عما كان يقدّم في الزاوية البوعمرية من أصناف الطعام، فلاحظت أن الشيخ أبا عمرو كان يطعم الناس بحسب مكانتهم وما ألفوا تناوله، فجعلهم ثلاث طبقات لكل واحدة وجباتها الخاصة بها (*دوحة*، 108).

واكتست هذه العادة أهمية كبيرة خلال سنوات الجفاف والمجاعة التي عرفتها المدينة في القرن الحادي عشر، وكذا في فترات الاضطرابات السياسية والاجتماعية كصراع أبناء المنصور على الحكم، وحكم الشبانات للمدينة....

وعلى المستوى السياسي ساندت الطرق الجزولية (والبوعمرية منها) الدولة السعدية ضداً على الدولة الوطاسية. ومع ذلك لم يخل العصر من امتحان للزوايا، ومعاقبتهم كيفما كان اتجاههم إذا تجاوزوا المهام المنوطة بهم وأصبحوا يهددون الحكام. كما كان شيوخ الزوايا شديدي الانتقاد للمخزن.

وعلى العموم كانت الزاوية البوعمرية تمثل في مراكش الزوايا الموالية للمخزن السائرة في خطه السياسي، ولم تعرف اصطدامات حقيقية معه، أو محاولات لتأطير الناس وتأليبهم ضده لهدف مّا. وفي المقابل وجدنا شيوخها ومقدميها ـ وعلى رأسهم أبو عمرو ـ يتلقون ظهائر التوقير والاحترام والإنعام من السعديين : من عبدالله الغالب المعاصر لأبي عمرو، وأحمد العباس بن محمد الشيخ آخر السعديين. وكذلك كانت علاقتهم بالعلويين ممتازة حتى في الفترات التي أصبحت فيها الزوايا موضع اتهام أو مضايقة.

ففي عهد المولى الرشيد الذي واجه الزوايا الدلائية والإلغية وزوايا الشمال والجنوب، بعث إلى زاوية البوعمريين ظهير توقير واحترام وإعفاء من التكاليف المخزنية، وأنعم عليهم بأرض زراعية في ضاحية مراكش (وثيقة 110 من محفظة الوثائق البوعمرية) و المولى سليمان مع ما عرف عنه من منع للمواسم ومحاربة البدع والطرقية وانتقاد صريح لزيارة سبعة رجال مراكش، أعطاهم ثلاثة ظهائر للتوقير والاحترام (*محفظة الوثائق*).

تتناول الظهائر العلوية المضامين التالية :

- التوقير والاحترام الموجه للزاوية وشيوخها وتجديد كل سلطان له.
- تعيين مقدم الزاوية أو إقراره في منصبه.
- حل الخصومات الواقعة فيما بينهم أو مع منازعيهم.
- الإنعام عليهم واحترام أملاكهم والدعوة إلى صيانتها.
- إسقاط التكاليف المخزنية عنهم.
- اعتبار الزاوية وحيّ حمام الذهب وضريح أبي عمرو بروض العروس حرما من دخله أمن على نفسه وماله.

جعلهم هذا يبتعدون عن الخوْض في الأمور السياسية ويتجهون توجها تربوياً تعليمياً اجتماعياً مستغلين الأراضي الزراعية الشاسعة التي يملكونها داخل مراكش وفي ضاحيتها.

*محفظة وثائق الزاوية البوعمرية*، تضم زهاء 120 وثيقة، خزانة خاصة بمراكش ؛ *كناشات محاسبات الزاوية البوعمرية*، خزانة خاصة بمراكش ؛ م. الزروالي، *شمس القلوب لكل محبوب*، مخطوط، خ.ع. رقم 3694 د ؛ ق. الحلفاوي، *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة*، مخطوط ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، ط. الرباط ؛ ح. جلاب، *وثائق حول الزاوية البوعمرية بمراكش*، البحث العلمي عدد 1988/38 ؛ *ظهائر سعدية في توقير واحترام شيوخ الزاوية البوعمرية بمراكش*، دار النيابة، عدد 21، شتاء 1989 ؛ *ظهائر علوية لرعاية الزاوية البوعمرية بمراكش*، دعوة الحق، عدد 278 / مارس 1990.

حسن جلاب

**بُوعْنان**، اسم أسرتين تطوانيتين : الأولى أصلها من قبيلة بني حزمر انقرضت ولم يبق ما يذكّر بها في تطوان سوى العين التي تحمل اسمها وتقع بالمكان المعروف بالمرس بجبل غرغيز. وأما الأسرة الثانية فأصلها من الريف ومازالت لحد الآن بتطوان.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، عائلات تطوان.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بُوعْنان**، قصر صحراوي قديم ما زال يعرف بالاسم نفسه. يقع في الجزء الشرقي من الشريط الواحي المحاذي للأعراف والسفوح الجنوبية للأطلس الكبير والهامش الشمالي للصحراء الكبرى، على الضفة اليمنى لوادي بوعنان الرافد الأكبر لوادي گير، زاره صاحب كتاب *وصف إفريقيا* الحسن الوزان سنة 1513/918.

وقد اتسع استعمال اسم بوعنان ليشمل مركزاً إدارياً شيد سنة 1326 / 1908 مع بداية الاحتلال الفرنسي على بعد كيلومترين من القصر القديم نحو السافلة على الضفة

اليسرى، وتمر بهذا المركز الطريق الرئيسية رقم 32 التي تربط بين فكيگ وأگادير، على مسافة 135 كلم جنوب غرب بوعرفة و150 كلم شرق الرشيدية، وهي الطريق المعبدة، الوحيدة التي تخترق هذه المنطقة. وتعد بوعنان حاليا إحدى الجماعات القروية السبع التي يشتمل عليها إقليم فكيگ، وتمتد على مساحة تبلغ 5052 كلم$^2$.

ظلت جماعة بوعنان ضمن دائرة قصر السوق (إقليم قصر السوق = الرشيدية حاليا) إلى حدود سنة 1394 / 1974 حيث أضحت تابعة لبني تاجيت وصارت دائرة ضُمت إلى إقليم فكيگ المحدث آنذاك.

تشتمل هذه الجماعة على عدد من قصور وديار ترتحل حولها قبيلة أولاد الناصر بين المنكوب شرقا وبوذنيب غربا والظهر شمالا والقنادسة جنوبا. وتنتشر هذه التجمعات السكنية في واحات حول ضفتي وادي بوعنان باستثناء عين الشعير التي تقع بعيداً على مسافة 67 كلم نحو الشرق، ويحتل معظمها مصاطب رباعية على ارتفاعات تتراوح بين 850 م و980 م، تشرف على بعضها أعراف كلسية جوراسية حادة لا يتجاوز ارتفاع أعلاها 1.500 م.

يتميز المحيط البيئي لواحات بوعنان بقحولة واضحة تتجلى في تساقطات قليلة يبلغ معدلها السنوي حوالي 100 مم، غير منتظمة التوزيع الزمني والمجالي، إلى جانب حرارة مرتفعة صيفا ومنخفضة شتاء تزيد القارية من حدة مداها. وينعكس هذا المناخ القاحل على التربات الفقيرة إذ تكاد تنحصر في الطمي الصلصالي أو الرملي في المصاطب وفي قعور المنخفضات. وتتعرض هذه التربات لعملية التذرية باستمرار، وخاصة مع هبوب رياح "الشرگي" الجافة والحارة. أما الغطاء النباتي فصحراوي لا يشمل عموما سوى أحراش تضم خاصة نباتات شوكية تتكيف مع شدة التبخر والنتح، إلى جانب أشرطة دائمة الاخضرار بقعور بعض المجاري المائية حيث يستفيد النخيل والدفلى وبعض النباتات الملحية مباشرة من المياه الجوفية القريبة ومن الجريان الخشيفي، ولا سيما بوادي بوعنان ذي الجريان الدائم وأهم صبيب بالمنطقة، إذ يصل معدله السنوي إلى 5.3 م$^3$/ثا.

جماعة بوعنان ذات كثافة سكانية ضعيفة لا تتعدى 1.8 نسمة /كلم$^2$، وهذا هو متوسط كثافة سكان إقليم فكيگ نفسها. وحتى داخل التجمعات السكنية تبقى الكثافة ضعيفة نسبيا ويرتبط ذلك بالتوسع السكني الأفقي، ذلك أن أغلب المساكن لا تحتوي إلا على طابق أرضي يؤوي البشر والماشية والدواب على السواء، أما بالنسبة للرحل فالكثافة ضعيفة جداً نظراً لهزال الغطاء النباتي الطبيعي بصفته المورد الأساس الذي تتوقف عليه حركية الترحال.

اتسم تطور عدد سكان جماعة بوعنان خلال العقود الثلاثة الأخيرة ببطء شديد إذ بلغ حسب إحصاءات سنوات 1960 و1971 و1982 على التوالي 9211 نسمة ثم 9295 نسمة وأخيراً 10.126 نسمة. ويعزى هذا النمو الديمغرافي البطيء، رغم التحسن النسبي لبعض الخدمات الطبية، إلى احتداد وتيرة الهجرة. وقد استقطب مركز بوعنان نسبة من النازحين من بعض القصور، فيما غادر المنطقة آخرون بمن فيهم بعض سكان المركز نحو مناطق أخرى داخل الوطن ومن ضمنهم قلة هاجرت إلى الخارج.

يتكون سكان الجماعة حسب إحصاء سنة 1982 من رحل بنسبة 41٪ وهم أولاد الطالب وأولاد صغير وكلاهما من قبيلة أولاد الناصر، ومن مستقرين يمثلون باقي النسبة موزعين على مركز بوعنان (1839 ن) وعين الشعير (1233 ن) وقصر بوعنان (481 ن) وتكوميت (445 ن) وقصر بني يطي (337 ن) وقصر الحيرش (329 ن) وزاوية الحجوي (268 ن) وقصر أولاد العباس (253 ن) وقصر أورير (194 ن). ويتألف هؤلاء السكان من عرب (أولاد الناصر بصفة رئيسية) وإمازيغن (قصر أورير وقصر بني يطي بصفة خاصة) اندمجت معهم مجموعات من "الحراطين". أما اليهود فقد استوطنوا مركز بوعنان تجاراً وحرفيين خلال فترة الحماية، وغادرها آخرهم سنة 1977.

يتميز مركز بوعنان عن باقي قصور الجماعة بتنظيم هندسي لبعض أحيائه، ولا سيما "حي بنت خطاب" الذي يشمل تجزئة قروية حديثة في الجزء الجنوبي بشوارع متسعة ومساكن عصرية أحياناً بمستويين استعملت في بنائها مواد حديثة (الآجر والاسمنت والحديد ...) وفي الجزء الغربي يمتد "حي طابق الكلب" على هامش الضفة اليسرى لوادي بوعنان، بأزقته الضيقة والمنعرجة ومساكنه التقليدية ذات الطابق الأرضي والمبنية بالطوب والأخشاب ويقطنها بصفة خاصة أعراب أولاد الناصر. أما من الجهة الشرقية فيمتد "حي الجنانات" ببساتينه حيث بنيت مساكن تقليدية وأخرى عصرية يملكها النازحون من قصر تكوميت حيث استفادوا من توزيع قطع أرضية فلاحية خلال فترة الحماية. وفي القصور لا تكاد تظهر سوى مساكن تقليدية بعضها مهجور، بخلاف عين الشعير الذي يشتمل أيضا على حي حديث ذي تخطيط هندسي ظهرت به مساكن عصرية من حيث مرافقها ومواد بنائها.

يحتوي مركز بوعنان على مسجد واحد شأنه شأن بقية القصور، وإن كانت هذه تضم أضرحة وزوايا ذات أهمية اجتماعية ودينية كزاوية سيدي بن عبدالرحمان السهلي

بقصر تكوميت وهي فرع لزاوية قصر السهلي (جماعة بوذنيب) حيث مدفن الولي، وهي ذات نفوذ شاسع، وكزاوية الحجوي حيث مدفن وليها سيدي عبدالرحمان بن يحيى وكزاوية سيدي محمد بن بوزيان بقصر الحيرش وهي فرع لزاوية القنادسة الشهيرة.

تتركز جل الخدمات والتجهيزات والمصالح الجماعية بمركز بوعنان، وتتمثل أساساً في سوق أسبوعية تنعقد أيام الأربعاء، وفي مركز صحي بطبيب واحد وبضعة أعوان، وفي مستودع للأدوية، إلى جانب محطة بنزين وحمام ومطحنة، وكذلك إدارات محلية لقطاعات مختلفة، وإعدادية ملحقة ببني تاجيت، أما المدارس فيكاد لا يخلو من وجود بعض أقسامها أي تجمع سكني، وينفرد المركز بشبكة أنابيب توزيع الماء الشروب وقنوات المجارير، ويحتوي أيضا على مولد كهربائي حراري محلي يشتغل لمدة بضع ساعات كل مساء، كما هو الشأن بالنسبة لمعظم قصور الجماعة.

تقوم اقتصاديات السكان أساساً على فلاحة سقوية معاشية عموماً بالنسبة للمستقرين في الواحات، وتعتمد على مياه العيون والخطارات وعلى مياه سدود تقليدية تقام على وادي بوعنان وتشمل هذه الفلاحة النخيل والزيتون وبعض الأشجارالمثمرة الأخرى والحبوب (وخاصة الذرة) والبقول التي تسوق منها كميات هامة في بعض المراكز مثل بوعرفة وبني تاجيت. وتعتني الساكنة أيضا بتربية الماشية وخاصة منها الغنم والماعز بالنسبة للرحل، إضافة إلى بعض الأبقار بالنسبة للمستقرين، ويهتم السكان أيضا ببعض الزراعات البورية الاحتمالية التي تشمل الحبوب، وبعض الصناعات التقليدية التي تشمل إنتاج أدوات متنوعة تستعمل محليا، كما يشتغل عدد منهم عمالا موسميين بصفة عامة في قطاع التعدين بمناجم البارتين والرصاص والزنك بجبل زلمو وجبل بوظهر.

*استطلاعات ميدانية وروايات شفوية.*

عبدالرحمان الحرادجي

**بوعنان المعطي** بن محمد، مقاوم ولد سنة 1332 / 1913 بقبيلة السماعلة ناحية وادي زم. وكان معروفاً بوطنيته ومعاداته للاستعمار. وشارك بحماس في مظاهرة وادزم الشهيرة فسقط شهيداً في ساحة المعركة في نفس اليوم 20 غشت 1955.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 2.

عزالدين العلام

**البوعناني**، أسرة شريفة تنتسب إلى داود بن إدريس ابن إدريس الأكبر، انتشر أفرادها في فاس ومكناس وتطوان وغيرها من الحواضر والقرى. وكان التواصل بين البوعنانيين المكناسيين والتطوانيين مستمراً، كما تدل على ذلك قصة قاضي الحضرة الإسماعيلية البوعناني الذي توفي بتطوان عندما كان يقوم بإحدى زياراته لها في أواسط القرن الثاني عشر (18 م)، وقد بين الفقيه الرهوني (5 : 217) أن هذا القاضي هو محمد الطالب بن عبدالواحد البوعناني.

وقد تعرض النسابة إدريس الفضيلي في *الدرر البهية* لذكر البيت البوعناني فقال : "وتقدمت لهم صدر الدولة العلوية ولايات خصوصا خطة القضاء، فقد تداولها عدد منهم وتصدوا للإفتاء والتدريس..." ومما يؤكد كلام الفضيلي أن المؤرخ الضعيف الرباطي يذكر أن البوعنانيين كانوا من علماء فاس الذين ناصروا المولى الرشيد في حركته عند دخوله فاس في محرم عام 1076 / يوليوز - غشت 1665 "فسرَّ بهم وبقي يرعاهم ... وهذا من أسباب تولية أحفادهم القضاء من قبل مولانا إسماعيل رحمه الله لما يعلم فيهم من تقرير محبة الإمارة".

ويعرف من بين أفراد أسرة البوعنانيين التطوانيين :

**البوعناني، أحمد** بن عبد العزيز الذي تولى خطة العدالة بالمدينة من سنة 1789/1203 إلى سنة 1796/1210.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 3 : 101 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 57 ؛ 5 : 217 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم وعبدالاله الفاسي

**البوعناني، التهامي**، بن علي، صوفي صالح، من مريدي الشيخ الطيب الوزاني بواسطة مقدمه قاسم ابن فرحون. وبعد موت هذا الأخير ولاه الشيخ مولاي الطيب على أصحابه الفقراء بزاوية الشرشور، فعرفت له كرامات ومكاشفات. ذكر صاحب *نشر المثاني* أنه أنفق على روضة سيدي قاسم بن رحمون ثلث ماله وأوقف عليها الكثير. وعندما توفي بالطاعون عام 1154 / 1741 دفن قرب سيدي قاسم، ومازال أهل فاس حتى اليوم يعظمون قبره ويزورونه بزقاق الحجر بدرب منية.

م. القادري، *نشر*، 4 : 248 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 106 - 107.

**البوعناني، عبد الواحد** بن **علي**، ولي قضاء مدينة تازا والخطابة والإمامة بمسجدها الأعظم أول دولة السلطان المولى عبدالله بن إسماعيل، ثم أقيل من ذلك ورجع إلى فاس، وبها توفي قبل أبيه آتي الترجمة سنة 1738/1151.

**البوعناني، عبد الواحد** بن **مَحمد** - فتحا -، ولي الفتوى بفاس ودرّس بجامعها الأعظم، وتولى قضاء فاس الجديد، رحل إلى الجزائر بأمر السلطان فلقي جماعة من مشايخها، أخذ عن والده، وعبدالقادر الفاسي، وولده مَحمد - فتحا -. له *فتاو* تدل على اطلاع واسع، وتضلع في فقه النوازل. توفي عام 1694/1106.

**البوعناني، علي** بن **عبد الواحد**، فقيه مدرس وجيه، ولي القضاء بفاس والخطابة والإمامة بجامعها الأعظم، كتب أهل فاس إلى السلطان المولى إسماعيل سنة 1123 يحمدونه على توليته عليهم ويشكرونه على ذلك.

توفي عام 1750/1153، ودفن ببيت سيدي أحمد بن عمر.

م. القادري، *نشر* ؛ *التقاط الدرر* ؛ م. الكتاني، *سلوة*.

محمد مزين

**البوعناني، محمد** بن **حمدون**، فقيه أستاذ مشهور بقبيلة أولاد سعيد بالشاوية أسس زاوية ـ مدرسة لتلقين العلوم القرآنية. واشتهر بالكرم والإنفاق على الطلبة وهكذا كانت مدرسته تضم حوالي مائة طالب يدرسون ويعيشون على نفقته.

اشتهرت مدرسة الفقيه البوعناني بالشاوية والقبائل المجاورة فكان يفد إليها طلاب العلم من تلك القبائل فيجدون فيها الغذاء الروحي والمادي.

وقد أشار القاضي العربي العزوزي إلى مكرمة أخرى اشتهر بها الفقيه البوعناني، هي أن الناس كانوا يقصدونه للتداوي بأدويته التي كانت مجربة في شفاء بعض العلل. توفي عام 1926/1344.

العربي العزوزي، *نشر المحاسن*، مخطوط.

علال الخديمي

**البوعناني، محمد الطالب** بن عبدالواحد بن محمد، تولى قضاء مكناس حسبما ذكره محمد بوجندار في *الاغتباط* اعتماداً على رسوم تدل على ذلك معززة بإمضاء القاضي. فقد صادف فيها تحليته بـ : "قاضي الحضرة الإمامية الهاشمية" وعلى الرغم من عدم وجود رسوم مماثلة تدل على توليته قضاء الرباط، فإن الكثير من خطاباته تدل على أنه تولى قضاء الرباط بعد سنة 1120 / 1708 ولا يعرف هل جاء بدل القاضي قبله أو كان بينهما آخر. وكانت وفاته بتطوان أواسط القرن الثاني عشر (18 م).

**البوعناني، محمد العربي**: ن محمد ـ فتحا ـ المتقدم الذكر، فقيه أديب، أخذ عن الشيخ عبدالقادر الفاسي وغيره، تولى إمامة مسجد الأندلس وخطبته، ودرس بالقرويين، ثم تولى قضاء تازا، توفي قبل أبيه بالطاعون عام 1678/1089، ودفن مع البوعنانيين بروضتهم.

**البوعناني، مَحمد** بن **مَحمد** ـ بفتح الميم فيهما ـ ابن سليمان ابن منصور، عالم مقرئ محدث، سمع من الشيخ القصار وعبد الرحمن العارف الفاسي وأحمد المقري والجنان وسواهم.

وأخذ القراءات عن أحمد الفشتالي، ومحمد المربي، وأحمد بن شعيب الأندلسي صاحب كتاب *الصنعة*. ومن تلاميذه الشيخ ميارة وعبد الرحمان الفاسي وأبو سالم العياشي وآخرون.

من آثاره : *فهرس* شيوخه. ولم نقف عل تاريخ وفاته.

م. الكتاني، *سلوة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

**البوعناني، مَحمد بن مَحمد بن مَحمد** بن **سليمان**، مقرئ خطيب، تولى الخطابة بجامع الأندلس، ثم الإمامة والخطابة بجامع القرويين، وولي قضاء فاس الجديد والخطابة بجامعها الأعظم، وكان فصيحاً بليغاً، مقرئاً مجوداً، له وجاهة عند العامة والخاصة. أخذ عن والده وغيره. توفي عام 1686/1098.

م. القادري، *نشر* ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام* ؛ س. أعراب، *القرّاء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

**البوعناني، يوسف** بن محمد الطالب، وصف بالعلم والفضل. وعندما بلغ سن العشرين ولي قضاء فاس سنة 1153 / 1740 بتعيين من السلطان عبدالله بن إسماعيل. وقد فوض له أمر القضاة والأئمة والخطباء والنظار والمحتسبين، ثم عزله وولى مكانه القاضي بوخريص عام 1159 / 1746، ثم رجع لقضاء فاس بعد أزيد من ثلاثين سنة، ونقل إلى قضاء مكناس فلم يلبث إلا شهوراً وعزل، ثم ولي قضاء فاس الجديد، فقضاء الرباط مشتركاً مع القاضي قبله العربي القسمطيني. وكان من أهل الصرامة في الأحكام، وهو الذي سجن الفقيه محمد بن عبدالرحمان الفيلالي.

توفي بفاس في 22 ربيع الثاني عام 16/1206 دجنبر 1791 ودفن بروضة أولاد بوعنان داخل باب الجيسة.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، 54. 61. 63. 65. 75 ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ م. بوجندار، *تعطير البساط*، 9. 10. 18. 19 ؛ *الاغتباط*، 313. 474 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط*، ص، 122، د. د. ع. كلية آداب الرباط 1988.

عبدالاله الفاسي

**البوعنانية بسلا**، مدرسة طبية من إنشاء السلطان أبي عنان المريني، غلب عليها اسم المارستان لكثرة من كان يعالج بها من المرضى. تقع برأس حي باب حساين في حارة كان يسكنها اليهود أيام المرينيين ومازالت حتى اليوم تدعى الملاح القديم. كان موقع هذا المارستان فندق زيت، ويسكن في أحد بيوته بأقصى يسار الداخل الشيخ الصوفي أبو موسى الدكالي صاحب الضريح الشهير بشاطئ البحر شمالي المدينة (سيدي موسى).

أراد أبو عنان أن تكون هذه المؤسسة العلمية مارستاناً يعمل به أطباء مهرة يمارسون عملية التعليم والتمريض معاً، وعيّن لهذا الغرض أوقافاً عظيمة لرواتب الأطباء ومؤن المرضى. وقد وصف المؤرخ السلوي محمد بن علي الدكالي هذا المارستان في *الإتحاف الوجيز* (ص. 61) اقتباساً من *مقامات البلدان* لابن الخطيب المعاصر لفترة التأسيس الذي أقام بسلا وكتب عن مشاهدة : "وهو ـ أي المارستان ـ حفيل مشتمل على بيوت كثيرة لاستقرار المرضى والمجانين والحمقى بها، وأجرى له الماء لشدة الحاجة إليه من الماء الداخل على سور أبيه... وعين له أطباء مهرة من الذين يعانون العلم قراءةً وعلاجاً. وكان مرتّباً لهم الجرايات والصلات على ما يعانون، فكان سوق الطب كسائر المعارف رائجاً بأقطار المغرب لاعتناء الملوك به".

وتحدث ابن الحاج النميري في *فيض العباب* (ص. 43)

عن زيارة أبي عنان لمارستان سلا بعد انتهاء أشغال بنائه عام 758 / 1356 ووصفه بقوله : "... فلا سقيم إلا وحديث برئه ليس بالسقيم، وكتاب *الشفا* منه يروى عن الحاضر والمقيم، بعد أخذ التنبيهات والمدارك لكن عن الحكيم. فالمقيم به كالمسافر يصح ويغنم، وباقتبال الأجر والعافية ينعم".

ومن أشهر أطباء البوعنانية بسلا الشيخ عمر ابن غيات الذي يسميه العامة سيدي مغيث. ومن المتخرجين على يده الفقيه الطبيب محمد بن قاسم القوري المكناسي ثم الفاسي (ت. 872 / 1467 . 1468).

ويظهر أن بوعنانية سلا كانت مركزاً طبياً وبيطرياً في نفس الوقت، وحين تدهور أمر هذا المارستان بعد أفول نجم المرينيين وخلت بيوته من المرضى وأصبح - كما كان من قبل - يستعمل لأغراض تجارية ويدعى فندق أسكُور، بقيت الحيوانات تساق إليه للعلاج، وبخاصة الطائر اللقلاق "بلارج" الذي كان يستوقف أنظارنا ونحن صغار، فنراه في ساحة الفندق أعرج أو مكسور الجناح، حتى إذا عوفي طار ورجع إلى عشه في أعالي الأبراج أو القباب الخضراء.

وفي عهد الحماية وقع ترميم البوعنانية وصارت مقراً للمحكمة الشرعية. وإذا كانت بعض معالمها الداخلية قد تغيرت فإن بابها الشامخ ظل صامداً أمام زوابع الدهر محتفظاً بزخرفه ونقوشه المشتملة "على رسم بانيه أبي عنان، وعلى تسميته بالمارستان، مكتوب ذلك في الزليج الأسود الملصق على تاج الباب".

م. ابن الحاج النميري، *فيض العباب*، تح. م. ابن شقرون، ص. 43؛ م. ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، ط. فضالة، ص. 152 ؛ *نفاضة الجراب*، السفر الثالث المخطوط ؛ م. ابن علي الدكالي السلوي، *الاتحاف الوجيز*، 61.

محمد حجي

**البوعنانية بفاس**، مدرسة أخذت اسمها من اسم مؤسسها أبي عنان المريني (751 . 758 / 1350 . 1356). وتعرف في بعض الكتابات بالمتوكّلية تبعاً للقب نفس السلطان "المتوكِّل على الله". وهي أول مدرسة شيدها أبو عنان، وكانت الغاية منها مؤازرة جامع القرويين وربما منافسته، حيث إن المدرسة تحتل موقعاً وسطا بين فاس الجديد مقر السلطان والمدينة القديمة حيث جامع القرويين. ويظهر أن اختيار هذا الموقع لم يكن عفوياً خصوصاً بعد أن أقر أبو عنان العَلَم الأبيض والفنار فوق الصومعات للإعلان عن حلول وقت الصلاة، وكان لا بد من جامع تسمح صومعته برؤية العلم أو الفنار من فاس الجديد. وقد رويت أساطير متعددة لتفسير اختيار أبي عنان لهذا الموقع... ذكر الجزنائي في *جني زهرة الآس* أن السلطان ارتكب فاحشة تجاه أبيه أبي الحسن وأخذ يبحث عن وسيلة يكفِّر بها عن ذنوبه فشيد مدرسة فخمة، كما أرجع بعضهم سبب البناء إلى رغبة السلطان في تكريم أحد قضاته المشهورين، محمد المقري التلمساني منشئ عقد بيعته بتلمسان.

وتتفق جل المصادر على أن الشروع في بناء المدرسة البوعنانية كان يوم 28 رمضان عام 751 / 29 نونبر 1350. وأشرف على البناء - حسبما جاء في الحوالة الحبسية "المدرسة المتوكلية"- الناظر في الحبس بالحضرة أبو الحسن ابن أحمد بن الأشقر.

ودام البناء خمس سنوات حيث انتهى العمال من الأشغال آخر شعبان سنة 756/8 شتنبر 1355. وقد ذكر الحسن الوزان نقلاً عن بعض أساتذته "أنه عندما تم بناء المدرسة أُطلع أبو عنان على سجل تكاليف هذه المدرسة، ولما تصفح بضع صفحات وجد ما مجموعه أربعون ألف مثقال، فأنشد قائلا :

لابأس بالغالي إذَا قيل حَسَنْ     ليس لما قـرّتْ بـه العينُ ثَمَنْ

وكان هناك ناظر يدعى ابن الحاج ضبط هذه المصاريف ووجد أن مجموعها بلغ أربعمائة وثمانين ألف مثقال" (*وصف افريقيا*، 1 : 179).

وقد أوقف عليها أبو عنان عدداً من الحمامات والأرحية والأفران والحوانيت وغيرها. وكلها متصلة بالمدرسة أو قريبة منها. ويظهر أن جل هذه العقارات بُنيت مع المدرسة. ويستعمل ريعها لإصلاح المدرسة وتوفير مرتبات المدرسين والطلبة المقيمين بها.

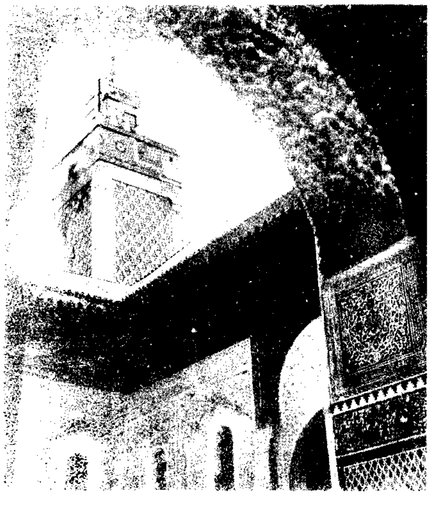

وقد استمرت المدرسة البوعنانية تستقبل الطلبة إلى عهد قريب. وما زالت اليوم تستعمل كمسجد للصلاة، كما أنها تخضع اليوم كباقي مدارس مدينة فاس المرينية لعملية الإصلاح والإنقاد.

أ. الجزنائي، *جني زهرة الآس* ؛ م. ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، لبنان، ط 3، 1981 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج 1 ؛ أ. باب السوداني، *نيل الابتهاج*، ص 250.

A. Bel, *Inscriptions arabes de Fès*, *J. A.* T. XI, p. 363 - 364, 1918.

محمد مزين

** من الناحية الأثرية تعد المدرسة البوعنانية من أكبر وأشهر المعالم بحاضرة فاس. وهي آخر المنشآت التعليمية المرينية، والوحيدة بحاضرة فاس التي تحمل اسم منشئها.

لكن مميزاتها الأساسية تكمن في عناصر أخرى، منها أنها تجمع بين وظيفة التدريس ووظيفة المسجد ـ الجامع، إذ اشتملت منذ نشأتها على منبر للخطبة يعتبر آية في الجمال، وعنواناً للابداع في القرن الثامن (14 م)، ولا يزال هذا المنبر إلى الآن تحفة من التحف الفنية البالغة الجمال. وتأكيداً لدور الجامع، شيدت بالمدرسة صومعة شاهقة روعي في علوها تمكن المؤذن من رؤية كل من صومعة جامع القرويين وصومعة جامع الأندلس وبذلك أصبحت البوعنانية ثالث الجوامع الأساسية بالمدينة، تحمل نداء الصلاة وإشارات الصيام والافطار في رمضان إلى سكان الأحياء العليا من فاس.

وقد ذهب ألفريد بيل A. Bel في معالجته لمسألة الجمع ما بين التدريس والصلاة (وخاصة صلاة الجمعة) في البوعنانية إلى أن ما أملاهما على المنشئ هو أن سابقيه من السلاطين والأمراء أحدثوا مدارسهم بالقرب من الجوامع الكبرى. فلم يجد أبو عنان لتنفيذ رغبته هو أي مكان فارغ بالقرب من هذه الأخيرة، فعزم على جعل مدرسته بناية تجمع ما كان متفرقا عند سابقيه. ونحن نرى أن هذا الرأي على وجاهته، أنما هو اجتهاد لإيجاد تفسير مقنع لهذا الحدث الغير المألوف. ونعتقد من جهتنا أن أبا عنان كان في قراره هذا مُخلصاً لشخصيته وللسمعة التي أحاطت به منذ أن تولى أمور الدولة، إذ كان في كل قراراته خارجاً عن القاعدة المتبعة، من ذلك على وجه الخصوص أخذه لقب أمير المؤمنين ـ وهو أمر له أكثر من دلالة على الرجل ونواياه ـ وهو العارف بعمق المسألة بل وبخطورة القرار من وجهة نظر سياسية. لذلك لا نستبعد بتاتاً أن يكون عقد العزم على إنشاء مدرسته بالكيفية التي أنجزت بها لا لكونه لم يجد مكاناً فارغاً بالقرب من أحد الجوامع الكبيرة وإنما لغاية إعطائها الصورة التي رسمها لها والتي أراد بها تمييزه عن سابقيه. ويكفينا تأكيداً لذلك أن نشير إلى أن هذه النية تظهر جلية في نص الرخامة الحاملة لتاريخ التأسيس وللأحباس التي حسبت على المدرسة حيث نعتت هذه الأخيرة بكونها "معدة لتدريس العلم وإقراء القرآن، المفضلة بإقامة فرض الجمعة". ومسألة التفضيل هنا تشير، مما لا يدع مجالا للشك، إلى سمو البوعنانية في ذهن منشئها مقارنة مع مثيلاتها من المدارس التي لا تقام فيها صلاة الجمعة.

من الناحية المعمارية تعتبر المدرسة البوعنانية مجمعاً معمارياً يضمّ مجموعة أولى من البنايات متداخلة فيما بينها ومكملة بعضها البعض، وعدداً آخر لا تمت وظيفتها بأية صلة لوظيفة "المدرسة ـ الجامع"، لكنها جد هامة لضمان وجود هذه الأخيرة. فمن المجموعة الأولى نذكر :

- "المدرسة ـ الجامع" نفسها وتتكون أساساً من قاعتين للتدريس، وقاعة كبرى للصلاة وغرف لإيواء الطلبة.
- مقصورة الامام وبابها إلى يسار المحراب.
- جامع الجنائز وراء جدار القبلة، يُنزل إليه من بيت الصلاة بدرج من عدة درجات.
- بيت وضوء داخلي يقع في الزاوية الشمالية من

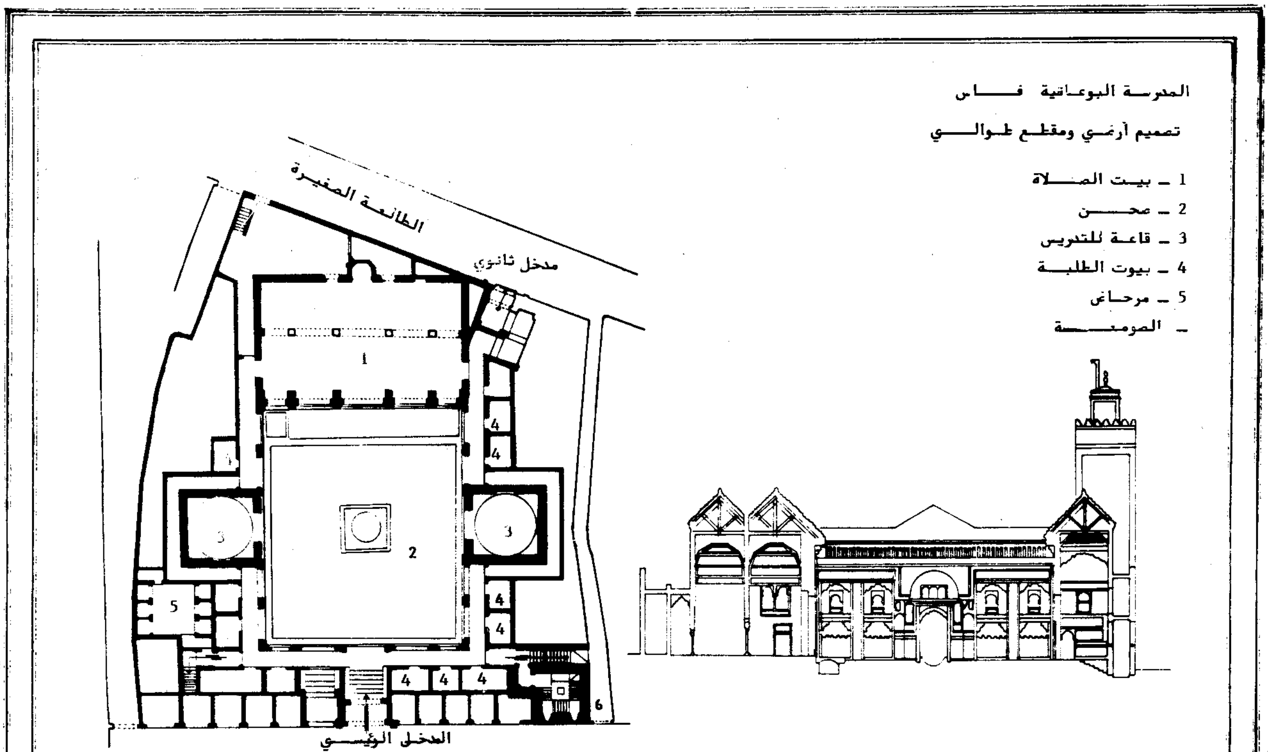

المدرسة.

ـ كتّاب صغير لتعليم القرآن الكريم للأطفال يقع في جهة الجنوب الغربي.

ـ بيت وضوء خارجي، يعتبر بدوره تحفة معمارية بارزة، يقع خارج البناية الأم، مواجهاً لها، يفصل بينهما زقاق الطالعة الكبرى.

ـ الساعة الجدارية العظيمة المعروفة "بالمگانا" وبنايتها محادية لبيت الوضوء السالف الذكر، وهي الآن معطلة لم يبق منها إلا بعض الآثار.

أما المجموعة الثانية فتتكون من العقارات المختلفة التي أنشأها أبو عنان وجعلها حبساً على المدرسة أو التي كانت موجودة وحبسها عليها. وقد ذُكرت كلها في رخامة التحبيس ومما جاء في هذه الأخيرة كما أتى بذلك "ألفريد بيل" ما نصه :

"حبس أيده الله على هذه المدرسة إرفاقا لطلبة العلم وإرفادا، وإعانة لهم على طلبه وإسعادا، جميع ما ينقسم من الربع وذلك الحمام المعروف بحمام الشطارة والدويرة المتصلة من حقوقه بأعلى حلق النعام، قبلي المدرسة المباركة، والرحا المتصلة بالمدرسة من جهة الشرق، والرحا الثانية المعروفة برحا الحطا، بين التي بها معدة الماء المجلوب منها الماء إلى المدرسة ودار الوضوء بها، والفرن الذي بالزنقة الفاصلة بينه وبين المدرسة، والروآن الاثنان أحدهما بالزنقة جنب الفرن وتتصل بالحوانيت الجدد المحبسة على المدرسة، والآخربزنقة ابن نوار وتتصل بدار الوضوء

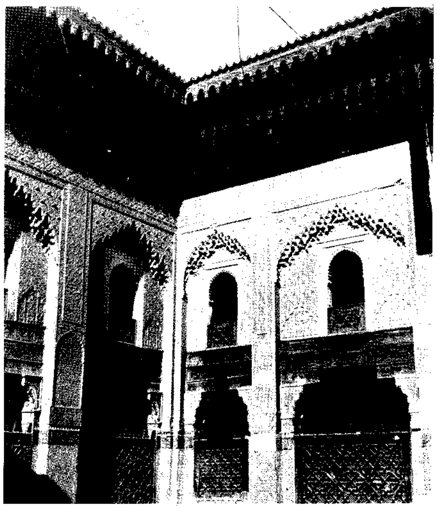

المذكورة، وأربع وسبعون حانوتا كلها بالقرب من المدرسة، بحقوق ذلك كله ومنافعه أجمعها لتصرف فوائده في إصلاح المدرسة ومرتبات المقرئين والطلبة القومين (يعني القيمين) بها تحبيسا تاما ثابت الحكم لا تبديل لرسمه إن شاء الله".

بالنظر إلى التصميم العام للمدرسة نجد بناياتها الأساسية تتوزع حول صحن كبير مربع الشكل طول كل ضلع منه 18 متراً، أرضيته مكسوة بقطع من المرمر الابيض تتوسطه بركة ماء مربعة الشكل (5 م x 5 م) ومغطاة بالمرمر الأبيض.

تنتصب في جانبي الصحن يمينا وشمالا قاعتان كبيرتان متقابلتان مربعتا الشكل (25 x 25 م) يسفتح على كل واحدة منها باب عظيم مزخرف في قسمه الأعلى بنقوش جصية وفي قسمه الأسفل بقطع الزليج المختلفة الألوان.

أما بيت الصلاة فشيد شمال الصحن، تفصل بينه وبين هذا الأخير قناة مكشوفة يناهز عرضها المترين وتجري بها دوما مياه شعبة من "واد فاس". وقد نصبت على طول القناة من جهة الصحن درج من علو يناهز الثلاثين سنتيما يجلس عليها من يريد التوضؤ من جانبي القناة، وضعت قطعتان مرمريتان عريضتان تمكن المصلين من المرور من الصحن إلى داخل بيت الصلاة.

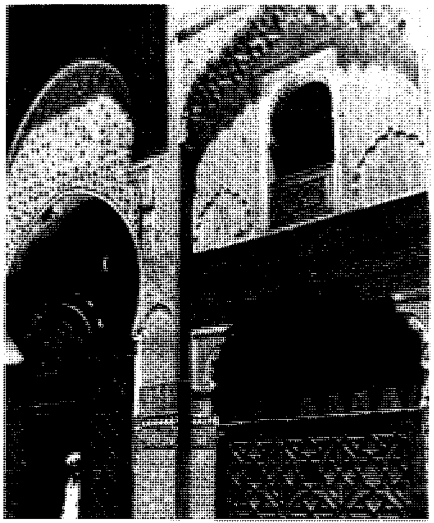

بيت الصلاة هذا مستطيل الشكل يتكون من بلاطين أفقيين، أي موازيين لجدار القبلة، تفصل بيهما مجموعة أقواس غير متساوية المقاييس حيث إن القوسين الجانبيين أقل اتساعاً من الأقواس الوسطى. ومما يسترعي الانتباه كون السواري الست التي تحمل الأقواس الفاصلة بين البلاطين كلها من المرمر، تعلوها تيجان من نفس المادة، مزخرفة بزخارف محكمة الصنع وبكتابات نقشت بخط أندلسي جميل. فالقوسان الأوسطان يحملان ما نصه :

أمر ببناء هذه المدرسة المباركة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحسن ابن الخلفاء الراشدين أيده الله.

أما الأقواس الأربعة الباقية فتحمل العبارة التالية :

النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبي عنان أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين...

يتوسط جدار القبلة محراب زينت جدرانه بنقوش جبصية تجمع ما بين عناصر نباتية الشكل، وأخرى هندسية، وكتابات قرآنية نقش أغلبها بخط أندلسي جميل، ونقشت إحداها بخط كوفي مزخرف بوريقات نباتية. هذه الأخيرة تجري على الإطار المحيط بزخارف قوس المحراب، ومجموع كتابات المحراب سور قرآنية.

وبما يميز المدرسة البوعنانية عن سائر المدارس المرينية، بل ومجموع المدارس المغربية المعروفة، وجود قاعتين للتدريس متقابلتين ومتساويتي المساحة (5 أمتار x 5 أمتار في كل واحدة)، إحداهما على يمين الواقف بصحن المدرسة، والثانية على شماله.

وهذا التصميم يذكرنا بعنصر "الإيوان" في العمارة الشرقية، التي انتشرت في بلاد الرافدين، ثم منها إلى مصر، حيث ظهر نفس النمط في مدارس القرن الثامن (14م). وأهم هذه المدارس "المدرسة - الجامع" المعروفة بمدرسة حسن بالقاهرة وهي معاصرة للبوعنانية. فتكون هذه الأخيرة باختيارها للتصميم المذكور، إنما انساقت مع طريقة البناء التي سادت في عهدها، والتي لم يكتب لها بعدها الازدهار والتطور بل وحتى البقاء في العصور التي تلت.

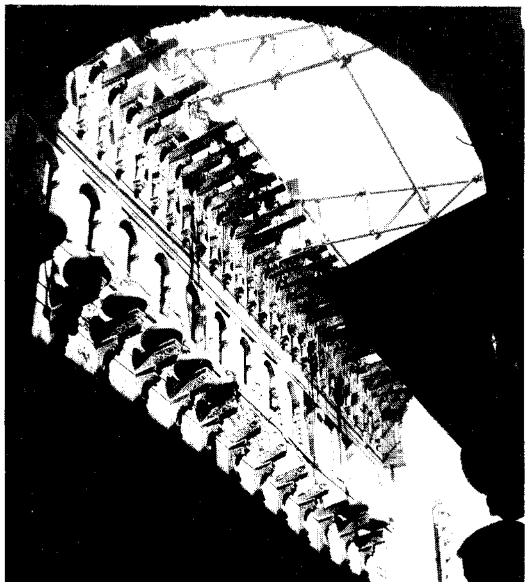

وعلى غرار كل المدارس العتيقة، تحتوي البوعنانية على مجموعة كبيرة من الغرف، لسكنى طلبة العلم بها، شيدت على مستويين : مستوى أرضي، وآخر بالطابق العلوي. وقد وزعت هذه الأخيرة بكيفية محكمة بحيث لا تعلو المرافق الأساسية للمدرسة كبيت الصلاة، وغرفتي التدريس، والمدخلين.

ومن مميزات البوعنانية كذلك "الساعة الحائطية" العظيمة، الواقعة قبالة المدخل الرئيسي للمدرسة، وبمحاذاة بيت وضوئها الأكبر الواقع خارجها بمحج الطالعة الكبرى. ولقد كُتب الكثير عن هذه المعلمة الفنية وعن تقنية عملها، كان آخرها ما جاء به العالم دونالد - ر - هيل Donald R. Hill. مع ذلك لا تزال هذه الساعة من قبيل ما يثير الفضول بل وحتى الاستغراب. وإذ لا يتسع المجال لإعطاء تفاصيل عما تم الكشف عنه بخصوص ميكانيزماتها، فتكفي الاشارة إلى أن هذه الأخيرة كانت تعتمد على عنصر الماء (فالساعة مائية إذاً) يتم توزيعه بكيفية ميكانيكية دقيقة عبر أنابيب وَصَفَها بروسبير ريكار P. Ricard بأنها كانت مصنوعة من خشيبات سمكها سنتيم واحد، ونعتقد من جهتنا أن هذه الأخيرة لم تكن سوى غشاء خشبي لأنابيب رصاصية. ومهما يكن فإن الماء يمر منها لينزل بقطرات فوق الأجراس البرونزية التي لا يزال بعضها قائماً شاهداً على محكم الصنع وعظمة الابداع.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ص. 225. 227 ؛ ابن الاحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، طبعة 1972، ص. 65.

A. Bel, *Inscriptions arabes de Fès*, Paris, 1919 (extrait du *Journal Asiatique*, 1917 - 1919) ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954, p. 291 - 294 ; P. Ricard, *L'horloge de la médersa Bou-Anania de Fès* ; Ch. Terrasse, *Médersas du Maroc*, Paris, 1927.

عبد العزيز توري

**بوعنفير**، اسم من أسماء نهر شيشاوة عندما يعبر أراضي أولاد بو السباع. ولما كان منبع هذا النهر في جبال أيت عبدالله بسكساوة غربي الأطلس الكبير الغربي فإنه يسمى هناك واد سكساوة. وفي مقدمة سهل الحوز تصب فيه ثلاثة روافد : غرباً واد أمزناج المنحدر من مرتفعات متوگة، وواد إيمي - ن - تانوت النابع من شعاب نفيفة، وشرقاً واد صيّاد النابع من أيت بايعقوب بجبال مزوضة. وعند اجتيازه لقبيلة إدْويرانْ يحمل اسم واد القيهْرَا، ثم يصبح واد بوعنفير عندما يشطر قبيلة أولاد بو السباع شطرين، وبعد ذلك يحتفظ باسم واد شيشاوة إلى أن يصب في واد تانسيفت بقبيلة أحمر.

**بوعنفير**، (أهل -) مجموعة من السكان كانوا يستقرون بنزالة على الضفة اليسرى لواد بوعنفير، لعلها كانت تشكل فريقاً من قبيلة مزوضة، ولا نعرف شيئاً عن الأسباب والظروف التي جعلت أفرادها يتفرقون في القبائل المجاورة. وقد أنعم عليهم السلطان مولاي إسماعيل بظهير التوقير والاحترام، وأمرهم بتعمير نزالتهم. ولم يعودوا تابعين لا إلى أهل شيشاوة ولا إلى أهل مزوضة. وجدد لهم السلطان مولاي عبدالله بن إسماعيل ظهير أبيه وأمرهم بجمع إخوانهم المتفرقين في القبائل وعيّن عليهم شيخاً يسمى إبراهيم بن مسعود ليجمع كلمتهم ويهتم بشؤونهم. وأصدر أوامره إلى القبائل المجاورة لهم بتوقيرهم وعدم الاعتداء عليهم (الظهير 1) وقد عاملهم السلطان محمد بن عبدالله معاملة أسلافه، وصار يلزمهم في عهده بما كان يلزم إخوانهم القاطنين في إنْشّادْن وأمْزّلْدان بأگدال في قبيلة مزوضة.

**بوعنفير**، (مدرسة -) بناها الشيخ أحمد بن مبارك الرسموكي في نزالة بوعنفير قبل سنة 1277 / 1860 وذلك بعدما أتم دراسته في المدرسة النحلية بمزوضة وأجازه شيخه محمد بن محمد الهلالي الإرغي (*المعسول*، 18 : 274 . 277 ؛ *النور الحنفي*، 20). وكانت مدرسة بوعنفير تستقبل الطلبة القادمين إليها من مختلف القبائل (*الإلغيات*، 2 : 221) فتؤويهم وتطعمهم وتهذب سلوكهم وتلقنهم علوما دينية ولغوية متنوعة وتحثهم على اتباع الطريقة الناصرية وحفظ أذكارها.

تعدّ مدرسة بوعنفير من فروع مدرسة تِيمْگدْشْتْ

السوسية، بحكم دراسة مؤسسها أحمد بن مبارك في الزاوية النحلية التابعة لتيمْكّدْشْتْ، وحصل على إجازة الشيخ أحمد التيمكدشتي يأذن له بتعليم العلم ونشره وإجازة مَن توسم فيه الأهلية للقيام بنفس المهمة (*المعسول*، 15 : 273 ـ 284 ؛ *جواهر الكمال*، 1 : 96 ؛ *الإجازة*) كما كان يتلقى رسائل من فقهاء تيمْكّدْشْتْ توصيه بالاجتهاد في نشر السنة وهدم أركان البدعة والحفاظ على الطريقة الناصرية.

ولما توفي أحمد بن مبارك سنة 1864/1312 خلفه ابنه الحسن، فقام بشؤون المدرسة أحسن قيام وتقدمت في عهده تقدما ملحوظاً. وتوفي هو الآخر سنة 1942/1361، وصار الخلف يعوض السلف. وما زالت المدرسة قائمة تؤدي رسالتها حتى وقتنا الحاضر، تخرج منها فقهاء وعدول وقضاة وعمل بعضهم على بناء مدارس في قبائلهم كعبد المعطي السباعي مؤسس مدرسة أولاد عبدالمولى بالقبيلة السباعية.

وقد حافظ فقهاء مدرسة بوعنفير على عادة قراءة *صحيح البخاري* طيلة شهر رمضان وختمه في مناسبة خاصة صارت موسماً دينياً وتجارياً ينعقد كل سنة ويسمى "*بخاري بوعنفير*" على غرار "بخاري سيد احماد أُعلي" بمزوضة.

وبالإضافة إلى الوظيفة العلمية والتربوية لعبت المدرسة عدة أدوار كحماية اللاجئ إليها، وحل بعض مشاكل السكان، وإصلاح ذات البين بين القبائل المتجاورة، وتهييء الأدوية للمرضى وغير ذلك من الأعمال الاجتماعية، لذلك استحق شيوخها التوقير والاحترام.

*خرائط إيمي ـ ن ـ تانوت وشيشاوة*، مقياس 1/100.000 ؛ الهواري علي بن محمد (1370/1289)، *النور الحنفي في مناقب الشيخ سيدي محمد الحنفي*، مخطوط ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال*، ج.1 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *الإلغيات* ؛ *مجموعة ظهائر* ؛ *مجموعة رسائل* أقدمها مؤرخة بـ 12 صفر 1279 ؛ *نسخة الإجازة*، مؤرخة في 1 ذي القعدة عام 1277 ؛ م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، د. د. ع. بكلية الآداب بالرباط، 1988.

م. حسن كفناني

**بوعوادة، عمرو** (سيدي ـ) بن الفقيه محمد العثماني، وصفه ابن زيدان في *الإتحاف* (ج. 5) بأنه : "ولي صالح معتقد فالح". وسماه "عمر" والصحيح هو "عمرو" حسب ما ورد في *الحوالات الحبسية* الإسماعيلية الخاصة بمكناس، وكذا في *المنزع اللطيف*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط (ج. 595)، ص. 291، وهو المشهور عند العامة. أخذ عن شيخه سعيد بن أبي بكر المشنزائي دفين مكناس. وتوفي أوائل المائة الحادية عشرة، ودفن بحومة حمام الحرة بمكناس وقبره مزارة مشهورة.

*حوالة الاحباس الصغرى بمكناس*، رقم 4 بنظارة الاوقاف بمكناس، ص. 160 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الجزء الخامس ؛ ر. بلمقدم، *الأوقاف بمكناس في عهد مولاي إسماعيل (1082 ـ 1139 / 1672 ـ 1727)*، د. د. ع كلية الآداب، الرباط، 1991، (مرقون) ص. 162 و227.

رقية بلمقدم

**بوعيش، أحمد علال**، مقاوم ولد سنة 1345 / 1926 في بني توزين إقليم الناضور. انخرط في صفوف جيش التحرير وشارك في عدة معارك بتيزي وسكي ضمن الوحدة التي كان يرأسها الحاج أحمد بلخريف. وفي إحدى الاشتباكات المسلحة مع العدو قرب تايناست بضواحي تازا استشهد يوم 28 مارس 1956.

*كتاب شهداء الاستقلال*، ج 2.

عزالدين العلام

**بوعيطة**، (أولاد ـ)، تنتمي هذه القبيلة ككل القبائل المرابطية إلى الغور اللمطي القديم جنوبي الأطلس الصغير. وهي تنتسب إلى عبدالله بن إدريس الأصغر أو حفيده الثالث عيسى. أما جدها الأقرب فهو علي بوعيطة الذي غادر رگراگة خلال القرن العاشر (16 م) ليستقر بمنطقة أگجگال. وهي رواية تخالف مقولتهم بالاستقرار بتاگرتيلت منذ القرن الثالث (9 م) حيث عاينوا ازدهار نول لمطة ثم انحطاطها وتطور تگاوصت إلى أن خلفتها گليميم. هذه القبيلة المرابطية القليلة العدد تعد تابعة عسكريا لاتحادية تكنة. وهي تلتصق بالمنطقة الساحلية الفاصلة بين المحيط غربا وواد أساكا شمالا والخط الواصل بين بن كركور إلى رأس الطارف شرقا فوادي أوريورة جنوبا. وهو مجال استراتيجي ينقسم إلى وادي بوايسافن الذي يحد بين هضبة تاگرتيلت (2.600 م) وبوسمارة والشاطئ الأبيض غير بعيد عن بسيط لدهام. فهضبة تاگرتيلت تحاذي الشاطئ من وادي أساكا إلى وادي تكمبة ممتدة جنوبا عبر هضبات بوشامة وبويزيرت وبودارو. هذه الهضبات تعد في حد ذاتها ممراً أساسيا للقوافل والمجموعات البشرية المتجهة نحو الجنوب أو الشمال. أما تارگيلت فهي عبارة عن مجموعة من الشعاب والهضبات الساحلية المشرفة على المحيط. بينما نجدها تقف شامخة أمام المحيط نراها تنحدر تدريجيا وبشكل منسجم نحو بسيط بوسمارة. هذا الأخير هو بدوره عبارة عن معدر تتجمع فيه مياه الأمطار التي تمد رأس الطارف وتارگيلت. ويعد بسيط بوسمارة من أغنى الأراضي الفلاحية الصالحة للرعي بوادي نون. وهو ما يؤدي بجيران أولاد بوعيطة إلى محاولة منافستهم محلياً. أما الشاطئ الأبيض فيمتد حتى أوريورة تتخلله مجموعة من الكثبان والهضاب الرملية الغنية بالعشب. كما أن بسيط لدهام تتخلله بعض الگرارات وبعض المنحدرات الضعيفة.

يتضح بذلك دور المحيط في تطبيع المناخ حيث تأخذ الرياح عموما اتجاه غرب ـ شمال ـ غرب أو جنوب ـ شرق. وهذا ما يجعل التساقطات المطرة قليلة ونادرة مما يزيد من حدة الجفاف المستمر وقلة العشب وغلبة الرمال على الغطاء النباتي. على أن هذه القبيلة لا تتجاوز وادي درعة جنوبا إلا خلال السنوات الشديدة الجدب مكتفية بالانتجاع تحت حماية تكنة ما بين إفني وتندوف، ولتقدير المميزات

الاستراتيجية لهذا المجال لابد من الإشارة إلى دور التحالفات القبلية التي تفترضها أهمية الموقع : تعتبر فصيلة اصبويا الباعمرانية الجارة الشمالية المباشرة لأولاد بوعيطة. وهو ما يجعل كلا الطرفين يعقد معاهدات حسن الجوار وتبادل المصالح. أما في حالة بروز اختلافات بين الطرفين، فاللجوء يتم عادة إلى قضاة المدعى عليه، ومعلوم أن فصيلة اصبويا قد عرفت بتحالفها الدائم مع أيت بلة التكنيي المجاور لأيت الجمل شرقا، وفي هذه المسألة تجاوز لأيت الجمل القريبين من اصبويا مما يكشف عن طبيعة العلاقة مع قبيلة أيت لحسن. هذه الأخيرة تعد سيدة لف أيت الجمل والجارة الأولى لأولاد بوعيطة. وتعد الفصائل الحسنة إنجورن وأيت ساعد والزكاري المجاورة الفعلية لأولاد بوعيطة من الناحية الشرقية. وهو ما أدى إلى صياغة العلاقة بين أيت لحسن وأولاد بوعيطة على صيغة حامين ومحميين. يزيد من أهمية هذا التحالف أن تراب أولاد بوعيطة يعد مسرحاً تاريخيا لأبرز الأحداث التي ميزت علاقة تكنة بالتجار الأوربيين عبر الساحل المجاور، فالصراعات المسلحة والاتفاقيات المبرمة وحركية المبادلات والهجمات الإيبيرية علاوة على كل مظاهر ومضاعفات الصراع بين القافلة والسفينة الشراعية قد ارتبط بهذه المنطقة. لقد عايش أولاد بوعيطة من حيث انتماؤهم للغور السكاني القديم مجمل التطورات التي عرفتها المنطقة. فنجدهم يواكبون حركة مجاهدي الساقية الحمراء خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16 م) ضد المد المسيحي. وقد شكل حضورهم في حملات المواجهة المعلنة سببا في تعامل السعديين معهم. فقد اشتركوا يومها في تجارة القوافل كما تثبت ذلك بعض الوثائق المحلية. كما نجدهم من ضمن الوفود التي استقبلت المنصور لدى وصوله إلى تكاوصت عاصمة تراب أيت لحسن. على أن الضربة القاضية على تجارتهم ورواجهم الفكري والاقتصادي ستتجسد في مضاعفات بناء ميناء الصويرة. فقد حول هذا الميناء منذ سنة 1179 / 1765 قوافل وادي نون وإليغ إلى مراكش القريبة منه. فتجلت المقاومة المعلنة في مساندة كل محاولات بيروك وأبنائه بإنشاء ميناء في أحد الرؤوس البحرية المتميزة بترابهم. وهكذا تدلنا الوثائق الأوربية على أن مجمل المفاوضات قد اقتضت تعيين رأس الطارف أو رأس گيلمة أو رأس أساكا أو رأس أوريورة خلال القرن الثالث عشر (19 م) كنقط صالحة لتأسيس الميناء. وهي حركية سيحد منها بشكل حاسم الدور الذي قام به الشيخ ماء العينين ضد كل المحاولات السرية والمعلنة. ندرك من هنا لماذا اضطرت فصائل أهل سيدي مسعود وأهل عليوة وأهل بلعيد من أولاد بوعيطة إلى الدخول تحت الحماية الفرنسية والاستقرار جنوب أگادير منذ سنة 1339 / 1920. وقد ساهموا في تطبيع العلاقات بين باقي فصائل القبيلة وفرنسا بحكم انقراض فترة المحاولات اليائسة ومرحلة ما قبل الاستعمار.

Cne De La Paillonne, *Notice sur la Tribu des Aouled Bou Aita*, mémoire du CHEAM, N° 304, 15 p ; Cne Meric, *Etude sur le Bureau des Affaires Indigènes de Tatta*, CHEAM, mémoire N° 541, Vol. 22.

مصطفى ناعمي

**بُوعيَّاد**، أسرة أصلها من فاس كانت بتطوان وانقرضت في تاريخ لم نستطع تحديده. وقد كان من بين أفرادها فقيه اسمه :

**بوعياد، أحمد** بن الحسن، زاول خطة العدالة بتطوان سنة 1319/1901.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوعيَّاد، الحسن** (الحاج -) بن العربي بن عبدالسلام ابن البشير بن الحسن، ولد بمنشستر في انكلترا يوم الأربعاء 8 ربيع الثاني 22/1322 يونيو 1904 لتعاطي والده التجارة هناك كشريك للحاج المدني التازي. وقد عاد إلى المغرب وهو يبلغ من العمر تسعة أشهر.

وفي بداية طفولته التحق بكتّاب الأقواس بالقرب من درب القليدي، ثم كُتّاب الصفارين المقابل للسواقي، وكتّاب السبيطريين الأسفل، فكتّاب باب مولاي إدريس. وبعد هذه الفترة واجه والده ضغوط الإدارة الإنجليزية في إنشاء مدرسة تابعة لهم تخص أبناء الحمايات وكل المخالطين للإنجليز، فامتنع عن انتساب ابنه لهذه المدرسة مفضلا أن يلقنه تعليماً عربياً أصيلاً.

ولما أنشئت مدرسة درب الطويل الحرة بفاس - على غرار المدارس التي أنشئت في مدن أخرى - التحق الحسن بوعياد بصفوفها سنة 1339/1921 بتشجيع من أخيه السيد أحمد بوعياد، وموافقة أستاذه العلامة محمد الدخيسي الذي كان يعمل على الحفاظ على مستواه العلمي بكتّاب القطّانين، فسهر على تكوينه بمدرسة درب الطويل. وكان أبرز مدرسيه الأستاذ محمد بن عبدالرحمان العراقي الذي كان يشجع تلامذته بإعطائهم دروساً إضافية في جامع درب جنيارة وفي بيته حتى حبب إليه العلم حبّاً جمّاً. وكان له الفضل في انتساب الحسن بوعياد لجامعة القرويين مع بعض زملائه. ومن جملة مشايخه فيها أيضاً الشيخ الحسين العراقي الذي درس عليه البلاغة، والشيخ محمد بناني الذي درس عليه النحو، ثم الشيخ بوشتى الصنهاجي وأخوه محمد اللذان لقّناه النحو بجامع الرصيف.

وبطلب من مجموعة صغيرة من طلبة القرويين - من بينهم الحسن بوعياد - وافق الشيخ أحمد بن المامون البلغيثي أن يلقنهم علم الأصول والبلاغة والمنطق والأدب العربي لمدة سنتين كاملتين بمنزله الموجود بالمنية وبجامع باب المنية بفاس.

وأثناء هذه الظروف التحق الحسن بوعياد بصفوف الحركة الوطنية التحريرية، حيث كانت الاجتماعات سرية في إطار الجماعة التي أسست بالزاوية الدباغية المقابلة للزاوية الناصرية بفاس، وكان الأعضاء يطلعون على مجلات من الشرق من جملتها *مجلة المنار* لمحمد رشيد رضا. وكان الحاج المهدي الحبابي يسافر إلى مصر ويأتي بكتب ومجلات جديدة يمدّ بها الشباب المتعطش، حتى تعرفوا على بعض رجالات العصر : أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ورشيد رضا، وعلى الحركة السلفية وغيرها من الحركات المسلمة المعاصرة. وفي هذا الإطار تعرّف المترجم على جامعة الأزهر من خلال المطالعة وإمكانية الانتساب إليها وشجعه على ذلك الحاج المهدي الحبابي - رحمه الله -.

كما أخذ الحديث عن الشيخ أبي شعيب الدكالي الذي كان يأتي من الرباط للتدريس بالقرويين رفقة زميله الحاج عبدالرحمان بن عبدالله. وقد حاول هذا الشيخ إقناع الوالد بإرسال ابنه الحسن إلى مصر لمتابعة الدراسة بها، لكنه استصعب مفارقته بعد أن كان يميل لتعاطيه التجارة. إذ ذاك فرّ الحسن بوعياد من المغرب تجاه المشرق سنة 1926/1344 لطلب العلم مصحوباً برسالتين من الحاج المهدي الحبابي إلى شريكه بمصر السيد محمد الزين، وإلى الشيخ محمد المصمودي التطواني الذي كان يدرس بجامع الأزهر. فلقي منهما عناية خاصة عند وصوله إلى القاهرة، حيث ساعده الشيخ محمد المصمودي على الانتساب إلى الأزهر في نفس السنة.

وبعد سنتين رحل والده لأداء فريضة الحج، وتوقف بالقاهرة لتفقد أحوال ابنه الطالب، فاطمأن شديد الاطمئنان وشجعه على المضي في هذا النهج. ومن جملة مشايخه بالأزهر الشيخ محمد أحمد العدوي الذي أخذ عنه الحديث، والشيخ محمد السملوطي والشيخ يوسف الدحوي اللذان أخذ عنهما التفسير، والشيخ عبدالله دراز الذي أخذ عنه الأصول، والشيخ عبداللطيف دراز، والشيخ عبدالجليل عيسى وغيرهم.

ورغم وجوده بالأزهر، فإنه لم ينج من متابعة فرنسا له، ولغيره من المغاربة والجزائريين من الطلبة عن طريق جواسيس عرب، بتواطؤ مع السفارة الفرنسية بمصر.

عاد الحسن بوعياد إلى المغرب سنة 1929/1348 وتمت بذلك رحلته الأولى التي مكنته من التعرف على شخصيات إسلامية مهمة كأحمد تيمور باشا، وأحمد زكي باشا ومشايخ الأزهر السالفي الذكر، ومحمد الخضر التونسي الذي صار فيما بعد شيخاً للأزهر، والشيخ محمد رشيد رضا صاحب *مجلة المنار*، والأستاذ محب الدين الخطيب صاحب *مجلة الفتح الإسلامي* وغيرهم كثير من صحفيين وأساتذة. وكان تعرّفه على هؤلاء الأساتذة ذخيرة هيأها الله سبحانه له عند رجوعه لمصر للمرات الموالية، حيث استفاد من مكانتهم وعطفهم.

وعندما أصدرت فرنسا الظهير البربري في أواخر سنة 1348/ماي 1930 اهتدى الناس إلى الاحتجاج في المساجد بذكر اللطيف، هذه الفكرة التي اهتدى إليها السيد عبداللطيف الصبيحي السلوي. ثم وصلت الفكرة إلى فاس. وفي يوم الجمعة 21 صفر 18/1349 يوليوز 1930 م افتتح الحاج العربي بوعياد ذكر اللطيف بصوت مرتفع وسط رحاب مسجد القرويين وإلى جانبه السيد حمزة الطاهري ليستمر الاحتجاج بهذه الطريقة إلى المساء.

وفي يوم 28 ربيع الأول 23/1349 غشت 1930 م تكونت أول جماعة "للكفاح" من عشرة أعضاء أطلق عليها اسم "الطائفة" بدار السيد أحمد بن الحاج الطاهر مكوار، بهدف نيل الحرية والاستقلال. ومن بين أعضاء الطائفة ثلاثة من أسرة بوعياد وهم : الحاج العربي بوعياد وابناه أحمد والحسن - رحمهم الله جميعا -.

وأمام تدهور الحالة بالمغرب بعد الصدام الطويل الذي دام صيف 1930/1349 ظهرت من جديد للحاج الحسن فكرة الرحلة إلى مصر، وعمل شيء هناك للتعريف بقضية المغرب. فنفذ خطته في حذر شديد، وتكتم فائق حتى لا تشعر الإدارة الفرنسية به.

وهكذا نجحت خطته في الفرار إلى الشرق، فكانت رحلته الثانية التي شكلت لونا آخر من جهاده خارج المغرب، وطد خلالها علاقته بالرجال الذين سبق أن تعرف عليهم، كما تعرف على غيرهم، ومن بينهم الأستاذ حسن أحمد البنا بالإسماعلية. وتفانى في التشهير بالظهير البربري بالشرق، وبتأثير الجهاد المتواصل أصيب بداء عضال في صدره سنة 1931/1350 مّما أرغمه على العودة فوراً إلى المغرب ووزنه لا يتعدى ثلاثين كيلو غراماً، ومن المغرب ذهب إلى سويسرا رأساً قصد الاستشفاء بمصحة قريبة من "لوزان" مكث بها ما يزيد عن سنتين ونصف كان اتصاله فيها بالأمير شكيب أرسلان وثيقاً. لم يمنعه ذلك وهو طريح الفراش من متابعة أحوال بلده وأمته، حيث كاتبَ مرات عديدة *مجلة الفتح الإسلامي*، ورجالات الحركة الوطنية والإسلامية في داخل المغرب وخارجه. وبعد إجراء عملية استئصال لإحدى الرئتين وهبه الله العافية، وعاش بقية عمره برئة واحدة.

عاد الحسن بوعياد إلى المغرب سنة 1933/1352 وتزوج من بيت السيد محمد ابن عبدالله من القصر الكبير سنة 1934/1353. وفي هذا الإبّان أسندت إليه مسؤولية تسيير مدرسة حرة بفاس ساهمت في تكوين جيل آخر من المجاهدين الذين يؤمنون بقيمة الحرية. كما تزعم خلال هذا الوقت - وهو عضو بالمجلس البلدي بفاس مع الزعيم علال

الفاسي والسيد أحمد مكوار - حركة الاحتجاج على تحويل وادي فاس وروافده نحو ضيعات المعمرين.

وعلى إثر حوادث سنة 1937/1356 أُجلي عن المغرب من طرف الإنجليز وبتحالف مع الفرنسيين تاركاً أهله وقد رزق بأول مولود، فاستقر به المقام بالشام، ومنها نظم نشاطه حول مصر والحجاز.

عاد بعد ذلك سنة 1940/1359 إلى المغرب لينهي رحلته الثالثة ويلتحق بالمجاهدين في وطنه، وليكون ممن وقعوا على وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944/1363. وقد بلغ من مضايقات الاستعمار وضيق المعيشة عليه أن وجد نفسه مضطراً لبيع أربع خزانات من الكتب النفيسة ومن المخطوطات النادرة الشرقية منها والهندية. وظلّ على حالته هاته وهو عضو بالمجلس الوطني لحزب الاستقلال حتى حقق المغرب استقلاله.

وبسبب ما تلا فترة الاستقلال من اضطرابات ومكائد بين المغاربة وبسبب موقف الحسن بوعياد من منهجية الحزب الجديدة في قبول الأعضاء الجدد في إطاره، وبسبب التجاوزات والتناقضات التربوية والحركية المتصلة في نظره بإنشاء الشبيبة الاستقلالية، لم يجد الحاج الحسن بوعياد بداً من توقيف نشاطه بهذا الحزب، وكله أسى وحسرة لما آلت إليه الأوضاع.

وقد تقلد مسؤولية تسيير مدرسة حرة بباب الحمراء بفاس مباشرة بعد الاستقلال، ثم أسندت إليه مسؤولية إدارة المعهد الإسلامي بالجديدة سنة 1957/1376 ثم نظارة أحباس القرويين من سنة 1958/1377 إلى 1978/1397، حيث أحيل رحمه الله على التقاعد وأصدر كتاباً سنة 1979/1399 *حول الظهير البربري*، وكان رحمه الله قد خطط لثلاثة مؤلفات أخرى. أولها عن الحركة الوطنية منذ سنة 1907/1324، وثانيها عن ماء وادي فاس، وثالثها عن الأوقاف بالمغرب. لكن الأقدار حالت دون إصدارها.

وقد أصيب سنة 1982/1402 بمرض الشلل النصفي الذي ألزمه الفراش وهو في كامل وعيه يخص أبناءه وكل من زاره بتوجيهاته إلى أن وافته المنية يوم الأربعاء 12 ذي القعدة 6/1410 يونيو 1990 ودفن بروضة العلويين بـ "القبب" بفاس بجوار أستاذه مولاي أحمد بن المامون البلغيتي بوصية منه.

*معرفة شخصية ووثائق عائلية.*

العربي بن الحسن بوعياد

**بُوعياد، عبدالقادر**، من عدول الرباط، كان خطيباً بالمسجد الأعظم. لكن القاضي عبدالرحمان البريبري أخره عن الشهادة لما أصبح قاضياً وأخره عن الخطابة أيضاً لسبب غير معروف، فلزم داره ولم يعد يغادرها إلى أن توفي في تاريخ غير محدّد. وكان ما زال بقيد الحياة عام 1846/1263.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، 172.

عبدالاله الفاسي

**البوعياشي، أحمد** بن عبد السلام بن الحاج محمد الربضاوي، يتصل نسبه بالمرابط سيدي موسى بن حدو المدفون في قرية أكاونو من أسرة أحدوثان بجبل حمام من بني ورياغل. ينتسب أهله إلى الشرفاء الأدارسة، وقد ذكر أحمد البوعياشي في كتابه *حرب الريف التحريرية* (رقم 1/238) قال: "وعلى ما يوخذ من مخطوط لدينا أن أحد أجداده - أي المرابط موسى بن حدو - من الأشراف الأدارسة نزل في قبيلة قلعية منطقة الناظور بالموضع المعروف بالحيانا من قبيلة بني سدال، وهو المحل الذي نزل فيه فرع من الشرفاء الورياشيين، ولا نعلم هل هما نسب واحد أم لا. ومن هناك تفرعت فروعهم، ففرع نزل بجبل عيسى، وفرع نزل بجبل حبيب في طريق تطوان - العرائش، وفرع نزل بجبل حمام ببني ورياغل وهو الفرع الذي ينتسب إليه المرابط موسى المذكور.

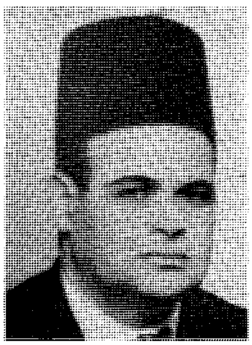

ولد أحمد البوعياشي في قرية الربضة فوق مدينة النكور التاريخية بالريف، وتوجد هذه القرية حالاً ضمن قيادة بني بوعياش دائرة أجدير إقليم الحسيمة، في العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي، وتربى تربية قومه، فحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى مسجد القرية يتعلم في بلده، ابتداء على الفقيه محمد بن محمادي التوزاني الحساني في النحو والفقه والتوحيد، والفقيه الموقت بوشعيب التمسماني في النحو والفقه والتوحيد أيضاً، ثم انتقل إلى فاس على عادة أهل المنطقة في عصره، فأخذ عن شيخ الجماعة ورئيس المجلس العلمي بفاس مولاي عبد الله الفضيلي العلوي، ووزير العدل عبد الرحمن بن القرشي الفيلالي، ومحمد أقصبي وغيرهم. وفي عام 1355 / 1936 اضطرب الجو السياسي في اسبانيا، وقام أنصار فرانكو بالانقلاب على الشيوعيين بالمنطقة الخليفية بشمال المغرب في بداية الحرب الأهلية الاسبانية، وفي هذه الظروف أعلن أنصار فرانكو بهذه المنطقة حالة الطوارئ وجمعوا بعض زعماء القبائل الذين كانوا قادة مع المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي في منطقة الريف، ومنهم والد المترجم السيد عبد السلام بن الحاج محمد، استدعوه من البادية لمدينة الحسيمة وفرضوا عليه الإقامة الإجبارية فيها وضغطوا عليه ليرجع ولده أحمد الطالب من فاس، لما كان يتسم به من نشاط وديناميكية بين الشباب في الجد والمثابرة والتحصيل، فكتب إليه والده أن يرجع من فاس إلى بلده بإقليم الحسيمة، فرجع، وأطلقوا سراح والده وسمحوا له

بالرجوع إلى بلده بالبادية وولوا ولده أحمد ابتداء من 20 / 2 / 1937 القضاء في قبيلة سماتة في المنطقة الجبلية جهة مدينة العرائش. وفي سنة 1357 / 1938 استدعوه إلى مدينة تطوان، وعينوه عضواً في المجلس الأعلى للتعليم، وبقي في تطوان يمارس هذ الوظيفة ويعطي دروساً في الجامع الكبير في النحو والفقه والأصول حتى انتهت الحرب الأهلية الاسبانية سنة 1358 / 1939، فرجع إلى القضاء مرة ثانية في منطقة الريف، وبقي متنقلا في القضاء بين الوطاء وبني بوعياش إلى سنة 1378 / 1958، فأعفي من القضاء وأخذ يمارس التدريس بالحسيمة. وذكر هو في سبب الإعفاء أنه وقت ادماج الموظفين بالشمال مع الموظفين بالجنوب بعد الاستقلال وجدت وزارة العدل بالرباط قائمة القضاة بالشمال أكثر مما تدعو إليه الحاجة، وهذا صحيح لأن الإسبانيين كانوا جعلوا لكل قبيلة قاضيا فكثر القضاة بكثرة القبائل، فكتبت إلى المسؤولين عن الشمال آنئذ ان يختزلوا من القضاة، وتدخلت عوامل غير موضوعية رجحت كفة بعض القضاة وأبقتهم في القضاء وأدمجتهم مع قضاة الجنوب، وأعفت الآخرين.

وفي 16 يناير سنة 1961 عين قائداً في العيون عمالة وجدة، وفي 20 أبريل سنة 1963 رقي في وظيفته الجديدة إلى درجة قائد ممتاز، ونقل من العيون إلى تطوان وعين قائد دائرة جبالة، وفي 23 فبراير سنة 1966 رجع إلى العدلية نائب وكيل الدولة في المحكمة الاقليمية بتطوان، ثم نائب رئيس المحكمة فيها ،ونقل بهذه الصفة إلى طنجة، وبقي يمارس هذه الوظيفة كنائب رئيس المحكمة في الاستئناف إلى أن بلغ سن التقاعد، فتحول يعمل محاميا ببلده الاصلي مدينة الحسيمة وظل يمارس هذه المهنة إلى أن وافاه أجله المحتوم يوم الاثنين 8 أبريل 1985 في دارة بالحسيمة، ودفن في مقبرة المجاهدين في أجدير، خلف من آثاره العلمية كتبا وأبحاثا شتى، منها :

1 ـ *حرب الريف التحريرية ومراحل النضال*، في جزئين، جزء في علماء وصلحاء وشرفاء الريف والمنطقة الخليفية كلها، ومعالم الحضارة عامة في هذه المنطقة، وجزء في تاريخ حرب الريف التحريرية ضد اسبانيا بالشمال حيث وقعت معركة أنوال الشهيرة بقيادة البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي.

2 ـ *الريف بعد الفتح الاسلامي*.

3 ـ *الثائر المهزوم* في حوادث بوحمارة وانهزامه في قبيلة بني ورياغل بالريف الأوسط.

4 ـ *الفدائية في الاسلام*.

5 ـ بحث مستفيض في *حدود الصحراء المغربية*.

6 ـ ميثاق *قبائل الريف في سبيل العرش العلوي*، وغير ذلك من أبحاث وندوات ومحاضرات.

أ. البوعياشي نفسه، كتبه المذكورة : *معرفة شخصية ورواية شفوية*.

محمد حمادي الورياغلي

**بُوغابَة**، أسرة تطوانية أصلها من قبائل الريف، وكان من بين أفرادها بتطوان جنود ينتمون إلى حامية المدينة سنة 1288 / 1871 أمثال :

**بوغابة، بوطاهر** العامل في المدفعية.

**بوغابة، حدّو**.

**بوغابة، عمر** بن أحمد.

**بوغابة، محمد** بن علال.

**بوغابة، المختار**.

**بوغالب**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الخلط، كان من بين أفرادها بتطوان : أحمد بوغالب بن المهدي الفقيه الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1891/1308. وجلول بوغالب فقيه كان يزاول نفس الخطة سنة 1889/1306. ومازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 12 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.
Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum.*

محمد ابن عزوز حكيم

**بوغالب**، أسرة شريفة في فاس ومكناس، من بني عبدالواحد بن محمد بن علي بن حمود حفيد إدريس بن إدريس. قال في حقهم النسابة عبدالسلام القادري في *الدر السني* : "ومن الشعب الجوطية القاطنين اليوم بفاس أيضا الشرفاء الغالبيون، وهم من الشرفاء المشاهير، والأدارسة الجماهير. ونسبتهم هذه التي يُدْعَون بها نسبة إلى جدهم السيد أبي غالب. وهم من الشعب التي بمكناسة الزيتون من بني عبدالواحد".

وذكر بعد ذلك أن جدهم الذي يدعون به هو أبو غالب أول من حل منهم بفاس، "وكان له داران إحداهما بمكناسة، والأخرى بفاس يتناوبهما، وكان عالماً عاملا عابداً صالحاً". فهل هو سيدي بوغالب علي بن جمال آتي الترجمة ؟ والسياق التاريخي يقبله، ولو أن صاحب *السلوة* أبدى تحفظاً حول المصدر الذي نقل عنه معظم أخباره، وهو تقاييد غير معزوّة. ولعل ذلك ما جعل الفضيلي يعرض عنها في *الدرر البهية*، ويقتصر على كنيته أبي غالب. ومما يرجّح كونه الجدّ المعني أنه عاش في القرن الثامن الذي رجع فيه الأدارسة إلى فاس، وأن أبا الحسن المريني أو ابنه أبا عنان اعتبر ضريح سيدي علي بوغالب داخل باب فتوح مشهداً إدريسياً فصرف فتوحاته للطالبيين بعد أن حرمهم من فتوحات إدريس الأزهر ونفّذها لبعض بني عمهم. وعلى أي حال فإن عدد الغالبيين بفاس ظل قليلاً جداً بحيث لم يكن منهم بفاس عام 1679/1090 سوى فرد واحد، كما قال في *الدر السني*، هو "الشريف الفقيه العدلُ الأمجد أبو الحسن السيد علي". ومنه تفرعوا بفاس وانتشروا، إذ ترك ثلاثة أولاد أنجبوا كذلك وتكاثروا فيما بعد.

ع. القادري، *الدر السني* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 28 . 30.

**بوغالب، عبدالسلام** بن الطايع بن حمُّ الحسني الإدريسي الفاسي، ويفصح فيكتب أبو غالب، لعله من أحفاد سيدي علي بوغالب آتي الترجمة. حلاه تلميذه جعفر الكتاني في *الشرب المحتضر* بقوله : "العالم العلامة، المحقق المدقق الفهامة، الزاهد الورع، الولي الصالح... كان مشاركاً متضلعاً في علوم البلاغة والمنطق وأصول الدين، ثاقب الذهن جيد الإدراك، سليم الطبع طيب النفس ليّن الجانب، إلى القدم الراسخ في الورع والزهد. عرض عليه قضاء عدة حواضر من المغرب فأبى، وأجبر على ذلك بإزالة ما بيده من الوظائف وصبر". يعني بالوظائف التي كانت بيده خراج الأحباس للأئمة والمدرسين. ولما وقع ذلك صار معاصره الصالح العربي بن إبراهيم الدرقاوي يمشي في الأسواق يسأل الناس، ويحمل ما يجتمع له من مال إلى الشيخ عبدالسلام بوغالب، وظل على ذلك إلى أن رُد عليه خراجه.

قرأ على كبار شيوخ فاس في عصره، أمثال حمدون ابن الحاج، ومحمد بن عمر الزروالي، ومحمد بن محمد ابن منصور، والطيب ابن كيران. ولما اشتغل بالتدريس أخذ عنه جم غفير من طبقة الشيخ جعفر الكتاني.

توفي بفاس ثامن عشر ذي القعدة، عام 1290/7 يناير 1874، ودفن بضريح سيدي بوجيدة.

ج. الكتاني، *الشرب المحتضر*، مطبوع على الحجر، 37 . 38 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1290.

**بوغالب، علي (سيدي .)** بن جمال بن عدُّو الحسني الصّاريوي أو الساريوي الفاسي. من نسل الأدارسة الذين خرجوا من فاس تحت ضغط موسى بن أبي العافية ونزلوا بالوداغير، ثم استوطن أحد أجداده مدشر صَاريوَة في قبيلة بني يازغة، ودخل أبوه جمال إلى مدينة فاس واستقر بحي صاريوة المعروف اليوم بالقليعة داخل باب فتوح حيث ولد له عليّ بوغالب. ويذكرون أنه نشأ يتيماً فقيراً فعلمته أمه حرفة الحجامة وعلاج الجراح والقروح، فبرع فيها وتعلم ذلك على يده خلق كثير حتى أصبح شيخ الحجامين في حياته ورمزهم بعد مماته.

وقع اضطراب في تحديد عصر سيدي علي بوغالب، والأكثر على أنه من رجال القرن الثامن (14 م) وأنه تصوّف وأخذ عن الشيخ علي الهيري الواريتني دفين زاويته بالفخارين جوار حي صاريوة، وهذا أخذ عن الشيخ الگومي دفين القليعة داخل باب فتوح. وفي نوازل الجنائز من *المعيار* (1 : 330) سؤال حول الاستشفاء بتراب المقابر وحمله على وجه التبرك، أجاب عنه الفقيه أحمد بن بكوت بالجواز بدليل ما تعارف عليه المسلمون قديماً من حمل تراب قبر حمزة سيد الشهداء، وعقب مؤلف *المعيار* على هذه الفتوى بقوله : "قلت ومن هذا القبيل ما جرى عليه عمل العوامّ في نقل تراب ضريح الشيخ أبي يعزى وتراب ضريح الشيخ أبي غالب الساريوي للاستشفاء من الأمراض والقروح المعضلة".

وتذكر كتب التاريخ أن أبا الحسن المريني أو ولده أبا عنان أخرج ـ بتدخُّل من الفقيه ابن مرزوق ـ الشرفاء الطالبيين من دار القيطون وأسكنها فرقة أخرى من أصهاره الأدارسة أطلق يدهم في التصرف في فتوحات جدهم المولى إدريس الأزهر، ونقل الطالبيين إلى دار حبيسة وصرف لهم فتوحات ضريح الشيخ سيدي علي بوغالب. وهذا يدل على أن وفاة سيدي علي بوغالب سبقت منتصف القرن الثامن، وأن ضريحه كان مشيداً في عهد هذين السلطانيين (731 . 1330/760 . 1358) وأن تحديد وفاته بسنة 801 /1398 غير صحيح.

كيفما كان الحال فإن سيدي علي بوغالب يعدّ من أكابر صلحاء مدينة فاس، وضريحه داخل باب فتوح من أشهر أضرحتها. زاره السلطان محمد الحاج الدلائي (1046 . 1636/1079 . 1668) وأصلحه وصرف (من جديد) فتوحاته إلى الشرفاء الطالبيين، ثم بنيت قبة الضريح عام 1090، وأنشأ قائد فاس بوجيدة المجدولي سقاية أنيقة خارج الضريح وصفها الأديب الصوفي عبدالمجيد المنالي بقصيدة مطلعها :

سقايةُ الشيخ أبي غالبِ    شافيةٌ للضرر الغالبِ

وفي *السلوة* إشارات إلى قصائد ومقطعات لشعراء فاسيين وغيرهم في مدح الشيخ سيدي علي بوغالب والتوسل به إلى الله تعالى، أمثال الأستاذ عبُدالرحمن ابن القاضي، والأديبين عبدالله بن عبدالسلام جسوس، ومحمد بن إدريس العمراوي.

وذكر لوطورنو في *فاس قبل الحماية* (ص 775) أن الحلاقين الفاسيين كانوا ينظمون كل سنة في يوم أربعاء من فصل الخريف موسمهم الطائفي بضريح وليهم سيدي علي بوغالب، فيمضون أمسية وليلة في قراءة الأذكار والترنّم بالأمداح النبوية. وفي الصباح الباكر من يوم الغد يقومون في صحن الضريح بختان جميع الأطفال الذين يعرضون عليهم بالمجان، فيمر بين أيديهم ذلك اليوم مآت وربما آلاف الأطفال، ويمكثون بالضريح العشية كلها لمراقبة الجراح.

أ. الونشريسي، *المعيار*، 1 : 330 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، مخطوط ؛ م. القادري، *التقاط*، 216 . 217 ؛ *نشر*، 4 : 222 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 17 . 24 ؛ ر. لوطورنو، ***فاس قبل الحماية***، الترجمة العربية، 2 : 773 . 776.

**بوغالب، علي (مولاي .)** بن خلف القرشي الشلبي ثم القصري، يقال إنه ولد ونشأ بشلب Silbes ودرس بقرطبة، ثم حل بفاس قبل أن ينتقل إلى القصر الكبير ويصبح فيه مدرساً وخطيباً بالمسجد الأعظم. وأكثر ما كان يدرِّس كتب الحديث، وبخاصة *سنن الترمذي*. وما زال حتى اليوم أحد أبواب هذا الجامع يعرف بباب مولاي علي بوغالب. وهومن تلامذة الصوفي الشهير أحمد ابن العريف، لذلك غلب عليه جانب التصوف فكان بالأحرى مربياً روحياً، ومن الآخذين عنه أبو مدين الغوث دفين العباد

بتلمسان.

توفي بالقصر الكبير عام 567 / 1171 ودفن بباب سبتة خارج المدينة، وبنَى على ضريحه في القرن الحادي عشر (17 م) القائدُ المجاهد أحمد بن حدو البطيوي قبة فنية عجيبة جددت نقوشها وزخارفها أكثر من مرة.

ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ ابن عبدالحليم، *القرطاس* ؛ المجلس البلدي، *مدينة القصر الكبير*، 1989، ص 77 ـ 81.

محمد حجي

**بوغربال**، أحمد بن الحسن بن قاسم المراكشي، ابتدأ تعليمه بفاس حيث كان أبوه مُرحَّلا إليها بعد أن ثار على عامل مراكش العربي الهداجي ولم يتبل ولايته أيام السلطان عبد الرحمن بن هشام. وكان الحسن بن قاسم ذا حظ من العلم، كثير التقييد حسن الخط، وقف عباس ابن إبراهيم المراكشي مؤلف *الإعلام* على كتب نفيسة بخطه.

وبعد رجوعه إلى مراكش أخذ أحمد بوغربال عن شيوخها أمثال الحسن الفيلالي المراكشي وأحمد بن الطاهر المراكشي. وقد تخرج متمكناً في النحو والفقه مشاركاً في غيرهما. وأوتي براعة فائقة في التدريس لحسن تفهيمه وسلاسة عبارته، فكانت حلقة تدريسه غاصة دائماً بالطلبة. وقد أخذ القاضي محمد بن عبد الواحد الدويري يدرس النحو فلم يحضر مجلسه أحد، وعلم أن المتعلمين يجتمعون حول بوغربال الذي كان يدرس *الألفية* في نفس الوقت، فأمره القاضي بأن يُغير وقت تدريسه ففعل.

توفي بمراكش عام 1291 / 1874، ودفن بروضة باب أغمات.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 418 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، 1291.

محمد حجي

**بوغزوان** ← **الشراردة**

**بوغْنَام**، (أولاد ـ) تجمُّع قروي من خلط إقليم الغرب القاطنين بأزغار جنوب مجرى واد اللكوس، مندرج في فرقة العوامرة الشرقية الحالية، إلى جانب قرى برواگة والمجاهدين والفريحيين، مما يجاور دهس القصر الكبير.

**بوغنام الخلطي**، مجاهد كبير، اشتهر بكنية قبيلته، ولم تذكر المصادر اسمه، كان أحد مساعدي طلحة العروسي، قائد القصر الكبير الذي اختاره سنة 915/1509 مقدماً على مجاهدي قبيلة أهل سريف الهبطية، ووضع تحت تصرفه خمسين فارساً، علاوة على مائة أخرى تقدمها له قرى أهل الجبل. وكانت أدق مهامه حراسة ممر قنطرة الغراف الموضوعة على مجرى واد المخازن، مما يقابل مدشر الغراف من أهل سريف. فمن هذا الممر اعتاد برتغاليو أصيلا العبور إلى القرى الجبلية، لا سيما قرية بوجديان، وقد استشهد بوغنام في معركة ضد البرتغاليين في نفس السنة.

كان لبوغنام الخلطي ولد يدعى أيضا بوغنام. نشأ مثله مجاهداً واختاره أحمد بن طلحة العروسي قائد القصر الكبير مساعداً له في حركاته الجهادية ضد أصيلا. وكلف بالاتصال بأصيلا المحتلة للتباحث في افتكاك أسرى القصر الكبير، وبقي في تلك المهمة إلى ما بعد سنة 937 / 1530، وأصبح معروفاً في أصيلا بحسن تصرفه ولباقته في انجاز مهمته، وقام بدور بارز لتدبير فرار بعض الأسرى، أمثال الفقيه عمر الكيكي، قيدوم أسرى أصيلا، وأبي حسون علي الوطاسي، إلى عدد آخر من الأسيرات.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 516 ـ 518.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila,* 1 : 313 - 314 - 360 - 392 - 435 ; 2 : 36.

حسن الفگيگي

**بوغَنْبُور**، (سيدي ـ) سعيد بن عبد القادر الرگراگي العبدي. وليٌّ صالح عاش في القرن الحادي عشر (17 م). يقصد الناس ضريحه الذي يبعد بنحو خمسة كيلوميترات غرب سبت گزولة بضاحية أسفي. ذكره محمد الكانوني في القسم المخطوط من مؤلفه جواهر الكمال في تراجم الرجال، قائلا : "الولي الشهير، العلم المنير. كان من أكابر الرجال فضلا وديناً وصلاحاً ونفعاً للناس، لقيه الإمام الحسن اليوسي في أعوام الستين من القرن الحادي عشر، وذكره في آخر *المحاضرات* فيمن لقيه وتبرك به ممن اتسم بالخير واشتهر بالصلاح، وكان كثير الحياء لا يرفع كساءه عن وجهه فلقب بأبي غنبور، ويقال إن الذي لقبه بذلك السلطان المولى إسماعيل في بعض ملاقاته إياه".

ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، 2 : 675 ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال*، ج 2، مخطوط.

عبدالرحيم العطاوي

**بُوفاديس**، مرسى بشاطئ قبيلة كبدانة الموالي للبحر المتوسط تمتد من رأس سيدي البشير بمحاذاة مصب وادي ملوية إلى شبه جزيرة بوعرگ، وقد كانت المرسى المذكورة مسرحاً لعدة اعتداءات قام بها الأسطول الإسباني على أرض المغرب من أجل الاستيلاء على قبيلة كبدانة من سنة 1326/1908 إلى سنة 1331/1913.

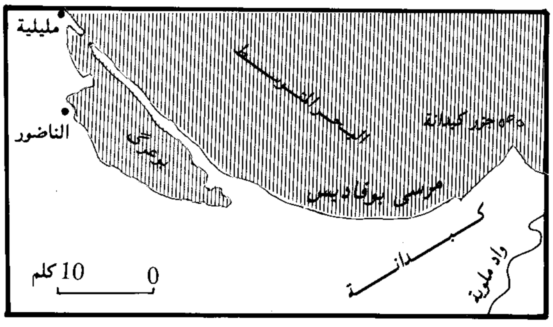


مرسى بوفاديس

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, 1951.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوفاس**، إحدى قرى قبيلة الغربية بحوز أصيلا الشمالي. تحتل الدور كدية صغيرة، لذلك يضاف إلى اسم القرية لفظ "ظهر". وهي تابعة لفرقة أولاد سبيتة، يجاورها هنا مدشر اعراوة وأولاد فارس وسيدي بوقنادل. يستفيد السكان من مجاورتهم لواد الخروب الأوسط، المعروف هناك بالواد الكبير.

تعرف جنود أصيلا على هذه القرية وعدوها من القرى الخاضعة الداخلة بحوز أصيلا، واهتموا بموقعها المقابل لجبل حبيب وممر بني مصور. وتعود أول معرفتنا بوجود هذا الاسم إلى سنة 919 / 1515.

*ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*. ص 50.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 120 - 133 - 427 - 489 ; 2 : 148 - 254 - 265.

حسن الفكيكي

**بُوفتّاس**، أسرة سوسية عريقة بالأطلس الصغير، وهي متشعبة، ورد ذكر شخصيات منها ترجع إلى القرن السابع (13 م). البلد الأصلي لهذه الأسرة حالياً بقبيلة أمانوز على بعد اثنين وثلاثين كيلوميتراً من مدينة تافراوت.

من معاني "فتاس" الجود والكرم، أو الافتخار الزائد، ويرجح البعض أن الكلمة قد تسمى بها أحد أجداد العائلة، بوفطّاس بالطاء، أو فطاسين ابن كلدوان بن فلول بن تاصموت أو تازموت بالزاي المشمومة بالصاد. وأقدم من عُرف بهذه الكنية هو محمد بن عبدالله بوفتاس الحفيد السابع للولي الصالح صاحب المزارة في الزاوية عيسى بن صالح بن موسى بن عبدالعزيز بن عمر دفين إزربي. ويعتقد البوفتاسيون أن هذا الأخير هو عمرو بن نعمان بن فطاسين. أما الجد تازموت فله زاوية بهذا الاسم في إداوسملال، كما تتصل أنساب بوفتاس بأنساب الگرسيفيين الذين يقولون بالتقاء الأسرتين في جدهم عمرو بن النعمان، فالگرسيفيون من أبناء أبي بكر بن عمرو، والبوفتاسيون من أبناء عبدالعزيز بن عمرو. وقد لاحظ صاحب *المعسول* اضطراباً في سلسلة الأنساب هذه بالزيادة والنقصان.

ورغم ذلك فإن الگرسيفيين يرفعون نسبهم إلى عثمان ابن عفان متغاضين عن الأسماء الأمازيغية القحة الواردة في نسبهم أعلاه، والناس مصدقون في أنسابهم، إلا أننا نجد أحد أجدادهم الكبار ينسب إلى قبيلة مصمودة هكذا : أبو الوفاء خالد بن يحيى المصمودي كما عند ابن عسكر في *دوحة الناشر* (ص 113).

والمشهور عند البوفتاسيين أن أحد جدودهم انتقل من زاوية تازموت إلى قبيلة أمانوز في القرن السابع (13 م)، ثم اشتهرت هذه العائلة هناك بشهرة سيدي عيسى بن صالح في القرن الثامن (14 م)، وقد نعته الحضيگي بقوله: "كان من أولياء الله الصالحين المشهورين بالخير والبركة".

وكانت الرآسة قديمة في هذه الأسرة على قبيلة أمانوز منذ أجيال فخاضت حروبا عديدة من أجل استمرار تلك الزعامة فيها، من ذلك انخراط قبيلة أمانوز في لف القائد البشير التمنارتي ضد محمد أُهاشم التمگيديشتي فقامت الحرب بين الطرفين وفني فيها من الفريقين خلق كثير، وفيها قتل رؤساء أمانوز مثل أمغار بلق (= بلقاسم) بن علي بن محمد بن بني بوفتاس، وذلك من سنة 1347 إلى 1352 هـ. وكانت هذه الفتنة هي التي أقضّت مضاجع القبائل السوسية، حيث قتل أبطالها، وسئمت العامة تلك الأهوال، مما سهل على فرنسا الوصول إلى قمم تلك الجبال.

ورغم تلك الفتن والخسائر التي قتل فيها رؤساء أمانوز فإن عائلة بوفتاس استطاعت أن تحافظ على مشيخة القبيل بشكل متوارث، إلى أن عزلت فرنسا الشيخ بلقاسم بن الحسن بوفتاس، عندما رفض التوقيع على نفي السلطان محمد بن يوسف وفرضت عليه الإقامة الإجبارية، كما صودرت بعض ممتلكاته. ومع ذلك ظل مركز هذه العائلة ثابتا في ازدياد. ولدينا وثيقة تنص على عقد حلف بين عائلة بوفتاس وبين آل زاوية إزربي، يداً واحدة على من سواهم، مؤرخة بسنة 1330 / 1911 كما عثرنا على وثيقة أخرى لنفس العائلة بتاريخ 1274 / 1857. ولا يستبعد اشتغال أهلها بالتجارة على نطاق واسع من قديم، ولدينا ما يؤكد ذلك، إذ كانت تستفيد من معدن النحاس، في منجم تَاوْرِيرْتْ أَوَانَاسْ (كدية النحاس) على بعد خمسة عشر كيلومَيتراً من قرية إزْربي، حيث كان يذوَّبُ النحاس. ويرجح البعض أن سوق الأربعاء بإزربي إنما أسس لأهمية النحاس الذي تُصنع منه الأواني الضرورية.

تحكم البوفتاسيون في طريق القوافل التجارية، التي تربط بين إزربي وتمنارت، زيادة على أهمية المدرسة - الزاوية التي كان لها طلبة ومريدون، لذلك كانت تستقطب أعشار القبيلة وهدايا المحسنين، كما نالت احترام الناس لما تقوم به من دور تعليمي وتصوفي، وهذا ما يفسر وجود عدد من الأضرحة والمزارات في عين المكان، منها قبر سيدي الطاهر بن نعمان، المنحرف عن القبلة، ولا تفسير لذلك إلا إذا أرجعناه إلى بداية دولة الموحدين.

وفي بلاد بوفتاس مدرسة على رأسها فقيه يدرس العلم لطلبته بالإضافة إلى الطالب الذي يعلم القرآن، وتجاور المدرسة زاوية المريدين، وقد لعبت المدرسة العتيقة دوراً هاماً في تعليم أبناء قبيلة أمانوز والقبائل المجاورة لامكانياتها الواسعة.

وانطلاقاً من سنة 1370 / 1950 بدأ تجديد تلك المدرسة، فعثر في إحدى سواري المسجد على حجرة منقوش عليها اسم مؤسس المدرسة وتاريخ تأسيسها، وفيها خزانة كتب يوجد بين مخطوطاتها تاريخ عبدالله بن جعفر المرابطي بالاضافة إلى كتب أخرى دينية ترجمت إلى الأمازيغية، ويقال حالياً إن عبدالله إمَّل المشارط في تلك المدرسة لمدة اثنتين وثلاثين سنة هو الذي أخذ بعض الكتب المحبسة.

أخذت المدرسة - الزاوية بل قرية إزربي بكاملها تستعيد مكانتها في الآونة الأخيرة، فأصبحت مبنية على الطراز

الحديث، والمسجد الجامع له صومعتان قديمة وحديثة، وساعد على ذلك مد الطريق المعبدة إلى عين المكان.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ م. الحضيكي، *المناقب*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 3 ؛ *وثيقة وكناشة* عند الحاج عثمان بوفتاس ؛ *قائمة كتب الزاوية*.

الحسين جهادي

**بُوفْراح**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني بوفراح الريفية، وكانت من بين الأسر التي غادرت تطوان قبل احتلالها من طرف الجيش الإسباني سنة 1860/1276، وهي غير أسرة البوفراحي، وقد انقرضت بتطوان سنة 1919/1337.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 5 : 229 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

**بُوفْراح**، نهر يوجد منبعه بجبل بني گميل ومياهه تسقي أراضي قبيلة بني بوفراح وتصب بالبحر المتوسط بالقرب من قرية أبراج القلعة Torres de Alcala.

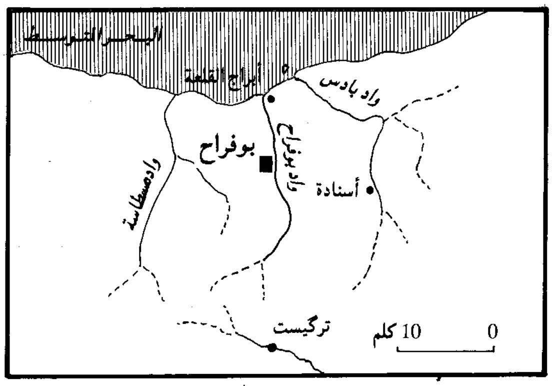


**موقع بوفراح**

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 88 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 88 ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos (protectorados y posesiones de España en Africa)*, Madrid, 1936.

**البوفراحي**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني بوفراح الريفية، وكان من بين أفرادها بتطوان : محمد بن بوشعيب، فقيه كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1918/1336، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البوفراحي، عبد العزيز** بن محمد، الفقيه الصوفي الصالح. ولد سنة 804 /1402. كان إماماً وخطيباً بجامع القرويين، تقدم لذلك سنة ثمانين وثمانمائة وبقي خطيباً إلى أن توفي. وكان الشيخ زروق معاصراً له فكان يثني عليه ويقول إن الصلاة تغبط خلفه.

له تآليف عديدة، منها تلويحات في طريق القوم : *الأمر المهم الأكيد فيما يلزم الإنسان من حسن الجواب والتسديد* ؛ *رسالة في قوله تعالى : "يمحو اللهُ ما يشاء ويُثبِّت". رسالة في قول ابن عطاء الله : "الكونُ كله ظلمة"*. وتوجد مجموعة تآليف بخطه في خزانة أزاريف.

توفي بفاس سنة 899 /1494 ودفن خارج باب الجيسة.

أ. الونشريسي، *وفيات*، 153 ؛ أ. المنجور، *فهرس*، 58 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 452 ؛ *درة الحجال*، 3 : 128 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، د. د. ع. 369 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 131 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 4 : 26 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 505 ؛ ع. التازي، *جامع القرويين*، 2 : 505.

زهراء النظام

**بوفكران**، (واد، وقصبة، ومركز) كلمة "فكران" تحريف لإفكران الأمازيغية التي تعني السلاحف. فمعنى "بوفكران" ذو السلاحف.

تتكون مياه وادي بوفكران من تجمع عدة عيون، كما يحمل هذا الوادي أسماء أخرى حسب المناطق التي يجري فيها، حيث يبلغ طول مجراه من منبعه بعيون معروف إلى مصبه بوادي ردم حوالي 50 كلم. ويبقى الاسم الشائع هو بوفكران ومن أسمائه القديمة : فلفل، وأبو عمائر، حسبما ذكره ابن غازي في *الروض الهتون*، وعنه أخذ عبد الرحمان بن زيدان في *الإتحاف* (1 : 53) أسماء هذا الوادي مضيفاً إليها وادي عين عروف، ودردورة.

وبغض النظر عن الاختلاف في تسمية الوادي، فالمحقق أنه ينبع من حافة الأطلس المتوسط الشمالية - غرب مدينة الحاجب - على بعد 30 كلم من مدينة مكناس، من الكهف الواقع بجبل بوزگو الموجود بإقماشن من أيت بورزوين وهي فخذة من قبيلة بني مطير، ويعرف هذا الكهف بكهف الريح الكائن بالمحل المسمى بـ "مزعتوال" الذي يعني بالأمازيغية منفر البقر.

ومصدر مياه هذا الوادي متعددة، فإضافة إلى المنابع التي تعرف بعيون معروف، تُغذيه عيون أخرى تعتبر بمثابة روافد صغيرة له، مثل عين بوجاوي، وعين بوفكران، وعين بوخيار، وعين تاگما، وعين معزة، وعين عتروس، وعين عماير، ومن بين روافده من الأودية، وادي أملاح ووادي الرحى.

تدخل مياه وادي بوفكران إلى مدينة مكناس عبر سرير طبيعي ابتداء من معمل الكهرباء الحالي مروراً بأسفل ضريح سيدي بوزكري إلى ان تصل إلى المحل الذي يحمل اسم الشريشرة، ومنه توزع داخل المدينة على مختلف المرافق. وكان المكلف بهذا التوزيع نظارة أحباس كبرى مكناس قبل سنة 1912، حيث حول جزء من هذه المياه عبر ساقية الجبابرة التي تخترق جنان باب القزدير وحي الزيتون إلى الأحياء الغربية من المدينة، أما الساقية الثانية التي تخترق الأسوار الشرقية المحيطة بجنان باب القزدير فتوجه إلى الأحياء الشرقية عبر أگدال وقصبة هدراش وصولاً إلى قصبة سيدي عمرو الحسيني ومنها إلى المدينة العتيقة التي بنيت في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين. هذا فضلا عن الساقية الموجهة إلى القصر السلطاني. ويملأ الجزء الثاني من مياه بوفكران الوادي الفاصل بين المدينتين القديمة

والحديثة المعروفة بوادي بوعماير، إلى أن تصل هذه المياه - سواء فيض المدينة القديمة أو مياه بوعماير - إلى وادي ردم على بعد عشرة كيلوميترات شمال مدينة مكناس.

كانت مياه وادي بوفكران تستعمل للشرب والسقي معا، إلا أنه بعد احتلال القوات الفرنسية لمكناس سنة 1911، وفرض معاهدة الحماية سنة 1912، قام التقنيون بإدارة الأشغال العمومية بدراسات عديدة لمجرى مياه وادي بوفكران وأقاموا عدة قنوات وأسرة اصطناعية على طول مجرى الوادي بغرض تحويل جزء من هذه المياه لصالح الأجانب المقيمين في المدينة الحديثة المعروفة بحمرية ولصالح أراضي المعمرين بأحواز مكناس وأرباضها، وخاصة الأراضي القريبة من حي الزيتون المعروفة بـ "تانوت" التي كان يسيطر عليها أربعة مستوطنين فرنسيين، فكان ذلك أحد أسباب الاصطدامات الدموية بين أهالي مكناس والقوات الاستعمارية، التي جرت أطوارها في قلب المدينة بساحة الهديم في بداية شهر شتنبر عام 1937، وعرفت في التاريخ بمعركة أو أحداث بوفكران نسبة إلى هذا الوادي.

أما قصبة بوفكران التي تبعد عن مدينة مكناس بسبعة عشر كليومترا في اتجاه مدينة الحاجب. فقد بناها الأسرى المسيحيون أيام السلطان المولى إسماعيل عام 1147 / 1734 واستقرت بها فرقة من جنود عبيد البخاري مع مجموعة من الشرفاء.

تحولت قصبة بوفكران خلال الحماية الفرنسية إلى مركز استيطاني مشهور، وحاليا صارت "مدينة" صغيرة نظراً لتكاثر عدد سكانها وزيادة عمرانها.

م. ابن غازي، *الروض الهتون* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ م. شفيق، *في أن أسماء الأماكن في المغرب جلها أمازيغية، البحث العلمي*، السنة 14، ع 27، يناير - يوليوز، 1971 ؛ بو. بوعسرية، *أحداث بوفكران بمكناس*، الرباط، 1990.

بوشتى بوعسرية

** وهناك أحداث بوفكران التاريخية عام 1356 / 1937، تضافرت عدة عوامل لتكون وراء اندلاع هذه الأحداث التي ارتبط اسمها بالوادي الرئيسي الذي يزود مدينة مكناس بالمياه المعروفة بـ "الماء لحلو"، وكان أبرز هذه العوامل مدُّ يَد السلطات الفرنسية إلى جزء من مياه هذا الوادي وإعطائهَ للمعمرين المستقرين بأراضي تانوت القريبة من حي الزيتون، وللمرافق العسكرية والمدينة الفرنسية الجديدة المعروفة بحمرية. حدث هذا في الوقت الذي كانت فيه حاجة الأهالي إلى هاته المياه متزايدة مع تكاثر عددهم في وقت اشتد فيه الجفاف طيلة سنوات سابقة. وقد تزامن إقدام المسؤولين الفرنسيين على فعلهم هذا مع بداية تبلور الوعي عند ثلة من الوطنيين المكناسيين الذين كانوا على اتصال دائم بقيادة الحركة الوطنية في أهم المدن المغربية وخاصة بفاس، فاستغل هؤلاء الوطنيون تذمر السكان من جراء النقص الحاصل في المياه لقيادتهم بهدف مقاومة المخططات الاستعمارية داخل المدينة. وكان هذا السبب كافياً لإلهاب حماس الجماهير.

وبالإضافة إلى مشكل المياه، عانى المجتمع المكناسي في الثلاثينات من هذا القرن من مشاكل أخرى، أهمها الأزمة الاقتصادية التي مست جل الفئات الاجتماعية فأدت إلى ارتفاع ثمن المواد الاستهلاكية الأساسية كالقمح والزيت والسكر، وكان سبب هذه الأزمة التي وصلت إلى ذروتها سنة 1356 / 1937 الجفاف واستيلاء المعمرين على الأراضي الخصبة بأحواز مكناس ومزاحمة التجار الأجانب للحرفيين المكناسيين بما كانوا يبيعون من بضائع ومنتجات فاقت في جودتها ورخص ثمنها مثيلاتها المحلية التي تدهورت بعض أنواعها بعدما قل إقبال السكان عليها.

ومن بين المشاكل التي عانت منها الفئات المستضعفة داخل المجتمع المكناسي، كثرة الضرائب التي أثقلت كاهلها، لدرجة أن بعض أفرادها كان يبيع ملابسه لتأدية ما فرضت الإدارة الفرنسية عليه من ضرائب تخضع في جبايتها لقوانين صارمة.

وإضافة إلى ما سبق ذكره، هناك الأزمة الصحية والمحسوبية، فضلا عن انتشار الأمراض الاجتماعية كالبغاء العلني والسري، وشرب الخمر ومضايقة البوليس اليومية للسكان، كل هذه الظواهر كانت تمس المكناسيين في كرامتهم واعتقاداتهم.

وفي المقابل كانت الجالية الأوربية تنعم في بحبوحة من العيش بما تقدمه لها الإدارة الفرنسية من تسهيلات ومساعدات لتنمية مصادر ثروتها المعتمدة أساساً على الفلاحة، وذلك باستيلاء المستوطنين على أجود وأخصب أراضي سايس مكناس، وتوفير الوسائل والأدوات لفلح الأرض وريّها. ولتحقيق هذا الهدف الأخير، أقدمت السلطات الفرنسية على تحويل جزء من مياه وادي بوفكران لفائدة أربعة معمرين بأراضي تانوت السالفة الذكر. ويهم الأمر كلا من فرانس France وبيري Perret وإكسبوزيطو Exposito ودوسطاديو Destadieu إضافة إلى ما أخذه المعمرون الآخرون، وكان هذا التحويل السبب الرئيسي الذي فجر أحداث بوفكران التي صارت تعرف عند العامة والخاصة من المكناسيين بـ : "كَرة الماء لحلو"، نظراً لهولها.

إن استغلال مياه وادي بوفكران وما تولد عنه من مشاكل بين السلطة الفرنسية وأهل مكناس أدى إلى الاصطدام الدموي ما بين الطرفين، وقد قامت عدة شخصيات فرنسية ومكناسية بدور بارز في هذه الأحداث، سواء على المستوى القيادي بالنسبة للأهالي أو القمعي بالنسبة للإدارة الاستعمارية، فظهرت في المقدمة أسماء خمسة من الوطنيين المكناسيين الذين اختلفت انتماءاتهم السياسية وقدرتهم النضالية في التصدي للسياسة الفرنسية، و"الزعماء" المشار إليهم هم : محمد بن أحمد برادة من الحركة القومية، ومحمد بنعزو وأحمد بنشقرون من

الحزب الوطني، ومولاي إدريس المنوني ومحمد مدان السلاوي بدون انتماء، ولو أن بعض الوثائق جعلتهم ينتمون للحزب الوطني.

ألقت السلطات القبض على هؤلاء الوطنيين بتهمة تحريض السكان على التظاهر يوم الأربعاء 24 جمادى الثانية عام 1356 / فاتح شتنبر 1937، ولم يقتصر الأمر على هؤلاء الأعضاء الخمسة في قيادة الجماهير المكناسية لمقاومة المخططات الاستعمارية جملة وتفصيلا بهدف نزع خيراتها التي تعتمد عليها في تلبية حاجياتها الأساسية ومنحها للأجانب، ولكن برز قادة آخرون قاموا بدور أكبر بكثير مما نسب لمن سبق ذكرهم، أمثال إبراهيم الهلالي ومَحمد الطاهري ومحمد العيساوي المسطاسي والعلمي الصنهاجي والجيلالي المزوار والعربي المجذوبي وعبدالرحمان بنشقرون ومحمد بن احماد الديغوسي وغيرهم.

كما كان لبعض الشخصيات المخزنية والفرنسية بمكناس مساهمة بارزة في هذه الأحداث، منهم الباشا أحمد السعيدي، وناظر الأحباس أحمد الصبيحي، والقاضي محمد السوسي، والقائد العسكري للمدينة والإقليم الجنرال كايو Caillaut ورئيس المصالح البلدية برونيل Brunel.

منذ احتلال الجنود الفرنسيين لمدينة مكناس يوم الخميس 10 جمادى الثانية عام 1329 / 8 يونيه 1911، طرحت مسألة توزيع مياه بوفكران بحدة، فعمدت إدارة الحماية إلى إصدار عدة قرارات وعقدت عدة اجتماعات لدراسة هذه المسألة، ودفعت المخزن إلى إصدار ظهائر وقرارات تنظيمية لمياه وادي بوفكران، مما أرغم نظارة الأحباس على التحرك ومطالبتها السلطات الفرنسية بالاحتفاظ لها بحق الإشراف على تسيير مياه هذا الوادي كما كان الشأن في سالف العهود، لكن السلطات رفضت بشدة هذا الطلب، فدخلت الإدارات الفرنسية مع الأحباس في صراع انتهى لصالح تلك الإدارات.

وأمام تعنت المسؤولين الفرنسيين ورفضهم طلب الوطنيين بالعدول عن مخططاتهم الهادفة إلى حرمان الأهالي من كمية هائلة من مياه بوفكران التي هم في حاجة ماسة إليها، أقدم هؤلاء الوطنيون على إعداد خطة تلك الأحداث في سرية تامة، سواء بالنسبة للمظاهرة السلمية، وهي مسيرة احتجاجية على إبعاد السلطات الفرنسية والمخزنية لممثلي المكناسيين عن المشاركة في أعمال اللجنة المكلفة بتوزيع مياه وادي بوفكران التي اجتمعت يوم الأربعاء 24 جمادى الثانية عام 1356 / فاتح شتنبر 1937.

على إثر هذه المظاهرة، اجتمع القائد العسكري للإقليم والباشا ورئيس المصالح البلدية إضافة إلى شخصيات أخرى للنظر في المضاعفات التي قد تسفر عنها هذه المسيرة، وبعد مناقشات مطولة دامت إلى الساعات الأولى من صباح يوم الخميس التالي، تم الاتفاق على اعتقال المحرضين الرئيسيين الذين حصر عددهم في خمسة، وتوزيع القوات الفرنسية صباح ذلك اليوم في أهم المواقع الإستراتيجية للمدينة تحسباً لأي طارىء، وتكلف الباشا باستدعاء المتهمين وإصدار الحكم عليهم بثلاثة أشهر سجنا نافذة، كما تولى الجنرال كايو مهمة تسيير القوات الفرنسية بالمدينة يوم الخميس 2 شتنبر 1937.

- أما المرحلة الثانية فكانت هي المعركة الدموية التي اندلعت مباشرة بعد إصدار باشا المدينة حكمه بالسجن على خمسة من الوطنيين بمكناس، واستمرت هذه المعركة من الساعة التاسعة صباحاً إلى الثانية عشرة ونصف ظهراً.

كان رد فعل السكان سريعاً، فمباشرة بعد نقل المحكوم عليهم إلى سجن سيدي سعيد، أسرع باقي الوطنيين إلى الأسواق والأحياء لإخبار السكان بما وقع لإخوانهم، ومطالبتهم بالالتحاق بالمسجد الأعظم، وتكونت لجنة وطنية للاتصال بالباشا لاستفساره عن المخالفة التي اقترفها المحكوم عليهم، وبسببها أودعوا السجن، فلم تسمح قوات القمع المرابطة أمام المحكمة لأعضاء تلك اللجنة بمقابلة الباشا، وردتهم بالقوة بعدما ضربتهم بسرائر البنادق، فلم تملك الجماهير الغفيرة المجتمعة قبالة المحكمة أعصابها فاندفعت في اتجاه القوات الاستعمارية وخرج باقي الأهالي المتظاهرين من المسجد الأعظم قاصدين ساحة الهديم عبر الأزقة المؤدية لها كسيدي عمر بوعوادة، والصباغين، والعدول، بينما التحق آخرون بنفس الساحة من أحياء أخرى كسيدي عمرو الحصيني وقصبة هدراش وبني مَحمد وأكدال... فوصل عدد المشاركين من الأهالي ما بين 4.000 و15.000 بمن فيهم سكان الأحواز الذين كانوا بمكناس يوم المعركة لقضاء أغراضهم بالمدينة وبسوقها الأسبوعي المنعقد كل يوم خميس بساحة الهديم. كانت الجماهير المحتشدة في ساحة الهديم وبالأزقة الموصلة إليها تطوف في هذه الساحة مرددة شعاراً كتب على لافتة حملها شخصان : "نريد إطلاق سراح إخواننا، الماء ماؤنا تفديه أرواحنا"، تدخلت القوات الأجنبية المزودة بشتى أنواع الأسلحة : السيوف والبنادق والمدافع والطائرات، لتفريق المتظاهرين وإرهابهم بأسلحتها المتطورة، في الوقت الذي لجأ فيه الأهالي إلى استعمال الحجارة والعصي والفؤوس والقضبان الحديدية، وبعدما فشلت الجيوش الفرنسية في إيقاف المتظاهرين أطلقت عليهم النار وضربتهم بالسيوف، فسقط عدد من الضحايا في صفوفهم، ولم يزدهم ذلك إلا حماساً ومواجهة دون أن يتمكنوا من قتل أي جندي فرنسي. دامت المعركة - غير المتكافئة بين الطرفين - أزيد من ثلاث ساعات تمكنت بعدها قوات القمع الفرنسية من السيطرة على الموقف ظهر يوم الخميس الدامي 25 جمادى الثانية عام 1356 / 2 شتنبر 1937، دون أن تفقد هذه القوات أي فرد من أفرادها في الوقت الذي قتل فيه مالا يقل عن عشرين من المتظاهرين المكناسيين إضافة إلى إصابة ما يزيد عن مائة شخص بجروح متفاوتة الخطورة، هذا فضلا عن الخسائر المادية، الأمتعة منها والبضائع التي كانت في ملكية التجار اليهود والمسلمين. كما جرح أربعة وخمسون فرداً من قوات حفظ

النظام الفرنسية، وضاع بعض أسلحتها. كان لأحداث بوفكران بمكناس صدى قوي داخل المغرب الذي تضامن سكان مدنه مع المكناسيين، سواء بما جمعه أعضاء الحركة الوطنية من تبرعات مالية للمتضررين، أو بتنظيم يوم مكناس في هذه المدن وأهمها : فاس والرباط والدارالبيضاء وسلا ومراكش ووجدة ... حيث أعلنت قيادتها الوطنية عن شن إضراب عام والتحاق السكان بالمساجد للترحم على أرواح شهداء مكناس، فكان يوم الاثنين 29 جمادى الثانية عام 1356 / 6 شتنبر 1937 يوماً تضامنياً لم يشهد مغرب القرن العشرين مثله على حد تعبير أحد المسؤولين الفرنسيين الرئيسيين، ولم يقتصر الأمر على جمع التبرعات والترحم، بل نظمت مظاهرات في كل المدن السالفة الذكر، أسفرت عن اصطدامات بين المغاربة والقوات الأجنبية أدت إلى جرح الكثير من أفرادها.

تجاوز صدى أحداث بوفكران حدود المجال الوطني إلى بعض المدن العربية كتلمسان والجزائر وتونس والقاهرة ودمشق، والأجنبية كباريس ونيويورك ومدريد وروما... فقد أبرق المغاربة القاطنون في باريس ونيويورك إلى وزير العلاقات الخارجية الفرنسية يحتجون على ما قامت به القوات الفرنسية من جرائم في حق المكناسيين، في حين عهدت إسبانيا وإيطاليا إلى بث برامج إذاعية موجهة إلى أهالي مكناس والمغاربة عموماً، تحثهم على مواصلة التمرد ومقاومة الإدارة الفرنسية، ودام إرسال هذه البرامج عدة أسابيع. وندد مناضلو بعض الأحزاب اليسارية الفرنسية - في فرنسا وفي المغرب - وخاصة الحزب الشيوعي، وكذا بعض المثقفين، بما قامت به فرنسا في مكناس، وعموما وقع الإجماع من قبل الهيآت السياسية والحركات النقابية والمثقفين الفرنسيين على إدانة حكومة الجبهة الشعبية بباريس التي وقعت الأحداث في عهدها، وإدانة القيادة العسكرية بمكناس، على ما ارتكبته الجيوش الفرنسية من أعمال فظيعة في حق أهالي مكناس.

كانت المسألة المائية حاسمة وذات أهمية كبرى بالنسبة للسكان، مما جعلهم يتمردون بدون استثناء على السلطات الفرنسية دون تردد أو تخوف.

وبسبب أحداث بوفكران تغيرت استراتيجية حكومة الحماية الفرنسية، فصارت منذئذ تولي عناية خاصة للتطورات العامة التي أخذت تجري بالحواضر المغربية إذ بدأ أهاليها بدورهم في التصدي للمخططات الاستعمارية بأسلوب مغاير لما كانت عليه المقاومة المغربية بالبادية قبل سنة 1934.

ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران*، الرباط 1990.

Archives du Ministère des Affaires Etrangères (Nantes) Maroc, 1912 - 1956 ; Archives du Protectorat du Maroc, Direction de l'Intérieur, Carton 528 ; Hydraulique 1935 - 1946. Direction des Affaires Indigènes, Carton 320 ; Hydraulique 1922 - 1939, Région de Meknès, Carton 250, émeute de Meknès, 1937.

بوشتى بوعسرية

**بوفي، هنري** Beauvais Henri معمر فرنسي اشتغل كمحرر بجريدة *"لابريس ماروكين La Presse Marocaine"* الصادرة بالدارالبيضاء قبل أن يؤسس بنفس المدينة صحيفة سياسة ساخرة تحمل عنوان : *"لوكري دو كازا Le Cri de Casa"* أي "صرخة الدارالبيضاء". ظهر عددها الأول في 12.10.1919، في وقت توترت فيه العلاقات بين المعمرين والإقامة العامة بسبب الأزمة النقدية المعروفة بـ "أزمة الحسني".

سخَّر بوفي جريدته للتهجم على بعض ذوي النفوذ من شخصيات فرنسية وأنگليزية تنتمي إلى عالمي السياسة والأعمال. ولما قرر الماريشال ليوطي كبح جماح الصحافة بالمغرب، كان بوفي ضمن ثلاثة صحفيين طردوا من البلاد بموجب قرار صادر عن الإقامة العامة يوم 24.11.1919.

بعض أعداد جريدة *"لوكري دوكازا"* ؛ *وثائق محفوظة بوزارة الخارجية الفرنسية* (باريس).

جامع بيضا

**البُوفِيَّة**، (الزاوية -)، أو زاوية أولاد سيدي بن يَفُّو، تقع بجماعة اثنين الغربية بقيادة الوليدية التابعة لدائرة الزمامرة بدكالة.

أسس هذه الزاوية سيدي عبدالعزيز ابن يفو الذي يرجع أصله إلى قبيلة أُريكة بحوز مراكش. ولا يعرف بالضبط الوقت الذي ظهر فيه بدكالة، هو وأخوه سيدي علي بن يفو متحلين بالورع والتقوى والعلم.

تحتوي هذه الزاوية على قبتي هذين الأخوين، وعلى مسجد صغير ومدرسة لتعليم القرآن الكريم.

ويروى أنه كان لسيدي عبدالعزيز القُدرة على علاج عدة أمراض منها الأمراض العقلية، وتوجد في الزاوية حجرات صغيرة لإيواء المرضى تظل دائماً عامرة تقريباً. وكان من أعيان هذه العائلة الفقيه أحمد بن كرُّوم الذي كان مقدماً للمجموعة ومحمد ولد البغلي.

يكون أولاد سيدي بن يفو أربع مجموعات، هي :

1 - أهل الزاوية الذين يضمون عدداً من الخدام الأجانب.
2 - أهل تيمگرتْ المدعوون بأولاد سيدي عبدالعزيز.
3 - الدّهاهْجة والطيّور.
4 - أولاد سيدي علي، موالين الكدية.

وينتسب البوفيون جُلهم إلى الطائفة الدرقاوية.

وإلى هذه العائلة ينتسب شاعر الملحون الكبير أبو عسرية البوفي، صاحب القصيدة الشهيرة في مدح "أيت أمغار"، والتي حَرْبتها هي :

| | |
|---|---|
| حاشاً يَنْكَدْ مَنْ هُو يْحبْكُـمْ | ياكْنوزْ البرهان كرامينْ الضّيفان |
| يامَوْلايْ اسْماعينْ بن جَعفر | وشامَخْ القدرْ مُولاي عبداللـــه |

وإلى هذه الزاوية التجأ الولي الصالح أحمد بن المهدي ابن محمد بن أحمد حَدَادَو التطواني مع والده وأهله، بعد احتلال تطوان من قبل الإسبان سنة 1276 / 1859، وبها توفي سنة 1336 / 1917.

ومنذ عدة سنوات، اعتاد سكان الغربية تنظيم موسم سنوي حول ضريح سيدي عبدالعزيز، صاحب الزاوية البوفية، عند نهاية الموسم الفلاحي.

م.الشياظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة* (مخطوط) ؛ *مدن وقبائل المغرب، ناحية دكالة*، تر. م. الشياظمي (مخطوط) ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال*، 1.

محمد الشياظمي

**بوقاع**، وتكتب في بعض الوثائق، "أبو قاع" أسرة سلوية عريقة، كان لها جاه ونفوذ وثروة عظيمة في القرن الحادي عشر (17 م). وما زال حتى اليوم الحي الذي كانوا يسكنونه بجوار السوق الكبير يحمل اسمهم (درب بوقاع). وبعد أن نكبوا أيام المولى إسماعيل تفرقوا في المدن، ويعيش بعضهم اليوم في فاس بينما لا يكاد يعرف منهم أحد بمدينة سلا.

وقد نقل المؤرخ محمد بن علي في هامش كتابه *الاتحاف الوجيز* نص ظهير إسماعيلي مؤرخ بأوائل ربيع الأول عام 1124/أبريل 1712 حبّس السلطان بمقتضاه جميع أملاك أولاد بوقاع على مسجد قصبة كناوة المحدثة بجوار سيدي موسى خارج باب سبتة من مدينة سلا، وتشمل هذه الأملاك "دوراً وحوانيت وأرضين وأجنّات وسواني وفندقاً ودور عمل الصابون داخل سلا وخارجها من ملاليح وغيرها". وبعد أن خربت قصبة كناوة في الفتن التي أعقبت وفاة المولى إسماعيل، حُبِّست أملاك بوقاع على مسجد سيدي أحمد حجي.

**بوقاع، أحمد** بن عبدالله، قائد سلا أيام السلطان المولى إسماعيل، كان له اعتقاد ومحبة في الشيخ المجاهد أحمد حجي، وحبّس على زاويته نسخة جيدة خماسية من *صحيح البخاري*، بخط مغربي جميل مجوهر ملون ما زالت حتى اليوم بخزانة الزاوية، وعلى أول ورقة من الجزء الرابع وثيقة التحبيس مؤرخة في منتصف ذي الحجة متم عام سبعة عشر ومائة وألف. وقد نشرتُ في كتاب *الزاوية الحجية* صورة هذه الوثيقة، وذكرتُ القصة الغريبة التي كانت سبب اعتقاد هذا القائد في الجد، والتي ما زالت الذاكرة الشعبية السلوية تحتفظ بها.

لم نقف على سنة وفاة أحمد بوقاع، ولعلها كانت قبل عام 1712/1124.

م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 62 و152 ؛ *وثيقة تحبيس صحيح البخاري*.

محمد حجي

**بوقة** أو بوگا، أو بوغا، ويدعى أيضاً تاغزالت، نوع من الأسماك البحرية الصغيرة، من العظميات ومن فصيلة الأسبوريات Sparidas. يسمى علميا Boops (box) bouops ويدعى بالفرنسية وبالأنجليزية Bogue وبالإسبانية Boga. يسمى بوكا وتاغزالت في كل من طنجة والعرائش وأصيلا ومهدية وآسفي وأگادير وطرفاية، ويسمى في المحمدية حمريدا.

جسمه مغزلي الشكل ومضغوط بعض الشيء في مقدمته، الفم صغير والشفتان رقيقتان. تتكون الزعنفة الظهرية من 13 ـ 15 شوكة ومن 12 ـ 16 شعاع، وتضم الزعنفة الشرجية 3 شوكات و14 ـ 16 شعاع كلها هشة. الزعنفة الذيلية مقوسة جدا. الظهر أزرق مخضر والجوانب بيضاء فضية اللمعان تتخللها خطوط مذهبة اللمعان. توجد قرب الزعنفة الصدرية بقعة بنية داكنة. لا يتعدى طوله 36 سم وشائع ما بين 10 و20 سم.

موطنه البحر المتوسط والبحر الأسود والمحيط الأطلنطي الشرقي من سواحل الدول الإسكندنافية إلى سواحل انگولا والغربي منذ سواحل الكرايب إلى خليج المكسيك. يعيش على الرمال والحشائش والصخور غير بعيد من السواحل، وينتقل وسط مجموعات متعددة الأفراد، يصعد إلى سطح البحر غالبا بالليل ويغوص في أعماق لا تتعدى 350 متراً خلال النهار.

يتوالد في السواحل المغربية ما بين أبريل ومايو ويصير بالغا بعد سنة. يبلغ طوله آنذاك 13 سم. إنه سمك خنثى Hermaphrodite وقارت، أغلب الصغار لاحمة وأغلب الكبار عاشبة.

صيده تقليدي في المغرب ويصاد منه كل سنة ما بين 2900 إلى 4000 طن وذلك بواسطة الشباك المختلفة المستعملة سواء للأسماك الأوقيانوسية أو لأسماك الأعماق. يوجد باستمرار في أسواق الأسماك المغربية وكثيرا ما يستعمل طعمة في الصنارة لصيد الأسماك.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

J. Schouten et M. Ramdani, *Fish of the Nifiss lagonn and the Tarfaya coast.* Trav. Inst. Sci. Rabat, Mémoires hors série, 1988, p. 101 - 104 ; W. Fischer, M. Schneider et M. L. Bouchot, *Méditerranée et Mer noire*, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche, 1987 ; G. Bianchi, *Ressources halieutiques de l'Atlantique Marocaine*, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche, Rome, 1984.

محمد رمضاني

** البوقة أقل انتشاراً من سمك البوري وأحسن منه طعماً. أولى الإشارات عنه انفرد بها ابن أبي زرع في *القرطاس* ونقلها عنه الجزنائي في جني *زهرة الآس* في معرض حديثه عن مميزات وادي فاس، لكن انفراد ابن أبي زرع بذكره لا يعني أن وجود هذا النوع من السمك حديث في النهر بل إن تسميته هي الحديثة، مثل العديد من الأنواع التي لها أسماء غير عربية، وقال عنها بعض الدارسين إنها انقرضت ولم يبق منها إلا البوري والبوقة (تعليق في *القرطاس*، 35). والواقع أنها لم تنقرض كلها بل تغيرت أسماؤها كالليبس والسيناح، وإن صحّ الانقراض، ففي وادي فاس بسبب ما لحقه من تغيير طبيعي وبشري. ولا أدل على ذلك من أن البوري والبوقة والقُرب والشولي (الصول) وغيرها أسماء تاريخية لأنواع لاتزال تستهلك حتى اليوم.

معظم أسماء الأسماك إما إسبانية أو برتغالية، وأطلقت على تلك الأنواع حسب مميزاتها، فالبوقة حسبما

أورده دوزي Dozy هي العين وأطلقت على السمك الذي نحن بصدده Boga لكبر عينيه وبروزهما. أما الذين أتوا بعد ابن أبي رزع الفاسي واهتموا بتصنيف خيرات المغرب الطبيعية وجردها، كالحسن الوزان، فإنهم لم يذكروا هذا النوع. ولا يعني ذلك انقراضه بالضرورة، فالبوقة لا تزال كثيرة في المناطق الشمالية من المغرب. إلا أنها تصاد في إطار الصيد الساحلي، مما يعني أن البوقة كانت بحرية وتصعد في الأنهار آنذاك وبتغير المعطيات الطبيعية الملائمة توقفت عن العيش في الماء الحلو ولم تعد تصعد في نهر سبو ثم وادي فاس، أو العكس.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. الجزنائي، جني زهرة الآس.

محمد حجاج الطويل

**بوقدور، محمد التمسماني** (القائد)، ينتمي إلى مدشر أُشْتَنْ من الربع الأعلى لقبيلة تمسمان الممتدة على شاطئ البحر المتوسط، المجاورة لقبيلة بني ورياغل من الناحية الشرقية. كان من أعيان القبيلة وأغنيائها، تقلد منصب قيادة قبيلة تمسمان في عهد مولاي عبدالعزيز وعهد مولاي عبدالحفيظ وما زال أحفاده يحتفظون بظهائر توليته.

استطاع هذا القائد بفضل ذكائه أن يلعب دوراً مزدوجاً في سياسته بعد عقد الحماية سنة 1912، شأنه شأن سائر الأعيان المحليين بمنطقة الريف الذين كانوا يتحركون من أجل الحفاظ على توازنهم السياسي. ربطت معه إسبانيا علاقة ودية معتقدة أنه الرجل الملائم لتمرير مخططها التوسعي في القبيلة. لكنه تفطن لمقاصدهم وداراهم إلى ما قبيل اندلاع الحرب الريفية بقيادة محمد بن عبدالكريم الخطابي (1921 ـ 1926).

وحسب التقارير الإسبانية أظهر القائد بوقدور ذكاء وخبرة سياسية لا نظير لها أثناء المراسلات التي كانت بينه وبين الحكام الإسبانيين، حيث قال فيه أحد الضباط : إنه رجل مثقف، له مظهر مقبول وخطيب مقتدر يمكن الاعتماد عليه في قيادة قبيلته. (*رسالة* من حاكم جزيرة الحسيمة إلى حاكم مليلة، بتاريخ 16 سبتمبر 1918).

وكان القائد بوقدور التمسماني ينتظر مثل هذه الفرص، إذ طلب من إسبانيا سنة 1918 تعيينه قائداً على قبيلته ليتمكن من الحفاظ على المكانة التي كان يتمتع بها سابقاً بين الجماعات. إلا أن الإسبان تحفظوا من إسناد القيادة إليه رغم صلاحيته، واشترطوا عليه مقابل ذلك أن يبرهن لهم عن مدى قدرته على كسب تأييد ومساندة القبائل الريفية له لتنفيذ مخططهم التوسعي في المنطقة بالإضافة إلى إظهار مدى علاقته بالمتعاملين مع الإسبان من أعيان قبيلة بني ورياغل.

ونظرا لنماء الجناح المعارض للمتعاملين مع الإسبان، انضم عدد لا يستهان به من العملاء إلى المعارضة التي أصبح يتزعمها ابن عبدالكريم الخطابي. وقد تجاهل القائد بوقدور ذلك الضغط المفروض من طرف المناهضين لسياسة التوسع الإسباني، وفضل الاستمرار في التعامل مع الإسبان. لكنه رفض الانضمام إلى الاتفاق الذي وقعه الإسبان علانية مع بعض الشيوخ التمسمانيين القاضي بالتعاون معهم من أجل السيطرة على القبيلة.

ومنذ اندلاع الحرب الريفية، غير القائد بوقدور موقفه وانضم إلى المجاهدين التمسمانيين والتوزانيين بمركز تافرسيت في 21 جمادى الأولى عام 1340 / 20 يناير 1922، وأسندت إليه مهمة القيادة في حكومة محمد بن عبدالكريم ثم عمل قابضاً للضرائب أيضا.

ومع انتهاء الحرب التحريرية فضل الانعزال عن السياسة والعيش في مأمن مع عائلته بقبيلة تمسمان إلى أن أدركته الوفاة سنة 1346/1927.

م. م. عمر القاضي، *أسد الريف : محمد بن عبدالكريم الخطابي*، تطوان 1979.

Servicio Historico Militar, *Historia de las campañas de Marruecos*, T. 3, Madrid, 1981, (Apendice 1), p. 621 ; S. H. M. Melilla, Lej. 5, Politica de Buquaddur ; Lej. 18, Operaciones, Resumen del dia 22 Abril 1921 ; Lej. 20, Resumen del dia 20 Enero 1927.

عبدالرحمان الطيبي

**بوقصيبة**، ويدعى أيضاً "بوساق"، طائر مائي من طوال الساق القواطع ومن فصيلة النكاتيات Curvirostridas. يسمى علميا Himantopus himatopus وبالفرنسية Echasse blanche وبالانجليزية Black-winged stilt يدعى بوقصيبة في المغرب لطول ساقيه الرقيقتين. ويسمى في مصر والشرق العربي أبا مَغازل وأبا مِغْزل وبوساق وطوّل.

يتميز بمنقار طويل أسود غير معقوف، وبساقين ورديتين طويلتين يتراوح طولها ما بين 20 و26 سم. ريشه أسود جهة الجناحين والظهر و أبيض جهة الصدر والبطن. يزن ما بين 140 و160 غرام ولا يتعدى طوله 38 سم وتبلغ بسطة جناحيه 75 سم.

إنه منْ الطيور المهاجرة، يتوالد معظمه في أوروبا الجنوبية والشرقية وفي آسْيا، وتوجد في المغرب مجموعات متعددة الأفراد تستقر في معظم البحيرات الساحلية والقارية ومصبات الأنهار وتضاف إليها عدة مجموعات أوروبية ابتداءً من فصل الخريف و تغادر المغرب في فصل الربيع.

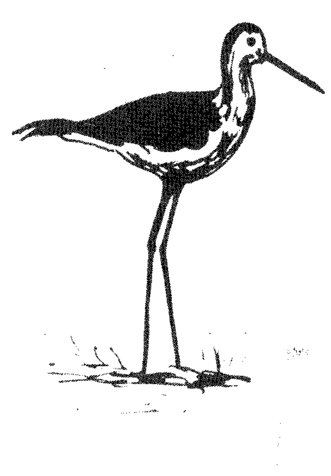

توضع الأعشاش متقاربة بين الحشائش المجاورة للبحيرات ومصبات الأنهار، وتلد الأنثى ما بين أبريل وماي من 3 إلى 5 بيضات بنية مصفرة وملطخة ببقع سوداء ورمادية. يبلغ قطرها الكبير 44 ملم وقطرها الصغير 31 ملم. تحضن بالتناوب من طرف الزوجين لمدة تتراوح ما بين 24 و26 يوما. تهجر الصغار الأوكار مباشرة بعد التفقيس وتحسن السباحة والمشي في سن مبكر. تغادر أبويها بعد أربعة أسابيع.

يعيش بوقصيبة مزدوجا أو وسط مجموعات تتكون من عشرة إلى عشرين فرداً ويسير ببطء داخل المياه ليبحث بمنقاره عن الديدان والقشريات الصغيرة والحشرات التي تكوِّن قوته اليومي. يوجد بكثرة في كل من بحيرة مولاي بوسلهام وبحيرة سيدي بوغابة وسيدي موسى والوليدية.


أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

P. C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc*, Janvier 1986 - 87 - 88. Documents de l'Institut Scientifique, 11, Rabat, 1988 ; W. Reade et E. Hosking, *Les Oiseaux, leurs œufs et leurs nids, Reproduction, œuf et jeunes*, Paris, 1968, p. 191 - 192 ; C. Harrision, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*. Multiguide nature, Paris, 1977, 430 p ; H. Heinsel, R. Fitter et J. Parslow, *The Birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984, p. 124 - 125.


محمد رمضاني

**بوقفطان، محمد** (الحاج ـ) بن عمر أحد حفدة الشيخ أبي محمد صالح الماكري، ولد سنة 1890/1308 بأسفي، وتولى نقابة الرباط الصالحي مباشرة بعد وفاة والده. وأدى فريضة الحج سنة 1933/1352، وتوقف أثناء رحلته إلى المشرق في مصر حيث سهر على طبع كتاب *المنهاج الواضح في تحقيق كرامات الشيخ أبي محمد صالح*، وأنفق عليه من ماله الخاص. ومعلوم أن كتاب الفقيه محمد الكانوني *أسفي وما إليه* قد طبع في نفس السنة وفي مصر كذلك، وقد يكون الحاج مَحمد بوقفطان هو الذي تكفل بطبعه أيضاً.

توفي سنة 1975/1395، ودفن أمام باب قبة جده الشيخ أبي محمد صالح.


م. بنشريفة، *الفقيه الكانوني ومؤلفاته*، في كتاب *أسفي، دراسات تاريخية وحضارية*، 1989.


عبدالرحيم العطاوي

**بُوقَلِيْنَة**، أسرة تطوانية لعل أصلها من الأندلس، وكلمة قلينة تعني أنثى قلين، وهو حيوان يشبه الأرنب أصله من الأندلس، ومنها انتقل إلى المغرب، وربما كانت قلين مأخوذة من الإسبانية Conejo. وتوجد اليوم بإسبانيا أسر تحمل اسم Conejo وConejero.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان حوالي سنة 1870/1287.


Delegacion, *Familias* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.


محمد ابن عزوز حكيم

**بوقنادل**، (سيدي ـ) أو أبوالقناديل صالح لا تعرف له ترجمة، ويوجد ضريحه بضاحية سلا على بعد حوالي عشرة كيلومترات شمال شرقي المدينة في مكان ترعرع فيه مركز حضري صغير. وارتبط نمو هذا المركز بعدة عوامل اقتصادية ادت إلى توافد السكان إليه وانتشار المباني، خاصة منذ الستينات.

ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى محاولات من طرف الفرنسيين لتنمية مركز بهذا المكان يكون مقراً للمعمرين الذين استولوا تدريجيا على مساحات مهمة من الأراضي الفلاحية في ضواحي سلا. كما فتحت هنا عدة محاجر لإنتاج مواد البناء. غير أن الانطلاقة الحقيقية للمركز لم تكن إلاّ على يد شركة إنتاج أنابيب الماء الاسمنتية التي استقرت بمحاذاة المحاجر المحلية، بين الطريق الرئيسية وخط السكك الحديدية اللذين يربطان سلا بالقنيطرة. ووفرت هذه الوحدة الصناعية عدة فرص للشغل مما أدى إلى ظهور تجمعات من الأكواخ يسكنها عمال الشركة انضم إليهم عمال المحاجر وبعض المشتغلين في الضيعات الفلاحية الأوربية المجاورة.

وفي سنة 1355 / 1936، بلغ عدد هؤلاء سكان المركز 437 نسمة من بينهم 53 أوربياً. ولم يتزايد هذا العدد إلا ببطء نظراً لعدم نمو أنشطة المركز بالإيقاع المطلوب وعدم نجاحه كمقر للتأطير الفلاحي المحلي. ففي سنة 1380 / 1960 لم يتعد عدد سكان بوقنادل 640 نسمة.

ورغم ارتقائه إلى رتبة مقر جماعة قروية، أصبحت تدعى جماعة بوقنادل، فإن المركز لم يعرف نمواً مماثلا لما شهده مركز تمارة في جنوب الرباط مثلا، بل ظل عبارة عن تجمع ضخم من الأكواخ يعيش أساساً على مصنع القنوات، إضافة إلى بعض الدور والدكاكين المبثوثة على طول الطريق ويقطن الكل 1106 نسمة حسب إحصاء 1971.

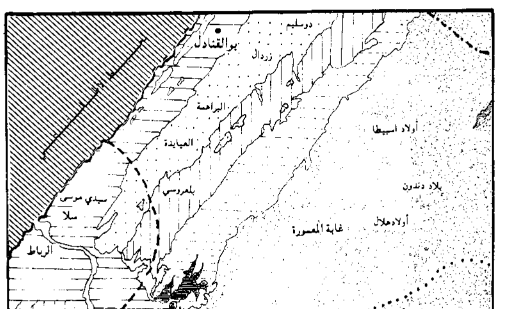


بوقنادل : طبوغرافية الجماعة

وساهم تفاقم أزمة السكن والشغل بسلا وتوالي سنوات الجفاف بالأرياف خلال السبعينات في احتدام ظاهرة الهجرة إلى ضاحية سلا ومن ثمة إلى مركز بوقنادل الذي شهد استقرار بعض الوحدات الصناعية والحرفية، وكذا بعض التجهيزات الاجتماعية وتدعيم السوق الأسبوعية المحلية

التي تعقد يوم الأحد مع انطلاق تجهيز شاطئ السباحة القريب (شاطئ الأمم) والوحيد بين سلا والمهدية، إضافة إلى تعدد الضيعات المتخصصة في إنتاج الخضروات. كل هذا وفر العديد من فرص العمل، وجعل عدد السكان يرتفع إلى 1523 نسمة في سنة 1978 ثم 2485 في سنة 1982. فيكون المركز قد نما بمعدل 2،2٪ سنويا بين 1936 و1960 و5،1٪ بين 1960 و1971 ثم 7،6٪ بين 1971 و1982.

وبسبب انتظام الوحدات التضاريسية الممتدة بموازاة الساحل من جهة وتسطير طرق المواصلات وموقع المقالع من جهة ثانية فإن مركز بوقنادل يتخذ شكلا طولياً في توسعه بحيث تصطف البنايات على جانبي الطريق الرئيسية، على مسافة تزيد عن الكيلومتر، ذلك أن امتداد السكة الحديدية وتعدد المقالع بمحاذاة الطريق من جهة الشرق، ثم انتشار المبقلات من جهة الغرب، تؤلف عراقل أساسية تحول دون توسع المركز نحو الداخل ونحو البحر، بل بشكل واضح في اتجاه سلا التي يربطه بها خط نقل عمومي بالحافلات وحركة دائبة من سيارات الأجرة.

يمكن التمييز بين وحدتين سكنيتين مختلفتين ببوقنادل: من جهة دوار ضخم، يتألف من أكواخ الصفيح التي بدأت جدران العديد منها تتحول إلى البناء بالطوب في السنوات الأخيرة. يقع هذا الدوار محصورا بين الطريق ومصنع القنوات وسكة الحديد والمقالع، ويؤوي نحو ثلث سكان المركز، ومن جهة أخرى، تنتشر المنازل الجيدة البناء نسبياً وبعض الدكاكين والمقاهي والمصالح العمومية على جانبي الطريق، وعلى سفح التل الموالي من جهة البحر. وقد سعت سلطات الجماعة وكذا بعض المبادرات الحرة، خلال السنوات الأخيرة، إلى فتح تجزئات صغيرة وتجهيزها قصد المساعدة على تراجع سكنى الصفيح من جهة وتمكين سكان آخرين من الاستقرار بالمركز.

يتوفر مركز بوقنادل في الجملة على عدة عوامل يمكن أن تساعد على نموه، من أهمها الوحدات الصناعية (قنوات الماء والري، التجارة والأثاث، صهر الحديد، النسيج، الزرابي...) والمقالع ومحطة السكة الحديدية والسوق الأسبوعية ومجال فلاحي متنوع غني الانتاج، إضافة إلى كونه سهل الاتصال بالقنيطرة والرباط ـ سلا. غير أنه يظل مركزاً ناقص التجهيز، لا من حيث محلات التجارة والخدمات ولا من حيث عدد ونوعية المصالح الإدارية والتعليمية والصحية. ويُعزى هذا الضعف في التجهيز بالأساس إلى كون بوقنادل لا يمثل القلب الحقيقي لجماعته القروية، إذ أن تسعة أعشار سكان هذه الجماعة يتركزون في الجهات الجنوبية منها، أي في الهالة المحيطة مباشرة بسلا. وهذا ما جعل المرافق الإدارية المسيرة للجماعة تستقر بهذه المدينة وليس بمركز بوقنادل.

تنتسب لسيدي بوقنادل جماعة قروية كبيرة تنتشر على مساحة 290 كلم² وحدودها لها اتصال بعدة أقاليم فمن الشمال إقليم القنيطرة ومن الشرق إقليم الخميسات وجماعتا أربعاء السهول وعين العودة، ومن الغرب مدينتا الرباط وسلا. من الناحية الطبوغرافية أراضي الجماعة عبارة عن سطح هضبي متموج قليل الارتفاع ينحدر من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي حيث يوافق الميل العام للمسطحة وأقصى الارتفاعات لا تتعدى 170 م وهي وحدة متميزة بتكوينها الرباعي وعطائها النباتي الدائم (غابة المعمورة).

الوحدات التضاريسية الكبرى : الوحدة الساحلية، وتوجد في شمال غرب الجماعة، عبارة عن ساحل يتسم بالاستقامة وينعرج شيئا ما في الجنوب وتحف به كثبان رملية تتراوح ارتفاعاتها ما بين 60 و70 م. ومن خصائص هذا الشريط ضيقه وتباين تكوينه، وكذا منظره العام. ففي الشمال شريط رملي، أما في الجنوب فإن الساحل عبارة عن أجراف صخرية عالية ومتصلة تبلغ ارتفاعاتها 50 م.

المجموعة التلِّيّة : عبارة عن تلال منعزلة تتسم بالانخفاض وكذا الشكل الطولي وتجري بها أحياناً بعض المجاري الموسمية في الفترات الرطبة.

السطح الهضبي : ويوجد في شرق المجموعة التلية التي تمتاز بسطحها المتموج كما تتخللها وهاد ذات شكل طولي ومغلقة تغمرها مياه مكونة ضايات متسعة. وفي حدود الجماعة يصبح سطح الهضبة كتليا وهذه المجموعة عبارة عن هضاب متدرجة الارتفاع بين 20 و60 م.

الشبكة المائية : لا وجود لمجرى دائم باستثناء نهر أبي رقراق الذي يوجد في القسم الجنوبي وهو أهم مجرى مائي بالمنطقة. وعند اختراقه أراضي الجماعة يتصل بروافد واد "كرو" حيث يتبع النهران طريقاً متوازياً تقريباً واتجاهات أبي رقراق متعددة، وعند وصوله لأراضي الجماعة يصبح اتجاهه شرقي غربي لينعرج بعنف نحو الشمال ثم إلى الشمال الغربي عند المصب في المحيط الأطلسي.

أما المجاري الموسمية : فمنها واد الفوارات، مجرى ضيق يكتسي طابع الموسمية ليصبح دائماً عند مغادرته أراضي الجماعة. كما توجد بالجماعة عدة ضايات وعيون نذكر منها عين البريبري وعين البركة وعين الحوالة. والآبار وجودها مكثف بالساحل بسبب أهمية الفرشة المائية الباطنية.

التربة : متنوعة مع غلبة تربة الرمل، وهذا النوع يشكل شريطاً طولياً يوازي امتداد الشاطئ الأطلسي. أما على طول مجرى نهر أبي رقراق فتنتشر تربة سوداء تعتبر مجالا للأعشاب البرية، وتتميز هذه التربة بارتفاع نسبة الملوحة خاصة قرب الولجة، وباستثناء الضايات فإننا لا نجد سوى التربة الرملية الحمراء غير كاملة التكوين وفقيرة أحيانا من حيث التكوينات العضوية، أما التربة الدبالية فمجالها منفرجات الغابة.

المناخ : يمتاز بالاعتدال ويتأثر بعوامل محيطية فهو دافئ رطب في الشتاء حار جاف في الصيف.

التساقطات : تتراوح ما بين 450 و600 مم سنويا.

الحرارة : لا تنزل عن 10 درجات في مجموع شهور السنة ولا تتعدى 23 درجة صيفاً، كما أن المدى الحراري ضعيف والصقيع منعدم بالإضافة إلى عامل أهمية التشميس، أما أيام الضباب فتصل إلى 66 يوماً في السنة وتتراوح أيام الشرقي ما بين 32 و35 يوماً في السنة.

الغطاء النباتي : تعد غابة المعمورة الغطاء النباتي الدائم بالمنطقة، وتنتشر فوق تربة رملية، وتتكون أشجارها من السنديان الفليني، ويلاحظ عدم اقتراب هذا الغطاء النباتي من الساحل، ويعزى هذا إما لعامل الاجتثاث أو للحساسية الكبرى التي تعرفها عروق السنديان وأوراقه تجاه الملوحة. ما عدا الغطاء الغابوي لا نصادف أي نوع من النبات باستثناء ضفاف مجرى أبي رقراق حيث تصطف الأعشاب البرية وبعض الحشائش القصيرة التي تندثر في فترات الجفاف والحرارة.

البنية الجيولوجية : تغطي الجماعة صخور رباعية وثلاثية متنوعة حيث نجد بها رواسب بحرية وقارية، ومن خلال التاريخ الجيولوجي عرفت المنطقة عدة تذبذبات بحرية حيث كان البحر يغطي هذا المجال إلى بداية الزمن الجيولوجي الرابع ثم غمرها في الميوسين والبليوسين. وبهذا فقد ترسبت على القاعدة القديمة صخور مختلفة منها الرواسب البحرية في الزمن الثالث والرابع ثم أتت فوقها تغطية قارية تعرضت لحركات باطنية.

أما على مستوى التطبق فنجد سطح تنافر بين المستوى الأسفل لطبقة الطَّفْل التي تنتمي إلى الميسيني والطبقات العليا المنتمية إلى الزمن الأول، سمك الطبقات العليا متفاوت أهمها الطَّفْل الميوسيني، كما أنها تختلف من حيث الصلابة والنفاذية. وانتشار الرواسب الرباعية في جهات مختلفة من الجماعة على شكل توضعات نهرية أو قارية كالغرين الأحمر السلطاني أو القلقرنشي في المناطق المرتفعة من أهمها تكوينات الكثبان الرملية، ويمكن تفسير وجود العيون بالمنطقة داخل التكوينات الرباعية التي تمتاز بالنفاذية.

تتقاسم هذا المجال مجموعتان بشريتان، هما قبيلة عامر المنتشرة بين سلا وبوقنادل، وقبيلة حصين المتمركزة في الجهة الجنوبية الواقعة أساساً بين الطريق الرئيسية ونهر أبي رقراق. كان عدد هؤلاء السكان لا يتعدى ثلاثة إلى أربعة آلاف نسمة في بداية القرن العشرين، يعيشون على شبه الترحال متنقلين بمواشيهم بين الساحل والغابة وسهل الغرب. وقد أدى دخول الاستعمار إلى استقرارهم تدريجيا مع ممارسة أكبر لزراعة الحبوب. وأصبح عددهم حوالي 6.100 نسمة حسب إحصاء 1936، لينتقل إلى 13.500 في 1971 ثم زهاء 37.000 في 1982 ونحو 52.000 في 1990. بمعنى أن وتيرة النمو الديموغرافي انتقلت من 3,3٪ سنويا بين 1936 و1960 إلى 4,1٪ بين 1960 و1971 ثم 5,2٪ في العقد التالي، وتكون الكثافة السكانية قد تضاعفت تسع مرات في ظرف نصف قرن، حيث قفزت من 20 إلى 180 نسمة في الكلم2 بين 1936 و1990. غير أن هذه الكثافة في الواقع تفوق 500 إذا ما اعتبرنا فقط المساحة الزراعية.

تمتد الأراضي الزراعية على حوالي 10.000 هكتار، أي نحو 35٪ من مجموع مساحة الجماعة. ولم تعد الأراضي الجَماعية، التي كانت هي السائدة في الماضي متلائمة مع الحياة القبلية، تمثل سوى نسبة ضعيفة جداً من الأراضي الفلاحية، منتشرة بالخصوص داخل غابة المعمورة وعلى هوامشها. كذلك تندر هنا ملكية الدولة، بينما توجد مساحات لا بأس بها من أراضي الأحباس خاصة بالقرب من سلا التي كان لها إشعاع روحي هام. وهكذا تبقى الهيمنة لنظام الملك الخاص ممثَّلا، بصفة رئيسية، في ضيعات تمتلكها أسر حضرية تقطن سلا والرباط وسَّعت هنا قاعدتها العقارية القديمة عن طريق شراء أراضي المعمرين الأوربيين (حوالي 2000 هـ) والجزء الأكبر من أراضي الفلاحين المحليين.

نظراً لكثرة الأسر الفلاحية، فإن جل الحيازات صغيرة، بحيث إن ثلثيها تقل المساحة فيها عن عشرة هكتارات، الشيء الذي لا يمنع من وجود ضيعات كبيرة وأحيانا شاسعة. وبحكم وجود هذه الأراضي في ضاحية الرباط - سلا، ونظراً لوفرة رؤوس الأموال، فإن أثمنة الأرض هنا جد مرتفعة مما يوجب ممارسة زراعات غنية ذات مردودية عالية، وبالتالي اللجوء إلى السقي. ويسمح ضخ المياه الباطنية بري أزيد من 1500 هـ، تزرع فيه أساساً الخضروات، والأشجار المثمرة المختلفة، وعلى الخصوص البرتقال، ثم الموز (في البيوت المغطاة) خلال السنوات الأخيرة، وكذا الزهور. ولا يزال عدد كبير من صغار الفلاحين يمارسون زراعة الحبوب وبعض القطنيات مع تربية الأغنام.

غير أن تربية الأبقار المستوردة والهجينة عرفت منذ الستينات ازدهاراً كبيراً في هذه الضاحية من أ إنتاج الألبان على الخصوص، كما شهدت تربية الدجاج انتشاراً هائلا وسريعاً، في عشرات الوحدات الانتاجية، بعضها ضخم وجد متطور.

إلى جانب هذا الإنتاج الفلاحي الهام والمتنوع الذي يلبي جزءاً من الحاجيات الغذائية لثاني تجمع سكاني بالمغرب (أي أزيد من مليون نسمة) تتوفر جماعة بوقنادل على العديد من الوحدات الصناعية المتنوعة، جد متفاوتة الأحجام، تهتم بإنتاج مواد البناء وبالغزل والنسيج والنجارة والمصنوعات المعدنية وغير ذلك ... كما تحتضن الجماعة بعض التجهيزات الكبرى ذات الأهمية الوطنية مثل مطار الرباط - سلا، قاعدة عسكرية كبيرة، دار السكة، المركز الوطني للشباب، مركز تدريب الشرطة، الحدائق الغريبة الخ....

وقد عملت كل هذه الأنشطة الفلاحية والصناعية والتجارية والخدماتية والسياحية على توفير الشغل لأعداد متزايدة من السكان الذين تجمع الجزء الأكبر منهم في مراكز هامة مصطفة على طول الطريق الرئيسية الرابطة بين سلا

وبوقنادل وكذا على الطريق الثانوية الواصلة بين طريق مكناس ووادي أبي رقراق.

*خريطة طبوغرافية* لبوقنادل مقياس 1/100.000 ؛ *نشرات مصلحة الأرصاد الجوية* بالدارالبيضاء سنوات 83 ـ 84 ـ 85 ؛ *تحريات ميدانية*.

عبداللطيف فضل الله ومحمد بلعربي

**بوالقنادل**، (سيدي ـ) صالح يقع ضريحه عند المدخل الشمالي لمدينة أگادير على سفح جبل الأطلس الكبير فوق ميناء المدينة، قرب حصن (فونتي) التاريخي القديم. يقول عنه المختار السوسي : "سيدي بوالقنادل المدفون في فونتي قديم، يقول الدغوغيون والوجانيون إنه منهم، وقد رأيت ظهائر تتعلق بأولاده، ويزعم الرگراگيون أنه منهم والله أعلم ( *خلال جزولة*، 1 : 51).

يتكون ضريح سيدي بوالقنادل من قبة بيضاء أنيقة تترجم ما لدفينها من حرمة وجلال وهيبة دينية في نفوس سكان المدينة ونواحيها، وبجانب القبة مسجد وأبنية لإيواء الزوار من الرجال والنساء الذين يتقاطرون عليه صيفا وشتاء للاستشفاء والاستعانة ببركته على قضاء مآربهم. ويعتقد العامة أنه من رجال رگراگة المجاهدين ضد البرتغاليين المحتلين لحصن فونتي قبيل العصر السعدي، استشهد في معارك تحرير المدينة فبنى عليه السكان ضريحاً ليكون رمزاً للتضحية والاستشهاد في سبيل الله. وتحول هذا التعظيم على مر العصور إلى اعتقاد أسطوري بأن سيدي بوالقنادل حامي المدينة وحارس أهلها يحميهم من كل أذى ظاهر وباطن، وعلى القادم إليها أن يطلب منه التسليم والحماية، مثله في ذلك مثَلُ (سيدي أسيدي) بمدينة تارودانت، و(سيدي عبدالرحمان) بمدينة تيزنيت و(سيدي مگدول) بمدينة الصويرة، و(سيدي بليوط) بمدينة الدارالبيضاء، وهلم جراً. وكان من عادة الزوار أن يوقدوا "القناديل" والشموع ليلاً بضريح هذا السيد فيهتدي بها البحارون الصيادون لتحديد اتجاههم وموقعهم من ميناء المدينة على البحر، وذلك قبل بناء برج الضوء الحالي، وربما كان ذلك سبب تسميته بسيدي بوالقنادل فاشتهر بها شهرة أنست العامة اسمه الحقيقي إلى اليوم.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 1 : 51 ؛ *رواية شفوية*.

محند أيت الحاج

**بوالقنادل**، (سيدي ـ) **عبد السلام** بن أحمد بن عبد المومن بن عبد الرحمان بن علي بن عبد العظيم بن الشيخ أمغار، وضريحه شهير جنوب مدينة الجديدة. كان سيدي بوالقنادل يعيش في مغارة، ويتردد عليه تلاميذه في تلك المغارة فيجدونها ساطعة الأنوار، رغم أنه لم يكن لديه أي قنديل، فلقب بأبي القناديل. توفي في وسط القرن الثامن (14 م)، ودفن في حوش بزاوية تيط بدكالة.

**بوالقنادل**، (سيدي ـ) **عبد الله** بن ويجلان أوويحلان، من مدينة أغمات، عاصر الشيخ عبد الجليل بن ويجلان أو ويحلان الأُريكي الأغماتي الشهير بأبي النور عبد الله الأغماتي الدكالي. وضريحه معروف جنوبي مدينة الجديدة.

توفي عام 553 / 57 ـ 1158. ودفن في حوش بزاوية تيط بدكالة أيضا.

سلسلة *مدن وقبائل المغرب*، ج 10، تر. م. الشياظمي.

محمد الشياظمي

**بوالقنادل**، بن **عمرو**، أو بوالقناديل أُعْمَر الشياظمي قائد حكم قبيلته الشياظمة في عهد الحسن الأول ما بين سنوات 1292 و1295 / 1875 ـ 1878، فقد جاء في كتاب *أزمور وضواحيها* أن القائد بوالقنادل بن عمرو كان يمارس قيادة الشياظمة التي ينحدر منها، ولم يمض على بوالقنادل في وظيفه إلا سنتان حتى شكاه إلى السلطان أهل قبيلته الذين يسلبهم أموالهم، فسجن أولاً بمراكش ثم بفاس طيلة اثنتي عشرة سنة، وبعد خروجه من السجن رجع إلى عائلته ولم يلبث أن قضى نحبه.... وعين السيد محمد بن الحاج عمور الهشتوكي، خلفا لبوالقنادل، بعد أن أبدى أعيان القبيلة الذين استدعُوا إلى مَراكش موافقتهم على هذا التعيين، وكان ظهير تعيينه على هشتوكة والشياظمة بتاريخ 13 محرم عام 17/1295 يناير 1878.

م. الشياظمي، ت. *مدن وقبائل المغرب*، *أزمور وضواحيها*، سلا 1989.

محند أيت الحاج

**بوالقنادل**، (سيدي ـ) **يحيى** بن إبراهيم، ثالث صلحاء دكالة بهذا الاسم، أصله من قبيلة هسكورة المصمودية، تتلمذ على الشيخ أبي مدين الغوث دفين تلمسان، وكان يخدمه أيام إقامته ببجاية. توفي عام 601 / 3 ـ 1204. ودفن عند الجواولة بدكالة، وعلى قبره حوش.

سلسلة *مدن وقبائل المغرب*، ج 10، تر. محمدالشياظمي.

محمدالشياظمي

**بُوقُوَيْقة**، جنس طيور مائية من فصيلة دجاجيات الأرض Scolopacidae ورتبة طوال الساق تشمل دجاجة الأرض والكروان والطيطوي. لفظة بوقويقة عامية في مصر ودخلت إلى المغرب، كما يطلق عليها أيضاً "بَارْج" المأخوذ من الفرنسية Bage. وهو من الطيور القواطع التي يشتو نوعان منها في المغرب :

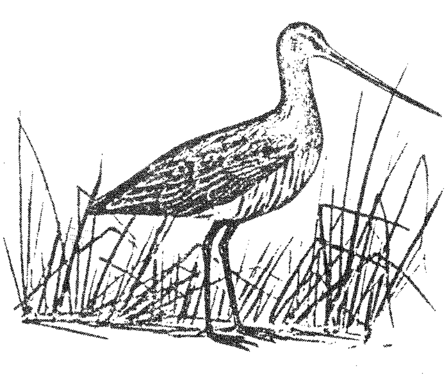

ـ بوقويقة سوداء الذيل Limosa limosa، طويلة الساق، منقارها طويل ومستقيم، مؤخرة الذيل سوداء، العنق والصدر أشقر في الصيف وأشهب في الشتاء. يبلغ طولها 40 سم وطول بسطة الجناحين 70 . 75 سم وتزن ما بين 230 . 340 غرام. تعيش على الشواطئ وبجانب البحيرات والوديان وتتغذى من الحشرات والديدان والقشريات الصغيرة.

تبيض في شمال أوروبا وشرقها في مايو ـ يونيه وتضع 4 بيضات تحضنها 24 يوما. أكثر من 5.000 طائر من نوع بوقويقة هذا تشتو في المغرب ما بين شتنبر وأبريل من كل سنة، وتوجد بكثرة في بحيرة مولاي بوسلهام والوليدية وسيدي موسى وفم ملوية وفم سوس وباقي السدود المغربية.

ـ بوقويقة شقراء Limosa lapponica وهي أصغر من الأولى، يبلغ طولها 38 سم وطول بسطة جناحيها 63 . 68 سم ويزن الذكر 160 . 235 غ والأنثى 255 . 290 غ. السيقان قصيرة نسبياً، المنقار طويل ومعوج شيئاً مّا إلى الأمام. الذيل أبيض مخطط بريش أسمر.

تعيش وسط مجموعة عديدة الأفراد على الشواطئ الأطلسية والمتوسطية وكثيراً ما تعيش وسط أنواع أخرى من الطيور المائية تقتات من الحيوانات الصغيرة التي تبحث عنها وسط الوحل.

تبيض من 3 إلى 4 بيضات في الربيع وسط الحشائش الكثيفة في أوروبا، وتأتي إلى المغرب في فصل الخريف والشتاء. توجد بكثرة في سبخة بوعرگ وفم ملوية وعلى طول الساحل الأطلسي (سوس ـ مولاي بوسلهام ـ الوليدية ـ سيدي موسى) وعددها أقل بكثير من سابقتها.

صيد هذين النوعين مقنّن.

M. Thevenot (et al.), *Compte rendu d'ornithologie marocaine, Doc. Inst. Sci.*, N° 6, 1981.

محمد رمضاني

**بُوكَا گْرانْدي**، Boca Grande أي "الفم الكبير" اسم أطلقه الإسبان على فم الشبكة، وهو مصب وادي الشبيكة، أي النهر ذي الفم الكبير، لأن عرض مصبه يبلغ كيلومترين، ولاشك أنه كان يوجد بهذا المكان البرج الذي بناه الإسبان سنة 880 /1476 وأطلقوا عليه اسم سانطا كروث ذي مار پِيكينيا Santa Cruz de Mar Pequeña (الصليب المقدس للبحر الصغير) وقد احتفظوا به إلى سنة 1524/930 حيث طُردوا منه، ثم طالبوا به على إثر الحرب المغربية الإسبانية سنة 1860/1276 وافقهم السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان على ذلك بمقتضى الفصل الثامن من معاهدة الصلح المبرمة بتطوان يوم 26 أبريل 1890، غير أنهم لم يتمكنوا من الحصول عليه إلا سنة 1934.

م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، 1 : 42.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوگافر**، (جبل ومعركة) يطلق جبل بوگافر على القسم الأعلى من صَغْرُو الذي هو امتداد طبيعي لبنية الأطلس الصغير ويباني نحو الشمال الشرقي، ويفصله عنهما انكسار وادي درعة في المنطقة الوسطى بين أگدز وورزازات (المدينة). وهو لفظ مركب يعني "صاحب الأحراش".

جبل بوگافر متوسط الارتفاع، تبلغ أعلى قممه (أمالو نو منصور) 2712 متراً. وهذا المرتفع ينتمي إلى الزمن الجيولوجي الأول. أما صخوره فهي من التكوينات الاندفاعية المتحولة Irruptives métamorphiques. وقد أطلق على هذا المجال تمييزا له عن المجالات الجرداء المحيطة به فهو بمثابة أگدال، أي المراعي الصيفية بالنسبة لأيت عطا الجنوبيين (ايلمشان وأيت بويكنيفن وأيت خبّاش). وصغرو جبل يسوده المناخ الشبه الجاف، وتسقط به الثلوج، أحياناً، في فصل الشتاء. ولا يزال الرعي هو النشاط الاقتصادي السائد ولا تقوم به الزراعة إلا قليلا (المازوزي).

ينتمي بوگافر إدارياً إلى جماعة ايكنوون التي بلغ عدد سكانها سنة 1982 : 15.356 نسمة.

*خريطة المغرب العامة : خريطة كثافة السكان*، 1984 ؛ *رواية شفوية*.

*Géographie du Maroc*, Paris, 1968.

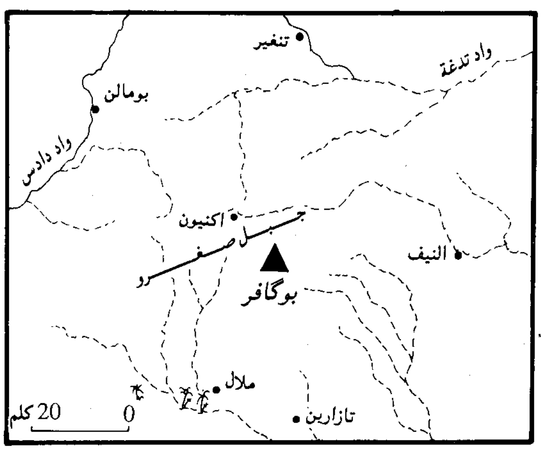


موقع جبل بوگافر

** اشتهر جبل بوگافر بمعركة تحمل اسمه، وذلك أنه بعد احتلال إقليم تافيلالت والمناطق المجاورة له (بوذنيب وتُدغة...) ووصول الجيوش الفرنسية إلى مناطق درعة ودادس (1923 . 1929) عبر ورزازات، ودخول كل قبائل المنطقة تحت سيطرة الأگلاويين والإدارة الفرنسية المباشرة، بقي جبل صَغْرو وحده خارج إطار السيادتين (باسم السلطان)، وشكّل بذلك خطراً على طرق المواصلات (تافيلالت ـ مراكش. ودمنات ـ درعة)، ومجالا واسعاً يلوذ به كل الأشخاص والجماعات التي لا تريد الدخول ضمن السيادة الجديدة. ذلك لأن القبيلة التي تسكنه لها امتداد مجالي نحو الشرق يصل إلى الحدود الجزائرية (تهديد إنجاز مشروع الخط الحديدي عبر الصحراء). وكون جبل صغرو (موطن أيت عطا) لم يحتل بعدُ جعل القبائل التي احْتُلّت أراضيها حديثاً تطمح في القيام بكل عمل من شأنه أن يبعد التهامي الأگلاوي والقوات الفرنسية عن مجالاتها.

وأصبح جبل صغرو موقعاً استراتيجياً من الناحية العسكرية أكثر من الناحية الاقتصادية.

عندما وصلت القوات الفرنسية، وفرسان التهامي الأگلاوي إلى واد دادس ودرعة وتُدغة (1929 ـ 1932) طبقوا الحصار الاقتصادي على إلمشان وأيت خباش ومنعوهم من الوصول إلى الأسواق المجاورة حيث يتبادلون ويبيعون سلعهم من الأنعام والأصواف مقابل الحبوب والمواد الضرورية لهم. (بومالن، تينغير، تازارين).

كان الهدف من ذلك استخدام الضغط الاقتصادي وإضعاف قوات ومعنويات قبائل صَغْرو بغية الوصول إلى استسلامها دون مقاومة (خريف 1932). وكانت نتائج هذا الحصار وخيمة وبليغة لكون جبل صغرو لا ينتج الكميات الضرورية لعيش سكانه من المواد الأساسية (الحبوب). ولما علم الجنرال هوري Huré بوقع سياسة الحصار الاقتصادي ضد إلْمشان (مفرده إلْمش) وتعني الخيمة المنسوجة من شعر الماعز أو الصوف الأسود ـ وقد تكون لها علاقة بالتصنيف الخلدوني لصنهاجة التي ينتمي إليها أيت عطا (أهل الوبر). أرسل إلى شيخ إلْمشان عسُّو بَسْلام رسالة يحثه فيها على أن يعلن استسلام قبيلته دون مقاومة ودخولها تحت طاعة المخزن دون شروط. لكن زعيم أيت عطا أجاب حامل الرسالة بقوله "على الذي كتب هذا أن يأتي ليأخذ الجواب".

ورغم كل الاستعدادات العسكرية من الجهة الفرنسية وضخامة جيوشها التي بلغت أكثر من ثمانين ألف مقاتل مجهزين بأحدث الأسلحة ومعززين بالطيران الحربي ومؤطرين من طرف أشهر الجنرالات المعروفين آنذاك بتجربتهم الحربية سواء في أوربا أو في المستعمرات مثل كاترو وجيرو وهوري والعقيد بورنازيل إضافة إلى فرسان ومقاتلي التهامي الأگلاوي والقبائل الخاضعة له، فإن أيت عطا رفضوا الخضوع والاستسلام في وقت لم يتجاوز عدد مقاتليهم اثني عشر ألفاً بين فارس (وهم قلة) وراجل. كما أن القبائل العطاوية المجاورة لهم دخلت نهائيا في إطار السلطة الجديدة وتخلت عن تحالفاتها الدموية والمصلحية (طاضا) مما جعل من صغرو في خريف سنة 1932 وشتاء سنة 1933 شبه جزيرة وسط محيط معاد. ولن ينفع أهلها إلاَّ معرفتهم بأساليب حرب العصابات وراء الخطوط الأمامية للعدو. كما أن معرفتهم الدقيقة بالمجال الطبيعي ساهمت في التشبث بروح المقاومة والجهاد دفاعاً عن مجالهم القبلي والحضاري. وقد كان بذلك سكان صغرو آخر من دافع بالسلاح ضد كل سلطة غير شرعية ودخيلة رغم الظروف الغير المواتية. (انظر بَسْلام).

*رواية شفوية*، عن بعض المسنين والمشاركين في هذه المعركة.

A. Guillaume, *Les Berbères* ; C. Spillmann, *Les Aït Atta* ; J. D'Esme, *Bournazel* ; A. Huré, *La pacification du Maroc : dernière étape, 1931 - 1934* ; D. Hart, *Assu ù Bâ Slam, Les Africains*, T. V.

محمد أوجامع

**البوگافري**، هناك بوگافريون متعددون برزوا على الساحة السياسية في الشمال أيام الحسن الأول، ولعبوا أدوارا مهمة كقواد وأمناء، وتميز بعضهم بالاخلاص في تطبيق سياسة المخزن القاضية بالسهر على الحدود وخاصة مليلة، ومحاربة تهريب الماشية إلى الجزائر المحتلة. ومعلوم أن بني بوگافر تعد جزءا من قلعية الكبرى الموزعة من الوجهة الادارية إلى خمسة أقسام، كل واحد يدعى الخُمُس، وهو بمثابة قبيلة، فهناك خمس بني شكر، قائده في هذه الفترة محمد بن الهادي الشكري، وخمس مزوجة قائده لحسن بن محمد المزوجي، وخمس الگعدة يديره حَمُّ بن محمدْ بن الحسين الفَكْلاني، ثم الخضر بن محمد من بعده، وعلى خمس بني بويفْرور القائد حميدة بن شلال.

وتعد مساحة أرض بني بوگافر أصغر مساحات باقي الأخماس، وهي ممتدة بين أراضي بني شكر، مما يلي الشرق، نقطة اللقاء بين الحدين مدينة غساسة الأثرية ومصب واد كرط من جهة الغرب. أغلب أراضيهامن تلك الجهة تمثلها هضبة سوق الثلاثاء وامتداد كثبان سمَّار الساحلية. وتشرف على أراضي بني بوگافر الداخلية الممتدة على طول منخفض يجري فيه واد بُوحَوَا (بوحمزة الحالي)، فرقة جواوة التي يحكمها القائد المختار ألغم، وذلك من جهة الجنوب الشرقي، كما تُطل عليها قرية أغيل أمَطْغَر (مطغرة) من فرقة بني فَكْلان الداخلة ضمن خمسَ الگعدة.

كان خمس بني بوگافر مؤلفا من ثلاث فرق، مثلما هو اليوم، نوردها بالتقديرات السكانية التي صرح بها أمينها محمد بن الحاج محمد العادگ، آتي الترجمة :

- إحْبْصاتْن : عدد سكانها 600 نسمة
- إمهيَّاتْن : " " 400 نسمة
- بُوحـوَا : " " 100 نسمة

ولا شك أن المداشر الحالية المكوِّنة لكل فرقة من الفرق الثلاث هي نفسها التي كانت موجودة آنذاك، بناء على ما بينته المراجع الإسبانية العائدة إلى بداية القرن الحالي. وبهذا يمكن لنا تفسير فرقة إحْبْصاتن على رأس الفرق من حيث عدد السكان إذ أنها تألفت من ستة مداشر (إعزّانن، أولاد عـمـر أُحَبْص، إفـران وَرُوِيْ، إشـمْلالْن، تَغْدمـيّة، سمَّار)، بينما تشكلت فرقة إمهيَّاتن (مهاية) من خمسة مداشر (بوحمزة، يَفَسُّور، إعْزْراتْن، إحْنناتْن، بَجُّوا) فبعدد سكانها البالغ أربعمائة ساكن احتلت المرتبة الثانية. أما فرقة بوحواً فهي أصغرها آنذاك وإلى اليوم، لأنها مكونة من ثلاثة مداشر فقط. (زرُّورَة، أولاد أُحمُّو، تمزْرينْت).

وسنلخص تاريخ هذه المنطقة على عهد الحسن الأول من خلال تراجم خمسة من القواد والأمناء البوگافريين.

**البوگافري، عمر** بن **محمد** العادگ، تولى منصب أمين خمس بني بوگافر مكان والده. المتوفى في 5 ذي القعدة عام 26/1304 يوليوز 1887 وذلك بواسطة أمين مزوجة الفقير ميمون بن المختار الفرخاني.

عمل عمر بن محمد العادگ إلى جانب القائد عمر بن

موسى البوگافري منذ البداية إلى أن انتهى عمله بانتهاء مهمة القائد المذكور بعد شوال 1306/يونيه 1889. والظاهر أن العلاقات بين القائد والأمين البوگافريين كانت هادئة، على خلاف ما لوحظ من عادة توتر العلاقات بين العمال والأمناء. ويبدو انسجام تلك العلاقة حينما رفضت قرية إعزّانَن، التابعة لفرقة إحَبْصاتَن أداء ما وجب عليها من التكاليف المخزنية، بحجة المساواة بين الفقراء والأغنياء في المقادير المطلوبة. فلم تبد منه أي معارضة في الوقت الذي طلب فيه عمر بن موسى المدد العسكري من قائد إدالة قلعية آنذاك مبارك بن الطاهر الرحماني (25 ربيع الثاني عام 1306) للزحف نحو القرية.

وشهد عمر بن محمد العادگ إلى جانب قائد بني بوگافر دخول القبيلة في سلسلة من الاضطرابات ضد حاكمها وقائد إدالة قلعية، حينما رفضت الفرق الثلاث تقديم نصيبها الواجب عليها من رجالها ضمن المساهمة المطلوبة من قلعية في حركة الحسن الأول إلى الغرب، مثلما هو مبين في ترجمة البوگافري عمر بن موسى. وكان رفض بني بوگافر لتلك المساهمة، واعتذار الأمين عمر بن محمد العادگ عن التوجه إلى الغرب من أسباب عزله، وتولية أخيه محمد مكانه. وذلك بعد شوال عام 1306 / 1688.

*وثائق خ. ح ؛ ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية* : 99.

**البوگافري، عمر بن موسى**، قائد بني بوگافر، ومنافس محمد بن العربي البوگافري، أثناء نزاع هذا الأخير مع الأمين محمد العادگ البوگافري، حسبما هو آت في ترجمة كل منهما. يظهر أنه استغل ذلك النزاع ليقدم على محاولة شخصية للتوصل إلى غرضه، بناء على ما أخبر به مبارك بن علي الدّوبلالي، رئيس إدالة قلعية منذ بداية عام 1883/1301. إذ أنه أخبر في 23 رمضان من نفس السنة بتردد الرجل عليه، طالباً سعيه لتوليته على بني بوگافر، وعلى استعداده لتقديم قدر من المال هدية.

وسرعان ما نقلت تلك الرغبة إلى الحسن الأول. وعلم بها محمد الأمراني، قائد الحركة الموجهة إلى قلعية بمجرد حلوله بقصبة سلوان يوم 28 رمضان من نفس السنة. وهذا هو ما يفسر سبق محمد الأمراني إلي اقتراح عمر بن موسى على الوفد البوگافري، المكون من الأمين محمد العادگ ومن معه من الأعيان والأشياخ، حين جاء إلى لقائه بمخيم الگعدة، طالبا إبعاد محمد بن العربي.

تبين لمحمد الأمراني مما شرحه الوفد أن طلب العزل صادر فقط من ثلثي بني بوگافر، أي من فرقتي بوحَواً وإمْهياتن. أما الثلث الباقي المتمثل في فرقة إحْبصاتَن فقد فضل الاستمرار مع قائد بني بوگافر السابق. وبتلك البيانات كتب محمد الأمراني إلى السلطان، مما ترتب عنه تعيين عمر بن موسى على الفرقتين المواليتين للأمين العادگ. وقد تأكد تعيينه بصدور ظهير 16 شوال عام 1301.

يظهر أن أحوال بني بوگافر الناتجة عن التقسيم لم يكتب لها الاستقرار. سواء لمصالح هذا الطرف أو ذاك، إذ أن النزاعات عادت إلى تعكير أجوائها، بالاقتتال الذي جرى بين أنصار عمر بن موسى والأمين محمد العادگ من جهة (بوحواً وإمْهياتن) وأتباع محمد بن العربي (إحَبْصاتن) من جهة ثانية.

وعلمنا من جهة أخرى بامتناع خمس بني بوگافر عن أداء ما بذمتهم من الواجبات المخزنية (4 جمادى الأولى 1303)، مما دفع عمر بن موسى إلى طلب المدد العسكري من قائد إدالة جنادة فرخانة مبارك بن علي الدويلالي. وسرعان ما زحف هذا الأخير بعسكر وقوات قواد قلعية جميعهم لإعادة المتمردين إلى الجادة والصواب.

وتأزمت وضعية عمر بن موسى بمجرد رفض خمس بني بوگافر المساهمة برجاله المحاربين في الحركة التي طلبها السلطان من قلعية، أثناء اعتزامه التوجه نحو الغرب. وبلغ النصيب المطلوب من قلعية آنذاك 1.300 محارب. فإذا كان التقسيم متساوياً على الأقسام الخمسة يكون نصيب بني بوگافر 260 محارباً. وكان على القائد عمر أن يقدم 174 منهم، وقد جعل ذلك الرفض كلا من القائد وأمينه عمر بن الحاج محمد العادگ خلف والده يعتذران للسلطان عن اللحاق بباقي عمال قلعية المشاركين في الحركة (7 شوال 1306).

وفي غالب الاعتقاد أن السلطان لم يغفر لبني بوگافر وقائدها مثل ذلك التأخير عن تلبية دعوته، ففرض على الخمس ذعيرة قوية، ثم عزل عمر بن موسى، ليلحق الخمس بإيالة حمان السعيدي، كبير المحلة المخزنية، الوارد على قلعية يوم 4 رمضان 1307/24 أبريل 1890.

*وثائق خ. ح ؛ كنانيش خ. ح ؛ ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 92.

**البوگافري، محمد العادگ**، من فرقة بُوحواً أول من نعرف من أمناء مخزن الحسن الأول بخمس بني بوگافر. أبرزت ذلك مراسلة مؤرخة في 26 جمادى الثانية عام 1300/4 ماي 1883 متعلقة بإجماع أمناء قلعية الخمس على اتهام عمال القبيلة بتهريب الماشية والأبقار خاصة إلى الجزائر المحتلة. لذلك نرى أن انخراطه في السلك المخزني كان قبل ذلك دون تحديد. وسيستمر في نفس المهمة مع القائد محمد بن العربي البوگافري إلى أن يتم عزل هذا الأخير عن فرقتي بوحواً وإمهياتن فيتابع هو عمله مع قائد الفرقتين الجديد الحاج عمر بن موسى البوگافري السابق الذكر إلى حين وفاته يوم 5 ذي القعدة 1304/25 يوليوز 1887.

لم يكن محمد العادگ من هواة المراسلة المخزنية، وأغلب الأخبار عنه جاءتنا من المشاركة في مراسلات أمناء قلعية إلى الحسن الأول. وهذا يعود بالطبع إلى الحجم الصغير الذي كانت تمثله مشاكل بني بوگافر، وارتباط تلك المشاكل بالجاري آنذاك بالقبيلة.

ولما كانت العلاقات بين العمال والأمناء على غير مايرام دائما، نتيجة التنازع على الاختصاصات المالية، وكون كل طرف كان عينا على الطرف الآخر، فان تضامن محمد العادگ مع باقي الأمناء بارز من خلال المراسلات، وأول ما نعرف مما شغل باله، مسألة تفاحش تهريب الماشية خاصة الأبقار إلى الجزائر المحتلة، وهو موضوع سيحرك الحسن الأول إلى البحث فيه وتوبيخ العمال وكبير المحلة بقلعية آنذاك الطالب حميدة الشرگي على تساهله وغفلته بحثاعن إيقاف هذا الخطر وسد ثغراته.

وحسب رسالة مؤرخة في 26 جمادى الثانية عام 1300، فإن تهريب الأبقار كان قد بدأ قبل هذا الوقت، ولكن قائد كبدانة المشهور عمر هرفوف توصل إلى الحد منه، إذ أن أراضي قبيلته كانت ممر الماشية إلى الحدود الجزائرية الساحلية المجاورة لها. و بوفاة عمر هرفوف تفاحشت المسألة على يد عمداء العمال، "حتى لم تبق ماشية في قلعية ولا بناحية الريف والغرب" حسبما جاء في المراسلة.

لم تكن مهام الأمناء بقلعية مقتصرة فقط على ما وكل إليهم النظر فيه من الشؤون المالية وما اتصل بذلك من استقامة أمور القبيلة، بل إن المخزن حرص دائما على إشراكهم فيما يقوم من مشاكل الحدود مع مليلة المحتلة. وهذا هو ما استدعى انتداب محمد العادگ للمساهمة في حل ما ترتب عن حوادث كان من ورائها رجال من مزوجة وبني شكر. وأولى المراسلات التي دعته إلي المشاركة تحمل تاريخ 26 رجب 2/1300 يونيه 1883 قصد الفصل في دعاوي الحدود المسجلة آنذاك.

وأهم ما يميز فترة تولية الأمين محمد العادگ، فيما يخص علاقته بقائد خمس بني گافر محمد بن العربي، هو وقوفه الصارم ضد المس برجاله، مهما كانت الأسباب، مما سبق تفصيله في ترجمة القائد المذكور. ونضيف إلى ذلك أن محمد العادگ تمكن من جمع أنصار عديدين من البوگافريين كانوا أغلب سكان الخمس، سيما من فرقة بوحواً وإمهياتن. وتبين في الأخير أن الأغلبية الساحقة كانت في صف المعارضة معه. وبفضل ذلك تمكن من انتزاع الفرقتين السابقتين من نفوذ محمد بن العربي وجعلهما في يد القائد عمر بن موسى البوگافري ابتداء من 16 شوال عام 1300. وكان محمد العادگ وراء القبض على عامل بني بوگافر بمساعدة ولديه عمر ومحمد. وهذان توليا الأمانة بعد وفاته يوم 5 قعدة 1304.

*وثائق خ. ح* ؛ *كنانيش خ. ح* 12/351 ؛ 27/352 ؛ 25/353 ـ 28 ـ 135 ـ 162 ؛ 96/348 ـ 120 ؛ *وثائق خاصة*، الطويلي ؛ *ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية* : 99.

**البوگافري، محمد** بن العربي، من مدشر بُوحواً أيضاً، أولُ من نعرف من قواد خمس بني بوگافر في ظل النظام الإداري التعددي، المطبق داخل القبيلة الواحدة. وأغلبُ الاعتقاد أن محمد بن العربي من القواد الأوائل، إن لم يكن أولهم، الذين خلفوا القائد المختار ألْغَم الجواوي على بني بوگافر، قائد قبيلة قلعية كلها منذ عام 1874/1291، إذ أننا وجدناه يمارس مهامه في 9 شوال 4/1298 شتنبر 1881، بمناسبة الدعوة السلطانية الموجهة إليه وإلى جاره المختار ألْغَم قصد إصلاح ذات البين بين جماعات بني سعيد المتنازعة : جماعتا محمد أَقْشيش السعيدي والمرابط محمد أَحَضْري، ضد جماعة الأمين الحاج بوزيان السعيدي.

حكم القائد محمد بن العربي البوگافري خلال الفترة الممتدة ما قبل شوال 1298 ـ وما بعد رجب 1330. وبتقييم هذه الفترة نشير إلى العناصر التالية :

مشكل الحدود مع مليلة : من المعلوم أن الإسبان المحتلين للمدينة منذ عام 1497/903 حققوا آخر توسع للحدود المرتبطة بأرض قبيلة بني شكر ومزوجة وعلى حسابهما سنة 1859/1276، بناءً على الاتفاق الذي أبرموه مع السلطان محمد بن عبدالرحمن في بداية حكمه. وبلغت تلك الحدود إلى الوضع الذي لا تزال عليه اليوم. ونشير بالذات مما يهمنا إلى نقطة الحدود بفرخانة، في جانبها الغربي. فهي تقف عند مبنى قبة سيدي ورياش لتحولّ اتجاهها نحو الشمال مخترقة خانق واد المدور، ومدشر إحَجيوْن (حجِّيوة أيضا) وهذه النقطة هي الممر المتصل بمليلَة، وهو نفسه المتجه إلى بني بوگافر، عبر وادي المدور وهضبة أَهَيْذُوم ووادي حلّوبَة وغساسة (إغْساسن).

وعلى الرغم من بعد بني بوگافر النسبي عن نقطة حدود فرخانة، فإن العلاقات التجارية وما كان لبعض البوگافريين من أراض فلاحية بها، علاوة على وجود قيادة عسكرية بها متمركزة في قصبة جنادة، جعل محمد بن العربي البوگافري غير بعيد عن جميع المشاكل التي ما فتئت تلك الحدود تثيرها في وجه القلعيين.

ومن أكثر مشاكل الحدود أهمية بالنسبة لبني بوگافر على عهد القائد محمد بن العربي ما رددته رسائل متبادلة بين حاكم مليلة والنائب السلطاني محمد بركّاش، وبين هذا الأخير والحسن الأول ومراسلات كبير المحلة بقلعية، سواء الصادرة عنه أو الواصلة إليه وإلى عمال قلعية وأمنائها. بدأ المشكل بفرار أحد مساجين مليلة الإسبان إلى محمد بن العربي، وحينما امتنع قائد بني بوگافر عن رده، عمد حاكم مليلة إلى القبض على البوگافريين الداخلين إلى مليلة، ومن جملتهم أخو القائد. وكان هذا كافيا لإثارة محمد بن العربي ودفعه إلى إعلان الجهاد ضد الإسبان في سوق ثلاثاء بني بوگافر متوعدا كل من رد مسجونا، أو صادف نصرانيا بالحدود ولم يقتله، بالقتل ومصادرة أمواله.

وإذا كان السلطان قد تمكن من كبح جماح البوگافري، نتيجة إلحاحه على قائد إدالة الحدود وكبير المحلة بها آنذاك الطالب حميدة الشرگي، فإن عدم العثور على الإسباني الفار ظل معلقا ما بين محرم ورجب 1300/نونبر 1882 ـ ماي 1883 بعد أن أكد قائد بني بوگافر على فراره مرة إلى ناحية

سوس وأخرى إلى فاس. ولم يُنس المسألة سوى تفاقم مشكل حوادث الحدود على يد بني شكر ومزوجة هذه المرة. مما سياتي في مكانه.

- متروك محمد أُحَمُّ الفكلاني : جرت عادة المخزن محاسبة العمال والأمناء المتوفين منهم أو المعزولين عن السلطة على أملاكهم التي اكتسبوها خلال مدة حكمهم. ونجد المثال مما يهم الموضوع فيما تركه أمين قلعية محمد بن حمّ الفكْلاني. فحينما عزل قبل 5 شوال 1881/1299 بعث السلطان كبيرمحلته الطالب حميدة الشجعي، لبيع ما تم جمعه من أملاكه والبحث عن الباقي وجمعه و إحصاء ما كان بذمته من دين.

- خلاف محمد بن العربي مع أمين بني بوگافر الحاج محمد العادگ البوگافري حسبما رددته رسالة 26 رجب 2/1300 يونيه 1883 من احتفاظ القائد بستمائة ريال المدفوعة إليه من طرف القبيلة، مما كان عليها من دين محمد أحمّ الفكلاني. وإثر رجوعه من زيارة السلطان بفاس، تلقى في 13 رمضان عام 1300 / 19 يوليوز 1883 رسالة سلطانية متضمنة لشكوى بني سعيد باسم قائدها محمد أقشيش السعيدي من اعتراض البوگافريين طريق تجار بني سعيد، ونهب مال قاضيها أحمد زرّو الزّيزاوي. وكان المراد بذلك الإشارة إلى الملتفين حول الأمين محمد العادگ، بدليل معارضته لكل محاولة للمس بهم. واشتد النزاع حينماوفق القائد للقبض على بعضهم. وتحيّن الأمين فرصة انعقاد سوق الثلاثاء الأسبوعي فأوعز إلى رجاله بالقبض على أتباع محمد بن العربي، مما أدى إلى القتال و"كسر السوق" كما يقال.

ويظهر أن قضاة قلعية وأمناءها، وعلى رأسهم الأمين ميمون بن المختار المزوجي، بمرافقة أعيان قلعية، توجهوا ثانية إلى بني بوگافر، وتوصلوا إلى تحديد شروط الصلح وتهدئة الوضع، إلا أن الهدنة لم تكتمل بسبب ترصد محمد ابن العربي لرجال الأمين والقبض عليهم، وبذلك تجددت الفتنة، وتقدمت جماعة من المناهضين لقائد بني بوگافر واعتصمت بضريح الولي سيدي ورياش المقابل لجنادة فرخانة، مصممة العزم على تلبية رغبة القبيلة بعزل محمد ابن العربي وتولية المختار ألغم، قائد فرقة جواوة المجاورة لها، وعلى استعداد لتقديم ألف ريال لقاء ذلك. وبيدهم إشهاد القبيلة تزكية لتلك الرغبة. كان ذلك في 2 رجب 28/1301 أبريل 1884.

ولم يحسم النزاع بين الطرفين حتى بعد أن قبض بنو بوگافر على محمد بن العربي ومن كان معه في شوال عام 1302/يوليوز - غشت 1885. إذ نجد في رسالة سلطانية موجهة إليه بتاريخ 22 رجب 26/1303 أبريل 1886 فيها تنبيه وإلحاح لمضاعفة الحراسة على مرسى سيدي مسعود الغساسي، ومنع ما كان يصل إليه من تجارة التهريب.

*وثائق قسم المخطوطات بتطوان ؛ وثائق خ. ح ؛ كنانيش خ. ح.* 12/353 ؛ 201/153 ؛ 212/351 ؛ 78/348 .96 .109 ؛ *وثائق خاصة،* الهادين ؛ الطويلي ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 99.

M. Nehlil, *Lettres Chérifiennes*, N° LXIII, Paris, 1915.

**البوگافري، محمد بن محمد العادگ،** أمين بني بوگافر بعد أخيه عمر، لم يظهر في الوثائق المخزنية إلا في 7 ربيع الثاني عام 1/1307 دجنبر 1889 بمناسبة توقيعه للمراسلة المشتركة الصادرة عن أمناء قبيلة قلعية الذين كانوا في رفقة والده، باستثناء الأمين الحاج محمد المحرق البويفروري المتوفى قبل تلك السنة. وتنص المراسلة على تقييد الأمناء ما كان بذمة قائد إدالة قلعية مبارك بن الطاهر الرحماني من نتاج الأرض المخزنية المحروثة ببلاد قصبة سلوان.

ويمكن متابعة أخبار محمد بن محمد العادگ منذ تلك السنة إلى غاية سنة 1901/1319 ليتضح لنا أن المهام التي شارك فيها أمناء وقته لم تختلف عما سردناه عن والده، لتشابه مشاكل ذلك العصر واستمراريتها. ومن أجلّ تلك المهمات ما انتدب إليه للمشاركة في حلّ معضلة الحدود مع مليلة.

لم يكن مشكل إرساء الحدود مع المدينة المحتلة قد انتهى، بما كان يتطلبه من وضع العلامات، بدءاً من نقطة الحدود الحالية ببني انصار، المعروفة آنذاك بدرع الزيات، ومرورا بجوار قبة سيدي ورياش بفرخانة، لتتجه نحو برج تفرَست بجوار الساحل من أرض بني شكر. ففي رمضان عام 1308/أبريل - ماي 1891، كان رسم تلك الحدود في مرحلته الأخيرة. وفي ذي القعدة من تلك السنة اكتشف أهل قلعية محاولة غش الإسبان في الرسم، فكانت المناسبة التي طالب فيها السلطان نائبه بطنجة محمد بركاش بإخبار القنصل الإسباني بذلك. وحينما استدعى السلطان للبحث والمعاينة عمال قلعية وأمناءها وقضاتها وأشياخها، إلى جانب بعض عمال الريف وقضاته، تبين أن حاكم مليلة اختلس من تلك الحدود ما مقداره مائتي متر. وهذا ما أوضحه الأمناء في مراسلاتهم إلى الحسن الأول.

ومما وفق فيه محمد بن محمد العادگ، دون غيره ما حققه لفرقته بني بوحوا من رفع حيف سوء توزيع الواجبات المخزنية المفروضة على فرق بني بوگافر الثلاث. ومعلوم أن فرقة بني بوحوا هي أصغرها. إذ كان عدد رجالها آنذاك مائة نسمة، بالمقارنة مع فرقتي إحْبَصاتَن (600 ن) وإمهياتن (400 ن). وكانت العادة قبل ذلك توزيع المفروض من تلك الواجبات بالتساوي على الفرق الثلاث، وعلى من كان بها من الأغنياء والفقراء على السواء.

ففي 14 شعبان عام 14/1309 مارس 1892 كاتب السلطان في هذا الشأن مقترحا توزيع الكلف على عدد الرؤوس. ووصل الجواب السلطاني إلى عامل بني بوگافر بإجراء الواجبات على مقتضى طلب الأمين.

ثم اختفت عنا أخبار محمد بن محمد العادگ منذ عام 1891/1309.

*وثائق خ. ح ؛ كنانيش خ. ح،* 657 / 109 .110 ؛ 1/409.

حسن الفكيگي

**بوكبّة** (الفقيه ـ) ← **البرنوصي أحمد** بن **محمد**

**بوگدرة،** (سيدي ـ) أحمد بن مبارك العامري، من الأولياء الصالحين بعبدة (إقليم أسفي)، دفين الجماعة القروية التي تحمل اسمه : ثلاثاء سيدي بوگدرة. ذكره الفقيه محمد الكانوني في *جواهر الكمال* وقال عنه : "الشيخ المربي المرشد الداعي إلى الله ... من أهل صدر القرن الحادي عشر الهجري...".

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، 42.

عبدالرحيم العطاوي

**بوگدرة** (سيدي ـ) ـ جماعة قروية ـ ← **أسفي** (إقليم ـ)

**بُوكُر،** أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الحوز المجاورة لتطوان، وكان من بين أفرادها :

**بُوكُر، أحمد** بن عبدالصمد الذي توفي بتطوان سنة 1838/1254.

**بُوكُر، محمد** الفقيه العدل الذي كان حيا سنة 1215/ 1800.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بُوكْرَاعْ،** أسرة باعمرانية تدعي أنها من أولاد بوعشرة الصحراويين، ويذكر البعض بأنهم من آل بوعيطة. وكان جدهم محمد الملقب بوكراع معدوداً من قبيلة أيت عبلاً الباعمرانية.

**بُوكْرَاعْ، الحسين** (الحاج ـ) بن محمد بن أحمد، ابن محمد الملقب بُوكْرَاع، كان بُهْمَةً من البُهَم بين فرسان القبيلة لا يُصطلى له بنار، وكان رجلا شهماً شجاعاً لا يهاب الموت، لذلك عُدَّ من مائة شجاع الباعمرانيين الذين استشهدوا في معركة تيزي ضد حملة الجنرال دولاموط سنة 1917 م.

**بوكراع،** بن **عبيد** بن **إبراهيم** السباعي، صالح شهير بالساقية الحمراء ينتهي نسبه إلى سيدي عمرو ولد سيدي عامر الهامل جد السباعيين، وينتمي إلى العبيدات، إحدى فرق أولاد إبراهيم التابعة لفخذ سيدي عمرو، شأنه في ذلك شأن الولي سيدي المختار دفين تاغسريت بقبيلة أولاد بوالسباع في الحوز، وصار هذا الاسم يطلق على المنطقة التي يوجد بها ضريحه والتي يستخرج منها حالياً الفوسفاط في الصحراء المغربية.

م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في ق 19*، د. د. ع. الرباط، 1988 ؛ *رواية شفوية* عن السيد الباقر مولاي علي السباعي أحد المهتمين والعارفين بأنساب السباعيين (سوق الزربية بمراكش).

م. حسن كفناني

**بُوكْرَاعْ، عُبيد** (الحاج ـ) **الخلفي.** رجل حرب وصراع، فهو إما طاردٌ أو مُطارَدٌ، إلى أن قتل في إحدى المعارك سنة 1190/76ـ1777. وانتهب متاعه، ولم ينج إلا ابناه بوكْرَاع الحاج الحسين وبُوكْرَاع الحاج محمد، فنزلا على قبيلة إيـمْسْـتـيتْنْ في أَمْزْدُوغْ وسط مدينة سيدي إفني حالياً، فكان الَرايسْ محمد الراسلوادي الخلفي هو الذي آواهما وزوّج الحاج الحسين ابنته سنة 1191 هـ وهناك بدأت عائلة بوكراع تنمو ماديا وبشرياً، فأخذت تشتري العقارات وتتوسع، عن طريق المصاهرة والإرث، ومن هذه العائلة المقاوم الحاج مبارك بن محمد بن الحسين الخلفي الذي غير لقب بوكراع حالياً بالباعمراني، وقد ساهم في جيش التحرير، وشارك مشاركة فعالة ومحمودة في حرب تحرير أيت باعمران، تقبل الله منه.

ح. جهادي الباعمراني، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط.

**بوكراع، محمد** بن الحاج الحسين، أخذ عن أبيه وعن غيره القرآن الكريم ثم أخذ الأمهات العربية عن الفقيه المؤرخ الأگراري، واستكمل تعليمه في مدرسة إلغ وخاصة على يد بلقاسم التجرمونتي ثم نال إجازة من الأستاذ علي الإلغي عند تخرجه من مدرسة إلغ سنة 1327 / 1909، ووصفه صاحب *المعسول* بأنه كان ذا همة كبرى في الميدان الأدبي، ووصفه غيره بالتقعر في شعره واستعمال الغريب في اللغة، وهو كذلك في الشعر والنثر معاً، كان يشارك العلماء في مثافنة المعاني والأدباء في المناضلة بالقوافي.... وقد أورد له صاحب *المعسول* (10 : 213) ما يدل على أنه أديب، وفضّله عبدالرحمان البوزاكرني على كثير من أقرانه، وعطف عليه القاضي سيدي محمد أُبلوش بمثل ذلك من الثناء، ولم يبق من أدبه إلا ما حُفظ ضمن المراسلات، وتوفي في نواحي الحوز غريباً، فاراً من قبيلته التي كانت مرتعا للحروب والفتن لمدة سبع وعشرين سنة.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 9 ص 14 + 17، ، ج 10 ص 213.

الحسين جهادي

**بُوكراع،** منجم الفوسفاط بالصحراء، يقع على بعد مائة كلم جنوب شرقي مدينة العيون، وهو من أكبر مناجم

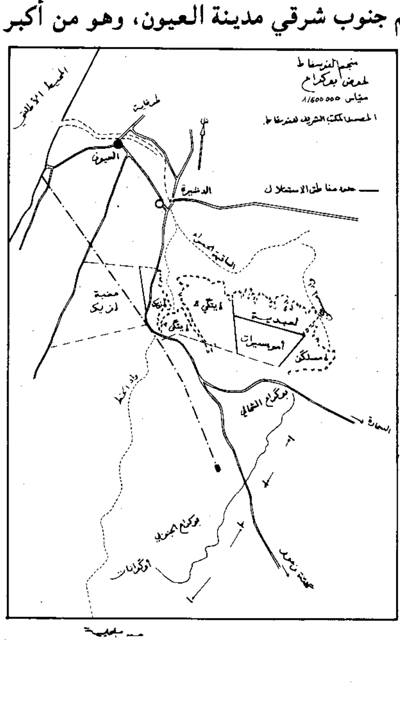

الفوسفاط في العالم، حيث تقدّر مدخراته بمائة مليار من أطنان الفوسفاط ذي نسبة 32٪. طوله 75 كلم وعرضه من كيلوميتر واحد إلى خمسة عشر كيلومترا، ومساحته الإجمالية 250 كيلومتر مربع.

اكتشف هذا المنجم سنة 1947 ولم يشرع في استغلاله إلا سنة 1969، ولإيصال الفوسفاط إلى الشاطئ الذي يوجد على بعد 18 كلم من العيون يستعمل بساط متحرك طوله مائة كلم يحمل ألفي طن في الساعة.

Direction General de Marruecos y Colonias, *Informe reservado sobre los fostatos de Bukraa en el Sahara Espanol*, Madrid, Diciembre de 1970 ; Gaudio, *Sahara Espagnol : Fin d'un mythe colonial*, Rabat, 1973, p. 34.

محمد ابن عزوز حكيم

**بُوكراع**، نوع من السفن الشراعية الصغيرة من فصيلة الشواني galères يسمى بالفرنسية Chebec وبالإيطالية Sciabecco كانت تستعمل بالأساس كمركب صيد بالبحر المتوسط، ثم حولت إلى سفينة حربية متميزة بجؤجؤ مختوم بجبهة عريضة حادة يتقدمها قضيب متجه نحو الأمام على هيأة سمك السيف، مع كوثل بارز بارتفاعه، كما كانت تضم ثلاثة صواري، أكبرها في الوسط، وقلوعها كلاسيكية بعضها مربعة، مع إمكان استخدام المحاذيف، ولهذه الغاية أنشئت فتحات في جوانب هيكل السفينة بين كوات المدافع. ولتباين أحجام هذا النوع كان تجهيزه للجهاد البحري يتراوح ما بين 4 إلى 24 قطعة مدفعية ويتوفر عموماً على ثلاثين مجذافاً، وطاقم يتركب من ستين إلى مائتي رجل، ويمتاز بسرعته العالية، وتكيفه الجيد مع سطح الماء رغم تقلص حمولته التي لم تكن تبلغ في أكبر أشكاله مائتي طناً.

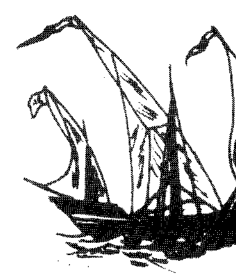

ولقد كان بوكراع يمثل النوع المثالي لسفن الجهاد البحري المغربي، يجهّز عدد من قطعه في مصب أبي رقراق في القرن الحادي عشر (17 م)، وفي قاعدتي تطوان والعرائش على عهد سيدي محمد بن عبدالله في نهاية القرن الثاني عشر (18 م).

L. Brunot, *La mer dans les traditions*, p. 250 ; R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé*, p. 90 ; L. Chenier, *Journal du Consulat général au Maroc*, p. 103 - 142.

حسن إميلي

**البوكراعي، محمد** بن الحسين بن محمد بن أحمد، ومحمد جده هو الملقب بوكراع لأنه كان أعرج. ينتمي إلى قبيلة أيت عبلاً إحدى قبائل أيت باعمران، ووالده الحسين من حفظة القرآن، وأحد فرسان القبيلة المشاهير، طبقت شهرته الآفاق بما عرف عنه من بطولة ورجولة، إذ استشهد في معركة ضد جيش الجنرال الفرنسي لاموط الموجه إلى أيت باعمران، على إثر مقتل القائد حيدة مايس على يد محاربي تلك الناحية.

ولد المترجم سنة 1303 / 1885 وتلقى مبادئ التعليم وحفظ القرآن الكريم في بداية حياته، شأن أقرانه وأترابه، لكن لا يعرف له أستاذ على وجه التحديد في بلده. أما في فترة تلقيه المعارف الرائجة في سوس، فالمعروف أنه أخذ أولا عن الفقيه محمد بن أحمد الإيگراري (تـ. ليلة 11 / 9 / 1358 هـ) ثم عن الأديب علي بن عبد الله الإلغي (تـ. 1347هـ) عميد مدرسة دو أگدير التي حطّ بها رحاله أوائل العقد الثالث من القرن الرابع عشر. وفيها أخذ أيضاً عن أبي القاسم التجرمونتي (تـ. 1364 هـ) وسرعان ما اندمج في البيئة العلمية بهذه المدرسة، حيث ظل يتابع دراسته وينهل من المعارف المتداولة بها إلى عام 1327 / 1909.

وقبل مغادرته المدرسة أجازه عميدها علي الإلغي بإجازة جاء فيها أنه "حصل في ذلك أوفر نصيب، وأسام سوام أفهامه من الأدب بمرعى خصيب" ومنها توجه إلى بلده (أيت عبلا) الباعمرانية.

وبعد هذا الفصل المهم من حياته، دخل في فصل آخر اتّسم بنوع من الغموض، كما في أوائل حياته، إلا أن المعروف أن البوكراعي بعد مغادرة المدرسة الإلغية، شارط في مدرسة دون طموحه. حيث كان يعلّم الأطفال ويحفّظهم القرآن الكريم بكتّاب يوجد بتافراوت نايت داو بأيت داود، وهكذا حالت ظروفه دون تحقيق آماله في نيل المناصب التي يتوق إليها أمثاله كالقضاء والتدريس في المعاهد العلمية المرموقة.

أما إنتاجه فيتشمل في *مجموعة من القصائد* أثبتها له المختار السوسي في بعض مؤلفاته، *ورسائل* تدل على أنه أديب لا يقل عن كثير من معاصريه، وإن اعتبره المختار السوسي "متقعِّراً في أقواله" لكنه حلاه مع ذلك بأنه "عالم جيد عربي أديب..." (*رجالات العلم*، 178).

ومن إنتاجه الشعري قصيدة في السلطان عبد الحفيظ وأخرى في وصف الربيع، وغيرهما من الآثار الأدبية، التي يرجع الفضل في إثباتها إلى الأديب القاضي محمد بن عبد الله بلوش الباعمراني. وإلى الأديب عبد الرحمن البوزكارني (تـ. 1380 / 1961).

وله مواقف بالنسبة لتوجيه بعض نبهاء قبيلته من الطلبة إلى مدرسة دو أگدير وذلك من وفائه لها، فهو صاحب الفضل في ذهاب الأديب قاضي قضاة أيت باعمران محمد بن عبد الله بلّوش المذكور، في بداية دراسته، إلى المدرسة المذكورة بعد أن كان يهم بالتوجه إلى غيرها.

ولم يلبث البوكراعي أن مات معتبطا في ريعان شبابه، سنة 1340 / 1921 أو قبلها.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في سوس*، 178 رقم 20؛ *المعسول*، 4 : 213 وما بعدها ؛ 9 : 17 و30.

عبد الحميد محي الدين الباعمراني

**بوگرفا**، الكلمة عربية بالجيم، معناها صاحب الجرف، وتعني الجرف المطل على سهل تاگراگرا الذي تنساب مياه السيول من أعلاه على ارتفاع حوالي ستين مترا على شكل شلال، وقد ظهرت في أسفل ذلك الجرف عين ماء بسيطة تزعم النساء أنها صالحة لأمراض جلدية، كما يزعم أبناء الصالح "بوگرفا" أن جدهم إبراهيم هو الذي ضرب الجرف بعصاه فانبجست تلك العين، لكنه أمرها بالتوقف خوفا من صراع أبنائه عليها.

وفي بوگرفا، مدرسة عتيقة تلتزم قبيلة أيت إعزّى بتعميرها منذ القديم، وكثيراً ما تقوم هذه المدرسة بتدريس الروايات والأمهات العربية، ومن أشهر من درس فيها أحمد الدريوش التدرارتي وأحمد زكرياء ومحمد أُبلاً الضحاكي اليوسفي الباعمراني المتوفى عام 1325 هـ وهو آخر من تخرج على يده الجيل الذي أتقن الروايات السبع، وأناف عدد طلبته على أربعين مقرئاً يتقنون فن القراءات الذي أوشك الآن على الانقراض.

*وثائق وتقاييد خاصة.*

**البوگرفاوي، إبراهيم** أُعَبَلاً السملالي ويقال له أيضاً بوگرفا الصالح صاحب القبة المزارة هناك تحت ذلك الجرف، ومتى أطلقت كلمة بوگرفا فإنها تنصرف إلى هذا الصالح. قال عنه الحضيگي في *المناقب* : "إبراهيم بن عبدالله السملالي من غابة الطير، الرجل الصالح، العارف بالله الكبير العابد الخاشع، كان رضي الله عنه من كبار العارفين المخصوصين ويوثر عليه من الكرامات ما يبهر العقل وما لا يحصى".

ترك هذا الصالح ذرية كثيرة يعرفون في الوثائق بالمرابطين البوگرفاويين، ولهم شجرة أنساب يلتقون فيها مع سيدي أحمد بن موسى التَّازرْوَالتي في جدهم الأعلى جندوز. ومن الشائع أن والد هذا الصالح عبدالله بن يحيى صاحب القبة في تانگارفا هو النازل من غابة الطير في سملالة بالأطلس الصغير، وأنه قدم إلى المدرسة العتيقة بتانگارفا كمدرس ومتصوف. أما ابنه "بوگرفا" هذا فلم يكن عالماً ولا حافظاً للقرآن، وإنما أدرك ما أدرك بالزهد والعبادة، وقد نزل في عين المكان على العلامة إبراهيم بن إبراهيم (مكرر) صاحب ضريح ومدرسة إسك من أصحاب الولي الكبير عبدالله بن سعيد بن عبدالمنعم الحاحي، وهذا الصالح هو الذي أنزل سيدي إبراهيم بن عبدالله تحت ذلك الجرف المعروف به.

توفي إبراهيم البوگرفاوي عام 1600/1009 . 1601.

**البُوگرفاوي، أحمد أنْجَّار** بن إبراهيم حفيد الشيخ إبراهيم بُوگرْفا المشهور بأيت باعمران. ولد بقرية إگرار في بيفُورْنا من قبيلة أيت النص الباعمرانية، وأخذ القرآن بروايتي وَرْش وقالون عن سيدي محمد بن إبراهيم بمسجد مُوليلي، ثم برواية ابن كثير في مدرسة بونعمان التي غادرها سنة 1795/1210 عازما على الاشتغال بالأمهات العربية، بعد أن أتقن الروايات السبع. ويذكر البعض أنه أخذ نفس الروايات بمصطلح موافق على موافق في جهة جبالة شمال المغرب. ونحن نعلم أنه كان معاصراً للأستاذ محمد أعْجْلي البعقيلي، وكلاهما رفع راية الروايات السبع.

ولأحمد أنْجّار هذا حظ في المعارف أخذ بعضها في مدرسة بونعمان نفسها وبعضها في مدرسة تيمگيدِّيشت على يد أحمد بن محمد التيمگيدِّيشتي المَيْموني لمدة ثمان سنوات إلى أن مات شيخه بأگلو "مدرسة سيدي وگاگ" فحل محله في تلقين الروايات السبع. وهناك دفن وقبره مشهور، وشاع عنه أنه يعرف علم الجدول.

والآخذون عن البوگرفاوي أحمد أنجّار كثيرون جداً. لا مجال لتتبعهم هنا. ومن مؤلفاته : *منظومة في كيفية ترتيب القراء عند القراءة بالجمع* ، وشروط ذلك في عطف موافق على موافق واجتناب عيوب القراءة والترتيب ؛ *أرجوزة في ذكر مَجاعة وقعت سنة 1266 / 1844* ؛ *منظومة في عرف سَقْي سقاية قبيلة أگلو* ؛ *منظومة في التضرع إلى الله بأسمائه الحسنى وبسيد الوجود* ؛ *فتاوي في أحكام القراءات والآداب التي يحتاج إليها المقرئ* ؛ *مؤلف في الطب والتداوي بالأعشاب وخصائص علم الحرف وأسمائه الحسنى تعالى* ؛ *ترتيب قراءة الشامي* أبي عامر مع الكسَائي وعاصم وحمزة مُجرّدة عن البصري والمكّي ونافع. ولهَ نظم سمّاه *بستانة* عدد أبياته 240 بيتا.

ومن جملة ما اطلعت عليه في خزانته بخطه *ألفية الغريب* لمحمد بن العالم الزجلاوي بلدا التواتي إقليما، في ألف بيت تتناول تفسير ألفاظ القرآن. والباقي في خزانته نحو مائتي مخطوط في القراءات هي الآن في ذمة حفيده محمد البوگرفاوي فقيه زاوية سيدي وگاگ الذي تفضل وأطلعني على ما ذكرناه من آثار هذا الأستاذ الكبير.

م. الحضيگي، مناقب، مخطوط ؛ *تقاييد محمد البوگرفاوي عن جده المترجم* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 : 294 ؛ 18 : 126 ؛ ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط.

الحسين جهادي

**البوگريني، العربي** بن مبارك السرغيني المراكشي، يُنسب إلى گرينة فخذ من بلاد الرحامنة، أخذ العلم عن علماء فاس ومراكش. وتصدر للتدريس بجامع ابن يوسف، وأقبل الطلبة على دروسه. وأم بجامع درب تيشنباشت، ودرّس به بين العشاءين بعد موت السيد الفاضل بن عبدالمجيد. اشتهر في الأوساط المراكشية بالتدين والصلاح.

توفي يوم الاثنين حادي عشر شعبان عام 5/1332 يوليوز 1914.

م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، 1 : 54 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 9 : 40.

أحمد متفكر

**بوگلماس**، إحدى قرى أنجرة المندثرة نتيجة الوجود البرتغالي بالقصر الصغير (1458 . 1550). أغار عليها جنود

الاحتلال بعد 20 نوفمبر 1461. وتحدد موقعها في أعلى مجرى واد أليان، أي بالموقع الذي توجد فيه حالياً القشلة، وكانت القرية طريق البرتغاليين إلى جبل تافغالت ورصافة أنجرة وإلى قرية الرمان.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 242، 243، 244 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 38.

حسن الفكيكي

**بوكليب**، التسمية التي كان المغاربة في القرن الثالث عشر (19 م) يطلقونها عادةً على وباء الكوليرا، ولعل أصلها يرجع إلى ما كان يعتري قلب الضحية وأمعاءه من أوجاع وآلام، مما كان يجعله يصيح : "كليبي، كليبي" (قليبي بالتصغير). بيد أن الوباء عُرف أيضا بالكوليرا و"الريح الأصفر". يقول صاحب *الابتسام* عن كوليرا سنة 1250 / 1834 : "وهو ريح ما سمعوا به، قاتل من حينه، يسمونه عندنا في المغرب بأسماء الكوليرا والريح الأصفر وبوقليب" (ص 87). ومما هو جدير بالذكر أن كثيراً من المصادر المغربية نعتت أوبئة الكوليرا في مغرب القرن الثالث عشر (19 م) بالطاعون، كما نجد عند صاحب *سلوة الأنفاس* من بين آخرين. وقد أصبحنا نجد هذا الخلط حتى في بعض الدراسات الحديثة. والواقع أن آخر طاعون عرفه المغرب في القرن الماضي يرجع إلى سنتي 1234 . 1236 / 1818 . 1820. وبعد انقطاعه، لم يعد إلى الظهور إلا في بداية القرن العشرين. أما الكوليرا، فقد ظهرت به سنتي 1249 . 1251 / 1834 . 1835، ثم تجدد ظهورها في سنوات 1271 . 1272 / 1854 . 1855 ؛ 1276 . 1277 / 1859 . 1860 ؛ 1285 . 1295 / 1868 . 1878 ؛ 1313 . 1314 / 1895 . 1896. كما أنها عادت إلى الظهور في القرن العشرين ولو أنها ظلت محدودة بفضل التقدم الحاصل في الميدان الطبي. ولم يكن هذا الوباء متوطنا، بل كان وافدا ، وقد انتقل إلى المغرب في سنوات 1834، 1854، 1868، من الحدود الشرقية. كما انتقل إليه في سنتي 1859 . 1860 مع الحملتين العسكريتين، الإسبانية على تطوان، والفرنسية على بني إزناسن. أما كوليرا عام 1878 فقد اندلعت من مكناس وفاس، وقد تكونت من بقايا جيوب وباء 1868. ونظراً لانعدام التجهيز الطبي ووسائل الوقاية، فقد كانت الكوليرا تخلف خسائر بشرية مرتفعة، وإن كانت أقل نسبياً من الخسائر التي كان يخلفها الطاعون. نقرأ في رسالة بتاريخ 6 صفر 29/1285 ماي 1868: "بلغنا أن الألم المعروف عند العامة ببوكليب وصل لفاس وكثر موت الناس به حتى بلغ عدد الموتى به نحو الثلاثمائة ونصف في اليوم".

م. الأمين البزاز، *أوبئة ومجاعات المغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*، دكتوراه الدولة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1989 . 1990، 2 : 306 وما بعدها.

محمد الأمين البزاز

**بوگماز**، (أيت .) . بكاف معقودة . قبيلة كبيرة من قبائل السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط، تقع مواطنها شمال وشمال غربي مگونة وسكورة، وغربي إحنصالن وأيت بُويكنيفن أهل تالمست، وشرقي أيت عباس وجنوبي أيت مصّاض. وتتركز فرقها حوالي منابع الوادي الأخضر، وحوالي بحيرة إيزوغار (*المجتمع المغربي*، 97) وتكوِّن قرية تَبَانْتْ . اليوم . أهم مراكز بُوگماز وهي بعيدة عن مدينة أزيلال بخمسة وستين كيلومتراً إلى جهة الشرق.

ينتمي أيت بوگماز إلى مجموعة قبائل صنهاجة الظل ويشتركون معهم في نمط العيش المنبني على الرعي والتنقل، وفي اللغة الأمازيغية، وينحدرون من قبيل أيت واستر المنحل. يبدو أن هذه القبيلة من أقدم القبائل التي استوطنت المنطقة، نظراً لما يوفر وادي بوگماز من إمكانيات سواء على مستوى الرعي أو الزراعة. وقد أكد فوجيرول (Fougerolles, *Le Haut Atlas Central*) وجود نقوش عثر عليها في جبل أزوكي المشرف على بوگماز من الناحية الجنوبية الشرقية تدل على أن الاستقرار قديم في وادي بوگماز. وأول إشارة لبوگماز وردت في كتاب *الأنساب*، حيث رتبهم ضمن صنهاجة الظل (*Esquisse*, P. 165, N°. 6) كما ورد ذكرهم عرضا في كتاب *ممتع الأسماع* (ص 158) في أثناء ترجمة موسى البوگمازي دفين تَـانْغَمْلْتْ ومن ثم فإن عدداً منهم صاروا أتباعا لزاوية تانغملت، حيث ما تزال وفودهم تترى على الزاوية حتى اليوم. ويشير "دراگ" إلى أن بعض أيت بوگماز من أتباع إحنصالن (ص 174). تتكون قبيلة أيت بوگماز . حسب إحصاء سنة 1936 . من ست فخدات هي : أيت حُكْمْ وهي أكبرها، وأيت مِيحْيَا، وأيت وانُوگْدالْ، وأيت وْرِيعَاتْ، وأهل إبَـقْـلِـيُـون، وأهل سْرَمْت.

وبحكم موقع القبيلة اعتبرت منذ القديم مرحلة في طريق القوافل التجارية، عبر تيزي نايت إمي وتيزي نْتَرْغِسْت. ففي أثناء حديث التوفيق عن الطرق المَوصلة إلى دمنات (*المجتمع المغربي*، 100) ذكر أن بوگماز كانت مرحلة في الطريق الجبلية القصيرة الرابطة بين تُدغة ودمنات. وقد أسهب في ذلك قائلاً : "أما طريق تدغة فكانت تبتدئ من دمنات إلى جبل تامادوت إلى ضفة تاسوت الفوقية، إلى وادي عروس، إلى أكرض نْـوَزْرو، إلى وادي بوگماز إلى ضفة تاسوت الفوقية، إلى وادي العبيد إلى ايفرغس إلى تيغريست، إلى وادي بوگماز إلى إيزروغار فأوسيكيس فتدغة".

وتردد ذكر أيت بوگماز كثيراً في بداية القرن الرابع عشر الهجري نهاية (19 م) حيث صارت أسواقهم مناطق جذب وإشعاع للمراكز الجبلية الكبرى كدمنات ومگونة وتُدغة. وعدّها التوفيق، في أثناء تصنيفه للعلاقات بين القبائل والمخزن، من ضمن القبائل التي كانت تقر بالتبعية للمخزن بعد عراك طويل. في هذا السياق حاول السلطان مولاي الحسن تطويع أيت بوگماز، فضمهم إلى نظر عامله على دمنات الحاج الجيلالي، عند توسيع إيالته بعد سنة 1890/1308. وفي ذلك يقول الغجدامي : "وكان بوگماز قبل

ذلك فوضى لا تنالهم الأحكام المخزنية... وكان السلطان المذكور (مولاي الحسن) ولّى الحاج الجيلالي الدمناتي على أيت بوكماز..." ( *التسلي*، 58 . 59).

وعلى الرغم من خضوع أيت بوكماز فإن علاقتهم مع المخزن لم تكن دائماً على أحسن ما يرام. فبمناسبة مرور حملة العامل الدمناتي عبر أيت بوكماز، للحوق بالسلطان في تافيلالت سنة 1894/1311، وتقديم المؤونة للحاركين ومبيتهم وسط البلد في أمان، فقد أمر العامل بإلقاء القبض على بعض أيت بوكماز وبعثهم مصفدين إلى سجن دمنات ( *التسلي*، 59) لذلك فلا غرابة إذا كان أيت بوكماز من بين القبائل التي انتفضت على إثر وفاة السلطان مولاي الحسن.

ولعلهم ظلوا كذلك حتى بعد توقيع الحماية، حيث نجدهم من بين من شهروا السلاح بزعامة الشيخ أولعيد أوحساين، ضد أكلاوة والفرنسيين. وقد أبلوا البلاء الحسن في مقاومة التوغل الفرنسي في تلك الجهات، بزعامة زاوية أكديم الحنصالية، ولم يتم إخضاعهم إلا بعدما استسلم محا الحنصالي في 27 يونيو 1923 (*Esquisse*, 177).

وبمقتضى ظهير 27 جمادى الأولى عام 1353 / 7 شتنبر 1934 صارت أيت بوكماز إلى نظر محا الحنصالي الذي وُلي قيادة المنطقة (*Esquisse*, 178). فأضحى البوكمّازيون تابعين إدارياً لمركز أزيلال الذي كان يديره ضابط للشؤون الأهلية، تابع بدوره لرئيس منطقة الأطلس المركزي. وبموجب قرار الإقامة العامة الصادر في 16 شعبان عام 1359 / 19 شتنبر 1940 تم إلغاء منطقة الأطلس المركزي ابتداء من فاتح أكتوبر، وبذلك أُلحقت أزيلال بمنطقة مراكش (*Répertoire*, 466).

م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع* ؛ الغجدمي، *التسلي*... مخطوط ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي* ... ؛ *التحري الميداني*.
*Répertoire alphabétique* ; G. Drague, *Esquisse*.

**البُوكمازي، موسى** بن يعقوب ويفصح فيكتب البوجمازي. يعتقد حفدته اليوم أن نسبه ينتهي إلى علي بن أبي طالب عن طريق إدريس بن عبدالله. وقد انتقل إلى أيت بوكماز بالأطلس الكبير الأوسط قادما إليها من فكيك في فترة غير معروفة. ترجم له صاحب *ممتع الأسماع* (ص 161) فذكر أنه كان تاجراً. وسبب انخراطه في سلك الصلاح أنه "ذهب يتسبب مرة في حمل زيت على دابة له في قافلة فازدحمت دابته مع دواب غيره من أهل القافلة في مضيق فانكسرت، فأعطى زيته أهل القافلة وفرقه عليهم، وذهب قائلا في نفسه : "هذا السبب قد تعذر علي فمالي إلا أن أذهب إلى الحج أو الغزو".

توجه البوكمازي إلى سلوك طريق القوم على يد الصالح سعيد بن علي السوسي الهشتوكي دفين واويزغت، الذي يعتبر من أوائل من أدخل التصوف إلى تلك البلاد (*دوحة البستان*، 58) وحين أخذ عن الشيخ المذكور احتفى به : "ثم أخرج شاة فناولها مقدم الزاوية، وقال له : اذهب بالبوكمازي فاذبح نفسه معها، فذهب فأجلسه وذبح الشاة قدامه فذبحت نفسه وصار من أولياء الله". لازم البوكمازي شيخه مدة طويلة وخدمه بنفسه حتى وفاته. بعد ذلك توجه إلى شيخ شيخه عبدالله بن حسين صاحب تامصلوحت، فعينه هذا الأخير قيماً على شؤون زاوية شيخه السابق. "فقال لهم الشيخ من يقوم لنا بأولاد أبي عثمان بزاويته ؟ فقال أبو عمران : "أنا يا سيدي أقوم بذلك، فتكفل بهم" (*ممتع*، 162). أي أنه أصبح مقدما على فقراء زاوية واويزغت ولم ينقطع عن التردد إلى الشيخ عبدالله بن حسين إلى أن مات، فوقف نفسه على خدمة الزاوية. ولا تذكر المصادر تاريخ وفاته، ولا باقي تنقلاته. لكن صاحب *ممتع الأسماع* ومن نقلوا عنه يذكرون أنه دفن بتانغملت (*ممتع*، 161).

وقد شهدت منطقة واويزغت قدوم شخصية صوفية أخرى، لا يقل شأنها عن شأن موسى البوكمازي. ويتعلق الأمر بالشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي، المتوفى سنة 1652/1062 (*دوحة البستان*، 31 . 32 ؛ *صفوة*، 83 ؛ *ممتع*، 187) ولعل قدوم هذا الأخير جعل البوكمازي يرتحل إلى مكان آخر، خاصة وأن صيت الدادسي كان أكثر علوا، بالاضافة إلى أن السياحة كانت أمراً اعتيادياً في حياة المتصوفة. فقد يكون البوكمازي تلقى الإذن بالتلقين، فانطلق يبحث عن مكان آخر لإيجاد مريدين وأتباع. لذلك فمن الممكن أن يكون قد توجه إلى تانغملت، حيث استقر إلى وفاته، أو أن المطاف انتهى به إليها في أثناء سياحته فتوفي بها. وقد أضْفَتْ وفاتُه هناك أهمية ما على ذلك المكان فيما بعد، وما يزال ضريحه الذي يتوسط زاوية تانغملت قائماً يزار حتى الآن.

م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع* ؛ م. الزبادي، *دوحة البستان* ؛ م. الافراني، *صفوة* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *التقاط* ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*.

أحمد عمالك

**بوكنُّون**، (عين، وواد، وقرى). تقع عين بوكنون جنوب أصيلا على بعد أربعة كيلومترات، وتعرف بعرصة بوكنون، نسبة إلى أحد الكنونيين المجهولين. ومن المياه المنسابة من المنبع يتكون مجرى واد بوكنون، ليصبح رافداً من روافد واد لحلو، ويتصل بمجراه الأدنى قرب عين القصب.

أصبح مجرى واد بوكنون خلال الوجود البرتغالي بأصيلا موقعا هاما بميدانها الحربي، شكل بالنسبة لأصيلا المحتلة طالعا مشرفا على "قبيلة الساحل" الشمالي في اتجاه طالعي الحمر وتندافل. كما أن طالع بوكنون طريق الجنود إلى جبل حبيب وبني كرفط. وقد اعتاد المغاربة من رجال المقاومة احتلال هذا الطالع أثناء محاصرة المدينة.

وهناك ثلاث قرى مندرجة في قبيلة الخلط الهبطية تعرف بأولاد كنون. تسمى الأولى أولاد بوكنون بونقاب، مجاورة للدرابلة والعماير البويض. ثم أولاد بوكنون

الأحرش، وأولاد بوكنون الطلاية. القريتان مجاورتان لأولاد بنعياد والزنابلة من نفس الفرقة.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 491 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 53.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 74 - 132 - 143 - 145 - 149 - 166 ; 2 : 29 - 45 - 79 - 81 - 95.

**حسن الفكيكي**

**بوكوس**، نعرف باسم بوكوس أو بكوس Bocchus ملكين موريين، حكما المغرب القديم الذي كان يدعى بموريطانية Mauretania أو موروسية Maurusia.

بوكوس الأول : هو ثاني ملك موري، نعرفه بواسطة النصوص، وكان له دور بارز في حرب يُوغُرْطَة، ويُوغرطة كان صهراً لبوكوس الأول، على أن الأول تزوج ابنة الثاني.

لا ندري متى تولى بوكوس الأول الحكم بالضبط، لأن الكتاب القدماء تطرقوا له خلال حرب يوغرطة. أهم هؤلاء الكتاب هو المؤرخ اللاتيني سالوست Salluste، الذي يؤكد أن بوكوس الأول كان معاصراً للملك النوميدي ميكيسا Micipsa الذي توفي سنة 118 ق.م.

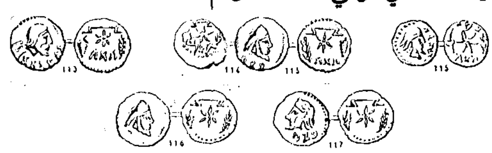

1. بكوس الأول قبل حرب يوغرطة

2. بكوس الأول بعد حرب يوغرطة

3. بكوس الثاني

كما لا نعلم هل تولى بوكوس الأول الحكم مباشرة بعد الملك الموري باكا Baga، أم حكم بينهما ملك آخر. والثابت أن حدود المملكة المورية في عهد هذين الملكين كانت تمتد بين المحيط غربا ونهر ملوية شرقاً، وبين المضيق شمالا وجبال الأطلس جنوباً، ولقد عرفت موريطانية في عهد بوكوس الأول ازدهاراً عمرانياً واقتصادياً.

وكل ما نعرفه من الإشارات في النصوص، ومن حصيلة البحث الأثري بالمغرب، أن الملك بوكوس الأول سار على النهج الذي سلكه الملك الموري باكا في التعامل مع الخارج، حيث إن الموريين في عهد الملكين التزموا سياسة الحيطة والحذر من التوسع الروماني. وسلكوا سياسة اقتصادية قوامها الاستغناء عن استيراد السلع الرومانية من أمفورات وخزف. ولم تكن للموريين في عهد الملكين أية صلة مع الرومان، ولم يتورطوا في الصراع القرطاجي ـ الروماني.

وهذا ما نستفيده من قول سالوست : "كان الموريون تحت سلطة الملك بوكوس، الذي كان يجهل كل شيء عن الشعب الروماني، وكذلك نحن لم تكن لنا معه أية علاقة، لا سلمية ولا عدائية" (سالوست، *حرب يوغرطة*، الفصل 19).

ونفس الموقف نستشفه من الخبر الذي نقله سترابون : (Strabon, II : 3, 4) عن بوسيدونيوس Posidonius، وهو يتحدث عن أودوكس الكوزيكي Eudoxe de Cyzique، الذي طلب من الملك بوكوس أن يشرف على الرحلة البحرية التي كان ينوي القيام بها إلى الهند عبر المحيط الأطلسي، لكن رعايا بوكوس رفضوا هذا المشروع، وهم بموقفهم هذا لا يقبلون التعامل مع الرومان.

وخلال حرب يوغرطة، اشتهر الملك بوكوس لدى الكتاب الاغريقيين واللاتينين، نظرا للدور الحاسم الذي قام به الملك في هذه الحرب، وذلك بتواطئه مع رومة ضد صهره يوغرطة. وحينئذ اعترفت رومة بسيادته على غرب نوميدية، ونال لقب صديق وحليف الشعب الروماني. ومنذ سنة 105 امتدت سيادة بوكوس على غرب نوميدية إلى حدود نجهلها لأن النصوص لم تشر إليها.

ونتيجة لتعامل بوكوس الأول مع الرومان، وفتح أسواق موريطانية للتجارة الرومانية، احتدت التناقضات الداخلية في موريطانية، وثار عليه رعاياه، وهي الأحداث الأخيرة التي وردت في النصوص حول بوكوس الأول.

ففي سنة 91 ق. م. نعلم أن بوكوس تمكن من إحباط الثورة التي قامت ضده في موريطانية، فأعدم ماكدولسا Magudulsa، وبعث الملك إلى رومة في نفس التاريخ تماثيل ذهبية لآلهة النصر تحمل شعار الغلبة Des Victoires de Trophées porteuses، ومعها تماثيل أخرى ذهبية تمثله وهو يسلم يوغرطة لسولا، وقد حفز ذلك القائد الروماني سولا إلى صناعة طابع يؤشر به على وثائقه الرسمية، وبداخله صورة بوكوس يسلم له يوغرطة. وكانت للملك بوكوس علاقة حميمة مع سولا، وقد بعث الملك إليه مائة أسد مع من يروضها.

وبعد ذلك تختفي عنا أخبار بوكوس الأول، ونعتقد أنه توفي في تاريخ بين سنة 90 و83 ق. م، لأن سنة 82 ق. م شهدت أحداثا خطيرة في موريطانية، لم يرد فيها ذكر لبوكوس الأول، بل أصبح ملك موريطانيا هو أسكاليس Ascalis ابن يفتاس Iphtas. وفي نفس الظروف وردت إشارة إلى بوكود Bogud ابن بوكوس الأول في شرق نوميدية، وقد انضم إلى القائد الروماني بومبيوس الأكبر Pompeus Magnus لمساعدته في القضاء على الملك النوميدي هيارباس Hiarbas، في مدينة بولة رگية Bulla Regia، وإرجاع الحكم النوميدي للملك همبسال Hiempsal.

ونختم الحديث عن الملك بوكوس الأول بالإشارة إلى

العملة التي يمكن نسبتها إليه. فهناك صنف من النقود كتب عليها اسم بوكوس واسم مدينة شمش بالحروف البونية، ونعتقد أنها عملة لبوكوس الأول قبل حرب يوغرطة. والراجح أن تخصيص مدينة شمش، وهي لكسوس Lixus، بطبع اسمها على العملة، يمثل دلالة على أن بوكوس اتخذ من هذه المدينة عاصمة له.

والصنف الثاني من العملة التي يمكن نسبتها لبوكوس الأول تحمل اسمه واسم مدينة سيگة Siga. ونعتقد أن الملك أصدر هذا الصنف من العملة بعد حرب يوغرطة، ليؤكد سيادته على غرب نوميدية، التي تقع فيها هذه المدينة، التي كانت عاصمة الملك سيفكس Syphax، أشهر ملوك الماسيسويين Masaesyles.

بوكوس الثاني : ملك ينتمي إلى المورين، لا نعرف تاريخ توليته الحكم. والثابت في المصادر أن بوكوس الثاني كان ملكا على القسم الشرقي من المملكة المورية، والقسم الغربي منها كان تحت سيادة الملك الموري بوگود Bogud المعاصر له. وكان نهر ملوية يفصل بين المملكتين، وبذلك يكون بوكوس الثاني قد نال الحكم في القسم الذي ضمه بوكوس إلى مملكته من الأراضي النوميدية. والحدود الشرقية لمملكة بوكوس الثاني لا نعرفها عند تولية الحكم. والغالب أنها كانت تطابق المجال الذي خضع لبوكوس الأول بعد حرب يوغرطة في غرب نوميدية.

وأهم ما يميز بوكوس الثاني عن الملوك المورين، هو معرفتنا لنسبه، فهو ابن للملك الموري ماستانيسوسوس Mastanesosus الذي حكم المملكة المورية في أقصى توسعها بعد الملك بوكوس الأول، وله عملة تحمل اسمه بالبونية على الصيغة التالية : Mstnsn.

ولقد تأكد لدينا نسب بوكوس الثاني لوالده ماستانيسوسوس بذكره لاسم والده مختصراً على عملته التي ورد عليها باللاتينية ما يلي : Rex Bocchus Sosi.F. ومعناه : الملك بوكوس بن سوسي، وسوسي هنا اختصار لماستانيسوسوس.

وأهم ما يميز هذه العملة هو كونها تمثل فترة استفحال التأثيرات الرومانية في افريقيا، وهو مؤشر عن رومنة ملوكها الذين حكموا في النصف الثاني من القرن الأخير قبل الميلاد. ويتعلق الأمر بالملكين المورين بوكوس الثاني وبگون، والملك النوميدي يوبا الأول Iuba، وهم جميعاً كتبوا أسماءهم باللاتينية على عملاتهم.

أول إشارة في النصوص تعرفنا ببوكوس الثاني وردت في الكتب المنسوبة ليوليوس قيصر Iulius Caesar، تحت عنوان *الحروب الأهلية Guerres Civiles*. ورد في هذا الكتاب أن القائد الروماني يوليوس قيصر اعترف بالملكين المورين بوكوس وبگون كصديقين، في حين اتخذ الملك النوميدي يوبا الأول، المعاصر لهما، عدوا عموميا. وقد حدث ذلك في أوائل سنة 49 ق. م، عند اندلاع الحروب الأهلية الرومانية بين يوليوس قيصر وبومبيوس الأكبر. وحينها تحول الملكان الموريان من الولاء لبومبيوس إلى التحالف مع قيصر. أما الملك النوميدي يوبا الأول، فقد ظل مخلصاً لقضية بومبيوس، ومات ضحية لذلك.

يستفاد من هذا النص أن مجال نفوذ المورين المترامي الأطراف بين أواسط نوميدية و المحيط، منذ نهاية حرب يوغرطة، أدت ظروف خاصة نجهلها إلى تقسيمه إلى مملكتين يفصل بينهما نهر ملوية، ويرجع هذا التقسيم في تقديرنا إلى تفاقم التناقضات الداخلية في مجال نفوذ المورين بعد وفاة ماستانيسوسوس والد بوكوس الثاني، فنال هذا الأخير القسم الشرقي من المملكة المورية. ونعلم أن جذور هذه التناقضات ومارافقها من صراعات داخلية في موريطانية، ترجع إلى أواخر حكم بوكوس الأول نتيجة تحالفه مع الرومان خلال حرب يوغرطة. ونعتقد أن القائد الروماني بومبيوس الأكبر كان له دور في تقسيم هذه المملكة، بين بوكوس الثاني وبگون، علما أن المورين كانوا موالين لبومبيوس إلى أن قام الصراع بينه وبين قيصر، فتحالفوا مع هذا الأخير.

وأهم ما نعرفه عن الملك بوكوس الثاني، هو دوره الفعال في حرب أفريقيا، التي قامت بين قيصر و أبناء بومبيوس خلال سنتي 47 و46 ق.م في ولاية أفريقيا. فقد أفادنا كاتب مجهول لكتاب حرب افريقيا *Bellum Africanum*، والمؤرخ أبيانوس Appianus، عن النشاط العسكري الذي قام به بوكوس الثاني لتدعيم قيصر، وهو يحارب أعداءه في افريقيا.

فقد هاجمت قوات بوكوس الثاني بقيادة ستيوس Sittius مملكة جاره يوبا الأول المتحالف مع أبناء بومبيوس. وأسفر هذا الهجوم عن احتلال العاصمة النوميدية قرطة Cirta. ولم يتمكن يوبا الأول من استرجاعها رغم المحاولات التي قام بها.

وبعد انتصار قيصر في افريقيا سنة 46 ق. م، وانتحار يوبا الأول، كافأ القائد الروماني الملك بوكوس الثاني، فأقطعه القسم الغربي من مملكة يوبا الأول، وضم بوكوس الثاني هذا القسم إلى ممتلكاته في نوميدية، وامتدت حدوده إلى نهر الامبساگا Ampsaga.

وبعد ذلك برز أمير نوميدي على مسرح الأحداث، يدعى أربيو Arabio ابن شخص يدعى ماسنيسا Massinissa، وليس هو ماسنيسا المشهور الذي توفي سنة 148 ق. م، فقامت حرب بين أربيو وبوكوس الثاني، تمكن خلالها أربيو من انتزاع الأراضي النوميدية التي حازها بوكوس الثاني سنة 46 ق. م. غير أن مقتل أربيو سنة 40 ق. م. سمح لبوكوس الثاني باسترجاع الأراضي التي طرده منها أربيو.

وآخر الأحداث التي برز فيها بوكوس الثاني ترتبط بالصراع الذي قام بين القائدين الرومانيين أونطونيوس Antonius وأوكتافيوس Octavius. فقد تحالف بوكوس الثاني مع هذا الأخير، بينما أعلن الملك الموري بوگود ولاءه

لأونطونيوس.

وفي سنة 38 ق. م شارك بوكوس الثاني إلى جانب قوات أوكتافيوس القادمة من إسبانيا، في غزو موريطانية والاطاحة بالملك بگود الذي فر إلى أنطونيوس. وحينئذ سمح القائد الروماني أوكتافيوس للملك بوكوس الثاني بضم مملكة بگود. إثر ذلك أصبح بوكوس الثاني الملك الوحيد في افريقيا، على مجال نفوذ المورين الذي كان يمتد من المحيط غربا إلى نهر الأمبساگا شرقاً. واستمرت سيادة بوكوس الثاني على هذه المملكة المترامية الأطراف حتى وفاته سنة 33 ق. م.

وأخيراً نشير إلى أن بوكوس الثاني اتخذ من مدينة يول Iol عاصمة له. وهو الملك الموري الوحيد، قبل يوبا الثاني، الذي أشارت النصوص إلى عاصمته. والجدير بالذكر أن يوبا الثاني اتخذ نفس مدينة يول عاصمة له، لكنه أعطاها اسم قيصرية Caesarea.


م. مجدوب، *مملكة المورين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*، د. د. ع. كلية الآداب، فاس، 1990.

G. Camps, *Les derniers rois numides : Massinissa 2 et Arabion*, *B.C.T.H.*, N.S. Fasc. 17 B, 1981, Paris, 1984, p. 303 - 310 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, 10e éd., Paris, 1948 ; F. Decret et M. Fantar, *L'Afrique du Nord dans l'antiquité : Histoire et civilisation, des origines au 5e S. ap. J.C*, Paris, 1981 ; J. Desanges, *L'Afrique romaine et libycoberbère*, In *Rome et la Méditerranée occidentale*, T. 2, sous la direction de C. Nicolat, Paris, 1978 ; J. G. Fevrier, *Bocchus le Jeune et les Sosii*, *Sémitica*, 11, 1961, p. 9 - 15 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. 5 et 7 - 8, Paris, 1912 - 1928 ; A. Jodin, *Volubilis Regia Iubiae : Contribution à l'étude des civilisations du Maroc antique préclaudéen*, Paris, 1987 ; Ch. A. Julien, *L'Histoire de l'Afrique du Nord, T. I, des origines à la conquête arabe*, 5e éd., Paris, 1975 ; J. Marion, *Les Monnaies de Shemesh et des villes autonomes de la Maurétanie Tingitane au Musée Louis Chatelain à Rabat*, *Ant. Afr.*, 6, 1972, p. 59 - 127; J. Mazard, *Corpus Nummorun Numidiae Maurétaneaque*, Paris, 1955 ; C. Muller, *Numismatique de l'ancienne Afrique*, T. 3, Copenhague, 1960.


محمد مجدوب وعلي واحدي

**بوگود** Bogud، أول شخص نعرفه بهذا الاسم في تاريخ المغرب القديم، الذي كان يدعى بموريطانية، هو بوگود ابن الملك المورى بوكوس الأول Bocchus، برز هذا الأمير في الأحداث التي شهدها الشمال الإفريقي سنة 82 ق. م، حيث انتقل الصراع بين القائدين العسكريين الرومانيين سيلا Sylla وماريوس Marius إلى ولاية إفريقيا الرومانية.

فقد تدخل پومبيوس Pompeius عسكريا في هذه الولاية لصالح سيلا وحارب أتباع ماريوس. وفي هذه الظروف يتحدث أوروسيوس (Orosius, V : 21-14) عن مشاركة بوگود بن بوكوس ملك المورين، إلى جانب پومبيوس في مواجهة الملك النوميدي هيارباس Hiarbas، الذي انتزع مملكة نوميدية من عاهلها هيمبسال Hiempsal. ولقد تمكن بومبيوس وبوگود من محاصرة هيارباس في مدينة بولة ريگية Bulla Regia. وبعد مقتل هيارباس في هذه المواجهة أرجع بومبيوس حكم نوميدية لهيمبسال.

بعد هذه الأحداث لا نعرف شيئا عن مصير الأمير المورى بوگود بن بوكوس الأول. ومما لا شك فيه أن هذا الأمير لم يعتل عرش مريطانية في هذه الظروف. فلقد شن بومبيوس حملة على موريطانية بعد تسوية شؤون نوميدية، إن كاتب حرب إفريقيا هو الذي يشهد بتدخل بومبيوس في موريطانيا (*Bellum Africanum*, XXII) وغرض بومبيوس من تدخله هذا هو القضاء على أتباع ماريوس الذين وطدوا نفوذهم في موريطانية بعد تدخل سير طوريوس في ناحية طنجة قادماً من إسبانيا. وهكذا أنهى پومبيوس تسوية شؤون موريطانية بتولية الملك الموري ماستا نيسوسوس Mastanesosus.

أما الشخصية الثانية التي نعرفها بهذا الاسم فهو الملك الموري بوگود، الذي لا نعرف نسبه، بينما نعرف أنه تولى عرش موريطانية في الفترة التي انقسمت فيها مملكة المورين إلى مملكتين. يفصل بينهما نهر ملوية الحالي. فتولى بوگود حكم المملكة الغربية، التي تمتد بين نهر ملوية والمحيط، بينما تولى معاصره بوكوس الثاني حكم المملكة الشرقية التي قامت في غرب نوميدية منذ تحالف بوكوس الأول مع الرومان ضد يوغرطة. وأهم إشارة عن سيادة الملكين المورين المتعاصرين وردت عند المؤرخ ديون كاسيوس (Dion Cassius, XLI, 42)، وهو يتحدث عن تحالف الملكين مع القائد الروماني يوليوس قيصر في صراعه ضد پومبيوس سنة 49 ق. م.

لا نعرف شيئا هاما عن أحوال مملكة المورين في ظل بوگود، اللهم إلا إشارة سترابون (Strabon, XVII, 3-5) لحملة عسكرية شنها الملك ضد جيرانه الاثيوبيين جنوب البلاد، ومن جهة أخرى نتوفر على أخبار عن تحالف الملك الموري مع القائد الروماني يوليوس قيصر في مواجهته لأبناء پومبيوس بإسبانيا بين سنة 49 و45 ق. م.

تدخل بوگود في إسبانيا سنة 48 ق. م. لمساعدة كاسيوس Cassius حاكم قيصر في إحدى الولايتين الإسبانيتين (César, *Guerre d'Alexandrie*, LIX et LXII) وفي سنة 45 ق. م. تدخل بوگود للمرة الثانية عسكريا في إسبانيا لمؤازرة قيصر نفسه في معركة موندة Munda، وكان للملك المورى دور فعال في جعل النصر ينتهي لصالح قيصر (Dion Cassius, XLIII, 38). وبعد ذلك يخبرنا سويتونيوس (Suetonius, *César*, 52) عن المكافأة المالية التي سلمها قيصر لبوگود وزوجته الإغريقية أونوي Eunoé.

وخلال الصراع بين القائدين الرومانيين أنطونيوس Antonius وأوكتافيوس Octavius، بعد مقتل قيصر سنة 44 ق. م، نعلم بواسطة كيكرون - (Ciceron, *Lettres*, X, 30 (1 - 32 ; 3، أن الملك بوگود كان مواليا لأنطونيوس سنة 43 ق. م. وكان الملك الموري على اتصال مع قوات أنطويوس في إسبانيا. بينما تحالف الملك بكوس الثاني مع أوكتافيوس.

يوضح ديون كاسيوس (XLVII, 45) كيف استطاع أوكتافيوس أن يسقط حكم بوگود سنة 38 ق.م، لما شن هذا الأخير حملة على إسبانيا، فثار ضده رعاياه في مدينة

طنجية، فتدخلت قوات أوكتافيوس وجيوش الملك بوكوس الثاني في موريطانية، وهكذا عجز بوگود عن استرجاع مملكتــه التي استولى عليها بوكوس الثاني بموافقــة أوكتــافيــوس. وبعد ذلك التحق بوگود بقوات حليفــه أنطونيــوس في الشــرق، وظل معه إلى أن قتله أگريپا Agrippa في معركة أكتيــوم Actium سنــة 31 ق. م : (Strabon, VIII, 4,3 ; Dion Cassius, L, 11).

ومن الشواهد الأثرية على حكم بوگود وجود نقود تحمل اسمه باللاتينية على الصيغة التالية : Rex Bocvt. وانطلاقا من هذه الوثيقة الأثرية، يتضح أن الاسم الرسمي للملك هو بوكوت، وبذلك فإن النصوص تناقلت اسمه محرفا باستبدال الكاف گافا والتاء دالا. وعند بلينيوس الشيخ (Plinius, V, 19) نلاحظ احتفاظ الكاتب بحرف التاء بقوله إن المملكة المورية المغربية كانت تدعى البگوتية Bogutiana نسبة إلى ملكها بگود.

والجدير بالذكر أن اسم بوكوت كما ورد في النقود ظل متداولا في عهد السيطرة الرومانية بموريطانية الطنجية، وكان يطلق على مجموعة قبلية تدعى البكواتيين Bakouatai (Ptolemaeus, IV, 1 - 5) وقد ورد ذكرهم في النقائش اللاتينية كما يلي : (Gens Baquatium) انظر (Euzennat et Marion, p. 349-350).

وهنا نتساءل عن مدى الترابط بين الملك بوگود أو بوكوت وقبائل البكواتيين، الغالب على الظن أنهم عشيرته.

م. مجدوب، *مملكة الموريين وعلاقاتهم مع رومة لغاية سنة 33 ق.م*، د. د. ع. كلية آداب فاس، 1990.

S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. 8 ; J. Mazard, *Corpus Nummurum Numidiae Mauretaneaque*, Paris, 1955 ; J. Desanges, *L'Afrique romaine et libycoberbère*, in *Rome et la Méditerranée Occidentale*, T. 2, Paris, 1978 ; F. Decret et M. Fantar, *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, Paris, 1981.

محمد مجدوب

**بوكُوَّار**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر. وبُوكُوَّار اسم حشرة صغيرة جدا تنتفش عند الخطر مثل القنفذ.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

**بُوكيطا دِيلْ كُوسكو**، Boquita del Cosco اسم أطلقه الإسبان على فم اغكي الذي هو مصب وادي أعگيك الواقع جنوب مصبّ نهر الشّبيكة المعروف عند الإسبان بالفم الكبير بوكا گراندي Boca Grande. وكلمة بوكيطا Boquita مصغر لكلمة بوكا Boca أي الفم.

I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-Saharico*, Madrid, 1955, p. 29.

**بُوكيطا ديلْ مورّو**، Boquita del Morro أي "الفم الصغير لأنف الجبل" اسم أطلقه الإسبان على فم وَارْ الذي هو مصب وادي وار. يبلغ عرض المصب نصف كيلومتر، ويوجد على بعد عشرة كيلومترات جنوب مصب وادي أم فاطمة.

A. Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid, 1946, p. 51 - 61.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوكيل** (سيدي ـ)، بهذا الاسم يعرف على ألسنة أهل تادلا، وهو في المصادر أبو وكيل ميمون بن سحنون الجراوي التادلي. رحل إلى مراكش وصاحب بها الشيخ عبدالغفور ابن يوسف الأيلاني (ت. 586) فكان يخرج من مراكش لزيارته في أغمات حافيا كما ذكر ذلك رفيقه محمد بن خالص الأنصاري. وزاد قائلا : "لقيت أبا وكيل فقلت له ادع لي فصاح علي وقال لي أتجعل بينك وبينه حجابا وتقول : ادع لي !". وأخبر عنه الولي المراكشي الشهير أحمد ابن عبدالرحمن الجباب "أنه ـ أبا وكيل ـ محدَّثٌ لا يفعل شيئا إلاّ بأمر وما يتوقف إلاّ ليُومر بما يفعل" (*التشوف*، 290).

وقد رجع سيدي بوكيل إلى مسقط رأسه بتادلا حيث توفي في تاريخ غير محدد أواخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع الهجري، وضريحه عند سدٍّ مدينة قصبة تادلا.

ي. التادلي، *التشوف*، 290 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 312 ؛ م. عربوش، *من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال*، 142 ـ 143.

محمد حجي

**البوكيلي**، أسرٌ متعددة، منهم من ينتسب لأبي وكيل دفين واد زيز الشهير، يرجع أصلهم إلى واد زا بسجلماسة، وهم صلحاء مرابطون لاحظ لهم في الانتساب إلى البيت النبوي حسبما ذكره جميع النسابين، مثلُهم في ذلك مثلُ أولاد أبي وكيل دفين أيت سماحة، وأولاد أبي وكيل الصنهاجي دفين دكالة، وأولاد أبي وكيل ميمون بالصحراء.

أما البوكيليون الشرفاء فهم بَواد زيز، موطنهُم به وبني إزناسن وبعيون سيدي ملّوك بين تازا ووجدة، ويُعرفون أيضاً بأولاد سيدي مخوخ. ومن هؤلاء الشرفاءُ البوكيليّون بمدينة مراكش، غير أننا لا نعرف متى انتقلوا إلى هذه المدينة، ولا أول من انتقل منهم إليها. وكل ما نعرف هو أن أفراداً منهم شغلوا مناصب مخزنية سامية كأمناء النفقات بدار المخزن، أو أمناء مكلفين ببيع غلل الأملاك المخزنية، وأخيراً أمناء المستفاد، ولعل هذا ما جعل هذه الأسرة تحتكر منصب الحسبة في مراكش خلال القرن الثالث عشر (19 م) في شخص محتسبين هما : مولاي إبراهيم البوكيلي وابنه مولاي عبدالله البوكيلي.

**البوكيلي، إبراهيم** (مولاي ـ) الملقب بـ"السّوارْتْ" أي المفاتيح. أسند إليه السلطان مولاي عبدالرحمان حسبة مدينة مراكش حوالي سنة 1844/1260 وعهد إليه بمهام أخرى، كإسعاف المنكوبين بمدينة الصويرة بعد هجوم الأسطول الفرنسي عليها في نفس السنة، كما أمره بعد ذلك بالوقوف على إصلاح جامع الكتبيين بمراكش. في سنة 1847/1269 عين امين الصائر (النفقات) بنيقة مراكش داخل دار المخزن، ولعل هذا ما جعله يلقب بـ "السوارت".

**البوكيلي، إدريس** بن محمد الفاسي ثم الجديدي.
ولد بفاس عام 1280 / 1863 وبها نشأ ودرس على كبار علماء القرويين في عصره، أمثال محمد بن التهامي الوزاني، وهو عمدته، ومَحمد گنون وعبد الملك العلوي الضرير وعبد الواحد ابن المواز. كما أخذ عن الشيخ الصوفي صالح بن المعطي الشرقي التادلي. قال عنه في *إتحاف المطالع* "العلامة المشارك المطلع، الكاتب المقتدر".

انخرط إدريس البوكيلي في خدمة المخزن، فكان كاتباً في البنيقة الكبرى مع الحسن الأول ثم مع ابنه عبد العزيز. وأفاد أنه جرت العادة بهذه البنيقة إذا صدر الأمر بكتابة رسالة أو ظهير أحيل الأمر على كاتب ينشئ ذلك كما طلب منه في الحين دون مبيضة، وإذا زاد أو نقص أو تذبذب فلا يعد كاتباً وربما عزل في الحال.

وقد كلفه السلطان عبدالعزيز بمهمة نائب أشغال وزارة الخارجية، وتفيد إحدى الرسائل الصادرة عن محمد بن العربي الطريس ببعض المعطيات في هذا الصدد ( *كناش*، خ. ع. رقم 2721 ورقة 210) فقد بعث له برسالة مؤرخة في 26 ربيع الثاني عام 17/1326 ماي 1909 يقول فيها :

"...كتب لنا سيدنا، دام عزه، بأنه قد أنعم عليك بالتكليف بأشغال الوزارة الخارجية وأقره بإعلام نواب الدول هنا بذلك ليكونوا يخاطبونك في مكاتبهم التي يوجهونها للحضرة الشريفة، وقد أعلمناهم بذلك، وبمزيد الفرح نهنِّئ جنابك بهذه الترقية لتلك الرتبة السامية. التي أنت أهل لها ...".

بعد ذلك أسند إليه قضاء عدد من المدن آخرها مدينة الجديدة، حيث بلغ سن التقاعد وأحيل على المعاش، وأدركته الوفاة بها عام 1366 / 1946 وأقبر بها.

*كناش مخزني* رقم 2721 خ ع ورقة 210 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 12366 ؛ *سل النصال*، الترجمة 48.

**البوكيلي، عبدالله** (مولاي ـ) الملقب بسيدي الكبير، أحد أبناء المحتسب مولاي إبراهيم البوكيلي. تمرّس بجانب أبيه على مهمات الأمانة والحسبة، وشغل نفس المنصب الذي كان يشغله أبوه بعد وفاته، وهو منصب محتسب مراكش. وإلى نظره كان يسند أمر باقي الأمناء، فهو الذي يُقرّهم في مناصبهم ويحدد طبيعة مهامّهم ويفصل في القضايا المطروحة عليهم قبل أن تصل إلى المخزن. لهذا كان محتسب مراكش مولاي عبدالله البوكيلي، بفعل موقعه وحنكته، يشرف على كل العمليات المالية والتجارية، ويتكلف من طرف المخزن بشؤون أملاكه وتنظيم صوائر داره إلى غير ذلك من الأمور التي تدخل في دائرة اختصاصه. وحينما كان المخزن يعتزم القيام بأي مشروع يدخل في إطار الحق العام للدولة، فإن مسؤولية تنفيذه على المستوى الجهوي يكلف بها المحتسب، نظراً لأمانته وتجربته من جهة، ولشمولية مسؤولياته واختصاصاته من جهة أخرى.

وفي هذا الإطار لما اعتزم السلطان مولاي الحسن القيام بمشروع بناء معمل صنع القرطوش بأگدال مدينة مراكش، عهد إلى محتسب المدينة مولاي عبدالله البوكيلي بمهمة الإشراف على بنائه، وذلك بتاريخ 12 شعبان 1304 / 6 ماي 1887 (*مظاهر يقظة*، 1 : 95) فاضطلع بكل عمليات الصرف من أجل البناء.

وكان المحتسب مولاي عبدالله البوكيلي كذلك خبيراً في الشؤون الاقتصادية العامة، لأن له من المعطيات ما يساعده على تقييم الوضع الاقتصادي، وضبط التوازنات الاقتصادية بين مكونات كل جهة على حدة حفاظاً على الاستقرار والأمن. وفي هذا الإطار، لما أُحدث سوق الخميس بين تكانة واگلاوة، واحتكر السوق بيع منتجات درعة، وقصده الناس فراراً من العطاء، وكان من شأن ذلك أن يحدث خللا في التوازنات الاقتصادية، وأن يضر بمداخيل الخزينة وبمصالح التجار بالمدينة، جعل السلطان يستشير المحتسب عبدالله البوكيلي في أمر ذلك. وتفيد رسالة السلطان مولاي الحسن إلى المجتسب بتاريخ 10 ربيع الأول 14/1306 نونبر 1888 أنه أقر رأيه، تقول الرسالة "... وأشرت إلى الأمر بتركه، لأن ما يباع به يدخل لمراكش، ويحصل منه النفع، وصار بالبال، فقد ساعدناك على ما أشرت إليه، وقد كتبنا للأگلاوي بتركه".

كما أن المحتسب مولاي عبدالله البوكيلي كان قادراً على تقييم طبيعة المبادلات وحجمها وتوزيعها بين مختلف الجهات الواقعة في دائرة اختصاصه. وعثرنا في هذا الاتجاه على رسالة أخرى بتاريخ 23 شعبان 5/1305 ماي 1888 بعثها السلطان مولاي الحسن إلى البوكيلي تفيد أن حجم مبادلات دمنات في فترة الانتعاش كان قريبا من عُشر المبادلات في مراكش.

كما كان المخزن يعتمد على هذا المحتسب لضبط المكاييل وتحقيق سعتها، ولما أراد السلطان مولاي الحسن تحديد المكيال الذي كانت تدفع به العولة للدار السلطانية بمراكش، بعث إليه المحتسب مولاي عبدالله البوكيلي "معلماً" رحويا، تأكد بعد قيامه بكل التحريات أنّ الخرّوبة المراكشية كانت تساوي ستة أمداد ونصف مكناسية وثمانية أمداد فاسية ( *إنولتان*، ص 310). ورغم ما كان يحظى به البوكيلي من ثقة السلطان، وما كان يجب أن يتوفر فيه من أمانة وصدق، فإنه أحيانا كان يحتكر لنفسه صلاحيات تجعل باقي الأمناء بعيدين عن ممارسة مهامهم. فقد حاول إبعاد أحد أمناء الصائر بدار المخزن وهو الأمين الصبان في إحدى المعاملات المتعلقة بصفقة بيع منتجات وغلل أملاك المخزن بمراكش، مما دفع بالأمين المذكور إلى رفع شكاية للسلطان، فأمر المحتسب بعدم التطاول على مهام وصلاحيات الأمين، وأمره كذلك بأن لا يعقد شيئاً إلا بحضوره، وألزمه بتقديم جميع الوثائق والمستندات المتعلقة ببيع الغلل والفواكه خلال المدة الماضية (المصدر السابق 284).

وطبيعي أن المحتسب كانت له من صفات المروءة

والنزاهة ما يجعله فوق كل الشبهات، بعيداً عن كل المحرمات، وكان هذا المبدأ هو أساس اختياره لمنصب الحسبة، إلا أن ظروفا أخرى، كضعف أجرته، كانت تدفع به إلى أن يزيغ عن هذا الطريق، ويندمج في الجو العام الذي كان يحيط به، من أخذ الأعطيات والهدايا مقابل القيام بخدمات وتدخلات لدى المخزن، وغير ذلك من الأشياء التي كان بإمكان المحتسب أن يقوم بها، وما أكثرها !. ونسوق في هذا الصدد رواية أوردها السباعي في كتابه (*البستان الجامع*، ص 121)، تقول : إن السلطان الحسن الأول قبض على عامل مسفيوة، وهو إبراهيم بن حسين، بوشاية العامل الآخر بواسطة الوزير ابن العربي وصاحبه المحتسب البوكيلي، ومن أجل ذلك قدّم لهما العامل المذكور أعطيات وهدايا "فأعطاهما عطاءً جزيلاً" ومن جملة ما أعطى المحتسب مولاي عبدالله البوكيلي وحده "فندق السويري بباب الفتوح، والحوانيت الخارجة عنه، مظهرين للناس البيع صورة، ولا بيع في الحقيقة، وتنّوراً لنضج الخبز، وخيلا وبغالا، ودلسا على السلطان - أيده الله - تدليساً صدّقهما فيه، فقبض على ذلك العامل مع حسن خدمته واستقامته".

ومازلنا نفتقر إلى معطيات أخرى حول المحتسب مولاي عبدالله البوكيلي، فلم نقف على مدة بقائه في منصب الحسبة ولا تاريخ عزله إلى غير ذلك. وما تحتفظ به الذاكرة الشعبية بمراكش يفيد أن أسرته كانت تسكن بحي القصور من مدينة مراكش.

ونعثر في وثيقة عدلية على معلومات تفيد أن عبدالله البوكيلي كان وصياً على أخته من الأب السيدة فاطنة بنت مولاي إبراهيم البوكيلي، وبعد وفاته حوالي سنة 1357/1938 لم يوص عليها أحداً، فتولى رعاية شؤونها أخوها للأب عبدالرحمان بن مولاي إبراهيم البوكيلي وذلك بتاريخ 19 شعبان 1359 موافق 14 سبتمبر 1940.

أ. الشباني الإدريسي، *مصابيح البشرية في أبناء خير البرية* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج 1 ؛ ن. التوزاني الهراج، *الأمناء بالمغرب*؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 1 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، ط 2 (إنولتان، 1850 - 1912) ؛ ع. السباعي، *البستان الجامع لكل نوع حسن وفنّ مستحسن*، مخطوط، خ. ع. رقم 1346 ؛ كنناشة : *تقييد المكاتب الموجهة للحضرة الشريفة*، خ. ع. رقم 2721 ك.

المصطفى فنيتير

**پولاكر** Polacre، من أنواع السفن الرئيسية التي اعتمدها مجاهدو مصب أبي رقراق في أسطولهم البحري، ويوجد بينها وبين نوع الپينك Pinque تشابه كبير، إذ يحتوي نوع الپولاكر على ثلاثة صوار، وهو من النوع المتوسطي المتطور على نوع بوكراع Chebec الذي يلتقي معه في عدة خصوصيات، في كوثله المرتفع الممتد بواسطة جناحين يدعمان قاعدة خفيفة من الألواح، وفي مقدمته الحادة، لكنه يتميز بكونه من السفن ذات القعر المسطح، والحمولة المرتفعة نسبيا بحيث تتراوح ما بين مائتي وثلاثمائة طنة، وبالتالي بروزه أكثر ثقلا وأقل سرعة من نوع بوكراع. ولكونه أحد الأنواع الأساسية الموجهة للجهاد في عمليات أعالي البخار، فقد أخضعه المجاهدون لتعديلات جعلته يستجيب بالخصوص للشروط المطلوبة لسفن الجهاد السلاوي، فجهزوه مثل الپينك بحوالي عشرين قطعة مدفعية، وطاقم يصل إلى مائتي رجل في المتوسط. ويبدو أن استعمال هذا النوع دام طوال القرن

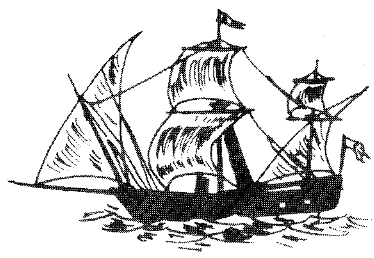

الحادي عشر (17 م)، ولا يوجد له ذكر في أسطول سيدي محمد بن عبدالله في القرن التالي.

R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé*, p. 92 et 98.

حسن أميلي

**بولانوار ← بولنوار**

**بُولـبَن**، أسرة تطوانية نجهل كل شيء عنها سوى أنه كان لبعض أفرادها داران بحومة التّرنكات سنة 1257/1841 حسب ما جاء في الإحصاء الذي جرى بالمدينة في السنة المذكورة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 351 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vedemecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بولحية**، طائر من سباع الطيور بين النسر والعقاب ينتمي إلى رُتبة الجوارح وفصيلة العقبان. اسمه العلمي : Gypaetus barbatus، وعند العرب كاسر العظام. وفي المغرب : بولحية والعقاب، وفي مصر بُلتْ وسَتل ومكلفة وفينة، وفي السودان : أبو ذقن وأبو لحية. ورد ذكره في التوراة، وهو الأنوق في الترجمة العربية.

رأسه أبيض تحيط به لفافة سوداء تمر على العينين وتنتهي تحت المنقار بباقة من الشعر الأسود يُذكِّر باللحية. أسود الظهر والجناحين والرجلين، صدره وبطنه بيضاوان

مصفران. المنقار أسود معقوف قوي، المخالب سوداء قوية جداً. يبلغ طوله 102 ـ 114 سم، الجناحان طويلان وحادان، الذيل طويل مكثف.

إنه أكثر العقبان نشاطا، حادّ البصر، يحلق عدة ساعات في الفضاء بدون تعب. يعيش مزدوجا ولا يسمح للآخرين بالاقتراب من مكان معيشته الذي يقدر بمساحات شاسعة، ويسكن أعالي الجبال البعيدة عن الإنسان ولا يقترب إلا نادرا من المدن والقرى. يحمل كل عظم فيه مخّ حتى إذا كان في كبد السماء أرسله على صخرة أو صفا فينكسر فيهبط ليبتلع مخه. يفعل ذلك أيضا بالسلاحف ليسهل عليه أكلها. يأكل الطيور والقواضم والزواحف وأحيانا لحوم الميْتة، وله ميل شديد إلى العظام.

يبني عشه الضخم في أعالي الصخور الصعبة التسلق، مكوناً من الأغصان ومفروشاً بالعظام. تبيض الأنثى بيضة أو بيضتين كل سنة، مصفرة اللون ومزركشة بنقط بنية. تبلغ من الطول 85 × 66 ملم. تدوم مدة الحضانة 53 يوما وتغادر الصغار عشها بعد ثلاثة أشهر ونصف، وقد كساها ريش أسود على سائر جسدها، وتصير بالغة بعد أربع سنوات.

تقلص عدد هذا الطائر في المغرب في النصف الأخير من القرن العشرين، ويقدر حالياً ببضع عشرات من الأزواج تعيش في جبال الأطلس. وانقرض في جبال الريف بعد أن كان يعيش قرب الشاون وتطوان وجبل موسى.

يعيش حاليا في أكلموس ومولاي بوعزة وأُلماس وعين اللوح وأزرو وتامدا وأزيلال ومنابع أم الربيع وجبل بويبلان. نجده في الأطلس الكبير بالمناطق التالية : تيزي نتاست وأكاميدن وتُبكال وسروا وتيزي ن تيشكا وورزازات وقلعة مكَونة وجبل أزوركي وبومالن دادس وتنجداد وزيز وجبل العياشي وميدلت وصَغْرو وتينغير. وفي الأطلس الصغير نجده في إغرم وطاطا وتافراوت وجبل غير وعوينة آيت أُسا وفم الحصن وبويزاكارن.

إنه نادر بالمغرب الشرقي قرب فكَيكَ وجبل كَروزوَماعز، ومفقود بالمناطق الصحراوية. وهو من الطيور القارة، وغالبا ما يعيش في نفس المكان طول حياته. يقتصر توزيعه الجغرافي على جنوب أوروبا وشمال افريقيا والشرق والأوسط.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، ص 143.

H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *Les Oiseaux d'Europe, d'Afrique du Nord et du Moyen Orient*, Lausanne, 1972 ; Thevenot, Berger et Beaubrun, *Compte rendu d'ornithologie marocaine : statut, répartition et écologie, Annales CEEP*, N° 3, 1987.

محمد رمضاني

**بولدوين**، إ. ف. Boldwin, E. F مبشر أمريكي استوطن بأهله وأولاده مدينة طنجة سنة 1287 / 1870 ثم انتقل إلى الصويرة سنة 1298 / 1888 حيث كان يتعاطى التبشير بالديانة المسيحية مستقلا عن البعثات البروتيستانتية. وفي سنة 1308 / 1890 رحل إلى الشام لمواصلة عمله هناك.

م. خالدي و ع. فروخ، *التبشير والاستعمار في البلاد العربية*، 43؛ *الوثائق المغربية* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1401 ـ 1415.

**بُولْطن**، م. Miss Bolton مبشرة أنجليزية من هيأة "نورث أفريكا ميشن" استوطنت مدينة تطوان سنة 1306 / 1888 وفتحت بها مدرسة للتعليم. ولها تقارير عن المغرب نشرتها بمجلة *"نورث أفريكا"*. وهناك بُولطن، و. ت. Bolton, W. T مبشر أنجليزي ينتمي كذلك إلى هيئة "نورث أفيركا ميشن" حل بتطوان سنة 1315 / 1897 وأخذ يباشر نشاطه بها، وكان مراسلاً لجريدة البعثة.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1405.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 148 ; *Les Missions protestantes au Maroc*, 42.

مصطفى بوشعراء

**بولعْجال، إبراهيم** (سيدي ـ) صالح مشهور عند جميع قبائل الأعراب المحيطة بسلا، وبخاصة قبيلة عامر التي يقع ضريحه في بلادها، على بعد نحو عشرة كيلوميترات شمالي شرقي المدينة. ولا تعرف له ترجمة، إلا أن الذاكرة الشعبية تقول إنه عاش ناسكاً زاهداً في هذه المنطقة منذ مدة طويلة، وظهرت له كرامات عديدة في حياته. وظل الناس يستشفون بترابه بعد مماته. لذلك تساق إليه هدايا ونُذُور طوال أيام السنة.

وقد جُدد ضريح سيدي إبراهيم بولعجال منذ نحو خمسين سنة، وصُرفت فتوحاته لإحدى الشريفات بمدينة الرباط.

**بولعجول**، أسرة سلوية أصلها من قبيلة دكالة فرقة عواد، عرفوا بالاشتغال بالفلاحة والدباغة، وكان منهم مجاهدون في البحر، طبجية وبحارة، طوال القرن الثالث عشر (19 م) ومازالوا حتى الآن في مدينة سلا.

**بولعجول، أحمد**، من المجاهدين البحريين الذين أنعم عليهم الحسن الأول بصلة في 19 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875، ورقمه في القائمة 207.

**بولعجول، محمد**، مجاهد بحري كذلك نال الصلة الملكية في التاريخ أعلاه ورقمه 157 كما يوجد اسمه في قائمة الصلة التي أنعم بها الحسن الأول في ثامن وعشري ذي الحجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894 على من سمتهم الوثيقة "البحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية". ورقمه فيها 148.

**بولعجول، محمد** بن **بنعاشر**، كان في بداية أمره من رجال المدفعية الطبجية وبهذه الصفة توجه في جملة الحركة السلطانية في ثاني ذي الحجة عام 1318 / 23 مارس 1901. وبعد قضاء الحماية على بقايا مظاهر الجهاد البحري بسلا أصبح محمد بولعجول يتعاطى مهنة الدباغة إلى أن توفي قبيل عام 1344 / 1925 مخلفا ولدين : بنعاشر وعبد الله كما جاء في رسم إراثته.

**بولعجول، المفضل**، من المجاهدين البحريين الذين

أنعم عليهم الحسن الأول بصلة في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875، ورقمه في القائمة 235.

م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 153، 227، 228، 260 ؛ *رسوم عدلية عند العدل السيد عبد النبي النجاري السلوي* ؛ *معلومات شفوية*.

محمد حجي

**بولعوان**، أو بولاعوان أو بوالأعوان، منطقة فلاحية بجنوب دكالة اشتهرت بتربتها الرملية التي تستغل في غراسة الكروم بشكل تقليدي. ويُعتقد أن الكروم قد أدخلت إلى دكالة من طرف البرتغاليين في القرن العاشر (16 م)، غير أن ما هو أكيد أنها غراسة مفيدة على التربة السائدة، وموافقة لمحاولة السكان استغلال أقصى ما يمكن من المجال الفلاحي تحت تأثير الضغط السكاني الملاحظ منذ القديم، كما أنه يمكن استغلال عدد من الزراعات التقليدية فيها إلى جانب الكروم مثل القمح والشعير والذرة... ومع تطور النقل وتطور صناعة الخمور في الحقبة الاستعمارية توسعت غراسة الكروم بدكالة، وخصوصا بالمنطقة الشرقية، وهذا ما يفسر شهرة مصنع خمور بولعوان.

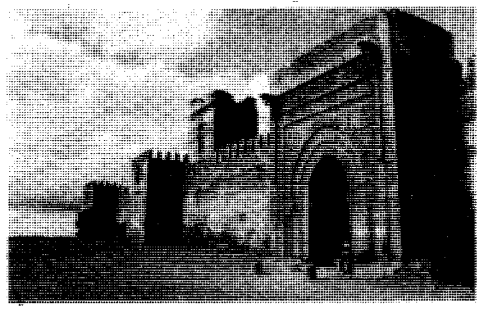

وتشتهر بولعوان أيضا، بأهمية الأملاك المخزنية بها، ففي سنة 1336 / 1917 قدر گولفن مجال بولعوان بـ 7.000 هكتار (*دائرة*، 132) وبعد الاستقلال بقليل قدره بول بّاسكون بـ 4.464 هكتار ( *البنيات*، 24).

ويجهل السبب الذي جعل قصبة بولعوان الإسماعيلية تكون حاليا مهجورة خالية من السكان رغم الإمكانيات الفلاحية المتوفرة بالمنطقة، غير أن گولفن حاول أن يعطي لذلك تفسيراً مرتبطاً بمحاولة المولى إسماعيل تأبيد ذكرى وفاة زوجته المفضلة، حليمة غشاوة التي كانت تسكن بقصر القصبة، فأمر بإخلائها بعد موتها، وأغلق قصبة بولعوان، ولم يعد إليها قط، وبعد سنوات من ذلك وأثناء احتضاره، أكّد إخلاء القصبة نهائيا لتأبيد ذكرى هذه المرأة..." (*دائرة دكالة*، 405).

غير أن هذا التفسير، وهو غير مؤكد، يهدف إلى إبراز حدث شخصي يمس السلطان المذكور، ذلك أن المغرب بشكل عام ومنطقة دكالة بشكل خاص، شهدت فترة من عدم الاستقرار السياسي بعد وفاة المولى إسماعيل، الشيء الذي قد يكون وراء تخريب القصبة وهجرتها. وفي سنة 1147/1734-1735 مثلا، وبعد ثورة عبيد الرمل على السلطان مولاي عبدالله، فرّ هذا الأخير إلى قصبة بولعوان حيث إنه "...قصد مرس بوالأعوان، فنزل عليه وأباحه للقبائل ليستعينوا به على ما هم فيه من المسغبة" (*التقاط*، 364). وتحت حكم السلطان مولاي عبدالله أيضا، فر المولى المستضيء الذي كان يحاصر مدينة الرباط، إلى قبائل دكالة فتبعه إليها المولى عبدالله سنة 1157/1744-1745. فلما نزل قصبة بوالأعوان ونزلت عساكره أمامه بذلك البسيط من دكالة، فر أهلها مع المولى المستضيء إلى التلول ونزلوا قرب دمنات، وشرعت عساكر المخزن في انتشال الحبوب من

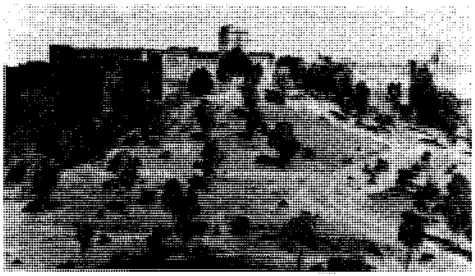

الأمراس واستخراج الدفائن من الهميل وتخريب القرى وتقطيع الأشجار، وكلما فرغت من ناحية انتقلت إلى غيرها متقلبة في ذلك البسيط نحو السنة، والسلطان مقيم بالقصبة إلى أن اكتسح أرض دكالة وتركها أنقى من الراحة ليس بها ما يأكله الطير أو يتظلل الحائر ..." ( *الاستقصا*، 7: 168).

وخلال سنتي 1969 - 1970 تم تجهيز قطاع بولعوان وسقيه في إطار مشروع الإعداد الهيدرو فلاحي لدائرة دكالة المسقية، وتجدر الإشارة إلى أن بولعوان هو أول قطاع يسقى بطريقة الرش في المغرب، وذلك على مساحة 1100 هكتار من الأراضي المسترجعة، تم توزيعها إلى 220 تجزئة من مساحة 5 هكتارات لكل عائلة منتفعة، في إطار عشر تعاونيات للإصلاح الزراعي (*تحول* : 91).

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7 ؛ إ. خياطي، *تحول البنيات الفلاحية في القطاعات المسقية. نظام الأكارة في سهل دكالة المسقي*. د. د. ع. شعبة الجغرافيا، الرباط، 1988.

J. Goulven, *Le cercle des Doukkala au point de vue économique*, Paris, 1917 ; E. Michaux-Bellaire, *Villes et tribus du Maroc*, Vol. 10 : *Région des Doukkala*, T. 1 ; *Les Doukkala*, Paris, 1932 ; P. Pascon, Rapporteur, *Les structures agraires dans le perimètre des Doukkala*, O.N.I., Rabat, 1961 (Ronéo).

إسماعيل الخياطي

** وتذكر كتب التاريخ بولعوان مدينة صغيرة من مدن دكالة القديمة في منتصف الطريق بين فاس ومراكش محتوية على خمسمائة بيت، يعيش أهلها في بحبوحة ورغد، ويكرمون ضيوفهم أيّما إكرام، نظراً لخصوبة أراضيهم ووفرة أنعامهم.

ولقد شمل هذه البلدة الاحتلال البرتغالي، في أوائل القرن العاشر (16 م)، فعاث المعتدي فساداً في أراضيها وأخضع أهلها للأسْر والاستعباد، كما عانى سكانها من الإتاوات المفرطة والجبايات الباهظة من قبل البرتغاليين والوطاسيين على السواء، الأمر الذي جعلهم يغادرون بلدتهم ويلتجئون إلى جبال تادلا.

يبدو أن مدينة بولعوان ظلت مهملة، بعد أن انجلى عنها البرتغال، إلى أن شيّد بها السلطان المولى إسماعيل قصبة عسكرية لحراسة الطرق التي كانت تربط عاصمته مكناس بمختلف نواحي المملكة.

تجثم قصبة بولعوان على قمة شاهقة من الصخر، تنزل عموديا على أضيق نقطة في مُنعطف مَجرى نهر أم الربيع. وتشرف على المنعطف المذكور من كلتا واجهتيه ولا تربطها بالسهل المجاور إلا بقعة ضيقة من الأرض، ويعتبر هذا المكان من أكثر الأماكن توحشا. وعندما يرى الإنسان هذه القصبة من بعيد، تبدو له بأبراجها الشاهقة وأسوارها المسننة، عظيمة الهيكل، هائلة البنيان.

لقد كان لهذه القصبة في الماضي، باعتبار موقعها الذي يتحكم في أحد الممرات الرئيسية بين مراكش وفاس على نهر أم الربيع، أهمية استراتيجية لا تُنكر، بالإضافة إلى أن موقعها على الحدود المشتركة بين ثلاثة تجمعات قبلية عظمى هي دكالة والشاوية والرحامنة كان يجعل منها، من الناحية السياسية، مركزاً ممتازاً للمراقبة. ولئن اختفت الآن أهمية هذه القصبة من الناحية العسكرية والسياسية، فإن أهميتها الأثرية ما زالت قائمة، نظراً لما تتوفر عليه من الخصائص الجديرة بالعناية، من الناحية المعمارية، إذ أن الموقع الذي اختير لتشييدها والبرج الذي أقيم فيها وكذلك باب السرّ والحصن الأمامي المُنحدر والمُغطّى، المُفضي إلى النهر، وأبراج الدّعم الجناجي التي تتوفر عليها والتي أحْكم بناؤها بدقّة ومهارة، كلّ ذلك يدل على أن تصميم هذه القصبة كان من وضع بعض المهندسين الماهرين في فنّ الهندسة العسكرية؛ وبذلك فهي تمتاز عن مثيلاتها باستحكاماتها الدّفاعية.

أما بناية هذه القصبة فمستطيلة الشكل، محصنة بسبعة أبراج للمراقبة وموجّهة من شماليّ الشمال الشرقيّ إلى جنوبيّ الجنوب الغربيّ كما أن لها دَرَجا مُغطى بمَرْقب سُداسيّ الشكل مزَود بكُوات للرمي، يسْمح بالمرور من داخل القصبة إلى جانب النهر حيث ما تزال بعض آثار مَسْبح ماثلةً للعيان.

وبعد عبور الباب الرئيسي والرواق الدّاخليّ، تظهر في الجهة اليمنى آثار دار السلطان مولاي إسماعيل، وكانت ما تزال إلى عهد قريب في حالة لا بأس بها، وهي فسيحة الأرجاء مربعة الشكل تزينها صفوف من الأعمدة الأنيقة العالية وفناء داخلي يفضي إلى أربع غرف انهارت إحداها واحْتفظت الغُرف الثلاث الأخرى التي كانت لا تزال اثنتان منها مفتوحتين بآثار فسيفساء متعددة الألوان وزخارف عربية منقوشة على الجص.

بعد ذلك يأتي برج مربع عظيم يحتضن القصبة كلها ويناهز علوه عشرة أو اثني عشر متراً، وهو ملتصق بفناء الدار الداخليّ الذي يصلُه به باب واحد، غير أن الدرج الداخلي أصبح في حالة انهيار جزئي منذ بضع سنوات، بحيث لم يَعُد، مع الأسف، يمكّن من الوصول إلى سطح هذا البرج الذي كان ولا شك يُتيح للمُشرف منه أن يتمتع بأحد المناظر الرائعة.

أما رأس الصخرة التي شيدت عليها قصبة بولعوان، فيَبرُز داخل الأسوار بشكل بيّن إلى حدّ أن نتوءه يكاد يُلامس قمّة القصبة، في الجزء الشماليّ الشرقيّ من السور؛ وعلى كلَا جانبي هذا النتوء توجد، في منخفضين عظيمين، كهوف ضخمة كانت تستعمل في القديم لخزن المحصول الفلاحي.

ولقد ظل مولاي إسماعيل يستعمل هذه القصبة أثناء تنقلاته بين فاس ومكناس ومراكش. وكان لمولاي عبدالله ابن السلطان مولاي إسماعيل دار بهذه القصبة نزل بها في عام 1744/1157 حين مطاردته لأخيه المستضيء، فمكث بها سنة كاملة.

م. الشياظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر؛ م. الكانوني، *أسفي وما إليه*؛ أ. الناصري، *الاستقصا*؛ *مدن وقبائل المغرب، ناحية دكالة*، تر. م. الشياظمي، مخطوط.

J. Goulven, *Le Cercle des Doukkala*, 1917.

محمد الشياظمي

** تعتبر بولعْوان من الناحية الأثرية نموذجاً للقصبات المحصنة، وتسجل الكتابة التي تعلو الباب الرئيسي تاريخ تأسيسها، وهو عام 1710/1122 ونصها كما يلي:

السطر الأول: النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا إسماعيل المجاهد في سبيل رب العالمين أيده الله ونصره.

السطر الثاني: على يد وصيفه السعيد بالله الرشيد أبو عثمان الباشا سعيد بن الخياط وفقه الله عام اثنين وعشرين ومائة وألف.

قصبة بولعوان من أهم القلاع الإسماعيلية وأكبرها، لم يفت كل من عاصر المولى إسماعيل أن يشير إليها ويصفها وصفا يبرز دورها وأهميتها، سواء كان مغربياً (الزياني) أو أجنبياً (طوماس بيلو، موويط). ولعل ما يميزها لأول وهلة احتلالها لموقع منيع محصن بطبيعته، فهي تقع فوق ربوة صخرية على الضفة اليسرى لنهر أم الربيع، تعلوه بعدة أمتار، مما يمكّن من مراقبة كل تحرك في السهل المجاور ومن حراسة المجاز الوحيد في هذه الجهة حراسة مشددة وسهلة.

واحتلالها لهذا الموقع جعل تصميمها رباعيا غير متساوي الأضلاع، حيث لا يتعدى طول السور الشمالي 55 مترا بينما طول الجنوبي 105 أمتار، والشرقي 124 متراً والغربي 131 متراً (انظر التصميم).

أما الأبراج فيختلف عددها من سور إلى آخر كما يختلف تصميمها باختلاف مكان تشييدها. فأما من حيث العدد فالسور الجنوبي هو الذي يتوفر على أكبر عدد وهو خمسة أبراج (أوسطها يضم المدخل الرئيسي)، بينما لا يتوفر السور الشمالي سوى على اثنين يحتلان زاويتيه، أما الواجهتان الشرقية والغربية فيتوسط كلا منهما برج واحد. وإذا استثنينا برجي السور الجنوبي المحيطين ببرج الباب،

فإن ما تبقى من الأبراج يختلف عن بعضه : نصف دائري في الغرب، مستطيل في الشرق، ما بين مربع ومستطيل ورباعي غير متساوي الأضلاع في الزوايا.

وتحاذي البرج الشرقي بنايات خارجية تضم بابا سرياً يُفتح على دهليز طويل غير مغطى ومُلتو. يحده جدار عال من كل جانب، يؤدي مباشرة إلى النهر. لكن عند نهايته نكتشف صهاريج كبيرة رأى فيها دوتي Doutté أنها كانت تستعمل لسقي البهائم.

بنيت أسوار قصبة بولعوان بالحجر المتوسط الحجم، ولم يستعمل الحجر المنجور إلا في الزوايا وفي بعض الجهات الهامة كالباب الرئيسي مثلا. وكان هذا الأخير في الأصل بابا من عطف واحد، لكنهُ اليوم مستو بسبب التغييرات التي مسته ؛ على أن واجهته وعرضه (8،60 م) وقوسه وزخارفه لم تتغير بشكل عميق، وإنما احتفظ بطابعها العام وبزخارفها الأصلية ـ وإن انمحت بعض أجزائها ـ أهمها الإفريز الحامل لنص التشييد السالف الذكر.

بعد اجتياز المدخل الرئيسي، نكتشف مجموعة هامة من البنايات، أهمها تلك التي بالزاوية الجنوبية الشرقية، وتلك التي تحاذي السور الشرقي في قسمه الأوسط.

أما المجموعة الأولى فعبارة عن مسكن يتكون من غرف تحيط بساحة مربعة الشكل وتفصلها عنها أروقة مغطاة. ويحتل زاويته الجنوبية ـ الشرقية برج مستطيل الشكل (7،40 م على 7 م). يرجح أنه كان يستعمل للسكن والنزهة أيام الراحة، وللحراسة أيام الشدة. ومما يثير الانتباه أن الأهالي يعرفون مجموع هذا المسكن بدار السلطان والبرج بالمنزه. وقد كان المسكن يحتوي كذلك على حمام وبيت للوضوء بزاويته الجنوبية الغربية، لم يبق منهما اليوم سوى بعض الآثار.

أما المجموعة الثانية فمطامير هائلة مفصلة على النحو المعروف في عهد المولى إسماعيل أي أجنحة (Nefs) بحنايا عظيمة ومتساوية تضيئها ثقب فتحت في سقوفها.

ومن البنايات التي توجد بداخل السور كذلك مسجد بُني بالزاوية الجنوبية ـ الغربية ويضم قبر صالح يعرف بسيدي منصور، وصومعة عالية وصهريج ماء. أما البنايات المندثرة التي بالزاوية الشمالية الغربية فمن المرجح أن تكون بقايا إسطبلات.

أ. الزياني، *الترجمان*.

M. Morsy, *Moulay Ismaïl et l'armée de métier, R.H.M.C.*, XIV, 1967, p. 97 - 122 ; M. Barrucand, *Remarques sur l'architecture militaire alaouite au Maroc, R.E.I.*, XLVIII, 1980, p. 177 - 206.

عبدالعزيز توري

** اشتهر بولعوان كذلك بمعركة تاريخية، فبعد دخول البرتغاليين إلى أزمور في خريف عام 919 / 1513، شرعوا في شن الغارات الخاطفة والوحشية على قبائل الشاوية ودكالة للحصول على الغنائم والأسرى، ولإكراه السكان على الرضوخ لهم ودفع الضرائب والإقبال على أسواق أزمور.

وأمام هذه الوضعية، قرر أعيان المنطقة الالتحاق بفاس لحث السلطان الوطاسي على تحمل مسؤوليته في حماية رعاياه. وبالفعل، أمر السلطان أخاه الناصر بالتحرك نحو دكالة لمحاصرة أزمور، وكان هذا التحرك سبب معركة عرفت "بمعركة بولعوان" أو "وقعة الجمعة" لوقوعها يوم الجمعة 18 صفر عام 920 / 14 أبريل 1514.

شارك في هذه المعركة من الجانب البرتغالي حاميتا أزمور وأسفي ويحيى أ ُتعفوفت، الذي جنّد قبائل الغربية وعبدة الخاضعة له. وكان الجانب المغربي ممثلا في قائدين من قواد الناصر سبقاه إلى بولعوان بينما بقي هو بالشاوية يستكمل جمع قواه. وقد قرر البرتغاليون مهاجمة القائدين اللذين كانا على رأس أربعة آلاف فارس وعدد كبير من المشاة منهم ثمانمائة من الرماة. وانتهى الصدام بتراجع المغاربة الذين حُصد رماتهم حسب شهادة الوزان الذي عاين المعركة. وقد بالغت المصادر البرتغالية بشأن عدد القتلى من الجانب المغربي (بين 2600 و4000 حسب الروايات) بينما لم تذكر إلا عدداً قليلا بالنسبة للبرتغاليين (بين 32 و50).

وقد نتج عن هذه الهزيمة هروب سكان بولعوان إلى جبال تادلا، غير أن القرية انتعشت بعد تحرير أزمور في خريف عام 948 / 1541، إلا أنها بقيت في مستوى القرية المتواضعة.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 122 ـ 123 ؛ مارمول، *إفريقيا*، 2 : 103.

R. Ricard, trad., *Les Portugais au Maroc...*, p. 117 - 122 ; *S.I.H.M., 1ère série, Portugal*, I, p. 540 - 541.

أحمد بوشرب

**بُولعَيْد**، أو بوالعيد، أسرة أصلها من قبيلة الساحل كانت بتطوان إلى غاية سنة 1307/1890، ينتمي جل أفرادها إلى الجندية حيث نجد بعضهم ينتمون لحامية تطوان سنة 1257/1841 ومنهم بولعيد أحمد مدفعي ؛ وبولعيد بوشتى ابن عمه، إضافة إلى الجنود من آل بولعيد أحمد بن عبدالنبي، ومحمد بن المهدي، وسلاّم.

م. دواود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

*Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

**بُولْعيش**، أسرة إدريسية من أولاد قاسم بن إدريس الثاني دفين ما بين طنجة وأصيلا، وفرع هذه الأسرة الذي يوجد بتطوان أصله من مدشر بولعيش بفرقة البرقوقيين من قبيلة أنجرة، ومازالت هذه الأسرة بتطوان.

أ.الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 20 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزّوز حكيم

**بولعَيْش**، أسرة يهودية، منها صموئيل بولعيش الذي بعثه الملك السعدي زيدان في مهمة لدى الأمير موريس

دوناصو أمير هولندة، وذلك عام 1017 / 1608.

The Jewish Encyclopedia, T. 2, p. 659 ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs*.

سيمون ليفي

**بولگيد،** (صاحب القيد) أحمد الأخصاصي أخذ عن العلامة بيبّيس وعن مسعود المعذري ثم ظهر في التدريس والقضاء والفتوي، وشهرته العلمية وسطى، توفي سنة 1352 / 1933.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي بسوس*.

الحسين جهادي

**بُولاَن** السلوي ← **النجّار** محمد بن محمد

**بُولِلّيف،** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس كانت تزاحم الباشا أحمد الريفي على عمالة تطوان وناحيتها، حيث نجد المجاهد محمد بن الحسن بُولِلّيف يقود ثورة الجبليين ضد الباشا المذكور في شهر رجب 1139/مارس 1727 تضامنا مع أهالي تطوان.

وقد وصف لنا الكاتب الانجليزي برايطوايط Braithwaite الذي كان يوجد آنذاك بتطوان دخول المجاهد بُولِلّيف للمدينة المذكورة يوم 25 صفر 12/1140 أكتوبر 1727 قائلا : "إن المستر روسل تقبل زيارة بولِلّيف قائد جبالة الذي دخل المدينة مع جمع كبير من جنوده ليلة يوم وصول الباشا، وبما أن هذا المغربي كان أول من رفع علم الحرية العامة في هذه الناحية فقد كان لنا شرف كبير برؤيته، ولم يكن في الإمكان أن يقدم له شراب غير الأتاي، وهو رجل جميل القوام في نحو الأربعين من عمره، ربع القامة جم الأدب، حسن الذوق حتى إنه لا يظن أنه مغربي فضلا عن أن يكون جبليا فيما لو شوهد في بلد آخر غير المغرب".

كما نجده يقول : " وفي صباح يوم 12 من شهر نوفمبر وصل إلى معسكرنا قائد جبالة بولِلّيف هاربا من الباشا أحمد قاصداً النجاة بنفسه إلى مكناس، واستقبله الباشا بوشفرة وأفراد حاشيته استقبالا عظيما، وكان الناس يتسابقون إلى تحيته ويتمسحون بأذياله، وكان هو بدوره يرد عليهم التحية فيعانقهم".

وفي يوم 4 ربيع الثاني/18 نوفمبر : "بعد تناول الغذاء خرجنا قاصدين مكناس برفقة الباشا بوشفرة وجميع الحاشية التي أتت معنا من تطوان باستثناء القائد بُولِلّيف الذي تأخر عن الركب، وتلقى الباشا بوشفرة أنباء من البلاط المكناسي تؤكد له أن سمعة خصمه الباشا أحمد صارت لها مكانة عظيمة، والظاهر أن عميل الباشا أحمد كان يفكر في اعتقال القائد بولِلّيف وقتله".

ولم نقف على تاريخ وفاة المجاهد بولِلّيف.

سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 1 : 272 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 1 : 136 . 137 ؛ 2 : 25 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 155 ؛ 3 : 18 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Braithwaite, *Revolution* ; Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بُولْمَان،** اسم أطلق أصلا على ذلك التجمع السكني الصغير الواقع غرب جبل تشُوكت بالأطلس المتوسط الملتوي وعلى الطريق الرئيسي رقم 20 الرابط بين فاس والرشيدية مروراً بصفرو. وأصبح اسماً لدائرة من دوائر فاس إلى حدود السبعينات حيث أصبح اسما لإقليم من أقاليم المنطقة الاقتصادية الوسطى الشمالية.

تحد إقليم بولمان الأقاليم التالية : فاس وتازا من الشمال، ووجدة وفگيگ من الشرق، وفگيگ والرشيدية من الجنوب، وأخيراً خنيفرة ويفرن من الغرب. تُغطي أراضيه مساحة شاسعة تقدر بـ 14.395 كلم2. وينقسم إداريا إلى ثلاث دوائر هي بولمان ووطاط الحاج وميسور تشتمل على 13 جماعة قروية (جدول تطور السكان).

المميزات الطبيعية العامة للإقليم : يتميز هذا الإقليم من الناحية الطبيعية بتباين كبير في تضاريسه وفي مناخه، الشيء الذي يفسر اختلاف التربة والغطاء النباتي وتفاوت الموارد المائية. فهو يشمل جزءاً كبيراً من الأطلس المتوسط الشمالي وعلى وجه الخصوص الجزء الشرقي الملتوي منه حيث يصل ارتفاع جبل تشوكت 2794 م وحيث أودية ضيقة مثل سَرغينة ومَدّاز وگيگو الأسفل بالقرب من سكورة. وتنفرد هذه المنطقة بالانتشار الواسع للصخور الكلسية (الدلوميتية) المنفذة التي تعود إلى الزمن الثاني والمستقرة فوق تكوينات الترياس غير المنفذة (مثل الطفل) وكذلك بانتشار تكوينات من الزمنين الثالث والرابع بالمنخفضات كما هو الحال بسكورة والنجيل (طفل وكلس بحيري وإرسابات غرينية...).

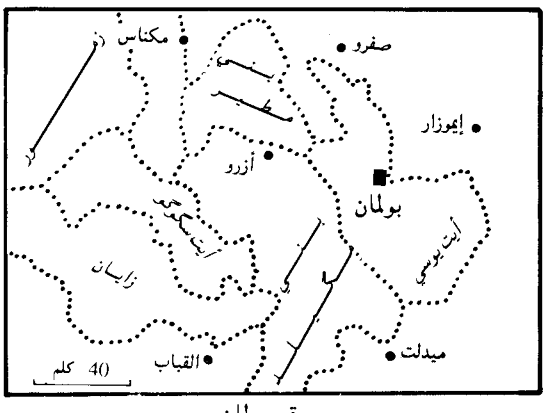


موقع بولمان

ونظراً لموقع هذا الجزء ولطبيعته الجبلية وأهمية الارتفاعات به، فهو يتوصل سنويا بكميات من التساقطات تقدر بـ 513 مم ببُولمان وبـ 356 مم بسكورة وتأتي أحيانا على شكل ثلوج تكسو كتلة تشوكت من أكتوبر إلى ماي. وتعمل هذه التساقطات على تغذية الفرشات المائية وعدد من المجاري المائية التي لا تجف في الصيف. وهذا ما يسمح منذ القديم بقيام زراعة مسقية بقعور الأودية وبالمنخفضات.

أما المنطقة الطبيعية الثانية فتشمل الجزء الأكبر من أراضي الإقليم الواقعة وراء جبل تشوكت من جهة ملوية. فهي تتقدم في مرحلة أولى على شكل تضاريس متقطعة ضعيفة الارتفاع (صورة بولمان 1) تتخللها منخفضات منبسطة القعر أحيانا وعلى شكل سهول بجوار واد ملوية حيث يتراوح الارتفاع بين 700 و900 م في مرحلة ثانية. تنتشر بها تكوينات متنوعة من الثلاثي والرباعي تشترك معظمها في كونها منفذة.

ومما يوحد بين أجزاء هذه المنطقة الطابع الجاف لمناخها. فموقعها المحمي من المؤثرات الشمالية الغربية الرطبة من طرف سلسلة الأطلس هو الذي يفسر ندْرة التساقطات التي لا تتجاوز 200 مم إلا نادراً (198 مم بميسور و157 مم بوطاط الحاج) وهذا ما يفسر بدوره ندْرة الموارد المائية وهزالة الغطاء النباتي وضعف النشاط الزراعي.

السكان وخصائص تطورهم الحديث : تسكن إقليم بولمان مجموعات بشرية متعددة أهمها أيت يُوسي وأيت سغروشن سيدي علي ومرموشة وأولاد الحاج والشرفاء (بالقصابي). وإذا كانت ظروف وتاريخ استقرار هذه المجموعات بالمنطقة مختلفة، فيبدو عموماً أن استيطانها تم خلال القرون القليلة الأخيرة إما في إطار ما يعرف بـ "حركة أيت أُمالو" أو بتدخل من السلطة المركزية بغية استتباب الأمن ومراقبة الطرق التجارية والسلطانية (أيت يوسي على الطريق بين صفرو والرشيدية). وهي مجموعات كان يوحد بين أسر كل واحدة منها هاجس الأمن أكثر من روابط الدم.

وقد فرض هذا الهاجس نوعا من التدْبير الجماعي للشؤون وللموارد والمجال وقيام عدد من التحالفات على مستويات مختلفة (بين القبائل وبين الفخذات بل وبين الأسر) عرفت تحت تسميات كثيرة مثل تاضاً والمزراگ.... وقد ساد هذا الوضع حتى زحفت جيوش الاستعمار على المنطقة بين 1914 و1926. وإذا كان سكان الإقليم قد قاوموا الاستعمار بشدة عند دخوله، فهم قد ساهموا بشكل كبير في حرب التحرير وخاصة قبيلة أيت سغروشن التي أبلت البلاء الحسن في معركة أكتوبر سنة 1955 ضد المعمرين.

ويبدو أن لمحدودية الإمكانيات الاقتصادية بسبب قساوة الظروف الطبيعية مساهمة كبيرة في قلة سكان الإقليم، وليست هذه الظاهرة بحديثة العهد كما نستشف ذلك من وصف الوزان في نهاية القرن السادس عشر ومن وصف Ch. De Foucauld في نهاية القرن الماضي، وكذلك من خلال مقال R. Raynal حول الأرض والإنسان بحوض ملوية الأعلى وأطروحة D. Noin حول سكان الأرياف بالمغرب وأخيراً من خلال معطيات الإحصاءات السكانية الرسمية. فحسب النشرة الإحصائية السنوية للمغرب لسنة 1988 لم يكن متوسط الكثافة السكانية بالإقليم سوى 10،1 ن للكلم²، في الوقت الذي وصل فيه 61،1 ن للكلم² بالنسبة للمنطقة الوسطى الشمالية.

وبالرغم من المجهودات الرامية إلى تحسين ظروف العيش عن طريق تحسين القطاع الفلاحي وخلق عدد من التجهيزات ذات الطابع الاجتماعي وعدد من المصالح الإدارية منذ خلق الإقليم، فتطور السكان بطيء كما يظهر من المعطيات التالية.

تطور سكان إقليم بولمان بين سنوات 1960 و1982

| الجماعة القروية | 1960 | 1971 | 1982 | معدل النمو / سنة ٪ 1970-1960 | 1982-1971 |
|---|---|---|---|---|---|
| أيت بازة | 3.031 | 3.761 | 3.668 | 1،98 | 0،22 |
| أيت المان | 3.442 | 3.413 | 4.099 | 0،07 | 1،67 |
| أمليش مرموشة | 1.954 | 2.376 | 2.350 | 1،79 | 0،09 |
| بولمان | 10.472 | 12.571 | 16.717 | 1،67 | 2،62 |
| المرس | 5.168 | 5.768 | 5.660 | 1،00 | 0،17 |
| النجيل | 7.763 | 9.741 | 11.566 | 2،08 | 1،57 |
| سكورة | 4.847 | 5.979 | 6.896 | 1،92 | 1،30 |
| تالزمت | 3.537 | 4.277 | 4.381 | 1،74 | 0،21 |
| القصابي | 5.522 | 6.779 | 7.851 | 1،88 | 1،34 |
| ميسور | 11.159 | 13.888 | 19.354 | 2،00 | 3،06 |
| فريطسة | 10.353 | 13.896 | 20.555 | 2،71 | 3،62 |
| وطاط الحاج | 11.847 | 15.372 | 19.808 | 2،39 | 2،33 |
| أولاد علي | 7.108 | 8.508 | 8.565 | 1،64 | 0،06 |
| مجموع الإقليم | 86.203 | 106.329 | 131.470 | 1،93 | 1،95 |

فخلال عقدين من الزمن لم يتزايد عددهم سوى بـ 45.267 نسمة أي بوتيرة 1،93٪ سنويا. وهو معدل دون المعدل الوطني في نفس الفترة 2،64٪. ويرجع هذا البطء في نظر نوان وريْنال R. Raynal و D. Noin إلى ضعف التجهيز الصحي والهجرة التي تقوت منذ السبعينات مما قد ينتج عنه تباعد فترات الحمل.

ومن مميزات ساكنة الإقليم أنها ظلت ريفية إلى السبعينات حيث ارتقت بعض التجمعات إلى مستوى مراكز في إطار التقسيمات الإدارية الجديدة آنذاك وبغية إنعاش اقتصاد المنطقة وخلق الرواج داخلها. لكن مازالت نسبة التمدين ضعيفة ؛ فعدد سكان هذه المراكز لم يقدر سوى بـ 18.000 ن سنة 1987 أي 12،4٪ من مجموع سكان الإقليم. وهي نسبة دون معدل المنطقة الوسطى الشمالية 33،1٪ والمعدل الوطني 49٪.

وتتوزع هذه الساكنة على ثلاثة مراكز :

| المراكز | 1971 | 1982 |
|---|---|---|
| بولمان | 2.084 | 4.820 |
| وطاط الحاج | 1.800 | 4.143 |
| ميسور | 1.635 | 5.055 |

وإذا كان لخلق المصالح الإدارية دور كبير في تفسير ارتفاع عدد السكان الحضريين، ففي غياب قاعدة اقتصادية

متينة يبدو من الصعب تصور استمرار تطور هؤلاء بوتيرة سريعة اللهم في حالة استمرار تهجير المهاجرين لأمرهم والبعث إليهم بالإمكانيات الضرورية للعيش.

على كل حال يطرح تزايد السكان ـ بالرغم من بطء وتيرته ـ وتمدينهم مشكل الحاجيات من غذاء وتجهيز وشغل الشيء الذي لا يتوفر في عين المكان بالشكل المطلوب. وهذا ما يدفع بالعديد من السكان إلي النزوح.

اقتصاد يرتكز على النشاط الرعي ـ زراعي وعلى موارد الهجرة : تبقى الإمكانيات الاقتصادية لإقليم بولمان محدودة بالرغم من اتساع مساحته 1.439.500 هـ، فمن الناحية الفلاحية لا شك أن الطابع الجبلي لجزء من الأراضي والجفاف للجزء الآخر قد قلصا من الإمكانيات الزراعية لفائدة النشاط الرعوي. فالغابات تكسو 640.000 هـ أي 44،5٪ من مساحة الإقليم. تضاف إليها الأراضي المكسوة بالحلفاء وكذلك العارية.

وتستعمل كل هذه الأراضي الشاسعة كمراعي خاصة للأغنام وللماعز التي وصل عدد رؤوسها سنة 1987، 473.030 للأغنام و148.490 للماعز في الوقت الذي لم تتعد فيه رؤوس الأبقار 11.210.

ومما لا جدال فيه أنّ قطاع الماشية يشكل مورداً رئيسياً بالنسبة للسكان، لكن بقاء هذا النشاط معتمداً على ما تجود به السماء وعدم ترشيد استغلال المراعي يجعلان القطيع عرضة للضياع كلما قلت الأمطار. ويظهر هذا الارتباط واضحاً من خلال تطور أعداد الماشية خلال الثمانينات حيث عم الجفاف في السنوات الأولى منها. فقد نزل عدد الأبقار بالإقليم فيما بين سنوات 1979 و1987 من 25.000 رأس إلى 11.210 رأس، وعدد الأغنام من 580.000 رأس إلى 473.030 رأس، وعدد الماعز من 173.000 رأس إلى 148.000 رأس.

أما الأراضي الزراعية فلا تشمل سوى مساحة محدودة لا تتجاوز 100.000 هـ أي 7٪ من المساحة الإجمالية للإقليم (من تقديراتنا). يُسقى منها حوالي 15.000 هـ موزعة بين "واحات" ملوية وأودية ومنخفضات الأطلس المتوسط. لكن السقي الدائم لا يهم سوى نصف هذه الأراضي، والباقي يخضع للسقي بالتناوب السنَتَيْني أو بمياه الفيضانات في فصلي الشتاء والربيع.

وبالرغم على بعض المجهودات المبذولة في عهد الحماية وخاصة منذُ الاستقلال في ميدان تجهيز بعض القطاعات المسقية (سكورة، القصابي، ألميس مرموشة، ميسور) وفي ميدان تحسين المراعي وكذلك في ميدان الإرشاد بحيث ينتشر بالإقليم حاليا أربعة مراكز للأشغال وستة مراكز ثانوية للأشغال (Sous. CT) تابعة للمديرية الإقليمية للفلاحة ... وبالرغم من كل هذه المجهودات لم تسجل تحولات جدرية على النظام الزراعي والرعوي.

ففيما يخص الزراعة يلاحظ أن الأراضي البورية التي تتركز بالجزء الجبلي بالأساس عرفت بعض التوسع عن طريق الاجتثاث لكنها ما زالت تُشغل كما كان الحال في الماضي بالحبوب والقطاني مع إخضاع جزء كبير منها لنظام الراحة. وما زالت الأراضي المسقية في هذا الجزء تخضع بدورها إلى نظام للاستعمال يعتمد على الذرة (صورة بولمان رقم 2) التي تتناوب مع الحبوب في إطار نظام السقي بالتناوب السنَتَيْني. ومنذ عقد، يلاحظ انتشار بعض المزروعات مثل اللوبياء وأشجار الورديات التي يُهدف منها التسويق. أما الأراضي المسقية بسهول ملوية، فنظام استغلالها شبيه بالنظام الواحي لكن بدون نخيل بحيث تتعدد المزروعات وتتنوع الأشجار بها ويتوالى استعمالها بدون راحة. وهو مظهر قديم ورد في وصف ش. دوفوكو Ch. De Foucauld.

وفيما يخص تربية المواشي، كان لتدخل الاستعمار فيما بين سنة 1914 وسنة 1926 بالمنطقة وللإجراءات التي أقدم عليها لمراقبة حركات الرحل وكذلك لتقوية تيار الهجرة وللتمدرس في عهد الاستقلال دور فعال في تفسير تلاشي حركة الترحال وتقليص حجم القطيع والإقبال على تربية نوع جديد من الماعز (الرومي) نظراً لارتقاع مردوديته وسهولة حراسته في وقت قل فيه الرعاة.

ولعل من أسباب الجمادية النسبية للبنيات الزراعية بالإقليم، العزلة وضيق الأراضي الزراعية مما يُبقي على الطابع المعاشي للفلاحة بصفة عامة.

وإذا كانت الفلاحة تشكل أهم مورد اقتصادي محلي فلا يجوز إغفال مساهمة الغطاء النباتي الطبيعي الذي يستغل لصنع الفحم الخشبي بالنسبة للغابة ولجمع نبات الحلفاء التي تصدر خارج الإقليم. ولا يمكن كذلك إغفال بعض الصناعات التقليدية المنزلية مثل زرابي مرموشة. وأخيراً لا بد من الإشارة إلى استغلال معدن الغاسُول السفريوي بتامدفلت الذي يعرف بعض الركود. فقد نزل به الإنتاج من 6.037 طن سنة 1983 إلى 4.981 طن سنة 1987، وقيمة الإنتاج من 4.513.000 درهم إلى 3.726.000 درهم وعدد المستخدمين من 267 إلى 160 (1986). وإذا كان جزء من هذا المعدن يستعمل بالمغرب فجزء كبير منه يصدر نحو الخارج.

وعلى الرغم من تنوع هذه الموارد المحلية فهي لا تكفي حاجيات السكان التي تنوعت وازدادت كمّاً، ومن ثم فقد تزايد الاعتماد على موارد خارجية تتمثل في ما تنفقه الدولة على موظفيها بالإقليم الذين وصل عددهم 2085 في سنة 1987 وفي ما تستثمره في مشاريع التنمية من جهة وفي ما تعود به الهجرة من جهة ثانية. ومعلوم أن هذه الظاهرة حديثة بالمنطقة بحيث يرى R. Raynal أنها كانت ضعيفة إلى حدود الستينات، ولم يكن يغادر المنطقة سوى بعض العمال الفصليين والمنخرطين في الجيش الذين يعودون بعد فترة معينة.

ومما لا شك فيه أن زيادة أهمية هذه الحركة مرتبطة بزعزعة التوازن الاجتماعي ـ المجالي والاقتصادي بسبب زحف جيوش الاستعمار على المنطقة وإدخال عدد كبير من

أبنائها في "الكوم". وعلى سبيل المثال كانت كل أسرة من بين أسرتين بجماعة أيت ألمان القروية تحتضن متقاعداً في سنة 1987. وقد شكل هؤلاء المتقاعدون منذ خدمتهم في الجيش الفرنسي رمز النجاح في الحياة بالنسبة لمن مكثوا في "البْلاد".

ومنذ الاستقلال عملت ظروف معينة مثل التمدرس واسترجاع الأقاليم الجنوبية وجفاف الثمانينات على تنشيط الحركة. فعلى سبيل المثال وصل متوسط عدد الجنود لكل أسرة جنديين بجماعة أيت ألمان ومجموع المهاجرين القاطنين خارج دائرة بولمان بمفردها 544 شخصا.

وسواء تعلق الأمر بالمتقاعدين (جيل المهاجرين الأولين) أو بالموظفين والجنود وغيرهم من مهاجري الجيل الثاني، فهم من مصدر حقنات مالية على شكل معاشات وحوالات تساهم بشكل كبير في اقتصاد الإقليم، وذلك بتنمية النشاط التجاري وتنشيط حركة البناء خاصة بالمراكز الحضرية مما يعمل على رفع نسبة التمدين بالإقليم، وأخيراً عن طريق الاستثمار في بعض المشاريع الصغيرة.

Direction de la Statistique, Rabat, *Recensements de la population et de l'habitat de 1960 - 1970 et 1982* ; *Annuaires statistiques du Maroc 1982 - 1988* ; Ch. Eisenmerger, *Région de la Moyenne Moulouya, B.S.G.M.*, T. 2, Fasc. 4, 4ème trim. 1920; Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc (1883 - 1884)*, Paris, 1888 ; M. Kerbout, *Quelques aspects de l'évolution quantitative du peuplement dans le Moyen Atlas et le bassin de la Moulouya, R.G.M.* Vol. 12, n° 1, 1988, p. 33 - 49 ; Ministère des Travaux Publics et des Communications, (D.R.E.), *Ressources en eau du Maroc*, T. 1 et 3, Rabat, 1971 - 1977 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc : Etude géographique*, Thèse d'Etat Es-Lettres, 2 tomes, Paris, 1970 ; R. Raynal, *La Terre et l'homme en Haute Moulouya, BESM*, n° 86 - 87, p. 281 - 344.

محمد كربوط

**بُولنوار**، (سيدي ـ) **الرباطي**، يوجد ضريحه بباب الجديد، وهو صالح لا تعرف له ترجمة، لكن يدل الاحتفاء في بنائه على أنه كان من أعلام الرباط، وصلحائه المرموقين.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 279.

عبدالاله الفاسي

**بُولنوار**، (سـيـدي ـ) **السباعي**، ويكتب أيضاً بولانوار، من الأولياء السباعيين. ينتمي إلى فخذ أولاد عمرو ويوجد ضريحه في مرتفعات تسمّى اجْبَايل، وهي منطقة توجد في تغسريت أي الجزء الغربي من قبيلة أولاد بوالسباع. وهذا الولي مشهور بكراماته وخاصة شفاء داء البرص، ويقصد لذلك من مختلف القبائل.

*رواية شفوية* عن الباقر مولاي علي أحد العارفين والمهتمين بأنساب السباعيين ويشؤون القبيلة تاجر بسوق الزريبة بمراكش.

م. حسن كفناني

**بُولو** Boulhaut. ضابط فرنسي برتبة ملازم، كان من جملة ضباط جيش الاستعمار الذي نزل بالشاوية في صيف سنة 1907 وصار يمهد للحماية، سقط قتيلاً في معركة برآبح (16. 17 فبراير 1908) على أيدي مجاهدي قبيلة الزيايدة، بمكان يوجد على بعد عشرة كيلومترات جنوب غربي مدينة بن سليمان، ولما تمت الغلبة لجيش الاحتلال، أحدث الجنرال داماد D'Amade قائد تلك الجيوش، ثكنة بتلك المدينة أطلق عليها اسم الضابط بولو، فغطى اسمه على اسم بن سليمان لفترة الحماية (انظر بن سليمان).

ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب 1894. 1910*، *حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية*.

Général D'Amade, *Campagne 1908 - 1909* ; Grasset, *A travers la Chaouia avec le corps de débarquement de Casablanca*, Paris, 1991 ; Segonds, *La Chaouia et sa pacification*, Paris, [s.d] ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939.

إبراهيم بوطالب

**البُولو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Polo. والكلمة بالإسبانية معناها القطب، والجدير بالذكر أن أسرة الطريس Torres الحالية كانت تعرف في الماضي بأسرة البولو Polo وكان من بين أفرادها : البّولو، فقيه إمام الزاوية الريسونية المتوفى سنة 1824/1240.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 50 ؛ 6 : 173 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 138 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بُولُوقات**، (سيدي ـ) ضريح ودرب بمراكش، فصيحه أبو الأوقات يزعم العامة أن صاحب الضريح سمي بذلك لمحافظته على أوقات الصلاة أو لاشتغاله بعلم التوقيت. معلوماتنا عنه قليلة لا تتعدى ما قاله عنه ابن المؤقت في *السعادة الأبدية* : "الولي الشهير الذكر المعروف عند العامة بسيدي أبي الأوقات بنيت عليه قبة صغرى، وقبره مزارة مشهورة". وقد نقل عباس بن إبراهيم في *الإعلام* الترجمة بنصها وأضاف إليها "لم أقف على تاريخ وفاته". والحقيقة أننا نجهل حتى اسمه الكامل وكل ما يتصل بحياته على وجه العُموم والفترة التي عاش فيها. لا توجد في ضريحه شاهدة يمكن الاستعانة بها في هذا الباب، وقبة ضريحه قديمة بيضاء مستديرة، إلى جانبها قبة كبرى مغطاة بالقرميد الأخضر خاصة بأسرة ماء العينين بنيت في أواخر القرن الماضي بأمر من الوزير أحمد بن موسى.

وقد سمي الدرب الذي يقع فيه الضريح والروضة التابعة له بدرب سيدي بولوقات. وهو أحد دروب حي روض الزيتون القديم بمراكش.

ويرجع تاريخه عموماً إلى العصر السعدي، حيث حل به الأندلسيون القادمون من Argila وTavernas، وفي *النزهة* أن أندلسيِّي رباط سلا نزحوا إلى مراكش من مضايقات المجاهد العياشي وأصحابه. وفي عدد من المصادر إشارات إلى أن أندلسيِّي مراكش اعتمروا هذا الدرب وبنوا فيه الدور والقصور، وغرسوا خلف الأسوار جنات معروشات.

وكان الحي ـ كسائر أحياء المدينة ـ وحدة سكنية مستقلة تتوفر على بنياتها الأساسية : المسجد، الولي، الحمام،

الفران، السويقة، المسيد عند باب الحي الذي يتحول ليلاً إلى مخفر للحرس. ويعتبر - مثل حي القصور والمواسين - من أحياء الفئة الموسرة بالمدينة.

عرف الحي في مطلع القرن العشرين تحولا اجتماعياً واقتصادياً كبيراً بحكم موقعه الاستراتيجي وسط المدينة، فهو مفتوح من جهة على ساحة جامع الفناء بزوارها ورواجها التجاري، ومن جهة أخرى على حي الملاح وصاغة الذهب، الشيء الذي جعله ممراً رئيسياً بين أكبر أسواق المدينة فازدهرت به مجموعة من الصناعات المتوسطة والصغيرة.

وكاد درب سيدي بولوقات التابع للحي أن يحقق استقلالا عنه بعد فتح سوره من جانب على الساحة المذكورة من جهة، وعلى شارع باب أگناو المؤدي إليها من الجهة المقابلة. وتحولت دوره لذلك إلى عدد من الفنادق البسيطة والاقتصادية وما يتبع ذلك من مرافق خاصة بالسياحة ومن تحول على المستوى الاجتماعي. فكان ذلك من أسباب حدوث تحول على مستوى نوعية الفئات التي تسكن الدرب، وأدّى إلى ارتفاع قيمة المنازل وازدهار حركة البناء فيه.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، ط الرباط 42 ؛ أ. العياشي، *الرحلة*، 2 : 372 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، 270 ؛ م. المكي الناصري، *الرياحين الوردية*، مخطوط ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، 1 : 100 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 1 : 196.

Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, 1 : 424.

حسن جلاب

**بُولُوقْت**، (أبو الوقت) أسرة علمية بتيزنيت. والأصل في هذا كثرة اشتغال رجالات الأسرة بمهنة المؤذنين بالمساجد، ونظراً لارتباط الأذان بعنصر الوقت، تسمى أحدهم ببولوقت. وترفع وثيقة خاصة نسبهم إلى إبراهيم بن علي التناني. ويذكر المختار السوسي شرفاء آخرين يلتقون معهم في النسب كأيت محمد التيزنيتيين وأيت عمرو الوجّانيين. وكلاهما يلتقيان في سيدي موسى بن محمد بن يعقوب دفين منطقة "إسگ" بأيت باعمران ( *المعسول*، 13 : 199 ـ 200). لا تسعفنا المصادر والرواية الشفوية بمعلومات كافية عن ماضي الأسرة، ما عدا ما يحكيه بعضهم من أن العناصر الأولى هاجرت من أيت باعمران إلى أزغار تيزنيت، ثم نحو إيداوتّنان حيث بقوا مدة من الزمن قبل رجوع قسم منهم إلى تيزنيت مرة ثانية. فاستقروا نهائياً ضمن فخذ أيت محمد كعناصر طارئة، إلا أنهم تمكنوا من امتلاك الأرض والماء وفرضوا وجودهم داخل البلدة.

**البولوقتي، أحمد** بن **عبدالسلام**، وهناك عدد من العلماء والأساتذة والمدرسين تخرجوا من هذه الأسرة، منهم أحمد هذا، وهو أستاذ فقيه أخذ عن إبراهيم المقدمي بمدرسة تيزنيت، ثم عن محمد بن عمر التاموديزتي بمدرسة أدوز، درس أخيراً بجامع ابن يوسف بمراكش. وكان من اهتماماته علم القراءات والتفسير. توفي عام 1913/1332.

**البولوقتي، أحمد** بن **علي**، كان يشارط بمدرسة الكرَيْمَة (الساحل)، ومن مخلفاته عدة محررات في الفقه والفتاوى والأمثال المحلية وكلها ما تزال مخطوطة. توفي سنة 1882/1299.

**البولوقتي، أحمد** بن **محمد**، أخذ عن إبراهيم المقدسي التيزنيتي، ثم عن محمد بن مسعود بمدرسة بونعمان. ولتوسيع مداركه شد الرحلة إلى الرباط ولازم دروس شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي. واهتم الاستاذ أحمد بعد ذلك بالتدريس فشارط بمسجد اغرغار في إداوتّنان، ثم قرية "دومنت" بأيت أمر، فزاوية الشيخ سيدي إبراهيم ابصير. لم يقصر اهتماماته على مجرد التدريس، وإنما زاول التجارة مدة من الزمن بتيزنيت وزعير. توفي سنة 1951/1371.

**البولوقتي، الحسين** بن **محمد** بن أحمد بن مبارك، بدأ فترة تحصيله بمسجد قرية أيت محمد ثم بمدرسة بونعمان عند الأستاذ مسعود المعدري. بعدها شارط بمسجد بأيت باعمران ثم بقبيلة أيت برابيم. كان متواضعاً بعيداً عن مخالطة قواد تيزنيت. ويعد من أبرز علماء هذه المدينة الذين تركوا مجموعة من النوازل والأحكام. كما ساهم أيضا بمؤلفات في ميدان اللغة والنحو والشعر. توفي سنة 1920/1339.

**البولوقتي، محمد** بن **أحمد** بن علي، حفظ القرآن بقريته. ثم انخرط في سلك الحلقات التعليمية التي تقام بمدرسة بونعمان عند الأستاذ مسعود المعدري، وأخذ التفسير والحديث عن الشيخ أبي العربي الأدوزي بمدرسة أدوز. زاول مبكراً التدريس بمدرسة ويجّان. وكان من بين العلماء الذين اتصلوا بالسلطان الحسن الأول سنة 1303/ 1886، فأنعم عليه بظهير يحرره من الكلف المخزنية. كما كان يتمتع بمكانة مهمة لدى القائد هَمُّو التيزنيتي. ومن آثاره العلمية *كتابان في المسائل الشرعية وفتاوى*. توفي سنة 1897/1315.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 13 : 201 ـ 202 ـ 203 ـ 244 ـ 248 ـ 249 ـ 252.

أحمد بومزگو

**پوليب** Polybe، يكتنف حياة الرحالة والمؤرخ الاغريقي غموض كثير. فإذا كانت مدينته معروفة وهي ميگالوپوليس Megalopolis الأركادية فإن تاريخ ولادته بها مازال محط اختلاف كبير بين الباحثين المعاصرين. يرجعه بعضهم لحوالي سنة 210 ق. م ويؤخره آخرون لحوالي سنة 198 ق. م.

تذكر المصادر القديمة أنه ينتمي لعائلة ثرية، احتلت مكانة رفيعة برجالاتها ومنهم والد پوليب، ولعبت أدوار أساسية في تاريخ المدينة.

تُجمع المصادر على قولها إن پوليب عمر طويلاً ولكن تاريخ وفاته ما زال هو أيضاً محل نقاش حاد بين

الباحثين المعاصرين، يرجعه فريق لسنة 125 ق. م. وآخرون لسنة 116 ق.م.

والمعروف أن پوليب اضطلع بمهام مختلفة سياسية وعسكرية ببلاده وبروما بعد أن تحول من عدوها الألد إلى صديقها الأول. وقد اشتهر بتآليفه ومنها كتابه *التواريخ* الذي تضمن أربعين كتابا لم يصل إلينا منها إلا خمسة أجزاء. ومن بعض الشذرات نعرف أنه في ترحاله اعترضته مخاطر كثيرة وهو يزور إسبانيا وغاليا وإفريقيا، وتعود بعض رحلاته للضفة الغربية من البحر المتوسط لسنة 151 ق. م. وشكلت الحرب البونية الثالثة فرصة ليعرف افريقيا معرفة أكبر وليكشف عن شواطئها الممتدة وراء أعمدة هرقل. وللأسف لم تصل إلينا الفقرات التي يروي فيها رحلته وراء الأعمدة بالبحر الخارجي (المحيط الأطلنتي)، فلا نعرف عنها إلا نتفا نقلها لنا الموسوعي پلين القديم Pline L'Ancien في الفقرتين 9 و10 من مؤلفه *التاريخ الطبيعي*، الكتاب 5. يقول فيڤيان دوسان مارتان Vivien de Saint Martin عن هاتين الفقرتين : "يبدو أن هاته النسخة قد كتبت في وقت غفلة أو شبه نوم" وبالفعل فالإشارات الغير الواضحة كثيرة بهاتين الفقرتين. وتتداخل فيها أيضاً أقوال كتاب مختلفين منهم أگريپا Agrippa. ويتبين من أول السطور التي رواها پلين القديم بأن رحلة پوليب تندرج في إطار الرحلات الرسمية. فالرحلة قام بها بتفويض من القائد الروماني سيپيون الإيميلي Scipion L'Emilien عندما كان هذا الأخير يقود حملته بإفريقيا، ويلزم استبعاد التاريخ الذي كان فيه سيپيون خائضا لغمار الحرب بقرطاج في ربيع سنة 147 ق. م. لأنه لا يعقل أن يستغني وهو محاصر لقرطاج عن خدمات مساعده پوليب المشهور كخبير عسكري. ولذا ستكون هذه الرحلة قد تمت بلا ريب مباشرة بعد الاستيلاء على قرطاج في أبريل سنة 146 وقبيل محاصرة كورينثة Corinthe في شهر سبتمبر من نفس السنة. وهذا الرأي يؤمن به أكثرُ من باحث.

الفترة الممتدة بين حصار قرطاج وحصار كورينثة وهي خمسة أشهر كافية بالنسبة لپوليب ليكتشف ما وراء الأعمدة. فالمدة التي قضاها الرحالة سيلاكس المزعوم Pseudo Scylax (ق 4 ق. م) من قرطاج إلى سرني (موگادور) ومن سرني إلى قرطاج لم تتعد شهرين.

ولكن هل الحافز العلمي هو المحرك الوحيد لرحلة پوليب؟ (اكتشاف أبعاد هذه القارة؟) يظهر أنه ليس الحافز الوحيد. ونفهم الدوافع الأخرى عندما نربط الرحلة بحدث تدمير قرطاج. فروما بسيطرتها على قرطاج أصبحت تعتبر نفسها وريثة شرعية لها، ولهذا يجب عليها أن تعرف ممتلكات الإمبراطورية القرطاجية لتعمل بعد ذلك على إلحاقها ثم استغلال مواردها. وهذا ما سيحصل بالفعل وبالتدريج بعد سنة 146 ق.م. ألم تعتبر إفريقيا مزرعة روما ؟...

بدأ پوليب حديثه عن المناطق الموجودة على الساحل الأطلسي من الجنوب عوض أن يبدأ من الشمال من أعمدة هرقل كما سار على ذلك معظم الكتّاب القدماء الذين سبقوه (حانون، سيلاكس المزعوم، أوتيمين...) أو الذين جاءوا بعده (أودوكس من سزيك (Eudoxe de Cyzique) ولذا تعرف رحلته باسم الرحلة المقلوبة *Periple controversé*.

ويوافق أطلس پوليب عند پلين القديم الأطلس الكبير الغربي الذي يظهر انطلاقاً من رأس غير، وهو السفح الذي سبق أن تحدث عنه پلين القديم في الفقرة 6 من كتابه 5. ومسافة 496 ميلا التي كانت أول رقم يرد بالنص تضارب الباحثون المعاصرون في شرحها. فحسب جوهان دوزانج J. Desanges إذا قدرت المسافة انطلاقا من الأطلس الكبير الغربي الذي يظهر عند رأس غير إلى حدود أناتيس Anatis الذي يوافق نهر أم الربيع لن نجد سوى 340 كلم وليس 745 كلم وهي المسافة بالكيلومترات التي تعادل 496 ميلا.

ويرى پديش Pedech بأنه يلزم البحث عن مسافة 496 ميلا انطلاقا من أطلس صفرو حتى نهر أم الربيع، ولكن هذا التقدير يرتبط بمسلك داخلي، والرحلة البوليبية ـ كما نعرف جميعا ـ هي رحلة بحرية. وليبرر بديش فرضيته يسند الخبر ليوبا الثاني وليس لپوليب، ولكن پلين القديم لم يشر إلى يوبا الثاني في الفقرتين 9 و10. أما توڤنو R. Thouvenot فيعتبر بأن نص پوليب وصل إلينا ناقصاً ويمكن أن نفترض بأن پلين القديم أو نساخه الذين جمعوا المعطيات حول أقصى المعمور نقلوا إلينا بعض المعلومات الخاطئة، ونستند في ذلك على أگريپا صهر أغسطس وعلى معلوماته حول طول الموريطانيتين، فطولهما يعادل عنده 477 ميلا، ونلاحظ بأنه رقم قريب من 496 ميلا. وباقي الأرقام الواردة في الرحلة الپوليبية هي التي ستدفعنا للاحتفاظ بـ 477 ميلا بدل 497 ميلا، وهذه هي : 112 ميلا و224 ميلا ثم 616 ميلا، وتشكل هذه السلسلة أضعافا لرقم 56 ميلا (هي 112 × 2 = 224 هي 56 × 4...) وهذه الأرقام لا يمكن أن تشكل هكذا بمحض الصدفة، فهي تمثل بلا شك أيام الإبحار. وإذا عرفنا بأن ميلا واحدا يساوي ثمان سطادات /ف 56 × 8 حاصلة 448 أي 450 ميلا وعليه فـ 477 وهو رقم أگريپا يساوي 8 سطادات ونصف (56 × 8،5 = 576 ميلا).

ونقسم 477 ميلا للمسافات الجزئية التالية : يومان من المضيق إلى ليكسوس ويعادلان 112 أو 56 × 2 و4 أيام من ليكسوس إلى ميناء رتيبيس Rutubis وتعادل 224 ميلا أي 56 × 4. والباقي وهو يومان ونصف ويعادلان 140 ميلا أي 56 × 2،5 و140 ميلا هي المسافة التي تفصل ميناء رتيبيس عن الأطلس عند نقطة رأس غير.

ويبقى أن نفسر لماذا فضل پلين أو نساخه 496 ميلا عوض 477 ميلا.

إذا نقصنا 477 ميلا من 496 ميلا سنحصل على رقم 19، وهذا الرقم هو نفسه الذي سنحصل عليه إذا قمنا بنفس

العملية فنقصنا من 224 رقم 205، أي إذا نقصنا من مسافة ليكسوس - رتيبيس 224 مسافة ليكسوس - أناتيس 205 ونخرج بنتيجة وهي أن رقم 19 ليس موضوعا بمحض صدفة فهو يشكل في واقع الأمر المسافة الفاصلة بين نهر أناتيس وميناء رتيبيس الذي يقع بعد هذا النهر.

ونلاحظ أن رقم 205 ليس من أضعاف 56، ولذا نرجعه لأكريبا وليس لپوليب. وقد يكوّن هذا الرقم بنقص 19 وهي مسافة أناتيس - رتيبيس من 224 وهي مسافة ليكسوس - رتيبيس ويشكل رقم 205 مسافة ليكسوس - أناتيس نخرج من هذه العمليات بسلسلتين متباينتين من الأرقام نسند إحداها لپوليب والثانية لأگريپا. والسلسلتان على النحو التالي :

1 - پوليب : يقدر 112 (من مضيق الأعمدة إلى ليكسوس) + 224 (من ليكسوس إلى رتيبيس) + 140 (من رتيبيس إلى الأطلس)، وحاصل هذا الجمع هو 477 ميلا.

2 - أكريپا : يقدر 112 (من مضيق الأعمدة إلى ليكسوس وهذه المسافة متفق عليها في أكثر من مصدر + 205 (من ليكسوس إلى نهر أناتيس وبذلك يقع نهر أناتيس قبل ميناء رتيبيس بـ 19 ميلا) + 160 ميلا (من أناتيس إلى الأطلس وبعبارة الأرقام 19 + 140) والحاصل من هذا الجمع هو رقم 477 ميلا.

إذن نعتبر رقم 496 ميلا الوارد في النص رقما خاطئاً تشكل بخلط أرقام الكاتبين القديمين پوليب وأگريپا. وتم الخلط على النحو التالي :

| 112 | + 224 | +160 | |
|---|---|---|---|
| ↓ | ↓ | ↓ | المجموع |
| مسافة متفق عليها | مسافة پوليب | مسافة أگريپا | 496 ميلا |
| (المضيق - ليكسوس) | (ليكسوس - رتيبيس) | (أناتيس - أطلس) | |

أي يلزمنا أن ننقص رقم 19 من 224 لنحصل على أرقام أگريپا، أو ننقصها من 160 لنحصل على أرقام پوليب !.

والمثير للانتباه هو كون نهر ليكسوس اعتبر قطب الرحى، فقد ورد من خلال كلا المصدرين كنقطة أساسية للعَدِّ. وتعريف هذا النهر لا يطرح أي إشكال فهو النهر الذي احتفظ باسمه إلى اليوم ويجرى بالقرب من مدينة العرائش والمسافة منه إلى المضيق متفق عليها وتعادل بالفعل ومن خلال معظم المصادر القديمة يومي إبحار بمعدل 56 ميلا في كل يوم. وبعد هذا النهر جاء الحديث في الرحلة عن خليج ساجيجي Sagigi وهذا المصطلح لم يرد بأي مصدر آخر وقد يوافق الخليج الأمبوري Le Golfe Emporique الذي مَوضَعَه پطوليمي Ptolémée جنوب نهر ليكسوس، ويوافق من خلال الباحثين المعاصرين، ومنهم دوزانج، المرجات التي تمتد شمال وجنوب وادي سبو. أما رأس موليلاشا Mulelacha فيتفق معظم الباحثين على مطابقته لمولاي بوسلهام. أما سبوبا Sububa عند الرحالة پوليب فهو واد سبو، وسلات Salat يوافق حالياً نهر أبي رقراق. وهكذا

وبتتبع أوصاف الرحالة پوليب نجد بسهولة أسماء أهم الأنهار المغربية التي تصب بالمحيط الأطلسي. وبعضها ما زال يحتفظ إلى يومنا بتسميته القديمة.

وإذا احتفظنا بتعريف أناتيس على أنه نهر أم الربيع (انظر مادة أناتيس *بالمعلمة*) وهو تعريف يشجع على تبنيه الرحالة پوليب، إذ أن مسافة 224 ميلا تصل بنا إلى أبعد من النهر ومسافة 205 هي التي تصل بنا إلى أم الربيع فسنجد 19 ميلا أو 28 كلم عند موقع تيط (انظر مادة تيط *بالمعلمة*) على بعد 30 كلم من مصب النهر وليست مازيغن (الجديدة) التي لا تبعد عن نهر أم الربيع إلا بحوالي 16 كلم. ويوافق رأس سوليس Solis وهذه تسميته الرومانية رأس سلويس Soloeis الوارد عند الكتاب الإغريق على أنه من الرؤوس المشهورة التي تقع وراء أعمدة هرقل. وحمل عند پطوليمي Ptolemée (ق 2 م). اسم هليو أبوص Heliou Opos نسبة لإله الشمس هليوس Helios أو صول Sol. ويوافق حاليا رأس كانتان (بدوزة) وتعني تسميته الإغريقية Soloeis والمحلية Cantin رأس الصخور. يموضع الرحالة پوليب بعد رأس الشمس ميناء ريزادير Rhysaddir ويتركب هذا المصطلح من كلمتين بونيتين وهما : Rus وAddir ومعناهما : الرأس القوي. ويوافق هذا الميناء عند باحثين أگادير وعند آخرين موگادور وعند دوزانج الميناء الواقع عند رأس غير. وسمي كذلك Rhysaddir نسبة لرأس غير.

وبعد ريزادير ينتقل المؤلف لصنف ثالث من المعلومات يتحدث هذه المرة عن قبائل الأطولول الجيتولية (انظر مادة أطولول *بالمعلمة*) وبحديثه هذا يتراجع إلى الوراء لأن معظم المصادر القديمة تحدد موطن الأطولول بين سلا وموگادور. وكان من المفروض بعد أن وصل الرحالة لرأس غير أن يتحدث عن نقط متقدمة من الساحل الأطلسي والظاهر أن مصدر هذه المعلومات - وكما ذهب إلى قول هذا مجموعة من الباحثين - أگريپا وليس پوليب، لأن الحديث عن قبائل الجيتول وبالأساس الجيتول الدرعيين الذين يستوطنون داخل البلاد لا يمكن أن يكون مصدره بحريا بل يلزم أن يكون صاحب الأخبار قد توغل في الداخل (كما فعل أعوان أگريپا أو يوبا الثاني وحاشيته).

وبعد هذه القبائل ذكر الرحالة پوليب واديا تحت اسم كوسينوم quosenum، وأصل المصطلح يحتاج لمزيد من البحث، فهل يتعلق الأمر بواد سوس الذي لا نعرف اسمه القديم ؟ أم هل يلزمنا أن نقرب كوص quos أي الشطر الأول من المصطلح - وكما فعل دوزانج - من مصطلح كوزة Kousa الوارد عند پطوليمي قبل رأس الشمس، على كل فواد كوز وارد بالمصادر الإسلامية ويوافق حاليا واد تانسيفت الذي كان من المفروض أن يذكره الرحالة قبل ذكره لميناء ريزادير.

وتطرق الرحالة لقبائل أخرى تستوطن وراء واد كوسينوم، ويسهل تعريف بعضها. فشعب المساتيس

Masates يستمد اسمه من واد ماسة الذي يقيمون على ضفافه، أما شعب السيلاتيت Selatites فكل ما نعرف عنهم أنهم محصورون بين وادي كوسينوم وماساتات Masatat.

بعد واد ماساتات يذكر الرحالة اسم نهر جنوبي مهم وهو نهر درعة، يحمل عنده اسم درعات Darat وهو دراس Daras عند بطوليمي. ووجود تماسيح به أمر أكده معظم الكتاب القدماء. (انظر مادة بامبتوم Bambotum *بالمعلمة*).

والملاحظ أن المعلومات التي سيسوقها الرحالة بعدما انتهى من حديثه عن درعة وعن تماسيحه تشكل رجعة جديدة للوراء، وسنصل بعدها لنهر درعة، ويتبنى هذا الرأي دوزانج ولكن لا يؤمن به بديش وتوفنو، بل إن توفنو يصل بالرحالة إلى السينغال بمطابقته لنهر بامبتوم بنهر السينغال.

ويظهر أن تقرير پوليب تعرض لتغيير عميق، والتحريف حصل بلا شك قبل پلين القديم. وهكذا فالخليج من 616 ميلا يبتدئ من رأس سرنتيوم Surrentium، هذا الرأس الذي يتشكل بدوره من امتداد جبل براكة، ويوافق هذا الجبل السلسلة الأطلسية وبالأساس الأطلس الكبير الغربي (انظر مادة براكة Braca *بالمعلمة*)، ونقرب سرنتيوم من مصطلح ريزاديرون Rusadeiron البطوليمي ويوافق المصطلحان رأس غير.

وإذا كان رأس سرنتيوم يشكل بداية الخليج فإن رأس هسريان يشكل نهايته ويمتد هذا الخليج لمسافة 11 يوما من الإبحار بعد رأس غير أو 616 ميلا.

وبعد ذكر پوليب لتشكلة رأس غير ذكر اسم واد سالسوم Salsum، واسم هذا الوادي لا يثنى، ويعني مالح، ويطابق بلا ريب واد سوس. ويوافق مجال سكنى الاثيوبيين البرورسيين وكما حدده الرحالة مع أطراف السلسلة الأطلسية وعاصمة الاثيوبيين البرورسيين Ethiopiens Perorses هي پروريوس Perories. والفاروزيون Pharusiens كسابقيهم عناصر سمراء تستوطن الحواشي الصحراوية للأطلس المغربي، ويمكن تحديد موطنهم بشيء من التدقيق بين واد غير وواد درعة، وهذا لا يمنع من وجود بعضهم بالشمال حيث منطقة سكنى العناصر الجيتولية.

وهكذا فالرحالة پوليب ميز بين درعيين جيتول Getules Dariens ودرعيين أثيوبيين Daratites Ethiopiens، فكلاهما كان يستوطن نهر درعة، ولكن الجيتول (البيض) يوافق مقرهم منبع وأوسط الوادي. أما الأثيوبيون (السمر) فيستقرون عند مصبه.

وبعد ذكر الرحالة لهذين العنصرين تحدث عن واد بامبُتوم Bambotum خاصيته أنه مزدان بالتماسيح وأفراس النهر. وله اسم على مسمى ويعنى "النهر الذي توجد به كل الأشياء الحية" وقد حمل نهر بامبتوم في فقرة سابقة اسم درعات Darat، وقال عنه پول أوروز Paul Orose بأنه النيل قريب من منبعه وبأنه توجد به كل وحيشة النيل وعرف أيضا تحت اسم نوهول Nuhul (انظر مادة بامبتوم *بالمعلمة*).

ومطابقة البامبتوم بدرعة لا يتفق عليها إلا باحثون قلائل، أما معظمهم فيطابقه بنهر السينغال، ويدعو آخرون لموافقته بوادي الساقية الحمراء.

ويأتي الرحالة، بعد ذكره للبامبتوم، بمصطلحات يرتبط بعضها بالرحلة الحانونية مثل مصطلح عمود الآلهة Theon Ochema ورأس هسبريوم Hesperium ويغلق هذا الرأس الأخير الخليج من 616 ميلا ويوافق بلا ريب رأس جوبي Cap Juby القريب من جزر كناري.

وإذا كان پوليب في آخر الفقرة قد حدد الأطلس في مجال أوسط. فتحديده هذا لا يلزمنا بالغوص في المعادلات الرياضية لإيجاد وسط ذهبي، فبتحديده هذا يكون قد قصد بأن الأطلس (الكبير المغربي) يقع على بعد 8،5 من المضيق و11 يوما من رأس جوبي. والمعروف أن الإبحار في الطور الأول سهل قد يتحقق بمعدل 56 ميلا في كل يوم وهو صعب في الطور الثاني ولن يتم إلا بمعدل 30 ميلا في اليوم. وصعوبة الملاحة بعد نهر درعة يؤكدها أكثر من مصدر، وبذلك تكون المسافة التي قطعها الرحالة من المضيق إلى رأس غير معادلة في أيام الإبحار للمسافة التي استغرقتها الرحلة من رأس غير إلى رأس جوبي، ويشكل الأطلس وسطا بين المسافتين.

وهكذا يكون الرحالة پوليب بالرغم من غموضه وكثرة أخطائه (أو بغموض وأخطاء من نقلوا عنه) قد كتب تقريراً قيما لرحلته التي شملت ساحل المغرب الأطلسي من المضيق إلى رأس جوبي، وقد حافظ لنا پلين على جزئياتها وأضاف لها من مصادر أخرى، فأمدتْنا الورقة بمعلومات دقيقة عن أهم الوديان المغربية التي تصب في المحيط الأطلسي : ليكسوس، سبوبا (سبو)، سلات (أبو رقراق)، أناتيس (أم الربيع)، كوسينوم (تانسيفت)، سالسوم (سوس ؟)، مساتات (ماسة)، درعات (درعة) وهو أيضا البامبتوم، وأفادتنا باستحضار أسماء مدن مغربية من القرن الثاني ق. م. ومنها ملولاشا (في موقع مولاي بوسلهام)، رتيبيس (تيط)، ريزادير (ميناء عند قدم رأس غير) كما أن هذه الورقة رسمت لنا لوحة بمواضع أهم القبائل المستوطنة وراء الليمس الروماني وهي العناصر الجيتولية والأثيوبية.

والملاحظ أن المعلومات المتعلقة بخط المضيق - رأس غير أوضح وأوفر من المعلومات المتعلقة برأس غير - درعة وهذه أهم من المعلومات الخاصة بمجال درعة - رأس جوبي. وإذا كان پوليب قد أوقف رحلته عند رأس جوبي فهذا المدى معقول لم يتجاوزه أي رحالة بعده، والمصادر الوسيطية اعتبرت الإبحار وراء درعة ضربا من المخاطرة ولم يتم تكسير هذا الحاجز إلا سنة 1434 مع الرحالين البرتغاليين.

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc : Maurétanie Tingitane, A.M.* I, 1904, p. 342 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, 1962, p. 208 - 211 - 230 - 234 - 246 - 248 ; J. Desanges, *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de*

*l'Afrique, VIe av-IV ap J.C.*, Rome, 1978, p. 121 - 147 ; R. Mauny, *Autour d'un texte bien controversé : le periple de Polybe, 146 av. J.C., Hesp.*, XXXVI, 1949, p. 47 - 67 ; P. Pedech, *Un texte discuté de Pline : Le voyage de Polybe en Afrique* (H.N.V., 9 - 10), *R.E.L.*, XXXIII, 1955, p. 318 - 332 ; *Notes sur la digraphie de Polybe, Les études classiques*, XXIX, n° 2, p. 145 - 156 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924, (Hannon, Pseudo Scylax, Pline l'Ancien, Ptolémée) ; *Index de Topographie antique du Maroc, P.S.A.M.*, IV, 1938, p. 67 - 68 ; R. Thouvenot, *La Connaissance de la montagne marocaine chez Pline, Hesp.* XXVI, 1939, p. 117 ; *Défense de Polype, Hesp.* XXXV, 1948, p. 79 - 92 ; R. Thouvenot, *La côte océanique du Maroc : ce qu'en ont connu les anciens, B.E.P.M.* n° 215, 1951, p. 46 ; *Le Témoignage de Pline sur le périple africain de Polype, R.E.L.*, XXXIV, 1956, p. 88 - 92 ; Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1976, p. 118 - 119 ; Vivien de Saint Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine*, Paris, 1863, p. 337.

البيضاوية بلكامل

**بُسُوليزاريو ← جبهة**

**بوليسليفسكي**، كارل ريطر فون Boleslewski. K. Ritter von، عين قنصلا عاما للأمبيريال (الأمبراطورية النمساوية الهنغارية) بطنجة من سنة 1890 إلى 1896.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 594.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 127.

مصطفى بوشعراء

**بوليفة، محمد** بن صالح، مقاوم ولد سنة 1920 بأولاد زيان من عائلة متوسطة الحال. وأثناء اشتداد المقاومة المغربية انضم إلى منظمة اليد السوداء بأسفي وشارك في عدة عمليات فدائية، منها اغتيال بائع الدخان بسوق الغزل وجلب الأسلحة وتوزيع المناشير.

وخلال مشاركته في المظاهرة الشعبية التي نظمت يوم 20 غشت بمدينة أسفي سقط شهيداً رمياً برصاص المستعمر.

*كتاب شهداء الاستقلال*، ج 1.

عزالدين العلام

**بُوليلي**، أسرة إيطالية الأصل كانت من رعايا دولة الفاتيكان استوطنت الصويرة منذ منتصف القرن التاسع عشر. وكان أفرادها يتجرون فيها ويمثلون عدداً من الدول، منهم :

**بوليلي، أنطونيو** الذي كان سنة 1875 نائباً عن إيطاليا والبرتغال.

**بُوليلي، كارلوس** المتوفى سنة 1880.

**بوليلي، كايطو** المتوفى سنة 1892.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 3 : 1103.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 2 : 337.

مصطفى بوشعراء

**البُوم**، أو مُوكَا، طائر من كواسر الليل ومن فصيلة البوميات Strigidae التي تضم 120 نوعاً في العالم، تعيش ثمانية منها في المغرب. "موكة" هو اسمها الشائع في شمال افريقيا ولها أسماء كثيرة في الشرق العربي كالهامة والصدى والقياد.

تتميز بمنقار قوي معقوف ومخالب طويلة مركبة مما يقربها من الكواسر النهارية. الرأس مستدير وكبير، العينان أماميتان، حادة البصر وشديدة الإحساس حتى لأضعف الأنوار. ويُحتمل أنها لا تميز الألوان. حاسة السمع قوية تساعدها في أغلب الحالات على صيد فريستها.

يكسو الجسم ريش ناعم مكثف يميل لونه إلى البني وكثير الشبه بألوان الصخور وأغصان الأشجار، وهذا يساعدها على عدم مشاهدتها. يتكون قوتها من حيوانات حية كالضفادع والزواحف والقنافذ والفيران والجرذان والخفافيش والطيور الصغيرة والأسماك والحشرات التي تشكل نسبة قوية في غذائها. تصيد فريستها في أوائل النهار وأواخره وتتوقف عن النشاط طول النهار.

تعيش في أماكن مظلمة كالمغاور وداخل الصخور وجذوع الأشجار وجدران الديار المهجورة ونادراً المسكونة. يعرف وجودها بصوتها الحزين وبكتلات بقايا الأكل التي تتراكم عادة في مكان مبيتها. كثيراً ما تساعد كتلات قيئها الغنية بالعظام على معرفة نوع البوم ونوع معيشته.

تضع عشها في أماكن مظلمة وتبيض من 2 إلى 5 بيضات، حسب الأنواع، وتدوم مدة الحضانة ما بين 24 و29 يوماً ويطير الصغار بعد شهرين.

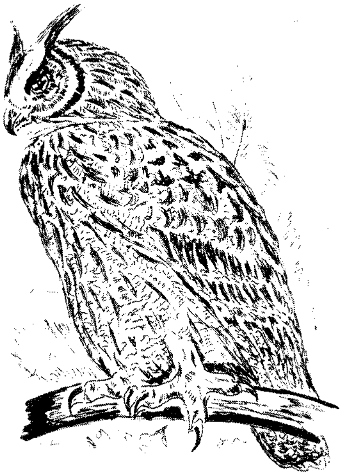

من الأنواع الشائعة في المغرب نذكر البومة الصمعاء Athene noctua التي تعيش في أغلب مناطق المغرب منذ الصخور الشاطئية إلى المرتفعات التي لا تتعدى 2.500 م. يبلغ طولها 21 سم وتبيض داخل الجدران المهجورة وفي جذوع الأشجار. تقتات خاصة من الحشرات ومن الثدييات الصغيرة. تبيض عادة في بداية شهر أبريل من 3 إلى 5 بيضات ونادراً 2 أو 6 . 8 بيضات وتدوم الحضانة 28 . 29 يوما.

تعيش الهامة Tyto alba في معظم مناطق المغرب إلا أن عددها ضعيف ولا تحتمل العيش في المناطق الجبلية. ريشها ناعم أبيض مصفر يتراوح طول هذا النوع ما بين 33 و39 سم وطول بسطة جناحه ما بين 90 و95 سم ووزنه ما بين 290 و360 غ. يبيض من 4 إلى 7 بيضات ابتداء من مارس وتدوم الحضانة 30 . 34 يوما.

تصيد الهامة فريستها ليلا، ونادرا في النهار.

البومة القرناء Bubo bubo ascalaphus وبالعامية عتروس الليل. عرف عدد هذا النوع انخفاضاً محسوساً في المغرب بعد أن كان قبل 1970 موزعا في معظم مناطق البلاد. إنه من أكبر أنواع البوم، يبلغ طوله 62 ـ 72 سم وطول بسطة جناحية 155 ـ 180 سم ويزن ما بين 2 و3,2 كلغ. يبيض عادة بيضتين أو ثلاثاً، تزن كل بيضة 74 ـ 78 غ. تدوم مدة الحضانة 34 ـ 36 يوما وتغادر الصغار الأوكار بعد أربعة عشر أسبوعاً.

يقتات من الأرانب والقواضم والعصافير وباقي الثدييات الصغيرة وهو تحت الحماية في المغرب وأوروبا حتى لا ينقرض.

بومة الشَّبج والخبل : يعيش الشبج Asio Scops والخبل Strix aluco في المناطق الغابوية من البلاد ويفتقدان في المناطق العارية والصحراوية والجبلية التي يتعدى ارتفاعها 2.500 م.

يعد الشبج من الطيور القواطع حيث يقضي فصل الصيف في أوروبا الوسطى والجنوبية ويشتو في جنوب الصحراء. يتوالد في المغرب وتونس وجنوب إيطاليا والإغريق وتركيا ولبنان. يلد من 4 إلى 5 بيضات في أواخر فبراير وتدوم الحضانة 25 ـ 30 يوماً، يبلغ طوله 19 سم.

يبلغ طول الخبل 38 سم ويبيض من بيضتين إلى أربع بيضات ابتداء من مارس.

البومة الأذناء Asio otus يعيش هذا النوع في السهول والهضاب المشجرة شمال الأطلس الكبير وهو شائع في أوروبا وفي إفريقيا الشمالية. يبلغ طوله 35 ـ 36 سم. يبيض ابتداء من مارس 4 ـ 5 بيضات وتدوم الحضانة 27 يوما.

بومة المناقع Asio flameus، تعيش وتتوالد في أوروبا إلا أن بعض أفرادها تشتو في شمال المغرب ابتداء من أكتوبر ثم تعود لتتوالد في أوروبا ابتداء من فبراير. يبلغ طولها 38 سم.

بومة المناقع الإفريقية Asio capeusis، يقتصر توزيعها الجغرافي العالمي على الشمال الغربي من المغرب. تعيش في سهول الغرب وحوض اللكوس غير بعيدة عن المستنقعات. تتغذى من الحشرات المختلفة، لونها بني داكن جهة الظهر والرأس وفاتح جهة البطن والوجه. يبلغ طولها 30 سم.

تنعت أنواع البوم بالشؤم والكآبة والحزن وذلك لمنظرها المخيف، إلا أنها في الواقع تؤدي خدمات جمة للإنسان تتجلى في أكلها للحشرات والفيران المضرة بالمزارع. تبقى اتهاماتها بالشؤم مجرد خرافات لا أساس لها من الصحة.

يحث القانون على حماية جميع أنواع البوم في المغرب وفي سائر أنحاء العالم.

H. Heinzel, R. Fittre, et J. Parslow, *The Birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, Lausanne, 1972, p. 320 ; W. Reade et E. Hosking, *Les oiseaux leurs œufs et leurs nids*, Paris, 1968, 298 p ; M. Thevenot, P. Bergier et P. C. Beaubrun, *Compte rendu d'ornithologie marocaine*, Doc. Ins. Sci. Rabat, n° 6, 1981, 95 p.

محمد رمضاني

**بومالن دادس**، يطلق على أربع وحدات إدارية مجالية مختلفة الأبعاد والمحتوى. فهو اسم لإحدى الدوائر الثلاث المكونة لإقليم ورزازات، وفي ذات الوقت يطلق على جماعة قروية ومركز قروي ودوار أدمج إحصائيا ضمنه.

تقع دائرة بومالن دادس شمال شرق إقليم ورزازات، يحدها شرقا إقليم الرشيدية، وشمال إقليم أزيلال وجنوباً دائرة زاكورة وغرباً دائرة ورزازات.

تضم الدائرة إحدى عشرة جماعة قروية، تقدر مساحتها الإجمالية بحوالي 7.140 كلم$^2$. بلغ عدد سكانها سنة 1982 حوالي 145.782 نسمة. ينتمي أغلبهم إلى عشائر أيت عطا وأيت يافلمان وأيت سدرات وأهل دادس وأهل تدغة وأهل مكّونة.

وسنخصص هذا المبحث لمركز هذه الدائرة : بومالن دادس.

يقع مركز بومالن دادس على الضفة اليسرى لوادي دادس، على الطريق الرئيسي رقم 32، شرق مدينة ورزازات بحوالي 113 كلم.

استقر المركز على سفح منبسط القمة يكوِّن جزءاً من هضبة "أنبد" التي بدورها تكون الجزء الشرقي من المنخفض التكتوني لجنوب الأطلس.

إن هذا الموقع الأوسط بين قمم الأطلس الكبير الأوسط شمالا وقمم صغرو جنوباً أعطى المنطقة مميزات طبيعية خاصة. فالأمطار قليلة وغير منتظمة (حوالي 150 ملم) والمدى الحراري مرتفع مما يحد من تطور الحياة البيولوجية. غير أن الأهمية التخزينية للصخور الكلسية وتساقط الثلوج على قمم الأطلس جادت على المنطقة بنهر دادس.

جذب هذا النهر السكان منذ القدم، فاستقروا حوله في قصور متجمعة وتعاطوا لفلاحة معاشية قوامها زراعة مسقية وتربية واسعة للماشية. كما أن هذا المنخفض كون منذ القدم الطريق الرئيسي بين درعة وتافيلالت، وممرا هاما بين تخوم الصحراء وشمال المغرب عبر مسالك الأطلس.

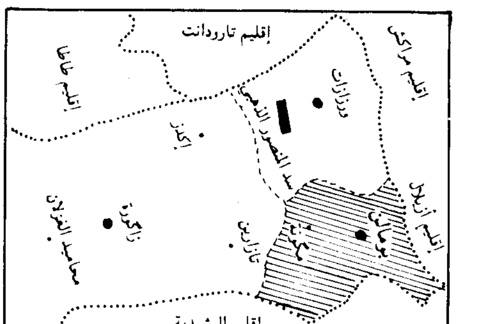


موقع بومالن دادس

أُحدث المركز الإداري ببومالن دادس في دجنبر سنة 1930 استجابةً لاستراتيجية المعمر في تطويق القبائل "السائبة" وكسر شوكتها. بلغ عدد سكان المركز سنة 1936 حوالي 167 نسمة، منهم 140 مغربيّاً و27 أجنبيّاً.

أُحدث المركز إذن منذ البداية لأغراض استراتيجية،

فقد أنشئت فيه ثكنتان إحداهما لإيواء رجال القوات المسلحة والثانية لرجال القوات المساعدة، كما أنشئ مقر للدائرة وإيواء رجال السلطة عند قمة سفح يطل على المجرى المائي ومجال السوق الأسبوعي الذي ينعقد يوم الأربعاء.

أهم ما يميز المركز الناشئ أنه بُني بعيداً عن السكان المحليين على مقربة من المطار، ليتمكن أساساً من استقبال العتاد والعدة ومواجهة قبائل أيت عطا.

إن هذا الانعزال كان ضروريا لأن كل الدواوير المحيطة بالمركز تربطها بهذه القبائل قرابة دموية (أيت بولان، أيت سليلو، أيت عبدالرحيم، أيت أُنير ببومالن...).

بلغ عدد سكان المركز سنة 1982 حوالي 4.820 نسمة بينما لم يكن سنة 1971 يتجاوز 2.100 نسمة، بزيادة مطلقة قدرها 2.720 نسمة. ويرجع النمو الديمغرافي المرتفع الذي عرفه المركز خلال العقود الأخيرة إلى ثلاثة عوامل أساسية:

- توسيع دائرة المركز، حيث امتص الدواوير المحيطة به كدواري "أقبوب" و"بومالن".

- هجرة قوية من الأرياف المجاورة بل حتى البعيدة (صغرو والأطلس) نتيجة الكوارث الطبيعية المتكررة (فيضانات 1956 ـ 1968 وجفاف العقدين الأخيرين) ونتيجة تمركز بعض الخدمات الاقتصادية الاجتماعية داخل المركز (التطبيب ـ التعليم).

- الزيادة الطبيعية للسكان داخل المركز.

إن هذا التوسع العددي لسكان المركز لم يوازه تطور كيفي، حيث ظل هؤلاء يحتفظون بأهم سماتهم الريفية، مثل أهمية العائلات الكبرى (معدل حجم الأسر 1982 هو 6,7 شخص) وارتفاع نسبة الأمية (67,6٪) وارتفاع نسبة العاطلين.

فعلا، فبعد أن فقد المركز وظيفته العسكرية ظل ـ حتى الآونة الأخيرة ـ يعرف مشاكل، حيث تقلص دوره وانكمشت أنشطته ليصبح مركزاً إدارياً عادياً، فكان لظهور إعدادية بالمركز منذ سنة 1964 دور إيجابي حيث استقبلت تلاميذ الدائرة بأكملها، فأحدث ذلك رواجاً خاصة في ميدان العقار وتجارة التقسيط.

أما عقد السبعينات فقد شهد بناء مؤسسة فندقية فخمة تابعة لشركة الضيافة لكنها ظلت أجنبية عما حولها. كما ظهرت بنايات تابعة لمركز الاستثمار الفلاحي (CMU 607) الذي يمتد مجال خدماته إلى كل الدائرة.

استجابة لحاجيات القاطنين والوافدين الجدد أحدثت تجزئة جنوب شرق المركز على سطح الهضبة، لكن بعدها عن النواة النشيطة (السوق) وعن التجهيزات (الماء) جعل السكان ينفرون منها مفضلين الالتصاق بالسفوح المطلة على الوادي رغم قوة الانحدار.

هكذا توسع المركز ليلتحم بالدواوير المجاورة له، كما انفجرت هذه بدورها لتزحف نحوه، فتأثر بالنمط الحضري في البنايات والاستهلاك وبعض الأنشطة (التجارة) لكن هذه التمركزات الحديثة تنقصها حيوية اقتصادية وتقاليد وتجهيزات ليسمح بتسميتها بالمراكز الحضرية.

لقد بُذل مجهود مؤخراً لتعميم التجهيزات الكهربائية وإيصال الشبكة المائية، لكن المركز يفتقر إلى تصميم مديري يعطي للتجهيزات الاجتماعية والاقتصادية مكانتها.

م. أيت حمزة، *ملامح التحولات السسيومجالية بحوض أسيف امگون*، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط، 1986 ؛ مديرية الإحصاء بالرباط، *نتائج إحصاء السكان والسكنى* 1936 ـ 1971 ـ 1982.

Roche, *Note provisoire sur la condition juridique des eaux dans les tribus du Moyen Dadès*, *R.G.M.*, fasc. 2, 1933 ; P. Lancre, *Répertoire alphabétique des agglomérations de la zone française de l'Empire Chérifien : Résultats du recensement du 8 Mars 1936*, Imp. J. Thevenin ; M. El Madani, *Collectivités traditionnelles et espaces ruraux montagnards dans les zones d'arrière-pays atlasiques méridionaux : Le cas des Ayt Seddrate de Dadès*, Thèse 3ème cycle en Géographie, Aix - en - Provence, 1986, 2 T.

محمد أيت حمزة

** وفي الجانب التاريخي أُطلق اسم بومالن في الأصل على قرية صغيرة قد يكون مؤسسوها هم الحراطين، لكن وصول أيت عطا إلى منطقة دادس جعل من بومالن مركز أيت بويكنيفن حين استيلائهم على السوق الأسبوعي (الأربعاء) وكذا على الأسواق الموسمية، وبنوا به إغْرَم للدفاع والسكن والسيطرة على الماء الضروري لماشيتهم. وقد تكون هذه هي الوظائف الأساسية والضرورية التي كان هذا الموقع يؤديها.

القبائل المجاورة لبومالن بعضها قديم مثل الحراطين، ويأتي بعدهم أيت دادس ثم أيت سدرات، وآخر من استقر منهم أيت عطا. وهذا المجال هو امتداد للمجال الصنهاجي نحو الغرب. وكانت منطقة بومالن مسرحاً لعديد من المعارك والحروب القبلية بين المستقرين والرحل، ولعدة تحالفات داخلية وخارجية من أجل السيطرة على الماء والأسواق والطرق. وقد تكون هذه الظرفيات هي السبب في وجود عدد من القبائل ذات الأصول المختلفة والتي يُوجد أخواتُها في مجالات بعيدة نسبياً عن مجال دادس.

ومنذ القرن الثالث عشر (19 م) كانت الغلبة لأيت عطا (أيت أنير، بويكنيفن، أيت بولمان) بزعامة أسرة فاسكا. وكانت لها صراعات ضد الأگلاويين حين حاول القائد المدني ضم ما تبقى من قبائل ومجالات الفايجة إلى إيالته. ومع بداية القرن دخل الشيخ موحداش بن فاسكا تحت سيادة عائلة المزوارين، وانتهت بذلك الصراعات والتحالفات حول بومالن. وعندما تقدمت القوات الفرنسية في هذه المنطقة عبر ورزازات في العشرينات اختارت بومالن كمركز إداري وعسكري بين تُدغة وورزازات، وتأسس به مكتب للشؤون الأهلية لواد دادس سنة 1931.

وبعد الاستقلال أصبح بومالن دادس دائرة إدارية ضمن إقليم ورزازات تتبعه كل القبائل الموجودة شرق هذا الإقليم إلى حدود تافيلالت (قصر السوق ـ الرشيدية). ويضم حاليا الجماعات القروية لمگونة (القلعة) وتينغير وأمسمرير وإكْنيون.

عرف بومالن دادس إلى جانب الرعي والزراعة تحولاً نوعياً في الأنشطة الاقتصادية، وقد نتج ذلك عن استثمار رؤوس أموال أبنائه من العمال المهاجرين خارج الوطن، وهم أعداد كثيرة بالمقارنة مع كثافة السكان. كما أن المنطقة أصبحت مجالا سياحياً مشهوراً على المستوى الوطني والدولي نظراً لوجود المضايق النهرية والقصبات إغْرْمان التقليدية إلى جانب الفنون الغنائية والموسيقية.

وبلغ عدد سكان بومالن حسب الإحصاء العام لسنة 1982 : 4.820 نسمة بالنسبة للجماعة القروية، في حين أن مجموع سكان الدائرة بلغ 533.892 نسمة، وهي معدلات كبيرة بالنسبة للإقاليم الشبه الجافة.

*الخريطة الطوبوغرافية* ؛ كثافة السكان (خريطة إحصاء 1982. وزارة التخطيط 1984) ؛ أ. الناصري، *الاستقصاء*، ج 7.8.9 ؛ المهدي الناصر، *الغطريس*... مخطوط ؛ *رواية شفوية*.

A. Guillaume, *Les Berbères marocains et la pacification de l'Atlas central, 1912 - 1933*, Paris, 1946 ; G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Draa*, Rabat, 1936 ; Carte des Tribus, 1977.

محمد أوجامع وصفية العمراني

**بُومَخْيَط**، أو أبو منقار حسب المعاجم، جنس أسماك بحرية من رتبة الأسقمريات Beloniformes ومن فصيلة البراك Scomberesocoides Belonoides التي تضم حوالي ستين نوعا يعيش معظمها في بحار المناطق الحارة والمعتدلة وبعضها يعيش في المياه العذبة. تعرف لغويا بالخرمان والبراك وأبي منقار.

تعيش ثلاثة أنواع منه في البحار المحيطة بالمغرب تسمى بومخيط في أسواق الأسماك المغربية وتدعى Orphie بالفرنسية وGarfish بالأنجليزية. Aiguillat

إنها أسماك زرقاء مخضرة،طوال دقاق لها مناقير طويلة وزعانف خالية من الشوك. كلها حيوانات لاحمة تأكل صغار الأسماك والأنشوفة والسردين وكثيرا ما تقوم بقفزات خارج الماء أثناء تنقلاتها. يجلبها النور أثناء الليل فتقترب من البواخر وسفن الصيد.

ـ Belone belone gracilis طوله شائع ما بين 30 و60 سم ولا يتعدى 90 سم وهو سمك أوقيانوسي يعيش غير بعيد عن سطح البحر وقريباً من الشواطئ. يصير بالغاً ما بين 5 و6 سنوات. يلتصق بيضه بالنباتات والأشياء العائمة.

نادر في أسواق الأسماك المغربية نظراً لقلة الإقبال عليه، ويوجد بكثرة وبانتظام في أسواق إسبانيا وتركيا وصقلية. يصاد مع باقي الأسماك بواسطة الشباك وطعمه لذيذ.

ـ Belone Svetovidovi يدعى بالإسبانية Aigujilla وبالفرنسية Orphie de Svetovodovi وبالأنجليزية Garfisch. كثير الشبه بالنوع الأول وجسمه طويل ومضغوط بعض الشيء من جهة الجوانب. طوله شائع ما بين 30 و40 سم ولا يتعدى 80 سم. نادر في البحر المتوسط ومفقود في سواحل المحيط الأطلنطي المغربي.

ـ Tylosurus acus imperialis جسمه غير مضغوط وطوله شائع ما بين 60 و90 سم ولا يتعدى 180 سم. يعيش في بعض المناطق من السواحل المتوسطية الشرقية والأوروبية وفي السواحل الأطلنطية المغربية.

نادر في الأسواق المغربية ويصاد مع باقي الأسماك بواسطة الشباك.

أ. المعروف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

J. Schouten, et M. Ramdani, *Fish of the Khnifiss lagonn and the Tarfaya coast*, Trav. Inst. Sci. Rabat, Mémoires hors série, 1988, p. 101 - 104 ; W. Fischer, M. Schneider et M. L. Bouchot, *Méditerranée et Mer Noire, Fiches FAO d'identification pour les besoins de la pêche*, 1987 ; G. Bianchi, *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, Rome, 1984.

محمد رمضاني

**بومزگيدا**، (ثورة ــ) اسم بربري، يعني صاحب المسجد، ولعله لقب لهذا الشخص اكتسبه بعد أن كثر أتباعه وتمكنت في الناس دعوته فيكون المعنى الأقرب إلى العربية الفقيه أو صاحب الزاوية. ورد الاسم بالتاء عند ابن أبي زرع في *القرطاس* (192).

صنفه البيذق في *أخبار المهدي* بن تومرت (ص 124) ضمن الثائرين على عبدالمومن الموحدي بعد تحويله الحكم إلى عقبه بجعله وراثياً، ورتب ثورة بومزگيدا في الدرجة العاشرة : "والعاشر بومزگيدا بحومة أفندغل، خرج إليه أبو سعيد يخلف آتيجي وعبدالله بن فاطمة وبدداه وساقا غنائمه...".

هذه الثورات العشر أرجعت بعض المصادر التقليدية أسبابها إلى اتخاذ الملوك الموحدين لقباً من ألقاب آل البيت "أمير المومنين".

قد يكون هذا السبب من بين أسباب ثورات كثيرة قامت ضد الموحدين إلا أن ثورة بومزگيدا تختلف عنها، فقد استغلت نفس الظرف، غير أن لها أسبابها الموضوعية الخاصة بها. فمجال بومزگيدا هو ساحل تامسنا. فحومة أفندغل تقع ضمن الهضبة الوسطى، وثورته بها تعني اختيار الموقع الاستراتيجي في أدغال الهضبة الوسطى ـ آنذاك ـ حومة أفندغل من أحواز عين اغبولة (*أخبار المهدي*، 83 والهامش بنفس الصفحة).

ـ فلمجاله الجغرافي ـ ساحل تامسنا وعين غبولة ـ أهمية قصوى في الربط ما بين شمال المغرب وجنوبه، ومبايعة برغواطة له وقبائل كثيرة من البربر لها دلالة كبيرة، فالموحدون قد اعتبروا أرض غير الموحدين ـ حتى ولو كانوا مصامدة ـ ملكاً لهم وأهلها مجرد متصرفين فيها بأمر الموحدين، لذلك كانت ثورة برغواطة أكثر صلابة وخطراً على الدولة الموحدية، فقد هزموا في عدة معارك أكبر قواد عبدالمومن بل وهزموه هو نفسه ( *القرطاس*، 190) ثم استعدَّ لهم وأعاد الكرة في نفس السنة 1149/543 ـ 1150 فانتقم منهم شر انتقام. "فأجال فيهم السيف ولم يبق منهم إلا من

لم يبلغ الحلم" ( *القرطاس*، 190). بعد بضعة أشهر 1150/544 ـ 1151 ثار بومزگيدا والتفت حوله قبائل البربر وبرغواطة للأخذ بالثأر من الموحدين وأساسا ضد انتزاع أراضيهم من طرف المخزن الموحدي الذي شرع في إقامة بنياته التحتية وأسسه المالية والأمنية بانتزاع الأراضي، واستعمال التكسير ورسم الطرق والمحلات والمنازل، وتأمين تموينها بالماء والزاد والعلف. في هذا الإطار جاء تركيز عبدالمومن على المنطقة الاستراتيجية لبرغواطة، فحاول انتزاع منطقة عين غبولة باعتبارها محطة ضرورية قبل الوصول إلى الرباط عند القدوم من مراكش، إضافة إلى رغبته في تزويد رباط الفتح بالماء، وأقرب المياه وأغزرها مياه عين اغبولة، لذلك سارع عبدالمومن بمجرد القضاء على ثورة بومزگيدا سنة 1150/544 ـ 1151 إلى جر مياه عين اغبولة إلى رباط الفتح 1151/545 ـ 1152 ( *أخبار المهدي*، 73) ففي ذلك أكبر دليل على أن أسباب ثورة بومزگيدة غير أسباب الثورات الأخرى، ومما يزيد الأمر تأكيداً، أن الخليفة الموحدي أشرف بنفسه على عملية جر المياه، إذ مكث قائما على الأشغال مدة خمسة أشهر، أي أنه كان يرغب في أن تتم العملية على وجه السرعة، مما يعني، أن الزعم القائل بالقضاء على برغواطة وإبادتهم مبالغ فيه، فها هو الخليفة خائف من غاراتهم المفاجئة، وبالفعل فقد تعطل جريان مياه عين غبولة وانقطع عدة مرات في عهد ابنه من بعده ( *المن بالإمامة*، 448).

ثورة بومزگيدا إذن، ليست إلا حلقة من الصراع المرير بين الموحدين والبرغواطيين أو لنقل بين مصامدة الجبل ومصامدة السهل، فمصامدة الجبل وبيدهم السلطة يعتبرون أنفسهم أقوى من جيرانهم وأبناء عمومتهم، إلا أن البرغواطيين برصيدهم التاريخي وملاحمهم لم يرضخوا للمخزن الموحدي، بل إنهم أذاقوه الهزائم تلو الهزائم، وما ثورة بومزگيدا إلا نموذجا من انتصاراتهم. فحتى إذا أخذنا العبارات المقتضبة التي أشار بها البيذق إليها، أو نهاية الثورة التي أشار إليها *روض القرطاس* فإنها تنم عن موقف مقصود للتقليل من أهميتها مما يجعلنا نشك في قوله "...وبقي مدة يحارب الموحدين إلى أن ظُفر به فقتل وحمل رأسه إلى مراكش، وقتل معه خلق كثير من البربر".

فصاحب *القرطاس* يوهمنا أن الثورة قامت وانتهت في نفس السنة إلا أن العبارات التي استعملها لا تسير في نفس الاتجاه. فالمدة الواردة في النص غير محددة، وكذلك المعارك لم تحدد ولم يحدد من الذي ظفر به، يضاف إلى ذلك أن الصراع البرغواطي ـ الموحدي استمر في عهد خلفاء عبدالمومن ولم يقض عليهم إلا حفيده يعقوب المنصور الذي يمكن القول إنه اتبع في إبادتهم ما يعرف عسكرياً بسياسة الأرض المحروقة.

البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*.

محمد حجاج الطويل

**بومسهول**، أو البومسهوليّون، أسرة شريفة من سلالة أبي عمران، حفيد إدريس الثاني الذي يوجد قبره بقرية (أيت بوعمران بوادي دادس الأوسط) جدهم أحمد بن عبدالقادر بومسهول لذلك يقال لهم أيضا البوعمرانيون والبعمرانيون. كانت الأسرة تقطن بقرية إيماسين بأسافل وادي دادس في تراب قبائل أيت سَكْري المغرانية الهسكورية (مجال مصمودة). وخلال العقد الأخير من القرن الماضي انتقل البومسهوليون في ظروف غامضة من زاويتهم الأولى بإيماسين إلى مكان قريب من قرية تِرگوْتْ الموجودة ضمن تراب أيت إحْيا السدراتيين (مجال صنهَاَجة) فأسسوا به زاوية جديدة تعرف بزاوية مولاي عبدالملك نسبة إلى مؤسسها.

وكون موقع زاويتهم الأولى بإيماسين والثانية بأيت إحيا أمرٌ مهم، إذ هو موقع يوجد بين مجموعات قبلية مهمة هي اتحاديات إمْغْران و إمگّونْ (مگّونة) وأيت سدرات. ونظراً لوجود هذه القبائل في ما وراء الأطلس، وهي منطقة ذات مناخ شبه صحراوي، فإن هذه القبائل كانت دوما تتنافس في السيطرة على أماكن الرعي وخاصة في جبل صغرو المحاذي لترابها. ومن ثمة كانت الصراعات تقوم على أشدها فيما بينها واستمرت إلى عهد قريب. لذلك ظلت هذه المنطقة مرتعا خصباً لتحرك الزوايا والمرابطين (إگرَامْن) والصلحاء. ولكل قبيل من هذه القبائل زاويته وصلحاؤه الذين يحتكم إليهم كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وكانت زاوية البومسهوليين بإيماسين من بين هذه الزوايا التي كان لها دور أساسي خاصة لدى قبائل أيت سَكْري خلال القرن الثالث عشر (19 م).

**بومسهول، أحمد** بن عبدالقادر، تبين المراسلات المخزنية التي في حوزة حفدته بزاوية مولاي عبدالمالك بدادس دور الوساطة الذي كان يلعبه بين السلطة المخزنية بمراكش وقبائل إمغران ونواحي إمليل. وذلك على مدى سبع وثلاثين سنة ما بين سنتي 1258 / 1842 ـ 1295 / 1878. بيد أن مولاي المامون الذي لا نعرف عنه أي شيء هو الذي كان على رأس زاوية إيماسين إلى حدود سنة 1842/1258 ورد اسمه في رسالة مخزنية بهذا التاريخ تشير إلى "كافة الشرفاء العمرانيين بإماسين لوقوفهم وراء مولاي المامون فيما يخص الأمور المخزنية" إلا أن شخصية مولاي أحمد مافتئت تذكر في الأحداث منذ ذلك التاريخ.

فقد جاء في رسالة من مولاي عبدالرحمان بتاريخ فاتح جمادي الثانية سنة 1258 يخاطبه بقوله : "محبنا الناصح الشريف مولاي أحمد البعمراني".

وفي سنة 1844/1260 حثه السلطان ليتدخل ضد أيت عطا في نزاعهم مع أحد شيوخ هذه المناطق وهو إبراهيم السُّومر. وله مراسلات مع خليفة السلطان بمراكش. وإحدى هذه المراسلات وهي مؤرخة في يوم 6 محرم الحرام سنة 1268 هـ تخبره بأن السلطان محمد بن عبدالرحمان قد استدعاه لحضرته للقاء به "لكون الحاجة دعت إليه".

وفي 26 ربيع النبوي سنة 1272 هـ أمر السلطان هذا الأخير بالتدخل لدى شرفاء أيت بوعمران لكونهم "دخلوا فتنة مغرانة". ويبدو أن تدخله لديهم كان مجدياً (وذلك هو مضمون رسالة مؤرخة في فاتح جمادى الأولى عام 1272 هـ).

واضح مما سبق، أن أحمد بن عبدالقادر بومسهول منذ ظهوره على مسرح الأحداث في سنة 1842/1258 ظل شخصية مرهوبة الجانب يحسب لها حسابها لما له من تأثير على القبائل من جهة وما له من علاقات حسنة مع المخزن من جهة ثانية. ورغما عن ذلك، لم يكن الحظ حليفه ليحظى بتمثيل المخزن بصورة رسمية بهذه المناطق.

وكان وصول مولاي الحسن الأول إلى الحكم فرصة أخرى لأحمد بومسهول فبعث إليه أخاه وولده اللذين لم تكشف المراسلة عن اسميهما وبمعيتهما.

لم يتمكن أحمد بومسهول من تحقيق أمنيته السياسية نظراً لظهور منافس له في عائلته بإماسين وهو محمد بن عبدالرحمان، ومن جهة أخرى نظراً للوضعية العامة التي كانت سائدة آنذاك في مناطق ما وراء الأطلس والتي كانت تعمل لصالح أسرة قوية هي أسرة الأكلاويين التي بدأت تحركاتها صوب دمنات والمناطق الجنوبية الموالية لها كإمغران ودادس ودرعة.

**بومسهول، عبدالسلام** بن عبدالمالك. خلف أباه آتي الترجمة في الزاوية وتبنى الطريقة التجانية مخالفا بذلك أباه الذي كان درقاويا. وفي عهده عرفت الزاوية ازدهاراً كبيراً نظراً لكثرة الموارد والأملاك. وكانت تتقاطر عليها القبائل من إمغران ودادس ومگونة لفض النزاعات وإصلاح ذات البين فيما بينها. واعتباراً لهذا الدور الأساسي الذي كانت تلعبه الزاوية أسندت خطة القضاء بهذه المناطق لزعيمها عبدالسلام بن عبدالمالك منذ سنة 1355 / 1936 ولم

يشغله منصبه عن الاهتمام بشؤون الزاوية، فأحضر إليها عدداً من فقهاء هذه المناطق أمثال محمد بن السعيد الدادسي ومحمد بن الحبيب الدرعي ومحمد بن عبدالله التِّزَاراني ومحمد بن أبي الدنيا المغراني، وألقيت بالزاوية دروس كانت تختم سنويا في الأسبوع الثاني من شهر محرم، وكان طلبة القبائل وفقهاؤها والزوار يفدون على الزاوية لحضور حفل الاختتام الذي يستمر خمسة عشر يوماً تتعاقب خلاله حلقات الطلبة على تلاوة القرآن الكريم، كما يستمعون كل يوم صباح مساء إلى دروس دينية يقوم بإلقائها فقهاء الزاوية. واستمر الحال هكذا إلى أن توفي الشيخ عبدالسلام سنة 1956/1375 تاركاً أمر الزاوية في يدي ابنه محمد المختار الذي يتعاون اليوم مع أولاد عمه في تدبير شؤونها.

**بومسهول، عبدالملك** بن أحمد بن عبدالقادر، ولد حوالي 1821/1236، وخلف أباه بعد وفاته على زاوية إماسين. كان صوفيا عزوفا عن الدنيا وزخرفها، ولأسباب لم تكشف عنها الوثائق المكتوبة اضطر عبدالمالك إلى الرحيل من زاويته بإماسين إلى بومحشاد في هسكورة التي استقر بها مدة لا تقل عن عامين. وبعد ذلك نزح إلى تركوت بأيت إحيا السدراتيين (قلعة مگونة) فبنى بمكان قريب من هذه القرية زاوية لا تزال تعرف باسمه. وقد تم ذلك في غضون العقد الأخير من القرن الماضي، وربما كان هذا الرحيل الاضطراري نتيجة الاضطرابات التي شهدتها القبائل بعد وفاة الحسن الأول. ولا يستبعد كذلك أن يكون ذلك الجو المضطرب قد أجج من جديد الصراعات القديمة بين عظم بومسهول الذي ينحدر منه عبدالملك، وعظم أعمامه أيت عبدالله. وتتحدث الرواية الشفوية عن وقائع حدثت بين الطرفين كانت فيها اليد الطولى لمحمد الابن الأكبر لعبدالمالك. ويبدو أن هذا الأخير تأسف كثيراً لما وقع بزاويته فأقسم أن يغادر إمَاسين بحثا عن مكان جديد ينزوي فيه.

وهكذا حظي عبدالملك بعناية سكان قبيلة تركوت الذين رحبوا به وسمحوا له ببناء زاويته فوق ترابهم. وحسب وثيقة يعود تاريخها إلى سنة 1897/1314 فإن بعض سكان قبيلتي إقدَّرْن وأيت تَزَرين المجاورتين لقرية تركوت وقفوا بدورهم أراضي فلاحية على الزاوية الجديدة التي سرعان ما امتد نفوذها ليشمل دادس وقبائل إمگون إضافة إلى إمغران. والذي لا مراء فيه أن ظهور زاوية عبدالمالك بهذه المناطق يشكل أهم حدث سياسي وديني عرفه وادي دادس في نهاية القرن الماضي وبداية القرن العشرين، أي قبل أن تصل إليه سلطة الأكلاويين بشكل مكثف ما بين سنتي 1920 و1930 وهي معززة من طرف القوات الفرنسية.

ومما يدل على الأهمية التي كانت لهذه الزاوية الجديدة بالمنطقة أن الأكلاوي قام بمجرد وصوله إليها بإلقاء القبض على مؤسسها عبدالمالك فسجنه بمراكش مدة سنتين ونيف. وكان ذلك سنة 1919/1337، وبعد إطلاق سراحه التحق بزاويته حيث توفي سنة 1923/1341.

*وثائق ومراسلات مخزنية في حوزة الحاج محمد بن عبدالسلام* البومسهولي بزاوية عبدالمالك ؛ م. حمام، *"وثائق غميسة حول زاوية اتسفال"، مجلة دار النيابة*، ع 6 ربيع 1985، ص 51، ص 57.

محمد حمام

**بُومعزة**، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر انقرضت في أوائل القرن الحالي، ومن الأمثال التطوانية : هَوّل السوق

بومعزة.

وهناك رأس بومعزة، بشاطئ قبيلة أنجرة الموالي لبوغاز جبل طارق، يقع بين مصب وادي أليان ورأس قنقوش، وقد احتفظ له الإسبان باسمه الحقيقي Punta Maaza في جميع خرائطهم.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 6 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum* ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, p. 50.

محمد ابن عزوز حكيم

**بومعيلقة** - حسب النطق الدارج بالمغرب - أو أبوملعقة أو ملاعقي في اللسان الفصيح. جنس طيور مائية من طوال الساق القواطع تتميز بمناقيرها الكبيرة الملعقية الشكل. تنتمي إلى رتبة اللقلاقيات Ciconiformes وفصيلة Threskiornithidae وجنس Platalea الذي يضم ستة أنواع، منها نوع واحد يعيش في شمال افريقيا وأوروبا وآسيا يسمى علميا Platalea Leucorodia ويدعى بالفرنسية Spatule européenne وبالأنجليزية Spoonbill. يعرف في المغرب أيضاً "صُبَاتُولْ" المأخوذة من الفرنسية. ومن أسمائه في الشرق العربي دواس ومدواس.

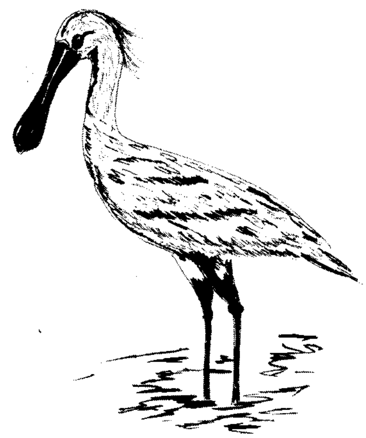

الريش أبيض والمنقار أسود طويل يشبه الملعقة، الأرجل سوداء طويلة. تظهر على الرأس قبعة في فصل الصيف. يمتد العنق إلى الأمام والأرجل إلى الخلف أثناء الطيران. تتوالد في أواخر فصل الربيع وتضع الأعشاش متقاربة مع بعضها بين القصب والحشائش المحاطة بالمستنقعات والبحيرات. تضع الأنثى من 3 إلى 5 بيضات منقطة بالأسود تزن كل منها 38 غراما. تدوم الحضانة 28 يوما. يطعم الزوجان صغارهما إلى أن تغادر الأوكار بعد خمسة أسابيع. يكسو الصغار ريش أبيض وتصير بالغة بعد ثلاث سنوات. يبلغ طولها 90 سم وتزن بين 1،4 و1،7 كلغ. تتراوح بسطة الجناحين ما بين 130 و140 سم.

إنه طائر اجتماعي يعيش وسط مجموعات كبيرة مكونة من أنواع مختلفة من الطيور المائية. يقضي النهار فوق الأشجار وعلى جانب المياه الغير العميقة ويرمي بمنقاره في الماء ليتغذى من الديدان والحشرات والأسماك والرخويات التي يصادفها. يقوم الزوجان برقصات وبحركات غريبة قبل التزاوج.

يوجد في عدة بحيرات مغربية منذ فصل الخريف إلى أواخر فصل الربيع، نذكر منها بحيرة مولاي بوسلهام، ضاية سيدي بُوغابة، بحيرة سيدي موسى، الوليديّة، بحيرة خنفيس، بحيرة العيون، وجميع مصبات الأنهار الأطلنطية والمتوسطية وبعض السدود.

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc, Janvier 1986 - 87 - 88. Doc. Inst. Sc.*, 11, Rabat, 1988 ; W. Reade et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids; Reproduction, œufs et jeunes*, Paris, 1968, p. 191 - 192 ; C. Harrision, *Les nids : les œufs et les poussins d'Europe en couleur. Multiguide nature*, Paris, 1977, 430 p ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984, p. 124 - 125.

محمد رمضاني

**بُومْقَيِّص**، هكذا يسمى في المغرب، وفي القواميس أبومقص والنُّهيك، دويبة من الحشرات Insectes لها في المؤخرة ما يُشبه المقص وتعرف أيضا بثاقبة الأذن إلا أنها لا علاقة لها بذلك، وسميت هكذا لأنها تحمل في مؤخرة البطن مَلاقط كُلابية كثيرة الشبه بالآلة الطبية التي تستعمل لثقب أذن الإنسان. يزعمون أنها تدخل الأذن وتثقبها، وأن مقصها يقطع ذكر الصبيان.

تنتمي هذه الحشرة إلى رتبة جلديات الأجنحة الرواكض Dermapteres وفصيلة النهيكيات أو ثاقبات الأذن Forficulidae يسمى علميا Forficula auricularia وبالانجليزية Earwig وForficule وبالفرنسية Perce-Oreilles.

الجسم مفلطح مستطيل سداسي القوائم. الملاقط الكلابية Forceps مقوسة عند الذكور ومستقيمة عند الإناث. يتراوح طوله ما بين 8 و20 ملم. يختلف اللون حسب الأنواع، فمنها الصفراء والسوداء والبنية. الأجنحة قصيرة جداً ولا تستعمل للطيران. يوجد منه 1293 نوعاً موزعة في المناطق الحارة من العالم، منها 15 نوعا تعيش في المغرب كلها ليلية النشاط وتختفي نهاراً بين الأعشاب

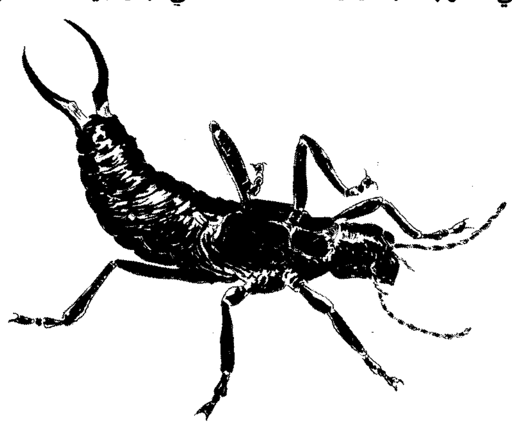

وتحت أوراق الأشجار المتساقطة وتحت الأحجار وبين شقاق الجدران والصخور وتحت قشرات جذوع الأشجار. تفضل العيش في الأماكن الرطبة وهي حيوانات قارتة تأكل الديدان والحشرات ورؤوس البراعم والنُّبَيْتَات مما يجعلها

تخلف خسائر في المزارع المغطاة (Serres).

إن نوع Labidura riparia truncata يفضل أكل الديدان وخاصة منها دود الفراشة الليلية التي تضر بنبات القطن مما يرغب في وجود بومقيص داخل هذه المزارع. وهناك أنواع أخرى تأكل الأرقة Puceron مما يرغب فيها داخل حقول الحوامض.

يبتدئ التوالد في أواخر فصل الربيع ويدوم التزاوج بضع دقائق ثم تحفر الأنثى غاراً صغيراً تنظفه ثم تضع فيه ما بين 30 و80 بيضة تعتني بها كثيراً مما يميزها عن باقي أنواع الحشرات الأخرى. تلحس البيض مراراً وتقلبه لتحميه من الجراثيم ومن الفطريات التي تفتك به وتمنعه من التفقيس في حالة اعتزال الأم. تنظف الأنثى اليرقات بعد خروجها من البيض وتدوم مدة التطور عدة أيام تمر اليرقات خلالها من خمس مراحل قبل أن تصير بالغة.

من بين الحيوانات التي تأكل بومقيص الطيور والقنافذ والضفادع، وكثيراً ما يتطفل عليها عدة أنواع من الخيطيات (Nématodes).

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

*Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et des Techniques: Zoologie* II, 41 - 42 ; I. Bolivar, *Dermaptera y Ortopteras de Esp. Hist. Nat.* 8 - 1914, 157 - 239.

نجاة الخياطي

**بومنينة**، (سيدي ـ) دفين خارج شالة حيث يوجد فوق التل المعروف بجبل سيدي بومنينة ثلاث قباب قديمة إحداها غربية والأخرى جنوبية والثالثة شمالية. أما القبة الشمالية فهي التي تحتضن رفات سيدي بومنينة الذي لا يعرف عنه سوى ما تتداوله الروايات الشفوية، إذ يقال إنه من قبيلة السوالم، لذلك كان السالميون يتصرفون في "فتوحاته".

ويذكر الضعيف في حوادث سنة 1205 أنه وقع قتال بين قبيلتي الشاوية والصبّاح قرب سلا "على المكاز" وقتل من الشاوية نحو المائتين من خيارهم منهم إدريس ولد بومنينة ومحمد بن الحطاب. وربما كان إدريس المذكور هو صاحب الضريح. لكن محمد بن علي دينية يقول إنه وجد ببعض التقاييد أن اسم صاحب الضريح علي وليس إدريس.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، 58 ـ 63 ؛ *روايات شفوية*.

عبدالاله الفاسي

**بومنشار**، أو أبومنشار، والمنشار، وسمك المنشار، ويسمى أيضا في المعاجم، اللُخْم، جنس أسماك بحرية من الغضروفيات Chondrychthyens. تنتمي إلى رتبة Hypotremata وردف رتبة Rajiformes وفصيلة Prestidas. تتميز بخرطوم طويل مصفح كالمنشار يحمل على كل جانب عدة أسنان حادة. شكله قريب الشبه من سمك القرش، الفتحات الخيشومية والفم على السطح البطني للجسم، يحمل الظهر زعنفتين كبيرتين متساويتين، الزعنفة الذيلية عمودية وكبيرة، تكسو الجسم عدة أسنان جلدية صغيرة. الظهر والجوانب بُنية إلى رمادية مصفرة، البطن أبيض لامع.

تتكون الفصيلة من جنس واحد Fristis يضم عشرة أنواع تعيش كلها في مياه المناطق الحارة، نوعان منها يعيشان في السواحل الأطلنطية المغربية و نادرة جدا في البحر المتوسط :

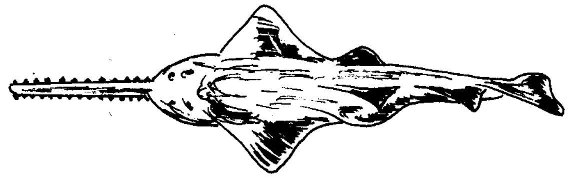

ـ Pristis pristis يدعى بالفرنسية Poisson-scie tident وبالأنجليزية Smalltooth sawfish و بالاسبانية Pejepeine. يتميز بخرطوم يحمل من 15 إلى 20 سنا في كل جانب. يعيش في كل من السواحل الأطلنطية البرتغالية والإسبانية والإفريقية منذ طنجة إلى الجنوب. يبلغ طوله أربعة أمتار ونصف.

ـ Pristis pectinata يدعى بالفرنسية Poisson-scie commun وبالإنجليزية Common sawfish وبالإسبانية Pez sierra comun. يتميز بخرطوم طويل يحمل من 24 إلى 32 سنا في كل جانب. يعيش في السواحل الأطلنطية الإفريقية منذ طنجة إلى الجنوب. يبلغ طوله خمسة أمتار.

كل الأنواع ولودة تتكاثر بالنسل وغير سُخْدية، تعيش وسط مجموعات غير بعيد عن سَطح البحر والشواطئ، وتدخل أحيانا البحيرات الساحلية ومصبات الأنهار. تستعين بالمنشار للبحث عن الحيوانات الصغيرة داخل

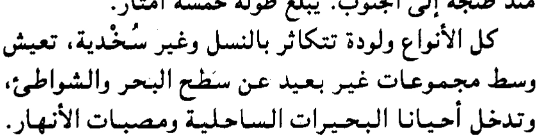

الحشائش والرمال والوحل، وكثيرا ما يخشاها البحارة.

يصاد بواسطة الشباك ويستهلك طريا ومجمدا ومجففا مملحا، وكثيرا ما يصاد ليباع منشاره كتذكار. نادر في أسواق الأسماك المغربية.

G. Bianchi, *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1984, p. 65 - 66 ; W. Fischer, M. Schneider et M. L. Bauchot, *Méditerranée et Mer Noire, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1987, p. 1128 - 1131, 1419 - 1420.

محمد رمضاني

**بُومْهَاوْت**، يطلق في أسواق الجنوب المغربي وخاصة في أسواق دادس على الشخص الذي له خبرة ومعرفة بشؤون البهائم. يستشيره الناس عند بيع أو شراء بهيمة ما في السوق. ويبدو أن كلمة بومهاوت محرفة عن بومهاود ـ بالدال ـ مشتقة من الكلمة العربية المهاودة (من فعل هاود) التي تعني المساومة والتوسط بين التجار لتحديد أثمان البضائع المراد بيعها أو شراؤها. وقد ورد أيضاً عند دوزي : "تهاودوا على السومة" أي اتفقوا على الثمن.

وهكذا، فبومهاوت هو ذلك الخبير الذي يُقرِّب بين البائع والمشتري لتحديد ثمن البهيمة المبيعة. ومقابل

وساطته يتقاضى من الطرفين واجباً مادياً عن طريق المكارمة يتباين باختلاف الأثمنة والناس. وإذا كانت لبومهاوت دراية بشؤون البهائم، فإن بمقدوره أن يحدد نوع فصيلتها، وعمرها، وأن يشخص مرضها إذا كانت مصابة بمرض. ومن ثَمَّ فهو "طبيب بيطري" تقليدي يقوم بعلاج البهائم المريضة. وكثيراً ما يلجأ في علاجه إلى طريقة الكَيِّ المعروفة محلياً بـ تيقّدْ، جمع تيقّادْ.

وتجدر الملاحظَة إلى أن عَدداً قليلا من الأشخاص هم الذين يزاولون هذه "المهنة" إلا أن تجربتهم تختلف من شخص إلى آخر. فهناك مَن له تجربة واسعة في جميع أنواع البهائم من بقر وبغال وحمير إلخ ... بينما هناك من له تجربة خاصة بنوع خاص من هذه البهائم دون غيرها. وعادة ما ينفرد شخص في المنطقة بتجربته الواسعة ويكتسب شهرة ويحضر كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

بطرس البستاني، *محيط المحيط*، مكتبة لبنان، 1944 ـ 1979، ص 947 ؛ *تحريات ميدانية*.

R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, T. 2, Beyrouth, 1981, p. 770.

محمد حمام

**بومهدي**، أبو **بكر** بن محمد. ولد بالدار البيضاء في 11 صفر عام 1336 / 26 نونبر 1917 وبها تعلم تعليماً أصيلا وعصريا قبل أن يلتحق بفرنسا وينال الإجازة في القانون من جامعة بوردو.

خاض غمار الكفاح السياسي وهو مازال طالباً بفرنسا، وترأس تحرير جريدة *الاستقلال* التي كانت تصدر باللغة الفرنسية، وباشر مهنة المحاماة بمكتب الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد، ثم التحق بديوانه حين عين وزير دولة مكلفاً بالمفاوضات وأسهم بذلك في تحرير الاتفاقيات الجديدة التي

قامت عليها العلاقات المغربية الفرنسية، وقد أسندت إليه بعد ذلك مهمات ومناصب سامية في الداخل والخارج قام بها أحسن قيام، وعين سفيراً للمغرب في دكار ثم في أديس أبيبا، وساحل العاج ورومانيا. واشتهر بدماثة الأخلاق وسعة الافق ورحابة الصدر والجد في العمل.

توفي بالرباط يوم ثاني ربيع الأول عام 1413 / 31 غشت 1992.

ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 280 ـ 281 ؛ جريدة *العلم*، 1992.9.2.

محمد حجي

**بومهدي**، قرية تنتمي منذ القديم وإلى غاية الوقت الراهن إلى قبيلة بني عروس الهبطية، مندرجة ضمن فرقة بني ومراس. يقترن اسم القرية بوجود كدية (204 م). وعين غزيرة المياه تدعى بالحمامات، تتدفق مياهها بقرية الجنتل. ويتوسط موقع قرية بومهدي الطرق المؤدية إلى جبل حبيب وبني حمايد وبني عروس الجبلية بني گرفط. وفي بداية القرن السابع (13 م) كانت القرية "عزيبا" خاصا بالشيخ مولاي عبدالسلام بن مشيش العلمي الإدريسي، ولا تزال بالمكان آثار تنسب إليه كعين الحمامات، وكانت داره بإزائها وبجانبها مسجده. وما تزال أغلب أراضي القرية في ملك حفدة الشيخ العلمي إلى اليوم.

استغل برتغاليو أصيلا موقع القرية التي غادرها أهلها منذ احتلال المدينة، فاتخذوا منه طالعاً لمراقبة الطرق النافذة إلى القبائل المجاورة. ولم يعد أهل القرية من نقط التجائهم ببني عروس الجبلية إلا بعد الجلاء البرتغالي عن أصيلا سنة 957 / 1550.

ج. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة* 2: 345 ـ 349 ـ 410 ـ 413 ـ 491 ؛ الطاهر اللهيوي، *حصن السلام بين يدي أولاد عبدالسلام*، ص 421 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 56.

B. Rodrigues, *Anaïs de Arzila*, 1 : 52 - 210 - 303.

حسن الفكيكي

**بومية**، (قصبة قديمة، وجماعة قروية، ومركز حضري حديث). كان بومية يطلق في الأصل على قصبة لأيت سعيد أُحْسين إحدى فرق أيت بوگمّان وأصبح في الوقت الراهن يطلَق على إحدى جماعات إقليم خنيفرة وعلى مركزها المنتميين إدارياً إلى دائرة ميدلت.

تمتد هذه الجماعة القروية على مساحة 828 كلم$^2$ وتحدها جماعات إدْزَر وأيت أُمغار من الشرق وتُونفيت من الجنوب وكرُوشن والقباب من الغرب وموحى أُحمو الزياني وعين اللوح من الشمال.

تشكل بومية من الناحية الطبيعية جزءاً من حوض ملوية الأعلى الواقع على ارتفاع يتراوح بين 1.500م و1.600م. وكسائر أراضي هذا الحوض تتميز أراضيها بالانبساط وبالرتابة التي لا يحد منها سوى واد ملوية وروافده القادمة من الأطلسين الكبير جنوبا والمتوسط شمالاً و مخروط بُركا تُوركَنْجيت المشرف على بومية.

تتكون هذه السهولَ من تشكيلات نيوجينية قارية (طفل، رصيص، كلس بُحيري ...)، أخذت شكلها في الزمن الرابع. وإلى نفس الزمن تعود المواد البركانية المنتشرة قرب بومية.

توضعت هذه التشكيلات الحديثة العهد فوق تكوينات طفلية وكلسية أو حثية من الكريتاسي تعْلو هي الأخرى

تكوينات دُولُوميتية وطفلية من الجوراسي.

ونجد تحت الجوراسي تكوينات برموترياسية تستقر فوق القاعدة الهرسينية المكونة من الگرانيط والشيت التي تبرز بما يسمى بكتلة بومية.

وتفسر هذه الظروف الجيومرفلوجية انحصار التربات المتطورة والخصبة داخل مساحات محدودة وعلى طول المجاري حيث تكونت مدرجات نهرية. كما يفسر تعاقب الطبقات الصخرية المنفذة وغير المنفذة وجود فرشات مائية متفاوتة العمق.

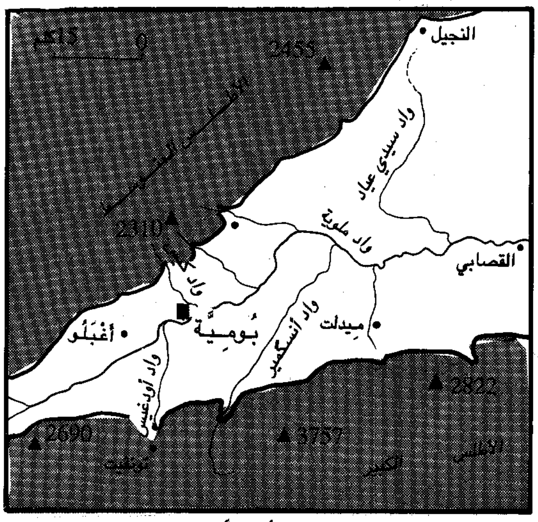


موقع بُومِيَّة

وقد لعب المناخ دوراً كبيراً في إعطاء المنطقة معالمها الجيومرفلوجية وهو الذي يفسر طبيعة الغطاء النباتي "الشبه سُهُوبية". والموقع بين جبلين مشرفين (الأطلس الكبير جنوباً والمتوسط شمالا) هو المسؤول عن الخصائص المناخية. مناخ قاري جاف يتميز بشتاء بارد ضعيف الرطوبة وبصيف حار جاف. ويسجل معدل الحرارة القصوى في يوليوز ما بين 32،9 د و33،8 د. أما معدل الحرارة الدنيا فيسجل ما بين 0،2 د. إلى 1،3 د في يناير. ويتراوح معدل الحرارة السنوي بين 13 د و14 د.

أما كميات التساقطات، فتسجل معدلاً في حدود ما يسمح بقيام زراعة بورية (300 مم في السنة). لكن هذا المعدل يخفي تفاوتات زمنية أحيانا كبيرة وتباينات مجالية تتمثل بالأساس في نقصان هذه الكميات من الغرب نحو الشرق. ففي إدْزَر يصل هذا المعدل 362 مم بينما لا يصل في ميدلت شرقا سوى 235 مم. وقد تأتي هذه التساقطات على شكل ثلوج تكسو سطح الأرض لبعض الأيام خلال الشتاء. وعلى شكل عواصف خلال الصيف. ويعتبر مناخ حوض ملوية الأعلى مناخا جافاً ذا نزعة جبلية واضحة. فالتبخر يقدر بـ 777 مم بينما لا يصل معدل التساقطات سوى 266 مم. ومما يعزز الطابع الجاف لمناخ هذه المنطقة، هبوب رياح الشرگي.

وبديهي أن تكون قيمة الماء مع هذه الخصائص المناخية مرتفعة. فهو الوسيلة الأولى والعامل الأساسي للاستقرار وللإنتاج. وحظوظ ملوية العليا، التي تنتمي إليها جماعة بومية، من هذا المورد الطبيعي الهام كبيرة نسبيا بالمقارنة مع باقي حوْض ملوية. فعلاوة على التساقطات التي تمكن من الزراعة البورية، تعْبُر المنطقة مجموعة من الوديان والمجاري المائية القادمة من الأطلسين المتوسط والكبير في اتجاه واد ملوية الذي يشكل المصرف الرئيسي،وهي عموماً مجاري دائمة. أمّا باطن الأرض فيختزن كميات كبيرة من المياه توجد بالنسبة لجماعة بومية على عمقين : 13 . 15 م بجوار مجرى ملوية و300 م في باقي الأجزاء. لكن تبقي هذه الفرشة الثانية مالحة.

وباعتبار الطابع الجاف للمناخ يمكننا فهم طبيعة الغطاء النّباتي شبه السهوبية. فمعظم نباتات المنطقة تتمثل في النباتات الشوكية الخفيفة وفي الشيح، كما أنه باعتبار الخصائص الجيومرفلوجية والمناخية والنباتية يمكن تفسير طابع الفقر الذي يميز تربات المنطقة. وبالرغم من الجوانب السلبية التي يتميز بها الوسط الطبيعي في هذا الجزء من حوض ملوية الذي تنتمي إليه بومية، فإمكانيات الاستقرار وقيام أنشطة رعي - زراعية وتجارية متوفرة.

ترتبط ظروف تعمير بومية بظروف تعمير باقي حوض ملوية الأعلى. فقد تم هذا التعمير في إطار ما يعرف "بحركة أيت أُمالُو" ويعني ذلك انزلاق القبائل المكونة لما كان يعرف بحلف إدْرَاسَن وبحلف أيت أمالو وأخيراً بحلف أيت يَفْلْمان من الجنوب والجنوب الشرقي نحو الشمال والشمال الغربي، عمّر بعضها مرغما وبعضها بحثا عن الأراضي والمراعي الغنية. تم هذا الانزلاق بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر على وجه الخصوص. وخلال منتصف القرن الأخير تمددت مواقع الكيانات القبلية بعد صراعات فيما بينها وتدخلات من طرف المخزن (الناصري ؛ Cdt Bouverot ; R. Raynal).

يتشكل سكان جماعة بومية إجمالا من قبيلتي أيت بوگمان وأيت مسعود المنتميتين إلى مجموعات قبائل بني مگيلد، وهي مجموعة كانت تتشكل من لفّيْن : لف أيت عبدي ولف أيت أُمْناصفْ الذي ينقسم بدوره إلى لفين ثانويين، أيت أگادير وأيت بوگمان ضد أيت مسعود. وعندما وصل جيش الاحتلال الفرنسي سنة 1917 إلى المنطقة قاومه سكان بومية وأدى بهم ذلك إلى التخلي عن أرضهم وقصباتهم بما في ذلك قصبة بومية واعتصامهم عند جيرانهم أيت يحيى بأطلس تونفيت.

وإذا سلمنا بأن جماعة بومية تتشكل من أراضي أيت مسعود وأيت بوگمان فبإمكاننا تقدير عدد سكانهاعام 1920 . بالنظر إلى ما أورده Cdt Bouverot حول عدد الخيمات والدّور والقصبات . بـ 5.000 إلى 6.000 ن بكثافة 9 إلى 10 ن/كلم2.

ومنذ هذا التاريخ والسكان في تزايد متواصل بالرغم من اختلاف وتيرة النمو حسب الفترات. "فإذا كانت نزعة تطور السكان الريفيين على الخصوص بحوض ملوية العليا

خلال الأربعينات والخمسينات هي الثبات أو النقصان، فعند القبائل التي تعرف التوافد مثل أيت بوگمان وأيت مسعود يلاحظ ارتفاع في عدد الأطفال مما يغيّر نزعة التطور المذكور" (R. Raynal, 299) .

وحسب إحصاء سنة 1982، وصل عدد سكان الجماعة إلى 18.724 نسمة موزعين على 12 فخذة تتكون من 43 دواراً وبمركز بومية. وقد مر عددهم من 11.490 نسمة سنة 1960 إلى 15.277 نسمة سنة 1971. وتدل هذه المعطيات على أن وتيرة النمو الديموغرافي كانت أسرع في العشرية الأولى (2،62٪ في السنة) بالمقارنة مع العشرية الثانية (1971 ـ 1982) 1،86٪ فقط.

ويبدو أن سبب هذا الاختلاف راجع إلى كون الجماعة شأنها في ذلك شأن باقي حوض ملوية العليا كانت تستقطب عددا من المهاجرين الذين كانوا يعملون في الفلاحة. فحسب Raynal, p. 300 وصلت نسبة المتوافدين الذين استقروا عند أيت بوگمان وأيت مسعود خلال جيل (أي بين 1920 و1950) إلى 10٪ من السكان.

أما التلاشي الحاصل في وتيرة النمو بعد سنة 1971 فلا يمكن عزله عن ظاهرة النزوح التي سجلت بالمنطقة بسبب ندرة فرص الشغل إثر توسع الأراضي الزراعية التي قلصت من إمكانيات الرعي وظهور استغلاليات عصرية تعتمد على الآلات.

وبالرغم من التباطؤ في وتيرة النمو الديموغرافي بالجماعة، فالزيادة المتواصلة في العدد المطلق عن طريق الولادات أعطت للساكنة بنية تتميز بالفتوة حيث يشمل الذين لا يتعدى سنهم خمس عشرة سنة 40،3 ٪. وجعلت الكثافة السكانية ترتفع من 14 ن /كلم$^2$ في سنة 1952 (R. Raynal) إلى 22،61 ن/كلم$^2$ في سنة 1982. ويتسبب هذا التطور في طرح مشكل الحاجيات ومشكل التشغيل.

الفلاحة كركيزة أساسية في اقتصاد الجماعة : قام اقتصاد سكان جماعة بومية منذ استقرارهم، وكغيرهم من سكان حوض ملوية العليا، على الزراعة وتربية الماشية. ونظراً لعجز هذا القطاع عن تغطية الحاجيات في الوقت الحاضر فقد أصبح هؤلاء يعتمدون على موارد أخرى.

ففيما يخص الفلاحة، يلاحظ أنها تشكل الركيزة الأولى في اقتصاد السكان. ومما ساعد على ذلك وجود ظروف طبيعية أكثر ملاءمة مما هو عليه الحال بالجماعات الواقعة نحو الشرق. فالأراضي الزراعية تغطي من نصف إلى ثلثي المساحة العامة، وما بقي يستعمل كمراع. وأهم أراضي الرعي تتجمع بسهل العريض الذي كان يشكل المرعى الشتائي عند أيت بوگمان وعلى مقربة من أغبالو نْسَرْدان بالنسبة لأيت مسعود، ويخضع سهل العريض منذ بعض السنين لاستعمال منظم بهدف تحسين المردودية، يرعاه باحثو المعهد الزراعي بالرباط.

وإذا كانت الملكية الجماعية للأراضي هي السائدة قبل مجيء الاستعمار فتخوف السكان من إقدام إدارة الحماية على إدْخال أراضيهم في أراضي الدولة أو من استيلاء المعمرين عليها مباشرة دفعهم إلى اجتثاث كل ما هو ممكن وتوزيعه فيما بينهم.

وهكذا لم يتم تحديد سوى 6.250 هـ كأراض جماعية منها 5.000 هـ في أوملوگو عند أيت بوگمان (R. Raynal) . وتتجاوز حصة أراضي الملك اليوم نصف الأراضي عند أيت بوگمان و(4/5) أربعة أخماس الأراضي عند أيت مسعود.

وإذا كانت معظم أراضي الجماعة الزراعية تتشكل من البور فالأراضي السقوية بالرغم من ضيقها تمثل أهمية خاصة عند السكان. فهي تنتشر على طول واد ملوية وروافده : كيس، گجيج، آزْرْزُو وَادْ غيس.

وسواء تعلق الأمر بالقطاع البوريَ أو بالقطاع المسقي، فالمساحة المزروعة قد شهدت توسعا ملحوظاً منذ أواخر الثلاثينات يقدر بخمس مرات على الأقل. ومما دفع إلى هذا التوسع خطر إدخال الأراضي في أملاك الدولة من جهة وتزايد حاجيات السكان من جهة أخرى.

تخضع هذه الأراضي إلى نظام زراعي يرتكز على زراعة الحبوب. ونميز في هذه الزراعة بين الحبوب البكرية الخريفية (أمَنْزو) التي تشمل القمح والشعير، والحبوب الربيعية المازوزية (أمَازُوزْ) التي تشمل الذرة. وإذا كان النوع الأول يقام بالبور على وجه الخصوص، فالنوع الثاني يتم بالأراضي المسقية. وفي كلتا الحالتين كان الفلاحون يطبقون دورة زراعية الهدف منها إراحة الأرض. لكن منذ الخمسينات عرف هذا النظام تحولات واضحة تتمثل في إدخال مزروع الفصة والخضر (البطاطس) وبشكل أوسع أشجار الورديات التي يُسقى جزء كبير منها بواسطة مضخات نصبت على الآبار. فعدد هذه الآبار المجهزة وصل بجوار بومية فقط إلى عشرين سنة 1984 (SCET). وقد كان لمركز الأشغال ببومية ولصندوق القرض الفلاحي بميدلت دور كبير في هذا التحول. كذلك شكلت النتائج الإيجابية المحصل عليها بالنسبة لإنتاج التفاح عند أيت عياش حافزاً أساسياً دفع بالعديد من ذوي الأموال حتى من خارج المنطقة لاستثمارها في هذا القطاع.

وفي قطاع البور سجل استعمال متزايد للآلات. فعدد الجرارات وصل إلى 20 في بومية خلال سنة 1984.

وإذا كان جزء من إنتاج الحبوب يُسوّق منذ مطلع هذا القرن، فإنتاج التفاح والإجاص يُسوّق بأكمله. أما إنتاج الخضر، إذا ما استثنينا البطاطس، فلا يغطي حاجيات السكان.

وفيما يخص تربية الماشية، يلاحظ أن أراضي جماعة بومية توفر مؤهلات كبيرة نسبياً أمام تربية الماشية. فمناخها وموقعها يجعلان إمكانيات الرعي متنوعة ومتكاملة. فعلاوة على كون الأراضي غير الزراعية تغطي ما بين ثلث ونصف المساحة العامة وتستعمل للرعي، فالأراضي الزراعية، وعلى وجه الخصوص البورية منها،

مفتوحة أمام الماشية عندما تكون مستريحة وبعد جمع المحاصيل في إطار الرعي البهرج. يضاف إلى هذا كون جزء كبير من الماشية كانت ترعى لعدة شهور من السنة خارج أرض الجماعة في إطار حركة الانتجاع في اتجاه أزغار بالأطلس المتوسط وهوامش الهضبة الوسطى. وتتشكل ماشية بومية حسب الأهمية من الأغنام (91٪) والماعز (6٪) والأبقار (3٪).

وتظهر أهمية هذا القطاع في حياة واقتصاد السكان من كون متوسط عدد رؤوس الأغنام قد وصل 7.6 لكل فرد أي 3 مرات المُعدل الوطني ومتوسط عدد رؤوس الماعز 2. 3 لكل فرد أي ضعف المعدل الوطني (R. Raynal).

ويبدو أن توسع المساحة المزروعة والمغروسة وتلاشي حركة الانتجاع بسبب القيود التي فرضتها سلطات الحماية والرفض الواضح لسكان أزغار لاستقبال قطعان أيت مسعود وأيت بوگمان فوق أراضيهم عملا على "الإبطاء" بحركة تزايد الأعداد.

ويمكن تقدير عدد رؤوس الماشية بالجماعة بـ 60.000، لكن هذا العدد يتغير بسرعة تمشيا مع تقلبات المناخ.

وقد لوحظ منذ الثلاثينات زيادة كبيرة في عدد الخيْليات وبالأخص في عدد البغال. وهذا شيء بديهي إذا علمنا أن الأراضي الزراعية قد توسعت وحرثها يحتاج إلى قوة للجر متزايدة.

و لا يقتصر دور الماشية على تغطية الحاجيات الغذائية فقط، بل يشمل تغطية المصاريف الأخرى. وهذا ما يفرض التسويق. والظاهرة قديمة وقد جعلت اليوم من سوق بومية أحد أهم أسواق الماشية على المستوى الوطني.

إن توسع النشاط الزراعي وتنوعه وعصرنته المتزايدة، لا يعني توفير حاجيات كل السكان وضمان تشغيلهم. فمنذ الأربعينات سجل R. Raynal تركزا للملكية مما يعني حرمان العديد من الأسر من الأرض التي تشكل عاملاً للإنتاج وميداناً للتشغيل. وأما توسيع الأرض المحروثة والمغروسة وتلاشي حركة الإنتاج فقد عملا على حصر إمكانيات قطاع الماشية. وفي الأخير لا بد من الإشارة إلى كون الاعتماد المتزايد على الآلات للقيام بالأشغال الزراعية قد قلص الطلب على اليد العاملة. وأمام غياب أنشطة أخرى بعين المكان - إذا ما استثنينا بعض العاملين في الغابة وفي التجارة - لم يعد هناك بديل عن النزوح. وتهم هذه الحركة النازحين من الدواوير نحو بومية ومن مجموع الجماعة القروية نحو الخارج. وهي حديثة العهد بحيث كانت الجماعة ككل أراضي حوض ملوية العليا تستقطب البرانيين إلى حدود الخمسينات. ومما يؤكد أهمية الحركة، الفرق الكبير بين عدد الذكور المتراوح سنهم بين 15 و44 سنة (2.621) وعدد الإناث في نفس السن 3.125 (1971). وإذا نحن سلمنا بأن وضعية الجماعة تشبه وضعية الجماعات المجاورة حيث حصلنا على بعض المعطيات في الموضوع (م. كريوط، م ج. م 1988). فستكون نسبة النازحين بها 13٪ من السكان. وإذا كانت الهجرة تساهم في موارد الجماعة فهي تشكل عاملاً لتطور مركز بومية.

نشأ مركز بومية بالقرب من ملتقى واد كيس بواد ملوية نحو العالية، وكان ذلك على شكل قصبة لأيت سعيد أحسين، إحدى "فخذات" أيت بوگمان. كان ينعقد بها سوق قبل مجيء الاستعمار. وقد أخلاها أهلها عندما اقترب الجيش الفرنسي منها سنة 1917. وبعد عودتهم استأنف السوق نشاطه الذي تقوى بفضل تحسين ظروف المواصلات وبسبب ارتفاع عدد السكان وتطور اقتصادهم. وأصبحت أهميته كبيرة ليس بالنسبة للجماعة وللمركز فقط بل لكل منطقة ملوية العليا. ويتم انعقاده يوم الخميس من كل أسبوع. ويتجلى نشاطه الرئيسي في تسويق الماشية. ففي الخمسينات نعته R. Raynal (ص 325)، بأنه أكثر الأسواق نشاطا.

وبعد ذلك توسع نشاطه، بحيث صنفه J. F. Troin في بداية السبعينات في الصف الحادي عشر سواء من حيث عدد رؤوس الماشية المسوقة به سنويا (98.000 من كل الأنواع) أو من حيث قيمة البيع كل أسبوع (260.000 درهم). ويصل عدد الأغنام المسوقة به سنويا 70.000 أي 71،4٪ من مجموع الماشية المسوقة. أما عدد الماعز المسوقة به سنوياً فوصل 15.500 الشيء الذي جعله يحتل الصف 7 (ص 207 و209).

وتتجلى أهمية هذا السوق علاوة على الماشية، في كونه يمكن سكان الجماعة والمنطقة من تسويق حبوبهم ودواجنهم ومن اقتناء السلع الأخرى التي يحتاجون إليها. فهو يجلب السواقة والتجار من جهات مختلفة. فالفلاليون يقصدونه بالتمور ويعودون بالبطاطس والمواشي، ويقصده أهل تادلا وخريبگة لشراء نصف الماشية المعروضة به سنويا. أما تجار صفرو وأزرو ومكناس فيشترون خُمُس الماشية المعروضة به.

ويتنافس تجار المنطقة وتجار مكناس على شراء الدواجن والبيض ويتقاسم شراء الحبوب المعروضة بالسوق 30 تاجراً (حناط) من عين المكان و25 من مكناس وصفرو والصحراء.

وإذا كان لهذا السوق دور هام في بلورة بومية "كمركز حضري" فخلق القيادة وعدد من المصالح به وتزويده بالكهرباء وبشبكة لتوزيع الماء الشروب ساهما بشكل ملموس في هذا التطور. فبومية يتوفر اليوم على مستوصف ومركز للأشغال ومجموعة مدارس ابتدائية من عشرين قسماً ومحكمة شرعية وإعدادية ومكتب للبريد....

عمل هذا التطور على جعل بومية يفرض إشعاعه على الأرياف المجاورة ويستقطب بعض السكان المهاجرين منها. وهذا ما يفسر سرعة وتيرة نمو سكانه. فبعدما كان عددهم 2.565 ن في سنة 1971 أصبح 4.292 ن في سنة 1982 وهذا يعني أن نموهم خلال هذه الفترة تم بمعدل 4،6٪ كل سنة. وبين سنوات 1971 و1984 ارتفع عدد الأسر به بـ 48٪ في الوقت الذي انخفض فيه بالدواوير المجاورة (SCET, 22).

ويطرح هذا التطور بعض المشاكل كتنظيم التوسع

المجالي وتوفير التجهيزات الضرورية وتشغيل الذين هم في سن العمل. وإذا كانت الفلاحة ما زالت تشكل ركيزة اقتصادية تضمن العيش والعمل لنسبة كبيرة من السكان، فأهمية التجارة والخدمات ما فتئت تتزايد مع توسع وظائف المركز وإشعاعه. وأخيراً لا يجب إغفال دور الهجرة ودور بعض الأنشطة "الطفيلية" التي تشكل مورد عدد من الأسر.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 4.

(Cdt) Bouverot, *Ras Moulaya, B.S.G.M.*, T 2, Fasc 1, 1er trim. 1920, p. 31 - 58 ; M. Kerbout, *Quelques aspects de l'évolution quantitative du peuplement dans le Moyen-Atlas et le Bassin de la Moulouya, R.G.M.*, vol 12, n° 1, 1988, p. 33 - 39 ; Ministère des Travaux Publics et des Communications, Direction de l'Hydraulique, *Ressources en eau du Maroc : Domaines du Rif et du Moyen Oriental*, Rabat, 1971 ; Ministère de l'Agriculture et de la Réforme Agraire. D. P. A. de Khénifra. *Etude d'aménagement hydro-agricole des périmètres Aït Mouli-Boumia*, SCET, Maroc, Mai 1984 ; Ministère de l'Intérieur, Province de Khénifra. *Monographie de la province de Khénifra*. Déc. 1987 ; Projet DECOR, *Délimination des communes rurales du Maroc (1978 - 1980)*, Cadastre National ; R. Raynal, *La terre et l'homme en Haute Moulouya, BESM*, n° 86 - 87, p. 281 - 344 ; *Résultats des recensements généraux de la population et de l'habitat 1960, 1970 et 1982* ; J. F. Troin, *Les Souks marocains : marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc*, Aix-en-Provence 1975, 2 tomes.

محمد كربوط

**بوميي**، أوگوست، Beaumier, A ولد بمرسيليا سنة 1823 وعمل قنصلا لفرنسا بالصويرة من سنة 1865 إلى سنة 1875. ثم سمي قنصلا لبلاده بالرباط، ثم انقطع عن العمل للتفرغ لترجمة كتاب *الأنيس المطرب بروض القرطاس* لابن أبي زرع، ونشر الترجمة بعنوان : *Histoire des souverains du Maroc*. له عدد من التقارير تحتوي على دراسات عن المغرب طيلة الثلاثين سنة التي قضاها فيه. ولما كان مستعربا استعان به المخزن والمفوضية الفرنسية في إنجاز أشغال متنوعة، وتوفي ببوردو في 30 يناير 1876.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 3 : 1109 ـ 1111.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 70 ; J. Caille, *La petite histoire du Maroc*, 42 - 47 ; *Hesp*, 1950, n° 37.

مصطفى بوشعراء

**بُونارو**، أسرة كانت بتطوان لا يعرف أصلها ويقول عنها الفقيه الرهوني إن أول من سُمي بهذا الاسم كان معلم فرآن.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 18.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوناصر**، جبل عال يقع بالحاشية الشرقية من الأطلس المتوسط بين عالية حوض ملولو غربا وحوض ملوية شرقاً. ويمتد من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي على شكل سلسلة جبلية متصلة تضم أعلى قمة بالأطلس المتوسط يبلغ علوها 3.340 م فوق مستوى سطح البحر.

يتميز بوناصر ببنية جيولوجية بسيطة تتجلى من خلال التجانس الكبير والمثير لركيزته الصخرية. فأهم السحنات المنتشرة بالمجال تتمثل من جهة في صخور الطفل والنضيد المنتمية للياس الأعلى والتي تبرز في المنخفضات وعلى طول السفوح، ومن جهة ثانية في صخور الدولومي المنتمية للجوراسي الأوسط، وهي ذات سمك كبير وتشكل الدعامة الرئيسية للتضاريس بالجبل.

وبالمقارنة مع الجبال الالتوائية المجاورة فإن هذه السلسلة من الأطلس المتوسط تنفرد بخاصية أساسية تتمثل في كونها تعطي طابعاً على أنها ظلت مرتبطة إلى حد ما بالكتل المستقرة بنائياً للهضبة الشرقية. فلم يبدأ تأثير الحركات البنائية يتضح بجبل بوناصر إلا مؤخراً، نظراً لعدم تأثره بالمراحل الجنينية خلال اللياس الأعلى. أما بالنسبة للحركات البنائية البيرينية الألبية، فإننا لا نلاحظ بالجبل تداخلاً بين الحوادث الانكسارية والطيات القديمة المرنة.

مقطع جيولوجي بجبل بوناصر

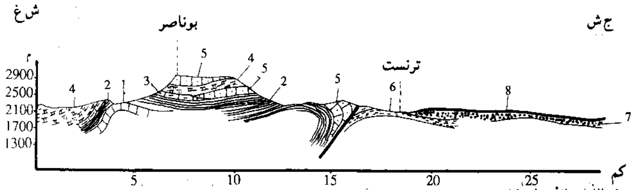


1 ـ اللياس الأوسط : كلس
2 ـ اللياس الأعلى : طفل ـ نضيد
3 ـ الاليني ـ الباجوسي : طفل كلسي
4 ـ الدوقير : طفل ـ رفوف كلسية
5 ـ الدوقير : دولومي
6 ـ الميوسين التاري : طفل
7 ـ ميوبليوسين تاري : رصيص ـ حث
8 ـ رباعي : تشرات ـ طي ـ حصباء

ويتكون بوناصر من عدة طيات عمقية وصدوع غربية شرقية، وغربية شمالية ـ غربية ـ شرقية جنوبية شرقية قد تكون لها علاقة مع البنائية الريفية الحديثة، هذا ويتكون الشكل المورفو بنيوي للجبل من محور مقبب، مسطح نسبيا أو به طية يتقعر به في عاليته، بينما تنحدر جوانبه بميل قوي جداً، مما يعطيه طابع طية عمقية محددة بليات في جوانبه مع عدم تماثل واضح بين جوانب الليات نتيجة الميل السريع للطبقات في الجهة المشرفة على سهل ملوية أدت محلياً إلى بروز طية منقلبة.

ولقد لعبت التعرية دوراً أساسيا في تطور التضاريس بجبل بوناصر، إذ أدت إلى إفراغ قبة المحدب، نتج عنها تكون بهرات عميقة بعدة مئات من الأمتار في الصخور الرخوة للطفل المنتمي للّياس الأعلى، أهمها بهرة لعنوصر.

خلال الزمن الرابع تأثرت المنطقة بظروف شبه جليدية وجليدية، خاصة خلال الفترة المطيرة المزامنة للڤورم. وتتمثل الأشكال الجليدية الموروثة في الحلبات والجلادات التي مازالت آثارها واضحة في المجال، وكذا في بقايا الأمهودات مع أو بدون ركام. أما التأثيرات القرب جليدية فتشمل المهيلات المفروشة، وتوضعات السفوح الناتجة عن التصدع الجمدي والكرست الثلجي.

في السفح الشرقي من السلسلة شهدت المنطقة تطوراً مورفولوجيا مهما خلال الرباعي مع تدرج العديد من الأشكال الرباعية من بينها الحادورات الكبيرة التي تكونت على أنقاض سطح تسوية بليوسيني، وتضم حادوراً ميلا فرنشياً، وآخر ينتمي للرباعي القديم، والرباعي الأوسط والرباعي الحديث. كما تشتمل الأشكال الرباعية على

مجموعة من الدرجات النهرية المتداخلة، من أهمها الدرجات المنتمية للرباعي الأوسط والحديث والتي ما زالت بقاياها واضحة في الميدان ومن خلال ملاحظة التوضعات المجاورة لجوانب التحديدات تظهر مجموعة من الركامات المتباينة من حيث تركيبها الحبيبي، ذلك أن الجلاميد تتداخل مع الحصيم في المقاطع، والمسكات تأخذ شكل رفوف متتالية تتخللها كدس مختلطة تعطي طابعاً شبه جليدي. كل هذه التكوينات توضعت قبل أن تتعرض لعملية التلحيم بصفة عامة.

إن هذه المواد التي توضعت على طول السفح الشرقي لبوناصر تعرضت للتعديل بشكل مستمر خلال الزمن الرابع عن طريق تدخل نظم تحاتية متنوعة ضمن مناخات رطبة إلى حد ما، لكنها ترجع إلى فترة ما قبل آخر فترة مطيرة من الرباعي.

وعلى الرغم من ارتفاعاته العالية، فإن جبل بوناصر لا يعتبر مجالا رطبا نظراً لامتداده إلى الجنوب من جبل بويبلان الذي يقوم بحجز نسبة عالية من الرطوبة التي تحملها الكتل الهوائية القادمة من المحيط. والأجزاء الغزيرة مطراً بالجبل لا تتجاوز بها متوسطات التساقطات السنوية 900 مم، وذلك ابتداء من ارتفاع 2.500 م. أما المنخفضات الشمالية المجاورة لجبل بوناصر فإنها لا تتلقى سوى 350 مم كمتوسط سنوي (منخفض بركين مثلا)، بينما تتناقص كمية التساقطات بشكل مفاجئ إلى الواجهة الشرقية، إذ لا تتجاوز متوسطاتها السنوية 200 مم.

ومع هذا التباين في كمية التساقطات تتنوع التشكيلات النباتية وتتدرج حسب عامل الارتفاع. والغابة لا تنتشر إلا بمجالات محدودة تبعا لتدخل عدة عوامل جغرافية أهمها تأثير "القطب" البارد لجبل بوناصر، تأثيرات ظاهرة المخبأ الطوبوغرافي ورياح الشرگي.

والتشكيلات النباتية المنتشرة بالجبل تتكون من شجيرات قصيرة في المناطق المنخفضة ومن نباتات شوكية في الأعالي. ويلعب عامل الارتفاع دوراً أساسياً في تدرج الغطاء النباتي من سافلة الجبل نحو عاليته، لكن مع اختلافات بينة بين السفح الشمالي الغربي، والسفح الجنوبي الشرقي.

في الواجهة الجنوبية الشرقية من الجبل، تبرز عدة مستويات نباتية هي :

- نباتات من فصيلة السرمقيات (Chénopodialées) ما بين 700 و900 م.
- الحلفا والشيح من 900 إلى1000 م.
- أزير من 1000 إلى 1100 م.
- العفصية ما بين 1100 و1200 م.
- العرعر الأحمر، الصنوبر الحلبي والسنديان الأخضر ما بين 1200 و1900 م.
- السنديان الأخضر مختلط مع الصنوبر البحري ما بين 1900 و2400 م.
- غابة الأرز الجافة ما بين 2400 و2500 م.
- أخيراً، مستوى ما فوق المجال الغابوي ابتداء من 2500 م، والمكون أساساً من نباتات قزمية شوكية.

أما بالنسبة للسفح الشمالي الغربي للجبل، فتظهر المستويات التالية :

- مستوى ما فوق المجال الغابوي (2200 ـ 3330 م) ينقسم إلى قسمين :
  . جفافيات شوكية دون نباتات نفضية (2700 ـ 3330م).
  . جفافيات شوكية مختلطة مع نباتات نفضية (2200 ـ 2700 م).
- غابات مختلطة للأرز والسنديان الأخضر ما بين 2000 و2200 م.
- غابات السنديان الأخضر والصنوبر البحري من 1900 إلى 2000 م.
- السنديان الأخضر والبقس ما بين 1800 و1900 م.
- أخيراً يختفي السنديان الأخضر، ويظهر البقس بمفرده على شكل أيك (Matorral) متدهور ما بين 1600 و1800 م.

R. Raynal, *Plaines et piedmonts du Bassin de la Moulouya, Maroc Oriental : Etude géomorphologique*, 1961, p. 44 - 46 ; J. Despois et R. Raynal, *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest*, Paris, 1975, p. 375 - 378 ; L. Nabil, *Le Haut Bassin de Sif ou Lout, Moyen Atlas Oriental : Approche géosystémique d'une montagne méditerranéenne en crise*. Thèse de Doctorat de 3ème cycle, Université de Toulouse-Le Mirail, pp. 22 ; 57 - 59 et 61 - 88.

محمد لبحر

**بونافع**، أسرة فاسية ربما يرجع نسبها إلى الصالح سيدي بونافع آتي الترجمة، وهي ما زالت موجودة حتى اليوم بفاس، منهم من سكن مدة بزقاق الرمان بدرب الحنش. ويقول أفرادها إنهم من أقدم الأسر بالمدينة مع أن اسم هذه الأسرة لم يرد في كتب الأنساب والبيوتات القديمة بفاس. ولم يذكرها سوى عبدالسلام بن سودة في كتابه *قبائل فاس*.

**بونافع**، (سيدي ـ) صالح مدفون بالقرب من أحد أبواب فاس الجديد الذي كان يسمى باب الجيَف، لما كان يُرمى خارجه من أشلاء البهائم الميتة، فاستُبدل به اسمُ هذا الصالح، وأصبح يدعى باب سيدي بونافع.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية التاگمادّرتية*، تح. كولان ؛ ع. ابن سودة، *قبائل فاس*، مرقون ؛ لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، تر. م. حجي و م. الأخضر ؛ م. مزين، *فاس وباديتها*، الرباط 1986.

محمد مزين

**بوناگة**، أسرة عريقة في قبيلة تانكرت التنانيّة. توالت المشيخة والرآسة فيها أجيالاً، منذ أواسط القرن الثاني عشر (18 م) حيث ولّى السلطان مولاي سليمان أحد مشاهيرها المسمى أهدار أحمد بوناگة قائداً على قبائل إداوتنان كلها فحاصرته القبيلة في داره فوق الغدير في (أزيّار) فلما تمكنوا منه ألقوه من أعلى برج هناك فهلك وذلك عام 1213/1798. ففرَّ كل من له به صلة نسب، ومنهم محمد بُوناگة الذي استقر مدة في أيت خميس لاجئاً بقبيلة

أيت أمْرْ المجاورة لتانكرت، وبعد حين رجع إلى بلدته خائفا فصار يلتجئ إلى السكنى في بحبوحة الجبال إلى أن توفي، فتمكن أحفاده من استرجاع مجد أسرتهم، ومنهم :

**بوناگة، الحسن** (الحاج ـ) بن محمد (الحاج ـ) بن عبد الله، من مواليد عام 1883/1301. أتقن حفظ القرآن على يد الأستاذ الحسين التامجوطي العمراني، ثم أخذ العلوم العربية عن فقيهين استقدمهما والده إلى مدرسته المجاورة لداره بأغري وهما المحفوظ النظيفي الشهير بمدرسة المحصر وعلي بن عبدالله الهواري. وبينما كان يأخذ عنه الاستعارات وينسخ بيده شرحها، إذا بالرصاصة التي فتكت بصدر أبيه طرقت مسمعه عند جملة فيها، فكان ذلك آخر عهده بالتعليم، فنهض بمسؤولية الرآسة لقبيلته تانكرت منذ ذلك الحين، فأحسن إجراء السفينة وإرساءها بين تقلبات العواصف، حتى جاء الاحتلال الفرنسي في شعبان عام 1345/ فبراير 1927. فاتصل بالحكومة على يد خاله القائد سعيد بن الحاج الحسن التكزيريني، فتعين رئيسا (أمغار بمثابة قائد في إداوتنان) على أهل تانكرت، ثم زيد له بعض فريق (ايفسفاسن)، فاتسعت بذلك منطقة نفوذه، وكانت كلمته مسموعة لدى الحكومة، كما كان مهاب الجانب لدى العامة، لأنه يعرف كيف يداري إدارة الحماية ويحافظ على حسن تدينه ومروءته، فكان يحكم بين الناس بما وصل إليه علمه من قوانين الشريعة الإسلامية، واتخذ في داره مدرسة لتدريس القرآن والعلوم الشرعية يستقدم إليها فقهاء أجلاء لتعليم أولاده وأولاد جيرانه، كما اعتاد تنظيم دروس رمضانية في منزله يستدعي إليها علماء حاحة وإداوتنان فيتسابقون لنيل عطاياه لأنه يشمل المشاركين بعناية فائقة ويغدق عليهم من النعم ما يقل نظيره عند غيره في تلك الجبال، حتى أصبح مضرب الأمثال في الجود والكرم. وقد اتضح لإدارة الحماية الفرنسية أنه متعاطف مع الحركة الوطنية إبان أزمة سنة 1953 فاغتاله أحد الفرنسيين ليلا في داره قبيل إعلان الاستقلال عام 1954/1374.

**بوناگة، محمد** (الحاج ـ) بن عبدالله الذي استطاع أن يعيد مجد أسرته، فظهر على مسرح الأحداث مع الرئيس ابن عمه المشهور بالطيبي، وبَنَى داره الحالية بقرية أغْري في قبيلة تانكرت، وهي واقعة في شعب أمنع من عقاب الجو، وأضيق من بلعوم النعامة. تألق نجمه في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) فكان رجلاً مُثرياً ذا شهرة ونفوذ، فتزوج بنت القائد الحاج الحسن التكزيريني التامري الذي ارتحل إليه مرتين ملتجئاً من أعدائه، إلا أن تلك الشهرة والمناعة أوغرت صدور أعدائه من الرؤساء الگيلوليين بتمنار، فأخذوا يسربون إليه من يفتك به، ويبذلون مالا عظيما في ذلك حتى قتله تناني صبيحة يوم جمعة في رمضان عام 1316 / يناير ـ فبراير 1899 أمام باب داره وهو جالس على دكة.

م. م. السوسي، *خلال جزولة* ؛ *رواية شفوية* عن أهل المترجم وجيرانه.

محند أيت الحاج

**البُونْبَة**، (دار ـ) أو البُومْبَة، يعرف بهذا الاسم معمل قنابل المدفع الذي كان بتطوان ويقع بالزنقة التي تحمل هذا الاسم، والمعمل من إنشاء السلطان مولاي إسماعيل سنة 1672/1083 لصنع القنابل المعدة لمهاجمة الإسبانيين بسَبْتة ومن المعلوم أن هذا السلطان قام بمحاصرة المدينة المذكورة مرتين : الأولى من سنة 1673/1084 إلى سنة 1689/1100 والثانية من سنة 1694/1106 إلى سنة 1727/1139.

ويستفاد من بحث جرى بتطوان سنة 1841/1257 أن هذا المعمل كان يعرف بدار البونباجي في أول الأمر ثم أصبح يسمى بدار البونبة، وكلمة بونبة أو بومبة مأخوذة من الإسبانية بمعنى القنبلة Bombe.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 268 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *حصار مولاي إسماعيل لمدينة سبتة* من سنة 1694/1106 إلى سنة 1727/1139.

محمد ابن عزوز حكيم

**پونتيو**، أو پونتيون Pontion، مدينة ورد اسمها عند الرحالة سيلاكس المزعوم Pseudo-Scylax (القرن 4 ق.م) في الفقرة 112 من رحلته، وكان هذا الرحالة أول وآخر من تكلم عنها، وقد وطنها وراء أعمدة هرقل عند البحر الخارجي (المحيط الأطلسي)، وسط خليج كبير، وبالقرب من بحيرة كبيرة تتميز بتعدد جزرها، ووفرة نباتها، وطيورها. وعرّفنا الرحالة باسم البحيرة فهي تحمل اسم سفرياس Cephisias وأعطانا أيضا اسم الخليج الذي تحتل پونتيو وسطه، فهو خليج كوتيس حسب التسمية المحلية وأمبلوزيا Ampeleuisa حسب التسمية الإغريقية (رأس سبارطيل).

وتوافق پونتيو عند مجموعة من الباحثين، ومنهم ميلر Muller وبارث Barth وموفار Movers، موقع تينياثريون Thyniaterion الوارد ذكرها عند الرحالة القرطاجي حانون (القرن 5 ق. م) كأبرز المستعمرات القرطاجية وراء أعمدة هرقل.

وذكر فيفْيان دوسان مارتان Vivien de Saint Martin بأن پونتيو توجد على بعد ستة أو سبعة أميال جنوب راس سبارطيل. وأضاف أن البحث في هذه الجهة سيعرفنا ما إذا كانت توجد مآثر حول ما سماه القدماء بحيرة سفزياس. وكان بذلك من منصفي الرحالة سيلاكس المزعوم.

ودعا تيسو Tissot لنفس الأمر عندما اعتد بمعلومات الرحالة سلاكس المزعوم فاعتبرها معلومات مفصلة ودقيقة. وعاتب المؤلفين الذين اهتموا بالجغرافية المقارنة للمغرب. ففي نظره لم يأخذوا بعين الاعتبار نص الرحالة أو نعتوه بارتكاب الأخطاء. وردد فكرة فيفيان الذي يرجع الخطأ للمعلقين أنفسهم الذين لم يكونوا يعرفون المنطقة بما فيه الكفاية، ولذا دعا كسابقه فيفيان إلى البحث في الجهة

الموصوفة، فالبحث وحده هو الكفيل بأن يعرفنا على المواقع التي ذكرها الرحالة في نفس أماكنها.

وهكذا فالمنطقة المأهولة والمدينة التي نعتها الرحالة تحت اسم پونتيو تضم حسب تيسو وبزنيي Besnier تلال المريّس وهاجرين وأيضا هضبة شرف العقاب، وهي مواجهة للساحل من جهة ولمرجات الداخل من جهة ثانية. أما المقابر الميجاليتية التي عثر عليها تيسو بكثرة خصوصاً بالمريس فتؤكد أن المنطقة عرفت تجمعاً سكانيا مهماً يمت بصلة لماض سحيق لم يحدد الباحث مداه. واعتبر مصطلح المريّس تصغيراً لمرسى ومقابله بالفرنسية : Port. بل وذهب إلى القول بأن پونتيو بدورها تشكل مؤسسة بحرية خاصة بالصيادين. وكما هو بديهي فالصيد مربح بهذا الخط من الساحل الموريطاني. وأكد بزنيي بدوره على سهولة ونجاح الصيد بهذه النقطة مما يفسر بدون ريب تسمياتها : پونتيو، ومريّس Port.

ويتبين من استعراض الدراسات التي اهتمت بالمصطلح أن مدينة پونتيون Pontion هي مجمع مهم للصيد البحري. وجدت بين رأسين هامين : كوتيس Cotes الذي يوافق حالياً رأس سبارطيل، وهرمس Hermès الذي يوافق حالياً رأس الأقواس. وكلها نقط تقع شمال نهر اللوكوس. وپونتيون مدينة مستغلة منذ القديم تدل على ذلك كثرة المقابر الميجاليتية التي وجدت بها ووجدت بالقرب من بحيرة سفزياس المميزة بنباتاتها ووحيشتها وتوافق البحيرة بلا شك الحوض الواسع لتهدّرات الذي يعبره نهر المهرهر والخروب فيحددان معالمه.

Vivien de Saint Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine*, Paris, 1863, p. 352 ; M. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1876, p. 57 - 59 et 61 ; M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc : Maurétanie Tingitane, A.M.* I, 1904, p. 334 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924, p. 18 - 20.

البيضاوية بلكامل

**بُونْجُون**، فرانسوا، Bonjean, François فرنسي عاش في مصر والمغرب. وظهر في كتاباته أثر حضارة هذه البلاد، ففي روايته منصور (بالفرنسية) صور واقع مصر في بداية هذا القرن بأسلوب العالم والأديب والمفكر، واصفاً الصراع الحضاري بين مُثل البيئة الأصلية المحافظة وبين مُثل الغرب المستوردة.

وفي مؤلفه *طائر أخضر وطائر أصفر* (حكايات للأثْريّا) يورد حكايات من الفولكلور المغربي سمعها من زوجته المغربية التي عاش معها إلى أن مات عام 1962، ففي هذا المتن تظهر براعة بونجون في الترجمة وقدرته على نقل التراث مع المحافظة على طرافة المبنى والمعنى.

ولبونجون أعمال روائية أخرى لم تنشر مثل *الملكة إزا العاشقة ويامنا* وغيرهما من الأعمال التي تدور كلها على تمجيد الحياة العربية الإسلامية.

إن بونجون قد ركز على قضية الإنسان الذي يكبر في بيئة مّا وتكبر معه أسئلة وجودية حول مهمته وعلاقاته، وفي اعتقاد بونجون أن أجوبة هذه الأسئلة واردة في سياق الحياة الإسلامية التي ترقِّي المدارك وتسمو بالإنسان في أجواء الحقائق النورانية عندما يدرك أن الثابت هو مشيئة الله وكل شيء ما خلاها زائل.

تعهد بونجون إحساسه المسيحي المتأثر بالرهبانية لكنه سرعان ما تشبع بفكر صوفي إنساني يكرع من منابع لا تعرف الحدود والانتماءات.

F. Bonjean, *Mansour : Histoire d'un enfant du pays d'Egypte*, Paris, 1924 ; *Cheikh Abdou l'égyptien*, Paris, 1929 ; *Notes et réflexions 1958 - 1961*, Paris, 1968 ; *L'âme marocaine vue à travers les croyances et la politesse*, Paris, 1948 ; *Le Maroc en roulotte*, Paris, 1950 ; *Les contes de Lalla Touria* ; *Oiseau Jaune et Oiseau Vert*, Casablanca, 1952 ; *Reine Iza Amoureuse*, Paris, 1947 ; *Yamna*, éd. Blanville sur mer, 1969 ; *Confidences d'une fille de la nuit*, 3ème éd., Alger, 1942.

محمد أديوان

**بُونْزَال**، ستيفن Bonsal, S. Jr صحافي أمريكي أقام بالمغرب سنوات عديدة ودخل فاسا مع إيوان سميث وزير بريطانيا المفوض بالمغرب سنة 1892. وتوفي سنة 1951. خلف كتابا عن المغرب عنوانه *المغرب كما هو Morocco as it is* طبع بلندن سنة 1893.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1540.

J. L; Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 79.

مصطفى بوشعراء

**بُونْزَال**، مكان بالقرب من قنطرة وادي بوصفيحة بأرض فرقة الوسطي من قبيلة وادراس الجبلية، ويعرف عند الإسبانيين بالانتظار Esperada حيث إن هناك انتظر رئيس الجيش الإسباني الجنرال أودونيل O'donnell الأمير مولاي العباس بن السلطان مولاي عبدالرحمان، وعند وصوله أبرم معه يوم فاتح رمضان عام 1276 / 23 مارس 1860 اتفاقية الهدنة التي بمقتضاها انتهت الحرب المغربية الإسبانية، وجرى ذلك تحت شجرة زيتون تعرف لحد الآن بزيتونة بن سالم.

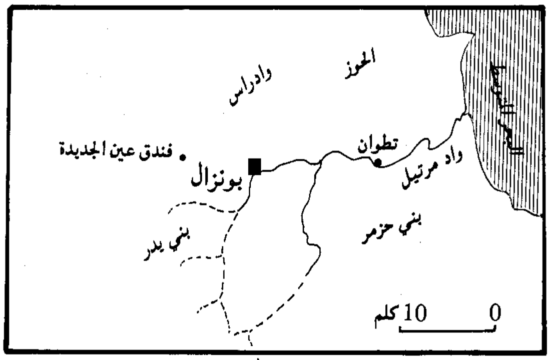


بونزال

وشاء القدر أن يكون المكان المذكور هو الذي احتضن اللقاء الذي تم بين المقيم العام الإسباني الجنرال گوميث خوردانا Gomez Jordana وزعيم المقاومة المغربية الشريف مولاي أحمد الريسوني يوم 17 رجب 20/1334 ماي 1916 من أجل إبرام اتفاقية هدنة.

*Campañas*, T. 2, p. 703 - 705 - 808 ; C. Martinez Campos, *España belica. El siglo XX, (Marruecos)*, Madrid, 1972, p. 167.

محمد ابن عزوز حكيم

**بُونْصُو، هنري**، Ponsot Henri، موظف من السلك

الدبلوماسي الفرنسي كان مقيماً عاماً بالمغرب من يوليوز 1933 إلى مارس 1936، وكان من أحذق وألبق من شغل ذلك المنصب طيلة فترة الحماية. ولد سنة 1877 ودخل باكراً الوظائف الدبلوماسية فمر بالسيّام ثم بألمانيا ثم بتونس، وعُيّن مندوبا ساميا لفرنسا بسوريا ولبنان سنة 1926 فأقام هنالك سبع سنوات يحاول ضمد الجراح التي ألحقت بالشعبين الشقيقين على إثر ثورة الدروز سنة 1925، ويسعى في تطبيق الدستورين الممنوحين لكل واحد من القطرين، واستقطاب بعض من اقتنع من الوجهاء بالتعامل مع الانتداب الفرنسي. ومع أنه عجز عن كسب مساندة الوطنيين السوريين واللبنانيين لفائدة الاستعمار، إلا أنه أثار انتباههم بحسن سلوكه ودماثة أخلاقه، ولذلك وقع الاختيار عليه سنة 1933 ليعوض بالرباط لوسيان سان Lucien Saint الذي كانت إقامته فيما بين 1929 و1933 وقد اقترنت بفضيحة الظهير البربري وبما ترتبت عليها من قيام الحركة الوطنية، كما تميزت ببداية تجند المعمرين للاحتجاج على مضاعفات الأزمة المالية ومطالبة الإدارة الاستعمارية بتحمل مسؤولية تبعاتها. فكان على هنري پونصو أن يسلك سبيلاً وسطاً بين تلك المتناقضات العنيفة، وظنت الحكومة الفرنسية أن اعتدال مزاجه من شأنه أن يجعل حداً للغليان الشامل، وأدرك پونصو من توِّه أن قضايا الجماهير المغربية بصفة كونها أغلبية ساحقة، كانت مقدمة على قضايا طائفة المعمرين وإن ارتفعت أصواتهم بالكلام الرصين وغير الرصين سواء بالرباط أو بباريس، ورأى أن تلبية رغبات الشعب المغربي أفيد للاستعمار الفرنسي في المدى البعيد من تعزيز المصالح الضيقة لطائفة المعمرين في المدى القريب، ولقد نقل محمد بن الحسن الوزاني عنه أنه قال في مايو 1934 لدى وجوده بباريس : "منذ جئت لباريس، سجلت مراراً التأكيد المكرر على ضرورة قيام علائق مستمرة وودية مع الشعب المغربي وإني لأشاطر تماما وجهة النظر هذه، وأضيف أننا إذا لم نطبق سياسة مغربية حسنة مفيدة، فإن عملنا في المغرب سيكون معرضاً للاندثار، فيجب أن نمنح المسلمين في المغرب ما هو حق لهم ويلزم في هذا المجال اتخاذ حلول مرضية بتوافق وانسجام، كما يتحتم أن تعاد الثقة بفرنسا في سائر الأوساط المغربية".

لم يكتف پونصو بالقول وإنما رام إخراج هذه الخطة إلى حيز التنفيذ، ففي مقيميته قفزت الحركة الوطنية قفزة نوعية بيّنة إلى الأمام، فخرجت من مجرد قراءة اللطيف احتجاجا على الظهير البربري إلى مرحلة تحبير المقال الوطني ووضع اللبنات الأولى لمنظمات النضال السياسي، وذلك بإصدار جريدة *عمل الشعب* ابتداء من 4 غشت 1933 التي كانت بمثابة مختبر اختبرت فيه أفكار الوطنيين وقدراتهم على الكفاح، وفي 18 نونبر 1933 احتفل الشباب الوطني لأول مرة بعيد العرش، وكان ذلك ابتكاراً موفقاً جعل للشعب المغربي عيداً وطنيا يتذكر فيه هويته وأمجاده كل سنة، وفي شهر ماي 1934 كان الاستقبال الرائع لسيدي محمد بن يوسف من قبل سكان فاس، حيث جددت الجماهير العهد مع العرش الثابت وتأكد العاهل من تعلق الشعب بشخصه، وكان من الطبيعي أن تقلق سلطات الحماية من حماس كان يُنمّ عن يقظة خطيرة على مصالحهم، فأقدمت على إيقاف جريدة *عمل الشعب* يوم 11 مايو 1934، ولكن هنري پونصو كان قد أمضى شهراً قبل ذلك يوم 8 أبريل 1934، الظهير المعدل للظهير البربري الصادر بتاريخ 16 ماي 1930، من حيث إنه ألحق القضايا الجنائية الواقعة بالمناطق البربرية بالمحكمة العلياالشريفة، وكانت موكلة في الظهير المشؤوم بالمحاكم الفرنسية، كما وقع پونصو بعد الصدر الأعظم آنذاك محمد المقري على القرار الوزيري المثبت شرعية الاحتفاء بعيد العرش يوم 18 نونبر من كل سنة. ثم إنه أمر بالإيحاء لمحمد بن الحسن الوزاني، لما جاء يحتج لدى بعض مساعديه على منع الصحافة الوطنية من الصدور، بأن تصاغ المطالب الوطنية صياغة منهجية شاملة موحدة، وحتى إن فرضنا أن ذلك الاقتراح كان يرمي إلى إرجاء المطالب وإلى التخلص من الوطنيين إلى حين، فيبقى مع ذلك أن الفكرة أوحت للوطنيين بما أوحت وأكسبتهم مصداقية ومشروعية تمخض عنهما دفتر *مطالب الشعب المغربي* الذي عرض على أنظار الملك والمقيم العام بالرباط وعلى أنظار المسؤولين الفرنسيين بباريس في شهر دجنبر 1934. ولقد قال پونصو عن تلك المطالب إنها أطروحة في الحقوق جيدة، مشيراً في آن واحد إلى ما كان يسيطر عليها من آثار الأسلوب الجامعي أو المدرسي وإلى تقديره لها وعدم استهانته بالوطنيين الذين حرروها على لسان الجماهير المغربية السائرة نحو التخلص من الركود. ولا مبالغة في الجزم بأن هنري پونصو هو المقيم العام الوحيد الذي حصل بينه وبين الوطنيين المغاربة نوع من ذلك التواطؤ الذي تفرزه المعطيات التاريخية الموضوعية في ظروف معينة، ودليل ذلك حيثيات النزاع الحاد الذي قام بين المقيم العام والجالية الاستعمارية القاطنة بالمغرب، على اختلاف مشاربها وهيئاتها، لأن هنري پونصو ظل متشبثا بمفهوم الحماية الأصلي القاضي بالأخذ بيد المخزن التقليدي ومراقبة أعماله على درب التحديث، بينما رأى المعمرون أن قد جاء وقت إلحاق المغرب بالتراب الفرنسي وآن الوقت لتجاوز مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء لتبقى السوق المغربية حكراً عليهم دون سواهم، وزاد في اشتداد أطماعهم وافتضاح جشعهم انهيار آخر حصون المقاومة المسلحة في جبل صغرو سنة 1933 وفي الصحراء الغربية سنة 1934، وتأثر الاقتصاد المغربي في تلك الآونة بمضاعفات الأزمة العالمية. وفوجئ پونصو أول الأمر بمطالب المعمرين الذين أصبحوا يعانون من ركود التجارة الدولية فصاروا يصيحون بوجوب التخفيف من ديونهم بإعفائهم من الضرائب أو إرجائها على الأقل، وطالبوا بإلغاء مقررات الجزيرة الخضراء ليحْمى إنتاجهم وتطبق عليهم قوانين الجمارك المعمول بها ضمن الأمبراطورية الفرنسية. وحتى لا يغيب أمرهم عن أحد،

جعلوا شعاراً لهم حلق رؤوسهم ليقرِّروا بذلك أنهم يجزون مثلما تجزّ الشياه ! ولما لم يُصغِ بونصو إلى حماقاتهم، خرجوا متظاهرين بالرباط في نظام شبه عسكري، شأنهم في ذلك شأن كل الهيئات الفاشستية التي تكاثرت في العقد الثلاثيني هنا وهناك بأوربا، فلم يتردد المقيم من إصدار الأمر بقمعهم وتشتيت صفوفهم على يد فرقة من الصبايحية المغاربة، مما ضاعف من شعورهم بالإهانة، فصمموا العزم على الإطاحة به بأي وجه من الوجوه، سيما وأن صفوفهم تعززت بانضمام موظفي إدارة الحماية إليهم إذ نقموا على المقيم العام عزمه على التخفيض من مرتباتهم وامتيازاتهم الهائلة التي كانت تستنفد 50٪ من الميزانية العامة، وكانت الميزانية في حاجة ماسة إلى التعديل في تلك السنوات المتأزمة، كما انضم إليهم في التمرد على سلطة المقيم أرباب التجارات والصناعات الذين تبنوا شعار المطالبة بمراجعة النظام الجمركي وإلغاء مقررات الجزيرة الخضراء، واحتدم النزاع وانفجر في دجنبر سنة 1935 عند مناقشة مشروع ميزانية سنة 1936 في مجلس شورى الحكومة، حيث استقال أعضاء الهيئات الثلاث الممثلة للطائفة الاستعمارية، الأولى نيابة عن غرف الفلاحة، والثانية نيابة عن غرف التجارة والصناعة، والثالثة نيابة عن الموظفين والمهن الحرة، ورفعوا شعار تخويل ذلك المجلس (الذي كان ليوطي قد أنشأه بقرار مقيمي سنة 1919 بقصد الاستئناس بآراء المعمرين) إلى مجلس منتخب له حق القرار، وكان ذلك أول مطالبة من الأوساط الاستعمارية باختراق مجال السيادة الوطنية المغربية من تحت ستار الشكليات الديمقراطية. ولما وقف بونصو من كل ذلك موقفا كان يمليه عليه القانون الدولي وسلامة الضمير، طالب المعمرون برأسه، كما قال محمد بن الحسن الوزاني، الذي أورد في الجزء الرابع من كتابه *مذكرات حياة وجهاد* تفاصيل ما قامت به الحركة الوطنية الناشئة لفضح "المجزوزين" والموظفين المدللين وأرباب الأعمال المستغلين لليد العاملة المغربية بكل وقاحة، مماكان لا يزيد الأوساط الاستعمارية إلا نفورا من مقيم عام كان يتكلم بكلام لا يتنافى مع أقوال الوطنيين المغاربة.

وكانت الحكومة الفرنسية قد رامت تعويض بونصو مرة أولى في سنة 1934 فعينت خلفاً له شياپ Chiappe رئيس شرطة باريس، الذي كان قد أرغم على الاستقالة غداة مظاهرات أحزاب اليمين بباريس يوم 6 فبراير احتجاجاً على المؤسسات الديمقراطية في البلاد، وكان قد بدا للجميع تواطؤ شياپ المذكور مع المتظاهرين وبقي عاطلاً عن الوظيف إلى أن فكر بعض أصحابه من رجال الحكومة في تعيينه بالإقامة العامة بالرباط، لكن قرار التعيين سرعان ما ألغي فبقي بونصو بمنصبه إلى أن تفاقمت خصومته مع المعمرين فمارسوا كل أنواع الضغط على الحكومة لإقالته فأقيل في شهر مارس سنة 1936 وخلفه بالرباط مارسيل بيروطون المقيم العام بتونس الذي كان من أنصار الاستعمار الضيق وأساليب العنف.

أما هنري پونصو فإنه عاد إلى الوظائف الدبلوماسية المحضة فعين سفيراً بتركيا ثم سفيراً فيما بعد بألمانيا إلى أن حل عليه سن التقاعد فأحيل على المعاش.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي* ؛ روم لاندو Rom Landau، *أزمة المغرب الأقصى*، تر : إسماعيل علي وحسن الحوت ؛ م. حسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، ج 3 و4. الرباط 1982.

J. Ladreit De La Charrière, *Le différend marocain, A. F.*, Décembre 1935, p. 765 ; Janvier 1936, p. 20 ; W. A. Hoisington, Jr, *The Casablanca connection : French colonial Policy 1936 - 1943*, (University of North Carolina Press) ; J. Berque, *Le Maghreb entre deux guerres*, Paris, 1962 ; R. Letourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane*, 1920 - 1961, paris, 1962 ; R. Gallissot, *La Patronnat européen au Maroc*, Rabat, 1964 ; Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978.

إبراهيم بوطالب

**پونْطا پيسكادُور**، Punta Pescador أي "رأس صياد السمك" أطلقه الإسبان على رأس تيسكين الواقع بشبه جزيرة الداخلة، وهو الذي أطلق عليه الأنجليز اسم Ficherman Point.

A. Domenech Lafuente, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946, p. 81 ; I. Camero Ruiz, *Vocabulario geografico-Saharico*, Madrid, 1955, p. 151 - 153.

محمد ابن عزوز حكيم

**بونعمان**، قرية على بعد حوالي 25 كلم جنوب غرب مدينة تيزنيت، في منطقة التقاء الجزء الغربي من الأطلس الصغير مع سهل "أزغار تيزنيت" وتقع بين خط العرض 29 و32، وخط الطول 9 و40. يحد مركز بونعمان من الجهة الشرقية أولاد جرار، ومن الناحية الشمالية تيزنيت وأكلو، ومن الجهة الجنوبية الأخصاص، أما في الجهة الغربية فنجد أيت باعمران.

وردت أقدم إشارة إلى بونعمان عند ابن خلدون، ففي معرض حديثه عن تحركات القبائل العربية المعقلية في بداية القرن السابع (13 م) بالجنوب المغربي، وضمن استنجاد علي بن يدر بفروع منهم، يذكر "أولاد بني نعمان في القبلة على سائر البحر" (*العبر*، 6 : 69). ولم يحدد هنا ما إذا كان يقصد الجهة التي تحمل نفس الاسم حاليا، أم أنه يقصد به منطقة واسعة بالساحل الجنوبي للسوس الأقصى.

كما ورد الاسم في كتاب *ديوان قبائل سوس* على عهد المنصور السعدي المؤرخ بنهاية القرن العاشر (16 م) بصيغتي "أولاد إبراهيم البنعمانيون وأهل بونعمان" (ص 110 . 114) مما يفيد أن الاسم يرمز إلى كيان قبلي أو مجموعة بشرية تنتسب إلى جد مشترك. وفي هذا الإطار يشير المختار السوسي إلى أن "بني نعمان" من أهل إعزّى وهدى البكرين (*المعسول*، 13 : 9 . 10) إلا أنه يبقى تاريخ ظهور التسمية مجهولا وأنها تحيل على اسم علم مجهول أيضا لا يستبعد أن يكون شكله الحقيقي (بني نعمان) ثم وصل إليها وقد اعتراه تحول في النطق.

يكوِّن سكان بونعمان فخذاً من أفخاذ قبيلة أيت خلوف

"ضمن قبائل أيت برايم" وكانت جماعة فخذ بونعمان تسمى "أيت بونعمان" وتنقسم إلى عدة أسر كبيرة، وهي الساكنة بالقرى المتفرقة وسط بساتين ساقية بونعمان، مركزها عامر تقام به سوق أسبوعية كل يوم جمعة. تدل أخبار بونعمان المستقاة أساساً من الرواية الشفوية على ازدهار تجاري عريق، إذ تشمل المنطقة مركزاً تجارياً ومحطة التقاء الطريق التجارية القادمة من وسط أيت باعمران والمناطق الجنوبية عبر ممر تيزي مع الطريق القادمة من الصويرة عبر تيزنيت. وقد أهلها للقيام بهذا الدور موقعُها الاستراتيجي عند قدم الجبل وسهولة المرور عبر ممر "تيزي" الجبلي، كما يشهد وجود الفندق والسوق الأسبوعي العتيقين بها على ما كانت تعرفه المنطقة من نشاط تجاري مهم في الماضي. وقد كانت المنطقة مجالاً لاضطرابات خطيرة أواخر القرن الماضي خاصة في سنوات 1884/1301 ـ 1891/1309 ـ 1899/1317 (*المجتمع الباعمراني*، ص 179 ؛ *المعسول*، 2 : 118) حيث تتعارض فيها مصالح القبائل المجاورة، وبالخصوص أيت تيزنيت وأهل أكلو، وحلفاؤهما في الاتفاقين المتعارضين (تحگات وتاگوزولت). وعادة ما يكون الصراع حول المنطقة تحت غطاء مبررات هامشية، فاحتلت العيون المائية والأراضي الزراعية ورغبةُ كل طرف في مراقبة هذا المسلك المهم حيزاً رئيسياً ضمن هذه المبررات.

وبعد دخول الفرنسيين مباشرة إلى مدينة تيزنيت، تحولت بونعمان على غرار مركز "ميرغت" إلى قاعدة عسكرية أمامية لمراقبة المسالك الجبلية المشرفة على أزغار تيزنيت (*La Colonne*, 131 - 132).

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 ؛ إ. الحساني، *ديوان قبائل سوس*، ت. عمر أفا 1988 ؛ م.المختار السوسي، *سوس العالمة* ؛ *المعسول*، 12 ـ 13 ؛ ع. المحمدي، *مساهمة في دراسة المجتمع الباعمراني*، د. د. ع. 1984.

H. Dugard, *La Colonne du Sous, 1917*, Paris, 1918 ; P. Pascon et M. Ennaji, *Le Makhzen et le Sous Al Aqsa 1821 - 1894 , La correspondance politique de la maison d'Iligh*, Paris, 1988.

أحمد بومزگو

**البونعماني، الحسن** بن أحمد بن مسعود الطالبي، أحد عمالقة الشعر العربي في سوس، علا شأنه في الحركة الأدبية المعاصرة على امتداد الوطن. تسمى أسرته آل الطالب إِعَزّى، والطالب إعزّى هو محمد بن مَحمد ـ فتحاً ـ والد مسعود، الفقيه المعروف عندهم بـ : "بولْحيلات" أي صاحب الحيل المتوفي بتامنارت عام 1830/1246.

مسعود الطالبي ـ جد الشاعر ـ أول من نبغ في هذه الأسرة، "فرفع لها راية المعارف، وغرس فيها من المجد العلمي ما لا يزال إلى الآن يؤتي أكله غضّاً طرياً (*المعسول*، 3 : 8) وأصل الأسرة من سملالة، انتقل إعزّى إلى تاجّاجت بإمَجّاط، ثم إلى تيمجاض بأيت بريّيم، وهناك وُلد مسعود نزيل المعدر الذي تنتسب إليه أسرة البونعماني، ويرتفع نسبهم إلى الحسن المثلث. وقيل من الأدارسة (*المعسول*، 13).

تحدث الحسن البونعماني عن نسبه في رسالة خطية إلى عبدالله بن العباس الجراري، الذي أدرجها في كتابه *المجالس الأدبية* (مخطوط) يقول فيها : "ترفع أسرتنا نسبهم إلى إبراهيم بن عبدالله الكامل، وقد التقى نسبنا مع نسب الشيخ سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي، صاحب *دليل الخيرات*، ومع نسب الشيخ سيدي أحمد بن موسى الجزولي في بعض أجداد سملالة".

ولد الحسن البونعماني حوالي سنة 1909/1327، بقرية الـمَعْدَر الواقعة شمال تيزنيت بحوالي 25 كلم، وبعد أن ترعرع فيها انتقل مع أبيه إلى قرية بونعمان جنوب مدينة تيزنيت بقبيلة أيت بريم، وبها مدرسة عامرة، "مشهورة بالقراءات إلى أن آل أمرها إلى سيدي مسعود المعدري عام 1862/1279. فردها علمية، ثم لم تلبث أن كبر شأنها فزخرت بالطلبة... تولاها أبناء مسعود فزادوها شرفا إلى شرف خصوصاً في عهد الأستاذ محمد بن مسعود المتوفى عام 1911/1330 الذي خلّفه والده بها المتوفى 1901/1319 في عهد الشيخ أحمد أخيه، وما يزال أحفاد المسعوديين فيها... (*سوس العالمة*، 165).

لا يعرف أحد أصل هذه المدرسة، وقد جاء في *المعسول*، (9 : 13) أنها تنتسب إلى بني نعمان : "وكان بنونعمان من أهل إعزّى وهْدَى البكريين، وكانت زاويتهم هناك لها شهرة بين القرن السابع والثامن، حتى بلغ صيتها مسامع مؤرخ ذلك العصر، عبدالرحمان بن خلدون فجرى ذكرها في موضع من تاريخه الطويل وسماها : (زوايا بني نعمان). ثم لم نعلم ما صنع الدهر بتلك الزوايا بعد ذلك، ولم نجد ما يدل عليها إلا قبابا مشيدة لكثير من رجالاتها مجهولين عندنا، ولم يبق إلا أسماؤهم ببقاء قبابهم الكثيرة هناك، ولعل ما وجده القرن الماضي من صبابة من الاهتمام بالعلم وبالقراءات انْحدر من تلك الزوايا، ولم تقم شهرة هذه المدرسة إلا على يد مسعود المعدري الذي غيّر وجهتها من مدرسة للقراءات إلى مدرسة علمية، وضربت شهرتها الآفاق، فأصبحت قبلة الطلبة السوسيين والصحراويين، لسمعة الشيخ وورعه وعلمه الغزير من جهة، وحسن موقع المدرسة من جهة أخري، "فأصبحت أكبر من كل مدارس سوس اتساعا وكثرة بيوت، كما كانت أحفلها أحباساً".

نشأ الحسن البونعماني بالمعدر في وسط عائلي تقي

ورع فاضل، وفي سن مبكر أدخله والده الكتّاب بنفس القرية قبل أن ينتقل إلى بونعمان للالتحاق بمدرستها، خلفا لأخيه الشيخ أحمد.

وبعد حفظ القرآن تحقق ما يصبو إليه والده، حيث أظهر نبوغا متميزاً واهتماماً خاصاً باللغة العربية وآدابها، وأقبل عليها بشغف يدرسها ويحفظ متونها على أساتذها الفطاحل بمدارس سوس، مبتدئاً بمدرسة والده "بونعمان" "فأمرنا الوالد أن نلتحق به في المدرسة المذكورة لمتابعة الدروس العلمية، فشرعنا على يده، ثم اتخذ لنا تلميذاً له ولعمنا الأستاذ العلامة الشاعر المرحوم سيدي الحسين بن إبراهيم العيني الجراري (ت 1348 هـ) وهو من نجباء تلامذة المدرسة البونعمانية، فقرأنا عليه بعض المبادئ في النحو والصرف والفقه واللغة والأدب، وكان ـ رحمه الله ـ حريصاً على تعليمنا وتهذيبنا..." (*تقييد مخطوط للشاعر*).

وفي هذه المرحلة المبكرة، كان الحسن البونعماني مولعا بقرض الشعر وتذوقه وحفظه، ومتابعة أخبار الشعراء، وما ينشرونه من الشعر وخاصة من أبناء سوس. "ثم قضيت مدة ـ يقول الشاعر في تقييده ـ فوطدت العزم على الاشتغال بالعلم، وكنت طلبت من الوالد رحمه الله أن يساعدني على الانتقال إلى مدرسة إفران". إلا أن والده، على ما يظهر، لم يستجب لرغبته، ولم يعرف عنه أنه التحق بهذه المدرسة، مع شدة إعجابه بشعر شيخها الطاهر الإفراني وذكر من أساتذته في العلوم العربية الأستاذ الأديب الشاعر الحسين ابن إبراهيم العيني الجراري ـ المذكور آنفا ـ والأستاذ الورع إبراهيم بن الحسين الساحلي الأنگضائي، وهما من أجلة تلامذة والده أحمد بن مسعود، كما أخذ عن مفخرة السلف الصالح مبارك بن مسعود البعقيلي الوسلامي، وولده الحسن بن مبارك الوسلامي، وعن الأستاذ مبارك البعقيلي بمدرسة أخريب.

وبعد ذلك التحق بمدرسة إغيلالن بقبيلة أيت عباس بمسگينة في السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الكبير بجوار مدينة أگادير، حيث تصدر للتدريس بها الأستاذ مسعود الوفقاوي، وقضى بهذه المدرسة فترة تعتبر بالنسبة إليه من أغزر الفترات علما ومعرفة، عاش فيها مع جلة من العلماء الأفذاذ أمثال رشيد المصلوت ومحمد هرماس وأحمد الوفقاوي وغيرهم الذين كان لهم باع طويل في توجيه الحركة العلمية في منطقة سوس. ثم التحق بالعلامة الأديب الشاعر داود بن عبدالمنعم الرسموكي بمدرسة تيوت بضواحي تارودانت فأخذ من علمه الغزير ما تيسر له قبل أن يخرج من سوس لينتقل عبر حواضر المغرب ولم يتجاوز عمره بعدُ الواحد والعشرين، حيث لقي عبدالرحمان بن منصور البزيوي (القاضي فيما بعد) ومحمد المختار السوسي، وكان لقاؤهما في البداية لقاء تمهيديا تمخّضت عنه،فيما بعد، حياة قوامها الود والإخلاص واعتماد الأدب والأصالة والعروبة وإحياء مجد سوس التاريخي والعلمي. وكان هذا اللقاء التاريخي في إحدى ليالي رمضان من عام 1348 / فبراير 1930. وفي مراكش استأنف البونعماني دراسته في جامع ابن يوسف على يد الفقيه الحاج الحسن الشاوي وبلديّه بوشعيب الشاوي والأديب مولاي مبارك العلوي في مسجد المواسين وشيخ الجماعة إذ ذاك الفقيه الحاج العربي الرحماني ومن في طبقته.

ورغم انقطاعه للدراسة ودأبه على حضور حلقات الدروس فإنه لم يغفل عن متابعة الحركة الشعرية وتتبع أخبار الشعراء وارتياد المجالس الأدبية ومعاشرة الأدباء والشعراء، وله معهم مطارحات ومساجلات.كما تعرّف على شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم المراكشي الذي عرّفه بدوره بمجموعة من الأدباء والشعراء الشبان بمراكش، وطبقت شهرته أرجاء الحمراء وتنوقلت أخباره عبر المنتديات والمجالس وتألق نجمه بسرعة في سماء الشعر.

هذه الوضعية التي عاشها البونعماني في مراكش أيقظت ما كان دفينا عند صديقه المختار السوسي الذي انقطع إلى التدريس والتربية والتوجيه فلم يكن يعبأ بالقريض ولا يحفل بمجالاته، وكان لوجود البونعماني معه ومعاشرته إياه فضل في رجوعه إلى القوافي والاهتمام بقول الشعر.

ثم رحل البونعماني إلى فاس وأخذ في جامع القرويين عن علمائها الأجلاء أمثال محمد بن عبدالمالك الرسموكي والراضي الحنش ومحمد بن سعيد الزرهوني. ورجع إلى مراكش وبقي على هذه الحال، بين أصدقائه وخلانه. وحاول أن يلج ميدان العمل وطرق من أجل ذلك أبواباً متعددة، فتيسرت له وظائف ومهام أعرض عنها جميعاً، لأنها لا تناسب مقامه العلمي ولا تستجيب لطموحاته لما يتسم به من أنفة وإباء وشموخ في الهمة. وقد ذكر لي القاضي سيدي عبدالرحمان بن منصور البزيوي أنه حصل على وظائف للاشتغال بالتحرير في بعض المؤسسات المخزنية والعدلية فرفضها، لأنه يرى فيها قيداً لحريته وكبحًا لجماحه الأدبي.

وفي الفترة بين 1351 ـ 1355 لم يعرف البونعماني مستقراً في مدينة معينة، بل تنقل في عدد من الحواضر المغربية كبني ملال والدارالبيضاء والرباط ومكناس، وربما انقطع في فترة من هذه المدة إلى نقيب الشرفاء المؤرخ عبدالرحمن ابن زيدان بمكناس كما يقول في قصيدة :

أيا قَطْرَ الفضاءِ عرج إلى مكـــنـاسَ حيث العلوم تزدادُ فيضـاً
تنتحي المربع الزيداني حيث الـــرّوضُ راق العيونَ طولا وعرضاً
يابن زيدانَ يابن ناسٍ عظامٍ أنت ربُّ اليراعِ نثراً وقرضـاً

وفي سنة 1355 / 1936 عُرض عليه القيام بمهمة التدريس كأستاذ بثانوية مولاي يوسف بالرباط فقبلها وقضى فيها أربع سنوات عين بعدها كأول رئيس لمحكمة السداد بمراكش عندما أحدثت هذه المحكمة لأول مرة، وكان التحاقه بها عام 1364 / 1944 استغرق عمله فيها أزيد من ثماني سنوات، كانت خلالها علاقته بالباشا الأگلاوي غير طيبة، ويظهر أنه تعب في هذا المنصب بسبب هذا الخلاف، وقد

ورد في إحدى قصائده العرشيات للسلطان محمد الخامس ما يدل على ذلك :

أديبُ بني نعمـــانَ جاشت عــداتُه ... وكان يروّي في صدورهمُ البتـــرا
(...)وأحتل في أعلى المعالي مكانةً ... تجازي بها الاخلاص والخدمة الغـرا
وليـس ببـدعٍ أن أُقلَّـدَ منصبـــاً ... بعزٍّ يكفيني "المفوّض" في الحمـــرا
وأنـت الذي عوّدتـني العطـف كلما ... يُؤخِّـرني دهـرِي تُبـوِّئني صــدْراَ

وفي سنة 1371 / 1952 عين عضواً في مجلس الاستئناف الشرعي فبقي فيه حتى أشرف الاستقلال فعين أول باشا بعد الاستقلال لمدينة أگادير، فظل بهذا المنصب إلى ما بعد وفاة محمد الخامس حيث نقله الحسن الثاني إلى القصر الملكي كمحافظ للخزانة الملكية بالرباط. وأثناء توليته هذه المهمة الجديدة لوحظ عليه انزواء شديد، وانقطاع عن معاشرة الناس ومخالطتهم بشكل غير عادي، وقد صادفت هذه الفترة وفاة المختار السوسي، (29 جمادي الثانية 17/1383 نوفمبر 1963)، وتأثر لوفاته تأثراً شديداً. وبقي في هذه الوظيفة إلى أن أحيل على المعاش في بداية السبعينات، فانتقل إلى أگادير ليقضي بقية أيام عمره متردداً بينها وبين تيزنيت والمعدر مسقط رأسه، وعاش هكذا وحيداً فريداً بدون زوجة ولا أولاد، بعد فشله في تجربته الأولى في الزواج في بداية الاستقلال، إلى أن وافاه الأجل المحتوم يوم الثلاثاء 14 ربيع الثاني عام 16/1402 فبراير 1982 وهو بتيزنيت، ونقل جثمانه إلى بونعمان حيث دفن بجوار والده.

للحسن البونعماني إنتاج شعري غزير، لكنه لم يعتن بجمعه في *ديوان* خاص، ولم يحتفظ منه في خزانته إلا بقصائد تعد على رؤوس الأصابع، حسب ما صرح به بعض أفراد عائلته، وظل شعره موزعاً بين أصدقائه في مختلف جهات المغرب في الحواضر والبوادي، إضافة إلى ما نشر منه محمد المختار السوسي في الجزء الثالث عشر من *المعسول* الذي خصصه للأسرة المسعودية، كما أورد له عبدالله الجراري مجموعة من القصائد والمقطعات في *المجالس الأدبية* وفي كتابه الآخر *شعراء المغرب الأقصى وأدباؤه المعاصرون*.

تميز الحسن البونعماني بميزة خاصة تتمثل في غيرته الكبيرة على سوس وولائه له، وطغى هذا الولاء على شعره فأصبح يلهج به في كل مناسبة، فهو القائل في الإشادة بسوس :

قطري المفدّى "سوس" يعرفُ محتدِي ... وتحنُّ نحوِي إن أغبْ جدرانُـهُ
وتـقـرُّ لي ولِـتَالـدِي أشيـاخُـهُ ... ولِطَـارِ فِي بين الورَى شبّانُـهُ
لــو استطاعـتْ أن تسيـرَ ديـارُهُ ... شَـوقاً إلَـيَّ لجاء "بُونعـمانُـهُ

ويقول في الإشادة بأمجاد المغرب :

نسوسُ بالعدل والباسِ الشديد ومَن ... في العدل والباسِ مَن كانوا يوازينـا
أسد الزّلاقة لمـا اشتَـدّ موقعُهـا ... والأرك خضنـا وَغَاهاَ والمخازنَـا
فليعـلم الثقـلانِ أنّ رايتَـنـا ... سيستظـلّ بهـا حتّى أعاديـنـا
سيستظل بهـا عـدلاً ومكرمـةً ... ونحن في الحق لا يَخْفَى تسامِينـا

ويقول في مساندة الشعب المغربي للجزائر في محنتها ضد الاستعمار :

هذي الجزائر قد أضنتْ نوائبُها ... لم تُبق للعين دمعاً من مآقينـا
وليس يشفي غليل النفس إلاّ إذا ... جـالت لنـا ثمَّ جُردٌ من مَذاكينـا

ويقول في تجاوب المغاربة مع الأشقاء المصريين في نكبة العدوان الثلاثي :

هـنـا قلوبٌ تنـاجي من محبتهـا ... قـنـاةَ مصرَ كما كانت تُنـاجينـا
فـاضـت هُنالكَ أرواحٌ مقدسـةٌ ... تـكـادُ نلحقُـهـا لولا تـأسِّينـــا

ويقول في فلسطين :

وطهِّر بفلسطـين أقدسَ مسجـدٍ ... فأنت على تطهيـره أيّ قـــادرِ
وشتِّت جيـوش المعتـدِي وحماتَه ... وللظالم اقْطعْ عـاجلاً كل دابـــرِ
فأيـن البنادقُ التي قد عرفتهـا ... قد استُبدلت في جيلنـا بالمخاصرِ

هذا الإحساس نلمسه كذلك على مستوى النثر، فقد كان محرراً في جريدة *السعادة* في السنوات الثلاثين من هذا القرن وكتب على أعمدتها سلسلة من المقالات معظمها عن سوس وعن الأدب في سوس، والتعريف بأعلامها، بالإضافة إلى مقالات في مجلات وجرائد أخرى منها :

1 ـ *ترجمة عمه محمد بن مسعود البونعماني* في حلقتين : (*السعادة*، ع 4590 و4591 في غشت 1938).

2 ـ *الأدب الأندلسي في سوس الأقصى*، أو *المدرسة الإلغية*، (*السعادة*، ع 4607 في 20 سبتمبر 1938).

3 ـ *أيام عكاظ بتازروالت* في حلقتين : (مجلة *الثقافة المغربية*، أكتوبر ـ دجنبر 1942).

يضاف إلى هذا سعيه الجدي للتأليف عن سوس وتاريخ رجالاته. وقام بجولة علمية في جبال جزولة استغرقت وقتاً طويلاً، جمع خلالها من المخطوطات وتراجم العلماء وأخبار الأسر العالمة مادة غزيرة لم تسعفه ظروف وظيفته للتفرغ للتأليف فيها، فجاءت الفرصة فوضعها بين يدي صديقه الحميم محمد المختار السوسي لتدخل ضمن مواد *المعسول*.

وقد قرأت في مقيدة مخطوطة أنه ألف عن أسرته المسعودية كتابا مخطوطا أسماه : *بدر السعود في مناقب آل مسعود*، ولكننا لم نقف على هذا المخطوط، وأسرته لم تكشف بعد عما بخزانته من كنوز، سواء من إنتاجه الشخصي من الشعر والنثر أو ما تحويه من الذخائر النفيسة من مؤلفات الأسرة المسعودية العالمة. وأطول قصيدة له في الشعر الصوفي سماها *التوسل*، بلغ عدد أبياتها قرابة سبعمائة بيت، وهي آخر ما أبدعه قبل رحيله عن الدنيا.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 13 ؛ *الإلغيات*، ج 3 ؛ *سوس العالمة* ؛ ع. المتوكل الساحلي، *المعهد الإسلامي والمدارس العتيقة بسوس*، ج 1 ؛ ع. الجراري، *المجالس الأدبية*، مخطوط موضوع د. ع. بالرباط ؛ *شعراء المغرب الأقصى وأدباؤه المعاصرون*، مرقون ؛ ع. بن منصور البزيوي، مجموعة من *الرسائل من البونعماني إلى أسرته*، مخطوط ؛ شهادة شفوية ومقابلات شخصية مع أصدقائه وأقاربه.

**البونعماني، محمد** بن مسعود بن محمد الطالبي، من الشخصيات السوسية الفذة التي كان لها أثر لا ينكر في الثقافة والأدب في سوس أوائل القرن الهجري الرابع عشر (19 م)، استلهم تعاليم والده الشيخ مسعود التي

أكسبته الاعتداد بالنفس، والشموخ في الهمة، والتواضع في المعاملات، وهو يمثل الصورة الكاملة لروح العصر في وقته بما فيها من براءة وما تنطوي عليه من فطنة وذكاء إضافة إلى نفسيته الشاعرة التي تستشف من جمال الكون وعظمته ما يكسبه رؤية تنير له السبيل وتكسو الوجود حوله جمالا يبعث على القناعة والاطمئنان. ويتمتع بروحانية الصوفي الزاهد الذي يؤمن إيماناً راسخاً بأن كل ما يقوم به ويمارسه من تعليم ونشر المعرفة وما يبثه من إرشاد ووعظ في الحلقات الدراسية ومجالس المريدين هو عمل خالص لوجه الله.

ولد محمد بن مسعود البونعماني عام 1282 / 1865 في بلدة "تمْجَّاض" من قبيلة أيت بريِّم، على بعد أربعين كيلومتراً من مدينة تيزنيت، من الجهة الجنوبية موطن والده، وهو من أسرة آل مسعود السملالية العالمة المعروفة منذ أن تصدر مسعود المعدري للتدريس في المدرسة البونعمانية حوالي سنة 1279 / 1862.

كان المترجم أكبر إخوته عند والده فرباه تربيةً علمية. وكان ينظر إليه منذ صغره نظرة متيقن أن آماله ستتحقق لا محالة. فحفظ القرآن تحت رعاية والده، واستكمل حفظه على يد الحاج محمد السرسيفي، وكان في أول تعليمه ميالا إلى اللعب والرياضة ولوعا بلعب كرة القدم واشتهر بحبه لها واتقانه لعبتها. وكانت المدرسة البونعمانية من المدارس السوسية التي تتوفر على ملاعب يرتاض فيها الطلبة في أوقات الراحة والعطل.

انقضت مدة من الزمن، وهو يتلقى المبادئ الصحيحة للتعليم على يد والده، فأهلته أن يعتمد على نفسه في المطالعة والمراجعة، وانقطع إلى الدراسة في محله وانقلبت أحواله وانزوى عن الناس إلا عمن يستفيد منهم أو من يستفيدون منه، وصار يحرر ما يحضره من الدروس المختلفة في مجلس والده العامر، يقضي سحابة يومه في الاشتغال ويسهر الليل إلا أقله، بحيث لا يوجد فراغ في أوقاته (*السعادة*، 9.8.1938).

أخذ عن والده العربية لغة ونحواً وتصريفاً، كما أخذ عنه الفقه بفروعه، ثم استتم هو بنفسه بمدارسة كتب اللغة والأدب. كما أخذ المنطق والحساب عن أستاذه أحمد بن إبراهيم الاگراري المنطقي الحيسوبي، ومحمد بن العربي الأدوزي. كما عاصر جلة من العلماء وأخذ عنهم، دراية أو رواية، ومنهم بالإضافة إلى من تقدم ذكرهم الشيخ الحاج ياسين السملالي الجزولي والحاج أحمد بن عبدالرحمان التملي الجشتيمي، المدفون بتيوت، والشيخ الحسن بن مبارك البعقيلي التيمدزتي،وأخذ التصوف عن علي بن أحمد الإلغي مؤسس الزاوية الإلغية الدرقاوية والد محمد المختار السوسي، فانصرف إلى الزهد والنسك. كما أخذ عن الشيخ علي بن عبدالله الإلغي والحسن بن أحمد بن إبراهيم السملالي ومحمد بن أحمد بن حسين الأگلوبي التمكتشتي الگرسيفي أصلا وإبراهيم بيرعمان (ذي الجمال) أخذ عنه الحساب والفرائض، وعمر الدهوز البرييمي نزيل العوينة أخذ عنه علم الفرائض. وقد أجازه العديد من الشيوخ معترفين له بطول الباع في العلوم والآداب.

لما قطع المراحل الأولى من حياته العلمية صار يتطلع إلى ما كان يتوسمه فيه والده ويتفرسه، وأدرك أن الغاية التي خلق من أجلها هي أن يخلد مثل والده خدمة علمية دينية، ويبني مجداً على مجد آبائه الأولين، فكرس نفسه للعلم والمعرفة، وتصدر للتدريس في مدرسة والده. مع بعض الطلبة.

وفي سنة 1309 / 1891، غادر مدرسة بونعمان بعد أن قضى فيها متصدراً للتدريس، ثلاثين سنة، بسبب خلاف وقع بين البرييميين والمعدريين، فتدخل الشيخ الأستاذ للصلح بينهم، فخذله بعض البرييميين، فغادر بذلك مدرستهم إلى مدرسة سيدي مزال أُهارون ثم إلى المعدر. فخلفه حينئذ ابنه محمد ابن مسعود في المدرسة ابتداء من هذا التاريخ، وهو ابن سبع وعشرين سنة، والمدرسة وقتئذ عامرة بالطلبة، مما اضطر معه الأستاذ الجديد إلى إضافة جناح آخر إلى المدرسة ليستوعب أفواج الطلبة الذين يتقاطرون عليها في أول عهده بها (*السعادة*، 9.8.1938).

وقد تميزت حياة محمد بن مسعود في هذه المدرسة بمرحلتين متميزتين.

الأولى : من سنة 1309 إلى 1316، انقطع إلى التدريس بجدية متواصلة.

الثانية : من سنة 1316 إلى وفاته سنة 1330، حيث خالط التدريس بالتصوف، مخللاً فترات التدريس بجولات صوفية في القرى والمداشر بمنطقة سوس، مع العلم أنه لم يتصل بالحواضر قط، ولم يتجاوز بلاد جزولة. وقد جمع وهو في المدرسة بين الرآستين : القضاء والتدريس والإفتاء.

تناولت دروسه كتب التفسير والحديث والأصول والفقه والتوحيد والمنطق والوضع واصطلاح الحديث والسير والنحو والصرف والبيان والبديع واللغة والأدب والعروض والتنجيم والحساب والتصوف. هذه العلوم يدرسها مع جميع التلاميذ، والتاريخ والطب والفلسفة يدرسها مع كبار تلاميذه في أوقات خاصة، وكان يناقش التلاميذ في الدروس ويبث فيهم حرية التفكير ويعلمهم أدب البحث والمناظرة، ويقبل السؤال والمناقشة. كما يناقش المؤلفين ويعلق على كلامهم وينتقده إذا اقتضى الحال. وما من كتاب درسه أو طالعه إلا وعمّر حواشيه بتعاليقه وتخريجاته (*السعادة*، 11.8.1938). وكان يجول مع طلبته في هذه الفنون من صباح السبت إلى عصر يوم الأربعاء، مهتما في نفس الوقت بالتأليف وتخميس القصائد المشهورة وتشطيرها، فكان أفضل عالم سوسي خاض في كل العلوم المعروفة في عصره (*المعسول*، 13 : 11). وله عدد كثير من التلاميذ، منهم إخوته أحمد والطاهر وإبراهيم أبناء مسعود والأديب محمد بن محمد الحضيگي المتوفى في تونس ومحمد ابن أحمد أُعمو القاضي

التيزنيتي وغيرهم، إذ قصده طلبة العلم من جميع نواحي سوس والصحراء لا يتسع المجال لذكر أسمائهم، وقد عد منهم المختار السوسي خمسة وستين ممن عرف أسماءهم (*المعسول*، 17 : 115). والذين أخذوا عنه الطريقة الشاذلية لا يحصون.

ومن آثاره العلمية : *نظم رسالة الدردير في البيان* ؛ *وتعليق كالشرح على منظومة السلم في المنطق* ؛ ومجلد ضخم في السلسلة الشاذلية ألمّ فيه بتراجم رجالها أسماه *المنهل الصافي* ؛ وتأليف جمع فيه أجوبة فقهية أجاب بها بعض علماء وقته سماه *تحفة الأكياس* ؛ *واختصار رحلة العيني السوسي* ؛ *واختصار كتاب أزهار الرياض* للمقري طلبه منه بعض التجار أن يطبعه في تونس وذهب به فبقي هناك بخط المؤلف. *والتصدير والتعجيز لقصيدة البردة*؛ *وشرحاها* الكبير والصغير ؛ *وتشطير قصيدة بانت سعاد*؛ *واختصار المدخل* لابن الحاج ؛ *وترجمة الشيخ سعيد بن إبراهيم السملالي* المعدري ؛ *ومنظومة في العروض* ؛ *وشرحها* - لم يتم - ؛ *ومبحث في أمّا بَعد* ؛ *وشرح لامية الطغرائي* ؛ *وحاشية* يناقش فيها العلامة الأدوزي شارح *أيسر المسالك* في النحو ؛ *ونظم رجال البخاري* - لم يتم -. وألف في *الفقه باللهجة السوسية* للأميين والنساء ليفقههم في الدين، وله تأليف في *مسألة الأذان وإقامة الصلاة* ؛ وله *ديوان شعر* ؛ وكراسة عبارة عن *فهرسة* ذكر فيها شيوخه الذين أخذ عنهم دراية ورواية بعبارة مختصرة. ولا يوجد كتاب في خزانته، كيفما كان موضوعه، إلا وملأ طرره بأبحاثه القيمة، سواء كان من الكتب التي تدرس أم لا. وقد عدّ له المختار السوسي أربعة وأربعين مؤلفا بين منظوم ومنثور (*المعسول*، 13 : 117 ؛ *السعادة*، 11 - 8 - 38).

لقد دخل محمد بن مسعود البونعماني في طور من التصوف منذ سنة 1316 / 1898 بسبب اتصاله بالشيخ علي بن أحمد الإلغي الدرقاوي الذي صار له فيه اعتقاد راسخ وكثّف من اتصاله بالفقراء وقيامه معهم بالسياحة ودأب على عقد مجالس للذكر والوعظ والإرشاد. وتخلى نتيجة لذلك عن التدريس وأناب بعض طلبته ليتفرغ لجولاته الصوفية مع فقراء المنطقة في القرى والمداشر بكل أرجاء سوس إلى أن توفي بعد مرض يوم الخميس 18 ربيع الأول 1330 / 7 مارس 1912 وهو في أول كهولته لم يتجاوز ثمانياً وأربعين سنة، ودفن بالمعدر بجانب قبر والده.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 13 : 5 وما بعدها ؛ *سوس العالمة*، 207 ؛ *خلال جزولة*، 4 : 24 ؛ ع. المتوكل الساحلي، *المدارس العلمية العتيقة بسوس*، 3 : 167 ؛ ح. البونعماني، *ترجمة شيخ الإسلام محمد بن مسعود البونعماني*، جريدة *السعادة*، 9، 11 / 8 / 1938.

**البونعمانية**، مدرسة تقع بقبيلة أيت بريّم، جنوب مدينة تيزنيت، بعيدة عنها بحوالي عشرين كيلومتراً، يؤدي إليها طريق معبد من تيزنيت. وهي في مقر جماعة بونعمان بموضع يسمى : "أكْرُورْ" في وسط قرية بونعمان، شرق سوق الجمعة بسفح جبل : "إنْتْرْ" وهي مشهورة بالعلم والصلاح، عامرة بطلاب العلم، تعد - حسب م. المختار السوسي - من بقايا زوايا بني نعمان أهل إعَزّى ويهدَى البكريين.

كانت شهرة المدرسة البونعمانية قبل أواخر القرن الثالث عشر (19 م) قائمة على القراءات، وتعاقب على التدريس بها جلة من العلماء، منهم أحمد أُجمل الأمزالي وأحمد أضرضور وبعدهما مبارك إيحبصْر المعدري ومحمد بن حسين الأكلويي، الجد لأيت حسَين، ومحمد الماسي ثم التاكنسي. هؤلاء الأساتذة يتفاوتون في درجات اهتمامهم بالتدريس، فكان بعضهم يهتم بالقراءات، كما كان بعض المقرئين يشارط فيها أحيانا. وكانت المدرسة بهم بين مد وجزر ولم تقم شهرتها إلا بعد أن قيض الله لها مسعود البونعماني وأولاده وأحفاده من بعده.

التحق مسعود بالمدرسة البونعمانية في مفتتح رجب من عام 1278، وحمل فيها راية العلم فقسم المتون كلها إلى دروس وعيَّن لكل متن القدر الذي تجب دراسته من فنون النحو والفقه والبيان والأصول والفرائض والحساب والتصريف وعلم المصطلح والحديث والتفسير، ووزعها على أيام الأسبوع الخمسة من صبيحة يوم السبت إلى عشية يوم الأربعاء بعد صلاة العصر، فوضع للدراسة نظاماً قاراً لا يخالفه رغم اشتغاله بأموره الدنيوية الأخرى غير التدريس، هذه الأشغال يباشرها ابتداء من بعد صلاة عصر يوم الأربعاء إلى صبيحة يوم السبت، فلا تكاد شمس السبت تشرق حتى يستوى على منصة التدريس (*المعسول*، 13 : 11).

ونتيجة لهذا التنظيم المحكم في أمور الدراسة وسمعة الشيخ مسعود الطيبة، تقاطر الطلبة على المدرسة البونعمانية. وقد أغرتهم بونعمان، إضافة إلى سمعة الشيخ الأستاذ العلمية، بحسن موقعها وطيب هوائها. فقد كانت للمدرسة أملاك وأشجار ومياه بساقية بونعمان، تعتبر مورداً لإعالة الطلبة ويقوم الأستاذ والطلبة أنفسهم بإدارتها، وقد تولتها الآن وزارة الأوقاف بينما تمول المدرسة من أعشار أهل القرية والأجرة السنوية للأستاذ. ونتيجة لهذه العوامل أقبل عليها الطلبة السوسيون والصحراويون على السواء.

ولما كثر الإقبال عليها اهتم الشيخ مسعود بتوسيعها والزيادة في عدد حجراتها لتستوعب الأعداد المتزايدة من الطلبة حتى بلغت أضعاف ما كانت عليه يوم دخلها، وبلغ عدد الطلبة في أيامه قرابة مائتين لم تستوعبهم أبنية المدرسة رغم توسعها المستمر، وبذلك غدت المدرسة البونعمانية أكبر كل مدارس سوس اتساعا وكثرة بيوت، وأحفلها أحباساً، وأصبحت البونعمانية بعد مفتتح القرن الرابع عشر أواخر (19 م) لا يماثلها إلا المدرسة الأدوزية تحت رعاية الأستاذ العربي الأدوزي.

مكث مسعود المعدري بهذه المدرسة ثلاثين سنة بدون انقطاع (1278 - 1309 / 1861 - 1891) ثم غادرها إلى مدرسة

سيدي أمزال أُهارون التي كان بها قبل أن يلتحق بالبونعمانية، للسبب المذكور آنفاً.

تولى محمد بن مسعود التدريس بالمدرسة البونعمانية بعد أن غادرها والده عام 1309 بأمر من والده، وعمره سبع وعشرون سنة. ثم التحق أخوه أحمد بن مسعود بالمدرسة البونعمانية بعد وفاة محمد بأربعة أشهر، فسار على منواله وبقي على ذلك من سنة 1330 / 1911 إلى سنة 1352 / 1933 وهو على هذا النحو من الجدية والمثابرة في التدريس، وتخرج على يده كثير من الطلبة، وبعد هذا التاريخ انزوى عن الناس، ولوحظ في نشاطه فتور إلى أن توفي سنة 1363 / 1943. فعرفت المدرسة البونعمانية تعثراً، وبدأ إشعاعها ينطفئ شيئاً فشيئاً. وكان آخر من تولى التدريس بها من أسرة آل مسعود أحمد بن محمد بن أحمد بن مسعود، الذي تخلى عن المدرسة بعد سنة 1379 / 1959، وانقطعت بها الدراسة العلمية إلى أن انبعثت مع الحاج سعيد توفيق المجاطي الذي التحق بها عام 1393 / 1973 فأحيا مجدها العلمي وعمرها بالطلبة من جديد، وما زالت تؤدي دورها العلمي حتى الآن.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 13 ؛ *المدارس العتيقة بسوس خلال جزولة*، 4 : 24 ؛ ع. المتوكل الساحلي، *المدارس العلمية العتيقة بسوس*، 167.

الحسين أفا

**بونوار**، (سيدي ـ) مركز حضري صغير، احتل المرتبة السابعة والثمانين وسط المراكز الحضرية المغربية من حيث عدد السكان، استناداً إلى إحصاء سنة 1982. إذ بلغ حجم هؤلاء 8.753 نسمة.

يقع مركز سيدي بونوار عند الضاحية الجنوبية الشرقية لمدينة خريبگة على بعد حوالي أربعة كيلوميترات منها. ينتمي إدارياً إلى إقليم خريبگة ويدخل في الدائرة الترابية لجماعة أولاد إبراهيم التابعة لدائرة خريبگة.

وهو من المراكز التي خلقها المكتب الشريف للفوسفاط بهضبة أولاد عبدون مع بداية العقد الثاني من هذا القرن، وهي خريبگة و بوجنيبة وسيدي بونوار وحتان وفم تيزي، وذلك قصد إيواء اليد العاملة القادمة من مناطق بعيدة وتشجيعها على الاستقرار بصفة نهائية حتى يتم ضمان إنتاج معدني منتظم وكاف لسد حاجيات السوق العالمية الفوسفاطية المتزايدة، خاصة وأن السكان المحليين لم يظهروا التجاوب الكافي مع العمل داخل المناجم الباطنية.

لقد تم اختيار موقع سيدي بونوار عند الهامش الجنوبي الشرقي لهضبة خريبگة في المكان المعروف باسم "بلاد كف العبيوض"، داخل مجال قبائل أولاد بحر الكبار، قريباً جداً من مقبرة وضريح أحد الأولياء الصالحين وهو سيدي بونوار. وتم تشييد المركز فوق عنصر هضبي ضيق متوسط ارتفاعه 760 م، يشرف على شعبتين تكونان منطلق واد الدربة الذي يقطع رتابة واستواء "گعدة" خريبگة.

وقد اعتمدت الإدارة في اختيار هذا الموقع بالذات خلال السنوات الأولى من بداية استغلال مناجم أولاد عبدون الفوسفاطية على عناصر تقنية وأخرى اجتماعية وسياسية. ذلك أن هذا المركز شيد في موقع يتوسط مركزي الاستخراج رقم 1 و2 بشكل يسمح للعمال بالذهاب إلى مقرات عملهم بوسائلهم الخاصة، وبذلك يتم تجنب مصاريف نقلهم، وفي نفس الوقت يجعلهم بعيدين عن المنشآت المنجمية في حالة وقوع أي اضطراب سياسي أو اجتماعي بالمنطقة (انظر الخريطة).

وعلى غرار المراكز الأخرى التي تم إنشاؤها بالمنطقة انطلق البناء في البداية بخلق مجموعة من النقط المائية، تجمع حولها السكان المحليون داخل بيوتهم الخاصة المكونة أساساً من الخيام والنواويل، وخضعوا للعمل داخل المناجم عن طريق "التويزة". ثم في مرحلة ثانية قصد توفير اليد العاملة بشكل منتظم. وفي مرحلة ثالثة مع ارتفاع الطلب على الفوسفاط في السوق العالمية تم اللجوء إلى المناداة على اليد العاملة في مناطق مختلفة من التراب الوطني، الأمر الذي دعا إلى بناء بيوت عصرية، فأصبحت المدينة الناشئة تتكون من ثلاثة أحياء رئيسية هي : حي السجن في الوسط وحوله الحيان الشمالي والجنوبي. وقد بلغ عدد البيوت التي شيدت إلى غاية سنة 1958 حوالي 1.220 مسكن. تطورت حولها مجموعة من أحياء الصفيح استفادت من البنية التحتية التي تم توفيرها، وقد ظهرت لتوفر خدمات القطاعين الثاني والثالث إذ لم تستطع الإدارة تنظيمها أو مراقبتها. من بين هذه الأحياء نذكر مثالي دوار الصويلحة ودوار علي بن الجيلالي. ومع مرور الوقت ظهرت أحياء سكنية خاصة خارجة عن ملكية المكتب الشريف للفوسفاط شيدها إما متقاعدون أو أفراد من أبناء المنطقة.

| السنوات | | | التزايد السنوي | التزايد السنوي |
|---|---|---|---|---|
| 1959 * | 1971 | 1982 | 1971.59 | 1982.71 |
| 5.106 | 8.530 | 8.753 | ٪ 4.3 | ٪ 0.2 |

* تطور سكان مركز سيدي بونوار

وهكذا فمركز سيدي بونوار خلق أصلاً لتكون له وظيفة أساسية هي إيواء العمال الذين يشتغلون بمراكز استخراج الفوسفاط القريبة منه، لكن نضوب المركزين الأول والثاني وتوقفهما عن العمل جعل العمال القاطنين بسيدي بونوار مجبرين على التنقل يوميا وعلى مسافات بعيدة أحياناً للاشتغال في مراكز مثل رقم 10 أو مركز "لمرح لحرش" المكشوف، مستعملين في تنقلهم حافلات شركة النقل الجهوي التابعة بدورها للمكتب. وقد كان لهذا التطور آثار واضحة على تطور سكان سيدي بونوار.

بلغ عدد سكان المركز سنة 1982 حوالي 8.750 نسمة (8.530 سنة 1971). وتبين هذه المقارنة أن نسبة النمو السنوي خلال هذه الفترة كانت هزيلة لم تتجاوز ٪0.2. وإذا ما قارنا هذه النسبة مع فترات سابقة سنجد أن مركز سيدي

بونوار كان يعرف خلال فترة 1959 . 1971 نسبة نمو عالية جداً وصلت إلى 4،3٪، ويعتبر هذا الرقم قياسياً بالمقارنة مع المراكز الأخرى المجاورة والمشابهة مثل مركز بوجنيبة (2٪ فقط).

إن هذه الوتيرة السلبية التي سجلتها ساكنة سيدي بونوار بين الفترتين المذكورتين ترتبط بهجرة السكان إلى مدينة خريبگة، حيث تتوفر المرافق الأقتصادية والاجتماعية التي لم يستطع مركز سيدي بونوار توفيرها خاصة بعد ابتعاد مراكز الاستخراج عنه.

G. Lazarev (et al...), L*es villages miniers de la région de Khouribga*, *Notes marocaines*, 1960, 14 - 39 - 59 ; Ministère du Plan, *Population légale du Maroc*, Rabat, 1982.

الحسن المحداد

**بونوالة**، مرابط بدأت تقارير جيش الاحتلال الفرنسي تتحدث عنه فجأة سنة 1908، بمناسبة المذابح التي ارتكبها هذا الجيش ضد عدد من الدواوير التي تجمعت حول زاوية الغنيميين، بقبيلة أولاد سعيد إلى الغرب من مدينة برشيد بحوالي 45 كلم.

ولد محمد بن زروال، المعروف ببونوالة، بدوار الغنيميين، وهو فخذ صغير من فرقة هدامي إحدى فرق قبيلة أولاد سعيد الخمس (أولاد عريف، موالين الحفرة، أولاد عبو، هدامي، مْزورة).

وقد تعاطى منذ صغره لقراءة القرآن وحفظه والاشتغال به، لذلك عندما بلغ سن الشباب أصبح طالباً متنوراً ينصح الناس ولا يشاركهم في أعمالهم. وهكذا عندما بدأ الاحتلال الفرنسي للشاوية لم نسمع بأي نشاط نُسب إلى بونوالة. وتذكر الرواية المحلية التي اعتمدتها البعثة العلمية الفرنسية في جمع مواد مؤلفاتها حول مدن وقبائل المغرب أن بونوالة لم يشارك في قتال الفرنسيين، بينما ترك أباه وإخوته الثلاثة، عبدالملك وعبدالقادر والغنيمي، يدعون الناس للجهاد باسم بونوالة. وهنا نلاحظ ملاحظة أولية، هي أن صاحبنا لم يكن له اتصال مباشر بالناس. فهل كان يكتفي بالجلوس في نوالته ويدفع بالمقربين منه إلى الدعاية له ولذلك سماه الناس ببونوالة، دون أن ينادوه باسمه مثلما فعلوا مع المرابط الشهير بالشاوية محمد بن الطيب البوعزاوي ؟.

على كل حال، فبمناسبة العمليات الحربية التي قرر الجنرال داماد، قائد قوات الشاوية، أن يقوم بها في شهر مارس من سنة 1908، لإرهاب مجاهدي الشاوية وحسم الموقف لصالح القوات الفرنسية، نلاحظ أن قيادة جيش الاحتلال بدأت تتحدث عن المسمى بونوالة وعن العدد الكثير من الخيام التي تجمعت حوله. وقد كان هذا التطور المزعوم كافياً ليقوم الجنرال داماد على رأس قواته بمهاجمة السكان الآمنين قرب ضريح سيدي الغنيمي، بدوار الغنيميين، و يرتكب مذبحة فظيعة ضد النساء والأطفال والرجال ويحرق جميع الخيام الموجودة.

كان لهذه المذبحة صدى واسع في الشاوية وفي فرنسا، إذ نددت بها صحافة الحزب الاشتراكي واتهمت الجنرال دامان بذبح أكثر من 1.500 من الآمنين بدون مبرر.

وقد اعترف داماد بارتكاب المذبحة في تقريره حول قضية سيدي الغنيمي، فذكر أن الفرنسيين احتلوا أولاد سعيد بسهولة، لكن نظراً لتمكن "شريف مجهول يسمى محمد بن عبدالله" ويدعى ببونوالة من جمع عدد كبير من "المتعصبين" و"العصاة" حوله، تقررت مهاجمة مخيم بونوالة. وأضاف أن الهجوم كان سريعاً وعنيفاً، بحيث وصل الجيش إلى المخيم وأحرقه، وأن الدرس كان قاسياً دفع كثيراً من القبائل إلى الاستسلام ! ودون أن نهتم بتزييف الجنرال الفرنسي للحقيقة، تجدر الإشارة إلى أن ما قام به داماد ضد خطر مخيم بونوالة المزعوم، كان الهدف منه ـ في واقع الأمر ـ هو إثبات جدارة الجنرال داماد بقيادة جيش الاحتلال. في وقت بدأت فيه الحكومة الفرنسية تتساءل عن كفاءة الرجل، وعينت بعثة تفتيشية برآسة الجنرال ليوطي توجهت للشاوية لبحث الوسائل الناجعة للتغلب على المغاربة.

وعلينا أن نتساءل، بعد هذا، عما كان مصير بونوالة ؟ لم يتحدث تقرير داماد لا عن إلقاء القبض على الرجل ولا عن قتله. ولكن أخبار البعثة العلمية ذكرت أنه بعد مذبحة 15 مارس 1908، هرب بونوالة وبقي مختفياً مدة ثلاثة أيام. ثم التجأ لضريح سيدي البهلول بأمزاب. ومن هناك ذهب لمولاي بوعشرة ثم انتقل إلى فاس فطنجة ومنها سافر إلى مكة فتوفي بها عام 1328 / 1910.

هكذا تُبرز لنا رواية جيش الاحتلال مرابطاً يدعو للجهاد ويجمع حوله مآت الخيام، وبعملية عسكرية مدمرة تحرق الخيام بعد قتل ساكنيها وينتهي الكلام عن بونوالة بابتعاده إلى الشرق وموته بمكة !.

وإذا صدقنا الرواية الفرنسية فإن عُمُر بونوالة كان حوالي 25 سنة. عندما شرع الفرنسيون في احتلال المنطقة، أي في سنة 1907 . 1908. ومعنى هذا أن بونوالة توفي وعمره لا يتعدى 28 سنة ! أما أبوه الذي تسميه رواية البعثة العلمية زروال بن بوشعيب، (V. T. 2 : 184) ويسميه تقرير داماد ومؤرخ عمليات الاحتلال (Paul Azan, 356) عبد الله، وكذا إخوته، فلم يتحدثوا عنهم بشيء منذ ذلك الحين !.

كل هذا التضارب، يدفع بنا إلى الشك في حقيقة وجود المرابط بونوالة. وإذا كنا لا نستطيع الجزم بوجوده أو عدم وجوده، فإن الظهور المفاجئ والغياب الغامض لبونوالة يجعلنا ـ على الأقل ـ نتوقف ملياً أمام الرواية الفرنسية للوقائع المرتبطة بالمرابط بونوالة، ويدفعنا هذا التوقف إلى التساؤل عن إمكانية افتعال جيش الاحتلال الفرنسي لوجود بونوالة أو تآمره على الأبرياء بهدف إرهاب قبائل الشاوية ودفعها إلى الاستسلام. إن تساؤلنا مستوحى من رواية شفوية لرجل مسن من المنطقة، كان أبوه فيما يبدو يتعامل مع جيش الاحتلال، قال : إن أباه حمل رسالة من

قائد الجيش إلى المرابط المزعوم وأنه سلمها له دون أن يرى وجهه، لكنه لاحظ أن اليد الممتدة من تحت ستار كانت شقراء ! فهل يتعلق الأمر ببونوالة مغربي أم فرنسي ؟ ذلك أمر قد توضحه الأيام.

ع.الخديمي، *حادثة الدارالبيضاء*، 1985.

Archives de guerre, Vincennes, 3H, 86 ; *Villes et Tribus du Maroc : Casablanca et les Chaouia*, T. 1 - 2 ; P. Azan, *Souvenirs de Casablanca*, Paris, 1911.

علال الخديمي

**بُونيف، إبراهيم** الشرادي من شراردة بوغزوان الساكنينَ بفاس الجديد. اشتهر كأحد أرباب القوافل الجمّالة الذين لعبوا دوراً مهماً في نقل البضائع التجارية بين فاس والعرائش أواخر القرن الثالث عشر (19 م).

كان على قيد الحياة سنة 1900/1317 حيث ذكره الحجوي في مقدمة مخطوطه *تقاييد تاريخية*، ضمن الجمالة الشراردة الواردين بصناديق أتاي وسكنجبير من العرائش إلى فاس.

م. الحجوي، *تقاييد تاريخية*، مخطوط خ. ع. 128 ح.

آمنة معطى الله

**بُونيفاس**، فيليب Boniface, Philippe نموذج الموظف الفرنسي بالمستعمرات نشأ من لا شيء، لكن الاستعمار أعلى من شأنه حتى صار يتصرف بسلطات الحماية الفرنسية بالمغرب طيلة العقد الأخير من عهدها، سعياً في جعلها قطعة من التراب الفرنسي لفائدة كمشة من المعمرين.

وهو أصلا من جزيرة كورسيكا، شأنه في ذلك شأن طائفة غير هينة من صعاليك المعمرين، انتقل سلفه إلى الجزائر فولد بوهران في الثمانينات من القرن التاسع عشر، وتعلم العربية حتى صار قادراً على ولوج سلك الإدارة الاستعمارية كترجمان، ثم دخل المغرب بهذه الصفة سنة 1913، ولما أُنشئت هيئة المراقبين المدنيين سنة 1925 انخرط فيها فتنقل عبر البلاد وخَبَر أقاليمها. ويذكر له أنه كان مراقباً مدنياً بالحاجب ورام إدخال أساليب الإنتاج التعاضدي في قبيلة بني مطير، غير مبالٍ بما كان قد فوّت من أراضيها لصالح المعمرين.

ثم التحق فيما بعدُ بالإدارة المركزية تحت إمرة المقيم العام الجنرال نوگيس Noguès. ولما نزلت الأساطيل الأمريكية بشواطئ المغرب، انحاز بونفاس إلى حزب دو گول فأمر نوگيس الذي كان من أنصار بيتان بإلقاء القبض عليه وكاد أن يعدمه بتهمة الخيانة، إلا أن تفوق الجيش الأمريكي على جيوش المقيم العام سرعان ما انتهى بإيقاف إطلاق النار وصدور العفو على كل من كان قد أمد الحلفاء بيد المساعدة، وكان ذلك من أسباب ارتقاء فليب بونفاس، لأن نوگيس أرغم على الاستقالة ومغادرة المغرب في شهر يونيه 1943 بسبب انتصار حزب دوگول الذي بادر إلى تعيين گابرييل پيو G. Puaux مقيما عاما بالرباط، فتصدر بونيفاس إدارة الشؤون السياسية التي كانت بمثابة إدارة الداخلية مع واسع السلطات وأدوات القمع، ولم يتردد في استعمالها بسخاء لإيقاف تيار حركة المطالبة بالاستقلال الذي انفجر غداة تقديم وثيقة 11 يناير 1944، وساهم في ممارسة أبشع الضغوط على سلطان البلاد سيدي محمد بن يوسف، وتقمص من يومئذ أدوار ألد أعداء حرية المغاربة وأخبث خصم لملكهم المفدى، وأبى إلا أن يحتل مركز الطليعة في صفوف عصابة الاضطهاد والإرهاب الممنهج.

ولما أبعد پيو وحل محله المقيم العام إيريك لابون Eirik Labonne في شهر مارس سنة 1946، وجاء بإرادة التفاهم مع الوطنيين، كان من قراراته الأولى للتقرب منهم في نظره، إبعاد بونفاس عن إدارة الشؤون السياسية وتعيينه عوضا عن ذلك رئيسا لناحية الدارالبيضاء، فكان كمن جاء يداوي فأعمى، لأن بونفاس وجد في منصبه الإقليمي مرتعاً لا مثيل له ومجالاً للتخلص من كل مراقبة لا من جهة الرباط ولا من جهة باريس بالأحرى. فازداد نفوذه ثبوتا لدى الأوساط الاستعمارية بصفة كونه المدافع المفوّه المقتدر عن مصالح الرأسمال الاستعماري وعن جهازه الإداري بالمغرب وأيضا عند صعاليك المعمرين المعروفين في أدبيات الاستعمار "بصفار البيضان" الذين لا سبيل لديهم لستر خسّتهم إلاّ من جهة العجرفة العنصرية. وكانت محاولة المَقيم إيريك لابون للتقرب من الوطنيين مما لا يستطيع بونفاس وشيعته الماكرة أن يستسيغوه فباتوا يتربصون الدوائر للإطاحة به ووجدوا الفرصة سانحة في رحلة الملك سيدي محمد إلى طنجة التي كان المقيم العام قد استحسنها، ورأى فيها أقطاب الاستعمار تشجيعاً خطيراً للوطنية المغربية (أبريل 1947). وحاك بونفاس مؤامرة في الخفاء كان من مفعولها إطلاق السبيل لجماعة من مرتزقة الجيش الاستعماري السينغاليين ليصوبوا نيران بنادقهم في جماهير الدارالبيضاء وذلك في اليوم الثاني من رحلة الملك إلى الشمال، فكانت مذبحة جديدة من تدابير بونفاس، وكان من نتائجها إبعاد إيريك لابون وتعيين الجنرال ألفونس جوان A. Juin مقيماً عاماً عوضاً عنه، وكان جوان من مواليد الجزائر أيضاً، فعم الارتياح صفوف المعمرين وطاب العيش لبونفاس الذي أصبح عضواً مرموقاً في العصابة التي أحاطت بجوان وكانت تسمى بـ"فريق قسنطينة"، نسبة إلى نشأة جل أعضائها بأرض الجزائر المستعمرة، وهؤلاء ومن جملتهم بونفاس هم الذين صاروا يتناورون على السيادة المغربية ويمارسون كل أنواع الضغط على ملك البلاد سيدي محمد بن يوسف ليتبرأ من الوطنيين وليمضي ظهائر كان من شأنها أن تُفوِّت سيادة المغرب لكمشة المعمرين. وكان برنامج تلك العصابة ما صدع به بونفاس لبعض الصحفيين قائلا : "أعتبر المغرب أرضاً فرنسية، أو إن شئتم أرضاً فرانكو - مغربية، ونريد لهذا البلد أن يكون فرنسا جديدة، لما في ذلك من فائدة لسكانه ولعظمة فرنسا". ولما عبر الشعب المغربي عن تشبثه بهويته الوطنية من خلال الإضراب العام احتجاجا على اغتيال الزعيم التونسي فرحات حشاد يوم 8 دجنبر 1952، لم يتردد

بونفاس للمرة الثالثة في أقلّ من عشر سنوات في تدبير وسائل المكر بالوطنيين والإيقاع بهم في مخالب زبانية القمع، وكان المقيم العام آنذاك الجنرال گيوم الذي أضحى ألعوبة طيعة في يد بونفاس وأمثاله، وترتب على الإضراب العام مذبحة الكاريير سانترال أيام 9 و10 و11 دجنبر 1952، تلاها بعد أسابيع قليلة شروع حزب الاستعمار في تنفيذ مؤامرة عزل السلطان الشرعي عن عرشه التي تم إنجازها يوم 20 غشت 1953، وكان بونيفاس قد آلى على نفسه أمام الملأ أن لا يترك الوظيف للتقاعد في شهر أكتوبر سنة 1953 إلا وسيدي محمد بن يوسف مبعد عن عرشه. وكان من علامات ما بلغ بونفاس من النفوذ أنه كان قد حلّ عليه التقاعد منذ سنة 1946، لكنه استطاع أن يرجئ ذلك سنة بعد أخرى حتى أتمّ ما كان قد صمّم عليه العزم من الانتقام من زعماء الوطنية المغربية، وحتى بعد إحالته على المعاش لم يغادر الدارالبيضاء لانخراطه في بعض مقاولات إيميل روش Emile Roche أحد كبار المستثمرين الاستعماريين بالمغرب، لكن ما أن استجمعت الحكومة الفرنسية ما كان لديها من النفوذ وأدركت عواقب سياسة بونفاس وأضرابه الوخيمة على المصالح الفرنسية بالمغرب في الحال والاستقبال، حتى عاد الملك الشرعي من منفاه وكان الاستقلال وخرج بونفاس من المغرب بلا سبيل إلى الرجوع فعاد إلى جزيرة كورسيكا وبها مات حتف أنفه في طليعة الستينات.

R. Barrat, *Justice pour le Maroc*, Paris, 1953 ; S. Bernard, *Maroc 1943 - 1956*, Bruxelles, 1963 ; R. Bidwell, *Morocco under Colonial Rule : French Administration of Tribal 1912 - 1956*, London, 1973 ; A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978 ; *L'Afrique du Nord en marche*, Paris, 1952 ; P. July, *Une république pour un Roi*, Paris, 1974.

إبراهيم بوطالب

**البونيقية**، (الكتابة ـ) يستعمل علماء النقوش كلمة بونيقية Punique للتعبير عن الكتابة الرسمية التي استعملها القرطاجيون. وتتكون هذه الكتابة من اثنين وعشرين حرفا تُكتب أفقياً وتُقرأ من اليمين إلى اليسار وتتميز بغياب الحركات.

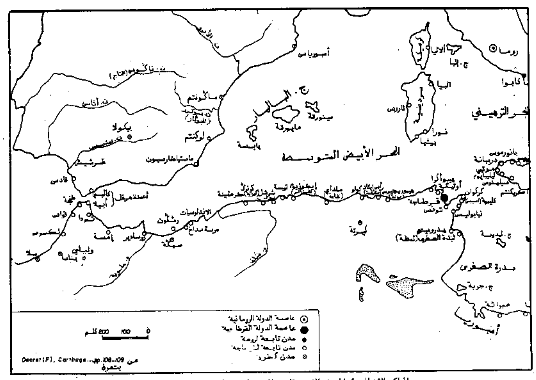


المراكز القرطاجية بالحوض الغربي للبحر المتوسط حيث كانت تستعمل اللغة البونيقية

تنحدر البونيقية من الكتابة الفنيقية الشرقية، خاصة كتابة مدينة بيبْل Byblos، نشرها الصوريون في مناطق عديدة من الحوض الغربي للبحر المتوسط. وحلت محل هذه الكتابة تدريجياً بعد سقوط قرطاجة في أيدي الرومان سنة 146 ق. م. كتابة جديدة تسمى بالبونيقية الحديثة Néopunique، التي أضيفت إليها حروف صوامت Consonnes تلعب دور الحركات (J. Ferrier, *I. A. M.*, 1 p. 94) وذلك للإشارة إلى الحركات الممدودة. ويحدد الإبيغرافيون فترة المرور من الكتابة البونيقية إلى الكتابة البونيقية الحديثة بما بين 100 و80 ق. م.

وقد استعمل المغاربة القدماء كلتا الكتابتين، بحيث تم العثور على آثارهما في العديد من المدن المغربية القديمة، إما منقوشة على الصخور، وهي عبارة عن شواهد قبور، أو مكتوبة على قطع وشقوف خزفية أو على النقود.

ففيما يتعلق بالكتابة البونيقية، وهي الأقدم، تَمَّ العثور على خمس نقائش بمدينة وليلي Volubilis، محفورة على صخور قطعت من جبل زرْهون. نشرت أربع منها في كتاب النقوش المغربية القديمة الجزء الأول (*I. A. M.*, T. 1)، وتؤرخ هذه النقائش بما بين النصف الثاني من القرن 2 ق. م. وبداية القرن 1 ق. م. والخامسة نشرها أندري جودان André Jodin في كتابه حول وليلي. ونجد في اثنتين من هاته النقائش اسم الشوفيت (suffète) وهو منصب إداري نقله الوليليون عن القرطاجيين على ما يبدو.

كما تم العثور على نقيشتين بونيقيتين بمدينة ليكسوس Lixus، الأولى مزدوجة بونيقي ليبي، تعود للقرن 2 ق. م، وتوجد حالياً بمتحف مدينة تطوان. والثانية بونيقية تعود لما قبل القرن 2 ق. م.

أما فيما يخص الكتابة البونيقية الحديثة فقد كانت أوسع انتشارا، إذ تشمل تقريبا جل المراكز المغربية القديمة. فقد عثر في وليلي على نقيشة بالمعبد ـ ب ـ تعود إلى عهد الملك يوبا Juba II. ونجد عليها اسم Mr'wz'، الذي قرأه مورسان بـ Mauroussii ؛ أي من موروسيا (H. Morestin, *Le temple B*, p. 111). كما وجدت نقيشة أخرى بعين شكور شمال وليلي.

إلى جانب هاتين النقيشتين في الكتابة البونيقية الحديثة عثر على شقوف خزفية وفخارية عديدة بوليلي وتاموسيدا Thamusida، وبناسا Banasa، وروساديـر (مليلة). وهناك أربعة شقوف بالمتحف الأثري بالرباط تحمل هاته الكتابة، ولكن لا يعرف مصدرها.

بالإضافة إلى هذا نجد الكتابة البونيقية الحديثة على نقود المدن المغربية القديمة، مثل تمودا وليكسوس وطنجة، وعلى نقود بعض ملوكها مثل نقود بكوس Bocchus.

G. Marcy, *Les inscriptions Libyques bilingues de l'Afrique du Nord, Cahiers de la Société Asiatique*, vol. 5, 1936, pp. 90 - 102 ; J. M. Solà Solé, *La inscripcion punico-Libica de Lixus, Sefarad*, T. XIX, 1959, pp. 371 - 378 ; M. Tarradell, *Marruecos punico*, Tetuan, 1960, pp. 114 ; 176 - 177 ; J. Fevrier, *Les Inscriptions puniques et néopuniques, I. A. M.*, T. 1, Paris, 1966, pp. 83 - 129 ; J. Marion, *Les monnaies de Shemes et les villes autonomes de Maurétanie Tingitane au Musée Louis Chatelain à Rabat, Ant. Afr.*, T. 6, 1976, p. 59 ; H. Morestin, *Le temple B de Volubilis*, Paris, 1980 ; A. Jodin, *Volubilis : Regia Iubae*, Paris, 1987 ; M. Gras, (et al...), *L'univers phénicien*, Paris, 1989.

عبدالعزيز أكرير

**البونيقيون**، Puniques. بونيقي Poeni تسمية أطلقها

الرومان على خصومهم القرطاجيين وهم حفدة الفينيقيين الذين استوطنوا الساحل اللبناني منذ حوالي بداية الألف الثالث قبل الميلاد (*L'univers*, pp. 25 - 28). من العسير الحسم في سبب هذه التسمية لكن الثابت أن المصريين القدماء كانوا يطلقون عليهم اسم فِنْخو Fenkhou أي "الأسيويين"، وأن الشاعر الإغريقي هُوميروس Homerus استعمل ألفاظ "فنيقيا Phoinike" للدلالة على البلاد، و"فنيقي Phoinix" أو "فنيقيون Phoinikes" للدلالة على سكانها.

ميز الرومان بين بقايا الفينيقيين الأصليين سكان الشرق وفينيقيي الغرب الذين أصبحوا يتمتعون باستقلال سياسي واقتصادي شبه تام، بعد اضمحلال صور (Tyr) في أعقاب غزوات الكلدانيين (626 ـ 539 ق. م) والفرس، وخاصة غزوة الإسكندر المقدوني الذي أخضع المدينة سنة 332 ق. م. وأطلقوا على الغربيين اسم "بونيقي Poeni" بدلا من فينيقي، كما سموهم أحيانا بالقرطاجيين Carthaginienses وهم لا يقصدون بذلك سكان قرطاجة فقط إذ أخذ هؤلاء يمتزجون بالسكان المحليين (F. Decret, *Carthage*, pp. 16 - 17).

تذكر الرواية أن مدينة قرطاجة تأسست على يد مستوطنين فينيقيين قدموا من صور (Tyr) تحت قيادة عليشة Elissa انظر (Justin, 18 : 4-6) وذلك حوالي 814 ق. م. حسب رأي معظم الباحثين.

ومما لا شك فيه أن تأسيس هذه المدينة كان شديد الصلة بالسياسة التجارية التي كات تنهجها المدينة الأم في حراسة وحماية طرق تجارة المعادن المؤدية نحو طرشيش Tartessos والمناطق الواقعة خلف أعمدة هرقل. ويبدو ذلك جلياً من استراتيجية المكان، فهي تراقب السفن العابرة لمضيق صقلية وتعمل على استقبالها أو إبعادها حسب ما تفرضه مصلحتها التجارية، تساعدها في ذلك المراكز الواقعة بجزيرة مالطة والساحل الغربي لصقلية.

سرعان ما استد ساعد قرطاجة وصارت تعمل لحسابها الخاص متبنية المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي ومحتكرة الطرق التجارية أمام خصومها، تقف عائقاً في وجه كل من يسعى إلى اقتحام أسواقها. وترجع أولى الإشارات حول النشاط الاستعماري البونيقي إلى حوالي 654 ـ 653 ق. م، عندما قام البونيقيون بتأسيس مستعمرة لهم بجزيرة يابسة Ebtsos إحدى جزر الباليار (Diodore, 5 : 16, 2 - 3)، وعندما أصبحوا يلعبون دوراً هاما في السياسة الدولية مستفيدين من انهيار صور.

وصل الفينيقيون إلى السواحل الإفريقية منذ قرون قبل أن يصل إليها الإشعاع البونيقي الذي انتظر أن يكوِّن شعب قرطاجة بشمال تونس الحالية دولة متواضعة الأبعاد لكن ذات بأس شديد وبنية قوية لدرجة تحمل عبء الإمبراطورية البحرية دون ارتخاء، مضيفة إليها الحوض الغربي، بطرقه وجزره، والمستعمرات التي ضاعفت عددها في إسبانيا وعلى طول سواحل إفريقيا الشمالية إلى المحيط (J. Carcopino, *Le Maroc antique*, p. 56).

لم تستطع الأبحاث الأثرية التي أجريت بمراكز الساحل الإفريقي التمييز بكيفية واضحة ومضبوطة بين ما هو فينيقي وما هو قرطاجي، ويرجع ذلك إلى كون الحضارة البونيقية احتفظت بكل سمات الحضارة الفينيقية وعملت على تطويرها لدرجة جعلت علماء الآثار يحتارون أمام بعض اللقى لا يدرون مصدرها وهل تنتسب إلى البونيقيين أم إلى الفينيقيين (G. Heurgon, *Rome et la Méditerranée*, pp. 136 - 137) يبقى الاعتماد على المصادر الأدبية هو السبيل الوحيد لتحديد تاريخ تبعية المحطات البونيقية لقرطاجة، ويلاحظ بالنسبة للمغرب أن البونيقيين أخذوا في تعويض الفينيقيين بمراكزه الساحلية وبصفة تدريجية منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد (A. Jodin, *Volubilis*, p. 293)، فإذا ما صدقنا هيرودوت (4 : 42 ـ 44) أقررنا بأن البونيقيين قاموا بأول طواف بحري حول القارة الإفريقية لحساب فرعون المصري نخاو الثاني (Néchao II, 610-594). ومما لاشك فيه أنهم نزلوا ببعض مراكزه الساحلية على الضفة الأطلسية، ولاسيما بتنجس (Tingis) وليكسوس (Lixus) إبان هذه الرحلة البحرية. وفي الفترة اللاحقة قامت قرطاجة برحلات بحرية استكشافية أخرى فيما وراء أعمدة هرقل، كانت إحداها (رحلة حنون) تستهدف السواحل الغربية لإفريقيا، وقد وصل البونيقيون خلالها حسب اعتقاد بعض الدارسين إلى السنغال وخليج غينية.

ومن خلال أولى المعاهدات التي عقدتها قرطاجة مع روما والتي قدم لنا المؤرخ اليوناني بوليبيوس Polybius بنودها (3 : 1 ـ 22)، نستشف، أن العاصمة البونيقية كانت في نهاية القرن السادس قبل الميلاد تهيمن على السواحل الإفريقية الواقعة غرب رأس سيدي المكي (Beau Promontoire). وقد منعت الرومان من الاتجار معها ولو اضطراراً، إذ لا يمكنهم "بيع أو شراء أي شيء ما عدا ما يمكن من إصلاح السفينة ... أو تقديم قربان". وأصبحت قرطاجة تعتبر القطر الافريقي منطقة نفوذ خاصة بها بموجب المعاهدة الثانية المبرمة في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد (Polybe, 3 : 1-24) وتمنع الرومان من النزول بها منعا باتاً. وعند حديثه عن دوافع الصراع الروماني القرطاجي، صرح المؤرخ اليوناني بأن القرطاجيين كانوا يبسطون نفوذهم على كل السواحل الإفريقية (Polybe, I, 1-10).

ويبدو أن السيطرة استغرقت سنوات عديدة استقطبت خلالها العاصمة البونيقية الأسواق الفينيقية القديمة وأحدثت أخرى استجابة للضرورة التجارية والملاحية. وإذا ما ركزنا اهتمامنا على المغرب يصح لنا أن نتساءل عن طبيعة العلاقات البونيقية ـ المورية (المغربية) وعما إذا كان الأمر يتعلق بمخطط بونيقي يرمي إلى السيطرة على المراكز المغربية.

ومما لا شك فيه أن البونيقيين فكروا في الوصول إلى المغرب لموقعه الاستراتيجي القريب من إيبيريا الغنية بوفرة معادنها، وكذلك لتنوع مواده الفلاحية والمعدنية ووقوعه في طريق الذهب الإفريقي. فما هي الدلائل التي تؤكد الوجود البونيقي في بعض جهات المغرب ؟.

إن ما كتبه القدماء حول الوجود البونيقي في المغرب قليل جداً، يشوبه الغموض ويغلب عليه الطابع الأسطوري، مما يصعب معه اتخاذ أي موقف حاسم في أي مشكل في غياب الدلائل الأثرية.

1 - رحلة حنون : الهدف منها إحياء المراكز الفينيقية القديمة وإقامة مراكز أخرى جديدة على الساحل الأطلسي المغربي (انظر نص الرحلة في J. Desanges, *Recherches*, pp. 392 - 396). ورغم ما يكتنف نص الرحلة من شكوك فإن هذا النص ذو أهمية كبيرة لما يزودنا به من معلومات عن قرطاجه وعن الرحلات البحرية القديمة. إن عددا كبيرا من الباحثين قالوا بأن الرحلة، وقعت حقيقة، واتفقوا على أن النص الإغريقي (للرحلة) مأخوذ عن أصل بونيقي كان منقوشا على لوح من البرونز ومعروضا بمعبد كرونوس لكنه اختفى مع تدمير قرطاجة سنة 146 ق. م.

أشار النص في الفقرات من الثانية إلى الثامنة إلى إنشاء مراكز بونيقية على الساحل الأطلسي المغربي، إلا أن معظم الباحثين الذين حاولوا تحديد مواقع هذه المراكز انطلقوا من معطيات نظرية حول الرحلة واعتمدوا على النصوص اللاحقة وعلى بعض المعطيات الجغرافية المستنبطة من نص الرحلة. والراجح في اعتقادنا أن المراكز البونيقية التي أقامها حنون، شأنها في ذلك شأن المراكز الفينيقية السالفة، بنيت على أنقاض بعض المراكز المحلية على الشريط الساحلي الممتد بين طنجة (Tingis ou Tingi) ومصب نهر اللكوس، كما نرجِّح من جهة أخرى أن جزيرة كرني Cerné الواردة في النص هي جزيرة الصويرة (موگادور) نظراً لخصوصيات هذه الجزيرة القريبة من اليابسة (على بعد 900 متر) ولوجود بعض البقايا الأثرية كالخزف الفينيقي والخزف الأتيكي - نسبة لأتيكا ببلاد اليونان القارية - انظر (F. Villard, *Céramique grecque*, p. 17).

وإلى جانب نص رحلة حنون هناك إشارات أخرى قديمة تميط اللثام عن الوجود البونيقي بالمغرب القديم. فهيرودوت (Hérodote, 4 : 196) يشير إلى تجارة الذهب الصامتة التي كانت تتم بين البونيقيين وسكان ليبيا ممن هم خلف أعمدة هركليس (مضيق جبل طارق). ولا يستبعد أن تكون هذه التجارة قد تمت في جزيرة الصويرة (كرني) (انظر A. Jodin, *Mogador*, p. 29).

ويشير بسودو سكيلاكس (*Périple du Pseudo Scylax* 111 F 94) في نص رحلته إلى أن كل المراكز الواقعة على طول الساحل المتوسطي من قرطاجة إلى أعمدة هركليس كانت تحت سيطرة العاصمة البونيقية، خصوصاً وأن المراكز الفينيقية بهذه الجهات كانت في حاجة إلى من يدافع عنها (انظر S. Gsell, *H.A.A.N.*, T. 1, p. 457) وهو ما يفسر الحروب التي خاضها حنون في بلاد الموريين والنوميديين حسب ما أورده جوستينوس، (انظر Picard, *Vie et mort*, p. 89 ; Warmington, *Civilisation*, p. 73). ويضيف ديون كريزوستوم (Dion Chrysostome, *Discours*, 25) بهذا الصدد أن حنون هذا "حوَّل القرطاجيين من صوريين إلى ليبيين، وأصبحوا بفضله يعيشون بإفريقيا بدلا من فينيقيا... وحازوا أسواقاً وموانئ عديدة... وبسطوا سيطرتهم على البر والبحر".

وبالإضافة إلى هذا يشير جو ستينوس (Justin, XXI, 4) إلى أن أحد الملوك الموريين (المغاربة) لبى دعوة حنون القرطاجي لتعزيز قواته العسكرية في بداية القرن الرابع قبل الميلاد. كما يذكر ديودور الصقلي في عدة أماكن (Diodore, 13 : 44 ; 13 : 80) أن الجيش البونيقي كان يضم في نهاية القرن الخامس عناصر ليبية بوصفهم جنوداً نظاميين لا مرتزقة، كما أشار إلى اندلاع ثورات قام بها ليبيو القطر البونيقي عند بداية القرن الرابع قبل الميلاد.

إن التنقيبات والحفريات التي قام بها علماء الآثار ببعض مواقع الساحل المتوسطي المغربي لم تكشف عن كثير من الآثار القديمة عموما والبونيقية على الخصوص، وذلك راجع إلى طبيعة الساحل الصخرية التي تحول دون وجود خلجان تساعد على رسو السفن وبالتالي قلة عدد المراكز الأثرية، وترجع ضآلة هذه الآثار من جهة أخرى إلى ضعف وقلة الأبحاث الأثرية بالمنطقة.

* روسادير Rusaddir (مليلة) هي أولى المراكز على الساحل المغربي ذكرها كل من بلينيوس القديم (Pline, 5: 9) وبطوليمايوس (Ptolémée, 4 : 1-3)، وتعني الكلمة باللغة الفينيقية "الرأس الكبير". البقايا البونيقية قليلة جداً في هذا المركز، وتنحصر في مقبرة سان لورنزو (San Lorenzo) التي عثر بها على مواد تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

* في ناحية تطوان توجد ثلاثة مراكز تعود إلى الفترة البونيقية : إمسا Emsa شرق رأس مزاري على مصب نهر إمسا، وهو عبارة عن مركز صغير يعود إلى حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، ضبط علماء الآثار موقعه، غير أنهم لم يتمكنوا من التعرف على اسمه القديم فأطلقوا عليه اسم النهر القريب منه، شأنه في ذلك شأن موقع سيدي عبدالسلام دلْبْحر على مصب واد مارتيل حيث عثر طاراديل على الخزف الفينيقي ذي الطلاء الأحمر وعلى الأمفورات البونيقية أو أمفورات الأقواس العتيقة، (انظر M. Tarradell, *El Poblamiento* ; *Marruecos*, p. 81 et 92) وهي نفس اللقى المستخرجة من الموقع السابق إلا فيما يخص الخزف ذا الطلاء الأحمر الذي قد يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد.

وثالث هذه المراكز هي تمودا Tamuda الواقعة على الضفة اليمنى لوادي مرتيل الذي كان قابلا للملاحة في

القديم. ويبدو من خلال البقايا التي عثر عليها المنقبون أن تمودا لم تكن موجودة قبل القرن الثاني قبل الميلاد، (انظر P. Cintas, *Contribution*, p. 68) أما فيما يخص الوجود البونيقي بها فيتضح من خلال بعض الأبحاث التي أجريت بعين المكان أنه غير وارد باستثناء بعض قطع النقود ذات الطابع البونيقي (A. Quintero, *Excavaciones*, p. 12).

إذا ما استثنينا طنجي (طنجة) المعروفة كمركز فينيقي ثم بونيقي لموقعها الهام على المضيق الفاصل بين البحرين المتوسط والمحيط، نجد أقرب مركز لها على الواجهة الأطلسية هو "القواس". ولا يستبعد أن يكون القواس أحد المراكز الحنونية التي أشار إليها نص رحلة حانون (Ponsich, Kouas, p. 404).

ليكسوس Lixus على الضفة اليمنى لنهر اللكوس. وحسب ما هو وارد في رحلة سكيلاكس، فقد كانت مدينة فينيقية على مقربة من مركز محلي، وكانت تسمى كذلك "ليكش" حسب النقوش النقدية بالحروف البونيقية المتأخرة Néopuniques. ويبدو من خلال الحفريات التي أجراها طراديل Tarradell بالمدينة أنها عرفت خمسة مستويات للتعمير، أقدمها المستوى الخامس الذي يحتوي على المخلفات الفينيقية - البونيقية، ثم المستوى الرابع الذي عثر فيه على مصباح بونيقي.

وعلى العموم أثبتت الأركيولوجيا أن البقايا الفينيقية في المركز تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، وأن المرحلة الفينيقية - البونيقية توقفت في نهاية القرن الثالث أو بداية الثاني لتبدأ مرحلة جديدة سماها طراديل بالمرحلة البونيقية - الموريطانية (Punico-maurétanienne).

وفيما يخص الشريط الساحلي الممتد بين ليكسوس وجزيرة الصويرة (موگادور) أسفرت التنقيبات به عن بعض البقايا البونيقية كما هو الحال في مولاي بوسلهام. وتبقى هذه المخلفات ضئيلة إذا ما قورنت مع مثيلاتها بباقي المناطق والمراكز.

ويرجع الفضل في الكشف عن التاريخ القديم لجزيرة الصويرة إلى الأبحاث الأثرية، لأن النصوص القديمة لم تتحدث عنها، ولم تنل حظاً مما كتبه الأقدمون. فقد انطلق التنقيب بها منذ بداية الاستقلال تحت إشراف كوبرلي Koeberlé ثم حل محله جودان Jodin الذي نشر نتائج حفرياته (*Les établissements du roi Juba II...*, 1967) وقسم تاريخ الجزيرة إلى مرحلتين أساسيتين :

- المرحلة الأولى من القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن الخامس.
- المرحلة الثانية تبدأ مع عهد يوبا الثاني (30 ق. م - حوالي 24 م).

وتفصل بين المرحلتين حقبة يرى الباحثون أن المركز شهد خلالها فراغاً قبل أن يعرف الازدهار على عهد يوبا الثاني الذي أقام به صناعة الأرجوان. ومن الصعب جداً القول إن البونيقيين استقروا بموگادور بناء على المعطيات الأثرية التي توصل إليها المنقبون إلى وقتنا هذا وإن بعض الدارسين يرون أنها جزيرة كرني التي تحدث عنها نص رحلة حنون. انظر : (A. Jodin, *Mogador*, p. 29).

عثر على بعض البقايا البونيقية وخاصة النقائش في تموسيدا وبناسا ولا سيما بوليلي التي احتضنت العديد من هذه النقائش وبعض سمات الحضارة البونيقية التي تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد. انظر : (J. P. Fevrier, *Inscriptions puniques*, *I.A.M.*, 1, p. 83 - 100).

وهكذا كشفت الأبحاث الأثرية التي أجريت بوليلي في مختلف الحقب عن وجود أربعة نصب جنائزية (Stèles Funéraires) ونصب نذري (Stèle Votive) كلها منقوشة باللغة والحروف البونيقية (Jodin, *Volubilis*, p. 48 - 49) وهو دليل مادي على وجود البونيقيين بالمدينة بحكم وجود مدفنهم، خصوصا إذا ما علمنا أن نصبين اثنين من بين هذه النصب يضفيان على صاحبيهما صفة "قاض" أو "شوفيط Sufète"، بل إن أحدهما يشير إلى وجود نظام الشوفيط كمؤسسة بونيقية بوليلي. وتضمّ هذه النقيشة أربعة أسطر على الشكلّ التالي :

... SWYTMKN S PTHSETMKL...
BN HYMLL BN MLWYTNK HSPT BN R...(BN)
RS HSPT BN YMSTN HSPT BN MKLL...
... BN SNT S (SM) WSBE LM YSHB

ويمكن ترجمة وتأويل النص إلى ما يلي :

"هذا نصب قبر SWYTNKN الشوفيط الذي أقامه MKL d بن HYMLL بن MLWYTNK الشوفيط بن R بن RS الشوفيط بن YMSTN الشوفيط بن MKLL... بن SNT عمره سبع وستون سنة. لا ينقل (النصب). (انظر : A. Jodin, *Volubilis*, p. 210 - 211).

ويبدو من خلال هذه النقيشة أن منصب الشوفيط كان وراثيا أو أن هذه الأسرة مارست هيمنتها على الأهالي منذ منتصف القرن الثالث قبل الميلاد اقتداء بالقرطاجيين (A. Jodin, *Volubilis*, p. 211 - 212). ومما يرجح ذلك العثور بفوروم وليلي سنة 1915 على نقيشة لاتينية يتضح من خلالها أن انتقال السلطة التنفيذية إلى الرومان بالحاضرة المورية كان تدريجياً وأنها استمرت في قبضة نفس الأسرة على ما يبدو. فماركوس فاليريوس سيفروس Marcus Valerius Severus كان خلال ثورة أيديمون Aedemon حوالي منتصف القرن الأول الميلادي يتقلد منصب الشوفيط بالمدينة وهو ما يمكن استنتاجه من نص النقيشة :

M. VAL. BOSTRIS
F. GAL. SEVERO
AED SVFETI II VIR
FLAMINI PRIMO
IN MVNICIPIO SVO
PRAEF AVXILIOR ADVERSVS AEDEMO

"إلى ماركوس فاليريوس سيفروس، ابن بوستار، من قبيلة گاليريا العمدة، الشوفيط، ثاني الحاكمين، الكاهن الأول في مستلحقته، قائد الجيوش المساعدة التي تصدت لأيديمون ...الخ".

وأسفرت الاستبارات التي أجريت بوليلي ما قبل الرومانية عن وجود فخار بونيقي أوذي سمات بونيقية تم صنعه محليا، كما يلاحظ من الناحية المعمارية أن منازل هذا الجزء من المدينة متأثرة بتصاميم المنازل القرطاجية المتميزة بترتيب بيوتها حول ممر أو ساحة، وبعدم توفرها على نوافذ تطل على الخارج (A. Jodin, p. 157 - 178 - 256 - 257).

ومن خلال ما سبق يتضح أن البقايا البونيقية كانت متميزة وواضحة في المغرب سواء على الساحل أو في الداخل فهل يمكن من خلالها الحديث عن وجود سيطرة بونيقية على المغرب كما يدعي البعض ؟ (Picard, *Vie et mort*, p. 89).

إذا كانت اللقى البونيقية التي عثر عليها بداخل المغرب وخاصة بوليلي لا تعود إلى الفترة السابقة للقرن الثالث قبل الميلاد، فمعنى هذا أن الوجود القرطاجي على السواحل الإفريقية قبل اندلاع الحروب البونيقية كانت الغاية الأساسية منه هو خلق مراكز لتوقف الأساطيل التجارية المتجهة نحو مصادر المعادن الثمينة بإيبيريا وشمال غرب أوربا (cassitérides) من جهة، وبغرب إفريقيا من جهة ثانية، وتعميرها.

وإذا ما لاحظنا أن الهدف الرئيسي من رحلة حنون (يعتقد أنها وقعت عقب انهزام البونيقيين في معركة هيميرا سنة 480 ق. م) هو تعمير الساحل الأطلسي المغربي في إطار السياسة التوسعية التي كان ينهجها الماگونيون بعد انهزامهم أمام إغريق الغرب، فإن هزيمة البونيقيين أمام الرومان واستقبال قرطاجة للمزيد من مواطنيها المطرودين من جزر صقلية وسردينية وكرسيكة وهي في حالة اقتصادية مزرية من جراء الخسائر الناجمة عن مواجهة الرومان ثم المرتزقة من جيوشها، أدت بأهل برقة ولا شك إلى البحث عن أماكن جديدة لإيوائهم وتعويض خسائرهم.

حقيقة أن القطر الذي وقع عليه الاختيار لهذه الغاية هو إيبيريا، لكن يبدو أن الضفة الجنوبية للمضيق الفاصل بين أوربا وإفريقيا لم تبق بعيدة عن اهتمامات البرقيين، لا سيما وأنها تضم طنجة وليكسوس أقدم المستعمرات الفينيقية - القرطاجية بالمنطقة. فلا شك إذن أن البونيقيين كانوا على اتصال وثيق بسكان المدينتين وبمختلف شرائح المورين بالمغرب القديم، ويتضح ذلك جلياً من خلال ما ذكره بوليبيوس (3 : 1 . 33) عند حديثه عن الاحتياطات التي اتخذها حنيبعل برقة قبل مهاجمته لروما، فقد كان جل جنوده من أصل شمالي إفريقي من بين الماسوليين Massyles والماسيسوليين Massaesyles والمورين Maures، ويضيف أن الجنود الإيبيريين الذين أرسلهم إلى إفريقيا استقر معظمهم بميتاگونيا Métagoniun، وأن حنيبعل جند أربعة آلاف محارب من بين الميتاگونيين وأرسلهم إلى قرطاجة لتقوية الحامية العسكرية بها واستعمالهم كرهائن لضمان ولاء بلادهم.

وإذا ما صدقنا سترابون (3 : 170) الذي نقل عن إراتوستين Eratosthène الجغرافي المعاصر لحنيبعل، فإن عمود هيراكليس الإفريقي (أبيلا) ينتصب فوق أراضي الميتاگونيين أي بشمال المغرب بين طنجة وجبال الريف. وعلى هذا قد يكون البرقيون فرضوا سيطرتهم على جزء من موروسيا المتاخمة للساحل الأطلسي على حد قول بوليبيوس (3 : 1 . 33) وميتاگونيا المتاخمة للساحل المتوسطي على حد تعبير إيراتوستين، ولربما أدى هذا إلى إثارة حقد المورين الذين ساندوا سيفكس في حربه ضد البونيقيين سنة 213 ق.م. (Tite-Live, 29 : 30-1-4). كما ساعدوا ماسنيسا على الوصول إلى بلاده عند عبوره من إيبيريا إلى إفريقيا بهدف مواجهة البونيقيين وقد صار حليفا للرومان (Tite-Live, 29 : 30-1-4)، فما هي الأخطار التي خشيها مسنيسا هذا عند عبوره أراضي المغرب القديم ؟ هل يتعلق الأمر بالوجود البونيقي في الشمال ؟ لا سيما وأن المؤرخ الروماني يذكر أن القوات المورية اكتفت بمرافقة الأمير الماسيسولي إلى حدود بلاده.

ووجود النقائش البونيقية إلى جانب النقائش الليبية بوليلي خير شاهد على ازدواجية ساكنة المدينة وتركيبها من الأهالي والبونيقيين منذ القرن الثالث قبل الميلاد على الأقل، مما يحمل على الاعتقاد أن بعض الرواد البونيقيين انطلقوا من ليكسوس وبناسا نحو الجنوب الشرقي حيث أسسوا المدينة عند قدم زرهون (Jodin, *Volubilis*, p. 229-299 - 300 ; A. Luquet, *Le Maroc punique*, p. 240 - 250-257 - 293).

وإذا ما أخذنا بالرأي القائل بعدم وجود سيطرة بونيقية على بعض أجزاء المغرب القديم خلال النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد، فلا يمكننا أمام الدلائل الأثرية إنكار وجود جاليات بونيقية على الأقل بالمراكز الساحلية وبعض المدن الداخلية لجأت إليها في أعقاب الحرب البونيقية الأولى فراراً من الغزو الروماني لصقلية وكرسيكة وسردينية والفاقة التي أصبحت تعيشها قرطاجة، فضلا عن الاكتظاظ السكاني الذي أصبحت تعرفه الأراضي البونيقية بتونس الحالية.

H. Basset, *Les influences puniques chez les berbères, R. A.*, 1921, p. 340 - 374 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, 2ème éd., Paris, 1948 ; P. Cintas, *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Paris, 1954 ; J. Desanges, *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique*, Rome, 1978 ; J. P. Desjacques, P. Koeberle, *Mogador et les Iles Purpuraires, Hesp.*, XLII, 1955, p. 193 - 202 ; M. Euzennat, *Héritage punique et influences gréco-romaines au Maroc à la veille de la conquête romaine*, in *Actes du VIIIème congrès international l'archéologie classique*, Paris, 1963, p. 261 - 278 ; M. Fantar, *Phénicien et punique en Méditerranée occidentale, R. A.*, 1973, p. 182 - 183 ; J. P. Fevrier, *Inscriptions puniques du Maroc, BCTH* (1955 - 1956), 1958, p. 29 - 35 ; *I.A.M.*, 1, p. 83 - 100 ; *Volubilis* ; *Inscriptions puniques et néo-puniques*, in *Inscriptions antiques du Maroc*, Paris, 1966, p. 81 - 132, T. 1 ; Garcia y A. Bellido, *Fenicios y carthagineses en occidente*, Madrid, 1942 ; Gras (et al...), *L'Univers Phénicien*, Paris, 1989 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, Osnabruck, T. 1 et 2, 1970 ; A. Jodin, *Mogador : Comptoir phénicien du Maroc atlantique*, Rabat, 1966 ; *Bijoux et amulettes du Maroc punique*,

*BAM*, VI, 1966, p. 55 - 90 ; *Les établissements du Roi Juba II aux Iles Purpuraires, Mogador*, Rabat, 1967 ; *Volubilis Regia Iubae*, Paris, 1987 ; A. Luquet, *Contribution à l'Atlas Archéologique du Maroc : le Maroc punique*, *BAM*, T. IX, 1973 - 1975, p. 237 - 293; G. et C. Picard, *Vie et mort de Carthage*, Paris, 1970 ; M. Ponsich, *Fours de potiers puniques en Maurétanie Tingitane, Acta del Congreso Nacional de Arqueologia* (Mahòn 1967), Saragosse 1969, p. 270 - 279 ; *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région*, Paris, 1970; J. M. Sola Sole, *La inscripcion punico-Libica de Lixus, Sefarad*, XIX, 1959, p. 371 - 378 ; M. Tarradell, *Las excavaciones de Tamuda de 1949 a 1955, Tamuda*, IV, 1956, p. 71 - 85 ; *La necropolis punico-mauretania del Cerro de San Lorenzo en Melilla, I Congreso Arqueologico del Marruecos español, Tetuan 1953*, Tetouan, 1956, p. 253 - 266; *El poblamiento antiquo del Valle del Rio Martil, Tamuda*, T. 5, 1957 ; *Marruecos punico : Historia de Marruecos*, Tetouan, 1960 ; *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Region de Tetouan, BAM*, VI, 1966, p. 425 - 443 ; F. Villard, *Céramique grecque du Maroc, BAM*, T. 4, 1960 ; B. Warmington, *Histoire et civilisation de Carthage*, Paris, 1961.

عبدالرحمان اليوبي وعبداللطيف البرينسي

**بونيلي**، هيرناندو، إيميليو Bonelli, Hernando Emilio

عسكري إسباني، ولد بسرقسطة سنة 1854. وفي سنة 1871 انتقل مع أبويه إلى طنجة حيث تعلم اللغة العربية الدارجة ثم قام بجولة استطلاعية عبر شواطئ المغرب الموالية للمحيط الأطلنتي خلال ثلاث سنوات. وفي سنة 1874 التحق بالأكاديمية العسكرية في مدريد حيث تخرج برتبة ضابط صف سنة 1878، وفي سنة 1882 كلف بمهمة سرية من طرف حكومته قام خلالها بزيارة مدن الرباط وفاس ومكناس والقصر الكبير والعرائش وطنجة رُقِّي على اثرها لدرجة ملازم.

Don Emilio Bonelli.

وفي سنة 1884 أحيل على فرقة الجيش الاحتياطية بطلب من الشركة الإسبانية للمستفرقين والمستعمرين Sociedad Española Africani التي كلفته بالقيام بعملية استطلاعية بشاطئ الصحراء المغربية الموالي للجزر الخالدات، فقام بجولة بحرية وبرية من رأس بوجدور (خط العرض 27 درجة) إلى الرأس الأبيض (خط العرض 20 درجة)، فاختار ثلاث بقع بذلك الشاطئ أقام فوق كل واحدة منها كوخاً من خشب ووضع عليه راية إسبانية، وأصدرت الحكومة الإسبانية في 26 ديسمبر من نفس السنة بلاغا بقرارها بسط حمايتها على شاطئ الصحراء الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض.

وفي شهر يناير من سنة 1885 شرع بونيلي في بناء مركز الداخلة بالحجارة، فهاجم السكان المركز يوم 9 مارس وحطموا البناء وأحرقوا الكوخ ونهبوا الامتعة وقتلوا بعض الإسبانيين وأسروا البعض الآخر، بحيث لم ينجُ منهم إلا من كان على ظهر السفينة الراسية بمياه الداخلة تمكنوا من الفرار واللجوء إلى الجزر الخالدات، وعرف نفس المصير كوخ سينطرا Cintra وكوخ الگويرة.

وبعد ثلاثة أشهر أُذن لبونيلي في العودة إلى الداخلة معززاً بكتيبة يرأسها القبطان خوسي شاكون Jose Chacon.

وفي يوم 10 يوليوز عين بونيلي مندوبا ملكيا Conusario بالشاطئ الصحراوي الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض. وفي 10 أكتوبر سلمت شركة المستفرقين حصن بيبا سيسنيروس إلى الحكومة الإسبانية التي قامت باحتلاله عسكريا يوم 16 ديسمبر سنة 1885.

وقد استقبل بونيلي بالداخلة يوم 14 ماي 1886 البعثة التي أرسلتها الشركة الجغرافية الإسبانية Sociedad geografica española. فوصلت إلى أدرار التمار وسبخة إيجيل، حيث زعمت أنها حصلت على موافقة أمراء أدرار على وضع إماراتهم تحت حماية إسبانيا في وثيقة حررت يوم 12 يوليوز 1886.

ونظرا للهجومات المتوالية التي تعرض لها حصن الداخلة قررت الحكومة الإسبانية يوم 6 أبريل 1887 إلحاق الشاطئ الصحراوي الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض بالقيادة العسكرية العامة بالجزر الخالدات، فأصبح بونيلي يحمل لقب نائب الحاكم السياسي والعسكري لوادي الذهب.

وفي سنة 1899 أُعفي بونيلي من منصبه حيث عين نائباً لرئيس عصبة المستفرقين الإسبانيين وعضواً في الجمعية الجغرافية الإسبانية بمدريد إلى أن مات سنة 1926، وكان قد ألف كتاباً بعنوان *الصحراء* *El Sahara* طبع بمدريد سنة 1887.

E. Bonelli, *Nuevos territorios españoles en la costa del Sahara, Bol. Soc. Geogr.*, Madrid XVIII, 1885, 333 - 354 ; *El Sahara*, Madrid, 1887 ; J. Cervera, *Epedicion al Sahara : De Rio de Oro a Iyil. Rev. geogr. comercial* II num. 25 - 30, Madrid, Julio-septiembre 1886, 1- 6; F. Quiroga, *El Sahara occidental y sus moradores, Rev. Geogr. comercial* II num. 25 - 30 (Madrid, Julio-septiembre 1886) 66 - 72 ; T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña : Ifni-Sahara*, Madrid, 1941.

محمد ابن عزوز حكيم

**البُونـيَّـة**، وتسمى أيضا (بُونْدَاف) : عبارة عن جلباب قصير جداً يشبه المعطف يصنع من الصوف الخشن، ظهر شمال المغرب حوالي القرن الحادي عشر (17 م) أو بعده بقليل حسب الإشارات التي لمّحت إليه في بعض كتب التراجم، وانقرضت البونية نهائيا خلال الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري، عندما سيطر المعطف الأوربي Les trois quarts بالأسواق المغربية.

كانت البونية تحاك وتستعمل بالخصوص بمنطقة المثلث الجغرافي لشمال المغرب الواقع بين مدن فاس وتازا ووزان، وكانت مدينة فاس تعتبر مركز إنتاج وتصدير البونية إلى

الأسواق المجاورة لها داخل المثلث المذكور.

كانت المادة التي تعتمد عليها معامل الدرازة (الحياكة) في إنتاج البونيّة هي خيوط الصوف الخشنة التي تتجاوز في خشونتها ضعف سمك الخيط الذي تحاك منه بطانية الصوف التقليدية أحياناً. فخيط البونية الصوفي خيط تقليدي تغزله النساء، فكانت الصوف والغزل والحياكة كلها أصلية محلية تشغّل المجتمع برجاله ونسائه في البيوت والمعامل.

لم يكن يتجاوز طول البونية (بونداًف) مستوى الركبة تقريباً ولها كمان قصيران لا يتجاوزان المرفق إلا بقليل، يضيقان أو ينحرفان إلى الضيق عند نهايتهما الخارجية، بالإضافة إلى "قُبّ" صغير.

وإذا كان اسم (بونداف) يدل على الخشونة حسب التعبير المحلي، فإن اسم (البونية) قد يدل على الأصل مثل اسم الفاسية والمراكشية والوجدية، وكذلك البونية على ما يظهر. فهل تكون البونية نسبة إلى بونة في الجزائر ؟.

إن الجزائريين لا يستعملون غطاء الرأس "القب" فهل يكون أهل المغرب الأقصى طوروها بعدما استوردوا شكلها الأصلي من بونة ؟.

على أن هناك شكلا مماثلا للبونية سواء في مادته الصوفية وخشونتها أو شكله القصير دون "قبّ" ما يزال مستعملا - وإن كان نادراً - بمدينة شفشاون يقال له (الوَنْديّة). لقد كانت الوندية منتشرة في شمال المغرب كله بمدنه وقراه. ثم انقرضت بدورها تقريبا، ولم يبق منها اليوم إلاّ نماذج قليلة عند بعض الشاونيين الذين يحبون التشبث باللباس الأصيل. والوندية ليس لها كمان أو "قبّ"، وإنما هي عبارة عن معطف صوفي قصير جداً يشبه (البدعية) غير مفتوح من الأمام، وإنما يقف عند الكتفين عرضا وعند الركبتين طولا. وربما كانت الوندية هي أصل البونية، فهما معاً كانتا تلبسان في الفصول الباردة عند القيام بالأشغال التي تتطلب الحزم والقوة كالحروب والحراثة والصناعات التي تقتضي خفة الحركة والجهد والانضباط.

ورد في ترجمة الشيخ علي التسولي مديدش (ت 1258هـ) أنه كان يلبس (بونداًف) فوق القفطان، كما كان يلبسه غيره من العلماء والصالحين من رجال التصوف كرمز للاستعداد للجهاد والأعمال المنتجة المفيدة.

أخذ لباس البونية يتقلص منذ الحرب العالمية الثانية لحساب انتشار المعاطف الأوربية التي اكتسحت الأسواق المغربية مع غيرها من الملابس الإفرنجية التي كانت تنتشر بسرعة مع فكرة العصرنة والانقلاب الذي أحدثته في ذوق المغاربة وعاداتهم (حيث أصبحت العصرنة ترادف تقريباً الفرنجة)، وكان ذلك يدل على الانقلاب السائر في نظام الاقتصاد المغربي برمته الذي أصبح يخرج من وضعيته الأصلية المستقلة إلى وضعية أجنبية تبعية (افرنجية)، وانتهت حياكة البونية نهائياً خلال الستينات من هذا القرن.

ع. اللجائي، *المفاخر العلية*، مخطوط ؛ م. الكتاني؛ *سلوة.روايات* *شفوية*.

أحمد العَمّاري

**بُوهَاشم**، جبل بأرض قبائل بني عروس وبني يَسَّفْ وبني ليت وَالأخماس، يعدُّ صلة وصل بين جبل العلم وجبل

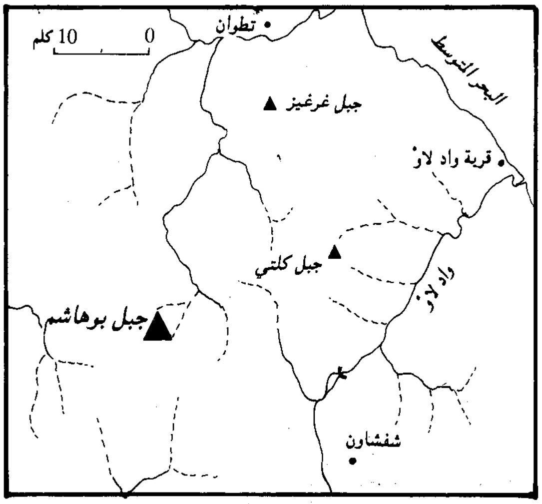


جبل بوهاشم

السكّنة ويقدر ارتفاعه بـ 1597 م. توجد به منابع وادي المخازن أحد روافد نهر اللوكوس. وبجبل بُوهَاشم اعتصمت الفئة الأخيرة من المجاهدين الريفيين إلى أن أرغمتهم الغارات الجوية للطيران الإسباني على الاستسلام في شهر يوليوز سنة 1927 م.

ع. بنعبدالله، *معلمة المدن والقبائل*، 15.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 30 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 70.

**بُوهَاني**، أسرة أصلها من غمارة كانت بتطوان سنة 1901/1319، ومن بين أفرادها حدّاد ماهر يصنع أنابيب المكاحل يدعى عبد السلام بُوهاني، وقد توفي سنة 1901/1319.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوهاني**، من قرى بني كرفط الرئيسية، واقعة على السفح الغربي من الجبل، بين قريتي الخطوط ولهرة. دُورها موزعة على منابع واد تركونت من روافد واد المخازن الثانوية. وفي آخر القرن التاسع (15 م) احتلت المكانة الأولى ضمن قرى القبيلة الكرفطية، إلا أنها فقدت تدريجياً أهلها بسبب ضغط جنود أصيلا عليها، مما دفع بالسكان إلى التراجع نحو جبال بني عروس شرقا، شأنهم في ذلك شأن أهل سائر القرى المعرضة آنذاك للغزو البرتغالي.

وحتى بداية القرن العاشر كانت ما تزال آهلة، وتعرضت للغزو باستمرار ولسنوات متوالية ممتدة خلال الوجود

البرتغالي بأصيلا، غير أن هذا لم يؤثر على السكان إلى درجة إخلاء القرية نهائياً. وقد استقرت بها أسر إدريسية، كأولاد عيسى الشريف وأولاد هرار. وتسمي *حوليات أصيلا* القرية باسم : Agoni.

*ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، ص 55 ؛ *تقييد عن شرفاء بني عمران بالقبائل الهبطية*، ص 8، مخطوط خ. ع.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 29 - 55 - 56 - 207 - 208 ; 2: 66 - 83 - 86 - 129.

حسن الفكيكي

**البوهالي،** بن **القائد** بن أحمد، مقاوم ولد سنة 1934 بدوار الروامش بالسماعلة، إقليم خريبگة. شارك في صفوف المقاومة السرية المغربية وعمل ضمن منظمة "أسود التحرير" تحت مسؤولية المناضل علي بن سعيد بمدينة الدارالبيضاء من 25 شتنبر 1954 إلى 23 غشت 1955.

ساهم في تنفيذ عدة عمليات فدائية مع إخوانه المجاهدين المنتمين إلى خلية فتح الله، كالهجوم على مركز المياه والغابات لأخذ السلاح، وإضرام النيران في عدة مراكز للمعمرين إلى أن استشهد يوم 23 غشت 1955 إثر إصابته برصاصة قاتلة.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 2.

**بُوهَرْوَال، صالح** بن البشير، مقاوم ولد سنة 1920 باغواطم، وانخرط بإحدى فرق المقاومة بتاحنّاوت ناحية مراكش، وعمل تحت مسؤولية لحسن بن محمد السكليس، إلى أن تم اعتقاله على إثر عملية وضع قنبلة، تعرض لأنواع التعذيب على يد الدرك الفرنسي إلى أن لفظ أنفاسه خلال شهر أكتوبر من سنة 1955.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 1.

عزالدين العلام

**بوهلال،** أسرة فاسية عريقة، انتقل بعض أفرادها في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) إلى كل من تطوان، والرباط، والصويرة. أول من استوطن تطوان من أولاد بوهلال الحاج الطيب بن الحسن لأجل الخدمة المخزنية، وتزوج بها امرأة من آل الحسن وأنجب الأولاد.

أما أولاد بوهلال الرباطيون فهم فريقان، الأول أبناء عبد المجيد وهم السابقون إلى سكنى الرباط، والثاني أبناء محمد بن علال، وهو فقيه ناسك وتاجر نبيه، تجاني الطريقة، جاء إلى الرباط لزيارة الصالح سيدي العربي ابن السايح، وكان له فيه محبة واعتقاد كبير، فرغّبه هذا الشيخ في إطالة المقام عنده، وكلما استأذنه في العودة إلى فاس طلب منه مزيداً من الانتظار وانتهى الأمر بمحمد بن علال إلى الاستقرار نهائياً بمدينة الرباط، ونقل إليها أولاده ومتاعه. وأسند إليه منصب أمين صندوق المرسى وأداء أجور الموظفين. ولما توفي سيدي العربي بن السائح عام 1306 / 1888 أشرف محمد بن علال بوهلال على بناء ضريحه المعروف بحي العلو مع المسجد الملحق به. وبقي أبناء محمد ابن علال بوهلال، بعد وفاته، على سننه في خدمة هذا الضريح. ومازالوا حتى اليوم سدنة ضريح سيدي العربي ابن السائح قائمين على شؤونه. وقد تكاثر أولاد بوهلال بالرباط وأصبحت لهم وجاهة ونباهة، وساباط بوهلال معروف في حي بوقرون.

وهناك فريق آخر من أولاد بوهلال انتقل إلى مرسى الصويرة في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) كذلك للقيام بالتجارة أو التعليم وتولي الخطط الشرعية.

**بوهلال، أحمد** (الحاج.) بن **عبد السلام** بن الطيب، فاسيّ الأصل، انتقل إلى الصويرة للاشتغال بالتجارة فيها، وأقرضه المخزن لذلك مالاً ذا بال. اشتهر بالاستقامة والنسك ومواساة المحتاجين وإكرام أهل العلم والدين. كان يلازم مجالس العلماء ويذاكرهم حتى أصبح من المتفقهين في أمور الدين. وقد ذكر عبد السلام ابن سودة في *إتحاف المطالع* أنه توفي بالصويرة في 28 قعدة عام 1300. وأظن ذلك سبق قلم، لأنه مخالف لرسالة نائب الصدر الأعظم المهدي غريط المؤرخة في 4 حجة عام 1334 (انظر صورتها) وهي تتعلق ببيع جزء مما خلفه الحاج أحمد بوهلال لاستيفاء ما بذمته للمخزن. وقد وقفت على أصل تركته عند صهره العدل السيد عبد النبي النجاري بسلا مؤرخة في أوائل رمضان عام 1335 / يونيه 1917، وفيها قائمة العقارات الكثيرة التي تركها ما بيع منها لسداد دين المخزن وما بقي للورثة.

**بوهلال، أحمد** بن **المعطي** الرباطي، معدود في طليعة الشبان المتعلمين الواعين، درس اللغة العربية بالمدرسة الحرة التي أسسها والده بدرب والزاهرا، واللغة الفرنسية في المدرسة العصرية. ثالث ثلاثة تلاميذ مغاربة درسوا في "ليسي گورو" الذي كان حكراً على أبناء الفرسيين، دخله سنة 1925 ـ كما سياتي في ترجمة والده ـ وبعد إنهاء مرحلة التعلم الثانوي التحق بفرنسا سنة 1932

ودخل مدرسة اللغات الشرقية ودرس الحقوق والصحافة. شارك هناك في نشاط جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، وفي الكتابة في "مجلة مغرب" *"Maghreb"* التي كان يصدرها بباريز المحامي الاشتراكي الحر لونگي، وأسس جمعية خيرية تُعنى بشؤون الطلبة المعوزين، وتعمل في نفس الوقت على نشر الأفكار الوطنية.

ولما رجع إلى المغرب أصدر جريدة الشباب المغربي بالفرنسية *Le Jeune Maghrébin* وأسس جمعية رياضية حرة سماها "الكوكب اللامع". ويعد من المؤسسين الأولين للكشفية الحسنية وهو مازال يومئذ تلميذاً في ليسي گورو، ثم للكشفية العبدلاوية.

أسهم أحمد بوهلال إسهاماً فعالاً في الكفاح الوطني، داخل المغرب وخارجه، إلا أنه لم يكن ينضبط داخل التنظيمات الحزبية، فضاعت معظم أخباره ولم ينل ما يستحقه من العناية. ألف كتاباً عن الجيش المغربي، ومذكرات مازالت مخطوطة.

توفي بالرباط عام 1402 / 1981.

**بوهلال، عبد الحفيظ** بن عباس الرباطي، مهندس طبوغرافي عمل سنين طويلة في قسم الخرائطية بمديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية بالرباط، معروفاً بالجد ودماثة الأخلاق. وقد نعاه مكتب الجمعية الوطنية للمهندسين الطبوغرافين مشيداً بخصاله المهنية والانسانية.

توفي بالرباط يوم الثلاثاء 18 دجنبر 1990.

**بوهلال، عبد الكريم** بن محمد الرباطي، من السباقين إلى ولوج المدارس العصرية، ولما أنهى دراسته بثانوية مولاي يوسف بالرباط، ترأس مدة جمعية قدماء هذه الثانوية. وبعد الاستقلال عين مديراً لإدارة الجمارك (الديوانة) إلى أن مات في حادثة سير أواسط الستينات.

**بوهلال، محمد** بن **الخياط**، فاسيّ الأصل. انتقل إلى الصويرة مع عمه الحاج أحمد سابق الترجمة في جملة من كان المخزن يشجعهم على تعميرها والقيام فيها بالتجارة أو التعليم. اشتغل محمد بوهلال مدة طويلة بالعدالة مع عدد من القضاة الذين تعاقبوا على هذا الثغر، وعرف بالاستقامة والنزاهة، وكان ذا حظوة ومكانة عند المخزن وإليه وجهت مراسلة نائب الصدر الأعظم المهدي غريط المنشورة قبل هذا.

توفي بالصويرة في ربيع الأول عام 1349 / يوليوز - غشت 1930.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 190 ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1300 ؛ *رسوم عدلية، ومراسلات* بحوزة العدل عبد النبي النجاري السلوي ؛ *رواية شفوية عن محمد الأمين بلگناوي*، جريدة العلم. *Le Jeune Maghrébin.*

محمد حجي

**بوهلال، محمد** بن **الطيب** بن الحسن التطواني، ولد سنة 1278 / 1861. وفي عهد السلطان عبد العزيز اشتغل أمينا للمستفاد بمراكش ثم بديوانتي أسفي ومليلة ثم ببنيقة دار عديل بفاس ؛ وفي عهد الحماية زاول بتطوان منصب المحتسب ثم ناظر الأحباس الكبرى.

وعندما حررت الهيأة الوطنية السرية بتطوان عريضة مطالب الأمة يوم 13 ذي الحجة عام 1349 / فاتح ماي 1931 وتألف وفد وطني عهد إليه أمر تقديم العريضة إلى رئيس الجمهورية الإسبانية بمدريد عُيِّن بوهلال على رأس الوفد. وفي يوم 3 يونيو توجه إلى العاصمة الإسبانية رفقة الأعضاء أحمد غيلان وعبد السلام حجاج وأحمد بن عبد الكريم اللبادي، فاستقبلوا من طرف الرئيس ألكالا ثامورا يوم 8 من نفس الشهر، وعند عودة الوفد إلى تطوان يوم 17 استقبل استقبالاً حماسياً من طرف المدينة عن بكرة أبيها. وبعد يومين تألفت بتطوان "هيأة وفد مطالب الأمة" حيث أسندت رآستها إلى بوهلال ؛ وعندما تأسست "الهيأة الوطنية بشمال المغرب" يوم 24 ذي القعدة عام 1350 / فاتح أبريل سنة 1932 برآسة الحاج محمد الصفار كان بوهلال من بين أعضائها البارزين، وهذا ما جعله يكون من بين أعضاء اللجنة الوطنية التي تفاوضت مع المقيم العام لوبيث فيرير في أمر تطبيق المطالب من يوم 25 أبريل إلى يوم 5 ماي من نفس السنة.

توفي محمد بوهلال بتطوان يوم الخميس 18 محرم عام 1353 / 3 ماي 1934 وأبَّنه الأستاذ الطريس ووصفه بـ"شيخ الوطنية". وفي يوم 11 يونيو أقامت له جمعية الطالب المغربية حفلة تأبينية كانت الأولى من نوعها بتطوان.

الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 21، 55 ؛ داود، *مختصر*، 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *وثائق الحركة الوطنية* ؛ *يوميات زعيم الوحدة*، 1 : 167، 222، 223 ، 334 ؛ *في شمال المغرب*، ج 1 : 18، 20، 22، 137، 157، 243.

محمد ابن عزوز حكيم

**بوهلال، محمد** بن **المعطي** الرباطي. درس ـ كأخيه سابق الترجمة ـ اللغة العربية بالمدرسة الحرة التي أسسها والده بدرب والزاهرا واللغة الفرنسية بالمدارس العصرية، وهو من قدماء تلاميذ الثانوية اليوسفية. ولوع بالتمثيل والموسيقى، شديد الغيرة الوطنية إلا أنه لم يتابع دراسته العليا، وعمل في المحافظة العقارية إلى أن أدركته الوفاة في أوائل الخمسينات.

**بوهلال، المعطي** بن **محمد** بن علال الرباطي. فلاح متنور، ووطني غيور، من الأولين الذين كانوا يجلبون الصحف الشرقية وغيرها بواسطة قناصل الدول الأجنبية المقيمين بالرباط، يقرؤها وينشرها في أوساط المتعلمين المغاربة لإيقاظ الوعي وإذكاء الروح الوطنية، كما يعد في طليعة المؤسسين للتعليم العربي الحر بمسقط رأسه حيث باع داره وقدم ثمنها لتؤسس مدرسة درب والزهرا، وأنشأ مكتبة بشارع القناصل لتساعد ضعاف التلاميذ. عرضت عليه باشوية الدارالبيضاء فرفضها، وتمكن من خرق الحاجز الذي وضعه رجال الحماية حتى لا يلج التلاميذ المغاربة "ليسي گورو" فدخله ابنه أحمد سابق الترجمة بعد جدال عنيف مع الفرنسيين المسؤولين عن السياسة الأهلية.

توفي بالرباط في ربيع الأول عام 1375 / نونبر عام 1955.

*تقاييد، ورواية شفوية عن محمد الأمين بلگناوي الرباطي.*

محمد حجي

**بُوهو**، (أيت ـ). في إطار تجمع القبائل حول قبيلة أيت براهيم التابعة للفّ أيت عثمان باتحادية تكنة. تنقسم صغريات القبائل إلى قسمين حسب النطق اللغوي الأمازيغي أو الحساني. وقد جاء هذا الانقسام سبباً في تسمية أيت النص (النصاص). ومن بين صغريات القبائل الناطقة بالأمازيغية تندرج قبيلة أيت بوهو. تقيم هذه القبيلة بمدشر ثيكليت ـ ن ـ أيت بوهو الذي وصفه الرحالة الفرنسي M. Vieuchange في رحلته إلى اسمارة سنة 1930. كما أنها تتوفر على بعض المنازل بتاغجيجت عاصمة تراب أيت النص (انظر أيت براهيم). وقد تميزت قبيلة أيت بوهو بتخصصات فلاحية وتجارية تؤكد انتماءها إلى الغور السكاني الأقدم (انظر أيت بلة).

M. Vieuchange, *Chez les dissidents du Sud marocain et du Rio de Oro, Smara : Carnets de route*, Paris, 1932.

مصطفى ناعمي

**بُوهية**، إبراهيم، ولد بوفوس اليانسي الأخصاصي، كان من بين الأشياخ الذين رشحوا الشيخ علي بن مسعود الأخصاصي الباعمراني لمنصب القيادة على قبيلة الأخصاص سنة 1299 / 1881. ولي بوهية قائداً على قبيلة الأخصاص بطلب من صهره علي بن مسعود الأخصاصي، وذلك أثناء الزيارة الثانية التي قام بها السلطان مولاي الحسن لسوس الأقصى سنة 1304 / 1886.

م. الأكراري، *روضة الأفنان*، 78، د. د.ع. الرباط، رقم : 120 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 20 : 180. 181 ؛ *رسالة من ق.* إبراهيم بوفوس إلى السلطان بتاريخ 15 جمادى الثانية 1304.

علي المحمدي

**البواب**، أسرة فاسية معروفة، وتحمل اسماً مماثلاً أسرة أخرى من اليهود. يظن أن هؤلاء الأخيرين قدموا إلى المغرب أواخر القرن التاسع (15م) ذلك أن الربّي حسرفاتي صاحب *"يهاس فاس"* أي "أخبار فاس" المكتوبة بالعبرية والتي نشرها سماش بالفرنسية في مجلة هسبريس، عدد 19، عام 1934، ذكر من بين الأسر اليهودية التي استوطنت فاس قادمة من إسبانيا، أسرة أبواب التي قد تكون هي التي تطورت كتابتها لتصبح "البواب". لا غرابة فيالأمر، إذ أن بعض الأسر المغربية المسلمة واليهودية تحمل نفس الاسم، مثل عاشور، وبنحيون، والكوهن، وبنسعيد، وغير ذلك.

يكاد وجود آل البواب المسلمين يكون منعدما اليوم بفاس، وبالفعل، بدأت الأسرة تتقلص هناك خلال الربع الأخير من القرن الفارط، لكن هذا التقلص عوضه وجودهم المتزايد بأسفي منذ أن رحل إليها

**البواب، أحمد** بن حسن، انتقل من فاس عام 1297 / 1880، واستقر بأسفي من أجل التجارة في الثياب ولا سيما في "الملف" الانجليزي الذي تعودت عليه المدينة منذ قرون، فكان أحمد بن حسن البواب التاجر الوحيد الذي يبيعه بأسفي، وكان له ثلاثة عشر ولداً بين ذكور وإناث، منهم :

**البواب، الطاهر** (الحاج ـ) من مواليد عام 1316 / 1899 بأسفي. شد في ريعان شبابه الرحلة إلى فاس، وبعد مدة التحق بمجلسها البلدي ولم يكن نصيبه في العلم آنذاك أكثر من نصيب طلبة الكتاب القرآني. غير أنه شُغف بالعلم فجعل منه رجلا عصاميا. كان يقضي نهاره في وظيفته، ويسهر ليله في دراسة العلم على يد أساتذة اتخذهم لتعليمه العلوم الأولية التقليدية. وما هي إلا فترة وجيزة حتى تفتق ذهنه وبرزت مواهبه وأخذ يلتهم بنهم شديد القديم والحديث في ميدان الثقافة العامة.

كوّن خزانة علمية ذات أهمية في مختلف الموضوعات، وكانت له عناية خاصة بها وخصص لها في بيته مكانا مرموقاً.

ومن حبه في العلم وأهله، أن كانت خزانته مفتوحة في وجه طلبة القرويين وإكراماته متواصلة لذوي الحاجة منهم. كما كان بيته بالليل بمثابة مجلس أدبي يضم مثقفين يشاركهم في الأخذ والعطاء.

وحوالي سنة 1369 / 1950 رجع إلى مسقط رأسه أسفي واشتغل بالفلاحة التي كان له ولوع خاص بها. وكان في سلوكه العام ذا أخلاق عالية مع جميع الناس، عذب الحديث، حلو الفكاهة، وبيته مفتوح لجميع أعضاء عائلته، لم يبق أحد من ضعفائهم إلا و ناله إحسانه. أما الفلاحون المجاورون له فكان لهم خير جار، يُمدّهم بكل ما يحتاجون إليه حتى اشتهر بينهم بالمحسن الكبير.

واعتباراً لما كان يتمتع به من حسب وتقدير في وسطه، انتخب عضواً بالمجلس البلدي بأسفي وكان ينوب عن رئيسه، كما فاز بالعضوية البرلمانية وأصبح رئيساً للمجلس الإقليمي وعضواً بالغرفة الفلاحية.

توفي سنة 1402 / 1983 وأوصى بدفنه في ضيعته الواقعة بحوز أسفي، وحبس جزءاً منها لدفن جيرانه.

**البواب، العربي** بن أحمد، ولد بأسفي سنة 1309 / 1891، وكان من تجارها المشهورين ومن أعيانها، ذا سمت حسن ورزانة ووقار، عرف بحس مرهف وذوق رفيع ودقة وضبط وبعد نظر وخبرة واسعة في شؤون الحياة العامة، فكان رائد عائلته وسندها ومحط استشارة أكابر القوم ووجهائهم. اشتهر بالاحسان الكثير لذوي الحاجات، وتوفي سنة 1348 / 1930 ولم يتجاوز الأربعين.

**البواب، محمد** بن أحمد، ولد بأسفي عام 1306 / 1889، وكان من فقهاء المدينة ومدرّسيها، تولى نظارة الأوقاف بأسفي، واشتهر بعلم التوقيت، فكان يضع حصصا سنوية لأسفي وما وافقها في عرضها. تلقى عنه هذا العلم كثير من الطلبة. ومما تميز به طريقة التدريس ووضوح العبارة ونفاذها إلى الذهن في سهولة ويسر.

كان خصب الخيال، تحفة المجالس، ذا موهبة كبيرة في ابتداع الفكاهات المتسلسلة النادرة في مجالس أهل العلم والأدب.

توفي سنة 1379 / 1960.

أ. بنجلون، *من تاريخ أسفي*، مخطوط ؛ الطيب البواب، *مذكرات*، مخطوط.

أحمد بنجلون

**بُووكْرَا**، جبل يتميز بشكله الدائري الذي يشبه شكل الكَسْكاس ولهذا سُمي بهذا الاسم (أكْرا بالأمازيغية يعني الكَسْكاس). يوجد هذا الجبل في منطقة إمْلِيلْ الواقعة بدير السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط بيَن منطقتي دادس وإمْغْران، وقد أقيمتَ ببعض التلال المحيطة بهذا الجبل ملاجئ على شكل مغارات تسمى إفْرانْ، يأوي إليها الرُحل بماشيتهم خاصة في فصل الشتاء أثناء نزولهم من الأطلس الكبير في اتجاه جبل صَغْرُو. غير أن هناك من الرُحل من يمكث بهذه المناطق مدة ثلاثة أشهر إلى ستة كلما توفرت إمكانية الرعي بها. ويبدو أن تلك الملاجئ أقامتها أسَر أو قبائل أيت إحْيَا السدراتية - التي لا تبعد عنها إلا ببضعة كيلومترات - كي تستفيد من غبارالماشية الذي يتجمع بها، وهكذا تقوم بنقله إلى فدادينها على ظهور البغال طيلة فصل الشتاء.

*تحريات ميدانية.*

محمد حمام

**بويا، بن أحمد** بن سيدي أحمد، مقاوم ولد عام 1350 / 1931 بالساقية الحمراء، وانخرط في جيش التحرير سنة 1956 بالمقاطعة الثامنة في مركز الساقية الحمراء تحت قيادة الهاشمي. شارك في عدة معارك منها معركة تكل الكبرى ومعركة الروضة التي استشهد فيها بتاريخ 21 رجب عام 1377 / 11 فبراير 1958.

*وثائق المندوبية السامية للمقاومة.*

عزالدين العلام

**بويا عمر**، هو عمر بن عبدالعزيز بن الشيخ الشهير سيدي رحال البودالي الكوش. صوفي صالح، تتلمذ على أحمد الخليفة ابن الشيخ مَحمد ابن ناصر الدرعي. ولا يعرف له شيوخ في العلم، إلا أن الرواية الشفوية السائدة في واد تساوت تقول إنه كان يقوم بتدريس العلوم الدينية.

إذا كان أتباع الجد سيدي رحال البودالي قد عرفوا حتى الآن بالقيام بأعمال مدهشة كأكل الحيات، ودخول بيت النار، ووضع الحديد المحمي في الأفواه، وشرب الماء عند شدة غليانه... فإن حفيده بويا عمر اشتهر بإبراء المجانين والمصروعين بإذن الله تعالى.

لا يعرف تاريخ ولادة بويا عمر ولا وفاته، إنما يُذكر شائعا بين سكان قبيلة زمران أنه ولد وعاش في وسط القرن الحادي عشر (17 م) بالقرب من ضريح جده سيدي رحال إلى أن أدركته الوفاة في أواخر هذا القرن ودفن بشاطئ وادي تسّاوت، على الجانب الأيمن من دوار الطواهرية الموجودة خلف الوادي.

يتميز هذا الولي بكثرة الوافدين عليه من جميع أنحاء المغرب، وكذا من بعض الدول العربية كالسعودية والجزائر وليبيا وتونس للتداوي من الأمراض العقلية وخاصة الصرع. وتضم الزاوية بعض التجهيزات منها حوالي ثلاثين بيتاً، ودار للضيافة ومسجد للصلاة.

أما العطاءات التي تتلقاها الزاوية فتقدر بحوالي ستين مليون سنتيم سنوياً فضلا على الهبات والصدقات التي توزع على الفقراء والمحتاجين الذين يعيشون بالقرب من الضريح.

وقد احتفظت هذه الزاوية بالطابع الديني الصرف الذي أضفاه عليها هذا الولي الصالح، إذ يقام بها موسم ديني بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف يحضره رواد كثيرون يأتون من كل أنحاء المغرب من أجل الاحتفال بهذا العيد، حيث يصل عددهم في هذا الموسم الذي يدوم ثلاثة أيام إلى أكثر من مائة ألف زائر وزائرة، أما زواره خارج هذا الموسم فيتراوح عددهم ما بين ثمانمائة وتسعمائة زائر في الأسبوع.

وقد أقامت لجنة ثقافية تابعة لعمالة إقليم السراغنة ندوة علمية من 27 إلى 30 يونيه سنة 1990 في موضوع : علم النفس الحديث وظاهرة الاستشفاء ببويا عمر، شارك فيها عشرة من الأساتذة الجامعيين وأربعة أطباء نفسانيين بإلقاء عروض مفيدة حول هذه الاستشفائية الروحانية وقد نشرت بعض أعمالها.

*كتيب عمالة إقليم السراغنة لتقديم أعمال ندوة علم النفس وظاهرة الاستشفاء ببويا عمر*، 1990.

أحمد التوفيق

**البوياه**، (مقبرة ـ) توجد بمنطقة تافيلالت على ضفاف وادي غريس على بعد عشرة كيلومترات غرب مدينة أرفود (انظر الرسم رقم 1) وتعتبر من أهم وأكبر المقابر القديمة المعروفة بالمغرب اكتشفها وقام بالتنقيب فيها الباحثان ماركات وكامو خلال سنة 1957.

إن أقدم تقاليد الدفن المعروفة والمدروسة بالمغرب تعود إلى الحضارة الإيبيروموروزية (*معلمة المغرب*، ج 3) وتعتبر المدافن التلية والمدافن ذات البنايات المعبدية من المخلفات الأثرية التي ما زال الكثير من أسرارها غير معروف.

صنّف كامبُس، عند دراسته للمعتقدات الجنائزية القديمة لشمال افريقيا، مدافن المنطقة إلى اثنين وعشرين صنفا. في حين لم يشر الباحثان ماركات وكامو (1957) إلا إلى ثلاثة أصناف بمقبرة البوياه. وذلك حسب شكلها الخارجي وحجمها. ولهذه الأصناف الثلاثة مميزات متشابهة وأخرى خاصة بكل واحد منها. فجميعها محاطة بسور مبني بعدة أحجار موضوعة الواحدة فوق الأخرى متماسكة فيما بينها وبداخلها بيت جنائزي. كما تتوفر على مدخل واحد أو عدة مداخل متجهة نحو الشرق تؤدي إلى ممر واحد أو عدة ممرات يتفرع عنها أحياناً بيت أو عدة بيوت، وفي

جميع الحالات لم تسجل أية علاقة بين هذه الممرات والبيت الجنائزي حاليا. أما فيما يخص حجم وشكل المدفن وكذا شكل البيت الجنائزي فيختلف من مدفن إلى آخر.

أ ـ الصنف الأول : (انظر الرسم البياني رقم 2). هذا النوع من المدافن هو عبارة عن كراكير صغيرة أو متوسطة الحجم يتراوح قطرها ما بين أربعة إلى ثمانية أمتار مخروطة الشكل ذات قاع مستدير. ويعد هذا الصنف الأكثر انتشاراً. ويشكل البيت الجنائزي في هذه الحالة البناية الوحيدة بالمدفن بحيث يكون عامة مستطيل الشكل محاطاً بسور قد يصل طوله إلى أربعة أمتار وعرضه 2،30 وعلوه 1،10.

ب ـ الصنف الثاني : (انظر الرسم البياني رقم 3). هذه المدافن تكون كبيرة الحجم دائرية الشكل بحيث يتراوح قطرها ما بين عشرة وخمسة عشر مترا. يوجد خلف الباب ممر قد يفوق طوله ثلاثة أمتار، أما علوه وعرضه فقد يصل إلى المتر الواحد، وتحيط بجميع جوانبه ألواح، كما يتفرع عنه بيتان صغيران.

ج ـ الصنف الثالث : (انظر الرسم البياني رقم 4). يعد هذا النوع من المدافن الأقل انتشاراً بالمقبرة ويتميز بكبر حجمه وبشكله المربع أو المستطيل ويتراوح طوله ما بين

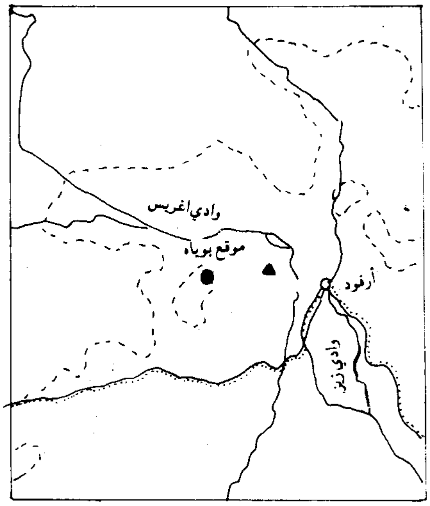


رسم 1 : الموقع الجغرافي لمقبرة البوياه

50 كم 0

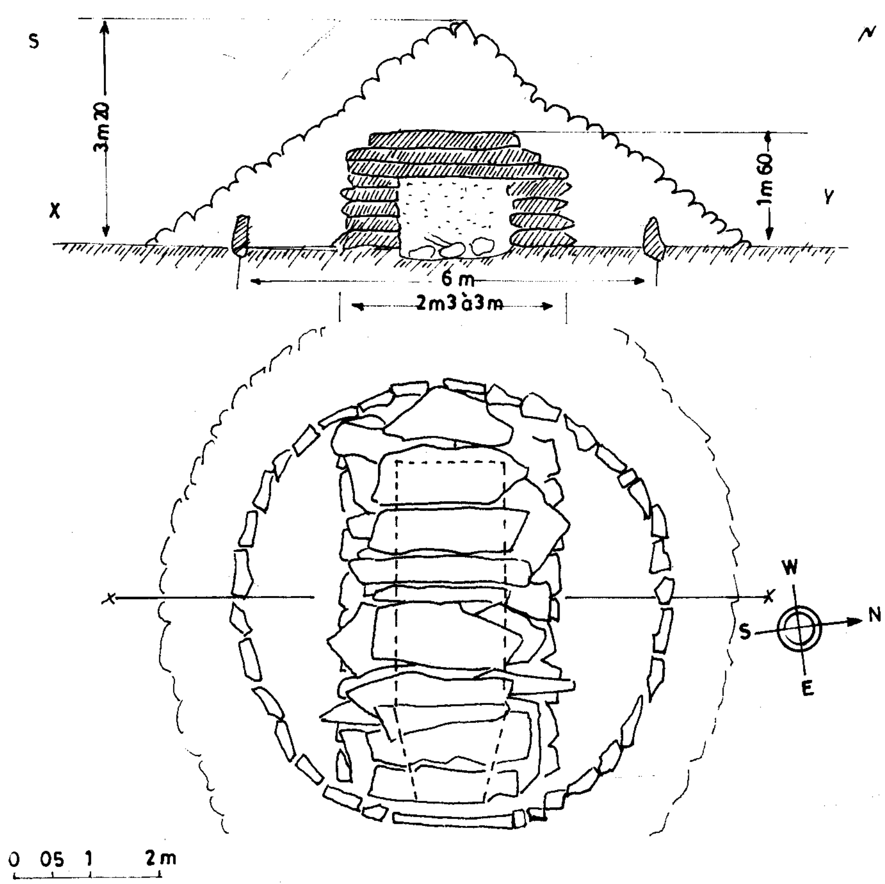


رسم 2 : الصنف الأول لمقبرة البوياه

ـ مارگان وكامو 1958 ـ 1959 ـ

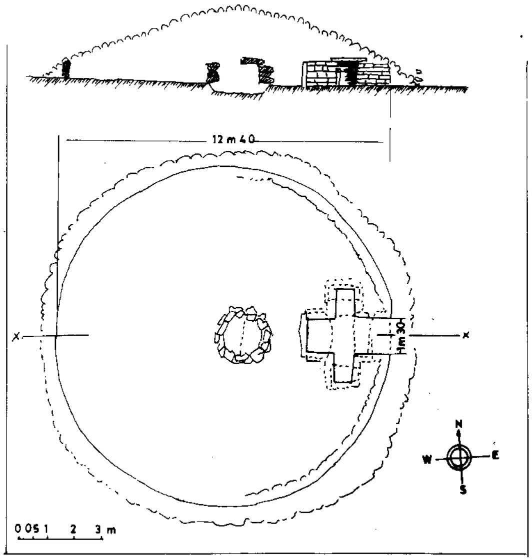


رسم 3 : الصنف الثاني لمدافن مقبرة البوياء
ـ مارگان وكامو 1958 ـ 1959 .

عشرة وخمسة عشر متراً. وهذا الصنف يتوفر في بعض الحالات على ثلاثة أبواب مختلفة الأحجام كل واحدة تؤدي إلى ممر خاص لكن متوازنة فيما بينها، كما نجد ممرات ثانوية توصل ما بينها. أما البيت الجنائزي فيوجد خلف الممرات على بعد متر واحد ويكون مستطيل الشكل.

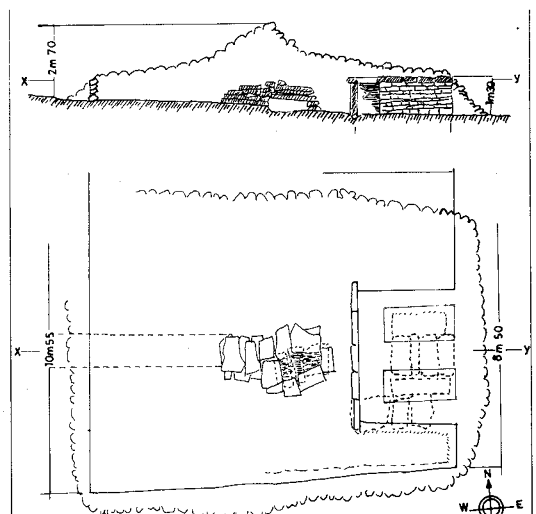


رسم 4 : الصنف الثالث لمدافن مقبرة البوياء
ـ مارگان وكامو 1958 ـ 1959 .

وفيما يخص الأدوات الجنائزية التي تم العثور عليها بجانب الهياكل العظمية فهي جد قليلة وتتجلى في بعض أنواع الحلي وكذا بعض الأدوات البرونزية.

لعل الكثير ممن درسوا هذه المدافن أو قرأوا عنها تخطر ببالهم تساؤلات كثيرة كتاريخ بنائها وأصلها وسر اختلاف أحجامها وشكلها، وكذا عدد البيوت التي تتفرع عن الممرات ووظيفتها. لكن في غياب أبحاث جديدة مبنية على وسائل التأريخ الحالية والتنقيب الحديث يبقى الجواب عن جلها مجرد احتمالات وفرضيات.

ففيما يخص تاريخ بنايتها وأصلها لا يمكننا أن نجيب عن ذلك بصفة دقيقة لأن ذلك يستلزم الاعتماد على وسائل التأريخ الحالية، وكذا مقارنة المدافن التلية بجميع المناطق المعروفة بها. أما الممرات والبيوت فربما كانت تلعب دور القربان من الميت، وذلك بوضع المأكولات والمشروبات بها، وربما كانت كذلك أماكن للعبادة يتم من خلالها الاتصال بالعالم الروحاني والخارجي للميت. أما اختلاف الاحجام وعدد البيوت فربما كان ذلك راجعاً إلى الفوارق الاجتماعية آنذاك.

م. ع. الهجراوي، *الحضارة الإيبروموروزية*، معلمة المغرب، ج 3.

J. Margat et A. Camus, *La nécropole de Bouïa au Tafilalet.* *B.A.M.* T. 3, p. 25, 1958 - 1959.

محمد عبدالجليل الهجراوي

**بُوِيَبْلاَن**، جبل عال بالأطلس المتوسط الشرقي، يأتي بعده جبل بوناصر ويمتد على مسافة تفوق سبعين كيلومتراً من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي متخذا شكل عرف متصل له قمة حادة يصل ارتفاعها إلى 3.190 م بقمة موسى أُصالح.

وهو جبل ذو طابع كتلي، يتميز بارتفاعات جد متباينة، وسفوح شديدة الانحدار سواء في واجهته الشمالية أو الجنوبية. يشرف بويبلان نحو الشمال الغربي على مناطق منخفضة، من بينها منخفضا تافرت وتامتروشت حيث لا يتجاوز الارتفاع 1.900 م. وتنحدر من السفح الشمالي مجموعة من الوديان الدائمة الجريان من أهمها واد ملولو الذي يعتبر من أهم روافد واد ملوية، وكذا واد زلول أحد روافد واد سبو ويطل الجبل نحو الجنوب بانحدارات قوية على منخفضات يقل ارتفاعها عن 1.600 م من بينها تامجيلت (1.600 م) وبركين (1.300 م)، اللذان تغذيهما مياه واد بني منصور وواد زبزيط في اتجاه من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي.

وتتكون بنيته الجيولوجية من صخور متنوعة تشتمل على الكلس الدولوميتي الذي يبرز في غضن المحدب، وعلى الكلس الطفلي الذي يغطي الجوانب. أما المنخفضات المجاورة فتنتشر بها صخور الطفل النضيدي بصفة خاصة. وللصخور الكلسية السائدة بالمنطقة أهمية هيدروجيولوجية تتمثل في اختزان مياه التساقطات الغزيرة، وبروز العديد من العيون التي تغذي مجموعة من الوديان التي تنبع من الجبل.

ترجع نشأة بويبلان إلى الحركات البنائية المتلاحقة التي تميزت بضعفها خلال الزمن الثاني ووصلت حدتها خلال المرحلة الأطلسية للزمن الثالث وانتهت بالتسنم في أواخر الثلاثي. نتج عنها نمط بنائي جوراسي بالنسبة للغطاء المنتمي للزمن الثاني، مع بروز غضن محدب جبل بويبلان الذي تعرض على طول سفحه الشمالي لحدوث انكسار قوي متجه من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي.

يعتبر بويبلان من الجبال المغربية الموجهة مباشرة نحو التأثيرات المحيطية، لكنه في نفس الوقت يشكل حاجزا حقيقيا يحول دون تقدم الكتل الهوائية الرطبة في اتجاه الجنوب. وهذا ما يعلل تدرجات مناخية قوية على طول السفوح، وكذا وجود تعارض قوي بين السفح الشمالي المطير، والسفح الجنوبي الواقع في ظل المطر.

وعلى الرغم من ارتفاعاته العالية، فإن المناخ بجبل بويبلان يظل متوسطيا حسب التعريف العام المقترح من طرف أومبرجي L. Emberger تبعا لوضوح الفصل الجاف في المجال بأكمله.

من حيث التساقطات، فإن الجهات الأغزر مطراً تقع في الواجهة الغربية من السلسلة حيث تصل متوسطات التساقطات السنوية إلى 1.300 مم، وكذا فوق القمم العالية. أما الواجهة الشرقية من الجبل فإنها تعتبر عكس الأولى منطقة جافة مع تساقطات سنوية لا تتجاوز 400 مم في متوسطها بالمنخفضات.

تتحكم درجات الحرارة المنخفضة جدا في الأجزاء المرتفعة من بويبلان في وجود مناخ خاص يسمى المناخ المتوسطي لأعالي الجبال، والمتميز بفصل جاف واضح لا يطابق الفصل الحار، وبوجود فترة طويلة باردة جدا تعقب الفصل الجاف. لذا، فإن الفترة الرطبة والمعتدلة التي تلائم نمو الغطاء النباتي بهذه المرتفعات تنحصر في ثلاثة أو أربعة شهور سنويا فقط، مما يجعلها تشكل مناخاً سهوبياً لأعالي الجبال.

وبصفة عامة، يمكن التمييز في جبل بويبلان بين أربعة بيو مناخات رئيسية حسب عاملي التوجيه والارتفاع : البيومناخ الشبه الجاف، الشبه رطب، الرطب، ثم بيو مناخ أعلى الجبل. وداخل هذه المستويات يتوزع الغطاء النباتي المشكل أساساً من الغابات والسهوب ويشمل العديد من الأنواع النباتية التي تبرز مدى تنوع الظروف المناخية المحلية بجبل بويبلان، وكل نوع رئيسي يشكل ذروة خاصة. ومن أهم الأنواع التي تنتشر بالمجال، نذكر على الخصوص :

- ذروة العرعر الأحمر Le Climax à Juniperus Le Phoenicea. ينمو العرعر الأحمر بالمستوى النباتي المتوسطي المعتدل الأعلى ضمن البيو مناخ الشبه جاف الحاد والمتوسط. وهذا النوع له امتداد مهم نسبيا في الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية من جبل بويبلان، مما يدل على تأثر هذه الواجهة من الجبل بالمؤثرات الجافة الشرقية.

- ذروة الصنوبر الحلبي Le Climax à Pinus halepensis.

بالرغم من امتداد الصنوبر الحلبي في مجال واسع بين المستوى النباتي المتوسطي المعتدل، والمستوى الجبلي المتوسطي الأسفل، فإن نموه يرتبط بصفة خاصة بصخور الطفل النضيدي حيث يجد ظروف تصريف ضرورية لاستقراره. لذا فإن ذروة هذا النوع لا ترتبط بظروف مناخية صرفة. فهو من جهة، ينمو ببركين حيث متوسط التساقطات السنوية لا يتجاوز 325 مم. ومن جهة ثانية ينحصر نحو الأسفل بسبب غياب صخور الطفل النضيدي في منطقة تامجيلت، بينما تعتبر حدوده في اتجاه أعلى الجبل مناخية، إذ يبرز الطفل النضيدي بعيداً عن مجال امتداده وذلك ضمن مناخ يعتبر غير ملائم لاستقراره ونموه.

- ذروة البقس Le Climax à Buxus balearica. ينحصر توزيع البقس في جبل بويبلان ضمن مناخ جاف نسبيا، بارد وضوئي، يتميز بانعكاسات حرارية مهمة، وحرارة مرتفعة خلال فصل الصيف. والبقس له خصائص فيزيولوجية متميزة تساعده على تحمل الاختناق في التربة الصلصالية المشبعة بالماء خلال الفصل المطير، وكذا التجفاف المفرط لها خلال الفصل الجاف، كما يتحمل البرودة والرياح. وهذه المرونة الفيزيولوجية تسمح لهذا النوع بالتداخل مع أنواع نباتية أخرى ببويبلان كالعرعر الأحمر والسنديان الأخضر والأرز. ويستطيع البقس أن يتجاوز الأرز من حيث امتداده تبعاً للارتفاع بالجبل ليمتزج مع الجفافيات الشوكية شريطة أن يظل المناخ قارياً وضوئياً.

- ذروة السنديان الأخضر Le Climax à cluercus rotundifilia. يحتل السنديان الأخضر مجالا مهما بجبل بويبلان، وذلك انطلاقا من المستوى النباتي المتوسطي المعتدل الأعلى والمستوى الجبلي المتوسطي الأسفل. والصنوبر البحري ببويبلان يحتل المجال الرطب، لكن مع إضاءة مهمة وكثيفة، وانسحاب سريع للغيوم بعد مرور الاضطرابات الجوية.

- ذروة الأرز Le Climax à Cedrus atlantica. لا ينتشر الأرز إلا بمجال جد محدود كالصنوبر البحري. وبالرغم من كونه لا يكترث بطبيعة الصفرة، فإنه يشكل بقعا غير متصلة من المناطق الأكثر رطوبة بجبل بويبلان، وذلك ضمن المستوى الجبلي المتوسطي الأعلى. ويكوِّن الأرز ثلاث تشكيلات نباتية رئيسية بالمنطقة هي غابة الأرز المحيطية في الجهة الغربية من السلسلة وغابة الأرز الشبه قارية ثم غابة الأرز القارية التي تتحمل شدة البرودة خلال فصل الشتاء.

- ذروة العرعر الفواح Le Climax à Juniperue thurifera. في جبل بويبلان يقتصر امتداد العرعر الفواح على الجهة الغربية فوق مجال امتداد الأرز، وذلك ضمن مناخ رطب نسبيا، لكن بارد ومضيء. ويشغل هذا النوع مجالا ضيقا في المرتفعات العالية في مستوى نباتي انتقالي بين الجبلي المتوسطي الأعلى، والمتوسطي الجبلي الأسفل.

- ذروة الجفافيات الشوكية Le Climax à Xérophyte épineux. تنتشر الجفافيات الشوكية بجبل بويبلان ضمن المناخ المتوسطي السهوبي لأعالي الجبال، إذ تعقب التشكيلات الغابوية في الأجزاء المرتفعة من الجبل، وخاصة منها الأرز ابتداء من ارتفاع 2.100 م في السفح الشمالي و2.500 م من السفح الجنوبي. ويعتبر عامل البرودة العامل

الرئيسي في اختفاء الغابة مع الارتفاع، وتعويضها بالجفافيات الشوكية.

C. Peyre, *Quelques aspects de la végétation du massif du Bou-Iblane*, in *Etude de certains milieux du Maroc et de leur évolution récente*, C.N.R.S. Trav. RCP 249, 1973, p. 129 - 131 ; I. Seryouhi, *Le Moyen Atlas plissé*, in *Ressources en eaux du Maroc, T. 3. Domaines atlasique et sud atlasique*. Rabat, 1977, p. 67 - 71 ; C. Peyre, *Recherches sur l'étagement de la végétation dans le massif du Bou-Iblane, Moyen Atlas Oriental*. Thèse de Doctorat de 3ème cycle, Université du Droit, d'Economie et des Sciences d'Aix Marseille, Faculté des Sciences et Techniques St Jérôme, 1979, p. 136 - 145.

محمد لبحر

**بُويحلبان ← بوضاض**

**البُويْحيَاوي**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني بويحيى الكرتية (انظر ما علاقتها بأيت بويحيى من هنتيفة)، انتقلت أول مرة إلي غمارة ومنها إلى تطوان حيث ما زالت موجودة لحد الآن.

Delegacion, *familias* ; Isidoro, *familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البويحياوي، محمد بن عبد الرحمان**، التنانتي الأصل، التنغملتي الدار والمدفن. نسبة إلى أيت بويحيى، وهم فرقة من هنتيفة، توجد بعض أسرهم اليوم بتنانت شرقي دمنات. ويعتقد البعض أنهم من أوائل من استوطن تانغملت. وقد ترجم له محمد بن عبدالله الخليفتي قائلا : "الصالح الصوام القوام المجتهد في عبادة ربه، كثير التلاوة لكتاب الله والتنفل به، كثير الذكر..." ( *الدرة الجليلة*، 290).

كان البويحياوي متصوفا، تتلمذ على الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، فنسج على منواله واقتفى أثره. كما أخذ عن شيوخ ناصريين آخرين، إذ كان كثير التردد على تامكروت. وقد التقى به فيها مؤلف *الدرة الجليلة* ذات مرة أثناء زيارته ليوسف الناصري. وكانت علاقته وثيقة مع متصوفة المنطقة، خاصة عبدالله الخليفتي مقدم الطائفة الناصرية بأيت خليفت (أزيلال حالياً) وانتسب إلى متصوفة تانغملت، كل ذلك جعله يكتسب مكانة لدى سكان تلك الجهات. وكانت وفاته سنة 1170/1757 بتانغملت وبها دفن.

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*... مخطوط.

أحمد عمالك

**البويحياوي، محمد بن محمد** من قواد الحسن الأول على فرقة أولاد سالم المنتمية إلى بني بويحيى منذ ما قبل سنة 1300 / 1882، وما بعد سنة 1309 / 1891. يكنى هذا القائد بالحرش وبأمزيان (الصغير)، تمَّ تعيينه على الفرقة إثر استحداث التنظيم الإداري الجديد على عهد الحسن الأول القاضي بتقسيم القبيلة الواحدة إلى مجموعة من القيادات. وقرارات أولاد سالم في ثلاثة مواطن : اثنان منهما بقبيلة المطالسة، والثالث في بني بويحيى واقع بين الموطنين السالفين وجنوب أوليشك وأولاد عبد الدايم. وهو نصيب البويحياوي الحرش الذي ظهر كأهم قائد بالقبيلة.

تعرض البويحياوي لنزاعات أثارتها أطماعه بالقبيلة كانت لها انعكاسات أوقدت عليه عداوة جيرانه من بني بويحيى والمطالسة. فحينما توفي البويحياوي محمد بن عمر، قائد فرقة أولاد عبد الدايم، أسندت إليه قيادة الفرقة. إلا أن أعيانها كانوا راغبين في البويحياوي محمد بن أحمد المدعو المعاش. وسرعان ما اتسع نطاق الخلاف حينما أضيفت إلى قيادته جماعة بني وكيل، أهل زاوية جبل كركر، التي استقر رأيها على اختيار الشريف المدعو محمد بن حامد الوكيلي، ثم على الشريف محمد بن أحمد الوكيلي، وبذلك نشأ حلف بويحياوي ضد الحرش. وقد بحث هذا الحلف عن المساعدة الخارجة عن القبيلة، فوجدها عند أولاد عبد الدايم في المطالسة، بينما استعان بنو وكيل بالقائد بوصفية الكبداني وشرفاء واد كرط.

استغرق النزاع طيلة فترة حكم الحرش. بلغ أشده سنة 1307 / 1889 ووجدناه سنة 1309 / 1891 خارج موطنه بعد الهزيمة التي تعرض لها ضد المطالسة، فلم يسعه سوى التوجه إلى فاس لطلب المساعدة المخزنية في 11 ربيع 1309 / 15 أكتوبر 1891.

*مراسلات مخزنية خاصة.*

حسن الفكيكي

**البّويرطُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Puerto والكلمة معناها بالإسبانية الميناء أو المرسى. وكان من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان :

**البّويرْطُو، محمد**، وهو عالم كان حيا سنة 1120/ 1708.

**البّويرطُو، محمد** بن أحمد، فقيه كان يزاول خطة العدالة سنة 1151/1739. وهذه الأسرة غير أسرة البُورطُو.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 17 ؛ 3 : 49 ؛ 4 : 95 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

**پويرْطُو باديا** Puerto Badia، اسم أطلقه الإسبانيون على الكوخ الخشبي الذي وضعه الملازم إميليو بونيلي Emilio Bonelli أواخر العقد الثامن من القرن التاسع عشر في المكان المعروف عند المغاربة بخليج الرأس الأكحل وعند البرتغاليين والإسبانيين بخليج ثينطرا Bahia de Cintra، وثينطرا هذا هو البحار البرتغالي المغامر گونثالو ذي ثينطرا Gonzalo de Cintra الذي قتله المغاربة سنة 849 / 1445 بخليج أرگين جنوب الرأس الأبيض. وأما خليج الرأس الأكحل فيوجد جنوب شبه جزيرة الداخلة.

في أواخر سنة 1301 / 1884 كلفت شركة المستفرقين والمستعمرين الإسبانيين Sociedad de Africanistas y Colonistas Españoles الملازم اميليو بونيلي Emilio Bonelli بالقيام بعملية استطلاعية للشاطئ الصحراوي المغربي الموالي للجزر الخالدات، فقام بجولة بحرية وبرية من

رأس بوجدور (خط العرض 27 درجة) إلى الرأس الأبيض (خط العرض 20 درجة)، وأقام فوق ثلاث بقع أكواخا من خشب وضع فوقها العلم الإسباني، الأولى بشبه جزيرة الداخلة وسماها بيياثيسْنيروسْ Villa Cisneros والثانية بخليج الرأس الأكحَل Cintra وسماها پويرطو باديا، والثالثة بالكَويرة (الرأس الأبيض) وسماها پويرطو أو مدينة گاطيي Puerto Medina Gatell، فأعلنت إسبانيا حمايتها على المنطقة.

وقد فر الإسبانيون على إثر الهجوم السريع الذي قام به المغاربة ضد هذه المراكز، ولم يعودوا إليها إلا بعد أكثر من نصف قرن، وبعد المعاهدة المبرمة بين إسبانيا وفرنسا يوم 28 صفر عام 1318 / 27 يونيو 1900 التي نصت على أن الخليج المذكور من نصيب إسبانيا.

وبعد استرجاع المغرب لصحرائه تبعاً لاتفاقية مدريد بايع سكان وادي الذهب ملك المغرب يوم 9 رمضان عام 1398 / 13 غشت 1979 حيث عاد الخليج ضمن إقليم وادي الذهب.

بقي أن نقول إن اختيار اسم باديا Badia لهذه المدينة الوهمية يرجع سببه إلى كون الملازم بونيلي أراد أن يخلد اسم المغامر الإسباني Dominigo Badia Leblich المعروف بباديبا العباسي (انظر ترجمته في *المعلمة*).

A. Domenech Lafuente, *Algo sobre el Rio de Oro*, Madrid, 1946 ; E. Bonelli, *El Sahara*, Madrid, 1887 ; T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña-Ifni-Sahara*, Madrid, 1941 ; E. Bonelli, *Nuevos territorios españoles en la costa del Sahara*. Bol. Soc. Geografica, Madrid XVIII, 1885, 333 - 354 ; Bens, *Mis memorias,22 años en el desierto*.

**پويرْطُوكاپات** ← **الجَبْهة** (مدينة.)

**پويرْطو كانْسادو**، Puerto Cansado أي "الميناء المتعب" اسم أطلقه الإسبان على خليج الكراعن المعروف كذلك بخليج اخْنيفس الذي يقع على بعد خمسين كيلومتراً جنوب مصب وادِ أم فاطمة، وبه تصب مياه نهر امكيريم، ويبلغ عرض الخليج 900 متر، وبه أنشأ الانجليزي جورج گلاس Jorge Glass سنة 1764 المركز التجاري الذي سماه هيلسبوروغ Hilsboroug.

T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña-Ifni-Sahara*, Madrid, 1941, p. 46 ; A. Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid, 1946, p. 61 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-Saharico*, Madrid, 1955, p. 96 y 148.

**پويرْطو مدينة گاطيي** ← **الكَويرة** (مدينة.)

**پويرْطو نُويبُو**، Puerto Nuebo أي "الميناء الجديد" وقد أطلقه الإسبان على مرسى إمُوراغْن الواقعة شمال الرأس الأبيض بالصحراء، وتعرف عندهم كذلك بمرسى كوريي Corey.

A. Domenech Lafuente, *Algo Sobre el Rio de Oro*, Madrid, 1946, p. 84 ; A. Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid, 1946, p. 65.

محمد ابن عزوز حكيم

**بُويِزْكارْن**، مدينة صغيرة تقع بالقدم الجنوبي للأطلس الصغير الغربي عند اتصال هضبة الأخصاص بحوض گلميم، في أحد المنخفضات الهامشية التي تفصل الأطلس الصغير عن أعراف باني الملتوي، وسط معدر مشكل من حادورات تراكم صغيرة تخترقها أودية موسمية تصب في واد بويزگان أحد روافد واد نون - أساكا، عند مخرج عين ترتبط بالجريان الكارستي لهضبة الأخصاص الكربوناتية وتعتبر الأصل في رستاق بويزكارن السقوي التقليدي؛ وعند ملتقى طريقين هامين، الطريق الرئيسية الرابطة بين تيزنيت وگلميم في اتجاه الأقاليم الصحراوية والطريق المتجهة شرقا نحو واحات درا.

ويعتبر هذا المركز بوابة إقليم گليمم وثاني مركز حضري به، وقد رقي إلى رتبة مدينة منذ سنة 1971 واضطلع بوظيفة مركز إداري لجماعة ودائرة في نفس الوقت، ضمت 38.592 نسمة سنة 1982.

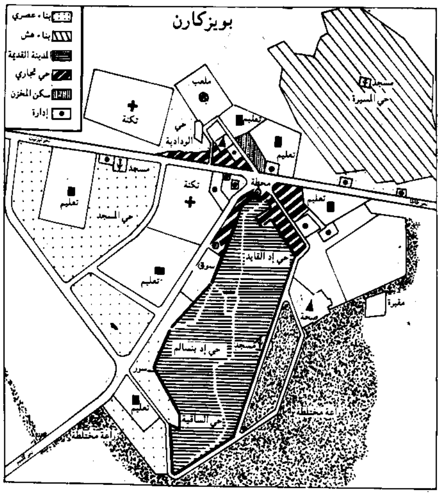


وإذا كان الأصل في هذا المركز هو التجمع البشري الصغير المكون من دواوير الساقية وإدبنسالم وإدالقايد الذي أحيط بسور من طرف القائد المدني أحد قواد قبيلة الأخصاص خلال نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي، فإن توسعه قد ارتبط خلال فترة الحماية بإنشاء ثكنة عسكرية، وخلال فترة الاستقلال بتعزيز وظيفته العسكرية بإقامة ثكنتين إضافيتين أملاهما تزايد أهمية موقعه الاستراتيجي بعد سنة 1975، ثم بظهور ثلاثة أحياء جديدة خارج الحيز المسور، المسيرة والودادية والمسجد، اقترنت نشأتها، من جهة بإرادة السلطة في تجميع السكان الرحل المنتشرين بالإقليم، نظراً للظروف المستجدة بالأقاليم الجنوبية بعد سنة 1975، ومن جهة أخرى، بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية العامة التي شهدتها المنطقة منذ استرجاع إفني من يد الإسبان سنة 1969، والأهمية التي اكتساها موقعه الطريقي بعد استعادة الساقية الحمراء ووادي الذهب والتي كانت وراء استقطابه لأنشطة تجارية وحرفية وخدماتية خاصة واكبت ظهور منشآت إدارية واجتماعية ثقافية ساهمت كلها في تدعيم شخصيته وتجذره في محيطه.

وقد تزايد سكانه بين سنتي 1971 و1982 بوتيرة متوسطة حيث مر عددهم من 2.342 إلى 4.746 نسمة، أي بمعدل سنوي يقدر بـ 5.06٪. وقد لعب التوافد دوراً ملحوظا في تعمير هذا المركز، حيث نجد أن 5.66٪ من مجموع أرباب الأسر

قدموا إليه بعد سنة 1975، وإن كانت حصة المولودين به اليوم تصل إلى 50،5٪ من مجموع سكانه. على أن معظم الوافدين قد نزحوا من الأقاليم المجاورة، وعلى الخصوص في دائرته، بالإضافة إلى دوائر الأخصاص وكلميم وأسا، إلى جانب العناصر الحضرية القادمة من مختلف المدن المغربية وخاصة الأطلنتية منها (الصويرة، أگادير، الدارالبيضاء...).

وهكذا نلاحظ أن سنة 1975 كانت حاسمة في تطور هذا المركز. فازدياد أهمية موقعه، ابتداء من هذا التاريخ، لم يكن لها الأثر الواضح فقط على تدعيم وظائفه بل أيضا على بنياته الديموغرافية والاقتصادية والمجالية. إن تركيب سكانه يكشف عن المميزات التالية :

- وجود تفاوت واضح بين نسبتي الذكور والإناث (بالتوالي 53،46٪ و46،53٪).
- هرم سكاني فتي، ذو قاعدة عريضة حيث تستحوذ فئة (0 - 14 سنة) على 45٪ من مجموع السكان. ويفوق فيه عدد الذكور عدد الاناث لدى فئة (30 - 39 سنة).
- سيادة الأسر ذات الحجم الكبير (أزيد من ستة أفراد) والتي تمثل 60،48٪ من مجموع الأسر.
- تفشي الأمية (40،50٪ من مجموع البالغين عشر سنوات فأكثر) وخاصة لدى الاناث (62،71٪) وضعف المستوى التعليمي حيث إن 40،48٪ ممن يعرف القراءة والكتابة لا يتوفر على أي شهادة مدرسية أو مهنية.
- ضعف نسبة النشاط الاجمالية التي لا تتجاوز 26،51٪، تمثل فيها نسبة البطالة 5،71٪.

وإلى جانب هذا، يظهر توزيع سكانه حسب المهن الرئيسية الملاحظات التالية :

- يشغل القطاع الأول 12،86٪ من النشيطين، ورغم أهمية هذه النسبة فلا بد من الإشارة إلى التراجع الهام الذي سجله القطاع الفلاحي بهذا المركز والذي يعزى إلى تقلص صبيب مياه العين التي لم تعد تكفي حاليا إلا لتزويد المركز بحاجياته من الماء الشروب. وقد انعكس هذا بوضوح في المشهد الزراعي حيث تقلصت مساحة المشهد الواحي. إلا أن هذا لم يحل دون استمرار الزراعة البورية بأراضي المعدر والاستغلال الرعوي بالجبال المحيطة.
- أما القطاع الثالث، فيعتبر قطاعاً متضخما يركز 68،79٪ من مجموع النشيطين. ويرتبط تضخمه هذا بسيادة ثلاثة فروع من الأنشطة : التعليم والادارة (12،91٪)، والأنشطة التجارية والخدماتية الخاصة (20،61٪)، وأخيرا الجندية (32،6٪) من مجموع النشيطين، هذا دون حساب القاطنين بالثكنات العسكرية الذين لا يدخلون في هذا الإحصاء.

وإذا كانت سيادة هذا النشاط الأخير ترتبط بوظيفة المركز العسكرية التقليدية التي أملاها موقعه الاستراتيجي منذ وقت مبكر والتي تعززت أكثر بعد سنة 1975، فإن أهمية أنشطته الإدارية والتعليمية تعود إلى رتبته الإدارية باعتباره مقر مركز جماعة ودائرة في نفس الوقت وبالتالي بالدور المنوط به كقطب محلي للتنمية. كما ترجع مكانة أنشطته التجارية والخدماتية الخاصة إلى موقعه الطريقي الذي يجعل منه ممراً إجبارياً لكل من يتجه صوب واحات درا والأقاليم الصحراوية، وإلى دوره باعتباره أهم قطب تجاري بالنسبة لجزء هام من قبائل تكنة وأيت باعمران والأخصاص، كما يعكس ذلك تجهيزه التجاري والخدماتي الذي يتوزع كالتالي :

- التغدية 38،6٪.
- اللباس والتجهيز 26،3٪.
- المواد الريفية 6،2٪.
- الخدمات المطعمية والفندقية 8،9٪.
- خدمات النقل 8٪.
- أنشطة أخرى 11،9٪.

ومن خلال كل هذا نستنتج أن بُويزكارن تتميز بتنوع وظائفها رغم صغر حجمها. كما تنفرد أيضا بنسيج غير متجانس يتكون أساساً من نواة أصلية كثيفة الأبنية، تتخذ شكلاً مستطيلاً يمتد بين رستاق المركز الزراعي شرقا والطريق المؤدية لگلميم غرباً حيث توجد إحدى الثكنات وبعض المؤسسات التعليمية، ومن الأحياء الجديدة التي ظهرت بعد سنة 1975، المسجد والودادية والمسيرة. يمتد الحي الأول على يمين مدخل المدينة من جهة تيزنيت، وهو عبارة عن حي سكني يتكون من أبنية من نمط السكن المغربي الحديث تندرج في إطار ذاتي رأسمالي.

وينطبق هذا أيضا على الحي الثاني الودادية الواقع على الطرف الآخر من الطريق والمتضمن لثكنة عسكرية وملعب رياضي ومؤسسات تعليمية. أما حي المسيرة فيوجد شمال شرق المدينة، يقطن به السكان الرحل الذين تم تجميعهم هنا بعد سنة 1975. ويتكون من دور متباعدة فيما بينها تغلب عليها الأبنية من النوع الهش. ويتوسط المركز مجال تجاري متميز يوجد عند تقاطع طريق طاطا. تيزنيت وطريق گلميم، على طرفي حي إدالقايد وحي الودادية، ويتكون من مساكن من نوع المدينة الحديثة حيث يخصص الطابق الأرضي للأنشطة المهنية.

إلا أن بويزكارن رغم كل هذه الملامح ذات الطابع الحضري فهي مازالت بحكم موقعها وحداثة نشأتها وأصول سكانها تتصف ببعض سمات البداوة الطاغية على محيطها كما يظهر من بعض تجهيزات المساكن بها، حيث نجد 61،47٪ من الدور غير مرتبطة بالشبكة العمومية للماء الصالح للشرب، وتعتمد في سد حاجياتها على ماء البئر أو العين. و36،55٪ من المساكن غير مرتبطة بالشبكة العمومية للكهرباء، بالإضافة إلى أن 27،19٪ من المنازل بها حظيرة للماشية.

وهكذا نستخلص أن بُويْزكارن تعتبر نموذجا للتمدين بالمنطقة الصحراوية الواقعة جنوب الأطلس الصغير الذي

احتدم بشكل ملحوظ، نتيجة الأهمية الاستراتيجية التي اكتستها المنطقة الجنوبية بعد سنة 1975 والتي أصبحت معها هذه المدينة الصغيرة، على غرار باقي المراكز الصحراوية، نقطة ارتكاز إدارية وعسكرية وقطبا محليا للتنمية.

*تحريات شخصية* ؛ *أبحاث ميدانية* قام بها طلبة الإجازة بكلية الآداب بأگادير.

عثمان هناكا

** و من الناحية التاريخية لم تكن بويزكارن خلال القرن الثاني عشر (18 م) إلا قرية كباقي قرى قبيلة الأخصاص، إلا أنها ما لبثت أن لعبت دوراً هاماً بعد تولية القائد المدني الأخصاصي أمور القبيلة حيث جعل من قريته مركزاً إدارياً لكل القبائل التي يتحكم فيها. ففيها يعقد "النقض والإبرام" كما يقال عوض كردوس التي كانت تؤوي مُرَبّيه ربه من آل الشيخ ماء العينين، هذا ما دفع بالقائد المدني بأن يحيط بويزكارن التي اتسعت في عهده بسور ذي أبراج وأبواب عديدة. وبعد سقوط هذه المدينة في يد الحماية سنة 1933 سار الفرنسيون على نفس المنوال حيث أرسوا بصفة نهائية الصبغة الإدارية والعسكرية للمدينة نظراً لموقعها الجغرافي الاستراتيجي. ولنفس الاعتبار أيضا جعل منها جيش التحرير للجنوب قاعدته الخلفية ومركزاً لقيادته خلال المعارك التي خاضها ضد الاستعمارين الفرنسي والاسباني بالصحراء المغربية وموريطانيا وأيت باعمران.

يمكن القول إن بويزكارن بقيت حقبة طويلة من الزمان بدون أن تشهد تطوراً كبيراً إلى أن دخل المغرب مرحلة جديدة من تحرير صحرائه سنة 1975. فمنذ ذلك الوقت إلى الآن ونظراً للدور الاقتصادي والديمغرافي الذي أصبحت تلعبه الصحراء، شهدت بويزكارن نمواً اقتصاديا وعمرانيا لم تعرف له مثيلا من قبل وأصبحت تحتل اليوم مكانة شبيهة بالتي تحتلها بعض المدن الصغيرة بل المتوسطة كصفرو على سبيل المثال.

*بحث ميداني.*

**البويزكارني، عبدالرحمان** بن الحاج محمد بن أحمد ابن محمد. يقال إن هذا الأخير أول وارد إلى قبيلة الأخصاص وإن عائلته شريفة مشيشية، غير أن المختار السوسي حاول تحقيق هذا النسب ولم يتمكن من ذلك.

ولد حوالي سنة 1303 / 1885 ببويزكارن التي كانت آنذاك من أهم قرى قبيلة الأخصاص، وتلقى تعليمه الأولي من أبيه الذي كان فقيها قاسياً في تربية أبنائه، الشيء الذي كان له تأثير بليغ في تربيتهم. وقد ظهر هذا التأثير في النزاعات التي قامت بين عبد الرحمان وأبيه وفي عدم الاستقرار الذي عم مسيرة حياته. فتابع تعليمه في أشهر المدارس العتيقة بسوس مثل تانكرت والمدرسة الأغشانية والأزاريفية وإلغ إلخ....

لم يكن عبد الرحمان البويزكارني معروفاً كعالم وفقيه فحسب، بل اشتهر أكثر برقته الأدبية حيث اعتبر المختار السوسي (*المعسول*، 10 : 91) أن عبدالرحمان "أصبح عند عارفيه علماً مرفرفاً من أعلام الأدب الكبرى... فيتموج إليك بالأدبيات الشعرية... ويدهشك منه أنه مجاريك في أي فن كنت أنت من متقنيه، كنت نحوياً أو لغوياً..."

توفي البويزكارني إثر حادثة سير سنة 1381 / 1961 بالرباط ودفن هناك بمقبرة علال بن عبدالله.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 10.

محمد ألحيان

**بُوِيـزَّم**، أو بيـزَّم، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سلمان الغمارية، وكان من بين أفرادها :

**بُوِيـزَّم، عبدالسلام** بن المختار الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1201/1787.

**بُوِيـزَّم، محمد**، فقيه كان حياً سنة 1175/1761.

وما زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 345 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البويضماني**، القايد عقا أُلحسن المطيري. مجاهد ضد الغزو الفرنسي لشمال غرب الأطلس المتوسط الممتد حتى نواحي مكناس، وذلك بين تاريخ ظهوره كزعيم مناهض للاستعمار عام 1329 / 1911 إلى تاريخ نفيه عام 1333 / 1914.

كان ذا نفوذ في بني مطير وتزعم ثورة قبيلته إلى جانب زعماء القبائل الأمازيغية المجاورة منذ ثورة فاس سنة 1912 عقب إبرام عقد الحماية.

ومنذ سنة 1329/1911 أصبحت مدن مكناس وفاس معرضتين للتهديد الأجنبي، وحينئذ تحركت القبائل الأمازيغية لنجدتها وكان في طليعتها قبائل بني مطير وگروان وزمور الذين شاركوا في معركة 6 ربيع الأول 1329 / 7 مارس 1911 بقيادة القايد عقا البويضماني المطيري التي مهدت لحصار فاس من قبل القبائل الثائرة ضد التدخل الأجنبي.

ولما استغاث السلطان عبدالحفيظ بطابور موانيي وحضر أمام العاصمة زاد ذلك في غضب السكان. وشارك المطيريون مع الزرهوني يوم 4 جمادى الثانية /2 يونيو في معركة رأس الما، حيث تمكنوا من قتل الدكتور أوڤير Dr Auvert، وكذلك مع أيت يوسي في معركة البهاليل قرب صفرو.

جرب عقا البويضماني أساليب مناورة مع الفرنسيين لخداعهم. وفي 27 جمادى الثانية /25 يونيو بعث بنو مطير بجماعاتهم أمام طوابير الفرنسيين وقبلوا جميع شروط أمانهم. وفي 26 حاول الفرنسيون ألا يضيِّعوا فرصة مماثلة وأن يستخرجوا منها فوراً جميع المنافع، فاتجهت طوابير گورو وبرولار نحو الحاجب مع مندوبي بني مطير واحتلوا يوم 28 القصبة التي أطلق عليها الغزاة اسم حصن ديفرير

Desfrères والتي تقرر مواصلة احتلالها نكاية في جميع هجمات أمازيغيي الجبل.

كان بنو مطير فخورين منذ البداية لتوفرهم على زعيم حرب شجاع هو عقا البويضماني الذي سعى ليزيد من عدد المجاهدين على الرغم من نشاط منافسه السياسي القايد الجيلالي. ولم يستطع استعراضُ القوة من قبل طابور صفرو في شوال / شتنبر، ولا تأسيسُ معسكر أگوراي تعطيلَ نشاط الجهاد الذي حرض عليه زعيم بني مطير والذي تطلب من الفرنسيين في صفر 1330/يناير 1912 تشكيل طابور جديد بقيادة الجنيرال دالبيي قام بغارات حتى أنوصر وقصبة سيدي رحو.

وقد تسببت الأحداث الجديدة بفاس في جمادى الثانية/ماي المتمثلة في رفض الحماية وزادت في تفاقم الوضعية. وفي 15 جمادى الأولى/3 ماي كان بنو مطير المجاهدون قد استأنفوا بعين معروف صراعهم المفتوح ضد الفرنسيين والتحقت ثلاثمائة خيمة بالثورة بعد أن كانت في حُكم المنضمِّين. وكانت الحركة الكبيرة التي هاجمت الحاجب للمرة الأولى ليلة 9 و10 جمادى الثانية/26 و27 ماي قد أكدت على اعتبار بني مطير محاربين وسط الزيانيين وبني مگيلد التابعين ليوسف بن برِّي. وتطابق هذا الهجوم مع الانقضاض على فاس من طرف القبائل. وجاءت تعزيزات عسكرية فرنسية متلاحقة في اتجاه العاصمة إثر الأحداث التي كانت مسرحاً لها، لكنها لم تتمكن إلاّ بشكل متأخر جداً من تعطيل حركة الثورة التي قادها بنو مطير بزعامة عقا البويضماني والذين كان عددهم يتزايد في كل يوم.

وعلى الرغم من احتفاظ الجنيرال دالبيي خلال شعبان/يوليوز بجيش متنقل منظم بالحاجب فان هذا الإجراء لم يوقف حركة الثورة. وكان بنو مطير في عز فترة الانتجاع قد تنفسوا فوق هضابهم نسيم الحرية وانتشوا من جديد برائحة البارود. وعلى الرغم من استكمال حصادهم لنضوجه في السهل فإنه لم يكن مشكلاً بالنسبة لهم أن يقدموا خضوعهم المؤقت على سبيل المناورة. وعلى الرغم من التزام بعض القواد بالهدنة مع الفرنسيين وهم الجيلالي أوعلاً وإدريس أورحو في رمضان وشوال وذي القعدة 1330/غشت وشتنبر وأكتوبر 1912 فإن عدد الثائرين تزايد يوماً عن يوم خصوصاً من جانب بني مطير الشرقيين الذين دفعوا بغزواتهم حتى واد النجا يومي 16 و17 ذي القعدة/27 و28 أكتوبر على خط المراحل وعرضوا أمنه للخطر.

ظل بعض بني مطير المجاهدين المثل الأعلى لبني مگيلد لأنهم أحبطوا جهود الغزاة الفرنسيين. وبدأوا بدورهم في ذي القعدة /نونبر في اتخاذ موقف هجومي واضح ضد الفرنسيين. ومنذئذ شاركوا في جميع الغارات التي باشرها بنو مطير ضد الدواوير الخاضعة. تكاثرت الهجمات من هذا النوع وكانت في 29 ذي القعدة/ 10 نونبر ضد گروان وأيت يازم. وفي 30 /11 ضد بني مطير أيت علاً بضاية كشتان. وفي ليلة 26 و27 ذي الحجة /25 و26 نونبر بقصبة بوفكران التي نهبت، وفي 26 ضد أگوراي. وقد قطع الخط التيليغرافي مراراً وتكراراً في السهل. وكان الروگي وسيدي رحو وعلي أمهاوش وموحى البّا زعيم حرب بني مگيلد وموحى أ ُحمو الزياني وعقا البويضماني بمثابة زعماء ملهمين لهذه المقاومة النشيطة. وكانت جرأة المجاهدين قد تزايدت في نفس الوقت الذي عجز فيه الفرنسيون عن الانتقام.

وبعد تدويخ مجاهدي بني مطير لجيش الغزو خلال أول اتصال، بتعاون مع باقي مجاهدي الأمازيغيين المجاورين، وإلحاقهم به الهزائم تلو الأخرى، جرّب الفرنسيون نوعاً آخر من الاتصال تمثل في المحادثات الشخصية التي كانت في الحقيقة امتداداً للحرب وأسلوباً للتخفيف من حدة ضغط المجاهدين. وشُرع فيها في قلب البلاد المستنهضة من قبل الملازم پيزاني S. L. Pisani مع زعيم حرب بني مطير عقا البويضماني من 16 إلى 129 صفر 1331 /25. 28 يناير 1913 وقد بقيت بدون نتائج لأن الفرنسيين تعنتوا ورفضوا سحب جنودهم، وفي نفس الوقت كان نفوذ الروگي وسيدي رحو في تزايد وذلك من باب الاحتياط.

لم تكن نوايا الفرنسيين سَلْمية ولا سليمة، فزادوا في ضغطهم على عقا البويضماني الذي قبل شروط الأمان وحضر عند إيطو واستسلم في منتصف دجنبر سنة 1914، وقررالفرنسيون نفيه بإرساله للإقامة الإجبارية بالرباط.

وتسبب استسلام عقا البويضماني في تهدئة شبه كلية لبلاد بني مطير، غير أن خلفاءه من زعماء القبائل المجاهدة الأخرى واصلوا المعركة.

*Rapport Mensuel du Protectorat*, Janvier 1914, p. 2 - 3 ; *R.G.M.* N° 2, 1ère année, Oct., Nov., 1923, p. 88 - 93.

الملكي المالكي

**بويعقوب**، (سيدي ــ) مؤذن صومعة مدينة داي المندثرة بالقرب من مدينة بني ملال اليوم. هكذا اشتهر اسمه على الألسنة "سيدي بو يعقوب" وهو في كتب التراجم أبو يعقوب يوسف بن علي المؤذن. قال عنه بلديُه يوسف بن الزيات التادلي : "كان عبداً صالحاً ورعاً كثير البكاء والاجتهاد، صلى حتى تفطرت قدماه... وسمعت أبي رحمه الله يقول : كان أبو يعقوب رجلا طويلا جهير الصوت يُسمع صوته على بُعد فإذا كان في السحر ينشد فوق الصومعة :

| | |
|---|---|
| ياطويلَ الرُّقاد والغفــلات | كثرةُ النوم تورثُ الحسرات |
| إنّ في القبر إن دُفعتَ إليه | لَرقاداً يطـولُ بعد المـمـات |
| ومِهاداً مُمهَّداً لك فيـــه | بذنوب عملتَ أو حسنــات |

ثم يبكي فلا يسمع أحد صوته إلاّ بكى لبكائه... وأُكره على ولاية الحسبة ببلد داي فدخل على أهله وهو يبكي ويقول : لو أراد الله بي خيراً ما عرفني أحد، فامتنع عن أكل اللحم من السوق إلى أن أُعفي من تلك الولاية.

توفي في رمضان عام 557 /غشت ـ شتنبر 1162، وضريحه اليوم مهمل بين البساتين على يسار الذاهب من

بني ملال إلى عين أسردون قبل الوصول إليها بكيلومترين، تنبع من ضريحه عين تحمل اسمه وتجري بجانبه ساقية عين أسردون.

عينُ سيدي بويعقوب صغيرة لكنها جارية صافية "أُقيم عليها حمامان عبارة عن حائط دائري في كل منهما بدون سقف يعتبران كمسبحين قليلي العمق ... وقد بدأت أهميتها في الآونة الأخيرة أيام فصل الشتاء عندما يتعكر ماء عين أسردون، وأجريت عليها مؤخراً دراسات أثبتت أن بمقدورها أن تضاعف من كمية تدفق مائها" (م. عربوش، 1 : 56).

ي. التادلي، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، 167 ؛ أبو النعيم، *حلية الأولياء*، 7 : 219 ؛ م. عربوش، *من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال*، 1 : 56 و2 : 18 . 21.

محمد حجي

**البويفروري، حميدة** بن شلال. من مواليد مدشر إعلاَّطن، وأحد أعيان فرقة گزولة وقائد الحسن الأول على خمس بني بويفرور فيما بين سنوات 1299 / 1881 و1306 / 1888 على أقل تقدير. وإذا كنا غير قادرين على ضبط تاريخ التولية بدقة، وحصر الكيفية التي تم بها تعيينه، فإننا نرى أن وصوله إلى الحكم لم يكن بعيداً عن الأحداث التي اجتازتها قبيلة بني بويفرور، حسبما عبرت عنه مراسلة متم صفر عام 1298 / 31 يناير 1881. ففي تلك الأثناء كانت القبيلة تابعة لقيادة المختار ألغم الجواوي الگعداوي، وهي في حالة تمرد على قائدها، مما تطلب لإسكات تلك الفتنة الاستعانة بقواد قلعية جميعهم، بناء على أوامر سلطانية صارمة، والقبض على رؤساء الفتنة العشرة من فرقة گزولة، اثنان منهم من مدشر إعلاطن موطن حميدة بن شلال. (عمر بن محمد بن الهادي العلاطي، وأخوه علال). واستوجب في الأخير لرد الأمور إلى مجاريها وصول المحلة المخزنية في شوال 1299، بقيادة الطالب حميدة الشرگي واستقراره بقصبة سلوان من أراضي بني بويفرور.

ومثل هذا التمرد القائم ضد المختار ألغم لم يكن يرمي سوى إلى المطالبة بعزله والبحث عن شخص جديد من سيرأس القبيلة من أبنائها، مما ألفنا حدوثه أثناء تتبع الطريقة التي تفككت بها قيادة قبيلة قلعية على قائدها ألغم وابنه المختار. وحسب نظري فإن التمرد أسفر عن اختيار خمس بني بويفرور، وعلى رأسه فرقة گزولة، لحميدة بن شلال. فهذا هو ما يفسر لنا وجوده في منصبه يوم 26 جمادى الثانية عام 1300 / 4 ماي 1883، حينما تم استدعاء جميع قواد قلعية للاتصال برئيس المحلة المخزنية حميدة الشرگي للنظر في الطارئ من مشاكل الحدود مع مليلة المحتلة، بمساعدة أمين نفس الخمس الحاج محمد المحرّق آتي الترجمة.

تمتد أراضي خمس بني بويفرور بين الگعدة ومزوجة، خمسي قبيلة قلعية الآخرين. وتشمل المساحة الجبلية الشاملة للسفح الجنوبي من كتلة جبل أگرگور (جبل تازوطا) إلى آخر منحدراته المتصلة بمنخفض وادي أزغنغان. وتستمر أراضيه نحو الجنوب لاحتضان كتلة جبل وكسان إلى مجرى واد سلوان. (انظر التفاصيل في : *قلعية*، 1 : 120 وما بعدها). وحسب المستخرج من الوثائق المعاصرة لحميدة بن شلال، ومقارنة ما جاء فيها عن تقسيمات بني بويفرور بالوارد في *تقييد نسب قبيلة قلعية* لمجهول (سجل عام 939 / 1533)، فإن الخمس كان مؤلفاً من ثلاث فرق :

1 ـ بني بومْحَمّد، وهم الجماعات المستقرة بحوض أزغنغان حول واد "إحَرْكاشن" الأدنى، الذي تشرف عليه گعدة إثْلاثَن. ويدعون أيضا بأهل أزغنغان، حيث نجد من المداشر إجُهْرتَن وإكَسْروَن وإمَشْروُيَن وإبُويَن، من شرفاء أولاد داود التازوطيين. ويدخل ضمن أراضي الفرقة جميع الشعاب الجبلية الممتدة في اتجاه قمة تازوطا، من أراضي تْغاغَتْ وتَغَنميِنْ.

2 ـ أهل جَبَل وكْسان (ويسان أيضا = جبل الفرسان) الكتلة الجبلية المعدنية المعروفة بقلعية. ومن المداشر الداخلة في هذه الفرقة مدشر "العمال"، إشارة إلى القرية العمالية المشتغلة في استخراج فلزات الحديد منذ القديم. ثم مدشر إبُگرنَن فأولاد حمُّ المطالسي والعساري وإحْبُشاتن (بني يحبش) وأغْمير.

3 ـ فرقة گزّولة أهم الفرق الثلاث لاستقرار أهلها في حوض واد خميس گزولة من أعلاه إلى أوسطه. تألفت بعض مداشرها من أسر عربية هلالية الأصل مثل إخرباشن، أحمر، الهداج، الجرامنة، ومن المهاجرين من بني توزين مثل أولاد يحيى العلاطي، ويدعى المدشر بإعلاطن وهو واقع جنوب قرية أفْرا. وإلى مدشر إعلاطن ينتمي صاحب الترجمة كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ونضيف من المداشر أولاد زكري وإسْلْطانَن وإبَرْكانَن وإبَروديَن ( *قلعية*، 120).

تلك هي الفرق الثلاث وتجمعاتها الصغرى المسندة إلى القائد حميدة بن شلال البويفروري، في تاريخ قدرناه بسنة 1299 / 1881. برز البويفروري إلى غاية عزله خلال الأشهر الأخيرة من عام 1306 / 1888 أقوى شخصية ببني بويفرور إلى جانب باقي عمال قلعية الآخرين، أمثال محمد بن الهادي الشكري (بني شكر)، محمد بن العربي البوگافري سابق الترجمة (بني بوگافر) والمختار ألغم (جواوة وبني وكيل) والخضر بن محمد القائد الگعداوي (الگعدة) ولحسن المزوجي ومحمد بن قدور المزوجي (مزوجة).

كان من الضروري اشتراك حميدة بن شلال في مسألة الحدود مع مليلة، مثله مثل باقي قواد قعلية وأمنائها وأعيانها، والنظر في العواقب المترتبة عنها، سواء كان ذلك بدافع التضامن مع أهل قلعية أو تلبية للأوامر المخزنية الواردة عليه. ويهمنا هذا الصنف الأخير، إذ أن قائد بني بويفرور استدعي إلى قصبة جنادة فرخانة في مناسبتين هامتين :

1 ـ استدعي في 8 شوال 1299 / 1881 للاتصال بالطالب حميدة الشرگي، لحضور الاجتماع الذي ضم جميع قواد قلعية وأمنائها للنظر في حل مشاكل الحدود المتمثلة في التعرض للسفن القاصدة مليلة وضربها بالبارود ؛ ضعف القواد وعجزهم للحيلولة دون تلك الحوادث ؛ عدم ضبط عسة حد فرخانة بما يجب من الحزم والصرامة ؛ إحجام القلعيين عن إدخال الأقوات إلى مليلة طبقاً لما سبق الاتفاق عليه من الشروط. ومعلوم أن الحسن الأول كان حريصاً على تطبيق ما جاء في اتفاق عام 1276 / 1859 المبرم مع السلطان محمد بن عبد الرحمن.

2 ـ وحينما عاد مشكل الحدود إلى الضغط على مخزن الحسن الأول في رجب 1300 / 1882، بسبب الأحداث التي خلقها رجال مزوجة وبني شكر خاصة، نجد حميدة بن شلال من المبادرين إلى الإخبار بما يفهم من الجواب السلطاني : "وصل كتابك بقتل مزوجة وفرخانة نصرانيا قرب الحدادة، وكتب حاكم مليلة لخديمنا الطالب حميدة الشرگي (قائد إدالة قلعية) في ذلك، وإجابته له بما سكن روعته واشتغال المذكورين بالقطع ونهب زروع أهل مليلة وبحايرهم.. 27 رجب 1300". وبعد ذلك تم استدعاؤه إلى جنادة فرخانة للوقوف على ضبط العسة ومساعدة كل من قائدي مزوجة وبني شكر اللذين يعنيهما الأمر قبل غيرهما ويتحملان المسؤولية المباشرة في تلك الحوادث.

وإذا كان حميدة بن شلال على وفاق مع قواد قلعية، فإنه لم يكن كذلك مع المختار ألغم قائد فرقة جواوة وبني وكيل. ولا ننس أنه انتزع منه بني بويفرور في غضون سنة 1299. وفوق ذلك فإن حد قيادته إن لم يحاذ جواوة الگعداوية فإنه يجاور من جهة الجنوب بني وكيل العسارى المستقرين آنذاك وإلى اليوم بالسهب الفاصل بين "عْرَوَات" (جبل العَرْوي حالياً) وسلوان، على الضفة اليسرى من واد "تْياوْت"، الذي هو واد سلوان. وكان بنو وكيل يقصدون سوق خميس گزولة بني بويفرور، وعليهم أن يخترقوا طريقاً ماراً بأراضيهم إذا أرادوا الوصول إلى سوق جمعة أهل الناظور أو الاتجاه إلى فرخانة.

ظهر الخلاف مع المختار ألغم حينما طلب عمال قلعية من الحسن الأول إبعاده عن القيادة، بحجة استمراره في إقلاق راحة العمال وخاصة القائد الخضر بن محمد حاكم فرق خمس الگعدة المنتزعة منه على يد قائدها الأول الحاج حم بن محمد بن الحسين الفكلاني، وبقي النزاع معلقا على مداشر إلَحْيانَن (اللحاينة) وإدراجَنْ وأولاد غانم. فإلى عمال قلعية انضم حميدة بن شلال، وكان أول الموقعين للرسالة التي رُد الجواب عليها في 25 رجب 1300.

وسارت به الأمور إلى أبعد من هذا حينما لم ينصف المختار ألغم فيما نهبه بنو بويفرور لبني وكيل وأولاد زيد من الأمتعة ورؤوس الأغنام بعد أن طلب منه ذلك عدة مرات، مما اضطر ألغم إلى تقديم شكواه للسلطان. وهذا ما ما تحمله الرسالة السلطانية إلى حميدة بن شلال بتاريخ 26 رمضان 1300.

ومن المشاكل التي ظلت معلقة طيلة فترة قيادة حميدة ابن شلال مطالبة الحسن الأول إياه بتسديد ما كان بذمته من دين المخزن المترتب عن متابعة جمع وبيع أملاك أمين قلعية السابق لعام 1299، محمد بن حم الفكلاني، المشار إليه في ترجمة البوگافري محمد بن العربي، وما صاحب تلك المطالبة من الخلاف مع أمين بني بويفرور الحاج محمد المحرق والمواجهة في الأخير مع كبراء القبيلة نفسها.

تعرفنا على مشكل حميدة بن شلال الناتج عن دين محمد بن حم أول مرة بتاريخ 7 رمضان 1300. حينما ادعى على الأمين محمد المحرق تسلمه منه مقدار 1.200 ريال من تسديدات الدين، بقصد دفعها لأمين ديوانة مليلة، آنذاك الطالب محمد بن أحمد العسري. وبعد أن تبين لقائد بني بويفرور أن المبلغ لم يصل إلى مكانه طالب به محمد المحرق. وهذا أنكر توصله بالمقدار المذكور. والنتيجة انشطار الخلاف إلى قسمين : خلاف ابن شلال مع المخزن من جهة ونزاعه مع الأمين من جهة ثانية.

اشترى حميدة بن شلال، على ما يظهر، جميع أملاك محمد بن حم الفكلاني من المخزن، بناء على الأمر السلطاني الصادر في 5 شوال 1299 / 20 غشت 1882 إلى قائد إدالة قلعية حميدة الشرگي. تتألف من أرض سقوية بجوار وادي سلوان وأرض بورية، وهي أفضل ما في تلك الجهة من الأملاك، بلغت قيمتها حسب تقويم أمناء قلعية آنذاك 2.500 ريال. ويظهر أن قائد بني بويفرور سدد جزءاً من ذلك الدين، فلم يبق عليه حسب رسالة 21 شوال 1300 سوى 1.672 ريالاً. تجددت مطالبة السلطان بها إياه إثر تكليف أمناء قلعية بحيازتها منه. وارتفع هذا العدد إلى 1.900 ريال لدواع غير معروفة لدينا (8 رمضان 1301).

وقد عرف حميدة بن شلال طريقة التملص من الأداء ورد مطالبة المخزن بشتى الطرق بادعاء دفع نصيب من الدين، تارة إلى الأمين محمد المحرق (1.200 ريال)، وتارة أخرى إلى قائد إدالة قلعية حميدة الشرگي (21 شوال 1300) بعد أن تم نقل هذا الأخير إلى قصبة عيون سيدي ملوك (العيون الحالية بالمغرب الشرقي)، ليحل مكانه مبارك بن علي الدوبلالي في فاتح محرم 1301. ثم ادعى بعد ذلك أنه سيدفع ما عليه من الدين بفاس قبل رمضان عام 1301 مما حمل محمد بن حم الخارج من السجن آنذاك على قيادة الغارات على ابن شلال، ولم ينفع هذا الأخير اتهام خصمه بالتعامل مع إسبان مليلة والتفاهم معهم لبيع قلعة غساسة قصد إعادته إلى السجن وإبعاده عنه.

وفي الوقت الذي توصل فيه ابن شلال بعزله في أواخر عام 1306، كان دين محمد بن حم لا يزال معلقاً، وحميدة بن شلال رافض لدفعه بحجة من الحجج، وسيرث ابنه محمد نفس المشكل كما سيتضح في ترجمته الآتية.

والظاهر أن من أسباب خلاف حميدة بن شلال مع قبيلته

بني بويفرور مشكل دين الأمين محمد بن حم. فأملاك هذا الأخير التي كان من المقرر بيعها بالمزاد العلني للقبيلة تحايل ابن شلال للاحتفاظ بها لنفسه، مما لا يتعارض مع نظر المخزن، إلا أنه طلب مساعدة الأعيان على شرائها لتسديد ثمنها البالغ نحو 2.500 ريال. ومن أجل ذلك استلف من الأعيان 400 ريال باستثناء مدشر إعلاطن الذي امتنع عن دفع 100 ريال إلا بعد حيازة الأرض (17 رمضان 1300). وقد ظل أرباب الدين يطالبونه بالتسديد مما كان له الأثر على انحيازهم إلى صف الأمين المحرق.

لكن انفجار التوتر بين حميدة بن شلال وبني بويفرور يعود إلى اتهامهم إياه برفضه الجلوس للمحاسبة معهم فيما قبضه من مال المخزن. ونفهم من هذا أن ما قبضه من الواجبات والزكاة والأعشار أكثر مما تبين لهم تسليمه للأمناء، مما دفعهم إلى الاحتجاج والمطالبة بالإنصاف، سواء من السلطان أو من قائد إدالة قلعية والأمناء، وقاد بني بويفرور إلى إعلان الحرب على قائدها أول مرة حسبما تشير إليه رسالة 19 ربيع الأول 1302 / 6 يناير 1885. وقد تجدد الاقتتال بين الطرفين في ربيع الثاني بناء على ما أدلى به مبارك بن علي الدويلالي الذي أخبر بسريان الفوضى إلى جهات أخرى من قلعية، مما أدى إلى الهجوم على قصبة سلوان وهدم بعض دورها. وقد اتهم بن شلال الأمين محمد المحرق بتلك الاضطرابات والوقوف وراءها (28 ربيع الثاني 1303).

وأغلب الاعتقاد أن الأمور لم تستقم لحميدة بن شلال منذ ذلك الوقت. ويصعب تأكيد ذلك أو نفيه بصفة قطعية لاختفاء اسمه من المراسلات المخزنية التي عثرنا عليها، ما بين 1303 و1306. وآخر علمنا باستمراره على رأس القبيلة يعود إلى 15 رمضان عام 1306 / 15 ماي 1889، حينما علمنا بتوصله، كباقي العمال، بالدعوة إلى المشاركة في حركة الحسن الأول إلى الغرب. تلك الحركة التي كلف بها قائد إدالة قلعية الجديد مبارك بن الطاهر الرحماني خلفاً لمبارك بن علي الدويلالي.

ظهر حميدة بن شلال خارج نطاق فترة القيادة في الوثائق إلى غاية 1315 / 1897. وتبين تلك الوثائق متابعة المخزن إياه فيما كان بيده من أرض محمد بن حم ببني بويفرور إلى أن اضطر للتنازل عنها حسب رسالة 25 رجب 1309. وحاسبه المخزن كذلك على نتاج أرض قصبة سلوان التي كانت توزع على قبيلة قلعية بالمزاد (السهمة). وهي تغطي المساحة الواقعة بين القصبة وقبة سيدي علي الحساني مما يلي الشرق. وحينما أصبحت سهمة بني بويفرور من نصيبه خلال سنتي 1309 و1310 كان عليه أن يؤدي ستين ريالاً، لقاء ما جمعه من الزرودية (الجزر) والفول والحبوب (22 محرم ؛ 22 جمادى الأولى ؛ 8 جمادى الثانية 1310).

وفي 15 محرم 1315 كان حميدة بن شلال لا يزال على قيد الحياة، إذ قبض عليه أولا ثم تم تسريحه. وسبب الإشارة إليه ما جاء في رسالة حم بن الهادي القلعي، قائد الكعدة، وهي تكشف عن الأملاك التي استولى عليها من عقار الأمين محمد بن حم الفكلاني.

توفي حميدة بن شلال بعد عام 1315 / 1897.

*تقييد نسب قبيلة قلعية* لمجهول، مخطوط خ. ع. تاريخه 939 هـ ؛ *وثائق خ. ح.* بالرباط ؛ ح. الفكيكي، *قلعية*، 1 : 132 ـ 133.

**البويفروري، محمد بن حدّ** بن محمد أبرودي. من مدشر إبَرودَّين (أولاد البرودي) التابع لفرقة أهل جبل وكسان. كان أبوه حدّ (أحمد) مقدم مدشره الواقع بجوار أغْمير وأصبح هو قائد قسم من بني بويفرور إلى جانب حميدة بن شلال منذ ما قبل 1306 إلى غاية الأشهر الأولى من عام 1307 / 1889.

والواقع أن الوثائق فاجأتنا حين أخبرت عنه بتحمله مسؤولية قيادة ثلاث فرق، بدءاً من رسالة 26 جمادى الأولى 1306 / 28 يناير 1889، هي فرقة بني بومحمد وجماعة إبوين وأخرى لم تصرح الوثائق باسمها، ربما كانت المعنية هي جماعة إكسرون لادعائها الشرف، وامتناع أهلها عن أداء ما بذمتهم من الواجبات المخزنية، بعد أن نعتتهم الوثيقة الأولى المذكورة بإخوان محمد بن حد أبرودي. من أجل ذلك نؤكد أن الفرقة التي أخذت من حميدة بن شلال لتسند إلى القائد أبرودي هي فرقة بني بومحمد بما تتوفر عليه من الجماعات والمداشر (إمُـبْـهرتَـن، إكسْرون، إمَشْرويَن، وإبويَن) من أهل أزغنغان.

وربما عرفت فرقة بني بومحمد وملحقاتها بعض الهدوء قبل 1306، لكننا وجدناها أثناء تلك السنة في تمرد على محمد أبرودي وعلى مطالب المخزن. فقد أعلنت وثيقة 26 جمادى الأولى 1306 أنها مازالت ممتنعة عن أداء الواجبات المخزنية وتقديم المؤونة للعسكر ورافضة للمفروض عليها من الذعيرة البالغة 1.500 ريال. مما استدعى إرسال محلة برآسة القائد مسعود الراشدي ونشره الفزع والرعب بين بني بويفرور. الأمر الذي دفع بمحمد أبرودي إلى طلب الرأفة والعفو من السلطان لأهل قيادته (5 رجب 1306).

ويمكن أن نضيف إلى ذلك التوتر ما وصل من أمر التعبئة المطلوبة من الحسن الأول لقيادة حركته إلى الغرب، إذ كان على عمال قلعية الحضور إلى فاس بحصصهم من الرجال في أوائل شعبان عام 1306، بما مجموعه 1.300 محارب. ونعلم أن بني بويفرور خاصة، وقلعية بصفة عامة، لم تشارك في تلك الحركة. فقد طلب منها في البداية أداء غرامة عالية جداً ثم خفضت على سبيل الرحمة والرأفة مرتين. فإذا أخذنا مثال بني بويفرور، نجد أن زمام فاتح ربيع الثاني 1307 فرض على محمد أبرودي ما مجموعه 23.071 ريالاً، موزعاً على الواجبات (22.071 ريال) والذعائر (1.000 ريال) وتدنت الذعيرة في 13 ربيع الثاني إلى 6.000 ريال بالنسبة لأقسام قلعية الخمسة.

ولما كنا موقنين من أن قلعية لم تضخع للضغط المخزني المرافق لاستيفاء تلك الأموال فإننا لم نستغرب ما صدر في حق المختار ألغم قائد جواوة وبني وكيل ومحمد بن أحمد

الكبداني، قائد كبدانة ومحمد أبرودي من القبض عليهم ومحاسبتهم في أملاكهم (10 جمادى الأولى 1307) ونقلهم إلى سجن المصباحي بالعرائش (6 رجب 1307). وتكلف بإدارة شؤون بني بويفرور كلها قائد إدالة قلعية مبارك بن الطاهر الرحماني.

ويمكن تتبع أخبار محمد أبرودي البويفروري من خلال مراسلته التي بعثها من السجن بالاشتراك مع المحتجزين الآخرين يشتكون من قلة ما يصلهم من الأقوات. وظل بالسجن مدة طويلة إلى ما بعد 28 شعبان عام 1315 / 22 يناير 1898.

*وثائق خ. ح. بالرباط ؛ كنانيش خ. ح. بالرباط* : 162 / 28 ـ 29 ؛ 468 / 280 ؛ ح. الفكيكي، *قلعية*، 1 : 132 ـ 133.

**البويفروري، محمد** بن **حميدة** بن شلال. لا نعرف عنه أي شيء قبل 12 جمادى الأولى عام 1319 / 27 غشت 1901. وفي هذا التاريخ تبين أنه كان على رأس بني بويفرور، دائباً على حرث بلاد محمد بن حم الصائرة إلى المخزن في حياة والده، مما استوجب كتابة السلطان إليه ونهيه عن ذلك. وتذكر رسالة 2 ذي الحجة 1320 / 2 مارس 1903 بسابق توليته على القبيلة البويفرورية وأهل الكعدة الذين كانوا تحت نظر حم بن الهادي الكعداوي. وفي السنة التالية كان على استعداد لتقبل طاعة الروكي بوحمارة وقيادة حركته بقلعية. وهذا هو ما تم بالفعل باحتلاله لقصبة فرخانة في 6 محرم 1321 / 5 أبريل 1903 وقصبة سلوان في 19 منه.

وليس للباحث من سبيل لإبراز دور محمد بن شلال في حركة بوحمارة سوى الالتجاء إلى الرواية الشفوية، إذ أنه أصبح قائد قلعية بعد انسحاب الروكي إلى تازا. ويعبر عن مكانته في الحركة ما جاء في رسالة بوحمارة الجوابية الموجهة إليه بتاريخ 21 ربيع الثاني 1325 / 3 يونيه 1907.

*وثائق خ. ح. بالرباط ؛ وثائق خ. ت.*

**البويفروري، محمد المحرّق**، أمين بني بويفرور، من قبيلة قلعية على عهد الحسن الأول، عمل إلى جانب القائد حميدة بن شلال البويفروري السابق الذكر، ما بين 1299 / 1881 و7 ربيع الثاني 1307 / 1 دجنبر 1889 على أقل تقدير. أشير إليه في مراسلات أمناء قلعية إلى السلطان لأول مرة في 26 جمادى الثانية عام 1300، بمناسبة اتهام العمال بتهريب الماشية إلى الجزائر المحتلة. وقد كشف الأمناء واستغربوا اشتغاله بالتهريب ومساعدته العاملين فيه.

ولم تختلف المهام المخزنية التي شارك فيها محمد المحرق، عما ذكرناه من مهام أمناء قلعية عامة، وأمين بني بوكافر الحاج محمد العادك خاصة. هذا ما يظهر من المراسلات التي تحمل توقيعه إلى جانب الأمناء ميمون بن المختار الفرخاني المزوجي (مزوجة) ومحمد بن عبد الله الشكري (بني شكر) ومحمد العادك (بني بويفرور) وعلال بن المختار الفكلاني (الكعدة). هكذا نجده من المشاركين في فصل دعاوي حدود مليلة المحتلة بفرخانة في رجب عام 1300 / ماي ـ يونيه 1883، مما تمت الإشارة إليه في تراجم البوكافريين السابق ذكرهم، وفي ترجمة البويفروري حميدة بن شلال.

وأهم ما يميز سنوات وجود الأمين محمد المحرق على رأس أمانة بني بويفرور هو ذلك الصراع المرير الذي تعرض له على يد القائد حميدة بن شلال واستمر طوال فترة حكمهما. بدأ نزاعهما حينما ادعى عليه قائد بني بويفرور توصله بمقدار ألف ومائتي ريال مما جمع من مال ذعيرة محمد بن حم الفكلاني أمين قلعية قبل سنة 1299. وقد أشرنا إلى ما كان ببني بويفرور من أملاك هذا الأمين في ترجمة البويفروري حميدة بن شلال. وقد طلب الحسن الأول بحث المسألة من قاضي قلعية الفقيه محمد بن علال الورياشي.

سيظل هذا المشكل معلقاً بين الرجلين طيلة حياتهما دون أن يعرف الحل. ذلك أن الحل يتأتى، حسب قرار قاضي قلعية، إما بالإثبات أو أداء اليمين، ما دام الأمين ينكر توصله بذلك المقدار من خصمه من جهة، ويرفض تأدية اليمين من جهة أخرى. والنتيجة أن حميدة بن شلال لجأ إلى استعمال القوة، مما اضطر محمد المحرق للالتجاء إلى قائد بني شكر آنذاك محمد بن الهادي الشكري والبقاء تحت حمايته ما بين رمضان وذي القعدة من سنة 1300. تمكن أثناء تلك المدة من التوجه إلى فاس وتقديم شكواه والعودة برسالة مساندة لرجوعه إلى منزله في أمان (17 و18 قعدة 1300).

لم تنج عودة محمد المحرق إلى مقره ببني بويفرور تحت حماية إدالة قلعية وقائدها مبارك بن علي الدوبلالي من مطاردة حميدة بن شلال. فحسب عدد من المراسلات، أولاها رسالة المختار ألغم قائد جواوة وبني وكيل، فإن القائد البويفروري تمكن من تدبير هجوم على دار الأمين المحرق بمساعدة الخضر بن محمد قائد الكعدة المجاورة له (16 ربيع الأول 1301). ونعرف وقائع ذلك الهجوم وآثاره التي استمرت إلى غاية ربيع الثاني من رسالة التضامن التي حررها أمناء قلعية الخمسة المعروفون لدينا لصالح المحرق في 21 ربيع الأول عام 1301.

والواقع أن أمثال تلك الوقائع تكررت عدة مرات واستمر التوتر بين الخصمين طوال ما تبقى من شهور تلك السنة، وحرض المحرق على متابعة ابن شلال في دين محمد بن حم الفكلاني (11 قعدة 1301)، وعلى رد ما أخذه من كبدانة (400 ريال) وعلى ضرورة تقديم الحساب بما أخذه من القبيلة من التكاليف المخزنية وواجباتها (29 ربيع الأول 1302). أضف إلى ذلك أن الأمين البويفروري تمكن من جلب القبيلة إلى صفه علاوة على ما كان له من أنصار يفوقون ما تضمنه ثمانون داراً (16 ربيع الأول عام 1301). ولذلك دأب حميدة بن شلال، من جهته على اتهامه بالمشاكل التي كان يعانيها من جراء خلافاته مع بني بويفرور، سيما إثر

هجوم هؤلاء الأخيرين على قصبة سلوان وهدمها مما زعمه هو وأنكره الأمين (26 جمادى الثانية و6 شعبان عام 1302). وخلال السنة التالية كان الخلاف ما يزال قائماً بين الطرفين (28 ربيع الثاني 1303).

ولا نعرف بالضبط ما وقع بعد ذلك لاختفاء كل من اسم حميدة بن شلال ومحمد المحرق من المراسلات المخزنية ما بين سنوات 1303 و1306، باستثناء رسالة 15 رمضان عام 1306 الدالة على استمرار ابن شلال في منصبه. ولكننا لا نعلم من رسالة أمناء قلعية الصادرة في 7 ربيع الثاني عام 1307، أنه كان مكلفاً في العام الفارط ببلاد المخزن التي بقصبة سلوان، وهي نفس الرسالة التي أعلنت عن وفاة محمد المحرق أثناء غيابه في طريق عودته من الحج.

*وثائق خ. ح.* بالرباط ؛ *كنانش خ. ح.* بالرباط، رقم 353/ 177.

حسن الفكيكي

**بُويَفْغْرَان**، عبدالله بن حمو بن الحاج حدو، مقاوم ولد سنة 1318 / 1900 بدوار تلايوسف بنواحي مدينة الحسيمة، وانخرط في صفوف جيش التحرير بمركز بوزينب. كان يقوم بعملية صنع القنابل إلى أن توفي على إثر انفجار قنبلة كان بصدد صنعها سنة 1955.

*كتاب شهداء الاستقلال*، ج 1.

عزالدين العلام

**بُويفَنْزي**، القائد علال بن القائد محمد البوزياوي، ينحدر من أسرة اشتهرت بقبيلة إداوْبُوزيّا الحاحية بالرئاسة، ففي عهد القائد الحاج عبد الله أ ُبيهي أ ُمُولود (1256 ـ 1284 هـ) الذي توحدت قبائل حاحة الاثنتا عشرة تحت نفوذ حكمه الممتد إلى سوس، كان بويفنزي شيخا (أمغار) على قبيلته إداوْبوزيّا فكانت له السلطة المطلقة في فرض التسخيرات وتحصيل الجبايات التي يوفر منها لنفسه جزءا مهما اغتنى به فأصبح مؤهلا لتولي القيادة على قبيلته بعد موت القائد الكبير الحاج عبدالله أ ُبيهي، وتنحية ابنه محمد أمعضور، وخراب أزغار (قصبته)، فصادف ذلك كله تولية السلطان الحسن الأول حكم المغرب 1290 / 1873 فنهج سياسة تقسيم الإيالات الكبرى بين عدة قواد لإضعاف نفوذهم، وتسهل مراقبتهم بواسطة الأمناء، فعين على حاحة عدة قواد منهم القائد محمد بويفنزي أثناء مروره بحاحة في حركته إلى سوس عام 1889/1299. وبذلك أحكم بويفنزي قبضته على قبيلته رغم أنف خصومه، لأن قبيلة إداوبوزيا تتكون من فرقتين كبيرتين هما أيت سرحان في الجهة الشرقية وفرقة أمكثر الموالية لجهة الغرب، وإليها ينتمي القائد محمد بويفنزي. وكثيرا ما وقع الصراع بين الفرقتين على الرئاسة، كما حدث في أواخر العقد الثاني من القرن الرابع عشر (20 م) عندما قام بوتمناي بطرد القائد علال بعد وفاة والده مباشرة حوالي عام 1315 / 1897 فالتجأ إلى قبيلة إيداوْتغُمّا عند أسرة المغاريين إلى أن واتته الفرصة فعاد إلى مقر قيادة أبيه بمساعدة القائد سعيد الگيلولي ففتك بقبيلته فتكة مشهورة "إذ أمر باحضار رؤسائهم فاجتمعوا في ضيافته فأمر بنطفية في وسط داره فأوقدت حتى صارت أتون الجحيم، فصار يستدعيهم واحداً فواحداً ويلقيهم فيها حتى أهلكهم بها أجمعين" (المختار السوسي، *رحلة من الحمراء إلى إيليغ*، مرقونة، ص 29). وبعد ذلك أعاد القائد علال بناء قصبته الواقعة على بعد أربعة كيلومترات شرق مركز أيت داود وتدعى : بأكادير نْ بُويفَنْزي، وقد اقتصر في حكمه على هذه القبيلة الجبلية الغنية بأشجارها المثمرة وغاباتها الشاسعة سواء في عهد ما قبل الحماية أو بعدها، فهو من المنقادين للاحتلال الفرنسي وعياً منه بأنه لن يستطيع وحده وقف زحفه، وقد اشتهر بالحكمة والتبصر في تدبير شؤون القبيلة فنعمت قبيلة إيداوبوزيا في عهده بالسلم لأنه قانع بما في يده، وكذلك كان والده "إذا لاقى رجال الحكومة يَتَبَالَهُ فينجو من أمور كثيرة ببَلَهه الظاهر الذي يعذر به معه" (المختار السوسي، *من الحمراء إلى إيليغ*، ص 29).

ومن حسناته تشجيع الحركة الثقافية في إيالته حيث قام بتجديد بناء مدرسة بيرامَانْ واستقدم إليها علماء أجلاء للتدريس بها أمثال محمد بن محمد المغاري والحاج سعيد بوستة البوزياوي المتخرج بالسعيدات فضمه القائد علال إلى مجلسه واتخذه مستشاراً له، وزوّجه ببنت أخته إكراماً للعلم والعلماء، فقام الفقيه بوسته بمهمة التدريس حسب ما تسمح به ظروف الحماية فتخرج عليه من مدرسة بيرامان علماء يمثلون زينة عصرهم في الثقافة العربية الاسلامية. وفي حوالي عام 1945/1365 قدّم القائد علال ولده الحاج محمد قائداً على القبيلة خلفا له لأنه أحس بالشيخوخة تدب في أوصاله، بينما القيادة في عهد الحماية أصبحت تتطلب المزيد من اليقظة لمسايرة مستجدات الإدارة الحديثة، فقام ولده هذا بذلك أحسن قيام إلى نهاية عهد الحماية، فعاش أبوه معززاً مكرما في كنف خليفته إلى أن توفي عام 1953/1373 مخلفاً ثلاثة عشر ولدا تلقى المتأخرون منهم بالخصوص تعليمهم بالمدرسة الحديثة التي أنشأها بداره منذ عام 1946/1366 في إطار تنفيذ مخطط (لابون) الفرنسي الهادف إلى القضاء على الأمية لدى الأطفال المغاربة خاصة في البوادي، وقد استطاع أولاد القائد علال بامكانيات والدهم أن يلتحقوا بالتعليم الثانوي في المدن كالصويرة ومراكش فأصبحوا اليوم موظفين في الإدارات العمومية. ومع بداية عهد الاستقلال تغير نظام تعيين القواد فأبعد القائد الحاج محمد بويفنزي عن قبيلته فترة ثم عاد إلى مقر أسرته حيث عاش إلى أن توفي عام 1972/1392. وبذلك انتهت الرئاسة في أسرة بويفنزي البوزياوى الحاحي.

م. م. السوسي، *رحلة من الحمراء إلى إيليغ*، مخطوط ؛ *رواية شفوية عن أقارب المترجم وأعوانه*.

محند أيت الحاج

**بويكندي**، ورد هذا الاسم هكذا في كتاب *أخبار المهدي* للبيذق (ص 67) دون المصادر المعاصرة له. ويبدو من

القرائن والأوصاف التي يقدّمها عنه وعن دعوته أنه هو نفسه ابن هود السلوي المشهور بالماسي الثائر في أول دولة الموحدين. (انظر مادة : الماسي).

أحمد عزاوي

**بويكنيفن** (أيت ـ)، جذع من خمس أيت واحليم، أحد الفروع المكوِّنة لاتحادية أيت عطا. وهذا الجذع ينتمي إليه كل من أيت بويكنيفن، وأيت بْراهيم أُيوسف، وأيت علي أُسعيد، وأيت سعيد أُداود، وأيت بْراهيم أُيعقوب.

أخذ أيت بويكنيفن اسمهم هذا من "أكناف" وهو مفرد مذكر وجمعه إيكنيفن وتعني الأحشاء وأيكنيف الشِّواء. وقد يكون هذا المعنى مرتبطاً بعادة خاصة في كيفية طهي أحشاء الأنعام أمام كل من سيأكل منها مخافة الاتهام بوضع السُّم، وهذه عادة ما تزال معروفة لديهم إلى اليوم.

يشمل موطن أيت بويكنيفن الرقعة الجغرافية الممتدّة بين جبل صَغْرُو جنوباً إلى حدود مواطن أيت مسّاض بالأطلس الكبير الأوسط (تالمست) ومن تُدغة شرقاً إلى دادس غرباً (بومالن). ويمثل هذا المجال المرحلة الوسطى لترحال وانتقال أيت عطا بين الصحراء والأطلس وتادلا (أُمالو).

لم يعرف تاريخ لهذه الفرقة قبل القرن الثالث عشر (19 م)، وكانت الأخبار عنها متضمنة في سياق التاريخ العام لأيت عطا. وقد يكون استقرار هذه الجماعة بهذا المجال حديث العهد (القرن الماضي)، لكن لا كمستقرين بل كرُحّل وأنصاف رحّل بفعل انقسام الوحدة العائلية بين الرعي والزراعة والتجارة والإقامة بالمنازل (إغرمان) على الضفة اليسرى لواد دادس وإميغْر. وهذه المرحلة هي التي عرفت صراعات الرحل ضد المُستقرين حول مياه وادي دادس الدائمة الجريان وحول الطرق التجارية تافيلالت ـ تدغة ورزازات ـ تلوات ـ دمنات ـ مراكش، وطريق تدغة ـ درعة (*الاستقصا*، 7 : 60).

وعلى عادة أيت عطا وعرفهم تيعَقّيدين المشتقة من الكلمة العربية العقود، وهي في الصيغة الأمازيغية جمع مؤنث لمجموعة من الأعراف المكتوبة والمودعة بإغرم امزدار القصر السفلي الموجود بتاغيا جنوب صَغْرُو (انظر تيعقدين في *المعلمة*). وفي أواخر القرن الماضي بدأت محاولات القائد المدني الأگلاوي من أجل ضم قبائل أيت سدرات ودادس إلى قيادته، تطبيقا لمقتضى الظهير السلطاني الذي عُين به منذ سنة 1281 / 1864. وبعد مقاومة هذه القبائل لهذا التوسع مدةً غيّرت من خطّتها بالتحالف مع القائد المدني ضد أيت عطا وأيت بويكنيفن بصفة خاصة لأجل إخراجهم وإبعادهم عن المجالات التي استولوا عليها. وأمام هذا الضغط الخارجي فضل الشيخ مُوحْدَاش بن الحاج فاسكا الدخول في طاعة عائلة الأگلاوي، إذ أن ذلك سوف يكسبه الاحتفاظ بالأراضي والمنافذ التجارية (السوق الأسبوعي ببومالن والأسواق الموسمية) وباستغلال مياه واد دادس والتحكم فيه، إضافة إلى أن تحالف أيت دادس وأيت سدرات ضده سوف يتخلى عنه القائد المخزني (المدني) حالما يدخل تحت طاعته. وكانت هذه الخطة إيجابية بالنسبة لمستقبل أيت بويكنيفن، لكنها أدت إلى انشطار التعاضد الداخلي لأيت عطا لكون إحدى فرقهم دخلت تحت قيادة غير قيادة الشيخ العام الذي يختار من بين شيوخ الفروع والأخماس الذي كان يحاور المخزن والسلاطين باسم الاتحادية.

استمر الشيخ موحداش في زعامة أيت بويكنيفن إلى بداية الثلاثينات من هذا القرن. فعندما وصلت القوات الفرنسية في العشرينات إلى مناطق دادس وأيت سدرات بقي هذا الشيخ وفياً لسياسته السالفة في الدفاع عن مصالح جماعته الصغرى والتخلي عن تحالفات أيت عطا. وقد لعب دوراً خطيراً أثناء الإعداد لمعارك بوگافر بجبل صَغْرو ضد ايلمشان وأيت عيسى أُبراهيم في خريف سنة 1932 وشتاء سنة 1933 (فبراير). وبعد ذلك بقيت الزعامة في أسرته إلى سنة حصول المغرب على الاستقلال 1956.

وأيت بويكنيفن تابعون اليوم لمركز بومالن دادس ودائرته بإقليم ورزازات.


م. كربخال، *افريقيا*، ج 2، 1984 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7ـ8.
9 ؛ المهدي الناصري، *الغطريس*، مخطوط ؛ *الرواية الشفوية*.

*Carte des Tribus*, 1977 ; A. Guillaume, *Les Berbères*, 1946 ; G. Spillmann, *Les Aït Atta....*, 1936.


محمد أوجامع وصفية العمراني

**پويميرُو، جوزيف** Poeymirau, Joseph، ولد في مدينة پُو Pau بفرنسا عام 1869، وتخرج من المدرسة العسكرية بسان سير Saint Cyr، قدّم خدمات عسكرية بالجزائر وفي عام 1905 التحق بليوطي في عين الصفراء. شارك في غزو وجدة عام 1907، ثم في غزو الشاوية، وكان في طاقم ليوطي بعد تعيينه مقيماً عاماً بالمغرب فصار مديراً لديوانه، وشارك گورو في غزو أحواز فاس، وكلف بالربط العسكري بين غرب المغرب وشرقه.

وفي سنة 1914 شارك في الحرب العظمى بأوربا (معارك المارن)، لكنه استدعي إلى المغرب في دجنبر سنة 1915 حين اشتدت معارك الأطلس المتوسط والأطلس الكبير، وأسندت إليه مهمة مساعد القائد العسكري لفاس، ثم عين قائداً عسكرياً لمدينة مكناس يوم 21 مارس 1916، وفي هذه المدينة قدم خدمات جلى للأوربيين. من ذلك تعمير مدينة جديدة خاصة بسكنى الأوربيين بهضبة حمرية وتشجيع المعمرين على امتلاك أخصب الأراضي بنواحي مكناس ومدهم بوسائل استغلالها.

اتخذ بويميرو مكناس منطلقا لعمليات حربية ضد الأطلس المتوسط، فاحتل تاغزوت بَقْريتْ وغيرها عام 1917 عبر تيمحْضيتْ، وقد وصل إلى تافيلالت للقضاء على ثورة نفروتن، وحاصر أرفود في دجنبر 1918، وواجه ثمانية آلاف من المجاهدين في معارك أولاد سعيد وقصر السوق وتيرمات وغيرها.

أجبر بويميرو قبيلة زيّان على الاستسلام سنة 1922 بعد معارك صاخبة احتلت بعدها منابع أم الربيع، وفي هذه السنة رقي إلى رتبة جنيرال. وقام بغزو وزان وتازا وسير عمليات الفلاقين وأولاد غلال وباب حسين وتروال الخ.... وفي عام 1923 ترأس بويميرو عمليات تمكن بها من ربط الاتصال بين مناطق ملوية ومناطق وادي سبو. وهكذا لم يعرف بويميرو الراحة إلى أن توفي في يناير سنة 1924، وقد قام المقيم ستيك بتدشين تمثال برونزي لبويميرو نصب بمكناس في 24 أبريل سنة 1927، وقد ظل قائماً إلى الاستقلال عام 1956.

بوشتى بوعسرية

**بُوين**، أنطوني، Boyn. A، أمريكي من مواليد فيلاديلفيا، استوطن الدارالبيضاء حوالي سنة 1880 وكانت له خلطة شديدة مع المغاربة الذين كانوا يسمونه "المعلم طونيو" لأنه كان محترفاً عدة مهن. وأسرته من أقدم الأسر الأمريكية المستقرة بطنجة والجديدة منذ سنة 1833.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 849.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 2 : 486.

**پوينْطي**، فرانسيسكو، Puente, F، نائب قنصلي لإسبانيا بالرباط سنة 1873 إلى أن نقل إلى الصويرة قنصلا سنة 1875. وكان من مراقبي المراسي المغربية منذ سنة 1863.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 775.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 156.

مصطفى بوشعراء

**بويـنُـو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم، والكلمة معناها طيِّبٌ أو جيِّدٌ. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1735/1147، لكننا نجد دارا بحومة الترنكات منسوبة إليها في الإحصاء الذي جرى بالمدينة سنة 1841/1257.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 350 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

**البْويهَات**، فخذة من قبائل الرگيبات الگواسم سكان الصحراء المغربية تتكون من الفرق التالية : أهل دادا، أهل القاضي، أهل سيدي أحمد بن يحيى، أهل حيون، أهل سيدي عبدالله بن موسى، أهل الصيبة، العيايْشة، المرازگية (انظر رقم 2 بالخريطة).

م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، ج 1 : 114 و413.

I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-Saharico*, Madrid, 1955, p. 215 ; A. Domenech Lafuente, *Algo Sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946, p. 149.

محمد ابن عزوز حكيم

**البْويهي**، أحمد بن ابريك، مقاوم ولد سنة 1352 / 1933 بمدينة القنيطرة وشارك ضمن خلية الهلال الأسود بنفس المدينة مع المسؤول عبدالسلام بن محمد، وكان بيته مركزاً لإخفاء السلاح الذي يتم الحصول عليه بوسائل مختلفة ويستعمل سيارته لهذا الغرض متنقلا بين مدينتي الرباط والدارالبيضاء. وظل يكافح إلى أن استشهد في 12 مارس سنة 1956.

*كتاب شهداء الاستقلال*، 1 : 9.

عزالدين العلام

**البيئة**، موضوع حيوي صار يعتبر أحد مواضيع الساعة. فبعد أن كان الاهتمام بالبيئة يقتصر على أقلية تنادي بالرجوع إلى الطبيعة وحماية الوسط الطبيعي، أصبح الآن يعم فئات واسعة من المجتمع. هذا الموضوع أصبح مركز اهتمام الجمعيات الثقافية والأحزاب السياسية ورجال الدولة، وينتج هذا الاتساع عن جسامة المشاكل المطروحة خاصة على إثر سلسلة من الكوارث هزت العالم بأسرة.

وفي المغرب انطلق الاهتمام بالموضوع - كما حدث ذلك في سائر دول العالم - في إطار محدود لا يتعدى عدداً من الجمعيات والأندية. ثم أبدت السلطات الحكومية انشغالها بالموضوع، فتم إسناد هذا الحقل إلى الادارة المكلفة بإعداد التراب الوطني، كما أكدت على ضرورة تعميم تدارس الموضوع والبحث عن الحلول الناجعة للمشاكل المستعصية، واتضح هذا من خلال التشجيعات التي قدمت للجمعيات الجهوية لكي تعقد مناظرة دولية في الموضوع، في ربيع سنة 1990، الهدف منها نشر الوعي بأخطار التلوث والاستفادة من تجارب الدول الأخرى، وقد أصدرت هذه المناظرة تصريحاً هاما، يدعى "إعلان شالة"، مؤرخاً في 17 ماي 1990، يعتبر احدى اللبنات الأساسية لتحضير ميثاق وطني حول البيئة والتلوث، ومن المنتظر أن يضم هذا الميثاق في نفس الوقت وصفاً دقيقاً للوضع البيئي الحالي في المغرب وتحليلا للمشاكل الكبرى المطروحة، وأخيراً قوانين أساسية تسعى إلى الحد من تدهور البيئة وتحول دون تعميم أخطار التلوث.

يتسم الوضع البيئي في المغرب بالهشاشة والحساسية، وذلك لعدة أسباب :

- أولا : أسباب طبيعية، تتمثل في موقعه الانتقالي بين المجالين المعتدل الرطب من جهة، والجاف الصحراوي من

جهة أخرى، الشيء الذي ينتج عنه في كثير من الحالات خصاص مائي، هشاشة للغطاء النباتي، حساسية مرتفعة تجاه عمليات الانجراف، تهديد مجالات واسعة بخطر التصحر.

- ثانيا: أسباب جغرافية حيث موقع المغرب على مقربة من البلدان الأوربية وعلى سواحل بحرين يعرفان نشاطا مستمراً للملاحة والصيد، وهو سبب في التهديد الدائم الذي يصيب الثروات البحرية وبيئة الساحل، والذي قد يساهم في عرقلة التطور العمراني والصناعي والسياحي لكل المجال الشاطئي.

- ثالثا : أسباب بشرية تتلخص في التزايد المطرد للضغط البشري على الثروات خاصة في عدد من الأوساط الهشة كالمجالات الجبلية، وفي اتساع الرقعة الحضرية على حساب الأرياف بشكل يدعو إلى تعدد كل المشاكل الناتجة عن التكدس البشري المفرط.

المشاكل البيئية بالمغرب إذن عديدة ومتنوعة، بعضها لها ارتباط وثيق بالجوانب الاقتصادية وهو الذي يتمثل في الأعراض التي تهدد مستقبل الثروات، والبعض الآخر يتعلق أكثر بظروف العيش وجودة الإطار. وفي حديثنا هذا لن نتطرق لجميع هده المشاكل، وإنما سنكتفي بأهمها وأخطرها.

1 - البيئة والثروات الطبيعية. يتمثل تدهور الوسط الطبيعي في ظهور خلل يمس التوازنات الطبيعية ويهدد بانقراض عدد من الثروات وبفساد ظروف عيش السكان. هذا الخلل تفسره فعلا هشاشة البيئة الطبيعية، لكنه ناتج قبل كل شيء عن أسباب بشرية وتاريخية جعلت ظروف استغلال الثروات تتغير في الفترات الأخيرة بشكل صار يمنع من توفير الظروف الملائمة لاستمرار التوازن ولضمان تجدد الموارد بشكل عادي.

وهناك فكرة عامة تلخص الأوضاع المسؤولة عن إتلاف المحيط الطبيعي وهي أن السلوك البشري تجاه الثروات صار يتميز بالإفراط في الاستغلال والاستهلاك. إلا أنه من الواجب الفصل بين وضعيتي إفراط متناقضتين :

- إفراط يتسبب فيه البحث عن المزيد من الانتاج ومن الدخل ويستخدم التكنولوجيا الصناعية الحديثة للوصول إلى هذه الغاية، وفي كثير من الحالات دون هضم كل الجوانب المتعلقة بهذه التكنولوجيا. ثقل التقنيات من جهة وعدم التحكم في بعضها من جهة أخرى، كثيراً ما يحدث إتلافا وتدهوراً قد يؤدي في النهاية إلى تناقص في المردود. وهكذا فإن البحث عن الكم، على حساب الكيف، قد ينتج وضعيات تُناقض الغايةَ المستهدفة، بالإضافة إلى أشكال تدهور غير منتظرة وعادة شديدة الخطورة.

- إفراط يرتبط بالخصاص والتخلف، وينتج عنه استهلاك جائر لموارد شديدة الحساسية تتجدد تلقائيا في ظروف الاستغلال المتزن والعقلاني، وعكس ذلك تتراجع بسرعة وبدون أمل في التعويض والتجدد كلما تم اقتلاعها بشكل مفرط، مثلا من طرف ساكنة فقيرة لا تتمكن من ضمان قوتها اليومي إلا عبر الاستغلال المباشر للمصادر الطبيعية، كخشب الوقود والرعي في الغابة وتمديد الاجتثاث من أجل إقامة فلاحة الخ....

وبين هذين النوعين المختلفين من الافراط ارتباط عضوي وثيق ؛ ذلك أن كليهما ناتج عن مسلسل تاريخي واحد. فكما أن هناك علاقة وطيدة بين المظاهر التي يكتسبها إتلاف الثروات (اجتثاث الغطاء النباتي - انجراف التربة - انقراض عدد من الأنواع النباتية والحيوانية - زحف الرمال وتصحر مجالات نصف جافة)، هناك علاقة كذلك بين الظروف والأسباب المسؤولة عن هذا التدهور، تتمثل في التحولات الجذرية التي عرفتها الأرياف في المراحل الحديثة من تاريخها.

تتلخص هذه التحولات في التدخل الاستعماري، بداية القرن العشرين، الذي أدى بعد استحواذ المعمرين على أجود أراضي السهول إلى تقليص المجال العقاري لعدد من القبائل. وقد أدى هذا إلى الإفراط في استنزاف موارد المجالات الهامشية والمتميزة بهشاشتها، بينما أدخل المعمرُ في المجالات التي استحوذ عليها تقنيات وأنظمة إنتاجية جديدة كان للبعض منها أسوأ الأثر على البيئة، من بينها الافراط في استخراج المياه الباطنية وبالتالي تهديد مساحات شاسعة بشبح التصحر.

الموارد الطبيعية لها علاقات متنوعة مع معطيين بشريين، وهما النمو الديمغرافي من جهة، والانماط الفلاحية من جهة ثانية.

أ - العلاقة مع النمو السكاني. معلوم أن النمو الديمغرافي المسجل حديثاً، منذ بداية القرن، يعني التزايد في وتيرة الحاجيات، وبالتالي يتسبب في اقتلاع جائر لعدد من الثروات، كما يتسبب في البحث عن تقنيات ووسائل أكثر فعالية تسمح بالرفع من الانتاج، لكن كثيراً ما تكون مضرة بالوسط الطبيعي.

يفوق التزايد السكاني حاليا 2،6٪ ويطرح بالحاح إشكال الخصاص المائي على المستوى الوطني. فحالياً يتم استعمال أكثر من ثلث الموارد المتوفرة، ويمكن القول إن ما تبقى من مصادر مائية، لا يمكن تعبئته إلا باستعمال تقنيات ثقيلة، تعني ارتفاعاً هاما في التكلفة. وهذا يعني أن التزايد في طلب الماء، قد يدعو إلى تحويل قسط من الثروات عن غايتها الطبيعية المعتادة، والمتمثلة في الحفاظ على التوازن النباتي والانتاجي لعدد من المجالات الفلاحية، الشيء الذي يهدد هذه المناطق بالتحول إلى مساحات جرداء قاحلة. ولا يخفى أن الطلب الحضري للماء الشروب، ربما يكتسي من الإلحاح ما يجعله يسبق الطلب بغاية الري، أو بالأحرى الطلب الذي يسعى للحفاظ بالنسبة لمنطقة ما على توازن حيوي.

كما أن التزايد السكاني يهدد الثروة الغابوية. ونعلم أن داخل الغابات وبجوارها يعيش حوالي ربع سكان البلاد.

ويتسبب الاقتلاع المفرط في ضياع مساحة غابوية مقدارها 10.000 هكتار سنويا، بينما لا يتم تشجير سوى أقل من 50٪ مما يضيع عن طريق الاجتثاث والحرائق.

وساهم تزايد الضغط السكاني على المجالات المنحدرة في توسيع الرقعة التي يهمها أو يهددها الانجراف. كما ترتفع وتيرة إتلاف الأتربة نتيجة تفاقم خطورة الآليات المسؤولة عن التعرية وخاصة منها الآليات الهدروغرافية.

لكننا عندما نعتبر أن النمو الديمغرافي سبب في الضغط على الموارد وتقلصها، فإننا نعتبر كذلك أنه لا سبيل إلى الحد من التزايد السكاني السريع دون الرفع من مستوى عيش السكان، أي دون توفير موارد إضافية. فتصبح المعادلة إذن شديدة التعقيد إذا اعتبرنا أن في كثير من النواحي صار من الصعب الرفع من الإنتاج دون الإخلال بموازين البيئة الطبيعية.

كما تجب الإشارة إلى أن كل إفراغ مفاجئ لمنطقة لها حساسية مرتفعة، - مثلا بسبب الهجرة القروية التي صارت حتمية على إثر استنزاف كل إمكانيات الرفع من الإنتاج - لا يمكنه إلا أن يمثل تهديداً تجاه توازن البيئة، ذلك أن التخلي كثيراً ما يسرع من فعالية عدد من الآليات. والسبب هو أن الإنسان يتوقف عن الوقاية التلقائية التي كان يقوم بها وعن العلاج المستمر الذي يقدمه حفاظاً على البيئة والثروات. وتوقف هذا الحرص بسبب التخلي عن المجالات الحساسة قد يخلق ميكنزمات لم تكن منتظرة.

ب - العلاقة مع النمو الفلاحي. ترمي السياسة الفلاحية إلى غايتين : من جهة إشباع المتطلبات الغذائية للبلاد وبذلك يتأثر ضمان الكفاية ؛ ومن جهة أخرى الاستجابة لحاجيات الفلاحين أنفسهم وتكثيف الفلاحة قصد الرفع من المردودية يتطلب عادة اللجوء إلى عدد من المواد الكيماوية كالمخصبات والأدوية، وإلى مَكْننة تزداد ضخامة، وكذلك إلى الرفع من الحصة المائية المخصصة للري.

مثل هذا التطور تكون له نتائج سلبية واضحة : تفقير التربة - إنهاك الموارد المائية - تلويث الفرشات الباطنية. كما أن المكننة المفرطة تساهم في تهشيش التربة وجعلها عرضة للتعرية المائية والريحية، وبالتالي الوصول إلى التصحر.

هكذا نرى أن البحث عن إنتاج أقوى مثل البحث عن القوت وإشباع الحاجيات الأساسية للفلاح، كلاهما قد يقود إلى نفس النتيجة، يعني إتلاف الثروات وتدهور إمكانات النمو في المستقبل، وذلك لان تدهور البيئة يعني في نفس الوقت إتلاف الموارد وبالتالي الدخول في مسلسل يؤدي إلى تعميق التخلف.

2 - الصناعة والتجهيز وقضايا التلوث. المشاريع الصناعية هي كذلك تبحث عن انتاجية متزايدة، وبالتالي تستعمل وسائل وموارد أكثر تعقيداً، كثيراً ما تكون شديدة التلويث. والمواقع الصناعية ليست دائماً مدروسة بطريقة تسمح بتلافي أهم الأخطار المحدقة بالمستوطنات البشرية، وفي بعض الحالات بمظاهر حضارية لها قيمة خاصة.

وتتسبب الصناعة والتجهيزات غير المراقبة في تلويث الموارد المائية. وهذا موضوع شديد الحساسية، لأن المغرب في وضع خصاص يتطلب منه تعبئة مصادر إضافية، الشيء الذي يقتضي تكاليف باهظة تنفق على الخصوص لتشييد السدود وإنشاء محطات التصفية وشبكات التوزيع. ومنذ سنة 1970 أوضحت الدراسات أن مياه الأنهار الكبرى لم تعد قادرة على التصفية الذاتية لمجموع الواردات الملوثة الواصلة إليها، وخاصة منها التلويث الناتج عن معامل السكر. كما أن المياه الباطنية نفسها لم تبق في مأمن من هذه الأخطار، الشيء الذي يحتم اللجوء إلى وسائل لدرء أخطار التلوث قبل وقوعها، حفاظا على جودة المياه.

3 - الميدان البحري والساحلي. يوجد المغرب عند ملتقى الممرات البحرية الدولية، وفي موطن اقتراب تيار بارد مياهه غنية بالعلق من الشاطئ. ويكسبه هذا موقعاً استراتيجياً واقتصادياً ذا أهمية بالغة وعلى الخصوص في الميادين التالية : ميدان الثروات الحيوية، ميدان النقل البحري، ميدان التطور العمراني والسياحي الساحلي.

وتعد الامكانات الحيوية للمحيط والبحر المتوسط هائلة، تلعب دوراً أساسياً في النمو الاقتصادي والاجتماعي، حيث يشغل هذا القطاع حوالي مائة ألف عامل ويمثل 12٪ من الصادرات الإجمالية للمغرب، أي 40٪ من الصادرات المتعلقة بالمواد الغذائية.

ويوجد المغرب أمام بحار تجتازها السفن التجارية بكثافة جد عالية، ومن بينها السفن المحملة بالنفط. فالمحيط تجتازه يومياً حوالي مائتين وخمس وستين باخرة وشاحنة بترولية محملة بما معدله مليون طن. كما تمر عبر المضيق مائتا باخرة في اليوم، ينقل بعضها مواد كيماوية شديدة الخطورة.

ولذا فالثروات الحيوية البحرية، وكذلك بيئة السواحل، مهددة باستمرار. من جهة بالإفراط في استهلالك الموارد، ومن جهة ثانية بحدوث كوارث قد يكون لها أسوأ الأثر. ويجب التذكير بالحادثة التي هددت الساحل المغربي في شتاء سنة 1990. هذا المجال يتطلب بالإضافة إلى دراسة دقيقة للإمكانات الحيوية قصد العمل على وقايتها من الاستنزاف، يتطلب كذلك الرقابة المستمرة للساحل ووسائل تقنية مجهزة للإنقاذ، وأخيراً وسائل قانونية متعددة تتوخى الوقاية، من بينها العمل على تطوير التعاون الدولي.

4 - المستوطنات البشرية. النمو الحضري السريع وربما المفرط والمرتبط بنموذج تنمية غير متواز يفسر المرور من عادات استغلال متزن للمجال إلى حالة استهلاك مفرط لمساحات كانت تعتبر منتجة ومخضرة، تعوضها مبان تفتقر في غالب الأحوال إلى الجانب الجمالي اللازم للحفاظ على جودة محيط عيش السكان. كما أن الإفراط في الاستهلاك يصيب كذلك الثروة المائية وينتج تلويثاً له أسوأ الأثر على صحة السكان. ويمكن كذلك اعتبار مظاهر أخرى هي من

نتائج التكدس، كتراكم الأزبال والنفايات واكتساب عادات قبيحة وفاسدة لها آثار اجتماعية سالبة، كمظاهر التشرد والوسخ والتخلف الاجتماعي.

ومن أهم النتائج السلبية للتمدن السريع والمفرط تفاقم وضعية تلوث المياه بسبب رداءة شبكات الماء الحار. فهي في مجموعها لا تهم سوى 2،5 مليون ساكن، أي فقط ربع سكان المدن. ولا يحتوي المغرب إلا على 13 محطة للتصفية، بحيث نجد الماء الحار يقذف به كما هو في الأنهار بالنسبة للمناطق الداخلية، وفي البحر بالنسبة للمدن الساحلية. وكثيراً ما تكون هذه الشبكة في حالة وجودها متدهورة، ينتج عنها تسرب مواد عضوية إلى الفرشات الباطنية وبالتالي انتشار الأمراض. وهكذا نجد التلوث الحضري ينضاف إلى التلوث الصناعي والفلاحي ليجعل من الأنهار المغربية مجاري في وضع رديء يتطلب التدخل السريع لمعالجتها.

خاتمة. يتطلب إصلاح الأوضاع البيئية في المغرب، تدخلات جريئة، لا تقتصر على التوعية والتحسيس، رغم الأهمية البالغة لهذا الجانب، بل تعمل كذلك في الحقل الاقتصادي والاجتماعي والقانوني. فالقوانين البيئية المغربية متفرقة جلها قديم، لا تضبط المعايير البيئية التي يجب احترامها ومستويات التلوث التي يجب تجنبها. ولذا لا بد من جهاز قانوني متكيف مع البيئة المغربية ومع الوضع الاقتصادي المغربي، ويجب هنا التذكير بمشروع القانون الأساسي الذي وضعته مديرية تهيئة التراب الوطني والبيئة والذي ما زال لم يمر إلى حيز التطبيق. كما يجب التذكير كذلك بالمجهود القانوني الذي تقوم به مختلف المصالح المختصة، والتي تهيء مشاريع لا بد من الإسراع في البدء في تطبيقها كمشاريع قوانين البحر والماء والتعمير. ويتطلب الحفاظ على البيئة كذلك مجهوداً مالياً حقيقياً، فتمويل البيئة إلى الآن جد محدود لا يمثل سوى 0،3٪ من الميزانية العامة للتصميم الحالي. والأساس في العمل البيئي يتمثل في التوفيق بين هدف الحفاظ على بيئة متوازنة خالية من آثارالتلوث الفاحش، وهدف التنمية الاقتصادية والاجتماعية للسكان، وذلك ضمانا في نفس الوقت لإطار مريح وظروف عيش رغيد.

عبدالله العوينة

**بَيَانُّو**، من التقاليد المعروفة بوادي دادس أنه في ليلة عاشوراء من كل سنة، يجتمع الأطفال الذين تقل أعمارهم عن خمس عشرة سنة في حفل خاص يقومون خلاله بالطواف عبر أزقة القصر (القرية المسورة في مناطق الواحات) المعروف محليا بإِغْرْمْ. وأثناء ذلك الطواف يطرقون أبواب منازل القصر منشدين بصوت عال :

"بَيَانُّو، بَيَانُو، بَيَانُو، فْكَغْتدْ أَللاَّ أُو تْللاَّ مَقَّارْ إِگَّاتيلاَمِّنْ، تيلاَ ـِّنْ مْكَغْتدْ أُورتْكَيتْ أَللاَ أُو تْللاَ أَدَوْنْ إِگُّرْ رَبِّي يَانْ أَغَرْدَايْ سْتَقَدُّوَحْتْ تُكْسَمَّتدْ سُوضَارْ نُوغْيُولْ".

وهكذا، يُغَنُّون جماعة هذه الأبيات عدة مرات طالبين من ربات البيوت أن يُزَوِّدْنَهم بما تيسّر لديهن من الدقيق. وحينما ينتهي الطواف يتفرقون وينصرف كل واحد إلى منزل والديه على أن يجتمعوا مجدداً صباح يوم عاشوراء. وعند اجتماعهم صبيحة ذلك اليوم يطلبون من إحدى نساء القصر أن تُهيئ لهم خبزاً من ذلك الدقيق الذي جمعوه بالأمس. وفي انتظار إحضار ذلك الخبز الذي سيأكلون منه جميعاً يمرحون ويلعبون في أزقة القصر.

بَيْدَ أن احتفال بَيَانُّو بقصر أيت وَدَّارْ المنتمي لأيت سدرات السهل يختلف عما هو شائع بقصور دادس عموماً. ففي هذا القصر يقوم السكان سنوياً في ليلة عاشوراء بإحضار الطعام إلى باب القصر، على شكل أطباق من الكسكسو يعلوها الكرداس أي القديد المسمى محلياً تيكُرْدَاسِينْ (مفرد تَكُرْدَاسْتْ). وكل طبق من تلك الأطباق يحتوي على عدد معين من الكرداس يُطابق عدد أفراد الأسرة. إذ أن كل كرداس واحد يمثل عضواً واحداً من أعضاء الأسرة. وهكذا تتباين الأطباق بتباين الأسر المكونة لذلك القصر. ومهما يكن من أمر، فحينما يتم إحضار جميع أطباق الطعام تنطلق "مباراة الكرداس" بين سكان القصر لأخذ أكثر ما يمكن من الكرداس. وبطبيعة الحال فالذي يغامر ويحاول أخذ الكرداس من تلك الأطباق يطارده أقرانه بالماء عبر أزقة القصر المظلمة أو خارجه. فإذا نجا من تلك المطاردة يُعتبر من أبطال القصر. ويتخلل ذلك الاحتفال صُياح الرجال والأطفال وزغاريد النساء. وحينما تنتهي "معركة الكرداس"، يشارك الجميع في تناول الطعام. وفي ذلك إيذان بحلول عاشوراء. ويبْدأ حينئذ التراشق بالماء بين الرجال والنساء. وهذه عادة ما زالت مستمرة بوادي دادس، إلا أن حدتها خفّت بعض الشيء في السنوات الأخيرة.

*تحريات ميدانية.*

محمد حمام

**بيباس**، Bibas لقب من أصل إسباني حمله عدد من الربيين بالمغرب منذ النكبة الأندلسية عام 899 / 1492. في عام 1530، كان بفاس ربي يدعى حييم بيباس هَـ. زكَانْ (الولد الكبير في أسرته) فانتقل إلى تطوان، وخلفه بفاس ربيون آخرون يسمون بيباس، وكذلك عُرفوا من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين بتطوان وطنجة وسلا. وفي القرن 17 كان الربي يعقوب بيباس وابنه يوسف صاحب كتاب *سفر الزمانيم* "كتاب التواريخ" في موضوع حساب الأعوام. أما بالصويرة فمن الربيين الأوائل الذين اشتغلوا بها بعد نشأتها في القرن الثامن عشر، كَان أحدهم يسمى يعقوب بيباس، قدم إليها من الرباط

نير همعرب ؛ لاريدو، *أسماء اليهود*، ص 415 ـ 420.

Y. M. Toledano, *Ner Hama`arab* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs.*

سيمون ليڤي

**البيباني**، محمد بن يوسف بن عبدالرحمان المراكشي

المالكي. من ذرية الشيخ مَحمد (فتحاً) الجزولي صاحب *دلائل الخيرات*.

ولد عام 1851/1267 بدمشق ودرس على علمائها وأظهر نباهة وحذقا وتميز بين أقرانه بشدة الحافظة، حيث استطاع أن يحفظ *الصحيحين* غيباً بأسانيدهما ونحو عشرين ألف بيت من متون العلوم المختلفة.

انقطع للعبادة والتدريس، وكان يقرأ في كل جمعة بعد الصلاة *صحيح البخاري* في جامع بني أمية وازدحم الناس على دروسه. وله حجرة في مدرسة دار الحديث قريبة من مقام ابن أبي عصرون لا تكاد تجدها في وقت خالية من درس في فن من الفنون، وهو لا ينفك في يومه عن صيامه ولا في ليله عن قيامه، كثير الذكر قليل الكلام دائم الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ. وقد عينت له الدولة في كل شهر ألفا ومائتي قرش صاغاً. واستطاع بعلمه وورعه أن يحتل مكانة عالية عند الحكام وعامة الناس وأصبحت كلمته مسموعة. ففي أثناء الثورة ضد الاحتلال الفرنسي في سوريا كان الشيخ محمد البيباني يطوف المدن السورية، متنقلاً من بلدة إلى أخرى، حاثاً على الجهاد وحاضا عليه. ومن شدة زهده وإعراضه عن الدنيا وزخرفها أن عرض عليه جماعة من الناس البيعة بالخلافة والثورة معه ضد الاتحاديين من رجال الترك في خلال الحرب العالمية الأولى، فزجرهم وزاد في انزوائه واعتكافه.

ذكروا أنه ألّف نحو أربعين كتاباً قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره، لكن يُجهل مصير هذه الكتب. وذكر خيرالدين الزركلي من مؤلفاته ـ رواية عن طاهر الأتاسي ـ الكتب التالية : *شرح البخاري*، *شرح الشمائل*، *شرح الشفا*، *الدرر البهية في شرح البيقونية* في المصطلح، *حاشية على شرح مختصر ابن الحاجب* ـ في الأصول ـ *حاشية على عقائد النسفي*، *شرح نظم السنوسية*، *شرح الخلاصة* في الحساب، *حواشي على شروح : الشذور والقطر، والجامي* في النحو. *شرح مغنى اللبيب*، *شرح لامية الأفعال*، *شرح السلم* في المنطق، *حاشية على المطول*، *رسالة في سنده لصحيح البخاري*، *شرح قصيدة "غرامي صحيح"* في مصطلح الحديث.

توفي بدمشق عام 1935/1354.

خ. الزركلي، *الأعلام*، 7 : 158، *مجلة المجمع العلمي العربي*، 13 : 297.

**البيباني، يوسف** بن عبدالرحمان بن عبدالوهاب بن عبدالله الملقب ببدرالدين، الشهير بالمغربي، المراكشي محتداً ومولداً، المصري منشأ، المالكي مذهبا كما في *روض البشر*. أما الزركلي فيعتبره من فقهاء الشافعية. نزل دمشق واشتهر بالمغربي، وأخذ عن بعض علمائها كالشيخ عبدالرحمان الكزبري، والشيخ سعيد الحلبي وغيرهما.

كان غيوراً على دينه، جريئاً على الحكام، لا تأخذه في الله لومة لائم. وله حلقات دروس في الجامع الأموي وفي غيره. حضر دروسه العلماء والطلاب، وأثنى عليه معاصروه كالعلامة البيطار في كتابه *حلية البشر*. لم يستمر في التدريس لكثرة أمراضه وأسفاره. من مؤلفاته : *فتح القدير على ألفاظ مولد الشهاب الدردير*، *والتحديث عن نازلة دار الحديث*. وهي قصيدة في 400 بيت.

توفي يوم الخميس التاسع عشر من جمادى الآخرة عام تسعة وسبعين ومائتين وألف / 12 دجنبر 1862، ودفن بمقبرة الباب الصغير قريبا من قبور بني الكزبري.

*روض البشر*، ص 260 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 8 : 237 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 454.

أحمد متفكر

**بيباي**، Bebay إسحاق، كان ربياً بفاس، توفي حوالي 1617. صاحب كتاب عن *التوراة* وعن سيفر الجامعة، عنوانه *قوهيليت*. (بنايم : مالك ربنام).

Y. Benaïm, *Malki Rabbanam.*

سيمون ليفي

**البيبليوغرافيا الوطنية**، عبارة عن مجموع الجذاذات التي تستعمل "للحجة التامة" فيما يتعلق بمطبوعات بلد معين، والتي يتم نشرها مطبوعة (أو على شكل فهارس أو أشرطة تسجيل صوتي الخ...) بصفة منتظمة وفي آجال متقاربة. والمقصود بجذاذات الحجة التامة كونها تصدر عن جهاز مسؤول وتتضمن أكبر قدر من المعلومات تمكّن من إنجاز أعمال بيبليوغرافية متنوعة.

يحدد حجم المطبوعات الوطنية اختيار الوثائق التي يتم إدراجها ضمن قائمة البيبليوغرافيا الوطنية، فبالنسبة للدول النامية من المهم أن تكَون البيبليوغرافيا الوطنية أكثر شمولا طبقاً لما ينص عليه الإيداع القانوني الذي يرتبط بعلاقة مباشرة بالبيبليوغرافيا الوطنية.

تتولى مهمة نشر البيبليوغرافيا الوطنية في البلدان المتقدمة، بصفة دورية في أغلب الأحيان وكالة بيبليوغرافية وطنية يمكن أن تكون تابعة لمصالح المكتبة الوطنية أو مستقلة عنها. وبالنسبة للعالم الثالث، قليل هي البلدان التي لها وكالة ببليوغرافية وطنية.

إذا كانت البيبليوغرافيا الوطنية تشكّل الوسيلة الأساسية للتعرف على الانتاج الفكري والعلمي لبلد مّا، فالبنسبة لحوض البحر المتوسط يلاحظ أنه باستثناء فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وفي بعض الحالات البرتغال ومصر ولبنان، لا يتم التعريف والتعرف على منشورات البلدان الثلاث عشرة الأخرى بما فيه الكفاية. وقد أحصى مؤتمر باريز لسنة 1977 المتعلق بالبيبليوغرافيا الوطنية ما لا يقل عن ستة وثلاثين من أشكال الوثائق وورق البنك والأفلام والميكروفيلم، الخ.... كما أوصى هذا المؤتمر، فيما يتعلق باللغة، أن تحصى البيبليوغرافيا الوطنية الوثائق في كل اللغات والكتابات التي كتبت بها هذه المنشورات، وأن تحرر الجذاذات باللغات التي ظهرت بها هذه المنشورات في الأصل.

وفيما يتعلق بالمغرب، يمكن القول إن سنة 1321 / 1904

تشكل بداية البيبليوغرافيا المغربية. فابتداءً من هذه السنة تولت البعثة العلمية للمغرب بطنجة نشر لائحة للمقتنيات (مخطوطات ومطبوعات تهم المغرب) ضمن سلسلتها *الوثائق المغربية* *Les Archives Marocaines* (1904 - 1936).

ثم ظهرت البيبليوغرافيا المغربية بمجلة *هسبريس* *Hespéris* سنة 1921 التي كان يصدرها معهد الأبحاث العليا المغربية. وابتداء من سنة 1923 تم التعاون مع الخزانة العامة بالرباط لإنجاز هذا العمل، حيث أصبحت القائمة تحوي الكتب والتقارير، وكذا المقالات التي تهم المغرب، ويتم توزيعها على ما لا يقل عن أربعين مادة، تهم المغرب وحضارته وتشكل مادة أساسية لكل بحث يتعلق بالمغرب العربي بصفة عامة، وبالمغرب الأقصى بصفة خاصة.

يهم مجموع ما نشرته مجلة هسبريس في باب البيبليوغرافيا المغربية من سنة 1921 إلى سنة 1955 المنشورات المتعلقة بالمغرب الصادرة فيما بين سنوات 1921 و1951. وتأخر نشر البيبليوغرافيا المغربية لسنتي 1952 و1953 بمجلة *هسبريس تمودا* إلى الجزء الثالث سنة 1962.

أصدرت الخزانة العامة بالرباط وبموازاة مع ما سبق، دورية بيبليوغرافية أسبوعية بعنوان أنباء البيبلوغرافيا المغربية *Les Informations bibliographiques marocaines* تتضمن قائمة الكتب والمقالات الصادرة في الخارج التي تهم المغرب في مختلف المجالات. وأصبحت هذه الدورية الأسبوعية شهرية ابتداء من سنة 1947 ثم اختفت سنة 1961.

وبعد ذلك تكونت بالخزانة العامة بالرباط شعبة تهتم بفرز المجلات العربية واستمر طبع البيبليوغرافيا الوطنية المغربية من سنة 1962 إلى سنة 1963 ثم توقفت لتستأنف عملها سنة 1982. وهي تعتمد على الإيداع القانوني وتطبع على استانسيل.

عبدالمجيد بن يوسف ومحمد جادة

**البيبوج**، ورد هذا الاسم بهاته الصيغة في عدد من المصادر القديمة مثل *المن بالإمامة* لابن صاحب الصلاة *والمعجب* للمراكشي *والبيان المغرب* لابن عذاري. وهو مأخوذ من كلمة El Baboso التي معناها كثير اللعاب وهو لقب لفرناندو الثاني ملك مملكة ليون الناشئة عن تقسيم مملكة قشتالة الكبرى. وقد ظل ملكا عليها حتى وفاته سنة 1188م. وكانت له علاقات متينة مع الموحدين.

والذي يهمنا في هاته المادة ليس هو تقديم ترجمة كاملة للبيبوج ملك مملكة ليون الإيبيرية، وإنما علاقاته بالدولة الموحدية. فقد أمضى عقد صلح وتحالف مع الخليفة يوسف ابن عبد المومن، ليستطيع الوقوف في وجه ألفونسو هنريكيز ملك البرتغال ويحول بينه وبين مزيد من التوسع في الأراضي القشتالية. وقد تمكن الموحدون بفضل هذا التعاون من أن يخترقوا بجيوشهم أرض قشتالة ويصلوا إلى حدود أسترياس المسامتة لجبال البيريني.

وظهرت فائدة الحلف بعد ذلك حينما حاول ألفونسو هنريكيز الاستيلاء على مدينة بطليوس Badajoz وظلت قصبتها الحصينة تقاوم تحت قيادة واليها عمر بن تمصليت، منتظرا وصول المدد الموحدي من أشبيلية. لكن الذي أنقذ الموقف كان هو البيبوج في سنة 564 / 1169، حين هب نحو المدينة وتعاون مع ابن تمصليت فهاجموا البرتغاليين داخل بطليوس وهزموهم. وفي تلك الواقعة كسرت ساقه، وكان البيبوج وفيا للموحدين إذ سلم المدينة لابن تمصليت وترك الغنائم لهم. وتجدد الخطر على بطليوس في سنة 566 وجاء فرناندو مرة أخرى لصد الهجوم عنها والتقى هنالك بالسيد أبي سعيد، حيث أكدا الصداقة والتعاون بينهما، وانصرف ملك ليون إلى حال سبيله بينما استولى أبو سعيد على حصن جلمانية لتعزيز الدفاع عن بطليوس.

استمرت هاته العلاقات سلمية وودية إلى آخر سنة 569 / 1174 فانقلبت إلى عداوة، حيث فاجأ فرناندو البيبوج الموحدين بعدوانه على أراضي الأندلس، مما دفع بالخليفة يوسف إلى رد الهجوم وقاد الجيش أخوه السيد أبو حفص سنة 570 / 1175 ووصل إلى عاصمة ليون مدينة ردريگو المعروفة في المصادر العربية باسم السبطاطو فاحتل بعض الحصون هنالك. وتجدد عدوان البيبوج على الأندلس في سنة 573 / 1177 فغزا فحص أشبيلية ونزل إلى شريش، لكن الموحدين استطاعوا أن يهزموه ويقضوا على قواته. ودخل فرناندو بعد ذلك في التحالف النصراني، وكان يهاجم الأندلس في الوقت الذي كان فيه البرتغاليون يتأهبون للدفاع عن شنترين. ثم جاء على رأس قواته ليساندهم، وذلك في الحادثة التي انتهت بوفاة يوسف سنة 580 / 1184 وتوفي البيبوج بعد ذلك بأربع سنوات.

ع. ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، بيروت، 1964 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، القاهرة، 1949 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

**بيبي**، أو الديك الرومي، بهذا يعرف في المغرب ويسمى في مصر الديك الحبشي، وفي الشام الديك الهندي وهو طائر أهلي من فصيلة مليا‌گرددي Meléagrididae ورتبة الدجاجيات Galliformes. يسمى علميا Meleagris gallapavo. مهده الأصلي أمريكا الوسطى والشمالية حيث كان يعيش متوحشا مع نظيره Meleagris ocellata. يسمى ديكا هنديا نسبة إلى أمريكا التي كانت تسمى الهند الغربية وكان اليونانيون يطلقونه على الغرغز Guineafowl لا على هذا الطائر الذي كان مجهولا قبل اكتشاف أمريكا.

في هذا الجنس أنواع منها الديك الرومي الأهلي "بيبي" الذي يربى وله سلالات.

الرأس صغير وخال من الريش، يحمل عدة نُتُوءات لحمية وفوق منقاره القصير القوي توجد حديبة نعوضة على شكل خرطوم صغير. يكسو الجسم ريش أسود معدني اللمعان. الأصابع طويلة، الجناحان دائريان، الذيل دائري ويتكون من 18 ريشة عريضة وطويلة، العينان صفراء والأرجل بنفسجية سوداء. يتراوح طول الجسم ما بين 110

و120 سم ويبلغ طول بسطة جناحيه 146 ـ 165 سم. طول جناحه 50 سم وطول ذيله 40 سم. الأنثى أقل حجما وطولا من الذكر ولا يتعدى طولها 96 سم. يتراوح وزنه ما بين 7 و18 كلم.

يصنع عشه على الأرض بواسطة أعشاب جافة وتضع الأنثى من عشر إلى عشرين بيضة تحضنها مدة ثمانية وعشرين يوماً.

وقد أدخل إلى أوروبا منذ القرن السادس عشر وبعد ذلك انتشر في إفريقيا وآسيا. ويكثر اليوم في البادية المغربية يربى مع الدجاج والإوز الأهلي وكثيرا ما يُخلط بيضه مع بيض الدجاج فتحضنها الدجاجة وتربي الصغار مع فراخ الدجاج.

A.E. Brehm, *La vie des animaux illustrée : les oiseaux.* Edit. Baillière, 1910 ; *Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et des Techniques III, Les oiseaux.*

محمد رمضاني

**بيبي**، (سيدي ـ) صالح يسمى أحمد بابَ ولد محمد ابن عبدالله السباعي مدفون قرب ساحل تيزنيت. ينتمي إلى فرقة أولاد البكّار السباعية. كان فقيها عالما يدرس بقبيلة اشتوكة في سوس، ولعله عاش في أواخر عهد الدولة السعدية. وقد اشتهر عند أهل سوس باسم سيدي بيبي تحريفاً لسيدي بابَ. ويبعد ضريحه عن مركز أيت ملّولَ في طريق تيزنيت بحوالي أحد عشر كيلومتراً. ويقام إزاءه موسم ديني وتجاري كلّ سنة وسوقٌ كل أسبوع.

*روايات شفوية* عن السيد الباقر مولاي علي السباعي أحد المهتمين والعارفين بأنساب السباعيين بسوق الزربية بمراكش.

م. حسن كفناني

**بيبي لَخْلاَ**، أو أبو منجل، طائر من فصيلة اللقالق، وهي طيور من رتبة طوال الساق Geronticus erenita وهو اسمه العلمي، ويعرف في المغرب تحت اسم بيبي لَخْلاَ لكثرة شبهه بالدجاج الرومي "بيبي".

يبلغ طوله 75 سم وتتراوح بسطة جناحيه ما بين 125 و135 سم. يبلغ طول الجناح 42 سم. وطول الذيل 22 سم وطول المنقار 14 سم. يكسوه ريش أسود ناعم يميل إلى الاخضرار المعدني عند انعكاس النور. منقاره ورأسه ورجلاه حمراء. يتميز عن باقي الطيور بمنقاره المنحني وبرأسه المنعدم الريش.

يتغذى بالضفادع والثعابين والعضايا والأسماك والحشرات والعناكب والرخويات وصغار الطيور أحيانا.

يعيش وسط مجموعات عديدة الأفراد ويبني عشه على الانحدارات الجبلية والساحلية البعيدة عن السكان. يبعد كل عش عن الآخر بنحو خمسة أمتار، ويساهم الزوجان في تكوينه ابتداء من شهر فبراير. تبيض الأنثى في مدة تتراوح ما بين شهر مارس إلى غاية منتصف شهر أبريل ما بين بيضة وأربع بيضات، ونادراً خمس أو ست بيضات. تبتدئ الحضانة منذ ولادة البيضة الأولى وتدوم 24 يوما وأحياناً 28 يوما. تزن البيضة 65 غراماً ويبلغ قطرها الطويل 63 ملم وقطرها الصغير 44 ملم. لونها أزرق مصفر مزركش بنقط صغيرة بُنّية.

تبقى الصغار داخل الأوكار زهاء خمسين يوماً، يكسوها زغب رمادي ومنقارها برتقالي محمر. ترافق الكبار أثناء تنقلاتها ولا تصل سن البلوغ إلا بعد ثلاث سنوات. ·

تبتدئ الهجرة نحو الشرق منذ بداية غشت وتعود إلى المغرب في بداية فبراير. عرف هذا الطائر تقلصاً كبيراً في عدده، ويعد من الطيور المهددة بالانقراض في العالم حيث لم يبق منه إلا مجموعتان : مجموعة تعيش في تركيا ومجموعة تعيش في المغرب.

توجد حاليا بالمغرب ثمان وحدات تتكون من أفراد يتراوح عددها ما بين تسعة واثنين وسبعين. منها ثلاث وحدات تعيش في الأطلس الكبير، واحدة في الحوز وأربع تعيش على الساحل الأطلسي قرب ماسة.

تقضي هذه الوحدات فصل الشتاء على الساحل الأطلسي قرب أگادير وذلك بداخل المخلف الإحيائي بماسة.

M. Thevenot, P. Bergier et P. Beaubrun, *Compte rendu d'ornithologie marocaine, Doc. Ins. Sc.*, N° 6, 1981 ; H. Colin, *Les nids , les œufs et les poussins d'Europe*, Paris, 1977 ; H. Heinzel, R. Fitter, and J. Parslow, *The Birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East* , edit. Collins, 1972.

محمد رمضاني

**بيبيس**، ـ بتخفيف الباءين ـ الحسن بن عمر، أخذ هذا اللقب عن عائلته القديمة "إد بيبيس" من فخدة أيت علي بقبيلة الأخصاص السوسية، فعرف بذلك اللقب. تحدث عنه صاحب *المعسول* في غير ما موضع، ووصفه في *رجالات العلم العربي في سوس* (ص 179) بقوله : "من أفذاذ العلماء المشاهير في جنوب سوس في عهد طويل برز في الميادين العلمية كلها، فدرّس وخرّج وقضى وأفتى... وينسب إلى الشيخ محمد بن يبدير دفين تاغلولو بالأطلس الصغير.

أخذ بيبيس القرآن عن الأستاذ الحسين بن أحمد امزووگ" الأخصاصي، والعلم عن إبراهيم الگادزني، ثم استتم معلوماته على يد سعيد الشريف الكثيري، الذي أجازه إجازة عامة مطلقة بشرطها المعتبر عام 1278 / 1861.

تعلن إجازة الشريف الكثيري عن مكانة العلامة الحسين ببيبيس منذ تخرجه، يضاف إلى ذلك جده واجتهاده وصبره الطويل. وقد تخرج على يده كثير من الفقهاء وكوّن خزانة من المخطوطات معظمها بخطه، أضف إلى ذلك حفظه الغزير ومزاولته للنوازل والفصل بين الناس، بل كانت تستأنف لديه أحكام غيره من القضاة فيفصل فيها.

وقد ذكر لي السيد الهادي بن بلقاسم الأخصاصي أن ببيبس "أضاف إلى أعماله العلمية والشرعية تدخله في إصلاح ذات البين كلما وقع نزاع في قبيلة الأخصاص عامة بحيث لا يستطيع أحد أن يتخطى قوله وحكمه، إذ كانت العامة تعتقد فيه وتحترمه" ووصفه الأكراري بـ "الفقيه العالم المدرس الحيسوبي، ولا يفارق التدريس من *الشيخ خليل والألفية وابن عاصم والسملالية* والأمهات الصغار، ولا يحوم حول الأصول والمعاني والعروض والمنطق ولا يعرف في أي قبيل هو". توفي عام 1339 / 1920.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 8 : 40 ؛ *رجالات العلم العربي في سوس*، 179 ؛ *إجازة سعيد الكثيري*، مخطوطة.

الحسين جهادي

**بيبيط**، طائر من طوال الساق يألف ضفاف الأنهار والمناقع والبحيرات القارية والساحلية. وهو اسمه الشائع في المغرب، ويسمى في المعاجم بوطيط وأبوطيط.

ينتمي إلى رتبة Charadriiformes وفصيلة Charadriidae ويسمى علميا Vannellus وبالفرنسية Vanneau huppe. يتميز عن باقي الطيور بقبعة سوداء طويلة فوق رأسه. يبلغ طوله 30 سم ويزن ما بين 170 و260 غ. تبلغ بسطة جناحيه 72 سم. الجناحان دائريتان أسفلها أبيض محفوف بالأسود. الظهر والعنق والرأس سوداء معدنية اللمعان. الذيل أبيض ينتمي في مؤخرته بخط أسود.

يتوالد بين مارس ويونيه ويضع عشه بين الأعشاب الكثيفة المحاطة بالمناقع والبحيرات. تضع الأنثى أربع بيضات منقطة بالأوسط يتراوح وزنها ما بين 20 و30 غ وتحضنها 27 يوماً لتعطي صغاراً سريعة المشي تغادر الأوكار مباشرة بعد التفقيس. كثيراً ما توضع الأعشاش متقاربة في مكان واحد.

إنه من الطيور القواطع يأتي إلى المغرب من أوروبا ابتداء من دسمبر. ونجده بكثرة في البحيرات الساحلية الشمالية مثل مولاي بوسلهام وبحيرة سمير قرب تطوان وسبخة بوعرگ قرب الناظور. يفوق عدده 200 فرد في معظم البحيرات القارية الموجودة بالأطلس المتوسط ونجده أيضا في جنوب المغرب في مصب وادي ماسة ووادي درعة ووادي شبيكة، وذلك ما بين دجنبر وفبراير.

يتغذى من الحشرات والديدان والحبوب. يعود إلى أوروبا ليتوالد في أواخر فصل الربيع ويبقى في شمال المغرب (بحيرة مولاي بوسلهام) ما بين 100 و200 فرد تتوالد هناك كل سنة وذلك منذ إنشاء المخلف الإحيائي بهذه المنطقة.

P. C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc : janvier 1986 - 87 - 88. Doc. Inst. Sc.* n° 11, Rabat, 1988 ; W. Reade et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids : reproduction, œufs et jeunes,* Paris, 1968, p. 191 - 192 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East.*, London, 1984, p. 124 - 125.

محمد رمضاني

**بيت المال**، مصطلح يدل على المكان الذي تودع فيه أموال الدولة، وهو ما يصطلح على تسميته الخزينة العامة في عصرنا الحالي. ليست لنا أوصاف دقيقة عنه في المصادر، وإنما ترد الإشارة إليه عرضا في روايات المؤرخين. وفي وصف مسجد دمشق عند البشاري المقدسي في كتابه *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم* إشارة إلى كون هذا المسجد كان يحتضن جناحاً خاصاً بإيداع الأموال العمومية، وذلك حين يقول : "وعلى الميمنة في الصحن بيت مال على ثمانية عمد مرصعة حيطانه بالفسيفساء"، مما يدل على أن المسجد في عهوده الأولى ربما كان يتخذ مكاناً تنشأ في بعض جهاته بناية خاصة تدعى "بيت المال" وذلك نظراً لحرمته وكون مثل هاته المؤسسة ستصبح تحت مراقبة سائر المسلمين. وكثيراً ما ترد هاته العبارة في النصوص "بيت مال المسلمين".

وعلى أي، فالمؤسسة قديمة قدم الاسلام. فمنذ عهد الرسول عليه السلام، بدأت المواردالمالية تتكاثر شيئا فشيئا في يد الجماعة الإسلامية الأولى تبعا لتوسع رقعة الإسلام وما كان يجنيه المسلمون من الغنائم إثر عزواتهم المتعددة. وكان من حق الرسول أن يحتفظ بخمس الغنائم تطبيقا للآية القرآنية : *"واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل"* (سورة الأنفال، 8 : 48).

فهذه الأموال التي تجمعت من الغنائم اقتضت أخذ الحيطة لتدبيرها لصالح جماعة المسلمين، سيما وتجندهم لنشر الدعوة الإسلامية ومجابهة الأعداء في ساحات القتال كانت تتطلب منهم الاستعداد بالسلاح والدواب. مما يترتب عنه تخصيص حصة من الأموال المكتسبة لنفقات الجماعة. وسيظل الجيش في تاريخ الإسلام هو المخصوص بأكبر حصة من موارد الدولة المالية.

ومع استحداث نظام الخلافة وتوسع اختصاصاتها وامتداد سلطاتها في امبراطورية آخذة في النمو السريع مع انتشار الفتوح في كل الاتجاهات أنشئت حكومة منظمة تشتمل على عدة دواوين، كان من بينها دواوين خاصة بالمالية نذكر من بينها على الخصوص ديوان الخراج الذي كان يتولى الإشراف على جبايات الدولة. وفي عهد العباسيين تعددت الدواوين المكلفة بالشؤون المالية، واستحدث بيتان للمال : بيت المال العمومي وبيت مال الخاصة الذي هو بيت مال خاص بالخليفة يتصرف فيه حسب مشيئته.

وكان يُميَّزُ في الأندلس بين خزانة المال التي هي بيت المال العمومي وبين بيت المال الذي كان تحت عهدة القاضي ويستمد موارده من الأوقاف. تختص ذخائر بيت المال هذا بالشؤون الدينية ويوجد مبناه داخل المسجد الجامع بقرطبة والقاضي وحده هو الذي له حق التصرف فيه.

وأما خزانة المال فكانت توجد بقصر السلطان في حجرات محصنة ومقفلة بإحكام. وإلى جانبها نجد أيضا بيت مال الخاصة الذي هو مستقل عنها تمام الاستقلال وكان يتغذى من مكس يدعى زكاة السوق ومن المستخلص الذي يعني مردود الضياع السلطانية. ويظل تحت التصرف المطلق للأمير أو الخليفة.

كان لا بد من هاته المقدمة لننتقل إلى الحديث عن المغرب الذي استفاد كثيرا من النموذجين المشرقي والأندلسي، سيما إذا وضعنا في الاعتبار الاتصال الوثيق الذي وقع بين المغرب والأندلس منذ عهد المرابطين ودخول عدد من الأندلسيين في جهاز الدولة المغربية كرجال لهم خبرة واختصاص في الشؤون الإدارية.

ومن دون شك، أن بيت المال وجد في المغرب منذ عهد الأدارسة، لكن مصادرنا لا تتحدث عن ذلك، معتبرة أنه من المؤسسات الطبيعية التي لا تحتاج إلى إشارة وتنصيص. ونجد الإشارة إلى وجود بيت المال بالمغرب في جملة وردت في *روض القرطاس* وهو يتحدث عن يوسف بن تاشفين، ذاكراً "أنهم وجدوا في بيت المال بعد وفاته ثلاثة عشر ألف ربع من الورق وخمسة آلاف وأربعين من دنانير الذهب" (ص. 137) وإحصاء دقيق بهاته الصورة يفترض وجود بيت مال منظم. ونفس المصدر عند حديثه عن يوسف بن المومن الموحدي يذكر أنه عين الفقيه القاضي أبا عبد الله بن الصقر على "الخزائن وبيوت الأموال" (ص. 207) دالا بهذا الجمع على التوسع الذي عرفته المؤسسة وعلى احتياج الدولة إلى فقيه وقاض من أعلى مستوى لتطويقه بهاته المهمة. وتأتي الإشارة بعد ذلك إلى بيت المال وخازن المال في جملة من المصادر، فابن عذاري، مثلا، في فصله المعنون "سطوة الخليفة أبي يعقوب بعمال مدينة فاس وأنظارها" يذكر من بين الموظفين الذين قبض عليهم مشرف فاس عبد الرحمن بن يحيى" و"خازنه على المال الذهبي وخازنه أيضا على الطعام الطرحوقي" (ص. 158) وفي مكان آخر يشير إلى المخازن حين قدم أبو الحسن إلى تلمسان "ومكن يده في المخازن بوجوه الإمكان" وعند تعرضه لحركة الناصر إلى الأندلس تطرق إلى الحديث عن الضائقة التي كان يعاني منها المغرب في تلك الآونة وعما صادفه الخليفة من صعوبات مادية في طريقه حيث "لم يبق منها لمخازن السلطان الوافرة أثر، ولا يتضح لخازنها دليل ولا نظر، واستولى على عموم المحلة الإقتار" (ص. 259) وكلمة "مخزن" ترد في هذا المصدر غير ما مرة. فأبو إسحاق براز كان صاحب المخزن ويقرض عبد المومن الطلبة من مال المخزن، وعندما تقع مصادرة يدفع مالها للمخزن. هكذا تكون كلمة مخزن أو مخازن تدل في الغالب على بيت أو بيوت المال. وفي نفس المصدر (ص.251) نجد في مقطوعة شعرية هذا البيت تنديدا بأحد الكتاب المكلفين بالأشغال.

ويد ابن عمرو أصبحت لعلية ترمي وبيت المال بئس المعتل

وابن خلدون في مقدمته يحدثنا، هو أيضا، عن الإدارة المالية في الدولة الإسلامية في فصل عنوانه "ديوان الأعمال والجبايات" ويوضح أهمية هذا الديوان بقوله : "وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك، بل هي ثالثة أركانه، لأن الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه" (ص. 433). ويوضح شروط الخطة والمكلف بها. وهي على نوعين:

- شروط قانونية : يلخصها ابن خلدون بقوله : "وأما ما يتعلق بهذه الوظيفة من الأحكام الشرعية مما يختص بالجيش أو بيت المال في الدخل والخرج وتمييز النواحي بالصلح والعنوة، وفي تقليد هذه الوظيفة لمن يكون، وشروط الناظر فيها والكاتب وقوانين الحسبانات، فأمر راجع إلى كتب الأحكام السلطانية، وهي مسطورة هنالك وليست من غرض كتابنا". وهكذا، فإن بيت المال كان يخضع، على الأقل من الوجهة النظرية، لجملة من الأحكام الشرعية.

- شروط إدارية : تتميز بها هاته الخطة عن غيرها وتنصب على اختيار الشخص المناسب لها. ويضرب ابن خلدون المثل بدولة الموحدين فيقول : "وأما في دولة الموحدين، فكان صاحبها إنما يكون من الموحدين يستقل بالنظر في استخراج الأموال وجمعها وضبطها وتعقب نظر الولاة والعمال فيها، ثم تنفيذها على قدرها وفي مواقيتها. وكان يعرف بصاحب الأشغال، وكان ربما يليها في الجهات غير الموحدين ممن يحسنها" (ص. 434) برز اتجاه الموحدين، إذن، في توحيد السلطة المالية وإسنادها لمسؤول من رجالهم. ومن المنطقي أن يكون خزان الأموال داخلين في هاته البنية الإدارية الموحدة.

واستمرت تلك السلطة على صورتها الموحدة في عهد بني مرين كما يشهد بذلك معاصرهم ابن خلدون : " وأما دولة بني مرين لهذا العهد، فحسبان العطاء والخراج مجموع لواحد. وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسبانات كلها، ويرجع إلى ديوانه ونظره معقب بنظر السلطان أو

الوزير". ويقدم لنا ابن مرزوق في كتابه *المسند الصحيح الحسن* معلومات مفيدة في هذا الصدد. فهو يتحدث عن نقل المال من "المودع البراني" لإحصائه وشده في بيت المال. ويكون المال في الخرائط "وفي كل خريطة ألف دينار ذهباً". والخريطة هنا معناها كما ورد في *المصباح* شبه كيس يُشرج من أديم وخرق. ويشتغل الشدادون بشد تلك الأموال (*المسند*، ص 310) وفي مكان آخر يتحدث ابن مرزوق عن شهود بيت المال، مشيراً إلى تعيين السلطان لشخص في هذا المنصب بقوله : "فعينه مولانا في شهداء البيت، وهي أشرف خطط العدالة، يشهدون على الحاصل في بيوت الأموال، الداخل والخارج ويرجع إليهم سائر الأعمال وترفع لهم الجرائد" (ص. 314)، كما نستفيد من نفس المصدر تعدد بيوت الأموال. فقد وعظ ابن الإمام أبا الحسن المريني قائلا في جملة ما قال له : "إن الله عز وجل قد استرعاك رعية وجعلك وكيلا على من استرعاك عليهم، وللمسلمين عليك حق كما لك عليهم. وهل هذه البيوت، بيوت الأموال التي تجمعونها والجبايات التي تجبونها، إلا مرصدة لما يحتاج إليه المسلمون ..." (ص. 162).

كانت هنالك مراقبة صارمة على بيت المال، كما يظهر من تعدد النكبات التي تعرض لها المشرفون والعمال والخزانون في عهد الموحدين. وكما يحصل اليوم، كان هنالك بعض المكلفين الذين يخونون الأمانة فيترامون على مال الدولة، كما وقع لذلك الفقيه الخطيب الذي تحدث عنه ابن مرزوق والذي "تلفت أموال المسلمين من يديه" وعرض على لجنة فيها عبد المهيمن الحضرمي والقاضي وغيرهما (انظر القصة في *المسند*، ص. 231).

ومن دون شك أن بني وطاس حافظوا على النظام الذي ورثوه عن أبناء عمهم بني مرين، إلا أن سلطتهم كانت، كما هو معلوم، محصورة في بعض الأقاليم بالشمال، وغلبت على عهدهم الفوضى والاضطرابات، وكانوا أحوج ما يكون إلى المال لمواجهة العدوان البرتغالي المكثف على شواطئ المغرب.

ومع قيام الدولة السعدية استرجع المغرب وحدته وطرد الأجانب من أكثر الجيوب المحتلة وانتعشت طرق المواصلات القافلية عبر الصحراء، وتمكن المنصور الذهبي من إخضاع جزء كبير من السودان لسيطرته، فاغتنت الدولة وكثرت مواردها المالية. فسبكت بكثرة الدنانير الذهبية والدراهم الفضية وعمد المنصور إلى تنظيم إدارته المالية تنظيماً محكماً، وجعل على رأسها صاحب خزائن الدار المؤتمن في القصر السلطاني على أموال المخزن، وعين الأمناء في المدن والأقاليم وعمال الخراج المتخصصين في الجبايات عن العقارات الزراعية، وعمال مخازن الأقوات وحفظة أخماس الغنائم والمكلفين بدواوين أرزاق الجند. وهكذا بنيت الإدارة المالية في عهد المنصور على كثير من الضبط والإحكام واعتبرت من المهام الأساسية في المخزن كما يفهم ذلك من نص تعيين مسؤول كبير عن الأموال : "وفوض له الإشراف على ما يورده الجباة والعمال ببيوت الأموال ومخازن الأقوات، وافتقادها في كل الأوقات، ومحاسبة حفظة الغنائم... وضبط دواوين أرزاق الجند والخراج" (ع. كريم، *المغرب*، 269).

لكن، هل حافظت الإدارة المالية على نظامها المحكم بعد وفاة المنصور وقيام الفتنة بين أولاده وظهور تحركات سياسية من جهات مختلفة ؟ من الواضح أن المكاسب التي تمت في عهده وقع ضياع أكثرها، فتقلصت السلطة وتناقصت مداخيل المخزن واستمرت الأزمة إلى قيام الدولة العلوية، متمثلة في اقتسام الأرض المغربية بين عدة سلطات : السعديين في مراكش ونواحيها ؛ السملاليين في سوس ؛ الدلائيين في تادلا والأطلس المتوسط ؛ العياشي في الشمال الغربي.

أعاد قيام الدولة العلوية إلى المغرب وحدته. وبفضل ما أظهره كل من مولاي رشيد (1666 ـ 1672) ومولاي إسماعيل (1672 ـ 1727) من إرادة قوية في إعادة بناء الدولة وتقوية مؤسساتها، امتلأت الخزائن بالأموال وأمكن لمولاي إسماعيل تأسيس عاصمة جديدة، وتجهيز البلاد بعشرات من القصبات، وتكوين جيش نظامي من العبيد، والقيام بجملة من العمليات العسكرية إما لتحرير الجيوب المحتلة من لدن الأجانب وإما لنشر الأمن في سائر ربوع المغرب. لكن يجب أن نلاحظ بأن الدولة لم تعد تكتفي بالضرائب الشرعية لتزويد بيت المال، بل أصبحت تلجأ إلى تدابير استثنائية، من قبيل التدخل في التجارة الخارجية وفرض ضرائب استثنائية على سكان المدن، واللجوء إلى المكوس. وفي هذا الصدد يشهد القادري في *نشر المثاني* "وفي آخر ذي الحجة عام 1106 هـ، وضعت المكوس في جميع البلدان المغربية بطلبها من بعض العمال" (3 : 73) واستمرت سياسة المكوس سواء في عهد الأزمة أو في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله أو عهد المولى سليمان بل وطوال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى قيام الحماية سنة 1912. وليس من موضوعنا أن ندرس السياسة المالية ونتعمق في تحليل الجبايات، وإنما قصدنا أن نبين الموارد الجديدة التي أصبحت تغذي بيت المال في وقت تطورت فيه أحوال العالم وغدا المغرب يجابه مصاريف متزايدة للحفاظ على استقلاله.

والحقيقة أن اللجوء إلى المكوس لم يكن ظاهرة خاصة بعهد الدولة العلوية بل إننا نجد أثرها منذ عهد المرابطين. وأصبح الفقهاء في كتاباتهم يميزون بين الضرائب الشرعية التي تشتمل على الزكاة والأعشار والجزية والخراج وبين الضرائب غير الشرعية ويعترضون في فتاواهم على الدولة كلما لجأت إلى هاته الأخيرة. وقد أورد صاحب *الاستقصا* في آخر كتابه تحليلا لموقف الفقهاء الذين لم يكونوا كلهم على رأي واحد في هاته القضية. والحقيقة أن "الضريبة الشرعية" لم تعد كافية لتغطية مصاريف الدولة الإسلامية، بعد توسع رقعتها واحتياجها إلى جيش نظامي قوي وبيئة

إدارية مكثفة. لذلك فإن محاولة الاقتصار عليها لم يطل أمدها، فنجد اللجوء إلى المكوس في المغرب يقع منذ عهد علي بن يوسف المرابطي، على الأقل، مع اشتهاره بالتدين والتقوى.

ومنْ جملة الضرائب غيرالشرعية التي كانت تغذي بيت المال منذ تلك العهود القديمة، نذكر، على الخصوص، مكوس الأبواب وضرائب التجارة والقبالة والخفارج والمصادرات والفريضة والنايبة والغرامة والمعونة والوزيعة الخ...

انتهى بيت المال التقليدي، بالطبع، مع قيام نظام الحماية ودخول المغرب في اقتباس الأنظمة العصرية، فحلت محله الخزينة العامة والبنك المخزني المغربي الذي أصبح يسمى اليوم بنك المغرب. ومهما لاحظنا من ملاحظات على مؤسسة بيت المال، فلا ننس أنها هي التي احتضنت الأموال العمومية المغربية طوال مدة تناهز اثنى عشر قرناً.


أ. البكري، *المغرب في ذكر أفريقية* ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، بيروت، 1965 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1956 ـ 1959 ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار*، مجلة "البحث العلمي" عدد أول 64 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981 ؛ أ. الونشريشي، المعيار، بيروت ؛ م. المنوني، *ورقات في الحضارة المرينية*، الرباط، 1979 ؛ علاش، *نظام الحكم عند الموحدين*، مخطوط ؛ ع. موسى، *الموحدون في الغرب الاسلامي*، بيروت 1991 ؛ ح. الجنحاني، *دراسات في التاريخ الاقتصادي*، بيروت 1986 ؛ هوبكنز، *النظم الاسلامية في المغرب*، تونس 1980.

E. Levi-Provençal, *Histoire de l'Espane musulmane*, Paris, 1967 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1947 ; G. Marçais, *La Berbérie musulmane*, Paris, 1946 ; E. Michaux-Bellaire, *Les impôts marocains, A. M. I* ; *L'organisation des finances, A. M. II.*


محمد زنيبر

**پيتان**، فيليپ Petain Philippe، ضابط فرنسي وقع مصير المغرب بيده مرتين خلال النصف الأول من القرن العشرين، مرة أولى كقائد أعلى للجيوش الفرنسية المرابطة بالمغرب لإخماد الثورة الريفية سنة 1925، ومرة ثانية كرئيس للدولة الفرنسية بعد انهزام الجيوش الفرنسية أمام الجيوش الألمانية في ربيع سنة 1940.

لم يكن فيليپ پيتان شيئاً مذكوراً في الجيش الفرنسي إلى حدود اندلاع الحرب العالمية الأولى، فإنه كان قد ناهز الستين من عمره وأوشك على التقاعد برتبة كولونيل، لكن ما أن اشتعلت الحرب ونزل إلى ميدان القتال حتى تسلق أعلى الدرجات العسكرية وذاع صيته بعد دفاعه الرتيب عن مدينة فردان Verdun الواقعة على الحدود بين فرنسا وألمانيا (فبراير 1916)، وازداد شهرة وشعبية لما استطاع أن يخمد موجة خطيرة من العصيان تفشّت في صفوف الجنود لما أصابهم من الوهن الجسدي والمعنوي من هول سكون الحرب بالخنادق، حيث أنزل شديد العقاب بدعاة التخاذل والشغب لكنه اجتهد أيضا لتحسين الأوضاع الصحية ووسائل التموين لكافة المقاتلين، فتجلت عبقريته القيادية وبات مشهوداً له بالفضل لدى الجميع لما كان يُبديه من رباطة الجأش ومن صلب الإرادة عند استعمال أدوات الفتك. ولما أعاد روح الانضباط إلى الصفوف سنة 1917 بات من الممكن خوض معارك الانتصار سنة 1918، سيما وأن الجيوش الأميريكية كانت قد تدخلت في المعركة وأمدت القيادة الفرنسية بوسائل الدمار فعجز الجيش الألماني في ظرف وجيز عن الصمود لها.

هكذا خرج پيتان من الحرب العالمية الأولى بسمعة الأبطال ومنح لأجل ذلك رتبة مارشال التي هي أعلى رتبة في السلم الفرنسي (دجنبر 1918) تخول صاحبها، بحكم القانون، منصب خليفة رئيس المجلس الأعلى للدفاع، أو الناظر العسكري الأول في كل ما يتصل بأمن الدولة الفرنسية في الداخل والخارج، كما تخوله سلطة معنوية من شأنها أن تخرج من حيز القوة إلى حيز الفعل كلما اقتضت الأحداث ذلك. ولجأت الحكومة إلى پيتان بصفة كونه أعلى سلطة عسكرية في البلاد في صيف سنة 1925، يوم اضطربت الأوضاع بالحماية الفرنسية بالمغرب من جراء عجز المارشال ليوطي المقيم العام آنذاك عن مراجهة الثورة الريفية بحيَله الفائتة، فجاء پيتان إلى المغرب مزوداً بما لا قبل لأحد قَبله من ضباط غزو المستعمرات من أعداد الجنود التي ناهزت 400.000 مقاتل، وبآخر ما جد في صناعة القتال من المدفعية الثقيلة والدبابات والطائرات التي صارت تقصف الريف، قممه ووهاده، مجاهديه وغير مجاهديه، بوابل من النار، واقتحمت الحصون الريفية من كل جهة، بعد اتفاق پيتان مع دكتاتور اسبانيا آنذاك خوسي أنطونيو پريمو دي ريبيرا José Antonio Primo de Reviera على شن هجوم مزدوج إسباني من الشمال وفرنسي من الجنوب ضد قبيلة بني ورياغل قبيلة محمد بن عبدالكريم، فاستحال على المقاومة الريفية أن تصمد أزيد من بضعة أشهر (أكتوبر 1925 ـ أبريل 1926) ووفق پيتان بذلك إلى إرساء الحماية الأوربية الثنائية بالمغرب فازداد الاقتناع بعبقريته رسوخا لدى جميع الأوساط الفرنسية وثبت في الأذهان أنه منقذ البلاد بلا منازع، ولما بدأ الخطر الألماني يلوح في الأفق من جديد بعد انتخاب آدلف هتلر Adolf Hitler مستشاراً للحكومة الألمانية سنة 1932، لم يعره الرأي العام الفرنسي كبير انتباه ليقينه بأن من يتوفر على فيليپ پيتان لا يخشى شيئاً من الخصوم، وقد كان المارشال أشار منذ سنة 1929 بإقامة جدار محصن على الحدود مع ألمانيا يعرف بجدار ماجينو Maginot باسم وزير الدفاع تلك السنة، وأسندت مهام وزارة الدفاع لپيتان مرتين خلال سنتي 1934 و1935 واعتبر ذلك بمثابة إشارة للألمان ليتذكروا، مع أن المارشال كان قد بلغ الثمانين من العمر وأصابه الصمم. ثم أسندت إليه سفارة فرنسا بإسبانيا سنة 1939 لإقناع الجنرال فرانكو بالكف عن التحالف مع ألمانيا النازية. ولما اندلعت

الحرب العالمية الثانية وافتضح ضعف الجيوش الفرنسية أمام خصومها، أسندت وزارة الدفاع لپيتان من جديد في شهر ماي سنة 1940 ليقين كل الأوساط الفرنسية أنه قادر رغم كبر سنه على إنقاذ البلاد، لكن الهزائم توالت على الجيش الفرنسي بدون انقطاع، وانهارت بانهيارها كل السلطاتُ الشرعية، وعمَّ الذهول والفزع فالتحمت الصفوف تلقائياً حول "بطل فردان"، وتخلى حكام فرنسا له عن طيب خاطر عن كل مسؤولية، إلا ما كان من الجنرال دي گول الذي لجأ إلى أنجلترا لمتابعة المقاومة، أما پيتان فإنه التمس الهدنة من هتلر وسانده في ذلك كبار المسؤولين عن المستعمرات وفي طليعتهم الجنرال نوگيس Noguès المقيم العام بالمغرب يومئذ، وكان التوقيع على الهدنة يوم 22 يوليوز سنة 1940.

كانت غاية پيتان منها : 1 - وقاية الشعب الفرنسي من ويلات مقاومة يائسة، 2 - إرساء الجيوش الألمانية داخل ما احتلوه من التراب الفرنسي حتى لا تمتد أيديهم إلى باقي البلاد وبالأحرى إلى المستعمرات، 3 - تحميل مسؤولية الهزيمة لنظام الجمهورية الثالثة حتى لا تلصق تبعة ذلك بالقيادة العليا للجيش بعد افتضاح تخاذلها وعجزها. 4 - إشباع رغبته في الاستبداد بالحكم التي ظل پيتان يضمرها إلى أن سمحت الظروف ببلورتها وكذلك خرف الشيخوخة، وهكذا تحولت الحكومة الفرنسية التي كانت قائمة على الشورى والانتخاب إلى نظام مقتبس من الإيديولوجيات الفاشستية والنازية، شعاره الشغل والأسرة والوطن وروحه العجرفة والعنصرية والرجعية التي كانت من صميم تقاليد اليمين بأوربا. ولما كان الجنرال نوگيس المقيم بالمغرب قد التزم بطاعة نظام پيتان، فإنه رام أن ينقل شيئا من تشريعات المارشال إلى المغرب، وكان ممن ساعده على وضعها وزير پيتان في الداخلية من غشت إلى دجنبر سنة 1940 مارسيل پيروتون Marcel Peyrouton المقيم العام سابقاً بتونس والمغرب المعروف بمعاداته لمبادئ الحرية والديمقراطية. وكان من الطبيعي أن تنشط دعاية پيتان وأنصاره بالمغرب، فإنها كانت تتفق وما يشير به عليه المعمرون وكبار موظفي الحماية من الاستبداد والجبروت.

إلا أن نفوذ پيتان بالمغرب لم يتجاوز تاريخ نزول القوات الأميريكية بشواطئ البلاد يوم 8 نونبر سنة 1942، ولما توحدت صفوف المقاومة الفرنسية بقيادة دي گول في ربيع سنة 1943 وَفَـرَّ الجنرال نوگيس من الرباط، انتقلت سلطة فرنسا بالمغرب نهائيا من يد المارشال إلى يد منافسه دي گول الذي كان من أقرب الضباط إليه قبل الحرب. ولما نزلت جيوش الحلفاء بفرنسا ابتداء من يونيه سنة 1944 وتقهقرت أمامها الجيوش النازية، تقهقر معها المارشال پيتان بالرغم منه، وظل أسيراً لديها بألمانيا إلى أن استطاع الفرار إلى سويسرا، ومن سويسرا أبى إلا أن يعود إلى فرنسا من تلقاء نفسه ليواجه المحكمة، فألقي عليه القبض بمجرد عبوره للحدود بين سويسرا وفرنسا وعرض على المحكمة فحكمت عليه بالإعدام، إلا أن الجنرال دي گول حول ذلك إلى سجن مؤبد، وبالسجن مات فيليب پيتان في شهر فبراير 1951، وهو موضوع نقاش بين الفرنسيين ما زال في تمام الحدة إلى يومنا هذا.

H. Amouroux, *Quarante millions de pétainistes*, Paris, 1977; J. P. Azéma et M. Winock, *La Troisième République*, Paris, 1978; R. Lohman, *Pétain*, Paris, 1984 ; O. Paxton, *La France de Vichy 1940- 1944*, Paris, 1973 ; D. Rivet, *Lyautey et l'institution du Protectorat au Maroc*, Paris, 1988 ; J. R. Tournoux, *Pétain et de Gaulle*, Paris, 1964.

إبراهيم بوطالب

**بِّـيتشو**، لقب اللاعب المغربي الممتاز لكرة القدم مصطَفى شكري الذي يمثل جيلا رائدا من الأجيال التي عرفتها كرة القدم المغربية كجيل الأب جيگو وأحمد الشهود والعربي بن مبارك وفرس وغيرهم.

كان بِّيتشو نابغة الكرة فكسب جمهوراً من المحبين الذين كثيراً ما استمتعوا بتقنياته ولعبه الأنيق. كان قليل الكلام، كثير العطاء، صعب المزاج، متمتعاً بمواصفات حميدة تتجلى في إخلاصه وحبه لفريقه. تربّى بين أحضان فريق الرجاء البيضاوي وأعطى جمهوره الشيء الكثير وحصل مع هذه الفرقة على كأس العرش في موسم سنة 1973 - 1974.

لقد كان بِّيتشو اللاعب رقم واحد داخل الميدان، هدافاً يقتنص الإصابات ويصنعها بحيث احتل المرتبة الثالثة سنة 1973 بتسجيله ثلاثة عشر هدفاً، كما احتل رتباً متميزة في سنوات أخرى، وترك بصمات واضحة في تاريخ كرة القدم المغربية سواء ضمن فريقه الأصلي أو ضمن النخبة الوطنية التي لعب لها ثلاثاً وثلاثين مرة، بحيث كان ضمن النخبة المغربية التي مثلت أفريقيا في كأس العالم بالمكسيك سنة 1970.

لعب بِّيتشو أيضاً ضمن صفوف فريق الوداد البيضاوي المنافس الخطير للرجاء، ثم اغترب في الديار المقدسة حيث لعب مع فريق الوحدة السعودي لمدة سنة واحدة (1978) حيث وافاه الأجل المحتوم بالديار المقدسة في 22 صفر عام 1399 / 22 يناير 1980.

جريدة *السياسة الكويتية*، 23 - 4 - 1990 ؛ *سجلات خاصة*.

عبد العزيز بلفايدة

**پيتون** (دو -) **پيير** Pierre de Piton لا نعرف أين ولا متى ولد، كان ضابطا في الجيش الفرنسي برتبة عقيد وبعدما ثبتت في حقه جريمة قتل غير متعمد، أوفده فرنسوا الأول ملك فرنسا على رأس سفارة لدى ملك فاس أحمد الوطاسي في غضون شهر ماي عام 1533. والجدير بالذكر أن هذه السفارة تقررت على إثر رحلة تجسسية قام بها إلى المغرب أيمون دو مولون Aymond de Molon. فوصف بعدها لملك فرنسا ما يزخر به المغرب من خيرات وثراء.

برح پيير، دو پيتون فرنسا على متن مركب يقوده ربان جنوي، رفقة خمسة من نبلاء بلده من بينهم إيمون دو مولون الذي تستَّر تحت قناع التاجر وحمل معه هدايا تتألف من

ساعات ومرايا وأمشاط وغير ذلك من جملة منتجات التزين وأدوات الصيد البري، وكل هذه الهدايا كانت موجهة إلى شقيق الملك وإلى صهره إبراهيم.

وفي عرض البحر نشب خلاف حاد بين البعثة الفرنسية وربان المركب، ولما نزل پيير دو پيتون بالعرائش فر الربان الجنوي على ظهر سفينة أخرى قاصداً البرتغال حيث أبلغ إلى حكام هذا البلد أن السفير الفرنسي نقل إلى ملك فاس عتاداً حربياً.

على إثر المقابلة التي تمت بين پيير دو پيتون والملك الوطاسي رخص هذا الأخير للسفن الفرنسية بالملاحة في المياه الإقليمية المغربية. بعد ذلك بأيام ولّى پيير دو پيتون ورفاقه عائدين إلى فرنسا ومعهم هدايا وخيول، لكن عاصفة هوجاء دفعت سفينتهم نحو شواطئ إسبانيا فماتوا تباعاً بمرض غريب، ولم ينج منهم إلا واحد تمكن من النزول ببر فرنسا في أواخر شتنبر من نفس السنة 1533.

*S.I.H.M.*

أحمد بنجلون

**پيتيجان** Petitjean، قبطان فرنسي من الفرقة الرابعة للمتطوعين التونسيين، قتل يوم 19 ماي سنة 1911 على بعد كيلومتر واحد شمال غربي القنيطرة على أيدي مجاهدي زمور وبني حسن الذين كانوا يرومون قطع الإمدادات عن جيش الجنرال موانيه Moinier الذي زحف في اتجاه مكناس وفاس، فلما قتل پيتيجان أمر موانيه بإطلاق اسمه على المعسكر الذي أقيم بجوار سيدي قاسم فطغى على اسم تلك المدينة لمدة الحماية. (انظر : سيدي قاسم).

P. Azan, *L'expédition de Fès*, Paris, 1924 ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939.

إبراهيم بوطالب

**بيتيكا**، Bétique والمغرب القديم. لم يشكل مضيق جبل طارق أي حاجز بين موريطانيا ـ المغرب الحالي ـ وبيتيكا (جنوب إسبانيا)، بل كان عكس ذلك أحد عوامل الربط ؛ هذا ما يفسر اختيار الفينيقيين لموقعي قادس وليكسوس للتحكم في الطرق التجارية العابرة للمضيق منذ أواخر الألف الثانية قبل الميلاد. ويشير شالوس إلى قدم هذه العلاقات (حرب يوغرطة).

إن قلة النصوص تدفع إلى الاعتماد على نتائج الحفريات لإثبات نوعية هذه العلاقات. كشفت الحفريات التي أجريت في مختلف جهات المغرب عن وجود كميات كبيرة من المنتجات الصناعية البيتيكية في المدن المغربية القديمة وخصوصا الأمفورات والمواد الخزفية، غير أننا لن نستطيع إعطاء أرقام دقيقة عن مختلف المواد التي كان المغرب يصدرها لبيتيكا ولا نشك في وجودها وبكميات كبيرة. سنحاول إعطاء نظرة عن المنتجات البيتيكية اعتماداً على اللقى الأثرية، في حين أننا لن نتمكن من إعطاء نظرة عن المواد المغربية المصدرة إلى بيتيكا لقلة المصادر وربما لانعدامها.

نستقي المعلومات المتعلقة بالأمفورات (جرات كبيرة) من نتائج الحفريات التي قام بها الباحثون الفرنسيون والإسبانيون والمغاربة في العديد من المراكز الأثرية المغربية. لن نهتم بجوانبها التقنية وإنما نكتفي بجوانبها الاقتصادية. تعتبر الأمفورات من أهم المواد التي تعتمد عليها الدراسات الحديثة في تسليط الضوء على العلاقات التجارية بين مختلف جهات العالم القديم. ولا يمكننا في هذا البحث أن نتناول بتفصيل كل المواد الامفورية التي عثر عليها في مختلف الجهات. وإنما سنختار نماذج صنعت في بيتيكا وهي صالحة لنقل السمك ونقيعه Garum والزيوت والخمور.

ـ فبالنسبة للامفورات الصالحة لنقل الخمور فهي من نوع Dressel 1A، ووجودها في المراكز الأثرية المغربية دليل على استيراد هذه المادة من بيتيكا وإن كانت نسبتها قليلة بالمقارنة مع الأنواع الأمفورية الأخرى. ونعطي مثالا على ذلك من وليلي : فمن 323 شقفة من الأمفورات نجد 24 فقط من نوع Dressel 1 A أي بنسبة 7,43٪ انظر : (Mayet, *Marques d'amphores*, p. 360 - 362).

ـ أما أمفورات الأسماك المملحة ونقيعها فقد اصطلح على تسميتها بالامفورات الإجاصية الشكل Piriforme وهي مصنفة إلى ثلاثة أنواع صنعت كلها في بيتيكا، ووجودها في بناسا ووليلي وتموسيدا وسوق أربعاء الغرب وسلا دليل واضح على العلاقات التجارية المغربية البيتكية، وهذه الأنواع هي : Pompei VIII, Dressel 7 - 13, Beltran II B.

دلت الأبحاث الحديثة على أن النوع الأول صنع في بيتيكا وقد اكتشفت أفران صنعه في پويرتو ريال (Mayet, Puerto Réal, *Marques d'amphores*, p. 361 - 362). بالقرب من مدينة قادس وإيل رينكو نثيو بضواحي الجزيرة الخضراء (Mayet, op. cit., p. 362 notes 23). وقد عثر على هذا النوع في طنجة (Ponsich, *Recherches archéologiques*, p. 250 fig. 62) وفي وليلي (Mayet, op. cit., pp. 363 - 364) وفي بناسا وتموسيدا وسلا (Boube, *Marques d'amphores*, p. 172). وفي زيليل (المستوطنة الرومانية التي أسسها أغسطس ما بين 33 و25 ق. م) الواقعة شرقي أصيلا، انظر (Akerraz (et al...), *Dchar Jdid, BAM* : XIV)

النوع الثاني وهو Dressel 3 - 13 صنع بدوره في بيتيكا وله نفس الاستعمال. ظهر استخدام هذه الأمفورات منذ عهد أغسطس واستمر حتى القرن الثاني الميلادي (Mayet, op. cit., p. 362, Damilla, astia III, p. 512 - 513 ; Hesnard, Congarina, p. 146 - 148) وجدت نماذج من هذا النوع في جهات متعددة من المغرب القديم وخصوصا وليلي وبناسا وتموسيدا وسلا. أما النوع الثالث وهو Pompei فنسبتها قليلة جداً بالمقارنة مع النوعين الأولين.

إن الأنواع المذكورة تصلح لنقل الأسماك المملحة

ونقيعها وهي مصنوعة في إسبانيا. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو كيف نفسر وجود معامل هامة لتمليح السمك في كل من ليكسوس وكوتا؟ وتعتبر معامل ليكسوس من أكبر المعامل المعروفة لحد الآن في الحوض الغربي للمتوسط. فهل كان المغاربة القدماء أو الرومانيون أو المترَوْمنون يستوردون أسماكاً من إسبانيا رغم وجود مصانع محلّية؟ أيا ما كان الحال فإمكانية استيراد جزء من أسماك إسبانيا أمر محتمل غير أن قرب معامل ليكسوس من وليلي وتموسيدا وبناسا يفرض التزود من مصانعها بهذه المادة الغذائية الضرورية. خصوصا وأن أفرانا لصناعة الامفورات اكتشفت في مراكز الأقواس (شمال أصيلا الحالية).

ـ امفورات نقل الزيوت (Dressel 20). يُجمع كل المهتمين بدراسة هذه العينة من الامفورات على أن أصلها من بيتيكا وأنها استخدمت لنقل زيت الزيتون. اكتشفت بقايا هذه الأمفورات في مختلف المراكز الأثرية المغربية مما يبين ترويج الزيت (Tekennia, *Amphores romaines*, p. 224). ونعتمد على أبحاث كل من Boube وMayet لدراسة توزيع هذه الأمفورة المصنفة إلى ثلاثة أنواع هي Dressel 20 A وDr 20 B وDr 20 C.

فمن بين 57 خاتماً لأنواع Dr 20 التي تناولها بوب بالتحليل في "سلا" هناك تسعة أختام أي 17،78٪ من هذا المجموع من شأنها أن تسلط بعض الضوء على العلاقات التجارية بين إسبانيا والمغرب. وتدل هذه النسبة على أن كمية من الزيت جلبت من بيتيكا خلال النصف الأول من القرن الميلادي الأول (Boube, *Marques d'amphores*, p. 163 - 235).

يتضح من دراسة مايي Mayet أن من بين 115 قطعة من Dr 20 يوجد 12 من النوع Dr 20 A أي 10،43٪ الشيء الذي يسجل انطلاقة مهمة لتصدير الزيت "الأندلسية" إلى موريطانيا. وهذه الامفورات موزعة في المراكز الأثرية على الشكل التالي:

| | | |
|---|---|---|
| وليلي | 46 خاتما | ٪ 40 |
| بناسا | 50 خاتما | ٪ 43،48 |
| تموسيدا | 14 خاتما | ٪ 12،18 |
| سوق أربعاء الغرب | 4 خاتما | ٪ 3،48 |
| سلا | 1 خاتما | ٪ 0،86 |
| المجموع | 115 خاتما | ٪100 |

إن أغلبية الأمفورات اكتشفت في بناسا، وهذا شيء طبيعي بالنظر إلى فقر ناحيتها من مغارس الزيتون، فقد اكتشفت بها لحد الآن سبع معاصر للزيتون (Akerraz, Lenoir, *Huileries*, p. 95, note 75). ولكونها مستوطنة رومانية يتحتم عليها تلبية حاجيات سكانها الغذائية باستيراد بعض المواد التي يأتي الزيت على رأسها. وكانت وليلي عكس ذلك تلبي حاجياتها وربما كانت تصدر الفائض لباقي جهات العالم الروماني خصوصاً وأن منطقتها غنية بمغارس الزيتون، وتشهد البقايا المادية على ذلك (61 معصرة داخل المدينة وحوالي 20 في باديتها).

يستنتج مما سبق أن الروابط الاقتصادية تعود إلى عهد بعيد وخاصة عندما أخضعت رومة لسلطتها أهم الأراضي الخصبة الواقعة في الأقسام الجنوبية والشرقية من إسبانيا.

فقد أخذت هذه البلاد بدخولها في مجال النفوذ الروماني تلعب دور الوسيط التجاري بين موريطانيا وإيطاليا. ومما يدعم هذا الرأي وجود طريق تجارية بحرية عاملة بانتظام إذ يستفاد من كيفية توزيع المناطق البحرية التي عرفت فيها سفن قديمة.

Guasde, *Exportaciones Beticas*, pp. 233 - 242 ;
Ponsich, *Recherches Archéologiques*, p. 190 - 200;
Boube, *Amphores préromaines*, p. 99 - 109 ;
Colls (et al...), *Port-Vendres* II ;
Hesnard, Lemoine, *Cécube et Falerne*, p. 244, n° 2.

زيادة عن وجود الأفران المنتجة للامفورات في أودية نهري الوادي الكبير (Bétis) والإيبرو والساحل الإسباني الشرقي. وهذه الطريق تنطلق من الصويرة محاذية للشاطئ الأطلنتي المغربي وضفتي البوغاز والسواحل الإسبانية الجنوبية والشرقية والساحل المتوسطي الغالي لتصل في نهاية المطاف إلى الساحل الإيطالي الغربي. (Beltran, *El Commercio*, p. 193, fig. 4).

يسوغ لنا اعتماداً على ما وصفناه آنفا أن هذه العلاقات تكون قد بدأت خلال العهد الجمهوري وبالضبط إثر احتلال المناطق المتوسطية المغربية وأنها استمرت حتى منتصف أو متم القرن الثالث الميلادي، وتمتنت ما بين سنة 50 ق.م وسنة 250 م. واستمرت هذه العلاقات مع المناطق الشمالية لموريطانيا حتى نهاية الأمبراطورية الرومانية في القرن الخامس.

إذا كانت قضية إنتاج الخمر والسمك المملح في موريطانيا مازالت تثير لدى الباحثين تساؤلات وشكوكا عديدة، فإن أغلبيتهم تكاد تجمع على أن جل سكان هذه البلاد تعاطوا غراسة الزيتون وإنتاج الزيت منذ أمد بعيد استناداً إلى نتائج الدراسات المناخية والبيومناخية والأثرية (Fabur, *Olivier et huile* ; Ponsich, *Atlas Lixus*).

تشير بعض النصوص القديمة إلى رداءة الزيت الافريقية (Pline, HN, XV, 3) لكن هذا الادعاء لم يتبلور إلا نتيجة قيام حملة دعائية لصالح استهلاك الزيت البيتيكية في أرجاء الغرب الروماني بفضل دقة تنظيم تجارتها التي احتكرها رجال الأعمال في الجنوب الإسباني من سنة 50 ق.م إلى سنة 150 م. فكيف نقر بحقيقة هذا الأمر إذن ونحن نعلم أن الظروف العامة الطبيعية والبشرية والتقنية لغراسة الزيتون وإنتاج الزيت في إسبانيا وموريطانيا المتوسطتين تكاد تكون متشابهة؟ وحتى لو سلمنا بوجود منطقة أو أكثر من موريطانيا تنتج زيتاً رديئة فليس معنى هذا خلو هذه البلاد من مناطق أخرى عديدة تنتج زيتاً جيدة كان يستهلكها سكانها الأهالي والرومانيون الذين ازداد عددهم بشكل ملموس عندما أمر أغسطس بتأسيس ثلاث

مستوطنات للمهاجرين الإيطاليين بالمغرب (Ponsich, *Nouvelles perspectives*, p. 48 - 49) وهناك دلائل أثرية أخرى على وجود علاقات تجارية بين موريطانيا وبيتيكا تتجلى في الخزف الأحمر المختوم الإسباني Terra Sigillata hispanique. تحدثت الدراسات المتنوعة التي تناولت المواد الإسبانية عن انتشار هذه المواد في أسواق موريطانيا.

صنف علماء الخزفيات الخزف ذا البرنيق الأحمر إلى ثلاثة أنواع. الخزف المختوم الإيطالي والخزف المختوم الغالي الجنوبي أو الغالي الروماني وأخيراً الخزف المختوم الإسباني، وهو الذي يهمنا لإبراز العلاقات المغربية الإسبانية. بدأت أدوات هذا النوع من الخزف تغزو أسواق موريطانيا مع نهاية القرن الميلادي الأول وهو ما يوافق العهد الفلافي في روما. ويضم هذا النوع من الخزف أقداحاً وأواني متنوعة تحمل أختام صانيعها.

نعتمد دراسة بوب (Boube, *Terra Sigillata*). لنستدل بها على رواج هذا النوع من الخزف في المراكز الأثرية المغربية. أعطى بوب قائمة صانعي الخزف المختوم الإسباني، ويبلغ عدد الشقوف التي بها أختام حسب هذه القائمة 357 قطعة موزعة على المراكز الآتية :

تموسيدا
بناسا
ليكسوس
سلا
كوتا
سوق أربعاء الغرب
تمودا
غير معروف
وليلي

يلاحظ من هذه المعلومات أن المدن الداخلية مثل وليلي وبناسا تحظى بنصيب كبير في تجارة المواد الإسبانية في حين أن المدن الساحلية مثل ليكسوس وكوتا وسلا لا تمثل إلا نسباً ضئيلة بالمقارنة مع المدن الداخلية. فهل كان سكان المدن الداخلية يُقبلون على شراء المنتجات الإسبانية أم أن ذلك راجع لنتائج الحفريات ؟ الغالب على الظن أن سكان وليلي والمستوطنة الأغسطية بناسا من رومانيين ومترومنين كانوا يقبلون على شراء هذه الأواني الجميلة.

وإذا حاولنا أن نبحث في الأنواع السائدة وأسماء أصحاب المعامل الذين كانوا يسيطرون على تجارة هذا النوع من الخزف فإننا نجد أن جلهم كان بجنوب إسبانيا. ولا داعي لذكر أسماء بعض التجار وأسماء الشركات الخزفية التي احتكرت ترويج هذه البضائع المصنوعة من الخزف الأحمر المختوم. وقد وجدت 27 شركة كانت توزع هذا الخزف بالمغرب القديم، وهي شركات غزت أسواق موريطانيا.

إذا كنا قد تمكنا من تحديد المنتجات البيتيكية التي استوردتها موريطانيا خلال الفترات التاريخية فإننا لا نستطيع القيام بنفس العملية لتوضيح أهم المنتجات التي كانت موريطانيا تصدرها إلى بيتيكا ؛ وإن كنا نعلم أنها متعددة ومتنوعة شملت المواد الفلاحية والمعدنية والخزفية وخصوصاً امفورات الأقواس التي وجدت نماذج منها في جهات متعددة من العالم الروماني.

م. التازي سعود، *حرب يوغرطة*، فاس، 1981 ؛ م. مقدون، *ثورة إيدمون*، د. د. ع. فاس 1985، ص 48 - 70 ؛ ع. واحدي، *مكانة وليلي الاقتصادية*، د. د. ع. فاس، 1986، ص 210 - 229 ؛ م. مجدوب، *مملكة المورين وعلاقاتها مع رومة لغاية 33 ق. م.* د. د. ع. فاس، 1990.

Pline, *Histoire Naturelle* ; J. Boube, *La céramique italique*, *BAM*, XII, 1979 - 80, p. 139 - 295 ; *Terra Sigillata hispanique*, ETAM, I, Tanger ; *Marques d'amphores découvertes à Sala, Volubilis et Banasa, BAM*, IX, 1973 - 1975, p. 163 - 235 ; *Supplèment I au catalogue des marques de potiers, BAM*, 1966, p. 115 - 144 ; *Supplément II au catalogue des marques de potiers, BAM*, VIII, 1968 - 72, p. 67 - 108 ; *Amphores préromaines trouvées en mer au voisinage de Rabat, BAM*, XII, 1979 - 80, p. 99 - 109 ; Akkerraz, N. El Khatib, Hesnard, Kermorvant, E. Lenoir, *Dchar Jdid, BAM*, XIV, 1981 - 1982, p. 169 - 244 ; Hesnard, *Un dépôt angustéen d'amphores à la Longarine, Ostie*, in *Roman Seabonne Commerce, M.A.A.R.*, Rome, 1980 ; Hesnard, Lenoir, *Les amphores du Cécube et du Falerne, prospection, typologie, analyse, M.E.F.R.A*, XCIII, 1981, 1, p. 243 - 295 ; P. Guaslle, *La Evolucion de las exportaciones beticas durante el imperio, Primer Congreso Internacional, Producion y Comercio del aceite en la antiguedad*, Madrid, 1980 ; J. Rogé, *Recherche sur l'organisation du commerce maritime en Méditerranée sous l'Empire*, Paris, 1966 ; Ponsich, M. Douas, *Port antique et carrefour des voies de Maurétanie Tingitane, BAM*, VII, 1967, p. 369 - 405 ; Ch. Worthe, *Les routes et le trafic commercial dans l'Empire romain*, Paris, 1938 ; F. Laube Nhèmer, *La collection de céramique Sigillus Gallo-romaines estasupellées au Musée de Rabat, Ant. Afr.* T. 13, 1979, p. 79 - 225 ; E. Mayet, *Marques d'amphores de Maurétanie Tingitane : Banasa, Thamusida, Volubilis, MEFRA*, 90 - 1, 1978, p. 357 - 393 + 13 planches ; Beltranlloris, *El Comercio del aceite en el Valle del Ebro a finales de la Republica y colienzos del Imperio*, in *Producion y comercio del aceite in la Antiguedad, Primer Congreso Internacional*, Madrid, 1980 ; Colles (et al...), *L'épave de Port-Vendres II et le commerce de la Bétique à l'époque de Claude, Archaemantica*, II, Paris, 1977 ; Camps Faber, *L'Olivier et l'huile dans l'Afrique romaine*, Alger, 1955 ; M. Ponsich, *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : région de Lixus, BAM*, T. VI, p. 377 - 423 ; *Recherches archéologiques dans Tanger et sa région*, 1970 ; *Nouvelles perspectives sur l'olivier du Bas - Guadalquivir*, in *Produccion y comercio del aceite en la antiguedad, Primer Congreso Internacional*, Madrid, 1980, p. 47-56 ; A. Tchernia, *Les amphores romaines et l'histoire économique, J.S.S.*, 1967, p. 224 ; A. Akkeraz et H. Lenoir, *Les huileries de Volubilis, BAM*, XIV, 1981 - 1982, p. 63 - 101 + 19 Planches.

علي واحدي ومحمد مقدون

**بيحبوس**، الحسن بن أحمد النكنافي الحاحي، من أكابر فقهاء حاحة، من أول القرن الرابع عشر (20 م) إلى ما بعد منتصفه. ولد بقرية تَحْبُوسْتْ من قبيلة نكنافة فصار يدعى التحبوستي أو بيحبوس. أخذ القرآن حفظا عن الفقيه مولاي الطيب أوحسان البهاوي النكنافي بمدرسة سيدي محند أُسليمان الجزولي ثم شد رحاله في طلب العلم إلى العلامة الأديب محند بن محمد أمغار التغماوي (ت. 1900/1318) المدرس حينئذ بمدرسة السيد محند أبو زيد بقبيلة إداوكازو فلازمه حتى استتم عنده أخذ جميع العلوم العربية الإسلامية فأجازه فيها، ثم انتدبه للتدريس في مدرسة الجزولي بقبيلته نكنافة حيث قضى بيحبوس طفولته ثم سنواته الأولى في التدريس إرضاء لرغبة أستاذه الأمغاري، مع أن شكاويه عليه من قلة الطلبة وضعف الأجر والمؤنة لا تنقطع كتابة ومشافهة، كما تدل على ذلك هذه

الأبيات التي وجهها إليه الأستاذ يوم 7 جمادى الأولى عام 1312 يوصيه فيها بالقناعة والاجتهاد في مذاكرة العلوم ابتغاء مرضاة الله الذي سيرزقه من حيث لا يحتسب، ومنها قوله :

وموطنك الزم واجتهد ثُمَّةَ اقْنَعَنْ    من أم حباب بالقليل من الكثر
ورابط بباب الله قلبك واطلبنْ    رضاه الذي أولى من النقد والأجر

ولم يلبث بيحبوس الا قليلا حتى انضوى إلى رؤساء (نكنافة) النفلوسيين فكان له شأن عظيم أيام القائد محمد ابن إبراهيم أنفلوس (ت. 1321 / 1903) الذي عين بظهير عزيزي قائدا على حاحة الشمالية وسوس، فتولى بيحبوس القضاء في تيزنيت ونواحيها فسالت إليه البطاح بالهدايا، ففتح أبوابه لأهل العلم والخير والصلاح في كنف القائد أنفلوس الذي كانت شفاعة العلماء مقبولة لديه وان كانت الجريمة ما كانت، وخاصة إن كان من مريدى الطريقة التجانية أمثال الحاج الحسين الإفراني قطب الطريقة التجانية الذي نال حظوة كبيرة من القائد وقاضيه بيحبوس لانهما على نفس الطريقة ( *المعسول*، 4 : 40) وقد أعجب المختار السوسي بحسن سمت الفقيه بيحبوس وبوقاره وحسن صلاته فقال : "فزارني في زاوية الرميلة فرأيت منه سمتا حسنا، وأبهة العلماء القديمة، وكان يصاحب الرداء والسلهام فوقه، وصلاته صلاة القانتين، ووجهه مستنير، وثغره ضحوك وكلامه منتظم وقور، ولا أحسب أنني رأيت من البادين من يصلي صلاة تأن مثله" (*ذكريات*، ص 27) وقد جرت بينهما مكاتبة أورد السوسي منها رسالتين : الاولى للفقيه بيحبوس والثانية لابنه محمد لإبراز مالهما من شفوف في العلوم وبراعة في صناعة القلم، فلتراجع هناك. وبعد عهد إنفلاس عاد بيحبوس إلى تعاطي مهنة التدريس متنقلا على وجه المشارطة بين مدرسة الجزولي النكنافية ومدرسة أبي البركات (العبدري) الوِيسَارِيَّة إلى أن توفي عام 1935/1354 مخلفا وراءه ولدين نجيبين أولهما يدعى محمدا أخذ العلوم بمراكش ثم صار كاتبا للقائد مبارك بن عدي النكنافي في عهد الحماية. وثانيهما اكتفى بالأخذ في مدارس حاحة. ومن آثار بيحبوس الأدبية قصيدة نظمها في طريقه إلى فاس لزيارة الشيخ أحمد التجاني، وهي من صنف أدب الفقهاء.

م. المختارالسوسي، *المعسول*، 4 : 40 ؛ *ذكريات* ؛ *رحلة من الحمراء إلى إيليغ*، (مرقون) ؛ *رواية شفوية عن تلامذة المترجم وأحفاده*.

محمد أيت الحاج

**بيدا، محمد** سالم، ولد سنة 1918 بالساقية الحمراء وانضم إلى صفوف المقاومة وجيش التحرير منذ سنة 1953 وناضل ضمن وحدة كان مركزها بالدشيرة، يرأسها أخباط أحمد وشارك في عدة عمليات، منها الهجوم على مركز بوجدور ومركز الدشيرة ومركز الكلتة، بالإضافة إلى تزويد إخوانه المجاهدين بالسلاح والمؤونة، وبقي يعمل بكل إخلاص إلى أن ألقت السلطة الإسبانية القبض عليه وأدخلته السجن حيث استشهد رحمه الله سنة 1956.

*شهداء الاستقلال*، ج 2.

عز الدين العلام

**بيدْجر**، روبيرط، R. Badger مبشر إنجليزي من هيأة "سُوذرن مُروكو ميشن" استوطن الصويرة سنة 1889 ثم رحل عنها إلى أسفي سنة 1892 لفتح معبد بها ظل قائما حتى نهاية القرن الماضي وكان نشيطا في عمله، ومراسلا لمجلة "ذي ريبر" كما أنه أقام مدة بمدينة الجديدة.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1413.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 67 ; *Les Missions protestantes au Maroc*, 42 : 164.

مصطفى بوشعراء

**بيدو، جورج** Bidault Georges رجل دولة فرنسي، من مؤسسي الجمهورية الرابعة ووجوهها، كان له بالغ التأثير في مجرى تاريخ المغرب المعاصر، إذ تقلب على كراسي الحكومة الفرنسية تارة كرئيس للحكومة وتارة كوزير للخارجية، ومرة أخرى كنائب للرئيس ووزير للدفاع، وذلك فيما بين سنوات 1944 و1954 طيلة العقد الأخير من الحماية الفرنسية، وكان وزيرا للخارجية فيما بين 8 يناير 1953 و19 يونيه 1956، فهو الذي رخص للجنرال گيوم Guillaume المقيم العام بالمغرب آنذاك بتنفيذ عملية عزل سيدي محمد ابن يوسف الملك الشرعي عن عرشه يوم 20 غشت 1953.

نشأ جورج بيدو على تربية كاثوليكية صلبة وتخرج أستاذا مبرزا في التاريخ سنة 1919 وساهم قبل الحرب العالمية الثانية في عدة حركات سياسية وثقافية مسيحية. ولما اندلعت الحرب وتم احتلال فرنسا من قبل الجيوش الألمانية كان من السباقين إلى تنظيم صفوف المقاومة الفرنسية، وأبلى فيها البلاء الحسن وأظهر من الإقدام والنفوذ ما حمل جميع فصائل تلك المقاومة على تكوين جبهة موحدة فيما بينها يرأسها جورج بيدو، فاضحى منظورا إليه بصفة كونه رئيس المقاومة الفرنسية بداخل فرنسا وقت كان الجنرال دي گول De Gaulle رئيسها بالخارج. لكن سرعان ما توحدت الحركة برمتها تحت قيادة الجنرال المذكور وأصبح جورج بيدو مساعده الأول في الشؤون الخارجية، وانصرف في ذات الوقت إلى تأسيس حزب جديد أطلق عليه عبارة "حركة الجمهوريين الشعبيين" وأقامه على مبادئ الديمقراطية المسيحية التي لم تكن في الحقيقة سوى مبادئ أحزاب اليمين السابقة مجردة من تطرف الفاشستية والنازية، قوامها التمسك بروح المحافظة من قبل ومن بعد، وحرص شديد الحرص على إحكام قبضة فرنسا على مستعمراتها بالرغم مما مرت به من الهزات، وأظهر بيدو في هذا المضمار إقداما متميزا وأبى إلا أن يكون في طليعة المناوئين لتحرير الشعوب المغلوبة على أمرها، وكان لا يعرف عنها إلا أنها قابلة للاستغلال غير مؤهلة بتاتا للتصرف في شؤونها بنفسها، فكان من دعاة شن الحرب على شعوب الهند الصينية وعارض الحركة

الوطنية بافريقيا الشمالية بكل ما أوتي من سلطة، فهو المسؤول الأول عن عزل ملك المغرب الشرعي عن عرشه يوم 20 غشت 1953. لكن التاريخ ما لبث أن حكم على سياسته بالفشل، لأن شعب الڤيتنام انتصر على الجيوش الاستعمارية في معركة دْين بْيَن فُو في ربيع سنة 1954، وكان ذلك سببا في إبعاد جورج بيدو عن الحكم بلا رجعة. وفي شهر نونبر 1954 قامت الحرب التحررية بالجزائر وأدى قيامها إلى ضعضعة الجمهورية الرابعة وانهيارها سنة 1958، وعاد الجنرال دگول إلى الحكم فظن بيدو أنه سيحفظ الجزائر لفرنسا، ولما خابت آماله في الجنرال صار يحيك المؤامرات ضداً عليه، فكشف أمره واضطر إلى الفرار إلى البرازيل سنة 1962. فأقام هناك نسيا منسيا إلى أن صدر العفو عنه سنة 1968، فعاد إلى فرنسا ليقضي ما تبقى من حياته منبوذا مهجورا إلى تاريخ وفاته سنة 1983.

G. Elgey, *Histoire de la IVème République*, T. 1 ; *La République des Unions*, T. 2 ; *La République des Contradictions*, Paris, 1965 - 1968 ; Y. Benoit, *Dictionnaire des ministres* 1789 - 1989, Paris, 1990.

**پيدُو دي سانتولون**، فرانسوا François Pidou de Saint-Olan (1720-1641) سفير لويس الرابع عشر ملك فرنسا لدى السلطان المولى إسماعيل سنة 1693، ولم يؤهله لتلك السفارة سوى كونه من ضباط البحرية الفرنسية، شأنه في ذلك شأن معظم سفراء فرنسا إلى أقطار ما وراء البحر في ذلك العصر، إلا أن فرانسوا پيدو اكتسب من سفارته إلى المغرب خبرة بشؤون الديار الإسلامية بوأته منصب المكلف باستقبال السفراء المسلمين الوافدين من بلدانهم على البلاط الفرنسي، وهكذا كان مرافقا للسفير المغربي عبد الله بن عائشة لدى سفارته إلى باريس سنة 1699، كما كان مرافقا لسفارة فارسية جاءت إلى فرنسا سنة 1717. وكان في الأصل من البورجوازيين المتواضعين، لكنه ارتقى إلى طبقة النبلاء سنة 1672 فانضاف إلى اسمه "بيدو" الوضيع اسم قطعة من الأرض بسانتولون وقعت في ملكه فبات من النبلاء على الطريقة الفرنسية.

ولقد اعتنى پيير ذي سينڤال Pierre de Cénival بنشر رسائله وتقاريره ودقائق سفارته في مجموعة الوثائق الغميسة، ولقد كان من التعليمات التي جاء محملا بها إلى المغرب أن يستخبر "على امتداد ولايات ملك المغرب، وعن امتداد ولايتي فاس ومراكش بوجه أخص، وعن خصوبة الأرض، وعن أهم المدن ومدى كثافتها بالسكان، ومَنْ هُم الأمراء المجاورون لتلك الممالك الذين من شأن ملك المغرب أن يقع في الحرب معهم، وعن جيوشه سواء منها الخيل والرجل، وكيف تتم مكافأتهم وما هي أساليبهم في القتال، وكيف يتصرف ذلك الأمير بحكم ولاياته، وما هي شرطة المدن ومن ذا الذي يختص بتسييرها، وما هي عادات السكان وما ديانتهم، فعليه أن يضع تقريرا في كل ذلك يسلمه إلى صاحب الجلالة لدى عودته".

ولم يكتف پيدو بالتقرير الرسمي، بل أضاف إليه ما أضاف من المعلومات والارتسامات وكتب كتابا مفصلا صدر أول مرة سنة 1694 بغير اسم صاحبه تحت عنوان : *"الأوضاع الراهنة بإمبراطورية المغرب"*، ثم صدر مرة ثانية سنة 1695 باسم المؤلف تحت عنوان أكثر توضيحا جاء فيه : *"أخبار إمبراطورية المغرب*، يُتَعرَّف من خلالها على أحوال البلاد وعوائد السكان وأعرافهم وحكومتهم وديانتهم وأساليبهم السياسية، بقلم السيد دي سانتولون سفير الملك لدى البلاط المغربي".

ولقد جاء الكتاب ملبيا لحاجة صارت تزداد في الجمهور الأوربي بشكل مطرد، للاطلاع على أحوال ديار الإسلام، حتى صارت تلك الحاجة عادة وصارت العادة هاجسا من هواجس الفكر الأوربي في عصر التنوير. وكان ذلك أقوى عهد لعمليات السطو والاستعمار فيما بعد، وسرعان ما أضحى كتاب پيدو دي سانتولون من المراجع الكلاسيكية في أوربا للتعرف على أحوال المغرب إلى جانب كتاب ليون الإفريقي (الحسن الوزان) وكتاب مارمول وكتاب مويط Mouette، أسير المولى الرشيد والمولى إسماعيل لعدة سنوات، وكتاب ويندوس Windus كاتب السفارة الانجليزية لدى المولى إسماعيل سنة 1721.

R. L. Playfair, R. Brown, *A bibliography of the Barbary States* , Part IV : *a bibliography of Morocco from the earliest times to the end of 1891,* London, 1892 ; P. de Cenival, *S.I.H.M. 2ème Série, Dynastie filalienne, Archives et Bibliothèques de France*, T. IV, Mai 1693 - Novembre 1698.

إبراهيم بوطالب

**البيذق**، أبو بكر بن علي الصنهاجي، عرف بالبيذق، صاحب محمد بن تومرت ورفيقه الأول، ومؤلف كتاب *الأنساب في معرفة الأصحاب*، وكتاب *أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين*.

لا نعرف شيئا عن تاريخ ولادته ومكانها ولا عن طفولته وأسرته. ولكننا نعرف أنه توفي في عهد يوسف بن عبدالمومن. ولعل ذلك كان في أوائل توليته. يعتبر كتابه *أخبار المهدي بن تومرت* المشار إليه أعلاه، المصدر الوحيد لما نعرف عنه حتى الآن. وفيه ورد اسمه هكذا : أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق. فهو إذن من إيزناگن أو صنهاجة، ولكن من أي فريق منهم ؟

لم نعثر على أية إشارة في كتابه توضح ذلك، غير أن صحبته المبكرة لابن تومرت، تجعلنا نميل إلى افتراض كونه صحبه من المغرب في رحلته إلى المشرق، وفي هذه الحالة يكون أبو بكر من صنهاجة الأطلس الصغير القاطنين إلى اليوم في قسمه الشمالي الشرقي، لأنهم جيران ءَارْغَنْ أو هرغة الذين ينتمي إليهم ابن تومرت. وربما كانا قد تعارفا في إحدى مدارس موطنيهما المتجاورين أثناء فترة التعلم الأولى.

وإذا لم يكن هذا الافتراض صحيحا، فهناك آخر يمكن التذكير به، وهو أن الرجلين التقيا في المشرق وأقنع ابن تومرت أبا بكر بمصاحبته مع شخصين آخرين هما يوسف الدكالي والحاج عبدالرحمان، كما وقع له مع عبدالمومن بن علي وغيره بعد ذلك في حكاية نعرفها.

وكيفما كان الأمر، فإن أبا بكر بن علي الصنهاجي كان من أوائل من صحب ابن تومرت، حيث كان واحدا من الرجال الثلاثة الذين كانوا معه حين دخوله إلى تونس في طريق عودته إلى المغرب. وهذا ما يتبين من الفقرة التالية من كتاب البيذق : "... فلما كان بعض الأيام أمرنا (ابن تومرت) بالأخذ على أنفسنا وقال لنا : نتوجه إن شاء الله نحو الغرب، فخرجنا من تونس ونحن أربعة نفر كما كنا أول القدوم : سيدنا المعصوم رضي الله عنه ويوسف الدكالي والحاج عبدالرحمان وعبدكم الفقير المؤلف لهذا أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق، فلم نزل نجد السير حتى وصلنا قسنطينة..." (50 ـ 51).

وبما أن يوسف الدكالي والحاج عبدالرحمان يحملان صفة الحاج في كتاب البيذق، فإن ذلك يرجّح أنهما كانا من الحجاج المغاربة، وبالتالي فإن لقاءهما بابن تومرت ربما كان قد تم في الحج أو في مصر. وليس من المستبعد أن يكون الأمر كذلك بالنسبة إلى البيذق. أما عن كنيته "البيذق" فإنه لم يذكر شيئا عن أصل تسميته بها. وإذا كان ليڤي پروڤنصال قد ذهب إلى أنه مأخوذ من الكلمة الفارسية بيذق الشطرنج، فإننا نعتقد بأن إطلاقها بهذا المعنى القدحي يعد من باب التنابز بالألقاب. ولا نظن أن ابن تومرت سيقبل هذا، خصوصا وأن أبا بكر الصنهاجي من الذين لازموه مدة طويلة.

ينبغي إذن أن نبحث عن معنى آخر لكلمة "البيذق" يصلح لتبرير قبولها كنية لأحد أصحاب ابن تومرت الأوائل.

إن كلمة البيذق تعني كذلك : الدليل في السفر والماشي راجلا. وهذان المعنيان هما اللذان نرجحهما بخصوص كنية أبي بكر الصنهاجي، لأن هناك دلائل كثيرة تؤيد ما ذهبنا إليه.

لقد سبق أن ذكرنا أن أبا بكر دخل إلى تونس مع ابن تومرت ورفيقين آخرين حين رجوعهم من المشرق في اتجاه المغرب. وربما كان سبب وجود أبي بكر الصنهاجي مع جماعة ابن تومرت هو كونه يعرف الطريق، وهذا لا يتأتي الا إذا ذهب من بلده المغرب إلى الحج عن طريق البر، الشيء الذي لم يقع بالنسبة إلى ابن تومرت الذي وصل إلى الاسكندرية عن طريق البحر مرورا بالمهدية.

كان أبو بكر الصنهاجي هو الذي يقود مطية ابن تومرت في حله وترحاله. وقد وردت في كتابه عبارتان تثبتان ذلك. الأولى وردت حين حديثه عن غزاة هسكورة التي شج فيها ابن تومرت، حيث قال : "ورفعه اسحاق بن عمرو وسنار، وكان العبد الفقير المؤلف أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق يمسك البغلة تميمق (اسم بغلة ابن تومرت) ،وكان يخلف أسكى يمسك الدرقة والرماح، فأتينا به حتى وصلناه المنزل ورجعنا للقتال..." (ص 76). أما الثانية فقد وردت حين حديثه عن إحدى جولات ابن تومرت في تينمل قبيل وفاته، حيث قال : "وكان مريضا فقُدتُ به البغلة، فكان الشيخ أبو محمد عبد الواحد على يمينه والشيخ أبو محمد وسنار على شماله حتى وصلنا الدار..." أي دار ابن تومرت (ص 80).

هذه المهمة ـ إمساك المطية وقودها ـ لا يقوم بها في جبال درن إلا من تتوفر فيه شروط، منها : معرفة المسالك الجبلية الصعبة، ومعرفة طبائع المطية المقادة، وتوفر الثقة في ماسك مقودها. لأن أي خطإ منه قد يؤدي إلى نفور الدابة وسقوط الراكب. ومثل هذه الحوادث في المسارب الجبلية قليلا ما تحمد عقباها.

فأبو بكر الصنهاجي كان إذن دليلا في السفر، وماشيا راجلا أمام بغلة الإمام المهدي ابن تومرت. غير أن استعمال كلمة البيذق للدلالة على هذه المهمة، لا يمكن ان يتأتى إلا لمن كان متمكنا من المعجم العربي تمكنا كبيراً. وليس في الجماعة الموحدية الأولى من يتوفر فيه هذا الشرط إلاّ محمد ابن تومرت. وبالتالي فهو الذي يكون قد أطلق هذه الكنية على صاحبه. ولا يستبعد أن تكون الكنية الحقيقية لأبي بكر الصنهاجي هي أفدد التي تعني بالأمازيغية الدليل والرائد، فعربها ابن تومرت وأصبحت بيذق. وهذا شيء محتمل جدا لأننا نعرف أن ابن تومرت عرّب أسماء من أعضاء جماعة الموحدين، وأعطاهم كني لم تكن لديهم من قبل.

وعن دور أبي بكر الصنهاجي في حركة الموحدين، سواء في عهد ابن تومرت أو في عهد عبد المومن، فقد كان من أكثر الأدوار نشاطا، وحضورا. فبالإضافة إلى كونه من المقربين إلى ابن تومرت منذ بداية أمره ومن أوائل المبايعين له، شارك في جل غزوات الموحدين في عهد القلائل الذين نجوا من الموت. كما شارك في المعارك الأولى في عهد الخليفة عبد المومن التي انتهت بسقوط مراكش في يد الموحدين.

ومشاركته هذه غالبا ما يشير إليها في كتابه باستعمال ضمير المتكلم، عند الكلام عن الأحداث التي حضرها. وهكذا يقول مثلا : ونزلنا البحيرة وبقينا بها أربعين يوما...". "وأقبلنا على الكست" (غزوة گزولة)، "أمرنا بالخروج" (غزوة تينلين)...

ولكن أهم أعمال أبي بكر الصنهاجي هي، قبل كل شيء، كتاباه المشار إليهما في أول هذا العرض، ولولا ما يعتريهما من بتر مؤسف لسمحا لنا ولاشك بالتعرف عليه أكثر وعلى الموحدين المؤسسين وتاريخهم.

البيذق، *كتاب أخبار المهدي*... إخراج : ليڤي پروڤانصال. م. شفيق، *المعجم*، ج 1.

E. Destaing, *Vocabulaire*, p. 102.

علي صدقي أزايكو

**پيرديكاريس**، إيون Perdicaris Ion، غني من أغنياء اليونان كان منتحلا للجنسية الأمريكية ومستقرا بطنجة أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين، يعيش عيشة المترفين من ريع ثروته في ڤيلا أطلق عليها اسم "أيدونيا"

يعني المسرة، بناها غربي المدينة في عزلة الجبل الذي كان مازال آنذاك خلاء، رفقة زوجه وبنته وصهره والأحفاد، وكان صهره إنجليزيا اسمه ڤارلي C. O. Varley، وما كان التاريخ ليحتفظ بذكر پيرديكاريس، بالرغم مما قاله الجغرافي الفرنسي بيرنار A. Bernard من أنه هو الذي أوحى بتحويل المجلس الصحي الدولي بطنجة إلى لجنة شبه بلدية تُعنى بشؤون النظافة والأزقة، لكن اسمه احتل الصدارة في الصحافة الدولية في ربيع سنة 1904، يوم اختطفه وصهره الشريف المولى أحمد الريسوني وألزمهما بالإقامة الإجبارية لديه بتازروت ببني عروس، وكان ذلك يوم 18 ماي فثارت ثائرة الحكومتين الأمريكية والأنجليزية فملأتا الدنيا احتجاجاً وتهديداً، وبخاصة رئيس الولايات المتحدة آنذاك ثيودور روزڤيلت Theodore Roosevelt الذي بعث بست بوارج إلى خليج طنجة وصرح بما كان معروفا فيه من الغلظة والفظاظة بأنه "يريد پيرديكاريس حيا أو الريسوني ميتا"، والتحق بذلك الأسطول الأمريكي قطعتان من الأسطول الأنجليزي، ومورست أقوى الضغوط على مخزن المولى عبد العزيز لينزل عند الشروط التي كان الشريف الريسوني قد وضعها لإطلاق سراح پيرديكاريس وصهره، وكان منها أداء فدية قدرها 350.000 بسيطة، وتسريح المحلة التي كانت جاثية بالمنطقة لردع تصرفاته وتصرفات باقي المشاغبين، وتعيينه قائدا على زينات وأحوازها بجبال طنجة وإطلاق سراح من كان من شيعته مقبوضا في سجون المخزن، وعزل باشا طنجة عبد الرحمان بن عبد الصادق لأنه كان هو الذي قبض عليه سنة 1895 وأرسله في الوثاق إلى سجن الصويرة. فلما عفا عنه المخزن سنة 1900 وعاد إلى قبيلته بني عروس ظل يبحث عن وسيلة ينتقم بها من خصمه، وكانت تلك الوسيلة هي پيرديكاريس وصهره، ولم يبال الشريف الريسوني بالأساطيل التي حاصرت طنجة لأنه كان في أوعاره بالداخل يعلم أن الحيتان لا تأكل الثيران، كما صرح هو بذلك، فكان المخزن، مرة أخرى، هو الضحية الكبرى، إذ ألزمته الضغوط الأجنبية بتلبية جميع رغبات الريسوني ولم يستثن منها الا شرط واحد كان يرمي إلى التزام الولايات المتحدة وإنجلترا بضمان تنفيد الشروط الأخرى. وهكذا أطلق سراح پيرديكاريس وصهره يوم 25 يونيه من نفس السنة، واغتنم ممثل فرنسا بطنجة آنذاك، سان روني طايا نديه Saint-René Taillandier تلك المناسبة لإرغام المخزن العزيزي على قبول مبدأ إقامة شرطة فرنسية بالمدينة ضمانا للأمن وتثبيتا للنفوذ الفرنسي، ورحب ممثل إنجلترا نيكولسن Nicholson بذلك، فكانت مساندته للمطمح الفرنسي دليلا على متانة فصول الوفاق الودي المبرم بين إنجلترا وفرنسا في شهر أبريل السابق من تلك السنة، وانفتحت أبواب الحماية الفرنسية بالمغرب، وكانت المحاولة الأولى بواسطة سان روني المذكور أواخر سنة 1904 وبداية سنة 1905.

وأدهى ما في الأمر أن پيرديكاريس لم يكن يحمل الجنسية الأمريكية، إذ لما قامت الضجة على اختطافه تبين بعد حين أنه كان ما زال يحمل جنسيته اليونانية الأصلية وأن إمرأته هي التي كانت أمريكية، وأخطر ثيودور روزڤلت بالحقيقة، لكنه أمر بالسكوت عنها لأنه كان في حاجة إلى مناورة دعائية ترجح حظوظه لكسب ترشيح ثان للانتخابات الرئاسية في صيف سنة 1904، وبقيت الحقيقة منطمسة إلى سنة 1933.

م. أمين البزاز، *المجلس الصحي الدولي بالمغرب* 1792 ـ 1929، رسالة جامعية مرقونة، الرباط 1980 ؛ علي الريسوني، *أبطال صنعوا التاريخ*، تطوان، 1975.

A. Bernard, *Une mission au Maroc*, Paris, 1904 ; D. Porch, *The Conquest of Morocco*, New-York, 1983 ; Saint-René Taillandier, *Les origines du Maroc Français : récit d'une mission 1901 - 1906*, Paris, 1930 ; A. Khallouk Temsamani, *Les coups de Raïssouni ,1895 - 1907, Revue Dar an-Niaba*, n° 19 - 20, 1988.

إبراهيم بوطالب

**بير أنزران**، مركز بإقليم وادي الذهب، يسمى باسم البئر الشهيرة فيه، ويقع بناحية تكجير جنوب خط العرض 24 درجة، وإليه انتقل الشيخ ماء العينين في طريقه من أوسرد إلى اسمارة، ولم تحتله القوات الإسبانية إلا سنة 1937 أي بعد أن كان قد مر على الوجود الإسباني بالداخلة أكثر من نصف قرن. وبهذا المكان وقعت معركة كبيرة انتصرت فيها القوات المسلحة الملكية على مرتزقة البوليساريو. فكان ذلك مدعاة لإطلاق اسم بير انزران على عدد كثير من الساحات العمومية والشوارع والمؤسسات المغربية.

I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid 1955, p. 140.

محمد ابن عزوز حكيم

**البير الجديد**، مركز حضري صغير (5359 نسمة سنة 1982) يقع على بعد حوالي أربعين كلم جنوب الدارالبيضاء على الطريق الرئيسية رقم 8 المؤدية إلى الجديدة.

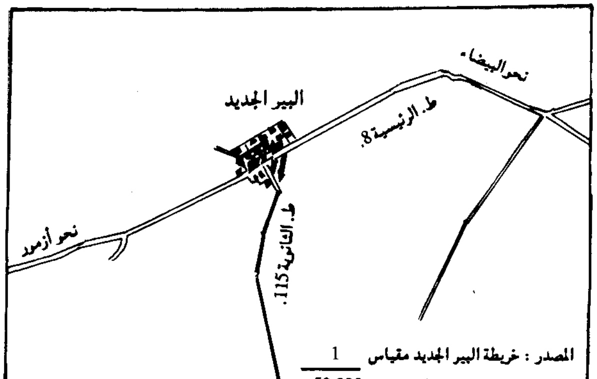


موقع البير الجديد

نشأ كمركز للاستعمار الفلاحي على إثر توسع عمليات استحواذ المعمرين على الأراضي الفلاحية بضواحي الدارالبيضاء، وكمحطة للخدمات الطرقية مع تطور وسائل النقل العصري خلال العشرينات من هذا القرن. ولم يصبح تجمعا سكانيا يستحق الذكر إلا خلال الثلاثينات. ففي سنة

1931 لم يكن عدد سكانه يتجاوز 89 نسمة، 80 منهم أجانب. وإذا كان للفلاحة التسويقية التي أدخلها المعمرون دور كبير في نشأة هذا المركز وتطوره، فإنها ما زالت اليوم ذات أهمية قصوى بالنسبة له.

رغم بُعد مركز البير الجديد عن الساحل بحوالي عشرة كيلومترات فإن الانتشار الكبير الذي عرفته زراعة الخضر في اتجاه الداخل، ضمن نطاق المنخفضات الفاصلة بين الكتبان الرملية القديمة والمتماسكة (بداية الزمن الجيولوجي الرابع) قد جعله يصبح أول مركز تجاري وخدماتي بمنطقة الولجة الممتدة بين الدارالبيضاء وأزمور. ويتجلى ذلك أولا من خلال حجم تجارته القارة (أكثر من 220 محل تجاري سنة 1984) ومن خلال أهمية سوقه الأسبوعي (1150 نقطة بيع سنة 1984) وبفضل هذه الطاقة التجارية أصبح للبير الجديد إشعاع كبير يمتد نحو الجنوب ليشمل منطقة شتوكة ونحو الشاوية السفلى في الداخل ونحو منطقة السوالم في الشمال.

والبير الجديد الذي يقع ضمن مجال فلاحي تفوق به الكثافة العامة للسكان 100/ن كلم2. نظراً لحاجة زراعة الخضر لليد العاملة أصبح أيضا قطبا للهجرة القروية وخاصة من الشاوية. فنسبة سكان هذا المركز المولودين بعين المكان التي كانت تقدر بـ 64٪ سنة 1971 لم تعد تتعدى 46٪ سنة 1982. ويرتبط بتصاعد الهجرة انتشار كبير للسكن الهش 36٪ واشتغال 26٪ من سكانه النشيطين بالفلاحة.

ورغم أهمية نسبة السكان العاملين بالفلاحة يظل القطاع الثالث يحتل الصدارة في ميدان التشغيل باحتوائه على 53٪ من الساكنة النشيطة للمركز منها : 16٪ للتجارة و15٪ للإدارة و14٪ للنقل. ومن زاوية أخرى تشغل أنشطة الخدمات بمختلف أشكالها (حرف الإصلاح، الإدارة، الوساطة...) 42٪ من السكان النشيطين بالبير الجديد. وبذلك يكون نموذجا للمراكز التي نشأت وتطورت في ارتباط وثيق بالفلاحة وبالخدمات الطرقية.

R. Chakir, *El-Jadida : Croissance urbaine et espace régional*, Thèse de 3ème cycle, Tours, 1985 ; R. Fosset, *Société rurale et organisation de l'espace : Les bas plateaux atlantiques du Maroc Moyen*, Thèse d'Etat, Montpellier, 2 t, 1978 ; A. Lahlali, *Souks et reseau urbain dans les Doukkala*, Thèse de 3ème cycle, Tours, 1987.

مصطفى شويكي

**بير غندور**، مركز بإقليم وادي الذهب يسمى باسم البير الشهير فيه، ويقع بناحية اسمول شرقي أدرار ستوف بين خطي العرض 21 و22 درجة، ولم تحتله إسبانيا إلا سنة 1937 أي بعد أن كان قد مر على وجودها بالداخلة أكثر من نصف قرن.

I. Carneno Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid, 1955, p. 136.

محمد ابن عزوز حكيم

**البير في الصحراء** المغربية. للبئر في الأقاليم الصحراوية أهمية كبرى، يُكوِّن مع الواحة المعلمتين الأساسيتين في أية منطقة صحراوية في العالم. وتكثر الآبار في الصحراء المغربية بحيث يتعذر تتبعها واحدا واحدا، لذلك سنورد هنا جردا عاما باسمائها اعتمادا على بعض الدراسات والخرائط السرية التي وضعتها الادارة الإسبانية أثناء الاحتلال إضافة إلى المصادر والمراجع الإسبانية المنشورة قبل عودة الاقاليم الصحراوية إلى حظيرة الوطن :

أبيب، أبيدوز، الأبيض، أحمد، الأحمر، أرجمار، أريدال، اگليت اسفاه، اگموميت، أگويدير، اگوينيت، اگيلاس، اليفة، أم فاطمة، امبات امگانا، امگلي، امليلي، امسيكير، امسين، أميلنيك، أنزران، انفيست، انسياليت، انوطى، اسمارة، أهل الشيخ الوالي، أوادي، أوحفريت، أوركات، أوگرواليت، أوفيست، أوسياليت، أوسيرت، إيافة، ايج، بن حمادو، بوجدور، بوخشيبية، بورگيبة، بوگفة، بولرياح، البويردات، تاجميل، تاگرزيمت، تاگولات، تامي، تافراوت، تافودارت، تاسوة، تاشكتامت، تايارت، تارگيت، تنواكة، التوارتة، توزينين، توكات، تيدماكة، تيراكلين، تيملوسة، تينغراد، تيفاريتى، تيسلاتين، تيشلا، الجديرية، جرف سعدون، الجريفية، الجلوا، الجليا، حبادة، الحگونية، الحلو، الحميرة، الحمير ماش، الحوزة، حسيان، الخلوة، خليل، الدوار، الدموس، الدشيرة، الدورة، الدويهب، الراك، الرخيمة، الرغيوة، الرقيقة زنزانة، الزوك، طبق، طلحة، الطوف، الگاموس، گرتوفة، الگريسم، الگطفة، الگطوع، الگنيفة، الگطيطير، گلتة زمور، الگندوز، الگيدية، لرجامة، لمامي، مبروك، المجيبار، المدادة، المرض، مكونة، المكيب، المگبورة، المسيد، معطى الله، المهيرز، موقلاني، مويلاح، الميدار، الميزور، النار، النبگة، النخلة، النخيلة، النخيطة، النطريف، النويفذ، نيزان، الصيتة، الضويق، عثمان، العريدة، عگيلت، العگاية، العسل، العسلي، العويتگات، عويشة، غريبيل، فراگش، الفرسية، الفوار، القرعة، القليلة، سعدون، الشاي، الشر، الشريفية، الشمل، حگونية، الحميدنات، ولد سيدي محمد.

م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، ج 1.

Gobierno General del Sahara, *Informe sobre los puntos de agua existentes en el Sahara Español*. El Ayun 6 de Agosto de 1943 ; *El pozo fuente de vida capital en el Sahara*. El Ayun, Julio de 1948 ; *Mapa de los pozos del Sahara 1944* ; A. Domenech Lafuente, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946 ; A. Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid, 1946 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid, 1955 ; J. Caro Baroja, *Estudios Saharianos*, Madrid, 1955 ; P. Gomez Moreno, *Pozos del Sahara*, Madrid, 1956.

**بيرْخينْيَا**، Virginia اسم أطلقه الإسبان على جزيرة العميرة، الجزيرة الصغيرة التي تقع جنوب رأس بارباس.

A. Domenech Lafuente, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946, p. 84 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid, 1955, p. 93.

**بيرا**، أو بيرَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Vera، وهو في الأصل اسم قرية بمقاطعة المرية الأندلسية وتذكر الوثائق فردا من أفراد هذه الأسرة بتطوان كان حيا سنة 1721/1133

يدعى قاسم بن أحمد بيرا.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1762/1175.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 3 : 32 ؛ 4 : 87 ؛ م.داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 320 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بيرا، فابيا** إزلتاي أو إزلطاي، إحدى الشخصيات الشهيرات بمدينة وليلي الرومانية. لقد لعبت هذه السيدة دورا طلائعيا في الحياة الدينية والاجتماعية بهذا المركز الروماني خلال النصف الأول من القرن الأول بعد الميلاد. ترجع المكانة التي حظيت بها فابيا بيرا، خاصة في الميدانين المشار إليهما، إلى زوجها ماركوس فاليريوس بوسطار (J. Gascou, 1982, n 448) الذي لعب دورا مهما في إخماد ثورة أيدمون الشهيرة، وبعدها أصبح من الشخصيات البارزة في تاريخ مدينة وليلي.

يمكن دراسة بعض جوانب حياة هذه السيدة من خلال مجموعة من الوثائق الكتابية. هذه الأخيرة عبارة عن مجموعة من النقوش اللاتينية وعددها خمسة (J. Gascou, 1982, n 342 - 440 - 448 - 449) تحمل كلها اسم السيدة فابيا بيرا.

إن الأصل الحقيقي لفابيا بيرا يمكن استنباطه من اسمها العائلي واسم أبيها. فالأول هو بيرا وهو اسم ليبي (J. Marion, 1960, p. 161). هناك تشابه أو قرابة بين هذا الاسم وأسماء أخرى وجدت على بعض النقوش الحجرية المكتوبة بالليبية أو بالبونيقية التي عثر عليها بتونس، كالنقيشة التي عثر عليها بمعبد الحفرى (Berthier et Charlier, n 130) والتي تحمل اسم بُوريك (Boric) أو كالتي عثر عليها بأومال (Chabot, n 863) التي تحمل اسم بير Bir بالليبية.

أما اسم أبي بيرا وهو إزلتاي، فيبدو كذلك أنه ليبي (Marion, 1960, 160) وهو اسم عريق استعمل كاسم فريد خاصة وأن تقاربا كهذا ليس بمستحيل. ومعلوم أن بمنطقة حاحة قبيلة تحمل اسم أيت زلطن (L. Chatelain, 1968, p. 145).

إن المكانة الاجتماعية التي حظيت بها هذه السيدة يمكن اعتبارها نتيجة لعنصرين مهمين : الأول هو المكانة التي كان زوجها ماركوس فاليريوس بوسطار يحتلها في الحقل السياسي والإداري بمركز وليلي. أما العنصر الثاني فهي المكانة الدينية. اعتمادا على الوثائق الأثرية، وخاصة النقوش اللاتينية المشار إليها سابقا، نستخلص أن السيدة فابيا بيرا وزوجها ماركوس فاليريوس بوسطار هما من الشخصيات الأولى التي شغلت منصب كاهن لأول مرة بهذا المركز الروماني، وذلك لإقامة طقوس وشعائر للأمبراطور.

ومعلوم أن منصب كاهن لا يشغله أي كان، بل هو وظيفة دينية خاصة بفئة اجتماعية معينة، أهم خاصياتها أنها حصلت على حق المواطنة الرومانية وذلك أن أفرادها يحملون الأسماء الثلاثة، وأنهم اشتغلوا في أحد المناصب السياسية. هذه الفئة هي ما يمكن أن نسميها "البورجوازية" البلدية، وأنهم عند مغادرتهم لهذه الوظيفة يصبح اسمهم مسجلا في سجلات الشيوخ. فإذن تعد فابيا بيرا أولى الكاهنات بمدينة وليلي، ولهذا السبب نتوفر على وثيقة وهي نقش لاتيني مهداة من طرف نفس الشخصية إلى إحدى الآلهة الرومانية، أو بالأحرى المرومنة وهي الإلهة سريس Ceres (J. Gascou, 1982, n° 342) حيث تتقدم لها فابيا بيرا بالشكر الجزيل على المساعدات التي قدمتها لها لتحتل إحدى الوظائف المهمة.

أما المكانة الاجتماعية، فإنها لا يمكن أن تنفصل عن الدور الديني الذي كانت تلعبه أو تشغله، يُضاف إلى هذا أن هذا الاسم "فابيا" سيصبح اسم عائلة كبيرة وهي عائلة الفابيين Fabii التي ستندمج في إطار عائلة أخرى كبيرة وهي عائلة الفاليريين Valerii عن طريق زواج فابيا بماركوس فاليريوس بوسطار.

J. Gascou, *Inscriptions antiques du Maroc*, 2, *Inscriptions Latines*, Paris, 1982 ; *La population de Volubilis à l'époque romaine, B.A.M.*, IV, 1960 ; P. Berthier et Charlier, *El Hofra* ; Chabot, *Inscription libyque* ; L. Chatelain, *Le Maroc des romains*, 1968.

حسن ليمان

**بيرار، گيوم** Bérar Guillaume طبيب جراح مستعرب، أصله من منطقة نيس جنوب فرنسا. كان محبا للأسفار البعيدة وللثقافة العربية الإسلامية، وكان يقيم بأسطمبول عام 1574، فتعرف هناك على عبدالملك بن محمد الشيخ السعدي الذي كان يومها بتركيا طالبا مساندة السلطان سليم ليعتلي عرش المغرب. عندما أصيب عبدالملك بمرض أخذ يتلقى العلاج على يد بيرار گيوم، فنشأت بينهما صداقة، وعندما أصبح عبدالملك ملكا عام 1576 جعل من بيرار طبيبه الخاص، ثم أوفده في سفارات لدى هانري الثالث ملك فرنسا، ثم صار بعد ذلك سفيراً لفرنسا لدى مملكتي فاس ومراكش. كان عبدالملك يستعد لمعركة وادي المخازن وهو في حالة صحية غير مرضية، ذلك ما جعل بيرار يلازمه باستمرار، فشاهد بيرار يوم 4 غشت 1578 جل أطوار المعركة ولم يكتب لعبد الملك أن يشاهد نصر قواته.

بعد أيام قلائل، شهد بيرار مراسيم بيعة أحمد المنصور بفاس ملكا على عرش المغرب كله، غير أن التجار الفرنسيين رفضوا أن يسددوا له الواجبات القنصلية بدعوى أن رسائل اعتماده موقعة من طرف الأمير أنطوان دوبوربون لا من طرف الملك نفسه، فأكد له هانري الثالث اعتماده سفيراً بالمغرب وطلب منه تنشيط المبادلات التجارية بين البلدين والسعي لدى ملك المغرب لمنح قروض إلى فرنسا.

واصل بيرار خدمة أحمد المنصور بضعة أعوام، ثم توفي بفرنسا عام 1591.

*S.I.H.M.* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, II ; G. Deverdun, *Marrakech*.

أحمد بنجلون

**بِيرَامَانْ**، (بِيرْعَمَانْ) : اسم مدرسة علمية قديمة

توحدت قبيلة إداوبوزيا الحاحية حولها منذ القدم إلى الآن، رغم وجود زوايا دينية أخرى تقوم بوظيفة تدريس القراءات والعلوم الأخرى أحيانا مثل زاوية عبدالمنعم الحاحي (تـ. 935 هـ) بأيت داود التي لا تبعد عن بيرامان إلا ببضعة كيلومترات، وكذلك زاوية بُوزْمُورْ إزاء ضريح سيدي حساين ابن موسى.

ازدهرت الدراسة بمدرسة بيرامانْ بفضل عناية رؤساء آل بويفنزي بها نظرا لوقوعها قرب قصبتهم وتحت نفوذهم، فكان أساتذتها وطلبتها يحظون بعناية خاصة من طرف القائد بويفنزي وحاشيته، لأنه يزين بهم مجلسه ويفخر بتقدمهم في العلم على أقرانه من قواد القبائل الحاحية المجاورة.

ومن مشاهير أساتذتها في القرن الرابع عشر (20 م) العلامة الأديب محمد بن السيد محند الأمغاري التغماوي الذي أخذ القرآن والعلوم العربية والدينية عن والده بمدرسة إداوكازُّو التي قضى فيها اثنتين وعشرين سنة في التدريس، ثم انتدب نجله هذا ليكون قيم مدرسة بيرامان واستاذها استجابة لطلب القائد بويفنزي الذي تربطه بالمغاريين روابط عائلية وزبونية قديمة، فقام الفقيه الشاب بوظيفة التدريس أحسن قيام ولكن الموت فاجأه في ريعان شبابه فقضى نحبه قبل والده عام 1313 / 1895.

وبعده تعاقب على التدريس بمدرسة بيرامان عدد من الفقهاء على وجه المشارطة إلى أن حل بها الفقيه الأديب الحاج سعيد بوستة البوزياوي عام 1339 / 1920 بعد تخرجه من مدرسة السعيدات بأولاد بو السباع، حيث أخذ العلوم العربية والدينية عن شيخيه محمد بن العربي السباعي، ونجله عبدالقادر السباعي، ثم انتدبه القائد علال بويفنزي أستاذا لمدرسة بيرامان فأظهر من الكفاءة العلمية في التدريس والإفتاء والقضاء ما استحق به إعجاب القائد فضمه إلى مجلسه الذي يضم وجهاء القبيلة من الأعيان والعلماء ثم قربه أكثر فاتخذه مستشاره الخاص، وزوجه ببنت أخته إنعاما عليه، فلم يصرفه ذلك كله عن القيام بمهمة التدريس بهذه المدرسة إلى أن توفي عام 1393 / 1973. فخلفه فيها ولده المتخرج عليه السيد بوستة اليزيد بن سعيد الذي ما يزال قيما عليها إلى الآن. أما الأخذون عن والده فهم كثيرون، منهم الفقيه الصوفي الشهير الحاج محمد بن الحسن الكزوتي بزاوية اسقال (تـ. 1379 / 1959). والفقيه محمد شارة الذي أخذ عنه ثم استتم بزاوية المحصر التجانية، وعثمان شارة البوزياوي، وأحمد الخباز وغيرهم.

م. المختار السوسي، *رحلة من الحمراء إلى إيليغ* ؛ *تحريات ميدانية ورواية شفوية* ؛ *تقاييد وكنانيش خاصة بالعلماء المذكورين.*

محند أيت الحاج

ابن **بيرة، أحمد** بن محمد الأنصاري الخزرجي. لا تتوفر لدينا سوى معلومات ضئيلة عنه، فالترجمة الوحيدة له هي التي خصه بها ابن عبد الملك في *الذيل والتكملة*، وهي نفسها التي نقلها ابن إبراهيم في *الإعلام*. فهو من رجال القرن السابع (13 م) أخذ بمراكش عن مجموعة من الأشياخ، كأبي الحسن بن محمد ابن الحصار، وابن حسان المرجيفي. وحسب ابن عبد الملك، فإن ابن بيرة كان من أهل الأدب والتاريخ، إذ وصفه بالحافظ للآداب والتواريخ والذاكر للرجال. كما تحدث عن مؤلف لابن بيرة وقف عليه، خاص بتاريخ مدينة مراكش، عرف فيه بمن قدم إلى هذه المدينة من العلماء.

م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، 1 : 467. ع. 700 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 4 : 89.

عمر بنميرة

**البيوش** الحداد، محمد بن عمر بن الحسن. مقاوم ولد سنة 1933 بالرباط. اعتقل سنة 1952 ومكث في السجن سنة بعد أن قام بعدة عمليات فدائية، أهمها قنبلة سينما الحمراء بالرباط 1952، تلك الحادثة التي انبثقت عنها أول حركة للفداء ضد جوق "غنِّ يا شباب".

ولما خرج من السجن التجأ إلى تطوان ومن هناك كان يقوم بتهريب الأسلحة لتزويد المقاومين بالداخل أي بالمنطقة السلطانية، إلى أن رجع جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله فالتحق بمدينة الرباط واغتيل بحي العكاري يوم الإثنين 27 يبراير 1956.

*شهداء الاستقلال*، ج 2.

عز الدين العلام

**بيرطران**، الفونس، Bertrand, A من مواليد سنة 1842 عمل قنصلا لفرنسا بالصويرة ابتداء من سنة 1882، وقبل ذلك كان مستكتبا بقنصلية بلده في الإسكندرية وبغداد وحلب وزنجبار. وهو مستعرب له مراسلات مع المفوضية ومع رجال المخزن. كما كان صحافيا مراسلا لبعض الصحف مثل *الجمهورية La République*.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 3 : 1111. 1112.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 75.

مصطفى بوشعراء

**بيرنار**، أو گوستان Bernard Augustin أستاذ فرنسي، صاحب "كرسي جغرافيا إفريقيا الشمالية واستعمارها" بالسوربون. نشأ بالجزائر وبها ابتدأ أبحاثه وتدريسه بمدرسة الآداب بالجزائر العاصمة (نواة كلية الآداب فيما بعد) وكان من أولئك الباحثين الذين وظفوا أقلامهم خدمة للاستعمار أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين، قال في حقه زميله قطب الجغرافيا في المغرب إبان الحماية، جان سيلوريه Jean Célerier منوها ببعض مؤلفاته سنة 1938 : "لم تكن إفريقيا الشمالية مجرد ميدان للدراسة بالنسبة إليه بل كانت ميدان عمل له، فإنه كان مقربا إلى أولئك الرؤساء الكبار الذين تدين لهم أقطار إفريقيا الشمالية الثلاثة بما تنعم به في وقتنا هذا من الحيوية، وإنه اشتغل بجانبهم".

مؤلفات أوگوستان بيرنار كلها دليل على ذلك بما يطبعها من إصرار على توظيف العلم للاستعمار ونبذ الموضوعية لفائدة التوسع الفرنسي والتجرد لإبداء الرأي

الذاتي والإفتاء بما ينبغي أولا ينبغي لنشر الاستعمار الفرنسي بالمغرب. ويمكن اعتبار كتاباته على الخصوص شاهدا واضحا على ما جرى من نقاش بين المسؤولين الفرنسيين وقت تخطيطهم لغزو هذا البلد، فإنه كلف في هذا الصدد بمهمة استطلاعية من قبل والي الجزائر جونار Jonnart فزار المغرب فيما بين 30 مارس و30 ماي 1904 وكتب تقريرا عن رحلته نشرته "لجنة المغرب" التي كانت قد تشكلت في تلك السنة لتتبع مراحل التغلغل الفرنسي ببلادنا، ومما جاء في ذلك التقرير قوله : "كانت الغاية الأساسية من بعثتي دراسة التغلغل الأوربي وأشكاله بالشواطئ الأطلسية للمغرب" وكان الهاجس من ورائها أن لايغيب عن أذهان المسؤولين الفرنسسين ما يجب أن يكون لمعمري الجزائر من الأدوار الطلائعية في احتلال المغرب، وذلك لأن النقاش كان قد احتدم بين ولاية الجزائر وأنصارها الراغبين في فك "المسألة المغربية" من جهة الجزائر عن طريق زحف عسكري يستقطب القبائل المغربية الواحدة تلو الأخرى، طوعا أو كرها، ويضرب عرض الحائط بمشروعية المخزن المغربي، ووزارة الخارجية بـالكي دورسي Quai d'Orsay وسفرائها وقناصلها الموظفين بمفوضية فرنسا بطنجة الذين كانوا مدركين لنفوذ المخزن بالرغم مما كان يجتازه من المتاعب في تلك الحقبة، كما كانوا ملزمين بمراعاة المنافسة الدولية الحادة القائمة حول أسواق المغرب. وكان أصحاب الجزائر يرون أن حل المسألة المغربية من غير جهة الجزائر قد يؤدى بها إلي حلول دولية وإلى إفلات الأمر كله من قبضة فرنسا، وكان أصحاب الحل الديبلوماسي، على العكس من ذلك، يرون أن حلا بغير رضى المخزن قد يسدّ أبواب المغرب أمام الاستعمار الفرنسي من كل الجهات، ولذلك أفتى أوگوستان بيرنار سنة 1911 قائلا : "إن السياسة المخزنية لو طبقت بشكل ضيق دون سواها من شأنها أن تؤدي إلى الجمود المطلق أو إلى التدويل على أبعد تقدير، وعندئذ يحصل ما هو حاصل بتركيا فيطلق العنان لحيل الديبلوماسيين لتصطدم التاثيرات المتنافسة بعضها ببعض. وإن سياسة القبائل لو غُضّ الطرف عن المخزن، من شأنها أن تؤدي إلى تفكيك المغرب، مما تقضى مصالحنا وواجباتنا بأن نجتنبه جهد المستطاع، فلا مناص من مزج السياستين باعتماد الشعار الذي وضعته منذ زمان والرامي إلى ممارسة سياسة القبائل باسم المخزن ولحسابه" وتلك هي سياسة "التهدئة" التي قال عنها برنار في كتابه عن المغرب : "لقد تمت تهدئة المغرب بمزج حثيث بين السياسة والعنف (...) وكان ذلك بمثابة كمياء معقدة يتوقف الأمر فيها على مدى ما يصلح من العنصرين لإقامتها"، وقال أيضا في نفس الكتاب : "لا وجود لمغرب غير نافع، فإن الرومان اندثروا من إفريقيا الشمالية بسبب انشغالهم بالمناطق الخصبة دون سواها"، واستشهد على ذلك بقول الوزير الانجليزي اللورد ساليسبري Lord Salisbury الذي كان من أقطاب التوسع الاستعماري البريطاني قال : "لا ينبغي لأمة أوربية أن تتوقف عن الزحف الترابي إلا عندما تصل إلى البحر أو عندما تتصل بحدود قوة أوربية أخرى" فهكذا اقتسموا افريقيا فيما بينهم وهكذا بارك الوزيعة علماؤهم وبخاصة علماء الجغرافيا التي تبدو من خلال مثال أوگوستان بيرنارعلم الاستعداد للحرب والعدوان، كما قال ذلك عنها مؤخرا الجغرافي الفرنسي إيف لاكوست.

ندرج فيما يلي بعض عناوين مؤلفات بيرنار ونترك جانبا مقالاته وتقاييده المتعددة التي كانت تصدر له بمجلات الجغرافيا والاستعمار، وخاصة منها *مجلة لجنة إفريقيا الفرنسية* وذيلها *الاستعلامات الاستعمارية* :

A. Bernard, *La pénétration saharienne, 1830 - 1906*, Alger, 1900 ; *Une mission au Maroc : Rapport au gouverneur général de l'Algérie*, Paris, 1904 ; *L'évolution du nomadisme en Algérie*, Alger, 1906 ; *Les confins algéro-marocains*, Paris, 1917 ; *Enquête sur l'habitat rural des indigènes de l'Algérie*, Alger, 1921 ; *Enquête sur l'habitation des indigènes de Tunisie*, Tunis, 1924 ; *L'Algérie*, Paris, 1929 ; *Le Maroc*, Paris, 1932 ; *Afrique septentrionale et occidentale, Geographie Universelle*, Paris, 1937.

إبراهيم بوطالب

**بِّيرو**، أسرة تطوانية ورباطية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس Pero، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1677/1088. ومازال آل بِّيرو حتى اليوم في الرباط.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بِّيرو، الطيب** (الحاج۔) الرباطي، رياضي كبير، تألّق نجمه منذ سنة 1344 / 1925 حيث أخذ يشارك في عدة مباريات دولية ويحرز على بطولة المغرب وفرنسا في الجمباز. وقد عمل قائداً في البحرية، ومسيِّراً في الشبيبة والرياضة.

توفي بالرباط عام 1409 / 1988.

**بِّيرو، المحجوب** بن أبي بكر الرباطي، درس بمسقط رأسه، وتخرج فقيهاً أديباً، وأخذ يتعاطى الشهادة في سماط العدول، ويدرِّس في بعض المساجد. ونسخ بخطه الحسن عدة أسفار من ذخيرة الشيخ المعطي بن الصالح الشرقي. ثم انتقل إلى السوس الأقصى وأقام به عدة سنين يأخذ عن أعلامه الفلك والتوقيت والتنجيم وسر الحرف والطب التقليدي حتى برع في ذلك، ثم رجع إلى الرباط وتزوّج، على كبر سنه، وأنجب أربعة أولاد وثلاث بنات، أشهرهم التاجر الحاج الحسن بِّيرو الذي كان وطنياً مخلصاً متحمساً يُنفق أمواله في المشاريع الوطنية بدون حساب.

وقد ظهر على المحجوب بيرو في آخر عمره اختلاط في عقله، يقال إنما تظاهر بذلك ليتخلص من منصب القضاء الذي أسند إليه. وتوفي بالرباط عام 1334 / 1915.

*تقاييد، ورواية شفوية عن محمد الأمين بلگناوي.*

محمد حجي

**پيروتيت**، Pyrrhotite عبارة من أصل إغريقي، پيروس

وتعني أحمر، كبريت حديدي $Fe\ S_{(1-x)}$ أو $F^{3+}\ S\ Fs^{2+}$ نظامه البلوري سداسي الشكل على نحو كتَل صفائحية أو كتلية، وقليل هو عدد البلورات التي لها شكل موشوري متواز، لونه متغير ما بين الأصفر البرونزي والأصفر النحاسي، لمعانه معدني ضعيف، مغناطيسي.

توجد الپيروتيت في غالب الأحيان ببعض الصخور النارية، في النضيد المتبلور في العروق، وبعض الصخور الجوية.

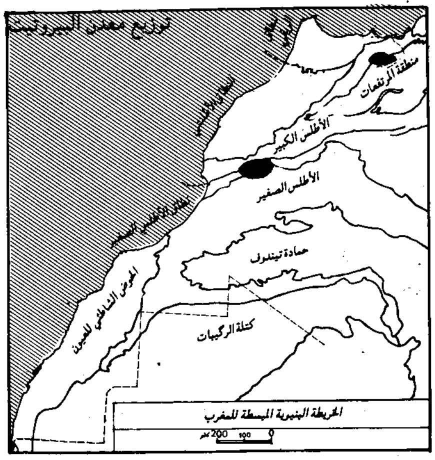


أما فيما يخص الپيروتيت بالمغرب، فتوجد دائما مصاحبة للپيريت، الماركسيت، الكالكوپيريت، الميسبكيل، الجالينا، البلند، المغنيتيت، الهيماتيت، السيديريت، المَرو، الميكا، وأحيانا الكوبلتيت، البزموت الخام، الإليكتروم (فلز للذهب والفضة) والقزدير.

أهم مذخرات هذا الكبريت بالمغرب توجد على شكل پيروتيت، توجد بالناحية الغربية لمراكش في المناطق الآتية :

- منطقة قطارة : تقدر المذخرات بعشرات ملايين الأطنان من معدن الپيروتيت الذي يحتوي على 30٪ من الكبريت.

- منطقة سيدي مبارك : لم تقدر بعد مذخرات الپيروتيت بهذه المنطقة.

- منطقة تازگورت : تقدر مذخرات الپيروتيت بهذه المنطقة بحوالي 229.000 طن (يحتوي على 1،17٪ من الرصاص، و36٪ من الزنك و0،20٪ من النحاس) في الجهة الجنوبية ؛ و2.050.000 طن (تحتوي على 30٪ من الكبريت) في الجهة الوسطى ؛ و111.000 طن (تحتوي على 0،8٪ من الرصاص، و8،8٪ من الزنك و0،25٪ من النحاس) في الجهة الشمالية.

- منطقة بنسليمان : تحتوي الأحجام المعدنية بهذه المنطقة على كمية أكثر من النحاس إذا ما قورنت بمعادن الپيروتيت بقطارة. تقدر مذخرات معدن الپيروتيت فيها بحوالي 400.000 طن وتحتوي على 0،8٪ من النحاس.

يستخدم كبريت الپيروتيت، ككبريت الپيريت خاصة لصناعة الحامض الكبريتي، ويستعمل هذا الأخير في الصناعات الكيميائية والأسمدة وتهييء الأورانيوم، وتكرير الپترول، وصناعة الألوان. أما مركبات الكبريت فتصلح لصناعة العازل الكهربائي، والأسمدة، ومعالجة الخشب ضد الرطوبة وكذا الصيدلة.

أنتج المغرب فيما بين سنوات 1964 ـ 1971 أزيد من 2.276.383 طن من معدن الپيروتيت المحتوي على نسبة 30٪ كبريت و6٪ نحاس ؛ هذا وقد استقر الإنتاج منذ سنة 1972 على 430.000 طن سنويا. انتج منجم قطارة وحده في سنة 1974 مقدار 508.787 طن من الپيروتيت مقابل 407.098 طن سنة 1973 أي ما يعادل زيادة قدرها 24،9٪. أما فيما يخص الاحتياطي فقد قدر في ديسمبر 1971 بما يزيد على 30.000.000 طن بنسبة 30٪ كبريت و6٪ من النحاس.

ورغم كل هذا يبقى المغرب مستوردا لما يعادل 2،7 مليار درهم منُ الكبريت لاستعماله في الميدان الفوسفاطي.

ونشير إلى أن الپيروتيت المستخرج من قطارة يرسل إلى المركب الكيماوي بأسفي قصد إنتاج الحامض الكبريتي المستعمل بدوره في إنتاج الفوسفاط الممتاز.

عبد الله بوصحابة

**بيرْ وَرْد**، اسم مكان مشهور بغابة المذاكرة، وقعت فيه معركة بالقبيلة المذكورة خلال شهر ماي سنة 1908. والمكان يوجد إلى الشرق من مدينة الگارة قرب الحدود بين الشاوية وقبيلة زعير. فخلال جهاد الشاوية ضد جيش الاحتلال الفرنسي وعندما تمكن المحتلون من فرض سيطرتهم على كل المناطق السهلية، انسحب المجاهدون وخاصة من قبيلة المذاكرة وأولاد علي وأولاد مَحمد إلى المناطق الغابوية. وفي 15 ماي توغلت قوات الاحتلال في تلك المناطق بعد أن تم تحديد مواقع مخيمات المغاربة وسط الغابة.

وتشير الروايات الشفوية إلى أن بعض رجال القبيلة أقنعوا بعضهم بإخراج الخيام إلى ساحة عارية من الأشجار في المكان المسمى بير ورد، فكان ذلك رأيا غير صائب وعملا مشئوما، إذ تمكنت مدفعية العدو من مفاجأة المخيم وتخريبه.

حاول المغاربة تكوين حاجز ناري يحمي الدواوير التي أصبحت هدفا لمدفعية العدو، ريثما يتمكن الأطفال والنساء من الابتعاد بقطعان الماشية. وهكذا نشب القتال على جبهة عريضة طولها سبعة كيلومترات، وبالرغم من تمسك المجاهدين بقمم الجبال وصل العدو إلى المخيم ونهبه وأحرق الخيام التي لم يتمكن أصحابها من إبعادها عن أرض المعركة.

وقد سجل المجاهدون من قبيلة المذاكرة وأولاد مَحمد ومن انضم إليهم من مجاهدي زعير وبني خيران ملاحم بطولية. وتشير الرواية الفرنسية إلى أن خسائر جيش الاحتلال لم تتعد ثلاثين رجلا بين قتيل وجريح. أما المغاربة فيبدو أنهم أصيبوا بخسائر فادحة في الرجال والمال. إذ تمكن العدو من أسر أحد زعماء المذاكرة وهو محمد بن العربي المذكوري الذي سقط في كمين نصبه له جيش الاحتلال ومثَّل العدو به بعد قتله. وقد أرخ أحمد گنوني

المذكوري لمعركة بير ورد فقال :

وبئر وردٍ كان شؤما وبَــلاَ كأنه في الهول يومُ كَرْبَــلاَ

ع. الخديمي، حادثة الدار البيضاء، د. د. ع 2، 1985

علال الخديمي

**پيروطون**، مارسيل Peyrouton Marcel موظف من سلك إدارة المستعمرات الفرنسية، ارتقى أعلى الدرجات بفضل مصاهرته مع أحد وزراء الجمهورية الثالثة لوي جان مالڤي L. J. Malvy فتسلق سلم الوظائف الكبرى بالمستعمرات ابتداء من سنة 1910 متنقلا بين طاهيتي والطوغو والجزائر ككاتب عام للولاية أواخر العشرينات، ثم تونس كمقيم عام فيما بين سنوات 1933 و1936، ومن تونس نقلته الحكومة الفرنسية إلى مقيميَّة الرباط في شهر مارس سنة 1936 لإخماد فوران المعمرين بالمغرب وكان أمرهم قد استعصى على المقيم العام هانري پونصو Henri Ponsot لعدم اكتراثه بزعمهم بما أصابهم من مضاعفات الأزمة الاقتصادية العالمية.

وما كان مارسيل پيروطون إلا ليُرضي الأوساط الاستعمارية لما كان معروفا فيه من الغطرسة والميل إلى أساليب الغلظة والترهيب، وكان قد مارس من ذلك ما مارس قمعا للحركة الوطنية التونسية وافتخر بذلك في تصريح أدلى به قبل ركوبه البحر في اتجاه الديار المغربية قائلا إنه ينوي القضاء على الحركة الوطنية بالمغرب مثلما قضى على شقيقتها بتونس، وأورد الأستاذ علال الفاسي الذي ذكر هذا التصريح أنه قال : "إن القوة والعنف هما الشعار الذي يجب أن يتبع في السياسة الأهلية بشمال إفريقيا"، لذلك كان پيروطون أجدر بمنصب المقيم العام بالرباط من سلفه هانري پونصو من وجهة نظر المعمرين الذين تنفسوا الصعداء عندما علموا بنبأ تعيينه وتعمدوا استقباله أحر استقبال، فلم يخيِّب آمالهم لأنه انكب منذ أن وطئت قدماه أرض المغرب على دراسة تظلماتهم وعلى الاجتهاد في مساعدتهم على الخروج مما كانوا يتخبطون فيه من كثرة الديون وركود المبادلات وشدة المنافسة الأجنبية، فبادر إلى إصدار قرار مقيمي بتاريخ 2 يونيه سنة 1936 يقضي بإقامة لجنة دائمة للدفاع الاقتصادي مركبة من رجال الإدارة ومن ممثلي المعمرين إضافة إلى حفنة من المغاربة للتورية، وكانت الغاية من تلك اللجنة فحص مضاعفات الأزمة العالمية على الاستعمار واقتراح الحلول لمعالجتها. ولقد قال بيروطون في ذلك : "نحن بصدد أزمة نموٍّ، وليست أزمات النمو بأقل وقعا من باقي الأزمات". وعمل على استصدار الظهائر الرامية إلى ترتيب الحياة الاقتصادية ترتيبا يساعد على معالجة أسباب الضائقة بأسرع ما يمكن من أوجه العلاج، فأحدث إدارة للشؤون الاقتصادية ليجتمع في سلطة واحدة ما كان موزعا من المصالح الاقتصادية، وحذف المجالس العليا للفلاحة والتجارة والصناعة ولتربية الماشية التي حلت محلهما اللجنة الدائمة للدفاع الاقتصادي المذكورة آنفا، واعتنى بتنظيم شؤون النقل وقضايا إنتاج الخمور والحبوب وتجارتها، واستصدر قرارا وزاريا يقضي بالأخذ بأيدي أصحاب الديون ومراعاة حيثياتهم وتضرعاتهم، كما استصدر ظهيرا بتاريخ 18 يونيه سنة 1936 يجعل حداً للأجور وآخر في اليوم الموالي يحدِّد مدة العمل اليومي في ثمان ساعات. أنشأ لجنة عليا للعمل الاجتماعي والشغل بقرار مقيمي اتخذه يوم 8 يوليوز من نفس السنة، ولم يكن ذلك من عطف على اليد العاملة اكتشفه پيروطون فجأة في نفسه، وإنما كان من انتهازية مفضوحة أملتها عليه الظروف المستجدة بفرنسا وبالمغرب. أما بفرنسا فكان من سوء حظ پيروطون، وهو صاحب الميول الفاشيستيه، أنه لم يحظ بتعيينه بالرباط إلا بضعة أسابيع حتى كان انتصار أحزاب اليسار الفرنسية في الانتخابات العامة وتشكيل حكومة الجبهة الشعبية المركبة من تلك الأحزاب برئاسة ليون بلوم Léon Blum زعيم الحزب الاشتراكي الفرنسي آنذاك. وأول ما بادرت إليه تلك الحكومة إعداد القوانين الاجتماعية الناجمة عن مباحثاتها مع النقابات العمالية بقصر ماتنيون Matignon يوم 7 يونيه سنة 1936 الرامية إلى إحقاق بعض حقوق اليد العاملة بفرنسا مثل حصر مدة العمل الأسبوعي في أربعين ساعة وإقرار مبدأ العطل المأجورة.

أما بالمغرب فإن انعكاس الأحداث السياسية والاجتماعية الجارية بفرنسا أدى إلى انتفاضة عمالية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الحماية، اذ اندلعت ابتداء من 16 يونيه موجة من الإضرابات في العديد من القطاعات الحيوية مثل الفوسفاط وشركة السكر وكبريات المقاولات الاستعمارية، كانت قيادتها على أيدي العمال الأوربيين، لكن الوزن الجماهيري كان للعمال المغاربة الذين برزوا فجأة على الساحة المغربية قوة لا سبيل لغض الطرف عنها، ولذلك سارع پيروطون إلى اقتراح الإجراءات اللازمة لاحتواء النازلة، فاتخذ بعض القرارات الاجتماعية ولو من باب ارتكاب أخف الأضرار. من ذلك ظهير 19 يونيه الحاصر أوقات العمل في الأسبوع في ثمان وأربعين ساعة، وهكذا اجتنبت سلطات الحماية المسخرة لمصالح الاستعمار مسايرة التشريع الفرنسي الذي كان على وشك الصدور غداة أوفاق ماتنيون القاضية بجعل ساعات العمل أربعين في الأسبوع، وبتلك الحيل وبغيرها، مثل حث كبار أرباب المقاولات على بناء شيء من السكن الصحي لبعض عمالهم، رام پيروطون أن يوحي بمسايرته لفلسفة حكومة الجبهة الشعبية، والواقع كان عكس ذلك بدليل عنايته بإعادة ترتيبه إدارة الشؤون الأهلية وإحداث إدارة جديدة أطلق عليها اسم إدارة "الشؤون السياسية" وحشد بين يدي مديرها جميع أدوات القمع والاستعلامات المسلطة على الشعب المغربي، واستصدر قراراً وزارياً يحدد العقوبات في حق كل من نظم مظاهرات بالشوارع أو شارك فيها.

كانت الحركة الوطنية المغربية على بيِّنة مما جُبل عليه پيروطون من العداء للحرية على اختلاف جوانبها، ولقد

وفقت إلى فضح ذلك فيه والتشنيع به على رؤوس الملأ. وحاول بيروطون أن يموّه على قادة الحركة وأن يراوغهم حيث أبى إلا أن يخصهم باستقبال، إلا أنه قضى ثلاث ساعات على حد قول علال الفاسي، يسب الوطنيين التونسيين ويورّي بهم لمخاطبيه المغاربة، كما ظل يشتم أعضاء الجبهة الشعبية وزعيمهم ليون بلوم اليهودي الفرنسي بكل ما طاب له من الشتم، فلم يفت زعماء الكتلة الوطنية أن ينشروا فحوى ما دار بينهم وبين ممثل الدولة الحامية، كما لم يترددوا في إطلاع الرأي العام الفرنسي على ما أقدم عليه من مد يد المساعدة لقوات الجنرال فرانكو Franco التي كانت قد أعلنت ثورتها على الحكومة الشرعية الإسبانية يوم 18 يوليوز سنة 1936، فعم السخط على بيروطون في الأوساط الحكومية الفرنسية وتقرر عزله من منصبه في الرباط فاستدعي إلى باريس في بداية شهر شتنبر. ولما حل بها فوجئ بنبأ تعيينه سفيرا لفرنسا بالأرجنتين مع ضرورة الالتحاق الفوري بمنصبه الجديد وحرمانه من العودة إلى المغرب لتوديع الملك وذلك خوفا من أن يحتج المعمرون على إبعاده بشكل من الأشكال.

وأقام بيروطون سفيرا بالأرجنتين إلى أن عين مقيما عاما بتونس من جديد يوم 3 يونيه سنة 1940 من قبل آخر حكومة شرعية من الجمهورية الثالثة، لكن انهزام الجيوش الفرنسية في تلك الأثناء أمام الجيوش الألمانية قلب الأوضاع بفرنسا رأسا على عقب، وآلت مقاليد الحكم إلى المارشال بيتان Pétain فبادر بيروطون المشبع بروح الاستبداد والتعالي إلى الانضمام إلى الحكم الجديد، فألغي تعيينه بتونس وأسندت إليه كتابة وزارة الداخلية العامة، ثم سلمت له مهام تلك الوزارة برمتها في شهر غشت سنة 1940، فانكب على إعداد تلك القوانين الرجعية العنصرية التي تشكل وصمة عار في تاريخ فرنسا المعاصرة، وكان منها القوانين المعادية لليهود لا لشيء إلا لأنهم يهود، والقوانين الرادعة لكل تيار ديمقراطي تحريري بفرنسا أو بالمستعمرات بالأحرى، ومن جملة ذلك قرار مشجع في فحواه للعهارة والبغاء. ثم أقيل بيروطون من وزارة الداخلية بضغط من الألمان الذين حمّلوه مسؤولية إبعاد پيير لاڤال (Pierre Laval) سندهم الرئيسي في حكومة المارشال پيتان وذلك في دجنبر سنة 1940، فعين مرة أخرى سفيراً بالأرجنتين واحتفظ بمنصبه إلى أن عاد لاڤال إلى الحكم في شهر أبريل سنة 1942 فاستقال.

ولما نزلت جيوش الحلفاء بشواطئ إفريقيا الشمالية في نونبر سنة 1942 وصار المسؤولون عنها يرومون إقامة سلطة ثالثة بفرنسا لا تكون لا من أنصار پيتان ولا من أنصار دي گول، استأنف بيروطون أعماله الإدارية بالجزائر تحت قيادة الأميرال دارلان Darlan أول الأمر، ثم تحت قيادة الجنرال جيرو Giraud بعد اغتيال دارلان. فأسندت إليه مهام الولاية العامة بالجزائر وقام بأعبائها على سالف عهده من أساليب الاستعلاء الاستعماري من يناير إلى يونيه سنة 1943، وكانت صفوف فرنسا المتحررة قد توحدت بقيادة الجنرال دي گول، فاضطر بيروطون إلى التخلي عن وظيفه السامي بالجزائر وانتقل إلى المغرب بقصد الانخراط في بعض الطوابير العسكرية التي كانت تُعدُّ لتدخل ساحة القتال، لكن اللجنة الفرنسية المركبة لمتابعة الموظفين المتعاملين مع الألمان أمرت بالبت في أعماله فاستدعى إلى الجزائر وبعد استنطاقه صدر الأمر بإيداعه السجن ومتابعته، فبقي بالسجن في الجزائر ثم في العاصمة الفرنسية بعد تحريرها إلى أن انعقدت المحكمة للنظر في أمره سنة 1948 فابرأت ساحته، فعاد إلى المغرب ليترأس شركة للنشر كانت تصدر صحيفة *ماروك بريس* بالدار البيضاء، وكانت تلك الصحيفة مازالت آنذاك بوقا من بين أبواق الطغيان الاستعماري وظل مشرفا عليها إلى سنة 1952، وكتب في تلك الأثناء كتابين أولهما دفاع عن نفسه وشرفه والثاني تاريخ لافريقيا الشمالية وكلا الكتابين يحدث عن المؤلف أكثر مما يحدث عن التاريخ.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي* ؛ م. حسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد* ، ج 4، الرباط، 1982 ؛ روم لاندو، *أزمة المغرب الأقصى* ؛ أ. عياش، *المغرب، حصيلة الاستعمار*، الدار البيضاء، 1985.

M. Peyrouton, *Du service public à la prison commune*, Paris, 1950 ; R. Le Tourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane*, 1920 - 1961, Paris, 1962 ; W. A. Hoisington, JR, *The Casablanca Connection French Colonial Policy, 1936 - 1943*, University of North Carolina Press ; J. Berque, *Le Maghreb entre deux guerres*, Paris, 1962 ; R. Gallissot, *Le patronat européen au Maroc*, Rabat, 1964 ; Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978.

إبراهيم بوطالب

ابن **بيروك**، أسرة نابهة بمنطقة وادي نون في جنوب المغرب، قامت بأدوار تجارية وسياسية مهمة خلال القرن الثالث عشر (19 م). تنتسب إلى الشيخ بيروك مبارك بن عبد الله أُسالم، المنافس الأكبر لأسرة الحسين أُهاشم سيد إليغ. وقد خلّف بيروك أربعة عشر ولداً ساروا على نهجه في تركيز نفوذ أسرة بيروك والحفاظ على مكتسباتها السياسية والتجارية، وتميز من بينهم بصفة خاصة ثلاثة : الحبيب، ودحمان، ومَحمد.

ابن **بيروك، الحبيب**، لم يكن بيروك قد توفي بعدُ حين أعلن الحبيب التزامه العلني بتحقيق مشروع الميناء المحلي الذي كان الشاغل الشاغل للشيخ بيروك. وقد تبين ذلك بوضوح بعد سنة 1275 / 1859 حين بدأ في الالتجاء إلى كل الأساليب الكفيلة في نظره بتحقيق المشروع. لقد بدأ يظهر ساعتئذ أن مشروع الميناء أصعب من أن يتحقق بسهولة نظراً لاحتداد التنافس الأروبي حول استعمار المغرب. وهو ما تأكد إبان احتجاز الحبيب لثلاثة إسبانيين سنة 1866 من بينهم Jacopo Bulter (*المعسول*، 19 : 278 ؛ J.L. Miège, *Document*, 117) لقد اضطر الحبيب بفعل فشل كل المحاولات إلى الضغط على القوى الأوروبية عبر سياسة استعمال السجناء كرهائن. وهو ما جعل مكانته

تتقلص ونفوذه كمدافع عن حرية المنطقة في تحديد مسارها التنموي يعاني من معاداة السلطان له بصورة علنية. وقد استعمل هذا الأخير ذكاءه ومرونته في توسيع شقة الخلاف بينه وبين أخيه دحمان ذي التطلعات إلى الرئاسة. فكان للسلطان ما أراد حين نصب دحمان نفسه كممثل لمصالح السلطان في گلميم على حساب مكانة ونفوذ الحبيب الذي وجد في قبيلة أزوافيط سندا حقيقيا لمواجهة دحمان واتباعه. والملاحظ أن دحمان ركز ضرباته في البداية على تفكيك الهياكل التجارية للعائلة ضاربا بماضيها عرض الحائط. واستعدادا منه للحلول مكان الحبيب عندما يقتنع المخزن المركزي بأنه يجسد سياسته والمحافظة على استراتيجيه المحلية، قام دحمان بخلق بلبلة بين لفي اتحادية تكنة مستعملا في ذلك الأخضر واليابس. وهو ما يقرُّ به حفدته عندما يؤكدون على قدرته السياسية في تغيير مجريات الأحداث عبر ما يستحدثه من مشاكل سطحية وما يخلقه من نزاعات مصطنعة. لقد كان رد الفعل الأول الذي قام به الحبيب بن بيروك في إطار أوضاع مجتمعية مضطربة ومتقلبة، أن استعان بأزوافيط لمهاجمة أخيه بسوق گلميم معلنا بذلك عن نهاية قوة هذه العائلة وتماسكها. ولم يقف عند هذا الحد بل استمر في التصادم مع منافسه دحمان وإعلان رغبته في تحقيق مشروع الميناء مهما كلف الأمر إلى أن ظهرت محاولة الانجليزي ماكينزي Mackenzie بطرفاية سنة 1290 / 1873 . 1874. وبذلك تكون القطيعة بين أبناء بيروك قد زادت من قناعة الحبيب ومَحمد (الذي استقر بطرفاية مع ماكينزي) بضرورة تنمية المنطقة في إطار التضامن والاستقلالية الاقتصادية. لقد استند الحبيب ومَحمد إلى قبيلة إزرگيين ذات القدرات الحربية العالية في تحقيق الأمن والاستمرارية لهذا المرفأ الذي زود المنطقة بمادة الأرز النادرة يومها (*المعسول*، 19 : 278). وقد عرفت الفترة الفاصلة بين سنوات 1295 و1299 / 1878 . 1881 الأزمة التي تطيل في شرحها الدراسات والوثائق. وبوصول السلطان إلى تيزنيت سنة 1299 /1881 يكون دحمان قد وطد مكانته لدى المخزن المركزي على حساب أخيه الحبيب الذي عرف خيبة الأمل بما دبره السلطان وبعض الجهات المحلية ضده. وبتعيين دحمان كأول قائد مخزني من هذه العائلة يكون الحبيب قد أصبح في عداد المهجرين عن گلميم بعد أن خربت داره وأقطعه السلطان أرضا يحرثها بحوز مراكش إلى أن عاد بصحبته إلى گلميم سنة 1303 / 1886 لينتظر وفاته بعين المكان سنة 1320 / 1902 . 1903.

ابن **بيروك، دحمان**، لعله أشهر أبناء بيروك على الإطلاق نظرا لتردد اسمه بكثرة في الوثائق المخزنية. وقد تمكن من بلوغ مطامحه الشخصية على حساب تدمير التماسك التجاري والسياسي لعائلته بگلميم. وإذا كانت أسباب الصراع بينه وبين أخويه مَحمد والحبيب ترجع تدريجيا إلى اختلاف المواقف تجاه مشروع الميناء وما يصحبه من امتثال لتعليمات السلطان، فإن بداية دحمان تشهد على تمسكه بخطة أبيه في التعامل مع نفس المشروع. هذا ما تثبته وثائق عائلية كثيرة تكشف عن المحاولات العديدة التي قام بها مَحمد والحبيب ودحمان وعابدين على حد سواء من أجل التوصل إلى اتفاق مبدئي مع إحدى القوى الأوروبية. وإذا كنا لا نتردد في التأكيد على دور الطموحات الشخصية لدحمان في إحباط التماسك المبدئي للعائلة، فإن إجراءاته الشخصية وترتيباته لم تساعد قط على العودة إلى بعض التوازنات المفقودة منذ وفاة الشيخ بيروك. ويتعلق الأمر أولاً وبالذات بضرورة تقاسم الأعباء، كما كان عليه الأمر في الماضي، في سبيل تحقيق التنمية المنسجمة والمتوازنة التي تنشدها دار بيروك والتي لا يمكن بدونها أن يتم استقرار ولا حل للمشاكل والمشاريع المعلقة.

لقد استغل دحمان بن بيروك السلاح الذي كلفه السلطان باستعماله في حراسة الشواطئ للتغلب في إطار الصراعات القبلية الاعتيادية متجاوزا بذلك مأموريته. وقد برز بذلك مناوئا لأيت عثمان والرگيبات وبعض إزرگيين الذين ساندوا أخاه الحبيب. وإذا كان الارتباك والتدهور الحاصل في علاقات محوري الشرق والغرب أصبح واضحا على مستوى تضعضع نظام التحالفات، فإن سياسة دحمان وتجاوزاته تعد أحد المسببات لما ذكر. لقد تجاوز النزاعات الاعتيادية التي تمثل مقياسا عمليا للتوازنات بين لفي الاتحادية ليدفع بأيت الجمل إلى معالجة المشكلات المطروحة في إطار من العنف المطلق. وهو ما أدى بأيت عثمان إلى تمتين جبهاتها الداخلية بدعمها لمجمل قبائل الساقية الحمراء. كما أن شيوخ وقواد قبيلة ازوافيط أدوا إلى زعزعة موقعه لدى السلطان، على أن هذا الطرح الشمولي لا يغني عن الإجابة عن أكثر من سؤال إذا ما فحصنا حياة هذا القائد المخزني. إن التساؤل حول الطرح الدقيق للمشاكل التي تسمح بتوضيحها قصة دحمان يقتضي تفهم المعطيات الموجودة في المحيط الاجتماعي والطبيعي، وهو ما يقتضي تقويم الدور التاريخي لدحمان دون تصنيفه حسب نسق التصنيف الذي أنتجته النظريات المختلفة حول كبار القواد.

**بيروك**، (الشيخ ـ) **مبارك** بن عبيد الله أُسالم بن عبدالقادر بن الحسين بن محمد بن سعود بن عبدالرحمن بن يوسف بن عبيد الله بن سليمان بن علي حسب ما نقله المختار السوسي عن رجالات هذه الأسرة ( *المعسول*، 19 : 273). وبغض النظر عن تعدد الروايات الشفوية التي تحط أو تعلي من أصل هذه الأسرة ونشأتها (*من خلال*، 3 : 42)، فإن أبناءها لا يدعون الشرف من قريب ولا من بعيد. ونجدهم يؤكدون بأن يوسف بن عبيدالله هو أول من وصل من جدودهم إلى وادي نون خلال أوائل القرن الحادي عشر الهجري ( *المعسول*، 19 : 273). هذه الفترة الهامة من تاريخ تطور البنيات التحالفية بين قبائل المنطقة تعد لاحقة لظهور قبيلة أيت موسى أُعلي ضمن اتحادية تكنة (*ديوان*، 115 ؛

"لقد شكلت يومها عائلتنا بركة قائد (Kennach, 185
المنصور الذهبي وعائلة إيهيري تجسيدا فعليا لأهمية أيت موسى أُعلي سياسيا واجتماعيا. ولن يلبث الشيخ محمد بن سعود أن يرتبط بجيش المولى إسماعيل حيث لقب بأوشّن (الذئب). على أن أول شيخ للعائلة هو عبدالقادر بن الحسين الذي مهد لابنه سالم إمكانية الاتجار مع تنبكت وباقي بلاد السودان. هذه الحقيقة ستتضح أكثر بتألق عبيدالله أُسالم الذي كانت أمه رقية بنت بوگرن هي أخت فاطمة بنت بوگرن أم السلطان المولى عبدالرحمان. وإذا كانت المصادر لم تكشف عن هذه الرابطة القرابية (*إتحاف*، 5 : 420 ؛ *إيليغ*، 293 هامش 588)، فإنها تعد من أهم الوجوه للعلاقة الظرفية بين هذه العائلة والمخزن المركزي. من الضروري إذن تثبيتا لأهمية وحجم بيروك التاريخي التركيز على دور والده عبيدالله أُسالم. لقد جاءت حركة بوحلايس ابتداءً من عام 1207 / 1793 لتشكل أحد الشروط الأساسية لقيام عبيدالله أُسالم على حساب احماد إهيري شيخ قبيلة أيت موسى أُعلي وسيدها. فبانضمام احماد إهيري إلى بوحلايس الذي عينه قائداً فتح باب المواجهة المعلنة بينه وبين عبيدالله أُسالم. وكان هذا الأخير قد استقدم ثلاثة آلاف أعرابي ليستخدمهم كقوات مساعدة انضافت إلى الوحدات المخزنية تحت لواء عبدالمالك الحيحي القائد المعروف (*المعسول*، 19 : 275). وبذلك تم لعبيد الله أُسالم القضاء على احماد إيهيري الذي قتل صحبة بوحلايس بتيمگدّيشت. عرفت هذه الفترة توسع سلطة كبار الشيوخ المحليين على حساب بعض الأمراء الذين تم استعمالهم كمظلة في تطوير المبادلات التجارية على الشواطىء مع القوى البحرية (P. Pascon, *La Maison*, 101 - 118) فبعد أن كان السوق المركزي لوادي نون هو گويرة السوق بتراب قبيلة ازوافيط المركزية في لف أيت عثمان، تدرع عبيد الله أُسالم ببُعد المسافة بين هذا السوق وأيت باعمران مقترحا مكان گلميم. وقد طلب من مجمل القبائل أن تبيعه أمان السوق حسب ما توروده الرواية المحلية. وهكذا لم يمانع الكوري الخنوسي سيد ازوافيط بتاغمرت رغم تفوقه العسكري والاقتصادي. أصبح بإمكان عبيد الله أُسالم تمتين روابطه التجارية بمسالك الصحراء انطلاقا من گلميم. وقد ساعده على ذلك ابن خالته المولى عبد الرحمن الذي كان يومها على خلاف مع المولى سليمان حيث استقر بوادي نون من سنة 1193 /1779 إلى ما بعد سنة 1201 / 1787 (*تاريخ الضعيف*، 181). ولن تؤدي حروب عبيد الله أُسالم وابن الكوري الخنوسي إلى الحد من تطلعاته التجارية والسياسية. فقد اتبع التصنيفات التي يفترضها تباين لفي تكنة (ناعمي، *الصحراء*) ليثبث أسرته كما تدل على ذلك بعض الوثائق العائلية والمحلية. لقد تخصص الطالب صالح أخو عبيد الله أُسالم في توزيع الأسلحة الأروبية التي كان يتسلمها بشاطئ البيضة. بل لعل من بين الإشارات التي تكشف أهميته وحجم هذا التخصص انقسام هذه الأسلحة إلى نوعين : "الطالب صالح" و"سلاح البيضة". فأصبح بذلك عبيد الله أُسالم يجسد سلطة محلية فعلية انتهت بفتح باب الصراع بينه وبين المولى سليمان. كان ابن الكوري الخنوسي المنافس المحلي لعبيد الله أُسالم ما يزال يمثل شبه إمارة مستقلة تعتمد تجارة الصحراء كقاعدة اقتصادية وتحالف أيت عثمان بمختلف فروع وروافد وادي نون. الا أن تخصص عبيد الله أوسالم في تجارة الرقيق جعلته يتميز بحجم عبيده الذي بلغ خمسة عشر مائة (*تاريخ الضعيف*، 341)، كما أن قدرته على خفر القوافل (زطاطة) قاربت قدرة الكوري وابنه عندما بلغت مسافة تسعة عشر يوما في الصحراء حسب ما أضافه الضعيف، إلاّ أن عبيد الله أُسالم سيخرج من التاريخ المحلي سنة 1222/1807 . 1808 عندما سجنه المولى سليمان صحبة المولى عبد الرحمن (*تاريخ الضعيف*، 343). ظهر بذلك حماد بن عبيد الله أُسالم الذي شكل السند الحقيقي لأبيه منذ أن ناوأ أبوه بوحلايس. إلا أن الوفاة حالت بينه وبين الاستمرار ليخلفه بذلك أخوه إبراهيم. ومما يدل على أهمية إبراهيم أن الحسين أُهاشم سيد إليغ طلب يد ابنته السالكة. وقد كان معاصرا لعهد المولى عبد الرحمن غير أنه لم يعمر طويلا حيث توفي سنة 1241/ 1825 (*المعسول*، 19 : 276). هذه الرواية تبدو مخالفة لشهادة Cochelet العينية. فقد أكد على تقاسم إبراهيم وأخيه بيروك مقاليد الأمور التجارية بگلميم (F.C. La Chappelle, *Les Tekna*, 46 - 7). مهما يكن فإن شهادة Cochelet تكشف عن مؤهلات بيروك كتاجر وسياسي محنك. لقد كان ينتمي كمعظم أفراد أسرته السابقين لمجالي التجارة والسياسة معا لما لانعكاساتهما من أثر في انتزاع مكانة اجتماعية متميزة.

إن استكشاف شبكة التفاعلات بين بيروك ومحيطه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي تدعونا إلى الإحاطة بالإستراتيجيات المعمول بها. نسجل في البداية أن المعالم الأساسية التي أصبحت تقوم عليها يومئذ تجارة الرقيق ترتبط منذ سنة 1815 بالحظر الأروبي للرق. ويتعلق الأمر باستفادة گلميم من هذا الحظر مع الاعتماد على حركية المسالك المحاذية للمحيط. وهو ما تؤكده كنانيش محمد الابن الأكبر لبيروك الذي كان أمين الصندوق والمعتمد لمهمة المحاسبات والتقاييد. لم تكتف المراقبة الأوربية للمرافئ في انتقال تجارة الرقيق إلى گلميم (M. Emérit, *Les liaisons*, 294) بل إن سجلات محمد بن بيروك تؤكد بأن ثروة أبيه التي أقام على أساسها شبكاته التحالفية كانت في معظمها تعتمد على النخاسة، ولعل مما له دلالة خاصة في هذا الصدد أن هذه السجلات تهتم أساسا بكيفية اقتناء وتوزيع العبيد. فهي تربط بين التسهيلات الممنوحة للمشترين عبر قروض لمدة نصف سنة وبين عمليات الاقتناء التي يتناسب عددها وحجم الأرصدة المتوفرة لهذا الغرض. لقد سبق أن استعرضنا الشروط الخاصة بهذه القروض في دراسة لم تأخذ بعين الاعتبار سوى تجارة العبيد والذهب

والصمغ وذلك من خلال ثلاثة سجلات فقط (Naïmi, *La rive*, 167 - 192) وبالرغم من أن هذا كان يقتضي تجميد باقي سلع الضفتين الشمالية والجنوبية، فإن سياسة التكييف التي تكشف عنها الكنانيش تشمل بمفعولها سياسة التحالفات القائمة. وهذا يعني أن نوعية العمليات وطبيعة التخصص التجاري الذي كان يقوم به بيروك يتوقف على العلاقة التي يتعامل بها مع محيطه القريب والبعيد. والأمر هنا لا يقتصر على الجوانب الاقتصادية والمالية والنقدية بقدر ما يتمثل أساسا في نظام المحاور التجارية ـ السياسية الساحلية الرابطة بين لف أيت الجمل وقبيلة أولاد دليم المعقلية مع ما يتطلبه ذلك من التزام بشروط الضمانات المتوفرة. فقد جسد شيخ أولاد دليم الحاج علي ولد أبو بكر أهم ضمانة تخضع لها مجمل القروض المقدمة لأفراد هذه القبيلة. على أن نظرة من هذا القبيل لم تكن تتنافى رغم اختلافها مع السياسة المرنة التي تنهجها كنانيش بيروك مع تجار قبيلة تجكانت. فدور هذه القبيلة المسوفية في ترسيخ البنيات التجارية بالمحور الرابط بين عاصمتها تندوف وتنبكت عبر تاودني يعد بحق من الخطوط العريضة التي تستوعبها اختصاصات الكنانيش في التصرف المباشر. إنه من الإجحاف وعدم الإنصاف أن تعامل الكنانيش قبيلتي تجكانت وأولاد دليم معاملة الند للند، وأن تطالب الزوايا الجكنيين المتخصصين في ميدان المبادلات التجارية منذ القديم بنفس الضمانات التي تطالب بها الأعراب المسلحين من أولاد دليم.

نبدي هذه الملاحظات لإبراز الكيفية التي استغل بها بيروك الانقسامات القائمة في نطاق التركيب الاجتماعي لقبائل المحاور التجارية. فبالرغم من الخلافات التي كانت تنخر لف أيت الجمل، فإن بيروك الذي عرف بدهائه وحنكته استطاع التحكم في الشبكة التجارية التي كانت تربط يومها الصحراء بالصويرة عبر كلميم. وهو منطلق على طريق الارتقاء إلى قيادة اللف والتحكم في إرادته السياسية. فباعتبار قبيلة أيت لحسن هي سيدة لف أيت الجمل، كان على بيروك أن يفرض إرادته كتاجر يوطد دعائم الشبكة التجارية ويحد من خطر تسربها نحو لف أيت عثمان. وقد استعمل في ذلك أحيانا أساليب شتى جعلته يجلب مساندة المحور الساحلي باستثناء قبيلة أولاد بو السباع. فقد كان من الشطط محاولة التقرب من هذه القبيلة المتخصصة في احتكار تجارة ريش النعام وبيعه لدار إليغ بتازروالت، لقد أدت التكتلات التي خلقها الحسين أوهاشم إلى احتداد المنافسة بين إليغ وكلميم (P. Pascon, *La Maison*, 60 - 69) وهو ما شكل حافزا لإقامة كل التحالفات التي تعنى بتطوير الشبكة التجارية والسياسية والعسكرية. لقد كان على بيروك مواجهة منافسة دار إليغ من جهة والاعتداءات الزفاطية المتوالية من جهة أخرى (La Chappelle, *Les Tekna*, 47).

إن التفاوت الذي يلمسه الدارس بين داري إليغ وكلميم يدفعه إلى التفكير في الشروط الضمنية للخطاب المتماسك الذي يقام عندما يتكلم الحسين أُهاشم وبيروك نفس اللغة وفق نفس النماذج. والذي يتطلب توضيحات هنا هي البنيات الموضوعية للاقتصاد والتطبعات المُنتجة والضرورية لسيرورة هذا النمط من الاتجار. لقد كانت الأزمة التي تعاني منها دينامكية تجارة القوافل تتمثل في ميزان التجارة الذي عرف منذ تأسيس ميناء الصويرة سنة 1765 ضربة جبائية كبيرة انضافت إلى تحول القوافل عن أسواق وادي نون والأطلس الصغير نحو مدينة مراكش القريبة من الصويرة. هذان السببان وما انضاف إليهما من أعباء مالية مترتبة عن ارتفاع النفقات كانا من أسباب تفاقم العجز التجاري المتزايد. فأصبح بذلك الحل الموضوعي يكمن في ضرورة إنشاء ميناء محلي تحت حماية إحدى القوى البحرية الأروبية. ثم إن الأخذ بهذا المنظور يقتضي أن نتلمس العذر بالنسبة للواقع الاجتماعي المتدهور بسبب انهيار الحركية الاقتصادية المحلية. إنه لكي نلمس الحقيقة لمس اليد لابد أن ندرس أبعاد النكسة التي تسبب فيها ميناء الصويرة لندرك كيف نشأت وتطورت وما هي السياسة التي اتبعها المخزن المركزي في شأنها مع إعطاء نبذة عن الاختيارات المتخذة من طرف شيوخ المنطقة المتضررة. وهو ما سيطول شرحه مما يجعلنا نقتصر هنا على صيغة الاختصار مكتفين بالنقط التي تستحق الدراسة بجدية. لقد كان المخزن المركزي يعلم بأن مشكل إليغ وكلميم يكمن أساسا في الهيمنة المالية والجبائية المفروضة بسبب البعد الجغرافي والاستراتيجي لميناء الصويرة المستحدثة لهذا الغرض. فتجلت مرونة تعامل المولى الحسن مع هذه الوضعية في زواجه من ابنتي الحسين أُهاشم وبيروك من جهة، وفي إحداثه دارا خاصة بجبايات المنطقة بميناء الصويرة من جهة أخرى، حيث حدد هذه الضرائب في نسبة 10٪. إلا أن هذه الاختيارات لم تفلح إلا نسبيا في نشر أشكال الاندماج الفعلي سياسيا واقتصاديا. وتتوفر للباحثين معرفة وافية عن التطورات التي عرفتها المنطقة خلال هذه المرحلة من تاريخها. فقد كان الخروج من هذا المأزق يتمثل بالنسبة لإليغ وكلميم يومها في تقويم أسباب السيادة والاستقلالية الاقتصادية عبر تنمية المبادلات مع الجهات البعيدة والقريبة، كما أن رؤية من هذا القبيل حفزت الحسين أُهاشم وبيروك على التنافس داخل الإطار الديني والسياسي الذي يوفره حلف إكْزُولَنْ من أجل التفرد بمشروع الميناء. بل إن المشروعية التي يوفرها هذا الحلف شكلت حافزا للإكثار من المحاولات المنفردة مع مختلف الجهات والأطراف المعنية. والملاحظ هنا ان الاقتناع بضرورة العمل المنفرد كان يعني نجاح المخزن المركزي في الحد من المحاولات المشتركة معلنة كانت أم سرية. إن الحقل السياسي الكثيف الذي تكشف عنه مراسلات المولى الحسن مع مجمل شيوخ المنطقة يوضح المرونة السياسية والحنكة التي كانت تميز هذا السلطان. فقد استطاع من خلال تناقض المصالح المحلية أن

يبقي وحدة القرار الفعلية لشيوخ المنطقة أمرا متأرجحا دائما بين ضرورة إثبات الذات والاحتياط من كل مخالفة معلنة تجاه المخزن المركزي.

لم يكن الارتباك والتدهور الحاصل في العلاقات بين بيروك وعائلات أيت موسى أوعلي كفيلا بالحد من طموحاته ومحاولاته السرية المتواصلة طيلة حياته (L. Panet, *Première*, 105). فقد عالج دوما مبادئه بما يليق من المرونة والحرص والتكتم الشديد. كان يفاوض القوى الأوروبية باسم لف أيت الجمل متبعا في ذلك أسلوب المراسلات الدبلوماسية التي كانت تتلاءم مع مقتضيات الظرف. وقد اعتمد في ذلك على كاتبه وأمين سره الدائم بوعزة الذي كثيرا ما وصفته الوثائق الأوروبية بوزير بيروك. كان هذا "الوزير" يقوم بالاتصالات اللازمة عبر الرحلات الطويلة والمراسلات المطولة التي ما تزال تشهد على قدرته السياسية وخبرته بأمور المنطقة. لقد كان يقدم النصح لبعض الحكام الفرنسيين والإسبان مبرزا نجاعة الخطط التي ينبغي اتباعها. لم يكن يفرض شروطا صارمة بقدر ما كان يلتزم بتزويد الميناء بقدر معين من كل مادة حيوية. كما لم يكن يتشكك عمدا في مصداقية الدولة المفاوضة أو يعتبرها غير أهل لتسيير أمور الميناء مما لا يتفق في شيء مع أغراض المشروع. وحتى لا يتناقض مع أبسط مظاهر السيادة كان يعرف كيف يفرق بين المصاعب التي تواجهها الدولة المفاوضة بسبب العوامل المختلفة والرغبة الأكيدة للشيخ بيروك في التعامل معها. كانت هذه الطريقة في التعامل السياسي تستخدم من أجل تلافي كل ما من شأنه أن يغير مجرى الأحداث.

والملاحظ هنا أنه بقدر ما نجح بوعزة في استطلاع رأي القوى الأوروبية، بقدر ما تسببت النزاعات السياسية بين هذه القوى في إحباط مشروع الميناء، شأنها في ذلك شأن الطبيعة الصخرية للشواطئ المحلية. وبذلك فإن فشل بيروك في الخروج من المحلي إلى نظام التبادل العالمي لا يمكن أن يعزى إلى عدم قدرته على تطوير الهياكل التجارية المحلية والجهوية. لم يكن مشروع الميناء في حد ذاته سوى نتيجة حتمية للرغبة في تجاوز المعوقات الموضوعية المتمثلة في ارتفاع تكاليف النقل إلى الصويرة مع ما يرتبط بذلك كله من تحولات طارئة باستمرار على معدلات الفائدة وأسعار الصرف (Naïmi, *La Politique*, 169 - 171). وفي هذا الإطار يتجه الاهتمام أيضا إلى المشاريع الأخرى التي كان بيروك يطرحها في صيغة اقتراحات ذات طابع ديني. فقد أكد أنه رأى النبي ـ عليه السلام ـ في المنام يأمره ببناء مدينة الرخام على الشاطئ. وهو مشروع يقتضي كما نرى معالجة مختلف المشاكل المعلقة بين بيروك وقبيلة أيت لحسن سيدة الشاطئ وحاميته، فبالإضافة إلى كونه يهتم أساسا بتطور آليات السوق ونمطيات الاستعمار العقلاني لنظام التحالفات القائم، فإن الحلول التي يقترحها كانت واقعية. وهي اقتراحات كمية لا تتناقض مع التطور الذي عرفته گلميم. لقد تطورت هذه الدشرة إلى مدينة من ثلاث قصبات محصنة بسور كبير تخترقه خمسة أبواب. فالقصبة القديمة الأولى بأعلى أگويدير گلميم انضافت إليها قصبة جديدة. وزينت قاعات هذه القصبة بالخشب الإفريقي المنقوش الذي تم التقاطه بالشواطئ المحلية حيث تعددت ظاهرة ارتطام السفن بالصخور، كما أن من معالم گلميم يومئذ القصر الذي بنى بيروك جنوبه ملاحين لليهود وبيعة لممارسة طقوسهم الدينية. لم يتوان يومئذ الحبيب ابن بيروك، أشد أولاد بيروك تحمسا لفكرة الميناء، في بناء "دويرية النصارى" المخصصة لاستقبال الأوروبيين ضيوفا كانوا أم سجناء (Gattel, *L'Oued Noun*, 258 - 278). وبذلك يتجلى تطور الطبيعة العمرانية لإبراز التطور الحاصل في علاقة گلميم بمحيطه القريب والبعيد. نبدي هذه الملاحظة لكي ندخل في حسابنا دور التجارة في تطور محطات القوافل وتثبيت الشبكات والموارد المالية.

لقد اقتصرنا في هذا التعريف المبسط على الخطوط العريضة لقصة بيروك بن عبيدالله أُسالم. وإذا كنا قد أهملنا سرد الأحداث الدقيقة بأبعادها وخلفياتها المعقدة، فذلك رغبة منا في تحديد أهمية القيم التجارية المتداولة يومها كمجال حي في خدمة الاستقلالية الاقتصادية والسياسية لكل منطقة. وهذا الذي يؤكده حجم مشروع الميناء المحلي الذي كان يعاني يومها من صعوبات عملية ثابتة مردها إلى عدة عوامل بنيوية ذات طابع استمراري. وعمليا فإن تقييم هذا المشروع يتضمن توسيع آفاق واهتمامات الأطلس الصغير ووادي نون والساقية الحمراء. و لعل في اقتداء أبناء بيروك بسنة أبيهم بعد وفاته سنة 1275 / 1858 ـ 1859 ما يؤكد اقتناع جلهم بالسياسة الاقتصادية المتبعة. فواضح أن السبب في ازدهار تجارة گلميم كان مرتبطا يومها بديناميكية الرواج التجاري. فجاءت ممارستهم الجماعية القاضية بادئ ذي بدء (بمن في ذلك دحمان) بإنجاز مشروع الميناء كضرورة وكنتاج عمل يقوم به محللون ماليون من ذوي الإلمام بالقضايا المعيشية. ومن هنا ندرك لماذااقتصرت المصادر الأوروبية من بين أبناء بيروك الأربعة عشر على ذكر كبيرهم مَحمد ثم الحبيب الذي كان أشد إخوته تحمسا للمشروع. فدحمان الذي تميز بمزاحمته لأخيه حبيب وتحقيقه أهدافه السياسية الطموحة على حساب التماسك العائلي والبنية التجارية المحلية، ثم عابدين الذي كان تاجرا أيضا ولكنه خضع بشكل شبه مطلق لتأثيرات دحمان. على أن من بين سجلات بيروك الكثيرة، واحداً من حجم كبير كتبت مجمل عملياته باسم إبراهيم الشليح نيابة عن أبيه. ويرى بعض أفراد الأسرة الحاليين تطابقا تاما بين مَحمد بيروك وهذا الأخير. وإذا كانت الصراعات المحتدة بين هؤلاء الإخوة قد تسببت في تساهل المؤرخين المتعمد مع أخبارهم وحقيقة تشبثهم بمشروع أبيهم، فإن قراءة جديدة لتاريخ هذه العائلة تفرض الانتباه إلى التداخل الموجود بين مختلف المواقف التي تبدو

متصارعة ومتنافرة.

**ابن بيروك، مَحمَّد**، الابن الأكبر للشيخ بيروك. وليس من الصعب معرفة السبب الذي حدا ببيروك إلى تعيينه على كنانيش التجارة وإرساله إذا اقتضى الحال إلى بريطانيا للإشراف هناك على مصالح العائلة. فالوظيفة الظاهرة والمقصودة للابن الأكبر تقتضي تسخيره في تعزيز مكانة أبيه. والملاحظ ان مَحمد قد قام بمأموريته أحسن قيام مركزا على كل ما من شأنه الارتقاء بدار بيروك إلى مستوى دار إليغ دينيا وتجاريا. لقد كان متدينا ورعا زاهدا رغم مرونته في التعامل مع الأروبيين بالشواطئ. ومما يجسد تطلعه إلى المحافظة على حركية أهله واستقلالية وادي نون الاقتصادية سكه عملة محلية تحمل اسمه قبل وفاة أبيه. وهو ما يبدو ضروريا لتاجر كبير يجد أمامه أطراً وهياكل يهودية قارة وجاهزة للعمل والتكتل. ولعله من المفيد التساؤل عن السبب الذي حدا بمَحمد إلى عدم خوض معركة أبناء بيروك الآخرين من أجل السلطة بعد وفاة أبيهم. فوظيفته التاريخية تتمثل في تعزيز مكانته ونفوذه كسيد تجار گلميم بعد وفاة أبيه. وعلى هذا الأساس فإن سيرورة ارتقائه لم تتحقق في سياق ردود الفعل المناوئة أو المساندة للمخزن المركزي. فإذا كان إخوانه قد استغلوا لحسابهم الانقسامات الداخلية واتخذوها منطلقا للسيطرة في البداية على قبيلة أيت موسى أُعلي وبعض قبائل اللف الذي ينتمون إليه، فقد كان في مقدوره أن يتميز عن الجماعة وأن يرتقي إلى مستوى كبار التجار ذوي الميول الدينية. توفى حوالي مفتتح عام 1879/1297. 1890.

ابراهيم بن علي الحساني، *ديوان قبائل سوس في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي*، تح.عمر أفا مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ أگادير. العدد الأول، 1987. 85. 120 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ.العماري، 1986 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *إيليغ* ؛ *خلال جزولة* ؛ م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والاجتماعية*، الرباط، 1988 ؛ *أهمية علاقات الرحل والمستقرين في التطور التاريخي لمجموع اتحادية تكنة*، البحث العلمي، العدد 38، 1988، 253 ـ 284 ؛ محمد سالم بن الحبيب بن عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تح. م.ناعمي، 1991.

L. J. Justinard, *Le Kennach : une expédition du Sultan Ahmad el Mansour dans le Sous*, 985 / 1580, *A. M.*, vol XXIX, 1933, 165 - 214 ; F. C. De La Chappelle, *Histoire du Sahara occidental*, *Hesp.*, 1930, n° spécial, XI, fasc. I - II, 35 - 95 ; *Les Tekna du Sud Ouest Marocain*, *A.F.*, 1934, 108 p ; M. Emérit, *Les liaisons terrestres entre le Soudan et l'Afrique du Nord au XVIIIe et au début de XIXe siècles*, travaux de l'IRS, T. XI, 1er semestre, 1954, 29 - 47; J. Gatell, *L'Oued Noun et les Tekna à la côte occidentale du Maroc*, *Bull. Soc. Géog.*, 5, XVIII, 1869, 257, 287 ; T. Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, Londres, 1982 ; P. Marty, *Les Tekna, du Oued Noun*, in *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, 60 - 89 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, Paris, 1948 , 60 p ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe, 1830 - 1894*, Paris, 1961 - 1964 ; 4 vol : *Documents d'histoire économique et sociale marocaine au XIXe siècle*, Paris, 1969, 117- 122; M. Naïmi, *La politique des chefs de la Confédération Tekna face à l'expansionnisme commercial européen*, *R.H.M.*, 11ème année, n° 35 - 36, Décembre 1984, 153 - 173 ; *Les visées des Etats-Unis d'Amérique sur le Sud-Ouest Maricain au XIXe siècle à partir des rapports de Felix Mathews*, *International Conférence Morocco-American Relations, in Commemeration of bicentennial of the Treaty of Marrakech of 1789* ; Norfolk, Virginia, Novembre 1986 ; *La rive Sud Ouest saharienne de 1842 à 1872 dans les registres comptables de la famille Beyrouk : l'apport de trois nouvelles sources* in *le Maroc de l'Avenement de Moulay Abdelaziz 1912*, Université d'été, Mohammedia, Juillet 1987, 167 - 192 ; *L'apport de Gênes dans l'infiltration du commerce méditerranéen dans l'économie saharienne*, VIII, *Atti de IV Congresso International di Studi Storici-Rapporti Genova-Medeterranéo-Atlantico Nell'Eta Moderna, a cura di Raffaele Belvederi*, Genova 1990, 275 - 290 ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh et l'histoire du Tazeroualt*, Rabat, 1984 ; M. Ennaji, P. Pascon, *Le Makhzen et le Sous al Aqsa : La Correspondance politique de la Maison d'Iligh*, Rabat - Paris, 1988 ; L. Panet, *Première exploration du Sahara Occidental : Relation d'un voyage du Sénégal au Maroc , 1850*, Paris, 1968.

مصطفى ناعمي

**پيرولوزيت**، Pyrolusite كلمة لها أصل إغريقي من پوروس وتعني النار، ولوزيس وتعني الذوبان أو الانحلال ؛ هو ثاني أوكسيد المنغنيز $MnO_2$، نظامه البلوري رباعي، عادة ما تكون بلوراته على شكل ألياف رقيقة، سوداء اللون، متشعبة الأطراف، وكذلك على شكل ألياف منفرجة أو عمودية. صلابته 1.2 إذا كان على شكل كتل و6.6.5 إذا كان على شكل بلورات ؛ لونه أسود إلى أربّد فولاذي أزرق ؛ لمعانه معدني.

تعتبر الپيرولوزيت أحد أهم معادن المنغنيز، وتستعمل في صناعة الزجاج والكلور والأكسجين.

تتكون الپيرولوزيت في وسط مؤكسد، في المناطق المؤكسدة لمكامن المعادن التي تحتويَ على المنغنيز، وفي الرواسب الحتية أو ذات أصل بحري، عمقه ضعيف؛ وتوجد الپيرولوزيت أيضا في الأركزة المروتية، أو على شكل كويرات في قاع البحر.

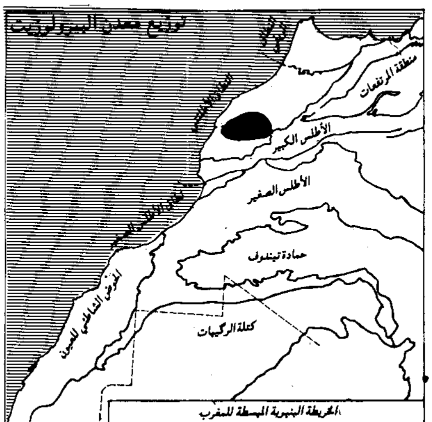


نجد الپيرولوزيت بالمغرب مجتمعة بالپرونيت، البوليانيت، الهيماتيت، الپاريتين، المرو، الدولومي، والكلوريت. ويوجد معدن الپيرولوزيت في منطقة ورزازات (جبل صغرو)، تازناخت (تاورات بالأطلس الصغير) وسلسلة الهورست (جنوب غرب وجدة).

يستعمل المنغنيز في الصناعات المعدنية والفولاذ وخليط المعادن (النحاس، والبرونز، والنيكل). أما مركبات المنغنيز فكثيراً ما تستعمل لصناعة الحواشد الكهربائية، الزجاج، صناعة الخزف، حوافز الصباغة والطلاء، وتستعمل

وفي المختبرات كمؤكسد للمنتجات العضوية واليودية وله كذلك دور مهم في الفلاحة.

فيما يخص منتجات معدن المنغنيز بالمغرب فتعادل ما يناهز 117.304 طن، مقابل 29.830 طن كإنتاج لسنة 1987 صدِّر منها 27.953 طن.

**پيريت**، Pyrite أصل الكلمة إغريقي، من بوروس وتعنى النار ؛ مركبة من ثاني كبريت الحديد $FeS_2$ مع وجود آثار للنحاس (Cu) وأحياناً الذهب (Au) والفضة (Ag) والنيكل (Ni). نظامه البلوي مكعب، تلاصقه البلوري على شكل صليب الحديد. صلابته 6 ـ 6.5 ؛ كثافته 4.9 إلى 5.2 لونه أصفر شهبان، وانعكاس الضوء يعطي للپيريت لوناً أشهب إلى أصفر مذهب، أسمر بالتفسخ ؛ لمعانه معدني.

بالنسبة للصناعة، تعد الپيريت من بين معادن الحديد (Fe) والكبريت (S)، حيث تستخدم لصناعة الحامض الكبريتي والكبريتيات والكبريت، وصناعة الألوان، والبرنيق وكذا الصناعات المعدنية.

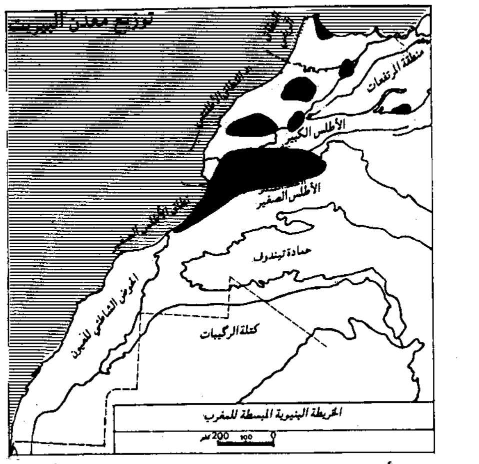


بعض أنواع الپيريت تحتوي على كمية لا بأس بها من النحاس والذهب بحيث يصير ممكنا استخراج معدني الذهب والنحاس منها.

توجد الپيريت بكثرة في الصخور الرسوبية المتحولة الغنية بالمادة العضوية، وكذلك في العروق الحرمائية، وفي كثير من الصخور الصهارية.

تعد الپيريت بالمغرب من بين المكامن التي تساهم في انتاج الكبريت على شكل كبريتيات، ونجد معدن الپيريت بالمغرب مجتمعا مع البلند والغالينا والكالكوبيريت ويعرف في المناطق الآتية :

- وكسان (منطقة الناظور، الريف الشرقي)
- الأطلس الكبير المتوسطي
- تمازيغت (الأطلس الكبير لميدلت)
- الجبيلات الغربية (أولاد حميدة وهوالكة)
- سيدي بوعثمان (شمال مراكش)
- عين الحمام (الجنوب الغربي لمكناس)
- المغرب الشرقي (مزايته وعلوانة وتريلاست)

أما من الوجهة الاقتصادية فيمثل مكمن وكسان (الناظور) 10 إلى 15٪ من معدن الحديد هذا زيادة على الكبريت. أما مكمن تريلاست (المغرب الشرقي) فيحتوي على 100.000 طن من معدن الحديد. ويحتوي مكمن بو المعادين (الأطلس الصغير الشرقي) على خمسة ملايين طن من معدن الپيريت تشتمل على 36٪ من الكبريت، وأخيراً ناحية بومجون (الجنوب الغربي لمكناس) تحتوي على احتياط من الكبريت قدره 2000 طن.

عبد الله بوصحابة

**بِّيريس**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس. وهناك أسر إسبانية تحمل نفس الإسم حتى اليوم Pérez، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ سنة 1163 / 1750.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بِّيريس، عبد القادر**، شخصية نابهة في البلاط الإسماعيلي. أصله من الأندلسيين النازحين إلى سلا. وكان له بها مراكب قرصنية، واشتهر هو بلقب "الرايس بريس أوبريش" قرّبه مولاي إسماعيل، ثم حجّ وصار يدعى أيضا الحاج بريس. بعث به السلطان سفيراً إلى أنجلترا سنة 1723 فوصل إلى لندن في شهر يوليوز من السنة المذكورة وظل مدة ينتظر المثول أمام ملكها جورج الأول فلم يتأت له ذلك. وحضر في نفس السنة استقبال السلطان مولاي إسماعيل للمبعوث الانجليزي Charles Stewart. وكلفه السلطان بدراسة مشروع الاقتراح الأنجليزي المتعلق بتنظيم تحرير الأسرى الانجليزيين بالمغرب. ونجده سفيرا في انجلترا مرة ثانية سنة 1737 حيث التقى به فيها الأسير الانجليزي المحرَّر Ch. Pellow صاحب *مذكرات عن المغرب*، وقد دعاه السفير إلى مقر البعثة المغربية وحادثه طويلا ووصف له بعض أحوال المغرب.

شغل الحاج عبدالقادر بيريس منصب أمير البحر لأسطول مولاي اسماعيل. وانظر وجه علاقته بالرايس علي بيريس الأندلسي من رجال سلا، وقع بينه وبين الأمير أحمد بن مولاي إسماعيل ما تسبب في فتنة بسلا.

وقد بلغت شهرة الرايس عبدالقادر فرنسا، وجاء ذكره في كتابة للشاعر الفرنسي Voltaire الذي ذكر أنه مما يثير العجب تعدد الاعلاج الفرنسيين والإسبان والإنجليز العاملين في بلاد المغرب، "منهم إسباني اسمه بيريس، أمير البحر في امبراطورية مولاي إسماعيل".

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. م. البوزيدي، جزءان، 1988 ؛ روجرز، ب. ج. *تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى عام 1900*. تر. يونان لبيب رزق، دار الثقافة، 1981.

Ch. de La Vèronne, *Vie de Moulay Ismaïl, Roi de Fès et de Maroc*, d'après Joseph de Léon (1708 - 1728) ; M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow : une lecture du Maroc au 18ème siècle*, Paris, 1983.

عبداللطيف الشاذلي

**بِّيريس، هرون** ربّي عاش بفاس ثم انتقل إلى تونس حيث توفي عام 1761. كان قبّالي المذهب، صاحب شروح

للتوراة والتلمود حسب نزعته المذهبية، وضعها في كتابين، عنوان الأول *بيغدي أهرون* وعنوان الثاني *مَشْحَاة أهرون*. نشر الكتابان بمدينة ليفورن عام 1806 ضمن نفس المجلد الذي تضمن شروح التوراة لولده حزقياه، بعنوان : *مختاب لحزقياهو* (لاريدو، 1915).

**بيريس، يهودا** ربّي مغربي عاش بين القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر، كان يحب الأسفار فوقع يوما أسيراً بنابولي بعدما غرقت السفينة التي كان على ظهرها، وبعد تحريره صار داعية وخطيبا بالبندقية وبراغ ثم انتهى به المطاف إلى أمستردام حيث استقر. وهناك تمكّن من نشر خطبه ومقالاته بعنوان : *سر قريئ معيد* (قراءات العيد)، 1706 ونشر ببرلين كتاباً عنوانه : *بيراح لبنان* (زهور لبنان) ثم كتابا آخر : شَعَر رحميم (أبواب الرحمة). إلى جانب هذه الأعمال المكتوبة بالعبرية، يوجد له كتاب بالإسبانية في موضوع علم اللاهوت عند اليهود، عنوانه : *الأساس المتين* Fundamento Solido أمستردام، 1729.

في مقدمة كتابه زهور لبنان أشار المؤلف إلى أن آل بيريس الذين فروا من إسبانيا استقروا بدادس في الجنوب المغربي، بعدما اشتروا أراضي شاسعة من ملك مراكش بسعر غال، ثم اقتنوا كذلك أراضي مجاورة لبلدة تليت (الزعفراني، *يهود المغرب*، ص 175 ـ 176).

رغم بنية لفظة "بيريس" التي تقترب من الإسبانية، فإن المؤلفين اليهود القدامى يربطون اللفظ بمعناه العبري الذي يترجم الانفصام أو الثلمة وهو الاسم الوارد في التوراة لابن يهودا بن يعقوب الشيخ الأكبر. وقد يكون آل بيريس من ذرية النبي داود، ويؤكّد مؤلف *زهور لبنان* أن أفراد عشيرته الذين استوطنوا دادس لم يتصاهروا مع اليهود الأجانب عن العشيرة وذلك ليحافظوا على صفاء النسب والسلالة الملكية. هذا ما يحمل على الظن بأن من بين يهود دادس، يهوداً من أصل إسباني (انظر : *طليعة الدعة* للناصري).

A. J. Larédo, *Les Noms des Juifs* ; H. Zafrani, *Les Juifs du Maroc*.

سيمون ليفي

**بيريكير**، ألبير .Peyriguère, A، قسّ كاثوليكي، ولد في مدينة بوردو (فرنسا) سنة 1883. قام أول أمره بمهمة أستاذ في المدرسة الإعدادية لتكوين القسيسين ببوردو. ثم جُنّد كممرّض خلال الحرب العالمية الأولى (1914 ـ 1918) وامتاز بسلوكه البطولي وأصيب مرتين بجراح خطيرة. وبعد سنة 1920 أقام في تونس والجزائر. وأثناء هذا المقام تبلورت ميوله وأصبح من مقدمة أتباع الأب شارل دي فوكو الذي كان قد توفي منقطعا عن الدنيا سنة 1916 تاركا دعوة إلى الأخوة العالمية. وفي سنة 1927 حلّ بيريكير بالمغرب واستقر في السنة التالية بالقباب وهي قرية واقعة في الأطلس المتوسط (إقليم خنيفرة) وفيها قضى نحبه ودفن على مقربة من الدار التي عاش فيها.

كان نشاطه الرئيسي طيلة ثلاثين سنة العمل على تخفيف البؤس ومكافحة الظلم بين جماعة من الناس شدته إليهم عاطفة المحبة العميقة اذ كان يردد : "هم مني وأنا منهم. أحبهم حبا عميقا وإني لواثق من أنهم يبادلونني هذا الحب". وكان يقضي معظم أوقاته في معالجة المرضى في مستوصفه يؤازره في ذلك ممرض مغربي علّمه هو نفسه.

وان اهتمامه بالتعمق في معرفة هؤلاء الذين كان يعيش بينهم دفعه لتكريس ساعات عديدة في دراسة اللسان الأمازيغي، ورواية القصائد وجمع المواد من أجل معجم للسيكولوجية اللغوية الخ... وكان يخشى من الغرب ما قد يحدثه من تأثير جارف مشوه يذهب بلغة تلك المنطقة وحضارتها، وكان يردد : "فلنترك هذه الروح الأصيلة تغني أغنيتها الخاصة". وقد نشر عدة مقالات، بيد أن جزءا مهمّا من أعماله العلمية (من سوسيولوجيا ولسانيات وغير ذلك) لم ينشر بعد.

وابتداء من سنة 1946 أصبح التزامه السياسي يزداد بروزا. ومما قاله سنة 1953 : "إن ما أقف من مواقف معروف ولم أخفه قط، اذ لا أريد أن أصنف في الآخرة بين الكلاب الصامتين". فهو استنكر خلع محمد الخامس وأعلن تضامنه مع الشعب المغربي في كفاحه من أجل الاستقلال، مما تسبب له في متاعب وتهديدات بالطرد من طرف سلطات الحماية وحمل صاحب السمو الأمير الحسن ولي العهد آنذاك على أن يقول له : "إننا، والدي وأنا، نعلم كل ما عملتموه وما تعملونه".

أما السنوات الأخيرة من حياته فخصصها، إما بالكلمة وإما بالقلم، للتفاهم والصداقة بين المسيحيين والمسلمين اعتباراً منه أن اللقاء بين المسيحية والإسلام هو بمثابة حدث من أهم أحداث نهاية هذا القرن العشرين. ومما كتبه سنة 1956 : "إن مواجهة المسيحية والإسلام لايمكن أن تتم إلا على القمم بالمقابلة بين أعماق نفوسهم ... وهل يمكن يا ترى لمسيحي حقيقي ومسلم حقيقي أن لا يتفاهما، بل وان لا يسيرا أحيانا يدا في يد ؟".

كان هذا الراهب يقضي في معبده ساعات طويلة في الصلاة والتعبد ولا سيما في الليل، وكان يسجل ما ينتج من تأملاته في مراسلاته ويشرك فيه بعض الخواص. فقد كتب لبعضهم سنة 1931 : "لا يتم اللقاء بينك وبين الله إلا في أعماق قلبك". نشرت رسائله بعد وفاته وترجمت إلى عدة لغات مما حمل الجمهور المسيحي على اعتباره شيخا من شيوخ الروحية في عصرنا هذا.

A.De Peyriguère, Sous le pseudonyme de Paul Hector : *Essai de monographie psychologique berbère d'après le parler familier des tentes*, Casablanca, 1933 ; *Le Temps de Nazareth (articles et études réunies et publiées après sa mort)*, Paris, 1964, 233 p. Plusieurs volumes de correspondance : *Laissez-vous saisir par le Christ*, Paris, 1981 ; *Aussi loin que l'amour*, Paris, 1970.

Sur A. Peyriguère : Michel Lafon, *Le Père Peyriguère*, Paris, 2ème éd. 1967 ; *Colloque de Centenaire d'A. Peyriguère*, Toulouse, 1983, Ouvrage collectif, Presses Universitaires de Bordeaux ; M. Lafon, *Bibliographie d'A. Peyriguère*, Bordeaux, 1986, 78 p ; Cf. aussi : M. Bercquart : *Porte ce festin aux pauvres*, Paris, 1970 ; Bleuchot : *Les libéraux français du Maroc*, Aix, 1973 ; M. Boucrot, *Recherches sur A. Peyriguère écrivain*, thèse, Université de Bordeaux III.

ميشال لافون

**بيرينگير**، داماسو إفوسطي، Berenguer Damaso y Fusté جنرال إسباني ولد بكوبا Cuba يوم 4 غشت سنة 1873 وتابع دراسته بالأكاديمية العسكرية الإسبانية إلى أن تخرج برتبة ضابط سنة 1889. وفي سنة 1894 توجه إلى مسقط رأسه حيث شارك في الحرب التي كانت جارية هناك إلى سنة 1899 فعاد إلى إسبانيا برتبة كومندار. وفي سنة 1909 رقي لدرجة مقدم ونقل إلى مليلة فشارك في المعارك التي كان يخوضها الجيش الإسباني ضد حركة المقاومة التي كان يتزعمها الشريف أمزيان، ومن بين المعارك التي شارك فيها بيرينگير معركة عزيب علال وقدور في قبيلة بني سيدال يوم 28 جمادى الأولى 1330 /15 ماي 1912 التي استشهد فيه الشريف المذكور وعلى إثرها رقي بيرينگير إلى رتبة كولونيل.

وقد نظم بيرينگير سنة 1329 /1911 فرقة المرتزقة المغاربة في الجيش الإسباني التي أطلق عليها اسم (القوات النظامية الأهلية).

وفي سنة 1331 /1913 رقي إلى رتبة جنرال على إثر المعارك التي شارك فيها ضد المجاهدين بقيادة الشريف مولاي أحمد الريسوني. وفي سنة 1334 / 1916 عين حاكما عسكريا بمقاطعة مالقة وبعد سنتين عين وزيرا للدفاع. وفي يوم 25 يناير 1919 عين مقيما عاما بالمغرب، وما إن حل بتطوان حتى جعل شغله الشاغل العمل على القضاء على المقاومة المسلحة بالناحية الغربية من شمال المغرب وقد تمكن من الاستيلاء على مدينة شفشاون يوم 20 صفر 1339 / 4 أكتوبر 1920 فكافأه الملك الفونصو الثالث عشر بلقب كونت شفشاون Conde de Chefchauen غير أنه بعد أقل من سنة كان عليه أن يواجه أعنف حركة تحريرية عرفها شمال المغرب في عهد الحماية بقبيلة تمسمان يوم 24 رمضان 1339 / فاتح يونيو 1921 وسجلت للتاريخ أنها كانت قادرة على أن تكبد الجيش الإسباني أكبر هزيمة عرفها في تاريخه وذلك في معركة أغريبا التي جرت يوم 15 ذي القعدة 1339/ 21 يوليوز من السنة المذكورة والتي تعرف بمعركة أنوال، قتل فيها الجنرال سيلفيسطري Silvestre وتمكن المجاهدون من القضاء على نحو مائتي مركز إسباني بناحية الگرت.

برهن بيرينگير على قدرته وخبرته العسكرية عندما استطاع في ظرف وجيز أن يسترجع جل تلك المراكز، وبالرغم من هذا المجهود الجبار الذي قام به من أجل المحافظة على كرامة بلاده وسمعتها فقد مثل أمام المحكمة العسكرية كمسؤول عن كارثة أنوال وأصدرت المحكمة الحكم بإدانته يوم 27 يونيو سنة 1924 غير أن الحكم لم ينفذ بسبب العفو الذي أصدره الملك الإسباني في حقه يوم 4 يوليوز من السنة المذكورة.

واحتفظ بيرينگير برتبته في الجيش إلى أن عين رئيسا للحكومة من يناير سنة 1930 إلى فبراير 1931.

وعن المدة التي قضاها على رأس الإقامة العامة بتطوان كتب بيرينگير مذكراته التي نشرها تحت عنوان *Campañas en el Rif y Yebala*.

وكانت وفاته بمدريد يوم 19 ماي سنة 1953.


م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*، الرباط 1983 ؛ *معركة أنوال*، الرباط 1980.

*Enciclopedia Espasa Calpe*, T. 2, p. 123 ; Berenguer, *Rif y Yebala* ; C. Martinez Campoz, *España Bélica*, *El Siglo XX (Marruecos)*, Madrid, 1972, p. 386.


محمد ابن عزوز حكيم

**بيريو**، هانري Berriau Henri (1870 ـ 1918) نموذج ضباط الاستعلامات وأحد روادهم المرموقين في السنوات الأولى من الحماية الفرنسية بالمغرب، أقام إدارة هيئتهم المركزية بالرباط ووضع قواعد أعمالهم لفترة ما قبل السطو العسكري ولما بعد ذلك عند استسلام المجاهدين المغاربة إلى أن صارت تلك الإدارة إدارة الشؤون الأهلية ابتداء من سنة 1926. كان حاذقا لبقا بعيد النظر اكتسب من تجاربه المتتالية بالجزائر والمغرب خبرة واسعة بشؤون المجتمع الإسلامي بالمغرب العربي، ووفق إلى توظيفها لفائدة الاستعمار تحت قيادة رئيسه وصاحبه الشهير الجنرال ليوطي.

ولد بيرّيو سنة 1870 وتطوع للجندية فدخل مدرسة سانسر Saint-Cyr العسكرية وتخرج منها سنة 1894، ثم في سنة 1898 انخرط في هيئة ضباط الشؤون الأهلية بالجزائر فمرّ من دائرتي القليعة وغرداية، ثم عيّن بالعين الصفراء على التخوم الجزائرية المغربية سنة 1900. فلما عين ليوطي قائداً بتلك المقاطعة سنة 1903 لقي بيريو الذي كان مكلفا بمكتب الاستعلامات ببني أونيف، ومن يومئذ توطدت بين الرجلين صلات متينة تعززت مع مر السنين في عملهما المشترك ومطابقة آرائهما بشأن المصالح والأهداف الاستعمارية، حيث وجد ليوطي الذي كان يجهل كل شيء عن قضايا إفريقيا الشمالية لدى بيريو خبرة بأدق جزئياتها، ووجد بيريو لدى ليوطي نظرة واسعة مترفعة عن الاستعمار وكيفية اقتحام المستعمرات كان في حاجة إليها في تلك السنوات الأولى من تكوينه، فما لبث أن أصبح عضوا بارزاً من أعضاء فريق ليوطي وضابطا موثوقا به لجمع المعلومات عن المغرب ووضع الخطط لاكتساح أراضيه.

وهكذا كان مفوضا لبلاده فجيج سنة 1904، ثم قاد فرقة من الكوم أثناء عملية النزول الفرنسي بالدارالبيضاء سنة 1907، وعاد إلى العين الصفراء سنة 1908، ومنها قاد حملة عسكرية بوادي الساورة "ليطهره" بلغة الاستعمار، يعني ليقمع كل وسائل المقاومة بالمنطقة. وفي سنة 1910 قاد عملية ترغيبية وترهيبية لدى بني گيل، وفي سنة 1911 كتب تقريرا مفصلا عن تافيلالت واختتمه ناصحا باحتلال واحاته، وكان في كل أعماله مذكورا بلسان الإعجاب والتقدير لما كان يبديه من الفطنة والنجاعة في إنجاز مهامه. ولقد التحق بليوطي في الرباط سنة 1913 فعينه رئيسا لديوانه السياسي مكلفا بالتقاط الأخبار والإفتاء بالمستحسن من القرار، وفي سنة 1915 عين مديراً لمصلحة الاستعلامات فبات، على حدّ قول بعض مترجميه، "قطب الرحى التي كانت تدور عليها سياسة الحماية"، فصار يتسلق الرتب حتى بلغ درجة كولونيل سنة 1917، وكان الساعد الأيمن للمقيم العام إلى أن اخترمته المنية فجأة من جراء عدوى النزلة الفتاكة التي عمت الأرجاء سنة 1918، فبكاه ليوطي ورثاه قائلا : "إن الأخ لا يتكلم على قبر أخيه" لكنه تكلم ليذكر ظروف التقائهما وأسباب تقديره إياه، موحيا بما استفاده منه قائلا : "كم من ساعات قضيتها أستمع إليه، معجبا به وبما ينطوي عليه من روح الإنسانية والتجديد"، وذكّر بآرائه الاستعمارية (وهي نفس آراء ليوطي) قائلا : "إنه كان لا يقبل أن يتحول هذا البلد الذي غمرناه بدمائنا ويذهبنا إلى ميدان نتوسع فيه وإلى خزين من الخيرات والأرباح لصالحنا. لكنه كان لا يقبل كذلك أن يُحرم هذا الشعب الذي أعطى أكثر من دليل على وفائه وصدقه، والذي يبدي صفات متميزة من الذكاء وحب العمل، من حقوقه المشروعة ومن نصيبه من الأرباح، وليس هذا مبدأ الحماية وحسب، بل إنه مبدأ سياسي واجتماعي من أعلى طراز ومن سامي الأخلاق إذ هو مبدأ حقوق الشعوب التي نحن اليوم حملة رايتها عبر العالم" ! وعلى هذا الأساس أرسل ليوطي بالمناسبة قولة من تلك الأقوال التي انبنت عليها أسطورته وأسطورة "فريقه"، قال : "قرأت في كتاب مّا، أن لا عمل من أعمال البشر مما يرقى إلى العظمة الحقة إلا ويحتاج إلى نصيب من الحب، وهذا النصيب ـ وأي نصيب ـ من الحب هو ما ضمّنه بيريو عمله، ولذلك كان من أكبر ـ وربما كان أكبر ـ المتصرفين بالسياسة الإسلامية ممن اشتغل بها في أفريقيا الشمالية في يومنا هذا". وهل أحبّ بيريو المغاربة أم لا ؟ فالذي لا مراء فيه أنه أحبهم، وأنه فاق أقرانه من ضباط الاستعمار بما أبداه من القدرة على استيعاب شؤون الإسلام وأصول الحضارة العربية وأحوال المغرب في الحاضر والغابر، وبما كان عليه من المهارة في التجسس على أحوال القبائل وعلى أسباب عيشها وخصوماتها القديمة والحديثة، ومن الدراية باللعب على تلك الأوتار واحداً واحداً، أو بجميعها في نفس اللحظة. ولقد لخّص تلك الخطط في محاضرة ألقاها أمام المرشحين لوظيفة الاستعلامات تكلم فيها بإسهاب عن مهام ضباط الاستعلامات قائلا إنها ثلاثة : عسكرية وسياسية وإدارية، مما يتطلب من المكلف بها أن يكون جنديا محنكا ومثقفاً متضلعا في اللغتين العربية والبربرية، وأن يكون ملمّا بكل الصنائع وقادرا على الاستغناء عن كل الفنون باجتهاده الخاص، وأن يكون راجح العقل، مهذبا خاليا من كل عجرفة أوربية، راغبا في استكناه النفسية المغربية، قال في هذا الصدد : "ينبغي أن لا نتصور مسبقا أن الأجناس التي تسكن المغرب أجناس دوننا، فإنها مختلفة وهذا كل ما في الأمر، ولقد هذبنا التعليم والتربية، لكننا كنا قبل زمن غير بعيد في نفس الأوضاع". ثم شرح بعض ما ينبغي لضباط الاستعلامات أن يعرفوه من الشعارات الاستعمارية الجامعة، مثل "سياسة الحماية" على أنها مراقبة وإدارة غير مباشرة، و"شرح السياسة الأهلية" على أنها أخذ بخاطر الشعب المحمي حتى يكف عن المقاومة ويصير شريكا للمعمر، و تحدث عن "الملكية العقارية" وكيف يجب احترامها مع انتزاع ما لا بد منه من الأرض لصالح المعمرين، وعن "تعليم الأهالي" على أنه وسيلة "لجعل الشباب العربي والبربري الذي يلج مدارسنا رجالا نزهاء عرفاء متبصرين، محبين للعمل وللنظام، مستعدين للتقرب منا باستعمال لغتنا، راغبين في نيل نصيبهم من الرقي الذي ندعوهم إليه ليدخلوا التحسينات على ظروف عيشهم وعلى نظافتهم وعلى أساليب الزراعة لديهم وعلى أعمالهم الصناعية وعلاقاتهم التجارية" كما ذكر بأهمية العناية "بصحة الأهالي" لأن الطبيب، إلى جانب المعلم، من أحسن مساعدي سلطة المراقبة"، وأشار إلى السياسة الدينية للحماية على أنها قائمة على "الاحترام والحياد والتجرد" واختتم كلامه بالإلحاح على ضرورة إشراك "الأهالي" في الحياة السياسية والاقتصادية للبلاد على شكل ما فعل ليوطي بإحداث المجالس البلدية في المدن ومجالس الجماعات لدى القبائل، وإحداث الغرف المهنية ليناقشوا فيها قضاياهم الاقتصادية مما يبدو منه بيريو بمثابة الخبير المنظّر، ولقد تجلت خبرته بعد وفاته في "صنيعته" التهامي الأگلاوي الذي ظل طيلة حياته معترفا له بالجميل ومخلصا له في شخص أرملته الحسناء سيمون بيريو Simone Berriau التي صارت بعده مغنية وممثلة وكتبت مذكراتها روت فيها من بين ما روت، كيف أراد باشا مراكش آنذاك أن يتزوجها فجاء إلى باريس في طليعة العشرينات وقال لها : "إني جئت من أجلك، فأنا مدين بكل شيء لبيريو، كان يحميني وكان أخا لي وعلي أن أكفل تلك التي خلف من ورائه" لكنها رفضت دخول حريمه على حدّ قولها، وقالت إنها هي التي ألبسته أولى ملابسه الأوربية واستصحبته إلى صالونات باريس وحوّلت علاقاتها الحميمة معه شيئا فشيئا إلى مجرد صداقة ظل التهامي الأگلاوي يغذيها بأغلى الهدايا وإسراف من لا يخشى الإملاق. أما من حيث التنظير فإن سياسة المراقبة التي كان يدعو إليها بيريو

سرعان ما تحولت بعد وفاته بقليل إلى إدارة مباشرة، وذلك من جراء تدفق المرشحين للاستعمار الذين توافدوا على المغرب غداة الحرب العالمية الأولى وجاؤوا بأنياب كاشرة لا يدركون من شأن ضباط الاستعلامات أو من شأن المراقبين المدنيين إلا أن وظيفتهم تلزمهم بإمساك البقرة من قرنيها ليستدروا أكثر ما يمكن من ألبانها في ظرف وجيز، وهكذا ذهبت النظريات والمثل العليا أدراج الرياح وبقيت الشعارات الجوفاء وواقع الاحتلال إلى أن كان الخلاص والاستقلال فمُحي اسم بيريو من الشارع الذي يصل بالرباط بين ساحة النصر وشارع الأمم المتحدة وحل محله اسم ابن خلدون.

H. Berriau, *L'officier de renseignements*, 1918 ; S. Berriau, *Simone est comme ça*, Paris, 1973 ; Lyautey, *Paroles d'action*, Paris, 1927 ; R. Peyronnet, *Livre d'or des officiers des affaires indigènes*, Alger, 1930 ; P. Vollérie, *La pénétration militaire au Maroc*, Paris, 1934.

إبراهيم بوطالب

**پيزَا** والمغرب، Pisa مدينة من مدن إيطاليا الحالية كانت تكوِّن جمهورية مستقلة منذ القرن الحادي عشر الميلادي، وتنافس جمهورية جنوا Génova في السيطرة على الملاحة والتجارة في البحر المتوسط، بحكم توفرها على أسطول بحري هام، وظلت بيزا مستقلة إلى سنة 1509 حيث أصبحت جزءا من دوقية طوسكانا Ducado de Toscana التي اندمجت هي الأخرى في دولة إيطاليا الحالية سنة 1860.

يرجع تاريخ اتصال پيزا بالمغرب إلى شهر ذي القعدة من سنة 508 /أبريل 1115 حيث استولت سفن پيزا وجنوا وقاطالونيا Cataluña على جزيرة يابسة Ibiza بأرخبيل البليار، وقد تمكن الأسطول المغربي من طردها منها ؛ في حين أن ربط العلاقات السياسية والتجارية بين بيزا والمغرب قد تم عندما بعثت پيزا بسفيرها إلى السلطان المرابطي علي بن يوسف، فوقع معه أول معاهدة سلم وتجارة بين البلدين في يوم 20 شعبان 527 /26 يونيو 1133، هذه المعاهدة التي كانت تشمل مدينة تلمسان الخاضعة آنذاك لنفوذ المرابطين.

وفي سنة 552 / 1157، ولأسباب نجهلها، تحالفت جمهورية پيزا مع ملك تونس ضد الدولة الموحدية، غير أنه في شهر جمادى الثانية 561 /أبريل 1166 حل بمراكش السفير الپيزي كوكو گريفي Goco Griffi الذي وقع مع السلطان أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن معاهدة صلح وتجارة وملاحة يوم 4 رجب 561 / 6 ماي 1166 على امتداد عهد ملك السلطان المذكور.

ونتوفر على وثائق تثبت استمرار العلاقات المغربية الپيزية، بدليل أنه في سنة 576 /1181 كانت هناك مشاكل بين المغرب والجمهورية المذكورة، الشيء الذي جعل أسقف پيزا وقناصلها يوجهون عدة مذكرات احتجاج إلى السلطان يوسف بتاريخ 14 ذي القعدة و6 ذي الحجة 576 / فاتح أبريل و23 أبريل 1181 ومذكرتين في 3 محرم و16 صفر عام 577 / 19 ماي وفاتح يوليوز 1181 ومذكرتين في 26 محرم و26 صفر 578 / فاتح يونيو وفاتح يوليوز 1182.

وفي سنة 580 / 1184 تم تجديد معاهدة الصلح والتجارة والملاحة يوم 4 رجب 561 / 6 ماي 1166 ؛ وعلى إثر وفاة السلطان يوسف بن عبدالمومن حلّت بالمغرب سفارة پيزية لتقديم التعازي والإعراب عن الرغبة في مواصلة العلاقات الودية بين البلدين، ومن أجل ذلك أصدر السلطان يعقوب المنصور الموحدي ظهيراً بتاريخ فاتح رمضان 582 / 15 نوفمبر 1186 يقضي بتجديد الصلح والعلاقات التجارية والملاحية لمدة خمس وعشرين سنة.

وفي شوال 596 / يوليوز 1200 قامت بعض السفن الپيزية بنهب سفينة مغربية كانت توجد بميناء تونس، ونتوفر على ثلاث رسائل احتجاج مغربية وجهت إلى حكام پيزا تطالب بالتعويض اللازم، وكانت الرسالة الأولى من الأمير عبدالرحمن ابن السلطان يعقوب المنصور وخليفته بتونس بتاريخ 30 ذي القعدة عام 596 / 11 سبتمبر 1200 ؛ والرسالة الثانية من حاكم سبتة بتاريخ 8 جمادى الأولى عام 597 /15 فبراير 1201، وأما الثالثة فكانت من الأمير المذكور بتاريخ 26 رجب عام 598 /21 أبريل 1202.

وفي شهر ربيع الأول عام 607 / سبتمبر 1210 حل بالعاصمة المغربية السفير الپيزي خيراردو Cresasdo وتمكن من الحصول على موافقة السلطان الناصر على تجديد معاهدة فاتح رمضان عام 582 /15 نوفمبر 1186.

وفي 28 ربيع الثاني عام 759 /9 أبريل 1358 أصدر السلطان أبو عنان المريني ظهيرا منحت بمقتضاه عدة امتيازات تجارية بالمغرب لرعايا پيزا، فكانت هذه آخر وثيقة دبلوماسية اطلعنا عليها حددت علاقات المغرب مع الجمهورية المذكورة.

ع. التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، 5 : 131. 217 ؛ 6 : 176. 177. 181. 190. 196. 200. 202 ؛ 7 : 175. 178 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *مشروع الدليل الدبلوماسي المغربي*، مرقون.

De Mas Latrie, *Traités de paix et de commerce*, pp. 25 - 27 - 28 - 36 - 38 - 40 - 49 - 66 - 93 ; *Relation et commerce de l'Afrique septentionale ; Espasa - Calpe*, Madrid, 1921, T. 45, p. 16 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Compendio de los Pactos internacionales de Marruecos*, Tetuan 1949, Passim ; *Pactos internacional de Marruecos*, Madrid 1957, passim ; *Repertorio diplomatico marroqui*, Rabat, 1966, passim.

محمد ابن عزوز حكيم

**بيزَارْ**. أسرة رباطية. ← ابن **إبراهيم**

**الپيزانا** Le Paysanat، (هكذا بـ n واحدة) مصلحة من مصالح الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب كانت تشمل مجموعة من المؤسسات العمومية تهدف إلى تطوير العالم القروي بالمغرب بواسطة فعالية كلية، وذلك بنقله من اقتصاد تقليدي يعتمد المحراث إلى اقتصاد عصري يعتمد الجرار، كما تهدف إلى تطوير الوضع الاجتماعي للفلاح، وتحسين وضعه القانوني.

كانت تسيَّر من طرف مجلس أعلى للپيزانا، أحدث بظهير 5 دجنبر سنة 1944، يقوم بدراسة واقتراح الوسائل

التي بإمكانها إتاحة تنمية حشود الفلاحين اقتصاديا واجتماعيا وتحسين أوضاعهم القانونية والتنسيق بين مختلف المصالح في هذا الشأن. يضم المجلس الأعلى، الذي يرأسه المقيم العام، والصدر الأعظم والوزير المفوض لدى الإقامة العامة والكاتب العام للحماية، بالإضافة إلى ممثلين عن مختلف الإدارات (اقتصاد، أشغال عمومية، تعليم، صحة ...) وخواص يعينون، من بينهم عشرة مغاربة.

يجتمع المجلس الأعلى مرتين في السنة، ولا تصبح قراراته سارية المفعول إلا بظهير أو قرار من المقيم العام.

تسهر على تطبيق قرارات المجلس الأعلى الكتابة العامة التي كانت مرتبطة بالإقامة والتي كانت تشمل ممثلين اثنين عن المجلس الأعلى هما : Jacques Berque وRoger Tritignac وكاتبا دائما مغربيا هو عبدالله الصبيحي. لكن جل صلاحية الكتابة العامة نقلت بقرار من الإقامة العامة، بتاريخ 2 يناير 1947، إلى مركزية التجهيز الفلاحي للپيزانا Centrale d'Equipement Agricole du Paysanat ou C. E. A. P. ويتعلق الأمر بمؤسسة عمومية كانت قد أنشئت بظهير 26 يناير 1945، تتمتع بشخصية مدنية واستقلال مالي، هدفها تنمية الفلاحة وتربية الماشية، وذلك بتقديم قروض للفلاحين وتأطيرهم تقنيا وبيع المعدات الفلاحية أو كرائها لهم.

ولإنجاز مهامها تعتمد مركزية الـC. E. A. P على مكاتب محلية تقوم بتقديم معلومات حول التكوين الكيميائي للتربة ونوعية الأسمدة التي ينبغي استخدامها وطريقة محاربة التعرية والأمراض النباتية لقطاع التحديث الفلاحي Secteur de Modernisation du Paysanat ou S. M. P. المنشأ بظهير 5 يونيو سنة 1945، وهو عبارة عن إطار عقاري وقانوني للتسيير والتجهيز الاجتماعي، فهم مؤسسة عمومية تسيرها السلطة المحلية وتمد الـ C. E. A. P. بالوسائل التقنية لتحقيق مشاريعه. إنه يرمي إلى تحقيق أهداف مادية واجتماعية وأخلاقية تتمثل في تحسين الإنتاج وتوجيه الفلاحة نحو مزروعات جديدة والعمل على تطبيق مخطط للتنمية وتحسين أوضاع الفلاحين الاجتماعية، وذلك ببناء المدارس والمستوصفات ودور للسكن، وإشراكهم في مداولات مجالس الـ S. M. P قصد تهييئهم لتحمل مسؤولياتهم مستقبلا.

تنقسم أنشطة الـ S. M. P. إلى :

1 - زراعة مباشرة إما فوق أراض جماعية مقابل ربع، وإما فوق أراض مكتراة أو باشتراك مع أحد الخواص.

2 - تقديم خدمات لمن يطالب بذلك مقابل أجرة.

3 - إرشاد يكمن أساسا في تأطير الفلاحين قصد العمل من أجل تحسين الانتاج وتقديم خدمات لهم بعد بيع المعدات التقنية.

وراء هذه الفلسفة المعلن عنها كانت الپيزانا تسعى إلى هدم التوازن الاجتماعي التقليدي لتعويضه بتوازن جديد يتيح الاستيلاء على الأراضي الجماعية وتمثيل الفلاحين، ومن ثم إدماج المجتمع المغربي في النظام الرأسمالي. وقد اعتمدت،كوسيلة لذلك، التحديث بوصفه يمثل صدمة نفسية قد تساعد على تجاوز التطور التدريجي الذي كانت تعول عليه فرنسا سابقا، خصوصا في إطار جمعيات الضمان الأهلية (Les Sociétés Indigènes de Prévoyance ou S.I.P) ومن ثم إحداث تغيير سريع. لكن هذه السياسة أخفقت لأن الفلاحين كانوا يعارضون، في كثير من المناطق، إنشاء مراكز الـS. M. P، لذا تراجعت الپيزانا في سنة 1951 عن هذه السياسة لصالح سياسة أقل طموحا ولكنها أكثر فعالية تعتمد القيام بتحديث تدريجي في مناطق محدودة.

إن سياسة الپيزانا كانت عرضة لعدة انتقادات من طرف المعمرين الذين كانوا يرون في الـ S. M. P. منافسا لهم، ومن طرف الحركة الوطنية التي كانت تخشى تأثير الپيزانا على الفلاحين، الشيء الذي كان بإمكانه أن يؤدي بهؤلاء إلى التخلي عن أهدافها السياسية.

على كل، فإن سياسة الپيزانا، رغم خلفياتها، كانت لها بعض الإيجابيات، وقد كونت أساس بعض جوانب السياسة الفلاحية بالمغرب بعد الاستقلال.

J. Berque, *La question agraire au Maroc*, C.H.E.A.M., 1945; *Vers la modernisation rurale, B.I.M.*, n° spécial, octobre 1945 ; J. Berque et J. Couleau, *Vers la modernisation du fellah marocain, B.E.S.M.*, Vol. 26, 1945 ; R. Dumont, *Etat des modalités d'action du paysanat*, CHEAM, 1947; Y. Barennes, *La modernisation rurale au Maroc*, Paris, 1948 ; P. Suisse, *Les formes nouvelles de la modernisation rurale en milieu marocain*, CHEAM, 1951 ; L. Marchal, *Les principes, les méthodes et les buts de la modernisation rurale au Maroc*, C.H.E.A.M. ; J. Le Prévot, *Le paysant et les S.M.P. au Maroc, Cahiers de la modernisation rurale*, n° 12, 1953 ; A. Halim, *Structures agraires et changement social au Maroc*, éd. Afrique-Orient (à paraître).

عبدالجليل حليم

**بيزْضَاضْ**، مقر قيادة حديثة في حاحة يمتد نفوذها على قبيلتين هما أيت زلطن وإداوزمزم بناحية الصويرة، وسميت بذلك لأن المكان الذي أنشئت فيه القيادة سنة 1386 / 1966 كان محط طيور تدعى باللسان الأمازيغي (الشلحة) إزْضَاضْ، وهي الحمام المتوحش. وأما عن تاريخ قيادة هاتين القبيلتين فإنهما خاضعتان لحكم رؤساء آل بيهي أُمولود الذين وحدوا جميع قبائل حاحة تحت نفوذهم متخذين أَزْغَار أيْت زَلْطَنْ مقرا رئيسيا لحكمهم منذ تأسيس مدينة الصويرة في عهد محمد بن عبدالله (1171 / 1757 - 1204 / 1789) إلى يوم خراب أزغار أيت زلطن على يد المتوگيين عام 1288 / 1871.

وفي عهد السلطان الحسن الأول الذي نهج سياسة تقسيم الإيالات الكبرى لإضعاف نفوذ القواد فقسم اتحادية قبائل حاحة بين عدة قواد، فعين أحمد أُمبارك من تاكوشت قائدا خاصا بقبيلتي أيت زلطن وإداوزمزم. وفي العهد العزيزي أسندت قيادة إداوزمزم للقائد الحسن گُرْمَا وبعده لابنه القائد محمد گُرْما ثم "لما مدت حكومة الاحتلال يدها إلى حاحة أعفته من القيادة وولت من الأسرة القائد مبارك گُرْمَا، فصال وجال، واكتنز الأموال، إلى أن مات، فتولى على قبيلته القائد المختارالزلطني ما شاء الله إلى أن جاء

الاستقلال" (*المعسول*، 15 : 244). أما قبيلته أيت زلطن فقد تولى قيادتها في العهد العزيزي القائد محمد إگيدِرْ الشهير ثم خلفه بعد وفاته (1340 / 1921) القائد المختار الزلطني وابنه الذي جمع أخيرا بين الحكم على القبيلتين. ومع بداية الاستقلال عُين قائد جديد على القبيلتين في إطار القيادة النظامية وكان مقرها في الأول بعزيب القائد المختار المسمى بُوصُوف ثم انتقل مقر القيادة إلى الصويرة بسبب عدم صلاحية ذلك المقر إلى سنة 1386 / 1966 حيث بنيت قيادة بيزْضَاضْ الحالية على النمط الحديث في نقطة الحدود بين جماعتي أيت زلطن وإداوزمزم المنضويتين تحت نفوذ حكمها على مساحة تبلغ 238 كلم$^2$، ويقطنها نحو 11.745 نسمة بكثافة سكانية معدلها حوالي 49,34 نسمة في الكيلومتر المربع. معظم أراضيها مكسوة بغابات أرگان والعرعار والخروب واللوز، وتربية الماشية من أهم مقوماتها الاقتصادية. تتوفر مناطقها على كميات هائلة من الفوسفاط لقربها من منجم مْسْكَالة ويتعاطى سكانها للصناعات التقليدية وخاصة منها الخزفية. ويتكون مركز بيزْضَاضْ زيادة على القيادة من دار للجماعة القروية ومقر للدرك الملكي ومجموعة مدرسية ومستوصف قروي، كما يتوفر على شبكة للماء الصالح للشرب.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 15 : 244 ؛ *دورية خاصة أصدرتها عمالة الصويرة بمناسبة عيد العرش سنة 1986* ؛ *تحريات ميدانية* تعتمد على تقاييد خاصة وروايات شفوية عن كبار شيوخ القبيلتين.

محند أيت الحاج

**البيزنطيون** في موريطانيا الطنجية. ينتسبون إلى بيزنطة التي نقل إليها الامبراطور الروماني قسطنطين Constantin في حوالي سنة 330 م مركز عاصمته وأصبحت تدعى بروما الجديدة Velut ipisus Romae Africae (Gibbon, p 442). واضعا بذلك أسس تقسيم الامبراطورية الرومانية الذي تم فعلا بعد وفاة الامبراطور ثيودوسيوس Théodosius (379 - 395) بين كل من هنوريوس Honorius (395 - 423) الذي آلت إليه الإمبراطورية الرومانية الغربية وعاصمتها روما، وأركاديوس Arcadius (395 - 408) الذي حكم الإمبراطورية الرومانية الشرقية نواة ما سيعرف بالامبراطورية البيزنطية.

والحديث عن البيزنطيين بموريطانيا الطنجية يرتبط بعهد الإمبراطور يُستنيانوس Justinianus (523 - 565) الذي هدف إلى إعادة ترميم الإمبراطورية الرومانية باسترجاع مختلف الولايات التي كانت تابعة لها من أيدي البرابرة الجرمان وتحويل البحر المتوسط من جديد إلى بحيرة رومانية، إذ اعتبر نفسه الوارث الشرعي للإمبراطورية الرومانية. ومادام شمال إفريقيا وضمنه موريطانيا الطنجية جزءاً من هذا الإرث وإحدى الولايات التي أخضعها القناصلة الرومان وامتلكها القياصرة فهو يشكل بهذا التصور إرثا من حق الممثلين الجدد للإمبراطورية الرومانية، لذلك اهتم يُستنيانوس بتنظيم حملة عسكرية وجهها سنة 533 م لاسترجاع شمال إفريقيا والقضاء على المملكة الوندالية.

ولقد تمكن البيزنطيون بعد الانتصار على الوندال من السيطرة على الجزء الغربي من ولاية الطرابلية Tripolitaine وولاية البروقنصلية Proconsulaire، وبيزاكينا Byzacéne مع الجزء الشرقي لنوميديا وبعض المراكز الساحلية في موريطانيا الصطيفية والقيصرية.

أما بموريطانيا الطنجية فكلما حاولنا البحث في المراكز التي بلغتها سلطة بيزنطة إلا وجدنا بين أيدينا وثيقتين تاريخيتين. الوثيقة الأولى هي مصدر پروكوپ الذي تتبع مراحل الحملة العسكرية البيزطية منذ انطلاقها من بيزنطة سنة 533 إلى 546، أما الوثيقة الثانية فتتلخص في مجموع القوانين التي أصدرها يُستنيانوس بين 533 و534 لتنظيم ولايات الإمبراطورية سميت بجامع قوانين يستنيانوس Codex Justinianus.

مراكز نفوذ البيزنطيين بشمال افريقيا

ذكر پروكوپ أن الجنرال البيزنطي بليساريوس Belisarius بعث بالقائد العسكري يوحنا Jean لطرد الوندال من سبتة (Procope, IV - V -5, p 249) سنة 533 - 534. في وقت ذكر مصدر إيزدوريوس Isidurius أن القوط سيطروا على مدينة سبتة إلى غاية سنة 544 (Isidure, Hikk Golh, éd Mommsen, p 284) لكن إذا بحثنا في المجامع الدينية التي انعقدت بدوقية إسبانيا نجدها لا تذكر مشاركة أسقف مدينة سبتة في الفترات الفاصلة بين سنوات 533 و544، ثم كيف يعين يستنيانوس سنة 534 ضابطا عسكريا بمدينة سبتة تابعا لدوق موريطانيا القيصرية وهي خاضعة للقوط، فالموقع الاستراتيجي لمدينة سبتة يفسر اهتمام البيزنطيين بضمها لتأمين الجهة الخلفية شمال إفريقيا، ولتحقيق المرور منها إلى شبه الجزيرة الإيبيرية قصد استكمال ماسمي بمشروع الاسترجاع البيزنطي. لكن هل انحصرت سيطرة البيزنطيين على موريطانيا الطنجية في مدينة سبتة أم تعدتها إلى مناطق أخرى ؟ إذا أخذنا النص القانوني الذي وضعه يُستنيانوس والذي يحدد الولايات التي أصبحت تابعة لبيزنطة بشمال إفريقيا، نجده يذكر ما يلي :

"Et auxiliante Dco, Septen provinciae cum suis judicibus disponanter quarum Tingi et Qauae Proconsulairs Autea Jocabatur, Carthago et Byzacin ac Tripoli recturs habeant consulares, reliquae vero, id est Numidia et Mauritaniar et Sardinia a paesidibus cum der auscilio guberentur" (cod. Just. I. 27 - 1 12).

ترجمة النص كالتالي "يتعلق الأمر بسبع ولايات، عين على رأس أربع منها حكاما أو ولاة من درجة قنصل وهي "طنجة" التي كانت تدعى فيما قبل البروقنصلية و قرطاج وبيزاكيوم وطرابلس، أما الباقية وهي ثلاث نوميديا وموريطانيا وسردينيا فقد عين على رأسهم ولاة من درجة فرسان Praesides.

لقد رأى كل من پارتست Partch وموسنا Mommsen عند دراستهما للنص أن يُستنيانوس وضع "الطنجية" في المقدمة للإشارة فقط إلى أن السيطرة على حصن سبتة لا يكفي لتأسيس ولاية بموريطانيا الطنجية وتأكيد تبعيتها لبيزنطة، وإذا كان يُستنيانوس قد أسس ولاية بموريطانيا الطنجية فعلا فكيف يتم التوفيق بين تعيين حاكم من درجة قنصل على موريطانيا الطنجية إداريا، بينما اكتفى عسكريا بتعيين ضابط عسكري Tribun Militaire تابع لدوق موريطانيا القيصرية (Hommen C. I.L. VIII, p. VIII) ثم إن ترجمة النص تفرض تصحيح Tingi لأن ولاية البروقنصلية هي التي كانت تدعى زوجيتانيا.

لكن ماذا يقصد يستنيانوس بموريطانيا الأولى وموريطانيا الثانية ؟ أكد مومسن أن موريطانيا الأولى يقصد بها موريطانيا الصطيفية، وموريطانيا الثانية هي موريطانيا القيصرية. لكن ما هو وضع موريطانيا الطنجية؟ كيف أقيمت ولاية في موريطانيا القيصرية وهي لا تختلف في وضعها عن موريطانيا الطنجية ؟ ففي 534 لم يسط سيرتطيون سوى على مدينة القيصرية (شرشال) بموريطانيا القيصرية، وسبتة بموريطانيا الطنجية.

ثم إن مصدر جورج القبرصي الذي يعود إلى القرن السادس الميلادي يتحدث عن موريطانيا أولى وهي موريطانيا الصطيفية والقيصرية، وموريطانيا ثانية وهي التي تضم حصن سبتة ومناطق واسعة من إسبانيا والبليار بعد استرجاعهما من يد الفيزيقوط. (Georg, chyp, ed Gelzen, p 34) إذ شكلت هذه المناطق ولاية واحدة سميت بموريطانيا الثانية وألحقت بدوقية قرطاج مباشرة. الشيء الذي سيؤكد انحصار النفوذ البيزنطي بموريطانيا الطنجية في مدينة سبتة. فشارل ديبل ذهب بعيدا حين جعل نفوذ البيزنطيين بموريطانيا الطنجية يشمل مدنا مثل ليكسوس بدليل توفرها على أسقف كاثوليكي وطنجة التي وجدت بها ساكنة مسيحية في القرن السابع الميلادي، فالواقع أن وجود أساقفة أو عناصر مسيحية في تلك المدن لا ينبغي أن يؤخذ كدليل على سيطرة البيزنطيين عليها. فلقد ذكر پروكوپ أن القبائل المورية سيطرت على البلاد الممتدة من ضواحي قادس إلى مدينة قيصرية، باستثناء حصن سبتة الذي كان تابعا للبيزنطيين. وهذه قبيلة الباكواط Baquates في موريطانيا الطنجية، أصبحت لها سلطة سياسية واسعة ابتداءً من أواخر القرن الثالث الميلادي، فلقد ورد بإحدى نقائش وليلي التي تعود إلى هذه الفترة الزمنية إشارة إلي زعيم القبائل الباكواطية كالتالي : Rexgentis Baquatium.

هل استمر النفوذ البيزنطي بمدينة سبتة إلى الفتح الإسلامي ؟ إذا أخذنا المصادر العربية التي تحدثت عن الفتح الإسلامي، كابن عبدالحكم فإننا نجده يذكر سيطرة الروم البيزنطيين على المنطقة الممتدة من طرابلس إلى طنجة إذ يقول : "... وكان عليها - أي قرطاجة - ملك يقال له جرجير، كان هرقل قد استخلفه فخلع هرقل، وضرب الدنانير على وجهه، وكان سلطانه ما بين طرابلس إلى طنجة" ( *فتوح افريقيا والأندلس*، ص 35). ثم يذكر بعد ذلك أن يليان Julien حاكم مدينة سبتة كان يدين بالطاعة للذريق ملك القوط بإسبانيا. "... وكان المجاز الذي بينه وبين أهل الأندلس عليه رجل من العجم يقال له يليان صاحب سبتة..." وكان يليان يؤدي الطاعة إلى لذريق صاحب الأندلس، وكان لذريق يسكن طليطلة..." (المصدر السابق، ص 71 - 72).

نستخلص من هذا النص وبعد دراسة الظروف السياسية التي عاشتها بيزنطة في أواخر القرن السابع وبداية القرن الثامن الميلادي أن البيزنطيين استقروا بمدينة سبتة من سنة 533 إلى حوالي سنة 695 م. ذلك أن بيزنطة عاشت فترة فوضى سياسية بين 695 و715 منحت الفرصة لوجود روابط سياسية بين حاكم سبتة يليان وملك الفيزيقوط.

ابن عبدالحكم، *فتوح إفريقيا والأندلس*، دار الكتاب اللبناني، 1987 ؛ أبو عبيد البكري، *وصف إفريقيا الشمالية*، نشرة دي سلان، 1857 ؛ بنحريبط علمي ماجدة، *الزحف البيزنطي على شمال إفريقيا*، 533 - 548، د. د. ع. في التاريخ القديم، 90 - 1991.

*Codex Justinianus*, éd. Krüger, Berlin, 1877, pp. 78 - 81 ; Georgius Cyprius, *Description orbis romain*, éd. Gelzer (H), 1390; Hydace, *Chronica in M.G.H.a.a.*, T. XI, PP. 1 - 36 ; Isidor de Séville, *Historia Vandalorum in M.G.H.a.a.*, T. XI, pp. 295 - 300 ; Procopius, *History of the wars*, Book III et IV, éd. Dewing (H.B.), classical library, London, 1916 ; Ch. Diehl, *Rapport sur deux missions archéologiques dans l'Afrique du Nord*, *Nouvelles archives des missions scientifiques et littéraires*, Paris, T. 4, 1894, pp. 285 - 435 ; *L'Afrique Byzantine : Histoire de la domination Byzantine en Afrique, 533 - 709*, Paris, 1896 ; Martroye, *L'occident à l'époque byzantine : Goths et Vandales*, Paris, 1904 ; Bunis, *History of Later Rome-Empire from the death of Theodosius I to the death of Justinian, A.D. 395 to A. D. 565*, London, 1931 ; P. Romanelli, *La Riconquista Africana Di Giustiniano, Africa Romana*, Milano, 1935, XIV, p. 125 ; C. M. Chassin, *Bélisaire généralissime byzantin 504 - 565*, Paris, 1957 ; E. Stein, *Histoire du Bas-Empire*, éd. française par J. R. Polanque, Paris, 1959 ; Kh. Belkhodja, *L'Afrique Byzantine à la fin du 6 siècle et au début du 7ème siècle, R.O.M.M.*, 1970, pp. 55- 56 ; A. Cameron, *Byzantine African excavation at Carthage*, 1978, VII, éd. Humphuy, 1982, pp. 29 - 62 ; J. Durliat, *Les dédicaces d'ouvrages de défense dans l'Afrique Byzantine, E.F.R.* 1981 ; E. C. Gazolbes, *El problema de la Ceuta Bizantina, C.T.*, n° 115 - 116, 1981, pp. 23 - 53 ; D. Pringle; *The defense of Byzantine Africa from Justinian to the conquest : An account of the military history and archaeology of the provinces in the sixth and seventh centuries*, Oxford, 1981 ; L. Casson, *Belisarius expédition against Carthage : Excavations at Carthage*, 1978, VII, 1982, pp. 23 - 29 ; E. Gibbon, *Histoire du déclin et de la chute de l'Empire Romain*, T. 1. *Rome de 96 à 582* et T. 2, *Byzance de 455 à 1500*, traduit de l'Anglais par M. F. Guizot, Paris, 1983 ; N. Duval, *L'Etat actuel des recherches sur les*

*fortifications de Justinien en Afrique*, Corsi di cultura, edi. *Arte Ravenate Bizantine Ravenna*, T. 30, 1983, pp. 194 - 204 ; P. A. Fevrier, *Approches récentes de l'Afrique Byzantine*, *R.O.M.M.*, T. 35, 1983, pp. 25 - 53 ; G. Camps, *Rex Gentium Maurorum et Romanurum : Recherches sur les Royaumes de Maurétanie des VI et VII siècles*. *A. A. T.* 20, 1984, pp. 183 - 218 ; Y. Moderan, *Corippe et l'occupation byzantine de l'Afrique : pour une nouvelle lecture de la Johamide*, *A. A. T.* 22, 1986, pp. 195 - 212 ; A. Ducellier, *Les Byzantins*, Paris, 1988.

ماجدة بنحربيط علمي

**بِيشْوَارِين** أو البِيشْوَارِينِيَّة، أسرة سوسية عالمة، كان جدهم الأستاذ محمد بن مَحمد بن عمر في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م) يشارط في بعض القبائل لتعليم الصبيان القرآن الكريم ويصنع في نفس غرارات الدواب المدعوة بالشلحة "إيشوارين" فعرف بها هو وعقبه ودُعوا البيشوارينيين، ولا علاقة لهم بالبوشوارين الهشتوكيين في أيت باها.

انتقل أحد أسلاف الأسرة البيشوارينية لأسباب أمنية من قرية تيوَّرگان البعقيلية إلى قرية تامگونس في قبيلة الساحل. وهم ينتسبون إلى الأدارسة عن طريق أحمد بن إدريس الأزهر بن إدريس الأكبر دفين زرهون. ومن أشهر البيشوارينيين :

**بِيشوارين، جامع** بن الحسين، من كبار القراء في عصره، يتقن قراءة المكي وقواعد التجويد، قضى عمره في تعليم ذلك لأبناء جلدته، وتخرج على يده عدد غير قليل من قراء سوس. وإلى جانب ذلك كان متصوفاً ملازماً للزاوية الدرقاوية، ناسكاً متعففاً إلى أن توفي عام 1355 / 1936.

**بيشوارين، عبد الرحمن** بن عبد الله المشهور بعابد (اختصار عبد الرحمن) الإدريسي السوسي. ولد عام 1270 / 1853 بقرية تيفيراسين أي (الإجاص) وأخذ عن أخيه محمد بن عبد الله القرآن الكريم ومبادئ العربية، كما تتلمذ على يد العالم الطائر الصيت علي بن سعيد المعروف بالتوفلعزتي المتوفى عام 1322 هـ في مدرسة سيدي أبي سعيد، وعلى يده أتقن علوم الفقه واللغة والنحو والبيان والتفسير والحديث متبوئاً مكانة خاصة في نواحي سوس. وكان لتقلبه في كثير من مدارس العلم هناك أستاذاً ومربياً روحياً الأثرُ الكبير في شفوفه وانتشار صيته، إذ يعتبر من القلائل الذين تعددت مدارس العلم التي شارطوا فيها، فقد بلغ عددها ثمانية، منها ما درس فيها أكثر من مرة، كمدرسة إيگونگا بقبيلة هشتوكة.

وله شخصية متعددة الجوانب، جعلت بعض مؤرخيه يختلفون حوله، فأشاد به بعضهم بما لا مزيد عليه كعلي بن الحبيب السكراتي (ت. 1375) في كتابه *تحلية الطروس في ذكر رجالات سوس*، وانتقده آخرون كالمؤرخ محمد بن أحمد الأگراري (ت. 1358 هـ) في *روضة الأفنان في تراجم الأعيان*، حيث وصفه بادعاء الكرامات والاشتغال بالتفاهات، على أن مكانته تعتمد على الجانب الروحي الذي يغلب عنده على الجانب العلمي، هذا مع اعتبار أن بقاءه وعكوفه على التدريس أكسبه صيتاً قوياً.

ومن مواقفه التاريخية أنه غادر داره قبل الاحتلال الفرنسي لبوادي سوس حتى لا يرى النصارى، كما نقل عنه في آخر حياته من مواقفه البارزة كذلك أنه كان من أركان ثورة أحمد الهيبة، فقد أيدها بقوة ودعا الناس إلى المشاركة فيها بما لَـهُ من نفوذ روحي، حتى اعتبره بعض مترجميه الذي تولى كِبْرَ قيام هذه الثورة (*مختصر روضة الافنان*، 73) وكيفما كان الحال، فقد كان للحاج عابد بيشوارين ذلك الموقف الجهادي الذي يحفظه له التاريخ.

وله آثار أدبية غالبها منظومات رجزية ليست في ميزان النقد الأدبي مما يروق ذوي الحس الأدبي المرهف، فألغاها النقد وألغى معها ما له من منثور، بالرغم من مكانته المعرفية المتميزة، "لذلك - يقول المختار السوسي - نقضي بأن آثاره الأدبية ليس فيها حظ للفن، وذلك على جلالة منصبه في ذلك، وذلك لأنه كان يطبق في تدريسه برنامج سعيد بن أحمد الكثيري الشريف (ت. 1296) الذي قسم متون النحو والفقه إلى دروس حافظ على أدائها في أوقاتها كل يوم، فكان الحاج عابد يبدأ دروسه اليومية، بعد قراءة الحزب الراتب في الصباح الباكر، بالتفسير اعتماداً على تفسير *الجلالين مع حاشية الجمل* والتزام إعراب الألفاظ القرآنية، مراعيا مختلف طبقات الطلبة الذين يتوافدون على مدرسته، ثم يتبعه بالمتون الفقهية، فكان يدرس *مختصر خليل* حسب هذا البرنامج في خلال سنتين لا يتعداهما، ثم الدروس النحوية والبلاغية حسب النظام الصارم الذي لا يتخلى عنه. وهكذا طيلة كل يوم من أيام الدراسة الأسبوعية، وكان لا يخلط بين مستويات الطلبة، وإنما يراعي كل طبقة ويتولاها بنفسه دون فتور، ولا يتخلى عن منهج المدرسة العلمية السوسية ولا سيما الجزولية منها. ذلك أنه كان يحافظ على إعراب أول الحزب القرآني الراتب بعد صلاتي الصبح والمغرب.

وإذا كانت المدارس العلمية قد استفرغت نشاط هذه الشخصية فإنه قد ترك رحلة حجازية دوّن فيها حجه عام 1311 في ركب حاشد من صلحاء القطر، وبيّن ما وقع له في الطريق من أهوال وما مر به من الأمكنة والمشاهد، لكن رحلته تلك لم تقع بعد في أيدي الباحثين.

وبعد حياة حافلة استمرت ثمانين سنة، توفي الحاج عابد بيشوارين رحمه الله عام 1350 / 1931.

**بيشوارين، محمد** بن الحسين بن علي بن أحمد. ولد في تامگونس يوم الخميس 15 جمادى الأولى عام 1277 / 29 نونبر 1860 وبها حفظ القرآن الكريم، وأخذ مبادئ العلوم اللغوية والدينية عن علماء قبيلة الساحل، ولازم مجالس الشيخ محمد بن العربي الأدوزي سنوات عديدة.

تقلب في عدة مدارس سوسية مشارطاً ومدرساً ومفتياً، لكنه لم يبلغ شأواً كبيراً في ميدان النوازل، فاتجه إلى التصوف وأخذ الطريقة الدرقاوية ولازم مجالس الذكر في الزاوية الإلغية إلى أن كُفَّ بصره في آخر حياته.

توفي في 14 محرم عام 1368 / 16 نونبر 1948.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3 : 300 : 10 : 271 : 12 : 291 : 17 : 295 ؛ *رجالات العلم العربي في سوس*، 150، 174 ؛ الاكراري، *روضة الافنان* ؛ الساحلي، *المدارس العلمية العتيقة بسوس*، 82.

عبد الحميد محيي الدين الباعمراني

ماجدة بنحربيط علمي

**پيشون**، اسطيفن Pichon Stephen وزير خارجية فرنسا، احتل كرسي الوزارة ثلاث مرات، مرة أولى من 25 أكتوبر 1906 إلى فاتح مارس 1911 ومرة ثانية من 22 مارس إلى 8 دجنبر 1913 ومرة ثالثة من 16 دجنبر 1917 إلى 19 يناير 1920، فكان له ضلع كبير فيما فرض على المغرب من الأوفاق الجائرة قبل الحماية أو بعد إبرامها.

دخل پيشون ميدان السياسة الخارجية الفرنسية من باب النيابة حيث كان مقررا للجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب سنة 1889، إلا أنه كان متعصبا للمبادئ الجمهورية، متحمسا للفراماسونية المنظمة التي كانت تعمل في الخفاء لنشر الأفكار العلمانية ومحاربة بقايا الملكية والكهنوت، وكان ذلك سبب فشله في انتخابات سنة 1893، مما حمله على ولوج سلك الوظائف الديبلوماسية فتنقل من الأرجنتين إلى الصين ومن الصين إلى أمريكا الجنوبية، ثم عين سنة 1901 مقيما عاما بتونس فأصبح من أقطاب حزب الاستعمار، وفي سنة 1906 عينه صديقه وعمدته في السياسة جورج كليمانصو G. Clemenceau وزيرا للشؤون الخارجية في الحكومة التي تشكلت برئاسته، وكان على پيشون أن يسهر على تنفيذ مقررات الجزيرة الخضراء بخصوص المغرب، فأعلن أن فرنسا "تلتزم بها بكل إخلاص"، لكنه بادر في السنة الموالية 1907، ولما يمض على احتلاله منصبه الوزاري سنة كاملة، إلى إصدار الأمر باقتحام وجدة والدار البيضاء ودأب يدعم الوجود الفرنسي بغربي المغرب وشرقيه، بالتفاوض مع كل من إسبانيا وألمانيا ومع دولة المولى عبد الحفيظ، لإضفاء الشرعية اللازمة على عمليات السطو تلك. فأمضى مع إسبانيا وفق 23 فبراير 1907 الخاص بتنظيم الفرق الأولى من الشرطة الاستعمارية بالمغرب كما أمضى معها التصريح المشترك ليوم 16 ماي الموالي القاضي بالتزام الدولتين بالأمر الواقع الترابي وبحقوق كلتيهما بالمغرب، ومع ألمانيا فإنه أمضى تصريح 9 فبراير 1909 الرامي إلى ضمان مبدأ المساواة الاقتصادية وتيسير السبيل أمام مواطنيهما ليقيموا مقاولات مشتركة لاستغلال خيرات المغرب. أما مع المغرب فإنه وقع اتفاقية 4 مارس 1910 المتعلقة بأمر جلاء القوات الفرنسية من الشاوية ومن عمالة وجدة، إلا إنه جعل لذلك شروطا مالية وفرض على المغرب غرامه كان يعلم أنه عاجز عن أدائها، بحيث كانت الاتفاقية بمثابة تعجيز مطلق صيغ بأساليب اللغة الديبلوماسية، فلم يتغير شيء من الاحتلال الفرنسي. وإنما كانت خطة پيشون خطة الرجل الحذر الماكر الماهر بطرق المخاتلة والمراوغة، تحاور مع الألمان في الوقت الذي كان يعزز فيه الوجود الفرنسي بالمغرب، وتفاوض مع المخزن في الوقت الذي كان يغلق أمامه كل المنافذ. ولما أطيح بالحكومة التي كان يشارك فيها يوم فاتح مارس سنة 1911، انتخب پيشون عضوا في مجلس الشيوخ، وكان ضمنه مقررا لميزانية وزارة الخارجية، إلى أن عاد لبضعة أشهر إلى كرسي الوزارة في حكومة لوي بارتو Louis Barthou فكان من أعماله حيال المغرب تقديم ظهائر 7 غشت 1913 المنظمة للقضاء الفرنسي بالبلاد إلى موافقة رئيس الجمهورية الفرنسية برسالة وقعها مع راتيه Ratier وزير العدلية، ثم أبعد عن الحكم في السنوات الأولى من الحرب العالمية إلى أن نودي على كليمانصو مرة أخرى ليشكل "حكومة النصر" فعاد پيشون إلى وزارة الخارجية من 16 يونيه 1917 إلى 19 يناير 1920، وكان له دور كبير في إرساء شروط وقف إطلاق النار ووضع مقتضيات معاهدات السلام في مؤتمر فرساي، وإليه يعزى رفض المقترح الذي كان ليوطي قد تقدم به لإشراك المغرب كدولة قائمة الذات في ذلك المؤتمر، لكن تقسيم النفوذ العالمي بين إنجلترا وفرنسا آنذاك كان لايسمح بذلك.

J. C. Allain, *Agadir 1911*, Paris, 1976 ; C. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes 1495 - 1956*, Paris, 1978 ; B. Yvert, *Dictionnaire des ministres* 1789 - 1989, Paris, 1990 ; P. L. Rivière, *Traités, codes et lois du Maroc*, T. I., Paris, 1924.

إبراهيم بوطالب

**بَيصَّة**، أو بايصَّة أو بايسَّة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Baeza وهو اسم مدينة بناحية جيان. وكان من بين أفراد بيصة الذين تذكرهم الوثائق :

**بَيصَّة، أحمد** بن عبدالرحمن الخبير في شؤون الفلاحة الذي توجه بطلب من السلطان مولاي عبدالرحمن بن هشام إلى عاصمة المملكة حيث كان يعمل في حقول المخزن وبساتين السلطان من سنة 1242 /1827 إلى سنة 1253 / 1838 حيث عاد إلى مسقط رأسه. وفي شهر ذي الحجة من نفس السنة / مارس 1838 أنعم عليه السلطان بمعاش قدره ثلاثون أوقية في الشهر.

**بَيصَّة، سلام** بن العربي جندي كان يعمل بحامية تطوان في نفس السنة.

**بَيصَّة، فاطمة** بنت علي كانت ما تزال على قيد الحياة سنة 1089 / 1678.

**بَيصَّة، محمد**، يوجد منهم ثلاثة: مدفعي بحامية تطوان سنة 1246 / 1830. ومعلم من أرباب المعرفة كان حيا سنة 1282 /1865. وجندي بحامية المدينة سنة 1292 / 1875.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 45 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 300 ؛ 2 : 347 ؛ 6 : 56 ؛ 8 : 214 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البيض**، جرم عضوي يتكون في جسم الطيور

والزواحف والسلاحف وغيرها ويحتوي على جرثومة الحياة التي يتكون منها حيوان من نوعها وجنسها بعد إخصابها.

تتركب البيضة من الغلاف الخارجي الكلسي ومن الغلاف الداخلي الغرقي ومن الآح أو البياض، وهو مائع لزج يخثر تحت الحرارة المرتفعة، ومن المح أو الصفار، وهو سائل أصفر كروي، ومن أربطة المح وهي خيوط دقيقة تبقيه سابحاً وسط الآح. ينتج المغرب أنواعاً عديدة من البيض ويستهلك منه كميات كثيرة.

يتراوح وزن بيض الدجاج ما بين 35 و70 غرام وتزن القشرة الكلسية حوالي 6 غرامات، لونه أصفر أو أبيض حسب الضروب وحسب مكونات تغذية الدجاج. قيمته الغذائية مرتفعة حيث يحتوي على كمية هائلة من السيوليات (Protides) منها الزلال (ألْبُومين) الموجود في الآح، والمحي الخاص بالمح. تحتوي هذه الهيوليات على عدة حوامض أمينية أساسية لتنمية الإنسان. يحتوي البيض أيضا على مواد دهنية أغلبها مركزة في المح وعلى العناصر المعدنية كالفوصفور والكالسيوم والفيتامينات D. A وE في المح فقط وB1، B2 وB12 في الآح والمح.

تعطي كل بيضة للجسم حوالي 85 وحدة حرارية وتجعل الإنسان يغطي 10٪ من حاجياته من الحوامض الأمينية. تكمن ظواهر جودة البيض في الغرفة الهوائية التي تكبر كلما زاد البيض في القدم وفي المح الذي يجب أن يكون نصف كروي وليس مسطحا وأن تكون القشرة نقية، ملساء لا تصدر منها رائحة. تتكون البيضة أحياناً بدون قشرة ويرجع هذا إلى خلل في الغدد ويجب تجنب هذا البيض. تعطي الدجاجة المبكرة الولادة بيضا يشمل أكثر من مح واحد ونجد في بعض الحالات بيضا بدون مح ينتج عن بقايا في قنات المبيض تنقسم وتتكون فوقها القشرة.

لعب البيض دوراً هاماً في تغذية الإنسان منذ قدم العصور وخاصة منه بيض الدجاج والبط والإوز وبيبي. كما أنه لعب دوراً اقتصادياً هاماً في كثير من الدول ومنها المغرب.

توجد في المغرب حاليا ما يزيد عن 450 وحدة انتاج صناعية للبيض تنتمي كلها إلى القطاع الخاص وتنتج 650 مليون بيضة في السنة مما يشكل 44٪ من الإنتاج الوطني ويشكل الإنتاج التقليدي حوالي 56٪ أي ما يعادل 740 مليون بيضة سنوياً حسب احصائيات سنة 1991. استهلكت في المغرب سنة 1991 مليار و340 مليون بيضة وانتجب في الوحدات الصناعية ثلاثة ملايين ونصف من فراخ الدجاج.

A. G. Akoka, *Le médical du XXème siècle, Encyclopédie médicale*, Paris, 1980.

مصطفى يعرف والشيخ النواوي

**البيضاء،** (جامع ـ) ويقال له أيضا جامع الملائكة تقديسا له، يوجد بقبيلة بني حسان على بعد نحو خمسة وثلاثين كيلومتراً من تطوان، أسسه موسى بن نصير عند الفتح الإسلامي أواخر القرن الأول الهجري (7 م)، ويعرف قديما بجامع موسى بن نصير.

يتربع هذا الجامع على ربوة عالية قرب سوق الأربعاء، على مسافة قريبة من قرية بني عمران، وهو مسجد صغير مربع الشكل، طوله نحو خمسة أمتار، وسقفه بالقبو في نصف دائرة، طول محرابه متر ونصف على 70 سنتما عرضا، وهو محكم البناء، بني بالجير والحصى الدقيق (الطابية)، وأرضه حصباء تبدو فيه حفر يقال إن الناس كانوا يدفنون فيه أموالهم عند الفزع، ومن معتقداتهم أن من أخذ منه شيئا لا بد أن يصاب بسوء، ولا يزال الناس يتبركون به إلى الآن، وقد سقط سقف مدخله وتلاشت أبوابه وأصاب الوجه التاريخي منه بعض تلاش، فهو في حاجة إلى الترميم والإصلاح الشامل.

يبدو أنه أدخلت عليه بعض إصلاحات عبر العصور وعلى مقربة منه ثلاث عيون جارية إحداها من جهة الشرق، وتعرف بعين التين، ولعل هذه التسمية جاءتها من كثرة أشجار التين التي كانت هناك، وأخرى من جهة الغرب، وتدعى بعين الحجاج لنزول الحاج بها، وربما كانوا يعتقدون بركتها، وثالثة من جهة الجنوب، وتسمى بعين تطليخات، وتتفق جميعها في المسافة بينها وبين المسجد، بنحو كيلومتر واحد، ويبدو أنها كانت معدة للوضوء.

ظل مسجد ابن نصير أوجامع البيضاء يؤدي مهمته المتوخاة، تقام فيه الصلوات الخمس ويتلى به كتاب الله إلى أن هجره الناس منذ سنين واقتُصر فيه على إقامة صلاة العيدين، ثم أصبح اليوم مهجوراً بالمرة تعوي فيه الذئاب وتؤذن فوقه البوم. «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه».

ومن العلماء الذين زاروا هذا المسجد التاريخي أبو الحسن مصباح (ت 1130 / 1717) مر به وهو في طريقه إلى تطوان عام 1124 / 1712. ويحدثنا في هذا الصدد فيقول : "وقد رأيت مسجدا صغيراً متقن الصنعة، على رأس كدية عالية ـ في جبال بني حسان ـ قرب مدينة تطوان، أجمع أهل ذلك البلد على أنه من عمل موسى بن نصير ...".

ويلاحظ أن هذه التسمية تنوسيت منذ زمان وغلب عليه اسم "الجامع البيضاء" ـ والعامة تؤنث المسجد وهو مذكر، وتحرف اسمه في بعض الوثائق بالدارالبيضاء، وهو خطأ منشؤه إهمال الناس له كمسجد وهجرهم إياه في أوقات العبادة وأيام المواسم والأعياد، حتى ظنه المارة وبعض الجوار البعيدين عنه مطلق دار هناك. وهذا يدل على أن هذا المسجد أصبح مهجورا منذ أزمان، وقد ذكرته أكثر الظهائر التي بأيدي الشرفاء العمرانيين المستوطنين هناك باسم "الدارالبيضاء" .. باستثناء ظهير المولى أحمد الذهبي ابن المولى إسماعيل، المؤرخ بسنة 1140 هـ فإنه ذكره على حقيقته هكذا : ـ الجامع البيضاء ـ وهو تجديد لظهير والده.

وكأقدم مسجد بالمغرب ـ بعد رباط شاكر بأحواز مراكش ـ بقي تقديسه في ذاكرة الناس حتى اليوم، وقد زاره منذ مائة سنة أو تزيد السلطان المولى الحسن الأول عند

رحلته إلى شمال المغرب يوم الأربعاء 8 محرم عام 1307 / 4 سبتمبر 1889.

ع. مصباح، *سنا المهتدي في مفاخر الوزير اليحمدي*، مخطوطة وزان ؛ س. أعراب، *مجلة دعوة الحق*، س 10 وع 6، 7، 1986 ؛ *مجلة الوثائق الوطنية*، ع 1، مارس 1988.

سعيد أعراب

**البيضاء** (مدينة ـ) ← **الدار البيضاء**

**البيضان،** (أدب ـ)، ليس من شك في أن التعبير الاصطلاحي "أدب البيضان" يرتبط ارتباطا وثيقاً بالتراث العربي الإسلامي لأنه يعيد إلى الأذهان بعض الكتابات المعروفة في أدبنا القديم، منها كتابات الجاحظ على سبيل المثال.

ولكنه، من المؤكد كذلك أن اصطلاح "البيضان" من الكلمات الرائجة والمتداولة بكيفية خاصة في الجنوب المغربي (گلميم ـ طنطان ـ طرفاية) وفي الأقاليم الصحراوية المغربية التي عاشت لفترة من التاريخ تحت الحماية الإسبانية.

وينبغي التأكيد أيضا على انتشار المفردة ذاتها في الديار الموريتانية، التي تعد الينبوع الذي تفجر منه اصطلاحات وتعابير كثيرة انتشرت في الأقاليم الجنوبية المغربية. أما لماذا وكيف ؟ فتلك أسئلة يتطلب الجواب عنها تحليلا مفصلا ودراسة مستقلة تستند إلى المعطيات الجغرافية والتاريخة والاجتماعية والثقافية.

وحسبنا هنا التذكير بالواقع الجغرافي والاجتماعي الذي جعل الأقاليم الجنوبية المغربية انطلاقاً من وادي نون وعاصمته گلميم، مروراً بطنطان وطرفاية وانتهاءً بالأقاليم الصحراوية المتمثلة في الساقية الحمراء ووادي الذهب وحواضرها المعروفة : العيون ـ السمارة ـ الداخلة، ترتبط بمحيطها ارتباطاً وجدانياً و"فنيا". ومن هنا هذه التسمية البيضان (بالحسانية "البيظان") التي تنص على الانتماء العربي من جهة، وعلى الانتماء الإفريقي في شقه الأبيض من جهة ثانية.

وعليه، ينبغي القول إن أدب البيضان هو الفن الذي يتعاطاه الأهالي البيض في جنوب المغرب وصحرائه وهو الفن عينه المنتشر في موريتانيا. لكن التعبير الاصطلاحي يحمل بين طياته مفارقة طريفة، تكمن في كون هذا الفن يقوم أساساً على جهود "الصناع" أو المعلمين أو "إيگاوُنْ" بالتعبير الحساني.

ليس القصد من هذا الخوض في تحليل تاريخي لظاهرة أدب البيضان، بل التأكيد على وجود فن متميز يجمع بين الأدب الفصيح والشعر الشعبي (الحساني) المرتجل أو المصنوع. إن أدب البيضان يعد فعلا فناً متميزاً من نواح مختلفة. فهو يجمع بين الطرب الشعبي لغة وأدوات وجواً وبين مقومات الشعر العربي الفصيح. وهو إلى ذلك يمارس ويزدهر في المناسبات الاجتماعية كالأعراس والأفراح وليالي الأنس ؛ وتتوافر له شروط فنية وطقوس اجتماعية خاصة، كما أنه يخضع لقواعد تعامل وممارسة مضبوطة. فبالإضافة إلى بنيته الإيقاعية والموسيقية المتفردة التي تجعل منه فناً إفريقياً أصيلاً نشير إلى طرائقه الخاصة في الأداء وآلاته البسيطة وإلى الفنانين الذين يمارسونه ويعدون أرباب صنعته.

إن أدب البيضان يعد فناً إفريقياً وثيق الصلات بفن إفريقيا الغربية. فهو يمتح من الموسيقى المالية والغينية والسنغالية منذ عصور، ويرجع ذلك إلى مكونات المجتمع الصحراوي الواسع الذي امتزجت فيه عناصر وفئات اجتماعية منها العرب والبنبارا والصركولي والتكارير ولف السرير وغيرها. ولكن جذوره التاريخية العربية تظل من المعطيات التي لا ينبغي نسيانها، ومنها اليمن تحديداً. من المؤثرات التي فعلت فعلها في هذا النوع من الفن الذي يعد كذلك من نتاج الأحداث الاجتماعية الواقعية (دور أولاد مبارك في ابتكار وتطوير الموسيقى الموريتانية المعاصرة).

وعلى الرغم من انصهار سكان شمال الصحراء وجنوبها في بوتقة واحدة فإن التسمية على الصعيد الفني بقيت تكرس التفرقة بين العرب البيض وبين السود. بل إن الامتزاج الذي حصل على المستوى الاجتماعي أثمر نمطا موسيقيا ثالثا هو لكنيدي الذي يمثل (جانيت أزران) : نصف بيضاء ونصف سوداء. فـ(أجانب الكحل) يرمز إلى السكان السود بينما موسيقى البيضان تمثل العنصر العربي الأبيض.

فأدب البيضان بهذا المعنى هو الأدب العربي الذي يكوِّن الجانب الخاص بالعنصر الأبيض. وهذا التمثيل تأتي مستوى البنية الإيقاعية والموسيقية :

- جانب أكحل منسوب إلى السود.
- جانب أبيض منسوب إلى البيض (البيضان).
- جانب أزرق : نصف أبيض، نصف أسود.

ومن هذه الجوانب تتكون الأنماط الأساسية التي تنشأ من انفعالات الإنسان ومنها : أكحل انتماس ؛ أنوفل ؛ أكحل مك موسى ؛ أكحال كر.

ومن المعروف لدى المهتمين بالموسيقى عموماً أن الآلات الموسيقية تصنع استجابة للنمط الموسيقي. وهكذا ظهرت "تيدينيت" في أدب البيضان للتعبير موسيقيا وفنيا عن الانفعالات ولتصوير النمط الموسيقي المطلوب، وكل نمط موسيقي يرتبط هنا بفئة اجتماعية محددة. وعليه فأدب البيضان هو أدب الطبقة العربية الإسلامية المنتشرة في الصحراء وربما كان للعزلة التي حاول المستعمر فرضها على القبائل العربية في هذه المنطقة أثرها الإيجابي كذلك في تيسير التواصل بينها وفي تشبثها بتراثها العربي الإفريقي الأصيل. وهو تراث لا يقتصر على الموسيقى وحدها، بل يشمل فنوناً مختلفة من غناء وطرب وشعر وأدب وسمر ورقص، وكلها فعاليات اجتماعية متداخلة ومتكاملة يعبر عنها ويلخصها أحسن تعبير وتلخيص اصطلاح "أدب

البيضان". ولا بد هنا من التذكير بأن أدب البيضان يمثل عنصر وحدة وتضامن بين القبائل العربية التي تنتشر حاليا في الصحراء الكبرى، وبخاصة بين تلك القبائل التي تتحدث بالعربية وباللهجات المشتقة منها (الحسانية) التي يكتب بها الشعر ويُصاغ الطرب.

من أعلام أدب البيضان المعاصرين :

- محمد معروف الرصافي (يشرف حاليًا على برنامج في إذاعة العيون).
- محمد بن عبد الرحمن الرباني (يشرف حاليا على برنامج في إذاعة الداخلة).
- محمد عبد الرحمن الشنقيطي المؤذني، ينتمي إلى قبيلة المؤذنين من رقيبات الساحل. وهو أيضا كاتب كلمات بالشعر الحساني.
- مصطفى ولد البن، من قبيلة أيت الحسن. كان يقيم بالقصابي (على بعد عشرة كيلومتر من گلميم) وتوفي منذ سنوات.
- لغظف ولد بوشعاب، من أيت الحسن، يقيم بالعيون.
- الرويجل، من أولاد تدرارين، شاعر حساني معروف.
- المحوبو ولد يارا، من الصناع أي المعلمين.

ومن القدامى يمكن أن نذكر : الشيخ محمد المامي، من أهل بازيكلاً، عالم جليل وشاعر كبير من نواحي أوسرد قرب الداخلة، معروف في الصحراء وفي موريتانيا وله زاوية بها ؛ محمد قاري من أهل محمد سالم، يوجد بالعيون حالياً.

وكثيراً ما يجمع الشاعر الحساني بين قرض الشعر بالحسانية وبين الشعر الفصيح مثل الدرجاوي عبد الرحمن، من قبيلة إداوعلي، فهو كذلك شاعر عمودي.

إدريس الناقوري

**البيضان**، (تراب -)، للإحاطة بمفهوم تراب البيضان يجب التركيز على تباين مكونات المحيط الإيكلوجي فيما يسود لدى مستقري ورحل الصحراء الأطلسية من قيم نابعة من سلم التراتبات الاجتماعية. هذا المنطلق يقتضي الرجوع إلى ما قبل وصول الأعراب المعقليين خلال القرن السابع (13 م) وكان ابن حوقل والبكري وابن سعيد والإدريسي قد وفروا إشارات عابرة عن التقسيمات الهيكلية لفروع إزناگن (صنهاجة) مؤكدين دور الترحال وتربية الإبل في مراقبة المجال منذ ما قبل الاسلام. على أن هذه المصادر تكاد تجهل كل شيء عن دور وكثافة الغور السكاني الأقدم المتمثل في البافور والأحباش مكتفية بالتلميح العفوي إلى شيوع البنيات القرابية الأميسية. ومعلوم أن مراقبة إزناگن للمجال قد أدت إلى تشبث ما تبقى من الغور السكاني الأقدم بالواحات والمحطات التجارية محتكرا بذلك الميدان الحرفي على تعدد مرافقه.

من هنا فإن صعوبة التعرض خلال هذه المرحلة لأهم المفاهيم والتصورات التي كانت تميز الأنساق القبلية لن تحول دوننا والسعي إلى معرفة المعالم المرفلوجية للفصائل المحلية استنادا إلى إشارات الجغرافي ابن حوقل خلال القرن الرابع (10 م) فهو لم يتغافل عن وصف إزناگن ككيان واسع متفرع إلى فصائل بيضاء البشرة تدعي الانتساب إلى أقدم الجدود وفصائل سوداء اللون تقول بدور التمازج والتعايش المكاني في تغيير بشرة أسلافها البيضاء. وبذلك يؤكد الطرفان بأن النسب في معناه الضيق لايعدو أن يكون معطى وهميا وأن حدة الاحساس بالاختلاف مردها إلى المنظور السائد القائم على أفضلية اللون الأبيض. ومهما يكن من أمر هذه المفاضلة، فإن اللون الأبيض يقر من حيث هو كمقياس للتأصل العرقي التباين في التعامل بين البيضان والسودان. وهي مقولة يبدو تأثيرها تاما بقدر ما يسمح بذلك الامتداد الزمني لمصادر أقدم الجغرافيين العرب.

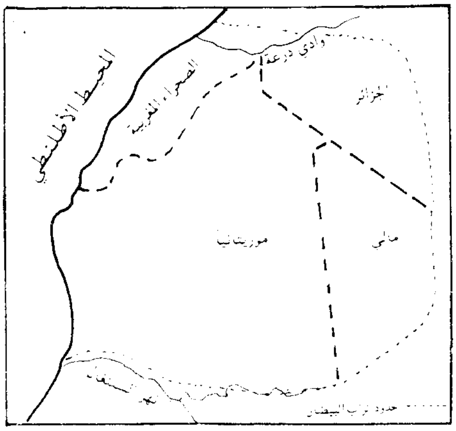


تراب البيضان حتى سنة

إلا أن هذه الرؤيا ستفقد طابعها التاريخي عندما تنتقل بأفضلية اللون الأبيض من إطار العلاقات بين إزناگن إلى اعتبارها منذ وصول بني معقل بنية محددة لمجموع الكيان القبلي غرب الصحراء الكبرى. فمع تزايد المد العسكري والسياسي المعقلي ستستند المفاضلة بين البيضان والسودان بشكل متزايد إلى ما يسديه المجتمع الصحراوي من تقدير واعتبار بكل ماله علاقة بالمقاييس اللغوية والثقافية الحسانية. ندرك إذن أنه على ضوء الهيمنة الحسانية التي أصبحت مطلقة منذ القرن الحادي عشر (17 م) لم يعد مفهوم البيضان يفيد أكثر من انعكاسات الامتزاج الصنهاجي المعقلي في إطار الهيمنة الحسانية التي فصلت ماضي إزناگن عن تجربتهم التاريخية السابقة. فهل يمكن القول إذن بأن مفهوم بلاد البيضان يفيد منذ القرن الحادي عشر (17 م) سلطة الحسانية شرق بلاد الطوارق وشمال بلاد الكور (كلمة تفيد افريقيا السوداء جنوب نهر السنغال) وجنوب بلاد السوسيين ؟ هل هذه الصحراء الأطلسية التي يحدها المحيط غربا والأطلس الصغير وسلسلة باني ووراكزيز شمالا والجنوب الغربي الجزائري الممتد جنوب وادي درعة وغرب دولة مالي الحالية إلى حدود نهر السنغال تعرفُ تفاعُلَ وتداخلَ جميع المستويات انطلاقا من وحدتها

اللغوية؟ هنا ومراعاة للخصوصيات المميزة لفئة العبيد وفئات الحراطين وباقي الحرفيين عن باقي الفئات المصنفة بأعلى السلم الاجتماعي من محاربين وزوايا وغيرهما، نسجل أن الحسانية كقاسم مشترك لاتكفي لتعميم صفة بيضان. فالعبيد والحراطين وباقي الحرفيين لايتبنون القيم البيضانية أو يدافعون عنها. وانطلاقا من هذه الملاحظة يمكن ان نتساءل هل مفهوم البيضان قد أصبح يقتضي شرطي الحسانية وبياض البشرة على حد سواء ؟

هنا نسجل أن هذا التصنيف يعد ناقصا مالم نوضح بأن الانتماء إلى الفئات الاجتماعية العليا سياسيا وعسكريا قد يشتمل على فصائل سوداء البشرة وقد يحول دون اعتبار العبيد ذوي اللون الأبيض بيضانا، فنخلص بذلك إلى أن مفهوم البيضان إنما يفرز الفئات الاجتماعية المهيمنة داخل كيان ثقافي لغوي متماسك جغرافيا. ولا أدل على ذلك من أن علاقات البيضان بجيرانهم الشماليين والشرقيين تعد محدودة خلافا لعلاقاتهم مع سودان المناطق الجنوبية المجاورة حيث يتم الاختلاط بشكل قوي ودائم. لذا نعتبر أن مفهوم تراب البيضان يساعد على فهم القوانين الخفية للحياة القبلية ومرتكزاتها بالصحراء الأطلسية. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن كلمة Maures التي كثر استعمالها منذ سنة 1353 / 1934 قد توظف في ترجمة مفهوم البيضان أحيانا، وقد تشمل مجمل الناطقين بالحسانية أحراراً كانوا أم لا. وإذا كان هذا الخلط ما يزال سائدا لأسباب يطول شرحها، فإنه من باب الخطأ أن يعمم القائلون اليوم بتساوي المواطنين أمام القانون كلمة بيضان على مجمل الناطقين بالحسانية. إن مدى التحولات الممكن حدوثها في هذه الظروف مرتبط إلى حد بعيد بمدى قدرة المحللين على الاحتفاظ لكلمة بيضان بمعناها التاريخي المتطور.

D. Westerman et H. Bauman, *Les peuples et les civilisations de l'Afrique*, Paris, 1948 ; Barry Boubaker, *Le Royaume du Waloo. Le Sénégal avant la conquête*, Paris, 1972 , J. Caro Barroja, *Estudios Saharianos*, Madrid, 1955 ; I. Hamet, *Chronique de la Mauritanie Sénégalaise*, Paris, 1911 ; Alfred Le Chatelier, *Tribu du Sud-Ouest marocain : bassins côtiers entre Sous et Dra*, Paris, 1891 ; L. Chenier, *Recherches historiques sur les Maures et l'histoire de l'empire du Maroc*, Paris, 1787 ; H. Chevaux, *La mise en valeur de l'Afrique occidentale française*, Paris, 1907 ; P. Christian, *L'Afrique française, l'empire du Maroc et les deserts de Sahara*, Paris, 1909 ; P. Cultru, *Les origines de l'Afrique occidentale : histoire du Sénégal du XVe à 1870*, Paris, 1913 ; O. Lenz, *Voyage du Maroc au Sénégal, B.S.G.*, Mars 1881, 199 - 226 - 371 et sq ; A. Leriche, *Notes sur les classes sociales et sur quelques tribus de Mauritanie, B.I.F.A.N.*, 1955, 173 - 203 ; P. Marty, *Le Sahara espagnol, R.M.M.*, 1921, T. XLVI, 161 - 213 ; R. Mauny, *L'Afrique occidentale d'après les auteurs anciens, Notes africaines,* 1948, n° 40, 6 - 7.

مصطفى ناعمي

**البيضاوي، أحمد** ولد بمدينة الدارالبيضاء عام 1337 / 1918. وبدأ حياته الفنية في أوائل الثلاثينات هاويا، فكان يستظهر أغاني مطربي الشرق كسيد درويش وسلامة حجازي ومحمد عبدالوهاب وأم كلثوم، ومارس العزف على العود متأثرا بتقاسيم وسماعيات المشارقة. وفي عام 1357 / 1938 التحق بالجوق الملكي الذي أسسه جلالة المغفور له محمد الخامس بالقصر العامر وأسند رئاسته للملحن والعازف المصري مرسي بركات الذي كان قد قدم إلى المغرب أيام السلطان مولاي عبدالعزيز.

وفي رحاب هذا الجوق تأتى للبيضاوي، وإلى جانبه زهاء ثلاثين من الفنانين المغاربة الصاعدين كان من بينهم محمد اسميرس وعبدالحميد الطالبي وعباس الخياطي والحسين بالمكي ومحمد القزوي والمكي افريفرا، أن يتلقى قواعد الموسيقى الشرقية ويتمرس بمقاماتها وإيقاعاتها وطرائق أدائها عزفا وإنشادا، فحفظ أدوار الموشحات القديمة ومهر في الضرب على العود، كما لم يفته أن يأخذ بعض "ميازين الآلة" الأندلسية عن المرحوم عمر الجعايدي وهو يومئذ رئيس جوق طرب الآلة بالقصر الملكي. وبذلك كله تجمعت لدى مترجمنا حصيلة من الأنغام ساعدت على شحذ ملكته الفنية، وأهلته ليدخل ميدان التلحين والغناء، ثم ليرأس الجوق الملكي بعد وفاة مرسي بركات عام 1367 / 1947.

وفي أكتوبر سنة 1952 طُلب من أحمد البيضاوي أن يقدم دعمه الفني لجوق الطرب العصري الذي أسسته إذاعة المغرب من عناصر كانت متفرقة في أجواق مختلفة من الرباط وسلا وفاس وسواها فكان يمرن أعضاءه ويمدهم ببعض ألحانه وأغانيه.

وعلى إثر أحداث 20 غشت 1953 توقف نشاط الجوق الملكي وأصاب الجوق العصري بدوره شيء من الفتور، فغاب أحمد البيضاوي عن الساحة الفنية ثم عاد إليها مع بداية الاستقلال عضوا في الجوق العصري ثم رئيسا فعليا للجوق الوطني الذي تم تشكيله عام 1379 / 1959 من عناصر الجوق العصري وجوق المتنوعات.

استمر البيضاوي على رأس الجوق الوطني حتى سنة 1384 / 1964، ليصبح بعدها رئيسا لقسم الموسيقى ومسؤولا عن لجنة الألحان والكلمات في الإذاعة الوطنية، وذلك إلى حين وفاته يوم 30 غشت 1989.

وقد أسهم البيضاوي - إلى جانب ما ذكر - في إثراء النقاش حول واقع الموسيقى المغربية، وذلك من خلال أحاديثه الإذاعية والمقالات التي نشرتها له بعض الصحف والمجلات الوطنية، كما شارك في اشغال المجمع العربي الخامس للموسيقى العربية الذي انعقد بالرباط في أكتوبر سنة 1977.

ومن آرائه في موضوع تطوير الموسيقى المغربية والرفع من المستوى الفني للملحنين دعوته هؤلاء إلى الإقبال على استظهار الألحان الموسيقية الكثيرة والإلمام بقواعد التأليف الموسيقي ومعرفةُ الطبقات الصوتية والاجتهادُ في التوفيق بين الألحان ومعاني الكلمات، وبذلك يتأتى وضع حد للفوضى الموجودة في بعض الألحان المعروضة في السوق، إذ "الإنتاج الجيد لا يصدر إلا عن عقلية مكتملة، واللحن يدل على صاحبه".

ويرتبط الحديث عن أحمد البيضاوي من الوجهة الفنية بنشوء نمط جديد من التأليف الموسيقي بالمغرب اصطلح على تسميته بالموسيقى العصرية. وهو نمط يركب قوالب

الموشحات العربية بأدوارها وخاناتها وقفلاتها، ويقلد التقاسيم والبشارف الآلية، وتعتمد ألحانه على مقامات شرقية كالرصد والبياتي والحجاز، وأوزان من قبيل السماعيات والاقصاق والمصمودي والمحجر تؤدى في إطار مجموعة فنية كانت في بداية العهد بالموسيقى العصرية تحكي نظام التخت المصري الذي يعتمد آلات العود والكمان والقانون والدربوكة.

وفي هذا الإطار ألف أحمد البيضاوي جملة من القصائد والأغاني. وكانت أولى تجاربه في التلحين - وهو يومئذ في الجوق الملكي - أغنيتان اشترك في تأليفهما مع رفيقه في نفس الجوق عباس الخياطي، هما "يا حياة الروح" و"يا حبيب الروح" وكان ذلك عام 1365 /1946 عند زيارة المغفور له محمد الخامس لمراكش بمناسبة عيد المولد النبوي. وبعد مدة وجيزة ألف البيضاوي أغنية "يا حبيبي أفق" من نظم الشاعر السوري ماهر العطار، فكانت أول إنجاز فني استقل بوضعه واعتبر ذلك منذئذ عملا مبتكرا لم يسبق إليه من قبل.

لحن البيضاوي أكثر من مائة أغنية ومعزوفة، وسجلها بدار الإذاعة المغربية. أكثر هذه الأغاني عاطفية، وبعضها مما وضعه في المناسبات الوطنية. وهي لشعراء متعددين كان أفضلهم لديه الشاعر الأندلسي ابن زيدون الذي لحن من شعره بعض نونيته الشهيرة :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا    وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وشعراء آخرون فيهم من المشارقة أحمد شوقي وإلياس فرحات وبشارة الخوري وحيدر إمام وعلي محمود طه ووجيه فهمي صلاح، وفيهم من المغاربة محمد بن الراضي ومحمد بن الحسين ومحمد حكم وعلال الفاسي وعلال الخياري.

وقد غنى البيضاوي أكثر أغانيه بصوته ذي الطبقة الصادحة (تينور - Ténor) كما أسند بعضها لغيره من المطربين جلهم من المغاربة وبعضهم من الشرق العربي كعبد الحليم حافظ وهدى سلطان وفايزة أحمد وسعاد محمد والمطربة علية.

ومن أشهر أغانيه وأكثرها شيوعاً التي مطلعها :

يا صاحب الصولة والصولجان    تملَّ بالملك وعش في أمان
نظم محمد بن الراضي

قل لمن صَدُّوخانا    ورَمَى عنه هوانا
نظم محمد بن الحسين

يا موطني نلت المرادَ فاسْلَمِ    فأنت مني في الحشا وفي الدم
نظم محمد بن الحسين

صاحبي لو رأيت ما يملأ القلـ    ـب من الحب للجمال عشقت
لعلال الفاسي

حبيبي تَعَالَ تجدْ منزلك    مُعداً كما كان من قبل لك
لإلياس فرحات

وقد تعامل أحمد البيضاوي مع الشعر العربي الفصيح متحاشيا تلحين الأزجال العامية إلا في أغان نادرة ذات لهجة مصرية مثل "مش ممكن أصدّق" و"عن سر دمعي بتسأل ليه"، و"بلد الحبايب". كما تعامل مع القصيدة المطولة من قبيل نونية ابن زيدون، وبردة البوصيري، وموكب الذكرى لعلال الخياري، وبذلك فتح - لأول مرة بالمغرب - باب التعامل مع الشعر العربي الفصيح خارج أشعار المديح النبوي فيما يعرف بموسيقى المسمعين، وأشعار الصنعات العروضية والموشحة في طرب "الآلة". وتتجلى أهمية هذا التوجه الجديد في كونه أفضى إلى خلق الوعي بالقيمة الجمالية للكلمة العربية الفصيحة، وكذا استحداث مقاييس مبتكرة في انشاد الأشطار وتقطيع الكلمات على نحو يختلف اختلافا بينا عن الأسلوب المتبع في إنشاد صنعات موسيقى "الآلة" و"السماع".

ص. الشرقي، *المستظرف في قواعد الفن والموسيقى*، الرباط، 1972 ص : 83 . 87 . 95 . 99 . 113 . 119 . 127 . 158 ؛ *أضواء على الموسيقى المغربية*، ص 184 . 186 . 188 . 190 . 191 ؛ أ. البيضاوي، مجلة *الفنون*، الرباط، ع 1 ص 15 . 16 غشت 1973 ؛ العددان 5 و6 يبراير - مارس 1975 ص 9 . 12 ؛ ع. شقرون، المرجع السابق، ص 31. 32 ؛ قسم الموسيقى بالإذاعة الوطنية، الرباط، *بطاقة أحمد البيضاوي*.

**البيضاوي، بوشعيب**. ولد بمدينة الدارالبيضاء، وبها بدأ حياته الفنية في الحلقات الجماهيرية التي كانت تحتضنها ساحة كاريان بن مسيك. وقد تهيأ له أن يتعرف على شيوخ العيطة، وفي مقدمتهم عازف الكمان الشهير المدعو الماريشال قيبُّو الذي كان في فترة الأربعينات والخمسينات من أبرز أعلام الطرب الحوزي وأحد رواده الذين لهم السبق في حفظه والتعريف به، وقد عمل البيضاوي مدة غير قصيرة إلى جانبه ناشئا متعلما، فاستفاد من محفوظاته وأخذ عنه أصول هذا الفن.

ثم التحق بالمجموعة الكوميدية للبشير العلج. وهي فرقة كانت تجمع في عروضها الفنية بين الفكاهة والتمثيل والغناء، فعمل طويلا في إطارها مغنيا وراقصا، ومن ثَم اعتبر صنيعُه هذا امتداداً لصنيع الفنان المغربي الراحل بوجمعة الفروج الذي ظل حتى الأربعينات يضطلع بتمثيل الأدوار الفكاهية الشعبية كأدوار عبيدات الرما.

لم يلبث بوشعيب البيضاوي إلا قليلا حتى انتشر ذكره في مدينة الدارالبيضاء فاحتضنته الحفلات العائلية، واشتهر فيها بتقليد دور المرأة، فكان يرتدي زي النساء ويصطنع في غنائه الطبقة النسوية، وهو تقليد تنامى في الأوساط العمالية التي أفرزتها مدينة الدارالبيضاء والتي تَمُتُّ في غالبيتها إلى أصول بدوية منحدرة من أقاليم الشاوية وعبدة ودكالة. ومما كان يتميز به صوت بوشعيب البيضاوي على مستوى الأداء لثغة جمعت إلى طلاوة الحضر رنة بدوية تخنقها حشرجة صوتية مصطنعة، وخاصة في أدواره الكوميدية، غير أن تقليده للمرأة في أداء العيطة لم يسلم من نقد بعض الكتاب الذين رأوا في ذلك ما أساء إلى العيطة ووقف دون تطورها.

وقد فتحت له دار الإذاعة الوطنية أبوابها فتهيأ

لأعماله الفنية أن تشق طريقها إلى أسماع الجماهير المغربية الواسعة من خلال السكيتشات الهزلية التي كان يعالج فيها بعض القضايا التي تعكس حياة الناس وخاصة في المجتمع العمالي بالدارالبيضاء، وإلى جانبه فنانون آخرون فيهم القدميري وبوشعيب ازنيكة والبشير العلج. وكان يقدم برنامجه الأسبوعي في صباح كل يوم أحد ضمن مسلسل إذاعي اختار له اسم "اضحك معي" وهو برنامج استمر قائما ثم توقف أواخر فترة الحماية ليعود من جديد إلى الظهور بعد الاستقلال.

كان بوشعيب البيضاوي بحق أحد مجددي الأغنية التمثيلية الشعبية بالمغرب الحديث، وظف العيطة التقليدية في طرح الموضوعات والقضايا الاجتماعية التي كان يتخذها محاور لعروضه الفنية في الحفلات العائلية والبرامج الإذاعية، وأفرغها في إطار مبتكر جمع إلى طرافة الفكرة حيوية التقديم الذي يجمع بين التمثيل والرقص والغناء، وبذلك جاءت أعماله لتكرس أسلوب القص الممزوج بالغناء، ثم لتغنيه بصنوف من المستملحات التي كانت تهيمن عليها ظاهرة الارتجال المحبب وتضفي على العيطة سمات التدفق والحيوية بما يجعلها موضع حفاوة كبرى في الأوساط الشعبية، تملأ على الناس أسماعهم وتستقطب اهتمامهم، في وقت كان للأغنية العصرية انتشار واسع لا يكاد يضاهى.

وإلى ذلك سلك بوشعيب البيضاوي مسلك بعض من سبقوه إلى ممارسة التغني بالعيطات، فكان ـ على غرار الفنان الراحل بوجمعة الفروج ـ يضيف إلى كلماتها الأصلية كلمات أخرى من نظمه، يغني بها الموضوع ويقوي مضامينه وينتقل به إلى مستوى الأحداث الواقعية، ليؤكد بذلك أن العيطة ما تزال قادرة على مواكبة الأنماط الموسيقية الأخرى وإن تكن بنيتها من الوجهة اللحنية والإيقاعية ضاربة في عمق التقاليد الموسيقية التراثية.

وكما أسهم البيضاوي في تجديد العيطة من حيث الموضوع وطريقة الأداء فكذلك أسهم في تطوير المجموعة الفنية التي تمارس أداءها، وذلك بإدخاله آلة العود التي أصبح لها مكانها من بين آلات العيطة التقليدية كالتعريجة والهندقة والكنبري.

ومن هنا يرى البعض أن الحياة الفنية لبوشعيب البيضاوي شكلت فترة ازدهار فن العيطة بالدارالبيضاء. وهو حدث لا مراء في أن الطبقات الشعبية المنحدرة من أحواز هذه المدينة بحثا عن الشغل ساهمت في صنعه وبلورته، غير أن المنية عاجلت بوشعيب البيضاوي، فاختفى برنامجه الإذاعي، واختفت معه الممارسات التي ابتدعها في أداء العيطة. وزاد في تقليص تلك الممارسات أن العيطة بدأت تستعيد مكانتها في أحواز الدارالبيضاء وبخاصة سطات حيث برزت أسماء نسائية أصبحت تضطلع بإنشاد العيطات على النحو التقليدي دون الرجال.

وبعد حياة حافلة بالعطاءات، توفي بوشعيب البيضاوي يوم 24 محرم عام 1385 / 25 ماي 1965 ليخلف مجموعة من الأغاني والعيطات جلها مسجل بالإذاعة الوطنية، فمن أغانيه : أغنية "الشيباني" وأغنية "غاب علينا"، ومن عيطاته : "ركوب الخيل، دادا حبيبتي، دابا يعفو دابا يتوب، دابا تجي الحبيبة، أيامنا، خوتنا يا الاسلام، عينيك جابو الهوى، اميلودة، الزين، العار العار، أجيني يا لوليد، علاش تعذبني، عيطة بيضاوية، عيطة وطنية، تعريضة، منين أنا ومنين أنت".

أ. الطيب العلج، *مجلة الفنون*، السنة الثانية، العدد 5، 6، محرم ـ صفر 1395/ يبراير ـ مارس 1975 ص 125 ؛ م.الباشا، المرجع السابق. ص 85 ؛ م. بنعيسى العبدي، *جريدة العلم*، في 15 يناير 1989.

**البيضاوي، المعطي** من مواليد مدينة الدار البيضاء. شب على حب الموسيقى منذ نعومة أظفاره، فانكب على حفظ واستظهار الأغاني الشرقية من موشحات وأدوار وغيرها، وأقبل بولع كبير على آلة العود يتعلم العزف عليها متأثرا بطريقة المشارقة. وليس بعيدا أن يكون قد استفاد من سماع بعض الفنانين المشارقة الذين حلوا بمدينة الدار البيضاء خلال الثلاثينات والأربعينات وعملوا في مقاهيها وأنديتها الليلية، فأخذ عنهم الموشحات والأدوار والقصائد والسماعيات الشرقية.

وفي إطار جهوده الفنية عمل في بداية الأربعينات على تأسيس جوق للموسيقى العصرية بمساعدة الفنان المختار المذكوري، أطلق عليه اسم "جوق الكواكب"، وكان ذلك الجوق ثاني مجموعة فنية تهتم بالموسيقى العصرية في الدار البيضاء بعد "جوق الميتم" الذي كان يرأسه يومئذ الفنان محمد زنيبر.

وقد حذا المعطي البيضاوي حذو غيره من رؤساء الأجواق العصرية بالمغرب في تقليد المشارقة، فكان يُفرط في أن تكون مجموعته صورة من التخت المصري، بدءاً بعدد الفنانين وأزيائهم ونوع آلاتهم وطريقة أدائهم عزفا وغناء، وانتهاءً بوضع المجموعة أمام الجمهور. وفي هذا الجو المفعم بالروح الشرقية أقبل المعطي البيضاوي على تلحين المنظومات الشعرية الفصيحة من أغان وقصائد. ولم تمض إلا مدة قليلة حتى شاع ذكره في المحافل، فكان أن دعي جوقه للمشاركة في مباراة وطنية للموسيقى العصرية احتضنتها مدينة فاس في بحر سنة 1949 إلى جانب أجواق أخرى من مدن الدار البيضاء والرباط وفاس.

وفي سنة 1953 التحق بإذاعة المغرب بالرباط، فعمل ضمن الجوق العصري عازفا على العود لفترة من الزمن، ثم انقطع ليعود إلى الدار البيضاء، وما فتىء أن أسندت إليه رئاسة الجوق الجهوي للإذاعة بهذه المدينة مع حلول عهد الاستقلال.

غنى المعطي البيضاوي أكثر ألحانه وكان يملك صوتا أميل إلى الطبقة الصادحة (تينور ـ Ténor)، كما غنى له مطربون مغاربة من بينهم نعيمة سميح، وسعاد محمد.

وإلى جانب ما لحنه المعطي البيضاوي لنفسه ولغيره أشرف على تسجيل مجموعة من الأغاني لمطربين آخرين بإذاعة الدار البيضاء الجهوية، وظل رأس جوق هذه الإذاعة حتى وفاته يوم 9 ربيع الثاني عام 1397 / 31 مارس 1978 عن سن تقارب الستين.

ومن أشهر أغانيه المسجلة :

قصيدة راحة وعذاب و"يا خالي البال" التي نظم كلماتها الفكاهي البشير العلج. "أنشودة المدى"، "يا نائما"، "قلب جمالك". وهذه الثلاث من شعر ابن زيدون. "الحب الوحيد" من نظم محمد الاشعر، "يا هذه الحيرة" من نظم أديب السلاوي" أيام الود" من نظم إدريس المصلوحي.

يعتبر المعطي البيضاوي من المطربين المغاربة الأوائل الذين أسهموا في التمكين لأسلوب "الموسيقى العصرية" بالمغرب. وفي هذا الصدد ألف مقطوعات متعددة نهج في تلحينها مسلك الفنان أحمد البيضاوي، فكان يبالغ في تقليده لدرجة يحق اعتباره صورة ثانية له.ولولعه في تقليد أحمدالبيضاوي بقيت جل أعماله خالية من التجديد والتنويع مفتقرة إلى الحيوية، وغلب عليها التكرار والتماثل. وهو - على غرار أحمد البيضاوي - قصر ألحانه على الأشعار الفصيحة، فلم يلحن الأزجال قط، ولم يدخل غمار الأغنية الشعبية.

عبد الله شقرون، *مجلة الفنون*، يبراير - مارس 1975 صفحة 34 ؛ صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية* - مطبعة فضالة 1977، ص : 183 و189 و192 و196 و203، قسم الموسيقى بالإذاعة الوطنية - الرباط، *بطاقة المعطي البيضاوي*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**البيضة**، أو البويضة، مرسى تقع بناحية واد نون بالقرب من مصب وادي درعة بين مرسى أصاكا شمالا ومرسى سهب الحرشة جنوباً ؛ وقد سميت بالبيضاء لبياض رمالها الشيء الذي جعل الإسبان يطلقون عليها اسم Playa Blanca (الشاطئ الأبيض).

وقد ورد ذكرها في الوثائق المخزنية للمرة الأولى في مذكرة حول المعلومات التي أدلى بها قواد ناحية وادي نون بمراكش يوم فاتح ربيع الأول عام 1295 / 5 مارس 1878، وفي المرة الثانية في المذكرة التي أعدها القائد دحمان بن بيروك التكني بمراكش يوم 20 شعبان عام 1303 / 24 ماي 1886، كما ورد ذكرها للمرة الأولى في المصادر الأجنبية عند الجغرافي الإسباني فيرنانديث دورو في دراسة نشرها *بمجلة الجمعية الجغرافية* بمدريد في شهر مارس سنة 1878.

م. ابن عزوز حكيم، *السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية من خلال الوثائق المخزنية*، الجزء الأول، الدار البيضاء 1981، صفحة 93 و119.

P. Alcala Galiano, *Desquerias y comercio en la costa N.O. de Africa*, Madrid, 1900, p. 112 ; C. Fernandez Duro, *Exploracion de una parte de la costa noreste de Africa, Boletin de la Sociedad Geografica de Madrid*, marzo 1878, año III, n° 3, p. 112.

**البيضة**، مرسى تقع جنوب الرأس الأكحل وبها يوجد مصب وادي شاميل، وتعرف عند الإسبان بمرسى كوريّي Gorrei.

A. Domenech Lafuente, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946, p. 82; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid, 1955, p. 84 - 184.

**البيطار**، أسرة أصلها من شفشاون كانت بتطوان إلى حدود سنة 1236 / 1821 حيث انقرضت، وكان من بين أفرادها محمد بن الحاج بوبكر معلم خبير في شؤون البناء من أرباب البصر يعتمد عليه القاضي في النزاعات التي لها علاقة بالبناء والشؤون العقارية توفي سنة 1229 / 1814.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البيطار، علي** بن يوسف الأندلسي الأصل، من خواص أصحاب الشيخ أبي المحاسن الفاسي، كان "يقيم أكثر نهاره عنده ويرافقه إذا خرج للمسجد الجامع وغيره". (*مرآة*، 232) وقد انتفع بالشيخ أبي عمرو القسطلي بمراكش وأخذ عنه طريق التصوف وصحبه واهتم برواية أخباره. ولم يتصل بالشيخ أبي المحاسن إلا بعد وفاة شيخه القسطلي سنة 974 /1566. ولم تفصح المصادر عن تاريخ هذا الاتصال هل تم في القصر الكبير قبل انتقال الشيخ أبي المحاسن إلى فاس، أما بعد استقراره بها سنة 988 / 1580 ؛ ولكنها تؤكد مبلغ العلاقة الطيبة التي جمعته بأسرته، وكثرة تردده إليه حتى عد من خاصته وأصبح مرافقه في الصلوات - ولا شك في حضور حلقات الذكر وترديد الأوراد التي رتبها لمريديه - كما أنه سهر إلى جانبه في مرضه الأخير وكان من أول من دخل عليه بعد وفاته وأشرف على تجهيزه ودفنه.

ميزت شخصية البيطار سمات الصلاح، فهو رجل كثير الذكر، مجتهد في العبادة، صلب في الدين، صادق اللهجة، قوال للحق، صبور أمام ملمات الدهر "أصيب في الوباء بجميع أولاده فما تأثر بشيء من ذلك ولا نقص شيء من بشره المعتاد" (*مرآة*، 232) كما أنه شارك في خدمة طلبة الزاوية وتكوين أبنائها، فقد حظي بالرتبة الثامنة عشرة ضمن لائحة مشيخة الشيخ محمد العربي الفاسي الذي جالسه وسمع منه كثيرا من رواياته وأخبار شيوخه السابقين. وإذا كانت الترجمة التي خصه بها لا تفي بإعطاء صورة عن تكوينه العلمي فإن حرصه على السماع مستوفية لشروط الضبط والدقة.

توفي علي البيطار سنة 1014 / 1606. ودفن داخل سور روضة الشيخ أبي المحاسن.

م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، 232 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط ؛ ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. القادري، *الاكيل والتاج*، مخطوط.

نفيسة الذهبي

**بيطانكور خوان**، Bethencourt, Juan de بحار

نورمانذي وُلد ببلاد كو Caux شمال فرنسا سنة 1360م؛ وبحكم انتمائه إلى عائلة نبيلة كان من جملة ضباط الحرس الملكي ثم ارتقى إلى درجة حاجب الملك شارل السادس Charles VI، غير أنه عندما ضاعت منه ثروته هاجر بلاده بحثا عن أرض تمكنه من استرجاع ثروته.

وفي شهر ماي سنة 1402 غادر بيطانكور فرنسا صحبة صديقه گارديفير دو لاصال Gardifer de la Salle ونحو مائتين من المغامرين على متن سفينة وصلوا على ظهرها إلى جزيرة لانثاروطي Lanzarote إحدى الجزر السبع التي تكوّن أرخبيل الخالدات، إلا أن بيطانكور لم يتمكن من احتلال سوى جزء من الجزيرة المذكورة لعدم توفره على المال الكافي لأداء أجور المغامرين الذين رافقوه. فاضطر إلى اللجوء إلى ملك قشتالة إنريكي الثالث Enrique III الذي منحه إعانة مالية مهمة تساعده على متابعة "فتح" باقي الجزر الخالدات مقابل الاعتراف له بالسيادة على الجزر المذكورة.

ورغم ذلك لم يتمكن بيطانكور من الاستيلاء إلا على ما تبقى من جزيرة لانثروطي Lanzarote سنة 1404 وعلى جزيرة فويرطي بينطورا Fuerteventura سنة 1405. وتشهد الوثائق الإسبانية بأن المغامر كان يقتل السكان الأصليين الذين يقفون في وجهه، ومن يسقط منهم أسيرا بيده يبيعه في أسواق العبيد بقشتالة، الشيء الذي حال دون تمكنه من الاستلاء على باقي جزر الأرخبيل فاضطر إلى مغادرته تاركاً هناك ابن أخيه ماثيوط ذي بيطانكور Maciot de Bethencourt. وتوجه إلى اشبيلية، ومنها إلى روما ثم فرنسا حيث توفي سنة 1422.

والجدير بالذكر أن احتلال الجزر الخالدات باسم ملك قشتالة جعل الملكة إيسابيل الكاتوليكية Isabel la Catolica تطمع في الأرض المغربية المجاورة حيث أمرت ببناء برج أطلق عليه اسم سانطا كروث ذي ماربيكينيا Santa Cruz de Mar Pequeña (الصليب المقدس للبحر الصغير) بمكان قريب من مصب وادي الشبيكة بناحية واد نون وذلك سنة 1476 م.

D'Avezac, *Note sur la première expédition de Bethencourt aux Canaries*, Paris, 1846 ; *Enciclopedia Espasa-Calpe*, VIII, p. 509 ; G. Gravier, *Les Canaries : Livre de la conquête des Canaries, 1402 - 1422*, Rouen, 1874 ; Rumen de Arnas, *Spun en el Afric Atlantica*, Madrid, 1957 ; Spasa Calpe ; T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña, Ifni*, Madrid, s.f.

محمد ابن عزوز حكيم

**پيطري**، أكيلي Petri Achelle تاجر إيطالي واسع النشاط استوطن طنجة سنة 1884 وظل ساكنا بها إلى ما بعد سنة 1911. كان من أبرز الشخصيات بالجالية الإيطالية، ومن الملاكين العقاريين، استعان به المخزن في عدة مناسبات، منها تهدئة إسبانيا بعد أحداث مليلية سنة 1893، وأنعم عليه بعدة امتيازات.

مصطفى بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 583 . 585.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 4 : 124 (3) ; *Archives marocaines*.

**پيطون**، تشارلز ألفريد Payton, Ch. Alfred تاجر إنجليزي استوطن الصويرة سنة 1877 وصار قنصلا لبلجيكا ولبلاده حتى سنة 1885 ثم عين سنة 1893 قنصلا بجنوة وكان مكاتبا لبعض الجرائد، وله تقارير تجارية عن المغرب.

م. بوشعراء، *الاستيطان* 3 : 1078.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 152.

مصطفى بوشعراء

**البَيْعة**، اسم مصدر فعله بَايعَ، ويعني تعاقداً بين الأمة ومن يتولى أمرها أو سيتولاه في المستوى الأعلى. وأصل اللفظ من فعل باع، لأن العرب كانوا إذا تبايعوا في صفقه تجارية، ضرب كل من البائع والمشترى على يد صاحبه كتعبير عن انعقاد الصفقة. ولا يزال هذا العرف جاريا حتى الآن في كثير من الحالات بالمغرب وخارجه. وفي البيعة الدينية كان الرسول - عليه السلام - يصافح المبايعين، وبينهم من يقبل يده. أما بيعة النساء فتتم لفظا دون مصافحة.

وجرت العادة بأن تكون البيعة بالمغرب خاصة وعامة كما هو الشأن في غالب البيعات الإسلامية. تسبق الخاصة العامة، ويحضرها قواد الجيش وزعماء القبائل وشخصيات الدولة. وفي المقدمة الأمراء والعلماء، فالأولون حسما لما قد يحدث من انشقاق ببيعة أحدهم بعد الاتفاق المبدئي على آخر. أما العلماء فهم يحررون صيغة البيعة ليطلع عليها ويوقعها الخاصة. وأما البيعة العامة فتكتب هي أيضا على صعيد الأقاليم أو تحرر صيغة واحدة توزع على المساجد وتقرأ على الحاضرين إما يوم جمعة أو غيره مع النداء بذلك في الأسواق والأحياء. وعلى شخصيات كل إقليم أن تقدم بيعتها حضوريا أيضا إلى أمير الجهة أو عامل الإقليم. وعدم حضور جلة العلماء أو غالبهم في البيعة قد يؤدي إلى الطعن فيها، وبالتالي إلى عدم استقرار البيعة لشخص واحد.

ويشترط في المبايَع أن يكون مسلما ذكرا مكلفا تؤهله المواصفات العلمية والدينية والعدالة التي تقتضي أن لا يكون موضع طعن من الأمة في أخلاقه واستقامته وأمانته

وأهليته العامة. ولم يحدث أن بويعت بالملك امرأة بالمغرب، ولو أن عددا من الأميرات وزوجات الملوك عرفن برجاحة عقلهن وحتى بتأثيرهن على ولاة الأمر من أزواجهن أو في أوساط المخزن عموما.

وكل أنظمة الحكم التي تعاقبت بالمغرب منذ الفتح الاسلامي احتاجت إلى جهود بشرية وعسكرية قوية إلى جانب الجهود السياسية التي تتصدى لتقبيح النظام القائم وتحسين النظام الذي سيقوم. وقد اختلفت الألقاب الأساسية التي حملها عاهلو كل نظام حسب طموحاته. فالأدارسة بويعوا كأئمة، ولم يتخذ أحدهم لقب أمير المؤمنين مراعاة لوحدة الخلافة ولو في انتظار ضعف الخلافة العباسية، لكن كان ضعف الأدارسة أقوى من ضعف العباسيين منذ القرن الثالث (9 م). واتخذ ملوك المرابطين لقب أمير المسلمين مع بيعتهم للعباسيين، وبذلك كان المغرب يعترف شعبا ودولة بخلافة العباسيين عن طريق ملوك المرابطين. وأضاف المرينيون إلى لقب أمير المسلمين لقبا آخر هو السلطان اقتباسا من السلاجقة. بينما سرى لقب أمير المومنين لدى المرينيين منذ أبي الحسن، ثم لدى السعديين والعلويين. لكن الموحدين فرضوا بيعتهم كخلفاء بينما سرى لقب السلطان لدى السعديين والعلويين استمرارا للإجراء المريني وتوقيرا للخليفة العثماني ولو أن هناك مسألة الانتماء إلى البيت النبوي بالنسبة للأشراف الذين زكيت بيعتهم على هذا الأساس بشكل أو آخر إما بعدد من أقطار إفريقيا الغربية أو جزئيا ومؤقتا بالمغرب الأوسط إلى جانب المغرب الأقصى.

وإذا كانت مبادرة الدعوة إلى البيعة تأتي عادة من شخصيات البلاط والعلماء فإنها كانت مباشرة من إدريس الأول عند تأسيس دولته، كما يبدو ذلك واضحا في وثيقة تضمنها تأليف لعبد الله بن حمزة الزيدي. وهي وثيقة لا تدعو إلى بيعة صاحبها فحسب، بل تقدم بيانا وافيا بمبررات البيعة السياسية والاجتماعية التي يرغب مؤسس الدولة في سلوكها. ثم إن البيعة لا تتم بالضرورة في العاصمة، فقد تتم بعيدا عنها لا سيما في ظروف نشأة الدولة أو عند وفاة الملك في ظروف حرب أو عمليات تهدئة، ثم توسع قاعدتها انطلاقا من العاصمة وممثلي الأقاليم. ويحضر البيعة عادة جملة من الكتاب والشهود وسائر من تقدم ذكرهم.

وابتداء من الدولة الموحدية تميزت البيعة بمجموعة من الإجراءات الطقوسية التي تضفي عليها أبهة قد تزيد أو تنقص حسب الفترات. فهناك إجراءات لاستقبال الوفود التي قد يقوم رؤساؤهابإلقاء خطب تؤكد ولاءهم وبيعتهم للعاهل. وربما ألقيت قصائد بالمناسبة. ومع البيعة قد تتخذ إجراءات اقتصادية واجتماعية وحتى سياسية، مثل تخفيض الجباية وتسريح السجناء وعزل ولاة وتعيين آخرين، لكن قد يعتقل بعض أمراء الأسرة الحاكمة توقعا لاحتمال تمردهم.

وليست كل بيعة إجماعا كاملا ولا كافيا. فقد يحدث أن ترفض البيعة جهات يمكن أن تنشئ حكما محليا أو إمارة مستقلة. كما هو الشأن عند ضعف الموحدين (إمارة بني العزفي، بنو مرين بالشرق والشمال الشرقي، بنو يدر بالسوس والصحراء المجاورة). وقد تقوم بيعتان بانشطار المملكة بين عاهلين اتفقا قصدا أو لم يتفقا، كاتفاق المرتضى الموحدي مع يعقوب المنصور المريني، وكاتفاق أحمد الوطاسي مع أحمد الأعرج السعدي. والبيعة في جميع الأحوال تكتسب قوة شرعية بحسب الكثافة السكانية التي تساندها والموقع الاجتماعي والسياسي للحيثيات التي ترتضيها. ويعتبر ولاء القبائل للعاهل الجديد أو القائم بمثابة إقرار كلي بسيادة الدولة التي هو رمزها وممثلها على التراب الذي تعيش عليه هذه القبائل. ولذلك فإن المغرب قدم ملفا ضخما إلى محكمة العدل الدولية بشأن نزاع الصحراء الغربية، وتضمن هذا الملف مآت وثائق البيعة وظهائر التوقير وغير ذلك مما يربط قبائل المنطقة وترابها بالسيادة المغربية، وصدر قرار هذه المحكمة الدولية في أكتوبر سنة 1975، بتبعية هذه القبائل للمغرب وولائها التاريخي لملوكه، ولو أن القرار ينص أيضا على تبعية بعض القبائل للمجموعة الموريتانية. غير أن موريتانيا نفسها ارتبطت بالسيادة المغربية حتى وقوعها في يد الاحتلال الفرنسي، وبقي زعماؤها على ولائهم للعرش المغربي إلى حين تخلي فرنسا عن هذه البلاد سنة 1960.

وقد يحدث أن تتجدد البيعة لنفس العاهل بمبادرة منه، وتأكيدا لولاء الأمة وإجماعها قدر الإمكان، وربما لظروف سياسية جديدة، كتجديد البيعة لأبي يعقوب الموحدي بوصفه خليفة لأنه لم يتخذ هذا اللقب إلا بعد أربع سنوات من ولايته. وهناك صورة حديثة من تجديد البيعة سنويا عن طريق حفل الولاء الذي خصص له عيد العرش، ويحضره ممثلو سكان الأقاليم وولاتها.


ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، (الموحدون) تح. مجموعة من الباحثين ص. 83 - 98 ؛ مؤلف مجهول، *تاريخ الدولة السعدية التاكمدارتية*، ص. 40، تح. ج. كولان، الرباط، 1934 م ؛ ع. الكتاني، *التراتيب الإدارية*، 1، 222 - 224، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت) ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، ثلاثة أجزاء (الفصول المتعلقة بانظمة الحكم)، الدار البيضاء 1405 / 1984م ؛ وزارة الأوقاف المغربية، *البيعة والخلافة في الإسلام* (3 أجزاء)، الرباط، 1405 / 1986 م.


إبراهيم حركات

**البيعة**، La Synagogue ويسميها المسلمون بالمغرب "جامع اليهود" في حين يسميها اليهود "صْلاة" جمع صْلوات - بسكون الصاد مفردا وجمعا - إلا أن يهود دبدو والمغرب الشرقي والجزائر يسمون البيعة شْنوغة، بسكون الشين، وقد دأبوا في ذلك دأب يهود مدن شمال المغرب خلال القرن التاسع عشر، وهي اللفظة ذاتها التي يتداولها عرب الأندلس.

من ثم فإن يهود إسبانيا ومَن خَلَفَ من بعدهم من الذين أقاموا بتطوان وطنجة والقصر الكبير ومدن أخرى بعد إخراجهم من الفردوس المفقود سنة 1492، حافظوا على كلمة esnoga في لغتهم، العامية (حاكيتية Hakitiya) وهذه الكلمة مشتقة من اللفظة اليونانية (سينگوگا sinagoga) التي تعنى الجمع والجمعية وهي كذلك ترجمة للفظة العبرية الكنيسيت التي تعني الجمع الخاص بالصلاة.

ولعل المعبد بهذا المدلول تقرر إنشاؤه بعد نزوح العبريين إلى بابل على اثر تدمير المعبد الأول الذي كان بالقدس (587 ق.م) ورغم تدشين معبد ثان فان التقاليد جرت مجراها وأخذ يترتب عنها بناء بيع متعددة حتى في مدينة القدس نفسها.

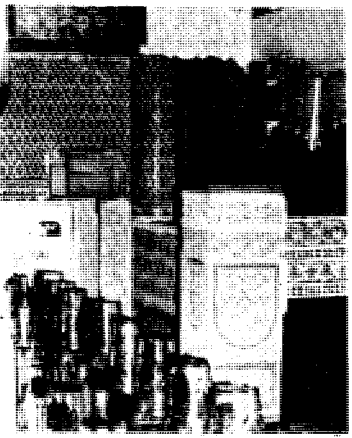

تعد بعض البيع فقط من الممتلكات الجماعية والأوقاف (هيقديش = heqdech) وأغلبها أملاك خاصة يتوارثها ذوو الفروض شيعا، ذلك أن بناء هذه المؤسسات كثيرا ما يتم بقرار فردي من طرف بعض المحسنين (مسْوة = misswa) من ذلك أنه يمكن لصاحب عمارة ان يوقف قاعة كبرى في مبناه على العبادة، فيجهزها لهذه الغاية، ثم يتبرع بأشياء نفيسة ومقدسة أو بأسفار التوراة مثلا أو بما يصلح للتزيين، وهي أشياء تبقى مع ذلك ملكا له ولأسرته ؛ وقد تجرى نفس العملية في عمارات أخرى حيث يكتري شخص أو أشخاص مكانا يحولونه إلى بيعة، أو تأتي طائفة دينية فتكتري شقة وتحولها إلى صلاة ؛ وهكذا نجد بعض البيع تنتسب إلى مؤسسها أو إلى أسرة ما، مثل صلاة روبين بفاس وشنوگة حزان وشنوگة برديگو بالعرائش، وغيرها... إلا أننا أخذنا نشاهد في السنوات الأخيرة بيعا تحمل اسماء مقتبسة من التوراة، كبيت الله، كما هو الشأن ببيعة تقع بالدار البيضاء (نعيم زميروت، أناشيد دينية جميلة = Ne`im Zmirot, Cantiques agréables).

كان المحسنون عمليا وواقعيا يساهمون في الإنفاق على البيَع، عن طريق البَيْع بالمزايدة لأعمال تشريفية، كالعناية بالأسفار من حيث ترتيبها وتوزيعها على القارئين ثم جمعها، وتنظيم تلاوة التوارة مع اختتامها. وتستغرق مدة هذه الأعمال ستة أشهر يعبر عنها بكلمة اسبانية هي "ثامبورادة"، أي الفصل ثم تعرض للمزاد العلني مرة أخرى، وقد تنظم كذلك بمناسبة بعض الأعياد. وتسمى هذه العملية أيضا في اللغة الدارجة المغربية "بيع الرينتة" وهي مفردة إسبانية - رينتة تعنى الريع والربح العائد - ويطلق عليها كذلك اصطلاح "بيع المسووت" - بيع الحسنات - علاوة على هذا تتلقى البيع أيضا هبات نقدية بالمناسبات، غير أن هذا الأسلوب أخذ يتطور ليحل محله نظام الانخراطات، كل حسب إمكاناته المادية.

يسير شؤون البيعة، بصفة عامة، حبر يطلق عليه لقب "شلياح صبور" يساعده مستخدم يحمل لقب "شماش" تتلخص مهامه في الصيانة والتنظيف، ويعمل الرجلان تحت إشراف شخص ثالث يسهر على التسيير العام، يحمل لقب بارناس. وتجدر الإشارة إلى أن الثلاثة يعملون تطوعا بالمجان.

النشاط الديني أو القداس الالهي : تشتمل صلاة اليهود في البيعة على حركات وترتيل مقاطع من الزبور وعلى قراءة نصوص يتلونها قياما وفرادى، وتسمى "عميد". أما الصلاة الجماعية فلا تتم إلا إذا توفر لها نصاب من الحاضرين لا يقل عن عشرة أشخاص (منيان). توجد في الديانة اليهودية ثلاث صلوات مفروضة في اليوم: صلاة الصباح وتسمى "شحريت" ويعبر عنها العوام بـ "تفلة" وصلاة الظهيرة، "منحة" ثم صلاة العشية، "عاربيت".

ليست هذه الصلوات موقوتة إذ يمكن تأديتها قبل أوقات العمل الإداري وغيره، ويمكن تطويلها وتمديدها أيام الأعياد والعطل بتلاوة (بيوتيم) أو بخطبة (دراش) وبهذه المناسبة قد يحضر الصلوات أحد المنشدين "پيتان" لمقاطع دينية، ويمكن توجيه دعوة الحضور إلى امرأة لتزغرد خلال الإنشاد. ويختتم حفل الصلاة بتلاوة التوراة صبيحة الإثنين والخميس والسبت صباحا وعشية.

البيعة دار جماعية : لايقتصر دور البيعة في الحياة الجماعية اليهودية على الدين وإنما يتعداه إلى نشاط اجتماعي، لان البيعة كانت قديما مقرا لاجتماعات هيئة الأعيان والربيين الذين يسهرون على شؤون الملاح، كما أن الاجتماعات الهامة والعامة التي تتمحور حول قضايا المجتمع اليهودي، المدنية والدينية، كانت تعقد في البيعة الكبرى بكل مدينة، وتحتضن كذلك المحاضرات التي يلقيها الربيون الزائرون، والدروس ذات المستوى العالي لطلبة التلمود والدرشات الدينية التي يحضرها من أراد مهما كان مستواه وسنه، وكل ذلك بالطبع، خارج فترات الصلوات.

وكانت البيعة كذلك، قبل إحداث المدارس العصرية، مقرا للتعليم العتيق، شأنها شأن "المسيد" عند المسلمين، والذي كانت عامة اليهود تسميه أيضا "الصلاة".

الهندسة والأثاث : لا يمكن الحديث عن الهندسة إلا في البنايات التي أقيمت أساسا لتكون بيعا لا في الأماكن التي استصلحت لتصبح معابد. وعلى العموم فان هندسة البيع العتيقة كانت منسجمة مع الهندسة المعمارية المحلية

كما أن أثاثها وتجهيزاتها تعكس ما كان متوفرا يومئذ في البيئة المحيطة وحسب إمكانات وقدرات الجماعات المحلية، كالبيعة الكبرى بمدينة الرشيدية (قصر السوق سابقا) التي زرتها عام 1972 حيث السقف والأعمدة من جذوع النخل. أما بيعة دنان بفاس التي يزعم أصحابها أنها بنيت خلال القرن السابع عشر الميلادي، فإنها تحتوي على صفين من الأعمدة وتنيرها ست ثريات قديمة على شكل هرم مثل ما يوجد في مساجد مدينة فاس وتتلقى ضياء النهار عبر زجاجيات مرصوفة ذات ألوان متعددة تقع بجنبات قبة.

ومع ظهور الإسمنت المسلح في مطلع القرن العشرين، شرع اليهود يبنون بيعا سقفها مستطيل وقاعاتها عريضة بدون أعمدة، لكنها احتفظت بعناصر تزيينها المغربية، مثل الجص المنقوش والمزخرف بآيات من التوراة، والزجاجيات الملونة (بيعة سعدون بفاس، بيعة دهان بالدار البيضاء). ثم تسرب الأسلوب العصري إلى البيع فصارت تبتعد عن الهندسة التقليدية، كبيعة التدگي وبيعة بيت الله وبيعة بنهروش بالدار البيضاء. لكن رغم هذه التطورات الهندسية، فان البيعة احتفظت بترتيبها الداخلي المعهود المتميز بمواضع مخصصة للنساء وتسمى "عزارة" وفي حالة عدم وجود هذه المواضع فان المسؤول عن البيعة يقيم ستارا من الثوب لفصل النساء المصليات عن الرجال في القاعة الرئيسية الكبرى.

يتألف تجهيز البيعة من مقاعد خشبية طويلة توجد على صفين، ثم "الهخال" أو خزانة الكتب التي تضم أسفار التوراة وتتجه نحو بيت المقدس. أبوابها من الخشب المنقوش المغلف بقطعة من المخمل المطروز بخيوط الذهب (ثاروخين) ويواجه الخزانة كرسي ضخم من الخشب المنقوش يقوم مقام المنبر للإمام ويسمى "تيبة". أما الكتب الأخرى ذات الطابع الديني غير التوراة مثل التلمود والشروح فانها تحفظ في خزانة ثانية. ومن الأشياء الأخرى التي تعد من أثاث البيعة رمانات فضية تعلو أذرعة الخزانات والمنبر تسمى "ثابوحيم" ثم عباءة من المخمل يرتديها الإمام أيام الأعياد، وتسمى "غفارة" حسب لغة دبدو وخفارة عند يهود فاس وصفرو. وهنا نشير إلى أن غفارة عربية تعني ألبسة مختلفة حسب اصطلاح أهل القرون الوسطى (Dozy, *Noms des vêtements*) وتسمى الغفارة كسوة عند أهل تافيلالت، والمايًا بمكناس والرباط وسلا ومراكش وأسفي الخ.

تتوفر البيعة على ما يشبه الأصبع وهو مصنوع من الفضة يتناوله القارئ لتتبع السطور عند تلاوة رقوق التوراة، وتتوفر كذلك على جعبة معلقة تحتوي على رق يسمى "مزوزة" كتبت عليه عبارة الشهادة الواردة في التوراة.

من أثاث البيعة نذكر كذلك الثريات النحاسية والبلورية ولا سيما القناديل الزيتية المؤلفة من أكواب زجاجية مزخرفة بورق مذهب تقديسا لأحد الأموات. وتتميز بعض البيع بشمعدان ذي سبعة فروع يسمى "مينورة" احتفاء بذكرى معبد بيت القدس، ولا يفوتنا القول إن لكل بيعة مكانا يحاذيها من الخارج يشتمل على مرحاض وحنفية للنظافة.

وبعد عملية إحصائية تبين أن في الدار البيضاء عام 1990 ثلاثين بيعة ما تزال نشيطة، منها ما يتسع لثلاثين نسمة ومنها ما يسع ثلاثمائة من المصلين، كما هو الحال بالنسبة لمعبد بيت الله، لكن بيعا أخرى بالمدينة العتيقة أغلقت، إما لعدم وجود اليهود بجوارها وإما لأنها في حالة اندثار، وقليلة جدا هي البيع الواقعة بملاح المدن الأخرى التي ماتزال صالحة لتأدية الشعائر الدينية، مثل بيعة ملاح الرباط المعدة للاستمرار في تخليد ذكرى الربي دبيلة إلى جانب بيعة التلمود والتوراة الواقعة خارج الأسوار. وما قيل عن الدار البيضاء والرباط ينطبق على فاس حيث أغلقت بيع المدينة القديمة مثل صلاة الفاسيين، وصلاة حاخام، وصلاة الصابة، وصلاة الدبادبة (نسبة إلى دبدو) ولم يحتفظ إلا بصلاة روبين سعدون الواقعة بفاس الجديد وهي نموذج صادق للهندسة المعمارية المحلية.

كان بمكناس خلال الخمسينات أزيد من ثلاثين بيعة منها تسع عشرة بالملاح القديم وثلاث عشرة بالملاح الجديد (J. Toledano, *Le temps du Mellah*) أما اليوم فتوجد أربع بيع مفتوحة بحمرية (المدينة الجديدة) في حين أن القديمة منها مثل صلاة محريت (المنسوبة إلى الربي موشي طوليدانو)، وصلاة رفائيل برديگو وصلاة الطوبي، وصلاة ابراهام جاسين وصلاة رب يهوشواع برديگو كلها أمست مهجورة.

وفي مراكش صلاة العجاجمة (وهم اليهود النازحون من إسبانيا) وصلاة الفاسيين التي بُنيت في عهد السلطان الحسن الأول، وصلاة التلمود والتوراة (وهي أكبر البيع) وصلاة ميير اللحمي، وصلاة بن روين وصلاة النجديم، وصلاة مولاي إيغى (وهو لقب الربي داود الأشقر المعتقد بهذه المنطقة).

ومازالت قائمة آثار بيع (صلوات) عتيقة عديدة بكل من بني ملال ودمنات وتارودانت وتطوان وطنجة ودبدو (N. Shlouch, *"Les Juifs de Debdou"*, *R.M.M.*, 1913).

أما اليهود المغاربة الذين هاجروا إلى بلدان أخرى، فانهم يحاولون إنشاء بيع خاصة بهم لممارسة شعائرهم حسب أسلوبهم وللحفاظ على ما بينهم من روابط، ونذكر من بين هذه البيع، بيعة كراكاس بفنزويلا وبيعة باريس ومركز رمبام (وهو تعبير يلخص اسم الربي موشي بن ميمون المعروف عند الغربيين بميمونيد)، كما توجد عدة بيع بمونريال (كنادا) ومدارس للأطفال تلقنهم الأذكار والتراتيل من التراث اليهودي المغربي. هذا وقد أنشأ اليهود المغاربة أولي بيعة بمدينة بليم دي بارا بالبرازيل عام 1825 (انظر محمد العربي المساري M.L. Messari, *Mundos Marroquinos*, p. 117).

سيمون ليڤي

**بيغراسن**، (صاحب الطرق) أي الجوال واسمه أحمد الاخصاصي، فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، أخذ عن الأدوزيين وله شهرة علمية واسعة في سوس، وكان جوالا في النوازل الفقهية توفي حوالي 1320 / 1902.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي بسوس*، 180.

**بيفورنا**، (صاحب التنانير) الكلمة أمازيغية مفردها أفارنو أي التنور، وهي مأخوذة من المناظر الطبيعية الجبلية التي نحتتها عوامل التعرية حتى صارت تلك الجبال على شكل تنانير. وتطلق الكلمة اليوم على فخذة كبيرة من قبيلة أيت بوبكر الباعمرانية، معظم سكانها حاليا من المرابطين البوگرفاويين.

تقع بيفورنا هذه على الطريق الثلاثية الرابطة بين أربعاء الساحل وتعزى، وهي بداية سهل تاگراگرا ومحصنة طبيعيا، لذلك لعبت دورا هاما في حصار حملة فرنسا بقيادة الباشا حيدا بن مِّيس الذي قُضي على حملته بكاملها من طرف أيت باعمران سنة 1336 / 1917. وإلى بيفورنا هذه رحلت قبيلة إفردا بكاملها في نفس السنة بعد معركة مع حملة حيدا.

تشتهر بيفورنا بكثرة المساجد وكتاتيب تعليم القرآن، حتى إن معظم الذكور يحفظونه ويتعاطون المشارطة، لذلك كانوا لا يشاركون في الحروب القبلية، ولا يساهمون فيما تفرضه القبيلة من الكلفة المالية، فانتعشت بلادهم وارتفعت فيها كثافة السكان حتى أصبحوا اليوم قبيلة كبرى. لكن في حوادث عام 1335 / 1916 القبيلة وما استلزمته تلك الحروب من أموال، فرض على أهل بيفورنا أن يؤدوا حظهم من تسعة وسبعين ألف ريال حسنية التي فرضتها القبائل.

أرض بيفورنا فلاحية، وكانت في الأصل ملكا لقبيلة أيت إعَزَّى الباعمرانية لكن صارت اليوم للبوگرفاويين الذين نزلوا هناك حديثا. والبلاد معروفة بكثافة السكان منذ القديم، يدل على ذلك وجود مقبرة قديمة تسمى مقبرة مائة حاج وحاجة كناية عن الكثرة، يقدسونها ويحلِّفون فيها من أنكر في الدعاوي.

وبجانب هذه المقبرة أحدثت سوق الأحد الأسبوعية، ولدينا وثيقة حول العرف المطبق في هذه السوق ينص على تحديد الغرامات حسب المخالفات والجنح والجنايات، ويسهر على تنفيذ ذلك العرف ثلاثة أفخاذ من قبيلة أيت بوبكر الكبرى هم أيت إعزّى وآل إسك وآل عبُّ. ولهذه السوق وحدها كيلها الخاص بها في الزرع، وهو يساوي نصف العبرة المعروفة في سائر الأسواق.

وبقدر ما يكثر حفظة القرآن في بيفورنا، بقدر ما يقل فيها العلماء. والغريب أنهم لا يشاركون في تموين المدارس العلمية العتيقة خوفا من ان يفتحوا بذلك على أنفسهم مشاركة القبيلة في الكلف الأخرى. ومن المشهورين هناك في تعليم القرآن الذين تخرج على يدهم عدد كثير من الطلبة موسى بن أحمد البوگرفاوي ومحمد بن لحسن الأنكضاني العدل الخطاط، والحاج عمر بن همو البوگرفاوي والحسين البوهالي البوگرفاوي الروائي وغيرهم.

أما العلماء فمنهم محمد الهرواشي الذي حضر السلطان مولاي الحسن الأول لدرسه في مدرسة إسك العتيقة سنة 1303 وأثنى عليه وعلى مستواه العلمي.

*وثائق، ومعلومات شفوية.*

الحسين جهادي

**بيقسيس**، أو أبيقسيس، Abi-quasis - Biqsis لقب يهودي متداول في المغرب، وهكذا ورد ذكر عدد من الربيين بهذا اللقب في كتاب بنايم، خصوصا من القرن السابع عشر إلى يومنا، في الرباط وطنجة والصويرة والزاوية الدلائية، مثل مسعود أبيقسيس بن مخلوف في القرن الثامن عشر. ولئن كان هذا متأخرا اللهم إلا إذا كان أصل الربي من نواحي الزاوية الدلائية أو من ناحية أيت عتاب. وشمعون أبيقسيس ربي بالصويرة (مخضرم بين القرنين 19 و20)، ألف ونشر *سفر بالغي مايم*، أي *"كتاب ماء النهر"* يتضمن مجموعة من الفتاوى والإرشادات الدينية، صدر في جزء واحد بلندرة (بنايم، *مالكي ربنان*). وشمعون بيقسيس، ربي بالدار البيضاء، صاحب كتاب *شاش أنوحي ورطوب*، (أنا من المرمر) طبع بالدار البيضاء عام 1937.

أما مسعود أبيقسيس فكان رئيس الطائفة اليهودية بطنجة في أواخر القرن التاسع عشر، وترجماناً بمندوبية الولايات المتحدة الأمريكية، خلفه ابنه مناحيم أبيقسيس في هذه المناصب ثم أصبح من بين الأعضاء الأولين في اللجنة الصحية بطنجة عام 1884. (لاريدو، *أسماء اليهود*، ص 212). وكذلك إسحاق أبيقسيس ربي وقاض بفاس خلال القرن السادس عشر. بعض فتاويه وأحكامه محفوظة في مجموعة يوسُف بنايم الموجودة بمعهد الدراسات الدينية اليهودية بنيويورك (الزعفراني، *يهود المغرب*، ص 256).

A. Larédo, *Les Noms des Juifs du Maroc* ; H. Zafrani, *Les Juifs du Maroc*.

سيمون ليڤي

**بيگبيدير**، خوان أطيينثا، Juan Beygbeder Atienza جنرال إسباني ولد يوم 31 مارس 1888 وتخرج من الأكاديمية العسكرية برتبة ضابط أركان الحرب، وما ان التحق بتطوان سنة 1915 حتى تعلم اللغة العربية الفصحى والدارجة معا. وتمكنه منهما جعله ينال العضوية في المجمع العلمي المغربي الذي تأسس بتطوان في فاتح ربيع الأول 1335 / 27 ديسمبر 1916 ورتبته آنذاك قبطان مراقب ملحق بنيابة الأمور الوطنية.

وفي سنة 1916 رقي لدرجة كومندار وعين ملحقا بديوان المقيم العام إلى غاية سنة 1924 وكان في نفس الوقت عضوا في المجلس الأعلى للآثار التاريخية المغربية منذ تعيينه في 16 ماي 1921. وفي سنة 1925 كلف بمصلحة المخابرات بنيابة الأمور الوطنية وظل على رأسها إلى سنة 1930 حيث عين مستشارا للنائب السياسي ثم أصبح سنة 1933 يشغل منصب خليفة النائب.

وفي 31 يوليوز 1935 عين على رأس المراقبة الإيالية لمقاطعة شفشاون غمارة وذلك إلى منتصف السنة التالية حيث عاد إلى نيابة الأمور الوطنية بصفته خليفة للنائب، وعندما وقع الانقلاب العسكري الذي أطاح بالجمهورية الإسبانية يوم 18 يوليوز سنة 1936 أخذ بيگبيدير زمام الأمر بنيابة الأمور الوطنية في تطوان. وفي يوم 27 أقره الجنرال فرانكو Franco في المنصب المذكور فلعب فيه أخطر الأدوار التي مكنت سلطة العسكريين بشمال المغرب، لدرجة أن الجنرال فرانكو أسند إليه بالإضافة إلى المنصب المذكور منصب الكاتب العام للإقامة العامة يوم 6 غشت من نفس السنة.

والكولونيل بيگبيدير هو الذي نظم عملية تجنيد المغاربة المرتزقة في صفوف الجيش الإسباني ومشاركتهم في الحرب الأهلية الإسبانية من سنة 1936 إلى سنة 1939.

وفي 30 مارس سنة 1937 عينه الجنرال فرانكو مقيما عاما لإسبانيا بالمغرب. وكانت له صلة طيبة مع الحركة الوطنية بشمال المغرب قبل الانقلاب العسكري لدرجة أننا نجد كلا من الحاج عبد السلام بنونة والفقيه محمد داود والشريف سيدي التهامي الوزاني والأستاذ عبد الخالق الطريس يتوسطون لدى الأمير شكيب أرسلان لكي يعمل على مساعدة بيگبيدير من أجل أن يتوجه إلى الشرق العربي للمزيد من تمكنه من اللغة العربية. وبعد الانقلاب العسكري أصبحت علاقاته بالقادة الوطنيين أكثر متانة لدرجة أن الفضل يرجع إليه في السياسة المتفتحة التي نهجها الجنرال فرانكو إزاء الحركة الوطنية المغربية، وهذا ما يفسر اعتراف النظام الفرنكاوي بحزب الإصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية والسماح للوطنيين بتأسيس الصحف الوطنية ومنح الاستقلال الذاتي للأحكام الشرعية وللأحباس الإسلامية وتعريب التعليم المغربي وإرسال البعثات الطلابية إلى الشرق العربي إلى غير ذلك من الحريات التي كانت سائدة في شمال المغرب في عهد الكولونيل بيگبيدير إلى أن أعفي من الإقامة العامة يوم 9 غشت سنة 1939 حيث عين وزيراً للشؤون الخارجية لحكومة فرانكو وظل في هذا المنصب إلى أن أعفي منه يوم 16 أكتوبر 1940.

وكانت وفاته بمدريد يوم 6 يونيو 1957.

التهامي الوزاني، *تاريخ المغرب*، 3 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *الحاج عبد السلام بنونة*، 1 : 145، *مجلة الوثائق الوطنية*، تطوان 3، 4.

M. Rubio Cabeza, *Diccionario de la guerra civil española*, Barcelona, 1987, T. 1, p. 114.

محمد ابن عزوز حكيم

**بيكلار**، ليون فيليب، (L. Ph. Beclard) وزير مفوض لفرنسا بطنجة من سنة 1862 إلى وفاته في فاتح مارس سنة 1864. وهو الذي أبرم مع الحاج إدريس بن إدريس تسوية 19 غشت سنة 1863 حول الحماية القنصلية واختيار السماسرة من البوادي، وخلفه البارون إمي داكان.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 :605. 606، الوثائق 4 :21.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 2 : 385.

مصطفى بوشعراء

**بيل**، ألفريد Bel Alfred مستشرق فرنسي، ولد بسلان Salins بتاريخ 14 ماي سنة 1873 وتلقى دراسته الثانوية بهذه المدينة. وبعد حصوله على الباكالوريا في العلوم وهو في سن السابعة عشرة انتقل ليشتغل كمعيد بإعدادية أكسير Auxerre. وبعد سنة سافر إلى الجزائر فعين معيداً بإعدادية بليدة ومنها رحل للعمل بثانوية وهران التي بقي بها خمس سنوات، إلا أنه غادرها خلال هذه الفترة لمدة سنة قضاها في التجنيد.

حصل بيل على بروفي اللغة العربية وهو في سن الرابعة والعشرين فنقله، إثر ذلك روني باسي René Basset إلى ثانوية الجزائر، حيث تعرف على دستان Destaing ودوتي Doutté ولم تمر سوى سنتين حتى حصل على دبلوم اللغة العربية ثم دبلوم الدراسات العليا في التاريخ والجغرافيا، وأعد بحثين الأول تحت إشراف أگستان برنار Augustin Bernard بعنوان *البحيرات والمستنقعات والسبخات بالجزائر* *Les lacs, Chotts et Sebkhas d'Algérie* والثاني تحت إشراف روني باسي بعنوان : *بنو غانية ومحاربتهم للإمبراطورية الموحدية* *Les Banou Ghanya et leur lutte contre l'empire Almohade*، وبعد ذلك رحل إلى تلمسان ليعمل أستاذا للآداب بمدرستها التي اقترن اسمه بها حيث أصبح مديرا لهذه المؤسسة.

في سنة 1914 استدعى ليوطي Lyautey ألفريد بيل إلى المغرب وكلفه بالنظر في كيفية تحديث التعليم الإسلامي. وهكذا استقر بيل بفاس لمدة عامين ونصف، تمكن خلالها من تكوين أول مجموعة أثرية لمتحف البطحاء وعين محافظا له.

وفي أكتوبر سنة 1916، عاد أ. بيل إلى تلمسان وهو يحمل عددا من المعطيات عن المغرب بصفة عامة، وعن فاس بالخصوص، مكنته من تحرير كثير من الدراسات ونشرها. كان أول عمل صدر له هو الكتاب الذي خصصه للجزية سنة 1903.

كانت حصيلة كتاباته خلال ثلاث وأربعين سنة من الحياة العلمية اثنى عشر كتابا وأكثر من ستين مقالا،

تتوزع عبر مختلف المجلات والموسوعات المهتمة بالعالم العربي والإسلامي، ذلك ما جعل منه أحد المستشرقين المختصين بشؤون الغرب الإسلامي. كما أن اهتماماته العلمية عرفت تطورا، حيث انتقل من البحث في تاريخ الأدب إلى الاشتغال بالتاريخ، فترجم حوليات عربية ودرس النقوش والمسكوكات، كما اهتم بالآثار وخصوصا المتعلقة منها بمدينة تلمسان.

كان اهتمامه منصبا على حياة المسلمين في كل مظاهرها، وبالخصوص ما يتصل منها بالمعتقدات والمذاهب والصناعات. كما أن السنوات التي قضاها في المغرب مكنته من الحصول على معطيات ووثائق جعلته يحرر مجموعة من الدراسات المتعلقة بمدينة فاس : الصناعات الفخارية بفاس. *Les Industries céramiques à Fès, 1918* وترجمة الكتابات العربية بفاس *Les Inscriptions arabes de Fès* (1917 - 1919) كما ساهم في إعداد ونشر أول فهرس لمخطوطات خزانة القروين (1918) وحقق وترجم مؤلف أبي الحسن علي الجزنائي *جنى زهرة الآس* الذي يهم مدينة فاس في المراحل الأولى من تأسيسها (1923).

وفي آخر فترة من حياته اهتم أ. بيل بالدراسات الدينيـة، وأهم مؤلفاته كتابه *الإسلام ببلاد البربر*، *La religion musulmane en berbérie : esquisse d'histoire et de sociologie religieuses, Etablissement et développement de l'Islam en berbérie du VIIème au XXème siècle, 1938*, T. 1) لكن لم يصدر منه سوى الجزء الأول المتعلق بنشر الإسلام واستقراره وتطوره ببلاد المغرب العربي منذ القرن السابع إلى القرن العشرين.

وفي سنة 1942 انتقل أ. بيل إلى مكناس ليعيش بجوار ابنه وليحرر ما تبقى من كتابه عن الاسلام، لكن لم تمض ثلاث سنين وقبل أن ينهي عمله وافاه الأجل يوم 18 فبراير 1945.

E. Janier, *Alfred Bel, 1873 - 1945, B.S.G.A.O.*, 1944, p. 66 - 76 ; *Travaux de M. Alfred Bel*, 14 Mai 1873 - 18 Février 1945, *R.A.*, 1945, 1er et 2ème trim, p. 110 - 116 ; G. Marçais, *Alfred Bel, 1873 - 1945, R.A.*, 1945, 1er et 2ème trim., p. 103 - 109 ; P. Ricard, *Alfred Bel savant orientaliste vient de disparaître, Vaincre*, 11 Mars 1945, p. 6 ; H. Terrasse, *Alfred Bel, 1873 - 1945, Hesp.*, Fasc. un., 1945, p. 15 - 17.

**بيلا**، شارل Pellat Charles، ولد بسوق أهراس بقسطنطينة في الجزائر بتاريخ 28 شتنبر سنة 1914. وتلقى دروسه بثانوية ليوطي بالدار البيضاء. ثم عين أستاذاً بثانوية مراكش سنة 1934 بعد إتمام دراسته العليا حيث حصل على التبريز في اللغة العربية. وعمل بعد ذلك بالجيش خلال الحرب العالمية الثانية، وبعد انتهاء الحرب عُين أستاذاً بثانوية لويس لوگران Louis Le Grand بباريز، ثم بالمدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية، والتحق بجامعة السربون سنة 1956 حيث كان المؤسس لشعبة الدراسات الإسلامية التي تولى الإشراف عليها.

انكب شارل بيلا في دراساته وأبحاثه خصوصاً، على الأدب العربي في القرون الوسطى، وكان عنوان أطروحته التي أشرف عليها ريجيس بلاشير Régis Blachere : *البيئة البصرية وتكوين الجاحظ*. وقد نقل إلى الفرنسية كتاب *البخلاء* وكتباً أخرى. ونشر مقالات كثيرة كلها عن الجاحظ، كما نشر بعض النصوص ونقلها إلى العربية، وأصدر *اليومية القرطبية* مع ترجمتها.

اهتم بيلا أيضا باللغة العربية المعاصرة، وله تآليف في هذا الموضوع : *العربية الحية*، *والتمهيد إلى اللغة العربية المعاصرة*. كما أنه تولى مسؤولية الإشراف عن الطبعة الفرنسية للموسوعة الإسلامية Encyclopédie de l'Islam التي حرر بها مواضيع عدة وأشرف على أطروحات عديدة تتعلق بالمغرب وحضارته.

وقد اعتنى بصفته مستشرقاً عاش بالمغرب، بالأبحاث اللغوية المتعلقة باللهجات البربرية، فنشر في هذا الموضوع مقالات ونصوصاً من اللهجة البربرية لقبيلة أيت سغروشن القاطنة بوادي ملوية.

كان شارل بيلا عضواً بأكاديمية العلوم لما وراء البحار Académie des Sciences d'Outre-Mer، وانتخب سنة 1984 عضواً بأكاديمية النقوش والآداب Académie des Inscriptions et Belles Lettres. وتوفي بباريز في 28 أكتوبر سنة 1992 وسنه يناهز التاسعة والسبعين.

من مؤلفاته :

- *ابن شهيد الأندلسي : حياته وآثاره*، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، 1965، 151 ص.
- *أصالة الجاحظ*، الدار البيضاء، دار الكتاب، (د. ت)، 24 ص. (دفاتر شواطئ البحر المتوسط، 3).
- *الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء*، ترجمة إبراهيم الكيلاني، القاهرة، دار اليقظة العربية، 1961، 470 ص.
- *الناقعة على الجامعة*، لمحمد بن سليمان الروداني، تحقيق وترجمة، المجمع العربي بدمشق.
- *L'Arabe vivant* : *Mots arabes groupés d'après le sens et le vocabulaire fondamental de l'arabe moderne*, Paris, 1952, VI, 284, 50, 77 p.
- *Description de l'Occident musulman au IV° - X° siècle* / Chams ad-Dîn al-Muqaddasi, texte arabe et traduction française avec une introduction des notes et quatre index par Charles Pellat, Alger, 1950, X, 125 p., (Bibliothèque Arabe-Française, 9).
- *Etudes sur l'histoire socio-culturelle de l'Islam au VII° - XV° s.*, London, 1976, 386 p.
- *Introduction à l'arabe moderne*, Paris, 1956 - V, 243 p.
- *Le Kitab at-Tarbia` wa-t-Tadwir / Jahiz*, texte arabe avec une introd., un glossaire, une table de fréquence et index de Charles Pellat, Damas, 1955, XXCIII, 49, 218 p., (Publication de l'Institut Françias de Damas).
- *Langue et littérature arabes*, Paris, 1952, 224 p., (A. Colin, 278).
- *La Littérature arabe des origines à l'époque de la dynastie Umayyade* / Carlo-Alfonso Nallino, trad. française par Charles Pellat d'après la version italienne de Maria Nallino, Paris, 1950, 270 p., (Islam d'hier et d'aujourd'hui, 6).
- *Le Livre de la Couronne : Kitab at-Tag fi ahlaq al-Muluk* / Gahiz, trad. par Charles Pellat, Paris, 1954, 222 p., (Traductions d'auteurs arabes).

- *Le Livre des Avares / Gahiz*, trad. française avec une introd. et des notes par Charles Pellat, Paris, Maisonneuve, 1951, IX, 367 p., (Islam d'hier et d'aujourd'hui, 10).
- *Le Milieu basrien et la formation de Gahiz*, Paris, 1953, 311 p.
- *Nemrod et Abraham dans le parler arabe des juifs de Debdou, Hespéris*, T. XXXIX, 1952, 1er - 2 ème trim., pp. 121 - 145.
- *Questions de critique littéraire : Masâ'il al-Intiqad* / Muhammad ibn Charaf al-Qayrawani, texte arabe établi d'après deux éditions et traduction française avec introd. et des notes par Charles Pellat, Alger, 1953, 270 p., (Bibliothèque Arabe-Française, 15).
- *Textes berbères dans le parler des Aït Seghrouchen de la Moulouya*, Paris, 1955, 176 p., (Textes Berbères Marocains, 2).
- *Une charge contre les secrétaires d'Etats attribuée à Gahiz, Hespéris*, 1956, 1° - 2° trim., pp. 29 - 50.

مَحمد جادة

**پيلّوْ طوماس،** Pellow Thomas أسير أنجليزي وقع بأيدي المجاهدين المغاربة في البحر سنة 1716 وسنه لا يتجاوز إحدى عشرة سنة، فألحق بدار المخزن شأنه في ذلك شأن كل الأسرى الأوربيين الذين كانوا من نصيب الإمام، فأقام بالمغرب ثلاثا وعشرين سنة إلى أن تمكن من الفرار فعاد إلى وطنه وأقدم من تلقاء نفسه أو بإيعاز من بعض المهتمين بالنشر على كتابة قصة أسره وحياته بالمغرب، ولاشك أنه اكتفى بإملائها لضعف مستواه الثقافي، فإنه كان قد نفر من الدراسة باكرا وفضل الإبحار مع عمه في رحلة تجارية إلى جنوة، فلما كانوا في طريق العودة وقعوا في قبضة مركب مغربي في عرض شواطئ إسبانيا الشمالية. صدر هذا الكتاب فيما بين سنوات 1743 و1745 بتقدير السيدة ماگالي مُرسي التي اعتنت مؤخرا بترجمته إلى الفرنسية، وكان قد بقي شبه مجهول لم يكتب له ما كان لرحلات أخرى أنجليزية أو غير أنجليزية إلى الديار المغربية من الشهرة الذائعة، وذلك أن المغرب، كباقي الأقطار الإسلامية، أضحى من بداية القرن الثامن عشر "موضة" أدبية تلبي فيها عدة أغراض لجمهور القراء بأوربا، منها حب الاستغراب وحب التشفى من الإسلام وما أصبح عليه من الضعف والوهن، ومنها حاجة فضح بقايا الاستبداد الفيودالي بأوربا عن طريق تشويه مظاهر الاستبداد في الممالك الإسلامية. ولما كان المغرب أقرب تلك الممالك إلى أوربا بات، منذ تلك الحقبة، منعوتا، عن صواب أو غير صواب، بما كانت البورجوازية الأوربية مازالت في حاجة إلى التخلص منه من تقاليد القرون الوسطى في عقر ديارها.

على أن كتاب پيلوْ لا يخلو من فوائد في نظر المؤرخ المغربي، فإنه شهادة واقعية حية رغم ما فيها من التحامل والذاتيات على بعض وقائع العقد الأخير من عهد المولى إسماعيل ووقائع العقد الأول من الفترة التي اقتتل فيها بعض أولاده على الحكم بواسطة فرق جيش البواخر. وينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام :

1) القسم الأول يعرض لمقام بيلوو في المغرب من سنة 1716 إلى سنة 1727، فإنه أقام بالقصر خمس سنوات، يتدرب بعد اعتناقه للإسلام، على الخدمة السلطانية في تمام الطاعة والانضباط، وانتهت فترة التعليم سنة 1721 بتزوجه وإرساله مع فرقة من العبيد إدالة إلى تامسنا (الشاوية حالا) فأقام بقصبة من القصبات الإسماعيلية بين سطات وابن احمد يقضى الوقت بين زوجته ورفاقه في القنص والعيش الرغيد، ولا يغادر ثكنته إلا للمشاركة في الحركات التي يأمر بها السلطان. وهكذا شارك في حركة بالأطلس الغربي جنوب غربي مراكش سنة 1722 وفي حركة إلى واحات محاميد الغزلان فيما بين سنوات 1722 و1724 وفي أخرى إلى توات سنتي 1724 و1725 وفي حركة إلى بني إزناسن وإقليم وجدة سنة 1725.

2) ويعرض القسم الثاني للحروب الأهلية التي اندلعت غداة وفاة السلطان الأعظم، فلقد شارك پيلوْ في الحصارين اللذين ضربهما المولى أحمد الذهبي مرتين سنة 1727 وسنة 1728 على فاس، كما شارك في محاصرة ثالثة لتلك المدينة أمر بها المولى عبد الله سنة 1729، وكان ضمن الحركات التي أمر بها هذا السلطان ضدا على أيت إمور وقبائل أُلماس وقبائل تامسنا فيما بين سنتي 1730 و1731 وشارك في الحركة إلى شنگيط سنتي 1732 و1733، وكان في الحركة ضدا المرابط يوسف الحنصالي وشارك في تأديب قبيلة أيت يوسي، وكان مقامه في هذه الحقبة بقصبة أگوراي ثم بقصبة بوفكران فيما بعد. ولما جرى عزل المولى عبد الله لفائدة المولى علي الأعرج سنة 1734 التحق پيلّوْ بالمولى عبد الله، فأقام مع ما تجمع حوله من العسكر بتارودانت، ثم لما بويع له من جديد وعاد إلى مكناس ودأب على ما كان عليه من إراقة الدماء فثار عليه العبيد مرة ثانية وعزلوه سنة 1736 لفائدة سيدي محمد بن عربية، قرّ رأي پيلوْ على استغلال الفتنة العامة للفرار، وأخفى مقصده وهو يزحف صوب الشواطئ الأطلسية مدعيا أنه يريد اللحاق بسيده المعزول المولى عبد الله.

3) أما القسم الثالث فهو عرض لمغامراته سعيا في مغادرة التراب المغربي دون أن يثير الشكوك فيرمى بالارتداد عن الإسلام ويقتل، وكان قد أفلت من ذلك في محاولتين سابقتين أولاهما سنة 1727 حيث رام الهروب عبر مازغان المحتلة لكن أمره كشف وكاد أن يقتل لولا تدخل بعض القواد ممن كان له به سابق اتصال، وثانيتهما سنة 1728 حيث رام ركوب بعض السفن الأوربية الرئيسية بسلا إلا أن رفيقه في المحاولة، وكان أنجليزيا أيضا، وشى به ولم يسلم پيلّوْ من تلك الورطة إلا لأن الحظ كان إلى جانبه. ولذلك لما أقدم علي محاولته الثالثة فضل أن لا يبوح بسره لأحد، وكان شديد الحذر كثير المراوغات. خرج من مكناس متفردا فقصد سلا، فلما انغلقت كل الأبواب أمامه هناك عزم على الرحيل إلى أگادير، لكنه اجتنب التوجه إليها

مباشرة، بل توغل من جديد بداخل الأراضي المغربية حيث مر من قصبة تادلا ودخل قبيلة أيت عتاب ثم مر من زاوية سيدي رحال قبل أن يصل إلى مراكش، ومن مراكش سافر إلى تارودانت عبر تامصلوحت وأمزميز فرأس الوادي فتارودانت. وكان في أثناء ذلك يوري تارة بأنه طبيب وتارة أخرى بأنه من عبيد المولى عبد الله يريد اللحاق به، ثم من تارودانت قصد إلى أگادير. ولما لم يجد بخليجه مركبا قابلا لإخراجه من البلاد رحل إلى إلوليدية عبر أسفي، وبالوليدية وجد ضالته المنشودة حيث ركب مركبا أنجليزيا نقله إلى جبل طارق. فهذا ما كان من تنقلاته ومن شهاداته التي يتميز بها كتابه عن باقي كتب الرحلات الأوربية إلى المغرب.

لكن يوجد ضمن هذه الشهادة الشخصية، قسم رابع منبث في صفحاتها بشكل متفرق، ينطوي على نقل حرفي أحيانا لبعض ما جاء في رحلات سابقة، وخاصة منها رحلة جون ويندوس John Windus الذي كان من كتاب السفارة الأنجليزية لدى المولى إسماعيل سنة 1721، والتي تم نشرها سنة 1725، والمنقول منها عبارة عن استطرادات تستجيب لحاجة القارئ الأنجليزي إلى الاستغراب فتشير إلى عوائد المغاربة وإلى شخصية المولى إسماعيل وإلى كل ما كان من شأنه أن يدغدغ خيال متوسط القراء لديهم آنذاك.

هذا ولئن كنا نعرف تاريخ ميلاد پيلُّوْ بكل دقة فإن مصيره بعد صدور كتابه مجهول على الإطلاق.

M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow : une lecture du Maroc au XVIII siècle*, Paris, 1983 ; T. Pellow, *The History of the lowy captivity and aventures of Thomas Pellow*, London, 1745.

إبراهيم بوطالب

## بيلمَاون ← بوبطاين
## بَيلير ← ميشو-بيلير

**بيلين** أو بلين، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وكان من بين أفرادها بتطوان بيلين قاسم بن أحمد فقيه زاول خطة العدالة بالمدينة سنتي 1141 ـ 1142 / 1729 ـ 1730. وبه انقرضت هذه الأسرة من تطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 50 ؛ 7 : 9 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 297 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البيمارستان**، كلمة من أصل فارسي، ظهرت فيما يبدو بالمغرب بعد تأسيس بيمارستان مراكش الذي كان يعرف أولا بدار الفرج (*الاستبصار*، 210). فقد وردت كلمة البيمارستان عند عبد الواحد المراكشي في *المعجب* (ص. 227)، ولعله يكون هو الذي أدخلها اعتباراً لكونه زار الشرق وأقام فيه طويلا وألف كتابه في العراق حيث كانت الكلمة تطلق على الأماكن الخاصة بعلاج المرضى.

ويبدو أن إنشاء البيمارستانات يدخل في إطار اهتمامات المخزن المغربي بتوفير تغطية صحية للمدن، وخاصة العواصم وذلك بالنظر الى التهديد المستمر للسكان بالأمراض المعدية، وبناء على ذلك يمكن فهم بعض دوافع انشاء محاجرصحية خارج أسوارالمدن خاصة برعاية المصابين بالجذام، عرفت باسم حارة الجذماء (*التشوف*، 268)

ومنذ منتصف القرن السادس (12 م) ازداد الاهتمام بهذه التغطية أكثر، فإلى جانب تشجيع الأطباء والمبالغة في تقديرهم واستقدام ذوى الخبرة منهم (*البيان*، قسم الموحدين : 146 ـ 164)، سن الموحدون منذ عهد المنصور على الأقل عادة الختان السنوي للأطفال اليتامى والفقراء (*المعجب*، 287).

وقد بلغ هذا الاهتمام أقصاه بتأسيس دور الفرج أو البيمارستانات بمراكش وشالة والقصر (*العلوم*،129). واتسعت خريطة البيمارستانات مع المرينيين لتشمل جهات أخرى في البلاد (*الطب*، 64) خاصة مدينة فاس التي كانت بها شبكة بيمارستانات منها ما يوجد داخل السور ومنها ما يقع خارجه (*وصف*، 1 : 180).

كان للبيمارستان مشرف أعلى وهو طبيب معروف بالكفاءة يسمى أمين البيمارستان (*العلوم*، 131) وتحت إشرافه طاقم متعدد الاختصاصات والمهام يتكون من :

- أطر إدارية عبارة عن كتَّاب للتسيير والإنفاق.
- أطر طبية تتكون من أطباء وممرضين (*وصف*، 1 : 181).
- صيادلة مكلفين بتحضير الأدوية المطلوبة (معجب، 287)
- طباخين (*وصف*، 1 : 181). وبدون شك كان هناك مكلفون بالنظافة اعتباراً بكون المريض خاصة في بيمارستان مراكش كان يستفيد من "ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء" (معجب، 287). وكان المخزن هو الذي يموِّل هذه المؤسسة ويقوم على مراقبتها (معجب، 287 ؛ *الذخيرة* ؛ 100).

يتكون البيمارستان فيما يبدو من أقسام حسب أنواع الأمراض، الأمراض غير المعدية، والأمراض العقلية (*القرطاس*، 217) وكل قسم يتكون من مجموعة بيوت، يؤوي كل منها عددا معينا من المرضى (معجب، 287).

ولم يكن دخول البيمارستان حكرا على أهل المدينة التي يوجد فيها، بل كان مفتوحا أيضا في وجه الغرباء وبالمجان. وكان البيمارستان مكلفا بتأمين المريض في ماله أثناء مدة إقامته به، ومسؤولا عن ضمان عيشه بعد شفائه وخروجه في حالة ما إذا كان محتاجا إلى أن يتمكن من توفير عيشه (معجب، 287).

والملاحظ ان تأمين بيئة سليمة للبيماريستان كان حاضرا ضمن عناصر اختيار موقعه في المدينة، وفي شكل بنائه، ومكوناته المعمارية والطبيعية من بيوت وأقسام وماء وهواء وخضرة (معجب، 287).

مؤلف مجهول، *الاستبصار*، تح . سعد زغلول عبد الحميد، البيضاء 1985 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، تح. محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، القاهرة 1949 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*،

تـح. أحمد التوفيق. الرباط 1984 ؛ ابـن عـذاري، *البيان*، قسم الموحدين ـ تـ. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ *الذخيرة السنية*، ط. الـربـاط ؛ ح. الـوزان، *وصف إفريقيا*، ج : 1 ـ تـر. محمد حجي ومحمد الأخضر الرباط 1980 ؛ م. المنوني، *العلوم والآداب والفنون*، الرباط 1977 ؛ *مجلة المناهل*، عدد 33 سنة 1985، ص. 44 ـ 76.

محمد رابطة الدين

**بيمَنْصُورْن**، الطيب بن أحمد بن الحسين بن إبراهيم بن محمد بن يحيى البوشناوي البوبكري الباعمراني، ورث هذا اللقب عن جده الحسين، ومعنى بيمنصورن صاحب الضباع المتوحشة، ذلك أن جده هذا صارع ضباعا في إحدى الليالي فاختل عقله مدة من أجل ذلك.

قرأ الطيب في كتّاب قريته كل ما يتعلق بحفظ القرآن وأتقنه بروايات ورش وقالون وابن كثير وأبي عامر البصري على يد الشيخ أحمد بن إبراهيم السُّكَّال التدرارتي الباعمراني، ثم أخذ الأمهات العربية على يد الأستاذ المحفوظ بن عبد الرحمان خاتمة الأدوزيين، كما استفاد من مجالسة الشيخ ماء العينين، واستكمل دراسته العلمية في قبيلة أيت الرخا على يد الشيخ النعمة بن ماء العينين. وله منه إجازة جاء فيها "هذا وليعلم الواقف عليه من الأئمة، بل من جميع الأمة، أنني أنا الكويتب أجزت ابن قلبنا مريدنا خاصتنا السيد الطيب بن أحمد البوبكري الباعمراني في تعليم ما شاء من العلوم لمن شاء من ذوي الفهوم، إجازة مطلقة لا تختص بفن دون فن ولا بشخص دون شخص..."

هذا ولدينا مراسلات جرت بين بيمنصورن هذا وبين علماء كبار كانوا دائما يضعونه في مراتب عالية تدل على رفعة شأنه، من ذلك رسالة من العلامة محمد بن عبد العزيز من آل الشيخ ماء العينين جاء فيها : "قرة عيني، من لا فرق بينه وبيني، الأديب الأريب، العالم الحسيب، النسيب البركة، ميمون السعي والحركة، الطيب بن أحمد البوبكري..." والرسالة تبرز مكانة المترجم له لدى الأمير أحمد الهيبة.

وهناك مراسلات بينه وبين علماء عصره وشهادات على عظيم مكانته، وأخرى عبارة عن استفساره في معضلات فقهية وعلمية بينه وبين شيخه المحفوظ الأدوزي. وله شعر حسن لم يجمع في ديوان، وتتراوح قصائده المعروفة بين عشرة أبيات وخمسين بيتا، منها في رثاء والديه المتوفين دفعة واحدة :

| | |
|---|---|
| برقٌ بروقُك بالأماني خُـلَّبُ | دارٌ بها جيشُ النوائب غُلَّبُ |
| مقرونةٌ منها المسرةُ بالأسى | ولذيذُها بالمرِّ يومًا يُسلَـبُ |

ومن آثاره المكتوبة *جمع الأحكام والقضايا الفقهية* التي عرضت عليه *وتأليف في الأدب العربي* ضمنه قصائد رائعة من أدبيات آل ماء العينين لكنه لم يكمل ؛ *تقاييد عن النقود والسكك المتداولة* بسوس ما بين 1303 إلى 1340 في كناش خاص ؛ *تاريخ أيت باعمران*، كما قال، لكنه تاه في استعراض التاريخ العام ومشروعية التاريخ وضرورته والرد على من لا يقيم للتاريخ وزنا ؛ *مذكرات تاريخية* تتبع فيها الأحداث عن قرب في أيت باعمران وسجل ذلك بدقة متناهية أسبابا ونتائج، فكانت المذكرة الأولى عبارة عن المقدمة، لكنها مبتورة، فالمذكرة الثانية خصصها للتعريف بعائلته منذ أجيال طويلة، وهي أيضا مبتورة، ثم المذكرة الثالثة تناول فيها حروب الشيخ أحمد الهيبة من شعبان سنة 1332 هـ إلى رمضان سنة 1337 هـ وخصص المذكرة الخامسة للحروب القبلية والفتن بأيت باعمران.

وللشيخ بيمنصورن خزانة مهمة تكاد تكون كلها من المخطوطات، ومعظمها في الفقهيات واللغويات والأدب وفنونه، وكان يهتم بتسجيل الأدب الشلحي بجانب الأدب العربي، وقد أحصيت في خزانته مائة وستة كتاب مع تعدد الأجزاء أحيانا في الكتاب الواحد. وكانت وفاته عام 1404/ 1983.

الطيب بيمنصورن نفسه، *مذكراته وتقاييده*، مخطوطات بخزانته، استجوابات مع المترجم قبيل وفاته ؛ ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 : 237 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر* (سوس ما بين 1822 ـ 1906) ص 427.

الحسين جهادي

**بيميانطا**، أبراهام (1860 ـ 1924)، كان معلما وصحفيا، يكتب بجريدة *رفيي دي ماروك* *Reveil du Maroc* وجريدة *لاديبيش ماروكين* *La Dépêche marocaine* كما كان مراسلا لمدة طويلة بطنجة لجريدة *لوطّان* *Le Temps* البارزية (لاريدو، *أسماء* ... : ص 934).

A. Larédo, *Les Noms des Juifs*.

سيمون ليفي

**البين**، قرية داخلة ضمن حوز تطوان الحالي، وناحية مجكسة القرن الثامن الهجري (14 م). تعرفنا على وجودها سنة 837 /1433 في البقعة التي ما زالت تشغلها إلى اليوم، في منخفض معلق بالسفح الشرقي من جبل "فتح لمهر"، من جبال الدرقة (حاليا الدرسة) حسب البكري، بين بني كوف وبلوازن. وتحتجب مباني القرية وراء تلين صغيرين (163 م ـ 260 م) يفصل بينهما مجرى أحد منابع واد أسمير.

تعرضت قرية البين للغارة البرتغالية انطلاقا من سبتة المحتلة، وذلك في فجر أحد أيام جمادى الأولى 837 / ديسمبر 1433، إثر غزو جارتها بلوازن، نتيجة احتضانها لعدد من رجال المقاومة، وبذلك تم تخريب القرية، غير أن هذا لم يحل دون عودتها إلى الحياة ثانية وجمع الكلمة لتنظيم الغارة منها على سبتة.

*ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 40، تطوان 1952 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 164.

Zurara, *C do D. Duarte*, 80.

حسن الفكيكي

**بين الويدان**، جماعة قروية بدائرة واويزغت بإقليم

أزيلال مساحتها 170 كلم سكانها 8419 نسمة (1982)، حققت نموا ديموغرافيا كبيرا في العقدين الأخيرين. تنتشر أراضيها فوق السفوح والجبال الشمالية الغربية للأطلسي الكبير والمتوسط. وفي جبال كلسية متوسطة الارتفاع (1000 . 1800 م) ترجع صخورها إلى فترة الجوراسي واللياس وتتكون بنيوياً من محدبات ومقعرات منتظمة. ويتسع أحد المقعرات كثيراً ليكوِّن حوض واويزغت وهو وهدة تغطيها مفتتات قارية ورواسب نهرية حديثة. تتلقى هذه الجبال باعتبار موقعها المواجه للرياح الممطرة مقادير هامة من الأمطار (600 إلى 800 ملم) وتغطي غابات البلوط الأخضر معظم السفوح مما يؤدي إلى ضيق المجال الزراعي الذي فقد أغنى وأوسع مجالاته وهو حوض واويزغت الذي غمرته مياه بحيرة السد لكن هوامشه مازالت تستغل في زراعة بورية للحبوب رغم انحدارها كما تستغل مياه بعض العيون في زراعة مسقية. ويعتبر حوض واويزغت من أفضل المناطق الجبلية المنتجة للوز البوري في المغرب. وهناك بعض التلال المسطحة تستغل كذلك في زراعة بورية للحبوب. ويوفر المجال الغابوي والزراعي مراعي جيدة للأغنام والأبقار. وأدى نقل الكثير من الدواوير من وسط الحوض المغمور بالمياه إلى انتشار السكن المتشتت بالمنحدرات المحيطة بالبحيرة. وينتمي السكان إلى قبائل أيت بوزيد وأيت عطا أمالو.

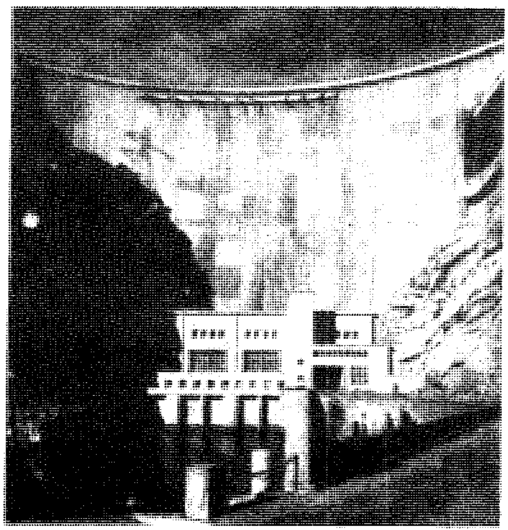

في هذا المجال شيد سد بين الويدان الذي يعتبر من أهم سدود المغرب من حيث المخزون المائي كما سياتي. ويرتبط بالسد وبحيرته منشآت إدارية وتجمعات سكنية منها سكن موظفي السد وعمال منشآته الكهربائية والتقنية يوجد معظمها بسافلة وادي العبيد على منحدر بالضفة اليمنى للوادي، وهي منازل حديثة معظمها على شكل ڤيلات تنتشر وسط الخضرة. كما توجد منشآت عمرانية أخرى بأعلى السد بضفاف البحيرة وسكن متشتت حول البحيرة بناه سكان القرى المغمورة الذين يعملون إما في منشآت أو رحلوا للعمل بعيداً تاركين أسرهم. وتعرف المنشآت السياحية حول البحيرة نموا مضطردا لإمكانية ممارسة عدة أنشطة ترفيهية ورياضية، مثل سباحة قوارب شراعية وتزحلق على المياه وصيد. ويوجد حولها مخيم حسن التجهيز مساحته أربعة هكتارات، سعته ثلاثمائة خيمة، وفندق مصنف يضم أربعة وستين سريراً به مقهى ومطعم. كما يوجد بالمركزين الحضريين القريبين واويزغت (4164 ن) فندق غير منصف من ثمانية عشر سريراً، وأفورار (5018 ن) فندق مصنف من فئة ثلاثة أنجم ومائة وتسعة عشر سريراً. ويتميز النشاط السياحي باستمراره إذ يزور البحيرة حافلات الزوار طيلة السنة، من تلاميذ وطلبة وسواح أجانب ومغاربة. وينعقد بقرب السد سوق أسبوعي يوم الأحد يزود السكان بالحاجيات الضرورية، كما ينعقد سوق أسبوعي آخر بواويزغت. ويقوم جدار السد بوظيفة أخرى هو تكوينه لقنطرة على طريق أزيلال بني ملال.

*بحث ميداني ؛ بحوث طلبة الجغرافية بالسنة الرابعة بكلية الآداب. مراكش ؛ كتب عامة لجغرافية المغرب. تحليل خرائط طبوغرافية وجيولوجية.*

أحمد هوزالي

**بين الويدان**، سد على واد العبيد أحد روافد أم الربيع الذي تحظى مياهه بالوفرة والانتظام فصارت منذ العشرينات محط اهتمام بالغ من لدن السلطات الاستعمارية المحتاجة بإلحاح إلى الإنتاج الكهربائي. وهكذا تم تشييد أول سد بالمغرب بين عام 1925 وعام 1929 بسيدي سعيد امعاشو في سافلة النهر.

مباشرة بعد هذه الفترة، توسعت المساحة المسقية بواسطة الضخ في سهل تادلا، الذي يعد أقدم دائرة مسقية كبرى بالمغرب، وانطلق الري الانجذابي عن طريق تحويل مياه أم الربيع بفضل إنشاء سد صغير بقصبة تادلا بين عام 1929 وعام 1935، إلا أن انتشار الري كان جد بطيء، نظرا لتعقد البنيات الزراعية ولملوحة الماء (2٪). وحتى يتسنى تغطية كل مساحة السهل الجاف المتوفر على بعض المؤهلات الملائمة، من جودة في التربة وانبساط في التضاريس، وقع الاختيار على موضع جنوب شرق واويزغت بواد العبيد لإقامة سد بين الويدان (1949 . 1953). ويشكل هذا المجرى أهم روافد أم الربيع في الأطلس المتوسط، حيث تطعِّمه شبكة مائية محلية كثيفة تغذيها مياه الأمطار والثلوج الغزيرة.

لقد ظل يعتبر سد بين الويدان أكبر سد في المغرب قبل الانتهاء من تشييد سد المسيرة سنة 1979. إذ يبلغ جدار سد بين الويدان 132,5 م ارتفاعا و290 م طولا. أما سمكه فيتراوح بين 5 م في الأعلى و28 م في القاعدة. وتسمح هذه الخصائص بخزن 1485 مليون م$^3$ وبتحويل 1160 مليون م$^3$ سنويا.

إن بناء هذا السد دشن بداية عهد المنشآت المائية الضخمة المشرفة على القطاعات المسقية الكبرى، حيث يتم التوفيق في استعمال الماء بين الري وإنتاج الكهرباء.

تستعمل مياه بحيرة بين الويدان أولا في تحريك العنفات الموضوعة أسفل السد والموجودة على مسافة تتراوح بين 59م و105م من رأس الجدار. تصل القوة التوليدية بالمحطة الكهربائية إلى 135.000 ك. و/س. وتمكن من انتاج معدل عادي يبلغ 200 مليون ك.و/س.

بعد ذلك تنقل المياه على بعد 4 كلم عبر قناة باطنية إلى حوض التعديل بسد أيت أو عرضة الذي تم بناؤه سنة 1954، والذي تبلغ سعته 4،1 مليون م$^3$ وقوته التوليدية 86.000 ك.و/س، ثم تحول المياه إلى المحطة الكهربائية بأفُورارْ عبر قناة باطنية أيضا تمتد على مسافة 10،5 كلم ويبلغ قطرها 4،5 م ولا يتعدى صبيبها 48 م$^3$ / ث.

يتعرض التوزيع الأمثل لمياه بين الويدان بين المركب الكهربائي الضخم والسهل الزراعي الشاسع إلى عائق أساسي يتمثل في عدم توافق فترة الإنتاج الكهربائي وفترة الاحتياج إلى الري. ذلك أن جزءا من المياه المستعملة في محطة أفورار يفرغ في نهر أم الربيع أثناء الليل وخصوصا في فصل الشتاء، حيث يكون طلب السقي ضعيفا. ويزداد المشكل حدة عندما يتناقص منسوب المياه بالبحيرة، كما هو الشأن في فترة الجفاف الأخيرة (1981 - 1982)، حيث وصلت نسبة التخزين في حوض بين الويدان إلى 21،5٪ فقط. على إثر ذلك تقرر إخضاع تحريك عنفات أفورار إلزامياً إلى الحاجيات الفلاحية.

| المحطات | 1978 | 1982 | 1986 |
|---|---|---|---|
| بين الويدان | 239،6 | 47،5 | 78،2 |
| أفورار | 569،4 | 185،3 | 212 |
| مجموع حوض أم الربيع | 1125 | 409 | 403 |
| مجموع المغرب | 1393 | 555 | 625 |

خارج سهل بني موسى (جنوب تادلا) كانت تتوقع الدراسات الأولى رصد 90 مليون م سنويا (بصبيب 5م$^3$/ث) تصريفها إلى حوض القصبة الزيدانية، لتخفيف ملوحة مياه أم الربيع ولري 10000هـ إضافية بسهل بني عمير (شمال تادلا). كما كانت تتوقع رصد قدر مماثل لقطاع تاساوت الأسفل بمنطقة السراغنة، على بعد 40 كلم غرب بني موسى.

أما التصميم المديري لحوض أم الربيع الذي أنجز في بداية السبعينات فيوزع مياه واد العبيد بين تاساوت السفلي (169 مليون م$^3$) لري 27000 هـ وبني موسى (710 مليون م$^3$) إضافة إلى صب 231 م$^3$ من المياه غير المستعملة في نهر أم الربيع لتطعيم بحيرة سد المسيرة.

تنطلق من حوض أفورار، الذي تبلغ سعته 25000 م$^3$، قناتان رئيسيتان تسقيان 70000 هـ بسهل بني موسى وجزءا من السراغنة. وتتجه القناة اليمنى على امتداد 34 كلم نحو شرق بني موسى، حيث تصب 16 م$^3$/ث، وتتجه القناة اليسرى - الوسطى صوب الغرب.

بعد تسعة كيلوميترات من أفورار تنطلق القناة اليسرى بصبيب 21 م$^3$/ث لتمتد على مسافة سبعة وثلاثين كيلوميتراً. ومن هذه الأخيرة تتجه قناة نحو تاساوت السفلي على مسافة 33،5 كلم (8 - 6 م$^3$/ث). وفي نفس الملتقى تتفرع عن القناة اليسرى - الوسطى القناة السريعة المتجهة نحو الشمال على مسافة ثمانية عشر كيلوميتراً (32 م$^3$/ث)، والتي تغذي القناة الوسطى الغربية (26 كلم و11 م$^3$/ث) والقناة الوسطى الشرقية (13 كلم و45 م$^3$/ث).

T. Benchekroun, *Fonctionnement du complexe hydro-électo-agricole des Beni-Moussa, Hommes Terre et Eaux*, N° 56, Rabat, 1984, p. 77 - 83 ; H. Etienne et D. Guessab, *La plaine du Tadla*, in *Ressources en Eau du Maroc*, Rabat, 1975, T. 2, p. 299 - 365 ; J. Loup, *L'Oum-Er-Rbia, contribution à l'étude hydrologique d'un fleuve marocain, Travaux de l'Institut Scientifique Chérifien, Série Géologie et Géographique*, N° 9, Rabat, 1960 ; J. Martin (et al.), *Géographie du Maroc*, Rabat, 1967.

مصطفى عياد

**بينس أركاندُونْيا** (فرانسيسكو) Bens Argandoña (Francisco)، جنرال إسباني ولد بمدينة لاهابانا La Habana بكوبا Cuba يوم 28 يونيو 1867. وفي سنة 1882 التحق بالأكاديمية العسكرية التي تخرج منها برتبة ملازم سنة 1885. نقل إلى إسبانيا ومكث بها إلى أن عاد إلى كوبا سنة 1887، وفي سنة 1893 نقل من جديد إلى مدريد ومنها إلى مليلة حيث شارك في الحرب الاسبانية المغربية ثم عاد إلى وطنه الأصلي في السنة التالية وهناك ارتقى لرتبة قبطان يوم 10 أبريل سنة 1897 ؛ وفي شهر نوفمبر 1898 نقل للمرة الثالثة والأخيرة إلى إسبانيا.

الكولونيل بينس بين جماعة من الصحراويين

كان بينس يعمل بحامية الجزر الخالدات عندما عين حاكماً سياسياً وعسكرياً بمقاطعة وادي الذهب في متم شهر ديسمبر سنة 1903، والتحق بمركز فيبيا ثيسنيروس Villa Cisnerus يوم 17 يناير 1904 على رأس كتيبة تتكون من ملازم وواحد وثلاثين جندياً وممرض. وظل بينس بين جدران المركز لا يستطيع مغادرة شبه جزيرة الداخلة لمدة سبعة أشهر شأنه في ذلك شأن من سبقوه من الحكام منذ احتلال المركز المذكور يوم 3 نوفمبر 1884.

وكانت أول محاولة قام بها بينس لفك الحصار المضروب عليه من طرف المغاربة بقيادة الشيخ ماء العينين هي محاولته الفاشلة من أجل احتلال رأس جوبي (طرفاية) في

شهر مارس سنة 1911، تلتها محاولة أخرى فاشلة قام بها في شهر نوفمبر سنة 1914.

وبعد مرور أربع سنوات على فرض الحماية على المغرب تمكن بينس من احتلال رأس جوبي (طرفاية) يوم 29 يونيو سنة 1916، وعين يوم فاتح يوليوز من نفس السنة نائباً للمقيم العام الإسباني بالمغرب بحكم أن طرفاية كانت تعد المنطقة الجنوبية للحماية الإسبانية بالمغرب بمقتضى المعاهدة الإسبانية الفرنسية ليوم 27 نوفمبر 1912 ؛ هذه المنطقة التي عين بها مندوباً للخليفة السلطاني بتطوان السيد سالك بن عبد الله يوم 22 ديسمبر سنة 1917.

وفي 30 نوفمبر سنة 1920 تمكن بينس من احتلال الگويرة الواقعة بالرأس الأبيض، فكان ذلك سبب ارتقائه لترتبة كولونيل ؛ وظل بينس بمنصبه إلى أن أعفي منه في 7 نوفمبر سنة 1925، ولم ينشر مذكراته حول مقامه بوادي الذهب إلا سنة 1947.

وقد أرادت الحكومة الاسبانية أن تخلد اسم هذا الجنرال فأصدرت يوم 26 يوليوز 1949 مرسوماً يقضي بأن يطلق اسمه على قصبة طرفاية التي أصبحت تعرف عند الاسبان فيبا بنيس Villa Bens (بلدة بينس).

Général Bens, *Mis memorias (22 años en el desierto)*, Madrid, 1947 ; T. Garcia Figueras, *Santa cruz de mar pequena*, Ifni - Sahara, Madrid, 1941 ; L. Domenech, *Algo sobre rio de oro*, Madrid, 1946.

محمد ابن عزوز حكيم

**بّينطو**، أسرة يهودية من أصل إسباني كانت بكثرة في طنجة ومراكش والصويرة والدار البيضاء، وكذلك بهولاندا وأمريكا الشمالية والجنوبية، نذكر من بين عناصرها :

**بّينطو، أبراهام** بن يعقوب عاش في القرن الثامن عشر، وهو صاحب كتاب حيدوشيم *عَال هَسِخيت كِتُبوت* في تأويل التلمود، نشر عام 1813 باليونان.

**بّينطو، إسحاق** الترجمان وهو الذي ترجم بنيويورك عام 1789 الرسالة التي وجهها السلطان سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ 15 ذي القعدة عام 1202 / 17 غشت 1788 إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، هذا ما كتبه عنه لاريدو في *أسماء يهود المغرب*، ص 998.

**بّينطو، إسحاق عزي حاكو**، المتوفى عام 1792 والذي كان لمدة أعوام على رأس إدارة الديوانة بطنجة.

**بّينطو، حييم** كان ربّيا أكبر بالصويرة، توفي عام 1844 أو 1845. كان صوفياً قبالياً ينسب إليه جمهور اليهود كرامات عديدة وبركات لا تحصى. ومازال قبره محط عناية بالمقبرة اليهودية القديمة يحج إليه اليهود مرة في السنة في أفواج منظمة، وقد جمع مخلوف مزّال تريم في كتاب بالدارجة المغربية وبحروف عبرية كل ما قيل ويردده اليهود من أخبار عن حييم بينطو، ويحمل الكتاب عنوان *سفر حييم وحسيد* (حياة وطيبوبة)، نشر بالدار البيضاء في مطبعة إدَيال.

وكان ربيون كثير يحملون لقب بينطو، عاشوا بالمغرب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في المدن المذكورة، منهم ريُوتَن وأبراهام وإسحاق وميمون وموشي وشالوم وشلومو ومسعود ويعقوب ويوسف. ونشير إلى أن الربي يعقوب والد أبراهام المذكور الذي عاش بالصويرة وضع مع الربي شالوم بوزگلو وربيين آخرين كتاب الزهر بعنوان *مقداش مَالكي*.

A. Larédo, *Les Noms des Juifs* ; Y. Benaïm, *Malke Rabbanan* ; H. Zafrani, *Kabbale*.

سيمون ليفي

**پينطوس ليديسْما**، Pintos Ledesma جنرال ولد بجزر كبدانة السَّليبة سنة 1856 وتخرج من أكاديمية المشاة سنة 1873 بدرجة ضابط وحصل على درجة قطبان على إثر الخدمات العسكرية التي قدمها لبلاده أثناء الحرب الأهلية الإسبانية سنة 1876. شارك سنة 1879 في حرب كوبا كما شارك من سنة 1888 إلى سنة 1891 في حرب الفيلبين، ثم عاد إلى كوبا حيث ارتقى إلى درجة كولونيل سنة 1896، وفي السنة التالية رجع إلى اسبانيا حيث ارتقى إلى درجة جنرال سنة 1905. وفي سنة 1908 نقل إلى مليلة حيث شارك في الحرب التي كان يخوضها الجيش الإسباني الغازي ضد بطل المقاومة المسلحة بناحية الكرت الشريف سيدي مَحمد أمزيان. وفي يوم 27 يوليوز 1909 قتل الجنرال پينطوس في معركة خندق الذيب Barance del lobo الشهيرة حيث انتصر المجاهدون على الإسبانيين وأسفرت المعركة أيضا عن مقتل

مقتل الجنرال پينطوس في معركة فندق الذيب - 27 يوليوز 1909.

خمسة ضباط برتبة كولونيل وثمانية برتبة قطبان، وسبعة برتبة ملازم، وعن جرح ضابطين برتبة كولونيل وآخرين برتبة كومندار وأربعة وأربعين برتبة قطبان، كما قتل خمسمائة وخمسة وعشرون من الجنود وجرح أربعة وثلاثون وخمسمائة آخرون.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*.

C. Martinez Campos, *España belica, El siglo XX, Marruecos*, Madrid, 1972 ; *Espasa Calpe*, T. 44, Madrid, 1921, p. 1099 ; Servicio historico militar, *Historia de las campañas de Marruecos*, T. 1, Madrid, 1947, p. 92.

محمد ابن عزوز حكيم

**پينك**، Pinque من السفن التي كانت شائعة الاستعمال في البحر المتوسط، وتطورت عن نوع بوكراع Chebec فأصبحت خلال القرن السابع عشر، من السفن الرئيسية في أسطول الجهاد السلاوي الموجهة لعمليات أعالي البحار. تتميز پينك أساسا بأشرعتها المربعة، وهي تشابه إلى حد جد كبير نوع البولاكر على مستوى ارتفاع الكوثر وحدة جؤجؤها وتسطح قعرها وارتفاع حمولتها النسبي المتراوح بين مائتين وثلاثمائة طنة. وقد متعها المجاهدون بمواصفات تستجيب لخصوصيات العمل وطبيعة المصب، بالرفع من سرعتها وسهولة انقيادها لاستغلالها أشرعة الصواري الثلاثة وربما لقوة المجاذيف أيضا وتجهيزها بحوالي عشرين قطعة مدفعية وطاقم في حدود مائتي رجل في المتوسط. ويظهر انقراضها بعد القرن السابع عشر، إذ ينعدم ذكرها بعد عهد مولاي إسماعيل.

R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé*, p. 92.

حسن أميلي

**پينيا گراندي**، Peña Grande أي "الصخرة الكبيرة" اسم أطلقه الإسبان على مرسى تنافيذ الواقعة جنوب مرسى أوفيست المعروفة عندهم بالپرشيل El Parchel، وتحمل مرسى تنافيذ اسما إسبانيا آخر هو بْوينْ خارْدِينْ Buen Jardin أي البستان الجيد.

A. Domenech Lafuente, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946, p. 74 - 75 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-Saharico*, Madrid, 1955, p. 29 - 121.

**بِينْيَة**، أو بنية أو البنية، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس ومازالت أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Peña حتى اليوم ومعناه عندهم الصخرة وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ سنة 1185 / 1771.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**بينيث**، أسماك من فصيلة الأسقمري Scombridae ومن شائكات الزعانف Osteichthyens تعيش في البحار الاستوائية وشبه الاستوائية. منها خمسة أنواع تلعب دورا هاما في اقتصاد البلاد :

- بينيث سردينيه المسمى علميا Sarda sarda B يدعى بُنيتو في طنجة والعرائش و"بونيت" و"ساردا" في المحمدية والبيضاء و"بكورة" في أسفي. إنه سمك مخطط الظهر بلون أزرق لامع وباقي جسمه فضي. يبلغ طوله 50 . 90 سم ويتراوح وزنه ما بين 2 و7 كلغ. يعيش الكبار منه في جنوب المغرب قرب سواحل العيون وبوجدور. كما يعيش في البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي ابتداءً من خليج كاسكوني إلى السنيغال ومن سواحل البرازيل إلى الولايات المتحدة. يسبح غير بعيد عن سطح البحر وسط مجموعات عديدة الأفراد. يكثر صيده في فصل الربيع والصيف بواسطة الشباك والمزربة. يتغدى من الأسماك الصغيرة والحيوانات البحرية الصغيرة.

- بينيث الأوقيانوس أو بينيث مخطّط البطن المسمى علميا Katsuwonus (Euthynnus) pelanis. L. وبالفرنسية Bonite à ventre rayé وبالإسبانية Listado يطلق عليه في المغرب ليستاو Listao. يعيش في البحر المتوسط وفي المحيط الأطلنطي ويكثر صيده في فصل الربيع والصيف. يبلغ طوله 50 . 100 سم ويتعدى وزنه أحيانا 5 كلغ. يتنقل وسط مجموعات متعددة الأفراد ويسبح غير بعيد عن سطح البحر ولايبتعد عن السواحل. يتغذي من صغار الأسماك والقشريات ويصاد بواسطة الشباك والمزربة .

- بينيث الفرقاطة Auxis thazard (Lac) سمك يعرف في المغرب بالأوكسيد المأخوذة من الفرنسية Auxide وميلڤا المأخوذة من الأسبانية Melva لايتعدى طوله 50 سم، ظهره أزرق، بطنه فضى لامع. يأكل الأنشوفة وصغار الأسماك ويعد من الأسماك القواطع.

- التونين الشائع Euthynnus alleteratus (Raf) يطلق عليه في البيضاء والمحمدية "الباكورة" و"ميلبا" و"منيرڤا" و"التونين" المأخوذة من الفرنسية. يبلغ معدل طوله 85 سم ولا يتعدى 100 سم، الظهر أزرق داكن، الجوانب والبطن رمادية فضية كثيرا ما يقترب من الشواطئ ويسبح غير بعيد عن سطح البحر.

- تازارت Orcynopsis unicolor نوع من البينيث يعرف في المغرب بتازات وإغْرَعال وبالْميت المأخوذة من الفرنسية. الجسم مضغوط جانبيا ولا يتعدى طوله 130 سم.

يلعب البينيث دوراً هاماً في الصناعة إذ تعلب منه كميات هائلة. يستهلك داخل المغرب ويصدر إلى الخارج. يصاد في مجموع السواحل المغربية، وتعتبر الحسيمة وطنجة والعرائش والبيضاء والجديدة وأگادير وأسفي أهم الموانئ التي تستقبل أكبر عدد من البينيث.

المعلوف أمين، معجم الحيوان، مطبعة المقتطفة القاهرة، 1932.

J. Schouten et M. Ramdani, *Fish of the Khnifiss lagoon and the Tarfaya coast. Trav. Inst. Sci.* Rabat, Mémoires hors série, 1988, p. 101 - 104 ; W. Fischer, M. Schneider et M.L. Bouchot, *Méditerranée et mer noire*, *Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1987 ; G. Bianchi, *Ressources halieutiques de l'Atlantique Marocain, Fiches FAO d'identifications des espèces pour les besoins de la pêche*, Rome, 1984.

محمد رمضاني

**پيـو**، گبرييل Puaux Gabriel سفير من سلك السفراء الفرنسي من أولئك الذين استعملتهم وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية، من حين لآخر، في المستعمرات المحمية أو المنتدب عليها، فكان كاتبا عاما للحماية بتونس في العشرينات، ثم عين مندوبا ساميا لفرنسا بسوريا ولبنان في شهر أكتوبر سنة 1938 وامتد عمله هنالك إلى شهر نونبر سنة 1940، وتميز بإيقاف مجرى استقلال القطرين العربيين الذي كانت صيغته القانونية قد وضعت في معاهدتين متميزتين منذ أواخر سنة 1936 وشرع في العمل بمقتضاهما بالرغم من توقف البرلمان الفرنسي عن المصادقة عليهما، حتى إذا تقلد گبرييل پيو مهامه بدمشق وبيروت بادر إلى

إبطال مجهودات الوطنيين السوريين واللبنانيين لبناء صرح استقلالهم مستعملا أساليب العنف واللعب على الحبال، ولقد قال في هذا الصدد : " لم أسترجع راحة البال في بيروت إلا يوم اقتنعت بأن المسألة السورية لا سبيل إلى حلها بناء على منهجية ديكارت".

ولما انهزمت فرنسا في ربيع سنة 1940، وانقسم الفرنسيون إلى مناصر لپيتان مناد بالتعامل مع ألمانيا، ومناصر لدى گول راغبٍ في متابعة المقاومة ولو خارج التراب الفرنسي، كان گبرييل پيو من أولئك المسؤولين عن المستعمرات الذين لم يشغلهم سوى أمر المحافظة على ممتلكات فرنسا وراء البحار والحرص على صيانتها من الأطماع الألمانية والمنافسة الأنجليزية على حد سواء، ولذلك أبدى شيئا من التلكؤ في تنفيذ أوامر حكومة پيتان الرامية إلى السماح للطيران الألماني باستعمال القواعد الجوية السورية واللبنانية، خوفا من أن يؤدى الأمر إلى احتلال أنجلترا للقطرين، فجاء قرار پيتان بعزله من مندوبية سوريا ولبنان، فلجأ إلى تونس وأقام بها بغير وظيف إلى أن كان نزول جيوش الحلفاء بإفريقيا الشمالية وتم طرد الألمان والطليان من المنطقة، واستتب الحكم للجنرال دى گول فانتقاه ليكون مقيما عاما بالرباط خلفا للجنرال نوگيس (يونيه 1943).

كان تعيين پيو إشارة واضحة للجهات الوطنية المغربية التي كانت تتبع ما يجرى بسوريا ولبنان بعدم استعداد الحكومة الموقتة الفرنسية، بالرغم مما لحق بفرنسا من الهزائم، إلى الإصغاء إلى مطالب تمس بجوهر الوضع الاستعماري بالمغرب. فلما تقدم الوطنيون بعريضة الاستقلال يوم 11 يناير 1944، لجأ گبرييل پيو إلى أدوات الضغط والقمع وتعمدت زبانيته استفزاز مشاعير الجماهير المغربية واستدرجتها إلى الشوارع لتداهمها بنفس القوات العسكرية التي كانت تحشد بالمغرب آنذاك لتحرير التراب الفرنسي من وطأة النازية، وذلك بالقاء القبض على موقعي العريضة. ولما خرجت الجماهير تحتج في الرباط وسلا وفاس، قتل من قتل وسجن من سجن ومورست أبشع الضغوط على سلطان البلاد سيدي محمد بن يوسف ليُقيل وزيرين من وزارئه، هما الشيخ محمد بن العربي العَلوي والسيد أحمد بركاش، ورام گبرييل پيو أن يلزمه بالتبرؤ من حزب الاستقلال لكن دون جدوى. وكانت تلك الممارسات المنافية لمفهوم عقد الحماية لا تهدف سوى للانتقام من لقاء أنفا، سنة قبل ذلك، الذي ظهر المغرب فيه بلدا ذا سيادة في شخص ملكه يوم اجتمع رأسا لرأس مع الرئيس الاميريكي فرانكلين روزفيلت بغير حضور المقيم العام آنذاك الجنرال نوگيس، وكان الهدف منها أيضاً إحباط الحركة الاستقلالية وهي مازالت في نشأتها الأولى، عساها تتوقف نهائيا أو يترك قمعها متسعا من الوقت أمام أرباب الاستعمار.

ولما انتهى گبرييل پيو من الضرب والتنكيل انتقل إلى أساليب الترغيب والمخاتلة، فوضع في شهر مارس سنة 1944 مشاريع لبعض الإصلاحات، في الإدارة العامة لإقرار شيء من المساواة بين الموظفين الفرنسيين والمغاربة على أن تكون الشواهد والمؤهلات متساوية، وفي العدل لإدخال شيء من فصل السلط بين أجهزة السلطة وأجهزة القضاء والتخفيف من جبروت القواد والباشوات المسخرين للاستعمار، وفي التعليم بفتح عدد من المدارس والثانويات أمام الأطفال المغاربة ولو من باب تعزيز الإشعاع اللغوي والحضاري الفرنسي، وفي الفلاحة بحكم أنها أساس الاقتصاد المغربي وسبب رزق السواد الأعظم من المغاربة، بإقرار مبدأ صيانة الملك العائلي وحفظ الفلاح في جزء من أرضه مهما صغر، وبوضع نظام لإدخال التقنيات العصرية على الزراعة التقليدية هنا وهناك عبر البوادي المغربية، مما أطلق عليه عبارة "القطاعات العصرية للپيزانا"، وكانت تلك المشاريع الإصلاحية مجرد اعتراف غافل عن تقصير الحماية في تلك الميادين بالرغم من مرور جيل كامل على تاريخ إبرامها. ولقد كتب الزعيم علال الفاسي في شأنها قائلا : "الحقيقة أن التجربة دلتنا على أن الإصلاحات التي تضعها الإقامة ليست إلا شيئا خياليا لامصداق له، أو أنه في العمق محاولات جديدة لغصب البقية الباقية من مظاهر السيادة المغربية أو التراث الوطني". ولذلك رفضت الحركة الوطنية مشاريع گبرييل پيو وفندت مضامينها ومقاصدها الظاهرة والخفية جملة وتفصيلا، هذا فضلا عن كون العلاقات بين سلطان البلاد والمقيم العام كانت قد فسدت بما لاسبيل إلى تداركه، وكيف لا والمقيم العام گبرييل پيو الذي وصفه بعض المؤلفين الفرنسيين بانه "أشد الموظفين السامين تمسكا بروح المحافظة وأكثرهم اطمئنانا إلى سعة علمه وتفوق بلده في كل شيء أبد الآبدين". ولما قام سيدي محمد بن يوسف بزيارته الأولى إلى فرنسا غداة الحرب في يونيه سنة 1945، استطاع أن يقنع الجنرال دوگول بضرورة إبعاد گبرييل پيو عن المقيمية، واستطاع دوگول أن يمهد للأمر قبل استقالته عن الحكومة في شهر يناير سنة 1946، فتم تعويض پيو بسفير آخر هو إيريك لابون في مارس من نفس السنة.

ولم تنته بذلك صلات گبرييل پيو بالمغرب العربي، لأنه عاد إلى تونس وبها انتخب ممثلا للجالية الفرنسية بمجلس الشيوخ فكانت له جولات إضافية في مناوأة التيار التحررى بإفريقيا الشمالية.

S. Bernard, *Maroc, 1943 - 1956*, Université Libre de Bruxelles, 1963 ; R. Bidwell, *Marocco under colonial rule, French administration of tribal oren 1912 - 1956*, London, 1973 ; Ch. A. Julien, *L'Afrique du Nord en marche*, Paris, 1952 ; *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978 ; R. Letourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane 1920 - 1961*, Paris, 1962 ; G. Puaux, *Deux années au levant, Souvenirs de Syrie et du Liban* 1936 - 1940, Paris, 1952 ; F. Taillard, *Le nationalisme marocain*, Paris, 1947.

إبراهيم بوطالب

**البيوت**، قرية بفرقة الغابويين من قبيل أنجرة، اشتهرت لكونها أصبحت منذ تأسيسها، إن لم نقل إنها

أسست لذلك، رباطا للمجاهدين الذين كانوا يحاصرون مدينة سبتة منذ احتلالها من طرف البرتغال سنة 818 / 1415.

وعندما قام الجيش الإسباني بغزو المغرب انطلاقا من مدينة سبتة عام 1276 / 1859 كانت قرية البيوت مكان تجمع القوات المغربية النظامية والمجاهدين المتطوعين. وتقول الوثائق الإسبانية إنه في سنة 1330 / 1911 عندما بدأت القوات الإسبانية المرابطة بمدينة سبتة تمهد لاحتلال مدينة تطوان، كان عليها أن تحسب للمجاهدين سكان قرية البيوت ألف حساب وذلك لأنهم يعتبرون أكثر المجاهدين المغاربة شجاعة وحماسة بقبيلة أنجرة.

وقد تمكن الجيش الإسباني من احتلال عدة أماكن مجاورة لقرية البيوت مثل كدية فدريكو وكدية بني مزالة المحتلة يوم 7 مارس، وكدية أفرسيان المحتلة يوم 14 من نفس الشهر وجبل نگرو والمضيق المحتلين يوم 23 ماي، لكنه لم يستطع الاستيلاء على قرية البيوت بالرغم من المحاولات العديدة التي قام بها.

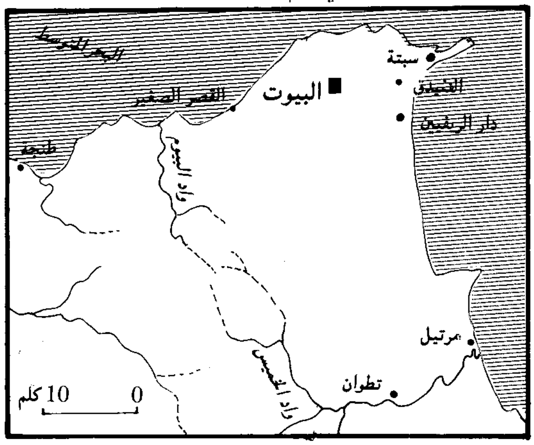

موقع البيوت

وبعد أن احتلت القوات الإسبانية مدينة تطوان يوم 12 ربيع الأول عام 1331 / 19 فبراير 1913 ظلت قافلات التموين الإسبانية تتعرض في طريقها من سبتة إلى المدينة المذكورة لهجومات مجاهدي البيوت، الشيء الذي أدى إلى وقوع معارك بكدية الفحامين وكدية أفرسيان وكدية فدريكو ودار الريفيين أيام 15 و16 و19 و21 و22 غشت و5 و8 و10 و13 و15 و17 و22 سبتمبر من السنة المذكورة وقد فقد فيها الإسبان ثمانين ضابطا ومائتي جندي.

وهذا ما جعل القيادة العسكرية الإسبانية تفكر من جديد في الاستيلاء على قرية البيوت، ومن أجل ذلك حشدت بمدينة سبتة جيشا يتكون من 22.000 من المشاة و6.000 من الفرسان وعين على رأسه الجنرال ميلانس Milans. وفي يوم 26 رجب 1334 / 29 يونيو 1916 توجهت القوات المذكورة إلى قرية البيوت حيث جرت معركة دامية مات فيها من الإسبان كولونيل واحد وكومنداران وثلاثة ضباط صغار وواحد وسبعون جندياً وجرح كولونيل آخر واثنان وعشرون ضابطاً ومائتان واثنان وستون جندياً، وكان من بين الجرحى القبطان فرانكو Franco الذي سيصبح رئيسا للدولة الإسبانية.

وجاء في البرقية التي وجهها المقيم العام الإسباني بتطوان الجنرال خوردانا Jordana إلى حكومته يوم 26 يوليوز : "إني أعتبر العملية التي مكنتنا من احتلال البيوت أهم العمليات العسكرية التي قمنا بها لحد الآن بأرض إفريقيا على الاطلاق"، والدليل على صحة ذلك أن الجيش الإسباني ما كان له أن يتمكن من احتلال قرية البيوت لولا مشاركة الشريف الريسوني في العملية على رأس 6000 من رجاله. ولمشاركة الشريف الريسوني في العملية سببان : الأول هو أنه كان في حالة هدنة مع الإسبانيين منذ أن وقّع معهم اتفاقية سبتمبر سنة 1915 التي فرضتها الظروف الناتجة عن الحرب العالمية الأولى، والسبب الثاني هو أن الشريف وجد في ذلك فرصة لتأديب قبيلة أنجرة التي كانت هي القبيلة الجبلية الوحيدة التي رفضت الانضمام إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يقودها الشريف الريسوني.

ت . الوزاني، *تاريخ المغرب*، 3 : 153 ؛ داود، *تاريخ تطوان*، 4 : 140. 157 . 169.

*Campañas*, T. 2, p. 652 - 654 - 735 - 819 ; T.Garcia Figueras, *Marruecos*, p. 113 ; C. Martinez Campos, *España bélica, El siglo XX (Marruecos)*, Madrid, 1972, p. 167 - 169.

محمد ابن عزوز حكيم

**البيوغرافيا**، (أنثروبولوجيا) لقد اختار بعض الأنثروبولوجيين الأمريكيين البيوغرافيا كأداة منهجية لدراسة الإنسان والمجتمع في المغرب. لكن بينما شكلت بالنسبة لبعضهم مجرد منفذ للتحدث عن التاريخ والمجتمع، شكلت بالنسبة لبعضهم الآخر أداة ثمينة لفهم العلاقة مع الثقافات المغايرة. ضمن المجموعة الأولى يمكن إدراج عمل ديْل ريكَلْمان Dale Eickelman الذي كتب "بيوغرافيا اجتماعية" تتوخى رصد السياق الاجتماعي لتطور التعليم الديني في المجتمع المغربي إبان القرن العشرين، وذلك من خلال تتبع مراحل البيوغرافيا الشخصية والعلمية لقاض قروي مقيم في بزو بالأطلس الأعلى. لقد أبرز طبيعة التربية الدينية في الكتّاب، باعتمادها القوي على الذاكرة والتلقين السلطوي، إضافة إلى المراحل التي يقطعها الطالب إلى أن يصل، إن هو استمر في الدراسة، إلى جامع ابن يوسف، وتتخلل عرض هذه المسيرة الدراسية إشارات وتعليقات على أهم الصراعات التي كانت آنذاك تمزق نسيج المجتمع المغربي، كصراع الملك والحركة الوطنية مع الاستعمار، أو الصراع الذي واجه بين تيار الإصلاح الديني وتيار الدعوة الطرقية.

لقد ابتعد عن مفهوم تاريخ الحياة لأن الحاج عبد الرحمن المنصوري، مع أنه كان أحيانا يأخذ الكلمة في النص، فإن الباحث ظل مع ذلك هو المتحدث الرئيسي الذي يتجاوز باستمرار الوقائع الخام في البيوغرافيا لتحليل ما يوازيها من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية ومناخية عاشها المجتمع المغربي برمته، أو لإنجاز مقارنات، حول

نفس القضايا، بما شهدته مجتمعات أخرى، أو يتجه إلى الاعتماد، إضافة إلى الرواية الشفوية للمبحوث عنه على ما سجله ووثائقه الشخصية، أو مقابلة أقربائه وأصدقائه ممن كانوا على صلة بعائلته وتلقوا مثله التعليم الديني، أو حتى على جريدة *السعادة* التي استخلص منها معلومات عن زواج المبحوث عنه. لقد تمكن الباحث، انطلاقا مما يتصور أنه المعرفة الجوهرية، من دفع المبحوث عنه إلى تجاوز ما تمثله الترجمة عادة من تقديم صوري للذات، إلى حد أن المعلومات التي أدلى بها للإثنوغرافي كانت أكثر غزارة من تلك التي رواها لأبنائه.

ونفس هذا التوظيف الأدواتي للبيوغرافيا نجده في اعتبار جُونْ واتربْري John Waterbury أن ما هو عام في التجربة الحياتيةَ للحاج إبراهيم، كتاجر سوسي مقيم بالدار البيضاء، أهم مما هو حميمي وفريد في شخصيته، مما دفعه إلى الاهتمام بما تمثله سيرته من تغير في أنماط السلوك والتفكير في المجتمع المغربي. وإذا كان قد عمد إلى التحقق من رواية محاوره بخصوص التواريخ والأحداث الكبرى، فقد اقتصر، مقابل ذلك، على ذاكرته كلما تعلق الأمر بأحداث يغلب عليها الطابع الشخصي والعائلي، معتبرا أن كيفية التحدث عن الماضي أكثر دلالة من مدى تطابق الحديث مع وقائعه.

لقد قارب سيرته انطلاقا من إشكالية ماكس فيبر حول العلاقة ما بين النجاح الاقتصادي والأخلاق البروتستانتية، كما حاول أن يختبر رد فعل الحاج إبراهيم إزاء الافتراضات التي طرحها دافد مكللاند David MacLelland بخصوص السبل المؤدية إلى التنمية الاقتصادية.

وبموازاة ذلك اتخذ من سيرته سبيلا إلى اختيار مدى استمرارية صلاحية الطرح الخلدوني بخصوص حاجة التجار المغاربيين إلى حماية الحكام ؛ كما أنه حللها في ضوء شروط تاريخية تحتضنها لا محالة، من جملتها عدم توفر السوسيين على تقاليد اقتصادية عريقة، إضافة إلى ضعف مشاركتهم في الأجهزة البروقراطية والسياسية الحاكمة.

وإذا كان الباحث قد أفسح المجال أحيانا أمام المبحوث عنه لكي يعبر عن آرائه ومواقفه حول الإسلام والحياة التجارية والسياسية والاجتماعية في المغرب، فإنه ظل مع ذلك ماسكا بزمام التأويل، إما بالاستناد إلى وقائع ملموسة كحادثة الزيوت المسمومة سنة 1959، أو انطلاقا من دراسات نظرية عامة أو خاصة بالمغرب، أو من خلال مقارنات بظواهر مماثلة في مجتمعات أخرى إسلامية وغير إسلامية.

وفي سياق منظور مماثل اتجه هنري منسون Henry Munson إلى دراسة ظواهر التغير الاجتماعي والفكري من خلال تحول وضعية المرأة والفلاح والمهاجر، وكذا من خلال فهم المستجوبين لسيرورات الاستعمار والقومية والتبعية والتحديث، وذلك في منطقة قروية مجاورة لمدينة طنجة. وقد اعتمد كأداة منهجية البيوغرافيا الشفوية لأربعين عضوا من عائلة سي عبد الله على أن هذا التعدد البيوغرافي لا ينحصر فقط في وفرة السير الواردة في نطاقه، بل يشمل أيضا مستوى الرواية، ومكان حدوثها، ومستوى التقنيات المنهجية المستعملة لتحصيلها. إن مصدر كل البيوغرافيات الواردة في هذا المؤلف فاطمة الزهراء - زوجة المؤلف - وخالها الحاج محمد. لقد وزع الباحث أحيانا عمل الرواية بينهما، لكن الغالب هو أنه جعلهما يتحدثان عن نفس الأشخاص ونفس الظواهر. ثم إن كل البيوغرافيات الواردة على لسان الحاج محمد تم تسجيلها بالمغرب، في حين أن معظم البيوغرافيات التي روتها فاطمة الزهراء تمت في الولايات المتحدة. وإذا كان مكان الرواية البيوغرافية يؤثر على طبيعتها، فإن نفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة لأسلوب تحصيلها. فبينما استعملت آلة التسجيل في المقابلات التي تمت بين الحاج محمد والباحث، اقتصر هذا الأخير مع فاطمة الزهراء على الكتابة المباشرة للروايات المدلى بها. لكن، إلى جانب ذلك سوّى بينهما لما أدرج في رواياتهما البيوغرافية معطيات وتصورات سمعها الباحث منهما بصفة غير مباشرة، وفي إطار جلسات جماعية، طيلة مدة إقامته بالمغرب، وأيضا لما منح لهما فقط امتياز إيراد سيرتهما الذاتية. لقد وضع المؤلف وسيطا بينه وبين الأشخاص الذين أورد بيوغرافيتهم، بلا شك لمعرفة مدى الاختلاف بين كل من النظرة الغربية لدى فاطمة الزهراء، والنظرة الإسلامية الأصولية للإنسان والمجتمع لدى محمد، وأيضا لمعرفة أهم السيرورات التي مر بها هذا المجتمع القروي في القرن العشرين من خلال المعيش اليومي والتجربة الداخلية.

ومن بين الباحثين الذين وظفوا البيوغرافيا ضمن أفق إعادة النظر في علاقة الأنثروبولوجيا بالذات وبالآخر "كفين دوير" و"فنسان كربنزانو" Kevin Dwyer et Vincent Crapanzano.

فخلافا للمقاربة الإبستمولوجية التي تمنح الأولوية في العمل الإثنوغرافي للحظة التأويل والكتابة، عمد "كفين دوير"، في محاولته كتابة بيوغرافيا فقيه من جنوب المغرب إلى إعطاء الصدارة للمقابلة الميدانية. مثل هذه التجربة، لما تستند إلى حوار الأحداث الشخصية التي اكتنفت حياة الراوي، تصبح مناسبة من جهة لتحليل عملية التفاعل مع ثقافة مغايرة، ومن جهة أخرى مدخلا لإعادة النظر في طبيعة البحث الأنثروبولوجي.

لقد قدم لنا الباحث نصا حواريا مثبتا بذلك أن الدور النشط للأنثروبولوجي يبدأ منذ الشروع في التحاور مع الآخر، وأن التفاعل الرئيسي لا يتم بين الباحث ونصه بقدر ما يتم بين الباحث والآخر. هذه المجابهة الجدلية وحدها، وليس الراوي ككائن منعزل، هي التي تسمح بإنتاج النص الإثنوغرافي. وإذا كان الباحث قد اختار تقريب الميدان، ما أمكن، من نظر القارىء فلأنه مقتنع بأن لحظة التأويل ليست هي الحاسمة في تحديد دلالة النص، ثم لأنه لا يود

تجريد القارئ من وسيلة تقييم مدى علمية البحث. وإذا كان قد اتجه إلى تأكيد حضوره كمحاور في النص فلكونه يعتبر أن الموضوعية لاتمر عبر إلغاء ذات الباحث، ولا عبر "تعدد البيوغرافيات"، وإنما عبر الاعتراف الصريح بالبعد الذاتي للباحث. ولعل إعفاء الأنثروبولوجي من مسؤولية تحديد الدلالة النهائية للنص يفسح المجال أمام اعتباره ليس كعمل نهائي ومكتمل، وإنما كتجسيد لمساهمة كل من الأنثروبولوجي والمخبر والقارئ في بلورة المشروع الإثنوغرافي.

وانطلاقا من المزاوجة ما بين الأنثروبولوجيا وبعض التصورات الجديدة في النقد الأدبي عمد "فانسان كرابنزانو" إلى كتابة تاريخ "التهامي". لقد أجرى معه مقابلات متكررة حول كل ما تخلل حياته بمكناس من وقائع. إن الباحث لم يسع فقط من خلال التهامي إلى معرفة عامة بحقبة تاريخية أو تقليد ثقافي بل أيضا إلى رصد مواقف أساسية من قضايا كالزمان والطبيعة وما فوق الطبيعة والشخص والعلاقات الاجتماعية. لقد تعامل مع تاريخ الحياة كنوع أدبي مغاير للتاريخ الشخصي كما ورد لدى بلزاك وفلوبير وزولا، لكن قريب من الرواية الجديدة فيما تقدمه من شهادات عن الطبيعة المجزأة والمستلبة لأبطالها. لقد أثار انتباه الباحث كون رواية التهامي لم تكن تتجه إلى الإخبار بقدر ما كانت تتجه إلى الإيحاء، بحيث إن اللغة التي استعملها لم تكن تسمح بالتمييز الواضح بين ما هو واقعي من جهة، وما هو وهمي وخيالي من جهة أخرى. إن من جملة ما تعلمه الباحث في هذا العمل أهمية التمييز بين ما يفترضه التاريخ الشخصي من مطابقة بين الرواية والأفعال الفردية، وحقيقة السيرة الذاتية التي لا توجد في الواقع بقدر ما توجد في النص. إنه ليس بإمكان الإثنوغرافي أن يعرف الحياة الذهنية والوجدانية للمبحوث إلا عبر وساطة النص. ومع ذلك، فإزاء موقف الباحثين الاجتماعيين الذين يضحون عموما بالمعطيات لحساب النظرية، ونقاد الأدب الذين يعطون الأولوية للنص على النظرية، حاول الباحث أن يخلق نوعا من التوازن الهش بين مختلف هذه العناصر.

من خلال الأعمال السالفة الذكر يتبين إذن أن البيوغرافيا لا تشكل بالنسبة للأنثروبولوجيين الذين درسوا المغرب سوى أداة منهجية يتم توظيفها بالأساس إما لمعرفة المجتمع والثقافة والتاريخ، أو لغرض إعادة بناء العلاقة مع الثقافات الأخرى، وعبرها علاقة الباحث بذاته وهويته الحضارية.

J. Waterbury, *North for the Trade*, University of California Press, London, 1972 ; V. Crapanzano, *Tuhami, Portrait of a Moroccan*, The University of Chicago Press, 1980 ; D. Kevin, *Moroccan Dialogues*, The John's Hopkins University Press, 1982 ; H. Munson, *The House of Si Abd Allah*, Yale University Press, 1984 ; D. Eickelman, *Knowledge and Power in Morocco*, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1985 ; P. Rabinow, *Un ethnologue au Maroc : Reflexions sur une enquête de terrain*, Paris, 1988.

المختار الهراس

**بيوكرا**، مدينة صغيرة (2974 نسمة سنة 1982) تقع بسهل شتوكة الغربية، عند قدم الأطلس الصغير الغربي، على طريق تافراوت، عند النقطة الكيلومترية 17 جنوب - غرب المجموعة الحضرية لأكادير الكبرى.

يتميز هذا المركز بكونه تأسس في أواسط القرن الحالي من طرف سلطات الحماية، بهدف إدارة ومراقبة قبائل سهل شتوكة وهضبة كردوس ومراقبتها، وشهد تطورا سريعا في خضم التحولات الهامة التي طرأت على محيطه بعد الاستقلال، والمتمثلة في التركز الهام للزراعة العصرية خاصة زراعة الطماطم، ومؤخرا، زراعة الموز والورود، نظرا لامكانيات السقي التي توفرها مياه الفرشة الباطنية القريبة من السطح ومياه سد يوسف ابن تاشفين.

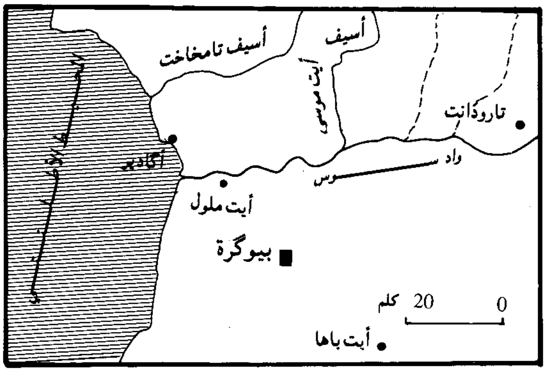


موقع بيوكرة

أصبحت بيوكرا منذ سنة 1973 مقرا لجماعة ودائرة في نفس الوقت تتكون من اثنتي عشرة جماعة قروية، خمس منها تقع بسهل شتوكة وماسا وسبع بالأطلس الصغير، وتضم ثلاثة مراكز حضرية كلها مصنفة في فئة ما يسمى بالمراكز الأخرى وهي :

- ماسا : 6037 نسمة
- أيت باها : 1931 نسمة
- بيوكرا : 2974 نسمة

وتأتي هذه الدائرة في المرتبة الثانية بإقليم أكادير بعد دائرة إنزكان من حيث العدد الإجمالي للسكان، حيث تضم 202.096 نسمة حسب إحصاء سنة 1982. وكذلك من حيث عدد الحضريين (10.939 نسمة فقط في مقابل 10.383 نسمة بالنسبة للدائرة الأولى انزكان).

وقد تمت ترقية هذا المركز إلى رتبة مدينة سنة 1982. وقُدِّر عدد سكانه سنة 1988 بـ 3.932 نسمة. ولعب التوافد دوراً هاماً في تعميره وخاصة بعد سنة 1978 حيث تصاعدت حركته بشكل ملحوظ إذ بلغت نسبة القادمين 66٪ من مجموع أرباب الأسر الوافدة عليه منذ نشأته. وتعتبر دائرته منطقة استقطابه الرئيسية حيث بلغت نسبة المنحدرين منها 87٪ من مجموع أرباب الأسر، وإن كانت نسبة هامة من الوافدين من خارج سوس للعمل بالاستغلاليات الزراعية أو بمعامل التصبير ينتهي بهم المطاف إلى الاستقرار بهذا المركز الذي مازال يطغى عليه الطابع الريفي.

ويظهر تركيب سكانه هيمنة الذكور، وذلك بنسبة 53،11٪ مقابل 46،89٪ بالنسبة للإناث، وسيادة الفئات التي تقل أعمارها عن 20 سنة 53،82٪ (52،11٪ من مجموع الذكور و47،89٪ من مجموع الإناث)، بالإضافة إلى ضعف نسبة النشاط الفعلي التي لا تتجاوز 20٪.

كما تجدر الإشارة إلى أن هذه المدينة الصغيرة، رغم صغر حجمها وحداثة نشأتها وطابعها الريفي، تتميز بتنوع مواردها الاقتصادية. وأهم أنشطتها هي :

- الصناعة الفلاحية : تتمثل في صناعة التلفيف التي تحددت منذ إدخال زراعة الطماطم والحوامض إلى سوس، الشيء الذي مكن هذا المركز بحكم موقعه وسط أهم منطقة منتجة للطماطم من جلب مجموعة من الوحدات الصناعية. وتوجد به حاليا محطة واحدة لتصبير الحوامض وأربع محطات كبرى لتلفيف الطماطم، بالإضافة إلى عشرات الوحدات الصغرى المختصة أيضا في تلفيف أنواع أخرى من الخضر. على أن من شأن هذه الوظيفة أن تتعزز أكثر مستقبلا نظراً للانتشار المتزايد لزراعة الموز والورود بسهل شتوكة.

- التجارة : تعتبر نشاطا اقتصاديا رئيسيا وتتميز بوجود 772 محلا دائما و10 مؤسسات متخصصة في تجارة الجملة، وسوق كبير يستقطب أسبوعيا أزيد من 1060 تاجرا، بالإضافة إلى سوق صغير للجملة متخصص في تجميع الخضر والفواكه وتوزيعها.

- الوظيفة العمومية : أصبحت منذ سنة 1973 من الأنشطة المحركة لاقتصاد المركز، ويرجع ذلك إلى تقوية الجهاز الإداري بعد ترقيته إلى مقر لمركز الدائرة، وتوسيع خدماته الاجتماعية والثقافية بخلق إعداديتين وثانوية واحدة، وذلك ما زاد في نفوذه الذي أصبح يتجاوز دائرته ليمتد على سافلة سوس بأكملها، وإن كانت منطقة نفوذه المباشرة يتداخل فيها نفوذ مدن السهل الاخرى.

تستفيد مدينة بيوكرا أيضا من موارد أخرى إضافية تتمثل في عائدات الهجرة إلى الخارج التي يوظف معظمها في قطاع البناء والفلاحة.

وهكذا نستخلص أن بيوكرا تعتبر أصغر مدن سهل سوس، وإن كانت نشأتها الحديثة وتطورها قد ارتبط حتى الآن بالتحولات الفلاحية التي شهدها محيطها، فان موقعها بضاحية مدينة أكادير الكبرى يؤهلها أكثر من أي مركز آخر لاجتذاب جزء من سكانها وبعض أنشطتها. وهذا ما يرشحها لتغيرات سريعة في المستقبل القريب.

*تحريات شخصية، وأبحاث ميدانية* قام بها طلبة الإجازة بكلية الآداب بأكادير.

عثمان هناكا

**بيبا بينس،** Villa Bens أطلقه الإسبان على الفندق الذي كان بناه الأنجليزي ماكينزي Mackenzie بالقرب من رأس جوبي Cabo Juby وأطلق عليه اسم بويرطو بيكطوريا Puerto Victoria وهذا الفندق هو الذي بنيت حوله فيما بعد مدينة طرفاية.

في سنة 1335 / 1916 كانت قد مرت على الاحتلال الإسباني لشبه جزيرة الداخلة إحدى وثلاثون سنة دون أن تتمكن إسبانيا من بسط نفوذها على الصحراء المغربية التي أصبح لها "الحق" في احتلالها بمقتضى المعاهدة التي أبرمتها مع فرنسا في 27 يونيو 1900، كما أن إسبانيا لم تتمكن من احتلال مقاطعة طرفاية التي اعترفت لها بها فرنسا في معاهدتي 3 أكتوبر 1904 و27 نوفمبر 1912.

المحاولة الأولى التي قام بها الكولونيل بينس الحاكم الإسباني لهذا المركز من أجل احتلال رأس جوبي Cabo Juby بمقاطعة طرفاية باءت بالفشل حيث إن بينس لم يستطع أن يظل بتلك الناحية إلا سبعة وعشرين يوما (20 أكتوبر - 16 نوفمبر 1914) وذلك بفضل مساعدة الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين الذي كان في حرب مع فرنسا ويفضل أن تقع طرفاية بيد الإسبان.

وفي 29 يونيو 1916 تمكن بينس بمساعدة الشيخ المذكور من احتلال رأس جوبي بكتيبة عسكرية تتكون من ستة وثلاثين جندياً مغربياً، غير أنه عندما استولى على فندق ماكينزي لم يرفع فوقه العلم المغربي بل رفع العلم الإسباني وكأن الأمر يتعلق بمستعمرة إسبانية، في حين أن بينس قال في البلاغ الذي أصدره يوم فاتح يوليوز بأن احتلاله لرأس جوبي كان "بصفته" ممثلا لصاحب السمو الملكي الخليفة مولاي المهدي" وتكريما لهذا القائد أطلقت إسبانيا على فندق طرفاية اسم بيبا بينس، ومن ثم أصبحت مقاطعة طرفاية تعرف بالمنطقة الجنوبية للحماية الإسبانية بالمغرب، حيث عين بها الشيخ محمد الأغظف مندوبا للخليفة السلطاني في شمال المغرب، وهكذا أصبحت مصاريف إدارة طرفاية تثبت في ميزانية المخزن الخليفي ابتداء من سنة 1917، وصدر بذلك الظهير الخليفي المؤرخ في 28 رجب عام 1335 / 20 ماي سنة 1917 (الباب الثالث، الفصل الوحيد، البند الأول من الميزانية).

وعندما اعترفت إسبانيا باستقلال المغرب يوم 7 أبريل سنة 1956 امتنعت من تسليم مقاطعة طرفاية ولم تتنازل عنها إلا بعد أن تم التوقيع على الاتفاقية المبرمة بينها وبين المغرب بمدينة ثينطرا Cintra البرتغالية سنة 1958، فعادت طرفاية إلى حظيرة الوطن.

Bens, *Mis memorias : 22 años en el desierto*, Madrid, 1947 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-Saharico*, Madrid, 1955; *Boletin oficial de la zona de Protectorado español en Marruecos*, Tetuan 10 Julio 1916 y 25 de mayo de 1917.

محمد ابن عزوز حكيم

## بيبا ثيسنيروس ← الداخلة

**بيبا، حمو،** تورد الوثائق الأوربية اسمه بعدة أشكال Bijau, Hamou, Buya, Buya, Beja, Hamu, Beya وانظر ما علاقته بالقائد الذي ذكره الفشتالي (*مناهل*، 163) باسم بغا، واعتبره من قواد السلطان أحمد المنصور.

ظهر هذا القائد كأحد قواد ولي عهد المنصور، ابنه

محمد الشيخ المامون، فقد قاد جناحا من الجيش الموجه لحرب الناصر في معركة الركن (3 غشت 1595)، وجرح هو وابنه في هذه المعركة. كما نجده مرة ثانية في حرب الناصر مشاركا في الانتصار عليه، فهو الذي كلف بنقل جثة الناصر إلى فاس.

S.I.H.M, *Série Sa'adienne, France*, T. 2 ; *Angleterre*, T. 2.

عبد اللطيف الشاذلي

**بيبا خورنادا ← قلعة صنهاجة**

**بِيَّاسانخُورْخُو ← الحسيمة**

**البيَّاري**، أسرة تطوانية أصلها من قبائل جبالة وكان من بين أفرادها في تطوان :

**البيَّاري، أحمد** فقيه كان يزاول خطة العدالة سنة 1244 / 1828 ويقوم في نفس الوقت بالتدريس في مسجد السويقة إلى أن وافته المنية يوم 12 شعبان 1261 / 16 غشت 1845.

**البيَّاري، محمد** بن محمد فقيه كان يتعاطى خطة العدالة أيضا سنة 1241 / 1826.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 7 : 9 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 9. 249 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ ابن سودة، *اتحاف المطالع*، مخطوط.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

**البيَّاز**، أسرة فاسية عريقة تنتسب إلى الخزرج من الأنصار، عُرف رجالها بالحنكة السياسية والخدمة المخزنية. وقد انتقل بعضهم إلى مراكش وساروا فيها نفس السير. من أشهرهم :

**البيَّاز، أحمد** كبير خلفاء التهامي الأكلاوي باشا مراكش، كان في صغره في خدمة الوزير ابن سليمان بفاس، ثم ارتبط بعد عقد الحماية بالأكلاوي ليكون أول خليفة له في باشوية مراكش. استمر البياز في هذه المهمة إلى حدود الحرب العالمية الثانية، وقد تمكن خلال هذه المدة الطويلة من كسب شخصية قوية يحسب لها حسابها، حيث توثق اتصاله بالفرنسيين، ولربما تجاوز ما يصدر عن الباشا من أوامر. وقد وقف موقفا متشددا في معاملة زعماء الحركة الوطنية بمراكش، كما كان يعامل بصرامة علماء البلد واتخذ في حقهم قرارات لم يكن الأكلاوي على علم بها.

وقد وجد الأكلاوي صعوبة كبيرة في عزله من منصبه، ولولا قضية الوزير رمادييRamadier وما تبعها من أحداث في مراكش وصدور ظهير ملكي بعزله ونفيه من مراكش لاستمر البياز في مزاولة عمله كخليفة للباشا. وقد مكنه طول المدة التي مارس فيها السلطة من شراء الأراضي والأملاك العقارية حتى أصبحت تمثل الثروة الثانية بعد ثروة الأكلاوي في منطقة الحوز. وقد ذكر پاسكون أن الأراضي المحفظة التي يملكها البياز بمنطقة الحوز تزيد على خمسة آلاف هكتار. وفي عام 1956 اعتقله تنظيم جيش التحرير وحملوه إلى زاكورة مع بعض المتهمين بالخيانة وقتلوه بعدما أرغموه على كتابة وكالة لأحد أعضاء هذا التنظيم للتصرف في أملاكه. وقد صدر مرسوم لم يظهر في الجريدة الرسمية، حسب تحريات پاسكون، تمكن بمقتضاه ورثته من استرجاع أملاكه المصادرة.

*روايات شفوية*.

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*.

أحمد شوقي بينبين

**البيَّاز، محمد الطيب** بن محمد الأنصاري الخزرجي، أحد أعيان فاس خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر (19 م). لعب دورا بارزا في التمرد الذي أعلنته مدنية فاس ضد المولى سليمان وكان من بين رؤساء المدينة الذين بايعوا إبراهيم بن اليزيد سنة 1336 / 1820.

ولما بويع المولى عبد الرحمان بن هشام سنة 1338 / 1822 قبض عليه مع جماعة ممن كانت لهم اليد في الخروج على عمه سليمان، وأودعه السجن بجزيرة الصويرة لبعض الوقت. ثم أخرجه واستخدمه فجعله أمينا بمرسى طنجة أولا، وبعدها ولاه قيادة فاس عام 1249 / 33 . 1834، "وبقي قائدا وامتدت يد تصرفه وبلغ الغاية القصوى مع المخزن" ثم انقلبت الأحوال فعزله السلطان في 5 ربيع الأول عام 1260 / 25 مارس 1844 وقبض عليه ثانية ولم يعد بعد ذلك إلى الخدمة المخزنية إلى أن وافاه الأجل المحتوم بعد سنة 1260 / 44 . 1745.

ع. بن هاشم الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات فاس*، مخطوط، خ. ع. 1281 ك. ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 314 . 37 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 6 : 329 ؛ م. أكنسوس، *الجيش*، 2 : 31 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 3 : 1144.

محمد المنصور

**البيَّاسي**، عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المومن. كان والياً على جيان من قبل الموحدين واشتهر بنسبته إلى مدينة بياسة لخلعه بيعة العادل وقيامه ببياسة. والحقيقة أن عهد الخليفة العادل (621 - 624 / 1224 - 1227) عرف مزيداً من التدهور في حياة الدولة الموحدية وتجلى ذلك، بصورة خاصة في تدني السلطة الموحدية بالأندلس وتفاقم الخلاف والشتات داخل الأسرة الحاكمة. فالدولة الموحدية قامت منذ عهد عبد المومن على أوليگارشية متكونة من السادة، أبنائه وأحفاده ومن كبار الأشياخ وذريتهم. وبعد مرور ثلاثة أجيال تكاثر عدد هؤلاء المحظوظين وأصبحوا يتنافسون على مراكز الولاية والإمارة إن لم يكن على الخلافة ذاتها. وتفاقم الوضع بعد وفاة الخليفة يعقوب المنصور الذين أصبح أبناؤه يعتدون بشخصيته الكبيرة ويعدون أنفسهم أحق بتولي منصب الخلافة من غيرهم من السادة. فأدى ذلك، بالطبع، إلى انشقاق عميق داخل الأسرة، إذ أصبح السادة الآخرون يتضررون من هذا الوضع ويشعرون بالغبن في دخيلة

أنفسهم ويتحينون الفرصة للثورة والوثوب من أجل الاستيلاء على الحكم.

وجاءت تولية أبي محمد عبد الواحد منصب الخلافة لتبرهن على مبلغ النزاع القائم. فهذا رجل مسن عرف بالاستقامة والتدين واستبشر الناس بتوليه أعلى منصب في الدولة، الذي هو الخلافة، لكنه وجد نفسه أمام عصبة قوية من أبناء المنصور الذين لم يرتضوا توليته وإن كان عمهم. وكانت ولايات الأندلس في يد أبناء المنصور : فأبو العلا إدريس والٍ على قرطبة وأبو الحسن عليّ على غرناطة، وأبو محمد عبد الله على مرسية وأبو موسى على مالقة، بحيث إنه كان في مستطاعهم أن يتآمروا على الخليفة في مراكش وأن يخلقوا له المتاعب. وهذا ما آل إليه أمر أبي محمد عبد الواحد الذي لم يطل تربعه على كرسي الخلافة، فخلع في نفس السنة التي بويع فيها فكان أول مخلوع في الدولة، ثم قتل خنقا فكان أول قتيل من ملوكها، كل ذلك لتعود الخلافة لأحد أبناء المنصور، الذي كان هو عبد الله المعروف بالعادل.

ولم يكن السادة أبناء المنصور يتحملون وحدهم المسؤولية في هذا التدهور. بل كان وراءهم ومعهم فئات. فهنالك الوزراء أو المرشحون للوزارة الذين أصبحوا يراهنون على ضعف الخلافة لتمكين نفوذهم. وهنالك أشياخ الموحدين الذين ألفوا الامتيازات وأصبحت لهم مخصصات ومصالح. وهنالك العرب الذين أُتي بهم أول يوم كمرتزقة فإذا بهم يكتشفون أنفسهم كجزءٍ أساسي في بنية الدولة ويؤكدون حقهم في المواطنة ويدخلون، هم أيضا، في اللعبة السياسية الكبيرة التي أصبحت تدور في المغرب مع دخول الدولة الموحدية في طور الانحطاط والانقراض.

وكان لا بد للسادة الآخرين من غير أبناء المنصور من أن يعربوا عن استيائهم برفضهم لهذا الوضع وخروجهم عن الولاء والطاعة للخليفة القائم. وهو ما حدث، بالضبط، لأميرين من أبناء محمد بن يوسف كانا متوليين بالأندلس هما أبو زيد صاحب بلنسية ودانية وشاطبة وأبو محمد عبد الله صاحب جيان، وهو المعروف بالبياسي موضوع هاته المادة. وهكذا أسندت لهما مهمة صعبة وخطيرة تضعهما وجها لوجه مع العدو في واجهة الدفاع عن الأندلس المسلمة.

كان عبد الله البياسي قد قبل مبايعة العادل، ليضمن استمراره في ولايته لأن الخليفة أبا محمد عبد الواحد قرر عزله واستبداله بعمه أبي الربيع بن أبي حفص. وبذلك انضم إلى سائر ولاة الأندلس الذين دخلوا كلهم في تلك البيعة، باستثناء أبي زيد أخي البياسي الذي آثر موقف الرفض.

لكن البياسي ما لبث أن اقتدى بأخيه فتراجع عن بيعة العادل وطمح إلى الخلافة، فدعا لنفسه وتلقب بالظافر وامتدت سيطرته. ومنذ ذلك الحين دخلت الأندلس المسلمة في معارك التخريب والإفناء بين ولاتها الموحدين. فقد وجه العادل أخاه أبا العلاء إدريس على رأس جيش ضخم من أشبيلية لقتال البياسي. فالتجأ هذا الأخير إلى بياسة، ومن ثم أصبح يدعى البياسي. وكان آنذاك يناهز سن الستين. وعامل السن له أهميته، إذا قارنا بين الطرفين المتنافسين. ومهما يكن فإن البياسي أقدم على مبادرة شنعها عليه المؤرخون، وذلك أنه طلب النجدة من ملك قشتالة فرناندو الثالث، متناسيا ضرورة توحيد الصف بين المسلمين في وقت ظهر فيه ضعفهم وتخاذلهم أمام ملوك النصارى. والواقع أنه لم يعد ينصت إلا لرأي هواه، متحركاً بدافع المنافسة التي تحولت إلى حقد وكراهية.

وتحرك أبو العلاء إدريس نحو بياسة خريف عام 621 / 1223، دون أن يعتبر أن الوقت مقبل على الشتاء والثلج. فظل في ظاهر بياسة، وراوغه البياسي مؤكداً أنه عاد إلى طاعة العادل، ووجه ولده الأصغر رهينة على ذلك. ولم يجد أبو العلاء بداً من الرجوع على أدراجه خوفاً من اشتداد البرد وتعذر الطرق ومهاجمة القشتاليين. ولم يرض أخوه العادل بهاته النتيجة السلبية، فجهز جيشاً آخر توجه إلى بياسة ونزل على خمسة أميال منها، لكنه لم يصمد أمام قوات البياسي وحليفه ملك قشتالة وناله الرعب منها وعاد فاراً دون قتال إلى أشبيلية. مما يدل على أن معنوية الموحدين كانت قد نزلت إلى أدنى ما يمكن، سيما وأن مبررات هاته المعارك لم تعد إلا صراعات شخصية بين أمراء فقدوا كل توجيه أخلاقي.

واغتنم البياسي الفرصة، فتوسع في موسطة الأندلس لحسابه الخاص فامتد حكمه إلى قرطبة، وربما إلى مالقة، وتقوى مركزه وأصبح بالفعل منافسا خطيرا للعادل، ومرشحاً بما لديه من قوة ليتولى الخلافة. فقامت المعركة من جديد بين الطرفين. لكن قضية البياسي لم تكن هي المشكلة الوحيدة التي يواجهها العادل. فقد كان النصارى، من جهتهم، يواصلون خطتهم في مهاجمة المناطق الإسلامية بالأندلس فشددوا ضغطهم على ناحية الشرف، وفتكوا بالمسلمين فتكا ذريعاً في موقعة طلياطة سنة 622 / 1224. وجرت في شرق الأندلس معارك مماثلة استهدفت منطقة مرسية وهزم المسلمون شر هزيمة في عفص 622 / 1224. كل هذا والعادل مازال مقيماً بأشبيلية ينتظر تصفية الجو لصالحه بمراكش، الشيء الذي لم يتم إلا بصعوبة. وحين غادرها ترك أمر الأندلس في يد أخيه أبي العلاء إدريس.

مضى البياسي في توسعه وسما طموحه إلى الاستيلاء على أشبيلية قاعدة الأندلس الكبرى، إلا أنه بدأ يؤدي الثمن لحليفه وحاميه فرناندو الثالث، الذي سينتزع معظم قواعد الأندلس الكبرى من يد المسلمين. وفرناندو حين كان يبعث بنجداته للبياسي كان يحسب حسابه لذلك. وهكذا رافقه هذا الأخير من أجل الاستيلاء على مدينة قبجاطة (Quesada) وغيرها من الحصون، ورافقه في حملة أخرى على جيان، وأدت هاته الهجمات إلى فتك ذريع بالمسلمين وإرهابهم.

وزاد البياسي في غوايته، حين قدم خضوعه لملك

قشتالة بصورة رسمية، متعهداً له بتسليمه جملة من الحصون والمدن مثل مرنش وأندوجر وجيان التي كانت ما تزال في يد المسلمين. وكان ذلك في سنة 623 / 1225. وسارا يداً في يد للعبث بأراضي جيان والاستيلاء عليها. لكن المدينة صمدت، فاضطر فرناندو أن يتراجع عنها. واستمر تعاونهما في هجمات أخرى اتجهت إلى ناحية غرناطة. ولما تراجع عنها فرناندو نحو الشمال سلمه البياسي حصني مرنش وأندوجر، وتشجع البياسي إثر ذلك للتوجه إلى مهاجمة أشبيلية وناحيتها من جديد. وخرج أبو العلاء إدريس لملاقاته على مقربه من طلياطة، لكنه هزم، مرة أخرى، مما جعل خصمه يقوي سيطرته على الناحية الواقعة بين قرطبة وأشبيلية. وإثر ذلك سلم البياسي حصونا أخرى لفرناندو.

أراد البياسي أن يتوج تحركه بالاستيلاء على أشبيلية، فتقدم إليها ليحاصرها. وفي هذه المرة حسب أبو العلاء حسابه لخطورة المعركة فخرج لملاقاة عدوه وانتصر عليه انتصاراً حاسماً في سنة 623 / 1226. وعاد البياسي مهزوماً إلى قرطبة. لكن أهلها لم يغتفروا له خيانته فقتلوه واحتزوا رأسه ووجهوه إلى أبي العلاء إدريس.

ليس من المقطوع به أن البياسي ارتد عن الإسلام واعتنق النصرانية كما ورد في بعض المصادر، ولكن موقفه من النصارى وتحالفه معهم جعله محلا للاتهام. إلا أن خصومه لم يكونوا في المستوى الأخلاقي الذي يشرف الدولة الموحدية ويشرف الإسلام. فلن يلبث أبو العلاء إدريس إلا قليلا حتى يثور هو الآخر ضد أخيه العادل ويتآمر على قتله. فقد كان التدهور السياسي للدولة الموحدية مقترناً بتدهور أخلاقي.

م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت 1967 ؛ م. الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1975 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*، ج 2، القاهرة، 1964.

محمد زنيبر

**بياضة**، عبارة يطلقها سكان الأرياف على مادة ترابية أو صخرية مبيضة، توجد في عمق التربة، وتكون إحدى مسكاتها. وهي مادة كلسية هشة ومسامية، فتوتة في جل الحالات، تدعى من طرف الترابيين قشرة فليسية، ومن طرف الجيولوجيين فليسا كلسيا.

هذا التكون شديد الامتداد في المغرب وجل المناطق المتوسطية نصف الجافة. ويعم أغلب الحالات الموجودة شمال الأطلس، بينما يتضاءل جنوب هذه السلسلة. وهذا يدل على أن له علاقة واضحة بالبيئة المتوسطية، ويرتبط أساسا بوجود عاملين ديناميين متناقضين : رطوبة كافية في الأعالي تسمح بتحليل الصخور الكربوناتية وتبخر هام في السافلات مسؤول عن تساقط المحلولات وتراكم المواد الكلسية عند السطح في بعض الحالات، وداخل التربة في حالات أخرى. وفي المجالات الأرطب من الميدان المتوسطي تتضاءل المواد الكلسية الفليسية بسبب ضعف التبخر وبالتالي عدم تركز المحلولات. أما في المجالات الصحراوية فإن قلة هذه المواد تنتج عن الخصاص المائي، المسؤول عن بطء التحليل في العاليات.

يتفق إذن توزيع المواد الكلسية الفليسية مع المجال المتوسطي نصف الجاف، أي مع مجال يعرف تواتر ديناميات متناقضة تبعا للفصول، وفي مجال عرف ذبذبات مناخية رباعية نحو الترطيب ونحو التجفيف.

وتظهر هذه المواد الكلسية عادة عند عمق ضعيف أو متوسط داخل التربة، بينما تمثل بالنسبة للركائز الصخرية غلافا سطحيا، قليل السمك نسبيا، رغم أنه محليا قد يصل إلى عدة ديسمترات، بل عدة أمتار. فهي إذن مواد منافرة لما تحتها من صخور، حيث قد نجدها فوق صخور لا تحتوي على عناصر كربوناتية إطلاقاً. أما علاقتها مع التربة التي تعلوها فهي وثيقة، حيث كثيرا ما يلاحظ مرور تدريجي من "بياضة" إلى المسكات الترابية السطحية دون أن يكون هذا عبارة عن قاعدة عامة، رغم ذلك الاتصال بين التربة الهشة والفليس الكلسي، اتصال ميكاني وكيماوي هام حيث يتم الانتقال من مادة غير كلسية أو بها منسوب كلسي متواضع إلى مواد يقترب فيها هذا المنسوب من 100٪، ومن مادة فتوتة هشة إلى أخرى كتلية وإن كان تصلبها قليلا وعلى كل محلي.

تطرح هذه المواد الكلسية إشكالا أمام التهيئة الفلاحية، حيث يقف الاتصال حاجزا أمام نمو بعض الجذور، كما يمثل عرقلة كيماوية بسبب الإفراط في منسوب الكلس. لكن هذه المسكات الباطنية تمثل في جهات أخرى حظا، لأنها تعوض الصخور الكلسية الجيولوجية في حالة ندرتها.

"بياضة" : مسكة كلسية عادة باطنية. بياضة مادة كلسية لكنها رخوة أو قليلة التصلب. وهذا ما يفرقها عن الظلفاء الوردية التي كثيرا ما تشغل مواقع مشابهة لها، أي مواقع وسطى داخل قطاع متكامل، يبدأ في قاعدته بمواد صخرية أو تكونات فتاتية، ويستمر بتراكمات كلسية محلية هي عبارة عن لطخات أو تعقدات ثم بفليس كلسي هش، قد يتصلب جزئيا في مستوياته العليا، لينتهي بتربة فتاتية ينخفض فيها منسوب الكلس بوضوح.

تحتوي المادة الفليسية على عدة عناصر : بعضها غير كربوناتية وهي عبارة عن فتاتات كبرى بنسب لا تتعدى 10٪ وصغرى من الكوارتز والطين أساسا إضافة إلى فلزات، البعض الآخر هي عناصر كربوناتية، مثل الجذور والأعضاء الطحلبية المتكلسة، يربط الكل لحام كلسي بلوراته مجهرية. وكثيراً ما يكون هذا اللياط الدقيق شديد المسامية، مما يجعل بلورات ثانوية كبيرة الحجم وحيدة التبلور تنمو في الشقوق والفراغات الواسعة.

مواقع هذا الفليس متنوعة، وكثيرا ما تكون تغطيتها للتضاريس شاملة، مع تنوع في السحنة والسمك. فهو

يغطي في نفس الوقت المجالات المسطحة كسطوح الهضاب ودرجات الأودية، والسفوح المنحدرة، دون الأجراف الوعرة والحافات المعرضة لتعرية عنيفة. فالفليس الكلسي إذن مواز للطبغرافيا بشكل واضح، بينما ينافر ما يغلفه من قواعد صخرية مختلفة.

هل "بياضة" تغليف كلسي رسوبي أم مسكة ترابية ؟ أغلب المؤلفين، كيفما كان تخصصهم، استعملوا للتعبير عن هذه المواد السطحية كلمة "متقشرة" أو المصدر "تغليف كلسي"، وذلك انطلاقا من ملاحظتين :

- من جهة كون هذه المواد هي عبارة عن تكونات سطحية مغايرة لما في قاعدتها من ركائز.

- ومن جهة ثانية كونها عادة ما تتطلب ولو جزئيا في مستوياتها السطحية. لكن الاتفاق لم يقع حول أصلها وظروف نشأتها. فهناك افتراضان كبيران لتفسير امتدادها: أحدهما يعتبر أنها مسكة من مسكات التربة، تم تكوينها داخل قطاع مكتمل، تحت تأثير عمليات باطنية أهمها الحركات الجانبية والعمودية للمياه. والافتراض الثاني يعتبرها إرسابا سطحيا، تكونت فوقه التربة التي نلحظها في قمة القطاعات.

- افتراض تراكم الكلس ضمن قطاع ترابي أصلي : ينطلق هذا الافتراض من ملاحظة التدرج داخل القطاع الذي يبتدئ بتراكم محلي في القاعدة على شكل تعقبات مختلفة الحجم والتصلب أو على شكل لطخات فتوتة، ويستمر مكونا مسكة كتلية من الفليس، لينتهي بمظهر توريق يتم فيه تصلب للمادة، قبل المرور إلى المسكة السطحية الترابية والملونة.

هذا التدرج يفسر بورود جانبي لمحلولات كلسية تنقلها مياه قادمة من العالية ؛ فيتم التساقط في المسكة الوسطى من التربة ارتباطا أساسا باستعمال الماء من طرف جذور النباتات. يبدأ التراكم موزعا ثم يتكاثف عند المرور إلى المسكة الفليسية. وهكذا يصل التراكم إلى مقادير جد عالية، يفسرها الترابيون باعتبار التساقط الكلسي آلية تفسخ، تأتي على العناصر الأصلية غير الكربوناتية فتعسفها، لتعوضها بالبلورات الكلسية الناشئة.

- افتراض الترسيب السطحي : ينطلق أصحاب هذا الافتراض من نفس الأوصاف التي يتقدم بها الترابيون، ويضيفون إليها عددا من الملاحظات المكرومرفلوجية : ندرة العناصر الفتاتية الكامنة وسْط الفليس، تفريشا قد يلاحظ في العجين الكلسي يدل على التطبق، وعموم المواد العضوية النباتية والحيوانية، الدالة على أوساط سطحية غنية بالمياه، يتم فيها تراكم الكلس.

ويستنتج هؤلاء المؤلفون بأن الفليس هو عبارة عن مادة رسوبية تمت في إطار مجال رطب غني بالنباتات، تعيش فيه طحالب وأحياء مجهرية أخرى تقوم بتشييد فرشات كلسية، وتصله مياه محملة بالكربوناتات، على شكل محلولات مشبعة، أو على شكل أوحال حقيقية. وهكذا تتوالي الفرشات المشيدة والفرشات المتوضعة. وتتعرض المواد المترسبة دوريا للتجفيف، مما يجعلها تتشقق، فيعاد تحريك عناصر منها قبل أن تترسب من جديد ضمن فرشة لاحقة. كما أن ظروف الاشباع الكلسي المفرط تسمح بحدوث عمليات عسف تتحلل على إثرها العناصر المعدنية غير الكلسية، فتختفي أو تتضاءل.

كل هذا يتم، حسب هذا الافتراض، في مجالات جد منبسطة توجد عند سافلة الحادورات، أي في مجال فيضي، وفي ظروف برمائية صالحة لنمو النباتات.

هذا الافتراض يصعب قبوله لتفسير كل أنواع الفليس لسببين :

- أولاً لأن "بياضة" لا توجد فقط في المجالات المسطحة التي يحدث فيها استقرار المياه، وتكوين ظروف برمائية حقيقية، بل كثيراً ما نجد الفليس يغطي سفوحا بأكملها، موازيا في ذلك التشكيل السطحي للتضاريس.

- ثانياً لأنها غالبا ماتكون منافرة للتوضعات الفتاتية التي توجد في قاعدتها. وهذا يشير إلى أنها ليست حلقة رسوبية ضمن سلسلة كاملة، تبدأ بارساب سيلي خشن، تتبعه مواد فتاتية دقيقة، وينتهي بارساب كيماوي كلسي. فالتنافر بين المواد الفتاتية القاعدية وما يعلوها من كلس يدل على عدم التوالي، وعلى عدم الخضوع لنفس الآليات الرسوبية.

على كل، وأيا كان الافتراض المعتبر، فان ظاهرة التغليف الكلسي للأشكال التضاريسية، بسبب عمومها في مختلف المناطق بالمغرب، تعتبر ظاهرة أساسية يجب التعامل معها في عدة مجالات، وخاصة الفلاحة وهندسة الطرق ومواد البناء الخ. واقترابها من السطح أي السمك الذي تأخذه المسكة الترابية التي تغطيها هو المؤشر الأساسي الذي يجب اعتباره عند التهيئة. كما يجب اعتبار مؤشر ثان وهو منسوب الكلس الذي تمثله والذي يتدخل مادة في درجة تصلبها.

*تحريات ميدانية.*

عبد الله العوينة

**البيّاضي**، أسرة أندلسية هاجرت إلى المغرب الأقصى في فترات مختلفة من العصر الوسيط والحديث. لا نعرف شيئا عن أصولها وأماكن استقرارها سواء بالأندلس أو بالمغرب. وقد جاء ذكرهم في إحدى الحوالات الحبسية لفاس القرويين في القرن العاشر الهجري (*فاس وباديتها*، 1 : 122) واشتهر من أفراد هذا الأسرة بالعلم والفقه والقضاء :

**البيّاضي، عبد الملك** أحد شيوخ المحدث الفقيه محمد بن علي المعروف بالبراق المتوفى سنة 595 / 1199 (*الإحاطة*، 2 : 488 /489).

**البيّاضي، علي** الأندلسي الخطيب بجامع مكناسة الأعظم و "صاحب الخط الحسن" (*ألف سنة*، 280). كان أحد مشايخ القاضي محمد الكراسي الأندلسي وأجازه في كتابي

*السنن، والتاج والإكليل* لأبي عبد الله المواق، وكان هذا الأخير قد أجاز أبا الحسن البياضي فيهما (*دوحة*، 21).

توفي علي البيّاضي سنة 912 / 1507 ودفن خارج باب البردعيين من أبواب مكناسة بروضة الولي الصالح عبد الله ابن أحمد (*درة الحجال*، 3 : 212).

**البيّاضي، محمد** بن عبد الرحيم الذي توفي عام 753 / 1353 (*درة الحجال*، 2 : 265).

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1973، 1975، ج 2 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، ج 2 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة*، 1976 ؛ م. حجي، *ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب*، الرباط، 1975 ؛ م. مزين، *فاس وباديتها*، ج 1، الرباط، 1986.

رشيد السلامي

**بَيَّاضي**، محمد بن قدور، مقاوم ولد سنة 1935 ببني اسمير، وادي زم، إقليم خريبگة. شارك مشاركة فعالة في الحوادث الدامية التي عاشتها مدينة وادي زم يوم 22 غشت 1955 فصرعه رصاص العدو أثناء المظاهرة قرب منزل القائد الضاوي ببني خيران.

*شهداء الإستقلال*، ج 2.

عز الدين العلام

**پِيِيتْري**، فرانسوا Piétri François رجل دولة فرنسي قضى شوطا غير هين من حياته السياسية الأولى بالمغرب على رأس إدارة المالية فيما بين سنوات 1917 و1924، إبان مقيمية ليوطي. وُلد بكورسيكا ودرس بباريس حيث تخرج من المدرسة الحرة للعلوم السياسية ومن كلية الحقوق بدرجة الدكتوراة. ثم انخرط في سلك المفتشية العامة للمالية فاكتسب خبرة عالية بالتقنيات المالية تعززت باشتغاله بديوان الوزير جوزيف كايُّو Joseph Caillaux الذي كان يعتبر آنذاك من أبرز خبراء فرنسا بالشؤون المالية، ثم انتقاه ليوطي ليسند إليه إدارة أموال الحماية وكانت بمثابة وزارة المالية بالمغرب، فكان على فرانسو پييتري أن يرتب مداخيل البلاد ونفقاتها ترتيبا يمكّن من إدخال آخر ما جد في عالم التقنيات المالية إلى مجتمع كان مازال يجهل جلها في معظمه، ويمكّن في آن واحد من إحكام روابط السوق المغربية بالسوق الفرنسية لتلافي مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء التي كانت قد فتحت أبواب السوق المغربية أمام جميع الدول على قدم المساواة. ولما كانت الأداة النقدية وسيلة من أنجع وسائل بلوغ تلك الأهداف، فان فرانسوا پييتري دعا إلى إحداث عملة جديدة، أطلق عليها اسم الفرنك المغربي، وأبرم الأمر بموجب ظهير صدر يوم 28 يونيو سنة 1920. وكانت المبادلات تتم في المغرب إلى ذلك الحين في خلط نقدي شامل تجاري، فيه السكة الحسنية الأصلية سكة فرنسا بصنفيها الفرنسي والجزائري إضافة إلى السكة الإسبانية. لكن العملة الفرنسية انهارت غداة الحرب العالمية الأولى من جراء ارتفاع قيمة الفضة، مما رفع من قيمة السكة الحسنية بالمقارنة لاعتمادها على الفضة، وكان جل التراب المغربي مازال مقاوما ممتنعا، وسواد الشعب مازال يتعامل بالحسني، فابتهج الناس أيما ابتهاج بتفوق النقود المغربية على نقود النصارى المتغلبين، ورأت سلطات الحماية في ذلك مسا خطيرا بهيبة الدولة الحامية وسمعتها، فأقدمت، وفي طليعتها ليوطي وپييتري، على وضع سكة جديدة، الفرنك المغربي، غير قائمة على قاعدة معدنية بالخصوص، بل معتمدة أساسا على متين ارتباطها بالفرنك الفرنسي، إن ارتفعت قيمته في الأسواق الدولية ارتفع معه الفرنك المغربي وإن كان العكس نزل معه إلى ما ينزل إليه من القيمة، ولقد جاء قرار إحداث الفرنك المغربي بمثابة منعطف خطير الشأن في سبيل تحرير الحماية من مفهوم المراقبة والمساعدة إلى مفهوم التبعية والإدارة المباشرة، وتحولت السوق المغربية بسببه من سوق تتنافس فيها منتجات جميع الدول إلى سوق موقوفة على البضائع الفرنسية، وطويت نهائيا بالبلاد صفحة الرواج النقدي القائم على قيمة معدنه التجارية إلى رواج مفروض بحكم القانون ليس إلا !

واكتسب فرانسوا پييتري من مهامه بالمغرب مزيد خبرة وصيتا بعيدا أتاح أمامه انفتاح أبواب النيابة البرلمانية بباريس من خلال انتخابات سنة 1924، كما أتاح أمامه كراسي الحكومة ابتداء من سنة 1926، فلقد كان وزيرا للمالية وللمستعمرات وفي الدفاع الوطني وفي البحرية، ونظرا لأفكاره اليمينية فإنه كان لايشارك إلا في الوزارات التي يرأسها زعماء اليمين الصريح أمثال أندري طارديو André Tardieu وپيير لاڤال Pierre Laval. ولما كان وزيرا للمستعمرات فيما بين سنة 1924 وسنة 1933، سهر على إقامة المعرض الاستعماري سنة 1931 وسهر بالخصوص على أن تسند رئاسته إلى المارشال ليوطي رئيسه بالمغرب سابقا وكان وزيرا للبحرية فيما بين يونيه سنة 1935 ويونيه سنة 1936 فاعتنى عناية خاصة بتقوية السلاح البحري الفرنسي بمساعدة الأميرال دارلان Darlan، وكان السلاح الوحيد الذي صمد في وجه الألمان لدى هزيمة الجيوش الفرنسية في ربيع سنة 1940.

ولما وقعت الهزيمة، انضم فرانسوا پييتري، وما كان إلا ليفعل، إلى أنصار المارشال پيتان، فعين وزيرا للمواصلات من يوليوز إلى شتنبر سنة 1940، ثم عين سفيرا بمدريد، وبمدريد قضى سنوات الحرب إلى أن مالت الكفة لفائدة حزب دى گول فعزل عن منصبه في غشت سنة 1944، وأمرت المحاكم بمتابعته بتهمة التعامل مع العدو وحكمت عليه غيابيا لأنه فضل المكوث لاجئا بإسبانيا، إلى أن صدر العفو العام في طليعة الخمسينات، فعاد إلى فرنسا ووافاه أجله سنة 1966 بكورسيكا مسقط رأسه.

خلّف پييتري عدة مؤلفات، إما في القضايا المالية وإما في التاريخ السياسي، وله كتاب عن سفارته بمدريد يبدي فيه أن سبب انحيازه للمارشال پيتان لم يكن سوى خوفه من وقوع مستعمرات فرنسا في قبضة خصومها،

وكان من مهامه الأساسية بمدريد الحرص على أن لا تنقضّ حكومة الجنرال فرانكو على منطقة الحماية الفرنسية مثلما انقضت على منطقة طنجة الدولية.

ولذلك جزاء له على خدماته الاستعمارية، أبت الهيئة المسيطرة على بلدية الرباط أواخر سنة 1935، إلا أن تطلق اسمه على ساحة مولاي الحسن حالا، وذلك بمحضره وفي حفل كبير، عندما جاء بصفة كونه وزيرا للبحرية، في رفقة جثة المارشال ليوطي الذي كان أوصى بأن يدفن بالمغرب في مقر الإقامة العامة السابقة.

F. Piétri, *Les finances du Maroc pendant la guerre*, Rabat, 1918 ; *Finances et monnaies coloniales*, Paris, 1924 ; *La querelle du franc*, Paris, 1928 ; *Veillons au Salut de l'Empire*, Paris, 1937 ; *Mes années en Espagne, (1940 - 1948)*, Paris, 1954 ; J. A. Marty, *La Franc marocain, monnaie satellite*, Paris, 1951 ; D. Rivet, *Lyautey et l'institution du protectorat au Maroc*, Paris, 1988 ; B. Yvert, *Dictionnaire des ministres (1789 - 1989)*, Paris, 1990.

إبراهيم بوطالب

**بيّوض، محمد** بن الفقيه، أحد طلبة طنجة الذين توجهوا للتعليم بألمانيا ضمن البعثات التعليمية في عهد الحسن الأول.

ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 2 : 154 ؛ *الوثائق المغربية* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1348.

مصطفى بوشعراء

**بيّوض** أو بايوض، مرض يصيب عروق النخيل يدعى بالفرنسية Fusariose vasculaire du palmier وينتج عن نبات فطري يدعى علميا Fusarium oxysporum albedinis MAL. ينمو هذا النوع الفطري داخل عروق النخيل ويسبب ذبول الأوراق ثم سقوطها وانقراض النخلة ويسمى هذا الداء الفطار القناتي أو القصبي Tracheomycose يتكاثر ويحفظ على بقايا النخيل المتساقط وبداخل الأرض في أعماق تبلغ أحياناً أكثر من متر وذلك لمدة عدة سنوات. يتكاثر أيضاً على نبات الحناء إلا أنه لا يخلّف بها أضراراً.

يتسرب مرض البيوض شيئاً فشيئاً من نخلة إلى أخرى وسط حريمة النخيل وينتقل من منطقة إلى أخرى بواسطة سعف النخيل أو حطبه المريض الذي ينقله الإنسان لسبب ما. يلعب الري دوراً هاماً في نقل البيوض من نخلة إلى أخرى ومن منطقة لأخرى وقد أدى هذا المرض إلى انقراض ما يزيد على عشرة ملايين نخلة في المغرب وذلك في ظرف لا يتعدى قرناً واحداً.

من العلامات الأولى المؤشرة لهذا المرض هو جفاف وريقات بعض السعف من جهة واحدة منذ القاعدة إلى القمة ثم انطواؤها تدريجيا على المحور ويصير لونها أبيض مما أدى إلى تسمية هذا الداء بالبيوض. ينتقل جفاف وريقات السعف بعد ذلك إلى الجهة المتقابلة مبتدئاً من القمة إلى القاعدة فتبدو السعفة كريشة مبللة.

تظهر على طول المحور خطوط بنّيّة. تجفف وريقات السعف المجاورة الواحدة تلو الأخرى ثم تموت الشجرة بعد مدة تتراوح ما بين ستة أشهر وسنتين ابتداءً من ظهور المرض. تصير عروق النخلة المصابة بالبيوض كلها حمراء، وفي حالة قطعها تبدو ملطخة بنقط صفراء محمرّة تدل على وجود النبات الفطري المتطفل عليها.

من المرجح حالياً أن الموطن الأصلي للبيوض بالمغرب هو وادي درعة وأن داء الفطار القصبي تسرب منذ القرن الأخير في اتجاه الغرب والشرق مما أدى إلى انقراض ثلثي النخيل بالمغرب ثم غزا بعد ذلك واحات الجزائر مخلفا وراءه أضراراً بالغة في النخيل سواء منها ذات الجودة كضرب المجهول وبوفكوس ودكلت النور وبوسكير أو الضروب الأخرى. يُقدّر عدد النخيل بالمغرب حسب إحصائيات سنة 1985 بأربعة ملايين ومائتين وواحد وخمسين ألفاً وثلاثمائة، بعد أن كان يبلغ 4.500.000 نخلة سنة 1971. وهي موزعة على أگادير وتيزنيت والرشيدية وگلميم ومراكش وفگيك وورزازات، وأهمها ورزازات (1.800.000) والرشيدية (1.189.720).

لم تعد المقاومة الكيماوية ذات نتائج مرضية لمحاربة هذا المرض وتبقى الإجراءات اللازمة لوقاية النخيل هي المراقبة الصارمة التي تمنع نقل السعف وبقايا النخيل من مكان لآخر، وفي حالة ظهور البيوض في مكان معين تحرق كل الأشجار المحيطة بالنخلة المرضية وتستعمل مادة كلوروبكرين Chloropicrine في التربة وتمنع زراعة هذه الأماكن لمدة طويلة.

استعملت عدة ضروب مقاومة لمرض البيوض في جنوب المغرب وذلك لإعادة النخيل المنقرض، نذكر منها : إيكلان، بوستامي الأسود، بوستامي الأبيض، تادمت، سير الليلات، بوفكوس أو موسى.

*Maladies et ravageurs des plantes cultives au Maroc*, Tome I, Ministère de l'Agriculture et de la Réforme Agraire, Direction de la Recherche Agronomique, Rabat, 1976 ; *La grande encyclopédie du Maroc, Agriculture et pêche*, 1987.

نجاة الخياطي

**بيّوط**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة سماتة الغمارية وكان من بين أفرادها رجل أكول يدعي : عبد الكبير بن محمد بيوط، كان يحضر جميع الحفلات والولائم دون استدعاء، ولذلك لقب بـ "كبّور" وكان حيا سنة 1319 / 1901.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان في أوائل هذا القرن.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum.*

محمد ابن عزوز حكيم

# ت

**تابَــانْتْ**، جماعة قروية بدائرة أزيلال، بإقليم أزيلال. تنطبق على وادي أيت بوگماز البالغ طوله 32 كلم واتساعه 7.4 كلم. مساحتها 329 كلم$^2$ وعدد سكانها 8.545 ن (1982). كثافتها 26 ن كلم$^2$، لكن الكثافة ترتفع كثيراً بالوادي حيث تصل إلى 150 ن / كلم$^2$. يتوسط موقعه مجموعة قبائل وأودية هي قبائل مگون وأحنصال وأيت بُـوُّولي وتاسَاوتْ. ووادي بوگماز عبارة عن مقعر واسع به سلسلة أعراف عالية هي تيزَالْ وأزُوركي 3690م من الشمال الغربي، وإگودامن واوگولَزات 3170 م بالجنوب الشرقي، كلها تتكون من كلس جوراسي ولياس. وقد انغلق مخرج الواد بركامات انهيالية فتكونت به بحيرة خلفت رواسب سميكة حولته إلى حوض واسع مستو، كما كون رافده عروس حادورا أعطى هضبة تامزريت. وينتهي عند اتصاله بالواد الأخضر بخوانق. ونظراً لعلوه (1800 م) وتشكيله فإن السحاب والضباب ينحبسان به شتاء وصيفاً. يسوده مناخ جبلي شبه قاري يتميز بشتاء بارد وصيف حار تتكرر به الأعاصير. تسجل به درجات قصوى - 5° شتاء، و+ 40 °صيفاً. مرصد تبانت حديث سجل بين 1984 و1987 معدلا سنويا من المطر قدره 280 ملم بينما سجل به معدل مطري قدره 700 ملم بين 1933 و1963. والواقع أن تابّانْت تقع في ظل المطر، ويعوض نقص الأمطار ثلوج كثيرة بالجبال المحيطة بالوادي : 130 سنتم سنة 1984 و470 سنتم سنة 1985 بأزوركي، فهناك تذبذب كبير في كمية التساقطات من سنة لأخرى، لكن قدرة الصخور الكلسية على الخزين تجعل مياه الري وفيرة. وقد تراجعت الغابات كثيرا لقدم الاستقرار وكثافة الاستغلال إذ لا تعطي سوى 35٪ من السفوح على شكل رقع متفرقة من العرعار الأحمر والبلوط الأخضر وصنوبر حلب، يقع أهمها بالسفح الشمالي لتيزي نايت إيمي. وهناك مشاريع تشجير واسعة بصنوبر حلب. ويتميز الوادي بخصوبة تربته المشتقة من مفتتات كلسية ووفرة مياهه : ست وعشرون عينا أهمها عين تيزي نايت إيمي إضافة إلى مياة الواد وروافده التي لا تنضب وهي من مياه وديان عروس وأيت حكيم وتاغية والرباط. لقد كان وادي أيت بوگماز منطقة عبور رعوي بين السفوح الجنوبية لقبائل مگون وأيت عطا عبر تيزي نايت إيمي (2905 م) عبر واوگولزات وتيزي ن تارغيست (2629 م) عبر أزوركي نحو دير تادلة. كما أن غنى الوادي وانعزاله يجتذب من المناطق الجافة الصحراوية والسهلية الفارين من المخزن أو الثأر، مما جعل الإطار البشري يعرف مدا وجزراً.

ينتمي أقدم السكان في هذه المنطقة إلى هسكورة، لكن السكان الحاليين باعتبار لهجتهم ورواياتهم ينتمون إلى صنهاجة. ويرجح أن أصلهم من أيت واستر، اختلطوا بمصامدة مجاورين : إمغران وفطواكة، لكن الجو ونمط العيش وحّد بينهم. يتكلمون اللهجتين. ويعيش الوادي اليوم انفجارا ديموغرافيا وتحولات اجتماعية أدت إلى تفكك التآزر القبلي وتزايد الهجرة وتفتيت الملكية وتباين كبير في توزيعها بين ملكيات كبيرة (40 هكتاراً) وأخرى قزمية (0.5 هكتار). ويبلغ متوسط ملكية الأسرة بالوادي 1.2 هكتار. يشمل التمليك 42٪ من مساحة الجماعة، والباقي ملك جماعي وأراضي الدولة. ويعتبر بوگماز أغنى واد فلاحي بالأطلس الكبير الأوسط، لكن العزلة جعلته يهتم بزراعة معاشية كثيفة متنوعة الإنتاج تسودها أساليب تقليدية تعتمد على العمل اليدوي العائلي. لكن انفتاح المنطقة مؤخراً ووصول البضائع الاستهلاكية وأموال المهاجرين بالخارج ومدن الداخل والتجنيد الذي يعمل به الكثير من شباب الوادي منذ الاستعمار، أدى إلى الاهتمام بمزروعات تسويقية جديدة كالتفاح والطماطم والبطاطس بصفة خاصة، عم ذلك جميع المشارات، ويسوق إنتاجه خارج المنطقة، كما بدأت تعطى أهمية متزايدة لتربية الأبقار خاصة الأبقار المهجنة، ويفوق حليبها الاستهلاك المحلي، إلا أنه لا يسوق خارج الوادي لصعوبة المواصلات. على أن أهم المزروعات السائدة هي الحبوب المسقية والبورية وخضر للاستهلاك العائلي وأشجار الجوز، ولازالت تربية المواشي الصغيرة تكتسي أهمية كبرى في الاقتصاد العائلي إذ تجد في السفوح المعشوشبة والأحواض والأودية العالية مراع واسعة ترتادها في تنقلات يومية وفصلية عمودية وأفقية. ولكل جماعة مراعيها الخاصة وعزائبها. ويساهم بيع المواشي في توفير سيولة نقدية طيلة السنة. ويتجمع السكن على طول الوادي وروافده في قرى كبيرة وصغيرة تقوم بجانب برج (إيغرم) أو (تيغرمت إن كان صغيراً) أو بقايا خرائبه غالبا، إذا صار ملكا لمجموعة ورثة لا تهتم بصيانته لأنه فقد دوره في الخزن الجماعي للأقوات والاحتماء في وقت الأزمات. وتنتشر حرف محلية أهمها النسيج لوفرة الصوف : الزربية والحاف تَحَنْديرْتْ، وهناك حرف أخرى لتلبية الضرورات اليومية : قصعيات ومحاريث وقفاف... وتتطور بعض الحرف بتوجيه من مرشدي مركز تابانت لتتخذ طابعا عمليا أو جماليا سياحيا خاصة الأدوات الخشبية والمنسوجات الصوفية والبناء.

تابّانْتْ (المركز) قرية زراعية صغيرة تقع وسط البساتين بالضفة اليسرى بمنتصف الوادي عند أحد مداخله الجنوبية المهمة : تيزي نايت إيمي وملتقى وادي أيت حكيم والرباط لتكون وادي بوگماز. كان يعقد بقربها سوق منذ القديم. وعندما اختيرت كمركز إداري في إطار اللامركزية استقرت بها منشآت إدارية وتجارية على الطريق المار بالضفة اليمنى بين البساتين ومنحدر الوادي : القيادة ودار الجماعة القروية وإدارات ومصالح تابعة لمختلف الوزارات ومقاه ودكاكين تكون سويقة وجزءاً من دكاكين السوق الأسبوعي المنبسط أمامها كشريحة طويلة في عالية المنحدر. أما المعهد الجديد للتكوين في المهن الجبلية فإنه يوجد على نفس الطريق على بعد 1.5 كلم، ويوجد بسرير الوادي الأخضر مخيم صغير ومحطة للسيارات، لكن المركز جديد لازال ينقصه الانسجام والاندماج، فهو مركز تجاري

وخدماتي أكثر منه سكني، إذ أن معظم العاملين به يسكنون الدواوير المجاورة. زود مؤخراً بالكهرباء من محطة كهرمائية على مجرى عين تيزي نايت إيمي الغزيرة، بلغ سكانها 223 ن (1982). ينعقد بها سوق يوم الأحد حيث تفتح كل دكاكين السويقة ومنشآت المركز. يأتي إليه معظم المتسوقين على بغالهم وتصله بعض الشاحنات التي تنقل البضائع والركاب. وهو سوق محلي يزود السكان بالحاجيات الأساسية ومعظمها مجلوب من المدن، لكن هناك كمية من الخضر والحبوب المحلية. وتختلف حركة السوق حسب المواسيم وحركة المواصلات إذ تعرف تقلصا كبيرا في الشتاء خاصة عند انقطاع الطرق بسبب تهاطل الثلوج. أهم ما يقدمه الأغنام والأبقار خاصة في الصيف، وجل التجار الصغار وأصحاب الخدمات من سكان المركز والوادي، أما التجار الكبار أصحاب الشاحنات فيأتون من أزيلال وأيت امحمد وأباشكو، وهم من محترفي تجارة الأسواق الأسبوعية بالمنطقة.

الوظيفة السياحية. انطلقت سنة 1985 تجربة تنمية لأعالي الجبال في إطار برنامج للتعاون الدولي تحت مسؤولية مديرية الشؤون القروية باسم التجربة الرائدة المتعددة القطاعات للاقتصاد القروي لأعالي الجبال بالأطلس الكبير الأوسط، وفي إطار إنعاش السياحة الجبلية والحرف المحلية، تم بناء مركز لتلقين المهن الجبلية : السياحة والصناعة التقليدية والزراعة وتربية المواشي والنحل. واعتبر المشروع السياحي أهم محرك لاقتصاد المنطقة، ذلك أن المجال البيئي لازال يطغى على المجال المستأنس، مما وفر للسياحة مجالات غنية للتجول والتزحلق وممارسة مختلف الرياضات الجبلية. وأوصى المشروع بتشجيع السكان المحليين على القيام بكل المشاريع لكبح هجرتهم خارج المنطقة، والمحافظة على أصالة المعمار إذ لا يسمح باستعمال الإسمنت المسلح سوى بالأسقف المرفوعة على جدران مبنية بالتراب المدكوك والحجارة حسب تقنيات محلية مطبقا ذلك في البناء الجديد لمركز المهن الجبلية الذي يحتوي على قاعات متنوعة وأقسام داخلية ومنازل لسكن العاملين به ومختبرات ومشاغل، يدرّس به بعض الأجانب، خرّج أفواجا من المرشدين الجبليين من أبناء المنطقة المحصلين على مستوى متوسط من التعليم الثانوي : كون 140 مرشداً، 60٪ منهم من تابانت، و55٪ شخصا في الحرف لغاية 1988. وسمح للسكان بإنشاء مآوي عائلية وكراء البغال ومرافقة السواح، وظهر 17 مأوى عائليا بقرى المراحل المهمة للجولات مع تمركز خاص بالمناطق التي تنطلق منها الرحلات، أهمها تابانت : ستة مآوٍ. وهناك مآو جبلية عالية تبنيها الجماعة القروية قرب قمة مگون وأعلى واد امگون وبحيرة إزوغار.

تتوافد على المنطقة شركات سياحية وطنية وأجنبية تنظم جولات على البغال ومشيا على الأقدام تدوم حوالي أسبوع تنطلق غالبا من تابانت وترتاد الأودية العليا وتعبر الفجاج وتصعد القمم خاصة مگون (4068 م) وتمارس التزحلق شتاء وتخيم ليلا بجوار المجاري المائية. بلغ عدد السواح المنطلقين من تابانت سنة 1988 حوالي 1500 سائح 60٪ منهم فرنسيون، 40٪ زاروها في غشت ويوليوز.

إلا أن أكبر عائق يحد من تطور السياحة والنمو الاقتصادي عامة صعوبة المواصلات لأن الوادي يتعمق داخل سلاسل جبلية ويفصله عن الطريق المرصف بأيت امحمد 60 كلم من مسلك جبلي وعر يتوقف السير به عند تساقط الأمطار والثلوج.

بحوث من مستوى *نهاية الإجازة* أنجزها طلبة شعبة الجغرافيا بكلية الآداب مراكش ؛ *تحليل خرائط طبوغرافية وجيولوجية تتعلق بالمنطق* ؛ *بحث ميداني في صيف 1990*.

A. Fougerolles, *Le Haut Atlas Central, guide alpin*, Casablanca, 1982.

أحمد هوزالي

**تابحريت**، مدينة صغيرة على ساحل البحر المتوسط وواحدة من الموانئ الكثيرة التي شهدت نشاطا ملاحيا كبيرا في سالف الأزمان في المنطقة الواقعة بين مليلة غربا وهنين شرقا، وقد اندرس أغلب هذه المرافئ ولم يعد حاضر ما بقي منها يدل على ما عرفته من ازدهار ومجد في ماضيها. (*الاستبصار*، 135).

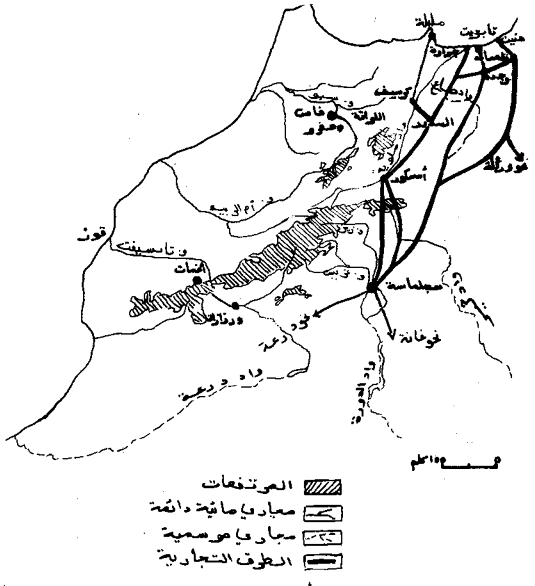


تقع تابحريت شمال غرب مدينة وجدة وتبعد عنها بأربعين ميلا (انظر الخريطة) وتتخذ موقعا وسطا بين ميناءين عرفا بنشاطهما البحري في القرنين الخامس الهجري (11 م) والسادس الهجري (12 م) هما تافرجنيت ومصكاك. يقع الأول إلى الغرب منها ويبعد عنها بثمانية أميال (*وصف افريقيا الشمالية*، 111) وهو ميناء جراوة. وهاته الأخيرة مدينة تحمل اسم القبيلة التي تسكنها وقد حدد J. M. Lessard موقعها على بعد عشرة أميال جنوب شرق مصب وادي ملوية في المكان المسمى حاليا سيدي محمد بن عيسى (*Sijilmassa*, 17). أما ميناء مصكاك أو مسكاك فيقع إلى الشرق منها على مسافة ثلاثة أميال وقد

ذكر البكري أن هذا المرسى أقدم من تابحريت وأن التراجع الذي عرفه كان نتيجة تجديد تابحريت عام 420 / 1029 وازدهارها بفعل ذلك حتى أصبحت سوقاً لأهل مصكاك أنفسهم ( *المغرب*، 88 ؛ *الروض المعطار*، 127).

تبعد تابحريت عن ميناء ترنانا بثلاثة عشر ميلا حسب رواية البكري ( *المغرب*، 87) وبنحو اثني عشر ميلا عن ندرومة حسب رواية الوزان (*وصف افريقيا*، 2 : 14) الذي ذكر المسافة بين تابحريت وندرومة ولم يشر إلى ترنانا ميناء هاته الأخيرة. وتجب الإشارة إلى أن أكثر ما وصلنا عن ترنانا في أغلب المصادر الجغرافية يتطابق في أغلب تفاصيله مع ما ذكره البكري عن تابحريت، وعليه فقد ضل كل من صاحب *الاستبصار* والحميري في نقلهما عن البكري فضمنا مادة ترنانا المعلومات الخاصة بتابحريت وكتبا خطأ أنها محط للسفن ومقصد لقوافل سجلماسة وغيرها وأن سكانها من مطغرة ( *الاستبصار*، 135 ؛ *الروض المعطار*، 127). في حين أن ترنانا في كتاب البكري مدينة تبعد عن ندرومة بثمانية أميال لها سور ومسجد جامع وسوق وبساتين كثيرة يسكنها فخذ من بني دمر يسمون بني يلول ( *المغرب*، 80).

لم تصلنا معلومات كثيرة عن عمران تابحريت سوى ما ذكره البكري من أنها كانت في القرن الخامس الهجري (11م) مدينة مسورة لها مسجد جامع متقن البناء مشرف على البحر ولها أسواق جامعة ( *المغرب*، 88). وقد استمرت هذه المدينة على حصانتها وازدهارها في القرن السادس الهجري (12 م) بشهادة الإدريسي الذي قال إنها حصن حصين عامر آهل (*وصف افريقيا الشمالية*، 111). وقد أغفل الجغرافيون ذكرها بعد القرن السادس الهجري ولم تصلنا معلومات عنها بعد ذلك سوى في القرن العاشر (16 م) مع الحسن الوزان الذي قال إنها كثيرة السكان وأهلها يعيشون في خوف دائم من هجوم النصارى عليهم ليلا (*وصف افريقيا*، 2 : 15). وقد خربت هذه المدينة بعد ذلك في تاريخ غير معروف وبقي اسمها على بعد نحو 30 كلم شمال غرب ندرومة. ومن المحتمل أنها كانت مشيدة على رأس قلعة تشرف على البحر بارتفاع 125 متراً (*وصف افريقيا*، 2 : 14، هامش 18).

ارتبطت شهرة تابحريت بنشاطها التجاري في القرنين الخامس الهجري (11 م) والسادس الهجري (12 م) على وجه الخصوص فقد قصدتها خلال هذه الفترة السفن من كل الجهات ( *المغرب*، 88 ؛ *وصف افريقيا الشمالية*، 111). ويرجع السبب في الإقبال على هذا المرسى دون غيره من المراسي الموجودة على ساحل البحر المتوسط وقتئذ إلى العلاقة التي جمعته بعاصمة التجارة الصحراوية مدينة سجلماسة وهذا ما عبر عنه البكري بقوله : وهو مقصد لقوافل سجلماسة ( *المغرب*، 88). ويفهم من ذلك أن هذا الميناء هو المنفذ الذي اعتمدت عليه سجلماسة في الاتصال مع أوربا والأندلس خاصة وأننا نعلم بأنها لم تكن المدينة الداخلية الوحيدة التي كان لها منفذ بحري على مسافة بعيدة منها لأن اغمات أيضا كان لها ميناء قوز في مصب وادي تانسيتف على بعد 120 ميلا عنها ( *المغرب*، 153. 154).

فلو أمعنا النظر فيما كتبه البكري عن الطرق التجارية الداخلية الرابطة بين سجلماسة وشمال المغرب فإن ما يمكن ملاحظته هو اتجاهها نحو الموانئ المتوسطية غير أنه رغم الأهمية الكبيرة التي كانت لفاس في ربط الاتصال بين سجلماسة وسبتة فإن القوافل التجارية القادمة من بلاد السودان والمتجهة نحو موانئ البحر المتوسط لم تكن مضطرة في كل الحالات إلى المرور بفاس لأنه كان في إمكانها الوصول إلى الساحل المقابل لوجدة وجراوة وتلمسان بواسطة طريق مباشر يربط سجلماسة بوجدة عبر صاع وهي قرية ذات نهر - وادي زا - وثمار ومزارع ومنها إلى تملت ومنها إلى جبل بني يرنيان ومنه إلى قير - وادي گير - ومنه إلى الاحساء ومنها إلى لامسي فسجلماسة ( *المغرب*، 88، انظر الخريطة). إن البكري لا يشير في وصفه لهذا الطريق إلى المدة الزمنية التي تتطلبها الرحلة عبره، كما أن المحطات الرئيسية التي يمر بها غير معروفة في ضوء معلوماتنا الحالية، وكل ما يمكن تسجيله هنا هو مرور القوافل عبر أودية هذا المجال شبه القاحل كوادي گير ووادي زا.


مجهول، *الاستبصار*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ش. الإدريسي، *وصف افريقيا الشمالية والصحراوية*، الجزائر، 1957 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب*، الجزائر، 1965 ؛ ابن ع. الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1984 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج 2، الرباط، 1982 ؛ خريطة مأخوذة عن حافظي، *سجلماسة وإقليمها في القرن 8 هـ / 14 م مساهمة في دراسة مجتمع الواحات في العصر الوسيط*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرقونة، فاس، 1989.

J. M. Lessard, *Sijilmassa : la ville et ses relations commerciales au XIème siècle d'après El Bekri*, *H.T.*, vol. X, Fasc. 1 -2, 1969.


حسن حافظي علوي

**تابرانت**. قبيلة ← **بني احمد**

**تَابْرَانْتْ**، قرية بفرقة السواحل من قبيلة بني بوشيبت الصنهاجية (إقليم الحسيمة) واسمها باللهجة الريفية يعني "أنثى الحجل" ؛ وكانت هذه القرية آخر بقعة بأرض الريف سقطت بيد الجيش الإسباني يوم 22 أبريل 1927.

وتابرانت هي مقر الجماعة القروية التي تضم قبائل بني بوشيبت وتغزوت وبني بشير وبني أحمد بإقليم الحسيمة.


بنعبد الله، *الموسوعة*، 140، 366.

*Comision historica*, 25 ; Martinez Campos, *España belica*, 343 - 347 ; *Vademecum*, año 1943.


محمد ابن عزوز حكيم

**تَابِريدَا**، أو أبريدا حسب المصدر اللاتيني الذي وصل إلينا من خلال ما نشره الجغرافي المجهول دي رافين De

Ravenne. قد يستحيل العثور عليها عند المؤرخين القدماء الآخرين من إغريق ولاتين. فهي تنطبق على مجال موريطانيا الگاديتانية Maurétanie Gaditane المجاور لمضيق أعمدة هرقل، وتدل تابريدا أو أبريدا حسب دي رافين، في اللغة الأمازيغية على الممر أو المجاز. وغالبا ما يُرادف إقليمها الضفة الجنوبية لسبتيم گاديتانوس Septem Gaditanus، أو مضيق قادس الفاصل بين موريطانيا الغربية وإسبانيا خصوصا، أو ما بين قارتي إفريقيا وأوربا على العموم.

الجغرافي دي رافين، (نشر پورشورون) باريز، 1748 ؛ ريمونـد روجي، *المغرب الأقصى عند المؤلفين القدماء*، باريز، 1924..

المصطفى مولاي رشيد

**تَابَلْكُوكْتْ**، تقع على الطريق الرئيسية على بعد 43 كلم في الذهاب من تيزنيت إلى مدينة سيدي إفني، ويطلق هذا المصطلح على هضبة شديدة الاستواء محاطة بحافات شبه عمودية في جهاتها تقريبا. ونظراً لندرة هذا النوع من التضاريس، فإننا لم نعثر إلا على ما يقارب هذا الاسم لإحدى قبائل إيسافنْ بالأطلس الصغير، لكن هكذا "تابْرْكوكْتْ" بالراء بدل اللام. ولدي وثيقة قديمة ستنشر في كتابي "جانب من تاريخ أيت باعمران" كتبت بالنون هكذا "تابنْكوكْتْ" لكن في باقي الوثائق تكتب كما في العنوان أعلاه.

وكانت هذه الهضبة كلها في ملك بَاهَا الخلفي الذي عاش حوالي 940 هـ ثم تعرضت لقسمة عقارية من طرف أحفاد الشيخ بَاهَا الأدنون في القرن الحادي عشر الهجري وهم أبناء علي بن علي بن باها، وكانت مشهورة بالفلاحة وبغابة أرگان وبرعي الإبل في ظروف أكثر رطوبة من اليوم. وأقدم عمران في تابلكوكت، هو بقايا أگادير (حصن) مستدير منيع على حافة وادي سامْطْمَاطْ، وكان هذا الحصن يعرف بأتْبَّانْ، ومعناه مخزن التبن، وتثبت الوثائق أنه كان مهجورا قبل الألف الهجرية، ولا يعرف من بناه، وكل ما نعرفه أن طريق القوافل المعروفة بتابريدا والتي كانت تربط بين شمال المغرب وصحرائه، كانت لها علاقة بهذا الحصن، من حيث المبيت والحراسة والتموين.

يظهر حسب التحريات الخاصة أن سيدي علي بودميعة صاحب مشيخة تازروالت، قد استغل هذا الحصن، كما استغل ـ مرْسْ ـ تابلكوكت، في خزن الزرع على المرسى الذي أسسه هناك كما ذكر صاحب *المعسول*، ومازالت آثار العمران تدل على ذلك، وخاصة النطافي لخزن المياه، والمطامر لخزن الحبوب، ومن الشائع أن البرتغاليِّين نزلوا في عين المكان.

أطلق اسم تابلكوكت فيما بعد على المدشر الوحيد هناك، وقد تعرض سكانه لكارثة الوباء سنة 1229 هـ كما تعرض لقصف باخرة فرنسية سنة 1335 / 1917 فهدمت دار القاضي سيدي محند بن محمد من آل الشيخ هَمُّو كما أحرقت تلك الباخرة جميع زوارق الصيد لأيت باعمران، كما قصف نفس المدشر بحراً في حرب التحرير الباعمرانية سنة 1957، لكن هذه المرة من طرف الإسبان.

ونظراً لموقع تابلكوكت هذه، فقد اختارتها كل من إسبانيا وفرنسا لتكون حدودا بين منطقتي نفوذ الدولتين الاستعماريتين، ولو على حساب تقسيم أيت باعمران، هذا وقد وقف إيمغارن (الشيوخ) منذ اللحظة الأولى ضد هذا التقسيم لكن الكولونيل كَبَّاسْ فرض على هؤلاء الشيوخ، بأن يكون وادي سامطماط العميق هو الحد الطبيعي بين المنطقتين، كما أن تيگمي أوگليد وهي دار السلطان الحسن الأول تعد دليلا هناك على حد الحماية الفرنسية النائبة عن المخزن المغربي، لذلك احتلت فرنسا ميرلفت، بينما احتلت إسبانيا تابلكوكت وبينهما الوادي العميق سامطماط، فبنيت كل إدارة مركزها للمراقبة والسهر على الحدود، وبذلك ضيقت الصلات بين شمال المغرب وجنوبه إلا في بعض الملتقيات مثل يوم أمُوگار (ملتقى) سيدي محمد بن عبد الله بتابلكوكت، وهو الخميس الأول من شهر يوليوز الفلاحي من كل سنة، وفي هذا الموسم التجاري الهام، يلتقي حكام فرنسا في سوس بكاملهم مع حكام اسبانيا، فيحتفل الطرفان، ويستعرضان قواتهما، ومقابل ذلك يسمح للسكان بالزيارات وتبادل السلع ونقلها من حماية إلى أخرى لمدة ثلاثة أيام فقط.

وفي سنة 1947 لفت انتباه أيت باعمران، أن فرنسا كانت ترفع في الموسم رايتين المغربية والفرنسية، بينما إسبانيا لا ترفع إلا رايتها، ولما استفسروا عن سبب ذلك، قيل لهم، أن أيت باعمران، أرض إسبانية، وهنا قامت الشخصيات الباعمرانية تطالب برد الاعتبار، فأصروا على أن يعلن شيوخ أيت باعمران نصر السلطان في موسم سيدي محمد بن عبد الله بتابلكوكت، وإلا أشعلوا حربا يوم الموسم التجاري، ولما كانت إسبانيا غير مستعدة ولا في استطاعتها أن تفعل أي شيء بوجود الحكام الفرنسيين، فقد تنازلت لأيت باعمران، وتولى الشيخ عبد الكريم بن الحسن القيام بإعلان نصر السلطان هكذا "اللهم انصر السلطان سيدي محمد بن يوسف على الحق والباطل...". وبذلك كان موسم تابلكوكت بذلك النصر السلطاني أول من دق مسماراً في نعش الاستعمار الاسباني بأيت باعمران. كما أن القاضي سيدي محند بن محمد كان أول من عارض الاسبان في أخذ الصور الشخصية من أجل تطبيق الجنسية الإسبانية على أيت باعمران، وتلك المحاولة هي التي أدت إلى حوادث أيت باعمران سنة 1947.

تابلكوكت في معركة التحرير : انقض المجاهدون على مركز الإسبان المسمى قَشْلَة تابلكوكت سنة 1957، لكن نظرا لمناعة هذا المركز الاسباني، فقد تكبد المجاهدون خسائر في الأرواح، ومع ذلك تم حصاره بعد قطع الصلة بينه وبين مدينة سيدي إفني بهدم قنطرة بومجوض وقطع أعمدة الهاتف، وبذلك تم حصاره، حتى تدخل المقاوم الكبير

المرحوم عبد العزيز الماسي، فصار يرمي مركز الإسبان بالمدافع حتى استسلم من فيه، وكادت مغامرة هذا القائد المغربي أن تشعل الحرب بين المغرب وبين إسبانيا، فحاصرت بوارج حربية إسبانيا مدينة أگادير، ولو لا تصريحات المغفور له محمد الخامس وقته بواشنطون، والتزام المغرب سياسة الهدوء والاحتجاج لوقع ما لم يكن في الحسبان.

هذا وقد علق مراسل جريدة *"لومند"* على مذكرة إسبانيا، ومضمنها أن يحل جيش المغرب محل جيش التحرير، قائلا: "يتضح من تحليل المذكرة أن هذا الشرط يتعلق في نفس الوقت بمنطقة الجنوب المغربي، هذا وقد سلم هؤلاء الأسرى كلهم إلى المغفور محمد الخامس باگلميم من طرف جيش التحرير، والذي اطلق سراحهم، فبدأت العلاقات تتحسن من جديد.

أما شهداء معركة تابلكوكت فأذكر منهم هؤلاء، جزاء لما قدموا لهذا الوطن :

- السيد إبراهيم بن محمد بن لحسن بن بايه الخلفي وهو رئيس المجاهدين.
- أموگال السيد أحمد بن سعيد النصفي.
- قاقاس البشير بن محمد النصفي.
- الأوزاضي احمد بن محند النصفي.
- الحسين بن محند اليعزاوي.
- اد الرايس الحسين العبلاوي.
- أزروال عمر بن محمد بن لحسن العبلاوي (أزروال) لقباً.

هذا وفي تابلكوكت مدرسة عتيقة حول ضريح سيدي محمد بن عبد الله عرفت بمن مر فيها من الفقهاء مثل الفقيه سيدي أحمد بن باموس اليوسفي مشهور بالقضاء وكتابة المصاحف بخط جميل للغاية، ثم سيدي الحبيب العبلاوي في بداية هذا القرن الميلادي، ثم القاضي سيدي محند بن محمد بن الشيخ همو (1384 / 1294) من عين المكان وله خزانة بها مخطوطات، وهي الآن عند سيدي جهادي ابريك.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مجلة الكلمة، عدد 1، ص. 56، 1971 ؛ جريدة *المحرر*، عدد 458، 1975.

الحسين جهادي

**تابودة**، أو تبُودا، موقع تاريخي قديم يبعد عن الطريق الرئيسية رقم 26 الرابطة بين فاس ووزان بأربعة وعشرين كيلومتراً في اتجاه الشمال، ويقع على السفح الشمالي لمرتفع أمجُّوط المطل على أهم البسائط التي خلفها واد أوْضُور على ضفتيه وهي (الجمعة - الگزيرة - أغْجْدَمين تَمَسْريت إلى منخفض خَوْلان شمالا). ويُطل أيضاً على سوق اثنين تابودة. فيه دوار ينتمي إلى بطن بُومْعان من بطون قبيلة بني زورال الخمسة (أولاد قاسم - بومعان - بني مكة - بني إبراهيم - بني ملُّول). وهو معروف ببساتين البرتقال وأشجار التين والكرم والزيتون، فلا تكاد دوره تظهر من خلالها. كما تدل تابودة في اللسان الصنهاجي على أسل يحمل في رأسه زهرة وينبت قرب المستنقعات وعلى جنبات مجاري المياه، وهو سامٌ لكن السكان كانوا يضطرون أحياناً لأكله في المجاعات وأوقات الحرب والحصار، كما حدث لسكان مراكش أثناء حصارهم من طرف قبيلة الخلط أيام الرشيد الموحدي ( *البيان المغرب*، قسم الموحدين، 326).

تحدث أحد الرواة عن أصل سكان هذا الدوار وقال إنهم من "البقية" أي بقية الرومان، ولكنهم أسلموا وحسن إسلامهم منذ الفتح الإسلامي. وعلل الراوي كلامه بزرقة أعينهم وهو يروي عن أبيه من جيل الحماية وقبلها بقليل. ومن المحتمل أن يكون كلام الراوي صحيحاً بسبب وجود المسيحيين - وهم في الغالب بيزنطيون - ببني زروال. فقد سكنت الساحرة دادوح جبل ودكة وعبدت القديس لازار.

شارك سكان تابودة في مقاومة الفرنسيين الذين جاؤوا لاحتلال بلادهم في بداية الحماية. وجرت أحداث دامية بالمنطقة إبان ثورة ابن عبد الكريم الخطابي. وبعد الاحتلال صارت تابودة المركز الإداري لفرقة بومعان من قبيلة بني زروال من سنة 1925 إلى سنة 1956. وفي السنة التالية

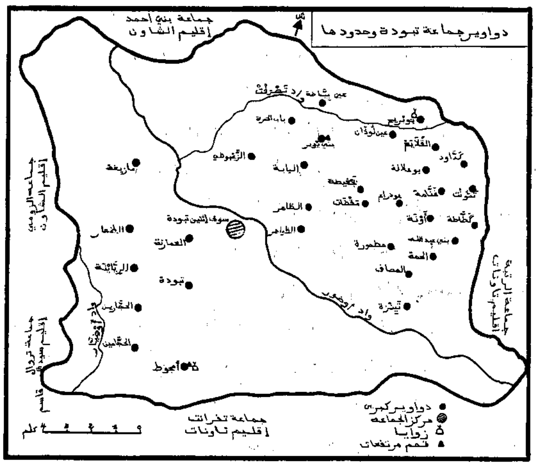


أصبحت جماعة قروية تابعة لقيادة تفراُنت، دائرة غفساي عمالة تاونات.

يتمثل اقتصاد جماعة تابودة في الزراعة وبعض العمليات التجارية المحدودة. وطابع كل هذه الأعمال الإنتاجية مَعاشي. فالزراعة تغطي مساحة تزيد عن 10.000 هكتار. علاوة على مساحة الغابتين الكبيرتين في الجماعة وهما غابة امجّوط 1.280 هكتاراً وغابة عين لوذان 150 هكتاراً. ويكثر السكان من زراعة الشعير في سفوح التلال وقممها بينما يزرعون القمح في السهول، وحاولوا منذ سنة 1976 تقريباً إضافة زراعة الخضر والفواكه السقوية على ضفاف أوْضُور مستعلمين مضخات الماء. وهذا النوع من الزراعة الذي لا يكون إلا في الصيف والخريف بإمكانه إنعاش اقتصاد المنطقة لو كانت الطريق معبدة في اتجاه الشمال إلى سوق ثلاثاء بني احمد، أو في اتجاه الجنوب نحو سوق خميس بني ورياگل. ولكن افتقاد هذه الوسيلة يفرض على السكان التقوقع وتصريف هذه المنتجات في

أقرب الأسواق بأثمان غير مربحة. وتبقى أهم زراعة شجرية في الجماعة هي الزيتون، فهو موجود بكثرة ويحرص السكان على الزيادة من غرسه وكذلك الجماعة في مواصلة مشروع "ديرو" فقد غرست مساحات واسعة من أشجار الزيتون وبعض المساحات من تايدة فوق المرتفعات خاصة.

وأما الماشية فهو مورد ثان للاقتصاد داخل الجماعة، ولكن طابع التمدن والاعتماد على الوظيفة في الجندية على الخصوص أدى إلى تراجع تربية المواشي وخاصة المعز والغنم، فأصبحت الرؤوس التي كانت تفوق في السبعينات 10.000 رأس تقل عن نصف هذا العدد.

*منوغرافية جماعة تابودة لسنة 1991 ؛ تحريات ميدانية.*

العربي الحمدي

**تاتنتال**، ملاحة في صحراء المغرب لم يرد ذكرها في الكتب الجغرافية والتاريخية قبل زمان البكري. تبعد عن سجلماسة بعشرين مرحلة في اتجاه الجنوب على الطريق الرابط بين هاته الأخيرة وبلاد السودان الغربي ( البكري، 171)، وبينها وبين مدينة أزقي "أزوگي" قاعدة لمتونة سبع مراحل ( *كتاب الجغرافيا*، 113)، وقد حدد R. Mauny موقعها على بعد 160 كلم شمال غرب ملاحة تودني (*Tableau Géographique*, 328).

لم يتم نشر نتائج التنقيبات الأثرية التي أقيمت بموقع تاتنتال في سنوات 1949 ـ 1950 م تحت إشراف G. de Beauchéne، ولم نتمكن بالنتيجة من معرفة تاريخ بداية استغلال هذه الملاحة رغم أن الجزء الذي لحقه الحفر بها ظاهر بوضوح كبير في الصور الجوية التي أخذت للموقع عام 1954م. ويرى البعض (المصدر السابق) اعتماداً على ذكر ملاحة تاتنتال لأول مرة في كتاب *المسالك والممالك* أن ذلك قد تم ما بين 1030 م و1040 م (*Routes de commerce*, 1 : 56)، غير أن المتأمل لما كتبه البكري في هذا الموضوع يخلص إلى القول بأن استغلال تاتنتال سابق لزمان هذا المؤلف. فهذه الملاحة كانت في القرن الخامس (11 م) على قدر كبير من الأهمية يؤكد ذلك دورها في تمويل سجلماسة وغانة وسائر بلاد السودان بمادة الملح فضلا عن جلبها لقوافل التجار (البكري، 171) أي إشرافها على تنظيم المبادلات التجارية بين المغاربة والسودانيين بالنظر للأهمّية التي كانت للملح في التجارة الصحراوية. ومعلوم أن هذا النجاح الذي وصلت إليه هذه الملاحة في الفترة المذكورة أعلاه لا يمكن إلا أن يكون مسبوقا بمرحلة تمهيدية تطورت خلالها شهرتها بالتدريج حتى صارت الـمُموِّل الرئيسي لقوافل التجار بمادة الملح وأثرت بذلك على حيوية ملاحة أوليل الواقعة على الطريق الساحلي.

ونميل إلى الاعتقاد بأن تاتنتال هي تغازى أو تغَزَّة. دليلنا على ذلك أن هذه الملاحة تبعد عن سجلماسة بعشرين مرحلة حسب رواية البكري ( *المغرب*، 171) وبخمس وعشرين مرحلة حسب رواية ابن بطوطة (*تحفة النظار*، 773). ويرجع سبب الاختلاف في عدد أيام الرحلة بين كل من الأول والثاني إلى أن طريق سجلماسة ـ غانا زمان البكري (5 هـ / 11 م) كان يمر عبر تامدولت وتندفس وهو بذلك طريق مباشر نسبيا، أما طريق سجلماسة ـ مالي زمان ابن بطوطة (8 هـ / 14 م) فكان يميل قليلا نحو الشرق بغرض الوصول إلى واحات توات ومنها إلى تغازى فإيولاتن ( *التبادل التجاري*، 240) خصوصا وأن واحات توات قد أصبحت خلال هذه الفترة الزمنية حسب شهادة ابن خلدون محط ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان ومن بلد مالي إليه ( *العبر*، 7 : 76 - 77).

يضاف إلى ذلك أن تاتنتال في وصف البكري حصن مبني بحجارة الملح وكذلك بيوته ومشارفه وغرفه كل ذلك ملح ( *المغرب*، 171) وهذا ما يتطابق جملة وتفصيلا مع ما جاء عند غيره عن تغازى. فقد ذكر القزويني اعتمادا على رواية الفقيه المغربي علي الجنحاني الذي زار تغازى بأن سور المدينة من الملح وكذلك جميع حيطانها والسواري والسقوف والأبواب (*آثار البلاد*، 25 ـ 26). وقال ابن بطوطة إنها قرية لا خير فيها ومن عجائبها أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح (*تحفة النظار*، 773).

يتضح مما سبق أن تاتنتال هي الملاحة التي اشتهرت بتمويلها للمشتغلين بالتجارة الصحراوية بمادة الملح خلال فترة مهمة من العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة. فالأراضي المحيطة بهذا الموقع سبخة، قال ابن بطوطة "إنما هي رمل فيه معدن الملح يحفر عليه في الأرض فيوجد منه ألواح ضخام يحمل الجمل منها لوحين" (*تحفة النظار*، 773). ويفهم من ذلك أن وزن كل لوح حوالي 75 كلغ إذا سلمنا بأن حمولة الجكل هي 150 كلغ. وذكر البكري أن الملح المستخرج من مناجم تاتنتال يوجد تحت قامتين أو دونها من وجه الأرض ( *المغرب*، 171) أي ما يعادل 3،80م تقريبا (*Tableau Géographique*, 328).

كان المشتغلون بالحفر عن الملح بتاتنتال في الفترة الواقعة بين القرن السادس (12 م) والثامن (14 م) من عبيد قبيلة مسوفة الصنهاجية، وكان قوتهم التمر الذي يجلب إليهم من درعة وسلجماسة ولحوم الجمال وآنلي الذي يجلب إليهم من بلاد السودان (*آثار البلاد*، 26؛ *تحفة النظار*، 773). وقد تغير رهط هؤلاء العاملين في الملاحة في القرن العاشر (16 م)، فالحسن الوزان الذي مر بتغَزَّة مرتين في الذهاب والإياب بين سجلماسة وتمبكتو حوالي 916 ـ 918/ 1510 ـ 1512 وأقام بها ثلاثة أيام، ذكر أن المستخدمين في هذه الملاحة كانوا يأتون مع القوافل ليشتغلوا في استخراج الملح ثم يحتفظون بما تجمع لهم منه إلى أن تأتي قافلة فتشتريه منهم (*وصف افريقيا*، 2 : 108) ويفهم من هذا الكلام أن الذين كانوا يقومون بالحفر عن الملح بتغازى زمان الوزان كانوا من الغرباء يعملون لحسابهم الخاص وليس لحساب مسوفة كما كان عليه الأمر في السابق.

وحول المياه بتاتنتال قال القزويني : "ومن العجب أن هذه المدينة أرضها سبخة جدا، ومياه آبارهم عذبة" (*آثار البلاد*، 26) وهو ما أكده أيضا صاحب *الاستبصار* (214). ومعلوم أن القزويني لم يزر تلك المناطق وإنما أخذ أخباره عنها عن طريق الرواية الشفوية شأنه شأن صاحب *الاستبصار*، وهذا ما يدعو إلى الشك في صحة معلوماتهما عن هذا الموضوع، فهذا ابن بطوطة الذي أقام بتغازى عشرة أيام يعترف بأن إقامته بها تمت في جهد لأن الماء بها زعاق (*تحفة النظار*، 773) وهذا ما أكده الحسن الوزان حيث قال : "وأقمت مرة في تغزة ثلاثة أيام ريثما يحمل الملح، واضطررت أثناء ذلك إلى شرب الماء المالح" (*وصف الفريقيا*، 2 : 109).

كان لاكتشاف ملاحة تاتنتال واعتماد القوافل على الملح المستخرج منها في عملية التبادل التجاري بين المغاربة والسودانيين أثر كبير في حدوث تحولات مهمة على خريطة المسالك التجارية الصحراوية. فبعد أن كانت القوافل تسافر إلى بلاد السودان عبر طريقين هما : الطريق الساحلي والطريق الواقع إلى الشرق منه الذي سماه البكري طريق وادي درعة ـ غانا عبر وادي تارگا (*المغرب*، 163) أصبح التجار بعد استغلال ملاحة تاتنتال يستعملون طريقا ثالثا يقع إلى الشرق من الطريق الثاني يربط واحات المغرب الأقصى بغانا عبر تندفس وتاتنتال فأودغست (*التبادل التجاري*، 236).

اتخذ هذا الطريق الثالث أهميته المتميزة في جلب قوافل التجار بفعل نشاط ملاحة تاتنتال. وقد اتفقت المصادر الجغرافية على صعوبة الرحلة عبره بسبب المخاطر التي تحيط بالتنقل في صحاريه وقلة الماء أو ملوحته حتى في حالة توفره فضلا عن عدم وضوح المسالك بسبب انتقال كثبان الرمال من مكان إلى آخر (البكري، 171 ؛ الإدريسي؛ ابن سعيد، 113 ؛ ابن بطوطة، 774). وهذا ما فرض على القوافل الخضوع لتنظيم محكم أثناء الرحلة عبر هذه المفازات واستوجب وجود قائد للقافلة وكذلك الدليل والتكشيف فضلا عن اختيار الفصل المناسب للسفر من فصول السنة، وكذلك الوقت الملائم من اليوم للمسير.

وتجب الإشارة إلى أن المكانة التي صارت لملاحة تاتنتال في مجال الإشراف على المبادلات التجارية عبر الصحراء الكبرى لم تبعد التجار عن استغلال الطريق الساحلي والطريق الواقع إلى الشرق منه أي الطريق الوسط بل قلّلت من أهميتهما فقط. فقد استمر الجغرافيون الذين أتوا بعد البكري على ذكر ملاحة أوليل ودورها في تمويل بلاد السودان بمادة الملح، وهذا ما يعطي الدليل على أن التخلي عن استعمال الطريق الساحلي لم يتم قبل القرن السابع (13 م).

ولا نعرف شيئا عن التاريخ السياسي لتاتنتال قبل القرن العاشر (16 م) على أقل تقدير (انظر مادة *تغازى*) رغم ما كان لهذا المكان من دور كبير في إنعاش التجارة الصحراوية لقرون عديدة من الزمن، لذلك جاز لنا القول، على لسان أحد الدارسين، إنه ربما توقع المرء تاريخا مشحونا بالاضطرابات في مكان على هذا القدر الكبير من الأهمية (بوفيل، 270).


أ. البكري، *المغرب*، الجزائر، 1965 ؛ ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، 1975 ؛ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 7، بيروت، 1981 ؛ القزويني، *آثار البلاد وأخبار العباد*، بيروت، 1969 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الرباط، 1982 ؛ مجهول، *الاستبصار*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ش. الادريسي، *وصف افريقيا الشمالية والصحراوية*، الجزائر، 1957 ؛ ح. الحافظي، *التبادل التجاري بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في العصر الوسيط*، مجلة *المناهل*، عدد 39، 1990 ؛ بوفيل، *تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير*، بنغازي، 1988.

R. Mauny, *Tableau géographique de l'ouest africain d'après les sources écrites, la tradition et l'archéologie*, Dakar, 1961 ; J. Devisse, *Routes de commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la méditérranée, un essai sur le commerce africain médieval du X au XVI siècle*, 1ère partie, R.H.E.S., N° 2 - 3, 1972.


حسن حافظي علوي

**تَاجْذِيت**، هي الأرض الواقعة بشاطئ قبيلة بقوية التي أُنشئت فوقها مدينة الحسيمة الحالية (فيلا سانخورخو) وتاجذيت في اللهجة الريفية تعني الرمال الرقيقة وهذا الاسم هو الذي كان ينبغي أن يطلق على مدينة الحسيمة.


أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية*، 1 : 111.

*Intervencion teritorial del Rif*; *Vademecum*, año 1946, p. 104.


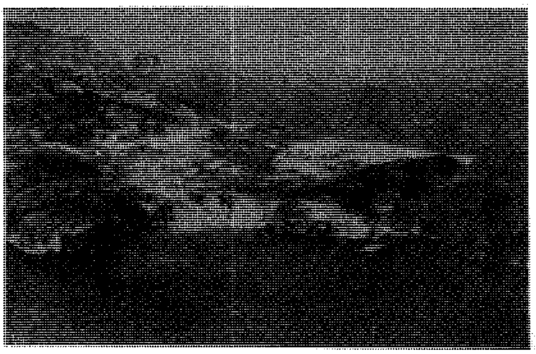

تاجذيت
الموقع الذي أُحدثت به مدينة الحسيمة
وسماها الإسبانيون "بيلاً سانخورخو"

**التَّاجر**، أسرة كانت بتطوان وانقرضت سنة 1297 / 1880، ويقال إن أصلها من يهودي أسلم فحسن إسلامه ؛ ومن المعلوم أنه لا ينعت بالتاجر في تطوان إلا اليهودي سواء كان تاجراً أم لا ؛ وهذه الأسرة غير أسرة التويجر بالتصغير.


Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.


محمد ابن عزوز حكيم

**التاجموعتي**، أحمد بن محمد الفلالي الگولميمي، إمام محدِّث عالم، من بيت الرآسة والعلم بسجلماسة،

عارف بأحكام القراءات والتجويد، وأصول الفقه وفروعه. وهو أحد الإخوة الثلاثة التاجموعتيين (أحمد ومحمد وعبد الملك)، وكلهم علماء أجلاء، وأبوهم محمد عالم ناسك معدود من أولياء زمانه.

قرأ عليه في جملة القارئين الحسن اليوسي مورد *الظمآن* ومختصر *خليل*، وحمل عنه نصيبا من تفسير القرآن وأعجب بفصاحته وتحقيقه.

توفي يوم الاثنين تاسع ذي القعدة عام ثمانين وألف / 31 مارس 1670.

أ. العياشي، *إتحاف الأخلاء*، 4 ؛ *رحلة*، 1 : 17 ؛ ح. اليوسي، *فهرس*، 133، مخطوط ؛ م. المحبي، *خلاصة*، 1 : 147 ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 184 ؛ *الإكليل*، 174، ع. 106 (تح. مارية دادي) ؛ *التقاط*، 179، ع. 284 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 526.

مارية دادي

**التاجموعتي**، عبد المالك بن محمد بن مروان بن عبد العزيز السجلماسي، أبو مروان التجموعتي. قاضي الجماعة، المحدث الخطيب الأديب الشاعر، ناصري الطريقة.

درس على مشاهير علماء المغرب في عصره، منهم بمراكش، الموقت محمد بن سعيد المرغيثي، وبدرعة الشيخ مَحمد ابن ناصر ( *الدرر المرصعة*، 341). ثم رحل إلى المشرق بقصد الحج، وهنالك أخذ عن بعض العلماء، منهم الشيخ إبراهيم الشهرزوري، الذي أجازه في جميع مقروءاته ومروياته. (*نشر المثاني*، 3 : 166).

تولى قضاء سجلماسة سنة 1109 / 1698. وكان إليه المرجع في نوازلها، وله التقديم على علمائها، وكانت له وجاهة لدى سلاطين الوقت. فقد استكتبه الأمير عبد الله الدلائي، حين أسندت إليه إمارة سلا ( *الزاوية الدلائية*، ص. 176، هامش 25). واستقضاه السلطان الرشيد حينما توجه لإخلاء زاوية الدلاء (*إعلام المراكشي*، 8 : 365). وتولى قضاء مدينة مكناس في عهد السلطان إسماعيل.

وهو الذي تولى الرد على الشيخ أبي علي اليوسي في رسائله المرفوعة إلى السلطان في موضوع الحراطين، وألف في ذلك رسالتين، أولاهما *ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب*، ولما انتقده اليوسي ألف رسالة ثانية سماها *خلع الأطمار البوسية بدفع الاسطار اليوسية* ( *الزاوية الدلائية*، 176، هامش 25) وقد اختلف مع علماء عصره في قضية العلم النبوي، وأنكروا عليه مقالته في ذلك، فقال في إحدى رسائله : " أما بعد فقد اتصل بنا مكتوبكم الأنور يلتمس الإفادة بحقيقة العلم النبوي، وقد أجبنا... من أنه صلى الله عليه وسلم لم يفارق الدنيا حتى علم كل شيء، واستغربه واستنكره بعض طلبة فاس، وبالغوا في التشنيع بين عوام الناس، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ضياع العلم وفقد أهله". ورد حكم من كفَّر القائل بعلم النبي كل شيء، فقد أكد ذلك قائلا : "بأن القول بعلم النبي كل شيء صحيح، والتكفير بعيد وجهل من القائل له"، مستدلا على ذلك بما رواه الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً : "أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس". (*إعلام للمراكشي*، 8 : 367).

تتلمذ له كثيرون بدرعة وفاس ومكناس وسجلماسة، منهم محمد بن أحمد المسناوي الدلائي، ومحمد الحوات الشفشاوني، ومحمد المكي الناصري... توفي التاجموعتي بتافيلالت في صفر من سنة 1118 / 1706.

ورغم طول باع التاجموعتي في الميدان العلمي، فإنه لم يخلف تآليف على قدر مكانته العلمية ؛ باستثناء بعض القصائد التي احتفظت بها ثنايا كتب التراجم مثل قصيدته الطنانة في مدح شيخه مَحمد ابن ناصر، يقول في مطلعها:

| | |
|---|---|
| بسمت ثغور الزهر بالنشر | وجلت عبوس الروض بالبشر |
| وألم طيف من سعاد بعدما | أصمت فؤاد الصب بالهجر |

وهي قصيدة من ثلاثة وستين بيتاً ( *الدرر المرصعة*، 397).

ويذكر الشيخ أحمد ابن ناصر في رحلته أن لصاحب الترجمة شرحاً على أرجوزة مساعدة الإخوان. وهو "شرح لا يأتي الزمان بمثله" ( *الرحلة*، 1 : 14)، وله أيضا *رسالة في طائفة العكازين*، أشار إليها أحمد بن محمد الجزولي الهشتوكي في رحلته *هداية الملك العلام*، وأثبت نصها في الصفحات 71-75. ( *المصادر العربية*، 1 : 205). وله *فهرسة* اعتبرها ابن سودة "من أجمع الفهارس، تقع في نحو الأربعة كراريس، توجد بالخزانة الفاسية مبتورة". ( *دليل*، 2 : 316).

أحمد ابن ناصر الدرعي، *الرحلة*، ج 1 ؛ م. المكي بن موسى الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، 3 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج 8 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ*، 2 ؛ م حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ م. المنوني، *المصادر العربية*، ج 1.

أحمد عمالك

**التاجموعتي**، محمد بن محمد الفيلالي الكوليمي، عالم فاضل، شيخ النحاة والقراء بتافيلالت، هو من جملة من قرأ على الشيخ عبد القادر الفاسي وسمع عليه *صحيح البخاري* وغيره. قرأ عليه الحسن اليوسي معظم *ألفية ابن مالك*، وقواعد تجويد القرآن الكريم، وأقر بتحقيقة في مهمات المحو والتلاوة، وأعجب به كذلك تلميذه صالح الأكتاوي إعجابه الشديد بالشيخ محمد المصمودي (ت. نحو 1050 / 1640) حيث قال عنهما : "ما رضيت بإسناد قراءتي لغير هذين الرجلين الفاضلين، ومنذ فارقتهما وأنا أشتهي الرجوع إليهما". ( *الدرر*، 182).

قُتل غدراً بملوية مع جماعة من الشرفاء وغيرهم قدموا من محلة السلطان المولى إسماعيل وهم سائرون إلى تافيلالت. وتختلف الروايات في تاريخ وفاته بين سنة 1083 هـ حسب *خلاصة الأثر*، و1087 هـ حسب *الإعلام بمن غبر* و1088 / 1677 حسب *نشر المثاني* إلا أن أرجحها هي رواية القادري.

أ. العياشي، *إتحاف الأخلاء*، 4 ؛ *الرحلة*، 1 : 17 ؛ ح. اليوسي، *فهرس*، مخطوط، 133 ؛ م. المحبي، *خلاصة*، 1 : 347 ؛ ع. الفاسي،

*الإعلام*، عام 1087 ؛ م. الناصري، *الدرر*، 182 ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 222 ؛ *التقاط*، 201، ع 304 ؛ *الإكليل*، 340، ع 370، (تح. مارية دادي) ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 526.

مارية دادي

**تاحضريت**، إحدى بنات السلطان أبي الحسن المريني الكثيرات، والأعز عليه من بينهن جميعا حسب رواية ابن خلدون. وقد اختلفت المصادر في رسم هذا الاسم حيث تكتبه هكذا : "تحضرت" بدون ألف، و"للاتحضرت" أو "حضرية". ونشير هنا إلى أن اسم تاحضريت يرد في اللسان الأمازيغي بصيغة المؤنث ومذكره أحضري، والأصل في العربية حَضَرية وحَضَري - بفتح الحاء والضاد - وينطقها العامة أحيانا بفتح الحاء وسكون الضاد فتقول حَضْري وحَضْرية. والمعنى هو ساكن وساكنة الحاضرة (الحضْرة) أو المدينة. ويلاحظ أن هذا الاسم في صيغته التأنيثية كان متداولا في المغرب أيام بني مرين. وتعرف به شخصيات بارزة في دولتهم كعسكر ابن تاحضريت وابن عمه محمد بن العباس ابن تاحضريت وهما من أهم وزراء السلطان أبي الحسن وكانا معاصرين للمترجمة ( *المسند*، 362 - 363). كما نجد هذا قد استعمل بصيغة المذكر قبل ذلك وخاصة في العهد الموحدي إذ كان يحمله أحد الشخصيات الموحدية وهو أبو الربيع سليمان بن مخلوف الحضرمي الذي اشتهر عند الموحدين باسم سليمان أحضري. لأنه من أهل حاضرة أغمات وأصبح فيما بعد من أصحاب المهدي بن تومرت وواحد من أهل الجماعة والمناصرين لدعوته إلى أن قتل في معركة البحيرة أمام المرابطين سنة 524 / 1130 (*Extrait*, 49 et note 1).

تعتبر تاحضريت من الأسماء النسوية المغمورة في تاريخ المرينيين. ولعل عدم اهتمام المصادر المغربة بها وبغيرها راجع أولاً إلى رغبة مؤرخينا المقصودة في تهميش أخبار النساء بصفة عامة، وثانياً لاعتبار الرجل هو محور الأحداث وصانعها وأن المرأة تابعة له تدور في فلكه بالرغم من الأدوار الخطيرة التي كانت لبعض النساء المغربيات في تاريخ بلادنا واللائي كان تتبع أخبارهن عرضيا ليس إلا، وثالثا لكون تاحضريت المرينية - حسب اعتقادنا - عاشت حياة عادية ولم تكن لها أدوار وتأثيرات بارزة في أحداث الفترة التي عاصرتها، كما أنها لم تصل إلى مستوى شهرة بعض المرينيات اللاتي تحدثت عنهنّ المصادر كأم العز زوجة السلطان يعقوب بن عبد الحق وشمس الضحى زوجة السلطان أبي الحسن وغيرهما.

إن الإشارة الوحيدة التي تتوفر عن تاحضريت هي تلك التي تربطها بزوجها وبمقتل أحد أبنائها. في هذا الإطار تذكر بعض المصادر أنه بعد الصراع الذي وقع بين السلطان أبي الحسن وأخيه أبي علي الثائر عليه بسجلماسة وقتله لهذا الأخير سنة 734 هـ ندم على ذلك ونذر على نفسه أن يتكفل بأولاد شقيقه المقتول وحرمه، بل وزوج أعز بناته لديه وهي تاحضريت لأحد أولاد أخيه وهو علي المعروف بأبي يفلوسن وولدت له ولدين هما محمد وعبد الرحمن. أما الأول فقد قتله خاله السلطان أبو سالم وهو في حجر أخته تاحضريت خوفا من أن ينافسه على السلطة خاصة وأن القتيل كان من بين المرشحين لحكم البلاد بعد الفتنة التي تلت مباشرة وفاة السلطان أبي عنان سنة 759 هـ. أما الابن الثاني عبد الرحمن فتذكر المصادر أنه كان من أخطر المنازعين لأبي سالم في الحكم منذ أن كان لاجئا برندة وغرناطة. كما كانت له مساهمات هامة في أحداث الفترة ما بين 775 و786 هـ تمكّن خلالها من إثبات وجوده السياسي في المغرب وبسط نفوذه على المنطقة الجنوبية من أزمور إلى مراكش التي كانت غالبا ما تخرج عن سلطة فاس، فبادر إلى اتخاذ مراكش عاصمة مملكته منافسا بذلك صاحب فاس آنذاك أبا العباس أحمد بن أبي سالم ( *العبر*، 7 : 418 - 419 ؛ *الإحاطة*، 1 : 307 - 308). من هنا نتساءل : ألم يكن لتاحضريت أي دور أو رد فعل في كل هذه الأحداث وهي معنية بها وتمسها مباشرة ؟

من بين ما نجهله كذلك عن تاحضريت تاريخ وفاتها، وكل ما تذكره المصادر وبالضبط العباس بن إبراهيم وابن الموقت أنها دفينة مراكش، وقبرها يوجد على يسار الداخل إلى "درب الرماد" بحومة باب ايلان، وأن على هذا القبر بناء اندثر جله بينما بقي اسم صاحبته محفوظا في ذاكرة عامة مراكش على الخصوص حيث ينعتونها بللا تحضرت السيدة الصالحة ( *الاعلام*، 3 : 79 ؛ *السعادة*، 30).

واعتمادا على هذه الإشارة وقفنا بعين المكان على قبر تاحضريت واستفسرنا سكان الحي وبعض المسؤولين هناك فخرجنا بمجموعة من الاستنتاجات والملاحظات نجملها فيما يلي :

- كان موضع القبر إلى عهد قريب، أي قبل أربعين سنة، عبارة عن خراب ترمى فيه الأزبال والقاذورات فطمست معالم القبر ودرس كل ما تبقى من آثار البناية التي من المفروض أنها كانت حوله. ويذكر لنا أفراد أسرة أنهم عندما جاءوا إلى هذا المكان في بداية الخمسينات ووجدوه على تلك الحال تطوعوا لبناء منزل عليه والاستقرار فيه. ولاحظت أن القبر لم يعد بارزاً للعيان إذ تم تبليط وسط الدار بما في ذلك القبر الذي أصبح قابعا في إحدى زواياها. وحسب رواية هؤلاء فمازال بعض الناس من مراكش وغيرهم يأتون من حين لآخر لزيارة القبر والتبرك بصاحبته وهم لا يعرفون عنها إلا الاسم وأنها امرأة صالحة من أولياء الله بالمدينة. ومما يتصدقون به خلال الزيارة الشمع والتمر وخاصة الحناء التي كانت العازبات تطليها على القبر تيمنا بللاً تاحضريت ورغبة في الزواج، وهذه العملية - طلي الحناء - تتكرر مع قبور سيدات أخريات مدفونات بحومة باب أيلان، نذكر من بينهن المدعوة للامحلة وقبرها مقابل لضريح القاضي عياض، ثم السيدة مباركة المدفونة بدرب الباب وللا آمنة بوزيد المدفونة بدرب بوطويل.

- أما فيما يتعلق بدرب الرماد فلم يعد لهذا الاسم وجود بحومة باب ايلان منذ بداية هذا القرن حسب ما جاء في رسم ملكية لإحدى دور هذا الدرب، ولذلك أصبح الآن يعرف بدرب للاتحضريت سواء عند سكان الحي والدرب أو لدى السلطات المحلية، كما يقابل ضريح مولاي علي الشريف.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. ما. خ. بيغيرا ؛ ابن الاحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 25 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، الجزء السابع، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، 1988 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، الجزء الأول، تح. م. ع. عنان، القاهرة، 1975 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الجزء الثالث، طبعة سنة 1975 ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، د. ت.

E. Levi-Provençal, *Documents inédits d'histoire Almohade. "Extraits du kitab Al-Ansab d'Al-Baidak"*, Paris, 1928.

ابن **تاحضريت**، أبو **حركات** عسكر بن طلحة الورتاجني. وتاحضريت اسم جدته لأبيه. استوزه السلطان أبو الحسن المريني بعد واقعة طريف سنة 740 هـ بمشاركة أبي حسون علال وأبي زيان عريف بن يحيى. وكان مشرفا على الشؤون العسكرية (وزير الجند). حيث تقدم الجيش المريني، إلى جانب السلطان وبعض القواد كابن عمه محمد بن العباس ابن تاحضريت وموسى بن إبراهيم اليرنياني، لمساعدة أمير بني الأحمر صاحب غرناطة أبي الحجاج يوسف في مواجهة القشتاليين الذين نجحوا في حصار الجزيرة الخضراء. وكان السلطان حينذاك يتخذ من مدينة سبتة قاعدة عسكرية يبعث منها إلى الجزيرة المدد من الفرسان والسفن التي بلغ عددها حوالي مائة وأربعين، وكذلك الأموال والزرع تحت جناح الليل لتدعيم الجيش المغربي وتحفيزه على المقاومة والصمود. لكن المحاولات المرينية لم تستطع فك الحصار في الوقت الذي نجح النصارى في قطع الامدادات المغربية وتشديد الحصار على الجزيرة ثم هزم الاسطول المريني وسط البوغاز (بحر الزقاق) سنة 743 هـ (*العبر*، 7 : 348 ؛ *اللمحة*، 105).

ومن ذيول هذه المواجهة البحرية أن تم عقد معاهدة سلام وصلح بين السلطان المريني وأمير غرناطة من جهة وملك قشتالة الفونسو الحادي عشر من جهة أخرى، وذلك لمدة عشر سنوات (*وثائق*، 152-170). ومما قام به السلطان المريني كذلك عند دعوة أفراد الجيش المغربي إلى سبتة، اعتقال وزيره ابن تاحضريت وعزله عن وظيفته عقابا له بعد أن اتهمه بالتقصير في جهاد القشتاليين وأنه المسؤول عن الهزيمة التي لحقت بالمسلمين وضياع الجزيرة الخضراء بالرغم من توفره على الامكانيات المادية والبشرية لتحقيق الانتصار ومدافعة النصارى عن الجزيرة. وهذا قد يدفعنا إلى التساؤل عن الأسباب الحقيقية لهذا الاعتقال والعزل، هل جاء فعلا نتيجة تقصير أبي حركات في مهمته العسكرية أو يتعلق الأمر بشيء آخر وهو اهتبال هزيمة الجزيرة واتخاذها كذريعة لتصفية الحسابات بينه وبين السلطان. ولعل ما يدفعنا إلى هذا الافتراض هو ما يمكن استنتاجه من كلام ابن مرزوق الذي يفيد بأن ابن تاحضريت كان قبل نكبته يستغل ثقة السلطان أبي الحسن فاستبد بوزارته واشتد على الولاة "وأحكم محاسبتهم ومطالبتهم... فضبط الأموال، غير أنه تعدى في ذلك الاعتدال... واغتر برتبته واعتز بخطته وزل في إطلاق يده واستقل برأيه في كثير من تصرفاته... فوقع في أمور تنكرها السلطنة وتأباها المملكة..." (*المسند*، 363). لكن ابن مرزوق وغيره من المصادر المرينية لم يطلعنا على طبيعة هذه التصرفات التي أدت بابن تاحضريت إلى موالاة غير سلطانه واعتقاله. ومع ذلك نتحفظ في تصديق ابن مرزوق في كل ما ذهب إليه وتأكيده على عدم قيام ابن تاحضريت بمسؤولياته خير قيام وأنه لم يكن رجل سياسة وتدبير خاصة وأنه يصفه من جهة أخرى بصفات تخالف ما قال في حقه، ومن هذه الصفات الفضل والنبل ورجاحة العقل والدهاء والكرم.

المهم أن عسكر كان يتمتع قبل هذه النكسة بحظوة كبيرة لدى أبي الحسن، يقربه إليه ويستدعيه لمجالسه الخاصة. فبعد بناء السلطان لقبتي العدل بمنصورة تلمسان وبسبتة كان يقيم فيهما مجالسه أيام الاثنين والخميس وغالبا يوم الجمعة حيث كانت تعرض عليه قضايا الرعية وترفع له شكاويهم فيقضي فيها بمعية قضاته، وكان لا يحضر هذه المجالس إلا من يثق به من أهل حضرته من الفقهاء كأبي عبد الله الرندي وأبي عبد الله السطي وابن يربوع وابن عبد النور، ومن الكتاب أبو الحسن القبائلي وأبو القاسم بن رضوان، ومن الوزراء أبو حسون علال وغازي بن الكأس ومسعود بن عمر الفودودي وصاحبنا عسكر بن تاحضريت وابن عمه محمد بن العباس وغيرهم (*المسند*، 173، 174).

لم نعثر على تاريخ وفاته التي من المؤكد أنها كانت بعد هزيمة الجزيرة أي بعد سنة 743 هـ، لكنه لم يعمر طويلا إذ جاء في *المسند* أنه بعد اعتقاله أُشخص إلى تلمسان حيث سجن مدة ثم سرح ولم يعد لوظيفته فمات على هذه الحال (*المسند*، 363). ومعنى ذلك أن ابن مرزوق المتوفى سنة 781 هـ قد عاصر وعاين وفاة المترجم.

ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. م. خ. بيغيرا، الجزائر 1981 ؛ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 7، الطبعة الثانية، 1988 ؛ ل. ابن الخطيب، *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، بيروت، 1978 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 26 ؛أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 3، الدار البيضاء، 1955، ص. 137، 138 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 9، طبعة 1980، ص. 318، 319 ؛ رشيد السلامي، *وثائق مرينية*، دراسة وتحقيق، رسالة نوقشت لنيل د. د. ع. بكلية الآداب، الرباط، 1989، الجزء الثاني.

ابن **تاحضريت**، **محمد** بن العباس ابن عم الوزير

عسكر سابق الترجمة. وصفه ابن مرزوق قائلا : "كان رجلا ساذجا جوادا سريا" ( *المسند*، 364). توزر لدى السلطان أبي الحسن المريني حتى وفاة هذا الأخير. من المعروف عن ابن تاحضريت أنه رافق السلطان في حركاته العسكرية التي قام بها خارج المغرب، فقد عينه على الجزيرة الخضراء عند حركته إليها لمدافعة القشتاليين والتي انتهت بحصار النصارى لها سنة 743 هـ وانهزام الأسطول المغرب ( *العبر*، 7 : 348). وخلال حملة أبي الحسن على افريقية سنة 748 / 1347 عينه على مدينة قسنطينة لتعزيز الوجود المريني بها وحماية ظهر السلطان من غدر الأعراب الذين كانوا يعيثون فسادا في كثير من مناطق المغرب الأوسط وافريقية ( *العبر*، 7 : 356). لكن بعد نكسة أبي الحسن بالقيروان أمام تحالف القبائل الهلالية سنة 749 هـ، وانفلات زمام أمر افريقية من يديه، انتفض سكان قسنطينة على المرينيين الموجودين بها وطردوهم منها. إلا أن المصادر لم تقدم تفاصيل كافية عن مدى صمود الحامية المرينية ولا عن مصير ابن تاحضريت الذي كان قائدها. مع العلم أن ابن مرزوق أشار إلى أن ابن تاحضريت هذا بقي حيا ولم يتوفَّ إلا في عهد السلطان أبي سالم دون أن نعرف لذلك تاريخا محددا، كما نجهل مصيره السياسي خلال هاته الفترة.

م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. بيغيرا، الجزائر، 1985، ص. 174، 467، 495 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ط. 2، 1988 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1955، ج 3 : 137، 138 ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1976، ج 4 : 409.

رشيد السلامي

**تاحْكّات**، الأصح هو أن تنطق "تَاحْكّْوَاتْ" كلمة تستعمل لدى سكان الأطلس الصغير الغربي اسماً لواحد من الحزبين المتعارضين اللذين كانا يقتسمان سكان المنطقة. أما الحزب المقابل له فكان يحمل اسم "تَاكُوزُولْتْ".

تاحكوات، وتجمع قياساً على "تِيحْكّْوَاتِينْ" كلمة يصعب تحديد أصلها اللغوي الآن. وقد ذهب المختار السوسي في الإلغيات إلى الافتراض القائل بأنها "مأخوذة من اسم أسرة ينتسبون إليها. فإننا لا نزال نعرف من أسماء النساء (حكة) [تقرأ حكّْوَا] فربما كان ذلك نسبة إلى جدة لبعض القبائل التي سبقت إلى الاقتحام إلى سوس ثم جر ذلك الذيل على القبائل التي تبعتها إلى سوس سكانا آخرين من الشلحيين ليسوا من صميم الجزوليين..."

والجدير بالذكر أن كلمة "حْكّْوَا" هي الصيغة الأمازيغية لـ "حواء". وقد تكون نسبتهم إلى اسم امرأة من قبل أعدائهم، وفي هذه الحالة يكون قصدهم من ذلك هو احتقارهم أو التنقيص من مقدرتهم ورجولتهم وشجاعتهم... ربما كان هذا هو السبب الذي جعلهم يخفون حقيقة انتمائهم، ويستعملون ليتعارفوا فيما بينهم رموزاً سرية لا يعرفها غيرهم بسهولة.

غير أن حالة الضعف هذه التي انتهى إليها المنتمون إلى نزعة تاحكات قد لا تكون إلا آخر صورة وصلتنا عنهم عن طريق الرواية الشفوية أو الواقع المعاين والذي حالت عوامل أخرى دون تغييره. وبذلك أصبح ما كان خليقا بأن لا يكون إلا وضعية مرحلية، حالا مقيما يوهم بأنه ديمومة قديمة.

وبالفعل، يبدو أن "نحلة" تاحكات ـ كما يسميها المختار السوسي ـ لم تضعف قوتها وتتراجع سمعتها إلا بعد القرن الحادي عشر (17 م). أي بعد أن تحالفت نحلة "تاگوزولت" المناهضة لها مع أسرة بودميعة الإيليغية، التي تبنَّت رموز المشروعية السياسية وركبتها وأسست الأمارة التازروالتية المعروفة.

هذا الانحراف ـ المفروض ظرفيا ـ عن القواعد اللفية الداخلية المعروفة، سهَّل انتصار نحلة تاگوزولت على نحلة تاحكات، وهذا الانتصار أتاح الفرصة ليسود خطاب المنتصرين في وقت تدخلت فيه عوامل أخرى لتفسد اللعبة اللفية من أساسها. وأخذت الصورة الأخيرة، وبقيت دليلا وحيدا نشاهده ونعتمده مرجعا بخصوص النتيجة الأخيرة للصراع بين النزعتين : تاحكات وتاگوزولت.

أما عن أصل هذا الانقسام الثنائي فقد كتب عنه المختار السوسي في الجزء الثالث من *الإلغيات* ما يلي : "ولكن الذي يهم الباحث أن يعرفه هو معرفة الوقت الذي ابتدأ فيه هذا الانقسام بين هذه القبائل، وكثيراً ما كنت أمعن النظر في مبدإ هذين الحزبين، وأنقِّب وأسأل عن السبب الخاص حتى تبين لي حدسا ـ فقط ـ أن السبب هو الوباء الواقع في القرن الثامن الهجري 749 هـ (1348 م)، فإنه طاعون جارف، ترك غالب شمال افريقية ـ مثل أوربا ـ قاعا صفصفاً. فكم مكان مأهول بالسكان، أصبح في القرن الذي بعده خرابا يبابا لا أحد فيه وهذا بنفسه وقع في سوس. فإن في بعض جبال جزولة بعض أودية مأهولةأمست قفرا بلقعا...".

وبعد أن ذكر بأن سكان الجبال الولتيتية الأصليين ينتمون إلى الشعب الجزولي. وأن الطاعون ذهب بكثير منهم في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، أضاف قائلا: "إن القبائل التي تحمل سمة تاحكات أصالة كالمرابطين (أيت أُومريبض) سكان ما حوالي مركز (فم الحصن) الرسمي الآن. لانزال نوقن أن أصلها الأصيل كان من الصحراء ثم دخلت هذه البلاد، وكذلك قبائل حربيل وسگتانة وما أكثر أمثالها بين قبائل تاحكات، ونرى أن وقت دخولها لهذه البلاد كان في هذا الوقت يوم تشغر هذه البلاد من وقع ذلك الطاعون الجارف.

هكذا يتبين أن أصل الانقسام حسب ما ذهب إليه المختار السوسي هو الصراع بين الأصليين والطارئين، وأن زمن ابتدائه هو منتصف القرن الثامن (14 م) الذي شهد من جهة الطاعون الأسود الذي أودى بحياة كثير من الجزوليين، وبداية اقتحام قبائل أمازيغية من أصل صحراوي لبلادهم تحت ضغط قبائل بني هلال الصحراوية من جهة أخرى.

إن العذر الوحيد التي يمكن أن يلتمس للمرحوم المختار السوسي بخصوص هذا الموضوع هو أنه اقتصر في حديثه عن ظاهرة الانقسام الثنائي على منطقة واحدة هي الجنوب الغربي. وتحفظ تحفظ العلماء فيما ظنه ـ حدسا فقط ـ أنه هو التفسير الموضوعي لظاهرة نحلتي تاحگات وتاگوزولت. ذلك لأن مسألة التحزب الثنائي في تاريخ المغرب وشمال افريقيا عامة، مسألة متشعبة والحديث عنها لا يزال في بدايته، ونتيجة لذلك فإن فهمها وتفسيرها بشكل شمولي لا يتأتى في الحالة الحاضرة نظرا لقصور معارفنا التاريخية عن تحقيق ذلك.

وبدون أن ندخل في مناقشة كل جوانب الموضوع التي تطرح تساؤلات جدية نورد فقط بعض الملاحظات التي يمكن أن تُعتمد لتعميق البحث حول الظاهرة اللفية بصفة عامة وفي منطقة الأطلس الصغير ووادي درعة بصفة خاصة.

1 ـ إن نحلة تاحگات لا تحمل نفس الاسم في المنطقة المذكورة، وقد لاحظ المختار السوسي نفسه ذلك. فهي تاحگات (تازروالت)، أو تاسكتيت (سكتانة) أو محبوب (درعة).

وينطبق الشيء نفسه على النحلة المقابلة لها أي تاگوزولت. وكلما اتسعت الدائرة جغرافيا كلما تنوعت الأسماء، رغم أن الشعور بالانتماء إلى هذه النحلة أو تلك موجود حتى بين مجموعات بشرية متنائية.

ومما يعقّد المسألة أكثر ويجعل تتبع تطورها التاريخي أصعب ما لوحظ من وجود امكانية تغيير الانتماء من حزب لآخر حسب المصلحة وميزان القوى.

2 ـ إن الأسباب الموضوعية التي اعتمدها المختار السوسي لتحديد أصل تكوين النحلتين في المنطقة أسباب دورية لا تقتصر على زمان ولا على مكان معينين. فالطاعون الأسود لم يصب المنطقة المذكورة وحدها، ولم يكن هو الوباء الوحيد الذي اجتاحها عبر تاريخها الطويل، وشعب جزولة لم يكن هو الوحيد الذي طرقها آتيا من الصحراء أو من ما قبل الصحراء. ثم إن الانقسام الثنائي لا يقتصر على الجنوب فقط، بل يشمل المغرب كله أو معظمه.

3 ـ إن ظاهرة التحزب الثنائي قديمة جدا، وهذه نتيجة منطقية لما سبق، كما أن التاريخ يثبت ذلك ولو بإشارات سريعة ومتفرقة. ثم إن الرواية الشفوية التي لا تزال رائجة حول أصل الظاهرة لا تقتصر على تفسير واحد، بل تقدم لنا تفاسير متنوعة ومن بينها التي تقول إن أصل هذه الثنائية راع المعروف بين ابني آدم.

4 ـ إن الظاهرة، رغم قدمها، لم تتخذ مظهرا جامدا يجعلها قابلة للتجاوز، بل استمرت كمؤسسة ضرورية لتحقيق التوازن الذي لا بد منه بين مجموعات بشرية كبيرة الانتشار تعيش طليقة لا تخضع لحكم مركزي يضمن التوازن المنشود. لذلك نجدها تتلون بلون العصر وتخضع للحاجيات المحلية، وتجدد دوما تأويلها لنفسها. وكل هذا لا يضر بوجودها كمؤسسة تاريخية فعالة طوال قرون مديدة.

5 ـ لهذه الأسباب الأخيرة ربما أمكننا أن نفهم تعدد الإمكانات التأويلية الواردة بخصوص الظاهرة، سواء من خلال الرواية الشفوية أو من خلال أعمال الباحثين المهتمين. ففي منطقة سوس مثلا، إذا اقتصرنا فقط على العهد الإسلامي، نجد التأويلات الواردة هي هذه :

ـ الصراع بين الرحل والمستقرين.

ـ الصراع بين ناشري الاسلام الآتين من بعيد وسكان المنطقة الوثنيين.

ـ الصراع بين بعض الفرق من الشرفاء.

ـ الصراع بين أهل السنة والشيعة.

ـ الصراع بين تاگوزولت المرابطية وتاحگات وتاسكتيت الموحدين.

ـ الصراع بين تاگوزولت أنصار بودميعة وتاحگات أنصار يحيى الحاحي...

هذه الاحتمالات التأويلية كلها واردة، وليست متخيلة، ويبدو أنها حقيقية تاريخيا. ويمكن اعتبارها من باب اخضاع الظرفية التاريخية المتجددة لمقاييس مؤسسة نموذجية قديمة. وهذا في نظري هو المفتاح الذي ينبغي استعماله لولوج رحاب تاريخية لا تزال منغلقة.

6 ـ إن الدور التاريخي لنحلتي تاحگات وتاگوزولت ولما يقابلهما من نحل في مناطق أخرى من المغرب، لا يقتصر على تحقيق التوازن بين المجتمعات المحلية المتجاورة فحسب، بل يتجلى كذلك في خلق جو من التوتر الدائم بين الطرفين يحول دون وقوع المصادمة الفعلية. وإذا وقعت هذه فلأن التوازن القائم يكون قد اختل لسبب أو لآخر. وإذا تمت الغلبة للقوي على الضعيف فإنها قلما تكون دائمة لأن امكانية تجاوزها موجودة، إما بمساعدة الحلفاء أو بتدخل قوة خارجية. وفي مثل هذه الحالة الأخيرة يتمكن المخزن المركزي عادة من تسريب نفوذه إلى مناطق ما كان ليتوصل إليها بوسائل أخرى. ولهذا نلاحظ أن المخزن كان دائما يحاول استعمال الصراعات اللفية لحماية مصالحه وتوسيع مجال سلطته. وقد يكون تدخله هذا بطريقة غير مباشرة، كأن يساند سلطة محلية موالية له تكفل له القيام بدور المراقب والجابي.

هكذا يتبين لنا أن الانقسام الثنائي ساهم بحظ وافر في حماية المجتمعات الطليقة من هيمنة السلطة، ولكنه كان كذلك ـ في فترات ضعفه ـ عاملا من عوامل اندماج تلك المجتمعات في النظام المخزني المركزي. وقد يقع اندماج أحد الطرفين في جهاز سلطة مركزية مّا في فترة من فترات قوته وبمحض إرادته كما وقع مثلا بالنسبة إلى تاگوزولت والسعديين.

من هم المنتمون إلى نحلة تاحگات ؟ لقد اكتفى المرحوم محمد المختار السوسي بالإشارة إلى أسماء بعض "القبائل" التي تنتمي إلى تاحگات، وهذا مما يؤسف له، لأنه كان في

موقع يسهل عليه إحصاء كل المجموعات التي تنتمي إلى هاته أو تلك من النحلتين.

وقد أغلق هذا الباب بقوله : "وأما تعيين القبائل التي كانت تعتنق هذه النحلة أو تلك النحلة فأمر يسهل على كل باحث أن يحصل عليه، ومن القريب جدا وضع سلسلتين لقبائل كل نحلة من وادي نون إلى درعة، لمن أراد أن يستوفي الموضوع وأن يؤديه حقه بإسهاب وتتبع..."

غير أن روبير مونتاني في كتابه *البربر والمخزن* المكتوب بالفرنسية، أعطى لائحة بأسماء كل القبائل المنتمية لكل نحلة، لكن فيها بعض النقص وبعض التناقض بين ما أورده هو وما أورده المختار السوسي.

فالتي أشار إليها المختار السوسي هي : أيت أومْريبْضْ وحربيل وسكتانة وإيداوْباعْقيل.

أما التي ذكرها روبير مونتاني، فهي : إيفران وأيت بَرايِيمْ وإيداوْباعقيل وأيت تيزنيت وأيت جرار وأمَّلْنْ وأيت أُمانُوز وأيت عبد الله وإيسافن وأيت وادريم وأيت مزال وأشْتُوكن (هشتوكة) وإيسْنْدالْنْ وإيداگنيضيفْ.

والجدير بالذكر أن قبيلة سكتانة التي اتخذ منها اسم نحلة تاسْكْتيتْ التي تعتبر هي وتاحگات شيئا واحداً، ليست كلها حسب روبير مونتاني لفا واحدا كما يتبادر إلى الذهن، بل تنقسم على نفسها إلى حزبين متعارضين. وهذا دليل على أن الانقسام الثنائي لا يعتمد القبلية أساساً للتمييز الحزبي، بل تتحكم فيه قواعد أخرى لم يتم بعد الكشف عنها، وستبقى رقعة الشطرنج التي شبه بها روبير مونتاني صورة انتشار الجماعات المنتمية لكل حزب على الفضاء الجغرافي مبهمة المضمون وغريبة الشكل.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 157، 1965 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة*، ص. 39، 1957 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، ص. 41، 43، 1928 ؛ م. المختار السوسي، *خلالة جزولة*، ج 3، ص. 93-94، 20 ؛ ج 7، ص. 9 ؛ *الإلغيات*، ج 3، ص. 166 وما بعدها ؛ *إيليغ قديما وحديثا*، ص. 238 وما بعدها، 57، 1966 ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، البحث العلمي، العدد 27، ص. 231 وما بعدها، 1977.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, 1930, pp. 182 sqq, 201 sqq.; C. Justinard, *Notes sur l'Histoire du Sous au XVIème siècle*, 1933, pp. 59, 72 sqq et passim ; B. Rosenberger; *Tamdult, Hesp*, 1970, pp. 105, 1027, 129, 131, 133, 134 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut Atlas*, 1955, pp. 224 sqq.

صدقي علي أزايكو

**تاحَنَّاوتْ**، دائرة بإقليم مراكش تضم سبع جماعات قروية منها جماعة تاحناوت مساحتها 250 كلم$^2$ وسكانها 28.642 ن (1982) توجد جنوب مراكش. تنتشر أراضيها على ثلاثة أقسام طبوغرافية : المنحدرات الشمالية للأطلس الكبير المراكشي وتتكون من الشيست، والكوارتزيت من العصر الفحمي، وقسم من الدير على مخروط واد غيغاية تغطيه مفتتات رباعية وتلال مقدمة الأطلس وهي صخور حمراء هشة ترجع إلى البرموترياس، وجزء من سهل الحوز الذي تغطيه تكونات رباعية. يمكنها موقعها بالسفوح الشمالية من استقبال معدل مطري لا بأس به : 465 ملم. سكانها من قبيلة غيغاية المصمودية يمارسون زراعة مروية بوادي غيغاية والدير، تهتم بأشجار الزيتون وبعض الفواكه وحبوب وخضر، وزراعة بورية للحبوب على منحدرات وتلال مقدمة للأطلس كما يهتمون بتربية المواشي : الأبقار الحلوب والأغنام والماعز التي تجد في التلال والمنحدرات الغابوية مراع لا بأس بها. لكن مساحات واسعة من التلال والمنحدرات غرست بها أشجار اللوز البوري في مدرجات موازية لخطوط التسوية في إطار مشاريع حماية التربة التي منع الرعي بها. وتعرف الزراعة تحديثا بتكثيف المزروعات واستعمال الأسمدة والضخ الميكانيكي وتوسع الزراعات الشجرية خاصة البرقوق والتفاح، لكن قلة الموارد المائية تحد من توسعها إذ أن مياه واد غيغاية استأثر بها بعض ذوي النفوذ من مدينة مراكش منذ القديم، كما حول المستعمر بسد حاجز جزءاً من مياهه نحو قناة الرومية العصرية إلى قطاع مسقي بأغواطيم بضواحي مراكش كما أنه يجف غالبا في الصيف. أما الزراعة البورية فلم تعرف أي تطور لصعوبة استعمال الآلات في أراض غير مستوية لكنها تعطي محصولا جيدا إذا كانت الأمطار كافية.

**تاحناوت**، مركز حضري وليد، سكانه 2780 ن (1982). يقع جنوب مراكش على بعد 32 كلم على طريق تيزي ن تاست قرب مدخل وادي غيغاية على منحدر بالضفة اليمنى للوادي، تطور في الفترة الاستعمارية من قرية إلى مركز سكني بعد ترصيف الطريق الثانوي رقم 501 وبناء بعض المنشآت الإدارية أهمها ثكنة للمخازنية لأنه يقع عند ملتقى طريق مراكش - سوس وطريق الدير - أمزميز - أوريكة. وفي عهد الاستقلال صار هذا المركز يلعب دورا إداريا واقتصاديا متزايدا، فبالإضافة إلى سوق أسبوعية يوم الثلاثاء كانت تنعقد من قديم لتلبية حاجيات السكان الأساسية، نمت به سويقة وبنيت منشآت إدارية واجتماعية عديدة : قيادة ودائرة وثانوية ودار الشباب ومركب رياضي ومقاه. وتتكون من وحدتين سكنيتين متباينتين يفصل بينهما 1.5 كلم هما :

دوار تاحناوت القديم تنتشر مساكنه على منحدر مشرف على الطريق يطغى عليه منظر ريفي. فأزقته ملتوية وأرضه غير مستوية، تكثر به الحضائر باستثناء الواجهة المشرفة على الطريق التي انتشرت بها مبان حديثة لمحلات تجارية ومهنية، ولازال معظم السكان يمارسون الفلاحة إلى جانب أعمال عرضية أخرى نتيجة لنقص التشغيل. والوحدة الثانية هي دوار سيدي امحمد أُوفارس أو الحي الإداري وهو تجمع سكني حديث يوجد شمال الدوار الأول عند ملتقى طريق الدير بطريق مراكش يتكون من منشآت عمومية وسكن الموظفين : قيادة ودائرة وثكنة وثانوية ومحلات تجارية قليلة يتميز بطابع عمراني حديث، ويوجد بين النواتين مكان السوق الأسبوعي الذي يتميز بتجهيزات ضعيفة لوجود سويقة دائمة ولقربه من مدينة مراكش التي

لا يسكن بها عدد من الموظفين العاملين بالمركز. ونواة تجزئة سكنية حديثة. ويشتغل معظم سكان هذا الحي بأنشطة غير فلاحية. وتعد تاحناوت في إطار التنظيم المجالي الحديث من المدن الصغيرة الواقية للمدينة الكبيرة مراكش، تدعم التمدين الاجتماعي للأرياف وتستقبل الريفيين الطامحين إلى التمدين لكن ضعف الموارد الاقتصادية ونقص التشغيل المزمن يجعل منها محطة مؤقتة في طريق الهجرة إلى المدينة الكبيرة. وتتوفر تاحناوت على تجهيزات أساسية لا بأس بها من كهرباء وماء شروب ومحلات تجارية وخدمات شخصية.

وهي في نفس طريق التحول ضاحية سكنية لمراكش الكبرى. ظهرت بها مؤخراً منشآت للصناعة التقليدية : حلي معدني وفضي موجه للسواح وأقام بها أشخاص وافدون من مراكش بمنازل كبيرة لاستغلال رخص اليد العاملة. والكثير من الشباب يتراقصون يوميا بين تاحناوت ومراكش حيث يشتغلون بالبناء وبمختلف الخدمات. كما يعمل الكثير من النساء والرجال بالضيعات الحديثة التي تتوسع شمالها بضواحي مراكش، وقد صارت تاحناوت مركز عمالة من عمالات ولاية مراكش بعد التقسيم الإداري الأخير.

أ. هوزالي، *التحولات المجالية والاقتصادية بالأطلس الكبير المراكشي، مثال طريق تاحناوت تيزي ن تاست*، د. د. ع. الرباط، 1987.

أحمد هوزالي

**تاخْسَايْتْ**، قرية تقع بدير الأطلس المتوسط الغربي. تبعد عن بني ملال بحوالي أربعين كيلومتراً جنوب غربيها. وسكانها من العرب على الرغم من وجودهم ضمن قبيلة بني عياط البربرية. ولا تكون تاخسيت مع أكرض اسما لموقع واحد، كما ظن محمد المختار السوسي ( *المعسول*، 12 : 142 و17 : 73)، وتبعه في ذلك عباس بن إبراهيم ( *الإعلام*، 9 : 184. 186) ؛ لأن أكرض تقع شرقي تاخسيت على بعد حوالي كيلومترين. ولم تذكر تاخسيت في المصادر التاريخية إلا في القرن الحادي عشر (17 م) لكن يبدو أنها كانت قد اشتهرت قبل ذلك، حيث انتقل إليها بعض أبناء سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي، المتصوف المشهور (*دوحة الناشر*، 91). ومن المؤكد أن تاخسيت قد عرفت كأحد المراكز الصوفية، لما تتلمذ سالم بن وعزان التاخسيتي على الشيخ مَحمد ابن ناصر الدرعي، فأصبحت منذئذ زاوية تابعة للطائفة الناصرية. وصار أهلها من أتباع تامگروت، يقومون بالزيارة لأشياخها، ويعملون على التقرب إليهم بمختلف الوسائل ( *الدرة الجليلة*، 47 و345).

تعني تاخسايت أو تخسيت باللسان الأمازيغي القرع الذي يستنبت كالبطيخ ( *المعسول*، 12 : 142). ويذهب البعض إلى أنها تحريف لتخصالت، من الخصال، أي أن سكانها أصحاب خصال حميدة. ويذهب آخرون إلى أن سبب تسميتها راجع إلى أن بعض الشرفاء حين استوطنها زرع القرع. وقد كثر هذا النوع من الخضر حتى كان الشريف الذي زرعه يوزعه مجانا على الناس، وخاصة في أثناء المناسبات كالأعراس.... ومن ثم دعي سكان تلك القرية أيت تاخسيت.

ولعل أمر تاخسيت قد زاد شهرة لما تتلمذ أحمد بن عبد العزيز التاخسيتي على الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي. وكان هذا التلميذ الناصري ـ حسبما جاء في *الدرة الجليلة* ـ رجلا ناسكا متمسكا بكتاب الله العزيز، فاضلا مجتهدا في دينه ( *الدرة الجليلة*، 345). كما كان كثير التردد إلى شيخه بتامگروت، الأمر الذي جعل الصلات تتوثق بين تامگروت وتاخسيت، التي غدت مركزاً صوفياً له إشعاع روحي في المنطقة. ومن ثم صار مقدموها يتوصلون بظهائر التوقير والاحترام، خاصة وأن موقعها قريب من الطريق السلطاني العابر لتادلا. وقد اطلعنا على ثلاثة ظهائر موجهة لمقدم زاوية تاخسيت، سيدي عمر بن البصري. اثنان منها حسنيان. الأول مؤرخ في 23 ربيع الثاني سنة 1302 / 1885، والثاني كثير الخروم، لعله صادر سنة 1308 / 1891. أما الثالث فهو ظهير عزيزي مؤرخ في 28 محرم سنة 1313 / 1896. ويظهر أن الطريقة الناصرية قد تراجعت فيما بعد، في تاخسيت لتترك المجال أمام الدرقاوية، وربما حتى القادرية. وفي سنة 1936 صنفت تاخسيت من ضمن الزوايا. وصارت تابعة ـ إداريا ـ لملحقة دار ولد زيدوح (*Répertoire*, 468).

*ظهائر سلطانية من زاوية تاخسيت* ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1976 ؛ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تـ. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980 ؛ م. بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة* ؛ عباس ابن إبراهيم، *الإعلام*، 1400 / 1980 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، 1961 . 1962.

أحمد عمالك

**تاخَمَّاست**، أو الخماسة، نمط من أنماط استغلال الأرض يكمن في تعاقد بين مستغل (صاحب الأرض أو شريك من شركائه) وفلاح يكون غالبا من صغار الملاكين أو أجنبيا عن المنطقة لا يملك أرضاً. يتم التعاقد شفويا أمام الجماعة، وعند إبرام العقد يسلم صاحب الأرض للخماس "حلاوة" هي عبارة عن كسوة وقسط من الحبوب أو ما يعادلهما نقداً.

وفق هذه العقدة، يقدم المستغل الأرض والبذور وزوجة الحرث (والماء إن اقتضت الضرورة)، في حين يقدم الخماس عمله الذي يكمن أساساً في تنقية الأرض وحرثها والاعتناء بزوجة الحرث والسهر على سلامة المزروعات، كما يطلب منه ـ غالباً ـ تقديم خدمات لا علاقة لها بالأرض. ويعمل الخماس طيلة النهار منذ طلوع الشمس إلى غروبها، فلا يستريح إلا أيام السوق والأعياد الدينية.

للخماس الحق في خمس المحصول الزراعي (من الحبوب دون التبن). ولسد حاجياته، يقارض من صاحبه، وكثيراً ما تفوق القروض قيمة الخمس مما يجعل من الصعب عليه

تسديد ديونه، الشيء الذي يلزمه بالبقاء في خدمة صاحبه، وقد يفقد من ثم عمليا حريته.

لا يجوز للخماس إلغاء العقدة خلال الموسم الفلاحي، وإلا فإنه لا يكافأ على ما أنجزه من عمل ويلزم بإرجاع الهدية التي تسلمها عند إبرام العقدة. وإذا اضطر للتغيب يكون عليه أن يختار من ينوب عنه بعد استشارة صاحب الأرض وموافقته.

وفي حالة وفاة أحد الطرفين، فإن العقدة تبقى سارية المفعول : إذا توفي الخماس يعوضه أحد أفراد عائلته، وإذا مات صاحب الأرض فإن وارثه يستمر في التعاقد مع الخماس إلى آخر الموسم الفلاحي.

وضعية الخماس، هاته، جعلت كثيراً من الملاحظين يقارنونها تارة بالعبودية وتارة بالقنانة. والواقع أننا إزاء حالة زبانة من نوع خاص، فالخماس، رغم تبعيته لصاحبه، يظل - من ناحية المبدإ - حرا بإمكانه إلغاء العقدة التي تربطه بصاحبه متى شاء.

تتخذ الخماسة سمات خاصة حسب المناطق وحسب الفترات التاريخية. وقد أخذت، بصفة عامة، تتراجع تحت تأثير المكننة لصالح العمل المأجور.

J. Dailliers, *Enquête sur les associations agricoles et la situation économique et sociale des polulations rurales : Secteur de Fès - Sud*, C.H.E.A.M., n° 4336 ; R. Ducy, *Les problèmes du khamessa au Maroc*, C.H.E.A.M., n° 2575 ; Lacombe, *Le khamessat au Maroc occidental*, C.H.E.A.M., n° 854.

عبد الجليل حليم

**تَادَافَالْتْ**، قصر من قصور واحة تُدغة يقع على بعد حوالي عشرين كيلوميترا من تينغير. ويقطنه أيت عطا خاصة خمس "إكْنَاوْنْ". وترجع أهمية قصر "تادافالت" في كونه الملجأ الأخير للمقاوم المشهور زيد أُحْماد الذي ظل يحمل راية المقاوة عالية بيدين قويتين في جبال أيت هاني وأعالي نهر أسيف ملول وواحات غريس وفركلة وتدغة وصعيد أمسمرير، وفي عراك صامد ضد الاستعمار طيلة سنتين (1934 - 1936) حيث فضل الموت على الاستسلام.

وكان زيد أُحماد قد شارك في أغلب المعارك البطولية ضد الاستعمار الفرنسي في المنطقة. وآخرها معركة "بادو" في غشت سنة 1933 حيث جرح خلالها وفقد زوجته أثناء المعارك في بادو.

ومنذ سنة 1934 إنطلق في تنظيم حرب للعصابات ومباغتة ضباط الاحتلال وأعوانهم على مسافة واسعة يبلغ قطرها حوالي مائة كيلوميتر. وذلك برفقة مقاوم آخر هو موحا أُوحمو الذي ظل يلازمه خلال الهجومات المتتالية التي استنزفت الاستعمار وجعلت قيادات ثلاث مناطق عسكرية في حالة استنفار قصوى دائمة، هي قيادات : تافيلالت ومراكش وتادلا. وكان يوجه ضرباته للضباط الاستعماريين وللمرتزقة وعملاء الاستعمار، محاولا تجنب إصابة الذين غرر بهم أثناء الدوريات المنظمة للبحث عنه. ومن أبرز العمليات العسكرية للبطل "زيد أُحماد" قتله الرقيب تريستاني Tristani في مضيق تدغة في 7 يناير سنة 1935، وترجع أهمية هذه العملية إلى كون تريستاني الأجنبي الوحيد الموجود ضمن الطابور الذي يبحث عن زيد أُحماد. وتركت هذه العملية صدى عميقا لدى السكان حيث بينت الطابع الوطني لحركة زيد أُحماد. كما قتل الملازم فرومانتان Fromentin في 2 يونيو سنة 1935 قرب بحيرة تاسليت بإملشيل، وهو ضابط للشؤون الأهلية وقائد لفرقة الگوم رقم 12. وفي 30 دجنبر قام زيد أُحماد بآخر عملية له حيث هاجم حانة يمتلكها أحد اليهود بتينغير، وكان اللفيف الأجنبي ينوي أن يقضي بها عطلة أعياد رأس السنة فقتل ثلاثة من جنود اللفيف.

وعلى إثر هذه العملية ضاعفت القيادة الاستعمارية من جهوده، واجتمع ضباط الشؤون الأهلية لكل من تينغير وإميلشيل وأسول بمركز أيت هاني ووضعوا خطة للقضاء على حركة زيد أُحماد.

وتتلخص في تضييق الخناق على كل القبائل والأشخاص الذين ثبت في حقهم تقديم المساعدات للمقاوم، وكذلك تكثيف عمليات البحث عنه وكذلك الاستخبار والتجسس على تحركاته. ولما بلغ بقصر القيادة العسكرية وجود زيد أُحماد بقصر تادافالت بتُدغة السفلى، التحق بتينغير كل من الكولونيل روش Roches قائد ناحية مراكش، والكولونيل شاردو Chardou قائد ناحية ورزازات والكولونيل بوميي Pommier رئيس دائرة بومالن، وتم تطويق قصر تادافالت على السابعة والنصف صباحا يوم 5 مارس سنة 1935 الذي يصادف يوم عيد الأضحى. وأدرك زيد أُحماد نهاية الأمر فأمر مرافقيه موحا أُحمو وموحا أُعلي نايت عسو بالمقاومة وكان القتال ضاريا بشكل منقطع النظير. ففي هذه المعركة غير المتكافئة ارتفعت المجابهة وكانت خسائر الاستعمار مرتفعة إلى غاية نسف المنزل على الساعة العاشرة والنصف بعد ثلاث ساعات من المعارك الضارية. وهكذا استشهد زيد أُحماد بقصر تادافالت بعد إرهاب سكان هذا القصر الشهيد. فأصبحت تادافالت تعني المقاومة والتضحية في كل قصور المنطقة. وأصبح "زيد أُحماد" "تايت مُخداش" الذي ينتمي إلى أيت مرغاد يجسم البطولة تجسيما ماديا حيا على خط يمتد إلى أعالي نهر گلميمة وتينغير ثم تينغير والريش إلى أعالي نهر غريس وأسيف ملول. وظل يكافح الاستعمار لمدة سنتين ولم يهن ! ولم تضعف عزيمته مطلقا حتى بعد أن وهن إخوته وأهله أنفسهم وضعفوا : "زيد أُحماد الذي أصابته رصاصات عدوه في مختلف أنحاء جسمه في مارس 1936 والبندقية على ذراعه يدافع بها هو ورفيقاه عن حرية أمتهم وشرفها ضد الاستعمار !.

م. المعزوزي وهاشم، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935*، الرباط، 1986.

Colonel Saulay, *Zaïd ou Ahmed, le dernier dissident de l'Atlas central marocain, 1934 - 1936, Bulletin de la Koumia*, décembre 1979 ; *Histoire des Goums marocains*, Tome I, Paris, 1981.

عبد القادر بوراس

**تادّارْتْ**، أيت باعمران، وهي تعني في الأمازيغية البيت المعتم القليل الضوء والمكان الصالح لتربية النحل تقع تادارت في قبيلة إد موساكنا فخذة من قبيلة أيت الخمس الباعمرانية، وفي تادارت هذه توجد تيمزگيدا وهو كُتّاب يحمل نفس الاسم، حدث فيه حدث خطير يوم عيد المولد سنة 1207 هـ حيث تسرب رجل مجهول أظهر كرامات سحر بها أعين الناس واسترهبهم، واجتمع عليه أعيان أيت باعمران كلهم، فزعم لهم أنه السلطان المولى اليزيد العلوي الذي فقد ملكه في إحدى المعارك في شمال المغرب، وما هو في الواقع إلا الثائر أبو أحلاس الذي كانت نهايته الموت في المعركة التي جرت في قرية العوينة قرب تيزنيت سنة 1208. وتفرقت جموعه (انظر *أحلاس*، في *المعلمة*).

ح. الجهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*.

الحسين الجهادي

**تادّارت**، في الأودية الجبلية متعددة، منها تادارت الواقعة على الطريق الرئيسية رقم 31 الرابطة بين مراكش وورزازات، على بعد حوالي مائة كيلوميتر عن مراكش في تراب بطن أيت إسرس، من فخذة أيت الربع، ضمن قبيلة أگلاوة الشمالية. (Répertoire, 209). كما تقع على الضفة اليسرى لواد غدات، الرافد الرئيسي لواد تانسيفت (A travers l'Atlas, 12). وبالرغم من موقعها في منطقة حدودية فقد ألحقتها السلطات الفرنسية، في إحصاء سنة 1936، بأگلاوة.

إلا أن موقع تادّارت في الحدود بين مسفيوة غربا واگلاوة شرقا، قد يوحي بقلة الأمن وما يترتب عنه من قلة السكان. لكن تادارت تبدو مرحلة في الطريق الرابطة بين درعة ومراكش، منذ بداية القرن الثامن عشر على الأقل. فقد مر بها عبد الله بن إبراهيم الزرهوني في طريقه إلى زيارة عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي في هذه الفترة (*رحلة الوافد*، 270). كما توقف بها محمد بن موسى الناصري في أثناء رحلته إلى مراكش سنة 1149 / 1736، ووصف "شجر الجوز العظيم"، الوارف الظلال بها (*الرياحين الوردية*، 36). بل قد بات في تادارت صحبة مرافقيه، مما يدل على أنها كانت مأهولة.

يظهر أن الناصري فضل المرور عبر تادارت، لأن هذه الطريق أقرب إلى مراكش، من الطريق العابرة لممر تلوات. وبالرغم من كون هذه الطريق كانت مطروقة أكثر، فإن اگلاوة كانوا يقومون أحيانا بمنع المرور عبر تيزي - ن - تلوات، مما يجعل المسافرين يتجهون إلى الطريق العابرة لتادارت وتيزي - ن - تيشكا. (J. Meunié, *Le Maroc*, 604). ولعل هذا ما حدث لموسى الناصري حين قدومه إلى مراكش.

أما في أثناء قفوله إلى درعة فقد سلك ثنية الاگلاوي التي كانت مفتوحة يومئذ في وجه عابري السبيل (*الرياحين الوردية*، 78). ولم يمر دوفوكو بتادارت، بالرغم من مروره بزرقطن بالقرب منها. وربط ذكرها بالممر الجبلي، تيزي - ن - تادارت. (Reconnaissance, 276). ولعل الطريق عبر تادارت ظلت تقوم بتعويض الطريق عبر تلوات حتى تم بناء الطريق رقم 31، فيما بين 1924 و1932، بل إن ذلك المسلك قد صار صالحا لمرور السيارات منذ سنة 1927. (A travers, 27)، فأصبحت تادّارت مركزاً للإيواء، واتخذها المسافرون مرحلة في الطريق الواصلة بين شمال الأطلس وجنوبه. فتعزز دورها خاصة بإنشاء بعض المرافق، مثل نزل "شجر الجوز"، مما شجع على الاستقرار بها، حتى صارت قرية بلغ عدد سكانها 209 نسمة، سنة 1936. (Répertoire, 279)، وما فتئ دورها ينمو بخلق مرافق أخرى.

ك. مارمول، *افريقيا*، 3 ؛ الزرهوني، *رحلة الوافد*، تح. علي صدقي أزايكو ؛ م. المكي الناصري، *الرياحين الوردية*، مخطوط خ.ع 88 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. البوزيدي ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، 9 ؛ هاشم المعروفي، *عبير الزهور*.

Ch. De Foucauld, *Reconnaissance* ; E. Laoust, *Mots et choses* ; *Contribution à la toponymie...* ; L. Voinot, *A travers l'Atlas...* ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; *Répertoire de tribus...* ; J. Meunié, *Le Maroc présaharien...*, 2.

أحمد عمالك

**تادّارت** في الشاوية، موقع سمي باسم وظيفته كمحل لتخييم دواوير القبائل.وهو أرض واسعة تجاور قصبة مديونة غير بعيد من الدار البيضاء فهو محل جغرافي وتاريخي معروف ببلاد الشاوية.

فقد عرف هذا المحل أحداثاً جعلت منه معلمة جغرافية وتاريخية. فإذا اقتصرنا على القرن الثالث عشر (19 م)، نلاحظ أن تادارت الشاوية كانت معروفة للناس، فقد ذكر المؤرخ الضعيف الرباطي أن مولاي عبد الملك عامل أنفا في عهد مولاي سليمان، استبد بمداخيل مرسى أنفا، ولما تخوف من عمه السلطان خرج من المدينة إلى تادارت، حيث ذبح ثوراً على أحد الأضرحة هناك ليكسب تأييد السكان النازلين بتادّارت.

وفي عهد مولاي عبد الرحمان، اغتيل أحد قواد الشاوية الكبار وهو إبراهيم الأوراوي من طرف قائد آخر كان معه في نزهة للصيد بتادارت هو القائد الهاشمي بن عباس الزياني (نسبة إلى أولاد زيان). وقد أهمل السلطان الحادث وولى القاتل قيادة المقتول، إلى أن قام بحركة للشاوية، وهناك أمر بقتل القائد الهاشمي بتادارت قصاصاً.

وفي بداية القرن العشرين، لما احتلت القوات الفرنسية الدارالبيضاء، أصبحت تادّارت مكاناً لتجمع محلات المجاهدين، فقد رابط بتادّارت مجاهدو أولاد بوزرق أي قبائل الشاوية الجنوبية، كالمزامزة وأولاد سعيد وأولاد بوزيري، ومن انضم إليهم من مجاهدي قبائل امزاب والأعشاش وأولاد فرج من دكالة.

ولقد ظلت مخيمات المجاهدين بتادارت محاصرة للدار البيضاء، تمنع عنها الأقوات أو أي تبادل تجاري. وتعززت تلك المخيمات بالمحلة التي أرسلها مولاي عبد الحفيظ من

مراكش بقيادة ابنه عمه مولاي رشيد عامل تافيلالت آنذاك. كما جاء إلى تادارت مرابط أبي الجعد في محلة لدفع المجاهدين إلى العودة إلى بلدانهم الأمر الذي أدى إلى خصام وتوتر انسحب إثره الحاج محمد بن العربي عائداً إلى أبي الجعد.

*وقد ظل المجاهدون مخيمين بتادارت ومحاصرين للفرنسيين من شهر غشت 1907 إلى شهر شتنبر. ففي يوم 11 شتنبر تمكنت القوات الفرنسية لأول مرة من أن تفاجئ مخيم تادارت بمساعدة منطاد حربي، وقد تمكن المجاهدون من الانسحاب في حين تمكن العدو من إحراق جزء من مخيم تادارت.

م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ *رواية شفوية* ؛ *مستندات الجيش الفرنسي*.

علال الخديمي

**تَادكُلا**، أو تيدكلا كلمة بربرية تعني الصداقة، وتعني في العادات الجبلية المعاشرة التي تجمع الرجل بالمرأة خارج مؤسسة الزواج .

على الرغم من كون القانون العرفي البربري لا يعترف بها، كانت تادكُلا (بمعنى المعاشرة) ممارسة شائعة عند قبائل الأطلس المتوسط ونظرا لشيوعها وانتشارها في الأوساط البربرية لم يكن ذلك القانون يعاقب عليها، وكانت الجماعة تبدي نوعا من التسامح تجاهها (مارسي، ص. 7-8) .

قد تكون تادكلا مجرد مرحلة تهييء للحياة الزوجية وقد تكون أيضا علاقة مستمرة كالزواج .

يضعها برينو وبُسْكِي ضمن مختلف أنواع التعاقدات التي عرفتها القبائل البربرية، بحيث يعتبر أنها شكل من أشكال عقد الأخوة الذي نجده عند البربر والمسمى بـ"تاگمات"، إلا أن هذا العقد في حالة تدكلا يربط عشيقين يتعهد كل منهما أن يكون وفيا للآخر. تتم هذه المعاهدة عبر انجاز طقوس معينة، منها تشابك أصابع اليد اليمنى لكل طرف، أو اليد اليمنى فوق البندقية، أو وضعها فوق رغيف أو طبق من الكسكس هيئ ليقدم صدقة للولي الصالح، أو بوضع أيادي العشيقين فوق داية الوالي الصالح. ويعتقد بأن كل خرق لذلك التعهد يتبعه عقاب يسلطه الصالح على المذنب.

ليست تادكلا زواجا، إذ ليست لها نفس الالتزامات التي نجدها في علاقة الزواج. فللطرفين نوع من الحرية، تعبر من هشاشة العلاقة. ولكن مع ذلك لها طقوس خاصة بها تجعل منها التزاما معنويا وأخلاقيا يجبر المتعاقدين على احترامه. مثلا يقدم العشيق لعشيقته هدية كعربون على محبته (تسمى العربون) ويكون في غالب الأحيان عبارة عن منديل. في حالة ما إذا نقضت المرأة العهد، فعليها أن تعيد العربون لعشيقها السابق. وإذا ما نقض الرجل العهد تشهر به المرأة وذلك بصبغ المنديل الذي قدمه وإخبار الجميع بذلك.

كان عقد تادكلا في الماضي معمولا به في كثير من المناطق البربرية وخصوصا منها الأطلس المتوسط. وتعبر هذه الممارسة عن نوع من الحرية التي عرفتها المرأة في هذه الأوساط، وعن نوع من التسامح اتجاه المبادرة التي قد تأخذها المرأة فيما يخص اختيار شريكها. كما تعبر عن غياب ذلك التشدد في المعايير الأخلاقية التي تحيط بعرض المرأة والذي نجده حاضرا بقوة وبفعالية في مناطق أخرى.

H. Bruno et G. H. Bousquet, *Contribution à l'étude des pactes de protection et d'alliance chez les Berbères du Maroc Central*, *Hesp.*, Vol. 33, 1946, pp. 353 - 370 ; G. Marcy, *Le droit coutumier Zemmour*, Alger ; Paris, 1949

رحمة بورقية

**تادْرارْت**، تعني باللسان الأمازيغي المحلي جُبَيلا، تصغير أدرار أي جبل. وهناك سوق تادرارت بقرية في قبيلة أيت واعزون بإداوتْنان كان ينعقد قبل الاستقلال يوم الجمعة فحوله الأعيان إلى يوم السبت حرصا منهم على التفرغ لأداء صلاة الجمعة التي تقام بمسجد عتيق إزاء هذا السوق قرب ضريح سيدي بوسماعيل.

أصبح سوق سبت تادرارت من الأسواق المهمة اليوم في إداوتنان نظرا لوقوعه بين قبائل تانكرت وأيت واعزون التنانيتين وقبيلة أيت عيسى الحاحية، وكلها قبائل جبلية هاجر معظم أبنائها إلى الخارج والمدن الكبرى فأخذوا يرسلون إلى أهاليهم أموالا تظهر كثرتها في الرواج التجاري الذي يعرفه هذا السوق وأمثاله. زيادة على المنتجات الفلاحية المحلية المتميزة بالجودة مثل اللوز والعسل وغيرهما، فيتسابق إلى اقتنائها بأثمان باهظة العائدون من الهجرة، وبذلك يمكن اعتبار سوق سبت تادرارت نموذجا للمؤسسات الاقتصادية الاجتماعية ذات البنية التقليدية النامية نموا بطيئا.

*تحريات ميدانية تعتمد على المعاينة والرواية الشفوية.*

محند أيت الحاج

**تادْرارْت - ن - الـطَّلبة**، قرية تقع في قبيلة أيت بوبكر بأيت باعمران، مليئة بالعلماء والأدباء الذين قل مثيلهم في البادية المغربية، وقل ان يوجد في آل تادرارت رجل غير متعلم، ومعظمهم يجمع بين إتقان الروايات القرآنية، والفقهيات والأدب العربي، وكل دار تحتوي على خزانة كتب تزخر بالمخطوطات.

تتمتع تادرارت - ن - الطلبة في أيت باعمران باحترام كبير، لأن أهلها يقومون بتدريس علوم القرآن، وفيها تركز القضاة الكبار، ولديهم توضع الوثائق المهمة ورسوم العقارات، ومنهم تستصدر الفتاوي، وإليهم ترفع المنازعات، وأحكام القضاة بمثابة الاستيناف. وكان الجميع يحرس تلك القرية ويحترمها، حتى سنة 1310 فهاجمت جماعة من الغزاة سوق ثلاثاء أگاندو وعلم آل تادرارت بذلك ولم يخبروا قبيلة أيت إحلف ولا اعترضوا طريق الغزاة، فحكمت القبيلة على آل تادرارت بأداء ما ضاع، بسبب سكوتهم الذي يعد تواطؤا مع الغزاة في عرف

القبيلة، تطبيقا للقاعدة العامة "الجريمة بالترك".

لكن آل تادرارت رفضوا الغرامة فوقع الهجوم العام على تادرارت، فانتزعت منهم الأموال، وتشتتت الخزانات، وضاعت الوثائق، وعمت تلك الخسارة معظم البلاد لضياع مصالح الناس.

ابن **تادرارت**، أبو علي **حسين** بن عبد الحكيم التينملي المصمودي. ذكر ابن الخطيب أنه ولد بالأندلس وأن أصل أبيه من قسنطينة (*الكتيبة*، 207). وقد وصفته كتب التراجم بالفقيه الصدر والشيخ الصوفي والرئيس الكاتب، وهي صفات تعكس المكانة التي كان يحظى بها بين الأوساط الثقافية والسياسية في المغرب على عهد بني مرين وخاصة أيام السلطان أبي الحسن.

كان أبو علي مكلفا بكتابة الرسائل لدى السلطان المذكور إذ أدرجه ابن مرزوق ضمن كتاب *الرسائل والبطائق* وأنه شارك الفقيه أبا زيد عبد الرحمان بن محمد بن الأشقر الفاسي في كتابة الكتب الملوكية وأشباهها (*المسند*، 375). في حين أغفل ابن الاحمر ذكره بين كتّاب أبي الحسن، وذلك في كتابيه *مستودع العلامة ومستبدع العلامة* الذي خصصه لأهم كتاب ملوك دول المغرب في العصر الوسيط، ثم *روضة النسرين في دولة بني مرين* حيث تتبع فيه إلى جانب أخبار بني مرين، جل كتّاب ووزراء وقضاة ملوكهم، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل عن الدوافع التي جعلت ابن الاحمر يتخذ هذا الموقف السلبي من ابن تادرارت، وهو الذي كانت له علاقات متينة مع السلطان تجعله من المقربين إليه ومحل اهتمام المؤرخين لعصره، فضلا عن كونه تلقب بـ"الرئيس الكاتب" وهو لقب لا يحمله إلا من كان له باع ودراية بميدان الترسل من أمثال عبد المهيمن الحضرمي وأبي القاسم بن رضوان النجاري وغيرهما. ومما يؤكد هذه المكانة لابن تادرارت أن السلطان كان يكلفه بكتابة رسائل خاصة عنه، فابن مرزوق أشار، وهو يتحدث عن نفسه، إلى أنه عندما قرر السفر إلى تلمسان لزيارة عمه المريض، أذن له السلطان بذلك وهو بسبتة عند حصار النصارى للجزيرة الخضراء سنة 743 هـ، فأمر الفقيه أبا علي بأن يكتب رسالة توصية إلى الحرة فاطمة بنت سعيد والحاج فرج شيخ الفتيان والفقيه أبي غالب بن أبي مدين يوصيهم فيها باستقبال ابن مرزوق وإكرامه بفاس بعد عودته إليها من تلمسان (*المسند*، 487، 488).

إلى جانب الكتابة كان السلطان يعتمد أبا علي في كثير من المهمات الخاصة، منها أنه في إحدى زياراته لمراكش بعثه برفقة ابن مرزوق للاجتماع بوليها الصوفي أبي عبد الله الكومي الضرير وتهييء لقائه بالسلطان، وكان اللقاء فرصة تم خلاله مناقشة مواضيع تتعلق بمسائل الوقف والتصوف (*المسند*، 156). كما عينه للنظر في قضية خطيب جامع القرويين وصاحب الحبس أبي الفضل محمد ابن أبي الحسن المزدغي. فبحكم منصب هذا الأخير كمسؤول على التركات وودائع أموال الأوقاف، ولما عرف عنه من الجود والاحسان وشدة حبه لأولاده وكثرة متطلباتهم، كان ينفق أموالاً كثيرة مما اضطره إلى التصرف في أموال الأحباس، فاجتمعت عليه منها حوالي ثلاثين ألف دينار. وكان السلطان وهوبتلمسان قد سمع بنازلة المزدغي فتأسف لذلك وعين للاجتماع به ومساءلته في الأمر مجموعة من الفقهاء هم ابن تادرارت وعبد المهيمن الحضرمي والقاضي إبراهيم ابن أبي يحيى وابن يربوع وابن مرزوق. بعد ذلك كلف السلطان ابن تادرارت بالتوجه إلى فاس ومحاورة فقهائها وصلحائها في موضوع النازلة المذكورة وأن يعرض عليهم إمكانية إعادة المزدغي إلى وظيفته بعد محاسبته ومطالبته بإرجاع ما ضيّع من أموال الأحباس (*المسند*، 230 - 234).

بالإضافة إلى هذه المشاغل السياسية كان لابن تادرارت اهتمامات فكرية وغيرها، فقد حضر مجالس السلطان العلمية وشارك فيها، وكان يعينه لقراءة ما يتخيره من كتب بين يديه خاصة كتاب *صحيح البخاري وصحيح مسلم* وكتاب *الاكتفاء* لسليمان الكلاعي *وسراج الملوك وفتوح الشام والحلية* لأبي نعيم إلى غير ذلك من كتب الفقه والأدب والتاريخ. ولم يكن ابن تادرارت الوحيد الذي قام بهذه المهمة بل تكلف بها كذلك ثلة من كبار علماء عصره كابن مرزوق وابن يربوع وغيرهما (*المسند*، 138). كما كانت له مساهمات أدبية متميزة حتى إن ابن الخطيب قال فيه "وكان له أدب يستعير منه العرف النسيم، ويحسد حسنه الصبح الوسيم" (*الكتيبة*، 208)، لكن ما وصلنا من هذا الأدب قليل جدا ولا يعكس المكانة العلمية التي تميز ابن تادرارت بين مفكري عصره. ففي مجال الشعر ترك ابن تادرارت مقطوعات تناولت أغراضاً متنوعة من سلطانية وغزلية أورد ابن الخطيب بعضها (*الكتيبة*، 208 - 210)، ثم قصائد مطولة حول استيلاء النصارى على الجزيرة الخضراء سنة 743 هـ (*مذكرات*، 35 - 40). أما في مجال النثر فلا نعرف له إلا بعض الشذرات هي عبارة عن رسالتين، الأولى بعثها إلى الفقيه الصوفي الشهير أبي الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري يعاتبه فيها على عدم توديعه عند سفره والإبطاء عنه في ملاقاته، وقد راجعه الششتري برسالة جوابية ناقش فيها على الخصوص مسألة الوداع عند الفقهاء والصوفية (*الإحاطة*، 4 : 212 - 215). ثم المقطع الأخير من رسالة يعتقد أنها لابن تادرارت يتعلق مضمونها بسقوط الجزيرة الخضراء في يد القشتاليين (*مذكرات*، 40).

ذكر الونشريسي أن ابن تادرارت توفي غريقا في الأسطول المريني الذي غرق أمام ساحل بجاية بالمغرب الأوسط سنة 749 هـ (*وفيات*، 118). وكان هذا الأسطول يضم إضافة إلى السلطان أبي الحسن جملة من خيرة علماء وأعيان وكتاب وفقهاء الغرب الإسلامي الذين رافقوه في حملته إلى افريقية قبل سنة من التاريخ المذكور. لكن المصادر التي تعرضت لهذه الفاجعة لم تذكر أسماء جميع

الذين ماتوا غرقا أو هلكوا قبل ذلك بسبب الطاعون الجارف الذي ضرب تونس حيث بلغ عددهم حوالي أربعمائة. مع العلم أننا لا نعرف من أسماء علماء المغرب الأقصى الذين كانوا ضمن هذه الهيئة العلمية سوى خمسة أعلام هم : عبد المهيمن الحضرمي السبتي، محمد بن محمد ابن الصباغ الخزرجي المكناسي، محمد بن علي بن سليمان السطي الفاسي، أحمد بن محمد ابن علي الزواوي الفاسي وأخيرا أحمد بن محمد بن شعيب الجزنائي التازي. وغياب اسم ابن تادرارت من هذه اللائحة يجعل من إشارة الونشريسي السابقة ذات قيمة فريدة، فهي من جهة تحدد تاريخ وطبيعة وفاة المترجم، ومن جهة أخرى تؤكد حضوره مع العلماء في الحملة الافريقية المذكورة.

وفيما يتعلق بوفاته نظم أخوه محمد قصيدة يرثيه فيها، وهي التي أوردنا منها بعض الأبيات عند ترجمة هذا الأخير، بينما نقتصر هنا على ذكر أبيات أخرى من نفس القصيدة قد يفهم منها الكيفية التي مات بها ابن تادرارت، وهذه الأبيات التي سجلها ابن الخطيب (*الكتيبة*، 214) تقول :

رمتكَ وشيكا قسيُّ المنون ... فلم تُخْطِ أسهمُ تلك القسِي

فمَنْ للمعالي يصوغُ حلاها ... فتختال زهواً بأبهى الحُلِي

طوتها البحارُ ولا غروَ أن ... تَغارَ على درِّها المعتلِي

ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. م. خ.ن بيغيرا، الجزائر، 1981 ؛ ابن الحاج النميري، مقتطفات مذكراته، ورد نصها العربي عند : A.L. de Premare, *Maghreb et Andalousie au XIVème siècle* : *"Les notes de voyage d'un andalou au Maroc 1344 - 1345"*; CNRS, Lyon, 1981 ؛ ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا*، تح. محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة، 1951 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، ج 4، تح. م. ع. عنان، القاهرة، 1975 ؛ *الكتيبة الكامنة*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1963 ؛ أ. الونشريسي، *وفيات* (ألف سنة من الوفيات)، تح. م. حجي، الرباط، 1976.

**ابن تادرارت، محمد** بن عبد الحكيم التينملي المصمودي شقيق الحسين سابق الترجمة. ولد بمالقة بالأندلس. فقيه أديب شاعر انتقل من الأندلس إلى العدوة المغربية حيث استقر بالحاضرة فاس وانخرط في سلك كتاب الرسائل السلطانية عند أبي الحسن المريني "فكان ممن برز في الكتابة وأصاب في النصح كل الاصابة، وارتقى من المفاخر مرقى لا يطرق، وحاز من الكمال ما ليس يلحق" (نثير، 253). كما اشتغل بالقضاء واستمر فيه إلى أن توفي في تاريخ غير معروف. ونعتقد أن وفاة محمد ابن تادرارت كانت بعد سنة 749 هـ إذ يورد ابن الخطيب أبياتا شعرية يرثي فيها المترجم أخاه الحسين الذي هلك بعد غرق الأسطول المريني أمام ساحل بجاية في نفس السنة (*الكتيبة*، 213-214)، إضافة إلى أن ابن الأحمر صاحب *نثير الجمان* والمتوفى سنة 808 هـ يذكر أنه أدرك ابن تادرارت في حياته.

يلاحظ أن محمد ابن تادرارت ترك مجموعة من القصائد لم تحتفظ المصادر إلا بأبيات منها، مثل الرسالة المنظومة التي بعث بها إلى صاحبه الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى أبي القاسم بن رضوان النجاري (نثير، 245)، ثم المقطوعة التي يرثي فيها أخاه الحسين بعد وفاته ومطلعها :

أُخَيَّ حسينا وحيد الزمان ... سقى الله قبرك صوب الولي

فقد كنتَ في الجود حاتمَ طيٍّ ... وفي مجمع الحفل صَدر النَدِي

ابن الاحمر، *نثير الجمان*، تح. م. رضوان الداية، بيروت، 1976 ؛ ل. ابن الخطيب، *الكتيبة الكامنة*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1963.

رشيد السلامي

**التادرارتي، الزبير** بن محمد بن صالح، من أشهر فقهاء قومه، درس في مسقط رأسه، ثم في فاس حيث مكث بالقرويين سبع سنين تخرج على إثرها فقيها متمكنا من فروع المذهب المالكي، فأسند إليه السلطان الحسن الأول قضاء أيت باعمران بظهير عام 1881/1299، ثم جدد له المنصب السلطان عبد العزيز بظهير مؤرخ بعام 1893/1311 وكان القاضي الزبير مثال الاستقامة والنزاهة، حتى قال فيه الأگراري : "قاضي بعمرانة على الإطلاق، بلاثنيا ولاشقاق... لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا ترى في أحكامه غير الملائم". ولم يذكر تاريخ وفاته.

**التادرارتي، محمد** بن صالح، والد المذكور قبله. عالم مشارك في الحساب والفقه واللغة وقواعدها، صناع اليد، جواد كريم. ألف كتابا في السكك التي عليها المدار في جنوب المغرب. درس في مسقط رأسه، وفي مراكش على الشيخ محمد أكنسوس، قال في حقه الاگراري أيضا : "حدث عن البحر ولا حرج، وليس في مهيعه من عوج، قضى وغلب، وأعطى وسلب..". توفي عام 1871/1288.

الأگراري، *مخطوط* ؛ *ظهائر* ؛ *معلومات شفوية عن أعيان قبيلة أيت باعمران*.

الحسين جهادي

**تادلا**، قصبة، ومدينة، ومنطقة. فالقصبة تقع في أراضي قبيلة گطاية التي تكون مع قبائل بني ملال وسمگت وبني معدان، اتحادية أيت الربع، وتقع، تحديدا، عند نقطة اجتياز الطريق الرئيسية الرابطة بين بني ملال والدار البيضاء لنهر أم الربيع، على ضفته اليمنى المقعدة. وهي عبارة عن قصبة مستطيلة يقدر طولها بثلاثمائة وخمسين مترا، وعرضها بمائة وخمسين مترا.

ذكرها البيذق من بين حصون المرابطين، (*أخبار المهدي*، 92). وأشار قبل ذلك إلى أن أمير الموحدين مر بتادلا و"ميَّز فيها" (المصدر السابق، 63) ولما وزع عبد المومن حكم الأقاليم على أبنائه، ولى أبا الربيع على تادلا (نفس المصدر، 76-77).

إذن يستلزم الميز أولا، وتولية عامل على المنطقة ثانيا وجود قاعدة ثابتة. وهذه القاعدة لا يمكن بحال أن تكون غير حصن تادلا المشار إليه. هذا الحصن الذي يبدو من الراجح أنه كان يقع على الضفة اليمنى للوادي، حيث "يوجد مشرع" يتم العبور بواسطته، وبسافلته بنيت، فيما بعد، القنطرة المعلومة، عند نقطة مرور الطريق الرابطة بين مراكش وفاس. وذكرها الإدريسي كمدينة قائمة مزدهرة، ومن بين أهم المراحل الممتدة على الطريق الراصلة بين فاس واغمات والمتوجهة أيضا إلى درعة وسجلماسة (*المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق*، 102). وأشار إلى أنه "يزرع فيها كثير من القطن ويسافر به إلى كل الجهات... وبهاتين البلدتين (داي وتادلا) أرزاق ومعايش وخصب ونعم شتى، وأهلها أخلاط من البربر..." (*المغرب العربي*، 93) وعدها صاحب *الاستبصار* "من المدن التي بنى فيها الملثمون حصنا عظيما، وشيدوا بها جامعا" (*الاستبصار*، 200).

وعلى الرغم من أن صاحب *التشوف* لايميز بين الإقليم والمدينة عند ذكر تادلا، فإن الإشارة إلى "مسجد تادلا" بعينه تفيد ـ هذه المرة على الأقل ـ أن المقصود هو المدينة، التي يبدو أنها كانت ما تزال عامرة (*التشوف*، 255). ومما يؤكد ذلك ما ذكره الحميري بعد ذلك بحوالي قرن من الزمان، حيث قال : "تادلا مدينة قديمة أزلية بها آثار للأول، بني الملثمون فيها حصنا منيعا هو الآن معمور، وفيه الأسواق والجامع، والبلد كثير الخيرات والأرزاق، أحاطت به القبائل من جميع الجهات" (*الروض المعطار*، 127). ووصفه مجرد نقل لوصف الإدريسي.

وفي العصر المريني صارت منطقة تادلا ـ بقصبتها ـ مقصداً لكثير من الثوار، ولا سيما في أثناء الاضطرابات، باعتبارها منطقة حدودية بين فاس ومراكش. وهكذا لما انتفض الحسن بن عمر الفودودي ضد السلطان أبي سالم المريني "خرج بتادلا مستعينا بعرب بني جابر" (*الاستقصا*، 4 : 32). وحين "انهزم أبو الفضل بن أبي سالم أمام جيوش السلطان عبد العزيز سنة 769/1368، لحق بتادلا ليعتصم بجبل جابر" (*الاستقصا*، 4 : 54). ولعل تردد الثوار إلى تادلا وتداولها من طرف الأيدي ما جعل أمر قصبتها يؤول إلى الخراب. وقد زادت وضعيتها تفاقما بسبب الانقسام الذي عرفه المغرب عند الدولة المرينية، وخاصة لما تكرست فكرة مملكة فاس ومملكة مراكش في أثناء صعود الوطاسيين. آنذاك صارت تادلا منطقة عازلة بين المملكتين، فاعتور قصبتها التدهور، الأمر الذي جعل ذكر تادلا، كمدينة، يختفي من المصادر، لتترك اسمها ينصرف إلى الاقليم الذي يحيط بها. فلم يذكرها الحسن الوزان ولامارمول، على الرغم من أن الأول قد زار مختلف مدن وقرى تادلا في بداية القرن العاشر (16 م).

ولم تقع الإشارة إلى قصبة تادلا مجدداً إلا مع بداية السعديين سنة 942/1537. فقد أشار ابن القاضي إلى ذلك قائلا : "فرجع السلطان أبو العباس الوطاسي إلى فاس، وبقيت محلته وقصبة تادلا بيد الشريف السعدي" (*جذوة الاقتباس*، 1 : 321) قد يثير كلام ابن القاضي التساؤل التالي : هل ظلت قصبة تادلا قاعدة للإقليم على الرغم مما نالها من إهمال ؟ يظهر أن بعض السلاطين اتخذها سجنا للثوار، كما هو شأن محمد المتوكل السعدي. فلما قبض هذا الأخير على أخيه الناصر الثائر عليه "امتحنه بطول الاعتقال بدرعة أولا وبتادلا ثانيا" (مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*، 43 ـ 44).

وفي سنة 992 /1584 قسم المنصور السعدي حكم الأقاليم على أبنائه، فعين زيدان على تادلا (*الاستقصا*، 5: 117). واتخذ هذا الأخير من الصومعة مقر الأقامته، قبل أن ينتقل إلى القصبة التي تحمل اسمه حتى الآن. فصارت القصبة الزيدانية القاعدة السياسية لإقليم تادلا (*الحركة الفكرية*، 2 : 504). كان ذلك لأن قصبة تادلا ربما غدت مندثرة. ولم ترد الإشارة إليها ـ بعد ذلك ـ حتى سنة 1677، حين ثار أحمد بن عبد الله الدلائي ضد السلطان اسماعيل، فكانت قصبة تادلا من جملة المواقع التي تم الاستيلاء عليها وتعرضت للتخريب على أيدي صنهاجة الأطلس المتوسط المنضوين تحت لواء حفيد الدلائيين (*البستان الظريف*: 30 - De la Chapelle, p. 53, note 27) الشيء الذي جعل السلطان يأمر بإعادة بنائها منذ سنة 1679/1680 (Mouette, 124) وهو نفس التاريخ الذي اعتمدته مگالي مرسى عند تعليقها على لفظة تادلا (*La relation de T. Pellow*, 189). لكن المصادر المغربية لم تشر إلى هذا البناء إلا في سنة 1099/1688. وبعد حوالي سنة، لما كمل بناؤها أنزل بها حامية من ألف من فرسان العبيد (*الترجمان المغرب*، 22). فكانت قصبة تادلا من بين قصبات السلسلة الرابعة التي أمر السلطان المولى إسماعيل بتشييدها، في إطار سياسته الهادفة إلى تطويق القبائل الجبلية، بالأطلس المتوسط وكبسها هناك. وبناء على ذلك سارت تادلا قاعدة عسكرية تنطلق منها الحركات السلطانية لتطويع تلك القبائل، ومنعها من النزول إلى بسيط تادلا الذي شكل مجال الانتجاع بالنسبة لقطعانها. فكانت تلك القطعان تنزل إلى السهل (أزغار) في فصل الشتاء (*البستان الظريف*، 36) مما كان يثير بعض الاضطراب، بل يخل بتوازنات اقتصاد سكان أزغار، الأمر الذي قد يؤدي إلى نشوب النزاعات والحروب بين المستقرين والرحل المنتجعين، ويتسبب في قطع الطرق أمام القوافل والسابلة، لأن المنطقة همزة وصل بين الشمال والجنوب، وتخترقها الطريق السلطانية الواصلة بين مراكش/فاس. فكانت المحلات السلطانية تضرب بها من أجل الاستراحة أو النظر في شؤون قبائل المنطقة. فكونت قصبة تادلا منطلقا للقسم الأكبر من الجيوش التي وجهها السلطان ـ ضمن الحركة الكبرى ـ مع الباشا مساهل سنة 1104/1693 "لغزو برابرة فازاز" (*الاستقصا*، 7 : 80) وتعزز دور قصبة تادلا العسكري بالمهمة الإدارية التي أنيطت بعاملها. ففي سنة

1111 / 1700 وزع المولى إسماعيل أعمال المغرب على أولاده "فخلف أحمد الذهبي بتادلا..." وأنزل معه ثلاثة آلاف من وصفانه، وأمره أن يزيد في تلك القصبة، فبنى قصبة جديدة..." ( *البستان الظريف*، 41) تذهب معظم المصادر التي أشارت إلى استخلاق أحمد الذهبي بقصبة تادلا إلى القول بأن الأمير بنى قصبة أكبر من القصبة الأولى. لكنها لا تزيد على ذلك أي توضيح. مما يدع المجال مفتوحا للتساؤلات حول موقع القصبة القديمة بالضبط. فهل بنيت القصبة الجديدة على أنقاض القديمة كما فعل السلطان إسماعيل من قبل ؟

يظهر أن التمادي في السؤال يفترض القيام بحفريات للكشف عن البقايا الأثرية والحسم في هذه القضية. في غياب ذلك وما لحق بآثار القصبة من تشويه بسبب الإهمال، يمكن أن نكتفي بتحليل إشارة وردت عند الزياني في *الترجمان*، 25، تكررت بالحرف عند ابن زيدان ( *المنزع اللطيف*، 253). فقد قالا : "وأنزله قصبتها وأنزل معه ثلاثة آلاف من العبيد، وأمره بالزيادة في قصبتها، فبنى قصبة بجنبها أكبر منها وبنى داره فيها ومسجدا أكبر من مسجد والده... واستقر بها..." تفيد هذه الإشارة وجود قصبتين : قصبة قديمة بناها السلطان وأخرى جديدة بناها الأمير.

ومن خلال وصف دوفوكو الذي زار قصبة تادلا يوم سابع عشر من شهر شتنبر 1883، ومكث بها يومين (*Reconnaissance*, 57)، يظهر أن هناك قصبة واحدة، كانت أسوارها ما تزال قائمة : سور خارجي يناهز علوه عشرة أمتار، وآخر داخلي أقل ارتفاعا (حوالي ستة أمتار). يفصل بينهما ممر يناهز عرضه ستة أمتار. والسوران معا في حالة جيدة (*Reconnaissance*, 58) كما يشير إلى أن مسجدها ما يزال قائما بصومعته في الناحية الشرقية، بالقرب من الباب الكبير، الذي ربما شكل المدخل الرسمي لرجال المخزن. وبجوار المسجد توجد "دار المخزن" في الناحية الجنوبية. وتنتشر خارج القصبة أرباض تتركز شرقيها، في المنطقة التي تطابق قسما من حي الزرايب حاليا. وهي المنطقة الآهلة بالسكان. ولم يشر قط إلى وجود أطلال أخرى تشهد على قصبة ثانية خارج القصبة التي تم وصفها.

إذا أمعنا النظر في هذا الوصف نستنتج أن هناك قصبة واحدة، فهل اندثرت القصبة الإسماعيلية نهائيا - مع العلم أن الفترة الفاصلة بين عمليتي البناء لا تتجاوز اثنتي عشرة سنة - ؟ وهل قام أحمد الذهبي بضم قصبة والده إلى قصبته عن طريق تحصينهما بسور واحد تنفيذاً لأوامره، حيث "أمره بالزيادة في قصبتها" ( *الترجمان*، 25) من المعلوم أن الزياني كان عاملا على تادلا سنة 1801/1215، بل لقد دخل قصبتها في أعقاب عاملها السابق ولد الراضي، حيث اعتقله. ومن ثم فهو يتحدث عن بينة. ( *الضعيف*، 320) ولاينبغي - من جهة أخرى - أن تغفل قوله : "بنى قصبة بجنبها أكبر منها" بناء على ذلك وتأسيسا عليه وانطلاقا من المشاهدة العينية يتضح أن موقع القصبة - حاليا - حصين، وهو مشرف على المنطقة كلها، لأنها بنيت على شرف من الأرض. ويزيد من حصانته إشرافه على الواد من الضفة المقعرة نسبيا، مما يسهل الدفاع عن القلعة، على الأقل من جهتي الغرب والجنوب، حيث يوجد البستيون المفضي إلى الوادي.

أما من الناحية الشمالية والشرقية فهناك قبائل الگيش التي تعرقل سبيل أي معتد. لذلك تخللتها الأبواب الثلاثة من تينك الجهتين : يوجد بابان في الجهة الشمالية. باب مواجه للمسجد ولعله المدخل الرسمي، والباب الثاني الموازي للمنطقة السكنية، ربما كان خاصا بالحامية المقيمة بالثكنات الملحقة بالقصبة (دوفوكو، 58). وفي الواجهة الشرقية فتح باب آخر، لعله كان خاصا بادار المخزن. فإذا كان هذا هو موقع القصبة الأميرية، فأين يكون موقع قصبة السلطان ؟ لا ينبغي للسلطان أن يبني قلعة منيعة في موقع بعيد عن القصبة الحالية. لأن الموقع الحالي - بالإضافة إلى حصانته وإشرافه، فإنه يسهل مراقبة المجاز (المشرع) الذي يحاذي المقبرة الموجودة جنوب شرقي القصبة (دوفوكو، 59)، وبواسطة القصبة أيضا يمكن حراسة القنطرة. ولا يمكن لهذه الظروف - المناعة، الإشراف، قرب المجاز ثم القنطرة - أن تتوفر في مكان آخر لا شرقيها ولا غربيها.

كما يوجد في نفس القصبة مسجد أصغر من مسجد الأمير، وهو يقع في الزاوية الشمالية من الجهة الغربية، قريبا من مدخل سجن القصبة. وقد اندثر نهائيا وبني على انقاضه مسجد حديث، لكن الصومعة القديمة ما تزال قائمة. ألا يمكن أن نفترض أن هذا المسجد هو المسجد الإسماعيلي الذي بني ضمن المرافق التي شيدها ذلك السلطان ؟ ألا تمثل تلك الصومعة "أكمة شاهدة" لقصبة اندثرت تماما ؟

كل هذه القرائن والتساؤلات والافتراضات تجعلنا نرجح أن قصبة السلطان كانت تقع في الناحية الغربية حيث يوجد المسجد والسجن حاليا. وبعد ما بنى الأمير أحمد الذهبي قصبته شرقيها، سورهما معا بسور واحد، أي أنه بناها بجانبها وزاد فيها. وبذلك يكون قد نفذ أوامر والده حسب الإشارة الواردة عند الزياني ( *الترجمان*، 25) فغدت القصبتان قصبة واحدة بعد اندثار السور الفاصل بينهما.

ومهما يكن من أمر فإن أحمد الذهبي قد استقر في قصبة تادلا التي أصبحت قاعدة عسكرية وإدارية للإقليم ( *الاستقصا*، 7 : 89) ؛ يتم النظر في شؤون الإقليم كله، انطلاقا منها ( *الدرة الجليلة*، 254). وحتى لما عزل السلطان مختلف أبنائه عن حكم الأقاليم سنة 1718/1130 استمرت قصبة تادلا مقرا لأحمد الذهبي الذي ظل واليا على تادلا ( *الاستقصا*، 7 : 97). مما قد يدل على أهميتها السياسية والعسكرية. وحين تولى إدريس بن المهدي المشاط، المتوفى عام 1142 /1729 - 1730، قضاء تادلا، أقام بقصبتها بجانب ولي العهد المذكور ( *النشر*، 3 : 326 ؛ *الاستقصا*، 7 : 126).

وبعد وفاة المولى إسماعيل (1139/1727) غدت قصبة تادلا محطة ذات أهمية بالغة بين فاس ومراكش. مثلا : لما يصل إليها مطالب بالحكم، قادم من مراكش، فإن أهل فاس يشعرون بالتهديد، ولما يصل إليها في طريقه من فاس، فإن أهل الجنوب يبدأون في الاستعداد للمواجهة. ففي سنة 1145 /1733 استقبل السلطان عبد الله بن إسماعيل وفد أهل سوس بقصبة تادلا، وبها التحقت به، في نفس السنة، الجيوش التي كان طوماس بيلو T. Pellow يقودها، قبل التوجه إلى مكناس (*La Relation de T. Pellow*, 166). كما ظلت قصبة تادلا في هذا العهد أيضا قاعدة للإقليم. فلما قاد يوسف الحنصالي الثورة ضد السلطان عبد الله سنة 1732، كانت وجهته نحو قصبة تادلا، وحين تم اعتقاله نقل إليها ليقتل صبرا (القادري، *التقاط الدرر*، 358). ومنها انطلق السلطان في نفس السنة على رأس حركة إلى أيت إيمور ( *النشر*، 3 : 355). واتخذها السلطان عبد الله قاعدة ينطلق منها لاسترجاع سلطته كلما انتفضت ضده إحدى العواصم، أو خرج عليه بها بعض إخوته.

فلما خلع العبيد بيعته سنة 1147 لجأ إليها قبل أن يواصل طريقه نحو مراكش، وحين رجع من تارودانت متوجها إلى الشمال نزل بها مجددا، وبها قدمت له البيعة عدة مرات من طرف أهل فاس ومكناس أو من أهل مراكش والجنوب (الضعيف، وما بعدها). وظلت قصبة تادلا تكتسي نفس الأهمية في عهد السلطان محمد بن عبد الله؛ وحتى زمن مولاي سليمان، على عكس ماذهب إليه جاك كايي (J. Caillé, *La mission du capitaine Burel*, p. 91).

فقد أقام بها سيدي محمد أياما لما كان متوجها من مراكش إلى مكناس، في أثناء خلافته (الضعيف، 151). ومكث بها مولاي سليمان أيضا أياما في طريقه من مراكش إلى مكناس سنة 1228/1813 (الضعيف، 376) أي أنها حافظت على مكانتها كمحطة رئيسية في الطريق السلطانية. ولما مرض سيدي محمد بن عبد الله في أثناء إحدى حركاته أقام بقصبة تادلا مدة وبمعيته كاتبه أبو القاسم الزياني وطبيبه أبو العباس أدراق، الذي باشر علاجه (*الاستقصا*، 8 : 41-43) كان ذلك سنة 1186/1772. واتخذها السلطانان المذكوران قاعدة لتطويع قبائل الأطلس المتوسط، فحين أراد سيدي محمد بن عبد الله الإيقاع بأيت إيمور استقدمهم إليها، وبها "عرضت عساكر الجند" سنة 1179 / 1766 ( *الاستقصا*، 8 : 27). وقد نزل بها أيضا وأوقع ببني حكم وزمور قبل ذلك. وانطلقت جيوشه منها كذلك في حركته سنة 1179/1766، لتأديب أيت أومالو ( *الاستقصا*، 8 : 43) ولما انتفض القائد ولد الراضي ضد السلطان المذكور سنة 1192 / 1778، اعتصم بها، إلى أن ألقي عليه القبض فقطع يده واستصفى أمواله ( *الاتحاف*، 3 : 175). ولما عزم مولاي سليمان على تطويع قبائل بني موسى وأيت عتاب وغيرها من قبائل الإقليم، سنة 1222 / 1807 "خرج بالعساكر إلى تادلا". ولعله انطلق من قاعدة ثابته كانت هي القصبة المخزنية ( *الاستقصا*، 8 : 113) وذلك ما وضحه الضعيف حين قال : "وفيه سمعنا بأن السلطان أراد أكل زرع زيان فتشفع فيهم العربي الشرقاوي وأعطوا المال والسلطان بقصبة تادلا" ( *الضعيف*، 699). وبعد سنتين خرج إليها مجددا "يريد عرب ورديفة وقبائل البربر". وبعدما تغلبت الجيوش السلطانية على المنتفضين وألجأوهم إلى الطاعة "جاءوا تائبين فعفا عنهم" ( *الاستقصا*، 8 : 114) أي أن وفودهم قدمت عليه بقصبة تادلا التي كان نازلا بها، كما أكد ذلك الضعيف. بل يشير هذا الأخير إلى أن السلطان لما أوقع بتلك القبائل رحل إلى مراكش بعدما أقام بقصبة تادلا من سابع ربيع الأول إلى تاسع عشر ربيع الثاني من عام 1224 / 1809 (الضعيف، 347).

وفي أثناء الاستعداد للحركة ضد أبي بكر أمهاوش سنة 1334 / 1818 انطلقت جيوش مولاي سليمان من قصبة تادلا، حيث كان الأمير مولاي موسى بن محمد بن عبد الله عاملا على الإقليم (الضعيف، 318). وبها أيضا وافاه ولده إبراهيم بجيوشه. ويذكر نفس المصدر أن القائد محمد بلعربي البخاري "كان قبل عند المحلة المرابطة بقصبة تادلا" منذ سنة 1232 / 1816.

إلا أن ذكرها يختفي من المصادر في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن، ولم تشر إليها المصادر التي أمكننا الاطلاع عليها إلا أواسط عهد ابنه سيدي محمد. فقد غزا هذا الأخير قبائل تادلا كما يقول الناصري : "فمد على السماعلة... ثم منهم لبني زمور، ثم لأبي الجعد، ثم منه لقصبة تادلا وعبر القنطرة ونزل على بني عمير..." ( *الاستقصا*، 9 : 123) لعل مروره بالقصبة السلطانية كان عابرا، لأن الطريق التقليدية قد اعتورها بعض الإهمال لعاملين :

- أولهما كثرة الانتفاضات القبلية التي طبعت القرن التاسع عشر، بسبب المشاكل المترتبة عن الظرفية الجديدة.
- ثانيهما بداية تحول مركز الثقل من المناطق الداخلية إلى المناطق الساحلية، ذلك التحول الذي ارتبط باضمحلال الطرق البرية والتجارة الداخلية المرتبطة بها، لصالح الطرق البحرية والتجارة الخارجية.

في هذا الإطار لم يمر السلطان مولاي الحسن بقصبة تادلا، رغم تنقلاته الكثيرة ؛ إلا أربع مرات. واحدة منها قبيل وفاة والده، حين كان خليفة عنه بمراكش ( *الاتحاف*، 2 : 122) ويغلب على الظن أنه لم يكن يزورها إلا في أثناء حركاته إلى المنطقة في سنوات 1294 / 1877، 1296 / 1879، 1300 / 1883 و1304 / 1887 ( *الاستقصا*، 9 : 164 ؛ *الاتحاف*، 2 : 122 ومابعدها). ولعل ذلك راجع - بالإضافة إلى العاملين السابقين - إلى أنها تعرضت للإهمال ؛ حتى إنها كانت خاوية على عروشها حين زارها شارل دو فوكو يوم 17 شتنبر 1883 (*Reconnaissance*, 57)، حيث اعتبرها أهم قلعة شاهدها - حتى ذلك الوقت - في بلاد المغرب. وقد

وصفها وصفا دقيقا، بأسوارها وأبراجها وشرفاتها وأبوابها ومسجدها ؛ في حين أشار إلى أن أرباضها كانت آهلة بالسكان من مسلمين ويهود. وقدر عددهم بحوالي 1400 نسمة، من بينهم 150 يهوديا (*Reconnaissance*, 58).

ولعل هذا الإهمال هو السبب في جعل لفظة تادلا تنصرف من جديد إلى الإقليم حتى دخول الفرنسيين سنة 1912. ولما اقتحمتها الجيوش الفرنسية صار اسم قصبة تادلا ينصرف إلى التجمع السكني المكون من الأرباض والقصبة التي ظلت مهملة على ما يظهر.

فغدت تابعة لمنطقة الدار البيضاء، وسميت ملحقة، عين علي رأسها مراقب مدني اتخذها مقراً لإدارته (*Répertoire*, 64 - 65). وبذلك صارت من جديد قاعدة عسكرية وإدارية للإقليم كله. فمنها تم تطويع القبائل وإخضاع باقي المناطق المجاورة، وعبرها نظم الاحتلال ومختلف شؤونه في الإقليم، فشرع الفرنسيون مبكرا، في بناء حي أوربي شمالي القصبة، تضمن ثكنة عسكرية، ومنازل للمراقب المدني ومساعديه ومختلف الأطر الإدارية. كل ذلك على حساب القصبة التي يبدو أنها أهملت تماما ؛ على الرغم من الاحتفاظ باسمها الذي صار علما للمدنية. مع أن هذا الإطلاق جزافي لأن القصبة ظلت خالية. وشهدت المدينة الجديدة توسعا ملحوظا، إذ لم تحل سنة 1936 حتى صنفت من ضمن المدن المغربية. وبلغ تعداد ساكنتها 7409 نسمة حسب إحصاء سنة 1936 (*Répertoire*, 67)، إلا أن مدينة قصبة تادلا سرعان ما فقدت مركزها كعاصمة للإقليم، لصالح مدينة بني ملال. فقد استأثرت هذه المدينة بالوظيفة الإدارية واستقطبت الأنشطة الاقتصادية المرتبطة بمحيطها الفلاحي ؛ الأمر الذي جعل مركز الثقل ينتقل إليها، في حين عرفت عاصمة تادلا القديمة ركودا ملحوظا، لولا أن شهدت ميلاد بعض المشاريع الاقتصادية خلال العشرين سنة الأخيرة. وللإشارة فقد تم تعمير قصبة تادلا الاثرية من جديد، بطريقة فوضوية خلال السنين الأخيرة، الشيء الذي ساهم في طمس بقية معالمها وتدمير بعض أبراجها، مما يستلزم تدخلا عاجلا لإنقاذها.


أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ش. الإدريسي، *المغرب من كتاب نزهة المشتاق*، تح. وتر. محمد حاج صادق، بلجيكا 1983 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ الحميري، *الروض المعطار* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ أ. ابن القاضي، جذوة ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية* ؛ أ. الولالي، *مباحث الأنوار* ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *التقاط الدرر* ؛ أ. الزياني، *الترجمان* ؛ *البستان* ؛ م. الضعيف، *تاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية* ؛ *التحري الميداني*.

Mouette, *Histoire des conquêtes* ; Morsy, *La relation de T. Pellow* ; J. Caillé, *La mission du capitaine Burel*, Paris, 1953 ; De La Chapelle, *My Ismaïl et les berbères Sanhaja de l'Atlas central*, *A.M.*, N° 27, 1927 ; De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc*, Paris, 1888 ; *Répertoire alphabétique*.


أحمد عمالك

**التادلي، إبراهيم** الرباطي ينتمي إلى جابر بن سليمان صاحب الضريح المشهور بتادلا. وهذا الفرع من التادليين ينتمي نسبه إلى محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أمه هي عائشة بنت صالح الحكموي قاضي الرباط الشهير (ت. 1250).

ولد إبراهيم التادلي في 28 ذي الحجة عام 23/1242 يوليوز 1827. وبعد أن تعلم بمسقط رأسه الرباط رحل إلى فاس فدرس بها خمس عشرة سنة على أيدي علماء القرويين، ومنها ارتحل إلى مكناس حيث التقى ببعض شيوخها وأخذ عنهم قبل أن يرجع إلى الرباط حيث أخذ يدرس بعض العلوم كالطب والتعديل ثم توجه إلى مراكش لينهل من علم بعض شيوخها.

وفي سنة 61/1278. 1862 قصد المشرق حيث اتصل بطائفة من الفقهاء والشيوخ بالأزهر في مصر وبمكة والمدينة. وفي أثناء رجوعه عرج على أوربا، فزار إسبانيا واتصل ببعض العلماء هناك وأخذ عنهم.

وكرر الزيارة إلى المشرق وعرج على بيت المقدس ونظرا لمقدرته العلمية ألقى درسا بالمسجد الأقصى، ثم انتقل إلى بيروت حيث التقى بالشيخ محمد عبده الذي اعتبره من كبار علماء الاسلام. وهكذا تم تكوين إبراهيم التادلي تكوينا متينا داخل المغرب وخارجه، فانعكس على دروسه ومؤلفاته :

ففي فاس كان الشريف الوليد العراقي وأحمد بناني الفاسي من شيوخه الذين أجازوه، كما تلقى العلوم على يد حمدون ابن الحاج والطالب حمدون بن الحاج، ومحمد بن عبد الرحمان السجلماسي حامل لواء مذهب مالك بالمغرب. وأبي بكر الطيب بن كيران والحاج الداودي التلمساني وابن سعد التلمساني وأحمد المرنيسي والمهدي بن سودة، وعبد السلام ابن غالب، والعباس ابن كيران بمكناس، وغيرهم كثير.

وكان ما أخذه عن هؤلاء وعن غيرهم علما غزيرا متنوعا يشمل الفقه وأصوله، والتفسير والحديث والعلوم العربية من نحو وصرف وعروض وبيان ولغة، وهندسة وحساب وهيئة وتوقيت وطب وتعديل ومنطق وفلسفة، ورغم هذا التنوع لم يقنع بما تلقاه بالمغرب فرحل إلى المشرق كما رأينا في الوقت الذي كان المغرب منطويا على نفسه متخوفا من التجديد والتعمق في علوم لم يألفها أو كان يمر بها مر الكرام. وهكذا عمق معارفه بالمذهب المالكي والمذاهب الفقهية الأخرى، فتلقى المذهب المالكي على الشيخ حسن وغيره بمكة وعن الشيخ أحمد دحلان المكي صاحب السيرة المشهورة ومفتي المالكية، وقد أخذ عنه التفسير، وأخذ نفس المذهب عن الشيخ عليش شيخ المالكية بالأزهر الذي سمع منه الحديث. وأخذ المذهب الشافعي عن الشيخ الحمزاوي وغيره. وعن الشيخ جمال الدين الهندي فقيه الحنفية بمكة أخذ التفسير والحديث، وأخذ عن الشيخ الصديق الهندى *صحيح البخاري* بمكة أيضا، بينما تلقن *منهاج النووي* بالمسجد الحرام على الشيخ النحراوي. والتقى

بمكة بالحاج محمد بن دحو الزموري الذي أجازه بسند عال إلى النبي - عليه السلام - وأثناء رجوعه ومروره باسبانيا تلقى دروسا في لغات مختلفة هي الفرنسية والانجليزية والفارسية والتركية.

عندما رجع التادلي إلى بلاده ألقى عصا التسيار بمسقط رأسه الرباط، واعتكف على التدريس أكثر من ثلاثين سنة، وكانت مجالسه اليومية النهارية والليلية تتراوح ما بين خمسة وثمانية.

وأثناء حياته العلمية النشيطة بالتلقن والتلقين لم يتوقف عن الكتابة والتأليف، وزادت تصانيفه عن مائة وعشرين لكن أغلبها لم يكمل، وربما لتوارد الطلبة عليه بكثرة، فكان يضطر إلى إيقاف بعضها ويبتدئ آخر يتناسب والطلبة الجدد إلا أن أغلب هذه المؤلفات ضاع مع الأسف.

زيادة على التدريس والتأليف اشتغل التادلي بالعدالة فكان عدلا كفئا نزيها وقد تعاطاها بالحاح من إخوانه أيام القاضي محمد بن إبراهيم المتوفى سنة 1297 /1880.

أما نشاطه في الكتابة والتأليف فقد شمل ميادين كثيرة مما يعبر عن فضوله العلمي، وبعضها ينم عن رغبة التادلي في التجديد، والبعض الآخر يبلور اعتناءه بتطعيم المتعلمين الشباب عن طريق اختصار بعض المؤلفات والكتابة على الشروح، فقد وضع شروحا على *المقدمة الأجرومية* ليقربها إلى فهم الصبيان، على سبيل المثال. ويلاحظ في كتاباته وتقاليده اعتناؤه بالحواشي فكتب منها في النحو واللغة والاشتقاق، ولم يقتصر في تآليفه على أنواع محدودة من العلوم بل انتقل من علم إلى آخر دون حدود فكتب في الفرائض وأصول الفقه والتفسير والحديث، والسيرة النبوية والبلاغة والمنطق وفي التاريخ والجغرافيا وله شروح في علم التوقيت والتعديل وعلم الجدول، كما كتب في الطب والموسيقى وعلم البحر والرياح والتصوف زيادة على قرضه الشعر.

ففي ميدان التاريخ مثلا كتب عن أرض العراق وأرض الروم والشام، وعن تاريخ العباسيين، واختصر بعض المؤلفات التاريخية مثل *الصفوة* للإفراني و*تكميل الديباج* لبابا السوداني، وله تأليف في الدولة المرينية.

وله في الهندسة حواش على اقليدس، وفي الموسيقى *أغاني السقا ومغاني الموسيقى*.

وفي الجغرافيا كتب حول هيئة الأرض وشرح خطوط الطول وخطوط العرض.

وهكذا تظهر موسوعية هذا العالم الذي قال عنه بوجندار : "أما في الرباط فليس فيه احد إلا وله عليه منة التعليم إما مباشرة أو بواسطة أو بهما معا..."

وقال فيه أبو حامد البطاوري إنه مجتهد العصر بلا نزاع.

لقد أخذ عدد كثير من الطلاب والعلماء عن الشيخ التادلي وخاصة بمسقط رأسه، منهم قضاة أمثال المكي البطاوي المذكور وأحمد بناني وهما من القضاة المشهورين، وزين العابدين بناني وأخوه فتح الله، والأديب أحمد جسوس، ومحمد بن عبد السلام الرندة القاضي ثم الوزير، والهاشمي بن محمد الحجوي الرباطي ومحمد بريبش المتوفى سنة 1898/1316 - 1899. ومحمد بن قاسم گديرة وبنعاشر الجزولي، وعيسى بن مسعود طريدانو الذي جعله استاذه ناظرا على كتبه التي حبسها على طلبة العلم.

وقد اعتنى عدد من هؤلاء وغيرهم بترجمة أستاذهم التادلي ترجمة نجدها في *فهرسة البطاوي* و*طبقات* فتح الله بناني و*كناشة* أحمد جسوس، و*مقيدات* محمد ابن الحسني و*مؤلفات* المهدي متجنوش وغيرهم من المحدثين وغيرهم.

لم يكن التادلي مقتصرا على التأليف والدراية والتدريس والتجوال بل كان منشغلا بهموم وطنه متشبثا بالشريعة، يدل على ذلك موقفان :

أولهما عدم خوفه من الجهر بالحق، ففي عهد السلطان المولى الحسن استدعي التادلي لإحياء ليلة القدر (1302) بالمسجد الأعظم بالرباط بمعية السلطان لكنه اعتذر بالمرض، والسبب هو غضبه مما كان مفروضا على السكان من مكوس (ضرائب غير شرعية) وطلب من الحاجب أحمد بن موسى أن يتوسط لدى السلطان ويستعطفه لإزالة المكوس. وكان التادلي قبل ذلك أي في سنة (1296) قد أغلظ القول في المكس ونهى عنه بمحضر النائب السلطاني محمد بركاش عندما زار بركاش التادلي في منزله، وفعلا استجاب السلطان وحذف المكوس في 13 ربيع الأول عام 1303 / 20 دجنبر 1885.

وهذا يدل على مكانة هذا العالم من جهة، ومن جهة ثانية يدل على دوره في إرجاع الأمور إلى نصابها وتطبيق الشريعة وفي ذلك دفاع عن مصالح الرعية أيضا.

أما الموقف الثاني فيعبر عن اهتمام التادلي بالسياسة وبحال البلاد إبان التكالب الأجنبي عليها. ففي عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني توجه إبراهيم التادلي إلى تركيا حاملا رسالة موقعة من طرف عدد من أعيان مدينة الرباط قصد تمتين العلاقات بين المغرب وتركيا في الوقت الذي كان المغرب والعالم الإسلامي عامة مهددين بخطر الاستعمار. وكان شخص يدعى إبراهيم السنوسي من طنجة قد رشحه السلطان المولى الحسن كسفير بالدولة العثمانية قد أثار في نفس التادلي هم السياسة والخوض فيها.

ورحل التادلي مرة أخرى إلى تركيا سنة 1886 واجتمع مع عدد من الدعاة والمصلحين وكبار العلماء قصد الاطلاع والاستفادة من النهضة الناشئة في العالم الإسلامي آنذاك، وبحث وسائل العلاج لإنقاذه من التدهور والانحلال. وقد لقي عناية فائقة من السلطان العثماني الذي أنزله بقصر خاص.

على الرغم من المكانة الاجتماعية والعلمية للتادلي فإنها لم تشفع له فيما تعرض له من محنة أيام القاضي

عبد الرحمان البريبري المتوفى سنة 1293 / 1876 فقد أمر القاضي بسجن العالم التادلي لسبب لم يتوصل إلى معرفته كل من كتب وروى قصة هذه المحنة، ولكن التادلي لم يكن الوحيد الذي تعرض لهذا النوع من الاستبداد فقد سجن القاضي عددا من علماء الرباط الآخرين.

توفي إبراهيم التادلي ليلة الجمعة 18 ذي الحجة عام 1311 /15 يونيو 1894 ودفن بعد صلاة الجمعة بمحل درسه في المسجد الذي اتخذه بداره وذلك بوصية منه.

وقد خلف أولاد أشهرهم أحمد الذي اشتغل بالعدالة وتوفي سنة 1332 / 1913.

م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط 1987، ص. 245 ؛ ع. الجراري، *أبو إسحاق إبراهيم التادلي*، شخصيات مغربية، 5، الدار البيضاء، 1980 ؛ *من أعلام الفكر بالعدوتين*، 2 : 243 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط 1986، ص 239.

عبد الإله الفاسي

**التادلي، أحمد** بن **عبد الرحمان** الفاسي. فقيه متفنن، إمام في أصول الفقه، مشارك في الأدب والعربية، مستحضر لأحكام النوازل. له شرح على الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، بيض نصفه في ثلاثة أسفار كبار وتوفي والنصف الثاني في مسودته في سفر واحد، وشرح *عمدة الأحكام* في الحديث شرحا حسنا، وله *تقييد مفيد على تنقيح القرافي*. رحل إلى المدينة المشرفة فاستوطنها وولي نيابة القضاء بها، وكان صدرا في العلماء ذا عفة ودين وعبادة.

توفي بالمدينة سنة احدى وأربعين وسبعمائة (741/ 1340).

إ. ابن فرحون، *الديباج*، 1 : 255، ع 139 ؛ السخاوي، *التحفة اللطيفة*، 1 : 168 ؛ أ. الونشريسي، *وفيات*، 111، عام 740 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 1 : 42، ع 49 ؛ مجهول، *طبقات المالكية*، 387، ع 540 ؛ م. القادري، *الاكليل والتاج*، 129، ع 26 تح. مارية دادي ؛ أ. ابن عجيبة، *أزهار البستان*، 98.

مارية دادي

**التادلي، سليمان** بن محمد المرتضى بن محمد الكبير العمراني المراكشي من العمرانيين الذين بدادس، لقيه عباس ابن إبراهيم المراكشي وقال في حقه : "كان صوفيا عارفا فاضلا نبيلا، أعجوبة في حفظ الحقائق واستحضارها، جم المعارف غزير المادة رأيت منه أعجوبة في ذلك، وله قصائد موزونة وملحونة" ( الإعلام، 10 : 131) وأثبت له نص صلاة على *نمط الصلاة المشيشية وجوهرة الكمال*، تدل على توغل في باب المحبة وتمكن في الأسلوب العربي الرصين. أخذ عن العارف سيدي محمد بن أحمد المدعو السيِّد دفين باب سبعة رجال بالموقف داخل باب الدباغ. وتوفي عن نحو ثمانين سنة عشية يوم الجمعة ثامن وعشري ربيع الثاني عام 1329 / 28 أبريل 1911. وهو فاقد البصر.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 10 : 121 - 133 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1329.

**التادلي، صالح** (الحاج محمد .) بن المعطي بن محمد الفاسي. أصله من سوس، ولد عام 1244 / 9 . 1910 وكان أبوه المعطي أستاذا مجودا يؤدب بنات السلطان، فنشأ صالح مقبلا على التعلم، ومن شيوخه العباس بن محمد بن كيران، إلى أن تخرج عالما مشاركا محققا فحل محل أبيه في تعليم الأمراء أولاد السلطان، ثم صار يدرِّس لعموم الطلبة. ولما عين الأمير إسماعيل بن محمد بن عبد الرحمن بفاس نائبا لأخيه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن استوز صالحا التادلي، فلم ينقطع عن التدريس وألف فهرسا ترجم فيها لأشياخه. وظل وزيرا للخليفة السلطاني إلى أن أدركته الوفاة بفاس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الأولى عام 1307 / 6 يناير 1890 ودفن بروضة الشيخ العايدي بالقباب خارج باب الفتوح.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 413 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1307.

محمد حجي

**التادلي، عبد القادر** بن محمد. هو جد شيخ الرباط الشهير إبراهيم التادلي، وقد أرجع محمد بوجندار نسبه إلى الشرفاء الحسينيين كما وصفه بالولي الصالح والاستاذ المؤدب. وذكره صاحب *تاريخ الدولة السعيدة* الضعيف الرباطي فجعله من ضمن الحجاج الذين توجهوا للحج سنة 1182، وذكر ابنه والد إبراهيم التادلي أنه توفى بالوباء، ولا نعلم ما هو نوع هذا الوباء. وقد وجد بوجندار هذا الخبر منقولا بخط ابنه المشار إليه. أما وفاة عبد القادر فكانت في شهر محرم سنة 1214 / يونيو- يوليوز 1799، ودفن بالرباط.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، ص 316؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، ص 401 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص 129.

عبد الإله الفاسي

**التادلي، عبد الكبير** بن محمد الورديغي، من أسرة التادلي الرباطية، كان من العدول، وقد استدعاه المخزن للقيام بوظيفة العدالة في عدد من المراسي، وهكذا رشح عدة مرات لهذا العمل، وقد ورث عن أبيه الفقيه محمد بن عبد الرحمان خطة العدالة، ومعلوم أن أباه هذا المتوفى سنة 1295 / 1878 كان عدلا بالبنيقة المراكشية. وتوفي عبد الكبير سنة 1336 / 1918 بمدينة طنجة.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص 199.

**التادلي، عبد الله** بن محمد الرباطي. ولد في 12 ربيع الثاني عام 1266 /25 يبراير 1850، من تلاميذ الشيخ العربي بن السائح، وكان هذا الاخير قد أذن له بالقيام بوظائف الطريقة التجانية وله أمداح فيها، إضافة إلى أمداح في الشيخ أحمد التجاني والشيخ العربي بن السايح.

وقد قال بوجندار اعتمادا على *كناشة* أبي العباس جسوس ما معناه : إنه كان محل استشارة ونظر الشيخ العربي بن السايح وحامل سره، وكان أديبا صوفيا عارفا بكتب المتصوفة متأثرا بها، وكان بوجندار يجالسه ويناقشه، وقد أشاد بمجالسه وأورد له مطلع أرجوزة له في علم البديع تربو عن مائة وخمسين بيتا مطلعها :

علم البديع حصرت أقسامه ونشرت بين الورى أعلامه

ووصفه محمد بن علي دينيه بالحيسوبي أيضا وقال إنه كان من العدول، وإضافة إلى شاعريته كان مرتعا بالكيمياء. ومن قصائده واحدة أنشدها عند بيعة السلطان المولى عبد الحفيظ في 6 رجب عام 1325 / 15 غشت 1907. مطلعها :

قد بدا عبدُ الحفيظ المرتضى ملكاً ما مثلُه قبلُ ملــكْ
يسأل الإقبال ما تاريخــه ؟ قلت يا إقبالُ بشْر بالملــكْ

وكان المخزن قد رشحه عدلا لإحصاء الترتيب بقبيلة الشاوية. والتادلي هذا هو ابن أخي عالم الرباط الكبير الشيخ إبراهيم التادلي وكان من أساتذته.

توفي عبد الله التادلي في 10 جمادى الثانية عام 1337 /23 مارس 1918 ودفن بضريح أبي الانوار بالرباط.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر بالعدوتين*، ج 2، الرباط 1971، ص 324 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط 1986، ص 320 و321 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، 1987 ص 390 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 448.

عبد الإله الفاسي

**التادلي، عبد الله** بن **محمد** بن عيسى. من أهل مدينة فاس، ولد بها سنة 511 هـ، وأصله من تادلا. كان أبوه من حفاظ المذهب المالكي، وعين مشاوراً بفاس أيام المرابطين.

درس المترجم له بمدينة فاس ولا تقدم لنا مصادر ترجمته أسماء شيوخه في هذه المرحلة. واتباعاً للتقاليد العلمية السائدة آنذاك شد التادلي الرحال نحو الأندلس في أواخر العصر المرابطي لاستكمال دراسته، فتجول في مدنها والتقى بعدد من علمائها كأبي بكر بن العربي المعافري بإشبيلية، لكنه لم يسمع منه لأن فقهاء إشبيلية صدوه عنه للتباعد الذي كان بينهم، وأحالوه على أبي بكر بن طاهر. كما زار ألمرية وصحب بها أبا بكر بن الصائغ الحكيم. ولقي من كبار علماء الأندلس المحدث الشهير ابن بشكوال فأجاز له.وعوّل في حديثه على أبي محمد بن عتاب بقرطبة وأبي بحر الأسدي، وهو آخر من روى عنهما من أهل المغرب، وبسببهما أخذ الناس عنه كثيراً، إذ كان قد انفرد بالرواية عنهما آخر عمره. وصحب أيضا القاضي أبا الفضل عياض وأخذ عنه، وكان من أصحاب ابنه أبي عبد الله محمد بن عياض واعتقل معه، وكانا معاً من أشهر فقهاء تلك الفترة.

حدث عنه جماعة من العلماء منهم أبو عبد الله بن حوط الله الأنصاري وأبو عبد الله الحضرمي وأبو الحسن بن القطان الكتامي وأبو الربيع بن سالم الكلاعي وأبو الحسن الشاري الغافقي.

ولاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قضاء بلده فاس يوم السبت 16 ذي الحجة عام 579 هـ، كما ولي قضاء بسطة من مدن الأندلس، ثم عزل عن القضاء وغرب إلى مدينة مكناسة لأسباب لا نعلمها، وبقي مستوطنا بها إلى أن توفي سنة 597 هـ عن سن عالية، وقد اختل ذهنه من الكبر.

وكان عالما فقيها جليل القدر، ذا حظ وافر من الأدب وقرض الشعر، كما امتاز مدة قضائه بإجراء العدل والصرامة في الأحكام. وكان قيما على *المدونة* يحفظها و"كتبت *المدونة* من حفظه بعد أن أمر الموحدون بحرقها" كما قال بعض مترجميه.

ابن الأبار، *التكملة*، القاهرة، 1955، 2 : 921 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة* (قسم الغرباء)، تح. محمد بنشريفة، نشر ملحقا *بالذيل والتكملة*، الرباط، 8 : 532 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة *الاقتباس*، الرباط، 1973، 2 : 421 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، القاهرة، 1351، ص. 137 ـ 138 ؛ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 8 : 201.

محمد المغراوي

**التادلي، علي** بن إبراهيم من رجال الصلاح والخير الذين ساهموا ـ بدون شك ـ في التثقيف والإرشاد، والتوعية الدينية. ذاع صيته، واشتهر ذكره كأحد مشاهير الصوفية ببلاد فشتالة. والواضح أن اشتهاره بالفضل وحسن الخلق والتقدم في طريق السلوك، وما أثر عن سيرته لم يتعد حدود المنطقة التي ذكرها ابن عسكر في *دوحته* فقد غاب ذكره في كتب التراجم المحلية، وكذا بين أصحاب الشيخ أبي فارس عبد العزيز التباع الذي أخذ عنه وانتفع به.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 95.

**التادلي،** أبو **القاسم** بن أحمد الفاسي. أستاذ مجود، وشيخ صالح ذو كرامات. ذكر صاحب *السلوة* أنه من *العمرين* (البجعديين) وأن له تأليفاً في *تراجم الرجال*.

توفي بفاس في متم ربيع الأول عام 1244 / 10 أكتوبر 1828. ودفن خارج باب الساگمة، وبنيت عليه قبة بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان.

م. الكتاني، *سلوة* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1244.

محمد حجي

**التادلي، محمد الرضي** بن عبد الرحمان بن عيسى السوسي يكنى أبا المكارم، درس بفاس وأخذ علم القراءات عن أبي زيد بن القاضي، وأبي محمد السرغيني، وابن مبارك السجلماسي، وسواهم.

وبعد أن أنهى دراسته على مشايخ فاس، نزل فشتالة وسلخ بها شطرا كبيرا من حياته يعلم كتاب الله ويتدارسه مع تلاميذه وطلابه، وتخرج على يديه كثيرون، وكانت له

شهرة عريضة أيام السلطان المولى إسماعيل ؛ ومن أجل تلاميذه : أبو القاسم بن دري الشامي خاتمة قراء العاصمة المكناسية.

توفي أبو محمد الرضي سنة 1113 / 1701 وخلف مؤلفات في الرسم والقراءات، منها :

1 - *تأليف في الرواية المأخوذ بها في القراءات السبع،* لخص فيه كتاب *بيان الخلاف والتشهير*، وما وقع في *الحرز* من الزيادات على *التيسير* - لشيخه ابن القاضي، وأضاف إليه إضافات، وقواعد وتنبيهات ؛ والكتاب مفيد جدا، أبان فيه مؤلفه عن إلمام واسع بهذا الفن ، وتحرير عجيب لمسائله وقواعده. 2 - *تأليف في رسم القراء السبعة* - غير نافع في سوى الهمزتين،والغريب أن الرجل أملى هذا الكتاب من حفظه، ولم يكن بين يديه إلا الإعلان الذي هو كالتكملة لمورد الظمآن تأليف أبي محمد ابن عاشر الأندلسي الفاسي. 3 - *رسالة في اختلاف روايتي البزي وقالون في قراءة ابن كثير*. 4 - *مصابيح الرسام القارئين للسبعة الأعلام* - أرجوزة في الموضوع، شرحها بعضهم شرحا وسطا. 5 - *أجوبة في القراءات*. 6 - *رمز قراءات الأئمة السبعة المشهورين*. 7 - *شفاء الأسقام الواقع لكثير من قراء الأنام*.

م. الدليرو - م. بوخبزة، *فهرس مخطوطات خزانة تطوان* - قسم القرآن وعلومه ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

**التادلي، محمد** بن عبد الرحمان. ينتمي إلى قصبة تادلا ، وقد لقبه بوجندار بالودغيري ووصفه بولي الله نظرا لما عرف عنه من نسك وطيبوبة، وبكونه أستاذا أديبا مؤدبا كما ذكر أنه أستاذ الوزير أحمد بن موسى وأول مشايخ الشيخ الرباطي الشهير القاضي المكي البطاوري، وقد تعلم على يديه النحو والتصريف، كما وصفه بخفة الروح وليونة الجانب، وهو معروف بإذخار الكتب الغريبة وبالبحث عنها مع التغالي في اقتنائها، توفي عام 1296 / 78 - 1879.

م. بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، 1987، ص 196.

عبد الإله الفاسي

**التادلي، يحيى** بن عيسى، أو بن عمر، بن عبد الرحمان المعروف بالزيات، والد يوسف التادلي مؤلف *التشوف*. قضى يحيى التادلي حياته في مدينة داي حاضرة تادلا القديمة، ولا نعرف شيئاً عن دراسته ولا مبلغ عمله، إلا ما رواه ولده يوسف عنه في *التشوف* في مواضع متفرقة، وهي روايات متنوعة تحتوي على إفادات تاريخية وإنشادات أدبية وصوفية، تدل بالجملة على علم واطلاع ودقة ملاحظة. ويمكن القول إن ما كتبه صاحب *التشوف* في ترجمة فقيه داي التاجر أبي يعقوب يوسف المؤذن إنما رواه عن والده يحيى الذي عاصر المؤذن وعرفه عن قرب وقال عنه إنه ظل يؤذن بصومعة داي أربعين سنة ما طلع الفجر إلا وهو على الصومعة.

وبعد خراب داي في بداية عهد الموحدين، انتقل يحيى التادلي مع كثير من بلديِّيه أهل داي إلى مراكش وسكنوا مجتمعين في جانبها الشرقي، وكان ابنه يوسف ما زال صغيراً فكان يأخذه معه لمجالس الشيخ أبي العباس السبتي، ويَكِلُ أمر تعليمه إلى أحد المهاجرين التادلين وهو الشيخ يحيى بن أبي بكر المدعو مع الله.

لا نعرف تاريخ وفاة يحيى التادلي وإنما نفترض أنه مات بمراكش في أواخر القرن السادس الهجري.

ي. التادلي، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، في أماكن متعددة ؛ م. عريوش، *من أعلام منطقة تادلة وبني ملال*، 2 : 27 - 28.

محمد حجي

**التادلي، يوسف** بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمان المعروف بابن الزيات. والتادلي نسبة إلى السهل المعروف في المغرب بين مراكش ومكناس. كانت قاعدته مدينة داي التي اشتهرت عند الجغرافيين. ويبدو من ثنايا كتاب *التشوف* للتادلي أن والده كان مقيما بهذه المدينة أو ظل على صلة بها ، ولعل رحيل أسرته عنها مرتبط بتشتت أهل تلك الجهات على إثر فتنة لا نعرف عنها الكثير وقعت في آخر العقد السادس من القرن السادس الهجري. والتادلي فقيه أديب قاض. توفي قاضيا بركراكة أي جهات الصويرة الحالية عام 627 أو 628 هـ (1230 م). لقي عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصاري المحدث الحافظ الشاعر النحوي مؤدب محمد الناصر بن يعقوب المنصور الموحدي. ولقي محمد بن عبد العزيز بن خلف اللبلي حافظ اللغات والتواريخ والأشعار الذي نقله المنصور الموحدي وأنزله للتدريس في جامعه الأعظم بمراكش. وأخذ التادلي عن عيسى بن عبد العزيز الگزولي وكان من أقطاب العربية بمراكش في ذلك العصر. وأخذ عن أحمد بن بقي الأموي القرطبي الذي ولي بمراكش خطتي القضاء والمظالم والكتابة العليا.

وقد أثمر أخذ التادلي عن هؤلاء الشيوخ متانة في العربية تظهر في أسلوبه "الجاحظي" الملموس في مقدمة كتابه *التشوف إلى رجال التصوف*. بل إن علو كعبه في العربية أقدره على وضع هذا *الشرح* الذي لم يصل إلينا *لمقامات الحريري* والذي وصفه الحضرمي الذي ينقل عنه أحمد باب التنبكتي وصفه بأنه شرح نبيل.

ذكر ابن عبد الملك المراكشي في سفر الغرباء من *الذيل والتكملة* ذكرا عارضا التادلي ووصفه بالتاريخي. ولو دخل الأندلس لكانت له ترجمة كاملة في هذا السفر. وقد نسبت للتادلي أربعة كتب أحدها عن صلحاء المغرب غير كتابه *التشوف* ولم يصل إلينا ، وثانيها شرح لمقامات الحريري لا يعرف له وجود لحد الآن. أما الكتابان المعروفان للتادلي فهما *التشوف إلى رجال التصوف* وقد ألفه عام 617 هـ (1220 م). وجمع فيه بالرواية المسندة أخبار مائتين وسبعة وسبعين من الرجال المعتقد فيهم الصلاح، من أهل المغرب،

ولا سيما من جهات مراكش. منهم المشاهير ومنهم المغمورون ومنهم المجاهيل. عرف ابن الزيات عددا منهم. أما التأليف الرابع المعروف للتادلي فهو *رسالته في أخبار الشيخ أبي العباس السبتي* الشهير بمراكش (انظر بلعباس، في هذه *المعلمة*).

أسدى التادلي خدمة جلى لتاريخ المغرب الديني بتأليفه في المناقب سيما بجمعه لأخبار متصوفة من أهل مراكش وجهاتها ليس من السهل لولا كتابه أن تتصور حياتهم تحت ظل عصابة الموحدين. والتادلي مسبوق في التأليف في المناقب المغربية بعقدين أو ثلاثة عقود إذا عرفنا أن أول كتاب معروف في الموضوع هو كتاب *المستفاد* الذي خصصه التميمي لصلحاء جهات فاس وعبادها. ولما اكتشفت قطعة من هذا الكتاب مؤخرا تبين أن التأليف في هذا النوع أنضج عند التادلي، وأنه من غير المستبعد أن يكون قد اطلع على كتاب التميمي، بل ولربما ألف *التشوف* ليعتني بصلحاء جهات لم يعتن بها التميمي وإن كان لهما مترجمون مشتركون.

تتبع التادلي أخبار أهل الصلاح وتوثق منها وعاين من استطاع أن يعاينه منهم كأبي العباس السبتي وغيره. وليس لدينا ما يدل على أنه اتخذ شيخا أو صحب أحد الشيوخ صحبة إرادة. بيد أن هذا المصطلح لم يتضح بعد اتضاحا كاملا في مغرب ذلك العصر، بل كانت الخدمة مصدر الفلاح على أيدي الشيوخ، ولم ترد إلينا معالم في طريقة الأوراد. غير أن التادلي وصف الكرامات وصف موقن ووضع أشعارا على أحوال وضعا ينم على تواجد وتخمر.

ليس من المستبعد أن يكون التادلي قد ولد بركونه من جهات رگراگة بعد أن رحل إليها والده من تادلة. ولعله إنما دخل مراكش للتعليم، وقد سكن منها الجانب الشرقي، وذلك لأنه يذكر المعلم الذي حفظ على يديه القرآن الكريم وهو أبو زكرياء يحيى بن أبي محمد بن مع الله، وهو تادلي آخر سكن هذا الجانب الشرقي الذي يظهر أنه كان حيا عامرا بالتادليين لأنه يوالي جهتهم من حيث الموقع ولأن الاندماج حتى داخل المدينة يكون بمجاورة أهل القبيل أول الأمر. ولربما كانت للتادلي أواصر أخرى بجهات رگراگة التي يظهر أنه يعرفها جيدا، أو لعله تعشقها لكثرة صلحائها وفيها كان ينعقد مجمع رباط شاكر الذي خرج إليه التادلي أكثر من مرة. والمؤكد أن التادلي كان قاضيا برگراگة تلك دون تحديد لقاعدة البلد التي كان فيها عندما أدركته الوفاة. وليس لدنيا ما يؤكد أن جثمانه نقل إلى مراكش ودفن بها في قبة تحتها قبر الشيخ الفران والشيخ البربوشي.

ي. التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، تح. أ. التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط 1984.

أحمد التوفيق

**تَادْنِيسْتْ**، أو تَدْنِيسْتْ من أقدم مدن حاحة ومن الحواضر والقرى الكثيرة التي اندثرت بالمغرب بعد القرن السادس عشر، ولم يبق منها ما يدل بدقة على موقعها.

وقد اعتقد ناشر الوثائق البرتغالية بسلسلة (دوكاستر) الشهيرة بأن تادنيست كانت بالموقع الذي توجد به زاوية سيدي عبد الله بن واسمين، بالشياظمة، قرب ثلاثاء الحنشان. (ج 1 : 268 هـ 1).

وذكرابن خلدون أن تادنيست كانت مقر إقامة شيوخ حاحة، وانفرد الوزان بعده بالحديث عن المدينة وأثنى على رونقها وجمالها. أما مارمول فقد أشار إلى تخريبها في عهد يعقوب المنصور الموحدي لموقف سكانها المعارض.

وتقع تادنيست بسهل يحاذيه نهر أعطى المدينة حزاما مهما من الحقول والبساتين، وكانت في مطلع القرن السادس عشر محاطة بسور منيع من الآجر والطين أشار الإخباري البرتغالي (دوگويش) إلى مناعته.

وكان السور المذكور يحيط بحوالي خمسمائة دار، كان خمسها بيد اليهود. وفضلا عن الزراعة وتربية الماشية، احترف سكانها التجارة، خصوصا في الأثواب المستوردة من لدن البرتغاليين، بينما احتكر اليهود الصياغة وضرب السكة. وبهذا العدد من السكان، كانت تدنيست أقرب إلى قرية منها إلى الحاضرة، وكانت في مستوى بولعوان بدكالة، أو أزجن قرب وزان الحالية، ودون كبر تگاوست بمشارف الصحراء (8000 كانون) أو أزمور (5000).

وازدادت أهمية المدينة باستقرار القائم بأمر الله وابنه أحمد بها سنة 1513م، بطلب من أهلها. وإذا كانت المصادر المغربية (الإفرني، 16) تشير إلى أن الاستقرار تم بأفغال، قرب ضريح الإمام الجزولي، فإن الوثائق والمصادر البرتغالية تؤكد أنه تم بتادنيست. وكانت الغاية من الاستنجاد بالقائم بأمر الله هي تأطير الجهاد بمنطقة وصلها النفوذ البرتغالي منذ يناير 1512م ( *دكالة*، 506 ـ 508). وبالطبع لم يطمئن برتغاليو أسفي وحليفهم يحيى أُتعففت إلى ذلك.

ولمنع الشرفاء من نسف المكتسبات البرتغالية جنوب نهر تانسيفت والاتصال بعبدة، التي كانت أكثر القبائل الدكالية خضوعا ليحيى المذكور، تقرر الهجوم على تادنسيت. وتم ذلك خلال فبراير 1514. وقد جند البرتغاليون لهذه الحملة أكثر من ألف محارب من حامية أسفي و2700 من رجال يحيى، بينما كان أنصار القائم بأمر الله يتجاوزون 4000 محارب. ولم يطل الصدام، وانتهى بتراجع أنصار القائم بأمر الله وانسحاب سكان تادنيست إلى الجبال المجاورة، الأمر الذي سمح للبرتغاليين وحلفائهم بدخول المدينة والاستيلاء على عدد كبير من الأسرى والغنائم.

ويفهم من كلام مارمول أن المدينة استعادت سكانها ونشاطها السابق، وإن بقيت حسب تعبيره دون تحضر باقي المدن، وكانت المرافق الأساسية من حمامات.وفنادق ومستشفيات ومدارس منعدمة بها. (2 : 103) ولا نعرف الظروف التي خربت فيها المدينة ولا متى تم ذلك.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 77.77-79 ؛ ك. مارمول، *إفريقيا*، 2 : 9-11.

R. Ricard, *Les Portugais au Maroc*, pp. 113 - 115 ; *S.I.H.M., Ière Série, Portugal*, Tome 1, p. 268, n° 1 et V (index).

أحمد بوشرب

**تاديغوست**، واحة تقع بين الرشيدية وكلميمة. يخترقها واد غريس. حيث تمتد على ضفافه مجموعة من القصور تكون واحة تاديغوست. ومن أهم هذه القصور الحارة وأيت موجان. يقطن بقصور تاديغوست قبائل أيت مرغاد وعلى الخصوص فرع أيت عيسى إزم. ويعتمد سكان هذه الواحة على النشاط الزراعي حيث إن المساحات المزروعة في الواحة ضيقة، الأمر الذي يتطلب عناية الفلاح المستمرة بالأرض طيلة السنة. وإلى جانب الزراعة هناك حياة الترحال وراء الماشية. وقد كان النزاع حول المراعي سببا في ظهور نزاعات ظرفية بين أيت مرغاد وأيت عطا. ومن أشهرها معركة تيلوين على مقربة من تاديغوست.

ونظرا للاهمية الاستراتيجية لواحة "تاديغوست" في اتجاه كلميمة وفركلة وتدغة من جهة والرشيدية من جهة أخرى فقد كانت القيادة العسكرية الفرنسية تولي أهمية قصوى لاحتلالها خاصة وانها تأوي أهم زعماء المقاومة مثل زيد أسكونتي وغيره من أبطال أيت حمو الذين التجؤا إلى تاديغوست بعد احتلال تالسينت وبعد معارك تاردة التي دارت في غشت 1930 على مقربة من تاديغوست وانتهت بإلحاق الهزائم بالجيوش الاستعمارية (أنظر *تاردة*). وهكذا تم الاعداد بشكل دقيق لاحتلال واحة تاديغوست، على المستوى العسكري تم تجنيد قوات ضخمة مجهزة بأسلحة مختلفة.

وتم تحديد يوم 18 نونبر سنة 1913 للقيام بالهجوم بعد حشد هذه القوات في أماكنها.

وقد وجدت القوات الاستعمارية المغيرة مقاومة شديدة كبدت جيوش الاستعمار خسائر فادحة منها مقتل الكولونيل لونوار Colonel Lenoir، وإلحاق هزيمة بقواته. فاضطر قائد العمليات في الجنوب الشرقي الجنيرال جيرو Le Général Giraud إلى زيارة المنطقة وأصدر أوامره لمحاصرة المقاومين في منخفض تيفوناسين وقاد هذا الهجوم الأخير النقيب كوليس Capitaine Gaulis الذي يعرف المنطقة جيدا لاستقراره بقصر السوق كضابط للشؤون الأهلية وتمكن من تحقيق تقدم للقوات الاستعمارية المغيرة.

وقد سلك المقاومون أمام تدفق القوات الاستعمارية في طوابير لا تكاد تنتهي، سلكوا طريقة حرب العصابات ومباغتة القوات الاستعمارية. ولم يتمكن الغزاة من احتلال قصور تاديغوست إلا يوم 20 نونبر سنة 1931 بعد معارك ضارية وبعد احتلال المناطق المشرفة على الواحة مثل عرف تيمطروت الذي يطل على مضيق غريس الهام. وكان احتلال تاديغوست إيذانا باحتلال قصور غريس وفركلة وتدغة، فأصبحت المجابهة المسلحة وشيكة بين الجيوش الاستعمارية وقبائل أيت عطا والتي دارت رحاها في قلب جبل صغرو في فبراير مارس 1933.

وقد أقيم في تاديغوست مكتب للشؤون الأهلية لمراقبة تحركات قبائل أيت مرغاد وكان على رأسه الملازم پنفونتونيو Lieutenant Penfentenyo الذي اغتيل من طرف المقاومين لعلمهم بدوره، وسرعان ما عوض بالنقيب "جاك مونجو" Jacques Montjean ووضع لحراسة الحركة خمسة وخمسين من الجنود الفرسان إلى جانب جماعة أخرى من الاحتياطيين وهكذا لعب هذا الضابط دورا أساسيا في "تهدئة" المقاومة بتاديغوست إلا أنه لم يتمكن من إسكات نداء زايد اوسكونتي الذي أعلن الجهاد في جبل "بادو" خلال شهر غشت سنة 1933 والتحقت به جموع المقاومين من قصور تاديغوست التي دعت تقارير ضباط الشؤون الأهلية أنها استسلمت نهائيا.

Colonel Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs*, Paris, 1939 ; Colonel J. Saulay, *Histoire des Goums marocains*, T. 1, Paris, 1981 ; Colonel M. Méraud, *Histoire des A.I.*, Tome 2, Paris, 1990.

عبد القادر بوراس

**تَارْبَاعْتْ**، أو الشركة بالربع، مثل تاخماست (الشركة بالخمس) صنف من أصناف التعاقد الزراعي التقليدي بالمغرب، يهم الأراضي المسقية حيث تغرس الخضر وأشجار الفواكه. وهي عقدة كتابية في الغالب يقدم بمقتضاها الرباع صناعته وخدمته مقابل ربع المحصول أو أكثر حسب ما تم عليه الاتفاق. وفي الحالة الأولى، يتسلم الرباع من صاحب الأرض هدية عبارة عن كسوة وقسط من الجواب. وبإمكان الربع أو يقيم مسكنا له بالبستان قصد حراسة الغلة.

عبد الجليل حليم

**التارختي**، مبارك بن علي بن إبراهيم المصمودي. وعائلته من أقدم العائلات المصمودية التي قدمت إلى فاس، وقد عرف بينهم بالعلم والصلاح. وأول قادم منهم هو مبارك بن علي - صاحب الترجمة - كان فقيها صالحا، عرف بزهده في الدنيا، لايتزيّى بزي الفقهاء ويلبس الصوف الخشن. أخذ في أول أمره عن شيوخ المصامدة ثم أخذ عن جماعة من شيوخ فاس كاليستيني وعلي بن هارون وعبد الواحد الونشريسي. وكانت مجالس درسه بجامع الأندلس، واشتهر بتدريسه *لمختصر خليل*، أخذ عنه عدد كثير من علماء فاس مثل عبد الواحد الحميدي وأحمد المنجور وأبي المحاسن الفاسي وأحمد ابن القاضي...

توفي التارختي عن سن عالية بمدينة فاس سنة 980 / 72.1573

أ. المنجور، *فهرس*، 78 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 334 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*، 10 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، 348، د. د. ع، كلية الآداب، الرباط 1992 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 46 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 290 ؛ ع. الكتاني، *زهر الآس*، 380.

حفيظة الدازي

**تاردة**، هضبة تنتهي بحافات تطل على وادي غريس وتقع بين الرشيدية وگلميمة، اشتهرت بمعارك ضارية ضد جيوش الاحتلال الفرنسي خلال شهري ربيع الأول - ربيع الثاني عام 1349 / غشت 1930 حقق خلالها المقاومون انتصارا ساحقا على الجيوش الاستعمارية، وبرز خلال هذه المعارك البطل زايد أسكونتي سابق الترجمة الذي تمكن بخصاله الحربية ومهارته القيادية من تنظيم قبائل أيت مرغاد وخاصة خمس أيت عيسى وقبائل أيت حمو، وكانت له مع الاستعمار الفرنسي عدة مجابهات في مختلف المناطق من أعالي نهر زيز وغريس وواحات تافيلالت.

ففي غشت سنة 1930 كان مكتب الشؤون الأهلية بقصر السوق (الرشيدية حاليا) يتتبع عن كتب تحريات قبائل أيت مرغاد وآيت حمو. وعندما علم أن هذه القبائل الرحل قد

تاردة

جانب من العتاد الحربي الفرنسي لإخماد مقاومة الأطلس الكبير

استقرت بهضبة تاردة استنفر كل الجنود الموجودين بحامية سيدي عبد الله قرب قصر السوق بالإضافة إلى بعض عملائه من المرتزقة. فالتحقت هذه الجيوش بهضبة تاردة وحاصروها نهارا. وفي الليل هاجموا بكل وحشية مخيم آيت حمو وأبادوا عددا كبيرا منهم فقام الذين نجوا بأعجوبة بإرسال "رقاص" إلى المقاوم زيد أسكونتي الذي كان آنذاك بالحارة على مقربة من تاديغوست.

وفي ظرف وجيز جدا تمكن أسكونتي من استنفار القبائل للجهاد لدرجة أن الجيوش الاستعمارية لم تتمكن من مغادرة تاردة التي ارتكبت فيها مذابح وحشية، وفوجئت بنحو أربعمائة من المقاومين يحاصرونها من كل جهة، وجرت معركة ضارية قتل خلالها الضابط قائد الغزاة من درجة "ليوطنان" وارتبك الجيش الاستعماري الذي عملت فيه أسلحة المجاهدين عملها، ولقيت الفلول المنهزمة في طريقها مددا من مجاهدي أيت مرغاد الذين كان أسكونتي قد استنفرهم، فطوقوهم في حوض "وين إيواليون" وتمت إبادة الطابور الفرنسي المغير بعد أن انتقلت المعركة من المجابهة المسلحة إلى العراك بالأيدي واستعمال السلاح الأبيض. فصدقت بذلك فراسة أسكونتي الذي كان قبل ليلة المعركة يجيب الذئاب العاوية في البرية بقوله : "اصبر أيوشن، هان أساوين إو اليون هان أسكا، وين إفليون أر وين إيواليوين أسكا تشبعت أكسوم" ومعناه : اصبر أيها الذئب ! اليوم يوم جدال وكلام ! وغدا يوم قتال بالسكاكين! ستشبع فيه من أكل اللحوم البشرية في وين إيواليون.

كانت خسائر الجيش الاستعماري في معركة تاردة فادحة بلغت حوالي ثمانين من القتلى الجنود، وثلاثة ضباط، إضافة إلى مئات الجرحى. ومازالت الجماهير الشعبية في واحات غريس وفركلة وزيز وتافيلالت تحتفظ بذكريات انتصارات تاردة وخاصة معركة منخفض وين إيواليون وتؤرخ بها كعام الفيل.


محمد المعزوزي وهاشم العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1950 إلى 1935 ؛ تحريات ميدانية*.

J. Saulay, *Histoire des Goums Marocains*, Tome 1, Paris, 1981 ; *Rapport des Lieutenants Le Conte et de Hautecloque : Combat de Tarda 31 Août 1931* ; A. Bouras, *L'opinion*, 21 Mai 1987.


عبد القادر بوراس

**تَارْدِيكْتْ** الراحلة، اكتشف هذا الموقع الباحث لوكوانتر سنة 1930 الذي قام بدراسة جيولوجية له، ثم توالى عليه من بعد عدة باحثين كبيبيرسون عام 1961، وشوبير وفوري موري ولوكوانتر (سنة 1966) والسعيدي عام 1974 والهجراوي (عام 1985).

يقع على بعد بضع كيلو ميترات شمال غرب مدينة تيفلت، وهو يمتاز بمنظر طبيعي جذاب وغير مألوف بالمنطقة (انظر الصورة رقم 1) وهو ناتج عن وسائل التعرية وخاصة ماء المطر الذي يجر معه الكثير من التربة المفتتة، ويمكننا أن نشبه المنظر بأعمدة طبيعية مستدقة الرأس مختلفة العلو مع انحداره تدريجيا، وذلك مما جعل بعض سكان المنطقة يطلقون عليها اسم "العروسة الممسوخة".

وحسب بيبيرسون فان الطبقة الجيولوجية المحتوية على الأحجار الصلبة أعطت اثنتين وعشرين أداة تعود إلى أقدم حضارة معروفة بالمغرب ألا وهي حضارة الحصى المقسمة إلى أربع مراحل. واتخذ الموقع كنموذج للمرحلة الأولى (المرحلة القديمة). غير أن وقوفنا على عين المكان في بداية الثمانينات، ومراجعة دراسة المستوى "الأركيولوجي" وكذا مختلف الأدوات المستخرجة منه والموجودة بالمتحف الأثري بالرباط أمور بينت لنا أن مختلف النحوت الظاهرة على هذه الأحجار ناتجة عن التصادم فيما بينها أثناء تنقلها. وهكذا فهذه الأحجار لا تمثل في أي حال من الأحوال أدوات صنعها أو استعملها الإنسان القديم. ورغم أن الموقع لم يعد يعتبر حاليا موقعا أركيولوجيا، فان أهميته تتجلى في الدور الذي لعبه في تاريخ دراسة فترة ما قبل التاريخ بالمغرب، لأنه اعتبر إلى زمن غبر بعيد كنموذج لمرحلة من مراحل هذه الفترة القديمة.

نذكر بهذا الصدد أن مراحل حضارة الحصى التي رسمها بيبيرسون (1961) تمت إعادة النظر فيها مؤخرا (انظر حضارة الحصى حرف الحاء من *معلمة المغرب*).

P. Biberson, *Le paléolitique inférieur du Maroc atlantique*, Pub. Serv. Antiq. Maroc, t. 17, 1961 ; P. Biberson, G. Choubert; A. Faure-Muret et Lecointre, *Contribution à l'étude de la Pebble-culture du Maroc atlantique*, *B. A. M.*, t. III, 1960, pp. 7 - 53 ; M.A., Elhajraoui, *Les industries préhistoriques de la région de la Mamora dans leur contexte géologique et paléopédologique*, thèse de 3ème cycle, Univ. Bordeaux I, 1985 ; G. Lecointre et G. Depepin, *Etudes géologiques dans la région paléozoîque comprise entre Rabat et Tiflet, Sehal et Belkacem*, *Notes et mem. Serv. des mines et géol.-Maroc*, n° 28 ; E.K., Saidi, *Etude géomorphologique de la région de Tiflet et des conditions morphostructurales et sédimentologiques de genèse de la formation de la Mamora*, thèse de 3ème cycle, Rabat, 1974.

عبد الجليل الهجراوي

**تارشني**، أبو عبد الله محمد بن تيفاوت اللمتوني. ذكره البكري باسم محمدالمعروف بتارشني ( *المغرب*، 164) وابن أبي زرع بأبي عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشتا ( *القرطاس*، 121) وابن خلدون بأبي عبيد الله بن تيفاوت المعروف بتاشرت ( *العبر*، 6 : 242) وابن الخطيب بمحمد بن تيفات ( *أعمال الأعمال*، 3 : 226) والناصري بأبي عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتاسرت ( *الاستقصا*، 2 : 5). وقد اتفقت هذه المصادر مجتمعة على أنه من قبيلة لمتونة باستثناء ابن الخطيب الذي نسبه لقبيله لمطة.

وهو من بني ورتنطق من لمتونة أصحاب الزعامة في صنهاجة الرمال أي صنهاجة الجنوب التي تضم القبائل الرئيسية التالية : لمتونة، جدالة، لمطة، جزولة، تارگا مسوفة. وقد أوردت كتب التاريخ بعض أخبار أمراء صنهاجة من بني ورتنطق اللمتونيين في القرنين الثالث والرابع الهجريين (9. 10 م) كيتولوتان بن تلاكاكين الذي عم نفوذه مناطق شاسعة من صحراء بلاد المغرب فكان عمله مسيرة ثلاثة أشهر في مثلها حسب رواية البعض ( *القرطاس*، 121)، ودان له أكثر من عشرين ملكا من ملوك بلاد السودان الغربي وكانوا يؤدون له الجزية (*المغرب*، 159 ؛ *العبر*، 6 : 241). وقد توفي يتولوتان سنة 222 / 837 بعد أن دامت أيامه نحوا من ثمانين سنة فتوراثت سلالتُـه الملكَ من بعده، منهم خلفه حفيده الأثير بن الفطر 222 . 287 / 837 . 900، ثم تميم بن الأثير 287 . 306 / 900 . 918 الذي ثار عليه الأشياخ وقتلوه فافترق أمر صنهاجة الرمال بعده مدة مائة وعشرين سنة أي إلى تاريخ 426 / 1035 وهي السنة التي تولى فيها أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشني زعامة صنهاجة.

كان تارشني من أهل الفضل والدين والحج والجهاد ( *المغرب*، 164) اختاره صنهاجة للزعامة بعد تفرقتها ليقودها في حروبها ضد مملكة غانا. فمن المرجح أن تفرقة صنهاجة بعد تميم بن الأثير كانت لها علاقة وطيدة بالقوة والازدهار الذي عرفته مملكة غانا في القرن الرابع الهجري (10 م) (*Histoire de l'Afrique Noire*, 112) خاصة وأن فترات القوة بالنسبة لصنهاجة الجنوب كانت تصاحبها عمليات توسع عسكرية على حساب مناطق نفوذ الزنوج كما هو الحال في النصف الأول من القرن الثالث الهجري (9 م) على عهد يتولوتان، أما فترات ضعفها فيصاحبها رد فعل غانا وتوسعها في اتجاه الشمال بهدف الوصول إلى السيطرة على ملاحة أوليل الواقعة في مجالات جدالة القريبة من مواطن الزنوج أو ضمان استمرار السيطرة على مدن الحافة الجنوبية للصحراء وعلى رأسها مدينة أودغست.

لقد ذهب البعض إلى القول بأن سياسة صنهاجة تحت قيادة تارشني كانت تقضي بمواصلة الجهاد في الجنوب ومدافعة ممالك السودان والمحافظة على طرق التجارة الصحراوية بأية وسيلة لكن هذا الغرض لم يتحقق بسبب قصر مدة حكم زعيم هذاالحلف (*قيام دولة المرابطين*، 103) فقد قتل تارشني في حروبه ضد غانا بموضع يقال له قنغارة أو بغارة على مقربة من مدينة بانكلا بين أوتاتكلاتين التي يسكنها قبيل من صنهاجة يعرفون ببني وارث ( *المغرب*، 164 ؛ *القرطاس*، 121). ولا نعرف مكان هذه المواضع في المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى لأن المصادر الجغرافية والتاريخية الإسلامية التي نستقي منها معلوماتنا عن بلاد السودان في العصر الوسيط اكتفت بالنقل عن البكري في غالب الأحيان دون إضافات تساعد على توطين الأماكن وضبط مواقعها. كما أن ما توصلت إليه التنقيبات الأثرية لا يساعد لحد الآن على معرفة مواقع جميع المدن والقرى التي ذكرها الجغرافيون ببلاد الصحراء وبلاد السودان على حد سواء. وعليه، فإنه من الصعوبة بمكان تحديد المنطقة التي وُجد بها موقع قنغارة أو تاتكلاتين على ضوء معارفنا الحالية.

حكم تارشني ثلاثة أعوام حسب أغلب الروايات (*القرطاس*، 121 ؛ *العبر*، 6 : 242 ؛ *الاستقصا*، 2 : 5) وفي رواية أخرى خمسة أعوام (*جامع تواريخ فاس*، من خلال قيام دولة المرابطين، 102). ومهما كان في ذلك من اختلاف فإن يحيى بن إبراهيم الجدالي الذي تولى الزعامة بعد تارشني خرج من بلاد الصحراء لأداء فريضة الحج والتقى في طريق عودته بأبي عمران الفاسي في القيروان وطلب منه أن يعين له من تلامذته من يرافقه إلى الصحراء ليقيم أحكام الشريعة بها ويعلم صنهاجة أمور دينها. فدله أبو عمران على وجاج بن زلو اللمطي صاحب رباط أگلو ثم عين له الأخير عبد الله بن ياسين الجزولي الذي ابتدأت معه مرحلة جديدة من مراحل تاريخ صنهاجة الجنوب. فيكون لقاء يحيى بن إبراهيم بأبي عمران الفاسي قد تم قبل وفاة هذا الأخير سنة 430 / 1039 (*دور المرابطين*، 55) أما خروجه من الصحراء بغرض أداء فريضة الحج فكان سنة 429 / 1038 أي في نفس سنة توليته إثر استشهاد تارشني في حروبه ببلاد السودان الغربي.

أ. البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 1988 ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، الرباط، 1934 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 2، الدار البيضاء، 1954 ؛ ح. أحمد محمود، *قيام دولة المرابطين*، القاهرة، 1957 ؛ ع. دندش، *دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا*، بيروت، 1988.

J. Ki-Zerbo, *Histoire de l'Afrique Noire*, Paris, 1978.

حسن حافظي علوي

**تَارگا**، اسم مفرد، جمعه "تيرگيو" أو "تيرگوين"يعني الساقية الكبيرة التي شقها الإنسان لجر المياه، وقد تطلق تارگا كذلك في بعض المناطق الصحراوية على الجداول الطبيعية التي لا تجري فيها المياه إلا عند نزول الأمطار. والكلمة منتشرة انتشاراً واسعاً في المجال الأمازيغي بمعناها الحقيقي وكأسماء أعلام جغرافية وبشرية.

فقد ذكر البكري أن بنواحي مسيلة بالجزائر : "مدينة للأُول خربة يقال لها بشليقة، فيها جدولان من ماء عذب جلبه الأُول إليها يقال لها تارقا نوودي (تارگا ـ ن ـ وودى)، تفسيره ساقية السمن...".

وقال صاحب *الاستبصار*، نقلا عن البكري : "ومن أراد الدخول من وادي درعة إلى بلاد السودان، غانة وغيرها، فيمشي من وادي درعة نحو خمسة مراحل إلى وادي ترجا (تارگا)، وهو في أول الصحراء ..."، ومعنى هذا أن ما يسمى اليوم.. الساقية الحمراء هو ترجمة حرفية لاسمها الأصلي "تارگا زگواغن...

والجدير بالذكر أن قرية تسمى "تارگا ـ ن ـ يزگواغن" توجد إلى اليوم قرب تافينگونت بعمالة تارودانت.

ويبدو أن التارگيين المعروفين بوسط الصحراء الكبرى، اكتسبوا اسمهم من اسم بلدهم الأصلي "تارگا" الذي في منطقة فزان بليبيا. وعن هؤلاء كتب عبد الوهاب بن منصور، ما يلي : "تارگة بجيم بدوي إحدى قبائل الملثمين بالصحراء، والنسبة إليها تارگي، جمع توارگة وتوارگ، والاسم الأخير حرفه تراجمة الشرق إلى طوارق..."

وإذا أثرنا موضوع "تارگا" كمؤسسة اجتماعية ذات أهمية قصوى في حياة الجماعات المستقرة في كثير من أرجاء شمال افريقيا، فان ذلك لا يمكن أن يكون إلا إشارة سريعة إلى موضوع هام وشاسع يبدو أنه لم يحظ بعد باهتمام خاص من قبل الباحثين في مجال التاريخ الاجتماعي بالمغرب. انه موضوع تاريخ الري بالمغرب، والذي تعتبر فيه "تارگا" كموجود ملموس وكمؤسسة اجتماعية بالغة الأهمية في حياة الجماعة، عنصرا حساسا يعكس بما يثير حوله من أحداث وعلى المدى الطويل، التاريخ العميق للجماعات المتساكنة في مجالات حيوية قد تكون صغيرة أو قطاعية أو واسعة.

وإذا علمنا أن لكل "تارگا" في المغرب نظاما مقننا، وتاريخا قد تكرسه وثائق شفوية أو مكتوبة، اتفاقية أو صراعية أو قضائية أو دراسات معاصرة... فإننا سندرك أن القيام بدراسة هذا الموضوع شيء ممكن. وإذا تم ذلك على أحسن ما يرام فسيكون لا محالة خطوة ثابتة في سبيل تعميق البحث التاريخي في بلادنا.

ع. بن منصور، *قبائل المغرب*، الجزء الأول، الرباط، 1968، ص. 330 ؛ ع. بنعبد الله، *معلمة المدن والقبائل*، ملحق 2، ص 125.

علي صدقي أزايكو

**تَارگا**، حصن قديم بقبيلة بني بوزرا شرقي تطوان على بعد نحو 95 كلم، ويذكره الإدريسي باسم (قصر تارگا)، وله مرسى كان رباط القبيلة البوزراتية. وهو أحد المراسي السبعة التي أصدر السلطان المولى عبد الله بن المولى إسماعيل ظهيرا بحراستها مؤرخا ب 8 شوال عام 1170، وهي كالتالي : 1 ـ مرسى قاع أسرس. 2 ـ مرسى ترغة. 3 ـ مرسى تيجيساس. 4 ـ مرسى تارگا. 5 ـ مرسى أمشار. 6 ـ مرسى تغسة. 7 ـ مرسى الجبهة. وتعتبر هذه المراسي كحزام أمني للشواطئ المتوسطية، ولعل أخطرها مرسى تارگا هذا الذي يسامت مدينة مالقة بالعدوة الأخرى، وترى جبال هذه الجهة بادية للعيان من هناك، فكانت سفنها الشراعية تهاجمها من حين لآخر منذ سقطت دولة الإسلام بالأندلس.

وهكذا ظل هذا المرسى ـ عبر عصور التاريخ ـ قلعة حصينة تحطمت أمامها أطماع العدو، وبعد تخريبها من الريكي الثالث أواخر القرن التاسع الهجري (15 م)، أصبح رباط خاصا لقبيلة بني بوزرة، تنتظم فيه العسة بالتناوب، حتى إذا ما ظهرت بوادر الخطر، تستنفر القبيلة باسمها فتقوم قومة رجل واحد ؛ وكانت توقد النيران على رؤوس الجبال كعلامة على النفير.

ومن هنا نرى السلطان المولى محمد بن عبد الله يولي اهتماما خاصا لهذا المرسى بالذات، فيصدر جملة ظهائر تنوه بأعماله الجهادية، وصموده في وجه العدو، منها :

ـ ظهير مؤرخ بـ 4 ذي الحجة عام 1171، يقول فيه : (حملته المجاهدون الأكرمون القبيلة البزراتية من قبيلة غمارة ـ عمرها الله ـ يعلم منه أننا عظمنا المرسى الكائنة بترگة ـ حرسها الله ـ واحترمناها واحترمنا أهلها، فهي معظمة محترمة إلى يوم القيامة، مراعاة لثغر الجهاد المقابل لأعداء الله الكافرين ..).

وفي سنة 1179 / 1765 زار السلطان محمد بن عبد الله هذه الربط الشاطئية، وتفقد أحوالها ؛ وكانت تحظى لديه باهتمام زائد، وبوجه خاص رباط تارگا هذا.

وظل هذا الرباط يؤدي مهمته الجهادية حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري (19 م)، ولا تزال به آثار إلى اليوم، مثل : نوالة العسة، ومقبرة المجاهدين بقصبة سيدي يحيى أعراب، وبقايا قصر تارگا وبعض بنايات أخرى بجواره، لكن البناء العشوائي الذي أحدث هناك، أضاع كثيرا من هذه الآثار.

م. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ س. أعراب، *ظهائر سلطانية*، مجلة *دعوة الحق* ؛ س. 13 ع 1، 1970، وع 268. 1988.

سعيد أعراب

**تَارگُوگُو**، حصن وميناء في موقع على بعد 32 كلم شمال مدينة أگادير على الطريق الساحلي الرابط بين مدينتي أگادير والصويرة.

ولعل أهمية هذا الموقع تعود إلى توفره على عاملين جغرافيين، أحدهما وجوده على مصب واد صغير يتصل بالبحر يدعى وادي أمسدناس وله إمكانيات رسو بعض

قوارب الصيد، والثاني وجوده تجاه مرتفع جبلي محصن، ولاشك أن مصب هذا الوادي كان عميقا ومؤهلا لاستقبال قوارب صيد الأسماك كما هو الشأن في مصايد أخرى تقليدية مجاورة مثل مصايد تاغزوت وتيكرت وتافضنا، قبل أن تغمره رواسب نهر أمسدناس في المواسم المطرة.

ومن الناحية التاريخية، فأولى الإشارات المكتوبة حول تَـارْكُـوكُـو، وردت ضمن الكتابات البرتغالية في القرن العاشر (16 م)، ويرتبط ذكرها بالمقاومة التي أبداها

تاركوكو
بقايا الحصن التاريخي شمال مدينة أكادير

السكان تجاه الاحتلال البرتغالي للشواطئ المغربية إبان نشوء الكاتب البرتغالي المجهول بعنوان : *سانتاكروز بأكادير ن ـ يغير*، وعن هذه المذكرات نقل في نفس القرن الكاتب البرتغالي فيغاني في كتاب سماه *تاريخ سانتاكروز*، وقد ترجمت المذكرات إلى الفرنسية من قبل سنيفال De Cénival وطبعت مع النص البرتغالي سنة 1934 وترجم النص إلى العربية مؤخرا، ومجمل الإشارات كانت تتحدث عن الغارات التي يشنها البرتغاليون انطلاقا من أگادير المحتلة على القرى الشاطئية المجاورة خلال سنوات 1514 . 1516 . 1517 وما بعدها، وقد تعرض ميناء تاركوكو من جراء هذه الغارات لعمليات الفتك بالسكان وأسر كثير من التجار ممن يتعاطون تجارة الأسلحة في السوق السوداء من القشتاليين والإيطاليين من جنوه.

والمعلومات التي نوردها هنا عن تاركوكو ـ الحصن والميناء اعتمدنا فيها على زيارة ميدانية للموقع.

1 ـ تاركوكو ـ الحصن : هذا الحصن يسمى اليوم (أگادير ن تاركوكو) وقد ساعد علو إحدى القمم التضاريسية إضافة إلى كونها محصنة طبيعيا بجرف عميق يحمي خلفيتها وتطل على البحر مباشرة أشبه بالقمة التي شيدت فيها قصبة أگادير، وهذه المميزات جعلت المجاهدين في العهد السعدي يستوطنونها بقصد الجهاد، ولذلك جهزوا هذا الحصن فشيدوا حوله سورا صخريا ما تزال بعض مدامكه ماثلة حتى الآن يتصدرها في أعلى مكان من الحصن برجان حجريان يشرفان على سيف البحر معدان لقصف المدافع كما بنوا بعض بيوت السكن، واستصلحوا بعض الكهوف لنفس الغاية. ويصادف الزائر مدى تعدد مخازن مياه الأمطار (النطفيات) المنتشرة في جميع أرجاء الحصن، كما توجد مخازن الأقوات في جهات متعددة منه.

ويتحدث بعض سكان القرى المجاورة أنهم كانوا يصادفون قطعا نقدية، غير أن الزائر إنما يصادف قطعا متناثرة لأنواع متعددة من الفخار في كل جهة. وإن صهاريج النطفيات ما تزال مستعدة لاستقبال مياه الأمطار وخزنها بعد قليل من الإصلاح. غير أن جميع مظاهر الحصن تدل قطعاً على أن السكنى فيه إنما كانت بقصد الجهاد وليس بقصد الاستقرار.

2 ـ تاركوكو ـ الميناء ـ لقد كان عمق مصب وادي أمسدناس مما أهل هذا الموقع اتخاذه من طرف البحارة كأحد مصايد السمك القديمة التقليدية، ومنذ بداية القرن العاشر (16 م) كانت تأتي إليه بعض السفن القشتالية والبرتغالية والانجليزية وتتعامل مع البحارة بواسطة القوارب الصغيرة. وبعد احتلال أگادير قام السعديون بتنشيط الموانئ المجاورة مثل ماسة جنوبا وتاركوكو وتافضنا شمالا وتشجيع التجارة المهربة تهدف إلى استيراد الأسلحة مقابل تصدير المواد الزراعية ومعادن النحاس والحديد والكبريت، وقد استفاد محمد الشيخ السعدي من نشاط التجارة الحرة لصالح عملية التسلح أثناء الصراع الدائر بينه وبين الأمير أحمد الأعرج، غير أن هذا النشاط تراجع عن هذه الموانئ ومن بينها ميناء تاركوكو بكيفية تدريجية ابتداء من جلاء البرتغال عن حصن أگادير سنة 1542 وغيرها من الثغور إلى معركة وادي المخازن عام 1578، نتيجة توجه الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور نحو إيجاد صناعة وطنية خاصة في مجال الأسلحة وكذلك صرف وجهة التجارة عن هذه الموانئ نحو تجارة القوافل. ومع أن ميناء أگادير استمر نشاطه التجاري إلى القرن الثاني عشر (18 م) حيث تأسس ميناء الصويرة فإن ميناء تاركوكو ربما انتهت مهمته قبل ذلك وبالخصوص نتيجة غمره برواسب نهر أمسدناس في القرنين الأخيرين مما أفقده أية أهمية بحرية. ولقد تحولت ملكية موقع الميناء المجاور، وهو صالح للتعزيب والحرث، إلى ملك القائد سعيد التكزريني من قواد حاحة في عهد الحماية (توفي عام 1953/1377) وبعد الاستقلال أصبح عزيبا للماشية من قبل المسمى بيجوان والمسمى بوتوغا إلى أن تحول الآن (1992) بالشراء إلى ملكية أحد الخواص في أيت أمر. أما حصن (أگادير ـ ن ـ تاركوكو) المطل على موقع الميناء فهو ضمن الأملاك المخزنية الغابوية ولا تظهر في موقعه إلا بعض الأطلال بها يمر الطريق على موضع الميناء.

أ. بوشارب، *عرض حول كتاب المؤرخ البرتغالي فيغاني*، نشر ضمن أعمال ندوة أگادير الكبرى، من منشورات كلية الآداب بأگادير سنة 1990 ص 88 ؛ ع. صدقي، *عرض مذكرات المؤرخ البرتغالي المجهول*، ضمن أعمال ندوة أگادير الكبرى، من منشورات كلية الآداب بأگادير، 1990 ص 109 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 1 : 40 . 41 ؛ *تحريات ميدانية وروايات شفوية في عين المكان*.

*Chronique de Santa Cruz du Cap de Gue* ; J. Figanier, *Histoire de Santa Cruz do Cabo de Gue, Agadir, 1505 - 1541*, Lisbonne, 1945.

عمر أفا

**تَارْكُونْتْ**، موقعان داخلان ضمن قبيلة الخلط الهبطية، تابعان من الوجهة الإدارية لفرقة ثلاثاء الريسانة الشمالية. الأول منهما واقع يمين مجرى واد "كروين"، رافد واد المخازن. معروف اليوم بأولاد سلطان تركونت. والثاني يوجد مقابل الأول معروف بسيار تركونت، واقع يسار نفس الواد. والموقعان قريبان من مجرى واد المخازن وسوق ثلاثاء الريسانة.

خلال الوجود البرتغالي بأصيلا (1471 - 1550) كانت القرية من جملة القرى المهجورة من مواطنيها، إذ ظل موضعها خاليا طيلة تلك الفترة. واتخذ منها البرتغاليون آخر حدود ما دعي آنذاك بحوز أصيلا من جهة الجنوب. كما كان منها معبر الجيوش البرتغالي نحو حوز القصر الكبير، بعد عبور قنطرة وادي المخازن التي كانت بجهتها وبالقرب منها. ومن كدية تاركونت راقب حكام أصيلا جبل أهل سريف، خاصة قريتي الغرفة وبوجديان، وكذا استطلاع تحركات المغاربة بالسفح الغربي من جبل بني گرفط، لاسيما قريتي الصخرة وبوهاني. كما كانت قرية تاركونت إحدى محطات القافلة التجارية الفاسية تمر بها بعد خروجها من القصر الكبير لتتوجه نحو أصيلا وباقي الثغور الشمالية المحتلة.

*ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 55 ؛ حسن الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 350.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, 1 : 38 - 68 - 82 - 101 - 205 - 381 - 382 ; 2 : 127 - 167 - 253.

حسن الفكيكي

**التاركونتي**، أو التركونتي أبو بكر بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر السوسي المسكالي التركنتي. فقيه صوفي من بين أهل سوس الذين انتقلوا إلى درعة، أوقف نفسه على خدمة زاوية تمگروت الناصرية.

تتلمذ على الشيخ محمد ابن ناصر وعلى ابنه أحمد الخليفة، وهو من أكابر تلامذتهما. وعلى الرغم من تحليته "بالامام العالم" و"المتفنن في العلوم"، فإنه لم يبلغ شأو علماء الناصريين أمثال أحمد الهشتوكي وعبد الكريم التدغي، ومحمد الحوات وعبد الملك التاجموعتي.

إلا أنه كان متفانيا في خدمة الناصريين ومحبتهم، كما يشهد على ذلك في أرجوزته الموسومة بـ *"مسرة الإخوان"* التي يستهلها بقوله :

بسم الإله الحسن الوهـــــاب      باري الورى مسبب الأسبـــــاب

تزيد أبيات هذه الأرجوزة عن ثلاثمائة بيت، عدَّد فيها مناقب الناصريين وكراماتهم، وما يجب لهم من الحقوق، وذكر زواياهم وشيوخه بالتسلسل بدءا من أحمد ابن ناصر إلى آخر السلسلة، شيخا عن شيخ إلى الخليفة الراشدي الرابع. وتعتبر هذه القصيدة وعاء لتاريخ الناصريين حتى عهده. فقد نوه بسلوكهم الصوفي، وذكر زواياهم بدرعة ومختلف وظائف كل زاوية على حدة.

وكما نجهل تاريخ ولادته نجهل كذلك تاريخ وفاته، إذ لم تشر المصادر التي ترجمت له، إلى تاريخ وفاته.

أبو بكر التركنتي، *مسرة الإخوان* ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ م. الحضيكي، *طبقات*.

أحمد عمالك

**تارْگيسْتْ**، أو تارجيست = (بني عبد الرحمن). آخر قبائل الساحل الريفي من الناحية الجنوبية، وتمثل الحد الفاصل بين قبائل الساحل وبين قبائل جبال صنهاجة السراير.

ويظهر أن الاستقرار كان قديما يعود إلى ما قبل القرن التاسع (15 م) بناء على بعض الإشارات التاريخية الواردة في بعض الوثائق المحلية. وتعتبر القبيلة ذات أصل صنهاجي وهي احدى القبائل الصغرى التي أدرجها موليراس Mouliéras ضمن قبيلة زرقت خلال القرن التاسع عشر. تحدها من الشمال قبيلتا بني بوفراح وبني يطفت، ومن الغرب قبيلة زرقت، ومن الجنوب قبيلتا بني ورياغل وبني مزدوي.

تستوطن هذه القبيلة مجالا ضيقا ضمن وحدة قبائل الريف الأوسط، وأصبحت ممرا طبيعيا تسمح بربط قبائل الساحل بقبائل صنهاجة السرائر عبر ممر جبل تزْمُّورنْ من الناحية الجنوبية. لكن الموارد الطبيعية في القبيلة متواضعة مما يفسر ضعف الكثافة السكانية داخلها وبالتالي ضعف التزايد السكاني.

يقع موضع القبيلة بين هضبة يتراوح ارتفاعها بين 910 م و1015 م وهي تتميز بكونها ضيقة ومتقطعة، تنحصر بين كتلتي أزغار إزْتُّوطَنْ (1565 م) وكتلة أورْسَانْ (1839 م). وبالرغم من الارتفاع والقرب من البحر فإنها تتلقى كميات مائية متواضعة إذ لا يتعدى معدل الأمطار خلال السنة 419 مم، وهذا ما يفسر جفاف مناخها.

أما تاريخيا فالقبيلة كانت تعرف باسم قبيلة "بني عبد الرحمن" انطلاقا من الإشارات الواردة في بعض الوثائق المدونة التي أمكن الوقوف عليها، ولم يظهر اسم تارجيست إلا بعد القرن الثاني عشر (18 م) عندما انتظمت جل وحدات القبيلة داخل المجال الجغرافي الذي تحتله الآن، ودليلنا على ذلك ما أمدتنا به الوثائق المحلية من معلومات تؤكد أن القبيلة كانت تسمى ببني عبد الرحمن حيث جاء في إحدى الوثائق ما يلي : "الحمد لله أشهد الفقيه الاجل القاضي الاعدل النائب في الاحكام الشرعية بقبيلة بني عبد الرحمن وبني بُنَصر وبني مزد وي عن قاضي الجماعة ... بثبوت الرسم أعلاه" (وثيقة خاصة بتاريخ 18 ذي القعدة 1119 هـ). كما أكدت وثيقة أخرى تعود إلى سنة 1123 / 1711 نفس الاسم.

وانطلاقا من هذه الوثائق وغيرها تبين لنا أن أسرة بني عبد الرحمن المنحدرة من الولي الصالح أبي تميم بعد

استقرارها بالقبيلة لقيت ترحابا من العناصر البربرية الأصلية وأصبحت تشكل النواة الأولى للقبيلة وبذلك تسمت بقبيلة بني عبد الرحمان.

وإذا كانت المصادر قد حجبت عنا مثل هذه الأخبار، فإننا نجهل متى ظهر الاسم الجديد تارگيست، ربما يعود ذلك إلى توافد جماعات جديدة استطاعت فرض الاسم الجديد عوض اسم قبيلة بني عبد الرحمان، كما نجهل أيضا بداية تداول هذا الاسم في الوثائق المخزنية والمحلية.

ويظهر من خلال بعض الوثائق أن تداول اسم قبيلة تارگيست يعود إلى بداية القرن الثالث عشر (19 م) حسب ما يستخلص من الوثيقة التالية : "اشترى الحاج محمد بن الفقيه... من البائع له العربي بن سيدي عبذ الجليل... نائبا عن نفسه وعن أخته وإخوانه كما هو في رسم الوكالة جميع ما جر لهم إرثا في جدتهم عيشة بنت محمد الشيخ الترجيستي في قبيلة بني عبد الرحمان الملقبة بترجيست" (وثيقة خاصة، بتاريخ أواخر ربيع الثاني عام 1247 هـ).

ومنذ الربع الأول من القرن الثالث عشر (19 م) بدأت تختفي قبيلة بني عبد الرحمان سواء في الوثائق اللاحقة أو في الوثائق المخزنية وحتى في المصادر الأجنبية حيث بدأ تداول اسم قبيلة تارگيست. وكانت قبيلة تارگيست تتكون خلال القرن التاسع عشر من أربع فرق رئيسية هي (حسب وثيقة خاصة) كالتالي :

- فرقة أولاد فارس وفرقة أولاد بن يعقوب وفرقة السماعلة وفرقة أولاد الشيخ. وكل فرقة من هذه الفرق تكونت من الأسر التالية :

- فرقة أولاد فارس : الحاج سي عبد السلام بن فارس - السيد محمد بن دحمان وأخوه محمد بن فارس - ولده أحمد وأخوهما فارس - عبد السلام بن الحاج دحمان والحاج أحمد ابن فارس - البشير بن محمد بن الحاج البشير.

- فرقة أولاد بن يعقوب : السيد عبد السلام بن عمر - محمد بن البشير السيد علي بن محمد بن عمر - أخته زينب - عمر بن محمد بن سي محمد - أحمد بن عمر بن طيب - أخوه عبد الرحمن - عبد السلام بن محمد - محمد بن عبد الرحيم بن عمر - الحاج بن دحمان - عمر التهامي بن مسعود - أحمد بن دحمان - ميموطة بن عمر - محمد بن البشير - محمد بن الحاج عبد الرحمان - محمد بن الحاج عمر بن دحمان - عمر بن محمد بن الحاج البشير - وعدد من أسماء الإناث.

- فرقة أولاد الشيخ : محمد بن محمد بن سي محمد - ولداه أحمد ومحمد - عبدالرحمان بن علي - أخوه أحمد بن علي - عبد السلام بن الحميد بن محمد - عمر بن محمد بن شريف - عمر بن سي محمد.

- فرقة أولاد السماعلة : عياد بن صفور - عبد الله بن زينب - فاطنة بنت محمد ناظر - فاطمة بنت عمر الخياري - عبد السلام بن عد وأخوه علي محمد بن أحمد بن سعيد - فاطنة بن عبد الله بن العايد - أخوه محمد - محمد بن سي محمد بن عمر - عبد الرحمان بن أحمد بن شعيب - أخوه محمد بن السيد عمر - أحمد بن عمر بن عبد الله - عبد السلام بن أحم - أخوه محمد بن محمد - محمد بن المعلم محمد ناظر - ولده عبد السلام.

غير أن هذه الفرقة اندرجت في جماعة أيت عيسى مع بداية القرن العشرين حسب ما يلاحظ من *الضابط الاحصائي* لسنة 1931 إذ أصبحت القبيلة تتكون من فرقة واحدة تسمى فرقة تارگيست وتتضمن الجماعات التالية :

جماعة شرفاء تَاوْريرْتْ - جماعة مراحلة
جماعة أجرملول - جماعة أيت عيسى
جماعة تاوريست - جماعة معلمين
جماعة أمسعدية - جماعة أيت عزة

وبالمقارنة مع *الضابط الخليفي* لسنة 1953 لم يقع أي تغيير لهذه الجماعات. بينما اختفى اسم أيت عزة من الخرائط الحديثة.

وتنتشر القرى والمداشر عبر أراضي الهضبة التي تتعدد فيها الجداول المكونة لوادي جمورة ووادي تكرات. ونظرا لجفاف المنطقة فإن السكان يعتمدون بالدرجة الأولى على الرعي ثم على الفلاحة بالإضافة إلى النشاط التجاري المحلي الذي يتمثل في مجموعة من الأسواق الأسبوعية.

وبخصوص ساكنة قبيلة تارگيست فإننا لم نعثر على أي إحصاء ولو تخميني للقبيلة في القرن الماضي. وقد بلغ عدد السكان حسب إحصاء 1931 حوالي 1765 نسمة. وهذا يعني أن معدل النمو يعتبر من أضعف المعدلات المسجلة في قبائل الريف الأوسط خلال هذه السنة. إلا أن هذا النمو البطيء لا يعود إلى ضعف التزايد الطبيعي بالقبيلة، وانما يعود إلى أهمية ظاهرة الهجرة التي نجدها تميز كل القبائل المجاورة بسبب قلة وتواضع الموارد الاقتصادية المحلية.

*وثائق خاصة* ؛ *خريطة تابنست*، مقياس 1/100000، الرباط 1972.

Intervencion y Fuerzas Jalifianas ; *Vademecum*, Ceuta, 1931; A. Moulieras, *Le Maroc inconnu : Exploration du Rif*, 1ère partie, Paris, 1985.

عبد الرحمان الطيبي

**تارْنت**، أو تيرنت أو تيرنا أو غلي أملال أو شجرة الحبيلة ألفاظ أمازيغية وعربية تطلق على أنواع نباتية تنتمي إلى فصيلة الباذنجيات وجنس ڤيتانيا Withania الذي يشمل ثلاثة أنواع طبيعية بالمغرب وهي :

- ڤيتانيا فروتيسانس Withania frutescens : شجرة أو شجيرة ذات قشرة فلينية لونها أسمر يميل إلى الاصفرار. أوراقها معنقة لامعة قلبية الشكل أو مستديرة. أزهارها صفراء منفرة أو مجتمعة مثنى أو ثلاثى، وجريسية الشكل. ثمارها عنبية خضراء أو استثنائيا حمراء.

تعيش هذه الجنبة في الغابات المنفرجة والأحراج المصادفة في السهول والجبال غير العالية التي لا يتجاوز ارتفاعها 1400م، أي في الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ.

أما من حيث متطلباتها البيئية فإنها تقطن عموما المناطق البيومناخية شبه الجافة واستثنائيا المناطق الجافة وشبه الرطبة، وفوق أتربة كلسية أو حامضة.

يصادف هذا النوع في جميع أنحاء المغرب الخاضع للظروف البيئية المذكورة أعلاه وفي جنوب شبه الجزيرة الايبيرية والمنطقة الغربية من الجزائر.

تعتبر تارنت من الأنواع الرعوية العامة لكنها تفسد الحليب عند الأبقار التي تتغذى من هذا النبات.

- ڤيتانيا أدبريسا Withania adpressa يتميز هذا النوع الجنيبي بأوراقه المكسوة بزغب قطني شديد الكثافة حتى صار اخضرارها يميل إلى البياض، وبأزهاره الصغيرة، وبكونه لا يصادف إلا في المنطقة الصحراوية من المغرب حيث يقطن بين الصخور وعلى الأتربة الحصوية أو الطينية الموجودة في الوديان أو على السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصغير وصاغرو وجبل باني، كما نراه يعيش في منطقة الساقية الحمراء، وفي الجهة الشرقية من الأطلس الكبير بين الريش والرشيدية وخنگ تودغا وفي تازروالت.

يحتوي هذا النوع على مواد سامة تجعله قليل الأهمية أو منعدم الأهمية من حيث الرعي.

- ڤيتانيا سومنيفيرا Withania somnifera يختلف هذا النوع عن السابقين بكونه عشبيا وبأوراقه الكبيرة التي تبلغ أو تتجاوز في طولها 8 سم، وبأزهاره الصغيرة.

يقطن هذا النوع الأراضي المهملة القريبة من الأماكن الحضرية حيث تكثر المواد النيتروجنية في التربة.

أما من حيث توزيعه البيوجغرافي فإن هذا النوع يعيش في جميع بلدان البحر المتوسط باستثناء فرنسا وإيطاليا، ويمتد حتى بلاد الهند شرقا، وجنوب إفريقيا جنوبا.

يعتبر هذا النوع عديم الأهمية من الجانب الرعوي لكونه يحتوي على مواد سامة ومنيمة تجعل الحيوانات تنفر منه، لكنه يستعمل كثيرا في التطبيب التقليدي والعصري.

*أبحاث شخصية.*


L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938


عبد المالك بنعبيد

**التأريف**، Le Cadastre بمعنى وضع الأُرَف (علامات ملموسة) لتحديد مشارات الملكية العقارية. ووضع الأُرَف أو ما يمثلها بهدف إظهار حدود الملكية نابع من أهمية الأرض ليس كعامل إنتاج فحسب، بل كمؤشر للمكانة الاجتماعية وكضمانة في المعاملات الاقتصادية والاجتماعية كذلك. ومن ثم فقد عمل الإنسان على تملكها والاستفادة من الامتيازات التي يخولها له حق التملك. وسعياً وراء الاطمئنان على هذا الحق كانت الممتلكات العقارية تخضع لتحديد طبيعي مجسد بعلامات. وكان المالكون يثبتون هذا الحق بوثائق شرعية مثل الرسوم العدلية بالمغرب. وبالرغم من كون هذه الوثائق كانت تصف العقار مشيرة إلى مكان وجوده وإلى العقارات المجاورة له وإلى محتواه وطبيعة أرضه، فمعلوماتها لم تكن مدققة مما كان يقلل من مصداقيتها وقوة حجتها. يضاف إلى هذه الثغرات كونها لا تساير التحولات التي يعيشها العقار، ومن ثم فهي عاجزة عن تقديم صورة للبنيات العقارية ولتطورها.

ومع تطور الفلاحة وتوسع حركة البناء بالمدن وزيادة حركية المعاملات الاقتصادية وضرورة ضبط الضريبة الفلاحية، أصبح ضروريا توفير وثائق أكثر دقة، تواكب التحولات العقارية ومتطلبات العصر. وهذه الوثائق هي التي يصطلح على تسميتها "بالتأريف".

يتمُّ اللجوء إلى التأريف لسببين : قانوني - اجتماعي من جهة واقتصادي من جهة ثانية. ففيما يخص السبب الأول، يكون الهدف هو حماية الملك من كل ما قد يمسه من ترام واستلاء. وبصفة عامة لتجنب المشاكل مع كل من له أطماع. وقد يكون الهدف هو التظاهر بالملك كمؤشر على المكانة الاجتماعية. ويكون الهدف في الحالة الثانية هو الرفع من مصداقية الملك كرهن أو كمادة للبيع أو للتبادل عن طريق تأمين الاستثمارات والتصرف فيه في طمانينة، وكذلك كقاعدة لتحصيل الضرائب وتطور النظام الزراعي.

وحسب مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية المغربية يعتبر التأريف كنظام لتمثيل رسمي وبطريقة بيانية ووصفية للعقارات داخل حيز مجالي معين.

والتأريف المغربي حديث لم تتم انطلاقة تحقيقه إلا في سنة 1913. ومنذ هذا التاريخ تطور مع تطور الظروف الاجتماعية والاقتصادية للبلاد. فإلى جانب التأريف القانوني أو نظام التحفيظ العقاري ظهر التأريف الوطني كأداة للدفع بتنمية الأرياف، وذلك بمقتضى الظهير بمثابة قانون رقم 1 . 73 . 163 بتاريخ 28 ربيع الثاني عام 1392 موافق 31 / 5 / 1973، ومرسوم التطبيق عدد 2 . 73 . 055 بتاريخ 2 جمادي الأولى عام 1393 موافق 4 يونيو 1973. ويمكن اعتباره كتأريف اقتصادي. وعلى غرار التأريف الفرنسي نجده يتشكل من ثلاث مصنفات - متضمنة لمعلومات حول الملكية العقارية - أساسية بالنسبة للجهازات والمصالح العمومية وحتى غير العمومية المكلفة بإعداد المجال واستغلاله، وهي :

- تصميم مشارتي (Plan Parcellaire).
- سجل مشارتي (Registre Parcellaire).
- وسجل تأريفي (Matrice Cadastrale).

وتجدر الإشارة إلى أن ظهور هذا التأريف تزامن وفترة انطلاقه أشغال الإعداد والإصلاح بمناطق الري الكبير. ومعلوم أن معرفة البنيات العقارية بل البنيات الزراعية كانت ضرورية، وهو ما كان التأريف القانوني عاجزاً عن توفيره. فطبيعة التحفيظ الطوعية تفسر تشتت الأرض المحفظة وعدم مسايرة المعطيات المتوفرة بالمجال للواقع.

ويتمثل موضوع التأريف الوطني في توفير معلومات حول الملكية العقارية بجميع أشكالها والمحافظة عليها. ومن ثَمَّ فهو يقدم بالنسبة لكل العقارات : الوضعية

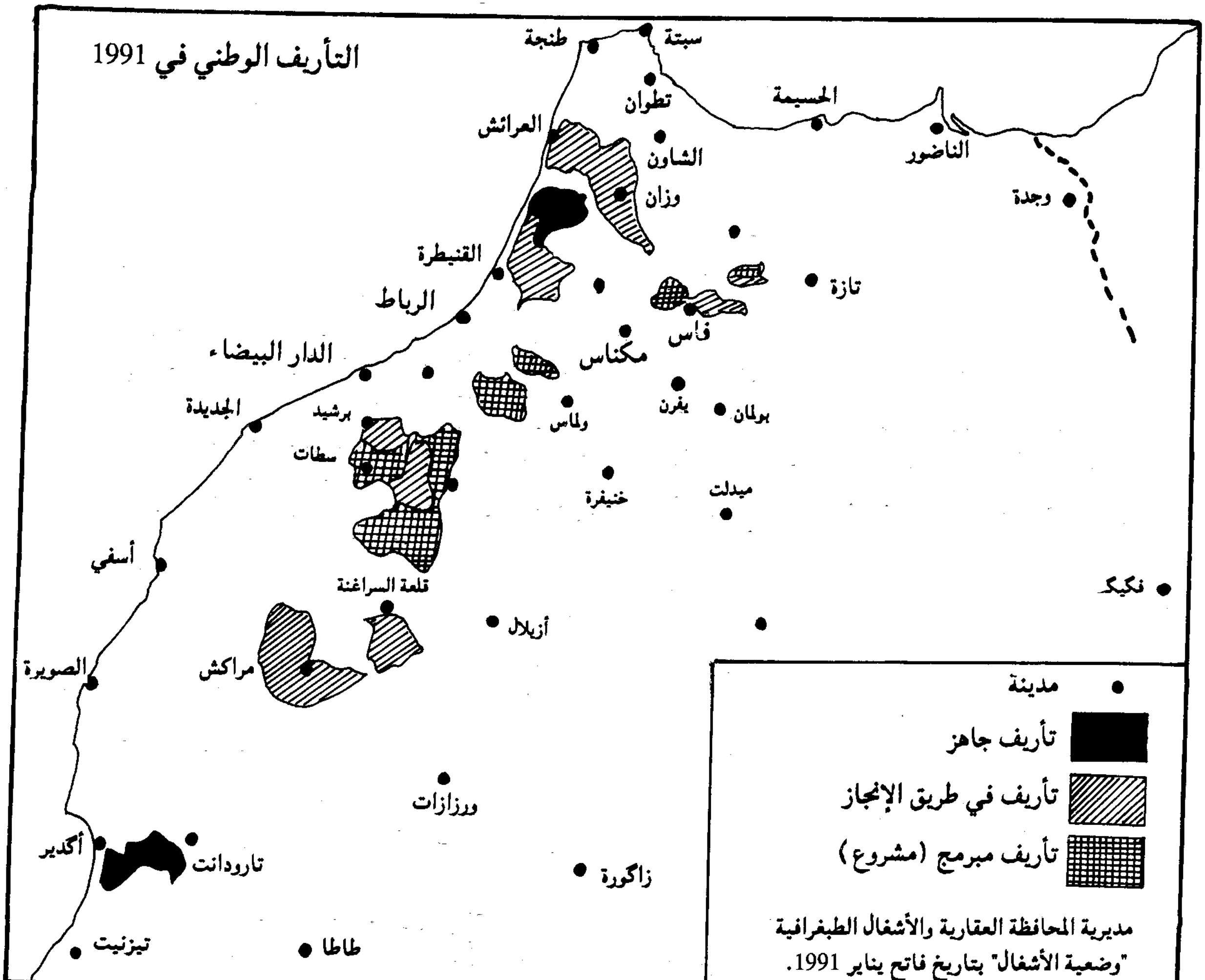


الطبيعية من حيث المحتوى، وطبيعة التربة، ونوع المزروعات، وتصميماً مشارتيا.

بالنسبة للعقارات غير المحفظة التي لم يصادق على تحديدها الإداري، فيقدَّم حدودها ومساحتها وملاكها الظاهرين وذوي الحقوق العينية الظاهرين.

وتبقى أهداف التأريف الوطني متعددة، نذكر منها :

- تزويد البلاد بجرد كامل ودائم لكل الممتلكات العقارية.

- تشجيع وتسهيل إنجاز مشاريع التهيئة والتحسينات العقارية.

- توفير قاعدة إحصائية ضرورية لمعرفة البنيات العقارية.

- تشيجع الاستفادة من خدمات صندوق القرض الفلاحي عن طريق تعميم التحفيظ العقاري.

- السماح بقيام نظام ضريبي عقاري على أسس سليمة وعادلة.

ويتم إنجاز التأريف الوطني حسب المسطرة التالية :

- صدور قرار لوزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي بالجريدة الرسمية يحدد تاريخ بداية العمليات بالنسبة لكل جماعة معنية وذلك قبل هذه البداية بشهرين.

- وضع تصميم مشارتي، وسجل مشارتي وسجل تأريفي عند نهاية العمليات.

- عرض هذه المصنفات الثلاثة، بعد وضعها بمقر السلطة المحلية أو بمقر الجماعة القروية، للاطلاع عليها وإبداء الملاحظات حولها قبل أن ترجع إلى المكتب الطبغرافي للمحافظة عليها.

والملاحظ أن التأريف الوطني ينجز على مستوى الجماعات بخلاف التأريف القانوني الذي ينجز على مستوى المشارة أو المالك.

ضخامة مشروع التأريف الوطني : بين سنة 1970 (تاريخ إبرام اتفاقية مع شركة كندية لإنجاز 570.000 هـ بتمويل من الحكومة الكندية) وسنة 1973 تم إنجاز 92.000 هـ بسوس موزعة بين خمس جماعات قروية. وبعد التوقف الذي سجل بالفترة 1973 - 1980، تواصلت عمليات الإنجاز من جديد وارتفعت المساحة المؤرفة إلى حوالي 570.000 هـ في منتصف الثمانينات ثم إلى حوالي 1.500.000 هـ (1.510.864) في سنة 1991. وقد همت عمليات التأريف 59 جماعة قروية جديدة في إطار المشاريع المندمجة التالية : اللوكوس، القرية - تيسة، سطات، أُلماس - الرماني، أسفي،

وزان. ويلخص الجدول أسفله وضعية التأريف الوطني في سنة 1991 (انظر كذلك الشكل).

وضعية التأريف الوطني سنة 1991

| اسم المشروع | الإقليم | عدد الجماعات | عدد الملكيات | المساحة بالهكتار | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|
| شريحة 750.000 هـ | أگادير | 5 | 24.624 | 89.310 | انتهت كل العمليات |
| " | قلعة السرغنة | 6 | 42.062 | 95.950 | في طريق الانجاز |
| " | تطوان | 7 | 77.388 | 104.300 | في طريق الانجاز |
| " | مراكش | 7 | 61.740 | 176.510 | في طريق الانجاز |
| " | القنيطرة (الغرب) | 10 | 49.075 | 244.120 | انتهت العمليات بجماعة سوق الأربعاء فقط |
| اللوكوس | الشاون ـ وزان | 2 | 114.494 | 60.664 | في طريق الانجاز |
| سطات | سطات | 8 | 101.314 | 193.050 | في طريق الانجاز |
| سطات | سطات | 11 | - | 339.690 | إنجاز البحث التأريفي في الطريق |
| فاس ـ القرية ـ تيسة | فاس، تاونات، تيسة | 3 | 43.436 | 59.620 | في طريق الانجاز |
| فاس ـ القرية ـ تيسة | فاس، تاونات، تيسة | 3 | - | 67.160 | إنجاز البحث التأريفي في الطريق |
| ألماس ـ الرماني | الخميسات | 2 | - | 80.490 | " " " |
| | | 64 | - | 1.510.864 | |

المصدر : مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبغرافية.
" وضعية الأشغال بتاريخ فاتح يناير 1991"

إذاً في ظرف ثلاث عشرة سنة أنجز ما مجموعه مليون ونصف المليون من الهكتارات بوتيرة سنوية للإنجاز تقدر بـ 116.220،3 هـ.

ومنذ منتصف الثمانينات تم الشروع في إعداد الدراسات بهدف إنجاز خمسة مشاريع مندمجة بأقاليم طنجة وتطوان وتازا وبرشيد وبنسلمان. وتهم هذه المشاريع 41 جماعة قروية ومساحة 1.150.000 هـ. لكن قد لا يتم إنجاز هذه المشاريع على المدى القصير لأسباب مالية وتقنية.

بعد مرور ما يقرب من ثمانين سنة على بداية التأريف المغربي، يلاحظ أن هدف توفير قاعدة للمعطيات حول الملكية العقارية والبنيات العقارية والزراعية تكون على المستوى الوطني وشاملة ومسايرة للتحولات الاجتماعية والاقتصادية ما زال بعيد التحقيق بالرغم من النتائج الإيجابية المسجلة في ميداني التحفيظ العقاري والتأريف الوطني. فخلال هذه المدة كنا دائما نلاحظ فارقا أحيانا كبيراً بين الطلبات (أو الحاجيات) والمنجزات.

ففيما يخص التحفيظ العقاري، عرفت فترة الحماية وتيرة أسرع للمنجزات بالمقارنة مع فترة ما بعد الاستقلال، فمتوسط المساحة المنجزة سنويا وصل إلى 48.000 هـ قبل سنة 1955 مقابل 11.765 هـ بعدها وذلك بالرغم من خلق ظروف مشجعة.

أما مجموع الأراضي المطالب بتحفيظها، فلا تمثل سوى نصف الأراضي الزراعية SAU المقدرة بحوالي ثمانية ملايين هكتار. وما تم تحفيظه برسم لا يمثل سوى أزيد من ربعها بقليل. يضاف إلى هذا أن كل ما خضع للتحفيظ لا يعرف مراجعة وتصحيحا متواصلين تمشيا مع التحولات الطارئة بعد وضع الرسم العقاري لأسباب لا تتلعق بمديرية المحافظة العقارية فقط.

أما فيما يخص التأريف الوطني، فيبقى ما حقق مهما باعتبار وقصر المدة الزمنية، لكن يبقى متواضعا بالنظر إلى طموح تغطية كل التراب الوطني. فماذا يمثل المليون والنصف مليون هكتار التي هي في طريق الإنجاز بالنسبة للملايين من الهكتارات الباقية ؟ وما هي أهمية 64 جماعة قروية معنية من بين 760 التي كان يقدمها تقسيم منتصف الثمانينات ؛ ومعلوم أن التقسيم قد تغير في اتجاه الزيادة في عدد الجماعات. وحتى بالنسبة للجماعات المعنية، فالعمليات لم تنته بعد بالنسبة لها كلها. وبالنسبة لتلك التي انتهت بها يجب السهر على مسايرة تسجيل التحولات.

أخيراً لا بد من الإشارة إلى ضرورة تحديد وتسجيل الأراضي الغابوية التي تغطي 4،75 ملايين من الهكتارات، وأراضي الرعي التي تغطي 21 مليون هكتار، وكذلك الأراضي بالمدن الصغرى والمتوسطة.

ويبدو أن أسباب هذا التقدم البطيء في إنجاز التأريف المغربي مرتبطة بظروف خاصة بالمصالح الطبوغرافية والمحافظة العقارية وأخرى خارجة عنها.

ففيما يخص الأسباب الأولى، يلاحظ أن مصلحة المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية ظلت مركزية لفترة طويلة، كما استأثرت بكل مستويات معالجة الملفات إلى مطلع الستينات بل إلى مطلع السبعينات دون إشراك القطاع الخاص. وإلى سنة 1983، عانت من نقص كبير في التمويل وكذلك في الأطر ووسائل العمل الميدانية والمخبرية. وهذا ما يفسر تعذر إنجاز الأعمال في آجالها وارتفاع الكلفة بالنسبة للتقديرات الأصلية.

وفيما يتعلق بالأسباب الخارجية تجب الإشارة ـ على سبيل المثال ـ إلى التعرضات التي تظهر أثناء إجراءات التحفيظ، وإلى عدم إقبال الفلاحين الصغار على تحفيظ أرضهم بسبب جهلهم لمزايا الإجراء أو لعجزهم عن تحمل المصاريف حتى وإن كانت منخفضة. كما لا يجب إغفال غياب المالكين أثناء إجراء الإشهار، وإتلاف الأُرَف خلال المدة الفاصلة بين وضعها وعملية المسح. وأخيراً التأخر في التمويل من طرف الفرقاء الأجانب (خاصة فيما يخص التأريف الوطني) الذي ينجز في إطار المشاريع التنموية.

وأمام هذه المصاعب، ونظراً لأهمية التأريف (قانونيا كان أم اقتصاديا). بالنسبة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.. بفضل ما يوفره من معلومات توظف في إعداد المشاريع ومن أمن وشفافية في المعاملات بين الفرقاء الاقتصاديين، فقد أصبح الشغل الشاغل للمسؤولين بصفة عامة وبمديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية بصفة خاصة هو العمل على تحقيق ما يلي :

ـ امتصاص المتأخّرات.

ـ تشجيع التحفيظ العقاري (في إطار التحفيظ الجماعي وضم الأراضي وتقديم التسهيلات على مستوى التحفيظ الطوعي).

ـ تحسين ظروف العمل بالمديرية والمصالح الجهوية التابعة لها وتحفيز الأطر والمستخدمين بها.

ـ فتح الباب أمام القطاع الخاص للمساهمة في إعداد الملفات.

ـ العمل على جعل المعطيات مسايرة للواقع.

مبارك بوشاوش، *المصلحة الطبوغرافية في مسطرة التحفيظ والعمليات اللاحقة*، مداخلة مرقونة (6 صفحات)، مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية، الرباط، يناير 1985 ؛ محمد ابن الحاج السلمي، *التقييد الاحتياطي، المساحة والعقار*، *مجلة مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية* (الرباط)، العدد 1، أكتوبر 1991، ص. 5 ـ 16 ؛ *محاضرات في التحفيظ العقاري*.

M. Bakkar, *Le cadastre marocain : Données actuelles et perspectives d'avenir*, Communication dactylographie (18 p + fig + Annexes). *"Premières journées nationales de Topographie"* organisées par l'Association Nationale des Ingénieurs Topographes à Rabat, les 13 et 14 février 1992 ; N. Bouderbala et M.R. Filali, *Code agraire marocain*, ORMVAG, Kénitra, 1991 ; N. Bouderbala, M. Chraïbi et P. Pascon, *La question agraire au Maroc*, Publication du B.E.S.M., Document n° triple 123 - 124 - 125, Rabat, 1974 ; M. Derrau, *Nouveau précis de géographie humaine*, Paris, 1969 ; J. Guerraoui, *Le cadastre du Maroc : Situation et perspectives*, Communication dactylographiée. Direction de la Conservation Foncière et des Travaux Topographiques, Rabat, 1986 ; M.A.R.A. (Direction de la vulgarisation), *Agriculture marocaine : Données essentielles*, Avril 1983 ; M.A.R.A. (D.C.F.T.T.), *L'immatriculation foncière en 300 questions-réponses*, D.C.F.T.T., 1990 ; M.A.R.A. (Service de la conservation de la propriété foncière et des hypothèques), *Recueil des textes relatifs au régime de l'immatriculation foncière*, Edition d'octobre 1985 ; M.A.R.A. (DCFTTT), Rabat, *Situation des Travaux au 1er janvier 1991* ; P. George, *Dictionnaire de la géographie*, Paris, 1970.

محمد كربوط

**تَـارْيَـلاَ**، لفظ أمازيغي يطلق على نبات عشبي معمر بجذوره، يسمى بالعامية بيض الغول أو اللفاح البري وبالفرنسية Mandragore. أما الاسم العلمي فهو ماندراگورا أو طومناليس Mandragora autumnalis وهو يصنف من بين نباتات فصيلة الباذنجيات. وحقيقة الأمر أن لفظ "يبروح" يطلق على النبات ولفاح على ثمره.

إنه نبات عشبي ذو جذر غليظ يشبه في شكله جسم الإنسان وهو ما يعنيه الاسم العلمي للنبات. أوراقه كبيرة رمحية تظهر على سطح الأرض، بدون ساق، في الفترة الممتدة ما بين شتنبر ومارس. أزهاره بنفسجية ومحمولة على سويقات طويلة (5 ـ 15 سم)، تعطي ثمارا بيضوية الشكل صفراء أو حمراء.

ينتشر بيض الغول في المراعي والحقول الممتدة في المناطق الساحلية الأطلنتكية الشبه جافة وشبه الرطبة والرطبة من المغرب فوق أتربة طينية أو طينية ـ رملية. ويلاحظ بكثرة في المقابر وبجانب الطرقات لأنه يتطلب أتربة غنية بالمواد النيتروجينية.

أما خارج المغرب فهو يوجد في شمال افريقيا وأوروبا المتوسطية الغربية.

عرف بيض الغول منذ قديم الأزمان كنبات مهيج للشهوة. إضافة إلى هذا كان وما يزال يستعمل في التطبيب التقليدي والشعوذة، مما جعل العديد من المؤلفين يكتبون حوله. ولهذه الاستعمالات، تصادف جذور بيض الغول في جميع الأسواق الشعبية.

*أبحاث خاصة.*

P. Quésel et S. Santa, *Nouvelle flore de l'Algérie*, Paris, 1963.

عبد المالك بنعبيد

**تازا** أو تازة : مدينة تقع وسط ممر يصل المغرب الشرقي بالمغرب الغربي، وتشكِّل نقطة تحول بين ملوية الشبه جافة من ناحية الشرق ووادي إناون المنفرج نحو فاس من جهة الغرب والذي يمتد تجاه الحوض الأسفل لسايس، كما تعتبر منطقة ربط بين الأطلس المتوسط الشرقي الجنوبي ومقدمة الريف الشمالي.

تبعد مدينة تازا بـ 120 كلم عن فاس وبـ 233 كلم عن وجدة وبـ 165 كلم عن الحسيمة وبـ 200 كلم عن الناظور. ونظراً لموقعها المتميز وارتفاعها عن مستوى سطح البحر بـ 585 م فإن الوظيفة الأساسية التي كانت وراء نشأتها منذ القديم حتى الاحتلال الفرنسي وظيفة عسكرية بالدرجة الأولى.

استقر الإنسان بمنطقة تازا قديماً وقد دلت مؤشرات عديدة على ذلك، منها اللقى التي عثر عليها الضابط ل. ڤوانو L. Voinot وهي عبارة عن بقايا أوان فخارية ونقوش داخل مغارات وأدوات حديدية.. تعاقب على المنطقة عدة سلالات حاكمة، فقد شيد بها مكناسة وهم برابرة زناتيون (مكناسة تازا) وبعد مجيء المرابطين أحاطها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بسور عظيم. وفي عهد الموحدين جدد عبد المومن بن علي سورها وشيد بها الجامع الكبير الذي توجد به ثريا من أعظم الثريات بالمغرب صنعت في القرن السابع (13 م) تزن اثنين وثلاثين قنطاراً من النحاس "وكان العوام يعتقدون أن القرآن كله منقوش بجوانبها، لكن اتضح أن ما كتب بجوانبها أبيات من الشعر".

اتخذت المدينة اسم رباط تازا، وبضاحيتها كانت توجد زاوية الأستاذ الشهير ابن بري الرباطي (تـ 730 / 1329) ومدرسته، ومازالت أطلالها ظاهرة حتى اليوم، وتسمى زاوية أمْلي.

وفي عهد المرينيين اتسع رباط تازا فأصبح مدينة عامرة بعد أن أسس بها السلطان أبو يعقوب يوسف قصراً بجوار الجامع الكبير، وشيد بها السلطان أبو الحسن المريني وابنه أبو عنان مدرسة علمية كبيرة جددها أخيراً السلطان محمد ابن عبد الله. وفي العهد الوطاسي كانت تازا عبارة عن مدينة تتوفر على ثلاث مدارس وعدة حمامات وأسواق متنوعة ويلغ عدد سكانها 20.000 نسمة. وكان السلطان المولى الرشيد أول من اهتم بالمدينة في العصر العلوي ومرد

ذلك إلى ما كانت تتمتع به الزاوية الدلائية من قوة ونفوذ حيث أصبح بوجودها المحور التجاري التقليدي (جلماسة فاس) حريزاً. أحدث المولى الرشيد بعض التغيرات بالمدينة حيث حول دارالمخزن (المشور) من جوار الجامع الكبير وبناه عند قدم البستيون في الجنوب الشرقي للمدينة.

كانت مدينة تازا في بداية القرن العشرين تنقسم إلى حيين حي في الشمال يحيط بالجامع الكبير ويدعى (موالين الجامع) وحي في الجنوب ويسمى (الفوقيين) نظراً لطابعه المرتفع. وقد تحكم في هذا التقسيم العنصر الطبغرافي الطبيعي. وتتوفر المدينة على تجهيزات عتيقة ومتعددة. فبالإضافة للجامع الكبير كان بها مسجدان آخران هما مسجد الأندلس ومسجد السوق، وبها خمس زوايا وتسعة عشر ضريحا في مقدمتهم ضريح سيدي عزوز، وثلاثة مدارس. وكسائر المدن العتيقة كان بالمدينة حارة لليهود تسمى الملاح ودار المخزن (المشور) ومصلى لأداء صلاة العيد. عرفت المدينة بعض التغييرات الجزئية على مستوى التجهيزات في حين ارتفع عدد الساكنة من 7.000 نسمة سنة 1937 إلى 13.000 نسمة سنة 1952 أي ما يشكل 591 نسمة في الهكتار الواحد. لكن رغم هذا الارتفاع الديمغرافي فإن كل الخدمات كانت متمركزة في المدينة الحديثة باستثناء مبنى البلدية ودار القاضي ومستشفى داربوا Darbois ابن رشد حالياً، بالإضافة إلى المدرسة الابتدائية الإسلامية، كما حلت بعض الدور السكنية محل التكنة العسكرية كودير Coudert. وبحكم الوظيفة العسكرية التي كانت تحظى بها المدينة فإن جل الساكنة في هذه الفترة عبارة عن جنود في صفوف الجيش الفرنسي أو متقاعدون، بالإضافة إلى معطوبي الحرب العالمية الثانية، مقابل عدد ضئيل من الصناع التقليديين والتجار والحرفيين وبعض الفلاحين.

وفي سنة 1919 أنشئت المدينة الحديثة من طرف الاستعمار الفرنسي في ظل سياسة الماريشال ليوطي الرامية إلى عزل الأهالي عن الجالية الأروبية، كان الهدف من إنشاء المدينة الحديثة بالأساس مراقبة المدينة العتيقة، شيدت فوق أراض كانت في ملك الأوقاف على طراز غربي وبتصاميم حديثة تتوفر على كل شروط السكن الصحي والتجهيزات العصرية. وهكذا أصبحت مدينة تازا شطرين مدينة عتيقة مكتظة بالسكان، ومدينة حديثة مجهزة تقطنها أقلية أروبية ذات امتيازات على حساب الأهالي.

عرفت مدينة تازا غداة الاستقلال إعادة توزيع سوسيواقتصادي، فأمام الاكتظاظ الذي عرفته المدينة العتيقة الناتج عن توافد المهاجرين القرويين وكباقي المدن

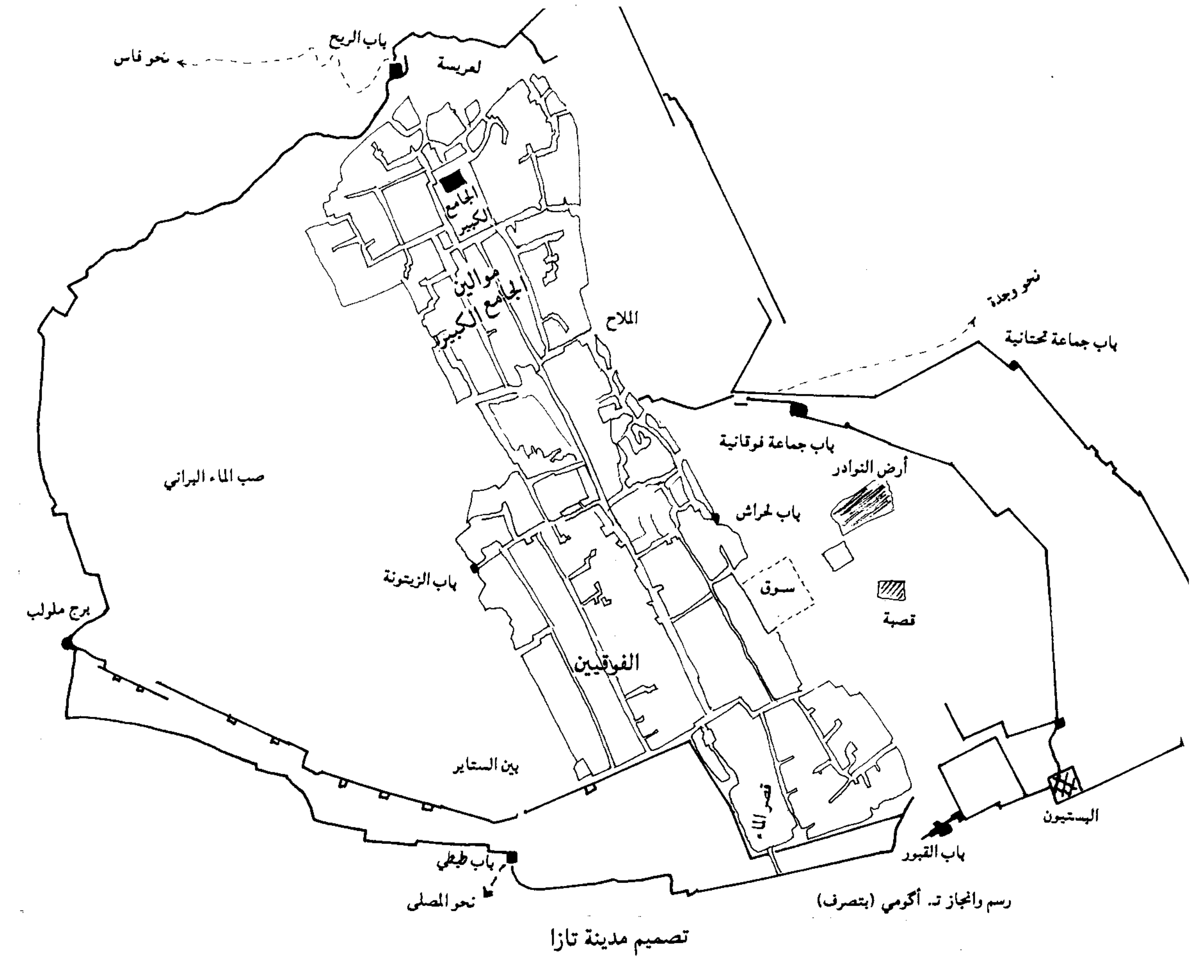


تصميم مدينة تازا

المغربية العتيقة فقدت المدينة الطبقة البورجوازية التي غادرت أسوار تازا متجهة نحو المدينة الحديثة أو باب الزيتونة حيث الأحياء الراقية التي غادرها الأروبيون. وهكذا تمركزت عائلات ميسورة في حي درع اللوز أو حي بين الجرادي.

وأمام تزايد السكان المستمر وظهور أزمة السكن لجأت الجهات المختصة بالسكنى والتعمير في التصميمين الثلاثي 1957 و1959 والخماسي 1960 و1964 إلى إنشاء وحدات سكنية في حي المطار بلغت 330 شقة، كما شيدت عمارات في حي الگعدة. وأمام العجز التام لحل مشكل السكن ظهرت موجة جديدة من السكن الهامشي على شكل دواوير نذكر منها دوار الجيارين - دوار السي الطيب - دوار سيدي عيسى - دوار أولاد ونان. بلغ عدد سكان مدينة تازة 31.667 نسمة سنة 1960، وفي سنة 1971 وصل هذا العدد إلى 55.157 نسمة، ووصل إلى 82.176 نسمة سنة 1978 ليتجاوز هذا الرقم 98.000 نسمة في آخر إحصاء سنة 1982.

اليد العاملة النشيطة تتوزع على قطاعات مختلفة حيث قطاع الصناعة التقليدية الذي يحظى بالجزء الأكبر. تشغل بعض الصناعات العصرية الخفيفة 20٪ من الساكنة النشيطة بينما تستقطب الخدمات والفلاحة الباقي. ورغم توفر ضواحي المدينة على موارد معدنية مهمة فإنها لم تستطع أن تتحول إلى مدينة منجمية. ففي جبل الشيكر وركبة بونوح يوجد الرصاص والزنگ، كما يوجد الحديد في جبل بومسعود ودار الحداد.

وتبقى فرص الشغل بالنسبة للساكنة جد ضئيلة أمام عدم استغلال بعض الموارد الطبيعية التي تمتاز بها المنطقة.

ص. ابن العربي، *كتاب المغرب*، 94 ـ 96.

*Atlas du Bassin du Sbou*, Ministère de l'Agriculture et la Réforme Agraire, Rabat 1970 ; T. Agoumy, *La croissance de la ville de Taza et ses conséquences sur la disharmonie urbaine* ; J.F. Troin, *Essai méthodologique pour une étude des petites villes en milieu sous-développé*, Annales de Géographie N° 441, septembre - octobre 1971.

** إقليم تازا من أقدم أقاليم المملكة التي أنشئت عقب الاستقلال. فقد تم إحداثه بموجب الظهير الشريف رقم 1.59.351 الصادر في فاتح جمادى الثانية 1979، موافق 2 دجنبر 1959.

يمتاز الإقليم بمؤهلاته البشرية والطبيعية، نظراً لشساعة مساحته وتنوع تضاريسه ووفرة مياهه وغطائه النباتي وغنى ثرواته الحيوانية.

تبلغ مساحة الإقليم 15.020 كلم$^2$ تقطنها ساكنة بلغت حسب احصائيات سنة 1982 = 715.000 ن منهم 143.000 نسمة يسكنون الحواضر بينما 572.000 ن يشكلون ساكنة القرى.

| سكان الاقليم | العدد |
|---|---|
| سكان المدن | 143.000 ن |
| سكان القرى | 572.000 ن |
| مجموع السكان | 715.000 ن |

حسب التقسيم الإداري القديم للإقليم كان عدد الدوائر ستاً والقيادات ست عشرة قيادة في حين وصل عدد الجماعات إلى تسعة وأربعين، منها أربع جماعات حضرية ومركزان مستقلان وثلاث وأربعون جماعة قروية.

وبناء على الظهير السالف الذكر وعلى القانون رقم 12.92 المتعلق بوضع ومراجعة اللوائح الانتخابية العامة الصادر بتنفيده الظهير الشريف رقم 1.92.90 بتاريخ 9 ذي الحجة 1412 موافق 11 يونيو 1992 تمّت عملية تقسيم الإقليم إدارياً على النحو التالي :

الدوائر وعددها ست : وهي اكنول - جرسيف - تاهلة - تايناست - تازا - وادامليل. أما بالنسبة للقيادات فقد بلغ عددها إحدى عشرة قيادة - وهي أجدير - اكنول - تيزي وسلي - بركين - مزكيتام - تادارت - لمريجة - صاكا - أولاد ازباير - واد امليل - بني فراسن، في حين وصل عدد الجماعات إحدى عشرة - منها ست جماعات حضرية وهي تازا العليا (البلدية) - وتازا الجديدة (البلدية) - جرسيف (البلدية) - تاهلة (البلدية) - اكنول (البلدية) - واد امليل (البلدية) بينما الخمس جماعات المتبقية قروية وهي اكزناية الجنوبية - اجبارنة - بوحلو - بوشفافة - غياتة الغربية.

التقسيم الإداري الجديد لإقليم تازا

| الإقليم أو العمالة | الدوائر | القيادات | الجماعات الحضرية أو القروية |
|---|---|---|---|
| تـازا | | | تازا العليا (البلدية)<br>تازا الجديدة (البلدية)<br>جرسيف (البلدية)<br>تاهلة (البلدية)<br>اكنول (البلدية)<br>واد امليل (البلدية) |
| | اكنول | اجدير<br>اكنول<br>تيزي وسلي | اگزناية الجنوبية<br>اجبارنة |
| | جرسيف | بركين<br>مزكيتام<br>تادرت<br>لمريجة<br>صاكا | |
| | تاهلة<br>تيناست<br>تازا | | |
| | واد امليل | أولاد ازباير<br>واد امليل<br>بني فراسن | بوحلو<br>بوشفاعة<br>غياتة الغربية |

وزارة التخطيط : *احصائيات السكان بالمغرب 1982* ؛ *الجريدة الرسمية*، عدد 2458 بتاريخ 4/2/59 ؛ وعدد 4165 بتاريخ 26/8/1992.

محمد بلعربي

**تازا**، قرية تقع بفرقة بني زرويل من قبيلة الاخماس بإقليم شفشاون، ومن أجلها سميت قرية أخرى قريبة منها باب تازا لأنها تكون شبه مدخل لها. وإلى قرية تازا تنتسب أسرة التازي الموجودة بشفشاون، وكذلك بعض الأسر التازية القاطنة بتطوان.

**تازا**، (باب ـ) قرية تقع بفرقة الخزانة من قبيلة الاخماس (إقليم شفشاون)، اشتهرت بكون سكانها أبلوا البلاء الحسن في الدفاع عن حوزة الوطن حيث قاوموا بشدة الغزو العسكري الإسباني لقبيلتهم من سنة 1920 إلى سنة 1927 لدرجة أن قيادة الجيش الاسباني اعتبرت احتلال القرية يوم 29 يونيو سنة 1927 انتصارا لم يسبق له مثيل، وهذا ما جعل المقيم العام الاسباني الجنرال سانخورخو Sanjurju يختار قرية باب تازا للإعلان عن نهاية "التهدئة" (Pacification) في جميع تراب منطقة الحماية الإسبانية بشمال المغرب وذلك بإصداره الأمر العام ليوم 10 يوليوز 1927.

ولم تمر سوى خمس سنوات على ذلك الإعلان حتى تمكن سكان قرية باب تازا باتفاق مع باقي سكان قبيلة الاخماس من القيام بمحاولة تنظيم ثورة ضد الحماية الإسبانية، وتمكنوا بالفعل من احتلال جزء من معسكر اللفيف الأجنبي المرابط هناك والاستيلاء على الأسلحة الموجودة به، وذلك في أواخر شهر ديسمبر عام 1932.

غير أن خيانة بعض العناصر جعلت الإدارة الإسبانية بشفشاون تطلع على ما كان يدبر لها، وتمكنت من القضاء على الثورة في مهدها حيث ألقي القبض على ما يزيد عن 500 من زعماء القبيلة.

ع. بنعبد الله، موسوعة، 79.

*Vademecun* 1942 ; Ghirelli, *Norte*, 103 ; *Nomenclator de Cabilas*, 1953 ; Martinez Campos, *España belica*, 347 ; Domenech, *Zona Norte*, 67 ; Cabello, *Geografia de Marruecos*, 183 ; T. Garcia Figueras, *Marruecos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**تَـازَارْتْ نْ يِـفِـيسْ**، تعني بالأمازيغية "تين الضبع" المعروف في بعض المناطق المغربية بفساس أو أفساس نظرا لقوة رائحته. وهو نوع نباتي ينتمي إلى فصيلة المركبات.

والاسم العلمي هو ڤاريونيا صاحاري Warionia saharae إنها شجرة أو شجيرة يبلغ علوها بضعة أمتار، متفرعة، ذات قشرة سمراء ومشققة على الجذع، وفاتحة اللون وملساء على الأغصان. أوراقها فاتحة الاخضرار وجد عطرة، متخالفة وشبه عنقية، مفصصة، وفصصها مسننة، سويقات أزهارها مورقة. رؤيساتها الزهرية كبيرة الحجم رذ يبلغ قطرها 4 أو5 سم. لون أزهارها فاقع الاصفرار.

يعيش الفساس بشكل منفرد على تربة صخرية كلسية أو سلتية، في مجال غابات أرگان وعلى سفوح جبال الأطلس الكبير والصغير وباني وواركزيز، في البيومناخات شبه الجافة والجافة والصحراوية من الطابقين المتوسطي الدافيء وتحت المتوسطي، حيث يصادف في جل المناطق المغربية الموجودة ما بين أگادير غربا وفگيگ شرقا.

ينحصر التوزيع الجغرافي للفساس في المنطقة الغربية من شمال إفريقيا المتوسطية بالرغم من أنه ينتمي إلى أنواع نباتية مدارية الأصل. إنه يعتبر من الأنواع القديمة الخالفة عن نباتات العصر الثلاثي لشمال إفريقيا.

يستعمل هذا النوع في التطبيب التقليدي في حالات عديدة.

*أبحاث شخصية.*

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938

عبد المالك بنعبيد

**تازارين**، مركز قروي ونهر في ورزازات. مفرده تازازت وهي شجرة التين بالأمازيغية. وحسب الرواية الشفوية فإن الموقع الحالي لمركز تازارين كان يتميز بينابيعه المائية المحاطة بشجرة التين حيث كان يخيم الرحل لفترات قصيرة من أجل رعي وسقي قطعانهم. يمتد المركز القروى إلى الشمال الشرقي من مدينة زاكورة عند قدم جبل صغرو، وقد تم اختياره كمقر لجماعة قروية تحمل نفس الاسم، وتنتشر في منخفض شبه مغلق يجرى فيه نهر تازارين الذي يشكل سهلا فيضيا يتميز بتربته الصالحة للزراعة. ويسود بالمنطقة مناخ صحراوي جاف يتميز بضعف المعدل السنوي للتهاطلات المطرية التي لا تتعدى 100 ملم وبارتفاع الدرجات الحرارية المسجلة صيفا والتي قد تصل خلال شهري يوليوز وغشت إلى 42 درجة.

وكنتيجة لضعف التساقطات يتسم النظام الهيدروغرافي بعدم انتظام الجريان وتركزه في الزمان والمكان إضافة إلى ضعف منسوب المياه. أما الغطاء النباتي فاضافة إلى هزالته تغلب عليه النباتات الشوكية المتكيفة مع المناخ القاحل ويشكل الطلح أهم هذه النباتات حيث ينتشر على مساحة تقدر بـ 820 هكتار.

ظلت منطقة تازارين لفترة طويلة من تاريخها مسرحا لصراعات متعددة بين القبائل المتساكنة، فقد استطاعت قبائل بني معقل في مرحلة أولى طرد مجموعات أيت عطا، لكن هذه الأخيرة ما لبثت أن استعادت سيطرتها على مجالها بمجرد ما تكونت الاتحادية العطاوية في القرن الماضي. والخليط البشري الحالي خير شاهد على هذا التعاقب في التعمير الذي عرفته المنطقة. فالتركيبة العرقية الحالية تتميز بتنوعها، فإلى جانب قبائل أيت عطا التي تشكل القسم الأكبر من ساكنة المنطقة نجد مجموعات بشرية تنتمي إلى فئات المرابطين والشرفاء والحراطين.

وقد عرف سكان جماعة تازارين نموا ديموغرافيا مطردا حيث ارتفع عدد السكان من 10.926 نسمة سنة 1971 إلى 14.412 نسمة سنة 1980، ويصنف إحصاء هذه السنة سكان الجماعة إلى صنفين : أقلية تعيش على الترحال الدائم لا يزيد عدد أعضائها على 130 نسمة. وأكثرية تعيش حياة شبه مستقرة إلى مستقرة ويستوطن قصورا صحراوية يبلغ

عددها 52 قصرا، موزعة مجاليا توزيعا مشتتا تتحكم فيه بالأساس الموارد المائية. ويزاول هذا الصنف الأخير البالغ عدده 14.282 نسمة حياة فلاحية في إطار واحات مجهرية.

واعتمادا على المياه السطحية والباطنية المستغلة بواسطة تقنيتي السواقي والآبار يتم استغلال 1.500 هكتار موزعة على أكثر من 20 واحة صغيرة. وعلى عكس الواحات الكبرى الممتدة على ضفاف نهر درعة تتميز واحات تازارين بمجهريتها من جهة وبتشتتها المجالي والغير المنتظم من جهة أخرى.

وتهيمن الملكية الخاصة التي تهم أكثر من 95٪ من المساحة الزراعية العامة متنوعة على التوالي بأراضي الجموع 4،5٪ وأراضي الأحباس 0،5٪. إضافة إلى ذلك يعرف توزيع الأراضي الزراعية توزيعا غير متساو حيث تتركز الملكية في أيدي فئة قليلة من السكان. وهكذا يستحوذ حوالي 4٪ من الملاكين على أكثر من 30٪ من المجال الزراعي.

يقوم سكان تازارين كذلك بتربية الماشية حيث يخصص جزء مهم من إنتاج الواحة لتغذية الأبقار (1.100 رأس) والأغنام من نوع الدمان، في حين تستغل قطعان الماعز وبعض أصناف الأغنام التي تتحمل مشاق الطرق الوعرة والتنقلات البعيدة (20.000 رأس) المراعي المجاورة أو البعيدة بقلب جبل صغرو.

*اقتصاد الواحة، واحة تازارين نموذجا* ؛ ندوة حوض درعة : *الإنسان والمجال*، المنظمة بأگادير أيام 12 ـ 14 نونبر 1992.

G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara*, 1936 ; A. Toufik Zainabi, *Vers une disparition rapide du nomadisme au Sud-Est marocain : Le cas du Dra Moyen*. In *le nomade, l'oasis et la ville*. URBAMA. Fascicule de recherche n° 20, pp. 49 - 61, 1989.

توفيق رشيد

**تازاغين** أو تَزَغِينْ، لفظ مستعمل في عدد من جهات الريف الشرقي، ويطلق على التربة الجافة بعد سقيها. من الفعل الأمزيغي "تزغ" ويحمل هذا الاسم في الوقت الراهن رافد واد سيدي صالح، الفاصل بين تمسمان وبني وليشك من الجهة الشرقية، يخترق أراضي القبيلة الأخيرة من منابعه بتاغروط بني يخلف. إلى أن يتصل بواد سيدي صالح عند مدشر تَلِيونْ، بعد عبوره بقرية إِخْزْرُونْ.

أسس المدشر بالقسم الشمالي من الكدية المشرفة على نقطة بواد سيدي صالح شهد مخبر "موليراس" (Moulieras) بأهميته، إذ أنه تكون من مائة كانون، على خلاف الصورة المتواضعة التي يظهر بها اليوم. بعد أن اختفت معظم دوره. وهو داخل ضمن قبيلة بني وليشك، قرية بني يخلف واقع عند نقطة الحدود بينها وبين فرقة بني مرغنين التمسمانية.

وخلال القرن الماضي شكلت تزغين جماعة تابعة لفرقة إزعومن التابعة لقبيلة بني سعيد الريفية (أواسط شعبان عام 1309)، تجمعاتها موزعة على الضفة اليمنى من واد سيدي صالح، ما بين واد ترغين ومصب الأول في البحر المتوسط بجوار سيدي عمر أُمُوسى. من المداشر المندرجة بجماعتها: تزغين، وتليون وإخزرونن.

ويوجد مرسى تازاغين بالجون الصغير الذي يشكله مصب واد سيدي صالح. كان في مستهل القرن الرابع عشر الهجري (أواخر 19م) من مراسي بني سعيد المشتغلة بالتجارة والتهريب، إلى جانب مرسى سيدي احساين المقابل له من جهة الشرق. ومرسى سيدي إدريس الكائن بمصب واد تمسمان من جهة الغرب.

ويظهر أن التنافس اشتد بين قبائل بني سعيد وتمسمان وبني وليشك على أراضي جماعة تازاغين. ففي الوقت الذي كانت فيه الجماعة تابعة لفرقة إِزْعُومَنْ السعيدية سنة 1883/1301. بدأ أمين فرقة بني مرغنين محمد بن عبد السلام التمسماني محاولاته لجلب أهل الجماعة إلى صفه (جمادى الأولى 1301) بينما اشتكى قائد بني وليشك الحاج العربي الوليشكي من عدم إشراف أراضي القبيلة على ساحل البحر (25 محرم 1303). وبالفعل فقد ضمت أراضي جماعة تزغين إلى فرقة بني مرغنين التمسمانية. أما مدشر تاراغين فقد أدخل ضمن فرقة بني يخلف الوليشكية، مما أدى إلى إضعاف أهميته.

*وثائق خ. ح. بالرباط* ؛ *كنانيش خ. ح.* كناش 347 ؛ كناش 348 / 9 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 93 ـ 94.

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 1 : 130.

حسن الفگيگي

**تازاگورْتْ**، أو تَزگورت حصن يقع في السفح الشمالي بجبل زاگورة على يمين الطريق القديم الذي كان يربط بين مدينة زاگورة الحالية ومنطقة تازارين عبر تيزي ن تافيلالت بترناتة. ويعرف هذا الحصن في المصادر المحلية بمدينة جبلين (*طليعة*، 5) أو بمدينة تازاگورت (*الرياحين*، 142) أما الوثائق اليهودية التي عثر عليها بدرعة، فتسمي الحصن بمدينة الحجر (*Manuscrits*, 45).

وقد تضاربت الروايات حول زمن بناء حصن تازاگورت، فالوثائق اليهودية السالفة الذكر، ترجع تاريخ بنائه إلى ما قبل الإسلام وهو تاريخ مبالغ فيه ولاشك، إذ تؤكد المعطيات التاريخية والأركيولوجية أن الحصن قد بني في زمن متأخر جدا عن الزمن الذي تحاول الوثائق اليهودية تحديده لبناء هذا الحصن، خاصة أن هناك مواضع أخرى تحمل اسم مدينة الحجر، كما هو الحال برباط الحجر شمال حصن تزاگورت بحوالي 14 كيلو ميتر، وقصر تَازْرُوتْ بالقرب من تامگروت بفزواطة.

أما المصادر المحلية، والتي يظهر أن أصحابها اعتمدوا على الوثائق اليهودية، فلم تبت في زمن بناء الحصن، وإنما تعزو بناءه للنصارى، خاصة الأميرة سيطة، والتي لا يزال اسمها المزعوم مطبوعاً على اسم قصر تينسطة إلى اليوم (*المزريوي*، 4).

إلا أن ربط اسم النصارى بعدة أطلال بدرعة كما هو الحال بأَزْلاَگْ بترناتة، وجبل بن سلمان بأكتاوة، وبحصن

تازاگورت له ما يؤكده في الواقع التاريخي، ذلك أن بعض سلاطين الدول التي تعاقبت على حكم المغرب، منذ عهد الموحدين إلى زمن السلطان مولاي إسماعيل العلوي، كانوا يعتمدون على مرتزقة أو أسرى مسيحيين لكبح ثورات القبائل بدرعة، ففي عام 565 / 1169 أرسل عبد المومن بن علي الكومي إلى درعة النصراني گراندة في ثلاثمائة من أصحابه (*أخبار المهدي*، 89) أما طوماس پيلو، الأسير الأنجليزي، فقد أرسله السلطان مولاي إسماعيل سنة 1724 على رأس فرقة من الأسرى المسيحيين إلى محاميد الغزلان لوضع حد لثورات القبائل بالمنطقة (*Relations*, 118 - 119) وقد كان هؤلاء النصارى ينزلون في مواقع استراتيجية لا تزال تعرف إلى اليوم بإغرم نيرومين أو قصبة النصارى (*Le Maroc inconnu*, 331). فهل يمكن القول بأن حصن تازاگورت قد بني أو جدد في مطلع القرن السادس (12 م) حين اضطرت الدولة المرابطية إلى تحصين عدد من المواقع لمواجهة حركة المهدي بن تومرت ؟

تؤكد نتائج أعمال الحفر التي قام بها جاك مونيي وشارل ألان سنتي 1952 و1954 ما يلي :

1 - أطلال حصن تازاگورت ترجع إلى عصور مختلفة وأن ما تبقى من هذه الأطلال يرجع بالتأكيد إلى العصور الإسلامية.

2 - أن بعض المواد المستعملة في أطلال حصن تازاگورت تشبه إلى حد كبير نفس المواد المستعملة في أطلال البصرة الإدريسية بشمال المغرب (*La Forteresse*, 322).

3 - أن التصميم العام لحصن تازاگورت يشبه تماما باقي القلع والحصون التي خلفها المرابطون.

وهكذا يمكن أن نستنتج في النهاية أن حصن تازاگورت يكون قد بني خلال القرن الثالث الهجري، يوم كانت المنطقة خاضعة لعلي بن أحمد بن إدريس الأصغر (*طليعة*، 2) وجدد بناؤه على عهد الدولة المرابطية.

الدور التاريخي لحصن تازاگورت : بني حصن تازاگورت على مساحة تقدر بحوالي عشرة هكتارات، ويحيط به سور خارجي يتراوح سمكه ما بين مترين ونصف وثلاثة أمتار، تتخلله بقايا أبراج في كل جهاته، وهو مبني بالصخور الصماء والجير. وقد أقيم هذا الحصن في المدخل الجنوبي لواحة ترناتة، مما يؤكد دوره التحكمي في الطريق التجاري القديم الذي كان يربط بين تافيلالت شرقا وتامدولت غربا (*La Forteresse*, 306).

بالرغم من ندرة المعلومات عن حصن تازاگورت، فإننا نستفيد من بعض الإشارات التاريخية أن غالبية سكان هذا الحصن من الكوشيين الخلاسين بالإضافة إلى طائفة كبرى من اليهود (*Manuscrits*, 40). ويظهر من إشارات البيذق الصنهاجي وابن القطان والوثائق اليهودية، أن تازاگورت تعرضت للتخريب والتهديم إبان الصراع على السلطة بين المرابطين والموحدين خلال العقد الثالث من القرن السادس (12 م) ذلك أن سكان تازاگورت أعلنوا معارضتهم للموحدين منذ أول وهلة ظهور ابن تومرت، الأمر الذي جعل هذا الأخير يقود بنفسه حملة عسكرية خاطفة على تازاگورت سنة 523 / 1128. وكانت تازاگورت يومها بلاسور على غرار القلع المرابطية، وقد استطاع المهدي السيطرة عليها بعدما دحر عامل المرابطين على المنطقة، فاسترق سكانها من الخلاسين، وحولهم إلى عبيد للمخزن (*أخبار المهدي*، 38). ونستفيد من كلام البيذق، أن المرابطين، بمساعدة قبائل أيت يَـيْـغَزْ، استرجعوا تازاگورت وقتلوا عامل الموحدين بالحصن واسمه وامازير ابن حواء الهنتاتي، وليس من المستبعد أن يكون المرابطون سوروا المدينة بعد استرجاع نفوذهم عليها. وقد انشغل عبد المومن باسترجاع المرابطين لتازاگورت، فقرر سنة 527 / 1132 قيادة حملة قوية إلى وادي درعة، فاقتحم حصن تازاگورت وقتل عامل المرابطين يحيى بن مريم كما قتل حوالي عشرين ألفا من سكان الحصن (ابن القطان، 195) وإذا كانت المصادر العربية قد سكتت عن القتلى من يهود تازاگورت، فإن ابراهام بن عزرا، سجل لنا كيف سقطت مدينة درعة (تازاگورت) حيث عرض عبد المومن على يهود المدينة الإسلام أو القتل.

وتبعا لسياسة الموحدين في تهديم الأسوار التي أقامها المرابطون، يبدو، أن عبد المومن قد خرب أسوار حصن تازاگورت بعد أن قتل من قتل من سكانها وساق الأحياء منهم أسرى إلى تينملل (*Le Maroc Saharien*, 255) وتؤكد كل القرائن أن الحصن لم يعمر منذ ذلك الحين إلى اليوم.


عبد الكريم المزريوي، *مذكرة المزريوي*، مخطوط ؛ م. المكي الناصري، *الرياحين الوردية*، مخطوط خ. ع رقم 1864 د. *طليعة الدعة في تاريخ وادي درعة*، مخطوط ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط 1971 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، طبعة تطوان.

Dj. Jacques - Meunié, *Le Maroc Saharien : des origines au XVI s.*, Paris, 1982 ; J. Gattefossé, *Juifs et Chrétiens du Dra avant l'Islam*, *B.S.P.M.*, 1935 ; T. Pellow, *La relation de Thomas Pellow*, Trad. Magali Morsy, Paris, 1983 ; J. Meunié et Ch. Allain, *La Forteresse Almoravide de Zagora, Hesp.*, 33, 1956 ; N. Slousch, *Note sur l'histoire des Juifs du Maroc*, *A.M.* n° VI, 1905.


أحمد البوزيدي

**تازْرت**، قصبة تاريخية وجماعة قروية تابعة لدائرة أيت أُرير بإقليم مراكش، مساحتها 249 كلم2 وسكانها 12.834 نسمة (1982) تتكون من فخذتين : أيت لاغ بالجبال الدنيا وأيت أوزغار بالجبال المتوسطة بالواجهة الشمالية للأطلس الكبير الأوسط. تشرف على الحوز الشرقي لكن أراضيها تنتهي عند انقطاع الجبل حيث يكون طريق الدير الشلائي المعبد الرابط بين مراكش - سيدي رحال - دمنات حدها الشمالي. تتكون من أحواض تجري بها مسيلات ووديان موسمية أهمها وادلاغ وروافده يفصل بينها سحدبات وأعراف يتراوح ارتفاعها بين 800 . 1.200 م. تضم كل ما يعرف بأگلاوة الشمالية. يتوزع سكانها على ثمان وخمسين قرية صغيرة وكبيرة أهمها قصبة تازرت، وهي جزء

من قبيلة اكّلاوة تسرب نفوذها وبعض سكانها إلى هنا خلال القرنين الأخيرين على حساب قبائل السفوح الشمالية الأصلية غجدامة شرقا وتكّانة ومسفيوة غرباً، انطلاقا من حوض تلوات والوادي المالح بالسفوح الجنوبية الشرقية للأطلس الكبير الأوسط. كما امتلك رؤساؤها مساحات شاسعة من أراضي الدير والحوز الشرقي على حساب قبيلة زمران.

البنية الاقتصادية : يمارس معظم سكان تازرت زراعة بورية مغلالة للحبوب بالأحواض والسفوح الضعيفة الانحدار. وزراعة مسقية للحبوب والقطنيات وبعض الخضر وأشجار الزيتون حيثما توفرت مياه السقي من العيون ومياه الفيض وبعض السواقي عند جريان المياه بالوديان الموسمية، إلا أن أهم نشاط يزاوله السكان هو تربية المواشي خاصة الأغنام والماعز التي تجد مراعي واسعة بالمجال الجبلي، وكذلك بالأراضي المستراحة بسهل الحوز الشرقي التي كانت في ملكية باشا مراكش السابق الحاج التهامي الاكّلاوي وحاشيته، لكن صودر معظمها بعد الاستقلال وصاروا حاليا يزرعون فيها جزئيا أو يزرعونها بمقابل كراء يدفع لإدارة الأملاك المخزنية.

ويبدو أن مسلسل التحولات الاقتصادية والاجتماعية مازال يسير هنا ببطء لأن معظم المساجات الجبلية بالجماعة هي ملك حديث شخصي أو جماعي لقبيلة أكّلاوة الشمالية لازال ملاكوها متشبثين بها قلما يبيعونها ويهاجرون، ممّا جعل نسبة التزايد السكاني مرتفعة نسبياً بهذا الوسط الفقير زراعيا 5,2٪ (1971 ـ 82) كما أن النفوذ السياسي الذي تمتعت به القبيلة في القرن الثالث عشر (19 م) وفي عهد الحماية في ظل الأسرة القيادية الأكّلاوية القوية، وفقدته بعد الاستقلال مازال يؤثر على نفسية الكثير من السكان وعلى العلاقات الحالية للقبيلة مع جيرانها سواء بالجبل أو السهل، لهذا يفضل الكثير من السكان البقاء في قراهم ومتابعة ممارسة نمط إنتاجهم ومعيشتهم التقليدي.

أما مركز تازرت فهو عبارة عن قصبة تاريخية وقرية كبيرة بلغ سكانها 1.578 نسمة (1982) تقع على علو 717 م عند خط اتصال السفوح الشمالية للأطلس الكبير مع سهل الحوز الشرقي عند مدخل واد موسمي يعرف بواد تازرت (وتازرت : شجرة التين) توجد شرق مدينة مراكش على بعد 58 كلم. كانت في الأصل قرية صغيرة تتكون من منازل قليلة تنتشر على سفح بالضفة اليسرى للواد قرب عين غزيرة، عرفت توسعا كبيراً في النصف الأخير من القرن الثالث عشر (19 م) عندما اتخذتها الأسرة القيادية الأكّلاوية قصبة للمراقبة ومركز اتصال بين قبيلة اكّلاوة الشمالية والحوز الشرقي وخاصة عندما شرع القايد المدني الأكّلاوي في بناء قصبته الكبيرة (منزل محصن) سنة 1878 لإقامته المؤقتة ولخزن المنتجات الفلاحية والأسلحة... كما بنى خليفته قصبة أخرى لإقامته بالإضافة إلى ثلاث قصبات أخرى صغيرة لبعض الوجهاء من القبيلة، فتكاثرت حولها المنازل للأتباع والخدام وبعض الفلاحين الصغار. وجل هذه القصبات مخرب لانعدام الصيانة ولأنها مبنية بمواد هشة : التراب المدكوك والجير جزئياً، يقيم حاليا بجزء منها بعض القرويين من أبناء الخماسة القدامى وينتشر بينها منازل القرويين التي تتكاثف أحياناً أو تنفرج.

وتنتشر معظم المنازل بالضفة اليمنى المستوية نسبياً حيث توجه القصبتان الكبيرتان، وبالضفة اليسرى حيث كان يوجد ملاح لليهود تتسلق المنازل السفوح عالياً. ويكثر بضفتي الوادي بساتين الزيتون التى تمتد إلى حدود الطريق الثلاثي المعبد المتجه إلى مراكش، وفي النهاية الجنوبية العليا لهذا التجمع السكني يوجد دير لراهبات (5 ـ 10) كن يعالجن المرضى لكنهن الآن يعلمن بعض الفتيات الخياطة والحياكة.

ويتوفر المركز على بعض المنشآت الإدارية والاجتماعية: مستوصف، مدرسة، بريد، مركز فلاحي، مركز الجماعة القروية، مقاهي، سوق أسبوعي ينعقد يوم الاثنين تمتد بالهوامش الشمالية على طول الطريق الثلاثي المعبد، كما يتوفر على الماء الشروب وربط الشبكة الكهربائية الوطنية سنة 1992، ويقطع المركز زقاق رئيسي ينطلق من الطريق المعبّد مخترقا ساحة السوق الأسبوعي ثم يخرج من الجهة الأخرى موازيا الواد تنتشر حوله دكاكين تجارة وبعض المهن والخدمات عددها خمسون، لكن جلها مغلق لا يفتح أبوابه إلا في يوم السوق إن لم يكن فارغا لم يستغل بعد.

ورغم وجود حوالي خمسين موظفاً بالمركز وعدد من التجار والحرفيين فإن الطابع القروي الريفي مازال يطغى على المركز، وحركته العمرانية ضعيفة بهوامشه الجنوبية والشرقية منازل متباعدة بالتراب المدكوك غالباً بعضها مهجور وبعضها الآخر لم يكتمل بناؤه، تعود في معظمها لمهاجرين نحو المدن الكبرى.

*بحث ميداني ؛ معلومات من المرشد الزراعي، خريطة سيدي رحال* 1 / 50.000 ؛ *بحوث طلبة السنة الرابعة الجغرافية* بكلية الآداب ـ مراكش.

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech.*

أحمد هوزالي

**تازرة**، مصطلح أمازيغي يطلق على القلادة Le collier التي تتزين بها النساء في الحفلات والمناسبات المختلفة. وهو مصطلح شائع لدى قبائل أيت اوزكيت بإقليم وارزازات وكذلك في موطن قبائل أكّلاوة وفي واحات باني، إلا أن تازرّة التي تتزين بها نساء هذه المناطق شائعة الاستعمال في دادس وتُدغة وتافيلالت، بل إنها تستعمل كذلك في منطقة تنبكتو، وتحمل اسم : والاتا إديي Walta Idye وهذا راجع بالأساس إلى الظروف التاريخية لأن هذه المناطق كانت تمر بها تجارة العبور نحو تنبكتو وتاودني ومملكة صنغاي وهي طريق تسمى طريق الذهب والملح. فكانت هذه التجارة تربط بين عالمين يتعارفان إن على

المستوى الاقتصادي أو على مستوى تبادل المؤثرات. وتستعمل قلادة تازرة في البوادي والحواضر على السواء. وإلى هذا تذهب آن برطيليمي Anne Barthélemy أثناء تعريفها لتازرة في كتابها *تازرة Tazra* ص 15 بقولها : تعنى تازرة مختلف الاشكال والنمادج للقلادة التي تزين بها النساء أعناقهن ونحورهن في البوادي والحواضر المغربية على السواء. وهذه القلادة ترمز إلى الوحدة المغربية إذ تجمع الفن القروي والحضري في آن واحد. كما أنها ترمز إلى الاحتفال بسبب الأشكال والنماذج الزاهية التي تتكون منها القلادة.

وقد اشتهر المغرب بهذا النوع من الحلي منذ فترة ما قبل الإسلام كما تدل على ذلك مختلف الحفريات والنقوش التي عثر عليها. أما بعد الفتح الاسلامي فقد ذكر كل من البكري واليعقوبي أهمية صناعة الحلي في الحواضر والبوادي المغربية وذلك بفضل توفر مناجم الذهب والفضة في تازا وتامدولت وغيرهما من الأماكن. وعرفت هذه الصناعة ازدهارا بعد نزوح المورسكيين من الأندلس على امتداد القرنين التاسع والعاشر (15. 16 م) وكانت الطائفة اليهودية تتعاطى هذه الصناعة بكثرة. ولقد كانت منطقة درعة من المناطق المشهورة بصناعة الحلي نظرا لاستقرار اليهود بها منذ أقدم العصور.

والملاحظ ان القلادة في الحواضر تركز على الذهب كمادة أساسية مكونة لمختلف أجزائها. أما تازرة في البوادي فتركز على الفضة والعاج. وقد قامت سلطات الاحتلال بمحاولة جادة لبعث الحلي في الجنوب في إطار ما يسمى بالحلي البربري *Les bijoux berbères*. فقام ريكار Ricard ببحوث ميدانية. كما كلفه العقيد شاردون Le Colonel Chardon قائد حامية إقليم ورزازات بتأسيس تعاونية للحرف التقليدية بورزازات سنة 1934. ولعب النقيب بالمجير Balmigère دورا في تنشيط التعاونية بعد تعيينه في زاگورة سنة 1935 فأسس مدرسة للحرف التقليدية بورزازات في 3 غشت 1937، أدخل إليها فتيات فقدن أسرهن بفعل وباء الطاعون الذي اجتاح المنطقة. وكان عددهن ستين فتاة. وتم تدريبهن على صناعة الزرابي ومختلف الحلي الفضية، وازدهرت صناعة إعادة إنتاج نماذج قلادات تازرة.

وتقوم النساء أحيانا بتركيب تازرة بعد الحصول على مختلف مكوناتها من عاج وفضة. بحيث تتكون تازرة من ثلاثة أجزاء أساسية (أنظر الصورة).

* الجزء الأول : يتكون من قطع من العاج L'ambre et le corail توضع بينهما عقود صغيرة من الفضة أو العاج.

* الجزء الثاني : يتكون من عقود صغيرة على شكل سلسلة حمراء أو صفراء أو خضراء من العاج (اللوبان) .

* الجزء الثالث : يتكون من العملات الفضية وهي حسنية (الحسن الأول) أو عزيزية (المولى عبد العزيز) ولا يتعدى عددها ستة وتفصل بينهما قطع فضية مختلفة الأشكال من صنع محلي وأحيانا عملات أجنبية.

وتتوسط هذه الأجزاء قطعة فضية أكبر تسمى "الحرز". وتكتسي تازرة أهمية معنوية إذ هي وسيلة للجاه

والتباهي. كما أنها عبارة عن رأسمال رمزي لدى النساء ولكن عند الحاجة يتحول إلى رأسمال مادي حقيقي حيث يمكن بيع تازرة أو رهنها عند الحاجة. وحسب آن برطيليمي فقد بلغ ثمن تازرة في ورزازات سنة 1945 حوالي 3500 ريالا أي ما يعادل 2250 فرنكا فرنسيا. ومع مرور الأيام تضاعف ثمنها نظرا لفقدان العملات الفضية المكونة لها وكذلك تدنّت الخبرة والتجربة في هذه الصناعة لغياب الاستمرارية وبتأثير الطابع التجاري والدعائي خاصة إقبال السواح على هذا النوع من الحلي، الشيء الذي أدى إلى فقدان الحلي الأصلية الجيدة وتعويضها بعقود وأساور وقلادات مشكوك في جودتها وأصالتها.

A. Barthélemy, *Tazra : Tapis et bijoux de Ouarzazate*,1990 ; J. Baldoui, *Artisanat marocain à la foire de Marrakech, Hesp.* XIX, p. 872 ; M. Guerard, *Contribution à l'étude de l'art de la broderie au Maroc, H. T.* IXI , 1969 ; J. Meunié, *Bijoux et bijoutiers du Sud Marocain, C.A.T.A.N.*, VI, 57 - 72, 1960 - 1962.

بوراس عبد القادر

**تازْرارْتْ**، كلمة أمازيغية مفردة جمعها تيزرارين وهي عبارة عن أبيات شعرية رفيعة المستوى شكلا ومضمونا، يتوارثها الخلف عن السلف، ويضاف إليها من طرف المبدعين الممارسين لها حسب الزمن والمكان والمناسبة وتتناول جميع الأغراض.

يصدح بها المنشد بتلقائية وبصوت جد مرتفع يسمع على بعد أميال، فيتعرف عليها السامع من خلال وزن خاص بها، ونبرات صوتية تميزها عن ألوان أخرى.

لكل واحد أن يتغنى بتازرارت وتشاركه الجماعة الموجودة معه غناء عَجُز البيت الشعري مضيفة كلمة (هيي) كنغمة صوتية وكدلالة على استحسانهم لها شكلا ومضمونا.

مجالات التغني والإنشاد بتازرارات كثيرة أهمها :

1) يصدح بها الذكور رجالا وشبانا أثناء تتبعهم لرقصة أحواش الخاص بالإناث، وبالضبط عندما تكون الرقصة رائعة من حيث إيقاع البنادير والطبول ودقاق منتظمة للأكف والأرجل. إضافة إلى رنين الحلي المتدلي على صدورهن، والترديد الغنائي المنبعث من حناجير رقيقة متعددة ومتحدة، دون أن ننسى المضامين الشعرية الجيدة. حينذاك يطلقون العنان لحناجيرهم واحدا تلو الآخر كل واحد يبحث عن أحسن ما لديه من تيزرارين تساعدهم الجالسات من نسوة وفتيات بزغاريدهن.

2) ونفس الشيء بالنسبة للفتيات أثناء تتبعهن لرقصة أحواش الخاصة بالرجال وعندما تتعانق الليلة بهدير الطبول وإيقاع البنادير إضافة إلى مضامين شعرية هادفة، يصدحن بتيزرارين مساندة بصيحات منتظمة من طرف الرجال الجالسين رفعا لحرارة الرقصة واعجاب وتشجيعات الراقصين.

3) وبعيدا عن المرقص تصدح الفتيات بتيزرارين أثناء عودتهن من الحقول حاملات الحشائش للماشية على ظهورهن أو بواسطة الدواب، حيث يسمعن وهن على مشارف القرية تعبيرا عن فرحتهن بالطبيعة وخيراتها وإعلانا لأسرهن عن العودة إلى منازلهن كما يرددها الفتيان وراء موكب الزفاف (تامغرا) من بيت العدوس والفتيات أمامهم يرددن أغاني خاصة بتوديع رفيقتهن وهي تركب بغلة أمامها شاب من عائلتها.

4) كما تردد ودون انقطاع من طرف هذه الأسرة وتلك عند حصاد ما جادت به الحقول من زرع خاصة عندما يستعين أحدهم بسكان القرية.

و يتكررنفس الترديد اثناء جني ثمار اللوز وثمار أرگان.

5) وكنموذج لتازرارْت أورد هذا البيت وأحاول تعريبه.

- المردد : زايد ءايان ءينان لموحيبت ءوراتها والي.
- الجماعة : ءوراتها والي.
- المردد : ءاداس تيلي غ - تفرت ن - تمورغي تاگي ءاكال.

الجماعة : تاگي ءاكال - هييْ

تعريب :

- دعوت على من استهان بالحب وأهواله
- أن يكون غرامه عالقا في جناح جراد
- طائر لا يحط على الأرض.

محمد مستاوي

**تازروالت**، واد خصيب في بلاد سملالة بالأطلس الصغير تمرّ بالقرب منه الطريق الذاهبة من تيزنيت إلى تافراوت. وحملت البسائط المتصلة بهذا الوادي كلها اسم تازروالت، وأشهرها زاوية الشيخ أحمد بن موسى قطب سوس

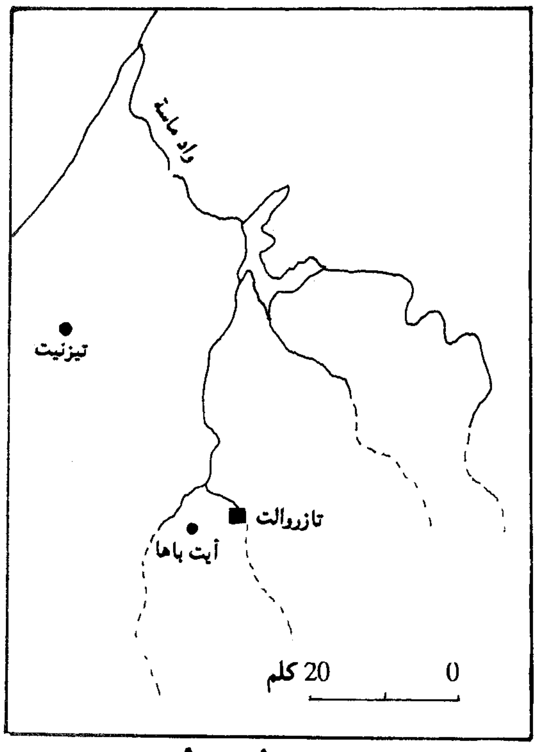


تازروالت (سيدي أحمد أوموسى)

الكبير المؤسسة في مستهل القرن العاشر (16م)، ومدينة إيليغ التي شيدها غربي الزاوية المذكورة في أوائل القرن الحادي عشر (17 م) أبو حسون بودميعة السملالي وجعلها قاعدة لإمارته التي بسطت نفوذها على الجنوب المغربي بعد انحلال دولة السعديين، وأراد أن يجعل منها مدينة تنافس حاضرتي مراكش وفاس. وبالرغم على خراب إيليغ في بداية عهد الدولة العلوية، فإن منطقة تازروالت لم تفقد أهميتها وسمعتها بسبب موقعها الاستراتيجي في الأطلس الصغير وإشعاع ضريح الشيخ أحمد بن موسى السملالي والدور السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي اضطلع به حفدة الأمير بودميعة طوال القرون الثلاثة الأخيرة.

م. المختار السوسي، *إيليغ قديماً وحديثاً* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 577 ـ 605.

محمد حجي

**تَـازْرُوتْ**، أو تاصروت، وقد تكتب بالسين أيضاً تاسروت. اسم مواقع كثيرة بجبال الريف، أشهرها تازروت بني عروس في سفح جبل أُهاشم بعيدة عن ضريح الولي الشهير مولاي عبد السلام ابن مشيش ببضعة كيلوميترات، وبها تقع الزاوية الكبرى للأشراف الريسونيين العلميين الذين برز منهم صلحاء وفضلاء ومجاهدون، وبها كثير من أضرحتهم ومزاراتهم يتخللها المسجد الجامع العتيق ومدرسة سكنى الطلبة، وبالقرب منها أطلال تدل على ما كان ثمة من عمران، وبالقرب من المسجد وضريح مؤسس الزاوية الشيخ الشهير المجاهد مَحمد ـ فتحاً ـ ابن علي ابن ريسون (ت. 1018 / 1609) يقوم القصر الكبير الذي كان مثوى الزعيم الثائر أحمد الريسوني الذي بسببه اشتهر اسم تازروت بين الأوربيين وخصوصاً في إسبانيا التي ذاقت الأمرين منها ومن رجالها وضحت في سبيل احتلالها والقضاء على ثورتها بكثير من أبنائها. ولا يمكننا أن تنسى الكورنيل كونصاليص طابلاس الذي سقط قتيلا في مدخلها في معركة احتلالها، فأقامت له إسبانيا تمثالا كبيرا بزيه العسكري نصبته في أهم شوارع مدينة سبتة تخليدا لذكراه، ومازال قائما إلى الآن، ولم ينس ألفونسو الثالث عشر ملك إسبانيا أن يزور هذا التمثال لتحيته في زيارته لسبتة.

وتازروت تعني الحجرة، وقد تمحل الأديب محمد ابن زاكور في كتابه *الاستشفاء من الألم، بذكرى صاحب العلم* في محاولته إيجاد أصل عربي للكلمة كما فعل في كثير من أسماء قرى ومداشر قبيلة ابن عروس، ونقل كلامه سليمان الحوات في الروضة المقصودة وسلمه وهو بعيد عن الصواب إلا فيما هو عربي ظاهر.

ومما يذكر من تاريخ هذه القرية ورجالها ـ وهو مما اشتهرت به ـ أنها كانت منطلقا لجهاد البرتغاليين، فمنها خرج الشيخ مَحمد بن علي داعيا إلى جهادهم محرضا مرغبا معبئاً فاجتمع الناس من قبائل غمارة والهبط والخلط والغربية والجبال، ولبوا داعي الله لجهاد أعدائه في معركة وادي المخازن الكبرى، واعترافا للشيخ مَحمد بن علي ابن ريسون وأهله، وبلائهم الحسن في سبيل الله، ونصرة دينه ودحر عدوه، أقطع السلطان أحمد المنصور الذهبي أرض المعركة إقطاعا مؤبدا للشيخ وذريته وجعل ثلثها حبساً على زاوية تازروت لاطعام زوارها والفقراء والمساكين. ومازالت الأرض بيدهم إلى الآن وقفا على زاويتهم، وبيدهم ظهائر ومراسم سعدية وعلوية تذكر لهم هذا الحمد.

ولما علم السلطان المولى محمد بن عبد الله بمكانة هذه البلدة وزاويتها وكونها مثابة للعلماء والطلبة وازدهار تعليم العلوم الدينية بها، أمر بإجراء المياه إلى الجامع وبناء مساكن للطلبة، وتحبيس كتب معتبرة على الطلبة وأهل العلم من روادها، وحبس عدة أحباس يصرف ريعها على المدرسين بها، وهذا وإن كان قد اندثر معظمه الآن، إلا أن الوثائق ما زالت بيد نظار الزاوية ونقبائها وأشرافها شاهدة بذلك. وقد تتلمذ للشيخ مَحمد بن علي ريسون وانتفع به عدد لا يحصى من فطاحل العلماء والصالحين، منهم محمد العربي الفاسي. وظل مدد الزاوية بعده فكان من أشهر زوارها والمتخرجين منها سليمان الحوات وقاسم ابن ريسون ومحمد بن علي ابن ريسون، وغيرهم، وأشهرهم محمد بن عبد الصادق الريسوني الذي قربه السلطان سيدي محمد بن عبد الله وجعله أستاذ ولي عهده المولى سليمان. ولما بويع هذا الأخير جعله وزيراً له وأثنى عليه كثيراً في كتابه *عناية أولي المجد*.

والزائر لقرية تازروت اليوم يرى بعض آثار الخراب والتدمير مما خلفته الغارات الجوية التي شنها الإسبانيون عليها محاولين احتلالها، وقد امتحنت هذه القرية مرة أخرى لما اعتصم بها الزعيم الريسوني رافضا الاستسلام لخصمه الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي كان قد دعاه قبل ذلك للتعاون وتوحيد الجهود لمحاربة العدو المشرك، فأبى فأمر باقتحامها تحت قيادة شقيقه مَحمد، فسقطت في أيدي ثوار الريف، وجرت في ذلك خطوب ومآس انتهت بأسر الريسوني ـ وهو مريض لا يستطيع حراكا ـ وحمله إلى الريف حيث قضى نحبه بقرية تامَستِنْتْ حيث قبره رحمه الله.

وقد حدثني شاهد عيانه أن كثيراً من نفائس مخطوطاتها وذخائرها الموقوفة على خزانة زاويتها الكبرى تبدد وضاع بسبب السرقة والنهب، وفيها ما أحرق، وقد شاهد بعض الجهلة يدفع ببعضها في الفرن لإنضاج الخبز والطعام، لانعدام الخشب والفحم بسبب الفتنة والحرب وانعدام الأمن. وقد مدح تازروت ورثاها كثير من الشعراء والعلماء مدفوعين باحترام المكان وتقديسه والاعتقاد في أوليائه على عادة المغاربة في ذلك، على أن لجمال المكان الطبيعي وجودة هوائه وعذوبة مائه يداً في ذلك لا تنكر.

م. ابن زاكور، *الاستشفاء من الألم*، مخطوط خاص ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، الجزء الأول ؛ أحمد بن الأمين الريسوني، *حقائق*

عن زاوية تازروت، مطبوع بتطوان ؛ علي الريسوني، *الذكرى الستونية لمعارك احتلال رباط تازروت*، طبع بتطوان ؛ *روايات شفوية*.

محمد بوخبزة

**تَازْروت بني شيكار** (جزيرة)، اسم معناه حجرة بني شيكار، وهي جزيرة صغيرة تقع بشاطئ قبيلة بني شيكار الموالي للبحر المتوسط غربي رأس ورك بناحية الكرت (إقليم الناظور). وتعرف عند الإسبان بجزيرة شارانيس Isla de Charranes.

Domenech, *Zona Norte*, 47 ; Cabello, *Geografia de Marruecos*, 81.

**تازروت النَّكور**، ومعناها حجرة النكور وهي جزيرة صغيرة تقع بالقرب من جزيرة النكور السليبة بالخليج الذي يحمل نفس الاسم وتبعد عن شاطئ قبيلة بقيوة بنحو مائتي متر. وتعرف عند الإسبان بجزيرة البر Isla de Tiessa وكذلك باسم جزيرة القديس كارلوس Isla de San Carlos.

وهذه الجزيرة هي إحدى الجزر الثلاث التي عرفت في رحلة أنطونيو Itinerario de Antonino باسم Ad Sex Insulas ويزعم الإسبان أنهم استولوا عليها يوم احتلالهم لجزيرة النكور في 28 غشت سنة 1673.

*Comission historica*, 302 ; Domenech, *Zona Norte*, 48 ; Cabello, *Geografia de Marruecos*, 63.

**التازروتي**، اسم تحمله عدة أسر بتطوان، منهم شرفاء أجلهم من قرية تازروت بني عروس، ومنهم من لا ينتسب للشرف وأصلهم من أحد المداشر الأخرى التي تحمل أيضاً اسم تازروت وتقع بقبائل بني يدر وبني زكار وبني سلمان وبني سميح وبني گميل وبني عمارت وبني أوليشك وبني سعيد الريفية وبني سيدال وبني خالد.

م. داود، *مختصر*، 388 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

**تَازَاوْتْ**، جبل يقع بقبيلة بني زجل (إقليم شفشاون) علوه 1891 متر فوق سطح البحر، ويوجد به نوع خاص من شجر الأرز يعرف بأرز تازاوت. وقد اهتمت به الحكومة الإسبانية غاية الاهتمام حيث نجد الملك كارلوس الثالث يطلب من السلطان سيدي محمد بن عبد الله أن يمكن جماعة من الإسبانيين من احتكار استغلال خشب هذا الجبل، فأصدر السلطان ظهيره المؤرخ في 7 ربيع الثاني عام 1204 / 25 ديسمبر 1789 بالموافقة، وفي اليوم التالي أخبر الوزير محمد ابن عثمان القنصل العام الإسباني بذلك.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 127، 369.

Domenech, *Zona Norte*, 28 ; *Vademecum Chauen*, 1942 ; Comision historica, 39 ; *Archivo Historico Nacional* - Madrid - Legajo Estado 4322.

محمد ابن عزوز حكيم

**التازْغَدْري**، أسرة عالمة تنتمي إلى قرية تازْغَدْرة الجبلية في بني زروال، أنجبت عبر القرون عدداً من الفقهاء والقضاة والمفتين. وإذا كانت لا تعرف لمعظمهم تراجم خاصة، فإن أحمد الونشريسي احتفظ في كتابه *المعيار* بفتاوى تدل على تمكنهم في فروع الفقه المالكي. ولعل الجد الأعلى لهؤلاء الفقهاء هو إسماعيل التازغدري، ويُذكر بعده منهم عبد الله، وعبد العزيز والد محمد التازغدري، أشهر أبناء هذه الأسرة. وحسب الإشارات الواردة في *المعيار* فإن أغلب الفقهاء التازغدريين عاشوا بفاس أو تازا، خلال القرن الثامن (14 م) والنصف الأول من القرن التاسع (15 م). إذ توفي آخرهم، وهو محمد بن عبد العزيز سنة 831 / 1427 قتيلا بمدينة فاس.

أ. الونشريسي، *المعيار*، في أجزاء مختلفة ؛ م. حجي، *ألف سنة*، 140، 145.

عمر بنميرة

**التازْغَدْري، عبد السلام** بن أحمد الأنصاري، تنتسب أسرته إلى الصحابي سعد بن عبادة. فقيه مفت متمكن من أصول المذهب وفروعه، ولاه السعديون قضاء قبيلة بني زروال بعد علي بن إسماعيل آتي الترجمَة، وكانت له حظوة كبرى لدى الشرفاء.

توفي حوالي عام 1020 / 1611.

**التازْغَدْري، عبد الواحد** بن وليد الصديقي، من أسرة تنتمي إلى الخليفة أبي بكر الصديق، كان فقيهاً مشاركاً مرموق الجانب من قبل السعديين، وتولى القضاء بقبيلة بني زروال أيام زيدان بن أحمد المنصور.

توفي حوالي عام 1035 / 1625.

**التازْغَدْري، علي** بن إسماعيل الأنصاري، "من أكابر أهل العلم ومن رجال الدولة السعدية الذين قاموا بنصرتها وتأييد دعوتها مع الكلمة النافذة والجاه العريض" ـ بنو زروال، 68 ـ. عاش علي التازغدري في مسقط رأسه ينشر العلم والدين، وأسند إليه أحمد المنصور الذهبي خطة القضاء في بني زروال، وله معه مراسلات تدل على مكانته المكينة لديه.

توفي بعد عام 992 / 1584.

م. البشير الفاسي، *بنو زروال*، 11. 67. 68. 89. 90 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 482. 483.

محمد حجي

**التازْغَدْري، أبو القاسم** محمد بن عبد العزيز. من أسرة التازغدري النابهة التي اتخذت من مدينة فاس مقراً لها، وساهمت بشكل واضح في الحياة السياسية والاقتصادية لمغرب القرنين التاسع والعاشر (15.16م) حيث ترد ببعض الحوالات الحبسية لفاس القرويين أسماء الأملاك المحبسة من قبل بعضهم. وقد برز أبو القاسم التازغدري كأحد المفكرين الذين لعبوا دوراً رئيسيا في تنشيط الحركة الثقافية المغربية خلال نهاية القرن الثامن والنصف الأول من

القرن التاسع (14. 15 م). فقد وصفه تلميذه ابن غازي بقوله "الشيخ الفقيه المتقن العالم المحقق" (*فهرس*، 72). عاصر جملة من أشهر علماء فاس كالقاضي عبد الله الورياجلي، وعبد الرحمان الكاواني، وعبد الرحمن القرموني، وأحمد المزجلدي، ومحمد القوري. كما أخذ عن كبير علماء الوقت عيسى بن علال المصمودي. وأكثر ابن غازي من النقل عنه في *فهرسه التعلل برسوم الإسناد*، والونشريسي في *معياره* حيث أورد مجموعة من فتاويه حول مسائل مختلفة كالخلع والحجْر وصلاة النافلة والجبس وغيرها، كما سجل المناظرة الشهيرة التي وقعت بين التازغدري والفقيه الذائع الصيت العبدوسي في مسألة الجزاء والتي ناقشا فيها نازلة حول بيع الدور على شرط القلع وما يوجب الفسخ من ذلك (*المعيار*، 6 : 204. 217). لا نعرف من إنتاج أبي القاسم في الميدان الفقهي إلا *تعليقه على شرح المدونة* لأبي الحسن الصُغَير. لكن مشوار حياة مفتي فاس وخطيب جامعها الأعظم انتهى نهاية مأساوية إذ قتل غدرا سنة 832 هـ أو833 هـ. وقد أرجع كل الذين ترجموا له سبب قتله إلى كثرة مفاضلته بين الأنبياء.

م. ابن غازي، *فهرس التعلل برسوم الاسناد*، تح. محمد الزاهي، الدار البيضاء، 1979 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 239 ؛ *درة الحجال*، تح. محمد الاحمدي أبو النور، القاهرة، 1971، ج 3 : 281 ؛ م. حجي (محقق)، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 140 ؛ أ. بـابَ، *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت. ص. 290. 291 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، ط. 1، الرباط، 1981، (أغلب أجزائه) ؛ م. مزين، *فاس وباديتها*، الرباط، 1986، ج 1 : 246.

M. Benchekroun, *La vie intellectuelle marocaine sous les Merinides et les Wattasides*, Rabat, 1974, p. 423.

رشيد السلامي

**تَازكّا**، كتلة من الأطلس المتوسط، تنفرد بموقعها وتضاريسها وصخارتها. فهي تمثل أقصى امتداد نحو الشمال لهذه الوحدة التضاريسية، حتى إنها تدخل في اتصال مباشر مع مقدمة الريف عند فج الطواهر. وهي تتشخص بشكل تضاريسها الكتلية المنفردة، عند مجال التقاء هضاب الأطلس المتوسط الغربي بجبال الأطلس المتوسط الشرقي، ويحيط بها منخفض شبه مستمر يفصلها عن التضاريس الأطلسية المعتادة. كما أنها تمثل أوسع بروز للقاعدة الصخرية القديمة وسط مجال أطلسي يمتاز بامتداد الطبقات الكلسية الجوراسية واللياسية.

كتلة تازكّا جبل من الركيزة الأولية، يمتد جنوب غرب تازا، يرتفع إلى 1980 م ليشرف على الممر جنوب الريفي، وينحني محليا عند الطواهر حيث يستقر الممر المعروف عند ارتفاع 558 م بين المغربين الشرقي والغربي والمشهور بممر تازا.

وهي ناتجة عن طية عميقة ضخمة، محورها ج غ ـ ش شـ، موازية لالتواءات الأطلس المتوسط الشرقي، تنتسب ـ بفعل استقرارها النسبي ونوعية الصخور اللياسية المحيطة بها ـ لهضاب الأطلس المتوسط الغربي. وتستقر الحدود بين الوحدتين عند الهامش الجنوب الغربي من تازكا، حيث يمر الحادث الأساسي الأطلسي.

تمتد سلسلة تازكّا على مسافة 50 كم ش ـ ج و20 كم شـ غ، مشكّلة حاجزاً واضحاً يتجزأ إلى أعراف وقمم شعاعية تنطلق من قمته الوسطى وتنحدر على شكل أراض وعرة مقطعة من طرف العديد من الشعاب المتعمقة بمئات الأمتار، أهمها واد الاكحل. وتتخذ المجاري اتجاهات متعددة هي كذلك، منحدرة نحو الحاشية الكلسية.

وتتكون الكتلة الجبلية من بروز ممتد للقاعدة القديمة، حيث تطغى الصخور الشستية : شيست رمادي من الحقبة الكامبرية السفلى، شيست وردي من الكامبري الأعلى تتخلله عروق من الكوارتز، حث وكوارتزيت من الأردوفيسي وشيست أسود من السيلوري. وترافق هذه الصخور الرسوبية والمتحولة القديمة ظهورات من الگرانيت والمكروگرانيت والصخور البركانية، تبرز عند الهامش الشرقي للسلسلة، وتعتبر آثار حركات اندساسية واندفاعية رافقت الضغوط الالتوائية الهرسينية.

ذلك أن الركيزة القديمة عرفت توالي حركات انضغاطية متعددة، تتجلى في طيات ذات الحجم الكبير، والتواءات عنيفة صغيرة أو مجهرية، آخرها المرحلة الفحمية والتي واكبتها انكسارات هامة واندساسات الكوارتز، واندفاع الصخور الباطنية.

لكن الكتلة الجبلية رهينة أساساً بالحركات الحديثة الأطلسية التي سمحت خلال الزمن الثالث بانتهاض السلسلة برمتها، لتبرز وسط الأغطية الرسوبية التي غلفتها وخاصة الترياس الهش المكون من طين وبزلت متفسخ، واللياس الصلب المكون من كلس ودولومي. فالانتهاض الحديث تسبب في انطلاق عملية اقتلاع طبقات الغطاء من قمة تازكا، وتراجعها إلى الهوامش. ميل الطبقات في هذه الجوانب مسؤول عن الشكل الأحادي الميل الذي تتخذه هذه المجالات الهامشية، كما أن التوالي الصخاري لقاعدة ترياسية هشة وقمة صلبة يفسر استقرار منخفض عند مجال الاتصال تعلوه أجراف مشكلة في الكلس اللياسي. وانطلاق المجاري من مركز السلسلة إلى هوامشها يفسر التراجع الهام الذي عرفته طبقات الغطاء على طول هذه الأودية الموافقة للسيل والتي تتخذ شكل ثغرات واسعة في خط الاتصال وتزيد ضيقا في اتجاه الهامش الرسوبي. ومن أهم هذه الأودية الموافقة، الخوانق التي تتبعها طريق باب ازهار والتي كونت ممر الطفوحات البركانية الحديثة التي تنزل حتى الممر جنوب الريفي.

سلسلة تازكا حاجز أمام التيارات الريحية الغربية المحملة بالأمطار، وهو ما يفسر أهمية التهاطلات التي تحدث فوقها، والتي تنزل على شكل ثلوج في فصل الشتاء. ومقدار هذه التهاطلات 1452 مم في باب بويدير، 1200 مم عند قمة تازكا، 1043 مم في باب ازهار، 670 مم

في تازا و657 مم عند فج الطواهر. وتقل الحرارة من الشمال المنخفض إلى قمة السلسلة حيث تعتبر تازا ضمن المجال المعتدل، وباب ازهار من المجال البارد شتاء، وباب بويدير من المجال البارد جدا في فصل الشتاء. وتعرف المجالات الشمالية من السلسلة هبوب رياح قوية نتيجة القرب من ممر تازا، وتتردد بها الرياح الغربية شتاء والرياح الشرقية صيفاً.

السلسلة جد منغلقة بسبب موقعها الهامشي جنوب ممر تازا، وبسبب وعورة تضاريسها وعمق أوديتها. ويصلها طريقان، الأول من سفحها الشرقي، انطلاقا من تازا وعبر الهضاب الكلسية ومنخفض ضاية شيكر ومغارة فريواطو، والثاني من جانبها الغربي عبر خوانق باب ازهار. وقد تم ربط الطريقين بين باب ازهار وباب بويدير جنوب قمة تازا.

كما أن الثروة الغابوية للسلسلة، والمتمثلة في البلوط الفليني والصنوبر والأرز، تسببت في فتح عدد من الممرات الصعبة لاستغلال الخشب والفلين. وتمتد غابة الأرز على مساحة 500 هـ ابتداء من ارتفاع 1650 م مكونة إحدى الحدائق الوطنية المشهورة. لكن هذا لا يمنع من أن الكثير من المجالات تبقى صعبة المنال.

تسكن سلسلة تازكَا مجموعة من القبائل هي غياثة شمالا (قبيلة بربرية مستقرة تقوم بالنشاط الفلاحي) وبني وراين جنوبا وشرقا المشتغلين أساسا بالرعي المتنقل بين القمم والمجالات المنخفضة. وتمثل طريق باب ازهار - باب بويدير الحدود التقريبية الفاصلة بين مجال القبيلتين.

بوشتى الفلاح، *دراسة جيومرفلوجية لجزء من أخدود الجنوب الريفي*، د. د. ع. كلية الآداب، الرباط، 1986.

Ph. Morin, *Les ressources minérales du massif du Tazekka et de ses bordures*, *Mines et Géologie*, n° 10, p. 21 - 44 ; W. Van Leckwijck et H. Termier, *Observations géologiques sur la partie SW de la feuille Taza au 1 : 100.000* , *C.R. Soc. Géol. France*, n° 6, p. 86 - 87, 1938.

عبد الله العوينة

**تازگاغت**، ومعناها الحمراء بلغة إزناگن (صنهاجة). وهو ما يؤكده ابن سعيد والإدريسي خلال القرن السادس (12 م) حين يشيران إلى أن التسمية تطلق على ما يترجم حالياً بالساقية الحمراء. أما أبوعبيد الله البكري فقد اكتفى من جهته بوادي تارگا جاعلا بذلك من تارگا تازگاغت الترجمة الكاملة لصيغة الساقية الحمراء. ويمكن أيضا أن نلاحظ بأن ياقوت الحموي قد استند إلى مجمل المصادر العربية لتأكيد التسمية شأنه في ذلك شأن كتاب *الاستبصار*. إن الاهتمام بتارگا تازگاغت هو هنا اهتمام خاص يتميز عن أي اهتمام بغيرها من أودية الصحراء بما تجتمع فيها من خصوصيات تداخل رحل الشمال والجنوب. فإذا كانت الاهتمامات بأودية الصحراء إنما يبررها عادة البحث عن سند للذات المحلية في تنقلاتها وفي تطور الأحداث، فإن أبرز ظاهرة تميز تارگا تازگاغت هو حجم حركية المد البشري والدفع المحلي إلى ملكة الحوار بين فصائل الغور السكاني الأسبق والفصائل البشرية اللاحقة أمازيغية كانت أم حسانية.

فإلى حدود بداية القرن السابع (13 م) الذي عرف وصول المعقليين ذوي حسان والشبانات، كانت تارگا تازگاغت الوحيدة التي تميزت بحدة المنافسات بين مختلف كبريات قبائل إزناگن. فقد عملت إميظن (لمطة) وأويلميضن (لمتونة) وإيمسوفن (مسوفة) شأنهم في ذلك شأن إگدالن = إگزولن (گدالة = جزولة) منذ انتظام التجارة عبر الصحراء خلال القرن الثالث (9 م)، على مراقبة هذا المجال المتميز. لقد اتضح تدريجيا للباحثين أن المحور الساحلي الرابط بمحاذاة المحيط بين نول لمطة وأوليل هو أقدم طرق التجارة المنتظمة. وهو ما ركزت عليه إشارات ابن حوقل الذي تميز أيضا بالكشف عن دور مراقبة المجال كوظيفة تعريفية في تحديد هوية إزناگن. وهو ما دعونا هنا إلى إعادة تعريف هذه الوظيفة انطلاقا من الدور المتمز لتارگا تازگاغت. ويلزمنا أن ننظر من هذا المنحنى إلى جوهر العصبية التي تجعل من إگدالن (گدالة) وإگزولن (گزولة) تجزئتين لجيتول المصادر اللاتينية القديمة. فقد بقي علينا والحالة هذه أن نطرح دور تارگاتازگاغت في الربط بين أطراف المحور الساحلي وعن دورها في الحد من مستوى التفرع التدريجي للجيتول.

لقد أكدت الحفريات أهمية الحجم العمراني الذي ميز المنطقة الساحلية المحيطة بملاحة أوليل (أرگين فيما بعد وخاصة ابتداء من القرن التاسع (15 م). هذه المنطقة التي كانت تحدها جنوبا بلاد التكرور حسب ما أورده البكري، كانت تجسد القاعدة الفعلية لبلاد إگدالن. هذا المعطى تتأكد أهميته أكثر إذا علمنا أن البافور الذين تعددت بشأنهم الروايات المتضاربة، لم يكونوا في الحقيقة إلا الغور السكاني لهذه المداشر والقرى مجسدين بذلك فصائل محورية لإگدالن. ويلزمنا أيضا أن نشير إلى أن أوليل كانت تمثل إلى حين ظهور تغازى (تنتال) خلال النصف الثاني من القرن الخامس (11 م)، أقرب الملاحات إلى أوداغست عاصمة تبادل الملح بالذهب. كما أنه نظراً للتداخل البين الواضح بين الغور السكاني المنظم خلف التضاريس أو المداشر المحصنة وتجار أوداغست، فإن تحديد نظام المبادلات كان موكولا بالأساس إلى علاقات القرابة والتماسك بين نول لمطة وأوليل. وهذا بالضبط ما يمكن أن نعيه تمام الوعي إذا نحن تأكدنا من الامتداد العضوي لإگدالن عبر هذا المحور إلى حدود تارگا تازگاغت كما أورد ذلك البكري وابن سعيد وابن خلدون. وإذن فمراقبة المجال يعني التحكم فيه رغم حق الفصائل الأخرى في استعماله استعمالا جماعيا. هذا التصنيف الوظيفي للمجال هو في حد ذاته إضفاء للمشروعية على دور يحيى بن إبراهيم الگدالي كرئيس شائع في عصره على باقي رؤساء إزناگن. إن موقف هذا الرئيس خلال لقائه بأبي عمران الفاسي يدل على انحيازه للمذهب المالكي وآراء أئمة القيروان ضد سلطة فقهاء الصحراء الذين يحافظون للقبائل على بنياتها

ومعتقداتها التقليدية. وهو ما دعا ابن ياسين مؤسس دولة المرابطين إلى تحريم صلاة اگدالن خارج الجماعة التي يؤمها هو. وبعد فشله في إقناعهم بمشروعه وانتقاله إلى الارتكاز على أوليميضن الذين أسماهم مرابطين، لم يتوانَ في الأمر بقتل إگدالن وتوزيع مسجونيهم بين المرابطين كعبيد. وهنا تدلنا المقاومة المتزايدة لاگدالن على أهمية عصبيتهم كعامل أساسي انتهى بالقضاء على يحيى بن عمر اللمتوني وجيشه رغم دور سلسلة جبال أدرار في تحصين هؤلاء المرابطين. وبعودة أبي بكر بن عمر إلى الصحراء مسلحا بثلثي جيش المرابطين وبمُؤَطرهم الإمام المرادي الحضرمي تصير المجابهة بين الطرَفين هي المقياس الذي اقتحم كل البنيات والمجالات والقنوات المحلية. وهو ما يمكن أن نتبينه أكثر إذا علمنا أن فصائل الباقور الأكثر معاداة للمرابطين يتشبثون بالبنية الوظيفية المرتبطة بمراقبة المجال وينظرون إلى المقاييس والأحكام والاعتقادات المرابطية نظرة هي أشبه ما تكون بنظرة الغواطن (برغواطة). وهي مقارنة سنهتدي إذا تسلحنا بها إلى توثيق العلاقة بين إگدالن الصحراء وإگدالن منطقة أزمور على نفس المحور الساحلي شمال الأطلس الصغير.

لقد أكد عبد العظيم الزموري في مخطوط نجهل اسمه وتاريخه، بأن إگدالن كانوا يقيمون خلال القرن السادس (12 م) بالمنطقة الساحلية المجاورة لأزمور حين قدم عليهم إسماعيل أمغار باني رباط تيط. (H. Basset et H. Terrasse, *Sanctuaires...*, 118). وإذا علمنا بأن كلمة برغواطة لا تعني اسم قبيلة بقدر ما تفيد الانحراف الديني الذي يميز مجموعة كبيرة من الفصائل والمجموعات البشرية في منطقة معينة (أ. التوفيق، *التشوف*) اتضحت امكانية التداخل الفعلي بين إگدالن المنطقة وباقي الفصائل المجاورة. وهو مثال سقناه لنوضح دور المحور الساحلي في الربط بين أبعد المناطق. فهل يمكن من هنا الرجوع إلى أهمية تارگا تازگاغت في الربط بين هذه المناطق ؟ إذا كانت ملاحة أوليل قد عرفت نوعا من الركود بظهور ملاحة تغازة (تنتال)، فإن حركية إگدالن تبدو قادرة على الدفع بهم إلى شمال الساقية الحمراء. وإذا لم يكن قصدنا هو تتبع دور المحور الساحلي في تمرير البضائع والأفكار حسب التقويمات المعمول بها اجتماعيا وسياسيا، فإن دور تارگا تازگاغت في تسرب التأثيرات البشرية والتجارية يندرج في إطار الربط الفعل بين إگدالن شماليين كانوا أو جنوبيين وإگزولن. ذلك أننا إذا تسلحنا بالمقاربات اللسنية، اهتدينا إلى التفسير الذي يجعل إگزولن وإگدالن تجزئتين للجيتول القدامى (W. Wycichl, *Les Gétules*, 303) لقد كانت طريق المدرعات التي ستسمى منذ قيام المرابطين بطريق يحيى بن عمر اللمتوني تجسد المحور الموازي للمحور الساحلي مرورا بالقعدة والبطينات ووين سروال التي تحيط بممر الساقية الحمراء الأوسط. وتتمثل الأهمية لهذه المنطقة في تعدد الملاحات حيث نجد ابتداءً من سبخة المحلگن قرب "المسيد" الحالي، موقعاً تجارياً لمادة الملح. وغير بعيد عن هذا المكان تصل القافلة إلى سبخة البريديلة حيث تعتبر گرارة أم البركة ممراً تجارياً ضرورياً نحو الساقية الحمراء. والسبختان تقعان فيما يشبه مضيقاً بين سلسلتي جبال زيني وواركزير حيث تنبع الساقية الحمراء. فنرى من خلال هذا المثال أن أهمية الموقع من حيث هو كنقطة عبور تتجلى في دور السبختين كممرٍّ ضروري يفسر الأهمية الكبيرة لبسيط الساقية الحمراء المستقبلة لوفود التجار ولأفراگ الرحل القادمين من الشمال. ومن الأمور التي لا يختلف حولها اثنان من أهل الصحراء الأطلسية هو المقدرة الاستيعابية لقعدة الساقية الحمراء على استقبال صغار وكبار الرحل بما توفره لمربي الأغنام أو الإبل. وهي حقيقة تحدد مسار العلاقة بين مربي الاغنام ذوي النجعات المحدودة ومربي الإبل ذوي النجعات الكبيرة. ففي ظل الغطاء النباتي وفي زحمة التكتلات القبلية يمثل الصراع حول مراقبة المجال أكبر دليل على حيوية الموقع. وهو تحديد يحتاج فيما يحتاج، إلى تحديد الموقع تاريخياً من تطور الحدود المناخية للصحراء. وهنا نشير إلى صعوبة الاعتماد على كتاب *الاستبصار* الذي يجعل من وادي نون ووادي تارگا حدين متوازيين للصحراء في نفس الوقت. أما ابن خلدون فإنه يؤكد بما لا يدع مجالا للشك وظيفة الساقية الحمراء كحد فعلي لمجال تنقل ذوي حسان المعقليين نحو الشمال بعد أن طردهم بنو مرين عن وادي ماسة ووادي نون ووادي درعة. (Ibn Haldûn, IV : 195 - 319 - 288 ; Watwat, *Manahig*, 47 - 46). ولعل حجم وأهمية الحركية البشرية بين هذه الأودية هي التي جعلت الجغرافيين العرب يدخلونها ضمن ما أسموه "سوس الأقصى" (ابن الفقيه، *البلدان*). وإذا تناولنا الروايات الشفوية المتأخرة اتضح أن الساقية الحمراء قد استبدلت خلال القرن العاشر (16 م) بالساقية الخضراء (La Chapelle, *Les Tekna*, 21) نظراً لأهمية وحجم الغطاء النباتي الذي كان ما يزال يميزها عما عداها من الجهات المحيطة بقعدتها المخضرة باستمرار. وهي إشارة بالغة الأهمية لما تؤكده من دخول الساقية الحمراء في المنطقة الشبه صحراوية التي تميزت تاريخياً بهيمنة الجيتول القدامى وحفدتهم خلال القرون الاثنى عشر الأولى للميلاد.

لقد لعبت الساقية الحمراء وقعدتها دوراً أساسياً في الحد من الانتشار العشوائي للمسالك الواصلة بين الطريق الساحلية (نول - اوليل) وطريق اللمتوني (تندوف - اوداغست). كما أن دور قعدة هذه الساقية في الحد من سيطرة المناخ الجاف وفي تربية المواشي قد جعل اسمها يمثل علما رئيسيا للمنطقة الواصلة إلى حدود وادي الشبيكة شمالا. فقد أصبحت ميزة الساقية الحمراء وما يتبعها من حركية بمثابة مقياس للتداول بين المتنافسين من معقليين وتكنة. وقد انتهى الأمر بهؤلاء إلى إخضاع المنطقة لقوانين المراقبة الفعلية مستعملين في ذلك هيمنتهم العسكرية على المسالك (محمد سالم بن الحبيب بن عبد الحي، جوامع

المهمات) وتملكهم لمداشر وقرى وأسواق ومواسم وادي نون حيث تتمركز عاصمة الصحراء. أما المد والجزر المعقلي فقد انتهى منذ القرن الحادي عشر (17 م) بنزوح الرحامنة وعبدة واحمر والأوداية والشبانات نحو حوز مراكش والسهول الأطلسية. على أن هيمنة ذوي حسان على باقي مناطق الصحراء الأطلسية (تيرس الغربية وموريتانيا الحالية) قد أدت إلى سيطرة لهجتهم بشكل متواصل خصوصا بين رحل تكنة وزواياهم المقيمين بالساقية الحمراء. وإذا كانت الحسانية تمكننا من تحديد مظاهر التداخل اللغوي والإثني، فإنها تعكس أيضا البيئة المغايرة التي وجدتها في عين المكان. فالتشابه بين الفئات الاجتماعية يظل محدودا عندما يتعلق الأمر بالفصل بين أهل الكتاب (الزوايا) وأهل السلاح. كما أن الاختلاف البين في العادات والتقاليد الموروثة يفرز أكثر من نموذج حي للتداخل البنيوي بين مجتمعين. والعين المتفحصة لا يمكنها أن تخطئ إذا هي حاولت التركيز على أسس الخلاف اللغوي أو في أي جانب من جوانب الفكر اللغوي بمقدماته وجوامعه وتماثيله القولية القائمة فيه.


م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة* : محمد سالم ولد لحبيب ولد الحسين ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تح. مصطفى ناعمي.

Idrisi, *Description de l'Afrique et de l'Espagne*, R. Dozy et M. J. De Goeje, Leiden, 1968, 29 - 54 - 60 à 87 ; Ibn Al Faqih Al Hamadani, *Abrégé du Livre des pays*, trad. Henri Massé, Paris ; Damas 1973, 99 ; *Chronique de Tichitt (Sahara Occidental)*, texte recueilli par D. Brosset, Traduit et commenté par V. Monteil, *B.I.F.A.N.*, I, Janvier 1939, 282-312 ; *La Documentation Française, Notes et Etudes documentaires : Le Sahara Espagnol*, Paris, Sept 1959, n° 2570 ; Id, *Les Territoires Espagnols d'Afrique*, Paris, Janvier 1963, n° 2951 ; Mme D. Robert-Chaleix, *Nouveaux sites médievaux mauritaniens : un aperçu sur les régions septentrionales du Bilad As-Sudan*, in *Actes du IVème Colloque EuroAfricain sur l'Histoire du Sahara et des Relations transsahariennes entre le Maghreb et l'Ouest Africain du Moyen Age à la fin de l'époque coloniale*, Bergamo - Italie, 1986, 46 - 58; Watwat, *Manahig Al-Fikr*, Trad. E. Fagnan, 1924, in *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 46 - 47 ; W. Wycichl, *Les Gétules de la Mauritanie*, *B.I.F.A.N.*, 1953, 303.


مصطفى ناعمي

**تَازْكْزَاوْتْ**، موقع وسط منطقة جبلية عالية شمال الأطلس الكبير الأوسط بين أعالي وادي العبيد شمالا وأسيف ملول جنوبا، يتكون من قمم عالية يتراوح ارتفاعها بين 2800 م و3300 م. ومن أعراف حادة وتخللها الهضاب المكسوة بالغابات. وتازگزاوت عبارة عن كتلة جبلية محصنة بفضل ارتفاعها والمسالك الوعرة المؤدية إليها.

شكلت تازگزاوت عقبة كأداء، خلال سنة 1932، أمام تقدم جيوش الاحتلال الفرنسي حيث كانت مسرحاً لعمليات بطولية ضد الجيوش الغازية من 12 يوليوز إلى 16 شتنبر سنة 1932. وإلى ذلك يشير الجنرال گيوم Gl. Guillaume في كتابه *تهدئة الأطلس الأوسط* (ص. 334) بقوله :

"... خلال الفترة الممتدة من 12 يوليوز إلى 16 شتنبر 1932 رغم الصعوبات التي شكلتها التضاريس الجبلية الوعرة وخاصة المقاومة الشديدة التي نظمتها قبائل أيت حديدو وأيت سخمان، رغم هذه الصعوبات تمكنت الفرق العسكرية خاصة أفواج تادلا ومكناس المتحركة، تمكنت هذه الفرق بفضل التضحيات والمجهود المدعم من الوصول إلى الأهداف العسكرية المرسومة في بلاد أيت سخمان وأيت

وبعد أن احتلت اغبالة وهضبة البحيرات بأسيف ملول اشتد زحف قبائل أيت سخمان المكونة من أيت عبدي وأيت حمامة وأيت سيدي علي وأيت ويدير وقبائل أيت حديدو المكونة من أيت عمرو وأيت إعزا، اشتد زحف هذه القبائل نحو الجبال والمسالك الوعرة وقد انضمت إليهم فروع من قبائل أيت يحيى وزايان والتقت هذه القبائل المقاومة بجبل تازگزاوت حول المجاهد المكي أمهاوش وإخوانه المهدي المرتضى والمصطفى وهؤلاء ينتمون إلى عائلة أمهاوش المعروفة بعدائها للاستعمار حيث سبق أن قاوم علي أومهاوش الاستعمار في معارك القصيبة سنة 1913 والهرى سنة 1914، كما استنفر القبائل للجهاد في تافيلالت إلى جانب المقاومين هناك انطلاقا من سنة 1908. وقد وفد على المكي أنصار شيخ زاوية تيلمي بأوترْبات سيدي الطيبي الذي قُتل في المقاومة يوم 26 يونيو 1932. وأصبح المكي يجسد روح المقاومة والجهاد في تازگزاوت، وإلى هذا يشير الكولونيل لانصو Lançon بقوله : "إن تأثير سيدي المكي على السكان كان قويا لدرجة أن كل محاولاتنا لتشتيت صفوف أنصاره بواسطة التفاوض باءت بالفشل - حتى إن كل مبعوثينا إليهم لا يعودون أبداً. ولهذا يتحتم علينا أن نلتزم بالحيطة والحذر وأن ننتظر حرباً ضروساً مع هؤلاء لا

تازگزاوت
أحد المقاومين مسلح ببندقية ومنجل في حديث مع الضابط الفرنسي أوليي Olié

نستطيع في الوقت الراهن تقدير عواقبها...". وقد جندت قيادة الأركان جيوشاً ضخمة تتكون من فرق تادلا ومكناس وغيرها مؤطرة من طرف ضباط كبار وألوية لامعة اسماؤها في التاريخ العسكري الفرنسي أمثال الجنيرال دو بويسون de Buisson والجنيرال بيرو Perrot، هذا بالإضافة إلى مختلف الضباط من درجات متفاوتة. ولمواجهة هذه الحشود الهائلة أخذ أمهاوش يعد العدة وينظم المقاومين، وفي هذا الصدد كتب الجنيرال گيوم في كتابه *تهدئة الأطلس الأوسط* (ص. 364. 365) : "يقدر عدد المقاومين بحوالي 3000 أسرة تمكنت من استنفار حوالي 1000 مسلح مجهزين ببندقيات سريعة الطلقات، إلا أن سلاحهم الأساسي يتجلى في استماتتهم من أجل حريتهم - وكذلك كرههم للأجنبي - وبالإضافة إلى كل ذلك فإن المنشقين تمكنوا من تسخير الظروف الطبيعية لصالحهم وذلك لتحصين مواقعهم، وقد أسندت مختلف نقط المقاومة لقيادة إخوان سيدي المكي".

ورغم الحصار المفروض على تازگزاوت منذ احتلال المواقع المحيطة بها، أي منذ بداية غشت 1932 فإن المقاومين استطاعوا الصمود وحققوا مجموعة من الانتصارات على جيوش الاحتلال خاصة يومي 22 و23 غشت 1932 الشيء الذي أدى إلى انهيار معنوية الجيوش الاستعمارية واضطر الجنيرال لوستال Loustal إلى إعلان الهدنة من طرف واحد، وذلك يوم 26 غشت 1932، وفي نفس الوقت توجه إلى الرباط للحصول على الإمدادات. وفعلا تم تعزيز القوات الاستعمارية بمزيد من المرتزقة، وتم تطويق المجاهدين المعتصمين بتازگزاوت. وفي 5 شتنبر شن العدو هجومات أخرى على الجهات المرتفعة المسماة قالب السكر Pain de sucre ولم يستطع أن يزعزع المقاومين من مخابئهم واستأنف عمله بهجوم آخر يوم 7 شتنبر على الساعة الثالثة صباحا حيث اقترب من المكان المسمى قمة الأرز Piton des cèdres وهنا دارت معارك طاحنة انقض فيها المجاهدون على العدو باستعمالهم السلاح الأبيض رغم تعرضهم للرشاشات، وتسربت فرق أخرى للعدو نحو مرتفعات تازگزاوت واستمرت المعارك واستعملت المفرقعات والحراب، كما التجأ العدو إلى الأرض المحروقة بقنبلة مجاري المياه وإبادة الماشية لإرغام المقاومين على الاستسلام تحت وطأة الجوع والعطش. كما استعملت الغازات والقنابل السامة ضد النساء والأطفال والشيوخ القابعين في الكهوف، وفي هذا الصدد كتب العقيد جاكي Jacquiet قائد قوات زايان في تازگزاوت : "لقد كان المقاومون في مستوى كبير من العصبية يفوق كل التكهنات، بحيث إنهم عزموا على القتال والمقاومة حتى الموت. إن هؤلاء الجبليين الأقوياء يتفانون في المقاومة الشرسة ومهاجمة قواتنا بكل عنف ثم بعد ذلك يعودون إلى مخابئهم، إننا أمام تنظيم قوي إلى أقصى درجة، فكان علينا الالتجاء إلى القنابل لاجبار هؤلاء المحاربين الجبابرة وعائلاتهم على الخروج من الكهوف قبل الاختناق. واستمرت هذه العمليات التي تستهدف تمشيط هذه الكهوف ثمانية أيام نتج عنها تقتيل جماعي حقيقي". فقد ارتفعت خسائر المقاومين من جراء أسلحة الدمار المختلفة والمعززة بالمدفعية والطيران.، وبقي المجاهدون يردون العدون ويرددون العبارة التحريضية الآتية: "إتْشَا أُرُمْيْ أَگْلِّيدْ أوراخْ تْقِيمْ تُودْرْتْ" ومعناها : أخذ الكفار السلطان. لم تبق لها الحياة !.

وأمام اختلال موازين القوى بين الطرفين بعد تدفق القوات الاستعمارية من جميع الجهات لتحاصر المقاومين في تازگزاوت اضطر المكي أمهاوش للتفاوض مع الجيش الفرنسي حقنا للدماء. وبعد أسبوع من المفاوضات استسلم المقاومون يوم 14 شتنبر 1932 للجنيرال هوري القائد الأعلى للقوات الفرنسية بالمغرب، وقد كتب هذا الأخير في كتابه *تهدئة المغرب : المرحلة الأخيرة 1931. 1934* : "غداة إخباري باستسلام سيدي المكي للكولونيل جاكي يوم 12 شتنبر، أتيت إلى قدم تازگزاوت قصد حضور استسلام سيدي المكي بنفسي، وعلى طول الطريق المؤدية إلى تازگزاوت والتي قطعتها على ظهر الفرس لاحظت مشهداً لصناديق من خشب الأرز التي تحتوي على نفائس البرابر. لأنهم وعلى إثر نداء سيدي المكي للجهاد حملوا هذه الأكياس على ظهر البغال والجمال إلى تازگزاوت وغادروا منازلهم وفضلوا عليها حريتهم".

م. المعزوزي وهاشم العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1934*، الرباط، 1986.

Lt. Colonel B. Lançon, *Les dernières étapes de la pacification marocaine, 1931 - 1933*, *R.M.F.*, Août - Septembre 1934 ; Général Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central*, Paris, 1934 ; Général Huré, *La pacification du Maroc*, Paris, 1952 ; J. Saulay, *Histoire des Goums marocains*, Tome I, Paris, 1981.

عبد القادر بوراس

**تازمُّورْتْ**، رأس يقع بشاطئ قبيلة بقوية (إقليم الحسيمة). ويعرف عند الإسبان بالموروفييخو Morroviejo.

وكان من الأماكن الاستراتيجية التي اهتم الأمير الخطابي بتحصينها غاية الاهتمام علما منه بأن الإنزال المرتقب للبحرية الإسبانية الغازية سوف يقع هناك ؛ غير أن القيادة العسكرية الإسبانية عندما تبين لها صعوبة الإنزال برأس تازمُّورت اختارت لذلك شاطئ أجداين فأنزلت به قواتها يوم 8 سبتمبر سنة 1925، وبعد ثلاثة أيام تمكنت من الاستيلاء على رأس قرن الزيت Morro Nuevo ؛ ولم تستطع القوات الغازية الاستيلاء على رأس تازمورت إلا يوم 23 سبتمبر وذلك بعد أن قامت بقصفه بحراً وجواً وبراً لمدة خمسة عشرة يوماً بدون انقطاع.

Domenech, *Zona Norte*, 81 ; Goded, *Marruecos : Las etapas de pacificacion*, Madrid, 1932, 216.

محمد ابن عزوز حكيم

**تازمُوت**، (بزاي مضخم) قرية في قبيلة سملالة بالأطلس الصغير شرقي تازروالت. اشتهرت منذ القرن التاسع (15 م) بنشاط علمائها الگرامين المنتسبين إلى

العالم الأندلسي أبي بكر ابن العربي المعافري دفين فاس (تـ. 543 / 1148). وتذكر كتب التراجم والفهارس أن الكراميين التازموتيين رحلوا في طلب العلم إلى مراكش وفاس وغرناطة. ومن المتواتر في سوس أن سعيد بن سليمان الكرامي (تـ. 882 / 1477) شارح *رسالة* ابن أبي زيد القيرواني وغيرها هو آخر من قرأ من السوسيين بالأندلس.

وبعد فترة ركود قصيرة، حل بتازموت في أوائل القرن الحادي عشر (17 م) الشيخ عبد الله بن يعقوب فأحيى المجالس العلمية بها، وانهالت وفود الطلبة عليه من سهول سوس وجباله. واستمر نشاط تازموت مع أبناء الشيخ ابن يعقوب وحفدته العلماء أجيالا عديدة.

م. حجي. الحركة، 2 : 581 ـ 584.

محمد حجي

## التازموتي ← الكرامي

**تَازْنَاخْتْ**، مركز وجماعة قروية بدائرة مرزگان بإقليم ورززات. سكانها 24.091 ن (1982) والاسم مشتق من تازناگت أي بلاد زناگة وهي صنهاجة. تنتشر أراضي الجماعة بحوض طولي مستو وتلال وجبال الأطلس الكبير الأوسط عند منطقة اتصاله بكتلة سيروا. تغطيها توضعات فتاتية رباعية استقرت فوق ركيزة من صخور الگرانيت والديوريت والفونوليت البركانية ترجع إلى ما قبل الكامبري. يسودها مناخ صحراوي نادر الأمطار (89 ملم / سنة) مع اشتداد البرودة شتاء بسبب علو الحوض : 1500 م وموجات حارة صيفا، ليست به وديان مهمة وإنما مسيلات مؤقتة تتميز باتساع سريرها، وهناك مياه جوفية قليلة ببعض أجزائه وتربة ببعض الجهات لا بأس بها. وهناك نشاط زراعي ضعيف : زراعة بورية يناصيبية في بعض الجهات المحظوظة، ويقع زراعة مسقية تقليدية وحديثة اعتماداً على مياه الآبار إن وجدت فرشة مائية كافية وقريبة من السطح، ولا يتوفر ذلك إلا بضفاف بعض الوديان. إن المؤهلات الطبيعية للحوض وهوامشه تجعل منه مرعى واسعا فقيرا من أعشاب هزيلة ونباتات شوكية متباعدة وإن تلقى مقادير كافية من الأمطار تتحول أراضيه إلى مراع تقصدها القبائل التي تحتفظ بحقوق رعي تقليدية من مناطق قريبة كإزناگن، وبعيدة كأيت عطا من جبل صغْرو، وأيت اوزگيت من منحدرات سيروا والأطلس الكبير الجنوبي الشرقي. يمتلك السكان قطعان أغنام كبيرة تدر عليهم مداخيل مهمة في السنوات المطرة.

تازناخت مركز يقع على علو 1416 م على الطريق الوطني 32 بين تاليوين وورززات مكونا محطة طريقية مهمة، وهو يتكون من عدة تجمعات سكنية أهمها دوار تازناخت أو القصبة (945 ن) الذي انطلقت منه التسمية ودواري أدرگ وأيت داود ومركز تزناخت : 496 ن، ويتكون من الحي الإداري والسوق التجاري الذي كان ينعقد به السوق الأسبوعي. ورغم اتساع مساحة مركز تازناخت فإن سكانه قليلون (حوالي 1400 ن سنة 1990) لأن عدداً كبيراً من المنازل فارغ تملكه أسر من المناطق المحيطة بالمركز أو مهاجرون أو عمال المناجم يستعمل كإقامة ثانوية، يحل به أفراد الأسرة أيام السوق أو في بعض المناسبات، كما لا يزال عدد من المنازل في طور البناء، وعدد من الدكاكين فارغا، وقد عرف المركز حركة بناء نشيطة منذ 1982 بعد تبسيط مسطرة البناء لتشجيع التعمير، فعرف المركز توسعا كبيرا تدعمه أموال الهجرة الداخلية والخارجية وعمال المناجم القريبة خاصة عمال منجمي بوازار والبليدة الذين يمتلكون دورا هنا تسكن بها أسرهم كما يتزودون من سوقها. وفي إطار التنظيم المجالي الحديث سميت الأحياء والأزقة مؤخراً ورقمت المحلات السكنية والمهنية. عرف المركز أهمية إدارية منذ الاستعمار، ازدادت بعد الاستقلال خاصة في الثمانينات بتطبيق اللامركزية فأنشئت مؤسسات إدارية جديدة : القيادة، ومحكمة جماعية ومركز درك وثانوية الخ.. وتشتهر تازناخت بزرابيها الأصلية ذات الألوان والرسوم الخاصة بها، تسوّق خارج المنطقة منذ عقود ولقيت تشجيعا من المسؤولين فأنشئت لها تعاونيات ومدرسة مهنية، كما أنشئت لها ثلاثة مجمعات لعرضها للبيع. ونظراً لوقوع تازناخت على طريق سياحي (جولات الجنوب الصحراوي) ـ ويدخل عبوره في برنامج الكثير من الشركات السياحية ـ فقد انتشرت به البازارات ومعارض الزرابي والمقاهي الحديثة ومحطة بنزين، لكن لا يوجد به أي فندق، وتتوقف به حافلة السواح خاصة أيام السوق الأسبوعية.

كما تتوفر على سوق قديم يتكون من حوانيت كثيرة مفتوحة على ساحات صغيرة وأزقة للاحتماء من الرياح الحارة صيفا أحاطت به المباني الجديدة وتحول إلى سوق تجاري دائم. لكن الكثير من دكاكينه لا يفتح إلا يومي السوق الأسبوعي. وشرع في بناء سوق جديد منذ 1986 بالطرف الغربي للمركز لازالت دكاكينه ومخازنه تتكاثر. وينعقد السوق يومي الجمعة للمواشي والسبت للتبضع ويلبي الحاجيات الأساسية للسكان. ويتوفر المركز على تجهيزات أساسية مهمة : مولد كهربائي محلي وبرج جديد للماء الشروب. وتبذل جهود لتدعيم المنظر الحضري بالجزء المرتبط بالطريق الرئيسي.

*بحث ميداني ؛ تحليل خرائط طبوغرافية وجيولوجية.*

أحمد هوزالي

**تَازْنَاقْتْ**، قصر من قصور الشرفاء العلويين بمدغرة تافيلالت، يقع على بعد ثمانية عشر كيلوميتراً تقريبا من الرشيدية في اتجاه الرتب وأرفود قريبا من عين مسكي، وقد شيد في القرن العاشر الهجري.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، 400.

*Répertoire des tribus.*

عبد العزيز بوعصاب

**تَـازُوضَـا**، تطلق على شيئين : إناء، ومادة للتجميل. فالأول إناء خُشبي دائري الشكل تتعدد استعمالاته باختلاف المناطق التي يوجد بها. ففي الوقت الذي يستعمله أيت وراَ وأيت سادنْ كإناء للشرب نجد أن أهل فگيگ يستعملونه كإناء لاحتلاب الأبقار والأغنام. أما أيت مَـرْغادْ فيستعملونه كطبق لاحتساء الحريرة أو أكل أي طعام آخر. ومن استعمالاته أيضا عند قبائل إمْغْرانْ وخاصة منها أيت زَغَارْ استعماله كمكيال للحبوب. وتقدر سعة هذا المكيال بالـمُد أو تزيد عليه قليلا، ويبقى أن نشير أن الباحث الفرنسي إميل لاووست يعتقد أن تازوضا جمع تِزْضِـوْ ما هو في الحقيقة إلا الاسم الأمازيغي القديم لما يُسَمىَ بالقصعة المسماة بتَـزْلَـفْتْ في بعض مناطق الجنوب (دادس مثلا).

وأما مادة التجميل فاسمها مأخوذ من اسم الإناء الذي توضع فيه، وهي سائل أسود تستعمله النساء بمنطقة دادس لتجميل عدة أماكن من الوجه كأطراف وأهداب العيون وكذا الجبهة والدقن والأنف، الخ.. ويكون ذلك على شكل نقط متتابعة أوخطوط متقطعة. وهناك في نفس المنطقة بعض النسوة التي لهن دراية في صنعه. وهذا السائل يستخلص من حب شجرة تـكْـوُتْ التي تنبت في مناطق ما وراء الأطلس ذات المناخ الشبه الصحراوي. وتجدر الملاحظة في هذا الصدر أن منطقة سكورة (إقليم ورزازات) هي من بين المناطق التي تنبت فيها هذه الشجرة بوفرة. وتحضير هذه المادة يتم بوضع كمية مهمة من حبوب تلك الشجرة في إناء ويُضاف إليها قدر معين من مادة الجاوي. وبعد ذلك يوضع ذلك الإناء المغطى فوق النار ويترك مدة لتتبخر تلك الحبوب إذا أن بخارها هو الذي يتحول إلى عصارة سوداء تعلق بغطاء ذلك الإناء. وحينما تتبخر تلك الحبوب بأجمعها تبدأ عملية جمع تلك العصارة العالقة بالغطاء، وإذ ذاك تصبح قابلة للاستعمال.

ومما تتميز به تازوضا رائحتها العطرة التي تفوح منها مدة طويلة وهي من أسرار استعمالها من طرف النساء. ويبقى أن نشير إلى أنها تستعمل أيضا لأغراض طبية إذ نجد أنها تستعمل كدواء لبعض الأمراض الجلدية وخاصة منها ما يسمى تَفر.

*تحريات ميدانية.*

E. Laoust, *Mots et choses berbères*, p. 32, note 2 pp. 32 - 33.

محمد حمام

**تازوطا**، أو تزوطا. حسب المصادر المغربية واللهجة الزناتية. وتنطق في اللهجة الريفية حالياً باسم تازوضا. وليس هناك أي اختلاف في المفهوم بين النطقين القديم والحديث، نظراً للمرونة المتوفرة في اللهجة الأمازيغية للمرور من النطق بالطاء إلى الضاء. ويتعلق الأمر بإحدى قلع الريف الشرقي، الواقعة بقمة جبل قلعية (جبل أگرگورْ أيضاً) على ارتفاع 600 م.

أسست قلعة تازوطا على بقعة صخرية جرانيتية، قائمة على الحافة الشمالية من فوهة البركان القديم. ولا يمكن الارتقاء إلى سطح الصخرة إلا من مسلك شرقي وحيد، نتيجة الارتفاع العمودي المميز للحافات الثلاث الباقية، مما جعل القلعة ذات حصانة طبيعية، شادت بها المصادر التي تعرضت لذكرها. والظاهر أن المرينيين الذين أعادوا بناء القلعة سنة 610 / 1213، على أنقاض قلعة گرط، هم الذين اطلقوا عليها اسم "تازوطا" الأمازيغي الأصل. وهو في معنى "القصعة"، للتعبير عن وجود الحصن الجديد المحدث

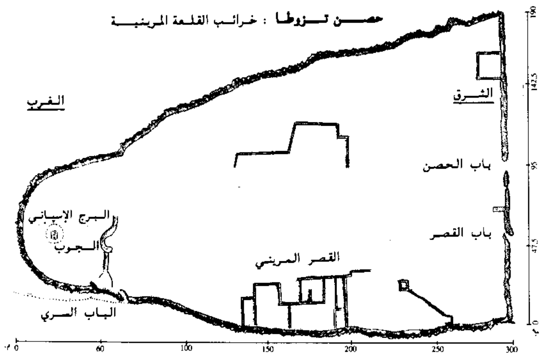


وسط الهضيبة التي تتراءى للمتجول بسهب بوعرك من جهة الجنوب الشرقي معلقة بأعلى جبل قلعية.

وليس هناك من شك في أن أصل القلعة يعود إلى ما قبل الاسلام، لعب أهلها بنو وَرْتَدّى دوراً أساسياً في تحرير مدينة "رس دو" العهد الروماني ومليلة العهد الإسلامي من الوجود البيزنطي في آخر القرن الأول الهجري. ونجد العلة في عدم التوصل إلى خبايا تاريخ القلعة القديم، في انعدام الحفريات والكشف عن الآثار. وسنقف هنا على ملاحظات الإسباني أنْخلُو گيريلي (Angelo Ghirelli) المهتم بالدراسات التاريخية الخاصة بالشمال المغربي خلال النصف الأول من القرن العشرين.

استعرض الكاتب الإسباني رأياً يخص تاريخ قلعة تازوطا القديم جديراً بالإثارة، لكننا عجزنا عن تأكيده أو نفيه. أراد في مقاله *تقاييد تاريخية عن خرائب تازوطا* *Apuntes historicos sobre las ruinas de Tazuda* تأكيد وجود سابق للقلعة عن الفترة الاسلامية، إذ أن الحصن حسب رأي الكاتب هو المكان الذي أخفى فيه الملك النوميدي يوغرطا (يوجَرتَـنْ) كنوزه عن شره القائد الروماني "ماريوس" الملاحَق له، على الشكل الذي استعرضه "سالوسْت"، مؤرخ حروب يوغرطا.

والشاهد الوحيد لدى گيريلي أن الوصف الطبيعي الذي قدمه سالوست لموقع الحصن وبقعته يطابق تمام المطابقة حصن تازوطا المريني. والواقع أن العودة إلى قراءة نفس النص الوارد في حروب يوغرطا يقدم لنا نفس الانطباع، فهو يقول : "غير بعيد عن نهر ملوشا (ملوية)، الفاصل بين مملكتي بوكوس ويوغرطا يوجد جبل صخري يبلغ ارتفاعا عظيماً، مكنت سعته من إقامة حصن صغير عليه.

لا يوصل إليه إلا عن طريق ممر ضيق جداً، أما الباقي فأجراف تنزل عمودياً، كأنها وضعت بإرادة الإنسان... وكان الحصن مزوداً بما يكفي من الرجال والسلاح، وبه خزين عظيم من القمح، وعين ماء جارية. والأرض غير صالحة للتحصينات بالأبراج وغيرها من الآلات الحربية، أما الطريق المؤدية إلى المعقل فهي جد ضيقة، تحفها المهاوي، ولا يمكن لبيوت الزحف الاقتراب منه إلا تحت خطر شديد". (التازي، *حروب يوغرطا*، 92).

حاول گيريلي إقناعنا بما أثاره إلى أن جيوش ماريوس كانت معسكرة في الساحة الشرقية من سطح الهضبة، وأن الجندي الذي أخبر القائد الروماني بوجود منفذ وحيد إلى الحصن، كان قد قادته الصدفة إلى اكتشاف الممر السري الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية من سطح الهضبة.

إذا كان هذا مجرد احتمالات تنقصها شهادات التاريخ القديم، فإن هناك ما يدل على الوجود الروماني بمقربات الحصن المريني، متمثلا في استمرار بعض بقايا حدود "اللِّمس" المعروفة. (الفكيگي، *قلعية*، 15 ـ 16). كما لا يمكن، سواء للقوة الأهلية الدفاعية أو الجيش الغازي من الاستغناء عن موقع جبل قلعية، والحصانة التي يوفرها للمحتمين به. هذا ما دلت عليه قرائن الفترات التالية.

يعود أول تاريخ علمنا بوجود القلعة إلى سنة 250 هـ. بمناسبة قبول بني ورتَدِّي إدخال وحماية سعادة الله أخي سعيد أمير النكور أثناء الحرب الجارية بين الأخوين، وآنذاك كان الحصن معروفاً بقلعة جارة (كرط)، أو قلوع جارة، حسبما أورده البكري، معبراً عن أهميتها :"وهي حصن منيع في أعلى جبل لا متناول له ولا مطمع فيه...." (*المغرب*، 88) كان لها دور بارز في ربط التجارة الصحراوية مع الأندلس، عبر مراسي مليلة وهُرْكْ وغَساسة وگرط. وقد فضلنا إرجاء تقديم التفاصيل عن ذلك النشاط إلى حين تقديم مادة "قلوع جارة" في المعلمة، ليضاف إلى ما سبق أن قيل عن بني ورتَدِّي.

وتكفي هنا الإشارة بعجالة إلى أن قلعة جارة، التي ستصبح قلعة تازوطا المرينية، قد توالت عليها مراحل البناء والتخريب، أولاها على العهد الإسلامي حين تم بناؤها على يد أهلها بني ورتَدِّي، ثم تخريبها على يد ميسور العبيدي سنة 323 هـ. وإعادة بنائها على يد الأندلسيين بأمر عبد الرحمن الناصر في السنة الموالية لصالح حليفه موسى بن أبي العافية ( *المقتبس*، 386 ـ 888 ؛ الفكيگي، *قلعية*، 1 : 37). وعاد إليها التخريب سنة 347 هـ، على يد جوهر الصقلي، ثم تجدد بناؤها إثر استدعاء محمد بن إدريس، آخر ملوك بني حمود المالقيين سنة 459 هـ إلى مليلة وناحيتها، لحماية قلعية من الزحف المرابطي.

ولا ندري مصير القلعة، سواء أيام المرابطين الذين فتحوا مليلة سنة 473 هـ، أو على العهد الموحدي الذي بدأ سنة 535 باحتلال نفس المدينة. وعلى قلعة گرط وقع اختيار المرينيين، حين دخولهم إلى أراضي الإقليم.

لم يشر أحد من المؤرخين للعهد المريني صراحة إلى تأسيس بني مرين لقلعة تازوطا. باستثناء الحسن الوزان (*وصف إفريقيا*، 1 : 266). مما سنتعرض له. وقبل كل شيء كيف تعرف بنو مرين على الهضبة وقلعتها القديمة ؟.

يستفاد من إشارة قصيرة أوردها ابن عذاري المراكشي وأكدها غيره أن تسرب المرينيين إلى گرط تم فعلا قبل التاريخ الذي حدده إجماع مؤرخيهم بسنة 610 هـ. فلم تكن تلك السنة سوى تأريخ للدخول الزناتي الجماعي إلى الإقليم واستقرار الأمراء بقلعة تازوطا، إذ أن جولات تمهيدية كانت قد سبقت على يد زعيم المرينيين عبد الحق بن محيو. وعلى أقل تقدير يكون اختراق بني مرين لمنطقة گرط تم في حدود متراوحة بين 607 و608 هـ.

هذا الدخول المريني المبكر هو الذي عرف ادلاء بني مرين بموقع قلوع گرط وأطلعهم على المميزات الطبيعية والحربية لذلك الموقع المناسب لظروف مثل ظروفهم السياسية. وبذلك نالت هضيبة تازوطا وقلعتها القديمة اختيارهم سنة دخولهم. ولا ندري، من خلال المصادر، الهيأة التي وجدها عليها عبد الحق المريني. ولكن السرعة التي انطلق بها فرسانه لمواجهة زحف الموحدين نحوه، بعد أن تركوا ذويهم بالحصن وأمنوا به ذخائرهم وكنوزهم، توحي بأن بني مرين لم يبذلوا جهداً كبيراً للاطمئنان إلى تحصينات القلعة بعد ثلاث سنوات فقط من دخولهم إلى بلاد القلاع، وانتصارهم على ابن وانودين الموحدي عام 613 هـ، في موقعة المشعلة المشهورة بسهب بوعرك.

فمن المعتقد أن المرينيين وجدوا القلعة على رسمها وحالتها القديمة، وكان عليهم فقط أن يبادروا إلى تجديد المباني البارزة في الداخل وتشييد ستار الأسوار الخارجية، لتعود إلى الظهور بمظهر لا يختلف عن صورة حصن قلعة گرط القديمة. ولا تسمح البقعة لتصور غير هذا. وبذلك ظهرت قلعة تازوطا المرينية.

لقد قمت شخصياً بزيارة خرائب تازوطا عدة مرات، وسخرت امكاناتي ومعلوماتي المتواضعة لإبراز رسم الخرائب بقياساتها المتعددة، وبذلك حصلت على الوصف التالي الذي يوجزه رسم القلعة المرفق لهذا العرض.

تشغل خرائب قلعة تازوطا مساحة ما يقرب من 25.000م$^2$ بالقسم الغربي من الهضيبة الممتدة على طول كيلومترين من الشرق نحو الغرب، ولا تخفى دواعي اختيار المرينيين، فقد توخوا استغلال أكثر أجزاء الهضيبة انحداراً وملاءمة لشروط الدفاع بأقل ما يمكن من الجهود. ويفرض امتداد الهضيبة نحو الشرق أن تكون وجهة قلعة تازوطا شرقية، مقابلة للممر الوحيد المتصل بها، حيث يتوفر أقل انحدار لحافات الهضيبة. ولما كان الجانب الشرقي هو موضع الدخول إلى القلعة، وجد على المرينيين إقامة أهم تحصينات المدينة ببناء سور يصل حافتي موضع القلعة الشمالي والجنوب على مسافة 190 م.

يطل من هذا السور الشرقي بابان، ولا يظهر على امتداده وجود غيرهما، حسبما تبينه الانقاض الحالية، والصور التي أخذت للقلعة على عهد الفترة الاستعمارية، يقع الباب الأول، وهو الثانوي، على مسافة 45,5 متراً، ابتداء من نقطة امتداد السور من الجانب الجنوبي. والملاحظ أن الباب أقيم على شكل غريب، إذ أن بانيه أعطى لتركيبه الوجهة الجنوبية الشرقية، بدل الشرقية الصرفة الموافقة لخط امتداد السور، مما جعله ينحرف انحرافا ظاهراً بانفراج يعادل ما يقارب ثلاثة أمتار. والظاهر كذلك أن الباب كان محمياً بواسطة برج صغير، وهناك ما يدل على وجوده. وفي أغلب الظن أن الباب كان مخصصاً للدخول إلى المرافق العمرانية الرئيسية المشيدة بالفراغ الجنوبي من القلعة، وهو القسم المعروف بالقصر المريني، المبين في الرسم.

ولم يختر المرينيون للباب الرئيسي المسافة الوسطى من امتداد السور، بل جعلوه يمتد على حده الجنوبي نحو 71 متراً، ويعود انزواء الباب في تلك النقطة إلى عدم ملاءمة سطح الهضيبة للتحرك السهل، بسبب سيادة الصخور ذات الأحجام الكبيرة المتعمقة في السطح. ويدل موقع الباب الأوسط بين المرافق الشمالية والجنوبية الداخلية واتساع عرضه، على أنه كان المدخل الرئيسي للقلعة، إذ أنه يبلغ ثلاثة أمتار ونصف، يسهر على حراسته برج مستطيل الشكل.

وقد تطلب وجود عدة فجاج تتخلل المنحدر الصخري الذي ينتهي إليه امتداد السور من الجهة الشمالية، تقوية تحصينات هذا الجانب، ببناء برج كبير بالقرب من هذه الزاوية، مربع الشكل، مساحته نحو مائة متر مربع. كان هذا السور الواجهة الدفاعية الهامة بالقلعة كلها، لمقابلته للساحة الشرقية الخارجية، التي منها المسلك الوحيد إلى القلعة، مدخله إليها من الزاوية الشمالية الشرقية، وطول المسلك نحو 300 متر.

وقد تحدث أنخلو گيريلي (Angelo Ghirelli)، الذي زار الخرائب في آخر العقد الأول من هذا القرن عن مشاهدته للسور الشمالي الذي التقطت له عدة صور. ويصعب التعرف عليه في الوقت الحاضر، بسبب طغيان نمو الأحراش في ذلك الجانب. وقد أكد الزائر الإسباني وجود بقايا من الأبراج التي كانت قائمة على هذا الجانب.

وتمتد الحافة الغربية على شكل نصف دائري، ارتفاعها يزيد على عشرين متراً، يجعل منها حاجزاً طبيعياً صغيراً، غير أن هذا لم يمنع من إقامة سور مساير للحافة، ليستمر اتجاهه على طول الحافة الجنوبية، ولا يظهر حاليا أي دليل على وجود سابق للسور من تلك الجهة. وربما لم يكن الأمر ضرورياً، إذ أن الهضيبة تبلغ من هذا الجانب أقوى انحدار لها، نتيجة إشرافها على الفوهة البركانية، التي يجري بها اليوم واد إخْشَامن.

وتتوارى خلف السور الشرقي مباني الحصن الداخلية، التي لم يقل عنها گيريلي أي شيء، وتكاد تنطمس معالمها في الوقت الحاضر بسبب ما اعتراها من التخريب وعبث السكان. ويظهر مما تبقى منها أن المساحة كانت منقسمة إلى قسمين :

ـ القسم الشمالي : يظهر من شكله الحالي أنه لم يكن مخصصاً للسكنى. فامتداد المباني على شكل مستطيل من الشرق نحو الغرب، ووجود الواجهة الجنوبية منها مفتوحة، يحمل على الاعتقاد على أنها كانت بمثابة حظيرة للدواب، والخيل منها خاصة. ومثل هذا لا يمكن أن يخلو منه حصن من الحصون، خاصة وأننا نعلم أنه كان يؤوي أحياناً مائة فارس.

ـ القسم الجنوبي : تمتد مبانيه على شكل مواز للحافة الجنوبية. ومن المؤكد أن هذه المباني هي التي أشار إليها ابن خلدون وسماها بالقصر المريني. وكان يعني بذلك مقر إقامة حاكم تازوطا المريني منصور بن أبي مالك. يتألف القصر من مجموعة من الغرف المتوسطة والكبرى. ولا تسمح الحالة التي توجد عليها الخرائب سوى بالتعرف على عشر غرف منها فقط.

وتنتهي المباني من جهة الشرق بباب ذي وجهة شمالية. ومن هذا الباب يستمر خط السور، لينحرف نحو الجنوب الشرقي، ويتوقف على مقربة من خط السور الخارجي، عند الباب الثانوي المشار إليه آنفاً. وبنفس الطريقة يمتد خط سور آخر، ينطلق من الزاوية الغربية، وينحرف بدوره نحو الجنوب الغربي في اتجاه مدخل القصر، من الباب الغربي السري.

وإلى هذا الباب السري أشار الحسن الوزان، إذ أنه كان على علم بالمسلك وبميزاته. شق هذا المسلك على الجانب الغربي من الهضيبة، عند استدارته نحو الشرق، وسط صخور صلبة صماء، لا تسمح بالمرور إلا لشخص واحد، وهو ينحدر ويتدرج على مسافة ستين متراً. ابتداء من تسنم المنحدر الذي يستقر عليه إفريز الهضيبة. وفي 1975 أثناء زيارتنا لخرائب تازوطا، كانت لا تزال آثار درج مبلطة بالحجر الجرانيتي باقية. ومن هذه الدرج نصل إلى باب الحصن السري، الذي كان يحمل فوقه برجاً صغير الحجم متوسط الارتفاع.

وهذا الباب والمسلك السريان هما اللذان استعملهما الأخوان الوطاسيان عمر وعامر للنجاة من قبضة السلطان يوسف بن يعقوب المريني، والفرار إلى تلمسان، أثناء تمردهما بالقلعة سنة 691 هـ. إذ أن جيوش يوسف كانت معسكرة بالساحة الشرقية المقابلة لمدخل القلعة الرئيسي الشرقي.

كان من الضروري أن يحسب المرينيون الحساب لتوفير الماء الشروب خاصة، إذ لا يمكن أن نجد منه شيئاً على سطح الهضيبة البركانية. وهناك عين غزيرة تتدفق خارج الحصن، وعلى بعد منه بنحو 450 متراً، مما يلي الشرق. والمنبع مصدر من مصادر مياه واد إِزَرْوُرَت، رافد واد

المدور. وقد أشار الوزان إلى هذه العين الغزيرة، ولا تزال بقاياها إلى اليوم.

غير أن خزن المياه كان ضرورياً، ولهذه الغاية أنشأ المرينيون خزاناً كبيراً عميقاً، قال عنه گيريلي إن عمقه يصل إلى خمسة أمتار. وقد اختبرنا ذلك بنفسنا، وهو يقع بالقرب من الباب الغربي السري، شيدت بجواره قناة طولها ثلاثة أمتار، وجهتها جنوبية، تنحدر نحو فوهة "الجوب". وإلى هذا الخزان أشار الوزان بقوله : "وليس بداخل المدينة ماء غير ماء الخزان".

احتفظت قلعة تازوطا بمبانيها ذات الطابع المريني إلى أن أمر يوسف بن يعقوب المريني بتخريبها سنة 692 / 1292، نتيجة التمرد الذي نظمه الأخوان عمر وعامر، ابنا الوزير الوطاسي، ضد القائد المريني منصور بن أبي مالك، مما ستراه في مكانه المناسب على صفحات هذه المعلمة (ابن خلدون، *العبر*، 6 : 274).

ذلك هو حصن تازوطا المريني الذي كان مركز القيادة المرينية بالريف الشرقي عامة، وبالنسبة لقبيلة قلعية خاصة. لقد ظل مريني الشكل، حتى بعد استعادة بعض معالمه على يد القائد الأندلسي علي العطار في أوائل القرن العاشر الهجري (16 م). وآنذاك كانت القلعة قد أصبحت مركز القيادة العليا، لتنظيم حركة المقاومة ضد مليلة المحتلة عام 903 / 1493 وغساسة المحتلة كذلك عام 912 / 1506 بأمر من السلطان محمد البرتغالي، مما سنراه أيضاً في موضعه المناسب. (الفگيگي، *قلعية*، 156 وما بعدها). ومنذ ذلك استقرت الوظيفة الجهادية لقلعة تازوطا استمرت عبر القرنين التاليين، بفضل تنظيم حربي ثابت استمر العمل به على العهد الوطاسي والسعدي والعلوي. ستتاح فرصة الاطلاع عليه كذلك.

ويظهر أن قلعة تازوطا قد خربت مجدداً خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري (17 م) على يد القلعيين أنفسهم أثناء تمردهم على الأسرة القيطونية الإدريسية الحاكمة بالقلعة من قبل السعديين، دون أن تتضح لنا أسباب ذلك التمرد. ولم يتجدد بنيانها إلا سنة 1093 / 1682 على يد محمد بن مسعود القيطوني رئيس المجاهدين على عهد المولى إسماعيل، لتكون مقر سكناه وابنه عمر بعده، حسبما جاء به تقييد أحمد بن القاضي الگعداوي :

"تاريخ بنيان حصن مدينة تازوطا وتجديدها بعد اندراسها عام ثلاثة وتسعين وألف في دولة مولاي إسماعيل. تفكرها القائد محمد بن مسعود القيطوني، بعد اطلاعه على ما كان من شأنهم مع قلعية، وأجمع قبيلة قلعية على بنيانها ورجوعها كما كانت. وكان القائد المذكور لا يقطع أمراً حتى يشاور كبار قبائله، ويشير عليهم برأيه السديد ويمتثلونه. وفي ذلك اليوم جمعهم في وسطها، وطاف ببنيانها المندرس وقسمهم، كل جماعة تاتي يوماً وتبني ما صار لها من السور والديار. وكان يعطي للمعلمين والخدام المحوجين (المحتاجين) في كل يوم كذا وكذا من زرع في أجرتهم، وكذا كذا من دراهم وكذا كذا في الخشب والجير. وبعد فراغنا من تجديدها وبنيانها، كما كانت أولا وأحسن من ذلك، سكن فيها القائد عمر مع أعوانه ووصفانه، جمعنا ما فسد على أجرتها ووجدناه نحو خمس ماة (خمسمائة) تليس شعير وماة تليس من القمح ونحو مائتي مثقال. وكتب من شهد ذلك وحضره أحمد بن محمد ابن أبي القاسم بن القاضي". (الفگيگي، *قلعية*، 1 : 231).

فقدت قلعة تازوطا أهميتها بعد وفاة محمد بن مسعود القيطوني وانتقال ابنه عمر إلى مركز "تمزار" المشار إليه في هذه المعلمة. ومنذ ذلك تسرب التخريب التدريجي إلى مرافقها على يد السكان إلى أن وصلت بها الحال إلى ما وجدها عليها الإسبان، وإلى ما هي عليه الآن.

بادر الإسبان بمجرد استيلائهم على جبل أگرگور إلى التمركز بقلعة تازوطا، لمراقبة قبيلة قلعية من علوها، سيما بعد استشهاد زعيم قلعية الشريف محمد أمزيان عام 1912. ولكنهم لم يعيدوا بناءها، بل اختاروا الجزء الغربي منها، وأحدثوا هناك برجاً مستدير الشكل، وجعلوه متصلا بغرفة باطنية واسعة، وشقوا إليها طريقين : الأول من بني انصار يمر عبر قمتي بَاسْبِيلْ وسيدي أحمد الحاج. والثاني ينطلق من أَزْغَنْغَان عبر گعدة إثْلاثَن وسفح تْغاغَت.

واتخذ المجاهدون من قلعة تازوطا مركزاً لهم أثناء ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي بعد معركة أنوال، الواقعة سنة 1921. ومنها كانوا يراقبون الإسبان وتحركاتهم، ويزودون المدفع الذي وضعوه بقمة باسبيل لضرب المدينة المحتلة. إلى أن تمكن الاسبان من العودة إليها أثناء انتهاء الثورة سنة 1926، ليغادروها سنة استقلال البلاد.


ابن حوقل، *صورة الإرض*، 79 ؛ ابن حيان الأندلسي، *المقتبس*، 307. 387. 388 ؛ أ. البكري، *المغرب*، 89. 90. 184 ؛ م. الإدريسي، *النزهة*، 171 ؛ ابن عذاري، *البيان*، 1 : 235. 244. 392 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 274 ؛ 7 : 215 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 266 ؛ أحمد بن القاضي، *تقاييد*، مخطوط خ. ح. ؛ ح. الفگيگي، *قلعية*، 1 : 19. 111. 156. 231 ؛ *مليلة حاضرة قلوع كرط*، دار النيابة.

A. Ghirelli, *Apuntes historicos sobre las ruinas de Tazuda*, *Africa*. mayo 1930, p. 11.


حسن الفگيگي

**تَازُولْتْ**، كلمة أمازيغية تعني التجميل وتطلق على الكحل الذي تستعمله النساء لتجميل العيون. والكحل بجنوب المغرب يسمى تَازُولْتْ. وهذه المادة تقوم بصنعها وتحضيرها نسوة متخصصة. وتمر عملية تهيئها بالمراحل التالية :

1) ـ وضع كمية معينة من معدن تازولت في إناء مملوء بالماء ويوضع فوق النار إلى أن يغلى ذلك الماء لكي تنسلخ عن ذلك المعدن كل الشوائب العالقة به.

2) ـ وفي مرحلة ثانية يجفف المعدن ويُطحن ويُصفى بواسطة غربال رهيف جدا عادة ما يكون ثوبا.

3) - وبعد عملية الطحن والتصفية تضاف إليه عناصر أخرى وهي على شكل عطور منها : سكنجبير، الإبزار الأبيض والزعفران والكبريت وعظم الزيتون (بعد إحراقه) وحب النوار والتوت الهندي. وهذا الخليط يُبـلل بشيء قليل من زيت الزيتون.

4) - وفي مرحلة أخيرة يجفف ويصفى هذا الخليط من جديد بغبربال رهيف. وبعد ذلك يصبح قابلا للاستعمال.

ويبدو أن جودة هذه المادة تكمن في تقدير الكمية الكافية من كل هذه العناصر بدون زيادة أو نقصان. وهذا ما يفسر الإقبال على بعض منتجاتها دون غيرهن في بيعها بالأسواق.

ومن الجدير بالذكر أيضا أن النساء يعتقدن أن لمادة تَزْلُتْ خاصية أخرى (إلى جانب خاصية التجميل) تتمثل في علاجها للعيون ووقايتها من كثير من الأمراض خاصة وأنها تقوم بدور المنظف لها لأنها في الواقع قد تدر الدموع التي تنظف العين.

*تحريات ميدانية.*

محمد حمام

**التازي**، أسرة فاسية نابهة أصلها من مدينة تازا الجبلية الواقعة وسط قبيلة غياتة على بعد 120 كلم شرق فاس في طريق وجدة. وقد انتقل التازيون إلى مدن أخرى كالرباط وسلا وتطوان. وفي هذه المدينة الأخيرة أسرة أخرى قديمة أصلها من قرية تازا الواقعة بفرقة بني زرويل بقبيلة الأخماس (إقليم شفشاون) وكان جل أفرادها ينخرطون في الجندية أو المخازنية.

داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 245 ؛ 8 : 216 - 356.

*Delegacion Asuntos Indigenas, Familias T* ; Cagigas, *Familias* ; Ibn Azzuz, *Apellidos.*

محمد ابن عزوز حكيم

## التازي، إبراهيم بن عبد الرحمن ← التسولي

**التازي، إبراهيم** بن **محمد** نزيل وهران، عالم أديب صوفي، اسمه الكامل إبراهيم بن محمد بن علي، ونسبه في بني لنت من مضافات قبيلة التسول الزناتية، وهم يتفرعون إلى ثلاثة بطون : الحرشة والخندق ومقورة، غير أن عشيرة المترجم من هذه الفروع لم تتحدد، ولا يزال اسم بني لنت معروفاً قرب مدينة تازا إلى الشمال الغربي منها، وإليه تضاف قيادة عشائر قبيلة التسول ضمن عمالة تازا.

ويبدو أن أسرة المترجم انتقلت قبل ولادته - على الأقل - إلى السكنى بمدينة تازا، حيث كان مولده بها في تاريخ ربما يرجع إلى أوائل القرن التاسع (15 م) وبنفس المدينة كانت نشأته وتعلمه للقرآن الكريم على أستاذه يحيى الوازعي، الذي وصف بالشيخ الصالح المقرئ، ويستنتج من بعض الإشارات أن هذا الأستاذ يكتب الخط الجيد، ويتقن علم التجويد، ومنه انتقل ذلك إلى تلميذه المترجم، فيصف ابن صعد كتابته بالخط الرائق، ويخططه بالبراعة في تجويد تلاوة القرآن، ولما حج قدمه مشيخة الحرم الشريف لصلاة الأشفاع في رمضان، واتفقوا عل أنه أحسن القراء تلاوة...

بعد هذه المرحلة الأولية فإن مصادر التعريف بالمترجم لا تذكر شيئا عن متعلمه بالمغرب، ومن المؤكد أنه أخذ العلوم - دينية ولسانية - ببلدته أو جهة أخرى من المغرب، قبل أن يتمم دراسته خلال رحلته للحج، وذلك ما يفيده تحليته بالفقيه في إجازات ثلاث من أساتذته الذين روى عنهم بالحرمين الشريفين وتونس، ومن المعروف أن حلية الفقيه في عصر المترجم، لا تمنح إلا لمن تكاملت ثقافته بعد تلقيه للمعارف عن الشيوخ.

وخلافاً لواقع المترجم بالمغرب، فإن شيوخه خارج المغرب يبلغ عدد المعروف منهم إلى ستة أسماء.

1 - أبو الطيب الفاسي : محمد بن أحمد بن علي المكي حسين الإدريسي، ت 832 / 1429. قرأ عليه - بمكة المكرمة - *الشفا* لعياض، وكثيرا من كتب الحديث والرقائق، ومنها *الموطأ* للإمام مالك، *وسنن* النسائي، *ورسالة* القشيري، وفي العربية *الألفية* بابن مالك، وفرغ من قراءته *للشفا* بتاريخ 30 ذي القعدة سنة 830 / 1421 بالمسجد الحرام. ثم أجازه بجميع مروياته ومؤلفاته، ومن جهته يسند المترجم روايته *للشفا*.

2 - أبو محمد الزواوي : صالح بن محمد بن موسى الحسني الرياحي المدوكالي، جاور بالمدينة المنورة، وانتقل منها إلى القاهرة حيث توفي بها سنة 839 / 1435. أخذ عنه حديث المصافحة والمشابكة، ولبس منه الخرق القادرية والمدينية والشاذلية، ولقنه الذكر بالكلمة المشرفة.

3 - أبو الفتح المراغي : محمد بن أبي بكر بن الحسين العثماني المدني، ت. 859 / 1455. قرأ عليه - حسب تعبير ابن صعد - علوماً كثيرة، ولازمه مدة طويلة وكتب له - بخطه - عدة إجازات. ومن جهته يسند إلى *صحيحي* البخاري ومسلم، وكتاب *المجالس العراقية* لزين الدين عبد الرحيم العراقي، وحديث الرحمة المسلسل بالأولية، ثم حديث الضيافة، الذي أسنده له بالمدينة المنورة يوم الخميس 2 محرم سنة 831 / 1421، وناوله السبحة، وألبسه الخرقة القشيرية، وهو شيخه الثاني في الخرقة المدينية، ألبسه إياها في المسجد النبوي الشريف، عاشر محرم سنة 831 / 1421، ولقنه الذكر بالكلمة المشرفة.

4 - العبدوسي : عبد العزيز بن موسى بن معطي الفاسي نزيل تونس، ت. 837 / 1434. أخذ عنه حديث المصافحة بتونس في رجوعه من رحلته الحجازية، وأجازه إجازة عامة كتبها له في 13 رمضان سنة 832 / 1429.

5 - ابن مرزوق الحفيد : محمد بن أحمد بن محمد العجيسي التلمساني، ت. 842 / 1439. أخذ عنه وكتب له إجازة بتاريخ ربيع الثاني عام 832، هكذا عند ابن صعد، ولعل الصواب 833 / 1430.

6 - وفي وهران اتصل بشيخه الذي طبع اتجاهه الصوفي، وهو محمد بن عمر الهواري، حيث لازمه بوهران نحو عشرة أعوام إلى وفاته سنة 843 / 1439. وبعدها استمر

المترجم بنفس المدينة، يترسم النهج الصوفي لأستاذه فينشر فضائله، وينسخ كلامه بخطه، ويجمع متفرقه في دفاتر، وصار يفتتح مجالس إقرائه بتلاوة كتب شخيه، فيمليها بتعبير مؤلفها، ويفسر مجملها، ويفتح مقفلها.

وسيكون الهواري آخر الستة المعروفين من شيوخ المترجم خارج المغرب، وإلى هذا يشير ابن صعد إلى مؤلفات برواية إبراهيم التازي دون أن يحدد أساتذته فيها، وعددها ستة :

- كتاب *المجالس المكية* لأبي حفص عمر الميانسي.
- كتاب *الأمثال الحديثية* لأبي محمد الحسن بن خلاد.
- كتاب *التوكل* لابن أبي الدنيا.
- كتاب *أبي القاسم بن عساكر*.
- كتاب *السمعاني*.
- *تاريخ الخطيب*.

ولا نترك استعراض أشياخ المترجم دون العودة إلى بعض التواريخ لإجازات أشياخه، ابتداء من إجازة أبي الطيب الفاسي، المؤرخة في 30 قعدة 830 / 1421، وانتهاء عند إجازة ابن مرزوق الحفيد بتاريخ ربيع الثاني عام 833 / 1430، فكان هذا التاريخ وسابقه قد وقتا - في الجملة - بداية ونهاية رحلة المترجم.

يضاف لهذا فقره عند ابن صعد تذكر أن علماء تونس خططوا إبراهيم التازي - على صغر سنه - بأوصاف السيادة، وقد تبينا أن إجازته بهذه المدينة من شيخه العبدوسي تحمل تاريخ 13 رمضان 832 / 1429، فنستنتج أن تاريخ ولادة المترجم - على وجه التقريب - لا يعدو أوائل القرن الهجري التاسع كما سبق.

وحسب تكوين المترجم فإن ثقافته ازدوجت فيها المعارف بسلوك الصوفية، وذلك ما يبرزه ابن صعد في هذه الفقرة، فيذكر أنه من أولياء الله الزاهدين، وعباده الناصحين المخلصين، إماما في علوم القرآن، مقدما في علم اللسان، حافظا للحديث، بصيراً بالفقه وأصوله، من أهل المعرفة التامة بأصول الدين، إماما من أيمة المسلمين... وكان من أهل الحفظ العظيم، معروفا بجودة النظر والفهم الثاقب، جامعا لمحاسن العلماء، ممتعا بآداب الأولياء.

ولثقافة المترجم المزدوجة صار يقرئ العلوم والتصوف، فدرس بوهران *المختصر الخليلي*، وأسند الأحاديث والمسلسلات، فرواها عنه مجموعة من الأعلام سناتي على ذكرهم.

وإلى هذا اهتم بدعوة الجماهير إلى معرفة عقائد التوحيد، وأقام - حسب ابن صعد - سوق الأذكار بوهران، وأبان بها معالم الإسلام والإيمان، ورتب المواسم الشرعية وبينها المولد النبوي الشريف، ونبه على الآداب الدينية والدنيوية، ونقل أهل مدينته عما كانوا فيه من التبدي إلى الحضارة، وجلب إليها الماء من مسافة بعيدة بعدما كان بها قليلا، وبذلك كله عظمت عمارتها، وارتحل إليها كثير من أهل الجزيرة، وقصدها الواردون من جميع الآفاق.

ومن هنا نتبين أن المترجم كان يجنح إلى تحقيق التصوف الاجتماعي، ويترجم هذا - مرة أخرى - شكل بناء الزاوية التازية بوهران، فبالإضافة إلى مساجدها الأنيقة العالية : بنى بها المدارس المجهزة بخزائن الكتب، وبالدورات المائية والحمام، فضلا عن المرافق المعدة للزوار وأبناء السبيل، وتجهيز آخر مهم هو الآلات الجهادية المودعة بالمدارس، مما يشير إلى بعد نظر الباني، وكل مؤسسات الزاوية جاءت نهاية في الفخامة والاحتفال.

ومما يعبر عن ذوق المؤسس أن سطح المدرسة يظلله عريش من شجر الياسمين العنبري الرائحة لا نظير له، حسب تعبير المصدر المعني.ولإقامة شؤون الزاوية بنى عدة أماكن أشهد بوقفها عليها، ولم يترك لوارثه من الأرض شبراً، ولا اذخر له فضة ولا تبراً.

وبعد وفاة المترجم استمرت الزاوية قائمة، ذكرها الرحالة المصري عبد الباسط، واجتمع بشيخها مفتي وهران أحمد ابن العباس، وأشار ابن صعد لاستمرارها.

بقي أن نشير إلى أن مرجع تصوف التازي هو شيخه الهواري سابق الذكر، فكان - في غالب أمره - على طريقته يذهب، غير أن السند الصوفي لهذا لا يزال غير واضح، وذلك ما يسجله عبد السلام القادري عندما يذكر أنه لا يعرف سند الهواري، غير أنه يضيف عن سند التاري قائلا: "وبعده لقي الشيخ أبا عثمان سعيد الصفريوي، وهو عن الشيخ القطب أبي الحسن علي بن وفا".

بالإضافة إلى اشتغال المترجم بالتعليم والإرشاد خلف أوضاعا علمية وأدبية، وخصوصا في الأدب الصوفي والمديح النبوي، فترد الإشارة إلى فهرس أشياخه وعقيدته، وعن أعمال أخرى يقول ابن صعد : "وقفت على كثير من تقاييده في الفقه والأصول وعلوم الحديث"، غير أن هذه المقيدات والفهرس والعقيدة هي - الآن - غير معروفة.

وفي اتجاه آخر يأتي في نفس المصدر : "وكلام سيدي إبراهيم في الطريقة التصوفية، والمقامات العرفانية، والأمداح النبوية لا يقوم بمعناه إلا من تمكنت معرفته، وقويت في علوم اللسان عارضته...". وفي تعبير الملالي : "وذكر لي بعضهم أن له مولديات وإنشادات لا تحصى".

- ولحسن الحظ فإن هذه الآثار الأدبية - تصوفا ومديحا - لا يزال بعضها بقيد الوجود، انطلاقا من جزء يشتمل على وظيفة اذكار الطريقة التازية، مذيلة بخمس عشرة قصيدة من نظمه :

وأول هذه القصائد هي المعروفة "بالمرادية" و"بالتازية". والثالثة تسمى "بالجمالية"، يبث فيها أشواقه للعودة إلى الحرمين الشريفين. والرابعة والتاسعة إلى الثالثة عشرة في المديح النبوي، وغالبها "مولديات". والرابعة عشرة في النصائح، وتحمل اسم *النصح التام للخاص والعام* وربما قيل فيها الدالية. والخامسة عشر تسمى *بالحسام*، نظمها بيانا لترتيب قراءة الوظيفة التازية. وباقي القصائد يغلب عليها طابع الزهد والتصوف. ويحتفظ بهذه المجموعة - كاملة - ثبث البلوي.

وقد صارت نفس المجموعة موضع عناية المهتمين، فرواها عن مؤلفها عالم من تلمسان هو التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل المغراوي الأموي، وعن هذا رواها تلميذه البلوي أحمد بن علي بن أحمد الوادي آشي نزيل تلمسان، ثم كانت بعض محتويات المجموعة موضع عناية خاصة عند أفراد من المؤلفين والأدباء، وكل ذلك يعبر عن الاستمرارية لأصداء أدب المترجم وتصوفه فيما بعد وفاته.

- وفي هذا الاتجاه نشير إلى تعاليق تناولت بعض الأوضاع التازية بدءاً من شفاء الغليل والفؤاد في شرح النظم الشهير المسمى بالمراد، وهو شرح على القصيدة الأولى بالمجموعة المنوه بها، مؤلفه هو ابن الصباغ محمد بن محمد بن أحمد القلعي. من مخطوطات المكتبة الوطنية بالجزائر تحت عدد 1856.

- ولنفس القصيدة شرح ثان أشار له مؤلفه ابن مريم محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليني المديوني ثم التلمساني.

- ولمحمد بن سليمان المغراوي شرح على *وصية التازي*، مخطوط في دار الكتب الوطنية بتونس، ثاني مجموع رقمه 2810.

- ولابن مريم *فتح العلام لشرح النصح التام للخاص والعام*. شرح فيه القصيدة التازية الرابعة عشرة، وأشار له في *البستان*.

- ونفس المؤلف أشار في *البستان* إلى شرح له على *قصيدة الحسام* وهي الخامسة عشرة بالمجموعة المتكررة الذكر.

- وللقصيدة المرادية تخميس من نظم ابن الحاج : أحمد ابن محمد بن محمد الورنيدي اليبدري التلمساني، ذكره ابن مرين وأثبت مطلعه.

- و*تخميس القصيدة الجمالية* لشاعر لم يذكر اسمه، احتفظ به المقري وأثبت نصه - كاملا - في *أزهار الرياض*.

بعد أوضاع التازي نذيل بعرض منوعات من أسانيده، حيث رواها عنه نخبة من الأعلام كالتالي :

1 - السنوسي : محمد بن يوسف بن عمر التلمساني، ت. 895 / 1490. أخذ عنه *حديث الرحمة المسلسل بالأولية*، و*الشفا* للقاضي عياض، وخمس مسلسلات صوفية.

2 - الفگيگي : عبد الجبار بن أحمد بن موسى، البرزوزي الوتضغيري، كان حيا عام 895 / 1490. أسند له صحيحي البخاري ومسلم، و*الشفا*، ومسلسلين صوفيين.

3 - ابن زكري : أحمد بن محمد المغراوي ثم المانوي التلمساني، ت. 899 / 1493. روى عنه سبع مسلسلات صوفية.

4 - زروق : أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي ثم الفاسي، ت. في مسراتة من ليبيا عام 899 / 1493. نقل عنه السوداني لائحة مشايخه وبينهم المترجم، وفي *المنح البادية* ورد ذكر أحد الرواة عن التازي لسلسلة تلقين الكلمة المشرفة.

5 - التنسي : محمد بن عبد الله بن عبد الجليل المغراوي الأموي التلمساني سابق الذكر، ت. 899 / 1494. وقد تبينا - وشيكا - أنه روى عن المترجم الجزء الذي يشتمل على وظيفته وخمس عشرة من قصائده، ونضيف أنه قرأ عليه *تذكرة ابن الملقن* في علوم الحديث.

6 - الراشدي : عمر بن علي بن سليمان الجزائري نزيل تونس، كان حيا عام 902 / 1497. أخذ عنه حديث الرحمة المسلسل بالأولية، وسبع مسلسلات صوفية.

7 - أحمد حجي الوهراني، ويرسمه ابن مريم بحاجي، تاريخ وفاته غير مذكور، ويرد اسمه راويا عن المترجم في سند حديث الرحمة المسلسل بالأولية، ثم في سبع مسلسلات صوفية.

وهؤلاء ثلاثة من الآخذين عن المترجم دون أن يسندوا عنه في الرواية.

- وأولهم هو الثالوتي : علي بن محمد الأنصاري التلمساني، ت. 895 / 1490.

- ثم ابن تاغزرت، هكذا ورد اسمه عند ابن مريم تلميذاً للمترجم.

- ابن يجُبْش : محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن التازي، ت. 920 / 1614. أثبت ابن عسكر أنه أدرك المترجم وأخذ عنه، ومن المؤكد أن ذلك كان في زمن شباب ابن يجبش.

وأخيرا نشير إلى القلصادي : علي بن محمد بن علي القرشي البسطي، ت. في باجة تونس عام 881 / 1411. وهو يسجل اتصاله بالمترجم في الارتسامة التالية : "... ومنهم الشيخ المتبرك به سيدي إبراهيم التازي رحمة الله عليه، خليفة سيدي محمد الهواري في وقته، كان له اعتناء بكلام شيخه...".

توفي إبراهيم التازي يوم الأحد 6 شعبان عام 866 / 30 شتنبر 1481، ودفن في زاويته بوهران. وبعد احتلال الإسبان نقله تلامذته - خفية - إلى القلعة ودفن بها، بعدما بقي في وهران خمسين سنة، فمدفنه - الآن - في قلعة بني راشد في بناية محترمة.


م. ابن صعد، *النجم الثاقب*، مخطوط خ. ح. 2491، وهو المصدر الرئيسي ؛ أ. البلوي، *ثبت*، تح. عبد الله العمراني، بيروت 1403 / 1983 ؛ ابن خزرور، *ثبت*، مخطوط خ. ح. بمراكش ؛ م. بن عبد الرحمن الفاسي، *المنح البادية*، مخطوط خ. ع. د 1249؛ القلصادي، *رحلة*، طبع تونس 1399 / 1938 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، القاهرة ج 2 ؛ القادري، *المقصد الأحمد*، طبعة فاس الحجرية ؛ السخاوي، *الضوء اللامع* ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ج 3، 7، طبعة الرباط 1396 / 1976 ؛ أ. بابا السوداني، *نيل الابتهاج*، القاهرة، 1351 هـ بالهامش ؛ ابن مريم، *البستان*، طبعة الجزائر، 1326 / 1908 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، طبعة القاهرة 1350 ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *الآيات البينات*، طبعة الرباط ج 1 ؛ عبد الباسط، *رحلة في الغرب الإسلامي*، نشرها هـ. برنشفيك، باريس 1936 ؛ الراشدي، *الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني*، طبعة قسنطينة

1973 ؛ م. الزياني، *دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران*، مخطوط، ولم يصل للمغرب النص المنشور.

محمد المنوني

**التازي، أحمد** بن **العباس** بن أحمد، من علماء فاس ومدرسيها المشهورين. أخذ عن والده وهوعمدته، وعن الشيوخ أحمد بن الخياط وأحمد بن الجيلالي الأمغاري وعبد السلام الهواري ومَحمد گنون، وكان الغالب عليه علم النوازل والأحكام. انخرط في سلك القضاء فعين قاضياً بأحواز الدار البيضاء، ثم بمدينة الدار البيضاء نفسها مدة طويلة، وإليه يُنسب درب التازي بالدار البيضاء.

وقد أصيب في آخر عمره بمرض أفقده توازنه، وتوفي بالدار البيضاء يوم الاثنين ثاني وعشري ذي القعدة عام 1364 / 19 أكتوبر 1945، وبها دفن.

م. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1364 ؛ *سل النصال*، مرقون، الترجمة رقم 18.

**التازي، أحمد** بن **محمد** الرباطي، وصفه محمد بن علي دينية في *مجالس الانبساط* بالأديب الفاضل اللبيب. تتلمذ على الشيخ المكي البيطاوري قاضي الرباط، وعلى أحمد جسوس ومحمد بن عمر دينية وهما من علماء الرباط في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

عرف أحمد التازي بالأخلاق العالية، وكان منخرطا في الطريقة التجانية وله معرفة كبيرة بكيفية عمل الأمداح النبوية على الطبوع الموسيقية وهو أخو أميني الأمناء محمد وعبد السلام موخا التازيين في عهد السلطان المولى الحسن.

أصيب أحمد التازي بمرض طال به وتوفي يوم الأحد 5 محرم عام 1339 / 19 شتنبر 1920، ودفن بمقبرة لعلو بالرباط، ولم يتجاوز عمره الأربعين إلا بقليل.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط، ص 270 و326.

**التازي، رضوان** بن إبراهيم الرباطي، فقيه نزيه، قرأ على المحدث الكبير محمد المدني ابن الحسني وغيره من علماء الحاضرة الرباطية. وكان أبوه الفقيه إبراهيم التازي محتسباً وإماماً بالجامع الأعظم بالرباط. وانخرط رضوان التازي في سلك القضاء فكان لمدة طويلة قاضي التوثيق بالرباط محمود السيرة والسريرة إلى أن توفي بمسقط رأسه في شهر ربيع الثاني عام 1413 / أكتوبر 1992.

*معلومات شخصية*، جريدة *العلم* ليوم 23 أكتوبر 1992.

**التازي، الشيخ زنّوف**، هذا الاسم مستعار ولا شك لفقيه أديب تازي قضى شطراً مهماً من حياته في فاس طالباً خلال القرن الحادي عشر (17 م) في الفترة التي مال فيها نجم الدولة السعدية إلى الأفول. وقد ألف زنوف التازي كتاباً هزلياً سماه *مختصر الأفاريد* على أسلوب مختصر *خليل* الفقهي، صوّر فيه حياة الطلبة الأفاقيين الذين كانوا يعيشون في مدارس فاس وقد انقطعت عنهم الصلات المعتادة، وتحدث عن سلوكهم وكدّهم في سبيل العيش وألعابهم وحيلهم ومرحهم. وتطرق إلى الحرف التي كانوا يمتهنونها آنذاك وقسمها إلى مستحسنة كالنساخة والخياطة والنجارة والتجارة، ومستهجنة كالحياكة والحجامة والدباغة والجزارة.

هذا الكتاب فريد من نوعه في التأليف المغربي في القرون الأخيرة يحتوي على مادة تاريخية واجتماعية لمن يدرس تاريخ التعليم بالمغرب في العصر الحديث. وقد طُبع مراراً على الحجر بفاس، منها طبعة سنة 1300 / 1882 في اثنتي عشرة صفحة.

ز. التازي، *مختصر الأفاريد*، الطبعة الحجرية الأولى، ص. 1 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 55 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 130 و436.

**التازي، الطاهر** (الحاج ـ) بن عبد الكريم الفاسي، من رجال المخزن المحنكين، تولى مدة منصب أمين الصائر على عهد الحسن الأول، ثم عين على رأس عمالة مدينة طنجة، فكان مثال "النزاهة والحزم والإقدام".

توفي يوم الأحد فاتح ربيع الثاني عام 1318 / 19 يوليوز 1900.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 459 و515 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1318.

**التازي، العباس** بن **أحمد** الفاسي، فقيه أديب شيخ الجماعة في عصره المتفرد بالفتيا في النوازل المعضلات. أخذ عن عبد الرحمن الفيلالي الحجرتي، والمهدي بن سودة والمهدي بن الحاج السلمي وعبد السلام بوغالب ومحمد بن المدني گنون وغيرهم. وكان مجلسه بالقرويين ملتقى نجباء الطلبة وعموم الفقهاء. وقعت له محنة أيام الحسن الأول حيث ذهب سجيناً إلى مراكش، ثم عفي عنه ورجع إلى فاس فسار فيها سيرته الأولى تدريساً وإفتاءً وإفادةً.

وجاء في كتاب من الوزير موسى بن أحمد لأخيه عبد الله باشا فاس عن أمر السلطان بتاريخ 16 رمضان 1292 تنويه بالعباس التازي لقيامه بخدمة جانب العلم الشريف". وفي سنة 1309 / 1891 ـ 1892 أمره السلطان المولى الحسن بالارتحال إلى مراكش، بسبب (قضية الهادي الصقلي) فكان يدرس بجامع سيدي عبد العزيز هناك إلى أن عاد إلى فاس، فأخذ يعقد مجلسا كل جمعة بفاس يحضره بعض أصدقائه من العلماء مثل الفقيه المهدي الوزاني والعباس ابن إبراهيم صاحب كتاب *الإعلام* الذي توثقت الصداقة بينه وبين المترجم، وقد حضرمجالسه المذكورة بين سنتي 1326 و1330 حيث كانت تجرى المذاكرات في شتى العلوم.

توفي بفاس في شهر شوال عام 1337 / يوليوز 1919، ودفن بزاوية الشيخ محمد ابن الفقيه أسفل حومة العيون، ورثاه شعراء كثيرون من طلبته، منهم الأديب الشهير محمد بن الوزير المفضل غريط بقصيدة طويلة، منها :

...لا بدع إن بكت الفضائل عندما رُزئت أبا الفضل الفقيه التازي
رزئت قـريع صفـاتها وقعيد رتـ ـبتها بغيـر منـازع ومـوازي
حبـرٌ إذا لمس النـوازلَ كـفُّـه بـرزت بأبـهـج علـة وطـراز

ونصوص مراثيه الكاملة عند عبد السلام ابن سودة في *زبدة الأثر*.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 24-25 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1337 ؛ *سل النصال*، الترجمة 79.

محمد حجي

**التازي، عبد السلام** بن محمد الرباطي، ينحدر من أسرة آل التازي التي كانت تسكن في العقبة الزرقاء بفاس، وصفها صاحب *زهرة الآس* بأنها من أشهر فرق أولاد التازي التي استوطنت فاس وأكثرها ثروة وجاها. كانت تشتغل بالتجارة وتولت بسبب نفوذها المالي، مناصب هامة في دواليب الدولة. (*زهرة الآس*، 394). وقد ورد أبوه محمد التازي من فاس إلى الرباط وبها ولد عبد السلام، وكان في بداية أمره يشتغل بالتجارة في بلده، ثم سافر عدة مرات إلى الديار المقدسة، وجاب كثيراً من أقطارها، حتى كان يتعاطى هناك أعمالا تجارية مهمة، وقد اكتسب بسبب ذلك خبرة واسعة بشؤون المال والعلاقات الدولية. ولما توفي أخوه محمد التازي سنة 1307 / 1889 أمين الأمناء الذي تصفه المصادر التاريخية بالاستقامة والصدق، والنصيحة للسلطان، والغيرة على الإسلام والمسلمين، والكفاءة في تسيير شؤون المال (انظر مثلا ما قاله الناصري في حقه، ج 9 : 166)، أسند السلطان مولاي الحسن منصبه المهم إلى أخيه عبد السلام، وكلفه بالإشراف على أمناء الثغور (المراسي) والأملاك المخزنية والمستفاد. وقد سار فيها حسب مصادر تراجم موظفي المخزن لذلك العصر، سيرة حسنة، ونجح كثيراً في مهامه المالية، لذلك قربه السلطان مولاي الحسن منه وكرمه. وكان يرافق السلطان ككبار رجال الدولة في تنقلاته، يقيم بجوار مقامه، وينزل مكرما معززا بالعواصم الكبرى فاس ومكناس ومراكش، كلما حل السلطان بها (*الإتحاف*، ج 5، 363).

وعندما توفي مولاي الحسن وبويع مولاي عبد العزيز استمر في خطته، بالرغم من تبدل الأحوال، بعد نكبة آل الجامعي وظهور شروخ وانشقاقات في صفوف المخزن، وتدهور الأحوال الاقتصادية والسياسية في البلاد. وبذل ما في وسعه لإنقاذ البلاد من الإفلاس، والسقوط كلية بين أيدي القوى الاستعمارية التي تزايد تدخلها وضغطها في هذه الفترة من تاريخ المغرب. إلا أنه بعد وفاة أحمد بن موسى، وبعد تدهور أوضاع المخزن المالية وتردي أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وبعد حلول العجز التام بدواليب الدولة، فضل الانسحاب من الساحة السياسية، متعللا بالضعف وكبر السن، وأنه ينوي التوجه إلى بيت الله قصد القيام بفريضة الحج، فالتمس من السلطان أن يعفيه من منصبه. وقد قبل مولاي عبد العزيز استقالته مع المحافظة له على المنزلة والحظوة التي كان يتمتع بها وهو على رأس أمانة الأمناء، أو وزارة المالية بمصطلحنا المعاصر. (*الإتحاف*، ج 5، 363). وقد أسدل عليه السلطان، بمقتضى الظهير الذي أصدره في حقه بتاريخ 20 ربيع النبوي 1318 / 1900، رداء التوقير والاحترام لسالف خدمته، وصدقه، ونصيحته. وألحق به في الاعتبار كافة أقربائه وأصهاره وأصحابه، وأمر الواقفين على الظهير المذكور من الولاة والعمال بإجرائهم على مقتضاه وعدم تجاوز أحكامه. (*الإتحاف*، ج 5، 364). وفي نفس هذه السنة (1318)، توجه عبد السلام التازي لأداء فريضة الحج ثم عاد إلى الرباط حيث تفرغ لتجارته. وظل هناك إلى أن دعاه السلطان من جديد لفاس وعينه سنة 1322 / 1902، في منصب النائب بدار النيابة بطنجة ليحل مكان السيد محمد الحاج الطريس الذي التمس هو بدوره من السلطان إراحته من مشقة التكليف بشؤون رئاسة دار النيابة بطنجة، نظراً لكبر سنه، وعجزه عن القيام بأعباء ذلك المنصب الذي أصبح يكلف نواب السلطات عناءً كبيراً، بسبب كثرة المشاكل وتشابك خيوطها مع نواب الأجناس الذين ازداد نفوذهم في البلاد، وصاروا يتدخلون بشكل سافر في شؤون المغرب ويقلقون راحة رعايا السلطان.

وتشيد أغلب المصادر التاريخية بخصال هذا الرجل وتفانيه في خدمة البلاد والعباد، والمحافظة على مصالح المسلمين. فبعد الثناء على سيرته وسيرة أخيه محمد، ذكر صاحب *البستان الجامع* أن الأمين السيد عبد السلام التازي كان أوسع صدراً وأكثر صبراً من أخيه وفاقه في سعة الخلق وحسن الخليقة. وفي *الحلل البهية*، أورد المشرفي أن وزير المالية الحاج عبد السلام التازي، قد استقال من منصب أمانة الأمناء في عهد مولاي عبد العزيز، بسبب ما رآه من ارتكاب المجون والموافق عليها ناصح ملحوظ، والناكر غاش في زوايا الإهمال مسجون. (*الحلل*، 260). وقد مدحه أيضا الأديب أبو العباس أحمد جسوس الرباطي بقصيدة شعرية، أشاد فيها بخصاله وكفاءته وعراقته في المجد، نقتطف منها هذا البيت :

ذاك العقول إذا كبت آراؤهـم أضحى العويص برأيه مفتـوحـاً
(*الاتحاف*، 5 : 370).

توفي عبد السلام التازي ليلة الخميس 27 صفر عام 1325 / 1905، ودفن بالزاوية الناصرية في بلده الرباط.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ م. السباعي، *البستان الجامع*، مخطوط خ. ح. رقم 12432 ز ؛ م. المشرفي، *الحلل البهية*، مخطوط خ. ع بالرباط رقم د 1463 وك. 320 ؛ ع. الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات فاس*، مخطوط خ. ع. رقم 1281.

العربي اكنينح

**التازي، عبد الله** بن **علي** السلوي، لا ندري هل ينتسب هذا الفرع السلوي إلى التازيين الفاسيين أو التطوانيين. والمعروف أنهم كانوا يعيشون بمدينة سلا في منتصف القرن الثاني عشر (18 م) واشتهروا بسبب خلاف عائلي تدخل فيه مفتون وعدول وقضاة من العدوتين.

كان عبدالله متزوجا من ابنة عمه أم هاني بنت الحاج حدو بن الحاج أحمد التازي، رسم الصداق مؤرخ في فاتح شعبان عام 1164 / 25 يونيه 1751 ووقع اختلاف بينهم وشجار أدى بالزوج إلى أن يحلف بالحرام ألا يدخل داره والدُ زوجته وبعض بني عمه، ثم حنث واستفتى العلماء فأفتوه بانفصام العصمة، لكنه ظل يحاول تبرير يمينه والاحتفاظ بزوجته إلى أن مات.

رسوم عدلية بحوزة كاتبه.

**التازي، عبد الله** بن **فارس** لا نعرف عن أصل هذا العالم إلا نسبته إلى تازا المغربية. وهو - بلا شك - من أولئك العلماء الذين غادروا المغرب إلى المشرق لغرض الحج أو غيره واستقروا هناك، وعددهم لا يكاد يدخل تحت حصر. ولم نقف لعبد الله التازي على ترجمة إلا ما استفدناه من كتابه *المناظرة والمغارضة في رد الرافضة*. ومنه عرفنا أنه كان يوجد عام 1009 / 1601 بمشهد علي في العراق، حيث ألف هذا الكتاب للرد على غُلاة الشيعة اعتماداً على خطة عقلية قطعية بيَّنها في المقدمة. وقسم الكتاب إلى سبعة فصول، الأول في دحض شبهات الشيعة القائلة بوجوب إمامة علي دون سواه من الصحابة، والثاني في رفض دعواهم تفضيل علي على سائر الصحابة، والثالث فيما خالفوا فيه الجماعة من مسائل الأصول، كنفي رؤية الله تعالى، والرابع فيما خالفوا من مسائل الفروع كمسح الرجلين في الوضوء بدل غسلهما... وأورد في الفصل الأخير عدد فرق الشيعة البالغة إحدى وثلاثين فرقة، من إمامية وزيدية وغلاة مبيناً ما تتميز به كل منها من المعتقدات الباطلة.

ع. التازي، كتاب *المناظرة*، مخطوط المكتبة الوطنية بباريز رقم 1416 (أول مجموع، ورقة 1 ـ 48) ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 175.

**التازي، عبد الوهاب**، من أهل فاس، ولد عام 1090 / 87 ـ 1688 وكان ناسكاً ميالاً إلى التصوف إلى أن أدرك مقاماً رفيعاً في الذوق والمعرفة. ورحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج فلقي هناك عدداً من شيوخ التصوف. ثم عاد إلى فاس وعمَّر طويلا فلم تحصل له شهرة كأمثاله من شيوخ التربية. ومات بمسقط رأسه في سابع وعشري شعبان عام 1206 / 20 أبريل 1792، ودفن بالقباب وبنى السلطان المولى سليمان على ضريحه قبة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1206.

**التازي، عبد الوهاب** بن **أحمد** الفاسي، ولد بفاس في واحد وعشري ربيع الأول عام 1330 / 10 مارس 1912، وبه حفظ القرآن في عدة كتاتيب آخرها كتَّاب سيدي بورمضان بالمنية على يد الأستاذ الورياكلي. ودخل إلى القرويين عام 1341 / 1922 ليدرس على شيوخ العصر، أمثال محمد بن محمد بناني، ومحمد بن محمد الدكالي، والطايع ابن الحاج، وغيرهم إلى أن حصل على شهادة العالمية سنة 1348 / 1929، فأدرج في الطبقة الرابعة للعلماء حسب النظام القديم، ثم ارتقى إلى الطبقة الثالثة فالثانية. وكان إلى ذلك يلقي دروساً نهارية وليلية تطوعاً بالقرويين.

وفي عام 1365 / 1945 انخرط في سلك القضاء كنائب للحاكم المفوض بالدار البيضاء، ثم أسند إليه قضاء قبيلة تيسة بناحية فاس ثم الدار البيضاء إلى أن أحيل على المعاش، فاشتغل بالشهادة مع عدول هذه المدينة إلى أن أدركته المنية بها يوم الأربعاء فاتح رجب عام 1406 / 1985 ودفن بمقبرة الشهداء بغبيلة البيضاء.

م. ابن الحاج، *إسعاف*، 447 ـ 449.

محمد حجي

**التازي، عمر** (الحاج ـ) بن عبد الكريم بن عبد الله. وتقول رواية شفوية إن هذا الفرع من الإسلاميين الذين هاجروا من تازا إلى فاس. فهم لا تربطهم علاقة مع أسرة التازي موخا. وكان عبد الله جد عمر قد ربى أبناءه على الحياة العملية. فكان ابنه عبد الكريم الذي تمرس بالتجارة مدة من رجال المخزن، وهو المعروف بالشيخ التازي، مساعد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام (1859 ـ 1873) في الشؤون المالية.

ولما توفي عبد الكريم التازي عام 1294 / 1877 كان سن ابنه عمر لا يتعدى خمس سنوات، فتكلفت أسرته بتربيته وتعليمه، وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره توجه للحج سنة 1308 / 1890، ويقول گوفيون Gouvion إنه زار في رحلته الحجازية الجامعات كما رجع محملا ببعض الأفكار الاقتصادية، بعد ذلك عينه المخزن نائبا عن أخيه الطاهر أمين الشكارة، ولما ظهرت مواهبه في تدبير الشؤون المالية وميله إلى الضبط والتنظيم أوكل إليه الوزير أحمد بن موسى مهمة أمين بداره بمراكش فشغل هذا المنصب حتى سنة 1897، وهي السنة التي زار السلطان المولى عبد العزيز مراكش في رمضان ورغب في منح تسع فرق من جيشه وبعض الشرفاء والعلماء أكسية في عيد الفطر، وبما أن المدة قصيرة فقد كانت مهمة إنجاز كل هذا العدد من الأكسية صعبة اعتذر عن القيام بها محمد الشيخ أمين المال وطلب أن يكلف أخوه الأصغر عمر بهذا المشروع مما يدل على مهارته وحزمه، وفعلا كلف الأمين عمر بذلك، وقد استجوب گوفيون عم التازي في هذا الشأن فقال ما معناه :لقد أكدت بأن كل شيء سيكون مهيأ في حينه، وفعلا في ليلة العيد عندما أتى الموكب السلطاني إلى أبواب عاصمة الجنوب كان كل شيء جاهزاً : الكساوي والأحذية، ولقد عمل كل صناع الناحية ليل نهار لأجل هذا الأمر، وقد تلقيت أحر التهاني". بعد مدة عين عمر أمينا لجمارك مليلة وكان عليه في نفس الوقت أن يراقب القبائل الريفية المهتاجة آنذاك. وكان المخزن قد سجن القائد محمد أنفلوس الحاحي في قصبة جنابة قرب مليلة تأديبا له، وكان معه صديقه شعيب الدكالي القاضي وإمام المسجد آنذاك الذي

أصبح فيما بعد وزير العدل. وقدمت فرق من القبائل الهائجة وهددت القائد وحاصرت القصبة، وكاد الأمر أن يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه لولا التدخل اللبق للحاج عمر الذي أنقذ المحاصرين.

في سنة 1317 / 1899 عاد الأمين التازي إلى فاس، لكن بوفاة الوزير أحمد بن موسى في السنة الموالية تغيرت الأحوال، فقد رغب أمين الأمناء عبدالسلام موخا التازي في الاستقالة إذ وجد نفسه وسط مجموعة غريبة من الوزراء يصول ويجول فيها المهدي المنبهي وزير الحربية، فأعفي وخَلفه محمد التازي أخو الحاج عمر. أما عمر نفسه فقد عوض أخاه محمداً في أمانة العتبة الشريفة بمراكش.

كان الحاج عمر صديقا للوزير المنبهي الذي تشير أصابع الاتهام إليه في استنزاف مال الدولة وفي أعمال الإطاحة بالرجال الثقات وإرشاء الوزراء بل وقتل المعارضين له.

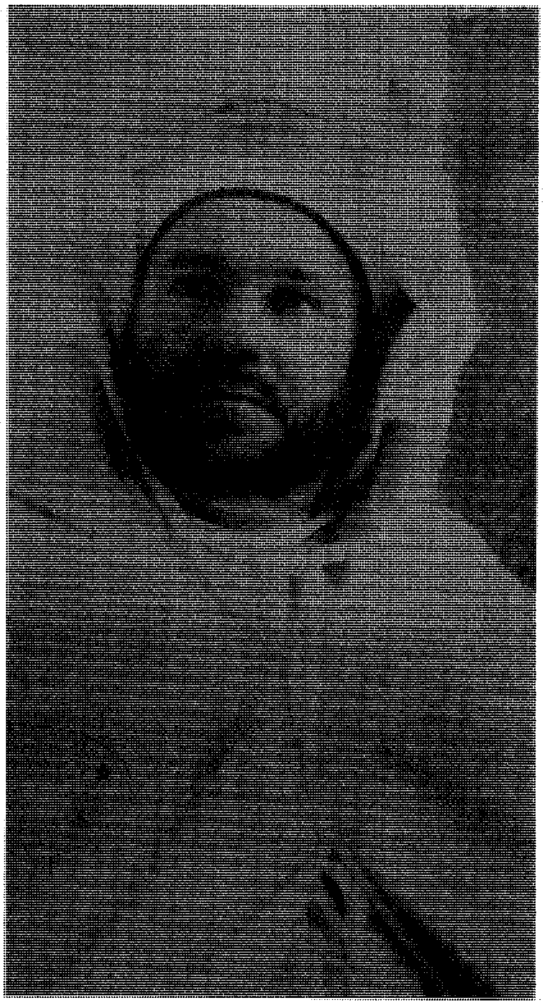

ويقول المختار السوسي إن عمر التازي الذي كان يكنى بعمر الأقرع كان مكلفا بمؤونة دار المنبهي يشتري له من السوق ما يتوقف عليه، وفي سنة 1901 اصطحبه المبنهي معه في سفارته إلى أوربا كمستشار له، وناب عنه أخوه عبد اللطيف التازي باشا الدار البيضاء في منصبه بمراكش.

ولما رجع عين أميناً لأملاك المخزن ومستفادات فاس وكان هذا المنصب من قبل للحاج عبد السلام المقري الذي وافاه الأجل.

وما لبث عمر التازي بعد مدة أن عوضه أخوه عبد اللطيف في هذه الوظيفة بينما أصبح هو حاجبا للسلطان المولى عبد العزيز وعين في نفس الوقت عضواً في المجلس الأعلى للمخزن.

لقد وصف گوفيون الحاج عمر بالشاب المستقيم الذي جلب إليه ثقة الناس وقدره الشرفاء والعلماء. ولكن علاقته بالمنبهي الشخصية المعروفة بما سلف من سئ الصفات تضع تقييم گوفيون لعمر التازي موضع الشك، ولا عجب في ميل هذا الكاتب لأعوان الإدارة الفرنسية إبان الحماية في المغرب.

ظل الحاج عمر بجانب المولى عبد العزيز إلى أن بويع المولى عبد الحفيظ بمراكش أي سبع سنوات كاملة، عندما غادر السلطان وحاشيته بلاط فاس نحو الرباط لتنظيم محلة قوية، كلف الحاج عمر بمهمة في الصويرة التي قصدها بحرا من أجل استمالة قائد حاحة أنفلوس إلى صف المولى عبد العزيز. وكان أنفلوس عدوا كبيرا للقائد عبد المالك المتوگي مائلا إلى المولى عبد الحفيظ، ولم تفض المباحثات معه إلى نتيجة، في الوقت الذي انهزم فيه المولى عبد العزيز في ضواحي السراغنة قصد سطات ومنها توجه إلى طنجة، أما الحاجب الحاج عمر فقد غادر الصويرة ثم استقل مركبا نحو الجزيرة الخضراء مصحوبا بأخيه مَحمد.

سكت گوفيون عن أحوال الحاج عمر إبان حكم المولى عبد الحفيظ لكن مصادر أخرى (رواية شفوية) تؤكد أنه استقر مدة بتونس وتشبع ببعض الأفكار الاقتصادية وتأثر ببعض اليهود في هذا المجال. ولا عجب أن يسكت گوفيون عن هذه الفترة، فالمولى عبد الحفيظ أقسم أن ينتقم من أمثال عمر التازي الذين اتهمهم بتبذير مالية الدولة، فكان الحاج عمر من خصوم السلطان إذن.

بعد حلول الحماية رجع الحاج عمر إلى المغرب وأخذ يتعاطى التجارة الكبرى مع الدول الأوربية وخاصة انجلترا حيث أسس في منشيسطر وكالتين مهمتين للخدمة والاستيراد.

وخلال شهر دجنبر من سنة 1914 أسند إليه الجنيرال قائد ناحية الدار البيضاء باشوية هذه المدينة. فعمل على تنمية المدينة، ويقول گوفيون إنه منح الدار البيضاء الأراضي لتخطيط المحاور الكبرى لها مثل شارع الحرية وشارع أورلوج... الخ.

إن بعض المعاصرين للحاج عمر يؤكدون أنه أتى من تونس بأفكار اقتصادية مؤداها أن المستقبل كل المستقل هو في شراء العقارات لتنمية الثروة الشخصية لذلك طبق الحاج عمر هذه الأفكار فاشترى أراضي عديدة بالجديدة والدار البيضاء وغيرهما، وكان يختار الأراضي غير المنازع فيها وغير المشتركة، والموجودة خارج المدن، في الضواحي

المباشرة. وهذا من أسباب ثروته الضخمة.

وفي ذي القعدة عام 1336 / غشت 1918 دعاه السلطان المولى يوسف وسماه وزير الأملاك المخزنية وظل يحتل هذا المنصب إلى سنة 1930 حيث عين وزيرا شرفيا، وقد منح درجة ضابط كبير من جوقة الشرف.

توفي الحاج عمر بالرباط سنة 1353 / 1934 ولم يترك أولادا وخلف ثروة طائلة منها القصر الموجود وراء البرلمان بالعاصمة بضريح مولاي المكي، وكان وريثه أخوه مَحمد النائب السلطاني بطنجة قد اشترى روضة لدفن آل التازي بالضريح الكبير.

ع. التازي، *رسائل مخزنية*، الرباط، 1979، ص. 59 ؛ م. بوجندار، *الكلمات الذهبية*، الرباط 1922، ص. 75 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 20 : 38 ؛ *روايات شفوية للسيد محمد الأمين بلكناوي*، بتاريخ 13 / 11 / 1992.

M. et E. Gouvion, *Kitab Aayane al Maghrib al-Akça*, Paris 1939, p. 758 - 759.

عبد الإله الفاسي

**التازي، محمد** بن **أحمد** الخصاصي، قال في حقه صاحب *إتحاف المطالع* : "كان من كبار العلما بها - تازا - عالماً مدرساً مفتياً ذا صيت ومقدرة ومثابرة. أخذ العلم بفاس ثم رجع إلى بلده". رحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج، ولم تدون أخباره في فهرس أو رحلة.

توفي بمسقط رأسه تازا في فاتح رجب عام 1301 / 24 أبريل 1884.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1301.

**التازي، محمد** بن الحاج **حدو** السلوي، وصفته الوثيقة العدلية المتعلقة بإراثة أخته أم هانيء بنت الحاج حدو التازي بـ"الفقيه الأجل، العالم العلامة الأفضل" غير أننا لا نجد له ذكراً في أي كتاب من كتب التراجم التي وقفنا عليها. كان من عدول سلا المنتصبين للشهادة، شهد في رسم مؤرخ في 21 محرم عام 1182 / 6 يونيه 1768 وأعلم القاضي محمد زنيبر بثبوته.

*رسوم عدلية*.

**التازي، محمد** أبو **حنيفة** بن محمد الفاسي، أستاذ مقرئ حافظ للقراءات السبع. أخذ عنه علم التجويد والقراءات عدد غير قليل من علماء الحاضرة الإدريسية. عاش في كفاف منقطعاً للتدريس والذكر والعبادة إلى أن لقي ربه في سابع وعشري جمادى الثانية عام 1301 / 24 أبريل 1884 ودفن بضريح الشيخ أبي عبد الله التاودي خارج باب عجيسة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1301.

**التازي، محمد** بن **العباس** بن أحمد الفاسي. قال في حقه تلميذه عبد السلام ابن سودة كان "علامة مشاركاً مستحضراً مطلعاً حلو المجلس مذاكراً".

أخذ عن والده وهو عمدته، وعن الشيوخ أحمد بن الخياط وأحمد بن الجيلالي الأمغاري وعبد السلام الهواري والمهدي الوزاني وغيرهم. وكان يزاوج في حياته بين التدريس والتجارة لا يفتر عن المطالعة والمذاكرة ولا يمل.

توفي بفاس يوم الأربعاء سادس وعشري محرم عام 1370 / 8 نونبر 1950، ودفن قرب روضة العبدلاويين بالقباب خارج باب الفتوح.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1370 ؛ *سل النصال*، الترجمة 199.

**التازي، محمد** بن **عبد الرحيم** ابن يَجّبش (أو يگّبش)، وبهذه الكنية الأخيرة شهير. عالم أديب وصوفي عاشق، عاش في مسقط رأسه تازا ينشر العلوم الشرعية واللغوية والأدبية، ويربّي المريدين السالكين طريق القوم، ويستنهض الهمم نثراً وشعراً لتدارك أحوال المسلمين في الثغور المغربية التي تسقط تباعاً في يد العدو الكافر. له *ديوان* فريد من نوعه في الأدب المغربي بما اشتمل عليه من أشعار وموشحات رقيقة لا تنحط عن أشعار ابن الفارض وأزجال الششتري وأضرابهم من كبار أدباء الصوفية بالمشرق والأندلس. وفيه أيضاً مساجلات أدبية مع معاصريه أمثال الشيخ أحمد زروق الفاسي ومحمد السنوسي. ولابن يجبش أشعار وموشحات أخرى مبعثرة في مجموعات خطية بالخزائن العامة، و*معارضة المنفرجة* لابن النحوي، وتخميس *البردة* للبوصيري، وكتاب *إرشاد المسافر للربح الوافر*. وله أيضا كتاب *تنبيه الهمم العالية* في الحض على الجهاد، فصل فيه الكلام على أحكام الرباط والجهاد في البر والبحر بأسلوب أدبي حي يعتمد على الخطاب والدعوة إلى التأمل والاعتبار، ويكثر فيه من الاستفهام والتحضيض، مما يدل على غيرة إسلامية صادقة وشعور وطني فياض. وقد ختم الكتاب بقصيدة حماسية طويلة من ثمانية وستين ومائة بيت تدعو إلى الجهاد لتحرير الثغور المغربية المحتلة، منها :

أيا وأولياء النصر يا أهل غربنا    بكم تُضرب الأمثال في كل بلدة
وأنتم همُ الشجعان في شدة الوغى    وأنتم هم الأبطال عند الحقيقة
... فأين أسود الغزب أين رجاله ؟    وأين ذوو الخيل العتاق الأعزة ؟ !

توفي محمد بن يجبش في مسقط رأسه تازا عام 920 / 1514 - 1515. وضريحه معروف بها يزار.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 66 - 71 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 149 - 150 ؛ *لقط الفرائد*، 384 ؛ أ. بابا التنبكتي، *كفاية*، 141 ؛ *نيل*، 334 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*، 15 ؛ أ. القادري، *المقصد*، 299 ؛ م. المكي الناصري، *الرياحين*، 55 - 57 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 1 : 17 - 21 ؛ 2 : 239 - 240 ؛ م. ابن تاويت، *الأدب المغربي*، 289 و291 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 27 - 198 - 201 - 434 ؛ أبو بكر البوخصيبي، *أضواء على ابن يجبش*، الدارالبيضاء، 1976.

**التازي محمد** بن **عبد الكريم**، أخو الثري الشهير الحاج عمر التازي سابق الترجمة. انخرط في خدمة المخزن على إثر وفاة الوزير ابّا احماد (1318 / 1900) فكان من جماعة المنبهي الذين لم تحمد سيرتهم. ولي محمد التازي مدة خطة الحسبة بمدينة فاس ثم صار وزيراً للمالية. وفي سنة 1331 / 1913 عندما تولى الوزارة محمد الجباص عين محمد التازي مندوباً للسلطان في مدينة طنجة، فكان

متميزاً في الحفاظ على التقاليد وإظهار الأبهة المخزنية بين ممثلي الدول الأجنبية في الفترة التي كانت فيها مدينة طنجة تحت النظام الدولي، وقد أُخر التازي عن النيابة وحل محله محمد برگاش لنحو أربع سنين ثم أعيد التازي إلى منصبه بدار النيابة سنة 1346 / 1928 وظل يزاول مهامه هذه إلى أن أدركته الوفاة في ثاني ربيع الثاني عام 1367 / 13 فبراير 1948 ودفن بطنجة.

**التازي، محمد** بن **عبد الله المكودي**، من أكبر تلاميذ الشيخ العربي الدرقاوي. له تآليف عديدة في التصوف والرد على خصوم الطريقة الدرقاوية، منها شرح منظومة أبي مدين الغوث، ورسالة في سلوك طريق القوم سماها : *الإرشاد والتبيان في رد ما أنكره الرؤساء من أهل تطوان*.

توفي عام 1314 أو 1315 / 96 . 1897.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون 1314.

محمد حجي

**التازي، محمد** بن **عبد المومن** فقيه نوازلي وقاض مدرس لم تهتم كتب التراجم به رغم سموّ مقامه، واكتفى كل من ابن القاضي، في *الجذوة*، وأحمد بابَ، في *النيل*، بالإشارة إلى أن محمد بن عبد المومن كان من فقهاء فاس، من طبقة موسى العبدوسي ووقع النقل عنه في *المعيار*، وفي غيره.

يضم كتاب *المعيار* مجموعة من فتاوى هذا الفقيه. وقد وصفه أحمد الونشريسي "بالفقيه القاضي المدرس" وذكر من أخباره أنه كان يدرس بمدينة تازا (7 : 48). وأثبت اسمه كاملا : أبا عبد الله محمد بن عبد المومن التازي، كما أورد قائمة بأسماء الفقهاء الذين عاصروه ومن أشهرهم موسى بن محمد العبدوسي (ت. 776 هـ).

أ. الونشريسي، *المعيار*، في مجموعة من الأجزاء ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ أ. باب، نيل الابتهاج، طرابلس 1989، ص. 456.

عمر بنميرة

**التازي، محمد** بن **عبد الودود** بن عمر الأندلسي. أخذ عن الشيخ المهدي ابن سودة وأقرانه، وألف كتاب *نزهة الأخيار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين*.

توفي عام 1247 / 31 . 1832.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد حجي

**التازي، مَحمد** (الحاج ـ) **الفاسي**، اشتغل بالتجارة بمساعدة والده ثم انتقل إلى الدار البيضاء في أوائل القرن حوالي عام 1300 / 1882 وهناك اشترى دارا بدرب ابن جدية، لكنه لم يلبث أن التحق بمدينة الرباط للاتجار في التوابل (العطرية)، وكان من أعيان الطريقة التجانية الذين شملهم ظهير التقدير والتكريم الذي أصدره السلطان المولى عبد العزيز بتاريخ 4 ربيع الأول 1312 / شتنبر 1894.

توفي بالرباط في أوائل جمادى الأولى عام 1316 / شتنبر 1898، وخلف من الذكور أحمد ومحمد وإبراهيم والمكي.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 326 ؛ ع. التازي، *رسائل مخزنية*، الرباط، 1970، ص. 47.

عبد الإله الفاسي

**التازي، محمد** بن **محمد**، من أسرة التازي موخا الفاسية الشهيرة. كان يتاجر مع أبيه في المدن المغربية الكبرى فتمرّس على شؤون التجارة خصوصا مع بعض

الدور التجارية الأوربية التي كان والده معروفا عندها، وعندما أقدم السلطان محمد بن عبد الرحمان على الإصلاحات المالية والجمركية عقب حرب تطوان سنة 1860 وفرضت الغرامة المالية الإسبانية الباهظة كان محمد التازي من بين الأمناء الذين وقع عليهم اختيار المخزن لتحصيل المال اللازم. فعين أمينا بمرسى الدار البيضاء سنة 1280 / 67 ـ 1868 واتصل بالأمير المولى الحسن بن محمد بن عبد الرحمان عندما كان خليفة لأبيه بمدينة الصويرة. ولما تقلد المولى الحسن الحكم عاد محمد التازي إلى فاس ليقوم بمهامه هناك، وقد أسكنه السلطان المذكور وصار بدار لاله أم كلثوم المعروفة بدرب الروم الرابط بين زقاق الحجر وواد رشاشة على مقربة من مكاتبه بدار عديل، لكن السلطان سرعان ما دعاه إلى الالتحاق بالدار البيضاء للتكلف بمستفاداتها، وتقلد نفس المنصب بمراكش ثم فاس. وفي سنة 1292 / 1875، أشرف على مستفادات الرباط وسلا، وذلك طيلة سنوات 1293 و1295 / 1875 و1878.

بعد وفاة الحاجب موسى بن أحمد وتعيين محمد بن محمد بن العربي الجامعي صدراً أعظم، أسند السلطان المولى الحسن إلى محمد التازي مهمة أمين الأمناء سنة 1296 / 1879 ـ 1880، حيث أصبح مكلفا بجميع خراج المغرب ومراسيه ومستفاداته وقد صاهره السلطان المولى الحسن بإحدى جواري أبيه السلطان محمد بن عبد الرحمان زينب السرغينية، وذلك عندما استدعاه لمراكش وسماه أمينا للأمناء.

اشتهر محمد التازي بأنه كان قليل الاختلاط بالناس ملازما للقصر أو مرافقا للوزير الصدر (باحماد) الذي كان متفاهما معه وكان يجد راحته في اللجوء إلى أوراده وأذكاره، فقد كان كأبيه تيجاني الطريقة، نحيل الجسم قصير القامة.

وكان المخزن يكلفه بعدة مهام، وهذا شأن الموظفين المخزنيين الكبار في عهد ما قبل الحماية، فقام بمباحثات ومفاوضات مع الأجانب والقناصل. وعانى مشاكل التجار في الأسواق وكلف بسك النقود ... الخ. وقال عنه المؤرخ الناصري إنه كان من أمثل أهل المغرب وأصدقهم وأنصحهم للسلطان وأشدهم غيرة على الدين والوطن.

توفي محمد التازي بفاس في 4 رمضان عام 1307 / 24 أبريل 1890 ودفن بجانب قبر صديقه الأمين المدني بنيس.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 166 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط، 1986، ص. 271 ؛ ع. التازي، *رسائل مخزنية*، الرباط، 1970 من ص. 27 إلى 43.

عبد الإله الفاسي

**التازي، محمد مسواك** بن محمد الفاسي. فقيه أديب مشارك اشتغل حياته بالتدريس ونفع الطلبة، وأسند إليه منصب القضاء بمدينة صفرو. وبعد إعفائه رجع إلى مسقط رأسه ليتابع مسيرته في التدريس إلى أن توفي في ثالث ربيع الثاني عام 1283 / 15 غشت 1866، ودفن بالزاوية الناصرية في فاس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1283.

**التازي، المعطي** بن محمد بن الحاج حدو السلوي، كان من عدول سلا الأفاضل، شهد في رسم شراء مؤرخ في 5 محرم عام 1235 / 24 أكتوبر 1819، ثم توجه إلى المشرق وكان حتى أوائل عام 1236 / 1820 مازال متغيبا هناك.

**التازي، موسى**، كان من عدول سلا المنتصبين بها لتلقي الشهادات وكتابتها المقبولين عند قضاتها، ولم يزل بوصفه المذكور إلى أن مات، حسبما جاء في تعريف بعلامته مؤرخ في عشري محرم عام 1236 / 28 أكتوبر 1820 وكان رفيقه في الشهادة الفقيه المفتي المؤلف الشهير عبد السلام بن بوعزة حركات. ومما شهدا فيه معاً رسم إراثة مؤرخ بالواحد والعشرين من المحرم عام 1195 / 16 يناير 1781.

*رسوم عدلية معلم بثبوتها* ـ عندي ..

محمد حجي

**تَازِيَّاتْ**، جبل يغطي جزءاً كبيراً من قبيلة بني خالد الغمارية (إقليم شفشاون) ويعرف أيضا بجبل تامووروت ويبلغ علوه فوق سطح البحر 1763 متراً.

Domenech, *Zona Norte*, 28 ; Cabello, *Geografia de Marruecos*, 69.

محمد ابن عزوز حكيم

**تَاسَافْتْ**. ـ في الأطلس الكبير ـ تعني كلمة تاسافت بالأمازيغية شجر البلوط الذي ينتشر كثيراً في جبال الأطلس والريف.

وتوجد تاسافت كاسم علم جغرافي في وادي نفيس بأطلس مراكش. وقد تسمت بها مجموعة من القرى توجد كلها على ضفاف نهر صغير يحمل نفس الاسم، ينبع من السفح الشمالي لجبل وِيشْدَّانْ الممتد بين وادي نفيس وبلاد أُنَايْنْ، ويصب في نهر نفيس غير بعيد عن موقع مدينة تينمل الموحدية.

ومن أهم قرى تاسافت نذكر : أَغْبَارانْ، وتگاديرت ن أُميوس وتارگا أُزْرُو وأگني والزاويت. وفي هذه الأخيرة بنيت زاوية تاسافت.

وقد أسست هذه الزاوية سنة 1007 / 1598 على يد الشيخ سيدي أحمد بن محمد الافراني، والذي يسميه السكان سيدي حماد أُمحند. وقد تلقى الطريقة من الشيخ أبي القاسم بن عبد الرزاق الذي كانت له زاوية بالقرب من تامگروت بوادي درعة.

وقد ذكر المختار السوسي (*المعسول*، 12 : 54). أن الشيخ المؤسس لزاوية تاسافت كان واحدا من أصحاب الولي الصالح سيدي أحمد بن موسى دفين تازروالت بالأطلس الصغير.

بقيت زاوية تاسافت خلال القرن الحادي عشر (17 م) جاثمة في ظلال التاريخ غير المكتوب إلى القرن التالي

حيث كتب أحد حفدة شيخها كتابا سماه رحلة *الوافد في أخبار هجرة الوالد في هذه الأجبال بإذن الواحد*، سرد فيه أخبار محنة أبيه وعائلته وسكان وادي نفيس بصفة عامة مع باشا مراكش آنذاك عبد الكريم بن منصور التكني والي السلطان مولاي إسماعيل على جنوب البلاد.

ومن خلال هذا السرد تعرفنا على زاوية تاسافت ورجالها، كما تعرفنا من خلاله على جوانب هامة من تاريخ سكان المنطقة، سواء على مستوى علاقتهم الداخلية أو على مستوى علاقاتهم مع المخزن والسلطة المركزية بصفة عامة.

وقد هدم المخزن زاوية تاسافت وأضرم فيها النار في صيف عام 1715، حينما تمكنت حركة باشا مراكش عبد الكريم بن منصور من الدخول إلى وادي نفيس عن طريق ورزازات وأيت واوزگيت وأُنأين أي من جهة شرق الوادي.

ورغم أنها أعيد بناؤها، فإن أهميتها كمؤسسة دينية بارزة في المنطقة نقصت كثيرا منذ ذلك الوقت إلى الآن. خصوصا وأن وادي نفيس عرف منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) اندماجا تدريجيا في النظام المخزني بواسطة القيادة الگندافية، وانتهى به بذلك نظام إمغارن أو الشيوخ الذي كانت فيه الزاوية مؤسسة دينية مستقلة ومحايدة - مبدئيا على الأقل - لها اعتبار معنوي تنسحب فوائده على الزاوية وأهلها وعلى سكان المنطقة بصفة عامة.

عبد الله بن إبراهيم التاسافتي، *رحلة الوافد*، تح. صدقي علي أزايكو، منشورات كلية الآداب بالقنيطرة، 1993 ؛ علي صدقي أزايكو، *زاوية تاسافت*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد السادس عشر، الرباط، 1991، ص. 71 - 107.

علي صدقي أزايكو

**تاسافت**، - في الريف - جبل وموقع حربي وزاوية وفرقة، فالجبل الواقع بالريف الشرقي معروف منذ القرون الهجرية الأولى بارز في القسم الجنوبي من حدود قبيلة بني توزين، بين واد النكور غرباً، حدوده من هناك واد الحسين وواد الجدار رافد النكور. وتقف حدوده الجنوبية عند امتداد الواد الأخير المذكور وواد لكمامن. ويعزل الكتلة من جهة الشرق منخفض وادي كرط وحوض تفرميت. أما في الشمال فيمثل حدودها مجرى واد صوف في حوضه الأعلى. وتبرز داخل هذا المحيط قمة قَشْ قَشْ بعلو 1.613 م، وهي أعلى قمة بالريف الشرقي، بينما تعبر باقي الارتفاعات على الشكل الهضبي الذي تمثله الكتلة تَگُونْتْ (1.301 م)، مگو (1.324م) بهيدور (1.035م) نساد (893 م)، تمي أسام (1.297 م) عمر أُموسى (1.362 م).

عرفنا البكري بقدم وجود اسم تاسافت، بمناسبة الأخبار التي أوردها عن حروب العبيديين لإمارة النكور بدءاً من سنة 304 / 916، حينما اتخذوا من الجبل موقعا حربيا لغزو مدينة النكور، هذا هو ما حدث حينما زحف مصالة بن حبوس المكناسي ضد سعيد بن صالح، وجعل محلته عند قدم السفح الجنوبي الغربي من قمة قش قش على ما يبدو بجوار مجرى واد عبد الكريم الحالي. وإلى هذا الموقع بعث سعيد بن صالح أمير النكور قائده حميد بن العياش اليطوفتي في محاولة لاغتيال مصالة. وحينما وقع في قبضة القائد العبيدي انقلب ضد سعيد فأسره وجاء به إلى مصالة، حيث تم قتله، فكانت النتيجة دخول مصالة بن حبوس مدينة النكور في 3 محرم عام 305 هـ.

ونزل في نفس موضع تاسافت صندل الفتى، صاحب القاسم العبيدي سنة 323 / 934 لمحاربة أمير النكور يومئذ إسماعيل بن عبد الملك، وكان قد تحصن بقلعة أَكَرَى المقابلة لموضع محلة صندل من جهة الشمال الشرقي على مقربة من الضفة اليمنى لواد النكور (حاليا ببني بلعيز). ومن هذا الموقع قاد صندل حملاته المتكررة على القلعة إلى أن تم فتحها ومقتل صاحبها الأمير إسماعيل بنفس المكان الذي قتل فيه مصالة سعيد بن صالح، كان ذلك في شوال عام 323 هـ.

وبجبل تاسافت أسس الحاج علي بن ماخوخ التوزاني زاويته التي لا تزال قائمة إلى اليوم يشرف على أمورها أحفاده. ومبناها جد بسيط مقتصر على قبة ضريح صاحبها وبعض المرافق، واقع غرب قمة إسْرَاخ (1.327 م)، مشرف على مجرى واد عبد الكريم، مما يقابل قمة قش قش، ويعود هذا التأسيس إلى أواسط القرن السابع الهجري، بعد انتقال صاحبها من جبل بني عيسى (تمسمان) إثر وفاة شيخه محمد اليستيتني في تاريخ يعسر ضبطه. وفي عام 686 / 1287 كان الحاج علي بمكانه بتاسافت، زاره به عبد الحق البادسي صاحب *المقصد الشريف*.

ويظهر اسم تاسافت في التقسيم الإداري الحالي بمرتبة فرقة تتألف من أربعة عشر مدشراً موزعة في الغالب حول حوض مجرى واد عبد الكريم، مثل أولا سيدي الحاج علي ماخوخ، أهل الزاوية، وأولاد العالي، وأيت زيان وإِدَرَّازَنْ وأيت عدول. ويوجد على الضفة اليسرى من واد الحسين، وعلى حدود فرقة بني بلعيز مدشر إعزوزن وتستقر بعض المداشر بالدير الجنوبي من الكتلة الذي يدعى بالرحيل. وهو بمثابة عزايب بني توزين، مثل بُوعَلْمَا وإِجْعُونَنْ (جعاونة) وتَلاَمْغَايْتْ، إِخْوَّنَنْ.

أ. البكري، *المغرب*، 95 - 98 ؛ ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 114 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 92.

حسن الفگيگي

**التاساكاتي**، محمد بن أحمد، أحد علماء سوس وصوفيتها المتصدين لمحاربة البدع، وهو تلميذ الشيخ علي ابن إبراهيم الأدوزي المتوفى سنة 1207هـ. وقد حفظ له التاريخ موقفه المؤيد لبيعة السلطان المولى سليمان العلوي ونصرة السنة ومحاربة الثائر بوحلاس الذي ظهر بقرية تاسريرت ببعمرانة حيث ادعى أنه المهدي المنتظر تارة وأنه المولى اليزيد بن محمد بن عبد الله تارة أخرى، ففتن الناس

بشعوذته وسحره، وتسلط على العلماء وحفظة القرآن وفتك بالكثير من اليهود، وجمع حوله العامة والجهلة، فكان الشيخ التاساكاتي من أشد المتصدين لمحاربته بالقلم والخطب، وفضح أسراره واتهامه بالمروق واتباع نحلة بلا بنعزوز المراكشي التي نقل صورة عنها أحد تلاميذ الشيخ محمد الحضيگي.

وقد وقف المؤرخ محمد المختار السوسي على مؤلف في هذا الموضوع وأورد منه نماذج من رسائل التاساكاتي في كتابه المعسول الجزء الخامس منه قوله : "من محمد التاساكاتي نزيل زاوية أيت الصوابي بماسة، إلى أهل الإسلام كافة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فلتنتبهوا أيها المسلمون لهذه المصيبة النازلة، نسأل الله السلامة والعافية، رجل ذو حيل كثيرة وكيود متينة، رجل كذاب سحار ..." إلى أن يقول : "وهذا اللعين من أصحاب ابن عزوز، يعني المراكشي الذي ألف ضده الحضيگي مؤلفا معلوما، لا يصلي ولا يذكر الله البتة ويبغض أهل العلم والدين ..." والرسالة طويلة. ثم لما اشتد خطر بوحلاس توجه التاساكاتي إلى تزنيت مستغيثا وموجها الرسائل إلى القبائل لاستنهاض الهمم لمحاربة هذا الفتان. ومنها رسالة إلى أولاد جرار يعاتبهم على ميلهم لهذا المتمرد حيث قال : "... فانتهوا أيها الناس من صنيعكم وانسلوا منه ... واعلموا اننا خرجنا لنصرة دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بألسنتنا". وظل متمسكا بالبيعة في أهل سوس حسب قول المؤرخ الضعيف حيث كان يقول : "إن مولانا سليمان، سلطان وباق حتى يأتي لداري هذه ويجلس على هذه الدكانة...".

وتظافرت جهود التاساكاتي مع القائد محمد بن مبارك الهشتوكي الدليمي فتم القضاء على بوحلاس وقتل في إحدى المعارك سنة 1207 هـ. ولما زار السلطان المولى سليمان سوس سنة 1222 وجد الشيخ قد توفي فزار داره.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. م. البوزيدي، 2 : 636 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 5 ص. 8.142، ص. 191 ؛ 14 ص. 108 ؛ ج 15، ص. 152 ؛ *إيليغ*، ص. 231 .

محمد ماگامان

**تَاسَاوْتْ**، أحد روافد نهر أم الربيع. والكلمة مشتقة من "تاسا أي الكبد باللهجة المحلية وترمز إلى تعميق الواد بقلب المنطقة الجبلية كالكبد داخل الجسد، حسب تفسير بعض السكان المحليين.

يبلغ طول الواد 237 كلم، يقع معظمة بإقليم السراغنة، ينقسم إلى مجرى جبلي أعلى : 122 كلم ومجرى سهلي : 115 كلم يضم تساوت الوسطى وتساوت السفلى.

الحوض الجبلي، يحتل المنطقة الجنوبية الغربية من الأطلس الكبير الأوسط، يتخذ شكلا طوليا ضيقا، ساهمت مجموعة من الانكاسارات في توجيهه. ينبع من قمم عالية: مگون وغات وتمگونسي مما يجعل انحداره العام قويا 25 م /كلم. يتعمق مجراه في صخور الكلس الدولوميتي الجوراسي والكريتاسي ويقطع أعرافا عالية وهضابا متكتلة كما يعبر أحواضا ومنخفضات تتخللها متون وتلال تكونت في صخور هشة من الطين والرصيص والحث ترجع إلى الزمن الأولى والبرموترياس أهمها حوض تامليل تغطي 48٪ من حوضه مما يجعل مياه فيضاناته مثقلة بالرواسب 4،5 كلغ /م$^3$، تحمل سنويا 1،6م م$^3$ من الرواسب. تبلغ مساحته 1500كلم$^2$ تكون 80٪ من حوض تغذيته الكلي. ونظرا لارتفاعه الكبير وموقعه القاري فإن الحوض يعرف مناخا جبليا ذا صبغة متوسطية. يبلغ معدل الأمطار 650 ملم مع اختلافات جهوية وسنوية هامة بحيث تكون النسبة بين صبيبه السنوي الأعلى والأدنى 6/1 كما أن معدل الجريان الموسمي يعرف تباينا كبيرا 17 م$^3$ / ث في الخريف إلى 600م$^3$ / ث في الفيضان الربيعي. وبفضل الثلوج التي تكون نسبة مهمة من تساقطاته الشتوية ووجود صخور مسامية كلسية فإنه يحافظ على جريان صيفي لا بأس به. يبلغ صبيبه السنوي عند سد أيت عادل 172مليون. وتكسو الغابة المتكونة أساساً من البلوط الأخضر والعرعار والصنوبر الحلبي حوالي ربع مساحة الحوض لكنها متدهورة بينما تحتل بعض الأحواض العليا والهضيبات مروجا غنية.

السكان والحياة الاقتصادية : يسكن المنطقة ثلاث مجموعات من قبائل الشلوح المصامدة : إمغران بمنابع الوادي، وفطواكة بالجزء الأوسط، وغجدامة بالجزء الأسفل، ولما كانت الأراضي الزراعية ضئيلة فإن النشاط السائد هو تربية المواشي الصغيرة خاصة، ويعتبر هذا النشاط أساسيا بالمجرى الأعلى، بالإضافة إلى الأبقار والبغال التي تعتبر الوسيلة الأساسية للنقل. وتعتمد الحياة الرعوية على تحركات معقدة تستجيب للظروف البيئية والعلاقات القبلية وتزيد أهمية الزراعة كلما اتجهنا نحو الجهات السفلى وخف الانحدار، لكنها تستقر عموما على طول المجاري بقعور الأودية وسفوحها الدنيا حيث تتوفر التربة ومياه السقي الضروري صيفا عندما يعتدل الجو وتندر الأمطار، لكنها لا تغطي سوى 3٪ من مساحة الحوض أي 4435 هـ، وتمارس الزراعة في إطار حيازات متوسطها 1،5هـ مجزأة إلى عدد كبير من البقع نتيجة التقسيم بين الورثة منذ أجيال، تمد السكان بكميات غير كافية من الحبوب : الشعير والذرة وبعض الخضروات، للاستهلاك العائلي والعلف للأبقار. كما تحتل الأشجار المثمرة مكانة هامة خصوصا في المنطقتين السفلى والوسطى : أشجار الزيتون واللوز والجوز ذو الخشب الثمين. ويتوزع السكان البالغ عددهم حوالي 40.000 نسمة في قرى صغيرة تشرف على محاطاتها. ويوجد نصفها على طول المجرى الرئيسي لتاساوت ولايوجد هنا أي مركز حضري. ويعاني الحوض من تزايد سريع للسكان أدى إلى تفجير الهياكل الاجتماعية والاقتصادية التقليدية وفتح الطريق لمسلسل تحولات، وكان من نتائج هذا التزايد تكثيف المراعي وتمديد الرقعة الزراعية على حساب الغابة

والسفوح الوعرة. فأدى ذلك إلى تحميل المراعي فوق طاقتها وتنشيط عوامل التعرية مما يدفع إلى هجرة الكثير من الشباب. ونظرا لاستفحال مسلسل التفقير والهجرة وتنشيط التعرية التي تهدد بحيرة السد بالطمي بالاوحال، تنفذ السلطات مشاريع لاستصلاح الحوض عن طريق التشجير وتقوية شبكة الري وإنعاش الحياة الزراعية والرعوية وخلق أنشطة أخرى قصد تثبيت السكان والخروج بالمنطقة من أزمتها. وينتهي الحوض الأعلى بسد أيت عادل (مولاي يوسف) الذي أنشىء باخر الطيات الجبلية المشرفة على السهل 1970 لتخزين مياه السقي أساسا وتوليد الكهرباء. يتكون من حاجز ترابي، خلفه بحيرة طولية تتسع لـ 260 مليون م$^3$ من المياه. بني أسفله على بعد بضعة كيلومترات سد صغير لتنظيم السقي بأكادير بوعشيبة بحجز المياه المستعملة في توليد الكهرباء ويوجهها عبر قناة باطنية طولها 5 كلم لعبور متن مرتفع نحو السهل المنخفض وتغذية شبكة ري عصرية بتاساوت الوسطى.

تاساوت الوسطى : يكون الواد مروحة كبيرة بشرق الحوز انتشرت مفتتاتها على سمك كبير فوق قاعدة هرسينية يعلوها حث ترياسي تعرض لعمليات غمر وإرساب خلال الأيوسين، وترتب عن هذا التكوين وجود فرشات مائية غنية، لكن التربة تتباين جودتها من جهة لأخرى، منها التربة الطينية الجيدة والتربات الرملية والحصوية كما تظهر قشرات الكلس المستنقعي في جهات كثيرة. وينحصر حوض تاساوت هنا على مجرى رئيسي ضيق لا يتلقى أي روافد، فتغذيته هنا ضعيفة جدا تقتصر على عيون بضفاف الواد وفيضان مسيلات إثر سقوط الأمطار تختفي مياهها بسرعة في الرواسب الرباعية المتنافرة. ويعتبر هذا القسم سهلا عاليا يميل نحو الشمال : 5،6م /كلم من 800م إلى 500م. أمطاره قليلة 300 إلى 400 ملم وحرارة الصيف مرتفعة : 40 درجة، مما يجعل المنطقة جافة إلى شبه جافة : تنبت بها نباتات سهبية سدرة ودوم وأعشاب حولية قصيرة. لكن وفرة مياه السقي من الواد والفرشات الباطنية جعلها منطقة زراعية تشتهر ببساتينها المسقية منذ القديم وسواقيها الكبرى مثل اليعقوبية (ترجع إلى عهد الموحدين) والسلطانية، وعشرات السواقي الأخرى المهيكلة للمجال التقليدي. وأقدم من استقر بها : الهسكوريون (حسب ابن خلدون) ثم حل محلهم قبائل زمران إحدى قبائل الدير المشهورة بشرق الحوز. والسراغنة ومنهم أولاد يعقوب وأولاد خلوف وأولاد منصور. وظلت منطقة زراعية مفتوحة لكل وافد خاصة من الجبال. بلغ سكانها 134.400 ن (1982) تضاعف سكانها منذ (1960) بسبب تكثيف الزراعة المروية وتحديثها. خلف بها المعمرون الفرنسيون 8000 هكتار مزروعة بتاملالت. ولازالت الأراضي الجماعية منتشرة بالبور وأراضي الرعي. أما التمليك الخاص فقد تنازل الأراضي المسقية التي بالتوارث عبر الأجيال مما سهل للقواد الكبار خاصة الأكلاوي الاستيلاء على قسم كبير منها في بداية القرن العشرين. وبعد بناء السد تدخلت الدولة عن طريق مراكز الاستثمار الفلاحي وبنت سواقي عصرية رئيسية تزود شبكة السواقي القديمة التي تحل محلها سواق عصرية بالتدريج. كما عملت على دمج الأراضي وتنظيم المحاطات وتجديد المزروعات مما جعل المنطقة تعد من أهم الدوائر المسقية بسهل الحوز، تنتج الزيتون والمشمش والحوامض والخضر بالإضافة إلى الحبوب المروية والبورية التي لا زالت تطبق فترة الاستراحة. ويوجد النطاق السقوي الحديث بالضفة اليسرى، يستعمل الماء بترشيد ويطبق دورات زراعية مبنية على أسس علمية جعلت المنظر يتخذ شكل أشرطة ينتشر بينها سكن متشتت. وظهرت تعاونيات مختلفة المضمون والنجاح، وانصب الاهتمام مؤخرا على مزروعات جديدة : القطن والشمندر وقصب السكر والقمح الرطب والقمح الصلب المسقي وكذلك الخضر والعلف لازدهار تربية الأبقار الحلوب. وظهرت ملكيات حضرية واسعة للتجار وبعض الموظفين تستعمل العمل الآلي والمأجور. تبلغ مساحة النطاق المسقي بتاساوت الوسطى 52.000 هكتار منها 22.000 هـ سقي تقليدي.

تاساوت السفلى : بعد عبور سلسلة الجبيلات يقطع الواد شرق سهل البحيرة وهو حوض منبسط امتلأ برواسب قارية منذ الكريتاسي، توضعت فوق قاعدة هرسينية تغطيه مفتتات رباعية تعمق بها سرير الوادي فظهرت قشرات كلسية وأراض كثيرة الحصى بضفتيه، ولا يتلقى الواد هنا أي رافد لقلة الأمطار ـ 300 ملم وكثرة التبخر والتسرب. تطغى على المنظر البراري السهبية ويقطن المنطقة مجموعات أهل الغابة وبني عمر من قبائل السراغنة، وتعد هذه المنطقة ملتقى سهلي تادلا والبحيرة، لكن استيطان السراغنة القديم طبع المنطقة بطابعهم الخاص لدرجة أنها تعرف بسهل السراغنة. وهي تقع خارج النطاق السقوي الحديث لكن تنتشر بها مشاريع الري الصغير خاصة على طول مجرى تاساوت حيث تكثر البساتين والملكية الخاصة وحول قلعة السراغنة باستغلال مياه واد كاينو والفرشة المائية إلا أن معظم هذه المنطقة تسوده زراعة بورية يناصيبية للحبوب ورعي المواشي الصغيرة بأراض جماعية واسعة وتعيش أنظمة الري حاليا هنا اضطرابا بعد تناقص مياه الواد بسبب بناء سدين كبيرين على واد تاساوت والواد الأخضر وتحويل قسم من مياههما إلى الحوز الغربي ومدينة مراكش، ويجرى حاليا تهيىء نطاق سقوي حديث مساحته 44.000 هـ سيسقى بمياه سد بين الويدان تصله عن طريق قناة تنطلق من أفورار طولها 93 كلم ستحمل إليه سنويا 235 مليون م$^3$ سم انجازها سنة 1993. وينتهي واد تاساوت باتصاله بأم الربيع الأوسط عند مشرع الحمري.

*كتب عامة في جغرافية المغرب ؛ بحوث نهاية الإجازة لطلبة من* شعبة الجغرافية بكلية الآداب ـ مراكش ؛ *تحليل خرائط طبوغرافية وجيولوجية.*

O.R.M.V.A., *Les ressources naturelles et la mise en valeur*

*actuelles de la plaine du Haouz, R.G.M.*, n° 17, 1970 ; Belfkih et Fadlullah, *Observations sur la rive supérieure, R.G.M.*, n° 1, 1977; A. Lahlimi, *Les terres irriguées et le monde rural de la Tessaout moyenne, R.G.M.*, n° 11, 1967.

أحمد هوزالي

**تاسكدلت**، موقع بإقليم ورزازات على الضفة اليمنى لوادي تيديلي الحالي قريبا من قصر تيكيرت (في تراب قبيلة أيت زينب). وكلمة تاسكدلت أمازيغية تعني المرعى الصغير، وتطلق على مواقع أخرى في سوس وغيرها. ولعل أول من تحدث عن حصن تاسكدلت هو أبو بكر البيذق حينما تحدث عن بعض فتوحات المهدي ابن تومرت سنة 520 / 1126 لكن دون أن يحدد موقع الحصن. وقد قام بزيارة

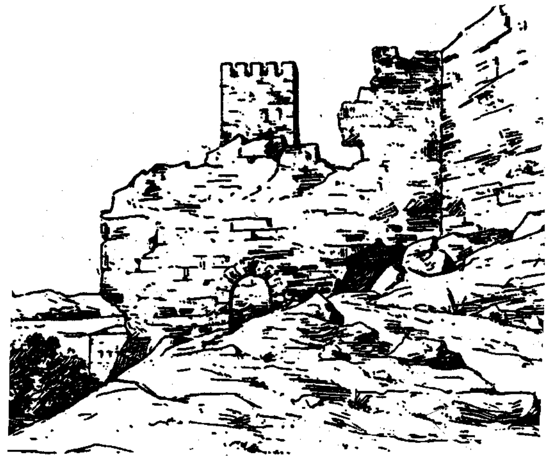

تاسكدلت
أطلال يظهر فيها بقايا السور، وباب، وبرج
. منظر من جهة الشمال الغربي. (عن كتاب دوفوكو)

أطلال تاسكدلت ورزازات الراهب شارل دوفوكو في شهر أكتوبر من سنة 1883 عندما توقف بقصر تيكيرت السالف الذكر. وقد رسم صورة عن الحالة التي كانت عليها تلك الأطلال قائلا : "انتهزت فرصة وجودي بتيكيرت فذهبت لزيارة أطلال تاسكدلت المشهورة بهذه المنطقة. وهي موضوع كثير من الأساطير. أطلالها (الآن) محاطة بسور مربع الشكل تقريبا، وكانت تتخلله فيما قبل أبراج على طول امتداده. أسوارها السميكة ذات القاعدة الصلبة التي تعلوها طبقة من التراب المدكوك لم يبق منها إلا شذرات : تهدم جزء منها والباقي مبتور الأعلى ويزيد تساقطه كل يوم. لكن الجزء الجنوبي من تلك الأسوار هو أكثر صمودا أمام عوادي الزمن إذ لا تزال تحتفظ بسبعة أبراج أو ثمانية يبلغ علوها ما بين ثلاثة وأربعة أمتار. وبداخلها تتراكم أكوام من الأحجار المشوهة الأحجام. وقد بني هذا الحصن على شكل مدرج القاعدة (انحداره 2/1) ومساحته تغطي أعلى هذا المنحدر. ويتحول هذا المنحدر فجأة، في الجهة الشمالية، إلى سور عمودي تتخلله أفواه كهوف متعددة. وكون تاسكدلت قلعة قديمة إضافة إلى وجود مغارات كثيرة بها، كل ذلك جعل السكان يعتقدون أنها من مخلفات مرور المسيحيين هنا".

وقد أورد دوفوكو من بعد ذلك دواية شفوية أسطورية تقول إن المنطقة كانت تحت حكم ثلاث أميرات مسيحيات تقطن إحداهن في تاسكدلت وتدعى دولا بنت وعد فقضى عليهن المسلمون حينما فتحوا بلاد ما وراء الأطلس.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، طبعة الرباط، 1964، ص 95.

C. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc, 1883 - 1884*, Réédition, 1985, pp. 93 -94.

محمد حمام

**تاسَلطانَتْ**، موقع فلاحي هام بضاحية مراكش الجنوبية. ويطلق اسم تاسلطانت على مشيخة بجماعة سعادة دار العرجاء بدائرة أحواز مراكش (عمالة الحوز) بإقليم مراكش مساحتها حوالي 12.000 هـ سكانها 18.187 نسمة (1982). تمتد أراضيها جنوب أسوار مدينة مراكش وحديقتي أكدال والمنارة. يحدها شرقا واد إسيل وغربا واد غيغاية وأراضي أسكجور، وتمتد أراضيها جنوبا على طول طريق مراكش - أوريكا إلى الكلوميتر السادس عشر. تتميز بسطح مستوٍ وتربة حمراء غنية نسبيا تتكون من طين رملي أوطين صلصالي مختلط محليا بالحصى، ارتبط تكوينها بمخروطي غيغاية وأوريكا. يسودها مناخ شبه جاف، أمطاره قليلة منتظمة يزيد معدلها السنوي قليلا عن معدل مراكش 250 ملم. لكنها غنية بالمياه الجارية والجوفية وتنتشر بها اليوم ضيعات تهتم بالزراعات الشجرية والتسويقية.

ولتاسطانت تاريخ طويل فقد كانت عزيبا سلطانيا كونه المولى عبد الرحمن سنة 1862 م بعد طرد فلول من قبيلة الرحامنة الذين استقروا به كقبيلة گيش مند عهد السعديين. وكانوا يشغلون أراضيه للرعي ولزراعة خفيفة للحبوب، وعزم السلطان على استغلاله في زراعة منظمة لإنتاج الدقيق لقصره، فأحيا ساقية تاسلطانت المخزنية مسترجعاً مياهها من قبيلة أوريكة ومسفيوة. وأقام عليها سبع مطاحن مائية وجلب حوالي أربعمائة أسرة من القبائل المجاورة. كان رجالها يعملون بشكل جماعي كخماسة يزرعون الحبوب وبعض الخضر والأشجار المثمرة باستعمال مياه السواقي والخطارات ويربون المواشي، بالإضافة إلى العمل في المطاحن وصيانة ساقية تاسلطانت.

وظل الوضع القانوني لهذه الأراضي غامضاً، هل هي أرض گيش أو ملك مخزني للدولة أو ملك شخصي للمولى عبد الرحمن يمكن أن يورث. لقد اعتبر بعض حفدة مولاي عبد الرحمن العقار ملكا خاصا وطالبوا بنصيبهم في إرثه، كما اعتبر الخماسة أنفسهم قبيلة گيش بقرار سلطاني. وقد ذكر تقرير يرجع إلى عهد الحماية أن ثمانا وثلاثين أسرة ينحدر أصلها من المنابهة تعيش بدوار قصبة بوعكاز قرب صهريج بستان المنارة تكوِّن گيشاً حقيقيا يقوم بحراسة بستان المنارة وتاسلطانت عند حدودها الغربية. ويتصرف باقي السكان كملاكين حقيقين رغم أنهم يدفعون كراء سنوياً. ويبيعون أجزاء من الأراضي التي يستغلونها. ونظراً

للموقع المتاز لتاسلطانت وتوفرها على مياه السقي فقد أحاطت بها أطماع كثيرة، استولى عليها الباشا الاكلاوي بين سنوات 1908 و1914 لكن رغبة المعمرين الفرنسين في إنشاء تجزئة فلاحية بها وادعاء بعض الشرفاء والقرويين المستقرين بها ملكية أجزاء واسعة من مساحتها، جعل السلطات الاستعمارية تتدخل، فاعتبرت تاسلطانت أراض گيش تمهيداً للاستيلاء على ما تريد من أراضيها. وكانت تتكون من 8672 هـ سنة 1923 يسكنها 4957 نسمة. فكونت السلطات الجديدة تجزئة فلاحية تضمنت 12 ضيعة فوق مساحة 2654 هـ وحولوا الكثير من السكان والقرى إلى أراض فقيرة محجرة كما استخدموا عدداً منهم كعمال زراعين، وكوّن بعض المعمرين "الشركة الفلاحية" فوق الأراضي التي أقطعتها السلطات لمولاي الكبير لادعائه أن الملك مولاي حفيظ منحها له جزاء خدماته، بلغت مساحتها 2.521 هـ وكانت الشركة تنوي إنشاء استغلالية عصرية لمزروعات تسويقية خاصة الشمندر، لكنها وجدت صعوبة في ترحيل القرويين المقيمين بها فاستغلت أراضيها بالشراكة معهم مقابل منحها نصف الانتاج. كما اشترى عدد آخر من المعمرين أراضي من بعض الشرفاء والملاكين الحضريين الذين كونوا عزباناً كبيرة، ومارس المعمرون زراعة تسويقية للحبوب والخضر والأشجار المثمرة خاصة الزيتون والبرتقال والمشمش باستعمال مكثف للسقي، سواء من ساقيات الوديان أو الخطارات أو الضخ الآلي من الآبار. وبعد الاستقلال باع عدد من المعمرين الذين اشتروا الأراضي سابقاً ضيعاتهم، كما تحولت ضيعات الاستعمار الرسمي إلى ضيعات نموذجية تحت إشراف مؤسستي "صوديا" و"صوجيتا" وتعاونيات فلاحية، كما وُزعت بقع على بعض السكان في إطار برامج محدودة للإصلاح الزراعي، وتحول خلال عقدي الستينات والسبعينات كثير من العزبان إلى ضيعات عصرية، كما اشترى بعض الحضريين أراضي من الملاكين والمستغلين مكونين بها ضيعات يشجعهم غنى الفرشة المائية واستعمال الضخ الآلي. أما الشركة الفلاحية التي تمغربت سنة 1960 فإنها وضعت مشروعا سنة 1971 لاستغلال أراضيها بشكل مباشر وعصري لكنها وجدت مقاومة عنيفة من طرف الفلاحين المستقرين بها أدت إلى اصطدامات مما أدى إلى شروعها منذ 1977 في بيع أراضيها فكونت النخبة الحضرية وأصحاب النفوذ ضيعات وإقامات سكنية رفيعة، وتحول السكان المستغلون سابقاً إلى عمال زراعين وخدام وحراس، وهاجر آخرون إلى الدواوير الهامشية حول مراكش.

تكوّن تاسلطانت اليوم قطاعاً مهما للزراعات التسويقية، ورغم تعدد موارد المياه فإنّ كثافة الاستغلال أدت إلى نقص مياه السقي وظهور نزاعات حول حقوق السقي خاصة من ساقية تاسلطانت التي تستأثر حاليا بـ50٪ من مياه الجريان الصيفي لواد أوريكة. وقد حُلَّ المشكل مؤقتا بحفر عدد كبير من الآبار مما أدى إلى انخفاض مستوى المياه الجوفية وجفاف معظم الخطارات البالغ عددها حوالي ستين. وتشتهر تاسلطانت بزراعة مسقية كثيفة لأشجار البرتقال والمشمش والزيتون واللوز والتفاح والخضر والعلف والورود وتربية الأبقار الحلوب في حظائر حسنة التجهيز واستعمال أحدث الأساليب الزراعية، وفيئات البلاستيك والري بالرش والتنقيط، وهي تسير في طريق التحول إلى ضاحية بعلية وحليبية وسكنية لمدينة مراكش، اجتذبت زراعتها أيد عاملة كثيرة وانتشر بها السكن المتشتت سواء الهزيل للعمال الزراعيين أو الرفيع للملاكين والحضريين. ويوجد بها خمسون دواراً كما لا يزال بها بعض العزبان ويقع من أراضي الگيش تنتشر خاصة فوق الأراضي المحجرة أو ذات المياه الجوفية العميقة يمارس سكانها زراعة خفيفة للحبوب ورعي المواشي. وتحولت بعض الدواوير الغربية من مراكش إلى تجمعات سكنية هزيلة كبيرة تتقبل المهاجرين، من أهمها دوار الجديد سكانه 4229 نسمة ودوار البومبي 1239 ن والحركات 1189 ن وبوعكاز 1058 ن (1982) وهناك قرى هجينة بنيت على شكل "بلوكات" توجد بالضيعات النموذجية (الأوربية سابقا) والتعاونيات. كما ظهر على طريق أوريكا تجمع سكني كمركز لتاسلطانت (من الدرجة الثانية) يضم بعض الدكاكين ومنشآت للخدمات الاجتماعية ومنازل سكنية خلفها، لكن قُرْبَ مدينة مراكش ووصول حافلات النقل الحضري يعرقل نمو المركز.

ساقية تاسلطانت : اسم يطلق على عدة سواق تسقى أراضي قطاع تاسلطانت وبساتين أكدال والمنارة وأحيانا بعض السقايات والمساجد بمدينة مراكش، منها ما يستمد مياهه من واد غيغاية أو نفيس على أن أهمها يستمد مياهه من واد أوريكا الذي يتميز بأعلى صبيب بوديان الأطلس الكبير الغربي وبصبيب صيفي مهم، ومن أهم سواقيه : ساقية تاسلطانت المخزنية. ويبدو أنها وجدت منذ عهد المرابطين وتأكدت أهميتها في عهد الموحدين، فقد ذكر الإدريسي أن إحدى السواقي جلبت من واد أوريكا في عهد يوسف بن تاشفين ولم تتم إلا في أيام الموحدين. ومن المرجح أن تكون ساقية تاسلطانت المخزنية التي عرفت مراحل انتعاش واندثار خلال تاريخها الطويل، وقد كانت موضوع نزاع من بين سلطات المخزن والفلاحين من أبناء أوريكة ومسفوية التي تجري بأراضيهم ويحتاجون إلى مياهها خاصة في الصيف عندما تستولي على معظم أو كل صبيب الواد، واشتد النزاع خاصة في النصف الأخير من القرن الثالث عشر (19 م) بعد تكوين المولى عبد الرحمن لعقار تاسلطانت ووضع له حراسا، لأن فلاحي القبيلتين كانوا يستولون على مياهها ليلا، واستمر النزاع إلى عهد الحماية عندما امتلك المعمرون قسماً من أراضي تاسلطانت وأدركوا أن الأرض في هذا المجال الشبه الجاف المضطرب الأمطار تفقد قيمتها بدون سقي مضمون، فاشتروا قسماً من مياهها من بعض الشخصيات والملاكين القدامى، كما استولوا على

قسم آخر بمختلف الأساليب، فبلغت حصتهم ثلثي صبيبها سنة 1924 وتركوا الثلث للأهالي، ثم قامت سلطات الحماية سنة 1926 بتغيير مجرى الساقية وبناء سد حاجز من الإسمنت المسلح لتغذيتها قرب قنطرة طريق سوق اثنين أوريكة كما رصّفتها سنة 1936 فقل فاقدها بالتسرب من 30٪ إلى 6٪ وزاد نصيبها على حساب ساقيات أخرى : تاوريكت وتاگبيلت... ويبلغ طولها 20،5 كلم ومعدل صبيبها 1200 لتر/ ث والصبيب السنوي 24،5 مليون م$^3$ تسقى حوالي 6.700 هـ إلا أن مياهها ظلت قاصرة عن تلبية حاجيات جميع الأطراف، إذ لا يكفي صبيبها الصيفي إلا لسقي حوالي 4000 هـ مما دفع السلطات لتخصيص قسم من مياه سواقي وديان أخرى لسقي قطاع تاسلطانت. ونظراً لعدم وجود سد لخزن مياه الفيضان الشتوي والربيعي لواد أوريكا فإن مياهها تتناقص كثيراً في الصيف، خاصة بعد استفحال أزمة الجفاف في عقد الثمانينات، كما أن أهالي أوريكا صاروا يستفيدون من 50٪ من الجريان الصيفي باسترجاع بعض حقوقهم القديمة المسلوبة في عهد الاقطاع والاستعمار والرجوع جزئياً إلى القاعدة التقليدية التي تعطي الأسبقية في السقي من مياه العيون والوديان لسكان العالية على حساب السافلة.

وهناك سواق أخرى تحمل نفس اسم تاسلطانت هي :

- تاسلطانت القديمة أو الترابية تستمد مياهها من واد أوريكا حولت معظم حقوقها القديمة والجديدة إلى تاسلطانت المخزنية المرصفة الموجودة بعاليتها، فلم تعد تأخذ من المياه سوى ما فضل عنها، وتستفيد خاصة من مياه الجريان الشتوي والربيعي طولها 1800 م معدل صبيبها السنوي 3،3 مليون م$^3$ تسقى حوالي 600 هـ.

- تاسلطانت القبيلة : طولها 2100 م تستمد مياهها من واد أوريكا وتستفيد من جريان الفيضان الربيعي والشتوي، ولم تعد تحصل على أي قسط من المياه صيفاً. معدل صبيبها السنوي 5،5 مليون م$^3$ وتسقي حوالي 1600 هـ.

- تاسلطانت نفيس : تستمد مياهها من واد نفيس ومن مخزون سده لالاتاكركوست. مرصفة على طول مجراها البالغ 20 كلم يبلغ معدل صبيبها 120 لتر / ث، وصبيبها السنوي 2،1 مليون م$^3$، يُوجه أهم قسم من مياهها لري بساتين أگدال وبعض ضيعات تاسلطانت،و تسقي حوالي 930 هـ.

- تاسلطانت غيغاية : هي فرع من الساقية الباشية التي تستأثر بنصف الجريان الصيفي لواد غيغاية تعرف كذلك بالساقية الرومية بعد ترصيفها وبناء سد حاجز من الإسمنت المسلح لتغذيتها قرب دوار تحناوت، يبلغ طولها 18 كلم، يتصل فرع منها معروف بساقية تاسلطانت غيغاية بساقية تاسلطانت المخزنية الأوريكية عند دوار البصري ليكوِّنا ساقية كبيرة طولها 5 كلم توزع مياهها على ضيعات وتعاونيات النطاق السقوي العصري لتاسلطانت.

*بحث ميداني* ؛ بن الشرقي حصري أحمد، *ارتسامات تاريخية حول مدينة مراكش.*

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech* ; *Théorie de la distribution des eaux dans le Haouz de Marrakech, R.G.M.*, n° 18 - 1970 ; J. Le Coz, *Les tribus Guichs au Maroc, R.G.M.*, n° 7, 1964.

أحمد هوزالي

**تاسْلْغَا**، أو عين الأرنب، جنس نباتي ممثل في المغرب بثلاثة أنواع وهي :

- گلوبولاريا أليبوم Globilaria alypum وهو النبات الأكثر شهرة من النوعين الآخرين. إنه نبات جنيبي ذو سيقان منتصبة لا يعلو عن سطح الأرض إلا بخمسين سم. أوراقه ملعقية الشكل، مبسطة، متخالفة أو متقابلة. أزهاره مجتمعة على هيئة رؤيس أزرق بنفسجي.

يعيش هذا النوع في البيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب من الطوابق تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ والمتوسطي، وعلى أتربة كلسية. ويصادف في غالب الأحيان برفقة نباتات الحلفاء وأزير وأنواع من الزعتر.

وخارج المغرب ينتشر هذا النوع في جل البلدان المتوسطية.

تستعمل تاسلْغا في التطبيب التقليدي وخاصة في حالات مرض السكري.

- گلوبولاريا أرابيگا Globularia arabiga يتميز هذا النوع عن الأول بكثرة كثافته، وعلو قامته، وكبر أزهاره.

يعيش في المناطق الجافة والصحراوية من جنوب المغرب ودول شمال إفريقيا الغربية وله نفس الاستعمالات المذكورة أعلاه.

- گلوبولاريا نايني Globularia naini إنه نوع قبسي مغربي لا يصادف إلا في الأطلس المتوسط الشرقي والأطلس الكبير الشرقي وصغرو وهو يتميز بأوراقه الصغيرة وقامته القصيرة المتفرشة فوق سطح الأرض.

استعمالات هذا النوع لا تختلف عن النوعين الأولين.

*أبحاث خاصة.*

P. Quézel et S. Santa, *Nouvelle flore de l'Algérie*, Paris, 1963.

عبد المالك بنعبيد

**تَاسَمْلالْتْ**، كلمة أمازيغية تطلق في منطقة دادس على شجرة تنبت بكثرة في الأماكن التي تكثر بها المياه كالمستنقعات وجنبات مجاري المياه والأودية. وهي تنمو على شكل فروع متعددة ومستقلة عن بعضها البعض. وهذه الفروع تكون رقيقة بحيث لا يكون عودها قويا وصلبا. ولذلك فعودها هو من النوع المرن الذي يتمايل بسهولة أثناء هبوب الرياح، أما استعماله فلا يتعدى الطهي والتدفئة.

*تحريات ميدانية.*

محمد حمام

**تَاسِيَّاتْ**، مكان بشاطئ قرية الملالين بفرقة البحري من قبيلة الحوز بجبالة (إقليم تطوان). يطلق عليه اسم جامع وهو ليس بمسجد، وكل ما هناك أثر بناء يقال انه

يرجع إلى العهد الذي كان فيه أهل سوس يسكنون هذه الناحية، وتحيط بالأثر غابة يقصدها العامة وخاصة منهم النساء لزيارة هذا المكان حيث يزعمن أن الجن سكانها. يقوم بعض الزوار بذبح قرابين وتركها هناك طعاما بدون ملح.

الرهوني، عمدة الراوين، 1 : 123، 3 : 52 ؛ داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 368، 4 : 184.

محمد ابن عزوز حكيم

**تَاشْرَافْتْ**، منطقة يقع مركزها على الطريق الرئيسية رقم 13 المؤدية إلى مدينة الدار البيضاء بعيدة عنها بحوالي 165 كلم، ولا يفصلها عن مدينة واد زم سوى أحد عشر كيلومترا وعن مدينة بني ملال 66 كيلومترا. بها جماعة قروية تحمل نفس الاسم وتمتد على مساحة 225 كلم مربع، ويحدها من الشرق جماعتا بني بتاو وبني زرنتل ومن الغرب جماعة بني اسمير أمامن الشمال فتحدها جماعتا الشكران والمعادنة. وهي تابعة لقيادة شكران دائرة أبي الجعد التي تقع في واجهتها الجنوبية الشرقية والمنتمية لعمالة إقليم خريبگة.

ويرجع الأصل في تسمية هذه الجماعة بتاشرافت إلى الواد الموجود بها والذي يعتبر المجال المفضل للنزهة والاستقرار، السبب الذي سمح لمجموعة من الأولياء والشرفاء أن يقطنوا بجواره، لذا توجد بهذه الجماعة أضرحه من بينها ضريح سيدي حمو وابنه سيدي الزعري والد سيدي بلگاسم أبي الوالي الصالح سيدي مَحمد الشرقي، ثم ضريح سيدي حمزة وسيدي الرگراگي وغيرها من الأضرحة، وانطلاقا من هذه الوضعية سمي الوادي بالشريفية أو تاشرافت.

المعطيات الطبيعية : تتشكل المنطقة من هضبة متقطعة إلى أجزاء طولية الشكل، تتخللها مجموعة من الأحواض، تتجمع فيها المياه أثناء التساقطات، أهم الارتفاعات تصل إلى 800 م، وتتدرج ما بين 780. 740 م عند مستوى الأحواض، لتنزل إلى حوالي 700 م عند قعور الأودية. تحدد هذه الأشكال التضاريسية مجموعة من الأودية أهمها وادي تاشرافت ووادي بوكروم.

تعرف هذه المنطقة مناخا يميل إلى الجفاف، نظرا للوضعية القارية. معدل الحرارة السنوي لا يتعدى 17 درجة، أما معدل الحرارة العليا فيصل إلى 27 درجة وأحيانا 19 درجة. أما التساقطات فهي ضعيفة لا تتجاوز 300 مم سنويا، والرياح التي تهب من الشرق هي رياح ساخنة تتسبب في عواصف ريحية قوية ونتيجة لذلك فإن الغطاء النباتي يبقى هزيلا وهو في معظمه مشكل من نباتات قصيرة، على أن في قعور الأودية، حيث تتوفر الرطوبة، نلاحظ تنوع النباتات والأشجار المثمرة وتظهر مراعي مهمة. وأهم النباتات الطبيعية في هذه المنطقة هي نباتات الدوم، السدرة، وبعض الصباريات.

توافق المنطقة طبقات الكريتاسي المكونة من ظلفاء كلسية في الأعلى ومستويات كلسية صلصالية وصلصالية في القاعدة. هذه السخنات مكنت المنطقة من التوفر على ثروة ترابية شديدة التغاير حيث إمكانية التدرج من الأتربة الهيكلية إلى الأتربة الخصبة الموجودة في المنخفضات التي تمثلها قعور الأودية، ومن خاصيات الأتربة بهذه المنطقة أنها طينية مختلطة بكلس ورمال. تتميز بالاحمرار. ونظراً للخاصية المناخية ولوفرة الكلسية بالمنطقة فكثيرا ما يتميز القطاع الترابي بوجود مستويات يتشخص فيها الكلس.

تعتمد هذه الجماعة في مواردها المائية على ثلاثة أودية وهي ؛ واد تاشرافت الذي يرفد وسط الجماعة، وواد بوكروم الذي يجري في جهتها الشرقية، ثم واد قيشر في الجهة الغربية. بالإضافة إلى مجموعة كثيرة من الآبار والعيون من أهمها العين البيضاء والعين الحمراء التي تبرز عند مستوى اتصال الطبقات الكلسية النافدة بالطبقة الصلصالية الغير منفدة.

المعطيات البشرية : توجد بالجماعة عدة تجمعات سكنية، أهمها مركز تاشرافت الذي شهد تطورا ملموسا في السنوات الأخيرة، حيث شيدت به قرية نموذجية من 25 منزلا، يأتي بعده مركز أيت صالح قرب مدينة أبي الجعد، وأخيرا مركز عين قيشر.

هذه المراكز عرفت توافد مهاجرين من البوادي المجاورة، مما أدى إلى تضخم الظاهرة السكنية بهما، ويتجلى ذلك خلال تطور عدد السكان بهذه الجماعة.

| السنة | عدد السكان |
|---|---|
| 1960 | 7.149 |
| 1971 | 8.933 |
| 1982 | 9.918 |

تضم جماعة تاشرافت ما يزيد عن 14.100 هكتار من بينها 390 هكتار مسقية، وتستعمل هذه الأراضي بطريقة تقليدية وذلك لزراعة الحبوب، أما فيما يخص الأشجار والخضروات فهي الإنتاج الأساسي للسكان بالأراضي السقوية والتي تمتد على شكل سهول ضيقة بجوانب الأودية الرئيسية بالمنطقة كوادي تاشرافت ووادي بوكروم.

ويتمثل الإنتاج بالدرجة الأولى في الجنوب ثم أشجار الزيتون والخضروات وأشجار الفواكه، بالإضافة إلى النشاط الفلاحي يهتم السكان بتربية الماشية (27.100 من الغنم، 3.714 من البقر و2.850 من الماعز).

من الناحية التجارية، تتوفر الجماعة على سوق أسبوعي بمركز عين قيشر، ينعقد كل سبت وتعرض به كل المواد الغذائية والخضروات والملابس، كما أن هناك سوقا بمركز الجماعة كل يوم أربعاء.

أما على مستوى التجهيزات المتخصصة فتوجد مجزرتان الأولى بعين قيشر والثانية بمركز الجماعة، يصل حجم إنتاجها السنوي إلى حوالي 2.345 رأسا من الماشية.

وفيما يخص التجهيزات الأساسية : تستمد هذه

الجماعة الماء الشروب من الآبار والعيون الكارستية. أما المركز الجماعي فإنه يتوفر على بئر وعلى شبكة توزيع، طولها 1.100 متر وعلى طاقة للتخزين تناهز 25 متر مكعب، تقوم الجماعة بتسييرها، كما أن هناك مشروعا مهما سيتم إنجازه في المستقبل يتعلق بتزويد المركز بالماء الصالح للشرب من بئر جديد تم اكتشافه مؤخرا، بإمكانه سد حاجيات 45 ألف نسمة حسب الدراسات. كما يتوفر مركز الجماعة على شبكة كهربائية مهمة يصل طولها حوالي 1.700م، تغطي كيلومترين مربعين، يديرها المكتب الوطني للكهرباء.

وفيما يخص التجهيزات الاجتماعية : تتوفر الجماعة على مجموعتين رئيسيتن للتعليم الابتدائي الأولى بمركز الجماعة وتسمى بمجموعة مدارس تاشرافت والثانية بمجموعة مدارس البراشوة، وعلى مركز للتكوين الفلاحي، ومستوصف ومركز بريدي.

*تحريات ميدانية.*

عبد الرحيم بنعلي

**تاشفين** ابن أبي **الحسن** المريني يكنى أبا عامر، أحد سلاطين بني مرين من أبناء السلطان أبي الحسن القصيري العهد، الخاضعين لاستبداد وزرائهم، المنافسين أشد المنافسة من أقربائهم المحليين أو اللاجئين بتلمسان أو غرناطة أو بقشتالة. فبعد موت السلطان أبي عنان في ذي الحجة 759/ 1358 بدأت تطغى على الساحة السياسية سلطة الوزراء، وكثرت مؤامرات البلاط : خلع وقتل واستبدال سلطان بآخر... فبعد بيعة أبي زيان محمد بن أبي عنان خلفا لأبيه وقتله في نفس اليوم، بويع أخوه أبو بكر الملقب بالسعيد (حجة 759 ـ شعبان 760) ثم تمكن عمه أبو سالم إبراهيم من الاستيلاء على السلطة (760. 762) وانتهى الأمر بقتله وتقديم أخيه تاشفين أبي عامر (أو أبي عمر حسب بعض المصادر) بتدبير الوزير عمر بن عبد الله الياباني (من بني يابان احدى القبائل المرينية). ولم تتجاوز مدة سلطنة تاشفين ثلاثة أشهر من ذي القعدة 762 / سبتمبر 1361 إلى صفر 763 / دجنبر 1361 حيث خلعه وزيره المذكور، وجعل مكانه أبا زيان محمد بن أخيه أبي عبد الرحمن بن السلطان أبي الحسن.

كان تاشفين واحدا ممن نجوا من القتل على يد أخيه أبي سالم السلطان قبله، حيث جعل قصده "اجتثاث شجرة أبيه، وألا يدع من يصلح للملك، ولا من يترشح للأمر، فالتقط ... طائفة تناهز العشرين ... من إخوانه وأبناء إخوانه فأركبوا البحر... ثم طير إلى قائد الأسطول ... بأمره بتغريقهم ..." (*نفاضة*، 2 : 267). وعندما فتح تلمسان قتل ذبحا عددا من القرابة المنافسين له، وحاول القيام بعملية مشابهة ضد القرابة بالأندلس دون نتيجة. وممن كان بالأندلس أخوه تاشفين الذي سبق أن أسر في معركة طريف التي انهزم فيها أبوه السلطان أبو الحسن سنة 741 / 1340، وقيل إنه أصابته لوثة خلال مدة أسره كانت سببا في عدم اهتمام المتولين للسلطة في المغرب بشأنه لعدم صلاحيته لها، قال ابن الخطيب : "وقد تجافت عنه المحن لاشتهاره باللوثة وعدم الصلوح للولاية، زعموا أنه تستر بذلك دهاء، فتخطته المتالف لإجله ..." (*نفاضة*، 2 : 273).

عاد تاشفين إلى المغرب واستقر بفاس دون أن تمتد إليه يد القتل. عزم أمين "البلد الجديد" بفاس عمر بن عبد الله الياباني على إحداث انقلاب على السلطان أبي سالم ووزيره مسعود بن ماساي (مستغلا إقامة السلطان أبي سالم بقصبة فاس بدلا من البلد الجديد ـ الحي السلطاني)، فاستعان عمر بقائد المرتزقة النصارى "غرسية أنطون"، وتم ذلك في ليلة 17 من ذي القعدة سنة 762 / 1361 ولإنجاح العملية أضرمت النار بالقصر "ثم تعدت إلى دار الصنعة، وبه مالا يأخذه الوصف من السروج والمهندات والسلاح ونقر الذهب والفضة إلى المواعين والموازين وآلات الخيل. ثم اتصلت بدار الديباج فالتهمت من الحرير والأثواب وآلات النسيج وضخام المناول وألواح الرسوم ... ما لا يأخذه الوصف" (*نفاضة*، 2 : 273).

إثر العملية الانقلابية حاول أبو سالم الفرار فقبض عليه وقتل ذبحا، ثم حاول قائد فرقة المرتزقة الثورة على الوزير عمر، إلا أنه تمكن من قتله مع جماعة من جنده، "وقام بالأمر على سنن الحجابة العامرية" (*نفاضة*، 276) ويقصد الاستبداد على السلطان كما كان المنصور بن أبي عامر مع خلفاء بني أمية بالأندلس في القرن الرابع. "واستقل عمر بالأمر، ونصب الموسوس تاشفين يموه به على الناس" (*العبر*، 7 : 652). وأرسل الوزير إلى سلطان غرناطة محمد بن إسماعيل (761. 763) يخبره بصنيعه "ويوعز إليه بضبط من ينظره من اليعاقبة (المرينيين) المرتقبين لحضورهم من الدولة... وخاطب من بتلمسان يعرض عليه حسن الجوار وتهني الأمر مع سد باب الفتنة والإمساك بمن يتصل به من مبايني الأمر وأضداد الدولة .." (*نفاضة*، 279).

غير أن علاقة الوزير بشيوخ بني مرين أصبحت متوترة خاصة بعد أن بايع شيخهم يحيى بن رحو بتازا الأمير عبد الحليم بن عمر (صاحب سجلماسة سابقا) بعد أن وصل من الأندلس عبر تلمسان، وامتدت بيعته إلى مكناسة وفاس القديم وحاصروا البلد الجديد بفاس في محرم 763 / 1361، وشعر الوزير عمر بعدم شعبية سلطانه المموه به، فأوعز إلى الغني بالله سلطان غرناطة المخلوع ـ الذي كان قد خرج من المغرب في عهد أبي سالم إلى الثغر المريني بالأندلس لمحاولة استعادة ملكه ـ أن يفاوض ملك قشتالة حليفه لإرسال أحد الأمراء المرينيين المستقرين باشبيلية إلى المغرب، وهو أبو زيان محمد بن أبي عبد الرحمن بن السلطان أبي الحسن ليقدمه سلطانا بدل عمه تاشفين المعتوه، وليقطع بذلك الطريق على أنصار الأمير عبد الحليم. وبمجرد أن عبر الأمير إلى سبتة خلع الوزير سلطانه تاشفين في صفر عام 763 / دجنبر 1361 وبايع السلطان الجديد، وبقي مستبدا عليه كما كان مستبدا على سابقه،

وتراجع منافسوه إلى سجلماسة التي كانت على بيعتهم.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 650 وما بعدها ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، 2 : 271 وما بعدها و311 ومابعدها. الدار البيضاء 1985 ؛ *اللمحة البدرية*، ص (118 ـ 119) بيروت 1978 ؛ *الإحاطة في أخبار غرناطة*، ج 1 : 307 ـ 310، القاهرة 1973.

أحمد عزاوي

**تاشفين، عبد الله** بن محمد المُكَتِّب، من أهل مدينة فاس. كان معروفا أيام الموحدين بالزهد وكثرة العبادة، ويعلم القرآن ويقرض الشعر. من المرجح أنه انتقل إلى الأندلس في عهد الخليفة الناصر الموحدي (595 هـ ـ 610 هـ) حيث كان يتصل بزهادها ويواظب على زيارة قبور صلحائها، كما كان يجاهد النصارى الذين بالغوا ـ خلال هذه الفترة ـ في مهاجمة الثغور الإسلامية بالأندلس. وأمام استنجاد المسلمين قام الناصر الموحدي بتنظيم حملة عسكرية إلى العدوة الشمالية لمواجهة التحالف المسيحي. لكن هذا الأخير تمكن من هزم المسلمين في موقعة العقاب سنة 609 هـ. وكان تاشفين بن محمد هذا من المشاركين في هذه الغزوة حيث أبلى فيها البلاء الحسن حتى استشهد بها. إذ ذكر بعضهم أن الدليل على استشهاده في العقاب هو انقطاع خبره بعدها.

م. ابن الابار، *التكملة*، مصر، 1955، ص. 235 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 172.

رشيد السلامي

**تاشفين، بن عبد الواحد** المريني حفيد السلطان يعقوب المريني، ورد ذكره في مناسبتين (حسب المصادر المعتمدة) : مناسبة التهييئ لعقد هدنة مع أمير تلمسان، ثم ذكر وفاة الأمير تاشفين بالأندلس سنة 682 / 1283 ـ 1284م (*القرطاس*، 406). فعندما استجاب السلطان يعقوب المريني لنداء ابن الأحمر سلطان غرناطة محمد الفقيه (671 / 701)، ووجه ابنه أبا زيان إلى الأندلس طليعة له سنة 673 أرسل حفيده تاشفين إلى يغمراسن بن زيان أمير تلمسان "يطلبه في الصلح ... واجتماع الكلمة لكي يجوز إلى الأندلس آمن الروعة من بلده" (*الذخيرة*)، وتم الاتفاق على عقد "الصلح" بين الطرفين، وقدم وفد عن يغمراسن بهدية إلى السلطان يعقوب المريني لهذا الغرض (*العبر*، 7 : 395 ؛ *الذخيرة*). وأظهر السلطان يعقوب الابتهاج بالصلح فأمر بتوزيع الصدقات، واستنفر القبائل المغربية للجهاد، وجاز بنفسه إلى الأندلس في أوائل سنة 674 / 1275م، وهو الجواز الأول له.

والملاحظ أن سنة 672 وأوائل 673 كانت تمثل استمرارا لفترة من التوتر بين المرينيين وبني زيان أمراء تلمسان خصوصا فيما يتعلق بسجلماسة التي كانت بيد يغمراسن منذ أكثر من عشر سنوات، فحاصرها المرينيون إلى أن انتزعوها من نفوذه في آخر صفر سنة 673 / 1274. فحالات الحرب بين الطرفين كانت هي السائدة، ويبدو أن ميل يغمراسن إلى قبول الهدنة سنة 673 يرجع إلى مجموعة من العوامل : فقد أصبح المرينيون أمرا واقعا في المغرب الأقصى بعد أن وضعوا حدا للموحدين خلفاء تلمسان، كما أن سلطان غرناطة محمد الشيخ الذي كان أميل إلى تلمسان وأكثر حذرا من المغرب مات سنة 671، كما أن بني الأحمر لازالوا إلى هذه الفترة ينظرون إلى المرينيين كقوة عسكرية يمكن الاعتماد عليها لمواجهة الإسبان مباشرة أو للمناورة الدبلماسية كلما اشتد الضغط على غرناطة، وهكذا نجدها تستنجد بالسلطان يعقوب سنة 669 بينما كان يقود الجيش نحو تلمسان، ثم يتكرر الاستنجاد على عهد سلطان غرناطة الثاني محمد الشيخ تنفيذا لوصية أبيه حسب صاحب *الذخيرة*. كما أن بني زيان من جهتهم ذاقوا الهزائم المتتالية في معاركهم مع المرينيين، ومنها الهزيمة في تلاغ (انظر مادة *تلاغ*)، ثم الهزيمة في ايسلي وإخيرا سقوط سجلماسة بيد المرينيين، فلربما اقتنعوا بعجزهم وضرورة التحول إلى معاقبة الأعداء الداخليين مثل قبائل بني توجين ومغراوة خلفاء المرينيين الذين كانوا يهددون خليفة تلمسان من الجهة الشرقية كما حدث أثناء حصار المرينيين لتلمسان سنة 670. قال ابن خلدون عن الهدنة الأخيرة : "انعقدت بينهما المهادنة ... وفرغ يعقوب بن عبد الحق للجهاد ويغمراسن لمغالبة توجين ومغراوة على بلادهم" (*العبر*، 7 : 178). غير أن الهدنة بين المرينيين وبني زيان لم تستمر إلا سنوات قليلة.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 314 (ط الرباط 1973) ؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، ص. 145 (الرباط 1972) ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : (177 ـ 178) و(394 ـ 395)، بيروت 1968.

أحمد عزاوي

**تاشفين بن علي**، بن يوسف بن تاشفين أبو المعز وقيل كذلك أبو محمد، ثالث الأمراء المرابطين وآخرهم، كانت مدة إمارته قصيرة لم تتعد ثلاث سنوات، فقد تولى بعد وفاة أبيه عام 537 / 1143. وقتل عام 539 / 1145. أمه من أصل رومي يقال لها ضوء الصباح، لم تتحدث المصادر عن نشأته وطفولته، إلا أن الغالب على أبناء الأمراء والأعيان المرابطين في هذه الفترة، أنهم تربوا تربية بعيدة عن الخشونة المرابطية الأولى، إذيرسل الأبناء عادة إلى الأندلس قصد التعلم والتربية (*البيان*، القسم الموحدي، ص. 19).

والواقع أن أمير المسلمين تاشفين لم يتول ولاية حقيقية بل إنه لم يحكم قط ولاجلس على أريكة الملك في مراكش، فالسلطة المرابطية انتقلت إليه وهو في الحرب ضد الموحدين، وبقي في غمارها إلى أن قتل في إحدى معاركها.

انقسمت حياته العلمية إلى مرحلتين متميزتين :

- مرحلة ولايته على الأندلس من قبل أبيه.
- مرحلة عودته إلى المغرب وتوليه عهد أبيه وقيادة جيوشه.

كانت المرحلة الأولى حافلة بالأمجاد والبطولات، أما

المرحلة الثانية، فعلى العكس من الأولى لم تعرف إلا الفشل المتتابع.

ابتدأت المرحلة الأولى بتقلده أولى المهام السياسية والعسكرية في حياته، فقد استشهد الأمير تميم عمه ونائب أبيه على الأندلس وقائد جيوشها في احدى المعارك ضد العدو المسيحي عام 520 / 1125 ـ 1126، فولاه والده مكانه بعد فترة من التجربة ولي خلالها غرناطة وأعمالها، ولما أظهر مقدرة ونجابة نادرة وسع والده من دائرة حكمه لتشمل كل بلاد الأندلس ما عدا الشرق والجزر، وذلك سنة 523 / 1129 ـ 1130.

وعن نجاحه السياسي والعسكري في هذه المرحلة، نورد شهادة من أهل الأندلس أنفسهم وممن عاصروا تاشفين، ذكرها ابن الخطيب الغرناطي في *الإحاطة* (2 : 448) قال ابن الصيرفي : "كان بطلا شجاعا، أحبه الناس خواصهم وعوامهم، وحسنت سياسته فيهم وحسنت سياسته فيهم، وسد الثغور "وفتح الحصون وهزم الجيوش وهابه العدو".

حقق تاشفين عدة انتصارات ضد العدو المسيحي في الأندلس ذكرتها المصادر التاريخية أهمها.

- معركة فحص الصباب 520 / 1125 ـ 1126 هزم فيها النصارى وفتح ثلاثين حصنا في غرب الأندلس.
- معركة فحص عطية هزم فيها جموعا من التحالف المسيحي 530 / 1136 ـ 1137.
- دخل مدينة كركي ـ من مدن غرب الأندلس ـ عنوة 531 / 1137 ـ 1138.
- فتح مدينة اشكونية ـ من مدن غرب الأندلس ـ عنوة 532 / 1138 ـ 1139.

هذه الانتصارات العسكرية والنجاح السياسي والإداري يضاف إليها سلوكه القويم ودماثة خلقه التي شهد بها أيضا ابن الصيرفي المشار إليه وغيره بقولهم : "لما قدم غرناطة أقبل على صيام النهار وقيام الليل وتلاوة القرآن وإخفاء الصدقة وإنشاء العدل وإيثار الحق"، وقال في حقه أكثر من واحد انه لم يشرب خمرا ولا جالس قينة طيلة حياته.

هذه الصفات والخصال أذاعت خبر الرجل في الآفاق مما أغضب خصومه وحساده ومن بينهم أخوه وولي عهد أبيه الأمير سير.

- انتهت المرحلة الأولى بعزله عن الأندلس فجأة، واستدعى للالتحاق بمراكش التي وصلها إثر انتصاراته الأخيرة، فوصلها مثقلا بالغنائم والسبايا 532 / 1137 ـ 1138، فتلقاه والده في حفل عظيم يليق به، إلا أنه لم يكن إلا حفلا خادعا، اذ سرعان ما أصبح مجرد تابع لولي العهد ومن جملة حجابه الواقفين بين يديه لتنظيم الدخول والخروج عليه (*الإحاطة*، 2 : 447).

من بين الأسباب التي أدت إلى عزل تاشفين واستدعائه على عجل، بداية استفحال أمر الموحدين بقيادة المهدي ابن تومرت وعجز ولي العهد سير عن إحراز أي نصر عليهم، لكن ابن الخطيب يضيف إلى هذا السبب الذي أشار إليه، سببا آخر أورده بتفصيل (*الإحاطة*، 2 : 446) نجمله في ما يلي :

لما ذاع صيت تاشفين وشاع ذكره بما حققه من نجاح وانتصار، كبر ذلك على أخيه الأمير سير الذي لم يستطع أن يكتم حقده وحسده ففاتح والده في الموضوع قائلا : "ان الأمر الذي اهلتني إليه لا يحسن لي مع تاشفين، فإنه قد حمل الثناء والذكر دونى" (*الإحاطة*، 2 : 446) فخضع أمير المسلمين على لرغبة ولي عهده ورغبة أمه قمر التي كان لها تأثير كبير على والده. لكن الله سبحانه وتعالى له في قدره حكمة، فقد توفي الأمير الحسود بطريقة مأساوية في نفس السنة التي وصل فيها أخوه، فلم يجد والده بدا من إعادة الاعتبار إليه (*الإحاطة*، مصدر سابق).

هذه الرواية التي ذكرها ابن الخطيب ونقلها عنه من أتى بعده من المؤرخين لا تتناقض والسبب الأول، إلا أنها لا تؤيد ما ذهب إليه مؤرخون ودارسون آخرون من ان استدعاء تاشفين لم يأت إلا بعد وفاة ولي العهد سير، فإذا تجاوزنا سياق الأحداث كما وردت عند ابن الخطيب وغيره فإن الوقائع الحربية تؤيد ما ورد عنده، فأمير المسلمين علي بن يوسف قرر بعد معركة البحيرة الشهيرة مع الموحدين أن ينتقل إلى الهجوم ؛ فأرسل ابنه وولي عهده لمحاربة الموحدين في جبالهم، لكنه أحفق في معركة "مصكروطن" فكلف تاشفين بالمهمة فور وصوله إلى المغرب ؛ وجرت بينه وبين الموحدين بقيادة عبد المومن معركة في حاحة لكنه أخفق بدوره (*نظم الجمان*، 225 ـ 241).

لم يبايع تاشفين بولاية العهد إلا سنة 533 / 1139 ـ 1140 أي بعد وفاة الأمير سير وبعد مضي سنة على وصوله إلى المغرب، وتمت المبايعة بعد استشارة علنية في المسجد جمع لها أمير المسلمين علي عامة الناس وخاصتهم، فأشاروا بتاشفين وبالإجماع. وفي ذلك دلالة أخرى على استمرار خضوع والده لتأثير نسائه، فزوجته قمر استمرت في المناداة ضد تاشفين، فرشحت لولاية العهد صبيا لعلي من أم متوفاة، هو الأمير إسحاق، فتخلص منها باللجوء إلى الاستشارة، مع أن إسناد ولاية العهد لابنه الهالك لم تكن بنفس الطريقة. وفي إجماع الخاصة والعامة دليل آخر على مدى قوة شخصية تاشفين واستمرار سمعته الطيبة.

- المرحلة الثانية من حياة تاشفين : ابتدأت بتنصيبه وليا للعهد وتقلده قيادة الجيش المرابطي. كان عليه أن يتصدى للعدو الأول : الموحدين ويستعيد للدولة المرابطية قوتها، فرغم فشل أخيه من قبله في التصدي لحملة عبد المومن نحو الجنوب فإنه أجمع أمره وعزم على إفشال خطة عبد المومن نحو الشمال، لذلك سار بموازاة الجيوش الموحدية التي سلكت الطريق الجبلي الوعر (درن، فازاز، غمارة). سار تاشفين في السهول المحاذية لهذا الجبل مطبقا نفس الخطة المرابطية القديمة المتمثلة في محاصرة الجبال عن طريق

إقامة الحصون في السهول المجاورة لها، ولم يدرك مدى أهمية اختيار عبد المومن لهذه المسالك الوعرة ؛ فكان ذلك من أهم أسباب فشله في التصدي لعبد المومن والقوات الموحدية. إن اختيار تاشفين تسبب له في عدة مشاكل، فالقبائل السهلية وقبائل الدير كانت تفر منه إلى الموحدين، كما أنه عانى وجنوده من شدة البرد عندما كان مخيما بحصن گراندة من جبال غياثة، فلم يجدوا ما يقتاتون به ولا حطبا للتدفئة إذ استمر تهاطل الأمطار على المنطقة أكثر من خمسة عشر يوما بلياليها ( *البيان*، القسم الموحدي : 16). فشلت حركته أزيد من شهر. تميزت حملة تاشفين بعدم الاصطدام مع الخصم، إلا أن الخاسر في هذه الخطة كما اسلفت هم المرابطون ؛ لكن تاشفين أدرك بعد فوات الأوان عدم نجاعة خطته فانتقل إلى الهجوم الذي كاد ان يفلح فيه لولا حماية قبائل غمارة للموحدين.

ومما تميزت به هذه المرحلة من حياة تاشفين، وفاة والده علي بصورة مفاجئة سنة 537 / 1143 . 1144 إذ وصلته الأخبار وهو بحصن گراندة فأصبح أميرا للمسلمين، ووصلته كذلك رسالة ابنه إبراهيم معزيا في جده فأرسله إلى قرطبة ليتمم تعليمه. تولى تاشفين الحكم وهو في خصم الصراع مع الموحدين، فلم تتح له الفرصة لمراجعة سياسة أبيه أو اتخاذ ما يلزم من ترتيبات واستعداد لهذه المهمة، لذلك اضطربت أحواله، فلم يعين خلفا له في العاصمة مراكش إلا بعد مرور قرابة سنة من توليته، فقد استدعى ابنه إبراهيم من الأندلس وأخذ له البيعة بولاية العهد ثم أرسله نيابة عنه إلى مراكش.

اتخذ تاشفين هذا القرار وهو بتلمسان، فقد تبين له من خلال المعارك الجانبية التي انتصر فيها خصمه أن موقفه العسكري سيء، فلم ينفعه قائد المرتزقة المسيحي الروبرتير الذي التحق به في تلمسان مهزوما، لذلك استنفر الجهات التابعة له فوصلته عساكر من سجلماسة وبجاية والأندلس، إلا أن ذلك لم يغن عنه شيئا، فقد توالت هزائمه وهزا ثم اتباعه وكثر انضمام القبائل الزناتية والصنهاجية للموحدين فازدادت وضعيته سوءا بسبب الضائقة المادية ونفاد الزاد، فأخذ جنوده ينظمون حملات ضد القبائل المجاورة لتلمسان والموالية للموحدين قصد الحصول على الغنائم، لكن هذه الحملات أضعفت جانبه العسكري بمقتل الروبرتير. ولما اشتد به الحال وانفضت من حوله كثير من القبائل انتقل إلى وهران 539 / 1144 . 1145 وهو ينشد هدفين أساسيين :

- الاختلاء بنفسه وإعادة ترتيب معسكرة والتزود بالمؤونه والإمدادات.
- انتظار الأسطول البحري الذي استدعاه من الأندلس بقيادة محمد بن ميمون الذي وصل مرسى وهران بعد ذلك بعشر قطع.

لكن حسابات تاشفين وترتيباته لم توقف انهيار دولته، فلا الحصن الذي بناه استعدادا لحصار موحدي طويل قد أفاده ولا الأسطول الذي استدعاه قد نجاه، فقد استطاع الموحدون أن يخضعوا القبائل المجاورة لوهران من بني عبد الواد وبني توجين وغيرهم، واقتحموا معسكر تاشفين ومزقوه، ولما يئس خرج راكبا فرسه يريد الالتحاق بالأسطول فهوى به فرسه ليلا من جرف عال مطل على البحر فوجد في الغد ميتا في 27 رمضان عام 539 / 23 مارس 1145 (*العبر*، 6 : 230). تسوق المصادر التاريخية هذه النهاية المأسوية لأمير المسلمين تاشفين بن علي مساقا آخر يختلف في تفاصيله إلا أنه لا يتعارض في نتيجته.

ما يمكن استنتاجه من أهم ما أدرجناه من معلومات وأحداث في أهم مرحلتين في حياة تاشفين، انه سيء الحظ، ولقد اسعفتنا المصادر والدراسات الحديثة في فهم أسباب ذلك بنسبة كبيرة، فما رواه ابن الخطيب عن سبب استدعائه من الأندلس يمكن اعتباره من باب سوء الحظ، ذلك ان احدى زوجات أبيه لها تأثير على أبيه وتأثير نساء لمتونة وغيرهم في البلاط المرابطي اطنبت في ذكره المصادر إلا أن ذلك غير كاف، بل يمكن أن نضيف إليه فشل ولي العهد الأمير سير في التصدي للموحدين أما العامل الذي لا يمكن اغفاله والذي له أهمية أكبر فهو العامل النفسي، فالصدمة التي عانى منها تاشفين بالتقليل من شأنه وجعله خادما لأخيه ظلت تصاحبه في تحركة، كما أن والده لم يفصح له عن سبب عزله عن مهامه بالأندلس فرمى به في مواجهة الموحدين دون إعداده الإعداد اللازم لهذه المهمة ( *الإحاطة*، 2 : 447 . 448) بل ظهر له انه تقلدها لسد الفراغ بعد وفاة أخيه.

سوء الحظ هذا الذي حاولنا تفسيره يجد دعما له في حوار جرى ما بين تاشفين وأحد متصوفة الوقت، ذكره صاحب *التشوف*، هو إسحاق بن ينتان، فقد نصح تاشفين بعدم مطاردة عبد المومن في حملته الكبرى نحو الشمال، إذ كوشف ذلك المتصوف بفشله ونهايته ونهاية الدولة المرابطية على يده.

هذه الأسباب والعوامل كلها تصبح ثانوية إذا مارجعنا للأسباب الموضوعية التي أدت إلى نهاية الدولة المرابطية - وهي في بدايتها - إلى حدوث هذه النهاية في عهد تاشفين:

- فوالده علي قد اضطرب أمره وكثرت المعارضة ضده في الداخل والخارج ؛ في الداخل بسبب اضطراره لفرض ضرائب جديدة غير شرعية على السكان (ضريبة القبالة)، ومراجعة سياسته في منح الامتيازات والاقطاعات، كل ذلك بغية تنمية مداخيل بيت المال التي تضاءلت بسبب فقدان السيطرة على الطرق التجارية الصحراوية.
- في الخارج اشتدت هجمات المسيحيين على الثغور خاصة بعد استدعاء تاشفين وعزله من منصبه وقد كان ناجحا في مهمة الجهاد.
- عدم حصول نتيجة سريعة للتدابير التي اتخذها الأمير المرابطي لتوفير المال وتجنيد الجند، مما جعله يفرض كلفا جديدة على المدن والقبائل، منها تجنيد العبيد السود وإرسالهم إلى تاشفين بأرزاقهم ومؤونتهم وعدتهم، مثل هذه

التشكيلة كانت ضعيفة ولم تساعد تاشفين على الهجوم وخوض المعارك ضد عبد المومن.

في هذا الجو المضطرب والميؤوس منه تقلد تاشفين قيادة الجيش المرابطي واعتلى العرش، فلم تفد معه شجاعته واستقامته وورعه وباقي خصاله الحميدة التي اثمرت في الأندلس ولم تثمر في المغرب لأنها صادفت فترة جدب.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ ح. ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر* ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*.

محمد حجاج الطويل

**تاشفين** بن **ماخوخ**، من قادة الجيش الموحدي في عهد عبد المؤمن بن علي الگومي، ينتسب إلى أسرة اختصت بزعامة بني ومانو من الطبقة الأولى من زناتة الذين صارت لهم رياسة زناتة بالمغرب الأوسط بعد أن اتجهت جموع مغراوة وبني يفرن نحو المغرب الأقصى تحت ضغط جيوش بلكين بن زيري. وكان بنو يلومي ينازعونهم تلك الزعامة في غالب الأحيان ( *العبر*، 7 : 74).

كانت مواطن بني ومانو بأسافل شلف، وقد أهلهم موقع وطنهم إلى جهة الشرق لربط علاقات طيبة مع أمراء بني حماد، فخصهم الناصر بن علناس (454 ـ 481 هـ / 1062 ـ 1088 م) ـ مختط بجاية ـ بالولاية والزعامة على جميع المنتمين لعصبيتهم فكانوا شيعا لقومع عكس بني يلومي. وعظم شأنهم في دولة بني حماد لما أصهر المنصور بن الناصر (481 ـ 498 هـ / 1088 ـ 1105 م) إلى ماخوخ ـ أب المترجم له ـ في أخته فزوجها إليه ( *العبر*، 7 : 75).

توترت علاقة بني ومانو مع بني حماد لما تمكن المرابطون من السيطرة على تلمسان وقام عامل يوسف بن تاشفين عليها تاشفين بن تينغمر المسوفي بشن حملاته العسكرية على مناطق نفوذ بني حماد مسانداً بجيوش بني ومانو وبني يلومي. فكان ذلك إيذاناً بنشوب الخلاف بين المنصور ابن الناصر بن علناس وبني ماخوخ زعماء زناتة. وقد حاول المنصور رد بني ومانو إلى طاعته فسار على رأس حملة عسكرية نحو مواطنهم لكنه لم يحقق المراد واضطر إلى الفرار أمام جموعهم حتى دخل عاصمة ملكه بجاية (*العبر*، 6 : 233 و7 : 74 ـ 75).

ولما توفي المنصور بن الناصر سنة 488 / 1105 تولى أمر بني حمادابنه باديس فأدركته المنية قبل أن يكمل سنة من الحكم، ثم تولى بعده أخوه العزيز (499 ـ 515 / 1106 ـ 1121) وكانت أيامه هدنة وأمنا على حد قول ابن خلدون ( *العبر*، 6 : 235) فعمل على التقرب من بني ومانو عن طريق المصاهرة وتزوج بنت زعيمهم ماخوخ ـ أخت تاشفين المترجم له ـ فتحسنت علاقة الطرفين مجددا واستمرت على ذلك إلى أن هلك ماخوخ وقام بأمره في قومه بنوه علي وأبو بكر وتاشفين ( *العبر*، 7 : 75).

فأما علي فلم تصلنا عنه معلومات كثيرة في كتب التاريخ المعروفة، وأما أبو بكر فهو الذي تولى الزعامة بعد أبيه ماخوخ وكان الحديث عنه في جل المصادر مرفوقا بالحديث عن أخيه تاشفين المترجم له ( *البيان*، قسم الموحدين، 19 ؛ *العبر*، 6 : 307 و7 : 75). وقد ورد ذكر أبي بكر بن ماخوخ في بعض مصادر التاريخ باسم زيري بن ماخوخ (*أخبار المهدي*، 53 ؛ *نظم الجمان*، 254 ؛ *البيان*، 4 : 100). وذهب محقق كتاب *نظم الجمان* إلى القول بأن زيري ابن ماخوخ هو الذي يذكره ابن خلدون باسم أبي بكر بن ماخوخ وقال إنه كان من قواد المرابطين على زناتة ومن أمراء قومه بني ومانو (*نظم الجمان*، هامش 1 : 254). وذكر بروفنصال أن زيري هذا من الشخصيات الصنهاجية التي لم تصلنا عنها معلومات كثيرة (*أخبار المهدي*، هامش 3 : 153).

والحق أن الأمر يتعلق بشخصيتين مختلفتين لأن زيري ابن ماخوخ التحق بالدعوة الموحدية أيام كان عبد المؤمن بن علي الگومي بتاجرا وكان مقتله على يد بني مكود بعد وصوله إليهم مبعوثا من قبل الموحدين فقطعوا رأسه ويديه وحملوها إلى فاس وعلقوها بباب السلسلة (*أخبار المهدي*، 56 ؛ *البيان*، 4 : 100). وقد انتقم عبد المؤمن لزيري بن ماخوخ من بني مكود فيما أسماه البيذق بالاعتراف ـ الذي يشبه عملية التمييز التي أشرف عليها البشير الونشريسي أيام المهدي بن تومرت ـ فبعث بقائديه أبي سعيد يخلف آتيكي ومحمد بن يحيى الگدميوي فقتلا من بني مكود أعداداً كثيرة (*أخبار المهدي*، 71).

أما أبو بكر بن ماخوخ فقد التحق بعبد المؤمن بجبل غياثة بمنطقة الريف سنة 536 / 1141 رفقة زعيم آخر من بني ومانو هو يوسف بن زيد أو بن يدر ( *العبر*، 7 : 75 ؛ *البيان*، قسم الموحدين، 19) وطلب منه المساعدة في حروبه ضد أبناء عمومته بني يلومي أحلاف المرابطين، فأمده عبد المؤمن بجيش أوكل أمر قيادته ليوسف بن وانودين وابن يغمور فتمكن أبو بكر وقادة الجيش الموحدي من إلحاق الهزيمة ببني يلومي وبني عبد الواد سنة 537 / 1142 (*العبر*، 7 : 75 ؛ *البيان*، قسم الموحدين، 19).

تأرجحت تبعية زناتة المغرب الأوسط في ظل هذه التطورات بين مجيب لدعوة الموحدين كما هو الحال بالنسبة لبني ومانو ومستمر على طاعة المرابطين كبني يلومي وبني عبد الواد. وحاول كل من عبد المؤمن بن علي الگومي وتاشفين بن علي سلطان المرابطين دعم حلفائه وإمدادهم بالعساكر في محاولة للسيطرة على أكبر مجال ممكن من مناطق المغرب الأوسط. وقد عمل بنو يلومي وبنو عبد الواد على جمع شمل الزناتيين وحثهم على مساندة الصنهاجيين فانضم إليهم بنو ورسفان من مغراوة وبنو توجين وبنو نيكاسن من بني مرين. وبعد اجتماع هذه القبائل إليهم أمدهم تاشفين بن علي بجيش جعل على رأسه قائد فرقة الروم في الجيش المرابطي الربرتير Reverter فتوجهت

جموعهم نحو مواطن بني ومانو فأثخنوا فيها وتحصن أهاليها بالجبال المجاورة فحاول بنو يلومي وجيوش صنهاجة الصعود إليهم بالجبل في يوم ريح عاصف فهبط عليهم بنو ومانو من معهم من الموحدين فهزموهم سنة 537 هـ / 1142 م (*العبر*، 7 : 75 ؛ *البيان*، قسم الموحدين، 19).

حاول الموحدون بقيادة يوسف بن وانودين وبنو ومانو بقيادة أبي بكر بن ماخوخ وأخيه تاشفين استغلال انتصارهم في هذه المعركة فأغاروا على مواطن بني يلومي وبعثوا بما غنموه بها إلى عبد المؤمن فاعترضت طريقهم جموع زناتة واستعادت الغنائم وقتلت أبا بكر بن ماخوخ في ستمائة من قومه في حين اضطر يوسف بن وانودين ومن بقي معه من الموحدين إلى التحصن بجبل سيرات، ولحق تاشفين بن ماخوخ الذي صارت له زعامة قومه بعد مقتل أخيه صريخا بعبد المؤمن الذي كان بجبل الصخرتين المطل على مدينة تلمسان فتوجه صحبته إلى جبل سيرات ومنه إلى بلاد بني يلومي فكانت بين الموحدين وزناتة بقيادة الربرتير حروب كثيرة في سنة 539 هـ / 1144 م (*البيان*، قسم الموحدين، 19).

وقد ذكر ابن خلدون أن تاشفين بن ماخوخ لما قدم على عبد المؤمن صار في جملته إلى وهران ومنها بعث معه الشيخ أبا حفص عمر الهنتاتي في عساكر الموحدين فنزلوا وسط بلاد زناتة وأثخنوا في بني يلومي حتى أعلنوا الطاعة، ووفد على عبد المؤمن بمكانه من حصار وهران شيخهم سيد الناس بن أمير الناس وحمامة بن مطهر شيخ بني عبد الواد وعطية الخير شيخ بني توجين فتلقاهم بالقبول (*العبر*، 7 : 76).

وهكذا كان لبني ومانو وزعمائهم من بني ماخوخ الفضل الكبير في بسط نفوذ الموحدين على المغرب الأوسط، لذلك صار تاشفين بن ماخوخ من أكبر قادة الجيش الموحدي على عهد عبد المؤمن، فقد عده البيذق ضمن أهم قادة عساكر الشرق الذين كانوا تحت إمرة يوسف بن وانودين وقال إنه أصبح بعد وفاة هذا الأخير يقود ذلك العسكر صحبة العباس بن عطية وحمامة بن مطهر وعبد العزيز بن يخلفتن (*أخبار المهدي*، 68).

ولا نعرف تاريخ وفاة تاشفين بن ماخوخ، غير أنه من المؤكد أنه استمر على قيد الحياة بعد سنة 558 / 1163 تاريخ وفاة عبد المؤمن. ويظهر ذلك من خلال حديث ابن خلدون عن وفاة سيد الناس بن أمير الناس شيخ بني يلومي بمراكش أيام عبد المؤمن وإشارته إلى أن هلاك بني ماخوخ كان بعد ذلك التاريخ أي بعد فترة حكم عبد المؤمن (*العبر*، 7 : 76).

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 ـ 7، بيروت، 1988 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 4، بيروت،ط. الثالثة 1983 وقسم الموحدين، البيضاء، 1985 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، بيروت، 1990 ؛ البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971.

E. Levi-Provençal, *Documents inédits d'histoire Almohade*, Paris, 1928.

حسن حافظي علوي

**ابن تاشفين** ← **يوسف**

**تَاصُوگايْتْ**، نشيد حربي زناتي كان أفراد الجيش يرددونه في ساحة المعركة، ويذكر ابن خلدون أن شاعر زناتة كان ينشد بطريقة "تحرك الجبال الرواسي" مما يبعث الحماس في النفوس ويحفزها على الاستماتة في ساحة القتال. ويؤكد ابن الخطيب الذي كان شاهد عيان، وجود هذه العادة الحربية واستمرارها في عصره (القرن الثامن) ويشير إلى أن هناك عند بني مرين شخصا (شاعرا) يتولى المبادرة بالإنشاد مستعملا آلة موسيقية خاصة، ويدعى هذا الإنشاد تاصوگايت.

ومن المرجح أن تكون تلك العادة ذات أصول قديمة، وليس لدينا دليل قاطع على وجودها عند قبائل مغربية من غير زناتة، وان كان ذلك غير مستبعد.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. العبادي، البيضاء، بدون تاريخ، 2 ؛ع. ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت 1968.

رضوان مبارك

**تاطا** أو تاضا، (ويقال أيضا طاطا) كلمة بربرية مشتقة من فعل تاضط بمعنى رضع، والمعنى الحرفي للكلمة هو الرضاعة.

تطلق القبائل البربرية تاطا على عقد التحالف الذي يجمع الأفراد أو الفرق القبلية أو القبائل، من أجل التعاضد والأخوة المتبادلة. يتم عقد هذا التحالف بمحضر الجماعة الممثلة لكل قبيلة. أو بحضور الشريف أو المرابط المبجل عندها وغالبا بحضورهما معا، وبهذا يتم العقد بمحضر الهيئة السياسية والدينية عند القبائل.

تعقد تاطا عبر القيام بطقوس معينة تحدد هوية الأطراف المتعاقدة. غالبا ما يتم العقد بتبادل الحليب. ومن هذا التبادل تستمد العلاقة اسمها ؛ ويعتبر تبادل الحليب هذا طقسا يؤسس علاقة الأخوة كتلك التي تجمع الإخوة الحقيقيين.

يمكن لجماعة معينة (مثلا دوار) أن تكون لها علاقة تاطا مع أكثر من جماعة واحدة (Guennoun, 39) وإذا كان هناك عقد تاطا بين دوارين أو قبيلتين فكل عائلة لها حليف (أو تاطا) في القبيلة المتحالف معها. ويخضع اختيار الحليف لمحض الصدفة، بحيث يجتمع ممثلو كل العائلات من القبيلتين ويتم مزج أحذيتهم (البلاغي) وتأخذ الجماعة في كل مرة حذاءين (بلغتين) وتعلن عن صاحبيهما فيصبحان أمام الجماعة متحالفين (أو تاطا)، وهكذا إلى أن تعرف كل عائلة من هو حليفها. ثم تتبادل كل الأطراف الحليب، ثم تقرأ الفاتحة وينصرف كل فرد متعهدا بأن له واجبات نحو كل فرد في القبيلة الحليفة وله واجبات خاصة تجاه عائلة معينة. (Bruno et Bousquet, 365).

حسب Coursimault وMarcy هناك نوعان من تاطا :

الأولى عادية وهي نوع من الحماية الجماعية (المزراگ الجماعي)، أما الثانية فهي صعبة وتسمى "تاطا الوعرة" أو "تاطا الكبيرة"، وهي مقدسة وشبه دينية تقننها قوانين صارمة لايجوز خرقها (Coursimault, 261).

تفرض علاقة تاطا على المتعاقدين مجموعة من الواجبات. لا يجوز لطرف أن يسمح لعدو حليفه ان يطأ ترابه أو يعبره. (Coursimault, 39) وفي حالة صراع طرف مع القبائل المجاورة تقدم له القبيلة الحليفة يد المساعدة. وعندما يحل الحليف على حليفه يستقبل بالترحاب وتقدم له أشهى الأطعمة ؛ ويطلق الأفراد المتعاقدين بتاطا على بعضهم البعض لقب "سيدي" (المصدر السابق، 261).

تعتبر علاقة تاطا علاقة شبه مقدسة تحيط بها عدد من المحرمات. فحسب برينو وبوسكي، يحظى المتعاقدون بتاطا باحترام القبائل المجاورة، وكثيرا ما يتدخلون لحل صراعات بين تلك القبائل بعدما فشل الأشخاص المبجلين في حلها (Bousquet et Bruno, 367).

يعتبر أفراد الطرفين المتعاقدين إخوة ويطلق عليهم "أيت تاطا" (أبناء تاطا)، لا يجوز بينهم البيع والشراء أو ارتكاب جريمة. وتقتضي تاطا المساعدة المتبادلة في كل وقت احتاجها الحليف من تبادل المراعي والمآزرة في وقت الحرب والدفاع المتبادل. وإذا ما وقع هجوم على طرف من الطرفين المتعاقدين بتاطا، يجد كل طرف ملجأ وعونا عند حليفه.

في بعض الحالات يعين من بين أعيان إحدى القبائل المتعاقدة، رئيس يسمى "گلموس نتاطا" تتخلص مهمته في الحرص على احترام تاطا وتطبيق واجباتها (Bousquet et Bruno, 367) وفي حالات أخرى تعين جماعة من الأفراد يكون لهم نفوذ في القبائل المتعاقدة، للقيام بهذه المهمة ويسمون عند قبائل بني واراين بـ "إماسين" (Turbet, 110).

هناك أساطير متعددة ترافق عقد تاطا ؛ ويلح مضمون هذه الأساطيرعلى قداسة العلاقة التي تربط الفرد أو الجماعة بحليفها. كما تؤكد جل الأساطير بأن الفرد ولو كانت له الرغبة في خرق عقد تاطا، فإنه لن يفعل بفعل القدرة الإلهية (Coursimault, 261). ولا يفسخ عقد تاطا إلا على يد الجماعة (Guennoun, 39) وبعد وفاة احد الطرفين تلغى تاطا.

يطلق على تاطا أيضا تگـْمَاتْ في بعض القبائل، ومن بينها قبائل زمور، وتگمات هي كلمة بربرية تعني الأخوة، وهي عقد يتم بين فردين أو قبيلتين يتعهد أن بأن تكون مساعدة وأخوة متبادلة بينهما. في غالب الأحيان يتم التعاقد علانية وشفاهيا وترافقه نفس الطقوس التي نجدها في تاطا، كالأضحية وتبادل الحليب. وقد يكون أيضا مكتوبا، وتسمى عملية كتابته ب "ميارون نتگمات"، أي "كتابة الأخوة" التي تقرأ بعدها الفاتحة (برينو وبوسكي ص. 364).

انطلاقا من نموذج قبائل بني واراين يميز توربي بين تومات (أو تگمات) وتاطا، لاعتبار أن الثانية أوسع من الأولى عند قبائل بني واراين. (Turbet, 108 - 109) فتاگمات هي عقد للأخوة يتم بين فردين أو جماعتين من أجل خلق علاقة أخوة وهمية. فباستثناء الإرث، يترتب عن هذا العقد كل ما يترتب عن الأخوة الحقيقية من مناصرة الأخ ومآزرته وقت الشدة، ومشاركته في الأخذ بالثأر أو الدفاع عنه. ولا يسمح بالزواج فيما بين الجماعتين المتعاقدتين. يمكن أن نستنتج بأن "تومات" هي شكل من أشكال التضامن الاجتماعي على مستوى ضيق قصد توسيع دائرة القرابة المباشرة. وتخضع تاطا بدورها لنفس المبدأ، ولكنها تمدد تلك القرابة في المجال إلى أبعد حد، وغالبا ما تفرضها علاقة الجوار أو وجود مصالح مشتركة بين القبائل المتعاقدة.

تتضمن تاطا جوانب متعددة : اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية. فهي على حد تعبير مارسيل موس "حدث اجتماعي كلي". وإذا ما تأملنا وظائفها قد ندخلها في إطارعلاقات التحالف وأشكال الحماية التي عرفتها القبائل البربرية قبل التدخل الاستعماري، إلا أنها وإنْ كانت تخضع لمنطق الحماية، فهي مع ذلك تتميز عن كل أشكال الحماية، كالزطاطة والمزراگ والعار وآمور والمزاوگة، في كون هذه الأخيرة تتم بعد الطلب، أي عندما تدفع الضرورة الفرد إلى طلبها. وبما أن للحماية صبغة ظرفية، تنتج عنها علاقة لامتكافئة بين طرفين، بمعنى أن فردا يحمي آخر ويكون بالتالي في وضع قوة تجاه الآخر، في حين أن تاطا هي عقد دائم، ويدوم معه كل ما يترتب عنه من التزامات، ويخضع لمبدأالتبادل المتكافىء. فالمتعاقد هم إخوة وفي علاقة تساو. وهذا ما يجعل من تاطا استراتيجية لتمديد رقعة القرابة قصد التصدي لكل الطوارىء، سواء كانت هذه الطوارئ اقتصادية أو سياسية.

Cne Coursimault, *Ttata, A.B.*, vol. 2, fasc. 3; 1917, pp. 261 - 264 ; (Lieutenant) Turbet, *Le droit coutumier des Beni Ouarain Cheraga, (Région de Taza), R.A.T.M.L.J.*, 1931, tome XLVII, pp. 97 - 110 ; G. Marcy, *L'alliance par colactation (tâd'a) chez les Berbères du Maroc Central, Société Historique Algérienne*, Alger, 1936 ; S. Guennoun, *La montagne berbère, A.F. : R.C.* ; H. Bruno et G.H. Bousquet, *Contribution à l'étude des pactes de protection et d'alliance chez les berbères du Maroc Central, Hesp.*, vol. 33, 1946, pp. 353 - 370 ; M. Lesne, *Evolution d'un groupement berbère : Les Zemmour*, Rabat, 1959 ; Gellner, *Saints of Atlas*, London, 1969 ; D. Hart, *Dadda 'Atta and his forty grandsons : The socio-political organisation of the Ait 'Atta of Southern Morocco.* Middle East and African Studies, Cambridge, 1981 ; R. Dunn, *Résistance in the Desert : Moroccan response to French Imperialism. 1881 - 1912.* The University of Wisconsin Press, 1977.

رحمة بورقية

**تاطوفت**، أهم قرية بقبيلة أهل سريف الهبلية (إقليم العرائش) وعليها سميت الجماعة القروية للقبيلة المذكورة، وهي تابعة لدائرة القصر الكبير.

تنقسم القبيلة إلى خمس فرق هي : فرقة مرقد الضباب (بها اثنى عشرمدشرا) وفرقة الجبلية (بها أربعة عشر مدشرا) وفرقة الوطاوين (بها اثنى عشر مدشرا) وفرقة بني

قماح (بها أحد عشر مدشرا) فرقة بني إدريس (بها أربعة عشر مدشرا).

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 127.

*Nomenclator Cabilas*, 17 ; Gouzalez Perez, *Lucus*, Tetuan, 1939, 63.

محمد ابن عزوز حكيم

**تاعرمت**، أحد قصور وادي إفلي بسجلماسة شرق مدينة الريصاني بالقرب من ضريح المولى علي الشريف ولربما كان معناها : العذراء وليس تحريفا أو تصحيفا لتاغرمت الذي هو بمعنى القصر، سكن هذا القصر بنو عمر أولاد أبي القاسم من فرع سيدي يوسف بن علي الشريف. وفي القرن العاشر (16م) انتقلت هذه الأسرة إلى مدغرة تافيلالت وأقامت بها قصرا سمي بقصر الشرفاء.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، 400. أ. العلوي، *الأنوار الحسنية*، 59 ؛ *الدر السني*، 53.

عبد العزيز بوعصاب

ابن **تاعظمييت**، أبو الربيع سليمان بن مخلوف الهواري الحضرمي، اشتهر عند أهل أغمات باسمين مختلفين هما : ابن تاعظمييت وابن البقال، وعرف عند الموحدين باسم سليمان أَحَضْري (*كتاب الأنساب*، 33). ذكره ابن القطان باسم أبي الربيع سليمان بن الحضري (*نظم الجمان*، 126) وورد في القرطاس باسم سليمان بن مخلوف (*القرطاس*، 176)، وذكره صاحب *الحلل* باسم إسماعيل بن مخلوف ( *الحلل الموشية*، 108) والناصري باسم سليمان بن خلوف ( *الاستقصا* ، 2 : 92).

كان ابن تاعظمييت من أهل أغمات وريكة لذلك عرف عند الموحدين باسم أَحَضْري، وهي كلمة ذات أصل عربي تعني حضري أي ساكن الحاضرة، استعملت في لسان المصامدة على الشكل الوارد أعلاه كما استعملت أيضا في العهد المريني للدلالة على المؤنث بصيغة تَحَضْرِيتْ (*Documents inédits*, note 1, p. 49).

إلتحق ابن تاعظمييت بدعوة الموحدين بعد خروج المهدي ابن تومرت من مراكش خوفاً من بطش سلطان المرابطين علي بن يوسف سنة 514 هـ / 1120 م ومروره بمدينة أغمات وريكة حيث درس العلوم بمسجدها الجامع المعروف باسم جامع وطاس بن يحيى (*أخبار المهدي*، 30)، فصار ابن تاعظمييت من طلبته ثم من أصحابه العشرة وهم أهل الجماعة السابقون إلى دعوة ابن تومرت المصدقون بإمامته المنقادون لإمارته المسارعون إلى بيعته ( *القرطاس*، 176).

كان ابن تاعظمييت يكتب الرسائل عن إذن المهدي بن تومرت (*كتاب الأنساب*، 33) ولم يكن الوحيد الذي اشتغل بالكتابة في بداية دعوة الموحدين بل شاركه في ذلك ملول ابن إبراهيم بن يحيى الصنهاجي دفين تنملل (*كتاب الأنساب*، 39). وقد كان مقتل ابن تاعظمييت يوم السبت ثاني جمادى الأولى عام 524 / 12 أبريل 1130 في معركة البحيرة التي انتصر فيها المرابطون على الموحدين.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971، والمقتبس من كتاب *الأنساب في معرفة الأصحاب* ضمن E. Lévi-Provençal, *Documents inédits d'histoire Almohade*, Paris, 1928 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، بيروت، 1990 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973.

حسن حافظي علوي

**تَاعْلاطْ**، فاطمة بنت محمد الايلالنية من بني وعلا (أيت واعلا) تكتبها بعض المصادر : توعلات، للاتعلاطت. ولية صالحة تتمتع بشهرة واسعة بين قبائل الأطلس الصغير. نجهل الكثير عنها باستثناء ما أورده صاحب *الطبقات* من أنها "من الخاشعات القانتات" وحلاها برابعة زمانها، كما أبرز مكانتها فيما يتواتر عنها من كرامات وخوارق. وشهد لها الشيخ المعطي بن الصالح البوجعدي بالتفوق والولاية والصلاح حسب ما يكتب إليها. ومازال مشهدها إلى اليوم مزارا يقام به موسم ديني كبير في الخميس الأول من شهر مارس الفلاحي.

توفيت عام 1207 / 92 . 1793.

م. الحضيكي، *الطبقات*، مخطوط ؛ *فهرسة الإبيوركي*، مخطوط خ. ح رقم 12933 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 226 ؛ 12 : 95 ؛ *رجالات العلم العربي في سوس*، طنجة، 1989، ص. 94.

أحمد بومزگو

**تاغاجيجت**، بسيط في جنوب المغرب تحيط به جبال باني من الجهتين الشمالية والجنوبية، وتمر حدود تاغاجيجت بتامنارت حتى أگجگال، ومن تامگروت . ن . توزرنْت حتى مرتفعات فوگ اغبالو وتيگديرت وامان وتيگديرت ام گجد وبئر بوكلين، ترسم هذه التسمية شكلا محددا يفرز بوضوح معالم المجال القروي المتمركز بأعالي وادي صياد، هذا الوادي الذي يحمل أيضاً اسم وادي نون ينبثق من سلسلة جبال الأطلس الصغير بذلك المورد المائي الرئيسي لبسيط تاغاجيجت الذي تحيط به جبال باني من الجهتين الشمالية والجنوبية. هكذا تبتدئ تاغاجيجت من الخانق الجبلي شمالا لتتخذ شكلا موازيا لالتواءات الوادي الذي تشرف عليه سفوح المعدر جنوبا. جل هذه المعطيات الجيومرفلوجية تقلل نسبياً من تركز الرياح وتحد من قدراتها على زعزعة حجم وكثافة النخيل وأشجار أرگان (الهرجان) والزيتون والرمان والإجاص والتين والحناء. فنلاحظ بذلك أن النشاط الفلاحي للمساحات المسقية يرتبط بالحقول التي يستعمل فيها المحراث الخشبي حيث تجد نباتات الرطم المتناثرة من فعالية التشكل الريحي. ولا شك أن لشبكة الري المحلية دورها في ترطيب المناخ بما تُهيِّئه من غطاء نباتي ونظام إنتاجي يسمح بتنظيم الاستغلال الفلاحي على أسس تقليدية. نرى أن الانتاج الفلاحي يخضع للتقلبات المناخية مضيفا بذلك إلى صعوبة العيش في ظل وسط بينوي موارده محدودة تتمثل في سيادة الجفاف المناخي.

إننا إذا ربطنا هذه الظروف المناخية بالاستغلال المكثف

لقنوات الري، اتضح أن الخطارات ترتبط تارخيا بمظاهر الضغط المناخي الجاف منذ زمن طويل، فمنذ متى اعتمدها أهل تاغاجيجت في الحفاظ على سمك الغطاء النباتي المثبت للقرى والمداشر والحاد من هجرة أهلها والمدعم لتربية المواشي ؟ إذا نحن ربطنا هذا العامل بما يفرزه المعطى الجيومرفلوجي اتضح أن الإجابة تقتضي عدم الاعتماد على المصادر العربية بما فيها كتب المسالك. فالبكري مثلا يفيدنا بأن تسمية تامنارت على مقربة من تاغاجيجت كانت قائمة الذات خلال القرن الخامس (11 م). وهي تسمية تفيد المجال الفاصل هنا بين الصحراء وماعداها. وبذلك يمكننا تلمس أسباب تركيز الرواية الشفوية على ربط المنجزات المائية من خطارات وسدود وسواقي بزمن المرابطين. هذا التوزيع المناخي يندرج كما نرى في إطار مرجعي لغوي مبسط يلخص الواقع ويمثل نموذجا تقريبيا للحدود المناخية. غير أن عيوب هذا النموذج تكمن في اعتماده على مسلمات احتمالية لا تقوم على تحليل علمي مقبول. فتبقى بذلك دراسة آليات انتشار المجال القروي بتاغاجيجت كبديل مرحلي تفترض الوقوف على حجم التحركات البشرية ومداها. هذه الآليات لن نُوفيها ما تستحق إلا إذا سجلنا بأن المصادر العربية تجمل استعمال كلمة نول لتغطي التمايز القائم بين مختلف المجالات القروية وأمهات قراها بوادي نون. بل يكون لزاما علينا أن نشير إلى استحالة التمييز انطلاقا من كتب المسالك وغيرها بين تاغاجيجت وتيغمرت وتاگاوصت من حيث هي كمجالات قروية متباعدة لا يجمعها إلا الارتباط العضوي بمجرى وادي نون. حقا يبدو التملك لهذه المجالات من طرف إيليميضن (لمطة) أمراً مؤكداً، غير أن التداخل الإثني والسياسي مع إيويليميضن (لمتونة) جنوبا وإگزولن (گزولة) شمالا يجعل لزاما علينا تحديد المميزات الخاصة لكل مجال من هذه المجالات وموقفه من المد المرابطي اللمتوني ومن التطورات اللاحقة عبر القرون.

يحور أبو بكر الصنهاجي المكنى البيذق رفيق المهدي بن تومرت وعبد المومن الموحدي في معرض حديثه عن مجابهة أهل وادي نون للموحدين أول إشارة تعرفها المصادر لتاغاجيجت إلى تاعگيزت (*أخبار*، 77). ولن نجد لها بعد ذلك ذكراً إلا *بمدونة أسا* خلال القرن الثامن (14 م) على صيغة غاجيجة أو في كتاب *الاستقصا*. أما إذا انتقلنا إلى تحديد التعريفة الإثنية فإن المصادر باستثناء *جغرافية* ابن سعيد تربط مداشر وقرى تاغاجيجت بإيليمضن. غير أن تعميم هذا المنظور دون مراعاة للتمايزات ولا لحجم التحولات التي عرفتها كل وحدة مجالية على حدة يعد من باب المجازفة ويحد من مصداقية هذه المصادر.

نلتقي من هنا مع صلب الخصوصية المحلية وتلوناتها إزاء تعاقب الأحداث المحلية والجهوية. هل ساند أهل تاغاجيجت المد المرابطي منذ البداية شأنهم في ذلك شأن أهل تيغمرت وتاگوصت أم أنهم عكسوا موقفا مشابها لموقف إگزولن (گزولة) بتامدولت القريبة منهم ؟ نظراً لاستحالة الجواب على هذا السؤال، فإنه يكون لزاما علينا أن نتجاوز هذا الطرح لنقتصر على الرواية الشفوية فيما تسانده التحريات الميدانية والحفريات من معطيات حول حجم استقرار وتغلغل إيويليميضن (لمتونة) القادمين مع عبد الله بن ياسين. إننا إذا عمدنا إلى التحري حول تاريخ حصن أگادير أوگليد أزناگ المشرف على تاغاجيجت من أعلى أدرار ـ ن ـ تزاراس، أكدت لنا دراسة الطبيب Dargassier الميدانية أننا بصدد معلمة أثرية مرابطية (La Ruelle, *Id Brahim*). فهل يمكن التسليم هنا بأن تسمية هذه المعلمة (حصن السلطان الصنهاجي) ترفع بعض الغموض حول تمركز إزناگن (صنهاجة) بتاغاجيجت ؟ إذا نحن حاولنا استنباط صور لعناصر التداخل بين هذه المعلمة ومقولة الرواية الشفوية بشأن عثمان بن مندى عامل عبد الله بن ياسين وأبي بكر بن عمر اللمتوني على وادي نول، خلصنا إلى تأويل يعتمد الربط ما بين هذا العامل وسلطان الحصن الصنهاجي. وهنا يمكن أن نتسائل هل يمكن اعتبار ولادة عثمان بن مندى بتاغاجيجت بمثابة بينة حول ذوبان الخصائص الإثنية المحلية في إطار التداخل مع إيويليميضن (لمتونة) الصحراء ؟ إلا أن هذا المنحنى تأباه مختلف مشجرات قبيلة أيت إبراهيم المحلية ومجمل اتحادية تكنة بوادي نون وباني الغربية والساقية الحمراء بحكم انتمائها إلى عثمان بن مندي كجدٍّ أسمي. فإبراهيم بن لحسن بن عثمان بن مندى يعد المؤسس الفعلي لنواة قبيلة أيت إبراهيم بتاغاجيجت (أيت إبراهيم، *معلمة*، 1127 ـ 1130). وهو أيضا الجد المعياري الذي تدور حول اسمه معطيات انتماء قبائل تكنة إلى إيليميضن (لمطة). وبذلك يكشف التحليل عن المنطلقات التي توضح المواقف المبدئية التي يجب اتخاذها من المقولات الشفوية المحلية. إن مجرد انتماء قبائل تكنة إلى إيليميضن وادي نون يقودنا إلى ضرورة تحديد المفاهيم الأساسية المرتبطة بنظرية الانتشار المجالي لرحل الصحراء يومها. بل وتفضي بنا هذه الضرورة إلى حدود العلاقة التحالفية بين إيليميضن وإيويليميضن. وباعتبار هذه العلاقة جانبا من القضايا التي يثيرها التركيب المجتمعي بعين المكان فإننا نكون ملزمين بمعالجتها من خلال مصادر القرنين السادس والسابع (12 و13 م). إننا إذا حاولنا أن نخرج مما قيل في رسالة يهودية مؤرخة بتاريخ 542 / 1148 (Chouraqui, *Histoire*, 120) وما أورده البيذق والإدريسي وابن سعيد وابن عذاري، بفكرة واضحة عن ظاهرة الاندماج الإثني بوادي نون، استوقفنا حجم المجابهة القوية بين جيوش عبد المومن الموحدي والتجليات المتنوعة لتحالف إيليميضن وإيويليميضن. فالإدريسي مثلا يساهم بما لا يدع مجالا للشك في الكشف عن التراكيب القبلية حول قرى ومداشر وادي نون. ذلك أن المجالات القروية على تمايزها تبدو كقاعدة سكنية لتمركز إيليميضن بينما تقاسمهم فصائل إيويليميضن استعمال المراعي والسهول

العشبية في أفراگ تحيط بسرير الوادي. وتعتبر أهم ملاحظة تفرض نفسها بهذا الصدد هي ما قد يوحي به نص الإدريسي من تداخل كبير ربما يكون يومها قد أسهم في انصهار نسبي. غير أن إجماع هذه المصادر على الفصل بين القبيلتين يدعو إلى ضرورة تقصي ماهية وحجم النزوح اللمتوني. إن سجل الأحداث يشخص لنا نزوح إيويليميضن إلى الضفة الشمالية للصحراء كجيوش لعبد الله بن ياسين. وبالتالي فالتساكن مع إيليميصن يرصد مستوى الاندماج الفعلي من خلال ما يمكن استخلاصه من الملامح الظاهرة للترحال الموسمي. يفيد البيذق أن ثورة إيليميضن وإگزولن على الموحدين بعد سنة 548 / 1154 قد تمثلت في استنجادهم بيحيى الصحراوي الذي وصل إليهم من الجنوب مصحوبا بالحاج ابن مركونة. ويضيف البيذق أن هوية إيليميضن كانت ترتكز يومها على اتحادهم وراء محمد أمرگال. أرسل أبو حفص الهنتاتي ثلاثة جيوش يرأسها كل من عمر بن ميمون وعبد الله بن فاطمة وعبد الله بن أبي بكر بن ونگي لغزو مجالات وادي نون المتمايزة. فيتشخص بذلك الفصل بين مجالات تاگاوصت وتيغمرت وتاغاجيجت. أما ما يجسد الواقع المشخص لاستقلال إيليميضن فهو ما يورده النص من أن "أهگار سلطان لمتونة" قد انهزم بدوره في عين المكان. وبذلك يتضح أن عقود الإخاء والتحالف هي التي كانت تملي مفهوم التساكن (*أخبار*، 77). استطاع عبد الله بن أبي بكر بن ونكي أن يهزم إيليميضن فما كان من الحسن بن سليمان كبير تاغاجيجت إلا أن "وحد" يومها. وهكذا فإن غنائم المنطقة قد وصلت إلى مراكش "وبيعت بباب الشريعة الگزوليات واللمطيات والجمال والبقر والغنم" (*أخبار*، 77). يتضح إذن حجم المواجهة كاشفا أهمية الإبادة الجماعية ليحظى تصدع البنيات والهياكل المجتمعة بمكانة متميزة في إطار تكريس القطيعة.

لا بد أن نشير إلى أن المفارقة الكبرى تتجسد هنا في كون مصادر هذه الفترة وخاصة منها تلك التي تشايع الموحدين تعتبر "التوحيد" بمثابة دخول أولي في الإسلام. هذا ما نتأكد منه بوضوح من خلال *مدونة أسا* التي تصف وادي نون بوادي الحرب وغاجيجة بالنصرانية (*مدونة*، 5). ولا غرابة في ذلك خاصة إذا علمنا أن الأساس الفعلي لهذا التصور كان مبنيا على الأحكام الموحدية، وأن *المدونة* تعتبر إيعزَّى أوهْدَى مؤسس زاوية أسا مقياسا محليا لمحاربة "المسيحية والكفر". فإذا كانت هذه *المدونة* تؤكد على استمرارية الحكم الموحدي لتاغاجيجت من خلال إشارتها إلى منصور بن عدي البرقوقي كعامل ليعقوب المنصور الموحدي، فإنها لا تتوانى في اعتبار إيعزى أوهدى المولود سنة 646 / 1248 (إيعزى ويهدى، *معلمة*، 517 ـ 518) ملك سوس ووادي نون والساقية الحمراء والشمال الشرقي لدرعة. و*المدونة* التي تتبنى هذه المقولة تعد أيضا من أنجح النصوص في الكشف عن أهمية الوجود النصراني واليهودي (Chouraqui, *Histoire*, 119). فهي تكشف المقاومة الفعلية التي كانت ما تزال قائمة الذات كما سيفرز ذلك كتاب *الذخيرة* بعد نهاية الموحدين (*الذخيرة*، 90). وهو ما يدعونا إلى التركيز على أسباب هجرة أيت إبراهيم إلى أفراگ إيمسوفن (مسوفة) بمنطقة توات تجنبا للقمع الموحدي. لقد ساهمت هذه الهجرة في بلورة النواة الأصلية للقبيلة التي زامن جدها إبراهيم نهاية الحكم المرابطي حين عرف حكم علي بن يوسف بن تاشفين تعدد القلاع والتحصينات الدفاعية تجنبا لكل مواجهة من الموحدين. ويزكي هذا الاحتمال قدرة هذا الجد الاسمي على بلورة النواة الفعلية للقبيلة عبر الانتشار عبر أفراگ إيمسوفن بعيدا عن حاكم الموحدين بتاغاجيجت. لقد أسهم هذا الانتشار في تنمية الحجم الديموغرافي للعائلات المتفرقة عاملا بذلك على تمتين الروابط الإبراهيمية بشكل مكثف. بل ويتضح من سياق الأحداث أن عناصر التحول في حجم هذه النواة قد أسهمت في اختراق الروابط التحالفية مع إيمسوفن مما كان له أبلغ الأثر في صياغة العلاقات القرابية المؤسسة. كانت قبيلة أيت حربيل يومها قد عرفت مجدا وقوة أهلتها للتسيد على تاغاجيجت. ولكن تماسكها أمام المدّ الابراهيمي العائد من الصحراء لم يستمر بما يكفي للحد من التسلط المتزايد لأيت إبراهيم. وتسجل المصادر المحلية الاضمحلال التدريجي لأيت حربيل إلى أن أصبحت صورة مصغرة لما كانت عليه. أما عودة أيت إبراهيم من توات إلى تاغاجيجت ففيها ما يكفي من الإشارات للتذكير بأهمية التراكمات القرابية لإيليميضن (لمطة) في صياغة علاقات اجتماعية على أسس بنيوية ثابتة تخترق قرنين من التعايش مع إيمسوفن بالمهجر. تأسيسا إذن على هذه الفكرة، يمكن الذهاب إلى القول بانعدام التعارض بين تعايش الفصائل القبلية المختلفة دونما تمازج حقيقي رغم حجم الظرف الزمني الطويل. وبالرغم كذلك من أن اسم مندى أبي عثمان عامل المرابطين على نون قد يكون مجرد تحريف لكلمة المزدالي اللمتوني عامل يوسف بن تاشفين وابن عمه المباشر، فإن هذه العينة من الأخطاء التي تخترق عادة المصادر (*البيان*، الموحدون، 17 هامش 5) تبدو غير مقبولة هنا. إن الامتداد العضوي لإيليميضن لم يؤد كما رأينا إلى اندماجهم بإيويليميضن، بل تحول بصورة إلزامية إلى بنية توفر لكل قبيلة هويتها المتميزة.

لقد تجلى الاتجاه القرابي بقرى ومداشر تاغاجيجت منذ هذه الفترة فيما تكشفه النواة الأصلية لقبيلة أيت إبراهيم. ويمكن للمدقق أن يكشف تنوع المستويات المتفاعلة للاندماج المحلي فيما يميز هذه النواة عن المتحالفين والواردين منذ ذلك الحين عليها. من هنا فإننا إذا انتقلنا إلى مصطلح القبيلة تجلى الارتباط بتاغاجيجت أكثر تجسيما لأعلى درجات التحالف والاستمرارية. وهذا ما يعني تأكيد الصفة الإلزامية لمفهوم مراقبة المجال كقاسم مشترك بين ماضي وحاضر أيت إبراهيم (انظر مادة أيت إبراهيم، *معلمة*، 1127 ـ 1130).

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 10 : 116 ـ 211 ؛ م. ناعمي، *إيعزى ويهدى*، *معلملة المغرب*، 517 ـ 518 ؛ أيت إبراهيم، *معلمة*، 1127 ـ 1130.

E. Levi-Provençal, *L'histoire des Almohades* in *Documents Inédits d'Histoire Almohade, Fragments manuscrits du "Legajo" 1919 du Fonds Arabe de l'Escurial*, Paris 1928 - 194 ; V. Monteil, *Gens et choses du Bani, Hesp.*, 1946, 3 - 4, 393 - 394 ; Id, *Chronique de la zaouia d'Asa* in *Melanges Mohamed El Fassi*, publiés à l'occasion du dixième anniversaire de l'Université Mohamed V, 1957 - 1967, Rabat, 81 - 90, Cl. La Ruelle, I*d Brahim*, CHEAM ; A. Chouraqui, *Histoire des Juifs d'Afrique du Nord*, Paris, 1985, 119 - 120.

مصطفى ناعمي

**تاغدوت**، قرية تمتد على ضفاف واد أوماغا على بعد حوالي 13 كلم إلى الشمال الغربي من مركز تازناخت و90 كلم إلى الجنوب الغربي من مدينة ورزازات. ينتمي سكان القرية في غالبيتهم إلى قبيلة أيت عمرو. وقد بلغ عددهم 969 نسمة سنة 1982، يعيشون أساسا من الزراعة والرعي والصناعة التقليدية ومداخيل الهجرة.

وقد عرف تنظيم المجال السكني للقصر في القديم عدة تأثيرات جعلت من القرية وحدتين منفصلتين بحيث استقر السكان السود المكلفون بزراعة الحقول على الضفة الغربية، في حين استوطنت الساكنة البيضاء الضفة الشرقية. إلا أن هذا التمايز الذي طبع المجال السكنى يسير حاليا نحو الاختفاء لصالح عوامل أخرى تتحكم فيها بالأساس المكانة الاقتصادية والمالية للفرد أكثر من انتماءاته العرقية.

انطلاقا من موسم سنة 1955 ـ 1956 استفادت قرية تاغدوت من بناء سد صغير على وادي أوماغا، في عالية القرية، يبلغ علوه 15،2م وسمكه 0،80 أما طوله فيصل إلى 23،3م في حين مبلغ طاقته الاستيعابية 4،7 مليون متر مكعب.

وبموازاة مع عملية بناء السد تم استصلاح 180 هـ من الأراضي الرعوية في سافلة القرية، الشيء الذي مكن من رفع مساحة الأراضي الزراعية التابعة للقصر إلى 214 هكتار.

ويعاني سد تاغدوت من نوعين من المشاكل : كثرة الرواسب الوافدة وقوة التبخر. ففي سنة 1980 كان حجم الرواسب يقدر بـ 450.000 م$^3$ الشيء الذي قلص الطاقة الاستيعابية للسد بنسبة 11٪. أما الكميات المتبخرة فتقدر بـ 40٪ من المياه المتجمعة بالسد وذلك نتيجة للامتداد الكبير للسطوح المائية وضعف عمقها.

A.T. Zainabi, *L'homme et la montagne en milieu sub-aride : Le pays de Taznakht (Anti-Atlas)*, thèse de troisième cycle, Géographie, Poitiers, 370 p, 1989.

توفيق أحمد الزينبي

**تَاغْرَامْتْ**، قرية تقع بقرية الغابويين بقبيلة أنجرة، وعليها سميت جماعة قروية تابعة لدائرة الفنيدق (إقليم تطوان)، وبالقرية يعقد سوق أسبوعي كل يوم ثلاثاء.

*Nomenclator cabilas*, 26 ; *Vademecum Yebala*, 1944.

محمد ابن عزوز حكيم

**تاغزالت**. سمك. ← **بوقة**

**تَاغْزُفْ**، اسم الرأس الشرقي من الرؤوس الثلاثة التي يتكون منها رأس ورك الواقع شمال مدينة مليلية ؛ ويجعل رأس تاغزف اسم الرأس القديم Caboliejo في الخرائط الإسبانية القديمة.

وهناك ثلاث جزر صغيرة تحمل اسم تاغزف وتقع بشاطئ البحر المتوسط الموالي لقبيلة بني شيكار بالقرب من رأس ورك ؛ وتحمل الجزر الثلاثة اسم Los Farallones في الخرائط الإسبانية القديمة التي احتفظت لنا باسم كل واحدة من الجزر الثلاث وهي : البرج والفگر والفقط.

R. Soriano, *Geografia* , Melilla, 1941 , 66 - 67.

محمد ابن عزوز حكيم

**تاغزوت**، مواقع عديدة، وتعني بالأمازيغية سهلا خصبا أو قطعة أرضية منبسطة وخصبة ووقع إحصاء حوالي ستة وعشرين قصرا أو مدشرا يحمل كل منها اسم تاغزوت في جنوب المغرب وشماله منها :

تاغزوت الذي تقطنه قبيلة "أيت أحمد أُسعيد" التابع لمركز تالسينت عمالة بولمان ؛ تاغزوت التابع لمركز تاليوين إقليم تارودانت وتقطنه قبيلة "أيت حميد تيويزّوا ؛ تاغزوت التابع لدائرة قبيلة "أيت مديوال" دائرة دمنات ؛ تاغزوت التابع لمركز مغراوة بإقليم تازا، وتسكنه قبيلة أيت محاند أُيوسف.

وأشهر هذه الأماكن تاغزوت التابعة لخمس أيت يعزّى المنتمي إلى قبيلة أيت عطا، وهو قصر يقع في تُدغة السفلى على بعد حوالي 20 كلم من تينغير المركز. ونظرا لأهمية موقعه في الطريق المؤدية من جهة إلى واحة فركلة وإلى جبل صَغْرو من جهة أخرى فقد عرف أحداثا تاريخية هامة، منها مرور حركة السلطان المولى الحسن بها أثناء رجوعه من تافيلالت في اتجاه مراكش حيث استقبله أعيان قبائل أيت عطا "بتاغزوت".

كما أن تاغزوت كان مركزا لتجمع القوات الفرنسية وقوات باشا مراكش التهامي الأگلاوي سنة 1918 و1919 أثناء غاراتها على المنطقة للقضاء على مقاومة أيت عطا ومحاصرة أهالي تافيلالت الذين كانوا يقاومون الاستعمار بقيادة مبارك بن الحسين التوزونني وخليفته "بلقاسم النگادي".

وكان إلى جانب قصور أيت عطا بواحة تدغة مستهدفاً من طرف القوات الاستعمارية أثناء حصارها للمقاومين بجبل صغرو سنة 1933.

وتعد تاغزوت اليوم من الجماعات القروية الناشئة بتدغة حيث انضمت إليها قصور أيت عطا بتدغة السفلى.

*مونوغرافية صادرة عن عمالة ورزازات 1986.*

P. Lancre, *Répertoire du Maroc*, préf. Lucien Saint, Casablanca, 1932.

بوراس عبد القادر

**تَاغْزُوتْ** (باب ـ)، ويعرف أيضا بباب الشيخ أبي العباس السبتي (*إعلام*، 8 ـ 240) ثاني بابين في الواجهة

الشمالية لسور مراكش المرابطية، مما يفيد من جهة أن تاريخ تأسيسه يعود إلى زمن بناء السور، حيث يشرف على الجزء الشمالي الغربي منه، ومن جهة ثانية فقد كان بابا خارجيا في الأصل ثم أصبح داخل المدينة بعدما أقيم بشماله حي الزاوية العباسية حيث ضريح أبي العباس السبتي، ولذلك أصبح اسما للحي المجاور للضريح من الجنوب. ولعله مشتقٌ من معنى الأرض المنخفضة الخصبة لإشرافه على مجال أخضر كبير وفيه المياه (*إعلام*، 1. 270) عرف على الأقل منذ عهد الموحدين باسم الخالص، وقد كان فيه أحد قصور الموحدين ( *البيان*، قسم الموحدين، 332). ومن جهة ثانية هو منخفض بالنظر إلى المجال الجغرافي الذي يقع ضمنه، ولقد كان هذا العنصرمن الأسباب التي منعت اقتحام البرتغاليين المدينة سنة 1515 عبر باب تاغزوت. ومن غير المستبعد أن الوقت تزامن آنذاك مع أمطار غزيرة - شهر ابريل - ترتب عنها تجمع المياه على السطح على مساحة واسعة خاصة وان الجهة تتوفر على عيون الماء والخطارات (*Marrakech*, 128).

كانت بخارج هذا الباب سقاية "يتطهر منها الناس" (*التشوف*، 477) ومن المرجح أنها كانت نهاية خط شبكة سقايات بنيت على عهد المنصور الموحدي تربط بين جنوب المدينة وشمالها ( *الاستبصار*، 210)، فقد كانت هذه السقاية مجالا لإحدى كرامات أبي العباس السبتي ( *التشوف*، 477).

ويقرب الباب أيضا ضريح الشيخ ومقبرة عامة، كانت مدفنا لأهل الصلاح والولاية ( *التشوف*، 295) والفقهاء (*الذيل*، سفر 8، قسم 1، 349) وبها دفن ابن رشد قبل نقل جثمانه إلى قرطبة.

بجانبها مقبرة خاصة لأسرة مخزنية موحدية هي أسرة مكسور الجنب ( *الذيل*، 8 - 1 - 286). إلى جانب ذلك يعتبر باب تاغزوت واحدا من الأبواب الواردة في خريطة زيارة الرجال السبعة وأول باب في خط عودتها ( *إعلام*، 10 - 367).

ويبقى في الأخير من بين المحطات التي قامت بوظيفة ربط المدينة بما يجاورها من الشمال.


أ. البيذق، *أخبارالمهدي* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، سفر 8 ؛ ابن عذاري، *البيان* - قسم الموحدين ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، جزء 1 : 8.

G. Deverdun, *Marrakech.*


محمد رابطة الدين

**تَاغْزُوتْ**، رأس يقع شرق مصب وادي كرت بشاطئ قبيلة بني بوگافر الكرتية، ويعرف كذلك برأس بني بوگافر وعند الإسبان برأس نيگرى.

وهناك قبيلة تاغزوت بناحية صنهاجة (إقليم الحسيمة) تحيط بها القبائل التالية: كتامة وبني بونصار وبني أحمد وبني بوشيبت وبني بوسلامة ومتيوة الجبل. وتقدر مساحتها بنحو 52 كيلومترا مربعا، يتكلم سكانها باللهجة الصنهاجية القريبة من اللهجة العربية الدارجة وقد اشتهروا بمهارتهم في الصناعة التقليدية المتعلقة بالجلد. تنقسم القبيلة إلى فرقتين هما : فرقة القلعة (بها أربعة مداشر) وفرقة الساحل (بها خمسة مداشر).

وفي التقسيم الإداري تكوِّن مع قبيلة بني بوشيبت جماعة قروية واحدة. ويقول الأستاذ باخاريس Pajares (صفحة 155) إن اسم القبيلة التاغزوتية مأخوذ من فعل غزا يغزو.


بنعبد الله، *الموسوعة*، 128.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes*, p. 47 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes*, p. 62 ; Comision historica, 37, 83, 95, 105, 106 ; Pajares, *Apellidos*.


**التاغزوتي**، أو التغزوتي، أسر تطوانية متعددة يرجع أصلها إلى قبيلة تاغزوت الصنهاجية، وكان جل أفراد هذه الأسر بتطوان يتعاطون صناعة الجلد التقليدية ولهم فيها تفوق ملحوظ على غيرهم.


Delagacion, *Familias* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum* , Intervenciones (año 1931) 1932 (T).


محمد ابن عزوز حكيم

**تَاغَسَّا** أو تَغَسَّة أو تغصَّة، مدينة ونهر ومرسى. فمدينة تاغَسَّا صغيرة تقع بفرقة بني الحاج من قبيلة بني گرير الغمارية (إقليم شفشاون) على بعد أربعة كيلو مترات من الشاطئ الموالي للبحر المتوسط. ولعل أقدم مصدر جاء فيه ذكرها هو *المقصد الشريف* للبادسي، يليه مصدر إسباني بعنوان *Relacion de la costa de Allende* (كشف لشاطئ ما وراء البحار) وهو وصف دقيق للشاطئ المغربي الموالي للبحر المتوسط من سبتة إلى مصب واد ملوية أعده البحار الإسباني خوان گيطان Juan Gaitan سنة 1480، ويوجد مخطوطه بخزانة الجمعية الإسبانية للجغرافيا بمدريد، وقد جاء فيه بخصوص تاغَسَّا : أنها مدينة صغيرة يبلغ عدد سكانها ثلاثمائة نسمة. وأما الوصف الثالث فهو للوزان الفاسي الذي يقول : إنه أقام بتغسة ثلاثة أيام ووصفها بأنها "مدينة صغيرة كثيرة السكان تشتمل على أقل من خمسمائة كانون". ويبدو أن مدينة تاغسَّا كانت ذات أهمية في السنوات الأولى من الفتح الإسلامي حيث كان بها معمل لضرب النقود قبل تأسيس الدولة الإدريسية، ونتوفر على عينة من النقود (دراهم وفلوس) ضربت بها سنة 171 هـ، غير أنه ليس فيها اسم الأمير الذي كانت تضرب في عهده تلك النقود.

ومن الملاحظ ان اسم المدينة في النقود المذكورة مكتوب هكذا : *تغصة*، ولعل هذا السبب في كون البعض يكتبه بالصاد هكذا : تغصة، في حين ان سكان المدينة والناحية المجاورة لها ينطقونه بالسين.

وهناك نهر تاغسَّا الذي توجد منابعه بجبل تافلانا

بقبيلة بني گرير الغمارية حيث يعرف بواد بني حمدون، وعند مروره بمدينة تاغسًا يأخذ اسمها وتصب مياهه في البحر المتوسط بشاطىء سيدي العطار بالقرب من مصب وادي أورينگا.

أما مرسى تاغسًا فتقع بشاطئ قبيلة بني گرير الغمارية (إقليم شفشاون) الموالي للبحر المتوسط حيث تصب مياه وادي تاغسا ؛ وتعرف المرسى أيضا بمرسى سيدي العطار.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 255 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 114، 128.

J. Gaitan, *Relacion de la costa de allende*, Sociedad Geografia ; Comision historica, 48, 54, 61 ; Domenech, *Zona Norte*, 39, 49 ; Cabello, *Geografia de Marueccos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**تَاغُنْجَة**، الأصول القديمة : إن أي شيء في الطبيعة يظهر في شكل يثير اندهاش الإنسان، يعتبر مظهرا مباشرا أو غير مباشر للقداسة. والطبيعة كانت محط تقديس منذ القديم (جبال، كهوف، أحجار) والمياه بدورها لا تخرج عن هذه القاعدة سواء على شكل وديان أو عيون أو آبار.

إن القدسية الكامنة في المياه تعتبر أمرا طبيعيا خاصة في المناطق الجافة، فلا عجب أن يخلع الناس على المياه قدسية تعبر عما يخالجهم من شعور بواقع ما ورائي يفوق تصوراتهم.

والامثلة المرتبطة بعبادة المياه متعددة، وما يهمنا منها الآن الطقوس المتعلقة بطلب الغيث، فالبعض منها استمر حتى الفترة الحديثة ولكنها درست من الوجهة الانتربولوجية أكثر من الوجهة التاريخية.

إننا نجهل في الواقع مدى قدمها ولكن هذا لا يمنع من الإشارة إلى كونها كانت عبارة عن موكب أو طواف يتم فيه حمل مغرفة (Cuiller à pot) تغطى بلباس على شكل عروسة، ويشارك في هذا الطواف النساء والأطفال في جو من الغناء والابتهال، وأثناء المسيرة يتم تبليل المغرفة وتتم عملية جمع التبرعات لإقامة مأدبة.

إن هذا الطواف الطقسي هو حسب رأي الباحث Ch. Ricard بمثابة تشخيص للأرض الظامئة، وربما له جذور وثنية. فمن المعروف أن الإلهة القرطاجية "تانيت" التي تعرف عند الرومان باسم Caelestis (أي السماوية) كانت لها وظائف متعددة. وهناك وظيفة تشدها أكثر بالتقاليد الإفريقية، وهي وظيفتها المرتبطة بالماء. فهي تعلن عن سقوط المطر بواسطة عرافيها ومتنبئيها، وهذا ما عبر عنه المؤرخ اللاتيني تيرتوليان في كتابه *Apologétique*, 22, 10) بحيث يضفي عليها لقب "الواعدة بالمطر" (Pallicitatrix pluviarum) أي حسب لغة أهل البلد "أم الغيث".

وهذه الوظيفة تبينها كذلك إحدى النقائش اللاتينية التي عثر عليها في مدينة Narraguara (ساقية سيدي يوسف) بنو ميديا (*CIL* VIII, 4635).

إذن فالمراسيم التي يقوم بها بعض سكان المغرب للحصول على الغيث عن طريق هذا الطواف هي ربما بمثابة استرجاع ذكرى (Reminiscence) تلك المعتقدات القديمة.

إن تاغُنْجَة، تمارس في المغرب كما تمارس في تونس خاصة في الجنوب، وفي الجزائر، وهي تعرف تحت أسماء مختلفة، تاغنجة، عروسة أنزار، "أم تنبو" أو "أم تنگو".

عمار المحجوبي، *المياه والديانات الوثنية في المقاطعات الافريقية، المياه والمحيط*، ملتقى زغوان، تونس 1984، ص 231 ـ 234.

L. Jolaud, *et rites de l'eau en Afrique du Nord*, JSA, III, 1933, 211 - 286 ; H. Genevois, *Un rite d'obtentions de la pluie : la fiancée d'Anzar, Actes du II Congrés International d'Etudes des Cultures de la Méditerranée Occidentale*, Alger, 1975 , p. 393 - 401 ; Picard, *Les religions de l'Afrique Antique*, Paris, 1954; Menouillard, *Mœurs et coutumes indigènes pratiques pour solliciter la pluie, RT*, 1910, N° 79, 302 -305 ; E.Laoust, *Mots et choses berbères : Notes de linguistique et d'ethnographie*, Paris, 1920, p. 204 et suiv. ; A. Bel Faïda, *Le culte des divinités des eaux en Afrique du Nord à l'époque romaine*, Doctorat de IIIème cycle, Bordeaux, 1987.

عبد العزيز بل الفايدة

**التاغي**، (الحاج ـ ) ينتسب إلى دوار أولاد بوعبو من فرقة حمداوة، إحدى الفرق المكونة لقبيلة امزاب الشاوية. وقد نشأ الحاج التاغي في وسط يتعاطى الفلاحة، حيث كان أبوه فلاحا، كما اشتغل هو نفسه بالأعمال الفلاحية في صغره. ثم بدأ يميل إلى التعلم على يد طلبة البادية. ويظهر أن الرجل نذر نفسه للتعلم والتعليم ومصاحبة أهل الخير حتى غدا واحدا منهم واشتهر صلاحه وعلمه، فأصبح مقصودا من طرف الطلبة الذين يريدون الاطلاع على ما ينقصهم من علوم القرآن والعربية.

استقر الحاج التاغي، في بداية أمره بعين الخميس، وهو مكان يقع بين قبيلة المذاكرة وقبيلة امزاب، وكان انتقاله من بلاده إلى حدود المذاكرة بسبب خلاف وقع بين أولاد بوعبو وجماعة الطلبة.

وتجدر الإشارة إلى أن عودته إلى بلاده اقترنت أيضا بنشوب خلاف بين قبيلته امزاب وقبيلة المذاكرة، فلما تغلب المذاكرة أقدموا على حرق أنادر زرع المزابيين، الأمر الذي عارضه الفقيه التاغي، لكن أحدا لم يسمع معارضة. وقد أغضب هذا العمل الحاج التاغي وأحنقه، فانتقل عن المذاكرة واستقر بعين الضربان إلى الجنوب من مدينة ابن أحمد، على بعد حوالي ثلاثة كيلو ميترات ونصف. وهناك شرع في بناء زاويته حوالي سنة 1233 / 1817، وما تزال هذه الزاوية موجودة حتى اليوم، لكن يبدو أنه مات قبل إتمام البناء، فتكفل أبناؤه من بعده بإنهاء عملية البناء بمساعدة من السلطان مولاي عبد الرحمان.

تابع الحاج المعطي بن الحاج التاغي العمل الذي بدأه أبوه إلى أن انتهى من بناء المسجد ـ الزاوية، ثم بنى حولها بيوتا خصصت لإيواء الطلبة. وقد عرفت زاوية الحاج التاغي أوج ازدهارها في عهد الحاج المعطي الذي توفي بمدينة سوسة بتونس بعد أداء فريضة الحج.

وأصبحت زاوية الحاج التاغي في عهد إدريس بن الحاج المعطي التاغي معهدا دينيا ومدرسة علمية يقصدها الطلبة من كل مكان، ويقال أن عدد الطلبة بها كان يفوق أحيانا

ثمانين، يتكفل بنفقتهم أهل الزاوية. ذلك أن أسرة الحاج التاغي ظلت محافظة على دور الزاوية الديني والاجتماعي. ونتيجة لهذا نالت زاوية الحاج التاغي الاحترام والتعظيم من طرف قبائل الشاوية والقبائل المجاورة. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الرصيد من الاحترام والاجلال لدور الزاوية التعليمي هو الذي كان يمد القائمين على الزاوية بالرفد والمساعدات المادية.

ومع بداية الاحتلال الأجنبي أخذت زاوية الحاج التاغي في التراجع نتيجة لقلة المدرسين وتقلص حجم المساعدات.

العربي العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية المشاهير*، مخطوط.

E. Mege, *Notes sur les Mzab et les Achaches*, *A.B.*, Vol. 3, 1918.

علال الخديمي

**تاغْيَا** أو **تَغْيَ**، كلمة أمازيغية كثيرة الاستعمال بمناطق الأطلس وما وراء الأطلس، ومعناها الأخاديد والأماكن التي تضيق فيها الأودية إلى درجة يصعب المرور منها. ومن ثمة فتاغيا هي المضيق. ومن أشهر المضايق بجنوب المغرب مضايق أعالي وادي دادس جنوب مسمرير، وكذا مضايق تدغت (المعروفة عند غير ساكنيها بتدغة).

ومن أشهر المواقع التي تحمل هذا الاسم بالمغرب القرية التي يوجد بها ضريح مولاي بوعزة بين وادي زم والماس. ثم قرية ملْوَان الواقعة في أيت حْديدُو جنوب ميدلت والتي كان بها في القرن العاشر (16 م) الشيخ أبو عبد الله محمد الملواني.

أ. الولاتي، *مباحث الأنوار*، 276 ؛ *تحريات ميدانية*.

*Répertoire des Tribus* ; E. Laoust, *Contribution*, p. 43.

عبد العزيز بوعصاب ومحمد حمام

**تاغيا نْ إلْمْشانْ**، قصر يقع في جنوب واحة تدغة على بعد عشرين كيلوميتراً من تينغير. تنتمي قبيلة إلمشان إلى خُمس أيت واحليم من أخماس أيت عطا، وكانت لها

تاغيا-نْ-إلمشان
البيت الذي مازالت تسكنه أسرة المقاوم عسو باسلام

الزعامة الحربية والسياسية، وبرز فيها قادة كبار خاصة أسرة أُبَسْلام التي عرفنا منها البطل عسو بسلام الذي قاد مقاومة أيت عطا ضد الاستعمار حتى سنة 1933. (انظر *المعلمة*، بسلام عسو).

إ. العمراني وإ. القري، *التنظيم القبلي، نموذج أيت عطا*.

G. Spillman, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du haut Dra*, Rabat, 1936.

عبد القادر بوراس

**تاغيت**، قال صاحب *الاستبصار*، وهو من أهل القرن السادس الهجري، إن معناها بالبربرية : الحلق، ويقابلها بالعربية الصراط، وقصد بها ذكر طريقة للعبور فوق نهر وذلك بتنصيب حبال بين الضفتين علق فيها زنبيل يسع نفسين أو ثلاثة. وقد وصف الحسن الوزان مثل هذه العبّارة عند بني يازغة في جبال فازاز إلا أنه قال إنها تستعمل قفة قد تسع لعبور عشرة أشخاص يتحكم في تحريكها الراكبون فيها، وقال إنها تعلو على شاهق بينه وبين ماء النهر مائة وخمسون ذراعا، ولعل الوزان يتحدث عن نفس الحلق الذي وصفه صاحب *الاستبصار* لأن الوزان سمع حكايات قديمة تتعلق به عندما شاهده وعبر فيه. والتطور المدهش في هذا الابتكار للنقل في الهواء أنه جماعي وأفقي وفي اتجاهين مختلفين مما يدل على أنه يستعمل بكارات.

مجهول، *الاستبصار* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 2 : 281.

محمد حجاج الطويل

**تَافَات**. أسرة ← **أفَا**

ابن **تافراݣين**، عبد الله التينملّي حفيد الشيخ أبي حفص عمر ابن تافراݣين من أهل الخمسين من أصحاب المهدي ابن تومرت وجد الحفصين ملوك تونس. كان عبد الله ابن تافراݣين من مشيخة الموحدين بتونس، وهي هيئة ذات نفوذ كبير في بلاد الحفصيين، ومن هذا المنصب تسلق عبد الله مناصب أخرى، فمن وزير إلى سفير إلى حاجب. على أن أهم عنصر مثير في شخصية ابن تافراݣين هو الدور الذي لعبه في تطور العلاقات بين المغرب وإفريقية على عهد أبي الحسن وأبي عنان المرينيين. فقد كان عبد الله ابن تافراݣين ممن اعتمد عليهم ابو الحسن لتحقيق مشروع ضم تونس الحفصية للمغرب. برزت مكانة ابن تافراݣين في هذه العلاقة مباشرة بعدما عينه السلطان الحفصي أبو زكرياء مع ابنه سفيراً لدى أبي سعيد المريني طلباً للإعانة بعد الهزيمة التي لحقته في حربه مع بني عبد الواد. وهكذا تمكن من إقناع المرينيين بالاستجابة للطلب الحفصي، وحضر حصار أبي الحسن لمدينة تلمسان، ثم كان وراء زواج أبي الحسن من إحدى بنات السلطان الحفصي.

صار ابن تافراݣين، بعد عودته إلى تونس من المدافعين عن المصالح المرينية في البلاط الحفصي، فهو الذي أقنع مخدومه بالاستجابة لطلب صهره أبي الحسن، وتسليمه بني أبي العلاء الذين كانوا يتولّون مشيخة الغزاة المجاهدين في الأندلس وثاروا على بني الأحمر، وانتهى بهم الأمر بعد تدخل أبي الحسن بالنفي إلى تونس الحفصية.

وتأكدت أهمية دور ابن تافراݣين عندما ارتقى إلى منصب الحاجب، فاعتمد عليه الوفد المريني الذي حل بتونس طلباً لمصاهرة جديدة وتمكن فعلا من اقناع مخدومه

بتلبية الطلب، فزوج أبا الحسن بنتاً ثانية بعد وفاة الأولى في معركة طريف.

ونعتقد أن كل هذه الوقائع إنما كانت تهيئ ابن تافراگين إلى الدور الأهم في المشروع الذي كان يرسمه أبو الحسن، وهو ضم تونس إلى سلطانه، فقد كان ابن تافراگين وراء أزمة ولاية العهد عندما نصب الأمير "عمر" عوضاً عن أخيه. ثم عندما فشل في وضع أميره تحت مراقبته ربط اتصالاته بأبي الحسن لما "أحس بالشر من جهة عمر المتغلب".

رحل ابن تافراگين إلى أبي الحسن واستعجله في القيام بحملته على تونس واصفاً له حالة الضعف التي كانت عليها البلاد التونسية. ثم صار ابن تافراگين من علية جلساء السلطان المريني، وقبل فتح تونس عينه وزيراً له، وهو المنصب الذي لم يرقه بدون شك. فقد ذكر الناصري بأن "ابن تافراگين كان يظن أنه سيترك له أمر إفريقية، وينصب معه الفضل ابن السلطان أبي زكرياء، شقيق زوجته، وربما زعموا أنه عاهده على ذلك فكان في قلبه من الدولة المرينية مرض" (*الاستقصا*، 3 : 161).

استغل ابن تافراگين فرصة تعيينه كمفاوض للعرب المحاصرين لأبي الحسن في القيروان، فانضم إليهم وقلدوه حجابة سلطانهم ابن أبي دبوس وبعد انتهاء الحملة المرينية تعقدت الوضعية السياسية في تونس، وأصبح ابن تافراگين من بين المحركين لتلك الوضعية ممارساً تأثيراً على مخدومه. وكان على رأس الجيوش الحفصية التي جهزت لمقاومة الحملة المرينية - البوعنانية، واستطاع أن يَصُدَّها. ومع ذلك فإن صلته بالمرينيين لم تنقطع، وذكر ابن خلدون أن المراسلات الودية استمرت بين أبي عنان وابن تافراگين، وهو ما أكدته أيضاً شهادة ابن مرزوق في *المسند*.

م. ابن مرزوق، *المسند* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 3.

عمر بنميرة

**تَافْرَاوْتْ**، مركز جبلي في الأطلس الصغير. ومعنى تافراوت في الأمازيغية الحوض الذي يتجمع فيه الماء والميزاب الذي يصرف مياه الأمطار عن السطوح. وهناك مواقع متعددة في الجنوب تدعى تافراوت لشبهها بقناة الميزاب المستطيلة، وهي عبارة عن ممرات طبيعية ضيقة حفرتها عوامل التعرية بين جدارين متوازيين ويضاف كل منها إلى المكان الذي يوجد فيه، مثل تافراوت الأطلس الصغير التي تنفرد بهذا الاسم عند الإطلاق، وكانت تدعى تافراوت - ن - وامَّلْن، لامتدادها من أگرَضْ غرباً إلى أن تُطل على وادي أمَّلْنَ شرقاً.

كانت تافراوت هذه إلى ما قبل الحماية قرية جبلية عادية لكن نظراً لمناعة موقعها اتخذتها سلطات الاستعمار حين استولت على المنطقة سنة 1933 مركزاً عسكرياً لمراقبة قبائل جزولة كلها، فصارت سوقها الأسبوعية الأربعاء تتسع حتى صارت مدينة حالياً تتوفر على سائر المرافق العمومية من جماعة إلى محكمة إلى ثانوية وفنادق للسياحة إلى المسجد الجامع، كما تتوفر على الماء والكهرباء، وبذلك صارت نقطة إشعاع في الأطلس الصغير كله. وهناك عدة عوامل لعبت دوراً أساسياً في اقتصاد تافراوت، أهمها :

دور العائلات التافراوتية في التجارة نظراً لصعوبة الحياة المعاشية في بلاد تافراوت بالذات، لعدم توفرها على مجال فلاحي، فقد فرضت الطبيعة على أهلها أن يبحثوا عن مصدر رزقهم خارج تلك المنطقة، وخاصة الاشتغال بالتجارة عن طريق القوافل. وقد التجأ عدد كثير من أهل تافراوت إلى المدن في شمال المغرب، وخاصة طنجة والدار البيضاء فبرزت عائلات غنية يضرب بها المثل في الجد والصدق والعمل، دون أن تقطع الصلة بالموطن الأصلي فأثروا وأثّلوا، واشتهرت منذ بداية القرن العشرين العائلات التافراوتية : أيْتْ وكْريمْ بطنجة، وأيْتْ باكّو، وأخْنُوش بالدار البيضاء. وفي بداية الثلاثينات ظهرت عائلة الحاج عَبْد السوسي، ثم عائلة أمزيل. وقد ساهمت هذه العائلات كلها وغيرها في رفع المستوى الاقتصادي لتافراوت.

أما العامل الآخر فيرجع إلى السياحة، إذ حبت الطبيعة تافراوت بمناظر خلابة قلَّ نظيرُها في غيرها، وخاصة الجانب الجيولوجي القديم والجانب الفلكلوري، بالإضافة إلى الصور المنقوشة على صخور الگرانيت في موضع تَازْكّا التي تمثل نوعا من الْمَهَا انقرض من المغرب منذ زمان، بالاضافة إلى موسم تافراوت السياحي المشهور في العالم، وكذلك المعاملة المهذبة من طرف السكان لكل سائح محترم لتقاليد البلاد.

وهناك مدرسة عتيقة تحمل نفس المواصفات الطبيعية، وتعرف بتافراوت - ن - المولود، وتقع في قبيلة رسموكة. تخرَّج منها عدد كبير من الطلبة، لكنها حالياً تخصصت في تدريس القرآن ورواياته، بينما كانت في القرن الثاني عشر (18 م) معروفة بالفقهيات والأدبيات، وقال عنها صاحب *المعسول* إنها ازدهرت بفضل الإمام أحمد بن سليمان الرسموكي نزيل مراكش المتوفى سنة 1133 هـ.

وفي أيت باعمران موقع يدعى تافراوت على الحدود بين منطقتي الحماية البائدة الفرنسية والإسبانية، اشتهر كمقر لجيش التحرير الذي حارب الاستعمارين معاً. وفي هذا الموقع سوق أسبوعية تقام يوم الخميس، وكانت في الأصل تسمى تافراوت إمْگرادْ، ولما وصل الاستعمار الفرنسي إلى عين المكان سنة 1934 م اتخذها مركزاً لمراقبة الحدود، فتحول اسمها إلى تافراوت - ن - أيت بْرَيـيّمْ، القبيلة المعروفة هناك، فجعلها جيش التحرير المغربي مركزاً لتدريب المجاهدين ومقراً للتموين ومخزناً للسلاح. وفي هذا المركز تسلح مقاومو أيت باعمران، ومنه أعطيت التعليمات وانطلقت الجماعات يوم الهجوم على جميع التكنات العسكرية الإسبانية سنة 1957، بالإضافة إلى مركز أنْدْجَا في الجنوب الذي ساهم بنفس الدور.

واشتهرت كذلك معركة تافراوت، في قبيلة أيت إخْلْف من قبائل أيت باعمران على بعد عشرين كيلوميتراً شرق مدينة سيدي إفْني، ويعرف هذا الموقع بتافراوت - ن - بني يعيش، وهناك دارت معركة بين الإسبان وبين المجاهدين الباعمرانيين سنة 1957، كانت من أولى المعارك التي أعجزت القوة الإسبانية عن استرجاع الثكنات المحاصرة خارج مدينة سيدي إفني. وبفضل مناعة الموقع الطبيعي واستماتة الرجال حلت بالإسبان هزيمة منكرة، ففيها أُبيدت الفرقة الإسبانية المرسلة لفك الحصار على ثكنة تيغْزا وفيها غنم المجاهدون أربع شاحنات عسكرية بما فيها من المعدات الحربية. والعجيب في الأمر أن المعركة ربحها المجاهدون باستعمال السلاح الخفيف كالبنادق ومدفع واحد، لكن في يد رجال مُحَنّكين ومدرَّبين.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، ص. 157 ؛ ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مرقون ؛ *بحث ميداني*.

الحسين جهادي

**التَّافْراوَسْتي**، عبد الله بن حسين الدرعي التَّلْكَمْتي - بجيم معقودة - ترجم له مَحمد بن عبد الله الخليفتي فقال : "الشيخ الصالح العالم العلامة الدراك الفهامة... ذو الخلق الحسنة والسجية المرضية، كان إماماً عاملا، فقيهاً تابعا للسنة، زاهداً تالياً لكتاب الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار..." ( *الدرة الجليلة*، 225).

انخرط في سلك الطريقة الناصرية على يد الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي. وهو الذي أمره بالانتقال إلى تَلْكَمْت - وتسمى أيضا تافَشْنَه - شمال شرقي زاكورة، على بعد حوالي ستين كلم منها. بعث به إلى تلك القرية ليقوم بتعليم أهلها وإرشادهم، وبث تعاليم الطريقة هنالك. فاستنابه عنه في تلقين الأوراد الناصرية. ( *الدرة الجليلة*، 225). واستوطن تلك البلدة وحسنت سيرته، وانكب على التدريس والإفتاء طيلة حياته. ولا شك أنه قام بدور بالغ الأهمية من أجل ترسيخ التعاليم الإسلامية وتكريس الثقافة العربية في تلك الجهات النائية. وكان هو وباقي تلاميذ الناصريين المنبثين في تلك الجهات يشكلون حلقات متواصلة في سلسلة الطريقة القوية آنذاك التي عملت كلها من أجل تلك المبادئ. وهكذا كانت بينه وبين عبد الله الخليفتي المتوفى سنة 1196 / 1782، مراسلات من بينها رسالة أثبتها الخليفتي الابن في كتاب الدرة الجليلة، نتبين من خلالها مدى العلاقة التي كانت تربط بين الرجلين كتلميذين للشيخ أحمد ابن ناصر ( *الدرة الجليلة*، 226).

وكان التافراوستي من أشهر فقهاء تلك المنطقة، حيث تخرج على يديه تلاميذ كثيرون من بينهم عبد الله الخليفتي سابق الذكر. وقد أشار في كتابه *الدرر اللوامع*، الذي نقل عنه ابنه ترجمة التافراوستي إلى أن والده استفاد من المترجم "فوائد".

ولم يشر الخليفتي الذي انفرد بالترجمة له إلى تاريخ وفاته، ونرجح أن يكون قد توفي بعد وفاة والده، أي بعد سنة 1196 / 1782.

مَحمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة*.

أحمد عمالك

**تافْرانْتْ**، موقع على قمة تل مطل على ورغة جنوبا، وعلى نهر أوضور شمالا. يقابله في اتجاه الشمال الشرقي جبل دوار بوقلعة المعروف بعُلاَّيين. كما يطل في اتجاه الغرب على سهل واسع عند ملتقى أوضور مع ورغة. ومن شدة استراتيجية هذا المكان أنه مشرف على قبيلة بني مزگلدة غربا رفشتالة جنوبا وبني ورياگل شرقا وهو أول بلاد بني زروال من الجنوب. وكان يعرف أيضا (بِبْطَمَة الغَوْث) محلياً. وهذه تسمية ذات مغزى اجتماعي ينصَرف إلى الاجتماع للحرب أو لأي مسألة أخرى اجتماعية. فكانت هناك في رأس هذا التل - وهو رأس منبسط نسبيا - شجرة "البْطَمْ" - وهو شجر كثير الظل - فكلما طرأت مشكلة اجتماعية أو اعتداء على القبيلة إلا وصعد أحدهم إلى هذا المكان، ونادى في الناس الغوث الغوث. فيجتمعون لإغاثته. وأما اسم تافرانت فهو اسم بربري متصل بالجانب الطبيعي، ومعناه مكان فيه انبساط وتقعر إلى حد ما وسط مرتفعات.

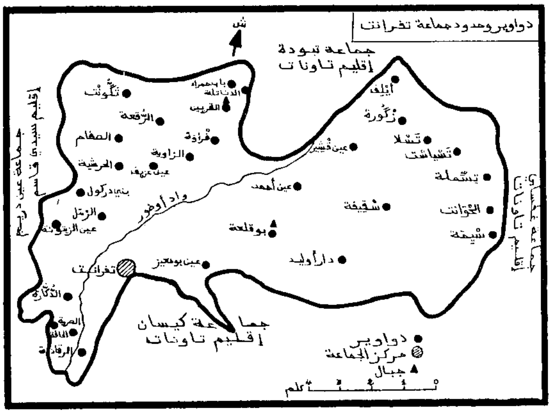


بقي هذا المكان قليل الكثافة السكنية وهو جزء من قبيلة بني زروال من فرقة أولاد قاسم، حتى جاء الاستعمار الفرنسي سنة 1921 حيث احتل فرقة أولاد قاسم. ثم حاول المجاهدون الريفيون والزرواليون تحرير هذا المركز الذي أصبح ثكنة عسكرية ومركزاً إداريا سنة 1925 م. ولكن المجاهدين لم يستطيعوا طوال مدة الصراع طرد الفرنسيين منه رغم تجاوزهم مكانه إلى فشتالة جنوبا. وبعد ضغط الفرنسيين على حركة ابن عبد الكريم في نهاية عام 1925 بهذه الجهات تقهقر المجاهدون وعادوا من فشتالة فحاصروا تافرانت. ولكنهم فكوا الحصار في معركة حاسمة أفضت بالفرنسيين إلى تابودة.

وهكذا أصبحت تافرانت المركز الإداري المهم في تسيير قبيلة بني ورياگل كاملة وأجزاء كبيرة من قبيلتي بني مزگلدة وبني زروال.

واستمرت تافرانت قيادة بعد الاستقلال كما أصبحت جماعة قروية أيضاً. تقع هذه الجماعة بعيدة عن الطريق الرئيسة رقم 26 الرابطة بين فاس ووزان بثمانية كيلومترات فقط. وسوقها الرئيسي هو سوق خميس بني ورياكل. وهي تابعة للقيادة الموجودة معها في نفس المكان ودائرتها هي غفساي، وعمالتها تاونات. تحيط بهذه الجماعة أربع جماعات أخرى تحدها من الشرق جماعة غفساي، ومن الغرب عين دريج، ومن الجنوب جماعة كيسان، ومن الشمال جماعة تابودة.

توجد بمركز هذه الجماعة عدة مرافق : مكتب قيادة تافرانت ومقر الجماعة، ومستوصف، ووكالة بريدية، ومؤسستان تعليميتان ابتدائية وإعدادية، وناد للاتحاد النسوي، وثكنة للقوات المساعدة.

أما مساحة هذه الجماعة الإجمالية فهي 35 كلم2. تتكون من جبال تتخللها أربعة أودية : واد أزهر موسمي رافد شرقي لأوْضُور، ويقسمها أوضور نصفين. بينما يمر نهر ورغة جنوبها، وأوْضِيَّار غربها.

تبلغ المساحة المستَعملة في الفلاحة 11.600 هكتار وتنتشر فيها زراعة الحبوب وخاصة القمح. يتم بعضها بتقنيات عصرية. وفيما يخص المساحة المخصصة لكل صنف من الحبوب، فالشعير 1650 هكتار، والقمح الصلب 3.700 هكتار، والقمح الطري 6.250 هكتار. وهي جميعاً ذات إنتاج مهم يمكن من التسويق بالإضافة إلى الاستهلاك. وهناك منتوجات أخرى كالقطاني في الأراضي الوعرة. ويُعنى السكان أيضا بسقي الخضر والفواكه على جانب الأنهار، وبغرس أشجار التين والكرم وخاصة الزيتون في سفوح المرتفعات، ويشتغل السكان أيضاً بتربية المواشي وخاصة الغنم 12.819 رأساً، والبقر 9.657 رأساً والماعز 5.135 رأساً. ويبقى إنتاج هذه الفلاحة، وتربية الماشية استهلاكيا باستثناء القمح.

ع. ابن خلدون، كتاب *العبر*، 6 : 211 ؛ *منوغرافية جماعة تافرانت*، 1991 ؛ *تحريات ميدانية*.

العربي الحمري

**تَافْرْسِيتْ**، قبيلة وقصبة بالريف الشرقي، تشغل مساحة شبه مغلق تحيط به مرتفعات من حدود القبائل المجاورة، ففي الشرق تبرز قمة جبل بوسْيِسي (891 م) من جهة فرقة إمسيرن الوليشكية. وتعلو بينَ القبيلة وتمسمان قمم أذرار تشاوين (985 م) وأذرار تمشت (969 م) وعقبة تيزي عزا (745 م) من جهة فرقة الربع الفوقي التمسماني. أما في حدود تافرسيت الغربية فتقف القمتان : أزرو إيفار (1.286 م) وأزرو أمحلي (1.387 م) المقابلة لأيت تاسفت التزينية. ولا ينفتح منخفض تافرسيت إلا من جهته الجنوبية الغربيةو بفصل جريان واد ملول وواد سپسة اللذين يتركان أمامهما سهب تمزارت وسپسه، ويرسمان الحدود بينها وبين قبيلتي بني بويحيى والمطالسة.

هذا الوسط الطبيعي الضيق هو الذي جعل عدد سكان القبيلة محدوداً، فهم يتجمعون في فرقتين صغيرتين : بني امحمد (6 مداشر) بالمنخفض، وبني خالد (4 مداشر) بالسفوح الغربية.

وهناك علاقة لهذا المجال الضيق باسم القبيلة. فاسم تافرسيت أو تْـفَـرّسيت مشتق، حسب التفسير المحلي الحالي، من "تَـفْـرَسّـتْ" الذي يعني المجال المقتطع من المحيط الغابوي. ومازال الفعل "أذْفَـرْسَـخْ" (اقتطع الأشجار) مستعملا بالمكان. وهناك واد يحمل اسم "فَرْسو".

ويعود أول علمنا بوجود اسم تافرسيت إلى ما ذكره ابن خلدون، حينما تراجع إلى أحداث سنة 657 هـ للإعلان عن مرور يغمراسن بن زيان، إثر تراجعه عن كَلْدَامَان (تازا) أمام زحف يعقوب بن عبد الحق المريني، بتافرسيت لانتسافها والعيث في نواحيها، وحينما أشار إلى وجود بقايا من قبيلة بطوية بتافرسيت باسم أولاد علي. ويدل هذا على مكانة تافرسيت على العهد المريني، مما يدفعنا إلى اعتبار ما تردده الرواية الشفوية عن مسجدها العتيق الواقع ببوحفوة من حمودة، ترجع نفس الرواية تأسيسه إلى إدريس الأول بمناسبة مروره بتافرسيت، وما يزال المسجد يحمل اسمه. مربع الشكل يتألف من ست عشرة سارية، محرابه متجه نحو الجهة الجنوبية، لم يقع تعديله إلا في سنة 1975. وتشير الرواية إلى مكان خاص بالفنادق والقيساريات ورواج التجار مع فاس الإدريسية.

وفي العهد العلوي نجد ذكر قصبة تافرسيت، أثناء حصار مولاي رشيد للقائد أحمد أعراص سنة 1074 / 1663 المتحصن بالقصبة، مما يدل على سبق وجودها، وهي واقعة بالمنخفض، لا يظهر منها سوى قسم من خرائبها المحيطة بالمركز الفلاحي الذي أنشئ بداخل مساحتها البالغة اثني عشر هكتاراً. كانت أسوارها عريضة ولها أربعة أبواب. مازال مسجدها بارزاً. وحينما مر رولان فريجوس سنة 1666 بتافرسيت ذكر أن قائد مولاي رشيد أسود اللون يدعى أبا خالد. وإلى قصبة تافرسيت التجأ مولاي علي بن إسماعيل وتحصن تحت حماية شيوخ قبائل گرط، وذلك سنة 1151 / 1738، فراراً من السلطان أخيه مولاي عبد الله. فنهض إليه الباشا أحمد بن علي الريفي وحاصرها وقبض على المتحصنين من مولاي علي والأشياخ. وعلى عهد الحسن الأول كان بها قائدها عبد السلام بن سلام التافرسيتي ما بين 1306 و1309.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 426 ؛ 7 : 173 ؛ ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، 89 ؛ عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 129، تح. بنعدادة ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 95.

*La relation de Roland Frejus*, *S.I.H.M.*, France, I : 144 - 145.

حسن الفكيكي

**تافرطاست**، موقع تاريخي مهم، يعتبر أول مقبرة

ملكية في الدولة المرينية، إذ دفن به أول ملوك بني مرين عبد الحق بن محيو وأكبر أبنائه أبو العلي ادريس، اللذان قتلا في المعركة التي وقعت بين قبائل بني مرين وقبائل رياح من عرب بني سفيان. وفي هذا الصدد ذكر صاحب *الذخيرة* أن الجمعين التقيا "بموضع يعرف بواجرهان (إجرحان حسب إپولار) بمقربة من وادي سبو، على أميال من قرية تافرطاست... وكان موت الأمير عبد الحق في المعترك يوم الأحد 22 جمادى الأخيرة من سنة 614 / 26 شتنبر 1217، ودفن عشي يوم الاثنين الثاني ليوم وفاته بظاهر قرية تافرطاست".

ومن المعروف أن السلطان أبا يوسف يعقوب بن عبد الحق بنى زاوية هناك سنة 83 ـ 684 / 1285 وجعلها مزارا له ولبني عشيرته ودولته، للترحم على روح أبيه وأخيه، وحبس عليها أراضي وعقارات تخصص مداخيلها لتأدية أجور حفظة القرآن الكريم المكلفين بقراءته بها، ولإكرام الزوار، والقيام بما تتطلبه العناية بمرافقها، وفي ذلك يقول صاحب *الاستقصا* : "فاختط هنالك رباطا حفيلا وبنى على قبر الأمير عبد الحق وادريس أسنمة من الرخام ونقشها بالكتابة ورتب عليها قراء لتلاوة القرآن ووقف على ذلك ضياعا وأرضا تسع حرث أربعين زوجاً".

ولم يفت أبا الحسن علي، سادس ملوك الدولة وأشهر مشيديها، أن اهتم بهذه المقبرة وبزاويتها، إذ قام بترميمها وتزيينها سنة 31 ـ 732 / 1331. ويظهر أن بناياتها وصلت في عهد أبي الحسن إلى مستوى رفيع في الزينة والزخرفة، كما يُعرف ذلك في المنشآت المرينية الأخرى التي خلفها.

ومهما يكن، فلا يمكن لنا اليوم الوقوف على حقيقة هذا الأمر ولا على أهمية المقبرة وزاويتها، مقارنة مع شالة مثلا، لكون موقع تافرطاست ما زال يعد من المواقع المجهولة التي لم يتم تحديد مكانها الحقيقي بعد.

ذلك أن كل التحريات والاجتهادات والأبحاث التي أجريت منذ عشرات السنين اعتمادا على النصوص لم تهتد إلى مكان الزاوية بالتحديد. وكان إپولار، مترجم كتاب الوزان إلى اللغة الفرنسية، قد أشار في هامشه عن مدينة الجمعة التي جعلها الوزان بمنطقة أزغار، إلى أن مرمول يسميها جمعة القرواش أو جمعة الكروش، وأن هناك فعلا سوقا للجمعة على الضفة اليمنى من نهر ورغة على بعد ثمانين كيلومترا من فاس، ومن ذلك يفضي إپولار إلى احتمال قوي يجعله يرى أن هذا السوق ينطبق فعلا على سوق جمعة تافرطاست.

ودون أن نجزم في الأمر، نريد هنا فقط أن نشير إلى أنه في شهر أبريل من سنة 1976 وصل إلى علم مصلحة الآثار الوطنية نبأ العثور على بقايا أثرية بموقع يدعى عين قرواش، يقع بالقرب من دوار المعاريف قيادة الخنيشات بمنطقة الغرب، وبالتحديد على بعد 50 كلم جنوب مدينة وزان، على الضفة اليمنى لنهر ورغة. وكانت أهم البقايا المذكورة عبارة عن ساحة مكشوفة طولها 5,35 م وعرضها 4,90 م، مكسوة أرضيتها بالزليج الملون، وتتوسطها نافورة ماء مستديرة الشكل مزينة كذلك بقطع الزليج الملونة. الكل محكم البناء، يوحي بمهارة جيدة في التشييد، وحس رقيق في التزيين، وهما الطابع الذي يغلب على المنشآت التي بالحواضر أكثر من تلك التي بالبوادي. وهذا ما أدى إلى إذكاء الفضول الأثري، بغية الكشف عن هذه البناية وما يجاورها، للوقوف على حقيقتها وأهميتها مساحة وشكلا وتنظيما.

من أجل ذلك كله، أجريت حفرية أولى همت ما يقرب من مائة متر2، تم العثور أثناءها على مجموعة من البنايات، أهمها : قناة مكشوفة لصرف الماء تحت البناء السالف الذكر من جهة الغرب وتتجه اتجاها شماليا ـ جنوبيا، وقاعة من جهة الشرق، يحدها جداران بنيا بالآجر المشوي المحكم الصنع، ويدخل إليها عبر عتبة طولها 1,46 متر مكسوة بالزليج المختلف الألوان كما هو الشأن بالنسبة للساحة ولوسط القاعة نفسها، وتعلو هذه العتبة مستوى الساحة بـ 10 سنتم وبكل جانب منها حق (crapaudine) يدل وجودهما على أن بابا خشبية كانت تغلق القاعة.

وفي السنة الماضية، توبعت الأشغال لتشمل ما يناهز مائة متر2 أخرى شمال الحفرية الأولى. وقد أبانت كذلك عن مجموعة جدران توحي ببنايات لاصقة بالمجموعة الأولى لكنها أقل أهمية، باعتبار انعدام الأرضيات المبلطة بالزليج مثلا.

وعلى كل، فمجموع ما تم اكتشافه إلى الآن، وخاصة المجموعة الأولى من البنايات يذكرنا في تقنية بنائه وأشكال زخرفته الزليجية، وأحجام قطع الزليج المستعملة (قطع مربعة من حجم 5,5 سنتم للضلع، وأخرى من حجم 12 سنتم للضلع، وثالثة مستطيلة من حجم 12,5 سنتم طولا و3,5 سنتم عرضا)، وحتى في بعض مكوناته كنافورة الماء مثلا، كل ذلك يذكرنا بما نعرفه في بنايات القرن الثامن (14 م) بالمغرب. وهذا وحده كفيل بالتشجيع على البحث والتنقيب علّنا نقف على ما قد يعزز فرضية وجود موقع تافرطاست بهذا المكان.


ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، ص. 34 ـ 35 ؛ *القرطاس*، الرباط، 1973، ص. 286 ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، الترجمة الفرنسية، ج 4، ص. 119 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 3، ص. 64.

J. Léon L'Africain, *Description de l'Afrique*, trad. Epaulard, Paris, 1956, p. 251 et note 383 ; J. Hassar-Benslimane, *`Ayn Karuash : un nouveau site archélogique islamique dans le Gharb*, *B.A.M.*, XII, 1979 - 80, p. 361 - 376.


عبد العزيز توري

**تافرݣانت**، تعني في وسط الرُّحَّل المكان المسور بالحجارة لحماية الماشية من مخاطر الذئب أو لاتخاذه كدرع واقٍ من البرد، أو كسدٍّ لجمع الغبار. ومعناها العام : الحمى. وتعني تافرݣانت عند أيت عطا ملجأ الماعز والأغنام، ومعناها العام الحِمَى. وهذه الأخيرة هي مصدر

الحليب الذي سيظهر دوره في معاهدة تافرگانت التي تبرم بين كبار المداشر والقبائل داخل اتحادية أيت عطا وتعد تعبيراً عن تقاليد جماعية للتضامن والتآزر والتآخي، فهي تكتسي القداسة والإجلال لدى أيت عطا أكثر من معاهدة تاضا.

كانت معاهدة تافرگانت في القرون الماضية تعتمد أساساً على الجماعة - وليس على الأفراد - ذلك أن الدفاع عن الأراضي الزراعية والمراعي وغزو المناطق الخارجة عن تأثير الاتحادية كلها عوامل تستدعي عقد تكتلات وأحلاف جماعية. وعن كيفية عقد تافرگانت فإنه يتم على مرأى ومسمع من مجتمعهم الخاص، حيث يتم استدعاء عدد من النساء المرضعات - مبدئيا مائة امرأة - من كل خمس من الأخماس التي يراد التآخي بينها، وعندما يتقابلن يتبادلن أطفالهن لترضع كل واحدة منهن رضيع المرأة الأخرى ثم يسترددن أطفالهن. وهكذا تتم القرابة بالرضاعة وتصبح هذه القرابة والتآخي سارية المفعول حتى بالنسبة للأجيال اللاحقة.

وقد لاحظ ج. سپيلمان G. Spillman في كتابه *أيت عطا الصحراء* أن تافرگانت التي أُبرمت بين أيت خباش وبني مَحمد تمت بشكل مخالف للعادة من حيث الشكل، ذلك أنه خلال اجتماع كبير تم جمع حليب نساء أيت خباش وحليب نساء بني مَحمد في جرة ثم شرب منه كل الأعيان الحاضرين، وبعد ذلك دفنت الجرة في نفس المكان الذي تم فيه عقد ميثاق تفارگانت.

تبرم معاهدة تافرگانت عادة بين جماعتين سبق لأفرادهما أن التقوا في مناسبات عديدة، كتنظيم المجال الرعوي، والدفاع المشترك ضد الغزاة خاصة أيت يافلمان. لهذا فمعاهدة تافرگانت تُعد تتويجاً لهذه العلاقات والمصالح المشتركة بين مختلف أخماس أيت عطا للحد من الصراعات التي قد تحدث، لأن المعاهدة تعني الأخوة في الرضاع.

إ. العمراوي، وإ. القري، *مساهمة في دراسة الجانب الاجتماعي، نموذج أيت عطا*، بحث لنيل الإجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگادير، 1991.

G. Spillman, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Rabat, 1936 ; Lieutenant Guenoun, *Renseignements complémentaires sur les Aït Atta*, Marrakech, 1924 ; David M. Hart, *The Aït Atta of Southern Morocco : Daily Life and Recent History*, London, 1984.

عبد القادر بوراس

**تَافَضْنَا**، شِعب عميق تحيط به عدة رواب بركانية ببلاد حاحة، بعيد عن الشاطئ بحوالي ثلاثة كيلوميترات بقبيلة إيداوسارن، وتكتب عند الوصافين الأجانب بتاءين فإذا نقل عنهم من لا يعرف نطقها المحلي رسمها بالعربية تافطنة أو تافتنة، اسم مؤنث يطلق في الأمازيغية على حوض الماء الساخن، كأحواض الحمامات. وقد اطلق اسم تافضنا توسعا على كل ما حول الشِّعب بما في ذلك مرسى الشاطئ الشهير منذ القدم بشاطئ تافضنا إداوْسارْن. وقد ذكره الحسن الوزان بقوله : "تافتنة ثغر على البحر المحيط بعيد عن إيغيلنيگيگيل بنحو أربعين ميلا إلى جهة الغرب، من بناء الأفارقة. فيها نحو ستمائة كانون، ومرسى في غاية الجودة للسفن الصغيرة... ويوجد في مدينة تافطنة جمرك وضريبة الملح. وفيها شيوخ وفقهاء. وسكان تافطنة شيديدو بياض البشرة، في غاية الألفة والمجاملة، يعامل الغرباء عندهم بأحسن مما يعامل أهل البلد أنفسهم. وعندهم منزل كبير للضيوف الغرباء" (*وصف إفريقيا*، 1 : 108).

وشاطئ تافضنا الحالي شاطئ اقتصادي وسياحي ورياضي وأثري. يشتغل فيه العشرات من الصيادين أصحاب القوارب الصغيرة التي بلغت هذه الأيام أكثر من خمسين قاربا، تسوِّق صيدها إلى مدينتي الصويرة وأگادير بواسطة سيارات صغيرة. وهو مصطاف بحري جميل هادئ يقصده المغاربة والأجانب للاستجمام في راحة وهدوء. وهو مهيأ تهييئاً طبيعيا لانطلاق السفن الشراعية الخاصة بالسباق الرياضي. يقع في مجمع أسفل منطقة كانت عامرة بالقرى المتصلة حتى كاد يطلق عليها اسم المدينة. وتوجد بهذا الشاطئ مغارة محفورة في جبل صخري مواجه للبحر يقال إن بداخلها صوراً منقوشة على جدران المغارة. ظل هذا الشاطئ مهملا إلى حدود الثمانينات فقامت عمالة الصويرة ببناء منازل صغيرة وغرف مخصصة للمصطافين وبعض المرافق الأخرى الضرورية.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 ؛ *تقرير أنجزه الأستاذ محمد الطيب الصويري حول هذا الشاطئ.*

محند أيت الحاج

** ميناء تَافَضْنَا صغير بمصب واد موسمي بحاحة، على بعد 75 كلم من أگادير، كان به في مطلع القرن العاشر (16م) ستمائة كانون. والقرية بمنطقة مرتفعة تنحدر جبالها في البحر بمنحدر واضح. وكانت تافضنا تستفيد من حوض أعطاها مرسى اعتبره بعض الرحالين في غاية الجودة تسع خمسة عشر أو عشرين مركبا من حمولة ستين طنا لكل واحد. (بريرا، ص. 62).

ورغم أن تافضنا لا تستفيد من معطيات طبيعية جيدة، ولا توجد بمنطقة غنية، فإنها عرفت منذ مطلع القرن العاشر (16 م) رواجا تجاريا لم تعرفه لا قبل هذا التاريخ ولا بعده. فقد استفادت كثيرا من احتلال البرتغاليين لمرسى فونتي (أگادير) منذ سنة 911 / 1505، ومن احتكارهم للتجارة به، كما استفادت من مبايعة الأشراف السعديين سنة 915 / 1509 - 1510. وبذلك تظافر عاملان ليجعلا من ميناء تافضنا الصغير، الذي يمكن مقارنته بميناء تيط، مقصد التجار الجنويِّين والإسبان والفرنسيين، وحتى البرتغاليين الذين كانوا يتوخون من ذلك التملص من الضرائب الجمركية التي كان البرتغاليون يفرضونها (20٪)، وتحطيم الاحتكار البرتغالي فيما يخص عرض السلع، وخصوصا منها الأسلحة، التي كانت تذر أكبر الأرباح، والتي أصبح إقبال السعديين عليها كبيراً. وهكذا نشط ما أسماه البرتغاليون

"بالتهريب"، وأصبح أولئك التجار يعرضون الأثواب والعقاقير، وخصوصاً الأسلحة، ويقتنون الشمع والنحاس والسكر والتبر. وقد أكدت تقارير المسؤولين البرتغاليين آنذاك على العلاقة بين الرواج الذي أصبحت تعرفه تافضنا وتاركوكو وتزايد تسليح الأشراف، وتقلص النفوذ البرتغالي قبل أن تُعرّض حامية أگادير لهزيمة كبرى في ربيع عام 948 / 1541. لذا حاول برتغاليو أگادير وأسفي القضاء على ذلك النشاط بالهجوم المفاجئ على تافضنا وتخريبها وإحراق المراكب أو مصادرة السفن المسيحية الراسية بها وأسر أصحابها. غير أن هذه المحاولات، التي نجد بعض التفاصيل حولها عند الإخباريين البرتغاليين، لم تستطع جعل حد لذلك النشاط لاستفادة كل من "المهربين" والسعديين منه. وبالطبع أدى تحرير أگادير في ربيع العام المذكور إلى تقليص نشاط تافضنا لأن الميناء السوسي يسمح بالتجارة في ظروف أحسن.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1 : 86 ـ 78. (ط. الرباط) ؛ ك. مارمول، *إفريقيا*، 2 : 22 (ط. الرباط).

P. de Cenival (trad.), *Chronique de Santa Cruz du Cap de Gué (Agadir)*, Paris, 1934 ; R. Ricard (trad.), *Les Portugais au Maroc*..., Rabat ; *S.I.H.M., Ière série, Portugal*, Tome V, art. *Tafetna* (Index) ; P. Pereira, *Esmeraldo*... Lisbonne, 1975, p. 62.

أحمد بوشرب

**تَافْگُرُوتْ**، رباط يقع بمنطقة بني علي من واحة فزواطة، بالضفة الغربية لواد درعة، على بعد عدة كيلوميترات جنوب زاوية تامگروت الناصرية.

وتدل كل القرائن على أن رباط تافگروت من الربط القديمة بدرعة التي يجاوز عددها اثني عشر رباطا، كانت تنتشر على طول واحات درعة من مزچيطة شمالا إلى محاميد الغزلان جنوبا (*مذكرة المزريوي*، 5). وبالرغم من أن عددا من ربط وادي درعة قد اندثر ولم يبق منه إلا الذكر الذي لا يزال عالقا بذاكرة السكان، فإن عددا منها لا يزال قائما كما هي حال رباط الحجر شمال مدينة زاگورة، ورباط المزوار بواحة تينزولين، ورباط طَجِّينة بواحة مزچيطة، ورباط أگدز وغيرها.

كان متعهدو هذه الربط يعرفون محليا "بالمرابطين" أو "إگرامن" باللهجة الأمازيغية كما هو الحال في الأطلس الكبير وبلاد سوس. وكانت مهمة هؤلاء المرابطين تشمل نشر العلم وبث مبادئ التصوف وتعبئة الناس للجهاد كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

كان المرابطون يتلقون أموال الزكاة والأعشار من القبائل المجاورة للرباط، الأمر الذي كان يسمح لهم باستقبال الفقراء والمعوزين وأبناء السبيل، وتقديم الوجبات الغذائية يزداد أهمية إبان أزمات الجفاف الحاد، التي كثيرا ما حلت بسكان الواحات. وقد كانت هذه الوظائف التي يقوم بها المرابط انطلاقا من الرباط، كافية لإضفاء طابع من التقدير والاحترام المشوبين بنوع من التبجيل والتقديس على الرباط وصاحبه بين سكان وادي درعة. وفي هذا الإطار تذكر وثيقة عثر عليها بواحة لكتاوة، أن قحطا شديداً وقع بدرعة خلال القرن العاشر الهجري (16 م)، فكان أهل الفضل والدين مهتمين لذلك متضرعين إلى الله في كشف ما نزل بهم عند قبور الصالحين الأحياء منهم والأموات ملتمسين رحمة الله وغيثه عندهم، طالعين من واحة اكتاوة بعد زيارة مَن فيها من الصالحين، إلى أن وصلوا إلى شيخ الطريقة، الجامع بين الشريعة والحقيقة أبي العباس سيدي أحمد بن علي الحاجي (ت. 998 هـ) بواحة ترناتة، فأخبرهم بأن ما يطلبونه عنده ليس من أهله، ولا كان على بابه، وذكرهم بأن باب ذلك تركوه وراءهم برباط تافگروت. واشترط عليهم أن يهيئوا صدقة كبيرة (طعاماً يطعمونه المساكين) بالرباط المذكور عند ضريح صاحب الرباط الحاج علي بن عمرو. وقد ظل أهل درعة إلى وقت قريب، إذا أصابهم القحط، وألح عليهم الجفاف يجتمعون عند ضريح الحاج علي بن عمرو برباط تافگروت، فيقدمون الصدقات ويقرأون عددا من سلك القرآن، طلبا للغيث والاستسقاء. وبالرغم من أن كتب المناقب بدرعة، لم تعرج لسبب من الأسباب، على ذكر الحاج علي بن عمرو صاحب رباط تافگروت، فإننا نستشف من الوثيقة التي أشرنا إليها، ومن خلال التقدير الكبير الذي كان يتمتع به، من شخصيات صوفية وعلمية، مثل سيدي أحمد بن علي الحاجي، وسيدي أحمد أدفال، أن الرجل قد يكون عاش في نهاية القرن التاسع (15 م) ومطلع القرن العاشر (16 م). ذلك أن واحة فزواطة خاصة ودرعة عامة، كانت تموج خلال هذه الفترة بالذات بعشرات من المتصوفة. ومن المعلوم أن هؤلاء المتصوفة قد نجحوا في الدفع بأحد أشراف تاگمادارت، القريبة من رباط تافگروت، إلى قيادة الجهاد وتولي السلطة السياسية في المغرب مع مطلع القرن العاشر (16 م).

وقد اندثر رباط تافگروت، وقامت على أنقاضه زاوية سيدي بلال الحالية، ولا يزال سكان بني علي خاصة وسكان فزواطة ودرعة عامة، يقومون بزيارة رباط تافگروت ويبجلون الحاج علي بن عمرو إلى اليوم.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ عبد الكريم المزريوي، *مذكرة المزريوي*، مخطوط خاص ؛ أ. البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي لدرعة*، د.د.ع. كلية الآداب الرباط، 1988 ؛ *وثائق محلية في حوزة الكاتب*.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draa*, *A.M*, volume 9, Tome 2, Paris, 1931.

أحمد البوزيدي

**تافْنْگولت**، مركز قيادة وجماعة قروية تابعة لدائرة افريجة بإقليم تارودانت بالسفوح الجنوبية للأطلس الكبير المركزي. فهي منطقة دير جنوبية تمتد على حادور يتدرج نحو الجنوب (900 م ـ 600 م) مكونا من مواد فتاتية رباعية حديثة والمنحدرات الدنيا لجبال الأطلس : كلس كريتاسي وصلصال وحث أيوسيني. يبلغ عدد سكانها 18.255 ن (1982) ينتمون إلى قبيلة إخْنْگيرن التابعة للمجموعة

القبلية أيت سمگ، يعرفون تزايدا ديموغرافيا ضعيفا بسبب الهجرة الخارجية التي تتناول 80 شخصا بالجماعة، وداخلية نحو المدن والمناطق الزراعية الغنية بسهل سوس، يشتغل معظم السكان بأنشطة فلاحية : زراعة مروية عند العيون العديدة وأماكن فيض السيول. أهم المزروعات هي الزيتون واللوز والحبوب، وبعض الخضر للاستهلاك الذاتي، وتنتشر زراعة بورية يناصيبية على السطوح المستوية والمنحدرات الضعيفة، تهتم أساسا بالشعير، وهناك أشجار اللوز البوري في جهات متفرقة. وتحتل تربية الماشية أهمية خاصة الماعز والأغنام التي تجد في السفوح والتلال وغابات الارگان مراعي واسعة، كما تشتهر المنطقة منذ القديم بتربية النحل الذي يجد في المنحدرات المكسوة بأعشاب جبلية خاصة الزعتر (أزوكني) تغذية جيدة. وتشتهر قبيلة إحنگيرن بأجود أنواع العسل وتبذل الجهود الكثيرة لتحديث هذا النشاط بتوجيه من خبراء، فتكونت جمعية منتجي العسل، كما يحمل مربو النحل بوادي سوس صناديق النحل إلى المنطقة لتغذية النحل من أعشابها في الربيع والصيف.

مركز تافينگولت : مقر قيادة وجماعة قروية واسعة، لكن تقلصت مساحة تافينگولت بانفصال قبائل ومراكز مهمة من جملتها أولوز الذي صار مركز دائرة في إطار سياسة اللامركزية، ولأهمية الموقع فقد كان مركز قيادة قبل الاستعمار تابعا لقائد گندافة واختاره المستعمر كمركز إداري لموقعه الاستراتيجي المشرف على سوس الأعلى فأنشأ به مركزاً جديداً للقيادة وثكنة للمخازنية ومنشآت إدارية واجتماعية، وتعزز هذا الدور في عهد الاستقلال بالمزيد من المنشآت العمومية.

يوجد المركز على الطريق الثانوي رقم 501 مراكش - تارودانت، يبعد عنها بحوالي كيلوميترين، فوق متن مستوى ارتفاعه 805 م، ويتكون اليوم من مركز إداري يضم المنشآت الإدارية وسكن الموظفين يتميز بطابع حضري وتجمع سكني آخر متصل به يضم السويقة وبها 32 دكانا ومقهى ومحطة بنزين ويحيط بهذه النواة تجمعات سكنية على شكل دواوير تنتشر وسط البساتين المسورة خاصة على طول طريق ملتو مرصف جزئيا يتجه شرقا نحو أُنايـن تعبرها السواقي والمسالك الظليلة. يبلغ سكان هذه المجموعة حوالي 900 ن ويعيش المركز حاليا ركودا اقتصاديا وديموغرافيا. يعقد به سوق أسبوعي يوم الاثنين فوق متن مسطح على الطريق الثلاثي الذي يربط المركز بالطريق الثانوي 501، يفصله عن المركز واد بوسراويل الجاف وهو سوق محلي صغير قليل الدكاكين ضعيف التجهيز.

*بحث ميداني في خريف 1990 ؛ خرائط طبوغرافية وجيولوجية.*

أحمد هوزالي

**تافوغالت**، جبل وقرى بأنجرة الهبطية، يقع الجبل بالجنوب الغربي من القبيلة، ويحيط به من جهاته الشرقية والجنوبية والغربية حوض وادي مغوغا الذي يصب بخليج طنجة، تظهر ارتفاعات كتلته في ظهر القشلة (291 م) والبرج (269 م) وتافوغالت (236 م) والجبل معروف لدى البكري، ففي القرن الخامس الهجري كانت به قرارات كثيرة لقبيلة متنة الصنهاجية، من أهم تجمعاتها قرية الرصافة (تافوغالت الحالية). وقد أضافت مصادر القرن الخامس عشر الميلادي البرتغالية إلى سكان الجبل قرى البرج وبني أبي العيش وبني واسين.

وقرية تافوغالت واقعة على السفح الشرقي من الكتلة مما يقابل قريتي الرمان والقشلة بجوار منبع واد مغوغا، تابعة من الوجهة الإدارية الحالية إلى فرقة البحرويين من أنجرة. وهي نفس القرية التي سماها البكري بالرصافة كانت آنذاك أهم قرى الجبل. وقد تعرف عليها الإخباري البرتغالي "زورارا"، بمناسبة سرد أخبار غارة القصر الصغير على القرية سنة 867 / 1462. إذ أن القرية كانت ملجأ العديد من رجال فحص طنجة المعرض للغارات البرتغالية، مثل النخلة وسط وعمر والعنصر، بما كانت تملك من الأبقار والأغنام، وبذلك كانت القرية آهلة. وقد احتاج حاكم القصر الصغير إلى الاستعانة لتنظيم الغارة عليها بفرسان قشتالة. ويظهر عدد السكان من مجموع القتلى البالغ ثلاثمائة وخمسة وخمسين فرداً. وقد عاد بعض الهدوء إلى القرية بعد انسحاب البرتغاليين من القصر الصغير (957 / 1550). وإليها تنتمي أسرة الشيخ عبد الله بن محمد الهبطي المتوفى عام 963 / 1555.

البكري، *المغرب في ذكر افريقيا والمغرب*، 108 ؛ م. ابن عسكر، *الدوحة*، 7 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 239.

Zurara, *Cronica do D. Duarte de Meneses*, 304 - 307 ; B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, 1 : 237 - 238.

حسن الفكيكي

**تافوغالت**، مركز تاريخي قديم في الشمال الغربي لمدينة وجدة بجبال بني إزناسن على ارتفاع 500 م. وتُعد المغارة الموجودة به والمعروفة بمغارة الحمام من أشهر المواقع لعصر ما قبل التاريخ، لا على صعيد المغرب الأقصى فحسب، بل على المستوى العالمي أيضا. وفعلا تزامنت المغارة المذكورة، مع الفترة الأخيرة للعصر الحجري القديم Epipaléothique. ولقد اهتم بالتنقيب بها ودراسة عهودها، الأب روش الذي كتب العديد من المقالات، نذكر من بينهما على الخصوص :

J. Roche, *La grotte de Taforalt, Actes du IIème Congrès Panafricain de Préhistoire*, Alger, 1952 (1955), pp. 647 - 652 ; *Note préliminaire sur la grotte de Taforalt (Maroc oriental), Hesp.*, 1953, pp. 89 - 116 ; *La grotte de Taforalt, L'Anthropologie*, 57, 1953, pp. 375 - 380 ; *L'Atérien de la grotte de Taforalt (Maroc oriental), B.A.M.*, t. VII, 1967 (1970), pp. 11 - 56 ; *Les industries paléolithiques de la grotte de Taforalt (Maroc oriental) : Méthode de l'étude, évolution technique et typologique. Quaternaire*, Rome, t. XI, 1969, pp. 89 - 100 ; *La grotte de Taforalt, B.S.H.M.*, 3, 1970 - 71, pp. 7 - 14.

مصطفى مولاي رشيد

** أما في القرن العشرين فقد كانت تافوغالت من أهم المواقع التي شكلت عقبة كأداء أمام زحف الجيوش الفرنسية انطلاقا من الجزائر وذلك قصد احتلال المغرب قبل سنة 1912. وكانت تافوغالت من أهم معاقل المقاومة لقبائل بني إزناسن ضد الاحتلال الفرنسي.

وقد جاء احتلال تافوغالت ضمن الاستراتيجية العسكرية الفرنسية التي تستهدف السيطرة على المغرب الشرقي بعد احتلال وجدة يوم 29 مارس سنة 1907 على إثر اغتيال الطبيب الفرنسي الجاسوس الدكتور موشان في مراكش يوم 17 مارس 1907. واتخذت فرنسا من هذا الحدث ذريعة لاحتلال وجدة أولا انطلاقا من الجزائر ثم الدار البيضاء ثانيا حيث أخذت المدرعة گاليلي Galillée يوم 5 غشت 1907 تمطر الدار البيضاء بالقنابل وهبط الجنيرال درود Drude من الباخرة شيلا Shella يوم 7 غشت 1907 ليدوس تراب المدينة المغربية الشهيدة وليفك الحصار على بحارة گاليلي المحاصرين من طرف السكان المدنيين.

وفي هذه الأثناء كان الجنيرال ليوطي يخطط لتوسيع رقعة الاحتلال في المغرب الشرقي في اتجاه عيون سيدي ملوك وتافوغالت وأحفير وتاوريرت، فقامت قبائل المغرب الشرقي خاصة قبائل بني إزناسن بتنظيم المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي في سهول طريفة وقمم جبال بني إزناسن أو فوق ضفاف نهر ملوية. وهكذا اشتبك بنو إزناسن لأول مرة مع القوات الاستعمارية المغيرة في سهل بني ادرار يوم 7 أكتوبر 1907 وتم إلحاق الهزيمة بجيش يقوده المقدم بارتو Barthaud واشتبكوا مع هذه القوات للمرة الثانية يوم 23 نونبر 1907 في نفس المنطقة حيث واجهوا قوات النجدة والامدادات التي قادها العقيد فيلينو Felinaux وذلك في بسيط تاوريرت، ثم دخلت الحرب عندما حشد الاستعمار الفرنسي كل عتاده الحربي الساحق وعبأ خبرة قادته العسكريين قصد القضاء على مقاومة قبائل المغرب الشرقي وكسر شوكة أبطاله، وهكذا تم استنفار قوات ضخمة وزعت على ثلاث مجموعات وكانت هذه الطوابير تحت قيادة ضباط لامعة أسماؤهم في التاريخ العسكري الفرنسي أمثال العقيد فيلينو Felineau والعقيد بانليو Banlieu والعقيد باشونك Bashung وتم إنزال الفريق الأول من منطقة كيس لمواجهة قبائل طريفة، والثاني في وجدة لمواجهة أنجاده، بينما وضع الطابور الثالث لمواجهة قبائل بني إزناسن وتميزت هذه المرحلة بشن حرب إبادة ضد السكان، وتم القيام بحملات تأديبية ضد القبائل بإيعاز من ليوطي. وهكذا تم تدمير منزل زعيم المقاومة المختار بوتشيش كما تم تخريب ممتلكاته. وتقدم العقيد بانليو Banlieu بجيوشه وتم احتلال تافوغالت يوم 23 نونبر سنة 1907 والتحقت به جيوش العقيد فلينو Felineau. وتم تجميع قبائل بني إزناسن بتافوغالت قصد تقديم الاستسلام للجنيرال ليوطي وإمعانا في الإذلال والإهانة فرض على الأعيان والشيوخ ذبح ثور التعرقيبة أمام الجنيرال ليوطي الذي أشرف على مراسيم الاستسلام المشحونة بالشروط منها : نزع حوالي 1.200 بندقية من القبائل واستخلاص 210.000 فرنك كذعيرة، كما فرض على القبائل شق الطريق الرابطة بين تافوغالت والمناطق المجاورة لها، وتقديم التسهيلات للجيوش الفرنسية للقيام بأعمال الدوريات. وتحولت تافوغالت إلى قاعدة عسكرية يرابط فيها حوالي ألف جندي لمراقبة تحركات قبائل بني إزناسن. كما أُنشئت حاميات مماثلة في بركان وأحفير وعين الصفراء. وهكذا شكل احتلال تافوغالت والمناطق المجاورة لها مرحلة انطلاق للتوسع الاستعماري في المغرب الشرقي وذلك قبل توقيع معاهدة الحماية سنة 1912.

الصديق بن العربي، *كتاب المغرب*، الرباط 1956.

A. G. P. Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaine*, Paris ; Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 ; *Le mémorial du Maroc*, Tome I, Rabat, 1983 ; *Bulletin de la société d'histoire du Maroc*, n° 3, 1970 - 71, pp. 7 - 14 ; J. Roche, *La grotte de Taforalt (Maroc oriental)*, *Hesp.*, t. XL, 1953, pp. 89 - 116.

عبد القادر بوراس

**تافلالت**، يدل اسمها الأمازيغي على مجمع الماء وينسب إليها أفيلال أو الفيلالي أو التافيلالتي.

اسم جهة في جنوب شرق المغرب، ينطبق محليا على واحة واحدة هي التي بين وادي غريس ووادي زيز في منطقة تقارب هذين الواديين. وقد يتوسع في استعمال الاسم وطنيا ليشمل مجموع منطقة وادي زيز.

ذهب الأستاذ العربي مزين في رسالته الجامعية في تاريخ تافلالت التي نشرتها كلية الآداب بالرباط باللغة الفرنسية عام 1987 إلى أن تاريخ هذه المنطقة يمكن تقسيمه إلى حقبة ما قبل 1631 وحقبة ما بعد هذا التاريخ الذي هو تاريخ قيام الأسرة العلوية الفيلالية التي استطاعت خلال ثلاثين عاما على وجه التقريب الصعود لتصبح الأسرة الملكية الحاكمة للمغرب وتصير لمنطقة تافلالت باعتبارها مهد هذه الأسرة مكانة خاصة واعتبار متميز.

لمنطقة تافلالت أهمية محلية تكمن في المعطيات البيئية لواحاتها وفي علاقة تلك الواحات بالمناطق شبه الصحراوية المجاورة شرقا وغربا والجبلية المجاورة لها شمالا، ولها أهمية عل صعيد تاريخ المغرب باعتبارها ممر إحدى طرق التجارة العابرة للصحراء والتي كانت نشيطة لا سيما بين القرن الثالث والقرن التاسع الهجريين حيث اشتهرت مدينة سجلماسة في هذه المنطقة.

وقد كانت تافلالت للأسباب البيئية والستراتيجية المذكورة مدار صراعات بين الرحل والمستقرين من جهة وبين الحكومات في العواصم وبين الإمارات الناشئة في الأطراف أو الثائرين في الهوامش. وكان الاستيلاء على تافلالت مبعث قوة حاسمة في كثير من الأحيان.

لمجتمع تافلالت تقاليد عريقة في العيش في القرى المحصنة (القصور) المعروفة في الواحات ولديه عبقرية في تدبير موارد الطبيعة لا سيما في الفلاحة وأعراف مناسبة

للبيئة وللحفاظ على البقاء وتقوية الروح الجماعية وإبداع في الأدب واللحن وهمة في الدفاع عن الوطن شهدت بها وقائع القرون الأخيرة ومحاربة الاستعمار في هذا القرن على الخصوص.

يمكن استكمال المعلومات عن *تافيلالت* من خلال مواد متفرقة في هذه المعلمة مثل :

بني محمد - تابوعصامت - تايسًّا - التمور - تيزمِّي - تيعقيدين - تينجيوتْ - الحراطين - أيت خباش - الخطارات - الدرقاويون - الرتب - الريصاني - زيز - سجلماسة - السفالات - السيفا - الصبّاح - أيت عطا - العلويون - الغرفة - غريس - القصر - قصر السوق - المعاضيد - الملحون.

وتوجد ببيبليوغرافيا مستفيضة عن الموضوع في :

L. Mezzine, *Le Tafilalet, contribution à l'histoire du Maroc au XVIIème et XVIIIème siècle*, Publication de la Faculté de Lettres, Rabat, série : thèses, 13, Imprimerie Annajah al Jadida, Casablanca, 1987.

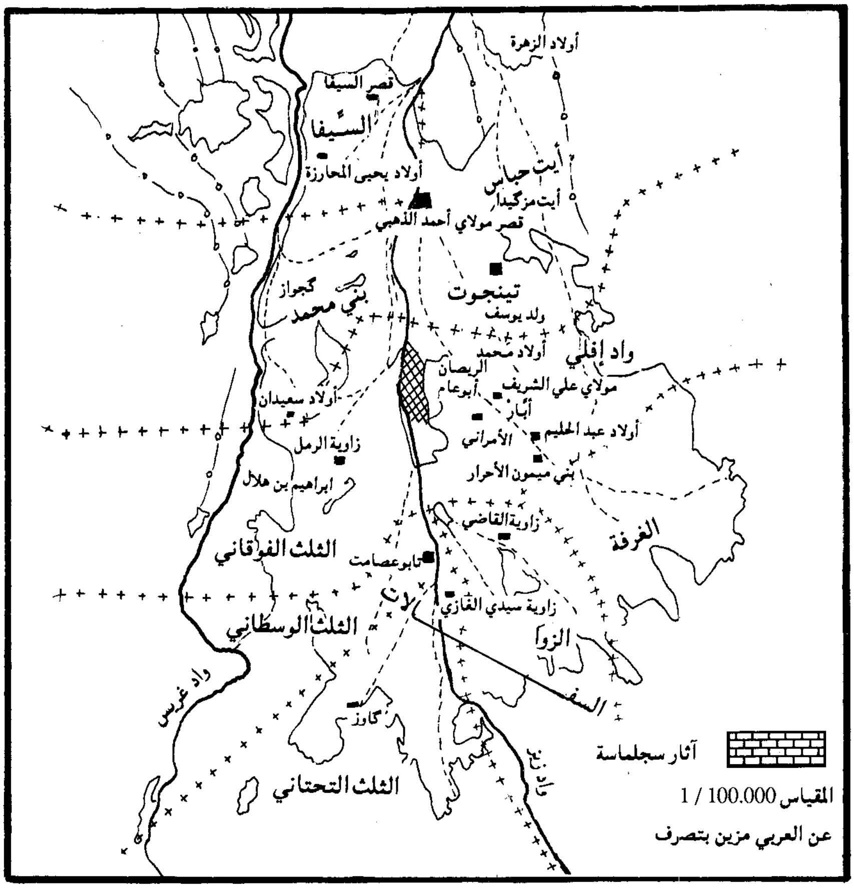


واحة تافيلالت : القصور والقبائل

**التافيلالتي**، محمد بن محمد الطيب، من المغاربة الذين شدوا الرحلة إلى المشرق في طلب العلم واستهوتهم دياره فاستقروا بها وساهموا في مجال الحركة العلمية تدريسا وتأليفا وإفتاءً. وهذا حال صاحبنا الذي غادر بلاده وأقام بطرابلس بليبيا مدة، التحق بعدها بالأزهر بالقاهرة لأجل الدرس والتحصيل. ثم بدا له أن يزور دمشق عدة مرات وأن يستقر بالقدس من حيث تولى بها خطة الفتوى للحنفية بعد أن انتقل من المذهب المالكي إلى الحنفي، وظل بها إلى حين وفاته سنة 1191 / 1777.

لم يكن التافيلالتي مجرد فقيه بل كان أيضاً محدثا وأديبا وصوفيا خلوتي الطريقة، وبذلك اتسع ميدان تأليفه. ولعل كتابته تصل إلى ثمانين مؤلفا حسب ما ذكره المرادي في الجزء الرابع من *سلك الدرر*، منها : *ما ورد في الفصد والحجامة* ؛ *والمعراج* ؛ *وأسرار البسملة* ؛ *وحسن التبيان في معنى مدلول القرآن* ؛ *والصلح بين المجتهدين* ؛ *والقهوة والدخان* ؛ *والاستقصا لما صح وثبت في المسجد الأقصى وصخرة بيت القدس* ؛ وديوان ؛ *وتحفة المجدين بنصرة خير الدين* ؛ *والتحريرات الرائقة والرسالة الفائقة* ؛ *ومنحة الودود بشرح ما ألهمه أبو السعود* ؛ *وغاية الإرشاد في أحاديث البلاد* ؛ *والنفح المعنوي في المولد النبوي* ؛ *والإسعاد بشرح تخميس بانت سعاد* ؛ *والخير الوابل في تعطيل مطالب السائل* ؛ وثبت يشتمل على جميع مروياته.

وهذه المؤلفات لا يزال بعضها مخطوطا وقد عاينها الباحث خير الدين الزركلي في مكتبة الخالدية بالقدس. وأما عبد الحي الكتاني فقد ذكر في *فهرسه* أنه يروي للتافيلالتي ما له من الطرق بسندها.

المرادي، *سلك الدرر*، الجزء الرابع ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 1 : 268 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 7 : 296 ؛ ح. البغدادي، *هدية العارفين*، ص. 241 ؛ *إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون*؛

م. كحالة، *معجم المؤلفين*، 11 : 227 ؛ أحمد الشرقاوي إقبال، *بانت سعاد في إلمامات شتى*، ص. 55.

محمد ماكامان

**تاقَنْدُوت** (للاّ ـ)، كهف عميق بقبيلة نكنافة الحاحية على بعد خمسين كيلومتراً جنوب الصويرة، يستعمل للتطبيب الشعبي فيقصده للاستشفاء المرضى المصابون بالخلل العقلي، والمس بالجنون، في نظر من يعتقد أن مسكن الجن يكون تحت الأرض أو المزابل والمغارات والعيون والجبال وقفار الأرض. وكهف للاّ تاقَنْدُوتْ يكاد يجمع كل هذه المواصفات. فهو يقع في سفح جبل عند مصب وادي أجِّنْدَا في وادي تاقَنْدوت المنسوب إلى هذا الكهف. والمنطقة جبلية صخرية تخترقها عدة ممرات طبيعية على شكل كهوف صخرية تنبت على جوانبها العمودية أشجار الأركان الصغيرة. وعلى الضفة اليسرى للوادي يفتح كهف عميق يدعى زاوية لَلاّتَاقَنْدُوتْ أو إيمي ـ ن ـ تاقندوت، وعند مدخل الكهف نرى ممرين على عمق اثني عشر إلى خمسة عشر متراً، ويفترق الواحد عن الآخر بأعمدة طبيعية.

والزاوية الحقيقية في قعر الممر الأيسر، حيث توجد بعض أجزاء الثوب معلقة في صخرة، وعلى الأرض فرشت حصيرة لمن يريد أن ينام للاستخارة أو طلبا للشفاء من الصرع أو العقم عند النساء خاصة، وغيرها من الأمراض المستعصية على الدواء بالعقاقير. ويسود الاعتقاد عند الزوار أنه في ظرف ثلاثة أيام بلياليها يتلقى المستخير أو المريض أجوبة غيبية لسؤال محير أو إرشادات يجب اتباعها في أمور صعبة، أو طريقة للشفاء من مرض مزمن. والأجوبة تأتي البعض في منامه، ويسمعها البعض الآخر على شكل صوت من تحت الأرض، غالبا ما ينصح المريض بالذبح على ضريح سيدي محند أوسليمان الجزولي (ت. 870) المجاور. مع المكوث به هو الآخر لمدة ثلاثة أيام، لأن الاعتقاد أن هذا الولي الصالح هو الحاكم على الجن الساكن في الكهف، فهم خدامه الأوفياء في نظر العامة. أما للا تاقندوت فهي شخصية لها في نظر العامة علاقة بشياطين الجن وتحكم العفاريت الذين يسكنون الكهف والذين يشكلون خطرا كبيرا على كل من يريد الدخول إليه ما لم يطلب التسليم أو يقدم القربان.

إن للاتاقندوت في حاحة تشبه سيدي شمهروش بغيغاية في الأطلس الكبير وعائشة قنديشة التي يزعمون أنها تتشكل في أوصاف مختلفة و تقطن البحار والأنهار ومنابع المياه في المغرب خاصة (*التطبيب والسحر في المغرب*، ص. 71). ويبدو أن هذه المعتقدات يرجع بعضها إلى ما قبل الإسلام حيث تقام العبادات في الكهوف المقدسة، ثم جاء الإسلام فامتزجت بالاعتقاد في الأولياء والصالحين أصحاب الكرامات والخوارق أمثال سيدي مَحمد ابن سليمان الجزولي المنقول شلوه إلى مراكش فبقي ضريحه في حاحة إلى جانب إيمي ن تاقندوت مقدسا ومزارا تقدم إليه النذور والقرابين في مختلف المناسبات. فاكتسبت تاقندوت صبغة قدسية دينية إلى جانب طابعها السحري الأسطوري.

نادية بلحاج، *التطبيب والسحر في المغرب*، الدار البيضاء، 1984 ؛ *تحريات ميدانية*.

E. Doutté, *En tribu*, p. 287 - 274.

محند أيت الحاج

**تاگاوست**، مدينة قديمة يمثل موقعها مدشر لگصابي على بعد حوالي ثمانية كيلومترات جنوب غرب مدينة گلميم الحالية. ويعد ابن سعيد أول من أورد ذكر هذه المدينة خلال القرن السابع (13 م) معتمدا في ذلك على تداخل إگزولن (گرولة) بإيليميضن (لمطة) وادي نون. وقد كان منطلقه أن تاگاوست قاعدة إگزولن وأنها تقع شرق وادي نون. غير أن هاتين الخاصيتين لا تعتمدان الدقة مكتفيتين بإشارات تقريبية وتوجهات احتمالية لا تربط بين مجالات وادي نون القروية.

من هنا فإن تفصيل المعطيات الأساسية المميزة لتاگاوست عن نول لمطة ومداشر وقرى تاغاجيجت على نفس الوادي يجعل من متطلبات الملاحظة المضبوطة الفصل الفعلي بين هذه المجالات القروية وتحديد تعريفتها الإثنية. لقد صدق ابن سعيد وابن خلدون حين ذكرا تاگاوست بمعزل عن نول لمطة غير أنهما لم يوردا ذكراً لتاغاجيجت التي كانت تحمل نفس الاسم خلال القرن الخامس (13 م) (تاغاجيجت، *معلمة*) وإذا ما حاولنا تحديد درجة اندماج وكثافة العلاقات الإثنية بين نول لمطة كمركز وتاگاوست غربا وتاغاجيجت شرقا، فإنه يكون لزاما علينا أن نعرض للتجزء المجالي على نفس الوادي. وفي هذا الإطار تكتسي المراقبة الفعلية لإيليميضن (لمطة) معنى معقولا نتأكد منه أكثر من خلال أي جرد لمحتوى المصادر وكتب المسالك. فمن أهم الشروط التي تؤكد التحام الفصائل البشرية لهذه المجالات عناصر أنشطتها الميدانية من تجارة وفلاحة وتربية المواشي. بل إن تاگاوست كانت تتوفر على أكبر موسم بشهادة ابن خلدون الذي جعل بالمقابل من نول لمطة عاصمة ما أسماه "سوس الأقصى" وجهاته (*H. B.*, 1 : 15 ; 2 : 280). ويمكن لأية معاينة ميدانية أن تؤكد تداخل المجالين القروي والإثني من حيث هما كعنصرين أساسيين لتعريف الحدود المنطقية لكثافة العلاقات بين الفصائل المحلية.

كانت تاگاوست تمثل مدينة هامة يحيط بها أگاوس (وعرون الحالي) وتسگنان ومداشر أخرى تشهد مخلفاتها الأثرية على حجم واسع الانتشار. بل إن الفحص الشمولي باعتماده منظومة التداخل المجالي بين تاگاوست ونول لمطة يواجه صعوبة تحديد الحدود الفعلية للمجالين. فيبقى إذن الشعور قويا بأهمية الدور الاقتصادي والعمراني لتاگاوست من حيث هو كمنطلق لمناقشة ما أورده ابن سعيد. إن إشارة هذا الجغرافي تطرحنا أمام مشكل تعريفي لإثنية الأطلس الصغير ووادي نون والساقية الحمراء. ومن خصائص هذا

المشكل أننا إذا اعتمدنا مجمل المصادر اتضح بما لا يدع مجالا للشك أن الاندماج الفعلي بين إگزولن وإيليميضن وادي نون يجعل هذه المنطقة نقطة تداخل بين الأطلس الصغير والصحراء. ومن ثمة فتأرجح ابن سعيد بين إگزولن وإيليميضن يعد بمثابة شهادة عن التفرعات والتداخلات السلالية القائمة الذات عبر تشابه أنماط العيش والحركية الاقتصادية.

هل أدى وصول الموحدين للمنطقة إلى إحداث تحولات جذرية على صعيد العلاقات والتنظيمات السلالية والاجتماعية والاقتصادية عند أهل تاگاوست ؟ نلمس من خلال ابن الأثير والمراكشي وابن أبي زرع أن عبد المومن الموحدي كان يحرص على إثبات انتمائه السلالي إلى عرب قيس عيلان. وهذا الانتماء سيكشف مفصحا تدريجيا عن رغبته في التحالف مع أعراب افريقية. كما أن تحليل الممارسة الموحدية إزاء الغور السكاني الأمازيغي يكشف عن عدم ترددها في اللجوء إلى الإبادة الجماعية بصورة اعتيادية. وقد عانت نول لمطة وتاغاجيجيت وتاگاوست من هذه الإبادة حيث أسفرت سنوات 553 ـ 55 / 1158 ـ 1160 عن تدمير كامل للفصائل المحلية لحجم القطيع (البيذق، *أخبار*، 77). أما سنة 554 / 1159 فقد صادفت غزو عبد المومن لافريقية حيث قسم البلاد من برقة شرقا إلى نول لمطة من"السوس الأقصى" غربا بالفراسخ والأميال طولا وعرضا ثم أسقط من التقسيم الثلث للجبال والهضاب والأنهار والسباخ وما بقي وضع عليه الخراج وألزم كل قبيلة بربرية كانت أم عربية بقسطها من الزرع والماشية والأموال (*القرطاس*، 139). نرى إذن أن الإبادة والتقسيم قد أحدثا تحولا جذريا لا شك أنه زعزع الحركية الاقتصادية والرواج التجاري والبشري اللذين ركز عليهما البكري والإدريسي. ولا بد أن الهجرة قد أفرغت المنطقة من جزء أساسي من غورها السكاني. كما أن تحويل قسط من الإنتاج الفلاحي وتربية المواشي وتهافت حلفاء الموحدين على المؤهلات الانتاجية للمنطقة يتجلى في فرض الخراج. يبدو إذن الرواج التجاري والاقتصادي الذي ميز هذه المنطقة خلال القرن السادس (12 م) قد وصل إلى درجة قصوى من التضعضع. وإذا ما اعتبرنا الاتجاهات الكبرى التي تبناها الموحدون وتوسع فيها فيما بعد عاملهم المنشق عنهم علي بن يدر، تجلى لنا تتابع الكوارث التي عملت على تفكيك التماسك الاجتماعي ودوالب التحالفات المحلية. وهكذا فبدلا من ضبط وتنظيم الوسط البيئوي والوظائف المكونة للمجال نرى اعتماد منظومة الإبادة الجماعية تفتح الباب على مصراعيه أمام تسرب ذوي حسان المعقليين الذين وصلوا الساقية الحمراء منذ الربع الأول من القرن السابع (13 م).

لقد رأينا أن وضع الخراج لم يشمل جنوب وادي نون وأن كثافة العلاقات البشرية قد انتهت بالهجرة إلى حيث تتبخر سلطة الموحدين. ومن المعلوم أن هذه الخطة لا تخص تاگاوست دون نول لمطة وتاغاجيجت. لقد لاحظنا في دراساتنا لقبيلة أزوافيط التكنية (*معلمة*، 364 ـ 367) أن العصبية المحلية جعلت من هذه القبيلة المحورية مراقبة لمسالك الصحراء وحامية لقوافلها. وفي هذا الأمر دليل بين على تداخل الوظائف الحربية والسياسية والاقتصادية بين وادي نون ومدن الضفة الجنوبية للصحراء. لقد أثبتت مخطوطات نول المتعددة أنها أصبحت بالإضافة إلى دورها التجاري خلال هذه الفترة، رابطة ثقافية ودينية بين الشمال والجنوب. وهو تصور سيقوم على أساسه الفصل الهيكلي بين الغور السكاني بتاگاوست ونول وتاغاجيجت والمد المعقلي. هذا مثلا ما يمكن أن نستشفه من كلام ابن خلدون الذي اعتمد على رحلة عبد الله بن محمد التيجاني المتوفى حوالي عام 717 / 1317. لقد ذهبت هذه الرحلة الهامة إلى أن بطون وفصائل القبائل الأعرابية كانت تعتمد يومها على سلطة كاهن القبيلة الدينية في حل أمورها الاجتماعية العالقة وطقوسها ومعتقداتها. والملاحظة ذاتها تصدق على ذوي حسان والشبانات الذين كانوا يدركون ساعتئذ حقيقة الاختلاف العقائدي واللغوي بينهم وبين الغور السكاني. إننا نعلم أن هذه المجالات القروية التي عرفت مولد واگاگ بن زلو اللمطي (بين تازروالت وبسيط وادي نون) وعبد الله بن ياسين بمدشر تاگجگالت أيت تيكني، قد تميزت بارتباطها بالمذهب المالكي منذ ما قبل المرابطين. كما أن قدرتها على تنظيم وترويج الحركية التجارية عبر مسالك الصحراء يجعل من عصبيتها جبهة تتحدى المتغيرات. وعند ذلك يبدو لنا أن ما نسميه المد المعقلي إن هو إلا لوحة شاسعة يتداخل فيها مفهوم التعايش المرحلي بمفهوم الاندماج الفعلي. حقا لقد عمد المعقليون منذ وصولهم إلى المتاجرة في جلود اللمط والسكر المصنعة محليا والملح كما يوضح ذلك كتاب *الاستبصار*، غير أن أي استقرار عميق لظاهرة المواجهة الإثنية يكشف عن مرحلة سابقة لكل تقارب فعلي. من هنا فإنه لا بد أن نعلق على ما جاء به ابن خلدون من أن تحالف إيليميضن (لمطة) بالشبانات وإگزولن (گزولة) بذوي حسان يعد بمثابة رصد لظاهرة التعايش المجالي والتداخل الإثني (G. Marçais, *Les Arabes*, II : 556 - 557). لقد انتهى بنا استقراء إحدى وثائق سنة 904 / 1499 إلى رفض هذه المقولة وإلى الإبقاء على المواجهة السياسية والاجتماعية بين هويتين تحدد كل منهما دورها في اختصاصات ميدانية عميقة المغزى (*Le Pays Takna, commerce et ethnicité*).

حقا لقد تطور ذوي حسان والشبانات إلى قوتين حربيتين فاعلتين منذ سنة 633 / 1235 (ابن عذاري، *البيان*، الموحدون، 274 ـ 334 ـ 347). على أنهم لا يكادون يتحركون إلا في نطاق استراتيجية التحالفات القاضية بحصر وظيفتهم في إطار القوات المساعدة للأمراء المنشقين عن الموحدين والمرينيين وما تسمح به مشروعية التعامل مع الغور السكاني الأقدم. ما كان يهم المعقليين من وادي نون وتاگاوست بالذات هو الاستقرار والاندماج الاقتصادي.

وهو ما تكشفه مساهمتهم في بناء إمارة علي بن يدر. وحداً لكل التباس في هذا الباب نشير إلى أن السيطرة السياسية على المنطقة لم تكن تعني استقرارهم داخل القرى والمداشر، فابن أبي زرع وابن خلدون ومحمد ابن مرزوق والقلقشندي يكشفون عن الحدود الفعلية لهذه القوات المساعدة التي لا تتجاوز حدود مأموريتها خوفا من التسلط المريني. كما أن في هذه المصادر ما يكفي من الدلالات على أن ثورات هؤلاء المعقليين لم تأخذ شكلا مستقلا إلا ابتداءً من سنة 683 / 1284 حين طردهم ابن عبد الحق المريني إلى الساقية الحمراء (*العبر*، VII : 206 ؛ *القرطاس*، 211. 212. 228. 230). يومها فقط دخلوا صحبة طلحة بن علي البطوي سبعة أشهر من الانفصال اكتسى بحق صبغة خاصة جعلت يوسف بن يعقوب بن عبد الحق يخرج إليهم في اثنى عشرة ألف فارس ليغرمهم أكبر قدر وينكل بهم ويبيد رؤساءهم وجل محاربيهم ويطرد ما تبقى إلى الصحراء. من هنا يتجلى دور العصبية حاسما في الفصل بينهم وبين الغور المحلي الذي عانى من مضاعفات الاضطرابات والحروب دون أن يغادر مواقعه. نمسك أيضا في هذه النقطة سبب التقهقر النسبي الذي سيدخل تاگاوست في مرحلة من الاضمحلال التدريجي (م. ناعمي، *الصحراء*، 88. 89). لقد كان من شأن اصطياف ذوي حسان والشبانات بوادي نون تطويق ومحاصرة تاگاوست التي كان بها مقر أحد رؤسائهم (*H.B.*, II : 117). على أن هذه الإشارة يجب ألا تنسينا أن تاگاوست هي باعتراف نفس المصدر أكبر موسم بالمنطقة. وهو ما يدل على تمسك أهل المدينة بملامحهم القروية والمجتمعية في مواجهة المد المعقلي المتزايد.

يبقى أن تفصيل الإشارات بشأن أهل تاگاوست الذين نكاد نجهل عنهم كل شيء، يرتبط بما يمكن أن تكشفه مستقبلا الوثائق الإسبانية. ولعل الصعوبة في هذا الباب تزداد لكون أيت لحسن المقيمين حاليا بلگصابي لا يشخصون انعكاسات للواقع البشري. لقد جاء دخول أهم فصائلهم إلى تاگاوست خلال القرن الثاني عشر (18 م) على إثر طردهم لأولاد ادريس المقيمين منذ ذلك الحين بأيت باعمران (V. Monteil, *Les Tekna*, 17). هذه المقولة تعد باعتراف الطرفين مسايرة لتدرع مختلف الفصائل التكنية في وادي نون وباني والساقية الحمراء بالتسلسل التاريخي لتبرير ضرباتها نحو الأخريات. ولا شك أن الجانب الأكثر غموضا هو ذلك الذي يكشف لا عن الاصطدامات من أجل مراقبة المجال فحسب ولكن حول الأسباب الكامنة وراء المرونة الاستيعابية للقبائل الكبرى. هذه الملاحظة ذاتها تقتضي التركيز على أطوار بلورة قبيلة أيت لحسن. ولعله يحسن أن ننطلق من مشجراتها العائلية الممتدة التي ما تزال تجسد حلقات ارتباطها العضوي بأسرير. فالخطوة التي ميزت طردهم لأولاد إدريس من تاگاوست صادفت انسحابهم حيث ما تزال ممتلكاتهم تشهد على حجم تداخلهم بإيدا اوبُوزِيَّة بنفس المكان ذاك، وبالارتكاز على هذا المعطى الحركَي نتساءل هل جاء هذا الانسحاب من أسرير اختياريّاً في مرحلة تميزت خلالها التجارة الساحلية مع المد الإيبيري بالحيوية أم هناك أسبابٌ أخرى ؟ يجيبنا السيد علي بوعيدة بما لا يدع مجالا للشك بأن اصطدام بعض فصائل أيت لحسن بأيت احماد أ ُعلي من ازوافيط هو السبب في هذا الانسحاب خلال القرن الحادي عشر (17 م). وهي شهادة تكشف إذا فحصناها من قريب عن عدم تحالف هذه الفصائل الحسنية مع المد الإيبيري المرتبط يومها بتاگاوست. على أن المشكل الذي يظل قائما هو قلة المصادر لتحديد الفصائل الواردة على تاگاوست باسم أيت لحسن بالمقارنة مع سابقاتها بعين المكان. نشير هنا إلى أن فرز المعطيات النادرة المتوفرة ينتهي بنا إلى استخلاص أهل بوعيدة كمقيمين بعين المكان منذ خمسة قرون على الأقل (*جوامع المهمات*، 47، هامش 42). معنى هذا أيضا أن فصيلة الرويمات التي ينتمي إليها أهل بوعيدة قد ترتبط تاريخيا بما قبل وصول أيت لحسن. هذا الاحتمال يساعدنا على تركيب نموذج مبسط للبنية التحالفية داخل هذه القبيلة. فلحسن الجد الاسمي للقبيلة هو من منظور جميع تكنة أحد أبناء عثمان بن مندى عامل عبد الله بن ياسين وأبي بكر بن عمر اللمتوني على نول لمطة (V. Monteil, *Les Tekna*, 10). كما أن رمزية هذا الانتماء تستهدف بالأساس حشر القبيلة في إطار النواة الأصلية لاتحادية تكنة مكرسة بذلك الانتساب القرابي السلالي كمبرر للتوازن التعارضي التقليدي بين لفي أيت بلة وأيت الجمل. ومعلوم أن هذه البنية القرابية السلالية تعد عملا تركيبيا لا تؤدي وظائفها إلا في إطار مراقبة وتشخيص المواجهة الفعلية ضد المعقليين (م. ناعمي، *الصحراء*، 136. 137). ندرك من هنا أن سبك مشجرات التسمية على صيغة أيت فلان أو فلان بدل أهل فلان ابن فلان تتصدر مصطلحات الارتباط السلالي الذي يكاد يخفيه استعمال الحسانية كأداة حالية للتخاطب. نرى إذن لماذا تصل بنا أية محاولة لتشخيص هوية أهل تاگاوست إلى المقدرة الحربية من حيث هي كمحدد بنيوي يحول دون أي اندماج فعلي بالمد المعقلي خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16 م). لقد أورد الحسن الوزان عن زيارته سنة 919 / 1514 بأن تاگاوست التي قضى بها ثلاثة عشر يوما : "مدينة كبيرة، وهي أهم مدن سوس على الإطلاق. بها ثمانية آلاف كانون (أسرة)، وسورها من التراب المدكوك... وفي وسط المدينة دكاكين كثيرة للتجار والصناع... وسكانها منقسمون إلى ثلاث فرق يكاد القتال لا ينقطع بينهم، ويستعين كل فريق على الآخر بالاعراب الذين يناصرون هؤلاء تارة، وأولئك أخرى بحسب ما يتلقون منهم من أموال. الأراضي الزراعية بهذه المنطقة كثيرة الانتاج، والمواشي وافرة الاعداد، يباع الصوف فيها بأحسن الأثمان، ويصنع منه الكثير من قطع الثياب الصغيرة التي يحملها تجار المدينة مرة في السنة إلى تنبكتو وولاتة من بلاد السودان. ويقام السوق مرتين في الأسبوع. يتأنق

سكان تاگاوست في لباسهم، ونساؤهم جميلات لطيفات، وهناك عدد كثير من الرجال السمر الألوان، لأنهم منحدرون من بيض وسود، وليس ثمة حكومة معينة وإنما الحكم للأقوى". (وصف، 1 : 95 ـ 96).

على أن أهم إشارة توردها وثيقة 904 / 1499 ويؤكدها الحسن الوزان هو تمكن الأعراب أولاد عامر من مراقبة مداشر وقرى وادي نون وإيفران وإفني. وكان إسبانيو جزر كناريا يقومون بحملات مستمرة تتمحور كلها حول تاگاوست واصلة في بعض الأحيان إلى ما وراء تيغمرت شرقا. وكان نزولهم بالسواحل المقابلة لجزرهم يتم بباب الجيديه (أو الجيدة) (Los pocos de Geidilla) حيث تتوفر بعض الآبار بين وادي درعة ووادي الشبيكة على ما يبدو (R. Ricard, *Recherches*, 81 - 82). كانت هذه النقطة تسمح أيضا بالوصول إلى منابع الساقية الحمراء مما يزيد من حجم المساحة المغزوة. هذه الغزوات كانت تمكنهم من سلب الأغنام والأبقار والخيول والحبوب والمنتجات المحلية المتنوعة علاوة عن الاعداد الهائلة من أبناء المنطقة. وقد تصاعدت وتيرة هذه الغزوات خاصة ما بين سنة 1477 وسنة 1524 لدرجة استفزاز إسبانيي جزيرة تاناناريف Tenenerife أنفسهم (R. Ricard, *Recherches*, 75). خلال هذه الفترة عمل ملوك قشتالة على تقنين هذه الغزوات من خلال مراسيم مؤرخة بـ 2 نوفمبر 1505 و26 فبراير 1511 و3 غشت 1525 و6 يوليوز 1528 (R. Ricard, *Recherches*, 77).

لقد كانت للحاكم العام على جزر كناريا إقامة خاصة بتاگاوست التي كان يتسيد عليها يومئذ حامد بن أحمد أحد شيوخ قبيلة أولاد عامر. وتؤكد المصادر أن هذا الشيخ كان يتكلم القشتالية شأنه في ذلك شأن بعض شيوخ القبيلة الآخرين. كانت أهمية تاگاوست يومها في كونها أصبحت القاعدة الأولى لتجارة الرقيق كما يؤكد ذلك الحسن الوزان متبوعا بمارمول وكاستيو. وهنا لا بد من أن نشير إلى رفض المختطفين والرقيق الرضوخ للقوانين الدينية والدنيوية بجزر كناريا. ونظرا لما لأهل وادي نون والساقية الحمراء من تمسك بدينهم وتقاليدهم فإن محاكم التفتيش الاسبانية كانت تعطى لنفسها حق متابعتهم قضائيا. إلا أن وجود قاضي بمدينة تاگاوست تتنافى أحكامه مع تحالف العملاء بالمد المسيحي، جعل الترابط بين المختطفين وذويهم لا ينقطع. فنجد هذا القاضي يعنى بأمور العائدين هربا من جزر كناريا المسلمين منهم والراغبين في دخول الاسلام مسيحيين كانوا أم يهودا. وإلى جانب هذه المواجهة السياسية والدينية بين الغور السكاني لتاگاوست وتحالف العملاء مع القشتاليين نجد الصناع والتجار اليهود الراغبين في الإبقاء على دينهم يعيشون في مأمن داخل حي يهودي قدره مارمول بثلاثمائة دار. ونظرا للنقص الحاصل في معلوماتنا، فإننا نكتفي بالوقوف عند دور تاگاوست في الحد من محاولات المد المسيحي. هذا ما تأكدت منه محاكم التفتيش الكنارية فانتهى بها الأمر بعد أن أصدرت أحكاما بالحرق والتعذيب، إلى السماح لأهل وادي نون والساقية الحمراء بممارسة شعائرهم الاسلامية معتبرة أن الأولى هو إعادتهم إلى ذويهم مقابل مبالغ هامة من المال. وهكذا تخصص بعض المحليين المسلمين في التوسط بين الطرفين فعادت أفواج من المختطفين إلى ذويهم صحبة أفواج من اليهود. وهنا نسجل دور هذه الأفواج في تأطير غزو جزر كناريا منذ بداية القرن الحادي عشر (17 م). لقد أصبح النداء في خطب الجمعة بضرورة الجهاد من الدوافع التي زادت من تردد سفن الساحل الأطلسي على موانئ كناريا. وقد أحدثت حملة سنة 1618 هزة عنيفة في أوساط هذه الجزر وشبه الجزيرة الإيبيرية. وكانت الهزة واضحة المعالم لأن الدافع كان دينيا أكثر منه إرهاصا من إرهاصات الاحتلال. فقد وصلت إلى سواحل جزيرة لانزروت Lanzarote خلال هذه العملية ستون سفينة شراعية يرأسها كل من المسمى تابان والمسمى سليمان. وقد نزل هناك 5000 محارب توجهوا مباشرة نحو مدينة تيگيس Tigis فهرب السكان إلى جزيرة فويرتفرنتيرا Fuertaventura. تمكن المهاجمون من أخذ 900 سجين بعدما هدموا وأحرقوا منازل وكنائس تيگيس. ثم توجهوا بعد ذلك إلى گوميرا Gomera فغزوا وأحرقوا مدينة سان سيباستيان San Sebastian التي غادروها متوجهين نحو جزيرة لاپالما La Palma بميناء تازكوغت حيث صدتهم المجابهة العنيفة عن أهدافهم فعادوا إلى قواعدهم.

تميزت علاقة الغور السكاني بتاگاوست مع الدولة السعدية بحجم التعاون السياسي والحربي ضد المد الإيبيري المسيحي. وقد زار أحمد المنصور الذهبي تاگاوست أكثر من مرة حيث اهتم بشؤونها السياسية والاقتصادية. ويمكن أن نلمس آثار هذا الاهتمام بالمدينة من خلال بقايا إحدى أركان القصبة ومدافعها بالإضافة إلى حجم المسجد الذي أعاد بناءه السيد علي بوعيدة. وبالرغم من أن قبيلة احمر المعقلية قد خلفت يومها قبيلة أولاد عامر في السيطرة على تاگاوست، فإن أسباب الرخاء والازدهار تنبثق كما دلت على ذلك المصادر من حجم الرواج التجاري ومن الانتاج الفلاحي وما تمنحه مناجم الفضة من معادن. كانت وفرة المياه ترتبط باتساع العمران وازدياد الأعمال وتضاعف الكسب. وهو ما يدعونا إلى عدم تصديق Duarte Pachecco Pereira حين يحدد عدد سكان المدينة في 1500 فردا موزعين عبر أربع قصبات (*Hesperis*, 1927, XI : 257). فهذا العدد يبدو ضئيلا جداً حتى لو فرضنا أن في 8000 منزل التي ينقلها مارمول وكاستيو Marmol et Castillo عن الحسن الوزان بعض المبالغة. لقد سخَّر أهل تاگاوست تحالفهم بدولة السعديين التي تعد بحق دولة إيگزولن في إحكام التقاليد الموروثة ونظم الأحكام وأشكال تملك السواقي وأسباب الاستقرار بوادي نون ووسائل العمران. وبهذا الوجه تنطلق الطريق المكونة من عدة مسالك متوازية وملتصقة من تاگاوست لتصل مباشرة إلى الفرصية ومنها إلى طريق جود قائد المنصور الذهبي في اتجاه نهر النيجر.

لقد اقترح أحدهم يومها على يوسف بن عابد الفاسي صاحب *ملتقط الرحلة* ملاقاة الشيخ أحمد بن عمر العروسي بوادي درعة في السوس الأقصى حيث لاحظ في تجواله كثرة الصوفية والفقهاء والمقرئين وأن أكثر الفقهاء "تغلب عليهم الشاذلية" (*ملتقط*، 12). ويضيف نفس المصدر بأن مياه وادي درعة تسيل على امتداد السنة مما يفسر كثرة القرى والمداشر حول ضفتيه (*ملتقط*، 66). نتعرف من هنا على مساهمة الأودية الكبرى في التقويم البشري والاقتصادي لتاگاوست.

لقد اقترح أبو حسون السملالي علي بودميعة على أهل تاگاوست خلال القرن الحادي عشر (17 م) إنشاء موسم سيدي عمرو أُعمران الذي ما يزال يعقد في منتصف يونيه الفلاحي بلگصابي الحالية. والاقتراح جاء بهدف مزاحمة موسم سيدي مَحمد بن عمرو اللمطي بأسرير وموسم گويرة السوق القريب منه. وهي إشارة أساسية لمعرفة مراحل تطور تاگاوست ما بعد السعديين. وقد سقناها لنوضح بأن أهمية وحجم المدينة لم يعد خلال القرن الحادي عشر (17 م) مشابهاً لما كان عليه خلال القرون السابقة. فقد أخذت دشرة أگلميم تتصدر الواجهة بقصبتها التي لم يكن دورها التاريخي قد بدأ بعد. وإذا كان المقام لا يتسع للتوسع في ملابسات هذه الظرفية فإن ما يجب ألا ننساه هو دور الأعراب في تطويق الحركية والحيوية القديمة. ونستطيع من دراسة المقولات الشفوية أن نستدل على السيطرة الفعلية المتزايدة لأيت لحسن على حساب الفصائل الأخرى.

كانت تاگاوست يومها ما تزال تنتج الغفارات الحمراء التي أشار إليها ياقوت الحموي (معجم، ٧ : 4). وقد ظلت تستعمل كلباس يحيط بالكتفين أو عمامة تغطي الرأس كما شهد على ذلك السيد علي بوعيدة وغيره من المسنين. كان أهل تاگاوست لا يحلقون شعر الرأس مكتفين بظفائر طويلة (R. Ricard, *Etudes*, 79). أما تشبثهم باللغة الصنهاجية فهو ما تؤكده الرواية الشفوية في أكثر من مكان بوادي نون. لقد أكد لنا السيد علي بوعيدة أنه عرف أب أبيه يجهل لهجة ذوي حسان ولا يتكلم إلا الصنهاجية. والملاحظة بالغة الأهمية لأنها تصدق على تشابه ظروف الغور السكاني التكني عموما كما ورد ذلك في معرض دراساتنا لقبائل إزرگين وازوافيط وأيت أسا (*معلمة*، 339. 340. 367. 377. 379). وفي هذا الإطار يكتسي الارتباط العضوي بأهل الدين معنى تحالفيا يسمو بشكل التواصل فوق الأحداث والمنازعات ويحدد القوانين العامة التي تربط ربطا مباشرا بين أنماط العيش وأنظمة القرابة ومراقبة المجال.

لقد سقنا هذه الفكرة لتوضيح تجذّر أيت لحسن في بلورة عادات وتقاليد سياسية موروثة تقتضي القيام بمهام السلطة السياسية الفعلية في مواجهة التحديات. فنكون بذلك قد ربطنا القرن العاشر (16 م) بالقرن الحادي عشر (17 م) في ظروف عرفت وصول مؤسس قبيلة الرگيبات سيدي احمد العروسي الحفيد إلى وادي الشبيكة. كانت يومها قبيلة أيت لحسن قوية تتسيد على المحور الساحلي في مزاحمة إذاأوبلال. وكان تعاطف هذه القبيلة مع أهل الدين يجسد معطى أساسي متين الاتصال بمعطيات القرنين السابقين. وإذا كانت وثائق تاغاجيجت التي أوردها La Ruelle في دراسته حول أيت إبراهيم تثبت أهمية أيت لحسن كقبيلة، فإن وصول جد الرگيبات يومها يلزمنا بتحديد نوعية الحماية السياسية التي تمتع بها هذا الزاوي في كنف حاميه. وهو ما ستؤكده الدراسات الميدانية التي قام بها خلال هذا القرن العشرين دو لا شاپيل F.C. La Chapelle. فقد أوضح بأن فصائل الرگيبات المتعددة تدخل تحت حماية أيت لحسن الذين مايزالون إلى حدود سنة 1950 يعتبرونهم من أهل زواياهم. بل إن الرواية الشفوية ما تزال تعتقد بأن قتل أفراد هذه القبيلة يعد مصدر شؤم. ويتأكد هذا الأمر أكثر حين يفيد هذا الباحث بأن أهل الناجم ولد حميد من أيت لحسن يحمون أهل الخليل من أولاد موسى الرگيبات بينما يحمى أيت بومگوت من أيت لحسن السواعد من الرگيبات. أما أهل امبارك ولد حمادي فإنهم يحمون أهل بلأو كما يحمي أهل بوعيدة أولاد لحسن من الرگيبات.

ويحمي أهل عمارول الناجم التهالات وأيت بومگوت أولاد الطالب. أما أولاد الشيخ وأولاد داود من الرگيبات فتحميهم جل فصائل أيت لحسن.

تتضح من هنا حقيقة العلاقة المجالية خلال القرن العشرين لأيت لحسن بالساقية الحمراء وجنوبها. بل إن حروبا كثيرة وصلت بأيت لحسن ضمن قبائل تكنة إلى منطقة أدرار بالضفة الجنوبية للصحراء. وهنا لا بد أن نذكر بحجم وأهمية العلاقة التحالفية التي جمعت منذ القرن العاشر (16 م) بين أيت لحسن واتحادية أولاد دليم. فقد عني الطرفان بمراقبة المحور الساحلي حيث يجسدان شبكة من التحالفات التي تخول لصغريات القبائل الحماية. ولذا فإنه يمكن ربط تطور قبيلة أيت لحسن بمنطق تطور عصبيتها عبر مسالك المحور الساحلي. معنى هذا أيضا أن الإحصاء الذي أورده كل من مارتي P. Marty سنة 1914 ولا شابيل La Chapelle سنة 1934 ومونطيي V. Monteil سنة 1948 بشأن هذه القبيلة يرتكز على معطيات حركة القبيلة عبر مجالها الواسع. يمثل أيت لحسن حسب هذه الإحصات ما معدله 1500 عائلة تتوزع حول مداشرها بالگصابي وتسگنان والدشيرة والشويحات وتيليوين ولخنيگ وتيدرگيست وتيلمتنوس. أما بقايا آثار مدشر أيت لحسن بالشبيكة فهو يشهد على حركية القرن الحادي عشر (17 م) الذي عرف وصول سيدي أحمد الرگيبي إلى عين المكان.

وتعتبر أهم فصائل أيت لحسن هي لموسات وأيت يحيى وأيت بوگزّاتن وأيت داود أُعبد الله وأيت مَحمد أُلحسن وأيت بومگوت وانجورن. حين نفحص هذا التقسيم فإن أهم الأعيان يكونون خلال الثلاثينات هم عبد الرزاق

ولد ابراهيم أُبلال من أيت يحيى وأحمد ولد البشير من أيت بوگزاتن. وبكار ولد محمد لمين من أيت داود وعبد الله وعلي أُحماد من أيت بومگوت والعروسي ولد ابراهيم ولد علي أُمحمد من أيت بومگوت ومبارك ولد بوجمعة من أيت بومگوت والمختار ولد الناجم من إنجورن وأحمد ولد السالك من انجورن أيضا، شأنه في ذلك شأن إبراهيم ولد حميدة. من بين هؤلاء يعد الناطق الأول باسم أيت لحسن جميعا هو المختار ولد الناجم. وقد قام بزواج سياسي مكنه من مصاهرة ابراهيم ولد سيدي يوسف من قبيلة إزرگيين. فجاء التحالف كتأكيد لرغبة الطرفين في تمتين الرقابة الفعلية على مسالك الصحراء ومحمييها.

إن جرداً للفصائل الحسنية يثبت بما لا يدع مجالا للشك انتماء أكثر من نصف أيت لحسن إلى نمط العيش الترحالي. فنجعات إنجورن وأيت بومگوت وأيت بوگزاتن قد تتجاوز الساقية الحمراء وزمور إلى تيرس، وهو ما يدل على ارتباطهم العضوي بتطوير تربية الإبل التي كانت تحد من اشتغالهم بالتجارة والفلاحة. كل هذه الملاحظات توضح لنا ظروف تطور تاگاوست وأهلها من عاصمة تجارية كبرى إلى مدشر من مداشر وادي نون المتميزة. وإذا تساءلنا عن الأسباب الموضوعية التي كانت وراء انقراض هذه العاصمة الكبيرة، برز تصدع البنيات التجارية والصناعية بسبب اضمحلال حركية مسالك الصحراء وظهور أگلميم كسوق مزاحم يومها، على رأس قائمة المسببات البنيوية. وكما رأينا تدريجيا، فإن الجانب الوصفي لقصبة تاگاوست والقصبات المجاورة لها قد شكل الأساس التاريخي لموضوع تسمية مدشر لگصابي الحالي.


م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة* ؛ محمد سالم ولد لحبيب ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*.

P. De Cenival, *Chronique de Santa Cruz du Cap de Gué (Agadir)*, Texte portugais du XVIème siècle, traduit et annoté, Paris, 1934 ; Id. et F. C. De La Chappelle, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique : Santa Cruz de Mar Pequeña et Ifni, Hesp.*, 1935, 2 - 4ème trim., 19 - 77 ; Id et Th. Monod, *Description de la Côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal par Valentin Fernandès (1506 - 1507)*, Paris, 1938, 214 p ; F.C. De La Chappelle, *Esquisse d'une histoire du Sahara Occidentale, VIIème congrès de l'IHEM, Hesp.*, XI, Paris - Rabat, 1930, Ibn Khaldun, *Les Prolégomènes*,trad. de Slane, 1925 - 1956, nlle édit 1968 - 1969 ; Id, *Kitâb Al'Ibar*, Beyrouth, 7 vol., 1959 ; Cl. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVIème siècle, A.M.*, XXIX, 1933 ; Dj. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982, 2 vol. ; L. Carvajal Marmol, *L'Afrique*, trad. *Nicolas Perrot, sieur d'Ablancourt*, 3 vol., Paris, 1667 ; M. Park, *Les trois voyages du Mungo Park au Maroc et dans l'intérieur de l'Afrique (1787 - 1804)* raconté par lui-même, Paris, 1882 ; R. Robert, *Recherches sur les relations des Iles Canaries et de la Berbérie au XVIème s*, in *Etudes Hispano-Africaines*, Tetuan ; M. Naïmi, *Le pays Takna, commerce et ethnicité avant la constitution confédérale* in *le Maroc et l'Atlantique*, Rabat, 1993, 121 - 146.


مصطفى ناعمي

**تَاگْجگَالْتْ أَيْتْ تِيكْني**، في النهاية الغربية لواحات تامنارْتْ حيث تنشطر سلسلة جبال باني إلى منطقتين شرقية وغربية. تقع قرية تگجگالت أيت تيكني شمال غرب فم الحصن بتامنارت. وهي بذلك تعد منطقة تيزگي لحراطين شرق تاغْجِّيجْتْ وجنوب شرق إفران مجسدة الحدود الفعلية للجزء الحضري من بلاد اتحادية تكنة. ندرك بوضوح من هنا أن أهمية الموقع تربط بين تسمية هذه الاتحادية والخطوط العريضة لتاريخ هذه القرية. على هذا المستوى تترسخ ملامح مشروع دراسي يمكن الوقوف من خلاله على تلك الاحتمالات والمقولات التي تميز واحات ومداشر تامنارت عن بسيط تَازْرْوَالْتْ ومدينة تَامْدُولْتْ عاصمتي بلاد إگْزُولْنْ التاريخيتين. ويحرص أهل تامنارت على ألا تبقى هذه المقولات مجرد خاطرة حين يؤكدون أن ولادة عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين قد تمت بتاگجگالت أيت تيكني.

لقد اكتفى أبو عبيد الله البكري بتامنارت كموقع عام لهذه الولادة (*المغرب*، 166 ـ 312 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، 2 : 5 ـ 9 ؛ م. السوسي، *المعسول*، XI : 46) مزكيا بذلك هذه المقولة. غير أن محتواها ما يزال يندرج عبر قنوات توضح أسباب تعالي أهل تامنارت عن أهل تامدولت وأهل تازروالت الذين ينسبون إليهم أستاذ عبد الله بن ياسين، الشيخ واگاگ بن زلو اللمطي. فإذا كان مؤسس دولة المرابطين قد تجاوز من حيث الأهمية التاريخية حجم أستاذه بسوس، فإن فقهاء وعلماء تامنارت ما يزالون يؤكدون وعيهم بأهمية هذا الدور. نذكر من هنا منزلة الخطاب الذي تميزت به *فوائد* التامنارتي في تفضيله لموطنه كعاصمة روحية ودينية أولى لحلف إگزولن (جزولة).

ومما يؤكد إحساس أهل تامنارت بهذا الامتياز مناهضة الشيخ محمد بن إبراهيم التامنارتي (ت. 971 / 1564) شبه المعلنة للسعديين. فمن آليات تعامله معهم، قيامه على مضض لفترة معينة بمهمة القضاء في بداية هذه الدولة. وهي مهمة لم تحُلْ دونه والتشكيك في مصداقيتهم فرفض خطة قاضي الجماعة بسوس. وعلى اعتبار أن من أولويات التفكير في النهوض الحضاري المنشود إحداث نقلة نوعية في المفاهيم المتداولة والأدوات الإجرائية نجده يطالب مداشر وقرى تامنارت ووادي نون بتسليمه الأعشار والزكوات كما تثتبت ذلك إحدى الوثائق المحلية المعاصرة. (La Ruelle, *Id* *Brahim*, 8 - 14 - 16). وقد كان يستعمل لهذا الغرض مختلف الأساليب المتوفرة بما فيها اللجوء إلى الدعاء على الممتنعين من الأداء. وقد كانت ممارسته اليومية حافلة بالمشاريع العمومية من تعبيد للطرق وبناء القناطير وحفر الآبار وبناء المدارس والتدريس والإفتاء. وإذا أضفنا إلى هذا السجل الحافل احتكاره لمستخرجات منجم كدية النحاس (تاوريرت واناس) المحلية، انكشفت أمامنا ذهنية مستقلة تتعامل بشكل واقعي ومكثف مع الوضع المحلي والجهوي بروح مسؤولة. لقد جاء هذا الاهتمام بتغيير منهجية التعامل مع البنية السياسية والاقتصادية من خلال مؤسسة سلطوية محلية كمساهمة في تركيز الشعور الفعلي بالذات. وهو مرتكز له أهميته ووجوده الحضاري الفاعل لا المستلب. هذه الرؤيا تستوجب البحث عن مفهوم

الاستقلالية لما تشكله من حوافز عملية ذات رشد تاريخي ما يزال حاضراً.

لقد وقفنا في عين المكان على ما يؤكد انشغال أهل تاگجگالت أيت تيكني بهذا السجل الحافل. ويمكن لأي متحر أن يلمس حرصهم على الربط بين الماضي والهوية الحضارية والاجتماعية والإثنية الحالية. ولن نتعرض بتفصيل لحرص أيت أُمْريبْطْ هؤلاء على الانتماء إلى المرابطين وخاصة منهم أبو بكر بن عمر اللمتوني، ولكننا نقتصر على رغبتهم الأكيدة في توسيع استعمال التسمية. فهل هناك ضوابط عملية أكثر منها فعلية تضبط التركيز على هذا الجد الاسمي ؟ إن ضوابط استعارة بعض الجدود الاسميين تتضمن عادة أسبابا عملية تستهدف تبرير احتكار المجال أكثر من غيره. هذا التأويل يلزمنا هنا بالبحث عن أسباب نبذ إگزولن المنطقة لهذه القبيلة. فربما كان الانتماء إلى أبي بكر بن عمر هو الباعث على تثبيت مشروعية الانتقال من الصحراء إلى المنطقة رغم مقاومة الغور السكاني الجزولي اللمطي. ويبدو أن ما يؤكد هذا الاحتمال هو أننا لا نجد في التصنيفات القبلية المحلية أي جرد لأيت امريبط داخل حلف اگزولن. كما يظهر استناداً إلى الرواية الشفوية أن انتماء امريبط إلى حلف تاحگات يقسم التصنيف إلى استعمال حقيقي ومجاز وكناية. ومادام التضمن بهذا المعنى هو نوع من التهميش أو نوع من تمييز اگزولن عمن عداهم، فطبيعي إذن أن يركز أهل تاگجگالت أيت تيكني على علاقتهم بعبد الله بن ياسين وأبي بكر بن عمر. ولا بد أن نشير هنا إلى أن أبا حسون بودميعة السملالي حفيد سيدي أحمد أُموسى قد جعل من تاگجگالت عاصمته الأولى قبل بنائه إليغ.

فما يمكن استخلاصه من هذه الإشارة هو أننا بصدد رأيين حول تاريخ وانتماء أيت امريبط إلى حلف إگـزُولْنْ. فلا يمكن أن نتصور حفيد قطب سوس الأول يدعو إگزولن إلى التعامل مع مقر تاحگات كعاصمة. أما الرأي الثاني فيحملنا على ضرورة اعتباراندماج امريبط في حلف اگزولن أمراً ممكناً. وإذا حاولنا أن نخرج مما قيل في هذا الإطار، بفكرة واضحة، فإننا لا نجد غير مفاهيم محلية وتحاليل يعاد تكرارها في كثير من الغموض والخلط. فنظل بذلك غير قادرين على الابتعاد عن المعطيات النموذجية القديمة التي تربط مباشرة بين المعايير. ومن ثمة وجب تحديد الشروط المنهجية لدراسة ميدانية كفيلة بالكشف عن التركيب البنيوي المحلي وعن المعيار الثابت الذي لا ينزلق بالنقاشات والتحاليل.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 82-83 ؛ م. البعقيلي، *مناقب*، 17-19 ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد*، 71-73 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 2 : 5-9 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 14-46.

Cl. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVIème siècle*, 1933, 100 - 102 ; B. Rosenberger, *Les vieilles exploitations minières*, R.G.M., XVII, 1969 et XVIII, 70, 59 - 102 ; Cl. La Ruelle, *Les Id Brahim du oued Noun*, CHEAM, 1948, 80 p.

مصطفى ناعمي

**تاگـرارْتْ** أو تاجرارت، اصطلاح مغربي وسيطي، كان يقصد به محلة الجيش (*الروض*، 13). وقد صار هذا اللفظ العسكري علماً للعديد من الأماكن، عرَّف البيذق بعدد منها في نطاق حديثه عن الحصون المرابطية (*أخبار المهدي*، 90-91)، وأشارت بعض المصادر إلى المواقع التي حملت هذا الاسم بالجزائر، وهذا بتلمسان (*بغية الرواد*، 1 : 91)، وبمنطقة هنين (*العبر*، ج 6، ص. 155).

سنتوقف هنا، عند تاگرارْت مدينة مكناس، التي يتبين أنها لم تكن الوحيدة في محيطها المجاور، لأننا نصادف اسمها في موقعين آخرين : بورْزيغة على واد ويسْلَنْ (*كبرى مكناس*، 52)، وبغرب جبل زرهون، تعرف اليوم باسم بلاد تاقرارت، وقد جاء بشأنها، في وثيقة عدلية، أن منشئها هو عبد المومن الموحدي، بناها بعدما خرب مدينة وليلي (*الإتحاف*، 1 : 27).

أما تاگرارْت النواة الأولى لمكناسة الزيتون، فظهورها يعود إلى العهد المرابطي (*الروض*، 13)، ولو أنه لا يوجد نص صريح يضبط تاريخ بنائها، قبل ظهور الخطر الموحدي أم بعده، فإننا نميل إلى أن ذلك كان سابقا لبداية التهديد الموحدي للمراكز المرابطية الشمالية، بناءً على ما يستشف من فقرة الإدريسي، في سياق حديثه عن بني زياد، لما يذكر أن هذه كانت الثانية من حيث أهميتها السكنية، بعد تاقرارت في أيام الملثم (*وصف افريقيا*، 52) ؛ وكذلك للمنطق العسكري، الذي يفرض وجود ثكنة عسكرية في هذه المنطقة ذات الاستراتيجية الحيوية، في سياسية المرابطين (*علاقة مكناس*، 200). وعندما نزل الموحدون بثقلهم على القسم الشمالي من المغرب، كانت تاچرارت، بفضائها الفارغ وموقعها المرتفع المشرف على المحيط المجاور، أنسب مكان، فكر الأمراء المرابطون المقيمون إلى ذلك الحين في قصرهم المعروف بتُورزْچينْ، في الانتقال إليه ومعهم أعيان القبائل (*الروض*، 13)، فأداروا السور حولهم للتحصين، في حدود ما يناسب عددهم ومتطلباتهم السكنية والمجال الرعوي لمواشيهم (*الحياة الاقتصادية*، 18) فجاءت مساحة تاچرارت ضعيفة الحجم بقدر ذلك، كما هو واضح من قلة عدد أبوابها (*الروض*، 27).

في عهد الدولة الموحدية، ارتقت تاگرارت من مجرد الحصن / الثكنة، إلى مركز إداري له الإشراف على كافة مراكز مكناسة الزيتون المتفرقة ؛ فقد جهزها الموحدون بكافة الوسائل الكفيلة بأداء هذه الوظيفة، من دار للإشراف تنظر في شؤون الجباية (*التخطيط المعماري*، 34)، إلى المؤسسة التي حملت في عهدهم اسم تيچي، لعلها دار الإشراف والتي لم تكن سوى مركب إداري، يضم سقائف رجال الدولة (*مسالك الأبصار*، 133)، إلى سجن يعبر عن تشعب المعاملات بين الناس، وتشديد المراقبة والمتابعات (*التخطيط المعماري*، 36)، ورتبت إلى جانب هذا خطط الحسبة والقضاء، وزودت المدينة بالمرافق الضرورية من مسجد جامع ومياه للشرب وبعض الحمامات، وكان هذا

كافياً لكي يبدي صاحب *الروض* انطباعه بانتقال هذا المركز من البداوة إلى التمدن ( *الروض*، 24).

على أنه إلى حين قيام الدولة المرينية، في القرن الثالث عشر الميلادي، لم تكن تاكرارت قد انفردت بعد باسم مكناسة الزيتون، إذ الاسم لا يزال يعم بقية المراكز، ولما خربت هذه المراكز في فترة الانتقال الموحدي المريني، وغدت تاچرارت المكان الوحيد المؤمن للاستقرار، وامتصت فلول ما تبقى من سكان المراكز المجاورة، صار اسم مكناسة الزيتون يختص بها، بينما بقية المناطق الخارجة عن أسوارها تدخل في عداد ضواحيها.

ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، الجزائر 1980، ج 1 ؛ العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، الدار البيضاء، 1988 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 1 ؛ *حوالة أحباس كبرى مكناس*، رقم 5 ؛ م. المنوني، *التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور*، مجلة الثقافة المغربية، ج 7، 1972 ؛ م. اللحية، *الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر*، د. د. ع، الرباط، 1984، (مرقون) ؛ م. بنشريفة، *علاقة مكناس بالأندلس والأندلسيين حتى نهاية العصر المريني*، أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية، 1988.

محمد اللحية

**تَاگْراگْرَا**، تعني المنخفض أو الأرض المستوية وتطلق على مجموعة من الدواوير والمواقع، أشهرها تاگراگرا ـ نْ ـ واقّا وتاگراگرا ـ ن ـ طاطا وتاگراگرا ـ ن ـ أيت باعمران. وكلها عبارة عن منخفضات داخلية تستقر بالأطلس الصغير الغربي، تطورت عن تعرية انتقائية أزالت الصخور الكاربوناتية الأولية التي تشكل غطاءً رسوبيا وأبرزت صخور القاعدة القبل كمبرية المشكلة من صخور اندفاعية ومتحولة متنوعة.

تعتبر تاگراگرا ـ ن ـ واقّا أكبر المنخفضات المذكورة وتوجد على السفح الجنوبي للأطلس الصغير الغربي بين تافراوت وفم الحصن وأقا. وهي عبارة عن بهرة حقيقية تتشكل من منخفضين تؤطرهما أجراف دلوميتية جيدة التشخيص. المنخفض الأول وهو الأوسع معروف باسم تاگراگرا ـ ن ـ إداوازيد يتخذ شكلا طويلا وامتدادا ش ـ شـ/ ج ـ غ، سطحه متموج، ومتوسط الارتفاع في حدود 950 م، يتصل عند طرفه الشمالي ـ الشرقي بالمنخفض الثاني وهو تاگراگرا أُهلال، امتداده ش ـ غ / ج ـ شـ، سطحه متموج، ومتوسط الارتفاع 900 م.

يتميز هذان المنخفضان، بسبب تكوينهما الصخري البلوري ووضعهما المناخي المحمي، بندرة الموارد المائية الجوفية والسطحية مما ينعكس على السكان وأنشطتهم، فعدد هؤلاء محدود جدا، يستقرون داخل دواوير صغيرة ومتناثرة عند الجهة الشمالية حول الأودية أو عند نقط مائية منعزلة. ويعيشون على رعي الماعز وعائدات الهجرة.

تاگراگرا ـ ن ـ طاطا هي عبارة عن منخفض ضيق يقع شمال غرب مركز طاطا، ذي امتداد عام شرقي / غربي، سطحه متموج، متوسط الارتفاع 1230 م، يشكل جزءاً من حوض واد طاطا الذي يكوِّن أحد روافد واد درا. الموارد المائية شبه منعدمة مما يجعل من هذا المنخفض مجال فراغ سكاني، إذ لا تستغله القبائل المجاورة أهل طاطا وإداوبلال إلا في حالة توفر المرعى.

أما تاگراگرا ـ ن ـ أيت باعمران فمنخفض مستو يندرج ضمن كتلة إفني مشكل في صخور غرانيتية تطور فوقها غطاءً ترابيا سميكا، يتلقى تساقطات مطرية ساعدت على وجود استقرار بشري قديم وكثيف بالمقارنة مع المناطق المجاورة (انظر مادة باعمران، *معلمة*).

*تحريات ميدانية.*

الحسن المحداد

** وتذكر كتب التاريخ أنه في مدخل تاگراگرا الباعمرانية شمالا نزلت محلة السلطان الحسن الأول سنة 1303 / 1886، في موضع إيسك، ثم نزلت في وسط هذا السهل بمكان يسمى تيغزا، حيث بنى السلطان محلته الباقية حتى الآن، لأهمية الموقع وسط القبائل الباعمرانية.

شاهدت تاگراگرا أحداثا خطيرة في بداية هذا القرن، ففي سنة 1335 / 1917 حاول القائد حيدا بن مَّايْس بأمر من سلطة الحماية أن يحتل هذا السهل، لكن تلقاه أيت باعمران عند المدخل شمالا، فوقعت معركة إيگالْفْن المشهورة حيث قُتل حيدا نفسه وعشرون قائداً من محلته.

وبعد ثلاثة أشهر من نفس السنة قدم الجنيرال دولاموط De Lamoth واستطاع بعد معركة قاسية أن ينزل في تاگراگرا، لكنه حوصر هناك لمدة أسبوع، ثم انهزم راجعا إلى تيزنيت، فحافظ أيت باعمران على حدودهم حتى خرجت إسبانيا هناك سنة 1934 فأدركت أهمية تاگراگرا، وأسست فيها أربعة مراكز لمراقبة البلاد، إلى أن حررت ثورة أيت باعمران البلاد من الأجنبي، وسقطت معاقل الاسبان في الأسبوع الأول من الثورة سنة 1957.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، جمعية الجامعة الصيفية بأگادير، 1988 ؛ *معركة إيگالفن*، أعمال الجمعية الصيفية بأگادير لم تنشر، محاضرة الحسين الجهادي ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 3 ؛ *كناشة شايلاًه* سيدي محمد بن أحمد الساحلي.

الحسين الجهادي

**تاكرْكُوسْت** (للأ ـ)، مركز، وجماعة قروية بدائرة أمزمير بإقليم مراكش مساحتها 180 كلم$^2$ وسكانها 9.035ن (1982). تنتشر أراضيها على طول مقطع من وادي نفيس الأدنى، يحيط به من الجانبين سطوح وتلال ومنحدرات ومخاريط انصباب رباعية متداخلة تراكمت فوق محدبات من الطفل الميوسيني بهامش سهل الحوز، تظهر بينها أجزاء من القاعدة الهرسينية، مما جعل معظم أراضي الجماعة تتكون من تلال تقطعها مسيلات كثيرة، فهي أصلح ما

تكون للرعي أو زراعة بناصيبية للحبوب على بعض السطوح المستوية أو المنحدرات الضعيفة خاصة وأنها تتلقى مقادير متواضعة من الأمطار (281 ملم بمركز تاكركوست). وتقتصر الزراعة المسقية على مجالات ضيقة بالوادي وقرب بعض العيون أو الخطارات المنفردة. وأفضل حوض زراعي غمرته بحيرة السد. وتلتقي هنا ثلاث مجموعات قبلية هي أوزگيتة بعالية واد نفيس وسفوح هضبة كيك وهي قبيلة وفدت من المنحدرات الجنوبية للأطلس الكبير من أيت واوزگيت، وسكتانة بتلال الضفة اليمنى وفدت من جنوب الأطلس الصغير الأوسط، وأيت إيمور وهم قبيلة گيش متعددة الآفاق. وأهم حدث عرفته المنطقة أدى إلى إعادة تنظيم المجال هو بناء السد.

سد للاتاكركوست (كاڤنياك سابقا) حاجز إسمنتي ثقيل بني بإفجيج ضيق لواد نفيس محفور في كتلة من الكوارتزيت في الفترة 1929 .1935 لحجز مياه واد نفيس البالغ طوله 150 كلم بعالية السد، وصبيبه السنوي 160 مليون م$^3$ وحوضه 1.700 كلم$^2$ معدل أمطار حوضه 560 ملم. والهدف من بنائه إنتاج الكهرباء مليون كو / س وخزن المياه لتنظيم السقي بمخروط وادي نفيس وري نطاق سقوي حديث بضاحية مراكش الغربية تارگة. وكانت حقينته عند بنائه 50 مليون م$^3$ انخفضت في بداية الستينات إلى 38 مليون م$^3$. ونظراً لتذبذب كميات الأمطار بحوضه فإنه لايمتلئ في المعدل إلا مرة كل سنتين. وبني بسافلته حاجز لتنظيم السقي وتغذية قناة طولها 14 كلم تعبر تلال أيت إيمور إلى مخروط الواد الأسفل وسهل الحوز.

مركز للاتاكركوست، لم تعم هذه التسمية إلا عن طريق التنظيم الإداري الحديث والخرائط. أما الدوار القديم الذي غمرته مياه بحيرة السد فقد كان يعرف بإمزوغ، وكان به حوالي خمسين منزلا وبضعة دكاكين بقالة وجزارة ومعصرة زيوت ورحى لطحن الحبوب ومسجد لصلاة الجمعة وكتّاب. وكان نزالة في طريق مراكش سوس. يعقد به سوق أسبوعي يوم الأربعاء وبه قبة ضريح بها ثلاثة قبور يسميهم السكان سبعة رجال، وبه عين ماء ساخنة بني حولها صهريج لاستحمام الرجال به سلاحف يعتقد السكان أن لدغتها أو الاستحمام بجوارها يعالج الشلل والروماتيزم. ومستحم النساء هو الذي يسمى للاتاكركوست. وتاكركوست بحرف ك أو گ اسم منتشر بأماكن أخرى بالأطلس الكبير وسوس يعني بلهجة الشلحة غير صالح للوتد، أي مكان غير صالح لدق الاوتاد وربط الدواب والمبيت إما لخطر أو لصلابة الأرض. ويوجد هذا الاسم عادة في مراحل الطريق التي يبيت بها المسافرون قرب مورد ماء. ولعل موقع السد الحالي هو موقع مدينة نفيس التي ذكرها المؤرخون قبل العهد المرابطي.

وعند بناء السد سنة 1935 أمرت السلطات السكان بالرحيل إلى الدوار الجديد الذي بنته فوق سطيح نهري بالضفة اليسرى بسافلة السد به اثنان وستون منزلا تصطف حول أزقة مستقيمة تتقاطع بزوايا قائمة وسمي أمزوغ الجديد أو الشتوي. وقبل رحيل السكان فتحوا قبور الضريح فلم يجدوا بها سوى بقايا رفات رجل واحد نقلت ودفنت بقبة ضريح الزاوية الجديدة التي سميت بلالاتاكركوست. تتكون من مسجد ومدرسة دينية بها قسم داخلي للطلبة وحمام وصهريج وصل إليه أنبوب يحمل مياه العين الساخنة لاستحمام المرضى الزائرين، وعوض السكان عن أراضيهم المغمورة بأراض أخرى فوق سطوح نهرية عالية أكثر اتساعا ومخاريط بعض المسيلات تمتد كشرائح طولية بضفة الواد اليمنى وزودت بقناة ري حديثة من السد، فظهرت بها بساتين أشجار غنية بلغت مساحتها مائة هكتار ثلثاها عبارة عن ملكيات صغيرة للسكان المحليين. ويتكون مركز تاكركوست الحالي من أربع وحدات عمرانية متباعدة حول السد وضفتي الواد.

أمزوغ الشتوي به 120 منزلا شغلت كل مساحة السطح النهري الصغير به أربع دكاكين وأقسام مدرسية ومنشآت خدمات تقليدية من حمام وفران وكتّاب، والكل مبني بالتراب المدكوك.

أمزوغ القبلي، دوار ظهر بسطح واسع بالضفة اليمنى أمام السوق الأسبوعي كانت به بضعة منازل ومطعم أوربي قديم. وعند فتح ورش تعلية جدار السد سنة 1976 استقر به العمال وتزايدت منازله إلى أن صار عددها اليوم 180 منزلا، الكثير منها مازال في طور البناء أو غير مسكون. وقد بني بها مسجد لصلاة الجمعة ومنشآت إدارية على الطريق الرئيسي، قيادة دار الجماعة القروية... وبها عشرة دكاكين.

يقع الحي الإداري على ربوة مرتفعة متصلة بأعلى جدار السد به ڤيلات قديمة لموظفي السد أضيفت إليها ڤيلات أخرى ومنازل خلال تعلية السد يبلغ عدد منازلها أربعين تنتشر وسط خميلة من الأشجار يسكنها موظفو السد، والمصالح الإدارية كلها مبنية بأسلوب عصري.

ويمتد الزقاق التجاري بين القنطرة وجدار السد، تقع عليه نواة تجارية قديمة عند مدخل القنطرة حيث استقرت محطة وقوف الحافلات وتتكون من ثلاثة مقاهي شعبية ودكاكين وبوسطه باب السوق الأسبوعي والمدرسة المركزية، كما تمتد على جانبيه الإدارات العمومية وتعاونية الحليب وبعض المنازل لسكن الموظفين معظمها مبني بأسلوب عصري. ويبلغ عدد دور مجموعة تاكركوست 340 منزلا بها حوالي 1.600 ن (1990) معظمها مجهز بالكهرباء والماء الشروب، لكن الترصيف يقتصر على الطريق الرئيسي وطريق يربط الحي الإداري به. إن عدم استواء السطح وتشتت السكن على المنحدرات يجعل الطابع الريفي يطغى على أحياء المركز. ويعقد بتاكركوست سوق أسبوعي يوم الأحد فوق سطح نهري مستو ضيق أسفل جدار

السد بالضفة اليمنى يزود السكان بالحاجيات الأساسية، وتباع فيه خضر وفواكه محلية ومواش حسب المواسم. وقد ظل راكداً في مستواه الحالي منذ عقود لأن قرب مراكش (32 كلم) يجتذب فائض الأموال والسكان للتبضع ويحد من نموه.

*بحث ميداني في خريف سنة 1990.*

أحمد هوزالي

**تَاكَزَارَت**، أهم قرية بقبيلة بني عروس بعد قرية تازروت، تقع بفرقة أبياط (إقليم العرائش). وإلى هذه القرية ينتسب الشريف سيدي محمد ولد سيد الحسن العلمي المعروف بشريف تاگزارت، وهو الذي تزعم المقاومة المسلحة ضد الغزو العسكري الإسباني للناحية الغربية من شمال المغرب، فأقام عدة رباطات للجهاد كان أهمها رباط دار ابن قريش المؤسس على إثر الاحتلال الاسباني لمدينة تطوان في فبراير سنة 1913.

م. ابن عزوز حكيم، *رباط دار بن قريس*، مرقون.

Garcia Fugueras, *Mulay Ahmed el Rasuni*, Inédito.

محمد ابن عزوز حكيم

**التاكُشْتي**، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الهشتوكي، ولد بتاكوشت، من سوس سنة 1068 / 1658، وتلقّى دراسته الأولى في سوس، ثم انتقل إلى درعة في تاريخ غير معروف. وهنالك درس مختلف العلوم على يد شيوخ مشهورين أمثال أبي علي اليوسي، وأحمد ابن ناصر الدرعي، إلى أن صار إماما عالما عاملا متفننا في علوم شتى، فقيها منيبا خاشعا، شاعرا مفلقا (*الدرة الجليلة*، 243).

له قصيدة طويلة رثى بها شيخه في الطريقة ـ أحمد ابن ناصر الدرعي ـ يقول في مطلعها :

عبس الزمانُ أراه كالغضبان　　　وأرى البلاد كثيرة الرجفان

(*الدرر*، 105).

توفي التاكُشتي بمصر، في أثناء قفوله من الحج سنة 1136 / 1724 ؛ وحملت جثته إلى بلاد سوس، حيث دفن ببلدته تاكشت.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، 1 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 5 و8 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، ج 1.

أحمد عمالك

بوبراهيم (بَّاجُو)
انظر صفحة 1625

بوبكر (مركز منجمي)
انظر صفحة 1629

بوجنيبة (عقرايشة)
انظر صفحة 1647

بولمان
منظر فلاحي
انظر صفحة 1852

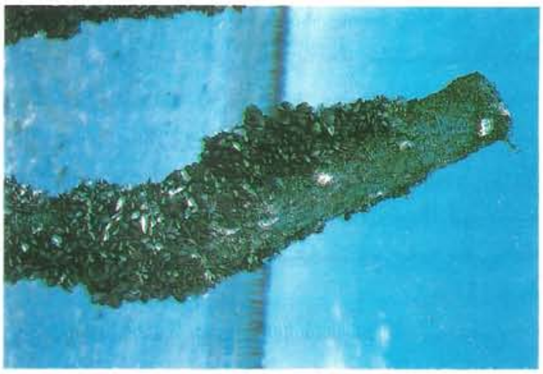

بُوزرُوگ (بلح البحر)
انظر صفحة 1697

بولمان
قصر أولاد طير انظر صفحة 1851

بُـوم (موكا) انظر صفحة 1858

بـومـخـيـط
انظر صفحة 1861

بومـة الثـبـج والخبـل انظر صفحة 1859

بـيـبـي (الديك الرومي أو الحبشي)
انظر صفحة 1914

بـوم من نوع آخر
انظر صفحة 1861

بـيـبـي لَـخْلاَ (أبو منجل)
انظر صفحة 1915

پيرولوزيت (معدن المنغنيز)
انظر صفحة 1939

تازارت نْ يِفيس (الفسفاس)
انظر صَفحة 2026

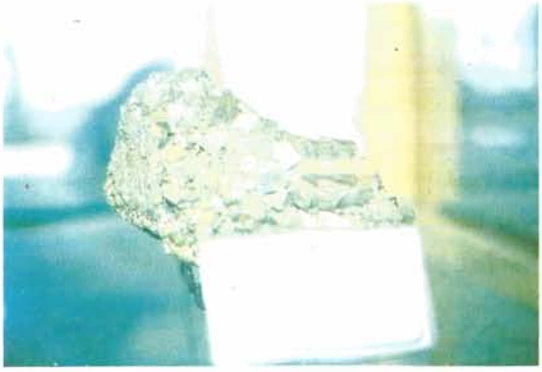

پيريت (معدن الحديد والكبريت)
انظر صفحة 1940

تازارت نْ يِفيس (مع الدغموس وأرگان)
انظر صفحة 2026

تارنت
نابت على جرف
انظر صفحة 2019

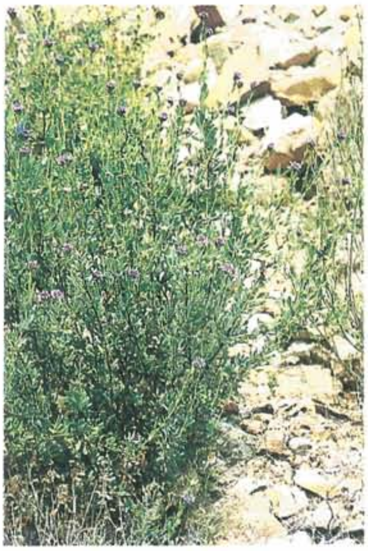

تاسلغا (عين الأرنب)
انظر صفحة 2059

تم طبع هذا الجزء من معلمة المغرب بمطابع سلا
في شهر رجب عام 1413/دجنبر 1992
وأعيد طبعه في محرم عام 1431/يناير 2010

مطابع سلا

19، زنقة الحافظ السلفي
المعاريف - الدار البيضاء

✆ : 05.22.25.65.65

**Imprimerie de Salé**

**19, Rue El Hafid Salafi**
**Maârif - Casablanca**
**Tél.: 05.22.25.65.65**

ISBN 9981 - 03 - 000 - 7 (Ensemble)
ISBN 9981 - 03 - 006 - 6 (Tome 6)

# Encyclopedie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

6

Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé**

1992 - 1413

Encyclopédie

du

Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

7

من إنتاج

الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر

دار الأمان

دار الأمان - الرباط

الطبعة الأولى / 1410 هـ - 1989م
الطبعة الثانية / 1435 هـ - 2014م

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984/629



ردمك 7-000-03-9981 (المجموعة)

**دار الأمان - الرباط**

المملكة المغربية - 4، زنقة المأمونية - الرباط
هاتف: 87 37 26 37 5 212+ / 76 32 72 37 5 212+
فاكس: 55 00 20 37 5 212+
بريد الكتروني : libdarelamane@yahoo.fr

# معلمة المغرب

المغرب الأقصى

بسم الله الرحمن الرحيم

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ . | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في تحرير مواد حرف التاء

محمد **أزهار**، كلية الآداب - المحمدية.
سعيد **أعراب**، باحث - تطوان.
الحسين **أفا**، كلية الآداب - أكادير.
عمر **أفا**، كلية الآداب - الرباط.
المختار **الأكحل**، كلية الآداب - المحمدية.
عمر **أكراز**، معهد الآثار - الرباط.
الحسين **ألواح**، باحث.
محمد **الوزاد**، باحث.
حسن **أميلي**، كلية الآداب - المحمدية.
محمد **أمين**، باحث .
حسن **أنشاد**، باحث.
حمدي **أنوش**، كلية الآداب - أكادير.
مبارك **أوسديد**، باحث - الرباط.
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء.
محمد **أيت حمزة**، كلية الآداب - الرباط.
بلغازي **باختي**، باحث.
عبد الحميد محيى الدين **الباعمراني**، كلية اللغة العربية - مراكش.
عبد الكبير **باهني**، وزارة السكنى والتعمير - الرباط.
محمد **البايك**، كلية اللغة العربية - مراكش.
محمد **البدراوي**، المعهد الزراعي - الرباط.
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب - المحمدية.
الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية - القصر الكبير.
محمد **بلعربي**، باحث - الرباط.
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب - الرباط.
عبدالعزيز **بلّ الفايدة**، كلية الآداب - القنيطرة.
البيضاوية **بلْكامل**، كلية الآداب - الرباط.
رقية **بلْمقدم**، المركز التربوي الجهوي - مكناس.
علي **البليشي**، كلية الآداب - الرباط.
أحمد **بنجلون**، باحث - الرباط.
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب - المحمدية.
محمد **بنشريفة**، أكاديمية المملكة المغربية - الرباط.
عبد العزيز **بنعبد الله**، أكاديمية المملكة المغربية - الرباط.
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا.
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب - بني ملال.
عمر **بنميرة**، كلية الآداب - الرباط.
محمد **بوخبزة**، باحث - تطوان.
عبد القادر **بوراس**، المركز التربوي الجهوي - القنيطرة.
رحمة **بورقية**، كلية الآداب - الرباط.
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب - فاس.
عيسى **البوزيدي**، كلية الآداب - القنيطرة.
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية - الرباط.
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين السبع.
مصطفى **بوشعراء**، باحث - سلا
عبد الله **بوصحابة**، المعهد العلمي - الرباط.
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب - الرباط.
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب - مكناس.
عبد العزيز **بوعصاب**، كلية الآداب - القنيطرة.
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب - الرباط.
أحمد **بومزكو**، وزارة التربية الوطنية - تيزنيت.
جامع **بيضا**، كلية الآداب - الرباط.
محمد بن **تاويت التطواني**، باحث - تطوان.
عبد العزيز **توري**، وزارة الشؤون الثقافية - الرباط.
أحمد **التوفيق**، معهد الدراسات الإفريقية - الرباط.
أحمد **توفيق الزينبي**، وزارة الفلاحة.
عبد العزيز **تيلاني**، كلية اللغة العربية - مراكش.
محمد **جادة**، كلية الآداب - الرباط.
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء.
محمد **الجوماني**، باحث.
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية - الرباط.
محمد **حجي**، كلية الآداب - الرباط.
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب - وجدة.
فاطمة **الحراق**، معهد الدراسات الإفريقية - الرباط.
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب - الرباط.
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب - فاس.
محمد **حمام**، كلية الآداب - الرباط.
العربي **الحمدي**، كلية الآداب - بني ملال.
محمد **حنداين**، باحث.
محمد **حنيني**، كلية الآداب - الرباط.
علال **الخديمي**، كلية الآداب - الرباط.
محمد **خنفار**، باحث.
نجاة **الخياطي**، باحثة.
مارية **دادي**، كلية الآداب - وجدة.
المهدي **الدليرو**، وزارة الثقافة - الرباط.

المفضل **دوحة**، باحث.
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب - القنيطرة.
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب - مراكش.
محمد **رزرق**، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق.
حسن **رشيق**، باحث.
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي - الرباط.
محمد **رمضاني**، وزارة التربية الوطنية - وجدة.
بوجمعة **رويان**، باحث.
محمد **زرهوني**، كلية الآداب - الدار البيضاء.
العياشي **الزيتوني**، وزارة الجالية المغربية بالخارج - الرباط.
محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية - سلا.
رشيد **السلامي**، كلية الآداب - مراكش.
عبد المالك **السلوي**، كلية الآداب - المحمدية.
محمد **السماحي**، كلية الحقوق - الرباط.
الميلود **شاكر**، كلية الآداب - الرباط.
أحمد **شحلان**، مكتب التعريب - الرباط.
محمد **شقرون**، كلية الآداب - الرباط.
محمد **الشياظمي**، باحث - الرباط.
محمد **صابري**، كلية الآداب - أكادير.
علي **صدقي ازايكو**، كلية الآداب - الرباط.
السعدية **صريح**، باحثة.
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب - الدار البيضاء .
عبد الرحمان **الطيبي**، وزارة التربية الوطنية - الرباط.
عبد الله **عاصم**، كلية الحقوق - الرباط.
عبد العزيز بن **عبد الجليل**، المعهد الوطني للموسيقى - مكناس.
الموساوي **العجلاوي**، كلية الآداب - مراكش.
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب - القنيطرة.
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث - الرباط.
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب - الرباط.
عز الدين **العلام**، كلية الحقوق - المحمدية.
حسن **علوي حافظي**، كلية الآداب - مراكش.
عبد الله **العمراني**، باحث - تطوان.
محمد **عمراني**، كلية الآداب - القنيطرة.
أحمد **عمالك**، كلية الآداب - مراكش.
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب - الرباط.
مصطفى **عياد**، كلية الآداب - الرباط.
عبد الله **العياشي**، باحث.
عبد القادر **الغزالي الخراز**، باحث.
إدريس **فاسي**، كلية الآداب - الرباط.
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب - القنيطرة.

يحيى أبو **الفرج**، معهد الدراسات الافريقية - الرباط.
حليمة **فرحات**، معهد البحث العلمي - الرباط.
حسن **الفكيكي**، كلية الآداب - القنيطرة.
محمد **فلا**، باحث.
مصطفى **فنيتر**، كلية الآداب - مراكش.
عبد القادر **القادري**، كلية الحقوق - الرباط.
أحمد **قدور**، كلية الآداب - القنيطرة.
زهرة **قنينبة**، معهد الآثار - الرباط
أ. **الكانوني**، باحث.
محمد **كربوط**، كلية الآداب - الرباط.
محمد **كلاد**، باحث.
حسن **اللبادي**، وزارة البريد - الرباط.
محمد **اللحية**، كلية الآداب - أكادير.
جاك **ليقرا**، باحث.
سيمون **ليقي**، كلية الآداب - الرباط.
حسن **ليمان**، محافظ مدينة وليلي الأثرية.
محمد **ماكامان**، كلية الآداب - مراكش.
رضوان **مبارك**، كلية الآداب - مراكش.
محمد **مجدوب**، كلية الآداب - المحمدية.
الحسن **المحداد**، كلية الآداب - أكادير.
محمد **مستاوي**، باحث - الدار بالبيضاء.
الصديق **معنينو**، وزارة الاعلام - الرباط.
محمد **المغراوي**، كلية الآداب - الرباط.
عبد الرحمن **الملحوني**، باحث - مراكش.
محمد **المنصور**، كلية الآداب - الرباط.
عثمان **المنصوري**، كلية الآداب - الدار البيضاء.
محمد **المنوني**، كلية الآداب - الرباط.
محمد **منيوي**، المعهد العلمي - الرباط.
مصطفى **مولاي ارشيد**، كلية الآداب - الرباط.
فاطمة **الموني**، باحثة.
مصطفى **ناعمي**، معهد البحث العلمي - الرباط.
رشيدة **نافع**، كلية الآداب - المحمدية.
زهرة **النظام**، كلية الآداب - المحمدية.
محمد الحبيب **نوحي**، كلية الآداب - أكادير.
أحمد **الهاشمي**، باحث.
محمد عبد الجليل **الهجراوي**، المتحف الأثري - الرباط.
المختار **الهراس**، كلية الآداب - الرباط.
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب - مراكش.
علي **واحدي**، كلية الآداب - فاس.
أحمد **الوارث**، كلية الآداب - الجديدة.
الطاهر **وعزيز**، كلية الآداب - الرباط.

# بيبليوغرافيا إضافة
# إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة


ع. م. **إبراهيم**،

*حقيقة التبشير*، مجلة *الوعي الإسلامي*، ع 180، أكتوبر 1979.

ج. **أبو النصر**،

*طرقٌ صوفية في العصر الحديث : الطريقة التجانية*، 1965.

ع. **الاجهوري**،

*غاية التبيان لحل شرب ما لايغيّب العقل من الدخان*، مخطوط.

ح. **احهار**،

*دراسة النمو الحضري لمركز تنغير*، بحث لنيل الاجازة، فاس، 1989.

*احتلال درعة : مراحله وحيثياته*، أعمال ندوة كلية الآداب بأگادير، نونبر 1992.

ب. **الاشبيلي**،

*كتاب التيسير في صناعة التسفير*، نشر. ع. كنون، *مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد*، ع. 7 ـ 8. 1959 ـ 1960.

ع. **الاشقر**،

*منطلقات إشكالية ومبادئ لتأسيس استراتيجية الإشراف التربوي*، *ندوة الإشراف التربوي بين النظرية والممارسة*، الدار البيضاء، 22 ـ 23 أبريل 1994.

**إقليم ورزازات**،

*مونغرافيا إقليم ورزازات، منجزات وآفاق*، مارس 1986، ورزازات، 1986.

م. **الاكحل**،

*انتشار المكننة الزراعية وانعكاساته على التشغيل الفلاحي والبنية المجالية : مثال من بلاد زمور، جماعة أيت ميمون*، د. د. ع، الرباط، 1987.

ع. **امحاند**،

*خطر المبشرين في المغرب*، *الميثاق*، 8 مارس 1970، 23 نونبر 1970.

ع. **أمرير**،

*الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمّو*، الدار البيضاء، 1980.

ع. **أمهان**،

*الفنون المغربية الأصيلة*، مجلة *أبعاد فكرية*، ع 2، 1989.

ص. **أمين**،

*الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية*، عمان، 1978.

ع. **أمين**،
*الإشراف التربوي : واقع وآفاق*، *المجلة التربوية*، ع 2.

ج. **أوفيد**،
*اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية*، 1905 ـ 1955، الدار البيضاء، 1988.

د. **إيكلمان**،
*الاسلام في المغرب*، الدار البيضاء، 1989.

أ. **باب التنبكتي**،
*اللمغ في الاشارة إلى حكم طبغ*، مخطوط.

ع. **باينة**،
*التنظيم الإداري بالمغرب*، الدار البيضاء، 1991.
*شرعية الاصلاح الحقيقي في التعليم العالي*، *الاتحاد الاشتراكي*، ع 2815، 21 أبريل 1991.
*المختصر في القانون الإداري المغربي*، الدار البيضاء، 1985.

ع. **بدوي**،
*مقالات الاسلاميين*، بيروت، 1971.

**البقدوري**،
*إتحاف أهل البدو والقرى*.

خ. **بقطاش**،
*الحركة التبشيرية في الجزائر من سنة 1860 إلى سنة 1879*، *مجلة الثقافة*، ع 61، 1401 هـ.

ع. **البكريوي**،
*الوجيز في القانون الإداري المغربي*، الرباط، 1990.

أ. **بل**،
*الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي*، تر. ع. بدوي، بيروت، 1987.

أ. **ابن المامون البلغيثي**،
*الابتهاج بنور السراج*، القاهرة، 1319 هـ.

ع. **بلقاسم**،
*تاريخ عائلات سلا*.

م. **بنشريفة**،
*حول كتاب المستفاد*، *دعوة الحق*، ع 259.

ع. **بنشنهو**،
*النظام الإداري بالمغرب*، الرباط، (د. ت).

ع. **بنعبد العالي**،
*الترجمة والمثاقفة*، *الوحدة*، ع 61 ـ 62.

ف. **بوخريص،**
*أحيدوس، معلمة المغرب*، ج 1، الرباط، 1989.
م.ع. **بوخلفة،**
*الطريق لمعرفة القصر الكبير*، تطوان، 1972.
ر. **بورقية،**
*العرف والشرع، المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع*، ع 7، 1984.
أ. **البوسعيدي،**
*بذل المناصحة في فعل المصافحة*، مخطوط.
م. **بوسلام،**
*تفتيش التعليم بين النصوص والواقع*، بحث لنيل دبلوم مفتش التعليم الثانوي، الرباط، 1986 ـ 1987.
م. **بوشعراء،**
*قبيلة بني حسن، 1860 ـ 1912*، مخطوط.
ع. **بوفتاس،**
*أمانوز، لمحات تاريخية واقتصادية واجتماعية*، الدار البيضاء، 1991.
خ. **بوقرعة،**
*الترجمة واللغة والهوية القومية، الوحدة*، ع 61 ـ 62.
ح. **بولقطيب،**
*جوانب العرف القبلي بمغرب العصر الوسيط، الاتحاد الاشتراكي الملحق الثقافي*، 5 يناير 1992.
ـ *بيان تاريخي من مثقفي المغرب حول سياسة التعليم والغزو اللغوي الاستعماري للمغرب العربي*، الرباط، 1985.
م. **التراب،**
*نظام الاكراه البدني كوسيلة للإجبار على التنفيذ*، ضمن كتاب *نظرات في الفقه والقانون*، ج 1، الرباط، 1992.
*تقرير حول التعليم العالي والبحث العلمي بالمغرب : منجزات وآفاق*، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، الرباط، غشت 1989.
ع. **التامنارتي،**
*ديوان*، مخطوط. خ.ح.
م. **التاودي السقاط،**
*خرق العوائد*، مخطوط، خ. ع. 52 ك.
م. ابن **تاويت التطواني،**
*تاريخ سبتة*، الدار البيضاء، 1982.

أ. **التجيبي،**

برنامج التجيبي، تح. عبد الحفيظ منصور، تونس، 1981.

*مستفاد الرحلة والاغتراب*، تح. ع. منصور، تونس، 1975.

أ. **التستاوتي،**

*شرح واردات العياشي التستاوتي*، مخطوط، خ. ع. د 2010.

*نزهة الناظر : شعر التستاوتي*، جمع وتح. عبد اللطيف شهبون، د. د. ع، الرباط، 90 ـ 1991.

أ. **التطواني،**

*الفقيه التطواني ودوره في البحث العلمي*، بحث الإجازة، الرباط، 80 ـ 1981.

ع. **التغرغرتي،**

*تراجم بعض علماء سوس*، مخطوط.

ـ *تقاييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الايالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى*، الرباط.

ع. **التليدي،**

*حياة الشيخ أحمد بن الصديق*.

ع. **التميمي،**

*التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر خلال القرن 19*، *المجلة التاريخية المغاربية*، ع 1، يناير 1974.

دور المبشرين في نشر المسيحية في تونس، *المجلة التاريخية المغاربية*، ع 3، يناير 1975.

م. **التميمي،**

*المستفاد*، قطعة مخطوطة.

ع. **توري،**

*المسح الأثري بحوض سبو ومنطقة غمارة : نتائج الموسم الأول*، *مجلة كلية الآداب*، الرباط، 11، 1985.

ع. **التوزاني،**

*رسالة في الطريقة الناصرية*، مخطوط، خ. ع مجموع 2705 ك.

م. **التوغزيفتي،**

*الرسالة التوغزيفتية*، مخطوط.

**ابن تومرت،**

*أعز ما يطلب*، تح. عمار الطالبي، الجزائر، 1985.

*العقيدة*، القاهرة، 1328 هـ.

ح. م. **جابر،**

*الطريق إلى جماعة المسلمين*، الكويت، 1984.

م. ع. **الجابري،**

*أضواء على مشكل التعليم بالمغرب*، الدار البيضاء، (د. ت).

**ع. الجشتيمي،**

*الحضيگيون*، مخطوط.

**إ. الجعايدي،**

*إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار*، تح. ع. معنينو، د. د. ع، الرباط، 1990.

**ت. الجعيدي،**

*رسالتان تتعلقان بهجوم الأسطول الفرنسي على سلا عام 1268 / 1851*، مخطوط، خ. ص.

**ط. جلال ـ م. عجاج،**

*تثبيت الكثبان الرملية وتشجيرها في شمال إفريقيا*، تونس، 1986.

**إ. بن الجنوي،**

*أبناؤنا بين أيدي المبشرين*، *الميثاق*، ع 72، 1963.

**م. ابن الحاج،**

*إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، 1992.

**ت. ع. الحارتي،**

*البعثات التبشيرية الاميريكية في المغرب الاقصى قبيل الحماية الفرنسية*، *المجلة التاريخية المغاربية* ع 63 ـ64، يوليوز 1991.

**أ. ابن عاشر الحافي،**

*فهرس*، دراسة وتح. محمد السعديين، د. د. ع، الرباط، 90 ـ 1991.

**ع. حرازم برادة،**

*جواهر المعاني وبلوغ الأماني*، وبهامشه كتاب *رماح حرب الرحيم على نحور حزب الرجيم* لسيدي عمر بن سعيد الفوتي الطوري، بيروت، 1383 هـ.

ـ *حركة التعليم في المغرب خلال الفترة 90 ـ 91 ـ 1992*، الرباط، 1994.

**ع. حفيظ،**

*حول الترجمة والتعريب والتغريب : مأساة المصطلح وفراغ المعنى*، *الوحدة*، ع 61 ـ 62.

**م. ع. حلمي،**

*عادات الزي في المغرب الأقصى*، (د. م) (د. ت).

**ب.**

*الحركات البشرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر*، تونس، 1989.

**م. حمام،**

*وثائق من أيت سدرات*، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1978.

**ل. الحمداوي،**

*واحة تنغير : دراسة في الجغرافية البشرية*، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1977.

**م. حنداين،**

*تارودانت ومحيطها التاريخي، 1670 ـ 1790*، ر. د. ع التاريخ، الرباط، 1993.

م. **حنيني**،

*دراسة في الجغرافية الحضرية : الخميسات*، د. د. ع، الرباط، 1980.

م. **الخالدي - ع. فروخ**،

*التبشير والاستعمار*، بيروت 1970.

ابن **خرذاذبه**،

*المسالك والممالك*، ليدن، 1889.

ي. ابن **خلدون**،

*بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، الجزائر، 1980.

م. بن **خليفة**،

*القصر الكبير : أعلام أدبية وعلمية وتاريخية*، القصر الكبير، 1994.

ع. **الخمليشي**،

*إعلام المسلمين بمقاصد المبشرين*، *الميثاق*، ع 80، دجنبر 1968، ع 107، مارس 1970.

سيدي علي **خنفر**،

*تقييدات شرط مسجد أفركط خلال سنتي 1344 - 1345 هـ / 1925 - 1926*، مخطوط خاص.

م. ابن أبي **دينار**،

*المؤنس في أخبار افريقية وتونس*، ط. 2، تونس، 1967.

الحافظ **الذهبي**،

*سير أعلام النبلاء*، تح. بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، بيروت، 1984.

م. م. **رشيد**،

*المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين*، الدار البيضاء، 1992.

أ. **الركني**،

*شفاء القلوب في مناقب الشيخ محمد بن يعقوب*، مخطوط.

ح. ابن **ريسون**،

*فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد*، تطوان، (د. ت).

ع. **زمامة**،

*أسماء الحرف المعروفة بفاس*، اللسان العربي، 1966.

*فاس وصناعتها التقليدية*، مجلة كلية الآداب بفاس، 1980 - 1981.

أبو بكر **زنيبر**،

*الحالة التعليمية في المغرب قبل الحماية وبعدها*، مخطوط.

*العمل في أحكام الفقهاء*، ملحق جريدة *المغرب*، سلا 1938 وما بعدها.

أ. **الزياني**،

*تاريخ بلدة خنيفرة*، تح. محمد أ محزون، الدار البيضاء، 1986.

ع. ابن السائح،
*بغية المستفيد لشرح منية المريد*، القاهرة.
**الساحلي**،
*بغية السالك في أشرف المسالك*، مخطوط، خ. ع. 2630 ك.
ع. **السجلماسي**،
*الإلمام ببعض من لقيت من علماء الإسلام*، مخطوط.
م. **السجلماسي الرباطي**،
*شرح العمل الفاسي*، فاس، 1291 ـ 1298 هـ، ط. حجرية.
*شرح العمل المطلق*، فاس.
ابن مليح **السراج**،
*أنس الساري والسارب*، تح. محمد الفاسي، فاس، 1968.
ر. **سعيدو**،
*الهجرة وأثرها على العلاقات الاجتماعية بدوار حارة المرابطين، منطقة تنغير*، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1989.
أ. **السفياني**،
*صناعة تفسير الكتب وحل الذهب*، فاس، 1919.
أ. **سكيرج**،
*إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي*، الجزائر، 1917.
**السلطانة** بنت شيخنا،
*الشعر الشعبي في تكانت حتى نهاية الاستعمار*، نواكشوط، 1990.
م. **السماحي**،
*في مسطرة إيقاف التنفيذ أمام المجلس الأعلى*، مجلة *نظرات في الفقه والقانون*، ع 1، 1992.
*التنفيذ المعجل للأحكام المدنية في القانون المغربي : دراسة مقارنة*، الدار البيضاء، 1985.
ع. **الشاذلي**،
*التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري*، الدار البيضاء، 1989.
م. **الشامي**،
*حرب الريف والمأثور الشفوي : شعر المقاومة والجهاد*، ندوة حول جوانب من الأدب في المغرب الأقصى، وجدة، 1986.
إ. **الشرادي**،
*مجالس الجماعات الحضرية والقروية*، الرباط، 1983.
م. **شفيق**،
*أربعة وأربعون درسا في اللغة الأمازيغية*، الدار البيضاء.
*الشعر الأمازيغي والمقاومة المسلحة في الأطلس المتوسط وشرقي الأطلس الكبير، 1912، 1934*، مجلة *الأكاديمية*، ع 4، 1989.

م. ابن **شقرون**،

*مصادر التربية والتعليم في عهد الحماية الفرنسية والإسبانية*، الرباط، 1982.

*مظاهر الثقافة المغربية*، الرباط، (د. ت).

م. **شماعو**،

*المجتمع المغربي كما عرفته*، الرباط، 1980.

خ. **شوقي**،

*قبيلة السراغنة*، د. د. ع، الرباط، 90 ـ 1991.

أ. **الصبيحي**،

*مختصر تاريخ سلا*، مخطوط، خ ص.

ع. **صدقي أزايكو**،

*تيمتيار*، الرباط، 1989.

أ. ابن **الصديق**،

*التصور والتصديق*.

م. م. **الصيادي**،

*التعريب وتنسيقه في الوطن العربي*، بيروت، 1993.

م. **ضريف**،

*الإسلام السياسي في المغرب*، الدار البيضاء، 1992.

أ. **الطريبق**،

*أدب التستاوي من خلال نزهة الناظر*، د. د. ع، الرباط، 85 ـ 1986.

ع. **الطيبي**،

*المجتمع الريفي قبل الحماية*.

ع. **عابدين**،

*التوثيق : تاريخه وأدواته*، بغداد، 1982.

م. **عبد شافق**،

*التوسع العمراني بمركز تنغير*، بحث لنيل الإجازة، أگادير، 1993.

ح. ح. **عبد الوهاب**،

*خلاصة تاريخ تونس*، ط. 2، تونس، (د. ت).

م. **عبده**،

*الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة*، تقديم رشيد رضا، الجزائر، 1978.

**عبيدة الشنقيطي**،

*ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية*، القاهرة، 1951.

م. ابن **عثمان المراكشي**،

*الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة*، الرباط، 1937.

ع. **العروسي**،

*المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي*، مخطوط، خ. ح. الرباط، رقم 2889.

م. ابن **عزوز حكيم**،

*سفير تطواني في بلاط لويز الرابع عشر*، (تحت الطبع).

*فهرس خزانة الصحف العربية بتطوان*، تطوان، ع 107، 1953.

*مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن*، الرباط، 1989.

ع. **العسري**،

*كناش في أمور البحر*، مخطوط.

أ. **عصيد**،

*هاجس التحديث في النص الشعري الأمازيغي المكتوب*، آفاق، 1، 1992.

م. **عشيش**،

*المغرب الأقصى كما رأيته*، القاهرة، (د. ت).

س. **علوش**،

*خطاب الترجمة الأدبية : من الازدواجية إلى المثاقفة، المغرب الحديث 1912 ـ 1956*، طنجة، 1990.

*شعرية الترجمات المغربية للأدبيات الفرنسية*، طنجة، 1991.

ح. **العمراني**،

*ترقية رجال التعليم بالمغرب*، د. د. ع، الرباط، 1989.

م. **عياد**،

*المناطق المتجانسة الريفية ضمن التحولات الاجتماعية المجالية في الأرياف المغربية* (ندوة)، الرباط، 1994.

أ. **عياش**،

*المغرب حصيلة الاستعمار*، تر. عبد القادر الشاوي.

ق. **عياض**،

*الغنية*، تح. ماهر زهير، بيروت، 1982.

م. **العيدوني**،

*يتيمة العقود الوسطى*، مخطوط، خ. ع. ك 305.

علي ابن ميمون **الغماري**،

*رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن*، مخطوط، خ. ع، 1780د.

*الرسالة المجازة في معرفة الإجازة*، مخطوط، ميكروفليم، خ. ع. 1341.

إ. **فاسي**،

*الجفاف حول الصحراء، الطبيعة والسلوك البشري، دراسة بيئة*، مجلة جغرافية المغرب، عدد 6.

ع. **الفاسي**،

*نظم العمل الفاسي وشرحه*، مخطوط، خ. ع، 1448د.

ـ *التبشير المسيحي وبعض الوثنيات الطائفية الهندية*، الرباط، 1973.

م. **الفاسي**،

*التميمي والفندولاوي*، دعوة الحق، ع 262.

أ. بن يحيى **الفشتالي**،

*فتاوى علماء فاس في الدخان*، مخطوط.

ع. **الفكون**،

*محدد السنان في نحور أهل الدخان*، مخطوط.

ح. **الفكيكي**،

*عيسى البطوئي*، دعوة الحق، ع. 256.

ع. **فونتير**،

*الجامعة وقضية البحث العلمي في المغرب العربي*، ندوة الجامعة الشتوية الثالثة، مراكش، 1991.

*الوضعية النظامية للاساتذة الباحثين بالمغرب*، د. د. ع، الرباط، 1992.

ش. **الفيتوري**،

*الازدواجية اللغوية والازدواجية الثقافية في الوطن العربي*، *الوحدة*، ع 61 ـ 62.

**فيفري**،

*الأرقام العربية*، *اللسان العربي*، ع 2، 1965.

م. **قبيسي**،

*علم التوثيق والتقنية الحديثة*، بيروت، 1982.

و. **قدورة**،

*المستفيدون من خدمات المكتبات ومراكز التوثيق*، تونس، 1986.

ج. **كاني**،

*المغرب الشمالي في أواسط القرن الخامس الهجري*، *البحث العلمي*، 1973.

**كتابة الدولة** لدى الوزير الأول المكلفة بالشؤون الإدارية،

*معجم الادارة العامة*، الرباط، 1984.

ج. **الكتاني**،

*الرياض الربانية في الشعبة الكتانية*، مخطوط، خ. ع، 497 ك.

ع. **الكتاني**،

*تبليغ الأمانة*، مخطوط خ. ع. الرباط، ك 2729.

ابن **الكردبوس**،

*تاريخ الأندلس*، مدريد، 1971.

م. **كسرير**،

*أضواء على تاريخ تارودانت*، خزانة معهد محمد الخامس، تارودانت.

م. **الكشبور**،

*عناصر عقد الشغل في التشريع الاجتماعي المغربي*، الدار البيضاء، 1989.

ع. **كنون**،

*شؤون إسلامية*، الدار البيضاء (د. ت).

ع. **لطفي** (وآخرون)،

*تاريخ الرياضيات*، *اللسان العربي*، ع 2 و4 و12، ج 1 و ج 15.

ع. **لعلاوي**-م. **البخاري**،

*النصوص الإدارية، الوظيفة العمومية والاصلاح الاداري*، الرباط، 1992.

إ. **اللقاني**،

*نصيحة الإخوان باجتناب الدخان*، مخطوط.

ع. **لهمامي** (وآخرون)،

*التدبير المالي والمادي والمحاسبي للمؤسسات التعليمية*، الرباط، 1988.

إ. **ليفي بروفنسال**،

*مؤرخو الشرفاء*، تر. ع. الخلادي، الرباط.

م. **ماكامان**،

*أدب الرحلة عند المغاربة*، د. د. ع كلية الآداب، الرباط.

ت. **الماكري**،

*بعض المظاهر الاجتماعية واللغوية للوجود اليهودي بدرعة*. بحث للإجازة، أكادير، 1987.

ح. **المجاهد**،

*أمارگ*، *معلمة المغرب*، ج 2، الرباط، 1989.

**مجهول**،

*الابتسام عن دولة ابن هشام*، مخطوط، خ. ح، 12420 ز.

**مجهول**،

*المحلي في مناقب الشيخ محمد بن مبارك*، مخطوط، خ. ج 726.

**مجهول**،

*المرأة المغربية والحلي*، *العلم*، ع 870، 28، أبريل 1974.

**مجهول**،

*مجموع الدخان*، مخطوط.

**مجهول**،

*معركة المصير في سبيل إصلاح التعليم وتعريبه*، الرباط، 1967.

م. **محجوبي**،

*الغرامة التهديدية وتطبيقتها* ، الرباط، 1993.

أ. ابن أبي **محلي**،

*الحكاية الأدبية والرسالة الطلبية مع الإشارة الشجرية*، مخطوط.

**المختار ولد حامد**،

*حياة موريتانيا* ، 1994.

**مديرية الإحصاء**،

*النشرة الاحصائية السنوية للمغرب*، الرباط، 1990.

م. **مرغيني**،

*المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي*، الرباط، 1984.

*الوجيز في القانون الاداري المغربي*، الرباط، 1978.

**المركز الوطني للوثيق**،

*دليل الوحدات التوثيقية بالمغرب*، الرباط، 1992.

ح. **مرواني**،

*حول البنية الزراعية في تدغة*، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1979.

م. **مستاوي**،

*أسايس*، الرباط، 1988.

*إسكراف*، الدار البيضاء، 1976.

م. **المنوني**،

*إمارة بني يدر بسوس*، مجلة دراسات، أكادير، ع 1، 1987.

*تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة*، الرباط، 1991.

حضارة وادي درعة، دعوة *الحق*، س 18، ع 2، 1973.

*مدائن مكناسة القديمة من العصر الادريسي إلى أواخر عصر الموحدين*، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعلية، مكناس، 1988.

ابن **موسى تيسير**،

*الكتابة عند العرب نشأتها، تطورها، أدواتها. الناشر العربي*، أكتوبر 1987، ع 7.

*-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة*، الرياض، 1982.

ص. **المومني**،

*أوسّان صمّيضدنين*، الدار البيضاد، 1983.

م. **ميارة**،

*نظم اللآلي والدرر*، مخطوط، خ. ح، 3702.

خ. **المير**، .إ. **قاسمي**،

*التشريع الإداري والتسيير التربوي*، الدار البيضاء، 1982.

ع. **ناصيف**،

*الترجمة : أهميتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبية. الوحدة*، ع 61 ـ 62.

إ. **نحال**،

*التصحر في الوطن العربي*، بيروت، 1987.

أ. **الندوي**،

*الشيخ إلياس وحركته الدينية*، (د. ت).

*في مسيرة الحياة*، دمشق، 1987.

**النقابة الوطنية للتعليم العالي**،

*نحو إيجاد مشروع لإصلاح التعليم العالي وهيكلة البحث العلمي*، الرباط، 1989.

م. ع. **الهجراوي**،

*أشقار، معلمة المغرب*، ج 2.

*اقتراح أسماء جديدة لأدوات ما قبل التاريخ : من قضايا المصطلح، مجلة كلية الآداب*، الرباط، ع 15.

بلاد سيدي علال البحراوي، *معلمة المغرب*، ج 3.

*الحضارة الأشولية، معلمة المغرب*، ج 2.

*منطقة تافيلالت خلال فترة ما قبل التاريخ، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية*، الدورة الأولى، الريصاني، 1989.

ي. **هلال**،

*النظام التوثيقي العربي*، تونس، 1984.

ت. **الهلالي**،

*السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم*، الدار البيضاء، 1979.

**هويسي ميراندا**،

علي بن يوسف *وأعماله بالأندلس*، تطوان، ع 3 ـ 4، 1958.

*وقعة أفليس ومصرع دون شانجة*، تطوان، ع 2، 1957.

ع. ابن **الهيثم**،

*البغية في ترتيب أحاديث الحلية*، مخطوط، خ. ع رقم 2842 ك.

م. **الوزاد**،

*ابن تومرت الأندلسي، مجلة كلية الآداب*، فاس، 11، 1990.

**وزارة التربية الوطنية**،التعليم العالي،

*تطور التعليم الجامعي بالأرقام*.

**وزارة التربية الوطنية**،

*تطور التعليم الجامعي بالأرقام.*

*التعليم العالي بالمغرب صور وأرقام*، الرباط، 1985.

*الدخول المدرسي والجامعي بالأرقام، 93. 1994*، الرباط، 1993.

*منجزات وآفاق*، الرباط، 1983.

*نحو نظام تربوي جديد*، الرباط، 1980.

*هيكلة التعليم الثانوي*، الرباط، 1994.

*وثيقة إصلاح نظام التعليم*، الرباط، 1985.

*وثيقة عمل لإصلاح النظام التعليمي*، الرباط، 1985.

**وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر**، كتابة الدولة في تكوين الأطر،

*آفاق مهنية*، الرباط، 1979.

**وزارة التعليم وتكوين الأطر**،

*التعليم، الحالة، المشاكل، الاهداف*، الرباط، 1970.

**وزارة الداخلية**،

*وثائق المديرية العامة للجماعات المحلية*، ج. ر، عددان 4164 و4165.

**وزارة السكن والتعمير**،

*تعداد السكان*، 1982.

**وزارة الشؤون الإدارية**،

*الوظيفة العمومية تشريعات وقوانين تنظيمية*، الرباط، (د. ت).

م. **الوطواط**،

*مناهج الفكر ومباج العبر*، ضمن كتاب *Extraits inédits relatifs à l'histoire du Maghreb*, Alger, 1924.

ف. **ولعلو**،

*الاقتصاد السياسي*، الدار البيضاء، 1974، ج 2 .

ف. **يكن**،

*الموسوعة الحركية*، عمان، 1983.

ح. **اليوسي**،

*القانون*، فاس، 1315 هـ، ط. حجرية.

## Supplément
## à la bilbiographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie avec leurs abréviations


ABENSOUR, L. - *Ce que tout français doit savoir sur l'Afrique du Nord*, [s.d.].

ADAM, A. - *La Maison et le village dans quelques tribus de l'Anti-Atlas*, Rabat, 1951.

ADNAN, E. - *L'Artisanat créateur au Maroc*, Paris, 1938.

AHRENS, L.H. - *Distribution of the elements in our planet*, New-York, 1965.

AÏSSATI, A. EL. - *A study of the phonotactics of Ayt Touzin Tarifiyt Dialect*, D.E.S., Rabat, 1989.

AKERRAZ, A. - BROUQUIER, V. - LENOIR, E. - *L'Occupation antique de la plaine du Gharb, VIème colloque international sur l'archéologie et l'histoire de l'Afrique du Nord* (A paraître).

AKERRAZ, A. - LENOIR, M. - *Les Huileries de Volubilis, B.A.M*, 14, 1982.

AKERRAZ, A. - REBUFFAT, R. - *El Qsar el Kebir et la route intérieure de Maurétanie Tingitane entre Tremuli et Adnovas, in 113ème Congrès des Sociétés Savantes*, Strasbourg, 1988.

ALIMEN, H. - *Préhistoire de l'Afrique*, Paris, 1955.

ALLUES, E. des. - *Toumliline à la recherche de Dieu au service de l'Afrique*, Paris, 1961.

ALPHONSE. - *L'Achévement de la pacification marocaine : méthodes et programme, R.M.F.*, 1935.

AMEUR, M. - *Fés ou l'obsession du foncier*, Tours, 1993.

*Annuaire des assurances du Maroc*, 1991, Casablanca, 1992.

ANTOINE, M. - *Aperçu sommaire sur les industries lithiques du Maroc Central, B.S.P.M.*, IV, Fasc. 1, 1930.

ANTOINE, M. - *L'Atérien du Maroc atlantique : sa place dans la chronologie nord-africaine, B.S.P.M.*, XIX, 1950.

ANTOINE, M. - *Les Grandes lignes de la préhistoire marocaine, IIème congr. Panafr. Préhist.*, Alger - Casablanca, 1952.

ANTOINE, M. - *Note de préhistoire marocaine : un gisement atérien en place dans les alluvions de l'Oued Goréa, B.S.P.M.*, VIII, 1934.

ANTOINE, M. - *La Préhistoire du Maroc atlantique et ses incertitudes, Soc. Sc. Nat. du Maroc*, 1948.

ANTOINE, M. - *La Question atéro-ibéromaurusienne au Maroc : historique et mise au point, B.S.P.M.*, XIV, 1937.

ANTOINE, M. - *Répertoire préhistorique de la Chaouia, B.S.P.M.*, T.1, 1927.

ANTOINE, M. - *Sur l'Atérien moyen et la Grotte de Dar-es-Soltan, Soc. Sc. Nat. Maroc : C-R. Séances mensuelles*, n° 1, 1949.

AOUAD, R. - *Réseaux marocains en Afrique subsaharienne, R.M.E*, n° 4, 1993.

ARAMBOURG, C. - *Les Corrélations paléontologiques entre le Pléistocène de l'Europe et celui de l'Afrique, Bull. Soc. Géol. de France*, 7ème Ser., XI, n° 1, 1969.

ARAMBOURG, C. - *Vertébrés villafranchiens d'Afrique du Nord*, Paris, 1979.

ARNOLD, R. - *The Islamic book : a contribution to its arts and history from the VII - XVIII century*, Leipzig, 1929.

ARQUES, E. - *Tres Sultanes a la Porfia de un Reino*, Tetuan, 1953.

ASSY. - *La vie familiale à travers ses rites chez les Ziyayda du Maroc*, D.E.S, Sorbonne, 1980.

AYOUB, E. - *La Fonction publique*, Paris, 1975.

AYOUN, R. - COHEN, B. - *Les Juifs d'Algérie : deux mille ans d'histoire*, Paris, 1982.

AZAM, P. - *Sédentaires et nomades dans le Sud marocain*, C.H.E.A.M., 16 Mai 1946.
BACAICOA, D. - *Inventario de la Hemeroteca de Tetuan*, Tetuan, 1953.
BAHANI, A. - *Les structures agraires et les systèmes d'irrigation dans la palmeraie de Fezouata, Drâa Moyen*, Th. Doct., Rouen, 1990.
BALDAOUI, J. - *Les Arts indigènes au Maroc*, Paris, [s.d].
BALOUCHE, A. - *Paléoenvironnement de l'homme fossile halocéne au Maroc : apport de la palynologie*, Th. Bordeaux I, 1986.
BALOUT, L. - *L'Homme préhistorique et la Méditerranée occidentale, R.O.M.M.*, n° 3, 1967.
BALOUT, L. - *Préhistoire de l'Afrique du Nord : essai de chronologie*, Alger - Paris, 1955.
BARDE, M.M. - *Coiffures féminines du Maroc*, Aix-en-Provence, 1990.
BARY, L. - *Etude syntaxique d'un parler de la langue tamazighte*, Rabat, 1983.
BATES, O. - *The Eastern Libyans*, London 1914 (1970).
BAYED, A. - *Le Milieu marin*, in *G.E.M. : géographie physique*, Rabat, 1987.
BAZIN, D. - *Etude géologique et métallogénique des chainons atlasiques du Tizi-N'Firest au Nord de Ksar-es-Souk, Maroc, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.
BAZIN, V. - TERRAY, E. - *Guerres de lignages et guerres d'Etats en Afrique*, Paris, 1982.
BAZZANA, A., [et al...]. - *Première prospection d'archéologie médiévale et islamique dans le Nord du Maroc, B.A.M.*, 1983 - 1984.
BEACH, P. - DUNPHY, W. - *Benedictine and Moor and Christian adventure in Moslem Morocco*, New-York, 1960.
BEAUBRUN, P.C. - *Un cétacé nouveau pour les côtes marocaines : Souza teuszii (Kukenthal, 1892), Mammalia*, 54, 1990, 1.
BEAUDET, G. - *Le Plateau central marocain et ses bordures : étude géomorphologique*, Rabat, 1969.
BEAUDET, G. - *Le Paléolithique inférieur du Maroc atlantique*, Rabat, 1961, (P.S.A.M. ; 17).
BEAUDET, G. - *Les Plus anciennes industries du Maroc*, 9ème Congrès de l'U.I.S.P.P., 1976.
BEAUDET, G. - *Le Quaternaire marocain : état des études, R.G.M.*, n° 21, 1971.
BEAUPERE, - *Sur les vallées du Todgha, de l'Imider et du Saghro oriental, in Villes et Tribus du Maroc*, Vol. 9, 1931.
BELHOMME - *Les armes dans le Sous occidental, A.B.*, Vol. 2, fasc. 1, 1917.
BELHOMME, - *Les Poignards du Sous, F.M.*, n° 5, 15 Mai 1917.
BELLAOUI, - *Un exemple de régionalisation au Maroc : la région économique du Tensift, Revue de la Faculté des Lettres, Marrakech*, n° 4, 1989.
BELLICHI, A. - *Contribution à l'étude de la pluviométrie de la partie septentrionale du littoral atlantique marocain, Espace Rural*, n° 25, Juin 1991.
BELLON - HUMBERT, C. - *Les Mollusques marins testacés du Maroc : premier supplément*, Rabat, 1973.
BEN CHENEB, M. - *Etude sur les personnages mentionnés dans l'idjaza...*, Paris, 1908.
BENABID - BOUSQUET - MAHE, - *Plan de gestion du Parc National de Toubkal*, Rabat, 1993.
BENABID, A. - MAHE, - *Plan de Gestion du Parc Naturel de Talasemtane*, Rabat, 1994.
BENCHEKROUN, M. - *L'Education et l'enseignement au Maroc*, Rabat, 1985.
BENHAZERA, M. - *Six mois chez Touareg du Ahaggar*, Alger, 1908.
BENJELLOUN, A. - *Droit administratif*, Rabat, 1984.
BENSEDDIK, N. - *La Pratique médicale en Afrique au temps de Saint-Augustin, Africa Romana, Atti del VI Convegno di Studio Sassari*, 1988.
BENTAHAR, M. - *Villes et campagnes au Maroc*, Rabat, 1988.
BENYOUSSEF, A. - *Répertoire des publications des partis politiques au Maroc, 1956 - 1980*, Mémoire, E.S.I., Rabat, 1983.
BERNARD, A. - *Les Régimes des pluies au Maroc, Mem. Soc. Sc. Maroc*, n° 1, 1er Juin 1921.
BERNUS, E et S. - *Du sel et des dattes, Etudes nigériennes*, n° 31, 1972.

BERQUE, J. - *Al-Yousi, Problèmes de la culture marocaine au 17ème S.*, Paris, 1958.

BERQUE, J. - *La cité éminente, in Entretiens interdisciplinaires sur les sociétés musulmanes*, Paris, 1958.

BERQUE, J. - *Etudes d'histoire rurale*, Tanger - Fès, 1938.

BESANCENOT, J. - *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988.

BIVAR, A.D.H. - HISKETT, M. - *The Arabic Litterature of Nigeria to 1804, B.S.O.A.*, XXV, 1, 1962.

BLANCO IZAGA, E. - *La Ley Rifeña*, Ceuta, 1939.

BOISSEL, De. - *Dans l'ombre de Lyautey*, Paris, 1954.

BOKBOT, Y. - *Habitat et monuments funéraires du Maroc préhistorique*, Th. Doct., Aix-en-Provence, 1991.

BOLENS, L. - *Les Parfums de beauté en Andalousie médiévale*, Genève, [s.d].

BONTE, P. - *L'Habitat sédentaire qsurien en Mauritanie saharienne*, in *Nomades et sédentaires en Asie Centrale, Actes du Colloque franco-soviétique*, Paris, 1990.

BORY, P. - *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941.

BOTTE, L. - *Au cœur du Maroc*, Paris, 1913.

BOUABDALLAOUI, Y. - *Rapport B.R.P.M*, 1981, Rabat, 1981.

BOUBOU, H. - *Recherches sur l'histoire des Touaregs sahariens et soudanais* , Niamey, 1967.

BOULANGER, A. - *Triton*, in *Dictionnaire Daremberg - Saglio*, Paris.

BOULIFA, S. - *Textes berbères en dialecte de l'Atlas marocain*, Paris, 1908.

BOUMNICH, D. - *Une pédagogie sans déchets*, Rabat, 1989.

BOUKOUS, A. - *Phonotactique et domaines prosodiques en berbère*, Th. Doct., Univ. Paris VIII, 1987.

BOUNFOUR, A. - *Linguistique et littérature*, Th. Doct., Univ. Paris III, 1985.

BOURCHOUK, K. - *Etude de paléolithique moyen à l'Aguelmane de Sidi Ali, Moyen Atlas*, Mem. I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

BOUZOUGAR, A. - *Schémas opératoires du débitage et du façonnage à la moyenne Moulouya, l'exemple de l'ensemble lithique de Megdoul*, Mem., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

BOUVAT, L. - *La Parure, les vêtements et le voile, R.M.M.*, Vol. 4, 1908.

BOUZOUBAA, K. - *L'Enseignement au Maroc ou un voyage incertain*, Paris, 1982.

BREBION, H. - *Paléoclimatologie du quaternaire marin du Maroc atlantique : méthode d'études, variations dans le temps et dans l'espace, Cahiers du quaternaire, Hors-série : paléoclimats.*

BRETON, J.M. - *Droit de la fonction publique des états d'Afrique francophone*, Paris, 1990.

BRIVES, A. - *Les Richesses minérales du Maroc*, Archives du Service des Mines, 7 Avril 1919.

BROWN, K. - *The Curse of Westermarck, Ethnos* (Stockholm), Vol. 47, 1982.

BRUNOT, L. - *La Cordonnerie indigène à Rabat, Hesp.*, Vol. 33, 1946.

BRUNOT, L. - *Noms de vêtements masculins à Rabat*, in *Mélanges René Basset*, Paris, 1923, 2 Vol.

BRUNOT - DAVID, C. - *Les Broderies de Rabat*, Rabat, 1943.

BÜCHNER, H.J. - *L'Habitat post qsourien du Maroc présaharien, in Espace et Société dans les Oasis marocaines*, Rabat, 1993.

BÜCHNER, H.J. - *Types récents d'habitat oasien en remplacement du qsar : observations sur les modalités de constitution spontanée des nouveaux villages chez les Ahl Todgha*, in *Le Maroc : espace et société*, Rabat, 1990.

BÜCHNER, H.J. - *Le Village post qsourien des Aït Atta du bas Todgha et l'impact du droit coutumier, in Le Nomade, l'oasis et la ville*, URBAMA, Fasc. n° 20, Tours, 1989.

BURCKHARDT, T. - MICHON, J.L. - *Notes sur l'enseignement des métiers d'art traditionnel au Maroc*, Rabat - Fès, 1973.

CADENE, J. - *Le Personnel administratif et la diversité des statuts juridiques, R.M.D.C.*, n° 2, 1983.

CAIA, J. - *Roches éruptives basiques et minéralisation en plomb, zinc et stromtium de la région de Tirrhist, Haut Atlas de Midelt, Notes. Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.

CAILLE, E. - *Le Commerce anglais avec le Maroc, pendant la seconde moitié du 16ème S. : importations et exportations, R.A.*, T. 84, 1940.
CAILLE, R. - *Journal d'un voyage*, Paris, 1965.
CELERIER, J. - *L'Instruction publique au Maroc, B.E.S.M.*, Vol. 14, 1951.
CELERIER, J. - HARDY, G. - *Les Grandes lignes de la géographie du Maroc*, Paris, 1922.
CESAR MORAN, P. - GIMENEZ BERNAL, C. - *Excavaciones en Tamuda, 1946*, Tétouan, 1948.
CHADAÏ, L. - *Langages d'artisans à Marrakech*, Univ. de Paris 4, Doct. nouv. régim., 1986.
CHAMPION, P. - *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1931.
CHARMES, G. - *Une ambassade au Maroc*, Paris, 1887.
CHARNOT, M. - *La Toxicologie au Maroc*, Rabat, 1943.
CHARVET, J.P. - *La Plaine des Triffa, R.G.M.*, n° 21, 1972.
CHAUMEIL, J. - *Le Mellah et Tahal au pays des Ammeln, Hesp.*, 1er - 2ème trim. 1953.
CHAUMIER, J. - *Les Techniques documentaires*, Paris, 1988.
CHAUVEA, A. - *L'Industrie du cuir au Maroc, Chimie et industrie*, 2ème trim. 1920.
CHAZAN, N. - *Rapport B.R.P.M.*, 1951, Rabat, 1951.
CHEIKH, A.W. - *Eléments d'histoire de la Mauritanie*, Nouakchott, 1988.
CHEKROUN, M. - *Culture et pédagogie au Maroc*, Casablanca, 1989.
CHERKAOUI, A. - *Indicateurs socio-économiques du Maroc*, Casablanca, [s.d].
*Cinq ans d'exécution du plan de coordination et d'équipement de l'Union française : réalisation, 1947 - 1951 et programmes 1952*, Paris, 1952.
CHOUBERT, G. - *Essai de corrélation des formations continentales et marines du pléistocène au Maroc, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, T. 25, 1965.
CHOUBERT, G. - ROCHE, J. - *Note sur les industries anciennes du Plateau de Salé, B.A.M.*, 1, 1956.
CHOUBERT, G., [et al...], *Essai de classification du quaternaire continental du Maroc, C.R.A.S.*, T. 243, 1956.
CLANDOT - HAWAD, H. - *Des états - nations contre un peuple : le cas des Touaregs, R.O.M.M.*, n° 44, 1987.
CLANDOT - HAWAD, H. - *Les Touareg ou la résistance d'une culture nomade, R.O.M.M.*, n° 51, 1989.
CLEMENT, J.F., *Révoltes et répressions au Maroc, Al Asas*, n° 13, Jan. 1979.
CLORIOND, L. - *Les Problèmes de l'eau au Tizimi et au Tafilalet, B.E.M.*, Vol. 6, n° 17, 1937.
CLOUZOT, H. - *Les Bijoux indigènes au Maroc, en Algérie et en Tunisie*, Paris, 1906.
COHEN, A. - *Le Talmud*, trad. J. Marty, Paris, 1950.
COLIN, G.S. - *La vie marocaine*, Paris, 1953.
COSLON, - *Notes sur les dinars trouvés en 1851 dans l'ancienne chapelle du monastère Del - Camp, Rev. Numismatique*, 18, 1853.
CRETINEAU-JOLY, J. - *Histoire religieuse, politique et littéraire de la compagnie de Jésus*, Paris, 1844.
CUVELIER, F. - *Histoire du livre : voie royale de l'esprit humain*, Monaco, 1982.
DAHL, S. - *Histoire du livre : de l'antiquité à nos jours*, Paris, 1960.
DAUGAS, J.P., [et al...], - *Le Néolithique nord-atlantique du Maroc : premier essai de chronologie par le radiocarbone, C.R.A.S.*, T. 308, série 2, 1989.
DAUMAS, G. - *La vie arabe et la société musulmane*, Paris, 1983.
DEBENATH, A. - *Aspect de la préhistoire marocaine, Bull. Soc. Préh. Fr.*, T. 78, 1981.
DEBENATH, A. - *Les Atériens du Maghreb, Dossier d'archéologie*, 1991.
DEBENATH, A. - *Dar - Es - Soltan II : rapport d'activité mission préhistorique et paléontologique au Maroc*, 1981 - 82.
DEBENATH, A. - *Nouvelles familles à Dar-Es-Soltan : champ de tir d'El Menzeh, prés de Rabat, Maroc : Note préliminaire, Bull. Soc. Préhist. Fr.*, T. 69, 1972.

DEBENATH, A. - LACOMBE, J.P. - *Remarques sur la double sépulture néolithique du gisement d'El Harhoura II, Province de Témara, Maroc, Arqueologia*, 12, 1986.

DEBENATH, A. - RAYNAL, J. P. - TEXIER, J.P. - *Position stratigraphique des restes humains paléolithiques marocains sur la base des travaux récents, C.R.A.S.*, T. 294, 1982.

DECROUX, P. - *Quelques aspects de la nationalité marocaine, Hesp.*, Vol. 35, 1948.

DELAFOSSE, M. - *Haut - Sénégal - Niger*, Paris, 1912, 3 vol.

DELPY, A. - *Les divers types de poignards marocains, C.A.T.A.N.*, n° 6, 1960.

DENOUN, - *Notice sur les Aït Atta du Sahara*, 1913.

DENOUN, - *Renseignement complémentaire sur les Aït Atta*, 1924.

DEROUT, R. - *Le Maroc doit-il avoir son université ? - Le Maroc quotidien*, 16 Déc. 1948.

DESPUJOLS, P. - *Recherches minières au Maroc : des origines à 1930, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 37, 1930.

DETHIERS, J. - *Soixante ans d'urbanisme au Maroc, B.E.S.M.*, n° 118, 1970.

DEVERDUN, G. - *Les Chrétiens à Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1966.

DEVISSE, J. - *Commerce et routes du trafic en Afrique occidentale, in Histoire Générale de l'Afrique*, III, Paris, 1990.

DEVISSE, J. - ROBERT, S. - *Tegdaoust, I : Recherches sur Aoudaghost*, Paris, 1970.

*Le Dictionnaire Colin d'arabe dialectal marocain*, Rabat, 1993 - 1994, 3 Vol.

DIDIER, CH. - *Promenade au Maroc*, Paris, 1844.

DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Guide du Reboisement au Maroc*, Rabat, 1978.

DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Le Plan National de Reboisement (P.N.R)*, Rabat, 1971.

DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Projet d'étude et d'identification des aires protégées et de l'élaboration des plans de gestion des parcs nationaux du Maroc*, Rabat, 1993 - 1994.

DONNET, G. - *En Sahara à travers le pays des Maures nomades*, Paris, 1989.

DONNET, G. - *Une mission au Sahara occidentale : du Sahara au Tiris*, Paris, 1896.

DOROSO, R. - *Estudio geografico - politico militar*, Madrid, 1913.

DOULS, C. - *Voyages dans le Sahara occidental et le Sud marocain, Soc. Normande de Géographie*, Jan. - Fév. 1888.

DOZY, R. - *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes*, Amsterdam, 1845.

DRESCH, J. - *Le Haut Atlas occidental*, Paris, 1951.

DRESNAY, R. du. - *Carte géologique du Haut Atals Oriental au 1 / 200.000, Notes Mem. Serv. Geol. Maroc*, n° 158, 1964.

DUBIEF, J. - *Une mission au Sahara occidental, Oct. - Déc. 1942, Travaux de l'I.R.S.*, 1943.

DUVEYRIER, H. - *Les Touareg du Nord*, Paris, 1864.

ECKHOLM, E. - BROWN, L.R. - *Spreanding deserts : The hand of man*, Washington, 1977.

EL HAJRAOUI, M. A. - *Etude paléopédologique et préhistorique dans la région de la Mamora : précisions stratigraphiques, B.A.M.*, XVII, 1987 - 1988.

EL HAJRAOUI, M. A. - *Nouvelles découvertes néolithiques et atériennes dans la région de Rabat, Grotte d'Elmnasra, Actes du Congrès Méditerranéen Historique de Lisbonne*, n° 2, 1993.

EL HAJRAOUI, M. A. - *La Région de la Mamora dans son contexte géologique et paléopédologique*, Th. 3ème cycle, Bordeaux I, 1986.

EL KHATIB, N. - *L'Archéologie marocaine de 1961 à 1964, B.A.M*, V, 1964.

EL KIRAT, A. - *Spirantization in the Beni Iznassen Dialect*, D.E.S, Rabat, 1987.

EL MEDLAOUI, M. - *Aspects des représentations phonologiques dans certaines langues chamito-sémitiques*, Th. Doct., Rabat, 1992.

EL MOUJAHID, E. - *Syntaxe du groupe nominal en berbère tachelhiyt*, Th. Doct., Rabat, 1993.

EL OUAZZANI, K. - *Coûts et rendements de l'enseignement supérieur au Maroc*, Casablanca, 1991.

EL YAAGOUBI, M. - *Le Droit administratif marocain*, Rabat, 1992.

ENNAJI, M. - *L'Emigration rurale intérieure : causes et incidences*, in *Actes du Colloque : Population et développement rurale*, Rabat, 1989.

*Ensiklopedia Talmudit*, Jérusalem, 1954.

ETIENNE, J. D', [et al...] - *L'Evolution sociale du Maroc*, Paris, [s.d].

EUSTACHE, D. - *Les Ateliers monétaires du Maroc, H.T.*, XI, 1970.

EUSTACHE, D. - *Le Corpus des dirhams Idrissites, B.S.H.M.*, n° 2, 1969.

EUZENNAT, M. - *Tamuda, The Princeton Encyclopedia of Classical Sites*, Princeton, 1976.

FAURE, R. - *Le Tafilalet : étude d'un secteur traditionnel d'irrigation*, Paris, 1968.

FERHAT, H. - *Le Maghreb aux XIIème et XIIIème siècles, les siècles de la foi*, Casablanca, 1993.

FIDEL, C. - *Le Commerce du Maroc*, [s.l], [s.d].

FLORET, C. - *Rapport sur l'érosion éolienne dans les régions d'Agadir et d'Ouarzazate*, Rabat, 1975.

FORGET, J. - *Initiation à la documentation*, Paris, 1988.

FORTIN, J.C. - *La Nappe phréatique salée du Tafilalet : son contrôle pour le développement de la mise en valeur, H.T.E.*, n° 7, 1973.

FOUCAULT, A. - RAOUL, J.F. - *Dictionnaire de géologie*, Paris, 1988.

FOUET, R. - POMEROL, C. - *Minerais et terres rares*, Paris, 1954.

FRACESHI, H.A. - *Costumes et bijoux au Maroc, L'Oeil*, n° 294 - 295, Janv.-Fév. 1980.

FREYSSINET, J. - *Formes et mobilisation du travail dans les économies sous développées*, in *Colloque Travail et Société*, Fès, 1984.

FUGLESTAD, F. - *Les Révoltes des Touareg du Niger, 1916 - 1917, Cahiers d'études africaines*, Vol. 13, n° 49, 1973.

GABUS, J. - *Notes sur le Sahara occidental, J.S.A.*, XXII, 1952.

GART, P.S. - *The American oyster, Fish. Bull., Vol. 64, 1964.*

GAUDEFROY - DEMOMBYNES, R. - *L'Oeuvre française en matière d'enseignement au Maroc*, Paris, 1928.

GAUTIER, E.F. - *Le Chott Tigri, Annales de Géographie*, n° 135 et 136, 1916.

GAY, L. - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1957.

GEERTY, C. - *Suq : the Bazar economy in Sefrou, in Meaning and order in Moroccan Soceity*, Cambridge, 1979.

*Géologie des gites minéraux marocaine : substances métalliques et non métalliques*, Rabat.

GHALLAHI, O.M.F. - *Essai expérimental d'élevage de l'huître plate (O. edulis) dans la côte atlantique marocaine : langune de Moulay Bousselham et l'estuaire de Tahadart*, Mem. I.A.V., 1989.

GHIRELLI, A. - *Apuntes sobre la Cabila de Beni Iteft*, Madrid, 1956.

GHIRELLI, A. - *Monographia de la Kabila de Bokoia, Arch. Inst. Et. Afr.*, VIII, n° 32, 1955.

GIGOUT, M. - RAYNAL R. - *Recherche à la corrélation des phénomènes marins et continentaux dans le quaternaire marocain, C.R.A.S.*, T. 248, 15, 1959.

GLOTIN, R. - *A la recherche de l'école de demain*, Paris, 1970.

GOICHON, A.M. - *La Broderie du fil d'or à Fès, Hesp.*, Vol. 25, 1939.

GOLDZIHER, I. - *Le Livre de Mohamed Ibn Toumarte*, Alger, 1903.

GORICHON, - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1953.

GOURAULT, - *Mauritanie Adrar*, Paris, 1945.

GOYAU, G. - *Le Christianisme sur la côte Barbaresque jusqu'au 19ème S.*, Paris, 1930.

GOZALBEZ, E. - *Atlas arqueologico del Rif, C.B.E.T.*, 21 - 22, 1980.

GREILSAMMER, - *La Modernisation du Paysanat*, C.H.E.A.M.

GUARNER, V. et J. - *El Sahara y Sur maroqui españoles, Coll. Bibliogr. Militar*, XL, 1931.

GUERSSEL, M. - *Issues in Berber phonology*, M.A. Univ. of Washington, 1976.

GUIBERT, J. - *L'Histoire d'une ville : Tiznit*. Mem. E.H.E.S.S., Paris, 1970.

GUILLAUME, A. - *L'Oeuvre des S.I.P. au Maroc depuis la guerre, B.E.S.M.*, XIV, n° 50, 1951.

GUILLERMO GUASTAVINO, G. - *Tanger inglés*, Tanger, 1939.

GUYOT, R. - *Les Arts du cuir au Maroc*, Rabat, 1957.

HABBOUN, A. - *Etude de l'industrie lithique du Chaperon Rouge II*, Mem., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

HALLAF, J. - *A qui profite l'école*, Paris, 1974.

HAMMOUDI, A. - *Pouvoir et société : Tamegrout aux XVII et XVIII siècles, A.E.S.C.*, Mai-Août 1980.

HARBY, M.K. - *L'enseignement technique dans les pays arabes*, Paris, 1965 (UNESCO).

HARDY, G. - *Le Maréchal Lyautey et l'enseignement, A.F.*, Août 1934.

HARRIES, M.J. - *Syntactic structure of Tamazight*, Ph. D. Univ. of California, 1971.

HART, D. - *A Customry law Document from Aït Atta, R.O.M.M.*, n° 1, Sept. 1966.

HART, D. - *Assu - u - Baslam*, in *Les Africains*, T. 5.

HART, D. - *La Estructura social de las Rgaybat : nomadas arabofonos del Sahara ocidental y las antecedentes del Frente Polisario, Primer Congreso Hispano Africana de la Cultura Mediterraneas, España y El Norte de Africa.*

HATIM, A. - *La Nation d'interêt du service dans le droit de fonction publique marocain*, D.E.S., Rabat, 1988.

HENSCH, B. - *Le contrôle de l'érosion hydraulique au Maroc*, Rome, 1971.

HENSCH, B. - *L'Erosion hydraulique au Maroc : son calcul et son contrôle, El Awamia*, n° 32.

HERBER, K. - *Les Peintures corporelles au Maroc, Hesp.*, Vol. 9, 1929.

HERBER, K. - *Les Tatouages de la face chez la marocaine, Hesp.*, Vol. 33, 1946.

HERBER, K. - *Les Tatouages des bras de la marocaine, Hesp.*, Vol. 38, 1951.

HESIODE, - *Théogonie*, trad. P. Mason, Paris, 1928.

HUNWICK, J. - *Notes on a late fifteenth century document concerning Al Takrur*, in Allemand Jonhson, Ed, *African perspectives*, Cambridge, 1970.

IAZZI, E.M. - *Morphologie du verbe en Tamazight*, D.E.S., Rabat, 1991.

IBANEZ, E. - *Diccionario español - rifeño*, Madrid, 1944.

IBANEZ, E. - *Diccionario español - Senhayi : dialecto berber de Senhay de Serair*, Madrid, 1959.

IBARROLA, J. - PASQUERELLI, N. - *Nouveau dictionnaire économique et social*, Paris, 1981.

IBN AZZUZ HAKIM, M. - *La Prensa del Norte de Marruecos*, Tetuan, 1956.

IBN AZZUZ HAKIM, M. - *Titulos vobiliano, Hispano - Maruquies*, Tetuan, 1954.

INSTITUT DU MONDE ARABE. - *Répertoire des bibliothèques et des organismes de documentation sur le Monde Arabe*, Paris, 1988.

ISNARD, H. - *La Répartition saisonnière des pluies au Maroc, Annales de Géographie.*

JACQUES MEUNIE, D. - MEUNIE, J. - *Abbar et le Tafilalet d'après les textes, Hesp.*, 1 - 2 trim., 1959.

JEAN, C. - *Les Touareg du Sud-Est : l'Aïr*, Paris, 1909.

JOUANNET, C.P. - *Note sur les conditions actuelles de la vie au Tafilalet, B.E.M.*, n° 23, 1939.

KAMAL, A. - *Productivité et rentabilité de l'enseignement au Maroc*, D.E.S, Rabat, 1983.

LAADIOUI, A. - *Etude de la céramique cardiale d'Achakar et de Kaf Taht - El - Ghar dans le cadre de la néolitisation du Maroc*, Mém., INSAP, Rabat, 1991.

LA BOISSIERE, G. de. - *Monographie des Ahl Tiznit*, Mém., *Archives Diplomatiques*, Nantes, 1940.

LA CHAPPELLE, F. De. - *Histoire du Sahara occidental*, in *VIIème Congrès de l'I.H.E.M sur l'histoire du Sahara occidental*, Rabat, 1930.

LA CHAPPELLE, F. De. - *Une cité de l'Oues Dra, Hesp.*, IX, 1929.

LACOMBE, J.P. - EL HAJRAOUI, M.A. - DAUGAS, J.P. - *Etude anthropologique préliminaire des sépultures néolothiques de la grotte d'Elmnasra, Témara Maroc, Bull. Trim. Soc. d'Anth. du S.W.*, T. 26, 3ème tri., 1991.

LA COURBE, - *Premier voyage du Sieur La Courbe*, Ed. par P. Cultra, Paris, 1913.

LAMRANI, N. - *Prolétarisation de la paysannerie marocaine : évolution et forme*, Th. 3ème cycle, Grenoble, 1980.

LAOUINA, A. - *Implications spatiales et environnement des transformations socio-économiques et technologiques sur les campagnes marocaines*, in *Le Maroc : espace et société*, Rabat, 1990.

LAOUST, E. - *Le dialecte berbère du Rif, Hesp.*, 2ème trim., 1927.

LARRIBAUD, J. - *Tindouf et le Sahara occidental, Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie*, XXX, n° 3, Sept. 1952.

LAYACHI, A. - *La Formation professionnelle*, Mémoire, cycle Sup. ENAP, Rabat, 1971 - 77.

LAZAREV, G. - *Structures agraires et grandes propriétés au pays Hayaïna, R.G.M.*, n° 9, 1966.

LEBLANC, M. - *Etude géologique et métallonégique du Jbel Bou-Arhous, et de son prolongmenet oriental, Haut Atlas oriental, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.

LEBLANC, M. - *Ophiolites précambriennes et gites arséniés de Cobalt, Bou Azzer, Maroc, Notes. Mém. Serv. Géol. Maroc*, n° 280, 1981.

LE BRETON, J. - *La Modernisation rurale du Maroc, 1945 - 1946*, mémoire de l'I.I.A.P.

LEBRUN, A. - *La Question du Rio de Oro, A.F.*, 1929.

LECOINTRE, G. - *Recherches géologiques dans la Meseta marocaine, Mem. Soc. Sc. Nat.*, n° 14, 1926.

LE TEMPLIER, - *L'Enseignement supérieur au Maroc, B.I.M.*, Sept. 1954.

LENOIR, M. - *Les Etablissements militaires romains d'Afrique*, Rome, 1980.

LENOIR, M. - *Lixus à l'époque romaine*, in *Lixus, Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P.*, Larache, 8 - 11 Nov. 1989, Rome, 1992.

*Lettre pastorale aux fidèles et prêtres repandus dans le royaume du Maroc*, Paris, 1936.

LEVI-PROVENÇAL, E. - *Al-Maghrib, vie intellectuelle, E.I 2*, Vol. 5.

LEVRAT, J. - *Une expérience de dialogue : les centres d'étude chrétiens en monde musulman*, Altenberge, 1987.

LHOTE, H. - *Les Touareg du Haggar*, Paris, 195.

LIMANE, H. - *Contribution à l'étude des sigillées d'importation en Maurétanie Tingitane des Ier et IIème siècles : étude du matériel de Lixus, Banasa, Tamuda*, Th. Univ. Aix-Marseille, 1988.

LIMANE H. - REBUFFAT, R. - *Voie romaine et système de surveillance militaire sur la carte d'Arbaoua, in 118ème Congrès national des sociétés historiq s et scientifiques.*

LOPES, D. - *Bentafut, alcaidemouro eo servico de Por* in *Textos em aljamia portuguesa, estudio filologico e historico*, Lisboa, 1940.

LUCCIONI, J. - *Les Fondations pieuses au Maroc, Habous*, Rabat.

LUQUET, A. - *Prospections puniques de la côte atlantiq u Maroc, Hesp.*, XLIII, 1956.

MACHRAFI, M. - *A propos de la réorganisation de seignement supérieur au Maroc*, [s.l.], 1966.

MAIGRET, J. - *Données nouvelles sur l'écologie du Sousa teuszii (Cetacea Delphinidae) de la côte ouest africaine, B.I.F.A.N.* (A), 1980.

MAIMONIDE, M. - *Epîtres*, trad. J. de Hulster, Paris, 1983.

MALVAL, - *Le Secteur sud-ouest du front marocain, A.F.R.C.*, Août 1924.

MARCY, G. - *Notes linguistiques autour du périple d'Hannon, Hesp.*, XX, 1935.

MARCY, G. - *Le périple d'Hannon dans le Maroc antique de M.J. Carcopino, J.A.*, 1943 - 45.

MARGAT, J. - *L'Alimentation en eau potable des populations de la plaine du Tafilalet, Notes Mar.*, n° 13, 1960.

MARGAT, J. - *Données sur l'habitat au Tafilalet : contribution à l'étude démographique des palmeraies du Sud marocain, Notes marocaines*, n° 11 - 12, 1959.

MARTIN, H. - *Les Tribus du Sahel et du Rio de Oro, B.I.F.A.N.*, 1, 1939.

MASSIGNON, L. - *Sahara Espagnol, Rio de Oro, R.M.M.*, 1925, 1er fasc.

MAUNIER, R. - *La Construction collective de la maison en Kabylie : étude sur la coopération économique chez les berbères du Djurdjura*, Paris, 1928.

MAURA, G. - *La Question marocaine au point de vue espagnole*, Paris, 1921.

MAXWELL, G. - *El Glaoui : dernier Seigneur de l'Atlas*, Paris, 1966.

MAYEUX, M.R. - *Cours internationaux d'été de Toumliline, 1956, 1957, 1958, 1959, Arch. Soc. Rel.*, n° 9, 1960.

MECHERFI, A. - *Les Devoirs du fonctionnaire, R.M.D.E.D.*, n° 14, 1987.

MEDCOF, J.C. : *Oyster farming in the maritimes, Fish. Res. Canada Bull.*, 131, 1961.

MEDIONI, R. - *Le Chott Tigri, Notes Mém. Serv. Géol. Maroc*, T. 30, n° 225, 1970.

MEDIONI, R. - *Contribution à l'étude géologique des Hauts-Plateaux méridionaux marocains, Notes Mém. Serv. Géol. Maroc*, T. 19, n° 149, 1960.

MENCHIF KADDOUA, - *Etude comparative de développement des centres ruraux de service dans le pays Zamour*, INAO, 1984.

MERROUNI, M. - *Le Problème de la réforme dans le système éducatif marocain*, Rabat, 1993.

MESSIER, R. - *The Almovarids, West african gold and the gold currency of the Mediterranean bassin, J.E.S.H.O.*, 17.

MESSIER, R. - *Quantitative analysis of Almoravid dinars, J.E.S.H.O.*, 23.

MICHAUX-BELLAIRE, E. - *Description de la ville de Fès, A.M.*, Vol. 11, 1907.

MIEGE, J.L. - *Journaux et journalistes à Tanger au XIXème siècle, Hesp.*, 1er sem. 1954.

MILLOT, L. - *Démembrement des Habous*, Paris, 1948.

MILLIES-LACROIS, A. - *Quelques problèmes morphologiques concernant les versants instables au Maroc, S.E.G.M*, n° 13, 1967.

MINEYEV, D.A. - *Geochimical differentiation of the rare earths, Geochemistry*, 12, 1963.

MINISTERE DE L'AGRICULTURE ET DU DEVELOPPEMENT AGRICOLE. - *Lutte contre la désertification au Maroc : réalisation et perspectives*, Rabat, 1984.

MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE. - *Le Mouvement éducatif au Maroc, 1975 - 1984*, Rabat, 1977, 1981 - 1984, 3 Vol.

MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE., - *Le Mouvement éducatif, 1986 - 1988*, Rabat [s.d].

MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE., - *Le Mouvement éducatif, 1988 - 1990*, Rabat, [s.d].

MINISTERE DE L'HABITAT ET DE L'AMENAGEMENT DU TERRITOIRE. - *Etude urbaine de Tiflet*, Rabat, 1983.

MINISTERE DE LA SANTE. - *Enquête nationale sur la population et la santé au Maroc*, Rabat, 1987 - 1992.

MINISTERE DE LA SANTE. - *Visite à domicile de motivation systémique*, Rabat, 1988.

MINISTERE DES AFFAIRES ADMINISTRATIVES. - *La Fonction publique*, Rabat, 1981.

MINOT, J. - *L'Entreprise éducation nationale*, Paris, 1970.

MOHIB, A. - *Contribution à l'étude du paléolithique ancien de Casablanca : l'outillage du niveau M de Sidi Abderrahman, Famille Neuville et Ruhlman*, Mém., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

MONTEIL, V. - *Notes sur le Sahara Espagnol*, Tiznit, 1944.

MORAES FARIAS, P.F. de - *The Almoravides, BIFAN*, 23, 13, n° 3 - 4, 1967.

MORDOCHE ABI SEROUR. - *De Mogador au Djebel Tabayoudt : Le Rabbin Mordoché Abi Serrour, résumé du journal de voyage par Henri Duveyrier, B.S.G.*, Déc. 1875.

MOSDIK, K. - *Guide de l'enseignement supérieur*, Casablanca, 1993.

MOUETTE, G. - *Histoire des conquestes de Moulay Archid connu sous le nom de Rey de Tafilet et de Moulay Ismael ou Semein son frère*, Paris, 1682.

MOUGIN, - *Les Premiers sultans saadides et le Sahara, R.O.M.M.*, 1975.

MOUNIN, G. - *Les Problèmes théoriques de la traduction*, Paris, 1976.

NAIMI, M. - *American expansionist aims in South Western Morocco during the Ninteenth Century : The Atlantic Connection, 200 years of Moroccan - American relations, 1786 - 1986*, Rabat, 1990.

NAIMI, M. - *L'Apport de l'idéologie murabitia et du contrôle de l'espace dans l'émergence de la généalogie Takna*, (étude inédite).

NAIMI, M. - *Cinétique des leffs : fléxibilité et mobilité sociale*, étude inédite.

NAIMI, M. - *Contribution à l'étude du paléolithique ancien de Casablanca : industrie lithique du niveau D2 de Cap Chatelier, Famille P. Biberson*, Mém., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

NAIMI, M. - *The evolution o the Tekna confederation caught between coastal commerce and trans Saharian trade, in Tribe and state : essays* in *honour of David Montgomeny Hart*, Ed. by E.G.H. Joffe and C.R. Pennell, Cambridges - line, 1991.

NAIMI, M. - *Nomades et sédentaires dans l'évolution historique de l'ensemble confédéral Tekna, B.E.S.M.*, n° 157, 1986.

NAIMI, M. - *Nul Lamta : tableaux édifiants*, étude inédite.

NAIMI, M. - *Le Pays Tekna : centre ou périphérie*, Colloque international sur *le Devenir de la Société rurale au Maroc*, Rabat, 1986.

NAIMI, M. - *Le Pays Tekna : commerce et ethnicité avant la constitution confédérale*, in Actes du colloque : *Le Maroc et l'Atlantique*, Rabat, 1992.

NAIMI, M. - JAZOULI, A. - *Etat et société : quelles perspectives ? Al-Bayane, 12 Juin 1992.*

NAIMI, M. - JAZOULI, A. - *Régionalisation : Les impératifs du découpage, L'Economiste*, 8 Oct. 1992.

NASRI, Z. - *Le Droit de l'assurance au Maroc*, Rabat, 1984.

NEUVILLE, R. - RUHLMAN, A. - *La Place du paléolithique ancien dans le quaternaire marocain*, Rabat, 1941 (Coll. Hespéris, n° 8).

NICOLAS, F. - *Contribution à l'étude Twareg de l'Aïr, Paris, 1950* (Mémoires de l'IFAN, X).

NICOLAS, F. - *Tamesna : Les Ioullemmeden de l'Est ou Touareg Kel Dinnick*, Paris, 1950.

NIOLAISEN, J. - *Ecology and culture of the pastoral Tuareg, National Museum* (Copenhagen), 1963.

NOIN, D. - *La Neige au Maroc, Notes marocaines*, n° 5, 1961.

NORRIS, H.T. - *Saharian myth and Saga : the Touaregs*, Warminister, 1975.

NORRIS, H.T. - *The Tuaregs, Middle East Studies*, 1975.

NORRIS, H.T. - *Yeminis scholars of Timbutoo, J.A.H.*, III, 1962.

NOUSCHI, A. - *La Ville dans le Maghreb pré-colonial, in Système urbain et développement au Maghreb*, Tunis, 1980.

OFFICE AGRICOLE DU TAFILALET. - *Etude de la salinité des sols*, Juin 1980.

OULD CHEIKH, A. - SAISON, B. - *Vie (s) et mort (s) de Al Imam Al-Hadrami : autour de la postérité saharienne du mouvement almovaride, 11ème - 17ème S, Atabica*, 34, 1987.

PABLO CASTELLANOS, M. - *Las Hijos de San Francisco en Marruecos, La Cruz*, 1982, t. 2.

PABLO CASTELLANOS, M. - *Las Misiones en Marruecos, Revista Fransiscana*, T. 3.

PAILLET, P. - *Faut-il planifier l'éducation ?* Paris, 1974.

PALLARY, P. - *Recherches paléolithiques, ethnologiques sur le littoral du Maroc, Anthropologie*, T. XI, 1908.

PALMER, H.R. - *Notes on Some Asben Records : Agades Chronocles, J.A.S.*, 9, 36, July, 1910.

PAQUES, V. - *L'Arbre cosmique dans la pensée populaire et dans la vie quotidienne du N.O africain*, Paris, 1964.

PASCON, P. - *La Main d'œuvre et l'emploi dans le secteur traditionnel, B.E.S.M.*, 1978.

PAYE, L. - *Enseignement et société musulmane : introduction et évolution de l'enseignement moderne au Maroc*, Rabat, 1992.

PEREDA, C. - *Estudios goegraficos de Gomara*, Ceuta, 1940.

PERGNIER, M. - *Les Fondements sociolinguistiques de la traduction*, Th. : Rennes II, 1976.

PEYRONNET, C. - *Sud Ouest Marocain, Rio de Oro, Sahara occidental, B.S.G.A*, 1928.

PIGNOL, [et al...] - *Costumes et parures dans le Monde Arabe*, [s.l], 1987.

PLATEAU, H. - *Au secours du sol marocain*, Rabat, 1952.

PLATON, P. - *Le Palmier nain, B.E.P.M*, n° 221, 1953.

POMPONIUS MELA. - *De Situs Orbis*, Leypzig, 1880.

PONS, Mgr. A. - *La Nouvelle église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830*, Tunis, 1930.

PONSICH, M. - TARRADELL, M. - *Garum et industries de salaison en Méditerranée occidentale*, Paris, 1965.

PONSICH, M. - *Note préliminaire sur l'industrie préromaine en Tingitane*, 15, 1960.

PONSICH, M. - *Nouvel aspect de l'industrie préromaine en Tingitane, B.C.T.H., N.S.*, 4, 1968.

PTOLOMEO, - *Geographike Uphegenesis*, Paris, 1901.

QNINBA, Z. - *La Mosaïque d'Orphée de Volubilis*, Th. 3ème cycle, Univ. Laval, 1988.

RACHIK, H. - *Le Sultan des autres : rituels et politique dans le Haut Atlas*, Casablanca, 1992.

RACLOT, G. - *La Vallée du Todra, R.G.M.*, n° 20, 1936.

RAMADE, F. - *Eléments d'écologie appliquée*, Paris, 1976.

REBUFFAT, - *L'Implantation militaire en Maurétanie Tingitane, VIème colloque international sur l'archéologie et l'histoire de l'Afrique du Nord* (A paraître).

REDOUANE, B. - *La Fonction marocaine face au changement, in Les services publics marocains face au changement*, Toulouse, 1987.

REDOUANE, B. - *Le Fonctionnaire marocain*, Casablanca, 1983.

REINACH, S. - *Medicus*, in Daremberg Saglio, *Dictionnaire des antiquité grecques et romaines.*

RENAUD, H.P.J. - *L'Enseignement des sciences exactes au Maroc, Hesp.*, XIV, 1932.

RENAUD, H.P.J. - COLIN, G.S. - *Tuhfat al-Ahbab*, Paris, 1934.

*Les Ressources naturelles et la mise en valeur de la plaine du Haouz, R.G.M.*, n° 17, 1970.

RICARD, P. - *Les Arts marocains : Les broderies*, Alger, 1918.

RICARD, P. - *Reliures marocaines du 13ème S. : notes sur des spécimens d'époque et de tradition almohade, Hesp.*, XVII, Fasc. 2, 1933.

RICARD, P. - *La Renaissance de la reliure d'art à Fès*, Paris, 1925.

RICARD, P. - *Le Souq El Merktan et les broderies de Fès, F.M.*, Vol. 1, 1917.

RICARD, P. - *Sur un type de reliure des temps almohades, Ars Islamica*, I, pat 1.

RICARD, P. - *Contribution à l'étude du commerce génois au Maroc durant la prériode portugaise, 1415 - 1550, A.I.E.O*, T. 3, 1937.

RICHARDSON, J. - *Travels in the Great Desert of Sahara*, London, 1985, 2 Vol.

RICHER, A. - *Les Ouilliminden*, Paris, 1924.

RIVAS, A. - *La Presa del Lau*, Tetuan, 1943.

ROCHE, J. - *Etude sur l'industrie de la Grotte de Dar-es-Soltan, B.A.M.*, T. 1, 1956.

ROCHE, J. - *La Grotte des contrebandiers, Témara, B.A.M.*, T. 12, 1978 - 1980.

ROCHE, H. - *Premiers outils taillés d'Afrique*, Th. 3ème cycle, Paris, 1981.

ROSENBERGER, B. - *Yahya U Tafuft, 1506 - 1518 : des ambitions déçues, H.T.*, 31, 1993.

ROUILLARD, P. - *Le Commerce grec du Vème et IVème siècles avant J.C. dans les régimes de Lixus et Gadès, in Lixus : Actes du colloque organisé pour l'I.N.S.A.P., Larache, 8 - 11 Nov. 1989*, Rome, 1992.

ROUSSEAU, G. - *Le Costume au Maroc*, Paris, 1938.

ROUX, G. - *La Neige au Maroc, Mem. Soc. Sc. Nat. Maroc*, n° 11, 1935.

ROUX, G. - *La Variation annuelle des précipitation au Maroc, Bull. Soc. Sc. Nat. Maroc*, T. 27, 1947.

RUELLAN, A. - *Contribution à la connaissance des sols des régions méditérranéennes*, Mém. ORSTOM, n° 54, Paris, 1971.

RUHLMAN, A. - *A propos de la subdivision de l'Atérien marocain, B.S.P.M.*, n° 2, 1948.

RUHLMAN, A. - *Le Paléolithique marocain : esquisse d'une étude d'ensemble, B.S.P.M.*, n° 2, 1948.

RUNGS, C. - *Catalogue raisonné des Lepidopteres du Maroc*, Rabat, 1981, 2 Vol.

RUSSO, P. - *Recherches géologiques sur le territoire des Hauts-Plateaux, Maroc oriental, Annales Univ. Lyon*, nouv. série, fasc. 46, 1926.

SAAIDI, M. - *Histoire de la recherche minière au Maroc : des origines à nos jours*, Rabat, 1967.

SAAIDI, M. - *Possibilités minières et hydrogéologiques de la région d'Akka et le rôle historique de Tamdoult, Mines et géologie*, n° 28, 1969.

*Le Sahara espagnol, La Documentation française : notes et études documentaires*, n° 2570, Sept. 1959.

SAAIDI, - *Palmier dattier : maladies et ravageurs des plantes cultivées au Maroc*, Rabat, 1976

SAIB, J. - *A phonogical study of Tamazight Berber*, Ph. D. Univ. of California, 1976.

SALIH, A. - *Le Moustérien et l'Atérien au Maroc*, Th. Univ., Aix-en-Provence, 1990.

SALIH, A. - *Recherche sur l'épipaléolithique dans le Moyen Atlas*, D.E.A., Aix-en-Provence, 1986.

SALMI, J. - *Crise de l'enseignement et reproduction sociale au Maroc*, Casablanca, 1985.

SALMON, G. - *Contribution à l'étude du droit coutumier du Nord marocain : de l'association agricole et de ses différentes formes, A.B.*, III, 1905.

SALVY, G. - *Tawdanni, Le Monde*, 31 Janv. 1976.

SAMSON, P. - *Un gisement plombozincifère en milieu récifal, Touissit, Maroc oriental, Notes. Mém. Serv. Géol. Maroc*, n° 242, 1973.

SARRE, F. - *Islamic book-binding*, London, 1923.

SARRIONDIA, P. - *Gramatica de la lengua rifeña*, Tanger, 1905.

SASSON, A. - *Développemenet et environnement*, Paris - La Haye, 1974.

SCHMITT, P. - *Le Maroc d'après la Géographie de Claude Ptolémée*, Th. 3ème cycle, Tours, 1973.

SCHROETER, D. - *Merchants of Essaouira*, Cambridge, 1988.

SCHUTZ, H. - *Le Rôle et l'organisation du Centre National de Documentation dans un pays en voie de développement*, Paris, 1975.

SEDJARI, A. - *Les Structures administratives territoriales et le développement au Maroc*, Rabat, 1981.

SEFRIOUI, A. - *Le Costume marocain, G.E.M.*, Vol. 2, 1987.

SEKKAT, A. - *La Politique de l'enseignement au Maroc, 1956 - 1977*, Grenoble, 1977.

SIRE, M. - *Le Document et l'information*, Paris, 1975.

SLOUSCH, N. - *Notes sur l'histoire des juifs au Maroc, A.M.*, VI, 1905.

SLOUSCHZ, N. - *Etude sur l'histoire des juifs et du judaïsme au Maroc, A.M.*, Vol. IV, 1905.

STAMBOULI, F. - *Système urbain et développement*, in *Système urbain et développement au Maghreb*, Tunis, 1980.

SYLVESTRE, P. - *Rapport B.R.P.M.*, 1976, Rabat, 1976.

*Le Tafilalet d'après M. Walter B. Harris, A.F.R.C*, n° 1, 1909.

TAG, B. - *Des mutations agro-pastorales à l'urbanisation dans le Maroc Oriental*, Th. Doct., Toulouse, 1987.

TAIFI, M. - *Dictionnaire tamazight français*, Paris, 1993.

TANGI, O. - *Aspects de la phonologie d'un parler berbère au Maroc : Ayth Sidhar, Rif*, Th. Doct. Univ., Paris VIII, 1991.

TARRADELL, M. - *El Benian : Castellum Romano entre Tetuan y Tanger, Tamuda*, I, 1953.

TARRADELL, M. - *Breves noticias sobre las excavaciones, Tamuda*, VI, 1958.

TARRADELL, M. - *Datos sobre la guerra de las romanos contro Aedem*, in *El Primero congreso arqueologico del Marruecos español, Tamuda*, II, 1955.

TARRADELL, M. - *Estado actual de nuestros conociomientos sobre Tamuda y resultades de la campaña 1948, Archivo Español de Arqueologia*, 74, 1949.

*Les Tendances des réformes de l'enseignement dans les pays du Maghreb* in *Actes du Colloque Euro-arabe sur la structuration des enseignements primaires et secondaires au Maghreb*, Rabat, 1992.

TERMIER, H. - OWODENKO, B. - AGARD, J. - *Les Gîtes d'étain et de tungstènes de la région d'Oulmès, Maroc central : étude géologique, pétrographique et métallogiques, Notes et Mém. Serv. Géol. Maroc*, n° 82, 1950.

TERRASSE, H. - HAINAULT, J. - *Les Arts décoratifs au Maroc*, Paris, 1925.

*Les Territoires espagnols, La Documentation française : notes et études documentaires*, n° 2951, Janv. 1963.

TEXIER, J.P. - *Les Pièces prédonculées de l'Atérien, Lybica : Anthropologie, Préhistoire, Ethnologie*, T. VI - VII, 1958 - 1959.

TEXIER, J.P. - *Le site atérien du Chaperon Rouge I, Maroc et son contexte géologique, B.A.M.*, T. 16, 1985 - 86.

*Textes administratifs, Fonction publique et réforme administrative*, Casablanca, 1987.

THOUVENOT, R. - *Le Géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Mautétanies, R.E.A.* 64, 1992.

THOUVENOT, R. - *Le Géographe Ptolémée et la route du Sous, Hesp.*, 33, 1946.

THOUVENOT, R. - *Promenade archéologique au Musée de Tétouan, R.E.A.* LII. 1950.

THOUVENOT, R. - LUQUET, A. - *La Mosaïque du Navigum à Volubilis, Rev. archéologique*, I, 1977.

THOUVENOT, R. - LUQUET, A. - *Les Thermes de Banasa*, Rabat, 1951, (P.S.A.M, IX).

TIBI, C. - *Politique éducative et financement de l'éducation au Maroc*, Paris, 1976.

TOLEDANO YA'AQOB MOSE, - *Ner Hamma 'arab*, Jérusalem, 1911.

TOLEDANO, J. - *Le Temps du Mellah*, Jérusalem, 1982.

TOMICHE, N. - *La Littérature arabe traduite : mythes et réalités, de l'image que se fait l'Occident du monde arabe contemporain à travers les traductions de la littérature arabe en langue française en anglaise*, Paris, 1978.

TORTOCHAUX, T. - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1954.

TOURI, A. - *Les Oratoires de quartiers de Fès : essai d'une typologie*, Th. Paris, 1980.

TOUTAIN, G. - *Sur une évolution économique de la vallée du Draa, Al-Awamia*, n° 53, 1974.

URVOY, Y. - *Chronique d'Agades, Journal Soc. Afr.*, IV, 1934.

VAJDA, G. - *Un recueil de textes historiques judéo-marocains, Hesp.*, 3ème - 4ème trim. 1948, 1er - 2ème trim. 1949.

VALEE, N. - *Mammifères d'Europe*, Paris, 1972.

VAUFREY, R. - *Préhistoire de l'Afrique*, Paris, 1955 (Publ. Inst. Hautes Et., Tunis, Vol. 4).

VERGERO, S. - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1942.

*Villes et sociétés au Maghreb*, Paris, 1974.

WILLIAMS, J. - MKADMI, A. - *Possibilités d'expansion dans l'ostreiculture dans la lagune de Oualidia*, Maroc,.

WILLCOS, H.C. - *Exploration of the Rio de Oro, Geogr. Review*, 1921.

ZAINABI, A.T. - *L'Homme et la montagne en milieu sub-aride : le pays de Taznakht, Anti - Atlas*, Th. 3ème cycle, Poitiers, 1989.

ZELTNER, F. de. - *Les Touareg du Sud, Journal of the Royal Anthropological Institute*, XLIV, 1914.

ZERYOUHI, I. - *Le Moyen Atlas plissé : ressources en eau du Maroc*, Rabat, 1977.

ZHAR, M. - *Approche climatique de la région de la Haute Moulouya, Revue Fac. Lettres Sc. Hum. Oujda*, n° 1.

ZHIRI, K. - *Définition d'une politique nouvelle de l'enseignement*, Rabat, 1969.

## Liste des principales abréviations des périodiques

**A.A.N :** *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
**Acad. Sc. Col. :** *Académie des Sciences Coloniales.*
**A.E.S.C :** *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
**A.F :** *Afrique Française.*
**A.F : R.C :** *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
**A.I.E.A :** *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
**A.I.E.O :** *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
**A.M :** *Archives Marocaines.*
**A.M.S :** *Archives Marocaines de Sociologie.*
**And. :** *Al-Andalus*
**Ann. Rech. Forest. Maroc :** *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
**Ant. Afr. :** *Antiquités Africaines.*
**B.A.M :** *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
**B.A.R :** *British Archeological Reports.*
**B.C.T.H :** *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
**B.E.P.M :** *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
**B.E.S.M :** *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
**B.I.F.A.N :** *Bulletin de L'Institut Français d'Afrique Noire.*
**B.M.S.A.P :** *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
**B.L.O.A.B :** *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
**B.L.S :** *Bulletin de Liaison Saharienne.*
**B.S.G :** *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
**B.S.G.A :** *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
**B.S.G.A.O :** *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
**B.S.H.M :** *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
**B.S.O.A.S :** *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
**B.S.P.M :** *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
**Bull. Archéol. :** *Bulletin Archéologique.*
**C.A.A :** *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
**C.A.T.A.N :** *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
**C.B.E.T :** *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
**C.C.E.J :** *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
**C.E.A :** *Cuadernos de Estudios Africanos.*
**C.H.I :** *Cuadernos de Historia del Islam.*
**C. Méd. :** *Cahiers de la Méditerranée.*
**C.R.A.I.B.L :** *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**C.R.A.S :** *Comptes Rendues des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
**C.T :** *Cahiers de Tunisie.*
**E.I.1 :** *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
**E.I.2 :** *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*

**E.T.A.M :** *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
**Et. Medit. :** *Etudes Méditerraniennes.*
**F.M :** *France - Maroc.*
**F.S.S.A.N :** *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
**G.E.M :** *Grande Encyclopédie du Maroc.*
**Hesp :** *Hespéris.*
**H-T :** *Hespéris-Tamuda.*
**H.T.E :** *Hommes, Terre et Eaux.*
**I.G :** *Information Géographique.*
**I.H.E.M :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**I.H.E.M : N-D :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. :** *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
**I.S.C :** *Institut Scientifique Chérifien.*
**Isl. Cult. :** *Islamic Culture.*
**I.S.P.M :** *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
**J.H.S.N :** *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
**M.A.I.B.L :** *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**Medit :** *Méditerranée.*
**N.A.M.S.L :** *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
**P.I.H.E.M :** *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**P.S.A.M :** *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
**P.S.H.M :** *Publications de la Section Historique du Maroc.*
**R.A :** *Revue Africaine.*
**R.A.P :** *Revue de l'Action Populaire.*
**R.C.C :** *Revue de la Chambre de Commerce.*
**R.D.M :** *Revue des Deux Mondes.*
**R.E.A :** *Revue des Etudes Anciennes.*
**R.E.I :** *Revue des Etudes Islamiques.*
**R.E.L :** *Revue des Etudes Latines.*
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. :** *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
**R.G.M :** *Revue de Géographie du Maroc.*
**R.H.E :** *Revue d'Histoire Economique.*
**R.H.M.C :** *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
**R.M.D.E.D :** *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
**R.M.E :** *Revue Maroc-Europe.*
**R.M.F :** *Revue Militaire Française.*
**R.M.M :** *Revue du Monde Musulman.*
**R.P.P :** *Revue Politique et Parlementaire.*
**S.G.L :** *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
**S.I :** *Studia Islamica.*
**S.I.H.M :** *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. :** *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*
**Trav. Inst. Sc. :** *Travaux de l'Institut Scientifique.*

**تارودانت** (*)، مدينة عريقة في سوس، توصف في النصوص التاريخية بأنها "قاعدة السوس الأقصى"، جاء اسمها على صيغة الأسماء الأمازيغية. ويعرب بصيغة رودانة، والنسبة روداني. توصلنا إلى أن لفظ تارودانت قد يعني مكاناً مرتفعاً من الأرض كحاجز للماء أو غيره، حيث إن مذكره هو أرودان، ويعني في المنطقة "الحاجز" وانطلاقاً من هذا، فإن تارودانت تعني المدينة المحاطة بالحواجز الترابية، أو المدينة المسورة، أو الأقرب من هذا كله : المكان الذي عند حاجز الماء في الوادي..

ترجع مدينة تارودانت إلى العهود القديمة من تاريخ المغرب، حيث كانت تسمى "ڤالا". ولعلها تدخل ضمن المراكز الحضرية التي تأسست خلال الفترة المغربية الفينيقية كمركز "ڤادين" على وادي نون، ومركز "ڤاڭا" على وادي درعة. وهي مراكز ارتبطت بالتعامل التجاري بين الفينيقيين والمغاربة حوالي القرن التاسع قبل الميلاد (846 ق. م). وانقطعت الأخبار عن منطقة سوس طيلة تلك القرون إلى القرن السابع الميلادي حيث اقترن ذكر سوس ومراكزه الحضرية بدخول الإسلام إلى المنطقة، ومدينة إڭلي هي التي تتحدث عنها المصادر وتعتبرها "قاعدة بلاد السوس" (البكري، 161 ؛ *الاستبصار*، 213)، رغم أن ابن خلدون أشار إلى أن تارودانت كانت موجودة أيام عقبة ابن نافع الفهري (690 م).

لم تحظ مدينة تارودانت بأهمية بالغة في نصوص العصر الوسيط إلا ابتداءً من القرن الخامس الهجري (11م)، عندما كانت فيها الحركة الشعبية البجلية التي استمرت هنالك منذ القرن الثالث الهجري (9 م) إلى القرن الخامس الهجري (11 م) حيث "قاتلهم الأمير أبو بكر بن عمر وعبد الله بن ياسين حتى فتح مدينتهم تارودانت عنوة..." وأصبحت منذئذ توصف بأنها "قرية كبيرة" (*الاستبصار*، 212) واتسع مجالها الحضري، خاصة وأن المرابطين اتخذوها مقراً عسكرياً لمراقبة قبائل جبل درن، ويعتبر المرابطون أول من بدأ في تحصين المدينة بأسوار في بعض جهاتها.

(*) سقطت تارودانت من موضع ترتيبها في الجزء السادس، فتداركناها هنا.

زارها عبد الواحد المراكشي في القرن السادس (13 م) ووصفها بأنها "حاضرة سوس وإليها يجتمع أهله" وأصبحت في الفترة الموحدية أكثر تحصيناً وأكثر أهمية اقتصادياً وإدارياً، حيث تم تعيين ممثل المخزن الموحدي بها، بينما بدأت مدينة إڭلي - التي كانت قاعدة السوس خلال القرون السابقة - تتراجع لحساب المدينة المخزنية الجديدة.

وخلال ثورة علي ابن يدر الزڭندري حوالي عام 650 / 1252 عرفت المدينة خراباً ودماراً نتيجة سيطرة الزڭندري عليها ومحاولات الموحدين إخضاعها. وتوالت الحملات على المدينة من طرف المرينيين، بهدف انتزاعها من سيطرة علي بن يدر، ولم يتمكنوا من ذلك إلا حوالي عام 735 / 1334 م.

وخلال الفترة المرينية التي توافق فترة الاضطرابات بسوس 735 - 861 / 1334 - 1456 وطيلة حكم بني وطاس 877 - 917 / 1472 - 1511، دخلت مدينة تارودانت عهداً غامضاً، عمته الفوضى والتخريب والحكم المحلي، حيث فرض العرب المحيطون بالمدينة، عليها ضرائب وإتاوات، ولم تثر ضدهم إلا بعد نهوض الحركة السعدية، حسب ما أشار إلى ذلك الحسن الوزان.

ولقد أشار ابن عذاري إلى حالة تارودانت خلال تلك الفترة بقوله : "تارودانت الشهيرة ذات الخيرات الكثيرة، لكنها استولى عليها الخراب من ابن يدر حتى صيرها كالقفر درسا (....) ولم يبق منها إلا جامع الخطبة في قصبة الحسن المذكور (....) وعانت الناس من هذا الخراب" (ابن عذاري، *البيان*، 1).

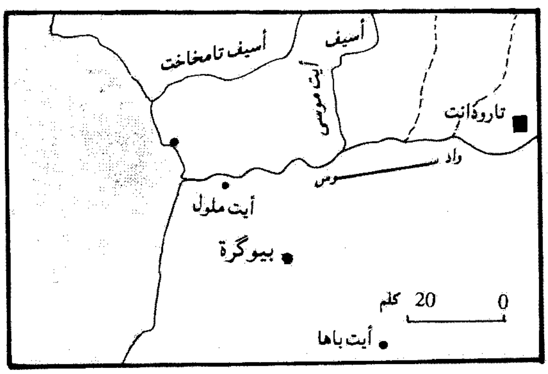


موقع تارودانت

ومع مطلع القرن العاشر (16 م) استرجعت تارودانت دورها الاقتصادي وإشعاعها الثقافي، مع ظهور السعديين، واتخاذها عاصمة لهم بعد إعادة بنائها. ويشير التامنارتي بأن "محمد الشيخ أذن للناس عامة وقت تخطيطها (تارودانت) في إحيائها بالبناء والغرس قصدا لعمارتها حتى حكي عنه أنه قال : "كل من بنى موضعا أو غرسه فهو له..." (التامنارتي، *فوائد*، 266). ولم يكن التامنارتي هو الشاهد الوحيد على اهتمام السعديين بهذه المدينة، بل هناك آخرون تركوا بصمات شهادتهم عن ذلك الاهتمام مثل ديبگو دي طوريس (Diego de Torres) ومارمول والبرتغالي المجهول صاحب كتاب *Chronique de Santa Cruz de Cap de Gué*، الذي زار المدينة حوالي سنة 1541 ويقول : "دخلنا إلى مدينة تارودانت التي هي مقر السلطان، وخرج لاستقبال أبنائه والقائد مومن بن العلج" (*Chronique*, 134).

هكذا عرفت المدينة في عهد السعديين أوج ازدهارها اقتصادياً حيث بنيت معامل السكر بتازمورت غير بعيد عنها، وتنقل إليها القوافل التجارية الآتية من السودان أنواعاً شتى من المواد السودانية تباع في أسواقها بقيسارياتها التي أشار إليها الفقيه عيسى السكتاني. وكانت تصل إلى المدينة المواد الأوربية المتنوعة انطلاقا من موانئ أگادير. وتبين لنا رسالة مؤرخة بـ5 يناير 1542 من البرتغاليين إلى خوان الثالث يقول فيها : "تلقت تارودانت خلال تسعة وعشرين يوماً حمولة تسع سفن، متكونة من نسيج متنوع، وتصدر السكر والصمغ والجلود، والمدينة مليئة بالتجارة لكنها تعرض بشكل سيء لأن المجاعة سائدة وناتجة عن جفاف سابق 1541" (*S.I.H.M., D. Saadienne*, 6).

وصفوة القول أن تارودانت أصبحت في الفترة السعدية قطباً حضرياً كبيراً، فقد أعيد بناؤها وضخمت أسوارها، وشيدت قصباتها، فهي كما وصفها الفشتالي "قاعدة بلاد السوس وأم القرى والأمصار وملاك باب السودان... وما شئت من توطيد وتشييد وبرك مستجدة..." (الفشتالي، *مناهل الصفا*). وبعد أن ضعفت الدولة السعدية، أصبحت تارودانت مجالاً للصراع بين القوى المحلية، حيث سيطر عليها أبو زكريا الحاحي حوالي سنتي 1020 ـ 1021 / 1611 ـ 1612، فوجد القصبة مهدمة ومعطلة، والفوضى منتشرة (*الفوائد الجمة*، 159)، وعين بها عبد الرحمان التامنارتي قاضياً للجماعة، بغية تنشيط الحبوس والأمور الدينية. واستقرت الوضعية بالمدينة منذ 1029 / 1619 إلى 1036 / 1626 حيث انتشر الأمن والعدل رغم ركود اقتصادي من جراء طرد اليهود منها.

وبعد قتل أبي زكرياء الحاحي من طرف بعض عملاء السلطان زيدان في ربيع 1036 / 1626 تولى ابن أخيه أحمد ابن محمد بن عبد الله بن سعيد، لكن الأمور مافتئت أن تدهورت، مما دفع عبد الرحمان التامنارتي الذي ترك المدينة بسبب نزاع بينه وبين الحاحي إلى مكاتبة بودميعة السملالي يطلب منه احتلال تارودانت لقطع دابر الفوضى (*الفوائد الجمة*، 233). ولم تمر إلا سنتان عن موت الحاحي حتى أصبحت المدينة تحت حكم السملاليين. ولم تكن المدينة في العهد السملالي إلا مدينة ثانوية، حيث كان اهتمام بودميعة منصباً على توسيع مدينة إليغ التي انتقل إليها يهود تارودانت فساهموا في نشاطها الاقتصادي، وأصبح دورها مقتصراً على الوظيفة الإدارية.

ولما توفي بودميعة دخلت المدينة مرحلة غامضة لمدة عشر سنوات (1070 ـ 1080 / 1659 ـ 1669) بسبب نزاع أبناء بودميعة حول السلطة، واستمرت تلك الأوضاع إلى أن احتلها المولى رشيد سنة 1080 / 1669.

لم يتمكن المولى رشيد من ربط تارودانت بالمخزن الجديد إذ عادت إلى الثورة في السنة الموالية وبعد وفاته وتولية المولى إسماعيل، ثار بالسوس أحمد بن محرز الذي استمرت ثورته حوالي أربع عشرة سنة (1083 ـ 1099 / 1672 ـ 1687) محتلا المدينة، وبعد اندحاره عين عليها المخزن الاسماعيلي الباشا عبد المالك، وثار بدوره مدعما بالأمير زيدان حوالي 1106 / 1694. واستمر الوضع بالمدينة مضطرباً إلى أن عين السلطان المولى إسماعيل ابنه محمد العالم في صيف 1698. ويمكن أن نستخلص أن تارودانت كانت خارجة عن السلطة الاسماعيلية مدة ست وعشرين سنة (م. حنداين، *تارودانت*). ولقد دفعت ثورات تارودانت المخزن الإسماعيلي إلى التخلي عن حصار سبتة لإعادة الأمن إلى سوس وتارودانت.

وعرفت المدينة في عهد الأمير محمد العالم مرحلتين :

1 ـ مرحلة التبعية للمخزن (1110 ـ 1112 / 1698 ـ 1700) حيث استعادت المدينة والمنطقة عامة هدوءها ونشاطها الاقتصادي والثقافي، وهذا ما تؤكده رسالة القنصل الفرنسي بسلا (سطيلا Estelle) والمؤرخة بـ5 ماي 1698 ويقول فيها بأن إقليم سوس يستعيد الهدوء حسب ما يقال. لكن هذه المرحلة لم تدم إلا ثلاث سنوات حيث ثار بعدها ضد أبيه.

2 ـ مرحلة محمد العالم (1112 ـ 1118 / 1700 ـ 1706).

تشير المصادر (القادري والناصري) إلى ثورة محمد العالم بسوس دون أن تذكر أسباب هذه الثورة. وعرفت مدينة تارودانت خلال عهده ازدهاراً ثقافيا يذكِّر بما عرفته أيام الدولة السعدية، صوره لنا أحد كتاب عصره والمجهول صاحب كتاب *نفحات الشباب* الذي يصف جلسات الأمير مع علماء سوس (*المعسول*، 18 : 288).

لم يستطع الأمير محمد العالم أن يستمر مدة طويلة إذ انهزم أمام أخيه المولى زيدان حوالي 1706، ونقل إلى مكناس حيث مات.

وعندما دخل زيدان تارودانت استباحها، لكن ما لبث أن ثار بدوره في السنة الموالية، وأعلن أن كل من يرغب في الاستقرار بأگادير أو تارودانت فإنه سيحصل على امتيازات، وبهذه الوسيلة صارت المدينتان عامرتين في وقت

قصير". ورجعت تارودانت إلى الانفصال مرة أخرى عن المخزن. واستمر الوضع هكذا إلى أن قتل المولى زيدان.

وبعد موت المولى زيدان عين المولى إسماعيل المولى بناصر الذي مكث بالمدينة ست سنوات (1120 . 1126 / 1708 . 1714)، حيث ثار بدوره سنة 1124 / 1712 ضد أبيه (*الاستقصا*، 7 : 76)، وانتشرت الفوضى قتل خلالها الأمير من طرف عرب أولاد دليم وبعثوا برأسه إلى مكناس. وعين المولى إسماعيل القائد أبا عزيز لمدة خمس سنوات. وتولى بعد ذلك أمور المدينة وسوس الأمير المولى عبد المالك، واستمر حوالي عشر سنوات، إلى أن استدعاه عبيد البخاري لبيعته (*الاستقصا*، 7 : 119) بعد وفاة المولى إسماعيل. وخلال فترة الاضطرابات التي استمرت منذ وفاة المولى إسماعيل (1140 / 1727) إلى بيعة سيدي محمد بن عبدالله، كانت المدينة وسوس خارجةً عن السلطة المركزية. وكثرت الثورات حيث ثار الكرسيفي (1150 / 1737) الذي احتل أگادير وتارودانت وقتل من طرف هوارة، كما ثار ثائر آخر وهو الشريف الكثيري بوتگلا (1168 / 1754)، ولعل تارودانت آنذاك كانت تحت سلطة المولى سرور الذي سارع إلى قتل ثائر آخر ادعى المهدوية وهو المحمد المكاوي (*خلال جزولة*، 1 : 52). وكان المولى سرور هذا يمثل الأمير سيدي محمد بن عبد الله الذي كان نائبا لأبيه المولى عبد الله بمراكش وكافة القطر السوسي (*إتحاف...*، 3 : 152).

وقد نهج السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1171 . 1205 / 1757 . 1790) تجاه تارودانت وسوس سياسة جديدة لقطع دابر الثورات التي تتكرر بها، تتمثل في تحويل الحركة الاقتصادية من مرفأ أگادير إلى الصويرة التي بنيت من أجل منافسة ذلك المرفأ الذي يشكل المرتكز الاقتصادي للحركات الثائرة بسوس، (*الاستقصا*، 8 : 20).

كما قرر المخزن تعيين عمالٍ على سوس من حاحا، إذ انتقلت الإدارة المحلية من تارودانت التي كانت مركز السلطة المحلية منذ عهود سابقة إلى حاحا. حيث لم تكن المدينة إلا مركز عامل تابع لممثل المخزن في حاحا، وهو الفقيه عبد المالك باشا الصويرة وحاكم قبائل سوس وحاحا.

وهكذا أصبحت تارودانت في هذا العهد مدينة ثانوية مخزنيا، ومتدهورة اقتصاديا، لحساب الصويرة التي جلب إليها تجار النصارى الذين كانوا في فونتي (الناصري، ج. 8، ص. 21)، وعرفت جموداً ثقافياً.

وقبل وفاة السلطان بسنتين عين بتارودانت ابنه المولى عبد السلام وبقي هنالك إلى أن توفي السلطان عام 1205 / 1790.

وفي عهد السلطان المولى سليمان، كانت تارودانت تحت حكم المولى بناصر بن عبد الرحمان، لكنها ظلت تعيش جموداً اقتصادياً وثقافياً، وكانت في عهد السلطان الحسن الأول إحدى المصالح الباشوية الرئيسية التي قسم إليها المغرب، في إطار "الاصلاح الإداري"، لكن الوضع بالمدينة في العهد الحسني تأثر بالأوضاع العامة بسوس التي تميزت بالرغبة في الاستقلال مما جعل السلطان يقوم بحملاته العسكرية إلى سوس (1882 . 1886) ويؤسس مركزاً مخزنياً آخر في مدينة تيزنيت، وعين بها عاملا.

وأثناء فترة المولى عبد العزيز، عين الباشا حمو وأولاده على باشوية تارودانت، لكن تصرفاته القاسية جعلت الناس ينفرون منه ويغادرون المدينة، وفي ذلك قال قاضي تارودانت سيدي موسى :

| | |
|---|---|
| اتى حمو الاحم لسوس يبغي | كنوزاً إذْ به قد صــار كنـزا |
| يريغ به الثـراء فنـال فيـه | ترى قد ماط عن كتفيه عزا |

وبعد أن فرضت الحماية على المغرب سنة 1912 كانت تارودانت تحت نفوذ الباشا أحمد بن علي الكابا، الذي تنكر لأحمد الهيبة بعد انهزامه في مراكش، واعترض طريقه في قرية تالكجونت، لكنه انهزم وقتل وعلق رأسه بساحة أسراگ بالمدينة، ومكث الهيبة في تارودانت مقاوما للفرنسيين الذين حاولوا استمالته بشتى الطرق والوسائل، حيث وجدوا في القائد حيدا بن ميس الذي تنكر بدوره للهيبة، خير معين على تقويض حركته، فوقعت معارك ضارية بضواحي المدينة اضطر على إثرها أحمد الهيبة إلى مغادرة المدينة نحو شتوكة، ومن قبيلة إلى أخرى. وأصبح حيدَ بن ميس باشا تارودانت تابعاً للفرنسيين، وأصبحت المدينة في عهد الحماية مركزاً عسكرياً لمراقبة قبائل جبل درن والقبائل السهلية.


ع. المراكشي، *المعجب*، تح. م. سعيد العريان وآخر، طبعة الرباط 1973 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، ج 1، تح. كولان وليفي بروفنسال، ط. 2. 1980، دار الثقافة بيروت، ص. 260 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *القرطاس*، ص. 129 ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوطة خاصة، ص. 266 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 152 ؛ محمد كسرير، *أضواء على تاريخ تارودانت*، خزانة معهدمحمد الخامس بتارودانت، ص. 5 ؛ محمد حنداين، *تارودانت ومحيطها التاريخي (1607 . 1790)*، ر. د. ع. التاريخ كلية الآداب، الرباط، 1993.

D.J. Meunier, *Le Maroc saharien* 1, 161 ; *S.I.H.M., dynastie saâdienne*, 1ère série, T. IV, Portugal. p. 6, *Lettres de Sebastio Alvarès à Jean III, France,* 2ème série, T. IV, p. 611. 596, 687 ; T. VI, p. 322, 325.


محمد حنداين

* * إقليم تارودانت إقليم حديث أنشئ سنة 1981، وحسب التقسيم الإداري لإحداثه في هذا التاريخ. كان الإقليم يضم أربعة دوائر وأربع عشرة قيادة وتسعاً وثمانين جماعة منها جماعتان حضريتان وخمسة مراكز مستقلة.

يحد الإقليم من الشرق إقليم ورزازات ومن الغرب إقليما أگادير والصويرة ومن الشمال إقليم مراكش ومن الجنوب إقليما تيزنيت وطاطا.

وبناء على القانون رقم 92 . 12 المتعلق بوضع ومراجعة اللوائح الانتخابية العامة وتنظيم انتخاب مجالس الجماعات الحضرية والقروية الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1 . 92 . 90 بتاريخ 9 ذي الحجة 1412 / 11 يونيو 1992 تمت عملية تقسيم الإقليم إدارياً على الشكل التالي :

# إقليم تارودانت

أربع دوائر : دائرة إغرم، دائرة أولاد تايمة، دائرة تارودانت، دائرة تاليوين.

ثلاث عشرة قيادة : أيت عبد الله، المكرت، أضار، أرگانة، عين اشعيب، أولاد محلة، احمر، افريجة، سيدي عبدالله أوموسى، تافنگولت، أولوز، إسكاون، سكتانة.

أربع وخمسون جماعة، منها سبع جماعات حضرية وهي : تارودانت (البلدية)، أولاد تايمة (البلدية)، إغرم (البلدية)، الكردان (البلدية)، أيت يعزة (البلدية)، أولاد برحيل (البلدية)، تاليوين (البلدية). أما الباقي فهي جماعات قروية وهي : إيماون، تيندين، سيدي بوعل، أملو، تتاوت، سيدي بوموسى، أسن، سيدي أحمد أوعمر، لكفيفات، سيدي موسى الحمري، الدير، أهل الرمل، أصادص، تيدسي نسندالن، الكدية البيضاء، الخنافيف، مشرع العين، لمهادي، سيدي دحمان، سيدي بورجا، افريجة، تزمورت، بونوار، تيبوت، سيدي أحمد أو عبد الله، أيت أكاس، أولاد عيسى، إگلي، أرزن، توغمرت، إكودارامنابها، إداوگيلال، تنزرت، لمهارة، أولوز، إداوگمّاضْ، الفيض، تيسراس، أوزيوة، أزرار، أگادير ملول، تزكزاوين، سيدي احساين، تسوسفي، أسايس، زاكوزن، أساكي.

التقسيم الإداري الجديد لإقليم تارودانت

| الإقليم | الدوائر | القيادات | الجماعات الحضرية أو القروية |
|---|---|---|---|
| تارودانت | | | تارودانت (البلدية) |
| | | | أولاد تايمة (البلدية) |
| | إغرم | | إغرم (البلدية) |
| | | | الكردان (البلدية) |
| | | | أيت إيعزة (البلدية) |
| | | | أولاد برحيل (البلدية) |
| | | | تاليوين (البلدية) |
| | | أيت عبد الله | |
| | | المكرت | إيماون |
| | | | تيندين |
| | | | سيدي بوعل |
| | | | أملو |
| | | | تتاوت |
| | | أضار | |
| | أولاد تايمة | أرگانة | |
| | | عين اشعيب | سيدي بوموسى |
| | | | أسن |
| | | | سيدي أحمد أوعمر |
| | | | لكفيفات |
| | | | سيدي موسى الحمري |
| | | | الدير |
| | | | أهل الرمل |
| | | أولاد محلة | اصادص |
| | | | تيدسي نسندالن |
| | | | الكدية البيضاء |
| | | | الخنافيف |
| | | | مشرع العين |
| | | | لمهادي |
| | تارودانت | احمر | |
| | | افريجة | سيدي دحمان |
| | | | سيدي بورجا |
| | | | افريجة |
| | | | تزمورت |
| | | | بونوار |
| | | | تيبوت |
| | | | سيدي أحمد أوعبد الله |
| | | | أيت أكاس |
| | | سيدي عبد الله | أولاد عيسى |
| | | أوموسى | إكلي |
| | | | إرزَنْ |
| | | | توغمرت |
| | | | ايكودارامنابها |
| | | | إداوگيلال |
| | | | تنزرت |
| | | | لمهارة |
| | | تافنگولتْ | |
| | | أولوز | أولوز |
| | | | إداوگمّاض |
| | | | الفيض |

| الإقليم | الدوائر | القيادات | الجماعات الحضرية أو القروية |
|---|---|---|---|
| | تاليوين | اسكاون<br>سكتانة | تيسراس<br>أوزيوة |
| | | | إزرار<br>أگادير ملول<br>تزكزاوين<br>سيدي احساين<br>تسوسفي<br>أسايس<br>زاگموزن<br>أساكي |

تبلغ مساحة الإقليم 16.460 كلم²، ووصل تعداد سكانه سنة 1982 إلى 558.501 ن. أما الكثافة السكانية فتتراوح بين 935 ن في كلم² كأعلى كثافة والتي تمثلها مدينة تارودانت إذ تبلغ مساحتها 40 كلم² وعدد ساكنتها 37.894 ن. أما أضعف كثافة في الإقليم فتوجد بجماعة أگادير ملول التي تبلغ مساحتها 919 كلم² وعدد سكانها لا يتجاوز 7.051 نسمة.

يزخر إقليم تارودانت بثروات طبيعية مهمة ومقومات بشرية وكذا ثروة حيوانية لابأس بها.

ونظراً لتوفر الإقليم على مرتفعات منها أعلى قمة في المغرب (قمة تبكال) فإن المنطقة عرفت طفرة سياحية مهمة أنعشت اقتصاد المنطقة بعض الشيء خاصة الأهالي الذين يقطنون الجبال.

أما باقي الأنشطة المتداولة في الإقليم فهي الزراعة والرعي والتجارة التي كونت جزءاً مهماً من موردها المالي من عائدات المهاجرين، لكن تبقى نسبة الهجرة أقل حدة بالمقارنة مع باقي الأقاليم الجنوبية كطاطا وتيزنيت وورزازات. وتبقى الهجرة الداخلية نحو المدن الوطنية الكبرى هي التيار الهجروي النشيط خلال مواسم محددة ومتقاربة. ورغم أهمية موقع إقليم تارودانت فإن إشعاعه لا يتعدى حدوده نظراً لمحاذاته لأقاليم ذات إشعاع واسع كإقليم مراكش وأگادير. وأمام هذا الوضع فقد وضع المسؤولون تصميماً مديريا للنهوض بالإقليم وتنميته، وهكذا شهد إقليم تارودانت تشييد شبكة طرقية ثانوية وثلاثية مهمة تقوم مقام المسالك الوعرة الحالية، كما ستعرف المنطقة بناء عدة فنادق متوسطة لرفع الطاقة الإيوائية للسياح وتشييد محطة طرقية جديدة في مستوى سمعة الإقليم السياحية.

وزارة الداخلية، *وثائق المديرية العامة للجماعات المحلية* ؛ *الجريدة الرسمية*، العددان 4164 و4165 ؛ وزارة السكنى والتعمير، *تعداد السكان*، 1982.

محمد بلعربي

**تاريفيت ← تريفيت**

**تاشلحيت ← تشلحيت**

**التاكُشتي، إبراهيم** بن محمد الصوابي، فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، مشارك في غيره من العلوم اللغوية والشرعية. تكوّن في فاس آخذاً عن أعلام عصره، كمحمد بناني صاحب الحاشية على شرح الزرقاني لمختصر خليل، والتاودي ابن سودة، وجسوس وغيرهم من فرسان التدريس في القرويين.

استقر إبراهيم بعد رجوعه من فاس في مسقط رأسه تاكُشت متصدراً للفتوى، ترد عليه الاستفتاءات من مختلف أرجاء سوس وأحكام الخصومات فيبين وجوه الفقه فيها، وعلى فتاواه الاعتماد عند القضاة والمتقاضين، وكان يأخذ الأجرة من المستفتين لأنه - كما قال رداً على من انتقده من معاصريه الفقهاء - كان له حق في بيت المال لم يصل إليه. وقد وقف المختار السوسي على آثاره الفقهية وقال : قال في حقه عبد الجشتيمي : "كان - رحمه الله - عالماً بارعاً ديناً خيراً صالحاً مفتياً في عصره، وهو في عصره قطب قطره في الفقه، فعليه تدور الفتاوى والمسائل". ومحررات يراعه في الفتاوى كثيرة تزخر بها جبال أيت صواب وما إليها.

توفي في وباء عام 1214 / 1799 - 1800.

ع. الجشتيمي، *الحضيگيون*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 8 : 74 ؛ *جامعة القرويين في ذكراها*، 116 رقم 135.

**التاكشتي، أحمد** بن علي الرسموكي ثم الصوابي. من أسرة علمية متفرعة من آل المضاء الرسموكيين، انتقل جدهم الحسين بن علي إلى جبال أيت صواب واستقر عقبه في قرية تلال نزضيم من قبيلة تاكشت فنُسبوا إليها. فقيه أديب مشارك أخذ عن علماء قومه السوسيين "فذاعت له شهرة طنانة بعلمه وديانته وثروته".

اشتغل أحمد التاكشتي بالتجارة مع السودان، فكان يذهب إلى تنبكتو حاملا إليها بضائع مغربية وترجع قافلته محملة بمنتجات السودانيين وبخاصة العبيد الذين حرر منهم عدداً وافراً ماتزال رسوم إعتاقهم محفوظة.

حج أحمد التاكشتي ثلاث مرات، وكان أبوه علي قد حج قبله خمس مرات، إلا أنه لم يقتف أثر والده في التدريس بمدرسة قريته مصروفاً عن ذلك بالتجارة. وله مراسلات مع أهله من أسفاره داخل المغرب وخارجه، وأخرى وردت عليه من شخصيات معاصرة مرموقة، ماتزال كل هذه المراسلات عند حفدته. ومنها رسالة من الفقيه أحمد الصوابي نزيل ماسة يهنئه بالحج ويعتذر عن عدم حضوره لتهنئته.

توفي أحمد التاكشتي بمسقط رأسه عام 1149 / 36 - 1737.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 8 : 79.

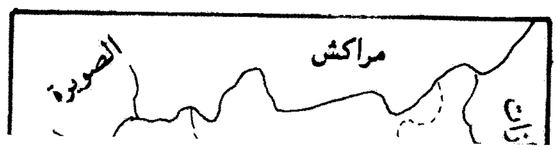


| الإقليم | الدوائر | القيادات | الجماعات الحضرية أو القروية |
|---|---|---|---|
| | | | أولاد برحيل (البلدية) |

**التاكشتي، أحمد** بن محمد الظريفي الصوابي. نسبة إلى ظريفة (انظريف) في تاكشت بجبال أيت صواب. فقيه صالح منقطع للتدريس والإرشاد. أخذ عن مَحمد بن يحيى الشبي، وعاصر محمد الحضيگي الذي دعاه في *طبقاته* "صاحبنا ومحبنا" وقال عنه : "كان فقيهاً مدرساً ديناً خيراً فاضلاً مباركاً ينتفع الناس به، ذا سيرة حسنة وشيم كثيرة". ووصفه تلميذه عبد الله التيگناتيني - بنقل المختار السوسي - بصفات عالية علماً وسلوكاً وإفادة، وقال إنه كان عالماً بالنحو واللغة والتصريف والحساب والفرائض والفقه، يستحضر الجواب بديهةً إذا سئل لشدة تمكنه في الفقه واستيعابه لمسائل مختصر خليل. اعتكف على التدريس بمسقط رأسه نحواً من ست وثلاثين سنة. "اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره : الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، والتحسن في الملبس والمطعم. وكان مع هذا متواضعاً قليل التصنع كريم الأخلاق حسن الأدب سالم الصدر شديداً على أهل البدع لا يخاف في الله لومة لائم".

توفي في مسجد إقرانه وسط الليل بعد أن صلى العشاء قائماً في الركعتين الأُوليين وجالساً في الأخيرتين حذاء المحراب، وقد أربى على مائة سنة، يوم الخميس الأخير من شوال 29 عام 1195 / 18 أكتوبر 1781.

م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة رقم 129 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 62 ؛ *المعسول*، 8 : 76.

محمد حجي

ابن **تاكفت، محمد** بن يحيى المسوفي من أشياخ الموحدين. كان واليا على سبتة وقصر كتامة أيام الخليفة الناصر الموحدي (595 - 610). وإذا عرفنا أن أعمال سبتة كانت زمن الموحدين في غاية الاتساع بحيث يصل طولها إلى ما يقرب من اثنتي عشرة مرحلة وتتحكم في مجال يمتد على كل بلاد غمارة، إضافة إلى الأهمية الاستراتيجية التي كانت تتميز بها المنطقة كمعبر ومنطلق لعمليات الجهاد نحو الأندلس، يمكن فهم المكانة التي كان يحظى بها ابن تاكفت لدى الخليفة الناصر كممثل له على إحدى أهم المناطق الاقتصادية في الأمبراطورية الموحدية والتي توفر لبيت مال الدولة مداخيل في غاية الأهمية، مما يجعل المهمة صعبة والمسؤولية خطيرة في الحفاظ على هيبة المخزن ومراقبة الثغور والسهر على الأمن.

لكن يظهر أن ابن تاكفت لم يكن في مستوى تلك المسؤولية حيث قام بعدة تجاوزات وخروقات أغضبت سيده وغيّرته عليه. فقد ذكر ابن عذاري أثناء حديثه عن استعدادات الموحدين قبيل خوضهم معركة العقاب وتحريض واستنفار المسلمين بالأندلس للجهاد، أن الخليفة كان يقوم بعمليات تطهير من الفساد الذي تفشى حينذاك في بعض أجهزة الدولة بالمناطق الشمالية، ومما زاد الطين بلة ما لقيه الناس هناك من تنوع المسغبة وانتشار المجاعة التي ضربت البلاد فانعدمت الأقوات وارتفعت الأسعار، الأمر الذي "لم يعهده الناس ولا علموه في أسفارهم القاصيات ولا عارضهم مثلها..." (*البيان*، قسم الموحدين، 259). ومن أجل السيطرة على الموقف وبث الطمأنينة والأمان في النفوس، والوقت وقت جهاد، بادر الخليفة إلى تطبيق إجراءات حاسمة باسطا سطوته على عماله بالمناطق التي كانت تعبرها محلته معتبرا إياهم مسؤولين على تدهور الأوضاع. فأمر الوزير أبا محمد ابن أبي علي بن مثنى صاحب الأعمال المخزنية والمفوض إليه الأشغال العملية بالقبض على عامل فاس وهو عبد الحق بن أبي داود أكبر عماله ومعه حاشيته. ولما وصل الناصر إلى قصر كتامة كان ابن تاكفت "قد طابقت أحواله أحوال أمثاله" (*البيان*، قسم الموحدين، 260) فاعتقله هو الآخر وأصحابه وأرسلهم مصفدين إلى وزيره ابن مثنى بفاس آمراً إياه بإعدام كل من عامل فاس الآنف الذكر وابن تاكفت. وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ مقتلهما، فقيل في أواخر سنة 608 هـ أواخر ذي الحجة، وقيل كذلك في أوائل محرم من سنة 609، تم إخراج المذكورين إلى الساحة يوم جمعة بعد الصلاة بحضور الآلاف من الناس "فضربت أعناقهما صبراً، عبرة للمعتبرين وذكرى للغافلين" (*البيان*، قسم الموحدين، 263).

وبعد فتح الموحدين لقلعة شلبطرة بالأندلس، شاع خبر مقتل عاملي فاس وسبتة وسط الجيش وخاصة بين أشياخ الموحدين. وقد اعتبر ابن عذاري هذا النبأ سبباً رئيسياً فيما أصاب الموحدين بعد ذلك من تصدع صفوفهم وتدني معنوياتهم وبالتالي نكوصهم بموقعة العقاب إذ "لم يجدُّوا في تلك الغزوة ولا نصحوا فيها لأجل نكبة أميرهم الناصر لأشياخهم وقتله واستئصاله لهم على يد المفوض ذلك إليه ابن مثنى" حتى إن خبر موتهما أصبح حديث العامة حيث كان بعضهم يقول بعد الهزيمة "مدها قل لابن المثنى يردها"، يعنون بذلك صاحب الأشغال الذي نكب أشياخ الموحدين (*البيان*، قسم الموحدين، 263). بينما يرى عبد الواحد المراكشي سببا آخر لتخاذل الموحدين وانكسار شوكتهم، وهو تأخير رواتب الجند وأعطياتهم، ونسبوا الأمر إلى الوزراء، فرفض كثير منهم سل سيوفهم ومحاربة النصارى مما جعل الهزيمة على الموحدين أسرع وأقسى (*المعجب*، 457)، وإيذانا ببداية مرحلة جديدة من المشاكل التي سيعاني منها المخزن الموحدي كثيرا سواء في المغرب أو الأندلس والتي ستكون أيضا من أهم أسباب زوال دولتهم.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، تح. مجموعة من الأساتذة، بيروت، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، الطبعة السابعة، الدار البيضاء، د. ت. ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، الجزء السادس، بيروت، 1968 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 2، الدار البيضاء، 1954 ؛ م. بن تاويت، *تاريخ سبتة*، الدار البيضاء، 1982.

ابن **تاكفت، يحيى** المسوفي، من زعماء قبيلة مسوفة الصنهاجية، وأحد أبرز أشياخ المرابطين أيام الأمير علي بن

يوسف. وبعد وفاة هذا الأخير سنة 537 هـ برز خلاف ونزاع شديدان بين قبيلتي مسوفة ولمتونة حول الزعامة والرياسة. وقد تزامن هذا مع تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في كل من المغرب والأندلس فانتشرت الفتن وعمت الفوضى، وتفشى الغلاء وامتنع الرعايا عن أداء المغارم وتكالب النصارى على الثغور الإسلامية في الأندلس (*العبر*، 6 : 474). ووعيا من زعماء مسوفة بعدم قدرتهم على مجابهة قوة لمتونة التي تستحوذ على مقاليد السلطة، ونظراً لتغيير موازين القوة التي أصبحت تميل لصالح الموحدين وهم في طور النشوء، فضلوا الانحياز إلى الموحدين ومناصرة دعوتهم للاستفادة من الوضع الجديد وانتقاماً من سطوة لمتونة. وكان من أبرز هؤلاء الزعماء يحيى بن تاكغت وبراز بن محمد ويحيى بن إسحاق المعروف بأنجمار (أنكمار) الذي كان والي المرابطين على تلمسان وغيرهم من إخوانهم ورجال قبيلتهم. وقد ساهمت هذه الانسحابات في ارتفاع معنويات الجيش الموحدي ومكنت عبد المومن بن علي الكومي من استغلال الفرصة التي لا تعوض لضرب قوة صنهاجة في الصميم، فقد استفحل الخلل وزادت متاعب جيش المرابطين، ولم يعد أميرهم تاشفين بن علي يتحكم في زمام الأمور فأدى ذلك إلى تصاعد وتيرة الصراع بين لمتونة ومسوفة وقتل بعضهم بعضا. ومن مظاهر ذلك المواجهة التي وقعت بين يحيى بن تاكغت وقائد لمتونة محمد بن زجو (زكّو) بظاهر تلمسان، فأسفرت المعركة عن مقتل زعيم مسوفة وابنه وقطع رأسيهما ووجه بهما إلى الأمير تاشفين الذي أمر بحملهما إلى سجلماسة حيث كانت أخت يحيى المذكور. وذكر ابن عذاري أن هذه الأخيرة حزنت كثيراً لمقتل أخيها وتوعدت بالانتقام له إذ قالت "إن كان لنا رجال فسيأخذون بثأرنا" (*البيان*، قسم الموحدين، 17). وقد بلغ هذا الكلام عبد المومن فانتصر لها ووعدها برأس تاشفين فكان له ذلك عندما قتله عام 539 هـ. وبهذا يمكن القول إن تاريخ مقتل يحيى بن تاكغت يقع بين سنة 537 هـ، تاريخ وفاة علي بن تاشفين ونشوب الخلاف على إثره بين لمتونة ومسوفة، وسنة 538 هـ التي شهدت المواجهات العنيفة بين عبد المومن وتاشفين بأحواز تلمسان حيث قتل يحيى.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، تح. مجموعة من الأساتذة، بيروت، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، الجزء السادس، بيروت، 1968 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الجزء الثاني، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

**تاكًا** أو تاقًا = تيــكّي = تيقّي. يعيش بالمغرب نوعان من العرعر ذي الأوراق الابرية وهما : العرعر الكادي (Genévrier oxycède) أو علميا يونيبيروس أوكسيسيدروس Juniperus oxycedrus والعرعر العادي (Genévrier commun) أو علميا يونيبيروس كومونيس Juniperus communis. والنوعان ينتميان إلى فصيلة السرويات.

تاكًا أو العرعر العادي نوع شجري من الممكن أن يبلغ علوه عشرة أمتار أو يزيد. قطر جذعه يمكن أن يتجاوز المتر الواحد، لكن غالباً ما يصادف على شكل شجرة قصيرة القامة أو شجيرة.

إنه جد متفرع، يبلغ طول أوراقه الإبرية من واحد إلى ثلاثة سم. ويظهر على وجهها العلوي خطان أبيضان وعلى وجهها السفلي كُظْرٌ منفرج غير محدود. تظهر الأزهار في الربيع، الذكرية على شكل قدّة طولها خمسة سم، والأنثوية مكسوة بعدة دُوارات من الحَراشيف. الثمار لبية وكروية الشكل ذات لون أسمر يميل إلى الاحمرار، يتم نضجها في غضون السنة الثانية.

يعيش العرعر الكادي في كل الجبال المغربية من البحر المتوسط في الشمال إلى الأطلس الصغير في الجنوب، لكنه نادر في السهول. إنه يصادَف حتى ارتفاع 3.200 م فوق سطح البحر، أي من الطابق المتوسطي الدافئ حتى الطابق فوق الجبلي المتوسطي. أما من حيث البيومناخ فهو يوجد في المناطق شبه الجافةوشبه الرطبة، والرطبة وشديدة الرطوبة ذات الأشكال المعتدلة والباردة والقارسة والقارسة جدا.

لا ينظم العرعر الكادي غابات مثل العرعر الفينيقي (انظر *أيفس*) أو العرعر الفواح (انظر *أوال*) بل يصادف ممثَّلا بأفراد منتشرة في غابات البلوط الأخضر أو الأرز أو العرعر الفواح.

أما فيما يخص نطاقه الجغرافي فهو متوسطي إذ أنه يمتد من جزيرة مادير إلى بلاد الفرس.

يعطي العرعر الكادي القطران النباتي الذي يستعمل في التطبيب الشعبي لمعالجة بعض الأمراض الجلدية وأمراض أخرى ولمعالجة الحيوانات.

وتستخرج هذه المادة بتقطير الخشب أو الجذور للأشجار المعمرة من العرعر الكادي. كما يستعمل الخشب من طرف الأهالي كجسور لدعم الجدران وكركائز لدعم السقوف.

تاكًا أو العرعر العادي، إن هذا النوع نادر جدا بالمغرب غير أنه يكثر في جبال المناطق المعتدلة من آسيا وأوربا وأمريكا. ففي المغرب، كما هو الشأن بالجزائر، لا يصادف إلا على بعض قمم الأطلس المتوسط (تيشوكت : للا أم البنت على علو يفوق 2.700 م، وبوناصر على علو 3.300 م) والأطلس الكبير (جبل إغيل فوق عيون وادي العبيد). أما من حيث التوزيع البيوجغرافي فهو يقطن في البيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب ذوي الشكل القارس جدا، أي في الطابق النباتي فوق الجبلي المتوسطي.

العرعر العادي، شجيرة قزمية ذات أوراق إبرية دائمة الاخضرار لا يتعدى طولها 2 سم. والصفات النباتية الأخرى التي تميز هذا النوع عن النوع السابق هو وجود خط واحد أبيض على الوجه العلوي للورقة، واللون الأزرق الداكن للثمرة.

تستخدم ثمار العرعر العادي في البلدان التي يكثر بها في تطييب الطيور وتطييب اللحوم المختلفة وبصفة خاصة في الجبن، ويستخرج زيت طيار من الثمار المسحوقة يستخدم لإعطاء نكهة للجبن ولدرجة محدودة في الطب.

*أبحاث ميدانية* ؛ أ. هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. د. ع. زاهر وآخرين، المكتبة الانجلومصرية، القاهرة.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; P. Quezel et S. Santa, *Nouvelle flore de l'Algérie*, Paris, 1963.

عبد المالك بنعبيد

**تاكّـات**، تعني الكانون، وهي حفرة صغيرة مستديرة على أرضية المكان الذي يقوم مقام المطبخ توضع حولها ثلاثة أحجار على شكل مثلث، وهي الأثافي التي تحمل أواني الطبخ عندما توضع على النار، ومن ثم تطلق تاكات على الأسرة لاشتراكها في طبخ الطعام.

ويرى جاك بيرك J. Berque أن تاكّـات فـي عرف سكساوة تطلق على الأسرة التي لا يتجاوز عدد أفرادها خمسة (1952). وإذا كانت الشراكة في المطبخ تشكل تعريفاً لمدلول تاكات، فإن الشراكة في السكن تشكل من جهتها تعريفاً لمدلول تيگمِّي (أي المنزل - الدار). وبالفعل فإن عدة تاكاتين (جمع تاكات) تربط بينها أواصر القربى، تتساكن وتقتسم غرف منزل واحد. وتتسع دلالة تاكات عند بعض القبائل المجاورة لسكساوة حيث تقتضي شراكة التساكن وشراكة الاستفادة من نفس المطبخ، أن تفسح المجال لهذا الغرض في وجه العائلات. وهكذا فإن النساء يقمن فيه بالتناوب بكل ما يهم أشغال المطبخ.

بالإضافة إلى ذلك، ترى العائلات وهي تشترك في استغلال الأراضي وامتلاك قطائع الأنعام. وفي هذه الحال، فإن تاكاتين (الكوانين) تشكل وحدة تقوم للاستهلاك والسكن واستثمار الأرض والامتلاك.

وجود هذه الوحدات وارد أيضا عند سكساوة، لكن هنا لا يعبّر عنها بلفظة تاكات. ويلاحظ أن عدداً من تاكاتين توجد كذلك بصورة شائعة بين العائلات التي تشترك هي الأخرى في الانتفاع بريع التراث الذي خلفه الأجداد. لكن تدبير هذه الموروثات وتوزيع المحصولات غالبا ما يكونان منوطين برجل واحد، هو الأب أو الأخ الأكبر. وفي هذه الظروف أيضا فإن نمط العيش يبقى مثل ما ذكر إلا أن تاكاتين المعنية بالأمر، تستهلك كل واحدة منها على حدة، محصول جهود وأعمال أفرادها.

ويؤكد هارت D. Hart من جهته أن قبائل أيت عطا الصحراوية تسمي الأسرة تاكات ولا يمكن أن يكون رئيس عليها إلا الرجل المتأهل الذي يستطيع أن يضحي في ع الأضحى، ويضيف هارت أنه في حالات نادرة، تشمل لا تاكات عائلة أوسع، تضم والدي الزوج وبناته المتزوجات. وعندها يتقلص مدلول تاكات إلى كانون واحد في المطبخ. ويبقى أن المعطي الأهم في الموضوع، أن الأب، إذا كان على قيد الحياة وغير مصاب بعجز، هو الذي يتحمل مسؤولية التدبير الاقتصادي والإشراف المعنوي على تاكاته. وفي هذا النسق، ينطبق معنى تاكات على أسرة زوجية واحدة كما ينطبق على عدة أسر من هذا الصنف تكون تحت سيادة شخص واحد.

ويبدو إلى حدّ الآن أن تاكات تختلف في تطبيقها عما يسمى بالعائلة الخلوية - (رجل + امرأة + أبناؤهما) والعائلة ذات الحجم الكبير. من ذلك، فإن تاكات لا يناسب تطبيقها على وحدة ثنائية يشكلها زوج وزوجته يسكنان في جناح خاص في منزل والد الزوج الذي يشتغل مع أبيه، فيسلم هذا الأخير إلى ابنه نصيبه من مردود العمل. في هذه الظروف، لا يتوفر الابن على السلطة وهي العامل الأساس في تحديد مفهوم الأسرة - لذلك، قد يفهم من العائلة، تاكاتين خاضعة لسيادة شخص واحد يتمتع بصلاحية تدبير شؤون الممتلكات الجماعية الموروثة وتوزيع المحصول الفلاحي على ذوي الحقوق. إذن، رغم ما قد يلحق بوحدة المطبخ من تفكك - يرجع، حسب بيرك، إلى تنطع النساء - ورغم الجنوح إلى الانفرادية - وليس إلى الاستقلال - في السكن، فلا شيء من هذا يعرض إطار الأسرة إلى العبث والتلف، لأن الأسرة تتشكل في عدد من الحالات من عدة تاكاتين لا انفصام لها، تحت قيادة رجل واحد (1952).

وليست تاكات حدثا اجتماعيا بشريا فقط، ولكنها قد تكون أيضا وحدة سياسية قانونية. من ذلك، يلاحظ أن بعض المجموعات بمناطق الأطلس الكبير وبعض الجماعات البشرية التي تشكل عائلة من الناحية الاجتماعية، لا تعتبر تاكات. وينطبق هذا الاستثناء على عائلة غريب مثلا، حتى ولو أنه كان يقيم باستمرار في حدود تراب المنطقة، وله منزل، فلا يعد عضواً في الجماعة - وهي الهيئة التي تقرر في قضايا تدبير الممتلكات الجماعية -. وكذلك الشأن فيما يتعلق بالابن الذي له منزله الخاص وميزانيته الخاصة، فلا يمكنه أن يؤسس تاكات إلا بعد وفاة والده. وعند عملية إحصاء تاكاتين لغاية استخلاص ما عليها من واجبات مادية لفائدة الجماعة، فإن عائلات العزباء، وعائلات الأرامل والأبناء المتزوجين، تستثنى من الإحصاء. وقد يحدث أن تنشطر تاكات وتنفجر إلى عدة بيوت، لكن بيت الأب وحده يُعتبر تاكات.

وباعتبارها وحدة ابتدائية أساسية للجماعة، يمكن لتاكات أن تقابل الخلية العائلية، ولا تقتضي وجود عنصرين متزوجين - كما يفرضه مدلول الأسرة لإنشاء تاكات. وقد يوجد ابن عازب، وله مشروع الزواج، يعيش مع أمه الأرملة، وهو رئيس لتاكات.

إن تحديد المجموعات البشرية العائلية لا يخلو من صعاب لأن عدداً من تاكاتين تجمع بينها روابط الدم، تشكل وحدة مجتمعية تسمى إخْسْ أو إغْسْ (أي العظْم) حسب ما كتبه بيرك ومونطاني وهارت، والأسرة على حسب تعبير التوفيق الذي يرى أن "إخس" تجمع بين عدة تاكاتين. وفي هذه الحال، فإن الصلة بين "إخْسْ" وبين الأسرة تبقى

مسألة اتفاق، كما أنه قد يحدث أن تقابل مجموعة من تاكاتين المسماة "إخس" محليا، عائلة تضم عدداً كبيراً من الأفراد، غير أن هذه الحالة نادرة، اعتباراً للبعد الديمغرافي الهام إخس.

وبالجملة فإن تاكات قد تعني العائلة أو الخلية العائلية كما يمكنها أن تنطبق على وحدات بشرية قائمة بذاتها ولكنها ملتفة حول سلطة رب عائلة. وعلى عكس ذلك، ولأسباب مرتبطة بالتنظيم المجتمعي، فإن بعض الخلايا العائلية وبعض العائلات، لا تسمى تاكات. وينبغي التذكير بأن مفاهيم الأسرة والعائلة التي تترجم معنى تاكات، يمكنها أن تنطبق في بعض الظروف، على جماعات بشرية أكثر عدداً وأوسع رقعة من إخس.

أ. التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن 19 : اينولتان، 1850. 1950*، الرباط، 1978.

A. Adam, *La maison et le village dans quelques tribus de l'Anti-Atlas*, Paris, 1951 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut-Atlas*, Paris, 1978 ; D. Hart, *Dadda 'Atta and his Forty Grandsons. The Socio-Political Organization of the Ait 'Atta of Southern Morocco*, Middle East & North African Studies Press, 1981 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris, 1920 ; H. Rachik, *Le sultan des autres, Rituels et politique dans le Haut Atlas*, Casablanca, 1992.

حسن رشيق ـ ترجمة : أحمد بنجلون

**تاكّاوت** أو تاكّوت، باختلاف نطق الجهات الدرعية والأطلسية. شجرة الفوربيون التي تستعمل في الدباغة، وهي نوع من الأثل ذكرها أصحاب كتب النبات والجغرافيون وكان لها أهمية لاستعمالها في دبغ الجلود. وقد تستعملها النساء في معالجة الشعر. ذكرها ابن البيطار وصاحب *الروض المعطار*. كما ذكرها البكري بدرعة وقال : "يدبغ بها الجلد الغدامسي". وقد استمرت تثير انتباه الرحالين إلى قرننا هذا، وكانت تستعمل على نطاق واسع من لدن الدباغين والصباغين في جميع العصور.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ الادريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*.

Dozy, *Supplément*.

محمد حجاج الطويل

**تاگّرت** أو تَگّرت، أسرة تطوانية كل ما نعرفه عنها أنها كانت موجودة بالمدينة سنة 1257 / 1841 حيث نجدها تملك دارا بحومة الترنكات.

م. داود، *تاريخ تطوان* 8، 313 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2، 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum* (año 1931), 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

**تاگلفت**، موقع تاريخي في إقليم أزيلال بالأطلس الكبير الأوسط، أحدثت فيه سنة 1976 جماعة قروية تحمل اسمه وتناهز مساحتها 250 كلم2 يحدها من الشمال جماعتا أربعاء أو قبلي وفم العنصر ومن الشرق جماعة تيزي نيسلي و من الغرب فم أودي ومن الجنوب جماعتا تيلوگيت وأنرگي (انظر الخريطة).

ويرجع أصل هذه الجماعة إلى أحد أفخاذ أيت سخمان نسبة إلى جدهم المسمى "علي سخمان" الذي أنجب خمسة أولاد، تفرعوا إلى القبائل التالية :

- عبدي أُعلي كوّن جماعة تيزي نيسلي.
- حمامة أُعلي كوّن جماعة أغبالة.
- داود أُعلي كوّن جماعة تاگلفت.
- سعيد أُعلي كوّن جماعة فم العنصر.
- حقي أُعلي مجهول الاتجاه.

وقد أنجب داود أُعلي خمسة أولاد يرجع إليهم أصل السكان المستقرين بمنطقة تاگلفت، وهم :

- أنداح الذي شكل مشيخة أيت تمجوط.
- إسماعيل شكل مشيخة أيت إسماعيل.
- بولمان كون مشيخة أيت بولمان.
- خويا شكل كذلك مشيخة أيت خويا.
- حمزة استقر مع أخيه بأيت بولمان وكان فقيها. وعلى إثر بعض النزاعات التي وقعت بينه وبين أخيه هاجر إلى منطقة تيفرت بالأطلس الكبير، حيث استقر بها وشكل مشيخة أيت حمزة.

هكذا قسمت منطقة تاگلفت إلى أربع مشيخات متحدة تحت اسم أيت داود أُعلي وهي كالتالي :

- أيت خويا يشكّلون مركز الجماعة ويمثلون حوالي 33٪ من مجموع السكان.
- أيت إسماعيل تقع شرق الجماعة وتشكل حوالي 25٪ من مجموع السكان.
- أيت تمجّوط وأيت بولمان : يتركزون غرب وجنوب الجماعة ويمثلون حوالي 42٪ من مجموع السكان.

بالإضافة إلى هذه المجموعات استقبل فرع أيت خويا عنصراً بشرياً آخر في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وهو من شرفاء زاويتي أسكار وأيت سيدي عزيز أي ما يعرف محلياً "إگرامن" وهم من الأدارسة الذين قدموا إلى المنطقة من زاوية أحنصال.

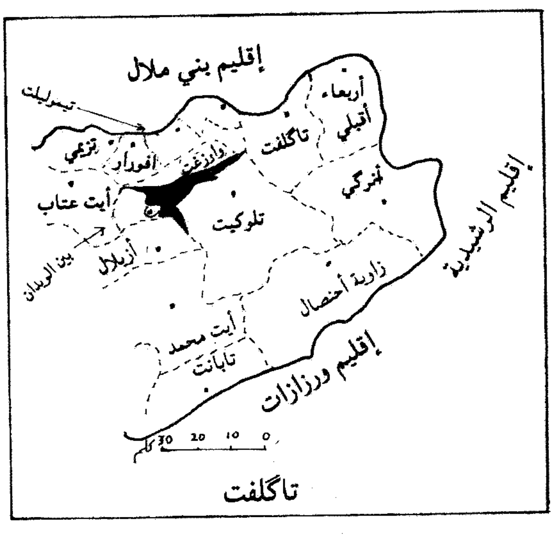


تشكل منطقة تاگلفت من الجانب الطبغرافي مجالاً

منخفضاً ذا امتداد مهم، تتراوح ارتفاعات سطحه ما بين 500 و600 م تقريباً. أهم ما يميزه هو طابع التقطع الشديد بفعل شبكة كثيفة من المسيلات المائية الموسمية وبعض الروافد المغذية لوادي العبيد.

أما الطبيعة الجيولوجية لهذا المنخفض فتغطيه صخور ضعيفة المقاومة كالصلصال والطين والبليت الأحمر للجوراسي الأوسط القاري.

تحيط بهذا المنخفض مجموعة من الاعراف تتعدى قممها 2000 م، منحوتة في صخور كلسية دولوميتية لياسية، أغلبها يتخذ اتجاها أطلسيا وتنتهي بسفوح وعرة وذات أشكال مركبة، غالباً ما تطورت بها شعاب وخوانق كما هو الحال بالنسبة لخوانق واد العبيد التي يطبعها بشدة تعمقه. أما باقي مجال المنخفض فيخترقه هذا الواد برسمه لمجموعة من المنعطفات الحبيسة.

تمتاز المنطقة بانخفاض درجة الحرارة بمعدل 10 درجات وارتفاعها خلال شهري يوليوز وغشت لتصل إلى 42 درجة، غير أن كمية التساقطات نسبياً مهمة حوالي 465 ملم وسط المنخفض وتعرف تذبذبات تختلف من سنة إلى أخرى حيث إنه في بعض السنوات تسجل فقط حوالي 150 ملم. أما القمم العليا التي يزيد ارتفاعها على 2000 م فتتلقى كميات لابأس بها من التساقطات الثلجية ابتداء من شهر نونبر إلى غاية شهر ماي.

يرتبط وجود هذه الصفات المناخية بعوامل محلية كالموقع العرضي والقارية والوضعية الطبغرافية التي تميز المنطقة.

ويقدر عدد سكان جماعة تاكلفت حسب إحصاء 1982 بحوالي 8012 نسمة، بكثافة سكانية تقترب من 32.04 نسمة في الكم. هذه الساكنة تغلب عليها فئة ذات بنية شابة، تتراوح أعمارها ما بين 15 و30 سنة.

يعيش هؤلاء السكان على أسلوب ريفي ويمارسون النشاط الزراعي والرعي، ويعتبر سوق الأحد بمركز الجماعة الجهاز التجاري الأساسي بالسبة للسكان، بالإضافة إلى سوق السبت بأسكار وسوق الخميس بأيت تمجوط.

وتقدر مساحة الأراضي المستغلة بالجماعة بحوالي 17.626 هكتار موزعة كالتالي :

20 هكتار مسقية انطلاقاً من مجرى وادي العبيد وبعض العيون و12.000 هكتار بورية و5.606 هكتار أراضي رعوية.

أهم المنتجات الزراعية الشعير في المرتبة الأولى، يليه القمح، ثم هناك زراعة ثانوية تسمى محلياً "أرتكو" وتعرف بالسلت. أما المغروسات الشجرية فتنحصر في أشجار الزيتون والتفاح والتين. وتبقى مردودية هذه المنتجات ضعيفة ومنذ بذبة من سنة إلى أخرى.

يعاني هؤلاء السكان من قلة التجهيزات الأساسية ومن خطورة التعرية المتمثلة في ظاهرة انجراف التربة بسبب تراجع الغطاء النباتي الذي يحمي السطح، إضافة إلى انعدام التجهيزات الفلاحية. فبالرغم من إحداث مركز فلاحي بهذه الجماعة سنة 1980 فإنه لم يقم بالدور المنوط به تجاه هؤلاء السكان، لذا فضل معظمهم الهجرة إلى قطاع تادلا المسقي للعمل داخل الضيعات الكبرى أو إلى المراكز الحضرية المجاورة لمزاولة التجارة. وهناك من فضل الاستقرار بالجماعة وتفرغ لميدان الكسب الذي يعد حالياً المورد الرئيسي في التجارة داخل الأسواق الأسبوعية، ويأتي على رأسهم كسابو أيت تمجوط الذين يصدرون مواشيهم خارج نفود الجماعة إلى مدن تادلا كبني ملال والفقيه ابن صالح، كما يتعاملون مع مدن أخرى كمراكش وسلا وتاونات وأكادير.

ويبقى النشاط السائد المفضل لدى معظم سكان تاكلفت هو النشاط الرعوي، الذي يعتبر أهم مورد حقيقي لعيش معظم السكان فمثلاً الأغنام تأتي في الدرجة الأولى وتمثل حوالي 40.000 رأس يليها الماعز 23.500 رأس وفي المرتبة الثالثة الأبقار 460 رأس.

ويتم هذا النشاط الرعوي على حساب المجال الغابوي بسبب العدد المرتفع للمواشي إذا قورن بالمساحة المخصصة للرعي 5.606 هكتار. هذا في الوقت الذي تعتبر فيه الغابة من أهم الموارد الطبيعية والتي يمكن استغلالها لتنمية الجماعة من الناحية الاقتصادية، فهي تغطي ما يناهز 36.169 هكتار، يشرف على محافظتها أعوان غابويون، كما يوجد بمقر الجماعة إدارة للمياه والغابات، لكن عكس ذلك نجد أن 80٪ من مجموع سكان الجماعة يعيشون كلياً أو جزئياً من هذا المجال الغابوي المتنوع الأصناف (البلوط الأخضر - العرعار - التوية ...) وتتجلى ممارستهم في مظاهرة الاجتثات لربح المجال الفلاحي والخشب للتدفئة أو لاستعماله في البناء وكأدوات منزلية وفي جني الحطب. وأخطر ظاهرة تتم داخل الغابة هي عملية الرعي الجائر خصوصاً وأن صنف البلوط الأخضر يوفر غذاءً مفضلاً لدى معظم الماشية وخصوصاً صنف الماعز. إضافة إلى أن هناك عدداً مهماً من السكان يتاجرون في الخشب وفي صنع الفحم.

تشتهر هذه الجماعة بصناعة الفخار وإنتاج الزرابي كما تتوفر على مواقع استراتيجية مهمة تدعو إلى خلق مرافق حيوية سياحية للتعريف بهذه المنطقة لاسيما المكان المعروف بـ"والوس" الذي يبعد عن مقر الجماعة بخمسة كيلومترات والذي ينفرد بمناظر خلابة ومآثر تاريخية ترجع إلى العهد البرتغالي. ثم هناك زاوية "أسكار" المعروفة بقصورها القديمة ومياهها وطبيعتها الخلابة على طول الطريق المؤدية لمرعى "تنگارف" المنفردة بموقعها وطبيعتها الساحرة التي تستمر إلى قيادة أنرگي.

*تحريات ميدانية.*

عبد الرحيم بنعلي

**تاگما** (أهل -)، فرقة من قبيلة بني وريمش من بني إزناسن، وقد تسموا باسم الموقع الذي استوطنوه على

السفوح الشمالية الغربية لجبل بني إزناسن غير بعيد عن قرية تافوغالت في اتجاه مدينة أبركان (إقليم وجدة)، وينقسم أهل تاگمَا إلى أربع فصائل، وهم: أولاد يعقوب، وأولاد عبد الصادق، وأولاد بالخير، وأولاد بن مشعل.

ومن الملاحظ ان اسم الفرقة الرابعة يذكر بقصة اليهودي ابن مشعل مع المولى الرشيد، ولعل هذه التسمية تزكي الرواية التي حددت موطن ابن مشعل بجبل بني إزناسن.

ق. الوطاسي، *بنو يزناسن*، ص 22، 68، 92 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي*، ص 58، 59.

عكاشة برحاب

**تاگما**، عين ماء جارية بجنوب مدينة مكناس على بعد سبعة كيلو مترات منها، وقد اكتشف الموحدون أهمية مائها في عهد عبد المومن بن علي وعملوا على إدخاله للمدينة، وأصبح منذئذ الماء الشروب للأهالي، عوض مياه الآبار ووادي بوفكران، وبعد ذلك تم إدخاله إلى المرافق الدينية كالمساجد كما يذكر ابن غازي في *الروض الهتون* (ص 28): "وزيد بعد الستمائة في جامعها الأكبر زيادة ظاهرة، وجلب إليها الماء على ستة أميال من عين طيبة الماء عجيبة القدر بموضع يقال له تاجما ... وهذا كله في أيام الموحدين ..."

كما أدخل المرينيون مياه عين تاگما للمدارس التي بنوها بمكناس، وانتشرت في عهدهم سقايات السبيل، وزوِّدت الحمامات بنفس الماء أيضا.

واهتم السلطان المولى إسماعيل في نهاية القرن الحادي عشر (17 م) بمياه عين تاگما الذي حبس جزءا منه على المسجد الأعظم، وأمر المكلف بالبناءات السلطانية محمد الكاتب الأندلسي بالوقوف على مد قنوات مياه تاگما، وسماها عين البيضاء، من منبعها إلى المسجد المذكور (*الإتحاف*، 1 : 153) وحبس المولى إسماعيل على مياه عين تاگما أوقافا داخل المدينة شملت الدور والحوانيت والحمامات، وخارجها مجموعة من الأراضي، وجعل إيرادها مخصصا للإنفاق على صيانة ماء عين تاگما وحراسته وإصلاح ما فسد من مجراها، وأداء واجب حراستها، لأن ماء هذه العين كانت تجري في قناة خصوصية، تمتد من منبعها إلى الجامع الكبير.

بقيت مياه تاگما محط عناية الملوك العلويين خاصة بعدما صارت تزوِّدُ الدار العالية بمكناس بما تحتاجه من الماء العذب الصالح للشرب، إلى أن لحقها الاهمال في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) وبداية الذي يليه، وخرب مجرى ساقيتها، واختلط ماؤها بماء وادي بوفكران. فلما بسطت فرنسا حمايتها على المغرب اهتم الحاكمون بهذه المياه من جديد، وحولوا مجراها سنة 1913 إلى هضبة حمرية التي كان يرابط فيها جنود دولة الحماية وبنيت فوقها المدينة الجديدة التي سكنتها العناصر الأوربية المتوافدة على مكناس، مكونة بذلك النواة الأساسية للمجتمع العصري الأوربي، فجاء الاهتمام بمياه عين تاگما التي صارت الممول الرئيسي للأجانب من المياه العذبة، "ثم لما طال استيطان الفرنسيين بمكناس، أنتج البحث المدقق من عرفائهم أن أحسن ماء يوجد بالبلد خفة وصفاء وعذوبة هو ماء عين تاگما... وأدخلت الدولة الحامية ماء عين تاگما للمدينة الجديدة... ثم يعد هذا أدخل ماء عين تاگما للمدينة الأهلية المكناسية واتخذت له سقايات عمومية بأزقتها وأبيح إدخاله للدور" (*إتحاف*، 1 : 52).

أجرى التقنيون الفرنسيون عدة دراسات على مياه تاگما أسفرت عن نتائج جيدة، وهكذا توصلوا سنة 1932 إلى التعرف على الصبيب الحقيقي لتاگما الذي بلغ 35 ل / ث أي 3000 م، وهي كافية لتزويد سكان المدينتين القديمة والجديدة بالماء الشروب، والاستغناء عن مياه الآبار ووادي بوفكران.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1988 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الجزء الأول ؛ ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران بمكناس، 1، 2 شتنبر 1937*، الرباط 1990.

بوشتى بوعسرية

## تاكما ← تاضا

**تاگمادَارْت**، تطلق على المدخل الشمالي لواحة فزواطة بدرعة، وتمتد هذه المنطقة على طول بضع كيلو مترات من فم زاگورة (إيمي نتزاگورت) شمالا إلى حدود قُطة قصر تيمَتِّيگْ جنوبا. وتشتمل على مجموعة من القصور تقع كلها في الضفة الشرقية لنهر درعة، ومن هذه القصور: أمزْرُو وإدْكـزَاطْ، وأغْلا ودْرَارْ وأگْرُور وسَارَتْ ثم أسْرير. وقد استحدِثت بالمنطقة في العصور المتأخرة قصور أخرى أقل أهمية مثل قصبة أيت هَگُّو وزارية أمزرو وزاوية أيت خَدُّو وقصر بني عثمان، وتشترك هذه القصور في الأراضي الزراعية وسواقي الري التي كانت تتطلب جهدا جماعيا لحمايتها وصيانتها كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وعلى غرار غير مناطق وادي درعة، استعارت تاگمادارت اسمها من أحد القصور المهمة كما هو الحال بالنسبة لجهات أخرى بواحة فزواطة مثل تامگروت وبني علي وتيمَتيگ التي أخذت أسماءها من أهم قصورها.

ونستفيد من كتاب *إفريقيا* لمارمول الذي زار بلاد درعة في السبعينات من القرن السادس عشر الميلادي أن تاگمَادَارْت عبارة عن قصر عامر، يقدر عدد سكانه بحوالي ألف وخمسمائة نسمة، وأنه كان يزخر بالأدباء والعلماء (*إفريقيا*، 3 : 149)، إلا أنه لا يوجد اليوم أي قصر بمنطقة تاگمادارت بهذا الاسم. ويظهر من إشارة طوماس پيلو T. Pellow الذي زار درعة ضمن الجيش الاسماعيلي سنة 1135 / 1723، لوضع حد لعصيان قبائل محاميد الغزلان، أن قصر تاگمادَارْت كان لا يزال قائما خلال العقود الأربعة الأولى من القرن الثاني عشر (18 م) (*La Relation*, 118).

ولا نستبعد أن يكون قصر تاگمادَارْت قد تخرب وفقد أهميته مع بداية النصف الثاني من القرن الثاني عشر

(18م)، فقد ذكر محمد المكي الناصري أن الغلاء اشتد بدرعة سنة 1152 / 1739 م "فأتلف من أهله كثيرا وعفّى من محاسنه قصورا ودورا" (*طليعة*، 18). وقد كان هذا الغلاء الفاحش بدرعة وما صحبه من اضطرابات اجتماعية واقتصادية نتيجة مباشرة للأحداث التي عرفتها واحة محاميد الغزلان ( *التاريخ الاجتماعي لدرعة*، 190 . 192).

كان موقع قصر تاگماذارت، مثار نقاش بين عدد من الباحثين في تاريخ وادي درعة، فاعتقد گاتفوسي Gattefossé أن هذا القصر كان قائما بالسفح الشمالي بجبل زاگورة على يمين الطريق الرابط بين تازرين وزاگورة، حيث لا تزال هناك بعض الأطلال القديمة إلى اليوم (*Juifs et Chrétiens du Dra*, 57) إلا أن الحفريات التي أجريت بعين المكان في أواسط الخمسينات من القرن الحالي، أثبتت أن هذه الأطلال من بقايا حصن تازاگورت المرابطي (*La Forteresse de Zagora*, 309) الذي استولى عليه الموحدون في بداية أمرهم (*نظم الجمان*، 195). ورجح سپلمان Spillmann أن يكون قصر أمزرو الحالي هو نفسه قصر تاگمادارت القديم (*Districts et tribus*, 151) خاصة أن سپلمان قد أدرك، في الثلاثينات من هذا القرن، بعض بقايا لبناء قديم خارج أسوار قصر أمزرو، وقد اختفت هذه البقايا على إثر التوسع العمراني الذي عرفه قصر أمزرو، بعد تعبيد الطريق الجديد بين زاگورة وتامگروت. أما دو لاشاپيل De La Chapelle فقد رجح أن يكون موقع قصر تاگمادارت في مكان ما من الخربات التي لا تزال قائمة إلى اليوم بالقرب من قصر سَارَتْ (*Une cité de l'Oued Dra*, 30) ولعل ما يرجِّح ما ذهب إليه دولا شاپيل، أن سكان قصر سارت وسكان منطقة تاگمادارت بصفة عامة، لا يزالون يعرفون هذه الخربات بدار السلطان إشارة إلى كون الأشراف السعديين، كانوا قبل توليهم ملك المغرب، مستقرين بقصر تاگمادارت.

اشتهرت واحة فزواطة كغيرها من واحات درعة، ومنذ القرون الوسطى، بربُطها العلمية والصوفية مثل رباط تافگروت ورباط سارَت، ورباط بني علي (*مذكرة المزريوي*: 5). ومنذ القرن الثامن الهجري بدأت الزوايا تحل محل هذه الربط. وتدل كل القرائن على أن كثيرا من ربط واحة فزواطة قد تحولت إلى زوايا، من ذلك على سبيل المثال رباط تافگروت ببني علي، وقد حلت محله زاوية سيدي بلال، وزاوية تاگمادارت التي حلت محل رباط سارت، وصارت الزوايا تقوم بكل الوظائف الاجتماعية والتعليمية والصوفية التي كانت تقوم بها الربط في العصور الوسطى.

ونستفيد من غير ما مصدر تاريخي، أن محمد بن مبارك، أحد متصوفة سوس، نصح أهل سوس بأن يستقدموا شريف تاگمادارت ويبايعوه على الجهاد، لرد عائلة المسيحيين الذين كانوا قد احتلوا بعض سواحل المنطقة (*الدوحة*، 10، 11 ؛ *الاستقصا*، 5 : 7). والذي يهمنا من هذه الإشارة أن الطريقة الجزولية التي يعتبر سيدي محمد بن مبارك من أبرز شيوخها في مطلع القرن العاشر (16 م)، ليس بسوس فحسب وإنما في مجموع أنحاء الجنوب المغربي، قد نجحت خلال القرن السابق في تدعيم نفوذها بواحات درعة عامة وواحة فزواطة بصفة خاصة، وذلك من خلال تأسيس سلسلة من الزوايا التي مهدت للشرفاء الزيدانيين انطلاقا من زاوية تاگمادارت لتسلم السلطة بالمغرب. ومن الزوايا التي صار لها شأن كبير بواحة فزواطة منذ مطلع القرن العاشر (16 م) زاوية سيدي علي بن محمد البكري وزاوية تامگروت، وزاوية تاگمادارت ( *الحركة الفكرية*، 2 : 538، 541، 545).

وقد اشتهرت زاوية تاگمادرات بمن أنجبتهم من علماء أفذاذ من عائلات العنابي والعثماني والمضغري والشرفاء الزيدانين خلال القرن العاشر وردحا من القرن الحادي عشر (16 . 17 م) ( *الحركة الفكرية*، 2 : 538، 539، 540، 541).

وبالرغم من ذهاب عز زاوية تاگمادَارْت بنهاية الدولة السعدية، فإن بعض قصورها قد عرفت نبوغ عائلات علمية أخرى، كعائلة سيدي عبد الله بن مسعود بزاوية أيت خدو، وعائلة الرگيبي بقصر أغلا ودرار ؛ وقد كان آخر علماء هذه العائلة سيدي الحسن الأغلاودراري المتوفى عام 1339 هـ (*المعسول*، 16 : 339 ؛ *العقود الجوهرية*، 18 . 19)، بالإضافة إلى عائلة الدليمي التگمدارتي الورزازي، التي نبغ منها عدد من العلماء بدرعة وورزازات ومراكش وتطوان، حيث لايزال أبناؤها يعرفون إلى اليوم بالورزازي.

ويكفي تاگمادَارت فخراً أنها قدمت للمغرب الدولة السعدية حيث نجح ملوكها في تدعيم وحدة البلاد وحمايتها من الاحتلال المسيحي في مطلع العصور الحديثة.


ح. ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ أ. الناصري، *الاستقصاء*، ج ـ 5 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج ـ 16 ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا*، ج ـ 3 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ *طليعة الدرعة* ؛ محمد بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*، مخطوط ؛ عبد الكريم المزريوي، *مذكرة المزريوي*، مخطوط.

J. Meunié et Ch. Allain, *La Forteresse de Zagora*, *Hesp.*, 33, 1956 ; J. Gattefossé, *Juifs et Chrétiens du Dra avant l'Islam*, *B.S.P.M.*, 3 et 4, 1935 ; F. De La Chapelle, *Une cité de l'Oued Dra*, *Hesp.*, IX, 1929 ; G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Dra*, A.M., Vol. 9, Tome II, 1931 ; T. Pellow, *La Relation de Thomas Pellow*, Trad. Magali Morsy, Paris, 1983.


**التَّاگمدَارتي، عبد الله** بن محمد بن مسعود، أحد الفحول الكبار، لا نعرف شيئا عن ولادته، أخذ العلم عن عالم درعة في وقته محمد بن مهدي الجراري ولازمه في زاويته حتى تخرج عليه، وقد *طبقت* شهرته العلمية الآفاق، فحلاه الحضيگي في *طبقاته* بأستاذ العلماء ورئيس الفقهاء والفضلاء (*طبقات*، 2 : 213).

عاد عبد الله بن مسعود بعد فترة إلى تاگمدَارتْ فتصدر للتدريس وإفادة المتعلمين، فأقبل عليه طلاب العلم من كل جهات درعة والمناطق الجنوبية، وقد تخرج عليه جم

غفير من علماء وادي درعة من أمثال أحمد أذفال دفين أكتاوة وغيره (*حضارة وادي درعة*، 140). وخلف ابن مسعود مؤلفات قيمة في الفقه والنحو، من ذلك *الشرح الجامع على مختصر الشيخ خليل والروض اليانع في أحكام التزويج وأداب المجامع وشروح على ألفية بن مالك ولامية الأفعال، والمقدمة الأجرومية* (*الحركة*، 2 : 550).

أقام عبد الله بن مسعود في أخريات أيامه زاوية (زاوية أيت حدّو) بالقرب من قصر إنكزاط بتاكمدارت. ولايزال حفدته بهذه الزاوية إلى اليوم. وقد توفي هذا العالم الجليل بعد الثمانين من القرن العاشر الهجري، ودفن بزاويته، حيث أقام حفدته قبة على قبره لاتزال مقصداً للزوار إلى اليوم.

**التّاكمدارتي، محمد بن أحمد بن عبد الله.** من فحول العلماء وكبار الحفاظ في زمنه، حلاه صاحب *الدرر المرصعة* بالحافظ المتفنن والعلامة الماهر. ينحدر أسلافه من قبيلة أولاد دليم الصحراوية، وقد نزلوا بأغلاودرار من تاكمدارت في زمن غير معروف. نبغ من بينهم ثلة من العلماء الفضلاء، تجاوزت شهرتهم بلاد المغرب إلى الشرق خلال القرن الثاني عشر (18 م). ومن درعة هاجر بعض العلماء من أهله إلى ورززات، حيث غلبت عليهم كنية الورزازي، ومنها إلى مراكش وتطوان. لا نعرف شيئا عن ولادة محمد بن أحمد، فلما شب رحل إلى سجلماسة، فأخذ بها عن الفقيه الشهير عبد الواحد القندوسي، ولازمه مدة طويلة، ثم رحل إلى فاس، فأخذ بها عن الفقيهين أحمد بن الحاج الفاسي وأبي عبد الله القسنطيني. وبعدما ملأ وطابه علما عاد إلى وادي درعة، فاستهوته الطريقة الناصرية، فأخذ الورد عن الشيخ أحمد الخليفة، ثم ما لبث أن استقر بتامكروت التي كانت آنذاك تزخر بفطاحل العلماء، من أمثال أحوزي وابن فتوح التلمساني وعبد الكريم التدغي وغيرهم، فتصدر بمدرسة الزاوية الناصرية للتدريس، خاصة أن الشيخ أحمد الخليفة اعتنى به عناية خاصة فتكفل له بكل لوازم الحياة من مأكل وملبس وغير ذلك (*الدرر*، 371). تألق نجم التاكمدارتي بالزاوية الناصرية، فصال وجال في الفقهيات، وكان كثيراً ما يذكر لطلبته أن الزرقاني شارح المختصر قد أخطأ في عدة مسائل في الفقه المالكي، وكان يحث الطلبة على الاعتماد على الحطاب والمواق لأنهما يسوقان المشهور في المذهب المالكي.

رحل محمد بن أحمد التاكمدارتي، صحبة الشيخ أحمد ابن ناصر إلى المشرق وأدى فريضة الحج، ثم عاد بعد ذلك إلى وادي درعة. وبعد وفاة أحمد بن ناصر سنة 1129 / 1717 اضطرب أمر الزاوية الناصرية نتيجة الصراع على المشيخة، فاضطر محمد بن أحمد التاكمدارتي إلى مغادرتها ورحل إلى المشرق في حجة ثانية، فاراً بنفسه من غوائل أبناء الدنيا (*الدرر*، 369). وبعد تأدية مناسك الحج، طاف التاكمدارتي في بعض مدن الحجاز ومصر، فرزق قبولا عظيما، وانتهى به المطاف بالقاهرة، حيث انتدب للتدريس بالجامع الأزهر إلى أن وافته المنية هناك سنة 1138 / 1725 فدفن بمشهد الإمام ابن القاسم، حيث مقابر عدد من أئمة المذهب المالكي بالقاهرة.

**التّاكمدارتي، محمد بن أحمد العثماني،** نشأ في قصر بني عثمان، المجاور لأغلاودرار، أحد المراكز العلمية القديمة بتاكمدارت. لا نكاد نعرف أي شيء عن ميلاده ومراحل تعليمه، إلا أننا نصادف توقيعاته وفتاويه بدرعة وجهاتها في أواخر القرن العاشر (16 م) ومطلع القرن الحادي عشر (17 م) مما يدل على طول باعه في الفقه المالكي أصولا وفروعا (*الحركة الفكرية*، 2 : 541).

ترجم له صاحب *الدرر المرصعة*، وحلاه بالعلامة الناقد الفهامة، كان مقصدا لطلاب العلم من أهل درعة خاصة، والجنوب عامة. وقد طارت شهرته كفقيه مفت في جوابه حول مسألة اشتراط المرأة على زوجها أن يلتزم لها بالطلاق في حالة الزواج عليها من امرأة أخرى. وقد سئل عن هذه المسألة، فأفتى بوجوب التزام الزوج بوقوع الطلاق في حالة إخلاله بكل شروط زوجته. وقد ساق التاكمدارتي جملة من النقول الفقهية من فروع وأصول الفقه المالكي، مما يدل على طول باعه في الفقه، وسعة اطلاعه وفهمه العميق لمذهب الإمام مالك، وقد نقل صاحب *الدرر* هذه الفتوى رغم طولها في ترجمة صاحبنا (*الدرر المرصعة*، 357). وقد أثارت هذه الفتوى بجرأتها، ردوداً قوية عند فقهاء درعة وشنقيط وسجلماسة، وانقسموا إلى مؤيد ومعارض، وهكذا حاول كل من محمد الحبيب ابن الأمين الشنقيطي، وأحمد بن مبارك السجلماسي وأحمد بن يوسف من بني علي بدرعة، الرد على التاكمدارتي بتفنيد فتواه، إلا أن هذا الموقف الذي قاده الشنقيطي جعل علماء آخرين من درعة وتافيلالت، يمعنون النظر في فتوى التاكمدارتي، ويستغربون من خرافات وضلالات الشنقيطي (*الدرر*، 361) وجهله بأصول الفقه المالكي وفروعه، وقد خرج التاكمدارتي من هذه المنافسة العلمية منتصرا، فاعترف له الكل بالفضل والنباهة وطول الباع. وقد توفي التاكمدارتي بمسقط رأسه مع بداية العقد الثالث من القرن الحادي عشر الهجري (17 م).

**التّاكمدارتي، محمد بن الحسين،** فقيه جليل وعالم فاضل، لا نعرف شيئا عن نشأته ومراحل تعليمه، إلا أنه يظهر أنه تعلم وتخرج بأحد المراكز العلمية بتاكمدارت خلال العقود الأولى من القرن الحادي عشر (17 م). له جولات وحضور في ميدان الإفتاء وتوثيق الرسوم العقارية بدرعة خلال الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن. وكثيراً ما كان يمهر فتاويه بعبارة "قاله محمد ابن الحسين التاكمدارتي". وتنطوي هذه العبارة على الثقة بالنفس وعلو الكعب في الفقه والعلوم الشرعية.

وبعد دخول وادي درعة تحت حكم محمد بن الشريف العلوي ابتداءً من سنة 1051 / 1640، اضطلع الفقيه محمد بن الحسين التاگمدارتي، بمهمة القضاء بدرعة دون أن يصرفه ذلك عن التدريس ( *الحركة*، 2 : 541)، وقد جلب عليه منصب القضاء عدة انتقادات من فقهاء درعة، ونخص بالذكر انتقادات الشيخ مَحمد ابن ناصر الذي كتب إلى التاگمدارتي رسالة، ينتقد فيها أحكامه، خاصة فيما يتعلق بمسألة شهود التّدْمية، ويحذّر الناصري قاضي تاگمدارت من قبول شهود العامة في هذه المسألة، وتعجب كيف يقبل الشهادة من أناس "لا يعرفون المسنون من المفروض، كما لا تقبل فيها شهادة من يأكل أموال الخراج ويأخذ المغارم بالإبط" (*طلعة*، 1 : 144). وبالرغم من أن الناصري اقتصر في رسالته إلى التاگمدارتي على الشهود في المسألة ولم يسق الحيثيات التي ارتكز عليها القاضي، فإن محمد بن الحسين التاگمدارتي استشاط غضبا من ابن ناصر، ورد عليه رداً قاسياً، واتهمه بالرجم بالغيب وقول الباطل، وهدده بأنه إذا لم ينته عن التشويش على أحكامه فإنه سيبلغ أمره إلى السلطان محمد ابن الشريف العلوي، وقد ترددت بين الرجلين عدة مكاتبات، حاول كل واحد منهما تبرير موقفه من الآخر. وقد خلف محمد بن الحسين التاگمدارتي عدة مؤلفات، أهمها *أرجوزة* في قواعد الإسلام، ودرة *العلائق في توجيه الصبيان لدين الخالق*، وهما أرجوزتان تعليميتان لصغار التلاميذ ( *الحركة*، 2 : 541). وقد توفي محمد بن الحسين التاگمدارتي في أواسط العقد الثامن من القرن الحادي عشر ودفن بمنطقة تاگمدارت.

**التّاگمدارتي، محمدبن عبد الرحمان**، المكنّى القائم بأمر الله. ينحدر محمد بن عبد الرحمان من أسرة شريفة يتصل نسبها بالحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، هاجر جده زيدان بن أحمد من ينبع النخل بالحجاز إلى وادي درعة بدعوة من بعض سكان الوادي تبركا بنسبه الشريف. ونزل زيدان بقصر تيدسي بواحة ترناتة حيث لاتزال آثار قصر تيدسي قائمة إلى اليوم ( *النزهة*، 7).

ويرجح أن تكون أسرة هذا الشريف قد انتقلت من تيدسي إلى تاگمدارت في بحر القرن التاسع (15 م)، حيث استقرت بقصر سَارَتْ أحد القصور الشهيرة آنذاك بواحة فزواطة.

وبقصر سارت نشأ محمد بن عبد الرحمان، فحفظ القرآن ثم أقبل على أخذ العلم على علماء تاگمدارت، فتخرج عالما مشاركا، ثم تصدى لتعليم القرآن وتدريس العلم كدأب جل علماء تاگمدارت آنذاك، واشتهر باطلاعه الواسع على تاريخ الجنوب عامة وتاريخ درعة بشكل خاص. وفي مطلع القرن العاشر (16 م)، انضم إلى الطريقة الجزولية على يد الشيخ محمد بن مبارك الأقاوي. ويذكر الناصري أن محمد بن عبد الرحمان اشتهر بالصلاح والفقر ( *الاستقصا*، 5 : 8). ولما اشتدت وطأة المسيحيين على شواطئ سوس مع بداية العقد الثاني من القرن العاشر، انتدب محمد بن مبارك الأقاوي، محمد بن عبد الرحمان لقيادة القبائل السوسية في العمليات الجهادية. وهكذا انتقل محمد بن عبد الرحمان إلى قرية تيدسي قرب تارودانت سنة 916 / 1510 ( *النزهة*، 16) فبايعه الناس "بقلوب متفقة وأهواء على الجهاد مجتمعة" فاجتمع إليه جم غفير من المجاهدين من أهل سوس ودرعة، فقصد بهم ميناء تَفَتْنَة على المحيط الأطلسي. ويذكر صاحب *النزهة* أن محمد بن عبد الرحمان الذي تلقب بالقائم بأمر الله، عمد إلى النصارى فناوشهم القتال، فأتاح الله له النصر. فلما رأى المسلمون ذلك تيمنوا بطلعته، وتفاءلوا بطائر ميمونه، وزادهم ذلك محبة في جانبه وتعظيما لمكانته ( *النزهة*، 16). كان هذا الانتصار تجربة أولى بالنسبة لمحمد بن عبد الرحمان، ذلك أنه سمح له بالكشف عن مشروعه السياسي لعموم الناس، بعد تداوله بين أقطاب الطريقة الجزولية بسوس ودرعة، ويرتكز هذا المشروع على إقامة دولة قوية تقوم على الجهاد وتحرير ثغور المغرب كله. إلا أن مشروعا كهذا يتطلب أموالا ضخمة لتجييش الجيوش وشراء الأسلحة.

يبدو أن بداية تنفيذ هذا المشروع لقيت معارضة من بعض شيوخ سوس، فاضطر محمد بن عبد الرحمان إلى العودة لوادي درعة لإحكام أمره وضبط ما تبقى من ثغرات في النسيج العام لمشروعه السياسي. وفي سنة 918 / 1512 عاد إلى تيدسي، فاطمأنت به دارها وأزال إليه عنه ما كان أزعجه عنها ( *الاستقصا*، 5 : 13).

كان من شروط محمد بن عبد الرحمان إلى تيدسي، مبايعة الناس لابنه أحمد الأعرج، فاستجاب أهل سوس لهذا الشرط، وبايع الناس الأعرج دون معارضة تذكر.

وصلت أخبار القائم بأمر الله إلى ما وراء الأطلس شمالا فبادر أشياخ قبائل حاحة والشياظمة إلى مبايعته على الجهاد، فاجتاز جبال الأطلس إلى أفوغال بعد تنصيب ابنه محمد الشيخ خليفة على سوس. ومن أفوغال بدأ محمد بن عبد الرحمان يناوش البرتغاليين القتال بشواطئ حاحة وسوس إلى أن وافته المنية سنة 923 / 1517، ودفن بضريح الشيخ محمد بن سُليمان الجزولي. وقد نقل أحمد الأعرج رفات أبيه ورفات الجزولي إلى مراكش في حدود عام 930 / 1523.


م. المكي بن موسى الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ محمد بن لحبيب التامنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط خاص ؛ وثائق محلية في حوزة الكاتب ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، الرباط، 1977 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، فاس، 1310 ؛ *الاستقصا*، 1955 ؛ م. الإفراني، نزهة الحادي، طبع السنة 1988 ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة*، دعوة الحق، السنة 18، العدد الثاني، 1393 / 1973.


أحمد البوزيدي

**تاكْمُوتْ** ← **إماريغن**

**تاكْمُوتْ**، رأس ونهر بالشمال. يقع رأس تاكْموت على الضفة اليمنى من مصب نهر سيدي الفتوح بمرسى تامْساسگ الواقعة بشاطئ قبيلة متيوة البحر الموالي للبحر المتوسطَ.

وينبع نهر تكْموت، بجبل تايدة بأرض قبيلة متيوة البحر التي تُسقى بمياهه، وبعد أن يقطع مسافة سبعة كيلو مترات تصب مياهه في البحر المتوسط بالمرسى المعروفة بتامساسگ.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes*, p. 38 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes*, p. 63.

محمد ابن عزوز حكيم

**تاكْمُوتْ** (منطقة أعالي وادي نون). المقصود بتاكموت هو الصيغة التشبيهية التي تفيد شكل الحفرة حيث تتموضع عادة المداشر والحصون. تجثم قرية تاكموت بمحاذاة تاغاجيجت أيت إبراهيم بأعالي وادي نون على أساس تحكم شامل في حيوية المعالم الفلاحية والتجارية والحضارية المحلية. فحجم بقايا العمران القروي الكثيف يدل بكل وضوح عن حركية تاريخية حافلة بالأنشطة المختلفة.

لا شك أن الارتباط العضوي البيِّن بين تاريخ تاگموت الذي نكاد نجهل عنه كل شيء في الواقع الراهن للأبحاث وتاغاجيجت عاصمة القسم الأعلى من قصبات نول لمطة تجسده الروابط السلالية التي تربط مجمل فصائل أيت إبراهيم بعثمان ابن مندي، عامل عبد الله بن ياسين على نول لمطة خلال القرن الخامس (11 م) (انظر مادتي أيت إبراهيم وتاغاجيجت بالمعلمة). لقد تسبب الغزو الموحدي في مغادرة أيت إبراهيم لمنطقتهم هذه لكي يقضوا أزيد من ثلاثة قرون في الترحال الرعوي بين واحات توات ومنطقة الساقية الحمراء. وقد كانت عودتهم التدريجية إلى تاغاجيجت عن طريق تاگموت التي استقروا بها لمدة استمرت إلى حدود القرن التاسع (15 م) حيث أعادوا للمنطقة ماضيها المرابطي. وإذا كانت أسواق تاگموت المتعددة تشهد على أهميتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فإن وفرة مدارسها العتيقة وزواياها ترسخ دورها التاريخي في تأطير المنطقة دينيا وثقافيا وعلميا. لقد عزز ماضي تاگموت لدى قرى ومداشر أعالي وادي نون تصور العلاقات الاجتماعية وفق مقتضيات الروابط القرابية والقبلية التكتلية. أما فيما يخص تكريس سلطة العلماء والزوايا، فقد أبقت إلى حدود القرن الماضي على نفس التوزيع الذي كان ما يزال قائما خلال القرن العاشر (16 م).

وإذا انتقلنا إلى مستوى مساهمة تاگموت في تطوير الصناعات المعدنية والصياغة وجدنا دور صناع تاگموت ما يزال يحتل موقعا متميزا في الرواية الشفوية بسوس ووادي نون. فقرب عدانة النحاس والفضة جعل حي تاگموت الصناعي مرتبط الأواصر بأسواق الصياغة بمراكش والصحراء وصانعيها الساهرين على حيوية هذا القطاع الخاص. على أننا وضعنا في اعتبارنا ما كان يسود المجتمع آنذاك من مناوءة لكل من يحيد عن ممارسة شعائر الإسلام، فيتضح دور تاگموت في التوفيق بين دورها الديني ودور يهودها في تطوير قطاع التعدين والصياغة. نبدي هذه الملاحظات الأولية للتأكيد على ما تكلفت به تاگموت من أعباء التوفيق بين المسلمين واليهود وبين أهل الزوايا والمحاربين من الفصائل القبلية التكتية.

بالنظر لما عليه تاگموت من شدة التحام أهلها وصلابة اندماجهم بباقي فصائل أيت إبراهيم، ندرك أنهم قد قاموا بأدوار دينية وسياسية تضاهي من حيث أهميتهما ما قام به كل من كان له إشعاع اقتصادي واجتماعي باهر.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 18، 227 - 228 ؛ *أيت إبراهيم وتاغجيجت*، *معلمة المغرب*.

La Ruelle, *Id Brahim*.

مصطفى ناعمي

**التاگموتي، أحمد** بن **مَحمد الأساوي**، فقيه محدث، وصوفي محقق. أخذ عن جماعة من فقهاء سوس ولازم الشيخ مَحمد الحضيكي صاحب *الطبقات* فأجازه وأذن له في تعليم العلوم الشرعية ماعدا تحفة ابن عاصم، وفرائض الرسموكي وأضرابهما مما يستعين به الطلبة على طلب الدنيا.

انقطع طوال حياته للتدريس في رباط تاگموت وزاوية أجداد في فم تَـنْـلْتْ. ومن المتخرجين على يده بلديه أبو بكر بن أحمد التاگموتي، وعبد الرحمن التغرغرتي الذي أثنى عليه الثناء العاطر في كتابه عن تراجم بعض علماء سوس، ومما قاله فيه : أحيى الله تعالى به البلاد والعباد بنشر السنن وإخماد البدع".

كانت الوفود من مختلف أنحاء سوس تقصد أحمد التاگموتي للتبرك فتجد لديه الاستقبال الحسن "فإذا خرج ليودعهم ينصب لهم مجلساً يعظهم فيه بما في *الجامع الصغير* للسيوطي من الأحاديث يقرأه قارئه ويبين لهم معاني الحديث بلغتهم ويبالغ في نصحهم وذمّ بدعهم ويحرضهم على أداء الصلاة في المساجد". - التغرغرتي - كما كان يحرضهم على تعليم أولادهم ونسائهم وبناتهم كتاب الله وما لا بد منه من أحكام الدين، وعلى ملازمة ذكر الله والصلاة عن رسوله عليه السلام عن كل حال في الدور والشوارع والفدادين.

توفي بمسقط رأسه في آخر جمادى الثانية عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف / 14 يوليوز 1779.

ع. التغرغرتي، *تراجم بعض علماء سوس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 228.

**التاگموتي، أحمد** بن **محمد نزيل** زاوية تاسيوين. فقيه مشارك لم تذكر كتب التراجم مشيخته، إلا أنه يعد أول قومه التاگموتيين نزولاً بهذه الزاوية بعد صدر القرن

الثالث عشر (19 م) فنال بها حظوة كبيرة، وزوجه شيخ الزاوية إبراهيم بن محمد بنته فاطمة وأسكنه عنده طول عمره وجعله إمامه ومعلمه للقرآن ومدرس العلوم في مسجد الزاوية، وعنه أخذ أولاد الشيخ عبد السلام ومحمد وأحمد وأبو بكر الذي تولى شؤون الزاوية بعد والده إبراهيم.

توفي حوالي عام 1260 / 1844.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 98 ـ 99.

**التاكموتي، أبو بكر** بن **أحمد**، نحوي لغوي فقيه محدث مشارك في مختلف ضروب العلوم الإسلامية، ومتصوف صالح، ناسك. أخذ عن الشيخين أحمد بن محمد الأساوي، ومحمد بن أحمد الحضيكي. أما المتخرجون على يده في القرآن وتجويده، والعلوم اللغوية والشرعية، فعددهم لا يحصى، ومنهم عبد الرحمن التغرغرتي الذي خصه بترجمة مطولة حافلة في كتابه عن تراجم علماء سوس. وقال إن دروسه كانت لا تخلو مهما كان موضوعها من السيرة النبوية وتاريخ الإسلام واستخراج العبر منه. "وكان ـ رضي الله عنه ـ حريصاً على كسب الحلال : يعمل في أرضه بيده حرثاً وغرساً وسقياً وحصداً وقطع الثمر ويستعين بطلبته في جميع أشغاله، فالناصح منهم في أشغاله تظهر البركة في حفظه وفهمه وعلمه" ـ التغرغرتي ـ.

وكان يقرأ ـ كمعظم شيوخ سوس ـ صحيح البخاري في شعبان ويختمه في رمضان إلى أن توفي في بلده بالوباء الجارف في ذي القعدة عام أربعة عشر ومائتين وألف / مارس ـ أبريل 1800، وقبره يزار بمقبرة إغير في تاگموت.

ع. التغرغرتي، *تراجم علماء سوس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 228 ـ 232.

**التاكموتي، مَحمد** بن **أحمد** الصنهاجي اليعقوبي. فقيه كبير وصالح شهير، أخذ بمسقط رأسه عن والده القرآن ومبادئ العلوم اللغوية والشرعية ثم تنقل طالبا للعلم في مدارس سوس قبل أن يتوجه إلى فاس حيث أخذ عن محمد بن المدني گنون وطبقته، ثم ارتحل إلى الشرق فأخذ عن علماء تونس وليبيا ومصر، ورجع إلى قريته بعلم غزير، فتزوج ابنة شيخ الزاوية أبي بكر بن إبراهيم، وعلا شأنه وانتشر ذكره، وصار إلى جانب التدريس يخطب أيام الجمع في مسجد إيغريسين. وممن كان يعتقده ويزوره في الزاوية القائد محمد إيبيبض والد الباشا الحاج التهامي الأكلاوي ويقبل أخمص قدميه. وإلى ذلك كان الناس يضعون عنده الأمانات ولا سيما القواد، وله في ذلك حكايات وكرامات.

توفي عام 1312 / 94 ـ 1895.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 99 ـ 100.

**التاكموتي، محمد** بن **يعقوب** السوسي. فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي. "كان يستظهر مختصر *ابن الحاجب الفرعي*، وكان رجلا صالحاً" (*درة الحجال*). وليس هذا المترجم هو الشيخ محمد بن يعقوب التتلتي آتي الترجمة. وقد نبه صاحب *المعسول* على أن اليعقوبيين في سوس ثلاث فرق، منهم آل محمد بن يعقوب في فم تتلت، وآل عبد الله بن يعقوب السملاليون، وآل علي بن سعيدن القائمون على المدرسة المبنية على مشهد يعقوب الإيلاتي. ولم يعرف يعقوب والد المترجم. إلا أنه افترض أن يكون الشيخ الذي تنتسب إليه البلدة، إذ يقال لها تاگنوت نايت يعقوب.

توفي في حدود 960 / 1553.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 37 رقم 481 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 146.

محمد حجي

**التاكموتيُّون** أو التكموتية، هم صناع الخناجر أو الكمِّيات من معدن الفضة (النقرة). وقد كانت صناعة الحلي والمجوهرات في سائر مدن المغرب لا تنفصل عن صناعة اللباس، لأن اللباس كان عند المغاربة ذكوراً وإناثاً لا ينفصل عن الزينة رديفه الثاني. لذلك كانت أماكن بيع الأقمشة والملابس ملامسة أو قريبة من قيصريات الحلي والمجوهرات، ومازال هذا الازدواج قائماً إلى اليوم في بعض المدن.

وكان صناع الحلي الذهبية والفضية وباعتها في معظمهم من اليهود المغاربة لعدة اعتبارات من بينها الاعتبار الديني الذي ظل راسخاً عند سائر المسلمين وجعلهم ينفرون عن تداولها في الصناعة والتجارة بحكم أنها معادن منهي عنها بالنسبة للذكور. لكن ارتداء معدني الذهب والفضة كان مسموحاً به للمسلمات علماً بأن مستوى الثراء العام لم يكن يخول للسواد الأعظم منهن ارتداء غير الفضي منها، فساد انتشار الحلي ووسائل الزينة الفضية مما يفسر أسباب ازدهار مهنة التاگموتية في عدة مدن مغربية.

كان تقلد الكميات (الخناجر) كسلاح وحلية في مغرب القرون السابقة أمراً عادياً. وقليلا ما كان المرء يتحرك داخل المدينة أو خارجها دون سلاح. وإذا علمنا أن تقلد السلاح الأبيض والحصول على غشاء فضي له كان الأمل الذي يراود كل الرجال دون اختلاف بين الفقير والموسر والحضري والبدوي، أدركنا الدور الأساسي الذي كانت تلعبه حرفة التاكميين أو التكموتية الذين لم يقتصروا فقط على صياغة الكميات والخناجر بل تعدوها إلى الدمالج والأقراط والأساور وغيرها من حلي النساء. وهذا أمر شهد به كل من زار المغرب في القرون الثلاثة الأخيرة، حيث كانت الحلي النسوية الفضية هي السائدة بالإضافة إلى الخناجر (الكميات) المختلفة الأحجام والأشكال وأساليب التوشية والتنميق. وقد لاحظ معظم الوافدين على المغرب من الزوار أن تقلد الذكور المغاربة للجراب الجلدي (الشكارة) لم يكن ينفصل إلا نادراً جداً عن الكمية.

ع. ابن الهيثم، *البغية في ترتيب أحاديث الحلية*، مخطوط خ. ع.

رقم 2842 ك ؛ ع. أمهان، *الفنون المغربية الأصيلة*، *مجلة أبعاد فكرية*، ع. 2 السنة الأولى 1989 ؛ أ. التوفيق، *اينولتان*، (1850 - 1912)، الدار البيضاء 1978 ؛ ع. زمامة، *فاس وصناعتها التقليدية*، *مجلة كلية الآداب بفاس*، السنة 1980 - 1981 ؛ *أسماء الحرف المعروفة بفاس*، *مجلة اللسان العربي*، سنة 1966 ؛ مؤلف مجهول، *المرأة المغربية والحلي*، جريدة *العلم* عدد 8706 بتاريخ 28 أبريل 1974.

J. Baldoui, *Les arts indigènes au Maroc*, Paris, s. d. ; M.M. Barde, *Coiffures féminines du Maroc*, Aix-en-Provence, 1990 ; A. Barthelemy, *Tazra, tapis et bijoux de Ouarzazate*, Aix-en-Provence, 1990 ; Belhomme, *Les poignards du Sous*, *F.M.*, n° 5, 15 mai 1917 ; *Les armes dans le Sous occidental*, *A.B.*, vol. 2, fasc. 1, 1917 ; H. Clouzot, *Les bijoux indigènes au Maroc, en Algérie et en Tunisie*, Paris, 1906 ; A.Delpy, *Les divers types de poignards marocains*, *C.A.T.A.N.*, n° 6, 1960.

محمد بوسلام

**تاكنة** (اتحادية قبلية صحراوية) ← **تكْنَه**

**تاگْنْتَافْت**، كلمة أمازيغية مركبة من "ءاگ" ومعناها أن يكون الشيء فوق شيء آخر أعلى منه أو مشرفا عليه، كما تعني مجازاً المراقبة والحراسة. ومن "ضاف" ومعناها كذلك الحراسة والمراقبة. وبين الكلمتين "ن" الإضافة. وبها تصبح الكلمة على الشكل التالي : "ءاگ - ن - ضاف" التي تعني حرفيا "المكان المشرف المستعمل للمراقبة والحراسة". ثم أضيفت للكلمة المركبة "ءاگنضاف". "تاء" التأنيث أو التصغير أو الإشارة، فأصبحت "تاگنضافت" وانقلبت "الضاد" في الاستعمال الشفوي إلى "دال" فنطقها الناس "تاگندافت" أو إلى "تاء" فنطقوا بها "تاگنتافت".

ويبدو أن الكلمة دخلت في تكوين أسماء الأعلام البشرية والجغرافية منذ القدم. وهكذا نلاحظ أن البيذق ذكر اسم شخص من مكناس اسمه "يحيى ابن گنداف"، ولا شك أن أصل "گنداف" هذا هو "أگنداف" إذا اعتبرنا أن شعوب زناتة بصفة عامة يحذفون عادة في نطقهم الهمزة التي تكون في أول الاسم. كما ذكر القبيلة السوسية المعروفة إلى اليوم "بنو ونيطيف" والتي تسمى اليوم "إيداگنيضيف".

غير أن الكلمة بصيغة "تاگْنتافت" وجمعها "تيگْنتافين" لا توجد على ما يبدو إلا في وادي نفيس بأطلس مراكش، وأيت مالاً قرب تافينگولت جنوب تيزي - ن - تاسْت.

وقد اشتهرت "تاگُنتافْت" النفيسية لأنها انتسبت إليها منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) عائلة أيت لحسن التي ينتمي إليها واحد من أكبر قواد الأطلس المراكشي هو الحاج الطيب الگنتافي نسبة إلى تاگنتافت.

كانت كلمة "تاگنتافت" تطلق أصلا على مجموعة من القرى الصغيرة تقع على الضفة اليمنى لنهر نفيس إلى الجنوب من تينملّ الموحدية بين تاسافت شرقا ومولدِّيخت غربا. وتحمل أسماء مختلفة هي : أرتاتّايْن وإيسڨّالن وگوگّتن وويگّيت، وإلى هذه الأخيرة ينتمي مؤسس أسرة إيگنتافن أو گندافة التي حكمت وادي نفيس وبعض المناطق المجاورة له مدة تقرب من مائة سنة، حتى إن اسم المنطقة تغير وأصبحت تسمى "گندافة" أو "قبيلة گندافة"، مع أن سكان وادي نفيس لا يجمعهم اسميا إلا انتماؤهم الجغرافي لمنطقتهم، وإلا فكل مجموعة من المجموعات البشرية المتساكنة فيه تحمل اسمها الخاص بها.

وإذا كان موقع قرى تاگنتافت مشرفا فعلا ويسمح بمراقبة المسلك الجبلي الذي يؤدي إلى مراكش وسوس عن طريق وادي نغيس وتيزي - ن - تاست، والذي يعتبر طريقا هاما ومطروقا منذ القدم، فإن "أگادير - ن - تگنتافت" أو قصبة تاگنتافت التي بنيت حوالي عام 1287 / 1870، غير بعيد عن القرى المذكورة، تعتبر فعلا برجا للمراقبة يجسد القوة الصاعدة للعائلة الگندافية التي أسسته ليكون حصنها الحصين وملجأها الذي تحتمي به من الأخطار.

"تاگنتافت" الحصن أو أگادير رمز السلطة الگنتافية في عهد محمد نايت لحسن المؤسس وابنه الطيب الگندافي بصفة خاصة، ليست اليوم إلا أطلالا مهجورة تشهد على ماض يتأسف البعض لزواله ويستهزئ البعض بآثاره : جل هؤلاء من سكان وادي نفيس، لا يعرفون اليوم عن تاگنتافت إلا ما سمعوه عنها من خلال الحكايات المتأسفة أو المستهزئة، لأنهم لم يكونوا گندافيين بالجملة ويستثقلون طراً كل سلطة.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*, 1951, T. I., p. 381 - 382 ; E. Laoust, *Contribution à une étude de la toponymie du Haut Atlas*, Paris, 1942, p. 72 ; E. Lévi-Provençal, *Documents inédits d'histoire Almohade*, Paris, 1928, texte, p. 66, 37 ; E. Destaing, *Vocabulaire Français-Berbère*, Paris, 1920, p. 270, 290, 139 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, Paris, 1930, pp. 276, 277, 301 sqq ; C. Justinard, *Un grand chef berbère, Le Caïd Goundafi*, Casablanca, 1951, pp. 38, 51, 55 et passim.

علي صدقي أزايكو

**تاگنزالت**، قرية وواحة تقع جنوب ورزازات، تحيط بها أسوار وتوجد بها قصبات جميلة الهندسة والشكل، يهتم أهلها بصيانتها والمحافظة على رونقها وعلى سلامة الأبراج التي تعلوها. إلا أن النمو الديمغرافي واكتشاف المناجم بالمنطقة لعبا دوراً كبيراً في تغيير عادات الأهالي.

وواحة تازناخت غنية بمنتوجاتها الفلاحية المتنوعة، دفعت السكان إلى الاعتماد على أنفسهم خصوصاً وأن تاگنزالت تعاني اليوم عزلة قاهرة، بحكم بعد موقعها عن الطريق الثانوية الرئيسية الرابطة بين تادلا وتازناخت، وهي المركز الإداري الوحيد الذي يقوم بالخدمات العمومية لصالح القبيلة المتساكنة بالمنطقة، وهي قبيلة أيت دوشّن.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; L. Gentil et de Gonzac, *A travers le Maroc*.

أحمد بنجلون

**تاگوزولت**، التي يمكن أن تترجم بـ "الجزولية" أو "النزعة الجزولية" أو "النحلة الجزولية"، اسم علم يطلق على القبائل السوسية التي كانت منتمية إلى الحزب الجزولي. والكلمة كما هو واضح مأخوذة من اسم الشعب المعروف

تاريخيا ألا وهو "جزولة" أو "إيكوزولن".

وكان الحزب المقابل لها في المنطقة يحمل اسم "تاحْكّات" أو "تاسْكتيت" حسب الجهات داخل المنطقة نفسها. (انظر مادة تاحكات).

كان سكان سوس من وادي نون إلى جبل سيروان ومن وادي درعة الأوسط إلى وادي سوس منقسمين على هذين الحزبين المتنافسين انقساما يكاد يكون متوازنا، الشيء الذي يوحي للباحث المتأمل بأن الهدف الجوهري لهذا الانقسام "النصفي" هو تحقيق نوع من التوازن الدائم بين مختلف الجماعات المتساكنة في المنطقة.

غير أن نشأة نحلة "تاكوزولت" التي تعرف عليها المعاصرون على أرض الواقع بدأت في رأي بعض المهتمين في القرن الثامن (14 م). وربط تلك النشأة بسبب موضوعي معروف تاريخيا هو الطاعون الأسود الذي أتى على نسبة كبيرة من السكان في المنطقة المذكورة وفي غيرها من النواحي.

ويذكر المختار السوسي الذي هو صاحب هذا الرأي أن الجزوليين هم السكان الأصليون في القسم الغربي من الأطلس الصغير، ونتيجة لذلك فإن نحلة "تاكوزولت" هي التي تمثِّل هؤلاء السكان الذين قصم الطاعون الأسود قسما منهم. أما النحلة المقابلة، وهي "تاحكات" فانها تمثل الطارئين الذين استغلوا ضعف الأوائل وأخذوا يتسربون إلى بلادهم يحتلون ما أمكنهم منها. ومن هنا تولد النزاع بين الحزبين. غير أن هناك رأيا آخر يناقض هذا يقول: "ومما يلاحظ أن لفظ تاكوزولت يدل عرفا عند أهل المنطقة على الشرف والرفعة، بينما لفظ تاحكات يجيئ دون ذلك، ولهذا يستبدل اسم هذا اللف في بعض النواحي خصوصا الجبلية بلفظة سكتانة التي هي في أصلها اسم لقبيلة تضاد گزولة. وهذا ما جعل بعض المفسرين يفترضون ويرجحون أن المنخرطين في لف تاكوزولت هم من سلالة الرعاة الفاتحين والغزاة الظافرين. أما المنخرطون في لف تاحكات فهم ينحدرون من قدماء الفلاحين المستوطنين بالبلاد قبل مجيئ گزولة ..." (*أصول المغاربة، البحث العلمي*، 27 ص 235).

وبما أن الوجود الجزولي في المنطقة ثابت منذ القرن الخامس (11 م) على الأقل (البكرى، 161)، وبما أن منطقة سوس بجبالها وسهولها، كانت حسب نفس المصدر آهلة بالفلاحين المستقرين من غير الجزوليين، فإن التحزب الثنائي للسكان كان واقعا قبل القرن الثامن (14 م)، إذا أخذنا بعين الاعتبار الرأي القائل بأن الجزوليين هم الطارئون. وتلافيا للدخول في تفاصيل الموضوع المتشعبة، التي أثرنا بعضها في مادة "تاحكات"، نذكر فقط بأن صيغة "تاكوزولت" و"تاحكات" تمثل الصورة الأخيرة من صور متنوعة اتخذتها ظاهرة الانقسام الثنائي عبر العصور المتغلغلة في الزمن الماضي، ونتيجة لذلك فإن التفسير الذي يوحي به تأمل الصورة الأخيرة لا يمكن أن ينسحب بشكل آلي ومطلق على الظاهرة كلها في كل زمان ومكان، خصوصا إذا تذكرنا أن وجود الثنائية الحزبية لا يقتصر على منطقة سوس وحدها.

لم يقع لحد الآن إحصاء كل القبائل المنتمية لنحلة تاكوزولت، ويبقى روبير مونتاني الذي اهتم بالموضوع في كتابه *البربر والمخزن* المرجع الوحيد الذي يشفي بعض الغليل. ومن خلال هذا الكتاب يتبين أن الجماعات التي كانت تنسب إلى تاكوزولت هي الجماعات الآتية: أيت باعمران وأيت الساحل وأيت المعدر وماسّت وإيداگورسموكت وإيداوْسملات وإيلالن وتازروالت وإيمجّاض وأيت رخا ولاخصاص وإيداوْزكرى وإيداوكنسوس وأيت صواب وإيداوكتير.. وغيرها.

ويبدو أن مراكز نحلة تاكوزولت كانت هي إيليغ وتامنارت وأگلميم وتييوت، وأن جبل لكست (انگيست) كان هو المحور الطبيعي الذي استقرت حوله أهم الجماعات البشرية المكونة لنحلة "تاكوزولت".

لا يقتصر الدور التاريخي للنحلتين على المحلي المحدود فقط، بل يتجاوز ذلك أحيانا إلى ما هو وطني أو إقليمي. وهكذا نرى أن نحلة "تاكوزولت" مثلا لعبت دورا هاما في معاضدة المرابطين ومعارضة الموحدين (*أصول المغاربة، البحث العلمي*، عدد 27 ص 233)، كما كانت وراء تأسيس الدولة السعدية وإمارة تازروالت فيما بعد. وبهذا الخصوص كتب المختار السوسي ما يلي: "وقد علمنا أن إثارة الدولة السعدية كان من السوسيين أتباع تاكوزولت وكذلك تأسيس دويلة إيليغ التي كان لها في سوس والصحراء إلى غينية وراء الصحراء صولة وسيادة زهاء خمس وستين سنة (1018-1081هـ)..." (*الإلغيات*، 3 : 169).

وفي الأخير نشير فقط إلى أن القرن الثامن (14 م) يمكن اعتباره فعلا نهاية لـ"جزولة" القبيلة القوية المهيمنة على المنطقة وأنشطتها، وبداية لـ "تاكوزولت" النحلة التي عملت على تقوية نفسها بإلحاق "قبائل" أخرى غير جزولية بصفوفها، ومن أجل ذلك التجأت إلى أساليب أخرى غير الأساليب "القبلية" الأصيلة. وقد لخص التقي العلوي هذا الانحدار في العبارات الآتية: "وحينما جاء القرن العاشر الهجري لم تعد جزولة تُذكر كقبيلة، وانما يعرفها الناس كمقاطعة جغرافية تحمل اسم قبيلة اضمحلت وبقي اسمها للذكريات والاعتبار".

وحينما أطل على الناس عصر الزوايا والطرق الشاذلية كان للمنحدرين من سلالة جزولة النصيب الأوفر من هذه الروح الجديدة، فوجدوا فيها بلسما وتضميدا لجروحهم، وتناسيا لمحنتهم وفرارا من واقع العبودية والشقاء الذي كانوا يعيشون فيه. وتلك نتيجة حتمية للجماعات والأفراد الذين ينحدرون من قمة المجد إلى حضيض الهوان. وإذ ذاك انقطعت الأواصر التي تربطهم بالأصول الجزولية، وهبت ريح الانتساب إلى الشخصيات اللامعة في المغرب والمشرق والأندلس بدل الانتماء إلى جزولة فراراً من وصمة الضعف والهوان. وبذلك لم يعد لها ذكر إلا في أسماء المواقع

الجغرافية والأحلاف والتكتلات القبلية" (نفسه ص 233 - 234).

وفي انتظار تحقيق دراسة جدية شاملة لظاهرة الانقسام الثنائي على المستوى المحلي والوطني، يمكننا أن نقول دون تردد كبير، واعتمادا على قرائن عديدة، إن الانقسام الثنائي هو تعبير عن واقع تنعدم فيه التكتلات البشرية الكبيرة والقوية وليس العكس. وعلى هذا الأساس يمكن اعتباره أداة مثلى لتحقيق التوازن الضروري داخل إطار واقع متجزئ بالضرورة لا بالطبيعة.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 157، 1965 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة*، ص. 39، 1957 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، ص. 41، 43، 1928 ؛ م. المختار السوسي، *خلالة جزولة*، ج 3، ص. 93 - 94، 20 ؛ ج 7، ص. 9 ؛ *الإلغيات*، ج 3، ص. 166 وما بعدها ؛ *إيليغ قديما وحديثا*، ص. 238 وما بعدها، 57، 1966 ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، البحث العلمي، العدد 27، ص. 231 وما بعدها، 1977.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, 1930, pp. 182 sqq, 201 sqq ; C. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVIème siècle*, 1933, pp. 59, 72 sqq et passim ; B. Rosenberger; *Tamdult*, *Hesp*, 1970, pp. 105, 1027, 129, 131, 133, 134 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut Atlas*, 1955, pp. 224 sqq.

علي صدقي أزايكو

**تاگونْتْ**، رأس يقع بشاطئ قبيلة بني بوگافر الكرتية (إقليم الناظور) الموالي للبحر المتوسط، ويعرف أيضا باسم رأس بني بوگافر، وأما الإسبان فقد أطلقوا عليه اسم Punta Negri.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes*, p. 38 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes*, p. 63.

محمد ابن عزوز حكيم

**تاگونيت** أو تاگْنيتْ، تعني بالأمازيغية نوعاً من التضاريس المقعرة أو حفرة مائية بدون روافد. ويطلق هذا الاسم على مركز صحراوي حديث أنشئ في نونبر سنة 1932 على أثر احتلال واحات اكتاوة، وعُيِّن الملازم الأول "سانت بون" Saint Bon كأول ضابط للشؤون الأهلية بتاگونيت نظراً لمعرفته الجيدة لواحات درعة، حيث كان ملازما للقبطان سبيلمان Spillmann في احتلال هذه الواحات.

تعتبر تاگونيت مركزا حضريا وإداريا لأكتاوة، وهي عبارة عن مجموعة من القصور الصحراوية تنيف على الخمسين وتنتشر على ضفاف نهر درعة في واحة مستطيلة من النخيل. ويبعد مركز تاگونيت عن زاگورة بخمسة وخمسين كيلو ميترا إلى الجنوب.

وأما بالنسبة للقبائل التابعة لمركز تاگنيت فمعظمها من أيت عطا. ثم استقرت بواحات اكتاوة إلى جانب أيت عطا قبائل عربية ويهود يعود تاريخ استقرارهم بدرعة إلى فترة ما قبل الإسلام، إلا أنهم لم يبق لهم أثر اليوم بعد هجرتهم الجماعية خاصة في النصف الثاني من القرن الحالي. ثم هناك دراوة من أصل إفريقي في الغالب وهم الذين يطلق عليهم محليا اسم الحراطين.

كانت تاگنيت وأكتاوة على العموم أيام السعديين وقبلهم مركزا تجاريا مهما باعتبارها إحدى المحطات الكبرى في طريق القوافل الصحراوية الرابطة بين السودان وشمال إفريقيا تسكنها جالية يهودية كبرى تشتغل بالتجارة والصياغة، ولما أعلن أحمد بن أبي محلي الثورة على زيدان ابن أحمد المنصور الذهبي في قرى بني عباس بتوات انتقل إلى اكتاوة فتزود بالذهب وضرب السكة باسمه قبل أن يزحف على مراكش ويستحوذ على خزائن قصر البديع.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، بيروت 1983، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية* ؛ إقليم ورزازات، *مونغرافيا منجزات وآفاق، مارس 1986*، نشرة لعمالة ورزازات، 1986 ؛ *احتلال درعة، مراحله وحيثياته*، أعمال ندوة كلية الآداب بأگادير نونبر 1992.

P. Azam, *Tagounit du Ktaoua quarante trois ans plus tard, La Koumia, Bulletin de liaison de l'Association des goums marocains en France*, Déc. 1989, n° 115, p. 49 - 52 ; G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du haut Dra*, Rabat, 1936.

عبد القادر بوراس

**تلابادس**، أي عين بادس، إذ كان منها مشرب المدينة، يتألف مصدر مياهها من التقاء عدد من المجاري المحلية المتصلة بمجري إگنان، رافد واد بادس (اليوم : إزْلافن). يحتل المكان المنخفض الذي يجري فيه واد إگنان، ويشرف عليه من الجهة الجنوبية الشرقية جبل معمول (564 م) بقبيلة بني يَطّفت، إذ أن تلابادس كانت في بداية القرن العاشر (16م) جماعة مكونة من عدة مداشر، تضم أهل تلا، وعماير وتغالين وبني شكر والعرص، الذين منهم أولاد أعَرّاص، قواد حوز بادس والجيش السعدي.

يعود أول معرفتنا بوجود الاسم ومكانه إلى ما ذكره المجهول، صاحب *تقييد نسب قبيلة قلعية* المؤرخ في 939 / 1533، وإلى الوارد *بوثائق دوكاستر*، وإلى ما أشار إليه صاحب *تاريخ الدولة السعدية* وعبد الكريم الريفي في *زهر الأكم*. وازدادت معرفتنا بالمكان منذ أن أصبح مركزاً للقوات المخزنية السعدية والعلوية.

والحديث عن تلابادس مرتبط ببناء قصبتها. ويعود التصريح ببنائها إلى المجهول، صاحب *تاريخ الدولة السعدية*، طبقا لأمر عبد الله الغالب الصادر إثر الاحتلال الإسباني لجزيرة بادس وتخريب مدينتها في 29 محرم عام 972 / 6 شتنبر 1564. والاطلاع على المصادر الإسبانية يقرب لنا تاريخ تأسيس القصبة. فهو مرتبط بوصول منصور بن إبراهيم، مبعوث عبد الله الغالب إلى حوز بادس منذ جمادى الثانية عام 972 / يناير 1565 لوضع ترتيبات حراسة قارة تجاه الوجود الإسباني بالجزيرة.

فبعد تخريب مدينة بادس والتمركز الإسباني بجزيرتها، لم يعد هناك مكان للقوة المخزنية السعدية، مما حتم تراجعها إلى تلابادس، التي اتخذتها مركزاً لانطلاق محاولات تحرير المدنية خلال الخريف من نفس السنة. وخلال فصل الشتاء تأكد لدى قائد السعديين بحوز بادس فشل المحاولات الحربية. وتبعا لذلك تلقى أمرا ببناء قصبة بتلابادس أثناء

مدة إجراء مباحثات بنود الهدنة مع حاكم الجزيرة. وآخر علمنا باستمرار وجود منصور بن إبراهيم بتلابادس يعود إلى رمضان عام 972 / أبريل 1565، لذا فإن تأسيس القصبة يعود إلى ما يقرب من هذا التاريخ.

شيدت القصبة بقلب بني يطّفت على الضفة اليسرى من واد إكّنان عند التقائه بواد أكوكور، على مساحة مربعة الشكل تصل إلى 14.400م2. بابها الرئيسي جنوبي، أسوارها متوسطة الارتفاع صممت مرافقها الداخلية لإيواء قائد القصبة ورجال الحامية الفرسان.

والظاهر أن قيادة قصبة تلابادس قد وضعت بيد أبناء القائد علي أعَرّاص، إذ أن الأسرة كانت لها الزعامة بحوز بادس منذ أواخر أيام الوطاسيين وبداية السعديين بالريف، وحظيت بقيادة الجيش السعدي (*معلمة المغرب*، 2 : 514). وأولى الأخبار التي بلغتنا عنها هي التي أنبأتنا بحلول محمد المتوكل السعدي بها، فراراً من ملاحقة عمه عبد الملك، مكث بها ما بين رمضان 985 / نونبر 1577 ومحرم 986 / مارس 1578. في انتظار وصول إذن ضون سبستيان للإبحار إلى لشبونة ( *المعلمة*، 2 : 453).

لم نعلم بأخبار قصبة تلابادس إلا بعد أن سرد علينا عبد الكريم بن موسى الريفي الأحداث التي أدت إلى تخريبها على يد مولاي الرشيد بعد محرم عام 1075 / يوليوز - غشت 1664. خلال الحرب الأخيرة مع القائد أحمد أعراص ( *المعلمة*، 2 : 514) إلى أن تم تجديد بنائها في نطاق تشديد الحصار على جزيرة بادس مع بداية القرن الثاني عشر (أواخر 17 م) على عهد مولاي إسماعيل. ربما كانت سنة التجديد هي 1091 / 1680.

مجهول، *نسب قبيلة قلعية*، مخطوط ؛ عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 129 ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*، 37، الرباط 1934 ؛ *معلمة المغرب*، 2 : 453 - 514 ؛ الطيبي عبد الرحمن، *المجتمع الريفي قبل الحماية*، 2 : 437 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 84 ؛ *خريطة طبوغرافية* سنة 1921، أخرى سنة 1935 ؛ *النشرة الأثرية المغربية*، 14 : 259 - 261.

*S.I.H.M.*, Espagne, 3 : 43 ; A. Ghirelli, *Apuntes sobre la Cabila de Beni Iteft*, p. 47, Madrid, 1956.

حسن الفكيكي

**تالات**، كلمة أمازيغية، وجمعها تَالاَتـِينْ تعني أرضاً منخفضة بالنسبة للأراضي المجاورة لها. كما تعني الشِّعْب والمسيل أو مجرى المياه. وتطلق مجازاً على حالة الانزلاق والتدحرج التي يقع فيها الانسان المنهار أخلاقيا أو المصاب بالافلاس مادياً أو معنوياً، فيقال له : "فلان وصل تالات" أي الدرجة السفلى. وهناك في منطقة تدغة مثال شائع يقال للانسان الذي يرفض استلهام الدروس من أخطائه للتراجع واصلاح اعوجاجه وانحرافه، فيقال عنه : "كَانْد اكْ، مَدّن تالات، أمْخيب (أي المنبوذ) إيقِّيمْنْ ديس" بمعنى : كل الناس في يوم من أيام حياتهم تدحرجوا إلى الأسفل (تالات) لكنهم تمكنوا من الافلات والصعود من جديد إلى وضعهم العادي، إلا المشؤوم والمنبوذ والمتعجرف فهو وحده يظل في تالات (الأسفل).

واسم تالات أو تالاتين شائع الاستعمال في المغرب ويطلق عادة على القرى والمداشير التي تقع في الوادي ويجري فيها عادة مسيل، وقد تم إحصاء حوالي ثمانين قرية ومدشر ومكان تحمل اسم "تالات" أو "تالاتين".

وتتمتع هذه القرى بتحصين طبيعي، يقيها من الرياح مثلا، ومن مداهمتها بسهولة من طرف المغيرين الأجانب. كما أن أهالي تلك القرى يقيمون زراعات كثيفة غالبا في المدرجات، والمساحات الضيقة، ويعيشون على اقتصاد القلة.

**تالات - ن - وامان**، مركب منجمي يتشكل من عدة استغلاليات منجمية وتعدينية نحاسية، ويوجد الموقع بشرق إغرم (إقليم تارودانت) في منطقة جبلية تتراوح ارتفاعاها ما بين 1809 م بتالات - ن - وامان و1739 م بأمنايو و1715 م بأكوني ن الخير و1580 م بايمي نيكرى (انظر الخريطة الطبوغرافية لإغرم 1 / 100.000). وتشهد الطبونيميا بالنشاط المنجمي والتعديني للمطنقة، إذ يوجد بالقرب من قرية أكوني مرتفع يسمى أفران وناس، وآخر يوجد بالشرق يعرف بأفرني.

وتتخلل المنطقة آثار منجمية وتعدينية مهمة، فمثلا حُفر بموقع ورنداز دهليز لاستغلال الترسبات المعدنية النحاسية بسمك مترين، وعلى طول ثلاثمائة متر، توجد بقايا دهاليز ردمت بعدما تم استغلال كل العروق المعدنية، وهذه طريقة كانت تطبق في جل المناجم المغربية القديمة، إذ يُعمد مباشرة بعد الانتهاء من استغلال العرق المعدني، إلى حشو كل التجويفات بالردم المعدني مخافة من الانهيارات.

وتم العثور على آثار للاشغالات المنجمية القديمة بمنطقة أكوني. وبأفرني توجد مجموعة آبار حفرت لاستغلال العروق المعدنية النحاسية الباطنية.

وتقع أهم الآثار المنجمية بتالات - ن - وامان، بالأماكن التي يتجاوز سمك الترسبات المعدنية بها ستين سنتيمتر، وتنتشر الآبار المنجمية على طول كيلومتر واحد.

وتغطي الاستغلاليات المنجمية لتالات - ن - وامان إجمالا مسافة 3,7 كلم باتجاه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي.

الخريطة الطبغرافية إغرم 1 / 100.000.

S. Vergero, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1942 ; Gorichon, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1953 ; T. Tortochaux, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1954 ; L. Gay, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1957 ; M. Saadi, *Mines et géologie*, N° 26, 1968 ; B. Rosenberger, *Anciennes exploitations minières*, *R.G.M.*, t.17, pp. 71 - 102. 1970.

الموساوي العجلاوي

**تالات - ن - يغشي**، منخفض يخترقه أحد روافد نهر غريس، وهي منيعة تحيط بها الجبال من الجانبين وأصبحت عبارة عن مضيق جبلي وفج عميق. وتكمن أهميتها في كونها الممر الأساسي من أيت هاني "بأمدغوس" نحو

"الريش" مرورا "بأسول". وكذلك من إميلشيل "بأسيف ملول" نحو الريش عبر أسول.

وتعتبر تالات ن يغشى، من المواقع المشهورة في أعالي نهر غريس بسبب المعارك البطولية التي كان هذا الموقع مسرحاً لها يوم 5 و6 غشت 1933. إذ تمكنت جماعة من المقاومين الشجعان من أيت مرغاد وأيت حديدو (أيت يافلمان) وغيرهم، من الوقوف في وجه طوابير تكاد لا تنتهي من جيوش الاستعمار، مجهزة بمختلف الأسلحة العصرية التي تطورت بأوربا آنذاك. وبفضل ذكاء المقاومين العسكري تمكنوا من استغلالهم للموقع والمسالك الوعرة لمحاصرة القوات الاستعمارية المغيرة على "تالات ن يغشى". هذا على الرغم من الاستعدادات الدقيقة والإمدادات الضخمة اتخذها الاستعماريون لاحتلال منطقة "أمدغوس" التي تعد من آخر معاقل المقاومة بمنطقة الأطلس الكبير الأوسط.

وهكذا فعلى إثر إخماد المقاومة التي تزعمها "سيدي المكي أمهاوش" يوم 14 شتنبر 1932، بعدما تدفقت القوات الاستعمارية من جميع الجهات لتحاصر المقاومين في تازگزاوت اضطر المقاومون إلى الاستسلام بعد قتال مرير تكبد العدو خلاله خسائر فادحة في الأرواح والعتاد منها سبعة ضباط من رتب عالية وأكثر من مائتي جندي بالإضافة إلى مئات الجرحى.

زحفت الجيوش الاستعمارية بعد هذه المعارك، خاصة فوج مكناس بقيادة الجنرال گودو (Général Goudot). نحو أسيف ملول واستقر بجيوشه بإميلشيل، وأخذ يزحف بالتدريج نحو أمدغوس حيث تم احتلال أگدال نايت ابراهيم. وفي نفس الوقت تم شق الطريق عبر مر تيزي - ن - تَغرغُوزينْ. الشيء الذي مكن الجنرال دوبيسون (De Buisson) من الزحف نحو أگدال السابق الذكر، ومحاصرة قرى أمدغوس بقوات ضخمة، قوامها أربعة فيالق وثلاثة مدافع بعيدة المدى وبفوجين من الگوم بالإضافة إلى قوات تم تجنيدها من القبائل التي أخضعها الاستعمار والتي يعبر عنها بالقوات الإضافية. وتم تجميع هذه القوات خلال الفترة الممتدة ما بين 18 و27 يوليوز 1933 في إطار الاستعدادات لاحتلال أمدغوس انطلاقا من الشمال.

وأما من جهة الغرب، فقد أدى إنهاء المقاومة بجبل صاغرو يوم 25 مارس 1933، بعد استسلام بطل المقاومة عسو أُبَسْلاَمْ، أدى ذلك إلى تجميع القوات الاستعمارية التابعة لمراكش في مركز بومالن دادس بقيادة الجنيرال كاترو Catroux منذ يوليوز 1933. وتم الشروع في شق الطريق في بومالن دادس نحو أعالي نهر دادس بإمدغاس Imdghass وتم احتلال قرية مسمرير وتامتتوشت، وتمت محاصرة أيت هاني وقرى أمدغوس من ناحية الغرب.

ومن ناحية الجنوب، حل الجنرال هوري Gl. Huré القائد الأعلى للقوات الفرنسية بالمغرب بتينغير تدغة التي حولها إلى مركز قيادته، وأخذ يسير العمليات العسكرية من هناك.

من جهة الشرق، قامت القوات الاستعمارية التابعة لمكناس وتادلة باحتلال المواقع الاستراتيجية والقرى حيث واجهتهم مقاومة أيت يحيى بكردوس، وتمكنوا من تطويق أعالي نهر غريس. وشرعت القوات الاستعمارية في تمشيط المنطقة للقضاء على جيوب المقاومة بأيت هاني.

وفي هذا الوقت أخذ المقاومون ينظمون أنفسهم ويعدون العدة لمواجهة الزحف الاستعماري المغير في المواجهة المصيرية، وقد اتخذوا الزوايا مقراً وملجأ لهذا التنظيم، وخاصة زاوية سيدي بويعقوب بأسول التي ساندت الجهاد ودعت الجماهير للالتحاق بصفوفها، وزاوية سيدي محمد أويوسف وهي فرع لزاوية سيدي بويعقوب، وزاوية قصر أيت سيدي بتلمي على مقربة من إميلشيل... وكانت خطة المقاومة مدبرة أحسن تدبير، بحيث أسندت قيادة المعارك إلى شخصيات معروفة بخصالها الحربية وتجربتها لمقاومة الاستعمار في معارك سابقة، هذا إلى جانب توفرها على رصيد من التقدير لدى رجال المقاومة. ومن بين هذه الشخصيات نذكر على سبيل المثال فقط :

زايد أوسكونتي من أيت عيسى إزم، وعلي أوطرمون، وموحى أوعرجي، وكلهم من أيت مرغاد. وكذلك سيدي حماد نايت سيدي العربي، والراضي مولاي امحمد بقصر إطُوفَـزُّو، وسيدي محمد المصغر وأخاه سيدي الطيبي الهواري وباسو أوعدي أمهاوش...

كما أصدر العلماء والفقهاء وأعيان الزوايا المذكورة فتاوي من أجل إعلان الحرب على الغزاة والحث على الجهاد. وكانت هذه القيادات تشرف على مجموع العمليات وتقاتل أحياناً في الصفوف الأمامية، ولهذا سقط الكثير منهم في ساحة الوغى.

وفي أوائل غشت 1933 أصدر الجنيرال هوري انطلاقا من تينغير أمره لقواد مختلف الوحدات من أجل تطويق المقاومين في معاقلهم الجبلية خاصة في فج تيزي نحمدون وجبل أيوب وجبل كردوس وذلك لمنع المقاومين من الالتحاق بجبل بادو الذي جرت فيه المعارك الحربية في أواخر غشت 1933. وفي كل موقع أخذت كتائب المقاومة تتمركز ليل نهار في خنادق وتحصينات من الأحجار تسترها أغصان الأشجار، كما وضع حراس في المرتفعات يتتبعون تحركات الجيوش الاستعمارية. كما كانت أسر المجاهدين تتحصن نهاراً داخل سراديب محفورة تحت الصخور، ولم تكن ضربات الطائرات والمدافع تصيب سوى قطعان الغنم في أغلب الأحيان ! (الأرض المحروقة).

وقد كانت القيادة الاستعمارية تدرك أن قبائل الأطلس الكبير الأوسط لن تستسلم بسهولة إلا بعد استنفاد وسائل المقاومة عن آخرها. وإلى هذا يشير الجنيرال ثيفيني Théveney في المجلة العسكرية *La revue militaire* بتاريخ 29 يوليوز 1993 :

"... ومثل منشقي تازكزاوت في 1932، وصاغرو في

1933، فإن منشقي الأطلس الكبير سيمتنعون أولا عن التفاوض، ولن يقع استسلامهم احتمالا إلا بقوة الضرورة، وذلك بواسطة أسلحتنا الأوتوماتيكية، ومدافعها المركزة في المواقع المختارة، وطيراننا المداوم على الارتباط بتحركات جنودنا. وأمام اشتداد الخناق عليهم، وانهاكهم بالجوع والعطش، وإبادتهم بالنيران، وبعد أن يكونوا قد أنقذوا الشرف، إلى الاستسلام أخيراً آنذاك سنجردهم من أسلحتهم ونكون بذلك قد أخمدنا فتنة الجبل بأكمله".

وقد أصدر الجنيرال هوري أمره لاحتلال تالات ن يغشي الذي يعد أحد روافد نهر غريس وذلك لإحكام الخناق على المقاومين الذين بدأوا يعتصمون بجبل بادو.

وتم تكوين فرق عسكرية من المشاة والمدفعية وذلك لاحتلال تالات ـ ن ـ يغشى لقطع الطريق أمام المقاومين نحو جبل بادو وأيوب، وساهم فوج مراكش ومكناس تحت قيادة الجنيرال جيرو Giraud بالنسبة لفوج مراكش والجنيرال دو لا بوم De la Baume بالنسبة لفوج تادلة في تلك العملية.

وفي هذا الوقت أخذ قواد المقاومة يعدون العدة للقذف بقبائل أيت مرغاد وأيت حديدو الأشاوس، في وجه الفرنسيين المغيرين على منطقتهم. وهكذا ففي ليلة 5 غشت 1933، اشتبك المقاومون مع القوات الاستعمارية المغيرة، وأخذوا يستدرجونها إلى المسالك الوعرة "بتالات ـ ن ـ يغشى" وفي هذا الصدد يقول أحد أبطال مقاومة "تالات ـ ن ـ يغشى" وهو من منطقة أيت هاني ويدعى "امبارك أو المعطي" يقول :

"كنا قد وضعنا حراساً في قمم الجبال المطلة على مدخل "تلات ـ ن ـ يغشى" لإرشادنا عن تحركات طوابير الجيوش الاستعمارية، فكان عليهم أي الحراس أن يتقدموا نحونا إذا تقدمت جيوش الاستعمار وأن يتوقفوا إن توقفت إلخ... ولما شاهدنا الحراس يقتربون منها، استشعرنا نوعاً من الذهول لأن الأمر يتعلق بالمعركة المصيرية، وكنت في مقدمة الصف وكان علي أن أطلق الرصاصة الأولى إيذاناً ببداية المواجهة... وهذا ما تم بالفعل وأخذنا نمطر القوات الاستعمارية بوابل من الرصاص من كل جهة ولم ينج منها إلا الفارون وغنمنا أسلحة كثيرة وعدداً كبيراً من الخيل والألبسة العسكرية" (راوية شفوية مؤرخة بـ 24 مارس 1974).

وإلى هذه المعركة يشير العقيد فوانو (Le colonel Voinot) في كتابه المشار إليه في المراجع صفحة 466 :

"وبعد تكوين وتنظيم القوات المكلفة باحتلال "تلات ـ ن ـ يغشى" تقدمت هذه القوات نحو هدفها يوم 6 غشت، إلا أنها فوجئت بهجومات مباغتة للمنشقين القادمين من بادو وأرغمت هذه الغارات قواتها للتراجع نحو ضفاف أحد روافد وادي تالات ن يغشى... وكانت خسائرنا في معركة "تالات ـ ن ـ يغشى" قد بلغت أربعة وأربعين قتيلا وواحدا وخمسين جريحاً ومقتل أربعة ضباط من رتب متفاوتة بين عقيد ومقدم ونقيب..."

وقد أثارت هذه المعركة البطولية للمقاومين معارضة داخلية في فرنسا، رغم أسلوب التعتيم الذي اتبعته إدارة الحماية عن العمليات العسكرية في المغرب بحيث أوهمت الرأي العام خاصة بعد حرب الريف أن المغرب تم احتلاله ولم يبق إلا عمليات محدودة ضد المنشقين وقطاع الطرق، فجاءت معارك أمدغوس وخاصة معارك "تالات ـ ن ـ يغشى" لتفجير الوضع من جديد، وهكذا كتبت جريدة لوبوبيلير *Le Populaire* بتاريخ 18 يوليوز 1933 :

"لا يزال الدم يسيل في المغرب". وفي عدد 14 يوليوز 1933 قالت : "عشرة قتلى آخرين واثنان وعشرون جريحاً في المغرب !". وفي عدد 11 غشت 1933 أي بعد معارك تالات ـ ن ـ يغشى، كتبت الجريدة المذكورة :

"... إن التوغل السلمي المزعوم في المغرب ليس شيئاً آخر سوى مشروع لصوصية كبيرة لفائدة الرأسمالية الاستعمارية، ومناسبة لبعض ذوي الرتب العسكرية لكي يربحوا شارات ونياشين بدم الجنود الفرنسيين والاهالي التعساء... إن صمت الحكومة ذو دلالة وسنرغمها على الخروج من هذا الصمت سواء أرادت ذلك أم لم ترده..." (جورج أوفيد، *اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية 1905 ـ 1955*، ص. 255، مطبعة دار توبقال).

وقد شكلت معارك "تالات ـ ن ـ يغشى" عقبة كأداء لتقدم الجيوش الاستعمارية، كما أعطت نفسها للمقاومة التي قامت بها قبائل أيت مرغاد بقيادة زايد اسكونتي بجبل بادو من 22 إلى 26 غشت 1933.

محمد المعزوزي وهاشم العابدي العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935*، مطابع الأنباء، الرباط، 1986 ؛ جورج أوفيد، *اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية 1905 ـ 1955*، دار توبقال، 1988.

L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 ; J. Saulay, *Histoire des Goums marocains*, Tome I, Paris, 1981 ; Lançon, *Les dernières étapes de la pacification dans le Grand Atlas marocain 1931 - 1933*, *R.M.F.*, Août - Sept. 1934 ; B. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas Central*, Paris, 1946.

عبد القادر بوراس

**تالبرجت** ← **أگادير**

**تالسمطان**، منتزه في منطقة جبلية تقع شمال شرقي مدينة شفشاون. مازال مشروع خلق منتزه تالسمطان في طور إنجاز الدراسة التي بدأت في نهاية سنة 1993.

يقع المنتزه الطبيعي لتالسمطان لمنطقة شفشاون حيث يغطي 60.000 هكتار من السلسلة الكلسية للريف التي استعير منها اسم المدينة شَفْ شَاوَنْ أو أشَّاوَنْ بالأمازيغية أو القرون والقمم بالعربية، إذ تشتمل منطقة المنتزه جبال الأقْرع (أو الأشهب) وتيسوكا وبوسليمان وخربوش وتازاوت وكلْتي.

يتميز منتزه تالسمطان بتضاريسه ومناظره الخلابة من صخور ووديان غارقة ومنحدرات تجلب الأنظار، وبيومناخاته الرطبة جدا والرطبة وشبه الرطبة، كما يزخر بتنوع نباتاته التي تشمل العديد من القبسيات.

وأهم الأهداف المتوخاة من خلق هذا المنتزه هو الحفاظ على غابة الشوح المغربي آبْـيِـيـسْ مـارُوكَـانـا Abies maroccana أو Sapin du Maroc بالفرنسية. وهذا النوع الشجري قبسي أصيل خاص بهذه المنطقة، وهو يغطي ثلاثة آلاف هكتار، ويضفي على المنطقة رونقاً وجمالاً لا مثيل له إطلاقاً. كما تصادف بالمنتزه غابات من الأرز وبلوط الزان، والبلوط الأخضر والبلوط القرمزي والعرعر البربري، وبعض أشجار القسطل الطبيعية.

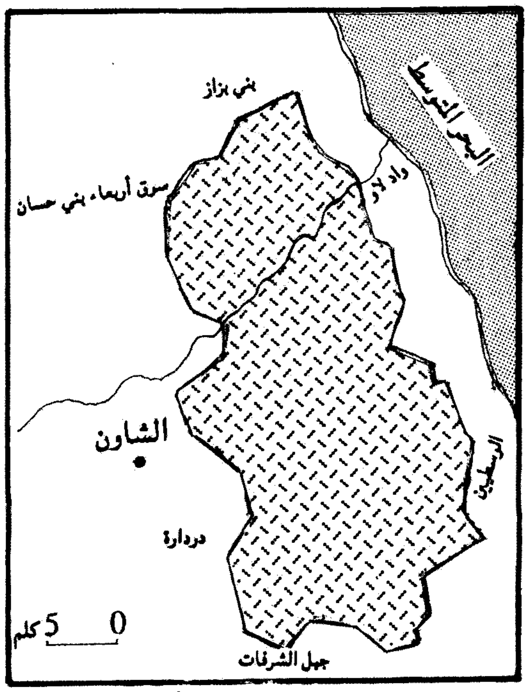


منتزه تالسمطان

إلى جانب هذه الأشجار المذكورة يتمتع زائر المنتزه بمشاهدة أزهار جميلة فائقة في الرونق، منها القبسية، كما يتمتع بأصوات عدد وافر من الطيور. ويمكنه أن يصادف القردة وهي تتسلق الصخور أو أشجار الشوح.

أبحاث ميدانية.

Benabid et Mahe, *Plan de gestion du Parc Naturel de Talasemtane*. Direction des Eaux et Forêts et de la Conservation des Sols, 1994.

عبد المالك بنعبيد

**تالسينت**، مركز تابع لعمالة فگيگ على بعد نحو مائة كيلومتر من بوذنيب وثمانين كيلومتراً من ميسور على ارتفاع 1300 م. تسكنه قبيلة أيت حمو أُسعيد من قبائل أيت سغروشن. وقد اشتهر أيت حمو أهل تالسينت بمقاومتهم العنيفة للاستعمار الفرنسي، بدءا من معارك بوذنيب عام 1325 / 1907 إلى سنة 1353 / 1934. وشكلت تالسينت أحد المعاقل الهامة للمقاومة لدرجة أن الكتابات الاستعمارية خصصت لها حيزاً كبيراً وأطلقت عليها "ملاحم أيت حمو".

ـ انضم أيت حمو القاطنون بتالسينت منذ الوهلة الأولى إلى المقاومة التي قادها مولاي أحمد أُلحسن السباعي منذ سنة 1907. ولما اقتحمت جيوش الاحتلال بوذنيب سنة 1916 عاد أيت حمو إلى تالسينت حيث أعادوا تنظيم المقاومة فواجهوا الجيوش الاستعمارية بقيادة الكولونيل دوري Doury يوم 17 يوليوز 1916 وكبدوها خسائر فادحة. وعند اندلاع المقاومة بتافيلالت سنة 1918 بقيادة مبارك بن الحسين التوزونيني انضم إليه أيت حمو وأعلنوا العصيان ضد سلطات الحماية واضطر الكولونيل هوري إلى القدوم إلى تالسينت على رأس جيش ضخم يوم 14 فبراير 1919. وبدأت المعركة من جديد لكن المقيم العام ليوطي أمر بوقف القتال في منطقة بوذنيب وتافيلالت والاحتفاظ بالوضع القائم بأقل التكاليف، وذلك لتجميع القوات الفرنسية لمواجهة البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي.

أدرك أيت حمو النوايا العدوانية للاستعمار الفرنسي وخطته في عزل الريف عن بقية المناطق ليتفرغ بعد ذلك لإخماد المقاومات الأخرى، لهذا رفضوا الهدنة التي أعلنها الاستعمار من طرف واحد. وتجلى ذلك يوم 13 جمادى الأولى عام 1344 / 16 دجنبر 1925 على إثر الحملة التي قامت بها السلطات الفرنسية لنزع السلاح من أيدي السكان، حيث استدعى الضابط الملازم الأول دى سباكس De Spax رئيس مكتب تالسينت جماعة من أيت حدو أُبلحسن وعلى رأسهم حمو أُحمو وأخوه محمد أُحمو من قصر أبيار فرقة أيت الخندوف، وكانت خطتهم ترمي إلى الاجتماع في السوق أولا قبل التوجه إلى مكتب الضابط، لكن هذا الأخير كان على علم بخطة القبائل التي تنوي الهجوم على مركز السلطة بتالسينت لاسترجاع السلاح. وقد أمر الضابط بإلقاء القبض على حمو أُحمو، ولكن سرعان ما تدخل شقيق هذا الأخير وأطلق الرصاص فقتل الضابط وتم قتل عشرة من الجنود والمخازنية. وكان مقتل الضابط "دى سباكس" بمثابة الشرارة التي أشعلت ثورة أيت حمو بتالسينت، حيث تم الاستيلاء على الأسلحة الموجودة في مركز السلطة الاستعمارية بتالسينت بعد السيطرة عليه. واستمرت المجابهة بين أيت حمو مع من انضم إليهم من القبائل المجاورة في منطقة تالسينت مثل أيت مريم وكذلك في بني تبجيت من جهة والجيوش الاستعمارية مدة قتل خلالها الضابط الذي خلف دى سباكس على تالسينت يوم 26 أبريل 1926، وبلغ عدد الأسر التي غادرت تالسينت وأعلنت تمردها على الاستعمار ثلاثمائة أسرة سنة 1928.

كانت أساليب مقاومة أيت حمو تقوم على حرب العصابات ومواجهة الجيوش الاستعمارية عن طريق نصب الكمائن والمباغتة للتغلب على التفوق العددي والأسلحة المتطورة لدى الجيوش الاستعمارية، وكان من نتائج الانتصارات التي حققها أيت حمو سنة 1928 حسب الكولونيل صولاي في كتابه *الگوم المغاربة* (ص. 238) : مقتل سبعة وثلاثين جنديا في منطقة بوبرنوس، وإبادة طابور من المشاة في عطشانة مع مقتل ثمانية وثلاثين جندياً، ومقتل خمسين جنديا تابع للفيلق في منطقة جبهاني.

وهذا كله على الرغم من نهاية حرب الريف وإتمام تهدئة منطقة تازا، الشيء الذي مكن من تجميع القوات في منطقة تالسينت ودائرة كراندو. ومع ذلك لم تتمكن القوات الفرنسية من القضاء على أيت حمو رغم استعمال مختلف الأسلحة بما فيها الطيران، الأمر الذي استدعى إعادة تنظيم الجيوش الاستعمارية. وفي هذا الصدد كتب الكولونيل فوانو في كتابه (*Sur les traces*, 248) : "لقد استدعى الأمر إعادة التنظيم وإنشاء قيادة موحدة للتخوم الجزائرية المغربية بقيادة الجنرال هوري وذلك خلال فبراير سنة 1930. والسبب في إعادة هيكلة هذا التنظيم يعود بالأساس إلى النتائج الهزيلة وغير المرضية التي أسفر عنها الصراع المسلح ضد "لصوص" أيت حمو.

قامت القوات الاستعمارية بحرب إبادة ضد أيت حمو حيث كانت تترصد أماكن خيامهم أثناء ترحالهم فتهاجمهم بالطيران الحربي. وأما في تالسينت فقد وجهت اتهامات لبعض الأعيان بمشاركتهم في العمليات العسكرية وتم إعدامهم، وبلغ عدد من أعدم ستة عشر شخصا. ومن الذين توجهت إليهم التهمة موحى أزگاغ العيساوي من أيت وزاك واستطاع الانفلات وتمكن من تنظيم المقاومة في ضواحي تالسينت ثم انضم إلى بقية قبائل أيت حمو الذين شاركوا في عدة معارك في تادرة قرب گلميمة خلال غشت سنة 1930، وفي صغرو خلال فبراير - مارس 1933، وفي معارك أخرى بالأطلس الكبير الأوسط.

وقد هجرت قبيلة أيت حمو تالسينت ورحلت بخيامها وماشيتها إلى المناطق الغير محتلة، فوجدها الجيش الفرنسي فرصة سانحة لهدم قصور أيت حمو بخنگ الصفصاف قرب زاوية تالسينت وقصر غزوان.

انتقل أيت حمو إلى تافيلالت ودرعة حـ [illegible] ضموا إلى جيوش بلقاسم النگادي لمحاربة الاستعما [illegible] وا في الصحراء حيث واجهوا الجيوش الاستعما [illegible] ارك منها معركة طنطان والزاگ ومعارك [illegible] بة الحمراء سنة 1934. وهناك تكتلت القوتان الاس [illegible] ن الإسبانية والفرنسية للقضاء على مقاومة أيت حمو في [illegible] ر أكتوبر سنة 1934.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء 16 ؛ م. المعزوزي وهاشم العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935*، الرباط، 1986.

J. Saulay, *Histoire des Goums marocains*, T. I, Paris, 1931 ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 ; M. Bernard, *La pacification du Maroc, 1907 - 1934* ; Alphonse, *L'achèvement de la pacification marocaine, méthodes et programme*, *R.M.F.*, 1935 ; A. Haddou, *L'odyssée des Aït Hammou de Talsint*, *Lamalif* N° 143, février- mars 1983, p. 44.

عبد القادر بوراس

**تالعينت**، تصغير العين "بأزغار" واقعة على بعد 20 كلم جنوب مدينة تيزنيت. يذكر أن هذا المجال عبارة عن مرعى استقطب موجات بشرية مختلفة من الجبال المجاورة والصحراء ووفد عليه أولاد جرار المعقليون منذ العصر الموحدي (المنوني، *إمارة*، ص. 27) فنمت إليه هجرة كثيفة كثيفة قبل الاستقرار النهائي للسكان، اعتباراً لموقعه كطريق للقوافل التجارية، على أن الماء كان الباعث الأساسي لاستقرار أولاد جرار بأزغار تيزنيت، حيث تجمعوا في قرى كبيرة حول العيون في الرگادة وإغرم وتالعينت.

كان لظهور "عين حسون" بتالعينت أثر كبير في استقرار جزء من أولاد جرار بها، بل إن الدفاع عن الطريق التجارية وحماية مصادر المياه والغلال خلق تلاحما أكبر بين أزغار في إطار حلف "تاحگات" الذي تتزعمه تالعينت ضد حلف "تاگوزلت" الذي ترأسه تازروالت. هذا التلاحم لا ينفي الصراع بين الأزَغَاريين عامة وبين الأسر والفخذات الجرارية حول مصادر المياه.

ذكر الاگراري أن حفر العين كان منذ بداية القرن الثاني عشر (18 م) استناداً إلى وثائق مكتوبة، وأن الذي عثر على مكان العين الحالي هو أحد السگراديين المسمى قيسوم بن أحمد السگرادي، في فدان للشيخ محمد بن علي الحسوني الذي تسمت العين باسمه، وأشرف على الحفر أيت همان بأيت بريم (*روضة الافنان*، ص. 4).

مرت الدورة المائية "لعين حسون" بثلاث مراحل :

- المرحلة الأولى تبدأ منذ ظهور العين على سطح الأرض في الثلاثين من القرن الثاني عشر، حين قسم الأطراف الثلاثة الذين شاركوا في الحفر مياهها فيما بينهم بالتساوي (أولاد حسون، أيت همان وإسگراد). وحسب أول وثيقة مؤرخة بعام 1331 فإن الدورة المائية كانت على مدار شتاء اثني عشر يوما صيفا وشتاء في كل يوم توزع فرديتان (نوبتان) فردية بالليل وفردية بالنهار (*روضة الافنان*، ص. 7) وفي كل فردية ستون طاسة وفي كل طاسة اثنتا عشرة دقيقة، ويشرف على توزيع الماء أشخاص يتوارثون حرفتهم يدعون "العبارة" ويحصلون مقابل عملهم على طاسة واحدة عن كل فردية.

- في المرحلة الثانية، تغيرت الوضعية القانونية للدورة المائية وذلك أواخر القرن الثالث عشر (19 م) ليصبح عدد أيام الدورة أربعة عشر يوماً، وارتفع عدد المستفيدين إلى عشرين أسرة.

- وفي المرحلة الثالثة، أصبحت الدورة المائية واحداً وعشرين يوما بزيادة سبعة أيام بتدبير من القائد عياد بتاريخ 11 ذي الحجة عام 1343 / 3 يوليوز 1925، وقد برر ذلك بقوله "اشتريت هذا الثلث عند سگرادة ولذلك زدتها وتبرعت للقبيلة بإصلاح العين وقتما احتاج إلى الاصلاح" (*روضة الافنان*، 7). بازدياد حصة أسرة بورحيم من مياه العين ازدادت المساحة المزروعة التي تمتلكها فكان لزاما عليها تحصين القرية لمواجهة الأخطار المحدقة. وهكذا أمر القائد عبد السلام وخليفته عياد بتسويرها سنة 1318 / 1901، كان علو السد 4،80 م وسمكه 0،80 م. له بابان كبيران يعتبران مدخل القرية حيث الدور والساحات ورياضان كبيران بداخل أحدهما منبع العين، فاكتسبت تالعينت سمة

الحاضرة، فقصدها العلماء والأعيان والتجار والحرفيون للاحتماء بسورها الذي صد عنها غارات الجبليين وحملات الكنتافي سنة 1918، بل إنها استرعت انتباه سلاطين الوقت، فزارها السلطان مولاي يوسف سنة 1926، وأصبحت قاعدة سوس الأقصى بعد تيزنيت بل إنها سعت إلى منافستها محتفظة بمكانتها تلك حتى أفول نجم أسرة بورحيم (انظر *المعلمة*، ج 5).

م. الاگراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، تح حمدي أنوش، ر. د. د. ع. الرباط 1989؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 19؛ *خلال جزولة*، ج، 1؛ م. المنوني، *إمارة بني يدر بسوس*، *مجلة دراسات*، كلية الآداب أگادير، العدد 1، 1987، ص. 27 - 29.
H. Dugard, *La colonne du Sous 1917*, Paris, 1918 ; Justinard, *Un grand chef berbère : Le Caïd Goundafi*, Casablanca, 1951.

حمدي أنوش

**تالغمت**، اسم مواقع متعددة في كثير من جهات المغرب، وخاصة في المناطق التي تسود فيها الأمازيغية. نجده مثلا، علما لقرية في سكتانة وأيت ووزگيت وگدميوة، ويعني الناقة (E. Laoust, 96).

يشتهر *ممر* تالغمت (تيزي - نْ - تالغمت) على الطريق الرئيسية الرابطة بين ميدلت والرشيدية، وهي طريق مطروقة بكثافة منذ القديم. يقع هذا الممر شرقي جبل العياشي، وهو أشهر ممرات الأطلس الكبير الشرقي.

أما زاوية تالغمت، فهي مرحلة من المراحل التي كان ينزل بها ركب الحج الناصري، وتقع بين سجلماسة والقنادسة. ولعل تطورها في القرنين الحادي عشر والذي يليه (17 - 18 م) إرجع بالأساس إلى نشأة فرع للزاوية الناصرية بها (*الرحلة الناصرية*، 2 : 196). فقد تتلمذ أحد أبنائها، وهو محمد أگرام للشيخ أحمد ابن ناصر. ترجم له الخليفتي، نقلا عن *الرحلة الناصرية*، فقال :

"ثم تتابع الناس أرسالا، وتلاحقوا أفواجا، وفيهم بلدينا المحب سيدي محمد أگرام به لقب، التگمدرتي". (*الدرة الجليلة*، 240).

وتكمن أهمية تالغمت بالنسبة للركب الناصري، في كونها مرحلة في الطريق، ينزل بها الحجاج للاستراحة واقتناء الرواحل.

وظلت زاوية تالغمت الناصرية، قائمة بعد ذلك، فقد توقف بها ابن عبد السلام الناصري في بداية القرن الثالث عشر (19 م) في أثناء قفوله من الحج. (*الرحلة*، 62). وماتزال حتى اليوم دار صلاح وعلم.

أحمد بن ناصر الدرعي، *الرحلة الناصرية*، ط. ح؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، تح. أ. عمال، 1986؛ م. ابن عبد السلام الناصري، *الرحلة*، م. خ. س.، 5658.
E. Laoust, *Contribution...*, 1942.

أحمد عمالك

**تالكتاوت ← بني سمكين**

**تَالْگجُونْتْ**، بكاف معقودة أو بكاف عادية. اسم يطلق على مجموعة من القرى تقع على السفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي شرق مدينة تارودانت، ما بين مركزي تافينگولت وءايت برحيل. ويقع جل قرى تالگجونت على أحد روافد الضفة اليمنى لنهر سوس، المعروف باسم أسيف - ن - تالگجونت الذي ينبع من الجدار الجنوبي والجنوبي الغربي من الكتلة الجبلية تيشكا.

أهم قرى تالگجونت إينْضْرْمَاسْ، إيگرْ - نْ - أُوفْلاَ، إيداَوْتْلاَلْ، تَلاتْ - نْ - حْقِّي... وتحيط بها المجموعات البشرية التالية : تاوينخت وإيفوزان وإيداَوكَايْسْ وإيگضَاشْنْ وأيت يُوش وأزَازنْ وتالامْتْ...

تعتبر تالگجونت من المواقع الجميلة في المنطقة نظراً لخصب تربتها ووفرة مياهها، وقد عرف سكانها كيف يستغلون هذه المعطيات، فجعلوا من الأراضي المجاورة لمجرى النهر جنات متصلة من أشجار الزيتون واللوز والتين وغيرها، ومزارع للقمح والشعير والذرة وأنواع الخضر.. وبنوا للنحل ولمختلف الحيوانات الأليفة.. كل هذا أنجز وسط غابة كبيرة محيطة من شجر أرگان الخالد الذي تشتهر المنطقة بإنتاج أحسن زيت منه، كما تشتهر بعسلها المعطر.

ينتمي سكان تالگجونت حسب ما ورد عند روبير مونتاني وجان دريش، إلى لَفِّ إيداوزْداَغْ الذي يقابله في المنطقة لفّ ءايت زوليط. ونتيجة للصراع الدائم بين هذين اللفين برزت سلطة أيت بازي بتالگجونت منذ منتصف القرن التاسع عشر، واحتفظت أسرة أيت بَازّي بالمشيخة (إمْغَارْنْ) ثم بالقيادة (لْقيَّادْ) منذ ذلك الوقت إلى نهاية فترة الحماية، وكان المرحوم القائد الحاج لحسن بَازّي آخر قائد منها.

*معلومات شخصية ؛ خرائط جان دريش.*
R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*.

علي صدقي أزايكو

**تالمبوط**، أو تالَنْبُوطْ، قرية تقع بفرقة بني شداد من قبيلة بني زجل (إقليم شفشاون). والغالب على الظن أنه كان بها في عهد الرومان مركز لحراسة الطريق الرابطة بين مركزوادي لاو ومركز إغاروزيم بالقرب من شفشاون، بدليل أنه ما زالت هناك آثار قنطرة رومانية قائمة الذات.

وهناك سد تالمبوط ويعرف أيضاً بسد وادي لاو Presa del Lau، وهو السد الوحيد الذي بناه الإسبان في عهد الحماية وجعلوا عليه معملا لتوليد الكهرباء ؛ ويقع بالقرب من القرية التي يحمل اسمها بقبيلة بني زجل (إقليم شفشاون). والطاقة الكهربائية التي يُنتجها معمل هذا السد كانت تغطي حاجيات الناحية الغربية من شمال المغرب بما في ذلك مدينة سبتة السليبة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 131.
A. Rivas, *La presa del Lau*, Tetuan, 1943 ; Martinez Campos, *España Belica*, 292.

محمد ابن عزوز حكيم

* * ويذكر في التاريخ أن قرية تالمبوط شهدت في القرن العاشر (16 م) وما تلاه، نهضة علمية ملحوظة فأصبحت تشكل مركزاً علمياً هاماً، اجتمع فيه من أبنائها ومن

الطائرين عليها علماء أعلام ومتصوفون كبار، منهم الشيوخ عبد الله الغزواني وعبد الله الهبطي والحسن ابن عرضون وأبوالقاسم بن خجو وموسى الوزاني ومحمد النالي الخالدي وعبد الوارث اليالصوتي وغيرهم، ورد هؤلاء الشيوخ على هذه القرية فبنوا بها مساجد غدت مدارس للعلم وموئلا للإرشاد والإصلاح، وكان لقدوم الشيخ الهبطي إليها أعظم الأثر على ازدهار العلوم الدينية بها ...

ع. الجيدي، *ابن عرضون الكبير، حياته وآثاره*، ص. 50. 51.

عمر الجيدي

**تالمست**، واحدة من بين زوايا ركراكة الثلاث عشرة المنتشرة على عدوة وادي تانسيفت الجنوبية وهي اكرات - تالمست - أقرمود - رتنانة - أيت بوطريطش - توريرت - أيت بوالاعلام - مرامر - تكتنت - امزيلات - سگياط.

وتسمى تالمست كذلك زاوية سيدي عبد الجليل نسبة إلى دفينها سيدي عبد الجليل بن منصور بن عبد النعيم والد سيدي مگدول دفين الصويرة، وهو أحد العلماء العارفين بالله، تلقى العلم بالأندلس والتحق بمصر حيث درس على الشيخ خليل صاحب *المختصر* وذلك سنة 774 هـ ثم عاد إلى غرناطة بالأندلس فشاع خبره وذاع صيته حتى وصل إلى ملك مراكش أبي الحسن المريني الذي قابله بالأندلس حين جوازه إليه وأمره بالرحيل إلى بلاد ركراكة ولم شتات المتفرقين منهم في قبائل المغرب بعد أن فروا من بطش ابن خزر المغراوي وتفرقوا في سوس وأغمات وتادلا في بداية العقد الرابع من القرن الخامس الهجري (432 / 1040 م).

ويعود الأصل في تسمية تالمست بهذا الاسم إلى روايات متضاربة لعل أرجحها تلك التي تنسب الاسم إلى الكلمة البربرية "تملْمَس" التي تعني النبع أو البئر، ذلك أن تالمست - سواءَ الزاوية أو المركز القروي القريب منها - يرتبط موضعها بواد دائم الجريات يحمل نفس الاسم تغذيه العيون والينابيع الكثيرة الموجودة على طول مجراه، ويرجح أن يكون هذا الاشتقاق صحيحاً نظراً لكون قبيلة ركراجة التي ينتسب إليها سكان تالمست هي قبيلة أمازيغية الأصل.

*دراسة ميدانية.*

محمد گلاد

**تالمّاغْت**، تكتب أيضا "تالمغت" و"تالماخت" بالخاء، كما ترد أحيانا معربة هكذا "لمّاغة". تطلق تالماغت من جهة على منطقة زراعية غنية تقع الآن بزعير جنوب مدينة الرباط، ومن جهة أخرى على فرقة من قبيلة زعير ما تزال معروفة حتى اليوم. وتجدر الإشارة إلى أن جل المعلومات المتوفرة حول هذا الاسم غالبا ما يقصد بها الموضع وأحيانا الموضع والقبيلة معا.

ارتبط ذكر تالماغت في المصادر المغربية ببعض الأحداث التاريخية التي ترجع إلى فترات مختلفة من تاريخ المغرب.

ولعل أول إشارة وردت في هذا الباب هي التي جاءت عند البيذق حيث ذكر في معرض حديثه عن فتنة يحيى بن أبي بكر الصحراوي بدكالة، والذي تعاضدت معه قبائلها وكذلك قبائل ركراكة وحاحة ضد الموحدين بعد فتحهم مراكش سنة 541 هـ، أن الخليفة عبد المومن بعث إلى يحيى جيشاً بقيادة يصلاسن بن المعز لإخماد ثورته والقضاء عليه، بينما أخذ هو طريقا آخر إلى سلا عبر تالماغت لمواجهة بقايا المرابطين هناك (*أخبار*، 68).

أما الإشارة الثانية فوردت عند ابن الزيات عندما ترجم لأبي محمد عبد الله ابن الخير الزناتي كأحد رجالات التصوف والصلاح الذين ينتمون إلى موضع قريب من تالماغت بتامسنا وعرفوا بكراماتهم واستجابة دعواتهم (*التشوف*، 296).

وقد كان للسان الدين بن الخطيب أفدنة بمنطقة تالماغت يقوم على حرثها، وهي من إهداء السلطان أبي زيان المريني حسب ما جاء في ظهير له مؤرخ في سنة 763 هـ حيث يصرح أنه أعفى ابن الخطيب من الوظائف وأن "تحرر له الأزواج التي يحرثها بتالماغت من كل وجيبة، وتحاشى من كل مغرم أو ضريبة بالتحرير التام" (*نفح*، 6 : 7)، كما منحه امتيازات أخرى كتخصيصه مرتبا شهريا له ولولده يؤخذ من محبي مدينة سلا يقدر بخمسمائة دينار من الفضة العشرية، إضافة إلى الإدم والأقوات من حيوان وعنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك ولا يطالب في كل هذا بمغرم أو وظيف.

أما في العهدين السعدي والعلوي فتتوفر معلومات أكثر عن تالمّاغت كموقع استراتيجي تعبره المحلات السلطانية في اتجاهها من مراكش إلى مكناسة وفاس عبر الرباط أو العكس، وذلك إما لتنقل السلطان بين عواصمه بهدف الاستقرار وتغيير مكان الإقامة، أو لإخماد فتن القبائل الثائرة هناك أو لقمع تمرد بعض قبائل زعير نفسها، كما كانت المنطقة مكانا مناسبا لتخييم المحلات السلطانية.

ففيما يتعلق بالقرن العاشر الهجري تذكر بعض المصادر أنه في سنة 989 هـ أقطع السلطان أحمد المنصور الذهبي بلاد تالمّاغت لفرقة من عرب حوز مراكش هم أولاد مطاع (*مناهل*، 112). لكن في سنة 997 هـ وقع نزاع بين قبيلتي أولاد حسين وأولاد مطاع حول النفوذ على أرض تالمّاغت، فكانت الهزيمة على أولاد مطاع. وعندما وصل الخبر إلى أحمد المنصور سرح إليهم جيشاً بقيادة أبي اسحاق إبراهيم بن محمد السفياني الذي وضع حدا لفتنة أولاد حسين وفرض عليهم مغارم ثقيلة (*مناهل*، 51).

وخلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18. 19 م) كانت تالمّاغت مسرحا للعديد من المواجهات إما بين قبائل المنطقة أو بينها وبين السلطة المركزية نجملها فيما يلي :

- في سنة 1157 هـ وقعت مواجهة بين السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل وأخيه مولاي المستضيء الذي ثار

عليه بسلا حيث بايعه أهلها وساندته قبائل بني حسن وفرقة من عبيد دكالة في حصار مدينة الرباط مدة أربعة عشر شهرا. وكانت من نتائج هذه الوقعة التي تعرف بازبيدة انهزام الأمير الثائر وفراره إلى ناحية مسفيوة ( *الضعيف*، 1 : 263 ).

ـ في سنة 1193 هـ نشبت حرب ضروس بين عرب الصباح وزعير بتالمّاغت على رأس مرسى أگدور ( *الضعيف*، 1 : 338 ).

ـ وجه السلطان سيدي محمد بن عبد الله مجموعة من الحملات العسكرية إلى تالماغت لردع بعض قبائل زعير المتمردة على المخزن وتأديبها، وكانت أهم تلك الحملات وقعة سنة 1201 هـ و1203 هـ ( *الضعيف*، 1 : 352، 360، 372 ).

ـ حملات السلطان مولاي سليمان لإخماد فتن قبائل زعير بتالماغت خاصة سنة 1209 هـ ( *الضعيف*، 2 : 457 ـ 460 ).

ـ في سنة 1225 هـ أمر الباشا الغازي الشاوي قبائل زعير ببناء قصبة في مشرع المسناوي بتالماغت وأن يقيموا فيها سوق الأحد ( *الضعيف*، 2 : 649 ).

من جهة أخرى شكلت تالماغت إحدى المحطات الأساسية التي تعبرها المحلات السلطانية في اتجاهها من مراكش وفاس وإليهما، كما تتخذها أحيانا للراحة والاستجمام. في هذا الإطار نشير إلى :

ـ الطريق الذي سلكه سيدي محمد بن عبد الله انطلاقا من مراكش لردع قبائل شراگة شمال فاس سنة 1202 : مراكش ـ قنطرة تانسيفت ـ وادي أم الربيع (أحمري) ـ أزبيدة بتالماغت ـ تنويارت ببلاد السهول ـ المبيت بقصبة الجياد ـ المبيت بزرهون ـ مكناسة ( *الضعيف*، 1 : 359 ).

ـ رحلة السلطان مولاي سليمان من مكناسة إلى مراكش سنة 1217 هـ : مكناس ـ المبيت بعين العرمة ـ بهت ـ ضاية رومي ـ المبيت بگلتة الفيلا ـ أزبيدة بتالماغت ـ مراكش (*الضعيف*، 2 : 605 ).

ـ رحلة مولاي سليمان من مراكش إلى مكناسة سنة 1228 هـ : مراكش ـ قصبة تادلا ـ عين الليل ـ تالماغت ـ مكناسة الزيتون ( *الضعيف*، 2 : 698 ).

ـ رحلة من فاس إلى مراكش سنة 1229 : فاس ـ مكناسة الزيتون ـ المبيت بالخميسات ـ ازبيدة بتالماغت ـ وادي أم الربيع ـ مراكش ( *الضعيف*، 2 : 717 ).


أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، ج 6، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 4، الدار البيضاء، 1955 ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الله گنون، الرباط ـ تطوان، 1964 ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، 2 ج، تح. محمد البوزيدي الشيخي، الدار البيضاء، 1988.


رشيد السلامي

**تالنُوفتْ** أو تانلوفت، مادة مستعملة في البناء، هي عبارة عن نوع من التراب أبيض اللون. يوجد ببعض الأماكن في السفح الشمالي والسفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط (منطقة دادس على الخصوص). ويستعمله السكان لطلاء جدران منازلهم. ويضيفون إليه التبن ليكتسب القوة والمناعة التي تجعله صقلا ومقاوما للأمطار. وبعد مزجه بواسطة الماء يترك المزيج ليختمر مدة قصيرة وبعده يصبح جاهزاً للاستعمال. ومن مزايا هذا التراب أنه إلى جانب مقاومته للأمطار والرياح والشمس (مختلف عوامل التعرية) يعطي المنازل رونقا يزيدها جمالا وبهاء.

*تحريات ميدانية.*

محمد حمام

**تالوبات** (Talubath)، عدها بينيي (Besnier) من المدن التي ورد اسمها عند الجغرافي بطليموس (Ptolémée) (القرن 9 م)، وقد وطنّها عند منابع نهر سُبور (Subur) الذي يوافق حسب معظم الدارسين واد سبو الحالي. النهر الرائع والصالح للملاحة على حد قول عالم الطبيعة اللاتيني بلين القديم (Pline L'Ancien) (القرن 1 م).

وتطابق تالوبات عند الباحث بينيي مدينة تانبت (Tanebet) المذكورة حسب نفس المؤلف بمصادر الجغرافيين العرب.


M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc : Maurétanie Tingitane*, *A.M.* I, 1904, pp. 301 - 365.


البضاوية بلكامل

**تاليت**، كاهنة ← **حاميم**

**تَـالِـيليت**، مركز جهادي في حرب الريف يقع بقبيلة تمسمان بإقليم الناظور على بعد حوالي تسعين كيلومتراً من هذه المدينة.

استطاع الجيش الاسباني احتلاله يوم 3 / 6 / 1921 وأقام فيه معسكراً من بين تلك المعسكرات الأمامية المحيطة بالمركز الرئيسي الذي كان موجوداً "بأنوال" قبل احتلاله من قبل المجاهدين في الحرب الريفية الثالثة، أيام عبد الكريم الخطابي. وكان السبب في إحداث هذا المركز مثل غيره من المراكز القريبة، أنه عندما وجدت قوافل التموين الإسبانية صعوبة كبيرة في تنقلاتها من مركز إلى آخر، أمرت الحكومة الاسبانية الجنرال سيلڤيستري قائد القوات الاسلامية بالإقليم "أن يقوم باحتلال أكبر عدد ممكن من المراكز الثانوية حتى يتمكن من التغلب على المشاكل، ويؤدب الثوار بما يستحقونه من تأديب" (م. بن عزوز حكيم، *معركة أنوال*، ص. 59 ).

وتنفيذاً لهذا الأمر قام باحتلال عدة مراكز في بني أوليشك وتمسمان من بينها "تاليليت" فيما بين ثالث ورابع يونيو 1921.

في هذا الموقع، جرت "معركة تاليليت" الأولى، عندما قام المجاهدون يوم 16 يونيو 1921 على الساعة السادسة صباحاً بمحاولة اقتحام هذا المركز، في نفس اليوم الذي

هاجموا فيه مركز "بومجان" وذلك عندما أرادت حامية المركز الأخير سقي الماء من وادي أنوال. فقوبلت بوابل من الرصاص الذي أحدث الرعب في صفوفنا بسبب العدد الهائل من الجنود الذين ذهبوا ضحية سقي قطرة من الماء لأنه لم تمر إلا دقائق حتى تحول الاشتباك إلى معركة عنيفة" " (الملازم كسادو الذي كان شاهد عيان، في كتابه *اغريباً* ).

وورد في سجل العمليات الحربية اليومية للإقامة الاسبانية العامة بتطاون أن المجاهدين أغاروا على مركز "تاليليت" يوم 16 يونيو 1921 ومركز بومجان القريب منه وأن المعركة استغرقت النهار كله، نجم عنها ستة عشر من القتلى في صفوف الجيش الإسباني وخمسة وأربعون من الجرحى".

وفي يوم 21 يوليوز 1921، وقعت "معركة تاليليت" الثانية وذلك عندما قامت القوات الريفية بمحاصرة هذا المركز في نفس اليوم الذي سقط فيه مركز إغريباً وشُرع في محاصرة "أنوال". وفي اليوم التالي 22 يوليوز تم طرد حامية "تاليليت" بعد مصرع أربعة وثلاثين جندياً من أفرادها، فالتجأت إلى مركز "سيدي ادريس" على شاطئ البحر، إلى أن حان دور هذا المركز الأخير يوم 25 من نفس الشهر، فاقتحمه المجاهدون وقتلوا خمسمائة وثمانية وعشرين جندياً من حاميته.

م. ابن عزوز حكيم، *أنوال*، 21 يوليوز 1921 ؛ *معارك الثورة الريفية ومضات مضيئة عن الحرب الريفية*.

عبد الله عاصم

**تاليوين**، (بالشمال) تل مرتفع (87 م) متقدم في مياه البَحر الصغير (سبخة بوعرگ) على شكل شبه جزيرة صغيرة، بارزة في شمال البحر على ساحله الغربي. توجد به في الوقت الحاضر قبة ضريح سيدي علي تيمْكارْت (تامكارت أيضا) ولذلك يُعرف تل تاليوين في الوقت الراهن باسم صاحب الضريح.

وتاليوين جمع تالا أو تَلا، بمعنى عين الماء في اللهجة الأمازيغية. وينطبق الاسم على المكان نظراً لوجود سابق لعدة عيون لا وجود لها في الوقت الراهن. قيل إنها كانت موجودة، وعددها ثلاثة، على السفح الغربي من البرزخ الصغير الرابط بين التل وكتلة جبل قلعية.

عرفتنا الوثائق الإسبانية خلال القرن السادس عشر بتاليوين باسم Talayon، وكان التل آنذاك نقطة مراقبة (أي الناظور) من طرف القلعيين للسفن الإسبانية الآتية إلى مليلة المحتلة، ولسفن الإيالة الجزائرية الداخلة إلى البحر الصغير. وكان لتل تاليوين أثناء حصار سيدي محمد بن عبدالله لمليلة دوره الاستراتيجي.

وقد اتخذت السلطات الإسبانية، أثناء فترة الحماية، تاليوين مركزاً لتطهير معدن حديد جبل وگسان، قبل أن يتم نقله إلى مرسى مليلة للتصدير، وماتزال آثار التطهير في حقل اصطناعي واقع بجانب التل.

والمكان في الوقت الراهن محطة تشرف عليها شركة ماروسْت (Marost) القائمة بتربية الأسماك النادرة، وتوليد الطحالب بالبحر الصغير.

ح. الفگيگي، *قلعية ومشكل الوجود الاسباني بمليلة*، 1 : 118، 125. 152، 189 ؛ 2 : 302 ؛ *خريطة طبوغرافية 1935* ؛ *زيارة ميدانية*.

حسن الفگيگي

**تاليوين**، (بالجنوب) مركز استراتيجي وإداري قديم يقع بهضاب وجبال شمال الأطلس الصغير، ولهذا يتلقى أمطاراً لابأس بها في هذا الوسط القاحل : 205 ملم / سنة. وتقطنه اليوم جماعة قروية زاد عدد سكانها سنة 1982 على عشرين ألف نسمة.

تنتشر أراضي تاليوين على طول واد إزگموزن والجبال المحيطة به وهي جبال ترجع صخورها إلى ما قبل الكامبري، كلس وحت ورصيص، وهي صخور جرداء نادرة التربة. ويتميز وادي إزگموزن هنا باتساعه وظهور مياه سطحية بمجراه وظهور بعض العيون بهوامش سريره مما وفر مجالا ضيقا لزراعة مسقية بساتينية لأشجار الزيتون واللوز والنخيل والتين والحبوب والعلف وبعض الخضر للاستهلاك الذاتي. لكن الملكية صغيرة جداً ومفتتة، وبدأ يَشاع استعمال الضخ الميكانيكي في إطار تجديد الأساليب الفلاحية والتوسع في زراعة الخضر والعلف لتغذية الأبقار. وأما الزراعة البورية للشعير فإنها نادرة لقحولة الأراضي خارج الوادي، وتشتهر بعض الأودية العالية بسگتانة وأسكاون بإنتاج الزعفران الذي يعتبر أهم ثروة زراعية بالمنطقة. وتوفر البراري الواسعة مرعى فقيراً للمواشي الصغيرة تحقق مداخيل مهمة في بعض السنوات الوفيرة المطر. وينتمي سكان الجماعة إلى قبيلة سگتانة. ويفسر البعض اسم تليوين بكونه جمعاً لتلات أي الشعبة بلهجة سوسية جنوبية.

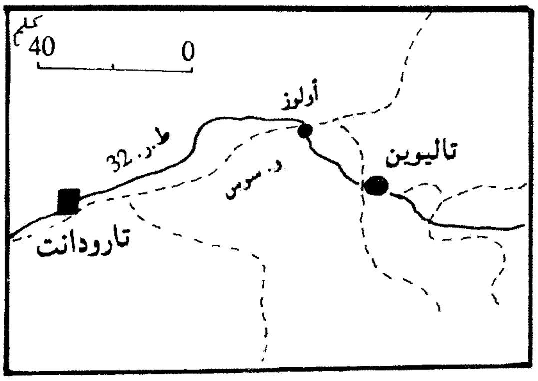


موقع تاليوين

كان بمركز تاليوين قبل الاستعمار قيادة سكتانة وحصن يشرف على الطريق الصحراوي الواصل بين سوس ووادي درعة "والقبلة" أي الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير المشرفة على الصحراء، به بقايا أبراج المراقبة ومخازن جماعية التي يدعى الواحد منها أگادير.

يقع المركز الحديث لتاليوين عند معبر لواد إزگموزن أحد الروافد العليا لواد سوس على الطريق الرئيسي رقم 32 الرابط بين تارودانت وورزازات على علو 1020م. ويتكون من مركز إداري وتجاري حديث مفتوح على الطريق الرئيسي وعدد من الدواوير تمتد على مقطع من الوادي بالضفة اليمنى والطريق الرئيسي الموازي له على طول ستة كيلومترات. وأهم التجمعات هي زاوية تاكركوست حيث يسكن الموظفون وتوجد معظم المصالح الإدارية وتامليلت وبولگا وإددوأوزرو. ذات بناء تقليدي يتخللها سكن متشتت حديث معظمه للمهاجرين والموظفين والتجار. لم تظهر المنشآت الاستعمارية هنا إلا بعد سنة 1929 حيث أنشئت ثكنة للمخازنية ومركز نائب المراقب المدني إلى جانب قايد سگتانة وتحول إلى مركز دائرة حظي بمنشآت عمومية كثيرة : قيادة مركز درك ومحكمة ابتدائية ومستشفى وإعدادية، الخ. وينعقد به سوق أسبوعي على طريق قديم بالضفة اليسرى يومي الأحد للمواشي والاثنين للتبضع، وهو سوق قديم ينعقد بمكان ضيق يتوفر على تجهيزات مهمة تصل إليه البضائع والخضر من تارودانت وأگادير ويزود السكان بالحاجيات الأساسية، وتعرض به منتجات محلية قليلة، أهمها المواشي والجلود والزعفران والزرابي التي تشتهر بها تاليوين، ويتوفر المركز على سويقة دائمة بها متاجر كبيرة حديثة إلى جانب دكاكين بقالة بمختلف الدواوير وتجهيزات أساسية ومولد كهربائي محلي يزود المنازل والأزقة بالإنارة. وتقرر ربط المركز بالشبكة الكهربائية الوطنية سنة 1991. كما يتوفر على برج مياه يزود الإدارات وسكن الموظفين. ولوقوع تاليوين على طريق سياحي مهم لجولات الجنوب الصحراوي فقد أنشئ به فندق سياحي كبير مصنف في أربعة نجوم طاقته ستون غرفة إلى جانب فندق آخر صغير.

*بحث ميداني في خريف 1990 ؛ خرائط طبوغرافية وجيولوجية تغطي المنطقة.*

أحمد هوزالي

**تامازيرْت**، وتجمع على "تيميزَارْ" كلمة أمازيغية تعني بهذه الصيغة الأرض والحقول والمخيم والمقام والموطن والوطن. هذه المعاني تَردُ كلا أو بعضا عند ذكر الكلمة حسب المناطق وحسب السِّياق.

غير أن المعنى الغالب اليوم في القسم الجنوبي من المجال الأمازيغي المغربي هو معنى الموطن بالمعنى المحدود أو الوطن بالمعنى الواسع. والذي تقابله في مناطق أمازيغية أخرى كلمة "تامُورْت".

وإذا استعملت الكلمة بصيغة المذكر : "أمَازير" فإنها تعني السماد الحيواني أي ما يسمى في كلامنا الدارج "لغبار" وهو الدَّمَال.

وهكذا نلاحظ أن الكلمة شديدة الارتباط بالأرض والحيوان وتترجم العلاقة بينهما وتجسم أهمية هذه العلاقة بالنسبة إلى الإنسان المزارع.

وقد استعملت الكلمة بصيغة المفرد أو الجمع أسماء أعلام جغرافية في الأطلس الكبير الغربي بصفة خاصة. وفي هذه الحالة غالبا ما تعني الحقول أو المزارع.

م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، الجزء الأول، الرباط، 1990، ص. 174 ـ 179.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire*..., t. II, p. 638 ; E. Laoust, *Contribution*..., p. 68 ; Id., *Mots et choses*..., p. 2, n. 2 ; E. Destaing, *Vocabulaire*..., p. 215, 137 ; J. Berque, *Structures*..., p. 356, n 1.

علي صدقي أزايكو

**تاماست ← ماسة**

تاماست ← ماسة

**تاماسينْت**، قرية تقع بفرقة المرابطين من قبيلة بني ورياغل (إقليم الحسيمة) ؛ وإلى هذه القرية نفي بطل المقاومة المسلحة المغربية بناحية جبالة والهبط وغمارة الشريف مولاي أحمد الريسوني عندما ألقى الأمير الخطابي القبض عليه بتازروت، وقد توفي الريسوني بالقرية المذكورة يوم 9 رمضان 1343 / 13 أبريل 1925.

وأما سقوط القرية بيد الجيش الإسباني فقد كان يوم 20 ماي 1926.

*Nomenclator cabilas*, 1953 ; Martinez Campos, *España belica.*

محمد ابن عزوز حكيم

تامامّايت ← الطرفة

**تاماوُسْت** أو تاماوُشْتْ، كلمة أمازيغية جمعها تيماوّسين. هذا في الأطلسين الكبير والصغير، ويسمى نوع منها في الأطلس المتوسط "تاماويت". تطلق على لون من ألوان المحاورات الشعرية وتكون مرتجلة وذات مستوى رفيع، سواء من حيث الشكل والإيقاع الصوتي المميز أو من حيث المضمون الذي كثيراً ما يتستر وراء الرمزية والإلغاز.

ـ يتحاور فتيان قرية ما وفتياتها أو فتيان قبيلة وفتياتها في موسم أو في عرس أو عند زيارة رجالات قبيلة لجارتها، ويتناولون الحب العذري والحياة الزوجية كما يرونها، إضافة إلى تأملات في الطبيعة وفي البيئة الاجتماعية بإيجابياتها وسلبياتها...

كانت تمارس هذه المبارزة الشعرية بكثرة في القديم خلال فصل الشتاء في ساحات خاصة بكل قرية تسمى "أسُوكْ" وهو عبارة عن ممر بين الدور قد يكون مغطى يصنع به موقد طبيعي بجانبه أحجار منحوتة "تيسوراگ".

ـ تأتي الفتيات بالأخشاب بالتناوب كل ليلة للإنارة وللتدفئة من قساوة البرد، يجلس الفريقان متكئين على الجدارين المتقابلين وبينهما الموقد وألسنة النار تتراقص... يجلس على بعد أمتار قليلة جمهرة من العزاب المؤيدين والمؤيدات قد تشاركهم قلة من الرجال والنسوة ممن اشتاقوا لذكريات عزوبتهم ومحاوراتهم الإبداعية.

بعد الجلوس الذي حاولتُ التعريف به زمناً ومكاناً، ينتدب الفتيان أذكاهم وأقواهم ملكة شعرية ليحاور المنتدبة من طرف الفتيات وبصوت جد عال يسمع خارج القرية. حيث المفروض أن يكون الجواب مقنعاً وبأقصى سرعة بعد

أن يطلق العنان لحنجرته وبنفس الإيقاع الصوتي والعروض للطرف الآخر فور سماعه (رَارْ إمايْكْ نِّيغْ) (أجب عما قلته لك) متبوعاً بقول الجماعة وبصوت واحد (هـيـيْ) وكلمة (هـيـيْ) عبارة عن إيقاع صوتي تميزه نغمةَ خاصة وهي تاماوشت. وتردد الكلمة كلالالة على استحسانهم للتدخل وتشجيعهم للمنتدب المتدخل، وفي نفس الوقت تعني نهاية التدخل مطالبة الطرف الآخر بالإجابة الفورية.

تتناول المحاورة غالبا الحب العذري الصادق صدق الطبيعة وسكانها كما تتناول نظرتهم للحياة الزوجية كعالم يسعون لولوجه بمجرد أن يجد كل واحد من ترتاح إليه نفسه، وما أكثر النماذج التي يرددها الرواة وهي تتغنى بالطبيعة وبافتخار كل جانب بما يميزه عن الآخر، مما يؤدي إلى هجاء هذا الطرف كذلك، لكن ليعودوا في النهاية إلى المصالحة وإلى ملء كؤوس الصفاء والثناء ليرشف هذا الجانب وذاك قبل أن يتفرقوا ليذهب كل إلى بيته بعد أن يضربوا موعداً لمسامرة مماثلة.

ولهذا النوع من اللقاءات عدة مزايا منها التعارف قبل الخطبة والمساهمة في إغناء الرصيد الشعري بهذا اللون الرفيع من الأدب الشعبي. وما زالت قبائل إغرم بدائرة تارودانت وغيرها من قبائل الأطلسين الصغير والكبير تردد روائع (تاماووست) المأخوذة من أفواه الرواة المسنين والمسنات.

ولكي يتلمس القارئ نوعية الشكل والمضمون أضع أمامه نماذج معربة :

الجماعة :

هي :

يِيويدْ إيكرْ تيسكرين　　ياويد أُمَالوا لابواز.　　ءاربي سولموگار.

رَارْ إمايْكْ نِّيغْ

جاد الحقل بالقطا　　وجاد الظل بالبزاة　　جاد الله باللقــا !

أجبَن مقالتي !

هو :

يانْ إيكانْ ويِنُو گِيغْ وينس　　مْقَّارْدأيْرَ دُو فُوسْ أفاسِي　　نْزّيضَرْ ءاردْ إيبّي

رَارْ إمايْمْ نِّيغْ

مِن هواني هَويْتُه　　إنَّ في يمنايَ رضاه　　تصبرت أن تُبتـرا

أجيبي عن مقالتي

هي :

يانْ إيكانْ وينُو گِيغْ وَيَنْس　　مْقَّارْ ءايْرادْ وامانْ نْ　　والـنْ إينُو نْزّيضَرْ ءارْدْ أگمْنْ.

رار إمايكْ نِّيغ

مِن هواني هويتُه　　إن في مُقلتي رضاه　　تصبرت أن تؤخـذا

أجب عن مقالتي

هو :

بُوغْلُو بُوغْلُو　　أرمَّان نْ ـ لحوبوس　　ماترِيتْ تَارْوَا　　ءارْسُومُو من أديف

رَارْ إمايم نِّيغْ

ألا ما زلتُ يانعاً　أيها الرّمان الموقوف　　دع عنك ذا الإثمـار

أجيبي عن مقالتي

هي :

لهَمْ أُلْهَمْ أَلهْمُومْ　　ءايسمدُونْ　　إمَّا تَاروا لانتن تودادينْ

رارْ إمايْك نِّيغْ

إنما تنحل الهموم　　مارق الظبي بالولد

أجب عن مقالتي

محمد مستاوي

ابن **تامْتِيتْ، أحمد** بن محمد بن حسين بن علي اللواتي. ولد عام 548 هـ بفاس حيث نشأ وتعلم، وتنقل في كثير من بلاد الإسلام كإشبيلية وإفريقية ومصر ثم المشرق حيث بلغت شهرته أوجها كفقيه عالم ذي باع طويل في رواية الحديث وحفظه وفي مسائل التصوف.

شكلت هذه الرحلة فرصة سمحت لابن تامتيت بأن يلتقي مع كثير من علماء عصره ويتتلمذ على بعضهم، نذكر من بينهم أبا الحسين يحيى بن محمد ابن الصائغ (*نيل*، 63) وأبا الوقت الذي أخذ عنه بالإجازة العامة، ومحمد بن رشيد الشافعي الملقب بشرف الدين. روى الحديث عن ابن تامتيت ثلة من علماء المشرق والمغرب كالحافظ أبي بكر بن سيد الناس اليعمري الذي روى عنه كتاب *الشفا* للقاضي عياض (*أزهار*، 4 : 340)، وإبراهيم ابن الكماد المرادي الفاسي الذي كان يعتبر من أحفظ أهل زمانه للحديث النبوي (*جذوة*، 85)، وعلم الدين الدواداري وغيرهم.

توفي بالقاهرة يوم الرابع من شهر محرم عام 657 / فاتح يناير 1259 بعد أن عُمِّر طويلا إذ تجاوز المائة سنة تاركا مجموعة من التصانيف جلها في علم الحديث.

أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 116 ـ 117 ؛ ابن الأبار، *التكملة*، مصر، 1955، ص. 129 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، الرباط 1978، ج 4 ؛ الحنبلي، *شذرات الذهب*، د. ت، 5 : 288 ـ 289 ؛ أ. بـابَ، *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت ؛ العبدري، *الرحلة*، تح. م. الفاسي، الرباط، 1968، ص. 246 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، الرباط، 1986، 4 : 145.

ابن **تَامْتيتْ**، أبو الحسين **يحيى** بن أحمد بن محمد بن حسين بن علي اللواتي. لا نعرف إلا القليل من أخباره عكس والده أحمد الآنف الذكر. وإذا كانت جل كتب التراجم قد أغفلت الحديث عنه، فإن الإشارة الواردة عند ابن غازي في *فهرسته* تفيد أنه كان من بين المغاربة الذين اهتموا بعلوم الحديث بمصر وبرعوا في حفظه وروايته وتدريسه، فقد تتلمذ عليه كثير من علماء مصر وغيرهم، كما قرأ عليه ابن غازي بالرواية كتاب *الشفا* للقاضي عياض. لم نقف على تاريخ وفاته.

ابن غازي، *التعلل برسوم الاسناد*، تح. محمد الزاهي، الدار البيضاء 1979، ص. 46، 153.

رشيد السلامي

**تامَجَّاثت**، موضع يقع في الطريق بين مدينة درعة

"تيومتين" ومدينة "سجلماسة" وهو على بعد مرحلة من المدينة الأولى، سمي المكان بالاسم الأمازيغي لنوع من الأشجار كان موجوداً فيه بكثرة وقامت على أساسه صناعة نشيطة لنحت الأواني الخشبية التي كانت تصدر إلى كافة أنحاء المغرب وخارجه خلال العصر الوسيط الأعلى، إذ بعد الوصف الذي قدمه لنا البكري في كتابه *المغرب* (ص. 156) لم يرد ذكر للمكان ولا للأشجار في المصادر اللاحقة.

لم يعط البكري على غير عادته تفسيراً ولا مقابلة لكلمة تامجّاثت مما يناسبها باللغة العربية، بل قال إن الموضع ينبت فيه شجر يسمونه تامجّاثت مما يقوي الاعتقاد أنه اسم محلي أطلق على ذلك النوع من الأشجار لخاصية تتميز بها عن غيرها. أما لماذا سميت تلك الشجرة هكذا، فلأنها نوع من العرعار القديم المتخلف عن الزمن الجيولوجي الرابع تكيف مع التغيرات المناخية فأصبحت الشجرة ذات تكوين خاص "جذع ضخم عليه أغصان قليلة قصيرة، رقيقة ومتفرقة مكللة بقليل من الأوراق التي تشبه أوراق الطرفاء وترسل مثلها عند فترة الإزهار ذرات من الغبار الأبيض فتبدو للرائي آنذاك شعثاء قرعاء" (تشبيه بأمجوض).

لم يعد لهذا النوع من الأشجار وجود في المنطقة التي ذكرها البكري بل قريب منها وعلى السفوح الشرقية لجبل درن يمكن مشاهدة المنظر المثير لبقايا هذا النوع من الأشجار وخاصة في مجال قبيلة مگونة، ويمكن للزائر أن يشاهدها في محطات التزحلق على الجليد في مركز أوكيمدن وامتداده في مجالي قبيلتي أوريكة وغيغاية.

قرأ البارون دو سلان (De Slane) ـ مترجم كتاب البكري ـ الفقرة المتعلقة بهذه الشجرة قراءة خاطئة عندما قال :

"Tameddjathet localité qui produit une espèce d'arbre ainsi nommée dont les feuilles sont larges et persistantes comme celle du tamarisc. (*Description*..., p. 295 - 296)"

والحقيقة أن جذع الشجر هو الذي يعظم وليس أوراقه لأنها من النوع المعروف عند الجغرافيين وعلماء النبات بالأوراق الإبرية، فكيف تعظم ؟ وهذه هي القراءة الصحيحة للفقرة :

"... وهو موضع ينبت شجراً يسمونه تامجاثت وهو شجر يعظم، ورقه هدب كورق الطرفاء..." (*المغرب*، 156).

ينطبق موضع تامجاثت في تقديرنا على موضع أگدز الحالية الواقعة ما بين مدينة زاگورة ومدينة ورزازات، ولم يحتفظ موقع أگدز بما يذكر بالفقرة التي تحدث عنها البكري، ولعل ذلك راجع لتسارع وتيرة التغيرات المناخية وأساساً لكثافة استغلال تلك الأشجار، فالبكري نفسه ذكر " ... ومنه أي الشجر ـ آنية سجلماسة ودرعة وما والاهما..." ؛ أما صناعة الأواني الخشبية خاصة الصحاف (القصاع) فلا تزال نشيطة بالمناطق المجاورة (الأطلس الكبير) وتعتمد على تلك الأشجار وعلى شجرة الجوز.

تعتبر شجرة تامجاثت من أنواع الأشجار القليلة في المغرب التي وصلتنا من الزمن الرابع مثل البطم وأرگان وغيرها وتتمتع بحماية مصالح المياه والغابات.

أ. البكري، *المغرب*، باريس 1965 ؛ *خريطة المغرب الطبيعية* (بالفرنسية)، مقياس 1 / 2.500.00 ؛ *تحريات ميدانية*.

A. El Bakri, *Description de l'Afrique septentrionale*. Trad. Mac Guckin De Slane, Paris, 1965.

محمد حجاج الطويل

**تامْجُتْ**، زاوية تقع بقرية تحمل نفس الاسم شمال شرقي مدينة بني ملال، وينطقها أهل المنطقة حسب ثلاثة أشكال : تَمْجُتْ، وتامجوط، وتامُدْجُوتْ. وهي أمازيغية، تدل على المكان الأجرد أو الأقرع الخالي مما تنبت الأرض من كلاء. ومن ثم يتكرر ذكر تامْجُتْ في جهات أخرى. نجده مثلا في الأطلس الكبير كعلم لموقع : تيزي ـ ن ـ تمْجُتْ، وهو أحد الممرات الموازية لتيزي ـ ن ـ تاست. (*Reconnaissance*, 99). ونجده كذلك كعلم لإحدى قرى سوس، الواقعة في أراضي قبيلة أيت تامْلْدُو، على السفح الجنوبي للأطلس الكبير. (*Reconnaissance*, 323 - 338) ولعلها هي المقصودة في رحلة الوافد (91، هامش 460).

تامْجُتْ المقصودة بهذا التعريف مكان أجرد بالرغم من وقوعه في منطقة كثيرة النبات، وهذا مما يلفت الانتباه. تبعد عن مدينة بني ملال بحوالي ثلاثين كلم، عند قدم جبل باب ـ ن ـ گْنُوزْ، في أراضي فخدة أيت بوبكر من قبيلة أيت محند، المنضوية تحت لواء اتحادية أيت سْري الصنهاجية. (De La Chapelle, *Le Sultan My Ismaïl*.., 31 - 32 note 3; J. Drague, *Esquisse*..., 169) وقد اشتهرت بعدما حل بها الشيخ علي بن عبد الرحمن الدرعي (الدراوي)، المتوفى عام 1091 / 1680. (*الدرر المرصعة*، 300 ؛ *نشر المثاني*، 2 : 290 ـ 292). وهو متصوف تتلمذ على أيدي شيوخ مشهورين كعبدالله بن حسين الرقي، وأحمد بن إبراهيم الأنصاري، كما لازم الشيخ مَحمد بن محمد بن الحسن الدادسي، طوال سنين إلى أن توفي، فورث عنه السر، ثم انتقل إلى تامْجُتْ حيث أسس زاوية هناك، وتصدر للمشيخة الصوفية (*دوحة البستان*، 30؛ *الإعلام*، 9 : 209).

اشتهرت زاوية تامْجُتْ منذئذ، فقصدها الناس من أجل الانخراط في سلك طريقة شيخها، وأصبحت مركزاً لطريقة صوفية جزولية ـ زروقية، يُلقن شيخها وردا معلوما؛ يفصله صاحب الإعلام كما يلي : "ووظيفة المغرب عنده أولها حزب الفلاح للشيخ الجزولي، ثم سيد الاستغفار ثم ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني، ثم صلاة حضرة الأبرار، ثم الصلاة المشيشية، ثم الفاتحة مرتين.... ووظيفة الصبح حزب الفلاح أيضاً، ثم المسبعات العشر، ثم الحزب الكبير..." (*الإعلام*، 9 : 211).

وشهدت هذه الزاوية توسعاً، فتكونت طائفة تابعة لها في بعض المدن كمراكش والرباط ومكناس وتطوان (*الاعلام*، 9 : 210). أما بفاس فكانت الطائفة المنتسبة إلى تامْجُتْ تجتمع بالزاوية المنسوبة لسيدي رضوان، بعدوة

القرويين (*النشر*، 2 : 292).

وهكذا شدت الرحال إلى زاوية تامْجُتْ، من الحواضر والبوادي بسبب ما عرف عنها، وخاصة في ميدان إطعام الطعام للوارد والصادر كما يتضح من هذه الفقرة : "وربما أطعم في الليلة الواحدة سبعة عشر ألفا" (*الإعلام*، 9 : 210). بل إن الشيخ علي بن عبد الرحمن كان قد خص اليتامى والأرامل بنزل خاص بهم، وأجرى النفقات على الطلبة المنقطعين بزاويته (*إلتقاط الدرر*، 219). وهذا يدل على تعدد مريديها وأتباعها، كما يشير إلى ذلك صاحب *الإعلام*. فقد ذكر أن عدد تلاميذها قد نيف عن ثمانين ألفا (*الاعلام*، 9 : 215). فصارت تامْجُتْ قبلة يؤمها عامة الناس من أجل التلمذة والتلقين، ويقصدها المتصوفة للاستزادة من المدد الصوفي. تشير بعض المصادر إلى أن كثيراً من أعلام التصوف قد زاروا تامْجُتْ، من بينهم الحسن اليوسي، وعلي المراكشي، وأخذ عن شيخها آخرون، أمثال محمد بن محمد العكاري، وأخوه الحسن، وأحمد بن يعقوب الولالي، وسعيد الحنصالي (*الاعلام*، 9 : 213 ؛ *Reconnaissance*, 62). ومن المدفونين بها محمد بن أحمد المغزازي، ويعقوب التواتي وعلي الملقب بالجب، لعل هؤلاء كانوا من بين المنقطعين بتلك الزاوية (*الإعلام*، 9 : 214).

وبالرغم من أننا لا نعرف شيئا عن مواردها، فإنه من خلال تعدد الوافدين إليها، وعدد تلاميذها (ثمانون ألفا) يمكن القول بأن زاوية تامْجُتْ قد عرفت بسطة في الرزق نتيجة "الفتوحات" والهبات والهدايا التي كانت تحمل إليها من قبل أتباعها ؛ وإلا كيف يتأتى لها أن تنفق على اليتامى والأرامل، وتطعم الأعداد الهائلة من الزوار والمنقطعين ؟ (*الإعلام*، 9 : 210. 215).

لذلك كله طارت شهرة تامْجُتْ، فمدحها الشعراء وتغنوا بها، وقد ذكر صاحب الإعلام بعضهم كمحمد العكاري ومحمد بن عبد الله الدادسي وأحمد الحلبي. ومما أنشد فيها قصيدة مطلعها :

عَرِّجْ بِتَادِلَةِ الهِضَابِ الوُرَّدِ  وأَنِخْ مَطَايَا العَزْمِ عند الفَدْفَدِ
(*الإعلام*، 9 : 215)

إلا أن هذه الشهرة سرعان ما أثارت شكوك المخزن فقام المولى الرشيد بإخلائها، وشتت مريديها عدة مرات، كما حاول اعتقال شيخها علي بن عبد الرحمن. لكن لم يمنع - حسب الافراني - (*الصفوة*، 184) من إعادة بنائها، بل إنها قد استقطبت مزيداً من المريدين والأتباع.

ويذهب الزبادي - وهو من بين تلاميذها - إلى أن زاوية تامْجُتْ، قد دمرت تماماً، وأن مؤسسها قد اعتقل من قبل السلطان بضعة أيام (*دوحة البستان*، 213). ومهما يكن من أمر فإن المصادر تجمع على أن شيخ تامْجُتْ قد امتحن من قبل سلطان الوقت بسبب ما رأى من اجتماع الناس عليه (*الصفوة*، 184). لذلك ليس من المستبعد أن تتعرض زاويته للنهب أو التخريب، كما كان ذلك شأن زاويتي الدلاء وتازروالت.

وما تزال تامْجُتْ تستهوي أفئدة الزوار إلى اليوم، وينعقد بها موسم سنوي في فصل الصيف، تقصده بعض فرق قبيلة أيت سْري، وغيرها من القبائل المجاورة.

أ. الولالي، *مباحث الانوار*...، تح. بوعصاب، 1987 ؛ م. الافراني، *صفوة*، ط. حجرية ؛ التاسافتي، *رحلة الوافد*، تح. علي صدقي، 1992 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تح. محمد الحبيب نوحي، 1988 ؛ الزيادي، *دوحة البستان*... مخطوط خ. ع. 390 د ؛ القادري، *نشر*، 1982 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام... المطبعة الملكية، 1980 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، 1964 ؛ *التحري الميداني*.

De La Chapelle, *Le Sultan My Ismaïl...*, *A.M.*, 1927 ; G. Drague, *Esquisse...*, Paris, 1951 ; M. Morsy, *Les Ahansal...*, La Haye 1972.

أحمد عمالك

**تامدة** ← **الجديدة** (إقليم.)

**تامدة**، مكان ونهر ومدينة مندثرة. فالمكان يقع بين وادي المخازن ووادي وَارُورْ بقبيلة الخلط الهبطية (إقليم العرائش)، وبه جرت المعركة التي كانت تعرف عند معاصريها باسم معركة تامدة، حسب ما جاء في بعض الوثائق القديمة. ويؤكده الحسن ابن ريسون في كتاب *فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد* في *كناشته* التي لم تنشر بعد، كما يؤكده المؤرخ الإسباني خوان دي سيلفا (Juan de Silva) الذي شارك في المعركة في كتابه عنها حيث قال إن اسم المكان الذي جرت به هو "تاميدا" (Tamida). وكلمة تامدة معناها في اللهجة الأمازيغية المستنقع.

وأما نهر تامدة فيوجد منبعه بجبل توسيفت بقبيلة بني يطفت (إقليم الحسيمة) وتصب مياهه بالبحر المتوسط قبالة جزيرة بادس، ولذلك يعرف أيضاً باسم وادي بادس.

وتامدة أيضاً هو الاسم الذي كان يعرف به وادي مرتين في القديم عند سكان الناحية، كما يشهد بذلك الجغرافيون اللاتينيون القدماء حيث سموه بوادي Tamuda وTamuada وThamouda وهو نفس الاسم الذي أطلقه الرومان على المدينة التي أسسوها على ضفة النهر المذكور وتوجد أنقاضها حالياً بالمكان المعروف بالصويار.

الحسن ابن ريسون، *فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد*، تطوان (د. ت) ص. 98 ؛ *كناشة*، مخطوط ؛ م. ابن عزوز حكيم. *مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن*، الرباط، 1989.

Plinio el Viejo, *Naturae historicarum*, Leypzig, 1906, V, 18 ; Pomponius Mela, *De Situs orbis*, Leypzig 1880, I, 20 - 24 ; Ptolomeo, *Geographike Uphegenesis*, Paris, 1901, V, 1.

محمد ابن عزوز حكيم

**التامدرتي**، الحسن بن مبارك ← **الواسلامي**

**تامدغارت**، مركز استراتيجي شهير في حرب الريف، يقع في بني توزين على بعد كيلومترات يسيرة من ميضار وحوالي 80 كلم غرب مدينة الناظور. دارت فيه معركة حامية بين قوات عبد الكريم الخطابي وجيش الاحتلال

الاسباني على ما يعرف حينئذ "بالجبهة الشرقية. وذلك خلال الأسابيع الأخيرة من انتهاء الثورة الريفية يوم 8 ماي 1926 أي أثناء الهجوم المشترك الفرنسي والاسباني على الثورة. وقد انتهت المعركة المذكورة باحتلال مركز تامدغارت من قبل الجيش الاسباني. وفي اليوم التالي 9 ماي 1926 وقعت معركة ثانية بسوق ثلاثاء أزلاف المجاور انتهت أيضاً باحتلاله من طرف الجيش الاسباني.

وفي ازلاف الذي هو السوق الأسبوعي لتامدغارت التقى الجيشان المتحالفان الفرنسي والإسباني ضد الثورة الريفية، وتصافح جنود وقادة الدولتين الاستعماريتين، إذ يقع على رافد يعتبر الفاصل بين المنطقتين المحتلتين الشمالية والجنوبية من المغرب.

تتبع اليوم تامدغارت لجماعة "أزلاف" القروية. فيها مجموعة مدارس، وتشتهر بعين "تستّثات" أو "عين الشفاء" كما تسمى اليوم، وهي عبارة عن مياه معدنية حارة فيها الكبريت والحديد، صالحة لمعالجة البثور والدمامل والأمراض الجلدية. وربما قاومت الإمساك والبواسير وأمراض الجهاز الهضمي أيضاً. أقيم بها مسبح عمومي ومرشات للاستحمام.

معلومات شفوية عن جماعة أزلاف ؛ م. ابن عزوز حكيم، *الثورة الريفية* ؛ معاينة ميدانية.

عبد الله عاصم

**تامْدُولْت**، مدينة تاريخية مندثرة من مدن المغرب الصحراوي في العصر الوسيط كانت لها صلات مع بلاد السودان، تقع على بعد حوالي ثلاثة عشر كلم جنوب غربي أقا، وماتزال أطلالها بادية حتى اليوم على مرتفع جبلي صغير. وقد أثارت هذه الاطلال فضول عدد من الذين زاروا المنطقة، فجمعوا ما تيسر لهم من الروايات حولها، حتى قام الاستاذ روزنبيرجي (Rosenberger) بجمع النصوص القديمة والمعاصرة حول المدينة وأطلالها، إضافة إلى مشاهداته وتحرياته الشخصية، محاولا وضع تاريخ متسلسل ومنطقي لهذه المحطة التجارية والمعدنية الهامة.

يذكر أبو عبيد الله البكري ـ القرن الخامس (11 م) ـ أن مؤسس مدينة تامدولت هو عبد الله بن إدريس بن إدريس الأكبر في منتصف القرن الثالث (9 م)، وكانت عاصمته إگلي، على مسيرة ستة أيام من موضع المدينة التي استمرت تحت سلطة الأدارسة حتى نهاية هذا القرن. إلا أن عدة قرائن قد تسمح باحتمال كون هذا المؤسس إنما أعاد بناء موضع ربما كان معموراً قبله، فهناك رواية يهودية تشير إلى احتمال استقرار يهود مشارقة في واقا Waqqa منذ القرن السادس قبل الميلاد، ولعلها واحة أقا التي تنسب إليها مدينة تامْدُولْت اليوم، إضافة إلى ماقد تفيده عملية استقراء معاني المدينة في اللغة الأمازيغية السوسية في هذا الباب، وهي عملية لم تتم بعد. ومن بين هذه القرائن أيضا ما ذكره البكري من وجود آبار على الطريق بين تامدولت وأودغشت، يقع بعضها (بئر الجمالين) على بضع مراحل فقط من تامدولت، وهذه الآبار من استنباط عبد الرحمان بن حبيب، عامل الأمويين على إفريقية سنة 128 / 745 م، وفي هذا دليل على اهتمام الأمويين بهذه المنطقة المتصلة ببلاد السودان موطن الذهب.

لاشك إذن أن الموقع الذي تشغله تامدولت كانت له أهمية بالنسبة للمواصلات مع بلاد السودان عبر الصحراء، وإن لم توجد دلائل مصدرية قاطعة على وجود تيار تبادلي بين تامدولت وبلاد السودان قبل القرن الثالث (9 م) إلا أن اهتمام الأمويين بهذه الجهة بشكل ملحوظ يزكي مثل هذا الاحتمال، إضافة إلى ظاهرة بروزكيانات سياسية مستقلة ومراكز تجارية هامة على ضفتي الصحراء خلال هذه الفترة (سجلماسة، تاهرت، أودغشت، غانا ...) الأمر الذي يدل على دينامية التبادل عبر الصحراء آنذاك.

وقد وصف اليعقوبي ـ القرن الثالث (9 م) ـ المدينة وركّز على وجود الذهب والفضة بها. أما ابن حوقل ـ القرن الرابع (10 م) ـ فقد اكتفى بالإشارة إليها في معرض حديثه عن المسالك الرابطة بين جنوب المغرب وبلاد السودان دون أن يقدم مزيداً من المعلومات حول أهمية المدينة وأنشطتها، حتى إذا جاء أبو عبيد الله البكري ـ القرن الخامس (11 م) ـ قدّم معلومات أشمل وأهم من سابقيه ووصف المدينة بقوله: "... وعلى ست مراحل منها (مدينة إگلي) مدينة تامدولت، أسسها عبد الله بن إدريس بن إدريس، وهي سهلية عليها سور طوب وحجر، وبها حمامات وسوق عامرة، ولها أربعة أبواب، وهي على نهر عنصره من جبل على عشرة أميال منها، ومابينهما بساتين، وعلى هذا النهر أرحاء كثيرة...".

من الواضح أن تأسيس تامدولت في الموضع والموقع اللذين تحتلهما، كان استجابة لدوافع مختلفة، منها ما له طابع عسكري دفاعي (جبل يشرف على سهل واسع) ومنها ماهو اقتصادي (وجود سهل خصب ومياه ومعدن فضة). وربما كان للمدينة كذلك دور ديني كنقطة متقدمة في اتجاه الصحراء. رغم أن المصادر لا تشير إلى هذا الجانب، إلا أن وقوع المدينة على طريق التجارة العابرة للصحراء يظل بدون شك هو العنصر الأساسي المتحكم في تأسيسها أو إعادة تأسيسها، كما يفسر إلى حد بعيد تطور اقتصاد المدينة ووظائفها التي تعكس تطور خطوط مسالك القوافل العابرة للصحراء.

ذكر ابن حوقل أن المسلك الرابط بين بلاد السودان ومصر قد تحوّل نحو سجلماسة لأسباب طبيعية (زوابع رملية) وأمنية، هذا في وقت مازال فيه أحد المسالك الرابطة بين سجلماسة وأودغشت يمر عبر تامْدُولْت رغم وجود مسلك مباشر بين المدينتين ؛ وقد زاد هذا التحول من أهمية المحاور الغربية الرابطة بين ضفتي الصحراء : الطريق الساحلي من نول لمطة إلى أودغشت عبر ملاحة أوليل، وطريق درعة الأوسط عبر تامدولت، وبذلك تكون مدينة

تامدولت من بين أهم مراكز الفرع الغربي للتجارة العابرة للصحراء آنذاك، وذلك بناءً على ما يتضح من أوصاف كل من اليعقوبي والبكري للمدينة وغناها وأنشطتها الاقتصادية، وذلك في وقت كان فيه الذهب هو محرك التبادل التجاري مع بلاد السودان.

وقد ازدادت أهمية المحور التجاري الغربي ومسالكه مع صعود المرابطين في القرن الخامس (11 م). وكان لوقوع مناجم الملح (أوليل وتغازى) في هذه الجهة دور أساسي في تفوق هذه المحاور الغربية آنذاك.

وإذا ارتبط موضع تامدولت بوجود معدن فضة مجاور لها وبنشاط التعدين بها، فإن وقوع المدينة على أحد المحاور التجارية الغربية كان طيلة القرنين الهجريين الثالث والرابع هو العنصر المتحكم في ازدهارها وفي تنوع أنشطتها حيث كان هذا المحور يتوفر على مادتين ظلتا أساسيتين في عملية التبادل التجاري عبر الصحراء طيلة قرون، وهما النحاس والملح.

فرغم ارتباط تامدولت في المصادر الوسيطية بمنجم الفضة الذي بجوارها في اتجاه الجنوب الغربي، (يستخرج منه اليوم رصاص لم يعد يحتوي أجوده إلا على 12٪ من الفضة) فإن المدينة كانت بدون شك تقوم بتصدير كميات هامة من النحاس في اتجاه بلاد السودان، لما لهذا المعدن من مكانة خاصة لدى سكان إفريقيا جنوب الصحراء وارتفاع أسعاره لديهم. فقد أثبت التحليل المختبري أن خبث المعدن المنتشر بكميات هامة حول موضع تامدولت هو لمعدن النحاس الذي كان بدون شك يستخرج من ضواحي المدينة ويصنَّع ليصدر في شكل سبائك، إضافة إلى النحاس المصنع في مدينة إگلي الذي كان يصدر في عصر البكري عبر تامدولت في شكل أوان أو سبائك.

من جهة أخرى، لا تخفى أهمية مادة الملح في عملية التبادل بين ضفتي الصحراء، حتى إن مواقع الملاحات كانت من بين أهم العناصر المتحكمة في إتجاهات المسالك الصحراوية وانعطافاتها. وقد ساهم وقوع أهم ملاحات المنطقة (أوليل، تغازى) بالجهة الغربية، في إعطاء محاور هذه الجهة دينامية خاصة. وتنعكس أهمية الملح كمادة تبادل أساسية في ارتفاع أسعاره كلما اقتربنا من الغابة الاستوائية، حيث تكثر الحاجة إليه. ومما لاشك فيه أن استعمال ملح تغازى منذ منتصف القرن الخامس (11 م) قد ساعد على توفر هذه المادة ببلاد السودان بشكل انعكس فيما بعد على قيمتها في الأسواق، كما يتضح ذلك من تتبع سعر تبادل الملح بالذهب من خلال مصادر الفترة. وقد ساهم ذلك في تحويل الثقل الاقتصادي تدريجياً نحو الجهات الشرقية، بسبب مرور القوافل عبر هذه الملاحة، ولايُستبعد أن يكون لهذه الوضعية انعكاس على مدينة تامدولت وضاحيتها.

لاشك أن توفر تامدولت على سهل خصب ومياه وافرة وظهر غني (سوس) مكّنها من أن تصدر نحو بلاد السودان كميات من المواد الفلاحية كالحبوب والتمور، كما يوحي بذلك وصف البكري للمدينة، خاصة إذا علمنا حاجيات الجالية الأجنبية الموجودة في مدن السودان الغربي مثل أودغشت أو غانا. لكن البحث الأركيولوجي وحده هو الكفيل بتقديم مزيد من التفاصيل حول النشاط التبادلي لمركز تامدولت وحول الممارسات التجارية بها (عملة، مكاييل، مخازن ...).

وتتفق مصادر الفترة على جعل الذهب في طليعة قائمة المواد التي تستوردها تامْدُولْت من بلاد السودان، حتى إن اليعقوبي اعتقد أن هذه المادة تستخرج من أرض المنطقة. وقد ساهم ازدياد الطلب في الغرب الاسلامي (الأندلس) على الذهب في تزايد الكميات المجلوبة منه مقابل مادة الملح أساساً. أما العبيد فالمصادر عادة ما تقرنها بمادة الذهب المستورد من السودان، ولاشك أن وجود مناجم النحاس والرصاص ووجود صناعة تعدين ونشاط فلاحي في ضواحي المدينة كان يتطلب يداً عاملة هامة ربما جلبتها القوافل من بلاد السودان (لاتزال تعيش في قرية تُوزونين وريثة تامْدُولْت طائفة من أحفاد العبيد، تعمل أساسا في استخراج معدن الرصاص الموجود بجبل العدانة، وبوسائل غير مختلفة كثيراً عن وسائل العصر الوسيط).

ولا تشير المصادر المتوفرة إلى ساكنة مدينة تامدولت ولا إلى عناصر تعميرها بما فيه الكفاية. يقول البكري في معرض حديثه عن رجوع عبد الله ابن ياسين من الصحراء : "... ونزل موضعا يقال له تامدولت، حصن فيه مياه ونخل كثير، يشرف عليه جبل فيه معدن فضة معلوم هناك، فاجتمع لعبد الله جيش كثيف من سَرْطة وتَبْرْجَة، ولهم هناك حصون ...". وقد سبق لليعقوبي أن أشار إلى بني تارگا وبني درا من بين ساكنة المنطقة. ومما لاشك فيه أن هذه ساكنة كانت، منذ هذه الفترة، خليطا من البيض والسود كما هي حتى اليوم، وأن مدينة تامدولت كانت تضم إبان أزدهارها أعدادا من التجار من سوس وسجلماسة وربما من مراكز تجارية أخرى خارج المغرب على غرار مثيلاتها من المدن التجارية بالمنطقة.

لعل إشارة جمال الدين محمد بن إبراهيم الوطواط (1285 - 1318 م) في كتاب *مباهج الفكر ومناهج العبر* إلى حصن تامْدُولْت ومعدنها تعتبر آخر إشارة مصدرية مكتوبة حول هذه المدينة، ولكن الراجح أن ما أورده الوطواط إنما هو تكرار لما جاء عند البكري أساسا، ولا يمكن الاطمئنان إلى اتخاذه وصفا للمدينة معاصراً لكتابته. ومهما يكن الأمر، فقد اختفى بعد ذلك ذكر المدينة من المصادر المكتوبة وبقي في الرواية الشفوية فيما بعد ونُسجت حول المدينة و"قصة خرابها" حكايات مثيرة يصعب تبين ما هو تاريخي منها. لكن حيوية هذه الروايات واستمراريتها وذيوعها بين الكثير من سكان الأطلس الصغير وسوس لايمكن إلا أن يثير فضول الباحث ويجعله أميل إلي تفحص هذه الروايات لعله يعثر في ثناياها على نواة تاريخية، وهذا ما قام به، بعد

آخرين، برنار روزنبرجي في مقالته حول المدينة، حيث استعرض مجمل الروايات الشفوية التي تحدثت عن "خراب تامدولت" بسبب حملة القائد محمد بن علي أمنصاگ عليها، ورأى أن هجرة سكان تامدولت قد تكون بسبب حملة عسكرية عليها أو اقتتال طويل بين أهلها... الخ، وأرخ هذه الهجرة بأواخر القرن الثامن (14 م) أو بداية الذي يليه اعتماداً على عدة قرائن، منها العثور في أنقاض المدينة مؤخراً على قطعة نقدية مرينية، وكون القائد أمنصاگ الذي ينسب إليه تدمير تامدولت قد عاش في هذه الفترة التي شهدت طاعونا جارفا في المنطقة تسبب في تحركات قبلية ربما كانت سبب اقتتال سكان تامدولت وهجرتهم. وقد ظلت هذه الهجرة حية في الذاكرة الشعبية حتى اليوم، إلى درجة أن العديد من قبائل سوس الأطلس الصغير تنسب نفسها إلى هذه المدينة وتعتبرها موطنها الأصلي.

ومن غير المستبعد إذن أن تكون تامْدُولْت قد تلقت الضربة القاضية خلال القرن الثامن (14 م) وأن يكون تراجع المدينة وانحطاطها قد بدأ قبل هذه الفترة بكثير، حيث يمكن تلمس بوادر هذه الوضعية منذ النصف الثاني من القرن الخامس (11 م)، بل من المحتمل أن وصف البكري للمدينة في الفقرة المشار إليها أعلاه، إنما يعود إلى ما قبل سنة 461 / 1068 م، أي تاريخ الانتهاء من كتابة البكري *للمسالك والممالك*، خصوصا إذا علمنا مدى اعتماد البكري على استاذه محمد ابن يوسف الوراق في الكثير من أخباره وأوصافه.

ويمكن إجمال بعض عوامل هذا التراجع، الذي هو في الحقيقة تراجع للمحور الغربي من طرق التجارة العابرة للصحراء في الانتقال إلى استعمال ملح تغازى الواقعة إلى الشرق عوض ملح أوليل الواقعة على المحيط الاطلنتي في أرض گدالة، وذلك منذ منتصف القرن الخامس (11 م) على أرجح تقدير، وقد ساهم ذلك في تغيير الكثير من معطيات التبادل التجاري بين ضفتي الصحراء، فقد كانت مراكز مثل نول لمطة وتامدولت مثلا مرتبطة بملح أوليل الذي لم يعد له في القرن السادس إلا دور محلي حسب ما يتضح من وصف الإدريسي لهذه الملاحة. وقد أثر هذا التحول على مدينة أودغشت نفسها، ومن الطبيعي أن يؤثر كذلك على تامدولت التي تقابلها في الضفة الشمالية من الصحراء، خصوصا بعد أن عمل المرابطون على ربط سجلماسة بمنطقة النيجر عبر مركز تَابلْبْلا مروراً بملاحة تغازى، فأثر ذلك على المدينتين معا في حين ازدهر مركزا سجلماسة وولاتة فيما بعد. وقد زاد قيام الدولة الموحدية وتوحيدها لمنطقة الشمال الإفريقي من حدة التنافس بين المحورين الغربي والشرقي إن لم نقل عمل لصالح هذا الأخير.

زادت التفاعلات السياسية خلال القرن السابع (13م) سواء في بلاد المغرب أو في بلاد السودان، من تهميش دور تامدولت، خصوصا بروز دولة مالي الذي غيَّر بعمق خريطة المبادلات الإفريقية، حيث عمل سلاطين هذه الدولة على إعادة تنظيم المجال الاقتصادي لأمبراطوريتهم بشكل أكثر فعالية بالنسبة لهم، وتندرج سيطرة مالي المحتملة على ملاحة تغازى في منتصف القرن الثامن (14 م) في هذا الإطار، ويرى كثيرون أن لرحلة ابن بطوطة إلى بلاد السودان الغربي آنذاك صلة مَّا برغبة المرينيين في استعادة مكانة المغرب في التجارة العابرة للصحراء بعد اشتداد منافسة الجهات الشرقية، وانتقال الثقل الاقتصادي ببلاد السودان الغربي إلى منعطف نهر النيجر.

لم يبق اليوم من مدينة تامدولت التي وصفتها المصادر الوسيطية إلا قطع من سور على وشك الاندثار، فوق شرف من الأرض تغمره الرمال، وهو مبني بالطابية (الطين المضغوط) على أساس من حجر، وتعلو المكان قبة متواضعة تنسب للولي سيدي محمد بن عبد الله أو سيدي الشناوي كما يسميه البعض. وتوجد بداخل السور وحول الموضع كميات هامة من خبث معدن يعتقد أنه النحاس ومن شظايا أوان فخارية متنوعة. وتمكن نظرة سريعة إلى هذه البقايا من ملاحظة كون القبة والسور الحالي مستحدثين، ولعل هذا الأخير إنما استحدث مع بداية الدولة السعدية التي كان لقيامها صلات بهذه المنطقة. هذا في حين يغلب على الظن أن ما يضمه هذا السور إنما هو مجرد حصن متواضع الأبعاد، وأن تامدولت التي وصفها البكري، ربما تمتد على مساحة أكبر وتشمل مناطق أسفل الربوة التي تحمل ما تبقى من المدينة اليوم.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 86 ومابعدها ؛ مادة أقا، في حرف الهمزة من *معلمة المغرب*.

M. Delafosse, *Les relations du Maroc avec le Soudan Occidental à travers les Ages, Hesp.*, 1924, 2, pp. 153 - 174 ; Justinard, *Notes sur l'histoires du Sous au XVIème S., A. M.* XXIX, p. 1230, Paris, 1930 ; B. Rosenberger, *Tamdult : Cité minière et caravanière présaharienne, IX- XIVème s., H.T.*, 1970 , XI, pp. 103 - 139 ; S. Daveau, *L'itinéraire de Tamdult à Aoudaghost, Tegdaoust*, I, 1970, pp. 33 - 38 ; J. Devisse et S. Robert, *Tegdaoust, I : Recherches sur Aoudaghost*, Paris, 1970 ; J. Devisse, *Routes de commerce et échanges en Afrique en relation avec la Méditerranée : un essai sur le commerce africain médiéval du XIème au XVIème S., R.H.E.*, 1972, vol. I, pp. 42- 73 et vol. II, pp. 357- 397.

محمد الحبيب نوحي

* * ومن الناحية المعدنية عرفت تامدولت بمنجم الفضة، وقد وصف روزنبرجي Rosenberger في مقالته حول تامدولت الآثار التي عاينها، وأشار بالخصوص إلى انتشار الأشكورية (الخبث المعدني) وقطع الفخار والخزف بالموقع وينتهي إلى الإقرار بوجود أفران لصهر المعادن. ويتخلل منطقة الأشكورية عدد من القبور القديمة، ويقول روز نبرجي إن القبة البيضاء "لسيدي شناويل" (سيدي محمد بن عبد الله) تهيمن على فضاء الموقع الأثري، وعثر روزبنرجي على بقايا سور يمكن أن يوفر بعض العناصر لمعرفة طريقة البناء في هذا الموقع. ولاحظ أيضاً وجود قطع خزفية تتغير ألوانها من البني القاتم إلى الأخضر، بالإضافة إلى وجود فلزات نحاسية، وهذا ما يطرح تساؤلات حول صناعة الخزف بتامدولت من خلال استعمال الفلزات المعدنية. وعثر

روزنبرجي على قطعة فضية موحدية وهو تأكيد لمعثورات نقدية فضية موحدية وجدت في عين المكان (V. Monteil, 1946 ; J. Justinard, 1933). وقد حاول روزنبرجي حصر وظائف مدينة تامدولت في الوظيفة العسكرية والفلاحية والمعدنية والتجارية.

ونعتقد أن تامْدُولْت اشتهرت بالأساس بوظيفتيها التجارية والمعدنية، فهي تقع على الخط التجاري الفاصل بين سجلماسة وأودغشت، فهي بذلك محطة لكل البضائع القادمة من سوس، خصوصا المصنوعات النحاسية والزجاجية، بالإضافة إلى الفضة الموجودة بعين المكان، وهذه بضائع رددتها المصادر التاريخية عند الحديث عن التجارة الصحراوية.

وتعود شهرة تامْدُولْت المنجمية والتعدينية أساساً إلى مناجم العدانة للفضة وبعض مناجم النحاس ثم منجم تمزگدوين لاستغلال الزنك (التوتيا).

وتقع مناجم الفضة لتامدولت على امتداد جبل عدانة، حوالي عشرين كلم جنوب جبل باني، وتنتشر الآثار المنجمية القديمة من جبل گليز إلى تلعدانت على مسافة أربعين كلم باتجاه الجنوب الغربي، وقد استغل المنجميُّون القدامى جل الترسبات المعدنية، وتوجد بموقع بودادن مئات الآبار ذات فوهات مربعة أو مستطيلة الشكل ولا يتجاوز قطر الفوهة منها متراً واحداً وتشكل تلعدانت أهم منطقة منجمية، وتوجد على بعد ثلاثين كلم إلى الجنوب الغربي من تامدولت. وتوجد الآثار المنجمية القديمة على مرتفع منعزل يمتد بحوالي ثلاث كلم باتجاه الجنوب الغربي.

ولعبت الانكسارات الجيولوجية دوراً مهما في عملية التنقيب والاستغلال المعدني القديم وبالخصوص في جبل تاشليفت وتيوريرنْ وبوتازُلْتْ وتلعدانت.

تبين الآثار المنجمية القديمة تقنيات الحفر والاستغلال التي عرفتها تامدولت في عهد ازدهارها، وكانت الركازات المعدنية تحمل إلى تامدولت حيث يتم صهرها كما يدل على ذلك وجود الأشكورية. وبناءً على شهادتي اليعقوبي والبكري، يمكن حصر النشاط المنجمي والتعديني لتامدولت ما بين القرنين الثالث والخامس الهجري (9-11 م). ومهما يكن من حقيقة تأسيس عبد الله بن إدريس لتامدولت أو أنها ازدهرت في عهد إمارته لسوس، فإن النشاط التجاري والمنجمي والتعديني كان وراء شهرة تامدولت ما بين القرن الثالث والخامس الهجري. إلا أن هذا لا يعني أن النشاط المنجمي قد توقف بعد ذلك، فإلى عهد قريب جداً كان سكان دوار إيگلي وإبوإفلوس يستغلون العروق المعدنية ببودادن بالطرق التقليدية. وأغلب الظن أن الاستغلال استمر بطريقة متقطعة حسب الظروف التاريخية للمنطقة. وربما عزز هذا التفسير ما ورد عند الحسن بن محمد الوزان (ليون الافريقي) في القرن العاشر الهجري (16 م) عن جبل إيلالن حيث يقول "لا يبتدئ هذا الجبل غربا عند تخوم الجبل السابق (جبل هنكيسة) وينتهي شرقاً في ناحية جزولة وجنوبا في سهول سوس، وسكانه نبلاء شجعان عندهم خيول كثيرة ويتحاربون فيما بينهم باستمرار من أجل منجم فضة يوجد في الجبل ويستغله الغالبون منهم..." (المصدر، الجزء 1، صفحة 96).

وعرفت تامدولت أيضاً تعدين النحاس، وكانت تحيط بها مجموعة من المناجم القديمة المتنوعة المعادن كإفْرَانْ وَنَاسْ (مغارات النحاس) وإستواناس (ذوات النحاس)، بالإضافة إلى منجم تمزگدوين والذي كان يستغل في تبييض النحاس، وهو ما اشتهر في النصوص التاريخية بالنحاس الأصفر أو النحاس السوسي أو الصيني، والذي كان يصدر بالخصوص نحو ممالك السودان. وقد أحصينا ما يقارب من خمس وعشرين استغلالية منجمية وتعدينية تحيط بموقع تامدولت.


اليعقوبي، *كتاب البلدان*، ليدن 1891 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، بيروت 1979 ؛ البكري، *كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، باريز 1965 ؛ الوطواط محمد بن إبراهيم، *مناهج الفكر ومباهج العبر*، تح. E. Fagnan, *Extraits inédits relatifs à l'histoire du Maghreb*, Alger, 1924, pp. 41 - 68 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط 1980.

O. du Puigaudeau, *Arts et coutumes des Maures*, *H.T.*, IX, pp. 329 - 458, 1968 ; B. Rosenberger, *Tamdult, cité minière et caravanière présaharienne du IXème au XIVème siècle*, *H.T.*, X, pp. 103 - 104 ; *Les vieilles exploitations minières et les centres métallurgiques du Maroc, essai de carte historique*, *R.G.M.*, N° 17, pp. 71 - 102; N° 18, pp. 59 - 108, 1970 ; M. Saadi, *Histoire de la recherche minière au Maroc, des origines jusqu'à nos jours*, Rabat, 1967 ; *Possibilités minières et hydrogéologiques de la région d'Akka et le rôle historique de Tamdoult*, *Mines et géologies*, N° 28, 1969.


الموساوي العجلاوي

**تَامْدْيَازْتْ**، مصطلح أمازيغي شائع الاستعمال في الأطلس المتوسط وفي الناحية الوسطى للأطلس الكبير وواحات الجنوب الشرقي. ويعني هذا المصطلح الأبيات الشعرية أو القصيدة الشعرية (المغناة ؟)، وقد يطلق على بيت شعري واحد أو على مجموعة من الحكم والأمثال والأقوال المأثورة. وأما الشاعر الذي ينشد أو ينظم تامدْيازْت، فيطلق عليه "أمدْياز" وجمعه "إمْدْيَازْنْ" وهم شعراء جوالون بين القبائل المختلفة لنقل الحكم ونشر القصائد الشعرية. وقد لعب هؤلاء الشعراء دوراً أساسياً في نقل الأخبار المهمة، وتوعية القبائل بالقضايا الوطنية على الخصوص كفضح الاستعمار وعملائه والدعوة للجهاد ومحاربة الفساد كما كانوا يقومون بتمجيد الأبطال وذكر مناقبهم. وقد كان أمدياز يستخدم قدرته لابتكار الشعر بل وقدرته على ابتكار "النكث" المؤثرة في جماهير المواطنين من أجل تعبئتهم للمساهمة في المقاومة مثلا، ولذلك فأمدياز بمثابة ضمير القبائل والمعبر عن همومها وقضاياها.

وكانت القصائد "تمْدْيازين" سريعة الانتشار بسبب بساطة أسلوبها ودقة المعاني التي تحملها بالإضافة إلى أنها موجهة للتغني والطرب، الشيء الذي جعل الجماهير الشعبية تُقبل على حفظ "تامديازت". وكان الشعراء

الجوالون "إمْدْيَازْنْ" يحظون باستقبال حار في كل القبائل التي يحلون بها. فكانوا يكرمون وتقدَّم لهم المكافآت المادية، ولا يغادرون القبيلة الابعد مدح أعيانها وتمجيد أجوادها، في حين لا تفوتهم فرصة هجاء بعض القبائل التي ترفض إيواءهم واستقبالهم بدون عذر، وخوفاً من هذا الهجاء الذي ينتشر على شكل "تامديازت" لدى القبائل المجاورة فإن الاعتذار يتم أحياناً بشكل يروق الجوّالين "إمديازن" إذ تقدم لهم مكافأة مادية مع تبرير لعدم الاستقبال كوجود مأتم في القبيلة مثلا أو انشغال القبيلة والأسرة المقصودة باستقبالهم بمشاكل طارئة وحاسمة.

ويلاحظ في قصائد "تامديازت" تساكن (تصالح) إدراكين مختلفين أحدهما خلفيته دينية والآخر خلفيته دنيوية أو مادية.

فالقصائد الدينية تتناول جانب الوعظ والإرشاد والتذكير بأركان الإسلام والآخرة، ويوم الحساب والأوامر والنواهي والمحرمات وتمجد الأنبياء والرسل والصلحاء والأولياء، إلى غير ذلك من الجوانب الدينية. أما القصائد الجدلية أو الدنيوية فتتناول مختلف المواضيع حيث تتعرض للاستغلال وللربا والمحسوبية، واستبداد الأعيان، وهي كذلك تحرض الجماهير على المقاومة. وتكمن أهمية "تامديازت" في قدرتها على اختراق الحراسة الشديدة للحكام مثل ما وقع للإدارة الاستعمارية التي كانت تدعي القدرة على ضبط تحركات القبائل ومنع الاتصال بين القبائل التي تم إخضاعها والقبائل التي لازالت تحمل راية الحرية والجهاد، ومن ذلك هذه القصيدة "تامديازت" التي تهجو القبائل التي استسلمت للاستعمار أثناء مقاومة أيت عطا للقوات الفرنسية بجبل بوگافر في فبراير - مارس سنة 1933 :

- فْـرْحْ أَلحـاكـم گـانـاكْ     وَارَاوْ تِـيـنْـگْـامِـينْ
- فْـرْحْ أَلحـاكـم گـانـاكْ     وَارَاوْ تِـخـدَّامِـينْ
- فْـرْحْ أَلحـاكـم گـانـاكْ     وَارَاوْ تِـيـنْـزْدَامِـينْ
- فْـرْحْ أَلحـاكـم رَانْكْ أيـت     وَرَاسْـنْ إيـلـين أراكـال
- إدَّا الـنَّـبِـي دْ تـواريـنْـسْ     إمَـانْ دى إمْـزُوراً
- نْـقِـيـمْ إمْـگـورا     إبُـوبـلـيـس "دْبُـولان"

ومعناه :

- افـرح أيـهـا الحـاكـم     أصبح فـتـيـانـنـا سقاة لـك
- افـرح أيـهـا الحـاكـم     أصبح أبـنـاؤنـا خدامـا لـك
- افـرح أيـهـا الحـاكـم     أصبح أهلنا مقتوين لك
- لقد أحبك أصحاب العمامات والملابس الفاخرة
- لقد ذهبت عنا     الكرامات مع الأولين
- وبقينا نحن في هذا الزمن المتأخر تحت     رحمة حكام طغاة أمثال دبليس وبولان

المقصود هنا Les capitaines Dupleix et Paulain.

ويمكن اعتبار "تامديازت" من الروايات الشفوية التي يمكن اعتمادها في استكشاف بعض أحداث الماضي، وقد اعتمدت عليها الباحثة جانين دروان (Jeanine Drouin) ضمن الوثائق التي استثمرتها لتأليف كتابها حول الصلحاء والزوايا بالأطلس المتوسط، حيث جاء الكتاب حافلا بقصائد من نوع "تامديازت" تتناول مختلف المواضيع كمقاومة موحا وحمو الزياني للاستعمار في معركة الهري سنة 1914 ومقاومة سيدي المكي أمهاوش في تازگزاوت سنة 1932. كما أن هذه القصائد يمكنها أن تمد المؤرخ والباحث بمادة هامة تتعلق بالأعراف والمصطلحات والمعارك وبعض الشخصيات، كما أن "تامديازت" يمكن تحويلها إلى مادة للتحقيق والتقابل خاصة وأن الشعراء (إمديازن) هم أفضل من عرف التمثلات والتطلعات الجماعية للقبائل، لدرجة أنهم يبدون معها وكأنهم لسان حال هذه القبائل، ولهذا فقصائد "تامديازت" جديرة بالاهتمام في ميدان البحث واستعمال الرواية الشفوية.

أولمدن محمد، *المقاومة المغربية من خلال الرواية الشفوية*، بحث لنيل الإجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1982.

M. Meraud, *Histoire des A. I., La Koumia*, Paris, 1990 ; J. Drouin, *La tradition orale hagiographique, ou un cycle oral hagiographique* ; S. Guennoun, *La montagne berbère*, Rabat, 1929.

عبد القادر بوراس

**التامراوي، محمد** بن محمد، فقيه نوازلي له باع طويل في الفتاوى في القطر السوسي في عصره، وكان مولعا باقتناء الكتب وملاقاة العلماء واستجازتهم، وقد أدى فريضة الحج سنة 1242 / 1826 ودوَّن *رحلته* التي نقلها محمد المختار السوسي في *المعسول* (8 : 198 - 213) وهي تحتوي على معلومات تاريخية واجتماعية ووصف للمدن التي مر بها، وفيها يتحدث عن أحد العلماء المغاربة المجاورين بالحرمين، وهو الشيخ محمد الحبيب بن عبد القادر الفيلالي الذي جمع بين التدريس والإفتاء للمغاربة المجاورين، ويخبرنا بأن هذا الشيخ سبق له أن درس بزاوية سيدي أحمد أُموسى.

توفي محمد التامراوي عام 1285 / 1868.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 8 ؛ م. ماگامان، *أدب الرحلة عند المغاربة*، د.د.ع، الرباط.

محمد ماگامان

**تامراكْشْت** أو تَمَرَّاكشت، أحد القصور الثلاثة التي ذكرها الحسن الوزان في معرض حديثه عن منطقة الخنگ، وهي حسب تتابعها من الشمال إلى الجنوب : زعبل، وگستريز وتامراكشت. والخنگ الذي يغلب اسمه على هذه المنطقة معناه الخانق في اللغة العربية الفصحى أي الشِّعب الضيق (*وصف افريقيا*، ج 2 هامش 11، ص. 122)، لعب دورا بارزا في ربط الاتصال بين مدينة سجلماسة ومناطق شمال المغرب باعتباره الممر الطبيعي الوحيد الذي يسمح باختراق جبال الأطلس الكبير الشرقي عبر مجرى وادي زيز بين فم غيور شمال سد الحسن الداخل وغار زعبل على مسافة عشرين ميلا.

يقع قصر تامراكشت على الضفة اليسرى لوادي زيز كما هو الحال بالنسبة لگستريز. أما قصر زعبل الذي

اندرس ولم يعد له وجود بالمنطقة فيحتمل أن يكون موقعه عند غار زعبل على الطريق الرئيسية رقم 21 الرابطة بين مكناس والريصاني، وهذا الغار يمثل الحد الشمالي للخنگ. وقد ظهرت تجمعات سكنية حديثة نسبيا بهذه المنطقة اتخذت مواقعها على الضفة اليمنى لوادي زيز خلافا لمواقع القصور القديمة، ويتعلق الأمر بقصر إفْري وأيت عثمان اللذين تقطنهما عناصر من قبيلة أيت إزْدَگْ التي تشغل هذا المجال بأكمله.

لا يسمح ضيق المساحة في تامراكشت وسائر مناطق الخنگ بوجود أراض شاسعة، لذلك يقتصر ما يتم استغلاله في المجال الزراعي على أشرطة ضيقة بضفتي النهر لا يبلغ عرضها أحياناً مرمى حجر تخصص لزراعة الشعير، كما يقوم السكان بتربية الأغنام خاصة قطعان الماعز (*وصف إفريقيا*، 2 : 122 . 123).

استفادت قصور الخنگ من موقعها على طريق التجار الصادرين أو الواردين من سجلماسة وفاس في العصر الوسيط، ومع حلول القرن العاشر (16 م) أصبح سكانها من عرب المعقل يراقبون هذا الطريق التجاري ويستخلصون واجبات المرور من التجار، وهو ربع مثقال عن كل حمولة جمل مستغلين حصانة هذا الممر وما يوفره من وسائل دفاعية بحيث يستطيع شخصان منهم أن يصمدا أمام هجوم الإقليم بأكمله (*وصف افريقيا*، 2 : 122 . 123).

اختصت قبائل أولاد حسين بسكنى تامراكشت وكل قصور الخنگ في القرن العاشر (16م) وكان شيخهم يقيم بمدينة گرسلوين أو قرسلوين عند ابن الخطيب (*معيار الاختيار*، 179) التي لا نعرف موقعها بنوع من التدقيق لكن لا يستبعد أن يكون في المنطقة التي تحمل اليوم اسم الـگرْسْ والواقعة شمال الخنگ ما بين قصر گـرَانْدوُ وأيت خُوجْمانْ عبر قصر تيعلاَّلِينْ الذي يسميه المحليون گَرسْ تيعَلاَّلِينْ. عرفت مَدينة گرسلوين تراجعاً واضحاً في نشاطها الاقتصادي في القرن العاشر بسبب ضعف التبادل التجاري بين تافيلالت وفاس خلال هذه الفترة، الناتج عن تحكم قبائل ذوي منصور من عرب المعقل في أغلب مراحل هذا الطريق الرابط بين المنطقتين. بحيث كان العصارنة يتحكمون في تافيلالت بالمعنى المحلي للكلمة ومنطقة تيزيمي وكان المنابهة يتحكمون في الرَّتب ومضغرة، وكان أولاد حسين يتحكمون في الخنگ والگرس. فصار هذا الطريق ما بين قصور تافيلالت وقصر تيزي ـ ن ـ تالغمت تحت رحمة شيوخ هذه القبائل الذين كانوا يمنحون التجار رخص مرور بمقابل مالي وإن عثر رجالهم على قافلة دون رخصة نهبوها على الفور (الوزان، 1 : 45 . 46 و2 : 123 ومارمول، 1 : 108).

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج 1، الرباط، 1980، ج ح، 1982 ؛ مارمول كاربخال، *افريقيا*، ج 1، الرباط، 1984 ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، المحمدية، 1976.

حسن حافظي علوي

**تامْراكْشْتْ**، مدينة صغيرة من مدن دكالة القديمة، كانت توجد على الضفة اليمنى لنهر أم الربيع. وهذا الاسم صيغة تصغير بالأمازيغية للفظ مراكش. وليس هناك ما يدل على صحة القول بأن مؤسسها هو يوسف بن تاشفين، إذ كون هذه المدينة تحمل اسم مراكش الصغيرة لايقتضي تأسيسها من قبل باني مراكش.

كانت تامراكشت حتى أوائل القرن العاشر (16 م) آهلة بالسكان تحتوي على أربعمائة كانون، كما كانت خاضعة لأزمور رغم وجودها في تراب تامسنا، إذ أن بعض قرى تامسنا القريبة من دكالة وحتى بعض قرى هسكورة كانت كثيرة الارتباط بما يحدث في دكالة.

احتل البرتغال تامراكشت في السنة التي احتلوا فيها أزمور (919 / 1513)، فخربت في ظروف غامضة وانتقل أهلها إلى مدينة الغربية القريبة منها. وكانت تامراكشت محاطة بأسوار وأبراج على الشكل القديم، لم يبق اليوم منها أي أثر. ويخبرنا مارمول أن أعراب شراگة كانوا ينتقلون في وقته عبر بواديها التي كانت غنية جدا بالقمح والمراعي، ويبدو أنها كانت كثيرة السكان وأن البنايات كانت من عمل البربر، لذلك كان اسمها بربريا كسائر الأماكن التي تبدأ بالتاء، مثل تادنست وتازروت وغيرهما. ونظراً لموقع تامراكشت بين إقليمي دكالة وتامسنا وإقليمي هسكورة وتادلا التي هي أراض خصبة كثيرة القمح والمرعى، فإنه يبدو أن تامراكشت هي مراكش القديمة التي يذكرها التاريخ الروماني، لأن مراكش الحالية إنما أسسها يوسف بن تاشفين ولمتونه بعد عهد الرومان بكثير كما هو معلوم.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1 ؛ مارمول، *إفريقيا*، ج 2 ؛ أ. بوشرب، *دكالة* ؛ م. الشياظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط.

محمد الشياظمي

**تـامْـرْنُـوت**، رابطة كانت تجتمع فيها طائفة من الأولياء الصالحين في أسفي. وتذكر مختلف الشهادات أنها كانت معروفة منذ النصف الأخير من القرن السادس (12م)، وربما رجع تاريخها إلى ما قبل ذلك بكثير.

كان هذا الموضع الوارد ذكره في *المنهاج الواضح* موجوداً بالقرب من الموقع الحالي لضريح الشيخ أبي محمد صالح، وقد اندثر الآن ولم يبق له أثر ـ وعن هذه الرابطة يقول الفقيه الكانوني : "كان يقصدها الصلحاء وأهل الخير، وكان الشيخ أبو محمد صالح يأوي إليها، وموقعها برباط أسفي فيما بين برج كدية لَعْـفو وجرف البحر. ولعل السيدتين عائشة ومريم المدفونتين على الجرف كانتا بنفس هذه الرابطة".

وتعتقد الأستاذة حليمة فرحات بأن موقع رابطة تامرنوت قد يكون أحد المساجد التي هدمها البرتغاليون عام 1507 لما احتلوا المدينة، وهو مسجد "باب البحر" الذي أتى ذكره وذكر مساجد أخرى هدمت كذلك كمسجد "باب

الشعبة" ومسجد "القبور" ومسجد "أورير" في الرسالة التي بعثها عام 1509 أهل أسفي إلى ملك البرتغال "إيمانويل".

محمد الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، القسم الثاني (مخطوط).

H. Ferhat, *Le Maghreb aux XIIème et XIIIème siècles : Les siècles de la foi*, Casablanca, 1993.

عبد الرحيم العطاوي

**التامري**، مركز قروي يقع على الطريق الرئيسية بين أگادير والصويرة عند نقطة 40 كلم شمال أگادير قرب مصب وادي أيت أمّر المشهور بزراعة الموز منذ عهد الحماية لأن مناخه شبيه بمناخ جزر كاناريس الواقعة في نفس الخط من المحيط الطلسي، والشهيرة كذلك بإنتاج وافر من الموز الجيد، لذلك اشتهر (التامري) بتسويق الموز الطبيعي إلى مختلف المدن والأسواق المغربية قبل ظهور زراعته في الحقول المكيفة بالمغرب. وينعقد فيه سوق أسبوعي كل يوم اثنين يحج إليه سكان القبيلة والقبائل المجاورة.

ورغم أن مركز التامري ينمو نمو بطيئاً كغيره من المراكز الفلاحية، إلا أنه يتوفر على تجهيزات لا بأس بها، أهمها : مجموعة مدرسية حديثة، ووكالة بريدية، ومركز فلاحي ومقر للدرك إلى جانب مسجد كبير تقام فيه صلاة الجمعة، ومساكن اقتصادية تتوسطها محلات تجارية على جنبات الطريق الرئيسية إلى أگادير.

**التامري**، أسرة تنتسب إلى قبيلة أيت أمّر الحاحية، وهي الرابعة والأخيرة جنوبا في الصف الساحلي من بين قبائل حاحة الاثنتي عشرة (*المعلمة*، 1 : 220). وعلى أراضي هذه القبيلة تتوسع مدينة أگادير على سيف البحر شمالا، وخاصة مشروع خليج أگادير. واشتهرت القبيلة بكثرة علمائها ورؤسائها المرموقين في الأوساط العلمية والسياسية، ومعظمهم اشتهر بهذا النسب (التامري) فأطلق حتى على سوقهم المركزي. وفيما يلي التامريون المشهورون بهذا النسب :

**التامري، أحمد** بن محمد المتوفى بمراكش عام 1200 / 1785. ذكره عباس بن إبراهيم في كتابه *الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام* قائلا بأنه كان علامة مشاركاً حريصاً على التحصيل، صالحا جليلا، ذكره الشيخ الطالب بن الحاج في بعض مقيداته (عباس بن إبراهيم، *الإعلام*، ج.2 ص. 394).

محند أيت الحاج

**التامري، الحسن** بن إبراهيم، باشا أگادير. ينتمي إلى قبيلة أيت تامر بايداوتنان تخرج من مدرسة سيدي الحاج الحسن الكزويي، وصاحب الشيخين سيدي الحسن التاموديزتي، والشيخ الحاج علي الإلغي، وعمل كاتباً خاصاً للقائد مبارك الگيلولي بتامنار، وبعد ذلك التحق بمسجد قرية إيمي واسيف شارطاً، حيث بقي هنالك، غير مهتم بالسلطة والجاه، وفد عليه صدفة رسول من الحاج الحسن الگيلولي بأگادير، في طريقه إلى تامنار لإخبار القايد مبارك الگيلولي بنبإ وصول حركة الهيبة إلى سوس وعزمه الانتقال إلى مراكش حوالي سنة 1912، واقترح عليه أن يكون كاتبا خاصا للحاج الحسن الگيلولي بأگادير. (*خلال جزولة*، 1 : 39)، ولم يمانع الفقيه في ذلك، حيث عين كاتباً خاصاً للحاج الحسن الگيلولي، بدعم من القايد مبارك الگيلولي بتامنار. وتولى الفقيه الكتابة والخطابة بمسجد أگادير، إضافة إلى القضاء بين الناس في الشرعيات. وبقي هنالك إلى أن مات الحاج الحسن الگيلولي، حيث انتقل إلى مدرسة عبد الرحمان بأيت تامر. ومن هنالك استُدعي ليكون قائداً لقبيلة من غير أن يحلم بذلك. وبعد موت عبد المالك الإنزگاني عين باشا أگادير حوالي سنة 1930 / 1931. وكان حكمه حكماً مزاجياً حسب ما يذكره الناس، واستمر في مهمته إلى أن أصابه مرض نقل على إثره إلى مراكش حيث توفي ونقل جثمانه إلى مقبرة سيدي سعيد الدرارگة بنواحي أگادير وذلك حوالي 1934 / 1944.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج. 1، تطوان، د. ت. ص. 38 - 39 - 40 ؛ الرواية الشفوية، عن محمد مونيب موظف سام بعمالة أگادير.

محمد حنداين

**تامـزّوشْتْ**، موقع فلاحي خصب من بلاد مطالسة القريبة من دريوش بإقليم الناظور، محاذية لرافد صغير يصب في وادي كرت، على مقربة من الطريق الرئيسية الرابطة بين الناظور والحسيمة. فيه ضريح الولي الصالح سيدي عبد الله بن الحسين.

يحد تامزّوشت من الجنوب موقع فلاحي آخر يدعى بُويرْقَان (أي الخنازير) وكان الراحلون من بني توزين يتخَذونها عزيباً لهم حتى أصبحوا يشاركون المطالسة في امتلاك حقولها.

من جملة من سكنها من بني توزين : الحاج ميمون بن الطاهر بن الحاج عمرو، والد العالم التوزاني الحاج مَحمد الذي أقام فيها ردحاً من الزمن بعد عودته من فاس (راجع ترجمته لاحقاً) وقد تفرعت أملاك الحاج ميمون فيها إلى ثلاثة فروع تقاسمها أولاده من بعده.

مزروعاتها الأساسية : الحبوب، خاصة القمح والشعير والخرطال... وبعد الحصاد تتحول إلى مراع للحيوانات.

*رسوم عقارية ؛ روايات شفوية ؛ معاينة ميدانية*.

عبد الله عاصم

**تامْساسْگ**، مرسى بشاطئ قبيلة متيوة البحر على البحر المتوسط حيث تصب مياه نهري تاگموت وسيدي الفتوح بالقرب من رأس تاگموت. وتعرف هذه المرسى عند الإسبان باسم Ensenada de los Traidores أي مرسى الغدّارة، وسبب ذلك أن قراصنة قرية الجبهة كانوا يختبؤون بالمرسى المذكورة للانقضاض على السفن العدو الأجنبي.

A. Domenech, *Apuntes* ..., p. 48 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes* ..., p. 63.

محمد ابن عزوز حكيم

**تامْسكُرْت**، لفظة مبناها أمازيغي، لا نجزم بمعناها. ويسميها أحمد بلقاسم الزياني تاسكارت (*تاريخ خنيفرة*، 32) وهي مدشر يقع جنوب غربي مدينة خنيفرة، على بعد حوالي ثمانية كلم منها على الضفة اليمنى لواد أم الربيع، ضمن قبيلة زيان من صنهاجة الظل (أيت أُمالو).

ولعل نشأة هذا المدشر، أو توسعه على الأقل، يرتبط بانتقال الشيخ الكبير بن امحمد ابن ناصر الدرعي إليه. فعلى إثر وفاة الشيخ امحمد ابن ناصر سنة 1085 / 1674، وتصدر خليفته أحمد لشؤون زاوية تامگروت، غادر محمد الكبير درعة. فألقى عصا التسيار بتامسكرت، حيث أسس زاوية ناصرية. (*الدرة الجليلة*، 74ـ80 ؛ *البستان الظريف*، 30ـ32ـ36) ويظهر أن أتباعه قد كثروا بمجرد استقراره بها. ولعل ذلك راجع كذلك إلى كون تامسكرت إحدى منازل الناصريين في الطريق الواصلة بين درعة وفاس. وذلك أنه يوجد غير بعيد منها مدشر أرگو، وبه مريدون ناصريون أخذوا عن الشيخ امحمد ابن ناصر قبل ذلك الأوان (*رسائل الشيخ ابن ناصر*). وقد استقطبت تامسكرت، بدورها، عدداً كثيراً من سكان المنطقة. فتعدد أتباعها حتى أثار ذلك انتباه السلطان، الشيء الذي اضطره إلى استقدام شيخها إلى مكناس واختباره (*الدرة الجليلة*، 74). ولعل هذا الاختبار الذي لم يكن يخلو من ضغط على الشيخ الناصري، كانت من ورائه توجسات سياسية، ذلك أن تامسكرت تقع في مجال صنهاجة الأطلس الذين شكلوا أحد مشاغل السلطان الكبير (De La Chapelle, 14 - 16). بالإضافة إلى ذلك فقد وجدت علاقات وثيقة بين شيخ الناصريين هناك. وبين أحد حفدة الدلائيين. في هذا الاطار يشير محمد المكي الناصري إلى مراسلة بين الشخصين يواسي فيها محمد الكبير صديقه الشرقي بن أبي بكر الدلائي في المصاب الذي كان ألم بالزاوية الدلائية (*الروض الزاهر*، 116). لذلك قد يرجع ضغط السلطان على شيخ تامسكرت إلى تخوف هذا الأخير من تكرار تجربة الدلائيين، خاصة وأن ذكريات ثورة أحمد بن عبد الله الدلائي كانت ما تزال عالقة بالأذهان. كما لايستبعد أن السلطان كان يحاول استمالة زاوية تامسكرت لخدمة أغراضه السياسية في المنطقة، وذلك غير بعيد لأنه يدخل في إطار سياسة السلطان العامة إزاء الزوايا (مقدمة تحقيق *الدرة الجليلة*، 75ـ76). وقد ظلت تامسكرت قائمة كزاوية ناصرية حتى بعد وفاة شيخها محمد الكبير في 29 صفر 1126 / 1714 (*الدرة الجليلة*، 78). وقد بنى ابنه محمد على قبره ضريحا صار مقصودا بالزيارة من طرف سكان تلك الجهات.

قامت زاوية تامسكُرت بأدوارها في المنطقة، كإطعام الطعام ونشر تعاليم الإسلام والثقافة العربية، كما أسهمت في فض بعض النزاعات والتحكيم في الخلافات التي كانت تنشب باستمرار في وسط تميز بعدم الاستقرار لأن معظم سكانه كانوا يعيشون حياة التنقل والرعي. بالإضافة إلى وقوع المنطقة في مجال تنقل القبائل بين مراعي الصيف في الأعالي ومراعي الشتاء في البسائط (*تاريخ خنيفرة*، 18). ولعل تامسكُرت غدت ذات قيمة روحية لدى الناصريين أنفسهم. فحين توفي الشيخ موسى الناصري بزاوية الفيض (زاوية الشيخ) "حمل بعد موته من الزاوية المذكورة" ليدفن بتامسكرت (*الدرة الجليلة*، 135) و"صلى عليه كثير من الخلق لا يحصي عددهم إلا الله" (*الدرة الجليلة*، 135) كما دفن بها كذلك أخوه أحمد ابن محمد الكبير (نفس المصدر، 182).

ولا يرد ذكر تامسكرت في المصادر حتى بداية القرن العشرين ؛ حيث يشير إليها أحمد بن قاسم الزياني، قائلا: "تاسكارت ، يمين خنيفرة، وهي مداشر يسكنها شرفاء علويون، فإنهم يتخذون البساتين على مائهم، فتصلح عندهم الفواكه كالإجاص والتفاح والمشمش والخوخ.." (*تاريخ خنيفرة*، 32ـ34) أي أنها كانت تشكل تجمعاً سكنيا مزدهرا، ذا بساتين غناء، يكثر بها الخصب والنماء.

وصنفت تامسكُرت حسب إحصاء سنة 1936 كقصر بلغ عدد سكانه أربعة ومائة نسمة، مما يدل على أنها قد اعتورها الاضمحلال، وهو مارأيناه باديا للعيان اليوم.


م. الدرعي، *الرسائل* ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ *الروض الزاهر* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ. الزياني، *البستان الظريف* ؛ أح. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ أ. الزياني، *تاريخ بلدة خنيفرة*، تح. محمد أمحزون، الدار البيضاء، 1986.

De La Chapelle, *Le Sultan Moulay Ismaïl et les berbères sanhaja* ; *Répertoire alphabétique*.


أحمد عمالك

**تامسنا**، منطقة اقترن اسمها في كتب تاريخ المغرب الوسيط بإمارة برغواطة، جعل هذا الاقتران بعض الدارسين يجعلون منطقة تامسنا مطابقة لإمارة برغواطة التي تأسست سنة 123 / 41. 742 حسب ما جاء في *الاستبصار* (ص. 197) وعرفت فترات من التوسع والتقلص، فقد وصل مجالها الترابي أحيانا إلى طنجة شمالا ووادي تانسيفت جنوبا.

أما تامسنا كعلم جغرافي فلا يرتبط في كل العصور بإمارة برغواطة بل تعاقبت عليه قبائل أخرى قبلها وبعدها.

تامسنا اسم بربري أُطلق على المنطقة كما أُطلق نفس الاسم، (بصيغة المذكر) وغير بعيد عن المنطقة، على إحدى البحيرات (أمسنا). وتعني راحة اليد وماشابهها من بسيط الأرض. ونجد نفس الكلمة اليوم لكن بصيغة التصغير تطلق على قرية في السهل الصغير لوادي نكوروغيس في الريف الشرقي = تامسنيت. ولعل الاسم أخذ من المنبسط الصغير الذي يجري فيها النهران. لم تذكر المصادر العربية الأولى التي تحدثت عن المغرب المنطقة باسمها بل صنفتها ضمن المغرب ـ وكلمة المغرب آنذاك أطلقت على المنطقة الممتدة من شمال دَرَن (الأطلس الكبير) إلى ممر تازا ثم المحيط الأطلسي ـ (*العبر*، 6 : 174) وعند بعضهم السوس

الأدنى (ابن الفقيه ضمن نشرة حاج صادق، *صفة المغرب*، 30.40) وبعد العصر الوسيط صنفها آخرون كصاحب *الاستقصا* وابن زيدان في *العز والصولة* ضمن الحوز وأحيانا الحوز نفسه. على أن الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* (ص. 156 وما بعدها) هو الذي تناول المنطقة بوصف مسهب وتفاصيل أكثر من غيره.

اسم تامسنا متداول منذ العصر الوسيط الأوسط إلى بداية القرن العشرين رغم التغييرات التي عرفتها المنطقة على المستوى العمراني والسياسي، فأصبح البعض يغلب لفظة الشاوية أي يستعمل اصطلاحا اقتصاديا وعمرانيا (*تاريخ الضعيف*، 3 : 57) إلا أنه استعمال غامض لأن لفظة الشاوية المشتقة من النشاط المرتكز على رعي الشاء - لم تكن خاصة بالمنطقة، لذلك وقع خلط عند بعض الدارسين الأجانب على وجه الخصوص، إذ استعملت الكلمة أحيانا كمرادف لتامسنا. وبعض النابهين من المؤرخين والفقهاء تحدثوا بلغة أكثر وضوحا ودقة فقالوا : "أهل تامسنا" وهم يعنون كل سكان تامسنا. أو قالوا : "الشاوية أهل تامسنا" أي المشتغلون برعي الشياه من أهل تامسنا أو "عرب تامسنا" جزء من سكان تامسنا لأن في هذا البسيط غير العرب، إلى غير ذلك من التعابير.

جعل الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* (ص. 156 وما بعدها) لتامسنا حدودا طبيعية هي أبو رقراق شمالا وأم الربيع جنوبا والمحيط الأطلسي غربا والأطلس المتوسط شرقا. فالمنطقة بهذا التحديد شاسعة تضم الشريط السهلي الساحلي ومعظم الهضبة الوسطى : الهضاب الداخلية (هضبة الفوسفاط وهضبة بني مسكين وقسما من سهل تادلا (الضفة اليمنى لأم الربيع). كل هذه المنطقة كان يطلق عليها في خرائط الفترة الاستعمارية اسم الشاوية، ومركز إدارتها الدار البيضاء.

موقع تامسنا وسط المغرب، وبالذات وسط ما عرف (بالمغرب النافع)، موقع استراتيجي هام يربط ما بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، وتضاريسه وبنيته متدرجة في الارتفاع والتعقيد من الغرب إلى الشرق ومن الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، ويتبع هذا التدرج تدرج على مستوى المناخ والغطاء النباتي والوحيش نسبيا.

شكل هذا الموقع الاستراتيجي بهذه المواصفات وغيرها كخصوبة التربة وكثافة الشبكة المائية، عبر عدة قرون مصدر قوة لساكنة المنطقة، وأكبر نموذج تقدمه لنا إمارة برغواطة التي عمرت أزيد من أربعة قرون (ق 2 هـ - ق 6 هـ)، أما الحسن الوزان الذي شاهد، بعض معالم تدهورها، فيذكر في معرض حديثه عن تامسنا، أنها كانت تتوفر على أزيد من أربعين مدينة وثلاثمائة قصر، ويسكنها عدد كبير من قبائل البربر وان هذه المنطقة هي زهرة الناحية كلها (*وصف إفريقيا*، 1 : 153).

اهتم المرابطون وبعدهم الموحدون باستئصال إمارة برغواطة نظراً إلى أهمية منطقة تامسناالاقتصادية والاستراتيجية الحربية، فالبرغواطيون استخدموا تضاريس المنطقة ومعطياتها الطبيعية أحسن استخدام في السلم والحرب، ففي حالة الخطر ينسحبون بأهلهم إلى أدغال الهضبة الوسطى حيث يستأنف النشاط الاقتصادي ويقوم الرجال بمحاربة العدو بجميع الوسائل. ولم يتمكن الموحدون من القضاء عليهم إلا في عهد يعقوب المنصور باتباع ما يمكن تسميته عسكريا "سياسة الارض المحروقة"، فنتج عن ذلك إفراغ المنطقة من ساكنتها وإخراجها من دائرة الإنتاج الاقتصادي في المغرب. وربما اعتبر الخليفة الموحدي مسئولا عن الوضعية المتدهورة التي آلت إليها تامسنا باعترافه هو نفسه ( *الاستقصا*، 2 : 205 . 206) فقد جاء بالقبائل العربية وأنزلها المنطقة لإتمام مخططه في القضاء على البرغواطيين، وحاول إعادة تعميرها واستغلالها ففشل، وفشل مشروعه الكبير في تعويض ما فقدته المنطقة من مدن وقرى، ببناء مدينة تشبه الاسكندرية هي الرباط. فلم تعمر الرباط في عهده - حتى بعد الموحدين - رغم الإغراءات المقدمة من طرفه، ولم تسترجع تامسنا نشاطها وعهدها الزاهر، فالقبائل الهلالية استمرت تعيش على نمط حياتها القديم، معتمدة على التنقل والترحال والرعي لم تؤثر فيها خصوبة المنطقة ولا تغيير المجال بالنسبة لهم. هذه الفترة من تاريخ تامسنا، وهي الفترة الانتقالية ما بين إفراغها من البرغواطيين وإحلال العرب الهلاليين بها، هي التي وصف فيها الادريسي تامسنا (*نزهة المشتاق*، 3 : 237 . 238 . 239 . 240 . 241) فلم يشاهد إلا قرى قليلة ومدنا ومناطق معمرة في تامسنا وهي : قرية ايغيسيل (گيسر ؟) وقرية أنقال وقرية مكول وفضالة وأنفا. ومن قراءتنا للإدريسي نخرج بإعجاب بالأوصاف المقدمة عن النشاط الاقتصادي من فلاحة وتصدير. ولايخامرنا شك في أن تلك النقط المستغلة، والتي تبدو كجزر متناثرة وسط محيط من الأراضي الفارغة ما هي إلاَّ نماذج متبقية مما كانت عليه المنطقة من قبل، ذلك المحيط الفارغ استغلته الكثير من الحيوانات التي تألف العمران، وصف الادريسي منها ثلاثة أنواع : السلاحف العملاقة، وطيور النعام التي أعجب بكثرتها وكثرة بيضها والأسد الكثيرة التي فصل الحديث عنها وعن صيد الأهالي لها دون سلاح.

دخلت تامسنا بعد القضاء على البرغواطيين في عهد جديد لا علاقة له بالعهد السابق امتد أزيد من سبعة قرون وتم خلاله تعريب المنطقة واختلاط ساكنتها وتنوع عناصرها، فلم يعد البربر إلا قلة. فالمعطيات الطبيعية والاستراتيجية استغلت في اتجاه سلبي : فساد الرعي والترحال وكثرت عصابات قطع الطرق والصراعات القبلية : عرب ضد عرب وعرب ضد بربر - وعرب وبربر ضد عرب أو ضد بربر وهكذا ...

ففي سنة 677 / 77 . 1278 كثر عيث عرب جشم بتامسنا ( *الاستقصا*، 3 : 50) وفي عام 707/ 07 . 1308 اجتاز السلطان المريني "ببلاد تامسنا فتلقاه بها عرب جشم من

قبائل الخلط وسفيان وبني جابر والعاصم فاستصحبهم معه إلى مدينة أنفا، ولما احتل بأنفا دعا بأشياخهم فحضروا عنده فقبض على ستين منهم وأودعهم سجن أنفا وضرب أعناق عشرين من فسادهم القاطعين للسبيل..." (*الاستقصا*، 3 : 107) وغلبت تلك الحال على تامسنا في القرون التالية فنجد الضعيف الذي عاش إلى عام 1193 / 1778 - 1779 يقول "... ركبت البحر من سلا بقصد زيارة سيدي أبي شعيب، وفيها كان لا يقدر أحد أن يذهب لمراكش على بلاد تامسنا، وكان من جاز عليهم أكلوه ونهبوه حتى إن السلطان أطلق الإعلام أن كل من جاز على الشاوية فلا يلوم إلا نفسه..." (*تاريخ الضعيف*، 3 : 57).

هذه أمثلة متباعدة سقناها قصداً لتبيان ما آلت إليه منطقة تامسنا إذ أصبحت مخوفة حتى إن الأمثال أصبحت تضرب بها : "قالوا فينْ تامسنا قالوا احْنَا فيها" (*أمثال مغربية*) ولأخذ نظرة عَن الصراعات المشار إليها، يرجع إلى الحسن الوزان الذي تتبعها بتفصيل يندر عند غيره (*وصف إفريقيا*، ج 1 و2) وكذلك المصادر السعدية والعلوية.

كان فقدان تثبيت السكان في الأرض وربطهم بالزراعة والتعمير في القرون الأخيرة من المشاكل المستعصية التي عرفتها منطقة تامسنا وأبقت على تهميشها بالنسبة لإمكاناتها الهائلة، فالقبائل العربية ومعها قبائل بربرية كبرى ألفت منذ العهد الموحدي الأخير - بعد يعقوب المنصور - التذبذب والتقلب في مواقفها تجاه السلطة، كما ألفت الاضطراب والتقلب في الأرض وبث الفتن والصراعات، وستكون مهمة الحكام - مركزيِّين ومحليين - صعبة تجاه هؤلاء، فتارة يأخذونهم باللين وتارة بالإغراء وأخرى بالشدة، فلم تنفع تلك الوسائل إلا جزئيا وبصفة مؤقتة تتفق وسلطاناً أو حاكماً قويين، أو مجاعة أو قحطاً يضطر معها هؤلاء للخضوع. وخير نموذج تمكن الإشارة إليه في العهدين السعدي والعلوي هو عهد أحمد المنصور الذهبي، ومولاي إسماعيل. فالأول ضاق درعاً بسلوك قبيلة الخلط، فنقل جزءا منهم إلى أزغار (الغرب) وأبقى على جزء منهم في الرعية وأدخل نصفهم في الجندية، لقاء الدور الذي قاموا به في معركة وادي المخازن. لكن هؤلاء لم يستقيموا فكثر عيثهم في البلاد وتطاولت أيديهم على قبائل أخرى فانتقم منهم المنصور السعدي شر انتقام إذ شتتهم في المغرب والسودان وأفرغ المنطقة منهم. ونفس السياسة اتبعها المولى إسماعيل مع الخلط ومع غيرهم، خاصة تحرك القبائل البربرية وقبائل معقل باتجاه السهول الغربية ومنها تامسنا، فنجحت سياسة الملكين جزئيا، لكن بعد وفاتهما عادت الأوضاع إلى ما كانت عليه، فقد استمر زحف القبائل الأطلسية نحو السهول الغربية حتى أصبحت ساكنة الهضبة الوسطى من تامسنا تحتلها قبائل من معقل (زعير) وقبائل بربرية (بني ورا).

استرجعت تامسنا نشاطها الاقتصادي تدريجيا منذ العهد العلوي إذ تقاربت فترات الاستقرار والأمن وتنوعت ساكنة تامسنا وامتزجت القبائل العربية (هلالية ومعقلية) بقبائل بربرية (زناتية ومصمودية وصنهاجية). ففي الفترات المناخية الجيدة يكون الانتاج الفلاحي وفيرا، فكانت تامسنا، حسب ما يتوفر لنا من إشارات تاريخية ترجع إلى القرن الثاني عشر (18 م)، مقصدا للتجار وسفن الأجانب بحثا عن المنتجات الفلاحية التي في مقدمتها القمح. فاستعادت موانئ أنفا وفضالة وسلا / الرباط وأزمور نشاطها التصديري، فعبر هذه المراسي كانت تامسنا تصدر إنتاجها وغلاتها. ويمكن أن نقول عن هذه الفترة إن تامسنا عادت لتكون هري المغرب ومخزنه للحبوب، وقد تعزز هذا النشاط وتجذر في الفترة الاستعمارية، إذ كانت تامسنا سباقة إلى إدخال التقنيات الزراعية الحديثة وسجلت أرقاما قياسية في الإنتاج والمردودية، وازداد نمو قطاع زراعة الحبُوب بها إلى جانب قطاعات أخرى بعد الاستقلال. إلا أن انتاج الحبوب (القمح، الشعير، الذرة) والقطاني يأتي في الدرجة الأولى وعلى المستوى الوطني.


أ. ابن الفقيه، *كتاب المسالك في معرفة الممالك*، مقتطفات منه نشرها وترجمها حاج صادق تحت عنوان *صفة المغرب واوربا إلى القرن 3 هـ / 9 م*، 1949 ؛ أ.البكري، *المغرب* ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ *العز والصولة*.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens* ; J. Lècoz, *Le Rharb - fellahs et colons* ; J. Martin [et al..],*Géographie du Maroc*.


محمد حجاج الطويل

**تامسوقت**، أي السوق باللسان الصنهاجي، من المعروف أن أي تجمع بشري سواء أكان بلدة كبيرة أم صغيرة تكون له عادة وظائفه الذاتية والأساسية لتأمين ما يستطيع تقديمه من الخدمات. هنا نسجل بأن نتائج المسح الميداني الأولي لقرية تيغمرت حيث موقع نول لمطة عاصمة المرابطين خلال القرن الخامس (11 م) بوادي نون قد كشفت عن الدور المحوري للسوق المركزي المسمى حالياً تامسوقت (انظر مادتي تيغمرت وأسرير بالمعلمة). فعلاوة عن كون كلمة تامسوقت تفيد باللغة الإزناگية (الصنهاجية) اسم السوق، فإن التوزيع المكاني يظهر الدور المحوري لهذا الحي التجاري من خلال تصدره الامتداد الفعلي لتيغمرت. يظهر دور هذا السوق من خلال طوله الممتد كشارع تجاري رئيسي ينتهي كل دكان منه بدارللسكن. يظهر ترتيب هذا الشارع من خلال خريطة تيغمرت كمجموعة أساسية سكنية تتفرع عن دكاكين قديمة متراصة تربط الاستيطان المستقر بالتجارة. من هنا يبدو واضحاً وجود علاقة سببية بين حجم حي تامسوقت وباقي الأحياء متيحة فرصة النظر إلى تيغمرت مرة واحدة في الخريطة. على أساس هذه العلاقة العضوية، فإن أي زيادة في عدد الدكاكين يعتبر رهيناً بإمكانيه توفر المجال اللازم الذي يمكن توظيفه في عملية

توسيع السوق. كما أن العامل الأساسي المحدد لهذه الامكانية هو تصدر تامسوقت لباقي الأحياء المجاورة في تخطيط تصعب معه الزيادة في حجم السوق. مهما يكن فإن المسح الميداني الأولي أشار إلى أن القصبات المجاورة للحي التجاري والمكونة لقسط أساسي من نول لمطة تحتوي على عدد من الخدمات قد يتعدى بقليل مجال خدماتها سكان القصبة نفسها. في حين أن الأهمية المطلقة لتيغمرت في وظائفها التجارية التي يمكن ترتيبها في مرتبة أعلى في سلم الخدمات التجارية. هنا ندرك أن ارتباط معمل سك الدينار المرابطي (انظر مادة *تيشيشت بالمعلمة*) بالحي التجاري جاء لدور تامسوقت كقطب تجاري أولي متميز من بين معالم نول لمطة الممتدة يومها على مراحل طويلة حوالي ضفتي وادي نون.

تامسوقت اليوم عبارة عن مجموعة من بيوت السكن المتراصة والمتلاصقة وهي موجهة إلى الداخل (فتحاتها الواسعة داخل البيت والفتحات الخارجية إن وجدت لا تتعدى الباب الرئيسي) مبنية من قوالب الطين المخلوط بالتبن وبدور أرضي في الغالب. معظم طرقاتها ضيقة متعرجة ومغلقة في نهايتها. كانت دكاكين الحي تمثل شكلا نموذجيا لتسلم وبيع مختلف السلع. فتركيبه المورفلوجي مايزال يشهد على تناسق أحجام الدكاكين المصطفة بجوار أحد روافد وادي نون. كما أن شارع الحي الرئيسي واسع وشبه مستقيم ينتهي في ساحة واسعة فيها المسجد ومكان السوق الأسبوعي. ومن خلال سوق الخميس الأسبوعي يتميز الحي عن باقي تيغمرت بوضوح أكثر، لقد كان الماء متوفراً خلال القرون الثمانية الأولى للاسلام بهذه المنطقة الجافة. وبالرغم من أن هذه الوفرة تعد نسبية فالماء يبدو يومها عنصراً إنتاجياً متوفراً وغير نادر. فهو يرتبط بمجزرة السوق وبالحي المتخصص في إنتاج جلود اللمط المميزة لبنية نول ملطة الصناعية. لاثبات صحة هذه الفرضية يتعين على علماء الآثار أن يوجهوا اهتماماتهم إلى أرجاء هذا الحي. ذلك أن الكشف عن المميزات الخاصة لكل منزل بحي تامسوقت يبين أنه يتألف من أقسام متباينة منها ما كان صالحا للسكن ومنها ما كان يشخص دور المعمل الصغير المرتبط مباشرة بدكان مطل على الشارع الرئيسي. هذه الصورة رغم عدم وضوحها في الواقع الراهن للأبحاث تجعل من هذا الحي حيا تجاريا ومهنيا للخدمات التي هي بنية نول لمطة التجارية والاقتصادية.

M. Naïmi, *Nul Lamta, Tableaux edifiants*, étude inédite.

مصطفى ناعمي

**تامسينت**، قرية تقع بفرقة إمرابطين من قبيلة بني ورياغل (إقليم الحسيمة) ؛ وإلى هذه القرية نفي بطل المقاومة المسلحة المغربية بناحية جبالة والهبط وغمارة الشريف مولاي أحمد الريسوني عندما ألقى الأمير الخطابي القبض عليه بتازروت، وقد توفي الريسوني بالقرية المذكورة يوم 9 رمضان 1343 / 13 أبريل 1925.

وأما سقوط القرية بيد الجيش الإسباني فقد كان يوم 20 ماي 1926.

*Nomenclator cabilas*, 1953 ; Martinez Campos, *España belica.*

محمد ابن عزوز حكيم

**تامصلوحت**، مركز وزاوية بدائرة تاحناوت جنوبي مراكش على بعد اثنين وعشرين كيلومترا منها. وتحمل هذا الاسم اليوم جماعة قروية مساحتها 282 كلم$^2$ وسكانها 16.057 ن (1982). تنتشر أراضيها فوق سهل الحوز جنوبي مراكش ومخروطي وادي نفيس وغيغاية. تتلقى حوالي 250 ملم من الأمطار في السنة لكنها تستفيد من مياه خطارات تاريخية عديدة تقع جنوبها ومن فيض بعض المسيلات والوديان أهمها غيغاية، كما تستفيد من الضخ الميكانيكي. ورغم قربها من مراكش فإن التمليك القديم للزاوية وورثتها حال دون توسيع الملكية بأراضيها الزراعية.

تشتهر تامصلوحت ببساتين الزيتون التي كانت تستفيد من مياه السقي من وادي غيغاية ومن الخطارات وعمل الخماسة. تعطي إنتاجا جيدا من الحبوب إن كانت الأمطار كافية، وتكون أراضيها، خاصة تلال سكتانة ومخروطي الواديين، مراعي واسعة للمواشي الصغيرة. وكان قطيع الغنم لمولاي الحاج الأمغاري يضرب به المثل في الكثرة والنمو بالحوز، لكن البنية العقارية القديمة التي جعلت حوالي عشرة آلاف هكتار بها ستون ألف شجرة زيتون تمتد على مسافة أربعة كلم وصعوبة تقسيمها بين الورثة وفقدها لنصيبها من مياه وادي غيغاية التي حولت لصالح أراضي الاستعمار بأغواطيم أدى إلى بوار البساتين وتراجع إنتاجها. كما أن سنوات الجفاف المتوالية قضت على قطعان الأغنام الكبيرة وقلصت إنتاج الحبوب. وتجري حاليا محاولة من طرف ورثة أيت أُمغار لتجديد أساليب الاستغلال والقيام بزراعات جديدة كقصب السكر والخضر وتكوين تعاونيات زراعية.

اشتهر مركز تامصلوحت بزاوية يرجع تاريخ إنشائها إلى عام 934 / 1528م عندما أسسها المولى عبد الله بن حساين الأمغاري قصد إحياء الأرض وإصلاح شؤونها الفلاحية والاجتماعية، ومن هنا أتى اسمها تامصلوحت فهو صيغة بربرية لكلمة المصلوحة العربية والراجح أن معناها : الأرض التي يصلح بها الزرع. وهناك من يكتبها "تمسلوحت" وتعني الأرض المنخفضة المستوية، أو تامشلوحت أي بلدة تعيش نمط حياة الشلوح. وقد عبأ المرابط المذكور السكان لخدمة أراضي الزاوية مقابل منحهم ثلث إنتاجها. ولقيت الزاوية دعما من الملوك لدورها الاقتصادي والسياسي خاصة أحمد المنصور الذهبي الذي سهل عملية توسيع أملاكها ونفوذها مما جعلها تكسب رصيدا اقتصاديا هاما ووصلت إلى قمة ازدهارها في آخر القرن الثالث عشر (19م) في عهد مولاي الحاج شيخها، وتحولت منشأة الزاوية خلال تطورها إلى مركز عمراني يتكون من قصر محصن

ومساكن الشرفاء ومسجد ومدرسة دينية وملجأ لإيواء المعوزين واللاجئين.

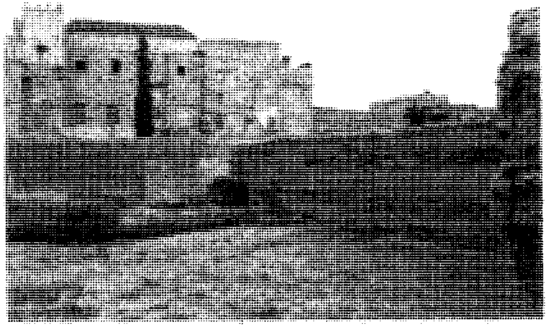

وفي بداية الاستعمار كانت تامصلوحت بلدة صغيرة تنطوي على عمارة تمدينية تقليدية تتمثل في تجهيزات أساسية من مساجد وسقايات وأفرنة وحمامات وسويقة وأنشطة غير فلاحية : من فخار ونسيج ومعاصر زيتون، إلا أنها عرفت جمودا بسبب سياسة التهميش التي سلكها الاستعمار تجاه المراكز الدينية ولموقفه من أيت أمغار الذين طلبوا الحماية الإنجليزية، ولوضعيتها العقارية الشبه إقطاعية.

ولم تتغير هذه الوضعية كثيرا في السنوات الأولى للاستقلال ولم تحظ بمؤسسات إدارية واجتماعية واقتصادية جديدة إلا في عقد الثمانينات عند تطبيق اللامركزية وتدعيم تمدين بعض المراكز القروية. وكانت تتميز بمنظر حضري يتجلى في كثافة نسيجها العمراني وانقسامها إلى دروب وأحياء تعرف بالحومات. وأحصيت سنة 1982 كمجموعة دواوير هي :

| | | |
|---|---|---|
| تامصلوحت الزاوية | سكانها | 14800 نسمة |
| حومة القصري | " | 1071 " |
| حومة تخربين | " | 628 " |
| حومة البير | " | 1195 " |

فهي تتكون من سبع حومات تقطعها زنقة رئيسية تسمى شارع المسيرة تنطلق من ساحة الضريح بوسط المركز إلى ساحة المحطة التي تحولت إلى ساحة عمومية جديدة بني حولها حي إداري يتكون من مساكن الموظفين ومنشآت إدارية : قيادة دار الجماعة القروية ومعرض تعاونية حرفية ومدرسة ومنشآت أخرى تابعة لمختلف الوزارات. تتخلل الأحياء دروب مسدودة ملتوية. ويلاحظ بالمركز وجود عدد كبير من المنازل القديمة والمتهدمة بسبب هجرة ذويها أو امتلاكها من طرف ورثة لايعتنون بها، وهي كلها مبنية بالتراب المدكوك الهش. ومازالت المنشآت الخدماتية التقليدية بارزة تؤدي دورها : ستة أفرنة، ثلاثة حمامات، اثنا عشر مسجدا، تسع قباب لأضرحة أولياء أيت أمغار، بالإضافة إلى المنشأة الكبرى وهي ضريح مولاي عبد الله ابن حساين الذي يحظى بزيارات دائمة. ويُقام بتامصلوحت موسم ديني سنوي يفد إليه الزوار من مراكش والحوز والأطلس الكبير الغربي. وجل المنازل التقليدية من طابق أرضي يتوفر على بئر ومطمورة المياه المستعملة، ومازال بها بعض الملاكين العقاريين والكثير من الحرفيين يمارسون أنشطتهم في مشاغلهم العتيقة وهي خمسون فرنا لصنع الفخار بهوامشها يعمل بها مائة واثنا عشر حرفيا، ومشاغل لنسج الأغطية الصوفية التي اندثرت ولم يبق منها سوى عشرة يعمل بها ثلاثون حرفيا يسعون لتحويل الإنتاج إلى الاستهلاك السياحي في إطار تعاونية حديثة للنسيج. وهناك ثلاثة وعشرون معصرة تقليدية للزيتون بالإضافة إلى أربع معاصر حديثة يعمل بها موسميا مائة وخمسون شخصا وست مطاحن للحبوب.

تتوفر تامصلوحت على سويقة دائمة بساحة الضريح وعدد من الدكاكين بمختلف الأحياء. ينعقد بها سوق أسبوعي يوم الجمعة، وقد انتقل من حومة السوق وسط البلدة إلى موقع قرب المحطة خارج البلدة، وهو يعرف رواجا محليا لابأس به : يزود السكان بالحاجيات اليومية ويباع به بعض المصنوعات التقليدية خاصة الفخار وفائض الحبوب والاغنام في السنوات الممطرة. ومن التجهيزات الأساسية التي حظيت بها البلدة ربطها بالشبكة الكهربائية سنة 1963 وإنشاء شبكة للماء الشروب تزود السوق والحي الإداري وسبع سقايات، لكن هذه المنشآت لم تنقذ تامصلوحت من الركود الاقتصادي والاجتماعي والتهميش، ويرجع ذلك إلى قرب مدينة مراكش التي تجتذب الشباب للعمل إما في حالة الاستقرار أو حالة التراقص اليومي.

وخلاصة القول إن تامصلوحت لم تبق مدينة تقليدية ولم ترق إلى مستوى مركز حضري حديث، ومازالت تسعى للتخلص من قيود الماضي وتبحث عن دور في ضاحية مراكش.

[1]بحث ميداني.

أحمد هوزالي

**التامصلوحتي، أحمد** الغزواني، أبو العباس، من رجال التصوف، أصله من تامصلوحت، الزاوية المشهورة، الواقعة جنوبي مدينة مراكش. انتقل إلى قرية ابزو في وقت مبكر من عمره، واستقر بها.

أخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، صاحب زاوية تامگروت. وقد عدّه صاحب *الدرة الجليلة* (ص. 274) "من أجل تلامذة الشيخ أبي العباس ابن ناصر".

اشتهر أحمد التامصلوحتي بالزهد والتقوى والكرم، بالإضافة إلى شرف نسبه. فكان حسن الأخلاق، موطأ الأكناف، كثير المحبة لأهل النسبة وطلبة العلم، مجتهداً في دينه، ملتزماً بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وبالرغم من أن الخليفتي الذي ترجم له، لم يذكر تاريخ وفاته، فمن الممكن أنه توفي قبل عام 1182 هـ/ 1768 أي قبل وفاة والد المؤلف، لأن هذا الأخير نقل الترجمة عن *تحفة الأسرار* الذي صنفه والده. ومايزال مشهد التامصلوحتي معروفا إلى اليوم، بقرية أغبالو جنوبي غربي ابزو.

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*، تح. أحمد عمالك، 1986 ؛ التحري الميداني.

أحمد عمالك

**تامعروفت**، قرية صغيرة لعبت أدواراً اقتصادية وسياسية مهمة بالنسبة لمحيطها. تقع في الجنوب الشرقي من وهدة تازخارت على بعد ثلاثة وخمسين كيلومتراً جنوب مدينة ورزازات على ضفاف أحد روافد أسيف نايت داوود أزكمرزي، ويقطن بها حسب إحصاء 1982 حوالي 475 نسمة ينتمون في غالبيتهم إلى قبيلة زناگة فخذة أيت ولن.

تحملت قرية تامعروفت أعباء قيادة قبيلة زناگة في أشخاص عديد من المشايخ الذين انتخبوا منها، كما كانت مركزاً اقتصادياً مهما لقبيلة زناگة وللقبائل المجاورة. ومما كان يسهل قدوم القبائل الأخرى للسوق وجوده في أقصى المنطقة الشمالية الشرقية من مجال قبيلة زناگة الشيء الذي جعله أكثر انفتاحاً وقرباً من قرى قبائل أيت أحمدي وأيت دوسن وأيت عمرو. إلا أن إشعاع سوق تامعروفت تراجع في الآونة الأخيرة بفعل الأهمية المتزايدة التي أُعطيت لسوق تازناخت ونتيجة كذلك لخلق أسواق أخرى جديدة بالمنطقة كخميس كركدة.

دراسة ميدانية.

أحمد توفيق الزينبي

**تامْغارْت**، كلمة أمازيغية مفردة جمعُها تيمغارين وتعني لغةً "المرأة" كما تعني الكبيرة والعظيمة "ولا يطلق أمغار" بمعنى الكبير والعظيم إلا على من تولّى مشيخة القبيلة. ولعل هذا اللفظ الذي يحمل معنى تعظيم المرأة يرجع إلى عهد أميسي في حياة البربر حيث كانت المرأة هي صاحبة الدور الأخطر في المجتمع. وماتزال وظائفها في ذلك المجتمع تستحق الإكبار، فهي :

- تتكيف مع طبيعتها القاسية طفلة فشابة فامرأة ثم مسنة، وتقاوم الحرارة والظمأ والجفاف مقاومتها للبرد القارس.
- تكون والدة مربية تلقن صغارها الحنان والصمود والصبر على شظف العيش ونكران الذات والذوذ عن القيم الدينية والخلقية والوطنية والانسانية وتزودهم بثقافتها الشفوية.
- تحرث وتحصد وتحطب وتغزل وتنسج وتطحن الزرع قبل وصول الطاحون العصري، وتطحن حاليا اللوز وثمار أرگان وترمم سطوح بيتها شتاء وترعى غنمها إذا اقتضى الحال متحدية ظروفها القاسية تلك بالزغردة والصيحة وبأصوات شعرية معبرة كشاعرة مبدعة أو حافظة مرددة.
- يؤهلها تكوينها الاجتماعي لأن تتعاون مع غيرها فيما يسمى بـ"تيويزي" العمل الجماعي التطوعي في الحرث والحصاد وسقي التربة للبناء والمساعدة في الطهي لموكب الزفاف، وفي جلب الحطب لأهل العروسين وفي التقاط ثمار اللوز وثمار أرگان وكسره وما يتبع ذلك من مراحل جد شاقة للوصول إلى عصيره أملو فزيت أرگان إضافة إلى جلب الحشائش في فصل الربيع قصد خزنها للماشية كغذاء لها في باقي الفصول.
- تصنع الزرابي والملابس الصوفية حيث تتجلى مهارتها الإبداعية وروعة فنونها التشكيلية وإن لم تعرف للمدرسة بابا.
- لعبت دورا هاما أثناء المقاومة الشعبية للزحف الاستعماري في الجنوب، حيث كانت تشحن البندقية الثانية عندما يكون المقاتل صاعدا للبرج ليفرغ البندقية الأولى، وكانت تحمل المؤونة ليلاً إلى أعالي الجبال وداخل الخنادق وتشجع بالزغردة والصيحة وتلطخ الهارب بالحناء ليكون مميزا كي يحاكم من طرف الجماعة، إضافة إلى كونها تعتبر ممرضة مقتدرة تضمد الجراح وتتقن التداوي بالأعشاب. ولنا على سبيل المثال معركة أيت عبد الله (1928 ـ 1934) بقيادة الحاج عبد الله زاكور، وهي من أشهر معارك الجنوب ما زال العديد من مقاتليها على قيد الحياة يتحدثون عن دور (تامغارت) المرأة وهو دور كان موازيا لدور الرجل. وبالتالي لم يتعرف عليها إلا مجتمعها الذي أطلق عليها اسم (تامْغارْت) أي الكبيرة والعظيمة. ليلازمها من لحظة زواجها كمسؤولة إلى لحظة وفاتها.

*تحرٍّ ميداني في جنوب المغرب.*

**تامغرا**، معناه حفل الزفاف. واشتقاقها من فعل مقُّور الذي تعني الكُبر والإكبار. تتنوع طقوس تامغرا بتنوع جهات المغرب، وميدان البحث الذي أخذنا منه معلوماتنا هو بلد إغرم بالأطلس الصغير جنوب المغرب.

يعتقد الأبوان أن من واجبهما وحقهما اختيار زوجة لابنهما وأنه لا حق للابن في الاعتراض على اختيارهما، وهم يراعون في ذلك تقديم مصلحة العائلة المجتمعة كمؤسسة إنتاج تحتاج إلى أيد عاملة. غير أن تغلغل الأفكار الإسلامية أدى إلى تليين هذه العوائد المتعلقة بالإكراه سواء بالنسبة للولد أو للبنت.

تتم خطبة موقتة بطلب يتم بزيارة الخاطبين للمخطوب عندهم، ويتوج القبول بقراءة سورة الفاتحة، حتى صارت كلمة "الفاتحة" مرادفا لإمضاء صفقة. وهدية الخطبة التقليدية قبل اليوم هي في العادة خروف وتمر وحناء. وعلى أسرة الخاطب تجديد الهدية كل عيد إلى أن يتم العرس.

أما العرس فيتقدمه جمع نساء القرية وفتياتها في خدمة تطوعية يجمعن فيها اللوازم المجانية للعرس كالحطب والماء ويقمن بخدمات، منها تهييئ الحنطة وتنقيتها، ويسمى ذلك اليوم بيوم أفْرَانْ أي "التنقية"، ولا تتم تلك الأشغال في صمت بل يضفى عليها طابع الطقوس بترديد أشعار موروثة معروفة تسمى "تاسوغالت".

وفي ليلة الزفاف تجتمع الجماعة الممثلة لأهل العريس ووفد جماعة أهل العروس ويتناولون عشاء العرس الذي يختم بدعاء الإمام ويسمى عادة "الفاتحة"، إذ يقوم وفد

الجماعة مقام الشهود، ولكن كتب العقود دخل إلى كل الجهات منذ قرون وإن لم يكن عاما.

ويتخلل جو اللقاء بين أهل العروس الذين تقرأ عنهم "الفاتحة" ووفد أهل العريس القادم لأخذ العروس تبادل العبارات المتضمنة للتبريك من جهة وللعنف اللفظي من جهة أخرى حيث يهدد أهل العروس بالإكثار من الضيوف مثلا ويلمح أهل العريس إلى أنهم يطالبون "بالأمانة" تعبيرا عن بضاعة مودعة يريدها صاحبها وأن الأمر يوشك أن يشبه امتحانا لهم.

وقد يكون لفظ طلب الخطبة الرسمية بحضور المحتفلين بأن يقول والي العروس لوالي العريس ما ترجمته : "جئت أطلب بنتك فلانة لابني فلان على سنة الله ورسوله" فيجيب المخاطب : "طلبك مقبول بشرط أن يعلّمها ابنك ما لا تعلمه من أمور دينها".

وإذا حضر شاهدا عدل رسميان فقد يتوجهان بالسؤال إلى العروس عن رضاها، وهذا نادر في القديم. وينص على مبلغ الصداق أمام العدلين أو إمام المسجد، وهو في الجملة قدر لا غلو فيه، ثم تذكر التجهيزات التي ستنقلها العروس، وإذا كان الكتب كتبت.

يذهب الوفدان بالعروس بعد أن تهيأ في مراسيم تقوم بها النساء، ويراعى في الوقت أن تصل إلى بيت العريس قبل الفجر. وتكون معها أمتعتها المسماة بـ"أكريس" أي المحزوم حتى ولو كانت صناديق.

ومن العوائد أن تبدي العروس حسرة على مغادرة أهلها وتعبر عن ذلك بنحيب وعويل عند تهييئها وعند خروجها. وتذكر في تلك الحسرة خسارة أمها في الخدمات التي كانت تعتمدها فيها.

تردف العروس عادة على بغلة وأمامها أحد أقاربها الفتيان. وتلبس فوق ملابسها النسوية برنوسا وعمامة بيضاء. تودعها النساء بأناشيد مخصوصة للمناسبة وعتيقة في أسلوبها وأصواتها، فيها شوق ووصايا.

ولا يخلو قطع الطريق بين دار العروس ودار العريس من طقوس تتعلق بأداء مبالغ رمزية عند اجتياز ممرات الماء، ويكون السير مشحونا بتوتر لأن أهل العروس يعملون على تحصين العروس والدابة التي تركبها من أعمال سحرية من قبل "عدو" محتمل يتمثل في أهل العريس الخ.

وعند وصول الموكب إلى بيت العريس تقام طقوس مختلفة، وفي الأطلس الكبير يحاول العروس من السطح الذي على باب دخولها أن يضربها بقصبة طويلة، بينما يعمل الأشداء من أهلها على أن تمر من هذا "الصراط" بدون أذى، وقبل ولوجها يطالب أعضاء الموكب بما يسمونه "العوائد" فيلقي إليهم العروس بحبات اللوز والجوز. وفي جو من اللغط يقع التراضي والتفاوض، خصوصا إذا طالب أهل العروس بعجل أو بقرة تملكها العروس أول ما تملك في دارها الجديدة، فيلبى طلبهم وتقطع أذن ذلك العجل أو تلك الأُرخة.

ولما كانت الأعراس في عدد من القبائل مناسبة لإظهار المزايا، فإنها في الغالب تؤدي إلى إفلاس العائلات حيث ترهن الأملاك أو تباع أو تقع الاستدانة. وفي مكث الضيوف أياما بدار العريس اختبار لنخوة أهل تلك الدار.

*بحث ميداني.*

محمد مستاوي

**تَامَغْرَاوْتْ**، اسم كان يطلق قديما على منطقة ميسور (ملوية الوسطى)، ويطلق حالياً على مكان هناك يتبرك به الناس، ويدعى "لالة تامغراوت" يقع فوق ربوة يفوق ارتفاعها 900 متر، تُعرف محليا بالعرگوب، ويوجد بسفحها الغربي ضريح الشيخ أبي الطيب بن يحيى الميسوري.

كانت تامغراوت في القرن العاشر (16 م) خلوة يتعبد فيه الأولياء والصالحون، كما ورد عند اليوسي على لسان محمد بن علي بن طاهر في كتاب *المحاضرات*. وتحتل موقعا ممتازا حيث تشرف على الحقول والبساتين التي تُسقى إما بمياه واد ملوية أو بمياه واد شوف شرگ. ومن الطرائف التي تذكر عن هذا المكان، أنه بالرغم من وجوده فوق أرضية رصيصية صلبة، ورغم جفاف المنطقة، فإن أرضيته شديدة الرطوبة من أثر مياه وضوء الشيخ أبي الطيب بن يحيى الميسوري ومن أتى بعده من الصالحين.

ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. م. حجي، الرباط 1976، ص. 44 ؛ *دراسة ميدانية ومعلومات شفوية.*

محمد أزهار

**تَامُقْشُرْتْ**، نوع من الأحذية الأهلية التي كانت تلبس في المناسبات وخاصة مناسبات الأعراس. كانت ترتديها العروس ليلة زفافها دون غيرها من المدعوات في المناطق الجنوبية من المغرب في حاحا والحوز وسوس. وهي في حد ذاتها لا تختلف في طريقة صناعتها عن البلغة المغربية المعروفة لكنها تكاد تكون بدون رقعة سفلى. لذلك فهي بلغة ناعمة رطبة تتخذ من جلد رقيق جداً لا تحتذى في غير المناسبات المذكورة لأنها سريعة التلف والتلاشي. ومازالت بعض المشرفات على شؤون العرائس (النگافات أو المشاطات) في مدينة مراكش تحرصن على أن تلبس عرائسهن هذا النوع من الأحذية على الرغم من غزو ملابس الأعراس الحديثة. ولا ندري هل الكلمة أمازيغية الأصل، كما يبدو من نبرتها وكتابتها أم أنها لفظة عربية من جذر القشر والقشور أو التقشير وتحولت إلى الأمازيغية ثم إلى اللهجة الدارجة على غرار تاخرازت وتاعطارت وتابقالت وغيرها. ما نعلمه هو أنها تبدو في مظهرها الخارجي وكأنها طبقة رقيقة قشرت من الجلد المعد لصناعة البلغة أو تسفير الكتب أو غيرها كما نعلم بأن طريقة التقشير كانت من بين أشهر تقنيات صناعة الجلد في جل الحواضر المغربية. ويروي بعض العارفين بميدان الجلد من الطاعنين في السن بأن حذاء تامقشرت كان أكثر رطوبة ونعومة ودقة

من بعض التقاشير المخصصة للعجزة وبعض المرضى مما كان يلبس كجوارب تحت البلغة قبل انتشار الجوارب الحديثة في البلاد.

R. Guyot, *Les arts du cuir au Maroc*, Rabat, 1957 ; L. Brunot, *La cordonnerie indigène à Rabat, Hesp.*, Vol. 33, 1946; L. Chadaï, *Langages d'artisans à Marrakech*, Université de Paris 4, Doctorat nouveau régime, 1986.

محمد بوسلام

**تَامْگَا** (زاوية ـ)، أو تامگة ـ بكاف معقودة ـ تقع بموضع يدعى إمي نْ وَرگْ، على الضفة اليسرى لأسيف نْ حَنْصال، على بعد حوالي ثلاثين كلم شمالي زاوية أگُدِّيم الحنصالية، وعند حدود قبيلتي أيت إسْحَا وأيت بُويْكْنيفَنْ أهل تالمسْت، وتنتمي أراضيها لقبيلة أيت شخمان الغربيين، جنوبي سد بين الويدان. (*Esquisse*, 173 ; *Répertoire*, 472).

تأسست هذه الزاوية على إثر وفاة يوسف أُسعيد أحنصال سنة 1145 / 1732، حيث انقسم مرابطو إحنصالن إلى ثلاثة فروع، من بينها فرع تامگا، الذي صنفه دراگ Drague من ضمن الفرع الثاني. وتضم زاوية تامگا بدورها خمس زوايا هي :

- زاوية أيت ويسعْدَن عند قبيلة أيت داود أُعلي.
- زاوية أسكار عند أيت خويا وهم فرقة من قبيلة أيت داود أُعلي أيضا.
- زاوية سيدي علي أُحسايـن عند أيت وَنَـرگي وهم أيضا فرقة من أيت داود أُعلي.
- زاوية سيدي عزيز بالقرب من تَگلفْت.
- زاوية تامگا على حدود أيت إسحا وأيت بويْكْنيفنْ (Drague, 181).

مؤسس هذه الزاوية هو علي أُحسايـن الحنصالي في القرن الثاني عشر (18 م) إثر نكبة إحنصالن. معنى ذلك أن طائفة إحنصالن لم تنقرض ـ بالمغرب ـ كما زعم كل من Rinn وCoppolani وMichaux-Bellaire (*المعلمة*، 1 : 189). فقد ظلت زاوية أگدِّيم قائمة، بل تأسست فروع تابعة لها، مثل زاوية كَرُولْ قرب دمنات وزاوية تامگا وغيرهما.

لكن يبدو أن تأسيس زاوية تامگا كان ناتجا عن نوع من الانشقاق أكثر مما هو راجع إلى عامل التوسع في الطائفة الحنصالية وتذكر الرواية الشفوية أن سبب الانشقاق راجع إلى الانحلال الذي طبع سلوك إحنصالن الصوفي، فقد كان هؤلاء يتعاطون الكلام في الحدثان والسحر، ويجتمع مريدوهم على الذكر والسماع. والأدهى من ذلك في نظر منتقديهم أنهم أباحوا المشاركة في "أحيدوس" (الطرب الشعبي المحلي)، مع ما يؤدي إليه ذلك من اختلاط بين الرجال والنساء. وقد حرَّمت زاوية تامگا تلك الممارسات، واعتبرتها ضلالا يبعد عن السلوك الصوفي الصحيح. وقد ترجع أسباب الخلاف بين الزاويتين أيضا إلى أمور أخرى تحتاج إلى مزيد من البحث والتنقيب. ورغم انسلاخ زاوية تامگا عن زاوية أگدِّيم فإنها بقيت تقرُّ بالانتماء إلى مؤسس طائفة إحنصالن سيدي سعيد أُعمرو.

وقد صارت زاوية تامگا تنافس الزاوية الأم في استقطاب المريدين والأتباع، لذلك ما أن تأسست حتى بادرت إلى نشر الطريقة بين سكان قبائل أيت شخمان ؛ لكنها سرعان ما انسلخت عن إحنصالن لتنضوي تحت لواء طائفة ذرقاوة التي كانت في أوج توسعها في بداية القرن الثالث عشر (19 م)، الشيء الذي أدى إلى انشطارها بدورها إلى شطرين، فتفرعت عنها زاوية أسْكَرْ.

وبما أن مواطن زاوية تامگا وفروعها توجد ضمن تراب قبائل أيت شخمان وأيت عطا نومالو وأيت بوزيد وأيت سري ـ وهي قبائل كلها تقع في منطقة اعتبرت نائية بالنسبة للعواصم ـ فقد تمنعت بحصانتها وتمكنت من الاستمرار، فلعبت نفس الأدوار التي دأبت الزوايا على الاضطلاع بها، كإطعام الطعام، والتوسط في النزاعات التي كانت تنشب باستمرار بين الأفراد والجماعات ؛ لا سيما وأن المنطقة كانت معبرا بالنسبة للقبائل بين الشمال والجنوب، كما أن معظم قبائل المنطقة كانت ذات نمط اقتصادي رعوي مبني على التنقلات الموسمية بالقطعان، فلعبت دورا حيويا في الحد من العنف الذي ساد أحيانا تلك الجهات، الشيء الذي دعم حركة الاستقرار وسهل تأطير السكان وتعبئتهم لمواجهة أي تدخل أجنبي.

ولم يكن المخزن يتوغل في تلك المناطق إلا قليلا، بسبب بعدها ووعورة مسالكها. أما موقف زاوية تامگا إزاء المخزن فلم يختلف عن موقف زاوية أگدِّيم، حيث طبع بطابع الحذر، فلما عرج السلطان مولاي الحسن على منطقة إحنصالن سنة 1311 / 1894، أثناء قفوله من مراكش إلى تادلا لم تُبد زاوية تامگا أيَّ رد فعل ضد الحركة السلطانية (Drague, 175). وحين زار دوفوكو وَاويزغْت في شتنبر سنة 1883، لم يتحدث عن زاوية تامگا رغم قربها، مما قد يدل على أن نجمها بدأ آنذاك في الأفول (*Reconnaissance*, 69-70). وبعد حوالي عشرين سنة زار دو سيگونزاك De Segonzac المنطقة، فأقام هذه المرة بزاوية أسْكر يومي 15 و16 يناير سنة 1904 ؛ الشيء الذي يفضي إلى الاعتقاد بأن فرع أسكر قد علا شأنه أكثر من الزاوية الأم ؛ (*Au cœur de l'Atlas*, 40) قبل أن تصير تامگا فيما بعد مجرد مقبرة يتردد إليها سكان المنطقة من أجل زيارة الصلحاء المدفونين بها، ويعقدون بها موسما سنويا يوم ثالث شتنبر من كل سنة. ويصف دو سيگونزاك رئيسها الحسين أُتْمْگا قائلا : "هو رجل قصير بدين، على الرغم من أنه لا يفهم جيدا اللسان الدارج فقد كان يقرأ اللغة العربية بطلاقة، ويفهمها بسهولة، هذه اللغة التي كان عارفا بها. وإذا كانت معلوماته العامة واسعة، فإنها تبقى مع ذلك سطحية". (*Au cœur de l'Atlas*, 40).

وقد لعبت زاوية أسْكر التي غدت المركز الصوفي الرئيسي لزاوية تامگا، دورا مهما في مقاومة التوغل الفرنسي في تلك المنطقة، حيث تزعم رئيسها الحسين أُتمگا

المقاومة منذ سنة 1917. فقد قضى جل أوقاته متنقلا بين زاوية تامگا وتگلفت وأسكر وأغبالة للتحريض على الجهاد وعقد التجمعات واختيار زعماء الجهاد. فاستطاع تنظيم مواجهات عنيفة ضد جيش الاحتلال منذ سنة 1924 (*المعلمة*، 1 : 132). وقد فشا خبره وعلا صيته حتى تجاوز المنطقة ليصل إلى تافيلالت والريف. وتحت يدنا نسخة من رسالة بعث بها المقاوم النگادي إلى الحسين أُتمگا يحرضه على متابعة الجهاد، مستدلا على ضرورة التصدي للمحتلين بعدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية، ومبينا ما ينتظر المجاهدين في سبيل الله من ثواب في الآخرة، ومعلنا تضامنه المطلق معه. كما عثرنا على نسخة من رسالة وجهها إليه المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، تتضمن أربع نقط :

1) يحثه على مواصلة الجهاد، ويدعوه إلى الصمود وعدم الانخداع بالعدو المهزوم لا محالة.

2) يقترح عليه سبل التنظيم وتدبير شؤون أعمال الجهاد، وينبهه إلى عدم التفريط في المحافظة على السلوك الإسلامي القويم، وبصدد ذلك يسدي إليه عدة نصائح.

3) بصدد طلب تعيين عامل على المنطقة، يعتقد الخطابي أنه لا يوجد رجل تتوفر فيه تلك الشروط، لأن العامل في نظره "يكون دائما في الرباط وفي القتال ولا يذهب إلى داره إلا في الأوقات اللازمة، ومهما حاد عن هاته الطريقة فالعامل معزول عندنا ولا عذر له بعد ذلك".

4) يجيبه عن طلب الإعانة التي التمسها منه بإرسال "رقاص" خاص إليه للنظر في الموضوع.

هكذا لعب رئيس زاوية أسكر الحسين أُتمگا دورا مهما في مقاومة الفرنسيين في تلك المنطقة، حتى بعدما انبثت مراكزهم هناك وأصبحت تحاصر القبائل غير الخاضعة (Drague, 177). فظل يحمل السلاح حتى وفاته سنة 1930، على الرغم من عدم تكافؤ قواته مع قوات الفرنسيين ذات التدريب العصري والعتاد الفتاك. وقد واصل ابنه علي، من بعده، أعمال الجهاد، حتى اضطر إلى الاستسلام سنة 1933. وبذلك يُعدُّ أيت أُتمگا من أواخر مقاومي البادية المغربية (Drague, 178).

*وثائق زاوية أسكر ؛ معلمة المغرب ؛ التحري الميداني.*

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; M. De Segonzac, *Au cœur de l'Atlas* ; *Répertoire* ; G. Drague, *Esquisse*.

أحمد عمالك

**تامگروت** أو تمگروت - جغرافيا -، تجمع سكني يقع على الضفة اليسرى لوادي درعة وسط حوض واحة فزواطة التي تُكون مع خمس واحات أخرى (من العالية نحو السافلة : واحات مزگيطة، تيننزُلين، ترناتة، فزواطة، اكتاوة ومحاميد) - شكل 1. ما يسمى بدرعة الأوسط، وهي الواحات المشهورة المكونة لوادي درعة.

تبعد تامگروت عن مدينة زاگورة بحوالي ثمانية عشر كلم، وسط منطقة ذات مناخ حار جاف صيفاً، وبارد جاف شتاءً، حيث الحرارة المفرطة خلال الصيف (معدل شهر يوليوز : 43،6 درجة) والمنخفضة خلال الشتاء (3،3 درجة خلال شهر يناير). أما الأمطار فجدّ ضئيلة (62 ملم / سنويا) وهي تسقط في الغالب على شكل رخات مطرية.

تامگروت هي مقر جماعة تامگروت التي تضم اثنين وستين قصرا وقصبة وقصرا - زاوية، بالإضافة إلى عدد من الدور المشتتة وسط الحقول.

توجد تامگروت وسط منطقة ذات فلاحة سقوية عتيقة، تعتمد أساساً على المياه الجارية بوادي درعة إضافة إلى مياه الفرشة الباطنية. وتتركز ساكنة تامگروت في منطقة تعرف انتشاراً هاما للزوايا (14 زاوية في واحة فزواطة)، ذات تاريخ متميز بالصراعات والتطورات المستمرة مما جعل من زاوية تامگروت (الناصرية) زاوية متميزة فرضت وجودها بالمنطقة.

يمارس التامگروتيون عدة أنشطة يمكن تلخيصها في كون 46٪ منهم يعملون في الفلاحة و54٪ يشتغلون بالتجارة والحرف التقليدية وغيرها. وبالرغم على أن الفلاحة بقصر زاوية تامگروت لا تشغل سوى أقل من واحد من اثنين إلا أنها عماد الاقتصاد بالمنطقة. فهي فلاحة معاشية بالدرجة الأولى، ترتكز على طول الوادي أي الأراضي التي يسقيها واد درعة. هذا المجال المزروع مستغل منذ القدم، بل إنه يعرف في بعض المناطق تراجعا بسبب زحف الرمال، كما أنه بين المدِّ والجزر من سنة لأخرى حسب كثرة أو قلة المياه المتوفرة بالوادي.

يعتبر النخيل أساس الفلاحة الدرعية، وهو يحتل المستوى الأعلى في الغطاء النباتي. نجد تحته بعض الأشجار المثمرة كالرمّان واللوز والتفاح... تحت هذين المستويين نجد زراعة الحبوب : القمح والشعير اللذين يشكلان المادة الأساسية في معيشة السكان. إلى جانب الحبوب هناك زراعة البقول وبعض المزروعات العلفية كالفصة والبرسيم...

تتنوع الملكية بالتمييز بين ملكية أسس الانتاج الفلاحي المتمثلة في الماء والأرض وبين ملكية الأرض والنخيل الموجود فوقها.

وتتميز الملكية بوادي درعة بنفس مميزاتها على المستوى الوطني : التنوع (ملكية خاصة وملكية عامة : أحباس المساجد، أحباس الزوايا، الأراضي الجماعية)، التشتت : فهذه الزراعة التقليدية المغلالة تقام على مشارات مشتتة.

يمارس سكان تامگروت - كما سبق ذكره - مهنا مستقلة أو شبه مستقلة عن الفلاحة يرثها الأبناء عن آبائهم، لذلك فالهجرة الموسمية أو الدائمة جد محدودة داخل الوسط التامگروتي حتى خلال فترات الجفاف بالمقارنة مع باقي واحات فزواطة أو وادي درعة.

يقام بتامگروت سوق أسبوعي كل يوم سبت، يعرف أكبر رواج له خلال فصل الخريف بسبب بيع وشراء التمر. أما أكبر فترة ركود له فهي خلال فصل الشتاء، كما يعرف حركة مهمة قبل أيام الأعياد وخصوصاً قبيل عيد الأضحى

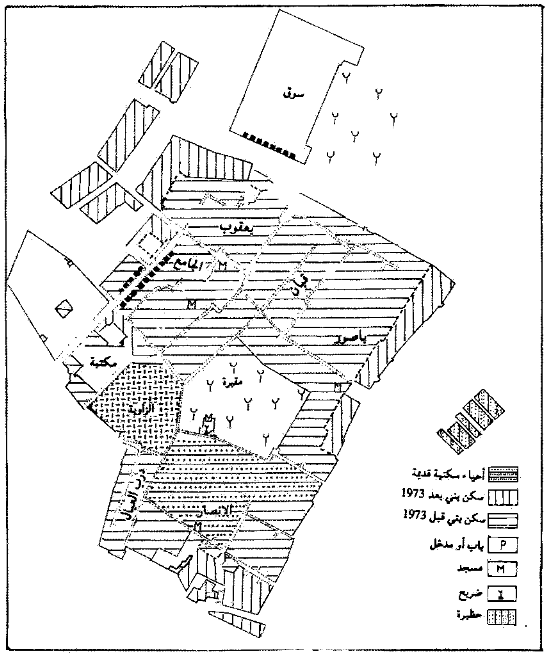


تامكروت

وفي موسم عاشوراء. فيما يخص سوق عاشوراء أو البخاري (كما يسمى محليا) فقد تبنته الطريقة الناصرية. كان لهذا الموسم طابع ديني، يحج إليه الناس من عدة جهات بالمغرب من زوار وتجار، لكن هذا الموسم تطور مع الأيام من دوره الديني إلى موسم يطغى عليه الطابع التجاري. يستفيد الناصريون من مداخيل الهبات: "الربيعة" التي هي عبارة عن هدايا وعطايا يقدمها الزوار من أجل التبرك بالشيوخ مؤسسي الزاوية الناصرية.

ولوجود مقر السوق بتامكروت آثار على استمرارية طبيعة الحرف التي يزاولها السكان إضافة إلى الأصول التاريخية للسكان. وهي حرف كالفخارة والنجارة والحدادة (11،2٪) والجزارة (5٪) والتجارة وخصوصا البقالة (5،4٪) والمتاجرة في التمر (6،7٪) والوظيفة العمومية (5،8٪) والمستأجرين (11،7٪)...

وبصفة عامة، يحتل قصر الزاوية الناصرية في تامكروت دوراً طلائعاً في منطقته، وقد جمعت بين الطابع الواحي التقليدي ومكونات المدينة الإسلامية، رغم أنها لم ترق إلى مرتبة المدينة. لقد فرضت وجودها في منطقة عرفت تكدسا سكانيا منذ القدم كما لعبت دوراً مهما في تعمير المنطقة بل أصبحت تملك قسطاً كبيراً من الماء والأرض (394،66 خروبة و48،015 هكتار بفزواطة). رغم الإشعاع الذي كان لتامكروت فهي لا تحافظ حالياً سوى على دور نشر العلم باستقبالها لبعض الطلاب، لكن هذا الدور هو الآن في تراجع مستمر نظراً لمشاركتها فيه من طرف التعليم العصري.

P Azam, *Sédentaires et nomades dans le sud marocain, le coude du Drâa*, Archives du CHEAM le 16 Mai 1946 ; A. Bahani, *Les structures agraires et les systèmes d'irrigation, palmeraie de Fezouata-Drâa, Moyen-Maroc*, Thèse de Doctorat, Rouen, 1990 ; M. Bodin, *La zaouia de Tamegrout, A.B.*, fasc. 4 1918 ; G. Drague, *La zaouia de Tamegrout et les Nasiryine*, in *Esquise de l'histoire religieuse du Maroc*, Paris 1951 ; A. Hammoudi, *Pouvoir et société, Tamegrout aux XVII et XVIII siècles, A.E.S.C.*, Mai-Août, 1980 ; D. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670, vie politique, économique et sociale*, Doctorat d'Etat 4 vol., Paris I, 1975 ; Michaux-Bellaire, *Essai des confréries marocaines, Hesp.*, XVII, 1927 ; G. Spillmann, *Villes et tribus du Maroc, tribus berbères*, T. II, *districts et tribus de la haute vallée du Dra*, Paris, 1930.

عبد الكبير باهني

* * ومن الناحية التاريخية، تعني تامكروت منطقة جنوب مدينة زاكورة الحالية بإقليم ورزازات، تشتمل على مجموعة من القصور القديمة التي لا تزال قائمة إلى اليوم، مثل بني خلُوف وتازروت وتمكاريـة وأكْـني وقصر تامكروت الذي تحمل المنطقة اسمه.

تعني تامكروت - حسب الرواية المتداولة محلياً - الأخيرة. وتجد هذه الرواية ما يدعمها في المصادر المكتوبة، فقد ورد في كتاب *طليعة الدعة*(ص. 6) أن القائد البردعي السردوني حين وصل إلى المنطقة عرض على سكانها من اليهود وغيرهم الإسلام فأبوا، وحاصرهم عشرة أشهر ثم قتل منهم خلقا كثيرا، ثم سكن المسلمون ديارهم وسموا البلاد تامكروت لأنها آخر ما ملك المسلمون من درعة. وقد تكررت نفس الرواية في الوثائق اليهودية (*Juifs et Chrétiens*, 42). وإذا كانت إفادة هذه المصادر، تفتقر إلى البعد الزمني، ويغلب عليها الطابع الأسطوري، فإننا نعتقد أن هذه الأحداث التي وقعت بتامكروت ترجع إلى زمن الصراع على وادي درعة بين المرابطين والموحدين. نستشف من رواية البيذق أن الموحدين واجهوا معارضة قوية بوادي درعة (*أخبار المهدي*، 77) فاضطر عبد المومن بن علي الكومي سنة 528 / 1132، إلى أن يقود بنفسه حملة قوية إلى درعة فقتل من سكان المنطقة حوالي عشرين ألفا (*نظم الجمان*، 195) وقد أكد ذلك أبراهام بن عزرا في حوادث عام 1132 م، حيث ذكر أن اليهود بدرعة كانوا ينظرون إلى دمائهم وهي تهرق كما يهرق الماء (*Archives Marocaines*, 6 : 124) فهل يمكن القول إن البردعي السردوني كان قائداً من قواد الموحدين بدرعة ؟ وهل هو الذي عرض الاسلام على سكان المنطقة في إطار الحركة التصحيحية التي نادى بها المهدي ابن تومرت ضد المرابطين الذين اتهمهم بالتجسيد ؟ وهل يمكن اعتبار منطقة تامكروت آخر منطقة خضعت لنفوذ الموحدين، خاصة أن لفظ تامكروت ذو صيغة مصمودية فيما يبدو ؟

ولهذا الصراع الذي عرفته منطقة تامكروت خلال العصر الوسيط ما يبرره اقتصاديا، فالمتحكم في هذه القصور يتحكم في الواقع في أهم الممرات التجارية، ليس في واحة فزواطة فحسب، وإنما في كل واحات وادي درعة، ذلك أن تامكروت تنفتح على شرق المغرب عبر تيزي ن تافيلالت، وهو الطريق الذي أصبح يعرف بطريق الحج في أوج الزاوية الناصرية ( *الرحلة الكبرى*، 13) وتنفتح على بلاد السودان عبر إمي نْ تاقّات، وهو ممر لا غنى للقوافل التجارية المتوجهة إلى السودان عن المرور منه، وتنفتح على

الشمال عبر إمي نْ تَـزاكورْت الذي يفصل بين واحتي فزواطة وترناتة. إذن، فلا عجب إن وجدنا اليهود قد تمركزوا في قصر بني خلوف منذ القديم إلى غاية السنوات الأولى من عهد الاستقلال في هذا القرن.

وإذا كنا لا نعرف أي شيء عن تامكروت في العهد المريني لهيمنة قبيلة أولاد حسين التي استبدت بسكان درعة وخرجت عن طوق السلطة المركزية، حتى أصبحت هذه المناطق ضاحية من ظل الدولة ( *العبر*، 6 : 92)، فإننا نلاحظ أن منطقة تامكروت بدأت تسترجع مكانتها خلال القرن الثامن (14 م) بعد تأسيس زاوية سيد الناس، فقد أصبحت هذه الزاوية مركزاً لاستقطاب رجال العلم والتصوف بالإضافة إلى كونها أضحت مركزاً تجارياً تتجمع فيه القوافل قبل انطلاقها نحو السودان.

وفي نهاية القرن التاسع ومطلع القرن العاشر (15 . 16 م)، اشتدت وطأة الهجومات المسيحية على سواحل سوس، سيما وأن البرتغاليين قد نجحوا في احتلال أكادير، فألحقوا أضراراً فادحة بقبائل المنطقة التي كانت تستفيد من التجارة الصحراوية بسوس. وقد تضايق أهل الصلاح والعلماء من الوجود المسيحي بالمنطقة فهاجرت ثلة منهم إلى وادي درعة، واستقر بعضهم بتامكروت كما هو الحال بالنسبة لأبي القاسم الشيخ الذي استقر بزاوية سيد الناس، فتقاطر عليه طلاب العلم من كل الأصقاع، وعلي بن مَحمد الشيخ الجزولي، الذي أسس زوايته بقلب تامكروت والتي لا تزال تحمل اسمه إلى اليوم ( *الحركة الفكرية*، 2 : 545)، وقد عرفت هذه الفترة أيضا تأسيس زاوية سيدي عمرو خارج قصر تامكروت، واتصل بناؤها ببناء تامكروت على إثر التحول العمراني الكبير، الذي عرفته هذه الزاوية، بعد أن تولى الناصريون تدبير شؤونها ابتداء من أواسط القرن الحادي عشر (17 م).

وبفضل هذه الزوايا الثلاث، تحولت منطقة تامكروت إلى أهم مركز علمي وصوفي بدرعة منذ القرن العاشر (16 م) ويؤكد ما ذهبنا إليه أن سلاطين الدولة السعدية المنحدرين من زاوية تاكمادارت القريبة جدا من تامكروت، باتوا يعتمدون على علماء تامكروت في تدبير بعض شؤون الدولة، فاتخذوا الكتاب الخاصين من علماء أسرة العنّابيين بقصر تازروت، والدبلوماسيين ومؤدبي الأمراء من علماء أسرة البكريين من زاوية سيدي علي بن مَحمد الشيخ (*حضارة وادي درعة*، 138).

وفي إطار توفير ظروف الأمن والاستقرار وحماية الممرات التجارية بواحة فزواطة أقام السعديون حامية عسكرية قوية بقصر تامكروت. ونستشف من إشارة مارمول أن سكان قصر تامكروت من دراوة، أي من العناصر السوداء التي يعتبرها جل الباحثين من السكان الأصليين بدرعة (*افريقيا*، 3 : 150). وبعد فتح السودان في نهاية القرن العاشر (16 م)، ساهم سكان قصور تامكروت بدور فعال في مد الدولة السعدية بالرجال، إن على المستوى العسكري أو الإداري، واستقرت طائفة كبيرة منهم بمدينتي تنبكتو ودينيي (*بداية الحكم المغربي*، 386)، وبفضل هذه الطائفة تدفق الذهب على واحة فزواطة ككل وأصبح سكانها من أثرياء درعة. وفي هذا الإطار يذكر صاحب *الدرر* أن رجلا من زاوية علي بن مَحمد الشيخ الجزولي، أراد أن يذهب إلى الحج في أواسط العقد الثالث من القرن الحادي عشر (17 م) فاستصحب معه ثلاثين قنطارا من الذهب ( *الدرر*، 261). وبالرغم من الاضطرابات الاجتماعية والسياسية التي عرفتها بلاد درعة بعد وفاة السلطان أحمد المنصور السعدي عام 1012 / 1603، فإن رجال زوايا تامكروت نجحوا في توفير ظروف الأمن والاستقرار لسكان المنطقة نظرا لما كانوا يتمتعون به من نفوذ معنوي ومادي بين قبائل الرحل التي تخلصت من كبسها بوفاة المنصور، فظلت تامكروت محافظة على دورها كمحطة لاستقبال القوافل التجارية وزرافات المسافرين قبل دخولهم في المهامه الصحراوية (*أنس الساري*، 27). إلا أن الظروف المضطربة ما لبثت أن عصفت بالوفاق الهش الذي كان قائما بين سكان قصور تامكروت وزواياها.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تطوان، د.ت. ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 1981 ؛ م. ابن عبد السلام الناصري، *الرحلة الكبرى*، مخطوط خ. ع. 2327 ؛ ابن مليح السراج، *أنس الساري والسارب*، فاس، 1968 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، ط. حجرية د. ت. ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، الرباط 1979 ؛ م. الغربي، *بداية الحكم المغربي في السودان الغربي*، الكويت، 1982 ؛ *طليعة الدرعة*، مخطوط ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة*، *دعوة الحق*، أكتوبر 1973.

J. Gattefossé, *Juifs et chrétiens du Draa avant l'Islam*, *B.S.P.M.*, 1935 ; G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draa*, *A.M.*, n° 9, 1931 ; N. Slousch, *Notes sur l'histoire des juifs au Maroc*, *A.M.*, VI, 1905.

أحمد البوزيدي

* * زاوية تامكروت الصوفية أسسها أبو حفص عمر بن أحمد الأنصاري (تـ. 1010 / 1602) في منطقة تامكروت بدرعة لتلقين الطريقة الغازية. وبعده آل أمرها إلى الشيخ عبد الله بن حسين الرقي المعروف بالقباب فانتقل إليها من زاوية سيد الناس القريبة منها، وخلفه بعد موته عام 1045 / 1635 أحمد بن إبراهيم الأنصاري حفيد المؤسس، إلا أنه لم تمض سبع سنوات حتى اغتيل هذا الشيخ على يد رئيس أحد القصور المجاورة المتنازعة، فانتقل أمر زاوية تامكروت إلى الشيخ مَحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي الذي كان على صلة بهذه الزاوية كمدرس وإمام وخطيب. وبعد فترة اضطراب بسبب منافسة الأنصاريين، تزوج الشيخ مَحمد ابن ناصر بحفصة الأنصارية أرملة الشيخ أحمد بن إبراهيم فأصبح إمام الزاوية وعالمها بدون منازع، وأصبحت تعرف بالزاوية الناصرية (انظر الناصرية).

Le Marquis de Segonzac, *Au cœur de l'Atlas* ; M. Bodin, *La Zaouia de Tamagrout* ; *Répertoire Alphabétique des tribus* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse*.

أحمد عمالك

**التامكروتي**، أسرة علمية، علا شأنها ونبه أمرها، بنبوغ علمائها بدرعة خلال القرن العاشر (16 م) وردحاً من القرن الحادي عشر الهجري (17 م). يتصل نسب هذه الأسرة، حسب مشجر الأنساب المتداول عند ذرية هذه الأسرة وحفدتها، بأبي بكر الصديق عن طريق يعزى ويهدى دفين زاوية أسا بسوس ( *المعسول*، 10. 184). انتقل جد الأسرة سيدي علي بن مَحمد الشيخ من بلاد جزولة إلى وادي درعة في مطلع القرن العاشر الهجري (14 م) فنزل بواحة فزواطة التي كانت آنذاك تزخر بالزوايا العلمية والصوفية مثل زاوية سيد الناس وزاوية سيدي عمرو الأنصارية (زاوية تامگروت فيما بعد) وزاوية تاگمادارت وغيرها. وعلى غرار علماء ومتصوفة عصره، قام سيدي علي بن مَحمد الشيخ بتأسيس زاوية لاتزال تحمل اسمه إلى اليوم (زاوية سيدي علي) بقلب تامگروت ( *الحركة الفكرية*، 2 : 545). وقد أنجبت هذه الأسرة ثلة من العلماء، كان لهم ذكر بين أهل الفضل والعلم والسياسة على عهد السعديين. ومن علماء هذه الأسرة :

**التامكروتي، عبد الله** بن علي بن مَحمد، تلقى تعليمه بزاوية أبيه، وتصدر فيها للتدريس إلا أنه لم تكن له شهرة أخيه، وقد برع بشكل خاص في علم الفلك على يد عبد الرحمان التاجوري (حضارة وادي درعة، 139) ثم استهواه التصوف، فرحل إلى تونس ولازم الشيخ عبد العزيز القسنطيني حتى أدركته الوفاة هناك في تاريخ غير معروف.

**التامكروتي، علي** بن مَحمد بن علي، ولد بزاوية سيدي علي، نشأ وتربى في كنف والده إلى جانب أخيه سيدي محمد بن مَحمد، كما أخذ عن عدد من الأعلام والمشايخ، فتخرج عالما فقيها وأديبا بارعا، أخذ التصوف عن قومه وشيوخهم، وهكذا يصفه صاحب *الدرر المرصعة* بأنه "إمام المعارف وروضة الأدب والصلاح الناعمة الأفنان والمطارف" ( *الدرر*، 217).

تصدر علي التامگروتي للتدريس في زاوية أسلافه فتألق نجمه وطبقت شهرته الآفاق فاستدعاه السلطان أحمد المنصور إلى القصر الملكي بفاس ( *النفحة*، 4) وأرسله سفيرا عنه إلى الأستانة، وقد دون أخبار هذه الرحلة ضمن كتابه *النفحة المسكية في السفارة التركية*. وقد عاد التامگروتي إلى مسقط رأسه بتامگروت بعد نجاحه في هذه السفارة، فرجع مرة أخرى إلى كرسي التدريس والتعليم.

انتقل علي في أخريات أيامه إلى مراكش، وبالرغم من أننا لا نعرف بالتدقيق أسباب انتقاله إلى مراكش، فإننا نعتقد أن المنصور كان قد استدعاه إلى مراكش للقيام بمهام رسمية. إلا أن المنية عاجلته فدفن بضريح القاضي عياض بمراكش سنة 1003 هـ.

**التامكروتي، محمد** بن **إبراهيم**. ولد بزاوية سيدي علي، وتخرج على علماء أسرته وفقهائها. وقد وصفه صاحب *الدرر* بالولاية والصلاح شأنه في ذلك شأن أسلافه من آل التامگروتي ( *الدرر*، 261). برز محمد بن إبراهيم كعالم مرموق في زمن زيدان السعدي (1012. 1037)، ولاشك أنه قد استفاد من وضع أسرته العلمي والاجتماعي ومن موقعها بالنسبة للدولة السعدية، فأصبح من أغنياء واحة فزواطة وأثريائها في وقته، وفي هذا الصدد ذكر صاحب الدرر، أن محمد بن إبراهيم، عزم على الحج مرة، فاستحصب معه حوالي ثلاثين قنطاراً من الذهب، خصص منها عشرة قناطير لاقتناء الكتب، فأنشأ مكتبة عظيمة نهبها السلطان زيدان السعدي ( *الدرر*، 261). فهل كان محمد بن إبراهيم يخوض في السياسة مثل بعض المتصوفة من أهل تافيلالت وسوس المعاصرين له ؟ وإلا لماذا تعرضت الزاوية للنهب ؟

وبالرغم من أن عدداً من المؤرخين قد تناولوا بالبحث والتدقيق علاقة الدولة السعدية بالزوايا سواء في مرحلة أوجها أو في فترات انحطاطها، فإن أحداً منهم لم يتطرق لحادثة نهب زاوية سيدي علي، وقد انفرد بذكر هذه الحادثة، في عبارة جد مقتضبة، محمد المكي الناصري في *الدرر المرصعة*، حيث ذكر أن زيدان قد نهب دار محمد بن إبراهيم التامگروتي بسبب أمور يطول سردها ( *الدرر*، 261). وبالرغم من أننا لا نتوفر على كل المعطيات التي تساعدنا في تحديد الأسباب التي تحاشى محمد المكي الناصري ذكرها، فإن الشيء الأكيد أن زيدان السعدي قد نهب دار محمد بن إبراهيم التامگروتي لأسباب سياسية. فهل كان محمد بن إبراهيم مثلا يعارض وجود زيدان بدرعة بعد عودته من تلمسان ؟ هل كان محمد بن إبراهيم ينوي تأسيس إمارة على غرار ما قام به ابن أبي محلي وأبي حسون السملالي ؟ وعلى كل فإننا لا نستبعد أن يكون زيدان قد نهب دار محمد بن إبراهيم التامگروتي أثناء مجيئه إلى درعة سنة 1015 / 1606 م، فقد كان شغل زيدان في هذا التاريخ هو الحصول على أكبر كمية ممكنة من الأموال ليلبي رغبات أتراك الجزائر، ولحشد الجيوش لاسترجاع مراكش من يد أخيه. فلم يجد أمامه إلا زاوية سيدي علي ودار محمد بن إبراهيم التامگروتي بالذات. وقد توفي محمد بن إبراهيم في تاريخ غير معروف ودفن بزاوية جده بتامگروت.

**التامكروتي، مَحمد** بن **علي** بن محمد، لا نعرف شيئا عن ولادته، ولا المكان الذي ولد فيه وهل ولد بدرعة أم بسوس قبل هجرة والده إلى فزواطة. وقد اشتهر أمره بعدما أصبح مسؤولا عن زاوية والده منذ أواسط القرن العاشر الهجري (16 م). ونستفيد من إشارة صاحب الدرر، أن سيدي مَحمد بن علي هذا قد أخذ العلم على عدد من المشايخ إلا أنه عول فيما يتعلق بطريق القوم على الشيخ عبد العزيز القسمطيني ( *الدرر*، 257). ويحدد لنا ابن عسكر الشفشاوني طبيعة العلاقة بين مَحمد ابن علي

وشيخه القسمطيني، حيث يوضح أن صاحبنا كان تلميذاً لهذا الشيخ، وأن الشيخ كان يراسله بعد استقراره في زاوية سيدي علي بدرعة ( *الدوحة*، 133 ).

تصدر مَحمد بن علي للتدريس وتربية المريدين في إطار الطريقة الجزولية، فأقبل عليه الناس من كل الأصقاع، للانتفاع بعلمه وأخذ التصوف من زاويته، فتجاوزت شهرته بلاد درعة إلى جهات أخرى من المغرب وخارجه، وهذا ما جعل ابن عسكر الشفشاوني يحليه بأنه كان من العلماء العاملين، وأولياء الله المتقين شيخاً فاضلا من العارفين بالله تعالى.. وله مناقب ومآثر، فانتفع الناس بعلمه، وشأنه كبير، وقدره جليل ( *الدوحة*، 93). ولاشك أن هذه المكانة العلمية والصوفية التي بلغها مَحمد بن علي هي التي جعلت عبد الرحمن التاجوري، شيخ الفلكيين بمصر، يهيب في رسالة له، بمَحمد بن علي، أن يتدخل لدى السلطان مَحمد الشيخ السعدي، لتعديل انحراف القبلة في عدد من مساجد المغرب ( *الحركة الفكرية*، 2 : 547 ).

وبالرغم من كوننا لا نعرف هل تم تنفيذ اقتراح التاجوري أم لا، فإننا نستفيد من هذه الإشارة، أن أسرة التامكروتيين، كانت تتمتع بنفوذ خاص عند سلاطين الدولة السعدية، وأن هذا النفوذ سيعرف تطورات خاصة على عهد السلطانين عبد الله الغالب، وأخيه أحمد المنصور، حيث كان كل من هذين السلطانيين يختار سفراءه من أسرة التامكروتيين ( *حضارة وادي درعة*، 138).

وقد تخرج على يد مَحمد بن علي جم غفير من علماء درعة وفضلائها نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ابنيه محمد بن مَحمد وعلي بن مَحمد، والشيخ مَحمد بن مهدي الجراري دفين زاوية امحنا بترناتة، وأحمد أذفال دفين واحة اكتاوة في درعة الوسطى. وقد توفي مَحمد بن علي بزاوية أبيه سنة 965 هجرية.

**التامكروتي، محمد بن مَحمد** بن علي، من أفاضل هذه الأسرة التامكروتية، ولد ونشأ بزاوية سيدي علي، تربى في كنف والده الذي سهر على تعليمه حتى امتلأ وطابه علما وفقها، فتألق نجمه في أصقاع وادي درعة، فتصدر للتدريس، فتهافت على مجلسه طلاب العلم من كل حدب وصوب لمعرفته بطرق التدريس وترقية معارك المتعلمين ( *الحركة الفكرية*، 2 : 547). وعلى عادة أهل قطره من أهل الخير والفضل، شرّق التامكروتي، فأدى مناسك الحج، ثم تطلع إلى الاستزادة من التعلم، فكان يحضر مجالس العلماء من أمثال نجم الدين الغيطي، ومحمد بن أبي بكر العلقمي وابن فهد وغيرهم، فروى عنهم الحديث ولم يعد إلى بلاده إلا ومعه إجازة عامة من شيخ الشافعية بمصر محمد بن أبي بكر العلقمي، وشيخ المالكية بنفس القطر محمد بن أحمد الفيشي. وما هذه الإجازة من هذين الشيخين الجليلين إلا اعتراف بحصول ملكة العلم للتامكروتي وتأهله لنقل الحديث رواية وسندا للآخرين.

ولاشك أن هذه الرحلة لبلاد المشرق، قد مكنت التامكروتي من التعرف على العالم الإسلامي، الأمر الذي جعل السلطان السعدي عبد الله الغالب (965ـ 981 هـ) ينتدبه سفيراً للدولة السعدية عند السلطان العثماني سليم الثاني ( *الحركة الفكرية*، 2 : 547). ويظهر أن التامكروتي، قد نجح في هذه السفارة، إذ لم يكد يستقر به المقام بزاوية سيدي علي، حتى استدعاه السلطان إلى مراكش، وعهد إليه بتربية الأمراء السعديين والإشراف على تعليمهم، ويذكر السلطان أحمد المنصور السعدي (986ـ 1012 هـ) في *فهرسته* أنه أخذ جملة من الأحاديث عن سيدي محمد بن محمد التامكروتي، وأن هذا الأخير قد أجازه ليروي عنه بكل ما أجاز به العلقمي ( *الحركة الفكرية*، 2 : 547). وقد انتقل التاگمروتي في أخريات أيامه بأمر من السلطان المنصور إلى فاس وظل يعلم الأمراء ويؤم بمسجد المشور الملكي إلى أن توفي عام 988 هـ.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ ع. التامكروتي، *النفحة المسكية* ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 10 ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج. 2.

أحمد البوزيدي

**التامكروتية**، ميمونة بنت عمرو، من صالحات درعة، متعبدة خدمت فقراء الناصريين وشُهد لها بالتصوف على نهج الزهد الذي عُرف به الناصريون.

خدمت السيدة ميمونة زاوية تامكروت طيلة حياتها وساهمت بشكل فعلي في تنظيم وتسيير أمورها، فقد "تولت حيازة أحباس سيدي أحمد بن إبراهيم، وتفريقها على طلبة العلم، والزوار، والأضياف، وأبناء السبيل إلى أن ماتت" (ح. ابن ناصر، *فهرس*، 8).

وتبين من إشارة الشيخ الحسين ابن ناصر أنها لم تكن خاملة أو منزوية بل تحملت المسؤولية إلى جانب ولدها الشيخ أحمد بن إبراهيم الذي انتدب للسهر على شؤون هذه الزاوية، فأشرفت إلى جانبه على خدمتها، ورعاية نشاطها، كما اشتهرت بإقبال الزوار عليها من ذوي الحاجات، والراغبين في الصحبة، أو التبرك وطلب الدعاء الصالح.

توفيت عام 1051 / 1641ـ 1642 عن سن تناهز السبعين عاماً.

ح. ابن ناصر، *فهرس*، مخطوط ؛ م. الافراني، *صفوة*، 75 ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 8 ؛ *الإكليل والتاج*، مخطوط.

نفيسة الذهبي

**تامَگارْت**، يوجد هذا الاسم بكثرة في جنوب المغرب، وهو أمازيغي، يُذكَّر تارة ويراد به العنق، ويؤنث أخرى كما هنا ويعني الرقبة. والمصطلح يطلق على تضاريس توافق ثنية محدبة بين مقعرين، فتبدو للناظر كأنها رقبة بين منكبين، ثم تضاف إلى اسم لتعرف أو تخصّص.

والذي يهمها هنا هو تامَگّارْت ـ ن ـ الشيخ هَمُّو

الواقعة بوسط قبيلة أيت إخلف، على ارتفاع 250 م فوق مستوى سطح البحر، وتُنسب أحيانا لأمزيل (الحداد) لأن القبيلة كانت تصنع من الحديد أدواتها الفلاحية وأسلحتها النارية البسيطة. وفي تامگّارت هذه تصرفت مشيخة قبيلة أيت بوبكر الكبرى إلى أن انقسمت بظهائر السلطان مولاي الحسن الأول سنة 1299 هـ فصار مركز قيادة قبيلة أيت النص (النصف) في إقَارْض (الحوض) عند تعيين القائد إبراهيم الوجداري الحوضي. بينما رُقي الشيخ أحمد بن الشيخ همو إلى رتبة القائد في نفس السنة، بعدما أُمر بالتخلي عن نصف القبيلة الكبرى، فكان للقائد إبراهيم قبيلة أيت النص، وللقائد أحمد هذا قبيلة أيت إخلف.

كانت تامگّارت عبارة عن حصن منيع، تُودع فيه القبيلة أماناتها وعقودها العقارية، وخاصة عندما جمعت ولمدة طويلة بين السلطة القضائية التي كان يشخصها القاضي علي بن الشيخ همُّو، تلميذ عبد الرحمن الجشتيمي ثم من بعده ابن أخيه محند، وكلاهما من أسرة القائد أحمد الخلفي الذي يمثل السلطة المخزنية حتى وفاته عام 1316 هـ. كما كانت هذه العائلة مشهورة بالتدريس وإتقان الروايات السبع مثل الراويين لحسن أوضارضور وعلي تابوكات ولهما في ذلك ظهائر من السلطان الحسن الأول سنة 1303 هـ.

كان السلطان الحسن الأول يثق بالقائد أحمد هذا وهو الذي كلفه بحراسة الشواطئ عندما ظهرت أطماع الاستعمار في ناحية أيت باعمران، وهذا القائد هو الذي أسس أول حراسة مخزنية في سيدي إفني، في موضع إدُوْفقير، وهو الذي أسند إليه السلطان نفسه شراء أرض مخزنية عندما نزل عند قائده هدّ التغزي سنة 1303 هـ. حيث بنيت محلة المخزن المعروفة حتى الآن، وهي بخط القاضي سيدي أحمد بن الحسن المرسي الباعمراني سنة 1304 هـ.

وفي سنة 1316 هـ استُدعي القائد أحمد هذا كشاهد في قضية أحمد نديَاگُو في قبيلة اصْبُويا الذي اتُّهم بإخراج الضابط الأنجليزي كورطيس (كارتيت) لكن الأحداث جرفت قائد تامگارت في عهد السلطان عبد العزيز، فتوفي في مراكش وعمره ينيف على الثمانين، وذلك بتدبير من الوزير أحمد بن موسى وقائد تيزنيت الگيلولي. وقد حاول هذا الأخير أن يجمع سلطة قبيلة أيت بوبكر في يد القائد محمد بن القائد إبراهيم الوجداري، فتعرضت عائلة إدالشيخ همُّو بتامگّارت للنفي، وتسلط هذا القائد بضرائب ثقيلة تنفيذا لأوامر باشا تيزنيت حتى أفقر تلك الجهات، كما غدر القائد محمد بأعيان أيت اخلف فقتلهم شنقا وعين مكانهم رجاله، لكن عائلة إدالشيخ همُّو، رجعت من جديد إلى تامگّارت، فقامت حرب قبلية قتل فيها القائد محمد نفسه وكل من ولاهم بدون رغبة قبيلة أيت اخلف.

رجعت مشيخة القبيلة إلى آل الشيخ همُّو، في شخص الشيخ الحسن بن القاضي علي، ولما استقرت الأمور عُيِّن أخوه القائد محند من طرف السلطة المركزية، وكان القائد محند هذا في مقدمة المقاومة الباعمرانية ضد الحماية الفرنسية، فشارك بجانب أحمد الهيبة انطلاقا من معركة سيدي بوعثمان سنة 1912 م إلى معركة إيگالْفْن ضد حملة حيدا بن مَّايس سنة 1917 م. وفي نفس السنة تزعم القائد محند هذا بجانب القيادة العامة لأيت باعمران المقاومة ضد الجنيرال دولاموط حيث استشهد في معركة تيزي وكذلك أخوه الشيخ محمد وغيرهما.

وفي تامگّارت هذه ظهرت شخصية الشيخ مبارك بن القائد أحمد الذي لعب دوراً هاماً في أحداث القبيلة وحصار الفرنسيين بتيزنيت إلى أن قتل بالسم كما يشاع، فتولى أخوه الشيخ محمد، وكانت إسبانيا تضغط على المخزن المغربي لتحتل أيت باعمران، تطبيقا لمعاهدة تطوان، ولم يقبل الباعمرانيون أي استعمار في بلادهم.

والخلاصة أن تامگارت تمثل مركزاً مخزنياً وسط القبائل الباعمرانية منذ أجيال طويلة، ولذلك مازالت القبيلة تنظر إليها بعين التقدير والاحترام.

*خريطة طبوغرافية لسيدي إفني ؛ وثائق عائلة أدالشيخ همو (ظهائر سلطانية) ؛ ح. جهادي، جانب من تاريخ أيت باعمران.*

الحسين جهادي

**تَامْلاگُوتْ**، قرية تمثل نموذجاً من نماذج التجمع السكاني في الجنوب المغربي. تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة ورززات على بعد ثمانية وثلاثين كلم وتتمركز وسط واد ضيق يحمل محليا اسم أسيف ـ ن ـ تامزيغت.

بنيت في ظروف تاريخية يغلب عليها عدم الاستقرار، فطريقة تصميم نواتها يغلب عليها الطابع الدفاعي المحض. فإضافة إلى السور الذي يسيج السكن العائلي تنتصب بقايا خمسة أبراج على القمم المجاورة لمراقبة محيط القصر ومجاله الزراعي.

وتوفرت القرية الأم لفترات طويلة من تاريخها على مدخل وحيد موجه باتجاه المجال الزراعي. وقد عمل السكان على تقسيم المجال السكني القديم تقسيماً وظيفياً محكماً، فمباشرة بعد المدخل الرئيسي تمتد الساحة العمومية ومنها تنطلق مجموعة من الأزقة لربط المجموعات السكنية فيما بينها، وزيادة في الاحتياط عمل السكان في الماضي على تخصيص جزء ملاصق للساحة العمومية كبيدر احتياطي يستعمل في أوقات عدم الاستقرار.

ويعتبر المخزن الجماعي (إغرم ـ أگادير) أحد المعالم الأساسية للقرية المسماة بالقصر، فهو يحتل مساحة مربعة ويضم اثنتين وستين غرفة صغيرة موزعة على ثلاثة مستويات إضافة إلى باحة داخلية، والكل محاط بسور سميك مدعم بأربع قلاع صغيرة. يبلغ طول الغرفة الواحدة ثلاثة أمتار في حين يصل عرضها إلى مترين، ولا تتوفر على أي نافذة. وكل غرفة تتوفر على مدخل وحيد يبلغ طوله متراً واحداً ويمتاز بابه بزخرفته ونقوشه المليحة. أما

سطح المخزن الجماعي فهو مغطى باستثناء جزء بسيط، وذلك من أجل ضمان التهوية والإنارة. ويتوفر المخزن على مدخل وحيد يقابل الساحة العمومية من أجل ضمان مراقبة شديدة لعمليات الدخول والخروج من المخزن الجماعي وإليه. كانت تتم حراسته من طرف حارس معين على يد الجماعة يحمل محلياً اسم "أدواب".

ومباشرة بعد الاستقلال عرف السكن بقصر تاملاكوت تطوراً سريعاً دخل به في تطور التفسخ، إذ تزايد في مرحلة أولى عدد المداخيل الرئيسية وانفتح القصر على جميع الجهات، وفي مرحلة ثانية بدأ السكان يشيدون دورهم بعيداً عن النواة القديمة إلى الشمال والشرق منها، وقد تفادت عمليات التوسع هذه الجهة الجنوبية حيث تمتد الواحة. وبموازاة مع حركة البناء هذه، تراجع الاهتمام بالبنايات الجماعية وفي مقدمتها المخزن الجماعي وبالبنايات ذات الصبغة الدفاعية المحضة (الأسوار - القلاع) التي تصدعت وأصبح أغلبها في طريق الانهيار.

يعيش بقرية تاملاكوت 343 نسمة حسب إحصاء سنة 1982، ينتمون في غالبيتهم إلى قبيلة أيت تماسين ويقومون باستغلال واحة مجهرية تناهز مساحتها حوالي عشرين هكتاراً. وقد ارتبط وجود هذه الواحة منذ البداية بالجريان التحتي لأسيف - ن - تامازيغت وبسهله الفيضي. وقد عمل السكان في البداية على استغلال الجريان التحتي للنهر بواسطة تقنية الخطارات. ونتيجة للندرة النسبية للمياه اعتمد الفلاحون على ساعة شمسية محلية لضمان تقسيمها، حيث يقسم النهار إلى 24 وحدة. وانطلاقا من سنة 1966 وبموازاة مع بناء تاملاكوت، وما رافقه من غمر المياه للخطارات، تغيرت طريقة السقي المتبعة لترتكز أساساً على استغلال المجرى السطحي للواد. ففي هذه السنة عملت الدولة على بناء سد تحويلي صغير علوه 6 أمتار وطوله 16,5 م وتكمن وظيفته الأساسية في جمع مياه الفيضانات والينابيع قبل إعادة توزيعها على قنوات الري. ويتم إقفال بوابة السد مع غروب شمس كل يوم ليتم فتحها من جديد مع بزوغ شمس اليوم الموالي.

وترتكز الزراعة بالأساس على أشجار الزيتون واللوز والتفاح والجوز وعلى الحبوب وبعض الخضروات.

وبموازاة مع استغلال الواحة يقوم السكان بمزاولة تربية المواشي حيث يتشكل القطيع أساساً من الماعز (فصيلة الرحالي) والغنم (فصيلة سروا). ويقوم الأهالي باستغلال المراعي المجاورة للقصر في حدود شعاع يصل إلى خمسة عشر كلم.

إضافة إلى الفلاحة تشكل الصناعة التقليدية مورداً إضافياً مهماً لساكنة تاملاكوت حيث تقوم النساء بإنتاج الزربية الواوزگيتية اعتمادا على الصوف المحلي وعلى نباتات طبيعية أخرى تستعمل في أعمال الصباغة. وإذا كان طول النموذج التقليدي متبايناً فإن عرض الزربية المحلية لا يتجاوز مترين وفي أقصى الحالات مترين ونصفاً، وتختلف الزرابي حسب المواد المستعملة في صناعتها من جهة وعدد العقد في كل عشرة سنتيم. تتميز الزربية المحلية بصورها التي تعكس الواقع اليومي للسكان. إلا أن انفتاح القرية على الأسواق الجهوية والوطنية أدى إلى تغيير محسوس في طبيعة الإنتاج بحيث أصبح الاعتماد يتم بالأساس على المواد الأولية المستوردة والمحضرة سلفا وذلك ربحا للوقت نظراً لما يتطلبه تحضير المواد المحلية من جهد جهيد.

أ. ت. الزينبي، *واحات المناطق الجبلية وملامح التأزم، منطقة تازناخت نموذجا*، *المجال والمجتمع بالواحات المغربية*، سلسلة الندوات رقم 06، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1993، ص. 113 - 125.

أحمد توفيق الزينبي

## التاملي ← التَّمْلي

**تامَنار**، مركز فلاحي مهم يقع وسط قبائل حاحة بين الصويرة وأگادير على بعد مائة كيلومتر شمال أگادير واثنين وسبعين كيلومترا جنوب الصويرة، على الطريق الرئيسية بعيدا عن ساحل البحر بحوالي ثلاثين كيلومتراً إلى الداخل. كان، قديما، مجرد قرية صغيرة بقبيلة ايدأكلُّول لا يميزها عن غيرها إلا قصبة من بناء البرتغال على الطريق (تابريدا) كانت تسكن فيها نصرانية تدعى تامنار، فسميت القصبة باسمها على ما يحكى، وقد ورد ذكرها في *تاريخ الضعيف الرباطي* حيث قال في الصفحة 343: "خرج السلطان من تارودانت لناحية الصويرة واستهل عليه هلال ربيع الأول عام 1221 في قصبة تامنار بين حاحة واشتوكة فوق الصويرة بيوم". وحينما عين السلطان الحسن الأول القائد المحجوب الگيلُولي في طريق حركته إلى سوس عام 1299 / 1881، أمره ببناء مقر قيادته بتامنار، فأعد القائد عدته وشرع في البناء مع بداية عام 1301 / 1883، وتعاقب على الحكم في هذا المركز خمسة قواد من أسرة الگيلولي وتبعهم القائد سعيد التگزيريني في عهد الحماية، ثم القواد النظاميون في عهد الاستقلال.

كان الگيلوليون الأوائل يحكمون من تامنار إلى تيزنيت في بعض الفترات، مما جعل أهل تامنار يغتنون بالأموال والذخائر النفيسة المجلوبة من سوس، فذاع صيتهم بين القبائل الجنوبية، وعلا شأنهم بالدوائر المخزنية في العهد العزيزي (*المعسول*، 15 : 196) فازدهر العمران والتجارة بتامنار، وأخذ أعيانها يتنافسون في تشييد الأبراج وبناء الرياض واقتناء أجود الخيول، ويبذلون الغالي والنفيس في سبيل الحصول على أحسن وأجمل ما في البلد من العبيد والإماء، فازدهرت تامنار في عهدهم ازدهارا عمرانيا واقتصاديا وثقافيا، إذ كانوا يزينون مجالسهم بالعلماء أمثال محمد بن القائد الكيلولي (ت. 1324 / 1906) وإبراهيم الاگدورتي الإيسي الذي استقدمه رؤساء تامنار فاهتبلوا به وهيأوا له دارا في "تسيلا البكرت"، فلم

يزل هناك ينشر العلم إلى أن توفي في العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري.

وقد اعتنى رؤساء تامنار الگيلوليون بتعمير مدرسة سيدي حسا أُحساين المجاورة لقصبتهم وفرضوا لها ثلث أعشار القبيلة فقصدها الطلبة من حاحة وسوس وغيرها، فازدهرت بذلك الحركة التعليمية بهذا المركز في عهد الگيلوليين. ومنذ ذلك الحين أصبح مركز تامنار ينمو نموا بطيئا، لأنه لم يعتمد إلا على إمكانياته الفلاحية المحلية، حتى أصبح اليوم مقرا لدائرة قيادات حاحة إلى جانب الجماعة الحضرية لقبيلة إيدآگيلُول. وفي صيف سنة 1989 تم تدشين مركب ثقافي ضخم بتامنار أُطلق عليه اسم قرية أرگان نظمت فيه جمعية حاحة أول مهرجان ثقافي لأرگان، فأصبحت تامنار اليوم تحتل الدرجة الثانية بعد مدينة الصويرة من بين المراكز الحضرية في حاحة. فعدت من الجماعات الحضرية إذ تبلغ مساحتها 15,80 كلم مربع فقط بينما بلغ عدد سكانها 1500 نسمة، فارتفعت كثافتها السكانية إلى حوالي 95 نسمة في الكيلومتر المربع الواحد.

تتوفر جماعة تامنار الحضرية على كل التجهيزات الأساسية من شبكة الإنارة وشبكة الماء الصالح للشرب وشبكة الوادي الحار، وبها مدرسة علمية عتيقة بناها القائد سعيد التگزيريني في عهد الحماية وعمّرها وتدعى الهاشمية أو تيمزگيدا ن ـ الرّمَى (مسجد الرماة) إلى جانب مجموعة من الكتاتيب القرآنية. ومن تجهيزات التعليم الحديث بها مجموعة مدرسية وإعدادية واحدة.

م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 15؛ دورية أصدرتها عمالة الصويرة بمناسبة عيد العرش مارس 1986؛ *تحريات ميدانية*.

محمد أيت الحاج

**تَامَنَارْتْ** أو تمنارت، نهر ينبع من الأطلس الصغير ويصب في واد درعة. وتتناثر على ضفاف المجرى الأسفل لواد تامنارت في واحة تيملت قرى صغيرة غلب عليها اسم تامنارت، وسكنها منذ القرون الإسلامية الأولى العلماء والصالحون، ومنها خرج ـ حسب بعض الروايات ـ عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين.

عرفت تامنارت في القرن العاشر (16 م) نشاطاً علمياً ملحوظاً بوفرة من عاش فيها من الأساتذة والمقرئين والفقهاء المدرسين والطلبة والمريدين، وفي مقدمتهم العالم الصالح المجاهد الشيخ محمد بن إبراهيم التامنارتي الذي آتاه الله بسطة في العلم والمال فسخّر كل ذلك لصالح موطنه وقومه، وخلفه من بعده أولاده وأحفاده العلماء العاملون.

**التامنارتي، إبراهيم** بن محمد بن إبراهيم الشيخ، درس في مسقط رأسه على أساتذة قريته، وبخاصة على والده، فتخرج مشاركا في التوحيد والنحو، واشتغل، إلى جانب والده بالتدريس في مسجد تامنارت وباصطحاب والده في حركاته الجهادية، وألف عدة كتب، منها: شرح *منظومة ابن زكري* وشرح *منظومة الضرير المراكشي* وشرح *الجمل* للمجراد السلوي. يقال إن هذا لم يتم. وقد عاجلت المنية إبراهيم التامنارتي فمات قبل والده ببضعة أشهر عام 971 / 1563.

ع. التامنارتي، *الفوائد*، مخطوط، 73 ـ 74؛ م. البعقيلي، *مناقب*، 19؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 1 : 116؛ م. المختار السوسي، *سوس*، 179؛ *المعسول*، 7 : 46 ـ 47؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 618.

**التامنارتي، أحمد** بن إبراهيم حفيد الشيخ محمد بن إبراهيم آتي الترجمة. درس في مسقط رأسه على أساتذة تامنارت وفقهائها، ولازم مجالس أخيه الأكبر محمد بن إبراهيم وعليه اعتماده، ثم حل محله، بعد وفاته، في القيام بمهام التدريس والتربية. كان بارعاً في الفقه وأصوله وقواعد اللغة العربية، مشاركاً في غيرها من العلوم الشرعية واللغوية. طالت مدة تدريسه أكثر من نصف قرن، وكان من طلبته المتخرجين على يده العالمان السوسيان الكبيران عبد الرحمان التامنارتي مؤلف *الفوائد الجمة*، وعبد الله بن يعقوب، محيي مدرسة الگراميين في تازموت. توفي أحمد بن إبراهيم عام 1048 / 38 ـ 1639.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 44؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 1 : 47؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 52؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 619.

**التامنارتي، عبد الرحمن** بن محمد الجزولي المغافري. ولد في تامنارت وبها حفظ القرآن وتلقى مبادئ العلوم اللغوية والدينية على يد والده محمد بن أحمد التامنارتي وأحمد بن إبراهيم التامنارتي، ومحمد بن عبد الله التامنارتي قبل أن يرحل إلى المحمدية (تارودانت) عام 992 / 1584 وهو مايزال طفلا ذا ذؤابة، فقضى فيها بقية حياته طالباً ثم عالماً مدرساً، وقاضياً مفتياً، ومؤلفاً مصلحاً. درس في المحمدية على علمائها المتوافرين، وهي يومئذ المدينة العلمية الثالثة بعد مراكش وفاس، فأخذ عن قاضيها كبير الفقهاء في قطره سعيد بن علي الهوزالي، ونابغة عصره محمد بن علي الهوزالي، والبعقيليين عبد الرحمان ومحمد، وسعيد بن عبد الله العباس (لازمه خمس عشرة سنة). ويحيى بن عبد الله بن سعيد الحاحي، ومحمد بن أحمد ابن الوقاد التلمساني دفين تارودانت الفقيه الخطيب المفوّه (لازمه عشر سنين) وولده عبد الرحمن وغيرهم ممن اشتمل عليهم كتابه *الفوائد الجمة*.

تكوّن عبد الرحمن التامنارتي تكويناً متيناً في فروع المذهب المالكي وأصوله، لغوياً أديباً عارفاً بخبايا لسان العرب وأيامهم وأشعارهم، مشاركاً مشاركة تامة في الحديث والتفسير والعلوم العقلية، مدرساً ماهراً في إفادة طلبة تارودانت ومن يرد عليها من سوس والأطلس ومشارف الصحراء. ويكفي أن نذكر من بين تلاميذه اللغوي

المعقولي الحسن اليوسي صاحب *المحاضرات والقانون*، والمحدث الفلكي محمد بن سعيد المرغيتي مؤلف *المقنع* وشرحيه في التوقيت.

ولما رام يحيى الحاحي الملك واستولى على سوس في حدود عام 1022 / 1613 عيّن عبدالرحمن التامنارتي قاضياً بتارودانت، فبقي قاضياً للجماعة بها حتى بعد وفاة يحيى وسيطرة أبي حسون بودميعة السملالي على المحمدية وسائر شمال سوس.

وإذا كانت هذه الفترة من أصعب الفترات التي مر بها المغرب بسبب ضعف بل تدهور السلطة المركزية في مراكش فإن عمل عبد الرحمن التامنارتي تميز فيها بالوعي والحميّة الدينية والوطنية والعمل الدؤوب على رأب الصدع واستتباب الأمن والطمأنينة. ونذكر من أعماله في هذا الصدد نموذجين، أولهما مساندته لمطلب السلويين الذين التجؤوا إلى الأمير يحيى الحاحي حين اشتد عليهم تهديد الإسبانيين بعد أن احتلوا المهدية القريبة من سلا، وعلموا ألاّطاقة لهم بالقوات المسيحية البرية والبحرية التي يعدها ملك الإسبان لاحتلال ثغوهم الذي ظل حراً على الساحل الأطلنتي، ومنطلقاً لأسطول الجهاد الذي يعترض السفن الاسبانية المتجهة إلى أميركا، ويقض مضجع المراسي الأندلسية السليبة. كتب عبد الرحمن التامنارتي رسالة حماسية باسم الأمير يحيى وجهت إلى جميع الجهات الخاضعة لنفوذه تدعو إلى الجهاد وإصراخ السلويين. وأنشأ أيضاً خطبة حماسية لتلقى في جموع المجاهدين المتجمعين في إيمي نْ تانوت، عززها بقصيدة تاريخية طويلة تذكّر بأمجاد دول المغرب المتعاقبة من الأدارسة إلى السعديين منها :

| | |
|---|---|
| أيجمل بالأبطال من سوسنا التي | لها الفخر قِدماً في الهياج تعود |
| وبالضاربين الهامَ من كل فاتكٍ | من الغرب ذي ا[illegible] الوثيق ركود |
| بلى ! نحن كنّا أهلها سنشدّها | ونحسم يوماً ما بنته قرود |

وثاني مواقف التامنارتي المتميزة مناهضته للثائر محمد بن عبد القادر التاهرتي (انظر ترجمته في *معلمة المغرب*) الذي ادعى المهدوية في تيزنيت في فترة قد تكون امتدت من عام 1035 إلى 1039 / 1626 ـ 1630 وانتشر نفوذه على عدد غير قليل من قبائل الساحل بسوس، فزاد في طين الانحلال والتمزق بَلّة. كان موقف التامنارتي منه حازماً، راسله ووعظه نثراً ونظماً داعياً إياه إلى التخلي عن هوس المهدوية الباطلة سالكاً معه سبل الترغيب والترهيب. ولما لم يَرْعَوِ التاهرتي عن غيه أغلظ له التامنارتي القول، ووصفه بالكَلب والدجال وأخي الشيطان، وأعذر له مرة أخرى قبل أن يعلن السوسيون قاطبة الحرب ضده فيستأصلوا شافته ويفرقوا جموعه.

ألف عبد الرحمن التامنارتي في التوحيد والفقه والأدب والتاريخ. ومن مؤلفاته *كفاية المريد* في العقائد شرح بها لامية أحمد الزواوي، انتهى من تبييضها في ثامن قعدة عام 1048 وخرّجها من مبيضة المؤلف تلميذه محمد بن أبي بكر الصوابي (مخطوط خ.ع.2079د) ؛ *وأجوبة فقهية*، وديوان شعري (مخطوطا خ. ح. 5623 و8841) على أن أهم مؤلفات التامنارتي هو : *الفوائد الجمة في اسناد علوم الأمة* (مخطوط خ. ع. 1420 د) الذي يعدّ المصدر الغني الأساسي لتاريخ تارودانت الديني والعلمي والاجتماعي في القرن الحادي عشر (17 م). وفيه إلى ذلك إشارات تاريخية مفيدة تهم علماء سوس والجنوب المغربي عموماً.

وصحح التامنارتي كتاب *النور الباهر في نصرة الدين الطاهر* الذي ألفه أحد أحبار اليهود الذي أسلم بعد عام 1020 / 11 ـ 1612 وسمي يوسف بن عبد الله الإسلامي، ساق فيه عن التوراة أموراً تدل على صحة الإسلام، فهذّب عربيته وأتمه في 24 جمادى الثانية عام 1053 / 9 شتنبر 1643 وقد وقف على هذا الكتاب المختار السوسي في تارودانت في نسخة جيدة ودعا بإلحاح إلى نشره.

توفي عبد الرحمن التامنارتي في تارودانت يوم الأحد خامس شوال عام 1060 / 2 أكتوبر 1650.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ الرسموكي، *وفيات*، 24 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 155 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، الترجمة رقم 528 ؛ م. الأزهري، *اليواقيت*، 193 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، تح. إ. عباس، 2 : 922 ـ 925 ؛ م. المختار السوسي، *إليغ*، 2 ـ 3 وهامش 7 ؛ *خلال جزولة*، 4 : 177 ؛ *سوس العالمة*، 181 ؛ ع. گنون، *النبوغ*، 1 : 259 ؛ ليفي بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. ع. الخلادي، 181 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 413 وفي مواضيع متعددة.

**التامنارتي، عبد الله** بن علي حفيد محمد بن إبراهيم الشيخ آتي الترجمة. فقيه صالح درس على يد علماء قومه، إذ لم تعرف له رحلة، واشتغل مثل أبيه وأجداده بالتدريس وتربية المريدين بتامنارت، بالإضافة إلى القيام بمهمة القضاء.

توفي عام 1074 / 63 ـ 1664.

الرسموكي، *وفيات*، 18 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 41 ؛ *المعسول*، 7 : 54 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 619.

**التامنارتي، علي** بن أحمد اللحياني أو الحمياني الدرعي من العلماء التامنارتيين الذين هاجروا الواحة، وانتقل إلى درعة يدرّس فيها طوال حياته بعد أن درس في فاس. وقد اختاره السعديون لمنصب القضاء في حاضرتهم مراكش وجاؤوا به إليها لذلك، لكنه امتنع وفر راجعاً إلى درعة ليتابع عمله في التدريس. ولعله أخذ أيضاً في بداية طلبه على الشيخ إبراهيم ابن هلال السجلماسي إذ هو الذي رتب نوازله الفقهية الشهيرة.

توفي علي التامنارتي بدرعة في حدود عام 980 / 1572.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 47 ؛ الرسموكي، *وفيات*، 12 ؛ م. الإفراني، *صفوة* ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تح. ح.

النوحي. د.د.ع. الرباط ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة رقم 726 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 9 : 187 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 20 ؛ *المعسول*، 7 : 51 ؛ *جامعة القرويين في ذكراها*، 116.

محمد حجي

**التامنارتي، محمد** بن **إبراهيم** بن عمرو اللكوسي المعروف بسيدي محند أُبراهيم الشيخ دفين تامنارت. تخصه كتب المناقب والتراجم هو وسيدي أحمد بن موسى صديقه وصهره بقطبي سوس المتميزين. إذا كان فقهاء وأهالي تازروالت يعتبرون سيدي أحمد بن موسى قطب سوس الأول ( *المعلمة*، 1 : 161 ـ 165)، فمقولة أبناء سيدي محمد بن إبراهيم تنضاف إلى مناقب البعقيلي الذي كان شاهد عيان وإلى فوائد التامنارتي وإلى ما أورده الديماني في روضة التحقيق نقلا عن الرواية الشفوية لتخص المترجم بمركز القطبانية الأولى بسوس ودرعة. مع ذلك لم تتعدد أساليب السرد بشأن هذه الشخصية مما يقتضي مسألة خصوصيات علاقتها بالمحيط القريب والبعيد. فنحن نعلم أن المصادر تجعل من سيدي محمد بن إبراهيم الشيخ نموذجا فعليا للقطب الذي ألزم نفسه ضرورة المجاهدة من أجل تعميم دور الزوايا في الحياة اليومية خلال القرن العاشر (16 م).

إذا كان الشيخ قد توفي سنة 971 / 1564 وهو يربو على الثمانين، فإنه يكون قد ولد خلال الثلث الأخير من القرن السابع (15 م). (*مناقب البعقيلي* ؛ *طبقات الحضيكي*، 2 : 9، *Fawa`id*). تربى في أحضان والد مات بدوره كهلا مسنا منقطعا إلى التدريس في مدرسة إداأوزدّوت حيث أصبح قربه مزارا ومقراً لموسم تجاري هام ( *المعسول*، VII: 10). كل ما نعلمه عن والدته أنها عاشت بمجتمع مايزال يومها يتميز بتداخل نظامي القرابة الأميسي المتآكل والأبوي الذي خطا خطوة في السيطرة بفعل الزوايا والفقهاء (إعزي ويهدى، *المعلمة*، 2 : 517 ـ 518). قد يكون محمد بن إبراهيم ولد بقرية إيمي أو گادير حيث يجثم أگادير ترسواط غير بعيد عن وادي لكوسة من قبيلة أمانوز على أن الرواية الشفوية ماتزال تؤكد على قرية إزدغ القريبة من إيمي أوگادير ببلاد تاهلة من منطقة فم الحصن.

تؤكد *روضة التحقيق* أن والد الشيخ محمد بن إبراهيم عمل على توفير جو المصاحبة بينه وبين أبنائه، فأخذوا عنه العلوم الشرعية والنقلية. كان هذا هو الوالد يمثل مقياسا لمدى انصهار شيوخ الزوايا الذين جمعوا علمي الظاهر والباطن ضمن علاقات مجتمعية تستهدف بلورة القيم المعيارية. وقد يكون تأثر بهذا الوالد كما تدل على ذلك تسمية أول أولاده بابراهيم وحضور مجملهم مجالسه العلمية كما تشير إلى ذلك تراجمهم المختلفة. ولا أدل على مدى ربط محمد بن إبراهيم بين سابقيه ولاحقيه من استشهاده الدائم وهو شيخ مسن بأئمته وأساتذته القدامى (*مناقب البعقيلي* ؛ *طبقات الحضيكي*، 2 : 8 ـ 9).

نلاحظ فيما يخص المرحلة التعليمية من حياة المترجم، أن التطور السريع بفعل آليات طلب العلم الظاهر والباطن بسوس ودرعة يتماشى تماماً مع الصورة التي تضفيها الرواية الشفوية والمصادر على شخصية متميزة من هذا الحجم. فبعد أن تتلمذ على الگراميين وأبناء عبد العزيز في حجر عيسى وفقهاء رسموكة وسملالة وغيرهم حسب ما سمعه منه البعقيلي (*طبقات الحضيكي*، 2 : 8)، لازم لمدة طويلة وحيد عصره الحسن بن عثمان التملي. ولن تحول سلطة هذا الأستاذ العلمية دون انتقاد المترجم بعض ممارساته فيما بعد. على أن هذه المرحلة الدراسية لم تلبث أن انتهت بالشيخ محمد بن إبراهيم إلى ولوج ميدان التدريس في مجموعة من قرى ومداشر الأطلس الصغير وببروز علامات تقربه إلى حد كبير من عبد الله بن ياسين ابن بلده.

لقد انتزع محمد بن إبراهيم الشيخ وهو عائد إلى بلدته اعتراف مرافقيه بالولاية حين سقاهم ماءً بارداً أتى به على وجه الكرامة في عز الصحراء وشدة العطش حسب ما أورده الحضيكي (*طبقات*، 2 : 8 ـ 9). هذه المقاربة بينه وبين مؤسس دولة المرابطين تنتقل بالرؤيا من مجرد إطار عام للمقارنة إلى اعتبارها أداة تنوعت فاعلياتها الدينية والإيديلوجية لتثبيث سمعة الشيخ المبكرة. على أن هذا العائد المتميز لم يستطع الاستقرار ببلدته كمدرس إلا لمدة محدودة، انتقل بعدها إلى "عنق الرمال" وأيت منصور، قريتين على وادي إيسي حيث قد يكون استقر سبع سنوات ( *المعسول*، VII : 12) ليتنقل بعد ذلك ربما إلى إيليغ ومنها إلى إيگلي حيث يمتلك بهما أملاكاً باسمه.

في هذه الأثناء كان موقع تامنارت أم المداشر التي تقع ببسيط الوادي الذي يحمل نفس الاسم، قاعدة لتجمع المياه الجبلية. أهمية الموقع هذه كانت تتمثل خاصة في كونه حداً فاصلاً بين الصحراء وما عداها من جهة (تاگجگالت أيت تيكني، *المعلمة*، 2089 ـ 2090) وفي تجسيده لبنية تجارية وفلاحية فاعلة في الحياة الاجتماعية القروية من جهة أخرى. هذان المعطيان كانا بمثابة إطار لتقاطع الروابط الترابية وللتنافس من أجل اقتسام المنافع بين الغور الحبشي الأقدم (الحراطين) والنازلين عليه من مرتفعات الأطلس الصغير (إگـزُولَـنْ). ندرك من هنا أن الخطوط العريضة التي كانت تضمن للأحباش القدرة الفعلية على مواجهة مد إگزولن ذوي النجعة الجبلية تقتضي اعتماد التحالفات المرحلية مع ذوي السلطة الدينية كمنطلق نحو المزيد من التماسك والقدرة على الثبات في عين المكان. هذا الإطار العام الذي كان سائدا حول أهم المداشر سيجسد هنا التحالف العملي الذي أهل محمد بن إبراهيم الشيخ الدخول في مسلسل من التحالفات الميدانية مع الأحباش قصد توطيد أسباب الإبقاء على ممتلكاتهم وتهييء مراقبته الفعلية لقسم من الأراضي المسقية. على أن تنظيم المجال وتقسيم مياه الساقية وبساتينها ستجعل بدايات المترجم

بتامنارت تعرف بعض الصعوبات.

كان من شأن النزاعات التي أفرزتها الفترة على امتداد الضفة الشمالية الغربية للصحراء الأطلسية أن زادت من التقاطب الحاد بين المداشر والفصائل المتصارعة. وسيتجلى الجديد مع بداية القرن العاشر (16 م) في تحول السلطة السياسية من الفصائل والوحدات القبلية إلى الزوايا والشرفاء. كانت قبيلة إدا أوبلال ماتزال تنتجع يومها بين الساقية الحمراء ووادي نون. أما إمجّاطن (مجاط) ذوو النجعة الجبلية فقد طردوا فصائل أولاد بوعيطة من تيزلمي محدثين بذلك اضطراباً كبيراً لن تتمكن من تهدئته إلا سلطة محلية قوية بحجم سلطة سيدي أحمد بن موسى. في وادي نون لم تكن قدرة تكنة الحربية قد أهلتهم بعد لإبعاد إدا أوبلال والمعقليين عبدة واحمر. ولعل أول ما يلفت الانتباه بهذا الصدد هو الوضعية القائمة بين بلاد تكنة وبسيط تامنارت المجاور. فقد آلت هذه المنطقة منذ غزو الجبليين (إيبودرارن) من جهة والأعراب من جهة ثانية إلى حالة من التفكك العشوائي دون اتضاح ما يمكن أن تخضع له قواعد التحالفات من معايير جديدة تنظم سيرها. لقد اتخذ الصراع صيغة تناقض للمصالح المحلية بين لفي تاحكّات وإگزّولن حيث يفصل التنافس بين أسواق الطرفين (السوسي، *من خلال جزولة*، 3 : 493). هذا المعطى بما يستند إليه من تصادم وتحالف يكشف عن فعالية الدور التوفيقي الذي سيضطلع به المترجم. فمجيئ هذا الصالح يعد بداية فعلية للتساكن والتعايش ضمن مجال ترابي مشترك وأساسا لإعادة التوازن وضمان الاستقرار الاجتماعي. استطاع هذا الصوفي أن يبلور تكتلات ومواقف تضامنية تكشف لنا عن سر الاستقبال المتناقض الذي ميز موقف كل طرف من أطراف النزاع (السوسي، *من خلال جزولة*، 3 :15 ؛ *المعسول*، VII : 16 ـ 17).

أصبحت على المدارس والزوايا يومها ضرورة استخلاص الأعشار لمواجهة النفقات المتزايدة وظهور مقتضيات جديدة. فنجد هذه المؤسسات الدينية وقد أصبحت تتوفر على ممتلكات جاءتها على شكل هبات أو إقطاعات أو أراض مستصلحة قد يتجاوز اتساعها ومكانتها اتساع ومكانة باقي الممتلكات. هذه المداخيل كانت تمثل أداة للتراكم يتسع حجمها أو يضيق حسب قدرة الشيخ على تكريس مكانته الاجتماعية. فهي تدعم نفوذه وتدفع بسلطته المحلية إلى حدودها القصوى كاستراتيجية مستقلة لمواجهة المصاعب ودفع التحديات. بذلك يكون تحديد موارد المؤسسة الدينية أصبح خاضعا لمقاييس تعتمد التراكم والسعي إلى مردودية تقتضي تنمية المداخيل والبحث المستمر عن ممتلكات جديدة وأعشار.

انعكست هذه المرامي المتنامية في ممارسات محمد بن إبراهيم الشيخ قبل رحيله إلى تامنارت على ما يمكن أن نستخلصه من روضة التحقيق. فقد جاء نزوع الشيخ إلى استخلاص الأعشار وتثبيت بنية تراكمية كأساس واضح جسد خلافاته مع أهالي أملن مثلا. ولربما كان هذا العامل نفسه هو الذي أدى باحبأش تامنارت إلى مفاوضته على أساس إمداده بما لم يعجب منافسيهم في عين المكان. فتقديراً لدوره البارز وكفاءته بالمدارس التي مر منها قبل تامنارت يبدو أن الأحباش قد أقطعوه ما هيأ له أسباب النزوع المتزايد إلى التوسع على حساب منافسيهم، فكان لهم بذلك خير حليف استقر كشخصية عززت وجودهم وكمدرس ذي خبرة وجرأة لم يتجاوز بعد الخمسين سنة. كانت سمعته المبكرة من الأسباب التي رفعت من شأن تامنارت باحتضانها ثاني قطب محلي بعد عبد الله بن ياسين. فلم تلبث بعد ذلك مجمل مدارس سوس وغيرها أن استنارت بطلبته وإشعاع مدرسته. ندرك إذن أنه ما أن تأسست الدولة السعدية حتى أسند إليه القضاء مرغماً سنة 928 / 1521. ومع أن هذه المأمورية كانت تشكل تهديداً لألمعيته كعالم وصوفي كبير، فإن تحاشيه المشاركة في أي شكل من أشكال التعامل مع المخزن السعدي رفع من شأنه وزاد من كرامته لدى ذوي علم الظاهر وعلم الباطن. وهو أيضا ما كان يتماشى مع المنظور القبلي الذي لا يسمح بمركزة السلطة ولا بظهور قائد مطاع وحيد. إذا كان توليه القضاء لم يتجاوز خمس سنوات، فإن وفاة أستاذه التملي سنة 932 / 1526 قد زامنت فترة أصبح خلالها من ألمع الوجوه التي تفيض في وصفها الألسن. جاء نزوعه إلى السلم كعامل استقرار وتهدئة اتسعت على إثره دائرته تدريجيا واتجه أسلوبه في التسيير نحو استخلاص الأعشار واحتواء أكبر قدر من الأراضي المسقية والمستصلحة. ولا شك أن مهادنة إگزولن التدريجية واستقطاب الأحباش قد أسهما بشكل أساسي في تقوية نفوذ المدرسة التي جعلت منه "علامة القرن العاشر ومدرسة تامنارت ومحي جزولة بمعارفه" (السوسي، *من خلال جزولة*، 3 : 13 ؛ *مدارس*، 51 ـ 52 ؛ الحضيگي، *طبقات*، 2 : 8 ؛ التامنارتي، *Fawa'id*، 75 ـ 80 ـ 81) فما موقع هذه المساهمة الكبرى من مقارنة الشيخ التامنارتي وسيدي أحمد بن موسى ؟

تصل بنا الصورتان اللتان تواجهان الدارس إلى نموذجين متباينين لصلحاء هذا القرن. يبلور سيدي أحمد أوموسى من جهته نموذجاً للصوفي الأمي الذي يُضرب المثل بقدرة مجموعته على مراقبة الطرق وتطويق القوافل ومعاينة المسافرين. جسد قبل ارتمائه في علم الباطن رمزاً لرعب القبائل والمسافرين. وإذا كانت مسيرته حسب المقولة الشفوية قد أهلته لكي يصبح قطب سوس الذي يحمي القوافل ويعزز سلامة الطرق، فإن أمان سوق ومواسم تازروالت قد سهل عليه مأمورية تحصيل مؤونة أتباعه ومريديه. ندرك إذن لماذا لم يكن في بسيط تازروالت بحاجة إلى ما يكفي من البساتين والأراضي لانتاج كل ما يحتاجه أتباعه ومريدوه مكتفياً بثلاثة بساتين أهديت إليه (*معلمة*، 1 : 161 ـ 165). أما إذا انتقلنا إلى محيط العلاقات العامة ما بين الشيخ التامنارتي والوافدين عليه

من سوس وخارجها، فإننا نجد أوصافاً وتصورات تتطلب تعزيز البنية الإنتاجية لمؤونة الطلبة والمريدين. فعلى أساس الاستقلالية النسبية عن أهالي تامنارت يكون لزاما على المؤسسة الدينية تعزيز قوتها الإنتاجية. وكان طبيعيا أن يسعى الشيخ الذي ترعرع في وسط الفقهاء والمتصوفة إلى تحديد العلاقة العضوية بين المؤسسة ومداخيلها وأملاكها. وهو منظور سنجد في نطاقه المبادئ الرئيسية التي وظفها في سعيه إلى تحديد البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. فعلاوة على كون حجم مساكن الطلبة قد تجاوز بكثير مرافق زاوية سيدي أحمد أُوموسى، جاءت ممارسات الشيخ التامنارتي الدقيقة لتجسد دوره كحاكم محلي. ولم يكن سيدي أحمد أوموسى أقل من ذلك بتازوالت ونواحيها، إلا أنه لم يكن ينهض بمهام استخلاص الأعشار وإخضاع باني ووادي نون وبسيط تامنارت لسلطته بأبعادها الدينية والسياسية والمالية. تلك كانت قدرة الشيخ التامنارتي الفعلية على تنظيم حياة الجماعات (*المعلمة*، أيت إبراهيم، IV : 1127 . 1130 ؛ تاغاجيجت، V : 2035 . 2037). هذا ما يمكن أن نستشفه أيضاً من رسالة التامنارتي معتذراً للسلطان السعدي عن رفضه مهمة القضاء (الحضيكي، *طبقات*، 3 : 8 ؛ Tamanarti, *Fawa'id* , 81 - 80). وإذا كانت معاينة هذا الاعتذار لن تحول دون السلطان أحمد الأعرج سنة بعد ذلك من أن يكتب بخطه شخصيا رسم إقطاع باسم الشيخ التامنارتي (12 . 4 . 933 / 16 . 1 . 1527)، فذلك لأن المخزن السعدي لم يكن يجهل وهو في عز قوته مدى استقلالية الزوايا وقدرتها على الثبات والتحكم الميداني. تعددت أشكال الحضور الفعلي لمحمد بن إبراهيم الشيخ خارج بسيط تامنارت وأصبحت تتمثل عموماً في قدرته على تنظيم الأشغال العمومية وتطوير المرافق العامة (*مناقب البعقيلي*، 25 . 26 ؛ الحضيكي، *طبقات*، 2 : 7) ولم يعد يكتفي بدعم أهالي واحات وادي تامنارت وأقّا ووادي نون الذين أصبحوا يدينون له بالولاء السياسي الواضح، بل نجده يلجأ إلى توسيع نفوذه الفعلي باستخلاصه الزكاة وتحريمه النائبة بمنطقة ماسة حادا بذلك من مجال التضارب والنزاع حول قضايا ومشاكل تمس القيم الشرعية. هذه القنوات بقدر ما كانت تسمح له بتملك الأرض والساقية، كانت تؤهله لتعبيد الطرقات ومد الجسور وتهدئة الخلافات والحد من الزعامات المحلية (البعقيلي، *مناقب*، 25 . 26 ؛ Tamanarti, *Fawa'id* , 109).

جسد محمد بن إبراهيم الشيخ خير أداة لمد الجسور بين الفصائل المحلية والمخزن السعدي. ولا أدل على ذلك من دوره التوفيقي في الخلاف الذي حدث بين الطرفين حول استغلال مناجم عدانة بتامدولت حسب ما كشفت عنه روضة التحقيق. فقد أثبت بما لا يدع مجالا للشك احتكاره لكل أشكال ممارسة السلطة المحلية. يفيد الديماني بأن عجز ستة آلاف جندي مخزني أمام تحالف الأعراب والغور السكاني الصنهاجي عن استخلاص جبايات العدانة قد ارتبطت بسلطة الشيخ التامنارتي كواقع سياسي أساسي قائم الذات. وإذا كانت هذه السلطة الأساسية لا تتردد في الاعتراف بمشروعية أمير المؤمنين (البعقيلي، *مناقب*، 25 . 26 ؛ الحضيكي، *طبقات*، 2 : 8 ؛ *Fawa'id* , 80)، فخذلان جيشه أمام تحالف القبائل وسلطة الطاعون المنتشر لم تكن لتغير من مواقف المترجم، فمسألة الأعشار تأتي هنا لتحدد بكامل الوضوح نصيب المخزن السعدي ونصيب الشيخ الذي لم يكن يتردد في تهديد المتمنعين عن دفعها له بشر العواقب (*المعلمة*، أيت إبراهيم، IV : 1127 . 1130 ؛ تاغاجيجت، V : 2035 . 2037).

إذا كان هذا التفصيل في المهام يبرز مظاهر التجانس بين مواقف الزوايا إزاء المخزن السعدي الذي كان يمثل في بدايته بحق قوة إكّزولن، فإن أبعاد الوظيفة الاجتماعية والسياسية لقطبي سوس محمد بن إبراهيم الشيخ وسيدي أحمد أُوموسى تطرح الزوايا في سياق الربط بين القبيلة وأمير المؤمنين. وبقدر ما يسمح هذا التفصيل بالتمييز بين السلطتين المحلية والمخزنية فإنه يفسح المجال أمام ارتفاع المترجم فوق التعارضات الاجتماعية (Tamanarti, *Fawa'id*, 77). فإذا كان سيدي أحمد أوموسى قد عمق التصوف السوسي، فإن محمد بن إبراهيم الشيخ كان بشهادة معاصره البعقيلي إمام الطريقة، قد "صار يسوس الفقراء ويربيهم ويؤدبهم بالأدلة الشرعية المحضة" (الحضيكي، *طبقات*، 2 : 6). إن اتفاق كتب التراجم والمناقب على هذا الحكم لا يقتصر فقط على مساهمة القطب في ميداني العلم الظاهر والباطن بل يبرز سمات حكمه في البنية القبلية. فقد كانت آليات هذه البنية لا تتحرك فقط ضمن السياق الداخلي للصراعات المحلية، بل أيضا في مواجهة المد المسيحي على الشواطئ. من هنا فتدخل الشيخ التامنارتي كهلا مسنا إلى جانب المخزن السعدي بالبريجة معناه أن مهمته لم تقتصر فقط على التوازنات المحلية والجهوية ولكن تنحو كذلك وربما بصفة أوكد، إلى المهام الجهادية (البعقيلي، *مناقب*، 25 . 26). وواضح أيضا من خلال ما سمعه البعقيلي مشافهة منه أنه كان يمثل تطلعات سوس والصحراء إلى المحافظة على أصالتهما. ففي سياق نكرانه لتقبيل أيدي الزوايا والفقهاء وتلقيبهم بلفظة "سيدي" نجده يؤكد بأن الظاهرتين "محدثتان في بلادنا، جلبهما الفقيه الحسن بن عثمان التملي من بلاد الغرب" (*مناقب*، 26). نرى من هنا بعض الشروط الضرورية لظهور دواعي إصلاح جهوي وصلابة الدفاع عن الذات. وإذا كانت تلك هي المواصفات التي ميزت المترجم، فإن إصلاحه وتقويمه ما كان يراه جديرا بالتقويم قد حتم عليه تدريس الأدب العربي كمقامات الحريري باعتبار أنها "أصل لا يتوصل إلى شيء من العلوم إلا بها" (الحضيكي، *طبقات*، 2 : 9 ؛ Tamanarti, *Fawa'id* , 109).

عندما توفي سيدي محمد بن إبراهيم الشيخ (9 . 12 . 971 / 19 . 7 . 1564) كان أتباعه ومريدوه ومناصروه ينحدرون

عن قبائل مختلفة. لقد استطاع أن يشكل عبر التنافس القبلي دائرة من التكتل الاجتماعي والسياسي تغطيها الصبغة الدينية والصوفية. وإذا كانت هذه الدائرة قد انحسرت بعد وفاته واتجهت تدريجياً نحو التلاشي فذلك لأن حفدته لم يكونوا قادرين على إعادة انتاج نفس الهيكل.

ابن عسكر، *دوحة*، 82 ـ 83 ـ 111 ـ 112 ؛ *مناقب البعقيلي*، 1987، 17 ـ 18 ؛ م. الأفراني، *صفوة*، 63 ـ 64 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 2، 5 ـ 9؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، VII : 10 ـ 33 ـ 35 ـ 46 ؛ X : 46 ؛ XII : 279 ـ 280 ؛ *من خلال جزولة*، I : 3 ـ 13 ـ 33 ـ 34 ؛ III : 15 ـ 493 ؛ *سوس العالمة*، 156 ـ 178 ؛ *مدارس سوس العتيقة*، 121 ؛ م. حجي، *الحركة*، II، 617 ـ 618.

A. Tamanarti, *Fawa'id Al ğamma*, 75 - 80 - 81 - 109.

مصطفى ناعمي

**التامنارتي، محمد** بن **إبراهيم** بن محمد حفيد الشيخ، درس في مسقط رأسه على أبيه وأعمامه، فكان مثلهم علماً وصلاحاً وإقبالاً على إفادة الطلبة وإرشاد المريدين المتوافرين في مسجد تامنارت، وأحيى سنة جده في الإنفاق على المرافق العامة من إصلاح الطرق والسواقي والقناطر وغيرها. توفي بتامنارت عام 1004 / 95 ـ 1596.

م. البعقيلي، *مناقب*، 19 ـ 20 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 2 : 52. وكرر الحضيكي ترجمة محمد بن إبراهيم في صفحة 108 من نفس الجزء، وتبعه في ذلك محمد المختار السوسي فعقد له ترجمتين رغم أنه تنبه للتكرار ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 52 رقم 13، و52 ـ 53 رقم 14 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 619.

**التامنارتي، محمد** بن **أحمد** بن إبراهيم المغافري الفيجي والد عبد الرحمن متقدم الترجمة. صوفي ناسك صالح، أخذ عن بلديِّه محمد بن إبراهيم الشيخ وأحمد بن موسى السملالي ومحمد بن ويسعدن السكتاني وغيرهم من أقطاب عصره. روى عنه ولده في *الفوائد الجمة* أخباراً وحكماً صوفية عديدة تدل على تمكنه في طريق القوم. ولا يُذكر له اشتغال بالتعليم ولو أنه عاش فترة من حياته في زاوية شيخه ابن ويسعدن في جملة سبعمائة طالب كانت تؤويهم هذه الزاوية الجبلية وتقوم بتعليمهم وإطعامهم. وكان محمد التامنارتي ـ بتكليف من الشيخ ـ هو القيم على خزائن الزاوية الساهر على شؤون رفاقه الطلبة.

حلاه الحضيكي بقوله : "وكان... رجلا صالحاً خيراً ديناً متعبداً ورعاً زاهداً في الدنيا معرضاً عن أهلها طوال عمره ذا دين متين ويقين وصبر، وذا كرم وقلب صميم وخلق حميدة وسيرة حسنة".

توفي بالطاعون في تارودانت عند غروب الشمس يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي القعدة عام 1007 / 21 يونيه 1599.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، في مواضع عديدة ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 133 ـ 134 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة رقم 325 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 42 ؛ *المعسول*، 3 : 324 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 566.

**التامنارتي، محمد** بن **أحمد** الرسموكي، فقيه مشارك، التحق في عهد الطلب بحاضرة مراكش ودرس على مشيختها ثم رجع إلى باديته في تامنارت واستقر بقرية عنق تاسگدلت منقطعاً للتدريس والإفادة. وكانت دروسه متنوعة متينة، شملت قواعد اللغة والحساب والتوحيد والفقه. وأخذ عن عبد الرحمان التامنارتي في صغره قبل أن ينتقل إلى المحمدية (تارودانت). وقال في حقه : "وهو عالم عزيز مثله في البادية". توفي حوالي عام 1020 / 1611.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 44 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 2 : 48 ـ 49 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 620.

**التامنارتي، محمد** بن **عبد الله** بن عيسى الجزولي، عالم مدرس نفاع صالح، ناصح، متخصص في الحديث، وله فيه سند عال. أخذ عنه عبد الرحمن التامنارتي الحديث المسلسل بالأولية، وحديث المصافحة بسند عال، وحديث الضيافة، وأثر السبحة.

توفي ببلده تامنارت في ربيع الأول عام 1039 / أكتوبر ـ نونبر 1629.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 44 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 334 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 620.

**التامنارتي، محمد** بن **محمد** بن إبراهيم الشيخ، الابن الأكبر لشيخ تامنارت والقائم مقام أبيه بعد موته بأمر التدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تخرج بأبيه ومن في طبقته من علماء سوس، فكان فقيهاً صالحاً لا تأخذه في الله لومة لائم، واشتهرت فتاويه بالدقة، بل بلغ فيها درجة الاجتهاد، حسب قول القاضي عبد الرحمان التامنارتي في *الفوائد الجمة*. وهو من الفقهاء الذين استشارهم قاضي الجماعة بالمحمدية سعيد الهوزالي حين أراد منع بيع الثنيا ببلاد سوس، فاجتهدوا وأفتوا بمنعها خلاف المشهور في المذهب المالكي، وذلك لدرء مفسدة تحايل الناس للوصول إلى الربح الممنوع شرعاً، واتفقوا على أن الثنيا إن كانت شرطاً في صلب العقد فسد البيع إلا أن يفوت بما تفوت به البيوعات الفاسدة. وبهذا الرأي أصدر القاضي الهوزالي منشوراً إلى جميع القبائل السوسية (نص المنشور مخطوط بخزانة تامگروت رقم 1644 ـ ثالث في مجموع). توفي محمد التامنارتي عام 976 / 68 ـ 1569.

م. البعقيلي، *مناقب*، 19 ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 73 ـ 74 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 2 : 9 ـ 11 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 47 ـ 48 ؛ م. حجي، *الحركة*، 1 : 314 ؛ 2 : 615 ـ 616 ـ 617.

محمد حجي

ابن تامَنْقَارْت، أو تمنقارت (الحاج ـ) عامل بني مرين على سجلماسة. ورد ذكره عند ابن مرزوق في *المسند*، وقال إنه كان يشغل أيام حكم أبي الحسن المريني منصب الوالي على سجلماسة ودرعة. وساق حوله حكاية تفيد بأنه كان قد زار تلمسان والتقى بمخدومه أبي الحسن المريني، ويبدو أن هذه الزيارة كانت بسبب ما رفع عن هذا الوالي من أمور أوجبت مطالبته بأموال استُظهر بها عليه وقُدرت بأحد عشر ألفاً. إلا أن السلطان أمر بالعفو عنه، وهو ما أدخله ابن مرزوق في باب كرم السلطان أبي الحسن.

م. ابن مرزوق، *المسند*، ص. 189.

عمر بنميرة

**التامنوگالي** (أيت القائد)، أسرة وجيهة مارست السلطة بواحة مزگيطة انطلاقا من قصبة تامنوگالت على مدى قرون من الزمن. وتكتب في بعض الوثائق المخزنية بالجيم وبدون مد التاء والنون هكذا "التمنجالي". تنحدر هذه الأسرة، تبعاً لما أثبته الفقيه محمد بن لحبيب، من أسرة عربية هاجرت من أنگاد بالمغرب الشرقي إلى درعة (*العقود الجوهرية*، 73) وإذا صح أن هذه الأسرة قد هاجرت إلى درعة من أنگاد، فهل يمكن القول بأن الجد الأعلى لأسرة التمانوگاليين قد يكون من الجماعة التي انضمت إلى السلطان مولاي رشيد العلوي بعد انتصاره على أخيه ببسيط أنگاد سنة 1075 / 1664 م، وأن مولاي رشيد قد عهد لهذا الأنگادي بضبط أمور مزگيطة لدرعة ؟ ولعل الراجح لما ذهبنا إليه أن علاقة أسرة التامنوگاليين كانت وطيدة بالمخزن العلوي، منذ تأسيس الدولة العلوية إلى غاية العقود الأولى من القرن الرابع عشر (20 م) (*وثائق دار القائد التامنوگالي*).

**التامنوگالي**، القائد **بو بكر** بن عبد الرحمان. تولى قيادة تامنوگالت بعد وفاة أخيه القائد محمد مباشرة، فدشن عهده بالإعلان صراحة عن معارضته القوية لنفوذ عائلة الگلاوي بوادي درعة، وقد انفرد بهذا الموقف من بين شيوخ وقواد وادي درعة الذين كانوا يداهنون أسرة الاگلاوي، التي عادت إلى المسرح السياسي وهي أقوى ما تكون بعد توقيع معاهدة الحماية سنة 1912.

ويتضح من هذا الموقف المتسرع للقائد بوبكر التامنوگالي تجاه أسرة الاگلاوي، أن القائد التامنوگالي، لم يكن على بينة من التطورات السياسية التي طرأت على مستوى السلطة المركزية، حيث عولت فرنسا على إخضاع المغرب واستعماره بالاعتماد على بعض العائلات المخزنية الكبرى مثل عائلة الاگلاوي. ونعتقد أن هذا الموقف المعادي للأگلاوي من القائد بوبكر التامنوگالي له ما يبرره محلياً

فقد انفجر الوادي كله من أَفَلاَّنْ درا إلى محاميد الغزلان، في حالة من الغليان الاجتماعي والفتن بين القبائل، فاختلط الحابل بالنابل، وتعدد الداعون إلى الجهاد ضد النصارى.

وفي خضم هذه الاضطرابات، قام القائد حمو الاگلاوي بإرسال مجموعة من الخلفاء عنه إلى مختلف الواحات بالوادي في محاولة لوضع حد للغليان الاجتماعي، وكان يوجه رسائله إلى خلفائه وشيوخ القبائل باسم المخزن والسلطان، إلا أن مجيئ هؤلاء الخلفاء زاد من إثارة الفتن لتشددهم في استحلاب أموال الناس والتركيز على الحَرْكَات الانتقامية ضد من نُعتوا بكونهم من القبائل العاصية والسائبة.

اعتقد القائد حمو الاگلاوي، أن مجيئه إلى درعة سيضع حدا لمظاهر الفتن والغليان الاجتماعي، لذلك جهز حَرْكة قوية بمباركة فرنسا ومشاركة بعض ضباطها ومدافعها، فتوجه إلى وادي درعة وأناخ بجيشه على قصبة تامنوگالت يوم 22 محرم عام 1343 هـ/ غشت 1924 م وأمر قواته بإرسال بعض الطلقات المدفعية لإرهاب السكان وإجبارهم على التخلي عن القائد بوبكر. وفي صباح اليوم الموالي خرج سكان تامنوگالت يطلبون الأمان من القائد حمّو يتقدمهم الصبيان بألواحهم وبعض الطلبة من الصالحين والناصريين الساكنين بالقصبة، فقبل القائد حمو شفاعتهم بعدما أمر بعزل القائد بوبكر، وحدد مؤونة الحَرْكة التي يجب على سكان تامنوگالت دفعها في "ألف مد من الشعير وأربعمائة مائدة من الخبز، ومائة شليف من التبن وأربعمائة كبش، ومائة صاع من السمن ومائة صاع من الزيت، ومائة كاغد من الشمع وما يكفي من الحطب والفحم والخضرة" (*تاريخ درعة*، 46).

وهكذا يكون القائد بوبكر قد دفع الثمن غالياً لمعارضته. وقد ظل القائد بوبكر التامنوگالي بعد عزله، فيما يشبه الإقامة الإجبارية إلى أن توفي سنة 1350 هـ / 1931 م.

**التامنوگالي**، القائد **الحسن**، اضطربت أحوال قيادة تامنوگالت بعد وفاة القائد عبد الله مباشرة، وكاد الأمر أن ينفلت من أيدي التامنوگاليين بسبب التنافس على القيادة، وقد استطاع محمد بن عبدالقادر الفاسي، صهر آل القائد، أن يضع حداً لهذه الاضطرابات، وحتى تظهر لأصهاره ولغيرهم من المتنافسين أنه لا رغبة له في قيادة تامنوگالت، فقد استقدم الطالب الحسن من محل دراسته فسلم له قيادة أسلافه.

عمل القائد الحسن على تهدئة الخواطر، وأخمد نار الفتن، مرة بالتفاوض وأخرى بالترغيب والترهيب، فانقاد الناس لطاعته، وصالح القائد الگدزي، وقد تطورت المصالحة إلى مصاهرة بين العائلتين، ثم ما لبث القائد الگدزي أن توفي، فضم القائد الحسن التامنوگالي منطقة

أَفَـلاَنْ دْرا (درعة العـليـا) إلى مجال نفوذه، لـكون قـائد أگدز لم يخلف ذكراً يتولى القيادة، وبذلك يكون القائد الحسن قد وسع نفوذ آل تامنوكالت على كل واحة مزگيطة من أَفَـلاَنْ دْرا إلى فم تانسيخْت. ويصف لنا الفقيه بن الحبيب، القائد الحسن فيؤكد أنه كان حسن السيرة، محباً لأهل العلم والصلاح (*العقود الجوهرية*، 74). ويظهر أن القائد الحسن كان بحاجة إلى عنصر ثالث بقصبة تامنوگالت يضمن له نوعاً من التوازن بين القيادة ورعيتها لذلك استقدم بعض مرابطي الزاوية الصالحية والزاوية الناصرية، فأسكنهم إلى جانبه وأفاض عليهم من نعمته.

وإذا كانت عملية استقدام هؤلاء المرابطين تظهر وكأنها أمر عادي جداً، فإن الواقع يؤكد ما سبق أن أشرنا إليه، من كون القائد الحسن التامناگالي كان يعمل لتعزيز عوامل التوازن بمجال قيادته، إذ ما كاد هؤلاء المرابطون يستقرون بتامنوگالت، حتى أسرع القائد الحسن إلى وضع قانون غير مكتوب يهدف به إلى تنظيم أمور القيادة على أسس تحول مستقبلا دون انفجار صراعات داخلية حولها، وهكذا أحدث منصب الخليفة، وحدد مهامه في النيابة المطلقة عن القائد، في حالة غيابه عن قصبة تامنوگالت، والخليفة هو الذي يقود المهنئين والهدية إلى القصر السلطاني في الحفلات الرسمية والأعياد الدينية. والخليفة هو الذي يقود المفاوضات مع القبائل. وحسب هذا القانون العرفي، فالولد الأكبر للقائد هو الذي يتولى هذا المنصب ويتولى القيادة بطريقة مباشرة بعد وفاة القائد (*Les pays inaccessibles*, 24). وحتى يضفى نوعا من المشروعية على منصب الخليفة، فإن علماء مرابطي الصالحيين والناصريين يشكلون جزءاً من الهيئة الاستشارية عند اختيار وتنصيب الخليفة، وليس من حق أي كان من أبناء عمومة القائد أن يناقش هذا التنصيب للخليفة مادام العلماء من المرابطين قد زكوه بدعواتهم الصالحة ومباركتهم للشخص المعين. وقد ذهب القائد الحسن بعيداً في تعزيز سلطته وسلطة أبنائه من بعده، ذلك أنه ربط مصاهرة واسعة مع المرابطين الصالحيين، الذين باتوا يدافعون عن مصالحهم من خلال دفاعهم عن دار القيادة بتزيكتهم للقواد التامنوگاليين أمام السلطان إبان حمل الهدية إلى القصر أو تقديم التهاني في الأعياد الدينية، وهذه التزكية من المرابطين للقائد أمام السلطان ضمان لاستمرار ولاء دار القيادة للسلطان. وقد توفي القائد الحسن بعدما نجح في توطيد أركان قيادة تامنوگالت في تاريخ غير معروف من نهاية الستينات من القرن الثالث عشر الهجري (19 م).

**التامنوگالي،** القائد **عبد الرحمان**، تولى القيادة بعد وفاة أخيه، وقد عرفت دار القائد التامنوگالي تطورات هامة على عهده. فمن جهة، عاد القائد عبد الرحمان إلى الطريقة القديمة في تولي القيادة بتامنوگالت، وتعتمد هذه الطريقة على الغلبة والقوى، فألغى بذلك القانون العرفي الذي وضعه القائد الحسن، وبهذه الخطوة التي أقدم عليها القائد عبد الرحمان، عرفت دار القائد التامنوگالي سلسلة من النزاعات كادت أن تخرج الأمر من أيدي التامناگاليين.

أما التطور الثاني الذي عاصره القائد عبد الرحمان فيتجلى في صعود عائلة الاگلاوي. ذلك أن هذه العائلة كانت تتطلع لبسط نفوذها على منطقتي دادس ودرعة، منذ أن أصبح الاگلاوي محمد إبيبض، قائدا على تلوات بمقتضى ظهير سلطاني بتاريخ 1273 هـ / 1856 م. إلا أن قواد وشيوخ أيت واوزگيت، وأيت بن حدو وأهل ورزازات حالت دون وصول الاگلاوي إبيبض إلى منطقة الأودية (*Le Haouz*, 313). كان القائد عبد الرحمان التامنوگالي يتتبع عن كثب ما يجري بتلوات، لذلك أرسل ابنه العباس إلى قائد تاوريرت بورزازات، محمد أُوعبو، فتحالف معه ضد الاگلاوي، وبهذه الخطوة يكون القائد عبد الرحمان التامنوگالي قد حدد موقعه في الصراعات السياسية التي تضطرم أنذاك بين قواد وشيوخ الجنوب وعائلة الاگلاوي.

لم يكد القرن التاسع عشر يشرف على النهاية، حتى كان المدني الاگلاوي قد حسم الصراع لصالحه حيث نجح في فتح طريق الأودية، بإخضاعه لشيوخ أيت زينب، وأيت حدو وأهل ورزازات. وقد حاول القائد عبد الرحمان التامنوگالي عقد تحالف واسع مع قبائل إمَغْران المتحكمة في الطريق الرابط بين ورزازات ودرعة في محاولة جديدة للتصدي لتوسع عائلة الاگلاوي، إلا أن هذه التحالفات الجديدة لم تجد شيئاً أمام تعاظم نفوذ المدني الاگلاوي، إن على المستوى الجهوي أو على مستوى السلطة المركزية، لذلك قرر القائد عبد الرحمان التامنوگالي في أخريات أيامه إنقاذ ما يمكن إنقاذه بقيادة قصبة تامنوگالت فأعلن ولاءه للمدني الاگلاوي (*Districts*, 71). وقد توفي القائد عبد الرحمان التامنوگالي، بعد مسيرة حافلة بالدسائس والتحالفات للحفاظ على قيادة أسلافه سنة 1322 هـ / 1904 م.

**التامنوگالي،** القائد **عبد الله**، لا نعرف أي شيء كذلك عن القائد عبد الله، وقد وصفه الفقيه ابن لحبيب بأنه صنديد وحازم (*العقود الجوهرية*) ويرجح أنه مارس السلطة بتامنوگالت خلال العقود الأولى من القرن الثالث عشر (19م).

**التامنوگالي،** القائد **علي**، تولى قيادة تامنوگالت بعد عزل أخيه سنة 1343 هـ / 1924 م بأمر من القايد حَمُّو الاگلاوي الذي بات يتصرف في شؤون وادي درعة، باسم المخزن. ويظهر أن القائد علي، لم يستطع نسيان ما لحقه من هوان على يد أسرة الاگلاوي التي صارت تتصرف ترصفاً مطلقاً في تلك الجهات، فاكتفى بقبول القيادة حفاظاً على ما تبقى بدار آل التامنوگالي حتى لا تندثر بشكل نهائي إلى أن يدبر أمره، وهكذا لم تمض إلا بضعة

شهور على تنصيبه قائداً بتامنوگالت، حتى قام برحلة سرية إلى منطقة أزيلال للاتصال بالفرنسيين طالبا منهم التدخل إلى جانبه بدرعة وانقاذ المنطقة من براثن القائد حمو وأتباعه، إلا أن الفرنسيين لم يكونوا ليضحوا بدور الاگلاوي من أجل قيادة تامنوگالت المتراجعة، فحملوا القائد علي إلى مراكش لطلب الأمان من الباشا التهامي الاگلاوي، ولم يكن باستطاعة الباشا أن يرفض هذا الطلب، فأظهر الرضى عن القائد علي الذي عاد إلى قصبة تامنوگالت، وهو يقدر أن الأمر قد انتهى بالنسبة لقيادة تامنوگالت، مثلها في ذلك مثل مشيخات تمداخت وأيت ابن حدو وأهل ورزازات التي أنهت أمرها عائلة الاگلاوي من قبل. وبالرغم من هذا الإحساس فإن القائد علي لم يستسلم للركون في قصبته، بل حاول الاتصال بالقصر الملكي لتجديد عهد أسلافه بالدولة العلوية، إلا أن عيون الاگلاوي على القائد علي، أبلغته بسفره للرباط عن طريق أزيلال، فأبلغ الاگلاوي الفرنسيين الذين تمكنوا من ضبط القائد علي وأحد خدامه المقربين بمدينة الرباط فأعيد إلى درعة.

تزامن تنصيب القائد علي وما قام به من محاولة للتخلص من هيمنة أسرة الاگلاوي بتركيز الفرنسيين عملياتهم العسكرية والسياسية في المناطق الجنوبية وظهور سلسلة من مكاتب الشؤون الأهلية بورزازات وقلعة مگونة وتزناخت (*Districts*, 90)، وهذه المناطق لها اتصال مباشر بوادي درعة، وفي نفس الوقت كانت القوات العسكرية وشبه العسكرية تشق الطرق لربط هذه المراكز ببعضها البعض، وفي هذا الإطار شُق الطريق الذي يربط بين تزناخت ومزگيطة، والطريق الرابط بين ورزازات ومزگيطة عبر أيت ساوون. وقد كانت فرنسا تسعى من وراء هذه الأعمال إلى اقتحام منطقة الأودية بدادس وتدغة ودرعة والتي كانت تعج بالثائرين على فرنسا (بلقاسم النگادي، علي التازرني) والمعارضين لسلطة آل الاگلاوي بالجنوب.

وكتأكيد من فرنسا على عزمها في بسط سيطرتها على مناطق الأودية، قام الجنرال هوري (Huré) بزيارة لمزگيطة يوم 15 ماي 1930 حيث نزل بطائرته في بسيط من الأرض بالقرب من مركز أگدز الحالي، وقد وجد في استقباله القائد علي التامنوگالي، قائد أهل مزگيطة، والقائد العربي بن عثمان، قائد أولاد يحيى، وقد التزم القائد علي التامنوگالي للجنرال هوري، بتسهيل مهمة القوات الفرنسية بمزگيطة، والتزم بنفس الموقف قائد أولاد يحيى (*Districts*, 91) ويبدو واضحاً أن موقف القائد علي في إعلان رغبته في التعاون مع السلطات الفرنسية كان الدافع من ورائه الانفلات من قبضة آل الاگلاوي والحفاظ على استمرار القيادة بتامنوگالت. وقد رحبت فرنسا بموقف القائد علي وكانت تتطلع إلى خلق تحالف قوي بين قبائل أولاد يحيى وقبائل مزگيطة لمواجهة قبائل أيت عطا والمتحالفين معها في الواحات الجنوبية، خاصة لكتاوة ومحاميد الغزلان حيث وصل إلى الواحتين أتباع بلقاسم النگادي بعد تراجعهم أمام القوات الفرنسية بتافيلالت.

وفي فاتح يناير من عام 1931، قام القبطان سبّلمان (الذي يعرف محليا بالقبطان سليمان) بالوصول إلى موقع أگدز الحالي، فشرع في بناء مقر مكتب الشؤون الأهلية. وقد جاء القائد علي التامنوگالي صحبة أعيان أهل مزگيطة للسلام عليه والتأكيد على الوفاء لما التزم به الجنرال هوري في السنة الفارطة. إلا أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن بالنسبة للقائد علي، ذلك أن الباشا التهامي الاگلاوي دخل في صراع سياسي مع القبطان سبلمان، خرج منه الباشا الاگلاوي منتصرا حيث تم نقل سبلمان من وادي درعة (*Souvenirs*, 127) وكان سبلمان متعاطفاً مع القيادات المحلية، لذلك ما كاد سبلمان يغادر المنطقة حتى وجد القائد علي نفسه وجهاً لوجه مع الاگلاوي من جديد. وبالرغم من أن الباشا الاگلاوي لم يستطع اتخاذ أي إجراء ضد القائد علي، فإن سياسة الإهمال التي وجه بها القائد علي جعلته يلتزم منزله إلى أن وافته المنية في تاريخ لم نتمكن من تحديده.

**التامنوگالي**، القائد **محمد** بن عبد الرحمان، تولى قيادة تامنوگالت بعد وفاة إبيه مباشرة بعهد منه. ويصفه صاحب *العقود الجوهرية* بأنه كان يتلو كتاب الله ( *العقود الجوهرية*، 76)، اقتفى أثر أبيه في تدبير شؤون أهل مزگيطة. حاول القائد محمد التامنوگالي تحسين مركزه عند عائلة الاگلاوي، لذلك نجده قد وجه كتيبة من أهل درعة سنة 1325 / 1907 م للمشاركة إلى جانب قوة الاگلاوي في نصرة السلطان مولاي حفيظ في صراعه مع مولاي عبد العزيز. وبالرغم من هذه المشاركة، فإن قيادة تامنوگالت تبقى بالنسبة لعائلة الاگلاوي القيادة المعارضة، ويجب التعامل مع آل التامنوگالي على هذا الأساس، لذلك ما كاد المدني الاگلاوي يعين وزيراً أكبر حتى عين ابن أخيه القائد حمُو الاگلاوي، قائدا على الجنوب كله من قصبة تلوات بالأطلس الكبير إلى محاميد الغزلان على مشارف الصحراء الكبرى، وكان على القائد محمد التامنوگالي أن يخضع للأمر الواقع إن هو أراد البقاء في قيادته والحفاظ على مكتسبات أسلافه.

كان المدني الاگلاوي يعرف جيداً عمق المعارضة لعائلته بوادي درعة والمناطق المجاورة، إلا أنه أجل البث في أمر رؤوس المعارضة من القواد والشيوخ إلى حين، متذرعا بانشغاله بأمور الوزارة الكبرى وما تتطلبه السلطنة الحفيظية من حيطة وحذر في تدبير شؤون الدولة، فكان يكتفي بإرسال أوامره إلى قواد الجنوب مذيلة باسمه كوزير أكبر، وفي هذا التذييل دلالة واضحة على سطلته الجديدة، وإشارة بليغة إلى المناوئين لنفوذ عائلته وسلطتها، ليس بوادي درعة فحسب، وإنما في كل المناطق الممتدة جنوب وشرق ورزازات. إلا أن عزل المدني الاگلاوي من منصبه سنة

1911، خفف من الضغط النفسي على القائد محمد التامنوگالي الذي كانت أسرته تشكل أقوى معارض لآل الاگلاوي بدرعة، ومن حسن سياسة التامنوگالي أنه لم يتسرع في اتخاذ مواقف معادية صريحة من الاگلاوي، بل فضل الانتظار، واكتفى بتدبير شؤون واحة مزگيطة إلى أن وافته المنية سنة 1334 هـ / 1915 م.

**التامنوگالي، القائد محمد الكبير**، لا نكاد نعرف عنه أي شيء، اللهم ما كان من إشارات خفيفة عند الفقيه ابن لحبيب، فقد ذكر أن القائد محمداً هذا كان معاصراً لسيدي أحمد بن صالح الاكتاوي (توفي 1149 / 1736 م) وعلى هذا، فإن القائد محمد قد يكون معاصراً للسلطان مولاي إسماعيل العلوي.

**التامنوگالي، القائد المدني**، كان خليفة لأبيه القائد الحسن، فلما توفي هذا الأخير، تولى المدني قيادة تامنوگالت، فاقتفى أثر والده في حسن السيرة والمساعدة مع أهل مزگيطة (*العقود الجوهرية*، 76). ويبدو أن القائد المدني، نجح إلى حد كبير في الحفاظ على استقرار مزگيطة وضبط أمورها بتصديه لمثيري الفتن والتشغيب، والقضاء عليهم، وقد كان المخزن يبارك أعمال القائد المدني ويشجعه على ضبط أمور منطقته لضمان استقرار سكانها، فقد ورد في إحدى الرسائل المخزنية من السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام ما يلي : فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وعلمنا ما أنهيت إلينا من شيطنة عبد العزيز بن عبد الرفيع، وصار ذلك منا على بال. ولا بد احتل عليه حتى تقبضه كما قبض أبوك على جعفر التمضري ووجهه لمراكشة والسلام في 6 شوال عام 1273 / 1856.

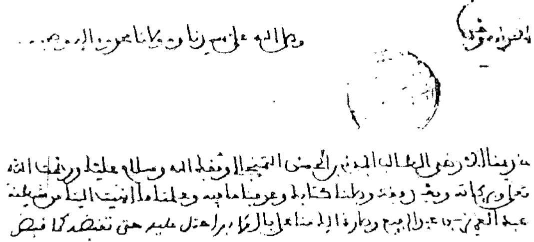

ولما اشتدت الضغوط الاسبانية على السواحل المغربية سنة 1277 / 1860، توصل القائد المدني التامنوگالي برسالة طويلة من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، يحض القائد على استنفار أهل درعة للمشاركة في الجهاد وحماية بيضة الإسلام بهذه الديار. ونستشف من عدد من المراسلات المخزنية التي توصل بها القائد المدني التامنوگالي، أن واحة مزگيطة كانت تتمتع بنوع من الاستقرار على عكس باقي الواحات الجنوبية بدرعة والتي كانت تعيش حالة من الفراغ السلطوي نتيجة تشغيب قبائل أيت عطا على العمال المخزنيين.

وإذا كان القائد الحسن استقدم المرابطين من زاوية سيدي صالح وزاوية بناصر إلى تامنوگالت، فإن القائد المدني قد استقدم بعض الأشراف العلويين من قصر تمتيگ بفزواطة، لخلق توازن جديد داخل قصبة تامنوگالت بعد أن أصبح الصالحيون يكونون جزءاً من البنية السياسية الداخلية بتامنوگالت على إثر مصاهرتهم مع آل القايد. وقد توفي القائد المدني سنة 1295 / 1878.

الفقيه محمد بن لحبيب التامنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط خاص ؛ الطيب بن لحبيب، *تاريخ درعة*، مخطوط خاص ؛ مجموعة وثائق وظهائر توجد في حوزة حفدة وأبناء القائد التامنوگالي.
G. Spillmann, *Les pays inaccessibles du Haut Draa* ; *Districts et tribus de la haute vallée du Draa* ; *Souvenirs d'un colonialiste* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*.

**التامنوگالي، محمد** بن الحبيب، عرّف هذا الفقيه بنفسه، فذكر بأنه تامنوگالي النشأة، تيَرْسوتي الأصل، رگراگي النسب (*العقود*، 31). وهكذا يتضح أن أصل هذا الفقيه هو قصر تيرسوت بواحة ترناتة على بعد حوالي سبعين كيلومتراً جنوب قصبة تامنوگالت.

وجده محمد بن الحاج هو الذي انتقل من ترناتة إلى مزگيطة، فنزل بقصبة تامنوگالت تحت حماية ورعاية القايد الحسن التامنوگالي، وذلك في أواسط القرن الثالث عشر (19 م). فقد وهب القائد الحسن داراً تعرف بدار سيدي محمد بن الحاج، وأقبل على تعليم القرآن بالمسجد الكبير بقصبة تامنوگالت "فنفع إليه به الخاصة والعامة، وانتهت إليه الرآسة القرآنية، وقصده الناس من كل فج" (*العقود*، 75).

نستشف من هذه الإشارة أن محمد بن الحاج التيرسوتي انتقل إلى تامنوگالت بقصد تعليم القرآن لأبناء القائد وغيرهم، وهي المهمة التي ظل أبناء التيرسوتي وحفدته يحتفظون بها إلى اليوم.

ولد محمد بن الحبيب بقصبة تامنوگالت عام 1323، فتعلم مبادئ القراءة على بني قومه بمساجد القصبة، فلما استد عوده أقبل على تعلم العلم، فبدأ بعلم القراءات على يد صهره محمد بن علي الغرغري الذي كان يدرس *الدرر اللوامع في قراءة الإمام نافع*، وعن هذا الفقيه أخذ المبادئ الأولية في الفقه وعلوم الشريعة، ودرس كتب الصحاح في الحديث (*العقود*، 32-45) إلا أن تخرجه النهائي على يدعالم تامنوگالت وقاضي مزگيطة في وقته محمد المكي الناصري أجازه إجازة عامة.

توجه محمد بن الحبيب بعد تخرجه إلى ممارسة التدريس، فسافر إلى مراكش، وعلّم القرآن الكريم في بعض كتاتيبها بجامع المواسين وزاوية مولاي عبد الملك (*أعلام درعة*) وكان يستغل وجوده بمدينة مراكش ليحضر بعض الحلقات العلمية بجامع بن يوسف، إلا أنه لم يدون لنا

أي شيء عن الحلقات العلمية التي كان يحضرها والشيوخ الذين أخذ عنهم.

خلف محمد بن الحبيب عدة أراجيز في التوحيد والمديح والرثاء، إلا أن أهم انتاج له هو كتاب *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*، من القطاع المتوسط عدد صفحاته حوالي 85 ص ولايزال الكتاب مخطوطا وتوجد بعض النسخ منه عند أبناء المؤلف بمراكش وتامنوگالت. وقد ألف هذا الكتاب بإشارة من محمد المختار السوسي كما جاء في مقدمة الكتاب، وهو الأمر الذي أكده المختار السوسي في الترجمة القصيرة التي كتبها لمحمد بن الحبيب الذي يعتبر واحداً من مريدي الطريقة الدرقاوية.

توفي محمد بن الحبيب بقصبة تامنوگالت بواحة مزگيطة سنة 1362 / 1943.

محمد بن الحبيب نفسه، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ المهدي الصالحي، *أعلام درعة* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 344.

أحمد البوزيدي

**تامودا**، مدينة أثرية تقع على سهل مارتيل الضيق على الضفة اليمنى للواد الذي يحمل نفس الاسم (مارتيل). يحدها جبل الحوز من الشمال، والمنحدرات الأولى لجبل كلتي من الجنوب. تبعد عن مدينة تطوان من ناحية الجنوب الغربي بخمسة كيلومترات، وعن شاطئ البحر الأبيض المتوسط بخمسة عشر كيلومترا.

واسم تامودا محرف عن "تامدا" الأمازيغي الذي يعني الغريد أو المستنقع العميق (واد مرتيل) (Besnier, 1904, p. 28). ورد هذا الاسم في مؤلف بلينيوس، الذي يشير إلى اسم مدينة واسم نهر بعبارة "Flumen Tamuda navigabile, quondam et oppidum" (Pline, 5, 18). أي : "واد تامودا صالح للملاحة والمدينة القديمة التي تحمل نفس الاسم". لكن المدينة لم تكن توجد في وقت بلينيوس، لهذا يقترح C. Muller أن تقرأ هذه الإشارة الواردة عن مدينة تامودا كالتالي : واد تامودا، الذي كان صالحا للملاحة من قبل والمدينة تحمل نفس الاسم. ويكتفي بطليموس بالإشارة إلى الواد (النهر) الذي يسميه (Ptolémée, H. Xnousx, 4, 1, 3).

وكذلك الشأن بالنسبة لپمپيوس ميلا، إذ يشير إلى تامودا في إحدى فقراته الغامضة. اقترح (Besnier, 1904, p. 28) عوض أن تقرأ Goldavo du Britania والتي لا معنى لها، أن تستخرج مجموعة من الإشارات الدالة على بعض المواقع المعروفة وهي (Gilda, Vobri, Tam(ud)a) أما ما نسميه (La notitia dignitatum) (بداية القرن الخامس بعد الميلاد) في إحدى الفقرات الخاصة بموريطانيا الطنجية (20. 26 ,0)، حيث يشير إلى وجود فرقة عسكرية من الفرسان المعروفة "بهركيلاي بتموك". هذا الاسم الأخير يجب كما أشار إلى ذلك R. Cagnat أن يقرأ أو يصحح بتمودا (R. Cagnat, 1912, p. 763).

أما لوائح الاپيسكوپال فتشير إلى تامودا بالعبارة التالية : Tamudensis épiscopus. وبالإضافة إلى هذه المجموعة من الإشارات التي وردت في حق هذه المدينة، هناك مجموعة أخرى من الوثائق التي حملت هي أيضا إسم تامودا وهي النقود وخاصة النقود المعروفة بالبونية أو البونيقية الجديدة، التي ربما ضربت أو سكت بالمدينة نفسها. نقرأ على هذه النقود غالباً العبارات التالية : tmcot, tmo, t.mt. والتي يمكن أن تؤول حسب J. Mazard كالتالي : تامودا، أو تاموكدتا. وتضاف إلى هذه المجموعة من الإشارات عبارات أخرى هي : (J. Mazard, 1955, p. 178 - 179, N° 581 à 588 ; tadha, tomt). وهناك نقش حجري واحد باللاتينية يحمل اسم تامودا على صيغة المفعول به (J. (T)amudam Gascou, 1982, p. 47 - 48).

تمّ اكتشاف موقع تامودا سنة 1920، وسمي إذاك بالصويّير، وبوشرت الحفريات بعد ذلك بقليل تحت إشراف لويس سيزار دو مونتالبان (L.C. De Montalban) وبعد ذلك تحت إشراف كنطيرو P. Quintero من سنة 1940 إلى سنة 1944 (Tarradell, 1966, p. 440). لقد كشف دو مانتالبان عن المحيط الخارجي للسور، وكذلك عن الربع الجنوبي من نفس البناء، إلا أن نتائج هذه الحفريات لم يتم نشرها بل اكتفى الباحث بالإشارة إليها في تقرير حرر عام 1933 بطريقة حكائية، يستحيل استعمالها، لانعدام الوثائق والرسوم التي تطابق مختلف التوضيحات المستعملة، (Lenoir, 1980, p. 169).

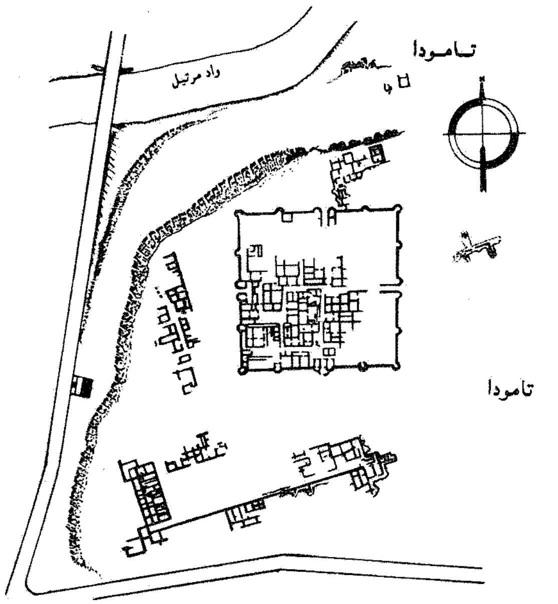


وفي سنة 1943 كشف كنيطيرو P. Quintero عن داخل الباب الغربية، كما أنه بادر بالتنقيب عن المقبرة (P. Quintero, 1943, p. 12 - 13 ; Tarradell, 1953, p. 28) ومن بين الأوائل الذين اهتموا بمعسكر تامودا نجد موران (P. Cesar Moran) الذي قام بمجموعة من التنقيبات الأثرية بموقع تامودا التي تم نشر نتائجها بمجلة تامودا (P. Cesar Moran, 1948).

أما الباحث الاسباني طاراديل (M. Tarradell) فلم يأخذ على عاتقه الحفريات بموقع تامودا إلا سنة 1948، وذلك لمدة عشر سنوات، أي إلى غاية 1958. فهو أول من أشار إلى أن هناك مرحلتين في حياة المدينة.

- المرحلة الموريطانية التي حظي فيها الموقع بمكانة أو بوضعية المدينة.

- ثم المرحلة الامبراطورية السفلى التي حظي فيها الموقع بأهمية عسكرية أكثر من المدينة (Tarradell, 1949, p. 86 - 100 ; 1953, p. 28) يعتبر طاريديل قلعة أو معسكر (Castellum) تامودا إحدى منجزات الامبراطور ديوكليتيان (Dioclétian) وخاصة بعد أزمة القرن الثالث بعد الميلاد (Tarradell, 1955, p. 90 ; 1956, p. 84).

في سنة 1958 عندما زار سيسطون (W. Seston) موقع تامودا لاحظ بأن المعسكر قد بني على أنقاض المدينة الموريطانية المؤرخة بالقرن الثاني قبل الميلاد (M. Euzennat, 1960, p. 534) أما المعسكر نفسه فيؤرخ بالقرن الثالث بعد الميلاد. وقد شجعت ملاحظة سيطيون الباحث طاراديل على إجراء مجموعة من الاستبارات للمراقبة ومحاولة تدقيق وتحقيق المعطيات الأثرية. أجريت هذه الاستبارات سنة 1958 وعددها ثلاثة يقدم نتائجها كالتالي : "سمحت لنا هذه الاستبارات بأن نبين كما افترضنا ذلك قبل، بأنه يوجد مستوى بالمعسكر سابق لما هو بارز على السطح. هكذا وجدنا بقايا بعض الجدران وبعض اللقى خاصة الفخارية المؤرخة بالقرن الثاني وبداية القرن الثالث بعد الميلاد. نتوفر إذن على أدلة تبين أن معسكر تامودا ينتمي إلى فترتين مختلفتين. الأولى أسست في إحدى الفترات غير المضبوطة من القرن الثاني، وبدون شك في بدايته. وإلى هذه الفترة ينتمي السور خاصة في حالته البدائية، وبروجه وزواياه، كما يظهر من خلال مميزات المعسكرات التي تنتمي إلى الامبراطورية العليا. أما الفترة الثانية، فهي تنتمي إلى القرن الثالث بعد الميلاد، ودام التعمير بها غاية القرن الرابع بعد الميلاد، ممثلة بالمستوى الأعلى من هذا المعسكر" (Tarradell, 1958, p. 379). ويشير الباحث فيما بعد إلى مجموعة من الفرشات الأثرية التي تتدرج ما بين القرن الأول والثاني بعد الميلاد إلى غاية انتهاء السيطرة الرومانية (Tarradell, 1966, n° 16, p. 440).

لقد بينت الحفريات خارج المعسكر، وبالضبط فوق المدينة الماقبل رومانية، على مجموعة من البنايات التي تنتمي للفترة الرومانية، بدون أن يتم تأريخ الفترات التي تنتمي إليها بدقة. لا يستبعد أن تكون مجموعة من المنازل (Canabae) قد أسست أو أقيمت بجوار المعسكر (Lenoir, 1980, p. 171). يضاف إلى هذا وجود حمامات بجوار الباب الجنوبية، وكذلك خزان للمياه بمركز المدينة (Tarradell, 1953, p. 31).

أما الحفريات التي أقيمت في المدينة الموريطانية، فقد مكنت من إظهار مجموعة من المقابر الرومانية، وبالضبط غربي الساحة المستطيلة للمدينة. أبانت هذه الحفريات عن جبانة ذات مستويين من المقابر (Tarradell, 1953, p. 32).

وفي سنة 1963، أجرت مصلحة الآثار تنقية دقيقة للموقع، مكنت من العثور على قطعتين نقديتين ذهبيتين وأخرى من البرونز، تؤرخ بفترة الامبراطور أونوريوس Honorius (N. El Khatib, 1964, p. 367) وآخر بحث أجري بالموقع قام به لونوار (Lenoir) وذلك سنة 1979 في إطار دراسة عامة، موضوعها "المؤسسات العسكرية بإفريقيا"، مكنته من جمع الكثير من الملاحظات حول معسكر تامودا (Lenoir, 1980, p. 169 - 176).

يمكن أن نستخلص من خلال هذه المعطيات الأثرية المتفرقة المشار إليها، أن مدينة تامودا هي مدينة بونية موريطانية، أسست خلال القرن الثاني قبل الميلاد. إلا أننا لا نتوفر على كثير من الأدلة الأثرية عن هذه الفترة، وذلك لأن مستويات هذه المدينة لم يتم التنقيب عنها. لقد تم تحطيم هذه المدينة خلال النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد بدون شك، خلال الحرب التي دارت بين العاهلين الموريطانيين بوغود وبوكوس حوالي 38 قبل الميلاد (Euzennat, 1976, p. 876) وقد تم إعادة بنائها بعد ذلك بقليل (Tarradell, 1966, p. 344).

فيما يخص هذه المدينة، تساءل Thouvenot حول تصميم مدينة تامودا العمراني المنظم إذ اقترح أن يقربه من تصميم المستعمرة الرومانية "بناصا"، وأن يدخل ذلك ضمن إنجازات "يوبا الثاني" في بداية حكمه (Thouvenot, 1950, p. 140).

لقد وقع تحطيم مدينة تامودا ثانية، وذلك حوالي الأربعينيات بعد الميلاد، خلال ثورة أيديمون الشهيرة، التي كانت كنتيجة لاغتيال الملك بطوليمي، وضم موريطانيا للامبراطورية الرومانية. وحسب بعض الإشارات الواردة في أحد أبحاث طراديل (Tarradell, 1954, p. 237 - Tarradell 344)، فأن انعدام اللقى الأثرية التي يمكن أن تؤرخ هذه الفترة تحمل الدليل القاطع عن التحطيم النهائي الذي عرفته المدينة خلال هذه الفترة. وهذا يعني انعدام التعمير أو الاستقرار خلال القرن الأول بعد الميلاد.

والتساؤل الذي يطرح هو : هل بعد تحطيم موقع تامودا كنتيجة لثورة أيدمون، استمر التعميم والاستقرار بهذا المركز ؟ إذا كانت المعلومات التي أوردها مختلف الباحثين الذين اهتموا بالموقع لم تشر إلى هذه الفترة، فإن دراسة مختلف اللقى الأثرية وخاصة الفخار المستورد (H. Limane, 1988, p. 560) قد حملت الدليل على الاستقرار بهذا الموقع وخاصة خلال النصف الثاني من القرن الأول بعد الميلاد. ويكمن هذا الدليل في وجود مجموعة لا بأس بها من الأواني الفخارية المستوردة والتي تؤرخ بهذه الفترة.

Pline, *Histoire naturelle*, V, 18 ; Ptolémée, *Géographie*, éd. Carl Muller, 4, 1, 3 ; Pomponius Mela, *Geographia*, éd. C. Frick, 3, 107 ; Besnier, *Géographie ancienne du Maroc*, *A.M.*, 1904 ; N. El Khatib,

*L'archéologie marocaine de 1901 à 1964*, *B.A.M.*, V, 1964 ; M. Euzennat, *Tamuda, The Princeton Encyclopedia of classical sites*, R. Stillwel éd., Princeton, 1976 ; *L'archéologie marocaine de 1958 à 1960*, *B.A.M.*, IV, 1960, p. 534 ; J. Gascou, *Inscriptions antiques du Maroc*, 2, *Inscriptions latines*, Paris, 1982 ; M. Lenoir, *Les établissements militaires romains d'Afrique*, mémoire de l'Ecole Française de Rome, Rome, 1980 ; H. Limane, *Contribution à l'étude des sigillées d'importation en Maurétanie Tingitane des Ier et IIème siècles, Etude du matériel de Lixus, Banasa, Tamuda*, Thèse présentée à l'Université d'Aix-Marseille, 1988 ; J. Mazard, *Corpus Nomurum Numidiae Mauretaniaeque*, Paris, 1955 ; P. Cesar Moran et C. Gimenez Bernal, *Excavaciones en Tamuda, 1946*, Tétouan, 1948 ; P. Quintero, *Excavaciones en Tamuda*, 1943, p. 12 - 13 ; M. Tarradell, *Estado actual de nuestros conociomientos sobre Tamuda y resultades de la campaña, 1948, Archivo Español de Arqueologia, 74*, 1949, p. 86 - 100 ; *Guia arqueologia del Marruecos español*, Tétouan, 1953 ; *Datos sobre la guerra de los romanos contro Aedem, El primero congreso arquelogico del Marruecos español*, Tétouan, 22 - 23 Juin 1953, p. 237 - 244 ; *Tamuda* II, 1955, p. 90 ; *Excavaciones de Tamuda, 1949 - 1955* ; *Tamuda* IV, 1956 ; *Breves noticias sobre las excavaciones*, *Tamuda*, VI, 1958, p. 379 ; *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, région de Tétouan*, *B.A.M.*, VI, 1966 ; R. Thouvenot, *Promenade archéologique au Musée de Tétouan*, *R.E.A.*, LII, 1950, p. 140.

حسن ليمان

**تامودا** Tamuda، مجلة للأبحاث المغربية باللغتين الإسبانية والعربية، أحدثتها نيابة التربية والثقافة التابعة للإقامة العامة الإسبانية بتطوان في شهر يوليوز سنة 1953 حيث صدر العدد الأول منها، وكانت تصدر مرتين في السنة، فقد صدر العدد الثاني منها في ديسمبر من نفس السنة، ثم صدر في السنوات الخمس التالية عشرة أعداد (المجموع اثنا عشر عدداً).

وابتداء من سنة 1959 توحدت مع مجلة **هيسبريس** *Hespéris* الرباطية فأصبحت المجلة المنبثقة عنهما تحمل اسم *هيسبريس تمودا (Hespéris Tamuda)*. وكانت هيأة تحرير مجلة تامودا مؤلفة من نائب التربية والثقافة كرئيس (من عدد 1 إلى 7) ثم خلفه نائب وزير المعارف بالشمال السيد محمد عزيمان الذي كان من قبل عضواً بهيأة التحرير، وأما الكاتب فكان هو مدير الخزانة العامة بتطوان، وتضم هيأة التحرير إسبانيين ومغاربة، منهم : عبد الله كنون ومحمد ابن تاويت التطواني.

وكان للمجلة ملحق أدبي يصدر مرتين في السنة تحت عنوان كتامة (Ketama).

*Tamuda, Revista de investigacion Marroqui*, Tetuan ; Ibn Azzuz Hakim, *La prensa del Norte de Marruecos*, Tetuan, 1956.

**تامَوْرُوتْ**، أهم قرية بقبيلة بني خالد الغمارية (إقليم شفشاون) يعقد فيها سوق كبير كل يوم خميس، سميت باسمها جماعة قروية. وقد لعبت هذه القرية دوراً مهماً في المقاومة المسلحة ضد الغزو العسكري الإسباني في عهد الحماية، ولم تسقط بيد الجيش الإسباني إلا يوم 27 غشت سنة 1926 واسترجعها المجاهدون يوم 7 شتنبر من نفس السنة، واستطاع الإسبان الاستيلاء عليها مرة ثانية بعد يومين. وقد قام المغاربة بعدة محاولات من أجل استرجاعها دون جدوى.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 108، 132، 133.

*Comision historica*, 40, 46, 95, 166 ; Martinez Campos, *España belica*.

محمد ابن عزوز حكيم

**تاموسيدا** أو تموسيدا (Thamusida) موقع أثري، كان لشارل تيسو السبق في اكتشافه ومطابقته بضريح سيدي علي بن أحمد على الضفة اليسرى لنهر سبو مستنداً في ذلك على "مسلك أنطونان". وقد أعيد النظر في هذه المطابقة من طرف الباحث لكنه وقع في خطإ حيث خلط بين تاموسيگا التي يتحدث عنها بطليموس جنوب سلا (IV, 1, 2) والتي طابقها كل من ڤيڤيان دوسان مارتان وتيسو بالصويرة، وبين تاموسيدا التي توجد شمال سلا، إلا أن الباحث روني ريبفا عاد ليؤكد على المطابقة التي قام بها شارل تيسو ولكنه أضاف بأنه "لا يمكن أن نقرها بصفة نهائية إلا بعد أن تكشف الحفريات عن شهادة إيبغرافية تدعم ذلك (IAM, 2, p. 159).

توجد تاموسيدا على الضفة اليسرى لنهر سبو حيث تبعد عن القنيطرة بأحد عشر كلم وقد اقترن موقعها باسم ضريح يحتل إحدى القمم وهو ضريح سيدي علي بن أحمد.

وقد ورد ذكر تاموسيدا في النصوص القديمة تحت

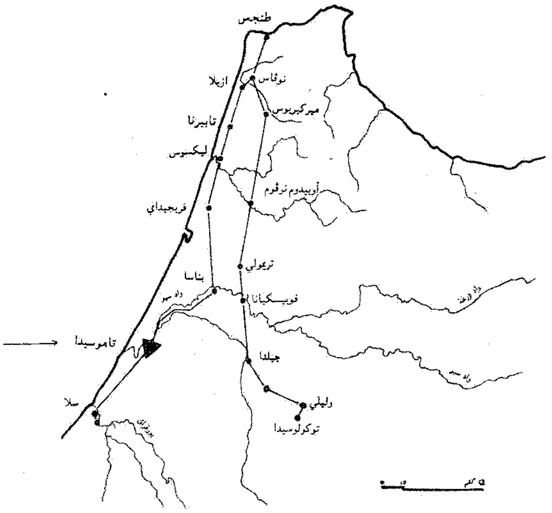


أشكال مختلفة، ففي مسلك أنطونان، 7 نقرا Thamusida وانها توجد على مسافة متساوية بين بناسا وسلا. أي 32 ميلا = 48 كلم تقريبا، (R. Roger, *Le Maroc...*, p. 40).

وعند جغرافي راڤينا، نجد الأشكال التالية : Tamadisa, Thamasida وTamudisa.

فعند سرده لمدن الساحل الطنجي من الجنوب نحو الشمال (V,4) نجد شكل Tamusida.

وفي الفقرة (3.11) تيول في موريطانيا توجد عدة مدن سأذكر بعضها :

"... Tremulas, septem Fratres, Thamasida, Sala..."

أما الجغرافي بطليموسي (IV, 1, 7) فيوطنها بين خطي ('34 ,°7 و'15 ,°34)، يعني شمال شرق سلا وجنوب غرب بناسا، وقد حدد موقعها بالمقارنة مع إحداثيات باقي المدن. وكتبت عند بطليموس تاموسيدا بالحروف اللاتينية.

إذن هناك اختلاف بين الكتاب القدماء حول كتابة

اسم الموقع إلا أن الشكل Thamusida يبدو أكثر قبولاً خاصة وأننا نجد مدناً أخرى في شمال إفريقيا تقترب إليها في طريقة الكتابة مثل : Thamugadi وThamallula كما أنه يمكن تسجيل كثرة الأسماء التي تبتدئ بحرف Th. على المستوى الابيغرافي لا نتوفر على أي نص منقوش يزيل هذا اللبس في الكتابة، كل ما لدنيا هو نقيشة مبتورة (IAM, 266) تحمل حروف [...] Th والتي رمّمها الباحث ريفا على أنها بقايا كلمة Th (amusida) إلا أنها تبقى فرضية فقط في انتظار إثبات إبيغرافي أكثر ضبطاً.

أما ما يخص تاريخ الحفريات بالموقع : فقد سبقت مراحل التنقيب، مرحلة تميزت بمحاولات للبحث عن الموقع انتهت سنة 1932 حيث عرفت تاموسيدا زيارة عدد من الباحثين في إطار مهمات مثل بعثة سنة 1913 تحت إشراف ضباط المصلحة الطبغرافية وهم Toutain, Fossard وVallassez، كما أرسلت بعثتان أُخريان سنة 1914، الأولى تحت إشراف المراقب المدني G. Rouger والثانية تحت إشراف Le Dautéc الذي قام بوضع أول تصميم للمدينة.

لقد اقتصرت الفترة الأولى على ملاحظات عامة كالتركيز على مطابقة ضريح سيدي علي بن أحمد بتاموسيدا والمطالبة بحماية الموقع من النهب وكذا وضع التصاميم الأولى التي استغلتها البعثات الأثرية اللاحقة. لكن الحفريات المنتظمة لم تبدأ بموقع تاموسيدا إلا سنة 1932 تحت إشراف A. Ruhlman وL. Chatelain وانتهت سنة 1935. ولحقتها حفريات ثانية ابتدأت مع سنة 1952 تحت إشراف R. Thouvenot وM. Euzennat وانتهت سنة 1955. أما المرحلة الثالثة والممتدة من 1959 إلى 1962 فقد كانت تحت إشراف المدرسة الفرنسية بروما وبقيادة كل من Euzennat, J.P. Callu وR. Rebuffat وJ.P. Morel، وشكلت نتائج هذه الحفريات المادة الخام لمؤلف هام حول هذه المدينة صدر في 3 مجلدات (Thamusida I, II, IH) تحت إشراف المدرسة الفرنسية بروما.

- أسفرت حفريات 1932 عن نتائج هامة حيث تم الكشف عن عدد من المباني منها المعبد المربع والمذبح والمنزل المعروف تحت اسم منزل L. Nigidius Albanus وفي سنة 1933 شرع البحث في الحي الشرقي حيث عثر على عدد من الغرف المقامة على طول الطريق الرئيسي (Decumanus Maximus).

وفي سنة 1962 تم الكشف عن المنزل المبلط Maison au dallage ومكنت الاستبارات من التعرف على الطريق الرئيسي، ووسعت حركة الاستبارات حيث رأت النور عدد من المعالم الأخرى كالحمامات التي أثارت فضول Le Dautec والمراقب المدني G. Rouger.

أما تنقيبات سنة 1952 فقد اتخذت كمنطلق لها تنقيبات سنة 1932 ووسعتها نحو الشرق أسفرت عن إثبات وجود حمامات كبيرة. أما بعثات المدرسة الفرنسية التي ركزت أيضاً على الحمامات خلال فترة 1961 - 1962 فقد اهتمت بالأماكن التي تم حفرها وقامت باستبارات أخرى فأسفرت النتائج عن العثور على مدخل كبير (Grand exherdre) ومجمع المياه (Grand egout collecteur). إن أهمية هذه الحمامات تكمن في كونها تعتبر من "أوسع حمامات المغرب القديم" حسب الباحث توڤنو (BCTM, 1959 - 60, p. 150) كما أنها تنفرد بخصوصيات أخرى على المستوى المعماري.

اهتمت الأبحاث ابتداء من سنة 1935 بالمعسكر وعملت على كشف تخومه الجنوبية والشرقية إلى جانب أبراجه وبعض الغرف المجاورة للبريطوار (Braetorium).

- ونظراً لأهمية الاستبارات، فقد ارتأت المدرسة الفرنسية القيام بمجموعة اختلفت من حيث أشكالها وأحجامها، نذكر على الخصوص Sondage en croix واستبار النهر لكن أهمها هو الاستبار على شكل V الذي أقيم سنة 1960 جنوب الحمامات، ومكن هذا الاستبار من اكتشاف أولى الأواني الكامبانية ومواد خزفية وبرونزية ونقود بالإضافة إلى بعض النقائش ساهمت في الإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بالعلاقات في إطار التبعية لروما أو مع مدن موريطانيا الطنجية.

مكنت إحدى المستويات الأثرية أثناء البحث عن تاريخ المدينة من اطلاعنا على وجود سكن للأهالي لا يمكن أن يتجاوز القرن الثاني ق م. وقد اقتصر مجتمع تاموسيدا في هذه الفترة على المقايضة وعرف نوعاً من الانكماش وظل نشاط المدينة ضعيفاً إلى حدود إلحاق موريطانيا من طرف الامبراطور كلوديوس (القرن I م) ثم أصبحت مدينة بكل مقوماتها فيما بعد.

عرفت تاموسيدا كقاعدة عسكرية (Garnison) على الفرق كما تطلعنا أيضاً على الفرق التي كانت في حالة عبور فقط.

أما الجانب الديني فيبدو أقل حضوراً يظهر ذلك من خلال العدد القليل من النقائش التي عثر عليها فلا نتوفر سوى على نقيشتين مهداتين للآلهة، الأولى موجهة إلى الربة جوتون (IAM, 2, 247) مؤرخة بالقرن I م والثانية عبارة عن صفيحة برونزية ذات طابع عسكري موجهة إلى جوستير الكابتولي من طرف إحدى الفرق العسكرية التي تطلب حمايته.

يمكن القول إجمالاً بأن أهم مجموعة ابيغرافية هي تلك التي أفرزتها حفريات 1959 - 1962 والتي تم نشرها من طرف J. Marion, Euzennat في النشرة الأثرية المغربية لسنة 1960 ومن طرف Morel, J.P. Callu وRebuffat في مؤلف تاموسيدا I.

M. Euzennat, J. Marion, *Inscriptions antiques du Maroc*, 2 - *Inscriptions latines*, CNRS, Paris, 1982 ; M. Euzennat, Les voies romaines du Maroc dans l'Itinéraire d'Antonin, *Hommages à A. Gunier*, II, p. 595 - 610 (partic. p. 598) ; Thamusida, *BAM*, IV, 1960, p. 544 - 550 ; J. Marion, Notes sur le peuplement de Thamusida à l'époque romaine, *Hespéris*, XXXVIII, 1950, p. 178-180 ; J.P. Callu, Remarques sur le trésor de Thamusida III, les Divo-Claudiens en Afrique, *MEFR*, LXXXVIX, 1974, p. 523-547 ; J.P. Callu, J. Marion, Rebuffat, *Thamusida I*, Paris, ed. de

Boccard, 1965 ; J. Marion, Briques estampillées, *BAM*, IV, 1960, p. 480 ; A. Ruhlman, A propos d'une plaquette à caractère militaire trouvé à Thamusida, *CRAI*, 1935, p. 67 - 78 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Index de Topographie antique du Maroc, *PSAM*, 1938, p. 78 - 79 ; R. Rebuffat et autre, *Thamusida II*, ed. de Boccard, 1970 ; *Thamusida III*, ed. de Boccard, 1977 ; Les fouilles de Thamusida et leur contribution à l'histoire du Maroc, *BAM*, 1968 - 72, p. 51 - 65 ; Le batiment à barrages du quartier du fleuve à Thamusida, *BCTH*. N.S, 1965 - 66, p. 169 - 186 ; 4 ans de fouilles à Sidi Ali ben Ahmed, *MEFR*, LXXV, 1963, p. 67 - 78 ; R. Thouvenot, Rapport de 1950 - 1952, *BCTM*, 1959 - 90, p. 150.

بل الفايدة عبد العزيز، بنعبيد عطيل

**تاموسيگا** (Tamosiga)، مدينة على المحيط الأطلسي، لا نجد لها ذكرا إلا عند الجغرافي بطليموس، فهو يحدد موقعها حسب الإحداثيات التالية (8° - 29° - 55') بين رأس هرقلس (Heraklés) (رأس الحديد) في الشمال ورأس أوساديون (7° - 30' - 29° - 15') الذي يطابق رأس سيم في الجنوب.

يتفق الباحثون ڤيڤيان دوسان مارتان وتيسّو وبسنيي (Besnier) على مطابقة موقع تاموسيگا لموگادور حيث تحيط بها الجزر وتشكل حصناً منيعا لها. إلا أن بسنيي ذهب إلى أبعد من ذلك حيث حاول أن يوطّن لموگادور كذلك مستعمرة جيطّي (Gytté)، المستعمرة الثانية التي أسسها حانون جنوب رأس الشمس ـ رأس سوليس ـ (Cap Soleis ou Solis) وبالتالي ستكون جيطي مطابقة لموقع تاموسيگا حسب رأيه.

إن اللوائح الأسقفية حملت اسم أسقفية بهذه المدينة وإن كان مؤلف كتاب *أفريقيا النصرانية* لم يذكر شيئا عن هذه الأسقفية. ويبدو أن هذا المركز الأسقفي الذي وجد في وقت من الأوقات في مدينة موگادور هو من الاسقفيات التي كانت موجودة في أفريقيا الرومانية والتي لم يرد اسمها عند المؤلفين القدامى ولا في وثائق المجامع الدينية (Conciles) وإن وردت فإنها ترد بتغييرات لحقتها من طرف الناسخين عند كتابة اسمائها، ويمكن أن يتصور أيضا أن أسماء تلك المواقع لحقتها تغييرات من طرف الكتاب الذين لَتَّنُوها. وهكذا فإن البعض يقولون تاموسيگا (Tamusiga) وآخرون يقولون تاموزيگا (Tamuziga).

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc*, *A.M.* I, 1904, p. 342 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc*, *PSAM*, 1938, p. 76 - 77 ; *Mauritania Tingitana, Mauritania* n° 1, Mayo, 1928, p. 130 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, p. 253.

عبد العزيز بل الفايدة

**التامول**، Le bouleau، يسمى خطأ عند المغاربة بالصفصاف (Le saule) نظراً لكونه يشبه الحور (Le peuplier) واسمه العلمي هو بتولا سلتاإبيريكا Betula celtiberica، وهو ينتمي إلى فصيلة البتوليات.

إنه نوع شجري يشبه الحور الأبيض، جذعه أبيض اللون يتقشر اعتراضا وهو مشقق في أسفله. أغصانه لينة ومتهدلة شيئا ما. أوراقه ثلاثية الشكل مسننة مزغبة ولزجة في صغرها ومرطاء عند بلوغها. أزهاره الذكرية على شكل قدة متهدلة أسطوانية، يبلغ طولها من ثلاثة إلى ستة سنتم. أما القدة الأنثية فهي قصيرة، إذ لا يزيد طولها عن سنتيمترين.

لا يوجد التامول في إفريقيا إلا في المغرب حيث يعيش على ضفاف العيون والوديان الرطبة والباردة من المنطقة الوسطى من سلسلة جبال الريف، أي في البيومناخات الشديدة الرطوبة والرطبة الباردة والقارسة، في الطابقين فوق المتوسطي والجبلي المتوسطي. ولا يُصادَف إلا فوق أتربة غير كلسية.

إن الوجود الطبيعي للتامول و"جار الماء" (Alnus glutinosa) بالمغرب، حتى وإن كانا يشكلان حاليا باقات قليلة الانتشار بالريف الأوسط، دليل على أن هذين النوعين يمثلان بقايا التشكيلات النباتية التي كانت تسود هذه المنطقة في الحقب الباردة من العصر الرباعي، والمعلوم أنهما يكونان حاليا غابات جد شاسعة في أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية حتى الحدود القطبية الشمالية للأشجار.

تحتوي قشرة جذع التامول على دباغ ومادة راتينجية تعطيه لونا أبيض جميلا وتجعله مقاوما للتعفن، وغير منفذ للماء.

يتميز خشب التامول بمتانته وصلابته وتعريقه الدقيق المتموج، وحسن منظره وقابليته الفائقة للتلميع.

وتتمثل استعمالات خشب التامول في البلدان التي يكثر بها، في صناعة البلاكاج والصناديق والمقابض وقوالب الأحذية وصناعة الزوارق وأدوات الزينة، كما يستعمل كوقود للتقطير.

والجدير بالذكر أن التامول كان يعتبر في القرنين العاشر والحادي عشر (16 ـ 17 م) من النباتات الطبية الرئيسية في أوروبا وأمريكا وآسيا.

*أبحاث شخصية* ؛ أ. هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، تر. د. ع. زاهر وآخرون، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

**تامَيْسين**، موقع دافق المياه في قبيلة بني توزين بين ميضار الأعلى وتافرسيت على بعد حوالي 80 كلم غرب مدينة الناظور. تحيط به جبال تعرف بالكُدى الحمراء "تيورْينْ تيزوَاغينْ"، اشتهرت تاميسين بمعركة حامية بين قوات المجاهدين والجيش الاسباني أيام عبد الكريم الخطابي، يطلق عليها الأهالي معركة "الكدى الحمراء"، وذلك يوم عاشوراء 1342 / 23 غشت 1923 م، في الزحف الثاني لجيش الاحتلال الاسباني.

استشهد في هذه المعركة عدد من المجاهدين، منهم القائد حمو بن محمد بن قدور، قائد المجاهدين المكلف بإدارة مركز اغبال الذي يبعد بحوالي ثلاثة كيلومترات من هذا الموقع، والمجاهد أبْضارس بن علال بن الطاهر، وهما من أبناء عمومة الصوفي العالم الحاج مَحمد التوزاني

والمجاهد قُطاط بن يزْمار من قرية إباذَعَنْ المجاورة.

ويقع بالقرب من تاميسين مركز حربي آخر يعرف بأزرو، احتله الاسبان يوم 5 / 8 / 1920، اشتهر بمعركة أخرى فاصلة تعرف في الأدبيات الاسبانية بمعركة "أزرو" وذلك يوم 22 يوليوز 1921 بعد سقوط مركز "أنوال" مباشرة. وفي اليوم التالي 23 يوليوز، انتهت المعركة باحتلال المركز المذكور من قبل المجاهدين والقضاء على حاميته المكونة من ستة وثمانين رجلا.

*روايات شهود عيان ؛ مقال عن العالم التوزاني في المعلمة ؛ رسائد وزارة الدفاع الاسبانية ؛ م. ابن عزوز حكيم، معارك الثورة الريفية : معركة أنوال ؛ معاينة ميدانية.*

عبد الله عاصم

**التأمين**، عقدة بين المؤمِّن والمؤمَّن له يتعهد فيها المؤمِّن بتعويض ما قد يتعرض له المؤمَّن له هو نفسه أو جهة ثالثة تذكرها العقدة من الخسارة أو العجز يشرط أن يؤدي المؤمَّن له قسطا من المال معينا للمؤمِّن الذي تتوازن لديه أسباب الربح والخسارة بناء على حساب الاحتمالات بتعدد هذا النوع من التعاقد. ولئن كانت ظاهرة الاحتياط من الآفات قديمة فإن أساليب التأمين العصري انبثقت عن انتشار الاقتصاد النقدي في العصر الحديث وتكاثر المعاملات التجارية والصناعات الثقيلة وكثافة الرواج والتنقل وتضخم المدن وتفاقم الأخطار والأضرار الاجتماعية حيث بات من الضروري أن ترصد بعض الأموال لمواجهة كل الأعراض، ولذلك يعتبر التأمين تقنية من تقنيات الاقتصاد الراسمالي العصري، ولقد دخلت المغرب بعد انفتاحه على السوق العالمية بقوة الاستعمار، ودليل حداثة العهد بها في البلاد دخولها أول الأمر بأسمائها الأوربية إذ ورد ذكرها سواء لدى التجار أو الفقهاء أو في العهد الأول من الصحافة العربية بالمغرب، بل وحتى في بعض النصوص القانونية بالمصطلح الإسباني "السيگورطا" (Seguridad) أو بالمصطلح الفرنسي "لا سورانس" (Assurance) مع ترجمتها تارة "بالضمان" وتارة أخرى "بالتأمين" إلى أن تغلب لفظ التأمين بعد الاستقلال في النصوص المكتوبة على الأقل، أما في اللغة الدارجة فمازال لفظ "لاسورانس" هو الذي يتبادر على الألنس...

ويمكن الاستدلال على كونها دخيلة على المجتمع المغربي من جهة أخرى بما قام حولها من الجدل في العشرينات والثلاثينات في البلدان الإسلامية بين مؤيد للتأمين على أنه من ضرورات التكافل الاجتماعي ومناوئ له على أنه ضرب من المخاطرة ورجم بالغيب. وكان الفقيه محمد بن الحسن الحجوي قد استفتي في الموضوع سنة 1936 من قبل تاجرين من الدار البيضاء جاء في سؤالهما: "المرجو منكم جوابكم الشافي بالنصوص الواردة في مسألة "السگرته" (الضمان)"، فأجاب قائلا : "لم أقف على ما يمنع ذلك كتاباً ولا سنة ولا إجماعا ولا قياسا ولا اجتهادا وإني قد عالجت التجارة وحلبت أشطرها مدة ليست يسيرة ووقفت على حاجة التجارة للمعاملة على الضمان بل ضرورتها في الوقت الحاضر للسكورتاة (لاصورانس)". ولعل هذا الجدل هو ما دعى الإمامة المغربية إلى تفويض أمر التشريع للتأمين البري للصدر الأعظم إذ صدرت النصوص في هذا المضمار سواء القانوني منها أو التطبيقي بصيغة القرار الوزيري وليس بصيغة الظهير.

ومن علامات حداثة العهد بالتأمين في المغرب أيضاً أن أول ما تأسس من شركات التأمين على ترابه كان مجرد وكالات تنوب عن بعض الشركات الأوربية مع تخصص معظمها في التأمين البحري مثلا "لا إسبانيولا" (La Española) المنشأة سنة 1879 وهي إسبانية، ولا سانترال (La Centrale) ولا ريباراسيون (La Réparation) المنشأتين سنة 1883 مع تأمين هذه الأخيرة للحريق وكلاهما من فرنسا، ولا كالبيان (The Calpean) المنشأة سنة 1887 وهي أنجليزية ومانهايم (Manheim) المنشأة سنة 1886 ولويدس ألمان (Lloyds Aleman) المنشأة سنة 1893 وهما من ألمانيا.

أما أول شركة مغربية للتأمين مما كان مركزها الاجتماعي في المغرب وبالضبط في مدينة طنجة فإنها لم تؤسس إلا سنة 1916 تحت اسم "المغرب"، لكن سرعان ما تم حلها مع انتهاء الحرب العالمية الأولى، وظل التأمين في المغرب موقوفا على الشركات الأجنبية إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية وانقطعت سبل التواصل مع أوربا فعندئذ تكاثرت الشركات القائمة على التشريع المغربي للتأمين وإن أقيم جلها على الرسمال الأجنبي باستثناء "الشركة الملكية المغربية للتأمين" المنشأة سنة 1950 من أموال مغربية صرفة، بحيث عندما استرجع المغرب استقلاله سنة 1956 كان عدد شركات التأمين لا يقل عن 230 شركة جلها في الأيادي الأجنبية، ولذلك تدخلت الدولة لتقليص هذا العدد الذي كان لا يطيقه السوق المغربي، كما تدخلت لفسح مجال التأمين أمام المغاربة فجعلت حداً أدنى للضمانة الواجبة على شركات التأمين، فتقلص عدد الشركات إلى أربع وخمسين في الستينات، ثم لما صدر قانون الاستثمار سنة 1973 بقصد مغربة المقاولات والمؤسسات الاقتصادية الخصوصية، انتقل قطاع التأمين برمته إلى أياد مغربية وانحصر عدد الشركات فكان لا يتجاوز ثلاثا وعشرين شركة في طليعة التسعينات.

ومع أن التأمين دخيل على البلاد، فإن التشريع المغربي لم يتأخر عن باقي المعمور في هذا الشأن إذ أن أول قانون متكامل للتأمين وضع في بلجيكا سنة 1908، وأول من سبق إلى التشريع في التأمين البري من البلدان الإسلامية دولة تركيا وكان ذلك سنة 1926، أما المغرب فإنه شرَّع أول الأمر للتأمين البحري بظهير 31 مارس 1919 الذي كان بمثابة مدونة للمبادلات والنقل عبر البحار، كما شرَّع لتأمين العمال من آفات الشغل في المصانع وذلك بظهير صدر في تاريخ 25 يونيه 1927، ثم كان التفويض للصدر الأعظم

بالتشريع للتأمين البري فصدر القرار الوزيري بتاريخ 28 نونبر 1934 وكاد يكون نسخة شبه حرفية للقانون الفرنسي بشأن التأمين البري الصادر بتاريخ 13 يوليوز 1930. وبعد هذا القرار الوزيري صدر ظهير 8 يوليوز 1937 المتعلق بأداء المصارف والتعويضات المستوجبة بعد وقوع حوادث السيارات مع تحديد المسؤولية المدنية وأدوار المؤمن إزاء المتضررين وكيفية التعويض ومداه، ثم كان القرار الوزيري ليوم 6 شتنبر 1941 وهو من الأهمية بمكان لأنه فرض مراقبة الدولة على مؤسسات التأمين وإعادة التأمين وتكوين الرسمال مع إقرار إجبارية تأمين المسؤولية المدنية الناتجة عن استعمال العربات ذات المحرك، وكان المغرب بذلك من أول من سبق من الدول إلى إقرار إجبارية التأمين في هذا الميدان وتعزز هذا النص بقرار وزيري آخر بتاريخ 20 مارس 1942 بشأن كيفية التعاقد في التأمين البري. وحرصاً على المسؤولية المدنية وحتى لا تضيع حقوق المتضررين، أحدثت الدولة صندوق مال الضمان للتعويض عن حوادث السيارات وذلك بظهير 22 فبراير 1955 ليتم تعويض المتضررين من الحوادث لدى استحالة التعرف على مرتكب الحادثة أو عدم توفر المرتكب لها على التأمين اللازم.

ولقد ازدادت هذه القوانين تعمقا وتدقيقا غداة الاستقلال حيث اشتدت مراقبة وزارة المالية على قطاع التأمين بكامله فوضعت أساليب محصورة للتعاقد ألزم المؤمِّنون بأن يسيروا على نهجها (قرار وزيري ليوم 25 يناير 1965) ووضعت شروط نموذجية لعقد تأمين المسؤولية المدنية في حوادث السير وتعزز جانب التأمين الإجباري للسيارات بظهير 20 أكتوبر 1969، كما صدرت عدة قوانين بشأن كيفية إصدار شهادات التأمين الإجباري ألغي بعضها بعضا بقصد التصحيح ومواكبة تطور تقنيات التأمين في باقي العالم، وكان من أهم هذه القوانين ظهير 9 أكتوبر 1977 والقرار الوزيري ليوم 21 دجنبر 1977 المتعلقان بكيفية عرض عمليات التأمين وإعادة التأمين وتأسيس رأس المال ومزاولة وظيفة الوسيط في التأمين، وأيضا الظهير بمثابة قانون ليوم 2 أكتوبر 1984 المتعلق بطرق تعويض ضحايا الحوادث الناجمة عن العربات ذات المحرك.

وجدير بالذكر من جهة أخرى أن المغرب وافق بظهير 8 دجنبر 1959 على اتفاقية جنيف بتاريخ 19 شتنبر 1949 حول السير الدولي مما اضطره إلى إصدار قرار وزيري بتاريخ 21 أكتوبر 1969 المتعلق بتأمين الحدود وهو التأمين الخاص بالسيارات الأجنبية التي تجتاز حدود البلاد دون أن تكون حاصلة سلفاً على التأمين المعمول به في المغرب، كما وافق أيضا على أوفاق لندن لسنة 1952 التي وضعت بمقتضاها البطاقة الخضراء وهي بطاقة للتأمين الدولي وأدخل ذلك في التشريع المغربي بظهير 20 أكتوبر 1969 وتبنى المغرب كذلك البطاقة البرتقالية وهي بطاقة التأمين بين الدول الغربية وذلك بظهير 19 شتنبر 1977.

وغني عن البيان أن الأخطار التي يتعرض لها الإنسان في المجتمع العصري لا تقف عند أحداث السير ولذلك يميز الفقهاء في التأمين بين الأخطار الشخصية وأخطار الممتلكات وأخطار المسؤولية. والشخصي من الأخطار هو ما يقع للإنسان منها مباشرة في حياته أو صحته أو سلامة أعضائه مثل الحوادث الشخصية أو المرض أو البطالة أو الشيخوخة أو الوفاة، وأخطار الممتلكات ما تتعرض له ممتلكات الإنسان من الحريق أو السرقة أو الضياع أو الهلاك إن كانت الممتلكات ماشية مثلا، أما أخطار المسؤولية المدنية فما يصيب الغير في شخصه أو ممتلكاته ويكون المسؤول عنها أمام المحاكم الشخص الذي تسبب فيها بشكل من الأشكال، من ذلك المسؤولية المدنية الناجمة عن حوادث السير وأسباب النقل العمومي أو عن امتلاك مصنع أو متجر أو قاعة للعروض المسرحية أو السينمائية وكذلك المسؤولية المدنية الناجمة عن ممارسة بعض المهن كالطب والصيدلة والبيطرة والهندسة التي قد يترتب عليها أخطاء تؤدي إلى آفات جسدية أو خسارات مادية للغير، مما يبدي تشعب التأمين العصري ويثبت التحامه بأدق أسباب الحياة في المجتمع لدرجة أنه تطور إلى نوع من الادخار الصارخ في شكل التأمين على الحياة الذي يكاد لا يختلف في بعض جوانبه عن صندوق للتقاعد، ولذلك فإن للتأمين أدواراً متميزة منها ما هو قانوني ومنها ما هو اجتماعي ومنها ما هو اقتصادي مالي.

أما الأدوار القانونية فإنها تترتب على المسؤولية المدنية من جهة وتتصل من جهة أخرى بمدونة العقود والالتزامات مما يدخل في نطاق القضاء والمحاكم. وأما الأدوار الاجتماعية والاقتصادية والمالية فدليلها رعاية الدولة للتأمين ومراقبتها لأسباب ممارسته وذلك بواسطة إدارة متخصصة في هذه الأمور داخل وزارة المالية تدعى إدارة التأمين والوقاية الاجتماعية (مرسوم 22 نونبر 1978) التي لها ثلاث مهام، أولها صيانة مصالح المؤمَّن لهم والأغيار المستحقين من عقد التأمين، وثانيها صيانة المصالح المالية للبلاد بالحرص على قدرة شركات التأمين وإعادة التأمين في الأداء وتدعيم هذا النوع من الادخار وتوجيهه، وثالثها تقوية السوق الوطنية للتأمين على أمل أن تنفتح على السوق العالمية ويتعزز بذلك الرسمال الوطني وأسباب الاستثمار في البلاد، وتستعين الإدارة المذكورة نهوضاً بأعبائها باللجنة الاستشارية للتأمينات الخصوصية المحدثة بمقتضى الفصل 15 من القرار الوزيري ليوم 6 شتنبر 1941 وتتركب من وزير المالية أو نائبه ووزير الأشغال العمومية أو نائبه وممثلين عن شركات التأمين وتؤدي هذه اللجنة وظائفها بواسطة عشر لجان تقنية متخصصة في مختلف جوانب التأمين وهي لجان الإدارة والتنظيم ثم إعادة التأمين ثم السيارات ثم حوادث الشغل ثم النقل البحري ثم الطيران ثم البناء في حدود عشر سنوات ثم الحريق ثم الحياة وأخيراً لجنة الأخطار المختلفة.

وإلى جانب هذه اللجنة هناك الفيدرالية المغربية

لشركات التأمين وإعادة التأمين أقامتها شركات التأمين وإعادة التأمين العاملة في المغرب حماية لمصالحها وصونا لسمعتها في سوق التأمين وهي تعمل كذلك بواسطة عدة لجان متخصصة هي لجان الحريق فالأخطار التقنية فحوادث الشغل فمختلف الآفات فتأمين الأشخاص فالنقل فالطيران فالسيارات فالدراسات القانونية والجبائية، ولجنة أخيرة للإحصاء والإعلاميات، وأهم ما شغل بال الجميع التأكد من كفالة شركات التأمين المالية ومن قدرتها في كل وقت وحين على تعويض المستحقين، ولهذه الغاية فإن شركات التأمين ملزمة بأن يكون لها رصيد من الأموال في الاحتياط ويكون هذا الاحتياطي من الأموال على وجوه تقنية يميز بينها القانون فمنها ما هو رصيد الضمان الذي هو القاعدة الأولى لإقامة شركة للتأمين ومنها ما يدعى بالاحتياطي التقني ومنها الاحتياطي الحسابي ومنها الاحتياطي لما بقي بذمة المؤمِّن من التعويض والاحتياطي للآفات الجارية، ثم من هذا الاحتياطي ما هو معمم على جميع أنواع التأمين ومنها ما هو خاص ببعضها فقط، فالاحتياطي الحسابي مثلا خاص بالتأمين على الحياة وبحوادث الشغل وذلك لاعتماده حساب المحتملات وجداول الحياة التي تمكن المؤمِّن من تحديد قيمة أقساط التأمين بكل دقة كما تمكنه من أن يتوقع عدد الوفيات في سنين معينة على الإجمال بأتم وجوه المقاربة، ولذلك حرص المشرع على أن لا يرخي العنان للشركات في هذا المضمار فقيدها بهذا النوع من الاحتياط المالي.

على أن للمجتمع فائدة أخرى من حصر هذه الأموال في احتياطي الشركات وذلك لأن هذه الأموال وسيلة من وسائل الادخار الوطني فلا يمكن الاستخفاف بها لا في الدول الراقية ولا بالأحرى في الدول النامية التي تعوزها الأموال القابلة للاستثمار وبناء على ذلك فإن الأموال المرصدة للتأمين تعتبر مؤشراً من مؤشرات النمو العام، فعلى سبيل المثال لقد صرف الياباني والسويسري سنة 1988، 2320 دولاراً في التأمين وصرف الأمريكي في الولايات المتحدة 1751 دولاراً والفرنسي 933 دولاراً بينما لم يصرف المغربي من ذلك سوى 17 دولاراً، وهذا دليل على البون في النمو من خلال كثافة التأمين. ومع ذلك فإن السوق المغربية للتأمين لا تفتأ تتقدم ويقدر أنها نمت في الثمانينات بنسبة 15٪ سنويا مع تقدم مطرد في الاحتياطي التقني الذي ارتفع من 5.93 مليون درهم سنة 1983 إلى 11.345 مليون درهم سنة 1988، وهذه الأموال مما يغذي حركة الاستثمار في البلاد إذ تساهم شركات التأمين بإيعاز من الدولة إما في الاستثمارات العقارية وإما في سندات الخزينة العمومية وإما في الأسهم المعروضة في البرصة. ولكن السوق المغربي يبقى مع ذلك معرضا لسوء التوازن من جراء كثرة حوادث الشغل والسير وتعويضات الضمان الاجتماعي التي تزداد تفاقماً لما يشتد من آفاتها في ساكنة متواضعة الدخل فقيرة. وهكذا ليس التأمين مجرد مقياس للنمو فحسب وإنما هو أداة من أدواته بما يستثمر من الأموال المذخرة في صناديقه في القطاعات التي تحظى بالأسبقية.

*الجريدة الرسمية المغربية* ؛ عبد العزيز فهمي هيكل، *مقدمة في التأمين*، دار النهضة العربية، بيروت، 1980 ؛ إدريس الضحاك، *التأمين الاجباري للسيارات*، الطبعة الثانية، الرباط، 1989 ؛ سعيد بن سعيد العلوي، *الاجتهاد والتحديث : دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب*، منشورات مركز دراسات العالم الاسلامي، 1992.

Z. Nasri, *Le droit de l'assurance au Maroc*, Rabat, 1984 ; *Annuaire des assurances du Maroc*, 1991, Casablanca, 1992.

إبراهيم بوطالب

**تَّانَاسة**، أسرة أصلها من الأندلس، كانت بتطوان وانقرضت سنة 1144 / 1732، وهي غير أسرة تْناسة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 212.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

**تَانَانْتْ**، موقع بدائرة أبزُو إقليم أزيلال، يقع بالسفوح الشمالية للأطلس الكبير الأوسط، وتستقر به جماعة قروية تنتشر فوق منخفض واسع يمتد بين سفوح الجبال المتوسطة للأطلس الكبير ومتون مقدمة الأطلس، تشرف على الحوز الشرقي وسهل السراغنة. يتميز المنخفض بتوالي طبقات كلسية نافذة بالأعلى وطبقات غير منفذة من الـحُث الجوراسي والطفل بالأسفل مما ساعد على ظهور عيون خاصة عند الحافات المشرفة على الوديان والمسيلات، تبلغ مساحة الجماعة 267 كلم$^2$ لكنها نقصت بعد تعديل إداري جديد سنة 1992 أدى إلى تكوين جماعة جديدة : أيت تاگلة التي كانت مشيخة بهذه الجماعة بعد ضم أراضي مشيخات أخرى لجماعات مجاورة.

ينتمي السكان إلى قبيلة هنتيفة إحدى قبائل اتحادية هسكورة الظل. وقد كانت مكونة منذ أيام الموحدين لكن ما عرفته المنطقة من أحداث صعبة وتوالي فترات رخاء ومجاعة وما ترتب عنهما من حركات توافد ونزوح أدى إلى اختلاط سكاني واللهجة البربرية المستعملة خليط من تاشلحيت وتامزيغت. وينعكس الاختلاط البشري على توزيع الأراضي والأنشطة، فالسكان القدامى يمتلكون الأراضي الزراعية وخاصة الرساتيق المروية بينما يحترف الوافدون الجدد تربية المواشي وأنشطة غير فلاحية.

ويواجه النشاط الفلاحي ظروفاً طبيعية صعبة تتمثل في فقر التربة الزراعية التي توجد على شكل رقع رقيقة بقعور الأحواض واستفحال الجفاف مما أدى إلى تدهور البيئة وتقلص المساحات الغابوية المتبقية على السفوح الوعرة والأراضي المحجرة. ويطرح الماء مشكلا حاداً، فالأمطار قليلة وغير منتظمة 250 ـ 400 ملم / سنة. وباستفحال ظاهرة الجفاف خلال عقد الثمانينات جف الكثير من العيون والآبار القديمة بالكثير من الأحواض فتحول كثير من البساتين إلى

أراض بورية جرداء، كما تناقص عدد قطعان المواشي كثيراً. ويمارس السكان زراعة بورية خفيفة للحبوب وزراعة أشجار اللوز البوري وفي بعض المنخفضات، خاصة منخفض تيرست بجوار مركز تانانت، حيث توجد تربة أغنى وفرشات محلية صغيرة ظهرت ضيعات صغيرة تهتم بزراعة القمح والخضر والأشجار المثمرة، خاصة اللوز والتفاح الذي عرف توسعاً كبيراً في السنوات الأخيرة، كما تربى بعض الأبقار الحلوب المستوردة والمهجنة، ومازالت تربية الأغنام والماعز تكتسي أهمية كبيرة إذ تقدم السفوح والأراضي الكلسية المحجرة والأحراج مراعي واسعة. وهناك تباين كبير في ملكية الأرض، فحوالي 35٪ من القرويين لا يملكون أرضاً، مما يوجههم لتربية المواشي الصغيرة وزراعة مشارات بالمشاركة ويدفع هذا الوضع الكثير من الشباب إلى الهجرة، وهذا ما جعل عدد سكان الجماعة ثابتا بين إحصائي 1971 و1982 إذ بلغ خلال الإحصاءين على التوالي: 13.617 نسمة و13.629 نسمة. يتوزعون في خمس عشرة قرية منها عدد من القرى الكبيرة مثل بوحرزان 2.789 ن وتانانت بلغت الكثافة بها 51 ن / كلم2 لكن السكان يتجمعون فوق جزء ضئيل من المجال : المناطق المستوية المروية بحواشي الحافات وضفاف الوديان وقعور الأحواض.

لقد اعتاد الشباب على الهجرة منذ عهد الحماية حيث هاجر بعضهم إلى العمل بفرنسا كما تجند الكثيرون بالجيش الفرنسي "الكوم"، ويوجد اليوم بالجماعات مآت المتقاعدين العسكريين. وما زال هذا التقليد مستمراً إذ يعمل الكثير من الرجال كجنود بالجيش وكعمال أو موظفين وأصحاب خدمات بالمدن الكبرى. ومع أن الكثير من المهاجرين لا يرجعون للاستقرار الدائم بقراهم فإنهم يرسلون أموالا إلى ذويهم مما جعل آباءهم يهملون زراعة المشارات الضعيفة المردودية. ويستثمر بعضهم أموالهم في إنشاء ضيعات خاصة بمنخفض تانانت حيث حفر أربعة عشر بئراً بمضخة وغرست الأشجار مما قلص مجال الرعي، وترتب عن هذا تفكك الهياكل القبلية وضعف التآزر العائلي ونمو مسلسل التمدين الاجتماعي المتمثل في تطور السكن بظهور منازل مبنية بالإسمنت وسكن متشتت ومراكز قروية جديدة بجانب طرق المواصلات المعبدة.

أنشأت سلطات الحماية مركز تانانت سنة 1916 كقاعدة عسكرية إدارية لمراقبة السكان والطرق، كان السكان المحليون يعرفونه باسم القشلة، وذلك بمنفسح غابوي كان يصنع به الفحم الخشبي غير بعيد عن قرية تعرف بنفس الاسم كانت في فترة ما مركزاً لقائد نتيفة. ويفسر السكان لفظ تانانت بمعنى الغابة أو منفسح غابوي. وكانت في المركز ثكنة لجنود الكوم وبه أيضاً ضابط عسكري فرنسي أيام الاستعمار للشؤون الأهلية ومطار عسكري صغير وسكن الجنود وبعض الموظفين.

يشرف المركز من موضعه الهضبي المرتفع على أحواض منخفضة وملتقى طرق مهمة ولا يبعد عن الواد الأخضر إلا ببضعة كيلومترات. واستفاد المركز مبكراً من تجهيزات إدارية كمقر القائد ومنازل الموظفين مازال بعضها محافظا على سقفه المزدوج الميل المصنوع من الآجر الأحمر ومدرسة ومستوصف ومركز بريدي ومحطة لبيع البنزين... وأقيم به مؤخراً مركز فلاحي ومركز الجماعة القروية كما زود منذ عدة عقود بالماء الشروب جلب من بئر عميقة مجهزة ببرج مياه وبالكهرباء وارتبط بطرق معبدة بدمنات وابزو وأزيلال، وأخيراً سد أيت شواريت "الحسن الثاني" الذي يبعد عنه باثنين وعشرين كلم.

وحافظ المركز على أهميته الإدارية في عهد الاستقلال لكن دون أن يكتسب أهمية تجارية، فمازالت دكاكين سويقته قليلة (20 دكانا) لا يفتح معظمها سوى يوم السوق، وربما يرجع هذا إلى قربه من مراكز مهمة عديدة كدمنات وفم الجمعة ومركز أيت ماجطن. وينعقد به سوق أسبوعي يوم الأربعاء نقل من مكانه القديم مؤخراً من سافلة المركز حيث أنشئت تجزئة سكنية إلى موضع بعاليته لا يتوفر على أي تجهيز فمازال السوق ينعقد فوق مساحة فارغة بها أكواخ بسيطة وتقام بها خيام يوم السوق.

بلغ عدد سكان المركز 1.055 نسمة (1982) منهم حوالي 120 موظفاً، لكن المنازل مازالت قليلة يتجمع جلها بجانب الطريق الثانوي المعبد الذي يكوِّن ثنية حادة صاعدة بالإضافة إلى مقهى ومحطة بنزين ومنشآت إدارية ودكاكين تجارية ومهن مما يعطي للمركز منظرا حضرياً. وكثير من الموظفين والتجار وأصحاب المهن يسكنون بدواوير مجاورة وبمنازل مشتتة بين المركز والدواوير على طول الطرق والمسالك، ويبدو أن المركز يعاني أزمة سكن مما دفع المسؤولين إلى تجهيز تجزئة سكنية بنيت بها منازل على الطراز المعماري الحضري، لكن معظمها في ملك المهاجرين وبعض الموظفين، كما أنشأ البعض سكنا وسط ضيعات صغيرة حديثة بجوار المركز.

بحث ميداني ؛ *معلومات من المرشد الفلاحي بتانانت* ؛ *بحوث طلبة السنة الرابعة في الجغرافية*، كلية الآداب، مراكش.

أحمد هوزالي

* * ترجع بداية ذكر تانانت في التاريخ إلى القرن الثاني عشر (18 م)، حيث غدت مركزاً صوفياً وعلمياً على أيدي بعض الأعلام الذين تتلمذوا على الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي منهم إبراهيم أشخر السوسي المتوفى سنة 1147 / 1735 (*الدرة الجليلة*، 266)، وإبراهيم الزينبي الذي لم يغادرها إلا تحت وطأة المجاعة التي ضربت المنطقة في السنة المذكورة (*الدرة الجليلة*، 267)، والعالم محمد بن أبي القاسم الهوزالي المتوفى بالوباء الواقع في تلك الجهات سنة 1155 / 1642 (*الدرة الجليلة*، 270). وربما تأسست في تانانت زاوية تابعة للناصريين، ومحطة في طريقهم بين دمنات وباقي المراكز الصوفية الناصرية بكل من فم الجمعة وبزو وتاعزيت، قبل مواصلة الطريق نحو شمال البلاد.

وظلت تانانت منزلة في الطريق السلطانية المارة عبر

دمنات نحو تادلا. فقد نزل بها السلطان مولاي الحسن في نهاية سنة 1304 / 1887، وخيم بتيرست أطار، حيث استمع إلى شكاوي أعيان قبيلة أيت ماجطن، حول اعتداء هنتيفة الساكنين بتانانت عليهم، الشيء الذي جعله يصدر ظهيرا يقطع بمقتضاه البلدة المذكورة لأيت ماجطن (*المجتمع المغربي*، 132). ولعل في هذا العهد أصبحت تانانت مركزاً لقيادة عائلة أُشطو.

وبعد توقيع الحماية توقف بها الاكلاوي أثناء حركته الكبرى على المنطقة. وبها قدمت عليه أيضا وفود القبائل التي تم تطويعها (*المجتمع المغربي*، 610). ومن ثم صارت تانانت مركزاً لقيادة المنطقة، فتم نقل مقرها، تحت تأثير العامل الأمني، إلى المركز الحالي الموجود شرقي الموقع القديم - حيث منزل القائد أو شطو - بسبب إشراف الموقع الجديد على كل المنطقة تقريبا. وأسند النظر في أمورها إلى ضابط للشؤون الأهلية، تابع لمنطقة أزيلال العسكرية (*Répertoire*, 750).

كانت قرية تانانت المقام الذي مكث به "إميل لاووست"، حيث جمع معظم مادة كتابه *كلمات وأشياء بربرية* (*Mots et choses berbères*)، في السنوات الأولى للحماية (*المجتمع المغربي*، 38). وصنفت تانانت حسب إحصاء 1936 كقصر معظم سكانه من اليهود. ولعل المقصود هنا هو قصر تانانت القديمة. وماتزال تانانت إلى يومنا هذا تتكون من مركزين ؛ النواة القديمة الكائنة في الغرب، والمركز الإداري الجديد، الواقع عند ملتقى الطرق، وهو الذي تم تأسيسه من طرف الفرنسيين لإدارة المنطقة (*Répertoire*, 467).

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي*.

*Répertoire.*

أحمد عمالك

**تَانْتَايَشْ**، قرية مندثرة تحدثت المصادر البرتغالية عن غزوها ووجودها بحوز القصر الكبير بين مجرى واد اللكوس وواد وارُور، وذلك خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، وآنذاك كانت تانتايش قرية آهلة وواقعة بالجانب الشرقي من حوز القصر، بجوار كدية عالية، تدعى اليوم سيدي أحمد الحَداجَل (165 م)، مشرفة على واد وارُور، عند أول انحرافه نحو الغرب، مما يقابل أولاد الطليگ من جهة وأولاد الحارثي من ناحية أخرى. تعرضت القرية للغزو البرتغالي بتعاون بين جنود كل من أصيلا وطنجة خلال سنة 921 / 1515، وبمساعدة من المتنصرين : الفكّاك و"گُنْزالو دي ڤاز والگرفطي وپيرو دي منيسس العروسي"، فتم أسر خمسة وخمسين ساكناً وجمع أكثر من ألف رأس بقر، مما حث أحمد بن طلحة العروسي قائد القصر الكبير (1511 - 1530) وأمين الغرناطي (1510 - 1516)، قائد العرائش لتنظيم غارة على أصيلا في محاولة للحصول على الأسرى البرتغاليين لاستبدالهم بأسرى القرية.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري*، 2 : 433.

B. Rodriques, *Anais de Arzila*, 1 : 139 - 141 - 145 - 341 ; Damiao de Gois, *Cronica de Rei D. Manuel*, 2 : 10.

**تَانْدَافْل** أو تندافل، قرية مازالت محتفظة بنفس الاسم والموضع منذ أن عرّفنا بها صاحب حوليات أصيلا البرتغالي برْنارْدو رُودْريكسْ في بداية القرن العاشر (16 م)، حينما كانت القرية ضمن ما كان يدعى بحوز أصيلا. والقرية واقعة جنوب أصيلا ضمن فرقة قبيلة الساحل الشمالي، بجوار قريتي الحُمُر والعقبة.

كانت قرية تاندافل، قبل استقرار البرتغاليين بأصيلا (876 / 1471) تحت نظر أسرة أحد أشياخ الخلط المدعو الشيخ ناصر. وفي سنة 920 / 1514 كان الشيخ بالمكان تحت حماية أصيلا البرتغالية. وعدّ حكام أصيلا قرية تاندافل (Tendefl) إحدى الطلائع الهامة المستغلة لاستطلاع ميدان قبيلة الساحل الجنوبي الذي منه مطلع رجال القصر الكبير لغزو أصيلا، كما أن المغاربة اعتادوا الوصول إليها لمراقبة ميدان أصيلا المتصل بواد الحلو وروافده بوگنون.

*ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 51 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 354.

B. Rodriques, *Anais de Arzila*, 1 : 107 - 108 - 143 - 145 - 178 - 201 - 204 - ; 2 : 37 - 53 - 154 - 218 - 262 - 266.

حسن الفگيگي

**تانزولين ← تينزولين**

**تَانْسِيطَة**، إمارة قامت بدرعة في مطلع القرن العاشر (16 م) وتنتسب إلى بقايا الهساكرة، كما كانت تستند إلى قبائل أيت وَاوْزْگيتْ التي كانت مجالات انتشارها آنذاك تتداخل مع القبائل الهسكورية في المناطق الممتدة من ورزازات شمالا إلى فم زاگورة جنوبا.

وردت أول إشارة إلى إمارة تانسيطة في كتاب *وصف إفريقيا* للحسن الوزان (ج 1 : 136 - 137)، والسؤال الذي يفرض نفسه هو كالتالي : أين وجد مقر هذه الإمارة ؟ هل يمكن القول إنها كانت توجد بترناتة على اعتبار أن قصرين من قصور هذه الواحة لا يزالان يحملان اسم تانسيطة إلى اليوم ؟ وهل كان موقعها بواحة تينزولين على اعتبار أن إحدى العائلات القديمة بقصبة المخزن ورباط تينزولين لا تزال لها بقية مزوارية بهذين القصرين ؟ وقد أفادتنا الوثائق التي جمعناها من العائلة المزوارية بهذين القصرين أن أسلافها كانوا يتوارثون حكم واحة تينزولين منذ القرن العاشر (16 م) ولم يخرج الحكم من حفدة المزواريين إلا مع بداية الاستقلال، إلا أن هذه المعطيات لا تسمح لنا بالخروج برأي قاطع حول وجود إمارة تانسيطة بواحة تينزولين. وأخيراً هل يمكن القول بأن مقر إمارة تانسيطة كان يوجد بواحة مزگيطة كما توحي بذلك بعض القرائن المحلية ؟. يذكر الحسن الوزان أن جبل تانسيطة يقع بين جبل دادس شرقا وجبل أيت واوزگيت غربا، ويعج بالسكان، ويشتمل على خمسين قصرا مبنيا بالصلصال والآجر النيئ، أُقيمت

على طول نهر درعة لكنها تبعد عنه. وينبت النخيل في معظم هذا الجبل (*وصف إفريقيا*، 1 : 136 ـ 137).

وانطلاقا من هذه المعطيات ندرك أن موقع إمارة تانسيطة، يوجد بنقطة مَّا بواحة مزگيطة الواقعة في أعلى درعة، حيث لا تزال الجهة الشمالية من هذه الواحة تعرف إلى اليوم بأفْلاَنْدْرَى (أعلى درعة)، بل إننا إذا ما حللنا المعطيات التاريخية وقارناها بالمعطيات الطبيعية لواحة مزگيطة نلاحظ أنه بالرغم من كل العناصر التي ترجح أن يكون موقع إمارة تانسيطة في قصر ما من قصور مزگيطة، فإننا لا نستبعد أن يكون مقرها أيضا بواحة تينزولين، ذلك أننا إذا ما أخذنا المواصفات التي حددها الحسن الوزان لجبل تانسيطة نلاحظ أنها قريبة الشبه أيضا بواحة تينزولين التي يحفها جبل بوزروال من الناحية الشرقية ويتصل كذلك بجبل دادس، كما يتصل من الناحية الغربية ببلاد أيت واوزگيت، ويقدر عدد قصورها بحوالي خمسين قصرا. ويجد هذا الافتراض ما يدعمه عند مارمول الذي ذكر بأن هذه الإمارة تحد من الجنوب بصحراء درعة.

هكذا يتضح أنه من الصعب الخروج برأي قاطع في تحديد موقع القصر الذي كانت تتخذه إمارة تانسيطة مقرا لها في مطلع القرن العاشر (16 م)، لكن الشيء المؤكد أن هذه الإمارة كانت تمارس نوعا من السلطة على سكان واحات ترناتة وتينزولين ومزگيطة. وقد كانت على قوة عسكرية يقدر عدد محاربيها بحوالي ألف وخمسمائة فارس ومثل ذلك من المشاة (*وصف افريقيا*، 1 : 136)، وهو جيش قوي كاف لإخضاع كل واحات درعة. كان رئيس هذه الإمارة في مطلع القرن العاشر (16 م) تربطه بالسلطان محمد الوطاسي علاقة ولاء شكلية، إذ كان هذا الرئيس يبعث إلى سلطان فاس بالهدايا السنية وتجديد البيعة، وبالمقابل كان محمد الشيخ الوطاسي يمده بالسلاح والخيل والسروج المطعمة بالذهب.

ونستفيد من إشارات الحسن الوزان أن إمارة تانسيطة كانت تتمتع برخاء اقتصادي كبير (*وصف افريقيا*، 1 : 137) مما يدل على أن رئيسها كان يتحكم في الطريق التجاري الذي يربط بين وادي درعة وبلاد السودان في مطلع القرن العاشر (16 م).

أما فيما يتعلق بعلاقة إمارة تانسيطة بالدولة السعدية فلا بد من الإشارة إلى أن السعديين كانوا يعيشون بواحة فزواطة قبل انتقالهم إلى سوس، ومن الصعب جدا استبيان ما إذا كان للسعديين قبل رحيلهم من درعة علاقة بإمارة تانسيطة أم لا، كما أننا لا نعرف أي شيء عن موقف أمزوار تانسيطة تجاه الحركة السعدية في بداية أمرها، وكل ما نعرفه أن المزوار ابن عمرو، رئيس إمارة تانسيطة، قد حاول مقاومة نفوذ السعديين بدرعة ووصل به الأمر إلى حد التحالف مع برتغاليي أگادير ضد الدولة السعدية الفتية (*L'Afrique*, 1 : 446). وليس من المستبعد أن يكون لموقف ابن عمرو وتحالفه مع البرتغاليين علاقة بولاء الإمارة لوطاسيي فاس، إذ يكون القصد من هذا التحالف هو التشويش على السعديين وإرغامهم على العودة إلى الجنوب لتخفيف وطأتهم على المتسلطين بفاس. كما أنه ليس من المستبعد أن يكون بدافع فردي للحفاظ على مصالح الإمارة بدرعة، أو أن البرتغاليين قد تحالفوا مع ابن عمرو للتشويش على السعديين بوادي درعة لصرف أنظارهم عن التفكير في محاصرة أگادير (*التاريخ الاجتماعي لدرعة*، 151). وكيفما كانت الأسباب والدوافع التي جعلت إمارة تانسيطة تحاول مقاومة السعديين بدرعة، فإن المزواريين قد أعلنوا ولاءهم في نهاية الأمر لسلاطين الدولة السعدية. ويظهر من بعض إشارات مارمول أن السعديين قد حاولوا الاستفادة من خبرة العائلة المزوارية في الميدان الإداري، حيث نجدهم قد عهدوا لحمو بن علي المزواري بإدارة مدينة تارگالة نظرا لموقعها بباب الصحراء ولأهميتها التجارية (*إفريقيا*، 3 : 150).

ح. الـوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مـارمـول، *إفريقيا*، ج 2 و3 ؛ أ. البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي لدرعة*، د.د.ع. الرباط، 1988.
D.J. Meunié, *Le Maroc Saharien* ; Marmol, *L'Afrique*.

أحمد البوزيدي

**تَانْسِيفْتْ**، اسم نهر وحوض نهري واسم جهة اقتصادية بالجنوب المغربي الاطلنتي. وتانسيفت في لهجة الشلوح هي مؤنث أسيف أي النهر أو الوادي.

تبلغ مساحة حوض تانسيفت 17.600 كلم$^2$ وطول الوادي 270 كلم، ومعدل تصريف النهر السنوي 760 مليون م$^3$ ينبع من شرق الحوز برأس العين، ويتلقى أهم روافده بضفته اليسرى من السفوح الشمالية للأطلس الكبير الغربي الذي تتميز بنيته بتنوع صخور الزمن الأول وما قبل الگمبري وهي إما صخور صلبة اندفاعية وگرانيت وحث وتكوينات بركانية وبلورية تكون القمم والسفوح العليا 2000 ـ 4000 م وإما صخور هشة : طين وطفل وشيست ورصيص قاري تُكون الأحواض ومقاطع الأودية العريضة. وتُكون صخور الزمنين الثاني والثالث الجيولوجيين الهوامش الجبلية ومعظمها صلب : كلس وحث وشيست وكوارتزيت. وبسبب تهدل سهل الحوز في النيوجين تعمقت الأودية في مجاريها مكونة خوانق تنتهي عند خروجها إلى السهل بمخاريط انصباب واسعة تتلاقى غالبا مكونة حادورا ومنطقة فلاحية هي التي تعرف بالدير. والأودية هي اللاره الذي يعتبره البعض منبع تانسيفت الأصلي باعتباره أبعد مجرى عن مصبه، وأودية غدات والزات وأوريكا وإسيل وغيغاية ونفيس والمالح وشيشاوة، وهي أهم مغذ له لأن مجاريها الجبلية تتلقى أمطاراً كافية : 500 ـ 600 ملم / سنة. وتساعد الثلوج المتراكمة فوق القمم والغطاء الغابوي والصخور المسامية والمفتتات المتراكمة على بعض المنحدرات على ضمان تصريفات صيفية لا بأس بها. ويجتهد السكان في ابتكار أساليب استغلال مياهها في الري بحيث لا يصل منها شيء إلى تانسيفت صيفا. أما بالضفة اليمنى

الشمالية فلا يتلقى سوى مسيلات أهمها واد بوالروس الذي ينبع من الجبيلات وهي سلسلة هرسينية قديمة : شيست وكوارتزيت.. لا يتجاوز علوها 1000 م.

أما سهل الحوز، وهو أوسع جزء من حوضه، فإنه تغطيه رواسب قارية رباعية وسحنات من الكلس المستنقعي فوق طبقات رسوبية ترجع إلى الكريطاسي والأيوسين توضعت فوق ركيزة هرسينية من الشيست والكوارتزيت وتظهر في بعض الأماكن كجبل گيلز بمراكش. ولا يتلقى واد تانسيفت هنا سوى مسيلات قصيرة تجري مياهها بعد سقوط الأمطار عدة ساعات أو أيام لأن أمطاره قليلة : 200 . 300 ملم. بل إن الوديان الجبلية تفقد جزءا مهما من مياهها بالتبخر لجفاف الجو والتسرب، إذ تغذي مياهه الجوفية. ويظهر بحافة الضفة اليسرى بعض العيون التي تساهم في تغذيته صيفا إن لم تستغل في الزراعة. والواقع أن كل مياه الوديان والعيون بالحوز تستغل في الزراعة صيفا وفي تزويد المراكز الحضرية، وأقيمت عليها منشآت مائية متنوعة، إذ تحولت البراري السهبية للحوز إلى منطقة زراعية منذ أجيال. فلا يبقى بتانسيفت أي جريان صيفي إذ يتحول إلى برك متقطعة. ولم يعد يصل من مياهه إلى البحر سوى مياه الفياضانات الشتوية والربيعية القوية. وتتميز مياهه هنا صيفا بملوحتها نظرا لوجود سحنات ملحية بضفاف مجراه بسهل الحوز الأوسط.

ونظرا لفيضاناته القوية وكثرة الرواسب الذي يتلقاها من الوديان الجبلية فإن مجراه يتميز بسرير عريض (500 إلى 1000 م) تغطيه الرمال والحصى وتنبت به شجيرات "الطارفة" وغيرها على طول 130 كلم، من بنساسي إلى مركز جماعة العروسي. وعند خروجه من سهل الحوز يقطع هضبة الشياظمة : كلس جوراسي يتعمق فيه الوادي، ثم يعبر جزءاً من سهل عبدة وتلال ساحلية متحجرة أو متحركة، ولايتلقى هنا أي رافد باستثناء مسيلات صغيرة ذات جريان عرضي لأن حوضه هنا ضيق والأمطار قليلة، (300 ملم)، والتبخر والتسرب كبيرعبر سحنات مسامية ثلاثية ورباعية. ويصب تهر تانسيفت جنوب مدينة أسفي قرب قصبة الحمدوشية بمصب عريض تغلقه الرمال غالبا بشاطئ رملي منخفض تكتسحه أشجار غابوية، تحول إلى مصطاف لأهل أسفي في الصويرة القديمة.

تانسيفت جهة اقتصادية : أحدثت بالمغرب سنة 1971 في إطار تقسيم جهوي يهدف لتكوين وحدات مناسبة للتدخلات الاقتصادية والانتعاش الإقليمي. تتكون جهة تانسيفت من أربعة أقاليم هي مراكش وقلعة السراغنة وأسفي والصويرة، تبلغ مساحتها 38.445 كلم$^2$، وتضم مائة وعشر جماعات قروية وسبع جماعات حضرية. تتكون من أربعة مجالات جغرافية : منطقة جبلية تشمل معظم السفوح الشمالية والغربية للأطلس الكبير الغربي وسهلي الحوز والبحيرة وجزء من سهل تادلا، وجزء من الهضاب الأطلسية والسهول الساحلية حيث يشرف على واجهة بحرية (230كلم). وباستثناء المناطق الجبلية التي تعرف تساقطات معتدلة (400 . 600 ملم) فإن الجهة يسودها مناخ شبه جاف حار صيفا قليل الأمطار (200 إلى 400 ملم)، يضم أكثر مناطق المغرب الأطلنتي جفافا (قعر الحوز : 150 . 200 ملم). فهي جهة تتميز بتباين طبيعي كبير سواء من حيث الارتفاع أو الأمطار أو المؤثرات الصحراوية والمحيطية مما ينعكس على الموارد الاقتصادية والحياة الاجتماعية. ويكون حوض تانسيفت بروافده العديدة العنصر الموحد تضاريسيا للجهة، وإن كان أم الربيع يمثل كذلك عنصرا حيويا لأن الجزء الأكبر من الحوز الشرقي وتادلا يدخل ضمن حوض أم الربيع.

وتضم جهة تانسيفت مجموعات قبلية ضعيفة التجانس هي عبدة والشياظمة وحاحة بالغرب واحمر والرحامنة بالشمال والسراغنة بالشرق ومجموعات قبلية مجزأة من البربر بالجنوب الجبلي هي متوگة وگندافة وأوريكا ومسفيوة وفطواكة. يبلغ سكان جهة تانسيفت 3.345.000 نسمة (سنة 1988) بكثافة 87 ن / كلم$^2$ وهي كثافة تعرف تباينا كبيرا ما بين 150 ن / كلم$^2$ في الجماعات القروية بالدير والمناطق المسقية سواء بالسهول الداخلية أو الأطلنتية وضواحي المدن الكبرى خاصة مراكش إلى 30 ن / كلم$^2$ أو أقل بالتلال والسهول الجافة : الرحامنة وأحمر والجبيلات وبعض المناطق الجبلية العالية. وتتميز الجهة بهيمنة مدينتين كبيرتين هما مراكش (440.000 ن) وأسفي (197.000 ن) (1982) ومدينتين متوسطتين : الصويرة والقلعة، وأربع عشرة مدينة صغيرة تكون شبكة حضرية غير متراتبة. وتبلغ نسبة الحضريين 31.77٪، وهي دون المعدل الوطني (42٪) مما دفع السلطات إلى تدعيم حركة التمدين وتحويل عدد من القرى إلى مراكز حضرية تلبي حاجيات السكان إلى التمدين أملا في كبح جماح الهجرة الريفية نحو المدن الكبيرة أو خارج الجهة.

يعتمد اقتصاد الجهة أساساً على الزراعة التي عرفت انتعاشا بنطاقات الري الحديث وعلى تربية المواشي الصغيرة بالمناطق الجافة والجبال والأبقار بالمناطق المسقية. أما الزراعة البورية للحبوب فإنها تعاني من شح الأمطار وتذبذب كمياتها من سنة لأخرى، وهناك نشاط معدني لا بأس به : فوسفاط باليوسفية وبنگرير، وباريتين بالأطلس الكبير والجبيلات ومعادن أخرى قليلة.

أما الصناعة العصرية فمازالت ضعيفة وهي تتمثل في الصناعات الغذائية بكل من مراكش : معالجة الفواكه والخضر، ومن الأسماك بأسفي والصويرة، والصناعات المرتبطة بالفوسفاط باليوسفية وبنگرير وأسفي حيث بني مركب مهم للصناعات الكيماوية. وتعاني الجهة بصفة عامة من ضعف إمكانياتها الطبيعية واضطراب أوضاعها الاقتصادية بسبب تعرضها لأزمات الجفاف وقلة المياه وانعدام موارد الطاقة وضعف التصنيع وضعف مستوى التكوين المهني. وقد كانت هذه المنطقة سابقا تابعة إداريا لمراكش : عاصمة الجنوب، لكن لوحظ أنه لم يبق بين

أطرافها علاقات قوية بعد تطبيق سياسة اللامركزية الإدارية وانفصال إقليم أسفي عنه سنة 1967، والصويرة سنة 1973، وقلعة السراغنة سنة 1975. إذ تتجه الأقاليم المكونة حديثا إلى ربط علاقات اقتصادية مع العاصمة الاقتصادية الدار البيضاء مباشرة. ولخلق نوع من الاندماج الاقتصادي الإقليمي والجهوي.

تتكون جهة تانسيفت من أقاليم طبيعية متنافرة : أودية جبلية ودير مسقي وسهول داخلية شبه جافة وهضاب أطلنتية وسهول ساحلية تتميز برطوبة نسبية وذلك بهدف خلق تبادل وتكامل بين الأقاليم، ولكن يلاحظ أن عملية خلق التيارات الاقتصادية بين أطراف الجهة لازالت تتعثر بين اجتذاب قطب الدار البيضاء وقطب الجنوب النامي : أگادير، كما أن شبكة المواصلات الحديدية والبرية ينقصها الطول والاندماج، فمحاورها الرئيسية تتجه إلى الدار البيضاء.

وعلى المستوى الفلاحي فإن تخلف أساليب الزراعة واضطراب أحوال الطقس من سنة لأخرى يؤدي إلى ضعف الاستثمارات بها وبالتالي ضعف الإنتاج الذي لا يسد الحاجيات المحلية في المواد الأساسية اللهم إلا في الفواكه والخضر التي يختص في إنتاجها، ضمن زراعة تسويقية، عدد من النطاقات المسقية الحديثة والتقليدية : 300.000 هـ، إذ يتميز كل من إقليم مراكش وقلعة السراغنة بتوفرهما على نطاقات مسقية واسعة ومنشآت ري مهمة : خطارات وسدود وشبكة القنوات وضخ ميكانيكي. وتتوفر الجهة على 1.5 مليون هـ من الأراضي الصالحة لزراعة الحبوب البورية، إلا أن قلة الأمطار وعدم انتظامها يجعل إنتاجها ضعيفا. لكنها توفر بالإضافة إلى المناطق الجبلية مراعي واسعة للمواشي الصغيرة : 3.5 مليون رأس.

وهناك تبادل تجاري مهم على مستوى المنتوجات الغذائية، وباستثناء الصناعات الاستخراجية المنحصرة بالمناجم فإن الصناعات العصرية وكذلك التقليدية تتركز في المدن الكبيرة والمتوسطة. فمدينة مراكش وحدها تستأثر بنصف عدد عمال الجهة لكنها تقتصر على صناعات غذائية وخفيفة وتقليدية كما تستأثر أسفي بثلث عدد العمال وهم يتركزون في نشاط رئيسي هو معالجة الأسماك، خاصة السردين وفي الصناعات الكيماوية. أما الصويرة فنسبة عدد عمالها في هذه الجهة هو الثُّمن وهم يعملون في معالجة الأسماك والصناعة التقليدية ومنها صناعة الجلود. وكل هذه الصناعات هشة وموسمية، لا تحتاج إلى خبرة عالية وهي تذر على العمال أجورا زهيدة، وتفتقر سلسلتها إلى حلقات مهمة كالصفيح بالنسبة للتعليب وحامض الفوسفور المستورد لصناعة الأسمدة الفوسفاطية والنسيج للخياطة ومواد متنوعة للصناعات الخفيفة. وتبذل جهود لتقوية التيارات التجارية بين الجهة وميناءها الكبير أسفي حيث صارت توجه إليه كل معادن الجهة.

وتعرف الجهة نشاطا سياحيا متزايدا لكنه يتركز أساسا في مدينة مراكش وجبالها وبنسبة بسيطة في مدينة الصويرة. وحقق هذا النشاط توسعا مهما في السنوات الأخيرة خاصة بمراكش حيث بلغت قدرتها الإيوائية 11.350 سريرا و59 مؤسسة مصنفة (1988) وهذا مقابل 368 سريرا بالصويرة و562 سريرا بأسفي. ويلاحظ أن السياحة الداخلية بدأت تلعب دورا متزايدا : اصطياف المراكشيين بالصويرة والوليدية، وزيارة مراكش وبعض المراكز الجبلية : مولاي إبراهيم وأوريكا وأوكايمدن من طرف سكان السهول والسواحل. لكن هذه الحركة لازالت تنحصر في معظمها بين الحضريين. ولازالت الجهة تعاني من تباين المعطيات الطبيعية، فهي تتكون من قطبين اقتصاديين مهمين بهامشها الغربي الاطلنتي والجنوبي الشرقي بالدير يفصل بينهما نطاق انتقالي شبه جاف قليل السكان، إلا أن تنوع المؤهلات والمنتجات يربط جهات المنطقة بعلاقات تبادل تكاملية تنمو باطراد، كما دعمت الجهة بعدد من الأجهزة الإدارية والقوانين لخلق شخصية إقليمية جهوية.

*بحوث السنة الرابعة (جغرافية) لطلبة كلية الآداب بمراكش.*

*Région économique de Tensift*, Ministère de l'Habitat, Rabat, 1981 ; O.R.M.V.A.H., *Les ressources naturelles et la mise en valeur de la plaine du Haouz*, *RGM*, n° 17, 1970 ; Bellaoui, *Un exemple de régionalisation au Maroc, la région économique du Tensift, Revue de la Faculté des Lettres, Marrakech*, n° 4, 1989 ; J. Pégurier, *Espaces urbains en formation dans le Tensift*, Rabat, 1981.

أحمد هوزالي

* * ذكر تانسيفت في التاريخ القديم ثلاثة مؤرخين بأسماء مختلفة، وأخص بالذكر بلين القديم وفلاڤيوس جوزيف ثم بطليموس.

يقول بلين القديم في الكتاب الخامس، الفقرة 13 من التاريخ الطبيعي : "إن الأهالي يحكون أنه يوجد على الساحل وعلى بعد 150 ميلا من وادي سلا (Salat)، نهر أسانا، ثم مجرى مائي يسمونه فُوتْ "Fut" بعيد عن ديريس (الأطلس) بحوالي 200 ميل".

ظهر اسم "فوت" في نفس الفترة في مؤلف المؤرخ اليهودي فلاڤيوس جوزيف (Flavius Josephe) ولكن بشكل مغاير بحيث نجد اسم Phoutés، وهذا الأخير حسب نفس المؤرخ، من أبناء حام ومؤسس ليبيا، ويقول أيضا إن هناك نهراً يحمل نفس اسم Phoutés في بلاد الموريين.

أما الجغرافي بطليموس فيعطينا اسم "فْتوت" Phtout ويحدد موقعه حسب الاحداثيات التالية (7° و30' - 30 °و30') ويقول إنه يوجد جنوب رأس الشمس والذي قد يكون النسخ الاغريقي "لرأس سوليس"، وبما أن رأس سوليس يطابق عادة برأس كانتان، فسيكون من الطبيعي مطابقة "فوت" بأول نهر كبير يصب في البحر إلى الجنوب من هذا الرأس ونعني بذلك "تانسيفت".

وحسب الباحث دوزانج، يكون نهر تانسيفت قد حمل اسما مزدوجا، كوسة "Koucs" والذي يمكن مطابقته بنهر Kouz وهو اسم تانسيفت عند المصب ثم "فوت" الذي يطلق على المجرى المائي ككل. أما بطليموس فيرى أن الأمر

يتعلق بنهرين مختلفتين.

وفيما يخص المسافة التي تفصل بين "فوت" والأطلس فهي تقدر بحوالي 200 ميل وهي مسافة قدرت من المصب إلى رأس گير وهي أكبر مسافة بين تانسيفت والأطلس، ويبدو أن فيها مجازفة لأنها لا تتجاوز في الواقع 205 كلم أي 140 ميلا تقريبا. ويظهر أن الأهالي قد قدروا هذه المسافة حسب السير على الأقدام وبالتالي فرحلتهم كانت تعرف نوعا من الانعراج في اتجاه الداخل.

وكيفما كان الاسم الذي اطلق على النهر من طرف القدماء، فتجب الإشارة إلى أن الأمر يتعلق بواد تانسيفت أحد أكبر أودية المغرب الجنوبي.

Ch. Tissot, *Recheches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, p. 252 ; Dessau, *Real Encylopedia*, S.V. "Fut", Coll. 406 ; Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle*, Livre V, ed. J. Desanges, 1980 ; Ptolémée, IV, 1, 2, p. 578, edit. Muller ;

Flavius Josephe, *Antiquités Judaïques*, I, 6, 2, I, 133.

عبد العزيز بل الفايدة

**تَانْغَايَة**، جبل توجد أعلى قمته بالمدشر الذي يحمل اسمه بقبيلة الأخماس (إقليم شفشاون) ثم يمتد من باب تازا إلى ثلاثاء قبيلة بني أحمد، وارتفاعه فوق سطح البحر 1712 متر.

Cabello, *Géo.*, 70 ; Domenech, *Zona Norte*, 29 ; Martinez Campos, *España belica*, 348, 352.

محمد ابن عزوز حكيم

**تَانْغْمْلْتْ**، وتكتب أيضا تناغملت وتنغملت (*ممتع الأسماع*، 161 ؛ *دوحة البستان*، 58 ؛ *مباحث الأنوار*، 144 ؛ *الدرة الجليلة*، 2 : 258 ...). وعلى الرغم من أن مبناها جاء على صيغة بربرية مألوفة، فإننا لم نستطع تفسير مدلولها. وقد تكون لفظة عربية مشلحة. ففي مادة غمل في اللسان، قال ابن منظور : "وقيل الغملول، هو الوادي الضيق الكثير الشجر والنبت الملتف، وقيل هو الوادي الطويل القليل العرض الملتف". يبدو هذا الوصف قريبا جدا من منظر الوادي الذي تشرف عليه زاوية تانغملت وفيه أيضا "الغملة: الأرض الكثيرة النبات التي يواري النبات وجهها". ويكاد هذا الوصف ينطبق أيضا على تانغملت، بما حواليها من أشجار وغابات، لعلها كانت أكثر كثافة مما هي عليه الآن. أما المعني البربري القريب من وصفها فهو من إغمر وهو الكتف والموقع الذي على كتف سفح جبل أو واد. أما قلب الراء لاما فهو أمر وارد عندهم حيث تأتي كلمة تانغملت من تانغمرت.

وتانغملت قرية تأسست حول زاوية، وهي تقع في منطقة الاتصال بين الأطلس الكبير والأطلس المتوسط على بعد حوالي مائة وأربعين كلم شرقي مراكش. أما من الناحية البشرية فإنها تقع على حدود ثلاث قبائل كبرى هنتيفة غربا، وأيت عتاب شمالا وأيت مصاض شرقا. وينتمي جل سكانها لأيت أُنُلْ ويُكونون أحد أخماس هنتيفة الجبل. وكلهم من البيضَ باستثناء بعض العناصر الملونة المنحدرة من عبيد سود كانوا مرتبطين بخدمة الزاوية.

ويعتبر هذا الموقع الوسط ذا أهمية بالغة بالنسبة للزاوية، لأنه المكان المواتي لقيام مثل تلك "المؤسسة". ومن الناحية الثقافية والسكانية تقع تانغملت في منطقة الاتصال أيضا، بين مجالي الأمازيغ والشلوح. ويظهر ذلك من خلال لغة السكان اليوم، إذ هي خليط من تامزيغت وتاشلحيت. وتقع من حيث الموضع، غرب شلالات أزوض، على السفح الشرقي لجبل تَغْسْوَادْ، عند ملتقى واد أمرصيد بواد العبيد.

وعلى الرغم من قربها من منطقة تادلا، التي تمر عبرها الطريق التقليدية الواصلة بين فاس ومراكش والتي وقعت فيها أغلب المواجهات بين جيوش الدول الناهضة وجيوش الدول الآفلة، فإن ذكرها لم يرد في أي نص من النصوص القديمة المعروفة أمثال البكري والادريسي والبيذق وابن عذاري وابن الزيات وابن خلدون وابن عسكر والوزان وغيرهم، خاصة وأن بعض هؤلاء يعرف المنطقة كالبيذق، والبعض الآخر قد تنقل في تلك الجهات. ولعل أشهر من زار تلك المناطق هو الحسن الوزان الذي وصف قرى أيت عتاب وهنتيفة ولتانة...

وتذكر الرواية الشفوية أن تاريخ تأسيس تانغملت يرجع إلى القرن الثامن الهجري (14 م)، ولا يوجد لهذا الرأي أي صدى في النصوص المعروفة لحد الآن ؛ ولعله وهم من الأوهام. وأول من ذكر تانغملت هو محمد المهدي الفاسي، في كتابه *ممتع الأسماع*.. فقد ارتبط ذكرها عنده بوفاة موسى البوگمازي دفينها ( *ممتع الأسماع*، 161). لعل تأسيسها كان على يد هذا الأخير، وكان قد تتلمذ على يد الشيخ أبي عثمان سعيد بن علي الهشتوكي دفين واوزغت (*دوحة البستان*، 58) وانتقل البوگمازي أو البوجمازي بعد وفاة شيخه إلى تامصلوحت حيث أخذ الإذن عن الشيخ عبد الله بن حسين، ليتصدر للقيام بشؤون زاوية شيخه الأول (*ممتع*، 162) ؛ إلا أن مجيء الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي إلى زاوية أبي عثمان بواوزغت جعل البوگمازي يغادرها. وقد كان الدادسي المذكور من أصحاب شيوخ من مؤسسي الزوايا أمثال عبد الله بن حسون السلاسي وعبد الله الهبطي وأبي بكر الدلائي. وأخذ عن هؤلاء الشيوخ وتتلمذ عليهم (*ممتع*، 188) مما رفع مقامه الصوفي في نظر البوگمازي الذي كان ما يزال مجرد مريد، الأمر الذي أفضى به إلى الهجرة ضاربا في الأرض وباحثا عن مستقر جديد، إلى أن ألقى عصا التسيار بتانغملت. كان ذلك حوالي الثلث الثاني من القرن الحادي عشر (17 م) ؛ على وجه التقريب. وتتحدث النصوص بعد ذلك عن ابنه عبد العزيز. كان هذا الأخير من جملة من لقيهم علي بن عبد الرحمن الدراوي المتوفى سنة 1091 / 1680.

يبدو أن حركة الاستقرار بالمنطقة بدأت تتوطد في عهد عبد العزيز بن موسى البوگمازي. وفي هذا الصدد يذكر محمد بن عبد الله الخليفتي أن هذا الرجل قام بمبادرتين في غاية الأهمية. ففي زمن إحدى المجاعات، لعلها مجاعة

سنوات 1070 / 1072هـ، بعث بأحد أبنائه ـ وهو محمد بن عبد العزيز ـ إلى درعة لجلب التمر. يقول الخليفتي : "وأتاه بالتمر وجعل يطعم الناس بالحساء مع التمر" ( *الدرة الجليلة*، 305) أي أنه قام بإرفاق الناس في زمن المسغبة. ومن شأن الإطعام في مثل تلك الظرفية أن يرفع مكانة القائم به في أعين سكان المنطقة. كما عمد إلى غرس شجر اللوز بالمنطقة، الأمر الذي أفاد السكان حينما حلت بهم المسغبة خلال العقد الموالي، حيث قام أحد فضلاء ذلك البلد بصنع حساء من ثمر اللوز وتقديمه للجياع ( *الدرة الجليلة*، 306).

وبناء على ذلك يمكن القول إن عبد العزيز بن موسى هو المؤسس الفعلي للزاوية التي بدأ أمرها ينتشر بين الناس لاسيما وأن شيخها اعتبر قضية إطعام الطعام نوعا من الغزو والجهاد، واتخذه شعارا. يشير الخليفتي إلى أن عبد العزيز بن موسى قد صار مقصودا بالزيارة "لكونه من كبار الأولياء". بل لقد قال على لسان أحد مترجميه : "رأيت بتافيلالت كتابا كبير الجرم، ضخما مملوءا بمناقب الشيخ عبد العزيز بن موسى، بالغ فيه مؤلفه وأطنب" ( *الدرة الجليلة*، 277). وهكذا صارت تانغملت مقصودة بالزيارة، وأمدها الزائرون بالهبات والصدقات. وهذا من شأنه أن يدعم مكانتها في ذلك الوسط، ويهيئ للسكان شروط الاستقرار، عن طريق الوساطة والتحكيم في النزاعات، وترسيخ التعاليم الإسلامية، مما مكن للزاوية هنالك، وجعلها قطبا جاذبا بالنسبة لطلبة العلم وحملته. وفي هذا الإطار قدم إليها الفقيه المتصوف محمد بن مسعود المراكشي، تلميذ الشيخ محمد بن عبد الله السوسي، حيث اشتغل فيها بتدريس الحديث والتفسير حتى وفاته بالطاعون الجارف الواقع سنة 1090 / 1679 (*مباحث الأنوار*، 111. 114 ؛ *إعلام المراكشي*، 46. 47). ارتحل إلى تانغملت على إثر اضطراره إلى فراق صاحبه علي بن عبد الرحمن الدراوي الذي امتحن بدوره من قبل السلطان مولاي الرشيد في إطار الحملة التي شنها هذا السلطان على مختلف الزوايا (*دوحة البستان*، 213).

تفيد هذه الإشارات أن زاوية تانغملت أضحت ملاذا بالنسبة لبعض من يطلبون الملجأ في زمن المحنة ؛ ربما لأنها ما تزال لم تثر بعد انتباه حكام الوقت أو لأن الوصول إلى موقعها الجبلي كان يتطلب استعداداً خاصا. كما أن سوق العلم بها بدأت تروج، ومن ذلك أن ابن مسعود المراكشي أقام فيها مجلسا للتفسير والحديث.

إلا أنها سرعان مالفتت انظار المخزن. وفي هذا الصدد وردت وثيقة مؤرخة في حادي عشر رمضان سنة 1090 / 1679، تشبه تقريرا يوضح نظرة المخزن إلى مرابط تانغملت حيث تقول إن محمد بن عبد العزيز بن موسى ـ الذي قد يكون هو متولي شؤون الزاوية بعد أبيه ـ "مرابط خير"، وإنه "من أهل الجود والخير والوفاء، وفيه حسن الخلق للطائع والعاصي والرحمة والشفقة للمسلمين وإخوانه ..." "وباب دارهم مفتوح للطعام : من جاءهم يأكل ويشرب لوجه الله ورسوله ...". وفي هذا دليل قاطع على أن تانغملت أصبحت زاوية، تضطلع بمختلف الوظائف المنوطة بباقي الزوايا، خاصة وأن الوثيقة شهادة عدلية، ربما جاءت لتبرئة الذمة من التوق إلى الخوض في الشؤون السياسية وتنص على ذلك صراحة حيث تصف المرابط بالقول : "والفضول تركهم، بينهم وبين الفضول ما بين السماء والأرض". لعل هذه التبرئة كانت بطلب، استصدرها مقدم لإثبات بعده عن الخوض في الشؤون السياسية، الأمر الذي يفضي إلى الاعتقاد أن أمر تانغملت كزاوية بدأ يفشو، وأن حكام الوقت قد علموا بوجودها.

نذهب هذا المذهب ونحن نستحضر السياق التاريخي وموقف سلطان الوقت من الزعامات المحلية. كما يظهر من خلال الوثيقة المشار إليها أن زاوية تانغملت قد عرفت بسطة في الرزق، إذ توفرت فيها الزروع والمواشي والأموال وأصبح لها عبيد أي أنها اكتسبت دعامة مادية أهلتها لأن تصير مركز إشعاع في المنطقة، يتوافد عليها المعوزون والمنقطعون واللاجئون من طلبة العلم وغيرهم. فاضطلعت بتلقين السكان العلم والتعاليم الإسلامية ؛ بل صار مختلف نقبائها سدنة الإرشاد إلى الشعائر الدينية يدعون إلى الحفاظ على السنة المحمدية.

وقد تبلور ذلك حين تتلمذ الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز التانغملتي المتوفي سنة 1168 / 1755 على الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي. وعلى الرغم من أننا لانعرف الكيفية التي تم بواسطتها الاتصال بين الشيخين المذكورين، فإنه يمكن الجزم بأن الصلات بين تانغملت ودرعة ترجع إلى عهد عبد العزيز بن موسى، على الأقل. فقد أشرنا إلى أن هذا الأخير كان بعث بابنه محمد لجلب التمر إلى تانغملت من أجل إرفاق الناس زمن المسغبة.

هكذا دخلت زاوية تانغملت في بداية عزها لما انخرط شيوخها في سلك الطريقة الناصرية. فقد استناب شيوخ الناصريين محمد بن إبراهيم التانغملتي، في تلقين الذكر، وأذنوا له في إعطاء الورد، "وشهدوا له بالصلاح". يقول الخليفتي في ترجمة التانغملتي : "وسلك الطريق حق السلوك على نحو طريقة الأشياخ، على سبيل السنة المحمدية ... ونسج على منوالهم ..." ( *الدرة الجليلة*، 278). أي أن تانغملت قد أصبحت منذئذ فرعا للزاوية الناصرية ذات الشهرة الفائقة آنذاك. فصارت ذات سند روحي دعم مكانتها في المنطقة. فقد صار شيخها يشتشهد بالرؤية، ويعقد المحبة مع شيوخ آخرين، مما يدل على أنه بلغ درجة معينة في سلم الصوفية. بل تواترت عنه المناقب والكرامات والخوارق. وينبغي أن نشير إلى أننا لا ندري هل تمسكت تانغملت بالطريقة كما تلقنها شيوخها من الناصريين أم أنها أحدثت وردا جديدا ؟

ومهما يكن من أمر فقد توطدت مكانتها بين سكان تلك المنطقة، كما يشهد على ذلك الخليفتي وهو معاصر

لمحمد بن إبراهيم التانغملتي. فقد لعب هذا الشيخ دورا حيويا في تلك المنطقة النائية وهي منطقة عبور واتصال وعدم استقرار، كثيرا ما سادها العنف والاضطراب لاسيما في فترات ضعف السلطة المركزية، مما جعلها أحيانا شاغرة من القائمين بالأحكام السلطانية". لذلك تصدر شيوخ تانغملت للتحكيم في النزاعات والإشراف على عقد الصلح والوساطات بين الناس الشيء الذي هيأ ظروف الأمن وبالتالي خدمة الأرض وتوسع حركة الاستقرار فصار محمد بن إبراهيم التانغملتي "كثير العطاء للإخوان والشرفاء وأولاد الأشياخ وذوي الحاجات" بل كان "يعطي البقر والبغال والزروع والزيت والكسوة وغير ذلك .." ( *الدرة الجليلة*، 278). مما يدل على أن تانغملت حققت نوعا من التراكم في الثروة، فصارت مركزا لجمع الثروة وإعادة توزيعها. وتشهد بطاقة من نفس الزاوية على أن الناس كانوا يقترضون منها المال، ومن الناس من كان يلتمس من شيوخها قضاء دينه.

ومن خلال عقد نكاح الشيخ محمد بن إبراهيم التانغملتي يبدو من الممكن تصنيف هذا الرجل ضمن الموسرين. بالإضافة إلى ذلك كان بعض موظفي المخزن يلتمسون من نفس الشيخ أن يتدخل لدى بعض من امتنع من القبائل لدفع مانابهم في خدمة السلطان".

لكن من خلال ترجمة عبد الرحمن التانغملتي المتوفى سنة 1182 / 1769، قد نستنتج أن زاوية تانغملت قد عرفت نوعا من التراجع في هذا العهد، حتى إنها لم تنج من أعمال النهب التي اشتغل بها أيت تاگلا جيرانها، فقد تنصلت بعض القبائل من التبعية لزاوية تانغملت، كقبيلة أيت وَزْطا، بل إن هذه القبيلة قد خرقت الهدنة التي عقدت على يد شيخ الزاوية. كما أن سوق العلم عندهم قد اعتورها بعض الكساد. ويتضح ذلك من رسالة بعث بها الشيخ التانغملتي إلى ابنه، ومن جملة ما جاء فيها : "وإن قدرت أن تجلس في موضعك وقراءتك فهو أحسن إليك، وإلا فالبلد هذه الساعة مافيه من يقول أعوذ بالله"... "ولاتقصر فإن المسجد بقي بلاعمارة".

لا نستطيع استجلاء مختلف الأسباب التي أدت إلى هذا التراجع في النفوذ دون وضعها في إطار الظرفية العامة التي طبعت المغرب آنذاك. وتتلخص بعض الأسباب فيما يلي :

1 ـ رغم عودة الهدوء في عهد السلطان محمد بن عبد الله ابتداء من سنة 1170 / 1757 فإن المناطق الجبلية ظلت *مضطربة*.

2 ـ سلك هذا السلطان سياسة الشدة إزاء الزوايا.

3 ـ انعدام الأمن في منطقة تانغملت وما جاورها بسبب التحركات القبلية، وخاصة أيت عطا الذين كانوا يقومون في زحفهم العنيف بدفع القبائل الواقعة في مجال تنقلاتهم، مما كان ينتج عنه اضطراب في علاقات القبائل، ويخل بالتوازنات التي تعمل الزاوية على الحفاظ عليها، بسبب وساطاتها.. ولربما تأثرت الزاوية بدورها من جراء الوضعية الجديدة. ولربما صعب علي شيوخها أن يقوموا بأدوار الوساطة والتحكيم لدى العناصر الطارئة على المنطقة. ويروى لنا الخليفتي الشيء الكثير عما أحدثه أيت عطا من أضرار وتضييق على السكان وعلى زوايا المنطقة، حيث كانوا ينهبون السكان ويغرِّمونهم ( *الدرة الجليلة*، 354. 355). ولعل العداء كان مستحكما بين أيت عطا وبين أتباع الزاويا الناصرية هنالك. ويرجع ذلك إلى أن أيت عطا كانوا أتباعا لحنصالة المخالفين في الطريقة للناصريين.

وعلى الرغم مما طرأ على الزاوية من تراجع في الجانب المعنوي، وهو شيء ظرفي على ما يبدو، فإنها قد استرجعت نفوذها المادي وظل قائما في هذا العهد وفيما بعد. وأول ما يسترعى الانتباه أن الزاوية أصبحت لها خزانة تحوي عددا من مؤلفات ذلك العصر. ولعل مرد ذلك إلى كونها أضحت كحرم يستودع فيه طلبة العلم كتبهم خشية أن تتعرض للنهب. وما تزال خزانتها حتى الآن تحتفظ ببضع مئات من المخطوطات من بينها كتب أصلية نادرة.

ظلت الزاوية تتوصل بالهبات والزيارات المتنوعة من الخدام والأتباع الذين اتسع نطاقهم ليشمل أيت مصاض وأيت بوگماز وولتانة وأيت عباس بالإضافة إلى أيت عتاب وهنتيفة. فأصبحت الزروع تقدم بالأحمال ورؤوس الأغنام بالعشرات والنقود بمئات الريالات، كما تشير إلى ذلك وثائق الزاوية.

ولعل أوج النفوذ المعنوي بالنسبة لزاوية تانغملت قد أدركته في عهد الشيخ العباس بن محمد التانغملتي، هذا العهد الذي يصادف النصف الثاني من القرن التاسع عشر ؛ إذ لم تقتصر وساطات شيوخ تانغملت على القبائل والجماعات بل أصبحت تتوسط بين المخزن والقبائل. تشير وثيقة مؤرخة في تاسع ربيع الثاني سنة 1307 / 1890 إلى أن الشيخ قد توسط بين أيت إبراهيم وعامل إينولتان الجيلالي الدمناتي الذي وجه لهم "أمانة" على يد الشيخ التانغملتي؛ طالبا منه بذل المزيد من المساعي الحميدة، قائلا : "ها الأمان عليهم يصلك، فلابد بارك الله فيك كلِّمهم، وأرشدهم للجادة التي فيها صلاحهم مع المخزن، لأن بقاءهم على انحرافهم لا يفضي لهم بخير" الأمر الذي دعم مكانة الزاوية في تلك الجهات. حتى إن العامل المذكور قد لجأ طالبا الحرم بدوره، في أثناء ثورة إينولتان بعد وفاة السلطان مولاي الحسن، بزاوية تانغملت. وظل هنالك مقيما مدة، لم يمسسه أحد بسوء. ويشير الغجدامي إلى أن شيخ الزاوية آنذاك قد أكرم مثوى العامل المنفي ومكث هنالك معززا مكرما حتى انفرجت الأزمة ( *التسلي*، 55 و66).

لكنها إذا استرجعت ـ إلى حد ما ـ مكانتها العلمية في بداية القرن الثالث عشر ، كما ألمعنا إلى ذلك سابقا، فإن هذه المكانة لم تعد مواكبة لنفوذها المادي والمعنوي بعد ذلك إذ اعتور مكانتها العلمية بعض التراجع. فقد طاف الغجدامي أثناء طلبه للعلم على مختلف مراكز تلك الجهات

في كل من إينولتان والسراغنة وأيت عتاب وهنتيفة وأيت ماجطن، ولم يعرج على تانغملت (*الغجدامي، التسلي*، 33) وعند ذكر مختلف شيوخ المنطقة لم يشر إلى أحد من أهل تانغملت ( *التسلي*، 36 ـ 67).

لعل هذه مرحلة حتمية في تاريخ الزاوية على العموم : يصبح الجانب العلمي والروحي في تراجع لحساب تراكم الثروة وتوثيق الصلات مع المخزن وممثليه، لتلوح في الأفق مرحلة الأفول. وهكذا لم تقتصر العلاقات بين الزاوية والمخزن على مستوى العامل، بل تعدى ذلك إلى السلطان نفسه. وفي هذا الإطار يوجه السلطان مولاي عبد العزيز، بدوره رسالة إلى الشيخ أحمد بن العباس التانغملتي في ثامن عشر رجب من سنة 1312 / 1995، يأمره بالتوسط بين عامل إينولتان وبين إيالته ؛ يقول فيها : "فنأمرك أن تزيد على عملك حتى يتم صلحكم معه ويزول ما بينهم وبينه من التنافر ويحصل الائتلاف وبذلك تزيد عندنا حظوة ومكانة...". يظهر أن الزاوية بدأت توظف ما تملك من نفوذ لخدمة المخزن على الرغم من أن هذا الموقف قد تستهجنه العامة أحيانا ؛ ذلك لأن المكانة التي استمدتها الزاوية من القاعدة صارت تسخرها ضدها، ومن ثم يشرع المخزن في توجيه الظهائر إلى القبائل في شخص ممثليه لتوقير الزاوية واحترامها. وكأن تلك الظهائر صكوك شهادة على مصادرة ما كانت تتمتع به الزاوية من نفوذ معنوي (البركة).

ولما قدم أحمد الهيبة إلى مراكش أثناء ثورته، بعد توقيع الحماية مباشرة ؛ بعث هو الآخر برسالة ثانية إلى أحمد بن العباس التانغملتي طالبا منه التدخل لدى القائد صالح أوراغ الذي يبدو أنه لم يكن مواليا لحركة الهيبة. فخاطبه قائلا : "فنحبك تتكلم معه وتعظه وتحرضه على التمسك بدينه وشد عضد اهله... فاسع في ذلك وفي غيره من مصالح المسلمين، ولا نحتاج إلى التأكيد عليك في ذلك". بل إنه يعتمد على مكانته في تلك المنطقة لاستمالة القبائل فيقول له : "ونحن اتكلنا في مصالح تلك الجهة عليك، فكن عند الظن بك وقف جهدك".

وسلك الفرنسيون نفس الاتجاه حين استيلائهم على مراكش، فقد وجه نائب الكولونيل مانجان إلى شيخ تانغملت رسالة يلح عليه في الانضمام إلى جانب المحتلين، وكان المرابط قد أظهر له عدم رغبته في التعامل معهم، معتذرا له بأنه "رجل مرابط ولا مدخل له في الأمور سوى أمور الديانة". إن إلحاح الضابط الفرنسي نابع من تقديره لمكانة الزاوية في المجتمع المغربي. كما يتضح من العبارة التالية الواردة في نفس الرسالة : "لكن نعرف لك اليد والكلمة في بلاد هنتيفة وأيت مصاط وأيت عتاب". وسعى إلى إقناعه قائلا : "ولا يخفاك أن الدولة الفرنساوية جرى الاتفاق بينها وبين المخزن بأن تطوع جميع البلدان الفاسدة". لذلك يعمد إلى الضغط عليه بشتى الوسائل قائلا : "وعلى هذا نحبك تعيننا على هذا الأمر" ؛ ما دام الفرنسيون عازمين على تطويع مختلف القبائل بدون تكاليف كبيرة : "ونحبوا الدخول إليها دخول الأخ عند أخيه من غير بكاء ولا *إهراق* دم، وتكون ملاقاتنا معكم *بالفرح والسرور*". من أجل ذلك حاول أن يستقطبه ويستعمله لأنه كان يدرك مكانة زاويته وتأثيرها على سكان تلك الجهات ؛ فيحثه على تهييئهم ـ كما حدث في مناطق أخري ـ وهو لا يخفى مقاصده : "فبسبب هذا أردنا معك المصارفة لأجل كلمتك نافذة في جميع تلك النواحي، وتقدر توجد نؤمن بأنك تستطيع أن تمهد إلينا تلك البلاد حتى ندخلوا إليها بالفرح وغاية السرور" وفي مقابل ذلك يعده ويمنيه : "وإنما أتكلم مع أحد الرجل ذي عقل وفطنة وسياسة وخيارة، الذي ستكون له مكافأة على خدمته...".

يتبين من خلال مقاطع هاتين الرسالتين أن زاوية تانغملت كانت في صدارة الأحداث بتلك المنطقة. لكن نجد شيخ الزاوية يلتزم الحذر إزاء الحالتين، مما يدل على سلوكه بمراعاة الأمر الواقع. فهو لم يعلن بعد عن موقفه الصريح مادامت الأمور لم تستتب لأي أحد.

لكن حين أصبح المخزن الجديد يسيطر علي الوضع مال شيخ تانغملت إلى التعامل مع هذا الوضع بلباقة، نستفيد ذلك من رسالة وجهها القائد عبد الله أوشطو إلى شيخ الزاوية يدعوه فيها إلى زيارته من أجل الاستجمام ويلوح إليه بالتوسط لدى بعض القبائل التي "ما تزال خارجة عن الطاعة".

وبعد وفاة الشيخ أحمد بن العباس التانغملتي سنة 1350 / 1932، دخلت الزاوية مرحلة واصلت فيها وظائفها في سياق الظروف الجديدة تحت سيطرة الاستعمار. ولعل ذلك راجع إلى الوضعية الجديدة التي عاشها المغرب عامة. فقد ذكرها جورج دراگ، فيما بعد، من بين الزوايا التي "استمالها" الفرنسيون (Drague, *Esquisse*, 107 note 6). وعلى الرغم من أن الوثائق والمستندات تصبح نادرة بعد سنة 1350 / 1932، وهو شيء يشير أكثر من تساؤل ؛ فإن الرواية الشفوية تفيد أن تانغملت عرفت نشوب نزاع بين بعض أبناء سيدي أحمد أ ُلعباس وإخوته من أجل ولاية شؤونها. لكن يبدو من خلال ملاحظة ممتلكات الزاوية حاليا، وما يتوافد عليها من زوار من مختلف قبائل الأطلس ـ من إينولتان إلى أيت بوگماز ـ أنها ماتزال تتمتع بنفوذ كبير. فالوفود تترى عليها طوال السنة، حتى تضيق بمن فيها، بصفة خاصة خلال شهري شتنبر وأكتوبر من كل سنة، فترى عشرات الرجال والنساء ـ يتقدم كل جماعة مقدمها ـ يمثلون في السبعينات والثمانينات بين يدي الشيخ سيدي اليزيد بن الأمين بن العباس، في "المصرية" المعدة للاستقبالات ؛ من أجل التبرك واستمطار دعوات الشيخ وطلب الاستشفاء. ويستشف مما يحكيه الشيخ المذكور أن نجم الزاوية لم يأفل في عهد الحماية، خاصة لما استيقن الفرنسيون من "حيادها" تجاه الشؤون السياسية. وهذا الحياد ـ في نظره ـ هو الذي جعله من رفقاء القائد أوشطو، يتردد بين الحين والآخر على بعض الشخصيات المخزنية

المرموقة.

يتضح من هذه الرواية إذن أن جانب تدبير شؤون المؤسسة ذات الدور الاجتماعي قد صار مهيمنا على زاوية تانغملت - في هذا العهد - مما قد يدفع إلى الظن أن الجانب الروحي / الصوفي بدأ يتراجع، وهو أمر طبيعي في تطور الزوايا بصفة عامة.

ومازال - اليوم - تتلقى هبات وزيارات متنوعة ومختلفة ؛ ومقابل ذلك تؤوي وتطعم كل من يلوذ بها أو يلجأ إليها أو يزورها. ومازال تحسم في بعض القضايا اليومية التي تعرض على شيخها، بين الحين والآخر، ومايزال مسجدها الجامع بكل مرافقه - ومنها الحمام - يقوم بدوره على أحسن وجه. إلا أن دورها التعليمي قد اندثر، منذ انتشار التعليم الرسمي ؛ شأنها في ذلك شأن معظم زوايا المغرب ؛ على الرغم من أنها تحتفظ بعدد من المخطوطات النفيسة.

ومن شيوخ زاوية تانغملت : موسى البوگماري (بداية النصف الثاني من القرن الحادي عشر) وعبد العزيز بن موسى كان بقيد الحياة عام 1090 هـ ومَحمد بن إبراهيم بن عبد العزيز، توفي عام 1168 هـ وعبد الرحمن بن مُحمد بن مَحمد توفي عام 1182 هـ ومَحمد بن مُحمد بن مَحمد (النصف الأول من القرن الثالث عشر) ؛ العباس بن مَحمد توفي حوالي 1311 هـ ؛ أحمد بن العباس توفي عام 1350هـ. ومازال منهم أحياء اليوم.

*وثائق زاوية تانغملت وزاوية كرول* ؛ أحمد الولالي، *مباحث الأنوار*؛ م. م. الفاسي، *ممتع الأسماع* ؛ محمد المنالي الزبادي، *دوحة البستان* ؛ محمد بن عبدالله الخليفتي، *الدرة الجليلة*؛ م. الغجدامي، *التسلي*....

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse.*

**التانغملتي، أحمد** بن العباس بن مَحمد بن مُحمد ابن مَحمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن موسى، البوگمازي. يعرف بـ "سيدي أحماد أ'لعباس". لا نعرف تاريخ ميلاده، إلا أن أقدم وثيقة تذكره - حسبما نعلم - ترجع إلى العشرين من شوال سنة 1296/ 1879، يستفاد منها أنه كان مقدما على مرابطي تانغملت. وأنه كان في مرحلة من العمر تؤهله لأن يخاطب من طرف رجال المخزن. أي أنه بلغ الحلم على الأقل. وإذا كنا نعرف أن والده توفي حوالي 1311 / 1894، يمكن القول إنه كان ينوب أحيانا عن والده في شؤون الزاوية أو أن أباه قد أشركه في تدبير أمورها في حياته. إذ تكررت الإشارات إلى أنه كان خليفة والده.

ويظهر من خلال بعض الوثائق - وبعضها موقع بيده - أنه نال نصيبا من العلم، وقام ببعض الرحلات، وخاصة إلى مراكش. كما يستفاد من وثيقتين عدليتين أنه كان "مشارطا" لدى بعض القبائل لمدة سنتين وسبعة أشهر، أي أنه حافظ لكتاب الله وبعض المتون المتداولة. ويرجع له الفضل في بذل مجهودات محمودة من أجل المحافظة على كتب خزانة الزاوية ؛ كان يقوم بالإشهاد على كل من استعار بعض كتبها. ومما يدل على غنى تلك الخزانة أن الطلبة كانوا يترددون عليها لاستنساخ بعض المؤلفات.

ورغم ذلك يبدو أن مكانة الزاوية العلمية ظلت متواضعة في عهده، كما يتضح ذلك من رسالة وجهها المدعو علي ابن أبي جمعة إلى التانغملتي، قال فيها : "فحامله تلميذنا الفقيه... أحمد بن إبراهيم الهشتوكي وجهناه لحضرتكم بقصد عمارة مدرستكم بالتعليم والإرشاد، وغير ذلك مماله تعلق به ... واجعلوا خمسين ريالا له شرطا..."

لكن مكانة أحمد التانغملتي كمتصوف كانت أبرز من مكانته العلمية، كما يستفاد من مختلف الرسائل الموجهة إليه. ومعظم هذه الوثائق تنعته بـ"ولي الله"، "البركة العظمى"، "الخير البركة" والأمثلة متعددة. كما تفيد أن صيته قد علا أكثر من بعض أسلافه، ولاسيما في الفترة الممتدة بين 1312 / 1894 و1338 / 1919، حتى يمكن القول إن زاويته قد تصدرت الأحداث على مستوى تلك الجهات. ولعل السبب في ذلك راجع - إلى حد كبير - إلى ظرفية المغرب عموما.

فبعد وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1311 / 1894 انتفضت عدة قبائل، ولاسيما في المناطق الجبلية ؛ ومن ضمنها القبائل المجاورة لزاوية تانغملت مما جعل مترجمنا يضطلع بأدوار بالغة الأهمية. ولما انصب غضب المنتفضين على الحاج الجيلالي الدمناتي ممثل المخزن في إينولتان، لم يجد بدا من اللجوء إلى زاوية أبي العباس التانغملتي، طيلة مدة نفيه. فبذل هذا الأخير مساعي حثيثة لإصلاح ذات البين بين العامل وإيالته، وهذا ما يستفاد من رسالة بعث بها السلطان عبد العزيز إلى المرابط المذكور شاكرا له جميل صنيعه.

وظل التانغملتي يتبوأ المكانة المرموقة حتى بعد فرض الحماية على المغرب، فحين دخل أحمد الهيبة مدينة مراكش، كان مرابطنا من جملة من وجه إليهم المكاتيب. فقد استحثه على التدخل لدى القائد صالح أوراغ الذي لم يكن مؤيدا لحركة الهيبة حسبما يبدو، لذلك نجده يخاطبه قائلا : "فنحبك تتكلم معه وتعظه وتحرضه على التمسك بدينه... فمثله لا يناسبه ولا يليق به إلا العمل للآخرة وإعانة المسلمين. فاسع في ذلك وفي غيره من مصالح المسلمين".

وحاول الهيبة استعمال نفوذ التانغملتي لاستمالة قبائل المنطقة، قائلا : "ونحن اتكلنا في مصالح تلك الجهة عليك، فكن عند الظن بك، وقف جهدك..."

لكن يظهر أن أحمد التانغملتي لم يكن يبدي كامل الاستعداد لمساندة حركة الهيبة، لأن هذا الأخير قد استهل رسالته بعتابه على تأخير الجواب عن رسالته السابقة. وقد أبدى نفس التحفظ إزاء محاولات الكولونيل مانجان (Mangin) حاكم مراكش معتذرا "بأنه رجل مرابط ولامدخل

له في الأمور سوى أمور الديانة". غير أن مانجان ألح عليه إلحاحا قويا، لأنه اعتقد أن له اليد الطولى "في بلاد هنتيفة وأيت مصاض وأيت عتاب" ولأن فرنسا كانت تسعى إلى تطويع القبائل بدون كلفة. وفي هذا السياق خاطب مانجان التانغملتي قائلا : "وعلى هذا نحبك تعيننا على هذا الأمر غاية، فبسبب هذا أردنا معك المصارفة لأجل كلمتك نافذة في جميع تلك النواحي، وتقدر توجد (تهيئ) إلينا تلك البلاد حتى ندخلوا (ندخل) إليها بالفرح وغاية السرور".

ولعل موقف التانغملتي قد ساير الأمر الواقع. نستنتج ذلك من خلال العلاقة الحميمة التي أصبحت تربطه مع المخزن المحلي. فقد كتب إليه القائد عبد الله أوشطو رسالة يدعوه فيها للقدوم إلى بلدته من أجل الاستجمام، ويومىء إليه بالتوسط لدى أيت عباس الذين ما يزالون "خارجين عن الطاعة".

وفي عهد أحمد بن العباس التانغملتي تضاعفت موارد الزاوية، حيث ظلت الهدايا والزيارات تترى على شيخها. فقدم إليها السكان النقود والغلال والزروع والأغنام. وقدم الشيخ بدوره للسكان الدواب والمواشي والزيوت واللوز والأكسية، وناب عن البعض في تسديد الديون. يمكن القول بناء على ما تقدم إن الزاوية في عهد الشيخ أحمد بن العباس قد أدركت أوجها فيما يخص جمع الثروة.

توفي أحمد التانغملتي سنة 1350 / 1931 ودفن بضريح الشيخ أبي عمران موسى البوگمازي.

*وثائق زاوية تانغملت.*

**التانغملتي، العباس** بن مَحمد بن مَحمد بن مَحمد ابن إبراهيم بن عبد العزيز بن موسى البوگمازي، أبو جعفر. تشير وثيقة مؤرخة في رابع ربيع النبوي من سنة 1269 / 1853، إلى أن العباس التانغملتي كان ما يزال تحت تقديم أخيه، ولايعني ذلك بالقطع أنه ما يزال قاصرا. وهذه الوثيقة عبارة عن عقد شراء جاء فيها : "اشترى المرابط... السيد محمد البشير .. لنفسه ولأخيه ... ولأخيهما".

وفيها خصه الموثق بالمرابط وجعله يتصدر المشترين. ومعنى ذلك أن الأخوين كانا أصغر من أخيهما، ولعلهما كانا مايزالان قاصرين. وخاطب أحدهم العباس التانغملتي في وثيقة ثالثة مؤرخة في سنة 1276 / 1860، بـ"المرابط الخير البركة السيد العباس بن محمد ... سلم مني على أخاك [كذا] السيد عبد الرحمان...". ولاتذكر الوثيقة محمد البشير. أي أنه قد توفي قبل ذلك وأن العباس قد صار هو المتصدر لشؤون الزاوية. وانطلاقا من سنة 1302 / 1885 تتعدد الوثائق التي تؤكد أن العباس هو الذي أصبح متصدر أمور زاوية تانغملت.

ويستفاد من تلك الوثائق أن علمه لم يكن يتعدى علم طالب عادي. فقد عثرنا على رسالتين برسم خط يده : الأولى وجهها لأخيه عبد الرحمان، والثانية بعث بها لابنه أحمد. ويبدو أن الزاوية في عهده لم تكن خالية من طلاب العلم، فقد وجه إليه أحد الغرباء رسالة يلتمس منه أن يكسوه، ويخبره برغبته في متابعة دراسته بالزاوية التي كانت ماتزال مركزا له شهرة علمية.

والمؤكد أن الشيخ العباس لعب دورا بارزا للتوسط في النزاعات والتحكيم، والأمثلة متعددة في هذا المجال. فالأشخاص والقبائل يطلبون تدخل الشيخ التانغملتي لدى ممثلي المخزن، وهؤلاء لا يوثق في "أمانهم" إلا بعدما يوجه عن طريق الشيخ. وقد خاطبه أحدهم - في هذا السياق - قائلا : "ونحن استحرمنا بأولادك صغارا وكبارا أن لاتخيب ظننا بك ... وأن القائد السيد محمد (أوشطو) ملأوا سمعه وبصره بما لا يليق عنا حتى جفا بنا ولم يسمع منا". فكل المحاولات التي بذلها هذا الشخص ليتفادى ملاحقة القائد، لم تجد فتيلا إلا بعدما توسط في النزاع مرابط تانغملت.

ووجه العامل الجيلالي بن علي الدمناتي رسالة إلي العباس التانغملتي تفيد أن فخذة أيت إبراهيم من أيت بوولي استكتبوا قائدهم عبد الله أوشطو ليوجه لهم "الأمان" على يد نفس المرابط. وبصدد ذلك قال القائد الجيلالي : "ها الأمان عليهم يصلك فلابد بارك الله فيك كلمهم وأرشدهم للجادة التي فيها صلاحهم مع المخزن، لأن بقاءهم على انحرافه لايفضي لهم بخير..." (الرسالة مؤرخة في ربيع الثاني سنة 1307 / 1890).

لكل ذلك حظي التانغملتي بمكانة مرموقة لدى سكان تلك الجهات. فتعلقوا بأذياله واستحرموا بزاويته في أوقات الشدة، لاسيما وأن هذا العهد صادف نوعا من الضغط المخزني على سكان الجهات. تجلى ذلك في محاولات السلطان المولى الحسن تطويع تلك القبائل، وجباية الضرائب بسبب حاجة المخزن للأموال.

في هذه الظرفية صارت الزاوية حرما يلتجيء إليه المظلومون والخائفون من عسف إخوانهم أو من عسف ممثلي المخزن. وفي هذا الإطار خاطبه أحد السكان قائلا : "فها نحن وأولادنا في عار الله وعاركما (العباس وأحمد) وعار أسلافكما..."

ولم نعثر على ما يفيد في تحديد تاريخ وفاته بالضبط. لكن آخر رسالة - اطلعنا عليها - برسمه ترجع إلى سادس ذي الحجة سنة 1309 / 1892. وفي أثناء ثورة إيْولتان ضد عاملهم الجيلالي الدمناتي سنة 1311 / 1894 على إثر وفاة مولاي الحسن، استحرم العامل المذكور بزاوية تانغملت والقائم عليها آنذاك هو الشيخ أحمد بن العباس التانغملتي (الغجدامي، *التسلي*، 55 و66). معنى ذلك أن الشيخ العباس توفي بعد سنة 1309 / 1892 وقبل وقوع الثورة في سنة 1311 / 1894. وتفيد الرواية الشفوية أن وفاته كانت في سنة 1311 / 1894 بتانغملت وبها دفن.

*وثائق زاوية تانغملت.*

**التانغملتي، عبد الرحمان** بن محمد بن إبراهيم بن

عبد العزيز، ترجم له مَحمد بن عبد الله الخليفتي وجعله من بين تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي ( *الدرة الجليلة*، 281). والمرجّح أنه أخذ عنه بواسطة والده محمد بن إبراهيم.

كان عبد الرحمان من رجال الصلاح بزاوية تانغملت التي تولى شؤونها بعد وفاة والده سنة 1168 / 1755 ( *الدرة الجليلة*، 282) ويظهر أن الزاوية في عهده عرفت بعض التراجع من الناحية المعنوية. وعلى الرغم من عدم توفر الوثائق حول هذا العهد القصير، الممتد على أربع عشرة سنة فإن وفرة الرسائل الموجهة لأخيه محمد بن محمد بن إبراهيم ولابن هذا الأخير محمد بن محمد بن إبراهيم توضح أن هذا العهد كان بمثابة مرحلة انتقالية، إن لم تتسم بالتراجع فقد تميزت بالركود.

ويبدو أنه لم يبلغ درجة أخويه أو بعض أبنائهما في الجانب العلمي ؛ إذ لم يرد في ترجمته ما يفيد تبوأه مرتبة علمية معينة. يقول الخليفتي في ترجمته : "كان رحمه الله رجلا صالحا تاليا لكتاب الله تعالى، فاضلا متواضعا تقيا مجتهدا في دينه، مجتهدا في أمور الزاوية ..." وقد اقتفى آثار أسلافه في تكريس الوظائف التي اضطلعت بها الزاوية كإرفاق الناس في زمن الأزمات، والتوسط في النزاعات. ويذكر الخليفتي أنه كان .. صابراً لإذاية الخلق". مما يمكننا من أن نستشف ما أصبحت تتعرض له الزاوية من ضرر ناتج عن عدم الاستقرار الذي طبع ذلك العهد، قبل أن تستعيد البلاد بعض الهدوء مع تولية السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1171 / 1757.

توفي عبد الرحمان التانغملتي في فاتح ذي الحجة سنة 1182 / 1769، ودفن بمقبرة زاوية تانغملت.

*وثائق تانغملت* ؛ م. محمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة*...

**التانغملتي، محمد** بن **إبراهيم** بن عبد العزيز بن موسى البوگمازي، ولد سنة 1089 / 1678 ( *الدرة الجليلة*، 279) انفرد الخليفتي بالترجمة له، لكنه لم يتعرض لنشأته ولا لسني حياته الأولى. لذلك لا نعرف شيئا عن دراسته ولاعن مستواه العلمي ؛ فقد يكون المترجم أميا إلا أنه اشتهر كمتصوف، فقد حلاه الخليفتي بـ "الشيخ الصالح الولي الناصح، الرباني، فريد عصره، ومصباح أهل زمانه" ( *الدرة الجليلة*، 277).

أخذ الورد عن الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، وهو من أبكاره. مما قد يفيد أنه انخرط في سلك الناصريين في شبابه، كما يستفاد من عقد زواجه، إذ تزوج هو في سن السادسة والعشرين من عمره. ووسمه العدلان "بالمرابط" ؛ مما قد يفيد أنه تولى شؤون الزاوية قبل ذلك الأوان. والعقد المشار إليه محرر في عشرين من ذي الحجة عام 1115 / 1704.

استنابه الناصريون ـ لأنه عاصر خمسة من شيوخهم : أحمد وموسى وعبد الله وجعفر ويوسف ـ في تلقين الذكر والورد. أي أنه حصل على الإذن المطلق. وشهدوا له كلهم بالصلاح، لأنه سلك طريقتهم حق السلوك، ونسج على منوالهم، في العبادة والتقوى والزهد ؛ وهي أمور اشتهر بها شيوخ الناصريين الأوائل.

كل ذلك جعل زاويته ـ تانغملت ـ تستقطب العديد من المريدين والأتباع. ومن ثم أصبحت الهبات والزيارات تترى عليها. لذلك وصفه مترجمه بالسخاء وكثرة العطاء، حيث يقول : "يعطي البقر والبغال والزروع والزيت والكسوة وغير ذلك". ( *الدرة الجليلة*، 278). مما قد يفيد أن الزاوية عرفت بسطة في جانبها المادي في عهده. ومن خلال عقد نكاح هذا الشيخ يمكن تأكيد ذلك. فقد تزوج محمد بن إبراهيم التانغملتي بفاطمة بنت حمي اليوسفية على صداق "نهايته عشرون مثقالا فضة سكة تاريخه". ويشير الخليفتي إلى أنه كان "نفاعا للمسلمين، فلا يبخل عنهم بماله ولا بنفسه".

بالإضافة إلى ذلك اشتهر التانغملتي بوساطاته المتعددة بين الناس، فكان "مجتهدا في إصلاح ذات بين المسلمين، فمن أتاه يطلب منه القدوم لأمر يساعفه بخطواته".

لهذه الأسباب ما فتيء صيت التانغملتي يعلو، حتى أصبحت تؤثر عنه المناقب والكرامات. ومن ذلك ما أخبر به عبد الله العتيقي، وهو "رجل صالح اشتهر بكثرة الرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم". يشير الخليفتي إلى أن العتيقي رأى النبي صلعم في قصة طويلة، ويبعثه إلى تانغملت قائلا له : "بلغ سلامي لسيدي محمد بن إبراهيم، وقل لسيدي محمد بن إبراهيم جعلناك وكيلا، وفوضنا لك الأمر في كل ما تريد، جعل الله راحة المسلمين فيك، وجعل الحكمة على لسانك، لاتنتظر الدعاء عند أحد، أنت الذي تحتاج تدعو للخلق". ( *الدرة الجليلة*، 278). يظهر هذا النص غنيا عن كل تعليق، لأن كل من تروج حول شخصه مثل هذه الأقوال في وسط كانت فيه الزاوية هي المؤسسة الوحيدة التي ترعى الشريعة الإسلامية وتعمل على نشرها، يعتبر من الصلحاء الكبار، مما يضفي على سدنتها ـ ومن بينهم مترجمنا ـ نوعا من التبجيل والتقديس. لذلك أقبل الناس في تلك الجهات على الشيخ محمد بن إبراهيم التانغملتي، حتى صار يلقن الأوراد ويعطي العهود، بل كان يستشهد بالرؤية. وقد عقد معه والد الخليفتي ـ عبد الله بن محمد ـ "عقد المحبة العظيمة التي لاتنقطع بالموت، واستشهدته بالروية ... فشهد لي بذلك، وكنت أقرب إليه... ورأيت له المناقب والكرامات والخوارق مالا يدخل تحت الحصر". ( *الدرة الجليلة*، 279). فصار يخطب وده ويطلب صحبته.

وقد استمد هذه المكانة ـ بالإضافة إلى معطيات المنطقة ومؤهلاته الشخصية ـ من انتمائه إلى الطريقة الناصرية التي كانت في أوج عزها آنذاك، فتوثقت العلاقات بين زاويته وبين تامگروت التي مر بعض شيوخها بمنطقة تانغملت، لاسيما موسى الناصري (ت. 1142 / 1730) الذي كان كثير التردد على فروع الزاوية الناصرية بالمنطقة مثل

أُوزوض وأيت خليفت وغيرهما.

توفي الشيخ محمد بن إبراهيم التانغملتي سنة 1168 / 1755. ودفن بمقبرة زاوية تانغملت.

*وثائق زاوية تانغملت* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*.

**التانغملتي، محمد** بن **مَحمد** بن **إبراهيم** بن عبد العزيز بن موسى وهو أكبر بني أبيه. تلقى دراسته الأولى بزاوية تانغملت ثم انتقل طالبا للعلم إلى مدينة مراكش، حيث أخذ عن أشهر علمائها، منهم أحمد بن سليمان الرسموكي بجامع المواسين وعبد الله بوخريص ومحمد الصغير الإفراني وعبد الله بن عبد الواحد الفيلالي.

وقد عثرنا على رسالة بعث بها المترجم إلى المدعو محمد بن عبد الله يخبره بالقدوم إلى مراكش "قصد سرد *الشفا والكلاعي* في شهر رمضان". فأجابه هذا العالم معتذرا حيث قال : "فما ذكرت أعزك الله أثقل علي .. لأمرين : أحدهما أني لست أهلا لذلك .. وطول عهدي بالقراءة أكثر من أربعين سنة. والثاني ما بي من الضيقة وقلة الصحة ..". ولعله قد رجع إلى زاوية تانغملت بعدما أنهى دراسته، فتصدر بها للتدريس. يقول الخليفتي : "ولم يقطع رحمه الله تدريس العلوم إلى أن مات مجتهدا في التعليم" ( *الدرة الجليلة*، 278). يبدو أنه كان من بين علماء الزاوية الذين عملوا على ترسيخ التعاليم الإسلامية ونشر الثقافة العربية في تلك المنطقة البعيدة عن المراكز العلمية الكبرى آنئذ، لذلك حلاه الخليفتي بـ "الإمام العالم التقي، الملازم لتدريس العلوم وبثها إلى أن مات". وخاطبه أحدهم قائلا : "ركن السيادة المؤسس على التقوى، والحصن الحصين الذي لا تخفر ذمة من تمسك بسببه الأقوى، هذا ولاغَرْوَ أنه من جهابذة الوقت الذين قربهم الباري جل جلالة..." وحلاه آخر بقوله : "الفقيه الأستاذ الأديب أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن إبراهيم التانغملتي...".

أما فيما يخص طريق القوم فقد ترجم له الخليفتي كواحد من بين تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر. لكن يبدو أنه أخذ عنه بواسطة والده، كما يستنتج من قول الخليفتي : "تلمذ رحمه الله على أبيه ونسج على منواله، تابعا لطريقة الأشياخ الناصرية على نحو فعل أبيه" ( *الدرة الجليلة*، 280).

لذلك يمكن القول إنه جمع بين العلم والتصوف، إلا أنه - حسبما يبدو - لم يتصدر للقيام بشؤون الزاوية، على الرغم من أنه خدمها بواسطة نشر العلم. وكان والده يكلفه أحيانا [ل]لقيام بالوساطة أو التحكيم بين أهل تلك المنطقة ( *الدرة* [...]، 278)، ويستفاد من رسالة بعث بها إلى أحدهم أنه [...] الدور الذي اضطلع به والده، حيث توسل إليه [...]أن يتدخل لدى بعض أيت مصاض لاسترجاع [...] مخاطبا إياه بهذه العبارات : "ولا نريد بذلك [...]ي هذا الأمر ولا في هذا الزمن حتى خبطنا كثير الخبط. ولم نجد به شيئا". ويتوسل إليه أيضا عبد الله بن أحمد الهوزالي، في رسالة، أن يتدخل لدى السلطان ليطلق سراح إخوانه المسجونين في مراكش.

وعلى الرغم من إشادة مترجمه بمكانته العلمية، فلم نعثر على ما يفيد أنه خلف أثرا في ميدان التأليف. ولعل ذلك راجع إلى انشغاله بالتدريس، واضطلاعه ببعض مسؤوليات الزاوية. وقد يكون مرد ذلك، أيضا، إلى أن ما تزخر به تانغملت من تراث مايزال غير معروف.

توفي محمد التانغملتي بزاوية تانغملت عام 1149 / 1737 ؛ وبها دفن خلف قبر عم والده محمد بن عبد العزيز.

*وثائق زاوية تانغملت* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ...

**التانغملتي، مَحمد** بن **محمد** بن **مَحمد** بن إبراهيم. أحد أعلام زاوية تانغملت ترجم له محمد بن عبد الله الخليفتي في كتاب *الدرة الجليلة*، وأشار إلى أنه درس بمراكش وتنقل بين بعض المدن والقرى في سبيل طلب العلم، فلقي عدة من شيوخ العلم أخذ عنهم واستجازهم. وبعدما نال حظا من العلم رجع إلى زاوية تانغملت حيث تزوج وانبرى لتدريس العلوم كما كان دأب والده. ولعل الزاوية قد شهدت قبيل رجوعه مرحلة من الركود، كما يستفاد من رسالة وجهها إليه والده، حين كان غائبا بمراكش من أجل الطلب. فقد استحثه على الاجتهاد في تحصيل العلم هنالك قائلا : إن "البلد هذه الساعة ما فيه من يقول أعوذ بالله غير طالبين (من) بوحسوسن، وطالب من كرول". ويضيف: "ولاتقصر فإن المسجد بقي بلاعمارة".

وقد حلاه الخليفتي بـ"الأستاذ الفقيه العالم العلامة... له معرفة تامة في العلوم، قرآنا وفقها ونحوا وحديثا وغير ذلك من الأصول" "حجة في كل شيء" لذلك سرعان ما استعادت الزاوية، في عهده، سالف مجدها من الناحية العلمية. ومن ذلك يرجع له الفضل في جمع عدد كبير من الكتب في خزانة تانغملت.

تولى شؤون الزاوية بعد وفاة عمه عبد الرحمان سنة 1182 / 1769 ( *الدرة الجليلة*، 281). تلقى الإذن بتلقين الورد الناصري من الشيخ يوسف الناصري ؛ فاجتهد في أمور زاويته حتى تعدد أتباعها ومريدوها ؛ وصارت قبلة لمن أراد الاستزادة من العلم، من سكان تلك الجهات، وفي هذا السياق يذكر الخليفتي أن صاحب الترجمة كان من جملة شيوخها، بل لقد حصل على يديه كثيرا من العلوم. وفي ذلك يقول : "وهو الذي أخذنا عنه جل استفادتنا وعليه جمعنا كثيرا من نوازل العلم، وهو عمدتنا في ذلك، ( *الدرة الجليلة*، 285 - 286)، لذلك حين انتهى الخليفتي من تأليف *الدرة الجليلة*، قدمه والده إلى شيخه التانغملتي. فقام هذا الأخير بتقريظه في يوم 22 ذي الحجة سنة 1183/30 مارس 1770 ( *الدرة الجليلة*، 338 - 339) ويوجد هذا التقريظ على ظهر الكتاب المذكور، بخط التانغملتي هذا.

يظهر، من خلال ماذكر، أن العلاقات بين زاوية

تانغملت وزاوية أيت خليفت كانت وثيقة في هذا العهد. فقد نظم التانغملتي مقطوعة شعرية في مدح عبد الله الخليفتي، وذيلها بالتوسل إليه في الدعاء له ولأولاده (*الدرة*، 339، 340). ولما مرض عبد الله الخليفتي مرض موته، استكتب ابنه للشيخ التانغملتي ليوصيه بأولاده قائلا : "فهو وصيي على أولادي، فآمره أن يستوصي بهم خيرا ماداموا أحياء، ودام حيا..." ( *الدرة الجليلة*، 341). وحين توفي الخليفتي المذكور لم يتم دفنه إلا بعدما قدم التانغملتي ليصلي عليه، الأمر الذي يجعلنا نظن أن الصلات الروحية بين الزاويتين كانت تتعدى مستوى نهلهما من منبع واحد، أي الاشتراك في السلوك وفي الطريقة.

لم نقف على تاريخ وفاة محمد التانغملتي، إلا أن وثيقة من تانغملت تفيد أنه كان بقيد الحياة سنة 1210 / 1796.

*وثائق زاوية تانغملت* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*.

أحمد عمالك

**تَانَقُّوبْ**، مكان يقع بقبيلة الأخماس، وعلى إثر احتلاله يوم 4 غشت سنة 1926 أنشأ الجيش الإسباني ثكنة عسكرية بنيت حولها فيما بعد قرية لتكون في التقسيم الإداري الحالي مركز جماعة قروية تابعة لدائرة إقليم شفشاون.

*Nomenclator cabila*, 1953 ; Martinez Campos, *España belica*.

محمد ابن عزوز حكيم

**تَانْگارْفَا**، ممر طبيعي لطريق القوافل منذ أقدم العصور، وهو عبارة عن شعب تعمق فيه الوادي بشكل مفاجيء ليربط بين تاسريرت تَازُوگّـاغْتْ شرقا، وبين تاسريرت تُومْـليلْتْ غربا، أي الهضبة الحمراء والهضبة البيضاء بالنسبة لتربة الحمري والتربة الجيرية. ومن هذا الممر وحده كان التجار يسلكون بالقافلة الرابطة بين مدينة سيدي إفني وثلاثاء الأخصاص في عهد الحماية.

يحتوي هذا المكان على آثار لحضارة قديمة، وتدل القرائن والمقابر ووجود المياه والموقع المنيع على وجود بقايا ترجع إلى عهد بعيد، وأقدم حصن في عين المكان يرجع إلى عهد المرابطين حسب الروايات الشفوية، ومما يلفت الانتباه تركز عدد مهم من الصالحين حول تانگارفا، منهم صاحب الضريح عبد الله بن يحيى، وهو والد الصالح بوگارفا حسب ما يدعي حفدته. وهناك الصالح وامْـلْحَـافْتْ، ومسعود أُزَايْنَا صاحب الموسم التجاري السنوي حتى الآن، وسعيد أُعلي .. وفي تانگارفا تقع دار القائد المشهور بِبُوحْلاَيْسْ وهو علي السيموري الباعمراني من قواد السلطان عبد العزيز، توفي عام 1340 / 1921، وكان مشهورا بلعبة الشطرنج في تلك الجهات، وأبراجه في تانگارفا ما زالت تدل على ما مر هناك من خير وشر.

وفي تانگارفا مدرسة عتيقة تعد من أقدم المدارس العلمية الباعمرانية، ومن أشهر أساتذتها صاحب الضريح هناك عبد الله بن يحيى (ت. حوالي 950 هـ). ولعل معظم الصالحين هناك من تلامذته، ثم خفت صوتها إلى أن شارط فيها الفقيه المفتي أحمد أُهميش الذي ولد حوالي 1255 هـ وقضى عمره كله في التدريس إلى أن دفن هناك حوالي عام 1330 / 1911 وخلفه في تلك المدرسة الروائي لحسن بن محند العبلاّوي الباعمراني، فصارت المدرسة متخصصة في تدريس القرآن وروايته، إلى حوالي عام 1357 / 1938 حيث خلفه ابنه إبراهيم منذ ذلك الوقت حتى الآن، وعلى يده تخرج كثير من حفظه القرآن. وتقام في تانگارفا سوق أسبوعية يوم السبت حاليا، وقد حلت محل سوق فيدود.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مرقون ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 245 ؛ *طاقة ريحان من روضة الأفنان*، 29؛ *رسالة سلطانية إلى القائد علي بوحلايس*.

الحسين جهادي

**تَانْكُرْتْ**، اسم أمازيغي بمعنى النهضة من فعل (ءينكر) بمعنى نهض. وتدعي بتانكرت منطقتان كبيرتان متباعدتان إحداهما في إفران الأطلس الصغير بناحية تيزنيت، وثانيتهما بقبيلة إيداوتنان في الأطلس الكبير، لعل تسميتهما ترجع إلى خصوبتهما وكثرة مياههما الجارية التي يترتب عنها نبات الزرع وقيامه. (*خلال جزولة*، ج 2، ص 252). وقبيلة تانكرت التنانية التي نحن بصدد التعريف بها هي ثالثة قبائل إيداوتنان، وتقع تانكرت بجهة الشمال الغربي من جبال إيداوتنان التي تشكل الجزء الغربي للأطلس الكبير المطل على المحيط الأطلنتي. وتتكون قبيلة تانكرت التنانية من عشر فرق أحصاها حاكم فرنسي بالكوانين عام 1924 كما يلي :

| | |
|---|---|
| 1 ـ فرقة إيدا ومطاط : 110 | 6 ـ فرقة انجعاف : 200 |
| 2 ـ فرقة إيدا أُعمران : 160 | 7 ـ أيت تيديلي : 150 |
| 3 ـ أيت واعزرى : 410 | 8 ـ أيت بوغدا : 150 |
| 4 ـ أيت يحيا : 170 | 9 ـ أيت واعلا : 080 |
| 5 ـ أيت إيمسكر : 200 | 10 ـ أيت ناصر : 140 |

فيكون بذلك مجموع قبيلة تانكرت سنة 1924 هو 1770 كانونا، وكلها من أصل أمازيغي ينتمي إلى قبيلة مصمودة باستثناء بعض العائلات الإدريسية المنتسبة إلى الشيخ إبراهيم بن علي التغافيني التناني (989 / 1581). كما أن هناك عائلات أخرى في فرق إيداومطاط وتيديلي وأيت بوغدا تنتسب إلى أولاد أبي السباع بشيشاوة بناحية مراكش، في حين نجد فرقة إيداعمران ينتسبون إلى قبيلة بني زروال بالغرب، ومع ذلك فإن أهل تانكرت انصهروا كلهم في قالب إسلامي فتوحدت لغتهم الشلحة الأمازيغية وتشابهت عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية.

وقد توحدت قبيلة تانكرت حول مدرسة علمية عتيقة تدعى إيسيمنا واقعة قرب دار شيخها (أمغار) بُونَاگة، الذي تسلسلت رئاسة هذه القبيلة في أسرته منذ عصر محمد بن عبد الله. ولقبيلة تانكرت عدة أسواق مشهورة

تدل على نشاط حركتها الاقتصادية أهمها : سوق الأحد إيمسكر - وسوق جمعة إيدا ومطاط فوق غدير أهدار - وسوق ثلاثاء تانكرت الواقع قرب مركز تافركانت للمياه والغابات، وهو السوق الرئيسي عند أهل تانكرت، فإليه يحملون جميع منتجاتهم الفلاحية، وإليه يرفعون جميع الخصومات لعرضها على شيخهم الكبير بوناكة الموجود باستمرار في هذا السوق منذ ما قبل الحماية إلى اليوم. وبقبيلة تانكرت مآثر تاريخية منها برج أهدار أحمد، والمكان المنسوب إلى الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (*خلال جزولة*، 4 : 89 ؛ *الإعلام*، 5 : 56).

ورغم ضعف الحركة التعليمية بنوعيها التقليدي والحديث - مؤخرا - بقبيلة تانكرت فان أهلها قد رادوا الآفاق فهاجروا إلى الدول الأوربية وإلى المدن المغربية الكبرى فاشتهروا في أگادير والدار البيضاء والرباط وفاس بنشاطهم التجاري وخاصة في بيع الأقمشة والملابس ومواد الأناقة وما شابهها مما يناسب أذواقهم. وقد أشاد المختار السوسي بما عاينه لدى التانكرتيين خاصة والتنانيين عامة من أناقة حضارية وحسن تدينهم إذ قال (وقد وجدنا أرباب مثوانا) (أيت بلعيد التجار) يبنون بناءً حضاريا أنيقا، ويا ماأحلى أناقة الحضارة في بحبوحة البداوة، وقد كنا عرفنا من قبيلة إداوتنان حبهم لحسن الرياش ولصقل الأواني وللأطعمة الفاخرة وللطيب فلا نكاد من قبل الاحتلال تدخل دار أحدهم إلا وجدنا عنده أثاوة من ذلك على قدر ذات يده... زيادة على حسن نية وجميل اللقى وإكرام الضيف، فإن فيهم من السخاء ما يقل مثله في جبليي أُلْتيتَة وإنما الذي يسترعي النظر من التنانيين خفة حركة وكثرة الهذر، خلق جبلوا عليه قد يواخذهم عليه من لا يعرفهم، فلا يعرف حسن نياتهم ومقاصدهم، وقد كان الدين فيهم راسخا ولايزال. ( *خلال جزولة*، 4 : 83).

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، الأجزاء 2، 4 ؛ *دراسة ميدانية أنجزها حاكم فرنسي بدائرة انزگان يدعى لاتيرون عام 1924 حول إداوتنان* ؛ *تحريات ميدانية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 56.

محند أيت الحاج

**تَانْكْسْتِين**، معدن. أصل الكلمة سويدي، وتعني "حجر ثقيل" ؛ رمزه الكمائي هو "W"، ثقله النوعي 12،2 ووزنه الذري 183،92. من أهم المعادن الخامة للتانكستين، الفولفراميت والشيليت :

1 - الفولفراميت : هو أوكسيد الفولفرام (W) والحديد (Fe) والمنغنيز (Mn)، $(Mn, Fe)WO_4$ ؛ تتركب من $WO_4$ = 76،46٪، FeO = 11،70٪ وMnO = 11،70٪، نظامها البلوري أحادي الميل، بلوراتها على شكل ألواح أو مواشير، أو ركامات ذات انفلاقات مصفحة ومتشعبة ؛ كثافتها 7،1 - 7،5 ؛ صلابتها 5 - 5،5 ؛ لونها أربد أسود إلى رمادي أسمر ؛ لمعانها شبه معدني إلى معدني.

تنفرد الفولفراميت بنقطة انصهارها البالغة 3390 سع والتي تتجاوز نقط انصهار سائر المعادن الأخرى. افتراضيا، توجد سلسلة متكاملة من الفيريريت ($Fe WO_4$) إلى الهوبنريت ($Mn WO_4$)، تتوسطها الفولفراميت $(Mn, Fe)WO_4$. نجد الفولفراميت إما في العروق المروية ذات حرارة مرتفعة، حيث تكون مجتمعة إلى الشيليت أو الأركزة الحرمائية الموجودة إما في الأعبل أو في حلقته التحولية.

2 - الشيليت : أصلها مشتق من اسم العالم السويدي "شيل" أول من اكتشف التنكستين ؛ أما تركيبتها الكميائية فهي $Ca WO_4$ حيث تمثل CaO = 19،47٪ و$WO_3$ = 80،53٪. نظامها البلوري تربيعي، بلوراتها هرمية أو على شكل ألواح أو مواشير ؛ كثافتها 5،9 - 6،1 ؛ صلابتها 4،5 - 5 ؛ ذات لون أبيض أو أصفر ؛ مستشعة عند عرضها للأشعة ما فوق البنفسجية (U.V) ؛ لمعانها زيتي إلى ألماسي. نجد الشيليت في الأركزة المروية المرتبطة بالأعبل أو بحلقته التحولية، وبخاصة في الأحجار الجيرية التحولية ("سكارن") حيث توجد مجتمعة إلى معادن القصدير والنحاس. كما تصحب الشيليت الفولفراميت في الأعبل الغليظ الحبات (البجماتيت) ؛ والكاستريت والموليبدين، والفلورين، والزبرجد في الاركزة الحرمائية العالية الحرارة.

تتوزع أغلب رواسب التانكستين المعروفة بالمغرب على المجالات الآتية :

- المجال الأطلسي، حيث رواسب إحلالية حرارية في مناطق التماس، مرتبطة بالاعابل الهرسينية ونذكر منها رواسب أزگر بالأطلس الكبير الذي أنتج ثلاثين طناً من الشيليت قبل الانقطاع عن استغلاله، رغم أنه لا يزال يحتوي على احتياطات مرتفعة وهامة من الشيليت بنسبة 0،3٪ من التانكستين ؛ وكذلك رواسب تيشكا (أخدود تغني) والذي لا نعرف عنه إلا القليل.

- مجال وسط المغرب، حيث يوجد به التانكستين على شكل فولفرام، مرتبطا بكتل أعبل أُلْماس وبلاد زعير وملوية العليا، أو في رواسب الاحلال الحراري في مناطق التماس، وذلك في الأحجار الجيرية التحولية بجنوب أعبل المانت.

ونشير إلى أنه لوحظ وجود الشيليت في سيدي بوعثمان بالجبيلات والرحامنة وذلك في مجاورة كتل الصخور المتداخلة.

يستعمل التانكستين في الفحم الثنائي، وخليطة المعادن الخاصة الشديدة الصلابة، وفي أسلاك المصابيح الكهربائية وذلك لارتفاع نقطة انصهاره 3390 سع.

عبد الله بوصحابة

**تانگمرت** وتانيمرت وتانجمرت تعني بالريفية الصيد بنوعيه البري والبحري. ولها أعراف يمكن اعتبارها عامة في جميع القبائل. فالصيد خصصت له أيام معلومة خلال الأسبوع ما عدا يوم الجمعة ويوم السوق. ويعتبر إجبارياً

لجميع الرجال المؤهين لذلك، إذ أنه كلما كان العدد كثيراً، كانت الحصيلة أوفر. وكل الغنائم المحصل عليها تصبح ملكاً جماعياً. ففي فخذة إزمّورن من قبيلة بقوية خصص يوما السبت والاثنين موعداً للصيد من طرف الجماعة، وأما في فرقة بني حديفة من قبيلة بني ورياغل فكان موعد الصيد يومي الخميس والسبت، وهكذا فكل جماعة من قبائل الريف بصفة عامة لها وقتها المخصص للصيد البري وأماكنها الخاصة بها. وبخصوص أوقات الصيد ليس هناك وقت محدد، فالجماعة هي المسؤولة عن تنظيم الوقت، إذ تقوم بتحديد تاريخه ومكانه وهي المسؤولة أيضاً عن تقسيم الغنائم حسب الأعراف المتبعة لتفادي أي خلاف بين الأفراد، وغالباً ما يكون التوزيع بين المشاركين في حالة وفرة الصيد أما في حالة القلة فيكتفي بتنظيم مأدبة عشاء جماعية تضم المشاركين.

أما الوسائل المستعملة في الصيد فهي بسيطة وهي من صنع محلي كالفخ الذي ينصب في أماكن مختلفة لاصطياد مختلف الحيوانات البرية، وتستعمل الكلاب والبنادق التي تخصص لصيد الخنازير (إرْفَنْ). وفي حالة وقوع نزاعات بين الصيادين فإن الملكف بالمراقبة هو الذي يفصل بينهم. وإذا تعذر الأمر عليه ترفع القضية إلى شيخ القبيلة للفصل في المشكلة، بعد الأخذ برأي الملكف بالمراقبة. والغرامة المخصصة لمخالفة قوانين الصيد كانت تقدر في عهد الحماية بخمس وعشرين بسيطة حسب بلانكو (E. Blanco E.I.). وأهم الحيوانات التي يصطادها الصيادون هي الأرانب البرية (أيَرْزْ) والحجل (ثِسكْرِينْ) والثعلب (أوهارْ).

وبخصوص الصيد البحري فإن قبائل ساحل الريف عرفت هذا النوع من النشاط منذ القدم، فالوزان عندما تحدث عن مدينة بادس التاريخية أشار بأن السكان كانوا : "يقتاتون على الخصوص بالسردين وغيره من السمك لأن الصيادين يصطادون منه كميات وافرة". وكان بعض السكان يساعدون البحارة في جر شباكهم، فأغلب الفقراء من القبائل المجاورة يحضرون كل صباح لمد يد المساعدة للصيادين مقابل كمية من السمك لهم وللحاضرين من الناس. ومازالت هذه الظاهرة موجودة في منطقة الريف الأوسط إلى اليوم خاصة في مرسى "يليش" التي تعرف حالياً بـ"قوس قزح" (Cala Iris) الواقعة بمجال قبيلة بني بوفراح.

وتعتبر قبيلة بقيوة من أهم قبائل الريف في مجال الصيد سواء في القرن الماضي أو في القرن الحالي، حيث تعددت فيها المراكب الصغيرة (ثَغَرّيوتْ ج. تغَرُّبَ) والتي غالباً ما كانت في ملك بعض الأعيان أو مشتَركة بين بعض الأشخاص. وجل هذه المراكب استغلت في تجارة التهريب خلال القرن الماضي. وإذا كان الصيد البحري قد لعب دوراً أساسياً في اقتصاد قبيلة بقيوة، فإن أهميته الاقتصادية بالنسبة لقبيلة بني ورياغل يبقى ضئيلا في القرن الماضي وبداية القرن الحالي، ويرجع السبب في ذلك إلى أن القبيلة كان ساحلها معرضاً لطلقات المدفعية الاسبانية المتمركزة في حجرة النكور مما حال دون تشجيع السكان على ولوج البحر واستغلال ثرواته السمكية، لكن لا يعنى هذا أن الورياغليين لم يستغلوا صيد السمك بل كان لهم نشاط مهم منذ بداية القرن الحالي حسب ما أشار الكتاب الاسبان مثل بلانكو الذي أورد قانوناً خاصاً بالبحر حيث حدد فيه مسؤولية الصيادين، بالإضافة إلى الوسائل المستعملة في الصيد. والملاحظ أن الورياغليين أقل جرأة لولوج البحر بخلاف أهالي قبيلة بقيوة الذين كانوا أكثر شجاعة وجرأة في ولوجه. وهناك مثل شعبي يشير إلى أن البقيوي عندما يولد يأخذ الأب سمكة ويضعها قرب أنفه ليشم رائحة البحر وبذلك يصبح مولوعا بالبحر بينما الورياغلي عندما يولد يقوم الأب بإطلاق رصاص بندقيته قرب أذنيه ليصبح مقاتلاً.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. م. حجي وم. الاخضر، ط. 2، بيروت، الرباط، 1983 ؛ م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، 1 : 696 ؛ *رواية شفوية*.

E. Blanco Izaga, *La Ley Rifeña*, Ceuta, 1939 ; A. Ghirelli, *Monografia de la Kabila de Bani It-Teft*, Madrid, 1956.

عبد الرحمان الطيبي

**تانگيت** أو تانقيت، اسم امرأة أمازيغية من غمارة بشمال المغرب، أول من تحدث عنها على ما يبدو، هو أبو عبيد الله البكري في كتابه المسالك والممالك. اشتهرت تانگيت، حسب ما نعرف عنها من خلال مصادر مناوئة، بالكهانة. ويبدو أنها لعبت دوراً أساسياً في الحركة التنبؤية التي تزعمها ابن أخيها حمّو بن منو المعروف باسم "حاميم" والتي ظهرت إلى الوجود في بداية العقد الثاني من القرن الرابع (10 م)، وهي حركة مشابهة للحركة البورغواطية من جوانب متعددة.

كانت قبيلة مَجْكَسَة أو مَجْكيسَة (إيمَاجْكاسْنْ) الغمارية، التي كانت تقطن بنواحي تيطّاون هي أولى القبائل التي آمنت بمذهب حاميم وعمته تَانْگيتْ. وقد ورد اسمها عند البكري بهذا الشكل "تانقيت" بالقاف بدل الگاف (المعقودة) على عادته في مثل هذه الحالة. ورغم أن جل المصادر الأخرى التي كتبت فيما بعد نقلت عن البكري، مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، أخبار تَنْگيتْ، فإنها كتبت اسمها بأشكال مخالفة لما ورد في الأصل.، وهكذا كتبها مؤلف كتاب *الاستبصار* "تاليت"، وكتبها مؤلف *الاستقصا* ـ نقلا عن ابن خلدون ـ "تالية". ويبدو أن ابن خلدون نقل ما يتعلق بهذا الموضوع عن ابن أبي زرع أي من *القرطاس*. والذي كتبها "تاليت" كصاحب *الاستبصار*. والجدير بالذكر أن أحد أصحاب ابن تومرت العشرة كان اسمه هو يحيى بن تَنْجيتْ حسب ما ورد في كتاب الحلل المرشية.

أما عن معنى كلمة "تَانْگيت" فإن الحسم فيه يبدو الآن صعبا. ولكن هذا لا يمنع من إبداء بعض الملاحظات التي قد تكون صالحة في تقريب المعنى المطلوب.

لقد وردت كلمة "تانقيت" عند ابن البيطار في كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. وقال عنها: "اسم بربري بافريقية وما والاها لنوع من النبات شوكي لا يسمو عن الأرض وعليه شهبة ظاهرة في أوراقه، وهي مشرفة وله أصول غائرة في الأرض..."(قارن مع لاووست في كتابه *كلمات وأشياء أمازيغية*، ص. 491).

ووردت كلمة "تامگيت" (ابدال الميم نونا والعكس، واقع مألوف في الأمازيغية) عند شارل دو فوكو في معجمه بمعنى التي تشتهر بأعمالها المتميزة خيراً أو شراً.

وأخيراً نشير إلى أنه لا يستبعد أن تكون كلمة "تانيت" التي هي اسم واحدة من الآلهة القديمة المعروفة في شمال افريقيا، هي نفس الكلمة "تانگيت"، إذا علمنا أن حرف الگاف (بثلاث نقط فوق) تنطق ياء كذلك في مجموع اللهجات الأمازيغية.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 100، 107، 1965؛ ابن ابيطار، *الجامع*، ص. 134، 1291 هـ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 99، 1973؛ مجهول، *الاستبصار*، ص. 191، 1985؛ مجهول، *الحلل الموشية*، ص. 108، 1979؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 1، ص. 192، 1954؛ التقي العلوي، مجلة *البحث العلمي*، عدد 27 ص. 222؛ وعدد 31، ص. 29، 35؛ شارل دو فوكو، معجم (بالفرنسية)، ج 1، ص. 379، 1951.

G. Marçais, *La Berbérie...*, p. 128, 1946.

علي صدقي أزايكو

**تَانْكِيسْتْ**، قرية تقع بأراضي قبيلة إيدأوگارسموكت، إلى الشرق من جبل وارزمن على وادي والغاس (ماسة). تتفق الروايات على أهمية القرية قديماً. وكانت مشهورة بغناها الزراعي بفضل ساقيتها الكبيرة واعتناء سكانها بعملية تصريف المياه. وتعتبر أيضاً من المراكز العلمية المعروفة بقبيلة رسموكة الجبل، وتعرف بعلمائها الزعنونيين، ومرابطيها من أهل تيلگات. أما عن أسباب خرابها، فقد لاحظ المؤرخ الحسين الوجاني أنها توالت عليها صراعات محلية. ويوجد جزء كبير من ترابها الحالي مغموراً تحت مياه سد يوسف بن تاشفين.

*تاريخ الوجاني الحسين بن الحسن* (مخطوط).

أحمد بومزگو

**تَانُوتْ**، (أرض ـ) بمكناس. يرجع أصل تسمية هذه الأرض إلى الأمازيغية، ويعني اسم أنو، البئر في العربية، وجمعه أُونَا، ويقال في الزناتية أنوين، وتصغيره تانوت، وعليه فأرض تانوت المحاذية لأرض لعويجة قرب حي الزيتون بمكناس ـ قريبا من الحي الجامعي الواقع أمام باب كبيش ـ تنسب إلى بئر صغير كان موجودا بها. وقد استولى أربعة معمرين فرنسيين على أرض تانوت التي قدرت مساحتها بمائة وخمسين هكتارا، وهؤلاء المعمرون هم فيكتور فرانس Victor France وبيير بيري Pierre Perret ودوسطاديو Destadieu ولويس لرتيگ Louis Lartigue.

طالب المعمرون الأربعة السلطات الفرنسية بمكناس بمنحهم 75 ل/ث من مياه بوفكران لسقي أراضيهم بتانوت، واستجابت الدوائر التقنية المسؤولة بمكناس لرغباتهم، وعملت على مد ساقية من حوض تجمع مياه بوفكران جنوبا سيدي بوزكري ـ قرب المعمل الكهربائي ـ إلى هذه الأراضي وصولا إلى قصبة گدارة. بعد ذلك قدموا طلبا جماعيا لنفس الدوائر يلتمسون منها إضافة 1 ل/ث لسقي كل هكتار في ملكيتهم، ليصل مجموع ما طالبوا به 225 ل/ث من أصل 450 ل/ث الصبيب الكلي لوادي بوفكران أي النصف.

عقدت اللجنة التقنية المكلفة بتوزيع مياه بوفكران عدة اجتماعات للنظر في هذه النازلة ـ وفي توزيع مياه بوفكران بين المنتفعين بها ـ وكان آخرها يوم 28 أبريل سنة 1936 حيث رخص لثلاثة معمرين من تانوت بأخذ 20 ل/ث لسقي الأراضي التي استحوذوا عليها، وهي أصلا ملك للمخزن أو للأهالي، وهكذا أخذ Victor France 10,3 ل/ث من مياه بوفكران لري ملكيته التي سماها: أدولفين Adolphine والمسجلة بالمحافظة العقارية تحت رقم 42 ومساحتها 75 هكتارا، في حين منح لـ: Louis Lartigue 5,5 ل/ث لسقي ملكيته المسماة Ferme Atou ورقمها العقاري 722K وتبلغ مساحتها 10 هكتارات، ويملك نفس المعمر أرضا ثانية بتانوت وتسمى Ferme des deux couteaux ورقمها العقاري 256K ومساحتها 20 هكتارا.

كما كان المعمر Pierre Perret يملك الضيعة المسماة Ferme Odette المسجلة تحت رقم 1052K ومساحتها 30 هكتارا، وقد وهبته اللجنة المكلفة بتوزيع مياه وادي بوفكران 4,2 ل/ث.

هكذا كان نصيب 145 هـ من مياه بوفكران 20 ل/ث لمصالح ثلاثة معمرين فقط، في حين أسفر البحث الذي أجراه التقنيون الفرنسيون بالأشغال العمومية عن منح سكان مكناس الذين تجاوز عددهم سنة 1936 اثنين وستين ألف نسمة، 150 ل/ث، مما يوضح الحيف الذي لحقهم، فكان رد فعلهم ما حصل في فاتح وثاني شتنبر سنة 1937 فيما أصبح يعرف بأحداث بوفكران، التي انفجرت بسبب تحويل جزء من ماء بوفكران إلى ضيعات المعمرين في أرض تانوت.

بو. بوعسرية، *أحداث بوفكران بمكناس*، فاتح، ثاني شتنبر 1937، الرباط 1990؛ م. شفيق، *في أن أسماء الأماكن في المغرب جلها أمازيغية*، البحث العلمي، السنة 24، العدد 27، يناير يوليوز 1977.

بوشتى بوعسرية

**تانوت** ـ الأطلس الكبير ـ ← **إيمي نْ تانوت**

**تَانُوتْ الرمّان**، قرية تقع بفرقة بني فكلان من قبيلة بني سيدال (إقليم الناظور). وقد لعبت دوراً مهماً خلال الأيام الأولى من اندلاع الثورة الريفية بقيادة الأمير محمد

بن عبد الكريم الخطابي في شهر يوليوز 1921. ففي يوم 30 من الشهر المذكور وصل مجاهدو قبيلة بني ورياغل إلى ناحية مليلية من أجل اقتحام المدينة السليبة فتمكنوا من استرجاع مدينة الناظور يوم 2 غشت وقصبة سلوان في اليوم التالي، وهو اليوم الذي وصل فيه الخطابي إلى جبل ماورو بقبيلة بني سعيد الريفية، تم توجع في اليوم التالي إلى قرية تانوت الرمان ولم يبق الخطابي بالقرية المذكورة سوى عشرة أيام حيث ألم به مرض أرغمه على الرجوع إلى مسقط رأسه بأجدير يوم 15 غشت.

وكان الغرض من وجود الخطابي بتانوت الرمان الحيلولة دون اقتحام المجاهدين لمدينة مليلية خشية أن يقوم المجاهدون بأعمال عنف وتجاوزات في حالة دخولهم للمدينة المذكورة التي لم يكن يوجد بها سوى المدني ؛ ويعترف الخطابي في مذكراته بأنه ارتكب بذلك خطأ كبيرا حيث ترك للجنرال بيرينگير (Berenger) فرصة إعادة تنظيم قواته التي مكنته من استرجاع مدينة الناظور يوم 19 شتنبر ومركز تينغمرت (تاويما) يوم 23 من نفس الشهر.

ولم يعد الخطابي إلى ناحية مليلية إلا يوم 29 شتنبر، أي بعد غياب طال أربعة وأربعين يوما ؛ وقد حاول الخطابي استرجاع سوق سبت بني شيكر يوم 2 أكتوبر دون جدوى، فكان رد فعل بيرينگير أنه تمكن من استرجاع مركز أزغنغان يوم 8 ومن احتلال جبل گوروگو يوم 10 وقصبة سلوان يوم 14.

وظل الخطابي بتانوت الرمان إلى يوم 10 أبريل 1922 دون أن يتمكن من الوقوف في وجه الزحف العسكري الإسباني.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*، الرباط، 1983.

Berenger, *Rif y Yebala.*

محمد ابن عزوز حكيم

**تانيجوت** أو تينجوت، قصر قديم كان يجاور موقع مدينة سجلماسة بتافيلالت.. والقصر كلمة يقابلها لفظ الدُّوَّارْ أو الدشَرْ بباقي مناطق المغرب الأقصى، وتستعمل للدلالة على السكن القروي في واحات زيز وغريس ودادس ودرعة وتسمى بالبربرية إغْرَمْ جمعه إغْرمَانْ. كما تستعمل بعض الكلمات الأخرى كمرادفات لها كالگصْبَة والگْصيبَة أي القصبة وصيغة تصغيرها أو الگْصيرَة وهي القصر بصيغة التأنيث (*سجلماسة*، 101).

وتانيجوت أحد القصور التي كانت تجاور موقع مدينة سجلماسة. ولا نعرف الأصل في هذه التسمية ولا معناها فقد أثبت مترجم كتاب الوزان هذا اللفظ على الشكل التالي : تَنجْيُوتْ (*وصف افريقيا*، 2 : 25) وينطقه المحليون بتافيلالت إلى اليوم تَانجيوتْ، ويشمل بالنسبة لهم كل المنطقة الواقعة في الشمال الشرقي لواحة تافيلالت بالمعنى المحلي للكلمة أي الواحات المحيطة بالريصاني. ثم إن تانيجوت اليوم هي إحدى المقاطعات الست التابعة من الناحية الإدارية للمركز المذكور أعلاه وهي : السيفة وبني امحمد وتانيجوت وواد إيفلي والغرفة والسفالات (*سجلماسة*، 106).

تضم المنطقة التي تعرف اليوم بتانيجوت قصورا عديدة أهمها القصر الفوگاني ـ الذي يقع في العالية بالنسبة للمجال ـ وقصر مزگيدة وأولاد يوسف، ولا يوجد بها قصر مأهولاً كان أم مهجوراً يحمل اسم تانيجوت. وقد ذهب كل من Jacques Meunié وD. Jacques Meunié إلى القول بأن القصر الفوگاني هو قصر تانيجوت الذي تحدث عنه الوزان في القرن العاشر الهجري (16 م) (*Abbar*, 50). وقد مكنتنا زيارتنا للمنطقة مرات عديدة أثناء اشتغالنا بالبحث في تاريخ سجلماسة من الوقوف على القصر الفوگاني، وأثار إنتباهنا كثرة الأبراج به حيث يبلغ عددها أربعة عشر برجاً، وهو ما يؤكد أهمية هذا القصر بالمقارنة مع غيره من القصور الكبيرة بتافيلالت. ويهمنا هنا أن لفظ تانيجوت لم يعد يدل اليوم على قصر من القصور وإنما يدل على منطقة شاسعة نسبيا يحدها مركز الريصاني وضريح مولاي علي الشريف من جهة الجنوب، والحد الشمالي لواحة تافيلالت بالمعنى المحلي للكلمة من جهة الشمال ووادي زيز من جهة الغرب والساقية المعروفة باسم الغرفية من جهة الشرق (خريطة أرفود). وقد اختفى هذا القصر ليترك أثره في تسمية المنطقة التي وجد بها، كما هو الحال بالنسبة لسجلماسة نفسها التي كانت اسما للمدينة ولإقليمها.

يرجع تاريخ تأسيس قصر تانيجوت إلى تاريخ خراب مدينة سجلماسة حسب رواية الحسن الوزان الذي قال بأن المرينيين عهدوا بحكم هاته المدينة الأخيرة إلى أبنائهم وأقرب الناس إليهم، إلى أن مات أبو العباس أحمد فثار سكان الإقليم وقتلوا الوالي المريني على سجلماسة وهدموا سورها فبقيت خالية وافترق سكانها وسكنوا قصورا ضخمة محصنة (*وصف افريقيا*، 2 : 121). وعليه فإن خراب مدينة سجلماسة قد تم مع ثورة أهاليها بعد موت أبي العباس أحمد المريني، أي في عهد خلفه أبي فارس عبد العزيز 796 هـ ـ 811 هـ / 1394 م ـ 1408 م بدليل أن آخر القطع النقدية التي نتوفر عليها والتي ضربت بمدينة سجلماسة تعود لفترة حكم هذا السلطان المريني (*سجلماسة*، 418) وما بعدها.

لقد انتقل سكان هذه المدينة بعد اندراسها إلى سكنى قصور كبيرة محصنة ذكر الوزان منها تانيجوت ـ وهو أقربها إلى موقع المدينة ـ وتَبُعْصَامْت والمامون (*وصف افريقيا*، 2 : 125). وقد أصبحت لهذه القصور أهمية كبيرة بعد اختفاء مدينة سجلماسة وصارت تمارس نشاطات تجارية وحرفية لم تكن من اختصاصها في السابق، خصوصا وأن القوافل التجارية الصادرة والواردة بين المغرب الأقصى والسودان الغربي لم تنس مجالات سجلماسة حتى بعد خراب حاضرة هذا الإقليم (*وصف افريقيا*، 2 : 125 ـ 126).

كان لكل من تانيجوت وتبعصامت والمامون في القرن العاشر الهجري (16 م) أمير يدير شؤون القصر ويعمل على

حمايته من غارات الأعراب. واستقر بهذه القصور الحرفيون والتجار المسلمون واليهود كما كان بكل منها دار سكة تضرب بها مثاقيل خفيفة من الذهب الرديء ونقود من الفضة، كان مثقال الذهب يساوي ثمانين قطعة منها. وقد ذكر الوزان أن بهذه القصور بعض الأغنياء الذين كانوا يسافرون إلى بلاد السودان لجلب الذهب والعبيد (*وصف افريقيا*، 2 : 126) وأن عدد سكان تانيجوت نحو ألف كانون (*وصف افريقيا*، 2 : 125).

ح. الـوزان، *وصف افريقيا*، ج 2، الرباط، 1982 ؛ *الخريطة الطبوغرافية لأرفود* 1 / 100.000 ؛ ح. حافظي، *سجلماسة وإقليمها في القرن 8 هـ / 14 م، مساهمة في دراسة مجتمع الواحات في العصر الوسيط*، د. د.ع، فاس، 1989.

D. Jacques Meunié, et Jacques Meunié, *Abbar et le Tafilalet d'après les textes*, *Hesp.*, 1er - 2ème Trim., 1959.

حسن حافظي علوي

**تَاهْدَارْتْ**، نهر جنوب طنجة، تنحدر مياهه أصلا من جبل وادراس، يخترق أراضي فرقة البگارة الوادراسية. وهو يتكون من نهرين : نهر المهرهر الذي يعرف في منبعه بفندق العين الجديدة (قبيلة وادراس) بالوادي الكبير، ونهر يعرف عند منبعه بجبل الريح (بني يدر) بوادي الخروب، ثم يتخذ اسم وادي الحشف عند لقائه بوادي المهرهر ليمر بفحص عمرو، من بني مصور، حيث يشكل مجراه منعطفات نهرية غير ثابتة المجرى، ثم تتجه مياهه نحو الجنوب الغربي إلى أن يصب في المحيط بالمرسى التي تحمل اسمه مارا بقرية المرس بين بريش الشمالية واختها الجنوبية. وطوله خمسة وستون كيلومترا.

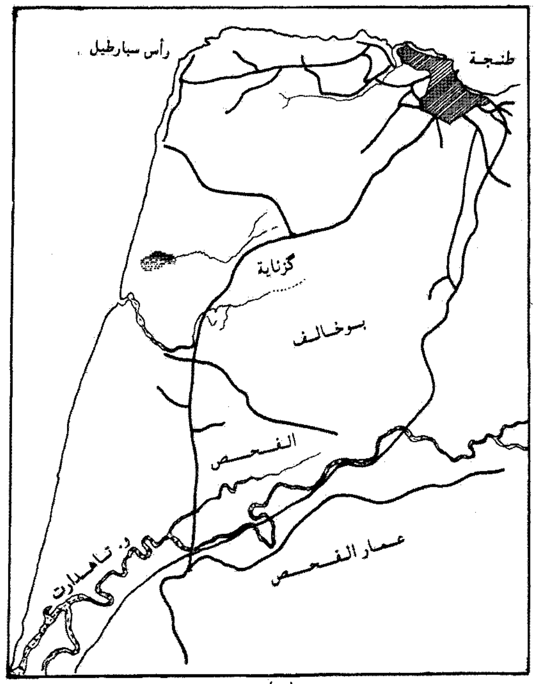


تاهدارت

أول من ذكر تاهدارت أبو عبيد الله البكري في القرن الخامس (11 م) بمناسبة الإشارة إلى النهر وإلى القرى المستقرة بحوضه الأدنى واصفا الطريق الرابط بين أصيلا وطنجة. وحينما ذكر البكري أهل تاهدارت لاشك أنه كان يعني قبل كل شيء التجمع السكاني الذي تمثله اليوم قرية حجرة النحل الواقعة على الضفة اليسرى، عند أول انحراف النهر نحو الجنوب الغربي، مما يقابل قرية هوارة الساحل. وقد أشار مصدر برتغالي إلى وجود خمس قرى، لذا يمكن أن يضاف إلى حجرة النحل، قرية المرس الواقعة على الضفة اليسرى وقرية بريش الشمالية الكائنة بالضفة اليمنى وأخيرا بريش الجنوبية المشرفة على المصب من الجهة الجنوبية.

وفي بداية النصف الثاني من القرن التاسع (15 م) ازداد عدد سكان القرى بسبب ما تلقاه حوض تاهدارت من هجرة، أصلها من أهل قرى واد أليان الداخلة في أنجزة، وأهل طنجة البالية وفحصها، نتيجة الضغط البرتغالي انطلاقا من القصر الصغير المحتل سنة 863 / 1458. ويعود تاريخ تلك الهجرة إلى سنة 868 / 1463. وإلى تلك القرى وصل العاهل البرتغالي الفونص الخامس في نفس السنة، بقصد استطلاع أحوال تاهدارت ومدينة أصيلا التي كان بها محمد الشيخ الوطاسي، متحصنا من ملاحقة السلطان عبد الحق المريني.

ومن المرجح أن يكون قد طرأ على عدد سكان قرى تاهدارت نقصان إثر احتلال البرتغال لأصيلا وطنجة سنة 876 / 1471، إذ أن الطريق العسكري البري الرابط بين المدينتين المحتلتين كان خطه مارا بتلك القرى. وأول مكان يلجأ إليه السكان هو جبل الهوتة المشرف علي الممر، وهذا مما أتاح لهم مراقبة تحرك جنود المدينتين. وحدث كذلك أن اتخذت سفن تطوان والعرائش مصب واد تاهدارت مخبأ لها لاعتراض السفن البرتغالية المتوجهة إلى أصيلا أو العائدة منها إلى طنجة. ولم يعد الهدوء والاستقرار إلى قرى تاهدارت إلا بعد انسحاب البرتغاليين من أصيلا سنة 957 / 1550، دون أن تكون آمنة من عدوان طنجة.

البكري، *المغرب*، ص 113 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 366.

حسن الفگيگي

* * وهناك مرسى تاهدارت تقع بشاطئ قبيلتي الفحص والغربية حيث يصب نهر تاهدارت مياهه بالمحيط الأطلسي وينتج عن ذلك تكوين شبه بحيرة لفتت أنظار الأقدمين حيث نجد رحلة سيلاس Periplo de Scylax تسميها ببحيرة سيفسياس Céphésias ؛ ويقول مويط Mouette (ص. 306) إن تجار مرسيلية أسسوا سنة 1683م وكالة تجارية بهذه المرسى التي سماها تاگدارت Taguedarte.

Blazquez y Delgado, *Estudios geografico-historicos sobre Marruecos*, Madrid, 1913 ; (*Periplo de Scylax*, p. 112) ; G. Mouette, *Histoire des conquestes de Mouley Archid connu sous le nom de Rey de Tafilet et de Mouley Ismael ou Semein son frère...*, Paris, 1682, p. 306.

محمد ابن عزوز حكيم

**التاهرتي**، محمد بن عبد القادر (السوسي)، شخصية

مجهولة لم يذكرها - فيما نعرف - سوى عبد الرحمن التامنارتي. ولم يشر إلى أصله بغير نسبته إلى تاهرت ولا إلى متى قدم من بلاد الواسطة إن كان طارئاً على المنطقة. وإنما تحدث عنه كثائر قائم في مدينة تيزنيت يدعي المهدوية وينشر ناموسه في المناطق الساحلية الجنوبية. وقد حزرنا أن تكون ثورته امتدت من عام 1035 إلى عام 1039 / 1626 - 1630 لأنها فترة الضعف والانتظار في سوس الممتدة من موت يحيى الحاحي أمير تارودانت إلى استيلاء أبي حسون السملالي أمير إيليغ على شمال سوس.

ومن أجوبة التاهرتي عن المراسلات التي كان يتلقاها من القاضي التامنارتي - على افتراض أنه منشئها - يبدو أنه شادٍ في اللغة العربية والترسل والجدل، لا يقل درجة عن قرينه في دعوى المهدوية الفقيه الأديب أحمد بن أبي محلي. كانت مراسلات التامنارتي للتاهرتي نثرية وشعرية، ترغيبيّة وترهيبيّة، لكن المترجم - كما يبدو من أجوبته - كان مصمماً على السير قُدُماً في خطته الباطلة، يرى لنفسه الخصوصية وأحقية الحكم لإصلاح الفساد المنشر. يقول في أحد ردوده : "أنا حجاب النور، وسقف البيت المعمور. أنا هدية الرحمان، ومغضب الشيطان، وهازم السلطان" وهي طويلة أثبت نصها كاملا التامنارتي في *الديوان*. وبعدها قصيدة رائية طويلة كذلك تنتقد القاضي التامنارتي ومن معه لتواطؤهم على إسناد الإمارة إلى من لا تتوفر فيهم شروطها، يعني الملك السعدي القابع في مراكش والأميرين الصوفيين في إيليغ وتارودانت.

وآخر مراسلة بعث بها التامنارتي إلى التاهرتي يغلظ له القول وتنتهي بقصيدة رائية من بحر البسيط من تسعة وعشرين بيتاً جاء في آخرها :

نسجت بالهُجر يا ضلّ الانام فخذ    جواب هُجرك منا والتقم حَجَرا

ثم يُسدل الستار فلا نعرف شيئاً عن نهاية هذا المهدي الدجّال.

ع. التامنارتي، *ديوان*، مخطوط، 11 - 17 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 231 - 235.

محمد حجي

**تاويّالت**، قبيلة بمنطقة الدورة وطرفاية. يفسح فقهاء القبيلة المجال أمام محمد صالح بن واندلوس السوسي الصوفي الأسود اللون ليجعلوا منه الجد الأعلى (م. السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 192). أفرد كتاب *التشوف* لهذا الصوفي ترجمة مطولة تثبت أن صاحب الكتاب قد عرفه حيا وأنه كان "من أعاجيب الزمان وأخباره كثيرة" (*التشوف*، 347 - 349). إذا حاولنا أن نأخذ صورة مضبوطة عن هذا الصوفي من خلال ترجمته وجدنا المعطيات لا تفسح المجال إلا لبعض الاحتمالات. فقد توفي سنة 591 / 1194 بعد حياة مليئة بالكشوفات الباطنية. انتقل من موطنه بتارودانت إلى مراكش وأغمات أوريكة حيث استقر ليعود أخيراً إلى تارودانت حيث توفي. وواضح من مساندته لجيوش المسلمين في معركة الأرك أنه كان يتبنى المواقف السائدة في وسط المتصوفة الأفراد المتجولين. كان أهله يتوفرون على خوابي المسكر مما يؤكد انتماءهم الفعلي المتقادم للوسط الروداني المتميز. وفعلا فقد ورث عن أبيه من الأملاك ما يؤكد انتماء أهله للفئات الميسورة. كانت داره بمراكش حيث تعرف عليه صاحب كتاب *التشوف* مأوى الفقراء باستمرار. ومما يدل على أنه لم يكن يفتقر إلى المال أنه كان يخرج بصدقات أو يرمي إليهم الدراهم من بين الأبواب.

على أن كتاب *التشوف* لا يذكر ما إذا كان هذا الجد قد خلف فعلا أولادا. وإذا أضفنا إلى ذلك شهرة قبره حيث أصبح يعرف بسيدي أ ُوسيدي، وجدنا أن انتماء تاويّالت إليه قد يدخل في نطاق التركيب الاجتماعي للملتفين حول زاويته. إن نزوع الأتباع إلى الالتحام والتوحد تحت لواء الانتماء إلى الشيخ المؤسس يُخضع تاريخهم إلى كثير من البلورة. نجد أيضا أن فقهاء تاويالت بالطرفاية يربطون نسبهم بالنسب الشريف مما ينقلنا إلى أوصاف لا تستجيب لمتطلبات الملاحظة المضبوطة. فقبيلة تاويالت قائمة الذات تماما كسلطة دينية متميزة بحملها الكتاب وابتعادها عن الصراعات الميدانية. فلا هي بخاضعة لسلطة المحاربين ولا هي مقطوعة الأواصر عنهم. يقوم إزرگيين مقام الساهرين على أحوال تاويالت حيث يقتصر هؤلاء على الاحتكام إلى حلفها مع لف أيت الجمل القريب. وإذا كان إزرگيين يعترفون بالمكانة الدينية لتاويالت كقبيلة لا تحمل إلا الكتاب، فإن فقهاء هذه القبيلة لا يتجاوزن ذلك إلى التعامل مع غير حلفائهم. وفي هذا الإطار جسد علي الليلي سلطة علمية بالصحراء استمرت شهرته وانتقلت بعد وفاته سنة 1300 / 1882 إلى أبنائه وأحفاده. اعتاد تاويالت مصاهرة حملة الكتاب الصحراويين وخاصة منهم أولاد أبيري. إلا أن تتبع مراحل تنقل علمائهم وفقهائهم خلال العقود الأخيرة يكشف عن اندماجهم بالمدارس العتيقة والكبرى داخل مدن المغرب كالصويرة وفاس وتارودانت وتيزنيت. (السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 192). وتعد الآن هذه القبيلة ضمن لوائح القبائل الصحراوية المشهود لها بالارتباط العضوي بالمحور الساحلي الرابط ما بين طرفاية والصويرة.

ي. التادلي ابن الزيات، *التشوف* ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4.

P.Marty, *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, 1914 ; F.C. De La Chapelle, *Les Tekna du sud ouest marocain* ; V. Monteil, *Les Tekna* ; A. Le Chatelier, *Les Tribus du sud ouest marocain*, 1891.

مصطفى ناعمي

**تاوجدات** أو تاوجطات (عين -)، أهم مركز حضري في بادية سهل سايس، يقع بين مدن فاس (20 كلم) ومكناس (41 كلم) والحاجب (33 كلم)، وربما يرجع أصل التسمية إلى العين التي وجدت هناك، وهي تقع عند مدخل المركز على الطريق المتجهة إلى الحاجب.

ليس هناك ما يدل على أن موقع تاوجدات لعب دوراً تاريخياً ذا بال. فالآثار التاريخية الشاهدة منعدمة، والأرجح أن استقرار السكان بها يرجع إلى عهد الحماية الفرنسية، وهم في الأغلب ممن اجتذبهم الاستغلال الاستعماري في المجال الفلاحي، إذ اشتهرت المنطقة بانتاج الحبوب وزراعة الكروم. وزاد من أهمية تاوجدات سهولة اتصالها بالمدن والمناطق المجاورة عبر شبكة من الطرق الثانوية وخاصة مرور خط سكة الحديد بها.

ينعقد في تاوجدات سوق أسبوعي - من أهم أسواق سهل سايس - تستفيد منه الفرق التابعة لقبيلة بني مطير الشمالية. ويحتوي المركز حاليا على مجموعة من البنيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والرياضية، منها ما يعود إلى أيام استقرار الفرنسيين بها كمخزن الحبوب الضخم ومعصرة العنب والملاعب الرياضية والمسبح ومركز صحي، ومنها ما ظهر أو تطور في ظل الاستقلال كمعمل زيت الزيتون والفلفل الأحمر وغير ذلك.

لم تتوقف تاوجدات عن التوسع العمراني كنتيجة من نتائج التزايد المستمر في عدد السكان، ورافق ذلك توسع في مجال الخدمات حيث يوجد بها أربعة أطباء يشتغلون في القطاع الخاص وثلاث صيدليات وثلاث مدارس ابتدائية وإعدادية وثانويتان إحداهما فلاحية.

*استطلاعات ميدانية.*

محمد أمين

**ابن تاودة، عبد الرحمن العمراني** هكذا أورد اسمه مؤلف *الاستقصا*، ووصفه بـ "القائد المجاهد الشاعر الفاضل". أما مؤلف *تاريخ الدولة السعدية* ومؤلف *نزهة الحادي* فقد نعتاه بـ "القائد علي بن ودة" وغير خاف أن الخلاف لفظي، ذلك أن أيا من هؤلاء المؤرخين لا ينكر أن المترجم كان على وشك استرجاع البريجة (الجديدة) من أيدي البرتغاليين، فقد كان قائدا مغوارا، حاجبا للسلطان السعدي عبد الله الغالب بالله (965 - 981 / 1557 - 1574) ووزيرا له ولولده ولي العهد محمد الذي حمل اللقب الملوكي (المتوكل على الله) ثم اللقب الشعبي بعد خيانته وموته (المسلوخ). إن هؤلاء المؤرخين أو غيرهم لا يلقون علي حياة ابن تاودة وتصرفاته كثيرا أو مزيدا من الأضواء، لذا ظلت معلوماتنا عنه ناقصة إلى حد كبير.

برز اسم هذا القائد في معركة تحرير البريجة التي كان البرتغاليون احتلوها في عهد السلطان الوطاسي محمد الملقب بالبرتغالي (910 - 931 / 1505 - 1525) وزادوا في بنائها، وأحكموا تحصيناتها منذ سنة 914 / 1509. وقع احتلالهم لها في عهد ملكهم ايمانويل (1495 - 1521) الملقب بالمحفوظ.

بدأت حملة (الجديدة) التي تحولت إلى حصار دام أكثر من شهرين يوم 27 جمادى الآخرة 969 / 4 - 3 - 1562، وأسند السلطان القيادة الفعلية للقائد ابن تاودة، أما ابنه وولي عهده، الذي رافق الحملة، فكان عمره لا يتعدى العشرين سنة، وكان حضوره يكتسي صبغة رمزية ليس إلا.

استعر أوار الحرب بين الفريقين: القوات المغربية من جهة، والقوات البرتغالية من جهة ثانية، وقد استعمل الأولون "الحراقيات" على اختلاف أنواعها، كما حصد رصاص رماتهم المهرة نفوس الذين كانوا يطلون من على السور، فيهوون إلى الأرض صرعى، أما الآخيرون فكانوا يستخدمون "الميتات" فكانت تقذف بالخلق إلى عنان السماء، أو تهوي بهم في باطن الثرى.

وأحس البرتغاليون بحرج موقفهم وبتفاقم الأزمة وقرب الهزيمة، واستيقنوا ان القائد المغربي ابن تاودة يكاد يستولي على المدينة، ذلك لأن جنوده يحتلون أبراج الجديدة بالفعل، ولم يبق في أيدي عدوهم إلا قليل صمم القائد علي أخذه في الغد.

وتختلف الروايات في نهاية هذا الحصار الذي ترأسه ابن تاودة، فالمؤلف المجهول *لتاريخ الدولة السعدية* يتهم عبد الله الغالب بأنه "باع" الحصن للبرتغاليين وأمر برفع الحصار عنه. بينما تقول روايات أخرى إن المجاهدين لم يتمكنوا من اقتحام الحصن لمناعته فاغتم السلطان الغالب لذلك غما شديدا، فأنشده أحد المجاهدين المتطوعين في الحصار، وهو الشيخ محمد بن إبراهيم التامنارتي (ت. 971/ 1564) بيت امرىء القيس ليسري عنه:

وماجبنت خيلي ولكن تذكرت  مرابطها من بَرْبَعيص وميسرا

مجهول، *تاريخ الدولة السعدية التاكمارتية*؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 71 - 73؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*؛ أ. الناصري، *الاستقصا*.

عبد الله العمراني

**تاودني** والمغرب، هل يمكن القول بأن هذه الملاحة قد شكلت تهديداً مباشراً لملاحات تغازى حتى قبل أن يرد ذكرها بمصادر القرن العاشر (16م)؟. مرد هذا التساؤل إلى موقع تاودني الذي لا يفصله عن جنوب شرق تغازى إلا حوالي 150 كلم. فالمتتبع لحركية تغازى يلاحظ بأن الطريق التي تربطها بتنبكتو عبر أروان تمر بموقع تاودني. كما أن كلمة سبخة التي تطلق على الملاحات توجد عادة على شكل بحيرات من الترسبات الملحية قد يتجاوز طول الواحدة 30 كلم وعرضها 12 كلم كما هو الشأن بالنسبة لتغازى وتاودني وإيجيل. من هنا فإن ملاحة تاودني الهامة لا بد أن تكون قد اكتست بالنسبة للمغرب منذ ما قبل القرن العاشر (16 م) صبغة استراتيجية غالبة. فهي أقرب إلى تنبكتو من تغازى علاوة عن كون لوحات هذه الأخيرة الملحية لم تعد خلال المرحلة الأخيرة من استغلالها بنفس السمك الذي وجدت عليه تاودني. ولا حاجة لنا هنا إلى التأكيد على ما نشأ من المبادلات بين تغازى وأروان وتنبكتو. كما أن طريق الحجاج المنطلقة جنوبا من ولاته كانت تمر من تغازى في اتجاهها نحو توات وورگلة ثم غدامس فليبيا ومصر (ابن بطوطة، *تحفة*، IV : 427؛ *تاريخ*

*الفتاش*، 34 ـ 37 / 59 ـ 64 ؛ *تاريخ السودان*، 7 : 13 ؛ ابن خلدون، *العبر*، VI : 415 ؛112 :II ,*Histoire des Berbères*).

تعد تيندوف التي أعاد بناءها العالم الجكاني الكبير بلعمش استاذ الشيخ ماء العينين سنة 1857 منطلق الطريق الرابطة بين الضفة الشمالية للصحراء الأطلسية ومدينة تنبكتو عبر تغازى ثم تاودني فأروان. تتجمع المسالك القادمة من الصويرة عبر وادي نون ومن مراكش عبر تامدولت وأقّا ومن فاس عبر سجلماسة. ينطلق محور تندوف ـ تنبكتو عبر تاودني موازيا لمحور تابلبالا ـ توات ـ تغازى فتاودني. إلا أن المحورين يقطعان منطقتي الخنك وإيكيدي. هذه الكلمة الأخيرة تفيد ما معناه منطقة الكثبان الرملية التي يصعب اقتحامها. ومع ذلك فإن دائرة هيمنة قبيلة مسوفة التاريخية كانت تشمل تغازى وجارتها تاودني إلى أن تتجاوز تيندوف شمالا خلال القرن الثاني (8 م). وإذا كان البرابيش قد تمكنوا قرنا بعد ذلك من الاستيلاء على تغازى (*تاريخ السودان*، 25 : H. T. 42 ؛ Norris, Yeminis, 1962, 319 - 320)، فإن ابن حوقل لم يلبث أن وجدهم بنفس المواقع متميزين بقدرة خاصة على الممارسات التجارية. لن تتمكن الحركة المرابطية من إدماجهم بشكل حاسم حيث ظلوا بصحرائهم إلى أن أصبحوا أسياد محاور التجارة ومراقبي سلعها وضرائبها (ابن بطوطة، *تحفة*، IV : 338 ؛ Ibn Khaldun, *Histoire des Berbères*, II, 67) لذا نعتبر دور مسوفة في مراقبة هذا المجال قد ساعد نسبيا على تسليط الأضواء على أهمية تاودني قبل بداية استغلالها الفعلي من جهة وعلى دور قبيلة تجكانت المسوفية من جهة ثانية.

إن المتتبع لنهج الإخوان المقري خلال القرن السابع (13 م) يلاحظ بأنهم استقروا بسجلماسة وتلمسان وولاته. وهو ما يعني أن دور تلمسان وسجلماسة شمالا قد جعل منهما عاصمتين رئيسيتين لمراقبة محور تغازى. فمنذ انحطاط الموحدين ظهرت بتلمسان دولة بني عبد الواد حيث قام يغمراسن بمحاولة الاستيلاء على سجلماسة لمدة دامت أزيد من خمس عشرة سنة كما أوضح ذلك ابن خلدون. إلا أن منافسة الدولة الحفصية تسببت في ازدهار المحور الرابط بين تلمسان والنيجر عبر توات. هذا العامل أهل مملكة مالي لتمتين مراقبتها التجارية والظهور بمظهر الوسيط التجاري الفعلي بين ضفتي الصحراء. إذن هذه هي العوامل التي زعزعة الحركية التجارية بالمحاور الساحلية الرابطة بين الصحراء ووادي درعة. وقد زاد من حدة الأزمة أن أعادت مصر فتح محورها التجاري الذي يربطها بأدغال افريقيا حوالي سنة 1320 م. فلم يبق إلا دور انعدام الأمن بسبب انتشار الأعراب لتعرف منطقة درعة وسوس وباقي المحاور الأطلسية اختناقا تجاريا كاملا. يتجلى من هنا الدور السياسي الذي قد يكون لعبه ابن بطوطة كرسول للمرينيين إلى مملكة مالي. لن تزيد الفترة الفاصلة بين منتصف القرن الثامن (14 م) ونهاية القرن العاشر (16 م) هذه الوضعية المتأزمة إلا اختناقا. فدور مصر سينقل التجارة نحو المسالك الشرقية بينما تبدو الطريق الرابطة بين تندوف وتغازى كأنها فقدت سبب وجودها. هذه الطريق التي من أجلها أسس المرابطون تابلبالا لم يعد لها ذكر في المصادر رغم انفتاح المسالك الأفقية الواصلة بين الغرب والشرق.

ظهرت مملكة سنغاي لتوثق علاقاتها التجارية مع مصر وتونس على حساب الشمال الغربي للقارة. وباستيلاء هذه المملكة على ملاحات تغازى تكون قد أعلنت حرباً تجارية على جيرانها الشماليين. نقف هنا على أحد الأسباب الأساسية التي مهدت لحملة السعديين. لقد وصلت مملكة سنغاي من قوة تهميش محاور درعة وسوس لدرجة أن تجار هذه المنطقة لجأوا إلى الموانئ البرتغالية على السواحل لترويج سلعهم. فجاءت بذلك ضرورة التحرر من الهيمنة البرتغالية كدافع أساسي مكمل لضرورة فرض علاقات تجارية على مملكة سنغاي ابتداءً من سنة 957 / 1550.

يؤكد *تاريخ السودان* بأن مملكة سنغاي كانت تتسع شمالا لتشمل تغازى وتاودني (*تاريخ السعدي*، 73 / 84). وعندما أفشل الطوارق أول حملة للسعديين سنتي 950 ـ 951 / 1543 ـ 1544 ؛ فإن هؤلاء لم يترددوا مرغمين لإعادة المحاولة بعد سنتين، كانت النتيجة أن قُتل حاكم تغازى ومجموعة من أهلها فتركت مملكة سنغاي الموقع لتبدأ غير بعيد استغلال سبخة تغازى الغزلان (*تاريخ السودان*، ترجمة، 163 ـ 164). على أن أهم إشارة تنير فهمنا للأحداث تتلخص هنا في كون انتاج ملاحة تغازى القديمة كان قبل هذا التاريخ قد صار ضئيلا إذ أصبح سمك اللوحات المستخرجة جد رقيق (Valentin Ferhandès, *Description*, 91). بل الأهم هو كون هم مملكة سنغاي كان كله في مراقبة ملاحة تاودني التي أصبحت تنتج ما يكفي لسد حاجيات أروان وتنبكتو وموبتي. وإذا كانت أهمية مادة الملح يومها قد أصبحت جد نسبية اعتباراً لتعدد الملاحات المنتجة (V.M. Godinho, *L'Economie*, 109)، فأهمية تاودني هي أكبر بكثير من ملاحة إيجيل مثلا حسب ما أكد عليه P.H. Rey. فبينما كانت ملاحة إيجيل تنتج ما بين 20 و25 لوحة يومياً، كانت تاودني تعطي من 80 إلى 90 لوحة أي ما معدله 2.400 إلى 2.700 طن سنويا. وقد اقتصر P.H. Rey على أثمنة ابن بطوطة لكي يصل إلى ما قدره 1.200 كلغ من الذهب (*Le Sahara français*, 95).

عندما وصل قائد حامية أحمد المنصور السعدي إلى تغازى سنة 993 / 1585 اتضح بأن أهمية الموقع لم تعد تكمن في انتاجية الملاحة بقدر ما تساعد على تسليط الأضواء على استراتيجية المنطقة (*تاريخ السعدي*، 193 ـ 194). هكذا وانطلاقا عن تغازى وصلت جيوش أحمد المنصور سنة 960 / 1592 إلى تاودني التي تفصلها حوالي 450 كلم عن أروان. سار القائد جودر باتجاه الجنوب ليصعد حمادة الخنشيش التي تتميز بوفرة الأمطار وبئري عقلة والونان (O. Lenz, *Tombouctou*, 78). عند نهاية هذه الحمادة غادر طريق

أروان ليسلك مسلكا سريا (*تاريخ السعدي*، 139). فقد اجتاز الجنوب الشرقي ليقطع 160 كلم قبل أن يسامت أروان حيث لم تعد تفصله عن بئر الجبيهة الوحيدة بالمنطقة سوى حوالي 90 كلم (الفشتالي، *مناهل* ؛ كَنون، 136). لم يكن هذا القائد يجهل مدى وفرة الغذاء الحيواني الذي يجعل من هذه المنطقة مجالا للانتاج وتربية الإبل. من هنا فإن خطته كانت تقتضي إيهام مملكة سنغاي والأعراب برغبته في السطو على القطعان. كان من الواضح يومئذ أن ازدهار تجارة الملح بتاودني مرتبط أساساً بفصول السنة الباردة كما سنرى. فقد كانت دائرة تنبكتو وحدها تستعمل ما يقارب خمسة وعشرين ألف رأس من الإبل في كبريات القوافل (أكبار ج. أكوابير، انظر *المعلمة*، 2 : 598 . 600) المتوجهة إلى تاودني عبر أروان. كانت السبخة تعرف علاوة على ذلك مقدم بضع مئات من الإبل القادمة من تيندوف وتاكونيت.

لم يكن بإمكان الطوارق (التوارگ) السيطرة على كل مناجم تاودني المتعددة بحكم نمط عيشهم الترحالي الذي كان يحد من أشكال المراقبة. فبدءاً من استخلاص الضرائب العينية إلى العمل الإلزامي المفروض على العبيد كان استغلال التوارگ (كَلْ انتصار وكَلْ سيدي اعلي) سيتحول بالضرورة إلى شكل علاقات إقطاعية لفائدتهم ولفائدة فئات من التجار المرابين. غير أن التطورات التي عرفتها المنطقة خلال القرنين التاسع والعاشر (15 . 16م) ارتبطت بما ينشأ عادة من صراعات بين أبناء القبيلة الواحدة، فسارت الفصائل التارگية في اتجاه معاكس لما من شأنه أن يزيد من سيطرتها على تاودني. لذلك فإن أنماط الملكية السائدة بتاودني ظلت متمثلة في استقلال الملكيات العائلية بعضها عن بعض. غير أن الجانب الاقتصادي لهذه التجارة لا يمكنه وحده أن يفيض في أسباب تعلق سكان الضفة الجنوبية وأدغالها بملح تاودني. ذلك أن الصراع والتنافس لا يسمحان بتفسير صمود حركية تاودني ومجابهتها للملح البحري الذي أصبح يمثل سنة 1954 ربع الثمن العادي. فمن يتتبع مراحل استغلال ملح تاودني عبر القرون الأربعة الماضية يدرك أن واقعها المحلي والجهوي يتضمن وحده عناصر الحسم. ذلك أن سبب القدرة الفعلية على المواجهة لا تعود إلى القدرة الغذائية أو الحرارية لملح سبخة تاودني بمقارنته مع الملح البحري بقدر ما تعود إلى المقدرة الاستيعابية للرموز العقائدية التي يختزنها ملح السبخة في حد ذاته.

إذا كان الذهب قد جسد دائما مقدرة الضفة الجنوبية على جلب ملح السبخات، فإن هذه المادة الصحراوية كانت تؤكد باستمرار قدرة أهالي هذه الضفة على جلب منتوجات الشماليين. كما أن استعمال لوحات الملح كعملة للتبادل يجسد قدرة هذه الضفة على مواجهة فقر الطبيعة وما كان يتهددها من مخاطر داخلية وخارجية. ندرك من هنا لماذا استعملت لوحات ملح تاودني كمهر خلال الزواج وكثروة يصعب اكتنازها من لدن كبار التجار المرابين. فقد كانت هذه اللوحات تشكل إسهاماً نقدياً ذا أهمية قصوى في أسواق تنبكتو وأروان وموبتي عاصمة ملح تاودني. واعتباراً لكون هذه العاصمة كانت محطة للتوزيع نحو الأدغال نجدها تشكل أهمية قصوى بالنسبة لتنبكتو شمالا وجنة (دجنبي) جنوبا حيث كان سعر اللوحة الواحدة يصل ثلاثة أضعاف ثمنه.

وهنا تتدخل الرواية الشفوية لتجعل من تنبكتو رأس الشجرة الكونية وموبتي بطنها بينما تمثل جنة الرجلين. كانت موبتي تقوم بتوزيع بضاعتها في اتجاه وگادوگو وڤولطا العليا حيث تكشف القيم الروحية المتداولة الأهمية الرمزية التي تتمتع بها مادة الملح كمصدر للقوة وكشكل مباشر من أشكال تداخل علاقات الشمال بالجنوب. فلا يوازي سيطرة الشماليين على الذهب إلا اقتران مادة الملح بالفاعليات الاقتصادية والدينية لمختلف الفئات الاجتماعية الجنوبية.

تتكون سبخة تاودني من عدة مناجم منها ما هو مهجور ومنها ما تم فتحه في فترات لاحقة. ويقيم أهل تاودني بقريتين متجاورتين هما سميرة وأگورگو. وإذا ما نحن وقفنا على إحصائيات 1957 وجدنا السلطات الإدارية لتنبكتو تحصي ما مجموعه 248 من السكان منهم 43 قاراً بعين المكان. يقيم هؤلاء السكان "الأصليون" بقرية سميرة حيث يولدون ويموتون ومن نسائهم من تقضي حياتها كاملة بعين المكان. على أن من السكان المتنقلين من جاء منذ 30 سنة ليقيم بأگورگو تتجاور مناجم الاستغلال. نلاحظ أن من بين 248 مقيما ومقيمة 36،26٪ ينتمون إلى مجتمع البيضان بينما ينتمي 63،84٪ إلى المحررين من عبيد أهل أروان والبرابيش الساحليين (أولاعيش) وأهل الساحل (تجكانت وتكنة) وكذا من خدم الطوارق (التوارگ) وسنغاي. يعود انتماء البيضان من أهل تاودني قارين كانوا أم متنقلين إلى القبائل المحيطة بتنبكتو بالإضافة إلى بعض تجار تجكانت وتكنة.

تعتبر الفصول الباردة من السنة فترة الاشتغال حيث يمتلئ المدشران ما بين منتصف شهر أكتوبر ومنتصف شهر ماي. أما الفترة الحارة فإن المتنقلين من أهل أگورگو يعودون إلى الضفة الجنوبية. واعتباراً لكون البيضان يحتلون سلم التراتبات الاجتماعية فإنهم لا يشتغلون باستخراج مادة الملح مكتفين باحتكار الإنتاج أو التجارة أو تعليم القرآن. وقد أكدت ڤيڤيان پاك (Viviana Pâques) بأن تملك المناجم خلال الستينيات ما يزال حكراً على ثلاث عائلات، الأولى من أهل أروان والثانية من تجكانت والثالثة من تكنة (*L'Arbre cosmique*, 282). تشغل هذه العائلات خدامها في استخراج الملح، ويقوم خدام أصحاب القوافل بالمساعدة في مهمة الاستخراج هذه. وتعتبر عملة الأداءات هي الملح الذي يصلح في عين المكان لشراء كل شيء. إلا أن تجار قوافل تندوف لا يقبلون مقابل ما

يحملونه من أثواب وزراب وشاي وسكر مادة الملح كعملة.

وتعتبر قبيلة تجكانت المسوفية أكثر القبائل تحكماً في المحور الرابط بين تاودني وتندوف (25 يوم من السفر). فهي تتحكم في قطاعي النقل والاتجار في آن واحد. كان منيرو القوافل جكانيين تربطهم عبر مختلف مراحل الطريق علاقات القرابة بأفراگ قبيلتهم في كل من بحر كليف وتافورين والترارزة وحمو الحاصل. على أن هذه المراحل تعد على صعوبتها أقل خطورة من تسعة أيام من السفر تفصل عادة بين تاودني وأروان. فتجكانت شأنهم شأن تجار تكنة لم يكونوا أقل حضوراً بتاودني من باقي بيضان أروان وتنبكتو نظراً لاستنادهم إلى روابط قرابية تجمعهم بتجار تنبكتو حيث تعتبر جالياتهم بالغة الأهمية إلى الآن. بهذا المعنى فإن بعض الوجهاء منهم كانوا ومايزالون يتوفرون على مناجم أوكلوا استغلالها إلى تابعيهم المحليين. ويكفي أن نذكر من بين أعيان تكنة أهل بركة وأهل عمار ولد احماد أو المهدي البليدي - (Rita Aouad, *Les réseaux*, 113 - 114).

على أنه في إطار هذا التغلغل التجاري والاجتماعي والسياسي لأهل وادي نون وأهل تيندوف ينبغي التمييز بين الحضور الذي ميز القرون الطويلة الماضية والفترات اللاحقة للسيطرة الإدارية الفرنسية. فهذه الإدارة سارت في اتجاه معاكس لم يعر أي اهتمام لطبيعة العلاقات بين المنطقتين عاملة على إجهاض كل الارتباطات القديمة. وباعتبار أن المسألة بالنسبة لهذه الإدارة لا تنحصر في مجابهة التماسك المجتمعي القائم بل تتجاوزه إلى محاولة إثبات قدرتها على تقسيم المجال والتحكم في من يخلون بأوضاعها الأمنية، كان عليها أن تعتمد مختلف أساليب التفرقة والتشتيت (R. Aouad, *Les réseaux*, 110).

*تقاييد ما اشتملت عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى*، الرباط، المطبعة الملكية، 962 ؛ ابن بطوطة، *تحفة*، IV، 427 ؛ ابن خلدون، *العبر*، VI، 415 ؛ ابن المختار ومحمود كاتي، *تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس*، 1964، 34 ـ 37 / 59 ـ 64 ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان*، 73 / 84 ـ 139 ؛ فاطمة الزهراء طموح، *اكبار*، *معلمة*، 2، 598 ـ 600 ؛ الفشتالي، *مناهل الصفا*، ع. كنوت، 136.

Mougin, *Les premiers sultans saadides et le Sahara*, *ROMM*, 1975, 169 - 187 ; O. Lenz, *Tombouctou, Voyage au Maroc, au Sahara et au Soudan*, Paris, 1886- 1887 ; R. Aouad, *Réseaux marocains en Afrique sub- saharienne*, *R.M.E.*, n° 4, 1993, 93 - 114 ; G. Salvy, *Tawdanni*, *Le Monde*, 31 / 1 / 1976 ; H.T. Norris, *Yeminis scholars of Timbuctoo*, *J.A.H.*, III, 1962, 19 - 335 ; V. Pâques, *L'arbre cosmique dans la pensée populaire et dans la vie quotidienne du N-O Africain*, Paris, 1964, 702 p.

مصطفى ناعمي

**التاودي**، محمد بن يعلى، من صلحاء فاس. يعرف بالمعلم وبالخياط. اختلف في نسبه فقيل إنه أندلسي الأصل. وقد رجحت أغلب المصادر نسبته إلى بني تاوُدا من أعمال فاس. ومدينة تاودا كانت واقعة على مقربة من جبال غمارة، شيدها المرابطون لمراقبة الغماريين، على مرحلتين من فاس شمال وادي سبو. ومعنى تاودا باللغة الأمازيغية : الرعب والخوف.

أخذ التاودي التصوف عن شيخه علي بن حرزهم، كما صاحب أبا يعزى يلنور الذي كان يشهد له بالفضل والتقدم، ويطلق لسانه بالثناء عليه، كان للتاودي في طريق القوم قدم راسخ، قطع مقامات أبي يزيد البسطامي في أربعين يوماً. وأخذ عنه جمع من الأولياء والعارفين.

اشتهر الشيخ محمد التاودي بالبذل والجود، وكثرة الصدقات وهذه أهم خصوصيات التصوف المغربي في تلك الفترة. يقول عنه صاحب *التشوف* : "كان يعلّم الصبيان، فيأخذ الأجر من أولاد الأغنياء ويرده على أولاد الفقراء. ويغسل أثواب الصبيان في قصعة كانت عنده في المكتب. ويخيطها إذا احتاجت إلى ذلك. ولا يأخذ على ذلك أجراً".

وقد أشار سليمان الحوات، في *الروضة المقصودة* : "أن سكنى صاحب الترجمة فيما يقال بزقاق الماء عدوة فاس القرويين. وعمله في المكتب القائم بها إلى الآن. كان يعلم الصبيان، وخلوته التي كان يتعبد بها باقية في مسجدها قبلة مصونة عن كثرة الدخول بها يتبرك بها الخاصة ممن وصله خبرها".

توفي الشيخ التاودي بفاس سنة ثمانين وخمسمائة (1184 م)، ودفن بخارج باب عجيسة، وقبره معروف يستشفي به الناس، ويقصدونه للزيارة في مهماتهم خصوصاً يوم السبت.

وقد ذكر صاحب *الروضة* في معرض حديثه عن سبب تسمية شيخه أبي عبد الله محمد ابن سودة بالتاودي : "أن أهل المغرب، وخصوصا أهل فاس يتمنون في تسمية أبنائهم "بالتاودي يطلقونه على من اسمه محمد وربما اقتصروا عليه في الغالب". جدد بناء مزارة الشيخ محمد بن يعلى التاودي، السلطان سيدي محمد بن عبد الله، حيث شيد عليه قبة في أبدع صنع ووسع رحاب الضريح.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الرباط، 1984 ؛ الساحلي، *بغية السالك في أشرف المسالك*، م. خ. ع. 2630 كـ ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 185 ؛ ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، م. خ. س. رقم 647، ص. 311 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 110 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 188.

عبد العزيز تيلاني

**تَاوَرَا**، بفتح الواو والراء كما ضبط نطقها الأصلي ابن غازي (*الاتحاف*، 1 : 52)، متحدثا عن تاورا مدينة مكناس، إذ أن المواقع التي تعرف بهذا الاسم كثيرة ؛ فيشير البكري مثلا إلى قرية تَوَرَة ومرساها على الطريق بين طنجة وسبتة (*المغرب*، 163)، والإدريسي إلى قرية تَاوَرَت بالجزائر (*نزهة المشتاق*، 163) بينما يتحدث لاوست E. Laoust عن قرية تاوار Tawâr بسفيوة وقرية تاورت Tawart بتگانة، ويفترض كمدلول يحمله الجدر "اور" (Aur) عند الطوارق هو "الوجود إلى القرب من نقطة الماء" (*Contribution*, 139) ؛ الشيء الذي قد يقبل بالنسبة لتاورا

مكناسة الزيتون المتسمة في القديم بعيونها المنبجسة. لاسيما عين أبي الخيار ، وكان لها دور في سقي أملاك السكان وانعاش أزقتهم ودورهم ( *الروض*، 11 . 12) ويعني هنا ارتباط اسم تاورا بخصوصية طبيعية بارزة، بأن اسمها كعلم، لايمت بصلة إلى جماعة بشرية معينة ذات أصل مشترك، وأن تقسيماتها التي يعرِّف بها كتاب *الروض* وهي بنو عيسى وبنو يونس وبنو أبي نواس وبنو زغبوش وفاس الصغيرة، لايفهم منها أنها فروع لوحدة بشرية كبرى بقدرما هي أقسام سكنية تخفي وراءها أصولا مختلفة، من هذه الأصول ما أفصح عنه المؤلف ، أي بنو زغبوش الذين كان يعتقد أنهم من بني عيسى ( *الروض*، 12) ثم عبيد الحرمة الوافدين من السودان ( *الروض*، 31).

كانت تاوَرَا تحتل موقعا متميزا ؛ فبأعلى نقطة ينحدر منها ماء نهر فلفل (بوفكران) وتنساب منها العيون، كانت تبسط امتدادها على ضفتي النهر الشرقية والغربية بخلاف المراكز الأخرى التي لم تكن تحتل سوى إحدى الضفتين. وإلى جانب هذا الموقع الذي يتيح لها التحكم في مصدر المياه، كانت قريبة إلى قصر الأمير المرابطي المعروف بقصر تورزگين، كما أنها صارت أقرب مركز لتاگرارت بعد تأسيسها ( *الروض*، 11). وقد انعكس هذا الموقع على مظهرها وأنشطتها وتجلّى ذلك من خلال كثرة أرحائها وحماماتها بالمقارنة مع بقية المراكز ( *الروض*، 12)، ثم إنها بشهادة الإدريسي، كانت جامعة عامرة والأسواق بها نافقة (*نزهة المشتاق*، 147)، وليس هناك أكثر تعبيرا عن حيويتها ومكانتها من انتساب كثير من العلماء والفقهاء الذائعي الصيت إليها، لاسيما بنوزغبوش الذين علا شأنهم في عهد الموحدين (*مدائن مكناسة*، 181).

تضررت تَاوَرَا، في فترة الانتقال الموحدي / المريني ونالها من التخريب والخلاء ما نال بقية مراكز مكناسة الزيتون الأخرى ( *الروض*، 36)، غير أن النسبة إليها ظلت قائمة إلى أواخر الدولة المرينية في القرن التاسع (15 م)، ونعلم هذا من خلال اسمين يحملان النسبة إليها : طلحة التاورتي، وقد ذكره ابن الخطيب كأحد البارزين في أحداث مكناسة أيام ثورة عبد الحليم بها سنة 763 / 1362م (*نفاضة*، 1 : 324)، ثم إبراهيم بن أحمد التاورتي، مؤرخ أبي سعيد الثالث، في مطلع القرن التاسع (15 م) ( *الجذوة*، 1 : 87).

دخلت تاورَا على عهد السلطان المولى إسماعيل، في نطاق المجال الذي حازه السور الوقائي الذي رفعه السلطان حول قسم كبير من المجال الزراعي لمدينة مكناس (*تاريخ*، 46)، وبأعلى تاورا، شيد السلطان قنطرة دَرْدُورَة الشهيرة (*الإتحاف*، 1 : 158)، ونقل في نطاق تعديلاته العمرانية وإعادة تنظيم أسواق المدينة إلى أسفل هذه القنطرة مقر صناعة الخزف ( *الإتحاف*، 1 : 225).

فحمل هذا المكان منذئذ، اسم الفخارين وهو مستمر الوظيفة والاسم إلى اليوم.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، نشر بعنوان، *القارة الافريقية وجزيرة الأندلس*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ ع. الريفي، *زهر الأكم*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*.

E. Laoust, *Contribution*, Paris, 1942.

محمد اللحية

**تاوْرَارْت**، إحدى قرى قبيلة الخلط الهبطية، مندرجة ضمن فرقة ثلاثاء ريسانة الشمالية بجوار الزراهنة وأولاد بوحميدة، معروفة هناك بصوالح تاورارت، نسبة إلى المجموعة السكانية المستقرة بالبسيط الممتد بين واد البريري رافد واد المخازن، ودشر الجديد من قبيلة الساحل الجنوبي. وارتفاع السطح هو الذي يعبر عنه اللفظ الأمازيغي الأصل "تورارت أو تاوريرت".

ولتورارْت الصوالح تاريخ يعود إلى فترة الوجود البرتغالي بمدينة أصيلا بين سنة 1471 وسنة 1550. إذ كانت القرية ضمن مجالات الخلط قبل الاحتلال البرتغالي للمدينة، وكانت إحدى محطات القوافل الآتية من القصر الكبير في اتجاه الشمال الغربي، تعرض أهلها للهجرة نحو جنوب واد المخازن، ولم يعودوا إلى موطنهم إلا بعد الجلاء البرتغالي عن أصيلا. وقد اعتاد مجاهدو القصر الكبير اتخاذ المكان طالعا لاستكشاف الطريق الواصل من تاوْرارْت إلى قرية ميجلاو، من قبيلة الساحل الشمالي، بحثا عن جنود أصيلا، وآنذاك كانت ضمن ما سماه البرتغاليون بحوز أصيلا.

*ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية*، 5.5 ؛ حسن الفگيگي، *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 352.

B. Rodrigues, *Anaïs de Arzila*, p. 1 : 29, 66, 83, 154, 204, 252, 244, 2 : 21, 57, 149, 229.

حسن الفگيگي

**التاورتي، إبراهيم** بن أحمد. لا نعرف عنه إلا الترجمة القصيرة التي خصه بها ابن القاضي في *الجذوة* حيث يصفه بمؤرخ الدولة المرينية على عهد السلطان أبي سعيد عثمان بن أحمد بن أبي سالم وأنه ألف كتابا يؤرخ فيه لهذه الفترة (*جذوة*، 87). غير أن ابن القاضي لم يصرح بعنوان الكتاب كاملا بل ذكره مختصرا هكذا : "ذكره التاورتي في تاريخه"، أما المنوني فسماه "تاريخ أيام السلطان المريني أبي سعيد "الثاني" ( *المصادر*، 1 : 116). ومن حسن الحظ أن ابن القاضي لم يقتصر فقط على ترجمة التاورتي بل يبدو أنه وقف أيضا على كتابه واقتبس منه بعض التراجم مما يجعلنا نخرج بانطباع أوّلي قد يساعدنا في معرفة طبيعة الكتاب ومحتواه. ومن بين هذه التراجم نذكر : ترجمة عبد الرحمن الزرهوني فقيه جامع القرويين وخطيبه (جذوة، 403)، وترجمة أبي زكرياء يحيى بن أبي دلامة الكاتب وصاحب العلامة عند السلطان أبي سعيد المذكور (جذوة، 539)، وترجمة الحاجب عبد العزيز بن أحمد اللبابي الزرهوني (جذوة، 451) وترجمة قاضي فاس عبد

الله بن الأشقر (*جذوة*، 424) ثم ترجمة الوزير صالح بن عمر (*جذوة*، 358) ولعله صالح بن حمو الياباني الذي ذكره ابن الأحمر ضمن وزراء عدد من ملوك بني مرين المتأخرين بدءاً باحمد بن أبي سالم فعبد العزيز بن أحمد ثم عبد الله بن أحمد، وانتهاءً بعثمان بن أحمد المكنى بأبي سعيد، الذي عاش في أيامه المؤرخ التاورتي (*روضة*، 38 ـ 41 ؛ *الاستقصا*، 4 : 94).

وإذا كان هذا الاقتباس هو كل ما وصلنا من كتاب التاورتي، الأمر الذي يؤكد أنه كان معروفا حتى زمن ابن القاضي أيام السعديين ثم جهل مصيره بعد ذلك، فإننا لا نعرف لولادته ولا لوفاته تاريخا محددا. كل ما هنالك أن ابن القاضي ومن نقل عنه أشاروا إلى أن التاورتي بقي على قيد الحياة بعد المائة الثامنة للهجرة (800 هـ / 1398م)، مع العلم أن السلطان الذي أرخ لأيامه حكم المغرب بين سنتي 800 هـ و823 هـ تاريخ وفاته. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الباب أن الناصري ذكر اسم التاورتي في معرض حديثه عن واقعة استيلاء البرتغال على مدينة سبتة سنة 818 هـ، وأن كتاب هذا الأخير تحدث عن تلك الواقعة وتناول أخبار دولة أبي سعيد. لكن ذلك لا يعني أن الناصري وقف على هذا الكتاب ونقل عنه تلك الأخبار، فالأمر كان مجرد إشارة إلى وجود مصدر معاصر للأحداث، والدليل على هذا كون الناصري نقل جل معلوماته في موضوع احتلال سبتة وأيام السلطان أبي سعيد من مصادر متأخرة *كجذوة الاقتباس* وكتاب المؤرخ الاسباني منويل باولو القشتيلي وغيرهما (*الاستقصا*، 4 : 93). كما يلاحظ من جهة أخرى أن معاصر التاورتي ابن الأحمر الذي كان أيضا مؤرخ دولة أبي سعيد المريني لم يذكر زميله ولا كتابه فيه أي من مؤلفاته الكثيرة، فلا ندري سببا لهذا الصمت!.

ابن الاحمر، *روضة النسرين*، المطبعة الملكية، الرباط، 1962 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، 88 و451 و539 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 4، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955 ؛ ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960، الجزء الأول، ص. 250 ؛ المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الجزء الأول، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1983 ؛ ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، المطبعة الملكية، الرباط، 1979، الجزء الأول، ص. 136.

رشيد السلامي

**تاوْرزا**، بالأمازيغية والعشار أو الكرنك بالعربية، نبات برّي يعرف علميا بكالوطروبيس بروصيرا Calotropis procera، وهو ينتمي إلى فصيلة الصقلابيات التي تنتشر أجناسها غالبا في المناطق المدارية.

تبلغ شجرة أو شجيرة تاورزا من مترين إلى أربعة أمتار. جذعها ذو قشرة فلّينية مشققة وسميكة. لها أوراق دائمة عريضة مستديرة خشنة، مكسوة بزغب قطني جد كثيف جعل لونها الأخضر المزرق يميل إلى البياض. أزهارها كبيرة الحجم (2ـ3 سم) ومزركشة، إذ نجد ألوانها تختلف من الأبيض إلى الأزرق والبنفسجي والأرجواني. ثمارها كروية الشكل ومنتفخة لكونها تحتوي على ألياف قطنية تسهل انتشار البذور عند هبوب الرياح.

تُصادف تاورْزا طبيعيا في المناطق البيومناخية الجافة والصحراوية من المغرب حيث تنبت في الوديان بجانب أشجار الطلح والأتل، كما توجد في نفس الظروف البيئية من دول شمال إفريقيا وآسيا.

تنحصر استعمالات هذه الشجيرة بالمغرب وشمال افريقيا في التطبيب التقليدي لكن يزرع في بعض المناطق من أميركا الجنوبية لإنتاج قطن حريري له بعض الأهمية ولو أن أليافه أقل جودة من الكابوك، إلا أن الناتج منهما كثيرا ما يستعمل مخلوطا.

*أبحاث شخصية* ؛ أ. هيل، *النبات الاقتصادي* 1962. تر. د. ع. زاهر وآخرين ـ المكتبة الأنجلو مصرية ـ القاهرة.

P. Quézel et S. Santa, *Nouvelle flore de l'Algérie*, Paris, 1963.

عبد المالك بنعبيد

**تاوَرْصَة** أو تَـاوَرْصَ، بصاد مشمومة زايا على مايبدو، قرية قديمة معروفة منذ العصر الإسلامي الأول بناحية تطوان، حسب البكري الذي هو المصدر الوحيد لمعلوماتنا عنها. ولم يبق لهذه القرية أثر اليوم إلا ما كان من لفظ تاورزا وهو نوع من الشجر القصير المزهر، ولعله كان سائداً هناك في ذلك الوقت.

ويمكن مقاربة موقع القرية مما جاء عند البكري الذي جعلها، أثناء التحدث عن الطريق البري الرابط بين سبتة وتطوان، في مرحلة وسطى بين رأس قَبْ مُنْتْ (الرأس الأسود الحالي) وبين تطوان، بعد اجتياز واد أليلى (الواد المالح) الذي لايزال محتفظاً بهذا الاسم حتى اليوم. وقد حاول التعرف على موقعها جاك كاني ولكنه أخطأ الموضع، كما أن القراءة غير الدقيقة جعلته يقرأ لفظ "طور" بدل تاورص.

إننا متأكدون من أن موضع قرية تاوص لا يمكن أن ينطبق إلا على البقعة التي تحتلها أراضي جماعة الملاليين، ولا يستند هذا التأكيد إلى الموقع فقط، بل إلى الأوصاف التي خصه به البكري، حين أخبر بتوفر القرية على أراض ومياه جارية وعليها الأرحاء. فتفحص الخريطة ومعاينة المكان يجعلنا نوجه أنظارنا إلى قرية الملاليين وواد الشجرة الحاليتين، فهنا كانت تستقر ـ فيما نظن ـ قرية تاورصة التاريخية، بجوار مياه رافد واد أليلى الجنوبي والمسيلات العديدة المتصلة به.

كانت القرية في القرن الرابع الهجري تابعة لتطوان، وتشارك بالتحكم في الطريق التجاري البري الرابط بين تطوان وسبتة، ويشرف عليها أحد وجهاء بني سكين يدعى عبد الرحمن بن فحل، وواسطة العقد بين تطوان وقب منت فيما يخص أراضي بني سكين.

أ. البكري، *المغرب*، 106 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 247 ؛ ج.

كاني، *المغرب الشمالي في أواسط القرن الخامس الهجري*، مجلة البحث العلمي 1973، 130 ـ 143 ؛ *خريطة طبوغرافية لحوز تطوان*، 1958 ؛ *بحيث ميداني*.

أحمد قدور

**تاوريرت، مدينة** بالمغرب الشرقي واقعة على واد "زا"، وهي زاي مفخمة، وعلى الطريق الرئيسي الرابط بين وجدة وگرسيف، يعود أصلها إلى ما قبل القرن الثالث الهجري، بناء على الإشارة الواردة عند ابن حوقل البغدادي، والمستخلص من مصادر البكري. ويعني اسم تاوريرت الأمازيغي الكدية، إشارة إلى إحدى الموائد الصخرية المتصلة بالمدينة وهي نوع تضاريسي منتشر بالمنطقة الشرقية، يميزها في الوسط الطبيعي ارتفاعها وإشرافها على واد زا.

يعود تأسيس مدينة تاوريرت إلى قبائل زناتة المسيطرة على تلك الجهات منذ ما قبل الفتح الإسلامي للمغرب، ولاسيما قبيلة بني واسين. وفي أواخر القرن الثالث الهجري كان سكانها من بني مراسن، زعيمهم قاسم الواسّناني. وحينما مرّ بها ابن حوقل البغدادي بعد عام 331 هـ. قال عنها : "مدينة صا (زا) صغيرة ولطيفة"، كانت مشيدة أسفل الكدية (تاوريرت) من الجهة الغربية بمحاذاة مجرى واد زا. ويرجع أول تصريح باسمها الحالي إلى البكري. ولا شك أن المساعد على ظهور المدينة وتطورها خلال القرون الهجرية الأولى عائد إلى موقعها الذي أهلها للقيام بدورها في نطاق التجارة الصحراوية بمجرد وصول القوافل السجلماسية إليها، فهي محطة رئيسية لها في اتجاهها نحو الشمال الشرقي. ومدينة تاوريرت نقطة اتصال مع وجدة شرقا، وفاس غربا عبر أگرسيف. ومنها تتجه القوافل نحو الشمال وجهة جراوة بني أبي العيش ببني إزناسن ومرساتها "تـفْرجنِّيت"، ثم نحو قلوع گرط، ومليلة، ونحو النكور ومرساتها المزمّة.

ويظهر أن الموحدين هم الذين خربوا تاوريرت، أثناء جولات عبد المومن بن علي الگومي بتلك النواحي، عند ملاحقته لتاشفين بن علي المرابطي حوالي 536 / 1141، بدليل أن الشريف الإدريسي وجدها خرابا حين سجل أخبارها. غير أن تاوريرت لم تلبث أن استعادت وجودها على العهد المريني، لتمر بأعنف لحظات تاريخها، كنتيجة من نتائج الصراع المريني العبد الوادي على تخوم المغرب الشرقي. فمدينة تاوريرت كانت تخما بين المغرب المريني وتلمسان الزيانية. ففي منتصف القرن السابع (13 م) كان في جانبها الغربي عامل يعقوب المنصور المريني وفي جانبها الشرقي عامل يغمراسن بن زيان العبد الوادي. بقي الأمر كذلك إلى سنة 694 / 1294، حينما طرد يوسف بن يعقوب المريني عامل يغمراسن، واختط هناك حصن المدينة، بناه تحت إشرافه المباشر، وأنزل به بني عسكر من بني مرين، وعقد عليهم لأخيه أبي يحيي بن يعقوب، مما جر على المدينة سلسلة من الغارات الزيانية على يد خلفاء يغمراسن، استغرقت سنوات الثُّلث الأول من القرن الثامن (14 م). وحينما مر أبو الحسن المريني بالمدينة اعتنى بشأنها وأنزل بها عسكره وعقد عليها لابنه تاشفين، بينما جعل حصنها إلى نظر وزيره منديل بن حمامة بن تربعين، غير أن ذلك لم يَحُلْ دون مهاجمة أبي تاشفين الزياني للمدينة سنة 733 / 1332.

وإلى الفترة المرينية أشار الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* إلى ازدهار عمران تاوريرت وكثرة سكانها، إذ أن تقديره لساكنة المدينة بلغ نحو ثلاثة آلاف كانون، أي ما يساوي بالتقريب خمسة عشر ألف نسمة. وهو الذي أخبرنا الخبر الأخير عن تخريبها سنة 780 / 1378، خلال النزاع الأسروي المريني والتدخل التلمساني في الصراع على عهد السلطان أحمد بن سالم بن أبي الحسن المريني (775.786) وأصبحت المدينة منذ ذلك الحين خالية بعد هجرة أهلها إلى ندرومة الجزائرية، وبقيت خرائب المدينة تحت نفوذ عرب بني معقل وإقطاعهم من الأحلاف وأشجع.

وعاد أمر تاوريرت إلى الظهور مرة أخرى منذ العهد الإسماعيلي، حينما نقل إلى سهل أنگاد عرب زرارة والشبانات، قوم كرُوم الحاج من حوز مراكش، وذلك سنة 1090 / 1683، إذ أنه في السنة الموالية أمر السلطان ببناء قصبة تاوريرت على الضفة اليسرى من واد زا، على بعد أربعة كيلو مترات من موقع المدينة الحالي، ولاتزال آثارها قائمة إلى الآن، وأنزل بها مائة فارس من عبيده وعيالهم، في مهمة حراسة الحدود للحيلولة دون التسرب التركي إلى المغرب الشرقي من تلك الجهة. كما تم في نفس الوقت نقل قسم من زرارة والشبانات إلى المدينة، وما يزالون إلى اليوم بضواحيها الجنوبية يعرفون بالكرارمة.

وتاوريرت اليوم دائرة كبرى ألحقت بها مدينة العيون وحوزها (بني محيو وأولاد سيدي الشيخ وسجع وبني وكيل وحدوين وبني بوزگو)، كما أضيف إليها قسم من الأحلاف (مريع، أولاد سليمان، أولاد مهدي وقسم من سجع). وأدخلت ضمن دائرة تاوريرت مدينة دبدو و حوزها أيضا (بني فشت ورشا وزوا وأولاد سيدي محمد والحاج بن أحمد).

ابن حوقل، *وصف الأرض*، 88 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر أخبار المغرب*، 90 ـ 93 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 247 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 6 : 119 ـ 125 ـ 7 : 227 ـ 681 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 271 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، 4 : 67 ـ 7 : 62 ؛ *خريطة الدائرة*، 1973 ؛ *زيارة ميدانية*.

حسن الفگيگي

**تَاوْرِيرْت**، ـ جغرافيا ـ تقع بين مدينتي وجدة (108كلم) وتازا (120 كلم)، في ممرّ واسع موجّه نحو الشمال الشرقي، بين سهل تافراطة وحوض العيون وبين جبال بني إزناسن ومرتفعات المقام والگعدة. على تلّ يعرف بالكدية (تاوريرت) وهو يشرف على الضّفة اليسرى لوادي زا أحد روافد نهر ملوية.

تحوّلت تاوريرت من قرية سنة 1936 كانت تحتضن 1652 نسمة إلى مدينة صغيرة في الأربعينيات لإيواء الوافدين إليها من القبائل المجاورة بسبب الضغط الاستعماري والظروف الاقتصادية الرديئة. فارتفع حجم سكانها ثلاث مرات سنة 1952 (4655 ن)، ثم ناهز المرتين سنة 1960 (7343 ن) وتضاغف مرتين كذلك سنة 1971 (15581 ن) وبنفس القدر سنة 1982 (32667 ن). أما الآن فيقدر عدد سكانها بأكثر من 60000 نسمة، بعد أن توسّع نطاق استقطابها للهجرة القروية التي تمثل نسبتها ما يقارب 65٪ من النمو الاجمالي والتي تهمّ أساساً جماعات مستگمر ودبدو والعطف وسيدي لحسن بالإضافة إلى سكان القبائل المجاورة وحتى آخرين من إقليم تازا.

تنمو المدينة بشرياً وعمرانياً بوتيرة لاتساير سرعة تطور التجهيزات والمرافق الضرورية لتلبية حاجيات مدينة متوسطة من حجم خنيفرة أو صفرو وتارودانت وقلعة السراغنة وبرشيد ... والتراكم الضخم والمستمرّ لأفواج النازحين من الأرياف يكسب جلّ أحيائها طابعاً عشوائياً وقروياً يطرح عدّة مشاكل تنظيمية واجتماعية تكاد تكون مستعصية.

لجعلها مركزاً للمراقبة الترابية أقامت السلطات الاستعمارية سنة 1908-1909 محطة لاسلكية قرب القصبة مرتبطة بالإدارة العسكرية العامّة بفرنسا، وهي مازالت تعدّ من أهمّ محطات الإرسال بالمغرب. ثم أضيفت ثكنة عسكرية ظهر بجانبها أول حيّ صار يسمّى دوّار المخزن، وأنشئ "الحي القديم" ابتداءً من سنة 1920 بمثابة مركز للمعمّرين ولاستقبال الجزائريين واليهود المتعاطين للتجارة والصناعة التقليدية، انضمّ إليهم بعد ذلك أهل فگيگ. من ثمّة أخذت تتوسّع المدينة نحو الجنوب فقط، نظراً لوجود أراض مسقية في الشمال والشرق حول وادي زا. فشيّد الحي الجديد ابتداءً من سنة 1940، وكان أغلب سكانه من قبيلة الكرامة. وفي السّتينيات ظهرت ثلاثة أحياء حول الحيّ الجديد : الهندية والحرّية والحلفا الذي كان عبارة عن مجمّع للخيام. أمّا أكبر زحف مجالي فستشهده المدينة خلال السّبعينيات. حيث امتدّ حي السوق (الهندية في السّابق) شرقاً ثم غرباً (حي لأبيطا : وزارة السّكنى) ومُلئ الفراغ بين الحي الجديد وحي الحرية بإنشاء حيّ الملعب والمسيرة اللذين خصّصا للموظفين والعمّال بالخارج. وزاد الامتداد خصوصاً مع توسّع حي التقدم (الحلفا سابقاً) في الجنوب (الحرشة) وفي الشرق (القوات المساعدة وبَام : برنامج التّغذية العالمي). وأخيراً تشكلت ثلاثة أحياء منذ بداية الثمانينات وهي تجزئة المسيرة المخصّصة للموظفين والخواصّ وتجزئة 20 غشت والمحاريگ اللذان لجأ إليهما النازحون.

لقد زحفت المدينة على مئات الهكتارات وكأنّها بدون تخطيط عمراني مسبق. وذلك رغم وضع مخططات بعد تحديد المدار الحضري سنة 1933 في الحيّ القديم والتي

تاوريرت

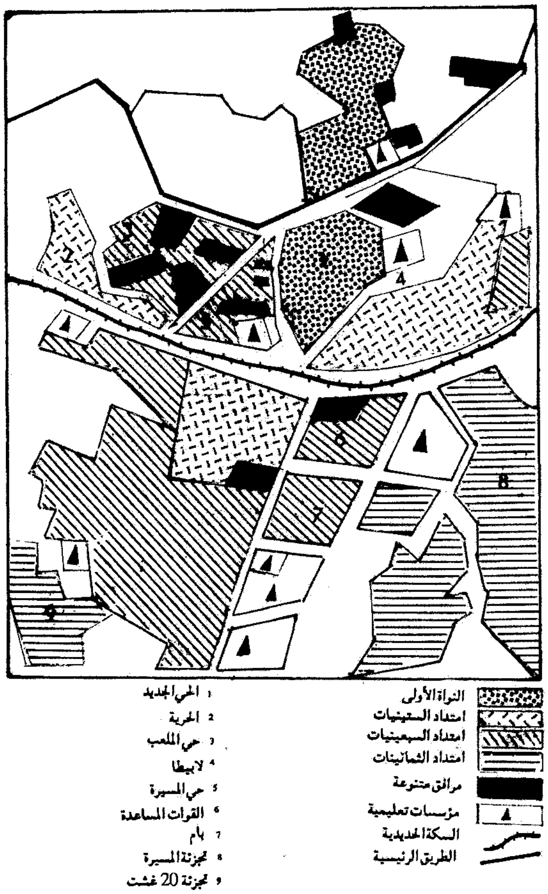


تستهدف توجيه التوسّع وكذا احتواء الأعداد المتزايدة للوافدين من البوادي ؛ منها التصميم الأول للمدينة سنة 1947 ودراسة سنة 1951 ومراجعة التصميم الأوّل سنة 1967. ويجب انتظار سنة 1991 لكي تقرّر وزارة السّكنى الإشراف على دراسة تصميم التهيئة الذي مازال قيد المراجعة والتشاور.

يعزى النمو السريع للسكان إلى الهجرة والتطور العشوائي للأحياء، وإلى الوضعية القانونية للأراضي التي كانت تشكل عاملاً إيجابياً في البداية والتي أصبحت تمثل أحد أهمّ العوائق أمام الحدّ من الهجرة واتخاذ السكن القانوني ؛ إذ أن أكثر من 90٪ من العقار جماعي ومخزني، وهو بالتالي قابل لأن يكون حلاً سهلاً لتوزيع الأراضي أو السّكوت عن احتلالها. فرغم عدّة عمليات لاقتناء المسؤولين أراضي واسعة، رغبة في القضاء على السكن المتستر والفوضوي وفي إعادة هيكلة المدينة من الناحية الوظيفية، قد وزعت في بداية الثمانينيات 550 قطعة مجاناً مكان تجزئة 20 غشت الحالية بعد أن نصبت 531 خيمة كانت تأوي 2930 نسمة من سكان القبائل الرعوية المجاورة المتضرّرة من الجفاف. فتفاقمت عملية المضاربة في القطع المسلمة، حيث توضع الخيام ثم تقتني الأراضي فتباع للحصول على قطع أخرى مجّاناً أو بأقل ثمن. والأراضي التي اشتراها المجلس البلدي سنتي 1983 و1984 هي الآن

محتلة بدون مقابل من طرف السكان ومن دون ترخيص قانوني.

باستثناء النواة الأولى (الحي القديم والحي الجديد) وتجزئتي وزارة السكنى (لابيطا والمسيرة) وجوانب الطريق الرئيسية التي تتبع تصميماً مهيأً وتتوفر على التجهيزات الأساسية، من أزقة معبدة وماء شروب وكهرباء وواد حارّ، فإن باقي الأحياء الهامشية تتميز بعشوائية التصاميم وبناء متواضع وتفاوت في المرافق الضرورية، خصوصاً وأنها تنمو على سفوح تلية عسيرة الاستصلاح. ممّا اضطر السلطات إلى محاولة استدراك جزء من نقص التجهيز أولاً في الأحياء القريبة من المركز (أحياء التقدم والملعب والمسيرة).

لقد أفرز هذا النوع من النّسيج الحضري تركزاً للوحدات الاقتصادية ومؤسسات الخدمات الكبرى بوسط المدينة وحوله. ومن الطبيعي أن تتنوّع الأنشطة والوظائف بهذه المدينة المتوسطة بعد أن كان اقتصادها يعتمد بالأساس على مردود الهجرة الخارجية ومعاشات المتقاعدين من الجيش. وطبيعي كذلك أن يكون قطاع البناء هو الأكثر انتعاشاً وتوظيفاً للنشيطين. وفي المرتبة الثانية نجد التجارة والنقل بما يقرب ألف محلّ تجاري وإحدى عشرة حافلة بالمدينة وستاً وعشرين حافلة عابرة. ومع أن جلّ الدكاكين العائلية مخصّص للموادّ الغذائية فإن المدينة معروفة بسوق الأحد الذي يعدّ أحد أهمّ الأسواق الوطنية للماشية، وبتوزيعها على أكبر مدى الألبسة المستعملة القادمة من ميناء الناظور، إضافة إلى ازدهار الاقتصاد الموازي المرتبط بتجارة التهريب.

أمّا النشاط الموالي من حيث عدد المشتغلين به فيهمّ الخدمات العمومية المتنوعة التي تتميز بأهمية خاصة لقطاعي التعليم والإدارة العمومية بعد تقلص عدد الجنود بالثكنة عقب انتقال الحامية إلى گرسيف بعد سنة 1975. ذلك أن المدينة تتوفر على ست مدارس وأربع إعداديات وثانوية (1981) ومدرسة للتكوين المهني، وتعتبر أيضاً بلدية ومقر جماعة ودائرة. ومن المحتمل أن تظل كذلك بعد إنشاء إقليم بركان - تاوريرت سنة 1994 الذي تحتضن المدينة الأولى مقرّه. وأمّا الصناعة بشطريها فتأخذ مكانة لايستهان بها. بالإضافة إلى الوحدات الصغيرة للصناعة التقليدية وللإصلاحات، قد تمّ إنشاء مجمع تقليدي نظراً لوفرة المادّة الخام من صوف وجلد، وبعد تدهور مصنوعات الحداءة والحلفاء على إثر انتهاء تجميع وتصدير المادة الأخيرة إلى الخارج سنة 1981. كما تمت عصرنة ست وحدات لتصبير الزيتون من بين 17 وحدة. وأهمّ مؤسسة صناعية تشغل ما بين 250 و600 عامل حسب الفصول تتمثل في معمل تصبير وتصدير السمك الذي عوّض سنة 1984 معمل تصبير النيورة.

أخيراً تتوفر المدينة على خدمات متنوعة بعضها من النوع النادر محلياً (قاعة سينما وخمسة أبناك وفندق من صنف ثلاثة نجوم). ويشغل قطاع الخدمات حوالي 10٪ من السكان النشيطين.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ جزءاً من السكان يزاولون الفلاحة بوادي زَا الذي توجد على مدرجاته دائرة مسقية متعدّدة المزروعات تبلغ مساحتها حوالي 4000 هكتار بناحية مدينة تاوريرت.

* * إقليم بركان - تاوريرت، إقليم إداري فتيّ أحدث في بداية سنة 1994 لمّا انبثق عن إقليم وجدة، كما هو الشأن بالنسبة لإقليم جرادة، وعندما أنشئت ولاية وجدة التي صارت تتألف من هذين الإقليمين إضافة إلى إقليم وجدة - أنگاد.

يضمّ إقليم بركان - تاوريرت سبع عشرة جماعة قروية وثمان جماعات حضرية. ويتكوّن من شمال دائرة تاوريرت السابقة، بعد أن انشطرت بعض جماعاتها القروية إلى قسمين بتاريخ 30 يوليوز 1992. حيث تفرعت جماعة القطيطير، إلى جماعتي ملقى الويدان والقطيطير، وجماعة العاطف إلى جماعتي أولاد محمد والعاطف. أمّا الجماعات الجنوبية التي ألحقت بإقليم جرادة فهي سيدي علي بلقاسم وسيدي لحسن والعاطف وأولاد محمد بالإضافة إلى جماعة دبدو الحضرية. كما يتكوّن الإقليم من دائرة بركان السابقة بأكملها، بعد أن عرفت بعض جماعاتها القروية نفس التقسيم : مداغ (العثامنة ومداغ) وأگلميم (بوغريبة والشويحية) وتافوغالت (سيدي بوهرية وتافوغالت).

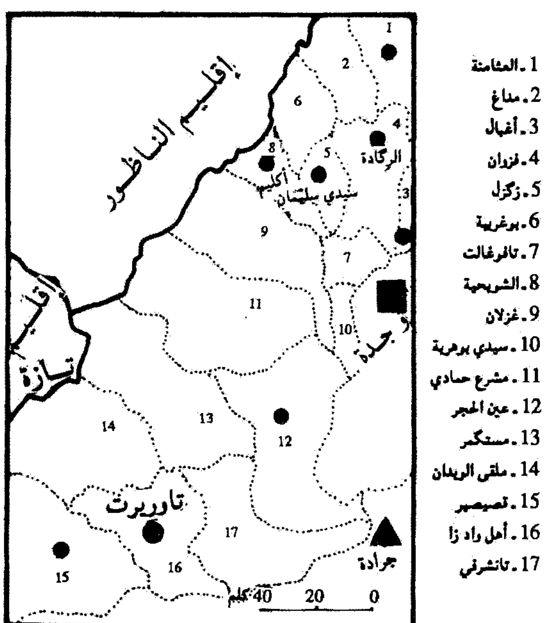


إقليم تاوريرت

ينقسم إقليم بركان - تاوريرت إلى ثلاث مناطق متوازية وواضحة المعالم. تشمل الوحدة الجنوبية أحواضاً واسعة حول مدنيتي تاوريرت والعيون تمتدّ من نهر ملوية إلى سهل

أنكاد بدون حاجز تضاريسي، وتشرف عليها جنوباً جبال جرادة وشمالاً جبال بني إزناسن. نظراً للمناخ السائد شبه الجاف، يعتمد سكان الأرياف على زراعة الحبوب المتقطعة والخفيفة وبالخصوص على الرعي التكميلي للأغنام الذي يتخذ طابعاً انتجاعياً في الجهة الغربية. وعلى الزراعة المسقية المتعدّدة المحاصيل في بعض القطاعات الصغيرة قرب العيون وعلى طول نهر ملوية وروافده واد زَا. في هذه الظروف تعرف الهجرة القروية إلى العيون وتاوريرت وتيرة سريعة. كما تسجّل المدينة الأخيرة تضخماً كبيراً لايساير نمو وظائفها وأنشطتها التي ترتكز على التجارة والخدمات أساساً. أمّا معمل الإسمنت قرب العيون فهو قليل المردود عليها.

تتوسط الإقليم وحدة ثانية مكوّنة من جبال بني إزناسن التي تكتسي صبغة جبلية ضخمة رغم ارتفاعها الأقصى المتوسط (1500) بسبب إشرافها على منخفضات ولا سيّما في الواجهة الشمالية الأقرب إلى البحر. ونظراً لوعورة التضاريس ولأهمية المساحات الغابوية على القمم والسفوح فإن الحياة البشرية والاقتصادية قد ورثت ارتباطاً بالأودية، حيث يمارس تكامل الرساتيق اعتماداً على الزراعة المسقية المتنوّعة.

وأخيراً ينبسط سهل تريفة من أقدام جبال بني إزناسن إلى البحر على مساحة متقلصة نسبياً، ولكنها تعدّ من القطاعات المسقية الكبرى في المغرب. وتتميّز بزراعات تسويقية وصناعية متنوعة أهمها الحوامض . بل حتى هوامش السهل تعرف زراعة كثيفة نسبياً نتيجة توفّر مؤهلات زراعية ملائمة ؛ مما يخلف كثافة سكانية مرتفعة. وباستثناء مدينة السعيدية التي يرجع نموها أساساً إلى السياحة فإن باقي المدن الأخرى تستمدّ بروزها وحيويتها من النشاط الفلاحي ؛ إذ ارتقت سنة 1992 ثلاثة مراكز إلى صف البلديات (عين الركادة وسيدي سليمان الشراعة وأكلميم) وعرفت مدينة أحفير انتعاشاً جديداً وتوسّعت مدينة بركان بشكل سريع. وتحتضن هذه الأخيرة جلّ الصناعات الغذائية والخدمات والمصالح الإدارية الحديثة. وهذا يؤهلها لكي تصبح بحق قطباً إقليمياً.

*وثائق مصالح دائرة تاوريرت* ؛ ولاية وجدة، *رسم توضيحي لولاية وجدة*.

*Plan d'Aménagement, Taourirt Ahl Oued Za*, Province d'Oujda, Ministère de l'Intérieur, Juin, 1992.

مصطفى عياد

* * وهناك قصبة تاوريرت بمدغرة تافيلالت تقع جنوب الراشدية وتبعد عنها بحوالي سبعة كيلمترات على يمين الطريق الرابطة حاليا بين الراشدية والريصاني وعلى الضفة اليسرى لوادي زيز. وقد سكنها منذ القرن العاشر (16 م) أولاد الشريف علي بن طاهر بن الحسن وبنوعمهم.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، 401 ؛ القادري، *الدر السني*، 54 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 231.

عبد العزيز بوعصاب

**تاوزّاگت**، اسم يطلق على الجبل الذي يوجد في أسفله منجم معدن إميدْر أو إميضْر للفضة، على السفح الشمالي لجبل صغرو من بلاد تُدغة بإقليم ورزازات على بعد حوالي مائة وخمسين كيلومترا شرقي هذه المدينة. ومعنى هذا الاسم : العُرف وهو ما يشبه الجبل المذكو.

تشهد الدلائل الأثرية على استغلال مكثف. لهذا المنجم منذ القرن الثاني (8 م). وقد أكد أوسطاش D. Eustache على أهمية منجم الفضة هذا أيام الأدارسة ووجود عملة إدريسية فضية ضربت في تدغة. ويبدو أنه حصل اتفاق بين الإمارة الخارجية في تدغة و الدولة الإدريسية لتزويدها بالنقود التي كانت تضرب في تدغة وبمعدن الفضة الذي كان يحول إلى نقود في وليلي، وذلك فيما بين عام 175 وعام 200 هـ.

وتمكن بعد ذلك يحيى بن إدريس الثاني حوالي عام 223 /837 من السيطرة على منجم تاوزّاگت فغدت الدولة الإدريسية تراقب وتشغّل منجم الفضة بشكل مكثف. وحسب الرواية الشفوية تم إعادة اكتشاف مناجم تاوزّاگت عن طريق الصدفة من طرف الرعاة سنة 1950، إذ سقط أحدهم في منجم وعثر على أدوات قديمة للاستغلال وتم إخبار السلطات في ذلك الحين ـ فبدأت الدراسات وتمت به أشغال بحث ودراسة أولية لتقدير الاحتياطي وضبط أهميته، وبدأ بعد الاستقلال استغلالُ معدن الفضة هذا من طرف شركة معادن إميضر.

*دراسة ميدانية ورواية شفوية.*

عبد القادر بوراس

**تاونات**، ـ جغرافيا ـ تقع تاونات في الجزء الأوسط من منطقة الاتصال بين جبال الريف شمالا وما يُدعى بتلال مقدمة الريف جنوبا، وتشغل قمة تل يناهز علوه 660 م فوق مستوى سطح البحر. وتجزأ هذا المرتفع تحت تأثير التعرية المائية إلى مجموعة قمم متفاوتة الحجم، تشرف على منخفضات تتجه نحو أودية عميقة أهمها واد ورغة جنوبا وروافده واد أسرا شرقا، وهذه الخصائص الطبوغرافية للموضع الذي استقرت به نواة المدينة يشكل عرقلة أمام التوسع العمراني بها.

وبحكم الموقع الداخلي توجد تحت هيمنة مناخ قاري يتسم عموما بالحرارة المفرطة صيفا والبرودة القارسة شتاء، أما كميات الأمطار التي تتباين من سنة إلى أخرى فإن معظمها يتهاطل خلال فصلي الشتاء والربيع بمعدل سنوي يقدر بحوالي 600 مم.

اقترنت نشأة مدينة تاونات ونموها بدخول الاستعمار الفرنسي لمناطق ورغة العليا والوسطى في أوائل العقد الثالث من القرن الحالي، وذلك على حساب أطماع الاستعمار الإسباني في هذه المناطق. ففي بداية سنة 1924 تدخل جيش الاحتلال الفرنسي بشكل مسلح عنيف للتصدي للمقاومة الشديدة التي واجهها من لدن القبائل التي تقطن ضفاف ورغة وأهمها قبائل صنهاجة ومرنيسة ومتيوة وبني

زروال، وهي قبائل ظلت في مواجهة مستمرة مع المحتل الأجنبي وقدمت كل أوجه الدعم والمساندة للمجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي في كفاحه ضد الاستعمار الإسباني بجبال الريف. ولتدعيم مواقعه الاستراتيجية بحوض ورغة العليا والوسطى قام جيش الاحتلال الفرنسي ببناء ثكنات عسكرية في كل من ظهر السوق وبني وليد والورتزاغ ... إلا أن الإدارة الاستعمارية الفرنسية وجدت في موقع تاونات أنجع نقطة للسيطرة على المنطقة كلها، لكون هذا الموقع عبارة عن مرتفع يتوسط حوض ورغة ويساعد على مراقبة تحركات قوات المقاومة. ولذلك فإن الثكنة التي شيدت به كانت من أكبر الثكنات بمقدمة الريف. وحول هذه الثكنة انطلق تعمير مركز تاونات ببطء طيلة فترة الاستعمار، لكنه عرف انتعاشة قوية مع بداية عهد الاستقلال خاصة مع تشييد طريق الوحدة في النصف الثاني من الخمسينيات لربط تاونات بالحسيمة عبر كتامة. وقد ساهمت هذه الطريق في فك العزلة التي فرضها الاستعمار بين جبال الريف والمناطق التي تجاورها من جهة الجنوب. وبذلك أصبحت تاونات مركز عبور أساسي نحو مدن وبوادي الأقاليم الشمالية انطلاقا من مدينة فاس، الأمر الذي انعكس على الرواج التجاري بتاونات، حيث تزايد عدد المتاجر والمقاهي حول الطريق المؤدية إلى الشمال مكونة المركز التجاري للمدينة.

وعرفت مدينة تاونات طيلة العقدين الأخيرين نموا ديمغرافيا متسارعا قل نظيره في المدن المغربية الصغرى، إذ انتقل عدد سكانها الاجمالي من 3101 ن سنة 1971 إلى 10.836 سنة 1982، مسجلة بذلك نسبة تزايد سنوي قياسية يناهز 12٪. وهذه الزيادة لا ترتبط بدينامية اقتصادية جديدة بقدرما ترتبط بارتقاء المدينة سنة 1977 إلى مستوى مقر إقليم إداري وما رافقه من استقرار مجموعة من مندوبيات مختلف الوزارات بالمدينة وتوافد بعض العمال بالخارج الذين ينحدرون من جهات مختلفة بمقدمة الريف للاستقرار بالعاصمة الإدارية الجديدة للإقليم، الأمر الذي جعل قطاع البناء يشهد حركة قوية قصد الاستجابة لحاجيات السكن الجديدة، مما أدى إلى ارتفاع مفاجئ في ثمن الأرض نتيجة المضاربة العقارية التي استفادت من ندرة الأراضي الصالحة للبناء بفعل الخصوصيات الطبوغرافية المحلية.

وفي غياب تصميم للتهيئة المعمارية، راح البناء العصري ينتشر بشكل عشوائي داخل الدواوير المجاورة للمركز التجاري للمدينة وعددها تسعة دواوير أهمها : الدمنة، القلعة، حجر دريان، حجر المطاحن، الدّشيَار. وهذا التوسع العمراني يتم في ظل عجز كبير في شروط التطهير وباقي التجهيزات العمومية من إنارة وطرق معبدة ومرافق تعليمية وصحية، حيث لا تتوفر المدينة إلا على أربع مدارس ابتدائية وإعداديتين وثانوية ومركز للتكوين المهني ومستشفى واحد لا يحتوي إلا على ستة وأربعين سريراً رغم أن المرضى يقصدونه من مختلف أنحاء الإقليم.

وعموما فان مدينة تاونات التي لاتتوفر على مؤسسات إنتاجية من شأنها أن تعطى دينامية للاقتصاد المحلي، ولاتتوفر مجالاتها الخلفية على فلاحة مزدهرة، فضلا عن مشكل الموضع الذي لا يسمح بالتوسع العمراني، فإن آفاق نمو هذه المدينة اقتصاديا وسكانيا وحضريا تبدو محدودة في ظل الظروف العامة الراهنة وذلك رغم ترقية المدينة إلى عاصمة إقليم إداري على حساب مراكز أخرى كانت تطمح إلى ذلك وخاصة قرية أبًا امحمد. ورغم أن التقسيم الجماعي الجديد لسنة 1992 صنف تاونات ضمن الجماعات الحضرية.

* * أحدث إقليم تاونات سنة 1977 وأصبح نفوذه الإداري يشمل مجالات جغرافية كانت في معظمها تابعة لإقليم فاس، وهي مجالات عرفت تعميراً قديما من قبل وحدات بشرية متعددة أهمها قبائل الحياينة وصنهاجة وبني زروال وشراگة. وهكذا أصبح الإقليم الإداري لتاونات يمتد على مساحة تقدر بحوالي 5.585 كلم$^2$، يحده شمالا إقليما شفشاون والحسيمة، وشرقا إقليم تازا، وغربا إقليم سيدي قاسم، وجنوبا إقليم فاس.

إقليم تاونات

ويضم إقليم تاونات على صعيد التنظيم الإداري أربع دوائر هي دوائر غفساي وقرية أبًا محمد وتيسة وتاونات. وبمقتضى المرسوم المتعلق بالتقسيم الجماعي الجديد الصادر في 28 من ذي الحجة 1412 / 30 يونيو 1992 فإن عدد الجماعات القروية بإقليم تاونات قد انتقل من ثلاثين إلى أربع وأربعين جماعة قروية، كما ارتقى كل من مركز تاونات ومركز قرية أبًا محمد إلى مصاف الجماعات الحضرية.

خضع الإطار المجالي لإقليم تاونات لتطور جيومورفولوجي طويل أفضى إلى وجود أشكال طبوغرافية تطغى عليها التلال الطفلية التي يتراوح ارتفاعها عموما

ما بين 400 و800 م فوق مستوى سطح البحر، وتمتد ما بين واد إنّاون جنوبا وواد ورغة شمالا، وهي جزء مما اصطلح على تسميته بتلال مقدمة الريف، في حين يطغى الطابع الجبلي على الهوامش الممتدة شمال واد ورغة حيث يتجاوز علو بعض القمم 1800 م فوق مستوى سطح البحر.

يهيمن على إقليم تاونات المناخ المتوسطي المتسم بالحرارة المفرطة والجفاف صيفا والبرودة الشديدة والرطوبة شتاءً، لكن هناك عوامل خارجية أهمها انفتاح الإقليم على المؤثرات المحيطية غربا وعلى المؤثرات القارية عبر ممر تازا شرقا، وأخرى محلية كالارتفاع وانتشار بعض المساحات الغابوية في الاجزاء الشمالية، تجعل المناخ متذبذبا في نظامه العام ومتباينا على صعيد مختلف أنحاء الإقليم. فمثلا إذا كان تهاطل الأمطار بالأجزاء الجنوبية ما بين تيسّة شرقا وقرية ابّا محمد غربا يقع في حدود 500 مم موزعة على 65 يوم مطر كمعدلات سنوية، فإن الأجزاء الشمالية حول واد ورغة تستقبل 904 مم موزعة على 80 يوم مطر كمعدلات سنوية، يتركز معظمها في فصلي الشتاء والربيع، وغالبا ما يكون تهاطل هذه الأمطار مركزا وعنيفا مما يؤدي إلى حدوث بعض الأضرار المتمثلة أساسا في تحطيم أجزاء من المسالك والطرق وانجراف التربة واقتلاع بعض الأشجار وجرفها نحو أهم أودية الإقليم وهي إنّاون واللبن، وخاصة ورغة الذي يرتفع صبيبه في بعض الفترات المطيرة من الشتاء والربيع إلى ما يربو عن 10.000 م$^3$ /ث، الأمر الذي ينجم عنه فيضانات خاصة بسهل الغرب بعد انضمام حمولة واد ورغة إلى حمولة واد سبو. لذلك شرعت الدولة منذ سنة 1971 في التخطيط لبناء سد من الحجم الكبير على واد ورغة بموقع المجاعرة، على الحدود بين إقليم تاونات وإقليم سيدي قاسم، لتكون إحدى مهامه الأساسية : تعديل نظام تصريف واد سبو، ومن ثم الحد من فيضاناته، إلا أن شروط بناء هذا السد لم تتهيأ إلا بعد عقدين من الزمن حيث تم البدء في أشغال تشييده سنة 1991 باسم سد الوحدة.

كما أن التهاطل المركز والعنيف للأمطار بجبال الريف وهوامشها الجنوبية وما يترتب عنه من مشاكل على صعيد التربة والطرق الخ.. كان وراء استفادة الأجزاء الشمالية لإقليم تاونات من منجزات ما سمي بمشروع تنمية الريف الغربي "ديرو" الذي شرع في تنفيذه في أواخر الستينيات، وكان من أهدافه الرئيسية محاربة انجراف التربة عن طريق التشجير، ثم تحسين دخل الفلاحين للحد من هجرتهم، خاصة الشباب منهم، وذلك عن طريق إحداث تعديلات في استعمال التربة للأغراض الزراعية والرعوية وفتح أوراش للعمل ذات طابع موسمي، لكن تنفيذ هذا المشروع لم يحقق كل الأغراض المتوخاة منه على صعيد إقليم تاونات لأنه لم يتضمن برنامجا متكاملا لتحسين الظروف العامة التي يتم فيها الإنتاج الفلاحي مثل إجراء تعديلات في الهياكل العقارية المطبوعة بالتنوع والتفاوت الكبير في حجم ملكية الأرض الفلاحية، ثم تطوير البنيات الاقتصادية الأساسية وتحسين الخدمات الاجتماعية وخلق مناصب شغل دائمة الخ.. خاصة وأن الوضع الديمغرافي لإقليم تاونات يتسم بأهمية نمو عدد السكان الذي انتقل من 449.912 نسمة سنة 1971 إلى 535.972 نسمة سنة 1982، لا يمثل الحضريون منهم الازهاء 4٪، مع الإشارة في هذا الصدد إلى أن توسيع تيار الهجرة من الإقليم يحد من حجم النمو السكاني، حيث أظهرت بعض الأبحاث بأن 40٪ من الأسر بإقليم تاونات لها فرد أو أكثر يوجد في حالة هجرة، وأن 80٪ من هؤلاء المهاجرين تتراوح أعمارهم ما بين 16 و25 سنة، وأن أبرز دوافع هذه الهجرة هي البطالة ونقص التشغيل وعدم توفر الأسرة على أرض فلاحية أو توفرها على أرض لا يكفي استغلالها لتلبية حاجيات أفرادها الأساسية.

إن فقدان إقليم تاونات لجزء من سكانه وخاصة منهم الشباب لا يعني أنه إقليم فقير من حيث الموارد الاقتصادية، خاصة وأن هذه الأخيرة، من الناحية النظرية، ليست مطلقة ولكنها تخلق. فإقليم تاونات، فضلا عن ثرواته البشرية يتوفر على مؤهلات طبيعية هائلة، وفي مقدمتها الموارد المائية ومساحات ذات تربة غنية ... إضافة إلى امكانياته السياحية المهمة وخاصة بالأجزاء الشمالية من الإقليم كجبل أوْدكا قرب غفساي، وكبلاد صنهاجة الظل شرق مدينة تاونات، بعيونها الغزيرة وخاصة عين بوعادل، وببساتينها ذات الأشجار المثمرة الكثيفة خاصة بمنطقة بني قرة.

ولكن رغم ما يحتضنه إقليم تاونات من ثروات بشرية وإمكانيات اقتصادية وغيرها، فلا يزال يعاني من قلة النمو على عدة مستويات، إذ كان ولايزال ينظر إليه من زاوية التخطيط وإعداد التراب الوطني بمثابة العمق الاستراتيجي الذي يزود السهول الغنية المجاورة كسهل الغرب والأقطاب الحضرية الكبرى كفاس والدار البيضاء بالماء واليد العاملة وبعض المنتجات الفلاحية ولاسيما زيت الزيتون، دون أن يستفيد من استثمارات اقتصادية وبشرية من شأنها أن تشكل عامل تحول إيجابي لتنمية الإقليم اقتصاديا واجتماعيا، ومن ثم العمل على الحد من الهجرة الكتلية التي تعتبر بمثابة نزيف مافتئ يعاني منه إقليم تاونات.

*تحريات ميدانية* ؛ *نتائج إحصاءات السكان لسنتي* 1971 و1982 ؛ مديرية الإحصاء، *النشرة الإحصائية السنوية للمغرب*، الرباط، 1990.

G. Lazarev, *Structures agraires et grandes propriétés au pays Hayaïna*, *R.G.M.*, n° 9, 1966 ; *Ressources en eau du Maroc*, T. 1, Rabat, 1971 ; M. Ennaji, *L'émigration rurale intérieure : causes et incidences*, Actes du colloque *"Population et développement rurale"*, Rabat, 1989.

المختار الاكحل

**تاونات**، ـ تاريخ ـ مدينة على ضفاف وادي سبو شمال فاس. وكلمة تاونات أمازيغية ذات أصل مصمودي، يظهر أنها انصهرت في اللهجتين الصنهاجية والزناتية، وهي

تعني الصعود أو الصعدة، وتتطابق مع وعورة التضاريس. والأماكن التي يطلق عليها اسم "تاونات" هي :

1) تاونات المدينة، مقر عمالة الإقليم. 2) تاونات لقشور، وهو تجمع سكاني صغير يقع على بعد حوالي ثلاثين كيلومتراً من المدينة يمين طريق الوحدة المؤدية نحو كتامة والحسيمة. 3) تاونات لوطا، وهو تجمع صغير يقع شرق مدينة تاونات، ويخضع إدارياً لسوق سبت متيوة (بوهودة).

أغلبية سكان منطقة تاونات مزيج من أصل عربي ـ بربري (مونوغرافية تاونات، ص 1) إلا أنه من الصعب تحديد تاريخ وظروف استقرار مختلف التجمعات البشرية بهذا الإقليم الشاسع الأطراف، المتنوع الأصول. وقد وفدت كل من قبيلة بني زروال وقبائل شراگة من الشرق عبر الجزائر سعياً وراء استغلال الأراضي الفلاحية التي كان يملكها سيدي محمد (فتحا) بن الحسن صاحب الضريح الشهير، كما توافدت جماعات أخرى من مناطق سوس على إثر غزو مولاي إدريس للمنطقة سنة 175 هـ، كما وفدت قبائل بني ورياگل وبني عمار وصنهاجة من الريف. والثابت أن المرتفعات الوسطى من سلسلة جبال الريف، عرفت وجود عناصر صنهاجية منذ زمن عريق في القدم، لا يعرف تحديده ولو بصفة تقريبية، غير أنه من المؤكد أن القادة الأولين للفتح الاسلامي وجدوا صنهاجة في طليعة قبائل المنطقة (*العبر*، 6 : 282). وقد وردت الإشارة إلى وجود هذه العناصر الصنهاجية عند البكري في غير ما موضع من *المسالك*، كما أشار إلى عناصر قبيلة أوربة التي ماتزال على ضفاف نهر ورغة، وذلك مثل رغيوة ومزيات، وهم في مجاورة صنهاجة (البحث العلمي، 27 : 203 ـ 204) وباستثناء قبيلة سي سليمان التي تندرج ضمن صنهاجة الشمس، فإن تجمعات أولاد إزم وبني قرة وعين مديونة وبوعادل تصنف ضمن صنهاجة الظل. وتسكن الضفة اليسرى لنهر ورغة عناصر صنهاجية وقبائل مختلطة مثل الحياينة وشراقة (أو شراگة) (*البحث العلمي*، 27 : 211).

أشهر قبائل منطقة تاونات خمس : 1) بنو وليد، وهو تجمع قديم ورد له ذكر في كتابات البكري وابن خلدون والوزان، ولو أن هذا الأخير جعلهم من إخوة مرنيسة النفزاويين. وقد عرف هذا التجمع سعة في أرزاقه المعيشية وكثرة قراه.... (*البحث العلمي*، 27 : 212). 2) مزراوة، قبيلة صغيرة من قبائل صنهاجة ورغة، موقعها الحالي فيما بين لجاية ومزيات الأوربتين على الضفة اليمنى لوادي ورغة الذي يفصلها عن قبيلة سلاس. وقد كانت مواقعها القديمة بالأطلس الأعلى قبل الانتقال إلى حوض ورغة على عهد المرابطين، حسب ما يظهر. وقد ورد ذكر هذه القبيلة منذ القرن السادس في كتاب *المقتبس من كتاب الأنساب* للبيذق (ص. 45 ـ 46). كما ورد ذكرها في كتاب *العبر* لابن خلدون (6 : 195). 3) سلاس، وهي قبيلة متوسطة من قبائل صنهاجة ورغة، كانت مواقعها القديمة بالأطلس الأعلى، قبل الانتقال على عهد المرابطين على ما يظهر، وهي من جماعة هنكافة مثل مزراوة وفشتالة (*البحث العلمي*، 27 : 212). ويقال إنهم وفدوا من الأندلس في القرن الثالث عشر الميلادي. 4) فتشالة (أو إيفشتالن)، وهو تجمع صنهاجي يقع حالياً على الضفة اليسرى لورغة، يضرب بعروقه القديمة إلى جماعة هنكافة، إحدى التجمعات الكبرى لصنهاجة القبلة. والظاهر أن وصول الفشتاليين إلى منطقة ورغة كان قد تم على عهد المرابطين ضمن زحف إخوانهم من قبائل الجنوب، ومن أبرزهم لطمة الذين كانوا يشنون الغارات على هاته النواحي مما حدا بعامل المرابطين إلى تأسيس حصن بني تاودا الذي تحول اسمه بعد تحطيمه على يد الموحدين إلى اسم فاس البالي لسبب غير واضح، وهذا الحصن واقع قرب حصن آخر قديم بجبل أمرگو الذي صار يحمل بدوره اسم مولاي بوشتى الخمار. 5) بني ورياگل (بالجيم المعقودة)، وهي قبيلة صغيرة على الضفة اليمنى لنهر ورغة فيما بين الرافدين : أولاي وأوضور، وقد ورد ذكر القبيلة عند ابن خلدون، ويصفهم الحسن الوزان بأنهم أقوياء شجعان بطبيعتهم، وهم في عداء مستمر مع جيرانهم بني زروال. ومن ضمن فرقهم بنو كيسان وجبالة وتافرنوت وتازارين ودرادر والهاوتة (البحث العلمي، 27 : 214).

مهما كان أصل هذه القبائل صنهاجياً فإنها تعربت تماماً منذ ما يزيد عن سبعة قرون، وصارت تتحدث بلهجة من لهجات اللسان العربي الدارج المعروف بلهجة جبالة، ذات الرطانة الخاصة التي يميزها نطق حرف الضاد طاءً.

يضاف إلى ساكنة تاونات، بنو سنون، الشرفاء الحسنيون.

أ. البيذق، *المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب*، الرباط 1971 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، طبعة الجزائر ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج 1 تع. م. حجي وم. الاخضر، الرباط 1980 ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، القسم البربري ـ صنهاجة الشمال ـ البحث العلمي، عدد 27 ـ 1977 ؛ م. شفيق، *في أن أسماء الأماكن في المغرب أمازيغية*، *البحث العلمي*، عـدد 27 ؛ *مونوغرافية* عمالة إقليم تاونات، ماي 1991.

الحسين البعاوي

* * أسهمت تاونات في المقاومة المسلحة وانتقلت إلى مقدمة الأحداث إبان الحرب الريفية التحررية ضد القوات الاستعمارية الفرنسية، وذلك بسبب موقعها الاستراتيجي الهام في مقدمة الريف على الطريق المؤدية إلى فاس. فبعد معركة أنوال سنة 1921، عرفت المواقع الإسبانية في شمال المغرب انهياراً، وأخذ البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي يحرر المنطقة الشمالية بحيث لم تصل سنة 1925 حتى أصبحت هذه المنطقة باستثناء الحصون العسكرية الصغيرة في ضواحي سبتة ومليلية والعرائش وطنجة تحت سيطرة جيش ابن عبد الكريم.

أربك هذا التطور الإقامة العامة الفرنسية التي كانت تتابع بقلق كبير الهزائم المتوالية للجيش الاسباني، لهذا

سارعت منذ سنة 1924 إلى تحصين مواقعها في مقدمة الريف وتعزيز حامياتها العسكرية من حوض ملوية السفلى شرقاً إلى أعالي حوض ورغة غرباً. وكانت تاونات قاعدة عسكرية متقدمة حيث أمر المقيم العام ليوطي القوات الفرنسية بالتمركز على الخصوص بتاونات وتافرانت ولو اقتضى الأمر التخلي على المراكز الأخرى. وأسندت قيادة تاونات للعقيد "بارباصا Barbassant" يساعده المقدم "سان جوليان Saint Julien" بينما كلف الكولونيل فريدنبرغ Freydenberg بتنسيق العمليات العسكرية في المنطقة حيث أقام مركز قيادته بعين عيشة.

ومع بداية سنة 1925 أعلنت قبائل بني زروال الواقعة في أعالي حوض ورغة الانضمام إلى الثورة الريفية فوجدت فرنسا الذريعة للدخول إلى الحرب، ذلك أن الاتفاق بين اسبانيا وفرنسا على إثر توقيع معاهدة الحماية ينص على تقسيم قبائل ورغة إلى قسمين، شمالها للإسبان، وجنوبها للفرنسيين. وطالما ندد محمد بن عبد الكريم الخطابي بهذا التقسيم التعسفي في تصريحاته العديدة.

أدرك ابن عبد الكريم النوايا العدوانية للاستعمار الفرنسي فقام خلال ربيع 1925 بكنس النفوذ الفرنسي في المراكز التي حصنوها سنة 1924 خاصة تاونات وأسطار وأسكار وتافرانت وعين مديونة... وكبد الفرنسيين خسائر فادحة في الأرواح، وتدخلت الطائرات الاستعمارية مغيرة على المداشر والقرى الآهلة بالسكان، ووضع جيش الاحتلال عدداً كبيراً من الأسراب رهن إشارة الغزاة تقوم بطلعات متعددة المرامي، منها الطلعات الاستطلاعية لرصد تحركات المقاومين وتحديد مواقعهم، وأخرى لقنبلة السكان، وثالثة لإحراق الغلات، ورابعة لتزويد الجيوش الاستعمارية المحاصرة بالمؤونة والمواد الغذائية. ورغم عدم توفر المقاومة المغربية على طيران بالمقابل، وعدم وجود نظام للدفاع ضد الغارات الجوية، كان التحليق فوق المقاومين يعرض الطيارين الفرنسيين وطائراتهم للدمار والقتل.

وأمام تأزم وضعية الجيوش الفرنسية ألقت فرنسا بأكبر عدد من الجيوش لم يسبق لها أن استعملتها في حرب من حروبها الاستعمارية، وأحكمت التنسيق العسكري مع إسبانيا التي خارت قواها. فأخذ الصراع يتجه إلى حرب حقيقية بين القبائل المتحالفة مع الزعيم الريفي والقوات الاستعمارية الفرنسية الإسبانية.

وقبل شن الحرب العدوانية على الريفيين قام وزير الحربية الفرنسي پانلوفي Painlevé في يونيو 1925 بزيارة تفقدية لمقدمة الريف وزار تاونات المحاصرة التي استرجعتها القوات الفرنسية مؤقتاً ثم حررها من جديد المقاومون. وقد مكنت هذه الزيارة الحكومة الفرنسية من تقييم الوضعية واستخلاص النتائج.

وهكذا عين الجنرال نولان Noulin كقائد عام للعمليات العسكرية كما نودي على بيتان Pétain للقيام بدور المنسق. وفي نفس الوقت وصلت الإمدادات العسكرية الضخمة عن طريق البر انطلاقا من الجزائر وعن طريق البحر انطلاقاً من مارسيليا لتصل إلى ميناء الدار البيضاء. والملاحظ أنه في هذه المرحلة الثانية من الحرب الريفية ونضال محمد بن عبد الكريم الخطابي، لم يكن الفرنسيون يواجهون الريفيين وحدهم بل كانوا يواجهون أيضاً قبائل بني زروال وبني مستارة وسائر قبائل حوض إناون، ويقذف الفرنسيون إلى المعركة بحشود هائلة من السنغاليين والهنود الصينيين واللفيف الأجنبي وسائر المرتزقة بقيادة علية الضباط الاستعماريين المصابين بحمى المغامرة والفتح والترقيات السريعة في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

أسفرت هذه الحرب عن عزل المقيم العام ليوطي يوم 17 شتنبر 1925 وتعيين تيودورستيگ Th. Steeg مكانه. لتطبيق خطة القيادة الاستعمارية التي تميل إلى استعمال حرب الإبادة ضد المقاومين المغاربة.

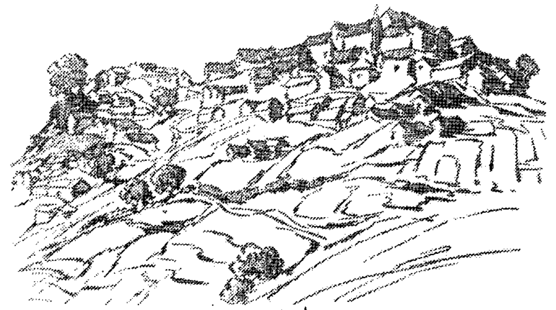

تاونات
بريشة ضابط الشؤون الأهلية ج. تيوفيل دولاي J. Théophile Delay

وقد تمكنت القوات الاستعمارية من استرجاع تاونات خلال صيف 1925 وكذلك المراكز المحيطة بها. واتخذها الجنرال بيلوط Billotte مركزاً لقيادته في اتجاه الريف. ورغم التحصينات التي أقامها الاستعمار في تاونات وضواحيها ظلت تتعرض باستمرار للهجومات، غير أن جيش الاحتلال لم يتورع، لأجل كسر شوكة المقاومة، من استعمال كل وسائل الدمار كإحراق الغلات وتسميم المياه. ومع ذلك لم يتمكن الاستعمار من السيطرة النهائية على تاونات والمراكز المحيطة بها إلا في نهاية ماي 1926.

وقد حولت الإقامة العامة تاونات إلى دائرة عسكرية تابعة لمنطقة فاس، وأقامت بها حاميات قوية، إلا أن ذلك لم يمنع تاونات من القيام بدور فعال أثناء اندلاع المقاومة المسلحة من جديد خلال سنوات 1954 و1955، وكانت من أهم مراكز التنسيق بين أعضاء جيش التحرير والمقاومة في مقدمة الريف.

ميكيل مارتيل، *الاستعمار الاسپاني في المغرب 1860 - 1956* تر. ع. لوديي، منشورات التل، الرباط 1988 ؛ جورج أوفيد، *اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية 1905 - 1955*، تر. محمد الشركي وعبد الجليل ناظم، دار توبقال الرباط 1988.

Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris 1939 ; J. Saulay, *Histoire des goums marocains*, Tome I, Paris, 1986 ; H. Bordeaux, *Henry de Bournazel*, Paris, 1935, *Revue de l'Aviation Française* ; *Le Mémorial du Maroc*, Tome 5, *Revue Icare* n° 121 (1981), *Salon de l'année 1907 : la guerre du Rif*, pp. 50 - 105.

عبد القادر بوراس

**تَـاوُوتِّي**، هكذا رسمت الكلمة في المصدرين اللذين وردت فيهما، وهما كتاب "*التشوف*، 304 ـ 313" لابن الزيات التادلي، وكتاب القاضي ابن عبد الملك "*الذيل والتكملة*، سفر : 8 ـ 170" ولم يشر محققا الكتابين إلى وجود رسم مخالف في نسخ المقابلة.

والكلمة أمازيغية تنطق حسب قراءة الأستاذ أحمد التوفيق لها بتاء مثناة، بعدها ألف مد، واو مشددة مضمومة بعد واو مد، وتاء مثناة مكسورة بعدها ياء مد.

وهي علم على موقع جغرافي يقع قرب مراكش نعته ابن الزيات بالقرية ( *التشوف*، 304)، وأقدم إشارة لذكر هذا الموقع حسب المصادر المتداولة ترجع إلى نهاية القرن السادس الهجري (12 م) عند ابن الزيات، وأشار إليه ابن عبد الملك في القرن السابع الهجري (13 م). لكن في سياق أخبار تعود إلى أواخر القرن السادس وبداية السابع الهجريين (12 م و13 م). وهذا يفيد أن الموقع يرجع إلى زمن سابق من غير المستبعد أن يبدأ على الأقل مع بداية حكم الموحدين، وهو الأرجح على اعتبار ذكره بالمنطقة قبل هذا التاريخ، ولكون نشاطه الصوفي يبدو هو الآخر غير بعيد زمنيا.

أما من حيث الدلالة، فإن اسم تاوَوتّي يفيد معنى الضرب أو الحدود ( *التشوف*، 304). ومن الطريف أن الموقع الذي أرجحه كمكان لهذا الاسم، يعرف حاليا تحت اسم سَقَرْ، ودلالة هذا النعت تجعل الجزاء والعقاب قاسماً مشتركاً بينه وبين معنى الضرب المشار إليه سابقاً. ومن جهة ثانية فإن معنى الحدود، يجد هو أيضا ما يدعمه في المكان نفسه. ذلك أن هذا الأخير يوجد في موقع كان فيما يبدو أحد نقط الالتقاء بين مجال قبيلة إيلان شرقا ومجال قبيلة هزميرة غربا.

أما فيما يخص تحديد الموقع الجغرافي لتاووتّي، فبفضل إشارة دقيقة وجدت عند ابن عبد الملك، يتبين أن هذا الموقع كان يوجد شمال سور مدينة مراكش من جهة باب فاس ـ باب الخميس حاليا ـ. ومن خلال النص التالي لابن الزيات، يمكن الوصول إلى توطين أكثر دقة، يقول : "وحدثني محمد بن سعيد قال : قعدت مع أبي علي في بستان خارج المدينة إلى أن مالت الشمس للغروب. فقلت : لعله يريد المبيت في قرية تاووتّي وباب المدينة عازم على أن يغلق. فقال لي : أتطيق الاسراع في الجري ؟ وكان نحيفاً وأنا أقوى منه. فأشفقت عليه لضعفه. فما التفت إلا وقد غاب عني. فأجهدت نفسي في الاشتداد إلى أن وصلت إلى باب المدينة وقد سبقني إليه ورغب البواب أن يحبس علي الباب إلى أن أصل. فنظر إليَّ وهو يبتسم. فدخلنا المدينة وأغلق البوّاب الباب وقضيت العجب من ذلك" ( *التشوف*، 304 ـ 305).

إن معطيات الزمن الموجودة في هذا النص، يمكن أن تسهم في تحديد مكان موقع تاووتّي، ذلك أن أقصى المسافة التي يمكن قطعها بالجري السريع بين المدة الزمنية الفاصلة بين ميل الشمس للغروب، وغروبها التام يمكن تقديرها بحوالي ثلاث كيلومترات، وهي بالتحديد المسافة الفاصلة بين باب فاس والموقع المسمى حاليا بسَقَرْ، الذي أرجحه كمكان لتاووتّي. إن الجمع بين الوقت الأول، والوقت الإضافي الذي بقي فيه الباب مفتوحا بصفة استثنائية في انتظار وصول رفيق الصوفي أبي علي عمر بن علي ابن عبد العزيز الهزرجي، قادها من تاووتّي، يسمح بإمكانية قطع المسافة المذكورة، مع الاسراع في الجري في نطاق شروط تتحكم في هذه السرعة منها نوع اللباس الذي يكون في غالب الاحيان عائقا، ونوع النعلين، والحالة الصحية للمعني بالأمر.

تسمح المعلومات المتوفرة بعدم استبعاد أن تاووتّي كانت تمثل مركزاً للاستقرار في المجال الريفي القريب من شمال مراكش، ولعل هذا ما يفيده نعت ابن الزيات لها بقرية ( التشوف، 304) وَيبدو أنها كانت تتوفر على طاقة سكنية ذات اعتبار وهو أمر تدعمه مجموعة من القرائن منها :

1 ـ وجود دور بالموقع، ومن الحجم الكبير الذي يستجيب لاستيعاب الجماعات الوفيرة.

2 ـ اعتبارا لأهمية الامكانيات الفلاحية للموقع، فإن مستوى هذا النشاط يتطلب طاقة بشرية مهمة، من غير المستبعد أنها تشكلت من سكان المنطقة أنفسهم.

3 ـ اعتبارا لمكانة تاووتّي الصوفية، فقد كانت مقصد المريدين من مجالات مختلفة. يقول ابن الزيات في ترجمته لأبي محمد عبد الحليم ابن اسماعيل الأيلاني الاسود "زرته مرات بداره... يقصده المريدون ويجتمعون عنده، فنفع الله به خلقا كثيراً" ( *التشوف*، 313) إن هذا الحضور البشري بهذا الحجم وإن كان يتميز بعدم الاستقرار الدائم، فإنه يتطلب وجود طاقة سكنية معينة تلبي هذا الإيواء المؤقت.

4 ـ اعتباراً لوقع تاووتّي في خريطة المسالك والطرق الخاصة بمراكش، يبدو أن هذه الخصوصية الجغرافية، تجعل منها أول مركز استقرار يستقبله القادم من المدينة في اتجاه الشمال، وآخر محطة قبل الدخول إلى المدينة بالنسبة للقادم من الاتجاه المعاكس، وهذه الوضعية تجعلها فيما يبدو ذات وظيفة مركز خدمات ومركز عبور بشري بين مراكش وشماليها القريب والبعيد، وتكون في نفس الوقت الملجأ لقضاء الليل بالنسبة للأفراد والجماعات الذين يصلون إلى المدينة من الشمال بعد أذان المغرب.

ومن غير المستبعد أن منطقة تاووتّي كانت تشكل جزءاً من المساحات المسقية الفلاحية التي تم إحداثها خلال القرن السادس الهجري (12 م)، وتدخل ضمن البساتين التي نشأت خارج أسوار المدينة زمن حكم الموحدين، ولعلها كانت تمتد بين بحيرة يطّي جنوبا ( *البيان*، قسم الموحدين، 434) وتاقيطت شمالا ( *أخبار المهدي*، 63).

وإذا أفادت هذه العناصر باتساع المساحة الفلاحية، فإن إشارات يستفاد منها قيمة إمكانيات الإنتاج التي كانت

تتوفر عليها المنطقة، يعكس ذلك مصطلحات فلاحية تحمل دلالة الاتساع وأهمية عناصر الإنتاج مثل : الضيعة (*الذيل*، سفر 8، 170) ومرور نهر ماء بنفس الضيعة، ومكانة الشخص الذي يملكها وهو ابن القطان الذي "كان معظما عند الخاصة والعامة من آل دولة بني عبد المومن، حظي كثيراً عند المنصور منهم فابنه الناصر فالمستنصر بن الناصر فأبي محمد عبد الواحد أخي المنصور ثم أبي زكرياء المنعم ابن الناصر حتى كان رئيس الطلبة، مصروفة إليه الخطط النبيهة مرجوعا إليه في الفتاوي" (*الذيل*، سفر 8، 169)، يضاف إلى ذلك مناظر زراعية أخرى تمثل البستان (*التشوف*، 304)، ومعلوم أن هذا المصطلح قد أطلق خلال هذه الفترة وفي المجال نفسه على الملكيات الفلاحية، الكبيرة أيضا. (*الحلل*، 6 : 145).

ومن خلال الأخبار الواردة عن تاوَرْتّي في كتاب "*التشوف*"، يبدو أن هذه القرية عرفت خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري - إن لم يكن بعدها أيضا - نشاطاً صوفياً بارزاً تتجلى أهم مكوناته في العناصر التالية :

1 - وجود صوفي شهير بها يعرف بأبي عبد الحليم بن إسماعيل الايلاني، توفي سنة ثلاثة وتسعين وخمسمائة هجرية، كمركز لدائرة هذا النشاط.

2 - وجود هياكل صوفية : مريدون، خاصة التلاميذ.

3 - مكان مقصود من طرف أهل الولاية والصلاح من المدينة والبادية على السواء، وعلى اختلاف مستويات وصفات المتصوفة الزائرين، أمثال الصوفي الشهير أبي علي عمر بن علي بن عبد العزيز الهزرجي توفي عام اثنين وتسعين وخمسمائة (*التشوف*، 303) من أهل الجانب الشرقي من مراكش، وابن الزيات نفسه (*التشوف*، 313)، وعلى مستوى المجال وبصفة خاصة نفيس ومراكش. وهي إشارة أيضا لطبيعة العلاقات الصوفية التي كانت قائمة بين تاوَرْتّي ومجالها.

يمثل مركز تاوَرْتّي إذاً بهذا النشاط الصوفي، مع مركز تاقيطت، المركزين الصوفيين اللذين يقعان خارج شمال مراكش، ويشكلان كذلك المجموعة الشمالية لمراكز التصوف الموجودة بالحوز الأوسط، والمحيطة بمراكش.

ورغم أهمية هذه الوظيفة الدينية وحجمها بالمنطقة فإن ابن الزيات لم ينعتها بأية صفة من صفات المواقع الصوفية التي استخدمها بالنسبة لعدد مهم من مركز التصوف بمجال الحوز والأطلس الكبير، كالرباط والرابطة.

البيذق، *أخبار المهدي*، طبعة الرباط ؛ ي. التادلي، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، البيضاء ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، سفر 8، قسم 1، تح. محمد بن شريفة، الرباط، 1984 ؛ ابن عذاري، *البيان، قسم الموحدين*، تح. محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، البيضاء 1985 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، تح. زكار وعبد القادر زمامة، البيضاء 1979.

محمد رابطة الدين

ابن **تاويت**، أسرة أصلها من الأندلس استقرت حقبةً من الزمان في وادراس قبل أن تدخل إلى مدينة تطوان. وأقدم نص بيدنا ورد فيه ذكر ابن تَوَيْت هو *معجم السَّفْر* - بفتح السين وسكون الفاء - اسم جمع سافر مثل صَحْب بالنسبة لصاحب - لأبي طاهر أحمد السِّلفي الأندلسي نزيل الاسكندرية ومعاصر القاضي عياض. والكتاب من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط (حرف الكاف) وقد لخّص بعض ما فيه إحسان عباس ونشره في بيروت بعنوان *أخبار وتراجم أندلسية*. وهذا نص ما ورد فيه عن "تويت" بالبربرية وأخوين كلاهما يدعى بن تويت

قال السلفي في سياق ذكر توءمين ملتصقين خلقةً : "سمعت أبا محمد عبد الله بن تويت بن الوزان اللمتوني بالثغر الاسكندري يقول، وجربته وكان ثقة يتحرّى الصدق، سمعت أخي الأمير أبا يعقوب ينتان بن تويت الفقيه وغيره من المرابطين الثقات بالمغرب يقولون : وُلد في بني نورت - بطن من الملثمين - جسمان كاملان برأس واحد، فعاشا زمانا، ثم مات أحدهماوثقل الآخر، فراموا قطعه منه، فشاوروا الفقهاء فقيل لهم : يصبر أياماً، فلم يمض قليل حتى مات الآخر. قال أبو محمد عبد الله بن تويت : وولد بالأندلس في أيامنا مولود برأسين ... وقد رأيت بحمص الأندلس (اشبيلية) امرأة ولدت أول ولادتها ولداً ثم في المرة الثانية ولدين وفي الثالثة ثلاثة وفي الرابعة أربعة وفي الخامسة خمسة وفي السادسة ستة وفي المرة السابعة سبعة في بطن واحد.

قال السلفي : أبو محمد هذا رجل صالح من أمراء المرابطين قدم المشرق للحج وطلب العلم وكان يحضر عندي ويقرأ. ومن جملة ما قرأه *الملخص* لابن القابسي. وأما أخوه ينتان فكان فقيها وذكر لي أخوه أبو محمد أنه توفي في زبيد من مدن اليمن، وأنه كان قرأ على ابن عتاب وأبي بحر وابن رشد وآخرين بقرطبة، وعلى ابن أبي جعفر بمرسية، قال وتويت اسمه محمد ولكن غلب عليه لقبه هذا وتفسيره صياح.

وبالأصل المخطوط : "وسألته عن معنى تويت، فقال إن معناه صياح بالبربري، فهو مصدر". ومازال في عاميتنا هذا الوزن خصوصاً في المِهَن التي تُعدُّ مستهجنة مثل تگزّرْت وتحَجّمت وتحدّدت وتنجّرت وكلمات أخرى قبيحه الذكر. وليس صياح بتشديد الياء كما ظن.

والملاحظ أن تَوَيْت ذكرت بدون الألف وهو ماكنا نعرف، ثم زيدت الألف ضبطاً للنطق بالتاء مفتوحة. والدليل على صحة الأول في الأستعمال أننا نجمع هكذا "تَوَيْتْش" وهو اسم أيضاً للأسرة والمقر.

تقع هذه البقعة في قبيلة وادراس بين تطوان وطنجة متاخمة لأنجرة. فقبيلة وادراس تبعد عن تطوان بنحو خمسة عشر كيلومتراً وعن طنجة بنحو ذلك أو دونه بقليل، تشقُّها الطريق السيارة ويتاخمها الجبل الواقع به ضريح وليّ.

ويلاحظ في هذه القبيلة أن السكان يجمعون بزيادة السين كما بالإسبانية، فيقولون - تَوَيْتُشْ، بنطق السين شيناً، كما في البرتغالية، وكما في نحوسين اشبيلية. ويقولون أيضاً عَلاَّلْش، جمعاً لابن علاَّل، وحليمَشْ جمعاً لابن حليمة، وعبُودَشْ جمعاً لابن عبود وزَيَّانَش، لزيان، والطويلش للطويل، ولاغرابة في هذا التاثير الإسباني الذي جاء بمجئ مهاجرة الأندلسيين أواخر القرن التاسع (15 م) فيذكر صاحب *نبذة العصر* لهؤلاء المهاجرين أنهم نزلوا بوادراس ثم انتقل منهم من انتقل إلى بني سعيد في غمارة الساحل الشرق، ومازالت عقبة بغرناطة تذكر بعقبة غمارة (Cuesta de Gomara) ويقول مارمول الذي تكلم عن وادراس بإسهاب وذكر شجاعتهم في القتال إنَّ المقصود بهم هم سكان وادراس، هكذا يقول، وإن كانت وادراس انفصلت من غمارة وصار حلفهم مع قبيلة الأخماس بينما المتاخمون لهم شرقاً وهم قبيلة أنجرة حلفهم مع غمارة، وبعبارة فإن الساحل الممتد من الريف إلى سبتة فطنجة وأصيلا والمنتهي عند القصر الكبير لغمارة، وعبد الكريم المنسوب إليه القصر الكبير غماري. أما الداخل وفيه وادراس وبني يدر وبني مصور وجبل حبيب (الفهري)، والأخماس داخل. ومن مدنه مدينة الشاون، ومازالت حتى الآن بها عصبية ومواجهة بين الأخماس وغمارة.

محمد ابن تاويت التطواني

ابن **تاويت، أحمد** بن محمد بن عمر التطواني. ولد بتطوان عام 1322 وحفظ القرآن في كتاب والده محمد بن عمر شيخ المقرئين، كما حفظ على يده المتون العلمية الأولى في اللغة والدين قبل أن ينتقل إلى حلقات شيوخ تطوان أمثال عبد الرحمن أقشار ومحمد الرگيگ وأحمد الزواقي الحسيني وأحمد الرهوني وغيرهم آخذاً عنهم علوم التفسير والحديث والأصلين والفقه واللغة وقواعدها. ثم توجه إلى فاس ليدرس بالقرويين، ومن شيوخه فيها عبد الرحمن ابن القرشي، وأحمد بن الجيلالي، وعبد الله الفضيلي وأحمد بن المامون البلغيثي.

وبعد عودته إلى تطوان تولى بها عدداً من الوظائف، فكان أستاذاً بالمدرسة الاسلامية سنة 1930، وقاضياً بالمحكمة الشرعية سنة 1952، ومفتشاً بوزارة العدل، ثم مديراً للمعهد الديني، فأستاذاً بكلية أصول الدين. وقد درس خارج تطوان بدار الحديث الحسنية بالرباط، وبالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لمدة سنتين. ولما أحييت الكراسي العلمية أسند إليه كرسي التفسير بالجامع الكبير بتطوان.

كان أحمد بن تاويت من المؤسسين لرابطة علماء المغرب وعضو الأمانة العامة للرابطة، وعضو المجلس العلمي بتطوان. واشتهر بالتواضع والتودد لإخوانه وخلانه، ممن يألف ويؤلف.

توفي بمسقط رأسه صبيحة يوم السبت تاسع ربيع الأول عام 1414 / 28 غشت 1993.

*معلومات شخصية*، وأخرى شفوية من تلاميذه.

المهدي الدليرو

ابن **تاويت، محمد بن عمر** بن عبد السلام بن عمر ابن علي بن مَحمد بن موسى بن محمد الوادراسي ثم التطواني، ولد عام تسعين من القرن الثالث عشر (19 م) وتلقى تعليمه الأول من خاله الفقيه محمد بن حمزة غالبا، ويذكر أنه كان بتطوان عند إتيان الملك مولاي الحسن إليها، وسنه آنذاك عشرون. وبعد حفظه القرآن الكريم صار يتلقى مبادئ العربية والفقه على فقيه عصره، والشهير فيما يمتد من تطوان إلى طنجة مباشرة السيد محمد بوتفَّاح، وكان يرافقه في الأخذ عنه والد محمد بن تاويت الطنجي. وفي الربع الأول من القرن الرابع عشر كان قد حطَّ الرحال نهائياً بتطوان. وبعد هجرة خاله إلى طنجة عند الاحتلال الإسباني بتطوان، كان يخلفه في تعليم القرآن الكريم بها، فظل يقوم بهذه المهمة ما يزيد على نصف قرن، فصار بذلك فقيه تطوان، لا يُذكر إلا بهذا النعت ولايوجد متعلم إلا وقد تخرج على يديه.

كان يعلم القرآن، وإلى جانبه مبادئ النحو وفقه العبادات والتوحيد وما ينضم إلى ذلك مما تشمله منظومة ابن عاشر المعروفة، كما كان يزاول العدالة التي كان شأنها محترما لايضطلع به إلاَّ مَنْ يتَّسِمُ بالعلم والاستقامة الخلقية.

وممن تعلموا على يديه الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي، ثم الزعيم عبد الخالق الطريس، ومن الوطنيين الكبار الفقيه محمد داود مؤرخ تطوان والحاج مَحمد بنونة. وإلى جوارهم جميعا مَحمد عزيمان والطيب بنونة ومحمد الفاسي الحلفاوي وغيرهم كثير لا يحصون عدداً. ومن ناحية الدولة فقد كان مبجلا من القصر الخليفي والوزارة التي كان على رأسها الصدر الأعظم الفقيه ابن عزوز. وكان الخليفة مولاي المهدي يعزُّ الفقيه محمد ابن تاويت، كما كان ابنه مولاي الحسن بعده يعظمه لدرجة أنه كان يُحيي معه صلاة التراويح التي كان يفتحها ويختمها ثم يصلي صلاة الصبح ويبقي الخليفة في المسجد ينصت إلى قراءة الحزب فيعود مودعاً إلى قصره في حفل رسمي.

محمد بن تاويت التطواني

ابن **تاويت التطواني، محمد** بن محمد بن عمر بن عبدالسلام. والده من شيوخ حفظة القرآن ومعلميه المبرزين، وأسرته عريقة تنتسب لقبيلة "ودراس" من أحواز تطوان، عرفت بالجهاد والتقوى، رحل فرع منها أولا للاستقرار بالمدينة المجاورة تطوان، وتلاه بعد عقود فرع استقر بالمدينة البوغاز القريبة بطنجة. ومترجمنا عالم أديب، اشتهر بالبحث والتأليف والترجمة في الأدب والتاريخ والتشريع الاسلامي والفلسفة والمنطق والتصوف. ولد بتطوان عام 1329 / 1911. استظهر القرآن الكريم على والده ولم يتجاوز سن العاشرة، شرع بعدها في حفظ المتون بدءاً بمقدمة ابن أجروم المرشد الصغير لابن عاشر إلى الأحزاب المنتشرة في العبادات من مختصر خليل. وقد أهله ذلك للانتقال إلى

حلقات الدرس حيث تتلمذ على كل من الفقهاء عبد الكريم بن محمد الدليرو، ومحمد بن عبد السلام الريسوني، وعبد الله مراريش، ومحمد الكحاك، ومحمد الفرطاخ، ومحمد الزرهوني، ومحمد القاسمي، وعبد الرحمن بن رحو، ومحمد أقلعي، ومحمد اعمير، ثم عن شقيقه الأكبر أحمد ابن تاويت.

وبداية من مرحلة تكوينه تلك، شرع يعنى بتلقي الدروس الأولية في اللغتين الإسبانية والفرنسية، مستمداً هذا التوجه من وصلة الطفولة الرابطة بينه وبين قرينه في الكتاب وفي حي "الاترنكات" الاستاذ عبد الخالق الطريس، والذي ظل حريصاً في زعامته للحركة الوطنية بشمال المملكة المغربية أثناء الحماية الاسبانية، على استثمار ثقافة "ابن تاويت" الجادة في صياغة المطالب التعليمية بخاصة، وترشيد تكوين الأجيال الصاعدة، وتخطيط آفاق مستقبلها العلمي.

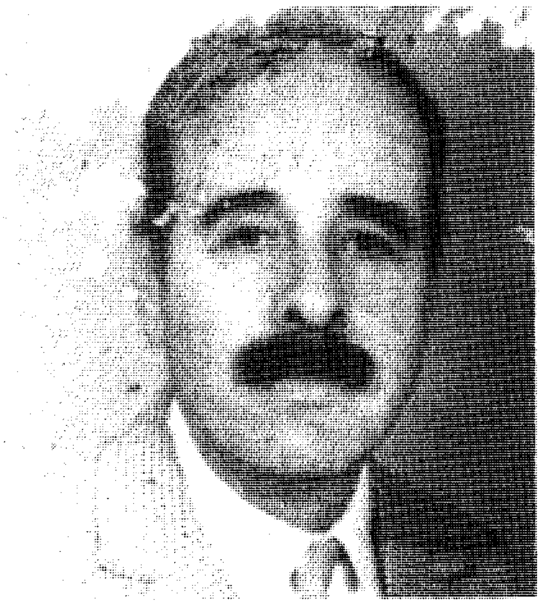

وفي عام 1348 / 1929، التحق محمد ابن تاويت التطواني بالقرويين، فجلس إلى حلقات الدروس، داخل المسجد وخارجه، واستمع إلى الشيوخ الطائع ابن الحاج، ومحمد ابن الحاج ومحمد بن عبد الرحمن العراقي والعباس بناني ومحمد الزرهوني ومحمد العلمي وأبو الشتاء الصنهاجي ومحمد الصنهاجي ومحمد السايح ومحمد بن عبد المجيد أقصبي وعبد الرحمن ابن القرشي والحسن بن عمر مزور وعبد الرحمن بن الصديق الغريسي ومحمد بن عثمان الشامي والحبيب بن أحمد المهاجي وأبي بكر الدرقاوي ومحمد ابن سعيد المكناسي وإدريس المراكشي وعمر ابن سودة ومحمد ابن عبد الله وعبد الله الفضيلي ويصفه بعالم فاس في زمانه.

وموازاة مع دروسه هذه كان يحضر دروس اللغة الفرنسية، بين العشاءين، بثانوية مولاي إدريس، كما كان يتصل ببعض الجزائريين والارجنتينيين المقيمين بفاس يجلس إليهم مستزيداً من اللغتين الاسبانية والفرنسية.

ولما أعلنت الحرب الأهلية الاسبانية سنة 1936 واستعصت بنتيجتها الاتصالات بين شمال المغرب وجنوبه، عاد مضطرا إلى تطوان، حيث عينه صديق الصبا الأستاذ الطريس الذي كان يشغل أثناءها مهمة وزارة الأحباس في الحكومة الخليفية كاتباً له. وكان إلى جانب ذلك يزاول مهمة التدريس بالمدرستين القرآنية والحسنية، ويلقي محاضرات بنادي حركة الوحدة المغربية في تاريخ التشريع الإسلامي، ويعقد حلقات في بعض مساجد المدينة، درس فيها للطلبة المختصر والألفية والمنطق والبلاغة والحساب بالقلصادي.

ولما تهيأت البعثة الحسنية للدراسة في مصر سنة 1938م استقال من وظيفه والتحق بها، طموحاً منه لاستكمال دراسته، وقد انتظم طالباً بكلية الآداب قسم اللغة العربية بجامعة فؤاد الأول، حيث نال شهادة الإجازة وتابع بعدها إعداد دبلوم الدراسات العليا في اللغات الشرقية في ذات الكلية. ومن أساتذته خلال هذه الفترة طه حسين ومصطفى السقا وأمين الخولي وأحمد لطفي السيد وأحمد أمين وأحمد ضيف ومحمد زيادة وحسن إبراهيم حسن ومحمد شفيق غربال وعبد الحميد العبادي وعبد الوهاب عزام وإبراهيم أمين الشواربي ويحيى الخشاب.

ولرغبته في الحصول على شهادة الدكتوراه سجل موضوعها تحت إشراف أستاذه عبد الوهاب عزام، وعمل خلالها ببعض مؤسسات القاهرة الثانوية، غير أن الظروف عاكست رغباته، فعاد إلى وطنه سنة 1949 ليستقر في مسقط رأسه تطوان باحثاً في معهد فرانكو مدة سنة، ثم أستاذاً للبلاغة بالمعهد العالي للتعليم الديني، ثم مديراً لنفس المؤسسة، ثم مفتشاً لكل مستويات هذا التعليم بالمنطقة الخليفية. وقد كان ينطلق في تدريسه لمادة البلاغة من كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني، والذي عني بإعادة طبعه مفتتحاً بمقدمة دسمة وغير قصيرة تلقي كاشف الضوء على علم البلاغة. ومع استقلال المغرب عين سنة 1956 مديراً لمعهد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان، خلفاً لعبد الله كنون.

وقد دشن إشرافه على المعهد بإصدار الدورية المرجعية المتخصصة في الدراسات المغربية والأندلسية مجلة *تطوان*، فإليه يعود فضل أجزائها العشرة. وفي سنة 1958 التحق بشعبة الدراسات التاريخية بلندن للتخصص في موضوع : "العلاقات التاريخية بين المغرب وانجلترا" عاد بعد سنة أمضاها بها أستاذاً للتعليم العالي بالمدرسة العليا للأساتذة وفي كليات آداب الرباط وفاس ووجدة وتطوان وأگادير، كما درّس بكلية أصول الدين في تطوان.

ارتبط مترجمنا بالكلمة، فوهب لها حياته، بحثاً وتنقيباً، كتابة وتأليفاً، فاتسعت معارفه، وتشعبت اهتماماته، وهذا ما جعله أستاذاً لأكثر من مادة، فقد ألقى محاضرات في علوم البلاغة، وفقه اللغة بنوعيه الخاص والمقارن، وفي مادة النحو، كما درس الادبين المغربي

والأندلسي، وكتب في مواضيع عديدة من الأدب المشرقي، إلى جانب ذلك كله اشتهر بأستاذيته للغة الفارسية. وترجم الكثير من الأعمال إلى العربية من اللغات الشرقية الفارسية والتركية نثراً ونظماً، ومن اللغات الحية الانجليزية والاسبانية والألمانية. وشارك في عدة مؤتمرات واستدعي محاضراً في عدة جامعات عربية وأجنبية.

تميز الأستاذ ابن تاويت بين أفراد البعثة من مرافقيه بتنوع وغزارة الإنتاج والانقطاع للبحث والتكوين، فقد ألف وحقق ونشر في شتى المجلات والجرائد الوطنية، وفي الكثير من الدوريات العربية والدولية. ولما عرف عنه من صرامة في الميادين المعرفية فقد أثارت بعض كتاباته سجالات عنيفة في اللغة والأدب شعره ونشره، رافقت حياته العلمية التي امتدت خمساً وخمسين سنة، في إعداد الأجيال، وفي الكتابة والنشر، إلى أن وافته المنية بمصحة في الرباط صبيحة السبت ثامن رجب عام 1413 / ثاني يناير 1993 عن سن يناهز الثمانين.

مؤلفاته المنشورة :

1 - *محاضرات في تاريخ التشريع الاسلامي*. 2 - *الاستشراق والإسلام*. 3 - *كتاب في التربية الوطنية*. 4 - *تاريخ سبتة*. 5 - *ابن زيدون*. 6 - *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى*، في ثلاثة أجزاء. 7 - *تاريخيات* : دراسات وتعريب وتحقيق. 8 - *الأدب المغربي* بالاشتراك مع الصادق عفيفي.

مؤلفاته المخطوطة :

1 - *فن جلال الدين المثنوي*، وهو عنوان الموضوع الذي كان اختاره لنيل شهادة الدكتوراه، وقد أهدى نسخته الأصلية للمكتبة الصبيحية بمدينة سلا. 2 - *العلاقات المغربية الانجليزية*. 3 - *مذكراته*. 4 - *المغرب والمعترك الدولي في العهد السعدي*. 5 - قصة قصيرة بعنوان "*صريع العزاز* : قصة واقعية مؤلمة". 6 - شعر موزع بين بعض ذويه وتلاميذه. 7 - *رسائل* يحتفظ بها بعض معاصريه وثلة من تلاميذه.

تحقيقاته :

1 - *دلائل الإعجاز*، في جزأين. 2 - *شعر ابن عبد ربه*. 3 - *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، لأبي عبد الله محمد بن قاسم الانصاري. 4 - *وثيقة تاريخية عن تطوان*، لرجل جزائري. 5 - *وثائق سعدية لم تنشر*. 6 - بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، لعبد المهيمن الحضرمي. 7 - *أوراق من تاريخنا مجهولة*. 8 - *ديوان الأمير أبي الربيع سليمان الموحد*، بالاشتراك مع محمد ابن تاويت الطنجي ومحمد بن العباس القباج وسعيد أعراب. 9 - *البيان المغرب* لابن عذاري المراكشي - قسم الموحدين، حققه أولا بالاشتراك مع المستشرق الاسباني هويسي ميراندا، وثانية بالاشتراك مع المستشرق السالف، ومحمد إبراهيم الكتاني، وأخيراً بالاشتراك مع الكتاني السالف ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة. 10 - *مستودع العلامة ومستبدع العلامة*، لأبي الوليد ابن الاحمر بالاشتراك مع محمد التركي التونسي. 11 - *أزهار الرياض في أخبار عياض* - الجزء الرابع - بالاشتراك مع سعيد أعراب.

من مترجماته عن الفارسية :

1 - *جهار مقالة*، للشاعر أحمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي. 2 - *زين الاخبار*، لأبي سعيد عبد الحي الكرديزي. 3 - *رباعيات عمر الخيام*.

عن التركية :

1 - *قبقجي مصطفى*، قصة للكاتب أحمد رفيق التركي. 2 - *أجر وصبر*، قصة للكاتب التركي حسين رحمي. 3 - *نظيفة*، مسرحية لعبد الحق حامد. 4 - *أولو*، ملحمة شعرية لعبد الحق حامد. 5 - *مقبر*، ملحمة شعرية لعبد الحق حامد.

عن الانجليزية :

1 - *رسالة تاريخية من ملك أنجلترا إلى حاكم تطوان النقسيس*. 2 - *من زوايا التاريخ المغربي*، نشر تباعا بمجلة تطوان. 3 - *العدالة في بريطانيا*، مخطوط. 4 - *العلاقات المغربية البريطانية*، مخطوط.

عن الاسبانية :

1 - *علي ابن سينا*، ترجمه وقدمه إلى معهد فرانكو قصد الطبع. 2 - *الدول الصغرى بالمغرب*، أو بني صالح بالنكور، تأليف أسدرو دي لاس كاخيكاس.

عن الألمانية :

1 - *ترجمته لحياة المؤرخ عبد الرحمن ابن اخلدون* عن الأصل الألماني من كتاب كارل بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" وهي مرقونة على الآلة الكاتبة.

محمد ابن تاويت التطواني نفسه، *مذكراته* ؛ *معلومات شفوية* من شقيقه الأكبر الفقيه أحمد بن تاويت.

عبد القادر الغالي الخراز

ابن **تاويت، الطنجي محمد** بن محمد، أصله من تَوَيْتْشْ من قبيلة وادراس بين تطوان وطنجة. من أسرة عرفت بالصلاح والجهاد منذ أمد بعيد، فقد كان الناس يعتقدون في جده محمد بالولاية والصلاح، وكان أبوه وأعمامه الأربعة من المجاهدين للمحتلين الإسبان طيلة اثنتي عشرة سنة. استشهد عمه أحمد ثم أخوه الأصغر عمر مجاهدين. وظل عمه محمد الزكاري يحارب الإسبان والفرنسيين حتى بعد انتهاء حرب الريف، فلجأ إلى بني مَسَّارة حيث أسلمه الفرنسيون للإسبان، وكذلك فعل عمه الرابع.

التحق والده محمد، وكان معروفاً بالفاسي لأنه درس بفاس، بالأمير ابن عبد الكريم الخطابي، وكان الأمير قد درس عليه القرآن ولكن تخلى عنه لما تغيرت الأمور وكان ذلك سبب تعرض داره بوادراس للمداهمة وإحراق ما بها من كتب ومخلفات.

ولد ابن تاويت الطنجي في حدود عام 1330 / 1911

بوادراس القبيلة، والتحق بطنجة وهو شاب يافع متابعاً لتعلمه قواعد العربية والدين بعد حفظه القرآن الكريم وبعض المتون، والأسرة تعيش في شظف من العيش إذ لم يكن دخل الوالد إلا عشرين ريالاً مغربية "حسنية" مرتباً كان له على نظارة الأحباس الناصرية التي تنتمي إليها أسرة ابن تاويت. وكان ينضم إلى الأجر المذكور أربعة ريال أخرى يتقاضاها محمد الفاسي عن إمامة "جامع الجديدة" بطنجة.

طلب الشاب محمد ابن تاويت من أبيه أن يتوجه إلى فاس للدراسة بجامع القرويين فأسعفه في رغبته، فتوجهنا معاً إلى فاس وظهرت نجابة المترجم في دروس النحو بالألفية على عباس المكناسي والفقيه أقصبي. وفي دروس التوحيد بأم *البراهين* على عبد العزيز ابن الخياط. وطلبنا بواسطة أخي من سيدي جواد الصقلي أن يتطوع بإقرائنا *منظومة الاستعارة* لابن كيران بجامع الرصيف باكراً. فنحضر حلقته التي لم يكن يحضرها غيرنا الاثنين.

كان سيدي مَحمد العلمي يدرس آنذاك *كتاب القلصادي* في الحساب، قبيل النظام الدراسي، ثم التوقيت بعد فرض هذا النظام، فحصل تحول في مواد الدراسة التي انكب عليها مترجمنا إلى الفنون التي يدرِّسها العلمي. كان الشيخ مَحمد العلمي ذا ذهنية رياضية، وقد أخذ هذه العلوم العقلية، وبخاصة حساب اللوغاريتم، عن أحد طلبة البعثات الحسنية إلى أوربا. وكان هذا العالم الرياضي قد أفضى به الإهمال الذي لقيه هو وزملاؤه أعضاء البعثات إلى أن أصبح دركياً مرابطاً بباب بوجلود بفاس.

انقطع مترجمنا إلى شيخنا العلمي انقطاعاً كلياً. يخدمه حتى بانتساخ كتبه التي تسلك إلى المطبعة الحجرية بمجرد انتساخها، وما أكثرها بخطه الذي حافظت عليه المطبعة الفاسية، وأصبح متمكناً في علوم التوقيت على اختلافها بالدرجة التي كان عليها الشيخ العلمي. ومن الذين درسهم التوقيت من الكبار الفقيه محمد بن سعيد المكناسي وعبد الله گنون وهو زوج أخته.

فلما عدنا من فاس أثناء الحرب الإسبانية الأهلية، توظفنا كلانا بتطوان. وبعد سنتين ذهبنا معاً في بعثة علمية إلى مصر حيث التحقنا بكلية الآداب، كان هو بقسم التاريخ وكنت بقسم اللغة العربية. ثم بدا لَهُ أن يتحول إلى قسم اللغة العربية وابتدأ التشابه يضايقنا، فكلانا محمد بن محمد ابن تاويت، فكان أن وقعت إدارة الكلية في خلط عند إعلان نتائجنا في آخر السنة، فقر القرار منا أن نتميز بعضنا عن بعض هو بالطنجي وأنا بالتطواني.

أحرزنا شهادة الليساس، وكان هو ضمن الخمسة الأوائل فنال جائزة الشرف من الملك فاروق. ثم عرض على استاذنا أحمد أمين أن يتولى الإشراف عليه في موضوع ينال به درجة "ماجيستير" فاختار له موضوع تحقيق *مقدمة ابن خلدون*. فدخل المعركة ونسي نفسه فيها. ووجهته الجامعة العربية إلى تركيا للبحث عن المخطوطات، وتفتحت له الأبواب كلها فدخلها وأصبح بعد ذلك المرجع الأول فيما يخص ابن خلدون.

سألني في جامعة لندن سنة 1958 الأستاذ برناردلويس، ماذا يكون نسب الطنجي منك ؟ أجبته : ابن عمي، فقال لي : إنه خلدوني. والحقيقة أن تحقيقاته تشهد بما له من اطلاع واسع، نأخذ مثلا تحقيقه *لجذوة المقتبس* وللجزء الأول من *ترتيب المدارك* أو *اختصار الزبيدي لكتاب العين*، كل ذلك يقدم لنا مجهوده فيه.

لم يكن في محمد ابن تاويت الطنجي عيب إلا أنه كان ينشد الكمال في الناس. فهو رجل قد قدر الناس قدره وأحبه علماء الأتراك واحترموه في وزاراتهم وجامعاتهم، فأصهر إليهم وأقام بين أظهرهم إلى أن مات عندهم غريباً عن بلده بتاريخ رابع عشر ذي الحجة عام 1394 /29 دجنبر 1974.

*معلومات شخصية.*

محمد بن تاويت التطواني

## تاويمة. هضبة. ← تينگمرت

**تاوينْخْتْ** أو تاوينغت، كلمة أمازيغية تطلق اسماً على شجيرة مشوكة تنبت في المناطق الجافة، وهي التي يسميها لاووست Laoust باسم Aubépine saharienne.

تستعمل قشرة أغصان هذه الشجيرة في دبغ الجلود وتلوينها باللون الأحمر. وهي معروفة بنفس الاسم في منطقة درعة وتافيلالت وأيت واوزگيت وسوس الأعلى والأطلس الصغيروفي جبال أوراس على ما يبدو، وربما في مناطق أخرى.

ويغلب علي الظن أن الكلمة من "وين" ومعناها الذي يصلح لكذا أو الذي يستعمل في كذا ... و"أغيت" وتعني الجلد المتين الذي يصلح لصناعة الاحذية. كما يمكن أن تكون قد أخذت من كلمة "تاويناغ" التي تعني عند الحيوانات العيون ذات اللون الأسود والرمادي الفاتح.

ولعل نوارة الشجيرة المشوكة المشار إليها أعلاه تشبه في لونها العيون التي تتوفر فيها الشروط المذكورة، فسميت شجرتها باسم المشبه به بعد تأنيثه.

استعملت كلمة "تاوينخت" كاسم علم جغرافي، حسب ما نعلم في جنوب شرقي تازناخت، حيث توجد قرية تحمل اسم "تاوينخت" عند أيت حاميدي. وفي جنوب شرق بويزاكارن حيث يوجد جبل تاوينخت.

كما توجد الكلمة في أيت سْمْگْ الذين يسكنون السفوح الجنوبية لجبل تيزي ن تاست حول مركزهم الإداري تافينگولت. غير أن "تاوينخت" هنا تطلق على مجموعة من القرى متقاربة الموقع، وكل واحدة منها تحمل اسمها الخاص وهي على التوالي : فرناط، وإيگران وأزرو وأگادير ن ـ عومزيل. وترجع أهمية "تاوينخت" إلى موقعها الجغرافي الذي يمكّن من مراقبة الطرق المؤدية إلى جبل إيدأوزداغ انطلاقاً من سهل سوس الأعلى. فهو إذن يعتبر صلة وصل

ضرورية بين السهل الذي كثيراً ما تطرقه الجيوش المخزنية المتمركزة في تارودانت التي لا تبعد عن الموقع المذكور إلا بحوالي ستين كيلومترا، وبين جبل إيدأومساطوگ وإيدأوزداغ الذين لاتطأ جنود المخزن بلدهم إلا نادراً.

ففي أوائل القرن الثاني عشر (18 م) حينما حاصر باشا مراكش جبال إيدأوزداغ انهزمت جيوشه وتراجعت إلى تاوينخت، وبقيت في المنطقة إلى أن اضطر لمصالحتهم مقابل أداء ضريبة رمزية فأدوها ورحل عنهم دون خضوع فعلي.

وفي نهاية القرن الثالث عشر (19 م) وبداية الذي يليه كانت منطقة تاوينخت محل صراع بين القائد الگنتافي الذي كان يحاول بسط نفوذه على سوس الأعلى، وبين قائد تالگجونت المجاورة الذي ينتمي إلى عائلة أيت بازي.

وهكذا نلاحظ أن "تاوينخت" عرفت زيادة عن الصراعات اللّفية المحلية، صراعات أخرى تنحو بها انتماءات سياسية تربطها أكثر بالسهل ليتراجع المجال الجبلي بأنظمته نحو القمم.

عبد الله بن إبراهيم التاسافتي، *رحلة الوافد*، تح. صدقي علي أزايكو، ص 134 (نشر كلية الآداب بالقنيطرة).

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*, 1951, T. III, pp. 143 sqq ; T. IV, p. 1788 ; E. Laoust, *Contribution à une étude de la toponymie du Haut Atlas*, Paris, 1942, p. 101 ; Id., *Mots et choses berbères*, 1920, pp. 478 - 490 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, Paris, 1930, pp. 279 sq., 317 - 318.

علي صدقي أزايكو

**التايب** أو التائب، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن المختار السعيدي، نسبة إلى قبيلة بني سعيد الشرقية بشمالي المغرب، قدم والده منها أوائل هذا القرن، واستقر بناحية فاس. ولد المترجم عام 1935، وحفظ القرآن الكريم وهو صغير على والده الذي كان إماماً بأحد مساجد فاس والتحق بالقرويين فأحرز على الشهادة الثانوية الأولى سنة 1957 واشتغل بالتعليم في مدينتي ميدلت وفاس، وفي سنة 1960 انتسب إلى كلية الشريعة بفاس، وحصل على الإجازة منها عام 1964، وهي السنة التي التحق فيها بدار الحديث الحسنية بالرباط، فتخرج منها سنة 1965، وفي سنة 1968 تم إلحاقه بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (مصلحة إحياء التراث) وعهد إليه بمهمة تحقيق كتاب التمهيد للحافظ ابن عبد البر الذي أنجز منه تحقيق الجزء الثالث، وشيئا من الرابع، وأثناء عمله بالوزارة كان يخطب بأحد مساجد الرباط ويقوم بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد، ويلقي أحاديث دينية في الإذاعة والتلفزة، وانتدبته الوزارة مرات نائبا عنها في تدشين بعض المشاريع التابعة لها، وأسهم في الدروس الحسنية بخمس محاضرات وبواسطتها اشتهر ولفت إليه الأنظار، لفصاحته وقوة حافظته وحسن استيعابه للمادة العلمية.

كان محمد التائب لا يجد لذته إلا في الكتاب، بحيث لا تراه إلا قارئاً أو مذاكراً لا يمل من المطالعة ولا يفتر عن القراءة. وهو من الموقعين على وثيقة المطالبة بالتعريب. من إنتاجه العلمي، إضافة إلى المحاضرت الخمس التي شارك بها في الدروس الحسنية ؛ تحقيق الجزء الثالث وبعض الرابع من *التمهيد* لابن عبد *البر* ؛ وكتاب *دليل مناسك الحج* (بالاشتراك) وعدة مقالات نشرها في بعض المجلات وقد كان شرع في تحقيق كتاب *الإلماع للقاضي عياض* الذي اختاره موضوعاً لرسالته الجامعية لا ندري القدر الذي أنجزه منه.

توفي بضواحي الرباط يوم 16 جمادى الأولى عام 1391 / 10 يوليوز عام 1971.

*آثار المترجم المكتوبة ؛ معلومات شفوية من أبنائه وأصدقائه.*

عمر الجيدي

**تايدالت**، قرية واقعة بأعالي وادي صياد، القسم الشرقي من وادي نون، تتميز بأنها مقر أولاد بوعشرة. وهذه القبيلة تدخل في نطاق أيت النص الذين تتصدرهم قبيلة أيت إبراهيم التكنية (انظر أولاد بوعشرة - أيت إبراهيم، *بالمعلمة*). تتميز تايدالت بأنها تجمع الفصائل المحلية المتصارعة نظراً لقدرة أهلها على تنظيم التعايش ونظام التحالفات. ولعل هذا السبب هو الذي يفسر احتواءها لقبر سيدي مَحمد بن أحمد الجماني الهاشمي القادم من قبيلة اجمامين بمنطقة الهده على أهل ازريويلة من قبيلة أزوافيط. فقد قام بدور شريف أهل ازريويلة وجزء من قبيلة أزوافيط مرتبطاً بالمخزن الذي كلفه ببعض المهام، لعل أشهرها حمل ظهائر تعيين أربعة عشر قائداً صحبة ابن عم السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى الشيخ ماء العينين بالسمارة. وماتزال عائلته تتوفر على ظهائر حسنية وحفيظية للتوقير والاحترام سُلم بموجبها عزيبا بحوز مراكش. وقد أهله ارتباطه بالمخزن إلى مباشرة شؤون أهل عزيبه بكامل الاطمئنان، فلم يكن في تدخله يقتصر فقط على الشؤون الدينية بل نجده يختص أساسا في مباشرة الأمور السياسية والاجتماعية لما فيها من محافظة على أمن الجماعة التي مازالت تشهد له بردع الفساد والمتجاسرين على الأحكام.

Mordoché Abi Serour, *De Mogador au Djebel Tabayoudt, le Rabbin Mordoché Abi Serrour*, résumé du journal du voyage par Henri Duveyrier, Extrait du *Bulletin de la Société de Géographie* (Décembre 1875), Paris, Société de Géographie, 3 - 1875, 13.

**تايسا** (واد نون)، يتعدد استعمال هذه الكلمة بتعدد أماكن الرعي الجماعية التي تخضع لأعراف محلية ولتقنين تقسيم المجال وحق إقامة أفراگ الوحدات المتحالفة. تمثل سلسلتا جبال تايسا وگير بمنطقة وادي نون ما يشابه حداً طبيعياً فاصلا بين لفيْ اتحادية تكنة أيت عثمان شرقا وأيت الجمل غربا. وغني عن القول أن تربية الجمال التي تميز لف أيت الجمل تقتضي مبدئيا الابتعاد عن الجبل وتركه لمربي الأغنام والماعز، وهو فعلا ما يؤكد التصاق سكان مداشر وادي نون بسلسلة تايسا. فهذه السلسلة تعتبر بحق أول مجموعة جبلية تستقبل القادم من مرتفعات إيگني

إيمغارن بالأطلس الصغير. فيتضح أن الطريق الرابط بين بويزكارن وگلميم يمر بمحاذاة السلسلة التي تتراجع قليلا عن هذه الطريق المخترقة لبسيط وادي نون. كما يتجلى بوضوح أنها مجموعة جيولوجية تحتوي على أرصفة واسعة مكتنزة ومتتابعة تنتصب بموازاة الطريق المؤدية إلى سرير وادي نون.

وإذا كانت مدينة گلميم وتيغمرت وأسرير تقع أسفل جبل تايرت أعلى قمة بهذه السلسلة، فذلك لأن السلسلة تجسد بهامتها واعتدال مناخها الجاف ممر فايجة وادي نون، علاوة عن كونها تنتهي في شبه انخفاضات قليلة العلو تأخذ السلسلة شكل أسرّة صالحة للرعي والترحال القروي. والملاحظ أن وفرة المداشر عبر انفراجاتها تزيد من نوعية النباتات الغنية بفعل تأثير المحيط الأطلسي. كما أن استغلال الممرات المائية يزيد من مرابطة الأهالي حول أراضيهم المحروثة والمسقية. هكذا تجد الأغنام والماعز موفور الكلأ بتايسا وقد تصاحبها الأبقار إلى حيث تحافظ النباتات على اخضرارها.

تتمثل أهمية تايسا في كونها المرطب الرئيسي لمناخ جاف والمنعش الأساسي للترحال القروي وتربية الأنعام حيث تزداد أهميتها حسب قلة الأمطار التي عادة ما تنقطع لأزيد من خمس سنوات متتابعة. وإذا كان دور تايسا يكمن في ترطيب المناخ بفعل التأثيرات البحرية حيث تحد من التبخر، فإنها تلعب بذلك دوراً أساسياً ومحورياً في بلورة عوامل التحالف القبلي بمنطقة وادي نون عبر مختلف مراحل تطور هذه الاتحادية التي مرت منها الفصائل والمداشر بعضها ببعض. الملاحظ هنا هو أن تايسا تتميز عن سلسلة جبال گير بعدم وجود مساحات هامة من أكناري الذي يستقطب الأفراگ المصيفة من سكان المداشر.

انظر مواد أكاوس وأسرسي وتيغمرت والتوبيبع وتغاط *بالمعلمة* ؛

مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*، دار عكاظ، 1988.

M. Naïmi, *Cinétique des leffs, fléxibilité et mobilité sociale*, étude inédite.

مصطفى ناعمي

**تايمز أوف مورروكو** (*The Times of Morocco*)، (أزمنة المغرب) أول جريدة صدرت باللغة الإنكليزية بالمغرب. أسسها بطنجة الكاتب والصحفي البريطاني إدوارد ميكن Edward Meakin في 5 يوليوز سنة 1884. نصبت الجريدة نفسها تحت إدارة إدوارد ميكن ونجله بودجيت Budgett Meakin مدافعة عن مصالح الجالية الإنكليزية بالمغرب، دون أن يجعلها ذلك مسايرة للسياسة الرسمية البريطانية. وعندما طرحت قضية الصحافة الأجنبية بإقدام المخزن على طلب منع صدورها بطنجة، كانت *تايمز ـ أوف ـ* موروكو قد انفردت بموقف يبرئ ساحة المخزن وينحى باللوم على مفوضيات أوروبية تعمل في الخفاء على إطفاء شعلة الصحافة المستقلة. ومن جهة أخرى، لم تتردد *تايمز ـ أوف ـ* موروكو في التنديد بالشطط الذي يسفر عنه نظام الحمايات والحيف الذي يلحق المستضعفين نتيجة ذلك.

لم تلبث جريدة ميكن أن دفعت ثمن نزعتها الاستقلالية عندما رفضت مطبعة أبرينس Abrines، تحت ضغط المفوضية الإنكليزية، الاستمرار في إصدارها (صيف سنة 1885) فتعثرت الجريدة من جراء ذلك ولم تتدارك الموقف إلا بإنشائها لمطبعة خاصة بها (يناير سنة 1886).

تمكنت إدارة *تايمز ـ أوف ـ* موروكو في ماي سنة 1889، من إصدار صحيفة *المغرب* التي تعتبر أول جريدة صدرت باللغة العربية في المغرب، وبذلك كانت *تايمز أوف موروكو* سباقة إلى الاهتمام بالقراء المغاربة في وقت تكاثرت فيه بطنجة الصحف بلغات أجنبية مختلفة. ومن جهة أخرى، اعتنت الجريدة على صفحاتها بتلقين بعض مبادئ اللغة العربية لأفراد الجاليات الأجنبية المقيمة بالمغرب.

استطاعت الجريدة أن تحافظ على استقلالها حتى سنة 1893 عندما اضطرت إدارتها، تحت وطأة مشاكل مادية مستعصية، إلى بيعها للناشر "أبرينس" الذي تولى أمرها فأدمجها مع صحيفته *Al Maghreb al Aksa* (*المغرب الأقصى*).

ج. بيضا، *قضية الجوازيط الأجنبية بطنجة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر*، مجلة *دار النيابة* (طنجة)، ع. 18، ربيع 1988.

B. Meakin, *The Moorish Empire : A historical epitome*, London, 1899 ; J.-L. Miège, *Journaux et journalistes à Tanger au XIXème siècle*, *Hesp*., 1er sem. 1954, p. 1991 - 228.

جامع بيضا

**التبادل** (أنثروبولوجيا)، لعل مما يتشكل منه نسيج المجتمع المغربي ما يجمع بين الأفراد والجماعات من علاقات تبادلية مكثفة، غلب عليها تارة الطابع الاقتصادي، وأخذت تارة أخرى أبعاداً شمولية. لقد عمد المغاربة منذ أزمان بعيدة إلى تنظيم مبادلاتهم إما وفق نموذج تماثلي مستند إلى العطاء المضاد، أو نموذج مركزي ينهض بموجبه مركز معين بإعادة توزيع ما تلقاه من هبات ومداخيل، أو نموذج الاكتفاء الذاتي المتمثل في التبادل القائم بين مختلف أطراف الوحدة المنزلية. إن كل هذه المبادئ التي نظمت الإنتاج والتبادل في المجتمع المغربي - أو على الأقل اثنين منها - كثيراً ما تعايشت في نفس المجال الاجتماعي، وإن كان أحدها هو الذي ينفرد دائماً بالسيادة على المبادئ الأخرى.

لقد سادت العلاقات التبادلية بين طرفين أو حليفين بصفة خاصة في المجالات الاجتماعية التي عرفت مساواتية نسبية فيما بين أوضاع الأفراد والجماعات ؛ أما المبادلات المتمحورة حول مركز قائم فوجدت بالأساس حيث برزت سلطة قائدية أو إقطاعية ؛ بينما التبادل في نطاق الوحدة المنزلية اقتضته في آن واحد متطلبات الاستمرار الاجتماعي وشروط الإنتاج الاقتصادي.

لقد شكل فعل العطاء ورد العطاء وقبوله ممارسة عبّر بها المغاربة تجاه الطرف الآخر عن مودتهم وصداقتهم

وتحالفهم. وظفوا هذا المنطق في تبادل الهدايا والخدمات والنساء والدعوات والمناصرة ... سعياً منهم لإقامة أو توطيد علاقات اجتماعية قائمة، وحرصوا، عن طريق رد الهبة بأكثر منها، على ألا تكون عملية التبادل مجرد تصفية لحساب سابق بل منطلقا لمبادلات جديدة.

وعمد سكان القبائل، إما جماعياً أو فُرادى، إلى تقديم الهبات و"الزيارات" لمقدم الزاوية أو لبعض أفراد الأسرة المشرفة عليها، التي تقوم من جهتها بإعادة توزيع تلك المداخيل إما على المعوزين من أعضائها، أو على بعض أتباعها ممن هم في حاجة إلى بذور لحرث أراضيهم أو مساعدات لتحصينها أو ما شابه ذلك. هذا فضلاً عما يمنحه صلحاء الزاوية من حماية رمزية ومساندة وبركة لكل من يلجأ إليها من الزوار بمن فيهم السلطان والمقربون إليه.

لقد شكلت المرأة ولازالت أداة ثمينة للتبادل الاجتماعي. فكلما قبل طرفان متحاربان تزويج إحدى بناتهما لدى الطرف الآخر، نجم عن ذلك - ولومؤقتاً - جنوحهما إلى السلم وإقامة علاقات صداقة وتحالف بدل التطاحن السابق. إلا أن الزواج قد يعني، في سياق بعض الثقافات الجهوية، كما هو شأن المجتمع الريفي بشمال المغرب، تبادلاً غير متكافئ وإخلالاً بالتوازن بين عائلتين أو جماعتين، ما دامت العائلة المانحة للبنت تعطي في نفس الوقت للعائلة المستقبلة خلفاً ومحاربين محتملين، مما يحمل العائلة الخاسرة في هذا التبادل إلى تعْويض ما أصاب عرضها من مساس باعتماد أساليب عنيفة، سواء في شكلها المادي كالجرح والقتل، أو في شكلها الرمزي كالتفوق الخطابي ومنح الهبة التي يعجز الخصم عن ردها. وهذا يجرنا إلى إبراز شكل آخر من أشكال التبادل ألا وهو تبادل العنف.

أبرز ريمون جاموس Raymond Jamous دواعي وأبعاد هذا التبادل في المجتمع الريفي عند أوائل القرن العشرين حيث كان حدوثه ناجما بالأساس عن الدفاع أو عن الهجوم على ما كان يُعتبر من ضمن المحرمات التي لايحق المساس بها كالمرأة أو الدار أو الحقل، بحيث صار المجتمع الريفي، حسب هذا المؤلِّف، حلبة لتبادل التحديات، وموجات مستمرة من الهجوم والهجوم المضاد، لا يلطف من حدتها مؤقتاً سوى التوسط السلمي للصلحاء. وعلى خلاف ما يتميز به تبادل الهبات والنساء من عجز عن تجاوز اللاتوازن الذي ينجم عنه، يسمح تبادل العنف في صورته القصوى، أي القتل، بتحقيق نوع من التوازن بين الطرفين المتصارعين.

على أن المؤسسة التي تجسد أكثر من غيرها عملية التبادل وتحتضن مجمل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والرمزية هي بلا منازع مؤسسة السوق التي تشكل، في المجتمع المغربي، إحدى أبرز لحظات التفاعل والترابط بين الأفراد.

إن ما يجري في نطاق السوق من ممارسات لا ينحصر في البيع والشراء، بل يتعدى ذلك إلى فض الخصومات، والتعبير عن موقف جماعي، وبلورة مشاريع الزواج، إضافة إلى تبادل التحيات والخدمات والاستدعاءات والأخبار. إنه المجال الذي يجسد بامتياز مجمل العلاقات والسيرورات التي يتميز بها المجتمع بصفة عامة.

إن المدة الزمنية التي يقضيها الإنسان القروي المغربي في السوق تتراوح عموماً ما بين خمسة وأربعين وخمسة وسبعين يوما في السنة ؛ وارتياد أكثر من سوق واحدة في الأسبوع سلوك شائع في الوسط القروي. ومع التعقد المتزايد لتقسيم العمل تكاثرت الأشغال التي تدفع الأفراد إلى ارتياد السوق لذا تشعبت أغراضهم ومقاصدهم. إلاّ أنّهم جميعاً، بائعون ومشترون، منتجون ومستهلكون، يندرجون ضمن خانة "السواّق"أو "السواّقة" بصيغة الجمع. إن هذا التعبير الدارج لا يميّز بين عمليتي البيع والشراء، بل يطرحهما وكأنهما وجهان مختلفان لنفس النشاط وعنصران لا يتميزان عن بعضهما باختلاف في المهنة أو مهارة في المساومة وإنما فقط بالتركيز على غاية خاصة.

إن الأفراد الحاضرين في السوق يميلون مع ذلك إلى خلق صلات متكررة فيما بينهم يتبادلون عبرها المنتوجات والخدمات، بحيث تنشأ علاقات زبونية بين مجموعات من البائعين والمشترين، ويصبح تعامل "السوق" من جراء ذلك قائماً على أساس الانتقاء والألفة والمعرفة. ولعل من مبررات صغر حجم المعروضات التجارية الرغبة في الحفاظ على صلات مباشرة بين الطرفين، مع ما يرتبط بها من عناية خاصة وتوثيق للروابط الشخصية. وتعتمد بالإضافة لذلك المساومة من جهة لتزيح عن جودة السلعة وثمنها ما يعتريهما من شكوك وتقيم على أنقاضها جواً من الثقة قابلاً لأن يصبح علاقة زبونية قارة، ومن جهة أخرى لتسمح للبائع أن يميّز بين الزبون الجدير بالثقة وغير الجدير بها.

والملاحظ أيضاً أن التبادل في المجتمع القروي كثيراً ما يأخذ شكل المقايضة. نلمس ذلك عندما يعتبر الفلاح أن بعض منتجاته المنزلية كالعسل والزبدة والجبن مثلاً "فائضة" لديه، فيعمد إلى بيعها في السوق بقصد شراء مواد يعتبرها ضرورية أكثر لإشباع حاجيات أسرته ؛ أو عندما يعمد، بعد الحصاد مباشرة، إلى شراء خيل ليبيعها بعد ذلك مع بداية فترة الحرث وظهور البوادر الأولى لمصاعب إيجاد الغذاء للماشية، ساعياً من وراء ذلك توظيف هذا التوفير المؤقت في مجرى الدورة الفلاحية الجديدة.

على أن أهم تحول حصل في هذا المجال اتساع نطاق وتأثير السوق الذي انتقل من مجرد عنصر تابع للمجتمع وعاكس لمقتضياته إلى مؤسسة تشعب وجودها وامتد منطقها إلى مجالات شتى في الحياة الاجتماعية، بحيث أصبح، أكثر من أي وقت مضى، هو النموذج المرجعي السائد في تحديد أشكال التبادل الاقتصادي والاجتماعي، والنسق المؤثر في التنظيم الكلي للمجتمع. مما أضعف ما كان يستند إليه التبادل من عفوية وصدق وسمعة وتعارف

شخصي، ليصبح العَقْد هو البديل عن تقلص الثقة، ويصير التفاوض المسبق حول شروطه هو التعبير الجلي عن الحذر المتبادل واختلال التواصل الإنساني بين المتعاقدين.

ديل إيكلمان، *الإسلام في المغرب* (1)، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء 1989.

C. Geertz, *Suq : the bazar economy in Sefrou, Meaning and order in Moroccan society*, Cambridge, USA, 1979 ; R. Jamous, *Honneur et Baraka*, Paris, 1981 ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh*, Rabat, 1984 ; J.-F. Troin, *Les souks marocains*, Aix-En-Provence, 1975.

المختار الهراس

**التبّاع**، عبد العزيز، عالم صوفي، قيل "إن سلفه كانوا يهوداً"، (*تحفة*، 1 : 453) دون تحديد لدرجة هذا السلف في سلسلة نسبه. كما لا نعلم عن والده سوى أن اسمه عبد الحق. وهذا يعني أن المترجم له كان وراء شهرة عائلته وسلفه وليس العكس، بحيث لم يرث عنهم لا مجداً ولا علماً بل ولا اسماً عائلياً شهيراً. فهو أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق المراكشي المعروف بالحرار، نسبة إلى صناعة الحرير، "إذ كانت حرفته في أول أمره" (*دوحة*، 136).

ويبدو أنه درس وتعلم بمراكش. وقد بلغ في هذا المجال مستوى جعل كتاب التراجم يصفونه "بالشيخ العالم" (*ممتع*، 29)، هذا قبل أن تنزع همته إلى الانخراط في طريق القوم الصوفية. وفي هذا الصدد تذكر كتب التراجم أنه صحب الشيخ الشهير محمد بن سليمان الجزولي مؤسس الطريقة الجزولية الشاذلية. بل، وتجعل منه وارث حاله، وخليفته في الطريقة "وشيخ المشايخ فيها" (*دوحة*، 136. 137 ؛ *ممتع*، 29. 30).

ومرد هذه المكانة التي حظي بها أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار، دون سائر رفاقه من مريدي الشيخ الجزولي، إلى حيويته ونشاطه الملحوظ في نشر مبادئ الطريقة الجزولية، "حتى إن أكثر الجزوليين ينتسبون إليه". (*ممتع*، 29. 30). ومن ثم، لا عجب إذا اشتهر هذا الشيخ باسم : عبد العزيز التباع، لكثرة أتباعه في الطريقة الجزولية (*ممتع*، 29) ولا عجب أيضا إذا سمّى محمد المهدي الفاسي كتابه الشهير *"ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع"*.

وفي هذا الإطار، يلاحظ أن الشيخ التباع أولى عناية خاصة لنشر التصوف الجزولي في الأقاليم المغربية الشمالية وعلى رأسها مدينة فاس عاصمة بني وطاس زمنئذ، وحجتنا على ذلك، الزيارة التي قام بها الشيخ التباع إلى فاس قبيل نهاية القرن الخامس عشر (9 هـ)، حيث استقبل بحفاوة من قبل أهالي المدينة، حتى إنهم ألحوا عليه كي يقيم بمدينتهم (*ممتع*، 46. 47).

وإذا لم يستطع التباع تلبية رغبة الفاسيين، فقد كان لزيارته أثرهاالكبير والمباشر في تركيز النفوذ الجزولي بحاضرة المولى إدريس. فخلال تلك الزيارة عين بفاس خليفة له، وهو الشيخ علي بن محمد صالح الأندلسي الفاسي (ت. 903 / 1494) (*سلوة*، 2 : 208). وقد كان لهذا التعيين أثره في توسيع النفوذ الصوفي الجزولي بفاس وشمال البلاد عموما بعد انتشاره في الجنوب زمن الشيخ الجزولي نفسه ولا غرو، فقد أصبحت زاوية علي بن محمد صالح المذكور والتي أسسها بحومة وادي الزيتون بعدوة الأندلس من فاس، المقر الأول والرسمي لتجمع وتربية مريدي الطريقة الجزولية من أبناء فاس (*سلوة*، 2 :213. 214).

وفضلا عن فاس، استعان الشيخ التباع بمريديه في نشر أو إعادة نشر الطريقة المذكورة بشتى نواحي البلاد مركزاً على المناطق الشمالية كما ذكرنا. وفيما يلي لائحة بأسماء أشهر مريدي الشيخ التباع معززة بأمكنة الزوايا التي أقاموها بإذنه ( *الأولياء*، 1 : 141. 144).

- الشيخ عبد الله الغزواني المعروف بمول القصور، دفين مراكش. ،هو خليفة التباع في الطريقة الجزولية.
- الشيخ عبد الكريم بن عمر الحاحي المعروف بالفلاح، دفين مراكش.
- الشيخ أحمد الأمين بن قاسم القسطلي، دفين مراكش.
- الشيخ أبو السداد الغازي، دفين مراكش.
- الشيخ أبو العزم رحال البدالي المعروف بالكوش، دفين أغماي بحوز مراكش.
- الشيخ أبو الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي الفاسي نزيل فاس وخليفة شيخه بها.
- الشيخ أبو عثمان سعيد الداعي الدغوغي، دفين مدشر المقرمدة على وادي إيناون من حوز فاس.
- الشيخ أبو يشو مالك بن خدة الصبيحي، نزيل حوز فاس ناحية الأوداية.
- الشيخ أبو السرور عياد بن يعقوب الفرجي الدكالي (والد عبد الرحمن المجذوب)، دفين الربوة التي فوق القنطرة بالمهدومة بين فاس ومكناس.
- الشيخ الكامل محمد بن عيسى الفهدي المعروف بالهادي بنعيسى، دفين مكناس.
- الشيخ أبو حفص عمر الخطاب، دفين جبل زرهون.
- الشيخ أبو القاسم بن محمد بن عمر الزعري الجابري، دفين دير تادلا ببلاد ورديغة.
- الشيخ أبو عثمان سعيد أمسناو، دفين الصومعة بتادلا.
- الشيخ أبو عبد الله محمد بن داود البوزيري الشاوي، دفين أگرض بتادلا.
- الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم، دفين أگرض بتادلا.
- الشيخ إبراهيم الهراوي الصومعي، دفين الصومعة بتادلا.
- الشيخ أبو القرينات، دفين طريق أبي يعزى بتادلا.
- الشيخ أبو عثمان سعيد بن أحمد الدلائي، دفين الدلاء بالأطلس المتوسط.
- الشيخ أبو الحسن علي بن موسى البوخصيبي، نزيل

موضع تيزغوين ببلاد أزغار بالغرب.

- الشيخ أبو زكرياء يحيى بن علال البوخصيبي العمري، وراث والده في زاويته الواقعة بموضع تيزغوين ببلاد أزغار، وضريحه بفاس.

- الشيخ أبو عبد الله محمد بن منصور المصباحي السفياني، دفين جزيرة البسابس ببلاد الخلط بالغرب.

- الشيخ أبو عثمان سعيد بن السائح المالكي دفين المرجومة من بلاد أزغار بالغرب.

- الشيخ أبو عبد الله محمد بن الزبير المصباحي، دفين القصر الكبير.

- الشيخ أبو عثمان سعيد بن عبد المنعم الحاحي، دفين أيت داود بحاحا.

- الشيخ أبو عبد الله محمد كانون المطاعي، دفين أولاد مطاع ببلاد عبدة.

- الشيخ أحمد أوموسى السملالي، دفين تازروالت بسملالة سوس الأقصى.

هؤلاء هم مشاهير مريدي الشيخ التباع، بل أكثر أولياء مغرب العصر الحديث شهرة على الإطلاق، والذين كانوا وراء مبادئ شيخهم التباع في شتى نواحي البلاد، تلك المبادئ التي لا تختلف في شيء عن أصول الطريقة الجزولية، كما وضعها شيخها وشيخ التباع محمد بن سليمان الجزولي.

ويمكن تلخيص تلك المبادئ في النقط التالية :

- التوبة النصوح على النهج الجزولي من خلال تطبيق الطقوس المرتبطة بقبول التائب مريداً في الطريقة مثل قص شعر التائب والاغتسال... وما شاكل ذلك من الشعائر الصوفية العامة أو الخاصة بالطريقة الجزولية في هذا المقام.

- الاقتداء بشيخ عالم بالظاهر والباطن.

- مجاهدة النفس بقصد تحقيق القرب من الله.

- الالتزام بذكر الأحزاب الشاذلية عموماً والجزولية خصوصاً وبالأخص الإكثار من الصلاة على النبي (ص). وذلك كله في أوقات معينة وبأعداد محددة، مع مراعاته آداب وتقنيات الذكر في الحضرة الجزولية من تلحين ومناوبة.

- اتخاذ شارات خارجية مميزة يعبر عنها "بشياب الفقراء"، وهي في مجملها مرقعة وعكاز أو عصا وسبحة، الهدف منها تميز الطائفة عن غيرها وتحقيق التواصل بين أفراد الطائفة نفسها.

- وفوق هذا وذاك الالتزام بالكتاب السنة في العقيدة والسلوك (*التصوف*، 152 ـ 153).

نريد القول إن الشيخ التباع ـ وهو وارث حال شيخه الجزولي ـ حرص على تبيلغ الطريقة الجزولية في حلتها التقليدية البسيطة دون تعقيد ولا إضافات، لأن قصده الأساسي كان هو نشر وإعادة نشر الطريقة الجزولية وعلى نطاق واسع، لا سيما في المناطق الشمالية، كما لاحظنا.

وفي سبيل الغاية نفسها، يبدو أن الشيخ التباع استغل بنجاح قيام نظام جديد بمملكة فاس (والمغرب عامة) بقيادة بني وطاس، على أنقاض حكم بني مرين، خصوم زعيم الجزوليين، لتدعيم موقف الطائفة التباعية صوفيا وسياسيا أيضا في البلاد، سواء في الجنوب أو الشمال، لاسيما وأن مؤسس الدولة الجديدة، محمد الشيخ الوطاسي (1471 ـ 1505) وعلى عكس بني مرين الأواخر، أبدى رغبة ملحاحة في التعاون مع أولياء البلاد وصوفيتها قاطبة، بل وتحقق له ذلك فعلا كما حدث في معارك الجهاد ضد الغزو الإيبيري وفي تسيير شؤون الأقاليم، وهذا التعاون استحق عليه الأولياء ظهائر إنعام وتوقير وإعفاء من الضرائب من لدن محمد الشيخ الوطاسي (*الأولياء*، 1 : 556 ـ 560).

وإذا علمنا هذا، أدركنا الآن كيف دخلت الجزولية التباعية مدينة فاس وبصفة رسمية خلال فترة حكم السلطان المذكور بالذات (1471 ـ 1505 م) وبالضبط بين 1471 و1498م، وأدركنا بالتالي لماذا زار التباع بنفسه العاصمة الوطاسية، وكيف استقبل فيها بترحاب كبير، كما رأينا. بل يخيل إلينا أن قدوم زعيم الأولياء الجزوليين إلى فاس "بعد أن غمر ذكره الجنوب" (*المعسول*، 12 : 8) وتنصيبه لممثل عنه في عقر دار بني وطاس، ما كان ليتم بتلك الصورة لولا موافقة السلطان الوطاسي. هذا إذا لم نقل بأن السلطان نفسه قد مهد السبيل إلى ذلك كله، بعد أن طال انتظار الجزوليين رفاق التباع في طريق القوم في البوادي والمدن المجاورة لعاصمة الشمال منذ أيام بني مرين، كتأكيد على رغبته في التعاون مع أولياء وصوفية البلاد وعلى رأسهم أتباع الطريقة الجزولية وشيخها عبد العزيز التباع، سيما وأن الدولة الوطاسية في بدايتها وكان عليها مواجهة مشاكل جمة على رأسها الغزو الايبيري للمغرب وتشتت وحدة البلاد.

وهكذا، إذا كان الشيخ محمد بن سليمان الجزولي هو مؤسس الطريقة الشهيرة باسمه وواضع أصول مبادئها، فالأكيد أن الشيخ عبد العزيز بن عبد الحق التباع هو "داعيتها الأول" وناشر تلك المبادئ، فاستحق بذلك لقب "الخليفة" في هذه الطريقة الجزولية. هذا وقد توفي الشيخ عبد العزيز التباع سنة 914 / 1509، ودفن بمراكش، وقبره بها مشهور.


م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط 1396 / 1976 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، طبعة حجرية بفاس، 1313 / 1896 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج. 2، طبعة حجرية بفاس، 1318 / 1900 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 12 ؛ ع. الشادلي، *التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري*، البيضاء 1989 ؛ أ. الوارث، *الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرن 16 م*، رسالة لنيل د. د. العليا في التاريخ، 1988، مرقونة بخزانة الآداب بفاس.


أحمد الوارث

**التبّانين** (جامع ـ) من جوامع مدينة سبتة الإسلامية. ذكره الأنصاري عند حديثة عن مقبرة الربض الأسفل من

المدينة. في صحن الجامع قبران أحدهما لأبي الربيع سليمان بن سبع العجميني، صاحب كتاب *شفاء الصدور*، وثانيهما لأبي عبد الله بن حرزوزة، أحد الشهداء. يعد الجامع من مساجد المدينة الكبرى.

م. الانصاري، *اختصار الأخبار*، ص. 22.

زليخة بنرمضان

**التّبّين**، أبو محمد عبد القادر بن محمد الاندلسي القرشي العثماني.

انتقل جده أبو عبد الله القرشي العثماني من المشرق إلى الأندلس عام 126 هـ في العقود الأولى للفتح الإسلامي. واستوطن قرطبة إلى أن توفي بها، وفي القرن الرابع انتقلت أسرته إلى غرناطة بعد الفتنة، وولد الشيخ عبد القادر بها ودرس وتعلم، وتأثل والده الفقيه الشيخ محمد أموالا بها وبقرطبة والجزيرة الخضراء وسبتة.

وفي سنة 540 هـ انتقل عبد القادر إلى سبتة، وبها لقي الشيخ أبا عبد الله الفخار (يسميه العامة بتطوان سيدي عبد الله الفخار، ومازال ضريحه معروفا بها إلى الآن قريبا من ضريح صاحبه التبِّين المترجم له) واصطحبا وخرجا في سياحة يرتادان موضعا صالحا للعبادة والانقطاع حتى بلغا تطوان، فوجداها عامرة بالأجنة والبساتين والمياه، فاختارا موضعا منها هو المسمى الآن (قاع الحافة) و(المنجرة). وبهذا الحي يقع مسجده العتيق المسمى (لَلاّ افْريجة) ولعله سمي بذلك للفرجة التي به لإشرافه على مزارع كيتان وبسيط مرتيل إلى البحر ولكونه يحتل رَبوة، ويقرب مسجد السوق، ومازال يسمى السويقة. وبهذا الحي عدة أفران قديمة وأرحاء لطحن الحبوب، تأخر وجودها إلى أواخرعهد الحماية.

وبعد نزول الشيخين بهذا المكان قصدهما الناس وبنوا الدور واتسع العمران وذكروا أن الشيخ أخذ بقرطبة عن أبي الوليد ابن رشد الجد وابن الفخار القرطبي وأبي علي الصدفي وطبقتهم والأموي السبتي كما أنه رافق القاضي عياض والمفسر ابن عطية في الطلب. وأنه جرت بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي مناظرات في عدة علوم كما جرت بينه وبين أبي حامد الغزالي مراسلات، والله أعلم بذلك.

ألف التِّبين كتبا في الحديث والفقه والتاريخ والأنساب، منها :

*اختصار الصحيحين* : البخاري ومسلم وسماه : *حسن التبين* ؛ كتاب في *قواعد الإسلام* ؛ *منهاج السلوك فيمن حل بالدنيا من الملوك* ؛ *درة الأحساب فيمن حل بالأندلس من ذوي الأنساب* ؛ *وتنقيح الأفكار، في معرفة رجال الآثار*.

وفي ترجمة الشيخ التبين وصاحبه الفخار ألف بعض تلاميذهما : *نزهة الأفكار، وحلة الأبرار في مناقب الشيخ عبد القادر وشيخه الفخار*. أقول : والتاريخ محتمل لكل هذا إلا أن هذه الكتب لم يبق لها عين ولا أثر، ولم نقف حتى على من سماها إلا ما ورد في أوراق عتيقة وجدت عند بعض حفدة الشيخ كانت معتمد كل من ترجم للشيخين من أهل تطوان وغيرهم. وقد يتساءل المرء : إذا كان الشيخ عبد القادر بهذه المثابة فَلِمَ لَم يذكر في تواريخ الأندلس ولم يقصد للأخذ والاستجَازة، ولم يشتهر بالعلم بل ولم يذكر حتى اسمه في الفهارس والأثبات ؟ والجواب : أن للشيخ وصاحبه نظراء كثيرين طواهم الإهمال، وعفى على ذكرهم الزمان، نقف أمام اسمائهم حيارى أو نردد اسم بعض آثارهم دون أن نعرف عينها متأسفين على ما جره الجهل أو التفريط وربما كان لاعتزال الشيخ وصاحبه للعبادة وانحياشهما عن الخلق للحق وتنكبهما في الهجرة حواضر المغرب المزدهرة بالعلم العامرة بأهله كفاس وسلا وغيرهما، يد في اندثار آثارهما العلمية وسمعتهما وأخبارهما في هذا الباب خصوصا مترجمنا التبين.

وقد كان له رحمه الله عقب بتطوان عرف بعضهم بالعلم والعدالة كالفقيه السيد عبد العزيز التبِّين المتوفي في 21 ربيع النبوي عام 1192 هـ.

وضريح الشيخ مشهور بتطوان. وعليه قبة بناها السلطان اليزيد في حدود سنة 1204 لما ورد تطوان مبايَعاً.

توفي بتطوان عام 566 / 1170.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، (4 : 34 ؛ 5 : 138)، ((نسخة مخطوطة خاصة) ؛ م. داود، *تاريخ تطوان* (1 / 72 . 75 . 167).

محمد بوخبزة

**التبر**، لعبت هذه المادة النفيسة دوراً بارزاً في التقلبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها منطقة شمال إفريقيا عموماً، المغرب بصفة خاصة، عبر تاريخه الطويل، فقد وردت أولى الإشارات عن الذهب في تجارة المقايضة بين الفينيقيين وسكان المغرب في القديم (*Histoire du Maroc*) إلا أن تحكمها في تاريخ البلاد ازداد حدة في العصر الوسيط وما بعده (كل المصادر الوسيطية أشارت إلى جلب المغرب للتبر من بلاد السودان). فتدفق التبر على المنطقة كان يعني قوة الدولة وتحكمها في الاوضاع الداخلية بإغداق العطاءات على الجند وأعوان المخزن، وقلة تدفقه أو اضطراب وصوله بانتظام، كان يعني بداية متاعب السلطة الحاكمة ثم التعجيل بزوالها إذا انضافت عوامل أخرى.

مصدر التبر كان بلاد السودان أو ما يعرف حاليا بافريقيا الغربية جنوب الصحراء، والتعرف على التبر تم بشكل ساذج. فالإدريسي (*نزهة المشتاق*، 26) يقول : "كانوا (أهل السودان) يتجولون في الليالي التي يضعف فيها ضوء القمر، ويعلمون على المواضع التي يرون فيها شيئاً مضيئاً علامة يعرفونها، ويبيتون هناك فإذا أصبحوا حملوا كوام الرمل التي علموا عليها ومضوا بها إلى آبار هناك فغسلوها بالماء واستخرجوا التبر ..."

ويبدو من المصادر نفسها أن السودانيين كانوا يستخرجونه بكميات كبيرة، وعليه كان يعول صغيرهم

وكبيرهم حسب تعبير الإدريسي، وهذا ما أكده الحسن الوزان بعد أزيد من أربعة قرون تفصله عن زمن الإدريسي، إذ أشار إلى أن السودانيين يأتون إلى سوق كاغو محملين بالذهب وعددهم لا يحصى - حسب تعبيره - فيعودون بنصف كمية الذهب أو ثلثه لأنهم لا يجدون ما يشترون بها، كما تتجلى وفرته عندهم في الكميات الكبيرة التي كانوا يدفعونها منه في مقابل بضائع رخيصة في أماكنها عادة. وأكبر دليل نجده في تبادل التبر بالملح، فمناجم تغازى للملح شهدت قريتها تبادل القناطر المقنطرة من التبر رغم حقارتها - حسب تعبير المؤرخين - فالملح كانت أحياناً تباع بالتبر وزناً بوزن. بل إنها أحياناً تفوقه قيمة لدرجة أنها اتخذت عملة في بعض المناطق ( *المغرب*، 160) لكن هذه الوفرة الزائدة عن الحد - كما تبدو لنا اليوم - لا تعني أن التبر كان معروضاً على السطح ومباحا للجميع، فالندرة مثلاً خاصة بملوك المنطقة ولا يحق لغيرهم حيازتها، كما أن التبر خاص بفئة معينة من السودانيين (الأعيان) الذين يتاجرون فيه وبه ويسخرون العبيد وباقي السكان لجلبه. ويبدو أن فترة ازدهار استخراج التبر في السودان ترجع إلى العصر الوسيط الأوسط والأدنى ويتوافق ذلك والعوامل التالية :

1 - توفر التبر على السطح وفي المناجم السهلة الاستخراج.

2 - ارتباط السودان بشمال افريقيا عن طريق التبادل التجاري.

3 - توفر الأمن والاستقرار في طرق القوافل وفي الاسواق وأماكن التبادل (العهد المرابطي والموحدي والمريني الأول) وبصفة أقل بعده.

4 - ظهور كيانات سياسية في المنطقة. (مملكة مالي ومملكة سنغاي وغان ...).

5 - تعزيز الروابط التجارية عن طريق علاقات دبلوماسية مع المرينيين (النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14 م) وما بعده.

تراجع الانتاج والرواج بعد ذلك لفقدان عاملين مهمين من العوامل المسطرة أعلاه : قلة المناجم السطحية وانعدام الامن في الطرقات والأسواق.

كانت أبواب دخول هذا المعدن النفيس إلى المغرب على التخوم الصحراوية، وهي حسب أهميتها والدور الذي لعبته في اقتصاد المغرب : سجلماسة وتامْدُولْتْ ونول. ضعفت أو اندثرت (في العهد المريني الأخير) لتحل محلها مدن وأبواب أخرى في نفس المنطقة، وكان التبادل في معظم العصر الوسيط يتم بالتبر خاماً، وفي العصر الوسيط الأدنى بدأت سبائك الذهب ومسكوكاته تحل محل التبر الخام دون أن تلغيه ( *التشوف*، 275 ؛ *وصف افريقيا*، 2 : 166) وفي نفس الوقت قلت المسكوكات الذهبية.

استفادت الدولة الإدريسية والدول التي تعاقبت على حكم المغرب من تبر السودان فضربت بعض نقودها من الذهب (المثقال والدينار ...) وبتتبعنا ودراستنا للعملة ودور السكة نستطيع أن نخرج ببعض الاستنتاجات الأولية منها :

- ارتبط العصر الذهبي في كثير من هذه الدول بالتبر السوداني الذي بلغ تدفقه على المغرب ورواج النقود الذهبية فيه أوجه (العصران المرابطي والموحدي والعهد المريني الأول) ليضطرب بعد ذلك (العهد الوطاسي، السعدي، وإمارات الزوايا) باستثناء فترة قصيرة تم فيها استرجاع تدفق الذهب السوداني بكيفية أكبر (فترة أحمدالمنصور الذهبي الذي تدخل في المنطقة).

أدى عدم الاستقرار وضعف الدول وانعدام الأمن إلى تدهور دور السكة واغلاق الكثير منها لتوقف تدفق الذهب، وعدم استغلال مناجم الفضة والنحاس وضعف التبادل التجاري أو توقفه، أدى بالتالي إلى تحول تدفق التبر السوداني نحو جهات أخرى.

ارتبط العصر الذهبي المشار إليه أعلاه أساساً بعامل الطرق التجارية في العهود المذكورة، فقد بلغ الانتاج الفلاحي والصناعي في المغرب آنذاك نمواً لا يستهان به جعل التبادل معه من طرف السودانيين مسألة لا مفر منها.

- سهل وصول قبيلة لمتونة (من عصبة صنهاجة الصحراء) إلى الحكم مهمة تنقل الأشخاص والبضائع من السودان وإليه.

استطاع الموحدون بعدهم توحيد المغرب الإسلامي تحت حكمهم، وتقدم الانتاج الفلاحي والصناعي أكثر، فاحتووا بذلك كل المسالك التجارية وطرق التبر المتوجهة نحو شمال افريقيا، والأندلس (قلة دور السكة عندهم في المغرب حسب دراسة (أوستاش D. Eustache, *H.T.* XI, 1970) لا تعني قلة تداول العملة بل العكس. أما دور السكة فكانت موزعة على الامبراطورية في عهدهم.

- استمر تدفق التبر بشكل أقل في العهد المريني الأول، وقد كانت القوافل التجارية الخاصة بالسلاطين المرينيين أو بشركائهم من التجار نشيطة، وتعزز هذا النشاط التجاري بإقامة روابط ودية بينهم وبين ملوك السودان ( *الاستقصا*، ج 3 : بنو مرين). لكن العملة الذهبية توقفت مع أبي الحسن المريني وابنه أبي عنان ( *الاستقصا*، ج 3 : بنو مرين). لم تكتف الدولة التي أتت بعد المرينيين بالعلاقات الدبلوماسية - فالسودانيون أصبحت لهم ارتباطات مع المشرق أكثر من المغرب - ولم تكتف بالوسائل التجارية - لانعدام الأمن في الطرقات، مما أدى إلى تحول تلك التدفقات من التبر إلى الشرق - فقام أحمد المنصور بالاستحواذ على أهم منجم ومركز للتبادل (ملح تغازى) ثم احتل مصادر التبر ببلاد السودان مباشرة. لكن محاولات أحفاده وأمراء الزوايا كانت متواضعة وداخلة في إطار تنافسي بين الكيانات السياسية التي تقاسمت المغرب من جهة وبينهما وبين الدول الأوروبية والأتراك من جهة ثانية. وفي فترة تالية نجد تيار التبر يميل نحو الغرب وبالذات

نحو الجنوب الغربي من المغرب فتصبح إيليغ عاصمة له بدل منطقة تافيلالت التي لم تسترد دور سجلماسة القديم في جلب التبر إلا مع بداية العلويين ( *تاريخ الضعيف*، ج 3، ص 4 مرقون )، ولم يكتف المولى إسماعيل بوصول القوافل التجارية المحملة بالتبر صدفة، بل حاول احتلال مفترق الطرق، الذي تتجمع فيه القوافل الآتية من السودان والمتجهة نحو المغارب (توات) واستطاع تحويل تيار تدفق التبر في عهده إلى المغرب.

استمر هذا التيار في التأرجح بعد ذلك تارة نحو المغرب أو منطقة منه وتارة نحو الشرق، إلا أن المؤكد هو تضاؤل الكميات الواصلة منه إلى المغرب، فحتى بداية القرن العشرين، بل وفي نصفه الأول، كان الكثير من أعيان واحات الجنوب وخاصة اليهود منهم - منطقة درعة - يجهزون قوافل إلى السودان لمحاولة التقاط بقايا التبر أو المكسور من سبائك الذهب وحلي السودانيات مقابل بضائع في معظمها مصنوعات جديدة مستوردة (D.J. Meunier, *Le Maroc Saharien*).

هذا التدفق للذهب السوداني على المغرب لم يفده كثيراً، إذ كان مجرد قنطرة عبر منها إلى أوربا بأشكال وطرق متعددة منها : المعاهدات الجائرة - والتهريب، والمبادلات غير المتكافئة، ومقتنيات الأعيان والخاصة من البضائع الأوربية إلى غير ذلك من الوسائل التي أفرغت المغرب من هذا المعدن النفيس منذ أن بدأ اقتصاد أوربا يتطور، حتى إذا نضب معين السودان بدأ يعوضه معين العالم الجديد.


البكري، *المغرب*، 1911، 1965 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ التادلي، *التشوف* ؛ ابن سعيد المغربي، *بسط الأرض* ؛ الحميري، *الروض المعطار* ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، 1924 ؛ م. ابن بطوطة، *رحلة ابن بطوطة* ؛ الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، 1980.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; J. Meunier, *Le Maroc Saharien...*, 1982, n° 17, 1970, pp. 71 - 108 ; B. Rosenberger, *Les anciennes exploitations minières..., R.G.M.* ; D. Eustache, *Les ateliers monetaires du Maroc, H.T.*, VXI 1970 ; B. Boutaleb [et al...], *L'histoire du Maroc*, 1967.


محمد حجاج طويل

**التّبر**، أسرة إدريسية شريفة يتصل نسبها بإدريس الأزهر مؤسس مدينة فاس عن طريق ابنه عبد الله الذي تولى إمارة مدينة أغمات وبلاد نفيس والمصامدة ودكالة. وأولاد التّبر أبناء عمومة مع العمرانيين غير الجوطيين من أهل الفحص وبني شداد وتالنبوط وغيرهم. وقد ذكرهم إدريس الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 166) وقال إنهم "بفاس قليلون غير أنهم مشهورون بالشرف، وبأيديهم ظهائر عديدة لملوك مراكش السعديين وغيرهم، وقفنا على أعيانها". ويوجد أولاد التبر في مدن مغربية أخرى، وبخاصة مراكش التي استقر بها أحد أفراد هذه الأسرة في مطلع القرن العشرين، وأنجب أبناء وأحفادا يعيشون بها حتى اليوم.

**التبر، أحمد** بن أبي بكر الحسني الفاسي، صوفي صالح كأبيه آتي الترجمة. توفي بفاس عام 1378 / 58 - 1959.

**التبر، أبو بكر** بن عبد الملك الحسني الفاسي. صوفي كبير، ومرب شهير. سلك طريق القوم على يد العارف الشيخ عمر الصقلي، وهو عمدته. وأخذ عنه عدد من العلماء والصلحاء بفاس وغيرها وتباهوا بالأخذ عنه، حلاه في *إتحاف المطالع* بقوله : "العارف الكامل الواصل الخير الذاكر".

توفي بفاس عشية يوم الخميس قبل أذان المغرب تاسع جمادى الأولى عام 1320 / 14 غشت 1902 ودفن بعد صلاة العشاء بروضة الشيخ ميارة بالدرب الطويل.


ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1920 ؛ إ. ابن الماحي الادريسي، *وفيات*، ص. 35.


محمد حجي

**التبر، الحبيب** بن الهادي بن مَحمد الإدريسي المراكشي. ولد عام 1357 / 1938 ودرس بثانوية محمد الخامس بمراكش واشتغل بالتدريس لفترة قصيرة من الزمن (1955 - 1956) وقد عرف من بين الطلبة النجباء خلال دراسته وأهّله مستواه العلمي إلى الالتحاق بالمعهد العالي للسينما بباريس حيث قضى به ثلاث سنوات، وبعد تخرجه منه عين بوزارة الأنباء بالرباط بصفته صحافياً مصوراً، فكان من الأطر العليا المتخصصة، وقد انتدب للمشاركة في مؤتمر الصداقة المغربية التشيكية المنعقد في براگ (Prague) في يوليوز 1961، وعند عودته ارتطمت الطائرة "إليوشين" بعمود كهربائي ببوسكورة قرب الدار البيضاء فاشتغلت فيها النيران فاحترق جميع ركابها، وتوفي شهيداً في 12 / 7 / 1961 ودفن بساحة ضريح الامام السهيلي بمراكش.


*معرفة شخصية ورواية شفوية.*


محمد ماگامان

**التبراع**، فن شعري حساني. يتميز المجتمع البيضاني الناطق بالحسانية بأنظمته الشعرية الغنية والمتنوعة. من بين هذه الأنظمة يمثل التبراع فناً عاطفياً خاصاً بشابات فئة ذوي حسان اللذين يقبعون على أعلى سلم التراتبات الاجتماعية والسياسية خلال مجتمع ما قبل القرن العشرين.

يمثل فن التبراع في صيغه وأشكاله وأغراضه العاطفية شعر عينة الشابات الحسانيات. تتقوى أغراض هذا الفن الشعري في إطار هو أشبه ما يكون بالسري انطلاقاً من التواصل الكلامي الذي يذكي أخلاق التخاطب العاطفي وأحاسيسه. فذات الأنثى المعبرة تكشف عن أشكال تفاعلها مع أبناء فئتها المجتمعية. كما أن صيغ وأشكال خطابها موقوفة على كنه علاقتها بمخاطبها. جلي إذن أن هذا الفن الشعري النسوي يخدم أغراضاً محدودة تعبر عن

الذات وتطور خطاب الشابة للرجل بفئة مجتمعية محددة. بهذه الكيفية يصير تاريخ التبراع تاريخاً للصيغ النسوية الحسانية الشابة التي تنمو وتترعرع كصيغ منفصلة عن باقي الأنظمة الشعرية البيضانية وخارج كل تدخل للرجل.

ولعل بإمكان الدراسة المتأنية أن تقارن بشكل تقريبي وعام تاريخ التبراع كما يبينه السرد المتسلسل لأبياته المتفرقة بتاريخ تداخل العلاقات المجتمعية بين شابة ورجل هذه الفئة الحسانية. كما أن بإمكان الدراسة المتخصصة أن تكشف من خلال تاريخ التبراع بين تطور المقاييس الحضارية من لباس وتجميل وأدوات الاستعمال النسوي والقوائم المرتبة زمنياً من مفردات وكلمات التخاطب اليومي وأفكار سائدة وقيم مجتمعية.

لاشك أن التطور الفعلي لهذا الفن الشعري يتم حسب تطور العلاقات المجتمعية إذ يتطور التواصل والتفاعل الشعري وتتطور أشكال الصيغ الشعرية بسبب التفاعل المجتمعي وأخيراً تنعكس سيرورة التطور الشعري في تغير صيغه وأشكاله.

*دراسة ميدانية* : السلطانة بنت شيخنا، *"الشعر الشعبي في تكانت حتى نهاية الاستعمار"*، المعهد العالي للدراسات والبحوث الاسلامية، نواكشوط، 1990.

مصطفى ناعمي

**التبريز**، نظام تربوي يهدف إلى انتقاء وتكوين وتوظيف أساتذة ذوي كفاءات عالية ومهارات مهنية تمكنهم من التدريس بفعالية في مختلف التخصصات المحدثة. والتبريز نظام قديم بفرنسا، وعنها اقتبسه المغرب في نطاق معاهدة التعاون المغربي الفرنسي الموقعة في 31 يوليوز 1984، حيث عمدت وزارة التربية الوطنية إلى خلق أسلاك تحضير التبريز بشكل تدريجي في المدارس العليا للأساتذة، ليسند العمل إلى المبرزين في الأقسام التحضيرية للمدارس العليا للمهندسين - مراكز التكوين : (المدارس العليا للأساتذة - المراكز التربوية الجهوية - مراكز تكوين مفتشي التعليم... الخ). الأقسام النهائية للتعليم الثانوي. ومستقبلا بالسلك الأول من التعليم الجامعي. ويشترط في المرشح أن يكون قد تابع تكوينه بشعبة تحضير التبريز لمدة سنتين. أو تابع سلكاً دراسياً معترفاً بمعادلته لشعبة تحضير التبريز. أو حاصلا على دبلوم الدراسات العليا أو ما يعادله. أو دبلوم التخصص بالسلك الثالث أو ما يعادله.

تستغرق مدة التكوين بسلك تحضير التبريز للتعليم الثانوي سنتين دراسيتين، يتلقى المترشحون خلالهما تكويناً علمياً تخصصياً وتكويناً تربوياً نظرياً وعملياً تمكنهم من :

- تعميق معارفهم على المستوى النظري والتطبيقي.
- إكسابهم منهجيات العمل، تستجيب لمتطلبات مباراة التبريز.
- تزويدهم بالمعارف التربوية لمزاولة مهامهم التدريسية.
- إطلاعهم على مختلف منهجيات التدريس والتنشيط التربوي.

وللوصول بهؤلاء المتدربين إلى المستوى المنشود تم تزويد أسلاك تحضير التبريز بأساتذة مغاربة ومتعاونين أجانب مؤهلين علمياً وعملياً لتأطير المتدربين.

تخضع مباريات التبريز لاختبارات كتابية وشفوية. وهناك اختلافات بسيطة في طريقة اجتياز هذه الاختبارات حسب اختلاف المواد. فمثلا بالنسبة لمباراة التبريز في مادة الرياضيات والعلوم الفيزيائية والصنع الميكانيكي : يقوم الطلبة المغاربة باجتياز نفس الاختبارات التي يجتازها زملاؤهم الفرنسيون في نفس الوقت ونفس الظروف. ويتم تصحيح أوراق الامتحان دون أي تمييز بين المرشحين المغاربة والفرنسيين، وتحصر لائحة المقبولين في الاختبارات الكتابية بحضور رئيس لجنة التبريز الذي يمثل الجانب المغربي.

أما بالنسبة لمباراة التبريز في اللغة الفرنسية والتربية البدنية والرياضية والعلوم الطبيعية مثلا، فإن الاختبارات الكتابية توضع من طرف رؤساء اللجان بالتنسيق والتشاور مع أعضاء اللجان المشتركة المغربية والفرنسية.

وتجري المباريات في مراكز مخصصة لذلك، ويتم التصحيح مزدوجاً بكل من المغرب وفرنسا.

وبعد توحيد النقط تقوم اللجان المشتركة بإجراء مداولات الشطر الكتابي، وحصر لائحة المقبولين لاجتياز الاختبارات الشفوية والعلمية.

وتجرى الاختبارات الشفوية للمقبولين في الكتابي بالمغرب من طرف لجان مشتركة، وبعد تقييم أداء المرشحين، وتنقيطهم، يصادق وزير التربية الوطنية على لائحة المقبولين نهائياً في المبارة.

ونظراً للنتائج الإيجابية التي تحقق على مستوى المباريات الوطنية للتبريز، فإن وزارة التربية الوطنية تعمل سنة بعد أخرى على توسيع نظام التبريز ليشمل باقي المواد التعليمية.

*وثائق مديرية تكوين الأطر بوزارة التربية الوطنية.*

المفضل دوحة

**التبشير** أو التنصير بالمغرب، عاش بالمغرب مسيحيون أجانب اختلفت أهميتهم العددية حسب العصور، ولكن سياق تاريخ العلائق الخارجية للمغرب في القرن التاسع عشر جعل وجود أجانب من المسيحيين أوضح وأكثر ارتباطا بجوانب السياسة والاقتصاد.

لا يظهر من المصادر المتعلقة بالعصر الوسيط أن الوجود المسيحي كان على درجة تلفت النظر بالمغرب. وكل ما هنالك إشارات تدل على بقايا مسيحية من العصر القديم. ولربما التحق بالمغرب جماعات أخرى من الخارج. كانوا في مناطق جبلية وفي سهول مثل تامسنا ومدن مثل فاس، وقد تحول بعضهم إلى الإسلام على عهد الأدارسة. وفي عهد المرابطين انضاف إلى من لم يسلموا من كان بجيش الدولة من المرتزقة أو من نفي إلى المغرب من الأندلس أو من أسر

في الحرب. وقد كان منهم أفراد بالحرس الاميري بمراكش وقوامه أربعة آلاف جندي، كما كانت مجموعة منهم بمكناس يقدر عددها بثلاثة آلاف نسمة. كما استقبلت سلا عدداً من هؤلاء المبعدين من الأندلس.

كان من النصارى حرس وعساكر وجباة ضرائب ومزارعون. ومن المهمات التي وكلت لهم ما ينطوي على مخاطر الاصطدام والتوتر بينهم وبين المسلمين، ولا سيما إذا استعملوا في جباية الضرائب وصدر من بعضهم سلوك يخدش حرمة المسلمين الدينية.

وفي عام 628 / 1230 كانت بمراكش كنيسة لا ندري ما إذا كانت في العهد السابق، سميت بكنيسة القديسة مريم، وكان المسيحيون المقيمون بالمغرب يؤدون شعائرهم الدينية بكامل الحرية. واختص الفرنسيسكان بسكنى بعض مدن السواحل. وقد كانت البابوية تظهر اهتماماً بشئون هؤلاء المسيحيين الموجودين بالمغرب. وكذلك ملوك إسبانيا حيث إن ملك قشتالة اشترط مقابل تقديم بعض المساعدات للمأمون الموحدي أن يسمح هذا الأخير ببناء الكنيسة المذكورة وبإقامة شعائر المسيحية جهاراً وأن يتعهد بمنع إسلام المسيحيين وعدم التعرض لمن أراد التنصر من المسلمين.

وتذكر مصادر العصر المريني أن عدد الجالية المسيحية قدر بأربعة آلاف فرد كان منهم حراس بقصر السلطان، وكان للمسيحيين ربض خاص يسكنونه، ومن أسباب قيام السلطان يعقوب بإخراجهم من داخل فاس ما كان يرد من أخبار استفحال حركة التنصر بالأندلس وما وقع من استيلاء الإسبان على مدينة سلا ومباركة البابوية لهذا الاحتلال الذي قد تكون المليشية المسيحية بالمغرب متورطة فيه، يضاف هذا إلى جملة متاعب أخرى كانت تتسبب فيها الفئة المذكورة.

ولربما نشط التبشير في هذا السياق بعد إخراج المسلمين من الأندلس ونقل الغزو الايبيري إلى أرض المغرب في بدايات العصر الحديث. حيث وردت الإشارة إلى ارتداد طائفة من المغاربة الواقعين تحت ضغط الاحتلال البرتغالي. ولربما كانت هذه الردة موضوع مراسلات بين الوطاسيين والبرتغاليين، وقد كتب القبطان "ليط" إلى ملك البرتغال يخبره بأن مسلمين "متنصرين" يظهرون المسيحية ويخفون الإسلام ولهم اتصالات بالسلطان الوطاسي لتدبير نقلهم. فاقترح ليط نقلهم إلى إحدى جزر البحر حتى لا يطمعوا في العودة إلى الإسلام.

أما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فقد كان الفرنسيسكان ما يزالون مقيمين بعدد من مدن السواحل، وقام السلطان المولى اليزيد بالحد من التجاوزات في أنشطتهم، ولكنهم عادوا إلى نشاطهم في العهد السليماني، ففتحوا المدارس في القرن التاسع عشر لتعليم الإسبانية والفرنسية للأطفال شريطة حمل الصليب. وأنشأوا مطبعة عربية إسبانية، كما أنشأوا مستشفى بإدارة الفرانسيسكان، وقرنوا التبشير بالعمل الإحساني. ارتبط التبشير بالاستعمار وتعتبر رحلة شارل دوفوكو داخل المغرب من علامات هذا الارتباط ومن نشاط التبشير. فقد كان يعتقد أن السبيل الوحيد لبقاء سكان شمال إفريقيا على الولاء لفرنسا هو إدخالهم إلى المسيحية. ولكن هذا المبشر لم يتردد في الاعتراف بفشل سعيه الشخصي في تنصير من استهدفهم بدعوته في أوساط الفقراء. ويتجلى من تقارير البعثات، ولا سيما بعثة طنجة النشيطة، أن العمل التبشيري لم تكن له نتائج إيجابية سواء في أوساط المسلمين أو اليهود.

أما التبشير البروتستاني فقد بدأ محاولاته في النصف الأول من القرن التاسع عشر في كل من الصويرة وتطوان مستهدفاً اليهود. وكانت جماعة التبشير اللندنية هي متولية هذا العمل وهي : The London Society for Promoting Christianity Amongst the Jews. وقد أسس الأب ماكنتوسن Makintosin جماعة الانجيل البريطانية British and Foreign Bible Society لتوزيع الانجيل مترجما إلى العربية والبربرية، وبها عرف التبشير البروتستانتي دفعاً جديداً، وكانت الطبعة الأولى للانجيل باللهجة الريفية سنة 1885، وتمكن مبشرو جماعة الانجيل من توزيع كميات من نسخ الانجيل المترجم. وتفرعت عن هذه الجماعة بعثات فرعية لتنصير البربر. وكان لبعثة الصويرة إشراف على مبشري مراكش والجديدة. وبلغ عدد مبشري الدار البيضاء وحدها خمسة وعشرين مبشراً. ونشطت "بعثة كنيسة انجلترا الانجليكانية" England Presbyterian Church Mission لربط علاقات يهود فاس بيهود دمنات والجنوب، وذلك بمساهمة مسيحيين سوريين. ويتلخص عمل هؤلاء المبشرين في التنصير وتوزيع الإنجيل ومناقشته وتفسيره، كما تثار المحادثات في الأسواق والديار، وتعزز هذه الاوجه من النشاط بالأعمال الاجتماعية كالتطبيب.

ومن نشاط البروتسنانت أيضاً فتح المدارس : مدرسة الصويرة للبنات سنة 1878 ومدرسة طنجة للبنات سنة 1892 ومدرسة للذكور سنة 1893 ومدرسة تطوان للذكور سنة 1893. وقد وقفت انجلترا بوضوح وراء التبشير البروتسانتي منذ سنة 1890، خاصة بعد أن ثبت أن العملية أصبح لها بعد سياسي خطير، مما أدى إلى استفحال أمرها، فقرر المخزن إذ ذاك إيقاف النشاط التبشيري بجميع أصنافه، وتمثلت إجراءاته في منع ربط العلاقات مع المبشرين وتهديد كل من يرسل ابنه إلى مدارس البروتستانت وتقديم احتجاج رسمي إلى حكومة انجلترا بتاريخ ماي سنة 1891 وغلق مدرسة بعثة شمال إفريقيا بفاس سنة 1898.

كان جهد الجمعيات التبشيرية الأوروبية ضئيلا إذا ما قورن بالمجهودات التي بذلت في مناطق أخرى، ونتيجة لذلك حاولت هذه الحركات التبشيرية أن تغير وسائل عملها فلا تدعو مباشرة إلى اعتناق المسيحية بل ركزت جهودها

على الأعمال الخيرية والطب، علها تستقطب بعض المغاربة، لكن النتيجة ظلت سلبية.

أما فيما يرجع بالبعثات التبشيرية الأمريكية فقد بدأ بعض المبشرين الاميريكيين المتحمسين لنشر النصرانية في الوصول إلى المغرب خلال السبعينات من القرن التاسع عشر، وكان من أوائل القادمين "إدوار بَلْدوين" Edward Baldwin الذي وصل إلى طنجة برفقته عائلته.

وفي منتصف العقد الأخير من القرن التاسع عشر وصلت إلى المغرب بعثات تبشيرية أمريكية منظمة كان على رأسها أحد اليهود تم تنصيره في الولايات المتحدة وأصبح من المتحمسين للدين الجديد، وهذا الداعية هو "البرت ناثان" Albert Nathan وقد استطاع الحصول على منزل في طنجة جعل منه مركزاً للعمليات التبشيرية في المغرب حيث تمكن من استخدامه سكنا للمبشرين القادمين أو الذين يرغبون في البقاء في طنجة والدعوة إلى المسيحية في تلك المدينة وبالإضافة إلى ذلك قام ناثان بفتح مركز صغير بالمدينة لهدف إعلامي، حيث أخذ في توزيع النشرات التي تدعو إلى المسيحية وبيع كتب دينية بأسعار منخفضة، كان الغرض منها استدراج المغاربة خاصة اليهود الذين أخذت البعثة التبشرية الأمريكية في التركيز عليهم.

لم تكن تلك البعثات هي الوحيدة التي أرسلت من اتحاد البعثات التبشيرية بل كانت هناك بعثة أخرى، مكونة من اثني عشر شخصاً، قدمت إلى المغرب في دجنبر 1890. قام القنصل الاميركي جون باركلي (John Barcly) عندما وصلت بعثة سنة 1890 بالضغط على محمد الطريس نائب السلطان في طنجة لكتابة رسالة تسمح لاولئك المبشرين بالإقامة والتجوال في المغرب دون التعرض لهم. بل إن القنصل قام بإرسال تعليمات إلى نوابه في عدد من المدن المغربية التي اتجهت إليها تلك البعثات التبشرية لتقديم المساعدات إليها.

وقد كانت تلك البعثات تلح على أن هدفها هو نشر المسيحية (المذهب البروتستاني فقط وأنها ليست لها أي أهداف استعمارية بالمنطقة على عكس بعثات الدول الاوربية. والواقع أن عدداً من المبشرين تستروا بأهداف دينية للحصول على كثير من المعلومات عن المغرب، لذلك لم يترددوا لقبول وظائف في السلك الدبلوماسي، وتجميع الثروات ؛ فالارتباط كان هنا أيضاً وثيقاً بين التبشير والمصالح الأجنبية.

ومن أهم المراكز التبشرية الاميريكية في المغرب مركز مكناس الذي افتتح سنة 1890، ويعتبر مقراً لإعداد المبشرين القادمين من الولايات المتحدة يتم فيه تعليم القادمين الجدد اللغة العربية وتزويدهم بالكثير من المعلومات عن العادات والتقاليد المغربية والطريقة المثلى والأسلوب الصحيح في الدعوة إلى المسيحية، إضافة إلى ذلك قام المبشرون الاميريكيون فيما بعد بافتتاح مركز صحي صغير بقصد تقديم الخدمات الصحية للمغاربة وهي خدمات استطاع من خلالها المبشرون الوصول إلى غرضهم الأساسي وهو الدعوة إلى المسيحية، خاصة عندما أخذوا في الربط بين شفاء المرضى بالطب وبركة المسيح.

قام المبشرون الاميريكيون بافتتاح عدة مراكز في كل من فاس والجديدة والقصر الكبير والعرائش. لكن المبشرين الاميريكيين وجدوا عدة صعوبات منها : عدم معرفة اللغة العربية والعادات والتقاليد المحلية وعدم تمكنهم من إيجاد السكن اللائق ومواجهة مشاكل أمنية في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) وانتفاض القبائل ضد العمليات التبشرية.

كان من وسائل البعثات التبشيرية الاميريكية العمل بين الاقلية اليهودية وتشجيع النزعة الإقليمية والأعراف القبلية والاتجاه إلى الأعمال الخيرية مثل إنشاء المستشفيات والمدارس ومراكز لإيواء اليتامى. وقد كان موقف المخزن المغربي من هذه الأعمال حازما وذكيا، غايته تجنب الاصطدام مع الاميريكيين، إذ أشار إلى أنه لا يستطيع أن يضمن أمن المبشرين الأميريكيين الذين يتجاوزون المناطق المسموح لهم بها. وقد ظهر عداء الشعب لهؤلاء المبشرين، بلغ في بعض الحالات إلى الإقدام على تصفية المتنصرين غير أن ذلك كان يسبب مشاكل للمخزن.

كانت نتائج الحركة التبشيرية الأميريكية بالمغرب هزيلة مثل سابقتها الاوروبية، فلم يتنصر إلا عدد محدود جداً من الأطفال اليتامى واللقطاء الذين قام المبشرون بإيوائهم وتربيتهم على النصرانية وعددهم حوالي ثلاثة وثلاثين طفلا قبيل الاحتلال الفرنسي حول معظمهم إلى النصرانية.

وظل التبشير مستمراً بالمغرب في عهد الحماية بل وبعد الاستقلال كذلك سنة (1959)، فقد جاء في تقرير لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية : "إن المؤسسات التبشيرية التي تعمل بالمغرب لها وسائل عمل على الأخص في بعض المدن والقرى الكبرى : ثلاثة مستشفيات وعشرون عيادة ومستوصف طبّي واثنا عشر ملجأ وستة عشر نادياً ثقافياً وأحد عشر نادياً للتكوين المهني النسوي وستة عشر مدرسة ابتدائية وثلاث مدارس ثانوية وثلاث مكتبات عمومية وإحدى عشرة جمعية أخرى مختلفة. وهذا ما مجموعه خمسة وتسعون مؤسسة. (عبد الله كنون، *التبشير ودلالته عن الحركات التبشرية*، ص 40).

أما عن التبشير إلى غاية سنة 1978 فقد سجل تقرير گريگوري. م. لفنگسْتون عدة نقط حيث يقول عن عدد المتنصرين المغاربة : "يوجد بالمغرب سبع مجموعات تقيم شعائرها، ويقدر عدد المتنصرين المغاربة بحوالي مائتي متنصر، يلتقون في هذه المجموعات الصغيرة ... ويظن البعض بأن مجموعات منعزلة من البربر لديها استعداد للتنصير الجماعي وذلك إذا توفرت لهم الظروف الملائمة..." (*التنصير*، ص. 377). وحول الوضع الكنسي بالمغرب يذكر التقرير : "توجد مجموعات من المسلمين الذين دخلوا النصرانية في الدار البيضاء وطنجة ولكنهم غير مقتنعين

بفكرة إنشاء كنيسة، فبعضهم يرى أن مثل هذا العمل غير قانوني وكفيل بأن يثير عملية انتقام... فالشكاية من كون أهل البلد لا يسيرون ولا يشاركون في تسيير الكنائس مخافة الانتقام وبالتالي لا يستطيعون الدعوة إلى المسيحية..." (*التنصير*، ص. 381). ويصرح صاحب التقرير في مكان آخر بقوله : "فكروا دائماً في الكنيسة، فما لم تكن هناك كنائس ذات قيادة وزعامة وطنية محلية في المغرب فلن تبلغوا أهداف الرب ..." (*التنصير*، ص. 385).

أما عن توزيع الإنجيل وباقي المنشورات المسيحية فيقول التقرير : "تتوفر في المكتبة الوحيدة الموجودة بالمغرب كتب قليلة ضمن مجموعة من الكتب العلمانية من أجل بقائها مفتوحة قانونيا. وقد بدأ عدد من المسيحيين بالمغرب يوزعون صناديق بلاستيكية تحتوي على الكتاب المقدس وبعض المطبوعات التنصيرية على عدد من الأصدقاء الموثوق بهم ..." (*التنصير*، ص. 381).


بلقاسم الحناشي، *الحركات التبشرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر*، زغوان، تونس، 1989 ؛ ع. الفاسي، *التبشير المسيحي وبعض الوثنيات الطائفية الهندية*، الرباط، 1973؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، جزآن، بيروت، 1985 ؛ ع. كنون، *شؤون إسلامية*، الدار البيضاء، دون تاريخ ؛ م. الخالدي، ع. فروخ، *التبشير والاستعمار*، بيروت، 1970 ؛ *التنصير، خطة لغزو العالم الإسلامي*، منشورات Marc للنشر، الولايات المتحدة الاميريكية، 1978 ؛ م. عبده (الإمام)، *الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية*، تقديم وتعليق رشيد رضا، الجزائر 1978 ؛ رامون لوريدو دياز، مادة البابوية، *معلمة المغرب*، 3 : 954 - 957 ؛ تركي عجلان الحارثي، *البعثات التبشيرية الاميريكية في المغرب الأقصى قبيل الحماية الفرنسية*، *المجلة التاريخية المغاربية*، تونس، ع. 63 - 64، يوليوز 1991، ص 267 - 289 ؛ إبراهيم بن الجنوي، *أبناؤنا بين أيدي المبشرين*، صحيفة *الميثاق* (لسان رابطة علماء المغرب)، ع. 72، السنة 6، 1963 ؛ ع. الخمليشي، *إعلام المسلمين بمقاصد المبشرين*، صحيفة *الميثاق* (لسان رابطة علماء المغرب)، الجزء الأول العدد 80، دجنبر 1968 ؛ والجزء الثاني بالعدد 107 مارس 1970 ؛ امحاند علال، *خطر المبشرين في المغرب*، صحيفة *الميثاق*، ع. 8 مارس 1970 والجزء الثاني في العدد 23 نونبر 1970؛ ع. التميمي، *التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر خلال القرن 19*، *المجلة التاريخية*، تونس، ع. 1، يناير 1974 ؛ *دور المبشرين في نشر المسيحية في تونس*، *المجلة التاريخية المغربية*، تونس ؛ ع. 3 يناير 1975 ؛ خديجة بقطاش، *الحركة التبشرية في الجزائر من سنة 1860 إلى سنة 1879*، *مجلة الثقافة* (الجزائر)، ع. 61 صفر / ربيع الأول، 1401، ص 67 - 72 ؛ عزت محمد إبراهيم، *حقيقة التبشير*، *مجلة الوعي الإسلامي* (الكويت)، العدد 180، السنة 15، أكتوبر 1979.

G. Goyau, *Le christianisme sur la côte Babaresque jusqu'au XIXème siècle*, Paris, 1930 ; *Lettre Pastorale aux Fidèles et Prêtres repandus dans le royaume du Maroc*, Paris, 1936 ; J. Crétineau-Joly, *Histoire religieuse, politique et littéraire de la compagnie de Jésus...* Paris, 1844 ; A. Pons, *La nouvelle église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830*, Tunis, 1930 ; G. Deverdun, *Les chrétiens à Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1966 ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc, 1883 - 1884*, Paris, 1888 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1830 - 1894, Paris 1961 - 1964 ; *Les missions protestantes au Maroc, 1875 - 1900*, *Hesp.* 1955, 153 - 192 ; M. Pablo Castellanos, *Los hijos de San Francisco en Marruecos*, *La Cruz*, Barcelona, 1882, T. 2, pp. 307 - 318 ; *Las misiones en Marruecos, Revista Fransiscana*, Barcelona, T. 3, pp. 122 - 124 y 148 - 154.


محمد رزوق

**تَبَطْكُوكْتْ** أو تابطكوكت، من أقسام قبيلة مسگينة شرقي مدينة أگادير. من مصادر معيشة أهلها تربية الماشية وزراعة الحبوب واستغلال شجر أرگان. توجد في الوثائق إشارات إلى إسهام هذه القبيلة في مجاهدة الاحتلال البرتغالي، وربما أقنع أهلها بعض البرتغاليين بدخول الإسلام. بها أضرحة عدد من الصلحاء أشهرهم

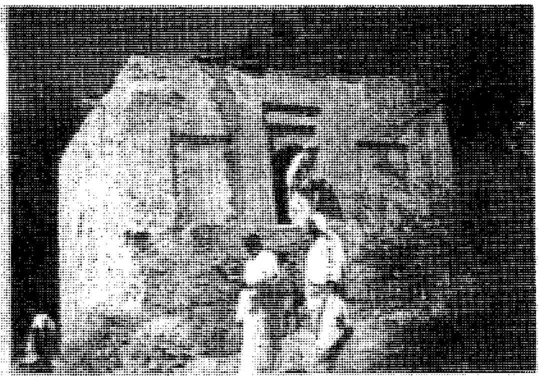

تبطكوكت
ضريح سيدي هارون

سيدي هارون الذي أورد الباعقيلي نسبه الشريف في *تبيين الأشراف*، وقد جعله والد عمرو بن هارون دفين رأس الوادي، وعلي بن هارون دفين الشاوية ويوسف بن هارون دفين واد نون ومزال بن هارون (ت. 588 هـ) دفين أيت إلوگان بهشتوكة، وقد تأسست قرب ضريح سيدي هارون في منتصف القرن الماضي مدرسة عتيقة تصرف عليها القبائل المجاورة وتخرج منها عدد من الطلبة.


البعقيلي، الاحسن بن محمد، *تبيين الأشراف* : أهل دائرة الوسائل وقبله توجه لكل سائل، المطبعة العربية، الدار البيضاء، 1358 / 1939 ؛ *عقود ورسوم عائلة جبارة في ملك السيد الحسن بن عمر* نايت عبل ؛ *روايات شفوية* لكل من أحمد أوبهي والعيسي الحسن أو محمد والحسن بن أحمد أوفراضن والحاج الحسن بن محمد أوعلي أودود.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, Paris, 1930, pp. 148 - 159.


عمر أفا

**التبغ**، يسمى أيضاً طابا أو طباق أونيكوتيانا طاباكُوم، (Nicotiana Tabacum) نسبة إلى جون نيكوت الذي كشف عن استعمالات هذا النوع بفرنسا. وهو نبات يعطي مواد تستعمل للتدخين أو المضغ أو السعوط. ينتمي إلى فصيلة الباذنجيات (Solanaceae) المحتوية على الباذنجان والطماطم والبطاطا والفلفل وغيرها.

والموطن الأصلي للتبغ هو أمريكا الحارة، ولا يعرف

الصنف البري لأنه زرع بها منذ قرون قبل دخول الرجل الأبيض. ومنها أدخل إلي أوروبا في عام 1557 من طرف كُولُمْبس وذلك لقيمته العلاجية وكنبات للزينة في بداية الأمر. ثم انتشر إلى بقية بلدان أوروبا وإفريقيا وآسيا واستراليا. ومنذ نهاية القرن السادس عشر بدأت عادة التدخين في الانتشار بالرغم من معارضة رجال الدين والحكومات التي فرضت ضرائب باهظة على التبغ.

ومصدر صفات التخدير والنكهة والطعم المتوفرة بالتبغ هو وجود مواد قلوانية تسمى بالنيكوتين ومواد أخرى تُنتج أثناء عملية المعالجة والتخمر، وزيوت عطرية طبيعية.

تتجاوز أنواع التبغ الخمسين لكن نوعين منها فقط لهما أهمية تجارية :

ـ التبغ المنزرع، وهو مصدر أغلب الأصناف المستعملة، وعددها يفوق المائة. وهو نبات حولي غير متفرع، قد يصل ارتفاعه إلى مترين. له أوراق كبيرة بيضاوية الشكل، وأزهار أرجوانية، وثمار علبية.

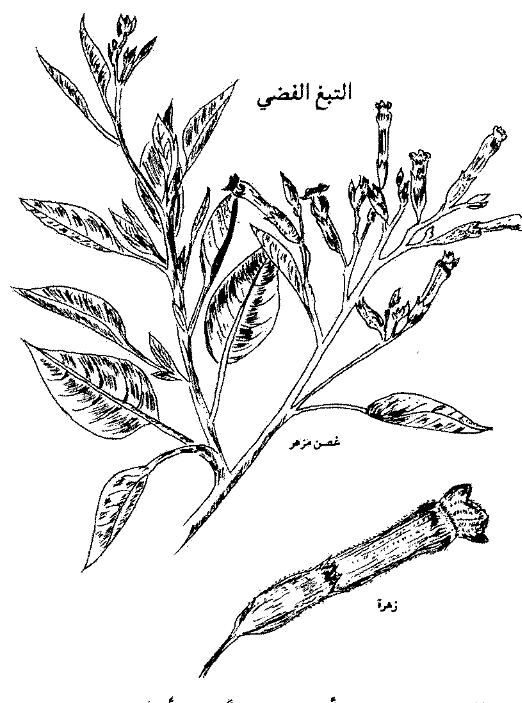


ـ التبغ البري وهو أصغر حجماً، وله أزهار صفراء. يزرع في بعض المناطق من أوروبا وشمال آسيا ويستعمل في صناعة المبيدات الحشرية، بالإضافة إلى صناعة بعض أصناف السجائر.

ومعلوم أن نوعاً من هذا الجنس وهو نِيكوتْيانا كُلوكا (Nicotiana Glauca)، أدخل إلى المغرب بصفة عفوية، وانتشر طبيعيا على طول السواحل وخاصة ساحل المحيط الأطلسي. ينمو هذا النوع على الكثبان الرملية والساحلية والانقاض والردوم بجوانب الطرق أوبضواحي المدن. وهو معمر يتراوح ارتفاع شجيرته من خمسة إلى سبعة أمتار. أوراقه رمحية، خضراء ضاربة إلى اللون الأزرق، أزهارها صفراء. وللتذكير فإن هذا النوع الواسع الانتشار بالسواحل لا يزرع ولا يستعمل في صناعة السجائر، وإنما يلعب دوراً مهماً في تثبيت الكثبان الرملية والأنقاض والردوم.

يزرع التبغ حاليا بشمال المغرب وبالغرب وسايس. ونظراً لكون زراعته حساسة ومكلفة وتحتاج إلى عناية كبيرة فإن الفلاح المغربي قليلا ما يقبل عليها. تزرع البذور في المشتل أولا ثم تنقل الباذرات إلى أتربة رملية خفيفة وغنية بالدبال وكثيرة السماد.

تجمع الأوراق عندما تنضج وتترك بعد جمعها لتذبل، ثم تعلق مقلوبة ومدلاة حتى تجف، في ظل حضائر المعالجة المعدة لذلك. وتتم المعالجة بالهواء تحت ظروف طبيعية، وفي حالة معالجة التبغ بتيار الهواء الساخن فإنه يكتسب لونا أصفر زاهيا. وقد تستغرق عملية التجفيف الطبيعي مدة تزيد عن الشهر، وبعدها تختار الأوراق وتوزع حسب الرتب، ثم تخمر وتجمع في كومات كبيرة لمدة تستغرق بعض الشهور أو تتجاوز السنة.

تعطي عملية معالجة نوعي التبغ المغروسين بالمغرب عدة أشكال من مواد التبغ : تبغ التدخين، تبغ السعوط، تبغ المضغ.

فإذا كانت عادة التدخين منتشرة في جميع أنحاء المغرب، فإن عادة السعوط تبقى خاصة بشماله، وعادة المضغ بشرقه.

*استطلاعات ميدانية* ؛ ألبرت خيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة عبد المجيد زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

عبد المالك بنعبيد

* * **دخل التبغ إلى المغرب بعد اكتشاف أميركا، حمله الأوربيون إلى إفريقيا الغربية ومنها انتقل إلى المغرب. تذكر الروايات التاريخية أن السودانيين الذين رافقوا الفيلة إلى مراكش عامي 1005 ـ 1006 / 1597 ـ 1598 جاؤوا بالتبغ يدخنونه ثم دخلوا به إلى فاس مع الفيلة عام 1007 / 1599.**

**انتشر التبغ في المغرب بسرعة، وتعددت أسماؤه فدعاه بعضهم الطبغ وطابة وطباق والتويغة والدخان، وأصبح بعد سنوات معدودات بضاعة رائجة في الأسواق تحمله من السودان القوافل التجارية المنتظمة بين تنبكتو ومراكش، وتجلبه السفن الانجليزية والهولاندية المترددة على مراسي سلا وأسفي وأگادير. وأقبل على تدخينه مختلف الطبقات، وبخاصة الرعاع والسفلة الذين تعاطوه في مجالس اللهو والقيان، فزاد ذلك في تنفير أهل الورع منه، سواء العلماء وشيوخ التصوف الذين رأوا فيه بدعة سيئة تتعين محاربتها ومنكراً يجب تغييره.**

**ولما توجه أحمد المنصور إلى فاس لآخر مرة أوائل جمادى الأولى عام 1011 / أواسط أكتوبر 1602، استفتى الفقهاء في التبغ ـ وقد تعالت أصوات الاستنكار ـ، فأفتاه كل من مفتي فاس محمد بن قاسم القصار، وصالح سلا عبد الله ابن حسون بتحريم التبغ ووجوب إتلافه، فأمر المنصور بانتزاع التبغ من باعته في فاس، وكدّس أكواماً في الديوان وأحرق على رؤوس الملأ، وضاعت بذلك أموال**

كثيرة. غير أن موت أحمد المنصور المفاجئ في السنة التالية أفسح المجال لتجدد رواج التبغ على نطاق أوسع في غمرة الفتن التي دامت عقوداً من السنين.

وفي أواسط رمضان عام 1026 / شتنبر 1617 بدأت في فاس حملة عنيفة جديدة لانتقاد المدخنين بسؤال كتبه أديب الفقهاء علي بن أحمد الشامي وجهه إلى قاضي فاس أبي القاسم ابن أبي النعيم ومفتيها أحمد المقري وسائر الفقهاء يعرض عليهم الحالة المزرية الفاشية التي آل إليها أمر تدخين التبغ ويستفتيهم في العشبة الخبيثة الشهيرة على الألسنة بطابة. وقد ركز السؤال على مقايضة التجار الأوربيين الذين يجلبون التبغ للمغاربة بمواد محرمة على المحاربين كالقوت والسلاح. وقد أجاب عن هذا السؤال كل من قاضي فاس ومفتيها وسبعة عشر فقيهاً آخر اتفقوا كلهم على استقباح التبغ واستقذاره. وفي جواب المفتي أحمد المقري توجيه للحاكم ليضرب على أيدي مروجي التبغ ومتعاطيه. ولإعطاء هذه الاستشارة صبغة رسمية حرر شهود من سماط العدول رسمين عدليين عقب الفتاوى التسع عشرة، نص الرسم الأول على صحة نسبة كل فتوى إلى صاحبها والتعريف به وإثبات كتابتها بخطه، وسجل الرسم الثاني حكم قاضي فاس بتحريم التبغ اعتماداً على الفتاوى المذكورة، ومما جاء فيه : "... حكم - القاضي ابن أبي النعيم - بتحريمها ومنعها وفساد المعاملات في شرائها وبيعها، وإلحاقها في سائر الأحكام بغيرها من المنكرات، وسائر المفسدات والمسكرات... حكماً أنفذه وأمضاه، وأوجب العمل بمقتضاه في أواخر شوال عام 1026".

لم يوقف هذا الحكم سيل التدخين العارم، وظل الصراع حاداً بين فقهاء بلاد المغارب طوال القرن الحادي عشر (17م) ومصر وما وراء الصحراء من بلاد السودان بين محلل ومحرم ومتردد. وكان بعض الفقهاء والأدباء يدخنون ولايترددون في ذكر منافع هذه العشبة في فتاواهم وقصائدهم. وقد ألف في تحريم التبغ أو تحليله نحو ثلاثين كتاباً لفقهاء هذا القرن من مغاربة ومشارقة، منها : *نصيحة الإخوان باجتناب الدخان* لشيخ المالكية بمصر إبراهيم اللقاني ؛ و*غاية التبيان لحل شرب مالا يغيب من الدخان*، عقّب فيه الفقيه المالكي عليّ الأجهوري على كتاب اللقاني ؛ و*محدد السنان في نحور إخوان الدخان* لعبد الكريم الفكون القسنطيني ؛ و*سهم الإصابة في حكم طابة* لمحمد العربي الفاسي. وجمع الفقيه أحمد بن يحيى الفشتالي في ربيع الأول عام 1096 / فبراير 1685 فتاوى الفاسيين المشار إليها آنفاً مع السؤال وحكم القاضي في كتاب سماه : *فتاوى علماء فاس في الدخان*، كما جمع فقيه آخر لم يذكر اسمه فتاوى أخرى وقصائد ومحاورات ورسائل في كتاب بعنوان *مجموع الدخان*.

وقد خفت صوت الفقهاء بعد ذلك وإن ظلوا يتعرضون لذكر التبغ ويستنكرونه في مولفاتهم الفقهية وغيرها. ولم يعد يقف في وجه التدخين بفعالية إلاّ بعض الطرق الصوفية التي حرمته على أتباعها تحريماً باتاً، كالطريقة التجانية ذات الانتشار الواسع في شمال افريقيا والصحراء وماوراءها. وفي عهد الحماية قننت زراعة التبغ في المغرب ومراقبته وجعل الاتجار فيه حكراً على السلطة وأنشئ لذلك إدارة خاصة بالدار البيضاء : وكالة التبغ Régie de tabacs مازالت قائمة حتى اليوم.

أ. ابن أبي محلي، *الحكاية الأدبية والرسالة الطلبية مع الاشارة الشجرية*، مخطوط ؛ *إصليت الخرّيت*، مخطوط ؛ أ. باب التنبكتي، *اللمع في الاشارة إلى حكم طبغ*، مخطوط ؛ إبراهيم اللقاني، *نصيحة الإخوان باجتناب الدخان*، مخطوط ؛ علي الأجهوري، *غاية التبيان لحل شرب ما لا يغيّب العقل من الدخان*، مخطوط ؛ أحمد البوسعيدي، *بذل المناصحة في فعل المصافحة*، مخطوط ؛ م. العربي الفاسي، *سهم الاصابة في حكم طابة*، مخطوط ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ عبد الكريم الفكون القسنطيني، *محدد السنان في نحو إخوان الدخان*، مخطوط ؛ أ. بن يحيى الفشتالي، *فتاوى علماء فاس في الدخان*، مخطوط ؛ مجهول، *مجموع الدخان*، مخطوط ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. محمد حجي، وأحمد الشرقاوي اقبال ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 246 - 266 ؛ ع. القدوري، *ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الاصليت الخريت*، الرباط، 1991.

محمد حجي

**التبليغ**، جماعة تقوم بالدعوة الإسلامية تأصلت من الهند. وانتشر أتباعها بالمغرب وقد تأسست في دلهي بالهند على يد الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (1883 - 1944)، وهو من أسرة صوفية، انتسب في صغره إلى الطريقة الحبشية. وهو الذي وضع مبادئ هذه الجماعة ورسم أهدافها وحدد منهج عملها. وبعد وفاته آل أمر تسييرها إلى ابنه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (1917 / 1965) الذي تنقل كثيراً لطلب العلم والدعوة، وتوسعت الجماعة في عهده وانتقلت إلى أقطار أخرى، وبعد وفاته أصبح رئيسها الثالث الشيخ إنعام الحسن. ويقع مقرها الرئيسي في "نظام الدين" بدلهي، ومنه تدير الجماعة شؤون الدعوة في العالم، وتعقد في دلهي بانتظام تجمعات ضخمة لأتباعها يجتمع فيها حوالي مليون شخص من الهند وباقي المناطق.

هذه الجماعة في الأصل ذات نفس صوفي حيث ترد على ألسنة أتباعها الهنود أسماء أعلام التصوف أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني والسهروردي وجلال الدين الرومي، والأساس الذي تعتمد عليه هو تزكية النفس وإصلاحها وعدم الاشتغال بما لا يعني. من هنا فإنها لا تعطي للجانب الفقهي مثلا تلك الأهمية التي نراها عند بعض الدعاة السلفيين، وإنما ترى بأنه على أتباعها تقليد أئمة الفقه، لذلك فإن أتباعها يتمذهبون بالمذاهب المنتشرة في بلدانهم.

يعتمد منهج الجماعة على "الأصول الستة" التي وضعها مؤسسها الشيخ محمد إلياس رحمه الله، ويعتبر

التزام هذه الأصول أمراً ضرورياً في الانتساب إلى الجماعة، وهي :

*الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ إقامة الصلوات ؛ العلم والذكر ؛ اكرام كل مسلم ؛ الإخلاص ؛ النفر في سبيل الله.*

ولكل أصل من هذه الأصول "مقصد" و"فضل" و"كيفية تحصيل"، ويتم تفصيل هذه الأصول الستة لمن يرافقون الجماعة في جولاتها المعتادة، وهناك من الباحثين من يرى أن هذه الأصول قد أخذت من كتابات الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي مؤسس حركة النور بتركيا. وليس لجماعة التبليغ أدبيات مكتوبة.

وفي المغرب بدأ نشاط جماعة التبليغ في أوائل الستينات، وكان محدوداً في المدن الكبرى كالدار البيضاء والرباط التي كان بعض دعاة الجماعة من الهند وباكستان يزورونها، وقد استطاعت هذه الزيارات استقطاب أعداد من المغاربة إلى مبادئ الجماعة، وكان المغاربة قبل ذلك يتعرفون على مبادئها خلال مواسم الحج.

بدأت قاعدة جماعة التبليغ تتوسع بفضل نشاط الدعاة المغاربة إلى أن تأسست رسمياً في المغرب سنة 1964، على يد رئيسها الأول الشيخ محمد الحمداوي رحمة الله (1935 ـ 19 مارس 1987)، وهو من إقليم بولمان، وتخرج من القرويين ثم اشتغل بالتعليم، وكان قد التحق بجماعة التبليغ سنة 1962 والتقى بأميرها الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله.

بدأ نشاط الجماعة ينتقل إلى مختلف المدن والبوادي المغربية، عبر الرحلات المنتظمة (الخروج في سبيل الله) التي يقوم بها أفرادها في مجموعات صغيرة، ولم يكد عقد الستينيات ينتهي حتى كانت كثير من المناطق المغربية قد تعودت على رؤية الدعاة التبليغيين، وكان نشاطها قد ازداد وتوسع في عقد السبعينيات ازدياداً ملحوظاً. فأصبحت مراكز / مساجد الجماعة تستقبل بانتظام جماعات قادمة من دول أخرى، خاصة من شبه القارة الهندية (الهند ـ بنگلادش ـ باكستان) وبعض الجماعات من الدول العربية التي سمحت لهذه الجماعة بالعمل كالأردن ومصر وتونس وكذا السعودية قبل أن يتم حظر الجماعة فيها. وجدير بالذكر أنه من حين لآخر كانت المجموعات التبليغية تضم بعض المسلمين الأمريكيين أو الأوربيين خاصة من فرنسا وبلجيكا حيث تنشط الجماعة أكثر في صفوف العمال المغاربة والمسلمين عموماً، ولها مراكز نشيطة هناك ودعاة مغاربة مشهورون خاصة ببروكسيل.

من أهم مراكزها النشيطة بالمغرب مسجد النور في بوسجور بالدار البيضاء ومسجد دوار الحاجة بحي التقدم بالرباط حيث كان رئيسها السابق الشيخ محمد الحمداوي يقوم بالدعوة، ومسجد الفتح بالقصر الكبير حيث الرئيس الحالي الشيخ البشير اليونسي الذي انتسب إلى الجماعة في أوائل الستينيات وكان يشتغل بالتعليم لكنه تفرغ بعد ذلك للدعوة. وتكاد مراكز جماعة التبليغ تغطي حاليا أغلب المدن المغربية، أما بالقرى فإن دعاتها يقومون بأنشطتهم في المساجد الأهلية أو الرسمية.

اعتادت الجماعة أن تقيم من حين لآخر تجمعات ضخمة بمقر المعرض الدولي بالدار البيضاء في بداية العطلة الصيفية تحضرها وفود من مختلف المناطق المغربية وكذا من خارج البلاد، تستغرق هذه التجمعات ثلاثة أيام تلقى خلالها الخطب والكلمات من طرف عدد من الضيوف والمدعوين الذين يمثلون جمعيات العلماء كرابطة علماء المغرب وعدد من الجمعيات الإسلامية المغربية، كما تلقى دروس حول فضائل العقيدة والأخلاق والآداب الاسلامية، ويتم عرض أصول الجماعة والترغيب في الخروج في سبيل الله وما يترتب عنه من إصلاح للأمة ورجوع العديد من الناس إلى الالتزام بشعائر الدين، ثم تتم الدعوة التي تشكل الجماعات التي ستنطلق للخروج في سبيل الله إلى مختلف المناطق داخل البلاد وخارجها حسب المدة التي يحددها كل شخص لنفسه، وهي تتراوح بين يوم واحد كحد أدنى وأربعة أشهر كحد أقصى.

تتلخص طريقة جماعة التبليغ في الدعوة لتشكيل مجموعات صغيرة، يلتزم كل فرد منها بتحمل نفقات طعامه وتنقله، وتوزع كل مجموعة الأعمال اليومية بين أفرادها بإشراف الرئيس الذي يدعى "الأمير"، فيقوم البعض بتنظيم أماكن الإقامة وعادة ما تكون بملحقات المسجد، كما يقوم البعض بشراء الطعام وطهيه، والتقشف والبساطة هما السمتان الغالبتان عليهم. وبعد التفرغ من هذه الأعمال يقوم الأفراد بتعلم آيات من القرآن الكريم أو ذكر الله أو قراءة بعض الكتب *كرياض الصالحين* للإمام النووي أو *حياة الصحابة* للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي. ويلتزمون خلال مدة الخروج في سبيل الله بإقامة الصلوات في أوقاتها وفي جماعة مع الاجتهاد في الدعوة والتعليم. وبعد صلاة العصر تخرج مجموعات صغيرة من المسجد تضم ثلاثة أو أربعة أشخاص إلى شوارع المدينة والأسواق لدعوة الناس إلى المسجد للاستماع "للبيان" وهو درس وعظي يلقيه أحد دعاة الجماعة يبين فيه احتياج الأمة إلى الدعوة ويرغب فيه في الخروج في سبيل الله. وأثناء الجولة لاستدعاء الناس يكون من واجب أفراد المجموعة الالتزام بمجموعة من قواعد الأخلاق كإلقاء السلام وغض البصر وكف الأذى وتحمل الصبر في الدعوة وعدم الرد على الاعتداء أو التهكم، كما يتم تجنب دعوة الناس المنهمكين في أشغالهم أو المرافقين لأهلهم، والتركيز فقط على الأشخاص المتجولين أو الذين لا يبدو عليهم القيام بشغل ما في حينه. وعند أذان المغرب تلتحق جميع المجموعات بالمسجد، وتكون كل مجموعة عادة قد دعت بعض الأفراد، فيتم الاستماع إلى "البيان" الذي يشرح حكمة الخروج في سبيل الله. ثم يتم تشكيل المجموعات الجديدة التي ستنطلق صباح الغد.

ومن بين ما يلاحظ في طريقة جماعة التبليغ اهتمامهم

في الدعوة بالأحياء الشعبية بالخصوص، وعدم إجابة الدعوة إلى الولائم أثناء الخروج حتى لا ينشغلوا بغير أمور الدعوة والذكر، وسلوك سبيل اللين والرفق في تعاملهم مع مدعويهم.

يعتمد منهج جماعة التبليغ على الدعوة الفردية المباشرة، وعلى أسلوب الوعظ والترغيب والترهيب والتأثير العاطفي، وحصر الاهتمام بدائرة الأصول الستة، وهكذا فإن أعضاء الجماعة يتجنبون الخوض في القضايا السياسية كيفما كانت، وكذا في الخلافات والتفريعات الفقهية. كما لا تعتمد الجماعة في الدعوة إلى مبادئها على أي أسلوب آخر من الأساليب المعتمدة في التواصل كنشر الكتب أو الجرائد أو المجلات أو تنظيم المحاضرات والندوات وغيرها. وليس في الجماعة عضوية رسمية، إذ المهم عندها هو الالتزام بمبادئها، ولا تفرض على أتباعها أي التزامات أخرى. وهي بذلك تختلف عن باقي التنظيمات الإسلامية المعاصرة من حيث الهيكلة.

ومن الملاحظ أن جماعة التبليغ في الأقطار العربية قد اضطرت إلي تبني العقيدة السلفية والالتزام بفقه السنة أمام الانتقادات التي وجهها لها العلماء السلفيون بالمشرق، بينما ظل أتباعها في الهند وغيرها من البلدان الأسيوية ملتزمين بالعقيدة الاشعرية والمذهب الحنفي، وقد هاجم أحد العلماء الوهابيين بالمغرب هذه الجماعة وأفكارها ونشر في ذلك كتابا وهو الشيخ تقي الدين الهلالي في كتابه *السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم* سنة 1979، ولكن جماعة التبليغ لا تهتم بالرد على ما يكتب حولها كيفما كانت طبيعة ذلك.

تقي الدين الهلالي، *السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم*، الدار البيضاء، 1979 ؛ *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة*، الرياض، الندوة العالمية للشباب الاسلامي، 1982، ص. 113 - 121 ؛ فتحي يكن، *الموسوعة الحركية*، عمان، دار البشير، 1983، ج 2، 145 - 146 ؛ حسين بن محسن جابر، *الطريق إلى جماعة المسلمين*، الكويت، 1984 ؛ أبو الحسن الندوي، *الشيخ محمد إلياس وحركته الدينية*، د. ت ؛ *في مسيرة الحياة*، دمشق، دار الحكم، 1987، ج 1 ص. 185 - 194 ؛ محمد ضريف، *الاسلام السياسي في المغرب*، الدار البيضاء، 1992، ص. 210 - 215 ؛ جريدة *الاصلاح* (الرباط)، من 1 / ع 2 / 27 مارس 1987، ص. 2 ؛ الدكتور صادق أمين، *الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية*، عمان، 1978.

محمد المغراوي

**تَتَلْتْ** (فم - )، هكذا يكتبها معربةً التامنارتي في *الفوائد* والحضيكي في *الطبقات*. ويُنطق بها محلياً إيمي نْ تتَلْت. وتكتب أيضاً بمدّ وبتثليت التاء الثانية : تاتلت وتثلت. تقع قرية تتَلْت في منبسط قليل من الوادي بعد الدخول من منفتح في الجبلين بقبيلة سكتانة في حدور الأطلس الكبير شرق تارودانت، وبها زاوية ومدرستان علميتان قديمة وحديثة. وقد أنجبت تتَلْت خلال القرون الأخيرة علماء وصوفية صالحين من أبناء وحفدة الشيخ محمد بن يعقوب التتلتي الصنهاجي السكتاني، ترجم المختار السوسي في *المعسول* لأربعة وخمسين منهم "رفعوا راية العلوم والإرشاد أزماناً منذ أربعة قرون" بعضهم درس إلى أن مات في تتَلْت، وبعضهم شارط في مدارس أخرى ودفن هناك، ومنهم من لازال حياً يرزق وسنجتزئ هنا بذكر أربعة نماذج من مشاهير تتلت :

**التتَلْتي، أحمد** بن محمد بن يعقوب الصنهاجي السكتاني يدعى أحمد أمغار. خلف والده الشيخ آتي الترجمة في تعليم القرآن وتربية المريدين وإطعام الزائرين والمنقطعين بزاوية تتَلْت، وعنه كانت تُروى أخبار والده الشيخ ابن يعقوب.

عمر أحمد أمغار كثيراً فكان مقصد القبائل عند الشدائد يصلح بينها، ويُطفئ نيران الفتن الموقدة في تلك الجبال بعد وفاة أحمد المنصور، ويذكرون في سبب موته أنه ذهب إلى قبيلة إداوْزكري ليصلح بينها وبين جيش مخزني حاصرها، فُرفع علم الهدنة ومشى الشيخ أحمد أمغار بين صفوف المتحاربين لإبرام الصلح، لكن بعض المخزنيين أطلق عليه الرصاص متعمداً. وكانت وفاته عام 1037 / 27 . 1628، ودفن في تيمولايْ بقبيلة إداوْزكري، وبُنيت عليه قبة يقام حولها موسم سنوي. وبإزاء مشهده مدرسة يشارط فيها عالم باستمرار.

**التتلتي، الحسن** بن مَحمد الصنهاجي السكتاني الملقب مومو، من حفدة الشيخ ابن يعقوب، وُلد في 14 ذي الحجة عام 1290 / 2 فبراير 1874 ونشأ في زاويتهم بتتلت، حيث أخذ القرآن على مُقرئ الزاوية الاستاذ الكبير محمد ابن عبد الرحمن الكنسوسي، ودرس اللغة العربية والعلوم الشرعية على شيوخ الزاوية المتوافرين، كعلي بن عبد الله المغارتي السكتاني قرأ عليه في مدرسة تتَلْت السفلى العتيقة، وخاله الحسين بن محمد اليعقوبي وعبد الله بن احمان السكتاني بمدرسة تتلت العليا وغيرهم، كما درس في مدرسة تيميشا بسكتانة، وانتهى من طلب العلم عام 1318 / 1900 فتصدر في مسقط رأسه للقضاء والفتيا، إذ كان الفقه أكبر بضاعته، وتلقين الطريقة التجانية التي أخذها عن شيخه الناسك أحمد ابن موسى التيكاني الطاطائي في زاوية تيميشا. وشارط في عدة مدارس يعلّم القرآن ومبادئ العلوم اللغوية والدينية. ولما تقدمت سنه أقبل على الحديث الشريف وصار يسرد *صحيح البخاري* ويختمه في كل رمضان في زاويتهم بتتلت، أو بزاوية تيميشا التي درس فيها إلى أن توفي في شهر محرم عام 1366 / نونبر - دجنبر 1946.

**التتَلْتي، الحسين** بن محمد بن عبد الله الصنهاجي

السكتاني، من حفدة الشيخ محمد بن يعقوب آتي الترجمة "علامة جليل، كبير القدر، فذ من أفذاذ العلماء" بهذا حلاه محمد المختار السوسي.

درس في سوس على الأستاذ محمد بن يوسف الركني قبل أن ينتقل إلى مراكش للأخذ عن علماء جامع ابن يوسف "حيث أقام حتى ارتوى من المعارف".

تصدر للتدريس في مدرسة تتلت، كما درّس في مدرسة علي بن منصور، وتخرّج على يده جماعة من الفقهاء المشهورين بسوس. وكان في نفس الوقت يفتي ويقضي بين الخصوم، على صلة بكبار شيوخ التصوف المعاصرين له.

توفي حوالي عام 1316 / 1898.

**التَتْلتي، محمد** بن **يعقوب** الصنهاجي السكتاني، أحد مشايخ سوس الكبار في القرن العاشر، عاصر الشيوخ أحمد بن موسى التازروالي، ومحمد بن ويسعدن السكتاني وأضرابهم، وهو جد الأسرة اليعقوبية التي توالى فيها العلم والصلاح حتى اليوم. قال عنه صاحب *الفوائد الجمة* : "من أرباب المجاهدات، وأصحاب المقامات، له تربية نافعة في عصره، وبركة فائقة، وأحوال صافية صادقة".

حفظ محمد ابن يعقوب القرآن - بعيداً عن قريته - على يد الأستاذ الشهير حسين بن مسعود الأنماناري الگدميوي في منزله بضاحية أمزميز، وشارط ابن يعقوب في مدرسة الحجر (دوزْرُو) خمسة عشر عاماً يعلّم القرآن، وربما شارط وعلّم في قرى أخرى تُذكر. وأخذ التصوف عن عدد من شيوخ عصره، وتخرج على يده كثيرون ممن أدركوا منزلة عالية في الصلاح والتربية والتدريس، أمثال محمد بن مسعود النظيفي شيخ عبد الرحمن التامنارتي، والحسن بن أبي بكر التيزگيني، ومحمد بن أبي بكر التيسينتي.

أسس ابن يعقوب زاويته في فم تتلت بمكان لازرع فيه ولا ماء إلا بُويرة صغيرة، ومع ذلك كانت تردُ عليه فيه المآت من المريدين والزائرين فيطعمهم بين الليل والنهار أربع مرات في اليوم والليلة. وفي زاويته قال السلطان عبد الله الغالب حين طلب منه بعض المتصوفين ساقية يقيم بها زاوية : "الزاوية بالله لا بالساقية" فصار مثلاً بين أرباب الزوايا حتى الآن. وكرامات الشيخ محمد ابن يعقوب كثيرة ألف فيها أحمد بن إبراهيم الركني كتاباً سماه، *شفاء القلوب ومواهب علام الغيوب في مناقب الشيخ سيدي محمد بن يعقوب*، لخص بعضَها المختار السوسي في خمس عشرة صفحة من *المعسول*، وقال : "لم نجد بداً الآن إزاء هذه الشخصية الغريبة إلا أن نبرزها للقراء كما هي في بيئتها وفي محيط المعتقدين لها. وليت شعري بماذا يعرف مثل ابن يعقوبَ إن لم يذكر في أخباره مواد الهالة التي تكونت حوله مما ذاع وشاع ..."

وما تزال زاوية ابن يعقوب قائمة إلى اليوم في تتلت، وقد زارها المختار السوسي ووصفها بتوسع في *خلال جزولة* و*المعسول*، وقال "هي العامرة وحدها إلى الآن بما تعطيه لها القبائل من بين زوايا الشيوخ الذين عاصروا ابن يعقوب ... فإن زاوية فم تاتلت لم تزل مقصودة آهلة بالمنحاشين إليها، والعادة المتبعة أن ياوي إليها كل مسكين شاء فيأكل الوجبتين الغداء والعشاء، وكذلك من ورد أياً كان ... وكل ما كان معهوداً أن يعطي إلى زاوية الشيخ من القبائل لايزال يعطي كما هو لا يقدر أحدٌ أن يتملص منه".

يقام في زاوية تتلت موسمان كبيران في مارس وأبريل، تساق إليهما مآت الذبائح من الغنم والبقر. وفيها مدرستان، سفلى وهي القديمة التي يقال إنها من عهد الشيخ ابن يعقوب، وعليا محدثة بعده، وقد درس فيهما بتعاقب الأزمان عدد من فطاحل علماء سوس. وتقوم أهراء الزاوية العامرة بالحبوب والإدام بإطعام المعلمين والمتعلمين. وفيها خزانة كتب قد تكون فيها كتب قيمة.

توفي الشيخ محمد بن يعقوب يوم الجمعة سابع شوال عام 963 / 15 غشت 1556 بمسقط رأسه فم تتلت وقبره شهير يترك به.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 58 ؛ أ. الركني، *شفاء القلوب ... في مناقب الشيخ محمد بن يعقوب*، مخطوط ؛ الرسموكي، *وفيات*، 44 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزرگو، مرقون د. د. ع كلية آداب الرباط، 1 : 208 . 209 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 121 . 130 ؛ *رجالات العلم*، 24 ؛ *المعسول*، 16 : 49 . 71 ؛ 72 . 76 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 129.

محمد حجي

**التجارة المغربية في القديم**، لا يمكن الخوض في الحديث عن التجارة في المغرب القديم دون الإشارة إلى النصّ الشهير الذي كتبه هيرودوت المؤرخ اليوناني حيث قال : "يوجد في ليبيا، فيما بعد أعمدة هرقل، قطر إذا ما وضع القرطاجيون بضائعهم فيه، طوال الشاطئ، يلتحقون بمراكبهم ويوقدون ناراً لانتاج الدخان. وعندما يشاهد أهالي القطر الدخان، يأتون إلى الشاطئ ويضعون الذهب بجانب البضائع المعروضة للبيع ثم يبتعدون ... لا يمس القرطاجيون الذهب مالم يقتنعوا بأن الكميات المطروحة منه تكفي لمقايضته بسلعهم، كما أن الأهالي لا يمدون أيديهم إلى تلك السلع ما لم يأخذ القرطاجيون الذهب".

لكن ما يسوقه لنا هذا المؤلف من معلومات، يظل مشكوكاً في صحته، وبالتالي لايمكن تزكيته. وبالمناسبة، نشير إلى أن المؤرخين الذي جاؤوا بعد هيرودوت، لم يعالجوا موضوع التجارة في غرب شمال افريقيا إلا بصورة غير مباشرة، وأن ما يمكن استنتاجه من أخبار في هذا الشأن يبقى بعيداً عن الايفاء بالحقيقة ولايسمح مطلقاً برسم صورة وافية عن المبادلات التجارية.

ما كان بوسع المغرب القديم أن يقيم علاقات تجارية مع الأقطار العُظمى إلا عبر شواطئه الطويلة الاطلنتية والمتوسطية على السواء. ولم يكتشف إلى اليوم أي ميناء مغربي كان له دور تجاري في القديم، وهذا لا ينفي أن

المراكز الحضرية الشاطئية كانت تتوفّر على تجهيزات مرسوية متباينة الأهمية لاستقبال السفن، لاسيما على ضفاف خليجي طنجة وسبتة وعلى مشارف مصب الأنهار (مثل تاهدارت، الأقواس، ليكسوس، ثاموسيدا، شالاّ...)، كما يبْدو أن بعض الموانئ كانت على ضفاف الانهار (مثل ثاموسيدا وبناسة بجوانب واد سبو).

لكن معلوماتنا تبقى زهيدة للغاية في موضوع ما إذا كانت الشواطئ المتوسطية المغربية تتوفّر أو لا تتوفّر على مراسي أخرى غير مرسى مليلية / روسادير (؟) والمرسيين المذكورين أعلاه.

إن المدن الداخلية والمواقع القروية التابعة لها كانت تستقطب نشاطاً تجارياً هاماً بفضل ما مضى يربطها من شبكة طرقية ورد بيانها في الرسم الذي وضعه أنطونان، كما تعرّفنا على مدن أخرى على ضوء الاكتشافات الآثارية. وهكذا اتبيّن أن طريقين رئيسيتين كانت إحداهما تربط طنجة بوليلي والأخرى تربط طنجة بشالاّ، تفرّعت عنهما طرق إلى أمهات القرى. ومما يثير الانتباه أن أبراجا للحراسة شيّدت على جوانب الطرق والمسالك، تتخلّلها محطات للمسافرين رفعت الأبحاث الآثارية الحجاب عن الكثير منها.

الشبكة الطرقية المذكورة التي كانت تدعّمها أشكال من التجهيزات المرسوية، ظلت حينا من الدهر تسمح للمدن والبوادي التابعة لها بترويج منتجاتها ومقايضتها ببضائع أخرى، سواء على المستوى القطري أو على المستوى الخارجي عبر الثغور المتوسطية المغربية.

تكاد النصوص القديمة لاتزودنا بما يشفي الغليل فيما يتعلق بالبضائع المحلية كما ان الأبحاث الآثارية لم تكن من جانبها لتفيدنا بشيء من الأخبار عن طبيعة المبادلات وحجمها. نعم، تتوفّر لدينا الشهادات الدالة على ما كانت تجود به ممارسة الزراعة وتربية الانعام، يشخّصها ما اكتُشف من أرحاء لطحن الحبوب ومعاصر الزيتون ومكوَايات لوسم الأنعام. ومع ذلك، لايتأتي لنا تقدير أهمية هذه الانشطة. إن معاصر الزيتون التي تمّ احصاؤها بوليلي وناحيته تقيم الدليل على تطور زراعة الزيتون في هذه المنطقة من المغرب خلال عهد الرومان، كما أن أرحاء الحبوب والمكوايات المذكورة التي تَمّ العثور عليها بمراكز تقع بناحية الغرب وبباناسا وتاموزيدا، لدليل آخر على ممارسة زراعة القمح وتربية المواشي في سهول الغرب الطميية، الأمر الذي يحمل على الاعتقاد أن المراكز المحادية لغابة المعمورة لم تكن لتجهل فوائد الاستغلال الغابوي. وفي هذا الصدد، يفيدنا بلين الأول أن بطوليموس، ملك المغرب العتيق كان يفتخر بامتلاك أكبر طاولة من الخشب يعرفها أهالي ضفاف البحر المتوسط، كما أن أولئك الأهالي كانوا يصطادون الوحيش.

وعثر علماء الآثار، على امتداد الشواطئ الاطلنتية والمتوسطية، على أطلال لمعامل تمليح الاسماك ولإنتاج مرق مفلفل مصنوع من حواياها، إذ كان الرومان يقبلون على استهلاكه. وكانت هذه المعامل تقع بالخصوص بإيمسا والرأس الأسود والقصر الصغير وكوتا وتاهدارت والقواس، وليكسوس وثاموسيدا وبجزيرة الصويرة ...، وكلها تشكّل حجة لنشاط بحري مكثّف، سواء في ميدان التجارة أو ميدان الصيد وتحويل منتجات البحر.

ومنذ الفترة التي سبقت العهد الروماني بالمغرب، كانت هذه المنتجات تصدّر إلى العديد من الجهات التي تقع على ضفاف البحر المتوسّط. من ذلك ان أمفورات ـ وهي قلل ذات عروتين ـ مصنوعة بالقواس خلال القرن الرابع قبل ميلاد المسيح، وجدت بأقاليم شرق حوض البحر المتوسط وبكورانثة بالضبط، كما أن جزيرة الصويرة أثارت الانتباه بوجود المُرّيق حولها، فاستجلب الفنيقيين إليها لاستغلاله في إنتاج الأرجوان، وهو صبغ استعمله القدامى لصباغة النسيج المستخدم من طرف الأغنياء. ولهذا السبب، أطلقوا على جزيرة الصويرة والصخور المحيطة بها اسم الجزر الأرجوانية، وقد ثبت أن هذا الاستغلال تواصل إلى القرن الرابع بعد الميلاد.

وفيما يخص الواردات تطلعنا التنقيبات الآثارية التي أجريت في عدة مواقع عتيقة بالمغرب على التيارات التجارية بين المغرب وغيره من الأمصار، وذلك منذ العهد الفينيقي، غير أنه يبقي من المستحيل وضع لائحة شاملة للمستوردات المغربية في تلك الحقبة من الزمن، لأن المنتجات الاستهلاكية لم تكن قابلة للتصبير، وبالتالي يتعذّر التعرف عليها من خلال الحفريات. ومع ذلك، فان تطور الأبحاث الآثارية التي جرت تحت الماء ساعدت على وضع خريطة تحظى بقدر من المصداقية حول ما كانت عليه المبادلات التجاريّة في الشواطئ المتوسطية خلال تلك الفترة القديمة.

وخلال العهد الفينيقي، أي أثناء القرون الثامن والسابع والخامس قبل الميلاد، مضى البحّارة الفينيقيون يُنزلون بالشواطئ الأطلنتية المغربية الممتدّة من ليكسوس إلى جزيرة الصويرة منتجات خزفية ممتازة الصنع، خرجت من معامل في عدة أقاليم شرق متوسطية ومن الجزر اليونانية، حتى إن القلل الكورانثية التي عثر عليها بجزيرة الصويرة، لدليل على أن الزيوت والخمور اليونانية كانت ترد إلى ذلك الموقع.

ويعني هذا ان المادتين الغذائيتين المذكورتين، إضافة إلى الاسماك المصبرّة بالملح وغيرها من المملّحات، شكّلت القسط الأوفر من الواردات الثابت تسويقها في المدن المغربية وبواديها حتى العهد الروماني.

وخلال القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، كانت الأسواق المغربية تستقبل الزيوت الإسبانية دون غيرها، كما كان الحال في القرن الأخير قبل الميلاد، مع بعض الاستثناء حيث كانت الزيوت تأتي كذلك من إيطاليا، ولاسيما من إقليم بريندس الواقع على شواطئ بحر الادرياتيك. وكان الزيت

الإيطالي ينقل في القلل المستديرة والاسباني ينقل في قلل من صنف دريسيل 20. ويبدو أن تطور انتاج الزيوت في المغرب خاصة وشمال افريقيا عامة، ابتداءً من القرن الثاني بعد الميلاد، مكّن من تقليص حجم واردات الزيوت الإسبانية إلى المغرب.

أما استيراد الخمور، فإنه سار على درب الحركة التجارية التي طالت المنتجات الزيتية. وبات من المؤكّد ان هذه الخمور كانت تنقل في قلل من صنف دريسيل 1 وتأتي من منطقة الفيزوف الايطالية خلال الفترة التي كان المغرب يسمى فيها موريطانيا الطنجية. وانطلاقاً من عهد القيصر أغسطس، صارت الخمور الايطالية تنقل إلى المغرب في قلل من صنف هالْتْرينْ 70 ودريسيل 2.4.

الأسماك المجفّفة والمملحات كانت هي الأخرى تستورد بكمّيات كبرى، وقد سمحت الاكتشافات الآثارية بالتعرف على أعداد وافرة من القلل المصنفة بدريسيل 18 ودريسيل 7.11 وبلتران 2 ـ ب التي كانت تستعمل في نقل منتجات البحر التي يُستورد أغلبها من المواقع الإسبانية من أرباض جبل طارق. لكن وجود عدد وافر من معامل الأسماك على طول الشواطئ المغربية وأكبر مركّب للتمليح في العالم الروماني الذي عثر على أطلاله بمدنية ليكسوس، علاوة على اكتشاف معامل لصناعة القلل بالقواس لنقل الأسماك، كلها عناصر تدفع إلى الظن أن المغرب كان يصدّر منتجات البحر.

وإلى جانب مواد الاستهلاك، كانت مملكة المغرب ـ التي أصبحت إقليماً تابعاً للأمبراطورية الرومانية في سنة 40 بعد الميلاد ـ تستورد كميات وافرة من الخزفيات النفيسة، ضمنها المزهريات اليونانية والمنتجات الخزفية المختومة البيضاء من صنف د، وغيرها من المتنوعات الطينية والخزفية الخاصة بالبحر المتوسط.

وكانت البورجوازية المحلّية والمدن الحضرية تستورد المنتجات الفنّية، مثل التماثيل الكبرى والصغرى وغيرها من التحف الرخامية أو النحاسية التي كانت تزين البيوت والمؤسسات العمومية.

Hérodote, *Histoires* ; A. Akerraz, V. Brouquier et E. Lenoir, *L'occupation antique de la plaine du Gharb, VIème Colloque International sur l'archéologie et l'histoire de l'Afrique du Nord*, (à paraître) ; Rebuffat, *L'implantation militaire en Maurétanie Tingitane*, idem ; A. Akerraz et M. Lenoir, *Les huileries de Volubilis*, *BAM* 14, 1982 - 1983 ; Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle* ; M. Ponsich et M. Tarradell, *Garum et industries de salaisons en Méditerranée occidentale*, Paris, 1965 ; P. Rouillard, *Le commerce grec du Vème et IVème siècles av.J.-C. dans les régions de Lixus et Gadès, Lixus, Actes du colloque organisé par l'Institut des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine* (Larache 8 - 11 novembre 1989), Rome, 1992, p. 207 - 215 ; M. Ponsich, *Note préliminaire sur l'industrie préromaine en Tingitane*, *Karthago* 15, 1960 - 1970 ; *Nouvel aspect de l'industrie préromaine en Tingitane, BCTH n.s.* 4, 1968 ; M. Lenoir, *Lixus à l'époque romaine, Lixus, Actes du Colloque organisé par l'Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine*, (Larache, 8 - 11 novembre 1989), Rome, 1992, p. 274.

عمر أكراز، ترجمة أحمد بنجلون

* * وفي العصر الوسيط، شهد المغرب نشاطا تجاريا مهما بفعل تنظيمه للمبادلات مع المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى. ويعود تاريخ العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي إلى عهود ضاربة في القدم، غير أن المرحلة الممتدة بين القرن الرابع (10 م) والقرن الثامن (14م) تمثل العهد الذهبي لهذه العلاقات نظرا لما عرفته من انتظام في عملية الاتصال والتواصل وما ترتب عن ذلك من تفاعل حضاري في مختلف المجالات.

كانت المبادلات التجارية بين المغاربة والسودانيين تتم في بداية الأمر عبر ما يسمى بالتجارة الصامتة. وقد ذكر القزويني أن هذا الأسلوب في التبادل التجاري استمر العمل به في القرن السادس (12 م) بحيث كان التجار يضعون بضائعهم ويضربون طبولا ليعلموا القوم ثم يتراجعون فيأتي السودانيون بالتبر ويضعون بجنب كل متاع شيئا من التبر وينصرفون، ثم يأتي التجار ويأخذ كل واحد ما وجد بجنب بضاعته، ولا يذكر أحد من هؤلاء التجار أنه رأى أحداً منهم (*آثار البلاد*، 19). وما ذكره هذا المؤلف لا ينطبق على المرحلة التي عاش فيها بقدر ما يعبر عن الكيفية التي كان يتم التعامل بها في العهود القديمة خصوصا وأن بلاد السودان الغربي كانت في العصر الوسيط خاضعة لنفوذ ممالك مسلمة ويوجد بمدنها وقراها عدد مهم من التجار المغاربة والفقهاء والقضاة حتى إن منهم من تولى الوزارة في مملكة غانا كما جاء عند البكري.

لعبت مناطق واحات المغرب الأقصى دوراً مهما في عملية ربط الاتصال بين مناطق الشمال والسودان الغربي بحكم موقعها على أبواب الصحراء الكبرى. غير أن تأسيس مدينة سجلماسة وازدهارها السياسي في عهد المدراريين وبني خزرون ثم المرابطين ومن أتى بعدهم جعل من مجالاتها منطقة فاعلة في المبادلات التجارية وأثر على أولويتها مقارنة مع مجالات درعة وواد نون مدة طويلة من الزمن لأن موقعها يتوسط المجال الواحي والمسافة ما بينها وبين تلمسان وفاس ومراكش على حد سواء، فمن حيث قصدت إليها من أحد هذه البلاد كان ذلك مسافة عشر مراحل (*المعجب*، 357).

ارتبطت واحات المغرب خاصة منها سجلماسة ببلاد السودان عبر شبكة مهمة من الطرق. وابتداءً من القرن الرابع (10 م) شرعت المسالك التجارية الصحراوية في الميل نحو الغرب بفعل العامل المناخي (*صورة الأرض*، 143 ـ 144). وكان لا بد من انتظار القرن الموالي لتعرف المسالك الغربية استقراراً واضحاً في اتجاهها وهو ما لم يحدث عليه تغير كبير في المراحل اللاحقة. يشهد على ذلك تطابق أوصاف البكري لهذه المسالك مع أوصاف الذين أتوا بعده إلى حدود القرن الثامن (14 م).

والمسالك التجارية الغربية التي ربطت المغرب الأقصى بالسودان الغربي في العصر الوسيط ثلاثة : الطريق الساحلي، طريق سجلماسة غانا عبر أودغست وهو الطريق الوسط، وطريق سجلماسة ـ تمبكتو عبر ملاحة تغازى الذي يمر في العروض الشرقية للمغرب الأقصى والذي انتهت إليه

الأهمية في الاستعمال قبل أن يفقد المغرب أوليته في التجارة الصحراوية أمام حيوية التجار المصريين في القرن الثامن (14 م).

إن الطريق الساحلي هو أقدم هذه الطرق من حيث الاستعمال، كانت له أهمية كبيرة في العهود القديمة والفترة المبكرة من التاريخ الوسيط إلى حدود القرن الخامس (11 م) حيث قل استعماله بسبب اكتشاف ملاحة "تاتنتال" التي عرفت باسم تغازى فيما بعد (انظر مادة تاتنتال). ويتخذ هذا الطريق شكل مثلث ما بين سجلماسة وملاحة "أوليل" وأودغست (انظر الخريطة) وكان السير عبره يتطلب من التجار مسيرة ستين يوما (*صورة الأرض*، 91).

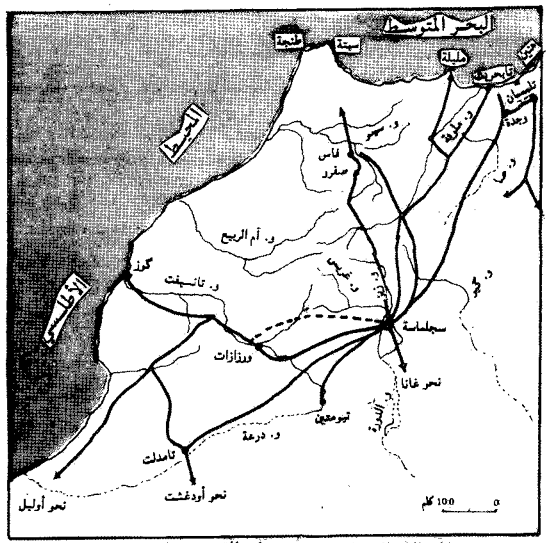

المسالك التجارية بالمغرب في القرن 5 هـ / 11 م

لم يكن هذا الطريق يتوفر على نقط الماء في المسافة الفاصلة بين نول لمطة وأوليل لأن التربة بهذا المجال عبارة عن صفا يصعب حفره بالمعاول (*المسالك*، 172 ؛ *الاستبصار*، 213.214). لكن التجار استمروا في استعماله رغم اكتشاف ملاحة تاتنتال في القرن الخامس (11 م) بدليل ما ورد في المصادر الجغرافية في القرنين التاليين السادس والسابع عن دور ملاحة أوليل في تزويد بلاد السودان بمادة الملح. وعليه، فإن التخلي عن استعمال هذا الطريق لم يتم قبل زمان ابن سعيد المغربي (*سجلماسة*، 324 ـ 326).

أما الطريق الوسط فكان يربط سجلماسة بغانا عبر وادي درعة ووادي ترج (تارگا = الساقية)ا الذي من المحتمل أن يكون المقصود به الساقية الحمراء ثم أودغست فغانا. وهذا الطريق لا يمر بالمراكز الحضرية المهمة في الجنوب المغربي كتامدولت ونول لمطة، لكن ميزته أنه مباشر تقل مسافته عن مسافة الطريق الساحلي (البكري، 164)، ونميل إلى الاعتقاد بأن هذا الطريق لم تكن له أهمية كبيرة في ربط بلاد المغرب ببلاد السودان وأنه كان مستعملا في طريق العودة من بلاد السودان أكثر من استعماله في طريق الذهاب (*سجلماسة*، 327 والخريطة رقم 1).

أما الطريق الثالث الذي كان يربط سجلماسة بغانا عبر تامدولت، تاتنتال، أودغست فغانا في القرن الخامس فهو الذي استمر التجار في استعماله للوصول من سجلماسة إلى ايولاتن وتنبكتو في فترة سيادة مملكة مالي. ويظهر أن استعماله أثر على حيوية الطريق الساحلي والطريق الواقع إلى الشرق منه، أي الطريق الوسط دون أن يبعد التجار عنهما بصفة نهائية، وقد اتخذ أهمية التجارة بفعل استغلال ملاحة تاتنتال في القرن الخامس (انظر مادة تاتنتال والخريطة رقم 1).

تزامن نشاط هذا الطريق التجاري أيضاً مع ما عرفته الخريطة الحضرية ببلاد السودان الغربي من مستجدات بعد اندراس مدينة أودغست على يد المرابطين في منتصف القرن الخامس و"كومبي صالح"، عاصمة غانا في أواخر نفس القرن ثم تأسيس مدينة إيولاتن في أواخر ثلاثينيات القرن السادس لتضطلع بمهمة الإشراف على المبادلات بين الشمال والجنوب (*سجلماسة*، 328 ـ 334).

كانت الرحلة عبر هذا الطريق تتطلب إحدى وخمسين مرحلة، ونظراً للأهمية التي كانت له في مجال المبادلات ذكر البكري مراحله بدقة متناهية (*المغرب*، 156 ـ 158). وهذا الطريق هو الذي سلكه ابن بطوطة في ذهابه إلى مالي سنة 752 هـ / 1351 م (*الرحلة*، 2 : 773 ـ 776) وهو ما يؤكد استمرار اتجاه الطرق على ما كان عليه منذ القرن الخامس. وقد شهد النصف الثاني من القرن الثامن (14 م) تغيرات مهمة في هذا المجال، وهذا ما نلمسه من خلال تتبع طريق عودة ابن بطوطة من بلاد السودان عبر تگدا، غات، رفقة تجار مصر ثم توات فالهگار فسجلماسة، أي عبر مجالات تقع إلى الشرق من مجالات المغرب الأقصى. وتجب الإشارة هنا إلى أن النشاط الذي عرفه طريق سجلماسة مالي عبر تغازى في القرن الثامن لم يكن معزولا عن ميل الطريق التجارية مجددا نحو الشرق فكان لما عرفته بلاد الصحراء من ظروف انعدام الأمن في هذه الفترة بالذات بالغ الأثر في توجه التجار شيئا فشيئا نحو الشرق بحثاً عن مناطق آمنة، وهذا ما أثر على مناطق سجلماسة وتامدولت بشكل سلبي وأدى إلى خراب المدينتين معا في أواخر القرن الثامن (*سجلماسة*، 328).

وارتبطت مناطق الواحات أيضا بشبكة مهمة من الطرق مع مختلف جهات المغرب عبر ثلاثة محاور رئيسية، أولها محور سجلماسة ـ فاس وباقي مدن الشمال، وكان يُستعمل فيه طريقان، واحد يتبع مجرى وادي زيز ومسافته مسيرة ثمانية أيام، والثاني يمر بتالسينت ومطماطة أمسكور ومسافته ما بين إحدى عشرة مرحلة واثني عشر يوماً (*المغرب*، 147 والخريطة رقم 2). وثانيهما محور سجلماسة ـ الشمال الشرقي وقد عرف استعمال طريقين أيضا : واحد كان يمر بوادي زيز ثم وادي گير ثم وادي صاع (زا) فوجدة ومنها إلى تلمسان، وهذا الطريق كان يستعمل في القرن الخامس (*المغرب*، 38) والثاني وصفه الإدريسي في القرن السادس وذكر أنه قليل الاستعمال لأن أغلب مراحله مفازة

وأهم محطاته بين تلمسان وسجلماسة غير معروفة الآن (*نزهة المشتاق*، 56) وهذا الطريق الثاني أقل مسافة من الأول لأنه يتجه من الشمال إلى الجنوب في اتجاه عمودي تم استعماله بكثرة في الفترة التي كانت فيها سجلماسة خاضعة للزيانيين سلاطين تلمسان (*سجلماسة*، 340 والخريطة رقم 2). كما ارتبطت مدن الواحات أيضا بالمدن الجنوبية الواقعة على الواجهة الغربية لجبال درن كأغمات ونفيس ثم مراكش عبر وادي درعة وممرات جبال درن (البكري، 152). وقد لعبت الممرات الطبيعية التي توفرها أودية جبال درن دوراً بارزاً في تسهيل عملية الاتصال بين المدن الشمالية ومدن الواحات، لذلك كان طريق سجلماسة - فاس يمر عبر تيزي - ن - تالغمت وطريق سجلماسة - تادلا عبر تيزي مقورن كما سمحت ممرات تيزي ن بجو وتيزي ن تلكاز وتيزي ن تافيلالت بربط سجلماسة بمناطق درعة والسوس (انظر المسالك التجارية الداخلية في الخريطة رقم 2).

سمحت هذه الشبكة من الطرق بتنظيم العملية التجارية على الصعيدين الداخلي والخارجي وكانت النتيجة ازدهار الرواج التجاري بالمغرب في العصر الوسيط. وهذه الطرق التجارية الداخلية منها والصحراوية لم تكن تتبع دائما المسالك السهلة الاجتياز أو الجهات التي تتوفر على مصادر الماء أو غير ذلك من العوامل الطبيعية المساعدة على تسهيل التنقلات والأسفار بل ارتبط اتجاهها أيضا بالعامل الأمني والسياسي ،وهكذا كلما بدا خطر ضعف الخفارة واحتمال اعتراض العير في جهة من الجهات ابعد التجار عن المسير في تلك الطريق بحثاً عن سبل أخرى آمنة، والأمثلة كثيرة في هذا الباب سواء تعلق الأمر بالمسالك التجارية الداخلية أو المسالك التجارية الصحراوية.

وقد خضع التجار في العصر الوسيط لتنظيم محكم كانت الغاية منه التغلب على الصعوبات التي تعترضهم بالصحراء الكبرى حيث شدة الحر وقلة الماء وهبوب الرياح الغبارية التي تغير من الآثار الطبيعية التي يتم الاعتماد عليها في تحديد اتجاه الطرق بسبب نقلها كثبان الرمال من مكان إلى آخر (*نزهة*، 9 ؛ *الرحلة*، 2 : 774).

ويصعب الحديث عن تنظيم القوافل وخضوعها لتسيير محكم قبل القرن الثامن (14 م) لأن الإشارات التي وصلتنا في هذا الموضوع كانت عبر ما كتبه ابن بطوطة عن رحلتة إلى مالي، لكن انعدام هذا النوع من المعلومات في المصادر السابقة لا يعني أن هذا التنظيم هو وليد القرن الثامن بل ليس هناك ما ينفي اعتماده من قبل التجار منذ أن شرعت المسالك التجارية الغربية في اختراق المجابة الكبرى الواقعة إلى الشرق من الطريق الساحلي.

كان المسؤول عن القافلة في العصر الوسيط يعرف باسم القائد وهو الناطق والمفاوض باسم التجار والمشرف على كل ما يتعلق بتنظيم رحلتهم، وكان له أعوان يساعدونه في مهامه كالدليل والتكشيف، فالأول كان يستأجره التجار بأوفر الشروط ليدلهم على اتجاه المسالك لدرايته بها من كثرة تردده على المفازات (*العبر*، 7 : 77 ؛ *ابن بطوطة*، *الرحلة*، 2 : 775). وأما الثاني أي التكشيف فهو اسم لكل رجل يكتريه أهل القافلة ليتقدم بكتبهم إلى أصحابهم بإيولاتن حتى يكتروا لهم الدور ويخرجوا للقائهم بالماء. ومهمة التكشيف صعبة للغاية لأن نجاح القافلة في الوصول إلى إيولاتن متوقف على نجاحه في مهمته (ابن بطوطة، *الرحلة*، 2 : 775) وقد كان التكشيف يستأجر بمائة مثقال في القرن الثامن مقابل تقدمه أمام القافلة من قرية تاسرهلا إلى إيولاتن.

ولا نعلم الطريقة التي كان قائد القافلة يعتمدها في إدارة شؤون التجار كما لا نعلم شيئا عن الكيفية التي كانت تتم بها عملية تأدية أجور كل من الدليل والتكشيف، خاصة وأن بضائع التجار لم تكن متساوية في القافلة. فهل كان التجار يؤدون أجور هؤلاء الأشخاص تبعا لقيمة سلعهم أم تبعا لحصول إبلهم أم أن هذه المصاريف كانت تقتسم على الرؤوس بالتساوي دون مراعاة لتجارة كل واحد منهم على حدة ؟

وعرفت التجارة الصحراوية إلى جانب هذا التنظيم المحكم الذي أملته صعوبة التنقل في القفر تنظيماً آخر لا يقل أهمية، ويتعلق الأمر بالشركات التجارية كما هو الحال بالنسبة لشركة أسرة المقري التي أسست في القرن السابع (13 م) واستمر نشاطها إلى ما بعد نهاية النصف الأول من القرن الثامن (14 م) وكان لها ممثلون بتلمسان وسجلماسة وإيولاتن. وقد سجل لسان الدين بن الخطيب كيفية العمل في هذه الشركة التجارية وعنه نقل المقري مادته في هذا الموضوع مع إضافات قليلة لا تخلو من فائدة (*الإحاطة*، 2: 192 - 194 ؛ *نفح الطيب*، 5 : 205).

كانت التجارة الصحراوية تدر أرباحاً كثيرة على المشتغلين بها وقد فسر ابن خلدون ذلك ببعد الطريق ومشقته وقلة سلع بلاد السودان بالمغرب واختصاصها بالغلاء، وكذلك سلع المغرب لديهم، وقال بأن المترددين في أفق واحد بين أمصاره وبلدانه فائدتهم قليلة وأرباحهم تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقليها (*المقدمة*، 497). وقد نقل بن الخطيب عن أبي مدين الغوث قوله في نفس الموضوع : إن تجار الصحراء يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع (*الإحاطة*، 2 : 193).

وليس من السهل تحديد القيمة الحقيقية للمبادلات التجارية بين المغرب وبلاد السودان وكذلك بينه وبين أوربا في العصر الوسيط، لأننا لا نعرف كمية ولا ثمن السلع المصدرة والمستوردة نتيجة إغفال المصادر الجغرافية للمعلومات المساعدة على معرفة ذلك. وقد تعددت سلع بلاد المغرب التي تم نقلها إلى السودان الغربي حسب الفترات التاريخية وتشكلت في غالب الأحيان من مواد مصنعة ومنتجات فلاحية وقلما تم نقل المواد الخام باستثناء الأصواف والخشب، ويمكن تتبع تطور أنواع السلع المتاجر

فيها حسب الفترات التاريخية من خلال الجدول التالي :

سلع بلاد المغرب المتاجر فيها ببلاد السودان ما بين القرنين 5 / 11 م و8 / 14 م

| مواد مصنوعة | مواد غير مصنوعة | انتاج فلاحي | المرحلة الزمنية | مصدر المعلومات |
|---|---|---|---|---|
| - الأواني النحاسية<br>- ثياب زرقاء وحمراء<br>- الودع | الملح | | القرن 5 هـ / 11 م | البكري ص. 159 |
| - النحاس الأحمر والملون<br>- الخرز<br>- الأكسية وثياب الصوف<br>- العمائم<br>- المازر<br>- النظم الزجاجية<br>- الأصداف والأحجار الكريمة<br>- الأفاويه والعطر<br>- آلات الحديد | الصوف<br>الملح | التمر<br>الحناء | القرن 6 هـ / 12 م | الإدريسي ص. 4 و42 |
| - خرز الزجاج<br>- الأسورة والخواتم والحلق النحاسية | خشب الصنوبر<br>خشب الأرز<br>الملح | | " " | القزويني ص. 19 |
| - الودع<br>- النحاس المسبوك | الملح | التاكوت | " " | *الاستبصار* ص. 222 |
| - الأصداف<br>- الأسورة النحاسية | الملح | التمر | القرن 7 هـ / 13 م | *نتائج الحفائر الأركيولوجية* D.T. Nian, p. 155 |
| - النحاس<br>- الودع | الملح | التين | القرن 8 هـ / 14 م | أبو الفدا ج. 1، ص. 96 |
| - حلي الزجاج<br>- السلع العطرية<br>- عطر القرنفل<br>- تاسرغينت | الملح | التمر | " " | ابن بطوطة ج. 2 ص. 779 |

يتضح مما سبق أن بعض السلع لم تختف من قائمة البضائع المتاجر فيها طيلة العصر الوسيط كالمصنوعات النحاسية والملح. وهذا ما يؤكد ما كانت تلقاه من رواج في الأسواق السودانية، كما أن بعض السلع الأخرى، لم تستطع لسبب من الأسباب أن تضمن لنفسها مكانا ضمن صادرات بلاد المغرب إلى بلاد السودان كما هو الحال مع المصنوعات الصوفية التي لم يرد لها ذكر ضمن سلع التجارة الصحراوية بعد القرن السادس (12 م) وقد نجد لذلك تفسيراً فيما وصلنا عن سوق المنسوجات القطنية ببلاد السودان في القرن الثامن (14 م) من خلال شهادة ابن بطوطة التي أكدت إقبال الماليين على المنسوجات المصرية، وابن فضل الله العمري الذي أشار إلى أن امبراطورية مالي كانت تنتج القطن وتصنع منه ثيابا ناصعة البياض (ابن بطوطة، *رحلة*، 2 : 799 والعمري، ص. 65).

وقد ظهرت المنتجات الفلاحية ضمن قائمة السلع المتاجر فيها ابتداء من القرن السادس (12 م) كما أن سلعا أخرى تم نقلها إلى بلاد السودان لم يرد ذكرها في المصادر الجغرافية وأكدت نتائج البحث الأثري وجودها كما هو الحال بالنسبة للأواني الفخارية.

أما السلع التي تم نقلها من بلاد السودان إلى المغرب فيأتي على رأسها التبر والعبيد ومواد أخرى يمكن رصدها في الجدول التالي :

| سلع بلاد السودان إلى المغرب | المرحلة الزمنية | مصدر المعلومات |
|---|---|---|
| - العنبر<br>- الذهب الإبريز | القرن 5 (11 م) | البكري، ص. 159 |
| - التبر<br>- عبيد لمم | القرن 6 (12 م) | الادريسي ص. 5 - 7 |
| - الذهب<br>- الشب | القرن 6 (12 م) | القزويني ص. 25 - 26 |
| - الذهب<br>- الأسواط التي تسمى بالسراقيات | القرن 6 (12 م) | *الاستبصار* ص. 114 |
| - التبر<br>- عبيد لمم | القرن 7 (13 م) | ابن سعيد المغربي ص. 92 |
| - الذهب<br>- العبيد | القرن 8 (14 م) | ابن فضل الله العمري ص. 61 |
| - التبر<br>- العبيد | القرن 8 (14 م) | ابن بطوطة ج 2، ص. 773 |
| - الجلد<br>- العاج<br>- الجوز<br>- التبر | القرن 8 (14 م) | ابن الخطيب *الإحاطة*، ج. 2 ص. 192 |

نظم المغاربة تجارتهم في العصر الوسط مع الأوربيين أيضا، ولم يؤثر الصراع الذي دار بين المسلمين والمسيحيين على الرواج التجاري بالحوض الغربي للبحر المتوسط كما يزعم البعض، بل على العكس من ذلك انتظمت المبادلات بين الجانبين في الموانئ المتوسطية التي شهدت حضوراً مستمراً للتجار الأوربيين أو شركائهم من اليهود (M. Lombard, *L'or*, p. 150 ; Mas -Latrie, p. 83 - 84 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne*, p. 126 و*سجلماسة*، 372 - 375).

ويمكن رصد مختلف السلع التي تمت فيها المتاجرة بين المغاربة والأوربيين في العصر الوسيط بناء على ما ذكره ماص - لاتري Mas - Latrie في الجدول التالي :

| السلع المغربية | السلع الأوربية |
|---|---|
| الشمع | المنسجات الصوفية |
| الزبيب | التوابل |
| التمر | الأغطية الصوفية الانجليزية |
| المنسوجات الصوفية | الأواني النحاسية |
| الشب الأبيض المعروف باسم السجلماسي | الأصداف |
| الحوت المجفف | النحاس المسبوك : قضبان وصفائح |
| جلود الحيوانات بمختلف أنواعها | الحديد |

| السلع المغربية | السلع الأوروبية |
| --- | --- |
| الأصواف | الأسلحة : الخوذات، الأقواس، السيوف<br>الورق<br>عظام الحيوانات<br>الخمر |

وإذا كان التجار الأوربيون قد اندفعوا نحو موانئ بلاد المغرب من أجل الحصول على الذهب فإن أهم ما يمكن تسجيله هنا هو أن صناع الذهب الذي كان يصل إلى المغرب بواسطة التجارة الصحراوية لم يتم نقل القليل ولا الكثير منه إلى البلاد الأوربية، وإنما صنع بالمغرب ووصل المضروب منه نقداً إلى أوربا بفعل استبداله بسلع كان المغرب في حاجة إليها لسد حاجيات الطلب الداخلي أو الخارجي جنوب الصحراء الكبرى.

وقد تطورت التجارة المغربية في العصر الوسيط عبر مراحل كان فيها للعامل السياسي والأمني دور بارز، لذلك يمكن تتبع هذه المراحل بموازاة مع التطور الذي عرفته إمارات ودول بلاد المغرب في المرحلة المعنية بالدراسة. ومما يؤكد ذلك أنه كان لا بد من انتظار القرن الرابع (10 م) لتصبح معلوماتنا عن تجارة بلاد المغرب مع السودان الغربي واضحة نسبيا مقارنة مع ما نعرفه عنها في الفترات السابقة لهذا التاريخ حيث نجد معلومات كل من الاصطخري وابن خرذادبة والمقدسي واليعقوبي عن تجارة الذهب مليئة بالأساطير والخرافات الأمر الذي يدفع إلى تفسير كل هذا التناقض والتضارب في المعلومات بضعف العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي وجهل رجالات تلك العصور بحقيقة ما كان عليه الأمر في المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى (الاصطخري، 37 ـ 38 ؛ المقدس، 164 ؛ اليعقوبي، 110).

وقد أصبح لواحات بلاد المغرب الأقصى خلال القرن الرابع (10 م) الأهمية التي عرفت بها في مجال التجارة الصحراوية في العصر الوسيط، يؤكد ذلك الشهرة التي تمتعت بها سجلماسة في هذا المجال بعد أن جلبت إليها الطرق التجارية الصحراوية مؤثرة بذلك على نشاط غيرها من المدن في المغربين الأوسط والأدنى ومدن فزان ومصر، فقصدها التجار من جميع الآفاق خاصة من بلاد المشرق كتجار البصرة والكوفة وبغداد (*صورة الأرض*، 65).

وبذل المرابطون في القرن الخامس جهوداً كبيرة من أجل تمهيد الطرق التجارية لتشجيع المبادلات مع بلاد السودان مستفيدين في ذلك من جهود سابقيهم من الإمارات التي حكمت مناطق الواحات كبني مدرار وبني خزرون فنشطت الحركة التجارية بين المغرب وبلاد السودان بكيفية لم تشهد البلاد مثله من قبل (حافظي، *سجلماسة*، ص. 380).

ولم يغير انتقال الحكم من المرابطين إلى الموحدين شيئاً فيما يتعلق بالتجارة مع بلاد السودان رغم امتداد مجال نفوذ الموحدين على كل بلاد المغارب لأن القسم الأكبر من هذه التجارة كان يتوجه نحو العاصمة مراكش، فحافظت بذلك واحات المغرب الأقصى على نشاطها وحيويتها. ومع حلول القرن السابع الهجري وضعف سلطة الموحدين توزع نشاط المسالك التجارية الصحراوية الغربية بين ثلاثة محاور : واحد يربط امبراطورية مالي بالمغرب الأقصى وثان يربطها بالمغرب الأوسط وثالث يربطها بالمغرب الأدنى، وتوزعت الاستفادة من التجارة الصحراوية عبر المسالك الغربية بين القوى التي اقتسمت الإرث السياسي الموحدي.

ورغم ما عرفه القرن السابع من صراع بين المرينيين والموحدين من جهة وبينهم وبين الزيانيين والحفصيين من جهة ثانية فإن تجارة المغرب الأقصى مع بلاد السودان لم تعرف تراجعا ملحوظا إلا مع حلول القرن الثامن (14 م)، حيث تضافرت عوامل كثيرة منها ما هو خارجي كانفتاح مالي على المشرق وإقبالها على التعامل مع تجار مصر وما ترتب عن ذلك من ميل تدريجي للمسالك التجارية مجددا نحو الشرق ؛ ومنها ما هو داخلي ويأتي على رأسه ضعف سلاطين بني مرين بعد منتصف المائة الثامنة وتحكم القبائل القوية في مجالات نفوذها خاصة عرب المعقل الذين سببت ثوراتهم ضد بعض سلاطين بني مرين انقطاع السبل وابتعاد التجار عن السير في صحاري المغرب الأقصى إلى غيرها من صحاري المغربين الأوسط والأدنى (*سجلماسة*، ص. 381 ـ 389). وبذلك ضعفت تجارة المغرب عبر الصحراء غير أنها لم تنقطع تماماً إلى نهاية العصر الوسيط.

أ. البكري، *المسالك* ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن بطوطة، *الرحلة* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ح. ح. علوي، *سجلماسة*.

حسن حافظي العلوي

* * نشطت التجارة البرتغالية مع المغرب ابتداء من القرن العاشر (16 م)، إذ كانت منطقة الغرب الأندلسية، التي تناسب اليوم جنوب نهر التاج، كثيرة الارتباط من الناحية التجارية بالمغرب. فقد اعتادت الاعتماد على قمحه بالخصوص. ووصلتنا إشارة إلى إقبال الأزموريين على التعامل مع البرتغال بعد انتهاء فترة الحكم الإسلامي به، تعود إلى عهد السلطان أبي الحسن المريني. ولم تنقطع الروابط التجارية بين المغرب والبرتغال بعد استكماله لحروب الاسترداد. ولم يعد التجار البرتغاليون يقتصرون على الموانئ الشمالية، بل تعودوا، ابتداء من القرن الثالث عشر، الإقبال على أنفا إلى حين تخريبها، وعلى أزمور وأسفي وماسة، وذلك لجلب سمك شابل أم الربيع، وحبوب تامسنا ودكالة وتبر السودان. وارتفعت أعداد التجار البرتغاليين بالموانئ المغربية ليصبحوا أكثر التجار عدداً بها بعد القرن المذكور، ومعلوم أن عدداً من المؤرخين البرتغاليين ربطوا اهتمام بلادهم بالمغرب، وشرعوا مبكراً في احتلال ثغوره لحرص المسؤولين على ضمان تزويد بلادهم بسلع أساسية كانت بلادهم في أمس الحاجة إليها واعتادوا

اقتنائها بالمغرب، كالحبوب والتبر. ومعلوم أن البرتغال عانى خلال القرن الرابع عشر وبداية القرن التالي من أزمة نقدية حادة تولد عنها تضخم خطير. (أحمد بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، ص 155).

وقد نتج عن احتلال الثغور الشمالية بالمغرب(سبتة عام 1415، القصر الصغير عام 1458، أصيلا وطنجة عام 1471) تحولها إلى مجرد ثكنات جامدة تعيش على ما تتوصل به من البرتغال. وانتقل الرواج الذي كانت تعرفه من قبل إلى موانئ السهول الغربية ذات الظهير الغني كأنفا قبل تخريبها (1469)، أو أسفي، أو أزمور أو ماسة. كما استفادت مرافئ صغيرة كتيط، وأخرى لم يكن لها ذكر كدار الفارس، (شمال الوليدية الحالية) التي اشتهرت بتصدير الحبوب والأسماك (الشابل) والجلود، والشمع والعسل والتبر الذي اقتنى منه التجار البرتغاليون كميات هامة بأسفي وأزمور قبل احتلالهما.

عرفت التجارة البرتغالية بالمغرب تطوراً هاماً بعد اكتشاف سواحل غرب إفريقيا، وتنظيم التجارة بها، وخصوصا بجزيرة أرغين(Arguin)، قبالة الساحل الموريطاني (عام 1455)، ولامينا (عام 1481)، بساحل الذهب فضلا عن نقط أخرى كثيرة بمصاب أنهار السنغال، وغامبيا، وغيرهما. فقد نتج عن تنظيم تلك التجارة واحتكارها من لدن الملك البرتغالي، تزايد إقبال وكلاء الملك بأسفي وأزمور وماسة على بعض السلع الضرورية للحصول على التبر والعبيد، وكانت الأنسجة الصوفية من حياك وحنابل وعبائن أهمها. فقد أصبحت تلك السلعة تعرف في الوثائق البرتغالية "بأثواب أرغين" لكونها كانت أهم ما يعرض بغرب إفريقيا، وكانت تمثل السلعة التي تضمن أهم ربح. لذا لم يعد إنتاج أسفي والمناطق المرتبطة بها كافيا لتلبية الطلب المتزايد عليها، الأمر الذي دفع الملك البرتغالي، الذي كان يحتكر تلك السلعة، إلى الاعتماد على إنتاج المناطق الداخلية كنواحي مراكش أو تادلة التي تعاقد قائدها أحمد العطار مع الملك البرتغالي سنة 1530 على إنتاج كميات معينة مقابل مقادير من الصمغ توصل بها مسبقاً. كما تعاقد الملك مع يهوديين من أسفي سنة 1512 قصد إنتاج كميات محددة خلال فترات معينة حسب نماذج وعينات يقدمها الملك أو وكلاؤه التجاريون.

وتزايد إقبال البرتغاليين على حبوب المغرب تبعا لتزايد حضريهم وتكاثر أفران إنتاج البسكويت الموجه للسفن ولتغطية حاجيات حاميات الثغور الشمالية المحتلة، وكذا لعرض القمح المغربي بسواحل غرب إفريقيا غير الاستوائية. وقد امتص البرتغاليون كميات هائلة من الحبوب المغربية إما بالشراء أو عن طريق النهب أو استخلاص الضرائب. (أحمد بوشرب، *دكالة*، 287 ـ 284) واقتنى البرتغاليون كذلك كميات كبرى من مواد زراعية أخرى كالشعير أو الذرة البيضاء، وعشرات الآلاف من رؤوس الأنعام، وكميات هائلة من جلودها وقرونها، ومن الشمع والعسل الذي بلغت شهرته العالم الجديد، وأصبح يضرب به المثل هناك (أحمد بوشرب، *دكالة*، 292)، ومن الشابل (أزمور) والسردين (أسفي) الخ. كما تهافت البرتغاليون على الإنسان المغربي وجعلوا منه، لشدة حاجتهم إلى الأيدي العاملة ببلادهم وبالمناطق المكتشفة، سلعة رائجة نظموا لها أسواق النخاسة بالثغور المحتلة، وخصوصاً أكادير التي كانت تجارة الرقيق بها تمثل أهم نشاط. وكان البرتغاليون يحصلون على المغاربة قصد الاسترقاق من الغارات، ومن اختطاف العزل ومن الشراء خلال السنوات العجاف، وخصوصاً خلال مجاعة سنة 1521 الكبرى (نفسه، ص. 315 ـ 319).

وبالطبع، نتج عن تزايد إقبال البرتغاليين على السلع المذكورة إغراق الأسواق المغربية بسلع مستوردة. وهكذا تزايد عرض الكتان الأوروبي الذي عرضت منه بأسفي وأزمور وأكادير كميات هائلة روجت فيما بعد بمناطق داخلية كمراكش وتدنيست (الوزان، 1، ص. 78). ووصلتنا عدة إشارات بالمصادر المغربية (الوزان) والبرتغالية (De Gois) تخص إقبال المغاربة على تلك الأثواب. وكان أشهرها ما كان يعرف بالوثائق البرتغالية بـ"البُرْدات" (Bordates) التي كان بيعها بالمغرب حكراً على الملك البرتغالي لكونها كانت تباع بسرعة وتضمن أهم الأرباح، وتؤدي بها رواتب الجنود. وإلى جانب هذه الأثواب عرض وكلاء الملك أثوابا إنجليزية. وقد كانت أثواب "أنتونا" (Antona)، المصنوعة بميناء سوتمپتون (Southampton)، أشهرها وأكثرها رواجا، والتي كانت توفر ربحا يقارب 100٪. ونظراً للإقبال الكبير الذي كانت تحظى به تلك الأثواب بالأسواق المغربية، فإن الملك البرتغالي اعتاد تخصيص قسم من مبيعات التوابل والعقاقير بشمال غرب أوروبا، وخصوصا بأنڤير (Anvers) لاقتنائها.

وعرض البرتغاليون كميات هائلة من العقاقير ومستلزمات الصباغة كالصمغ الهندي الذي كان بيعه حكراً كذلك على الملك، وكانت تؤدي به الرواتب، وكان الإقبال عليه بأسفي مهما إلى حد أن تقريراً حرر في مطلع القرن السادس عشر أكد أن تلك المدينة كانت قادرة على ترويج كل الصمغ المستورد من الهند. ووصلتنا إشارات تخص إعادة بيعه بفاس. كما عرض التجار الأحرار، ووكلاء الملك كميات من حجر الشب والكبريت وحب القرمز الطرطر. وقد تزايد عرض هذه الكميات بشكل سريع : فمن عام 1498 إلى عام 1516 ارتفع عرض التوابل بنسبة 3900٪ بينما ارتفع عرض الصمغ بنسبة 2200٪ فيما بين 1491 ـ 1516. وتعكس هذه النسب الرواج الذي أصبحت تعيش عليه بعض الموانئ المرتبطة بالامبراطورية التجارية البرتغالية، ومدينة أسفي على وجه الخصوص. وللاستفادة أكثر من تلك الموانئ المفتوحة في وجه التجارة البرتغالية، أعطاها المسؤولون البرتغاليون نوعاً من التخصص، فقد أصبحت أزمور تختص في المواد الفلاحية وصيد الشابل، في حين سيطرت عمليات الصرف (الفضة مقابل التبر) على أنشطة أكادير.

أما أسفي فقد غدت أهم سوق بالمغرب للتوابل ومستلزمات الصباغة من جهة، وللأنسجة الصوفية الموجهة لسواحل غربي أفريقيا من جهة أخرى.

غير أن استفادة البرتغال من تجارته بالمغرب لم تدم طويلا. فقد تبين لنا من خلال تتبع الأوضاع السياسية بالمنطقة، واعتماداً على ما وصلنا من وثائق (أحمد بوشرب، *دكالة*، 322) أن تلك الاستفادة اقتصرت على العقدين الأخيرين من القرن الخامس عشر اللذين يناسبان فترة ولاء أسفي وأزمور واعترافهما بسلطة التاج البرتغالي. وحالت الاضطرابات التي عرفها المغرب إثر احتلال ثغور السهول الغربية، وتزايد نفوذ الشرفاء السعديين، ونجاحهم في محاولاتهم الجادة والمبكرة قصد إحياء تجارة القوافل وإنعاشها وتنشيط التجارة مع التجار المسيحيين المتضررين من الاحتكار البرتغالي، دون استمرار تلك الاستفادة، إذ سرعان ما كسدت التجارة البرتغالية بالمغرب، واختفي ما كانت تعرفه أسفي وأزمور وأگادير من رواج لتصبح مجرد ثكنات تعيش على ما تبعثه لشبونة من أقوات ورواتب (أحمد بوشرب، *دكالة*، 410).

واستمرت مازيغن (الجديدة)، التي احتفظ البرتغاليون بها بعد اضطرارهم إلى إخلاء أگادير وأسفي وأزمور (1541) وأصيلا والقصر الصغير (1550) في التوصل ببعض السلع كالصمغ خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، كما تشهد على ذلك محاكمة بعض "المهربين" البرتغاليين من لدن محكمة التفتيش بلشبونة. ووقفنا بوثائق القنصلية البرتغالية بطنجة (وزارة الخارجية، قنصلية طنجة، صناديق 299. 300. 301) على إشارات تخص استيراد البرتغال لبعض الأبقار ولكميات محدودة من الحبوب. غير أن تلك المبادلات لم تصل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إلى ما كانت عليه خلال المرحلة التي أشرنا إليها آنفاً.

أحمد بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي : من مصادر تاريخ الدولة العلوية في البرتغال*، ضمن أعمال الدورة الأولى جامعة مولاي علي الشريف، نشر وزارة الثقافة 1990، ص. 97 وما بعدها؛ *محاضر محاكم التفتيش الدينية*، مصدر من مصادر التجارة البرتغالية بالمغرب خلال القرن السادس عشر : ضمن أعمال ندوة التجارة والمجتمع بالمغرب التي نظمتها كلية الآداب بالدار البيضاء (تحت الطبع).

V.M. Godinho, *L'économie de l'empire portugais aux XVème et XVIème siècles*, Paris, 1969 ; *Os Descobrimentos e a economa mundial*, Lisbonne, 1965, Tome I ; R. Ricard, *Le commerce de Berbérie et l'organisation économique de l'empire portugais*, *Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc*, Coimbra, 1954, pp. 98 et sq.

أحمد بوشرب

* * وفي العصر الحديث عرف المغرب منذ سقوط مدينة سبتة بيد البرتغال سنة 818 / 1415، مجموعة من التطورات السياسية والاقتصادية التي أثرت بعمق على أوضاعه الاقتصادية. وقد تأثر النشاط التجاري على الخصوص، لأن هذه المدينة كانت المَنْفَذَ الرئيسي لتجارة المغرب مع أوربا.

ومن المعلوم أن المغرب استفاد لقرون طويلة من الوساطة التي كان يقوم بها بين السودان وأوربا، وكانت سبتة قبل سقوطها مركزاً تجارياً نشيطاً، يقصده التجار الأوربيون - وخاصة الايطاليين - لشراء السلع المغربية والإفريقية، وبيع المنتجات الأوربية. وكان اقتصاد الدول المغربية يعتمد في جزء كبير منه على مداخيل هذه الوساطة.

وخلال القرن التاسع (15 م)، وبعد إغلاق منفذ سبتة، حاول التجار الايطاليون تعويض هذا المنفذ بموانئ أخرى، وخاصة أصيلا، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل نظراً للحصار الذي ضربه الايبيريون على الموانئ المغربية، وسقوط مدن أخرى في شمال المغرب مثل مليلة والقصر الصغير وأصيلا وطنجة (R. Ricard, *Contribution*, 53 - 73).

وهكذا دخل المغرب مرحلة العصور الحديثة محروماً من أهم موانئه في الشمال، ومن شريان تجاري حيوي كان يدر على الدولة مداخيل هامة، ويساهم في تغطية مصاريفها المتعددة. ونتج عن ذلك ضعف الدخل، وتقلص المساحة الخاضعة للمخزن، وقيام عدد من الكيانات الصغيرة والضعيفة في أجزاء مختلفة من البلاد.

وقد حاول الوطاسيون خلال مدة حكمهم القصيرة إعادة الحياة إلى النشاط التجاري، واعتمدوا في ذلك على ميناء العرائش، إلا أن محاولتهم لم تعط أكلها بسبب الحصار الذي ضربه البرتغاليون على التجارة مع المغرب وعدم سيطرة الوطاسيين على الطرق الصحراوية.

وخلال القرن العاشر (16 م) تمكن البرتغاليون من بسط أيديهم على مدن ومواقع ساحلية أخرى مثل مازيغن، وأمگدول، وأسفي، وأگادير وعملوا على خلق نوع من الارتباط بين هذه المناطق والبرتغال من الناحية السياسية والاقتصادية.

وقد أدرك السعديون جيداً خطورة الوضعية، فعملوا من جهة على طرد المحتلين عن طريق شراء السلاح واستنفار المجاهدين. كما عملوا من جهة ثانية على ضرب المصالح الاقتصادية البرتغالية، عن طريق حصار الثغور المحتلة، ومنع التعامل معها، وفتح منافذ جديدة، وتشجيع التجار الأوربيين على ارتيادها عن طريق تزويدهم بعدد من المنتجات الرائجة والمربحة وعلى رأسها السكر (ع. المنصوري، *انعكاسات*، 135. 158).

وقد نجح السعديون في طرد المحتلين، وإعادة الحياة للتجارة المغربية مع الخارج. وحلت مراكش محل فاس كمركز تجاري رئيسي، بعد فتح طريق التجارة مع السودان. وأصبحت أسفي أهم ميناء للتبادل مع أوربا. كما تراجع دور التجار الإيطاليين والإيبيريين لصالح تجار جدد من انجلترا وهولاندا وفرنسا. واستغل السعديون إقبال هؤلاء التجار على السلع المغربية الرائجة مثل السكر وملح البارود والجلود، إضافة إلى التبر السوداني من أجل الحصول علي الأسلحة والمواد العسكرية لتقوية نفوذهم.

وعملوا من جهة أخرى - وخاصة في فترات الاستقرار - على تهييئ الظروف المناسبة لإنعاش التجارة الداخلية عن طريق ضبط الأمن، وتيسير المواصلات، وتشجيع بعض الصناعات، وفتح المجال أمام تصدير المنتجات المغربية.

وقد ضاعت جل هذه الجهود بعد وفاة المنصور حيث دخل المغرب في مرحلة طويلة من الانقسامات والحروب الناتجة عن صراع أبنائه على الحكم ثم التنافس بين عدد من القوى السياسية على السلطة. وفي هذه الفترة تراجع النشاط التجاري، ومالت كفة المبادلات لصالح أوربا التي كان الفرقاء يعولون عليها في الحصول على الأسلحة والذخيرة الحربية.

استمرت هذه الوضعية بنتائجها السلبية ما يقرب من ثلثي القرن الحادي عشر (17 م) إلى أن استتبت الأمور للمولى رشيد في حدود سنة 1670 م، ثم خلال عهد المولى إسماعيل الذي عمل خلال مدة حكمه (1672 م - 1727 م) على إعادة الأمن والاطمئنان، واهتم بالتجارة الداخلية، وبالتبادل مع الخارج، وأعاد للمخزن هيبته، وحاول إعادة التجارة الصحراوية إلى سابق نشاطها عن طريق تأمين الطريق الصحراوي. إلا أن جهوده تعثرت بسبب منافسة الأتراك في الجزائر والفرنسيين في السنغال. (Brignon [et al...], *Histoire du Maroc*, 247).

وبوفاة المولى إسماعيل، عانى المغرب من جديد من فترة طويلة من الفوضى السياسية الناتجة أساساً عن تدخل عبيد البخاري في تولية وعزل السلاطين، مما كان له تأثير سلبي عصف بجل منجزات هذا السلطان، وبعد ثلاثين سنة من الفوضى، عرف المغرب من جديد استقراراً وأمناً في عهد السلطان محمد بن عبد الله الذي تمكن بمجهود قوي من إعادة الروح إلى الحياة الاقتصادية عن طريق إعادة الأمن والاهتمام بالمواصلات والمراسي وخاصة مرسي الدار البيضاء والصويرة، وعقد اتفاقيات تجارية مع الدول الأوربية على الخصوص، لكن المبادلات التجارية ظلت لصالح الأوربيين، لأن المغرب لم يفلح في التغلب على مخلفات سنين طويلة من الفوضى والخسائر، ولم يستطع تدارك الفارق بينه وبين دول أوربية أصبح أكثر تنظيماً وتفوقاً على المستوى التقني والعسكري، وأكثر سيطرة على المواصلات البحرية والأسواق العالمية.

تمتاز الفترة الحديثة بالتحول الكبير الذي طرأ على التجارة العالمية بفضل الاكتشافات وانتقال الأهمية من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي وما رافقه من تحولات عميقة بدول شمال غرب أوربا على الخصوص. إلا أن المغرب لم يستفد من هذه التحولات رغم وقوعه على المحيط الأطلسي وقربه من أوربا. ويرجع ذلك إلى أسباب بعضها قديم، وبعضها الآخر مرتبط بالفترة الحديثة نفسها. ويمكن أن نتبين ذلك من خلال العناصر التالية :

- دور المخزن : عمل السلاطين السعديون ثم العلويون بعدهم على إنعاش الاقتصاد وتوفير الظروف الملائمة لازدهار النشاط التجاري في الداخل والمبادلات مع الخارج، عن طريق بناء الطرق والقناطر وإحلال الأمن، وتنظيم المبادلات والضرائب، وتشجيع المنتجات المطلوبة في التبادل، وعقد الاتفاقيات مع الدول الأخرى. إلا أنهم من جانب آخر كانوا يساهمون في إضعاف التجارة، وخاصة في فترات الاضطراب والحروب، حيث تتأثر المواصلات، وينعدم الأمن، ويثْقُلُ كاهل التجار بالضرائب، إضافة إلى الخسائر البشرية والمادية. كما أن احتكار المخزن لبعض السلع الرائجة كالسكر، أو المهمة كالأسلحة، ودخولَه كمنافس في تجارة النسيج، وإنفاقَه لمداخيل وأرباح هذه التجارة في مجالات غير منتجة اقتصادياً، كاقتناء الأسلحة وتجهيز الجيش، وإقامة البناءات الضخمة ... الخ، كان يؤدي إلى حرمان التجار من رؤوس أموال ضرورية لنمو أرباحهم وتطور حجم معاملاتهم.

- نوع البضائع : لم يقع تطور كبير في طبيعة المواد المتبادل بها مع الخارج، إذ ظل الإنتاج المغربي المعد للتصدير في مجمله معتمداً على المواد الأولية الفلاحية مثل الحبوب والمواشي والعسل والشمع والتمور واللوز أو المواد المعدنية مثل ملح البارود والنحاس والحديد والملح، مع بعض المواد المصنعة التي تناقصت أهميتها بعد الفترة السعدية مثل السكر والجلود والنسيج (الحنابل والحياك والزرابي).

وفي المقابل كان المغرب يستورد بعض المواد الأولية الأكثر أهمية مثل التبر وريش النعام والتوابل والعنبر والصمغ والخشب ومعادن الفضة والحديد والرخام ... الخ. إلا أن أهم وارداته على الإطلاق هي المواد الحربية من أسلحة بيضاء ونارية وذخيرة وتجهيزات السفن، إضافة إلى الأثواب من مختلف أنحاء أوربا. وهي مواد أغلى من المواد الخام المغربية، وكانت تخضع غالبا لاحتكار المخزن.

وكثيراً ما كان الانتاج المغربي لا يفي بحاجيات التصدير بسبب الظروف الداخلية المؤثرة سلبا على الإنتاجية، كالحروب والأوبئة والجفاف، فيكتفي المخزن بتصدير ما يحصل عليه من ضرائب عينية، بدون أن يكون لذلك أثر إيجابي على التجارة.

- المواصلات : لم تتطور المواصلات البرية كثيراً رغم الجهود التي بذلها المخزن، فقد ظل الاعتماد في نقل السلع على الدواب بصفة رئيسية، بدون استعمال العربة في نقلها، كما أن استعمال الطرق ظل محفوفاً بالمخاطر والصعوبات المتعلقة بالتضاريس إضافة إلى الاخطار المتعلقة بالظروف الطبيعية كالثلوج وفيضانات الأنهار، ناهيك عن الأخطار الأخرى التي تفاقمت مع تدهور سلطة المخزن والمتعلقة بأمن التجار على أنفسهم وأموالهم.

كما أن المغرب لم يعرف ظهور مؤسسات متخصصة في نقل السلع تأخذ على عاتقها مسؤولية نقل السلع في الآجال المحددة، وتحافظ عليها كما كان الشأن بالنسبة لبعض الدول الاوربية، حيث مكنت هذه المؤسسات من

توفير الوقت، والاطمئنان على الانفس والأموال.

وتكتسي المواصلات في الصحراء صبغة خاصة، وتتضاعف فيها المخاطر والمصاعب، بحيث يتطلب ذهاب القوافل ورجوعها شهوراً عديدة. وبتضاؤل أهمية هذه التجارة لم يعد هناك مبرر قوي يشجع التجار على تجشم مشاق الصحراء.

أما المواصلات البحرية، فلم تكن مؤهلة للقيام بدور رئيسي في النشاط التجاري العالمي، لأن الموانئ المغربية كانت في معظمها مراسي طبيعية، غير قادرة على استقبال السفن الكبرى وخضع جلها للاحتلال الأجنبي لمدة طويلة خلال القرن العاشر (16 م)، كما عانت من الحصار المضروب في البداية من طرف الإيبيريين، ثم من خطر القراصنة فيما بعد. وتراجعت تبعاً لذلك صناعة السفن، رغم الجهود الكبيرة لتي بذلها السلاطين المغاربة للتوفر على أساطيل عسكرية وتجارية واعتماد متزايد من التجار المغاربة على السفن الأجنبية وعلى التجار الأجانب في نقل سلعهم.

- الحروب والكوارث : كانت الفترة الحديثة مليئة بالحروب والكوارث، ورغم عدم توفر إحصائيات مضبوطة فقد أمكن بالنسبة للقرن العاشر (16 م) مثلا رصد (أكثر من مائة وستين معركة فقط، وسبع إصابات بالوباء واثنتي عشر فترة مجاعة وجفاف، وغزو للجراد ثلاث مرات... الخ) (المنصوري، *التجارة*، 2 : 381). وكان لهذه الحروب والكوارث تأثير سلبي واضح على ساكنة المغرب، وعلى النشاط التجاري، حيث نتج عنها نقص في الأمن، وجمود في المبادلات بالأسواق وتدهور في الإنتاج، وضعف للقدرة الشرائية. وزعزعة لهيبة المخزن. وقد أدى تكرار الحروب والكوارث خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 ـ 17 م) على الخصوص إلى تعميق هذه المشاكل.

- المعاملات المالية : لم يرق مستوى التعامل بالنقود إلى المستوى الذي يدفع بالتبادل التجاري إلى التطور والتقدم. ويرجع ذلك إلى كون كمية النقود المسكوكة كانت قليلة، بسبب نقص المعادن وخاصة الفضة. وعدم ضبط هذه المسكوكات داخل السوق المغربية، بحيث كانت تروج نقود عدد من السلاطين في نفس الوقت رغم أوزانها المختلفة : (الدنانير الوازنة وغير الوازنة). وأدى ذلك إلى حدوث مشاكل مرتبطة بالصرف والرد، إضافة إلى مشكل التعامل بالنقود الاوربية وصرفها واختلاف الموازين والمقاييس، سواء في التجارة الداخلية أو الخارجية.

وبسبب نقص الأمن، كان التجار يتخوفون من الانتقال بأموالهم، ويضطرون إلى دفنها، فتفقد رواجها في السوق مؤقتا، أو نهائيا عند موت أصحابها، ولم يعرف المغرب في هذه الفترة نظام المؤسسات البنكية التي تقوم بحفظ الودائع والنقود وإعطاء القروض. كما لم يعرف التعامل بالأوراق التجارية مثل الصك والكمبيالة ...الخ.

ان الملاحظات المذكورة أعلاه، تفسر لنا إلى حد ما بعض الأسباب التي كانت عائقاً أمام التجارة المغربية عن الانطلاق ومواكبة التطورات التي عرفتها التجارة في البلدان الأوربية المجاورة، إلا أن المقارنة لا ينبغي أن تنسينا أن التجار المغاربة تمكنوا بالرغم من هذه العراقيل من مجابهة التحديات، ووصلوا إلى السودان والشرق، وحاولوا عدة مرات الاستفادة من التطورات التي عرفتها المنطقة وكان لهم وعي بأهميتها، كما أن معاملتهم مع أوربا رغم ما ذكرنا من الملاحظات لم تفقد أهميتها خلال الفترة الحديثة.


ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي، ومحمد الأخضر ـ الرباط 1980. ج 1 ؛ أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984 ؛ م. ابن تاويت، *من زوايا التاريخ المغربي، مجلة تطوان*، الأعداد من 5 إلى 9، ما بين سنتي 1960 و1964 ؛ ع. المنصوري، *التجارة والتجار بالمغرب في القرن السادس عشر*، رسالة مرقونة، كلية الآداب، عين الشق، الدار البيضاء ؛ *انعكاسات الاحتلال البرتغالي على الأوضاع الاقتصادية بالمغرب القرن 16*، *حوليات كلية الآداب*، العدد 7 ـ 1990، ص. 135 ؛ *أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالسلطة والمجتمع عبر تاريخ المغرب*، منشورات كلية الآداب، عين الشق ـ الدار البيضاء ـ جزآن. مطبعة فضالة، 1992.

*S.I.H.M.* ; J. Brignon [et al...], *Histoire du Maroc*, Paris - Casa, 1967 ; J. Caillé, *Le commerce anglais avec le Maroc pendant la seconde moitié du XVI siècle : importations et exportations*, *R.A.*, Tome LXXXIV, 1940, pp. 186 - 219 ; R. Ricard, *Le commerce de berberie et l'organisation économique de l'empire portugais aux XV et XVI siècles*, *A.I.E.O.*, Alger, 1936, T. II, pp. 266 - 285 ; *Contribution à l'étude du commerce gênois au Maroc durant la période portugaise : 1415 - 1550*, *A.I.E.O.*, Alger, Tome III, 1937, pp. 53 - 73.


عثمان المنصوري

**تجار السلطان**، خلافاً لما قد توحي به بعض الدراسات فإن ظهور تجار السلطان لم يكن وليد القرن التاسع عشر ولا مرتبطاً فقط بالتغلغل الأوربي. بل يمكن القول إن "تاجر السلطان" ظهر إلى الوجود منذ كان السلاطين وكان التجار، فالظاهرة عرفتها كل المجتمعات البشرية ومنذ أقدم العصور.

أما في المغرب فإن ظاهرة تجار السلطان لم تكتسب أهمية كبيرة إلا في العصور الحديثة عندما أصبحت الدولة تعتمد بشكل متزايد على التجارة والتجارة الأوربية بشكل خاص. ففي القرن السابع عشر استعمل المولى إسماعيل التجار اليهود في تسيير ما له علاقة بالمال والتجارة وحتى الدبلوماسية عندما أرسل مثلا حاييم طوليدانو سفيراً إلى انگلترا والبلاد المنخفضة (1691).

وبانفتاح المغرب على المحيط الأطلسي في القرن الثامن عشر ازداد اعتماد الدولة على التجارة الأوربية، وبالتالي ازدادت أهمية بعض كبار التجار كوسطاء بين المخزن والدولة الأوربية. وبمدينة الصويرة التي أصبحت المرسى الأولى للبلاد منذ إعمارها في سنة 1765 وحتى أواخر القرن التاسع عشر، تجمع عدد من التجار المهتمين بتجارة التصدير والاستيراد، وكان قسم هام منهم مكوناً من التجار اليهود الذين شجعهم السلطان سيدي محمد بن عبد الله

على الاستقرار بهذه المرسى. وفي صفوف هؤلاء التجار، مسلمين ويهود، كان المخزن يختار شركاء ووسطاء يستعملهم في التجارة وفي تسيير شؤون المخزن المالية.

كانت العلاقة بين السلطان والتاجر علاقة مباشرة تقوم على تبادل الخدمات والمصالح. فالتاجر كان يتوفر على تجربة واسعة في شؤون التجارة وكانت له علاقات تجارية مع شركاء أوربيين تجعله على اطلاع بأحوال البلدان الأوربية وطبيعة مصالحها التجارية، وبالتالي بسياستها، وهو ما أهل هؤلاء التجار في كثير من الأحيان لأدوار سياسية ودبلوماسية. فالسلاطين كانوا عادة ما يرسلون التجار لاقتناء السِّلع والعتاد الحربي من أوربا، لكنهم كانوا في نفس الوقت يكلفونهم بمهمات سياسية، كأن يسلموا خطابات رسمية أو يتفاوضوا مع مسؤولي الدول الأوربية حول القضايا المختلفة. كما أن التجار اليهود بصفة خاصة كانوا جزءاً من شبكة تجارية واسعة تقوم على أساس الانتماء الديني أو العائلي أو مجرد الشراكة التجارية، وهذه الشبكة التجارية كانت تغطي أحياناً مجالاً واسعاً يشمل أوربا وحوض البحر المتوسط. وهذه الارتباطات كانت بالطبع تخدم مصالح هؤلاء التجار وتجعلهم يتوفرون على امتيازات لم تكن مُتاحة للتجار المسلمين ولا حتى التجار الأوربيين.

وفي المقابل كان المخزن يقدم للتجار الذين اختارهم لتسيير شؤونه التجارية والمالية عدة امتيازات تجعل منهم فئة محظوظة بالمقارنة مع التجار العاديين. من هذه الامتيازات أداء رسوم جمركية مخفضة مع إمكانية تسديدها على دفعات، والاستفادة من القروض المخزنية المعفاة من كل فائدة. كما أن تجار السلطان كانوا يستفيدون من دعم الجهاز المخزني سواء بالداخل أو الخارج. فقنصل المغرب بجبل طارق على سبيل المثال، وقد يكون هو نفسه من تجار السلطان، كان يقوم بدور المراسل لهؤلاء التجار ويمدهم بأخبار الأسواق الأوربية وبأسعار المواد، وقد يتوسط لهم كذلك في عقد الصفقات التجارية لاقتناء أو تصدير سلع معينة. وهذه الامتيازات كانت بطبيعة الحال تُضايق التجار الآخرين وغالباً ما كانت تؤدي إلى احتجاجات قوية للتجار الأوربيين وحكوماتهم. وكان تجار السلطان يستفيدون كذلك مما يسمى بالكُنْطرادات أي الاحتكارات التي كانت تسمح لتاجر مُعين باحتكار تجارة بعض المواد مقابل مبلغ يدفعه لبيت المال. وكانت هذه الاحتكارات تشمل بالأساس استيراد مواد أساسية كالشاي والقهوة والسكر أو تصدير مواد مغربية كالصوف والجلود وغيرها. وهنا كذلك كان التجار الأوربيون يتضايقون من نظام الاحتكارات الذي يمارسه المخزن عبر تجار السلطان ويلحون على ضرورة إلغائه، وهو ما حدث بالفعل عندما وقع المغرب على المعاهدة المغربية ـ الانجليزية في سنة 1856.

لكن ماذا مثَّل تجار السلطان خلال القرن التاسع عشر الذي تميز بازدياد التسرب الأوربي ؟ لقد رأى فيهم بعض الدارسين مثل مييج Miège نواة لما سماه ببرجوازية تجارية نمت وترعرعت بدعم ومساندة المخزن. بينما رأى باحث آخر مثل شرويتر Schroeter أن هذا الدعم المخزني بالذات هو الذي حال دون تطور برجوازية مغربية مستقلة، لأن هؤلاء التجار ظلوا مرتبطين بالدولة ومدينين لها في ثرائهم، بل وفي مجرد استمرارهم كتجار. ذلك أن المخزن كان يوفر لهم الأموال والحماية الضرورية وبالتالي يجعل منهم مجرد وكلاء عنه في خدمة مصالحه. وأخيراً هناك سؤال آخر يطرح بشأن تجار السلطان، وهو ماذا كان دورهم بالضبط في تنمية التجارة الأوربية بالمغرب. فهل ساعدوا على تغلغل المصالح الأوربية بالمغرب أم أنهم عكس ذلك استُعملوا من طرف المخزن كدرع واق ضد تغلغل الرأسمال الأوربي ؟

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1830 - 1894, 4 vols, Paris, 1961 - 1962 ; D. Schroeter, *Merchants of Essaouira*, Cambridge, 1988.

محمد المنصور

**التجّام** أو الدّجّام ـ بصيغة المبالغة ـ أسرة سلوية عريقة اشتهرت بالثراء والجهاد في سبيل الله. وإن كان لايعرف لهذا الاسم أصل في العربية ولا في الأمازيغية، إذ لا توجد مادة "تجم" أصلاً في العربية إلاّ أن تكون التاء المثناة مصحفة عن المثلثة فيكون الثّجام بمعنى السريع الدائم. أما الدجام فله في الفصحى صلة بالعشق والصحبة والملاطفة.

يتأكد قدم استيطان أسرة التجام لمدينة سلا أنها صاهرت عدداً من الأسر العريقة بهذه المدينة، وأنها كانت تمتلك بستاناً "سانية" من أكبر بساتين المدينة وأهمها تقع داخل السور المريني يمين الداخل من باب المريسة أكبر أبواب المدينة. وتحتل "سانية التجام" تقريباً موقع دار صناعة السفن المعروفة أيام الموحدين والمرينيين. ولعل دار الصناعة بعد خرابها أصبحت أرضاً تفلح. لكننا نتساءل كيف انتقلت إلى ملك المجاهدين من آل التجام، أهو إقطاع من أحد الملوك السعديين أو العلويين الذي كانوا يعزّون هذه الأسرة الشجاعة ويغدقون عليها من ضروب التكريم والانعام ؟ إننا لم نطلع بعد على ما يمكن أن يكون قد تخلف من رسوم قديمة عند أقرباء آل التجام السلويين مما يمكن أن يلقي أضواء على هذا الجانب وغيره من مسار هذه الأسرة الماجدة.

**التجام، أحمد** (الحاج ـ) من أبطال الجهاد السلويين في القرن الثالث عشر (19 م). كان رئيس الطبجية (رجال المدفعية) برتبة باشا أثناء الهجوم الفرنسي الغادر على سلا يوم الأربعاء ثاني صفر عام 1268 / 26 نونبر 1851.

وللتعرف على بطولة هذا المجاهد المحنك المقدام نورد معلومات موجزة عن دوره في مواجهة الاسطول الفرنسي بصمود وكفاية حربية نادرة اعتماداً على رسالتين لمجاهد سلوي آخر عمل يوم الهجوم تحت إمرة التجام وهو التهامي ابن العباس الجعيدي. تتفق رواية الجعيدي في خطوطها

الكبرى مع ما في المصادر الفرنسية.

كان الأسطول الفرنسي بقيادة الكونطر اميرال دوبورديه Dubourdieu يتركب من خمس أو ست سفن حربية كبراها تدعى هنري الرابع وهي ذات مائة مدفع. وبدأ الهجوم الغادر على الساعة العاشرة واستمرار أكثر من ثماني ساعات كانت مدافع سلا بقيادة الحاج أحمد التجام ترد في الحال ضرباً بضرب. وقد ألحق هذا العدوان أضراراً جسيمة بأسوار المدينة والمسجد الأعظم ومناره وتهدمت عدة دور واشتعلت النيران في أخرى حتى منتصف الليل. وقد قتلت مدافع المجاهدين - حسب الرواية الفرنسية - أربعة من رجال الأسطول وجرحت ثمانية عشر، وأصابت إحدى القذائف التي أطلقها الحاج أحمد التجام سفينة العدو العظمى فحطمت صاريها الكبير وقتلت قائد الحملة حسب المجاهد الجعيدي، ولو أن الرواية الفرنسية لم تبين إن كان القائد من جملة القتلى. وحصلت أعطاب للفركاطة ساني، وأغرقت سفينتان حسب شاهد عيان. ولم يسدل ظلام الليل ستاره حتى انسحب الاسطول الفرنسي من مصب أبي رقراق إلى جهات مختلفة - حسب قول جاك كايي - .

وقد استقدم السلطان الطبجية إلى حضرته واستقبل الباشا الحاج أحمد التجام والرئيس الحاج عبد العزيز عواد وأربعة من الطبجية "ففرح بهم غاية الفرح وأعطى لكل واحد كسوة محتوية على الملف والحرير والصقلي، والباشا والرئيس كسوتهما كلها ملف جيد بنديقي في غاية الحسن والصقلي ... وأعطى لكل واحد منهما خمسين مثقالاً، والآخرين الكسوة المذكورة وخمسا وعشرين مثقالاً - رسالة الجعيدي 2 - ولم نقف على تاريخ وفاته.

**التجّام، حجي** بن عبد الله (الحاج -) السلوي مجذوب ساقط التكليف، كان يعيش عازباً مع إحدى أختيه في دارهم الكبرى بباب حساين ويمشي في الأسواق حافياً لا يكلم أحداً. وقد بيع جزء من سانية التجام في حياته، وبيع القسط الأخير من سانيتهم بعد وفاته بواسطة أبي الواريث، لأنه لم يعقب.

وكانت وفاته في الستينات من هذا القرن، ودفن في الركن الأيمن من الخلوة بزاوية سيدي أحمد بن مبارك بباب حساين. وبموته وموت أختيه انقرضت أسرة التجام بمدينة سلا.

**التّجام، عبد الله** (الحاج -) لعله ابن المجاهد الحاج أحمد، كان ذا سمت حسن وثروة وسخاء. ولايعرف كذلك تاريخ وفاته.

التهامي بن العباس الجعيدي، *رسالتان تتعلقان بهجوم الاسطول الفرنسي على سلا عام 1268 / 1851*. مخطوط، خ. ص ؛ أبو بكر الصبيحي، مختصر *تاريخ سلا*، مخطوط، خ ص ؛ م. بوشعراء، *ملاحق الاتحاف الوجيز*.

محمد حجي

**التجاني، أحمد** بن محمد بن المختار الشيخ الشهير. ولد بعين ماضي (الجزائر) عام 1150 / 37 - 1738، ونشأ بها. وقد تمادى في طلب العلم حتى تبحر في المعارف الأصولية والفرعية. وهو من أصل مغربي، لأن رابع آبائه هاجر من مراكش لعين ماضي وتوطن بها وتزوج من تجان فكانوا أخوالا له، ولهذا ينتسب للتجانية عن طريق المصاهرة. وقد دخل إلى فاس لأول مرة عام 1181 / 1767 بعدما أزعجه صاحب وهران الباي محمد بن عثمان ومكث خمس سنين في البلد الأبيض بالصحراء الشرقية، وكان فراره من الجزائر مظهراً لتمسكه بأهداب الشريعة الإسلامية وعمره لا

إجازة علمية بخط الشيخ أحمد التجاني

يتجاوز الثلاثين. وبقدر ما كان الشيخ التجاني متفتحاً يستعمل السماع بكلام ابن الفارض بطبوع الموسيقيين وآلاتهم من عود ورباب وكمانجة (*كشف الحجاب*، 275) بقدر ما كان يناهض البدع. وقد ذكر سكيرج في *كشف الحجاب* أيضا (ص. 310) أن أحد أمراء قبيلة الأحلاف بالمغرب الشرقي سجن قوماً من القبيلة فاستجاروا بالشيخ وعرقبوا على بابه فاستنكر عملهم وتعذيبهم للحيوان وأبى التوسط لهم عند الأمير. وتوجد بالخزانة العامة بالرباط *رسالة* مخطوطة لسيدي العربي السائح الرباطي التجاني اتهم فيها بالفسوق والكفر كل من يقدم القرابين لأضرحة الأولياء. وقد أجمع المؤرخون من المسلمين والأجانب على أن سبب هذه الهجرة راجع لاستبدال الجزائر القوانين الوضعية بالشرع وتهالكها على المنكرات، فوفد على عاصمة فاس مهبط رواد المعرفة وملتقى أقطاب الفكر في القارة الافريقية حيث تقبله الكثير من علمائها أجود اقتبال وعلى رأسهم إمام السلفية أبو الربيع السلطان المولى سليمان الذي كان يناهض الطرق الصوفية وقد أثارها شعواء على المواسم في *رسالة* مطبوعة فلم يسعه إلا التنازل والانصياع لهذا

الإمام فأنزله على الرحب في دار المرايا بفاس وصار يتردد للاقتباس من علمه والغرف من معين هديه، ووفد إليه في هذا الالتفاف ثلة من شيوخ العلماء في المغرب العربي منهم :

إمام شنقيط محمد الحافظ العلوي وشيخ الشيوخ عبد الرحمن الشنقيطي (الذي كان يحضر بفاس علماء وقته) وشيخ الإسلام بتونس أبو إسحاق سيدي إبراهيم الرياحي والإمام سيدي عبد السلام بن الشيخ المعطي بن صالح الشرقي والعلامة محمد بن أحمد السنوسي والعلامة علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري وفريد عصره وعلامة مصره مولاي الزكي المدغري والعلامة محمد بن عاشور السمغوتي والعلامة المختار بن الغالب التلمساني وغيرهم. والتحق بهؤلاء أفواج بلغت عشرات الآلاف شرقاً وغرباً من السودان إلى العراق إلى الهند في طليعتهم الشيخ محمد گنون (وهو أول من أقرأ *المطول* في الحديث) والشيخ محمد بن جعفر الكتاني (وهو أول من أقرأ *المسند* لابن حنبل) والشيخ حمدون بن الحاج الذي أفرد لمدحه قصيدة في كتابه المخطوط *"الإشراف على ما بفاس من العلماء والأشراف"* (مخطوط خ. ص. بسلا) وقد مدحه العلامة ابن الحاج وهو إمام أهل فاس بقصيدة نونية أوردها في *سلوة الأنفاس* (1 : 183).

وقد انبهر هؤلاء العلماء الأفذاذ بغزارة علم هذا الإمام، كما تدل عليه استنباطاته العميقة والأصيلة من القرآن، نشر بعضها في كل من *جواهر المعاني* للشيخ حرازم برادة *والجامع* للعلامة محمد بن المشري، فهو عالم أصولي محدث سني تدل أجوبته على علو كعبه في الظاهر والباطن.

ومما ساقه صاحب *كشف الحجاب* (ص. 491) تدخل الشيخ سيدي أحمد بطلب من السلطان المولى سليمان في أحد مجالس قراءة التفسير بحضرته حيث تصدى الشيخ الطيب بن كيران (المتوفي عام 1227 هـ) لشرح جوانب غامضة من بعض الآيات، فطلب السلطان من الشيخ التجاني رأيه في الموضوع فقرر ما بهر العقول تعقيبا على ما نقله الشيخ ابن كيران، فانقاد كل الحاضرين لرأي الشيخ سيدي أحمد وعلى رأسهم السلطان الذي نوه بغزارة مادة الشيخ من المعقول والمنقول والظاهر والباطن. والسلطان مولاي سليمان ممن أخذ الطريقة التجانية عن صاحبها (ص. 425).

وللشيخ التجاني رسائل عديدة منها *وصية لجميع الإخوان* (مخطوط خ.ع. 2106د) *وإملاءات* (خ.ع. 1699د) *ورسائل موجهة إلى بعض الفقراء والفقهاء والأمراء* (خ. ع. 2425 د) *وأجوبة عن الحروف اللفظية والرقمية والفكرية* (خ. ع. 2106 د) *وياقوتة المحتاج في الصلاة على صاحب المعراج* (خ. ع. 2447 د) *وفصل القضية في مسألة المعية* (خ. ع. بتطوان 5 / 460).

وقد تعرضت لترجمة هذا الإمام عشرات المصنفات، في طليعتها *سلوة الأنفاس* *وشجرة النور الزكية*، كما نشرت عن مناقبه دراسات منها :

- *جواهر المعاني وبلوغ الأماني*، لسيدي علي حرازم برادة الفاسي، وبهامشه كتاب *رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم* لسيدي عمر الفوتي - دار الفكر - بيروت 1383 (راجع ترجمته في *كشف الحجاب* مع قصائده في مدح الشيخ التجاني (ص. 266).
- *ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية*، لسيدي عبيدة الشنجيطي، طبعة مكتبة القاهرة 1371 / 1951، وقد مدح الشيخ بقصيدة لامية تشتمل على أزيد من ستمائة بيت (راجع نصها في *كشف الحجاب*، ص. 358).
- *الفيض الرباني في مدح السيد أحمد التجاني*، للطيب بن أحمد بن هاشم، المطبعة الحسنية - مصر، 1327 / 1909 (فهرست دار الكتب المصرية).
- *المعيار المعرب في فضيحة التحلي بين أهل المشرق والمغرب*، (ذكره في كتابه *تحلية الآذان والمسامع*) لأحمد بن عبد السلام بناني.
- *الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية*، مخطوط خ. ع 2106 د (تنقصها المقدمة) (م = 95 - 101) خع 900 د وهي لسيدي الطيب السفياني جمعها من إملاءات الشيخ سيدي أحمد التجاني (1206 د).
- *بشارة الجاني ومزيلة ترح العاني في مدح القطب الرباني سيدنا ومولانا أحمد التجاني*، نظم في سبعمائة بيت. راجع بعض نصها في *كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب*، طبعة المكتبة الشعبية، بيروت (ص. 176 - 184)، ضمنه قصائد في مدح الشيخ التجاني.
- *مناقب التجاني*، لمحمد بن المشري السائحي السباعي الشنجيطي، (خ. ع 1354).
- *الجامع لما افترق من العلوم الفائقة في بحار القطب المكتوم التجاني للمشري*، خ. ع 2444 د (48 ص).
- *قصيدة في مدحه*، لابن إدريس العمراوي الوزير، (خ.ع 1071).
- *روضة المحب الفاني فيما تلقيناه من أبي العباس التجاني*، (خ. ع 2028 م = 78 - 322).
- *بلوغ الأماني في مناقب الشيخ سيدي أحمد التجاني*، لأحمد المكي بنعبد الله (خ. ع 2462 د).
- *ديوان قصائد في مدحه غير منسوبة*، طبعت بفاس عام 1903.
- *الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية*، مكتبة تطوان (890).

إبراهيم بن الحاج عبد الله بن محمد بن الشيخ التجاني، *كاشف الالتباس، عن قضية الختم أبي العباس*، طبع على الحروف بالدار البيضاء.

- *شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة*، لسيدي أحمد بن محمد بن العباس العلوي الشنقيطي.
- *بغية المستفيد في شرح منية المريد*، لأبي المواهب

سيدي العربي بن السائح، طبعة القاهرة 1304 هـ، ثم طبعة بيروت - دار الجيل.

- جميل أبو النصر، *طريق صوفية في العصر الحديث : الطريقة التجانية*، طبعة 1965.

أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن القاضي العلوي الشنقيطي (1300 هـ / 1882 م)، *العضب اليماني في الذب عن الشيخ أحمد التجاني*، (مخطوط خ. ع. 2460 د (م = 236 . 319) خ. ع 2135 د (م = 102 . 173) طبع على الحجر بفاس في 72 ص.

توفي الشيخ سيدي أحمد التجاني بمدينة فاس صبيحة يوم الخميس سابع عشر شوال عام 1230 / 22 شتنبر 1815، وضريحه بها شهير يزار، من جميع الأقطار.

**التجاني، محمد الحبيب** ابن الشيخ سيدي أحمد التجاني. فقيه لغوي متبحر، وصالح عارف. كان سبب قراءته للعلم وخاصة النحو خوفه من اللحن، فحفظ الألفية وقرأها على العلامة أحمد بن عاشور السمغوني، وقبل وفاته استدعاه الفرنسيون إلى عاصمة الجزائر وكان مستقراً بعين ماضي متعللين برؤيته والتبرك به فلم يجبهم إلى ذلك ولم تمض أيام قليلة حتى قبضه الله إليه وكان يقول : "أسأل الله أن لا أرى وجه نصراني ولا جوابا منه" (ص. 202). أعقب ولدين هما مولانا أحمد ومحمد البشير. وقد طمع الفرنسيون في احتلال عين ماضي ونواحيها فحصل لسيدي محمد الحبيب اهتمام بهذا الأمر وضاق منه الصدر وكاتب في شأنه بعض أهل فاس، وقد طلب سيدي محمد الحبيب من شيخه أحمد بن عاشور السمغوني نظم قصيدة ضد العدو الفرنسي المغير تتلى بعد قراءة الوظيفة والحزب من جملتها :

وانصر عصابة الهدى على العدا ونجنا من كل من قد اعتدى

(راجع نصها في *كشف الحجاب*، ص. 384)

ومن تواضع سيدي محمد الحبيب أنه أجاب عندما طلب منه بعضهم إعطاءه ورد والده الشيخ سيدي أحمد التجاني : "نحن لا إذن لنا في التقديم ولا في إعطاء الأوراد لأننا لم نكن أهلا لذلك". (*كشف الحجاب*، ص. 219).

وصاحب الترجمة هو الذي أشرف على تمرد التجانيين في الجزائر العاصمة عام 1259 ضد الاحتلال. وكانت عين ماضي في حل من الوجود الفرنسي، يخشى المستعمر الدخول إليها. وقد ساعد السلطان المولى عبد الرحمن ابن هشام هذه الطائفة الثائرة بالمؤن والعتاد عن طريق رجال المقاومة في تازا ووجدة وخنق المستعمر على التجانيين فمنعهم من تأسيس زاويتهم بالعاصمة التي ظلت خلال قرن كامل خلواً من كل حركة تجانية لأن هذه بقيت محصورة في الصحراء. وظل التجانيون مع ذلك يكافحون إلى ما قبل الاستعمار حيث انضم أحد أحفاد المترجم وهو الشيخ سيدي الحاج ابن عمرو التجاني إلى جبهة التحرير الجزائرية فحكم عليه بالإقامة المحروسة طوال عشر سنوات (1953 . 1963) إلى أن تحرر بعد استقلال الجزائر فلجأ إلى المغرب.

توفي محمد الحبيب التجاني عام 1269 / 1852.

أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، ص. 55 وما بعدها.

**التجاني، محمد الكبير** ابن الشيخ سيدي أحمد التجاني وخليفته من بعده. قال في حقه وحق محمد الحبيب أبو المواهب سيدي العربي بن السائح في *بغية المستفيد* :

"وخلّف سيدنا رضي الله عنه بعد انتقاله إلى الدار الآخرة والمنازل القدسية الفاخرة ولدين جليلين كريمين أحدهما العارف بالله تعالى سيدي محمد الملقب بالكبير، والثاني صنوه سيدي محمد الملقب بالحبيب ذو الفضل الشهير والجاه الخطير، خلفاه من بعده في الهداية والإرشاد والنفع العميم للعباد، وقد سبق أن فر سيدي محمد الكبير من الأتراك إلى أرض تماسين بينما لجأ أخوه سيدي محمد الحبيب إلى أبي سمغون بالصحراء الشرقية، وقد قام الأتراك بتخريب عين ماضي فجدد أولاد الشيخ بناءها" (*كشف الحجاب*، ص. 2170).

توفي محمد الكبير التجاني عام 1238 / 1822 أو ما بعدها بيسير.

العربي ابن السائح، *بغية المستفيد* ؛ أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، طبعة بيروت.

عبد العزيز بنعبد الله

**التجاني** بن **مولاي المصطفى**، مقاوم من شباب خنيفرة، ولد سنة 1926، وعمل في صفوف المقاومة السرية بمدينة الدار البيضاء. قام بعدة أعمال فدائية أهمها إحراق مصالح الاستعمار، وألقي عليه القبض سنة 1954، وظل في المعتقل إلى أن توفي ضحية التعذيب.

*وثائق المندوبية السامية للمقاومة ؛ كتاب الشهداء*، ج. III.

عز الدين العلام

**التجانية**، طريقة صوفية أسسها سيدي أحمد التجاني أواخر القرن الثاني عشر (18 م) وهي لا تنتمي للشاذلية ولا لأتباعها الزروقية والتباعية، فهي طريقة سنية جديدة أسست - كما يقول أبو المواهب سيدي العربي بن السائح في *البغية* (ص. 4) - على تقوى من الله ورضوان، وشيدت من العلمين الظاهر والباطن على أقدم القواعد وأقوى الأركان. فكان الشرطان الأساسيان للانخراط في سلكها ضمن اتباع السنة والتمسك بهدي القرآن :

1) قيام الليل.

2) رفع الهمة عن الخلق اكتفاء بالملك الحق واعتبار الشيخ التجاني مجرد عبد من عبيد الحضرة.

"وقد سرى ذلك لأصحابه ( *البغية*، ص. 390) فاتصفوا به بين الخاص والعام حتى صار الناس ينسبونهم إلى الغنى ولو لم يكونوا أغنياء".

وقد أكد هذا الشيخ الإمام تنحية لكل افتراء وحياد عن الشريعة قولته المأثورة : "إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه

بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه" (*كشف الحجاب*، ص. 177) وقديما قالها قبله الأئمة أبو حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل (*فتاوى ابن تيمية*، ج. 20، ص. 211).

وقد انتشرت الطريقة التجانية في القارة السوداء كلها وعرفت عاصمة دكار وحدها ما يناهز مائة زاوية، وأكد بوني موري (G. Bonet Maury) في كتابه *الاسلام والمسيحية* *L'Islamisme et le Christianisme*. حسب نقل الأمير شكيب أرسلان في *حاضر العالم الاسلامي* (ج. 2 ص. 398) أن افريقيا كادت أن تكون كلها إسلامية لولا قضاء فرنسا على سلطنة التجانية هذه، كما أن أوربا كادت تكون إسلامية لولا انتصار شارل مارتل على العرب في بواتيي (بلاط الشهداء). وقد ذكر الأمير شكيب أرسلان (ص. 396) أن الشيخ سيدي أحمد التجاني كان يتظاهر بالتسامح مع غير المسلمين قبل تكالب الآباء البيض في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) حيث استعملت التجانية القوة في نشر العقيدة الإسلامية فكانت سيدة السودان طوال أربعين سنة وخلف لها الأمير الحاج عمر الفوتي (وهو العلامة الكبير صاحب كتاب *الرماح*) سلطة إسلامية عظيمة في وسط بلاد الزنوج الوثنيين هددت وجود فرنسا. والسلطان الفوتي هذا أخذ الطريقة التجانية بالحرمين الشريفين عن أحد تلامذة الشيخ التجاني وهو العلامة الفاسي سيدي الغالي أبو طالب.

وقد أشار المؤرخ الفرنسي أندري جوليان في كتابه *المغرب تجاه الدول الاستعمارية* إلى قيام الطائفة التجانية بالجزائر العاصمة بمقاومة الاستعمار الفرنسي معززة بالمقاومين في المغرب الشرقي الذين كان السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام يمدهم بالمؤن والعتاد عن طريق تازا ووجدة.

فبهدي الشيخ التجاني حارب الأفارقة الاستعمار وبهدي الشيخ التجاني انتشر الإسلام بين الزنوج وسقط في أيدي دعاة التبشير من المسيحيين وواصل الدعوة إلى الهدي شيوخ أعلام أمثال الشيخ مالك الحاج سي والشيخ إبراهيم نياس والشيخ عبد العزيز سي، ولا تزال عشرات الآلاف من الزوايا بين القارة الإفريقية وفي قارات أخرى لا نستثني منها أمريكا وأوربا معمورة بالذكر وقراءة القرآن حافلة بشعائر الدين لا تعرف الكلل ولا الملل في الدعوة إلى الله وفي إحياء معالم السنة المطهرة خالية من كل وقف أو حبس، يعمل الأئمة والمؤذنون والحزابون والعلماء مجانا لعمرانها ليل نهار بالعلم والهدى.

العربي ابن السائح، *بغية المستفيد لشرح منية المريد*، الطبعة الأولى، القاهرة؛ أ. سكيرج، *كشف الحجاب فيمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب*، بيروت؛ علي حرازم برادة، *جواهر المعاني وبلوغ الأماني*، وبهامشه كتاب *رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم* لسيدي عمر بن سعيد الفوتي الطوري، بيروت، 1383 هـ؛ عبيدة الشنقيطي، *ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية*، القاهرة (1371 هـ / 1951 م)؛ جميل أبو النصر، *طرق صوفية في العصر الحديث: الطريقة التجانية*، 1965، 204 ص.

عبد العزيز بنعبدالله

**التجبير** طب تقليدي، لا شك أن الحاجة إلى هذا النوع من الطب ظهر منذ أقدم العصور التي نشط فيها الإنسان، لأن حركة هذا الأخير، وأعماله اليومية، تعرض عظامه للكسر. وإذا عظم كسر الانسان أو الحيوان أسرع الناس إلى معالجته. ولعل الرغبة الملحة في شفاء المكسور هي التي حذت بالإنسان إلى تعلم مهنة التجبير.

ولهذا المصدر أصل في اللغة العربية. ويستشف من ذلك معرفة العرب لهذه المهنة. ففي لسان العرب ويقال جَبَّرت الكسير أُجَبِّرُه تجبيراً وجَبَرته جَبْراً عن اللحياني وأنشد:

لها رجْل مجبَّرةٌ تَخُبُّ (تسرع)

وأخرى ما يسترها وَجَاح (غطاء ساتر)

والـمُجَبِّر الذي يجبر العظام المكسورة، والجبائر العيدان التي تشد على العظم لتجبره، وواحدتها جبيرة أو جبارة.

دخل هذا النوع من العلاج في اهتمام الأطباء المسلمين، إلا أنه لا ينبغي خلطه بالجراحة التي اشتهر بها عدد من الأطباء في التاريخ الإسلامي كابن القف في كتابه "العمدة في صناعة الجراحة" وخلف ابن العباس الزهراوي المتوفي سنة 427 هـ / 1035 م. حين فرق بين الجراحة وغيرها من المواضيع الطبية. فتجبير العظام المكسورة أو الخارجة عن موضعها ليس عندهم من تخصص الجراحة. وقد عالجه الأطباء المسلمون بالتكميد من الخارج دون اللجوء إلى عمليات جراحية واشتهر المهتمون بهذا المسدان بالإتقان، وعملوا على تطوير التجبير مع مرور الزمن.

وإلى عصرنا اشتهر في المغرب بعض الناس - وليسوا أطباء بالمفهوم المعاصر للكلمة - بامتهان التجبير، وبرعوا فيه حتى ضاهوا الطب الحديث، وتخصصه علم جراحة العظام Traumatologie، بحيث مازال الناس بعد التجبير الذي يجرى لهم بالمستشفيات - في بعض الحالات - يلجؤون إلى المجبرين ويجدون راحتهم بعد التجبير التقليدي.

وطريقة هذا التجبير أن يقوم "لْمْعَلّم" برد العظم إلى مكانه ثم تغطية العضو المكسور بالصوف، وإحاطة الصوف بكاغيد مثل السكر الأزرق، أو اليساف الدوم، ثم خلط الدقيق مع أصفر البيض، وطلي ذلك العجين على الكاغيد، ثم وضع انصاف القصب التي تعد حالا، لكي تدار على العضو المكسور مرصفة، النصف إلى جانب والنصف إلى جانب آخر، ثم يشد العضو. وقد تختلف أدوات العمل من منطقة إلى أخرى بعض الشيء، فإذا اشتكى المكسور أرخى الْمْعَلم أو أهله رباطه قليلا، وهكذا يستمر ذلك أسبوعا فأكثر حسب تعليمات المجبر. ومنهم من يلجأ إلى تكسير

المريض من جديد إذا ما مضى وقت على الكسر وصار العظم ينجبر على اعوجاج، ثم يصلح العضو ويجبره كما يفعل أحد المتفننين في هذه المهنة ببني زروال وهو محمد بن حليمة الذي يسكن بفرقة أولاد قاسم.

الهوني فرج محمد، *تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية*، بنغازي، دار الكتب الوطنية، 1986، ص. 78، 148 ؛ *تحريات ميدانية*.

العربي الحمدي

**تَجْدَارْتْ**، من مستقرات اليهود المشهورة بمنطقة الأطلس الصغير الأوسط. تقع بأراضي أيت مزال إلى الشمال الغربي من قبائل إيلالن. وكانت معروفة بملاحها الكبير، وسوقها الذي ترتاده قبائل أملن، وإيلالن، وإيسندالن... تأثرت عمارتها بالوباء الواقع عام 1214 هـ / 1799 م.

البقدوري، *إتحاف أهل البدو والقرى*...، ص. 101.

أحمد بومزگو

**تُجْگَانْ**، زاوية تقع في أقصى الشمال الشرقي لقبيلة بني منصور إحدى قبائل غمارة الوسطى، على بعد نحو خمسة عشر كلم من شاطئ البحر المتوسط ؛ وتذكر بعض الروايات الشفوية أن أول مؤسس لها هو : الشيخ علي الشلي (ت. 981 / 1573) دفين قرية بوجديان بقبيلة أهل سريف - قرب القصر الكبير، وتعرف إلى الآن - بزاوية تاسفت - وتاسفت شجرة ذات أغصان سامقة من نوع شجر البلوط الحلو.

وعندما قدم عليه في حدود منتصف القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي عبد السلام بن محمد بن عبد المومن المعروف بعبد المومن الصغير، وتتلمذ له وأقام في خدمته مدة، أرسله إلى زاويته بتجكان فجددها، واشتهر أمره بها، وكانت وفاته في حدود أوائل القرن الحادي عشر الهجري (17 م) وكان معاصراً للشيخ أحمد الفلالي (ت. 998 / 1589) دفين قبيلة بني بوزرا الغمارية.

ثم جاء بعده ولده أحمد الشهير بالحاج أحمد الغماري، ولد سنة 1200 / 1785، تعلم ببلده فحفظ القرآن بالروايات السبع، وأقرأ بجامع أناري بقبيلة بني بوزرا - مدة، وكان يصلي الفجر بزاوية الشيخ الفلالي ؛ ويقال إنه ختم بها أربعين سلكة من القرآن العظيم. وهناك تعرف على شيخ غريب فتلعم عليه، وأخذ عنه أكثر العلوم والفنون. ومن هناك اتجه إلى الشيخ العارف محمد بن خمريش (خمليش) الزرقتي، فأخذ عنه الطريق الناصرية، ثم رحل إلى المشرق ومر بمصر فأخذ عن العارف الصاوي (ت. 1241 / 1825) الطريق الخلوتية تبركا. وبعد أن أدى فريضة الحج بدأ يبحث عن شيخ التربية، فدل على الشيخ مولاي العربي الدرقاوي بالمغرب (ت. 1239 / 1823)، فتتلمذ له، ولم يلبث أن أذن له في التربية، فأسس زاويته على مقربة من زاوية والده، وتلمذ له كثيرون، فنالت زاويته هذه شهرة عريضة، تنوسيت معها زاوية أبيه، وهي المعروفة - إلى الآن - بالزاوية التجكانية ؛ ومن أشهر تلاميذ الشيخ أحمد بن عبد المومن:

محمد الغالي أيوب دفين فاس، (ت. 1275 / 1856) ؛ إدريس الزعري الفاسي، (ت. 1291 / 1874) ؛ الصادق بن عجيبة، (ت. 1294 / 1877) ؛ الهاشمي بوزيد المتوفى في حدود نيف وتسعين ومائتين وألف / ق 19 م ؛ الشيخ عبد القادر بن عجيبة، (ت. 1313 / 1895).

ومن المظاهر التي تطبع هذا العصر بجبال غمارة وقبائل الجبل عامة إقبال الناس على القراءات السبع والعشر، وإهمالهم طلب العلم والتفقه في الدين، الأمر الذي جعل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي يكاتب تلميذه الشيخ أحمد ابن عبد المومن وينبهه إلى هذا الخطر الذي يبعد المريد عن حظيرة الإسلام، فضلا عن الحضرة الإلهية "ونصحي إياكم وغيركم أن لا تنكبوا على القرآن العظيم كما انكب عليه سائر أجيالنا نحن وغيرنا، حتى لا ينتهي أحدنا إلا إن حفظ رواية السبع والعشر، وكانت عنده نصب عينيه ؛ وكثيرنا لا يحسن قراءة الفاتحة، ولا يحسن الأذان والإقامة، ولا يعرف الفرائض والسنن .. والصواب أن تقرؤوا ما تيسر من القرآن، وتتفقهوا في الدين".

وكان للزاوية التجكانية إشعاعها الفكري والروحي، وممن أنجبتهم في هذا الميدان :

1 - الحاج الصديق بن الحاج أحمد بن عبد المومن، ولد سنة 1246 / 1830، ولم يكد يحفظ القرآن حتى توفي والده، فتلمذ للشيخ العارف الهاشمي بوزيد، تلميذ والده، كما أسلفنا، فقام بشئون الزاوية، وكان له نفوذ روحي في قبائل غمارة، (ت. 1331 / 1912).

2 - محمد بن الصديق، ولد سنة 1295 / 1878 تعلم ببلده فحفظ القرآن وهو صغير، وشرع في حفظ بعض الروايات، فقد ختمه برواية مكي على شقيقه أحمد، ثم درس على أخيه محمد القاضي، وعلى ابن عمه زين العابدين محمد المؤذن، وقرأ بجامع تندمان على أحمد السوري وكان في رفقته ابن عمه أحمد البركة، ثم رحل إلى فاس وأنهى بها دراسته، وأخذ على كثير من مشايخها ؛ وتلمذ للشيخ المربي محمد ابن إبراهيم، ولازمه مدة، ثم أمره بالعودة إلى بلده، فاستوطن طنجة وأسس بها الزاوية الصديقية التي هي فرع من زاوية تجگان، (ت. 1354 / 1935).

3 - محمد الغالي رجل الفضل والصلاح، تولى رئاسة المحلة بدار ابن قريش، وشارك في كثير من المعارك ضد الإسبان، وكان مسموع الكلمة في قبائل غمارة. (ت. 1360 / 1941).

4 - مولاي الحبيب، من كبار علماء تجگان، درس بفاس ومصر، ثم عاد إلى بلده فاشتغل بالتدريس وإرشاد الناس. (ت. 1377 / 1957).

5 - محمد المودن، اشتهر بالتقوى والصلاح وكان ذا أحوال خاصة ؛ ضريحه مشهور بالزاوية، عاش أواخر القرن الثالث عشر الهجري وأوائل الرابع عشر (19 م).

6 ـ الفقيه محمد بن محمد أقشقاش، لقب بذلك لكثرة حفظه ومهارته في علم القراءات، توفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري (19 م).

7 ـ الفقيه محمد بن آمنة الملقب بالعتوق، تولى الإفتاء والقضاء ببلده، وكان له تضلع في نوازل الفقه، خلف مجموعة فتاوى، توفي بسلا أواخر القرن الرابع عشر الهجري (20 م).

أ. ابن الصديق، *التصور والتصديق* ؛ ع. التليدي، *حياة الشيخ أحمد بن الصديق* ؛ عبد العزيز التجگاني، *تقييد عن تجگان وزاويتها* ؛ *روايات شفوية وبعض وثائق خاصة*.

سعيد أعراب

**تجكانت**، والنسبة إليها جكاني. ماتزال مواصفات قبيلة تجكانت تؤكد ارتباطها العضوي بماضي بعيد جسدت خلاله إحدى أهم تجزؤات مسوفة (إيمسوفن) الصنهاجيين. ارتبط ماضي هذه الفصيلة الإيمسوفية بالمنطقة الواصلة بين وادي درعة شمالا وتاودني جنوبا عبر تيندوف القديمة (تندافين : تيندوفين) وتغازى. هذا المحور الذي لن تظهر تمبكتو في نهايته الجنوبية إلا ابتداء من عام 494 / 1100، سيعرف تسلط البرابيش على ملاحة تغازى خلال القرن الثاني (8 م) (*تاريخ السودان*، 25 ـ 42). على أن مهارة مسوفة التجارية ومقدرتهم الحربية ستجعل ابن حوقل النصيبي يشهد على مقدرتهم الاحتكارية لحركة القوافل بعين المكان خلال القرن الرابع (10 م) (*صورة الأرض*، 98). هكذا، انطلاقا من نموذج متكامل على المستويات التجاري والمجالي والحربي نتبين سبب تفوق مسوفة ودورهم في تعميق أسباب التلاحم الاقتصادي عبر محاور الصحراء الأطلسية. جسدت هذه المساهمة يومها أداة مجمل قبائل إزناگن (صنهاجة) الوحيدة في مواجهة المد التجاري الزناتي الخارجي العبادي. وهي حقيقة لن يلبث أبو عبيد البكري أن يكرسها خلال القرن الخامس (11 م) حين وصف قدراتهم التجارية والحربية في آن واحد (*المغرب*، 149 ـ 284). ولنا في حوادث الدعوة المرابطية أدلة على أن مسوفة سيعملون على مجابهة المد اللمتوني مساهمين بذلك في عجز عبد الله بن ياسين على دمج باقي صنهاجة (البافور ـ إيگدالن). الأكثر من هذا أن هجرة لمتونة (إيويليميضين) نحو الشمال قد سهلت مأمورية مسوفة في مراقبة جل المحاور الموازية لمحورها غربا فارضة المكوس والإتاوات ومحددة قوانين المرور حتى مشارف أزوگي بأدرار التمر. ندرك من هنا أن الهيمنة المجالية والتجارية ستؤثر بشكل ملحوظ في انتشار فصائل مسوفة عبر مختلف المراكز الاستراتيجية الفاعلة. وهذا شيء طبيعي، مادام ظهور مدينة تينيگي على مقربة من شنقيط بأدرار ستجسد منذ القرن السادس (12 م) ثاني قاعدة جكانية بعد تيندوف.

لئن كانت جل المصادر المحلية لا تعود إلا إلى القرن العاشر (16 م)، فإن النتائج التي أدت إليها هيمنة مسوفة على جل المحاور الغربية وفرت نموذجاً للقبيلة التي شمل اسمها باقي فصائل صنهاجة. لقد أصبحت فصائل إزناگن كلها تقتصر في تحديد هويتها على صيغة المسوفي كقاسم مشترك. علينا أن نتذكر هنا أن المنظومة الخلدونية مبنية على تلخيص المصادر حين تؤكد يومئذ على ما شاهده ابن بطوطة بعين المكان (*تحفة*، IV : 338 ؛ *Hist. des Berb.*, II : 67). ما يميز الفترة الفاصلة بين القرنين السادس والثامن (12 ـ 14 م) إذن هو تشخيص سيادة إيمسوفن ومن ضمنهم تجكانت على تجارة الصحراء ومدنها مجسدين بذلك استقلالهم عن مملكة مالي. على أن هجرة لمتونة ودور التسرب المعقلي إلى مسالك المنطقة بالإضافة إلى تشتت فصائل إيمسوفن قد ساهمت في تمفصل هذه الفصائل كل واحدة حسب موقعها الجديد. من يطبق قوانين التقسيم هذه يدرك أن مسومة ومشظوف ما هي إلا تحريفات لكلمة مسوفة كما أوضح ذلك *تاريخ السودان* نقلا عن *الحلل الموشية* (*تاريخ السودان*، 25 ؛ *الحلل*، 1979، 17). ومن يأخذ بعين الاعتبار تداخل المصالح التجارية والمجالية يدرك أن مصالح مسوفة اقتضت اندماجهم النسبي بمملكة سنغاي. لقد اضطرت السياسة الاقتصادية الحمائية لهذه المملكة فصائل إيمسوفن على محور تمبكتو ـ تيندوف إلى تطوير أساليب التعامل (E. M. Sartain, *Jlal Ad-Did*, 195). فقد حصل فعلا في مجال دراسة تجكانت بتينيگي أن جرت حركية المسالك الشرقية أسباب الاضمحلال التجاري مسببة بداية مرحلة الانحطاط (انظر مادة تاودني *بالمعلمة*).

ما مدى تحالف تجكانت وسنغاي خلال القرنين التاسع والعاشر (15 ـ 16 م) ؟ تعد الرسالة التي بعث بها محمد بن محمد بن علي اللمتوني إلى جلال الدين السيوطي خلال شهر شوال عام 898 / غشت 1493 من أهم الوثائق التي تساعد على تحديد العناصر البنيوية لمجتمع ما قبل الهيمنة الحسانية خلال القرن الحادي عشر (17 م). فإذا كان تحقيق (J. Hunwick, *Notes*, 19) لهذه الوثيقة لم يرق إلى المستوى المطلوب شأنه في ذلك شأن دراسة (H. T. Norris, *The Touaregs*, 42 - 47)، فإن تحليل عبد الودود ولد الشيخ قد حدد من خلالها المعطيات الأساسية التي تكشف النقاب عن طبيعة المجتمع الصحراوي (*Eléments*, 23 - 39). لقد كان المسوفيون محتكري تينيگي عاصمة تجكانت ووادان (إن والان) وتشيت وولاتة يجعلون من النظام الأميسي نظام قرابتهم الوحيد ومن حملة الكتاب الزوايا فئة اجتماعية تلتزم المرابطة وتصحيح المعتقدات. تكمن الدلالة البليغة لوجود هذه الفئة المرابطية في شمولية القيم المجتمعية القديمة التي تجسد التطابق التام بين مسوفة (إيمسّوفن) ومجمل توارگ الصحراء الأطلسية والوسطى. لم تكن الصحراء الأطلسية قد تعربت بعد ولا ممارسة الطرب والغناء قد أصبحت حكراً على إيگوان. فما يميز مراسل السيوطي كحامل كتاب من الزوايا هي رغبته في

تهذيب الطباع والقيم المتوارثة راسما بذلك العناصر التي لم تكن تميز تجكانت عن غيرهم من مسوفة أو باقي الغور الصنهاجي الأقدم. فلا يمكن إذن أن نتطرق بأي حال من الأحوال إلى مسألة الفصل في نطاق التاريخ الوقائعي بين الشماليين من سنغاي وتجكانت محتكري محور تجكانت التجارية ومصالح سنغاي. فلا نتصور بسهولة أن صيغة وحدة المصالح وتقابلها قد تقتضي مواجهة تجكانت لتطور تجارة المحاور الشرقية التي تمر بجزء كبير من ترابهم وتمنحهم كثيرا من الصلاحيات.

تدهورت حركية المسالك الساحلية للصحراء الأطلسية لتتسبب في احتداد الصراع بين فصائل تجكانت المقيمة بتينيگي. ولا شك أن مختلف باقي تجزؤات الغور المسوفي والصنهاجي قد عانت من مضاعفات هذا التدهور التجاري ومن ضغوط المد الأعرابي الحساني آخذة في الهجرة ابتداءً من منتصف القرن العاشر (16 م) انطلاقاً من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي. نلاحظ هنا أن التنافس حول مراقبة مراعي الهدة الخصبة قد أفرغت منطقة الركيز حيث لم يبق بها سوى إيجمان وفصائل تگداوست المقيمة بنودش اشتعلت أسباب الحرب المدمرة بين تجكانت تينيگي لتسرع بهدم المدينة وانقسام الفصائل المحلية إلى مهاجرين شمالا وآخرين جنوبا. وإذا كان إيجمان هم المؤسسين الحقيقيين لمدشر تغبة فإن وصول فصائل تجكانت المهاجرة ستسبب في صراع انتهى بهجرة إيجمان وتگداوست عن الركيز.

كان الأغلال أول من دشن خلال منتصف هذا القرن عملية الهجرة من شنيقيطي بأدرار في اتجاه تشيت واصلين بعد ذلك إلى ولاتة ومنها إلى الهدة الشرقية في نهاية القرن. هذه المعطيات التي تفقد عندها *الرسالة الغلاوية* وكتاب *الطرائف والتلائد* لا تفيدنا في شأن هجرة الفصائل المتجهة شمالا. فقد وصلت فصائل تجكانت إلى أرض طاطا حيث تقع قصبة انكارف مقر إقامة الحسن ابن الطالب عامل أحمد المنصور الذهبي. لم تجد هذه الفصائل أية صعوبة في الوصول إلى عين المكان مروراً بتيندوف حيث مضارب فصائل تجكانت القديمة. ولم يلبث التساكن مع إدا أوبلال أن جسد أحد العوامل الأساسية في تمتين جبهة الحد من هيمنة أولاد دليم (R. Caillé, *Journal*, 213).

إذا نظرنا إلى تطور فصائل تجكانت الشماليين على امتداد المحور تمبكتو - تيندوف وجدناها تنقسم خلال القرن العاشر (16 م) إلى أربعة فروع محورية هي أولاد إبراهيم ورماحتين والموساني وأولاد سيدي علي. نجد في مواصفات كل فصيلة ملاحظات كثيرة تتعلق بازدواجية حمل الكتاب وامتهان التجارة. فعلاوة عن كون جل تجكانت محاربين، نجدهم يتوخون العلم والتجارة. ولنا في حوادث القرن الحادي عشر (17 م) أدلة على تصور زعمائهم لبنية قبلية تجمع بين المقدرة الحربية والتجارية والعلمية. فقد اتضح منذ حملة السعديين إلى تمبكتو أن تجربة تجكانت تهدف بالضرورة إلى المحافظة على احتكار محورها التجاري وعلى توازن فصائلها على اختلاف تخصصاتهم الاجتماعية والمهنية. الحملة السعدية لا تعد الوحيدة التي وجدت العون والمؤازرة من تجكانت حيث تكشف المصادر والوثائق الخاصة عن دورهم في مساندة المولى إسماعيل وولاته على الصحراء. فتحسبا لكل التحالفات يومها بين إدا أوبلال واتحادية أولاد دليم القوية ركزت كل مراسلات المولى إسماعيل إلى ولاته على ضرورة التعاون مع تجكانت. ولن نمر بسرعة على هذا الجانب دون أن نركز على دور تجكانت الأساسي في تطوير المبادلات عبر محورهم التقليدي. فبالإضافة إلى استئثارهم باهتمام المخزن نجدهم يجسدون أكبر منافس حقيقي لتجارة تكنة بأسواق سوس ومراكش. نجد بأن تسرب تجكانت إلى أسواق إليغ ومراكش وسجلماسة دفع بتجار تكنة إلى الارتباط بالمرافئ الساحلية بأگادير وماسة وأيت باعمران. وقد أظهرت تجكانت من الحنكة السياسية والتجارية ما جعل منها قوة متصرفة في موانئ الضفة الشمالية وقوة حربية قادرة على الحد من تحرشات البرابيش وأولاد دليم والبرابر وغيرهم (م. ناعمي، *جوامع المهمات*). غير أنه تحسبا من تكنة الذين يمثلون عصبية متغلبة على سواها بوادي نون وباني والساقية الحمراء، لمخاطر المنافسة، أغلقوا أسواقهم عن قوافل تجكانت. وهو ما أدى بالمنافسة إلى تحسين حركية المحورين التكني والجكاني فكان من أبرز مضاعفات هذا التحسن النسبي إلى حدود النصف الثاني عشر (18 م) أن تصاعدت وتيرة المبادلات الحرة مع المرافئ. هذا ما أدى بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى إغلاق مينائي أگادير وماسة سنة 1765 معلنا عن انفتاح ميناء الصويرة. وجه هذا الميناء الجديد ضربة قاضية لتجارة وادي نون والساقية الحمراء نظراً لبعدهما عنه. وبالمقابل أصبح على القوافل المتوجهة إلى الميناء الجديد أن تمر بمراكش القريبة مما اضطرها إلى هجر المحاور الساحلية وتفضيل محور تجكانت عبر تيندوف. استطاعت بذلك تجكانت أن تنمو بشكل مطرد بين وقت ظهور ميناء الصويرة والقرن الثالث عشر (19 م) لتصطدم خلال النصف الأخير منه بتطورات الأحداث بالصحراء الأطلسية.

تأتي أهمية هذه المكونات من كونها تبرز الأدوار الأساسية البارزة التي لعبها تجار تجكانت وممتهنو مرافقة القوافل منهم. ولا يخفى أن هذا الجانب على أهميته لا يكفي وحده لرصد الحياة الاقتصادية والاجتماعية لباقي الشرائح الجكانية بهذه المنطقة البعيدة عن العمران القروي وعن مرافئ التجارة الساحلية. من هنا يكون لزاما علينا التركيز على أهمية الترحال وتربية الإبل في تنمية حجم القطيع الجكاني كمقياس حقيقي لمدى غنى جل الفصائل المنتجعة يومها من تيندوف إلى تاودني.

صادف القرن الثاني عشر (18 م) ظهور وتطور الرگيبات تحت حماية لفي اتحادية تكنة. لم تكن فصائل

الركيبات الساحلية تقترب من حمادة تندوف باستثناء أولاد موسى في بعض الأحيان. أما الفصائل الشرقية فقد تعودت على الانتجاع بجوار فصائل تجكانت، بحكم تربيتها للإبل خلافا للفصائل الساحلية. واعتباراً لكون الركيبات كانوا مسالمين لا يحملون السلاح مكتفين بحماية تكنة لهم، فإن تجكانت كانوا يغزون إبلهم بصفة منتظمة. هذا ما أكدته بعض المخطوطات الركيبية التي اطلع عليها J. Larribaud .

لم يكن من شأن مقدرة الركيبات الاستيعابية على احتواء أكبر قدر من الدخلاء أن يقلل من حجم قطيعها من الإبل. وبالرغم من النمو الديمغرافي المتزايد الذي كانت تعرفه فصائل الركيبات الساحلية والشرقية، فإنها ظلت تعتبر نفسها في موقف دفاعي ضد تحرشات تجكانت إلى أن ظهر مع بداية القرن الثالث عشر / نهاية (18 م) السلاح الناري الوروار. ففي سنة 1211 / 1796 ـ 1797 انفجرت أول معركة بالعريضة، الموقع المعروف بالساقية الحمراء، لتمتد إلى فم تازرٌ حيث انقسمت حامية تجكانت إلى قسمين. انسحب الأول شمالا نحو أيت أوفلمان واتجه الثاني إلى إيگيدي جنوبا حيث تجنب شر الركيبات (*جوامع المهمات*، 84). أدت ثاني معركة بين الطرفين بعد ربع قرن من هذا التاريخ إلى مقتل عدد كبير من تجكانت وسلب كثير من ممتلكاتها. تأكدت يومها خطورة الركيبات كقوة متنامية اتفق تجكانت وإدا أوبلال وامريبط واعويب على محاربتها. توجهوا إلى الاحميديات حيث أكدت إحدى كبريات المعارك على تفوق الركيبات الذين أصبحوا يتوفرون يومها على أسلحة نارية بلجيكية وفرنسية وأنجليزية.

تسببت هذه التعقيدات السياسية في تدهور العناصر القادرة على توفير أمن وسلامة المحور تاودني ـ تيندوف. وقد اضطر الشيخ محمد المختار بلعمش عالم تجكانت الأكبر وتلميذ محمد بن المختار الكنتي إلى إعادة بناء تيندوف حوالي سنة 1256 / 1840 خلافا لما تورده بعد المصادر (*المعسول*، XVIII : 159) التي تركز على سنة 1270 / 1853 (*جوامع المهمات*، 87) كان هدفه هو الحد من اختلال الأمن والعمل على مواجهة مختلف قضايا التبادل التجاري ونظام التحالفات. وفعلا، فإن تيندوف لم تلبث أن أصبحت عاصمة دينية وبرصة التسعير الأولى بالضفة الشمالية الغربية للصحراء الأطلسية كما شهد على ذلك Camille Douls. فعلى المستوى التجاري والسلعي تكشف صلاحية المحتسب والقاضي عن قدرة تيندوف على التخزين كأول مستودع جهوي. أصبحت القاعدة هي أن يقف تجار الشمال والجنوب بأنفسهم على عمليات التقليب والتسعير. وتعتبر شهادة C. Douls الذي زار تيندوف سنة 1887 بالغة الأهمية لإبراز دور الموقع التجاري الاستراتيجي. فهو يميز الموقع كملتقى للطرق عن عين صالح بمنطقة توات مسجلا بأن ستة محاور تصل إليه من گلميم وأقا وتافيلالت وتوات والجنوب الجزائري والساقية الحمراء. كما أن من الإشارات الهامة التي سجلها نلاحظ تعريف تيندوف كعاصمة أولى لتجارة الرقيق.

علم الركيبات بإعادة بناء تيندوف سنة 1256 / 1840 فأرسلوا وفداً للتهنئة. ويضيف محمد سالم بن لحبيب ابن الحسين بن عبد الحي بأن تجكانت قد بنوها بناء جيدا (*جوامع المهمات*، 86). هنا نسجل بأن مساهمة المسجد الجامع الذي اختطه بلعمش تعد بالغة الأهمية من الناحية الدينية والسياسية، فعلاوة على تخرج مجموعة لا يستهان بها من الفقهاء والعلماء خصهم الأمين الشنقيطي ومحمد المختار السوسي بمؤلفين خاصين (*الوسيط*، 277 ـ 284 ؛ *المعسول*، XVIII : 158). نجد أعلاما مشهورين بالمشرق كمحمد محمود بن التلاميذ التوركزي (*الوسيط*، 380 ـ 396) يدرسون شأنهم في ذلك شأن محمد المختار بلعمش وابنه محمد وتلميذه الشيخ ماء العينين. وإذا كان محمد المختار بلعمش قد توفي مبكراً (حوالي سنة 1285 / 1868) حسب ما أورده السوسي (*المعسول*، XVIII : 160) فقد تجلت مساهمته العلمية في حجم ما خلفه من آثار ومؤلفات السوسي (*سوس العالمة*، 199 ؛ الأمين الشنقيطي، *الوسيط*، 321). أما مساهمته التاريخية السياسية فقد تجلت في قدرته على سن قوانين المعاملات القبلية بعين المكان، لقد واجه مجمل القبائل المتصارعة صنهاجية كانت أو حسانية بفتاوى تقول بقتل قطاع الطريق منهم. بل ونلاحظ أن صرامته قد أسهمت إلى حد بعيد في تطبيع العلاقات يومها بين تجكانت والركيبات إلى أن وقعت معركة غزي تيگي ومعركة منهل وادي واين تاركت. يومها حرض الشيخ محمد المختار بلعمش الجكاني قبيلته قائلا : "قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار وجهادهم واجب". ويضيف مخطوط *جوامع المهمات* بأنه أفتى كتابة بجواز قتال الركيبات مما دعا محمد بن يوسف بن عبد الحي عم صاحب المخطوط إلى الاعتراض عليه بتأليف آخر. قام العالمان بإرسال المؤلفين للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن قصد الحسم في الخلاف، فاستفتى بدوره علماء مراكش وفاس. وإذا كان العلماء قد رجحوا مقولة قاضي الركيبات بن عبد الحي سنة 1295 / 1878 فهو ما يعني أن وفاة محمد المختار بلعمش قد تكون لاحقة للتاريخ الذي أوردناه سابقا (*جوامع المهمات*، 89). لقد رفض عالم تجكانت حكم العلماء فأغار تجكانت على ركيبات الساحل وآل عبد الحي بالموقع المعروف برگ المحون بالمنطقة الساحلية. فما كان من آل عبد الحي إلا أن رفعوا شكوى إلى السلطان بعد أن رفض تجكانت إعادة ما انتزعوه منهم. كلف السلطان سبعين عالما بمهمة الحسم وحضر الفقيه الحاج البشير ممثلا للركيبات وآل عبد الحي بينما مثل محمد المختار بلعمش قبيلته، وما أفتى به في هذا الشأن : "فغلب أهل عبد الحي تجكانت وأمره طويل لكن اقتصرت على ما كتب منه" (*جوامع المهمات*، 89). دخل الطرفان بعد ذلك في سلسلة أخرى من الحروب والمساجلات الشعرية انتهت سنة 1303 / 1886 بانتصار الركيبات واستسلام

تجكانت المرحلي. خلال هذه السنة عين المولى الحسن الشيخ أحمد بن محمد المختار بلعمش قاضيا على تجكانت بظهير 24 . 8 . 1303 / 28 . 5 . 1886 (*مجلة صحراء المغرب*، XX : 8). انطلقت السلسلة الأخيرة من المعارك بين الطرفين سنة 1314 / 1895 لتنتهي بغزو 1200 ركَيبي لتيندوف حيث مكثوا سبعة أيام خربوا خلالها جل القصر ولم يبقوا منه إلا على ديار أهل العبد وأهل المرابط (*جوامع المهات*، 94 ـ 95).

نلاحظ أن هذه المعطيات تكشف ضمنيا عن مدى وعي محمد المختار بلعمش بعمق المشكل الركَيبي القائم. نجد في تحليله قدرا من الواقعية والعقلانية يستهدف تجنيد مختلف فصائل تجكانت والسلطان والعلماء وباقي القبائل المجاورة إلى حقيقة الخطر المحدق بالوجود الجكاني، وهو ما يؤكد أن تأطيره لذويه وحثهم على مواجهة الأخطار الخارجية لم يأت من باب العصبية القبلية ولا النزعات القومية الساذجة. لقد تعاقبت فعلا على تراب تجكانت منذ هدم تيندوف أحداث متتالية صبت كلها في نفس الاتجاه السلبي. فلا الظهائر العزيزية ولا قرارات المقيم العام الفرنسي في 11 . 1 . 1935 بمغربية تيندوف، أعادت لفصائل تجكانت سابق تماسكها. بل إن الوقوف المطول عند مضاعفات التطورات السياسية على هذه الفصائل يعود بها إلى دور العوامل الخارجية الاقتصادية والسياسية الفرنسية والإسبانية كمؤطر لدور الصراعات المحلية. إن عملية الجنرال ترانكي Trinquet القاضية سنة 1353 / 1935 بضم تيندوف إلى التراب الجزائري لا تفي وحدها بالغرض التحليلي المطلوب إلا إذا توغلنا في تفاصيل التناقضات القبلية في ارتباطها بمضاعفات استراتيجية المد الفرنسي الاسباني. برر القائد السنهوري تعامله مع الإدارة الفرنسية كممثل لتجكانت بضرورة العمل على إعادة التماسك الجكاني إلى ما كان عليه، وهي مقولة تركز على دور العوامل الخارجية كعقبة أساسية في وجه التماسك والتساكن. وإذا كان السنهوري قد أعلن مغربيته سنة 1962 حاملا بيعة أهل تيندوف، فإن دعائم البنيان الجكاني كانت يومها قد عرفت كثيراً من التعلل لم تترك لها إلا تشبثا راسخا بمبادئ وقيم الانتماء إلى مجتمع الصحراء الأطلسية.


جلال الدين السيوطي، *الحاوي للفتاوى*، القاهرة، د. ت، جزآن ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء الثامن عشر ؛ *سوس العالمة* ؛ *جوامع المهمات في أمور الرقيبات* ؛ الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط* ؛ المختار ولد حامدون، حياة موريتانيا، جغرافيا ؛ سيدنا بابا بن محمد بن سيدي، *تاريخ امارتي إدا وعيش ومشظوف*، مخطوط ؛ ابن بطوطة، *تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار*، دار التراث 1968 ؛ الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي، *الرسالة الغلاوية* ؛ *الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد*، مخطوط ؛ عبد الله بن الحاج إبراهيم، *يسر الناظرين في روضة النسرين*، مخطوط.

A.W. Cheikh, *Eléments d'histoire de la Mauritanie*, Centre Culturel Français, Nouakchott, 1988 ; R. Caillé, *Journal d'un voyage*, Paris, 1965 ; C. Douls, *Voyages dans le Sahara Occidental et le Sud marocain*, *Soc. Normande de Géographie*, Janvier - Février 1888 ; S. Caratini, *Les Rgaybat* ; J. Hunwick, *Notes on a late fifteenth century document concerning Al Takrur*, in Allemand Jonhson (ed), *African perspectives*, Cambridge, 1970 ; H. T. Norris, *Saharian Myth and Saga* ; *The Touaregs*, Warminister, 1975 ; J. Larribaud, *Tindouf et le Sahara Occidental*, *Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie*, XXX, n° 3, Alger, Sept. 1952 ; V. Paques, *L'arbre cosmique dans la pensée populaire et dans la vie quodidienne du nord-ouest africain*, Paris, 1964.


مصطفى ناعمي

**التجكاني، محمد** بن عبد الصمد الحسني التطواني. تنتسب أسرته إلى إدريس بن إدريس، هاجر أحد أجداده في القرن التاسع (15 م) من دار مُقامهم في بني إزناسن إلى تجكَان ببلاد غمارة. وبها ولد المترجم عام 1317 / 1899 وحفظ القرآن على الاستاذين أحمد بن عبد الله ابن زهرة، ومحمد بن الشاهد التجكاني.

ولما بلغ عشرين سنة انتقل إلى تطوان لإتمام دراسته (ذو القعدة 1337 / غشت 1919) فأخذ عن شيوخها أمثال الأمين بوخبزة، وعبد الرحمن أقشار، ومحمد الفرطاخ وأحمد الحداد. وفي فاتح ربيع الأول عام 1340 / 2 نونبر 1921 انتقل إلى فاس فأخذ عن أعلامها، أمثال الحسين العراقي، وإدريس المراكشي، وعبد الله الفضيلي وغيرهم. ولما اكتمل تكوينه توجه إلى بني إزناسن فمكث بها مدة وبطنجة قبل أن يعود إلى تطوان ليشتغل بالتدريس في الجامع الكبير، وقد عين مدرساً بهذا الجامع بعد إصلاح نظام التعليم الأصيل بالشمال، كما كان خطيبا بزاوية علي بن ريسون ثم بجامع العيون.

توفي بتطوان يوم السبت سادس رمضان عام 1411 / 23 مارس 1990 ودفن بباب المقابر.


م. ابن الحاج، *إسعاف*، 253 ـ 254.


**التجكاني، المهدي** بن محمد بن الشاهد المومني التطواني. ولد بمدينة طنجة عام 1337 / 1919 وبها نشأ وحفظ القرآن في الزاوية الصدّيقية، وانتقل إلى تطوان ليتابع دراسته بالجامع الكبير على الشيخين العربي الخطيب والتهامي الوزاني الذي أجازه، وبالمعهد الخليفي. شارك في الحركة الوطنية منذ نعومة أظفاره. وفي أواخر عهد الحماية عُين مدرساً في مدرسة أزغنغان بالريف، لكنه ما لبث أن استقال للمضايقات التي لقيها من رجال السلطة الاستعمارية الإسبانية بسبب نشاطه الوطني، ثم عين معلماً بطنجة، ومنها انتقل إلى مدرسة حجر النحل في ضاحيتها. وقد ألف بطلب من المرحوم محمد حسن الوزان كتاباً حول *المقاومة الريفية للاحتلال الإسباني*، وهو مايزال مخطوطاً.

وبعد الاستقلال اختطفه خصومه السياسيون من هذه المدرسة القروية وهو يتهيأ في بداية العطلة الصيفية للرجوع إلى طنجة زوال يوم 28 يونيو 1956 وذهبوا به إلى جنان بريشة أحد المعتقلات الحزبية الرهيبة بضاحية تطوان فذاق من ألوان التنكيل والعذاب ما سجله في كتابه *دار بريشة*

أو *قصة مختطف* الذي نشر بالدار البيضاء سنة 1408 / 1987.

وقد خرج - بأعجوبة - من هذا المعتقل الجهنمي مصاباً بعاهات جسمية لم تفارقه حتى أسلم الروح إلى باريها في تطوان يوم 5 جمادى الأولى عام 1403 / 19 يبراير 1983.

المهدي التجكاني نفسه، *حركة المقاومة بالريف*، مخطوط ؛ أ. معنينو، *تقديم دار بريشة*، 14 - 19.

محمد حجي

**التجمع الوطني للأحرار** (حزب -)، أسس هذا الحزب سنة 1977 بتكوين فريق الأحرار بمجلس النواب يضم 140 عضواً. وعقد المؤتمر التأسيسي الأول سنة 1978 بالدار البيضاء والمؤتمر الوطني الثاني سنة 1983 بالدار البيضاء أيضاً والمجلس الوطني الثالث سنة 1986 بالرباط واللجنة المركزية للحزب سنة 1983.

يتركب المكتب التنفيذي للحزب من 18 عضواً إلى 24 عضواً، وتضم اللجنة المركزية من 60 عضواً إلى 115 عضواً بينما يتألف المجلس الوطني من 460 عضواً.

- المؤتمر الوطني للحزب.

- الاتحاديات على صعيد الأقاليم (الشعب والفروع).

المقاعد التي حصل عليها التجمع في الانتخابات التشريعية : في الفترة التشريعية 1977 - 1982 حصل حزب التجمع الوطني للأحرار على مائة وأربعين مقعداً، وفي سنة 1981 أصبح للتجمع الوطني للأحرار ثلاثة وثمانون مقعداً بعد تكوين الفريق الديمقراطي. وفي الفترة التشريعية 1984 - 1992 حصل الحزب على واحد وستين مقعداً، وفي الفترة التشريعية الأخيرة 1993 - 1999 حصل التجمع الوطني للأحراء على ثلاثة وثلاثين مقعداً.

العياشي الزيتوني

**التجميل التقليدي**، نوعان : حديث يتم بالعقاقير الكيماوية والمستحضرات الطبية والأدهان الصيدلية، وتقليدي بالبشور والعطور والأعشاب والنباتات المدقوقة والمحروقة والمقطرة. ويختلف هذا الأخير عن الأول في أنواعه وأدواته وطرق استعماله التي كانت أهلية محلية تنتقل بالتوارث من جيل إلى جيل عبر مئات السنين.

وقد شاع بين الناس خطأً أن التجميل كان يقتصر على النساء دون الرجال مع أن لكل منهما نوعه الخاص به. إلا أن اعتناء النساء بالتجميل كان أكثر وأظهر للعيان لأنه كان وسيلة المرأة الأساسية للحفاظ على أنوثتها وإثارة وإعجاب زوجها وتأجيج تعلقه بها. إنه كان إحدى المرتكزات التي تستند عليها للتعامل مع مجتمع الذكور الذي تلعب فيه الأنوثة وجمال المرأة دوراً كبيراً.

لذلك كانت المرأة تعتني اعتناء كبيراً بشعرها الذي تتركه طويلا لأنها تعتبره تاجا على رأسها فكانت تحافظ على صيانته وتنظيفه كلما دعت الضرورة إما بالغاسول (وهو طفل صابوني) أو بالصابون البلدي وتخضبه بالحناء أو الزعفران أو الحديدة الزرقاء أو الحرقوص. وبعد الاعتناء بتنظيفه وتسريحه وتسفيفه كانت تلفه مجتمعا على رأسها وتغطيه بمناديل وسبنيات بديعة ولا تشكف عنه إلا في مناسبات قليلة حتى ولو كانت بين أهلها ومحارمها.

وكانت المرأة تذكي سواد عيونها ورموشها بالكحل، وتشص فمها ولثة أسنانها بالسواك وتؤجج حمرة شفاهها وخدودها بأحمر شفاه تقليدي يدعى العكار يحتفظ به عادة في وعاء من خزف صغير بحجم كف اليد يباع عند العطارين. أما عنقها ويداها وبشرة وجهها فكانت تدهنها بماء الورد أو القطرة الصافية من زيت الزيتون أو بغيرهما من الأدهان والزيوت المستنبطة من القرنفل والزهر والريحان. كما كانت تعطر ملابسها وذاتها بالطيب الطبيعي الأصيل الذي كانت رائحته تثير الخياشم وتلفت حاسة الشم والنظر. وفي العديد من المناسبات الدينية والاجتماعية كانت تخضب يديها ورجليها بالحناء مستعينة في ذلك بحنايات متخصصات في الرسم بالحناء. وأهم المناسبات التي كانت النساء تضعن فيها الحناء في أيديهن وأرجلهن هي يوم السابع والعشرين من رمضان وأيام الأعياد الدينية وخاصة عيد الفطر والمولد وكذا بمناسبة الأعراس والخطوبة والعقيقة والختان.

وكان الكثيرات من نساء البوادي والمرتفعات الجبلية والقليلات من الحضريات يلجأن إلى تنصيع خدودهن وإبراز ملامح جمال وجوههن باستعمال خليط من المواد النباتية والمعدنية المسحوقة والممزوجة بكيفية محددة ودقيقة يدعى الحرقوص. كان بعضهن تشم ذاتها وتصل شعرها وتقص بعض جوانبه الأمامية والجانبية وتستعمل غير ذلك من أساليب الاثارة والتجميل وإخفاء كل قبيح باد في وجهها للناس مما لا يمكن ذكره ولا تداوله إلا في عالم النساء الذي لا تنفتح أسراره للذكور. وقد لاحظ العديد من الرحالين في مغرب القرون السالفة انتشار الوشم بشكل كبير في البلاد بين النساء البدويات. وكان الوشم وسط الجبهة وملتقى الحاجبين وبين الأنف والفم وبين هذا الأخير والذقن أمراً عادياً عند سائر النساء. وكانت بعضهن تشمن أعناقهن وظاهر أيديهن وأسافل سيقانهم وأفخاذهم ومطلع خصورهن ووسط بطونهن وفوق نهديهن وبينهما على يد واشمات متخصصات ولا يندثر الوشم أبداً إلا بموتها.

وكانت النساء في الحواضر والبوادي على السواء يكملن زينتهن بلبس الخواتم والدمالج وتقلد الأساور والأقراط والخلاخل وغيرها. إلا أن استعمال الحلي والمجوهرات لاستكمال الزينة والتجميل لم يكن سائد الانتشار إلا في المدن. وحتى إذا لجأت نساء البوادي إلى ذلك فإن حظهن منها لا يتعدى بعض الحلي البسيطة من الفضة. أما الحلي الذهبية المتنوعة الأشكال فكانت لا تتجاوز أسوار المدن باستثناء نساء الأعيان والأثرياء والعمال والقواد في البوادي.

أما التجميل عند الرجال فكان يختلف عنه عند النساء

لأنه كان يندرج بالنسبة إليهم ضمن طهارة الثوب والبدن مما كانت السنة تدعو إليه. لذلك كان الرجال يقلمون أظافرهم ويقصون شواربهم ويحلقون شعور لحاهم ورؤوسهم ويصبغونها إذا شابت ويكتحلون ويستاكون ويتطيبون أيام الجمعة وليلة السابع والعشرين من رمضان وفي الأعياد الدينية الكبرى. لكن انشغال الرجال بأمور المعاش وارتباط حياتهم بالفلاحة والحرف وغيرها صرفهم بالتدريج عن ذلك إلا في مناسبات قليلة فبدا التجميل وكأنه خاص بالنساء دون الرجال. ومع تطور الزمن أصبح الرجل من عامة الناس لا يهتم بتقليم أظافرة وقص شاربه وشعر لحيته ورأسه إلا قليلا ولا ينظف ذاته وملابسه إلا نادراً مما أدى بالكثير من الرجال إلى كشط اللحية واعفاء شريط صغير منها ملامس للفكين فقط وحلق شعر الرأس كاملا على الرغم من أن إسدال شعر الرأس واللحية كان عند المسلمين الأوائل "زينة وكان تركه سنة وحلقه بدعة". لذا أصبح الخلف يحلق شعر الرأس ويعوضه بالعمامة باستثناء سكان المناطق الصحراوية الذين حافظوا على شعورهم الطويلة. وقد استنكف كثير من الرجال أيضا عن معالجة شعر رؤوسهم ولحاهم بالصباغة بالحناء والزعفران وغيرهما. واعتبر بعضهم الشيب وقاراً وامتنعوا عن معالجته عكس ما جرى به العمل عند النساء حيث كان من المناظر المألوفة في المغرب أن ترى شعر المرأة أسود أو أصفر مزعفراً وشعر زوجها إلى جانبها أبيض اللون. أما استعمال الطيب في صفوف الرجال فكان قليلا بالمقارنة مع استعماله عند النساء. لكن معظم الرجال إن لم يكونوا كلهم يفرطون في حليهم وقلائدهم الخاصة بهم من كميات وخناجر وحقائب جلدية (شكاير) وجرابات دلائل خيرات وغيرها.


ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، الجزء السابع، الرباط، 1974 ؛ ع. بن زيدان، *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، الجزء الأول، الرباط 1961 ؛ م. الصبيحي، *في بعض العادات المغربية*، فاس 1925 ؛ م. القاضي، *اللباس والزينة من السنة المطهرة*، القاهرة 1989 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء الثالث، الدار البيضاء 1960 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، الجزء السادس، تطوان 1978.

L. Bouvat, *La parure, les vêtements et le voile*, *R.M.M.*, vol.4, 1908 ; Assy, *La vie familiale à travers ses rites chez les Ziyayda du Maroc*, D.E.S, Sorbonne 1980 ; A. Pignol [et al..], *Costumes et parures dans le monde arabe*, s. l, 1987 ; H. A. Franceshi, *Costumes et bijoux au Maroc*, *L'œil*, n° 294 - 295, Janvier - Février 1980 ; K. Herber, *Les tatouages de la face chez la marocaine*, *Hesp.*, vol. 33, 1946 ; *Les peintures corporelles au Maroc*, *Hesp.*, vol. 9, 1929 ; *Les tatouages des bras de la marocaine*, *Hesp.*, vol 38, 1951.


محمد بوسلام

**التجهيز**، لاجدال في أن القرن العشرين عصر ثوري في تاريخ المغرب، ولا جدال في أن مصدر ذلك هو تجهيز البلاد بكل ما كانت تفتقر إليه من أدوات التواصل العصري سواء منها البرية والبحرية والجوية أو السلكية واللاسلكية. والمجتمع الذي تنحصر أسباب مواصلاته عند المسالك الضيقة المتآكلة وعند قوافل الإبل والبغال والحمير يختلف حتما عن المجتمع الذي اتسعت فيه الطرق وتوطأت وتعددت فيه أحواض الموانئ وتعمقت وبات الاتصال فيه بين الناس يتم بسرعة، ولا يمكن أن تتغير أدوات التواصل والتبادل السريع دون أن تتغير من جرائها الذهنيات وما يخطر بالألباب من الخواطر، ولذلك فإن التجهيز من أخطر الأمور شأناً في بلد يسير كالمغرب في *طريق النمو* بخطى حثيثة ويتزايد عدد سكانه بوتيرة ترغمه على تلبية حاجيات الشعب من المياه ومن الكهرباء ومن السكن بل ومن كل التجهيزات الاجتماعية الضرورية مثل المدارس والكليات والمستشفيات والمحاكم والسجون والملاعب وقاعات الترفيه والرياضة، مما كانت تقوم به كل وزارة في ميدانها إلى أن تقرر جمع كل ذلك سنة 1977 في قبضة وزارة الأشغال العمومية التي أطلق عليها اسم وزارة التجهيز وهي مازالت تتحمل هذه المسؤولية الكبرى وإن كانت قد عادت منذ سنة 1987 إلى اسمها السابق فهي اليوم وزارة الأشغال العمومية والتكوين المهني وتكوين الأطر.

هذه الوزارة من أهم الوزارات من حيث الأعمال المنوطة بها ومن حيث الأموال الطائلة التي عليها أن تتصرف فيها وأيضا من حيث النخبة الطلائعية من المهندسين والموظفين الذين يسيرن دواليبها. وإن نظرة ولو عابرة على تركيب هذه الوزارة لمن شأنها أن توحي بتشعب مهامها وبما تكتسيه من حيوية في نمو البلاد. فإلى جانب الوزير وديوانه والكاتب العام هناك المجلس العام للتجهيز الذي هو هيأة تنظيرية واستشارية، ثم يأتي بعد ذلك أربع مديريات كبرى للتسيير العام وهي : 1) مديرية الشؤوة الإدارية 2) مديرية الموظفين والتكوين 3) مديرية الشؤون التقنية 4) مديرية التخطيط والدراسات، ثم هناك بعدها ست مديريات تقنية وهي : 1) مديرية التجهيزات العمومية 2) مديرية مينائي الدار البيضاء والمحمدية 3) مديرية الموانئ الأخرى 4) مديرية السدود 5) مديرية الطرق والرواج السياري 6) مديرية الأرصاد الجوية.

أما خارج الوزارة فهناك سبع مؤسسات كبرى تعمل تحت إشرافها ولكن مع الاستقلال المالي وهي : 1) المكتب الوطني للماء الصالح للشرب 2) مكتب استغلال الموانئ 3) مكتب التكوين المهني وإنعاش الشغل 4) شركة تجريف أحواض الموانئ 5) الشركة الوطنية للطرق السيارة في المغرب 6) المختبر العمومي للتجارب والدراسات 7) المدرسة الحسنية للأشغال العمومية.

وحيث إن تفاصيل المسؤوليات المنوطة بهذه المكاتب والشركات مدرج في مكانه من هذه *المعلمة* فإننا نكتفي فيما يلي بالإيجاز بأهم مراحل التجهيز في تاريخ المغرب المعاصر وذلك من خلال ثلاثة أبواب : باب المواصلات مع إغفال التواصل السلكي واللاسلكي وينظر إليه في مادة البريد والتلغراف والتليفون، ثم باب النهوض بالخيرات المائية وبناء السدود مع الإشارة إلى الأرصاد الجوية، ونختم هذا العرض بالإشارة إلى ما يبذل من مجهودات في باقي

التجهيزات العمومية.

فلقد مر تاريخ التجهيزات الأساسية في المغرب من مرحلتين اثنتين أولاهما مرحلة الحماية الممتدة من سنة 1912 إلى سنة 1956 وثانيتهما مرحلة الاستقلال من سنة 1956 إلى سنة 1994 الجارية. ولاجدال في أن اهتمام الدولة في كلتا المرحلتين قد انصرف لإعطاء الأولوية للتجهيزات الكبرى، إلا أن الفرق واضح بينهما، إذ كانت البلاد منقسمة في عهد الحماية إلى أربع مناطق. ولئن اعتنت فرنسا بتجهيز المنطقة التي كانت خاضعة لها فإن إسبانيا عجزت عن ذلك في مناطق احتلالها في الشمال والجنوب وانحصرت تجهيزات المنطقة الدولية حول ميناء طنجة عند محيطها الضيق، ثم إن الأشغال العمومية التي أنجزت في تلك المرحلة كانت لا ترمي للنهوض بالبلاد بقدر ما كانت ترمي لفتح السوق المغربية جبراً أمام الرأسمال الأجنبي وتمكينه من الاستحواذ على خيراتها وربطها بالأسواق العالمية بحيث كانت التجهيزات يومئذ تكتسي طابعا عدديا وسياسيا فلم تشارك فيها الجماهير المغربية إلا مضطرة إليها مغلوبة عليها في أموالها وسواعد أبنائها مما يميز هذه المرحلة الاستعمارية عن مرحلة الاستقلال التي يطبعها إضافة إلى متابعة المجهود العددي طابع الكيف والاستعداد الوطني والإدراك العام على جميع المستويات بضرورة إيلاء التجهيزات الأساسية كل عناية لا على اعتبار مردوديتها الاقتصادية وحسب، ولكن على اعتبار وقعها على أدنى حيثيات الفرد والجماعة، وواضح ما لتعزيز شبكة المواصلات مثلا من انعكاس على انتشار الوعي في عموم الجمهور واستدراجه بالتي هي أحسن للمشاركة في القرار ولذلك أسند المشرع أمر النهوض بالتجهيزات المحلية للجماعات القروية والبلديات، مما لم يكن منه شيء في عهد الحماية وبات من [illegible] امات منذ الاستقلال وساعد البلاد على توحيد تراب[illegible] ى التغلب على الكثير مما خلفه الاستعمار فيها من أسباب التفاوت الجهوي من حيث التجهيز. وهكذا اطردت وتيرة التقدم وأضحى المغرب بتجهيزاته الأساسية من البلدان الطلائعية في القارة الإفريقية.

فلقد تضاعف طول شبكة الطرق منذ سنة 1956، فهو حالا يناهز 60.000 كلم منها 29.626 معبدة و29.900 من الطرق السالكة غير المعبدة، وهي مفتوحة لما لا يقل عن 956.000 عربة من مختلف الأحجام مما كان منذ سنة 1992 يساوي معدل 29،5 عربة في الكيلومتر كل يوم مع زيادة قدرها سنويا 8،5٪ والعلم أن 90٪ من أعداد المسافرين بالكيلومتر تستعمل الطريق في تنقلاتها و75٪ من أعداد الأطنان بالكيلومتر تنقل عبرها باستثناء الفوسفاط الذي ينقل على السكة الحديدية، وفي ذلك إيماءة كافية لما حصل من التقدم في شبكة الطرق التي اتسعت على محاور النقل الرئيسية وشق منها الكثير في المناطق الهامشية والنائية. وأحسن دليل على التقدم النوعي في هذا المضمار برنامج شق الطرق السيارة على المحاور الكبرى التي شرعت في تنفيذه منذ بضع سنوات، الشركة الوطنية لبناء الطرق السيارة في المغرب، ويقتضي بناء 1000 كلم من هذا الصنف الرفيع من الطرق من الآن إلى سنة 2004.

أما طول السكك الحديدية فإنه يبلغ 1907 كلم سنة 1993 مع كثافة في الرواج بين 1،5 و5،5 مليون وحدة من الرواج بالكيلومتر الحديدي. والمجهود النوعي في هذا الميدان ملموس منذ الاستقلال، لا في نقل المسافرين حيث ازدوج خط القنيطرة الدار البيضاء عبر الرباط بسكة ثانية منذ ما يناهز عشر سنوات مما زاد في الرواج ويسَّره في آن واحد، ولا أيضا في نقل البضائع حيث ارتبط ميناء الجرف الأصفر بخط نقل الفوسفاط بين خريبكة والدار البيضاء من خلال محطة النواصر.

ومن حيث الموانئ فإن المغرب يتوفر على 24 ميناء من مختلف السعات، وكانت الحماية الفرنسية قد اختارت أن تجعل من ميناء الدار البيضاء النافذة الرئيسية على البحر غير مبالية بما كان في ذلك من تهميش لباقي المرافئ، فكان على المغرب المستقل أن يصحح هذا الاتجاه لتستفيد البلاد من كل موانئها ولتنتعش جميع الجهات من الرواج التجاري، وهكذا فإن 98٪ من المبادلات المغربية مع الخارج تتم عبر الموانئ وأهمها يبقى ميناء الدار البيضاء بمختلف أنواع الرواج واحتكاره لتصدير الفوسفاط الخام، يليه ميناء المحمدية لاستيراد النفط والزيوت ثم أسفي والجرف الأصفر للمعادن ومشتقات الفوسفاط ثم طنجة كبوابة للاتصال بأوربا. وتتعاطى باقي الموانئ أساسا الصيد البحري الذي عالج 550.000 طن سنة 1991 كما تتعاطى الملاحة السياحية التي تعيرها الدولة والجماعات المحلية منذ منتصف الثمانينات عناية متزايدة.

ولقد تعزز الأسطول المغربي كماً وكيفاً منذ الاستقلال، وكان النقل البحري كله في عهد الحماية بقبضة الأجانب، وهو وإن كان مازال منحصراً بالنظر إلى الحاجيات المغربية وبالنظر لطول شواطئنا التي تبلغ 3400 كلم إلا أنه يتوفر الآن على 60 سفينة تغطي 18٪ من التجارة الخارجية من حيث الشحن و30٪ من حيث القيمة المالية.

أما في النقل الجوي فإن المغرب يتوفر على شبكة من المطارات كثيفة بالنظر إلى حاجياته، فإن عشرة من هذه المطارات مفتوحة للنقل الدولي وسبعة للنقل الوطني، ويضاف إليها 30 أرضية قابلة للرواج الجوي العادي وكلها مزودة بالأجهزة الضرورية للاتصال الجوي وتستغلها شركة الخطوط الجوية الملكية إلى جانب عشرين شركة أجنبية تربط طائراتها المغرب بالخارج. ولقد بلغ عدد المسافرين سنة 1990 أربعة ملايين مسافر وارتفع الشحن إلى 47.340 طن.

ويتصل بالملاحة البحرية والجوية مصلحة الأرصاد الجوية التي تتجاوز محطاتها 700 محطة لرصد الطقس و40 محطة للرصد الشامل وهي تعمل بأحدث أساليب الرصد سواء تقنيا باستعمال الرادار أو علميا باللجوء إلى حساب

الاحتمال وهي قادرة اليوم على استمطار السحب عند الاقتضاء مما يعد فاتحة خير في بلد فلاحي كالمغرب معرض للجفاف بشكل موسمي.

ولذلك فإن التجهيزات الخاصة بالتنقيب عن الماء وبخزنه لا تقل خطورة عن تجهيزات التواصل، فإن النمو الديمغرافي السريع للبلاد وتحولاتها الاقتصادية والاجتماعية وما واكب ذلك من تحولات في أشكال العيش كل هذه العوامل تجعل من ضبط المياه المغربية أمراً حيوياً، ولذلك ما فتئت المصالح الوزارية والمكتب الوطني للماء الصالح للشرب يعملان سويا لكي تستنبط كل المناهل ويتم استغلالها بما يضمن تزويد كل المواطنين في البوادي والمدن بلا إفراط ولا تفريط، وهكذا بات من الممكن سنة 1992 تزويد 79٪ من سكان المدن بالماء الشروب في منازلهم والأحياء الفقيرة تزود بينابيع عمومية، أما في البوادي فالتزويد المنزلي مازال دون المستطاع ولكن 30٪ من أهل البادية مزودون بفضل التجهيزات العمومية.

ومن علامات ضبط الرصيد المائي المغربي سياسة السدود التي وضعت بعض مخططاتها الأولى في عهد الاستعمار للمعمرين لكن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني خلصها من كل تلك الشوائب وأضفى عليها صبغة القرار الوطني المسؤول ابتداء من سنة 1967 عندما قرر أن يُبنى سد كل سنة إلى حدود سنة 2000 م. وعدد السدود 80 سداً سنة 1993 تختزن 10 ملايير متر مكعب من الماء يتأتى معها سقي 850.000 هكتار وتضمن حجما من المياه الصالحة للشرب وللأعمال الصناعية قدره ما لا يقل عن مليار واحد من الأمتار المكعبة ويتولد منه 1500 كيلواط / الساعة من الكهرباء.

أما التجهيزات العمومية فيمكن الاستشهاد عليها بما أنجزته الوزارة المسؤولة من المدارس للتعليم الثانوي سنة 1992 وعددها 18 وبما شيدته من المباني الإدارية المختلفة لباقي الوزارات بلغ عددها 82 في نفس السنة.

ويمكن في الختام الاستدلال على المجهودات المبذولة في التجهيز بذكر نسبة نفقات الخزينة العمومية في هذا الميدان من نفقات الدولة على العموم وذلك في السنوات العشر الأخيرة وهي كما يلي :

1984. ٪22،7 1985. ٪22،2 1986. ٪31،1
1987. ٪23،8 1988. ٪23،6 1989. ٪27،4
1990. ٪26،7 1991. ٪24،3 1992. ٪25،3
1993. ٪25،7.

مما يثبت أن معدل ربع ميزانية الدولة يصرف كل سنة على التجهيز.

ألبير عياش، *المغرب حصيلة الاستعمار*، تر. عبد القادر الشاوي ؛ *بنك المغرب، التقارير السنوية ؛ عشر سنوات من الاستقلال* : المغرب بين 1956 و1966، منشورات وزارة الأنباء ؛ *دراسات* غير منشورة لمديرية التخطيط والدراسات لدى وزارة الأشغال العمومية.

A. Belal, *L'investissement au Maroc 1912 - 1964*, Paris - La Haye, 1968 ; *Le Ministère des Travaux Publics, de la Formation Professionnelle et de la Formation des cadres*, Publications du Ministère, 1993 ; *Mobilisation et développement*, Publications du Ministère de l'Information, 1983.

إبراهيم بوطالب

**التجيبي**، أسرة مغربية جاءت من الأندلس. من قبيلة عربية أصيلة من نسل السَّكون بن أشرس بن مندة، ينسبون إلى أمهم تجيب بنت ثوبان بن سلم بن رهاد بن مدحة. وقد دخل التجيبيون الأندلس مع الفتح الإسلامي، واستوطنوا منطقة الثغر الأعلى القديمة، أو ما كان يعرف في عصر ملوك الطوائف بمملكة سرقسطة، وتمركزوا بالعاصمة سرقسطة وقلعة أيوب وذروقة. ثم سكنوا بلنسية في ظروف غير واضحة. ومنها انتقلوا إلى سبتة فكانت مستقرهم النهائي، وربما كان هذا الانتقال بسبب العدوان المسيحي الذي انتهى بسقوط بلنسية في يد القشتاليين سنة 488 / 95. 1096.

محمد حجي

**التجيبي، أحمد** بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش، يكنى أبا جعفر (*التكملة*، 157)، من أصل برشاني (برشانة سرقسطة قديما). سكن مراكش وتتلمذ بها عن أبيه الكاتب محمد بن عياش وأبي الخطاب أحمد بن أبي الحسن محمد بن واجب وأبي القاسم أحمد بن يزيد بن بقي. اهتم بالأدب، فبرع في فن الكتابة والخط مما أهله للكتابة عن عدد من خلفاء آل عبد المؤمن منذ عهد المستنصر أبي يعقوب بن الناصر إلى أيام المأمون (*الذيل والتكملة*، 2 : 464 ؛ *الإعلام*، 2 : 138). وقد نظم قصيدة شعرية يمتدحه فيها عقب انتصاره على ابن هود في الأندلس عام 625 / 1228.

استقضي أحمد التجيبي بتلمسان وسبتة، كما اشتغل بالتدريس. فكان منزله ملتقى لطلبة العلم حيث كان يناظرهم وحيث كانوا يحتكمون إليه في شتى أمورهم العلمية. توفي متلبسا بالكتابة عن المأمون أو حسب رواية أخرى بسبتة مستقضيا بها له في محرم عام 629 / 1232 (*الذيل والتكملة* ، 2 : 464 ؛ *التكملة*، 157 ؛ الاعلام، 3 : 138).

ابن الآبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. إبراهيم الإبياري، القاهرة / بيروت، ط. 1410 / 1989 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، الرباط، 1974، الجزء الثاني ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، تح. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، الدار البيضاء، 1406 / 1985.

زليخة بنرمضان

**التُّجيبي**، القاسم بن يوسف بن محمد بن علي السبتي، يكنى أبا القاسم، وبهذه الكنية عرف عند معاصره وكل من ترجموا له.

ولد بمدينة سبتة. وقد اختلف في ضبط سنة ولادته. لكن من الأرجح أن تكون سنة 670 / 1271 أقرب إلى الصحة، وذلك استناداً إلى مارواه التجيبي نفسه أثناء حديثه عن السند العالي الذي روى به *موطأ* الإمام مالك بن

أنس بدمشق، يقول التجيبي : "وهذا الإسناد أيضاً إسناد جليل في غاية العلو، وليس يوجد اليوم على وجه الأرض من عنده إسناد إلى الإمام مالك رحمه الله تعالى أعلى من هذا، لا في *الموطأ*، ولا في منثور الحديث، وهو أعلى الممكن ولاسيما لأمثالنا، ولمن ولد في أحواز سبتة سنة سبعين وستمائة". ( *البرنامج*، 64) وبسبتة أيضاً شب وترعرع. إلا أن المصادر شحت بالتفصيلات عن مرحلة طفولته ومكانة أسرته وسط المجتمع السبتي. فأهم ما نستشفه من خلال برنامجه عن هذه المرحلة أنه كان مولعا بعلوم القرآن منذ نعومة أظفاره. وأول من أخذ عنه القرآن كتابة وقراءة بحرف نافع هو الشيخ عبد الرحمن بن أبي الأصبغ الورياغلي القصري المعروف "بابن صاحب رزقه" وعند بلوغه السادسة عشرة من عمره، كان حافظاً للقرآن بقراءاته المأثورة عن القراء السبعة المشهورين، بالإضافة إلى علوم القرآن، انصب التجيبي على دراسة الحديث والفقه والتصوف وعلوم العربية ( *البرنامج*، 16).

عرف التجيبي هذه المعارف من منابع علمية مختلفة ومتباعدة، أخذ بسبتة عن عدد من المشايخ من جملتهم عبيد الله بن أبي الربيع، وأبو بكر محمد بن منظور القيسي وأبو بكر بن عبيدة الأنصاري وأبو العباس العزفي (*البرنامج*، 17، 34، 76). لكن التجيبي لم يقنع بما عرفه عن مشايخه بسبتة، بل شد الرحال إلى الأندلس عام 694 / 95 ـ 1296. فسمع بها على عدد من العلماء من بينهم أبو عبد الله بن عياش بمالقة وعبد الله بن شعيب القيسي (*البرنامج*، 47 ـ 146). لكن رحلته الأندلسية هذه لم تشف أيضاً غليله إلى العلم والمعرفة، فرحل إلى المشرق حوالي سنة 696 / 97 ـ 1298. وأثناء رحلة الحجازية، جلس للسماع على شيوخ علماء المراكز العلمية التي عبرها، كبجاية وتونس والإسكندرية والقاهرة ومكة ودمشق. وقد أثبت مروياتهم ومؤلفاتهم وحلقات علمهم في برنامجه وكذا في رحلته. من بين العلماء الذين أخذ عنهم بالمشرق : أحمد بن عبد المحسن الحسيني العراقي الغرافي بالاسكندرية (*الرحلة*، 395) وأبو محمد عبد المومن بن خلف التوني الدمياضي، وابن دقيق العيد بالقاهرة ( *الرحلة*، 313) وابن عساكر مؤرخ الشام وابن تيمينة بدمشق ( *الرحلة*، 13 ؛ *البرنامج*، 83 ـ 192) وقد رافقه في رحلة الحجازية هذه، خلف الغافقي القبتوري، صاحب ديوان الغرفيين ( *البرنامج*، 35).

بعد عودة التجيبي إلى سبتة، قعد للدرس والتحديث بمسجد زقاق ابن الشراك. فتقاطر عليه طلاب علوم القرآن والحديث من مختلف الآفاق. من جملة طلبته محمد ابن عبد المهيمن الحضري وأبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني الفاسي وأبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري المعروف بالشديد وأبو عبد الله ابن الدراج ( *بلغة الأمنية*، 177 ؛ *فهرس الفهارس*، 1، 191 ؛ *الإحاطة*، 3، 199؛ *Les notes*, 2 : 30).

وجد التجيبي في الدرس والتحصيل ضالته المنشورة كما وجد في سبتة منزلا محمودا دون غيرها من المدن، بحيث لم يبرحها إلى أن وافته المنية بها سنة 730 / 1329 (*نيل الابتهاج*، 362 ؛ *بلغة الأمية*، 177).

من آثار التجيبي مؤلفان، أولهما *مستفاد الرحلة والاغتراب*. يتكون في الأصل من ثلاثة كتب ( *الدرر الكامنة*، 3، 240 ؛ *نيل الابتهاج*، 362) لكن لم يصلنا منها إلا الجزء الثاني.

تعد *الرحلة* فهرسا ضمنه التجيبي ذكر مشايخه ومروياتهم وتصانيفهم في مختلف الاتجاهات العلمية. كماضمنها أسماء الكتب المتداولة في الشرق على اختلاف مضامينها. بالإضافة إلى ذلك، اعتبرت الرحلة أيضاً وصفاً للبلدان لما احتوت عليه من وصف مشاهد عمرانية وذكر أخبار اقتصادية واجتماعية. وقد حذا في ذلك حذو ابن جبير، بل اعتنى بتصحيح الكثير من أخطاء هذا الرحالة المشهور.

أما المؤلف الثاني فهو *البرنامج* الذي اعتنى فيه بذكر الكتب التي قرأها، وقد صنفها حسب مواضيعها، فأعطى الأولوية لعلوم القرآن، وختم مولفه بعلوم اللغة والآداب.

ومن أعماله الثانوية، *مستدركاته على الذيل والتكملة* لشيخه ابن عبد الملك المراكشي (السفر السادس، 505 ـ 512). أما مؤلفه *في الجهاد* وقد احتوى أربعين حديثا، فلا نعلم له أثراً باستثناء ما ورد عنه في المصادر (*بلغة الأمنية*، 177 ؛ *Les notes*, 2 : 30).


الأنصاري، *اختصار الأخبار* ؛ *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب* ؛ التجيبي، *برنامج التجيبي*، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا ـ تونس، 1981 ؛ التجيبي، *مستفاد الرحلة والاغتراب*، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا ـ تونس، 1395 / 1975 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طرابلس، 1989 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، بيروت، الجزء 3 ؛ ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، بيروت ـ لبنان 1403 / 1983 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. عبد الله عنان، القاهرة، الجزء 3 ؛ ع. عنان، *دول الطوائف*، القاهرة، 1380 / 1960 ؛ عبد الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، المطبعة الجديدة، 1346، الجزء الأول ؛ حسين مؤنس، *فجر الأندلس*، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1405 / 1985 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، السفر السادس، تح. إحسان علي، بيروت ـ لبنان، 1973.

A. L. de Premare, *Les notes de voyage d'Ibrahim b. Al-Hadjdj an-Numayri en l'année 745 / 1344*, Lyon 2, 1978, T. II.


زليخة بنرمضان

**التجيبي، محمد** بن **أحمد** بن محمد بن مطرف المعروف بابن عزيز، المنسوب إلى تجيب بطن كبير من بطون كندة الواقعة شرق اليمن من أحفاد منذر بن يحي بن منذر بن منصور، أحد ثوار سرقسطة.

ولد بفاس سنة 954 / 1547 وأخذ العلم عن مشايخها : أمثال أحمد بن قاسم القدومي، ويحيى بن محمد السراج،

وعبد الواحد بن أحمد الحميدي، وأحمد بن علي المنجور، وأبي القاسم ابن عبد الجبار الفكيكي. وبواسطة هذا الأخير أخذ التصوف عن الشيخ أبي الحسن البكري بن الذي لقيه ابن عبد الجبار أثناء رحلته إلى الحج. ومن أشهر تلاميذ التجيبي الفقيه عبد الواحد بن علي بن عاشر وبه تخرج.

توفي بفاس سنة 1022 / 1612، ودفن بالدرب الطويل من عدوة القرويين.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 235 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، 354 ؛ ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 51 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 177 ؛ *التقاط الدرر*، 1 : 60 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 152 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، 1 : 297.

نفيسة الذهبي

**التجيبي، محمد** بن **عبدالرحمن** بن علي بن محمد ابن سليمان عالم إشبيلي، درس على عدد من علماء الأندلس أمثال أبي عبد الله بن عبد الرحيم ولازمه، وعن العلامة إبن بشكوال، وعن قريبه محمد بن معطي التجيبي، ويوسف بن إبراهيم الثغري، وغيرهم.

رحل إلى الحج، والتقى بجملة من علماء المشرق وأخذ عنهم، مثل أبي طاهر السلفي بالإسكندرية، وحماد بن هبة الله الحراني، وعبد الرحمن بن محمد بن منصور اللخمي وأحمد بن طارق بن سنان، وأبي محمد بن بري، وشهدة بنت أحمد بن أبي الفرج الأبرية، وجماعة آخرين ضمنهم معجم شيوخه الذي يعتبر مفقوداً.

دخل المغرب، وحل بمدينة فاس عام 594 هـ فروى بها عنه خلق كثير، وكذلك بسبتة وتلمسان التي استقر بها إلى وفاته.

ألف بعض الكتب مثل معجم شيوخه، أكثر فيه من الآثار والحكايات والأخبار، واعتمده ابن الآبار في *التكملة*، كما ألف معجم شيوخ شيخه الحافظ *أبي طاهر السلفي*، *وأربعين حديثا*، وغير ذلك. كان عالما فاضلا، معتنيا بالتواريخ. روى عنه خلفه منهم أبو العباس العزفي السبتي وأبو عبد الله الأزدي وأبو الحسن الغافقي الشاري وأبو عبد الله بن جعفر، وأبو جعفر بن فرتون، وتحدث عنه في كتابه المفقود *"الذيل"*. وتوفي التجيبي بتلمسان في جمادى الأولى عام 610 / 1213.

ابن الآبار، *التكملة لكتاب الصلة*، القاهرة 1955، ج 2 : 588 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط 1973، 276، 277.

محمد المغراوي

**التحتية**، لباس داخلي عند النساء، يقابل التشامير عند الرجال، وهي لباس داخلي تحتي مندفن تحت الملابس التي ترتديها المرأة. لذا فهي تسمى في البوادي والمدن عند سائر الناس التحتية كما يسميها بعضهم الدفين أو الدفينة.

والتحتية قميص طويل يمتد على طول الجسم من العنق إلى الكعبين، تتخذ إما من قطن أو كتان أو طلس أو ساتان أو ملف أو حرير. تكون أكمامها عادة طويلة تصل إلى حد المرفقين ولا تكون مفتوحة من الصدر. كانت المرأة

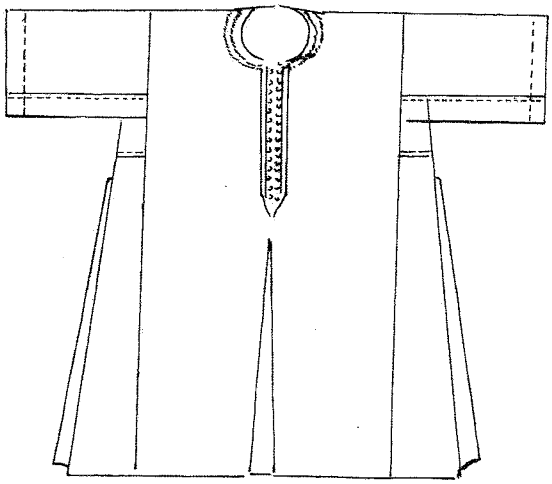

التحتية

في القرن الثالث عشر (19 م) وما قبله ترتديها مباشرة فوق جسمها بعد السراويل الفضفاضة، فكانت بمثابة التبان العصري والقميص النصفي الذي أصبحت المرأة الحديثة لا تستغنى عنه إلا نادرا (La combinaison). وغالبا ما تكون حواشي أكمام التحتية مطروزة أو مشبكة أو مضرسة، ويكون لونه عادة في مثل رداء آخر يلبس فوقها ومكملا لها يدعى المنصورية أو الفوقية. وتختلف هذه الفوقية النسوية عن فوقية الرجال في أنها تكون مفتوحة من الصدر من الأمام إلى مطلع الصدر وتتخذ من قماش رفيع منمق بالرسوم والأشكال المشجرة البديعة وتكون خياطتها بالسفيفة والمجدول.

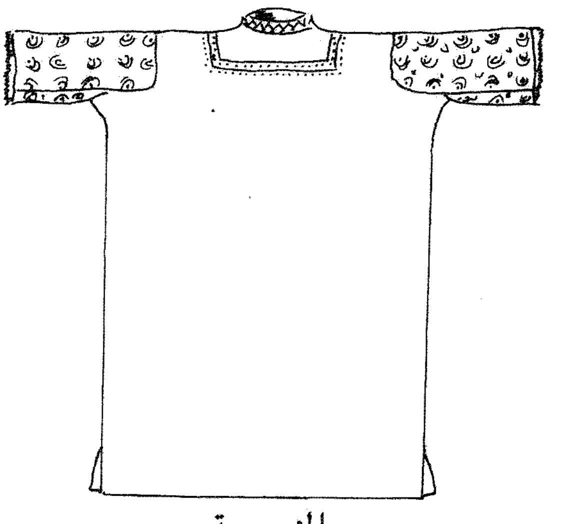

المنصورية

كانت النساء في القرن الماضي يلبسن التحتية والمنصورية أو القفطان وحده فوق التحتية. ونظراً لارتفاع تكلفة القفطان ساد استعمال التحتية والفوقية لدى نساء

الفئات المتوسطة. أما الفقيرات منهن فكن يكتفين بالسروال والتحتية ثم يرتدين الحائك فوق ذلك إذا أردن مغادرة منازلهن. أما داخل المنازل فلا جناح عليهن في أن يلبسن الضروري مما يسترهن وهن بين محارمهن. وكان معظم ما كانت النساء تلبسه وهن داخل البيوت لا يتعدى تحتية بسيطة تشدها إلى الخصر بواسطة حزام بسيط ترتدي أسفلها سروالا واسعا. كان السروال البلدي والتحتية في كل الحواضر المغربية والبوادي هما اللباسان الأهليان السائدان قبل أن تغزو الملابس الرومية النسوية الحديثة الأذواق وأصبحت تهدد بإقصاء التحتية وما يرتبط بها من ميدان التداول لدى النساء الحاليات من الجيل الجديد.

أحمد بن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط 1973 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء التاسع، الدار البيضاء 1960 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط 1974 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الجزء الرابع، الرباط 1931 ؛ عثمان بن عابد بوفتاس، أمانوز، *لمحات تاريخية واقتصادية واجتماعية*، الدار البيضاء 1991 ؛ م. الشياظمي، *مدينة أزمور وضواحيها*، الرباط 1987.

J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988, réédition ; *Le Dictionnaire Colin d'arabe dialectal marocain*, vol. 1, Rabat 1993, *A. M.*, vol. 17, 1911 ; De Segonzac, *Voyage dans le Sous*, Paris, 1900 ; E. Doutte, *Marrakech*, Paris 1905 ; Ch. Didier, *Promenade au Maroc*, Paris, 1844.

محمد بوسلام

**التحديث القروي**، يقصد به مجموعة من الإجراءات السياسية والقانونية والتقنية التي اتخذتها فرنسا أيام الحماية قصد تحويل البادية المغربية وإنشاء فلاحة عصرية بها.

كان التحديث القروي يستهدف أساساً ما كانوا يسمونه بالمغرب النافع، المنتج للحبوب، والمتأثر بالوجود الفرنسي (ضيعات المعمرين، مضاربة عقارية، تسجيل عقاري ...)، أي مناطق الغرب وسايس والشاوية ودكّالة وتادلا وملوية السّفلى وزمّور وزعير، وهي مناطق كانت تتميز بهيمنة الرعي، وعتاقة وسائل الإنتاج، وضعف المردودية.

يهدف التحديث القروي إلى إعادة صنع البادية المغربية ودمج الفلاحة في نمط الإنتاج الرأسمالي، وذلك بخلق فلاحة عصرية تنتج من أجل السوق وطبقة من الفلاحين على النمط الأوربي، أي طبقة وسطى تكون دعامة للسياسة الاستعمارية بالأرياف.

لتحقيق هذه الغاية، اعتمدت فرنسا مجموعة من المؤسسات أهمها جمعيات الضمان الاهلية (Les Sociétés Indigènes de Prévoyance) "والبيْزانا" (Paysannat) (انظر هذه المادة).

أنشئت جمعيات الضمان الأهلية بظهير 8 غشت 1918 المعدل بظهير 28 يناير 1922 ثم بظهير فاتح يناير 1928 وتحدد الظهائر أهداف هذه الجمعيات وتنظيمها. ويتعلق الأمر بمؤسسات ذات شخصية مدنية تُسيّر من طرف مجلس إداري يتكون من ممثلي السلطات الاستعمارية وبعض الأعيان. وتتوخى هذه المؤسسات حماية صغار الفلاحين من المرابين، وذلك بتسليمهم القروض التي قد يحتاجون إليها، وتبسيط التقنيات الزراعية قصد تحويل العامل القروي إلى مزارع ويمكن لمجموعة من هذه الجمعيات، طبقا لظهير 24 أبريل 1937، إنشاء تعاونيات أهلية فلاحية (Coopératives Indigènes Agricoles) تعمل للإنتاج من أجل السوق وفق الشروط التي تخضع لها كل المؤسسات الصناعية (مضاربة، احتكار الإنتاج، تحقيق القيمة المضافة ...)، وذلك بعد موافقة إدارة الداخلية لتفادي ظهور رأسمالية أهلية قد تنافس المقاولات الأجنبية.

سعت فرنسا من وراء كل هذه الإجراءات علاوة على خلق طبقة متوسطة من الفلاحين المغاربة الذين يدعمون سياستها، إلى الحفاظ على حشود الفلاحين الصغار الذين قد يتم استثمارهم في ضيعات المعمرين، وإلى الاستيلاء على أقصى ما يمكن من الأراضي بطرق "شرعية".

وبما أن هذه السياسة لم تعط ثمارها، فقد ارتأت فرنسا، في الأربعينات، أن تتخلى عن فلسفة التغيير التدريجي للعمل علي تغيير البادية المغربية بطريقة سريعة وكلية، وذلك في إطار "البيْزانا" التي تهدف إلى تحقيق تحديث كلّي يشمل الجوانب المادية والاجتماعية والأخلاقية، وذلك بتركيزها على الجوانب التقنية المتعلقة بالمردودية، ولاهتمامها بالتعليم والصحة والسكن، الشئ الذي يتطلب إحداث تغييرات على مستوى الدوّار، وعلى مستوى وسائل الإنتاج التقليدية والتجهيزات الاجتماعية.

ومن الإنجازات التي حُققت في هذا الإطار يمكن أن نذكر استصلاح الأراضي وزرعها، وإدخال مزروعات جديدة، وتحسين أجناس الماشية وإدخال أنواع جديدة، وإنشاء تجهيزات سقوية ؛ هذا بالإضافة إلى المنشآت ذات الطابع الاجتماعي (تعليم، صحة). ولتحقيق هذه المنجزات، اعتمدت "البيْزانا" على طاقم من الموظفين والتقنيين الذين يؤطرون الفلاحين ويسهرون على تكوينهم.

ورغم الإنجازات المادية الإيجابية التي حققها التحديث القروي بالمغرب، فإن سياسة التحديث القروي كانت تستلزم تدمير التوازن الاجتماعي القديم وتعويضه بتوازن جديد، عبر إحداث ما سماه "جاك بيرك" منظِّر هذه العملية، بالصدمة النفسية.

انظر مادة البيْزانا.

C.H.E.A.M., *Textes et documents sur les S.I.P.* ; Greilsammer, *La modernisation du Paysanat*, C.H.E.A.M. ; A. Guillaume, *L'œuvre des S.I.P. au Maroc depuis la guerre*, *B.E.S.M.*, XIV, n° 50, 1951 ; J. Le Breton, *La modernisation rurale du Maroc 1945 - 1946*, mémoire de l'I.I.A.P.

عبد الجليل حليم

**التحرر والاشتراكية** (حزب.) ←
**التقدم والاشتراكية** (حزب.)

**التحرير**، جريدة يومية صدر أول عدد منها بمدينة الدار البيضاء في ثاني أبريل سنة 1959 بإدارة محمد

البصري، واضطلاع عبد الرحمن اليوسفي برآسة تحريرها، وذلك على إثر الصراع الداخلي الذي عرفه حزب الاستقلال بين جناح علال الفاسي وجناح المهدي بنبركة مما أدى إلى الانشقاق بعد قيام حركة يناير 1959.

أصبحت جريدة التحرير لسان الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، ثم توقفت عن الصدور بقرار إداري من دجنبر 1959 إلى دجنبر 1960. وابتداءً من العدد 1088 (15 غشت 1963)، صارت جريدة أسبوعية ثم توقفت بعد ذلك بحيث إن آخر ما يوجد منها في الخزانة العامة بالرباط هو العدد 1096 (16.10 أكتوبر 1963).

A. Benyoussef, *Répertoire des publications des partis politiques au Maroc : 1956 - 1980*, Mémoire présenté en vue de l'obtention du diplôme d'informatiste spécialisé, Ecole des Sciences de l'Information, Rabat, 1983.

محمد جادة

**التحفيظ العقاري**، المغربي أو التأريف القانوني، يستند إلى ظهير 12 غشت سنة 1913، وإلى النصوص القانونية المعدّلة والمكملة له الواردة على شكل ظهائر أو قرارات ومراسيم وزارية في 2 و3 و4 يونيه سنة 1915 وفي 29 دجنبر سنة 1953 وفي 29 يوليوز سنة 1969.

ونظام التحفيظ العقاري المغربي نظام طوعي يعتمد على الكنانيش العقارية (Livres Fonciers) ويهدف إلى تفريد الملكية العقارية عن طريق تحديدها طبيعياً (Physiquement) وقانونياً. ويتلخص التحديد الطبيعي في التوطين الجغرافي للعقار، وضبط حدوده ومقوماته (محتواه). بينما يتلخص التحديد القانوني في وضع رسم عقاري نهائي غير قابل للطعن. وهذا ما يفرض الاعتماد على مبدإ الإشهار الحقيقي، بغية تطهير العقار وإثبات الحقوق القائمة عليه (عينية كانت أم تحملات أو حقوق ارتفاقات ...).

وبعد إقامة الرسم، تضاف به كل التغييرات اللاحقة المتعلقة بالعقار وبالحقوق عليه. ويعد الكناش العقاري بمثابة الحالة المدنية للعقار المسجل. يعرِّف بأصوله وبتاريخه ووضعيته القانونية. ويُصَاحَبُ كل رسم عقاري بتصميم للعقار.

وتبقى الكنانيش العقارية مفتوحة في وجه العموم. ولاَ يعترف سوى بالحقوق المسجلة بها، وهي ضامنة لأمن المعاملات بفضل التحديد الطبيعي والقانوني للعقارات.

ورغم ما للتحفيظ العقاري من مزايا اجتماعية واقتصادية. فالمعلومات المتوفرة بها ناقصة كمّا ونوعاً وجغرافياً بالنسبة لما تحتاج إليه مشاريع تنمية الأرياف، وذلك مَا يفسر ظهور التأريف الوطني (انظر مادة *التأريف*). انطلق التأريف المغربي كتأريف قانوني قبل أن يظهر التأريف الوطني أو التحفيظ العقاري عملية طوعية ظل إنجازها من اختصاص الدولة الممثلة في مصلحة المحافظة العقارية وحدها. لكن منذ الستينات سمح للقطاع الخاص بالمساهمة في الأشغال الطبغرافية (مرسوم عدد 2. 59. 061 بتاريخ 7 شوال 1379 موافق 4 أبريل 1960). ومرسوم 11. 11. 1972.

وبجانب المصلحة المركزية للمحافظة العقارية المتمثلة في مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبغرافية التابعة لوزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي، نجد مَصَالح إقليمية، تطور عددها في إطار تقريب الخدمات من المواطنين واللامركزية. فبعد ما كان عدد هذه المصالح الجهوية تسعاً سنة 1960 وَصَل إلى ثلاث وأربعين مصلحة في مطلع التسعينات موزعة على مجموع التراب الوطني.

أما مهام المديرية وملحقاتها الجهوية فكثيرة، وتتمثل أساساً في ما يلي :

- التحفيظ العقاري للملكيات بالمدينة وبالبادية.
- وضع التصاميم المشارتية قبل عمليات تجميع الأرض.
- إنجار التأريف الوطني والمحافظة عليه.
- تحديد أملاك الدولة والأملاك الجماعية، والغابات ...
- مراقبة الأشغال الطبغرافية المنجزة لحساب المصالح العمومية من طرف المقاولات المرخص لها.
- وضع جذاذية مفصلة لأراضي الدولة بالبلديات والمراكز المستقلة والمراكز المحدَّدَة وهوامشها.
- إنجاز التصاميم المديرية للبلديَات والمراكز المستقلة والمراكز المحددة وهوامشها.

إن القيام بهذه المهام يتطلب وسائل بشرية وتقنية ومالية متزايدة. فالتطور الاجتماعي والاقتصادي السريع للبلاد يفرض معرفة البنيات العقارية وتوفير أمن المعاملات الاقتصادية المبنية على العقار ...

وبالرغم من تطور المهام، فإن المديرية ظلت تعاني من النقص في التمويل نظراً لكون مداخيل خدمة التحفيظ كانت موجهة إلى الخزينة العامة وما كانت ترصده الدولة لإنجاز العمليات ظل محدوداً. ومن انعكاسات هذا النقص نشير إلى تأخر إنجاز العمليات وَتأخر معالجة الملفات. وأمام الخصاص المادي والبشري والتقني تم اللجوء إلى حلين، يتمثل أولهما في تحسين ظروف العمل بالمجمعات العقارية التابعة للمديرية، ويتمثل ثانيهما في توسيع نشاط القطاع الخاص.

أما فيما يخص الحل الأول، فقد تم تزويد مديرية المحافظة العقارية منذ 1983 بميزانية ملحقة مكوّنَة من عائدات التحفيظ ومتنامية بـ15٪ سنوياً. وبموازاة هذا الإجراء التمويلي، تم رفع عدد الأطر والمستخدمين مع إعادة تكوين بعضهم، وتم تجهيز المصالح بوسائل تقنية متطورة.

وفيما يخص الحل الثاني، تم فتح الباب أمام القطاع الخاص للمساهمة في عملية التحفيظ العقاري عن طريق إعداد الملفات التقنية والتصاميم التأريفية وذلك في إطار الصفقات الطبغرافية الطويلة الأمد (5 سنوات). وهكذا ارتفع عدد المقاولات الطبغرافية بشكل سريع ليصبح 180 مكتبا في مطلع التسعينات بَدَلَ 66 في سنة 1971 (منها 46 مرخص لها آنذاك و20 مرخص لَهَا مؤقتا).

ظل نشاط مصلحة المحافظة العقارية منحصراً في جانب التحفيظ العقاري الذي كان عملية طوعية مما جعل العقارات المحفظة مشتتة والمعلومات المتوفرة حولها غير مراجعة. ومنذ مطلع الستينات، وضعت الدولة مخططاً طموحاً للري بواسطة مياه السدود الكبرى. وقد بدأ تطبيق هذا المخطط تحت إشراف المكتب الوطني للري (ONI) ثم تواصل منذ منتصف الستينات تحت إشراف المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي (ORMVA). ومنذ السبعينات زاد الاهتمام بالبوادي خارج مناطق نفوذ هذه المكاتب عن طريق إنعاش مشاريع مندمجة للتنمية.

وسواء تعلق الأمر بإعداد المناطق السقوية أو المناطق البورية، فالحاجة إلى المعلومات الخاصة بالبنيات العقارية تبقى كبيرة. وتعتبر هذه الحاجة حافزاً على الإسراع بعمليات التحفيظ. ولهذا الغرض ظهر إطار التحفيظ الجماعي، وإطار ضم الأراضي بجانب إطاري التأريف الوطني والتحفيظ الاختياري.

يستند التحفيظ الجماعي إلى ظهير رقم 1.96.174 بتاريخ 10 جمادى 1389، الموافق لـ 25 / 07 / 1969. (الصادر بالجريدة الرسمية عدد 2960 مكرر، الصادرة بتاريخ 29 / 07 / 1969. ويتعلق الأمر بقيام وزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي لتحديد مناطق للتحفيظ العقاري. خارج المدارات الحضرية تُسَجَّل وتحفظ العقارات الواقعة داخلها. وتتبع في ذلك المسطرة التالية :

- صدور قرار وزاري بالجريدة الرسمية يحدد منطقة التحفيظ.

- القيام بجميع إجراءات تحفيظ العقارات الموجودة داخل المنطقة المحددة بدون مصاريف، شريطة تقديم طلبات التحفيظ في أجل لا يتعدى سنة مع إمكانية تمديده إلى ستة شهور.

- وضع المحافظ لملف يتضمن حالة وتصميم المشارات بمقر السلطة المحلية ويعلن بالجريدة الرسمية عن هذا الإجراء. وفي نفس الوقت تتوصل هذه السلطة بلائحة لأصحاب الطلبات وأرقام هذه الأخيرة، ويمكن للعموم الاطلاع على هذه الوثائق. وتتميز هذه المسطرة بكونها غير إجبارية وتواصل بطريقة جماعية حتى صدور قرار التحفيظ.

- عملية ضم الأراضي : هي عملية حديثة ظهرت بمقتضى الظهير رقم 1.62.105 بتاريخ 20 / 06 / 1962 ومرسوم التطبيق عدد 2.62.240 بتاريخ 25 / 07 / 1962. مع تعديلاتهما وتكميلاتهما. ويبقى الهدف منها هو تحسين استغلال الأرض عن طريق تجميع مشارات الملكية المتشتتة وإعادة توزيع الأرض على شكل قطع أرضية كبيرة تقدم ظروفا أحسن للاستغلال. وتتلخص مسطرة ضم الأراضي كالتالي :

- صدور قرار وزاري بالجريدة الرسمية يحدد المنطقة المزمع ضم أراضيها ويأذن بانطلاق العمليات بعد استشارة المجالس الجماعية.

- صدور قرار للسلطة المحلية أو الإقليمية، بناءاً على مقترح لجنة الضم، يحدد تاريخ انطلاقة العمليات ومساحة القطاعات المعنية.

- إنجاز حالة وتصاميم المشارات بالقطاعات المعنية بعد البحث الطبغرافي والقانوني في عين المكان (الإشهار).

- صدور إعلان وضع الحالة والتصميم المشارتيين بمقر السلطة المحلية بالجريدة الرسمية (معلنا عن منع بيع وتفويت وتقسيم وتبادل الأرض داخل قطاعات الضّم إلى غاية صدور مرسوم المصادقة.

- موافقة لجنة الضم على مشروع الضم.

- صدور مرسوم الموافقة (Homologation) بالجريدة الرسمية.

- تثبيت الأرض للملكيات المجمّعة في غضون الستة أشهر اللاحقة لمرسوم المصادقة.

- مواصلة المسطرة العادية للتحفيظ إلى مرحلة تسليم الرسوم العقارية.

التحفيظ العقاري : مكتسبات كبيرة : سجلت الإدارة خلال فترة الحماية (1915 - 1955) إقبالاً كبيراً على التحفيظ العقاري. فقد وصل عدد الرسوم العقارية إلى 58.500 بالبادية وإلى 30.500 بالمدينة. أما مساحة الأراضي المحفظة فقد بلغت 1.920.000 هـ منها 16.400 هـ فقط بالمدينة. والملاحظ أن كل الأراضي المعنية بالتحفيظ آنذاك كانت داخل ما كان يعرف "بالمغرب النافع" حيث تركزت ملكية المعمرين. وبالرغم من هذه النتائج الايجابية، فقد انتهى عهد الحماية مخلفا وراءه تأخراً كبيراً في إنجاز التأريف القانوني يعكسه وجود 40.000 طلب للتحفيظ في الانتظار.

وبعد الاستقلال، تواصل العمل بالتحفيظ العقاري الطوعي وتعزز التأريف القانوني بخلق إطارين جديدين للإسراع بالتحفيظ العقاري : إطار التحفيظ الجماعي وإطارضم الأراضي.

فعلى مستوى التحفيظ الجماعي، ساهمت مجانية العملية، وتحسن الظروف التقنية - التي أصبح من الممكن معها إنجاز قطاعات واسعة قد تصل مساحتها إلى 3.000 هـ سنوياً كما حدث ببني يخْلَف بخريبگة - في تحقيق نتائج مشجعة. فمنذ بداية العمل بهذا الإطار في 1969 وإلى 1992، همّ التحفيظ قرابة 100.000 هـ موزعة على 43.500 مالك.

أما على مستوى التحفيظ في إطار عملية ضم الأراضي، فالبرغم من قصر مدة العمل في هذا الإطار، فالنتائج المحصل عليها مهمة. ففي 1992 وصلت المساحة الإجمالية الموجودة في طريق الضم إلى 724.788 هـ موزعة كالتالي :

616.920 هـ مسقية صودق منها على 71،5٪

107.868 هـ بورية صودق منها على 33،2٪

وحسب معطيات مديرية المحافظة العقارية لسنة 1991

(الجدول والشكل صحبته) كانت الأراضي المعنية بالضم توجد في معظمها بمناطق نفوذ المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي. وهو ما يؤكد على الأولوية المعطاة للزراعة المسقية من طرف الحكومة.

| المكاتب الجهوية | المساحة بالهكتار | المديريات الإقليمية | المساحة بالهكتار |
|---|---|---|---|
| دكالة | 98.352 | بولمان | 949 |
| الغرب | 182.447 | فاس | 3.534 |
| الحوز | 36.631 | الخميسات | 9.500 |
| اللوكوس | 88.472 | مكناس | 36.318 |
| ملوية | 64.573 | الناظور | 450 |
| سوس | 35.182 | وجدة | 1.306 |
| تادلة | 78.935 | الرباط - سلا | 1.450 |
| - | - | طنجة | 1.242 |
| - | - | تطوان | 2.002 |
| المجموع | 584.592 | المجموع | 56.751 |
| المجموع العام | | 641.343 | |

قطاعات ضم الأراضي حسب المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي والمديريات الاقليمية للفلاحة

وبصفة عامة، وصل عدد طلبات التحفيظ بين 1915 و1990 إلى 404.813، أربعة أخماسها (4/5) بالأرياف. أما المساحة المرغوب في تحفيظها خلال نفس الفترة فقد بلغت إلى 4.209.892 هـ، منها 98,9٪ بالأرياف. والملاحظ هو تزايد طلبات التحفيظ بالمدينة خلال العقدين الأخيرين.

وإذا كان عدد الطلبات كبيراً والمساحة المراد تحفيظها كبيرة كذلك، فما تم تحقيقه نهائياً يبقى نسبياً محدوداً. فنسبة الطلبات التي تمت معالجة ملفاتها وتسليم رسومها لا تمثل سوى 56٪ ولاتمثل نسبة الأراضي التي حفظت برسم عقاري سوى 55,5٪. وتدل هذه المعطيات على بطء عمليات إنجاز التأريف القانوني. ويؤكد لنا هذا البطء ما تم تحقيقه منذ الاستقلال. حيث لم يصل عدد الرسوم المسجلة بالأرياف سوى 110.000 رسم ولم تشمل المساحة المحفظة سوى 410.000 هـ.

محمد كربوط

**التُّخس** أو الدُّخس أو الدُّلفين، وأيضاً درفيل ودنفيل - كما هو في المعاجم - كما ينطق به في المغرب وفي باقي الدول العربية، جنس حيوانات بحرية ذات أسنان صغيرة تنتمي إلى طائفة الثدييات (Mammalia) ورتبة الحيتان أو الحوتيات (Cetacea) وتحت رتبة الحيتان المسننة أودونتوسيت (Odontocètes) وفصيلة التخس أو الدرافيل دلفيندي (Delphinidae). كنيته في البحر الأحمر أبو سلهام ويطلق العرب على أنواع التخس خنزير البحر دون أن يميزوا بين الأنواع. ويسميه البحارة المغاربة تُخْس ودنفيل المأخوذة من الفرنسية (Dauphin).

يتنفس التخس الهواء خارج الماء من خلال فتحة أنفية واحدة تقع على الجانب الأيمن بأعلى الرأس ويحدث التنفس نتيجة لخروج التخس إلى سطح الماء في حركة التفافية وينفتح الصمام الذي يغلق الفتح الأنفية فيندفع الهواء المختزن بالرئتين بسرعة ليحل محله هواء نقي ثم يقفل الصمام مرة أخرى قبل أن يغوص الرأس ثانية.

تبدو أذنا التخس كنتوءات ضيقة على جانبي الرأس وتعتبر هذه النتوءات قنوات سمعية منقرضة تُذكر بذلك الوقت عندما كان هذا الحيوان برياً. يتمتع بحاسة سمعية قوية وذلك بتمييزه لكل الموجات الصوتية التي تنتقل خلال الماء أو العظم أو اللحم إلى الأذن الداخلية.

تنمو للتخس الأطراف الأمامية وتتخذ هيئة المجاذيف ولكنها تمثل في تركيبها أذرع اللبونات المخمسة الأصابع. توجد على الظهر زعنفة واحدة مقوسة إلى الوراء ويتكون الذنب من شعبتين مستعرضتين. أكدت الدراسات التشريحية والبقايا المتحجرة للدلافين والحوت انتماءهما لأسلاف ثديية، كانت تعيش فوق سطح الأرض ومرت بطور شبيه بعجل البحر قبل أن تصبح حيوانات مائية بحتة.

للتخوس أو الدلافين قصص عديدة تذكر أنها حيوانات أليفة ويرجع تاريخها إلى أيام اليونانيين والرومان القدامى، وهناك العديد من العملات وقطع النحت من ذلك العهد تصور صبيا يمتطي ظهر تخس. وقد اعتبرت هذه القصص حتى عهد قريب ضرباً من الأساطير بيد أنه في عام 1956 تكرر وقوعها ثانية على ساحل البحر قرب مدينة أوبونيني (Oponini) في نيوزيلاندا.

يحدث قبل التزاوج بين الذكور والإناث تلاطف طويل (رقص) في الماء ويولد صغير واحد بعد عشرة أشهر. يتنفس الصغير الهواء منذ لحظة ولادته ويتم ذلك بدفع الأم وليدها إلى سطح الماء حتى تتأكد تماما من قيامه بالتنفس والسباحة. ومن المحتمل أن تكون قصص إنقاذ الدلافين للغرقى بدفعهم فوق الماء صحيحة وأن يكون هذا المسلك نتيجة لغريزة الأمومة التي تتمتع بها إناث التخس.

تُعرف لفصيلة التخس عشرة أنواع تعيش في البحار المحيطة بالمغرب :

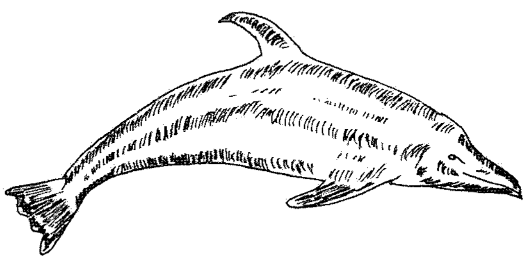

يسمى التخس الشائع علميا دلفينوس ديلفس (Delphinus delphis) وبالفرنسية Dauphin commun أو Dauphin des anciens وبالأنجليزية Common dolphin

وبالإسبانية Delfin comun. يتراوح طوله عند الولادة ما بين 0.8 و0.95 متر وعند البالغ ما بين 1.6 و2.8 متر. يبلغ وزنه ما بين 75 ـ 110 كلغ. مُتْكه طويل ومنعزل عن الجبين. يحتوي كل فك على 80 ـ 130 سنا صغيرة مخروطية الشكل وحادة. جسمه مغزلي، ظهره وزعانفه بنية سوداء داكنة. الجوانب مخططة بالأصفر وبالرمادي، البطن أبيض والعينان محفوفتان بالسواد.

إنه حيوان شائع في البحر الأسود والبحر المتوسط وفي المياه الأطلنطية الدافئة. يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد يتراوح عددها ما بين 10 و50 فردا وأحيانا تفوق 10 فرد. غوصاته وجيزة لا تتعدى 70 مترا من العمق. يسبح غير بعيد عن سطح البحر وكثيراً ما يقفز عاليا خارجا الماء. يعيش أحيانا منفردا أو مزدوجا وكثيرا ما يقترب من البواخر ويتلاعب معها مدة طويلة. يعْد من أسرع الحيوانات سباحة وتصل سرعته أحيانا 50 كلم في الساعة. يعيش بالقرب من السواحل ويدخل أحيانا في البحيرات وبعض الأنهار ولا يبتعد عن المياه المالحة. حياته الاجتماعية منظمة جدا.

تضع الأنثى صغيرا واحد كل سنة خلال فصل الصيف في أغلب الأحيان. تدوم هذه المدة عشرة أشهر ومدة الرضاعة أربعة أشهر. يصير بالغاً بعد سنتين حيث يتعدى طولة 1.5 متر ويعمر ما بين 25 و30 سنة. يتكون قوته من سمك السردين والأنشوفة والاخطبوط وغيرها من الأسماك والقشريات والرخويات الأقيانوسية والحبارة.

تحدثت عن التخس معظم الحضارات القديمة وخاصة منها الإغريقية التي وصفته بالحيوان الأقرب ذكاء من ذكاء الانسان. ويرجع هذا التاريخ إلى سنة 2000 ق. م.

يدعى التخس المخطط علميا ستينلا سيروليوآلبا (Stenella coeruleoalba) وبالفرنسية Dauphin bleu et blanc وبالأنجليزية Streped dolphin وبالإسبانية Delfin azul. كثير الشبه بالدلفين الشائع Delphinus delphis ويبلغ طوله عند الولادة ما بين 0.8 ـ 1. متر وعند الكبار 1.7 ـ 2.1 متر ونادراً ما يبلغ 2.7 متراً. المتك قصير ويحمل كل فك ما بين 72 و90 سنا مخروطية الشكل وحادة. الزعانف الصدرية حادة ومنحنية إلى الخلف. الجوانب مخططة بالأبيض والأزرق. الظهر رمادي أزرق داكن والبطن أبيض.

شائع في المياه الدافئة لكل من البحر المتوسط والمحيطين الأطلنتي والهادي. يتنقل وسط مجموعات متعددة الافراد (أكثر من 50 فرداً في فصل الصيف) ويفضل العيش في أعالي البحار. تبلغ سرعة سباحته أحيانا 50 كلم في الساعة. يصير بالغا بعد خمس سنوات ويحتمل توالده كل ثلاث سنوات وتدوم مدة الحمل 21 شهراً. تولد الصغار غالبا في شهر شتنبر وتنقطع عن الرضاعة بعد سنة كاملة. يعمر 20 سنة ويتغذى من الأسماك والرخويات والحبارة. يُصادف أحيانا في شباك سمك التون وقد كان يُصاد قديما لأكل لحومه.

تخس ريسو يسمى علميا Grampus griseus وبالفرنسية Dauphin de Risso وبالأنجليزية Risso's dolphin وبالإسبانية Grampo. يبلغ طوله عند الولادة 1.5 متر وعند البالغ أربعة أمتار. رأسه بدون متك ويحمل الفك الأسفل 6 ـ 14 سنا مخروطية الشكل وغير حادة. الفك العلوي خال من الأسنان ونادراً ما توجد به 2 ـ 4 أسنان. الزعنفة الصدرية طويلة (50 ـ 60 سم). الجسم رمادي مصفر داكن جهة الظهر ورمادي مبيض جهة البطن.

يوجد في جميع البحار الدافئة المياه ونادراً في البحر المتوسط. يتنقل وسط مجموعات متعددة الافراد (5 ـ 10 فردا) وغالبا ما يقفز عاليا خارج المياه ويتلاعب مع الأمواج ومع البواخر. تتعدى سرعة سباحته أحيانا 25 كلم في الساعة.

التخس المرشد يُدعى علميا Globicephala Meleana وبالفرنسية Dauphin pilote أو Globicéphale وبالأنجليزية Pilot whale وبالإسبانية Calderon comun. يعد من أكبر التخس طولا وحجما بعد الأركة. جسمه أسود داكن تتخلله بقعة بيضاء على شكل مرساة ممتدة من العنق إلى مؤخرة البطن. الرأس ضخم ودائري يتقدمه متك صغير يحمل كل فك منه 14 ـ 26 سنا مخروطية الشكل.

إنه حيوان اجتماعي يعيش في معظم بحار العالم ويتنقل وسط مجموعات تتكون من 10 إلى 100 فرد وأحياناً يعيش مزدوجاً. يسبح عادة ببطئ (5 كلم في الساعة) ولا تتعدى سرعة سباحته 35 كلم في الساعة. يغطس في أعماق تتعدى أحيانا 600 متر.

يبلغ طوله عند الولادة 1.5 ـ 2 متر وطول البالغ يفوق 8 أمتار أحياناً. وتعتبر الإناث أقل طولا من الذكور. تزن الذكور البالغة من الطول 4.5 متر 400 كلغ. يتوالد غالبا في فصل الربيع وتدوم مدة الحمل 16 شهراً وتفطم الصغار عن الرضاعة بعد 20 شهرا. يتوالد مرة كل ثلاث سنوات ويعمر 20 عاما. متواجد بكثرة قرب مضيق جبل طارق ونادر في جنوب المغرب.

التخس فوصينا فوصينا (Phocena phocoena) يسمى بالفرنسية Marsouin وبالأنجليزية Harbour porpoise وبالإسلانية Marsopa. يسمى في المعاجم خنزير البحر وفي المغرب الدنفيل الصغير. لا يتعدى طوله 1.80 متراً في البحر الأسود والبحر المتوسط ومترين في المحيط الأطلنطي. يتراوح وزنه ما بين 45 و65 كلغ. رأسه صغير ومستدير. المتك قصير جدا وغير واضح. يحمل كل فك 38 ـ 52 سنا صغيرة غير حادة. الزعنفة الظهرية مثلثة الشكل وصغيرة. الظهر والجوانب بنية سوداء والبطن أبيض.

يعيش منفرداً أو وسط مجموعات صغيرة لا تتعدى 10 أفراد. لا يقفز خارج الماء إلا نادراً ويسبح ببطئ غير بعيد عن السواحل ولا يقترب من البواخر. يصير بالغا بعد 3 ـ 4 سنوات ويتوالد في أيام الصيف. تدوم مدة الحمل 9 ـ 11 شهرا وتمتد مدة الرضاعة 4 أشهر. تزن الصغار أثناء الولادة

8.6 كلغ ويبلغ طولها 70-90 سنتمترا. يعمر خنزير البحر 16 سنة على الأقل ويتكون قوته من الأسماك والقشريات والرخويات والحبار. إنه حيوان نادر في السواحل المتوسطية وشائع في المحيط الأطلنتي. تتراوح مدة غطساته ما بين 3 و6 دقائق ويسبح غير بعيد عن سطح البحر.

التخس الكبير أو النفاخ والتخس أنف القنينة كما يسميه علماء الحيوان، يدعى علمياً Tursiops truncatus وبالفرنسية Souffleur أو Grand dauphin وبالأنجليزية Bottlenosed dolphin وبالإسبانية Delfin mular. متكه قصير وواضح، رأسه ضخم وقوي. يحمل كل فك 40-52 سنا مخروطية الشكل وحادة. الزعنفة الصدرية قصيرة، الزعنفة الظهرية كبيرة ومستقيمة. الظهر رمادي داكن والجوانب رمادية بيضاء والبطن أبيض. يبلغ طوله عن الولادة متراً واحداً ويتراوح طول الكبار ما بين 2،5 و3،5 أمتار بالنسبة للذكور و2،3-3،2 بالنسبة للإناث.

يعد من التخس الأكثر وجوداً في البحار المحيطة بالمغرب وشائع أيضا في البحر الأسود والبحر المتوسط وفي سائر البحار الدافئة. يتنقل وسط مجموعات متعددة الأفراد (5-8) وكثيراً ما يدخل في البحيرات وخاصة منها بحيرة الداخلة وبحيرة الناظور. لوحظت عدة تجنحات لهذا النوع على الشواطئ الأطلنطية المغربية. يصير بالغاً بعد خمس سنوات ويتوالد مرة كل سنتين. يعمر ما بين 25 و30 سنة ويتكون قوته اليومي من الأسماك وخاصة منها سمك البوري ومن الإربيان ومن الحبارة.

تمت تربية التخس تورسيوبس ترانكاتوس وإكثاره أزيد من عشرين عاما في أحواض كبيرة بمعهد الأحياء المائية بفلوريدا وأوضحت الدراسات الخاصة بسلوك هذه الحيوانات أنها تتمتع بذكاء لا يقل عن مثيله للكلاب وهي تحب اللعب بكرة أو اطار من المطاط ويبدو أنها تستمتع بمداعبة الكائنات الأخرى في أحواض التربية كالأسماك الكبيرة والسلاحف دون أن تصيبها بأي ضرر. كما أنها تتعلم بسرعة الخدع كالقفز خارج الماء لإلتقاط السمك من يد الحارس. يمكنها التفاهم مع بعضها بمجموعة متباينة من الأصوات كالصفير والعواء، كما يمكنها تحديد أماكن الأشياء تحت الماء نتيجة لإنبعاث نبضات فوق صوتية والتسمع إلى صداها مثلما يحدث للخفافيش أثناء طيرانها في الهواء تساعد هذه الوسيلة التخس من تجنب العوائق وعلى اصطياد الأسماك يمكنها بواسطة صدى الصوت تجنب شباك الصيد، خاصة إذا كانت ثقوبها صغيرة. لقد اقترح تدريبها أثناء الحروب لتحديد أماكن غواصات العدو وقامت بحرية الولايات المتحدة الأمريكية بدراسة هذه الإمكانية.

تخس توزي يدعى علميا Sousa teuszii من عشيرة Stenidae يعيش في مصبات أنهار افريقيا الغربية ولا يتعدى توزيعه الجغرافي شمالا بحيرة الداخلة. وقد لوحظ وجوده في الداخلة لأول مرة من طرف Beaubrun في شهر دجنبر من سنة 1990 وفي سنة 1993 من شهر أكتوبر لاحظت وجود قطيع في نفس المكان يتكون من 10 أفراد.

الرأس دائري والجبين ضخم وواضح. المتك طويل والزعنفة الظهرية مثلثة قائمة. الظهر رمادي والبطن أبيض. لا يتعدى طوله 2،10 متراً يتغذى من الأسماك ومن الرخويات والحبارة.

يوجد في كل من الكاميرون وأنكولا ونجيريا وغينيا وكامبيا والسنيغال وموريتانيا.

نوعان من الأركة Orcinus orca وPseudorca crassidens (أنظر أركة).

W. Fischer, M. Schneider et M.L. Bouchot, *Méditerranée et mer noire*, 2, *Vertébrés fiches FAO d'identification des espèces*, 1987, 1529 p. ; A. Bayed & P.C. Beaubrun, *Les mammifères marins du Maroc : Inventaire préliminaire, Mammalia*, 1987, 51 (3) : 437 - 446 ; P.C. Beaubrun, *Un cétacé nouveau pour les côtes marocaines : Sousa teuszii* (kukenthal, 1892), *Mammalia*, 1990, 54 (1) : 162 - 164 ; J. Maigret, *Données nouvelles sur l'écologie du Sousa teuszii (Cetacea, Delphinidae) de la côte ouest africaine*, *Bull. IFAN*, 1980, (A) : 619 - 633 ; N. Valée, *Mammifères d'Europe*, Paris, 1972, 273 p.

محمد رمضاني

**التخطيط**، من الخط وهو أصلا كتابة، قال تعالى "ولا تخطه بيمينك" (العنكبوت، آية 48)، والتخطيط رسم من الرسوم الهندسية، يقال اختط داره لمن جعل لها حدودا فتعرف.

والتخطيط في المجتمع العصري برنامج للعمل موضوع وتوقع لنتائجه بكل أوجه الاستدلال والاحتمال وهو ما يعنينا هنا، وإن سيطرة التخطيط في سياسة الدول لها أسباب بعيدة وأخرى قريبة، فمن الأسباب البعيدة ازدهار التجارة والصناعة في العصر الحديث وانشغال الانسان بالمنافع المادية والمشاريع المربحة لدرجة جعلته شيئا فشيئا يقيس الأمور لا بأصولها يعني بسوابقها ولكن بمردوديتها يعني بالمرتقب منها، ولما توطدت أسباب الثورة الصناعية ابتداء من القرن التاسع عشر اشتدت حاجة رجال الأعمال إلى وضع البرامج المدققة لأعمالهم فحاولوا ترجيح أسباب الربح على أسباب الخسارة وانبثق عن حركة التصنيع نظريتان : أولاهما، وهي النظرية الليبرالية ترى أن لا دخل للدولة في أمور الصناعة والمبادلات على اعتبار أن مجموع المبادرات الحرة الرامية إلى المنفعة الخاصة كفيلة بأن تؤدى الى المصلحة العامة وأن تخطيط كل امرئ لمصالحه هو تخطيط ضمني للمصلحة الجماعية، أما النظرية الثانية، وهي النظرية الاشتراكية، فإنها كانت ترى أن النهوض بالكتلة الاجتماعية على ثقلها أخطر شأناً من أن يترك للأنانية الفردية وأن لا بد للجهاز الحكومي من التدخل في شؤون الاقتصاد ومن التخطيط لمستقبل الأمة بإحصاء خيراتها ومقدراتها واستثمارها في الغايات المنشودة على مراحل وبناء على الأسبقيات، ولذلك ما أن أقيمت أول دولة اشتراكية في روسيا سنة 1917 حتى صار التخطيط ركنا من أركانها، ولقد مكنها من قطع مراحل هائلة في التصنيع والنمو في وقت وجيز، مما أثار انتباه العديد من

رجال الاقتصاد ومن السياسيين إلى نجاعة التخطيط الشامل حتى في البلدان الملتزمة بالنظرية الليبرالية التي اهتزت اقتصادياتها أيما اهتزاز من جراء الحربين العالميتين ومن جراء الأزمة الاقتصادية الكبرى لسنة 1929، ولذلك فإن الأسباب القريبة للعمل بالتخطيط تعود إلى حاجة الاقتصادي العالمي غداة الحرب العالمية الثانية إلى بناء صرحه من جديد فوضعت الولايات المتحدة لتلك الغاية مخططا يعرف بمخطط مارشال وكان عبارة عن تخطيط لإخراج بلدان أوربا الغربية مما أصابها من الدمار، وتبنت الحكومة الفرنسية بعد 1945 بما كان لأحزاب اليسار الاشتراكي والشيوعي فيها من النفوذ سياسة التخطيط لإصلاح جهاز إنتاجها على اعتبار أن التخطيط تقنية من تقنيات الاقتصاد السياسي ولا سبيل لأي دولة بأن تغض الطرف عنه مهما كان من اختياراتها الإيديولوجية إذا كانت هذه الدولة تسعى في النهوض بمجتمعها وبأحوال رعاياها.

ولما كانت فرنسا آنذاك مازالت تحتل المغرب فإنها أدخلته في نطاق تخطيطاتها الأولى ضمن ما كانت تسميه "بالاتحاد الفرنسي" فصار المسؤولون الفرنسيون عن الحماية وأرباب المقاولات الاستعمارية يُخططون لتجهيز المغرب واستثمار خيراته على ضوء ما كانوا يترقبون من مردودية استغلالها فوضعوا تخطيطاً رباعيا أولاً فيما بين 1949 و1952 وأردفوه بآخر رباعي أيضا فيما بين 1954 و1957، لكن هذا التخطيط الثاني سرعان ما تغيرت ظروفه العامة بسبب حصول المغرب على استقلاله في شهر نونبر 1955 فتغيرت النظرة إلى التخطيط وانصرفت الدولة المغربية المستقلة إلى أسبقيات أخرى كان من فحواها بناء صرح السيادة الوطنية المسترجعة بالتخلص من أسباب النفوذ الاستعماري مما جعلها تدرك من توها أن لا سبيل للانعتاق ولفتح سبل الرقي والتقدم أمام الجماهير المغربية بدون تدخل الدولة في المجالين الاقتصادي والاجتماعي ورصد الأموال لذلك شأنها في ذلك شأن الدول النامية كلها التي لا معوَّل في الاستثمار فيها على الرأسمال الوطني الخاص لنذرته وهزاله، ولذلك صدر ظهير 25 يونيه 1957 القاضي بإحداث المجلس الأعلى للتخطيط وإقرار مبدأ التخطيط في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بناء على ما يتقرر من اختيارات اللجان المتخصصة التي يتفرع إليها المجلس المذكور وهي لجان الفلاحة والإعداد القروي والحضري ثم الصناعة التقليدية والمبادلات التجارية والاقتصاد والتعليم والتربية والتجهيز الإداري والمياه والصناعة والمعادن والشغل والبريد والطب والصحة والسياحة والنقل والمواصلات، ومنذ ذلك التاريخ والحكومات المغربية لا تشكل أو لا تعدل إلا ويكون من أهم الوزارات فيها وزارة التخطيط تارة بشكل مستقل عن غيرها وتارة أخرى كوزارة أو كتابة في الدولة ملحقة بالوزارة الأولى أو بوزارة الاقتصاد. وكان من وظائف هذه الوزارة إعداد التخطيط وعرضه على المجلس المختص ثم على البرلمان والسهر بعد ذلك على مراحل التنفيذ، ولا أدل على أهمية التخطيط في سياسة الدولة المغربية من جعل الدستور باباً خاصاً بالمجلس الأعلى للإنعاش الوطني والتخطيط تنص على تأسيسه وعلى رئاسة الملك لجلساته ودراسته لمشاريع التخطيط قبل عرضها على أنظار البرلمان (فصول 90 إلى 93 من دستور 1962). كما نص ظهير 30 شتنبر 1976 المتعلق بالتنظيم الجماعي على أن "وضع مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للجماعة طبقاً للاتجاهات والأهداف المقررة في المخطط الوطني" من المهام الأساسية للجماعة المحلية، وتعززت مشاركة الأقاليم في التخطيط بإحداث الجهات الاقتصادية الكبرى سنة 1979 بقصد أن تكون حلقة وصل وسطى بين الرؤيا الشمولية للتخطيط التي هي من اختصاص الدولة المركزية والرؤيا المحلية الضيقة التي لا تتجاور حدود القرية أو المقاطعة الحضرية.

وهكذا وضعت منذ 1958 وحتى سنة 1992 ثمانية تخطيطات، أولها كان ثنائياً على مدى سنتي 1958 و1959، وكان مخططا مرحليا للانتقال من عهد الحماية إلى عهد الاستقلال، والثاني كان خماسيا فيما بين 1960 و1964، وكان هو أول تخطيط مغربي لا من حيث ما تبنى من الأسبقيات ولا من حيث ما رصد للمشاريع المقررة من وسائل الإنجاز. وكان التخطيط الثالث ثلاثيا فيما بين 1965 و1967، والرابع خماسيا فيما بين 1968 و1972، والخامس خماسيا أيضا فيما بين 1973 و1977، والسادس ثلاثيا فيما بين 1978 و1980، والسابع خماسيا فيما بين 1981 و1985، والثامن خماسيا فيما بين 1988 و1992. ولكن بغض النظر عن الحقب الزمنية المتفاوتة تارة والمتناسبة تارة أخرى لهذه التخطيطات وبغض النظر أيضا عن التقلبات الظرفية التي واكبتها على مدى أربع وثلاثين سنة والاختلافات النسبية في الأسبقيات التي ترتبت على ذلك، فإن الفلسفة العامة للتخطيط المغربي والتوجهات البنيوية في المدى البعيد والأهداف الأساسية ظلت ثابتة مسترسلة على الاجمال، وذلك لأن المغرب المستقل اختار منذ اللحظات الأولى من استقلاله أن يسير على النهج الليبرالي في الحكم والاقتصاد بحيث لم يكن التخطيط لديه أداة من أدوات الاستبداد المطلق على غرار ما جرى في البلدان الاشتراكية ولكنه كان أداة من أدوات التحرر من الهيمنة الاستعمارية ووسيلة للوقوف على مقدرات المغرب بالإحصاء الدقيق والبحث عن الأموال الضرورية للاستثمار، إما في الداخل من الرسمال الوطني الخاص والعام كلما أمكن ذلك، وإما في الخارج من الرسمال الأجنبي شريطة أن لا يمس ذلك بالسيادة الوطنية بحيث يعتبر التخطيط المغربي حلا وسطا بين البيروقراطية المحصورة الآفاق التي آلت في الختام إلى انهيار المعسكر الاشتراكي عند حلول التسعينات وبين الليبرالية المطلقة التي لا تتحملها البنيات الهشة للمجتمع المغربي، وهذا الأسلوب المرن من التخطيط

يوحي بما للدولة المغربية من الإحساس المرهف بمسؤولياتها، فهي تتدخل حيث لا سبيل لأي جهة أخرى أن تتدخل مكانها مثل جرد الخيرات ووضع الأسبقيات وتدعيم البنيات التحتية كبناء السدود وتشييد الطرق ومد أسباب التواصل والسهر على صحة الجماهير وتهذيبها وإعداد السكنى لها، وتترك للمبادرة الشخصية حرية استثمار أموالها حيثما أرادت من مختلف قطاعات الإنتاج حتى ولو وظفت أموالها في غير الأسبقيات على أمل أن يساعد ذلك على إقامة الرسمال الوطني وتقويته.

وبناء على هذه المرونة في التخطيط وجدت الدولة المغربية نفسها في تمام الانسجام مع التيارات الاقتصادية التي هيمنت منذ مطلع الثمانينات والرامية إلى نبذ كل تدخل من قبل الجهاز الحكومي وإلى ترك مطلق المبادرة في الاستثمار للخواص، ولم يجد المغرب أدنى معاناة في التفاهم مع الهيئات المالية الدولية ولا مع كبريات الأبناك العالمية التي أمدته من القروض الضرورية لتمويل مشاريعه الأساسية ومنحته كل التسهيلات لاستهلاكها وأداء فوائدها مدركة مع ذلك أن وقت تخلي الدولة المغربية عن التدخل والتخطيط على الإطلاق لم يحن بعد وإن كان الرسمال الوطني قد اشتد صلبه شيئا ما وانتعش في التسعينات بالنظر إلى ما كان عليه، ولكنه مازال في حاجة إلى أن تأخذ الدولة بيده وتدعم مقاولاته بأن توفر له أدق الاحصاءات وتوجهه إلى ما فيه ضمان للربح له وفائدة للمجتمع.

ونظراً لما أصبحت تتوفر عليه إدارة التخطيط من الكفاءات والخبرات العليا فإن آلة التقويم والاحصاء ارتفع مستواها كماً وعدداً وتقلص التفاوت بين التوقعات والمنجزات، إلا في السنوات التي يكون فيها المناخ غير مناسب على غرار ما حصل وسط الثمانينات من جراء الجفاف، وآخر تخطيطات الدولة لسنوات 1988 ـ 1992 يثبت مدى استعدادها للتخلي عن أهم المقاولات للخواص كلما كان هؤلاء بأموالهم وحيويتهم في مستوى مسؤولية الإنجاز والإنتاج. وفي هذا الاتجاه تحولت وزارة التخطيط السابقة إلى وزارة التنشيط الاقتصادي في الحكومة المغربية المشكلة في خريف 1993.

*مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية*، نشر مديرية التخطيط، 1960 ـ 1964 ؛ 1965 ـ 1967 ؛ 1968 ـ 1972 ؛ 1973 ـ 1977 ؛ 1978 ـ 1980 ؛ 1981 ـ 1985 ؛ 1988 ـ 1992 ؛ فتح الله ولعلو، *الاقتصاد السياسي*، الجزء الأول، الدار البيضاء، 1974.

*Cinq ans d'exécution du plan de coordination et d'équipement de l'Union française, Réalisation 1947 - 1951 et Programmes 1952*, Paris, 1952, Commissariat général du plan ; Aziz Belal, *L'investissement au Maroc*, Paris - La Haye, 1968 ; A. Cherkaoui, *Indicateurs socio-économiques du Maroc*, Casablanca, [s.d].

إبراهيم بوطالب

**التخطيط العائلي**، أو تنظيم الأسرة، سياسة لعبت بالمغرب خلال العقود الثلاثة السالفة دوراً أساسياً في مجال حماية صحة الأم والطفل معاً، فمنذ سنة 1966 أصبحت هذه السياسة قائمة الذات في جميع مخططات التنمية المتعاقبة. وهكذا تم وضع أسس قانونية صريحة لها عن طريق :

- المرسوم الملكي رقم 180 ـ 66 المؤسس لهيئة السّكان العليا (في 26 غشت 1966).
- التوقيع الملكي على عريضة رؤساء الدول والحكومات بالأمم المتحدة الخاصة بالسّكان سنة 1967.
- إصدار المرسوم الملكي رقم 181 ـ 66 بتاريخ يوليوز 1967 المغير لظهير 10 يوليوز 1939 والذي يقرّ الترخيص بإشهار موانع الحمل وبالإجهاض الطبي لإنقاذ حياة الأم وببيع أدوية موانع الحمل. كما تم تأسيس الجمعية المغربية لتنظيم الأسرة سنة 1971 وكذا قسم السّكان سنة 1972 التابع لوزارة الصحة العمومية والذي يضمّ المصلحة المركزية لتنظيم الأسرة.

| | تستعمل حاليا ن.م | تستعمل حاليا ج.ن | استعملت ن.م | استعملت ج.ن | تعرف المصدر ن.م | تعرف المصدر ج.ن | تعرف الوسيلة ن.م | تعرف الوسيلة ج.ن |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| على الأقل وسيلة | 41.5 | 22.9 | 66.2 | 38.9 | 93.9 | 57.1 | 99.0 | 97.3 |
| على الأقل وسيلة عصرية | 35.5 | 19.7 | 62.7 | 36.8 | 93.8 | 57.1 | 98.9 | 97.3 |
| أقراص | 28.1 | 15.5 | 95.5 | 34.9 | 92.4 | 56.2 | 98.8 | 97.0 |
| لولب | 3.2 | 1.8 | 9.4 | 5.5 | 73.8 | 45.1 | 87.3 | 83.9 |
| حقن | 0.1 | 0.1 | 1.6 | 1.0 | 39.2 | 23.8 | 62.3 | 54.8 |
| مبيدات | 0.2 | 0.1 | 2.1 | 1.2 | 23.8 | 14.2 | 31.4 | 28.1 |
| عازل | 0.9 | 0.5 | 5.6 | 3.2 | 58.8 | 35.7 | 71.8 | 64.5 |
| تعقيم نسوي | 3.0 | 1.6 | 3.0 | 1.7 | 69.9 | 42.5 | 84.8 | 79.8 |
| تعقيم ذكوري | 0.0 | 0.0 | 0.1 | 0.0 | 3.3 | 2.0 | 6.8 | 7.6 |
| على الأقل وسيلة تقليدية | 6.0 | 3.3 | 17.1 | 10.0 | 30.5 | 18.6 | 73.1 | 63.9 |
| العزوف عن الجماع المرحلي | 3.0 | 1.7 | 9.4 | 5.5 | 30.5 | 18.6 | 61.1 | 55.3 |
| عزل | 2.6 | 1.5 | 8.7 | 5.0 | 0.0 | 0.0 | 53.5 | 41.1 |
| وسائل أخرى | 0.3 | 0.2 | 2.3 | 1.4 | 0.0 | 0.0 | 14.3 | 10.4 |
| المجموع | 5118 | 9256 | 5118 | 9256 | 5118 | 9256 | 5118 | 9256 |

وسائل منع الحمل واستعمالها

(ج.ن. : جميع النساء ؛ ن. م. : نساء متزوجات)

وقد أعطت هذه السياسة نتائج إيجابية تتمثل في عدّة مؤشرات. بحيث تطوّر الاستعمال الحالي لموانع الحمل من 1٪ من مجموع النساء في سن الخصوبة سنة 1970 إلى 19٪ منها سنة 1979 وإلى 41.5٪ سنة 1992، مما أدّى إلى انخفاض المعدل الإجمالي للخصوبة من 7.10 أطفال للمرأة الواحدة في أواخر الستينات إلى 4.15 سنة 1992.

وتجدر الإشارة أولاً إلى أن البرنامج المعروف "بالزيارة إلى مقرّ السّكنى للتحفيز المنهجي" قد لعب دوراً كبيراً في هذا الاتجاه. حيث انطلق في البداية (سنة 1977) بمثابة عملية نموذجية في إقليم مراكش، قبل أن يشمل باقي العمالات والأقاليم. واستفادت منه بالخصوص المناطق القروية والنائية والتي شملتها التغطية لأول مرة فيما يخص التخطيط العائلي.

كما تمّ تكوين الأطر اللازمة مواكبة لسير البرنامج. إذ استفادت من هذا التكوين مختلف الهيئات المهنية التابعة

| المواصفات | | العدد | المجموع | لا تستعمل حاليا | وسائل تقليدية | | | | وسائل عصرية | | | | | | على الأقل واحدة | على الأقل وسيلة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | أخرى | العزل | العزوف المرحلي | على الأقل واحدة | تعقيم نسوي | عازل | المبيدات | حقن | لولب | أقراص | | |
| فئة السن | 15 - 19 | 253 | 100,0 | 76,7 | 0,0 | 0,4 | 0,8 | 1,2 | 0,0 | 0,0 | 0,0 | 0,0 | 1,6 | 20,6 | 22,1 | 23,3 |
| | 20 - 24 | 677 | 100,0 | 64,8 | 0,3 | 1,0 | 1,8 | 3,1 | 0,0 | 0,9 | 0,1 | 0,3 | 1,8 | 29,0 | 32,1 | 35,2 |
| | 25 - 29 | 883 | 100,0 | 60,5 | 0,0 | 1,8 | 2,4 | 4,2 | 0,2 | 0,7 | 0,1 | 0,1 | 2,6 | 31,6 | 35,3 | 39,5 |
| | 30 - 34 | 1098 | 100,0 | 54,6 | 0,1 | 3,2 | 3,4 | 6,6 | 1,4 | 1,1 | 0,1 | 0,1 | 3,9 | 32,2 | 38,8 | 45,4 |
| | 35 - 39 | 1009 | 100,0 | 52,2 | 0,3 | 3,2 | 4,9 | 8,3 | 4,2 | 0,6 | 0,5 | 0,1 | 4,5 | 29,6 | 39,4 | 47,8 |
| | 40 - 44 | 645 | 100,0 | 53,0 | 0,5 | 4,0 | 3,3 | 7,8 | 7,8 | 1,9 | 0,6 | 0,2 | 4,2 | 24,7 | 39,2 | 47,0 |
| | 45 - 49 | 553 | 100,0 | 64,9 | 1,3 | 3,3 | 2,2 | 6,7 | 7,6 | 0,7 | 0,0 | 0,2 | 2,0 | 17,9 | 28,4 | 35,1 |
| محل الإقامة | | | | | | | | | | | | | | | | |
| | وسط حضري | 2222 | 100,0 | 45,5 | 0,4 | 3,1 | 5,3 | 8,7 | 4,3 | 1,6 | 0,5 | 0,0 | 5,7 | 33,7 | 45,8 | 54,5 |
| | وسط ريفي | 2896 | 100,0 | 68,4 | 0,3 | 2,3 | 1,3 | 3,9 | 1,9 | 0,4 | 0,0 | 0,2 | 1,3 | 23,8 | 27,7 | 31,6 |
| الجهات | | | | | | | | | | | | | | | | |
| | الشمال الغربي | 1052 | 100,0 | 56,4 | 0,5 | 6,4 | 5,1 | 12,0 | 3,1 | 1,2 | 0,3 | 0,1 | 3,9 | 23,0 | 31,7 | 43,6 |
| | الشمال الوسط | 640 | 100,0 | 66,4 | 0,3 | 2,0 | 4,1 | 6,4 | 1,7 | 0,3 | 0,0 | 0,3 | 2,5 | 22,3 | 27,2 | 33,6 |
| | الوسط | 1463 | 100,0 | 53,0 | 0,3 | 1,4 | 2,7 | 4,4 | 4,1 | 1,0 | 0,4 | 0,1 | 3,5 | 33,6 | 42,6 | 47,0 |
| | الشرق | 320 | 100,0 | 51,6 | 0,3 | 0,3 | 3,8 | 4,4 | 1,6 | 1,9 | 0,6 | 0,3 | 2,5 | 37,2 | 44,1 | 48,4 |
| | الجنوب الوسط | 417 | 100,0 | 54,0 | 0,5 | 1,0 | 2,2 | 3,6 | 2,6 | 0,7 | 0,2 | 0,2 | 1,3 | 35,5 | 42,4 | 46,0 |
| | تانسيفت | 578 | 100,0 | 56,9 | 0,0 | 2,1 | 0,9 | 2,9 | 2,6 | 0,7 | 0,0 | 0,2 | 4,0 | 32,7 | 40,1 | 43,1 |
| | الجنوب | 648 | 100,0 | 74,2 | 0,2 | 2,8 | 1,4 | 4,3 | 2,5 | 0,6 | 0,0 | 0,0 | 2,0 | 16,4 | 21,5 | 25,8 |
| المستوى الثقافي | | | | | | | | | | | | | | | | |
| | بدون | 3932 | 100,0 | 64,3 | 0,4 | 2,4 | 1,5 | 4,3 | 2,8 | 0,6 | 0,1 | 0,2 | 2,2 | 25,5 | 31,4 | 35,7 |
| | ابتدائي | 644 | 100,0 | 43,0 | 0,0 | 3,9 | 5,6 | 9,5 | 4,7 | 1,2 | 0,6 | 0,0 | 5,0 | 36,0 | 47,5 | 57,0 |
| | ثانوي | 542 | 100,0 | 35,1 | 0,0 | 2,8 | 10,9 | 13,7 | 1,8 | 2,6 | 0,7 | 0,0 | 8,3 | 37,8 | 51,3 | 64,9 |
| عدد الأطفال الأحياء | | | | | | | | | | | | | | | | |
| | 0 | 591 | 100,0 | 94,4 | 0,0 | 0,3 | 1,7 | 2,0 | 0,0 | 0,2 | 0,0 | 0,0 | 0,2 | 3,2 | 3,6 | 5,6 |
| | 1 | 693 | 100,0 | 60,9 | 0,1 | 1,2 | 3,3 | 4,6 | 0,0 | 1,0 | 0,3 | 0,1 | 2,3 | 30,7 | 34,5 | 39,1 |
| | 2 | 716 | 100,0 | 53,1 | 0,1 | 1,5 | 3,1 | 4,7 | 0,4 | 0,8 | 0,4 | 0,3 | 3,8 | 36,5 | 42,2 | 46,9 |
| | 3 | 676 | 100,0 | 50,1 | 0,4 | 2,5 | 4,3 | 7,2 | 1,6 | 2,1 | 0,1 | 0,0 | 4,4 | 34,3 | 42,6 | 49,9 |
| | 4 + | 2442 | 100,0 | 53,0 | 0,5 | 4,0 | 2,9 | 7,3 | 5,6 | 0,7 | 0,2 | 0,2 | 3,7 | 29,2 | 39,7 | 47,0 |
| المجموع | | 5118 | 100,0 | 58,5 | 0,3 | 2,6 | 3,0 | 6,0 | 3,0 | 0,9 | 0,2 | 0,1 | 3,2 | 28,1 | 35,5 | 41,5 |

الوسائل الحالية لمنع الحمل حسب الخاصيات الاجتماعية والديمغرافية

لوزارة الصحة العاملة بمصالح تنظيم الأسرة، وصحة الأم والطفل وخاصة منها تلك العاملة بالوحدات المتنقلة. وفي هذا الصدد، وضع سنة 1982 رهن إشارة العاملين في هذا البرنامج دليل حول تنظيم الأسرة وصحة الأم والطفل، والذي تم تعديله وتتميمه سنتي 1985 و1987.

وعلى واجهة أخرى، وبالضبط في سنة 1982، فتح "المركز الوطني للتكوين في التزايد السّكاني" أبوابه وكان له الأثر الكبير على تحسين وتعميق التكوين في مجال التخطيط العائلي. إذ منذ 1983 (سنة بعد انطلاقه) أدخلت التقنية الكوليوسكوبية فيما يخص "برنامج منع الحمل الجراحي الإرادي".

بصفة عامة، يتطلب تحسين نوعية الخدمات المقدّمة في مجال التخطيط العائلي الزيادة في مهارات وقدرات رجال الصحة، وهذا ما يفسّر تعاقب سلسلة المناظرات والدراسات الميدانية في هذا الشأن.


مصدر وسائل منع الحمل العصرية.

Ministère de la Santé, *Enquête nationale sur la population et la santé au Maroc*, Rabat, 1987 - 92 ; Ministère de la Santé, *Visite à domicile de motivation systémique*, Rabat, 1988.


السعدية صريح

**تُدَّة** (ابن)، أسرة تطوانية يقول عنها كاخيگاس (Cagigas) إنها نفس أسرة ابن تودة، غير أنه عندما ساءت سمعة هذه الأسرة النبيلة بسبب وقوف بعض رجالاتها بجانب السلطان محمد المتوكل السعدي وموت هذا الأخير غريقاً بوادي المخازن بجانب الملك البرتغالي اضطر أفراد الأسرة الذين ظلوا بالمغرب إلى تغيير اسم أسرتهم فاتخذوا اسم ابن تدة، ولازالت هذه الأسرة بتطوان يتعاطى أفرادها التجارة.


Delegacion Asuntos Indigenas, *Familias* ; Cagigas, *Familias I* ; Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos I*.


محمد ابن عزوز حكيم

**التَّدْرُج**، طائر أرقش شبيه بالحجل جميل المنظر والصوت، لذيذ الطعم. ينتمي إلى فصيلة التدرجيات فازيانِدي (Phasianidae) ورتبة الدجاجيات كاليفورم (Galliformes) الذي تشمل الدجاج والتدرج والغرغر والطاووس والديك ويدعى علميا Phasianus ويشمل هذا

الجنس عدة أنواع موطنها الأصلي القوقاز وآسيا الجنوبية الغربية (خراسان وبلاد الفرس وبلاد الأناضول والصين). نذكر من بين هذه الأنواع :

تدرج امخرت (Phasianus amherstiae) وتدرج ياباني (P. versicolor) وتدرج ذهبي (P. oratus) وتدرج فضي (P. silver) وتدرج مطوق (P. torquatus) وتدرج معروف أو تدرج الصيد (P. colchicus) وهو النوع الذي تأقلم في أوربا منذ العصور الوسطى ثم أُدخل إلى المغرب ويعد حالياً من الطرائد المهمة في ميدان الصيد. يقال له بالفارسية "تذرو" والتدرج المعربة مشتقة من هذه اللفضة. يدعى بالأنجليزية Pheasant وبالفرنسية Faisan de chasse وFaisan de colchide.

يختلف الزوجان كثيراً في الحجم وفي ألوان الريش. يسمى الزوج الديك ويبلغ طوله 75 ـ 87 سم ويزن 1،2 ـ 1،6 كلغ، ريشه مختلف الألوان، لامع يجلب الأنظار بجماله، لون رأسه وعنقه أخضر معدني لامع، تعلو رأسه خصلتان من الريش الأخضر وتحف عينيه من الأسفل نتوءات لحمية حمراء. ظهره أشقر ضارب إلى الصهبة، الجناحان بنية شقراء ريشها محفوف بالبنفسجي المسود، الذيل طويل وحاد في مؤخرته لونه أشقر رمادي مخطط بالأسود.

يبلغ طول الأنثى ما بين 53 ـ 63 سم ولا يتعدى وزنها 1200 غ. ريشها رمادي مصفر مزركش بالسواد وبالبني. وأكثر الإنسان من تزاوج تدرج الصيد مع الأنواع الأخرى من نفس جنسه فأدى ذلك إلى تنوع كبير في الألوان.

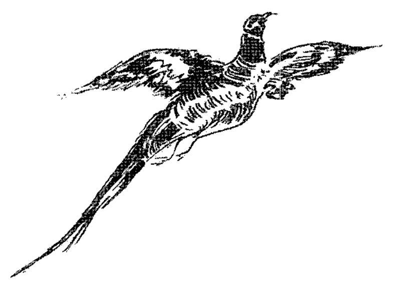

يحسن هذا الطير المشي ويجري بسرعة فائقة ويتميز عن باقي الطيور بطيرانه العمودي. الديك متعدد الزوجات في الغالب وفي حالة وجود ديكين آخرين وسط المجموعة يشتد الصراع بينهما فيتقابلان وجهاً لوجه وينفخان ريش العجز ويتبادلان ضربات المناقر، يرفعان الرأس تارة ويخفضانه تارة أخرى وينفرد الفائز بالإناث.

يتوالد خلال شهر أبريل وشهر ماي وتختار الزوجة العش على الأرض وسط الغابات والأماكن المتشجرة الغنية بالأعشاب وبين القصب وفي المزارع أحياناً. يتكون العش من أوراق الشجر والأعشاب اليابسة تضع فيه الأنثى من 7 إلى 16 بيضة بنية مخضرة يبلغ طولها 35،9 x 36 سم. تدوم مدة الحضانة 23 ـ 27 يوماً ويغادر الفراخ العش بعد التفقيس مباشرة ويتعلمون الطيران منذ اليوم الرابع عشر من عمرهم. تقضي الصغار الليل على الأراضي مختفية بين الأعشاب وعند بلوغها نصف حجم الآباء تنام وتستريح فوق الأشجار كما يفعل الكبار. تشبه الصغار الأمهات في لونها ولا ينمو الريش الطويل الذي يُكون الذيل عند الديك إلا بعد عدة شهور.

يكثر نشاط التدرج في الصباح الباكر وفي المساء قبل غروب الشمس ويستريح أو ينام في الأوقات الأخرى. يتغذى من الحبوب من الفواكه اللحمية ومن الحشرات والديدان وأوراق النباتات الخضراء والعساقيل. يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد وينعزل مع زوجاته خلال فترة التوالد.

أطلقت شركات الصيد السياحية هذا النوع في عدة مناطق لتنمية هواية الصيد في البلاد وقد وُفّقت هذه المحاولة في النواحي الغابوية لكل من الرباط والقنيطرة وعرباوة والعرائش ووزان وبنسلمان حيث أصبح التوالد طبيعياً. يُربى أيضاً في البوادي مع الدجاج ومتواجد في كل الحدائق الحيوانية المغربية.

يصاد التدرج عن طريق الإحاشة (en battue) إلا أن قانون الصيد في المغرب لا يرخص بذلك ويبقى صيد هذا النوع فرديا أو مزدوجا ويتطلب هذا الصيد مجهوداً جسمانياً قوياً نظراً لكثرة اختفاء التدرج وسط الأدغال وبين الأشجار الكثيفة ولشدة حذره. يشترط في الكلاب أيضا قوة المهارة والخبرة.

لا تتعدى نسبة الصيادين الذين يتعاطون لصيد التدرج في المغرب 10٪ من مجموع الصيادين ومعظمهم أجانب.


أ. المعروف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة 1932.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recencement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc : 1980*, Rabat, 1981 ; W. Reade & E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids, Reproduction, œufs et jeunes*. Paris, 1968, p. 191 - 192 ; H. Heinzel, R. Fitier & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984, p. 124 - 125.


محمد رمضاني

**تُدغَة** ـ جغرافيا ـ ينتمي واد تدغة إلى نظام حوض غريس، وينبع من السفح الجنوبي للأطلس الكبير الكلسي. ويتجه عموماً من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ليتخذ اسم فريكلة قبل اتصاله بواد غريس. وهو نهر موسمي الجريان إلا في جزئه الأوسط عند تلقيه لمياه عين تزكي وعين الشيخ سيدي محمد بن عبد الله وعين السمك المَقدَس. يخترق النهر في جزئه الأطلسي خوانق ضيقة وجدّ متعمقة ثم يتسع مجراه عند خروجه نحو المنخفض الجنوبي للأطلس.

وواحة تدغة منفتحة على التأثيرات الصحراوية، لذا يتميز مناخها بقلة التساقطات وعدم انتظامها وبالمدى الحراري المرتفع. وقد حتمت هذه الظروف منذ القدم التصاق السكان بالشريط الأخضر المحيط بالنهر.

عرفت الواحة تعميراً قديماً تحدث عنه الوزان خلال القرن السادس عشر (*افريقيا*، ص 432) بل أثارت كثافة السكان وتمركزها استغراب دوفوكو (ص. 222) حيث قدر عدد قصور الواحة بستين قصراً، موزعاً كالتالي : ستة وأربعون قصراً يسكنها صنهاجة أهل تدغة، وتوجد القصور في عالية النهر، وثمانية قصور تسكنها قبائل عطاوية الأصل.

تزايد سكان الواحة بسرعة خلال العقود الأخيرة حيث انتقلوا من حوالي 15.600 نسمة 1936 إلى 42.157 نسمة 1982، الشيء الذي شكل ضغطاً كبيراً على الثروات الاقتصادية الضيقة، والمتكونة أساساً من الفلاحة. فمساحة 89٪ من الاستغلاليات لاتزيد عن هكتار واحد، ومعدل مساحة الاستغلاليات لا يتجاوز 0.2 هـ.

تعتمد الزراعة داخل الواحة على السقي التقليدي بواسطة السواقي في العالية والخطارات في السافلة. ويتم توزيع حقوق الماء بشكل جد معقد. يتمحور الإنتاج حول زراعة الحبوب الشتوية والربيعية إذا توفرت مياه السقي. بالإضافة إلى أشجار مختلفة تطغى عليها الثمور والزيوت والتين واللوز والرمان، بينما لايلعب الرعي إلا دوراً ثانوياً خصوصاً بالنسبة لسكان أهل تدغة رغم شساعة المسارح.

لقد ساهم الضغط على المجال الفلاحي الضيق، وظروف الموقع على أحد المحاور الرئيسية بين تافيلالت ودرعة وبين قبائل أيت عطة وأيت يَفلمان في تجمع السكان داخل مركز تينغير. حيث برزت أهميته إدارياً عندما أسست فيه قصبة الاگلاوي عام 1919، فأصبح نقطة جذب لعدة أنشطة تجارية وسياحية وحرفية، فانتقل عدد سكانه من 114 نسمة 1936 إلى 10.527 نسمة عام 1982. وقد مكن هذا الاحتكاك بالمدنية وضيق الموارد الاقتصادية من خلق تيار هجروي قوي في المنطقة خاصة نحو الخارج، حيث دفعت المنطقة حتى سنة 1976 بما ينيف عن 10.824 عامل نحو الغربة، أي حوالي 36٪ من سكان الواحة، وبمعدل 2.6 عامل لكل أسرة. فأدى هذا التيار إلى خلق ديناميكية وتحولات تظهر آثارها على السكن ودخول النمط الحضري في الاستهلاك بشتى أصنافه.

حسن مرواني، *حول البنية الزراعية في تدغة*، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا، كلية الآداب بالرباط 1979.

محمد أيت حمزة

** اشتهرت تدغة بمنجم للفضة، وقد حرفت بعض النسخ اسم تدغة إلى درعة وترغية وترغة، ونجد أول إشارة إلى تدغة عند ابن خرذاذبه (القرن الثالث الهجري (19 م)) في كتابه *المسالك والممالك*، إذ يقول : "وفي يد الخارجي الصفري درعة (تدغة في نسخة أخرى، الإحالة h ـ صفحة 88) وهي مدينة كبيرة كثيرة الأهل وفيها معدن فضة وهي مما يلي الجنوب إلى بلاد الحبشة" (*المصدر*، ص. 88)، ويذكر المسعودي (القرن الرابع الهجري (10 م)) تدغة بقوله : "وفي هذا الصقع من بلاد المغرب خلق من الصفرية الخوارج لهم مدن محدودة مثل مدينة ترغية وفيها معدن كبير من الفضة وهو مما يلي الجنوب..." (*المصدر*، ج 1، ص. 156).

ويخبرنا البكري (القرن الخامس الهجري (11 م)) عند الحديث عن سجلماسة، وعن معادن درعة، "فولي أبو المنتصر (174 هـ ـ 208 هـ) وكان جبارا عنيدا فظا غليظاً، فظفر بمن عانده من البربر وذلهم فأخذ خمس معادن درعة وأظهر الصفرية..." (*المغرب*، ص. 150).

وبناء على هذه النصوص يمكن القول إن تدغة (درعة، ترغية،....) كانت مشهورة في القرنين الثاني والثالث الهجري (8 ـ 9 م)، بإنتاجها للفضة وبأنها مدينة كبيرة ومأهولة، ونلاحظ أن ذكر المدينة يأتي مقرونا بمنجم الفضة وبسيادة الخوارج الصفرية عليها، أي أن موقع تدغة لن يكون خارج ما كان يعرف سابقا بإقليم سجلماسة، موطن الصفرية.

ووجدت إلى جانب النصوص، مجموعة من الدراهم التي سكت بتدغة، يرجع أقدمها إلى سنة 164 هـ / 781م بالإضافة إلى درهمين إدريسيين سكا على التوالي سنتي 172 هـ / 788م و174 هـ / 790 م، كما عثر على دراهم سكت باسم خلف بن المضا سنوات 175 هـ / 791 م و176 هـ / 792 م و177 / 793 م، وقد يكون خلف بن المضا قد سك الدراهم تحت إمرة الخوارج الصفرية، ونص البكري حول اليسع أبي المنتصر (174 هـ ـ 280 هـ / 790 م ـ 823 م) الذي كان يأخذ مكوسا عن معادن درعة يسير في نفس سياق نصي ابن خرذاذبه والمسعودي.

بناءً على دراسة ميدانية للعديد من المواقع المنجمية في منطقة ما كان يعرف سابقاً بإقليم سجلماسة (1984 ـ 1985)، يوجد موقع واحد يستجيب للأوصاف المذكورة في النصوص المكتوبة من خلال مخلفاته الأثرية ومن نتائج بعض التحليلات المختبرية، نعتقد أن منجم ومدينة تدغة يوجدان بموقع إيمضر، الذي يعتبر أكبر منجم للفضة بالمنطقة، على الطريق الرابطة بين بومالن فالرشيدية (انظر الخريطة الطبغرافية بومالن 1 / 100.000). ومنجم إيمضر للفضة يحمل اسم القرية وواد إيمضر الذي يصب في واد تدغة، ولا يستبعد أن يحمل واد إيمضر اسم تدغة في الفترة التي تعنينا. والمنجم متحف نموذجي للتقنيات المنجمية والتعدينية القديمة، إذ لا زالت موجودة عشرات الآبار والخنادق والدهاليز الباطنية، وتتناثر في الموقع الرئيسي للمنجم شظايا من الكواجل (أواني فخارية على شكل شهد عسل النحل) كانت تستعمل لتصفية معدن الفضة من الشوائب ولصنع كويرات من الفضة الخالصة، موجهة أساسا لسك النقود، بالإضافة إلى هذا نجد في الموقع مئات الرحي وقطع الزجاج والفخار والخزف والأشكورية (خبث المعدن) كما توجد مغسلة للأحجار المعدنية بالقرب من واد نتاشراكاشت، وخطارة تصل الخندق "أ" بأقا المعدن الموجود على بعد مائة متر شمال الخندق، والتي تعكس في هندسة حفرها مستوىً تقنياً جيداً.

وقد تم حساب كميات الردم المعدني في الموقع الرئيسي بما يناهز المليون طن من الأحجار المعدنية التي اعتبرها المنجمون القدامى عقيمة. وتتخلل الاستغلالية المعدنية بقايا بنايات.

إن هذه المخلفات المادية تعكس نشاطا منجميا وتعدينيا هاما طوال فترة ليست بالقصيرة، بالإضافة إلى وجود تجمع سكاني، على الأقل، في الموقع الرئيسي والذي يغطي ما يقارب ستين هكتاراً.

إن كل هذه المعطيات المادية تدعونا إلى مطابقة موقع إيمضر مع المدينة القديمة تدغة، المذكورة في المصادر التاريخية، وما يعزز افتراضنا هذا، العثور على ثلاث قطع نقدية أثناء إفراغ الخندق "أ" من الردم المعدني، ويتعلق الأمر بدرهمين إدريسيين وفلس نحاسي، ونعتقد أن مركز المدينة يوجد بالجنوب الغربي من الخندق "أ". وتدل المخلفات أن الموقع عرف نشاطات إنسانية متعددة، فقد عثر مثلا على أشكورية تحمل نسبا هامة من الرصاص، وهذا معناه وجود عمليات صهر للفضة والرصاص لإعطاء ليونة تسهل عملية تكييف شكلها حسب رغبة الصانع.

إن هذه الدلائل المادية مجتمعة غير متوفرة ـ حسب معرفتنا ـ في أي موقع، يوجد بمحيط سجلماسة القديمة، فإذا عدنا إلى النصوص، نجد أن ابن خرذاذبه يقول إن المدينة كانت تحت سيطرة الخوارج الصفرية أي مدراريي سجلماسة، وهذه المعلومات نجد لها استمرارية، بطريقة غير مباشرة عند البكري الذي يذكر المكوس التي وضعها اليسع على مناجم درعة (واد درة عند البكري يشمل أيضا دادس الذي يقع في محيط إيمضر) أواخر القرن الثاني / (8 م)، لكن البكري لم يذكر تدغة، بل تحدث عن ترغة التي خلت بعمارة سجلماسة (*المصدر*، ص. 148)، لكن السياق التاريخي للمنطقة وسك النقود بتدغة يؤكدان أن المدينة لم تختف، اللهم إلا إذا كان الأمر يتعلق بمدينة حقيقية أخرى تسمى ترغة أو أنه كان يقصد بكلمة "عمارتها" ازدهار سجلماسة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (10 م)، وهذا الافتراض الأخير له كذلك ما يبرره.

من خلال المعطيات السالفة الذكر، يمكن التأكيد أن تدغة كانت مزدهرة أواخر القرن الثاني وفي القرن الثالث الهجري (8 ـ 9 م)، ونعتقد أن المنجم بدأ يفقد أهميته ابتداءً من القرن الرابع الهجري (10 م) وربما كان هذا سببا في إغفال البكري لذكر المنجم خصوصا وأنه كان ينقل أخباره عن التجار والمسافرين وعن كتابات القرن الرابع الهجري. وسك النقود بتدغة يبرز لنا عدة معطيات عن تاريخ المدينة، فنلاحظ مثلا أن دار السكة بهذه المدينة أصدرت نموذجين لردهمين إدريسيين سنتي 172 هـ / 788 م و174 هـ / 790 م ثم نجد بعد ذلك إصدارات لدراهم "خارجية" من سنة 175 هـ إلى 177 هـ / 791 م ـ 793 م)، ويمكن أن نقدم فرضية في هذا الباب، مفادها أن المدينة كانت قبل سنة 175 هـ / 791 م تحت سيطرة الأدارسة لتنتقل بعد ذلك إلى سيطرة الخوارج الصفرية ابتداء من سنة 175 هـ ولا يستعبد هذا في إطار الصراع الذي كان قائما بين الأدارسة والخوارج. وفي السياق السالف الذكر، يمكن وضع ما ذكره البكري، حول اليسع وسيطرته على معادن درعة وفرضه المكوس عليها وكما ذكرنا، فقد تولى السلطة سنة 174 هـ / 790 م، كما أننا لا نتوفر على دراهم إدريسية سكت بتدغة بعد 174 هـ.

أما عن أسباب اختفاء مدينة تدغة فيمكن أن نقدم عدة احتمالات :

ـ الاحتمال الأول : أن المغرب دخل في القرن الرابع الهجري (10 م) في حركية جديدة من المبادلات مع السودان عقب توقف الخط التجاري مصر ـ غانا أواخر القرن الثالث الهجري (9 م) (ابن حوقل، *صورة الأرض*، ص. 65). وأن هذه الحركية كانت وراء اختفاء مجالات تبادل أو بروز أخرى، ولا شك أن الخط التجاري سجلماسة أودغست أحيى المجالات الاقتصادية المخترقة ومن بينها تامدولت ومنجمها للفضة، فظهور هذه المدينة ابتداء من القرن الثالث الهجري (9 م) تحت سيطرة الأدارسة يمكن أن يفسر تقهقر تدغة، فلم تعد المنجم الوحيد في المغرب الجنوبي، بل إن وجود تامدولت على الخط التجاري الذي سيأخذ أهمية خاصة في القرن الرابع الهجري، سيعطي لها فرصة تموين التجارة المغربية السودانية بالفضة.

ـ الاحتمال الثاني : أن النشاطات المنجمية والتعدينية اتجهت نحو الشرق من الموقع الرئيسي لإيمضر، وتشتت الاستغلاليات في جبل صاغرو ـ كما تدل على ذلك الصور الجوية ـ ساهم في تفكيك التركز السكاني، مما أدى إلى الاختفاء التدريجي للمدينة، وقد تتزامن هذه العملية مع القرن الرابع الهجري.

ـ الاحتمال الثالث : أن سكان إيمضر (تدغة) استغلوا المياه الجوفية الموجودة في الخندق "أ" بواسطة خطارة نقلت الماء إلى أقا المعدن الذي يخترق مجال التجمع السكاني الموجود إلى الجنوب الغربي من الخندق "أ"، ودلت التحليلات المختبرية أن المياه الجوفية تحمل نسبا عاليا من الزرنيخ، واستعمالها يؤدي حتماً إلى انقراض الحياة بصورة تدريجة.

إن القيام بحفريات منتظمة مع تحاليل مختبرية في موقع إيمضر، يمكن أن يكشف عن ماضي تدغة في تفاصيله الدقيقة، وبالتالي يمكن لهذه المعطيات الكشف عن جزء هام من تاريخ الأدارسة والخوارج الصفرية بالمنطقة.

ابن خرذاذبه، *المسالك والممالك*، ليدن 1889 ؛ المسعودي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، بيروت 1983 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، باريز 1965 ؛ الخريطة الطبغرافية بومالن 1 / 100.000.

الموساوي العجلاوي

** تذكر كتب التاريخ أن تدغة عرفت في القرن الثاني والثالث للهجرة ازدهاراً اقتصادياً في ظل إمارات محلية حتى إن تدغة أصبح لها شأن أكثر من سجلماسة حسب

الباحثة "جاك مونيي" (Jacques Meunié). وقد ترددت بين الاستقلال تحت حكم أمير خارجي ثم تحت التبعية لحاكم دمنات من بني إدريس، حسبما تبين من الأبحاث الأخيرة للباحث دانييل أوستاش (D. Eustache). كما حكمتها الأميرة زينب التي ضربت السكة باسمها هناك. وقد كانت تدغة خلال الفترة الممتدة فيما بين 175 هـ و200 هـ تُمدُّ الدولة الادريسية بالدراهم حيث وجدت عملة إدريسيَة ضربت بتدغة، كما كانت تزود هذه الدولة بمادة الفضة التي يوجد معدنها فيها. وهذا ما دفع بالأدارسة لمد نفوذهم إلى تدغة حوالي عام 223 هـ في عهد يحيى بن إدريس الثاني. ويستفاد من كلام البيذق أن تدغة دخلت في طاعة الموحدين أيام خلافة عبد المومن حيث جاء في أخبار المهدي (ص. 51) : "...ثم وصلنا لموضع يقال له "تدغت" ووجد به أيت علي وسكور ومنكور ووجد موسا بن حماد متاع أسامرن أيت سنان فترك بها ابن وظيب..." وقام أبو حفص الموحدي بنفس الحركة إلى أيت سنان بتدغة بعد وفاة عبد المومن. ويذكر الناصري في *الاستقصا* (7 : 80) "أن أهل تدغة شاركوا في جيش المولى إسماعيل لقتال قبائل فزاز البربرين سنة 1104". وقد كانت تدغة بعد ذلك من المناطق الآهلة بالسكان حيث يذكر "أبو القاسم الزياني" في *الترجمانة الكبرى* (ص. 67) : "... وما قابل إدخسان وفازاز خلف جبل درن أقاليم ثلاثة : تدعة وفركلة وغريس غير متصل بعضها ببعض، وبها قصور وقرى ونخيل وبساتين ومزارع وأمم لا تحصى".

ويذكر في *البستان الظريف* المعارك التي دارت بين جيوش المولى سليمان وقبائل أيت عطا في الواحات. وجهوده لإخضاع هذه الواحات ومن جملتها واحة تدغة حيث يقول : "... ووجه المولى سليمان محلة أخرى مع عامل سجلماسة محمد السريري فنزل ملوية... فتوجع لسجلماسة ومنها فرق المحلة على أقاليم الصحراء درعة والفائجة وتدغة وفركلة وغريس وزيز ومدغرة والرتب فجنى أموال تلك النواحي وقرر عماله وخلائفه بكل إقليم ومهد طرق الصحراء ورجعت العساكر".

وفي عهد السلطان الحسن الأول ولى "الجيلالي الدمناتي" قبائل بوگمّاز وتدغة وأيت عطا ومغران ودادس،

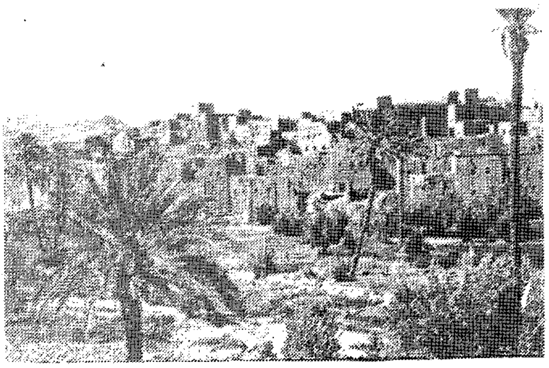

تدغة

قصر تاوريرت ن إيمزلن

غير أنه لم يتمكن من التصرف فيها. والذي يهمنا هو أن الوزير المعطي بلعربي كتب إلى الجيلالي الدمناتي بتاريخ 9 ذي القعدة 1310 هـ في شأن تدغة كتابا على لسان السلطان الحسن الأول يأمره فيه أن يباشر الأمور معهم على مقتضى إيلافهم واستياقهم للخدمة، وأن يسوسهم بالحسنى وأسلوب الحكمة.

وبعد توقيع معاهدة الحماية واندلاع المقاومة في تافيلالت بزعامة مبارك بن حسين التوزنيني وخليفته بلقاسم النگادي أصبحت تدغة تكتسي أهمية بالغة من الناحية الاستراتيجية بالنسبة للقيادة العامة للأركان الفرنسية، ذلك أنها ترى في احتلال تدغة ضربة لمقاومة تافيلالت إذ يحرمها ذلك من قاعدة خلفية ويمنع هذا الاحتلال قبائل أيت عطا من المساهمة في المقاومة. وفي هذا الإطار نظمت حملة باشا مراكش التهامي الاگلاوي إلى تدغة في أواخر 1918 وبداية 1919.

وقد كان الاگلاوي على رأس جيش بلغ تعداده عشرة آلاف جندي يؤطرهم ضباط الشؤون الأهلية برئاسة الجنيرال "دو لا مــوط" (De La Mothe). وأنشأ الاگلاوي حامية عسكرية مقرها تينغير، كما شيد قصبة له وعين خليفة بتدغة وبذلك تم تطويق المقاومة بتافيلالت. كما أن احتلال تدغة مكّن الاستعمار الذي حلت جيوشه بشكل نهائي بتدغة سنة 1931 من قاعدة لتوسيع الاحتلال نحو الأطلس الكبير والأوسط وصغرو. وظلت تدغة خلال العهد الاستعماري مركزاً هاماً للشؤون الأهلية لمراقبة تحركات قبائل أيت عطا المجاهدة.

البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط 1971. ؛ ح. الوزان، *وصف افريقا*، ج 2، 1983 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن 19*.

G. Raclot, *La vallée de Todra*, Rabat, 1936 ; D. Eustache, *Le corpus des dirhams Idrissites*, *B.S.H.M.*, n° 2, 1969, p. 27.

عبد القادر بوراس

**التدغي**، عبدالكريم بن علي بن محمد بن علي بن عمرو الدرعي، نسبة إلى تَدْغُوتْ ـ عربت إلى تَدْغَة ؛ وهو مدشر قديم يقع على الطريق الواصلة بين تافيلالت ومراكش. ومن ثم عرفت، طوال التاريخ ؛ كمرحلة رئيسية في تلك الطريق، وسوق جهوي هام يَلتقي فيه أهل دادس وأهل درعة بقبائل أيت سدرات وأيت عطا.

أخذ التدغي عن جماعة من علماء وقته من أشهرهم أبو الحسن علي المراكشي، وأبو علي اليوسي. ورحل إلى المشرق، حيث أدى فريضة الحج ولقي علماء أخذ عنهم، كما زار بلاد الشام.

قدم إلى زاوية تامگروت الناصرية قبل أعوام التسعين وألف ؛ وحظي لدى الناصريين بمكانة مرموقة، بسبب علو كعبه في ميدان العلم. فكان من بين من استقطبهم الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، عن طريق المصاهرة، إذ زوجه أخته سارة بنت مَحمد ابن ناصر. فاستقر بالزاوية وعكف على التدريس والإفتاء طوال حياته.

ومن بين أشهر تلامذته محمد المكي بن موسى

الناصري، ومحمد بن عبد الله الحوات قاضي شفشاون ؛ وهو الذي رثاه عند موته بقصيدة مطلعها :

سل الطالع الغربي من نحو درعة

سؤال الشجي المشتاق عن جيرة الأيك

(*نشر المثاني*، 3 : 240)

ومنهم أيضاً أحمد بن صالح الدرعي الذي قال عنه : "وقد أقام عندنا مدة تزيد على العشرين يوماً، أفادنا فيها ما هو أهل له من العلوم التوحيدية والأحاديث النبوية، وغير ذلك من العلوم والإشارات الأدبية" ( *الدرر المرصعة*، 314 . 315 ؛ *الدرة الجليلة*، 218 . 220).

وكان محمد بن عبد الله الحوات كاتبه المختص به.

توفي عبد الكريم التدغي بتامگروث ليلة الخميس التاسع عشر من جمادى الأولى سنة 1132 / 1720 ؛ ودفن بمقبرة أبي القاسم الشيخ على مقربة من الزاوية الناصرية.

محمد المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج 3 ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*.

أحمد عمالك

**التدميري**، أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله. أصله من تدمير بشرقي قرطبة، نشأ بألمرية، وأخذ عن جماعة من العلماء منهم أبو الحجاج ابن يسعون وأبو محمد بن الدبيري وأبو محمد بن عطية ومحمد بن عمر، وأبو الوليد ابن الدباغ وأبو علي الصدفي، لقيه بمرسية سنة 510 هـ.

انتقل إلى بلاد المغرب، وسكن مدينة بجاية مدة، وفيها ألف كتابه *نظم القرطين، وضم أشعار السقطين* جمع فيه أشعار الكامل للمبرد، والنوادر لأبي علي البغدادي، ألفه برسم محمد بن علي ابن حمدون وزير بني الناصر الصنهاجيين.

استقدمه عبد المؤمن بن علي الگومي بعد ذلك إلى مراكش لتعليم أبنائه وتأديبهم، فصار من مرافقي الخليفة وعلماء القصر السلطاني، وقد رافق الخليفة في حركته الشهيرة إلى إفريقية سنة 555 هـ، وحضر معه فتح مدينة المهدية.

كان عالماً لغوياً نحوياً أديباً منكباً على التأليف في اللغة والنحو، فزيادة على الكتاب السابق، ألف كتاب *تسديد قواصر الميز في شرح شواهد ابن عزيز* وهو في شرح شواهد كتاب *نزهة القلوب* في غريب القرآن لمحمد ابن عزيز، كما ألف كتاب *التوطئة* في النحو، وكتاب *التصريح لشرح غريب الفصيح* الذي لايزال مخطوطاً، وكتاب *الفوائد والفرائد*، وكتاب *شفاء الصدور* شرح به أبيات الجُمل للزجاجي، وفرغ من تأليفه سنة 538 هـ، ويصفه ابن عبد الملك بأنه "كتاب جم الفائدة كثير الإمتاع"، واختصره صاحبه بكتاب سماه *المختزل*.

توفي بمدينة فاس بعد رجوعه من حركة إفريقية سنة 555 / 1160.

ابن الآبار، *التكملة لكتاب الصلة*، القاهرة، 1955، ج 1 : 65 ؛ ابن الآبار، *المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي*، القاهرة، 1967، ص 39 ؛م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، تح. إحسان عباس، بيروت، ج 1 : 236 ؛ القفطي، *إنباه الرواة*، القاهرة، ج 1 : 154 ؛ ج. السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، القاهرة، 1964، ج 1 : 321 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص 138 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط 1974، ج 2 : 68 ؛ عمر رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، دمشق 1957، ج 1 : 260 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، بيروت ؛ م. عبد الله عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، القاهرة، ج 1 : 469 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، الرباط، 1983، ج 3 : 287.

محمد المغراوي

**ترابة نادرة** (Terres rares) (أو لانتانيد Lanthanides)، مجموعة من خمسة عشر عنصراً معدنياً ذات خاصيات كيميائية متقاربة، موزعة على الصخور الصهارية بكثافة جد ضئيلة. حسب الرقم الذري المتزايد يمكننا تمييز ثلاث مجموعات من الترابة النادرة :

1 ـ السّكنديوم Scandium، والإيتّريوم Yttrium (الرقم الذري من 21 إلى 39).

2 ـ لانتان Lanthane، سريوم Cerium، پرازيوديم Praseodyme، نيوديم Neodyme، پْروميثْيوم Prometheum، سَمَرْيوم Samarium (الرقم الذري من 57 إلى 62).

3 ـ أوروپْيوم Europium، غادُلْنيوم Cadolinium، تِرْبيوم Terbium، دسْپْروزْيوم Dysprosium، هولْميوم Holmium، أرْبيوم Erbium، تليوم Thallium، إيتّريوم Yttrium، لوتيسْيوم Lutecium (الرقم الذري من 63 إلى 71).

تدخل عناصر مجموعة اللانتانيد في تركيبة عدة بلورات كالصوانات والكربونات والفوسفاطات. والتنكستينات، وخصوصاً المونازيت التي تعتبر أهم معدن للانتانيد (وخصوصاً اللانتان والسريوم) وأحياناً التوريوم.

استعمالات الترابة النادرة عديدة وجد مهمة، ونذكر منها على سبيل المثال، صنع أسلاك النرنست (مصابيح تستعمل في المختبرات) ؛ والخزف العازل ؛ وصقل الزجاج، وصنع ماصات الزجاج، والزجاج الاستشعاعي والضيائي ؛ وصنع القوس الكهربائي ؛ وصناعة المعادن، والالكترونيات، والكمياء العضوية، وتصوير القطع المعدنية بالأشعة، والفحص الطبي بالأشعة، والطب الصيدلي (كمُطَهِّر، وكمضاد للتَّقَيُّوء، وضد المُخَثِّرات، ولمعالجة داء السل، والمعالجة بالأشعة)، وأخيراً في ميدان الفلاحة حيث تساعد على نُموِّ النباتات، ومعالجة الخشب بالتمعدن.

نجد الترابة النادرة بالمغرب في مستويين رمليين رفيعين وتابعين للأكادي بالأطلس الصغير، وكذلك في صخور

الكربوناتيت المصاحبة لصخور السّيينيت في تمازيرت بالأطلس الكبير عند ميدلت. وتشتمل هذه الأخيرة على كميات لا بأس بها من النيوبيوم والمونازيت. ولقد عرفت المونازيت في الصخور الأعبلية ببنگرير، وأغبال تافراوت (الأطلس الصغير).

A. Foucault et J.F. Raoul, *Dictionnaire de géologie*, 3ème Paris, 1988 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (Français - Arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; R. Duda et L. Rejl, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains : Substances métalliques et non métalliques*, 2ème ed. t. 1, Rabat ; P. Lapadu-Harpes, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; R. Fouet et Ch. Pomerol, *Minerais et terres rares*, Paris, 1954 ; D.A. Mineyev, *Geochimical differentiation of the rare earths*, *Geochemistry* 12, 1963 ; L. H. Ahrens, *Distribution of the elements in our planet*, New-York, 1965.

عبد الله بوصحابة

**تراث الإسلام**، (Legadu del Islam). عنوان نشرة شهرية ثقافية كان يصدرها القسم العربي للمكتبة العامة بتطوان بالعربية والإسبانية، في خمسين صفحة من حجم 215 × 160 م م. ولم يصدر منها سوى أحد عشر عدداً من شهر يناير إلى شهر نوفمبر 1948 ؛ وكان مديرها أحمد المكناسي ورئيس تحريرها محمد ابن عزوز حكيم.

م. ابن عزوز حكيم، *فهرس خزانة الصحف العربية بتطوان*، 1953 عدد 107 ص 35.

محمد بن عزوز حكيم

**التراث المغربي**، منه تراث إنساني يندرج فيه كل معلمة أو موقع أثري يتميز إما بجانب أو جوانب ترتبط بالمساهمة في الحضارة الإنسانية وتطويرها بالشكل الذي جعل من الإنسان ومن الجماعات البشرية تلك المجموعات الذكية الخلاقة والمتطورة الإبداع.

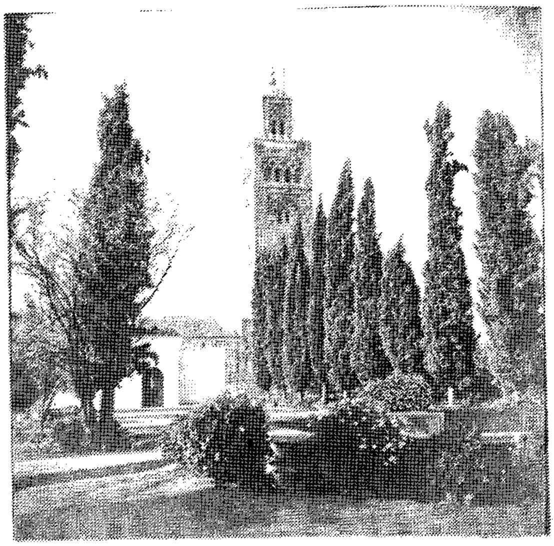

تراث وطني، منارة الكتبية بمراكش

ولما كثرت هذه المآثر وأصبحت مهددة بالإتلاف الجزئي أو الكلي أمام تحديات العصر، عملت منظمة اليونسكو منذ سنة 1972 على وضع اتفاقية أممية تجمع مائة وأربعاً وثلاثين دولة من الدول الأعضاء (إحصاء 1993) وتجند طاقاتها من أجل الحفاظ على هذا التراث وصيانته. ومن أجل أن تتوفر الفعالية اللازمة عملت اليونيسكو على خلق أدوات إدارية هي "لجنة التراث العالمي" المكونة من واحد وعشرين عضواً ينتخبون من بين ممثلي الدول الموقعة على الاتفاقية، و"صندوق التراث العالمي" الذي يجمع المساهمات والتبرعات ويوزع المساعدات على من يحتاجها من الدول.

على أن هذه الاتفاقية لا تنحصر في التراث الثقافي أي ذلك الذي يعود لخلق الانسان وإبداعه، وإنما تجمع كذلك التراث الطبيعي الذي أبدع فيه الخالق جاعلا منه مواقع جذابة، أو مَواطِن لأنواع من مخلوقاته الحيوانية أو غير ذلك.

تراث إنساني : قصبة أيت بن حدو (ورزازات)

ويتوفر المغرب على مجموعة هامة من المواقع المقترحة للتسجيل في لوائح التراث الإنساني أو العالمي، سجل منها إلى اليوم في إطار المواقع التراثية الثقافية كل من مدينة فاس ومدينة مراكش وقصبة آيت بن حدو القريبة من ورزازات، وفي لائحة المواقع الطبيعية المتميزة موقع سيدي بوغابة بالقرب من المهدية وموقع ماسة بمنطقة سوس، وكلاهما يعتبر مسكناً متميزاً لأنواع من الطيور.

أما التراث الثقافي فهو كل ما خلّفه الآباء والأجداد وما تركته الأجيال السالفة من مقومات مادية وروحية تتميز بها الجماعات والشعوب بعضها عن بعض.

وقد تعمقت الرؤى وتعددت الأفكار حول الموضوع في ضوء الاهتمامات التي ظهرت وتطورت مع نشر المعرفة وتقوية الوعي بقيمة الخاصية التراثية وقوتها في حياة المجتمعات. هكذا نجد المقاربات والتعريفات تتراوح ما بين من يرى في التراث الثقافي أنه توارث الممتلكات من جيل إلى جيل، ومن يرى فيه كل ما يعبر عن "العبقرية الخلاّقة" للشعوب، ومن يحدد مفهومه في قيمة الأشياء بغض النظر عن أثمنتها، أو يوسعه ليجعل منه ضمان الحاضر بفضل الارتكاز على الماضي، أو إبداعاً مقدساً لا يمكن تغييره دون أسباب قاهرة، أو مجموعة متميزة من الممتلكات الموروثة الخ...

ومهما يكن فمفهوم التراث ينبثق من فكرة الإرث والتوارث، بمعنى أن حضور الماضي لا ينفي البعد الآتي ولا البعد المستقبلي حتى إن علاقة جدلية ما بين هذه الأبعاد

الثلاثة يكون الأول فيها المصدر والأساس، ويبرز الثاني المظهر والارتباط ليبقى الثالث عنوان الاستمرار والبقاء تبقى سارية ما دامت الأصالة هي التي تتحكم في كل مستوى من مستويات التعامل مع الموروث وما انبثق عنه.

وتختلف الاشارة إلى هذا الموروث من جهة إلى أخرى باختلاف النظرة إلى ما يختزنه مفهومه كما سلف. على أننا لا نجد سوى لفظين لا ثالث لهما في معجم المصطلحات الدالة عليه وهو "التراث" أو "الممتلكات" الثقافية.

ويتميز التراث الثقافي المغربي بتنوعه وغنى مقوماته. ويمكن تقسيم هذا التراث إلى ما هو مادي وإلى ما هو غير ذلك. أما المادي فتدخل في تعداده المواقع الأثرية وما تخبئه من آثار، والمعالم التاريخية وما تحمله من ثقل تاريخي وحضاري، والمباني المتميزة كالقصبات والقصور الترابية المنتشرة في المناطق الجنوبية للمملكة والمخازن الجماعية المعروفة "بالأگاديرات". وتدخل كذلك في هذا الباب المنشآت الأخرى كالمدارس والمساجد والأضرحة والقصور والدور الخصوصية، والمرافق التي ترتبط بهذه البنايات كالكتاتيب القرآنية والخزانات والسقايات العمومية، والمطاحن المائية المنتشرة في أزقة المدن وفي البوادي، والحمامات. ويدخل ضمن التراث المادي كذلك التحف الأثرية والفنية التي خلفتها الأجيال. ومن أهم ما قد يغيب عن فكر العامة في هذا الباب المسكوكات والنقود. وكذا المخطوطات التي تحمل بين طياتها عصارة الفكر الوطني في كل الحقول المعرفية.

أما التراث غير المادي فيجمع كل ما يدخل في خانة العادات والتقاليد الشعبية من كيفية عيش الناس، وتعاملهم فيما بينهم ومع محيطهم الاجتماعي والطبيعي، وكيفية إقامة حفلاتهم وتخليد أعيادهم وذكرياتهم... كما تدخل فيها كذلك الحرف والصنائع من باب التعليم والتوراث التقني والمعرفي، وكذلك الفنون الاستعراضية والموسيقى الشعبية التي تستمد مادتها وروحها من المجتمع الذي يبدعها. ويبقى التراث اللغوي الأداة الأساسية التي بواسطتها تنتقل المعارف المتعلقة بكل ما سلف، والتي تتميز بها أكثر من غيرها الشخصية والثقافة الوطنيتان.

*معلومات خاصة.*


A. Adam, *Bibliographie critique de sociologie, d'éthnologie et de géographie humaine du Maroc*, Alger, 1972 ; A. Bourdin, "Le patrimoine culturel et les systèmes de valeurs", dans *Droit du patrimoine culturel immobilier*, Tours, 1986, p. 9 - 16 ; C.R.E.S.M., *Culture et société au Maghreb*, Ed. du C.N.R.S., 1975.


عبد العزيز توري

**تُـرارَة**، عين غزيرة المياه تبلغ سرعة تدفق مياهها خمسة لترات مكعبة في الثانية، وتقع بقبيلة بني شكر (إقليم الناظور) ؛ وقد سميت بترارة نسبة إلى أسرة أتت من جبل ترارة بالجزائر ونزلت بالقرب من العين المذكورة في القرن الثامن الهجري (14 م).

وفي عهد الحماية استبدت السلطات الاستعمارية الإسبانية بمليلية بالعين المذكورة وجلبت مياهها إلى المدينة السليبة ؛ وإلى يومنا هذا لازال هذا الوضع الغير قانوني على ما كان عليه، في الوقت الذي كان فيه المغرب تحت الحجر والحماية.

*ملف سري كان بأرشيف نيابة الأمور الوطنية بتطوان في عهد الحماية.*

محمد بن عزوز حكيم

**التربة المغربية** (مدخل منهجي). اتساعُ رقعة المجال الجغرافي المغربي وتوفرُه على الخصوص على تنوع نادر المثال من القواعد الصخرية من حيث طبيعتها وأعمارها وبنياتها، واشتمالُه على فسيفساء هائلة من الأوساط الطبوغرافية والبيومناخية، قد أهله إلى تطوير شبكة من الأتربة المتعددة. تختلف هذه الأتربة إذن باختلاف جباله وهضابه وسهوله وسواحله وصحاريه، وتعكس تأثير الركائز الصخرية التي تنطلق من الرواسب الحديثة والحالية، لتتوغل في المواد القديمة المنتمية لما قبل الزمن الأول إلى حدود ثلاثة ملايير من السنين، عبر كل الأحقاب ممثلةً تمثيلاً وافياً.

يتوفر التراث المغربي على تصنيفات لهذه الأتربة.

ومن جملة التسميات الشائعة : الدَّهْس، المْطيل، الفَرْشَاش، الطُّوگ، التِّيرْس، المرْجَة، الملاَّحة، المزَّاق، الرّمل، الحرْش، الحصْبة، البيَّاضة، الحَمْري ... لكن مضامين هذه المصطلحات وغيرها تختلف بصفة متفاوتة من إقليم لآخر. كما أن نفس الكيان الترابي يحتمل أسماء مختلفة حسب الأعراف واللهجات، لذا يصعب اعتماد هذه التصانيف ما دامت لم تُضبط مضامينُها ضبطاً علمياً كافياً، ولم تحصر لائحتها قصد التعميم على أساس الأصلح.

صحيح أن هناك بعض المصطلحات التي ارتقت إلى مستوى العالمية مثل التيرس وأخرى أقل منها مثل الحمري والبياضة والرّمل. لكن معظم الدراسات والخرائط الموضوعة من طرف مختلف الأجهزة التقنية والجامعية قد اعتمدت لحدّ الآن التصنيف الفرنسي للأتربة. مع انفتاح قليل في الآونة الأخيرة على التصنيف الأمريكي.

التصنيف الفرنسي للأتربة تصنيف تطوري خلافاً للأمريكي الذي يعتمد الخاصيات التشكيلية. وهو يشتمل على اثنى عشر قسماً تتفرعُ إلى تحت أقسام ومجموعات وتحت مجموعات، وغيرها من التجزئات (فصيلة، سلسلة، صنف، مرحلة) التي تُطرق حسب الحاجة إلى الزيادة في التخصيص.

المفروض أن هذه الأقسام تغطي كل الأتربة الموجودة في العالم. ومن المثير للاهتمام أن الأتربة المغربية تقدم نماذج لعشرة من هذه الأقسام الاثني عشر. حيث نجد بالمغرب قسم الأتربة المعدنية الخام، والضعيفة التطور، والمتقلبة، والآندوتربة، والكلسمغنيزية، والسيدبالية، والمسمَرَّة، وذات أكسيد نصفات الحديد والمنغنيز، والميهة والصودية.

وحتى بالنسبة للقسمين المتبقيين (الرُّمْدات والأترية المتحدِّلة) فهناك ما يدل على وجود آثار لها، حيث يُظن أن بعض أتربة الريف الغربي قد عرفت تطوراً رمدياً (البودزول). في حين أن الأتربة المتحدِّلة التي لا تنتشر إلا في النطاق الاستوائي الشديد الرطوبة والحرارة، لا نعرف لها في المغرب إلا بعض النماذج الأحفورية المتخلفة عن فترات بيومناخية قديمة، والتي احتفظت بجل خصائصها بفضل دفنها من طرف مواد رسوبية أو بركانية لاحقة.

صحيح ان المغرب لا يتوفر إلا على بعض مستويات التخصيص الداخلة في هذه الأقسام وليس كلها : فمثلاً الأتربة المتقلبة لها خصوصيات محلية تجعل مصطلح التيرس المشتق من التصنيف البلدي أنسب للواقع المغربي.

الأتربة السيدبالية تنقصها أصناف البلاد الباردة على الخصوص. أما الأتربة ذات أكسيد نصفات الحديد فهي ممثلة هنا بأحد شقيها الكبيرين المدعو بالمتحدْسل، في حين الشق المتحدِّد المنتسب للبلاد المدارية لا يوجد إلا في صيغته الموروثة والمحدودة الانتشار. جل أتربة هذا القسم مصبوغة بحُمرة أكاسيد الحديد، لذا فهي معروفة في المغرب حسب التصنيف البلدي بمصطلح الحمري، الشديد التعميم.

لم تَحْظَ الآنْدُو تُرْبَة بالعناية الكافية من حيث الدراسة، وهي أتربة تتطور على حساب القواعد البركانية، يَكُون جزءٌ من عناصرها ذا طبيعة غير متشكلة. تشغل فصيلة متخصصة منها حيزاً واسعاً في الأطلس المتوسط الغربي مثلاً على أساس المواد البازلتية الشديدة الصلابة وتراكمات الرماد البركاني المنتمية للرباعي الأوسط، وذلك في مجالات متروكة للغابة وبوارات الرعي، تكاد تكون فارغة من السكان. يتطلب استثمارُها معرفةً أفضل للقاعدة الترابية.

أما الأتربة المُسْمَرَّة فهي مبدئياً لا تتطوروتنتشر إلا في البلاد المعتدلة. لكن يبدو أن السلاسل الجبلية الرئيسية (الريف والأطلسين المتوسط والكبير) تضم فصيلة خاصة من فصائلها لم يَتوقعها الترتيب العلمي المعتمد، وهي موجودة على ارتفاعات متفاوتة حسب طبيعة الصخور وتوجيه السفوح. وجود هذا النوع من الأتربة الرفيعة في المناطق الجبلية التي تفتقر في الغالب إلى التربية الجيدة يمثل احتياطياً جديراً بالعناية.

تَحَفُّظٌ آخر يُمليه واقع الدراسات. ذلك أن مُدرّج السهول والهضاب الزارعية المنفتح على المحيط في الشمال الغربي للبلاد، هو وحدَه الذي حظي بالدراسة الكافية مع بعض الإضافات الأخرى مثل سوس وطريفة.

معرفة أتربة الجبال ما زالت في بداياتها مع أنها أمر ضروري وملحّ للثروات التي تختزنها هذه المناطق والدور الذي تلعبه في إيواء وتعهد القسط الأوفر من الغابات المغربية، كما أنها تحافظ على توازن السفوح وصيانتها من تأثير عوامل التعرية. وهي كذلك تضمن تسرب المياه إلى الفرشات القريبة والعميقة التي تغذي العيون وتضبط توازن أنظمة الجريان في الأنهار، ملطفة بصفة متفاوتة الأوضاع المتطرفة للجفاف والفيضان. هذا العمل الحيوي لا يخص الجبال ذاتها ولكنه يمتدّ إلى كل المناطق الزراعية الغنية والآهلة بالسكان، على الخصوص عبر شبكات سبو وأم الربيع وملوية وسوس وزيز.

أما المناطق الصحراوية والهضاب العليا الشرقية فهي من هذا المنظور تعتبر مجاهل، يقتضي تحسينُ ظروف العيش فيها المسحَ الميداني الشامل بحثاً عن المواطن المعزولة التي تتركز فيها التربة المستقرة، بالإضافة إلى الموارد المائية بالطبع، مع تحليل خصائصها ونماذج الاستعمال الملائمة.

موضوع بهذا المستوى من الشساعة والشمول، تصعب معالجتُه في مقال واحد. لذا، توخياً لبعض التفصيل والدقة، وتحاشياً للتكرار فإن كل نوع من الأتربة الأساسية يأتي في مدخل خاص به. يعرض كل مدخل لتعريف التربة المعتبرة وتحليل خصائصها التشكيلية والتحليلية والتطورية، وتوزيع نماذجها عبر التراب الوطني. يتم الاعتماد على التصنيف الفرنسي بالدرجة الأولى وكذلك على المصطلحات البلدية ذات الضبط الكافي، مع الربط بينهما حسب الإمكان.

تتحقق جل الإحالات انطلاقاً من المصطلحات الترابية الواردة في هذا التقديم. كما أن الأنواع القليلة الشيوع يأتي التعرض لها بمناسبة دراسة المظاهر الطبيعية لمختلف الأقاليم المغربية وظروف استعمال التربة فيها.

*C.P.C.S., Commission de Pédologie et de Cartographie des Sols*, Classification des sols, 1967 ; MAMVA-DCFCC, *Carte des sols du Maroc* (1 : 2 000 000), 1994 ; Soil Survey Staff,1975, *Soil Taxonomy : a basis system of soil classification for making and interpreting soil survey*, USDA-SCS Agri. Handb. 436, Washington DC.

إدريس الفاسي

* * استغلال التربة في المغرب. كثيراً ما تستعمل في نعت المجالات الريفية عبارتا "استغلال التربة" ، "استعمال التربة" بدون تمييز. في حين أن الاصطلاح الأخير يعبّر عن توطين المجالات حسب كيفية تنظيمها الإنتاجي أو الوظيفي (فلاحة، صناعة، سياحة ... أو مزروعات وسكن ومروج ومرافق ومراعي ...). بينما يتضمّن اصطلاح استغلال التربة مفهوماً من جهة أضيق، لأنه ينحصر في المجال الفلاحي، ومن جهة أخرى أوسع، لأنه يتطرق في آن واحد لخصائص المشهد والنظام الزراعيين. إذ يتمّ تحديد الخطوط العريضة للأشكال المرتبطة بالحقول، من سكن ودبر وسياج وشبكات المواصلات والرّيّ ... وكذا تعيين بعض عناصر النظام الزراعي (أنواع المزوعات وأسلوب الانتاج والكثافة الفلاحية ...) في تفاعلها مع الظروف البشرية والعوامل الطبيعية.

تفضي دراسة استغلال التربة إلى تقسيم مجالي تشبه وجداته إلى حدّ بعيد "المزروعات" على مستوى محلي و

"المناطق المتجانسة" على صعيد جهوي أو وطني. من هذا المنطلق يمكن تقسيم المغرب إلى 18 منطقة متجانسة تعتبر إطاراً لوصف يـمهّد للبحث والتنقيب عن العوامل الحاسمة في تحديد الخصوصيات المحلية. وتجدر الإشارة إلى أن تغيير المقياس، من المحلّي إلى الجهوي، يدعو بالضرورة إلى تحويل التصوّر المجالي المتجانس، حيث تصيرِ الوحدات الكبرى أكثر شمولية وتعميماً (بل وغموضاً)، نظراً لاتساع نطاقاتها واعتمادها على أمثلة ونماذج مختلفة الدّقة. كما أن بعض المناطق المتباعدة قد تضمّ فيما بينها إلى نوع واحد من المناطق المتجانسة إذا كانت تتسم بخاصيات تنظيمية ومؤهلات فلاحية مماثلة.

تتألف المجموعة الأولى من ثلاث مناطق متجانسة تعتبر أُولاها أغنى المجالات الفلاحية على الإطلاق، وتتميّز بمؤهلات وبزراعة متنوعة وعصرية كثيفة في إطار حيازات متوسطة وكبيرة يملكها الخواصّ والدّولة والشركات والتعاونيات. كما تتميّز بسكن مفكك على العموم وذي كثافة مرتفعة. يتعلق الأمر من جهة بالقطاعات المسقية الكبرى المكوّنة من الغرب واللوكس وملوية السفلى ودكالة وتادلة والحوز وسوس، ومن جهة أخرى بالسايس وممرّ إناون وبعض السهول الأطلنطية الوسطى (الشاوية السفلى وغرب عبدة). وتليها منطقة غنية نسبياً تشمل التلال ما قبل الريفية ومنطقة طنجة التي تعدّ وحدة طبيعية واقتصادية انتقالية بين جبال الريف والسهول المجاورة. ويتخذ سكانها بنية متجمّعة حول الحيازات الصغيرة التي يسود فيها رعي الأبقار والحبوب وقليل من المغارس ذات المردودية المرتفعة.

تتكوّن المجموعة الثانية من منطقتين متجانستين إحداهما متقطعة أيضاً. تتسم الهضبة الوسطى السفلى والساحل الأطلنطي الشمالي بموارد مائية ضعيفة نسبياً ورعي غابوي وزراعة بعلية تستغلّ بتقنيات متواضعة داخل حيازات مجهرية. كما تتسم بسيادة الحبوب ذات المردود المتوسط وبالسكن المتفرّق ذي الكثافة المتوسطة. وتتركب الهضاب والتلال الأطلنطية الزراعية من الشاوية العليا وهضبة الفوسفاط والبحيرة وساحل دكالة والشياظمة وحاحة، وتنتمي إلى منطقة تطبعها خصائص مماثلة نسبياً للمنطقة السابقة، مع مساحة أكبر للذرة والشعير وتعميم أوسع لمراعي الأغنام وكذلك المعز في التلال الأطلنطية التي ترعى في ما تبقى من غابة العرعر والأرگان. كما تشتهر بوجود أغنى شريط شاطئي (الولجة) مخصّص للزراعات البقلية المغلالة جداً والمسقية بطريقة الضّخ.

تتسع وسط أجزاء المنطقة السابقة منطقة الكتل والهضاب الاطلنطية الرعوية التي تتألف من الرّحامنة والجبيلات والگنطور، التي تتوفر على مقومات غير ملائمة. نتيجة لذلك نتيجة نشاطها الموروث إلى الانتجاع المُرفق محلياً بزراعة الشعير الخفيفة على حيازات صغيرة جداً نصفها جماعي أو گيش. رغم ذلك فالكثافة السكانية تقترب من المتوسط. وفي أقصى شمال المغرب يمثل الريف الأوسط والغربي منطقة مغايرة تغطي الغابة والمراعي نصف مساحة جبالها المرتفعة التي تعاني سفوحها تعرية سنوية نتيجة للتساقطات الغزيرة. من مميّزاتها مغارس الزيتون الممتدّة بين وزان وتاونات وزراعة الحبوب والقطاني في الأودية والسفوح السفلى، مع رعي تكميلي للمعز على الخصوص. ويتوزع السكن الكثيف في هذه المنطقة وفق بنية متجمعة على العموم.

يتميز الأطلس المتوسط بتنوع كبير لرساتيقه المحلّية خارج غابات البلوط التي تمثل نصف مساحته وتكسو السفوح الشمالية والغربية. كانت تعرف المنطقة إلى عهد قريب بالترحال، لكن الاستقرار يسود اليوم لصالح تملك الأراضي الزراعية في السفوح والأودية وبعض الأجزاء الهضبية وبالأساس لصالح تربية الماشية التي تحظى بأكبر قطيع في المغرب للمعز وخصوصاً للأغنام. كما يتميز الدير في الهوامش الغربية والشمالية الغربية بزراعة متدرجة وكثيفة مروية بالسواقي الممتدّة من المنابع الضخمة. ويعتبر الأطلس الكبير الغربي أعلى منطقة في المغرب، تغطيها كذلك غابات في السفوح الموجّهة نحو الشمال. ترتبط الحياة البشرية بمساحة قابلة للزراعة ضعيفة تتوزّع علي المنخفضات والأودية العديدة، حيث تقام زراعة سنوية وشجرية بقربة القرى، تضاف إليها تربية الأغنام والمعز على الخصوص. وبجوار الأطلس المتوسط تبدو الهضبة الوسطى العليا وكأنّها منطقة جبلية بالنظر إلى تقطعها الشديد. تعرف هي كذلك استقراراً حديثاً للسكان وتتوفر على قطيع مهم من المعز والأغنام، إضافة إلى زراعة الحبوب المعاشية خارج بعض الأحواض والسّفوح التي تبرز فيها بعض ملامح الزراعة العصرية المرتفعة المردود.

استغلال التربة

تنتشر في الشمال الشرقي منطقتان متحاديتان ذاتا خصائص متقاربة. تتركب أولاهما من الريف الشرقي والسلاسل الشرقية التي تتوفّر على ظروف طبيعية غير

ملائمة وعلى مساحة محدودة قابلة للزراعة ومخصّصة لزراعة بعلية للشعير وبعض الأشجار أو للزراعة المسقية المتعددة المحاصيل في بعض الأودية. لكن الكثافة السكانية، ولأسباب مختلفة، ترتفع بطريقة ملحوظة في جبال الريف الشرقي وبني إزناسن. أمّا جنوب وغرب جبال جرادة ودبدو فتظهر فيها بعض المجالات الحلفاوية معلنة بذلك جفاف المناخ الذي يضطر بعض القبائل إلى الرعي المتنقّل. وتتكوّن منطقة حوض ملوية من أراضٍ منخفضة يتوسطها نهر ملوية، مناخها قاحل كلما اتجهنا نحو الجنوب، يجعل الغابة تندثر وغطاء الحلفاء والشيح ينتشر. هنا كذلك، وباستثناء الجزء الشمالي الأقصى، تقام زراعة بعلية معاشية يتخلّلها كثير من البوار لصالح الانتجاع والترحال. على أن الجزء الشمالي الشرقي ومدرجات ملوية تعرف زراعة مسقية متنوعة بواسطة الآبار أو السواقي.

أما المناطق الجنوبية والشرقية المتبقية فتعيش حياة فلاحية على وتيرة الجفاف وعلى تنظيم كله تأقلم مع ضغوطه. في الأطلس الصغير والأطلس الكبير الغربي الأقصى لاتتيسّر الزراعة المحدودة المساحة بدون ريّ. ويتم اللجوء إلى تربية المعز على الخصوص داخل غابة الأركان التي تشكل ثلث المساحة الإجمالية او بالتنقل صيفاً نحو القمم. ويتخذ الفلاحون سكناً متجمعاً ضعيف الكثافة الإجمالية نسبياً. بينما السهول القاحلة الأطلسية المكونة من مناطق الحوز الغربي وورززات وتافيلالت هي عبارة عن أحواض وسهول تقطعها مجاري مائية نابعة من الاطلس الكبير. ويتمركز النشاط الزراعي بها غالباً في النقط المسقية والواحات المتوزعة بصفة خاصة بين درعة وزيز، مع تربية الأغنام في المنخفضات والمعز في السفوح. وفي أقصى شرق المغرب تحتل الهضاب العليا مساحات منبسطة شاسعة وشبه خالية من السكن القارّ. وتتضمّن هذه المنطقة أعلى نسبة للأراضي الجماعية على الصعيد الوطني (أكثر من النصف). ويكاد يشكل الترحال النشاط الفلاحي الوحيد على مدى مختلف وسط غطاء الحلفاء. ومع ذلك يعتبر القطيع قليل العدد نسبياً. وغير بعيد عن هذه المنطقة يمتدّ الأطلس الكبير الشرقي الأوسط وصاغرو على مساحة كبيرة جل أراضيها جرداء ومراعٍ يسود فيها الانتجاع والترحال رغم تقلص قطيعها بالمقارنة مع المناطق الأطلسية الأخرى. ولا تستوطن الزراعة إلاّ في قليل من الأودية التي تجهز بالسواقي.

أخيراً، يحتدّ القحط في الجنوب ويفرز كُبرَيَيْ المناطق المغربية، واحدة ما قبل صحراوية وأخرى صحراوية تماماً. يتكون الممرّ ما قبل الصحراوي من أحواض تعلوها حمادات، حيث لا تصبح الزراعة ممكنة إلاّ في الفترات المطيرة وعندما تفيض مياه وادي درعة أو في الواحات التي تترتب على طول خط شمالي يربط گلميم بفگيگ وترعى الأغنام والمعز طليقة في المراعي أو متنقلة إلى حدود الأطلس الكبير والصغير. أما في الصحراء فكانت أفواج القبائل الرحل تنتقل بين درعة والأطلس الصغير والتخوم الموريطانية والجزائرية. واليوم يكتفى بزرع بعض الوهدات الصغيرة (الغرارات) في السنوات الرطبة، وكذا بالزراعة المسقية في بعض القطاعات الصغيرة، حول المدن الرئيسية (اسمارة، العيون، الداخلة).

*إحصائيات وزارة الفلاحة* ؛ م. عياد، *المناطق المتجانسة الريفية ضمن التحوّلات الاجتماعية المجالية في الارياف المغربية (ندوة)*، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1994، ص. 7-19.

مصطفى عيّاد

**التربية الوطنية**، لم يكن المغرب يتوفر قبل سنة 1920 على أداة مسؤولة عن شؤون التربية والتعليم. وفي هذه السنة أسس ظهير 26 يوليوز 1920 أول إدارة تربوية كانت تسمى إدارة المعارف، وقد تحولت هذه الإدارة في سنة 1955 إلى "وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة" ثم تحول اسمها ابتداءً من سنة 1956 إلى وزارة التربية الوطنية. وفي سنة 1962 انقسمت هذه الوزارة إلى قسمين : وزارة التعليم الابتدائي والثانوي ووزارة التعليم العالي. وفي سنة 1977 عادت الوزارتان إلى الاندماج في وزارة واحدة هي وزارة التربية الوطنية الحالية التي تشرف على جميع القطاعات التعليمية في البلاد بواسطة هيأتين إداريتين : شؤون التعليم الأساسي والثانوي وأمرها موكول إلى كاتب عام خاص بها، وشؤون التعليم العالي ولها أيضاً كاتبها العام الذي يشرف على تسييرها. وتقوم هاتان المؤسستان تحت إشراف كاتبيهما العامين بتنسيق وتنشيط أعمال جميع المصالح الإدارية المركزية والخارجية التابعة لهما وذلك تحت المسؤولية المباشرة لوزير التربية الوطنية.

ففيما يخص التعليم الأساسي والثانوي تقوم وزارة التربية الوطنية على الصعيد المركزي باعداد وتنفيذ السياسة الحكومية في هذين المستويين من التعليم، كما تسهر على مراقبة التعليم الخاص.

وتتكون الإدارة المركزية للتعليم الأساسي والثانوي، بالإضافة إلى ديوان الوزير، من الكتابة العامة والمفتشية العامة، وإليهما يوكل أمر تنسيق وتنشيط مصالح التعليم والسهر على تطبيق القرارات الوزارية ومراقبة المصالح الخارجية ومؤسسات التعليم والتكوين ومختلف الإدارات التربوية والمفتشيات. وبناء على ما يتوفر لها من معلومات تساهم في تصور الاصلاحات التربوية وتهييئ الدراسات والقيام بالبحوث الإدارية والتربوية. وتتألف هذه الهيأة المركزية من عدة إدارات عليا تدعى مديريات تتكون كل واحدة منها من عدة أقسام تضم بدورها مجموعة من المصالح والمكاتب.

فمديرية التعليم الابتدائي تتكون من قسم البرامج وقسم التأطير والمراقبة التربوية وقسم إدارة مؤسسات التعليم الابتدائي وقسم الأعمال التكميلية. وهي تقوم بمراقبة مؤسسات السلك الأول من التعليم الأساسي على

المستوى الإداري والتربوي وتهيئ البرامج وتسهر على تطبيق التعليمات والطرق التربوية وتتبع إعداد الكتب المدرسية وتسيير برامج التعليم الاولي. في حين تقوم مديرية التعليم الثانوي المتكونة من قسم البرامج وقسم التأطير والمراقبة المختصة وقسم إدارة مؤسسات التعليم الثانوي وقسم التعليم التقني وقسم التربية البدنية والرياضة بنفس المهام الموكولة إلى المديرية السابقة في مرحلة التعليم الثانوي.

وتعد مديرية التعليم الأصيل التي تضم قسماً خاصاً بالتعليم الثانوي الأصيل وقسماً مكلفاً بالتعليم العالي الأصيل برامج التعليم الأساسي والثانوي والعالي وتشرف على التأطير التربوي والإداري في مؤسسات التعليم الأصيل. وتشرف مديرية التعليم الخاص التي تحتضن قسماً مسؤولاً عن الدراسات والرخص وقسماً مكلفاً بالتأطير التربوي وآخر خاصاً بالمراقبة على تسليم رخص فتح المؤسسات الخاصة ومراقبة البرامج والتجهيزات والتأطير التربوي في قطاع التعليم الخاص.

أما مديرية تكوين الأطر التي تتألف من قسم تكوين أطر التعليم الثانوي وقسم تكوين أطر التعليم الابتدائي وقسم التكوين المستمر وقسم الاذاعة والتلفزة المدرسية فتعمل على تكوين الأطر التعليمية والإدارية وتعد برامج التكوين الأولي والمستمر بتعاون مع المديريات الأخرى، وتسهر على تسيير مؤسسات ومراكز تكوين الأطر التعليمية وأطر التخطيط والمراقبة التربوية. وتشرف مديرية الشؤون الإدارية التي تتكون من قسم الميزانية وقسم الاقتصاد وقسم التسيير وقسم الحسابات على تسيير الداخليات والمطاعم المدرسية والممتلكات العقارية والمنقولة الخاصة بالوزارة. وتعمل بتعاون مع المديريات الأخرى على إعداد ميزانية التسيير وتراقب صرفها وتضبط المحاسبة وتسيير الشؤون ذات الطابع الاجتماعي.

وتتكلف مديرية شؤون الموظفين التي تضم قسم موظفي التعليم الابتدائي وقسم موظفي التعليم الثانوي وقسم الموظفين الإداريين والمعاشات وقسم الشؤون التأديبية بتسيير شؤون مختلف الأطر التعليمية والإدارية التابعة لقطاع التعليم الأساسي والثانوي وتطبق المقتضيات القانونية والتأديبية على هذه الأطر. وتقوم مديرية التخطيط التي تتكون من قسم الدراسات والأهداف وقسم الخريطة المدرسية وقسم الاعلام المدرسي والتوجيه وقسم الاحصاءات وقسم البناءات المدرسية وقسم المشاريع الممولة وقسم التجهيز بإعداد وتوزيع الإحصائيات المتعلقة بالتعليم الأساسي والثانوي وتهيئ الدخول المدرسي. كما تحدد اختيارات تنمية التعليم وتحضر ميزانية الاستثمار وتسهر على تتبع برامج التجهيز والبناءات المدرسية وتراقب التوجيه المدرسي والجامعي وتنجز أبحاثاً تتعلق بالتخطيط والتقييم التربوي.

ويسهر مركز الإعلاميات بالوزارة على تنفيذ وتتبع برامج مكننة أنشطة التسيير الإداري للمصالح المركزية والخارجية التابعة لقطاع التعليم الأساسي والثانوي. أما المركز الوطني للتكنولوجيات التربوية فيقوم بتنسيق الأعمال المتعلقة بانتقاء واقتناء ومراقبة توزيع وصيانة الوسائل التعليمية.

ويتبع مباشرة للكتابة الخاصة لوزير التربية الوطنية المفتش العام المكلّف بالتعاون الذي يشرف على قسم التعاون والعلاقات الثقافية. كما يرتبط به مباشرة قسم الامتحانات وقسم التشريع والشؤون العامة وقسم الشؤون الاجتماعية وقسم التوثيق والمعادلات وقسم الصحة المدرسية والوقاية من الحوادث ومركز الاعلاميات.

ويمثل الوزارة في مختلف العمالات والأقاليم نيابات إقليمية تعمل على تطبيق التعليمات الصادرة إليها من المصالح المركزية. كما تقوم الأكاديميات على الصعيد الجهوي باعداد وتنظيم امتحانات الباكالوريا وتنشيط المراقبة التربوية وتطبيق البرامج والمناهج في التعليم الثانوي وإنجاز أبحاث ودراسات ميدانية في مجال التقويم التربوي. وتستشار الأكاديميات أيضاً في مشاريع إصلاح التعليم والتأهيل المهني وتساهم في وضع الخريطة المدرسية ومخططات تنمية التعليم وتنظيم وتنشيط مختلف التظاهرات الاجتماعية والثقافية الموازية.

أما على مستوى التعليم العالي فيقوم الكاتب العام للتعليم العالي بمسؤولية تسيير المؤسسات الجامعية والمعاهد العليا بالاعتماد على ست مديريات وقسم واحد. هذه المديريات هي مديرية التعليم العالي وتتكون من قسم العمل البيداغوجي والتكوين المستديم وقسم التكوين القصير والمتوسط وقسم التعليم الجامعي. وهناك مديرية البحث العلمي والتعاون الجامعي وتضم قسم التوجيه وتخطيط البحث وقسم التقييم وشبكات البحث العلمي وقسم التعاون. وتتكون مديرية التقييم والمستقبلية من قسم الاحصائيات والخريطة الجامعية وقسم المستقبلية والتقييم وقسم التخطيط الخاص بالموارد البشرية. وتضم مديرية الشؤون الطلابية والعمل الاجتماعي قسم المنح وقسم الرياضة والشؤون الاجتماعية وقسم الإعلام والتوثيق الجامعي، في حين تتألف مديرية الشؤون القانونية والتعليم العالي الخاص من قسم النصوص التنظيمية وقسم المعادلة بين الشهادات والمنازعات وقسم التعليم العالي الخاص. أما مديرية الشؤون الإدارية والمالية فتضم قسم الموظفين وقسم المباني وقسم التجهيزات وقسم الميزانية والتسيير. وهناك قسم منفرد هو قسم المعلوماتية الذي يتكون من مصلحة الدراسات والبرمجة ومصلحة الاستغلال.

الملكة المغربية، *حركة التعليم في المغرب خلال الفترة 90 - 91 - 1992*، التقرير المقدم إلى الدورة الثالثة والاربعين المؤتمر الدولي للتربية جنيف، الرباط 1994 ؛ *وزارة التربية الوطنية، الدخول المدرسي والجامعي بالارقام 93 - 1994*، الرباط 1993 ؛ عبد القهار لعلاوي ومحمد البخاري، *النصوص الإدارية، الوظيفة العمومية*

والاصلاح الإداري، تنظيم واختصاصات الوزارات، الرباط 1992.

*Les tendances des réformes de l'enseignement dans les pays du Maghreb*, Actes du *Colloque Euro-arabe sur la structuration des enseignements primaires et secondaires au Maghreb*, Rabat, 1992 ; A. Kamal, *Productivité et rentabilité de l'enseignement au Maroc*, D.E.S. Fac. Sc. Jur. Econ. et Soc., Rabat 1983 ; K. El Ouazzani, *Coûts et rendements de l'enseignement supérieur au Maroc*, Casablanca, 1991 ; K. Mosdik, *Guide de l'enseignement supérieur*, Casablanca, 1993 ; A. Baina, *Le système de l'enseignement au Maroc*, 3 tomes, Casablanca, 1981 ; M. Merrouni, *Le problème de la réforme dans le système éducatif marocain*, Rabat, 1993 ; J. Minot, *L'entreprise éducation nationale*, Paris, 1970.

محمد بوسلام

**تَرْتَانَة**، (سفينة جهادية). مشتقة من الكلمة الإيطالية Tartana التي يعتقد أنها من أصل عربي "طريدة"، تطورت شكلا واستعمالا فأصبحت اليوم في معجم السفانة العصرية تعرف تحت لفظ "طراد". استعملت الترتانة في البحر المتوسط خلال العصور الوسطى في مجال الصيد والنقل الساحلي القصير قبل أن تدخل في عداد السفن الحربية.

ومع اكتشاف الجهاد البحري للمجال الأطلسي، كانت الترتانة الأبرز حضورا به، حيث تؤكد مختلف الوثائق أنها كانت أول وحدة في أسطول الجهاد السلاوي منذ سنة 1026 / 1617، متطورة عن سابقتها، بحمولة 150 طنة تقريبا، وأصبح لها صاريان اثنان بشراعين لاتينيين - حسب ل. برونو - ومجهزة بحوالي ثلاثين مجذافا وعشر قطع مدفعية، زيادة على تميزها بالخفة والسرعة والمرونة في الانقياد.

وحول هذه الترتانة تكون الأسطول الجهادي السلاوي من مختلف الأحجام والأنواع، ليتراجع دورها إلى الاقتصار على العمليات القريبة من السواحل، واندراجها في نطاق السفن الصغيرة الحمولة، قبل أن يندثر حضورها تدريجيا في نهاية القرن الحادي عشر (17 م) مع اتساع نطاق العلميات بعيدا عن الساحل المغربي، وتفضيل السفن المتطورة مثل البولاكر والبينك والكرافيل.

De Castrie, *S.I.H.M.*, 1ère série, T. III, p. 115 ; L. Brunot, *La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et Salé*, p. 250 ; R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé*, p. 89.

حسن أميلي

**الترتيب العزيزي**، إصلاح جبائي عام للضرائب وللإدارة المكلفة بها، حلت بموجبه ضريبة محددة على الممتلكات والمتمولات، محل النظام الضريبي السابق الذي كان يرتكز على الزكاة والأعشار والتكاليف المخزنية. وقد لجأ المغرب سنة 1901 إلى إصلاح شامل للضرائب وطرق جبايتها في القبائل واشتهر المشروع تحت اسم "الترتيب" وهو لغة يعني التنظيم.

لم يكن مشروع ترتيب 1901، الوحيد من نوعه الذي عرفه المغرب. بل كانت له سابقة في عهد السلطان الحسن الأول (1873 م - 1894 م)، فقد حاول أن يصلح نظام الجباية بحيث يخضع له الأجانب والمحميون والمغاربة جميعا، بعد أن كانت الامتيازات قد أساءت لمالية الدولة. لكن معارضة الأجانب عرقلت المشروع الذي طبق بشكل جزئي على المغاربة سنة 1884.

وتلخص الإصلاح الحسني في تعيين أمناء وأشياخ بالقبائل كلفوا بجانب العمال والقواد بمراقبة أحوال السكان، وإحصاء ممتلكاتهم وتقدير الضرائب والنفقات بشكل جماعي. لم يلغ الترتيب الحسني الزكاة والأعشار والكلف المخزنية، بل سن ضوابط لكيفية فرض هدايا الأعياد والزكوات والأعشار، وتكاليف المخزن مثل السخرة والمؤونة والضيوف والحركة. وكان الهدف هو تخفيف أعباء الجباية على الفلاحين، حتى لا يلتجئوا للاستدانة أو المخالطة مع الأجانب.

أما ترتيب سنة 1901، فكان إصلاحاً جذرياً في أهدافه وفي تطبيقه. فحسب نص المشروع، كان الهدف هو سلوك سياسة جبائية تراعي العدل والمساواة بين الناس، وتلغي الامتيازات والإعفاءات الجبائية التي كان عدد كبير من المغاربة يتمتعون بها، كما تغير الترتيب العزيزي بخصوصية هامة، هي إلغاء الزكاة والأعشار وكل التكاليف المخزنية.

وإذا تساءلنا عن حقيقة الأهداف التي توخاها الإصلاح الجديد، فسنجد الجواب في الظهير الذي بعثه السلطان إلى الحكام وإلى القبائل فقد أكد على النقط الآتية :

- حفظ مصالح الرعية وتنميتها.
- علاج أحوال الناس ورفع الأذى والاعتداء عنهم بسبب الجباية.
- حسم خلافات السكان مع الحكام ومعاونيهم من الأشياخ والخلفاء.
- إلغاء الامتيازات والإعفاءات وإخضاع الجميع للجباية بمن في ذلك الحكام والأشراف ورجال الدين.
- تحديد دور الحكام في حماية الأمن وإجراء الأحكام ومنعهم من التدخل في فرض الأموال على الناس إلا بنص صريح من السلطان.

وهكذا فالترتيب العزيزي، بصفة عامة استهدف معالجة الأدواء التي كان الجسم المغربي يشكو منها، بسبب الأزمة المالية، وتعسف الولاة في الجباية، وركون عامة الناس إلى التنافر والاختلاف والتقاعس عن أداء الحقوق الواجبة ؛ والتسارع إلى الانغماس في الفتن. وكل هذه المظاهر المرضية كانت تجد المناخ المشجع لنموها في كثرة تدخل الأجانب في شؤون البلاد الداخلية مستغلين الحمايات القنصلية والمخالطات مع المغاربة.

لقد أعلن الترتيب في ظرفية داخلية خاصة، وفي وقت تزايدت فيه الضغوط الاستعمارية الفرنسية على حدود المغرب الشرقية، فكان الهدف المتوخى هو كسب وسائل الصمود المادية، وسحب الذرائع من أمام التدخل الأجنبي.

إذا كانت هذه هي الأهداف والدوافع الموضوعية من

وراء إعلان الترتيب العزيزي سنة 1901، فهل كان هناك تدخل خارجي في أمر إعلان الترتيب في تلك السنة ؟

هناك نظريتان تشيران إلى الدوافع الخارجية من وراء الترتيب :

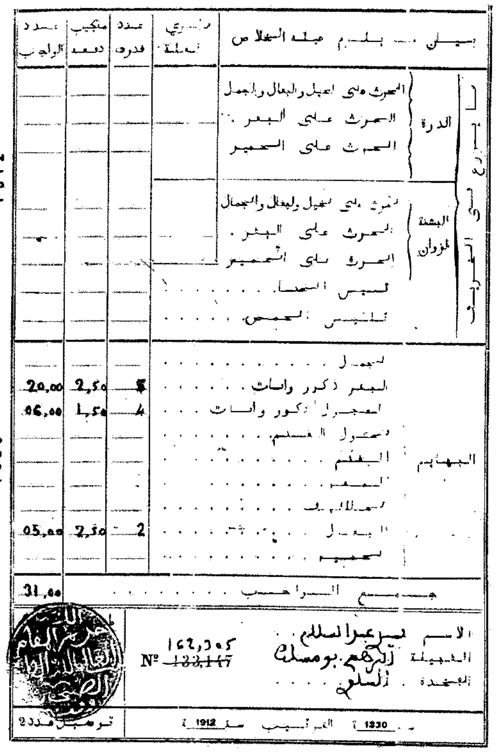


النظرية الأولى، يتفق فيها كاتب مغربي هو المشرفي في مؤلفه *الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية*، مع السفير الفرنسي سان روني طايندي S.R. Taillandier في مؤلفه *أصول المغرب الفرنسي*. وملخص هذه النظرية أن الأنجليز هم الذين أوحوا للوزير المهدي المنبهي بفرض الترتيب.

النظرية الثانية، يتفق فيها كاتب أجنبي مع كاتب مغربي كذلك : فغابريال مورا G. Maura الإسباني، ذكر أن الذي أوحى بالإصلاح الجبائي هم الفرنسيون، للوزير عبد الكريم ابن سليمان. وأن هذا الأخير هو الذي بادر بالدفاع عن الفكرة داخل المخزن الذي طبقها، لكن البعثة الفرنسية عارضت الترتيب لما رأت التطورات التي أعقبته مباشرة.

أما محمد غريط، في *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، فيؤكد الفكرة نفسها بقوله : "وأشار ابن سليمان بترتيب الجباية على نهج سوي ونمط أوربوي واستحلاف الموظفين على المصحف الكريم على أن لا يقبضوا رشوة من مدّع ولا من غريم، لينقطع تظلم الرعية من عمالها وتثق بالأمن على أموالها" (*فواصل الجمان*، ص. 98).

والملاحظ أن كلتا النظريتين لهما ما يبررهما وما يؤيدهما : فلا نستبعد تلقي المخزن لنصائح من بريطانيا وفرنسا. ولا نستبعد أن يكون الانجليز هم الذين تحمسوا للإصلاح الجبائي وأيدوه. كما لا نستعبد أن يكون الفرنسيون قد أبدوا نصائحهم للمخزن، في إطار ضرورة التنسيق بين المغرب وفرنسا لإنجاح أي مشروع يريد المغرب إنجازه.

ومعنى هذا أن فكرة الاصلاح الجبائي فكرة داخلية، نابعة من ضرورة محلية تهم المغاربة. وهم الذين تصوروا كيفية تطبيقها وتنفيذها ثم عرضوها على الدول الأجنبية وخاصة أنجلترا وفرنسا ؛ علماً بأن فكرة الترتيب معروفة عند المخزن منذ سنة 1884.

ويظهر أن السفارات التي بعثها المغرب لأوربا سنة 1901، والتي قادها وزير الخارجية عبد الكريم بن سليمان ووزير الحربية المهدي المنبهي، كان هدفها إقناع فرنسا وأنجلترا وألمانيا وروسيا بتأييد مشروع الإصلاح الجبائي، فقد طلب المهدي المنبهي، مثلا، من برلين ولندن قبول الترتيب وذكر من جملة الدوافع التي حدت بالمخزن إلى تطبيقه "الصعوبات السياسية والمالية الخطيرة التي سببها العدد الكثير من المحميين الأوربيين" (*وثائق دبلوماسية فرنسية*، 1905).

والواقع أن البعثات الدبلوماسية الأجنبية، قد عارضت الترتيب في البداية ثم قبلته. ولم توافق عليه البعثة الفرنسية إلا بتاريخ 26 نونبر 1903. لقد عارض الفرنسيون الترتيب، في إطار صراع النفوذ بينهم وبين الانجليز، وحذروا السلطان من العناصر البريطانية العاملة داخل المخزن. وهددوا باتخاذ إجراءات معينة إذا منح السلطان للأنجليز امتيازات خاصة.

وهكذا، نكتشف في النهاية، أن دوافع إعلان الترتيب كانت متعددة. بيد أن الدافع الداخلي كان غالباً. أما التأثيرات الخارجية، فتتلخص، ليس في مساعدة دولة أوربية معينة للمغاربة على إصلاح شؤونهم، بل في عمل المغاربة على إيقاف النزيف المالي لخزينتهم، والتدهور السياسي لنفوذهم، والاحتلال الأجنبي لبلادهم (احتلت فرنسا صحراء المغرب الشرقية بما فيها توات سنة 1900) ؛ عن طريق القيام بإصلاح يسحب الذرائع والمبررات من الأجانب حتى يخضعوا لدفع الضرائب الفلاحية، أو على الأقل حتى لا يمانعوا في دفع محمييهم ومخالطيهم للضرائب المستحقة على نشاطاتهم الاستغلالية بالبلاد.

أما كيفية تطبيق الترتيب فقد بين ظهير الترتيب كيفية تطبيقه، فقرر أن تطوف بالقبائل لجان خاصة، تتكون كل لجنة من عدلين وأمين، يلتحق بهم في عين المكان نائب عن قائد القبيلة. وحددت مهمة كل لجنة في إجراء إحصاء شامل للممتلكات (الأرض - الأشجار) والمتمولات (البهائم - المواشي..) لكل مالك، وتقدير الضريبة الواجبة حسب تعريفة وحيدة تدفع سنويا على أنواع البهائم والمواشي وعلى مزارع الحرث والبحائر والسواني والأشجار المثمرة على اختلاف أنواعها هكذا :

| المتمولات والأملاك | الترتيب الواجب سنوياً |
|---|---|
| على كل رأس من الإبل | ريال واحد * |
| رأس من أبكار الأبل | نصف ريال |
| رأس من البقر | نصف ريال |
| ضرائب البقر ذكوراً وإناثاً | ربع ريال |
| 100 رأس من الغنم | عشرة ريالات |
| 100 رأس من المعز | خمسة ريالات |
| كل رأس من الخيل والبغال | نصف ريال |
| كل رأس من الحمر | بسيطة واحدة |
| 100 شجرة من الزيتون المستغل واللوز | خمسة ريالات |
| 100 شجرة من الليمون بأنواعه ومن النخيل | ريالان اثنان ونصف |
| 100 شجرة من شجر العود الرقيق البحائر والسواني | ريال واحد وربع ريال<br>يقوم ما يحرث منه كل سنة ويعطى عليه نصف العشر. |
| المزروعات في الأرض الحراثية تقدم حسب أزواج الحرث : | زوجة الابل والخيل والبغال عشرة ريال<br>زوجة البقر خمسة ريال<br>زوجة الحمير ريالان اثنان ونصف |

(*) الريال لفظ اسباني يعني ملكي، كان الريال المغربي يطلق خلال القرن التاسع عشر على قطعة نقدية تزن 29 غراماً من الفضة تقريباً. في حين كان الريال الاسباني يزن 25 غراما وكذلك الفرنك الفرنسي.

هذه هي المقادير التي رتبت على كل نوع من الأملاك أو المتمولات. وقد توعد السلطان كل من أخفى شيئا من أملاكه، وظهر بعد البحث بمعاقبته وبمصادرة ما أخفى. وقد أكد السلطان على أن العامل لم يبق له أي دور في فرض أي شيء أو قبضه من السكان لأن أجرته عينت له من بيت المال فلم يعد له حق "مد اليد في متاع أحد من القبيلة أو لأخذ شيء بطمع أو حيلة وإنما حسبه رد البال وتأمين الطرق وإجراء الأحكام". وتمنى السلطان في نهاية الظهير أن يحمد رعاياه هذه النعمة ويلتزموا الهدوء وعمارة بلادهم.

هل حقق هذا الترتيب الطموح في أهدافه الإصلاحية ما كان يتنظره المخزن ؟ الواقع أن هذا الاصلاح الذي كان يؤمل منه أن يخرج المغرب من أزمته المالية، ويحسن أحوال الرعية، جاء بنتائج عكسية مخيبة للآمال. واعتبر عملا متسرعا جرّ على المغرب المصائبَ والوبال. فما هي حقيقة العواقب التي انتهى إليها الترتيب العزيزي ؟

بعكس ما هو معروف، عن المعارضة العامة للترتيب، يظهر أن عامة الناس في القبائل، قد قبلت الترتيب واستحسنته. فمنذ تأكد الناس من أن الترتيب قد خلصهم من الفروض والتكاليف التي كان الحكام يتفننون في أنواعها ويتعسفون في جبايتها، تشبثوا بنصه. وقد انتقد بعض العلماء استحسان العامة للترتيب وهو ضريبة غير شرعية وكل ما خالف الشريعة ليس بحسن. والواقع أن الترتيب أزال ما كان يثقل كاهل الناس من التحملات. وما يرافق جبايتها من تعسف وإهدار للكرامة، الأمر الذي جعل السكان يبعثون برسائل يشكرون فيها السلطان. ودفع كثيراً من الفارين إلى العودة إلى بلدانهم وأدى في النهاية إلى تمول الناس واستغناء بعضهم.

وإذا كان هذا هو موقف عامة الناس، فإن الأمر بخلاف ذلك فيما يتعلق بموقف الخواص وأصحاب الامتيازات. فقد عارض القواد بالقبائل ورؤساء الزوايا الدينية وكل أصحاب الامتيازات من المغاربة والأجانب الترتيب العزيزي وعملوا على إفشاله. ولما صادف الحال ضعف الحكومة المركزية فإن الأمر انقلب إلى كارثة اجتماعية واقتصادية وسياسية. إذ استشرت الاضطرابات في كل مكان وتعطلت الجباية. ووجد الخاصة المناخ الملائم للدسائس والصيد في المياه العكرة. وإلى هذه النتائج أشار محمد غريط بقوله "وأحْبِبْ بها من خطة لو أنتج قياسها، وأثمرت غراسها، فارتاب العوام بهذا الترتيب ولاذ الخواص بالتحذير والترهيب وتوصلوا بتلك الضريبة إلى التضريب" (*فواصل الجمان*، ص. 9).

وقد ندد السلطان بتواطؤ القواد مع عناصر الفتنة وتقاعسهم عن إجراء الأحكام وتماطلهم في جمع ضريبة الترتيب وحملهم مسؤولية تعطيله. والملاحظ أن السلطان كان عاجزاً عن إرغام القواد على تطبيق الإصلاح، ليس بسبب عجزه عن القيام برد فعل ضد هذا القائد أو ذاك المرابط، بل بسبب تواطؤ بعض أعضاء المخزن نفسه. وعندما أعلن الثائر الجيلاني الزرهوني، المعروف ببوحمارة ثورته سنة 1902، تنفس ذوو الامتيازات الصعداء. ووجد القواد الفرصة سانحة للعودة إلى الفروض والتعسف، لما طالبهم السلطان بإرسال حركاتهم لمساعدته على إخماد فتنة بوحمارة، ونتج عن كل ذلك انتشار الاضطرابات في كل مكان، مما أدى إلى تعميق الأزمة المالية، وتدهور هيبة مولاي عبد العزيز الذي اضطر في النهاية إلى الاقتراض من الدول الاستعمارية مما نتج عن ذلك من نقص للسيادة الوطنية، ومن احتلال في النهاية.

ولما فرضت فرنسا حمايتها على المغرب سنة 1912، سارعت إلى تعميم تطبيق الترتيب على الفلاحين بعد أن غيرت فيه بما يخدم مصلحة نظام الحماية. ففي 25 نونبر 1913، صادق السلطان على تطبيق الترتيب الجديد، وكيفية اجرائه. بحيث قضى مشروعه بقيام لجنة للإحصاء، مكونة من القائد وخبير فلاحي ومن عدل معين من طرف المخزن، بإحصاء الممتلكات مرتين في السنة..

المدة الأولى : في شهر ماي ويونيو تحصى فيها الزراعات من حبوب وقطاني وأشجار مثمرة (الزراعات البكرية والمازوزية).

المدة الثانية : في شهر غشت، تحصى خلالها الحيوانات والزراعات الخريفية.

والجديد في هذا الترتيب، هو أن نظام الحماية ربط أجرة العمال ومساعديهم بجباية الترتيب. بحيث خصص عشرة في المائة من مدخول ضريبة الترتيب في قبيلة معينة لأجرة القائد (بنسبة 6٪) والشيخ (2٪) والخبير الفلاحي والعدل (1٪) لكل واحد منهما. وهكذا كلما ازدادت عائدات الترتيب في قيادة معينة كلما ارتفعت أجرة القائد وكلما

انخفضت نقصت الأجرة. ولهذا كان القواد والشيوخ في عهد الحماية الفرنسية، يتفننون في فرض واجبات الترتيب وتقديرها والتعسف في جبايتها، حتى غدت هذه الضريبة مكروهة من الفلاحين الذين كان مفروضا على كل واحد منهم أن يؤدي رسماً مقدراً على شخصه كان يطلق عليه ضريبة الأذن أو الرأس كواجب من واجبات الترتيب.

ويظهر الحيف الذي كان الفلاح المغربي معرضا له في إعفاء المستوطنين الفرنسيين من أداء نصف ضريبة الترتيب على أملاكهم الفلاحية.

لقد كان الأجانب يتهمون الحكام المغاربة بالتعسف في الجباية. ولما احتل الفرنسيون البلاد أخضعوا الفلاح المغربي لضريبة ظالمة ولتعسف القواد بهدف إخضاع المغاربة لإدارة صارمة وضمان ولاء تلك الإدارة على حساب السكان.

م. المشرفي، *الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية*، مخطوط خ. ع، الرباط ؛ م. غريط، *فواصل الجمان*، فاس 1927 ؛ *وثائق خ. ح.*، العهد العزيزي (رسائل عديدة) ؛ *ظهائر سعدية وعلوية*، مكروفيلم الخزانة العامة رقم 23 ؛ ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، الدار البيضاء 1991 ؛ ن. التوزاني، *الأمناء بالمغرب في عهد السلطان م. الحسن*، فضالة 1979 ؛ أ. التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، (اينولتان 1850 ـ 1912)، 1978.

Saint René Taillandier, *Les origines du Maroc français, (Récit d'une mission 1901 - 1905)* ; G. Maura, *La question marocaine au point de vue espagnole*, Paris, 1921 ; E. Doutté, *Marrakech*; 1905 ; *Documents diplomatiques français affaires du Maroc, 1901 - 1905 ;* Michaux-Bellaire, *Les morts marocaines*, *A.M.*, 1904, vol. I ; A. Ayache, *Le Maroc, Bilan d'une colonisation*, 1956, *Bulletin de l'Afrique Française*, 1912 - 1913.

علال الخديمي

**الـتُّـرجمان** أو الطُّرجمان، أسرة أصلها من الجزائر، وقد هاجرت إلى تطوان سنة 1246 / 1830 حيث كانت معروفة إلى حدود سنة 1354 / 1435.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 204 ؛ م، داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 334 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuaníes de abolengo* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

**الترجمة** في المغرب، ارتبطت باسم يوسف الأول الموحدي صاحب فكرة ترجمة بعض كتب أرسطو التي قام بها ابن رشد الحفيد، كما أن عهد الدولة المرينية لم يخل من تراجمة رسميين ـ من الإسبانية والبرتغالية ـ أمثال أبي العباس ابن الكماد مترجم أبي ثابت عامر عبد الله بن يوسف المريني. كما ظهر في العهد الوطاسي ثاني ملوك هاته الدولة محمد البرتغالي ابن محمد الشيخ الوطاسي (1504 ـ 1524 م) الذي كان يتكلم البرتغالية.

وفي العهد السعدي، ظهرت طبقة من المترجمين أيام أحمد المنصور الذهبي حيث كانت الترجمة خاضعة لحافز أداء مهام آنية ومستعجلة، إذ نجد الوسيط الديبلوماسي الشهاب أحمد الحجري ـ ذي الأصل الأندلسي الذي أقام في المغرب حوالي أربعة عقود كترجمان، وترجم كتابا مجهول الأصل من اللغة الإسبانية، لا نعرف عنه إلا تسميته العربية : *العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع*.

جعلت الظروف التاريخية، وكذا الموقع الجغرافي، من المغرب قنطرة عبور للتيارات والحضارات ورابطة وصل بين القارات وخصوصا أوربا وإفريقيا. ومع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر توسع الانفتاح على الخارج وتكاثر الاحتكاك باللغات والثقافات الأجنبية، حيث توالت البعثات إلى الشرق العربي وإلى أوربا. كما أن تعدد السفارات والدواوين وتبادل المبعوثين وخصوصا تكاثر عدد القنصليات، زاد من أهمية المترجمين وكذا من أهمية الترجمة.

ففيما يتعلق بالكتب العلمية، أشرف السلطان محمد ابن عبد الرحمان على ترجمة كتاب نيوتُنْ في علم الفلك وكذا ترجمة كتاب جوزيف جيروم للاَنْد وقد كتب له مقدمة يوضح فيها طابع المشروع والأهمية التي يعلقها عليه والكيفية العملية التي كان يباشر بها إشرافه على الترجمة بالتدخل الشخصي أو بالمتابعة المستمرة.

ومع توالي البعثات نحو الدول الأوربية، أحس المخزن بضرورة تأسيس مؤسسة لتعليم اللغات، فأنشأ السلطان الحسن الأول مدرسة الألسن بطنجة التي شكلت المحطة الأولى لتعليم اللغات وكذا لموقع مدينة طنجة الجغرافي والسياسي. وكان الموفدون إلى أوربا يقضون بهذه المدرسة فترة لتعلم اللغات قد تستمر حتى ست سنوات.

بدأت تتشكل في المغرب، في بداية القرن العشرين، البنيات التحتية والمؤسسات التي جعلت الترجمة من بين اهتماماتها : تأسيس جرائد ومجلات، كجريدة *السعادة* (1905)، التي كانت بمثابة الدعوة إلى الحداثة وترجمة النصوص من بين أهدافها ؛ فرفعت، وهي برئاسة السوري وديع كرم، شعار الدعوة إلى الترجمة وازدواجية اللغة، ذلك مع التركيز على العلاقات التي تربط المغرب بالشرق العربي. وكان للمثقفين المشارقة (سوريين ولبنانيين على الخصوص)، وكذا للتونسيين والجزائريين والمستشرقين دور في ظهور الوعي بترجمة النصوص. ونشطت كذلك عملية ترجمة المؤلفات العربية والمخطوطات وأعراف المجتمع وتقاليده.

ومع بداية الحماية، أنشئت سنة 1912 المدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية وأسندت لها مهمة تخريج مترجمين بقرار 12 ماي 1913، كما أن إدارة الشؤون الأهلية كانت تتوفر على مكتب للترجمة تابع للمقيم العام. وعملت الحماية على غرس الازدواجية اللغوية وإيجاد تواصل بين اللهجات المحلية واللغة العربية، وجعل اللغة العربية محمية بها.

بدأ الاعتناء بالترجمة الأدبية، خلال فترة 1920 ـ 1930، فظهرت ترجمة : *نفسي فداك*، والسيرة الذاتية لإيزابيل أبيرهار : *في ظلال الإسلام*، *وطرتيف* لموليير. وفي سنة

1934 أنشئت أول جمعية للترجمة والنشر، باقتراح من أحد أقطاب الترجمة في المغرب وهو عبد الكبير الفاسي الذي كان مع أحمد بناني ـ الداعي إلى الترجمة الجماعية ـ أهم أعضاء الجمعية إنتاجاً وإبداعاً.

وبظهور مجلة *المغرب* برئاسة الجزائري محمد صالح ميسة، ومجلة *السلام* إضافة إلى جريدة *السعادة*، نشطت مختلف الفعاليات الثقافية، آنذاك، لإبداء رأيها في موضوع الترجمة وأهميته. كما كانت هاته المجلات منبراً لنشر ترجمات لكثير من الأعمال.

عرف عقد الثلاثينيات نقاشا هاما حول أهمية الترجمة كوسيط ضروري للاحتكاك بالثقافات الأجنبية، ومن الذين ساهموا في هذا النقاش : محمد الحجوي وعبد الكبير الفاسي وأحمد بناني وعبد الله إبراهيم وعلال الفاسي وسعيد حجي. وقد اعتبر هذا الأخير الترجمة تلقيحا ضروريا للجسد الثقافي من أجل النهوض والتقدم.

وفي تاريخ 21 يناير 1937 أحدثت جمعية باسم "الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر". ترأس أعمالها مؤرخ المخزن آنذاك عبد الرحمن بن زيدان، وكلف برئاسة المجلس الإداري المؤقت عبد الكبير الفاسي في حين أسندت مهمة كاتب الجمعية لأحمد بناني. وحسب تصور هذا الأخير فإن الجمعية "لا تسعى فقط إلى إنجاز الترجمة بل تذهب إلى أبعد من ذلك، وتلاحق أطوار تأليفها ونشرها إلى أن تصل إلى القراء".

خلال العقد 1940 ـ 1950 تعددت وتنوعت النصوص المترجمة، ومما يميز هذه الفترة ظهور معجم عربي ـ فرنسي سنة 1942 نشره ليفي بروفنسال بعنوان : *معجم اللغة العربية المستعملة في القرن العشرين*. وهو يجمع أكثر من 3.000 كلمة كانت تتردد باستمرار في كتابات المؤلفين والصحافيين بالشرق الأوسط وإفريقيا. وكان الهدف منه هو ترجمة مفاهيم الحياة والفكر بكل تجلياتهما.

تعززت الدوريات والجرائد، في هذه الفترة، وبدأت تظهر ترجمات القصص الصغيرة والقصائد الشعرية. كما لم تقتصر الترجمة إلى العربية على المؤلفات باللغة الفرنسية بل ظهرت ترجمات عن الإنجليزية والإسبانية. وقد اهتم بالترجمة في هذه الفترة كل من أحمد بناني وعبد الكبير الفاسي وقاسم الزهيري وعبد العزيز بن عبد الله، إلخ.

كانت الانشغالات السياسية، خلال فترة المقاومة والعمل الوطني تطغى على الهموم الأدبية للترجمات ؛ بيد أن الملاحظ هو أن التوجه كان نحو الترجمات القصيرة ؛ ولم تقتصر الموضوعات على الأدب فقط بل همت مختلف العلوم الإنسانية، كما استمرت المجلات والجرائد في الاهتمام بإعادة نشر الإنتاجات المترجمة من المشرق. وقد كان إسهام مجلة *الثقافة المغربية* ومجلة *المغرب* هاما في ميدان الترجمة الأدبية. ومن الجرائد التي اقتحمت هذا الميدان :

*المغرب* لسعيد حجي ؛ *الأطلس* لمحمد اليزيدي ؛ *التقدم* لأحمد بن حساين النجار ؛ *العلم* لعبد الجليل القباج ؛ *الشعب* لمحمد المكي الناصري ؛ *الحياة* لعبد الخالق الطريس؛ *السلام* لمحمد داود.

ومن الملاحظ في الميدان الأدبي، أن حظ ترجمة النثر كان أقوى من حظ ترجمة الشعر. ومن الذين اقتحموا هذا الميدان : عبد الكبير الفاسي ومحمد عزيز الحبابي وعبد الله إبراهيم ومحمد بن عبد الله ومَحمد باحنيني. ومن الأعمال التي تمت ترجمتها أشعار لإيلوار وهيگو، ولامارتين.

إذا كان اهتمام الترجمة، قبل 1956، منصباً أساساً على الإبداع الأدبي (ترجمة رواية دولاروشفوكو *لصوص المقابر* ورواية *نفسي فداك*، ومسرحية *طرتيف* لموليير، وعديد من القصص والأشعار)، فإن أهم ما يميز الفترة اللاحقة هو ترجمة الدراسات النقدية والشعرية والمؤلفات التاريخية والكتابات المتعلقة بعلم الاجتماع والفلسفة.

يقدم رولان *بارت* نموذجاً للناقد المتعدد الترجمات في المغرب وفي بعض الأحيان لأكثر من مرة للنص الواحد. ومما ترجم له :

ـ *درجة الصفر للكتابة* *Le degré zéro de l'écriture* (1957). ترجمة محمد برادة (1981).

ـ *النقد والحقيقة* *Critique et vérité* (1966) ترجمه لأول مرة إبراهيم الخطيب (1984).

كما همت الترجمة كتب جاكبسون وكلود كاهن وغيرهما.

ويدخل في هذا الباب أيضا الكتابات والمؤلفات المتعلقة بنظريات جديدة تتعلق بالسميائيات واللسانيات الشعرية ومناهج الدراسة الأدبية، والتي هي في الواقع نصوص مترجمة.

وبمبادرة من مجموعة من الأساتذة الجامعيين تأسست بالرباط، سنة 1980، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، وقد عملت منذ ذلك الحين على ترجمة مجموعة من الكتب تتعلق أساساً بتاريخ المغرب وحضارته، منها كتاب *وصف افريقيا*، للحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، في جزئين، *وافريقيا* لمارمول كارباخال، في ثلاثة أجزاء، *وفاس قبل الحماية* لروجي لوطورنو، *وتاريخ الشرفاء* لدييكو ديطوريس، *وعبد القادر الجيلالي شيخ كبير من صلحاء الاسلام* للأستاذ التركي محمد علي عيني، إلخ.

وفيما يتعلق بالشعر، اهتم مصطفى القصري بترجمة أشعار لبودلير وسان جون بيرس.

والملاحظ بالنسبة للمسرح، أن الترجمة تأتي في المرتبة الثانية بعد الاقتباس. فأحمد الطيب لعلج اقتبس عن موليير : *ولي الله والفضوليات والحاج العظمة* وما أطلق عليه *محجوبة*. وعن جوته اقتبس : *العنكبوت* وعن سيرفانطيس *نومانس* وعن رينار *الوارث* وعن ماريفو *لعبة الحب والمصادفة* وعن بيكيت *في انتظار مبروك*.

نشطت الترجمة في مختلف العلوم الإنسانية خصوصا خلال عقد الثمانينات. ففي التاريخ، اهتم بترجمة الكتب

التاريخية المتعلقة بالمغرب كل من محمد حجي ومحمد الأخضر ومحمد زنيبر. وفي ميدان الفلسفة نشط في عملية ترجمة الأعمال الفلسفية : سالم يفوت وعبد السلام بنعبد العالي وغيرهم.

وبفعل تكاثر عدد المجلات الثقافية، واهتمام الجرائد الوطنية، خصوصا من خلال ملاحقها الثقافية، بالإنتاجات الأدبية والفكرية في مختلف اللغات، تعزز موقع الترجمة حيث لعبت دوراً هاماً لإثراء الثقافة المغربية وانتفاحها على الأدب العالمي.

وبفعل تدريس مادة الترجمة في الجامعة والبحث في موضوعها، تم التمكن من إرساء قواعد للدرس فأقيمت ندوات تعنى بموضوع الترجمة : ندوة المصطلح بكلية الآداب بالرباط (1981 - 1991)، ندوة في موضوع الترجمة بكلية الآداب بمكناس 1982، إلخ.

مدرسة الملك فهد للترجمة، أحدثت بموجب مرسوم رقم 2.82.355 الصادر في 16 من ربيع الثاني 1403 (31 يناير 1983)، وشيدت بنايتها من طرف الحكومة السعودية التي سلمتها لوزارة التربية الوطنية. واختيار طنجة كمقر للمدرسة لا يخلو من أهمية ؛ وهذا يذكرنا بمدرسة الألسن التي أسست بها في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) كما ذكرنا. فموقع هذه المدينة التي لا تبعد عن أوربا سوى بكيلومترات رشحها فعلا لتكون بحق ملتقى للحضارات والثقافات.

ظلت المدرسة تابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط حتى نهاية 1991، ثم عُدّت بعد ذلك ضمن المؤسسات الجامعية التي تقع تحت سلطة جامعة عبد الملك السعدي بتطوان، وهي تهدف، أساساً إلى تكوين مترجمين تحريريين Traducteurs ومترجمين فوريين Interprètes قادرين على مزاولة أعمالهم في مختلف القطاعات ؛ وذلك بإعطائهم تكوينا نظريا وتطبيقيا تبعا لأحدث الطرق والأساليب المستعملة في هذا الميدان. ومن أهداف المدرسة كذلك :

- تنظيم حلقات دراسية للراغبين في إعادة التكوين واستكمال الخبرة في مجال الترجمة وذلك تلبية لطلب الوزارات والمؤسسات والمنظمات الوطنية وغيرها.

- تنظيم دوريات لتلقين اللغة العربية لغير الناطقين بها وكذا دورات لتعليم اللغات الأجنبية.

يشترط في كل مرشح لمباراة الولوج أن يتوفر على تشكيلة لغوية مركبة من ثلاث لغات. والمراد بالتشكلة اللغوية هو مجموع لغات العمل التي يختارها الطالب. والتشكيلات المعتمدة بالمدرسة هي ثلاثية اللغة طبقا لما هو معمول به في مؤسسات تكوين المترجمين، وهي مرتبة كالآتي :

1 - اللغة الأم أو لغة الثقافة، ويرمز إليها بلغة "أ" وهي التي يترجم منها وإليها. ويفترض أن يكون المعني متمكنا منها بشكل جيد.

2 - اللغة الأجنبية الأولى ويرمز إليها بلغة "ب" وهي التي يترجم منها وإليها، ويفترض في المعنى أن يتقنها كل الإتقان.

3 - اللغة الأجنبية الثانية ويرمز إليها بلغة "ج" وهي التي يترجم منها فقط، ويفترض في المعنى أن يكون له إلمام بها.

التشكيلتان اللغويتان الموجودتان بالمدرسة هما :

عربية "أ" فرنسية "ب" - إنجليزية "ج".

عربية "أ" إنجليزية "ب" - فرنسية "ج".

تشتمل المدرسة على سلكين : سلك عادي وسلك عال، ويتم ولوج كل من السلكين على إثر مباراة تفتتح في وجه المرشحين الذين تم انتقاؤهم بناء على دراسة ملفاتهم من طرف لجنة مختصة.

تستغرق الدراسة بالسلك العادي ثلاث سنوات، ويلجه حاملو الشهادة الجامعية للدراسات الأدبية (السلك الأول الجامعي، تخصص لغات) أو ما يعادلها ؛ غير أنه يمكن لحملة الإجازة في الآداب أو العلوم أو الحقوق أو الاقتصاد الالتحاق مباشرة بالسنة الثانية في حدود المقاعد الشاغرة وبعد اجتياز مباراة خاصة.

يشتمل البرنامج الدراسي بالسلك العادي على تكوين عام (دروس تمكن الطالب من اكتساب المفاهيم الأساسية في مختلف الميادين : اقتصاد، قانون، علم اجتماع، وتكوين متخصص (دروس متخصصة تستهدف تقوية المهارات اللغوية ودروس نظرية وتطبيقية في الترجمة العامة والترجمة المتخصصة). واستكمالا للتكوين، يقوم طلبة السنة الثالثة بقضاء فترة تدريب بإحدى المؤسسات العمومية أو الخاصة أو بأحد المنظمات الدولية الموجودة بالمغرب.

تتوج الدراسة بهذا السلك بدبلوم مترجم تحريري. وقد تخرج أول فوج في نهاية الموسم الجامعي 1989 - 1990.

يلج السلك العالي حملة دبلوم تحريري أو ما يعادله، وتستغرق الدراسة به سنتين، حيث تتوج الدراسة بالدبلوم العام في الترجمة التحريرية أو الدبلوم العام في الترجمة الفورية وذلك حسب تخصص المرشح.

تشمل الدراسة بهذا السلك، أساساً، وحسب تخصص الطالب، تكويناً تكميلياً عاماً (تقنيات الترجمة الفورية والتتبعية)، وتكويناً تطبيقياً، ومناظرات تهيء الطالب للقيام ببحث يناقشه في آخر سنة التخرج. وتتوج الدراسة بالدبلوم العالي إما في الترجمة الفورية أو التحريرية.

نظمت المدرسة في صيف 1987 ملتقى حول تدريس الترجمة، وذلك بتعاون مع جمعية الجامعات الناطقة جزئيا أو كليا بالفرنسية (AUPELF). كما نظمت في شهر يونيو 1989 مائدة مستديرة حول الترجمة العربية المهنية والتكنولوجيا الحديثة، بتعاون مع الكنفدرالية الدولية للمترجمين (FIT).

وقد عملت المدرسة على نشر كتب تهم الترجمة وعلى إصدار دورية نصف سنوية بعنوان : *الترجمان* مجلة مختصة

تعنى بقضايا الترجمة التحريرية والترجمة الفورية (المجلد الأول، العدد الأول، 1992).

عبد السلام بنعبد العالي، *الترجمة والمثاقفة*، الوحدة، عدد 61 ـ 62، ص. 7 ـ 9 ؛ الخمار بوقرعة، *الترجمة واللغة والهوية القومية*، الوحدة، عدد 61 ـ 62، ص. 68 ـ 73 ؛ عبد الوهاب حفيظ، *حول الترجمة والتعريب والتغريب، مأساة المصطلح وفراغ المعنى*، الوحدة، عدد 61 ـ 62، ص. 74 ـ 84 ؛ سعيد علوش، *خطاب الترجمة الأدبية من الازدواجية إلى المثاقفة : المغرب الحديث 1912 ـ 1956*، طنجة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، 1990، 318 ص ؛ *شعرية الترجمات المغربية للأدبيات الفرنسية*، طنجة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، 1991، 409 ص ؛ الشاذلي الفيتوري، *الازدواجية اللغوية والازدواجية الثقافية في الوطن العربي*، ترجمة وتلخيص رشيد بناني، الوحدة، عدد 61 ـ 62، ص. 85 ـ 96 ؛ عبد الكريم ناصيف، *الترجمة : أهميتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبية*، الوحدة، عدد 61 ـ 62، ص. 57 ـ 67.

G. Mounin, *Les problèmes théoriques de la traduction*, Paris, 1976, 296 p. ; M. Pergnier, *Les fondements sociolinguistiques de la traduction*, 491 p; Thèse : Lettres : Université de Rennes II, 1976, Bibliogr. pp. 482 - 489 ; N. Tomiche, *La littérature arabe traduite : Mythes et réalités : De l'image que se fait l'Occident du monde arabe contemporain à travers les traductions de la littérature arabe en langue française et anglaise*, Paris, 1978, 74p (*Comptes rendus du groupe linguistique d'études Chamito-sémitiques, GLECS*, suppl. 9) ; *La traduction* (n° spécial), *Revue d'Esthétique*, nouvelle série, n° 12, 1986, 233p.

محمد جادة

**التراب**، أسرة مكناسية ؛ **التراب، أحمد** بن **المكي** ابن الحسين (ت. 1364) ؛ **التراب، إدريس** بن المهدي (ت. 1375) ؛ **التراب، الحسين** (الحاج ـ) الجد ؛ **التراب، الحسين** بن **أحمد** بن المكي (الطبيب) ؛ **التراب، عبد السلام** بن محمد بن المكي ؛ **التراب، عبد القادر** بن **أحمد** بن المكي ؛ **التراب، عبد القادر** بن **محمد** بن المفضل ؛ **التراب، عبد الله** ؛ **التراب، عبد الوهاب** بن المفضل ؛ **التراب، العربي** ؛ **التراب، العربي** (الحاج ـ) ابن الحسين (الحاج ـ) ؛ **التراب، العناية** (الحاج ـ) (ت. بعد 1238) ؛ **التراب، محمد** بن **أحمد** بن المكي (ت. 1378) ؛ **التراب، محمد** (الحاج ـ) بن المفضل ؛ **التراب، محمد** بن **عبد القادر** ؛ **التراب، محمد العربي** بن الحاج الهادي (ت. 1288) ؛ **التراب، محمد** بن **محمد** بن **أحمد** (من فريق قاع وردة) (ت. 1406) ؛ **التراب، محمد** ابن **محمد الرجراجي** ؛ **التراب، محمد** بن **المكي** بن الحسين ؛ **التراب، المفضل** ؛ **التراب، المكي** بن الحسين (الحاج ـ) ؛ **التراب، المهدي** (الحاج ـ) بن محمد ابن المفضل ؛ **التراب، الهادي** بن إدريس بن المهدي.

يصعد تاريخ ذكر أسرة التراب بين سكان هذه المدينة إلى العصر الوطاسي، فتاتي الإشارة لأحد أفرادها باسم ووصف "الطالب أبي عبد الله محمد بن محمد الرجراجي التراب"، في وثيقة نسب حررت بمكناس بتاريخ أواسط شوال عام 930 / غشت 1524، ويتحدث المسنون منهم ـ من فريق الحاج الحسين التراب آتي الذكر ـ أن دارهم الكبرى في حي بين العراصي مرينية البناء. وقد أكد انتساب الأسرة إلى رجراجة السلطان العلوي مولاي إسماعيل. خلال *الديوان* الذي حقق به أنساب سكان مكناس في عصره : القدماء منهم وسواهم من غير الأشراف ، وندب لهذه المهمة القائد أحمد بن أبي يعزى العرائشي إلى أن تم ذلك أوائل المحرم عام 1121 / مارس 1709 ومع مر الزمن تفرعت الأسرة إلى ثلاث فرق متقاربة فيما بينها، وإنما تتميز بمواقع سكناها من مدينة مكناس :

1 ـ فريق حي بين العراصي، ويرجعون إلى الحاج الحسين التراب، وهو والد الأخوين : الحاج العربي والمكي، فأولهما كان بين أعيان مكناس الذين وقعوا على بيعة السلطان الحسن الأول باسم "الحاج العربي التراب"، بتاريخ 27 رجب 1290 / 20 شتنبر 1873، كما كان ناظر الأحباس زرهون عام 1288 هـ.

على أن عقب الحاج الحسين انتشر ـ أكثر ـ من ابنه الثاني السيد المكي، وكان يتوفر على ما يهمه من ثقافة مجتمعه، مع مهارة في مادة الحساب، وبذلك ترشح لخطة الأمانة ببلدته، مع نظارة الأحباس الكبرى بمكناس، ونظارة أحباس زرهون، وبتاريخ 20 محرم 1317 / 31 ماي 1899، أصدر السلطان عبد العزيز ظهير توقير واحترام باسمه، وأشرك معه أفراد أسرته، تجديد الظهير حسني في نفس الغرض، وفي أيام نفس العاهل كان ثاني اثنين رشحا للنيابة عن مكناس في مجلس الأعيان وقد خلّف المكي هذا : الأخوين السيدين أحمد ومُحمد، وكان أولهما تابع الدراسة الأصلية ببلدته على شيوخها، وبعد تحصيله رشح لعدة مهمات بمكناس إلى أن توفي عليها : خطة الحسبة من أوائل العصر اليوسفي، ثم أمانة القصر السلطاني، ورئاسة الجمعية الخيرية منذ تأسيسها. وخلال الحرب العالمية الثانية أسندت إليه عملية الإشراف على توزيع الثياب على السكان، ولكنه رفض الاستمرار فيها، تجافيا عما تفضي إليه من مشاكل، وزهداً منه في مردودها، ومحافظة على استدمة علاقاته مع السكان في مستواها المعتاد.

وأخيراً كانت وفاته ليلة الجمعة 17 ربيع الأول عام 1364/ 2 مارس 1945، وخلف أولاده الفقيه السيد مُحمد، والدكتور الحسين الطبيب المعروف، والوطني اللامع السيد عبد القادر، والخليفة الباشوي في مقاطعة بني مَحمد من مكناس : السيد عبد الملك وخامسهم الفاضل السيد المكي صغير إخوته.

وكان أكبر الإخوة الفقيه السيد مُحمد هو الذي خلف والده في خطة الحسبة وما معها إلى أن توفي بمكناس يوم الأحد 29 صفر عام 1378 / 14 شتنبر 1958 ودفن بروضة

الفشار بمشهد سيدي بوخبزة. وهو والد الأستاذ الحقوقي السيد محسن التراب، العامل في عدة ولايات، آخرها عمالة القنيطرة وما إليها.

ثم يلي المحتسب السيد مُحمد في السن، أخوه الطبيب الحسين التراب، ثاني مغربي أحرز على دكتوراه الطب من باريز.

وننتقل ـ الآن ـ إلى الابن الثاني للسيد المكي بن الحسين : السيد مُحمد أخ السيد أحمد وخليفته في خطة الحسبة، وهو والد الاستاذ الوطني المرحوم السيد عبد السلام التراب، سجين الأزمة المغربية سنة 1954، ثم رئيس المجلس البلدي بمكناس بعد الاستقلال.

2 ـ فريق درب الترابية بحي الكدية (درب ابن العواد فيما بعد)، وانتقل بعضهم للسكنى بحي سيدي عَمرو بوعوادة.

ويرجع هذا الفريق إلى قعددهم السيد المفضل التراب، وكان من خاصة أصحاب الشيخ عبد القادر العلمي، وصاهر الأشراف الشبيهيين ببنته السيدة عائشة، زوج النقيب السيد أحمد بن النقيب السيد السعيدي الإدريسي الشبيهي، وبذلك اكتسب هو وذريته من بعده، ميزة الإسهام في الإشراف على المشهدين المكرمين : الإدريسي بزرهون، والعلمي بمكناس.

وقد خلف السيد المفضل التراب ابنيه : الحاج مُحمد المتوفى بالمشرق، وأخاه الطالب عبد الوهاب، وخلف الحاج مُحمد ابنيه الطالبين الحاج المهدي والسيد عبد القادر، فالحاج المهدي، هو والد المقدم الوجيه الحاج إدريس التراب وقد ساهم في الطلب وخالط أهل العلم والفضل، إلى أخلاق كريمة، ومروءة في تواضع، ثم كانت وفاته في شهر ذي الحجة عام 1375 / يوليوز ـ غشت 1956 وخلف ذرية طيبة كبيرهم الطالب المرحوم السيد الهادي.

وعلى هدي الحاج إدريس، كان ابن عمه الشقيق الحاج مُحمد، وهو والد الوجيه الكريم، المحب المحبوب، المقدم السيد الحاج الحسن التراب، بقية الناس أخلاقا ومروءة ومحافظة على سيرة أسلافه في الولاء للإمامين المكرمين : المولى إدريس الفاتح، وسيدي عبد القادر العلمي، يشاركه في هذا الولاء من معاصريه السيدان الفاضلان المرحومان : الحاج العربي التراب، والحاج عبد الله التراب من وجوه الأسرة.

والآن نستدرك الإشارة إلى اثنين من وجهاء أسلاف هذا الفريق : الحاج العناية التراب، من أعيان مكناس الموقعين على بيعة السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام، بتاريخ الأحد 14 ربيع الثاني 1238 / 30 دجنبر 1822.

ثم السيد مُحمد العربي بن الحاج الهادي التراب، ناسخ *الأنوار السنية*... للعياشي، بتاريخ الأربعاء 6 ربيع الثاني 1288 / 25 يونيه 1871، من مخطوطات خ. ع رقم 1071 ثالثة محفظة.

وأخيراً نشير إلى أن نخباً من أبناء هذا الفريق اتجهوا إلى الدراسات الحديثة، وجدّوا فيها حتى أحرزوا على درجات علمية عليا في عدد من الاختصاصات، وبذلك طوروا فريقهم الشاب، وارتفوا به إلى توجهات جامعية منوعة.

3 ـ فريق حي قاع وردة، حيث سكنى الفقيه التراب الحاج مُحمد بن الحاج مُحمد بن أحمد، العالم المفتي القاضي، المتوفى عام 1406 / 1986.

وقد استوفى ترجمة محمد بن الفاطمي بن الحاج في كتابه عن علماء المغرب المعاصرين فذكر أنه ولد بمكناس عام 1321 / 1903 وبه درس على أساتذة بلدته وعلمائها أمثال مَحمد بن أحمد السوسي ومحمد بن الحسين العرايشي والغالي السنتيسي ومَحمد بن المبارك الهلالي ومحمد بن عبد السلام الطاهري، كما أخذ فقه القضاء عن أحمد بن المامون البلغيثي الفاسي، والحساب والتوقيت عن عبد الرحمن بريطل الرباطي.

تولى منصب القضاء بزرهون ثم العضوية بمجلس الاستئناف بالمحكمة الاقليمية بمكناس، وكان في نفس الوقت يباشر الإفتاء. ومجموعة *فتاويه* تخرُج في جزءين.. وله *شرح على الشاطبية* في علم القراءات، ورحلة حجازية سماها *بلوغ المرام من حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام*.

توفي بمكناس يوم الثلاثاء سابع رجب عام 1406 / 18 مارس 1986 ودفن بضريح سيدي أحمد بن خضراء داخل باب البرادعيين.

ملحق : ظهير صادر عن السلطان عبد العزيز بتوقير واحترام أسرة التراب المكناسيين :

"يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره. وأطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره، اننا جددنا لحملته كافة أولاد التراب القاطنين بمكناس، حكم ما بيدهم من ظهير سيدنا الوالد قدسه الله، المتضمن إقرارهم على ما عهد لهم من التوقير والاحترام، والحمل على كاهل المبرة والإكرام، والرعي الجميل المستدام، أخص منهم خديمنا الارضي الناظر الطالب المكي وأولاد أخيه المرحوم الحاج ... وابن عمه الطالب عبد الوهاب، وولدي أخيه الطالب المهدي والطالب عبد ... عمهم الحاج عبد الرحمن، وأخاه أحمد، والمعلم محمد النجار، والمعلم محمد البناء، بحيث لا ... بمكروه، ولاتنتهك لهم حرمة بوجه من الوجوه، وأذنّاهم في رد زكاتهم وأعشارهم على ضعفائهم، اتكالا على دينهم وعرضهم ومروءتهم، ولما بلغنا من ثبوب نسبهم للسادات الرجراجيين، وكونهم من ذوي البيوت المعظمة، فلا تخرق عليهم في ذلك عادة، ولايحدث في جانبهم نقص ولا زيادة، إقراراً تاماً، شاملا عاماً، حسب الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه، ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه، والسلام، صدر به أمرنا المعتز بالله، في 28 محرم عام 1317".

جعفر الكتاني، *الرياض الربانية في الشعبة الكتانية*، مخطوط خ.

ع، 497 ك ص. 169 ؛ ع. ابن زيدان، *المنزع اللطيف* ..."، مطبعة الدار البيضاء، ص. 214، مع التكملة من نسخة مخطوطة ؛ *العز والصولة*، 1 : 24، حوالة أحباس زرهون خ. ع رقم 13 من قسم الحوالات، ص 350 ؛ م. التاودي السقاط، *خرق العوائد* .. مخطوط خ. ع 52 ك، ص. 91. 92. 112، *إراثة النقيب أحمد بن النقيب السعيدي الشبيهي*، حيث احتفظت بنصها *حوالة أحباس كبرى مكناس*، 1 : 314 ؛ *بيعة السلطان عبد الرحمن بن هشام*، مخطوط ضمن محفوظات خ. ح دون رقم .

محمد المنوني

**التراد**، أسرة كانت بتطوان وانقرضت وكان جل أفرادها يعملون في الجندية حيث نجد منهم من كان ينتمي إلى حامية المدينة : محمد بن العربي التراد سنة 1244 / 1828، وأحمد التراد سنة 1246 / 1831، وعبد الرزاق التراد سنة 1249 / 1833، وأحمد التراد وعبد الخالق التراد والمكي بن محمد التراد سنة 1258 / 1842، وعبد السلام التراد سنة 1259 / 1843، وصالح بن اليزيد التراد سنة 1271 / 1855 والمصطفى التراد سنة 1273 / 1857.

م. داود ، *تاريخ تطوان*، 8 : 215.
Cagigas, *Familias* ; Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos.*

**التراس**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة كتامة، وكان جل أفرادها يحترفون الجندية، ومنهم الجندي محمد بن عبد الصمد التراس. والكلمة معناها في اللهجة الدارجة بتطوان ليس فقط حامل الترس بل أيضا الرجل الشجاع. وقد انقرضت بتطوان في أوائل هذا القرن، وكان من بين أفرادها قائد سجن تطوان سنة 1303 / 1884 وهو محمد بن موسى التراس.

Delegación, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932.

محـ . ابن عزوز حكيم

**تَرْزَا** أو تَـرْزَرَا أو تَـرْزَال، وينطق بها أيضاً تـرازة، أمازيغية تعني طاقية أو قبعة توضع فوق الرأس ولعلها مركبة من شقين "تار" و"أزال" أي الغطاء الواقي من حرارة الشمس. ويضرب استعمال غطاء الرأس هذا بجذوره في عمق تاريخ سحيق ويسود ارتداؤه في المغرب في جل مناطقه.

وهي غطاء مقعر مخروطي الشكل، جوانبه ناتئة وحواشيه عريضة لوقاية الرأس من الحرارة وضمان الظل الكافي للوجه.

ترزا

ترزا تادلا

ترزا جبالة

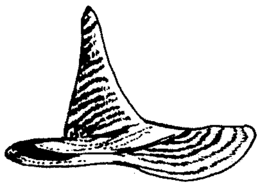

ترزا الحوز

ترزا عبدة ودكالة

وفي المناطق الشمالية والشمالية الغربية تدعى الشمرير والشمريرو Sombrero. وهي كلمة إسبانية الأصل تعني القبعة الواقية من حرارة الشمس، ويكاد استعمال هذه القبعة في منطقة الريف وجبالة أن يكون عاما بالنسبة للرجال والنساء وإن كانت المرأة وخاصة في البوادي هي التي مازالت تحتفظ بارتدائه كجزء لا غنى عنه من أزياء الجبليات. إلا أن قبعة النساء تختلف عن قبعات الرجال في أنها تكون زاهية منمقة بعدة توشيات تتواتر فيها خيوط الدوم أو الحلفاء بخيوط الصوف أو القطن أو الحرير ذات الألوان الصفراء والحمراء أو الزرقاء والحمراء أو البنية والزرقاء. تدعى في هذه المناطق "المظلة"، ومن الناس من يسميها الظلة. وهذا النوع من غطاء الرأس لا يقتصر وجوده على المغرب بل يسود استعماله في جل بلدان أمريكا اللاتينية من حدود المكسيك إلى الشيلي وإن اختلفت مادة صنعه وبعض أشكاله من منطقة إلى أخرى ومن دولة إلى أخرى.

وتصنع ترزا في المغرب من الدوم أو الحلفاء، وهي تسرد (أي تنسج) بواسطة اليد المجردة على شكل شرائط مستطيلة يتم رتق الواحدة منها بالأخرى بواسطة حبل مفتول رقيق بإبرة خشبية أو معدنية غليظة.

والترازة أنواع متعددة تختلف باختلاف المناطق، لأن صناعتها محلية على العموم. فهناك ترازة الريف وجبالة التي لا يمكن أبداً فصلها عن هندام سكان جبال الريف وخاصة النساء اللواتي لا يكتمل زيهن بدونها. وهناك ترازة زمور الشلح التي تدخل في صناعتها أشرطة من الفليج وتختلف عن سابقتها في سيادة التنميق فيها سواء كانت مخصصة للذكور أو الإناث. وهناك ترازة تادلا وترازة الحوز اللتان يتميزان بفرط اتساع حواشيهما وارتفاع قمتهما لحماية الرأس والوجه من وهج الحرارة التي تبلغ مستويات عليا في هذه المناطق الداخلية. أما ترازة دكالة وعبدة فهما معروفتان عموما بقصر حواشيهما وضآلة تقعرهما.

محمد شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، الجزء الأول، الرباط 1990؛ محمد شماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته*، الرباط 1980 ؛ الحسن شوقي، *قبيلة السراغنة*، د. د. ع. كلية الآداب الرباط 90. 1991 ؛ محمد عشيش، *المغرب الأقصى كما رأيته*، القاهرة د. ت. ؛ عبد الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الجزء الرابع، الرباط 1931.

P. Platon, *Le palmier nain*, *B.E.P.M.*, n° 221, 1953 ; J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988, réédition ; W. Harris, *Le Maroc disparu*, Paris, 1929 ; M. M. Barde, *Coiffures féminines du Maroc*, Aix-En-Provence, 1990 ; G. Charmes, *Une ambassade au Maroc*, Paris, 1887 ; G.S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953 ; P. Decroux, *Quelques aspects de la nationalité*

*marocaine, Hesp.*, vol. 35, 1948.

محمد بوسلام

**تُرْس** (سمك) ← **تُورِيُو**

**ترسواط**، حوض واسع جنوب مركز تافراوت ضمن قبائل أمانوز، وتسمى إحدى الجماعات القروية لدائرة تافراوت جماعة ترسْواط، ومن قراها : اثنين ترسواط، إيمي أوكادير، أكرسيف... وتشتهر المنطقة باستقطابها لأسر علمية تركت بصماتها في تاريخ الحركة الفكرية بسوس، منها أسرة آل مَحمد بن إبراهيم الشيخ التي استقرت في بداية أمرها بقرية إيمي أوكادير قبل أن تهاجر إلى تامنارت. استقرار مماثل عرفته ترسواط من قبل عائلة الحضيكي. ويبدو أن الاستقرار مرتبط بجاذبية الحوض الغني بمياهه الجوفية وغطائه النباتي الكثيف، وموقعه الهام الرابط بين الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير : تامنارت، سموكن... وبين مناطق إيد أوسملال، أملن...

*طبقات الحضيكي*، مخطوط ؛ *تحريات ميدانية*.

أحمد بومزكو

**الترسيم** (في الوظيفة العمومية)، ينقسم أعوان الدولة وموظفوها إلى رسميِّين ومتدربين ومؤقتين وعرضيين ومياومين. وقد يتدرج الموظف في بعض الحالات من وضعية المياوم إلى العرضي ليصبح مؤقتا فمتدربا ثم رسميا. لكن السائد أخيراً أن معظم الموظفين يكونون من المتخرجين من مدارس التكوين والمعاهد والكليات يتم تعيينهم مباشرة بعد تخرجهم في منصب موظف متدرب. وبمجرد الالتحاق بالعمل يعتبر الموظف الجديد متدربا لفترة معينة لا تتعدى السنة الواحدة أو السنتين. وينتظر منه خلال هذه المدة بالإضافة إلى إبداء رغبته في وظيفته أن يثبت جدارته ويبرز المؤهلات الأساسية للاستمرار فيها. وتكون علاقة هذا الموظف في هذه الفترة بالإدارة التي توظفه علاقة أجير يتلقى أجرة خاصة بفترة التدريب. فإذا تأكدت كفاءته وأهليته فإنه يرسم في الوظيفة، وإن تبين عجزه عن الوفاء بما تتطلبه من قدرات تم الاستغناء عنه وعوض بغيره. لكن الإعفاء من المهمة لا يقع إلا في أحوال نادرة جداً إن لم يكن أمراً استثنائيا لعدة اعتبارات أهمها أنه بإمكان المتدرب حاليا أن يتقدم للاختبارات والمباريات الخاصة بالترسيم أربع مرات.

ويعتبر الترسيم في الوظيفة العمومية أول مراحل تسلق سلاليم الترقية. ولا بد لكل موظف متدرب، حتى يتمكن من الارتقاء من وضعيته إلى وضعية الترسيم، أن يتوفر على الشروط العامة المطلوبة في التوظيف من حد أدنى وأعلى للسن وسلامة العقل والبدن إضافة إلى الشروط الخاصة بمهنة التخصص وأهمها الحصول على شهادة معينة في المجال الذي سيقبل الموظف على العمل فيه.

لكن بعض الموظفين لا يخضعون عند ترسيمهم للمقتضيات السابقة. فبعضهم لا يرسم إلا بعد قضاء مدة فعلية من الخدمة في الوظيفة لا تقل عن سبع سنوات. ولا يقع ترسيم مثل هذا الصنف من الموظفين إلا بناء على اقتراحات رؤسائهم المباشرين وفي حدود المناصب المالية الشاغرة.

أما رجال التربية والتعليم في سلك التعليم الأساسي والثانوي فهم ملزمون بالحصول على شهادة الكفاءة التربوية في مادة تخصصهم خلال سنة أو سنتين بعد تعيينهم دون احتساب المدة التي قضوها في مراكز التكوين. إلا أن المتخرجين الناجحين من مؤسسات تكوين الأطر في السنوات الأخيرة أصبحوا غير مطالبين باجتياز اختبارات الكفاءة المهنية إذ يتم ترسيمهم بناء على نقطة يمنحها لهم مدير المؤسسة التي يعملون بها بتنسيق مع مفتش مادة تخصصهم خلال السنة الأولى أو الثانية من تعيينهم على أقصى تقدير. أما أطر التعليم العالي من أساتذة محاضرين وأساتذة مساعدين ومساعدين فيرسمون اعتماداً على اقتراحات قيدومي الكليات ومديري المعاهد العليا طبقاً للمرسوم رقم 2.85.743 والمرسوم 2.85.773 بتاريخ 4 أكتوبر 1985 الخاصين برجال التعليم الباحثين في التعليم العالي ومؤسسات تكوين الأطر العليا.

ع. باينة، *المختصر في القانون الإداري المغربي*، الدار البيضاء 1985 ؛ م. مرغيني، *المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي*، الرباط 1984 ؛ م. الكشبور، *عناصر عقد الشغل في التشريع الاجتماعي المغربي*، الدار البيضاء 1989 ؛ ع. لهمامي وآخر، *التدبير المالي والمادي والمحاسبي للمؤسسات التعليمية*، الرباط 1988 ؛ وزارة الشؤون الإدارية، *الوظيفة العمومية تشريعات وقوانين تنظيمية*، الجزء الأول، الرباط د. ت. ؛ كتابة الدولة لدى الوزير الأول المكلفة بالشؤون الإدارية، *معجم الإدارة العامة*، الرباط 1984.

M. El Yaagoubi, *Le droit administratif marocain*. Rabat, 1992 ; A. Benjelloun, *Droit administratif*, Rabat, 1984.

محمد بوسلام

**ترغة**، حاضرة قديمة مندثرة، كانت تقع بشاطئ بني زيات إحدى قبائل غمارة في الجنوب الشرقي من تطوان على بعد نحو خمسة وستين كلم، وتوجد أسفل منها بحوالي خمسمائة متر مدينة إسلامية صغيرة بنيت بناء بسيطا، كانت عامرة في القرن السادس (12 م)، زارها الحسن الوزان في النصف الأول من القرن العاشر (16 م) ووصفها بأنها مدينة صغيرة من بناء القوط حسب قول بعضهم، وأنها تحتوي على نحو مائة وخمسين كانونا، أسوارها ضعيفة. ولعل الوزان التبست عليه بالمدينة المندثرة التي بناها الرومان وعمرها القوط، وإلا فالمدينة التي زارها هي بناء إسلامي، لا تزال - في الجملة - على شكلها القديم إلى اليوم، أهلها متحضرون، يعيشون على نمط المدن المغربية القديمة، ونساؤهم محتجبات على خلاف عادة أهل البادية، يشتغلن بالحياكة وبعض الصناعات اليدوية الأخرى. وبها مرسى يضم عدة قوارب لاصطياد السمك، يصدِّرونه - كما يقول الوزان - إلى الأسواق القريبة والنائية وبعض المدن كشفشاون ووزان ونحوهما.

وتوجد إلى جهة الشمال ترغة الزاوية، نزلها مهاجرة الأندلس حوالي القرن التاسع (15 م) وعلى رأسهم أبو العباس الغزال، وقد بنى بها زاويته وكانت لها حرمتها، التجأ إليها في حدود عام 1040 / 1671 حاكم تطوان المقدم عبد الله النقسيس عندما أراد المجاهد أبو عبد الله العياشي القبض عليه، وكان يتردد عليها لزيارتها من تازروت الشيخ محمد بن علي بن ريسون المتوفى عام 1189 / 1775.

ومن الآثار التاريخية بترغة حوض مسجد عقبة بن نافع، وروضة المديني، شيخ ابن مشيش وزاوية الغزال والجامع العتيق وحجرة "لا إله إلا الله"، وسواها.

ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان* ؛ أ. المكناسي، *خريطة المغرب الأركيولوجية* ؛ س. أعراب، *مجلة دعوة الحق*، س 13 ع (1 ـ 2).

سعيد أعراب

* * وهناك رأس ترغة، ومرساها، ونهرها، يقع رأس ترغة بشاطئ قبيلة بني زيات الغمارية الموالي للبحر المتوسط بالقرب من المدينة التي يحمل اسمها، ويعرف الرأس عند الاسبان برأس كوتِييِّي Punta Cotelle، وكان به برج قديم لمراقبة الساحل.

ويقع مرسى ترغة بساحل نفس القبيلة الزياتية وهي التي جعلت من مدينة ترغة قاعدة بحرية مهمة في الجهاد البحري خلال القرن الثامن (14 م) إلى أوائل القرن الثالث عشر (19 م) كما سنرى.

وتوجد بهذا الشاطئ الموالي للبحر المتوسط حجرة تسمى "حجرة لا إله إلا الله" يقول السكان إنه كان بها مدخل لنفق تحت البحر يصل إلى شاطئ الأندلس حيث كانت هناك حجرة أخرى تعرف بـ "حجرة محمد رسول الله".

أما نهر ترغة فتوجد منابعه بجبل تاگطوشت بقبيلة بني زيات (إقليم شفشاون) وتصب مياهه بالبحر المتوسط قرب المدينة التي يحمل اسمها.

ويحمل هذا النهر اسم شيرْشي Cherché في خريطة بيتروس ڤيسكونتي Petrus Vesconti سنة 1311 ميلادية، كما يسمى بوادي ثيرثيلي Cercelly وبوادي شجر الحور Rio de los Alamos في الخرائط الاسبانية للعصور الوسطى.

اشتهرت مدينة ترغة بفضل مرساها المتميزة كقاعدة للجهاد البحري ولذلك نجد ذكرها في جميع المصادر الأجنبية وكذلك بالخرائط التي يرجع تاريخها إلى القرن الثامن (14 م) وعلى سبيل المثال نجد اسمها في الأطلس الكاطالاني لعام 1339 م. هكذا تيرغا Terga، غير أن الذي جعل منها قاعدة للجهاد البحري المنظم وأنشأ بها ترسانة لصنع السفن الجهادية وإصلاحها هو أمير شفشاون علي ابن راشد وذلك سنة 877 / 1472 حيث قرر ألا ينحصر جهاده في مهاجمة المدن السليبة (سبتة والقصر الصغير وطنجة وأصيلا) وحدها، بل أراد أن تكون له قاعدة بحرية تتوفر على أسطول جهادي يتحكم في الملاحة والتجارة بعرض البحر المتوسط ويهاجم منها الشواطئ الإسبانية والبرتغالية.

والدليل على أنه تم لأمير شفشاون ما كان يريده أننا نجد ملك البرتغال ألفونصو الخامس Alfonso V يفكر في القضاء على أسطول ترغة فيأمر حاكمه بسبتة فيرناندو دي مينيسيس Fernando de Meneses بتنظيم حملة صليبية ضد ترغة، وكان ذلك سنة 886 / 1481 حيث قام الأسطول البرتغالي المكون من خمسين سفينة كانت تحمل على ظهرها خمسة آلاف مقاتل بتخريب المدينة وإحراق جميع السفن التي كانت توجد بمرساها وبمرسى تيگيساس واستشهد في المعركة أكثر من مائتي مجاهد.

واستطاع علي ابن راشد إحياء القاعدة البحرية في ظرف وجيز حيث نجد حملة صليبية أخرى نظمتها البرتغال سنة 896 / 1491 تتمكن من تخريب ترغة مرة أخرى وإحراق خمس وعشرين سفينة كانت بمرساها وتحرير ثلاثين أسيراً نصرانياً.

تمكن أمير شفشاون مرة ثالثة من إعادة بناء ترغة التي كانت سنة 907 / 1502 تتوفر على أسطول بحري يتكون من خمسين سفينة صنعت بترسانة المدينة، وبواسطتها أصبح يتحكم في الملاحة بغرب البحر المتوسط وبوغاز جبل طارق بشكل لم يسبق له مثيل، كما تشهد على ذلك الوثائق البرتغالية والإسبانية، ويؤكده فشل المحاولة التي قام بها الأسطول البرتغالي الذي أرسله الملك مانويل الأول Manuel I برئاسة الأميرال خورخي دي ميلو Jorge de Mello سنة 907 / 1502 لتحطيم قاعدة ترغة. وقد رد على أعقابه خاسراً، ونفس المصير لقيه الأسطول البرتغالي الذي هاجم القاعدة المذكورة سنة 923 / 1517، وكان مؤلفاً من ستين سفينة برئاسة الأميرال لوپيس دي سِكْيِيرا Lopes de Sequeira.

وقد تعرضت ترغة لهجومات إسبانية كانت كلها فاشلة مثل التي قام بها الأميرال ألڤارو دي باثان Alvaro de Bazan يوم فاتح فبراير 1533 والاميرال بيرناردو دي ميندوثا في جمادى الأولى 954 / يوليوز 1547 والاميرال خوان دي أوسْطِريا Juan de Austria سنة 1568 والاميرال سانْطورْثي Santorci يوم فاتح ماي 1613.

واستطاع الجيش الإسباني في عهد الحماية احتلال ترغة يوم 18 أبريل 1921، غير أنه أرغم على مغادرتها يوم فاتح شتمبر 1924، ولم يعد إليها إلا سنة 1927.

البادسي، *المقصد*، 98، 107، 130 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 110 ؛ ح. الوزان الفاسي، *وصف افريقيا*، 252 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 110 ـ 141.

محمد ابن عزوز حكيم

* * من الناحية الأثرية، تزخر ترغة اليوم بالعديد من المآثر التي تعود إلى فترات من تاريخيها الطويل. من ذلك القلعة المعروفة بدار السلطان، المشيدة فوق ربوة عالية مطلة

على القرية الحالية، وملتصقة بجبل "أزنتي" المجاور. وهذا الموقع هو أحسن مكان لبناء قلعة تتحكم في الوادي وفي مصب "واد ترغة" وان كانت واجهته الخلفية (الجنوبية) ضعيفة التحصن وهو مادفع بمشيدي القلعة إلى حفر خندق واق على طول هذه الواجهة بينها وبين تقدم الجبل.

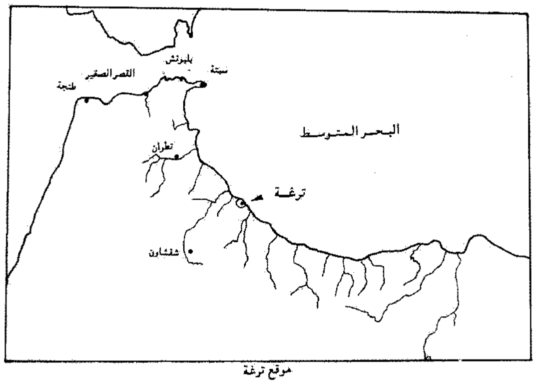


موقع ترغة

أظهرت الأبحاث التي قمنا بها في السنوات الأولى من الثمانينات، أن هذه القلعة مرت بثلاث مراحل متباينة في تقنيات ومواد بنائها. وإذ يتعذر اليوم تحديد كل واحدة من هذه الفترات بدقة فان ما يمكن التأكيد عليه هو أن أقدم جزء منها يقترب كثيراً في مكوناته (مادة وتقنية) مما هو معروف في المنشآت الموحدية، وأن أحدث جزء منها، وهو بطبيعة الحال مكون من مجموعة تغييرات أدخلت على العمارة الأصلية، يعود إلى بداية القرن العاشر (16 م)، حيث يظهر أن القلعة سكنت ربما من طرف الغزاة البرتغاليين.

بمحاذاة البحر على الشاطئ وفي وضعية مقابلة تمام المقابلة لدار السلطان، تنتصب بناية محصنة فوق صخرة عظيمة تعلو سطح البحر بأكثر من خمسة عشر متراً. كل شئ في هذه البناية مختلف عن أمثاله في دار السلطان فبينما هذه الأخيرة مبنية من الحجر والطابية، بنيت ثكنة الشاطئ بالحجارة القوية فقط، وبينما تصميم الاولى متواز في عدة من جوانبه، نجد جدران بناية الشاطئ مسايرة لشكل الصخرة التي شيدت فوقها، وبينما لانجد في القلعة الأولى من الفتحات سوى كوات للرمي موجهة ناحية البحر، تتوفر بناية الشاطئ على مجموعة من المرامي المدفعية، منتصبة على طابقين : خمسة بالطابق الأسفل وستة بالأعلى مع اختلاف في الاتساع ما بين تلك التي تنظر جهة البحر (وهي الأوسع) وتلك الموجهة نحو داخل الأرض الاقل منها اتساعا.

ومن المآثر التي مازالت حية تقوم بدورها إلى اليوم، المسجد الجامع، الواقع شمال القرية الحالية، على بعد بضعة أمتار من أولى مساكنها وبمحاذاة المقبرة العتيقة.

يحتل هذا المسجد مساحة تفوق 500 متر$^2$ وتتوزع مرافقه ما بين بيت صلاة عرضه 15،20 م وعمقه 6،10 م مقسم إلى بلاطين أفقيين وخمس بلاطات عمودية متجهة نحو جدار القبلة. وهذا التصميم هو الذي نجده في المساجد العتيقة المغربية سواء في الحواضر الكبرى كفاس مثلاً ، أو في البوادي.

يتقدم بيت الصلاة صحن واسع احتلت جانبه الجنوبي سكنى الامام وجانبه الشمالي مجموعة من الغرف المخصصة لايواء الطلبة الذين يأتون المسجد من مختلف نواحي بلاد غمارة ومن الريف لمتابعة دراستهم على الطريقة التقليدية. ذلك أن هذه المسجد عرف كذلك بالدور الكبير الذي لعبه ولايزال إلى حد ما يلعبه في تعليم القرآن الكريم وعلوم الفقه. وتحتفظ الذاكرة المحلية بما في هذه المدرسة وتعتبرها أهم مدرسة دينية بالمنطقة المشهورة بالمستوى الرفيع لتعليمها. ويزخر تاريخ علوم القرآن بأسماء علماء ترغيين أجلاء لعل أشهرهم شيخ القراء في عصره محمد بن يوسف الترغي المتوفى سنة 1009 هجرية.

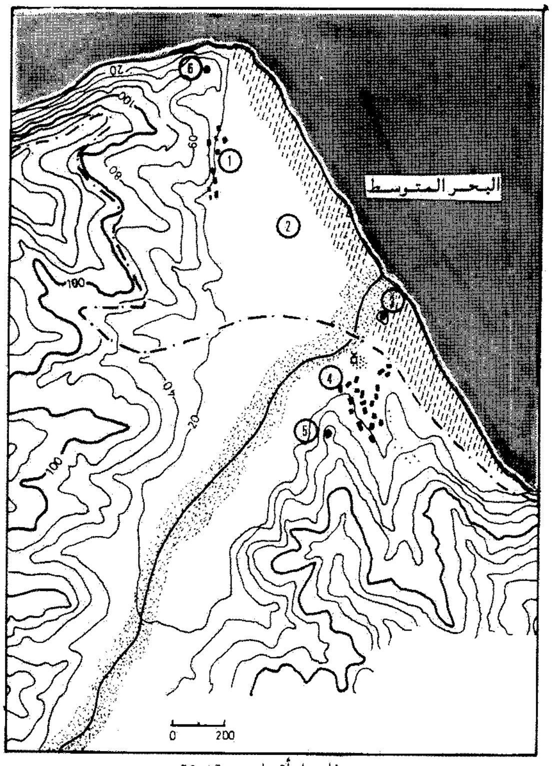


تفاصيل أقسام مدينة ترغة

1 ـ ربض "الزاوية". 2 ـ موقع جامع ابن عقار. 3 ـ الحصن "البرتغالي". 4 ـ ربض "ترغة". 5 ـ "دار السلطان". 6 ـ برج ساحلي.

في وسط المنبسط الذي يفصل ما بين ربض ترغة وربض الزاوية، تظهر بقايا جدران مندثرة، تحمل اسم جامع ابن عقار، ويُحتفظ لها باحترام كبير بين السكان الحاليين للربضين. من يكون ابن عقار هذا ؟ وهل حقيقة أن ما يبرز قليلاً فوق سطح الأرض هي بقايا جدران مسجد ؟ لا يمكن الاجابة عن السؤالين اليوم لقلة المعطيات. ولكن الذي أثار انتباهنا ونحن نتجول بحثاً عن البقايا الأثرية في مجموع الوادي، كثرة القطع الخزفية الصغيرة الحجم والمختلفة الصنع، المختلطة ببقايا مواد البناء كأنصاص الآجور

المشوي، وكرات الجير، واللياط الجيري الذي خلطته بالتراب المحاريث عند شقها للأرض وقت الزرع الخ ... كل ذلك دليل على أن منطقة جامع ابن عقار هذه وعلى مساحة شاسعة تمتد في اتجاه غربي وشمالي غربي، كانت محتلة ببنايات ومنشآت مهمة. وهذه المخلفات وأهمية انتشارها كانا السبب في فتح أسبار تأكّدية في منطقة امتازت عن غيرها بكثرة القطع الخزفية وبلون أحمر داكن في تربتها. وقد أسفرت الحفرية على اكتشاف فُرنين لصناعة الخزف في عمق نصف متر تحت سطح الأرض، واحد منهما متكامل المرافق، مما أوضح أننا بمنطقة صناعية، تأكد فيما بعد، في ضوء دراسة القطع الخزفية التي انتشلت من داخل الفرن ومن محيطه أن أعلى فترة نشاطه تعود إلى القرن التاسع (15 م).

يبقى على البحث الأثري أن يتأكد من مجموع ما تزخر به منطقة جامع ابن عقار، وأن يقيم العلاقة ما بين هذا المنبسط وربض ترغة وكيف كانت البنايات تنتظم في الوادي، علماً بأن عدة مخلفات لآبار وقنوات ري لاتزال كذلك منتشرة على طول هذا الأخير، توحي بالاستغلال الزراعي المكثف الذي كان يعرفه وادي ترغة.


البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب*، باريس 1965 ؛ الادريسي، *نزهة المشتاق*، لايدن، 1866 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 2 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، باريس 1926 ؛ العمري، *مسالك الابصار*، باريس 1927 ؛ الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 324 - 325 ؛ عبد العزيز توري، *المسح الاثري لحوض "سبو" ومنطقة "غمارة" (نتائج الموسم الأول")*، *مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية* 11 / 1985، ص 151 - 168 الرباط.

R. Ricard, *Le Maroc septentrional au XVème S. d'après les chroniques portugaises*, *Hesp.*, XXIII, 1936, pp. 89 - 143 ; A. Moulièras, *Le Maroc inconnu*, vol. II, Paris, 1899 ; *Carte nautique de Dulcert*, 1339 ; *Atlas Catalan*, 1375 ; E. Gozalbez, *Atlas arqueologico del Rif, Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan*, 21 - 22, 1980 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne Catalane et le Maghreb aux XIIIème et XIVème siècles*, Paris, 1966 ; A. Touri, *Les oratoires de quartiers de Fes : essai d'une typologie*, Thèse, Paris 1980 ; A. Bazzana [et al...], *Première prospection d'archéologie médiévale et islamique dans le Nord du Maroc*. *BAM* 1983 - 84, pp. 367 - 450.


عبد العزيز توري

**تَرْغَلّيل**، قصر بدرعة يقع بالمنطقة التي تعرف بالتّلت، بالمدخل الشمالي لواحة تَرْناتة على الضفة الشرقية لنهر درعة. ويندرج هذا القصر ضمن مجموعة من القصور والقصبات المخزنية القديمة، وكان المخزن يختار هذه القصور، (أستور، أغلان الباشا، بني صولي، تَرْغلّيلْ) كمقرات لعماله وقواده على ترناتة، لأهميتها الاستراتجية والعسكرية. ذلك أن المتحكم في هذه القصور، بإمكانه مراقبة المنافذ الشمالية والشرقية لواحة ترناتة (فم أزلاگ، فم وَرْتي، تيزْنْ تافيلالت) وهي منافذ لا يمكن الاستغناء عنها إطلاقاً للعبور إلى باقي واحات درعة الجنوبية أو الخروج منها.

يتكون قصر تَرْغلّيل من القصبة المخزنية القديمة التي لاتزال أطلالها قائمة إلى اليوم، وتعرف محلياً بقشقورة، بالإضافة إلى المباني التي استحدثت حولها في مختلف العصور.

ترغلّيل
الشاهد على قبر مخلوف بن يوسف بوحصيرة

وسكان قصر تَرْغلّيل في غالبيتهم من الحراطنة كجل سكان قصور أهل التلت (*Les pays inaccessibles*, 52) كانت تساكنهم إلى عهد الحماية طائفة كبرى من اليهود، ولايزال بقايا اليهود إلى اليوم بقصر تَرْغلّيل من أهمها ضريح الربِّي مخلوف بن يوسف بوحصيرة، الذي يحتفل به اليهود بوادي درعة، إلى عهد قريب، في شهر يناير من كل سنة، ولايزال قبره مزارة كبرى لليهود حتى من خارج المغرب إلى اليوم (*بعض المظاهر الاجتماعية*، 51).

وبالرغم من أننا لا نعرف بالتدقيق متى أحدث قصر تَرْغلّيل، فإن كل المعطيات تؤكد على أن نواة القصر قد ترجع إلى العصور الوسطى.

وبعد قيام الدولة السعدية، كان العامل المخزني على واحة ترناتة ينزل بقصر تَرْغلّيل، إلا أن القصر تعرض للتدمير إبان الصراع على السلطة بالمنطقة بين أنصار مَحمد الشيخ بقيادة القائد محمد بن يحيى، وأنصار أحمد الأعرج بقيادة ابنه الأمير زيدان (*خلالة جزولة*، 1 : 58) وقد عرفت تَرْغلّيل، أوج عزها في عهد السلطان عبد الله الغالب، الذي أعاد هيكلة قصر تَرْغلّيل وغيره من القصور

المخزنية على طول وادي درعة، فأنزل بقصبة القصر حامية قوته، كما شغل الطائفة اليهودية في تصفية وتنقية الذهب المستورد من إفريقيا الغربية وبعد تنقيته يوزن ويؤثر عليه ثم يوجه إلى مراكش. وقد تراجع دور قصر تَرْغَلِّيل، بعد ما أمر السلطان أحمد المنصور السعدي ببناء قصر بني صولي سنة 987 هـ (*مذكرة المزريوي*، 8) فتحول قصر تَرْغَلِّيل إلى قصر عاد طيلة العهد العلوي.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 1، طبع تطوان، د. ت ؛ م. بن لحبيب التامْنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ عبد الكريم المزريوي، *مذكرة المزريوي*، مخطوط ؛ توفيق الماگري، *بعض المظاهر الاجتماعية واللغوية للوجود اليهودي بدرعة* (بحث للإجازة ـ كلية الآداب ـ أگادير) 1987.

G. Spillmann, *Les pays inaccessibles de Haut Draa, R.G.M.*, n° 1 et 2, 1929.

أحمد البوزيدي

**الترغي،** أسرة تطوانية كان من بين أفرادها بتطوان الفقيه محمد بن علي الترغي الذي كان من بين الموقعين على عقد البيعة لمولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821، والفقيه محمد بن عبد السلام الترغي الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1239 / 1824، والفقيه أحمد بن سعيد الترغي الذي كان يزاول نفس المهنة سنة 1261 / 1845، والفقيه العياشي بن عبد الصمد الترغي المتوفى سنة 1279 / 1862، والفقيه أحمد بن عبد النبي الذي كان حياً سنة 1286 / 1869، والفقيه محمد بن المختار الترعي المتوفى سنة 1292 / 1875، والفقيه أحمد بن محمد الترغي الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1301 / 1884، والفقيه عبد السلام بن المصطفى الترغي الذي وافته المنية سنة 1319 / 1901، والفقيه عبد الخالق الترغي الذي كان حياً سنة 1324 / 1906، والفقيه عبد العزيز بن أحمد الترغي المتوفى سنة 1326 / 1908، والفقيه أحمد بن عبد السلام الترغي الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1327 / 1909. ومازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

**الترغي، أحمد** بن حجون، من العلماء، كان إماماً وخطيباً بجامع ترغة، وهو دفين بساحتها.

**الترغي، أحمد بن علي** بن الحسن بن أحمد الزياتي الغماري، له تقييد على *الأرجوزة* المشهورة في فقه الذكاة المنسوبة للشيخ ابن بشير التي تبتدئ بقوله :

علم الذكاة خذه باليقين وذاك فرض من فروض الدين
لأنه لأكلنا نستوجبه والأكل لا يحل إلا طيبه

لا يعرف تاريخ وفاته ولا ميلاده، ولا العصر الذي كان يعيش فيه.

**الترغي، أحمد الغزال،** الصوفي الأندلسي من رجال القرن السادي (12 م).

**الترغي، أقنين** كان عالماً جليلاً، وفقيهاً مفتياً، له تضلع في نوازل الفقه، كانت له خزانة تضم نوادر المخطوطات الفقهية، من بينها ذخيرة القرافي، وكانت عمدته في كثير من فتاواه، فأنكر عليه فقهاء تطوان وجودها، واتهموه بالتدليس، فحملها إليهم على أتان له وأطلعهم عليها، فطأطأوا الرؤوس. انتقل في أخريات حياته إلى بني سالم حوز تطوان وتوفي هناك في حدود منتصف القرن الرابع عشر (20 م).

**الترغي، عبد الرحيم** بن أحمد الشهير بالقنائي، أنهى دراسته بسبتة، ثم شد الرحال إلى أقطار المشرق، وانتهى به المطاف إلى صعيد مصر، فأسس هناك طريقته المعروفة بالطريقة القنائية، ولا يزال لها أتباع حتى اليوم. توفي عام 592 / 1195.

**الترغي، محمد** بن يوسف المستاري، والمستاريون أحد الفروع التي استوطنت حول ترغة، وأصلهم ـ فيما يبدو ـ من بني مستارة إحدى القبائل الجبلية المجاورة لوزان.

ولد محمد الترغي بفاس، ولعل القادم إليها والده يوسف ـ وهو أستاذ مقرئ (ت. 1000 / 1591)ـ، وربما كان له الفضل الأكبر في تكوين ولده محمد، وهو الذي حبب إليه علوم القرآن.

أخذ محمد الترغي بفاس عن أبي نعيم رضوان الجنوي، وأبي عبد الله الخروبي، وأبي القاسم ابن ابراهيم الدكالي، وأبي الحسن علي بن عيسى الراشدي، وآخرين. ثم انتقل إلى مراكش، وبها قضى جل حياته، كان أستاذاً مجوداً، عارفاً بالمقارئ السبعة، محققاً فيها، مع المشاركة في غيرها من العلوم والفنون، وهو مؤدب أولاد الملوك، شدت الرحال للأخذ عنه، وتزاحمت الركبان على بابه، وعنه انتشرت القراءات بالمغرب ـ على عهده ـ بسائر طرقها، ولم يشتغل بالتأليف، وإنما تآليفه تلاميذه الذين يعدون بالعشرات، من أشهرهم التملي محمد المرابط، أحمد بن سعيد صاحب *كتاب الصنعة، في التجويد وقراءات السبعة* وسواهم.

وقفت لمحمد الترغي على أجوبة في مسائل مختلفة من علم القراءات كتب إليه في ذلك تلميذه محمد المرابط، وتتلخص أسئلته فيما يلي :

1 ـ الوقف على عظيم من قوله تعالى ـ في قصة بلقيس ـ (ولها عرش عظيم).

2 ـ هل تفخم الراء في قوله سبحانه : (يستأخرون).

3 ـ هل ترقق الراء في قوله تعالى : (قل إن افتريته)، (فأغرينا) (وجرين)، (بشرين)، (البحرين) ؟

4 ـ هل ألف (أنا) من قوله تعالى : (إن أنا إلا نذير): تثبت في النطق أم لا ؟

5 ـ ما هو مخرج الضاد والظاء ؟ وما النطق الصحيح

في ذلك ؟ وكانت خلاصة جوابه أن الثابت عن ورش : تفخيم الراء في (يستأخرون) وأن الراء في كل الكلمات السابقة مفخمة، وأما إثبات ألف (أنا)، فقد اختلف القراء في ذلك إلى آخر ما أورد في أجوبته.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 267 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ م. الإفراني، *الصفوة* ؛ م. الكتاني، *السلوة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام* ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

**التِّرفاس**، لفظ أمازيغي يطلق على أنواع من جنس فطور درنية تشبه الكمء (أو الكماءة أو لفت الرعد) أو Truffes بالفرنسية، وهي تنبت وتتكاثر تحت الأرض في تكافل مع جذور بعض النباتات المنتمية إلى فصيلة القستوسيات.

والترفاس أو ترْفيسْيا أفريكَانَا (Terfezia Africana) أو ترفيسيا ليونيَس (Terfezia leonis) (نسبة إلى الحسن الوزان الملقب بليون الافريقي الذي تكلم عن الترفاس في وصفه لافريقيا) فطر كروي في حجم البطاطيس، ذو لحم أبيض لذيذ الطعم، ومحبب عند أغلبية الناس الذين لا تفوتهم غالبا فرصة شرائه حتى وإن كان ثمنه مرتفعا، وذلك لاستعماله وحده أو مع اللحم أو البطاطيس أو غير ذلك لتهييئ أنواع من "الطاجين" المفضل عند المغربي. ويعرف اليهود المغاربة بارتباطهم الكبير وولوعهم الشديد بالترفاس.

ينمو الترفاس في المناطق الرملية من المغرب مثل غابة المعمورة والسهول غير المزروعة الممتدة في الهضاب العليا من المغرب شريطة أن تعرف هذه الأخيرة سقوط أمطار كافية لتكاثر هذه الفطريات في مصل هذه المناطق الجافة. وفي هذه الظروف يتكاثر الترفاس في فرجات غابة المعمورة بجانب أشجار البلوط أو بجانب الحلفاء أو الشيح في المغرب الشرقي أو بجانب نباتات مختلفة في مناطق أخرى.

وهكذا تزدهر التجارة المتعلقة بالترفاس في المناطق التي يتكاثر بها، فنصادفه في الأسواق أو عادة على جوانب الطرق حيث نرى البائعين يلبسونه غشاء من الطين المبلل للحفاظ عليه نظرا لكونه لا يتحمل الهواء الطلق.

*استطلاع ميداني*.

H.P.J. Renaud et G.S. Colin, *Tuhfat Al Akhab*, Paris, 1934.

عبد المالك بنعبيد

**التِّرق** L'Huitre، جنس من أجناس الرخويات، ثنائيات الصدفة، صفيحيات الخياشيم، يعيش في مياه البحر، في البحيرات المالحة أو في مصبات الأنهار حيث يتحمل تغيرات عالية للملوحة.

يتكون جسم الترق من مضغة تحميها صدفتان دائريتا الشكل عند نوع Crassostrea edule وثلاثية الشكل عند معظم الأنواع الأخرى. تنتج هاتات الصدفتان عن إفرازات خاصة. يتغذى الترق بالأساس بالمواد العضوية العالقة في الماء يصفي كميات هائلة منه فيبقي على المواد الصالحة لتغذيته داخل جسمه ويلقي بالماء مصفًى داخل محيطه. لكذلك يكون الترق أكثر أعدادا في الأوساط التي تحتوي مياهها على كميات كبيرة من المواد العضوية. ونظراً لهاته الخاصية، ولتزيين لونه قبل عرضه للبيع، اعتاد مربو الترق إعطاءه طحالب مجهرية مغذية خضراء من جنس Navieuta داخل أحواض تربيته، فيتغذى عليها لتكسبه لوناً أخضر وطعماً متميزاً يزيد من قيمته الشرائية في السوق ومردوديته. يتنفس الترق كباقي الحيوانات البحرية وبالأخص الرخويات في الماء بواسطة خياشيم مفلطحة تمتص الاكسجين مباشرة من ماء البحر.

يعتبر الترق من الحيوانات الثنائية الجنس حيث يحتوي جسم كل فرد على أعضاء تناسلية ذكرية وأنثوية. وإذا كان النوع Crassostrea edule مثلا يتوفر في نفس الوقت على حيوانات منوية وبويضات فإن أنواعا أخرى مثل Crassostrea gigas تكون ذكراً أولا فتلقي بحيواناتها ثم تصبح إناثا لتعطي بويضات أنثوية، إلا أنه في غالب الأحيان، بل وعند العديد من الكائنات الحية، فنظراً لقصر عمر البويضات الأنثوية فإن الحيوانات المنوية تنضج قبل البويضات لتلقحها بمجرد نضجها وقبل موتها.

تُلقح البويضات داخل جسم الأنثى عندما تصفي هاته الأخيرة ماء البحر محملة بالحيوانات المنوية من أجل التغذية فتلتقي هاته الحيوانات المنوية بالبويضات داخل الجسم فتلقحها ويبدأ تطويرها قبل أن تلقيها خارج الجسم على شكل يرقة عائمة تسبح في الماء لبعض الأسابيع قبل أن تثبت على دعامة ما.

عند بعض الأنواع الأخرى تلقى الحيوانات المنوية والبويضات في الماء وتحملها التيارات البحرية لتلتقي فيما بينها وتتلاقح عن طريق الصدفة، كالعديد من الحيوانات التي تلد عن طريق البيض وخاصة منها التي لا تحضن بيضها وإنما تلقيها في الماء، يلد الترق ويلقي في الماء بأعداد هائلة من البيض تزيد من نسبة بلوغ البعض منها إلى سن متقدم. وهكذا يمكن أن يبلغ عدد البيض الذي يلقيه كل فرد من الترق ما بين خمس مائة ألف وعشرين ألف بُويضة ملقحة يضيع العديد منه ولا ينجو إلا القليل منها.

تعتبر تربية الترق من أهم الصناعات الغذائية ومن أهم الاستثمارات مردودية ويتعاطى لهاته الصناعة العديد من المنتجين في بعض البحيرات المالحة سواء منها المتوسطية أو الأطلسية. فلقد دخل الترق في العادات الغذائية في المغرب منذ بداية هذا القرن تقريباً أي حوالي سنة 1920 إلا أن تناوله من طرف العائلات المغربية بقي جد محدود حيث كان الترق كأن يستورد من بعض الدول الأوربية كفرنسا والبرتغال فيخزن بالسواحل المغربية قبل أن يتم بيعه من جديد مما خلق تجارة مربحة نتج عنها محاولات لتربية الترق في بعض البحيرات سنة 1952 ثم الشروع في استثمارات

داخل بحيرة الوليدية سنة 1956.

اقتصرت تربية الترق في بداية الأمر على نوعين اثنين هما : Crassostrea angulata وCrassostrea gigas إلا أن نهاية الصدفة الأخيرة أعطت مع مرور الوقت مردودية أكثر فأصبحت بالتالي أكثر إثارة لاهتمام المستثمر في تربية الترق. أما على الساحل المتوسطي فإن تربية الترق وخاصة النوع البلدي Crassostrea edule، لازالت حديثة العهد نسبيا حيث لم يبدأ الاستثمار ببحيرة الناظور مع إنشاء شركة ماروست MARST لتربية الأحياء المائية سنة 1985. والجدير بالذكر أن معظم إنتاج هاتين الوحدتين مخصص بالأساس للتصدير وخاصة في بعض المناسبات كرأس السنة الميلادية حيث تُكون وجبة الترق إحدى خصائص هاته المناسبة عند المسيحيين.

يتوفر المغرب على بعض أنواع الترق إلا أن أهمها والتي لها قيمة تجارية نذكر منها Crassostrea edule وCrassostrea gigas وCrassostrea angulata إلا أن النوع الأول يبقى النوع الوحيد البلدي، أما النوعان الآخران أي الترق البرتغالي C. angulata أو الترق الياباني C. gigas تبقى مستوردة.

C. Bellon-Humbert, *Les mollusques marins testacés du Maroc, premier supplément*, Rabat, n° 37, 1973 ; *Sciences, Alfa sciences*, n° 28, 1974 ; P. S. Gart, *The American oyster, Fish. Bull.* vol. 64, 1964 ; J.C. Medcof, *Oyster Farming in the Maritimes, Fish. Res. Canada Bull.* 131, 1961 ; O.M.F. Ghallahi, *Essai experimental d'élevage de l'huitre plate (O. edulis) dans la côte atlantique marocaine : Lagune de Moulay Bousselham et l'estuaire de Tahadart*, Rabat, Mem. IAV, 1989 ; J. Williams et A. Mkadmi, *Possibilités d'expansion dans l'ostreiculture dans la lagune de Oualidia (Maroc)*, Mem. IAV, 1985.

محمد منيوي

**الترقي** (جريدة ـ)، لما تقرر نقل مقر جريدة *السعادة* من طنجة إلى الرباط (أبريل 1913)، تأسست في نفس التاريخ بمدينة البوغاز صحيفة أخرى تحمل عنوان *الترقي*، وذلك للاستمرار في مهمة زميلتها الراحلة. لكن لم ترق الجريدة الجديدة قط إلى مستوى *السعادة* من حيث النفوذ، بل إن الأوضاع التقشفية التي فرضها سياق الحرب العظمى قد قلص من حجمها وجعلها مجرد وريقة متواضعة جدا تصدرها إدارة الجريدة الفرنسية لاديبيش ماروكين La Dépêche Marocaine.

لما اشتدت شرارة الحرب وعظم معها دور الإعلام، ارتأت وزارة الخارجية الفرنسية أن تنعش جريدة الترقي لتقوم بدور دعائي فعال للدفاع عن المصالح الفرنسية. وهكذا، تلقت *الترقي* ابتداء من يناير 1916، مساعدات مادية مهمة مكنتها من الصدور في حلة جديدة والوصول بالمجان إلى عدد من القراء بمختلف مناطق المغرب. وكذا بالجزائر وتونس ومصر.

ويكمن الدور الأساسي *للترقي* أثناء الحرب في إظهار ازدهار المغرب تحت رعاية فرنسا بالرغم من وطأة الظروف الاستثنائية، كما عملت الجريدة على جلب تعاطف قرائها لصالح فرنسا ضد أعدائها، خاصة الألمان. وبالإضافة إلى ذلك، *فالترقي* كانت مطالبة أيضا بعدم ترك المنطقة الشمالية من المغرب ساحة فارغة أمام الدعاية الإسبانية المتمثلة في جريدتين عربيتين، الأولى بطنجة هي *الحق*، والثانية بتطوان هي *الإصلاح*.

كانت مواد *الترقي* مستلهمة أساسا في محتويات لاديبيش ماروكين، فتحرر أولا بالفرنسية، ثم تترجم بعد ذلك إلى العربية.

توقفت *الترقي* عن الصدور سنة 1925 م بعد أن استقرت ظرفية جديدة على الصعيدين المحلي والدولي، لم تعد معها الحاجة ماسة إلى استمرارها.

جامع بيضا

**الترقية** (في الوظيفة العمومية). يرتب موظفو الدولة المغربية في أحد عشر سلماً من سلاليم الأجور، تبتدئ من السلم الأول وتنتهي بالحادي عشر. ويحتوي كل سلم على عشر درجات مرتبة من الأولى إلى العاشرة بالإضافة إلى درجة استثنائية توجد خارج السلاليم بعد الدرجة العاشرة تسمى خارج الاطار أو خارج السلم.

وتتم ترقية كل موظف من موظفي الدولة داخل السلم الذي ينتمي إليه من بداية التحاقه بالعمل إلى نهاية مدة خدمته في الوظيفة العمومية طبقا لنفس الترتيب. وكلما التحق الموظف بسلم أعلى بواسطة امتحان مهني أو مباراة أو شبهها تخصم منه درجة واحدة، وقد يتكرر ذلك مرتين أو أكثر كلما انتقل من سلم إلى سلم آخر.

وتتخذ الترقية بالنسبة لجميع السلاليم ثلاثة أشكال. فهي تكون إما بالامتياز أو بنصف الامتياز أو بالأقدمية حسب اجتهاد الموظف ومردوديته. ويتم ذلك بناء على تنقيط يمنحه الرؤساء المباشرون أو المفتشون أو غيرهم لمن هم إلى نظرهم وتحت إشرافهم. واعتماداً على هذا التنقيط تختلف مدة الترقية من درجة دنيا إلى درجة أعلى في سلم الموظف على الشكل التالي :

| الدرجة | الامتياز | نصف الامتياز | الأقدمية |
|---|---|---|---|
| الدرجة 1 إلى الدرجة 2 | سنة | سنة | سنة |
| الدرجة 2 إلى الدرجة 3 | سنة | سنة ونصف | سنتان |
| الدرجة 3 إلى الدرجة 4 | سنتان | سنتان ونصف | 3 سنوات |
| الدرجة 4 إلى الدرجة 5 | سنتان | سنتان ونصف | 3 سنوات ونصف |
| الدرجة 5 إلى الدرجة 6 | سنتان | سنتان ونصف | 3 سنوات ونصف |
| الدرجة 6 إلى الدرجة 7 | 3 سنوات | 3 سنوات ونصف | 4 سنوات |
| الدرجة 7 إلى الدرجة 8 | 3 سنوات | 3 سنوات ونصف | 4 سنوات |
| الدرجة 8 إلى الدرجة 9 | 3 سنوات | 4 سنوات | 4 سنوات ونصف |
| الدرجة 9 إلى الدرجة 10 | 4 سنوات | 5 سنوات | 5 سنوات ونصف |

ويتقاضى موظفو الدولة في أي سلم كانوا أجرة شهرية مقابل الأعمال التي يقومون بها تناسب الدرجة التي يوجدون فيها. تتكون هذه الأجرة من شقين : راتب أساسي وتعويضات مختلفة. ويتم احتساب الراتب الأساسي باعتبار النقطة الاستدلالية المطابقة لكل درجة في كل سلم

من سلاليم الأجور كما توضح شبكة الأرقام الاستدلالية التالية La grille indiciaire :

ملحوظة : يشير الرقم الأعلى المقابل لكل درجة في كل سلم إلى الرقم الاستدلالي ويدل الرقم الأسفل على الراتب الأساس.

| السلم / الدرجة | 1 | 2 | 3 | 4 | 5 | 6 | 7 | 8 | 9 | 10 | خارج السلاليم |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | 107<br>8519.34 | 109<br>8678.58 | 112<br>8917.44 | 115<br>9156.3 | 117<br>9315.54 | 119<br>9474.71 | 122<br>9713.64 | 124<br>9872.88 | 126<br>10032.12 | 128<br>10191.36 | 131<br>10430.22 |
| 2 | 119<br>9474.78 | 124<br>9872.88 | 128<br>10191.36 | 133<br>10589.46 | 136<br>10828.32 | 139<br>11067.18 | 144<br>11465.28 | 148<br>11783.76 | 153<br>12095.76 | 158<br>12350.36 | |
| 3 | 126<br>10032.12 | 130<br>10350.6 | 134<br>10669.08 | 139<br>11067.18 | 146<br>11624.52 | 153<br>12095.76 | 161<br>12503.12 | 170<br>12961.4 | 175<br>13216 | 181<br>13521.52 | |
| 4 | 131<br>10430.22 | 135<br>10748.7 | 140<br>11146.8 | 147<br>11704.14 | 154<br>12146.68 | 162<br>12554.04 | 171<br>13012.32 | 179<br>13419.68 | 188<br>13877.96 | 200<br>14489 | |
| 5 | 137<br>10907.94 | 141<br>11226.42 | 150<br>11943 | 157<br>12299.44 | 165<br>12706.8 | 174<br>13165.08 | 183<br>13623.36 | 192<br>14081.64 | 201<br>14539.92 | 220<br>15507.4 | |
| 6 | 151<br>11993.92 | 161<br>12503.12 | 123<br>13114 | 185<br>13725.2 | 197<br>14336.24 | 209<br>14947.28 | 222<br>15609.24 | 236<br>16322.12 | 249<br>16984.08 | 262<br>17646.04 | |
| 7 | 177<br>13317.84 | 193<br>14132.56 | 208<br>14896.36 | 225<br>15762 | 242<br>16627.64 | 260<br>17544.2 | 277<br>18409.84 | 291<br>19122.72 | 305<br>19835.6 | 318<br>20497.56 | |
| 8 | 207<br>14845.44 | 224<br>15711.08 | 241<br>16576.72 | 259<br>17493.28 | 276<br>18358.92 | 293<br>19224.56 | 311<br>20141.12 | 332<br>21210.44 | 353<br>22279.76 | 373<br>23298.16 | |
| 9 | 235<br>16271.2 | 253<br>17187.76 | 274<br>18257.08 | 296<br>19377.32 | 317<br>20446.64 | 339<br>21566.88 | 361<br>22687.12 | 382<br>23756.44 | 404<br>24876.68 | 438<br>26607.96 | |
| 10 | 275<br>18308 | 300<br>19581 | 326<br>20904.92 | 351<br>22177.92 | 377<br>23501.84 | 402<br>24774.84 | 428<br>26098.76 | 456<br>27524.52 | 484<br>28950.28 | 512<br>30376.04 | 564<br>33023.88 |
| 11 | 336<br>21414.12 | 369<br>23094.48 | 403<br>24825.76 | 436<br>26506.12 | 472<br>28339.24 | 509<br>30223.28 | 542<br>31903.64 | 574<br>33533.08 | 606<br>35162.52 | 639<br>36842.88 | 704<br>40152.68 |

وتوضح شبكات الرواتب الأساسية الواردة أعلاه في شبكة الأرقام الاستدلالية الراتب الأساسي المطابق لكل درجة في كل سلم، وهي تحتسب بشكل سنوي. وبعد قسمتها على اثني عشر شهراً تصبح الأجرة شهرية فيتلقاها الموظف على شكل راتب شهري مكون من الراتب الأساسي والتعويضات.

ويعادل الراتب الأساسي للموظف القدر الناتج عن ضرب القيمة السنوية للنقطة الاستدلالية (وهو 50.92 درهماً) في الرقم الاستدلالي الحقيقي المطابق لوضعية العون. وابتداء من فاتح يوليوز 1981 أضيف إلى الراتب الأساسي مبلغ 18.01 درهما عن النقطة الاستدلالية بالنسبة للأرقام الاستدلالية الحقيقية المتراوحة بين 1 و150 وكذا بالنسبة للمائة والخمسين نقطة الاستدلالية الأولى إذا كان الرقم الاستدلالي الحقيقي للموظف يتجاوز 150. وهذا يعني أن للنقطة الاستدلالية قيمتين : قيمة أولى قدرها 68.93 درهما للمائة والخمسين نقطة الأولى فما أقل، وهي ناتجة عن إضافة 50.92 درهما إلى 18.01 درهماً، وقيمة ثانية قدرها 50.92 درهماً لكل نقطة تفوق المائة والخمسين نقطة الأولى. وبناء على ذلك يمكن احتساب الراتب الأساسي المقابل لكل درجة في كل سلم من سلاليم الوظيفة، ما لم يطرأ تغيير على القيم الحقيقية للأرقام الاستدلالية والنقط المقابلة لها. وبعد احتساب الراتب الأساسي تضاف إليه مختلف التعويضات لتشكيل الراتب الاجمالي. نستدل على ذلك بثلاثة نماذج من الموظفين نحسب رواتبهم الأساسية فيما يلي دون إدخال التعويضات الممنوحة لهم :

| السلم | الدرجة | رقمها الاستدلالي | الراتب الأساسي السنوي | الراتب الأساسي الشهري |
|---|---|---|---|---|
| 9 | 5 | 317 | 1) 317 - 150 = 167<br>2) 150 x 68،93 د = 10.339،5 درهما<br>3) 167 x 50،92 د = 8.503،64 درهما<br>4) المجموع = 18.843،14 د | 18.843،14 / 12 = 1.570،26 درهما |
| 10 | 5 | 377 | 1) 377 - 150 = 227<br>2) 150 x 68،93 د = 10.339،5 درهما<br>3) 227 x 92،50 د = 11.558،84 درهما<br>4) المجموع = 21.898،34 د | 21.898،34 / 12 = 1.824،86 درهما |
| 11 | 5 | 472 | 1) 472 - 150 = 322<br>2) 150 x 68،93 د = 10.339،5 درهما<br>3) 322 x 50،92 د = 16.396،24 درهما<br>4) المجموع = 26.735،74 د | 26.735،74 / 12 = 2.227،97 درهما |

عبد الرحمن البكريوي، *الوجيز في القانون الإداري المغربي*، الرباط 1990 ؛ محمد مرغني، *المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي*، الرباط 1984 ؛ جمعية تنمية البحوث والدراسات الإدارية، النصوص الإدارية، *الوظيفة العمومية والاصلاح الإداري، تشريعات وقوانين تنظيمية*، الرباط، 1987 ؛ عبد القادر باينة،

*القانون الإداري*، القضاء الإداري، الرباط 1981 ؛ خالد المير وإدريس قاسمي، *التشريع الإداري والتسيير التربوي*، الدار البيضاء 1982.

A. Benjelloun, *Droit administratif, l'organisation administrative*, Rabat, 1984 ; Ministère des Affaires Administratives, *La fonction publique*, Rabat, 1981 ; A. Hatim, *La notion d'intérêt du service dans le droit de la fonction publique marocaine*, D.E.S. en Sc. Jur. Econ. et Soc. Rabat, 1988; J. M. Breton, *Droit de la fonction publique des états d'Afrique francophone*, Paris, 1990 ; E. Ayoub, *La fonction publique*, Paris, 1975.

محمد بوسلام

**الترقيم** بالمغرب، تستعمل في المغرب الأرقام العربية، وهي قريبة الشبه بالأرقام الغبارية التي استعملت في العصر الوسيط بالأندلس والمغرب والتي اشتقت منها الأرقام الأوربية الحالية ويرى الأستاذ "كاي" أن الأرقام النجارية هاته يعود أقدمها إلى مخطوط من (تورخيد) عام 198 / 813 م وآخر من (كوجرات) عام 253 / 867 م وهو تاريخ وصول أول مثال عن الأرقام الهندية إلى العالم العربي، في حين أقدم وثائق الأرقام الغبارية يعود إلى عام 261 / 874 م و275 / 888 م.

غير أن هنالك ما يشير إلى استعمال الهنود لهذه الأرقام بما في ذلك الصفر منذ القرن الخامس الميلادي على الأقل وقد أشار "ارياباطا" إلى هذه الأرقام بصفرها قبل ذلك حيث عاش أوائل القرن الرابع، غير أن تحديد شكل الصفر هل هو نقطة أو دائرة يظل دائماً موضوع خلاف.

ويذكرون أن أوراق البردي المصرية القديمة الراجعة إلى القرن الثالث الهجري قد استعملت الأرقام "الغبارية". ولكننا نتساءل لماذا لم يتابع المصريون في القرون التالية استعمال هذه الأرقام حيث عدلوا عنها - إذا صح أنها استعملت حقيقة - إلى الأرقام الهندية أو العربية المستعملة الآن في الشرق.

ويظهر أن الأرقام الهندية قد أدخل عليها منذ القرن الرابع الهجري تعديل كما يلاحظ ذلك في رحلة البيروني عن الهند (440 / 1043 م).

واتسعت الصورة الجديدة للأرقام عند البيروني بما عرفت به بعد ذلك عند ابن الياسمين بالمغرب، وخاصيتها الأساسية هي الشكل الدائري للصفر الذي ظل مطموسا عند المشارقة عدا البعض أمثال محمد بن موسى الخوارزمي.

والخوازمي هذا أحد منجمي المامون اعتمد في مؤلفاته الحسابية على الهندوس منها *العمل بالأسطرلاب* وهو من جملة الخمسمائة رياضي وفلكي من العلماء العرب الذين ذكرهم "زوتر" في كتابه *رياضيو العرب وفلكيوهم وأعمالهم* وتدل المصادر العربية على أن ما يسمى في المغرب بالأرقام الغبارية هي نفسها الأرقام العربية حيث يوجد في الخزانة العامة بالرباط مخطوط تحت عنوان : *تلقيح الأفكار في العمل برسم الغبار* (رقم 222 ك) من تأليف أبي محمد عبد الله أو عبد الرحمن بن حجاج المعروف بابن الياسمين الذي ولد بفاس أواسط القرن السادس وهو بربري من بني حجاج بقلعة فندلاوة، أخذ العلوم الرياضية عن شيخه محمد بن قاسم وقد قال ابن الآبار في *التكملة* : "وله *أرجوزة في الجبر* قرئت عليه وسمعت منه باشبيلية في سنة 587" (ص. 531) وكان أحد خدام المنصور وولده الناصر كما في *الذخيرة السنية*، وقد وجد ذبيحاً بمراكش سنة 600 أو أوائل 601 هـ، وتوجد نسخ من *أرجوزته في الجبر والمقابلة* بخزائن باريز وبرلين وأكسفورد والاسكوريال والقاهرة، ومن شراح الأرجوزة حسب بروكلمان ابن الهائم المتوفى سنة 815 / 1412 م (وهو مخطوط باكسفورد والقاهرة) والقلصادي المتوفى عام 892 / 1486 م وهو صاحب *كشف الأسرار عن حروف الغبار*، خ. ع 14111 د. واسم شرح القلصادي *تحفة الناسمين في شرح أرجوزة ابن الياسمين*، (مخطوط بخزانة مكتبة الهند بلندن والخزانة العامة بالرباط) وسبط المارديني المتوفى سنة 900 / 1494 م ويسمى *اللمعة المادينية في شرح الياسمينية* (مخطوط ببرلين والقاهرة وأسطمبول) وله *أرجوزة في أعمال الجذور* توجد بخزانة الاسكوريال (راجع بحث الأستاذ محمد الفاسي مجلة *رسالة المغرب* سنة 1942 السنة الأولى عدد 1) وممن شرح الأرجوزة سعيد العقباني التلمساني الملقب برئيس العقلاء (*نيل الابتهاج*، ص. 106).

وكتاب *تلقيح الأفكار* هذا يعتبر أقدم وثيقة تحدثت عن أعداد الغبار وأكدت أنها مغربية أي عربية الأصل.

ونحن لا ننكر أنه كان هنالك اتصال للعرب المشارقة بالهندوس منذ عهد الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان واتصال المغاربة بالإغريق ربما عن طريق السريان في آسيا الصغرى وكذلك عن طريق الرحلات خاصة في نطاق دعوة ملوك المغرب والأندلس لعلماء اليونان واتقان علمائها بالأندلس خاصة لليونانية واللاتينية مما جعل ابن حزم يؤكد في *جمهرته* أنه لم ير رجلين اثنين من علماء الأندلس لا يتقنان هاتين اللغتين بالإضافة إلى الضلاعة في لغة الضاد، غير أن الاتصال ليس معناه الاقتباس لأن الإغريق لم تكن لهم في الحقيقة طريقة منظمة لكتابة الأعداد وإنها اعتمدوا في الأصل على المنهج المصري القديم مع الرمز لها بالحروف الأبجدية. فكيف يعطون ما ليس لديهم ؟

وفي خصوص مصدر الأرقام العربية توجد نظريتان أولاهما كلاسيكية مشهورة يدعو إليها ثلة من الغربيين فيهم "ويبك" و"سميث" و"نالينو" و"ديرنجر" وهي نسبة هذه الأرقام إلى الهنود الذين يرجع إليهم الفضل في إبداع طريقة التعداد بالأرقام والمراتب على النظام العشري وعنهم أخذ العرب الذين يعترف علماؤهم بذلك كالمسعودي والبيروني. هذا في حين أن بعض العلماء أمثال "كارا دي فو" و"كاي" و"كولان" يرون أن مبدأ الترقيم يعود إلى الرياضيين اليونانيين حيث يرى "كارا دي فو" أن كلمة هندي راجعة إلى الكلمة الفارسية بمعنى قياس في الحساب والهندسة أو أنها من هندسي (الهندسة والحساب) ولذلك فنظام الترقيم في نظره هو عمل أتباع أفلاطون

وفيتاغورس، ومن ثم انتقلت هذه الطريقة حسب زعمهم للأمم اللاتينية وللفرس الذين نقلوها بدورهم للعرب والهنود معا بعد الفتح الإسلامي. تلك نظرية الذين يبحثون دائما عن منفذ إلى أصالة الغربيين المزعومة في كل شيء.

ويزيد "كولان" الأمر تدقيقاً فيزعم - تخمينا - أن الأرقام العربية اشتقت من الأحرف اليونانية ذات الدلالة الرقمية وأن الفرق بين الأرقام الهندية والغبارية هو أن الأولى تشتق مباشرة كالثانية من الأصول اليونانية بل إنها جاءت للغربيين عن طريق الهنود الذين نقلوها بدورهم عن اليونان.

ولعل الأرقام العربية ظهرت لأول مرة بأوربا في مخطوط للهندسة تحت اسم مستعار (بويس) يعود تاريخه للقرن الحادي عشر الميلادي ولها أشكال الأرقام الغبارية التي استعملتها أوربا والتي يتبين من بعض الأشكال المعروضة في هذا المجال أنها ليست هي التي يستعملها العرب الآن حيث أن جيربير (Gerbert) وتلاميذه لم يعرفوا الصفر. فالمخطوط الأوربي الأول الذي ظهرت فيه هذه الأرقام يرجع إلى عام 366 / 976 م وقد نشر مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط أشكالا لذلك، وقد أكد المؤرخ الانجليزي "كيوم دوما ليسيوري" وهو من رجال القرن الثاني عشر الميلادي أن جيربير تتلمذ للعرب بالأندلس. ويقال بأن جيربير هذا هو الذي أدخل الحروف العربية إلى أوربا معجبا بمعجزة الصفر التي هي من إبداع الفكر العربي وتركت أثرها العميق في نفسية الرياضيين أمثال "اديلارت" الانجليزي و"جيرار كريمونو" الإيطالي، وقد توهم البعض أن "جيربير" هذا الذي اعتلى (عام 999 م / 390 هـ) كرسي البابوية باسم سيلفتر الثاني (Sylvestre II) قد درس في جامعة القرويين وبها تعرف على الأرقام الغبارية ونقلها إلى أوربا إلا أن هذا لم يصح بل إن اتصال "جيربير" بمعاهد قرطبة أقرب إلى الواقع.

إذا قلنا بأن الأرقام المشرقية الحالية والأرقام الغبارية المغربية كلاهما من أصل هندي فإن ذلك يرجع إلى تعدد أشكال الأرقام الهندية تبعا للمناطق بالهند، كما لاحظ ذلك البيروني ولعل العرب اكتفوا من هذه الأشكال بصنفين فقط نتج عنهما الطريقتان المشرقية والغبارية المغربية إذا صح أن هذه ليست عربية أصيلة.

وقد أكد ابن الحباك محمد بن أحمد التلمساني (867 / 1462 م) في شرح *تلخيص أعمال الحساب لابن البنا* (ص. 21) أن حساب الغبار من وضع الهنود الذين كانوا يتصرفون به في غبار مبسوط على لوح وأشكالها تسعة.

وفي ذلك إشارة إلى عادة رش الغبار على الألواح المستعملة لإجراء الحساب ليمكن رسمها بالأصبع. والأرجح عند البعض في تعليل هذه التسمية أن هذه الأرقام كانت تكتب بالقلم المسمى "غباري" لدقته بالنسبة للأقلام الأخرى وهو أصلح للحسابات وهذه أيضا نظرية تؤكد انفصال القلم الغباري عن القلم الهندي، وقد أشار أيضاً إلى نوع ثان هو حساب "الجمل" وحساب "أبجد" ونوع ثالث وهو الزمامي المعبر عنه بالقلم الفاسي.

نعم لجأ المغاربة إلى الأرقام الرومانية أحيانا وهي التي عرفت قبل القرن التاسع الهجري واستعملت باسم (الخط الفاسي) حيث استخدمها علماء فاس اختصاراً وحماية للوثائق الهامة من التدليس ولعلها مستعارة من الكتابة الاغريقية واقتصر استعمالها على حسابات المواريث وحوالات الوقف وجداول وأزياج الفلك، وقد نص صاحب *تاريخ الرياضيات* على أن أول من دعا لاستخدام الأرقام الغبارية "ليوناردو فنشي" حيث ظهرت منقوشة في عملة سويسرا عام 828 / 1424 م وفي النمسا سنة 889 / 1484 م وفي فرنسا عام 890 / 1485 م وفي ألمانيا سنة 895 / 1489 وفي اسكتلندا عام 946 / 1539 م وفي انجلترا عام 958 / 1551م واعتمدت لأول مرة في التقويم عام 924 / 1518 (تقويم كوبل)، وهذا الزعم لا يصح لأن "ليوناردو" ولد عام 856 / 1452 وتوفي عام 925 / 1519 فهو قد وجد الأرقام العربية قد أخذت طريقها في المسار الحضاري الإنساني بأوربا قبل ذلك بخمسة قرون وإنما زاد هذا الانتشار دعما نظرا لمكانته العلمية عند الغربيين ومعلوم أن ليوناردو فنشي كان صديقا لفردريك الثاني الامبراطور الجرماني وكان كلاهما معجبا باللغة العربية وقد تتلمذ ليوناردو لعلماء العرب واقتبس الأرقام العربية من مؤلفاتهم في الجبر والمقابلة والحساب، وهو يعتبر أعظم من نشر العلوم الرياضية انطلاقا من منبعها العربي بواسطة الأرقام التي غير العرب شكلها وصورتها.

فعروبة الأرقام المستعملة الآن في أوربا والمغرب قد تكون غير أصيلة نظراً لطابعها الهندي المحتمل، غير أن هنالك فرقا بين الشكل الهندي الأول وبين ما أصبح العرب يستعملونه من أرقام وصفتها أوربا بأنها عربية، فكان ذلك مبرراً لهذه التسمية التي درج عليها الغربيون إزاء الأرقام المعدلة من طرف العرب خاصة بالأندلس وجزر البحر المتوسط منذ العصور الوسطى. ومهما يكن فإن الوطن العربي في حاجة الآن إلى أن يوحد اختياراته مع العالم الحديث في هذا المجال لا سيما وأن مناطق عربية شاسعة تستعمل منذ عدة قرون ما تستعمله أوربا من أرقام تصفها هذه بأنها عربية فلو كان الغربيون يستخدمون وحدهم هذه الأرقام لتساءلنا لماذا نعطي الأسبقية لهذه على تلك. وقد أبرزت وثيقة وردت على مكتب التعريب من وزارة الاعلام بدولة الكويت ضرورة تصميم هذه الحروف المستعملة في أوربا لأسباب أساسها وجوب التركيز على دواعي الوحدة الثقافية والعلمية وحتى السياحية على الصعيد العالمي. وقررت حكومة العراق التخلي عن الأرقام المشرقية واعتماد الأرقام العربية فأثار هذا القرار تساؤلات عن مستقبل الأرقام المشرقية. وقد ظهرت دراسات لعلماء عرب خاصة بمصر أبرزت أصالة الأرقام المستعملة اليوم لدى الغربيين كأرقام عربية.

وسبق لمجمع اللغة العربية بالقاهرة أن أحال كتاب لجنة

الرياضة في هذا المجمع على مجلس الاتحاد في خصوص اقتراح إحلال الأرقام الغبارية المستعملة في المغرب العربي محل الأرقام الهندية المنتشرة في جميع بلاد المشرق العربي بحجة أن الأولى هي الأرقام العربية الأصيلة. كما سبق أن انعقدت عام 1383 / 1963 م بتونس حلقة لتوحيد الأرقام العربية حضرها ممثلون وملاحظون عن الدول العربية وجامعتها تدارسوا تطور هذه الأرقام في مختلف مراحل التاريخ العربي وقد توصلت هذه الحلقة إلى ما حقق لديها أصالة هذه الأرقام مؤكدة ضروره الاقتصار عليها في العد والترقيم والتزمت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية آنذاك بإصدار تعليماتها إلى سائر الدول العربية لضمان هذه الوحدة.

وقد تحدث الأستاذ أنور بكير مدير المكتب الدائم للاتحاد البريدي العربي في بحث له عن الأرقام العربية الأصيلة (ويقصد بها الأرقام الغبارية) وضرورة استخدامها في أختام البريد بدلا من الأرقام العربية الحالية التي هي أرقام هندية، كما أشار إلى الاتفاقية البريدية العالمية التي تقضي باستعمال الأرقام العربية المستخدمة الآن بأوربا، وقد أصدر مؤتمر الرياض عام 1380 / 1960 توصية للبلاد العربية للعمل بقدر الإمكان على استخدام الأرقام الغبارية في شكلها الحالي المستعمل بالمغرب العربي وبأوربا وبقية أجزاء العالم وخلال المؤتمر الثاني للتعريب بالجزائر (1393 / 1973) أحيلت القضية على اللجنة المكلفة بدراسة موضوع الأرقام والرموز بحضور أساتذة كبار يمثلون جميع الأقطار العربية.

وبعد تبين وجهات النظر المختلفة ارتأت اللجنة أن توصي باستعمال الأرقام العربية للأسباب الآتية :

أ - أن هذه الأرقام هي عربية في الأصل ومازالت تحمل في أوربا اسم "الأرقام العربية" وهي لاتزال مستعملة في أكثر أقطار المغرب العربي.

ب - أن استعمال هذه الأرقام يحل كثيراً من المشاكل التعليمية والفنية وذلك لأنها ستغني عن ترجمة كثير من الجداول الرياضية في مختلف العلوم، وستيسر على الطلاب المشتغلين في العلوم قراءتها في مظانها علماً بأن صور هذه الأرقام تكاد تكون عالمية.

ج - أن استعمال هذه الأرقام سيحل مشكلة الصفر الذي يرسم بطريقة الأرقام الهندية المستعملة حاليا بهيئة نقطة كثيرا ما أدى تناهيها في الصغر إلى الوقوع في الخطأ.

د - هذا علماً بأن استعمال هذه الأرقام العربية لم يكلف المتعلم العربي أكثر من تعلم تسع صور للأرقام إضافة إلى الصفر هو أمر سهل جداً.

فيفري، *الأرقام العربية*، *اللسان العربي*، عدد 2، 1384 - 1965 ؛ *المجلة الأسيوية*، ص. 35 و518 (عام 1801 هـ / 1883 م) ؛ هسبريس، م 44 (3 - 4) عام 1657 ؛ مجلة *الهلال*، 1963 (ص. 356)؛ القلقشندي، *صبح الأعشى* ؛ أ. سكيرج، *إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي*، مطبعة الجزائر 1917 ؛ عبد الحميد لطفي (وآخرون)، *تاريخ الرياضيات* ؛ *مجلة اللسان العربي*، الأعداد 2 و4 و12 ج. 1 و15 ج 1.

عبد العزيز بنعبد الله

**تركمايت** أو تارگمايت، قرية على أحد روافد وادي صياد الأعلى بمنطقة وادي نون. ويطلق اسم تركمايت على أحد روافد الوادي غير بعيد عن تاغاجيجت. ويحمل المدشر المحلي هذا الاسم منذ زمن يصعب اليوم تحديده. وذلك أن إدا أوعفان المقيمين به مايزالون يحافظون على وثائق تثبث مجيئهم من تيغمرت حيث كانوا يمثلون جزءاً من سكان نول لمطة القدماء. وإذا كانت الأحداث قد فرضت الدخول في صفوف أيت النص الذين تتصدرهم قبيلة أيت إبراهيم التكنية (انظر مادة أيت إبراهيم بالمعلمة)، فإن تشبثهم بتاريخهم البعيد مازال محل نقاش ومايزال أيت عفان يجهرون بتملكهم لتيغمرت حيث ماتزال أنقاض تشيشت وحجم المآثر تشهد على عظمة عاصمة وادي نون (انظر مادتي *تيغمرت* و*اسرير بالمعلمة*).

Cl. La Ruelle, Les *Id Brahim* ; V. Monteil, *Les Tekna* ; F.C. De la Chapelle, *Les Tekna.*

مصطفى ناعمي

**التركي، أحمد** (رايس بحري) عمل في الأسطول المغربي خلال عهد سيدي محمد بن عبد الله في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م). كان في سنة 1187 / 1773 يقود غليوطة مجهزة بخمسة مدافع وستة وثلاثين مجذافا، ويرأس طاقما مكونا من خمسين بحاراً، وهي السنة التي تلقى خلالها من باطونييه (Pathonier) نائب القنصل الفرنسي شونييه (Chenier) جواز مرور تمتد صلاحيته من 18 يونيو إلى 8 سبتمبر، لاتقاء الملاحقة الفرنسية. وعقب تلك السنة ترقى إلى مصاف الرياس الأساسيين في البحرية المغربية - رفقة الرايسين السلويين علي الصابونجي والحاج الهاشمي عواد - بظهير تعيين رسمي من السلطان سنة 1188 / 1774.

Chenier, *Journal du Consultat Général de France à Maroc*, p. 142 ; A. Timoule, *Le Maroc à travers les chroniques maritimes*, T. I. p. 311.

**التركي** (سيدي -)، هناك ضريحان يحمل كل منهما اسم سيدي التركي، أحدهما بسلا قريب من جامع الشهباء، والثاني بالرباط في مقبرة العلو المشرفة على المحيط. ويعتقد انتسابهما للأتراك العثمانيين الذين عملوا في الأسطول الجهادي السلوي ثم في الأسطول الإسماعيلي. ويقال إن أحدهما كان من صفوة رجال الرايس الشهير عبد الله ابن عائشة، ومن مرافقيه في سفارته المشهورة إلى فرنسا لدى ملكها لويس الرابع عشر في حدود سنة 1110 / 1698، وربما هو الذي كتب لابن عائشة رحلته الباريزية.

ع. بلقاسم، *تاريخ عائلات سلا*، ص. 24 - 25 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 98 - 99.

حسن أميلي

**التركي، سليمان**، من الأتراك الذين أرسلهم السلطان العثماني أيام السلطان محمد بن عبد الله ليعلّموا طبجية وبحرية المغرب وخاصة بالرباط وسلا، وكان سليمان هذا قد أتى ضمن رفقائه إلى سلا لمعانية "دار الصناعة" قصد إصلاحها والاشراف عليها لتصبح مرسى للمراكب صيفاً وشتاء، ولكنها كانت متداعية يتطلب إصلاحها وقتاً طويلاً جداً، لذلك صرف السلطان نظره عنها نحو الصويرة، وكان سليمان التركي قد قام بمهمته لتعليم طبجية الرباط فن الرمي، وشارك في فتح الجديدة وأبلى بلاء حسنا، توفي سنة 1182 / 1769.

محمد بن علي الدكالي، *الاتحاف الوجيز*، تحقيق مصطفى بوشعراء، الرباط 1986، ص. 64.

عبد الإله الفاسي

**ترمگيست** أو تارمگيست، قرية من قرى سهل وادي نون توجد بالجانب الشرقي من جبل تيرت، قريبا من الطريق الرئيسية الرابطة بين مدينتي گلميم وأسّا، عبر قريتي فاصك وترگمايت، وذلك قبالة قرية تيغمرت من جهة شمالها الغربي تقريباً، بحيث لا تبعد عنها إلا بمسافة قليلة لا تتعدى بضعة كيلومترات.

سكانها مزيج من عشائر متنوعة، من قبائل تكنة، على غرار سكان فاصك تقريبا، يتكلمون لهجة مزيجة بين الأمازيغية والعربية، ويحترفون الفلاحة السقوية والبورية الموسمية، خاصة فلاحة الخضر كالجزر واللفت، وفلاحة الحبوب كالشعير والذرة والقمح، وأشجار النخيل والزيتون والتين والرمان والعنب والصبار، وغيرها، كما يهتمون بكسب بعض المواشي ورعيها، كالغنم والماعز والبقر وغيرها. ويبدو أن ترمگسيت كانت موطناً لاستقرار بعض العشائر من قبيلة أيت ياسين التي نزحت عنها في فترة ما ولسبب من الأسباب إلى قرية أفركط حيث تتمركز مختلف عشائر هذه القبيلة حاليا، في منطقة تعرف بالساحل، وهي على شريط بالجانب الأيمن من الطريق الرئيسية الرابطة بين گلميم وطنطان، على بعد حوالي ستين كيلومترا من ترمگيست، يدل على ذلك وجود بعض العقارات التي مازالت إلى الآن في ملكية بعض الأفراد من عشيرة "أهل داوود" من قبيلة "أيت ياسين".

نذكر من ذلك مثلا ما سجله الفقيه العدل الأديب علي الياسيني (1284 . 1362 هـ / 1867 . 1942 م) في بعض تقييداته بتاريخ 19 صفر عام 1349 هـ / 1930 م حيث أشار فيها إلى أنه قد ارتهن نصيبين من "نخيل احماد بن داوود بترمگيست" من بعض الأفراد من فخذة أيت داوود من قبيلة أيت ياسين، وذلك مقابل مال كان قد استحقه في شرطه بمسجد أفركط المذكور عن سنتي 1344 . 1345 هـ / 1925 . 1926 م).

يتضح من نصوص عقود الملكيات إذن من خلال هذين النصين أن بعض الأسر من فخذة أيت داوود من قبيلة أيت ياسين تملك بالفعل العقار الذي يحمل اسمها والكائن بقرية ترمگيست تملكا صحيحا.

ومن ذلك أيضا أنه قد أنشئت في أواسط السبعينات بقرية ترمگيست بعض الضيعات من طرف بعض الأشخاص الآخرين من قبيلة أيت ياسين ذاتها، وذلك اعتماداً على عقاراتهم الشخصية التي آلت إليهم من آبائهم وأجدادهم، وإما اعتمادا على عقارات غيرهم من بعض أبناء عمومتهم على سبيل الإعارة أو الإجارة أو الشراء أو غير ذلك من أوجه المعاملات العقارية المستعملة، نذكر منها على سبيل التمثيل ضيعة الحاج ابريگي الياسيني، وضيعة الحاج عبد القادر المغيني الياسيني.

هذه فقط بعض المعطيات التي تأكدنا منها عيانيا، ومن خلال بعض الوثائق المتوفرة بين أيدينا دون أن نقوم ببحث دقيق وشامل، وإلا فإن مثل هذه المسألة تحتاج إلى مزيد من البحث.

سيدي علي (خنفر)، *تقييدات شرط مسجد أفركط* خلال سنتي 1344 . 1345 هـ / 1925 . 1926 م. مخطوط خاص لدى الأسرة ؛ *مراجعة تقييد الشرط نفسه*، بتاريخ 19 صفر 1349 هـ / 1930 م، مخطوط خاص لدى الأسرة.

محمد عالي خنفار

**ترميم المآثر التاريخية** : الترميم في تعريفه الضيق هو إعادة الشيء المكسر أو المبتور إلى حالته الأولى، لكن المصطلح كما هو معمول به في حقول التراث، يجمع ما بين معاني متعددة يمكن حصرها في أربعة وهي : الترميم بالمعنى الأول، والتجديد وهو تنظيف التحفة أو المعلمة أو الموقع وإعادة المظهر المناسب له، والتدعيم وهو تقويته بإدخال ما يكسبه الصلابة والقدرة على المقاومة، والتهيئة وهي تنظيمه وتقديمه في حالة تتناسب واستعمالاته الأصلية أو المرتقبة.

وقد يصعب وضع تاريخ مفصل للترميمات بالمغرب، وذلك بالنظر إلى كون التحف التي تكون قد خضعت لعمليات ترميم متعددة ومنتشرة في العديد من المتاحف، وبالنظر كذلك إلى كون المباني والمعالم، كبيرة كانت أو صغيرة، لم تفتأ تعرف عمليات من هذا القبيل مادامت حية، تُسكن كالقصور والدور، أو تساير نشاطها الاصلي كالمساجد والأضرحة وغيرها. وتعج كتب الأخبار بالعديد من الإشارات إلى هذه الإصلاحات بما يكفي من الوضوح لنستغني عن ذلك.

على أن الترميم بمعناه العصري والمعاصر، أي ذلك الذي يرتكز على الدراسات والملفات التقنية الدقيقة، التي تملي ضرورة الإلمام بكل جزئية من المادة أو المبنى، والتي تستدعي في الكثير من الحالات الاستعانة بالمختبرات المتخصصة واستعمال مواد كيماوية حديثة، هذا الترميم ظهر وتطور بالمغرب مع ظهور وتطور البحث الأركيولوجي والمعماري، أي منذ سنة 1915 وبالضبط في منتصف السنوات العشرينيات.

وإذ سيطول الكلام إذا ما توجهنا نحو ذكر مجموع ما تم إنجازه منذ هذه الفترة، وهو أمر قد لا يكون مستحيلا ولكنه صعب المنال، فسنقتصر على ذكر بعض أهم العمليات التي تمت بالمغرب على مدى السبعين سنة الماضية. مع ذلك يجب التنبيه إلى أن أمهات المدن المغربية ومعالم من خارجها استأثرت باهتمام مصلحة الآثار القديمة - كما كانت تسمى في عهد الحماية - وقسم المباني التاريخية والمواقع الذي أنشئ كمصلحة في بداية أمره عندما أحدثت وزارة الشؤون الثقافية، ومديرية التراث الثقافي منذ إنشائها سنة 1987. وتمثل هذه المصالح المركزية المسؤولة عن الصيانة والترميم وإعادة الاعتبار والنشاط لمعالمنا، مصالح جهوية تحمل اسم "مفتشيات المباني التاريخية والمواقع" وهذا النظام ورثناه عن عهد الحماية. إلا أنه في سنة 1993 صدر نص قانوني جديد منظم لهيكلة وزارة الشؤون الثقافية، وجاء بتغيير جديد إذ أحدثت مكان المفتشيات محافظات حوّل لها القيام بنفس المهام التي كانت للمفتشيات مع إدخال عنصر جديد وهام هو الدراسة التقنية والبحث والتعريف بالتراث. وإلى يومنا هذا تتوفر بالمغرب من هذه المصالح الخارجية تسع مفتشيات / محافظات موزعة في كل من طنجة، وتطوان، ومكناس، وفاس، والدار البيضاء، ومراكش، وأسفي، وتارودانت.

إلى جانب هذه المصالح الجهوية، أحدثت ببعض المناطق مراكز متخصصة وكُل إليها نفس الأعمال والمهمات مع إفراغ الاهتمام على نوع خاص من البنيات التي تتميز إما بمادتها وطرق بنائها أو بكونها تعود إلى فترات محددة من تاريخ المغرب. ويتعلق الأمر بالتحديد" بمركز صيانة وترميم التراث المعماري بمناطق الأطلس والجنوب" الذي مقره بمدينة ورزازات والذي أحدث سنة 1988 بمساعدة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ويتولى هذا المركز قضايا التراث المعماري المبني بالتراب خصوصاً. أما المركز الثاني فهو "مركز التراث المغربي البرتغالي" الذي أنشئ في سنة 1994 بمدينة الجديدة بتعاون مع دولة البرتغال ليتولى نفس المهام فيما يخص المآثر المغربية التي تعود الى فترات الوجود البرتغالي بالمغرب. أما المركز الثالث الذي أحدث كذلك سنة 1994 بمدينة تاحناوت، وهو "المنتزه الوطني الأول للنقوش الصخرية" فينكب اهتمامه على التراث المنقوش على الحجر والمنتشر على مساحات ومناطق شاسعة من جبال الأطلس الكبير.

أ - ترميم المباني. لم تتوقف إذاً عمليات الترميم ببلادنا منذ العشرينيّات من هذا القرن إلى اليوم. لكن وتيرتها ونتائجها تختلف من سنة إلى أخرى تماشيا مع ما يتوفر لها من إمكانات مادية وبشرية، كما تختلف حسب المناطق من منطلق أهمية المآثر وكثافة وجودها، وكذلك من منطلق وجود المصالح المهتمة أو المختصة بها وعدم وجودها.

وقد واكبت حملات الترميم هذه خلال فترة الحماية اهتمام باحثي وأخصائيي إدارة الآثار القديمة بالمخلفات المادية للحضارات التي تعاقبت على أرض المغرب منذ أقدم الأزمنة، لكن خلافاً لما حصل في حقل التنقيب عن الآثار مثلاً حيث خصصت أهم الموارد المادية لفترات ما قبل الاسلامية فيمكن القول إن المعالم الاسلامية هي التي نالت الحظ الأوفر فيما يخص الترميم. وليس هذا من باب الصدفة أو من باب التفضيل بل يعود ذلك إلى كون جل هذه المعالم ان لم نقل كلها كانت حضرية، تفرض نفسها داخل النسيج العمراني للحواضر الكبرى، إذ كان لا يزال النشاط والحيوية يدبان في معظمها. ثم إن الحواضر التي تحتضنها كانت على مر عصورها مدنا هامة على جميع المستويات، ارتقى بعضها إلى درجة عاصمة المملكة ومازالت حية ونشيطة.

مع ذلك تبقى أولى العمليات الترميمية المنظمة تلك التي انطلقت بمسجد تينمل سنة 1927 أي خارج الحواضر الكبرى.

وقد جاءت هذه العمليات بعدما نشرت الدراسة القيمة التي كان قد أنجزها كل من "هانري باسي" و"هانري طيراس" سنة 1923 - 1924 عن المسجد الموحدي، والتي عَرَّفَت حقاً بقيمته التاريخية وأهميته المعمارية. وقد تلت هذه الحملة الترميمية الأولى بالمسجد حملتان أخريَان تمتا في عهد الحماية، وحملة ثالثة في منتصف السبعينات. على أن أهم ما مسته الترميمات كانت خصوصاً الجدران الخارجية وبعض ما بقي من المرافق الداخلية كالأقواس مثلاً. ولما كانت هذه الأعمال محدودة النتائج ولم تؤد الغرض المتوخى منها وهو المحافظة بشكل دائم على المعلمة وما تحتفظ به من آثار أصلية، فقد خضع المسجد إلى حملة جديدة أكثر جدية ابتداء من سنة 1992 روعيت فيها الطرق والمناهج الحديثة في الترميم وجندت لها طاقات مادية ومؤهلات بشرية وتقنية مهمة بفضل مساهمة مادية من مؤسسة "أونا"، ولايزال العمل مستمراً إلى يومنا هذا.

ومن أهم أعمال الترميم التي خضعت لها معالم ومباني تاريخية نذكر تلك التي أقامها "هانري طيراس" بجامع القرويين في الستينات والتي تمكن بفضلها من الوقوف على اكتشاف أثري وحضاري من الأهمية بمكان، إذ تم الكشف عن الزخرفة الجميلة الفريدة، المرابطية الأصل، التي كانت تزين بلاط المحراب وقبته، ليعيدها إلى ما كان يراد منها لَمّا أنجزت، وليُعَرف عَبْرها بجوانب كانت خافية من الفن المعماري المغربي الأندلسي في القرن الخامس (11 م).

وبمراكش تم ترميم أهم المعالم كجامع الكتبيين والقبة المرابطية التي على صهريج بيت الوضوء المجاور لمسجد ومدرسة ابن يوسف.

وابتداءً من سنة 1988، انطلقت أشغال ترميم وإعادة هيكلة قرية "أيت ابن حدو" بناحية ورزازات وقصبة تاوريرت بهذه الأخيرة. وهذه الترميمات تدخل في إطار برنامج طموح يهدف إلى العناية بالمباني الترابية بالأقاليم

الجنوبية والأطلسية. وقد تمت بالفعل عمليات في هذا الإطار في تافيلالت (بقصر الفيضا قرب مدينة الريصاني) وبالمخازن الجماعية لفاخور وسيدي موسى بإقليم أزيلال الخ...

ودون التطرق إلى ما عرفته كل معلمة على حدة من أشغال عبر التراب الوطني، يمكن الإشارة فقط إلى المدن التي عرفت وتعرف حالياً ترميمات وصيانات تنجز على معالم ومباني مختلفة العمارة والتوظيف. ففي طنجة رممت الأسوار وأبوابها ومتحف القصبة، وبتطوان كذلك رممت الأسوار وبعض المباني، وهناك مشروع تعاون قائم مع حكومة الأندلس لصيانة المدينة العتيقة، وبشفشاون تم الترميم الكلي لقصبة "أوطى حمام" وجانب من الأسوار، وبسلا رممت جوانب من الأسوار والأبراج والأبواب، كما انطلقت أشغال ترميم مدرسة أبي الحسن التي قرب المسجد الأعظم. وهذا الأخير أيضاً تم ترميمه من طرف إدارة الأحباس، وبمكناس رممت الأسوار وأبوابها، وبعض المباني كالمسجد الكبير، والمدرسة البوعنانية، ودار الجامعي التي بها المتحف، ودار الباشوات، وبوجدة يتم ترميم الأسوار وبابيها الكبيرين باب سيدي عبد الوهاب والباب الغربي، وبصفرو ترمم الأسوار وبأسفي رمم جانب كبير من قصر البحر وأجزاء من السور المتبقى، وبتارودانت كذلك رممت الأسوار وترمم بعض أبوابها.

ومن أهم ما أقدمت عليه مديرية التراث منذ إنشائها، سن سياسة جديدة تستهدف ترميم المباني وإعادة توظيفها إما بالنشاط الذي كان لها أصلا أو باحتضانها لأنشطة أخرى تعيد لها الوجود في النسيج العمراني، لا كمآثر تصان وتزان لجمالها أو لما تحمله من إرث ثقافي، وانما زيادة على ذلك كعناصر عمرانية حية. من ذلك مثلاً ترميم بعض أبواب المدن وفتحها كفضاءات ثقافية تقام بها المعارض الفنية المختلفة، وأهم الأمثلة أبواب الرباط الموحدية كباب الرواح الذي أصبح الرواق الوطني الأول، وباب قصبة الأوداية الذي يحتضن أكبر المعارض لسعة مساحته وعلو سقوفه، وباب لعلو الذي خصص كرواق يعرض فيه الشباب من الفنانين والمبدعين.

وفي إطار التعاون الثنائي يمكن ذكر العملية التي تمت بأصيلا حيث رمم برج النعام، وهو الذي كان الملك البرتغالي "سبستيان" قد قضى به آخر ليلة في عمره، ليلة معركة واد المخازن الشهيرة التي لقي فيها حتفه، وقد رمم هذا البرج بمساهمة مادية من مؤسسة كولبانكيان البرتغالية.

ومن المشاريع الكبيرة التي أقبل عليها المغرب في العقدين الأخيرين مشروع إنقاذ مدينة فاس الذي انطلق في مطلع السبعينات بتعاون وثيق مع منظمة اليونسكو. ومما يجب التأكيد عليه أن هذه العملية الضخمة، جندت إمكانات هائلة، جمعت ما بين إمكانات الدولة وإمكانات الخواص، وهي بصدد محاولة جلب الاستثمار الخارجي لمواجهة التكاليف الباهضة الضرورية. على أن أهم ما أسفرت عنه الحملات التعريفية والتحسيسية إلى اليوم هو إقناع بعض أبناء فاس الميسورين بأهمية مساهمتهم الفعلية والمباشرة في مشاريع الصيانة والترميم، فأسندت لهم بعض المعالم للإنفاق على ترميمها كالمدرسة البوعنانية، ومدرسة العطارين، وفندق النجارين مثلاً.

هذا وقد اكتسب المغرب تجربة لا بأس بها في مجال ترميم المباني وصيانتها، وهو ما جعله من البلدان العربية القليلة التي يستعان بخبراتها. هكذا وقع المغرب اتفاقية تعاون مع سلطنة عمان سنة 1983 وأرسل بمقتضاها فريقاً من التقنيين والمهندسين والبنائين المتخصصين يقوم بترميم وإصلاح القلاع والحصون وبعض المباني التاريخية الأخرى. ولايزال هذا الفريق المكون من أكثر من ستين فرداً يقوم بمهامه إلى اليوم.

ب ـ ترميم التحف : لم تنل التحف الفنية ما نالته المباني من اهتمام في الترميم، ذلك أن المغرب لا يتوفر على مختبرات متخصصة ولا على أطر مكونة في هذا المجال. ثم إن القيام بهذه الأعمال خارج حدوده يتطلب من الامكانات ومن الضمانات والتأمينات ما يكلف الكثير. ومع ذلك لم تتأخر المصالح الأثرية والتراثية على إخضاع ما استوجب الترميم لهذه الأعمال داخل المغرب وخارجه. ونقتصر في هذا الباب على ذكر ترميم بعض أهم القطع البرونزية التي اكتشفت بوليلي كتمثال الغلام الساقي، وتمثال الكلب، وتمثال الصياد العجوز، وكلها تمت بمختبرات "جارفيل" (Jarville) الفرنسية في السنوات الأولى من الثمانينات، كما تمت كذلك معالجة مجموعة من الفسيفساء التي استخرجت من موقعي "بناصا" ووليلي. أما القطع الخزفية، فنالت كذلك قسطاً من نفس الاهتمام، حيث تمت ترميمات على أهم الجرار، وبعض الأواني أهمها "القصرية" التي اكتشفت بموقع بليونش والتي يعود تاريخها إلى القرن الثامن (14 م).

J. Borely, *Tinmel : douze carnets de notes*, Paris ; Laboratoire Public d'Essais et d'Etudes, *Tinmel : Rapports d'analyses*, 1991 - 1992 ; H. Terrasse, *La mosquée Quaraouiyin de Fès*, Paris, 1968 ; Collectif, *Tinmel, l'épopée almohade*, Casablanca, 1992.

عبد العزيز توري

**ترناتة**، هي واحدة من واحات درعة الست، وهي واحات : مزگيطة، تينزولين، ترناتة، فزواطة، اكتاوة، المحاميد، التي تكوّن ما يعرف بوادي درعة الأوسط. تبدأ واحة ترناتة من فم أزلاك وتنتهي عند فم زاگورة ما بين واحتي تينزولين في العالية وفزواطة في السافلة. تمتد على طول ثلاثين كلم وعرض يتراوح ما بين 250 و5700 م ومساحة مسقية تقدر بـ 5324 هـ أي ما يعادل 24,1٪ من مساحة درعة الوسطى.

وتروي أراضي واحة ترناتة ست عشرة ساقية منها ساقية أغلان، ساقية إيفلي، الساقية البغدادية، ساقية المكاترة، ساقية أنزي، ساقية البركة.... التي تسقي كل

واحدة منها أكثر من محاط واحد بالمياه التي تأخذها من واد درعة.

السكن بواحة ترناتة عبارة عن تجمع ملموم ويعرف بالقصر. ويوجد بهذه الواحة خمسة وتسعون تجمعاً سكنياً، منها ثمانية وسبعون قصراً وقصبة إضافة إلى تسعة عشر قصر - زاوية. تسعة من هذه التجمعات السكنية تفوق ساكنة كل واحد منها 1000 نسمة أهمها قصر بني زولي، قصر تنسيطة اخشاع، قصر أسرير، زاوية سيدي البغداد، قصر طارغلين.... وخمسة عشر تجمعاً سكنياً يقطن بكل واحد منها ما بين 500 و1000 نسمة حسب إحصاء 1982.

بالإضافة إلى هذا السكن هناك سكن مشتت داخل الحقول كما يوجد عند سافلة الواحة مدينة زاكورة وهي مدينة درعة التي يوجد بها مقر الدائرة والتي يسكن بها 9839 نسمة تتوزع على 1548 عائلة سنة 1982.

تتكون ساكنة ترناتة من مزيج سكاني جد متنوع الأعراق والأصول : ادراوة أو الملونين وأهل التلت والعرب ويتكونون من عنصرين أساسيين هما : عرب الروحا وعرب أولاد يحيى وكلاهما ينتمي إلى عرب بني معقل، وأيت عَطّـى : أيت أونـير، أيت ولال، أيت ايلمشان أيت وحليم... والمرابطين والشرفاء إضافة إلى فخذات أخرى.

يعتبر ادْراوَة أو الملونون من أقدم السكان اسقراراً بالقصور يتعاطون الفلاحة لكنهم تعرضوا لهجومات مختلفة مما قلص من مجالهم الحيوي. وهكذا فقد وصل إلى واحة ترناتة خلال القرن الثاني عشر عرب بني معقل المثلين في مجموعات عبر الروحا وفي القرن الثالث عشر (19 م) استقرت بالمنطقة مجموعات أخرى وهي عرب أولاد يحيى وأيت عطا، جميعهم كانوا يمارسون حياة الترحال وقد جلبهم غنى المنطقة بالمقارنة مع المناطق المجاورة.

تصارع هذه العناصر أو المجموعات البشرية فيما بينها للسيطرة على المنطقة وإخضاع السكان المستقرين كان الميزة الطاغية على تاريخ وادي درعة بصفة عامة. وهكذا فعند قدوم الفرنسيين إلى الواحة قدروا سكان ترناتة بـ 26.900 نسمة تضم 5.380 عائلة (أو كانون)، وهذا الرقم يوزع بين المجموعات البشرية كما يلي :

| اسم المجموعة البشرية | عدد الأسر | ٪ |
|---|---|---|
| - عرب أولاد يحيى وادراوة الخاضعون لهم | 1210 | 22.5 |
| - عرب الروحا وادراوة الخاضعون لهم | 1420 | 26.4 |
| - أيت عطى وادراوة الخاضعون لهم | 410 | 7.6 |
| - المرابطون والشرفاء | 590 | 11 |
| - أهل التلت وادراوة أو الملونين | 1720 | 32 |
| - اليهود | 30 | 0.5 |
| - مجموع تارناتة | 5380 | 100 |

وقد تطور سكان واحة ترناتة خلال هذا القرن على الشكل التالي :

| السنوات | عدد السكان (ن) | عدد العائلات | أفراد العائلة | ٪ تطور السكان |
|---|---|---|---|---|
| 1933 - 1943 | 8.817 | 1.763 | 5 | |
| 1943 - 1953 | 11.462 | 1.910 | 6 | 30 |
| 1953 - 1963 | 18.518 | 2.645 | 7 | 61.5 |
| 1963 - 1977 | 26.453 | 3.724 | 7.1 | 24.8 |
| إحصاء 1982 | 33.624 | 4.244 | 7.9 | 27.1 |

رغم أن هذه المعطيات تقديرية ما عدا إحصاء 1982، إلا أنها تبرز ظاهرة موحدة وهي زيادة سكان واحة ترناتة وهذا مع باقي واحات درعة الأوسط التي كانت تعرف زيادة أو نقصانا حسب التقلبات المناخية. لعل ما يفسر استثناء واحة ترناتة هو وجود مدينة زاگورة بها والتي عرفت فقط مابين 1971 و1982 زيادة 46.1٪ أي من 5.302 ن إلى 9.839 ن.

يعتمد اقتصاد الواحة بالدرجة الأولى على الفلاحة وهي فلاحة معيشية ترتكز على أشجار النخيل التي قدرت خلال السبعينات بـ 386.000 نخلة منتشرة على مساحة مسقية قدرت بـ 5.324 هكتار مما يعطي كثافة 72.5 نخلة في كل هكتار مسقي، إلى أسفل النخيل هناك مستوى آخر يتكون من أشجار الرمان، التفاح، اللوز، العنب... ونجد أسفل هذين المستويين زراعة الحبوب من شعير وقمح بالأساس، وزراعة الخضروات (بصل، جزر، لفت، فول، كرنب....) برسيم أو فصة... كما نجد تربية الماشية بالاصطبلات.

في حالة توفر فائض من المنتجات الفلاحية فإن الفلاحين يبيعونها بالأسواق المحلية المتمثلة في سوق الأربعاء وسوق الأحد بزاگورة وسوق الخميس ببني زولي وأحيانا بالأسواق الأخرى الموجودة بدرعة بل ومراكش لبيع التمور.

بصفة عامة اقتصاد الواحة جد محدود، فالفلاحة تقليدية ترتكز على وسائل عتيقة. كما أن الكثافة جد مرتفعة بحيث نجد أكثر من ستة أفراد في الهكتار الواحد. وهذه الفلاحة مرتبطة بمياه السقي التي يحملها وادي درعة كما أن النخيل الذي يرتكز عليه اقتصاد الواحة معرض لمرض "البيوض" والذي لم يجد دواء لحد الآن وأثناء فترات الجفاف فإن الواحة تعتمد على الأموال التي يرسلها أبناؤها المهاجرون من مختلف مدن المغرب أو الخارج.

A. Bahani, *Les structures agraires et les systèmes d'irrigation dans la palmeraie de Fezouata (Draâ Moyen - Maroc)*, Thèse de Doctorat en Géographie, 1990, Rouen France; G. Spillmann, *Villes et tribus du Maroc, tribus berbères*, Tome II; *District et tribus de la haute vallée du Draâ*, 1930 ; G. Toutain, *Sur une évolution économique de la vallée du Draâ, Al Awamia*, n° 53, 1974.

عبد الكبير باهني

**التَّـرنْـجْ**، كلمة فارسية تعني بالعربية نفاش، وسيدرا (Cédrat) أو سيدراتيي (Cédratier) بالفرنسية. أما اسمها العلمي فهو : سيتْروسْ ميديكا (Citrus médica).

نوع شجري من الموالح ينتمي إلى فصيلة السذابيات (Rutaceae) ويختلف عن التُّرنْج أو الرَّنج أي البرتقال المر

وعن الليمون (الحامض). وهو شجرة صغيرة القامة شوكية، لها أزهار ذات لون أبيض أرجواني جذاب. ثمارها ذات لون أصفر ضارب إلى الاخضرار، في شكلها بيضوي تشبه ثمارالليمون (الحامض) لكنها أكبر منها بكثير إذ يبلغ طولها ما بين 15 و20 سم، وتختلف عنها بعطرها الشديد الرائحة، وبقشرتها السميكة الجامدة والمحببة وقلة لبها الحامض.

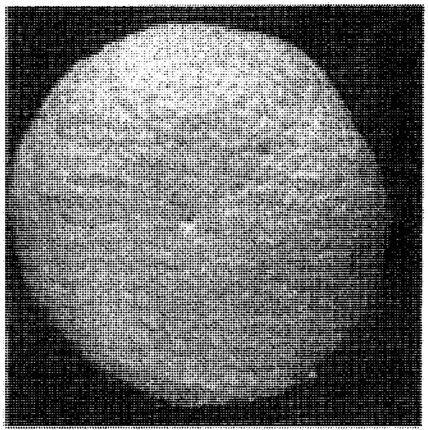

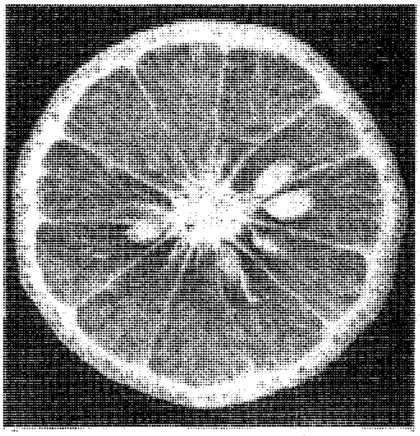

التَّرَنْجْ

يعتبر التَّرَنْجْ أقدم الموالح التي عرفها الإنسان، وربما كان ذلك في القرن الرابع قبل الميلاد. وقد وصفه سقراط في حدائق بابل. والمواطن الأصلي للترنج هو شمال الهند وقد زرعه الإنسان في جنوب شرق آسيا منذ القدم، ثم في المناطق الحارة الأخرى. ومازال يزرع بكثرة بكرسيكا وصقلية واليونان وجزر الهند الغربية.

وأشجار التَّرَنْجْ بالمغرب قليلة جداً، ولا نعرف متى أدخل إلى هذا البلد. ومن أشهر أشجار الترنج بالمغرب نذكر تلك التي توجد بقرب سبت الكردان بسهل سوس جنوب أولاد تايمة، بجانب ضريح يزوره اليهود المغاربة القاطنون حاليا بشمال أميريكا فيشترون من السكان المحليين المالكين لهذه الأشجار كل الإنتاج السنوي دافعين مقابل كل ثمرة واحد 5.000 درهم.

يستعمل الترنج في صناعة الحلويات والفطائر وغير ذلك التي تكتسب نكهة فريدة وطعماً لذيذاً لا مثيل له. كما تسكر القشرة في محلول من السكر أو الكلوكوز، أو يستخرج منها زيت طيار يستعمل في صناعة العطور.

*استطلاعات ميدانية* ؛ ألبيرت هيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة عبد المجيد زاهر وآخرون، القاهرة، 1962.

عبد المالك بنعبيد

**تروال**، مركز في قبيلة بني مزكلدة بضاحية مدينة وزان، اكتسى أهمية استراتيجية أيام الحماية. وهذه القبيلة صنهاجية الأصل إلا أنها تعربت كما حصل لغيرها من القبائل المجاورة لها كبني زروال الواقعة إلى الشرق منها، وبني مستارة الواقعة في شمالها وغربها.

ويعتقد أن هذه المنطقة عرفت الوجود الروماني، بالرغم من انعدام أي اكتشاف أثري يثبت ذلك إلى يومنا هذا. وقد كان احتلال تروال من الجهات الأخيرة التي تمكن الفرنسيون من دخولها بسبب المقاومة العنيدة التي قادها السكان. وتدل عليها تقارير الحماية المكتوبة بين 1915 و1917. التي تعبر عن قلق المستعمرين وتخوفهم من أن تطول مدة المقاومة وتتعرقل مسيرة الاخضاع الكلي للمنطقة، ولكنهم استطاعوا دخول تروال سنة 1920 بعد تمكنهم من اخضاع قبيلة بني مستارة كجبهة أمامية لبني مزكلدة ليصبح تروال قاعدة عسكرية مهمة للقوات الفرنسية. وماتزال أسوار الحصن الكبير شاهدة على أهمية المركز عسكريا. ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن المكان الذي شيد عليه يقع على علو يسمح بمراقبة كل المنطقة. (انظر الحصن على قمة الجبل في الصورة).

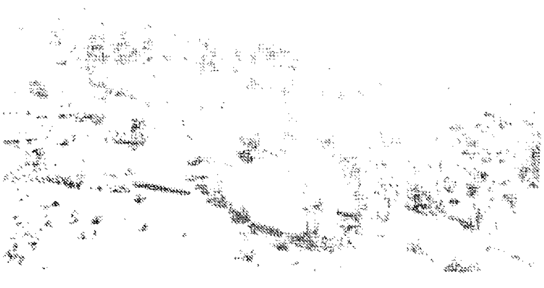

صورة مركز تروال مع الحصن في أعلى الجبل (أخذت في يونيو 1992).

وفي نفس السنة أصبح تروال مركزاً إدارياً فرنسياً إلى جانب طابعه العسكري، وكان هم المستعمرين بعد ذلك توظيف الموضع الستراتيجي لإحكام السيطرة على كل قبيلة بني مزكلدة.

ورغم تأييد القبيلة لمحمد بن عبد الكريم الخطابي وتحركها في 2 ماي 1925 م. وتضييق بني مسارة التي

أيدت بحماس ابن عبد الكريم على الفرنسيين في وزان. فإن تروال لم يسقط بين يدي المجاهدين لأن تركيز ابن عبد الكريم في هذه الجبهة كان على وزان باعتبارها مفتاح الغرب. ثم نجح الفرنسيون في استعادة كامل السيطرة على هذه المناطق في نهاية سنة 1925 م.

يقع مركز جماعة تروال بعيداً عن الطريق الرئيسية رقم 26 الرابطة بين فاس ووزان بأحد عشر كلم. ويبعد عن وزان الدائرة بستة وخمسين كلم. وتحد أراضي هذه الجماعة من الشرق جماعة تفرانت، ومن الغرب والجنوب جماعة عين دريج، ومن الشمال جماعة زومي (انظر الرسم).

يتوفر مركز هذه الجماعة اليوم على بعض المرافق الحيوية كالمستشفى ومركز الاتحاد النسوي، ومحكمتين ومركزية، وفيه مراكز القيادة ومقر الجماعة و مدرسة ابتدائية تستوعب وتابعاتها 1.610 تلميذ.

بلغ عدد سكان جماعة تروال حسب إحصاء سنة 1983م، 20.000 نسمة. يتوزعون على 33 دواراً (انظر الرسم أعلاه). يسكنون جبالا عالية، فقيرة التربة غالبا ما تحتوي على أحجار تمنع الفلاح من القيام بأعمال الحرث. ولهذا فإن الجماعة على العموم فقيرة خاصة إذا أضفنا وقوع مركزها تروال بعيدا عن الطريق الرئيسة التي كان من الممكن أن تنشط الاقتصاد.

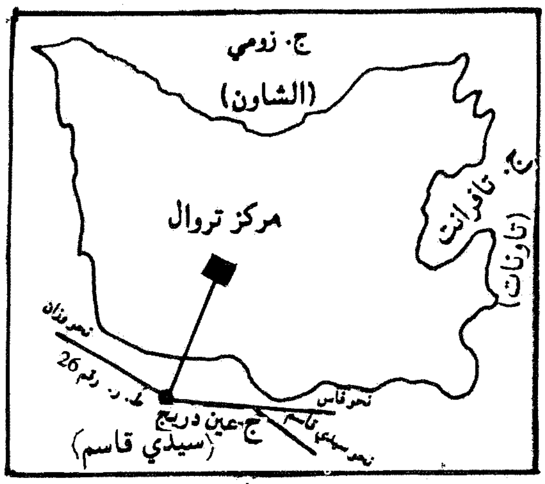


تروال

يمكن القول إن اقتصاد تروال يعتمد أساساً على الفلاحة والرعي : فالفلاحة تحتل مساحة 6063 هـ. تشغل الزراعة الشجرية منها 2564 هـ. وتتكون من أشجار الزيتون والتين والخوخ والبرتقال. ويزرع الباقي بالحبوب باستثناء مساحة الغابات البالغة 539 هـ. تسهم في مداخيل الجماعة بمبلغ لابأس به. فقد كان سنة 1982 يبلغ 231.855 درهم، وهذه الزراعة بورية عموما إلا من سقي موسمي. يستعمل السكان فيه 23 مضخة مائية لسقي حقول الخضر.

وأما المواشي فإنها تتكون من الأبقار، ويبلغ عددها 6952 رأس، والأغنام وعدد رؤوسها 3532 رأس، والماعز وعدد رؤوسها 1000 رأس، وتربى بواسطة الرعي فقط.

م. البشير الفاسي، *قبيلة بني زروال*، ص. 8 ؛ *منوغرافية جماعة تروال*، 1991 ؛ *تحريات ميدانية*.

D. Rivet, *Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc 1912 - 1925*, Tome 3, Paris, 1988, p. 282.

العربي الحمدي

**التَّرُوتَة**، جنس أسماك نهرية وبحرية من فصيلة السلمونيات (Salmonides) ومن رتبة مفتوحات المثانات (Salmoniformes) ومن الأسماك العظمية (Ostéichtyens) الشعاعيات الزعانف (Aotinoptétrygiens).

تدعى بالفرنسية Truite أي سمك مرقط ومبرقش وبالإسبانية Reo وبالأنجليزية Trout ويعرف عند المغاربة بالتَّرُوتَة كما هو الشأن عند بعض الدول العربية في الشرق ويقال له أيضا سمك سليمان في الشرق العربي إلا أن هذا الاسم يشمل عدة أنواع من جنس التروتة ومن جنس السلمون (Saumon) الأوربي الذي يشبه بكثير سمك التروتة في الحجم والمعيشة.

تعد أنواع السلمونيات من الأسماك المفضلة لدى الصيادين من حيث جودة لحومها وما يتطلب صيدها من مهارة وخبرة في ميدان الصيد بالصنارة. وقد تطور هذا الصيد الرياضي في عدة دول كبرى منذ القرن التاسع عشر مما أدى إلى وضع قوانين للصيد ووضع عدة مختبرات تقوم بدراسات بيولوجية لهذه الأنواع. أعطت البحوث عدة نتائج إيجابية تتعلق بالتغذية والتوالد الاصطناعي الذي كان يشكل العائق الأساسي لانتشار هذه الأنواع في عدة مناطق باردة في العالم.

أُقيمت عدة محاولات لتأقلم سمك التروتة في أنهار الأطلس المتوسط منذ بداية القرن العشرين وكانت النتائج إيجابية مما أدى إلى تقويتها في هذه المناطق وذلك بجلب عدة وحدات من فرنسا سنة 1925 ومن سويسرا والدنمارك سنة 1936. وقد بنيت في هذا المجال عدة بحيرات اصطناعية لتنمية الصيد الرياضي وإنجاح تأقلم هذه الأنواع من الأسماك، نذكر من بينها بحيرات أمغاس وعددها خمس وبحيرة سيدي ميمون وبحيرة حشلاف وبحيرة رأس الماء وعين مرسى. تعتبر بحيرة رأس الماء حوضا (Parc à géniteurs) تربى فيه الأسماك المخصصة للتوالد الاصطناعي.

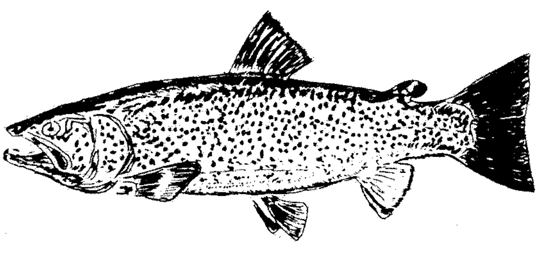

التروتة

تعيش ثلاثة أنواع من سمك التَّرُوتَة في المياه الجبلية المغربية :

تروتة البحيرات (Truite des lacs) وتسمى علميا Salmo trutta pallaryi وهي التروتة الأطلسية المغربية الأصل التي كانت تعيش في بحيرة أگلمام سيدي علي بالأطلس المتوسط. يقول بعض الكتاب إنها تنحدر من جنس السلمون (Salmo)، وبعضهم يقول إنها تنحدر من جنس Onchorhynchus معتمدين على عدد الحراشف التي تكوِّن الخط الجانبي. يرجع سبب انقراضها إلى انتشار وتكاثر سمك الشبوط (Cyprinus carpio) الذي أدخل في هذه البحيرة من طرف المصالح التابعة للمياه والغابات وأصبح يهدد عيش سمك التروتة مما أدى إلى انقراضها بصفة نهائية، فحاولت مصلحة تربية الأسماك إدخال عدة أسماك هدفها تهديد عيش سمك الشبوط وتراجعه حتى يمكن انتشار سمك التروتة من جديد إلا أن هذه التجربة باءت بالفشل.

التروتة النهرية (Truite des rivières, Salmo trutta Fario). الظهر مخضر داكن والجوانب مبرقعة بالأسود والأحمر، الزعنفة الذنبية خالية من البراقع مما يجعلها تتميز عن النوع القزحي. تتكون الزعنفة الشرجية من 10 شعاعات ويتكون الخط الجانبي من 130 حرشفة. الجسم مغزلي الشكل ومضغوط جانبيا تكسوه حراشف عديدة وصغيرة، تتخلله عدة بقع حمراء ورمادية زرقاء. لا يتعدى طولها 70 سم وشائع ما بين 30 و40 سم. تعمر 5 سنوات ولا يتعدى وزنها 8 كلغ وشائع ما بين 350 و900 غرام.

تعيش التروتة في الأنهار وفي بعض البحيرات الأطلسية المنخفضة الحرارة وتتوالد بصفة طبيعية ما بين سبتمبر وفبراير. تضع الأنثى بويضاتها عادة داخل حفرة في الأماكن الغنية بالحصى والرمال. ويتراوح عددها ما بين 5000 و6000 بيضة (2000 / كلغ) يلقحها الذكر مباشرة بعد وضعها. تخرج الصغار من البيض بعد زمن يتراوح ما بين 20 و40 يوما وذلك حسب الحرارة. يبقى التوالد الطبيعي غير كاف لإنتشار هذا النوع مما جعل مصلحة تربية الأسماك بأزرو تسعى إلى التوالد الاصطناعي لإكثار هذا النوع وزرعه في عدة أنهار لا تفوق مياهها في الصيف 22 درجة وذلك لأن التجارب برهنت على أن هذا السمك يموت في المياه التي تفوق حرارتها 25 درجة. تعصر الجوانب البطنية لكل من الإناث والذكور وتوضع البويضات الملقحة في صحون تسقى بصفة مستمرة من طرف ماء العين حرارتها 14 درجة.

توضع الصغار في بحيرات صغيرة يقدم إليها الأكل لمدة أسبوعين على الأكثر ثم تنقل إلى الأنهار. تصل سن البلوغ ما بين سنتين وثلاث سنوات وتتغذى من الحشرات والقواقع والديدان والقشريات الصغيرة وصغار الأسماك.

يقتصر توزيعها الجغرافي على أنهار الأطلس المتوسط وبعض أنهار الأطلس الكبير. تصاد بالرخص التي تعطى من طرف المصالح التابعة لوزارة الفلاحة. يحث قانون الصيد على صيد الوحدات التي يفوق طولها 20 سنتمتراً وأن لا تتعدى عشر وحدات لكل رخصة.

التروتة القزحية تسمى علميا أونكورانكوس ميكيس (Onchorhynous mykiss) وتعرف سابقاً باسم Salmo gairdneri وبالفرنسية Truite arc-en-ciel وبالأنجليزية Rainbow trout، فضية اللون على العموم، الظهر أزرق بني، الجوانب منقطة بالسواد، الخط الجانبي وردي اللون متقزح مما أدى إلى تسمية النوع بالتروتة القزحية. الزعنفة الذنبية منقطة. لا يتعدى طولها 70 سم وشائع ما بين 25 و45 سم وزنها لا يفوق 7 كلغ وشائع ما بين 300 و800 غرام. تعمر 5 سنوات وتصير بالغة ما بين سنتين وثلاث سنوات.

تعد من الأسماك المفضلة لدى مربي الأسماك نظراً للتقنيات المتقدمة في شأن تربيتها. تفضل العيش في البحيرات الباردة سواء منها الطبيعية أو الإصطناعية.

موطنها الأصلي أمريكا الشمالية وتم إدخالها إلى أوربا خلال القرن التاسع عشر الميلادي ثم إلى المغرب سنة 1925 من طرف الفرنسيين. تفضل العيش في المياه الباردة التي تتراوح حرارتها ما بين 10 و20 درجة وذات تيار معتدل. إنها أسماك لاحمة تتغذى من الحشرات والقواقع والقشريات الصغيرة والديدان وصغار الأسماك. تتوالد ما بين أكتوبر ومارس إلا أن توالدها في المغرب يتم بصفة إصطناعية فقط. تقوم بهذه العملية مصلحة تربية الأسماك بمدينة أزرو ما بين أكتوبر وفبراير. يتم الاختيار على الإناث والذكور السليمة من الأمراض فتعصر جوانبها البطنية بعد تنويمها بواسطة فينوكسي إتانول (Phenoxy-éthanol) الذي يتم إفراغه في صحون مملوءة بالماء بنسبة تقدر بثلاثة أجزاء في مليون جزء (3ppm). وتوضع البويضات في صحون تلقح مباشرة بعد ذلك ويتم نقلها إلى أماكن تمر بها مياه العيون حرارتها مستقرة على 14 درجة لمدة أربعين يوماً. تفقس البويضات بعد ذلك وتوضع الصغار في بحيرات صغيرة يقدم إليها الأكل الإصطناعي لمدة أسبوعين تقريبا ثم تنقل إلى البحيرات لتعيش هناك.

عرف هذا النوع تطورا كبيرا في ميدان تربية الأسماك في عين أغبال قرب مدينة أزرو وذلك عن طريق الأكل الاصطناعي ومراقبة حرارة المياه وبعض العناصر المكونة للمياه كمادة الأوكسجين. أصبح إنتاجه يغزو أكبر أسواق الأسماك بالمغرب ويصدر بعضه إلى الخارج.

P.S. Maitland, *Les poissons des lacs et des rivières d'Europe*, Paris, 1977, 255 p ; B.J. Muus & P. Dahlstrom, *Guide des poissons d'eau douce et pêche, Les guides du naturaliste*, 1973, 242 p.

محمد الرمضاني

**تْـرُوكُـوتْ**، أكبر فرق قبيلة تمسمان من حيث عدد المداشر. وتنطق أيضاً تُلْكُـوتْ. والاسم قديم، يعود علمنا بتداوله إلى ما قبل القرن الرابع (10 م)، تبعاً لما أدلى به النسابة الأمزيغيون، وقدمته لنا الكتابة العربية بلفظ "تلكاتة"، للإشارة إلى إحدى فصائل جذع بَـطُّوية الصنهاجية، السائد آنذاك بربوع الريف الشرقي، المحتضن لقبيلة تمسمان في قسمه الغربي.

تحتل أراضي تْرُوكُوتْ مساحة جبلية واقعة بغرب القبيلة التمسمانية، منتهية إلى منخفض متصل بساحل خليج الحسيمة (المزمة قديماً)، وبالضفة اليمنى من واد النكور، من النقطة المقابلة لظهر أُبطُّويْ إلى مصبه. ففي هذين المجالين الجبلي والسهلي يستقر في الوقت الراهن واحد وأربعون مدشراً. وهي أعلى نسبة بالقياس إلى عدد مداشر الفرق الأربع الباقية (انظر مادة *تمسمان*).

1) ففي المجال الجبلي تظهر حول جبل الحديد في الشمال (600 م) جماعة أولاد أبي داود، المنسوبين إلى المتصوف التمسماني أبي داود مزاحم، من أهل القرن السادس (12 م). وتعرف هذه الجهة من الوجهة الجغرافية باسم تبودا. من أهم مداشر الجماعة قرية الحديد (أحديد) الواقعة بساحل تغلال، في نقطة الحدود بين فرقة تْرُوكُوت وجارتها بني بويَديرْ، ثم قرية السواني وتكَرْياست التحتية وإمْهاوْشَن وإسْلاسَن (أهل سلاس) وإعبُّوتَن.

أما جماعة تَبَلْخاشْت فتنتشر دورها على ظهر جُوبْ القامة (733 م) تتألف من المداشر الهامة : بوقُرّي، أزْرو. ويعقد عند قدم تبلخاشت سوق أربعاء تْرُوكُوت على مجرى يحمل نفس الاسم، يؤمه أهل الفرقة إلى جانب الزوار من بني ورياغل وبقُّويَة ومدينة الحسيمة.

وتستقر حول جبل بوعمر (742 م) جماعة أخرى تضم أمثال قرى : خْلوف والعبْدَلاَّويون وإشَخْشوخَن وتَمَرْسيت وأجِّيوْ وبوعْمَر.

2) وفي السهل والدير نجد عدة جماعات : حْبُوقُوش الواقعة في دير تَبَلْخاشْتْ من مداشرها : تريَّست وحبوقوش وتزمرين، وجماعة إمَسْعودَن ويدخل ضمنها مداشر إعْتَوثَن، إعَبّوتن وإحَداكَن، وضمن جماعة المرابطين يدخل إحَرْويشَن وبوزْويقا وتبودا. وهناك أخيراً جماعة إمَزْعَن، مقسمة إلى الفوقي وأمراح والسفي. ومدشر ظهر أُبَطُّويْ.

ولفرقة تروكوت تاريخ يمتد في القدم. فالسكان صنهاجيون من فصيلة بطوية وفخذ بني يصليتن، ومن هؤلاء قسمة تْرُوكُوت. ففي القرن الرابع (10 م) كان بنو يصليتن متمركزين في جبل أبي الحسن المتصل بعقبة تبلخاشت حيث مستقر بني بُلُنْد، جدهم بلند بن يصليتن، بينما كان بساحل تغلال بنو وَرتَرْد، جدهم ورتَرْد بن يصليتن كذلك.

وموقع تروكوت المشرف على كل من خليج المزمة وواد النكور أهّلها لتلعب دورها في أطوار إمارة النكور منذ التأسيس والمساهمة في التجارة مع الأندلس عبر مرساتها الكائنة بقرية الحديد وساحلها تيغلال (انظر مادة *تيغلال*)، مما يندرج في تاريخ الإمارة. ولا يزال بتروكوت إلى يومنا مدشر إصَقّالَن، الذي يلوح بالإشارة إلى الصقالبة المكونين لجيش أمراء النكور.

ويعود التاريخ اللامع للفرقة إلى النصف الثاني من القرن السادس (12 م)، حين ظهر بها المتصوف الشيخ أبو داود مزاحم التمسماني، صاحب أول مدرسة للتصوف الإسلامي بالريف الشرقي، وسنخصص لتلك الشخصية ترجمة *بالمعلمة*.

دخلت تروكوت تحت نفوذ المرينيين وجباية الوطاسيين. فقد زارها ياسين بن الوزير في حياة الحاج إبراهيم حفيد أبي داود، حوالي 635 هـ. لجمع المغارم وإرغام بني ورترد على أدائها (البادسي، *المقصد*، 62).

وفي عام 1078 / 1666 مر بأراضيها سفير لويس الرابع عشر الفرنسي، المدعو رولان فريجوس (Roland Frejus) وهو في طريقه من النكور إلى بني بويعقوب تمسمان (فرقة الفوقي) واصفا الطريق الصعب المار بعقبة تبلخاشت، وما كان يغطيه من الغابات ويعج به من الأسد (*S.I.H.M.*, *France*, 2ème série, T. 1 / 121).

وبرز خلال عهد الحسن الأول، كنتيجة لتقسيم قبيلة تمسمان إلى القيادات المتعددة، القائد التروكوتي بوعز قبل 1297 / 1879. وقد خلف ثلاثة أبناء : حدّو ومحمد وعلال. كلهم تولوا منصب القيادة. انظر ترجمة الأب وابنيه محمد وعلال في هذه المعلمة (التمسماني). أما ابنه حدّو فلم تشر إليه سوى وثيقة واحدة (12 رمضان 1309) تثبت قيادته.

الشريف الإدريسي، *النزهة*، 533 ؛ البادسي، *المقصد*، 51. 55. 60. 62. 63 ؛ *وثائق* خ. ح. بالرباط ؛ *كناش* خ. ح. بالرباط، 199 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90 ؛ *خريطة طبوغرافية*، 1935.

*S.I.H.M.*, *France*, 2ème série : 1 / 121 ; A. Moulieras, *Maroc inconnu*, I : 111.

حسن الفكيكي

**التِّرْيَاق**، دواء مقاوم للسموم، تحدثت عنه كل المؤلفات الطبية القديمة، وهو مشتق من كلمة "تريوق" اليونانية التي يُسمَّى بها كل ما ينهش من الحيوان كالأفاعي ونحوها. وألّف ابن رشد الحفيد مقالة *الترياق* لمخدومه يوسف بن عبد المومن الموحدي (558. 580 / 1163 . 1184) في مراكش ـ على ما يبدو ـ وإن لم يصرح باسمه. وقد اعتمد ابن رشد في مقالته على ما ذكره الأطباء السابقون من المسلمين وغيرهم، وبخاصة جالينوس وابن سينا، واجتهد في الترياق بحسب ما يقتضيه العقل والقياس والتجربة. وذكر في نهاية مقالته "أن للترياق سناً لا يستعمل في أقل منه وهي أربع سنين فيما قالوا (الأقدمون)، ويكفي عندي ـ يقول ابن رشد ـ عام (واحد) لأنه يمر عليه فيه الفصول الأربعة، والستة شهور إن اضطر الأمر إلى ذلك. وله شباب إلى العشرين سنة، ووقوف إلى الأربعين سنة، وانحطاط إلى الستين، وخروج عن الترياق واسمه بعد السنين".

يستعمل الترياق في لدغ الهوام ونهش الأفاعي والحيات والكلاب الكَلبة والسموم وما إلى ذلك. وكان الملوك القدماء يأخذونه كل يوم وربما أخذه بعضهم مرتين في اليوم.

ويرى ابن رشد أن أوفق سن لاستعمال الترياق هو الشيخوخة التي لا تخلو من زمانة، تليها الكهولة، "أما الشباب فهم أغنى الناس عنه إلا أن تحدث بهم الأمراض التي ذكرناها".

وقد تكلم ابن رشد، وهو طبيب الخليفة الموحدي يوسف ابن عبد المومن، مع مساعديه الذين يباشرون علاج الأمراء "ألاّ يشيروا عليهم باستعمال الترياق في حفظ صحتهم وأخذه على الدوام فلم يفعلوا فأضرّ ذلك كثيراً بمن داوم على استعماله منهم".

بقي الترياق معروفاً متداولاً في مراكش ـ أكثر من المدن المغربية الأخرى ـ وتجلى ذلك عند الملوك السعديين الذين اهتموا به اهتماماً زائداً واستعملوه في مختلف الأغراض، وبخاصة ضد الأوبئة التي كانت تجتاح المغرب من حين لآخر. وقد احتفظ المؤرخ الإفراني في *نزهة الحادي* (ص 155 ـ 168) بنصين لأحمد المنصور الذهبي، يتعلقان بالترياق، الأول جزء من رسالة بعث بها المنصورمن فاس إلى ولده أبي فارس خليفته على مراكش مجيباً إياه عما كتب إليه في شأن الوباء لما ظهر بمراكش هل يفرّ منه أم لا ؟ فنصحه بالخروج وزاد قائلاً : "ثم لا تغفلوا عن استعمال الترياق ـ أسعدكم الله ـ فالزموه. وإذا استشعرتم منه بسلامة بحرارة وتخوّفتموها فاستعملوا الوصف من الوزن المعروف منه، ولا تهملوا استعماله. وأما ولدنا ـ حفظه الله ـ لمكان الشبيبة فحيث يمنعه الحال من المداومة على الترياق، فها هي الشربة المعروفة النافعة لذلك قد تركناها كثيرة هناك عند التونسي فيكون يستعملها هو والأبناء الصغار المحفوظون بالله حتى إذا أحس ببرد المعدة من أجلها تعطوه الترياق المرة والمرتين على قدر الحاجة فيعودا إليها..." هذه الرسالة مؤرخة في الرابع عشر من ربيع الأول عام أحد عشر وألف (1 شتنبر 1602) وهي تذكر اسم "التونسي" كأحد القائمين على الأدوية بقصر البديع، وتأخذ بعين الاعتبار القواعد الطبيّة المقررة الواردة في كلام ابن رشد السابق من أن الشباب لا يستعملون الترياق إلاّ عند الضرورة. والنص الثاني جزء من رسالة أخرى ملحقة بالسابقة على إثر وصول خطاب جديد من أبي فارس يقول فيها المنصور : " ... وأوصيكم أيضاً أنه إذ ظهر المرض بتلكم البلاد وخرجتم خروج خير وسلامة بحول الله وقوته ألاّ تتركوا وراءكم ابنة عمكم ... وأمُر يوسف العبدي أن يُخرج لك من صاحبة بيت الثياب القدر المحتاج من الترياق الجديد الذي كان بقبة المشْوَر ودخل على أيديكم لدارنا السعيدة، واستدعوا أمَّ الْمَان قهرمانية الدار وأعطه لها برسم دارنا ومُرْها أن تُعطيه لهن في كل رابع من اليوم الذي يأكلونه فيه، وهي أيضاً تأكل منه والعبدي يوسف يأكل أيضاً منه، وحتى صاحب السقيف أعطوه منه أعني مسعود بن مبارك ..." يسير كلام المنصور هنا أيضاً عن الترياق، في هذه الرسالة الملحقة، على نفس القواعد المقررة في مقالة ابن رشد السابقة من حيث سن الترياق وأنه لا يوخذ على الدوام ... كما ذكر اسم أمَّ الْمَان قهرمانة الدار (دار النساء) واضطلاعها بخزن الترياق وإعطائه الحريم حسب المقادير المحددة، ويلاحظ أنه لم يرد في الرسالتين اسم أي طبيب من الأطباء المغاربة والأندلسيين المتوافرين في البلاط السعدي، إذ لاشك أنهم الذين هيؤوا الترياق الجديد والقديم، لكن حالة الترقب والاستعجال اقتضت الاسراع في تقديم هذا الدواء الجاهز عند الحاجة حسب المقاييس والمعايير المقررة. وربما كان الأطباء صحبوا المنصور إلى فاس.

والترياق كخليط من أعشاب كثيرة معجونة بعسل أو غيره مخمّرة لمدة سنة إلى ستين سنة ـ كما جاء عند جالينوس وابن رشد وغيرهما ـ لم يعد اليوم معروفاً في المستحضرات الصيدلية. وإن كان المغاربة مازالوا يستعملون اسم الترياق للسمن أو الزيت العتيقين اللذين مرّ عليهما أكثر من عامين حتى يجمد الزيت أحياناً، ويستعملونه كدواء لبعض الأمراض المزمنة.

م. ابن رشد الحفيد، *مقالة الترياق*، تح. أحمد رجائي الجندي وعبد الحميد بسيوني، الكويت، 1995 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، ط. حجرية بفاس د. ت.

محمد حجي

**تـريـبْـعَـة**، سوق صغير بسبتة، مربع الشكل يتوسطه صحن، يشتمل أحيانا على عدة طبقات، وهو مجال تجاري خاص للحرارين والقزازين والخياطين ومن هم على شاكلتهم. تختلف التّريبْعَة عن القيسارية والمحلات التجارية الأخرى، بل تَنتشر بينهما جميعاً، بل أحياناً ما تأخذ مكانها، خارج المجال التجاري الحضري، بين الأزقة والممرات العمومية. عرفت معظم مدن المغرب القروسطي هذا النوع من الأسواق التجارية وقد حافظ البعض منها على أسمائه إلى حد الساعة، كتريبعة العطارين الموجودة بسوق العطارين العتيق من مدينة فاس.

الانصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، الرباط، 1403 / 1983، ص. 37.

زليخة بنرمضان

**تريتون**، من الأوثان الثانوية بالنسبة لما كان يعرف بمجمع الآلهة الاغريقية ـ الرومانية. أجمع كتّاب الميثولوجيا القدامى على اعتباره في زعمهم ابن إلاه المحيطات والبحار والأنهار پوزيدون (Poseidon) الذي يوافق الوثن نبتون (Neptune) عند الرومان.

وجدير بالذكر أن مكانة پوزيدون (هذه التسمية الاغريقية) كانت بارزة وسط مجمع آلهة الشمال الافريقي. وخص بنفس الأهمية في المغرب القديم، إذ أقام له القرطاجيون بزعامة قائدهم حانون (Hannon) مذبحا (Autel) خلال القرن الخامس ق. م. برأس سُلُويس (Cap Soloeis) وهو رأس الشمس (Mont Soleil) عند اللاتين. وقد اتفق الباحثون المعاصرون على تحديده برأس كانتان (Cap Cantin) قرب أسفي.

وذكر سيلاكس المزعوم (Pseudo-Scylax) - الرحالة الذي عاش في القرن الرابع ق. م. - نفس المعلومات. وأشار إلى قدسية منطقة رأس سلويس وإلى وجود مذبح مكرس لپوزيدون بها. ويحمل المذبح صورا البشرودلافين وأسد. وتثير هذه المنحوتات تساؤلات حول المعبود المحلي الذي لم تحتفظ لنا المصادر القديمة بتسميته.

وإذا كان والد تريتون باتفاق جميع الكتاب قدمائهم ومحدثيهم هو پوزيدون الواسع الانتشار فإن المصادر تختلف في ذكر اسم والدته، فهي عند بعض الكتّاب ومنهم بندر (Pindare) في مؤلفه *Rythmiques* الكتاب IV، الفقرة 57 - كيلاينو (Kelaino) ابنة العملاق أطلس (Atlas) (انظر مادة *أطلس*). وبذلك فهو من نفس سلالة إله التجارة هرمس (Hermès) الذي ينحدر من ابنة أطلس مايا (Maïa).

ولكن والدة تريتون هي عند الأغلبية حورية الماء أمْفتْريت (La Nymphe Amphitrite)، التي صورت في فسيَفساء واحدة من موقع ريغا (Rirha) بالقرب من سيدي سليمان، وقد تم الاتصال بين من يدعونه إلاه البحر پوزيدون وحورية الماء أمفتريت عند سفح جبل الأطلس، وبهذه الديار المنتمية لأقصى العالم المعمور حسب الروايات الاغريقية تمت ولادة تريتون. وفي كلتا الروايتين فلتريتون علاقة بأطلس (Atlas)، سواء كان شخصية أسطورية أو معلمة جغرافية.

اعتمد الكتّاب الإغريق واللاتين في وصف تريتون على الانتاجات الفنية التي صورته على شكل برّمائي : نصفه الأعلى بشري، ونصفه الأسفل على شكل حيوان بحري خرافي (Monstre marin). (انظر اللوحة I).

تريتون

لقد تطور تصور تريتون لدرجة أن الشكل البشري غلب على الشكل الحيواني. وتغيرت كذلك رموزه فاشتملت في النهاية على العناصر التالية : الشوكة البحرية (Le trident)، المجداف، الكأس والمزراق الباخوسيين (Le canthare et le thyrse bachique). وهذه الأدوات ارتبطت فيما بعد بنبتون وديونيسوس (Dionysos)، أما بالنسبة لتريتون فقد أضحت القوقعة (البوق الصدفي) (؟) (La conque) من رموزه الأكثر تردداً، مع العلم بأنها لا تخصه وحده، بل ميزت أيضا أوثان الرياح (Dieux des Vents).

كان تريتون في بداية ظهوره بالمصادر المكتوبة شخصية مستقلة، كما بين ذلك الشاعر هزيود (Hesiode) في قصيدته "أنساب الآلهة"، 930، (Théogonie, 930)، إذ وصفه "بتريتون الكبير، ذي القوة الواسعة"، وكان يستوطن مع والديه قصراً من ذهب. ولكن سرعان ما أستحوذ پوزيدون على مملكة البحر، وبذلك أضحى تريتون تابعا له، حيث شكل مع آلهة ثانوية أخرى موكبه، وكان له حضور أيضا بمواكب خاصة بكل من أوقيانوس (Océan)، وأمفتريت، وأفروديت (Aphrodite).

صورت كل المصادر الأدبية تريتون مذكراً إلا أن الإكونوغرافية أنتجت نظيرته المؤنثة (La tritonesse)، كما تظهر ذلك فسيفساء موكب فينوس من وليلي.

أطلق اسم تريتون على عناصر مختلفة : فقد حملت منيرفا (Minerve) (وهي أثينة (Athèna) حسب الاغريق) اسم تريتونيد (Tritonide) نسبة إلى بحيرة تريتونيس (Lac Tritonis) التي يعتقد أنها ولدت على ضفافها.

ومعلوم أن بحيرة تريتونيس ارتبطت كذلك بمغامرات الرحالة الأرغونيين (Les Argonautes)، أتباع البطل الإغريقي الأسطوري جازون (Jason)، لقد رمت العاصفة بهم بقارة ليبيا (شمال افريقيا) وحملوا زوارقهم على أكتافهم حتى هذه البحيرة. ومنها أنقذهم تريتون، إذ بيّن لهم طريق العودة إلى بلدهم. ومن يومها حملت سفينتهم هي الأخرى اسم تريتونيد (Tritonide).

والملاحظ، أن آراء الكتاب القدامى تضاربت في تحديد بحيرة تريتونيس، ونجم عن ذلك اختلاف آراء الباحثين المعاصرين، فبعضهم جعلها بقرينائية (بليبيا الحالية) وآخرون جعلوها بخليج قابس أو بحيرة البيبان، أو خليج الحمامات، وإن كان معظمهم حصرها في شط الجريد بالجنوب التونسي.

وبالنسبة لنهر تريتون (Le fleuve Triton) فهو يصب في البحيرة المذكورة حسب باحثين، أو يعبرها حسب آخرين. ومتى ضبطت البحيرة ستسهل معرفة اسم النهر حالياً.

هل كان لتريتون معبد ببحيرة تريتونيس ؟ وهل اقتصرت عبادته على هذه الناحية فحسب ؟

ذكر المؤرخ الإغريقي هيرودوث في مؤلفه *التواريخ*، الكتاب IV، الفقرة 188 بأن الليبيين المستوطنين حول بحيرة تريتونيس يقدمون القرابين أساسا للإلهة أثينة. وبعدها للالهين تريتون وپوزيدون. فهذه المعبودات الثلاثية لا تعرف أسماؤها الأصلية. فمعروف بأن اسم تريتون قد أطلق على آلهة ذات أصول وطبائع مختلفة. فقد ميز الباحثون المعاصرون بين تريتون المحلي، وترتون الفنيقي - القرطاجي وتريتون الإغريقي - الروماني. ولكن ليس من السهل معرفة مميزات كل واحد منهم، كما أنه لا يعرف مدى انتشارهم خصوصا وأن عملية دمج (الآلهة) المحلية مع (الآلهة)

المستوردة تم باستمرار.

على كل، تم تجسيد تريتون بمجالات فنية مختلفة بالنسبة للعالم الاغريقي ـ الروماني، ولكنه بالنسبة للمغرب القديم لم يصور إلا بالفسيفساء وهي ثلاثة نماذج، نذكرها كالتالي :

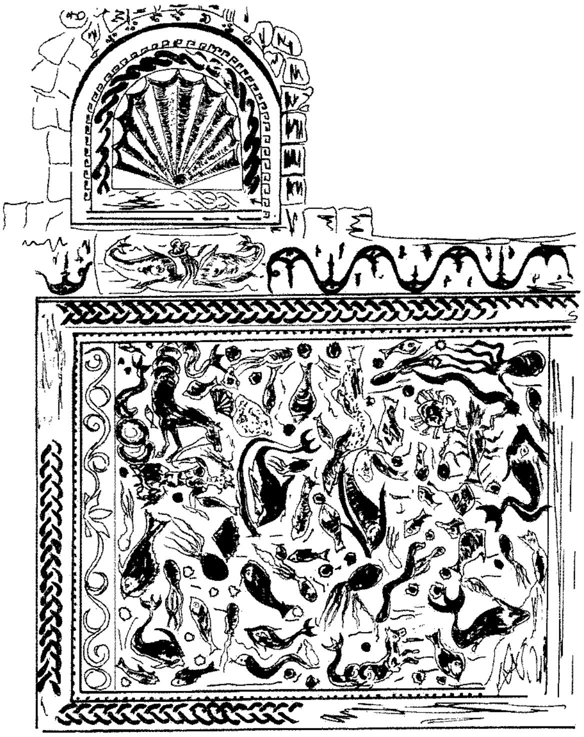

جدارية حمام تريتون

النموذج الأول : فسيفساء الغرفة الساخنة بحمامات بناصة المعروفة تحت إسم حمامات بتموير جداري (Thermes aux fresques). (انظر اللوحة II). رغم تسمية الفسيفساء باسم تريتون، فإنه لا يكوّن إلا جزءاً من العناصر المشكلة لهذه اللوحة.

وهذه العناصر منها ما ينتمي لعامل الواقع، ومنها ما هو أسطوري. وتحتل الدلافين (Dauphins) مكانة أهم بالقياس إلى تريتون نفسه الذي يظهر بهذه الفسيفساء من الأمام (En face)، وهو في كامل عنفوانه وقوته، ويغلب عليه الطابع البشري أكثر من الشكل الحيواني حيث إن الطرف الثاني السفلي يبدأ انطلاقا من فخديه. ويمسك بيده اليمنى عنان الفرس المائي (Hippocampe) وباليسرى القوقعة رمزه المألوف.

ولا نستغرب لوجود صورة تريتون بغرفة حمام لأن ارتباطه بالماء وطيد.

النموذج الثاني : تريتون بمنزل أورفي (Orphée) بوليلي. يشكل تريتون لوحة مكملة لفسيفساء أورفي وهذه اللوحة منقسمة إلى سجلين مماثلين إذ لا تنتابهما إلا تعديلات طفيفة.

ففي السجل العلوي نرى تريتون من الأمام، تكتسي ملامحه طابعاً طفولياً، وتزيد استدارة وجهه في تثبيتها، وله نصف أعلى بشري، ونصف أسفل حيواني، وينغمس جزء من ذيله في المياه، كما أننا لا نراه بالرموز المعهودة فله دفة مركب (Gouvernail)، ووشاح. ويحيط به من جهة نمر مائي ومن جهة ثانية فهد مائي.

أما نظيره بالسجل الأسفل فنراه من خلال ثلاثة أرباع (3/4)، يمسك بيده اليمنى العنان (Bride) وباليسرى القوقعة وتشكل القشور (Ecailles) التي تغطي وسط جسمه نقلة من طابعه البشري إلى طابعه الحيواني. ويحيط بيمينه فرس الماء وبيساره لبؤة.

النموذج الثالث : تريتونيس بمنزل موكب فينوس بوليلي. يتشكل موكبها من ـ خلال فسيفساء المنزل الذي يحمل نفس التسمية ـ من العديد من أتباعها، منهم وثن الحب (Amours)، وعرائس البحر (Nereïdes) وامرأتان ذاتا شكل خاص بتريتونيس (Tritoness) النظيرة المؤنثة للمذكر.

تحدد المصادر المكتوبة مكان ولادة تريتون بديار الأطلس من أبوين لهما مكانة مميزة بالمغرب القديم. ونتوفر على ثلاثة نماذج فسيفسائية خاصة بتريتون ومع ذلك، وفي غياب النقائش (Les mocriptions) لا نستطيع أن نتحدث عن عبادته، ولا عن مدى تغلغله ضمن مجمع أوثان المغرب القديم.

A. Boulanger, *Triton, Dictionnaire Daremberg - Saglio*, pp. 483 - 786 ; F. Decret et M. Fantar, *L'Afrique du Nord dans l'antiquité des origines au Vème siècle*, Paris, 1981, pp. 249 - 261; R. Graves, *Les mythes grecs*, Paris, 1984, p. 20, pp. 191 - 215 , S. Gsell, *Herodote, Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1915, pp. 77 - 84 ; Hesiode, *Théogonie*, trad. P. Mason, Paris, 1928, 930, 939 ; G. Marcy, *Notes linguistiques autour du périple d'Hannon, Hesp.* xx, 1935, pp. 38- 41 ; Pline L'Ancien, *Histoire naturelle* V, 1 - 46, Texte établi, Traduit et commenté par J. Desanges, Paris, 1980, pp. 270 - 271 ; Z. Qninba, *La mosaïque d'Orphée de Volubilis*, Thèse de 3ème cycle de l'Université Laval, 1988 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 , R. Thouvenot et A. Luquet, *Les thermes de Banasa, P.S.A.M.* IX, 1951, pp. 21 - 32 ; *La mosaïque du Navigium Veneris à Volubilis, Revue archéologique*, I, 1977, pp. 37 - 52.

البضاوية بلكامل وزهرة قنينبة

**التريركي**، رايس بحري بأسطول الجهاد السلوي، وهو من الرياس الأتراك الملتحقين بالمغرب. كان خلال موسم سنة 1046 / 1636 منهمكاً في عملياته بالمياه الإيبرية لما تعرض في شهر سبتمبر لهجوم سفينتين زيلانديتين (الأراضي المنخفضة)، قامتا بالاستحواذ على أشرعة مركبه ومدافعه وذخائره ومؤنه ؛ كما افتكتا أسراه الاسبان، واعتقلتا أعلاجه الأربعة والعشرين ؛ ثم أقدمتا ـ بعد ذلك ـ على إغراق سفينته وعلى متنها بقية الطاقم من المسلمين وعددهم خمسة وثلاثون بحرياً، لم يفلح في النجاة منهم سوى خمسة فروا على متن أحد الزوارق.

وقد شكلت سفينة التريركي إحدى النقط التي كلفت بها السلطات المغربية مبعوثها لدى الولايات العامة بهولندة دافيد بالاش للمطالبة بالتعويض على الأضرار والاقتصاص من الجناة.

De Castries, *S.I.H.M.*, 1ère série, Pays-Bas T, IV, p. 418 - 20.

حسن أميلي

**تريسديس** Trisidis، مدينة من المغرب القديم، انفرد بذكرها الجغرافي بطوليمايوس Ptolemaus، الذي عاش خلال القرن الثاني قبل الميلاد، وهو من مدينة الاسكندرية المصرية. تقع حسب الخريطة التي وضعها بطوليمايوس للولاية الرومانية في المغرب القديم، خارج نطاق هذه الولاية التي تمتد في الجنوب الشرقي إلى مدينة توكولوسيدة الواقعة جنوب وليلي بحوالي أربعة كيلومترات ونصف.

تأتي مدينة تريسديس حسب بطوليمايوس على رأس مجموعة من المدن الواقعة خارج نطاق السيطرة الرومانية ؛ وهي مدن لم يرد ذكرها في أي مصدر آخر. وتعد مدينة تريسديس في هذه الخريطة منطلقاً لتوزع هذه المدن عبر محورين : واحد يتجه إلى الجنوب الغربي، عبر مدينة ثيكاث (Thikath)، وينتهي إلى مدينة والة (Ouala)، والآخر يتجه إلى الشرق، عبر مدينة بينة، وينتهي إلى مدينة ݣالفة Galapha.

اعتمد بعض الدارسين على خريطة بطوليمايوس لحل الإشكال الذي يطرح حول الطريق الداخلية التي ينبغي أن تربط بين الولايتين الرومانيتين موريطانية الطنجية والقيصرية. واتخذ هؤلاء الدارسون خريطة بطوليمايوس منطلقاً للقول بوجود طريق داخلية تتجه من الغرب إلى الشرق عبر ممر تازا الحالية، لتحقق التواصل البري بين الولايتين.

وفي تتبعنا لآراء الكتاب الذين يعتقدون وجود هذه الطريق البرية، نجد روجي Roget يقول بهذه الفكرة دون اقتراح موقع محدد للمدينة، وهو في ذلك يردد رأي موليرMuller الذي يأتي على رأس أقدم الدارسين لجغرافية بطوليمايوس.

تناول توڤنو Thouvenot هذا الموضوع المتعلق بالمدن التي ذكرها بطوليمايوس خارج نطاق ولاية موريطانية الطنجية، وهو القائل بوجود مدينة تريسديس في مفترق طريقين قديمين، واحد يتجه نحو بلاد السوس والآخر يتجه نحو موريطانية القيصرية. لقد أوضح توڤنو في دراسته حول الطريق المؤدية إلى بلاد السوس قديماً أن موقع مدينة تريسديس حدده الجغرافي بطوليمايوس بحوالي 130 كيلومتر جنوب شرق مدينة توكولوسيدة وبحوالي 80 كيلومتر غرب نهر ملوية، وذلك وفق الاحداثيات التالية : الطول : 9 درجة، العرض : 33 درجة و10 (Ptolémée, IV, 1, 7). ويلاحظ الباحث أن هذا التحديد غير دقيق، وفيه مبالغة، اعتباراً للأخطاء التي تعتري تحديد مواقع المغرب القديم في الخريطة التي أفردها الجغرافي لهذه البلاد. من بين هذه الأخطاء وضعه لتوكولوسيدة على بعد 75 كيلومتر غرب مدينة وليلي، بينما لا تفصل بين المدينتين إلا أربعة كيلومترات ونصف.

وهكذا اقترح توڤنو أن مدينة تريسديس تقع في ناحية إيموزار وذلك بقصبة تابالاوت الواقعة على الطريق الرابطة بين الحاجب وأزرو.

تبنى شميت Schmitt نفس الفكرة التي تجعل تريسديس تقع على الطريق الداخلية المتجهة نحو شرق موريطانية الطنجية عبر ممر تازا، وذلك في رسالته لنيل دبلوم الدراسات العليا في موضوع : *المغرب من خلال جغرافية بطوليمايوس*. حسب هذا الباحث فإن مدينة تريسديس تقع على الطريق المؤدية إلى الشرق، في اتجاه ݣالفة عبر مولوكات (Molochath) وبينتة (Benta). ولقد رجح أن مدينة تريسديس تقع حيث يوجد ضريح قديم بسوق جمعة الكور جنوب شرق مدينة مكناس.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; *Index de topographie antique du Maroc*, Rabat, 1938,*P.S.A.M.*, 7; P. Schmitt, *Le Maroc d'après la Géographie de Claude Ptolémée*, thèse de doctorat de 3ème cycle, Tours, 1973 ; R. Thouvenot, *Le Géographe Ptolémée et la route de Souss*, *Hesp.*, 33, 1946, p. 373 - 384 ; *Le Géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Maurétanies*, *R.E.A.*, 64, 1992, p. 82 - 88.

محمد مجدوب وعلي واحدي

**التريعي**، محمد بن المعطي، من الزعماء المشهورين الذين عرفتهم قبيلة دكالة في بداية القرن العشرين. ترجع شهرته إلى ما طبع حياته من جهاد ضد الاحتلال الفرنسي.

ولد التريعي حوالي سنة 1273 / 1856، إذ قدرت بعض الاستخبارات الفرنسية السرية عمره سنة 1911 بحوالي 55 سنة. ينتسب إلى دوار أولاد بومغزل من فخذة التريعات وهي إحدى الأفخاذ الأصلية المكونة لقبيلة الحوزية التي توجد مدينة أزمور بترابها.

ويستفاد من الوثائق المغربية الرسمية أن محمد التريعي كان قائدا سنة 1312 / 1894. فحسب مراسلتين إحداهما من قائد الدار البيضاء عبد الرحمان برݣاش مؤرخة في 8 ربيع الأول 1312 / 9 شتنبر 1894، والأخرى من قائد مديونة أحمد بن العربي المديوني مؤرخة في 13 جمادى الثانية 1312 / 12 دجنبر 1894، نجد أن محمد التريعي قد ألقي عليه القبض وسجن بمدينة الدار البيضاء مع قائدين آخرين من دكالة هما أحمد البوعزيزي (أولاد بوعزيز) وسعيد الفرجي (أولاد فرج). وقد نقل القواد الثلاثة إلى سجن الرباط بأمر من الصدر الأعظم أحمد بن موسى الذي يبدو أنه أبقاهم في السجن إلى وفاته سنة 1318 / 1900.

وقد أشارت بعض التقارير السرية سنة 1329 / 1911 إلى أن محمد التريعي كان متولياً منذ حوالي 12 سنة، وعلى هذا الأساس يبدو أنه رجع لقيادته قبيل أو عقب وفاة الصدر الأعظم المذكور في محرم 1318 / ماي 1900 ذلك الوزير الذي اشتهر بإلقاء العديد من قواد القبائل في غياهب السجون.

والواقع أن محمد التريعي تولى القيادة خلفاً لأخيه الذي كان قائداً على قبيلة الحوزية. وكان محمد التريعي طالباً حافظاً للقرآن. كما يبدو أنه كان على علاقة حسنة مع بعض القواد الكبار مثل عيسى بن عمر العبدي.

إلا أن محمد التريعي الذي كان يقود قبيلة تحرس المجال الممتد من مدينة أزمور إلى جوار مدينة الجديدة ؛ وبما أن النفوذ الأجنبي بالجديدة كان يتزايد باستمرار، وحيث إن قناصل الدول الأجنبية وخاصة قناصل فرنسا وإسبانيا وإنجلترا، كانوا نشيطين في نشر نفوذ بلدانهم بين أعيان دكالة وخاصة بين القياد، نظرا لكل ذلك، فقد أصبح محمد التريعي محل مراقبة من طرف الفرنسيين الذين لم يرغب في وضع يده بأيديهم. وتؤكد استخبارات الفرنسيين إلى أن علاقة الرجل بهم كانت سيئة إلى سنة 1329 / 1911. وسنرى أنها ظلت سيئة إلى ما بعد ذلك التاريخ بل ازدادت سوءاً.

وعلى كل حال، طبعت حياة ولد التريعي بالصراع ضد الأجانب فقد أشارت الاستخبارات إلى أن علاقته بالأجانب بالجديدة كانت محدودة. ويبدو أن الرجل الذي اشتهر بالشجاعة والصرامة كان مصمماً على عدم خدمة إهداف الفرنسيين. ويظهر نتيجة لذلك أنه انضم للحركة الحفيظية حيث أصبح من أعمدتها في حوز أزمور والجديدة. ويعد كل ذلك بالنسبة إلينا أن الرجل اختار طريق الجهاد ضد التدخل الفرنسي في المغرب.

وبالفعل، فقد أصبحت الدعاية الحفيظية نشيطة بالمنطقة، حتى إن الفرنسيين الذين احتلوا الدار البيضاء، هددوا باحتلال الجديدة في صيف 1325 / 1907. وبالرغم من ذلك فقد تمكن الحفيظيون من السيطرة على أزمور بمساعدة التريعي دون شك، ونظموا عملية تهريب الأسلحة إلى مجاهدي الشاوية عبر الجديدة وأزمور.

لم يكتف محمد التريعي بمعارضة النفوذ الأجنبي في قبيلته، بل نجده يلبي داعي الجهاد ويقطع وادي أم الربيع إلى الشاوية حيث اصطدم بقوات الجنرال داما في بداية 1325 / 1908. وتشير بعض الأخبار إلى أن القائد التريعي كان يجاهد في "المذاكرة" مع بطلها الأحمر بن منصور ولا غرابة في ذلك، فقد جذب مؤذن الجهاد بالمذاكرة أبطالاً من الحوز مثل عمر السكتاني ومن الأطلس مثل موحا وسعيد الوراوي وموحا وحمو الزياني وهؤلاء قواد مشهورون في قبائلهم. أما غيرهم من المجاهدين فكانوا كثيرين.

وقد عاد محمد التريعي إلى بلاده بعد سيطرة القوات الفرنسية على الشاوية، كما تمكن قائد قوات الاحتلال من الجواز إلى أزمور التي احتلها وأبعد عنها القائد الحفيظي حاسي الكلاوي، كما عزل محمدالتريعي عن القيادة وولى غيره مكانه في جمادى الثانية عام 1326 / يوليوز 1908.

لكن بمجرد عودة قوات الاحتلال إلى الشاوية، عاد محمد التريعي إلى قيادته حيث قتل القائد الذي ولاه الفرنسيون وعلق رأسه على أبواب أزمور وفي هذه الأثناء حصل محمد التريعي على ظهير حفيظي بالتولية من جديد.

ويتهم الفرنسيون محمد التريعي بالتعسف والقسوة ضد محكوميه، وخاصة بعد احتلال أزمور من طرف القوات الفرنسية وخروجها منها. أما بالنسبة لعلاقته بالأجانب فيتهمونه بأنه كان يضيق عليهم عند المرور ويفرض عليهم إتاوات كبيرة وخاصة على الفرنسيين الذين يريدون قطع وادي أم الربيع إلى الشاوية. أما فيما يتعلق بالحصول على الحماية الأجنبية، فقد كان محمد التريعي ينكل بكل من يدعي تلك الحماية ولذلك تكاثرت شكايات الفرنسيين ضده عند السلطان مولاي عبد الحفيظ وتدخلوا لديه لعزله لكنه لم يفعل إلا سنة 1330 / 1912.

ومنذ الحملة الفرنسية على فاس سنة 1911، وحصول الاتفاق الألماني الفرنسي حول المغرب في ذي القعدة عام 1329 / نونبر 1911، أخذ محمد التريعي يحتاط لنفسه. وبالرغم من ذلك لم يطلب الحماية الأجنبية إلا بعد أن أصبح مهدداً لما تمكن الفرنسيون من فرض الحماية على المغرب في ربيع الثاني عام 1330 / مارس 1912، واستصدروا قرارا بعزله.

ففي شهر جمادى الأولى 1330 / أبريل 1912 ذهب القائد محمد التريعي إلى القنصلية الإسبانية بالجديدة ليطلب من القنصل لويس ڤياس (Louis Villas) الحماية من بلاده. وبمساعدة السيد بوخول (Pujol) كاتب القنصلية واليهودي المغربي يوسف ماهون (Joseph Mahon) وهو سمسار إسباني، تمكن القائد التريعي من الحصول على بطاقة الحماية الإسبانية.

وقد عارض الفرنسيون وحزبهم، منح إسبانيا حمايتها للقائد المجاهد، فاحتج النائب محمد الجباص والوزير المقري على تلك الحماية لكن البعثة الإسبانية بطنجة لم تتخل عن حماية الرجل. وظل محمد التريعي بالرغم من توقيفه يمارس مهامه كقائد بقبيلته إلى شهر يوليوز 1912.

وفي 23 يوليوز احتل الكولونيل مانجان مدينة أزمور، وجعلها مركزاً لعملياته بدكالة. فقد عين قائداً عاماً ومشرفاً سياسياً مكلفاً بتهدئة المنطقة ؛ بمعنى آخر مكلفاً بالقضاء على كل نفوذ معارض للاحتلال الفرنسي بالقبائل الدكالية.

وكان القضاء على نفوذ القائد التريعي في مقدمة اللائحة. ولذلك قرر الكولونيل مانجان قنبلة قصبة التريعي وإلقاء القبض على الرجل في فجر يوم 4 غشت. بيد أن محمد التريعي الذي علم بالأمر بطرقه الخاصة غادر قصبته ليلا، والتجأ إلى دار اليهودي سيكسو Siksou وهو محمي إسباني يسكن بقرب مدينة الجديدة.

وفي الغد قنبلت قوات الاحتلال قصبة القائد المغربي، واحتلتها بعد اشتباك قصير مع ساكنيها، ثم صادرت ما وجد بها من سلاح ووثائق، وأشعل فيها النيران. وفي الوقت الذي كانت فيه قصبة التريعي تحترق كان القنصل الفرنسي قد جند ما عنده في الجديدة وحاصر دار سيكسو بمساعدة طابور بوليس الجديدة.

وتشير بعض المراسلات الفرنسية إلى أن القائد محمد التريعي، طلب التفاوض مع القنصل الفرسي ؛ فذهب هذا الأخير، بصحبة قائد طابور البوليس وضابط صف إلى دار

سيكسو، حيث خرج إليهم التريعي مع بعض رجاله، ووعد القنصل بالاستسلام للقنصلية الفرنسية. وتتهم الرواية الفرنسية القنصل الإسباني بالتدخل في الأمر مما دفع التريعي إلى التراجع عن وعده.

ومهما يكن من أمر، فقد عزز الفرنسيون، في يوم 5 غشت طابور البوليس بفرقة من الرماة لتشديد يد الحراسة حول دار اليهودي خوفاً من خروج التريعي منها. وفي المساء حدث تبادل لاطلاق النار بين دار سيكسو والقوات المحاصرة لها. وفي هذه الأثناء تجمعت الجالية الفرنسية بالجديدة، بدار القنصلية الفرنسية، حيث تسلح أفرادها وبدأوا يقومون بأعمال الدورية بضواحي المدينة.

ونتيجة لهذه التطورات، ونظراً لما قام به الفرنسيون من استعدادات حربية، خيم على الجديدة في صباح يوم 6 غشت جو مكهرب، فلم تفتح المتاجر أبوابها وظلت مصالح الديوانة والمصالح التي يراقبها الفرنسيون كالبنك المخزني ومراقبة الدين مغلقة بدورها. وكان الجميع يحس بقرب حدوث انفجار ما. ولا ندري هل كان الفرنسيون ينوون اقتحام دار المحمي الإسباني أم لا.

الحاصل، أنه في الساعة الواحدة من زوال يوم 6 غشت، أي في الوقت الذي تشتد فيه وطأة درجة الحرارة؛ فوجئ المحاصرون لدار اليهودي سيكسو، باندفاع الفارس المغربي متجردا من ملابسه ولم يبق عليه سوى الجلابة، حاملا معه ابنه الصغير في إزار معقود بحزامه، يتبعه بعض رجاله. ونتيجة للمفاجأة وللسرعة التي اندفع بها حصان التريعي خارج دار سيكسو، لم يتمكن الجنود من إصابته بالرغم من النيران التي صوبت نحوه.

وهكذا تمكن القائد محمد التريعي من التخلص من الفرنسيين المحاصرين له، كما تخلص منهم عندما حاصروا قصبته. وفي طريقه صادف أحد الضباط الفرنسيين متجها نحو المعسكر عندما سمع صوت اطلاق الرصاص، فأرداه قتيلا ثم اختفى وسط بادية دكالة دون أن يجرؤ أحد على مطاردته.

إلى هنا تقف المصادر التي اعتمدناها في تتبع علاقة التريعي مع الفرنسيين. ويبقى مصير التريعي مجهولا لدينا إلى أن توضحه المكتشفات الجديدة من الوثائق. ومع ذلك يمكننا أن ننبه إلى بعض الإشارات التي وردت على لسان بعض المخبرين، مفادها أن القائد التريعي انضم مع مجاهدين آخرين إلى جانب موحا وحمو الزياني، حيث شارك في جهاد قبائل المنطقة ضد الاحتلال الفرنسي.

وثائق خ. ح. ؛ *الوثائق الدبلوماسية بمدينة نانت* ؛ نشرة إفريقيا الفرنسية 1912 ؛ الرواية الشفاهية.

Goulven, *Le cercle des Doukkala.*

علال الخديمي

**تريفة** ـ جغرافيا ـ. سهلٌ يمتد على الواجهة المتوسطية لجبال بني إزناسن، كما يطلق على القبائل العربية التي تسكن هذا المجال، والتي اختلطت اختلاطاً وثيقاً مع القبائل البربرية الإزناسنية. ذلك أنه تاريخيا، كان النشاط الزراعي يتركز أساساً في الأودية النازلة من الجبل، وداخل السلسلة، بينما ظلت المنطقة المنخفضة مجالا للرعي. وهذا التكامل سمح بالحفاظ على نوع من الاستقرار في الوحدتين معاً.

من الناحية المناخية والنباتية يجب التمييز بين الجهة الغربية (منخفضات الشويحية وبوعريبة) حيث ينعدم العنصر الشجري ويقوى الجفاف (غلبة الشيح والحلفاء) والسهول الوسطى والشرقية، حيث الظروف الطبيعية تسمح بنمو غطاء من الشجيرات تعرض للقطع في جل المناطق.

وتبين الأترية نفس التناقض، يفسره النموذج النظري الذي اعتمده إخصائيو التربة (Ruellan, 1971). هذا النموذج يعتبر فترات استقرار طويل سمحت بتترب متقدم على سفوح بني إزناسن، تتبعها فترات خلل مناخي يتم خلالها تدهور الغطاء النباتي، وبالتالي نزوح هذه الأترية نحو السهل تحت تأثير عوامل نقل أهمها السيول المتفرقة. والتغاير الصخاري بين بني إزناسن الشرقية المكونة من اكلاس صلبة تحمل أترية حمراء منزكلة، وبني إزناسن الغربية الصلصال ـ كلسية والحثية والحاملة لأترية سمراء كلسية، يفسر التناقض بين الجهتين الشرقية والغربية من سهل تريفة. ذلك أن الجهة الشرقية والوسطى (ناحية أحفير ـ بركان) استقبلت هذه المواد الحمراء المنزكلة، والتي كونت في السهل أترية قسطالية اللون، لها مسكة عليا سميكة، فوق مسكة كلسية عميقة ومتصلبة. أما في الجهة الغربية (بوغريبة ـ الشويحية) فإن المواد المتراكمة فاتحة اللون وغير متمايزة القطاع، تعلو بها نسبة الكلس ابتداء من السطح. والتراكمات الحديثة جدا (تراكمات الهولوسين) وحدها متشابهة في كل المناطق، لأنها نتاج إعادة نقل لمواد خام، لم تتعرض لتترب متقدم. وهي مواد تتركز على طول المجاري النهرية والسيول.

وقد أثبتت الدراسات الحديثة (Laouina, 1987, 1990) أن التترب المحلي كان له إسهام هام في تكوين الرصيد الإقليمي من الأترية، وذلك تبعاً للموقع التضاريسي والمناخي. وهكذا يمكن التفريق بين خمسة أنواع من البيئات الأساسية :

ـ بيئة الشريط الساحلي (السارگ)، وهو مجال مزدوج، مكون إما من سطوح رتيبة مالحة أو كثبان رملية حديثة.

ـ بيئة التلال المتموجة : في منطقة أولاد منصور، تمتد هضبة متموجة، تقطعت محليا على تلال، والبروزات متدهورة التربة بينما المنخفضات مجال تراكم.

ـ بيئة حادورات تريفة الشرقية والوسطى، المسكوة بأترية قسطالية غنية، في إطار مناخي نصف جاف.

ـ بيئة حادورات تريفة الغربية، التي تغلفها أترية بنية كلسية، ذات قشرات كلسية سميكة وقريبة من السطح في إطار مناخي يميل إلى الجفاف.

ـ بيئة الأودية الكبرى، كواد كيس أو شراعة أو ملوية، وهي أشرطة حيث تمتد درجات ممتازة الظروف، وسط مجال صعب ومهدد بالاقتلاع والإزالة.

وموقع تريفة في قدم بني إزناسن يفسر التوفر النسبي لثروات مائية ؛ فالأنهار النازلة وبعض العيون تغذي منطقة دير محدودة الامتداد تتركز على شكل أشرطة دقيقة. كما أن المياه المتسربة في الجبل تسري في فرشة مائية باطنية في السهل. إلا أن انخفاض منطقة مداغ، من جهة، ووقوف ثنية أولاد منصور في وجه حركة الماء نحو الشمال، كانا الأصل في تكوين مستنقعات ممتدة في سهل مداغ، الشيء الذي استدعى تجفيف هذه المستنقعات قبل الانطلاق في تعمير السهل.

عرف منخفض تريفة تحولات جذرية خلال المراحل الحديثة من تاريخه، كان لها بالغ الأثر من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وكذا على البيئة العامة. ذلك أن هذا المنخفض كون إلى بداية هذا القرن مجالاً تكميلياً، يستعمله سكان الجبل ـ بني إزناسن ـ كمرعى لماشيتهم خلال فصل الشتاء. ولذا فإن الغطاء النباتي احتفظ بكثافة عالية وبالتنوع المتمثل في تشكيلات شجيرية وأعشاب مختلفة. وظلت الساكنة المحلية محدودة. ولقد تحولت هذه الوضعية جذرياً بمجرد دخول المعمرين في بداية القرن، حيث تم اجتثات الأرض، وتجفيف المستنقعات، ومد السقي في المجالات المتوفرة على فرشة مائية غزيرة وقريبة من السطح. ونتج عن هذا توقيف للحركة المعهودة للسكان بين الجبل والسهل واستقرار البعض من هؤلاء في المجالات التي تركها المعمرون شاغرة، يعني في الهوامش المتميزة بانحدارات نسبية وأتربة هيكلية وفقيرة. كما قطن البعض الآخر إلى جانب ضيعات المعمرين ارتباطا بفرص الشغل المتوفرة فيها. وهكذا، تحول السهل إلى مجال أساسي للسكن والانتاج الفلاحي.

وقد استمرت الدولة المغربية في نهج سياسة تنمية السهول المنتجة على حساب الهوامش الجبلية، وذلك بتعميم الري وتكثيف الشبكة الطرقية وتشجيع التجهيز والتمدين. وقد كان بناء سد محمد الخامس على نهر ملوية انطلاقة أساسية في مد السقي في سهل تريفة وحتى على بعض هوامشه مثل قدم الجبل وتلال أولاد منصور.

وهكذا يمكن تقسيم السهل وحواشيه إلى مجموعة من الوحدات :

ـ أراضي ضعيفة الاستقرار البشري أو غير مسكونة، مثل السهل الساحلي الملحي المكسو بأعشاب متكيفة، والتي تصلح كمرعى مؤقت. والكثبان الساحلية المثبتة بأغراس شجيرية، والتي تعرف حاليا تطور أنشطة ترفيهية شاطئية، قد يكون لها أثر سالب على استقرار الرمال، والأشرطة الهدرغرافية الكبرى التي تزورها الشاحنات لاقتلاع الرمل والحصيم.

ـ الهضاب الهامشية : ويضعف استعمالها لأسباب عدة منها هزالة التربة وعدم وصول مياه الري إليها أو جفاف المناخ.

ـ عند قدم الجبل، تمتد زراعات تقليدية في مجالات حيث الكثافة البشرية تصل إلى 60 وحتى 100 نسمة / كلم².

ـ تتمثل الأراضي الأكثر جودة في الأجزاء المنخفضة من السهل، وهي أراضٍ كانت تسقى بالمضخات في أواسط هذا القرن، ثم تحولت إلى مجال سقي انجدابي معمم بعد وصول مياه ملوية. وتختلف المظاهر حسب مجموعة من المؤشرات منها قدم الاستقرار، ونوعية التمليك. فمجال مداغ العشامنة، عبارة عن مستنقع قديم، تم تجفيفه في أوائل القرن، ثم امتد إليه الري. وتغطيه ملكيات كبرى، عدا وسط المستنقع الذي جزئ قطعا صغيرة. وتظل الكثافة البشرية في هذا المجال متواضعة، وتقل الكثافة في المنخفضات التي تتوسط تلال أولاد منصور والتي بقيت فارغة إلى حين الوصول المتأخر لمياه ملوية إليها. أما نحو الجنوب، فإن السطوح الممتدة قد جزئت أراضيها تجزيئاً دقيقاً، الشيء الذي يفسر ارتفاع الكثافة البشرية بها (مجالات السليمانية ـ بوغريبة).

مشاكل السهل مرتبطة بالاختيارات الأساسية التي نهجتها السياسة الفلاحية.

ـ فهناك مشاكل تقنية تتصل بالري ويدخل ضمنها صعوبة التصرف في المياه، وضياع قسط وافر منها، وتدبير الموارد السطحية والباطنية قصد تلافي تمليح الأراضي وصعود مستوى الفرشة المائية.

ـ وهناك مشاكل عامة تتعلق بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية والاختيارات الخاصة بالمزروعات.

فسهل تريفة الذي كان مجالا تكميليا في بداية القرن، تحول إلى نطاق يعرف ضغطاً بشرياً وتكنولوجيا. والتطورات شديدة السرعة، أغلبها إيجابية تدل على تنمية هامة، وعلى تنوع في الإنتاج. وقد تمت هذه التحولات بوتيرة سريعة حيث تضاعفت الساكنة أربع مرات من بداية القرن حتى سنة 1960 ؛ ثم مرة أخرى خلال الثلاثين سنة اللاحقة. ويعزى هذا التوقف النسبي في ساكنة الأرياف إلى بروز ظاهرة التمدين السريع في بركان وفي المدن الصغيرة الأخرى كأحفير والسعيدية وعين الركادة، وفي عدد من المراكز الأخرى.

J.P. Charvet, *La plaine des Triffa, R.G.M.*, n° 21, 1972 ; A. Laouina, *Le Maroc Nord-Oriental*, Thèse d'Etat, Paris - Sorbonne, 1987 ; *Implications spatiales et environnement des transformations socio-économiques et technologiques et sur les campagnes marocaines*, in *Le Maroc, espace et société*, Passau, p. 175 - 181, 1990 ; A. Ruellan, *Contribution à la connaissance des sols des régions méditerranéennes*, Mem. ORSTOM, n° 54, Paris, 1971.

عبد الله العوينة

* * وعن تاريخ استقرار ساكنة تريفة، فقد استوطنت أربع قبائل سهل تريفة وصارت تُنعت باسمه وهي : أولاد منصور وأولاد الصغير وهوارة والعشامنة.

وتعتبر قبيلة أولاد منصور من أقدم القبائل التي استقرت بسهل تريفة، ونصت اتفاقية مغنية حول الحدود

سنة 1261 / 1845 على أنهم أولى القبائل المغربية النازلة في مقدمة الحدود ابتداءً من البحر، وتفيد بعض الروايات أنهم إخوة لأولاد منصور المستقرين قرب مغنية (الجزائر)، وأنهم انفصلوا عنهم منذ حوالي ثلاثة قرون، واستقروا غرب واد كيس في موطنهم الحالي.

أما أولاد الصغير وهوارة والعثامنة فقد انتقلوا من بسيط أنكاد إلى سهل تريفة في منتصف القرن الثالث عشر (19 م)، ويستفاد من مختلف المصادر أنهم إخوان لأهل أنكاد (أنظر مادة أهل *أنكاد*، ج 3، ص. 859 ـ 860)، وكثيراً ما تنعتهم الوثائق "بأنكاد تْريفة" أو "بأعراب تْريفة".

عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873 ـ 1907*. منشورات جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء 1989، ص. 73 ـ 79.

La Martinière et Lacroix, *Document*, T. 1, pp. 188 - 214 ; Voinot, *Oujda et l'Amalat*, pp. 201 - 203.

عكاشة برحاب

**تريفيت** أو تاريفيت، أو على الأصحّ اللهجة الزناتية، فرع من فروع اللغة الأمازيغية العامّة (انظر مادّة أمازيغية، *معلمة المغرب*، ج 2). يُصنِّف علماء اللعجات الأمازيغية اللهجة الزناتية إلى قسمين :

القسم الأول هو الريف بمعناه الضيق، أي ذلك المجال الممتدّ بين وادي كرت (إغزارن شارت) ووادي بني گميل حيث تقطن قبائل أيت إطّفت وإبقّوين وأيت وارياغل وأيت تمسمان وأيت سعيد. أما القسم الثاني فهو يستعمل في مجال يشمل القطاع الشرقي في الريف : قبائل إقرعيين وإكبدانن وحتى قبائل أيت توزين وإگزناين وأيت أوليكش وأيت عمّرت الموجودة في الداخل، ويذهب بعضهم إلى إدماج أيت إزناسن وأيت بوياحي وإمضالس (مطالسة) في إطار زناتيٍّ أوسع. وعموماً يمكن القول بأن المجال الجغرافي للزناتية تحيط به غرباً قبيلة غمارة وشرقاً الحدود الجزائرية وجنوباً قبائل البرانس وهوارة كما يحدّه شمالاً البحر المتوسِّط.

إن أهم ما يميز اللهجة الزناتية هي خصائص نظامها الصوتي المتمثلة في تحويل الصوامت المقفلة إلى صوامت احتكاكية :

ب ← پ، ت ← ث، د ← ذ، ك ← كِ، گ ← گِ.

ويبدو أنّ هذه الظاهرة تتضاعف من الجنوب إلى الغرب؛ ويلاحظ كذلك تحويل ث إلى ذ في بداية الكلمة : ثامطوت ← ذامْطوت "المرأة"، وتحويل كِ إلى ش أو إلى ي: ثفوكت ← ثفوشت أو ثفويث "الشمس"، كما تُحوّل گَ إلى دَ ج أو إلى ج أو إلى ي : ثارگا ← تاردجا أو تاريا "الجدول"، ويلاحظ كذلك قلب اللام راءً : أسلم ← أسرم "سمك"، وهذا القلب يهم كذلك المفردات الدخيلة : القائد ← قايد ؛ أما الام المشـدّدة فهي تصبح دّ أو دج أورّ: وَلّي ← وْدّي "الشياه"، ثيلّي ← ثيدجى "ابنتي"، أگلّيد ← أجلّيد أو أجدّيد "الملك". وتطبع هذا النظام الصوتي كذلك كثافة الصوامت المعطّشة من تش ود ج كثيراً ما تكون هذه الصوامت نتيجة لإدغام صامتين : ل + ث ← تش : ثاقبيلت ← ثاقبيتش، "القبيلة"، وْلتما ← وْتشما "أختي"، أو ن + ل ← د ج : أنـلـي ← أدجي "المخّ".

أما على المستوى الصرفي ـ التركيبي فلا توجد اختلافات بنيوية كبيرة بين الزناتية واللهجات الأخرى، ومع ذلك لا بد من الوقوف عند بعض الظواهر منها غياب أداة المضارعة، أما أداة المستقبل فهي أدوغا، وأداة النفي هي وار أو وا أو وْر.

بالنسبة للصيغ الاسمية نلاحظ أن الصائت الذي يقع في أول الاسم المؤنث والمذكر يَسقُط في كثير من الحالات : أفوس ← فوس "اليد"، أمازيغ ← مازيغ "الأمازيغي"، تاسا ← ثسا "الكبد"، تاغاط ← ثغاط "الماعز". وكذلك الاسم يُبْنى حسب قواعد حالة الفصل أو حالة الوصل المعروفة في النحو الأمازيغي ما عَدَا في إطار بنية تركيبية واحدة وهي فعل + فاعل حيث لاتُطبَّق قاعدة الوصل في كثير من الحالات في لهجة تاريفيت : إدّا ؤرگاز ← إدّا أرياز "ذهب الرجل". أما الأسماء العددية فيظهر أنها فُقدت في تاريفيت حيث لم تحتفظ سوى ب إدجن (أو إدج أو إجّن) "واحد"، وب إشت "واحدة"، أمّا الأعداد الأخرى فهي مستعارة من العربية.

وهناك خاصية أخرى تتميّز بها هذه اللهجة تكمُن في استعمال د كرابطة بين الاسم والصفة : ؤ ماس د أمزيان بدل ؤماس إگا أمزيان كما هو الحال في اللهجات الأخرى "أخوه صغير" (تلاحظ هذه الظاهرة في لهجة زمّور كذلك). ثمّـة كذلك بعض الاختلافات على مستوى الضمائر المنفصلة : شك (أنتَ)، شم (أنت) وعلى مستوى الأدوات الظرفية : أزّغاث = أسگاس تّاط = نطاضانا "السنة الماضية"، إضا = إضؤ = غاسّا "اليوم"، إضنّاض = أسنّاط + إضگام "البارحة"، أطّاس = شايگان = كيگان "كثير"، قاع = قاح = أكّ "الكل"، ذا = ذاها = غيد "هنا"، ؤرا = أگود = ؤلا "حتى"، مامّك = ماكا = مانيك "كيف"، الخ.

أما من حيث المعجم، فهنالك مفردات مشتركة بين سائر اللهجات وأخرى تنفرد بها تاريفيت : أذف "دخل"، إرض "لبس"، قّار "تكلّم"، رو :بكى"، سقاذ "أرسل"، وْضا "سقط"، وْگور "مشى"، ثيزگي "الغابة"، ثيمسّي "النار"، إري "العنق"، يازيض "الديك"، الخ.

ـ الأدب : بالرغم من بعض المحاولات الحديثة يبقى الإنتاج الأدبي الريفي إنتاجاً شفوياً يتمثل في الأجناس المأثورة في الأدب الأمازيغي من شعر ونثر، غير أننا لا نعرف عنه إلاّ القليل لندرة الدراسات المتخصِّصة يسمّى الشعر إزري أو أعنّيح عندما يُعنّى ويكون شعراً وجدانياً

يتغنى فيه الشاعر بالطبيعة وبالمحبوبة ويكون كذلك شعراً دينياً يتضمّن الموعظة والإرشاد، كما يكون ذا مضمون سياسي يتناول مقاومة الاستعمار الإسباني أو يعالج ظواهر من التاريخ الحديث وقضايا المجتمع المعاصر. أمّا النثر فإنه ينقسم إلى الأنواع المعروفة في الأدب الأمازيغي العام من حكايات وأمثال وألغاز.


م. الشامي، *حرب الريف والمأثور الشفوي : شعر المقاومة والجهاد*، ندوة حول جوانب من الأدب في المغرب الأقصى، ص. 411 ـ 437، 1986، منشورات كلية الآداب، وجدة.

S. Biarnay, *Etudes sur les dialectes berbères du Rif*, Paris : 1917 ; K. Cadi, *Système verbal rifain, Forme et sens*, Paris, 1981: M. Chami, *Un parler amazigh du Rif : Approche phonologique et morphologique*. Thèse de 3ème Cycle, Univ. de Paris V, 1979 ; M. Chtatou, *Aspects of the phonology of a berber dialect of the Rif*, Ph. D. Univ. of London, 1982 ; E. Laoust, *Le dialecte berbère du Rif, Hesp.*, 2ème tri., pp: 173 - 208, 1927 ; A. Renisio, *Etude sur les dialectes berbères des Beni Iznassen, du Rif et des Senhaja de Srair*, Paris, 1932 ; P. Sarriondia, *Gramatica de la lengua rifeña*, Tanger, 1905 ; O. Tangi, *Aspects de la phonologie d'un parler berbère du Maroc: Ath Sidhar (Rif)*. Thèse de Doctorat, Univ. de Paris VIII, 1991 ; E. Ibañez, *Diccionario Español-Rifeño*, Madrid, 1944 ; *Diccionario Español-Senhayi (dialecto berber de Senhay de Serair)*, Madrid, 1959 ; A. El Aïssati, *A study of the Phonotactics of Asht Touzin [illegible] Dialect*. Mémoire de D.E.S., Faculté des Lettres, Rabat, [illegible] ; A El Kirat, *Spirantization in the Beni Iznassen Dialect*. Mémoire de D.E.S., Faculté des Lettres, Rabat, 1987.


أحمد بوكوس

**تريفيّة**، منطقة صحراوية تقع غرب زاگورة وتكسو أرضيتها بعض الجبال الصغيرة المستديرة القمم، شهدت في أوائل عهد نشأتها نشاطا بركانيا هاما بدليل الأحجار الناتجة عن اللاقات، أي السوائل البركانية التي تجمدت مع الزمان.

تشكل هذه المنطقة حوضا ـ أو وهدة ـ تكاد تبلغ مساحته مائة كيلومتر مربع، تتسع جنباته وتنبسط أرضيته بمحاذاة منطقة الگراعرة الشرقية. طقسها جاف صحراوي، وأمطارها قليلة، ويخترقها جدول طويل جاف في أغلب أيام السنة، يسمى أسيف ـ ن ـ تاساوت ويتلاشى في القفار. إنها منطقة قاحلة تلمع بعض جهاتها فتعكس أشعة الشمس لأن الأحجار غنية بمادة الزجاج، وبعض جهاتها سوداء وكأنها مكسوة بطلاء القطران، ولا تبتسم فيها الطبيعة إلا عند نقطتين يدب فيهما ما يشبه الحياة بفضل ما يجتمع فيهما من ماء، وهما واحتان صغيرتان، واحة المرجة وواحة النخيلة، مركزان إداريان يوجد بهما ممثلون للسلطة، يقطنهما عناصر من قبيلة أيت يحيى، مواردهم الفلاحية قليلة تتمثل في شيء من الشعير والتمر والتين، لكن الأهالي يعتمدون أساساً على الاتجار في الابل، وغالبا ما يعدّون من البدو الرحّل.

أحمد بنجلون

**التريكزي** (أهل ـ)، أسرة صحراوية. إذا كانت دراسة كل فصيلة من الفصائل القبلية بالصحراء الأطلسية وضفتها الشمالية تبرز مظاهر التجانس والطابع الأفقي للعلاقات الاجتماعية، فدراسة أهل التريكزي تسمح بما هو أكثر. فهذه وحدة قرابية تسلسلية تعد بحق نموذجا من بين تلك القادرة على كشف المقاييس العملية لفهم البنية الإيكلوجية وأشكال الملكية والنشاط الفلاحي في أوجهه التي مكنت نسبياً من مجابهة مضاعفات المد التجاري الساحلي الأوربي. ومعلوم أن هذا المد كان قد أسرع خلال الفترة الأخيرة من القرن الثالث عشر (19 م) بتفكيك البنيات الاقتصادية والاجتماعية.

يكون إذن من الجائز تسليط الضوء على شخصية التريكزي الجد الفعلي لهذه الفصيلة الذي استطاع بهيمنته وقوة موقعه التصدي لمخاطر الارتباط بهذا الموقع. فليس صدفة أن تتراكم بين يديه الأراضي الخصبة ليتحكم وحده فيما يسمى اليوم بعوينة أهل التريكزي وأحوازها ويدرج ممتلكاته الشاسعة وقطيعه الكبير من الإبل والأغنام وخدام عزائبه ضمن محيط التنافس الحاد. لقد كانت قواه الإنتاجية تتعدى من حيث حجمها ما يتوافر لدى العائلات الكبرى من أبناء فصيلته أيت احماد أوعلي بقبيلة أزوافيط وبغيرها من القبائل المجاورة. كان ضروريا أن يعتمد الأساليب العنيفة لفرض مسلتزماته وحماية ممتلكاته. فقد كان كبار أيت احماد أُعلي يستمدون نفوذهم يومها من معين المقدرة الحربية والتحالف. وفي هذا الإطار يندرج دور التريكزي المحوري ضمن أيت احماد أُعلي ليقترن اسمه بحماية محميه من قبيلة تركز المرابطية التي كانت تقيم يومها في كنفه. لقد كان نظام الحماية هذا في صالحه كممتلك كبير للأرض والماشية حيث كان يحدد بوضوح مجاله الرعوي والفلاحي والمتمثل أساسا في مقدار ما يسمح بتشغيل المرابطين الزوايا تركز. ندرك من هنا لماذا سمي بالتريكزي ويبقى إذن أن نؤرخ لحياته كمؤسس وجدٍّ فعلي لفصيلة مطبوعة بانعكاسات التمايز الاقتصادي والاجتماعي فيما بين الأفراد والجماعات.

**التريكزي، مبارك** بن العگاد بن محمد بن الحسين ابن مبارك بن علي بن إبراهيم وهو المعروف باسم التريكزي، تفصله عن صغار أهل التريكزي الحاليين أربعة جدود مما يفيد انتماءه إلى أواسط القرن الثالث عشر (19 م). وإذا كانت هذه الفترة تبرز إلى حد بعيد ما كان بهذا المجتمع من توزيع غير متساو للملكية والموارد المائية، فإن وثائق أصل التريكزي تعد مرجعاً لتصنيف جدهم هذا في خانة أهم وأكبر الأعيان ذوي النفوذ الواسع. هذا المنظور لا يمكنه أن يكتسي طابعا اعتباطيا أوعشوائيا طالما أن الرواية الشفوية حتى لدى أكبر منافسيه (أولاد بلحويلات ـ أيت لحسن) تنير الرؤيا وتساعد على ضبط حدود معالم شخصيته. وهو أيضاً ما يفيده أيت باعمران وأيت عثمان دونما تحفظ مركزين على حجم وأهمية ممتلكاته من الأرض والساقية وحجم قطيعه من الأنعام. لقد كان مبارك التريكزي من أكبر أعيان أيت احماد أُعلي المراقبين لأهم مداشر وادي نون وأراضيه ومنافذه. على أنه تميز عن باقي هؤلاء الأعيان باحتضانه للمبادرات الاجتماعية وتجسيد

استمراريتها بتعامله مع مختلف مستويات النسق المجتمعي القبلي. لقد سعى دوما إلى تبرير صالحيته كحامي لقبيلة تركز ولكل من كان في حاجة إلى إمدادات غذائية. وإذا كان تتبع مراحل حياته يعد اليوم من باب المستحيلات، فإن في إلقاء نظرة على ملابسات فترة مّا قد يرشد إلى ربط الأسباب بالمسببات وتحديد آليات ومضامين العلاقات بين كبار ومحتكري المجال الفلاحي بوسطهم الاجتماعي.

يعد القرن الحادي عشر (17 م) في وعرون متين الاتصال بالمحاور الرئيسية التي أعادت هيكلة قبيلتي أيت لحسن وازوافيط (انظر مواد إزرگيين - أزوافيط - أيت بلة - تگاوست *بالمعلمة*). والجدير بالملاحظة هنا هو أن هذه الهيكلة تستند فيما تستند إليه، إلى ظاهرة الاستقرار التدريجي للرحل الحالّين محل آخر الحشود المعقلية من ذوي حسان سواء منهم الذين توجهوا جنوبا نحو التراب الموريتاني ليشاركوا في شربَبُه التباري ضد الغزو الصنهاجي أم المتوجهين شمالا نحو حوز مراكش والسهول الأطلسية. لقد أكد حمدي ولد يوسف الذي عايش رجالات أواخر القرن الثالث عشر (19 م) بأن أولاد مبارك المعقليين كانوا إلى حدود القرن الحادي عشر (17 م) بوعرون حيث كان شيوخ وعرون من حراطين ومجاط "البكم" يعانون من سيطرتهم. وقد أشرنا إلى أن أولاد بلحويلات ينتمون إلى الغور السكاني الأقدم (انظر *المعلمة* : أولاد بلحويلات، IV : 1353 ـ 1355) شأنهم في ذلك شأن أيت بكو وأيت عفان وإذا اوبزِيَّة. ولا شك أن التقلبات التي أحدثتها مغادرة ذوي حسان للمنطقة قد حددت طبيعة المشتركات الجديدة بين الغور السكاني الأقدم وأيت احماد أُعلي. هؤلاء المتملكون الجدد لتراب وعرون تمكنوا محليا من فرض تحالفات مع الغور السكاني الأقدم لمجابهة آخر المعاقل الحسانية بالساقية الحمراء وطرد رجالات أبي حسون السملالي سيد إليغ وسلطان إيگزولن. كان هذا السلطان اشترى جل ماء وساقية وعرون من الشيخ بًا يحيا احماد الوعروني سنة 1043 / 1633 (المعلمة، بودميعة، V : 1673 ـ 1677). وبذلك اتضحت المعالم العامة للتشكيلة الاجتماعية في التعارض بين مالكي الماء والساقية وبين الوافدين عليهم أعراباً كانوا أو أمازيغاً. لقد تدخل أيت احماد أُعلي ليفجروا صراعا حاداً مع أبي حسون السملالي محررين بذلك الغور السكاني الأقدم (أحرار تكنة) من الهيمنة الخارجية. وقد عملوا في ذلك على الاستناد إلى نظام التحالفات المحلية في شكله القديم. فلم يجدوا بذلك أية صعوبة في تجاوز وادي نون إلى إبعاد آخر الفصائل المعقلية خارج الساقية الحمراء.

وتؤكد مجمل القرائن المزامنة على أن أسلاف مبارك التريكزي كانوا يومها من أبرز أعيان أيت احماد أُعلي إذ لعبوا دوراً أساسياً في التقريب بين فصيلتهم هذه وأولاد بلحويلات. ومعلوم أن سيد أولاد بلحويلات خلال هذه الفترة السابقة لوصول المولى إسماعيل هو ولد امريزيك. فباعتباره رئيساً لوحدة صغري، لم تمانع كبريات القبائل في تعيينه رمزاً لوحدتها ضد آخر الوحدات المعقلية بالساقية الحمراء، بقدر ما كانت ترمي هذه الخطة إلى تقنين نشاطات الجهاز التمثيلي للاتحادية، كانت تستهدف تجنب كل مغالات في دور هذه القبيلة أو تلك. لقد تمكن تكنة من طرف فصيلتي امَرِّف واسْنَان الدليميتين خلال المعركة الفاصلة المعروفة حاليا بمعركة مگيسم ولد امريزيگ. كانت اتحادية أولاد دليم المعقلية تشمل يومها بالإضافة إلى هاتين الفصيلتين وإلى الفصائل التي ماتزال تحمل نفس الاسم كلا من أولاد اللب وأولاد عثمان وأولاد المولات. انحاز المغافرة والرحامنة وأولاد دليم إلى تيرس التي يحتفظ غطاؤها النباتي بالماء لمدة طويلة، خوفاً من ملابسات الصراع ومن شدة الجدب سنة 1116 / 1699. وهي مرحلة عمل خلالها المولى إسماعيل على محاربة إدا أوبلال بوادي نون ودرعة وعلى تنظيم التوزيع الجديد للأراضي الفلاحية. فقد سأل هذا السلطان عمن يكون أهل التراب الأصليون بوادي نون، فما كان من علي أُعبد الله إلا أن تقدم إليه بحجة مكتوبة على وجه الاستعجال يقول من خلالها بتحكمه في تراب تغاط الخصبة التي يعتبر جده اماد أُمسعود اتصان أول من تملكها. وبذلك يكون السلطان قد رصد السمات الظاهرة للرجل أيت احماد أُعلي ذوي النزوع إلى شبه الاستقرار وممارسة الفلاحة وتربية المواشي. ويمكن تتبع اهتمام المولى إسماعيل بملابسات توزيع التراب من خلال مراسلاته مع ابنه محمد العالم. كما أن عينات من الوثائق والمراسلات المحفوظة بالخزانة الحسنية تثبت إلى حد كبير نوعية العلاقات بين السلطان وأيت احماد أُعلي اللذين ينتمي إليهم أسلاف أهل التريكزي. ولربما كانت خدمة هؤلاء داخل صفوف الجيش السلطاني إحدى دعامات انتزاعهم اقتطاعات محلية هامة.

لقد رافق علي أُعبد الله الجيش السلطاني في حملاته الجنوبية. بل إن وحدة تكنية من 500 فارس تحت رئاسة حمو أُسعيد الإزرگي قد تكلفت بأمر من السلطان بحماية علي شندورة بالترازة. وإذا كنا نجهل اليوم أهم الأسماء التي مثلت مجمل قبائل تكنة بهذه الوحدة، فإن علي أُعبد الله قد هيأ لابنه محمد وحفيده محمد (الفيجح) وابن حفيده مبارك مأمورية شيوخ فصيلتهم. كما أن علاقة علي أُعبد الله بالمولى إسماعيل تتضمن أكثر من دليل على دور الخدمة المخزنية في ترسيخ أقدام أصحابها. فعندما قام محمد العالم بن المولى إسماعيل بقتل أحد أبناء علي أُعبد الله، لم يتوان السلطان الذي عانى من تمرد ابنه عن تسليمه لعلي أُعبد الله لكي ينتقم منه. غير أن هذا رفض الانتقام مكتفيا بالإحسان إلى القاتل وإلباسه أحسن لباس وإهدائه فرسا ثم إعادته يوم عيد الأضحى إلى ذويه. فما كان من السلطان إلا أن أسكن علي أُعبد الله بمنزل مجاور للمشور السلطاني وزوجه من إحدى شريفات القصر خلفت

له بنات. ندرك من هذا إلى أي مدى استطاع بعض أعيان أيت احماد أُعلي خاصة وتكنة عامة الاندماج في إطار سياسي يجعل من الفصيلة كيانا غير منعزل ولا مستقل بذاته. فما موقع أسلاف مبارك التريكزي من هذا الاندماج وضمن أية هيكلة سياسية عززوا مواقعهم الاجتماعية وفق مقتضيات الروابط القبلية والقرابية ؟

إذا كان الجواب على هذا السؤال يعد من الأمور الصعبة في الواقع الراهن للأبحاث، فإن إبراهيم يعد المزامن الفعلي لهذه الفترة. يبقى أن الخاصية التي تميزت بها علاقته بغيره من أسلافه قد تحددت استناداً إلى وقوف المشجر عنده كجد أعلى لأهل التريكزي. ذلك أن مما يزكي أهمية رؤوس المشجرات هو عدم تجاوزها إلى ماعداها من الجدود. وآنذاك فقط نكون قد تلمسنا بشيء من الحيطة والحذر أهمية انتهاء مشجر أهل التريكزي عند هذه الفترة الحاسمة من تاريخ إعادة هيكلة البناء الزفاطي والتكني. بل ينبغي علاوة على ذلك ربط أهمية إبراهيم هذا بما سيؤول إليه أبناؤه وحفدته من بعده خلال القرن الثاني عشر (18 م) فخلال هذا القرن المزامن لامتداد الصراع حول مراقبة المجال واستصلاح الأراضي والسواقي ظلت الفصائل المحلية تسعى جاهدة إلى الاستجابة بأي ثمن لمقتضيات الحفاظ على وجودها الفعلي. ولا شك أن علي بن إبراهيم وبدوره مبارك وابنه الحسين قد مثلوا الأجيال الثلاثة التي عاصرت القرن الثاني عشر. هذا ما يمكن أن نقره انطلاقا من الوثائق المكتوبة والمروية.

لم يكن من شأن صراعات القرن الثاني عشر (18 م) أن تخفف من حدة التنافس حول مراقبة المجال أو التحالفات القبلية. لقد عرف وجود أيت باعمران بوعرون نوعا من الانحدار بعد أن بدأ حراطين المدشر يتنازلون عن أراضيهم لكل من وفر لهم الحماية المطلوبة. كما تزامنت أحداث النصف الأول من هذا القرن مع اقتراب أيت لحسن من تاگاوست (المعلمة، *تاگاوست*، VI : 2084 ـ 2089). أما النصف الثاني فقد عرف بوحلايس الذي كان يمثل بتاسريرت (أيت باعمران) مخزناً محليا كاد أن ينجح في خلق إمارة مستقلة. لم يتوان بعض كبار تكنة عن التحالف ضده بينما سانده بعضهم إلى أن توفي في معركة 1207 / 1792.

أمامنا إذن موقفان مختلفان يكشفان ظروف الصراع المتواصل من أجل مراقبة المجال. حقا لم تكن الأرض ترقى إلى مرتبة الماء والساقية يومها. غير أن الاستيلاء على أكبر قدر من الأراضي يؤكد بشكل حاسم المساهمة في توسيع نطاق الملكية الخاصة. من هنا يصعب عدم الربط بين هذا المعطى ومقتضيات الممارسة التي جعلت من مبارك وابنه الحسين شخصين من أعيان أيت احماد أُعلي ماتزال الذاكرة الشفوية تحتفظ بهما كرمزين للمد على تاگاوست. بل إن محمد بن الحسين لم يلبث بدوره أن يبرز على الواجهة السياسية كوجه لا يقل أهمية عن سابقيه وكسيد من أسياد المنطقة. على أن العگاد ابنه سيدخل التاريخ من باب أوسع من أن يقتصر عليه. فقد طوع قدراً كبيراً وهاما من الأراضي الخصبة والمتميزة تحمل اليوم اسم "توفيلت أهل العگاد". هذه الأرض التي أصبحت تمثل القاعدة الأساسية في الإنتاج لدى العگاد لم تكن كما نرى هبة مخزنية. بل قامت على أساس إحياء الأرض الموات وكعملية فعلية. وبهذا المدلول الواسع سيرثها مبارك التريكزي مع إخوته. ويقدر ما ستمتد سلطته من نصيبه منها نجده يضيف إليها قدراً من الأراضي الفلاحية الهامة تجسيداً منه لممارسة أبيه في إحياء أكثر المواقع خصوبة. إن الموقع الهام الذي أصبح يعرف فيما بعد بعوينة أهل التريكزي يمثل النزوع المتزايد إلى التوسع على حساب نمط العيش الترحالي. فخاصية ممتلكات التريكزي الشاسعة لا تحجب التباينات القائمة فيما بين الفصائل ولا الوزن المختلف لكل منها على مستوى انتظام الحياة الاقتصادية للسكان. لقد عرفت أحواز مدشر وعرون خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 ـ 19 م) نظاما للملكية اختلفت أنماطه باختلاف الأراضي الخصبة منها والضعيفة الانتاج. كما أن حسن استعمال ماء الساقية في انتاج مادة التبغ الذي ساعد منذ القرن العاشر (16 م) على الكشف عن كل معطيات الواقع الاقتصادي والتجاري بسوق وعرون. ويتضح جليا من دراسات ميدانية حول وعرون واقتصاده أن المدشر كان يعرف سيطرة محتكري الساقية دون غيرهم على إنتاج التبغ الوعروني الشهير. ومن ثمة فتحكم مبارك التريكزي فيما يقارب 8 x 24 ساعة من ماء ساقية حمّ المشهورة بجوار سور قصبة وعرون شمالا التي لا تتجاوز 40 x 24 ساعة، يمثل أساس تحكمه في جزء من الأرض وساكنيها.

كان عزيب مبارك التريكزي يجسد نتاجا لقدرته على حيازة العوينة المسماة باسمه وما حواليها من الأراضي الخصبة مما يجعله أكبر المنتجين والمستهلكين في آن واحد. ولتجنب كل مغالاة في هذا الدور فإن تعدد وتنوع ممتلكاته وأراضيه بالمناطق المحيطة الأخرى تخصه أساسا بمكانة متميزة. لقد كان فلاحوه وعبيده ينتجون من التبغ والخضر ما يجعل منه نقيب الفلاحين بالمنطقة وسيد الوجهاء وأغناهم. ويتجلى دوره كنقيب في قدرة ومهارة عبيده وفلاحيه في استصلاح الأراضي والسدود التلية وحفر المطمورات. إن الفحص الدقيق للأحداث يجعل منه حامي قبيلة تركز المرابطية وغيرهم من الذين كانوا يلجأون إلى حماه. فيمكن أن نلمس الأثر الفعلي لنزعته الحمائية من خلال التسمية التي أطلقت عليه . نتبين هذا جليا من خلال التقدير الخاص الذي ماتزال الرواية الشفوية تضفيه عليه لدى أولاد بلحويلات وأيت باعمران وتركز. فقد كرس إلى حد بعيد المكانة الاجتماعية والفلاحية التي كان يحظى بها في إعفاء محميه تركز من تأدية الأعمال المجانية التي كانوا مطالبين بها لفائدته. وهو ما يفيض في وجوب اعتبار حجم خدمه وعبيده وحجم قطعانه من الأنعام. لقد أوصى

بأن يظل هؤلاء المرابطون معفيين من هذا الواجب الذي أثقل كاهل أبنائه من بعده. والملاحظ أيضا تثبيتاً لهذا الواقع أنه اتجه أكثر فأكثر إلى فرض إرادته كأكبر فلاح قادر على توطيد دعائم الأمن حوالي عزيبه حيث فتح الطرق وقلص من مخاوف التجار والمسافرين مستعملا في ذلك أحياناً أساليب شتى من الضغط والزجر العنيف. على أنه كان يجمع ما بين خصال المحاربين ذوي القدرة على انتزاع وحماية المكتسبات وصفات أهل الزوايا الذين سخروا جزءاً من محاصيلهم لخدمة الزوايا وأهل الدين الذين يمثلون رمز تماسك الغور السكاني الأسبق. كانت تامانارت وتازروالت تمثلان رمز تأصل هذا الغور منذ واگاگ بن زلو اللمطي بتاسريرت التي تطلق على جبال أيت باعمران وعبد الله بن ياسين بتاگجگالت أيت تيكني (المعلمة، *تاگجگالت* أيت تيكني، VI : 2089 . 2090). لقد اعتاد مبارك التريكزي جريا على عادة أهله المساهمة في معروف سيدي محمّد بن براهيم الشيخ السنوي بتامانارت وموسم سيدي أحماد أ ُموسى السنوي بتازروالت. ونجده يصاهر علاوة عن دار إيليغ جملة من أعيان وعرون وتاسريرت متجاوزاً بذلك الحدود المحلية الضيقة لنظام القرابة.

فإذا ما نحن أضفنا إلى هذه الممارسات تحالفه المستمر مع الفصائل الباعمرانية من خلال الزيجات المتعددة، نجده يساهم في تمتين التكتلات السياسية بين ذويه والآخرين. لقد عكست الرواية الشفوية هذه الحقيقة من خلال تركيزها على الخدمات التي أسداها مبارك التريكزي لقبيلته من جهة ولتكنة من جهة ثانية. ولا غرابة في ذلك إذا وجدنا أن الأساس في هذه الممارسة كان مبنيا على الأحكام التي استمدها من خصوصيات أسلافه الذين مايزالون يتمتعون بسمعة قل نظيرها في هذا الباب. فصفاتهم التي مكنتهم من السيطرة على الاقتصاد وعلى وسائل الإنتاج لم تحل دونهم والتعاطف مع الفئات الفقيرة. ولتبيان مدى صلاحية هذه المقولة، فإنه يكون لزاما علينا الوقوف عند شخصية علي بن مبارك التريكزي. فالرواية تتشبث بصورة تجعل منه أنبل النبلاء وأكثر الفلاحين كرما وأقواهم على المستوى الاقتصادي والاجتماعي دفاعا عن المستضعفين.

وبعد وفاة مبارك التريكزي أصبح ابنه علي بدوره نقيب الفلاحين بمنطقة وادي نون السفلى يجند يوميا أزيد من أربعين عبداً وعددا آخر من الأجراء في عملية الدراس التي لم تكن تنتهي خلال سنوات الغلة الكثيرة إلا في بداية الشتاء. حافظ لعزيب أهل التريكزي على أهميته كأغنى وحدة انتاجية استهلاكية. كانت مطمورة "أم العيال" تعد الأكبر من بين مطاميره المتعددة. كانت تتمثل في مطمورتين من الحجم الكبير تلتقيان من أسفل فيما يشبه قاعة كبيرة الحجم. فندرك من هنا أنها كانت تكفي وحدها لتخزين ما يكفي سنويا من الحبوب لمئونة أفراد العزيب. أما باقي المطامير فكانت تخزن من الحبوب ما يفيض عن الحاجة وينفع في الإمدادات الأخرى وخلال سنوات الجفاف.

كان لعلي التريكزي علاوة عن كل ما ذكرنا من النخيل بوعرون وتيغمرت ما يجعله من أكبر مالكي الساقية. فقد كانت له بساقية تيغمرت وحدها ما يزيد عن ثلاثة ليالات (3 x 24 ساعة) من الماء. ومن هنا فإن مخازنه الخشبية وصناديقه منها ما كان يتسع لحمولة 12 غرارة من الثمار والحبوب. أما قطعانه من الأنعام فقد كانت موزعة على عدد كبير من أفراد القبائل المختلفة. فقد كان استناد الفصائل ذات النجعات المحدودة في حيازة القطعان بمثابة الاقتراض من الملجأ الاعتيادي كامتداد جهوي لسلطة علي ابن التريكزي الاقتصادية.

الجديد مع علي بن مبارك التريكزي أن عزيبه أصبح في حاجة إلى رعاية وحماية مستمرة. ذلك أن جوار أولاد بلحويلات الذين كانوا يساندونه تارة ويعادونه تارة أخرى قد زاد من خطر المجابهة المعلنة. غير أن علي بن التريكزي استنادا إلى الدعم الممنوح له من طرف أيت احماد أ ُعلي واصبويا لم يعر هذه الأخطار ما تستحقه من الاحتياط. فنجد حماية العزيب مقتصرة على العبيد والأجراء بل نجده يعتمد أساسا على نظام التحالفات القبلي في الحد من الأخطار المحدقة به وبعزيبه، لقد تزوج بدوره من إدا أوسملال بإليغ كما صاهر حمّاد العسري أكبر وجوه الغور السكاني الوعروني الأقدم. أما تاسريرت التي أصبحت تعرف بأيت باعمران فقد تعددت زيجاته من فصائلها. كان من أوائل أيت احماد أ ُعلي السباقين إلى تمتين وجود قبيلة أزوافيط بوعرون. وإذا لم يكن يرفض من حيث المبدأ التوسط بين قبيلته وغيرها، فإن سياق الأحداث سيجعله السبب غير المباشر في الصراع الذي سيقلص معلقا انتماء أولاد بلحويلات إلى قبيلة أزوافيط (المعلمة، *أولاد بلحويلات*، IV : 1353 . 1355). لقد اقترنت أحداث شر وعرون في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) على الأقل من حيث العوامل الهيكلية التي أدت إلى نشوبه، بالمجابهة الخفية التي كانت قائمة آنذاك ما بين أولاد بلحويلات ورغبة علي التريكزي في التحكم في الأوضاع الأمنية خاصة وأن الأمر يتعلق بالوجود المكثف لفصائل البلحويليين. ولعل الرواية الشفوية لن تنسى معركة گيوارة التي ستتسبب فيما بعد في الاختلال البين الذي ميز نظام التحالفات. لقد استعمل أولاد بلحويلات دار گيوارة نظرا لموقعها المشرف على عزيب أهل التريكزي في توجيه الضربات المتكررة والمحاصرة الطويلة الأمد، إلا أن المسمى الجيلالي وكان جاراً وحليفاً سرياً لعلي التريكزي أخبره ذات مساء بأن أولاد بلحويلات جد متعبين ليلتهم تلك وأنهم سيبيتون نياماً. فما كان من أزوافيط إلا أن قاموا بهجومهم الذي انتهى بهدم سبعة عشر داراً وموت عدد كبير من خصومهم.

ومهما تكن حدة الخلافات التي نشأت بين أهل التريكزي وأولاد بلحويلات فإنها لم تنف كون الخط العام لهذه العلاقة غلب عليه خلال الأجيال السابقة طابع التوافق

والتساند. فكم من مهام نهض بها أسلاف علي بن التريكزي بتكليف من أولاد بلحويلات وكم من مرة توسط هؤلاء الاسلاف بين أولاد بلحويلات وغيرهم من الفصائل الزفاطية والتاسريرتية (أيت باعمران). إن مقتضيات الالتحام التي جعلت أهل التريكزي يقفون إلى جانب أيت احماد أُعلي عندما تسبب أيت بليد في أخطر صراع بين أزوافيط وأولاد بلحويلات. وسيذكر التاريخ أن منافسة أهل حايين هي التي تسببت في هدم عزيب علي بن التريكزي أثناء غيابه. أما أولاد بلحويلات فقد ظلوا رغم حدة المنافسة حريصين على مشروعية الوجود الفعلي لأهل التريكزي وغيرهم من العائلات الزفاطية بجوارهم.

لم ينفع دفاع عبيد العزيب في صد هجومات أهل حايين في غياب علي التريكزي وذويه، فجاء تخريب العزيب كمؤامرة للإطاحة بدور أهل التريكزي. ومما يؤكد الانفصام الشديد فيما بين فصائل أيت اماد أُعلي القريبة من أهل التريكزي وأهل حايين الذين اشتغلوا كحرس لأبي حسون السملالي بودميعة بالمنطقة، عدول علي بن التريكزي عن تقديم أي تنازل لحلفاء سيد إليغ منذ القديم. فلم تذكر الرواية تصلبا مثل تصلبه في مواجهة أهل حايين ولا محاسبة مثل محاسبته لهم عن طريق الجماعة. صحيح أن وجودهم بوعرون يعود إلى زمن بودميعة ولكنهم لم يستطيعوا التعبير عن الرفض وعدم الامتثال لأحكام الجماعة التي فرضت تعويض علي بن التريكزي. لقد استعرضت الجماعة في معرض تداولها السمات التي هي من صميم البنية الاجتماعية بحيث كان لابد من احترام الجذور الممتدة لأهل التريكزي في التاريخ المحلي.

انطلاقاً من هذه الوقائع يصعب النظر إلى أهل التريكزي ككيان مستقل بذاته ذي طابع زاوي كما تحاول بعض المقولات الحالية أن تغير من الحقائق. فعلي بن التريكزي الذي نجح في التصدي للهجومات تحصن وتكتل وتضامن فواجه مهاجميه. وإذ نلمس عزمه على التدخل لضبط الأمن وإقرار الاعراف المتداولة وقوانين التعامل، نجده يحرص بشدة على توزيع إرث أبيه مبارك التريكزي على أخواته وإخوانه الحسين وامحمد واعبيد توزيعاً عادلاً. ولا أدل على ذلك من أن الوثائق والرواية الشفوية ماتزال تنوه بهذه الاستقامة التي كان يشاطره إخوانه جوهرها. إن المحلل لدوره التاريخي يتبين بوضوح أن ممارساته التلقائية منها والمدروسة كانت في حد ذاتها مساهمة في الحد من الأزمات الغذائية والاقتصادية التي كانت تعاني منها المنطقة، أو بتعبير أكثر دقة، تسببت في الحد من بعض المجاعات التي ماتزال حاضرة في الذاكرة. فمازال الكبار يتذكرون بأن علي بن التريكزي كان يكلف البراح يومياً بأن يرسل إليه كل عابر سبيل وكل معوز حتى خلال أحلك الأزمات المتتالية التي عرفت الهجرة نحو الموانئ. وتفيض الرواية الشفوية في وجوب اعتباره رمزاً من رموز التاريخ المحلي الذي يزخر بالنماذج المخالفة.

تفيد الوثائق العائلية أن علي بن مبارك التريكزي لم يكن يؤدي ثمن مشترياته من الأرض والساقية وغيرهما إلا بالمثقال الفضي. ولا نزاع اليوم في أن حجم مشترياته من الأراضي المسقية بوعرون وتيغمرت وما ارتهنه قد جعل منه أغنى فلاح بقبيلة أزوافيط. وهي مضاربات أعطت للمرافق العامة بوعرون وأحوازها أقصى مردودية ممكنة يومها وعملت على تأمين الانسجام مع أوضاع اقتصادية خاصة كانت تعاني يومها من أزمة هيكلية خانقة. لم يكن من شأن اندماج علي بن التريكزي بمختلف الفصائل المحلية أن يزيد من تلك الصراعات القائمة من أجل احتكار ومراقبة الساقية ومنتوجها. فنجده مثلا يرفض شراء نصيب زوجته عيشة بنت احماد العسري وأمها رقية بنت الأزغم خوفا من تهمة الاستحواذ على تركة أحد كبار وعرون. وبدل أن يبيع النصيب لأحد أقربائه أو أفراد قبيلته نجده يفضل الحسين الثمير الإسماري الوعروني مختفظاً بذلك لأهالي وعرون القدامى على تماسك ساقيتهم وقصبتهم. تمت هذه العملية بتاريخ 14 ذي القعدة 1292 / الأحد 12 ديسمبر 1875 في وقت كان صراع ازوافيط وأيت لحسن من أجل اختراق الروابط الطائفية والمجالية لوعرون وأحوازه على أشده. ومما له أبلغ الأثر في هذا الشأن أن حجم العملية يتمثل في ثمن النصيبين الذي لم يكن يقل عن 35 مثقالا مما يجعلها ذات أهمية بالغة. لقد كان المثقال الفضي يتصدر سلفات الله والإحسان التي مازالت تشهد عليها الوثائق العائلية. ولاشك أن ردود فعل المقترضين من مجمل الفصائل المجاورة في إطار أوضاع اجتماعية متقلبة قد جعلت منه شخصية قوية مهابة ومحترمة. أما الغرباء والمهاجرون ذوو الوضعيات الهامشية الذين كانوا أكثر عرضة للاعتداءات لكونهم أقل خضوعا للأعراف وقوانين المعاملات، فقد كانوا يلجأون إلى كنفه. بينما كانت مثل هذه الممارسات تعزز مكانته يوما عن يوم كرجل قوي يعيد الحق إلى نصابه ويمنح الحماية لمن يطلبها، كان تحلل العلاقات القبلية ونظام التحالفات قد بلغ مبلغاً كبيراً. وإذا أضفنا إلى ذلك حدة الكوارث الطبيعية وما رافق الهجرة نحو الموانئ من تفكك في البنيات المحلية، أدركنا أن علي بن مبارك التريكزي قد عرف بموازاة اعتماده على النفس تضعضع القنوات التجارية التي سببها انحطاط اقتصاد الصحراء.

تلك فقط هي بعض الأمثلة عن تعدد أشكال الحضور الفعلي لأهل التريكزي على امتداد منطقة وادي نون والساقية الحمراء، وتلك هي مجرد صورة مختصرة عن الضغوط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي مورست طيلة النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) على عائلة استهدفت تعزيز التماسك ومواجهة الأزمة البنيوية القائمة. ونتيجة لذلك فلن يكون بإمكان هذه العائلة أن تواجه المد المتزايد لملابسات الأزمة وضغوطها المتعاظمة لما ينجم عنها من تفكيك لوحدة الهياكل المحلية.

توفي علي بن مبارك التريكزي في جمادى الأولى

1314 / أكتوبر ـ نوفمبر 1890 مخلفاً ثلاث زوجات وثمان بنات وتسعة أبناء وما يزيد عن أربعين من الخدم (إناثا وذكورا). وزع القاضي عبد الرحمان بن الخروف التركة على عدد من الأسهم تم حصرها في 928 سهما. على أن أهم ما يمكن أن نقف عنده بشأن تركة علي بن مبارك التريكزي هو موقف أبنائه فيما بينهم. فقد سبقت الإشارة إلى مدى ضخامة حجم الموروث الأخلاقي عبر أجيال هذه العائلة.

وقد تكلف ابراهيم بن علي بن مبارك بشؤون تركة أبيه التي لم تقسم بين الأولاد الذكور معتمداً أساليب أسلافه الأخلاقية. لقد حدث أن توفي أخوه مبارك ابن علي التريكزي بعد سنتين فقط من وفاة أبيه كما تشير إلى ذلك الوثائق العدلية. وقد كان بإمكان ابراهيم استغلال فرصة هذه الوفاة ليحتكر نصيب أبيه المتوفى بحجة أنه لم يترك أي خلف له. ولكننا نجده يحاكم القائد علي بن المعطي بشأن طفل خلفه أخوه المتوفى من إحدى أخوات القائد في إطار زواج سري. أنكر القائد علي بن المعطي مدعيا أن المتوفى لم يكن له أية علاقة بأخته وأن المولود الصغير هو لشخص آخر. وقد انتهى البحث بالقاضي عبد الرحمان بن الخروف بأن حكم لإبراهيم بن علي فتسلم ابن أخيه وحرص على تسليمه ميراثه.

انحسرت دائرة أهل التريكزي واتجهت تدريجيا نحو التلاشي لأن إبراهيم وإخوانه لم يكونوا في مستوى والدهم ولكون تكالب الأزمات الاقتصادية والسنوات العجاف واختلال الموازين القبلية ونظام التحالفات قد قاد جل أهل وعرون إلى الهجرة. وإذا كان أبناء التريكزي قد أطروا لكيان فصيلة أهل التريكزي المتميزة، فإنهم فشلوا تدريجيا في الاستجابة لمتطلبات الحفاظ على وجودهم المادي واستمرارية عزيبهم. فأساليب عيشهم ومبادئهم العليا لم تكن قادرة على مواجهة تحديات الأزمة الحادة. ولم يعد بإمكان موروثهم الخلقي أن يخلصهم من وطأة الطبيعة ولا من الفواصل التي أقامها تجزؤ الملكيات. ندرك لماذا قام إبراهيم بن علي التريكزي وفاء لعزمه على تبني المنهج القديم والمفاهيم الموروثة بالنزوح بحكم الظرفية المتأزمة نحو بيع الكثير من ممتلكاته. وقد وصل كهلا إلى مدينة الدار البيضاء حوالي سنة 1926 مصحوباً بآخر زوجاته السالكة بنت بوجمعة بن احماد أسالم وأبنائه الأربعة منها وبناته الثلاث.

إذا حاولنا بعد هذا الاستعراض المختصر استخلاص تصور معين عن مسيرة أبناء وبنات إبراهيم بن علي كنموذج مصغر لباقي أهل التريكزي، وجدنا تداخل المقاييس الجديدة بمدينة الدار البيضاء تتصارع بحدة مع تفاعل قيمهم الموروثة. فلم تلبث أمهم أن فارقت الحياة مخلفة أبناءها وبناتها تحت رياعة أبيهم الكهل. فكان طبيعياً أن يتجه الأبناء نحو الحياة الجديدة في خطى مدبدبة ومتعثرة مسعاهم في ذلك هو توفير قوتهم اليومي بأفضل الأساليب الأخلاقية الممكنة وأقربها إلى موروثهم الأخلاقي.

فنجد بأنه على الرغم من الفرص المتاحة لأكبر الأبناء أحمد بن ابراهيم، فإن عدم قدرته على التكيف مع متطلبات الحياة الحضرية في أحياء بدأت تجسد النواة الأولى لبروليتاريا المغرب، جعله يفشل في انتشال أفراد أسرته من ضائقة العيش. فبالرغم من حسن نواياه إزاء إخوته نجده يمثل شأنه في ذلك شأن كل واحد منهم نفس النموذج اللامندمج في وسط يفتقر إلى أبسط أدوات التماسك الاجتماعي. لقد دافع هؤلاء الأشخاص على قيمهم وعاداتهم المناقضة للمقاييس والأحكام التي تميز التنافر السائد بمجتمع الهجرة. وإذا كان عليهم أن يتسلحوا لذلك فأداتهم الأساسية هي الإندماج في وسط المهاجرين من أعضاء قبيلتهم والفصائل المجاورة لهم. إلا أن هذه المحاولة استصحبت معها مضاعفات القطيعة بين المهاجرين وبيئتهم بما فيها من أنساق وسلم للتراتبات والمفاضلات الاجتماعية. فتباين مكونات المحيط الأيكلوجي وما يسود ظروف الهجرة جر على أبناء العائلات الكبيرة بعض الحساسيات التي كان على أبناء ابراهيم بن علي أن يعانوا منها. حقا لقد حرص هؤلاء الأبناء والبنات على مصداقيتهم كأشخاص متميزين خلقيا. وهو ما جر عليهم الانتقادات نظراً لضآلة حاجياتهم وقناعتهم وتجردهم النسبي عن المزالق والشهوات. وإذا كان ضعف وسائل عيشهم لم يمكنهم طوال سنوات الاستعمار وما بعده من الانقضاض على الفرص المتاحة وتوفير الضروري من العيش فذلك لأنهم لم يكونوا يعبأون بالمنافسة الحادة التي كانت تميز عدداً لا يتسهان به من زبناء قرابتهم ومنطقتهم.

**التريكزية، لحبيبة** بنت ابراهيم بن علي. يدفعنا التدبير اليومي على ضوء هذه المعطيات يدفعنا إلى تتبع سيرورة هذه السيدة. فرغم زواجها من أحد بسطاء أيت بليد نجدها تمتاز بشخصية قوية وخصال موروثة همشت شخصية زوجها وجعلته يبدو أصغر من صغير. لم تقم علاقتها به على أساس تحكم شامل في أمور الأسرة وممتلكاتها، بل نجدها تلتزم مواقف ارتقائية واضحة وثابتة. فهي تكشف في كثير من الأحيان عن المدلول الواسع الذي يعود بها إلى موروثها القيمي. فبينما يتهافت أبناء وبنات قبيلتها على امتلاك الممتلكات كانت تتنافس في تربية وتعليم أبناءها وبناتها. فكل ما في ممارساتها اليومية بمعناه ولفظه يدل دلالة قطعية على مدى تشبثها بما يزيد من تباين مواقفها مع وسطها. وعندما ارتأت فصل الرابطة التي كانت تجمعها بزوجها، فإنها لم تتوان لحظة في طلب الطلاق متحررة من قيود لم تأنس بها قط. إن الصورة التقريبية العامة تظهر أن ربط البحث بشخصية متميزة كهذه مشروع أكبر من أن نتطرق إليه في هذه العجالة. فإذا تسلحنا بالمعرفة الدقيقة والمنهجية اللازمة في إطار إشكالية جد متبلورة اتضحت ملامح حياة زاخرة بالصبر والدروس والمعرفة التاريخية.

توفيت السيدة لحبيبة بنت ابراهيم بتاريخ 17 ربيع الأول عام 1413 / 15 سبتمبر 1992 عن سن تناهز السبعين وما أحوجنا اليوم إلى التعمق واستدراك كنهها. لقد ظل تراكم المقاييس والقيم الموروثة هو عالمها الذاتي وأسلوبها الأفضل في تجاوز المد العشوائي لمجتمع القرن الحالي.

*دراسة ميدانية وروايات شفوية.*

مصطفى ناعمي

**التريكي، علي**، رايس بحري من رياس الأسطول الجهادي المغربي العاملين في نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله. كان من ضمن الرياس الخاضعين لإشراف صهر السلطان القائد محمد الزوين ولد عبد الله الرحماني. وقد سجلت الحوليات عن الرايس علي التريكي أنه انطلق من مرسى العرائش في شهر رمضان سنة 1203 / ماي - يونيه 1789 باتجاه مصب أبي رقراق. لكنه تعرض عند مدخل المرسي لمشاكل ملاحية نجم عنها فقدانه لبعض بحارته على متن فلك، وقد أجبرته تلك المشاكل على المكوث بالمرسى حتي يوم عاشر شوال من نفس السنة، لينتقل مجددا إلى العرائش رفقة سفينة الرايس محمد العسري السلاوي بمهمة حمل القراريط منها إلى ميناء الصويرة، وهما في الطريق إلى الجزر الخالدات.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ص. 95 - 96.

حسن أميلي

**التريكي، محمد بن أحمد** بن الحاج الهاشمي بن الحاج عبد الرحمن بن عبد العزيز الأسفي. ولد في ربيع الأول عام 1275 / أكتوبر - نونبر 1858 ودرس في مسقط رأسه أسفي على الفقيه البشير الحكيم، والقاضي محمد بن عبد الواحد الفيلالي الذي كان أول من تولى القضاء بأسفي من غير أهلها وذلك في ثالث ذي الحجة عام 1292 / 31 دجنبر 1875. كما أخذ التريكي بفاس عن الفقيه الكبير الحاج محمد گنون. وكان إلى جانب تحصيله الفقهي أديباً وشاعراً ومؤلفاً باحثاً. له *إرشاد النبيه إلى معاني التنبيه*، وهو تعليق على تنبيه الشيخ ابن عباد في *شرح الحكم العطائية* ؛ ودلالة *المريدين* ؛ وشرح *منظومة الفقيه كرصيلو في آداب تعليم الصبيان*. ومن أدبياته ما رمز فيه لتاريخ ميلاد الولي الصالح الشهير سيدي العربي ابن السايح، ومداعبات شعرية مع أصدقائه.

توفي يوم الأحد 20 قعدة عام 1345 / 22 ماي 1927.

م. العبدي الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 436 ؛ أ. الصبيحي، *باكورة الزبدة*، مخطوط ؛ *تقييد* للفقيه مولاي عبد السلام بن مولاي الحاج، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1345.

الطاهر وعزيز

**التريكي، محمد بن علي** الرايس متقدم الترجمة. كان يعيش بالرباط متضلعاً في علوم الرياضيات والهندسة والتوقيت. خلف *تقاييد* جليلة في الاسطرلاب وغيره، وبرع في رسم أوضاع هندسية عجيبة، كالشكل الكوري (أو الكروي) وهو شكل عجيب شامل لسائر الزوايا والخطوط وأشكال الهندسة مما لم تشمله *أصول* أقليدس *وتهذيب* الطوسي ؛ ومنها *ربع عجيب* وضعه للإمام العارف علي بن أحمد بن الطيب الوزاني، وهو ربع متقن الصنعة، محكم العمل، نقش فيه أبياتا من إنشاء الأديب ابن عمرو، تتضمن تاريخ وضعه، واسم من صنع له وصانعه.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 178 - 179.

حسن أميلي

**تريمولي**، محطة توجد حسب إشارات النصوص القديمة على الطريق الداخلي الذي يربط بين طنجة في الشمال ومدينة وليلي وتكولوسيدا في الجنوب. بالنسبة للتسمية فقد ورد هذا الاسم في "مرحلية أنطونان" وكذلك عند الجغرافي الراڤيني. هذا الاسم له بمدلوله النباتي وهم نوع من الشجر (حَوَر وَجْرَاج ترتجف أوراقه لأقل نسمة).

ربط شارل تسّو في أواخر القرن التاسع عشر هذه المحطة بمدينة البصرة : "محطة تريمولي وضعتها مرحلية أنطونان على بعد تسعة عشر ميلا (18 كلم و139 م) من سابقتها فويسكيانيا (Vopiscianae) وعلى بعد اثني عشر ميلا (17 كلم و772 م) من أپدوم نوڤوم...". أما "شتلان" قد أبدى بعض الحذر فيما يخص هذا التحديد. وأعاد "أوزينا" النظر في هذا التحديد. مؤكداً أنه ليس هناك أي استقرار روماني في مدينة البصرة كما سبق أن أكده شتلان وأن هذا التحديد لا يتطابق مع المعطيات التي وردت في مرحلية أنطونان، واقترح أن تقترن محطة تريمولي بسوق أربعاء الغرب، مغيرا تتابع المسافات بين مختلف المحطات الواردة في مرحلية أنطونان وخاصة بين "جلدا" و"فويسكيانيا" ثم بين فويسكيانيا وتريمولي وبعدها بين تريمولي وأپيدوم نوفوم.

لقد أغفل هؤلاء الباحثون المعطيات الأثرية التي تم العثور عليها بمنطقة عرباوة والتي نشرها شتلان في كتابه *مغرب الرومان* "قرمود روماني.. عثر عليه بفناء نزل صلوصر، وكذلك بقايا بعض الجدران التي مازالت في أماكنها". هذا المكان بالضبط أجريت به حفريات أشرف عليها القبطان لڤيلان (Levilain) وأزاح الستار عن بقايا خمس قاعات، هذه البقايا لابد من ربطها بحمامات كانت توجد بهذه المنطقة. هذه المعطيات الأثرية ستعزز باكتشافات أخرى عثرت عليها جماعة من الباحثين في سنة 1988. وجدت بجوار هذه البقايا في الجهة الغربية للطريق الرابطة بين سوق الأربعاء والقصر الكبير المارة بمدينة عرباوة. حيث تم العثور على فرشة ضخمة تتكون من الكثير من الآجر والقرميد الروماني، هذه الأخيرة تم ربطها بوجود فرن لطبخ هذه المواد. وتم العثور على نقط أخرى للاستقرار الروماني بجوار أحد الأولياء لا يبعد كثيراً عن مركز عرباوة وهو الولي المعروف سيدي أحمد بن الزراد،

وكذلك بجوار مدينة القصر الكبير وبالضبط على ضفتي نهر اللكوس. هذه النقط ساعدت على تحديد الطريق الروماني الذي كان يربط بين أبيدوم وتريمولي بل الأكثر من هذا هو أن اكتشافات أخرى تمت بين 1988 وسنة 1993 مكنتنا من استكمال الطريق التي سبقت الإشارة إليها نحو الجنوب أي بين تريمولي وڤوبسكيانيا (سوق أربعاء الغرب). إن كثرة المواقع التي عثر عليها بهذه المنطقة والتي تنتظم في شكل خطي قد حملت الدليل القاطع على أن هذا التنظيم لا يمكن أن يرتبط إلا بمرور طريق رومانية بهذه المنطقة وإلى وجود مجموعة من النقط العسكرية التي كانت تشرف على مراقبة هذه الطريق. في الأخير يمكن التأكيد على أن محطة تريمولي لابد منذ الآن أن تقترن بمدينة عرباوة.

Ch. Tissot, *Recherche sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris ; L. Chatelain, *Le Maroc des Romains*, Paris, 1968, p. 113 ; M. Euzennat, *Les voies romaines du Maroc, dans l'Itineraire Antonin*, in *Mélange A. Grenier*, 1952, p. 607 ; M. Euzennat et J. Marion, *Inscription antique du Maroc*, 2, *Inscriptions Latines*, Paris, 1982, p. 66 ; L. Chatelain, *Le Maroc des Romains*, Paris, 1968, p. 120 - 121 ; A. Akerraz et R. Rebuffat, *El Qsar el Kebir et la route intérieure de Maurétanie Tingitane entre Tremuli et Adnovas*, in *113ème congrès des sociétés savantes*, Strasbourg, 1988, *IVème colloque sur l'Histoire et l'Archéologie de l'Afrique du Nord*, T. II, p. 367 à 408; H. Limane et R. Rebuffat, *Voie romaine et système de surveillance militaire sur la carte d'Arbaoua*, in *118ème congrès national des sociétés historiques et scientifiques, VIème colloque sur l'histoire et archéologie de l'Afrique du Nord*, Pau 1993, à paraître.

حسن ليمان

**تريبو**، بيير Pierre Treillault، صيدلي فرنسي، ولد بمدينة رُوان Rouen بإقليم نورماندي حوالي عام 1550، واكتسب خبرة في تحضير الأدوية، ذلك ما جعل الطبيب الفرنسي النبيل أرنول دو ليل Arnould de Lisle، بمجرد ما وافق هانري الثالث، ملك فرنسا على تعيينه طبيباً لأحمد المنصور يطالب بالحاق تريبو به، مساعداً له.

صار تريبو يحضِّر في مراكش من الأدوية ما يصفه له أنول دو ليل، فنال إعجاب أحمد المنصور الذي جعله صيدليه الخاص. يرافقه في حله وترحاله، كما يرافق أبناء المنصور في تنقلاتهم عبر المغرب. وفي هذا الإطار سار تريبو في محلة ولي العهد الأمير محمد الشيخ المامون الذي خرج من فاس في شهر يوليوز عام 1004 هـ / 1595 م، لمحاربة الناصر ابن عبد الله الغالب، الثائر على عمه أحمد المنصور، بعدما ثار من قبل على عمه عبد المالك.

وهكذا شهد تريبو أحداث معركة الركن، يوم 3 غشت 1595 ووصفها (انظر مادة الركن)، ثم شهد معركة تغات، يوم 12 ماي 1596 ووصفها كذلك (انظر مادة تغات). ورجع تريبو إلى فرنسا بعدما قضى سنوات في خدمة أحمد المنصور بالمغرب. ولم نقف على تاريخ وفاته.

*S.I.H.M.*

أحمد بنجلون

**التزوطي**، أسرة مخزنية كبرى تنتسب إلى التوازيط بطن من فرقة أولاد نعيم من قبيلة بني حسن المستقرة بسهول الغرب. وقد تولى عدد كثير منهم قيادة قبيلتهم أيام الحسن الأول وقبله. منهم :

**التزوطي، حسن** بن غانم، عين سنة 1299 / 1882 لكنه سجن سنة 1302 / 1885.

**التزوطي، الراضي** بن محمد. لعله كان قائداً سنة 1329 / 1911.

**التزوطي، عبد القادر** بن **التهامي** كان سنة 1321، مديناً لتاجر ألماني مع القائدين المعطي بن غانم والمعطي بن بوعزة. وقد ولي سنة 1329 / 1911 وعزل بعد ذلك بقليل.

**التزوطي، عبد القادر** بن **العربي** المدعو الحنگوط، كان ضمن عمال التوازيط سنة 1310 وعزل وسجن سنة 1311.

**التزوطي، العربي** بن **الحفيان** استعمل سنة 1308 وأعفى سنة 1311، ليحل محله العربي بن محمد التزوطي.

**التزوطي، العربي** بن **عبد السلام** المخلوفي ولي سنة 1295 و1296 على التوازيط.

**التزوطي، العربي** بن **محمد** ولي قبل سنة 1291 / 1874 ثم عزل وسجن سنة 1297 / 1880 لشططه وعنفه. وقد أفرج عنه بعد ذلك، وسرعان ما أعيد القبض عليه سنة 1303 / 1885، وسرح مرة أخرى سنة 1307 / 1890. ويبدو أنه أعيد إلى القيادة سنة 1311 وبقي يشغلها إلى وفاته سنة 1316 / 1898.

**التزوطي، علال** بن **العربي** بن محمد. تقلد هذا المنصب بعد وفاة أبيه سنة 1316 / 1818. لكنه سجن سنة 1326.

**التزوطي، علال** بن **محمد** بن العربي. ولي سنة 1328 / 1910، وعزل قبيل الحماية.

**التزوطي، علي** الذي لم يرد اسم أبيه وجده. كان سنة 1314 / 1896 قائداً. وكان لايزال سنة 1318 / 1900 عاملا. ويظهر أنه توفي سنة 1321 / 1904 وأحصى متروكه.

**التزوطي، عمرو** بن طُنيعْمُو. ولي سنة 1325 وعزل بعد سنتين.

**التزوطي، محمد** بن **الحفيان**. كان عاملا سنة 1281 / 1864، وهو الوحيد الذي وقفت على اسمه قائداً قبل عهد مولاي الحسن.

**التزوطي، محمد** بن **الطيب** الليوي. كان قبل 1306 قائداً. وسجن في السنة بعدها. وكان لايزال محبوساً سنة 1311.

**التزوطي، محمد بن عبد القادر** الشقيرني الربكاوي، عين سنة 1327 واستمر إلى سنة 1329.

**التزوطي، المعطي** بن **بوعزة** المعروف بولد زايدة. كان قائداً سنة 1314 مثل المعطي الذي بعده. وقد استدان مثله للتاجر الألماني المذكور فسجن سنة 1321.

**التزوطي، المعطي** بن **غانم**. كان سنة 1314 / 1897 أحد قواد التوازيط بعد أن كان أخوه الأحسن قائداً فسجن. وقد سجن المعطي نفسه سنة 1321 لأنه استدان لتاجر ألماني بالرباط.

هذا ما استلخصته من استقراء بعض النصوص، وفيما يُوجد بدون تمييز : العربي بن محمد، ومحمد بن العربي، وعلال وعلي، علماً بأن عليا وعلالا اسم واحد عند بني حسن، وقد يكون بعض هؤلاء العمال مجرد أشياخ كبار كانت لبعضهم طوابع مثلما كانت لأمناء الخرص.

م. بوشعراء، *قبيلة بني حسن، 1860 ـ 1912*، مخطوط ؛ *الوثائق الملكية* ؛ والصبيحية ؛ والبنسعيدية.

مصطفى بوشعراء

**التساقطات الثلجية**، إذا كانت التساقطات في المغرب عموماً غير منتظمة فإن عدم الانتظام هذا يتجلى أكثر في التساقطات الثلجية، ذلك أنه إضافة إلى كون كمياتها تختلف من سنة لأخرى في كل المحطات الجبلية فإنها لا تحدث بصفة منتظمة خلال نفس الفترة من السنة.

تحدث هذه التساقطات في كل من الريف والأطلس المتوسط والكبير خلال أبرد شهور السنة (دجنبر ـ يناير ـ فبراير). إلا أن هذه الفترة يمكن أن تضم شهر نوفمبر في كثير من المحطات التي يزيد ارتفاعها عن 1.500 متر في الأطلس المتوسط، كما يمكن أن تحدث خلال بعض السنوات في مارس وأبريل وماي.

تساهم كل أنماط الطقس المضطرب في المغرب في هذا النوع من التساقطات، إلا أن الكميات المتساقطة تبقى شديدة التغير خاصة من حيث مستوى الارتفاع الذي تحدث فيه. أكبرها يسجل عندما تكون مسارات الاضطرابات شمالية أو شمالية غربية. ومن حيث توزيع عدد أيام الثلج يمكن إيجاد ثلاثة مناطق في المغرب.

ـ مجال تنعدم فيه التساقطات الثلجية ويضم المناطق الساحلية جنوب الجديدة ونحو الداخل عند المناطق ذات الارتفاعات الضعيفة وأيضا نحو الجنوب.

ـ مجال لا يعرف تساقطات ثلجية إلا نادراً جداً ويضم الساحل الشمالي والمناطق الداخلية ما بين الريف والهضبة الوسطى.

ـ مجال يتساقط فيه الثلج خلال كل فصل شتاء ويضم مناطق ذات ارتفاعات تتعدى ما بين 700 و900 متر في المناطق الشمالية أو أكثر من 1500 متر عند السفوح الشمالية من الأطلس الكبير أو السفوح الغربية للأطلس الصغير.

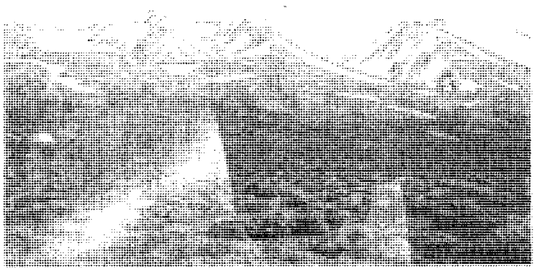

عدد أيام الثلج بصفة عامة غير مترفع يصل في المتوسط إلى 23 يوما في إفران و40 أو 45 يوما في أعلى قمم الأطلس المتوسط والكبير.

يخضع التوزيع المجالي للكميات لنفس العوامل الجغرافية التي تمت الإشارة إليها بالنسبة للتساقطات المطرية إلا أن عامل الارتفاع يكاد يطغى على باقي العوامل الأخرى. فعموماً إذا كان عدد أيام الثلج في إفران (1660 م) يصل إلى 23 يوم فإنه لا يتعدى أربعة أيام في الحاجب مثلا عند ارتفاع 1050 متر. تتقلص هذه المدة نحو الجنوب تحت تأثير عامل العرض حيث لا يسجل إلا ثمانية أيام في أزيلال عند ارتفاع 1430 متر ويوم واحد في دمنات عند ارتفاع 1000 متر.

يمكن القول بصفة عامة بأن مجال التساقطات الثلجية في المغرب هو مجال جد محدود إذ أن المناطق المرتفعة فقط

هي التي تحظى بتساقطات من هذا النوع وذلك ابتداءً من 1500 متر في الأطلس المتوسط و2500 متر في الأطلس الكبير وهي عموما كميات لا يتعدى سمكها في المتوسط خمسين سنتمتراً.

D. Noin, *La neige au Maroc*, *Notes marocaines*, n° 5, pp. 5 - 11, 1961 ; G. Roux, *La neige au Maroc*, *Mem. Soc. Sci. Nat., Maroc* n° 11, pp. 75 - 86, 1935.

**التساقطات المطرية**، تنتمي التساقطات المطرية في المغرب إلى نموذج التهاطل الجبهي السائد في المناطق المعتدلة والمترتب عن اضطرابات الجبهة القطبية التي تتكون عند هذه العروض إثر تلاقي الكتل الهوائية القطبية والمدارية.

يتبع نظام التساقطات في المغرب تطور النظام المطري المتوسطي المتميز بجفاف فصل الصيف والذي تحكمه آليات الدورة الهوائية عند هذه العروض، فموقع المغرب من حيث العرض الذي يجعله عند الهوامش الجنوبية لمنطقة سيادة تأثيرات مختلف مظاهر مناخ الوسطى يحدد بشكل خاص الإطار العام لتوزيع التساقطات.

سيادة هذا النظام يرتبط بشكل خاص بانتقال حقل الضغط نحو الشمال ونحو الجنوب تمشياً مع تزحزح حركة الشمس الظاهرية، الشيء الذي يترتب عنه خلق ظروف عامة تحدد بدورها أنماط طقس وحالات جوية متميزة تتباين نسبة ترددها حسب الفصول وتبعاً كذلك للحالة التي تكون عليها هذه الظروف بالنسبة لوضعيتين قصويتين تشكلان الإطار العام المميز لتوزيع التساقطات خلال السنة داخل المناخ المتوسطي.

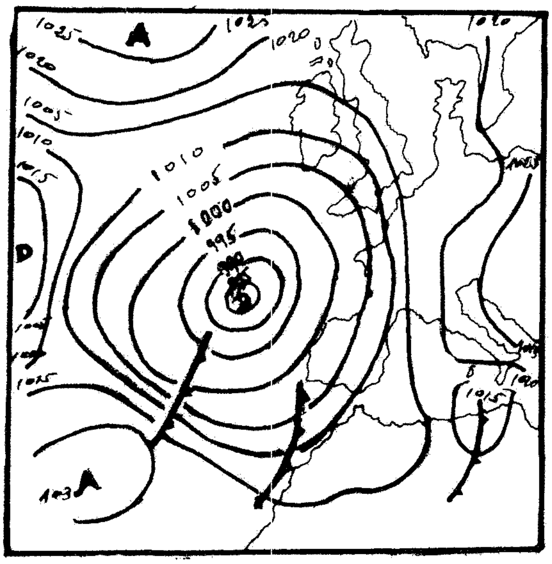


**I - الحالة الجوية العامة ليوم 20 نونبر 1989**

- الوضعية الأولى : مع نهاية الصيف وبداية الخريف يبدأ نظام الضغط السائد في مختلف العروض في التغير مواكباً في ذلك التغيرات التي تطرأ هي الأخرى على عوامل توزيع الظواهر الإشعاعية والطاقية على سطح الأرض والتي تنتج عن حركة الشمس الظاهرية وتركز هذه الظواهر أكثر فأكثر في نصف الكرة الجنوبي.

تتميز الوضعية الجوية عند عرض المغرب خلال هذه الفترة بالانتقال التدريجي لخلية الضغط الجوي المرتفع الشبه مداري للاستقرار أكثر فأكثر في عرض السواحل الأطلنتية المغربية مما يترتب عنه فسح المجال أمام اضطرابات الجبهة القطبية لاتخاذ مسارات أكثر فأكثر جنوبية تؤدي بها إلى التردد حسب مسالك متميزة على مختلف الجهات الشمالية المغربية (الرسم رقم 1).

- الوضعية الثانية : مع نهاية الربيع وبداية فصل الصيف تعود حركة الشمس الظاهرية للصعود من جديد نحو الشمال ومعها خلية الضغط المرتفع الشبه مداري للاستقرار هذه المرة عند السواحل الفرنسية - الإيبرية مما يشكل حاجزاً أمام تقدم الاضطرابات نحو الجنوب، فتصبح مساراتها أكثر فأكثر شمالية وتأثيرها بعيداً عن عرض المغرب وحوض البحر المتوسط فيكون ذلك إيذانا بانطلاق فترة الجفاف المميز لهذا المناخ والذي يستمر إلى نهاية الصيف وبداية الخريف (الرسم رقم 2).

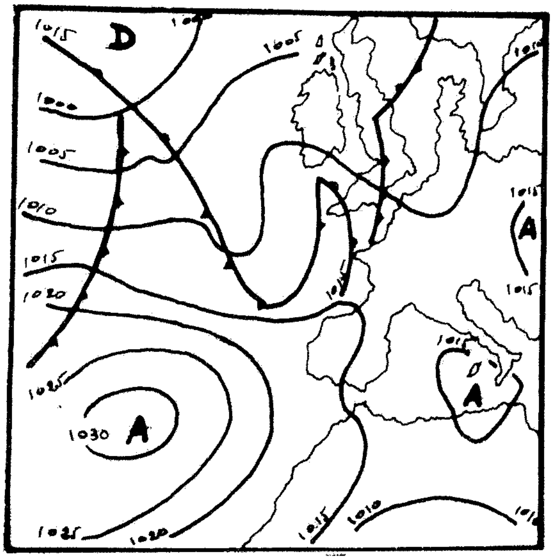


**II - الحالة الجوية العامة ليوم 10 يوليوز 1992**

تبعا لذلك نجد أن التطور السنوي للتساقطات داخل هذه العروض ينقسم بصفة عامة إلى فترتين أساسيتين : فترة رطبة تدوم عادة من أكتوبر إلى أبريل أو ماي وفترة جافة تدوم من ماي إلى شتنبر، إلاّ أن هذا الإطار العام يعرف بدوره تنوعاً كبيراً داخل هذه العروض تحت تأثير العوامل الجغرافية المحلية التي تتدخل باستمرار لإضفاء طابع جهوي أو محلي على هذا التطور السنوي للكميات المستساقطة (الرسم رقم 3). هكذا نجد أن من بين الخصائص الرئيسية لهذا النظام عند عرض المغرب تميز فترته الرطبة بوجود نهايتين قصويَيْن تفصلهما نهاية دنيا.

تحدث النهاية القصوى الأولى خلال الخريف وبداية الشتاء ويستحوذ داخلها شهر دجنبر عادة على أكبر كمية

شهرية وتحدث النهاية العظمى الثانية خلال الربيع مع تركز أقصى خلال شهر مارس أو أبريل.

أما النهاية الصغرى فتستقر عادة خلال شهر يناير أو فبراير حيث يغلب على هذه الفترة حالات الاستقرار الكبير للهواء وظهور أنماط خاصة من الطقس الصحو الجميل يقل على إثره تردد حالات الأمطار مما يؤدي إلى انقطاع في وتيرة تزايد الكميات خلال هذه الفترة.

إذا كان هذا التوزيع الزمني للتساقطات يعكس نظام تواتر الاضطرابات على المنطقة خلال السنة تبعا للدورة الهوائية العامة، فإن التوزيع المجالي يبرز دور عدة عوامل جغرافية غالباً ما يؤدي فعلها إلى خلق تفاوتات مهمة من منطقة لأخرى.

التساقطات المطرية

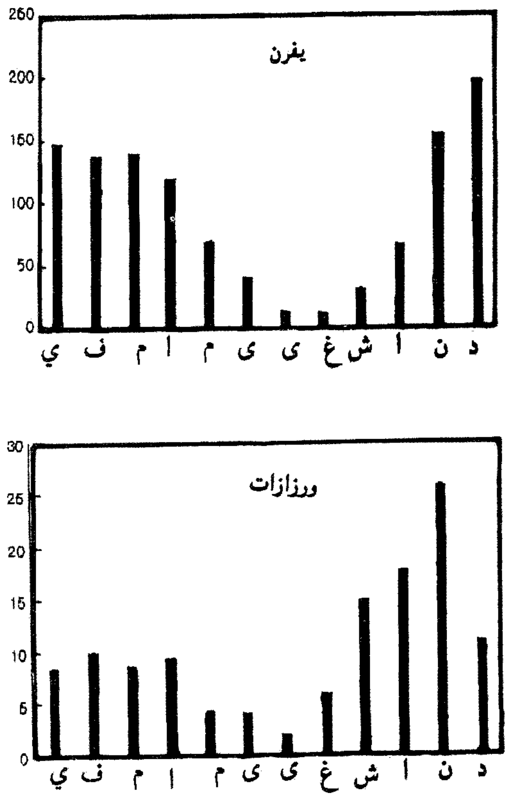


النظام المطري لمحطتي يفرن وورزازات

يشكل العرض أهم عامل مؤثر في هذا التوزيع، إذ أن الكميات السنوية تقل تدريجيا من الشمال نحو الجنوب نظرا لكون مسارات الاضطرابات تتردد خلال الفترة الرطبة تبعا للظروف العامة التي تسمح بها الدورة الهوائية العامة، وعليه فإن هذه المسارات تنزل تدريجيا نحو الجنوب مع بداية الفترة الرطبة وتتركه في وقت مبكر لتتركز أساساً في الشمال عند نهاية هذه الفترة لذلك تقل الكميات عموما باتجاه الجنوب.

طنجة 750،6 ملم

الرباط 571،9 ملم

أگادير 250،3 ملم

طان طان 87،1 ملم

وتلعب التضاريس دوراً أساسياً في هذا التوزيع وذلك من خلال عنصري الارتفاع والتوجيه، فالاضطرابات التي تضطر إلى تخطي سلسلة جبلية يضطر الهواء معها إلى الارتفاع أكثر، الشيء الذي يزيد من فاعلية جبهاتها من خلال الزيادة في حالات عدم الاستقرار داخل الاضطرابة مما يزيد من غزارة التساقطات. لذلك تتراوح الكميات في المناطق المرتفعة من الريف والأطلس المتوسط والكبير ما بين 800 و1200 ملم كما تستحوذ السفوح المتعارضة مع محور مسارات هذه الاضطرابات على أهم الكميات بالمقارنة مع السفوح التي هي في ظلها وذلك لأنها في الحالة الأولى تكون مضطرة إلى الارتفاع بينما على الثانية تكون مضطرة للنزول وهذا أيضا له وقعة على دينامية الاضطرابة وفعالية جبهاتها، إذ أن نزول الهواء الاضطراري يؤدي إلى تسخينه النسبي وإلى تقليص حدة التناقص الحراري الذي يعتبر بمثابة المحرك الأساسي للاضطرابة. وهكذا نجد أن السفوح الغربية عموما تكون أوفر حظا من الشرقية.

بني ملال 398،6 ملم

ميدلت 213،8 ملم

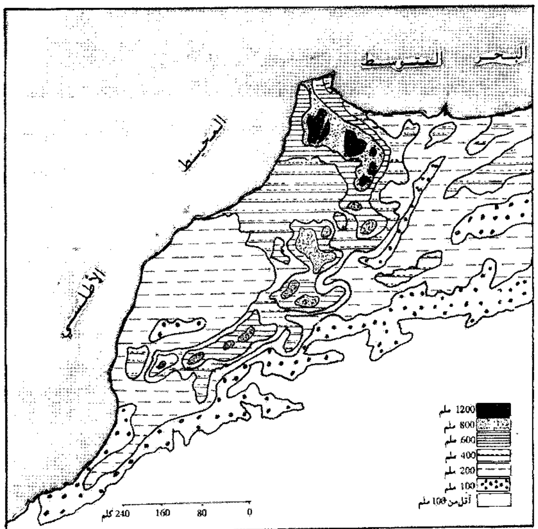


التساقطات المطرية

تظافر هذه العوامل مجتمعة تجعل خريطة التوزيع (رسم 4) تعرف تفاوتا مهما من منطقة لأخرى مما يترتب عنه تمييز أربعة مناطق متجانسة :

1 ـ المناطق الجبلية وهي على التوالي :

ـ الريف وهي المنطقة التي تتلقى أكبر الكميات خاصة المناطق الغربية والوسطى منه حيث تتلقى هذه المناطق كميات تتراوح ما بين 900 و1500 ملم سنويا، بينما تقل هذه الكميات تدريجيا في اتجاه الشرق على السفوح الشرقية المطلة على البحر المتوسط.

ـ الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى وهي المناطق التي تتلقى ما بين 900ـ1200 ملم عموما على السفوح أساساً.

ـ الأطلس الكبير عموما أقل رطوبة إلا أن ارتفاعه (جبل توبقال 4165) يؤهله لتلقي كميات نسبيا مهمة عند قسمه الأوسط حيث يمكن أن تصل على السفوح الموجهة إلى أكثر من 900 ملم، بينما تنخفض هذه الكميات تدريجيا كلما اتجهنا نحو الشرق حيث تظهر هذه المناطق قاحلة لا تتعدى الكميات فيها 400 ملم على السفوح الموجهة وأقل من 200 ملم عند الأودية الداخلية.

2 ـ الهضاب الأطلسية : تتراوح الكميات عنا عموما ما بين 200 و800 ملم يرتكز أعلاها عند مناطق شبه الجزية الطنجية وسهل الغرب حيث يدور معدل التساقطات هنا ما بين 600 و800 ملم وتصبح ما بين 400 و600 ملم عند المنطقة الممتدة من الساحل الأطلسي عند عرض الرباط ـ الدار البيضاء إلى غاية منحدرات الهضبة الوسطى وتقل عن 400 ملم جنوب الدار البيضاء ونحو الداخل في اتجاه منطقة تادلة، بل لا تكاد تتعدى 200 ملم عند منطقة الحوز وبالأخص عند منطقة شيشاوة، في حين تدور هذه الكميات حول 200 و300 ملم عند سهل سوس.

3 ـ المنطقة الشرقية : هي منطقة جافة لوجودها في ظل سلاسل الأطلس المتوسط لكنها لا تعرف بعض التركز الأقصى للكميات إلا على السفوح الشمالية الغربية حيث تصل إلى ما بين 600 و900 ملم في حين لا تكاد تتعدى 400 ملم في باقي المناطق : الوادي الأعلى لملوية : أقل من 200 ملم والنجود العليا أقل من 300 ملم.

4 ـ المنطقة الصحراوية : تنفرد هذه المنطقة بكونها مجالاً قاحلاً إذ لا تكاد تصل الكميات هنا إلى 100 ملم إلا على السفوح الجنوبية للأطلس الصغير في حين تبقى دون ذلك في باقي المناطق جنوبا إلى غاية الحدود المغربية الموريطانية.

A.Bellichi, *Contribution à l'étude de la pluviométrie de la partie septentrionale du littoral atlantique marocain, espace rural*, Juin 1991, n° 25, pp. 45 - 51 ; A. Bernard, *Les régimes des pluies au Maroc, Mémoire de la Société des Sciences du Maroc, T. 1* n° 1, 1er Juin 1921, pp. 2 - 35 ; H. Isnard, *La répartition saisonnière des pluies au Maroc, Annales de Géographie*, pp. 38 - 42 ; G. Roux, *La variation annuelle des précipitations au Maroc. Bul. Soc. Sci. Nat. Maroc*, T. 27, 1947, pp. 309 - 321.

علي البلشي

**تْسَاكُورا** (Tsacora)، مدينة من مدن موريطانيا الطنجية، ولكن لم يذكرها سوى الجغرافي المجهول الاسم من راڤينا (Ravenne) (القرن 9 م). وقد عدها ضمن مجموعة مدن نجهل مواقع معظمها لأن بعضها اندرس منذ القديم، والآخر لم تمط الحفريات عنه التراب بعد.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.

البضاوية بلكامل

**تسْتاوْت** أو تسّاوت، وقد تمدّ التاء الأولى، وادٍ ينبع من الأطلس المتوسط ويعد من أهم روافد واد أم الربيع. يقع غربي مدينة خنيفرة ويبعد عن واد زمّ بنحو تسعين كيلومتراً. اشتهر الموقع بضريح الشيخ مَحمد مبارك الزعري التستاوي (ت. 1006 / 1597) وهو جد التستاوتيين المباركيين العلماء الأدباء بمكناس وسلا. وتوجد فرق من التستاوتيين في كل من ضاحية قلعة السراغنة وورزازات.

محمد حجي

**التستاوي، إبراهيم** بن أحمد بن عبد القادر، فقيه علامة، أديب، لا نعرف تاريخ ولادته، أما أسرته التي أنجبت عدداً من الفقهاء والعلماء والأدباء والأولياء، فتنتمي إلى موطنها تستاوت الواقعة جنوب ولماس في طريق واد زم، وتبعد عنه بتسعين كلم. كان إبراهيم بن أحمد يكاتب أباه ـ آتي الذكر ـ ويراجعه بأشعاره التي توجد بين ثنايا كتاب والده *نزهة الناظر*، ومن جملة ما كتب له بعد إحدى زياراته لضريح مولاي عبد السلام بن مشيش قصيدة مطلعها :

شَرِبْنَا مُداماً يُستلذُّ شرابُه ورقّ لنا الساقي، وطابَ انْتِسابُه

كما كانت له مراسلات مع أهل مدينة سلا، هذه المدينة التي تربطها صلات وطيدة بالأسرة التستاوتية.

أصيب إبراهيم التستاوتي بمرض عام 1083 هـ / 72 ـ 1673، فكتب له أبوه أبياتاً تظهر المكانة المتميزة التي يحظى بها عنده، ووضع بإيعاز من عمه العياشي، شرحاً على *الواردات الصوفية* لهذا الأخير. يوجد في مجموع خطي (خ. ع.، 2010 د، ص. 328 وما بعدها).

لم نقف على تاريخ وفاة إبراهيم، إلا أنه كان حيا في 29 ذي الحجة عام 1124 / 27 يناير 1713.

**التستاوتي، أحمد** بن عبد القادر بن عبد الوهاب بن موسى بن الشيخ محمد بن مبارك الزعري، من أكبر علماء وقته، كان مشاركاً في علم الظاهر والباطن، له ملكة واسعة وقوية في نظم الشعر، وعارضة في الأدب. سكت مترجموه عن سنة ولادته، لكن، اعتماداً على بعض الإشارات الواردة في مؤلفه *نزهة الناظر* يظهر أنه ولد حوالي عام 1044 / 34 ـ 1635.

لم يحدد التستاوي مكان ولادته بالضبط، لكن، يبدو أن الأمر يتعلق بالرقعة الجغرافية التي تنحصر بين نهري العبيد وأم الربيع.

أشار مترجموه إلى نسبه الحسني اعتماداً على شرح أحمد بن عبد القادر لبيت من منظومته لرجال الممتع، حيث سطر فيه أن جده الشيخ محمداً ابن مبارك حسني النسبة، الأمر الذي أكده تلميذه أحمد بن عاشر الحافي.

قضى أحمد بن عبد القادر طفولته في الرَّحية، وهي قريبة من تستاوت ثم نزل بأرض زعير التي حل بها جده الشيخ مَحمد بن مبارك. شرع خلال هذه الفترة في حفظ القرآن الكريم وبعض المتون، ثم انتقل بعد مدة إلى جبل صَرْصَر قرب القصر الكبير لتحسين وضعيته المادية من جهة، والابتعاد، من جهة ثانية، عن الفتنة التي اندلعت بين أولاد الشيخ ابن مبارك "الذين تطاحنوا بسبب جهلهم وغلبة الشهوة عليهم وحبهم للدنيا والرياسة"، كما أكد ذلك

صاحب الترجمة في *النزهة*. إن ما يميز حياة أحمد بن عبد القادر هو كثرة تنقلاته بين البوادي والحواضر، هكذا، نراه يضطر إلى العودة من جديد إلى زعير، وهو مازال يعاني من العسر، ثم بعد مدة شدالرحال إلى الزاوية الدلائية التي كانت تعج بفطاحل العلماء، وقد تأثر كثيراً بهم لا سيما الحسن اليوسي، ويظهر ذلك بوضوح في رسائل التستاوتي لهذا الأخير حيث نجدها مشحونة بتحليات التقدير والتمجيد. لم يتيسر لصاحبنا المقام بالزاوية الدلائية، فغادرها متحسراً بعد أن عايش علماء بارزين في شتى مجالات المعرفة. وتفيدنا *النزهة* أن التستاوتي استمر بعد ذلك في ترحاله، وإذا انتهى به المقام بمدينة مكناس، فإن ذلك بأمر من السلطة، كما سنرى، وتجدر الإشارة إلى أنه كان يعاني من عاهة العرج، وقد رزق أولادا كثراً، وردت أسماء جلهم في *النزهة* (ص. 206)، وسنتطرق ـ بالإضافة إلى إبراهيم، آنف الذكر ـ إلى البارزين منهم.

أخذ أحمد بن عبد القادر العلم على يد شيوخ كبار ذيل نظمه *لمتع الأسماع* بذكرهم، أمثال : عبد القادر الفاسي، قرأ عليه المعاني بفاس عام 1068 هـ / 57 ـ 1658)، واجتمع في نفس السنة بالشيخ ميارة بجامع اللبارين، وقرأ عليه *رسالة* ابن زبي زيد، وقد أجازه الشيخ مَحمد بن ناصر الدرعي *مختصر خليل*، و*ألفية* بن مالك، و*رسالة* ابن أبي زيد، و*عقيدة* الشيخ السنوني وغيرها. واجتمع صاحب الترجمة مرة ثانية، عام 1081 هـ/ 70 ـ 1671، في فاس بالشيخ عبد القادر الفاسي، وأخذ عنه سند المصافحة، و*الحزب الكبير*.

انصب اهتمام مترجمي أحمد التستاوتي على العلاقة التي تربطه بالزاوية الناصرية، ومؤسسها الشيخ مَحمد ابن ناصر، لاسيما وأنه خصص جزءاً هاماً من الباب الثاني من *النزهة* للمراسلات التي دارت بينه وبين شيخه في الطريقة المذكورة. ونستشف منها أن الحسن اليوسي هو الذي دلّ التستاوتي على الشيخ ابن ناصر، ويظهر منها كذلك انجذاب صاحبنا إلى هذا الأخير وطريقته : "إلى قدوتي، ورحمتي ونعمتي... وبعد، فإني إليك أنتمي، وأنت المعول، ولو ظهر من الأولياء مثل عدد نجوم السماء لكانت لي بك الكفاية على الجميع" (*نزهة*، 20). وفد التستاوتي على شيخه وفادتين : كانت الأولى عام 1081 هـ / 1671 م. وتمت الثانية عام 1084 هـ / 73 ـ 1674، ومن خلالهما يظهر ما يكنه كل واحد للآخر من صفاء المحبة. ونشير إلى أن التستاوتي استأذن شيخه في نشر الطريقة الناصرية. وبعد وفاة هذا الأخير 1085 هـ / 74 ـ 1675، ظل صاحب الترجمة على وفاء وإخلاص للزاوية الناصرية، على الرغم من الوحشة التي وقعت بينه وبين الشيخ أحمد بن ناصر (العميري، *فهرس*، 34). ويجدر التذكير أن التستاوتي الذي نشر طريقته في عدة مناطق، خاصة في مدينة سلا، قد خصص جزءاً هاماً من *النزهة* للمراسلات والمساجلات التي دارت بينه وبين مريديه السلويين، وكلها تؤكد متانة الروابط بين الجانبين، ومن خلالها يمكن معرفة بعض ملامح المجتمع السلوي خلال الشطر الأخير من القرن الثاني عشر (18 م).

تتلمذ على يد أحمد بن عبد القادر التستاوتي أحمد بن بوعسرية الفاسي وقد أجازه (خ. ع. ك 597، ص. 162 ضمن مجموع)، ومن تلامذته السلويين الفقيه القاضي موسى بن الراحل الدغمي، وأحمد بن عاشر الحافي الذي انكب على جمع مواد *نزهة الناظر*، وغيرهم.

إن مكانة أحمد التستاوتي البارزة في علم الظاهر والباطن، وما جلبت إليه من أتباع، أثار انتباه السلطة الحاكمة، ومن ثمّ كانت محنته. لقد ذكر مترجموه أن من بين ادعاءاته الصوفية أنه أُعطي الشفاعة في أهل عصره، وقد أبرز الناصري أن صاحب الترجمة لما وقع له الفتح، كانت تغلب عليه الواردات والأحوال، فيبوح "وربما أشار إلى نفسه بأنه صاحب الوقت أو المهدي، أو ما شابه ذلك، فتخوفت عشيرته من أن ينالهم من السلطان مكروه، فأنهى بعض أقاربه أمره إلى السلطان" (*طلعة*، 2 : 54). وانتهى الأمر بسجن أحمد التستاوتي في حبس فاس الجديد سنتين، من عام 1104 هـ إلى 1106 هـ / 92 ـ 1694 م)، ثم أُلزم بالإقامة الإجبارية بمدينة مكناس.

ترك أحمد بن عبد القادر التستاوتي تراثاً فكرياً ضخماً، منه : *عقد جوهر المعاني، في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني* ؛ و*نظم رجال التشوف للتادلي*، و*شرحه* ؛ و*نظم رجال المتع*، و*شرحه* ؛ وديوانه الضخم : *نزهة الناظر* الذي يضم مادة تاريخية دسمة تهم مختلف مراحل حياة التستاوتي.

توفي أحمد التستاوتي ليلة الأربعاء فاتح رجب عام 1127 / 3 يوليوز 1715، ودفن قرب روضة الشيخ عبد الله بن مَحمد، خارج باب البرادعيين بمكناس.

**التستاوتي، العياشي** بن عبد القادر، فقيه أديب، من أهل الجد والاجتهاد والمداومة على العبادة والأوراد، يصوم ويقوم، هذه الصفات شهد له بها شقيقه أحمد بن عبد القادر، آنف الذكر. لم يتطرق مترجموه إلى سنة ولادته، ولا إلى نشأته، وجل المعلومات عنه استقيناها من *نزهة الناظر*، ومجموعته (خ. ع. ك. 309 وخ. ح.، 1928)، وتفيد أنه كان ضريراً لا يكتب بنفسه، بل يملي أشعاره وغيرها على أنجاله كالمامون ويعفور، أو على تلامذته كأحمد بن عاشر الحافي السلوي. تعرض العياشي ـ كأخيه أحمد ـ إلى المحنة، حيث سكن بحبس فاس (*مجموعة*، 5)، ولا نعرف تاريخ سجنه، ولا المدة التي قضاها في السجن، ويبدو أنه امتحن في نفس الفترة التي امتحن فيها أخوه.

أخذ العياشي العلم على يد شيوخ كبار، أوردهم في بداية مجموعته مبتدئاً بشقيقه أحمد بن عبد القادر، والحسن اليوسي، وأحمد بن محمد بن ناصر، ومحمد بن عبد القادر الفاسي، وعلي العكاري وغيرهم. وللعياشي

عدة مراسلات ومراجعات شعرية مع أخيه عبد القادر، وردت في مجموعته السالفة الذكر، وفي ثنايا *نزهة الناظر*، نلمس فيها مكانته العلمية والأدبية التي نوه بها شقيقه المذكور.

ونشير إلى أن أحمد بن عاشر الحافي هو الذي جمع مواد مجموعة العياشي شيخه في الطريقة، وبذلك يرجع الفضل لهذا العالم السلوي في جمع أهم تراث فكري للأخوين التستاوتين : أحمد بن عبد القادر - كما رأينا - وصاحب الترجمة، لا سيما وأن *النزهة* وهذه *المجموعة* يمثلان تكاملاً فيما بينهما، لأن الأولى لا تعكس سوى جزء من إنتاج مؤلفها (شعر التستاوتي، 47). وقد ذكر الأستاذ المنوني أن الحافي دوّن بهذه المجموعة ما أملاه عليه صاحبها من الأشعار الفصيحة والزجلية، وتمّ ذلك تحت إشراف إمام زاوية أبي الجعد محمد المعطي بن محمد الصالح الشرقي العمري (*المصادر العربية*، 1 : 194). وتجدر الإشارة إلى أن صاحب الترجمة ساهم في تعمير المجالس العلمية والدينية للزاوية الشرقاوية (*اليتيمة*، 166)، كما كان يتردد كثيرا على مدينة سلا، لأن عرى الصداقة والمحبة ظلت متينة بينه وبين مريديه السلويين بعد وفاة أخيه أحمد ابن عبد القادر التستاوتي، مع العلم أن العياشي هو الذي ورث سر أخيه في الطريقة.

توفي العياشي التستاوتي صبيحة يوم الخميس سابع صفر عام 1134 / 27 نونبر 1721.

**التستاوتي، المامون** بن أحمد بن عبد القادر، فقيه، عالم، كان يتردد كثيراً على الحاضرة السلوية. توفي المامون أواخر ربيع الثاني عام 1124 / يونيه 1712، وقد رثاه الفقيه القاضي موسى بن الراحل الدغمي، وأحمد بن عاشر الحافي السلويان بمرثيات تبرز الخصال العلمية والدينية التي كان يتميز بها المامون (*شعر التستاوتي*، 886).

**التستاوتي، مَحمد الحاج** بن عبد القادر، كان فقيهاً فاضلا خيّرا ديّنا، أخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ مَحمد ابن ناصر الدرعي. وكان في ابتداء أمره كثير الذكر، ثم انتقل ذكر لسانه إلى قلبه. كما كان يراجع أخاه العياشي بن عبد القادر بأشعاره الزجلية التي توجد في مجموعة هذا الأخير (ك. 309، ص. 25). توفي في شهر المحرم عام 1132 هـ / نونبر - دجنبر 1719 م.

**التستاوتي، محمد الشريف** بن أحمد بن عبد القادر، فقيه أديب، والدته هي رقية بنت عبد السلام التستاوتي. أخذ العلم على الشيخ القسنطيني في فاس، وكان يراجع أباه بأشعار توجد في *نزهة الناظر*، فيراجعه والده مظهراً إعجابه ببراعة نظمه.

لم نقف على تاريخ وفاته، وكان حيا عام 1109 هـ/ 97- 1698 م. وقد بعث شيخه القسنطيني رسالة تعزية إلى والده الذي رثاه بدوره بقصيدة لامية حزينة.

**التستاوتي، مَحمد بن مبارك** بن أحمد بن مسعود الحسني، من مشاهير الأولياء، وأكابر الأتقياء، اشتهر بالزعري، نسبة إلى قبيلة زعير (بالتصغير)، وسبب جريان الزعري عليه أنه كان يحرث على جمل وفرس، فيزجر الجمل بلفظ "زَعْ"، والفرس بلفظ "ري"، فلفق من اللفظين زعير (*الإصليت*، 10). لا نعرف تاريخ ولادته بالضبط، لكن، اعتماداً على بعض الإشارات الواردة عند تلميذه ابن أبي محلي في *الإصليت*، يظهر أنه ولد حوالي عام 937 / 30- 1531 بأوطاط من وادي ملوية، ثم خرج به أبواه إلى الغرب وتمّ الاستقرار في عشّابة - قرب فاس - التي توفي بها والده، وانتقل بعد ذلك إلى مكناس ومنها إلى زعير.

تعاطى الشيخ مَحمد بن مبارك القراءة في أول الأمر بمدينة مكناس، إلا أن ذلك استعصى عليه "فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وقال له لن تقرأ ولكنك شيخ، فأولها ابن مبارك بأنه سيكون شيخ القبيلة، فخرج إلى البادية، إلا أن مراده لم يتحقق إلى أن سرت فيه نفحة القرب من الله فقصد مراكش، ولقي بها الشيخ أبا عمرو القسطلي للأخذ عنه صحبة جماعة من قبيلة زعير. وبعد أن قدم الزوار إليه هداياهم، بشرهم هذا الأخير قائلا : "من أتى بها كلها، ذهب بها كلها" يعني المحبة. هكذا، حقق صاحب الترجمة هدفه المنشود، ورجع غانما من مدينة مراكش، وبنى بتستاوت مسجداً في المكان الذي عينه له شيخه أبو عمرو، وانقطع فيه للعبادة. ذاع صيت الشيخ محمد بن مبارك بعد أن سمع الناس بكراماته العديدة التي أوردها مؤلف مجهول من المحلي، وابن عسكر في *الدوحة* (ص. 114) وغيرهما. فقد ذكر الأول أن ألف طالب كانوا يقرأون العلم والقرآن الكريم في بلده، ويأكلون من زاويته، وقدم لائحة بأسماء بعض الطلبة الملازمين لزاوية الشيخ الزعري (*المحلى*، 1). ورغم أن هذا الأخير كان أمياً، فإنه كان ذا فائدة، حيث كان يجيب أصحابه بأجوبة مقنعة عن أسئلتهم سواء تعلق الأمر بعلم الظاهر أو الباطن، فهو يرى - مثلا - أن العالِم هو من يعمل بعلمه ولا يرى قيمة لعلمه ولا عمله.

من أشهر الآخذين عن الشيخ محمد بن مبارك ابن أبي المحلي الذي لازمه ثمان عشرة سنة، فأثرت فيه صحبة هذا الولي الكبير، وتحدث عنه بإسهاب في *الإصليت*، كما أخذ عنه العارف الكبير أبو عبيد الله الشرقي وغيرهما.

لم تكن كرامات الشيخ ابن مبارك لتبعده عن الأوضاع السياسية التي كان المغرب يمر منها، لاسيما وأنه عايش فترة دقيقة تتمثل في قيام الدولة السعدية بمساندة شيوخ الزوايا، وهي الفترة التي عرفت تكالب الإيبيريين على سواحل المغرب، لذلك نرى الشيخ الزعري يدلي بدلوه في أمر الجهاد قصد تحرير الثغور المحتلة من يد الإسبانيين والبرتغاليين.

توفي محمد بن مبارك بالوباء في ثاني شوال عام 1006 / 8 مايو 1597، ودفن بتستاوت، ويبعد ضريحه عن ضريح الشيخ أبي يعزى بـ 25 كلم.

ومن أشهر زوايا المباركين بالمغرب ـ بعد زاوية تستاوت ـ زاوية سلا التي توجد بحي باب احساين، داخل السور فيما بين الباب الجديد وباب معلقة، غير بعيدة عن دار المجاهد العياشي، وهناك زاوية مكناس والرباط. ويوجد بقبيلة زعير فخذ يسمى بأيت مبارك (زعير، 2 : 98).

**التستاوتي، موسى** بن الشيخ محمد بن مبارك، علامة مشارك، كان مدرساً بفاس، ومفتيا مشهوراً بها وبمراكش. ولد عام 1004 هـ / 92 ـ 1693، وقعت مجادلة بين موسى وأبيه الشيخ محمد بن مبارك أمام جماعة من علماء فاس. وقد ألح الولد والجماعة على هذا الأخير أن يجيب عن أسئلتهم انطلاقا من علم الظاهر، لأن الشيخ ـ كما رأينا في ترجمته ـ أمي من أهل الباطن. وقد استفسر موسى والده عن الخبر الذي سمعه عنه، أي كراماته، أسحر هي أم بدعة، أم ذلك من متابعة السنة المحمدية ؟. وقد أكد الحاضرون أن الرجل لا يدعو إلى بدعة، أما لشيخ فقد أتى بأجوبة أقنع بها صاحب الترجمة ومن معه، وقد تحدث صاحب *المحلى* عن ذلك بإسهاب (وجه 3 وما بعده).

لم نقف على تاريخ وفاة موسى بن محمد بن مبارك، وذكر مؤلف *كتاب زعير* (2 : 101) أنه توفي بعشابة، قرب فاس.

**التستاوتي، يعفور** بن العياشي بن عبد القادر، فقيه، ولد عام 1096 / 84 ـ 1685. كان والده العياشي الضرير يملي عليه أشعاره وغيرها، كما كانت له مساجلات شعرية مع أبيه وعمه أحمد بن عبد القادر.

توفي يعفور عام 1118 هـ / 1706 ـ 1707 م، وقد رثاه عمه المذكور برائية، كما أورد أحمد بن عاشر الحافي في *الفهرس* (ص. 275) نص التعزية التي بعثها أبو بكر الفرجي السلوي إلى أبيه العياشي، وتوجد كذلك ضمن مجموعة هذا الأخير (ص. 53)، وتقع في اثنين وأربعين بيتاً.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ط. II ، 113 ـ 114 ؛ أ. ابن أبي محلي، *الإصليت*، مخطوط خ. ح. رقم 100، 10 ـ 17 ؛ أحمد بن ع. التستاوتي، *نزهة الناظر*، شعر التستاوتي، جمع وتحقيق وتقديم عبد اللطيف شهبون، رسالة د. د. ع. كلية الآداب ـ الرباط، 90 ـ 1991 ؛ العياشي بن عبد القادر التستاوتي، مجموعة (خ. ع.، ك 309، وخ. ح. 1928) ؛ إبراهيم التستاوتي، *شرح واردات العياشي التستاوتي*، (خ. ع.، د. 2010، ص. 328 وما بعدها) ؛ العميري، *فهرس*، خ. ع.، كـ 560، ص. 34 ـ 35 ؛ أ. ابن عاشر الحافي، *فهرس*، دراسة وتحقيق محمد السعديين، رسالة د.د.ع.، كلية الآداب بالرباط 90 ـ 1991 ؛ م. العبدوني، *يتيمة العقود*، خ. ع.، ك 305، 166 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 66 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، 2 : 54 ؛ م. ابن سودة، *قبيلة زعير*، 2 : 89 ـ 120 ؛ أ. الطريبق، *أدب التستاوتي من خلال نزهة الناظر*، رسالة د. د. ع.، كلية الآداب بالرباط، 85 ـ 1986 ؛ مجهول، *المحلى في مناقب الشيخ محمد بن مبارك*، مخطوط خ. ح. رقم 726، وجه 1 ـ 7.

محمد السعديين

**تَسْرِيرْتْ**، هضبة تقع بالأطلس الصغير الأوسط على بعد حوالي ثلاثين كلم إلى الجنوب الشرقي من جبال سروا، تبلغ مساحتها 380 كلم$^2$ ويحدها من الشمال والغرب والجنوب مرتفعات يصل علوها إلى 2156 م في حين تشرف من جهة الشرق على وهدة تازناخت، يصل معدل ارتفاع هضبة تسريرت إلى 1800 م مع بعض التباينات بين جنوبها الشرقي وشمالها الغربي إلى حدود 1740 م. ويمتاز سطح الهضبة بتقطعه النسبي نتيجة لتعمق الأودية (واد مدرار وواد تزدوليت) إضافة إلى انتشار التلال المعزولة.

تتلقى الهضبة تساقطات مطرية تصل إلى 200 ملم يتم تصريفها بواسطة شبكة هيدروغرافية تنتظم أساسا حول أسيف تزاخت الذي يتجه نحو الشمال الغربي وأسيف مدرار الذي يجري نحو الشرق بعد رسمه لمجموعة من المنعرجات.

يستقر بالهضبة حوالي 400 شخص مستقرين أساسا بقرية سفكومت تضاف إليهم أعداد مهمة من الرحل وأنصاف الرحل يفدون من قرى القبائل المجاورة لاستغلال مراعي الهضبة التي تتوزع ملكيتها بين قبيلتي سكتانة (20.380 هكتار) وزناگة (17.120 هكتار).

وفي إطار سياسة إعداد المراعي أقدمت الدولة سنة 1980 بواسطة المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بورزازات على إنشاء محطة تجريبية رعوية لهضبة تسريرت على مساحة تبلغ 1000 هكتار. وقد عرفت انطلاقة المشروع تأخراً نسبياً بفعل معارضة السكان في البداية. وقد تم تجريب مجموعة من النباتات في أفق تعميمها عند نجاح التجربة.

وقد همت المحاولة الأولى عشرة أنواع ولم تسفر عن نتائج إيجابية إلا بالنسبة لـ Sanguisorba minor Agropyron.

وفي سنة 1981 أجريت تجربة ثانية همت هذه المرة ثلاثة أنواع نباتية هي : كلونگاتوم Clongatum، أنتيرمديوم Intermedium، أگروبيرون Agropyron. وعلى الرغم من هزالة التساقطات المسجلة إبان الفترة التجريبية فقد تم تحقيق نتائج مرضية، إضافة إلى ذلك مكنت عملية منع استغلال مراعي المحطة لمدة سنة من الرفع من مردودية الهكتار الواحد من 100 إلى 300 وحدة علفية.

A.T. Zainabi, *L'homme et la montagne en milieu sub-aride : Le pays de Taznakht. Anti-Atlas*, Thèse 3ème cycle, Géographie, Poitiers, 370 pages, 1989.

أحمد توفيق الزينبي

**تسريرت** أو تاسريرت، تسمية تطلق عادة على المناطق الجبلية أو الفصائل المقيمة بها. يكفي للتأكد من ذلك الوقوف على منطقتي أيت باعمران وأمانوز بالأطلس الصغير. فبالسفح الجنوبي للأطلس الصغير تطلق التسمية

على القبيلة التي يحدها دادس شمالا بين أدرار الكست وأزرار - تيميزگيدة وغربا أيت عبد الله وأيت أوسيم وأملن أمانوز وشرقا أسيف أنزرن وأسيف تيزرمين وقبيلة أيت يوسى بإيگونان (*المعسول*، IX : 172). أما إذا انتقلنا إلى ما تسميه المصادر باعمرانة أو أيت باعمران فنجد أن جل الوثائق المحلية لا تستجيب غالباً لمتطلبات هذه الملاحظة. فالقبائل التكنية المجاورة لهذه السلسلة الجبلية شأنها شأن الفصائل المحلية تقتصر عادة على تسمية تسريرت (*المعسول*، 3 : 250). هذه الحقيقة التي تكشف إلى أي حد عملت المصادر المكتوبة خاصة منذ القرن الثالث عشر (19م) على ترجيح كفة التسمية التي لم تكن مستعملة محليا، تستدعي مسائلة مشروعية التصور المحلي للمجال.

تتمير البنية الاجتماعية هنا على غرار أغلب الجهات بتداخل مختلف مستويات التحالف القبلي بين الفصائل المحلية. وقد عرفت تسمية تسريرت أهمية تاريخية فيما يتعلق بمشروعية تحالف الفصائل فيما بينها. لم تكن التسمية تستند إلى جهاز سلطوي مختص في المحافظة عليها لأنها لم تكن تفيد ترابط خطوط الأنساب أو المداشر أو حتى الدخلاء. ما يميز أنماط الملكية بتسريرت هو حجم الملكيات العائلية المستقلة إلى جانب الأحباس والملكية الجماعية. وتشير الرواية المحلية إلى توسع الملكية الخاصة على حساب الأرض الجماعية. وفق صيغ تؤكد تباين الأنساب أقدمت العائلات النازحة على احتكار الأراضي التي نزح عنها ساكنوها. هذه الاختلالات في الكيان القبلي المتماسك زادت من القيمة الاجتماعية للأرض حادة بذلك من التعريفات الإثنية القبلية للمجال. نصل من هنا إلى سبب النزوع المتزايد نحو مفهوم تسريرت التي تحد من متانة الصلات المعقودة بين الوحدات والفصائل المحلية. نتفهم إذن لماذا تركز وثائق تملك الأرض على صيغة تسريرت بدل باعمرانة أو أيت باعمران.

*دراسات ميدانية وروايات شفوية.*

مصطفى ناعمي

* * وهناك منجم تسريرت من النحاس يقع بالجنوب الشرقي من تافراوت، على بعد عشرين كلم مستقيمة إلى الجنوب الغربي من منجم تازلاغت (انظر الخريطة الطبوغرافية تافراوت 1 / 100.000) وتوجد الآثار المنجمية القديمة في قمة جبل أمگدول (1817 م). وترتبط الترسبات المعدنية في هذا الموقع بالانكسارات الجيولوجية، وكان المنجميون القدامى يستغلون على الخصوص معدن النحاس المعروف حالياً تحت اسم الكالكوزين (Cu2S).

ويظهر من معاينة الآثار المنجمية القديمة أن القدامى استغلوا الترسبات المعدنية النحاسية الموجودة داخل الانكسارات الجيولوجية التي كانت تشكل لديهم دليلا في عملية التنقيب، وتوجد بالموقع أطنان من الردم المعدني المستخرج بواسطة أربعين بئراً ودهاليز وأروقة وخنادق، وتتركز هذه الآثار في المنطقة الشمالية وتغطي مساحة 100.000 متر مربع.

وتدل الآثار الباقية على أن القدامى استغلوا الوجه المتأكسد للترسبات المعدنية في بداية استغلال موقع تسريرت. ويشكل الردم المعدني أهمية كبيرة بحيث يغطي كل المناطق التي تحتوي على ترسبات معدنية، وقد وصل القدامى في تسريرت إلى عمق ستين مترا تحت سطح الأرض. وكان الركاز المعدني يحمل إلى قرية تسريرت، ويعتقد شازان (Juin 1951) و(1976) P. Sylvestre أن الجسم المعدني لموقع تسريرت والذي يعادل 1.800.000 م$^3$ قد تم استغلال أكثره من لدن المنجميين القدامى، وقام P. Sylvestre بحساب الردم المعدني وحصره في 50.000 طن، ورفع البوعبدلاوي يحيى هذا الرقم إلى 80.000 طن. وإذا كان الردم المعدني السطحي يساوي نصف ما حفره القدامى فإن الأحجار المعدنية المستخرجة تجاوز مقدارها 100.000 طن.

إن وجود ركام من الأشكورية (الخبث المعدني) بقرية تسريرت، يدل على ممارسة التعدين بهذا الموقع، إذا افترضنا أن القدامى استغلوا فقط 1٪ من الركاز المعدني فإن ذلك يعني أنهم استخرجوا ما يعادل 1.000 طن من النحاس المصنع، مع العلم أن المنجميين القدامى اهتموا بالأساس بالترسبات ذات التركز المعدني العالي حيث إن التحليلات المختبرية لبعض العينات المأخوذة من الردم المعدني أعطت نسبة تركز النحاس تصل إلى 3،05٪.

لعب منجم تسريرت دوراً كبيراً في تاريخ المناجم والتعدين بالأطلس الصغير إلى جانب منجمي تازلاغت وأگوجگال ونعتقد أن النحاس المصنع كان يُسوق في تارودانت والصويرة وأگادير.

*الخريطة الطبغرافية تافراوت* 1 / 100.000.

W. Chazan, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1951 ; P. Sylvestre, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1976 ; Y. Bouabdallaoui, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1981.

الموساوي العجلاوي

**التسفير**، معناه التجليد. وسفَّر الكتاب : جلده أو ألبسه الجلد ، المجلَّد ج. مجلَّدات هو الكتاب الملبس جلدا. والمجلِّد والمسفِّر هو الذي يُجَلِّد الكتب. وفي المغرب تستعمل كلمة تسفير بينما تستعمل في المشرق كلمة تجليد. ويدخل هذا في عداد الفنون العربية الجميلة المعروفة "بالأرابيسك".

لقد أحس الإنسان منذ القديم بضرورة المحافظة على ما هو مكتوب : المخطوط في البداية ثم المطبوع بعد اكتشاف الطباعة، وهذا هو موضوع التسفير أو التجليد، وهو فن، كذلك، في حالة زخرفة غلاف الكتاب حيث لا يفترق الفن عن التقنية. وجمال تسفير مًا لا يرتبط بالأسلوب الفني المتعلق بالزخرفة بل بنوع المواد المستعملة واجتهاد الصناع.

لم يوجد التسفير إلا من أجل الكتاب الذي لا يفترق عنه. ففي الوقت الذي يحدد بعض مدلول الوراقة في جعلها قاصرة على الورق، ويخصص لكل من النساخة والتسفير فصلا على حدة، فإن ابن خلدون يتوسع في تعريفها

ويجعلها شاملة للاستنساخ والتصحيح والتسفير وسائر الشؤون الكتبية. وقد أخذ محمد المنوني في كتابه *تاريخ الوراقة المغربية* بهذا التعريف حيث يرى أن "الخط ربما يرشد إلى تحديد اسم المزخرف والمسفر لمخطوط بعينه، وذلك في حالة ما إذا علمنا من مصدر ما، أن المعني بالأمر كان بعد كتابته لمنتسخه يعالج بنفسه زخرفته وتسفيره".

لم يوجد التسفير إلا من أجل الكتاب الذي لا يفترق عنه. ولأن الكتاب أداة للتواصل عبر العالم وعبر القرون لكل ما هو مفكر فيه، أم مخفوظ وتم إنجازه ؛ وحيث إنه الأداة الأساسية لكل تقدم معنوي أو مادي، فإن كل هذا يحدد أهمية التسفير ومكانته وهي تتلخص في : "تقديم، واحتفاظ، وزخرفة الكتاب". لذلك فالتسفير ظهر مع الكتاب ومعه تطور وتغير. ويمكن أن نميز، فيما يتعلق بالمراحل التي مر بها، بين ثلاثة أدوار :

- ما يمكن أن نسميه مرحلة البداية أو "الأصول" (قبل ظهور الطباعة). ويهم التسفير هنا الرق والورق ؛
- من الطباعة إلى المكننة : مرحلة التسفير اليدوي ؛
- العصور الحديثة : تطور التسفير الصناعي بموازاة مع التسفير اليدوي. وقد كان لظهور الطباعة في القرن التاسع (15 م)، ثم للثورة الصناعية في القرن الثالث عشر (19 م) تأثير كبير على صناعة التسفير.

عرف المغرب صناعة الورق بفاس على عهد المرابطين، بينما شاعت قبل ذلك الكتابة على الرق. كما شكلت فترة حكم الموحدين "العصر الذهبي للوراقة المغربية، فظهر بعض المزخرفين للكتب والمجيدين للتسفير". وقد ورد في رسالة ابن طفيل وصف لاحتفال عبد المومن بكسوة المصحف العثماني بعدما نقله من قرطبة إلى مراكش جاء فيه : "... فحشروا له الصناع المتقنين ممن كان بحضرتهم العلية، وسائر بلادهم القريبة والقصية، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة، من المهندسين والصواغين والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين". ومن أشهر المسفرين في هذا العصر تذكر المصادر : أبا عمرو بكر بن إبراهيم المتوفى عام ثمانية أو تسعة وعشرين وستمائة. وقد وضع رسالة في التجليد بعنوان : *التيسير في صناعة التسفير*، تهتم إلى جانب سفر الكتب، بشرح طريقة تسفير المصاحف الشريفة، وتبين العمل في كل من نوعيها : المصاحف السفرية، التي تجلد دون استعمال اللوح، ثم المصاحف الملوحة.

يرجع عهد أقدم تسفير مغربي، متوفر حتى الآن، إلى القرن السابع (13 م) ؛ حيث عثر بروسبير ريكار (Prosper Ricard) بمدرسة ابن يوسف بمراكش، على كتب مسفرة، تبين بعد ذلك أن الأمر يتعلق بمصحف في عشرة أجزاء وهو بخط الخليفة الموحدي المرتضي.

كما أن نشاط التسفير في العصر المريني تجلى "فيما تبقى لنا من وصف تسفير مصحف يوسف المريني ثم مصحف أبي الحسن المريني". وقد اشتهر في الفترة المرينية الوطاسية ثلاثة مسفرين :

- أبو العباس بن عاشر ؛
- أبو الحجاج يوسف بن علي بن عبد الواحد السدوري المكناسي ؛
- سيدي "مالك" الذي عاش في العصر الوطاسي وسمي بإمام المسفرين.

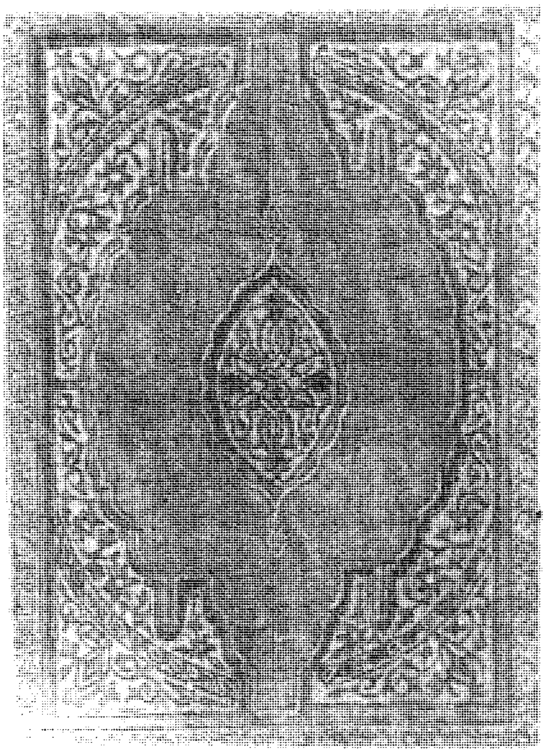

نشطت الزخرفة في هذا العصر، وقد كتب ابن خلدون في كتاب *العبر* عند الحديث عن ربعة قرآنية كتبها السلطان أبو الحسن : "وجمع الوراقين لمعانات تذهيبها وتنميقها".

في عصر السعديين "كان للمسفرين ديوان لاشتغالهم عند باب القصر الملكي بمراكش". ومن الذين تولوا التسفير في عصر المنصور : محمد الغجاف الفاسي. ومن الكتب التي ألفت في فن التسفير خلال هذه الفترة : *أرجوزة* لأبي العباس أحمد بن الحسن بن يوسف الصالحي الزجلي الشفشاوني الشهير بابن عرضون المتوفى عام 992 هـ ؛ *صناعة تسفير الكتب وحل الذهب* لأبي العباس أحمد بن محمد السفياني، ألفه في ذي الحجة عام 1029 هـ/ 1616 م. وكان الحافز بالنسبة للمؤلف "أنه لم يجد بين أهل زمانه من فيه الأهلية لتعلم هذه الصناعة، لما طبعوا عليه من عدم الإنصاف، فدون قواعدها في هذا الكتاب لينتفع بها من يأتي بعده". وقد صنف السفياني مؤلفه في ثلاثة أبواب رئيسية وملحقين :

- الباب الأول : في كيفية عمل الدفف، وهي ألواح الورق التي يكسوها الجلد ؛
- الباب الثاني : في طريقة حزم كراريس الكتاب،

وتتخيتها وكسوته بالجلد، وترصيع وسطه بالترنجة، وكيفية عمل البرشمان وتركيب السفر عليه ؛

ـ الباب الثالث : في صفة حل الذهب وغسله وسقيه بالغراء، وصفة الكتابة به على الورق والجلد. كما ألحق المؤلف بابين بكتابه وهما :

ـ باب صفة صبغ الجلد بنفسج ؛

ـ باب صفة عمل الترنجة في الجلد للتسفير.

وقد حقق "پروسپير ريكار" هذا الكتاب ووضع له مقدمة ثم نشره سنة 1925.

كما اشتهر، في صناعة التسفير، في هذه الفترة : محمد بن محمد بن سليمان الروداني الذي عاش إلى عام 1094 / 1682.

مع بداية العهد العلوي، بدأ بعض العلماء، إلى جانب المسفرين المحترفين، يحتسبون العمل لترميم بعض المخطوطات العتيقة، ونجد كنموذج أحد أعلام فاس ابن إبراهيم مَحمد بن محمد الخياط بن أبي القاسم الدكالي المشنزائي (ت. 1184 هـ / 1770 م).

وفي بداية القرن الثالث عشر (19 م)، ازدهرت الخطاطة، وتبع ذلك تطور بعض المهن التابعة لها، ومن ذلك تجليد الكتب وزخرفتها. وقد عمل بالزخرفة والتزويق والتسفير كل من : 1) إدريس السجلماسي ؛ 2) محمد ابن عبد العزيز بن محمد بن المهدي الحلو المريني الوطاسي ؛ 3) محمد بن عبد الرحمن بن حمدون ابن الحاج السلمي المرادسي ؛ 4) إدريس بن التهامي أجانا المكناسي، الذي كان يحترف تسفير الكتب، وإصلاح المبتور منها ؛ 5) ابن الحاج محمد بن إدريس العمراوي ؛ 6) محمد بن الحسن السوسي باكتل ؛ 7) محمد بن عبد القادر بن علي التادلي الرباطي ؛ 8) عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد الحلو المريني الوطاسي ؛ 9) محمد بن التهامي عمور اللهبي الفاسي.

وتجدر الإشارة إلى أن الأوبئة والطواعين التي انتشرت، من حين لآخر، داخل المغرب، كان لها تأثير سلبي على مختلف الحرف. وهكذا فقد لاحظ القنصل الإنجليزي ماطرا Matra في مستهل القرن الماضي "أن سبعين شخصا من الوراقين المزخرفين لقوا حتفهم، في فاس، من جراء الطاعون، إلى حد أن الرسالة التي وجهها مولاي سليمان إلى ملك إنجلترا زخرفت من طرف مبتدئ، لأنه الوحيد الذي ظل بمنجاة".

وقد عمل المولى عبد الرحمن بن هشام (1822 ـ 1859 م) على إصدار ظهير يأمر بموجبه بتجليد كتب خزانة القرويين.

بعد منتصف القرن الثالث عشر (19 م) وصلت الطباعة إلى المغرب، كما أولي الاهتمام لعملية النسخ. ففي عهد المولى الحسن الأول كان للنساخين مشرف لتنسيق أعمالهم. وتكلف الطيب بن عمر الشرقي بخزانة السلطان ومباشرة النسخ والتسفير على يده. كما عين المولى الحسن الأول بظهير ناسخاً ومسفراً بخزانة القرويين. وفيما يتعلق بالنسخ، أغلب الكتب التي نسخت تهم الصنعة الكيماوية، التي "استنسخ منها مجموعة ضخمة دبجها الوراقون المغاربة بخطوط جيدة وزخرفة أنيقة. وتسفير بديع حيث تزخر بالكثير منها الخزانة الحسنية بالرباط". كما "اضطلع بنسخ كتب الكيمياء والطب من القاهرة وراق مصري : سويقي أحمد الجبل العدوي حسب توقيعاته في منتسخاته"، وهي بخط نسخي وتسفير مصري وتوجد، أيضا بالمكتبة الحسنية.

يحصي محمد المنوني سبعة وراقين مزخرفين ومسفرين عاشوا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وبداية الربع عشر (19 ـ 20 م)، وهم : 1) الطاهر بن الحاج عبد السلام ابن موسى الفاسي ؛ 2) أحمد بن الطاهر السملالي الأزموري ؛ 3) مفضل بن محمد بن الهاشمي أفيلال الحسني العلمي التطواني ؛ 4) سليمان بن أبي بكر بن محمد ابن عبد الله جنون الفاسي ؛ 5) عبد الله بن سليمان جنون ؛ 6) التهامي بن علي البطاوري الرباطي، وهو عالم له معرفة بتسفير الكتب ؛ 7) محمد بن الحاج محمد بن أبي بكر الحلو المريني الوطاسي. يضاف إلى هذه الأسماء إشارة عند الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 345)، يذكر فيها أنه أدرك أفراداً في أسرة "الدلائيين" يحترفون تسفير الكتب.

عرف المغرب، خلال القرن الرابع عشر (20 م)، ظاهرة غزو التسفير الأجنبي، فتكون على يد المسفرين الأجانب (الفرنسيين) مسفرون مغاربة، منهم، في الرباط محمد الدويب. ومن المسفرين التقليديين، ذكر محمد المنوني : محمد بن العربي الحلو الفاسي ؛ عبد الوهاب بن عبد الله التادلي الرباطي ؛ محمد عبد الحي بن عبد الكبير الحسني الفاسي.

وقد عرف ميدان النشر بالمغرب، بعد نهاية فترة الحماية، تطوراً ملحوظا فتعددت دور النشر وأصبحت تقتصر في تسفير كتبها على استعمال الكارطون أو الورق. لكن التسفير اليدوي بالجلد لم ينقطع رغم وفرة وسهولة التسفير الاصطناعي الذي دخل إلى المغرب حديثاً.


الإشبيلي (بكر بن إبراهيم)، *كتاب التيسير في صناعة التسفير*، نشر وتقديم عبد الله گنون، *مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد*، العدد السابع والثامن مزدوج، 1959 ـ 1960، ص. 1 ـ 42 ؛ ابن موسى، *تيسير الكتابة عندالعرب نشأتها، تطورها، أدواتها*. الناشر العربي، أكتوبر 1986، العدد السابع، ص. 55 ـ 65 ؛ السفياني، أحمد بن محمد، *صناعة تسفير الكتب وحل الذهب*، مصحوبا بتفسير الكلمات المصطلح عليها في الصناعة المذكورة من وضع ريكار، فاس، 1919، 28 ص. نص بالعربية، 22 ص. نص بالفرنسية، ط. 2، باريز، 1925 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة*، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1991، 258 ص. (بحوث ودراسات، 2).

T. Arnold, *The Islamic book : A contribution to its arts and history from the VII - XVIII century* ; Leipzig, 1929 ; F. Cuvelier, *Histoire du livre : Voie royale de l'esprit humain*, Monaco, 1982 ;

S. Dahl, *Histoire du livre de l'antiquité à nos jours*, 2ème éd. rev. et aug., Paris, 1960 ; P. Ricard, *Reliures marocaines du XIIIème S : Notes sur des spécimens d'époque et de tradition almohade, Hesp.*, T. XVII, 1933, Fasc. 2 ; *La Renaissance de la reliure d'art à Fès*, Paris, 1925, Extrait des *Procès - verbaux et Mémoires du Congrès international des bibliothèques et des bibliophiles*, Paris, 1923 ; *Sur un type de reliure des temps almohades, Ars Islamica*, Vol. I, Part 1, pp. 74 - 79, 4 fig. ; F. Sarré, *Islamic book-binding*, London, 1923.

محمد جادة

**تسماطت** أو تاسماطت، موقع جغرافي ضمن مجال إيلان، في اتجاه مراكش، غير بعيد من أيت أورير الحالية. ولعل أقدم مصدر متداول ضمن مواد هذا الاسم هو كتاب *التشوف* لابن الزيات التادلي. ورغم اعتماد هذا الكتاب إطاراً مرجعياً وحيداً لضبط رسم الاسم، فإن هذا الأخير ليس موحداً بين مختلف النسخ التي تم الرجوع إليها في التحقيق. وتقدم اللوحة التالية، أشكال الرسم الأربعة التي تم تسجيلها :

| شكل الرسم | المصدر | الصفحات |
|---|---|---|
| تمساطت أو تامساطت | التشوف | 164 |
| تاساط | التشوف | 235 . 165 |
| تامسطت | التشوف | 181 . 165 |
| تامسماط | التشوف | 181 |

وقد اختار محقق *التشوف* من بين الأشكال رسم "تاسماطت". والاسم برسمه وصيغته ونطقه أمازيغي مصمودي، ليس بغريب على أسماء المواقع المحلية لجهة إيلان. وحسب المعنى الذي اقترحه الأستاذ أحمد التوفيق، فإن لمضمون تامساطت صلة بالوسط الطبيعي المحلي لجهة إيلان، ذلك أن الاسم جاء من "حصى الزلط الذي ينتشر في الأودية عند خروجها من الجبال وقلة انحدارها" ( *التشوف*، 164، الهامش 302).

كان موقع تاسماطت تابعاً لعمل مراكش خلال فترة حكم الموحدين. مشكلا فيما يبدو عنصرا من شبكة مراكز استقرار ورباطات كانت تحيط بمراكش من الخارج في شكل دائري. ولعل أهم ما اشتهر به هو نشاطه الصوفي، إذ يعتبر واحدا من مكونات شبكة الرباطات الواقعة في الحوز الأوسط خلال القرن السادس (12 م). ومن العناصر التي تدخل في باب التاريخ الصوفي لهذا الموضع يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

يبدو أن علاقة متصوفة هذا الرباط مع الشرق كانت غير عادية، الأمر الذي يلاحظ في قيمة المعلومات الخاصة بهذا الجانب ضمن المادة التي قدمها ابن الزيات عن تاسماطت. تتجلى هذه العلاقة من جهة في حضور متصوفة الرباط إلى الديار المقدسة، إما بشكل دائم ( *التشوف*، 164)، أو موسمي يرتبط بوقت أداء فريضة الحج ( *التشوف*، 235)، ومن جهة ثانية في انتقال بعض متصوفة الشرق إلى رباط تاسماطت، واتخاذه مستقرا ومقاما وموطن وفاة (*التشوف*، 208). ويظهر أن هذا الاهتمام المتزايد بالشرق، وخاصة أداء شعيرة الحج، لم يكن بتقليد خاص عند متصوفة هذا المركز وحدهم، خلال القرن السادس الهجري. وإنما يبدو وكأنه حالة عامة عند متصوفة الجنوب المغربي بما فيهم أهل رباطات الحوز.

ويمكن أن نميز في مكونات خريطة السياحات الصوفية، بين جوانب ثلاثة : أهمية امتداد خط هذه الخريطة خارج المغرب، إذ يصل أقصى امتداد له إلى الديار المقدسة ؛ وضيق الرقعة الجغرافية لمجال السياحة في المغرب، التي لا تتجاوز شمالا وادي أم الربيع حيث دكالة، ولا تتعدى جنوب الدير الشمالي للأطلس الكبير الغربي ؛ وضيق المجال الحضري وعدم تجاوز حدوده للمراكز الحضرية الفلاحية من تاسماطت وهما مراكش وأغمات.

تقدم اللوحة التالية أسماء المتصوفة الذين اشتهر بهم رباط تاسماطت :

| الاسم | الصلة بالرباط | تاريخ الوفاة | المصدر |
|---|---|---|---|
| أبو تونارت وجوط ابن ومريل الإيلاني | من أهل رباط تاسماطت | غير معروف | التشوف : 64 |
| أبو حدو القاسم الإيلاني | " " " " | " " | التشوف : 81 |
| أبو إبرأهيم إسحاق ابن ويعزان | " " " " | " " | التشوف : 35. |
| أبو سهل القرشي | نزيل " " | " " | التشوف : 08. |

ويمكن حصر النعوت التي أطلقها ابن الزيات على هؤلاء المتصوفة في : ـ أهل الفقة والفضل ـ نهاية في الزهد والتقشف ـ من الابدال ـ من الأولياء الأخفياء ( *التشوف*، 164 . 181 . 235).

ميزت هذه العناصر أيضاً متصوفة جهة الحوز بأكملهم، وهي تأكيد على ما كان لهذا الرباط من نشاط صوفي ملحوظ، وعلى قيمة رجالات التصوف الذين اشتهر بهم في رباطات مصمودة الجنوب.

ومن خلال معلومات *التشوف* يلاحظ غياب الحديث عن الشيوخ والمريدين والتلاميذ ... وعن العلاقات مع متصوفة آخرين عكس ما نجده بالنسبة لمتصوفة ينتمون لنفس المجال ولنفس الفترة مثل : تاقايطت ( *التشوف*، 232 . 258)، تاووتي ( *التشوف*، 304 . 313)... الشيء الذي لا يستبعد معه ضيق إشعاع هذا الرباط.

وتسري نفس الملاحظة على باقي رباطات جهة إيلان مثل : تامنصورت ( *التشوف*، 258)، تكتينت ( *التشوف*، 387)، ولعل ما يدعم ذلك أن أبا شعيب السارية كان "إذا زاره أحد من أهل جهات مراكش يقول له : أتزورني وعندكم أبو زيد" ( *التشوف*، 258). والمقصود هنا أبو زيد عبد الحليم ابن تونارت الإيلاني من أهل قرية تامنصورت.

ـ ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984.

محمد رابطة الدين

**تَسُوفْرَة**، جراب أو كيس جلدي مصبوغ بألوان زاهية، ومزركش برسوم فنية رائعة الجمال، يستعمل في المناطق الصحراوية المغربية، وفي بعض المناطق المتاخمة لها، وذلك لحفظ بعض المواد من التلف، كالألبسة والحلي والنقود والكتب والرسوم وما إليها من مختلف المواد الثمينة خاصة.

يصنع تسوفرة بعض الصناع المهرة من فئة المعلمين من جلد المعز بصفة خاصة بعد عملية الذبح والسلخ، ثم ينزع منه الشعر بصفة نهائية، ويدبغ ثم يخاط من رقبته، ويشرم من مقطعه الخلفي من مختلف الجوانب بطريقة فنية على شكل أهداب، ثم يثقب من تحت الهدوب ثقوبا متعددة لكي يمر منها ذراع القفل الحديدي الذي يصنع بدوره لهذه الغاية عند إرادة إغلاقه في الوقت المناسب، وبعد ذلك توضع له سيور مظفورة لتربط في قوائمه الأربعة وتشد من وسطها قصد تعليقها في البيت وقت الاستقرار، أو تعليقها بجانب راحلة الجمل أثناء السفر والترحال.

ويظهر أن مصطلح تسوفرة له علاقة بمادة "سفر" في الأصل اللغوي العربي، فمن حيث أن تسوفرة تكون منزوعة الشعر كذلك مادة "سفر" تدل على انحسار الشعر، جاء في حديث النخعي : "أنه سفر شعره" (أي استأصله وكشفه عن رأسه) من جهة، ومن حيث أن تسوفرة تدل على الجراب أو الكيس الجلدي كذلك مادة سفر لأن السفرة، بضم السين، تطلق على الزاد كما تطلق على الجراب الذي يحمل فيه بالنسبة للمسافر.

فالتسوفرة بالنسبة للانسان الصحراوي تستعمل أساسا لحفظ بعض المواد الثمينة المشار إليها أعلاه، ولا تستعمل لحمل الطعام إلا "الظبية" وهي كيس جلدي آخر أصغر من التسوفرة وأقل جودة منه وأكثر استعمالا.

فالتسوفرة وسيلة ترتبط بحفظ بعض المقتنيات كما تحفظ الكتب بعملية التسفير (أي التجليد) من جهة، وترتبط بطبيعة الإنسان الصحراوي الدائم السفر والترحال من جهة أخرى.

وبما أن طبيعة الاستقرار أخذت تطبع الحياة في المناطق الصحراوية المغربية بعد المسيرة الخضراء سنة 1975، فقد أخذ دور تسوفرة يضمحل بعد أن حل محلها الدولاب الخشبي والحائطي والمعدني وما إليها من الأدوات التقنية المصنعة الحديثة، وأصبحت تسرفرة تحفة فنية نادرة الوجود إلا لدى بعض الأسر القليلة جدا أو لدى بعض الصناع الذين يعرضونها للسياح الأجانب.

*دراسة ميدانية ؛ لسان العرب.*

محمد عالي خنفار

**التسول**، قبيلة تقع في تلال مقدمة الريف شمال غرب مدينة تازا، وهي محاطة بقبائل الحياينة من الغرب والبرانص من الشمال وغياثة من الشرق والجنوب. وتعد قبيلة التسول من أصغر القبائل مساحة بمر تازا حيث تصل مساحة مجالها إلى حوالي 47.630 هكتار. مقسمة على عدة فخذات أهمها : بني إفراسن، بني لنت، أولاد زباير، انكشت، بني افطر، وأولاد عزوز.

ومن الناحية الإدارية قسمت إلى ثلاث جماعات قروية وهي :

| اسم الجماعة | المساحة (هـ) | السكان (ن) | | متوسط الزيادة السنوية ٪ | الكثافة ن / هـ |
|---|---|---|---|---|---|
| | | 1971 | 1982 | | |
| جماعة أحد أولاد زباير | 19.500 هـ | 19.645 ن | 24.986 ن | ٪ 4،9 | 128 ن / هـ |
| جماعة أربعاء بني لنت | 11.200 هـ | 13.555 ن | 14.637 ن | ٪ 1 | 131 ن / هـ |
| جماعة بني افراسن | 16.930 هـ | 30.254 ن | 35.876 ن | ٪ 5،1 | 219 ن / هـ |
| المجموع | 47.630 هـ | 63.454 ن | 75.519 ن | ٪ 11،15 | 159 ن / هـ |

الجدرل رقم 1 : المساحة والسكان والكثافة ومتوسط الزيادة السنوية

توجد قبيلة التسول في منطقة تلية مرتفعة، حيث يتراوح متوسط ارتفاعها ما بين 600 م و1100 م. ونظراً لسيادة الصلصال في معظم أجزاء المنطقة فإنها تعرف سفوحا شديدة التخديد وخاصة بجماعة سبت بني إفراسن وشمال أحد أولاد زباير وشرق أربعاء بني لنت. كل ذلك يشهد على قوة التعرية وخطورتها مما ينعكس على التربة حيث ضعف السمك والبنية الهيكلية هما السمتان الرئيسيتان لهذا العنصر الحيوي بالمنطقة، فالتربة الحصوية تنشر بصفة عامة فوق السفوح الشديدة الانحدار نظرا لقوة التعرية الطبيعية من جهة وللتدخل البشري عن طريق حرث هذه الأجزاء من المنطقة من جهة أخرى كما تجب الإشارة إلى الدور الخطير الذي تلعبه التعرية بهذه الأجزاء من تلال مقدمة الريف بجرفها لكميات ضخمة من التربة والتكوينات الصخرية مما أدى إلى تعرية القمم تعرية تامة جعل الصخرة الأم تبرز فوق السطح. أما على المستوى الهدروغرافي في كثافة الشعاب والمسيلات تعتبر من بين العوامل المقوية لنشاط التعرية. وتنشط هذه العناصر الهيدروغرافية خاصة في الفصل المطير الذي يمتد ما بين شهر أكتوبر ومارس وتجف في معظمها في الفصل الحار وذلك بالرغم من كثرة العيون والتي تعتبر المورد الرئيسي لاستهلاك الماء المنزلي بالنسبة لسكان المنطقة.

أما التربة الرملية والصلصالة فهي تستقر عادة فوق السفوح الضعيفة الانحدار والأودية، وهي أهم أجزاء المنطقة، من حيث الاستغلال البشري. تعتبر أشجار الزيتون وأشجار التين من أهم المغروسات التي يعتمد عليها الاقتصاد المحلي لقبيلة التسول وذلك لوفرتها بشكل كبير نظرا لملاءمتها للظروف المناخية والترابية للمنطقة. غير أن الملاحظة الأساسية في هذا النطاق هو قلة الفصائل الغابوية الأخرى والموجودة في نطاقات بيومناخية مماثلة.

وتعتبر قبيلة التسول من القبائل التي استقرت بتلال مقدمة الريف منذ القدم. وقد وردت إشارات لقدم استقرارها بجوار قبيلة غياثة في كتابات تاريخية متعددة وللأدوار

التاريخية والحاسمة أحياناً التي لعبتها هذه القبيلة وجاراتها في تاريخ الدول التي تعاقبت على الحكم في المغرب. فالبكري يذكرها من بين القبائل التي استوطنت شمال المغرب قبل القرن الربع (10 م)، حيث استقروا حول مدينة تازا مع قبائل مكناسة. كما سنعثر عليهم في كتابات متعددة تحت قيادة قائدهم المشهور موسى بن أبي العافية محاربين ما تبقى من الدولة الإدريسية. وسيلعبون دوراً هاماً إبان الانتشار المرابطي، حيث سيشكلون جبهة ضد المؤسس الأول للدولة المرابطية يوسف بن تاشفين الذي سينجح سنة 465 / 1073 م - 1074 م في الاستيلاء على مدينة تازا. وسنجد مقاومة هذه القبيلة بتعاون مع جارتها غياتة لكل من دخل ترابهما طيلة المراحل التاريخية التي أعقبت الدولة المرابطية. فالمهدي بن تومرت مؤسس الدعوة الموحدية "المصمودية" تعرض للطرد من منطقة وادي أمليل (وهي المنطقة الفاصلة بين التسول شمالا وغياتة جنوبا، غرب مدينة تازا). فلم يستطع أن ينس ذلك حيث أكد على عبد المومن بن علي الگومي الذي كان يرافقه آنذاك على أن يتذكر جيدا هذا المكان ليعود إليه مرة أخرى ولكن كسيد وكقائد كبير. وفي سنة 535 / 1141 م دفع عبد المومن بن علي الگومي بجيشه نحو مدينة تازا حيث قضى شتاء صعبا بالمنطقة قبل أن يدخل المدينة ويسيطر على المنطقة.

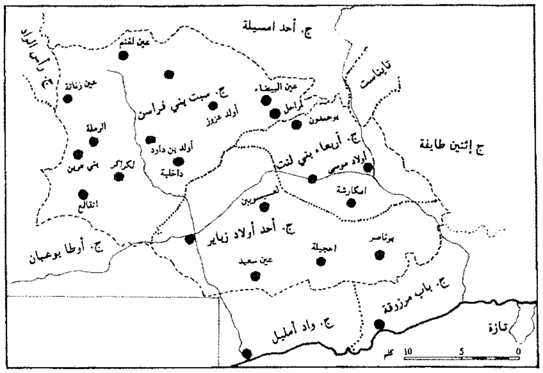

قبيلة التسول

وتعتبر منطقة التسول وغياتة من أهم المناطق التي سقطت بين أيديهم نظراً للدور الاستراتيجي الذي كانت تلعبه. فهي بمثابة بوابة المغرب الداخلية بين الشرق والمغرب، وعبرها تمر كل قوافل المسافرين من المغرب الأقصى باتجاه الشرق أو القادمين من الشرق باتجاه المغرب الأقصى. وقد ساهم هذا الدور الذي كانت تقوم به في خلق مناخ قابل للتمرد باستمرار والخروج عن طاعة المخزن، حيث أصبحت كلمة السيبة كلمة مألوفة لدى هاتين القبيلتين. فباستثناء تحالفهما مع قبائل زناتية مثل قبائل بني مرين الذين ساهموا معهم في استتباب أمور المنطقة، لم تثبت الكتابات التاريخية أية تحالفات أخرى مع قبائل بربرية. ويذكر طيراس أن قبيلة التسول وجدت سهولة كبيرة في التحالف مع القبائل العربية، خصوصاً إذا علمنا أن المنطقة شهدت خلال القرن السادس (12 م) موجة هامة من القبائل العربية التي عبرت هذا المجال من الشرق باتجاه الغرب، الشيء الذي قد يفسر لنا جزئيا استعمال اللغة العربية في الحياة اليومية لقبيلة التسول.

وعن المجال والانسان، فبحكم الاستيطان القديم لأفراد قبيلة التسول، ونمط الإنتاج المزاول فقد شهدت المنطقة كثافات بشرية مهمة، تعتبر من أهم الكثافات على مستوى تلال مقدمة الريف وممر تازا. ولضبط التطور السكاني الذي عرفته القبيلة فسنعتمد فقط على إحصائيات 1971 و1982 حسب الجماعات القروية (أنظر الجدول رقم 1). هذه الزيادة السكانية لا تدل بشكل واضح على الزيادة الطبيعية بالمنطقة بقدر ما تدل فقط على ارتفاع نسبي لعدد السكان وذلك نظراً لما تعرفه المنطقة من تيار مهم للهجرة باتجاه المدن المجاورة كفاس وتازا. وبالتالي تظل هذه الأرقام غير معبرة عن الزيادة الحقيقية للسكان.

ويمكن اعتبار ارتفاع الكثافات السكانية من جهة وضعف الموارد الطبيعية من جهة أخرى، إضافة إلى ارتفاع نسبة الولادات الناتجة أساسا عن الزواج المبكر بالقبيلة حيث تتراوح نسبة الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 15 سنة ما بين 47٪ و49٪ في كل من جماعتي أولاد زباير وبني لنت و42٪ في جماعة سبت بني إفراسن بمثابة أسباب أساسية تتحكم في الهجرة القروية نحو المدن المغربية بصفة عامة وباتجاه مدينة تازا وفاس ووجدة بصفة خاصة. إضافة لهذه الأسباب هناك جانب البنية العقارية الذي يدعم الهجرة القروية بالقبيلة حيث نجد سيادة الملكية الصغيرة (أقل من 10 هكتارات) في كل الجماعات القروية وتاتي في مقدمتها جماعة سبت بني افراسن بنسبة 99،4٪ ثم جماعة بني لنت ب76،4٪ فجماعة أحد أولاد زباير 72٪ (أنظر الجدول رقم 2 : البنية العقارية) مع الإشارة إلى وجود لا بأس به للملكية المتوسطة في جماعتي أولاد زباير وبني لنت وغيابها في بني إفراسن.

| الجماعات القروية | 0.5 ٪ | 10.5 ٪ | 20.10 ٪ | 50.20 ٪ | 100.50 ٪ | 100 ٪ |
|---|---|---|---|---|---|---|
| أولاد زباير | 29 | 43 | 25 | 2،8 | 0،2 | - |
| بني لنت | 50 | 26،4 | 20 | 3،4 | 0،2 | - |
| بني افراسن | 58 | 41،4 | 06 | - | - | - |

جدول رقم 2 : البنية العقارية بقبيلة التسول حسب الجماعات القروية.
عن منوغرافية مديرية الفلاحة والاصلاح الزراعي.

وتوجد فئة مهمة من سكان القبيلة بدون أرض أو ما يسمى بغير الملاك وتتراوح حسب الدواوير ما بين 26٪ و40٪ مما يدفع بالهجرة القروية للاستفحال.

أما فيما يخص الاستغلال الفلاحي بالمنطقة فيمكن القول إن الاستغلال الزراعي التقليدي الكثيف هو من مميزات القسط الأكبر من مجال القبيلة إذا استثنينا الأراضي المستغلة عصريا نسبيا في إطار تعاونيات

الإصلاح الزراعي التي كانت في السابق تمثل الملكية الاستعمارية، وذلك في جماعة أحد أولاد زباير خاصة. وهو استغلال يعتمد في الغالب على دورة زراعية ثنائية (قمح قطاني) (انظر الجدول رقم 3) بالإضافة إلى استغلال الأشجار المثمرة، وتأتي في مقدمتها الزيتون والتين، لا سيما وأن جزءاً مهما من المنطقة دخل في إطار مشاريع "تنموية" كمشروع ديرو الذي شمل جزءاً من جماعة أحد أولاد زباير وأربعاء بني لنت، للحد من خطر التعرية بالمنطقة باستعمال تقنية التشجير بالزياتين.

| الجماعات القروية | حبوب | قطاني | زراعات علفية | خضروات | أشجار |
|---|---|---|---|---|---|
| أولاد زباير | 56% | 30% | 1,5% | 1% | 6,5% |
| أربعاء بني لنت | 71,5% | 17,5% | 1% | 0,5% | 7,5% |
| سبت بني إفراسن | 80% | 10% | 0,3% | 0,3% | 3,4% |

جدول رقم 3 : توزيع أراضي الاستغلاليات حسب أنواع الزراعات

أما تربية الماشية فتدخل كذلك في إطار الاستغلال التقليدي وتأتي في مقدمة الأصناف الغنم بحوالي 41.000 رأس، والأبقار بـ 18.000 رأس، ثم الماعز بحوالي 7.000 رأس. أما بالنسبة للمراعي فأغلبها أراض جماعية بورية، وعادة ما تكون جبلية غير صالحة للزراعة.

البكري، *المغرب : منوغرافية مديرية الفلاحة والاصلاح الزراعي بتازا : دراسة ميدانية.*

محمد صابري

**التَّسولي** أو الدسولي، أسرة أصلها من قبيلة التسول، كانت بتطوان وانقرضت، وكان من بين أفرادها العالم علي بن عبد السلام التسولي الذي تولى القضاء بتطوان سنة 1250 / 1834 وتوفي بفاس سنة 1258 / 1842.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 114، 4 : 165، 6 : 6 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 231 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932 (T).

محمد ابن عزوز حكيم

**التسولي، إبراهيم** بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي يحيى التازي. أصله من تازا وينتسب إلى قبيلة التسول القريبة منها، وهو من أهل فاس، وبها درس على الفقيه قاضي الجماعة علي بن عبد الحق الزرويلي المعروف بأبي الحسن الصغير ولازمه. وكان قارئ كتب الفقه بين يديه بمجلسه، كما أخذ عن أبي زكريا أبي ياسين وقرأ عليه *موطأ* الإمام مالك، وعن محمد بن رشيد، وقرأ على علي بن عبد الجليل السدراتي كتاب *الأحكام الصغرى* لعبد الحق الإشبيلي، وقرأ *رسالة* ابن أبي زيد على علي بن سليمان، وأخذ عن غيرهم.

وتتلمذ له عدد من فقهاء المغرب، وحضر مجالس تدريسه بمدرسة عدوة الأندلس بفاس الكاتب الشهير ابن الخطيب السلماني، ونوه بطريقته في التدريس وفصاحته وجودة إلقائه، وأخذ عنه أيضا بغرناطة لما ذهب إليها التسولي سفيرا للمرينيين.

كان التسولي في تدريسه قيما على كتب فقه المذهب المالكي *كالتهذيب* للبرادعي *والرسالة* لابن أبي زيد، مع أنه كان واسع المشاركة في ضروب من العلم صدرا في علماء عصره. وكان له إلمام جيد بعلم التاريخ والأنساب وإحاطة بالآداب.

وتشير مصادر ترجمته إلى أنه كان فارسا شجاعا، عمل في خدمة ملوك بني مرين، وصار من حاشيتهم ومرافقيهم ونال لديهم حظوة، وقد استعمله السلطان أبو الحسن المريني في سفاراته وولاه قضاء الجماعة بحضرته، ثم الإمامة به في الصلاة لما أرسل الفقيه محمد السطي رسولا إلى تونس.

وإلى جانب اهتماماته في التدريس والسفارة كان للتسولي نشاط تأليفي فوضع *تقييدا على تهذيب البرادعي وتقييدا على رسالة* ابن أبي زيد *وتعليقا على مدونة* سحنون، قيد كل ذلك أثناء قراءته على شيخه أبي الحسن الصغير. وجمع أجوبة شيخه هذا في المسائل الفقهية وضمها إلى *نوازله* في سفر.

أصيب في آخر عمره بمرض الفالج فلزم بيته وكان السلطان أبو الحسن يعوده، حتى توفي في حدود 749 / 1348.

م. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. عبد الله عنان، 1973، 1 : 380؛ أبو الحسن النباهي، *المرقبة العليا*، نشر ليفي بروفنصال، القاهرة، 1949، ص. 136 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. ماريا خيسوس فيغيراس، الجزائر، 1981 ، ص. 146 ؛ م. ابن القاضي، *درة الحجال*، القاهرة، 1970، ج 1 : 179 ؛ *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 85. 86 ؛ *شجرة النور الزكية*، القاهرة، 1962 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج*، القاهرة، 1351.

محمد المغراوي

**التسولي، الطاهر** بن محمد الفاسي، شيخ صوفي كبير، سلك الطريق أولا على يد الشيخ محمد الحراق، ثم أخذ عن الشيخ الخضر الشجعي. اشتهر صلاحه بفاس فكثر مريدوه وأتباعه.

توفي يوم عرفة تاسع ذي الحجة عام 1317 / 10 أبريل 1900 ودفن بروضة الكثيريين داخل باب عجيسة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1317.

محمد حجي

**التسولي، عبد السلام** بن عبد الرحمان، أحد الطلبة المغاربة الذين تعلموا بمدرسة كْلاوْسْطال Klausthal ببرلين بألمانيا. وكان قد رشح للتعليم ابتداءً من سنة 1291 / 1874 فذهب إلى طنجة وتلقى تعليماً في اللغة والمبادئ العلمية الأدبية بها خلال سنتين. وفي سنة 1293 / 1876 سافر إلى

برلين ضمن وفد ثلاثي يتركب منه هو ومعه آخران هما : الميلودي بن محمد الزيادي الطالبي والحسين بن الحاج خلوق التمسماني.

أخذ التسولي العلم العسكري بألمانيا طيلة سبع سنوات عاد إثرها إلى المغرب سنة 1300 / 1883. لكن طموحه دفعه إلى أن يستأذن السلطان بواسطة سفير ألمانيا بطنجة تيودور فيبير (T. Weber) ليتمم دراسته العليا بألمانيا "حتى يقدر يوم (يوماً) ما أن يقدم خدمته لمنفعة وطنه، ويجازي الحضرة الشريفة أيدها الله بالدعاء لمَا أنعمت عليه بخيراتها ليتعلم" على حد تعبير رسالة السفير إلى برگاش في 15 مارس 1883.

أجاب مولاي الحسن بعد شهور "بأن أحد الطلبة الثلاثة الذين يتعلمون ببلادهم ظهرت نجابته في تعلم علوم الهندسة أو علوم المعادن، وصار بالبال. فتعلمهم علم البحر والمعادن أحب إلينا، نعم إن اقتضى نظره تعلم ماذكر فيزاد له من يتعلمون علم البحر ...".

وهكذا سمح للتسولي أن يتعلم بمدرسة كلاوسطال للمعادن طيلة خمس سنوات وكان السلطان قد استبطأه فطلب من الطريس أن يسترجعه، إذ "بلغك أنه تمهر فيما توجه لتعلمه وظهرت نجابته، ولم يبق في مكثه هناك إلا زيادة الصائر ... فحيث حصل ما توجه لأجله فوجه عليه، وحيث يرد وجهه لحضرتنا الشريفة".

عاد عبد السلام إلى المغرب أواخر سنة 1888 ووجه إلى القصر السلطاني فور وصوله. ويظهر أنه سئل عما كان يقرأه ببرلين، فأجاب برسالة مشحونة باللحن إن العلوم هي:

علم الحساب والجبر والمقابلة ؛ أصول الهندسة ؛ مساحة المثلثات ؛ جل الجبر ؛ علم الهندسة المساحية ؛ علم الطبيعة، وهو أصل القوة الكهرباوية، أي إلكطريك ؛ ثم علم الكيميّة المعدنية كالذهب والفضة والنّحاس والقزدير والرصاص والحديد والكبريت إلى آخره ...

"وغاية أكثر اجتهادي في هذه العُلُوم السبعة كان هو علم الكيميّة. وبها أقدر نفتش الأرض عن معادنها، ونبين ما فيها من المعادن النافعة كالمذكورين فوق. والآن أني أترجى العقاقر والحوامض من طنجة لنجرب هذا في الحضرة العالية بالله، والسلام. وفي 21 من ربيع الثاني عام 1306 / 25 دجنبر 1888. خديمكم : عبد السلام بن عبد الرحمان التسولي، لطف الله به".

يظهر من هذا نوع تخصص التسولي. فأين ياترى سيوظفه المخزن ؟ لم أقف على ما يفيد هذا التوظيف المحتمل. حتى إذا كان فليس للمخزن معامل أو مناجم يستغلها بنفسه ليستخدمه فيها. ومهما يكن فقد انصرمت على هذا الوقت ثلاث سنوات ولمّا نسمعْ له على حس في المصادر. حتى إذا كانت سنة 1891 وجدنا أن التسولي قد ألفى عملاً خارج المغرب ليس داخلاً في نطاق تخصصه، فقد أصبح مدرساً للعربية بمعهد اللغات الشرقية ببرلين المستحدث سنة 1887 لتعليم الألمانيين اللهجة الدارجة المغربية لفائدة الذين كانوا يتشوفون إلى غزو المغرب اقتصادياً وتجارياً ببضائعهم ومدافع كروب وبعثاتهم الاستكشافية لتجوس خلال الديار وتتعرف على ما يزخر به المغرب من إمكانيات. وسيمكث عبد السلام الذي كان أول من عين مدرساً للعربية بالمعهد الألماني إلى سنة 1896 التي يعين أثناءها آخرون ممن كانوا يتعلمون بالمانيا مثل الجيلالي ابن البشير وبعده الجيلالي الشرقاوي من سنة 1899 إلى سنة 1903 التي سيوظف فيها الميلودي الزيادي الطالبي المشار إليه في مطلع هاته الترجمة والذي سيموت هناك سنة 1904 ويخلفه مغربي آخر من مواليد مدينة قسنطينة سنة 1870 وهو أبو بكر بن علي بن عبد الوهاب الذي سيعيش مدة بسلا منفياً وسيموت فيها سنة 1930.

أما التسولي فقد تقاذفته الرياح، ولم يعد في مطلع القرن العشرين سوى ترجمان لأحد المراكب الألمانية بالرباط، لا سبيل إلى "خدمته لمنفعة وطنه" كما تقدم وانقطع خبره في المصادر المكتوبة.

وأذيل هذا الحديث بأنه تعرض في اسمه ونسبه إلى تحريفين في الوثائق والمصادر الألمانية. إذ اسمه فيها هو "أبو سلام" وليس عبد السلام لخلو الألمانية من العين، ونسبه هو Zuli لأن حرف Z ينطق بالالمانية تْسْ.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، ص 1347 و1348 و1351 ؛ محمد المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 1، ص 251 وج 2، ص 313 ؛ أبو بكر الصبيحي في ترجمة أبي بكر بن علي بن عبد الوهاب ؛ الوثائق الملكية ؛ وثائق مكتبة تطوان.

P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc : 1870 - 1905*, pp. 86, 523, 524, 867, Paris, 1967.

مصطفى بوشعراء

**التسولي، علي** بن عبد السلام، ولاه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام 1822 - 1859 قضاء العاصمة فاس وذلك في 28 جمادى الثانية سنة 1247 / 4 أو 5 دجنبر 1831 بعدما عزل القاضي الزرهوني. وكان من المشايخ الذين تتلمذ عليهم عدد من الفقهاء والعلماء أمثال العربي بن إدريس العلمي. توفي في 15 شوال 1258 / 19 نونبر 1849.

عبد الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 5 : 31 و439.

عبد الاله الفاسي

**التسولي، موسى** بن محمد بن الحسن بن أبي بكر الفاسي يكنى أبا إسحاق، من قبيلة تسول بأحواز تازا. لم تذكر المصادر تاريخا لولادته، وكل ما نعرف أنه عاش في نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن (13 - 14 م). وصفه ابن القاضي بالشيخ الصالح، المدرس الورع الأستاذ (*جذوة*، 346)، وقال عنه ابن خلدون إنه شيخ الصالحين والفقهاء في عهده بنواحي تازا. ويستفاد من المعلومات القليلة المتوفرة عنه أن صيته ذاع في المغرب الأقصى وخارجه، فقد أخذ عنه كثير من فقهاء وعلماء عصره من مختلف أنحاء بلدان المغرب، وهكذا ارتحل إليه سعادة من زعماء قبائل رياح من بلاد الزاب وأخذ عنه من علومه وفقهه الشيء الكثير،

ولزمه مدة طويلة حتى إذا تشبع بعلم التسولي رجع إلى وطنه رياح ونزل بلد طولقة وشرع في تطبيق تعاليم أستاذه في تغيير المنكر بدءاً بأقاربه ثم عشيرته وأصحابه. ومن الذين أخذوا عن الفقيه موسى أبو عبد الله محمد بن الأزرق أحد كبار فقهاء مقّرة وصاحب كتاب *الحلال والحرام*.

توفي موسى التسولي بمدينة فاس سنة 710 / 1311 ودفن بمقبرة مسجد الصابرين داخل باب الجيزيين قرب قبر الولي الصالح أبي زيد عبد الرحمن الهزميري.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، 6 : 81 - 84 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973 ؛ *درة الحجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، ط. 1، 1970، 3 : 8.

رشيد السلامي

**التسويس**، نوع من الطرز أي التوشية، كان يُستعمل لتجميل ملابس النساء وتزيينها وتنميق بعض الأغطية والأفرشة والأردية. وهناك عدة أساليب من الطرز الأهلي معظمه كان ينجز على أيدي نساء طرازات متخصصات (معلمات) وأقله يتم داخل المنازل على أيدي ربات البيوت ومن في المنازل من فتيات. وكان الطرز الذي يندرج ضمن المبادئ الأساسية في تربية الفتاة يمارس في معظم المدن المغربية، لا فرق في ذلك بين نساء فقيرات وغنيات وكبيرات سن وصغيرات. وكان الطرز من عدة أنواع أهمها طرز الحساب وطرز الكانبة وطرز الشبكة (أو شبكة الرندة) والتضريس والتسويس.

والتسويس كنوع من الطرز، وإن كان يبدو بسيطاً، فإنه يحتاج إلى مهارة وخبرة يدوية طويلة. وتتطلب تقنية التسويس سحب خيوط من الثوب المراد طرزه طبقا لرسم منقول عليه بكيفية تؤدي إلى تخريم الثوب وإحداث أشكال بديعة فيه بواسطة ثقوب دون اللجوء إلى الغرز بالإبرة. إنها طريقة تقوم على إفراغ الثوب من أمكنة معينة وترك أخرى بعد تدعيمها بالخياطة أو التشبيك بكيفية تؤدي إلى إبراز أشكال مرسومة دون رسم. ومن الناس من يدعو هذا الطرز أيضا "التشبيك"، وهو يختلف اختلافاً كبيراً عن طرز الشبكة أو ما يعرف عند المتخصصات "بشبكة الرندة" التي تنجز بالاعتماد على إقامة أنواع من النتوءات في الرداء المراد توشيته لتجميل حواشيه من جهة وحمايته من التسلل والتمزق من جهة أخرى.

ويبدو الثوب أو القطعة المنمقة بهذا النوع من الطرز (يقال بأنها مسوسة) وكأن أرَضَة الثوب أو ما يعرف عند النساجين بالعثة قد أكلت بعض أطرافه دون الأخرى، ومن هنا جاءت تسمية التسويس. وينقسم هذا الطرز إلى قسمين : تسويس على الطريقة القديمة ويتم باليد المجردة والإبرة، وطرز حديث ساد انتشاره اليوم في مراكز تعليم الطرز وتجميل ملابس النساء، وهو يتم بالمقص وآلة الخياطة، إلا أن الأول أكثر جودة من الثاني لكنه يأخذ وقتا أطول. ويستعمل التسويس بنوعيه القديم والحديث، كغيره من أنواع الطرز الأخرى، لتطوير حواشي الملابس النسوية على الخصوص وكذا لتنميق وتزيين أثاث البيت الحضري الذي كانت الأواني والأدوات المتداولة فيه تحتاج إلى أغطية متنوعة كأواني الشاي والحلوى وموائد الأكل وأسرة النوم والوسادات ومناديل الحناء وأردية الحمام الأهلي وغيرها.

P. Bory, *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941 ; P. Ricard, *Les arts marocains, les broderies*, Alger, 1918 ; *Le souq El Merktan et les broderies de Fès, France - Maroc*, vol. 1, 1917; H. Terrasse et J. Hainaut, *Les arts décoratifs au Maroc*, Paris, 1925 ; C. Brunot David, *Les broderies de Rabat*, Rabat, 1943 ; J. Baldoui, *Les arts indigènes au Maroc*, Paris, [s. d], *Enc. Col. et maritime* ; A.M. Goichon, *La broderie du fil d'or à Fès, Hesp.*, vol. 25, 1939 ; E. Michaux-Bellaire, *Description de la ville de Fès, A.M.*, vol. 11, 1907 ; L. Botte, *Au cœur du Maroc*, Paris, 1913.

**التشامير**، لباس داخلي للرجل، وكانت ملابس البدن الأهلية المعروفة عند سائر الناس بالتقليدية تنقسم إلى داخلية وخارجية. وتتكون الداخلية منها من السروال البلدي الفضفاض والتشامير أو القفطان والفرجية أو كسوة المحصور. أما الملابس الخارجية فتتألف من الكساء والسلهَام أو السلهام والجلباب أو الجلباب وحده. ويوضع كل زوج من الملابس الخارجية عادة فوق زوج من الملابس الداخلية. وقد يلبس البعض ثلاثة قطع أو أربعة دفعة واحدة حسب ظروف الطقس والظروف الاجتماعية والمناسبات.

والتشامير كلمة أمازيغية أصلها أشابير. يسميه سكان الحواضر القميص ولا يطلق عليه سكان البوادي والمرتفعات الجبلية إلا اسم التشامير. وهو عبارة عن قميص طويل يمتد من العنق إلى أسفل الساقين، طوله لا يتعدى طول الملابس الأخرى التي ترتدي فوقه. وقد كان في الأصل من صوف خشن ثم ارتقى وأصبح يتخذ من صوف شفاف ثم من قطن وكتان.

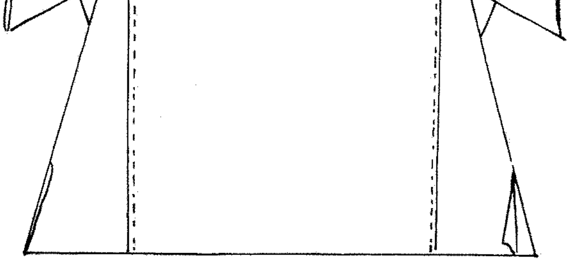

**التشامير**

يلبس التشامير مباشرة فوق السروال الفضفاض فيغطي

الجسم بكامله. وقد يلبس فوقه قميص آخر من نفس طوله لكنه بدون أكمام، مفتوح من جوانبه الوسطى والسفلى يسمى الفوقيه. كما أن البعض من سكان الحواضر يضع فوقه مكان هذه الفوقية القفطان ثم الفرجية قبل أن يسدل على الكل الكساء والسلهام الشفافين إذا كان ميسوراً، أو يضع فوقه السلهام وحده أو الجلباب وحده إذا كان أقل يسراً قبل أن يتقلد الشكارة والكمية.

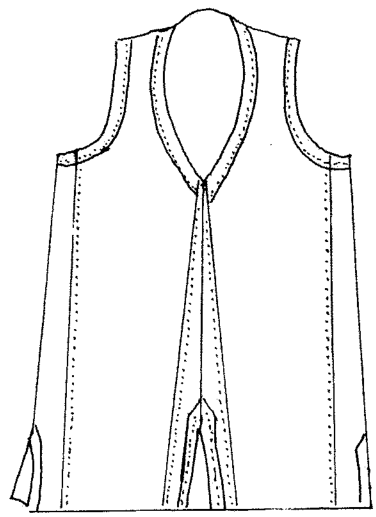

الفرقية

كانت أكمام التشامير نصفية وفضفاضة تقف في معظمها عند المرفقين لكن بعضها قد يتوسط المتن أو يتعداه. وقد يكون بدون أكمام في حالات نادرة أو تطول أكمامه إلى حد الكعبين. وهو يغلق على العنق بواسطة طوق مستدير يتم التحكم فيه من الجانب الأيمن من الناحية الموالية للكتف بمشد يدعى السَّرِّيفة. كان لباسا داخليا بالنسبة للميسورين لكنه يصبح هو اللباس الرئيسي الوحيد بالنسبة للفقراء، يلبس فوق السراويل إما مع جلباب أو بدونه. وفي هذه الحالة الأخيرة يقتصر الشخص على شده إلى خصره بالتكة أو بمجرد قطعة من ثوب أو دوم مفتول أثناء إنجاز بعض الأشغال الشاقة المعتادة في الحرث والنقل، فكان التشامير هو اللباس السائد لدى الحمارين والرباعين والزرزاية والحمايية والغبارة والفرناتشية والدباغين والحدادين وغيرهم. وكان العريس في بعض البوادي وبعض المدن يرتدي التشامير في ليلة زفافه دون سراويل مباشرة بعد الاستحمام ويلتف فوقه إما في سلهام أو جلباب أبيض. أما الأطفال الذين لم يبلغوا سن الرشد فكان هو لباسهم الرئيسي دون جلباب ولا سراويل. وكان يلبس في الفصول الحارة مباشرة فوق السراويل بدون جلباب ولا سلهام. وإذا حل فصل الشتاء يتم تعويضه أو تدعيمه بقميص آخر متين من صوف يكون بدوره بدون أكمام يدعى القشاب، وهو عادة لا يتعدى الركبتين. وقد يصبح هذا القشاب بالإضافة إلى التشامير عند الفقراء والمعدمين هو اللباس الأساسي صيفاً وشتاءً.

الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، الرباط 1983، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر ؛ ادريس الجعايدي، *إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار*، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط 1990، تح. عز المغرب معنينو ؛ محمد عشيش، *المغرب الأقصى كما رأيته*، القاهرة، د. ت ؛ محمد اشماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته*، الرباط 1980.

J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988, réédition ; L. Brunot, *Noms de vêtements masculins à Rabat*, *Mélanges René Basset*, Paris, 1923 ; G. Rousseau, *Le costume au Maroc*, Paris, 1938 ; J. D'Etienne [et al...], *L'évolution sociale du Maroc*, Paris, s. d. ; G. Daumas, *La vie arabe et la société musulmane*, Paris, 1983.

محمد بوسلام

**التشجير** بالمغرب، تقدر مساحة الغابات بالمغرب بخمسة ملايين هكتار، بالإضافة إلى أكثر من ثلاثة ملايين هكتار من تشكيلة الحلفاء. وإذا كان المغرب يمتلك ما يلزمه من الحطب فإنه يستورد كميات كبيرة من خشب النجارة والصناعة والمعادن. علاوة على هذا تعرف الغابات الطبيعية تدهوراً يستفحل سنة بعد سنة، مما يعرض الأتربة للتعرية والانجراف والنقصان في الإنتاجية، وتغذية السدود. وتلبية لهذه المتطلبات، وتفاديا لاستفحال المشاكل، قامت مديرية المياه والغابات بعمليات التشجير منذ ما يزيد عن أربعين سنة. أدخلت هذه العمليات في إطار برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي بدأت سنة 1960.

كانت عمليات التشجير إلى أواخر الستينات غير منتظمة، وبدون أهداف معينة، مستعملة آنذاك عدداً قليلا جداً من الأنواع الشجرية. وفي سنة 1968، قامت مديرية المياه والغابات بمساعدة منظمة التغذية والزراعة (FAO)، بدراسة للمساحات المشجرة قبل هذا التاريخ وذلك لإنجاز مخطط وطني للتشجير : (Plan National de Reboisement (P.N.R.) شرع في تنفيذه سنة 1971. يعرف المخطط بالأهداف والأبعاد المتوخاة على المدى الطويل، من كل مشروع تشجير.

ومن أهم أهداف المخطط تكميل وتعزيز الأدوار الثلاثية التي تقوم بها الغابة الطبيعية من إنتاج ومحافظة على البيئة وترفيه، مع خلق فرص العمل لليد العاملة القروية.

فيما يخص الإنتاج، يهدف المخطط إلى غرس مساحات واسعة من الصنوبريات السريعة النمو مثل الصنوبر البحري ذي الضربين الأطلنطيكي والمغربي والصنوبر الكناري والصنوبر المونتوري، الخ... وذلك في محاولة للوصول سنة 2000 م إلى سد العجز المتعلق بخشب الراتنجيات المستعمل في النجارة والصناعة والمعادن. بالإضافة إلى الرفع من إنتاج خشب الأوكاليبتوس المستعمل في صناعة عجين الورق بمعمل سيدي يحيى الغرب الذي يتطلب حاليا 345.000 طن من المادة الخام لإنتاجه المقدر بـ 100.000 طن.

أما فيما يخص مكافحة التصحر أو المحافظة على السدود من الترسب بسبب الانجراف، وعلى البنيات التحتية الأخرى من الفيضانات أو الترمل فإن المخطط

يهدف إلى تثبيت تربة سفوح الجبال في العالية أو الكثبان الرملية الساحلية وذلك بغرس أنواع من النباتات أكثر ملاءمة مع الظروف البيئية السائدة في هذه المناطق.

وأخيراً، ولتلبية متطلبات السكان من مساحات خضراء، يهدف المخطط إلى تشجير ضواحي المدن التي يتعدى عدد سكانها 20.000 نسمة، وذلك بمقدار هكتار واحد مشجر لكل ألف نسمة.

تقدر المساحات المشجرة المستهدفة من المخطط بـ 662.000 هكتار، منها 540.000 من الصنوبريات أو الراتنجيات بصفة عامة، و115.000 من الأوكاليبتوس والأكاسيا و7.000 من أنواع مختلفة، أي ما يعادل 22.000 هكتار سنويا إلى حدود نهاية القرن.

وضع المخطط الوطني للتشجير معايير ومقاييس وجب على كل مشروع تشجير أن يأخذها بعين الاعتبار، نذكر منها :

- يجب ألا تتعدى المسافة بين الموقع المشجر ومكان تحويل الخشب المنتوج، خمسين كلم.

- يجب أن تتعدى المسافات المشجرة : 2.000 هـ لتموين معمل نجارة. و1.000 هـ لتموين معمل للألواح. وما بين 50.000 و90.000 هـ لتموين معمل يصنع عجين الورق. ويكون إنتاج الخشب بكمية وافرة وجودة حسنة، مما يتطلب القيام بالتربية الحراجية الملائمة، واختيار الأتربة الخصبة. ولهذا وجب ألا تكون الإنتاجية أقل من أربعة أمتار مكعبة في الهكتار سنويا بالنسبة للراتنجيات وخمسة أمتار مكعبة في الهكتار سنويا بالنسبة للأوكاليبتوس. وتكون الكلفة التي تتطلبها عملية التشجير غير باهظة.

هذا ويميز المخطط بين ثلاثة أصناف من البرامج :

* البرنامج المنتظم الواجب إنجازه على صعيد كل التراب الوطني، وذلك حسب الأنواع الملائمة للظروف البيئية لكل منطقة. وفي هذه الحالة تكون الإنتاجية المطلوبة مضمونة.

* البرنامج التجريبي على المدى البعيد، ويشمل كل المحطات التي غرست بها أنواع دخيلة قصد التعرف على قدرتها في التكيف مع الظروف البيئية، وبعد ذلك استعمالها في عمليات التشجير. والمشرف على هذا البرنامج هو مركز الأبحاث الغابوية بالرباط.

* البرنامج المستقبلي على المدى المتوسط، ويقوم على أنواع من الأشجار التي لا يعرف عنها الكثير بالنسبة لملاءمتها للظروف البيئية للمحطة التي غرست بها.

أما من حيث الإنجازات، فإن المساحة المشجرة قبل الشروع في تنفيذ المخطط، تقدر بـ 280.181 هكتار، منها 99.626 هكتار من الراتنجيات و162.451 هكتار من الأوكاليبتوس و18.104 هكتار من أنواع أخرى، وحتى موسم سنة 1989 - 1990 بلغت هذه المساحة الإجمالية 457.690 هكتار نصفها من الراتنجيات والنصف الآخر من الأوكاليبتوس وأنواع أخرى. لكن الإنتاجية لم تصل إلى الحد الأدنى المطلوب ولا سيما بالنسبة للمساحات المشجرة بالراتنجيات.

لهذا وجب القيام بأبحاث في هذا الميدان من طرف المدرسة الوطنية الغابوية للمهندسين بسلا والمعهد الوطني للزراعة والبيطرة الحسن الثاني، بمشاركة المركز الخاص بالتجارب بالرباط، وذلك للرفع من الإنتاجية والجودة. وتخص هذه الأبحاث :

- انتخاب الضروب المنتجة من الأنواع الشجرية المستعملة في التشجير.

- التخصيب الاصطناعي للأتربة المشجرة بالأكاليبتوس.

- التربية الحراجية الملائمة للأصناف المستعملة في التشجير.

- استعمال الأنواع الشجرية المحلية في عمليات التشجير، لأنها بالرغم من نموها البطيء تكون أكثر ملاءمة للظروف البيئية المحلية ضامنة بذلك تشكيل غطاء نباتي دائم وشديد المقاومة للتغيرات المناخية.

بالإضافة إلى هذا وضعت مديرية المياه والغابات في نهاية سنة 1993 مشروع دراسة شاملة لإنجاز مخطط توجيهي للتشجير. ويتطلب ذلك القيام بدراسة للتشكيلات الغابوية الطبيعية وللوسط الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي، وسوف يتمخض عن هذا المشروع توجيهات خاصة بكل منطقة من المناطق المغربية حول عمليات التشجير.

*أبحاث ميدانية.*

Direction des Eaux et Forêts et de la Conservation des Sols, *Le Plan National de Reboisement* (P.N.R.), Rabat, 1971 ; *Guide du Reboisement au Maroc*, Rabat, 1978.

بلغازي باختي وعبد المالك بنعبيد

**تشرتشر** ت ج T.G. Churcher، طبيب من هيأة المنصرين الأنجليزيين، تعلم العربية بطنجة وأخذ يباشر التطبيب بها سنة 1885، وكان يتنقل إلى بعض المدن كالدار البيضاء وفاس التي استوطنها من سنة 1892 إلى 1894.

م. بوشعراء، *الاستطيان*، ج 4 ص. 1402 ؛ مييج، *البعثات...*، مجلة تمودا، المجلد 42.

مصطفى بوشعراء

**تشرشيل** والمغرب، ترجع علاقة وينستون تشرشيل (1874 - 1965) بالمغرب إلى بداية الثلاثينات من هذا القرن عندما اكتشف مدينة مراكش وأحب طبيعتها الخلابة. ومنذ ذلك الوقت أصبح يتردد على المدينة حيث ربط علاقة صداقة وطيدة مع الباشا التهامي الأكلاوي. وخلال الحرب العالمية الثانية جاء تشرشيل إلى المغرب لحضور مؤتمر أنفا (1943) إلى جانب الرئيس الامريكي روزفيلت والجنرال ديغول لتنسيق جهود الحلفاء ضد المانيا النازية. وبنفس المناسبة كان رئيس الوزراء البريطاني من بين الشخصيات التي حضرت مأدبة العشاء التي أقامها روزفيلت على شرف سلطان المغرب محمد بن يوسف. ويظهر أن تشرشيل لم يكن مرتاحاً تماماً للتقارب المغربي - الامريكي ومراهنة

المغاربة على الامريكيين في نضالهم من أجل الاستقلال. وقد حافظ تشرشيل على صلاته الوطيدة بباشا مراكش حتى خلال الأزمة المغربية ـ الفرنسية (1953) ومشاركة هذا الأخير مشاركة أساسية في خلع محمد بن يوسف ونفيه. وقد فسَّر البعض إبقاء تشرشيل على علاقته المتميزة بالأگلاوي في تلك الظروف بالذات على أنه كان يُعبر عن استياء بريطانيا من موقف السلطان الذي أصبح يعلق آمالا كبيرة على الولايات المتحدة الأمريكية، ويرمز إلى الدعم البريطاني لفرنسا للإبقاء على مستعمراتها خاصة في وقت أصبحت فيه القوى الاستعمارية الأوربية تتخوف من المد الجديد للشعوب المضطهدة المطالبة باستقلالها.

G. Maxwell, *El Glaoui : dernier Seigneur de l'Atlas*, Paris, 1966 ; S. Bernard, *Le Conflit Franco-Marocain, 1943 - 1956*, 3 tomes, Bruxelles, 1963.

محمد المنصور

**التشريح ← الطب**

**التشغيل** الفلاحي، يعد التشغيل عنصراً أساسياً من عناصر البنيات الفلاحية باعتبار أنه يندرج ضمن مسلسل الإنتاج، وله صلة بالبيئة الطبيعية والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتقنية والثقافية السائدة عند مجتمع فلاحي معين.

والشغل بصفة عامة يمكن تعريفه بالنشاط العقلاني للإنسان وهو شرط أولي لوجوده، بواسطته يحقق ذاته ويعيد إنتاج نفسه عن طريق تطوير قدراته الإبداعية وتقنياته التي بواسطتها يغير الطبيعة بغية إرضاء حاجياته المختلفة، وفي نفس الوقت يطور علاقاته الاجتماعية التي ضمنها يؤثر على الطبيعة. ومن ثم فإن العمل البشري المنتج يتضمن علاقة مزدوجة، أي علاقة الإنسان بالطبيعة من جهة وعلاقة الإنسان بالإنسان من جهة ثانية.

وإذا كان التشغيل الفلاحي عند المجتمعات التي يسودها الاقتصاد الرأسمالي الناضج يقوم على عقدة صريحة أو ضمنية يلتزم بمقتضاها العامل "الحر" بتقديم قوة عمله مقابل أجر يدفعه له المشغل، فإن التشغيل الفلاحي عند التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية التي يمكن أن نصطلح على تسميتها بالتابعة، لا يتخذ دائماً شكل بضاعة، بل نجد أصنافاً متعددة من التشغيل الفلاحي التي تظهر في خضم تفاعل نمط الإنتاج الرأسمالي مع التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية ما قبل الرأسمالية. هذا التفاعل يؤدي إلى الإقصاء التدريجي للإنتاج والتبادل الحرفي التقليدي وتحطيم قطاع الاكتفاء الذاتي وذلك من أجل فتح هذا القطاع أمام الاقتصاد التبادلي النقدي ومن أجل التزود باليد العاملة وتنظيم الإنتاج بشكل يستجيب لطلبات السوق. وهكذا نتيجة تغلغل الاقتصاد الرأسمالي وبفعل التفاعل بين مختلف أشكال الانتاج والبنيات الفلاحية غير المتجانسة والمعقدة تحولت أشكال النشاط ما قبل الرأسمالية وظهرت إثر ذلك أنشطة أخرى لكنها في معظمها ذات طبيعة غير رأسمالية. وفي إطار هذا التحول برزت عدة أنظمة للإنتاج والتبادل أفرزت بدورها أنواعاً متعددة من التشغيل الفلاحي.

ونفس الوضعية نصادفها بالنسبة للفلاحة المغربية التي شهدت تغلغاً للاقتصاد الرأسمالي بشكل تدريجي خاصة مع دخول الاستعمار الأوربي في بداية القرن العشرين، حيث عرفت بنيات التشغيل الفلاحي التقليدية تحولات جذرية ظلت امتداداتها تتفاعل مع مرور الزمن إلى أن أصبحنا في الفترة الراهنة إزاء واقع معقد ومتداخل في مجال التشغيل الفلاحي، مما يطرح جملة من الصعوبات أمام كل محاولة تهدف إلى قياس وضبط معايير هذا التشغيل قصد تحديد طبيعته وأصنافه، ومرد هذه الصعوبات لأسباب متعددة نذكر منها بوجه خاص :

ـ التناقض في الأرقام التي تدلي بها الاحصاءات والاستطلاعات الرسمية حول موضوع التشغيل بالفلاحة والأرياف عموماً، بالإضافة إلى كون هذه الإحصاءات تقتصر على العمال في القطاع الفلاحي الرسمي وشبه الرسمي متجاهلة الحيازات الفلاحية الخاصة. كما أن إجراء الإحصاءات العامة للسكان بالمغرب، بعد الاستقلال، أثناء الفترة الممتدة ما بين بداية فصل الصيف وبداية فصل الخريف، وهي الفترة التي يعرف خلالها النشاط الفلاحي فتورا كبيراً يُعرِّض العديد من سكان الأرياف إما للبطالة وإما لنقص التشغيل، مما يدفع بعضهم إلى البحث عن منشآت خارج القطاع الفلاحي للأشغال بها إلى حين انتعاش النشاط الفلاحي، وهذه الحالة تجعل نتائج الإحصاء العام للسكان والمتعلقة بالتشغيل الفلاحي مجرد نتائج تقريبية.

ـ اعتماد معايير مستوردة في ميدان الإحصاء حيث لا يتعبر عمل المرأة والطفل غير المدرس في القطاع الفلاحي، علما بأن هذا القطاع بالمغرب يشغل نسبة هامة من العنصرين المذكورين، كما أن المعايير المستعملة من طرف المكتب الدولي للشغل في إحصاء الساكنة وأنشطتها تظهر غير مجدية بالنسبة للتشكيلات الاقتصادية والاجتماعية التابعة، إذ تترك مجالا كبيرا للخطإ في معطيات التشغيل خاصة على المستوى الفلاحي، لا سيما وأن هذه المعايير لا تعتبر جزءاً كبيراً من الساكنة الريفية التي تملك قطعا أرضية مجهزة لا يكفي استغلالها لسد حاجياتها مما يدفع بهذه الفئة إلى بيع قوة عملها إما على شكل خماس أو رباع أو عالم موسمي الخ... حيث تدخل هذه الفئة في عداد الكادحين.

ـ إن قوة العمل في الأرياف المغربية ليست دائما بضاعة، أي أننا لا نجد دائما عاملا يكافأ بالأجرة، وأبرز مثال في هذا الصدد هو القوى العاملة العائلية التي لا تتقاضى أجراً، ونصادفها بنسب عالية خاصة عند الحيازات الفلاحية الصغرى. ولعل نفس الفكرة يتضمنها قول بول باسكون بأن التشغيل عند المجتمعات ما قبل الصناعية، كما هو الشأن بالنسبة لحالة المغرب، لا ينبغي أن يقاس

بالزمن (اليوم) ولكن بما يحصل عليه الفرد مقابل تشغيله : مردودية، أجر، قضاء مصالح معينة، تضامن، سلطة، سمعة، تحقيق رغبة معينة كالتغذية أو اللباس الخ...

- خضوع التشغيل في الميدان الفلاحي إلى تقسيم حسب الجنس والعمر والمؤهلات الذاتية للفرد وأحياناً المراتب الاجتماعية والدينية.

- عدم استقرار اليد العاملة الفلاحية سواء من حيث الأنشطة التي تقوم بها أو من حيث مكان العمل، هذا النوع من اليد العاملة غير المستقرة لا يخضع للإحصاء سواء بالنسبة للمؤقتين أو الموسميين.

- التباين في توزيع الدخل عند اليد العاملة الفلاحية والتباين في عدد ساعات العمل على الصعيدين المحلي والجهوي.

كل ذلك يجعل موضوع التشغيل الفلاحي بالمغرب موضوعا ذا حساسية بالغة تستدعي كثيراً من التوازن والدقة في اختيار معايير قياسه وتصنيفه تراعى فيها جميع أنواع هذا التشغيل وطرق مكافأته حسب الخصوصيات المحلية والجهوية.

وقد حاولت بعض الدراسات والأبحاث حول الأرياف المغربية خاصة في علوم الاقتصاد والجغرافيا والاجتماع أن تقارب اشكالية التشغيل الفلاحي، وفي هذا الإطار، وبتلخيص كبير، ميزت بعض الأبحاث على الصعيد الوطني بين فئتين من الشغيلة الفلاحية : فئة الكادحين الفلاحيين وفئة المأجورين الفلاحيين.

أ - الكادحون الفلاحيون : تضم هذه الفئة المنتجين الذين لا توجد بحوزتهم إلا قطع أرضية مجهرية لا يكفي استغلالها لتلبية حاجياتهم الأساسية، مما يضطرهم للعمل كمأجورين قصد الحصول على دخل تكميلي ؛ ثم أيضا كل الأفراد الذين يحصلون على مكافأتهم عينا ولا يتوفرون إلا على قوة عملهم مثل الخماس والرباع والراعي... وإلى هذه الفئة يمكن أن نضيف كذلك اليد العاملة العائلية التي تشتغل داخل الحيازة الفلاحية العائلية دون أن تتقاضى أي مكافأة.

ب - المأجورون الفلاحيون : تضم هذه الفئة كل الذين يشتغلون في إطار الأنشطة الفلاحية والذين يشكل الأجر بالنسبة إليهم دخلا رئيسيا مثل العامل الفلاحي الدائم والمؤقت والموسمي والمياوم وكذلك المأجورين في الإدارة والخدمات الفلاحية.

كما أبرزت بعض الأبحاث على الصعيد المحلي هيمنة العمل العائلي على بنية التشغيل الفلاحي في جميع مراحله (حرث، صيانة، حصاد...) مع تركز هذا العمل عند الحيازات الفلاحية التي لا تتعدى مساحتها عشر هكتارات، أما العمل المأجور الذي يتكون أساسا من العمل الموسمي فإنه يتركز في الحيازات الكبيرة خاصة تلك التي تفوق مساحتها خمسين هكتاراً، في حين تبين بأن العمل الشريك والمتجلي خصوصا في نظام "الخماسة" يسير في طريق الاختفاء، حيث لعب الانتشار المتنامي للعمل المأجور والمكننة الزراعية دوراً حاسماً في ذلك.

وهكذا فإن اندماج البادية المغربية في دواليب نمط الإنتاج الرأسمالي قد أدى إلى إحداث تحولات عميقة في العلاقات الاجتماعية للإنتاج والتوزيع ضمن النشاط الفلاحي، ومن أبرز تجلياتها : فصل الرأسمال عن العمل وتعويض العمل الحي (العمل البشري) بالعمل الميت (المكننة) و"تحرير" القوى العاملة الشريكة دون الحرص على إعادة إدماجها اقتصاديا واجتماعيا مما زاد من تأزم وضعية التشغيل بالفلاحة والبوادي المغربية عموما، الأمر الذي يستلزم إيجاد حلول ناجعة تشمل عدة جوانب لها صلة بتطوير هياكل ونظم الإنتاج الفلاحية وبالتنمية الشمولية للأرياف المغربية.

المختار الأكحل، *انتشار المكننة الزرعية وانعكاساته على التشغيل الفلاحي والبنية المجالية، مثال من بلاد زمور : جماعة أيت ميمون*. د.د.ع. في جغرافيا الأرياف - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 1987.

J. Ibarrola et N. Pasquerelli, *Nouveau dictionnaire économique et social*, Paris, 1981, p. 413 ; J. Freyssinet, *Formes et mobilisation du travail dans les économies sous dévelloppées*, in Colloque : *Travail et Société*, Faculté de Droit de Fès, 1984, pp. 171 - 207 ; P. Pascon, *La main-d'œuvre et l'emploi dans le secteur traditionnel*, *B.E.S.M.*, 1978, pp. 81 - 127; N. Lamrani, *Proletarisation de la paysannerie marocaine, évolution et forme*, Thèse de 3ème cycle en Economie, Université de Grenoble 1980.

المختار الأكحل

**تشلة**، بئر بمنطقة تيرس الغربية جنوب شرقي مدينة الداخلة بإقليم وادي الذهب. وهو موقع لا يبعد عن الحدود المغربية الموريتانية إلا بحوالي 30 كلم. يأخذ موقع البئر شكل منخفض محله معروف تسلكه أفراگ مربي الإبل والأغنام خلال نجعاتها الموسمية. ولا يمكن اعتبار ملوحة الماء بهذا البئر عاملاً يقلل من أهميته. بل بالعكس من ذلك يتميز منخفض هذا البئر بأنه من الأماكن التي كانت ولاتزال تتميز بمكانة واضحة تتوسط نقط الانتجاع الصالحة لتربية الإبل بهذه المنطقة. فعلى مسافات متفاوته حول نقط المراعي الصالحة للرعي لا يوجد اختلاف بين مربي الإبل بتيرس الغربية حول أهمية بئر منخفض تشلة. بل إن ملوحة مائة تعد من العوامل التي تجعل الإبل تفضله.

من ناحية أخرى نسجل بأن أولى خطوات تحليل نظام التحالفات القبلي تبدأ بقياس مدى قدرة الفصائل المحلية على مراقبة المجال. هنا يساعدنا قياس المسافة المستقيمة بين أهم أفراك تيرس الغربية على تأكيد دور بئر منخفض تشلة خلال القرن الثالث عشر (19م) على الأقل، ذلك أن النمط الترحالي المتباعد نسبياً بين الأفراگ يعد ناتجاً عن توزيع منتظم يرسم صيغة نظام العلاقات المجالية.

كان أولاد دليم بين اتحاديات ذوي حسان المعقليين الذين هيمنوا على الغور السكاني الصنهاجي قبل ثلاثة قرون بهذه المنطقة بالذات. إلا أن أي تغيير كبير لم يحصل في طريقة حياة ومعيشة رُحّل هذه المنطقة. فالترحال وتربية

الإبل تتميز بتوسط حجم وبنسبية المساحات المستعملة خلال كل نجعة. وإذا ارتقينا درجة أخرى في سلم الدراسات الميدانية وجدنا منخفض بئر تشلة قطباً متميزاً من بين المراعي المحيطة به من حيث حجمه واستقطابه لأكبر عدد من أفراگ أولاد دليم وغيرهم من القبائل الحسانية أو الصنهاجية الأخرى. لذلك فإنه لا يمكننا إلا أن نلاحظ بوضوح دور الرواية المحلية في تأكيد العلاقة الوظيفية المتبادلة بين بئر منخفض تشلة ومحيطها الذي يأخذ شكل جبل ذي حركة كثيفة ومستمرة للأفراك والقوافل من خلال شبكة المسالك.

لقد ازدادت أطوال هذه المسالك وارتقت في درجاتها واتسعت إلى أن قرر الحضور الإسباني حفر بئر إضافية اتضح أن ماءها عذب صالح للشرب. يحدد أحمد الأمين الشنقيطي موقع تشلة في أنه "جبل عظيم أسود وبه بئر كثير الماء" أما المختار بن حامدون فإنه يكتفي بذكره من بين أشهر مواضع تيرس زمور. امحمد بن أحمد يوره الديماني لم يتطرق إلى هذا البئر في مولفه حول الآبار.

أحمد الأمين الشنقيطي، *الوسيط*، 1958، 442 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا*، 1994، 227 ؛ *دراسة ميدانية*.

مصطفى ناعمي

**تَشَلْحيت** أو تاشلحيت، لهجة من لهجات اللغة الأمازيغية (أنظر مادّة أمازيغية، *معلمة المغرب*، ج 2). تستعمل هذه اللهجة للتواصل اليومي في رقعة جغرافية تمتدّ تقريباً بين الصويرة وتنانت في الأطلس الكبير شمالاً، وبين الصويرة وواد نون غرباً، وطوال مجرى وادي درعة جنوباً، وبين ورزازات وتنانت شرقاً. وتسمى أحياناً هذه الرقعة بسوس بمعناه الواسع.

النحو : عموماً، يطابق نحو تَشَلحيت البنيات العامة للأمازيغية المشتركة، بل وتعتبر هذه اللهجة أكثر اللهجات محافظة على اللغة الأمازيغية الأصلية وأقلّها تأثراً باللغات الوافدة على المغرب. فالنظام الصوتي مثلاً يتميز فيها بالخصوص بكثافة الصوامت المقفلة عكس ما هو موجود في اللهجات الأخرى. ويتكون هذا النظام من الوحدات (الصامتية) الآتية. ب، ف، م ؛ ت، د، ن ؛ س، ز ؛ ل، ر ؛ ش، ج ؛ ك، گ ؛ خـ، غـ، ق ؛ حـ، ع ؛ هـ، إضافة إلى الصوامت المفخمة : ط، ض، ص، ز، جـ، و الصوامت المشدّدة. أمّا الصوامت فهي أ، ؤ، ئ. ويخضع النظام الصامتي لبعض التغيرات المحلية أهمّها تحويل الصوامت المقفلة المرخية إلى الصوامت الاحتكاكية التي تقابلها ومنها د ← ز، ت ← س، دّ ← دز، ويقع هذا التحويل في بعض أجزاء مجموعات الأطلس الصغير، وهناك تحويل من نفس الصِّنف يهم المقفلات الأخرى : ب ← پ، ك ←گ، گ ← گ ويَحدث هذا في لهجات الأطلس الكبير وخاصة في قبيلة حاحا.

ممّا يسترعى الانتباه أنّ لهجة تَشَلحيت تتوفر على معجم تكاد ينفرد به ومنه معجم الأسماء العديدة :

1 ـ 10 : يان، سين، كراض، كّوز، سمّوس، سضيس سا، تام، تزا، مراو ؛ 11 ـ 19 : الوحدات + منراو ؛ 20 : تيميضي ؛ 100 = إفض. وقد احتفظت تاشلحيت كذلك ببعض أسماء القرابة وهي منقرضة في اللهجات الأخرى، مثل تيما (الجدّ من الأم) و تابتّي (الجدّة من الأب) ممّا يوحي أن التسمية الأصلية للأب هي تي.

يحتوي الأدب الشلحي على شقين هما الأدب الشفهي والأدب المكتوب. ويتضمّن الأدب الشفهي أجناساً شعرية وأخرى نثرية. أما الأجناس الشعرية فهي مختلفة وغنية من حيث جماليتها ومضمونها، أهمّها تانضّامت وهي عبارة عن مبارزة شعرية بين إنضّامن ؛ وأمارگ وهو الشعر المغنّى من قبل مغنين محترفين (الرايس وتاراّيست)، وهناك أشكال شعرية أخرى مثل تاسوغانت وهو شعْر يغنّى بمناسبة الأعراس، وتازرارت وهو الغناء الفردي (أنظر مادّة أمارگ في *معلمة المغرب*، ج. 2). يعتبر سيدي حمّو الطالب من أشهر شعراء تاشلحيت (انظر أمرير، 1987).

أما الأجناس النثرية فهي متنوعة منها الحكاية والأسطورة والأمثال والألغاز وتندرج هذه الأجناس ضمن التقليد الشفوي أو ما يصطلح عليه الأدب الشعبي. أما الأدب المكتوب بلهجة تاشلحيت فتعود أولى مؤلفاته إلى القرن السادس عشر والسابع عشر وهي مخطوطات أزناگ وأوزال وكلها من الأدبيات الدينية مستنسخة بالحرف العربي. وقد ظهرت منذ منتصف السبعينات إبداعات أغلبها من الإنتاج الشعري منه ما يتسم بالمواصفات التقليدية في الأدب الأمازيغي شكلاً ومضموناً ومنه ما يحاول توظيف أساليب بلاغية ورموز لم تكن معهودة في الشعر الأمازيغي التقليدي، كما يحاول تناول موضوعات اجتماعية وثقافية مغايرة لما هو مألوف وقد استلهمت من التحولات التي يعيشها المجتمع الأمازيغي خاصّة والمجتمع المغربي عامّة من تطلعات إلى مستقبل أفضل من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ع. أ. مرير، *الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمّو*، الدار البيضاء، 1986 ؛ الصافي المومني، *أوسّان صمّيضنين*، الدار البيضاء، 1983 ؛ م.مستاوي، *إسكراف* الدار البيضاء، 1976 ؛ *أسايس*، الرباط، 1988 ؛ صدقي أزايكو، *تيميتار*، الرباط، 1989 ؛ح. المجاهد، *أمارگ*، *معلمة المغرب*، ج 2، ص 667ـ673، 1989 ؛ أ. عصيد، *هاجس التحديث في النص الشعري الأمازيغي المكتوب*، *آفاق* 1، ص 135ـ139، 1992.

A. Akouaou, *L'expression de la qualité en berbère*, Thèse de 3ème cycle, EPHE IVème section, Paris, 1976 ; J.R. Applegate, *An outline of the structure of Shilha*, New-York, 1958 ; L. Bary, *Etude syntaxique d'un parler de la langue tamazighte*, Faculté des Lettres, Rabat, 1983 ; H. Basset, *Essai sur la littérature des berbères*, Alger, 1920 ; A. Bounfour, *Linguistique et littérature*, Thèse de doctorat, Université Paris III, 1985 ; A. Boukous, *Language et culture populaire au Maroc*. Casablanca, 1977 ; *Phonotactique et domaines prosodiques en berbère*, Thèse de doctorat, Université Paris VIII, 1987 ; Ch. Derkaoui, *Etude du verbe et de ses modalités dans le dialecte tachelhite*, Thèse de 3ème cycle, Université Paris V, 1986 ; M. Elmedlaoui, *Segments et syllabation dans le parler tachelhite d'Imedlawen*, Thèse de

3ème cycle, Univ. de Paris VIII, 1985 ; *Aspects des représentation phonologiques dans certaines langues chamito-sémitiques*, Thèse de doctorat, Faculté des Lettres, Rabat, 1992 ; E. El Moujahid, *La classe du nom dans un parler de la langue tamazighte*, Thèse de 3ème cycle, Université Paris V; *Syntaxe du groupe nominal en berbère tachelihiyt*, Thèse de doctorat, Faculté des Lettres, Rabat, 1993 ; L. Galand, *Etat et procès : Les verbes de qualité en berbère*, *Hesp.*, p. 245- 251, 1955 ; P. Galand Pernet, *Recueil de poèmes chleuhs*, Paris, 1972; H. Jouad, *Les éléments de versification en berbère marocain, tamazighte et tachelhite*, Thèse de 3ème cycle, Univ. de Paris III, 1983 ; E. Laoust, *Contes berbères du Maroc*, Paris, 1949.

أحمد بوكوس

**تَـشَـمُّـس**، كتبتها المصادر العربية بصيغ مختلفة، فعند البكري (*المغرب*، 114) وهو أول المصادر التي أشارت إليها "تَشومش" وعند الادريسي (*نزهة المشتاق*، 5 : 529) "تشمش" و"تشمس"، وعند صاحب (*الاستبصار*، 140 . 189) "تُشُمُّس". لا يعرف عن أصل الاسم وإن كان الاحتمال أن يكون من أصل فينيقي نقل إلى العربية، فكثير من أسماء الأماكن على الساحل الأطلنتي فينيقية الأصل منها موقع ليكسوس ورأس Soloeis وغيرها... (*Le Maroc chez les auteurs anciens*). المثالان المقدمان قد تكون لهما علاقة بموضوعنا.

ذكر البكري أنها "... مدينة ميمون بن القاسم، وهي مدينة أولية عليها سور صخر كبير آهلة..." (*المغرب*، 114). إن مدينة تشمس قد جددها الرجل الذي نسبت إليه لعله من الأدارسة، فهم الذين ملكوا المنطقة وأسسوا بها كثيراً من المدن والحصون وجددوا أخرى، منها عاصمتهم بعد فاس وهي مدينة البصرة. نقل صاحب *الاستبصار* عن البكري فقال : "حصن كبير قديم يسمى تشمس فهو إلى الآن معمور ويسكنه المتعيشون من البحر... منه تشحن المراكب". كانت محطة لا بد منها للمراكب التي تسير بمحاذاة الساحل وحصناً يراقب الدخول والخروج عبر وادي اللكوس فهي تقع على ضفته اليمنى.

عرفت تشمس فترات من الازدهار والتدهور، لكن دورها الاقتصادي (الفلاحة ـ الصيد البحري ـ الغابة والصيد البري...) قد تقلص بعد العهد الموحدي وخاصة بعد فترة المنصور الذي اهتم اهتماما خاصا بهذه المنطقة (*الاستبصار*، 189 . 190)، فقدت المدينة ـ الحصن أهميتها نتيجة للصراع الطويل الذي صاحب فترة التدهور الموحدي، بين المرينيين والموحدين وبين المرينيين والقبائل العربية. وتوالت على المنطقة الحروب، فانعدم الأمن بعد فترة الهدوء القصيرة التي تتفق والعهد المريني الأول، لتصبح المنطقة مهددة أكثر أواخر العهد المريني والوطاسي، إذ أصبحت المدينتان (تشمس والعرائش) هدفاً للغارات الإيبيرية. يقول الناصري في (*الاستقصا*، 3، 31) :"لما كان المحرم من سنة 668 / 69 . 1268 هجم النصارى على مدينة العرائش وتيشمس من ثغور العدوة المغربية فقتلوا رجالها وسبوا نساءها وانتهبوا أموالها وأضرموها ناراً ورجعوا عودهم على بدئهم". وليس من قبيل الصدفة أن يكون هذا الهجوم في نفس السنة التي سقطت فيها مدينة مراكش بأيدي المرينيين، ونهاية الدولة الموحدية.

لم يذكر الحسن الوزان المعروف بتدقيقه للمواقع وجرده للتجمعات السكنية موقعا أو مدينة باسم تشمس، وغير بعيد عنه زمنيا نجد أحد البحارين الأوروبيين (فالنتان فرنانديز (Valentin Fernandes) يصف الساحل المغربي من سبتة إلى السينغال (914 . 915 / 1506 . 1507) (*Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal*, 20 - 30)، لاحظ هذا البحار أثناء مروره بالمنطقة في التاريخ المشار إليه وجود العرائش، ومقابلها على الضفة اليمنى لوادي لكوس حصنا صغيرا، قد يعني هذا أن حصن تشمس أعيد بناؤه بعد الهجوم الذي أشرنا إليه، ولكنه اندثر بعد ذلك فلم يجد الحسن الوزان أثرا له، وقد يكون عده من العرائش خاصة وأنه ذكر النشاط البحري واستغلال الغابة حيث كان الفحم يصدر بحراً من العرائش إلى أصيلا. وكانت ضفاف نهر لكوس مغطاة بغابات كثيفة يعيش فيها الكثير من الأسد والحيوانات المفترسة الأخرى (*وصف إفريقيا*، 1 : 233 . 234) فكثرة الحيوانات المفترسة تعني أن المنطقة شبه فارغة من السكان، وهذا ما وقع بالفعل بعد تعدد الغارات المسيحية على المنطقة، وقد أكد الوزان ذلك بقوله : "...كانت العرائش كثيرة السكان لكن بعد ما سقطت هاتان المدينتان (العرائش وأصيلا) في أيدي النصاري غدت العرائش مهجورة..." فلربما كان اندثار تشمس مرتبطا بهذا السياق. وذكر روجي R. Roget وهو يتتبع المواقع البحرية ما بين سلا وأصيلا موقعا باسم تَشِمُّش (*Le Maroc chez les auteurs anciens*, 40) فهل هو موقع تشمس القديمة أم أن الاسماء تنتقل عبر التاريخ لتطلق على مواقع أخرى ؟ للحسم في الموضوع لا بد من تدخل علم الآثار.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مراكشي مجهول، *الاستبصار* ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*.

P. de Cenival et Th. Monod, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal* ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*.

محمد حجاج الطويل

* * تذكر الخرائط الأوربية للقرنين الثامن والتاسع (14 . 15 م) مدينة تشمس. وتقول المصادر البرتغالية إن معاهدة الهدنة المبرمة بين ملك البرتغال جواو الثاني وسلطان فاس مولاي محمد الشيخ الوطاسي يوم 30 رمضان 894 / 27 غشت 1489 وقعت بمدينة تشمس.

والجدير بالذكر أن جميع المصادر العربية القديمة مثل البكري وابن سعيد المغربي و*الاستبصار* كتبت اسم هذه المدينة هكذا : تشمس، باستثناء الشريف الإدريسي الذي كتبه هكذا : تشمش، في حين نجده في الخرائط الأوربية المذكورة مكتوبا بالأحرف اللاتينية هكذا : Tuximuxi, Tusimus, Taximus, Tussimussi وهذا ما يدل على أن اسم المدينة كان يبدأ بالتاء، ولعل أقدم مصدر جاء فيه

اسمها بدون تاء هو كتاب *Esmeraldo de Situ Orbis* للبحار البرتغالي دوارطي پاشّيكو پيريْرا (Duarte Pacheco Pereira) الذي ألفه سنة 1508 ولم ينشر إلا سنة 1822.

البكري، *المسالك*، 114 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 108 ؛ مجهول، *الاستبصار*، 140، 189.

Vernet, *Geografia de Ibn Saïd al-Magribi*, Traduccion español, Tetuan 1953, p. 254 ; *Portulanos de los siglos XIV y XV*; Duarte Pacheco Pereisa, *De situ orbis*.

محمد ابن عزوز حكيم

**تْشوكْتْ**، فرقة من قبيلة بني سعيد الريفية، لعبت دوراً مهماً في المقاومة. ولا تتكون في الوقت الحاضر سوى من اثني عشر مدشراً، تشرف أراضيها الشمالية المرتفعة (330 م) على ساحل البحر المتوسط بين واد إسُمُّر في الشرق الذي يفصلها عن فرقة أمجّاو وبين واد بويَبّاحَن، الفاصل بينها وبين فرقة أولاد عبد الدايم في الغرب. ويخترق تلك المساحة واد عبدونة، المجرى الرئيسي بفرقة تْشُوكْتْ. وللفرقة أراض في السهل الضيق الواقع بين السفوح الغربية لجبل "ماوْرُو" وواد نْواري (واد الدوم)، بجوار أراضي أيت تْمَايْتْ. ومن ذلك جاء تقسيم تجمعاتها السكانية إلى أهل الجبل وأهل الوطا (العزائب).

وتجمعات القسم الجبلي قديمة، كانت مندرجة ضمن ربع أمجّاوْ قبل القرن الحادي عشر الهجري (17 م) وأول تصريح لدينا عن انفصالها من الوجهة الإدارية يعود إلى ما يفهم من *مطلب الفوز والفلاح* لعيسى البطوئي، وما أكدته وثيقة أواسط شعبان 1309، حين جعلت منها فرقة مكونة من خمس جماعات :

- عبدونة الواقعة بجوار منابع الواد الذي يحمل اسم الجماعة، نعرف منها خلال عهد الحسن الأول الحاج بوزيان ابن علي العبدوني التشوكتي، أمين أمجاو وتشوكت وبركانة وأولاد الفقيه بين 1301 و1306، ثم قائد بني سعيد بين التاريخ الأخير وما بعد 1315. ومن هذه الجماعة أيضا ابن عمه محمد بن قدور العبدوني قاضي بني سعيد (6 رجب 1305).

- أولاد حساين، (الحسين) مواطنها موزعة على الجانب الأيسر من حوض واد عبدونة الأوسط، على ظهر تشوكت. نعرف منهم خال عيسى بن محمد السعيدي (البطوئي)، صاحب *مطلب الفوز والفلاح*، المدعو أحمد بن موسى بن يحيى التّمروي البوحساني من أحياء عام 1040 / 1630، ومحمد بن أحمد التمروي البوحساني، وهما طلبة المركز التعليمي الصوفي ببني سعيد تيزي عَدْنيتْ (انظر بالمعلمة : *تيزي عدنيت*، وح. الفگيگي : *عيسى البطوئي*. دعوة الحق، 256 / 118). ولا يزال مدشر أيت تمرة معدودا ضمن قائمة مداشر الجماعة.

- تَرِّسْت، نسبة إلى نوع التربة السائدة هناك المعروفة لدينا بنفس الاسم (الترس). مساكن الجماعة عى الجانب الأيمن الذي يجري فيه واد عبدونة.

- وهناك جماعتان لا تظهران اليوم بالتقسيم الإداري أو بالخرائط البشرية، هما أولاد علي وجماعة الگعدة، التي نرجح أنها ما يدعى اليوم بتاوريرت تَزوُّغْتْ (الكدية الحمراء).

وهناك التجمعات السكانية الحديثة التي تكونت منذ أواخر القرن الماضي وبداية الحالي، بالأراضي السهلية التابعة للفرقة. ونعني بها مجال العزائب، الخاص قبل ذلك الوقت للمجال الفلاحي والرعوي الموسميين، بفضل ما توفره التساقطات ومجاري الأودية المنحدرة من مرتفعات فرقة أولاد عبد الدايم : واد عبدونة، ورافده واد إيگارْ أُنْشيفْ، الذي تكون حوله عزيب بُوديَارْ، وواد أغبال وواد لَغْري نْواري (الدوم)، رافدا واد البعّاج، حيث يوجد مدشر سَعْدان. وهناك عزائب أخرى موزعة على القسم الشرقي من الگعدة الحمراء، المشار إليها باسم تاوريرت تزوُّغْتْ، مما يلي الحوض الأوسط من واد البعّاج.

اندرجت فرقة تشوكت منذ بداية عهد الحسن الأول ضمن قيادة بني سعيد تحت نظر قائد القبيلة محمد أقشيش السعيدي، ودخلت في دائرة النزاعات الطائفية الواقعة بين مختلف الفرق والجماعات على الاستقلال الإداري والتسابق إلى أخذ زمام السلطة، وذلك ما بين 1298 و1301. وخلال هذه المدة برز أحد أعيان الفرقة المعروف لدينا وهو الحاج بوزيان بن علي التشوكتي المشار إليه سابقاً، مما أدى بالحسن الأول إلى إسناد قيادة تشوكت، إلى جانب أمجاو وبركانة وأولاد الفقيه، لرئيس إدالة قلعية المدعو مبارك بن علي الدوبلالي، حسب تعيين 6 رمضان 1301، وبقي بنفس الصفة إلى 1306، مما حث أمين الفرقة الحاج بوزيان على انتزاع القيادة لصالحه ليبقى بها إلى بعد 13 صفر 1315.

وكانت فرقة تشوكت من ضمن المقاومين لحركة الروگي بوحمارة بشهادة معاصر الأحداث المسن (110 سنة عام 1975) الحاج محمد باتو التشوكتي، ومن المنضوين لحركة المجاهد الشريف محمد أمزيان، أثناء تمركزه بسوق جمعة أمجاو بعد تراجعه عن قلعية.

وحسب إحصاء سكان الفرقة خلال الربع الأول من القرن العشرين، وقبل سنة 1936 كان عدد دور فرقة تشوكت مائة وواحدا وخمسين كانونا أي ما يعادل سبعمائة وخمسة وخمسين ساكناً، بمعدل خمسة أفراد لكل كانون أو دار.

عيسى البطوئي، *مطلب الفوز والفلاح*، مخطوط ؛ *وثائق خ. ح.* بالرباط ؛ ح. الفگيگي، *عيسى البطوئي*، *دعوة الحق*، 256 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 97 ؛ *خريطة طبوغرافية* 1921 و1935 ؛ *رواية شفوية*، 1975.

A. Moulieras, *Maroc inconnu*, 1 : 136 ; Comision Historica de las Campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, 2 : 224.

حسن الفگيگي

**تْشوكْتْ** أو تيشّوكْتْ، مرتفع جبلي يقع في سلسلة الأطلس المتوسط في قسمه الشرقي، يقدر ارتفاعه بحوالي 2.796 م يتخذ شكلا طوليا ذا اتجاه شمالي شرقي وجنوبي

غربي (متمشيا مع الاتجاه الأطلسي العام). ويتركز بالخصوص في محور يشمل مجموعة من المحدبات الملتوية والمنكسرة أحياناً، وتبدأ من الشمال الشرقي بجبل واعريتْ، ثم جبل لحْمَرْ، وتيشوكت وجبل هبو.....، الجبل عبارة عن طية ملتوية ومنكسرة في جهتها الغربية بفعل الحادث التكتوني شمال أطلسي، حيث بروز طبقات الترياس (الزمن الثاني)، والتي تعلوها طبقات جيرية جوراسية، عرف هذا الجبل، شأنه شأن المرتفعات الأخرى، بقايا ومخلفات التعرية الجليدية الرباعية مثل الحلبات والجرافات والأحواض هذه الأشكال موروثة عن الفترات القاسية والباردة التي عرفها الزمن الرابع المغربي.

إن الحوادث التكتونية التي عرفها هذا المرتفع انعكست على وضعه التضاريسي والطبوغرافي، حيث الأعراف والقمم الحادة، والسفوح الوعرة. يفصل هذا الجبل بين منخفضين هامين هما، منخفض المرسى من الناحية الجنوبية الشرقية، ومنخفض سكورة من الناحية الشمالية الغربية.

ونظراً لعامل الارتفاع فإنه يعرف تساقطات ثلجية طيلة فصل الشتاء، الغطاء النباتي يتميز بالتدرج : فإلى حدود 1.600 متر تنتشر غابات البلوط الأخضر، وما فوق ذلك غابات الأرز.

J. Martin [et al...], *Géographie du Maroc*, Paris 1964, p. 118; I. Zeryouhi, *Le Moyen Atlas Plissé, ressources en eau du Maroc*, Tome 3, *N.M.D.G.*, n° 231, Rabat 1977, pp. 68 et 70 ; A. El Gharbaoui, *La Grande encyclopédie du Maroc, Géographie Physique, (G.E.I)*, Italie, 1987, p. 171.

محمد أزهار

**التشوكتي**، بوزيان (الحاج) بن علي، من جماعة عبدونة المندرجة بربع تشوكت، أحد تقسيمات قبيلة بني سعيد الريفية. دخل السلك المخزني ابتداء من عام 1297 / 1880 (29 جمادى الأول 1297) بصفته أمين ربعي أمجاو وتشوكت، إثر انتزاع الأخيرين من قيادة محمد أقشيش السعيدي، أول قواد الحسن الأول على قبيلة بني سعيد، وإسنادهما إلى القائد محمد أمقشد المقيم آنذاك بتطوان.

وتبعاً لغياب محمد أمقشد عن أمجاو وتْشُوكْتْ أصبح الحاج بوزيان مكلفاً أيضا بالنيابة عنه في تسيير شؤون أجزاء القيادة الجديدة، علاوة على مهمة الأمانة. بتتبع المراسلات التي بين أيدينا يتبين أن التشوكتي لم يذخر أي جهد للتوصل إلى منصب القيادة، وكان عليه قبل ذلك إبعاد منافسه محمد أقشيش والقضاء على جماعة زگزاوة المعارضة له.

استغل الأمين التشوكْتِي الحاج بوزيان في بداية الأمر الخلاف القائم بين محمد أقشيش وجماعتي أولاد الفقيه وبركانة بسبب الجباية، فقبل التجاء أهل الجماعتين إليه، وتولى الدفاع عنهما إلى أن أصدر الحسن الأول قرار فصلهما عن قيادة أقشيش (28 جمادى الأولى 1299)، وسعياً وراء نفس الغاية، تدخل أيضاً لإخراج أيت تمايت من نفوذ محمد أقشيش لتتحول إلى محمد بن عبد الصادق الريفي (10 ربيع الأول 1302). وكاد أن يصيب نفس الهدف فيما يخص ربع أولاد عبد الدايم.

استمر الحاج بوزيان التشوكتي أميناً على ربعي تشوكت وأمجاو إثر تعيين مبارك بن الطاهر الدوبلالي قائداً على الربعين، مكان محمد أمقشد (6 رمضان 1301)، ولكن الأمر لم يختلف بالنسبة إليه، إذ تابع دوره كخليفة للقائد الجديد الذي كان بالأساس قائد الإدالة بقلعية، مما أتاح الفرصة للحاج بوزيان للتمادي في خطته لإقصاء محمد أقشيش بتتبع عوراته والإخبار بها لدى السلطة المركزية. ويظهر أنه كان قد توصل إلى غايته، حيث أقام بفاس ثلاثة أشهر (شعبان، رمضان، شوال 1305) منتظراً الحصول على تعيينه الجديد، سيما إثر وفاة قائد إدالة قلعية السابق الذكر.

وعلى الرغم من اختفاء الأخبار عن تفاصيل الأحداث، إلا أننا تأكدنا بعد ذلك من توصل التشوكتي بتعيينه قائدا على قبيلة بني سعيد كلها ماعدا أيت تمايت، بينما أصبح محمد أقشيش بموازاته أمينا للقبيلة (3 ربيع الثاني 1306). وبذلك تكوَّن إطار حكمه من " أمجاو وتشوكت وأزعومة وبني عبد الدائم، وهذه أرباع القبيلة، ثم جماعتي بركانة وأولاد الفقيه.

فتح الحاج بوزيان التشوكتي باب النزاع، بمجرد تسلمه مقاليد القيادة، تجاه جماعة زگزاوة الموالية لمحمد أقشيش. وقد وجد العلة فيما كانت الجماعة تدعيه من الشرف، وإصرارها على عدم أداء التكاليف المخزنية. وكانت حجة زگزاوة أنهم من ذرية سيدي عمر بن أحمد الراسي السعيدي الإدريسي، دفين تيزي عدنيت (انظر مادة تيزي عدنيت *بالمعلمة*).

صمم الحاج بوزيان التشُوكْتِي على إنكار انتماء جماعة زگزاوة للشرف الذي يدعونه، بحجة أنهم كانوا قبل قيادة محمد أقشيش داخلين في النظام الجبائي وأن القائد الأخير هو الذي أخرجهم منه. وتبرز كثير من المراسلات هذا النزاع والأخذ والرد فيه، إذ أن قائد بني سعيد وجد أمامه قاضيين زگزاويين لهما مكانتهما بالقبيلة هما : أحمد بن زرّو الزگزاوي، ومحمد أشملال الزگزاوي، تمكنا من الدفاع عن مكانة الجماعة التي ينتميان إليها بمراسلاتهما العديدة إلى الحسن الأول التي استغرقت ما بين 19 رمضان 1300 و9 ربيع الأول 1310. ورغم كل ذلك فإن التشوكتي تمكن في الأخير من إيجاد الأسباب التي جعلت السلطان يصدر الأمر بالقبض على متزعمي جماعة زگزاوة وإيداعهم سجن مراكش برفقة الأمين محمد أقشيش (9 ربيع الأول 1310).

والعجيب أن الأخبار عن الحاج بوزيان اختفت، ولم نعد إلى الاطلاع عن استمراره بمنصبه إلا بعد أربع سنوات خلت من عهد المولى عبد العزيز (13 صفر 1315)، حينما علمنا بإرسال خليفته محمد بن قدور السعيدي على رأس وفد توجه إلى فاس لتقديم "العيادة". وقد ورد اسمه أخيراً في وثيقة تعود إلى 12 ربيع الثاني 1326، أمر فيها محمد المفضل بن محمد غريط أمين الصاير بتقديم صلة نقدية

لعمر بن علي، أخي الحاج بوزيان. ويظهر منها أنه كان لايزال على قيد الحياة.

*وثائق خ. ح. بالرباط ؛ وثائق أقشيش بطنجة ؛ زيارة ميدانية.*

حسن الفكيكي

**التصحر**، هو تحول النطاق الصحراوي إلى مجال عدواني ينزع إلى تجاوز حدوده الطبيعية أو الدفع بخاصياته، كلا أو جزءاً، إلى التوسع على حساب المناخات المجاورة فيصيب أنظمتها البيئية عبر التجفيف وإضعاف التركيبات النباتية ومفاقمة حدة التعرية. ومن أبرز علاماته تدني إنتاجية الأراضي وانهيار المخزون المائي وما يترتب عنهما من تدهور في البنيات الاقتصادية والاجتماعية. تختلف أعراض التصحر عن مظاهر الجفاف من حيث إنها مستديمة تخلق في الأوساط التي تغزوها ظروف الاستمرار والاستفحال.

تمثل الأراضي القاحلة وشبه القاحلة أكثر من ثلث العالم، لكن كل سنة هناك مساحات إضافية تتحول إلى بوارات. يقدر هذا التدهور السنوي بالنسبة لمجموع المغرب، الجزائر، تونس وليبيا بحوالي 100.000 هكتار. ويزيد ما تفقده بلدان الساحل الإفريقي عن عشرة أضعافها.

الظاهرة مستشرية إذن على هوامش النطاق الصحراوي بالطبع، لكنها لا تستثني المناطق الأخرى التي تسجل انعكاسات زحف الجفاف، حيث تتأثر بالتصحر النسبي وغير المباشر. ففي إفريقيا الغربية مثلا تزحف الصحراء على السهوب، والسهوب على السبانا، والسبانا على الغابة المطيرة. كذلك الأمر في شمال إفريقيا بين الصحراء والمناطق شبه الجافة ثم شبه الرطبة والرطبة. لذا أصبح مفهوم التصحر يعني كل تراجع للمظاهر الأحيائية أيا كانت نسبته وكل تدهور لقواعدها الطبيعية، التربة والماء على الخصوص، وفي كل مكان من العالم.

أصبح التصحر في المغرب أمراً واقعاً ومعترفاً بخطورته، فرض إنشاء بعض الأدوات التنظيمية منها المشروع الوطني لمكافحة التصحر سنة 1986.

تقتضي معالجة الوضع معرفة الأسباب :

هناك من الأسباب ما هو كوني. فقد شهد المناخ الأرضي تقلبات طبيعية في الماضي، أثّرت بقوة على توزيع النطاقات البيومناخية. انقسم الزمن الرابع على إثرها إلى فترات جليدية وأخرى بيجليدية همّت العروض العليا، كانت انعكاساتها عندنا الزيادة أو النقصان الواضحين في كميات التساقطات المطرية. ثم حصلت ضمنها ذبذبات أقل أهمية. لكن لا أحد يستطيع أن يثبت أن ما يحصل الآن له مرد طبيعي صرف، كما لا يمكن الجزم بأن العملية تخضع لدورات جفافية من فئة عشرين أو مائتي سنة أو أننا على عتبة عهد مناخي جديد.

المؤكد أن يد الانسان واضحة من ضمن الأسباب، حيث إن العديد من موجات التصحر قد انطلقت من مراكز حضرية مستنزفة للموارد الطبيعية، أو من مناقب للمياه جلبت مقادير لا تطاق من الماشية، أو بسبب الاجتثاث والرعي الجائرين.

وبما أن الشق الطبيعي من الأسباب مستعصي الإصلاح، فإن المتدخلين البيئيين لا يهتمون إلا بسمؤولية الإنسان في الموضوع، حيث إن الرأي السائد بحق هو أن "الظاهرة الإيكولوجية للتصحر هي مشكل بشري، يتسبب فيه البشر، ويشقى من جرائه البشر، والبشر وحدهم قادرون على تغيير مجراه".

يوجد التراب المغربي في موقع متميز، يؤهله لمراقبة مظاهر التصحر وتطورها، نظراً لامتداده الطولي من مناطق متأثرة مناخيا بالتيارات الجوية المعتدلة في الشمال إلى أراض موغلة في الصحراء جنوبا. إنها وضعية تعريض عطوبة، وإن كانت جبال الأطلس المستعرضة تخفف بصفة حاسمة من تأثير الصحراء المباشر.

بصفة موازية مع الاتصال الطبيعي بين ظروف القحولة والاعتدال، هناك الالتقاء بين الحضارة الصحراوية التي كانت تدبر شؤون بيئتها بتفاعل متناغم والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية العصرية السائدة المتعودة على الوفرة في كل شيء. يبدو أن هذا الالتقاء، هنا كما هو الشأن في كل الأوضاع المماثلة عبر العالم، حصل على شكل اصطدام مناوئ للأنظمة الطبيعية، وقد كان التصحر من أهم ردود فعله.

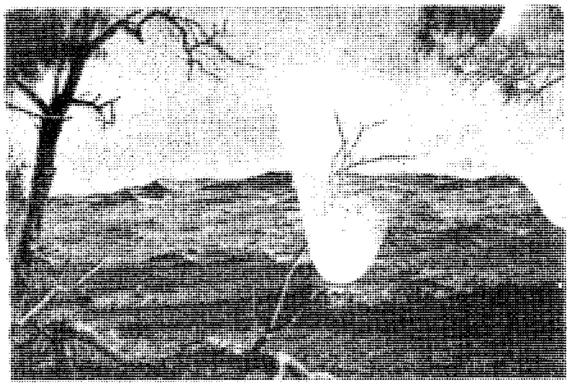

التصحر
منظر من منطقة تيزنيت بجنوب المغرب

تسمح الدراسة الإقليمية للتصحر بالمغرب بأخذ نماذج عن التصحر المباشر، وهو الذي يبتلي هوامش الصحراء ويتجلى في غزو الكثبان الرملية لأراضي الزرع والرعي. تهم الدرجة الثانية المناطق الجبلية، وهو عملية غير مباشرة، تمر عبر تعرية التربة وتحويل المجال المصاب إلى صحراء معدنية. وتوضح الدرجة الأخيرة أن المناطق ذات التوازن الظاهري ليست في مأمن من زحف التدهور وأن استراتيجية مكافحة التصحر إما أن تكون شمولية، واعية بتداخل الأسباب، وإما أن لا تكون.

I - غزو الرمال لهوامش الصحراء أو التصحر المباشر.

يهم المناطق التي لا تتوفر على الحصانة التي يُخولها

الأطلس الكبير، وبها ثلاثة أقطاب : تافيلالت، سوس والهضاب العليا الشرقية.

1) تافيلالت، هامش صحراوي مكشوف، يستقبل أقل من 100 مم من الأمطار ومع ذلك فإنه يتمتع بحياة واحية من النوع الراقي، مرصوصة في شريط ضيق أخضر على طول نهري زيز واغريس الوافدين من أعالي الأطلس الكبير شمالا، مع إضافة بعض محاور الخطارات التي تزودها المرتفعات المتواضعة لجبل گنات المشرفة من الغرب.

كل شيء يدل على أن الحياة رهينة بالجريان الدخيل وأن ما عداه مجالات جرداء تعيث فيها الرياح. وأن مهارات البستانيين الواحيين قد بلغت أقصى مدى يستعصي معه أي تطوير إضافي.

لذا لما أُنشئ السد الكبير العصري على نهر زيز في مخرج الجبل، لم يكن الغرض إلا تنظيما أكثر للمتوفر المائي حتى يُوافق دورات السقي عند المزارعين، وتدبيراً يضع الحد للفيضانات الطارئة التي كانت تخرب المحصول وتذهب بالمنشآت، وتحسينا للمردود يسد حاجيات التزايد السكاني الناتج عن ترقية الظروف الصحية.

لكن الحاصل هو أن مسار التدهور الذي كان قد بدأ من قبل، قد استمر وتعمق. وتقدمت الكثبان الرملية الصفراء صوب الشمال والشمال الغربي، تُحكم قبضتها على الريصاني وأرفود وتينجداد، وأن الفرشات المائية في هبوط، والعيون تشح والآبار تقفل، والملوحة ترتفع.

لا يمكن أن نرجع كل الأسباب إلى مرض البيّوض الذي اكتسح النخيل، وإلى تضخم الساكنة في حد ذاتها، أو حتى إلى فترات الجفاف التي ترددت على المغرب. حقيقة إن المشكل في تغليب كفة الصحراء هو التحول الذي حصل في تدبير المياه من التقنين المحكم المتكيف إلى التبذير.

تكمن المسألة الأولى في اختيار أداة تخزين المياه. لا شك في أن السدود هي الحل. لكن هناك اختيارات صعبة بين السد الضخم الوحيد، أو سلسلة السدود الصغيرة، وفي طريقة البناء، وانتقاء المواقع الأنسب.

شُيد سد زيز في حوض واسع تشرف عليه أجراف من صخور الترياس المالحة. وهو بسبب كبر حجمه والموقع المكشوف الشديد الحر الذي يحتله، يعرض صفحة المياه المحجوزة لتبخر مهول. الناتج هو إتلاف كبير للمياه، وتركيز للأملاح في المتبقى منها.

وبما أن السد تام المنع، فإنه يحرم الواحات من الغرين الداكن وجزء من الأطماء التي تُعرف بها، كما أنه يحول دون تشتت الماء في السافلة، ويكبح الفيضانات، مع العلم أن هذه "المياه الضائعة" هي في الواقع أنجع درع ضد زحف الصحراء ؛ ذلك أنها تُطعم الفرشة وتملأ الآبار، ويغذي تصاعد رطوبتها الجنبات الشوكية المتقدمة التي تحجز نبقاتها التكومات الرملية، تاركة وراءها الواحات في سلام.

أورث الاتكال على مياه السد إهمال الخطارات رغم كونها أنسب وسائل الري في البلاد الجافة. ومع ذلك، فهذه أخطاء ظرفية لأنها تقنية يمكن تلافيها أو تداركها بعد التجربة والاهتمام الأنسب بالسدود الصغيرة، على شكل تركيبات أكثر تكيفا مع هذه الأوساط.

أخطر من هذا، التحولات التي طرأت على البُنى الاجتماعية والاقتصادية وخاصة في مجال التمدين. فالتجمعات السكنية التقليدية للفلاليين هي القصبات الترابية المسماة بالقصور. يتم إنشاؤها مباشرة خارج القطاع الزراعي المسقي حتى لا يقع أي ضياع للأراضي النافعة. تتميز بكثافات هائلة وتتوفر على مصالح جماعية هي غاية في اقتصاد الموارد وخاصة منها المياه، شأنها في ذلك شأن المدن العتيقة مع حرص أكبر وأكمل.

يبدو أن مقتضيات العصر والأمن وتوفير البنيات التحتية قد فرضت على مدينة كالرشيدية، عاصمة تافيلالت، وباقي المدن الأخرى، أن تمتلك الأحياء الإدارية والعسكرية والخدمات على النمط الحديث، وكلها مرافق مستنزفة للمياه بشره لم يسبق له مثيل في هذه البقاع.

ضرب التنافس غير المتكافئ على الماء، الواحات في العمق، وعطل ملكات الإبداع والتكيف عند الصحراويين إلى حد لا تنفع معه بعض الأساليب الترقيعية من نوع أوراش تثبيت الكثبان الرملية التي تهدد الطرق أو البحث عن نبتات جديدة تتحمل الجفاف والملوحة والرمال. وكلها تقنيات متطورة ومكلفة تسعى إلى اقتصاد قطرات قليلة من الماء في حين تعُبُّ حمامات الفنادق ومضخات المنشآت السياحية الفاخرة سيول المياه بسخاء فاحش.

لم تكتف الرمال بغزو تافيلالت المعرضة مباشرة للصحراء، بل دخلت الممر الممتد إلى الغرب بين الرشيدية وورزازات. فواحات اغريس الأعلى وتودغة ودادس ودرعة في تدهور مطرد بواسطة الترميل والتمليح، رغم أنها توجد تحت الحماية النسبية للأطلس الصغير الشرقي.

لكن كيف لجبال صغيرة مثل گنات وصاغرو أن تحمي گلميمة أو قلعة مگونة، في حين أن الأطلس الصغير الغربي، وهو أعلى بكثير، لم يفلح في صد غوائل التصحر على سهل سوس. مرة أخرى، يُعطل سوء التدبير البشري كل وسائل الصيانة التي توفرها الطبيعة.

2) في سهل سوس، السلوك البشري يبطل الحصانة الطبيعية.

يتمتع الإقليم بوضعية محظوظة جدا بالمقارنة مع جيرانه الشرقيين، رغم أنه يوجد في عروض صحراوية أكثر توغلا في الجنوب. فهو يتلقى تساقطات مطرية تتراوح بين 100 و300 مم بسبب انفتاحه على التيارات الجوية الآتية من المحيط، وانزوائه بين سلسلتين من الجبال، في الشمال الأطلس الكبير يقوم بدوره الأساسي في التزويد بالمياه السطحية والجوفية. وفي الجنوب يسهم الأطلس الصغير بقسط أقل من المياه، لكنه يضطلع على الخصوص بمهمة الوقاية من زحف الصحراء. توفر بنية المنخفض السوسي

مياه فرشتين رئيسيتين على الأقل. الفرشة القريبة للبليورباعي والفرشة الأعمق للكريطاسي والمستويات الأقدم.

سمح تضافر هذه الموارد وخبرة السوسيين التقليدية في التدبير المحكم للمجال بخلق مجال زراعي غني على ضفاف نهر سوس، يزود السوق الداخلية ويصدر إلى الخارج.

لكن السر في استمرار هذا الرخاء هو الوجود المعجز في مثل هذه العروض لغابة تقف في خط النار مع غزو الرمال، مكونه من شجر أرگان، والتي عرفت أكبر اتساع لها في غابة أدميم، جنوب الحوض النهري.

وجود الغابة هنا دليل ظاهري على توفر ظروف مناخية كافية. والواقع أن السبب الحقيقي هو أنها غابة موروثة عن فترات سابقة أكثر رطوبة. أما بقاؤها حتى الآن فيُعزى للتكيف المتواصل ولكونها أسهمت في خلق ظروف استمرارها بتزويد تربتها بالمادة العضوية والظل والحياة والاستقرار، فهي مثل الغابات الموروثة الأخرى، إذا اجتثت لا يمكن إنشاؤها من جديد. هي إذن درع واق ضد الصحراء، يمكن استعمالها كمراع للماعز والخرفان في حدود المعقول، بل ويمكن إقحام بعض الزراعات بداخلها وفي ظلها. لكن اجتثاثها جحود ينقلب وبالا على الإقليم كله.

لقد تطاولت حركة تحديث الزراعة على الغابات الجنوبية لأرگان، وتكونت على حسابها الضياع العصرية للبواكر والغلال والورود، مستعملة الوسائل الثقيلة ومستغلة المياه الغزيرة فقطعت بعض الشجر وضيقت على البعض الآخر، وبدأ المسلسل اللارجعي للتدهور.

في بداية الأمر، تُغدق الأرض مردودية عالية نظراً لغنى الأتربة الحديثة العهد بالاجتثاث. لكن سنوات قليلة تكفي لإفقار التربة وتفكيك بنياتها، ثم تحرير الرمال التي تزحف في شكل كثبان حقيقية تهاجم ما تبقى من الغابة.

الشاهد على استمرار الاختلال الذي يغذي الكثبان هو تزايد وتيرة الزوابع الغبارية الحمراء الكثيفة التي تحرك الطمي والرمال الدقيقة. بدأت الكثبان تتعدى هوامش النتف الغابوية لتطمر مساحات متزايدة من الأتربة الحمراء النافعة وتعاكس الضياع وضواحي المدن.

هنا كذلك، يضاف إلى الفلاحة الجائرة خارج حوض النهر وعلى حساب التحصينات الغابوية لأرگان، التنافس الكبير على الموارد المائية من طرف التطور السريع للمراكز الحضرية القديمة والجديدة وعلى رأسها أگادير المترامية الأطراف والأنشطة المتنوعة الموجودة بها ومن جملتها منشآت المواصلات والأحياء السياحية التي غزت السواحل على الخصوص. انخفضت مستويات المياه الجوفية من 15 أو 20 م إلى 150 و200 م في بعض جهات السهل.

3) الهضاب العليا للمغرب الشرقي، وجبهات التصحر المتقدمة.

لا شك أن هذا هو المغرب الخفي. هضاب يبلغ متوسط ارتفاعها الألف متر، تتعاقب عليها الحرارة والبرودة المفرطتان بفعل الارتفاع والقارية. لا تستفيد من الوقاية الأطلسية رغم وجودها شمال الأطلس الكبير الشرقي الذي تنخفض أعرافه وتنفرج إلى حد أنها تفقد أي فاعلية في الصيانة. لا تصلها الاضطرابات الجوية الممطرة الأطلنتية نظرا لاعتراض كتلة الأطلس المتوسط الذي يكاد يلحم الأطلس الكبير الأوسط بسلسلة الريف.

ففي الجنوب، تتلقى فگيگ أقل من 100 مم مع أنها في عرض أسفي، في حين لا تتعدى أمطار گرسيف في الشمال 200 مم إلا بقليل وهي في عرض سهل الغرب.

باستثناء الشريط الأخضر على طول واد ملوية في الغرب، وسلسلة الواحات على طول الحدود الجزائرية، تغطي السهوب الشاسعة من الحلفاء والشيح، مع بعض البقع المتفككة من غابات العرعر البربري والعرعر الفينيقي وبقايا استثنائية من البلوط الأخضر والصنوبر الحلبي.

إن هذا التوازن هو في الأساس توازن طبيعي هش، لكن الحفاظ عليه هو السبيل الوحيد ضد التصحر السريع والعنيف.

- توجد فگيگ في أقصى الجنوب الشرقي، في قدم الأطلس الكبير الشرقي الضعيف الارتفاع والتكتل. الاستفادة قليلة من واد زوسفانة، ويكاد الاعتماد يكون كليا على الفرشات الجوفية الموجودة في طبقات الزمن الثاني.

لكن الاستنزاف الناتج عن التوسع الحضري جعل المياه تنزح في اتجاه الجنوب صوب الحدود، مهددة بالقضاء على أهم وأبدع الواحات المغربية. الانزلاق التدريجي للواحة خاضع على ما يبدو لبنية الطبقات الجيولوجية التي تضم الفرشات النافعة.

- منخفض تامليلت، سهل داخلي ضمن الأطلس الكبير الشرقي تكتنفه أعراف صغيرة. الواحة المخبوءة وأهمية القارية وفّرا للمنطقة تغطية من السهوب والأحراج الغنية بالطرائد المتنوعة ومنها الغزال، لكن القنص الجائر حوّل المجال، خلال سنوات قليلة، إلى أرض جرداء لا نبات فيها ولا حيوان.

- يلاحظ في باقي الهضاب، هبوط مريع للفرشات المائية، يبدو أن له علاقة بعمليات الضخ الآلي في بعض المراكز كعين بني مطهر والواحات الصناعية لجرادة.

وقد ترتب عن نضوب العديد من نقط الماء، اضطراب في مسارات ترحل الرعاة واختلال في التكاملات التقليدية بين مختلف المجالات المستغلة، زاد من حدته التقطيع الإداري الذي لم يأخذ دائما في الاعتبار المعطيات البيئية وتقاليد الترحل والانتجاع، من ذلك خرق الأهالي لتعليمات الصيانة المضروبة على الغابة، ومنه على الخصوص الاستغلال الزراعي لأراض ضعيفة لا تتحمل أنواع الاستثمار المركزة.

نتج عن اقتلاع الحلفاء تمزيق سريع جدا للأتربة الغنية بالمادة العضوية، لكنها ضعيفة السُّمك ومحصورة فوق

القشرة الكلسية التي هي المعضلة الأساسية في أتربة كل المغرب الشرقي. تكرار وقع الرخات المطرية القوية على الأرض العارية، يبتر التربة ويكشف عن القشرات السميكة والصلبة جدا. وفي بضع سنين، تتحول المراعي الممتازة إلى مجالات معدنية ملساء أولا، سرعان ما تصير براحات تدرية تتخللها النبقات الرملية.

يتبين من ترتيب المناطق المعرضة للتصحر المباشر، الدور الحاسم الذي تلعبه القارية وأكثر منها رسم السلاسل الجبلية وارتفاعها كأدوات صيانة وتوجيه للتيارات الجوية. يبقى أن هذه الجبال ذاتها تعاني من أساليب تصحر نوعية مرتبطة بطبيعة التضاريس والانحدارات القوية.

II ـ التصحر الترابي في الجبال الرطبة.

قد يبدو من الغريب أن تدخل الجبال في موضوع التصحر. والواقع أن مفهوم التصحر مفهوم نسبي وتطوري. فليس من الضروري أن تتحول منطقة إلى صحراء حتى نثير موضوع التصحر، بل يمكن إثارة هذا الموضوع بمجرد ما يبدأ التدهور بتغيير الغلاف النباتي والأحيائي عامة من الطبيعة التي كان عليها أو المفترضة في نطاق بيومناخي ما، إلى الأنماط التي تعرفها النطاقات الطبيعية الأجف منها مباشرة.

1) جبال الأطلس الكبير، المستعرضة من الشرق إلى الغرب، هي الجدار الفاصل بين الصحراء في الجنوب والجنوب الشرقي، والمناطق المنفتحة على الاعتدال في الشمال والغرب. وهي عامة أكثر رطوبة من المناطق المجاورة وتتوفر مع الأطلس المتوسط على أهم التغليفات الغابوية التي يمتلكها المغرب من العرعر البربري والعرعر الأحمر إلى أجمل دوح البلوط الأخضر والأرز.

يتميز الأطلس ببنية خاصة، يتوسطها صلب طولي متشكل من أعلى الأعراف التي تكسوها الثلوج موسميا، بحيث نجد أن السفوح الجنوبية والشرقية، الأقل ارتفاعا، مكرسة لامتصاص التأثيرات الصحراوية، ويمكن أن تنزل بها مقاييس الأمطار إلى 300 مم. أما السفوح الشمالية المشرفة على المدرج الأطلنتي فيمكن أن تتعدى 1000 مم.

ظروف التصحر هي الأكثر مباشرة في السفوح الجنوبية إذن، هذه السفوح التي توقف أقدامها الكثبان في بعض الحالات، في حين يحافظ العرعر الأحمر فيها على التغليفة في وجه الاجتثاث والرعي الجائر.

في ممر أرگانة الذي يربط سهل سوس بالحوز عند إيمي ـ ن ـ تانوت، ضعف الارتفاع ووضعية المخبأ، تجعل جبهة القحولة تخترق هنا الأطلس اختراقا كاملا. ومع ذلك، ورغم الجفاف والملوحة، فإن ما يتجمع من مياه في واد إيسن يُنقل أساسا إلى مدينة أگادير.

يهدد التصحر السفوح الشمالية نفسها رغم غزارة الأمطار وجودة ظروف الترب، وذلك لأسباب متعددة.

فبالنسبة للأراضي الصالحة للزراعة، فهي مكتسبة على حساب سفوح قوية شيدها المزارعون بعناء على شكل مدرجات على جوانب الأودية السحيقة المنحوتة في أطيان وحُث الطبقات الترياسية. أبرز النماذج ترافق واد النفيس الأعلى. التدهور هنا ناتج عن إهمال المصاطب المبنية والتي تحتاج إلى تعهد دائم.

غالبا ما كان سلوك الإهمال هذا ومغادرة الأرض ناتجاً عن التصريف الممنهج لخيرات الجبل إلى المناطق السهلية ومنها مياه السدود، خاصة المنصوبة على الروافد الجنوبية لأم الربيع، والأخشاب والطرائد والمعادن التي همت منذ أمد بعيد أطلس مراكش، كما هو مترتب أيضا على إغراء السهولة التي تشخص الحياة الناعمة لأفواج السياح.

كانت المناطق الأخرى التي اجتذبت المزارعين دائماً ومباشرة على حساب الغابة. ويبدو أن أصلح الأراضي لهذا الغرض في الجهات الشمالية من الأطلس هي الأحواض الواسعة في أعالي أيت ورير ودمنات، تلك التي تضم أكبر نسبة من المجالات الأقرب إلى الانبساط والتي بها أتربة جيدة الاستقرار إذا ما قورنت بوضعها الجبلي. توافق هذه الأحواض من الوجهة البنيوية مقعرات شاخصة متفاوتة الاتساع مفروشة في الغالب بالطبقات الهشة الحثية، الطينية والطميية الحمراء المنتسبة للكريطاسي الأسفل القاري.

النزعة الزراعية التي تبدو في الظاهر هي الوجهة الصائبة هنا، جعلت الأهالي يغتصبون الحيز الغابوي بحدة ليس لها نظير في باقي الأطلس. حيث إن بعض الدوائر الغابوية كالتي تجاور الواد الأخضر، فقدت ثلثي مساحاتها عن طريق القطع والتسيب الزراعي. لكن التصحر سرعان ما يحل محل القطع الجائر، وهو يكتسي هنا صبغة خاصة يمكن أن تُدعى التصحر الترابي، والذي يبرر هذا التعبير بصفة كاملة هو التطور الحاصل الذي ينتهي بالتنحية التامة للأتربة والتأثر العميق على ميزانية المياه رغم أنه لا يحصل أي تغيير في الوضع المناخي الملابس. ذلك أن العراء المفاجئ للأرض بعد عملية الاجتثاث يسبب الطرق العنيف لسطح التربة من طرف قطرات المطر. مفعول الترشاش هذا يسهل السيلان على حساب التسرب، مفقراً الفرشات والعيون التابعة، مضعفا الأتربة، ومهددا بالفيضانات كلما اشتدت التساقطات التي تذهب جفاء دون أن تنفع الأرض.

بموازاة مع المسار الآلي لتدهور التربة عن طريق الترشاش، هناك التدهور العضوي والجيوكيماوي الناتج عن تعطيل البيئة الاحيائية. إذ أن تضاؤل المادة العضوية في التربة يحطم بنياتها ويضعف مركبها الماص حيث يعقب ذلك انهيار في الخصوبة والعجز على الحفاظ بالرطوبة.

على هذا الأساس، فإن التصحر متحقق بالتأكيد، لأنه حتى في حال إرجاع الأرض إلى غطائها النباتي الطبيعي، فإنه لا سبيل لعودة الغابة الأصلية. التغيرات العميقة التي نابت الأتربة تقضي بظهور تشكيلات نباتية جديدة من الصنف الجفيف.

إذن، رغم بقاء التساقطات على حالها، فإن الاستعمال

الخاطئ للأراضي يحول المجال الأحيائي إلى مستويات مرتبطة مبدئيا بمناخات أجف. الاستمرار في هذا النوع من التسيب يأتي على كل المسكات المنتجة من التربة معطية حقول شعير متقطعة تتخللها خدات تتعمق سريعا.

بعيداً عن الوديان والأحواض القابلة للتجهيز الزراعي، قليلة هي المشاريع الاقتصادية التي يمكن أن تصرف ساكنة الأطلس عن الرعي الجائر وقطع الغابة، فحتى تلك الغابات الجميلة المتكونة من البلوط الأخضر أو من الأرز أو هما معاً، والتي توجد في الأوضاع الأكثر توازنا فإنها ليست في مأمن من الاعتداء، حيث تتعرض للإبادة بسبب السلوكات التي تحطم الهوامش النباتية للغابة، ضاربة في الأساس النظام البيئي العام. لا فرق في أن تكون تلك السلوكات القطع والرعي غير الواعيين أو أن تكون في بعض الحالات المعالجة وطريقة الاستغلال الخاطئين من طرف الأطر التقنية الساهرة على صيانة التراث الغابوي.

لمناهضة كل هذه الأوضاع، تجدر الإشارة إلى مشاريع إدارة المياه والغابات التي تهدف إلى صيانة التنوع الأحيائي بخلق منتزهات وطنية حول توبكال وفي الأطلس الكبير الشرقي كما هو الشأن في ماسة والداخلة وفي إقليم الحسيمة بالريف الأوسط وبتلاسمطان في إقليم الشاون، وفي تازكا شمال شرق الأطلس المتوسط، وفي إقليم إفران.

2) الأطلس المتوسط عبارة عن كارست يغذي بفضل مياهه الجوفية شبكات أم الربيع وسبو وملوية. هذا الدور هو ما يبرر وصفه ببرج توزيع المياه على الصعيد الوطني.

جل العمليات التي تهم سطح هضاب وأعراف الأطلس المتوسط تصب في هذا الاتجاه الذي يكتسي صبغة الأهمية القصوى بالنسبة لأنشطة المناطق الزراعية والعمرانية بالمغرب. فأكيد أن أي مساس بهذه التوازنات يمكن أن تكون له نتائج صعبة التقدير.

لا شك أن النزعة الرعي - غابوية، في ظروف رطوبة جيدة، وهي النزعة التي طبعت الإقليم في كل العصور هي التي سمحت باستمرار هذا الدور حتى الآن. فبجوار غابات البلوط والأرز الواسعة، هناك مجالات أوسع من الأراضي الخلاء. وقد تضافرت فيزيوكيمياء الصخور والبنية وطبيعة الغطاء النباتي والتجميع المحلي للمياه داخل بحيرات منتشرة في المجال الهضبي لتسهيل عمليات الرشحان. لكن يتحتم الحرص والحذر من تطورين على الخصوص، والتحسب للمضاعفات الممكنة :

- المسألة الأولى تخص بداية الطفرة الزراعية التي يعرفها الإقليم حاليا وذلك بوضع اليد على العديد من المنخفضات الكارسية الواسعة واستثمارها بواسطة مغار[illegible] الفواكه الرفيعة في استغلاليات من النوع العصري ال[illegible] يقتضي حقن الرساميل الكبيرة واستنزاف الفرشات المائية بواسطة الضخ القوي، على حساب الشبكات الوطنية الكبيرة.

- تحقق المسألة الثانية مرتبط بالسوق العالمية للمحروقات، بحيث تعتبر الزيادة في أسعار الوقود بصفة مستديمة شرطا كافيا لانطلاق استغلال الثروة الهيدروكاربونية المحلية.

والواقع أن طبيعة هذه المخزونات مشوبة بالعديد من العراقيل. ذات البعد البيئي الخطير. ذلك أن النضيد الزيتي الموجود ضمن المقعر الشاخص لجبل القبات في ناحية تيمحضيت لا يحتوي إلا على نسبة واحد بالمائة من البترول. مضمون بهذا المستوى من الهزال يتطلب المعالجة في عين المكان مخلفا مقادير هائلة من النفايات يتحقق التخلص منها بواسطة المجاري المائية وعلى شكل هباءات تحملها الرياح. يزيد من ضرورة الحذر أن جبل القبات هو بالذات مجال توزيع المياه بين شبكات التصريف الرئيسية الثلاث. وعلى هذا الأساس فتهديد التصحر عن طريق تضاؤل الماء وتلوثه يمكن أن يتعدى الأطلس المتوسط ليهم العديد من مناطق الثقل في الاقتصاد المغربي.

3) في جبال الريف، يطغى التصحر الترابي وتكتسي ضرورة معالجته صبغة الاستعجال القصوى. بالطبع توجد بهذه المنطقة كل عوامل الاختلال الملازمة للبيئات الجبلية، لكن بزيادة ظروف مفاقمة ناتجة عن أن البنيات هنا متقطعة، فتية ومحادية للبحر مباشرة، وأن الصخور بها هشة ومصمة والتساقطات المطرية من أغزر ما تعرفه البلاد المتوسطية إطلاقا. نظام الجريان كثيف، سيلي وشديد التعمق، والسفوح قوية ومختلة.

بيئة هذه مواصفاتها لا يمكنها أن تكتسب أي نوع من الاستقرار الطبيعي إلا بمساعدة غطاء غابوي وحرجي كافي الانغلاق. يتم استغلاله الاقتصادي في حدود احترام المقتضيات البيئية.

لكن المقومات البشرية تصرفت باستمرار كعوامل مناوئة، فالكثافات السكانية هي من أعلى ما يعرفه المغرب حتى في مناطقه السهلية. مع الدور السلبي الذي لعبه وجود الحدود الاستعمارية والإهمال التام لمختلف السلطات منذ أمد بعيد والذي يتجلى على الخصوص في غياب أي شبكة للطرق أو أقطاب للتنمية.

أما الغابات التي شكلت حتى وقت قريب أهم الموارد الطبيعية فإنها عانت من غياب تام لكل تقنين، خاصة تحت الحكم الإسباني الذي استغلها بصفة جد مجحفة، يُقال عنها إنها منجمية لأنها لم تكتف بالقطع المنظم بل أبادت حتى عناصر التجديد.

لكن ظروف الاجتثاث في الريف تتعدى حافز جلب الأخشاب والاحتطاب والرعي، إلى الرغبة في إعداد الأراضي لزراعة النبتة المخدرة المعروفة بالقنّب أو الكيف. أهمية الوسائل المرصودة جعلت من هذه الظاهرة أداة بالغة العدوانية ضد الغطاء النباتي الطبيعي والأتربة. سرعة الاستشراء تظهر مثلا بوضوح من خلال تراجع غابة البلوط الفليني في المحيط المباشر لمدينة كتامة، حيث انهارت مساحاته بين 1984 و1990 فقط من 8000 هكتار إلى 500

هكتار!

الطريقة الشائعة في فتح الأراضي وإعدادها هي حرق الغابة، وهي في الواقع من أسرع الطرق للتصحر في أتربة تغطي منحدرات جد قوية. تُحدث النار تغيرات فيزيوكيماوية عميقة في البيئة الأحيائية حيث تتسبب للقطاع الترابي في التجفيف والإفقار وتشويه البنيات عن طريق حرق الأنفوضة وجزء من الدبال.

أما الإغناءات المفترضة من طرف المواد المعدنية الناتجة عن الحرق فهي ضعيفة جداً نظراً لتدرية الرماد وتحريكه السريع بواسطة السيلان الذي يصير أنشط مع تناقص قدرة الأتربة على حجز مياه الأمطار.

ما يحصل الآن هو تبديد مروع للإمكانيات الترابية لمنطقة بأكملها، آهلة بالسكان وغنية بالإمكانات. خلال سنوات معدودة، تكشف الغابة المقطوعة عن أتربة سميكة نسبيا وجيدة البناء ألوانها محمرة إلى سمراء داكنة، سرعان ما ينخرها التصويل والإفقار والبتر فتستحيل إلى بقع مبيضة تتسع رقعتها الجرداء التي لا تحتمل أي استعمال بالمرة.

الثروة الثانية للريف هي شبكة الجريان السطحي، وأهم عناصرها على الإطلاق يتمثل في حوض نهر ورغة الذي يشهد حاليا تشييد سد الوحدة، أكبر السدود المغربية. لا شك أن لهذا الإنجاز العديد من الفوائد الاقتصادية والإنمائية على صعيد التراب الوطني ككل. لكن ضخامة حجمه تطرح بالنسبة للريف بالذات بعض المشاكل النوعية، منها أن حقينته ستغمر حوالي 13.500 هكتار. يزيد من أهمية هذه المساحة أنها تخص جزءا من أحسن الأراضي الزراعية التي توجد في المنطقة على الإطلاق. فهي تغطي أراضي التيرس والحمري ضمن سهل داخلي خصيب وتام الانبساط.

ومن جهة أخرى، فإن الكلفة العالية للمنشآت تقتضي الاحتفاظ بنجاعة السد لأطول وقت ممكن في مجال ينتج بواسطة تعرية الأتربة والتخديد والانسياخ أكبر مقادير مواد الإطماء التي يعرفها المغرب. الوسيلة التقليدية لتفادي تعبئة حوض التجميع بالتراكمات الغرينية هو تشجير أهم سفوح الحوض النهري.

هذه العملية جيدة أصلا وتدخل في الاستراتيجية العامة لإعادة تشجير السفوح والحد من التدهور والإجداب. لكن، تجدر الإشارة إلى بعض العيوب التي غالبا ما تجعل التشجير في صبغته المعتمدة عندنا يحيد عن الأهداف البيئية المرجوة. فالغابة الطبيعية نظام بيئي يمتلك توازنات داخلية بين الأشجار السائدة والأشجار الأخرى المتكاملة معها والهوامش النباتية الضرورية. تحطيم هذه التركيبات لا يمكن أن يعوض بالغابات الأحادية النوع، خاصة عندما يتم القضاء على المورقات المغنية للتربة واستبدالها بالراتنجيات المحمضة، وهو سلوك جد شائع يقلب الأوضاع البيئية تحت الستار الوهمي لإعادة بناء استقرار المجال.

على العموم، فالملاحظ أن مختلف مظاهر التدهور والتصحر في المناطق القاحلة، وحتى الرطبة منها في الجبال، تفضي إلى سحب التربة النافعة من تحت أقدام أصحابها وإرغامهم في الغالب على المغادرة والنزوح بكثافة إلى البلاد الشمالية الغربية الغنية نسبيا. هناك إذن، أساس مظاهر التصحر هو ما يمكن أن نسميه بالقنبلة الديموغرافية.

III - تصحر الاستنزاف بواسطة الضغط الديمغرافي.

تقتضي استراتيجية مقاومة التصحر أن نشعر بإرهاصاته قبل أُزوف الأمر الواقع. يصير هذا الهاجس أكثر إلحاحاً في أراضي الشمال الغربي الغنية نظراً للمسؤولية التي تتحملها في تغذية المغاربة وإيوائهم وإيجاد الشغل لهم. إذن، موقعها الحاسم والخطير من الاقتصاد الوطني يعني استبعاد حدوث التصحر بمفهوميه الكارثيين السابقين، وهما الترميل على هوامش الصحراء وبروز القاعدة الصخرية في الجبال، ومحاولة تحسُّس التطورات المفضية إليه في أول أمرها، تلك التي تُستشف من خلال تناقص الإنتاج الزراعي.

وبما أن المؤهلات الطبيعية لا تحتمل هنا أياً من الاختلالات الكبرى التي تخص الجبال وهوامش الصحراء، فإن مظاهر التدهور إذن راجعة للسلوك البشري مبدءاً ووصولاً.

أهم عوامل الاختلال نزوح ساكنة الصحارى وشبه الصحارى والجبال بسبب ضيق العيش وتقلص الوسائل التي كانت متاحة، بحيث يمكن أن نعتبر هذه الحركة جزئيا حركة نازحين إيكولوجيين. صحيح أن التيارات البشرية من هذا القبيل ليست بالشيء الجديد وأنها همت مختلف الفترات التاريخية. لكنها الآن تكتسي صبغة خاصة. فهي لا تقصد الأرياف الأخصب والأرطب لأن تملك الأراضي أصبح أمراً مُنتهى منه، حيث نضبت حركة الترحل والانتجاع في السهول والهضاب الخصيبة، ولم يبق من سبيل إلا اللجوء إلى المدن التي تحولت تدريجياً إلى مستودعات للنفايات البشرية، تتضخم باستمرار وتختل بنياتها الاجتماعية والاقتصادية.

النتيجة الأولى هي التوسع السريع للمدن على حساب أحسن الأراضي الفلاحية، وأكيد أن الأمر يتعلق بأخطر ضروب التصحر المطلق. صحيح إن بلديات المدن الكبرى تحرص على انجاز تصاميم التهيئة أو التصاميم المديرية التي تحدد محاور توسع المدن والأهمية التي يجب أن يكتسيها، كما ترسم خرائط المجال الزراعي المحيط وقدرات الأتربة به وكيفية استعمالها. لكنها لا تحظى بأي نوع من العناية ولا تتاح لها أي فرصة للتطبيق. ذلك أن العوامل الفعلية المتحكمة في توسع المدن لا علاقة لها بالظروف البيئية ولا بالعلم والمنطق المطلق، ولكنها مرتبطة بالمضاربات العقارية والمنطق الداخلي لهذه المضاربات. هذه قاعدة عامة ومن أبلغ نماذجها ما يحيط مثلا بتطور مدينة فاس.

النتيجة الثانية، وهي أخطر من التوسع على حساب الأحزمة الفلاحية، مرتبطة بامتصاص المدينة للموارد المائية بجشع متزايد. والواقع أن استنزاف المياه ناتج عن ضراوة التنافس عليه من طرف أقوى أولي الحقوق وعلى حساب الضعاف منهم، الذين يدركون أن الأرض تتصحر تدريجيا من تحتهم.

أقوى أولي الحقوق المدينةُ أولاً، نظراً للأسبقيات المخولة لها والوسائل المتوفرة. وثانيا ملاكو أهم الأراضي المسقية بواسطة السدود في أغنى الأراضي، وبصفة متزايدة أصحاب الملكيات الكبيرة والمضخات القوية قريبا من أقدام الجبال وخطوط العيون. احتكار الفرشات المائية والمنابع بالطرق العصرية والمكلفة هو مثلا السبب الرئيسي في التراجع الحاصل في مواطن الدير التقليدية التي كانت مزدهرة في مخارج أودية الأطلسين المتوسط والكبير على السهول الشمالية والغربية.

باقي الأراضي غير المسقية والمحصورة بين المستفيدين الكبار، هي التي تُؤوي أهم كثافات ساكنة الأرياف التي تعيش على أسوء الأتربة وأكثرها تعرضاً لمخاطر الجفاف. وجودها بين مناطق الاستنزاف يُضيق عليها الخناق ويركز المحلولات إلى حد تقوية مظاهر القشرات الكلسية المبيدة للأتربة، كما يفاقم آليات التعرية بها. النتيجة الحتمية هي تضاؤل مستمر للمنتوج الزراعي. الشيء الذي يدفع أولا إلى الإلحاح في الاستثمار بأضعف الوسائل ومنها التوسع الاضطراري فوق الأراضي الهامشية العطوبة، وأخيرا إلى الهجرة إلى المدينة.

الواقع أن الأراضي المسقية ذاتها يمكن أن تعرف بعض الصعوبات التي من شأنها أن تؤدي إلى تصحر نسبي أو مطلق. فهناك ظاهرة التمليح التي تشكل معضلا جزئيا في أراضي تريفة أو في فحص طنجة، وفي سهل الغرب. في مبقلات ولجة دكالة مثلا يصل تمليح الأتربة في سنوات الجفاف على الخصوص إلى تحول المزارعين عنها إلى غيرها.

في المناطق الداخلية بدأت مظاهر التلوث الحضري والصناعي والزراعي عن طريق المبيدات والأسمدة تُؤثر سلباً على الأرياف، كذلك الأمر في حوض واد سبو في سافلة مدينتي فاس ومكناس وفي سهل الغرب.

بالطبع، لا تقف جبهة التلوث عند حدود القارة. وعندما تتعداها لطرد أسراب السمك وإفناء العوالق فإنه يمكن توسيع مفهوم التصحر ليشمل البحار. من جملة وسائل التصحر مخاريط التسميم التي تغزو البحر انطلاقا من المدن الكبرى، ومن مصاب بعض الأنهار التي تحولت إلى ميازيب، ونفايات المراكز الصناعية، الكيماوية منها على الخصوص. ومنها كذلك الصيد الجائر الذي يزيد من حدته الجوار الصعب مع أكبر الدول المستهلكة والمسوقة والاتفاقيات غير المتكافئة.

وأخيرا وليس آخراً، هناك في هذا المجال المحظوظ على العموم العديد من البقع المحتلة بالقوة، القابلة للتصحر بعد حين، والقادرة على أن تصير عدوانية بالنسبة لمحيطها. أهمها دون شك غابة المعمورة.

تعتبر المعمورة الرئة المباشرة للمحور الحضري الرباط ـ القنيطرة ومجموعة أخرى من المدن الثانوية. لكن مساحتها من البلوط الفليني انهارت من ظرف السبعين سنة الأخيرة من أكثر من 130.000 هكتار إلى حوالي 50.000 هكتار فقط. في هذه الأثناء تعرضت إلى عمليات اجتثاث متعددة الأغراض، منها كثير من حالات التسيب بهدف الفلاحة والرعي والتفحيم. وغالباً ما جاءت محاولات التشجير حرباً على البيئة الترابية والمائية كغرس الصنوبريات مكان البلوط الفليني أو فجوات غابات الأوكليبتوس والأوكالبتوس على هوامشها الشمالية بغرض إنتاج عجين الورق.

مرة أخرى، أضعف الغرس الأحادي وإفقار التركيبات النباتية المتكاملة، النظام البيئي للمعمورة وفاقم حموضة الأتربة وتصويلها من موادها الدقيقة بصفة تكاد تكون كلية، خاصة تحت الأوكالبتوس، وغَوَّرَ مواردها المائية، فأصبحت أشجارها، حتى البلوط الفليني الأصيل منها، معرضة للأمراض وهجوم الفطريات والذبول والانكسار السهل ولو لأضعف الهبات.

الخطير في الأمر هو الطبيعة الرملية لأتربة المعمورة التي تفقد بنيتها كل يوم أكثر، وحصانتها الشجرية مهددة بالتحرر والتدرية إن لم يوضع حد للأخطاء البيئية المتكررة. فليس من المستبعد، في ظل السلوكات السائدة، أن تتكون حقول من الكثبان يمكن أن تهدد كل المحور الحضري للساحل الأطلنتي الأوسط، على غرار أفظع حالات التصحر المباشر، في قلب ما كان يصطلح عليه بالمغرب النافع.

تُظهر النماذج المعروضة أن التصحر لا يقف عند أي حد بيومناخي أو تضاريسي بل ويتهدد خارج المغرب كل مناطق العالم، إذ نسمع التنبيه من مخاطره في أوربا من جهة وحول خط الاستواء من جهة أخرى. وفي مناطق مختلفة ليست موسومة بالقحولة النطاقية بحال من الأحوال ولكنها تعرضت لأخطاء في استثمار الأراضي وتدبير المجال نتج عنها إتلاف للفرشة المائية أو تعقيم للأتربة.

فما العمل أمام هذه الموجة الجامحة التي تهدد الأوساط الطبيعية من الأساس وتنذر بأقبح الكوارث ؟ مع العلم أن مسيرة التطور حتمية لا رجعة فيها. على الأقل لأن الأعداد البشرية تتزايد باستمرار والأساليب القديمة في صيغتها الجامدة لا تُجدي. كذلك الظروف التي كانت تُقَعِّد حياة البدو الرحل مثلا لم تعد حاليا مقبولة.

ما العمل إذن بين المستحيلين ؟ لا شك أن الأمر يتطلب إبداع أساليب جديدة تنطلق من أكبر معرفة ممكنة بخصائص الأوساط المغربية مع الاستفادة من الأساليب القديمة المتكيفة وتطويرها. وارد إذن الاقتباس من التقنيات المتلطفة بالبيئة كتلك التي تقلل من حدة التعرية من خلال استعمال تداخل المزروعات المتكاملة والواقية للأرض واعتماد الدورات

الزراعية. كذلك الحفاظ على المياه عبر مختلف التقنيات المتوارثة، واستعمال الروث والمادة النباتية الطرية كسماد طبيعي.

من الضروري كذلك اعتبار فترات الجفاف الضاغطة كمركب عادي وليس استثنائيّاً للمناخ بالمغرب، وأخذها في الحسبان في كل تخطيط فلاحي، واختيار تقني.

على أنه يجب ترشيد التقنيات والسلوكات على أساس استخلاص العبر من تجارب البلدان التي قطعت أشواطا في ميدان فلاحات الجفاف بمنجزاتها وأخطائها، ومنها الجمهوريات الإسلامية لآسيا الوسطى في ظل النظام السوفياتي وجنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط. وكيفما كانت التقنيات فهي وحدها لا تكفي.

أكيد أن هياكل توزيع الموارد كالبنيات العقارية، ونماذج الاستيطان ومنها المدنية الأخطبوطية، تلعب أدواراً لا تقل أهمية. وفوق هذا وذاك، فإن المجهودات المحلية المعزولة وحدها لا يمكن أن تعالج الوضع الذي يكتسي في الواقع صبغة كونية، تقتضي تعاون الفاعلين الكبار في العالم.

لكن، تدل القرائن حسب جل المحللين على أن مجتمع الإنتاج المهيمن لا يتوفر على البنيات الكفيلة بتجاوز الأزمة. ألا يوجد تناقض أساسي بين هاجس الحفاظ على الطبيعة من جهة والحضارة الصناعية العصرية من جهة أخرى تلك التي أحدثت شرخا متزايدا في غلاف الأوزون، ورفعت حرارة أجواء الكوكب، وعكرت الماء والهواء، معطية للتصحر فرصة اكتساح العالم ؟

يبدو أن هناك مطالبة لازالت مكبوتة ولكنها متنامية تنادي بتعجيل التخفيف من الحضارة الصناعية وتبشر بمقدم العهد الإنساني.

*استطلاعات ميدانية* ؛ إبراهيم نحال، *التصحر في الوطن العربي*، بيروت 1987 ؛ الطيب جلال ومحمد عجاج، *تثبيت الكثبان الرملية وتشجيرها في شمال افريقيا*، تونس، 1986 ؛ إدريس الفاسي، *الجفاف حول الصحراء : الطبيعة والسلوك البشري*، دراسة بيئية، *مجلة جغرافية المغرب*، 6، الرباط.

Ministère de l'Agriculture et du Développement Agricole, *Lutte contre la désertification au Maroc, réalisations et perspectives. Rapport National* ; Rabat, 1984 ; *Plan National de lutte contre la désertification*, 1986 ; Direction des Eaux et Forêts et de la Conservation des Terres, *Projet d'étude et d'identification des aires protégées et de l'élaboration des plans de gestion des parcs nationaux du Maroc*, Rabat, 1993 - 94 ; A. Sasson, *Développement et environnement*, Paris - La Haye, 1974 ; F. Ramade, *Eléments d'écologie appliquée.*, Paris, 1976 ; E. Eckholm and L.R. Brown, *Spreading deserts. The hand of man.* Washington, D.C., 1977 ; M. Ameur, *Fès... ou l'obsession du foncier*, Tours, 1993.

إدريس فاسي وعبد المالك بنعبيد

**التصدرة**، في موسيقى الآلة هي المقطوعة الغنائية (الصنعة) الأولى التي تتصدر القسم الموسع من الميزان. وتغنى مباشرة بعد البغية أو التوشية على حركة إيقاعية بطيئة جدا. ومثالها تصدرة ميزان البسيط من نوبة رمل الماية، وهي بيتان ملحونان من الطويل :

| | |
|---|---|
| صلوا ياعباد دائم على أشرف الورى | ارضـوا عن العشر الكرام البررا |
| مهما نقرب الروضة يـاتينا مبشـرا | نسيم من الأحباب مسكا وعنبرا |

ونظراً لبطء أداء التصدرة، تقضي العادة أن تخلل مقاطع كلماتها بالتراتين، وهو ما يعرف لدى أصحاب الآلة "بالشغل".

*معرفة شخصية.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

## التصميم ← التخطيط

**التصوف** بالمغرب، يبدو أن ظهور أشخاص بالمغرب الأقصى يمكن أن تنسب أحوالهم وأقوالهم إلى التصوف، أي إلى ما يعرف بالتوحيد الخاص المبني على الاعتقاد بإمكان الوصل أي إدراك مباشر لبعض تجليات الذات أو حقائق الصفات واعتبار الروحانية النبوية أساساً لتحقيق ذلك على أكمل معانيه، كان ظهوراً متأخراً بالنسبة لبلاد المشرق، وبالنسبة حتى لبلاد إفريقية والأندلس، وذلك على غرار تأخر الظواهر الحضارية الأخرى ثقافية كانت أو سياسية. وقد يكون هذا التأخر فيما يهمنا هنا مرتبطاً بتأخر الآثار الكتابية الشاهدة لا بتأخر الظاهرة نفسها.

ولقد كانت أحوال الزهد والورع غالبة على أفراد ممن بلغت إلينا أخبارهم من أهل القرون الإسلامية الأربعة الأولى دون أن يرد بصدد عدد منهم ما يجعلنا نصنفه في عداد المتصوفة الاصطلاحيين، غير أن التميز بدأ في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

وقع ذكر أزيد من أربعمائة وجه من وجوه التصوف بالمغرب في هاذين القرنين في ثلاثة كتب رئيسية سمت مترجَميها بالصلحاء والعُبَّاد وأهل التصوف، وهي كتاب محمد بن عبد الكريم التميمي وعنوانه : *المستفاد في ذكر الصلحاء والعباد بفاس وما والاها من البلاد*، ألفه قبل عام 572 هـ، وليس منه بين أيدينا سوى قطعة لعلها النصف الثاني من الكتاب، وكتاب أبي يعقوب يوسف التادلي وعنوانه : *التشوف إلى رجال التصوف*، ألفه عام 617 هـ، وكتاب أبي يعقوب البادسي، وعنوانه : *المقصد الشريف في صلحاء الريف*.

وهذه الكتب الثلاثة على منحى *حلية أبي نعيم*، ولكن كل واحد منها آثر التعرض لجهة بلاده. وهكذا يبدو من خلال مادة التراجم أن ظاهرة التصوف قد شملت كل المناطق القديمة الاستقرار وأبرزها الريف وجهات فاس وبسيط تامسنا ودكالة وجهات أغمات ومراكش وجهات هسكورة وجهات رگراگة جنوبي تانسيفت ودرعة ووادي سوس.

كان من صوفية المغرب في هذا العهد من أخذ عن شيوخ مشارقة، ولاشك أن الرحلة للعلم أو للحج قد دعمت هذا الأخذ مثل أخذ عبد الجليل بن ويحلان دفين أغمات عن أبي الفضل الجوهري بمصر، وعبد الجليل هذا شيخ عبد الله ابن واكريس الدكالي شيخ أبي شعيب صاحب أزمور شيخ أبي يعزى الخ. ومنهم من أخذ عن قيروانيين أندلسيين، بل ان منتسبين إلى الصلاح رحلوا إلى المغرب من بلاد إفريقية

كما رحلوا إليه من الأندلس.

كان من الصوفية أهل حضر وأهل بادية، وكان منهم منسوبون إلى العلم الكتابي ومنهم من لم يُعرفوا سوى بورع أو كرامات، وقليل منهم في هذا العهد منسوبون لآل البيت. كان معظمهم أفراداً بلا أتباع ولكنهم كانوا يتعارفون ويتصلون، ويُقصدون في غالب الأحيان للتبرك أو لطلب الأغراض، ولم تكن الطرق قد ظهرت بعد بشكلها المعروف.

ولقد حرص المترجمون المغاربة لأهل التصوف على تخليص الكلام عنهم مما يمكن أن ينعت "بعلم التصوف" أي التعابير عن الأذواق والمعارف الخاصة، لكن نقل بعض كلامهم ينبئ عن إشارات إلى المعاني الاصطلاحية التي تحتاج إلى تأويل، وقلما ألف هؤلاء تآليف قائمة، فيتعذر إذاً، ربطهم بمذاهب ومشارب بالرغم من تحيز بعضهم للغزالي في مواقف عملية. وكان من المنسوبين إلى التصوف عائلات قليلة توارثت المشيخة على امتداد أجيال مثل آل أمغار الصنهاجيين في رباط تيط جنوبي أزمور.

يتعذر في الحالة الحاضرة للبحث في التصوف بالمغرب إعطاء أجوبة معمقة لمختلف الأسئلة المتعلقة بتصور دقيق للمنزع الصوفي ولا سيما 1) في ما يتعلق بتحقيب تطوره بشكل مقنع 2) وبخصوص التيارات الخارجية التي أثرت فيه أو أثر فيها سواء بالنسبة للمشرق أو الأندلس 3) أو قضية أنواع المعارضة التي لقيها التيار الصوفي من الجهات المتسننة في المجتمع أو من جهة المتضايقين به كسلطة رمزية يخشى من تحولها إلى شريك في السلطة الفعلية 4) ومن ذلك تصْنيف الأوضاع التي وجدت فيها تيارات صوفية في مواجهة الجهاز السياسي أو في معاضدته، إلى غير ذلك من القضايا التي تبدو بعض ملامحها من خلال ما أنجز من الأبحاث ولكنها غير مكتلمة ولا واضحة بما فيه الكفاية.

ففي ما يخص التحقيب يبدو العنصر الحاسم فيه هو التفاعل مع المجتمع واتخاذ شكل مؤسسي ومعانقة ملابسات التاريخ في جوانبه الأخرى، وهذا يصدق على التصوف بما غلب عليه من طابع اجتماعي في المغرب، أما من حيث المعنى الصوفي في حد ذاته فلا مجال لتحقيبه إلا على فرض أنه فكر توفيقي أو متأثر بمدارس فكرية مهما كانت طبيعتها كالإشراقية والأفلاطونية الجديدة الخ، أو على فرض أن تعبيرالصوفي عن تجاربه يصير تعبيراً موجِّهاً بل ومنتجاً لتجارب أخرى، أما خارج هذين المنظورين : المؤسساتي الاجتماعي التاريخي والفكري التأثري، فالمفروض أن التصوف يرتبط بتجربة الإسلام الروحية : يظهر فيها متى وأنى ظهرت، فيبقى التدوين هو الحاسم عند المؤرخين في التمييز بين مراحل من السيرورة عبر الآثار. وإذا راعينا هذا التدوين فإن القرنين الخامس والسادس الهجريين يشكلان عصر ظهور التصوف المغربي وانتشاره ونضجه وازدهاره في آن واحد بالنظر إلى أن أعلام القدوة فيه قد عاشوا في القرن السادس على الخصوص. فعندما كتب ابن الزيات عام 617 هـ كتابه في تراجم مائتين وسبعين من المنسوبين إلى التصوف في الجهات التي اهتم بها أعطانا نماذج متنوعة لمن يمكن إدخالهم في هذه الطائفة وذكر بصددهم أنواعاً من السلوك والقيم يمكن أن تُستنتج منها معايير تصنيف رجال التصوف إلى ذلك العهد، ومنها تظهر أدوارهم الدينية جلية وتتعلق كلها بالعمل بالقول والفعل والتأثير والقدوة على دمج مجتمع عجمي هامشي في إطار الإسلام وحضارته وتاريخه، وهو دور بارز حتى ولوقيس بأدوار الفاعلين الآخرين كالأمراء والفقهاء والعلماء. ولكن ابن الزيات كان يرى، في أوائل ذلك القرن السابع، وكأن تلك الحركة في أفولها بعد انصرام قرن أبي شعيب وأبي يعزى وابن حرزهم وأبي مدين وغيرهم. ولكن ابن الزيات أشار إلى شخص عامل مجدد لذلك النهج الصوفي كان بأسفي ما يزال على قيد الحياة وهو أبو محمد صالح. غير أن ابن الزيات لم يعلم بوجود معاصره بجبل العلم في أقصى شمالي غرب المغرب وهو الشيخ عبد السلام بن مشيش الذي جمع، كما جمع الشيخ عبد القادر الجيلالي في الشرق، بين النسب الشريف والأستاذية في التربية الروحية على المنهج الذوقي الصوفي. لم يكن ابن مشيش أول من بدأ به في المغرب مصرع أهل التصوف على أيدي المتضايقين بهم عندما قتل عام 685 هـ، ولكنه كان رأس أحد التيارات الصوفية الكبرى في العالم الإسلامي وهو تيار الشاذلية المنطلق من المغرب والمنسوب إلى أبي الحسن الشاذلي تلميذ ابن مشيش. أمّا التيار القادري فهو عملياً دخل إلى المغرب إذا أقررنا بأن أبا مدين قد لقي الشيخ الجيلاني بالشرق وأخذ عنه، ولكن ذلك وقع قبل بروز هذا الاهتمام المتأخر بسلسلات السند الكبرى. أما ابن عربي الحاتمي بالرغم من مقامه بالمغرب من عام 590 إلى عام 597 هـ فإننا لا نستطيع أن نقارنه بابن مشيش والشاذلي من حيث التأثير، لأن تأثير الحاتمي مقتصر على حذاق القراء إلى يومنا هذا، بينما تأثير "الحركيين" حتى من أمثال أبي يعزى ظهر فعّالاً في طوائف واسعة من الأتباع والمبجلين للشيوخ.

وعلى هذا الأساس، فربط التيار الصوفي المغربي بالجنيد (المتوفى عام 297 هـ) على أنه تصوف تغلب عليه الأخلاق والسنية ويتجنب "الحقائق" تصنيف لا ينطوي إلا على الارتياح السهل الذي يتيحه كل تصنيف، ذلك أن ابن الزيات قد صرح في مقدمة كتابه أنه جرده من هذه "الحقائق" التي سماها بـ "علم التصوف"، فيفهم من كلامه أن تلك الحقائق كانت رائجة ولكنها كانت موضوع اعتراض. فتكون مراعاة الشعور السني العام في المغرب واقعاً متأصلاً ولكنه لا يعني البتة أن تلك المعاني المسماة بـ "الحقائق" يمكن فصلها عن التجربة الصوفية ولو عند رجل لم يكن يعرف من العربية إلا فاتحة الكتاب مثل أبي يعزى.

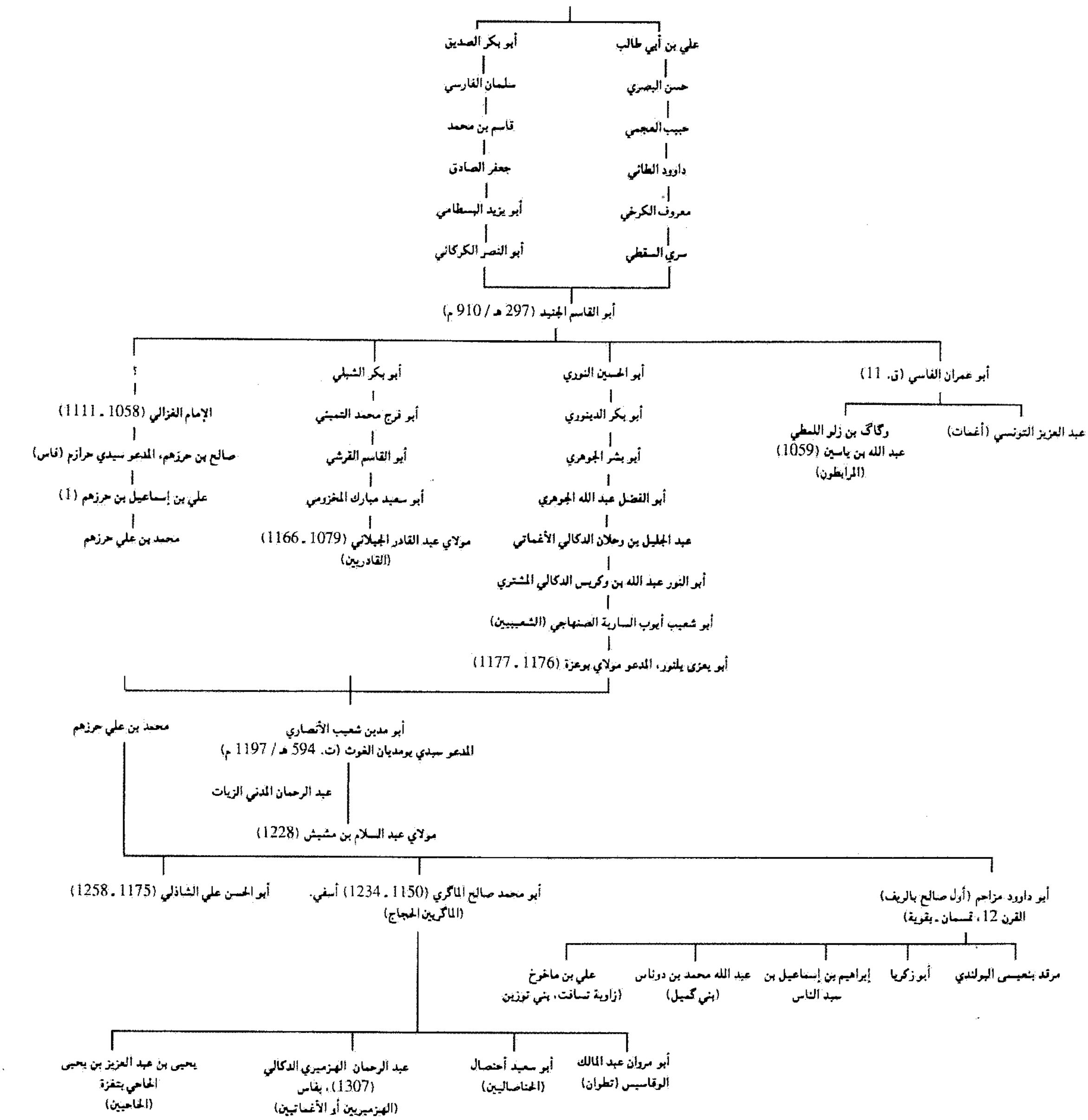


نستطيع أن نقول إن صوفية المغارب أقل تآليف في علم التصوف من صوفية المجتمع الحضري في الأندلس وعواصم المشرق وإيران، ولكن أخبار الصوفية المغاربة، وهي تتضمن مواقف وأعمالاً وأقوالا قد شكلت المادة المنقبية التي كتبها المريدون، بيد أن شذرات قليلة من الآثار التي وصلت إلينا ضمن هذه المناقب كالصلاة المنسوبة للشيخ ابن مشيش أو المبثوثة في ثنايا الصلوات التي جمعها الشيخ الجزولي أو حتى في أزجال بعض الشرقاويين أو رسائل مولاي العربي الدرقاوي أو كلام الشيخ التجاني أو الشيخ ابن عجيبة الخ. قد تضاهي في مضامينها أي تعبير صوفي آخر في مكان كان من العالم.

أما على صعيد العمل الاجتماعي أو ما سميناه بملابسة التاريخ، فإن عهد ما بعد القرن السادس الهجري في المغرب يتميز بكونه بداية تأسيس الطوائف وتكوين شبكة الإسناد الذي تفرعت عنه الطرق. فابن قنفذ القسنطيني الذي جال بالمغرب في منتصف القرن الثامن قد لاحظ هذا التنظيم واضحاً للعيان حيث ذكر أن جملة ما ترجع إليه تلك الطوائف ست هي : 1) الشعيبيون أتباع أبي شعيب صاحب أزمور وهو من أهل القرن السادس. و2) الصنهاجيون، أتباع شيوخ بني أمغار أصحاب رباط تيط جنوبي الجديدة الحالية (وهم أيضا من أتباع شيوخ عاش أعلامهم في القرنين الخامس والسادس). و3) الماگريون (طائفة أتباع أبي محمد صالح شيخ أسفي). و4) الحجاج، وغايتهم تنظيم الحج ولهم علاقة بالشيخ السابق. و5) الحاحيون من أصحاب أبي زكرياء الحاحي دفين تيغزا وجلهم في جبال درن. و6) الأغماتيون وهم طائفة أبي زيد الهزميري الذي كان بأغمات أيلان ومدفنه خارج باب فتوح بفاس.

والظاهر أن مشاهدات ابن قنفذ اقتصرت على جهات دكالة وعبدة وحاحة وجهة مراكش، ولم تشمل سوس وكبريات المدن والريف وتادلة الخ. فتكون الخريطة الدينية

الصوفية في أي عهد رهينة بالشهادات المدونة، ولكن القرائن تجيز لنا أن نتصور كثافتها في كل الجهات بالنظر إلى ما يبرز عند حدوث موجبات تسليط الضوء عليها.

بيد أن ظاهرة واضحة من شهادة ابن قنفذ بالنسبة للقرن الثامن ظلت تصدق على القرون الموالية وهي أن شيخا يصحبه مريدون حول المعنى الأساسي لتحقيق التوحيد الخالص، ولكن القيام بمهمته يستتبع في الغالب تكوين طائفة ومؤسسة هي الطريقة والزاوية، وما تلبث هذه المؤسسة أن تخضع لمقتضيات كل مؤسسة اجتماعية أو مقتضيات التعامل، يضاف إلى ذلك أن تلك المؤسسة تستمر بعد الشيخ وبلا "وارث" روحي في كثير من الأحيان، فإذا الخريطة الصوفية في وقت معين ذات سمات تشبه سمات الخريطة الجيولوجية المتنوعة التشكيلات : براكين نشيطة ومخاريط على جنباتها رماد متحجر، وقمم عالية من الأعلام وتلال شاهدة واطئة تعود إلى أقدم الأزمنة. فالأمر الأصلي من اختصاص التشكيلات الفتية و"البركة" عند "الجميع" والأدوار الاجتماعية أكثر فعالية لدى التشكيلات المستندة إلى عوامل استيراتيجية وإلى تجارب تدعمها القرون، بينما يتعرض كل تجديد لصعوبات من قبل أطراف مختلفة. وفي مثل هذا السياق يتولد

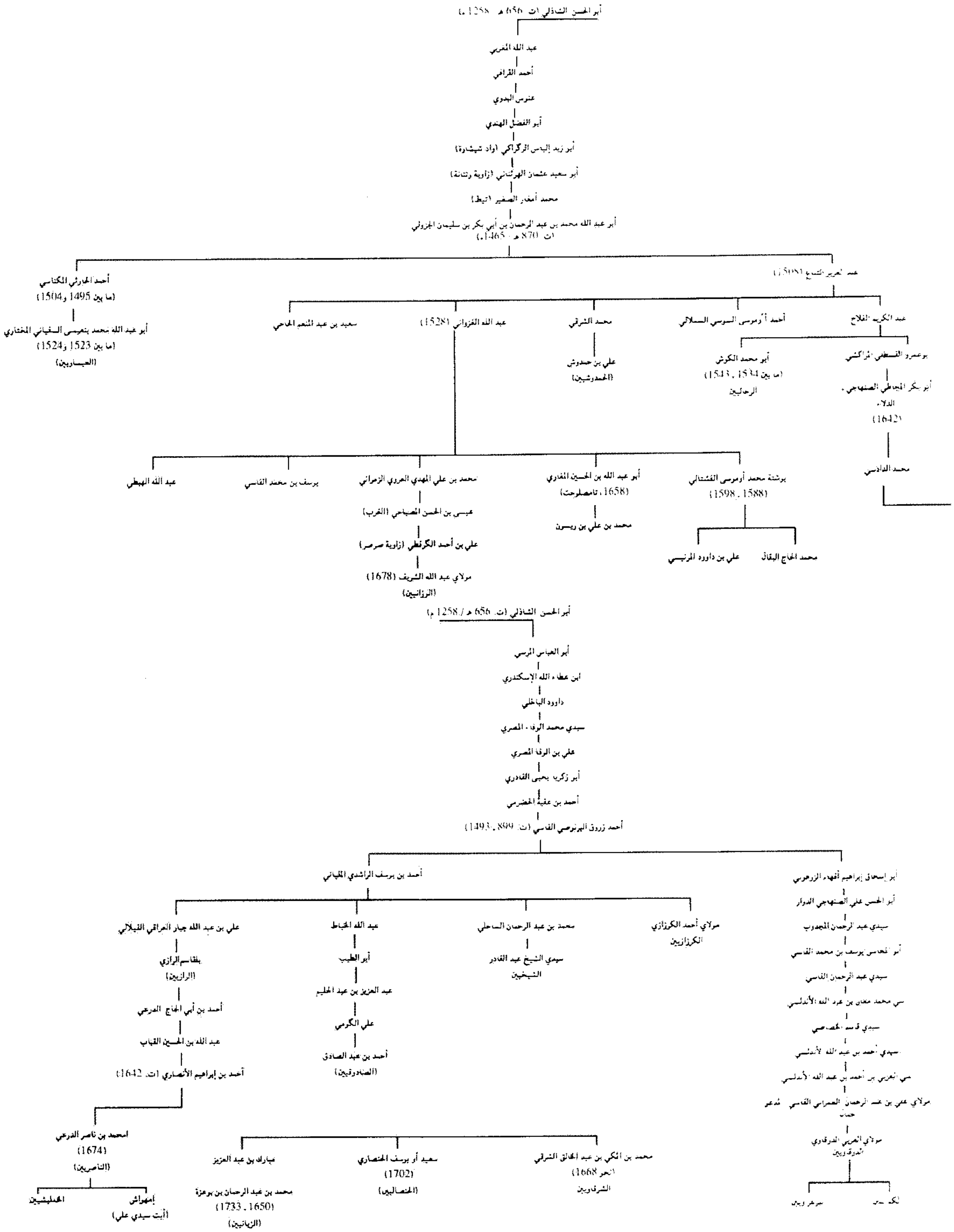

الموقفَ الذي اتخذته الحركة الوطنية في المغرب من بعض المحسوبين اجتماعيا على الانتماء إلى التصوف ووُرطوا لوزنهم الاجتماعي في ملابسات موالية للاستعمار، ولما كانت الفعالية تكمن في إيجاد تضاد وتقابل بين تيارين لفائدة الحركي منهما فقد وقع التغاضي على المواقف الجهادية لفعاليات صوفية حية قاومت التدخل الاستعماري من أواسط القرن الماضي إلى الثلث الأول من القرن العشرين.

بيد أن تاريخ المغرب في مداه الطويل يشهد للصوفية بدور إنقاذ الأرض والأمة منذ تأسيس الرباطات الأولى إلى أن احتل الإيبيريون شواطئ البلاد في القرن التاسع (15 م) وقام متصوفة شيوخ أحياء فاعلون بتعبئة القوى الشعبية لتحرير الثغور وحمل إمارة قادرة إلى الحكم للقيام بدورها بعد الفراغ الخطير الذي ترتب عن ضعف المرينيين ثم الوطاسيين. ومن سوء الحظ أن دولة السعديين التي رفعها الصوفية إلى الحكم في القرن العاشر الهجري قدضعفت لأسباب داخلية وخارجية، وهبت لاحتلال الفراغ السياسي تشكيلات لها نزعة "تصوفية" ولكنها أقرب ما تكون إلى التشكيل المرابطي القائم على وظائف اجتماعية كالتعليم والتحكيم، ومنها الزاوية الدلائية، فنسب إليها الطموح السياسي وتردد في ما بعد معرة على "المتصوفة". والواقع أن أهل الدلاء المتأخرين الذين خاضوا في أمور الإمارة ليست لهم حتى تمثيلية مؤسسي الزاوية الذين لم يدعوا شيئا غير تلمذتهم للناصريين.

لقد اغتيل الشيخ الجزولي (عام 870 هـ) كما اغتيل ابن مشيش شيخ الشاذلي قبل قرنين ونصف، ولم يُنتبه إلى أي منهما في حينه، حتى عرض ما يبعث ذلك الذكر كرمز لحركة تحققت في ما بعد، وهكذا اتخذ الجزولي رمزاً لانتصار دولة السعديين لأن تلامذته أطروا الجهاد وظهروا بمثابة "زعماء أحزاب" في حركة انبعاث اقتضتها ظرفية محفوفة بالمخاطر. ولذلك فالجزولي يستحق بالفعل أن يكون بداية مرحلة جديدة من حيث كثافة تلبس التصوف بتاريخ المغرب لا من حيث الاعتبار المذهبي الصرف. وهكذا سمي التيار السائد بعده بالشاذلية الجزولية، واعتبر الشيخ زروق من أعلام وسائطها وإن كان قد أثر عنه اعتبار القرن التاسع نهاية عهد "صاف" في تاريخ التصوف المغربي، فاحتاج إلى التذكير بقواعده التربوية التي لا تسلم قط في خضم المعانقة الشعبوية.

جدول 2

وهذا وشم موجز لأدوار التكوينات الصوفية في المغرب عبر القرون في سياق التفاعل الاجتماعي الذي اعتبرناه الأساس الممكن لأي تحقيب :

أولاً - الدور الديني :

إذا تجاوزنا الجانب الروحي الذي هو الأصل في المنهاج الصوفي والتفتنا إلى الأدوار المحسوسة ذات الآثار التاريخية وجدناها تشمل جوانب كثيرة منها :

1) نشر الإسلام كعقيدة في شعوب وقبائل لم يصل إليها الفاتحون.

2) بث تعاليم الإسلام في أقوام ظل إسلامهم لا يتعدى مظهر الانتماء.

3) تنظيم مواسم دينية أرست العقيدة كالموسم الذي اشتهر في المغرب برباط شاكر.

4) تنظيم الجهاد وتأطيره في أوقات كانت فيها الأمة في أخطار محققة تهددها من الخارج.

5) تنظيم السفر إلى الحج وربط المغرب بالمشرق.

ثانياً - الدور التعليمي والعلمي والثقافي :

أ - نشر حفظ القرآن الكريم.

ب - بناء المدارس العلمية وتدبيرها.

ج - إنشاء الخزائن وتعميرها بالكتب العلمية.

د - توفير إمكانات التأليف واحتضانه.

هـ - نشر الثقافة العامة الشفوية عند غير القارئين عن طريق مجالس الذكر والمذاكرة.

ثالثاً - الدور الاجتماعي :

1) توفير الإيواء لعدد من أبناء السبيل.

2) إطعام الطعام ولا سيما في أوقات المجاعات.

3) تأمين الطرق بالهيبة والرهبة التي عرف بها أصحاب الزوايا، وتدعيم ذلك بنشر أخبار الكرامات.

4) حماية جماعات المحكومين من العمال الظالمين والحكام المستبدين.

5) ضمان التوازن وتدبيره بين الجماعات في مجتمع انقسامي.

6) الإشراف على معاهدات التساكن بين جماعات متجاورة تنطوي وضعياتها على احتمالات عدوانية.

7) كسر الحواجز القبلية والإثنية أو تليينها على الأقل.

8) تأطير الاستقرار في المجالات الجديدة التي تغزوها الجماعات بعد فراغ ناتج عن موتان.

9) تأطير الاندماج الاجتماعي للمهمشين والغرباء والطراء.

10) تيسير التواصل الاخباري.

رابعاً - الدور الاقتصادي :

1) إحياء مجالات من الأرض الموات وعمارة الأرض.

2) غرس الأشجار.

3) استباط المياه.

4) ضمان الأوفاق المتعلقة باستغلال المراعي.

5) تأطير التنظيمات الحرفية والمهنية بالمدن.

6) الإشراف على أمن الأسواق ورعايتها.

7) الربط بين مناطق متكاملة في التبادل.

خامساً - الدور السياسي :

1) ضمان الولاء للإمامة، وهذا المبدأ المشهور عن الصوفية تاريخياً ومع ذلك توجد استثناءات مردها إلى الاستفزاز والحذر الذي يجعل الحكام يعملون على تصفية القوات السياسية الاجتماعية التي يتقون شرها على

الساحة السياسية إذا عجزوا عن استعمالها الاستعمال المطلوب.

2) التوسط بين الحاكمين والمحكومين في سياق علاقات متوترة، وذلك بأساليب "الشفاعة" ومنح فرصة الملجأ إلى الحرم، ومراجعة الحكام في موضوع تصرفات أعوانهم.

3) استعمال الهيبة للتخفيف من تعسفات ذوي الجاه، وتقوية ذلك بأخبار الكرامات، وهو منزع كانت له فعالية تاريخية مشهود عليها.

ولقد تلاحقت أمواج التغطية الصوفية منذ السعديين لتنال بتأثيرها المتنوع جميع أطراف المغرب ولا سيما على أيدي تلاميذ الجزولي وتلاميذهم وعلى أيدي الناصريين في درعة والدرقاويين في الشمال والتجانيين الذين ظهروا في لحظة كان يتوقع أن تنتصر فيها فكرة الوهابية بالمغرب، بيد أن شيئاً من ذلك لم يكن إذ بالتجانية جدد أعيان الحواضر انتسابهم الصوفي بعد أن نشط أتباع الناصريين والدرقاويين في البوادي خاصة، بل ان التجانية ربطت المغرب من جديد بالآفاق الصحراوية والآفاق الإفريقية التي سبق أن اشتهر شيوخ منها في فاس في عهود سابقة كالشيخ البرناوي.

فالتصوف من مقومات تاريخ المغرب الروحي والديني والثقافي والاجتماعي والسياسي بل والاقتصادي. لم تقتصر آثاره على المدن بل أدمجت البوادي في الحياة الثقافية، ولم يقتصر على جماهير العامة بل صار السند العلمي والسند في الإذن الصوفي يكادان يقترنان في تراجم معاجم الأعلام، وهو من معطيات الإشعاع المغربي في اتجاه الشرق ولاسيما صعيد مصر والبلاد التي نالت الطريقة الإدريسية، وفي اتجاه الجنوب، بل وفي اتجاه أوربا في هذا القرن العشرين، وعلى الصعيد الداخلي، فمازال لتراثه حضور في النسيج الاجتماعي وفي الضمير الأخلاقي، وتجدده من طبيعة الأمور.

م. التميمي، *المستفاد*، (ستنشر قطعة منه عام 1995 بتحقيق محمد بنشريفة وأحمد التوفيق) ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، البيضاء 1984 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط 1965 ؛ ع. البادسي، *المقصد*، الرباط ؛ ابن تكلات، *إثمد العينين*، د. د. ع بكلية آداب الرباط، تح. م. رابطة الدين ؛ أحمد بن إبراهيم، *المنهاج الواضح*، د. د. ع بكلية آداب الرباط، تح ع. السعيدي ؛ ع. الزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط خ. هـ. د 1501 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط 1977 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، منشور بطرابلس محققاً ووارد على هامش طبعة مصرية *للديباج* ؛ أ. الصومعي، *المعزى في مناقب أبي يعزى*، حققه ع. الجاوي وهو قيد النشر بكلية آداب أگادير ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. إقبال وحجي، بيروت 1982 ؛ م. ع. الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. ح. فاس 1324هـ ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط خ. ع. ك 326 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، ط. ح. فاس 1896 م ؛ *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة من انتشر* ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، القاهرة 1987 ؛ *جذوة الاقتباس*، الرباط 1973 ؛ م. الزبادي المنالي، *دوحة البستان*، مخطوط خ. ع. ؛ أ. اللمطي، *الإبريز*، حققه الشماع ونشر في دمشق 1984 ؛ م. ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، د. د. ع. بكلية الرباط، تح زهراء النظام ؛ ع. القادري، *المقصد الأحمد*، ط. ح. فاس 1932 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، الرباط، 1977 - 1986 ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط خ. ع. 934 ؛ *السر الظاهر* ؛ *سلوك الطريق الوارية* ؛ ح. الطاهري الجوطي، *تحفة الإخوان*، ط. ج. فاس 1906 ؛ مولاي العربي الدرقاوي، *مجموعة الرسائل*، الدار البيضاء، د. ت ؛ ع. حرازم، *جواهر المعاني*، بيروت 1963 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. ح. فاس 1895 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط 1974 - 1983 ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، فاس 1918 ؛ م. الكتاني، *ترجمة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني*، سلا 1960 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الرباط 1960 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، الرباط 1964 ؛ م. داود، *النور البراق في ترجمة الشيخ محمد الحراق*، تطوان 1968 ؛ علال الفاسي؛ *التصوف الإسلامي في المغرب*، منشور في الثقافة المغربية، عدد 1 ص 31 - 41 وعدد 2 - 3 ص 24 - 44، 1970 ؛ ع. نجمي، *من تاريخ التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري : الملامتية*، في مجلة تاريخ المغرب، 1، 1981 ؛ ع. الصغير، *غروب الفكر الصوفي في شمال المغرب* ؛ ع. الشاذلي، *التصوف والمجتمع*، سلا 1989 ؛ ع. القادري، *كتاب الزاوية القادرية عبر التاريخ والعصور*، تطوان، 1986.

O. Depont et X. Coppolani, *Les confréries religieuses musulmanes*, Alger 1897 ; E. Michaux-Bellaire, *La Maison d'Ouzzeen, R.M.M*, X, 1907 ; E; Lévi-Provençal, *Les historiens des Chorfas*, Paris 1992 ; G. Marçais, *Notes sur les ribats en berbérie*, in *Mélanges René Basset*, Paris 1925 ; E. Michaux-Bellaire, *Les confréries religieuses au Maroc, A. M.* 27, 1927, p. 1 - 86 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951 ; E. Dermenghant, *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Paris, 1954 ; R. Brunel, *Le monachisme errant dans l'Islam, Sidi Heddi et les Heddawa*, Paris, 1955 ; A. Faure, *Le Tashawwuf et l'école ascétique marocaine des XIIème - XIIIème siècles*, in *Mélanges Louis Massignon II*, Damas, 1957 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1958 ; J. Berque, *al Youssi, Problèmes de la culture marocaine au XVIIème siècle*, Mouton-La Haye 1958 ; P. Pascon, *La maison d'Iligh*, Rabat, 1963 ; F. Skali, *La voie soufie*, Paris, 1985 ; E. Gellner, *Saints of Atlas*, London, 1969 ; M. Lakhdar, *La vie littéraire au Maroc sous la dynastie Alawite*, Rabat, 1971 ; M. Morsy, *Les Ahansala*, Paris, 1972 ; V. Capanzano, *The Hamadsha*, in Nikki R. Keddie (éd.) : *Scholars, Saints and Sufis, Univ. of California*, Press 1972 ; J.-L. Michon, *Le Soufi Marocain Ahmed Ibn Ajiba et son Mi'râj*, Paris, 1973 ; M. Benchekroun, *La vie intellectuelle marocaine sous les Merinides et les Wattasides*, Rabat, 1974 ; M. Tozy, *Champ et contre champ politico-religieux au Maroc*, Thèse soutenue à Aix-En-Provence, 1984 ; A.-L. De Premare, *Sidi Abder-Rahlan el Mejdub*, Paris, Rabat 1985 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge, XIVème*, Paris, 1986 ; H. Triki et H. Ferhat, *Hagiographie et religion au Maroc médiéval, H.T.*, 1986 ; R. Brunel, *Essai sur la confrérie religieuse des Aissaouas au Maroc*, réed. Casablanca, 1988 ; H. Triki et H. Fehrat, *Faux prophètes et mehdis, H.T.*, 1988 - 1989 ; F. Skali, *Topographie sociale et spirituelle de la ville de Fès*, Thèse soutenue en Sonbonne, 1990 ; J. Hunwick, *Les relations intellectuelles entre le Maroc et les pays d'Afrique sub-saharienne*, Rabat, 1991 ; H. Fehrat, *Le Maghreb au XIIème et XIIIème siècles : les siècles de la foi*, Casablanca 1993.

أحمد التوفيق

**تضاريس المغرب**، متميزة بالتنوع الشديد، حيث يمكن الفصل بين ثلاثة أنواع من المجالات : مجالات جبلية تضم الأطالس والريف، مجالات اطلنتية تتكون من سهول وهضاب، ومجالات شرقية وجنوبية. هي عبارة عن أرصفة

ممتدة تبرز بها مرتفعات منعزلة.

ويرجع الأصل في تنوع المغرب إلى موقعه على البحر المتوسط الذي يفسر حداثة وعنف البنائية وتجزيء التضاريس. وتقل آثار هذه البنائية نحو الجنوب حيث نمر إلى مناطق أكثر استقراراً ورتابة، ترتبط أكثر بالمجال الافريقي القاعدي.

وتمتد السهول المنخفضة والهضاب المستوية على مساحات شاسعة. ويبرهن على ذلك الارتفاع الوسيط للبلاد الذي يصل إلى 800 م والذي يدل على أن أكثر من نصف المساحة لها ارتفاعات تقل عن 1000 م. وتمتد الجبال الحقيقية على حوالي 100.000 كلم$^2$ أي 1/7 من المساحة الاجمالية. ويعني هذا أنه اعتبارا للتضاريس وحدها، يتوفر المغرب على أراض ممتدة صالحة للاستعمال الزراعي، إلا أن جفاف العديد من هذه السهول أو فقر تربتها يحولان دون استعمالها.

ـ الجبال : يقسم الظهر الجبلي الأطلسي الممتد من غ ج

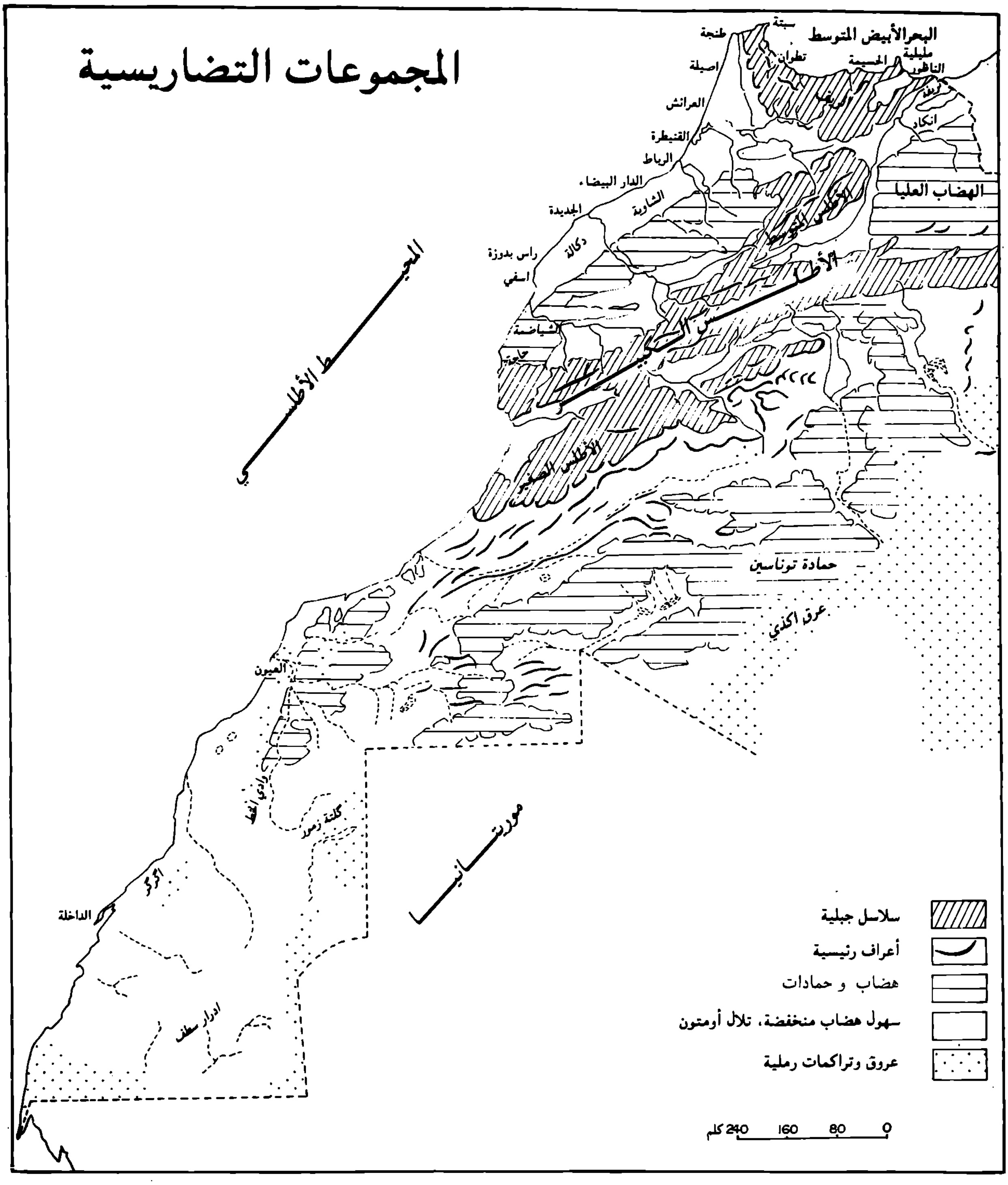

غ إلى ش ش ش إلى قسمين، مغرب متوسطي في الشمال، ومغرب صحراوي في الجنوب. ويتكون هذا الظهر أساساً من الأطلس الكبير الذي يمتد على مساحة 50.000 كلم$^2$ والذي يحتوي على أعلى قمم المغرب (4615 م في توبكال، 4070 م في مگون، 3737 م في العياشي). وهناك القليل من الفجاج العالية التي تسمح باجتياز هذه السلسلة في جزئه المحوري، يرتبط الأطلس الكبير عبر بركان سيروا بالأطلس الصغير الذي يمتد على مساحة 31760 كلم$^2$، والذي تليه جنوباً سلسلة من الأعراف المنعزلة المتوازية. أما الأطلس المتوسط، فهو يتفرع عن الظهر الأوسط في جزئه الأوسط الكتلي ليتخذ اتجاها نحو الشمال الشرقي، على مساحة 13440 كلم$^2$.

ويقترب الأطلس المتوسط في نهايته الشمالية من السلسلة المتوسطية المكونة لجبال الريف والممتدة على 13000 كلم$^2$. وهي سلسلة كتلية تنحني نحو هوامشها الجنوبية، حيث تمتد تلال مقدمة الريف.

ـ السهول والهضاب الاطلنتية. غرب وشمال المدرج الجبلي الريف ـ أطلسي، وبإشراف على الساحل الاطلنتي، تمتد مجموعة من السهول والهضاب. وسط المجموعة مرتفع، بينما جوانبها مستوية ومنخفضة.

تتكون الوحدة الهضبية المرتفعة من سطوح رتيبة قليلة التقطيع مثل هضبة خريبگة، ومن "جبال" متوسطة شديدة التجزئ مثل الهضبة الوسطى والجبيلات. في هذه المرتفعات، تعلو التضاريس إلى حوالي 1000 م أو أكثر.

تحيط بهذه الوحدة المتماسكة سهول ومنخفضات. شمالاً نجد المنخفضات جنوب الريفية التي تنعزل عناصرها، مفصولة بتلال بارزة (سهول الغرب ـ السايس ـ إناون). شرقاً وجنوباً، تمتد سهول تادلا، السراغنة والحوز عند قدم الأطالس. وغرباً أخيراً، تمثل السهول الساحلية رصيفاً عند قدم الهضاب الوسطى (سهول زعير، الشاوية ـ دكالة وعبدة).

ـ المغرب الشرقي : شرق الريف والأطلس المتويط، وشمال الأطلس الكبير تمثل سهول وهضاب وجبال المغرب الشرقي مجالاً خاصاً له امتداد في القطرين الجزائري والتونسي. فهو يتكون من جزء متوسطي محدود ومتجزئ، عناصره سلاسل جبلية صغرى مثل بني ازناسن وجرادة، وسهول محدودة، مثل تريفة وانگاد. ويتكون ثانياً من سلسلة من الأحواض، محورها ملوية، تمتد شرق الأطلس المتوسط. لكن الجزء الأوسع، عبارة عن هضاب عالية رتيبة تدعى الهضاب العليا.

ـ المغرب الجنوبي : جنوب الأطلس، التضاريس عبارة أساساً عن سهول وهضاب قاحلة. فهناك أولاً سلسلة من السهول الفاصلة بين الأطلس الكبير والصغير وتمثل منخفضات محصورة (سوس ـ درعة الوسطى ـ تدغة ـ تافلالت). وجنوب الأطلس الصغير، وفيما بين الأعراف المتوازية، تمتد سهول باني المستطيلة. وتمثل هضاب الحمادات مساحات ممتدة ومتدرجة (گير ـ گمگم ـ درعة). ثم جنوبها نجد هضاب الرگيبات التي تعلو الساقية الحمراء وتنحني غرباً عبر طبغرافية متموجة نحو الساحل الاطلنتي.

في المجموع تمثل السهول الحقيقية 10٪ من المساحة الإجمالية، والجبال 15٪، بينما تغطي الهضاب 3/4 المغرب. إلا أن هذه الهضاب جد متنوعة الظروف، منها ما يقترب من ظروف الجبال (كالهضبة الوسطى) ومنها ما يشبه أكثر بيئة السهول مثل هضبة زعير الاطلنتية.

وتتضح الآثار البيئية العامة لهذا التقسيم التضاريسي، لما له من دور هام. فالتضرس أساس في تحديد سهولة التنقل الشئ الذي يفسر قلة الطرق التي تجتاز سلاسل الريف والأطلس بينما ترتفع كثافة الطرقات والمسالك في المناطق المستوية. والتضرس يحدد ثانياً امتداد الرقعة الزراعية، حيث ترتفع هذه الرقعة في المجالات السهلية، إما اعتماداً على الامطار أو على السقي ؛ بينما تتجزأ المساحة المزروعة إلى قطع صغيرة في الأودية وعلى السفوح المتوسطة داخل الوحدات الجبلية. والتضرس والارتفاع يلعبان كذلك دوراً مناخياً وإحيائياً متميزاً، حيث تتدرج بيئات متوالية من قدم الأطالس إلى قممها. وتكون الجبال حواجز أمام الرياح الشئ الذي يفسر التناقض الصريح بين واجهاتها الشمالية والغربية المعرضة للرياح الرطبة، وواجهاتها الجنوبية والشرقية المطلة على مناطق جافة.

ويكمن الأصل في التوزيع التضاريسي الحالي في العوامل البنيوية، المتحكمة في عنف وحداثة البنائية. وتبعاً لهذا العامل يمكن التفريق بين ـ مجالات مستقرة منذ وقت طويل، تمتد من موريتانيا جنوباً حتى الحادث جنوب الأطلسي، وتضم بالتالي سلسلة الأطلس الصغير، وحمادات الجنوب الشرقي والجنوب، وهضاب الصحراء الغربية.

ـ مجالات أطلسية، جلها جبلي، مكونة من سلاسل مرتفعة، بنيتها ملتوية ومنكسرة، رفعت بشدة في نهاية الزمن الثالث وعرفت توالي مراحل متعددة من التشويه والتعرية.

ـ مجالات رصيفية (الميسيطا) تتكون من سهول وهضاب المغرب الأطلنتي ومن هضاب المغرب الشرقي. وهي عبارة عن مناطق التوت قديماً قبل أن تعرف التسطيح التحاتي لتبقى مستقرة منذ ذلك عدا تموجات بسيطة كانت سبباً في غزو البحار للمجالات المنخفضة حيث رسبت طبقات سمكية أهمها طبقات الفوسفاط.

ينفرد المجال الريفي شمالاً بكونه ظل منطقة إرساب طيلة الزمن الثاني وجل الزمن الثالث، ولم يتشكل إلا منذ الميوسين على إثر التواءات عنيفة جداً سمحت بانزلاق فرشات زاحفة نحو الجنوب، تجاه الأخدود جنوب الريفي الذي يفصله عن المجال الأطلسي والرصيفي.

Troin [et al...], *Le Maghreb, hommes et espaces*, 360 p, 1985; Despais et Raynal, *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest*, Paris, 570 p, 1967.

عبد الله العوينة

**الـتِّطافي**، ـ بكسر التاء ـ أبو بكر بن الحسن، أستاذ متوسع في علوم الدين، والفقه، والأصول، واللغة، وعالم صالح، راسخ في الزهد. هكذا نتعرف على ملامح شخصية الشيخ من خلال الترجمة الغنية التي عقدها له تلميذه الحسن بن مسعود اليوسي ـ والتي اعتمدت في باقي المصادر ـ (وهي ثاني ترجمة من حيث الكم مع اعتبار أن فهرس الشيخ اليوسي لم يكمل). وإذا كنا نجهل العديد من التفاصيل عن نشأته، وتكوينه، ولا نعرف تاريخ ولادته ووفاته، فإننا نصنفه ضمن رجال طبقته، ونسجل حضوره ومشاركته في الحياة الفكرية خلال القرن الحادي عشر (17 م)، كما أننا نتلمس من الإشارات المقتضبة عن حياته التعليمية التعرف على المراكزالتي ارتادها ونهل منها ؛ قبل أخذ العلم على الشيخ عبد الله بن علي بن طاهر الحسني (ت. 1044 هـ/ 1634 م) أحد حفاظ المغرب الثلاثة، وأشهر علماء تافيلالت، كما كانت له رحلة إلى مدينة فاس في بداية طلبه للعلم. ولا شك أنه بلغ المستوى العلمي والخلقي الذي جعل مترجمه يحليه تارة بالإمام العالم، وتارة أخرى بالأستاذ المشارك الناسك. ويقدم أكثر من إشارة على مدى حبه للعلم وشغفه به، فهو لا يفتأ ينوه بفضله وشرف اكتسابه، ويشجع طلبته على تحمل عناء تحصيله.

أما طريقته الصوفية التعليمية فيظهر أنها ارتكزت على نهج تحليل المتون والأصول المدروسة مع إغناء المجالس بالإفادات والاستشهادات النثرية والشعرية على طريقة أكبر الشخصيات العلمية في عصره.

ح. اليوسي، *فهرس*، 166. 169 (مخطوط) ؛ *المحاضرات*، 49. 113. 302 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 117. 118 ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 404 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 57. 58 (مخطوط) ؛ إ. ابن عجيبة، *أزهار البستان*، 245. 247 (مخطوط).

نفيسة الذهبي

**تطّوان** أو تطاون، مدينة شهيرة في شمال المغرب لكن كل محاولة لإثبات أصلها التاريخي تعترضه عدة صعوبات متمثلة في ندرة المصادر المكتوبة والمادية على السواء. ويبقى الأمل معقوداً على استغلال النصوص القليلة وتحليلها ومناقشتها. وللتوصل إلى ذلك سنركز أنظارنا حول سنة 338 / 950 م لنتخذها نقطة انطلاق البحث عن ذلك الأصل. ومنها سنتراجع إلى الوراء زمنيا، وسيمكننا هذا من الانطلاق من المعلوم إلى المجهول بحثا عن أهم المحطات الزمنية وإثارة ما يتراءى لنا من التساؤلات.

ويعود اتخاذ سنة 338 هـ. نقطة التراجع الزمني، إلى أننا نعلم منها بالتأكيد وجود مدينة تطوان، من خلال ما أورده البكري حينما قال : "ومدينة تطاون.. قاعدة بني سكين بها قصبة للأول ومنار، وبها مياه كثيرة سائحة عليها الأرحاء (...) وهي بسفح جبل أيشقا (...) ويجوفها جبل يعرف ببلاط الشوك...". هذه الشهادة القصيرة كافية لإثبات وجود مدينة قائمة بذاتها بجميع مرافقها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية والحربية. كانت آنذاك مدينة إدريسية، لبني محمد، تنافس مدينة سبتة وبسط الأندلسيون نفوذهم عليها منذ عام 319 هـ، وترد التهديدات التي تتلقاها منها. فمتى تأسست مدينة تطوان وعلى يد من ؟

إن قيام أي تجمع عمراني يرقى إلى مستوى مدينة يتطلب عهداً وزمناً طويلا في أغلب الحالات. لكن يختلف الأمر بين مثال المدن التي تظهر لدواع سياسية واقتصادية على يد زعماء يحتفظ التاريخ بأسمائهم، وبين المدن التي نشأن وتطور عمرانها على يد سكان المنطقة، دون أن يعلم أحد بمؤسسها. فهذا المثال الأخير ينبطق على مدينة تطوان. فإذا كنا نستند إلى ما أورده البكري لإثبات وجود المدينة، وهو من أهل القرن الخامس، فإننا نرد أصل تلك النصوص على الأقل إلى منتصف القرن الرابع الهجري، مما سجله محمد بن يوسف الوراق المتوفي سنة 362 هـ. ولذلك لا يمكن أن نرد التأسيس إلى الفترة الإدريسية التي بدأت بالشمال الغربي منذ سنة 213 هـ، إذ أن النصوص لم تصرح بذلك، وما كان عليها أن تتغافل أو تتجاهل ذلك لو أن تطوان كانت إدريسية النشأة، بل إن وجودها أقدم من ذلك.

وسكوت البكري من خلال المقتبس من الوراق عن الإفصاح عن المؤسس، دليل على أن المدينة تم تأسيسها على يد أهالي المنطقة، ولا بد أن يتم ذلك بصورة تدريجية. ولما كان نص البكري يشير إلى بني سكين المصموديين، واتخاذهم تطوان قاعدة لهم، فإن السؤال يعود : هل كان بنو سكين هؤلاء هم مؤسسي مدينة تطوان ؟. والواقع أننا نستبعد ذلك، ولو أننا لا ننكر أنهم ساعدوا على تطوير عمرانها وتثبيت مكانتها كمركز حضري.

فبنو سكين هؤلاء من سكان المنطقة القدامى، مصموديون مجكسيون، كانوا قبل سيطرة بني محمد الأدارسة سنة 213 هـ. ويمكن الإشارة إلى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. امتد نفوذهم على المساحة الممتدة من تطوان إلى رأس قَبُ مُنْت، الرأس الأسود الحالي، لتشمل الساحل إلى مصب واد تطوان أو مجكسة حسب البكري، صعودا مع مجرى نفس الواد إلى ما يقابل المدينة من جهة الجنوب. كان دورهم بارزاً في المنطقة، ومن الوجهة الاقتصادية خاصة. والمهم لدينا أن قرب العصر من الوراق دليل آخر على قدم مدينة تطوان، وبعد ظهورها عن النصف الثاني من القرن الثاني الهجري.

ولما كان بنو سكين هم خلفاء بني ماجكن المجكسيين على المنطقة منذ انسحاب زعيمهم ماجكن أو ماجكسن إلى سبتة بعد سنة 122 هـ. فإن أنظارنا توجهت إلى هذه الجماعة من المصموديين، قواد المنطقة قبل العقد الأول من القرن الثاني الهجري. نحن لا نستبعد أن تطوان المدينة قد نالت حظها من نتائج الاضطرابات التي عمت كلا من سبتة وطنجة بسبب الثورة الخارجية، ولكن هذا لا يمنعنا من التأكيد على وجود المدينة أثناء ذلك، استناداً إلى إشارة

البكري كذلك. إن أنه يصرح بوجود "قصبة ومنار للأُول". وحينما يستعمل البكري لفظ "الأول" نعلم ماذا كان يعني، فهو يريد الإشارة إلى زمن ما قبل العهد الإسلامي ببلادنا. فلا يسعنا سوى أن نقول إن وجود المدينة عائد إلى تلك الفترة السحيقة في القدم، بدليل وجود قصبة ومنار، فلا يمكن تصور وجودهما بدون حضور المجال العمراني والتجمع السكاني والوظائف الحضرية الضرورية. ويبقى تحديد البداية والوقوف عند ميلاد المدينة. وهذا ما لا تسعفنا به المصادر القديمة.

ويمكن التأريخ لوجود مدينة تطوان بعهد ما بعد مدينة تمودا، إذ من المستبعد التحدث عن ظهورها إلى جانب مدينة ذات مكانة في التاريخ القديم، قريبة منها على بعد ثمان كيلومترات فقط. وأيضا فإن ظهور تطوان لا يمكن أن يأتي إلا بعد انتهاء دور مدينة تمودا.

والخلاصة أن مدينة تطوان يمكن أن تكون ظهرت بعد تخريب تمودا على يد سكان المنطقة المصمودية قبل ميلاد المسيح عليه السلام لتقوم بوظائف المدينة القديمة، وموقعها المشرف على المجرى الأوسط لواد مجكسة (واد تطوان) من جهة، وهيمنتها على المصب، إلى جانب موقعها على الطريق البري المتجه إلى مدينة سبتة، وبالطبع لا يمكن التحدث عن تاريخ محدد لذلك الظهور ولا عن القوى السياسية والاجتماعية التي قادت المدينة سوى أنها مصمودية الأصل. أو عن تحديد مساحة المدينة ودرجتها العمرانية، فهذا من اختصاص أهل التاريخ القديم.

وبتلك الصورة وصلت مدينة تطوان إلى يد المجكسين ماجكن ثم بني سكين والأدارسة بعدهم. وهناك دليل آخر عن مصمودية مدينة تطوان أصلا وتأسيسا هو اسم المدينة الأمازيغي. فتطاوان جمع لمفرد تيط أي عيون الماء، ففي زمن البكري كانت بها "مياه كثيرة سائحة عليها الأرحاء". ولا شك أن تلك العيون السائحة التي أعطت المدينة اسمها هي التي تنساب اليوم بحي العيون في غرب المدينة، وأعطت اسمها أيضا للحي الذي تجري فيه.

أ. البكري، *المغرب*، 107 - 130 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 436 - 438 - 450 ؛ ح. الـوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 247 . مصطفى غطيس، *تمودة*، 43 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج. 1، 46 ؛ مارمول، *افريقيا*، 2 : 222 ؛ ج. كـانـي، *المغرب الشمالي في أواسط القرن الخامس الهجري*، *البحث العلمي* 1973، 130 - 143.

أحمد قدور

* * تاريخ تطوان، أول من قام بمحاولة كتابته هو عبد السلام سكيرج المتوفى سنة 1250 / 1834 وعنوان كتابه الذي مازال مخطوطا : *نزهة الإخوان وسلوة الأحزان في الأخبار الواردة في بناء تطوان* ؛ والمحاولة الثانية كانت لأحمد الرهوني الذي أطلق على كتابه اسم *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، ويقع في عشرة مجلدات مازالت مخطوطة. وقد قمت بتكليف من معهد فرانكو للأبحاث المغربية الإسبانية بتلخيصه في جزء باللغة الإسبانية طبع بتطوان سنة 1953.

أما المحاولة الثالثة فهي لمحمد داود الذي سمى كتابه *تاريخ تطوان*، وهو يحتوي على عدة مجلدات لم يطبع منها سوى ثمانية، ويتعلق الأمر بتأليف ذي قيمة كبرى، غير أنه لا يمكن أن يعد بمثابة تاريخ تطوان النهائي لما فيه من ثغرات يجب ملؤها وأغلاط تتطلب التصحيح. وكل ما يمكن أن يقال عن العمل الجبار الذي قام به داود هو أنه مشروع لموسوعة تطوان ولو أنه لم يقدم على شكل الموسوعات لأن مواده غير مرتبة ترتيباً ألفبائياً، بالإضافة إلى أنه يحتوي على مواد كثيرة لا علاقة لها بتاريخ تطوان، وأنه لم يعتمد أساساً إلا على المراجع العربية فلم يلجأ إلى المصادر الأجنبية إلا نادرا، حين أننا نعلم أنه بدون الاطلاع على تلك المراجع مباشرة لا يمكن لأحد أن يكتب تاريخ تطوان ولا تاريخ شمال المغرب منذ بداية القرن التاسع الهجري (15 م).

إن أقدم مصدر جاء فيه أن مدينة تطوان أو تطاون كانت موجودة في عهد الأدارسة هو كتاب *المسالك والممالك*، لأبي عبيد الله البكري - كما ذكرنا آنفاً -.

ويؤكد وجود تطاون في عهد الأدارسة ما جاء في *القرطاس* إن تطاون كانت مع طنجة وسبتة من حظ الأمير سيدي قاسم بن إدريس الثاني في تقسيم المملكة الذي قام به سنة 213 السلطان محمد الأول من دولة الأدارسة.

ويشهد جميع المؤرخين بأن القائد محمد طملس الذي جاء من الأندلس إلى المغرب بأمر من الخليفة المستنصر قد توجه إلى تطوان للقضاء على المقاومة التي كان يقودها الأمير الإدريسي الحسن بن گنون سنة 361 / 972. كما يشهد المؤرخون بالاجماع بأن القائد الفاطمي بلگين، بعد احتلاله لعاصمة فاس سنة 369 / 979 توجه إلى شمال المغرب ومر بتطاون في طريقه إلى سبتة.

ومما يدل على أن تطاون كانت موجودة في عهد المرابطين والموحدين ما جاء في كتب التاريخ بأن قائد الكتيبة المسيحية التابعة لجيش السلطان المرابطي تاشفين ابن علي وهو الإسباني ريبرطير Reverter قد التجأ إلى تطاون عند ما كان في متابعة الجيش الموحدي بقيادة الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي بشمال المغرب سنة 537 / 1142. ولا شك أن إيواء القائد المسيحي المذكور من طرف سكان تطاون كان سبب قتل ثمانمائة تطاوني من طرف الموحدين سنة 544 / 1150.

ليس لنا ما يدل على المكان الذي كانت توجد به مدينة تطاون في تلك العهود، ولكننا نتوفر على ما يثبت أن أقدم نواة لهذه المدينة كانت بحومة "السويقة" الحالية وبالضبط بالمكان المعروف بـ"المنجرة".

فعلا، هناك تقاييد تفيد أنه في سنة 542 / 1148 جاء إلى المكان المذكور الولي الصالح سيدي عبد القادر التبِّين، وشرع في بناء دور ودكاكين ومسجد ومطاحن. والغالب على الظن أن هذه المدينة الصغيرة (المنجرة) هي التي أطلق عليها الجغرافي الشريف الإدريسي المتوفى سنة 560 / 1165

اسم "حصن تطوان" في كتابه *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، وهذا الحصن هو الذي وصفه الجغرافي صاحب كتاب *الاستبصار في عجائب الامصار* بمدينة قديمة. ومن المعلوم أن هذا الكتاب وضع في النصف الثاني من القرن السادس الهجري.

أجمع المؤرخون على أن السلطان يوسف بن يعقوب المريني، هو الذي أنشأ قصبة تطاون سنة 685 / 1286 ونحن نشاطر الفقيه داود رأيه في أن القصبة المذكورة هي القصبة الموجودة داخل المدينة والمعروفة بقصبة سوق الحوت القديم في المكان المعروف بجامع القصبة.

ويقول جميع المؤرخين إنه في سنة 708 / 1308 قام السلطان أبو ثابت عامر المريني ببناء "أفراگ" كبير حول قصبة سوق الحوت القديم لينطلق منه إلى مدينة سبتة من أجل محاصرتها واسترجاعها من يد الأندلسيين.

وتشهد المصادر الإسبانية بأن الذي قام بإتمام بناء "أفراگ" المذكور هو السلطان سيلمان بن عبد الله، فتم له استرجاع سبتة سنة 709 / 1809.

ويقول القنصل رُويزْ دي كُويڤَاس (Ruiz de Cuevas) إن القلعة التي بناها أبَو ثابت كانَت تتوفر على بابين : باب بناحية الجنوب أطلق عليها اسم باب المدينة وباب المشور. ولا شك في أن "أفراگ" أبي عامر وكذلك قصبة يوسف بن يعقوب قد بقيا قائمي الذات طيلة القرن الثامن (14 م) بحجة أن ذكر مدينة تطاون ورد في *مقدمة* ابن خلدون.

ومما يدل على أن المدينة لم تكن ذات أهمية في ذلك العصر، أنها لم تذكر من بين مدن المغرب في كتاب *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار* لابن الخطيب.

غير أن الناصري يؤكد أن تطاون بقيت قائمة الذات إلى غاية سنة 808 / 1400.

هنا يجب أن نتعرض لقصة وردت في عدد من كتب التاريخ وهي أن أسطول الملك الإسباني إنريكي الثالث قام بتخريب تطاون سنة 1399 أو 1400 / 802 ـ 803.

وهذه القصة لا أساس لها من الصحة فهي من اختلاق الكاتب الإسباني "گونْثَاليثْ دَابيلا" الذي جاء بها في كتابه *تاريخ حياة وأعمالَ الملك إنريكي الثالث ملك قشتالة*.

والدليل على عدم صحة هذه القصة هو أن مؤرخ دولة قشتالة آنذاك "لويس دي أجالا" لم يأت بها في كتابه *تاريخ الملك إنريكي الثالث*. وليس من المعقول أن يكون مؤرخ الدولة الرسمي قد أغفل ذكر مثل هذا الحدث المهم في حياة ولي نعمته.

ومن المعلوم أن أول كاتب أخذ هذه القصة عن "دابيلا" هو الكاتب الإسباني "مارمول كاربخال" الذي أوردها في كتابه *كشف عام لإفريقا*، وعنه أخذ المؤرخون الإسبان ومنهم المؤرخ كاسطييانوس Castillanos الذي جاء بها في كتابه *تاريخ المغرب*.

وعن كاسطييانوس أخذها الناصري فأوردها في كتابه *الاستقصا*، وهذا ما جعل المؤرخين المغاربة يرددون نفس القصة ومنهم الفقيهان الرهوني وداود.

والغريب أنه لا أحد من المؤرخين والكتاب اهتدى إلى ما كتبه الجغرافي الحسن الوزان الفاسي صاحب كتاب *وصف افريقيا*، الذي قال إن تخريب تطاون كان على يد البرتغاليين المحتلين لمدينة سبتة لا على يد الإسبانيين، غير أنه لم يذكر السنة التي وقع فيها ذلك، كما أنه لا أحد اهتم بما قاله المؤرخ البرتغالي دافيد لوبيس David Lopes في كتابه *البرتغاليون*، عندما أثبت عدم صحة تخريب تطاون سنة 803 / 1400 وذلك بتقديمه أدلة قاطعة لا تقبل الجدل.

تشهد الوثائق البرتغالية التي نتوفر عليها أن تطاون لم تهدم سنة 803 / 1400 بل كانت موجودة وقائمة الذات سنة 818 / 1415 وهي السنة التي احتل فيها البرتغال مدينة سبتة، بحجة أن سكان تطاون هم الذين كانوا يرابطون على مدينة سبتة فيعينون إخوانهم المغاربة المطرودين منها على مهاجمتها ومحاصرة البرتغاليين بها، بل هناك من سكان سبتة من التجأ إلى تطاون واستقر بها.

تؤكد الوثائق المذكورة أن الذي كان يترأس حصار سبتة سنتي 831 و832 / 1427 و1428 هو الولي الصالح سيدي طلحة الذي كان ينطلق إليها من تطاون. وهذا ما تؤكده المصادر الإسبانية مثل سوريدا وكربيادو أورطيگا وماركس ذي پرادو. إلا أن الأستاذ داود يقول : إن سيدي طلحة الدريج كان بتطاون حوالي سنة 653 / 1255، ونقلا عن سليمان الحوات يتأكد أن الولي المذكور انتقل من سبتة إلى تطاون فكان "يلازم الرباط للجهاد في الثغور"، وكان "له فرس يركبه للجهاد" وكان "يقاتل الكفار ومعه خمسون".

ونحن نتساءل : أين كانت توجد ثغور للجهاد وأين كان يوجد الكفار بأرض المغرب حتى يقاتلهم سيدي طلحة ويلازم الرباط عليهم في منتصف القرن السابع الهجري (منتصف القرن الثالث عشر الميلادي) والحالة هذه أن أول مدينة مغربية سقطت بأيدي الكفار كانت هي مدينة سبتة.

ونتوفر على حجة قاطعة تثبت وجود تطاون وقيامها بدور طلائعي في الجهاد ضد البرتغاليين المحتلين لمدينة سبتة، هي شهادة المؤرخ البرتغالي المعاصر للأحداث گوميسْ دي أَثُورَارَا (Gomes de Azurara) الذي يقول في كتاب *تاريخ الكونت دوارطي دي مينسيس* : إنه في سنة 839 / 1435 كانت تطاون مكاناً محصناً تحيط به الأسوار من كل جهة، وفيه أبراج لا تقل متانتها عن متانة القصبة، وهذا ما جعل "ابن الكونت ذي خيخون" يعتبر تطاون مدينة ذات أهمية تناسب مقامه العالي وشجاعته الأسطورية ليشارك في غزوها عسى أن يكتب له الاستيلاء عليها فيكون بذلك قد قام بعمل يناسب الاسم النبيل الذي يحمله".

ونفس الشهادة نجدها عند المؤرخ البرتغالي بالطاسار ذي أوسوريو (Baltazar de Osorio) في كتابه *سبتة خلال قيادة ضون پيدرو دي مينسيس* (1415 ـ 1437)، حيث يقول

إن الكونت ذي خيخون "انتقل إلى سبتة وعرض فكرته على حاكمها بيدرو دي مينسيس فوافقه عليها وأرسل معه ضد تطاون ابنه دوارطي على رأس كتيبة مكونه من خمسمائة محارب.

كان ذلك في صبيحة يوم من أيام شهر أكتوبر من سنة 1435 (ربيع الأول 839) خرجت فيه الكتيبة المذكورة من سبتة متوجهة إلى تطاون "وما أن وصلت إلى هذه المدينة حتى كان سكانها قد اتخذوا احتياطاتهم بسد أبواب المدينة".

ويقول المؤرخ أوسوريو : إن البرتغاليين تمكنوا من الوصول إلى أبواب المدينة فصاروا يقرعونها برماحهم وينادون السكان للخروج لمقاتلهم، فلم يفعلوا وعاد البرتغاليون إلى سبتة حيث لم يكونوا متوفرين على الآلات اللازمة لاقتحام مدينة محصنة.

والمؤرخ أوسوريو هو الذي جاء بخبر تهديم مدينة تطاون نقلا عن المؤرخين البرتغاليين المعاصرين للأحداث حيث قال في كتابه، ما يلي :

"في سنة 841 / 1437 نظم ضون دوارطي ابن حاكم سبتة حملة ضد تطاون، لكن سكان المدينة غادروها قبل وصوله إليها متأكدين من أنه رغم تحصينات المدينة لم يكن في إمكانهم الصمود في وجه العدد الضخم من المقاتلين البرتغاليين الذين توجهوا إليها.

"ولم يكن البرتغاليون بحاجة إلى استعمال أسلحتهم، ولكنهم تمكنوا من تحطيم الأسوار والأبراج وكل ما يمكن أن يساعد على إعادة تحصين المدينة من جديد، وكان لهذا الحدث أثر كبير في البرتغال حيث ابتهج له الجميع فأقيمت الحفلات بتلك المناسبة وكان ذلك سبباً في أن فكر الملك البرتغالي ضون دوارطي الأول في احتلال طنجة.

وفي يوم 23 صفر 841 / 26 غشت 1437 وصل إلى مياه سبتة الأسطول البرتغالي الذي كان يحمل الجيش الذي أرسله الملك دوارطي الأول برئاسة الاميرين إنريكي وهيرناندو من أجل الاستيلاء على مدينة طنجة.

ومن سبتة توجه قسم من هذا الجيش إلى طنجة عن طريق البحر وقسم آخر عن طريق البر تحت رئاسة الأمير إنريكي الذي كان يريد مشاهدة تطاون المحطة. ويقول المؤرخ البرتغالي روي دي بينا (ص. 54) في هذا الصدد : "عندما وصل الأمير إنريكي إلى تطاون يوم 10 شتمبر وجدها خاوية على عروشها، لأن ضون دوارطي ابن الكونت ضون بيدو دي مينسيس حاكم سبتة كان قد أغار عليها منذ أيام من أجل احتلالها ولكن سكانها فروا من وجهه فما كان عليه إلا أن كسر أبواب المدينة وحطم جميع تحصيناتها.

ورغم هذا كله يقول المؤرخ البرتغالي دافيد لويس : إنه لم يتم تحطيم تطاون بصفة نهائية سنة 841 / 1437، والغالب على الظن أنها لم تبق خالية، غير أن عدد سكانها أصبح قليلا حيث لم تكن تطاون منذ ذلك الوقت خطرا على النصارى لا في البر ولا في البحر كما كان شأنها من قبل".

وحتى إذا لم يكن الأمر كذلك، أي إذا فرضنا أنها بقيت خالية بعد تخريبها سنة 841 / 1437 فإن ذلك ينفي على كل حال القصة القائلة بأنها خربت سنة 803 / 1400، وسنرى فيما بعد أنها لم تبق خالية إلا سبعا وأربعين سنة لا تسعين سنة كما ورد في معظم كتب التاريخ.

يتضح مما تقدم أن تطاون بقيت مخربة من سنة 841 / 1437 إلى أن قام بإعادة بنائها المسلمون الأوائل الذين هاجروا من الأندلس إلى هذه الناحية سنة 888 أو 889 / 1484 - 1485 أي قبل سقوط غرناطة بثمان سنوات على الأقل.

ولم يتم ذلك التجديد الأول على يد علي المنظري كما يقول الأستاذ داود أحيانا لأن المنظري الأول لم يقم إلا بالتجديد الثاني للمدينة سنة 898 / 1493. ونقول إن الأستاذ داود يقول ذلك أحيانا لأنه ينساق وراء نظرية بعض المؤرخين الذين يشكون في وقوع التجديد الأول فيشك الأستاذ داود بدوره في ذلك، مع أنه يتوفر على حجتين : حجة جاء بها مخطوط تطوان، حيث يقول : إن التجديد الأول وقع سنة 889 / 1485، وحجة أتى بها الفقيه سكيرج الذي قال في كتابه *نزهة الإخوان* : إن ذلك كان سنة 888 / 1484.

وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخ البرتغالي دافيد لويس بالرغم من أنه لم يطلع على مخطوط تطاون ولا على *نزهة الإخوان*، أكد أنه من المحتمل أن يكون تجديد تطاون الأول قد وقع إما سنة 888 / 1484 أو سنة 889 / 1485 ويرجح الافتراض الأول.

ونحن نتوفر على حجة قاطعة في الموضوع جاء بها المؤرخ البرتغالي كوميس دي أثورارا المتوفى سنة 892 / 1487 في كتابه *تاريخ الكونت ضون دوارطي دي مينسيس*، حيث قال إن تطاون كانت سنة 892 / 1487 "قلعة محصنة تدور بها أسوار وأبراج متينة وتوجد بها قصبة محصنة والجنود الموجودون بها هم الذين يقومون ضدنا بسبتة من حين لآخر".

وفي ذلك دلالة قاطعة على أن تطوان كان قد أُعيد بناؤها ولو جزئيا قبل سنة 892 / 1487 على أيدي الأندلسيين الذين وردوا على شمال المغرب قبل مجيء المنظري ببضع سنين ؛ وهو ما تقره المقطعة التي يستظهرها سكان تطوان أبا عن جد :

| | |
|---|---|
| قد بُنيت تطاون يقينا | عام تُفاحة من السنينا |
| في شهر شعبان في حرف الزاء | ابتدأوا الحفير والبناء |
| وكُملت عند تمام الكاف | قد صح ذا عندي بلا خلاف |
| وكان عدةُ الرجال الأبرار | ميم وزاء ليس ثم أكثر |
| وعدة النسا فقط الياء | فهؤلاء أسسوا البناء |

ونصها في رواية أخرى :

| | |
|---|---|
| قد بُنيت تطاون يقينا | تُفاحة من عدة السنينا |
| وكُملت عند تمام الكاف | قد صح ذا عندي بلا خلاف |
| في شهر شعبان في حرف الزاء | ابتدأوا الحفير والبناء |

وكان عـدةُ الرجـال الأبـــرار   مـيـم وزاء لـيـس ثم أكثـر
وعـدة النسـا فقـط اليـاء   فـهـؤلاء أسس البـنـاء

والغالب على الظن أن التجديد الأول لتطاون لم يشمل سوى القصبة التي بناها يوسف بن يعقوب وأفراگ الذي أنشأه أبو ثابت، أي ما كان يكوّن المدينة التي خربها البرتغاليون سنة 841 / 1437.

بعد أن أثبتنا أن التجديد الأول للمدينة في سنة 888 ـ 889 / 1484 ـ 1485 لم يكن على يد علي المنظري بقي أن نبحث عن الرجل الذي التجأ إليه الأندلسيون ليساعدهم على إعادة بناء تطوان، فنقول : إن الذي أشرف على ذلك هو أمير شفشاون علي ابن راشد العلمي المتولي أمر الجهاد بالناحية الشمالية الغربية من المغرب.

ونعتمد في قولنا هذا على ما قاله المؤرخ البرتغالي ماسكارينهاس في كتابه *تاريخ سبتة*، حيث جاء أن حاكم سبتة أنطونيو دي نورونها "قام لأول مرة سنة 893 / 1488 بهجوم ضد الأراضي المجاورة ولكنه سقط أسيراً بيد ابن راشد ومعه عدة ضباط من بينهم كريسطوڤال دي ميلو وسيمون سوسا ومرطين فاسكيس وهيرناندو كوطينيو.

وهناك إشارات برتغالية أخرى تثبت أن الشخص الذي كان في إمكانه أن يساعد الأندلسيين على إعادة بناء المدينة هو علي ابن راشد الذي تقول عنه الوثائق البرتغالية إنه كان يقوم وحده بمهاجمة مدينتي سبتة وطنجة، وذلك إلى غاية سنة 900 / 1495 حيث ظهر برفقته لأول مرة القائد المنظري.

يتضح مما تقدم أنه خلافا لما يقوله الفقيه داود فإن أول من حكم تطاون بعد إعادة بنائها الأول هو أمير شفشاون علي ابن راشد وذلك من سنة 888 / 1484 إلى سنة 898 / 1493.

وسنرى فيما بعد كيف أن كلاً من ابنه إبراهيم وبنته الست الحرة كتب لهما أن يحكما المدينة بعده.

صحيح إن التجديد الثاني لمدينة تطاون كان أهم من الأول وكان على يد علي المنظري (الأول) ولكنه لم يتم إلا بعد سقوط غرناطة، أي في شهر شعبان عام 898 / يونيو 1493.

نقول هذا اعتمادا على المصادر التالية :

أولا : كتاب *نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر* الذي جاء فيه أنه "بعد سقوط غرناطة خرج أهل رندة وبسطة وحصن موجر وقرية قردوش وحصن مرتيل إلى تطاون وأحوازها".

ثانيا : كتاب *وصف إفريقيا* للحسن الوزان الذي يقول إن "الذي قام بإعادة بناء تطاون وعمرها هو القبطان الغرناطي الذي جاء إلى فاس صحبة ملك غرناطة سنة 900 / 1495".

ثالثا : كتاب *إفريقيا* لمارمول كارباخال الذي يؤكد أن تطاون بقيت مخربة مدة تسعين سنة فتكون إعادة بنائها بالنسبة له قد تمت بعد سنة 895 / 1490.

رابعا : كتاب *تاريخ سبتة* للمؤرخ البرتغالي ماسكارينهاس الذي جاء فيه أن تطاون "بقيت مخربة مدة تزيد على تسعين سنة إلى أن قام الملك الكاثوليكي باحتلال مدينة غرناطة سنة 1492".

خامسا : كتاب *البرتغاليون* للمؤرخ دافيد لوبيس الذي يؤكد أن "المنظري من المحتمل أن يكون قد أعاد بناء تطاون قبل سنة 900 / 1495 أي قبل السنة التي ورد اسمه لأول مرة في كتب التاريخ البرتغالية".

سادسا : كتاب *الاستقصا* للناصري السلاوي الذي يعتمد على المؤرخ الإسباني كاسطيانوس فيقول إن إعادة بناء تطاون تم على يد المنظري بعد سقوط غرناطة.

سابعا : *تقييد* محمد العربي الفاسي الذي يقول : "إن المنظري أعاد بناء تطاون سنة 898 / 1493 وبالضبط في يوم 7 شعبان موافق 24 مايو".

إلا أن الفقيه داود يخالف هذه الآراء ويؤكد بأن المنظري هو الذي قام بتجديد بناء تطاون سنة 889 / 1485 لا في سنة 898 / 1493 دون أن يقول لنا لماذا رفض آراء أغلبية المؤرخين المعاصرين للأحداث، خصوصا وأنه يعلم أن الفقيه الرهوني يقول في *عمدة الراوين* "إن علي ابن راشد بعث الولي الصالح محمد بن علي المنظري الأندلسي الأصل الشفشاوني الدار، فأقام المنظري على بناء الاسوار، كما يقول : "إن محمد بن علي المنظري كان ساكنا في شفشاون وأرسله مولاي علي ابن راشد أمير شفشاون إذ ذاك ليبني لمهاجري غرناطة بلدا".

وعلى كل حال فإن التجديد الثاني لمدينة تطاون لم ينحصر في القصبة التي بناها يوسف بن يعقوب وفي أفراگ الذي أنشأه أبو ثابت وهو ما اشتمل عليه التجديد الأول للمدينة، بل إنه شمل مساحة أوسع وهي ما تعرف اليوم بحومة البلد. بالإضافة إلى القصبة الجديدة التي بناها المنظري الأول بجبل درسة.

ويبدو أن المدينة الجديدة كان يحيط بها سور به ثلاثة أبواب : باب المدينة القديمة، وباب بالناحية الشرقية يعرف بباب السفلي (وهو الذي يعرف الآن بباب السلوقية) وباب ثالث بالناحية الغربية أطلق عليه اسم باب السلسلة (وهو المعروف الآن بباب الصياغين) والذي حل محل باب المشور الذي صار داخل المدينة.

وهذا ما يتفق مع ما قاله محمد العربي الفاسي الذي عاش بتطاون فيما بين سنة 1032 و1052 / 1628 ـ 1648 والذي قال إن تطاون في عهد المنظري الأول كانت تتوفر على ثلاثة أبواب وأن السياج الذي كان يحيط بالمدينة يتكون من سورين علوهما سبعة أذرع وكان يدور بالسورين حفير.

لدينا من الحجج ما يثبت أن المنظري (الأول) حكم تطاون بصفته قائدا تابعا لأمير شفشاون ابتداء من سنة 898 / 1493 ولم يكن "حاكما مستقلا" أن المدينة كانت حسب تعبيره "تكون شبه إيالة صغيرة تحت إمرته" وبحكم أنه لم يكن بين المنظري وابن راشد إلا "علاقة ودية متينة".

بل الحقيقة هي أن المنظري الأول حكم تطاون بصفته مجرد قائد تابع لأمير شفشاون، والدليل على ذلك هو أن المؤرخ البرتغالي گوييش صاحب كتاب *تاريخ الملك ضون منويل* عندما يشير إلى المنظري فإنه يصفه دائما "بقائد تطاون" لا أقل ولا أكثر، في حين أنه يطلق على علي ابن راشد لقب "سيد القوم بين المغاربة" ولفظة "السيد" (Señor) عند البرتغاليين والإسبانيين تعني "الأمير".

وهناك حجة أخرى جاء بها الفقيه سكيرج المتوفى في تطاون سنة 1250 / 1834 تثبت أن المنظري الأول كان مجرد قائد تابع لأمير شفشاون، ذلك لأن التطاونيين لم يتجرأوا على دفن المنظري عند وفاته سنة 910 / 1504 إلا بعد أن استشاروا مع علي ابن راشد في المكان الذي يجب أن يدفن فيه.

والمنظري الأول هو أب المنظري الرابع وجد المنظري الثالث والجد الثاني للمنظري السادس وعم المنظري الثاني.

توفي المنظري الأول سنة 910 / 1504 وخلفه كقائد على تطاون ابن أخيه المنظري الثاني لا حفيده كما يقول الأستاذ داود. ولا ندري لماذا اعتمد الأستاذ داود في ذلك على مارمول كاربخال الذي اعتمد بدوره على الحسن الوزان الذي زار تطاون وسمع من أهلها أن المنظري الأول خلفه "حفيده" ولكنه لم يكن يعلم أن الحفيد بالنسبة لأهل تطاون قديما وحديثا هو كذلك ابن الأخ.

وتقول المصادر البرتغالية المعاصرة إن اسم المنظري الثاني كان هو نفس اسم عمه علي، فلا معنى لكلام الأستاذ داود عندما يقول "لعل اسمه محمد".

وخلافا لما يقوله الأستاذ داود فإن المنظري الثاني لم يكن حاكما مستقلا بتطاون بل كان مثل عمه مجرد قائد تابع لأمير شفشاون.

توفي المنظري الثاني سنة 924 / 1518 لا سنة 935 / 1528، والدليل على ذلك هو أن المصادر البرتغالية المعاصرة للأحداث تؤكد أنه في سنة 924 / 1518 أصبح إبراهيم ابن راشد يحكم تطاون مباشرة وذلك إلى غاية سنة 931 / 1525 حيث سلم قيادة المدينة لاخته الشقيقة الست الحرة.

خلافاً لما عند داود من أن الست الحرة حكمت تطاون نوعاً ما في سنتي 948 و949 / 1541 - 1542 فإن حكمها للمدينة كان لمدة سبع عشرة سنة بالحساب الميلادي، وقد مرّ حكمها بأربع مراحل :

المرحلة الأولى بصفتها قائدة تابعة لأخيها مولاي إبراهيم وذلك من سنة 931 / 1525 إلى سنة 935 / 1528.

المرحلة الثالثة بصفتها سيدة تطاون كما تصفها المصادر البرتغالية المعاصرة وذلك من سنة 935 / 1528 إلى سنة 946 / 1539.

المرحلة الثالثة عندما توفي أخوها إبراهيم واضطرت إلى إشراك صهرها (زوج ابنتها) المنظري الثالث في حكم تطاون وذلك من سنة 946 / 1539 إلى سنة 948 / 1541.

والمرحلة الرابعة عندما تزوجت بسلطان فاس أحمد الوطاسي الذي حضر إلى تطاون لعقد قرانه بها يوم 5 ربيع الأول 948 / 30 يونيو 1541 وظلت بتطوان بصفتها خليفة لزوجها من ذلك اليوم إلى يوم 12 رجب 949 / 22 أكتوبر 1542 حيث تعرضت لمؤامرة أطاحت بها وحل محلها المنظري الرابع.

لقد ترتب عن الإطاحة بالست الحرة أن أصبح المنظريون يحكمون المدينة بصفة مستقلة من سنة 949 / 1542 إلى سنة 975 / 1567. وخلال هذه المدة حكم تطوان أربعة من أولاد المنظري.

ولا صحة لما جاء به كل من سكيرج والرهوني وداود من أنه بعد المنظري الرابع حكم تطوان بالتتابع كل من علي الذيب وعلي الوسخ ومحمد الصبان ومحمد بوردان وعبد الرحمن العلج حيث إنه ليست هناك أي وثيقة تثبت ذلك، وكل ما في الأمر أن سكيرج وجد أمامه فراغا في تاريخ تطوان خلال الفترة الأولى من العهد السعدي فطاب له أن يفترض حكاماً لم نجد لهم ذكرا في أي مصدر آخر سوى مخطوطه.

والحقيقة أن تطوان كانت، في عهد السلطان عبد الله الغالب السعدي، خاضعة للقائد العام الذي كان مقره بالقصر الكبير القائد رحو بن تودة، ثم أصبحت تحت حكم ولده عبد الكريم، وذلك إلى سنة 984 / 1577 حيث كان للسلطان عبدالملك المعتصم بها قائد اسمه المفضل.

وابتداء من سنة 988 / 1580 وإلى غاية سنة 1019 / 1610 أصبحت المدينة تحت الحكم المباشر لأولاد النقسيس، كان أولهم محمد بن عيسى النقسيس وآخرهم عبد الكريم النقسيس الذي سلم المدينة إلى الشيخ المأمون بعد عودته من إسبانيا في شهر شعبان 1019 / نوفمبر 1640.

وقد احتفظ المأمون بتطوان إلى أن لقي حتفه على أيدي سكان الناحية يوم 5 رجب عام 1022 / 21 غشت 1613، عندئذ عاد أولاد النقسيس لحكم تطوان إلى غاية شهر ربيع الأول 1041 / أكتوبر 1631 حيث استولى عليها المجاهد العياشي وذلك إلى أن قتل يوم 16 محرم 1051 / 30 أبريل 1641 فعاد عبد الكريم النقسيس إلى حكم المدينة، وفي السنة التالية اعترف بنفوذ الزاوية الدلائية.

وفي 30 شوال 1072 / 8 يونيو 1662 استولى الخضرغيلان على تطوان وظلت تحت نفوذه إلى يوم 11 ربيع الأول 1078 / 31 غشت 1667 حيث دخلت تحت طاعة السلطان مولاي رشيد العلوي.

وفي عهد السلطان مولاي إسماعيل أصبحت تطوان مقر القيادة العامة في شمال المملكة، أسندت أولا للقائد أحمد بن حدو الحمامي ثم للقائد علي بن عبد الله الحمامي ثم لابنه الباشا أحمد بن علي الريفي ؛ وعلى إثر وفاة السلطان مولاي إسماعيل عرفت تطوان اضطرابا كبيرا لمدة قصيرة تنازع خلالها على حكم المدينة الباشا المذكور والحاج عمر لوقش أحد أقطاب تطوان، وذلك إلى أن تولى الملك السلطان سيدي محمد بن عبد الله فدخلت المدينة تحت

طاعته بصفة نهائية.

وفي عهد السلطان مولاي عبد الرحمن هاجرت إلى تطوان أسر جزائرية جلها من تلمسان ووهران وذلك على إثر الاحتلال الفرنسي للقطر المذكور سنة 1246 / 1830.

وفي يوم 13 رجب 1276 / 6 فبراير 1860 احتلت الجيوش الإسبانية مدينة تطوان ثم غادرتها يوم 3 ذي القعدة 1278 / 2 مارس 1862 كانت المدينة تخضع لحكم الغزاة الذين عينوا إلى جانب الحاكم الإسباني باشا مغربيا هو الحاج أحمد بن علي أبعير.

وبعد مرور ثلاث وخمسين سنة عرفت تطوان احتلالاً ثانيا من طرف الجيش الإسباني، دخلها بدون قتال يوم 12 ربيع الأول 1331 / 19 فبراير 1913، وفي يوم 20 جمادى الأولى / 27 أبريل من نفس السنة حل بها أول خليفة للسلطان بشمال المغرب وهو الأمير مولاي المهدي بن إسماعيل، وكان أول باشا عرفته المدينة في عهد الحماية هو الحاج أحمد بن محمد الطريس.

وفي سنة 13 ربيع الأول 1243 / 25 أكتوبر 1923 توفي الخليفة مولاي المهدي وظل منصبه شاغرا إلى يوم 26 ذي القعدة 1343 / 19 يونيو 1925 حيث عين مكانه ولده الصغير الأمير مولاي الحسن بن المهدي الذي استمر يزاول مهامه بتطوان إلى يوم 7 أبريل 1956 حيث اعترفت إسبانيا باستقلال المغرب.

*المصادر المذكورة داخل النص* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *الجديد في تاريخ تطوان* (تحت الطبع).

* * معركة تطوان، جرت بسهل مرتين يوم 11 رجب 1276 / 4 فبراير 1860 فكانت السبب في سقوط المدينة يوم 13 رجب / 6 فبراير. فمنذ أن أعلنت إسبانيا الحرب على المغرب يوم 25 ربيع الأول 1276 / 22 أكتوبر 1859 وغزت جيوشها أرض المغرب انطلاقاً من سبتة يوم 23 ربيع الثاني / 19 نوفمبر كانت القوات المغربية الغير منظمة قد انهزمت في عشرين جولة، الشيء الذي مكن الجيش الإسباني من احتلال قاعدة مرتين يوم 22 جمادى الثانية / 16 يناير 1860 ؛ ومن ذلك اليوم إلى يوم 3 فبراير والقيادة العسكرية الإسبانية تستعمل لخوض المعركة الفاصلة التي ستمكنها من الاستيلاء على مدينة تطوان.

تقول التقارير الإسبانية السرية إنه لو كان الأمير مولاي العباس قائداً عسكرياً له إلمام بقواعد الحرب لما ترك القائد الأعلى للجيش الغازي الجنرال اودونيل (O'Donnell) ينظم خلال ثمانية عشر يوماً شؤونه ويقوم بالاستعدادات اللازمة لخوض معركة تطوان، ولعلم أن الاستراتيجية العسكرية كانت تقضي بأن يظل داخل تطوان ويقوم بتحصين أسوارها بالعدد الكافي من المدافع التي كان يتوفر عليها بدلاً من أن يقيم معسكره ومعسكر أخيه الأمير مولاي أحمد خارج المدينة في مكان يصعب تحصينه، ظنا منه بأن الجيش الإسباني لم يكن يتوفر على فرقة من الخيالة قادرة على مواجهة الخيالة المغربية التي كانت تتكون من خمسة عشر ألف فارس بالإضافة إلى عشرين ألفاً من المشاة.

وتقول نفس التقارير الإسبانية السرية إن مولاي العباس كان قد قام يومي 23 و31 يناير بمهاجمة المعسكر الإسباني بمرتين حيث تيقن من أن الإسبانيين سوف لن يتمكنوا من استعمال مدافعهم في حالة ما إذا قاموا بمهاجمة المعسكر المغربي، إذ أنه ظن أن الإسبانيين لن يكون في وسعهم اجتياز وادي القنطرة الذي كان يفصل المعسكرين الإسباني والمغربي، حيث إنه كان يجهل استطاعة فرقة الهندسة العسكرية أن تمد قناطر خشبية فوق النهر المذكور في بضع ساعات، والحالة هذه أن تلك الفرقة تمكنت في ليلة 3 فبراير من مد أربع قناطر فوق وادي القنطرة دون أن يشعر المغاربة بذلك.

وكانت النتيجة أنه على الساعة التاسعة من صباح يوم 11 رجب / 4 فبراير تحرك الجيش الإسباني وعدده خمسة وعشرون ألف مقاتل من قاعدته بمرتين، وكان على رأسه بالإضافة إلى القائد الأعلى، الجنرالات : پريم (Prim) وروس أولانـو (Ros Olano) وطـرون (Toran) وألْكَـلاَ غَالْيَانُو (Alcala Galiano) وماكينا (Mackena) وأرُوثْكو (Orozco) وكيسَادا (Quesada) وذي لُـوسْ رِّيـُـوسّ (De Los Rios) وغَرْثِييًّا (Garcia) وإنْريكي أودونيلْ (Enrique O'Donnell) أخ القائد الأعلى.

وعندما اجتازت القوات الإسبانية بمدافعها وادي القنطرة تعرضت لقصف مكثف من طرف المدفعية المغربية، ورغم ذلك استمرت تلك القوات في سيرها إلى أن أصبحت على بعد كيلومتر واحد من المعسكر المغربي الرئيسي ؛ وعندئذ أمر الجنرال أودونيل باستعمال مدافعه وعددها ستة وخمسون مدفعا لقصف معسكر مولاي العباس، وشاء القدر أن تصيب إحدى القنابل مستودع البارود فاشتعلت النيران في المعسكر حيث عمل الفزع عمله في صفوف المغاربة.

واغتنم الجنرال أودونيل ذلك الاضطراب ليأمر قواته باقتحام المعسكرين معاً، وعندئذ بدأت المعركة الحقيقية التي دامت نصف ساعة من العاشرة ونصف صباحاً إلى الحادية عشرة، كان جل القتال أثناءها بالسلاح الأبيض وانتهت باحتلال المعسكرين والاستيلاء على ما يوجد بهما من مدافع وقنابل وبارود وفساطيط وخيام ومأكولات، بل وحتى الأعلام المغربية ورايات الاميرين مولاي العباس ومولاي أحمد.

وتقول التقارير الإسبانية إن عدد خسائرهم كانت 67 من القتلى و1041 من الجرحى و7 من المفقودين أي ما مجموعه 1115 رجلا ؛ وأما الخسائر المغربية فقد كانت حسب تقديراتهم تفوق ثلاثة آلاف من الشهداء والجرحى، وقد ترك المغاربة في أرض المعركة أكثر من ثلاثمائة وخمسين جثة.

بات الجيش الإسباني ليلة 4 فبراير بالمعسكرين المغربيين وهناك استقبل الجنرال أودونيل في اليوم التالي الوفد الذي نصّب نفسه وكيلا عن سكان تطوان لمعرفة شروط استسلام المدينة، وكانت النتيجة أن وقع الاتفاق على أن يدخل

الجيش الإسباني تطوان بدون قتال، وكان الأمر كذلك حيث تم احتلال المدينة يوم 13 رجب 1276 / 6 فبراير 1860.

وقد منحت الملكة الإسبانية إيسابيل الثانية (Isabel II) الجنرال ليوبولدو أودونيل (Leopoldo O'Donnell) رئيس القوات الإسبانية التي غزت المغرب. لقب دوق تطوان (Duque de Tetuan) بأمر صدر يوم 7 فبراير 1860، أي غداة سقوط مدينة تطوان بيد الجيش الإسباني، ولم ينشر إلا يوم 27 أبريل من نفس السنة.

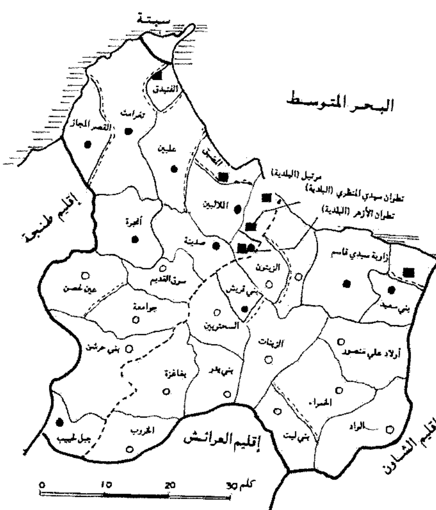

إقليم تطوان التقسيم الإداري الأخير

**تطوان**، مجلة للأبحاث المغربية الأندلسية، أنشأتها بتطوان وزارة التربية الوطنية ثم صارت تابعة لمعهد مولاي الحسن للأبحاث المغربية الأندلسية، وكان الغرض منها ملء الفراغ المترتب عن عدم اهتمام مجلة تامودا (Tamuda) بالأبحاث الموضوعية باللغة العربية.

صدر العدد الأول منها سنة 1956، وحيث إنها كانت سنوية فقد صدر عددها الثاني سنة 1957 وعددها المزدوج 3 و4 سنة 1959 وبعد احتجاب طال مدة خمس سنوات صدر العدد الحادي عشر سنة 1971 وهو آخر الأعداد.

كانت هيأة تحريرها مكونة من الرئيس الذي لم يذكر اسمه إلا في العدد الأول وهو محمد الفاسي وزير التربية الوطنية آنذاك ؛ خليفة الرئيس محمد عزيمان نائب وزارة التربية في الشمال، وابتداء من العدد الثاني صار عضوا ولم يذكر اسمه في العد العاشر ؛ وكان محررها محمد ابن تاويت التطواني، وعضوية عبد الله گنون ومحمد المنوني وإبراهيم الكتاني وآخرين.

قامت مجلة تطوان بعمل مهم في مجال البحث العلمي، ونشرت عدداً من الأبحاث والمقالات القيمة، والنصوص المحققة أو المترجمة.

*تطوان، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية*، الأعداد 11.

محمد ابن عزوز حكيم

**التطواني** أو التطاوني، أسرة سلوية عريقة أصلها من عرب الشاوية، قبيلة المذاكرة، لا يعرف تاريخ انتقالهم إلى مدينة سلا لكن يبدو أن ذلك تم قبل أكثر من قرنين. ونسبة التطواني المعروفون بها أتت من إقامة أحد أجدادهم بمدينة تطوان مدة طويلة فلما رجع إلى سلا دُعي التطواني وعُرف أهله منذئذ بالتطوانيين. وتوجد بعض الرسوم العدلية القديمة تصفهم إلى جانب التطوانيين بالشاويين السلويين. وقد أدرك الفقيه محمد التطواني آتي الترجمة بعض المعمرين من بني عمه بسلا يتصلون بذويهم في المذاكرة بالشاوية ويتزاورون معهم، ثم انقطعت الصلات بعد ذلك. وكان من التطوانيين السلويين في القرن الماضي مجاهدون بحريون وطبجيون تذكر الوثائق منهم الحاج أحمد التطواني الذي كان يسكن بدرب حرارثة ونال حظه من صلة الحسن الأول المخصصة للمجاهدين البحريين، وحجي بن الحاج المعطي التطاوني، والحاج عبد ... بن الحاج المصطفى التطاوني الذين نالوا حظهم من صلة الحسن الأول المخصصة للمجاهدين الطبجيين والبحريين السلويين بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875. كما كان منهم فلاحون وحرفيون وأخيار ناسكون مثل محمد بن سليمان التطواني مؤذن مسجد التادلاوي المذكور في زمام المؤذنين بسلا المؤرخ في 18 شعبان عام 1278 / 18 فبراير 1862 وعبد الكريم التطواني الساكن بدرب الحمام من حومة باب سبتة المدرج اسمه في قائمة الذين نالوا صلة الحسن الأول بتاريخ 5 ذي الحجة عام 1290 / 24 يناير 1874.

**التطواني، أبو بكر** بن محمد (ثلاث مرات) بن بوشعيب الشاوي السلوي. ولد بسلا في حدود عام 1280 / 63 ـ 1864، وبها نشأ ودرس على أعلام شيوخها أمثال عبد الله بن خضراء، وأحمد بن خالد الناصري. ثم أخذ بفاس عن الشيوخ الأجلة : مَحمد القادري والتهامي الوزاني وجعفر الكتاني ومحمد گنون. واتصل بالشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني وأخذ عنه الطريقة الكتانية ولازمه مدة طويلة، فكان يجيب عن الرسائل التي ترد على الشيخ من مختلف الشخصيات والجهات يتناول بعضها إشكالات صوفية وذوقية، أو اعتراضات على الطريقة الكتانية، فكان الشيخ الكتاني يستحسن هذه الأجوبة ويحتفظ بنسخ منها عنده، وقال ولد المترجم عنها "لو جمعت لكونت أجزاء".

اشتغل أبو بكر التطواني حين رجع إلى سلا بالتدريس، وكان من جملة الآخذين عنه إدريس ابن القائد عبد الله بن سعيد، ثم انتقل إلى طنجة في عام 1318 / 1900 حيث عين كاتباً بدار النيابة وكان يعد من الكتاب الممتازين الذين يتقاضون أعلى أجر شهري (75 ريالا) وبقي في عمله هذا أربع سنوات ثم عاد إلى مسقط رأسه يدرس ويناظر ويراسل. واشتغل بعد ذلك بالكتابة مع الأمين الباشا الصديق بركاش بالرباط قبل أن يلتحق ببلاد زمور الشلح حيث عين قاضياً بها، ثم بسيدي سليمان من بلاد بني حسن حيث بقي يزاول عمله إلى أن أدركته الوفاة هناك.

ألف شرحاً *لتحفة ابن عاصم*، إلا أنه مات قبل إتمامه ؛ وشرحاً *لقول أبي يزيد البسطامي : خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله*، بالإضافة إلى مجموعة *رسائله الكبرى*.
توفي قاضياً بسيدي سليمان في منتصف شوال عام 1337 / 14 يوليوز 1919. ودفن بجوار الولي الصالح سيدي سليمان.

**التطواني، محمد** بن أبي بكر بن محمد الشاوي السلوي، ويدعوه السلويون الفقيه التطواني. ولد بسلا في متم رمضان عام 1318 / 21 يناير 1901، ونشأ في أسرة عالمة متصوفة متوسطة الحال. وأخذه معه والده إلى طنجة حين عين كاتباً بدار النيابة. وقبل أن ينهي السنة الثالثة من عمره أدخله والده إلى كتاب الفقيه التوزاني بطنجة. ثم أتم حفظ القرآن الكريم وتجويده في مسقط رأسه على يد الفقهاء الأساتيذ محمد بوعلو ومحمد بنسعيد ومحمد بريطل. وقد ذكر أنهم كانوا يقسون عليه ويجلدونه حتى لا يستطيع السير على قدميه دون أن يذكر السبب. ولعل لهربه إلى البادية من حين لآخر دخلا في ذلك. كما كان والده يقسو عليه فيوقظه عند الفجر للصلاة، ويكلفه بأشغال تشق عليه وهو مايزال صغيراً، كجلب الماء من مكان بعيد عن بيتهم، وحمل الطعام للراعي ومساعدته في قيادة البقر إلى المرعى. ويذكر عن والده أنه كان معتل الصحة حاد المزاج يحب أن تنفذ أوامره دون مراجعة.

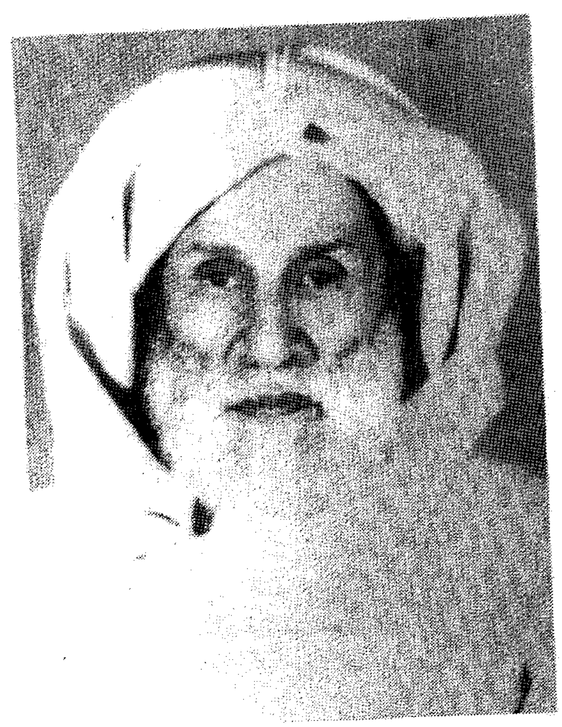

بدأ محمد التطواني دراسته اللغوية والشرعية بمسقط رأسه على يد والده، وأحمد بن الفقيه الجريري. ثم انتقل مع والده إلى بلاد زمور حين عين قاضياً بها، والتحق بفاس للدراسة في أوائل عام 1337 / 1918 لكنه لم يكد يستقر بها حتى جاءه نعي أبيه فرجع من حيث أتى، ولم يكن تراث أبيه كافياً لنفقة دراسته فاشتغل بالكتابة في إحدى الإدارات سنة ونصف سنة وفّر خلالها من أجرته البسيطة بعض المال ورجع إلى فاس لإتمام دراسته، وبقي هناك عشر سنين اتصل أثناءها بالشيخ عبد الحي الكتاني، وهو يومئذ مشتغل بالتدريس وتنمية خزانته العلمية الكبرى، فكان ينسخ له مؤلفاته ومخطوطاته ويستفيد أكبر استفادة من اطلاعه الواسع على العلوم الإسلامية والحديثة بصفة خاصة، ويحضر - على صغر سنه - مجالس كبار العلماء المسلمين والمستشرقين الذين يتوافدون باستمرار على الشيخ الكتاني وخزانته الغنية. ونحن نعلم ما كان لوالد محمدالتطواني من صلات متينة بالكتانيين وطريقتهم.

درس التطواني خلال مقامه الطويل لفاس كل ما يدرس بالقرويين من علوم نقلية وعقلية على خمسين شيخاً أجازه منهم نحو ثلاثين. وتعرف في دار الكتاني ثم في رحلاته إلى بلاد المغارب والشرق العربي على نحو تسعين عالماً. ومن أبرز شيوخه في القرويين أحمد بن الخياط ومحمد بن رشيد العراقي وأحمد ابن الحاج وعبد الله الفضيلي وأحمد ابن المامون البلغيثي والشريف التاگناوتي ومحمد بن جعفر الكتاني.

اشتغل الفقيه التطواني بعد رجوعه من فاس ببيع الكتب، فكانت مكتبته في شارع القناصل بالرباط ثم في السوق الكبير بسلا بالاشتراك مع السيد مَحمد بن عبد الله الغربي من أغنى المكتبات بأمهات المؤلفات، إذ كان كثيراً ما يتردد على مصر وبلاد المشرق لاقتناء أفيد ما أخرجته وتخرجه المطابع، وما يصادفه من مخطوطات أصيلة.

وكان زبناؤه من جميع الطبقات العالمة والمتنورة من مختلف الأعمار بالإضافة إلى الخزانة العامة بالرباط التي زودها بالعديد من المطبوعات والمخطوطات. وكم زرته في مكتبة القناصل وجدته مستغرقاً في القراءة، فإذا سلمت عليه هش وبش - على عادته - وزودني بما أطلب في يسر ومكارمة.

شارك محمد التطواني في الحركة الوطنية فكان منزله الأنيق ملتقى الوطنيين من العدوتين وخارجهما، واعتقل في 29 يونيه 1943، فأحرقت زوجته مجموعة أوراقه خوف تفتيش الشرطة، وضاع بذلك قسط مهم من إنتاجه الفكري.

حرر الفقيه التطواني - وهو مايزال طالباً بفاس - كتباً صغيرة في بضعة كراريس نالت إعجاب أساتذته هناك، منها :

- *رسالة عن القاضي عياض.*
- *رسالة عن الشيخ المكي البطاوري*. وألف بعد ذلك كتباً مازالت مخطوطة أو أصولها محفوظة في إحدى كناشاته العلمية، منها :
- *ذيل فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني.*

ـ *محاضرات أدبية وتاريخية*.

أما *كناشاته* العلمية فقد اطلعنا على أربع منها مصورة من خطه في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا.

ـ كناشة رقم 454 تحتوي على مجموعة تراجم لمشارقة وأندلسيين ومغاربة، وتلخيصات وتعليقات مفيدة من كتب علي ابن ميمون الغماري دفين لبنان، وتعريف بعدد من الفهارس المغربية المخطوطة النادرة التي وقف عليها في بعض الخزائن الخاصة أو التي اقتناها، مع تقييد ـ تام ـ حول الفعل المضارع المعتل لمحمد التهامي الوزاني.

ـ كناشة رقم 455 جعلها كنواة لتراجم أعلام ما قبل القرن السابع من علماء المغرب، ويشير في بعض التراجم إلى المصادر التي يرجع إليها عند البسط والبيان، فهي كالمسودة الأولى لهذا الكتاب لذلك قال في تقديمه : "وربما تتكرر الترجمة الواحدة، والمعتمد ما سيكتب بعد، لأن المقصود بهذا الكناش إقامته مقام الجذاذات، ولذلك أشير إلى مظان تراجم بعض الوافدين على هذه البلاد" ولا ندري إن كان تم تخريج هذا الكتاب.

ـ كناشة رقم 756 وهي تكاد تكون مخصصة للحديث والحفاظ مستقاة من *طبقات الحفاظ* لابن ناصر *وذيله* لابن حجر، *وطبقات الحفاظ* للذهبي، *ونظمها* لأبي الفداء إسماعيل، وشرح *غرامي* صحيح لعبد الله الأمير في مصطلح الحديث. وقد أثبت هنا تاريخ نسخه في 9 ذي القعدة عام 1350 وتشتمل هذه الكناشة على أصول ذيل التطواني على *فهرس الفهارس* للكتاني، وتعقيبات على *سلوة الأنفاس، والإعلام* للمراكشي.

ـ كناشة رقم 458 وفيها مختارات من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي *ونوازل العلمي*، ونشر *المثاني وسلوة الأنفاس والمنتقى المقصور والإعلام* للمراكشي، يلخص منها تراجم وأحداثاً من الحرص على ذكر الأجزاء والصفحات. وفيها تراجم كاملة من إنشاء الفقيه التطواني للرشيد بن الشريف العلوي ومحمد بن عبد الله وغيرهما، وأبحاث وتدقيقات حول مؤلفي كتاب *المستفاد والقرطاس* ومصادر *الشفا والدرر البهية*. إضافة إلى طائفة من أخبار فاس ومزاياها وتطور عمرانها، ومراسلات ملوكية وإخوانية، وقصائد ومقطعات شعرية.

ومن آثار الفقيه التطواني المنشورة :

ـ *ابن الخطيب من خلال كتبه* في جزئين صغيرين. وهو البحث الأول الذي نال أول جائزة لمعهد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان سنة 1948، ونشر في تطوان سنة 1955 بتقديم عبد الله كنون الذي قال عنه بحق : "كُتب على نسق مبتكر من حيث استخراج حياة ابن الخطيب من كتبه ودراسة مؤلفاته دراسة مستوعبة بحيث تعطي فكرة تامة عنها جميعاً ما وجد منها وما لم يوجد..."

ـ *جلال العرش المحمدي في ظل راية القرآن*، نال به جائزة عيد العرش.

ـ *مقالات* عديدة منشورة في مجلات مغربية وجزائرية وتونسية. بعضها بإمضائه الصريح وبعضها بإمضاء مستعار.

كان الفقيه التطواني مرجعاً حياً للباحثين والطلبة يزودهم بما تختزنه ذاكرته القوية من معارف ومظان لا يهتدي إليها إلا الخريتون. وقد خطب مدة بالجامع الأعظم بسلا فكانت رحابه تمتلئ بالمصلين الذين يقصدونه حتى من الأحياء النائية إذ كان الفقيه التطواني ـ على قماءته ـ يملك صوتاً جهورياً جميلا يستهوي الأسماع، وكلامه البليغ الصادر من القلب الطاهر الخاشع يؤثر في النفوس أيما تأثير.

مات محمد التطواني بمدينة سلا مساء يوم الأحد عاشر محرم عام 1410 / 13 غشت 1989 وصُلي عليه بالمسجد الأعظم عصر الغد الاثنين، ودفن بجوار ضريح الشيخ أحمد ابن عاشر الذي كان لا ينقطع عن زيارته في حياته ويقضي الليالي ذوات العدد في "بنيقاته".

م. التطواني نفسه، *كناشاته العلمية* ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 268 ؛ م. ابن الحاج، *إسعاف الاخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، 1992، ص. 164 - 166 ؛ م. بوشعراء، *التعريف بيني سعيد*، 1 : 45 و164، 52 - 141 - 152 - 155 - 228 - 277 - 279 - 2 : 280 ؛ أسماء التطواني، *الفقيه التطواني ودوره في البحث العلمي*، بحث الإجازة في شعبة اللغة العربية بكلية الآداب بالرباط، 80، 1981.

محمد حجي

## التعارجي ← ابن إبراهيم

**التعاونية**، مؤسسة تنتظم بين عدد من الأشخاص الذاتيين أو المعنويين على قدم المساواة في الحقوق والواجبات إما بقصد الإنتاج وتسويق المنتجات وإما بقصد استهلاك ما يعرض في الأسواق أو الاستفادة من بعض الخدمات الاجتماعية بأحسن الشروط. ولئن كانت التعاونية في حلتها العصرية حديثة العهد في المغرب، فإن بعض أشكال التعاون التقليدية في مجتمعنا تثبت أصالة هذه الظاهرة لدينا اجتماعيا وعقائديا، فمن حيث المجتمع يمكن اعتبار القبيلة في جوهرها تعاونية قائمة على أولي الأرحام مبدئياً ولكنها كانت قائمة في الغالب على المصالح المشتركة مثل الرعي والسقي واتقاء الأخطار، أما من جهة العقيدة فإن الاسلام نزل بالتوحيد للتوحيد ومن ذلك الأمر الصريح "وتعاونوا على البر والتقوى" (المائدة، 2) ولقد تبلور ذلك في سالف العصور في أشكال واضحة المفهوم التعاوني من ذلك مثلا ملكية الأرض على الشياع والقيام بأعمال الفلاحة بالتويزة، يعني جماعة، وتسيير الأمور العامة على يد جماعة أولي الحل والعقد الذين كان من مهامهم صيانة بيت مال الجماعة (وهو أگادير أو إغرم بالأمازيغية) وإقامة "تيمزكيدة" لتكون مأوى للجميع ومستوصفاً للمرضى أو الزمنى مؤسسة للقرض على سبيل الإسعاف، كما كان على الجماعة أن تقيم "الوزيعة" كلما

اقتضت الظروف ذلك ليكون في توزيع الاعباء والكلف على مجموع الأفراد تخفيفا على الجميع.

ولقد أضفى الإسلام على مجموع المؤسسات حلة القدسية وألبسها لباس الشريعة بأن جعل خزين الجماعة بيت مال المسلمين ومن بيوت الله والأماكن التي تقام فيها الشرائع أوقافاً حتى إنه لا يكاد يخلو مظهر من مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام من طابع التعاون، فنظام الحرف في المدن يمكن اعتباره مجرد شبكة من التعاونيات، بل قافلة الحجاج إلى بيت الله التي كانت تستغرق سنة كاملة ذهابا وإيابا يجوز النظر إليها وكأنها تعاونية متنقلة.

إن الفكر التعاوني من صميم تقاليدنا، لذلك فإن الأساليب العصرية للتعاون ما لبثت أن انغرست في صفوف شعبنا بمجرد أن رخصت بذلك سلطات الحماية في الثلاثينات. وغني عن البيان أن هذه الأساليب العصرية كانت قد انبثقت في المجتمع الأوربي من النظريات الاشتراكية في النصف الأول من القرن التاسع عشر وبالضبط من أفكار شارل فوريه (Ch. Fourier) الفرنسي، من حيث التنظير، ومن تجربة تعاونية أولى أجريت في رتشديل (Rochdale) في أنجلترا سنة 1842 من حيث الممارسة، وعلى منوالها نسج الجميع فيما بعد على أمل أن تكون التعاونية حلا وسطاً بين الاستغلال الرسمالي وواقعيته المقيتة والمشاريع الاشتراكية وتخيلاتها البراقة.

وهكذا انطلقت التعاونيات العصرية في المغرب من منطلقين، أولا من إرادة مغربية شعبية ضاربة في القدم أثارها ما رأت من فوائد التعاون في أوساط المعمرين، وثانيا إرادة سلطات الحماية التي فضلت أن تشرف على إرساء أساليب التعاون العصري في صفوف المغاربة حتى لا يتم ذلك ضداً عليها.

ولقد أقيمت أول تعاونية مغربية في دجنبر سنة 1934 بين صغار صيادي السمك في سوس ونظراً للفراغ القانوني في مجال التعاون يومئذ فإن المؤسسين أقاموا تعاونيتهم على شكل شركة مجهولة الاسم اعتمادا على ظهير 11 غشت 1922 المقنن لذلك النوع من الشركات، واتسع حجم التعاونية في ظرف وجيز، ثم لما صدرت قوانين التعاونيات سنتي 1937 و1938 تحولت الشركة سنة 1941 إلى تعاونية حرفية لصيادي السمك في سوس (S.C.A.I.S.) وظلت تمارس نشاطها بنجاح إلى أن تعمم غداة الحرب العالمية الثانية في مياه أگادير الصيد بالمراكب الكبرى فتخلى صغار الصيادين شيئا فشيئا عن الصيد بالقوارب وتوقفت التعاونية المذكورة في أكتوبر 1948.

وأقيمت تعاونية تلقائية ثانية في سوس أيضا ابتداء من شهر ماي 1935 تحت اسم الشركة الأهلية للطحن في بيوگرا أقامها أربعون شخصا لدى قاضي إينزگان بناء على قواعد الشركة في الإسلام، وكانت في الحقيقة مطحنة ميكانيكية يقصد منها إدخال أساليب الطحن العصري في الإقليم لتحسين الإنتاج واقتصاد التكاليف، وهذه الشركة وإن لم تحمل اسم التعاونية فإنها كانت تستجيب لمفهومين من مفاهيم كل تعاونية أولهما التشارك بين مجموعة من الأشخاص على قدم المساواة وثانيهما إقامة مقاولة تسدي خدمات جماعية. ولقد نسج العديد من الفلاحين والحرفيين المغاربة بعد ذلك على هذا المنوال فأقاموا تعاونيات بينهم إما بالاعتماد على الشرع وإما بناء على الأعراف القبلية متجاهلين لقوانين الحماية أو متحفظين منها، من ذلك مثلا الشركة التي أقيمت في بني ملال سنة 1955 لبناء مائتي دار للسكن وكانت بمثابة تعاونية، لكن هذه المحاولات التلقائية كثيرا ما كانت تنتهي إلى الفشل بسبب عجزها عن الاستفادة من أدوات الاستغلال العصري وبسبب تحفظ سلطات الحماية منها.

وكانت غاية تلك السلطات مراقبة كل ما يجرى في صفوف المجتمع المغربي، ولذلك كانت قد بادرت منذ فاتح غشت من سنة 1918 إلى إحداث "الشركات الأهلية الاحتياطية" التي كانت تتسم ببعض سمات التعاون، إذ كانت تجمع حيزاً بين كل من كان يؤدى الترتيب من الفلاحين المغاربة فتقدم لهم قروضا موسمية وإرشادات تقنية وإسعافات مختلفة، مما كان يفتح باب التأطير والمراقبة أمام المراقبين المدنيين وضباط الاستعلامات الذين كانوا هم أو من ينوب عنهم المسيرين الحقيقيين لتلك الشركات التي اختفى منها فيما بعد لفظ "أهلية" ليحل محله لفظ "مغربية" ولكن الغاية السياسية منها ظلت مهيمنة على ما كانت تدعيه من مقاصد اجتماعية، ولما صدر أول ظهير منظم لتعاونيات الاستهلاك وهو ظهير 13 فبراير 1922 ظلت مقتضياته موقوفة على الجالية الأوربية وكذلك حصل بالنسبة لظهير 20 غشت 1935 حول القرض التعاوني والتعاون الفلاحي الذي لم يكن يُعنى به إلا المعمرون الدخلاء.

لكن انقلاب الظرفية السياسية في منتصف الثلاثينات وانتظام صفوف الحركة الوطنية لفضح إجحاف سلطات الحماية بحقوق المغاربة إضافة إلى ما كان من انهيار الإنتاج الفلاحي فيما بين 1935 و1937 وأيضا انتقال الحكم في فرنسا إلى الجبهة الشعبية وتعيينها للجنرال نوجيس مقيماً عاما في الرباط، كل هذه العوامل حملت سلطات الحماية إلى الاهتمام بالأسلوب التعاوني في صفوف المغاربة فاستصدرت أول الأمر ظهير 24 أبريل 1937 القاضي بإقامة "تعاونيات أهلية فلاحية"، لكن ليس على أساس الانخراط الفردي بل على أساس تعاون الشركات الأهلية الاحتياطية وذلك بقصد تسويق إنتاجها من الحبوب وخزنها والتصرف بها والاقتراض بشأنها، كل ذلك تحت مراقبة سلطات الحماية، وكان إحداث هذه التعاونيات ناتجا من جهة أخرى عن ضرورة مراقبة سوق الحبوب إذ جاء الظهير المذكور مواكبا لإحداث "المكتب الشريف للحبوب" في نفس التاريخ (ظهير 24 أبريل 1937).

ولذلك فإن الظهير المؤسس للتعاونيات في صفوف المغاربة هو ظهير 8 يونيه 1938 على ما أدخل عليه من تصويبات بظهير 19 ماي 1939 وظهير 24 أبريل 1950 حيث امتد حق إقامة التعاونيات من الفلاحين إلى الحرفيين كما لم يبق منحصراً عند تسويق الحبوب بل عم جميع أوجه النشاط الفلاحي والاقتصادي مع حق الاقتراض والرهن.

وهكذا نشطت الحركة التعاونية في العقدين الأخيرين من الحماية وتشكلت التعاونيات إما على أساس الشريعة الإسلامية أو الأعراف القبلية وإما على أساس ظهائر 1937 و1938 و1939 التي ألحق بها ظهير 11 غشت 1947 القاضي بإقامة اتحاديات بين التعاونيات الفلاحية، كما تشكلت ابتداء من سنة 1950 تعاونيات مغربية جديدة لتسويق الحبوب تحت اسم الشركات التعاونية المغربية الفلاحية (S.C.A.M) بحيث كان مجموع التعاونيات، 73 تعاونية في شهر يناير 1956 وكانت موزعة على الشكل التالي :

14 معصرة للزيت

1 اتحادية واحدة بين هذه المعاصر

24 تعاونية حرفية

11 تعاونية لاستعمال المواكين في الفلاحة

3 تعاونيات لتكييف الإنتاج

4 تعاونيات مختلفة

3 تعاونيات الحطابة

1 تعاونية لصيد السمك

7 شركات تعاونية مغربية للفلاحة (.S.C.A.M)

5 شركات مغربية للفلاحة (.C.M.A)

وهذا التصنيف يوحي بنصيب الفلاحة في الإنتاج المغربي إذ أن أزيد من نصف هذه التعاونيات كان يتعاطى الأعمال الفلاحية، هذا مع العلم أن التعاونيات الحرفية كان جلها يشتغل بالمنتجات الفلاحية مثل الصوف والجلود والأخشاب مما كان يجعل بالضرورة جل التعاونيات قائما في كبريات المدن أو في قلب أخصب المناطق الفلاحية مثل السهول الأطلسية وسهول سايس والغرب والحوز وسوس ووجدة.

ولقد سهرت الحكومة المغربية غداة الاستقلال على تقوية هذا الرصيد التعاوني بأن شجعت المنتجين المغاربة على التعاون بينهم في شتى مجالات الإنتاج فتكاثرت التعاونيات وتخلص النظام من كل ما كان يشوبه من شوائب الاحتلال الأجنبي، ولتلتحق الحركة التعاونية المغربية بالتيار التعاوني العالمي. ولهذه الغاية أنشئت في شهر شتنبر 1962 مصلحة خاصة بشؤون التعاون ملحقة مباشرة برئاسة الحكومة، وفي ذلك دليل واضح على عناية الدولة بالأمر، إلا أن الالتحاق المباشر بأعلى سلطة حكومة كان ضربا من التثبيط إذ كان يغرق المصلحة المذكورة في خضم المستعجلات اليومية ويحول بينها وبين التدخل السريع في ميادين اختصاصاتها، وتفاديا لهذا الحاجز أحدثت الدولة بظهير 13 أبريل 1975 مكتب تنمية التعاون وذلك على شكل مؤسسة عمومية متمتعة بالشخصية المعنوية وبالاستقلال المالي تحت إشراف السلطة الحكومية المكلفة بالتخطيط، ومن مهامه البحث في طلبات إقامة التعاونيات قبل أن يصدر الترخيص الحكومي بذلك، ثم مساعدة التعاونيات في التكوين التعاوني والاستثمار والقضايا القانونية مع جمع المعلومات عن التعاون ونشرها في التعاونيات، ثم تحسين الإطار القانوني للتعاونيات، ثم إصلاح ذات البين بينها في حالة وقوع أي نزاع والسهر على سيرها بناء على القوانين المعمول بها، ويشرف على سير هذا المكتب، فضلا عن طاقمه التنفيذي، مجلس إداري مركب من ممثلي مجموعة من الوزارات (الفلاحة والصناعة التقليدية والتجارة العصرية والطاقة والمعادن والتربية الوطنية والداخلية والمالية والسكنى والسياحة والشغل والصيد البحري) إضافة إلى ممثلين عن بعض المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية (الصندوق الوطني للقرض الفلاحي والبنك المركزي الشعبي والمكتب الوطني للحبوب والقطاني والمكتب الوطني للصيد والمكتب الوطني للنقل) كما يشارك في أعمال هذا المجلس ممثل عن كل صنف من أصناف التعاونيات القائمة ولا يقل عددهم عن ربع مقاعد المجلس، ولقد كان من أهم منجزات هذا المكتب منذ تأسيسه إعداد القانون رقم 24.83 الصادر بظهير 5 أكتوبر 1984 الذي ألغى كل ما كان موروثا عن عهد الحماية في قوانين التعاونيات وجعل لها دستوراً جديداً قائماً على 104 فصول كما أولى مكتب تنمية التعاون اهتماماً كبيراً بتشجيع تعاونيات الإنتاج بوجه خاص فإنها تعتبر عند المسؤولين عن التشغيل وطنيا ودوليا أداة من أدوات مكافحة البطالة وحلا وسطا بين الرسمالية الكبرى والاشتراكية المفرطة في المركزية. ولقد انصرف الاهتمام في السنوات الأخيرة إلى مساعدة الأفواج المتزايدة من خريجي المدارس المهنية إلى إقامة تعاونيات بينهم بحسب المؤهلات والتخصصات وأيضا إلى الأخذ بيد من يعود من عمالنا من الخارج ويرغب في إقامة مقاولات إنتاجية في أرض الوطن على شكل تعاونيات. ولقد أقيم معمل للنجارة العصرية في مدينة سلا بين مجموعة من العمال العائدين من بلجيكا واسمه "تعاونية الأمل".

ولقد كان تصنيف التعاونيات سنة 1990 على الشكل التالي :

في الفلاحة 3176 تعاونية 75،51٪ من المجموع

في الغابة 28 تعاونية 0،67٪ من المجموع

في الصيد البحري 24 تعاونية 0،57٪ من المجموع

في المناجم 32 تعاونية 0،76٪ من المجموع

في الاستهلاك 39 تعاونية 0،93٪ من المجموع

بين التجار الصغار 16 تعاونية 0،38٪ من المجموع

في السكنى 464 تعاونية 11،03٪ من المجموع

في الحرف 427 تعاونية 10،15٪ من المجموع

أما عدد المنخرطين فقد ارتفع فيما بين 1978 و1990

بحسب الأرقام التالية :

| | 1978 | 1990 |
|---|---|---|
| عدد التعاونيات | 2.040 | 4.206 |
| عدد المنخرطين | 82.757 | 130.838 |

مما يثبت أن الحركة التعاونية تنتشر بشكل مطرد في المغرب كما يثبت أنها مازالت تسيطر في القطاع الفلاحي ويأتي بعده القطاع الحرفي ثم قطاع الاستهلاك، أما قطاعات الصناعة العصرية فإنها مازالت دون ما يمكن أن يجنى منها في بلد مثل المغرب عريق الأصول في العمل الجماعي ملزم بالسير في هذا النهج لقلة أمواله وكثرة نسله.

*الجريدة الرسمية*، الظهائر المذكورة مدرجة في مجلدات سنوات صدورها : *الإطار القانوني للمؤسسات التعاونية بالمغرب* (نشر الوزارة المكلفة بتنشيط الاقتصاد، 1994) : *التعاونيات العمالية للانتاج* (نشر وزارة التخطيط، 1987).

*Réorganisation des coopératives agricoles au Maroc à la lumière de la loi*, 24 - 83 (Publications du Ministère du Plan, Rabat, 1988) ; *Annuaire statistique des organismes coopératifs*, 1990, Publications de l'Office du Développement de la Coopération ; Office du Développement de la Coopération, *Organisme de promotion du mouvement coopératif*, Publications de l'O.D.C.O.); *Analyse de la gestion des coopératives marocaines agricoles et des sociétés coopératives agricoles marocaines, Exercice 1958 - 1959*, Publication du Ministère de l'Agriculture, 1960 ; J. Celerier, *Chez les berbères du Maroc : de la collectivité pastorale à la coopérative, Ann. Hist. Eco. et Soc.*, Mai 1936 ; *Vingt ans de prevoyance indigène au Maroc*, Direction générale de l'intérieur, Rabat, 1937 ; *Rapport général sur le mouvement coopératif au Maroc en milieu autochtone*, 1934 - 1955, Direction générale de l'intérieur, Janvier 1956.

إبراهيم بوطالب

**التعركيبة**، المصطلح مشتق من فعل "عرقب" ويقال عرقب الرجل الدابة إذا قطع عُرقوبها، أي عصب رجلها. وجرت العادة في المغرب أن يلجأ الناس إلى قطع عصب الرجلين الأماميين للثور (في الغالب) في مناسبات خاصة ترتبط "بطلب الشفاعة" أو"طلب العار" وترمز الدابة المعرقبة، وهي منحنية إلى الأمام، إلى وضعية الخضوع التي يوجد فيها المستجير أو طالب العار وإلى إقراره بالضعف والغلبة وبالتالي حاجته إلى الحماية والمؤازرة التي ينتظرها من جهة قادرة على تلبية رغبته.

ولقد ارتبطت هذه الممارسة أساساً بمؤسسة "العار" التي تعتبر إحدى الوسائل التي يلجأ إليها طالب الحماية والمؤازرة. وطلب العار (أو "رمي العار") يتم عبر طقوس مختلفة قد تقتصر على ترديد عبارات معينة مثل "ها العار عليك!" أو "أنا في عارك يا فلان!". لكن طلب الحماية أو الشفاعة يصبح أكثر قوة وإحراجاً للجهة المقصودة إذا اقترن بإراقة الدم عن طريق الذبيحة أو "التعرقيبة". وفي الغالب ما يسوق طالب الحماية الدابة التي ينوي استعمالها لهذه الغاية إلى دار الشخص الذي ترجى حمايته، فيذبحها أو يعرقبها عند باب داره، فلا يسعه حينئذ إلا الاستجابة لرغبة الطالب وإلا تعرض لعار هذا الأخير.

وغير واضح ما يقصد بالعار. فهناك من الإثنوغرافيين مثل ويسترمارك (E. Westermarck) من فسره على أنه "لعنة مشروطة" (Conditional curse) سوف تنزل على المستجار به إذا هو رفض الاستجابة لرغابة المستجير. وفي هذه الحالة يُعبر عن الآفة التي تحل بالشخص بخروج العار فيقال عنه إذا أصابه مكروه في شخصه أو أسرته أو ماله بأن "العار قد خرج فيه" بفعل قدرة إلهية أو قدرة خارقة تتكفل بالانتقام لطالب الحماية الذي لم يحصل على مبتغاه. وهناك من يفسر العار تفسيراً اجتماعياً محضاً (جاموس، ك. براون) فيقول إن المراد بالعار هو السبة التي تنزل بالشخص في أعين المجتمع لإخلاله بقواعد المروءة التي تقتضي المساعدة عند الاقتدار، أي أن المسألة هي مسألة إخلال بقيم اجتماعية مرتبطة بالشرف (Honneur) والمروءة.

والواقع أن العار في تصور العامة من الناس يتضمن المعنيين معاً. فالشخص الذي يرفض تقديم الحماية والمساعدة لمن طلبهما هو شخص يُدينه المجتمع، ولكن المسألة لا تنحصر في هذا الجانب فقط، بل هناك اعتقاد راسخ بأن القدرة الإلهية، أو قدرة ما تُنسب للجن أو غيرهم، سوف تلاحق ذلك الشخص لتنزل به العقاب الذي يستحقه جزاء له على تنصله من العار الموجه إليه.

أما اللجوء إلى "التعرگيبة" فيتم في مناسبات عديدة لا يمكن حصرها، لكنها تجتمع في قاسم مشترك يتمثل في الإقرار بالضعف وطلب الحماية أو المؤازرة. فالقاتل الذي يخشى انتقام أسرة المقتول مثلا كان يلجأ إلى "التعرگيبة" أو الذبح عند باب دار المقتول. كما أن القبيلة التي ترغب في مساندة قبيلة أخرى لتقف معها ضد خطر يتهددها من جهة قبيلة ثالثة كانت تلجأ إلى نفس الممارسة. وكانت القبائل في السابق تلجأ إلى الذبح أو "التعرگيبة" لطلب عفو السلطان. كما استعملت قوات الاحتلال الفرنسية هذه العادة لتحصل على استسلام القبائل والمناطق التي أُجبرت على الخضوع، فكانت "التعرگيبة" في هذه الحالة رمزاً لنهاية المقاومة والقبول بسلطة الدولة الحامية. ويذكر ديل إيكلمان، على سبيل المثال، أن قبائل تادلة لجأت إلى "التعرگيبة" في سنة 1955 لإيقاف القصف الجوي الفرنسي الذي تعرضت له كنتيجة لأحداث وادزم في تلك السنة.

ومن المعلوم أن ممارسة مثل "رمي العار" واللجوء إلى "التعرگيبة" لقيت معارضة شديدة من العلماء الذين رأوا فيها ممارسات جاهلية وبقايا لمعتقدات لا علاقة لها بالإسلام.

K. Brown, *The Curse of Westermarck, Ethnos* (Stockholm), vol. 47, 1982, pp. 197 231 ; R. Jamous, *Honneur et Baraka : les structures traditionnelles dans le Rif*, Paris, 1981 ; E. Westermarck, *Ritual and Belief in Morocco*, London, 1926, 2 volumes.

محمد المنصور

**التعريب**، أي الحديث والكتابة والتأليف باللغة العربية فصيحة كانت أو عامية، مع وجود وعي بالانتماء إلى الثقافة المعبرة بتلك اللغة وتبني تراثها الحضاري والفكري

بصفة عامة. ولا نهتم هنا بالتعرض لمسألة التعريب في المغرب المعاصر، إنما ينحصر اهتمامنا في الحديث عن ظروف وآليات انتشار اللغة العربية في مغرب العصر الوسيط. وسنتناول ذلك بإيجاز من خلال المحاور التالية :

- مراحل التعريب بالمغرب خلال العصر الوسيط.
- العوامل المساعدة على انتشار اللغة العربية بالمغرب.
- حدود التعريب.

مراحل التعريب بالمغرب خلال العصر الوسيط : ميز عدد من الباحثين في تاريخ المغرب، مرحلتين من مراحل تعرب المغاربة خلال العصر الوسيط، تبتدئ أولاهما بدخول الفاتحين العرب خلال القرن الهجري الأول، وتتعزز بعد ذلك بتوافد القبائل الهلالية أواسط القرن الخامس.

المرحلة الأولى : دور الحواضر في انتشار اللغة العربية، من الجائز أن نقول بأن تعرب المغاربة بدأ منذ اتصالهم بالعرب الفاتحين، وقد أسهم الرهائن الذين كان زعماء الجيش العربي يأخذونهم من بين أعيان المغاربة وأمرائهم في نشر الثقافة واللغة العربيتين حين عودتهم إلى ذويهم وأوطانهم. غير أن العناصر الفعالة في هذه المرحلة تتمثل على وجه الخصوص في جماعات الجيوش والفقهاء والدعاة القادمين من الشرق لأسباب سياسية ومذهبية. ولا يعرف العدد الاجمالى لهؤلاء على وجه الدقة وإن كان بعض الباحثين يقدرهم بأزيد من مائة ألف. والأهم من عددهم وزنهم الثقافي والسياسي والديني ودورهم العمراني، إذ يعود إليهم الفضل في تأسيس عدد من المراكز الحضرية أو تعميرها مثل القيروان وفاس وتاهرت وسجلماسة وغيرها.

فحينما أسس الأدارسة مدينة فاس، واتخذوها عاصمة لإمارتهم، استقبلوا فيها جماعات وفدت عليهم من افريقية والأندلس، واختار من بينهم إدريس الثاني أعضاء "لحكومته" كما قرب علماءهم وفقهاءهم. ومن المؤكد أن هؤلاء أسهموا في تعزيز وجود اللغة العربية في العاصمة الادريسية التي ما فتئت تزيد ازدهاراً وعمراناً بفضل موقعها الجغرافي ومحيطها الفلاحي حتى بدأ اشعاعها اللغوي يمتد إلى البوادي المجاورة، وهذا ما أشار إليه كل من البكري (القرن الخامس) والإدريسي (القرن السادس) حين تحدثا عن وجود قبائل أمازيغية معربة بجوار مدينة فاس. وهذا دليل على أن تعرب بعض البوادي المغربية بدأ قبل قدوم قبائل بني هلال.

ويمكن أن نستنتج من مثال فاس وضواحيها أن المناطق الأكثر تعرضاً للتعريب ـ إلى جانب المدن ـ هي تلك الواقعة بين مناطق حضرية ذات إشعاع ثقافي قوي أو تلك التي تشكل ممراً تجاريا ترتاده القوافل بكثافة واستمرار، مما يدعو إلى التفكير في دور التجارة كذلك في دعم انتشار اللغة العربية بالمغرب.

وعن دور العرب الهلاليين في تعريب بعض المناطق، يذكر ابن خلدون، وهو يمهد لفصله المشهور حول بني هلال، أن بوادي المغرب لا عهد لها بالجنس العربي قبل مجيئ أفواج هلال وسليم ومعقل الذين نزحوا تباعا نحو المغرب منذ أواسط القرن الخامس الهجري ووصلت بعض قبائلهم وعشائرهم إلى المغرب الأقصى خلال العصر الموحدي وخاصة أيام الخليفة الثالث يعقوب المنصور (580ـ595 هـ). وقد كان الهدف من نقلهم الحد من عيثهم في أفريقية والمغرب الأوسط، والاستفادة من مؤهلاتهم العسكرية في الجهاد. وإلى جانب هؤلاء نزحت قبائل معقل وتوجهت نحو الجنوب الشرقي فنصادفها، ومنذ العصر المريني في سوس والصحراء المغربية.

وقد كان احتكاك تلك القبائل وتجاورها مع سكان البادية المغربية سبباً في نشر اللغة العربية. وحينما بدأ شيوخ تلك القبائل ينالون "إقطاعات" من الدولة المرينية، في مقابل الخدمة العسكرية، تدعم نفوذهم اللغوي الثقافي بالنفوذ السياسي والعسكري والقانوني، فكان من السهل على قبائل أو جماعات أمازيغية الانضمام لهؤلاء عن طريق الولاء فتصبح مع مرور الزمن كأنها عربية خالصة. ولا تخلو المصادر التاريخية المغربية من الإشارة إلى حالات قبائل أمازيغية تخلت بعد مجاورتها للعرب عن عدد من مقوماتها الثقافية واللغوية، بل وعن أسمائها الأصلية.

العوامل المساعدة على التعريب : إن التعريب الذي نتحدث عليه لا يتضمن أي مفهوم عرقي لأن عدد العرب الداخلين إلى المغرب، من عهد الفتح إلى القرن السابع، ضئيل بالقياس إلى مجموع السكان الأصليين. لقد كان من الممكن أن تذوب المجموعات العربية، لغويا وثقافيا، في خضم الملايين من السكان الأصليين، لكن العكس هو الذي حصل بحيث ذابت جماعات أمازيغية، أو فقدت لغتها من جراء الاتصال بالعرب وبالثقافة العربية. وهذا الواقع يفرض علينا التساؤل عن العوامل المساعدة على انتشار اللغة العربية بالرغم من المعطيات المذكورة أعلاه.

مما لا شك فيه أن للدين الإسلامي دوراً هاماً في انطلاق حركة التعريب وتقدمها، فالتعليم في الكتاتيب والربط، ثم في المدارس، كان يتم باللغة العربية وكان يعتبر مسألة دينية قبل كل شيء. كما أن القيمة الثقافية والحضارية للغة القرآن جعلت الأمازيغيين يتهافتون على تعلمها لدرجة أن بعضهم أصبحوا يرغبون في أن يصبحوا عرباً فاصطنعت لذلك الشجرات، ووضعت الأنساب جملة، وهكذا نقرأ في كتب التاريخ أن صنهاجة من حمير وزناتة ينتهي نسبها إلى قيس عيلان، وإنما تبربرت وتغير لسانها حينما جاورت "البربر".

وإلى جانب هذه الأنساب "بالجملة" أصبح الأمازيغي، في الحواضر خاصة، ينسلخ عن طواعية من نسبه ليرتبط بالنسب العربي، ومن "رطانته" ليتعلم اللغة العربية المستكملة لكل الشروط المطلوبة.

الوضعية اللغوية بالمغرب : إن ظاهرة المثاقفة المشار إليها ما كانت لتؤتي أكلها لو لم تكن الوضعية اللغوية بالمغرب تسمح بذلك. فعندما بدأت جيوش الفاتحين العرب

تطرق أبواب المغرب، كانت اللغتان، البونيقية واللاتينية لا تزالان مستمرتين في بعض المدن والمناطق، خاصة تلك التي شهدت ازدهار الحضارة الرومانية والبيزنطية (منطقة افريقية، شمال المغربين الأوسط والأقصى)، وقد دلت النقوش والحفريات، فضلا عن الشهادات التاريخية على استمرار اللغة اللاتينية لغة للكنيسة بالمغرب إلى ما بعد القرن الخامس انهجري. أما بالنسبة للغة البونيقية، فقد اعتبر بعض الباحثين وجودها عاملا ممهدا لانتشار اللغة العربية، علماً بأن اللغتين تنتميان إلى مجموع اللغات السامية.

ومهما يكن من شأن اللغتين، فإن التعريب الحقيقي مشروط بتراجع اللغة المحلية السائدة وهي الأمازيغية التي لم تكن بدورها قادرة على الصمود بفعالية أمام المد اللغوي والثقافي العربي، خاصة في المجالات الروحية والفكرية، إذ لم يسبق لها أن كانت، طيلة تاريخها محور حركة دينية أو "قومية" ترفعها إلى مصاف اللغات الكبرى في التاريخ. لقد ظل إنتاجها المكتوب قبل الإسلام منحصرا في بعض النقوش التي ماتزال رموز بعضها غير مفهومة، ومن المستبعد أن يكون المثقفون الأمازيغيون القدامى ألفوا بها أو دونوا انتاجاتهم، ومن المؤكد أن مشاهيرهم من أمثال أبيلوس والقديس أغسطين، قد ألفوا باللغتين السائدتين في عصرهم، البونيقية واللاتينية.

وفي العصور الاسلامية الأولى ظهرت حركات دينية سياسية ثقافية معارضة للإسلام والعروبة ومن أبرزها على الخصوص، الحركة البرغواطية التي نسجت على منوال الإسلام ووضعت "قرآنا" مكتوبا باللغة الأمازيغية، واحتج المتنبئ البرغواطي على العرب بآية من القرآن "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه"، مبرزاً بذلك ولأول مرة المشكل اللغوي على صعيد حركة دينية سياسية"قومية" أمازيغية.

وبعد ذلك بعدة قرون، تبرزحركة أخرى، سنية إصلاحية، هي حركة المهدي بن تومرت الذي ألف عقيدته باللغة الأمازيغية، وعمل خلفاؤه من بعده على إلقاء الخطب الدينية والسياسية باللغة الأمازيغية، بل "كان لا يخطب ولا يؤم إلا من يعرف التوحيد باللسان العربي" كما جاء في عدد من المصادر. إلا أنه ورغم تلك الاجراءات فقد كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية، فهي اللغة الإدارية الوحيدة، وبها تم التأليف في مختلف المجالات العلمية والدينية والفلسفية. لاشيء يدل إذن على أن الموحدين كانوا يسعون إلى طرح المسألة اللغوية كما طرحوا المسألة المذهبية مثلا.

وهكذا فإن وضعية اللغة الأمازيغية لم تكن تؤهلها لمنافسة اللغة العربية، في الميادين العلمية "والأكاديمية" بل إن تلك اللغة تأثرت "بأختها الكبرى" على مستويي القاموس والبنية واقتبست منها مجموعة من الألفاظ والعبارات، وتمخض عن ذلك، من بين ما تمخض، ميلاد الدارجة (العامية) المغربية.

حدود التعريب، مظاهره وأسبابه : رغم أن حركة التعريب معززة بظروف ملائمة وعلى رأسها استعداد جماعات الأمازيغيين للانصهار في الثقافة العربية، فإن مجال التعريب لم يتعد بعض المراكز الحضرية وضواحيها بينما ظلت أغلبية البوادي وكل الجبال معاقل للغة الأمازيغية.

صحيح أن المغاربة المعربين ساهموا بدورهم في الإنتاج الفكري العربي الإسلامي مساهمة تبرر، رغم حدودها، ظهور مؤلفات معاصرة من قبيل *النبوغ المغربي في الأدب العربي*، إلا أنه، وكما كانت لحركة التعريب عوامل مساعدة أشرنا إلى بعضها، فإن لها كذلك حدوداً فرضتها شروط تاريخية وجغرافية واجتماعية.

ضعف العمران : إذا كانت المراكز الحضرية هي نواة التعريب الأولى، فإنه ينبغي أن نـذكّر ـ رغم أن الأمر لا يحتاج إلى تذكير ـ أن الحواضر كانت قليلة، كما أنها لم تكن كلها معربة : فمدينة فاس كانت "بمختلف الألسن لاحنة" ومراكش وأصيلا وأزمور "لسانها بربري" كما أن ظاهرة "العجمة" لم تزَل بعد من سهل تامسنا، بالرغم من انتشار أفواج بني هلال (ابن الخطيب).

أما ابن خلدون، فقد أشار في عدة أماكن من *المقدمة والعبر* (ج 6)، إلى طغيان "الرطانة" في بلدان المغرب وإلى ما كان يعانيه اللسان الحضري من التردي، وفي محاولة لتفسير ذلك يقترح علينا ابن خلدون عاملين : الأول "منهجي" يتمثل في إفلاس أساليب التعليم آنذاك في نشر لغة العرب. فالمغاربة كانوا "يحفظون قوانين اللغة والنحو المجردة، ولا يمارسون التحدث باللغة العربية" لشدة عجمتهم، والثاني تاريخي يتجلى في تراجع العمران.

وإذا كان السبب "البيداغوجي المنهجي" وجيهاً، فإن مسألة تراجع العمران جديرة حقا بكل الاهتمام إذ أن مفهوم العمران الخلدوني يتضمن ازدهار النمو الحضاري والتجارة والمبادلات ونمو الفكر وغيرها من عناصر "التقدم" .....، وكلها عناصر افتقد المغرب بعضها أو جلها خلال نهاية العصر الوسيط.

العامل الجغرافي والاجتماعي : شبه بعض الباحثين انتشار الحضارة الرومانية بالمغرب بانتشار الماء، بمعنى أنها تغمر السهول وتعجز عن إدراك الجبال...، ويمكن ـ مع مراعاة الفرق بالنسبة إلينا ـ أن نشبه مسألة انتشار اللغة العربية في مغرب العصر الوسيط بانتشار الماء، فقد امتدت إلى الحواضر والسهول والصحاري، وهذا ما يشير إليه ابن خلدون بقولته المشهورة "العرب لا يتغلبون إلى على البسائط"، لذلك ظلت المناطق الجبلية بعيدة كل البعد عن تأثير اللغة العربية، اللهم إلا ما يفرضه التعليم في الكتاتيب والمدارس التي كانت تستعمل الأمازيغية أيضا في التدريس، أو ما يحمله إليها بعض أبنائها الذين تمكنوا من "إتمام" دراستهم في بعض الحواضر، مراكش وفاس على وجه الخصوص.

وإلى جانب "العامل الجغرافي الطبيعي" لا بد من الإشارة كذلك إلى "العامل الجغرافي البشري" بحيث يسهل تعريب مناطق الكثافة الضعيفة ويتعذر تعريب مناطق الكثافة المرتفعة. كما أن للتنظيمات والبنيات القبلية وأشكال استغلال الأرض وتملكها أثرا على امتداد أو انحسار حركة التعريب. فالقبيلة المتماسكة بفضل نظامها الاجتماعي، حيث يسود الاستغلال والملكية الجماعية لوسائل الإنتاج أكثر قدرة واستعداداً لمقاومة التأثيرات الخارجية، وعلى النقيض منها تكون وضعية القبائل التي تفسحت روابطها الاجتماعية بفعل عوامل تاريخية أو سياسية، مثل قبائل تامسنا التي انهكتها الحروب المتوالية من عهد بني يفرن إلى العصر المريني...

إلا أنه ينبغي أن نحتاط من التسرع، ويستحسن أخذ العوامل المذكورة بعين الاعتبار وتفادي أخذها كعوامل تفسر بكيفية قطعية امتداد أو تقلص حركة التعريب بالمغرب في العصر الوسيط.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*...، تح. أحمد مختار العبادي ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ *العبر*، ج 6، بيروت 1968.

W. Marçais, *Comment l'Afrique du Nord a été arabisée*, *A.I.E.O.A.*, 1938 et 1939.

رضوان مبارك

## التعريب ← معهد الأبحاث والدراسات للتعريب

**التعريب** (مكتب تنسيق ـ)، أول ما سمي بالمكتب الدائم لمؤتمر التعريب، ثم أُطلق عليه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي، ويدعى الآن مكتب تنسيق التعريب. وقد انبثق عن مؤتمر التعريب الأول المنعقد في الرباط من 3 إلى 7 أبريل سنة 1961. وأصبح مؤسسة ملحقة بجامعة الدول العربية بناء على قرار الجامعة رقم 2541 / د ج 4 المؤرخ في 16 / 3 / 1969، ثم أصبح جهازاً من أجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعد خلقها، طبقا للقرار رقم 70 المؤرخ في 8 / 5 / 1972. وقد وافق المؤتمر الأول المشار إليه أعلاه على أن يكون مقر المكتب الدائم بمدينة الرباط في المملكة المغربية، نظراً للواقع اللغوي الذي كانت تعيشه دول المغرب العربي إذ ذاك، وكانت حديثة العهد بالاستقلال.

وسطرت مبادئ المكتب الستة التي عليه أن يعمل بمقتضاها، في مؤتمر التعريب الثاني، المنعقد في الجزائر من 12 إلى 20 من شهر ديسمبر 1963 :

ـ اللغة مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة واستمرارها. وكل خطر يهدد اللغة هو خطر يتهدد شخصية الأمة واستمراريتها وارتباط ما بين أجيالها.

ـ إن تأصيل العلوم وإنتشار المعارف في أمة من الأمم لا يكون إلا بلغتها. ولذلك فإن لحاق البلاد العربية بالحضارة العلمية المعاصرة ومواكبتها لها، ثم مشاركتها فيها، يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة التدريس، وإعداد المصطلحات العلمية الموحدة لذلك.

ـ إن تأصيل اللغة لا يقتصر على الأخذ بها في مرحلة دون مرحلة وإنما يجب أن يمازج مراحل التعليم كلها منذ بدايتها، حتى يتيسر لأبناء هذه اللغة أن يعايشوها معايشة كاملة تساعد بعد ذلك على التصرف بها وتطويرها.

ـ إن ما لحق اللغة العربية من قصور في العصور المتأخرة لا يعود إلى العربية نفسها، وإنما يرتد إلى ما فرضه الغزو اللغوي ـ على درجات متفاوتة من مباعدة بينها وبين أصحابها، ومن تشكيك فيها، وعزل لها عن الحياة والمجتمع.

ـ إن اللغة العربية قادرة، بحكم طبيعتها وخصائصها وتراثها الذي أسهمت به في الحضارة الانسانية على أن تكون لغة العلم الحديث : تدريساً وتأليفاً وبحثاً.

ـ إن الدعوة إلى تدريس العلوم باللغة العربية والعناية بهذه اللغة لا تعني إهمال الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية ولا تقصد إليه.

وجاء في النظام الداخلي للمكتب، الصادر بتاريخ 27 / 1 / 1973 ما يلي : يقوم المكتب بالمساهمة الفعالة في الجهود التي تبذل في الوطن العربي للعناية بقضايا اللغة العربية ومواكبتها للعصر، واستجابتها لمطالبه، وذلك عن طريق تنسيق الجهود التي تبذل للتوسع في استعمال اللغة العربية في التدريس بجميع مراحل التعليم وأنواعه ومواده، وفي الأجهزة الثقافية ووسائل الإعلام المختلفة ؛ وتتبع حركة التعريب وتطور اللغة العربية العلمية والحضارية في الوطن العربي وخارجه، بجمع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع ونشرها أو التعريف بها ؛ وتنسيق الجهود التي تبذل لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة ولتوحيد المصطلح الحضاري في الوطن العربي بكل الوسائل الممكنة؛ والإعداد للمؤتمرات الدورية للتعريب.

ويقوم المكتب في سبيل تحقيق أهدافه بالعمل على تنمية اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية في الخارج، وذلك بالتوسع في إصدار المعاجم المخصصة في ميادين المعرفة وإبراز دور الحضارة العربية الإسلامية في نمو المعرفة الانسانية، ووضع المصطلحات العربية الموحدة للمفاهيم الجديدة وتعميم استعمالها وتداولها، والإفادة من التقنيات الحديثة في نشر اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في الداخل والخارج ونشر المعلومات والاستفادة منها بواسطة بنك المصطلحات، وتتبع وخزن الرصيد المصطلحي المستجد، ودعم المكتبة بالمراجع والكتب والدوريات. وإصدار مجلة دورية لنشر نتائج أنشطة المكتب (اللسان العربي)، وهي متخصصة تعنى بنشر الأبحاث اللغوية وقضايا الترجمة والتعريب ونشر المشروعات المعجمية، بالإضافة إلى نشر المعاجم التي تقرها مؤتمرات التعريب، وقد نشرت معظم هذه المعاجم، والبعض الآخر تحت الطبع.

وقد بلغ عدد مؤتمرات التعريب المنعقدة ما بين سنة 1961 و1994 سبعة وبلغ مجموع المصطلحات المصادق عليها

118.640 مصطلحاً. فعلاوة على المؤتمر التأسيسي المنعقد بالرباط سنة 1961، انعقد المؤتمر الرابع بطنجة في أبريل 1981 حيث صادق على ثمانية من المعاجم العلمية والتقنية كما انعقد المؤتمر السادس بالرباط في شتنبر 1988 وصادق على معاجم في الآثار والقانون والاقتصاد والجغرافيا والموسيقى.

بلغ عدد المعاجم التي أنجزها مكتب تنسيق التعريب بالرباط ونشرت أو هي تحت الطبع سنة 1994 سبعة وعشرين معجماً بثلاث لغات : الأنجليزية والفرنسية والعربية، وهي معاجم موحدة لمصطلحات اللسانيات، والفيزياء العامة والنووية، والرياضيات والفلك، والكيمياء، والأحياء (النبات والحيوان)، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، والتجارة والمحاسبة، والصحة وجسم الإنسان، والتعليم التقني والمهني، والجيولوجيا، والبترول، والحاسبات الإليكترونية، والآثار والتاريخ، والموسيقى، والجغرافيا، والاقتصاد، والقانون، والسياحة، والبيئة، والزلازل، والطاقات المتجددة، والمياه، الاستشعار عن بعد، والتقنيات التربوية، والإعلام، والفنون التشكيلية.

ويعد حاليا في مكتب تنسيق التعريب بالرباط أربعة معاجم تهم مصطلحات الأرصاد الجوية، والهندسة الميكانيكية والمعلوماتية، وعلم البحار.

ورغبة في سلامة الإنجاز العلمي المصطلحي، ونشدانا لتوحيد المصطلح العلمي ليصبح مصطلحا عربيا متفقا عليه، عقد المكتب ندوة خاصة لكل مشروع معجمي سواء في مكتب أو في مؤسسات مختصة أو في مجامع اللغة العربية. وتوجها بمؤتمرات التعريب المشار إليها أعلاه وعقد أيضا ندوات مختصة حول المنهجية أهمها :

- ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة - الرباط 1981.

- ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل المصطلح الموحد وإشاعته - عمان 1993.

هذا وقد عقد المكتب بالإضافة إلى هاتين الندوتين، ندوة خاصة بتأليف كتب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بالرباط، سنة 1980، وشارك فيها عدد من الخبراء والعلماء العرب الذين مثلوا جامعات ومؤسسات عربية وإسلامية، ومعهد غوته الألماني والمجلس الثقافي البريطاني.

كما عقد دورة تدريبية في صناعة المعجم، بالرباط أيضا، سنة 1981، شاركت فيها جامعات ومؤسسات علمية عربية ودولية، وصدرت أعمال هذه الندوة في كتاب بعنوان : *صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية*.

وكان مكتب تنسيق التعريب بالرباط على وعي بأن تجربته المعجمية لا يمكن أن تتخذ أبعادها الحقيقية باكتفائها بجهود علماء الاختصاص المتناظرين والمؤتمرين فحسب، بل لا بد وأن تستفيد من تجارب المؤسسات الدولية والعربية ذات الاهتمام المشترك، وهكذا كان للمكتب علاقات مع المنظمة العلمية للتقييس (ISO) جنيف ومركز المعلومات الدولي للمصطلحات (Infoterm) في فيينا. واتحاد المترجمين الدوليين (ويضم رابطات واتحادات المترجمين في معظم الدول الأوربية والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي سابقا (Fit) في وارسو وشركة سيمنس بألمانيا والجمعية العالمية لوضع المصطلحات (Termia) والبنك الآلي السعودي للمصطلحات (Baṣm) وبنك المعلوميات في منظمة الألكسو (Farabi) والمجلس الدولي للغة العربية بباريس (Cilf) وغيرها.

كما يربط علاقات علمية مع المجامع العربية، والجامعات والمؤسسات المختصة في البحث والدرس والصناعة. وفي إطار هذا التعاون المصطلحي ساهم المكتب في وضع عدد وافر من المعاجم الأخرى لمصطلحات علمية وتقنية، بحيث بلغ مجموع المعاجم التي أنجزها إعداداً أو مشاركة أو إشرافاً أو مراجعة مائة وثمانية وثلاثين مشروعاً معجمياً أو قائمة مصطلحية. ويساهم المكتب حاليا في وضع معجم العلوم الطبية المصور الذي يشرف عليه البروفسور عبد الحفيظ لهلايدي، جامعة محمد الخامس - الرباط. وسيظهر في عشرة أجزاء متضمنة لحوالي مائة ألف مصطلح تغطي منظومات العلوم الطبية الكبرى.

لم يكن المكتب يحصر جهوده في معجماته المذكورة هذه لتصدر بالطريقة التي هي عليها، بل كان له هدف آخر يقصده منها، وهو أن تكون أساسا وقاعدة معجم حضاري دعاه "معجم المعاني العام"، وقد أعد في هذا الصدد حوالي أربعين مشروعا أنجز جلها الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله - المدير الأول لمكتب تنسيق التعريب - وبلغ عدد جذاذات هذا المعجم حوالي 500.000 جذاذة، وضع المكتب حاليا خطة جديدة تعتمد على الحاسوب والمناهج الحديثة المصطلحية، للاستفادة منها وتكميلها، لتتجسد عملا كاملا يوضع بين أيدي الناس. وقد نشر بعض من هاتيك المشروعات في مجلة *اللسان العربي*.

إذا كان المكتب يصب تجربته المصطلحية في ما أصدره من مشروعات معجمية، فإن عنايته بقضايا اللغة العربية والترجمة والتعريب، تمثلت في دوريته "اللسان العربي" التي ظهر عددها الأول سنة 1964، وهي حاليا سنوية، صدر منها حتى الآن سبعة وثلاثون عدداً في أربعة وخمسين مجلدا، تضمنت 1.050 بحثاً و292 مشروعاً معجمياً.

وكان المكتب ولايزال يقوم بمساعدة بعض المؤسسات الحكومية المغربية والمؤسسات الخاصة في مجالات التعريب كلما دعا الأمر إلى ذلك، عن طريق موافاتها بالمطبوعات والمعلومات والتوجيهات وتوفير المقابل العربي لما تستعمله من مصطلحات علمية. كما كان المكتب يساهم في تعريب اللافتات والواجهات ونصوص الإشهار، في بعض المدن المغربية. وكثيراً ما كانت بعض الإدارات والهيئات والشخصيات تستفتي المكتب عن طريق الهاتف، في ترجمة فورية لأمر من الأمور. ويتلقى المكتب على الدوام

قوائم مصطلحية تشمل مختلف العلوم والفنون ليجد لها المقابل العربي المطلوب.

ويفد يوميا على مكتبتي المكتب (العلمية والمعجمية) وقسمه التقني، طلاب من الكليات العلمية قصد إعداد بحوثهم العلمية باللغة العربية، كما يرد عليه أيضا عدد من الباحثين مغاربة وغيرهم للاطلاع على منجزاته ومنهجيته في إعداد المعاجم وتنسيق المصطلحات، أو لإعداد أبحاثهم أو أطروحاتهم حول نشاط المكتب ودوره في حركة التعريب في الوطن العربي.

*وثائق مكتب تنسيق التعريب* ؛ محمد المنجي الصيادي، *التعريب وتنسيقه في الوطن العربي*، مركز دراسات الوحدة العربية - سلسلة أطروحات الدكتوراه (1)، الطبعة الخامسة، بيروت، 1993 ؛ *استطلاعات إعلامية عن مكتب تنسيق التعريب في الصحافة المغربية والعربية* ؛ *مجلة القافلة* في عدديها (ربيع الثاني 1403 هـ ورمضان 1403 هـ)، وجريدة *الميثاق الوطني* في عددها بتاريخ 22 / 6 / 1983، وجريدة *عكاظ* السعودية بتاريخ 29 / 6 / 1983، ومجلة *قافلة الزيت* في عددها السابع مايو 1981، وجريدة *بغداد ابزيرفر* التي نشرت في عددها 5039 بتاريخ 2 / 2 / 1984 مقالا للسيد الأستاذ سمير الجلبي تناول فيه أهداف المكتب وأنشطته.

أحمد شحلان

**التعرية المائية**، عبارة تطلق على مختلف الآليات السطحية التي تعمل على تحريك الفتاتات من موقع اقتلاعها إلى مكان ترسبها، تحت تأثير المياه السائلة أو الجارية. وهي ظاهرة هامة في المغرب، كما هو الحال في باقي المجالات المتوسطية، وذلك بسبب تركز التهاطلات من جهة، وتفرق الغطاء النباتي. وتتدخل في بعض المجالات عوامل إضافية، مثل حدة التضرس وضعف مقاومة الصخور، لتجعل منها مناطق تعتبر أراضيها ذات قابلية مرتفعة للإزالة والتدهور. كما أن حدة التدخل البشري على المجال، وقدم الاستعمالات المختلفة للتربة، كان لهما الأثر الهام على استقرار السفوح.

تشير التقديرات القياسية، التي تنجزها إدارة المياه (بوزارة الاشغال العمومية) إلى خطورة التعرية المائية بالمغرب. وقد انتبهت مصالح المياه والغابات (وزارة الفلاحة) إلى هذه الظاهرة، وسخرت إمكانيات هامة للوقاية.

وترجع خطورة هذه الظاهرة أولاً إلى تأثير العامل المناخي. فالتراب الوطني تقع أجزاؤه الشمالية ضمن المناخ المتوسطي الذي يتميز بتناقض بين الفصول وبعنف التهاطلات، وأجزاؤه، الجنوبية ضمن المناخ الشبه صحراوي، المتميز بالجفاف عادة بسقوط زخات مطرية كثيفة ومركزة.

إلا أن القياسات المتوفرة تهم خاصة الاقاليم الممتدة شمال الأطلس الكبير. وتشير هذه القياسات إلى أن المجالات الجافة لها اعتدائية مناخية متواضعة ؛ وتبقى هذه الاعتدائية متوسطة في المجالات الهضبية من المغرب. وترتفع بشكل ملحوظ في الجبال الاطلسية لتصل إلى ذروتها في جبال وتلال الاقاليم الشمالية (سلسلة الريف).

وللعامل التضاريسي، دور أساسي في تحديد القابلية للتعرية. وقد تم تحديد التوزيع الجغرافي للتضاريس في الأقاليم الشمالية من المغرب، على مساحة تقديرها العام حوالي 23 مليون هكتار. تمثل فيها الجبال 35٪، والتلال المنحدرة 18٪، بينما تغطي السطوح المنبسطة والمتموجة (هضاب - سهول - تلال منخفضة) 47٪ من المساحة الاجمالية للأقاليم المتوسطة. وهذا يعني أن نصف أراضي هذه المجالات، ذو قابلية عالية للانجراف.

ودور الغطاء النباتي أساسي في الوقاية من عملية التعرية. وتثبت كل القياسات هذا الدور الأساسي، حيث تتضاعف مقادير التعرية من عشر إلى عشرين مرة، عند مرور السطح من حالة التغطية الشاملة إلى حالة الاجتثاب الكامل. وتغطي الغابة حالياً حيزاً تقديره حوالي 12٪ من مساحة البلاد (تقريبا تسعة ملايين من الهكتارات). وهذا مؤشر آخر يفسر أهمية الانجراف المائي للأراضي.

وتقدر ساكنة المغرب حالياً بحوالي 26 إلى 27 مليون نسمة، نصفها يعيش في البوادي. وهذا يعني أن الكثافة الفعلية على أراضي الارياف لا تتعدى في المتوسط 19 ن في كلم². إلا أن هذه الكثافة جد متغايرة مجالياً، حيث تصل إلى مقادير تفوق 100 ن /كلم في بعض النواحي كالريف الشرقي. والمجالات ذات البيئة الهشة، والساكنة الكثيفة في نفس الوقت، كالريف ومقدمة الريف هي التي تشكو من الآثار الخطيرة للانجراف.

وعلى أساس قياسات عامة (تقدير الحمولة الصلبة للأنهار من طرف مديرية المياه) وقياسات محلية (نتائج عدد من المحطات التجريبية) وتقديرات نظرية، تم تصور الخطورة الفعلية لظاهرة التعرية المائية بالمغرب.

يرتفع معامل السيل الذي يمثل النسبة السائلة من الكمية الإجمالية المتهاطلة، من المجالات نصف الجافة (حيث لا يزيد عن 10٪) إلى المجالات نصف الرطبة حيث يعلو إلى 15 - 20٪، إلى المجالات حيث التهاطلات جد مرتفعة (أكثر من 700 مم) ليصل إلى حدود 40 - 50٪ في المناطق التي تتلقى أكثر من 1000 مم. وهذا يدل على أن مقادير السيل العنيف، التي تساهم في الانجراف من جهة، ولكن كذلك في تزويد الانهار الكبري وتوفير الثروات المائية، تأتي من هذه المجالات الرطبة جداً.

وتشير القياسات إلى أن تركز المياه بالحمولة الصلبة، يتزايد من المجالات الرطبة إلى الجافة. ذلك ان كثرة الماء السائل تؤدي إلى تخفيف الخليط وبالتالي تناقص التركز. والمجالات الجافة من المغرب تسجل مقادير تتوزع بين 19 و30 غ / لتر، بينما تنخفض هذه المقادير إلى 10 ثم 5 مع تزايد المياه السائلة.

تعد التعرية المائية نتاجاً للسيل والتركز معا. وهي تزيد في المغرب بشكل سريع تبعاً لتزايد المياه السائلة. ويعبر عنها بمقدار الاقتلاع بالاطنان في كلم² خلال سنة.

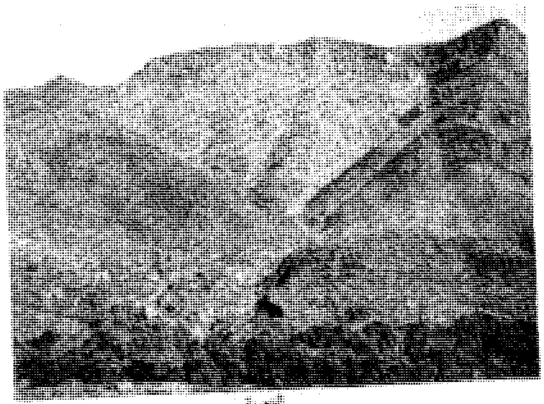

منظر من الأطلس الصغير

يصل هذا المقدار إلى أقل من 500 طن في المجالات نصف الجافة (أقل من 400 مم من المطر). ثم يرتفع في المجالات التي تتلقى بين 400 و600 مم (حوالي 1000 طن)، لتصل إلى 1500 أو 2000 طن في المناطق الرطبة.

وتسمح التقديرات المتوفرة بتصور توزيع عام للتعرية المائية ببلادنا. فالمجالات الجافة والصحراوية التي تغطي أكثر من ثلثي مساحة البلاد، تسجل مقادير ازالة تتراوح بين 10 و50 طن / كلم2 / سنة، والسهول والهضاب الاطلنتية مقادير بين 50 و200. أما جبال الأطلس فهي تفقد ما بين 200 و500 طن / كلم2 / سنة. وترتفع هذه المقادير في شمال شرق الأطلس المتوسط وفي الريف ومقدمته التي لا تغطي أكثر من 6٪ من مساحة البلاد إلى أكثر من 500 طن /كلم2 / سنة (بين 200 و500 في الريف الاوسط والغربي).

ويشير الجدول التالي إلى خصائص عدد من الاحواض النهرية المغربية وإلى مقادير التعرية المائية والسيل بها.

| | ورغة | إناون | الأخضر | ملوية | أبورقرار | ماسة | زيز |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| (1) مساحة | 6170 | 3680 | 1680 | 49900 | 9800 | 3780 | 4500 |
| (2) ٪ الجبال | 88 | 85 | 100 | 43 | 70 | 95 | 100 |
| (3) معدل التهاطل | > 700 | 600 | 450 | <300 | 500 | 230 | 150 |
| (4) موارد مائية | 2980 | 650 | 300 | 934 | 723 | 150 | 155 |
| (5) تركز المياه | 4 | 6 | 16 | 21 | 3.1 | 10.4 | 12 |
| (6) الاقتلاع | 2070 | 901 | 2991 | 336 | 270 | 385 | 430 |
| (7) منقولات | 12800 | 3320 | 5000 | 16700 | 2650 | 1460 | 1970 |

1 ـ مساحة بالكلم2 . 2 ـ نسبة التضاريس الحادة. 3 ـ معدل التهاطل بمم.
4 ـ صبيب النهر بالهكتومتر مكعب. 5 ـ تركز مياه السيل بغ / لتر.
6 ـ الاقتلاع بالطن / كلم2 / سنة. 7 ـ المنقولات السنوية بآلاف الأطنان.

يبين هذا الجدول أن هناك مجالات تفقد مقادير هائلة من تربتها، مثل ورغة والاخضر. ويرتبط ذلك في نفس الوقت برطوبتها وشدة تضرسها. كما أن الصخارة لها دور مهم. أما صبيب المنقولات الإجمالي خلال السنة، فهو يضع ملوية في الصف الأول وذلك ارتباطا بمساحة حوض هذا النهر (7٪ من مساحة المغرب). إلا أن فحص الجدول يبين أن سهول ملوية وجبالها لا تفقد مقادير كبيرة من التربة (336 طن / كلم2 / سنة).

وتتضح عواقب هذا الانجراف الهام في عدة مظاهر من أهمها :

- توحل حقينة السدود من جراء تراكم الفتاتات المنقولة من طرف الأنهار وبالتالي تقلص امكانيات تخزين الماء وراء السدود وإمكانيات تنظيم عملية السقي.
- تدهور أتربة الحقول وما ينتج عنها من تفقير لامكانياتها الفلاحية. هذه الظاهرة الأخيرة مرتبطة بالآليات الدقيقة التي تعمل بها التعرية.

وعلى إثر حدوث تهاطلات، يتسرب قسط من الماء إلى الاعماق، ويكون الصبيب القاعدي للانهار، لأنه لا يتعرض للتبخر، وبالتالي يشكل مخزونا يخرج على شكل عيون مغذية. يتسرب جزء ثان إلى الطبقات العليا من التربة ويساهم في تغذية النباتات. كما أنه يتحرك ويحدث وضعيات انزلاقية هامة. وعندما تتشبع التربة، ينطلق السيل على السطح. ويتخذ هذا السيل شكل قنوات متفرعة ـ متلاقية أو شكل فرشة. كما قد يتركز في خدوش تتعمق ببضع سنتيمترات، أو خدات تنحت مجراها ببضعة أمتار.

يشكل السيل الغشائي فرشة حقيقية، ممتدة وعميقة، يهم خاصة أقدام الجبال في جنوب المغرب. وتتسبب الزخات المطرية العنيفة في حدوث مثل هذه الظواهر، رغم عدم تشبع التربة، وذلك بسبب تكون قشرات تكدس واندكاك على سطحها، تساهم في انغلاق المسام. وقد تم وصف آثار مثل هذه الظاهرة في تافيلالت (Joly ،1952)، وفي المغرب الشرقي. ويظهر أن أمطار الخريف ونهاية الصيف، تمثل عواصف ذات العواقب الوخيمة في هذه المجالات القارية.

ويؤثر السيل الغشائي كذلك على السفوح الجبلية أو التلية المجتثة، أو التي تدهور غطاؤها النباتي. فابتداء من تغطية نباتية دنيا، تصبح قطرات المطر ذات فعالية تجعل منها أداة اندكاك للسطح. وتصبح عندئذ المياه السائلة قادرة على نقل الفتاتات الدقيقة وغسل السطح تاركة عنده المواد الخشنة بارزة.

ويؤدي الانتقال من السيل الغشائي إلى الخدوش المركزة، إلى اجتياز عتبة خطورة خاصة، يرتفع معها حجم النقل، وكذا مدى تدهور التربة.

إلا أن هذه الامطار العنيفة والمركزة تبقى ذات تأثير محدود بالمقارنة مع الامطار الدائمة المؤدية إلى تشبع القطاع الترابي. ذلك أن استمرار التهاطل خلال مدة هامة، يجعل التربة تمتص مقادير مائية هامة، مما يسمح للسيل الناتج عنها بأن يكون جد مركز(مقادير قد تصل إلى 30غ / لتر، أو أكثر). وتمثل هذه الكوارث المطرية كالتي حدثت في الريف سنة 1962 ـ 1963، أو في تونس سنة 1979، إلى امتداد المساحات المتأثرة بالتخديد والانزلاقات، وإلى آثار المجاري المائية التي تعمل على توسيع مجاريها واقتلاع ضفافها.

من هنا تتجلى المظاهر المختلفة للتعرية المائية بالمغرب

والتي تتلخص في تدهور الاتربة في العاليات، وبروز عدد من مظاهر التخريب على طول الأودية، وتوحل حقينة السدود في السافلات. من هنا كذلك تتضح أهمية الوقاية من هذه الظاهرة الخطيرة.

عبد الله العوينة

**التعرية الريحية**، تنشط هذه الدينامية في المناطق الجافة وخاصة منها الموجودة جنوب السلسة الاطلسية وفي شرق المغرب حيث تشكل القحولة الخاصية الاساسية مع ما تخلفه من خصاص في الحصيلة المائية وفقر شديد في النبات. تعرف هذه المنطقة الشاسعة التي تمتد على مساحة 500.000 كلم$^2$ أي 5/7 المساحة الاجمالية سيطرة الرياح من نوعين : رياح حارة ورياح الرمال والغبار، الاولى تنتشر في كل مكان وفي كل الفصول حينما يكون هناك زحف باتجاه الشمال الغربي لكتل الهواء القارية الصحراوية أو عند مرور منخفضات جهة الرياح التجارية. أما الثانية أي رياح الرمال والغبار فإنها تكثر في جنوب الاطلس الكبير، وهي رياح دوامية لها قوة تجعلها قادرة على الهبوب حاملة معها حبات الرمال من حجم وقطر يدخل في كفاءتها. وهذه الرياح تؤثر على السطح جنوب وشرق المغرب أكثر من باقي المناطق الصحراوية الأخرى. ويعتبر ممر تانحونيت / الطاوس عند قدم الحافة الشمالية لحمادة كم كم أهم منطقة لهبوب الرياح الحاملة للرمال : 80 يوما من الرياح عند أرفود ـ بودنيب 20 يوما في عبادلة ـ 15 يوما في تبلبالة.

وتمتد الفترة الأكثر نشاطاً بين يناير وشتنبر وتصل أقصاها في شهر يونيو. هذه الرياح لا تقتصر على الازالة والنقل بل تقوم أيضاً بترتيب أنواع خاصة من التراكمات الرملية التي تكون إما منعزلة أو متجمعة على شكل أشرطة قد تتعدى عشرات الكلم وتتكون من برحانات وسيوف ونبكاة وتتركز هذه الاشكال في [illegible]رات الفاصلة بين الأعراف حيث تحافظ الرياح على نفس الاتجاه وتزيد قوة، أما فوق الحمادات والسهول حيث الرياح تغير وجهتها باستمرار فإن الاشكال تتراكب فيما بينها مكونة أشكالا هرمية.

تتمثل أخطر نتيجة للدينامية الريحية سواء في المناطق الجامة أو الساحلية في مسألة الترميل أوزحف الرمال الشئ الذي يهدد مناطق زراعية شاسعة في الواحات الجنوبية أو على سواحل دكالة والصويرة وأكادير. وقد تم الانتباه إلى خطورة الترميل في المناطق الساحلية منذ مدة طويلة لأنها موطن زراعات هامة كزراعة الخضروات. أما في المناطق الصحراوية فقد بدأ الاهتمام بزحف الرمال على الواحات وأقدام الأطلس الجنوبية مع مطلع الثمانينات تتم عملية مكافحة الترميل بتنسيق مع منظمة الأغدية والزراعة (ألفو) بعدة طرق، منها المصدات التي تتكون من شباك بلاستكية أو جريد النخل أو ألواح الاسمنت والقصدير بالإضافة إلى تشجير الكثبان المتحركة بنباتات جفافية كالصبار.

H. Plateau, *Au secours du sol marocain*, Rabat, 1952 ; A. Millies-Lacrois, *Quelques problèmes morphologiques concernant les versants instables au Maroc*, Note de Doc. S.E.G.M., n° 13, 1967 ; B. Hensch, *Le contrôle de l'érosion hydraulique au Maroc*, Rapport de Mission, Rome, SOGETHA - FAO, 1971 ; *L'érosion hydraulique au Maroc, son calcul et son contrôle*, *El Awamia*, n° 32 ; Ch. Floret, *Rapport sur l'érosion éolienne dans les régions d'Agadir et d'Ouarzazate*, Rabat, 1975.

رشيدة نافع

**التعريجة**، آلة إيقاعية مصنوعة من خزف مطلي بأصباغ مختلفة الألوان. شكلها أسطواني مفتوح الطرفين، يميل إلى الضيق في الوسط. وأوسع طرفيها مغطي بقطعة من جلد الماعز.

تعتبر التعريجة أكثر الآلات الإيقاعية شعبية، وتستعمل لضبط الوزن. كما تضطلع بدور المصاحبة الإيقاعية للإنشاد الصوتي والعزف الآلي. وهي تحتل هذا الموقع في كثير من أجواق الطرب الشعبي بالمغرب كالملحون والعيطة، وفرق أمذيازن الزمورية، كما تستخدم في الدقة المراكشية والأهازيج الشعبية الحضرية وفي مناسبات عاشوراء والأعياد والأعراس. ويطلق على ضارب "التعريجة" اسم "التعارجي" إلا عند إمذيازن فيطلق على ناقريها اسم "الدراري".

يميل صوت التعريجة إلى الحدة بالنسبة لصوت البندير، ومن ثم تشكل ضرباتهما معا حوارا في وسع المستمع الواعي أن يميز بين نغماته وخاصة إذا كان جلد هاتين الآلتين "مْسخُنْ".

يمسك الناقر التعريجة من وسطها باليد اليسرى على نحو عمودي بحيث يكون طرفها المغطى بالجلد إلى أسفل.

ويقسِّم الناقرون على التعاريج (التعريجات) إلى فريقين : أولهما يوقع النقرات الأساسية والرنانة، وتسمى هذه النقرات "الأم"، وثاني الفريقين يوقع النقرات الثانوية، فيرجع نقرات الفريق الأول أو يملأ الفراغات الواقعة بينها، وتسمى هذه النقرات "الحاشية". ومن تجاوب "الأم والحاشية" يتكامل عنصر الإيقاع في العمل الموسيقي، وهو عنصر قد يحتد ويصطخب أحيانا في نهاية العرض الموسيقي كما هو الشأن في "الكَباحي" عند نهاية قصيدة الملحون.

عبد العزيز بنعبد الجليل

**تعْزّى** بنت ناصر، ذكرها مؤلف *رحلة الوافد* ... أثناء حديثه عن "المقبرة الكبرى بعدوة وادي نفيس، التي الآن بقرب سور المدينة (تينمل) عند الطريق ..." قائلاً : "وفي وسطها (المقبرة) بيت المرابطة (التي) يقال لها تَعْزّى بنت ناصر ومعها قبور أخرى في البيت، مازال القوم يتبركون بها وبهم الآن..." (ص 174).

هذه السيدة التي نعتها المؤلف المذكور بالمرابطة لا نعرف عنها شيئاً، رغم أنها كانت لها بدون شك أهمية ما على المستوى المحلي، وإلا ما كان ليبنى عليها وما كانت لتدفن في "المقبرة الكبرى" التي بها قبور الموحدين

والصالحين والعلماء العاملين والسادات الأشراف على حد قوله.

عبد الله بن إبراهيم التاسافتي، *رحلة الوافد* ... 1993، ص. 174.

علي صدقي أزايكو

**التعطير** (التقليدي)، لا يمكن الحديث أبداً عن مختلف الحواضر المغربية الكبرى في القرون السالفة دون ذكر أحيائها التجارية الرئيسية. وكان من أهم أحيائها التجارية حي العطارين الذي كان السكان يرتادونه لاقتناء لوازم التطيب والتعطير التي كانت مكملا لا يستغنى عنه التجميل التقليدي سواء بالنسبة للذكور أو الإناث.

كان العطر والطيب المستعمل في المدن المغربية قبل أن تكتسح العطور الحديثة الأسواق المغربية في معظمه من أصل نباتي وحيواني إما من صنع محلي أو مستورد من بلاد المشرق. فالعطور المحلية تخصص في تقطيرها واستخراجها من الورد وأزهار الريحان والفل والقرنفل أو عود الصندل والعود القمري (يسمى الأول عود الهند والثاني العود القماري) والصمغ المعطر والمسك والعنبر أشخاص عرفوا بأسمائهم بين الناس ولقبوا في مختلف المدن المغربية بالقطارين والعطارين. أما المستوردة منها فكانت تفد إلى المغرب من المشرق على حالة صلبة ثم تعالج بطرق مختلفة للتعطير أو التبخير كعطر الجاوي الذي تصنع منه بخور الجاوي المشهورة. ويستقدم هذا العطر إلى المشرق العربي من الشرق الأقصى من جزيرة جاوة الأندونيسية، وهو صنع يستنبط من جذوع بعض الأشجار المعطرة ويستعمل في العلاج التقليدي كمرهم للدلك وفي صناعة العطور. وبما أنه يشبه في لونه اللبان فإن البعض من الناس يدعوه (لبان جاوة). ومن هذه العطور المستوردة نذكر أيضا العود القمري بضم القاف والميم، وهو خشب ينمو في جزر القمر فنسب إليها كما نسب عود الجاوي إلى جزيرة جاوة. وقد عرفه العرب في الماضي باسم العود. أما العود الهندي الذي يعرف بالصندل فينمو خشبه في بلاد الهند، كان ينقل إلى البلدان العربية ومنها يصل إلى المغرب، وقد تحول اسمه من لفظة فارسية هي دجندال إلى صندل وانتقلت هذه الكلمة بعد تحريفها عن أصلها إلى اللغات الأوروبية الحديثة Santal. لذلك كانت العطور المستعملة في المغرب من نوعين أحدهما جاف صلب يحرق في مباخر خاصة لتعطير الملابس والأجسام والأماكن بروائح زكية وعطر سائل يحتفظ به في قارورات مخصصة للصيانة تختلف أشكالها وأحجامها.

وكانت العطور التي تستهلكها الأوساط المخزنية تقطر على يد نساء ورجال متخصصين كانت موارد أرزاقهم مرتبطة ارتباطا وثيقاً بحياة القصور. وكانت مهنة تقطير العطور ومعالجة الطيب وصيانتهما من بين أهم الخنط الداخلية التابعة للمخزن وكانت لها قوانينها وأعرافها ولها أمينها. وقد اشتهر على سبيل المثال عبد الرحمان العوفير في عهد السلطان المولى عبد العزيز والمولى يوسف بن الحسن بأنه كان أميناً للقطارين وأمينا للرواج وحفيظا لحقيبة التجميل السلطانية بالإضافة إلى تقلده لمنصب أمين مرسى مدينة الرباط. كان هذا الشخص هو المسؤول عن صيانة العطر والدهان والطيب وعلك المصطكا والكحل والسواك والحرقوص والعكار وما يتبع ذلك من قطن وخرق وأردية خاصة بالتجميل.

وكان تقطير العطر من بين أهم الأمور التي تتقنها النساء في العائلات الحضرية المغربية الثرية والمتوسطة، وقلما توجد عائلة لا تتقن فن التقطير أو لا تتقن تصبير بعض المواد الغذائية وتخزينها ونسج بعض الأغطية والأفرشة والملابس للاستعمال الخاص. أما سائر الناس فكانوا يقتنون العطور من القطارين في سوق العطور حيث كانت دكاكين العطارين تعج بقارورات العطر المختلفة الأحجام. لذلك كان سوق العطارين يعتبر جزءاً لا يتجزأ من منظر الحواضر المغربية التقليدية وخاصة في فاس ومكناس وتطوان والرباط ومراكش.

وقد اشتهرت فاس بأنها كانت هي أكبر مركز لتقطير العطور وصيانتها وتوزيعها في جهات كثيرة من أرجاء بلدان المغرب العربي. ومازالت دكاكين العطارين المصطفة الواحدة بجوار الأخرى في هذه المدينة تشهد على ذلك إلى اليوم. ومما تؤكده معظم الكتب التاريخية أن فاس ورثت أساليب تقطير العطر والطيب عن قرطبة التي ازدهر فيها ذلك ابتداء من القرن العاشر الميلادي على يد القطار والكيميائي الشهير أبي القاسم الزهراوي المتوفى سنة 1013م. وتذكر المراجع المذكورة بأن عطور هذا القطار كانت مضربا للأمثال في الأندلس وبلاد المغرب من طنجة إلى طرابلس خلال ازدهار الحضارة العربية الاسلامية في ربوع الأندلس في العصور الوسطى. وقد ازدادت شهرة الزهراوي بعد وفاته لأنه ترك للعطارين والكيميائيين مؤلفا دقيقا في كيفية استخراج العطور وصيانته سماه *كتاب الأدهان* ذاع صيته في مشرق العالم الاسلامي ومغربه وانتشر فيما بعد في معظم البلدان الأوربية.

عبد الرحمان بن زيدان، *العز والصولة*، الجزء الأول، الرباط، 1961؛ عبد الحي الكتاني، *تبليغ الأمانة*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ك 2729 ؛ مؤلف مجهول، *المرأة المغربية والحلي*، *العلم* عدد 8706، 28 أبريل 1974 ؛ *كناش الخزانة الحسنية بالرباط* رقم 250 ؛ محمد عزيز حلمي، *عادات الزي في المغرب الأقصى*، د. ت.، د.م.

C. Fidel, *Le commerce du Maroc*, s. l., s. d ; L. Bolens, *Les parfums et la beauté en Andalousie médiévale*, Université de Genève, s. d. ; P. Champion, *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1931 ; L. Abensour, *Ce que tout français doit savoir sur l'Afrique du nord*, Paris s. d. ; E. Doutté, *En tribu*, Paris, 1914 ; *Archives marocaines*, Tome 4, 1905 ; E. Adnan, *L'artisanat créateur au Maroc*, Paris, 1938.

محمد بوسلام

ابن **تعفوفت**، يحيى بن محمد، ويكتب أيضا أُتعفوفت و" أُ" هنا بمثابة "ابن". أكبر خدام التاج البرتغالي بمنطقة أسفي. لعب دوراً أساسياً في نشر النفوذ البرتغالي في عبدة ودكالة والحوز والشياظمة، وفي الدفاع

عن تلك المكتسبات بتصديه للوطاسيين والهنتاتيين والسعديين. وقد أعطاه ذلك العمل شهرة كبيرة لدى القبائل، وحتى داخل البلاط البرتغالي الذي كان له به مساندون ومتعاطفون. فقد وصلت شهرته إلى سوس، وتمنى قبطان حصن فونتي لو أنه وصل إلى هناك لطرد القائم بأمر الله وابنيه. وإذا كانت المصادر المغربية قد سكتت عن الأدوار التي قام بها هذا الشخص، فإن الوثائق الخاصة به، المحفوظة بالأرشيف البرتغالي، والتي توجد ضمنها رسائل بعثها بنفسه للملك البرتغالي، تسمح بتتبع الأدوار التي كلف بها. واعتماداً على تلك الوثائق، خصه المستعرب البرتغالي David Lopes سنة 1897 بدراسة مستفيضة ضمن المؤلف الذي خصصه للرسائل الأعجمية التي كانت نسبة مهمة منها موقعة من لدن يحيى أُتعفوفت. وورد اسمه هكذا بإحدى الألواح التي سن بها يحيى قوانين على قبيلة الحارث سنة 1512.

وأشار الحسن الوزان إلى أن يحيى هذا كان بعد 1506 من الطامعين في حكم أسفي، ووصفه بالشاب الشجاع الذي كان، كغيره من المغامرين المتعطشين للسلطة، يرأس جماعة من المقاتلين. وتوسع الإخباري البرتغالي دو كويش في أخبار يحيى وما قام به من أدوار خلال الحرب الأهلية التي كانت تتخبط فيها أسفي، والصراعات التي عرفتها المدينة بسبب تنافس أعيانها، وتدخل البرتغاليين في سياستها.

كانت المدينة تحت الحماية البرتغالية منذ عهد الملك ألفونصو الخامس (توفي يوم 21 غشت 1481)، وكان يحكمها قائد يسمى عبد الرحمن، بدأ يتملص من قبضة البرتغاليين الذين سبق لهم أن أوصلوه إلى السلطة بعد انقلاب نظمه بإيعاز منهم ضد عمه القائد أحمد (1498) (راجع مادة أحمد بن علي). وبعد أن تمكن يحيى وعلي بن وشمان من اغتيال قائد المدينة بالمسجد وخلال يوم العيد (1506)، اقتسما السلطة إلى أن كثر المعارضون، فاضطرا إلى الاحتماء بالبرتغاليين المستقرين آنذاك بأمگدول (الصويرة حاليا). ولما لاحظ البرتغاليون أن يحيى وعليا يعارضان سقوط المدينة في أيديهم، عملوا على خلق الشكوك بين الصديقين وجعل كل واحد منهما يعتقد أن الآخر يريد قتله. وبما أن يحيى أُتعفوفت كان هو الحاكم بأسفي، وبما أنه أصبح، إن صحت رواية الإخباري دو كوييش، يعاكس المخططات البرتغالية الرامية إلى التحكم في المدينة بشكل مباشر، بعد أن تبين لهم فشل سياسة الحماية والتحكم غير المباشر، فإنهم اعتمدوا على منافسه، علي بن وشمان، الذي استنجد بقبيلة بني ماگر التي نهبت دور أنصار يحيى. وحيث إن يحيى لم يكن يعلم أن ما وقع تمّ بإيعاز من المسيحيين، فإنه التجأ إلى الحصن المخصص لهم بالمدينة وأقنعهم بإرساله إلى لشبونة ليوضح موقفه للملك البرتغالي، وهذا ما تم فعلا (قبل 13 غشت 1507). واحتلت أسفي بسهولة خلال النصف الأول من سنة 1508.

وخلال مقامه بالعاصمة البرتغالية، استطاع يحيى أن يكسب عدة صداقات، وأن يرتبط بشخصيات نافذة داخل البلاط. ويبدو أن حصار القبائل لأسفي في دجنبر 1510، ومطالبة سكان تلك المدينة سنة 1509 بعودة يحيى إلى المنطقة كي "يكون قنطرة بين المسلمين والنصارى"، جعلا الملك البرتغالي يقرر إرجاع يحيى برتبة قائد على عبدة والغربية.

وكانت العودة في نهاية 1510 أو بداية السنة التالية. إلا أنه لم يستقر بالمدينة المحتلة التي كان سكانها قد أخلوها، وأقام بقرية سرنو، شرق مدينة أسفي، إذ ورد بسجل ضرائب برتغالي اسم يحيى بالموقع المذكور إلى جانب بعض الأعيان وساكنة تتوزع سبعا وسبعين داراً. ولم تشر المصادر إليه إلا في أكتوبر 1511 إثر تنظيم قبطان أسفي الجديد، نُونُو فَرْنَاديشْ دُو أتايْد (Nuno Fernandes de Ataide) لغارة على المنطقة، إذ أن يحيى جاء لتحية القائد البرتغالي، ولامه على عدم إشراكه له في عملياته العكسرية، وأكد له أنه لو كان فعل "لتمكنوا من أسر عدد أكبر، ولاستطاعوا الاحتفاظ بكل الغنائم" التي اضطروا إلى التخلي عنها، الأمر الذي يؤكد أنه كان ينتظر من المسؤولين بأسفي تكليفه بدور أكثر فعالية. ويبدو أن القبطان البرتغالي استمر في تجاهله، ولم يشركه في أية عملية عسكرية خلال ما تبقى من سنة 1511. إلا أن الاعتماد عليه أصبح كبيرا بعد 1512.

فخلال هذه السنة، أرسله القبطان على رأس عدد من رجاله لمنطقة تانسيفت قصد إدخال ضرائبها. وهاجمه فريق من الشياظمة، إلا أنه انتصر عليه رغم قلة أعداد رجاله، وأكرهه على دفع الضرائب. واستطاع يحيى إخضاع فرع أولاد عمران الشمالي، المستقر قرب الجبل الأخضر، بدون حرب. وتحمل يحيى ورجاله العبء الأكبر خلال الصدام الذي وقع بين برتغاليي أسفي والناصر الهنتاتي الذي تحرك للجهاد بدكالة، وتكبد هزيمة بسفح جبال بني ماكر سنة 1512. ولما أعاد الهنتاتي جمع قواه تحرك في اتجاه أگوز، على الضفة اليمنى لنهر تانسيفت. وآنذاك وصلت القبطان أخبار بشأن إعداد يحيى لخيانة البرتغاليين، فأمر كل المسيحيين المرافقين له بالالتحاق بأسفي، الأمر الذي نفذوه باستثناء أقلية. واستطاع يحيى، الذي كان يقود 3.000 عبدي وغربي، الانتصار على الهنتاتي من جديد، فازدادت بذلك شهرته، وفي نفس الوقت ازداد عداء القبطان وأعيان يهود أسفي له. وهكذا كاتب كل من القبطان وأبرهم بن زميرو، حاخام أسفي، العاهل البرتغالي وأبلغاه شكهما في يحيى الذي اتهماه بإعداد خيانة البرتغاليين والتخطيط لقتل القبطان، وبالتعسف واستغلال النفوذ والاغتناء من جمع الضرائب واتخاذ الألقاب السلطانية. وقد أرسلا إلى اشبونة كل الوثائق والشهادات المدينة، وخصوصاً أحد الألواح التي تسن بعض القوانين والتي ورد في مستهلها : "بيمن الله وتوفيقه وإذن من له الأمر والأحكام السلطانية

بمدينة أسيف، الشيخ الأجل الأفضل الأكمل الأفضل الأعز، الأرفع، الأجمل، المؤيد المنصور أبو زكريا..." وخصت هذه الوثيقة، وكذا وثيقة أخرى، يحيى بصفة "السلطان". ويبدو أن الانتصارات التي حققها يحيى، وما نتج عنها من جاه ونفوذ بالمنطقة، جعله يعتقد أن بإمكانه إنشاء دولة خاصة به، تكون تحت حماية التاج البرتغالي. وبذلك يكون قد حاول بالبادية تحقيق ما فشل فيه بالمدينة المنقسمة على نفسها. ورغم أن الملك البرتغالي أمر يحيى بالالتحاق بالبرتغال، فإن القبطان فضل الاحتفاظ بذلك الأمر، ولم يطلع يحيى عليه لشدة حاجته إلى خدماته، خصوصاً وأن التوسع البرتغالي كان في بدايته.

وبالفعل، كان دور يحيى في نشر النفوذ البرتغالي بتلك المنطقة أساسياً خلال سنة 1513. فقد أكره قبائل بمنطقة الگنتور ومشارف الحوز على الخضوع ودفع الضرائب. وبما أن القائم بأمر الله استقر في نفس السنة صحبة ابنه أحمد بالشياظمة، فإن يحيى أرسل إلى هناك لمنع القبائل، وخصوصاً القريبة من نهر تانسيفت، من الخضوع لهما. وفي فبراير من سنة 1514، كان يحيى على رأس ألف من رجاله وحوالي 300 محارب برتغالي بمنطقة الحوز. وفي نهاية نفس الشهر ساهم بشكل فعال في الهجوم الذي نظمته حاميتا أسفي وأزمور ضد تدنيست، لطرد القائم بأمر الله وأنصاره منها. وفي مارس من نفس السنة، التقى به الحسن الوزان بالحوز وهو منهمك في جمع الضرائب لفائدة البرتغاليين. وشارك يحيى برتغاليي أسفي وأزمور في "معركة الجمعة" (14 أبريل 1514) التي انهزم فيها قواد الناصر الوطاسي الذي تحرك، بأمر من أخيه السلطان محمد البرتغالي، خلال تلك السنة في اتجاه دكالة لمساعدة سكانها الذين استنجدوا به. وبعد أن تخلى الناصر عن محاصرة أزمور، قرر مطاردة يحيى بنية قتله أو استقطابه، إلا أن هذا الأخير تفادى الاصطدام، واكتفى بتسميم الآبار ونقط الماء لإكراه الوطاسي على مغادرة دكالة. واكتفى الوطاسي بتخريب المدينة الغربية و"سرنو"، مقر إقامة يحيى، قبل الانسحاب. وقد توصل يحيى من الملك البرتغالي بالموقع المذكور كإقطاع مع امتيازات أخرى.

وزادت هذه الانتصارات يحيى شهرة ونفوذاً داخل المنطقة، الأمر الذي زاد من تشكك القطبان، ومن حسده لكونه كان يرى في يحيى مزاحماً له. ولما أطلع القبطان يحيى على الأمر القاضي بالتحاقه بالبرتغال، امتثل بكل سهولة، وغادر أسفي في نهاية غشت من سنة 1514 صحبة ترجمانه.

ويبدو أن القبطان اتخذ القرار المذكور بعد أن اطمأن للأوضاع بالمنطقة وأنه لم يصدق ما راج بشأن قرب تحرك جيوش الوطاسي في اتجاه دكالة. كما أنه أصبح يخطط لإخضاع مراكش، وكان يرغب في احتكار ذلك المجد وتحقيقه بنفسه ودون مساعدة غيره، حتى ولو كان برتغاليا (عارض مشاركة قبطان أزمور في العملية).

ولم يؤثر هذا النفي على مكانة يحيى داخل البلاط البرتغالي، إذ أقام به مكرما مدة اثنين وعشرين شهراً، رغم استمرار القبطان وكبير يهود أسفي في اتهامه. وقد اضطر العاهل البرتغالي لإرجاعه إلى أسفي بعد قتل القبطان دو أتايد سنة 1516، وثورة كل القبائل التي كانت تدين للبرتغال بالولاء. وعاد يحيى إلى أسفي يوم 20 يوليوز 1516، برتبة قائد على كل منطقة دكالة بعد أن كان نفوذه يقتصر على عبدة والغربية.

ووجد يحيى كل القبائل في حالة عصيان، إذ أصبحت عبدة والغربية تقطعان الطرق المؤدية إلى أسفي. واستطاع يحيى إرجاعها إلى الطاعة بسرعة، مما جعله يظهر بمظهر المخلص بالنسبة للبرتغاليين. إلا أن هذا النجاح، واختلاف تصور كل من القبطان الجديد ويحيى لطريقة تسيير المنطقة والتعامل مع قبائلها، فجر من جديد مرحلة من التنافس والعداء بين الرجلين زادتها أسرة بن زميرو اليهودية حدة، فالتجأ كل واحد إلى العاهل البرتغالي. إلا أن هذا الأخير فضل الاحتفاظ بهما معا لشدة حاجته إليهما. والغريب أن قبطان أزمور كان يدافع عن يحيى وينوه بما كان يقوم به لصالح البرتغال بالمنطقة.

واستمر يحيى، رغم عداء القبطان وأعيان اليهود له في الدفاع عن المكتسبات البرتغالية، ولم تؤثر فيه المحاولات الرامية إلى إبعاده عن النصارى. فقد انتصر يوم 20 مارس 1517 على الناصر الهنتاتي، كما انتصر عليه وعلى ابن عمه مرة أخرى بعد أن حاولا دخول دكالة. وفي ربيع 1517، راجت إشاعات بشأن تحرك الوطاسي نحو هذه المنطقة. وأكرهه شك القبطان فيه وعصيان عبدة وقسم من الغربية، على الانسحاب جنوب تانسيفت. واستغل القبطان وجوده هناك لاتهامه بالتواطؤ مع الأمير السعدي واقتسام مناطق النفوذ معه. وفي رسالة إلى الملك البرتغالي، ذكر يحيى أنه ينتظر مغادرة الوطاسي للمنطقة وأنه "إذا رجع أن نَتْحزم مع هذا العَرب حتى نردْهم لَسْفي بزّزْ منهم".

ولم يصلنا شيء من أخباره منذ ذلك التاريخ إلى يوم اغتياله (قبل 16 فبراير 1518)، بخيمة أحد شيوخ أولاد مطاع، على يد شيخ عبدي. وانتهى الاغتيال بعصيان جديد. وعجز البرتغاليون عن إرجاع الأمور إلى ما كانت عليه، خصوصا وأن الأوضاع لم تعد في صالحهم بعد مجاعة 1521 الكبرى، وبعد تزايد نفوذ الشرفاء السعديين الذين نقلوا، منذ 1518، عملياتهم العسكرية إلى شمال نهر تانسيفت.

ومما لا شك فيه أن الدور الذي لعبه يحيى أُتعفوفت في نشر النفوذ البرتغالي كان كبيراً كما أكد ذلك الإخباري البرتغالي دو كويش عدة مرات. غير أن القبطان دو أتايد، حاكم أسفي الشهير، كان يرى عكس ذلك، وكا يدعي أنه كان بإمكان أي "مسلم" يوضع على رأس القبائل أن يقوم بما قام به يحيى. إلا أن هذا الحكم كان بالتأكيد وليد العداء والحقد الذي كان ذلك المسؤول البرتغالي يكنه

ليحيى أُتعفوفت، ووليد محاولاته الكثيرة إقناع الملك البرتغالي بخيانة يحيى وبعدم الاحتياج إلى خدماته.

من الأكيد أن يحيى كان رجلا شجاعا استطاع تحقيق انتصارات غير متوقعة، وفي ظروف صعبة. فقد كان مجرد وجوده يمثل ضمانة للقبائل الحليفة، الأمر الذي كان يجعلها تساهم في الغارات البرتغالية، كما كان حضوره كافياً لبث الرعب بين صفوف المهاجمين. ومكن تحكم يحيى في قبيلتي عبدة والغربية من ضمان حزام آمن حول أسفي، ومن توفير العدد الكافي من المحاربين، الأمر الذي كان يسمح بتغطية النقص في الرجال الذي كان البرتغاليون يعانون منه. كما سمحت تلك القبائل للبرتغاليين بنشر نفوذهم بخسائر بشرية قبيلة، لكون تلك القبائل كانت تتحمل عبء الحرب، إذ كان البرتغاليون يبقون خلف الصفوف، في انتظار حسم يحيى ورجاله للمعركة، ليشرعوا في مطاردة المنهزمين.

ووفرت مشاركة يحيى للبرتغاليين كذلك وسائل المبيت المتمثلة في الخيام لكون القبائل الخاضعة له كانت تتحرك بكل عناصرها. وقد أكدت التقارير البرتغالية على دور تلك الخيام في نجاح التوسع البرتغالي بالمنطقة، إذ اعتبرها أحد البرتغاليين العامل الأساسي في وصولهم إلى سفح الأطلس الكبير.

ويعتقد المؤرخ البرتغالي D. Lopes أن يحيى بقي طول حياته وفياً للتاج البرتغالي، وأنه لم يستطع التغلب على العقلية التي اكتسبها-من خلال صراعه من أجل السلطة بأسفي، وأن الجو المشحون بالشك والدسائس الذي كانت تعرفه أسفي بعد احتلالها رسخ لديه تلك العقلية، لذا كانت بعض مواقفه مشوبة أحياناً بالغموض وتدفع إلى الشك. وأضاف أن يحيى استطاع الحصول على ثقة الملك البرتغالي رغم الاتهامات التي وجهت له، والحجج التي جمعت ضده، وأنه استطاع كذلك الحصول داخل البلاط البرتغالي على صداقات ساندته، وختم مقاله المخصص لهذه الشخصية بقوله : يمكن الجزم بأن يحيى لم يخن أبداً القضية البرتغالية رغم أن الوثائق الخطيرة التي أرسلها القبطان أتايد وأبرهم بن زميرو إلى العاهل البرتغالي، إذ أن تلك الوثائق لا تدل إلا على استغلال للنفوذ.

ويرى روزنبرجي Rosenberger في مقال حديث (1993) أنه من الصعب اتهام يحيى بالتخطيط لخيانة البرتغاليين بعد التمكن من نشر نفوذه على القبائل باسم التاج البرتغالي، ولو أن ازدواجية الخطاب الذي نهجه باتفاق مع العاهل البرتغالي قد توحي بذلك، ولو أن تصرفات وأقوال صعب عليه التحكم فيها قد تدفع إلى ذلك الاعتقاد. كما أن الاتصالات التي اضطر إلى القيام بها مع السلطات المغربية لم تكن من باب الخيانة، بل كانت تهدف إلى حماية المكتسبات البرتغالية، وكانت تتم بعلم وتزكية المسؤولين. وأكد المقال على المشاكل والعراقيل التي خلقتها ليحيى جهات كانت ترى في وجوده مسا بمصالحها : بعض اليهود الطامعين في الوساطة السياسية والتجارية، والعسكريون الراغبون في الاغتناء من الغارات ومما توفره من غنائم وأسرى، والذين كانت سياسة الملك البرتغالي، ومنفذها بالمنطقة يعاكسان طموحاتهم. كما بين المقال أن انتصارات يحيى وأعماله العسكرية كانت تضايق القبطان الذي كان يريد أن يحتكر ما يتولد عنها من أمجاد وامتيازات. وربط الكاتب فشل يحيى بفشل مخططات الملك أمنويل بالمغرب، لقلة وسائله المادية والبشرية.

ونعتبر أن الحكم على يحيى وما قام به من أدوار يلزمنا بأخذ مرحلتين مختلفين من عمله السياسية والعسكري بعين الاعتبار.

فإلى حدود سنة 1514، اغتر كثيراً بنجاحه السريع، وبما حققه من وزن سياسي بالمنطقة، وباحتماء القبائل به. ويبدو من خلال ما حولنا من وثائق، أن فكرة الاستحواذ على السلطة اعتماداً على البرتغاليين قد خامرته فعلا، كما يتجلى ذلك من خلال الألقاب السلطانية التي خص بها نفسه، ومن خلال ما كان يعبر عنه سراً وعلانية. وقد تبلور هذا الموقف بعد 1512، أي بعد أن أكرهت جل قبائل دكالة، وحاضرتها المدينة الغربية، على الرضوخ. فهل حاولت تلك القبائل دفع يحيى إلى اتخاذ ذلك الموقف لتعتبر نفسها خاضعة لحاكم مغربي، وإن كان يدين بالولاء للتاج البرتغالي ؟ لقد كتب أحد سكان المدينة الغربية لقبطان أسفي يخبره بالاستقبال الذي خص به سكان تلك المدينة يحيى حين دخوله إليها يقول : "وفرْحوا أهلها به، وكل يوم محمد بن عمرو كان يخرج إلى الشوارع ويصيح : "الله ينصر سيدي يحيى بن تعففت". وبلغ آخر بموقف سكان المدينة المذكورة من رسالة بعثها يحيى : "وقْراه سيدي محمد على أصحابه في المدين وفرْحو به، وكان بن بمحمد يمشي ويقول : "الاّ ينصر سيدي يحيى تعففت، من بْغض سيدي يحيى فليخرج من المدينْ". وأضاف المبلغ أن سكان المدينة الغربية اتفقوا مع قبائل "أولاد سبيطْ، مع أولاد يعكي، مع أولاد عمران، يلتقو جميعا، ويتحلفو جميعا، على كْتوب بن تعففت ويسيرُ إليه بلجميع...".

وبذلك يكون يحيى قد استمر في البحث عن السلطة بالبادية هذه المرة، بعد فشله في الحصول عليها بالمدينة المنقسمة على نفسها، بالاعتماد دائما على البرتغاليين، مستغلا بذلك سياسة الملك أمنويل بالمنطقة الهادفة إلى ضمان مناطق مسالمة تدفع الضرائب وتقبل على أسواق الثغور المحتلة. لذا لم تنفع معه كل المغريات، وفشلت كل محاولات إبعاده عن البرتغاليين. وبهذا نفهم سبب عدائه للهنتاتيين أولا، ثم للشرفاء السعديين، بعد دخولهم الشياظمة، لمعاكسة وجودهم بالمنطقة لمخططاته.

أما بعد رجوعه من منفاه الثاني، فقد تطلب منه إخضاع القبائل والصمود في وجه الوطاسي وقتا طويلا. ولم يستطع استرجاع الهيبة التي كان يتمتع بها من قبل. ولم يكن بإمكانه التراجع وتصديق وعود وتطمينات

الوطاسيين، لعلمه أن ذلك يعني نهايته. ولم يعد بإمكانه كذلك خيانة البرتغاليين، أو حتى عصيانهم لشكهم فيه واحتياطهم منه، وكذا لتراجع تحكمه في القبائل. وكان استمراره في الدفاع عن مصالح البرتغال في الحقيقة دفاعا عن نفسه، ذلك أنه لم يعد بيده إلا حلان، إما أن ينجح، وإما أن يموت وهو يدافع عن مكانته. وقد كان واعيا بهذه الوضعية الحرجة التي كانت مفروضة عليه.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، ط. 2، ص. 147 ـ 151 ؛ أ. بوشرب، *دكالة*، الدار البيضاء، 1984.

B. Rosenberger, *Yahya U Tafuft, 1506 - 1518 : des ambitions déçues*, *H.T.*, vol. 31, fasc. unique, 1993, pp. 21 - 59 ; D. Lopes, *Bentafuf, alcaide mouro ao serviço de Portugal*, in *Textos em aljamia portuguesa, Estudo filológico e histórico*, 2ème édit. revue, Lisboa, 1940, p. 107 et sq. ; P. de Cenival [et al...], *Sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1ère série, *dynastie sa'dienne, Archives et bibliothèques de Portugal*, T.1 et 2, Paris, 1934 et 1939 ; R. Ricard, *Les Portugais au Maroc de D. de Góis*, extraits de *la chronique du Roi D. Manuel de Portugal*, Rabat, 1937.

أحمد بوشرب

**التعليم** بالمغرب في العهد الإسلامي يمكن أن يقسم إلى ثلاث مراحل كبرى : العصر الوسيط من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة المرينيين، والعصر الحديث أيام الشرفاء السعديين والعلويين إلى نهاية الحماية، والفترة المعاصرة من الاستقلال حتى اليوم.

يبتدئ التعليم في المغرب مع وصول الفاتحين العرب في القرن الأول الهجري (7 م) فهناك إشارات إلى مَن صحب الفاتحين من القراء والدعاة الذين مكثوا في هذه البلاد يعلّمون أهلها أمور دينهم ويلقنون الصغار سور القرآن ومبادئ العربية لينشؤوا على الدين الحنيف. واتسع مجال التعليم في القرن التالي بعد مجئ إدريس بن عبد الله وتأسيس مدينة فاس ونزوح أسر عربية متعلمة إليها من الأندلس والقيروان، ثم بناء جامع القرويين (248 / 862) الذي سيصبح المركز التعليمي الأول في المغرب على امتداد قرون طويلة.

وقد عرف المغرب في هذه الفترة الأولى ـ قبل فاس ـ مراكز تعليمية قديمة كسبتة وطنجة وأصيلا السباقة في ميدان التعليم لكونها نقط عبور إلى الأندلس، يقيم بها العلماء المهاجرون من المشرق مُدداً قصيرة أو طويلة ويروِّجون بها بضاعتهم. وكسجلماسة التي أسسها الخوارج من بني مدرار وراء الأطلس المتوسط في وسط القرن الهجري الثاني (8 م) واشتغل فقهاؤهم فيها بالتعليم وتلقين مبادئ مذهبهم وتكوين الدعاة. وكأغمات أوريكة العتيقة عند قدم الأطلس الكبير الشمالي التي حلَ بها أندلسيون فرّوا من وقعة رَبَض قرطبة عام 202 / 818 فتعلم الأغماتيون على يدهم. وكذلك مدينة البصرة (بصرة المغرب) التي شيدها الأدارسة في سهول الغرب بعد مرور عقود من السنين على تأسيس مدينة فاس، ولم تلبث البصرة أن أصبحت حاضرة إمارة إدريسية فرعية تنافس مدينة فاس وتباهيها بمن تجتذبهم ليقطنوا فيها من علماء العدوتين.

ومن المفارقات الغريبة في تاريخ التعليم بالمغرب في القرون الثلاثة الأولى نبوغ فقهاء كبار ينتسبون إلى المراكز التي أشرنا إليها، ويتتلمذ لهم رواد الفقه والعلم في الغرب الإسلامي ممن أدركوا شهرة واسعة، دون أن يزدهر التعليم الازدهار اللائق بمقامهم في أي مركز من هذه المراكز، بل نجدهم ـ أكثر من ذلك ـ يهاجرون مساقط رؤوسهم وينشرون علمهم في حواضر نائية في افريقية أو الاندلس. ولنضرب لذلك أمثلة :

أبو محمد يحيى بن يحيى الليثي (ت. 234 / 48 ـ 849) من مصمودة طنجة الذي أخذ عن الإمام مالك في المدينة وروى عنه *الموطا* مباشرة، استقر بالأندلس وأدخل إليها المذهب المالكي، وانتهت إليه رأسة العلم في قرطبة. وأبو يحيى حماد بن يحيى السجلماسي الذي عده القاضي عياض في *المدارك* من الطبقة الأولى الذين انتهى إليهم فقه مالك والتزموا مذهبه ممن لم يره ولم يسمع منه. تتلمذ حماد لأحد كبار الآخذين عن مالك وهو عبد الملك ابن الماجشون وروى عنه كتابه الذي يعد من أمهات كتب المذهب، لكنه حمله إلى القيروان وعنه أخذه سحنون مؤلف *المدونة الكبرى*، فكان حماد السجلماسي أول من أدخل فقه ابن الماجشون إلى افريقية، وشيخَ رواد الفقه القيروانيين، ثم استقر في القيروان ينشر علمه إلى أن توفي فيها وعُدَّ من أهلها. وخلفه ابنه حسن بن حماد السجلماسي، وكان فقيهاً متمكناً، سمع من أبيه وغيره وصار من فقهاء القيروان النابهين.

وأبو هارون عمران بن عبد الله العمري البصري (بصرة المغرب) (ت. 313 / 925) وابناه هارون وعبد الله، وكانوا ثلاثتهم فقهاء مبرزين، أتموا دراستهم بالمشرق، وحمل أبو هارون علماً كثيراً إلى الأندلس، فكان أول من أدخل إليها *كتاب ابن المواز*، واستقر مدة في بجَّانة، مدينة من أعمال كورة ألبيرة انتقل أهلها بعد خرابها إلى المرية، فأخذ عنه علماؤها وأجازهم. وقد توفي هارون ـ كأبيه ـ في البصرة، لكن عبد الله بقي في الشرق وغاب خبره في الشام.

فلماذا يا تُرى رغب هؤلاء الرواد من علماء المغرب عن التعليم في مساقط رؤسهم ؟ وما الذي دعاهم إلى الهجرة إلى الشمال أو الشرق ؟

يجيب التاريخ بأن القيروان دارَ الإمارة العربية الأولى في افريقية كانت سابقة إلى العلم بمن نزل فيها من فقهاء التابعين ومن جاء بعدهم من طلائع علماء المسلمين. وكذلك الأندلس التي انتقل إليها الأمويون سنة 132 / 750، تلاحق فيها الأنصار والأشياع من الشام والحجاز ومصر وغيرها. لذلك لم يكد القرن الهجري الثاني يشرف على النهاية حتى كان المناخ العلمي نشيطاً في حاضرتي افريقية والأندلس يستهوي أفئدة المتعلمين من مختلف أرجاء الغرب الإسلامي، ويزداد الإقبال عليهما جيلاً بعد جيل.

أما المغرب الأقصى فكان خلال هذه القرون دار حرب وجهاد، فهو الذي فتح الأندلس وظل يرعاها ويتدخل

عسكرياً فيها كلما دعت الضرورة إلى ذلك. وجهَّز الجيوش تحت راية إدريس الأول وابنه إدريس الأزهر لبسط نفوذ الدولة الناشئة ومتابعة نشر الإسلام ومحاربة الزيغ والفساد في المناطق النائية. لذلك بقي التعليم في المغرب لا يتجاوز عموماً مراحل حفظ القرآن ومعرفة ما لابد منه من العقيدة والأحكام الشرعية واللغوية، فكان النابغون من المتعلمين يقومون برحلات يطلبون فيها العلم خاصة في المشرق العربي ثم لايرجع هؤلاء الأعلام إلى مساقط رؤوسهم، وانما يقصدون الحواضر االعلمية المزدهرة التي تنفق فيها بضاعتهم، كما رأينا في الأمثلة السابقة.

كان بالإمكان أن نطمئن إلى هذا التأويل التاريخي لولا وجود نصوص أدبية رفيعة ترجع إلى هذه القرون الأولى لا يمكن أن تصدر إلا ممن تمرس باللغة العربية وحذقها وتمكن من الشريعة والسياسية، ولاَ يُعرف لأصحابها رحلة علمية إلى أي جهة خارج المغرب. وإذا كان المجال هنا لا يساعد على البسط والمناقشة، فإننا نجتزئ بالإشارة إلى خطبة طارق بن زياد فاتح الأندلس (92 / 711) وأشعار إدريس الثاني وخُطبه وهو ابن إحدى عشرة سنة، وعند إتمام بناء مدينة فاس (93 /809)، ومُحاضرة رفيقه في حرب برغواطة داوود بن القاسم الأوربي وغيرهم، وننبه إلى أن الموضوع بحاجة إلى بحث واستقراء وتمحيص.

وقد تغيرت الأوضاع التعليمية في المغرب الأقصى في القرن الرابع وما بعده بسبب استقرار الدولة الادريسية ولو أنها أصبحت موزعة في إمارات منتشرة في أطراف البلاد، وبالرغم على الإغارات الخارجية والنزاعات الداخلية، بالإضافة إلى عامل التنافس والتطور الطبيعي. يدل على هذا التطور وجود فقهاء لا معين ملازمين للتدريس في مساقط رؤوسهم، وبخاصة فاس وسبتة، وحولهم طلاب كثيرون يتخرّجون ويخلُفون شيوخهم في التدريس وتستمر السلسلة متصلة، أمثال أبي ميمونة درّاس بن إسماعيل الجرَّاوي الفاسي (تـ 357 / 967) صاحب الضريح الشهير خارج باب الجيزيين بفاس. ويعرف بالمحدث وحافظ المذهب وإليه ينتسب حتى اليوم مسجد حي مصمودة الذي يظن أنه كان يدرِّس فيه. وكان قد أقام مدة بالقيروان وأخذ عنه فيها الإمامان أبو الحسن القابسي وابن أبي زيد القيرواني مؤلف *الرسالة* الشهيرة وغيرها ؛ وجبر الله بن القاسم الفاسي نزيل عدوة الأندلس، وهو ممن أدخل علم مالك إلى فاس بعد أن تخرج على يد فقيه قرطبة أصبغ ابن الفرج، وعاش مع درّاس بن إسماعيل في انسجام يوازنان بين مسائل المذهب المالكي مستعملين الحفظ والسماع والقياس، وهو أول من أدخل *كتاب ابن المواز* إلى المغرب. وكآل ابن العجوز الكتاميين الذين توارثوا العلم خمسة أجيال وانتهت إليهم رآسة العلم في بلدهم سبتة ورحل الناس للأخذ عنهم من مختلف أنحاء المغرب وعليهم دارت الفتوى. أولهم الأب عبد الرحيم بن أحمد ابن العجوز (ت. 413 / 1022)، والحفيد الأخير عبد الرحمن بن محمد ابن العجوز شيخ القاضي عياض آتي الذكر.

وفي عصر المرابطين (453 ـ 539 / 1061 ـ 1144) تم توحيد عدوتي المغرب والأندلس تحت سلطتهم، وأصبحت حاضرتهم مراكش محط أنظار علماء الغرب الإسلامي كله، واستوطنها العديد من الفقهاء والأدباء للخدمة في بلاط الدولة، واشتغلوا بالتدريس في مساجدها وبخاصة جامع علي بن يوسف ابن تاشفين ومدرسته. ونظراً للتوجه الإسلامي لهذه الدولة حظي فقهاء المالكية بنفوذ كبير لدى أمير المسلمين في مراكش وخلفائه في الأقاليم وكثر الإقبال علي دراسة فروع المذهب المالكي والعقيدة، وأُلِّف في ذلك العديد من الكتب، ومن بينها أعظم موسوعة فقهية (*البيان والتحصيل*) للقاضي ابن رشد الجد بتشجيع من أمير المسلمين علي بن يوسف. وقد غالي الفقهاء في استبعاد مالا يتفق ونظرياتهم المذهبية الضيقة حتى إنهم أفتوا بإحراق كتاب الإحياء للغزالي، فجمعت نسخه وأحرقت.

يقدم فهرس القاضي عياض *الغنية*، وهو من أقدم الفهارس التي وصلت إلينا كاملة، صورة واضحة عن التعليم بالمغرب والأندلس في عهد المرابطين. يشتمل على قائمة طويلة للكتب المدروسة آنذاك في مختلف مناحي المعرفة من علوم القرآن والحديث والسير والكلام والفقه واللغة وقواعدها حتى كتب غريب اللغة وشاذّها والشعر العربي القديم. وتراجم عدد من شيوخ التدريس أيام المرابطين، نحو مائة من شيوخ عياض كثير منهم سبتيون، وفيهم طنجيون وفاسيون وبصريّون (بصرة المغرب) بالإضافة إلى أندلسيين وشرقيين. ونشير هنا إلى أن مدينة البصرة خربها العبيديون حكام افريقية أواخر القرن الرابع (10 م) وتفرق علماؤها في الأمصار. وإذا كانت مراكش نالت الحظ الأوفر في التعليم فإن المدن الأخرى كفاس وسبتة وسلا ومكناس لم تخل من حركة علمية نشيطة مستمدة من توجيهات الدولة.

وقامت دولة الموحدين (539 ـ 657 / 1144 ـ 1259) على أساس إصلاح التعليم لتصحيح العقيدة وحمل الفقهاء على الاجتهاد والرجوع إلى منابع الشريعة بدلاً من التقليد والجمود مع الفروع. وأدّاهم ذلك إلى اضطهاد فقهاء المالكية ومنعهم من تدريس فقه الفروع. وقد اتسع نطاق نفوذ الموحدين أكثر فامتد من برقة إلى المحيط، ومن أقصى الأندلس إلى تخوم بلاد السودان. فاتسع بذلك مجال التبادل المعرفي والتلاقح الفكري، وبلغت حاضرتهم مراكش أوج عظمتها العلمية بما أنشؤا فيها من مساجد ومدارس ومن بينها جامع الكتبيين ومناره الشامخ، والمارستان العجيب الذي وصفه عن مشاهدة صاحب *المعجب* وقال : "ما أظن أن في الدنيا مثله" وبما خططوا من مناهج للتعلم أدمجوا فيها الرياضة البدنية، وأولوا عناية خاصة لتنشئ طائفة من الشبان تنشئة عسكرية، فاختاروا منهم آلافاً كأنهم "أبناء ليلة واحدة" وعينوا لهم دروساً نظرية يتقنونها

وجعلوا لهم أياماً معلومة في الأسبوع لتعلّم الركوب والرمي بالقوس، والسباحة في بحيرة (صهريج المنارة). وحددوا كتب الدرالسة في التفسير والحديث والسيرة والفقه والتوحيد والتصرف والنحو واللغة والأدب والحساب والمنطق والطب والمناظرة، وجعلوا للمرأة حظاً في التعليم لابد من معرفته وأفسحوا لها المجال للتوسع في الدرس، فنبغت في هذا العصور عالمات.

ونشير إلى أن معظم الملوك الموحدين كانوا علماء، وبلغ بعضهم درجة عالية في المعرفة كالمؤسس محمد المهدي ابن تومرت المبرز في التوحيد والعقائد، وتلميذه عبد المومن العالم بالأصول والجدل والحديث، وولده يوسف الفيلسوف الذي ظل يَدْرُس كتب الحكمة طوال مدة حكمه مع كبار فلاسفة عصره. وهو الذي أشار على ابن رشد الحفيد بتلخيص كتب أرسطو وشرحها، فأنافت تآليف ابن رشد علي المائة، وهي أكبر وأهم إنتاج فلسفي في تاريخ الغرب الإسلامي كله. كما امتارت أعمال الجغرافي المبدع الشريف الادريسي السبتي صاحب *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، وواضع خريطة العالم الحائطية والمائدة الفضية.

وفي عهد بني مرين (657 ـ 869 / 1259 ـ 1464) ازدهرت حركة التعليم وتعززت أكثر بما أنشؤوا من مساجد ومدارس وزوايا وربط ومارستانات في حاضرتهم فاس وغيرها من المدن في مختلف أنحاء البلاد، وبما وسعوا من أرزاق المعليمن والمتعلمين وأجْرَوا عليهم من نفقات ومرتبات من بيت المال.

اتجه المرينيون في التعليم اتجاهاً معاكساً لسلفهم الموحدين فأعادوا الاعتبار إلى المذهب المالكي المحظور سابقاً، وشجعوا الفقهاء على دراسة الفروع فراجت سوق الفقه المالكي من جديد وأقبل عليه المتعلمون، وألفت فيه كتب عديدة وأصبح منذ ذلك الحين مادة التخصص الأولى عند المغاربة إلى اليوم. وإذا كانت جذوة الفلسفة وما إليها من علوم الأوائل قد خبت في هذا العصر، فإن دراسة الحساب والفلك وما إلى ذلك من المعقولات لم تتوقف، بل عرفت تطوراً وانتشاراً، وبخاصة في مدينة مراكش موطن أحمد ابن البناء العددي (ت. 721 / 1321) الذي أنافت تآليفه على ثمانين كتاباً معظمها في الحساب والجبر والمقابلة والفلك. وتميز العصر المريني كذلك في ميدان العلوم التجريبية بكثرة من يتدارسون الطب في مختلف المراكز التعليمية لا سيما في المدرسة البوعنانية بسلا المعروفة أيضاً بالمارستان، وكانت إلى جانب تطبيب المرضى وعلاجهم تُقدَّمُ فيها دروس نظرية وعملية في الطب، وتخرّج فيها عدد من الأطباء كان لهم أثر في تسلسل هذا العلم بالمغرب في العصور التالية.

وامتاز المرينيون عمن سبقهم من الدول بالأوقاف العظيمة التي رصدوها لصالح منشآتهم الدينية والتعليمية، لا سيما المدارس التي ما تزال قائمة حتى اليوم بمرافقها الفسيحة وزخارفها الرائقة في الزليج (الفسيفساء) والنقش على الخشب والجبس والحجر، ومنشآتها الهندسيّة كالساعة النحاسية العديمة المثال بباب المدرسة البوعنانية بفاس. وكانت مجالس ملوك بني مرين لا تخلو من علماء وأدباء حضراً وسفراً، وقصة غرق نحو أربعمائة من كبار العلماء الذين صحبوا أبا الحسن المريني في رحلته إلى تونس (721 / 1321) شهيرة في التاريخ، وكذلك الدالة التي كانت للعديد من كبار شيوخ التدريس على الملوك المرينيين، والهبات السخية التي كانوا يقدمونها للرحالة المكتشفين كمحمد ابن بطوطة الطنجي (ت. 779 / 1377) صاحب *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*.

وبعد اختلال دولة بني مرين عرف التعليم في المغرب ركوداً طوال القرن التاسع (15 م) تبعاً للتدهور السياسي العام في البلاد، حيث أصبحت سلطة بني وطاس الذين خلفوا المرينيين لا تجاوز المناطق المجاورة لفاس في الشمال، وتُرك جنوب المغرب هملاً، وتوالى احتلال الثغور البحرية من طرف المسيحيين، فافتقر بيت المال ومدَّ الوطاسيون أيديهم "يقترضون" من أوقاف التعليم قروضاً لا يردونها أبداً. فخلت المدارس من قُطّانها وتفرق المعلمون والمتعلمون بحثاً عن الرزق. ولم تنته هذه المأساة التعليمية إلا بقيام دولة الشرفاء السعديين عام (915 / 1509).

كوَّن التعليم في عهد الشرفاء السعديين والعلويين، أي ما يعرف بالعصر الحديث، سلسلة متصلة الحلقات إلى قيام الحماية. ولم يختلف التعليم في هذا العصر عنه في العصر السابق إلاّ بكونه أصبح شبه منقطع عن الروافد التي كانت تغذيه من الشرق والشمال. فقد سُدَّ باب الأندلس بعد سقوط غرناطة (897 /1491) وأقفلت الحدود الشرقية عند نزول الأتراك في شمال افريقيا في مطلع القرن العاشر (16م) حيث أصبحت تونس والجزائر إيالتين تابعتين للخلافة العثمانية باسطنبول. ولم تقف أطماع الأتراك عند تخوم تلمسان إلا بعد معارك طاحنة خاضها كل من السعديين والعلويين. وازدادت كثافة الحدود الشرقية بعد أن احتل الفرنسيون الجزائر (1245 هـ / 1830 م) ثم تونس، وحلوا فيهما محل الأتراك.

لكن بالرغم عن هذه العزلة المفروضة، عرف المغرب وفادات علمية مع أفواج المهاجرين الأندلسيين لا سيما بعد قرار الطرد (1018 / 1609)، وجماعات من علماء الجزائر وتونس أنفُوا من الحكم الأجنبي. ساعدت هذه الوفادات على قيام نهضة تعليمية حقيقية برعاية الملوك الشرفاء، وظهرت مدارس مغربية متميزة في مختلف ميادين المعرفة ظلت قائمة إلى يومنا هذا، منها :

- مدرسة القراءات. امتزجت فيها طرق المغاربة والاندلسيين، ولو أن قراءتهم جميعاً ترجع إلى نافع بن عبد الرحمن المدني بروايتي ورش وقالون، لكن طرقهم المتعددة كانت تتشعب إلى عدد كثير من روايات تلاميذهما. ورسخت المدرسة الجديدة رواية ودراية وتأليفاً بين القراء المغاربة حتى اليوم.

ـ مدرسة الحديث التي غدت تعني ـ علاوة على المتن ـ بالاسنانيد والروايات، وأفرزت عدداً وافراً من الحفاظ تسلسلت طرق رواياتهم وإجازاتهم إلى العصر الحاضر.

ـ مدرسة الفقه التي تجددت في هذا العصر وتوسعت بالاجتهادات في النوازل والأحكام مراعاة للمصلحة العامة وما تقتضيه الأحوال الاجتماعية. وقد عرف هذا النوع الجديد من الفقه بالعمل الفاسي، ثم اتسع نطاق الاجتهاد وظهر ما عرف بالعمل المطلق، وألف في كل منها. وأصبح "العمل" السمة البارزة التي تميز المدرسة الفقهية المغربية لا من الناحية النظرية التعليمية فحسب، ولكن أيضاً في ميدان التطبيق والحياة العملية، إذ صار القضاة مطالبين، في ظهائر تعيينهم، بالحكم بما جرى به العمل، إلى جانب المشهور والراجح من مذهب مالك.

ـ مدرسة الأدب. حافظت على الأسلوب العربي الأصيل لغة وتركيباً وطريقة، في حين زاحمت لغة الأتراك الحاكمين لغة الضاد في سائر البلاد العربية، وطغى الطابع الأندلسي على أدبيات هذه المدرسة شعراً ونثراً. فالصلات الأدبية المغربية الاندلسية ولو أنها قديمة، إلا أنها امتزجت في العصر الحديث امتزاجاً كاملاً وإلى الأبد.

ـ مدرسة التاريخ والتراجم والرحلات تواصلت خلال العصر الحديث يُذيِّل بعضها بعضاً مغطية الفترات المتعاقبة بانتظام، وكذلك الرحلات لم تعد مقتصرة على الحج، بل تنامت واتسع أفقها بعد أن أخذ المغرب يحتك بالدول الاوربية.

ـ مدرسة الرياضيات والفلك والطب. انبعثت هذه العلوم في العصر الحديث على يد مجموعة من الحيسوبيين والفلكيين والاطباء والنباتيين المغاربة والأندلسيين. وكان للأطباء في مراكش نقيب لا يسمح لأحد بمزاولة عملية التطبيب إلا بعد أن يختبره ويجيزه. ثم انتقل هذا التقليد إلى فاس وغيرها من المراكز العلمية.

ومن الطريف في هذا العصر تفكير بعض حذاق المدرسين في طرق التعليم الناجعة وتأليفهم كتباً تربوية تعتمد على القواعد النظرية العامة وعلى تجاربهم الشخصية، منها :

ـ *الأقنوم في مبادئ العلوم*، لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت. 1096 هـ / 1685 م). وهو موسوعة من بحر الرجز في عدة آلاف من الأبيات تعرض فيه المؤلف لجميع العلوم المعروفة في عصره على التفصيل لا على الإجمال، ومنها التعليم والتربية. فبدأ في الفصل الذي عقده لآداب القراءة بآداب تعليم الصغار القرآن في الكتّاب، وما يجب على المعلم من العدل والتسوية بين المتعلمين. وثنّى بالجانب التربوي وما يلزم المعلم من الحرص على صرف المتعلمين عن قرناء السوء، والتعدي، والقذف، والجرح ... وتشجيعهم بالمدح على الحياء والشجاعة والسخاء .. وتنفيرهم من الطمع والتبذير والحرص والشح ..

وفي الفصل المتعلق بتعليم الكبار بيّن ما يلزم الطالب من أداب مع شيخه ورفاقه، وأجود الأوقات للحفظ والمطالعة، وأحسن الأماكن للدرس والاستذكار. وألح على إفهام المتعلم بالطرق الناجحة دون تقيد بالشكل، إذ المعتبر الشرح والتقرير، لا تنميق التعبير. وذكر أن الشرط الأساسي في المدرس أن يكون حاصلاً على الملكة في العلوم التي يدرسها، جيد الفهم فيها. وعن مراحل الدرس ينصح بالبدء بإيضاح اللفظ ثم المعنى وما ينبني عليه، وبعد ذلك يورد الاعتراضات التي يمكن أن ترد، ويجيب عنها، ليتمرن ذهن الطالب على النقاش والأخذ والرد.

ـ *القانون*، للحسن اليوسي (ت. 1102 هـ / 1690 م)، وهو كتاب خاص بالعلم والتعليم وأحكام العالم والمتعلم، من أحسن ما كتب المسلمون في الموضوع. حدد اليوسي أولاً العلم، ومداركه الثلاثة : الاحساس، والخبرة، والنظر وأقسامه. وخصص الباب الثاني لأحكام العالم في نفسه وفي التدريس والتأليف، وأتى بجملة من المبادئ التربوية الأساسية، التي أكدت جدواها القوانين البيداغوجية الحديثة. وذكر من طرق التدريس طريقتين : الانتقال من الجزئي إلى الكلي المناسبة للمبتدئين، والجمع بين الجزئي والكلي، النافعة للمنتهين، محذراً على أي حال من القفز على البحث دون تمهيد ولا شرح، ملحاً على ضرورة الترتيب، بحيث يكون كلام المدرس لو سطر لكان تصنيفاً حسن الرصف مقبولاً ... حاضاً على التنزل مع المبتدئين إلى عبارات يفهمونها ولو لم تكن بليغة.

ـ *الابتهاج بنور السراج*، لأحمد بن المأمون البلغيثي شرح به *أرجوزة سراج طلاب العلوم* للعربي بن عبد الله المساري (ت. حوالي 1240 / 1824 م). خاطب المساري بأرجوزته ابنه اليافع وهو يتأهب للذهاب إلى القرويين، بعد أن حفظ القرآن الكريم والمتون الصغيرة في قريته الجبلية بني مسارة شمال فاس. وهو موضوع طريف في التأليف التربوي، وكأنه دليل دراسي لمن يقصد الجامعة لأول مرة حتى لا يتيه ويضل السبيل. ويغلب على هذا الكتاب طابع التجربة والخبرة الشخصية، فكل من الناظم والشارح عاشا في القرويين يطلبان العلم سنين عديدة، الأول كطالب قروي ساكن في إحدى المدارس، والثاني كطالب فاسي مقيم في منزله بين أهله.

وقد بين المؤلف لابنه العلوم التي عليه أن يدرسها ورتبها له ترتيباً سواء في المرحلة الأولى التي لا غنى عنها، أو في مرحلة المشاركة في سائر العلوم.

وفي الكتاب أبواب كثيرة تتعلق بحياة الطالب في المدرسة والجامع، وآدابه مع رفاقه وأساتذته، وأيام العمل وأيام الاستراحة، ومنها باب خاص بالنساخة واستعمال الكتب وإعارتها، إذ كان الطلبة المغاربة يعتمدون على نساخة الكتب لتأخر دخول الطباعة إلى المغرب.

وفي أواخر القرن الثاني عشر (18م) تدخلت الدولة رسمياً لصرف المدرسين عن الطرق البطيئة والعقيمة، وحملهم على اتباع السبل الميسرة في التعليم، مع حظر

دراسة عدد من الكتب الموغلة في التعقيد أو التطويل، أو المليئة بما لا طائل تحته. من ذلك : منشور أصدره السلطان محمد بن عبد الله إلى قاضي فاس يدعوه ليأمر المدرسين في المساجد بألا يدرسوا إلا كتباً معيّنة سماها في التفسير والحديث والفقه والتوحيد والسيرة واللغة العربية وقواعدها. ويحضّ على تدريس الحساب والفلك بالاسطرلاب، آمراً القاضي بأن يعطي الذين يدرسون هذه المواد "حظهم من الأحباس لما في ذلك من المنفعة العظيمة".

ومن ذلك أيضاً *النصيحة العامة* التي بعث بها نفس السلطان إلى جميع القبائل يحثهم فيها على تعليم أبنائهم عن طريق "المشارطة" التقليدية في البادية بعد أن ظهر بعض الفتور فيهم.

وتبلورت فكرة إصلاح التعليم مع محمد الرابع (1276. 1290 هـ /1859. 1873 م) الذي فرض تعليم الحساب والهندسة والفلك في المدن الكبرى على يد أساتذة مختصين، ونظّم دروساً حربية في بعض الثغور استجلب لها بعض المدربين من تونس وانجلترا. وأنشأ مدرسة المهندسين بفاس الجديد في موقع المدرسة المرينية المجاورة للقصر الملكي. وابتدأت الدراسة فيها عام 1259 / 1844م)، وكان أساتذتها مغاربة، إلا واحداً فرنسياً اعتنق الإسلام ودعي عبد الرحمن العلج.

واستمرت العناية بالهندسة وما إليها، وبالعلوم الحربية أيام السلطان الحسن الأول (1290. 1311 / 1873. 1894م) سواء في الدروس المنظمة في جوامع الحواضر، أو في المراكز العسكرية بالثغور، أو في مدرسة الهندسة بفاس، وكان عدد طلبة مدرسة الهندسة فيما بين أعوام 1287. 1305 / 1870. 1887 يتراوح بين 44 و58 طالباً تجري عليهم مرتبات يومية، ويحملون عند تخرجهم - حسب نوعية دراستهم - لقب مهندس أو موقت.

وأسس الحسن الأول عام 1292 /1875 م مدرسة ثانية بطنجة اهتمت - بالإضافة إلى الهندسة والحساب - باللغات الأجنبية التي أصبحت الحاجة ماسة إليها لنجاح البعثات التعليمية الموجهة إلى الخارج، وأوروبا بصفة خاصة. وكان طلبة مدرسة طنجة يختارون من بين نجباء التلاميذ من سائر أنحاء المغرب، ويقيمون بها من ثلاث إلى ست سنوات، كما أسس بمدينة الجديدة، في تاريخ غير محدد، مدرسة للمدفعية.

أما البعثات التعليمية إلى الخارج فبدأت على يد عبد الرحمن ابن هشام (1238. 1276 / 1822. 1859) وابنه محمد الرابع حيث وجها عدداً محدوداً من الطلبة إلى أوربا لغاية عسكرية بالدرجة الأولى "مع يحتاج إليه من علم الهندسة". وبلغ عدد البعثات التعليمية المغربية إلى مصر ست بعثات، أرسل أولادها محمد الرابع باتفاق مع الخديوي محمد سعيد باشا فيما بين أعوام (1276. 1280 / 1859. 1863م) مؤلفة من طالبين تخصصا في الجغرافيا والفلك، تلتها بعثتان أخريان، من بين أعضائها طالب درس فن الطباعة، وثلاثة درسوا الفنون العسكرية. وضمت البعثة الرابعة ثلاثين طالباً من أبناء العسكريين وغيرهم، طُلب منهم أن يتعلموا الفنون البحرية والمدفعية. وتوجهت البعثة الخامسة إلى مصر في أوائل عهد الحسن الأول، (1290. 1312 / 1873. 1894) وكان أفرادها كثيرين على ما يبدو، إذ قسموا - بالنسبة للمنحة - ثلاث رتب، تلتها البعثة السادسة وفيها ذهب عبد السلام العلمي أول طبيب مغربي تخرج من قصر العيني بالقاهرة.

وتعددت البعثات الطلابية إلى أوربا أيام الحسن الأول أناف عدد طلابها على مائة، ليتعلموا الفنون الحربية والمدنية ويتقنوا اللغات الأجنبية في انجلترا وإيطاليا واسبانيا وفرنسا وبروسيا (ألمانيا) وتوالت البعثات بعد ذلك إلى جبل طارق.

وقد قام بعض المتخرجين من مصر وأوروبا بعد رجوعهم إلى المغرب، بالتعليم وأنتجوا عدداً من الكتب والآلات الهندسية والفلكية والعسكرية، ألفوها أو اخترعوها أو ترجموها عن اللغات الاجنبية، كان المنتظر أن تساعد على تحديث التعليم في البلاد وتطويره لولا أطماع الدول الاستعمارية التي عرقلت كل جهود الاصلاح من أجل فرض الحماية.

التعليم في عهد الحماية : بدأ التعليم الفرنسي بالمغرب قبل إبرام معاهدة الحماية بسنوات لخلق وسيلة التفاهم اللغوي مع المغاربة، وأخذ قناصل فرنسا المقيمون في المدن المغربية المفتوحة آنذاك لسكنى الأوروبيين ينشئون فيها مدارس فرنسية بواسطة الاتحاد الاسرائيلي، ففتحت مدارس بفاس ووجدة وتطوان وطنجة والعرائش والرباط والدار البيضاء، ثم استقلت المدارس الفرنسية بالمغرب عن الاتحاد الاسرائيلي بعد فرض الحماية، سنة 1330 /1912. وبعد أن جمّد الفرنسيون التعليم الإسلامي الأصيل وضيقوا عليه الخناق أنشؤوا إلى جانبه أنواعاً متعددة من التعليم العصري المفرنس على أساس عنصري طبقي : تعليم فرنسي مخصص لأبناء الجاليات الاوروبية، وتعليم يهودي منبثق عن الاتحاد الاسرائيلي، وتعليم أهلي خاص بالمغاربة المسلمين، مقسم إلى مدارس الذكور ومدارس البنات. ومدارس الذكور أربعة أصناف : مدارس أبناء الاعيان في المدن الكبرى، ومدارس حضرية في المدن الأخرى، ومدارس صناعة بمختلف المدن، ومدارس قروية مبعثرة هنا وهناك. وحتى سنة 1940م لم يكن بالمغرب سوى عشرات من المدارس الأهلية الابتدائية، وأربع ثانويات بفاس والرباط ومراكش وأزرو.

كان أساس التعليم في المدارس الأهلية هو اللغة الفرنسية، وسمح في المرحلة الابتدائية - في غير المناطق البربرية - بحصص قليلة جداً للقرآن واللغة العربية، كانت في الأول نحو نصف ساعة في اليوم، ثم زيد فيها تحت ضغوط الانتقادات حتى صارت في نهاية المطاف ساعتين مقابل أربع ساعات للفرنسية. كما سمح بحصص يسيرة أيضاً للعربية والفقه في المرحلة الثانوية التي تنتهي بدبلوم

ـ بدل البكالوريا، معظم مواده فرنسية، مع قليل من التربية والفقه ـ في غير الثانوية البربرية ـ . وكان هذا الدبلوم يعتبر شهادة محلية لا تخوِّل الحاصلين عليه متابعة دراستهم العليا بفرنسا. فكثر انتقاده ونفر الأهالي منه وصاروا يعملون على إلحاق أبنائهم بالثانويات الفرنسية أو في خارج المغرب، فاضطر الفرنسيون إلى إحداث نظام مزدوج للثانويات الأهلية أحدهما ينتهي بالبكالوريا، والثاني بدبلوم فرنسي ـ عربي. ولكن ماذا كانت حصيلة التعليم العصري بالمغرب ؟ حتى سنة 1359 / 1940، وكان قد مضى على إحداث البكالوريا بالمدارس الاهلية نحو عشرة أعوام، ومدة أطول من هذه على إقبال الناس على الانخراط في المدارس الفرنسية لم يكن يوجد في المغرب "غير ثلاثين أو أربعين تلميذاً أهلياً حصلوا على شهادة البكالوريا في طول المنطقة الفرنسية وعرضها، كما أنه لا يوجد إلا عشرة من التلاميذ الأهالي حصلوا على شهادة الليسانس" ـ *الحالة العلمية*، 32 ـ 33 ـ .

وعرفت الفترة الأخيرة للحماية (1945 ـ 1955م) تطوراً ملموساً نسبياً بسبب تزايد الضغط الوطني، وتأثير المدارس الحرة التي سنتحدث عنها فيما بعد، فأصبحت سلطات الحماية تخطط لقبول (10.000) تلميذ جديد كل سنة، وبذلك ارتفع عدد المسجلين في المدارس الابتدائية الأهلية سنة 1954 إلى (210.018)، وفي المدارس الثانوية إلى (3.839) إضافة إلى الأطفال المغاربة المسجلين آنذاك في التعليم الأوروبي، وهم (4600) في الابتدائي و(1560) في الثانوي.

أما التعليم الحر فقد تكوَّن نتيجة رد فعل وطني ضد سياسة الفرنسة والتجهيل والتنصير، بدأ ضعيفاً في أوائل الثلاثينات، إذ كان يعمل أساساً على تلقين القرآن والعربية وتاريخ المغرب والاسلام باستثناء معهد حرّ واحد في الرباط كان التعليم فيه مزدوجاً راقياً، ثم توسع التعليم الحرّ بعد تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944م، فأنشئت مدارس ابتدائية وثانوية مهمة في مختلف الأقاليم، بتمويل من الشعب وتحت إشراف رجال الحركة الوطنية ورعاية محمد الخامس، وأصبحت اللغة العربية هي السائدة في المدارس الحرة، مع مسايرة مناهج التعليم العصري وتلقين الفرنسية باعتبارها لغة أجنبية، حتى أصبح عدد تلاميذ هذه المدارس غداة الاستقلال يعد بعشرات الآلاف. غير أن التعليم الحر بقي مبتوراً للحاجة إلى تعليم عال يستوعب الحاصلين على البكالوريا، باستثناء القرويين التي ظلت ـ رغم انتعاشها ـ جامعة تقليدية مقتصرة على فرعي الشريعة والأدب، وباستثناء الجامعات العربية التي تمكن بعض الطلبة من الالتحاق بها في القاهرة ودمشق وبغداد، رغم الحصار المضروب عليهم من السلطات الفرنسية.

ولما فرض الإسبانيون حمايتهم على المنطقة الشمالية بالمغرب (1330 هـ /1912م)، اتخذوا من تطوان عاصمة لمنطقة نفوذهم، وراحوا يضاهون بها مضاهاة باهتة مدينة الرباط في كل المظاهر السياسية والادارية والتعليمية، ولم تختلف السياسة الاسبانية في مبدأ الهيمنة والحكم المباشر عن السياسة الفرنسية إلا أن الاسبانيين جنحوا إلى شئ من التساهل والتزلف للاهالي في ميدان التعليم، فلم يضايقوا المدارس العربية الحرة التي كانت تفتح إلى جانب المدارس الإسبانية، وسمحوا باستقدام أساتذة من الشرق العربي للتدريس بها، كما سمحوا بإرسال بعثات طلابية إلى مصر، وفتح "دار المغرب" بالقاهرة للعناية بشؤون الطلاب ..

هكذا وجد المغرب المستقل أمامه تعليماً متنوعاً متنافراً مزقته الحمايتان الفرنسية والإسبانية كل ممزق، فكان عليه أن ينظر بجد في مشكل التعليم خلال السنوات الأولى للاستقلال، وأسفرت الندوات والمؤتمرات الوطنية التي عقدت، عن الاتفاق على أربعة مبادئ بالإجماع، هي التعميم، والتوحيد، والتعريب، ومغربة الأطر.

ق. عياض، *ترتيب المدارك*، الرباط، 1965 ـ 1983 ؛ *الغنية*، تح. ماهر زهير، بيروت، 1982 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ *كتاب الأنساب*، الرباط، 1971 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، تح. محمد الفاسي، سلا، 1938 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، *قسم الموحدين*، تح. جماعة من الأساتذة، الدار البيضاء، 1985 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981 ؛ إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972 ؛ ع. ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلة غرباً وشرقاً*، تح. محمد ابن تاويت الطنجي، القاهرة، 1951؛ *العبر*، ج 6 ؛ *المقدمة*، بيروت، 1956 ـ 1961 ؛ مؤلف مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، تح. ابن أبي شنب، الجزائر، 1920 ؛ *بلغة الامنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة من مدرس وأستاذ وطبيب*، تح. محمد ابن تاويت التطواني، *مجلة تطوان*، عدد 9، سنة 1964؛ م. الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، تونس، 1966 ؛ م. ابن غازي، *التعلل برسوم الإسناد*، تح. محمد الزاهي، الرباط، 1979 ؛ علي ابن ميون الغماري، *رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن*، مخطوط خ. ع رقم 1780 د ؛ *الرسالة المجازة في معرفة الإجازة*، مخطوط، ميكروفيلم خ. ع 1341 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الاخضر، ط 2، بيروت، 1983 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1977 ؛ أ. المنجور، *فهرس*، تح. محمد حجي، الرباط، 1977 ؛ ع. السجلماسي، *الإلمام ببعض من لقيت من علماء الإسلام*، مخطوط ؛ أ. ابن أبي محلي، *إصليت الخريت*، مخطوط خ. ح رقم 100 ؛ ق. الوزير الغساني، *حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار*، تح. محمد العربي الخطابي، بيروت، 1980؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973 ؛ *المنتقى المقصور*، تح. محمد رزوق، الرباط، 1986 ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الله گنون، تطوان، 1964 ؛ إبراهيم الگلالي، *تنبيه الصغير من الولدان*، مخطوط خ. ع رقم 571 ك ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، الرباط، 1964؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية فاس، 1906 ؛ م. ميارة، *نظم اللآلي والدرر*، مخطوط خ. ح رقم 3702 ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط خ. ع رقم 1420 ؛ ع. الفاسي، *الأقنوم*، مخطوط خ. ع رقم 15 ك ؛ *نظم العمل الفاسي*

وشرحه، مخطوط خ. ع رقم 1448 د ؛ م. ابن أبي دينار، *المونس في أخبار افريقية وتونس*، ط 2، تونس، 1967 ؛ ح. اليوسي، *القانون*، ط حجرية فاس، 1315 هـ ؛ م. السجلماسي الرباطي، *شرح العمل الفاسي* ؛ *شرح العمل المطلق*، ط. حجرية فاس، 1291 و1298 هـ ؛ م. ابن سليمان الروداني، *صلة الخلف بموصول السلف*، تح. م. حجي، بيروت، 1988 ؛ م. الافراني، *نزهة الحادي*، ط. حجرية فاس، د. ت ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، الرباط، 1345 هـ ؛ أ. ابن المامون البلغيثي، *الابتهاج بنور السراج*، القاهرة، 1319 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، الرباط وفاس، 26 ـ 1930 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 30 ـ 1933 ؛ م. ابن عثمان المراكشي، *الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة*، الرباط، 1937 ؛ أبو بكر زنيبر، *الحالة العلمية في المغرب قبل الحماية وبعدها*، مخطوط المؤلف بسلا ؛ *العمل في أحكام الفقهاء*، ملحق جريدة المغرب سلا، 1938 وما بعدها ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، المحمدية، 1960 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، تطوان، 1959 ؛ روجي لوطونو، *فاس قبل الحماية*، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، 1986 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس*، القاهرة، 1964 ؛ ع. گنون، *النبوغ المغربي*، ط 2، بيروت، 1961 ؛ م. ابن تاويت التطواني، *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1982 ؛ م. المنوني، *الآداب والعلوم والفنون*، ط 2، الرباط، 1977 ؛ *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1985 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية بالمغرب*، الدار البيضاء، 1971 ؛ م. ابن شقرون، *مظاهر الثقافة المغربية*، الرباط، د. ت ؛ م. عابد الجابري، *أضواء على مشكل التعليم بالمغرب*، الدار البيضاء، د. ت ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*، بيروت، 1990 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1976 ؛ *الزاوية الدلائية*، ط 2 ، الدار البيضاء، 1988.

E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1903 ; M. Ben Cheneb, *Etude sur les personnages mentionnés dans l'idjaza...*, Paris, 1908 ; P. Marty, *Le Maroc de demain*, Paris, 1925 ; H.P.J. Renaud, *L'enseignement des sciences exactes au Maroc*, *Hesp.*, T. XIV, 1932 ; Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1952 ; J. Caille, *La petite histoire du Maroc*, Casablanca, 1954 ; G. Deverdun, *Marrakech*, Rabat, 1959 ; J. Berque, *Al-Yousi, Problèmes de la culture marocaine au XVIIème siècle*, Paris, 1958 ; E. Lévi-Provençal, *Al-Maghrib, vie intellectuelle*, *E.I.*, 2ème édit., 5 : 1198 - 1200.

**محمد حجي**

** وبعد الاستقلال، تحولت إدارة المعارف التي كان يهيمن عليها الفرنسيون إلى وزارة التربية الوطنية. صرفت الوزارة كل اهتمامها للنهوض بالتعليم ونشره وتطويره. ففي 25 غشت 1957 اجتمعت اللجنة الملكية العليا لإصلاح التعليم وأوكل إليها أمر وضع خطة شمولية لأول مشروع تعليمي وطني. ومن أجل تأسيس مدرسة مغربية ذات تطلعات وطنية متكاملة الأركان دعت هذه اللجنة إلى تعميم تعليم مغربي موحد ومعرب على يد أطر مغربية (برفع شعارات التعريب والتعميم والتوحيد والمغربة). وباعتماد هذه الخطة التي أملتها ظروف الاستقلال كان الوطنيون يتوقون إلى جعل التعليم في متناول الجميع واعتماده وسيلة ناجعة من وسائل تطوير المجتمع وتنميته اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا. لذلك أعطيت الأولوية لتأسيس المدارس وتكوين الأطر الضرورية وتزايد الإقبال على التعليم وانتقلت نسبة الملتحقين بالمدارس من 17٪ سنة 1956 إلى 30٪ سنة 1958 ثم ارتفعت النسبة إلى 36٪ سنة 1960 ثم 45٪ سنة 1961، أي بزيادة سنوية إجمالية قدرها 43٪ من 1956 إلى 1961.

كان التعليم في هذه الفترة يتألف من ثلاث مراحل : ابتدائي وثانوي وعالي. ففي المرحلة الأولى كان التلميذ عندما يحصل على شهادة التعليم الابتدائي يتوجه إما نحو التعليم المغربي أو التعليم الأجنبي الفرنسي. وكان التعليم الأجنبي يضم ثلاث شعب هي الشعبة الكلاسيكية والعصرية والتقنية في حين كان التعليم المغربي يتألف من نوعين : طويل وقصير : كان التعليم الطويل منقسماً إلى سلكين : سلك أول ينتهي بالحصول على شهادة التعليم الثانوي وسلك ثان يتفرع بدوره إلى فرعين : تعليم عام مزدوج وتعليم تقني. يضم الأول شعبة الآداب الأصلية، وهي مخصصة لدراسة الفقه والأصول والحديث والتفسير وغيرها من المواد الشرعية بالإضافة إلى التاريخ والجغرافيا والفلسفة والأدب العربي واللغات الحية، وشعبة الآداب العصرية وتدرس فيها المواد الأدبية المتنوعة من فلسفة ولغات وتاريخ وجغرافيا وغيرها، ثم شعبة العلوم التجريبية والعلوم الرياضية وتخصص للتلاميذ تكويناً علمياً في الفيزياء والكيمياء والرياضيات.

أما التعليم التقني فكان يوفر لتلاميذه تكويناً علمياً عملياً يؤهلهم للحصول على الباكالوريا التقنية والاقتصادية، وثلاثة أنواع من الشهادات التقنية العليا B.T.S. وهي الشهادة التقنية الصناعية والشهادة التقنية التجارية والشهادة التقنية الفلاحية، وثلاثتها تسمح للحاصلين عليها بالالتحاق بالشغل كأطر متوسطة في قطاعات الإنتاج الفلاحية والصناعية والتجارية.

أما التعليم القصير فكان التكوين فيه لا يتعدى ثلاث سنوات. وهو في مجمله يهدف إلى تكوين الأطر العادية التقنية والإدارية، ويضم خمس شعب هي الشعبة العامة والشعبة الصناعية والشعبة التجارية والشعبة الاجتماعية وكلها تهيئ الأطر الإنتاجية الصغرى.

شكل التعليم عبئاً ثقيلا على الدولة، لذلك سمحت للخواص بالمساهمة في النهوض به وخاصة ابتداء من الموسم الدراسي 1975 ـ 1976 حيث صرح وزير التربية الوطنية أن تعميم التعليم وتحسين سبل التربية لن يتم بمعزل عن مشاركة الخواص فيه. لذلك تأسس العديد من المؤسسات التعليمية الخاصة وفتحت أبوابها لاستقبال الرواد بدءاً من مرحلة الحضانة إلى التعليم الابتدائي فالإعدادي ثم الثانوي. وقد استقبلت العديد منها الآلاف من التلاميذ الذين غادروا المؤسسات الرسمية العمومية بعدما استنفدوا السنوات المسموح لهم بالتعلم فيها. هذا وكانت برامج هذه المؤسسات الخاصة ومقرراتها وحصصها مطابقة لما هو

موجود في التعليم العمومي في جميع الشعب والمستويات الدراسية. كما كان معظم أطرها، من مدرسين ورجال مراقبة تربوية في مراحلها التعليمية الثلاث من العاملين في القطاع العمومي، وكان المدرسون فيها ينجزون ساعات إضافية محددة بعد الحصول على رخصة خاصة بذلك من لدن الوزارة الوصية. ولم تتوقف مؤسسات التعليم الخاص عن التطور سنة بعد أخرى كماً وكيفاً تبعا لتطور شعب التعليم الرسمي العمومي وتبعاً لمتطلبات سوق الشغل، كل ذلك تحت إشراف ومراقبة وزارة التربية الوطنية.

وقد كان التلميذ في مرحلة التعليم الابتدائي يقضي خمس سنوات كاملة قبل الانتقال إلى المرحلة الثانوية. وفي نهاية السنة الخامسة الابتدائية كان عليه، حسب إصلاح 7 ماي 1963 أن يجتاز امتحانين، واحداً خاصاً بالتوجيه لولوج التعليم الثانوي وآخر للحصول على شهادة التعليم الابتدائي يكون مباشرة بعد امتحان التوجيه. إلا أن امتحان التوجيه كان أصعب من امتحان الشهادة وكان يتضمن عدة روائز واختبارات ذهنية ونفسية. وجاء ظهير 23 ماي 1964 ليلغي الامتحانين ويجعلهما امتحاناً واحداً من نجح فيه انتقل إلى الثانوي ومن رسب يعتبر محصلا بشكل تلقائي على الشهادة الابتدائية.

وفي التعليم الثانوي كان على التلميذ أن يقضي سبع سنوات موزعة على سلكين : سلك أول يسمى الإعدادي ويستغرق أربع سنوات تدعى الأولى والثانية والثالثة والرابعة من التعليم الإعدادي تنتهي بامتحان التوجيه نحو السلك الثاني والحصول على شهادة التعليم الثانوي ؛ وسلك ثان مدته ثلاث سنوات تسمى الخامسة والسادسة والسابعة من التعليم الثانوي. وينقسم هذا السلك إلى قسمين : قسم خاص بالتعليم العام ويضم شعبة الآداب الأصلية والآداب العصرية والعلوم التجريبية والعلوم الرياضية والعلوم الاقتصادية وقسم خاص بالتعليم التقني ويحتضن شعبة التجارة والصناعة والفلاحة. ويدرس التلاميذ خلال هذه المرحلة بسلكيها اللغة العربية والتربية الإسلامية والفرنسية والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية واللغات الحية الأخرى والفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية والتربية النسوية والرسم والفنون التشكيلية ومبادئ التكنولوجيا ويمارسون التربية البدنية. وتعتبر مرحلة السلك الثاني هي المعبر الأساسي إما نحو ميدان الشغل أو الالتحاق بالتعليم العالي.

وابتداء من شتنبر 1985 أقدمت وزارة التربية الوطنية على تبني إصلاح جديد للتعليم الابتدائي والثانوي يلغي ما كان معمولا به فيما سلف هذا التاريخ. يهدف هذا الاصلاح إلى إيلاء الأسبقية للتعليم الأساسي والتكوين المهني والتقني. لذلك أعادت توزيع مدة الدراسة بالتعليم الابتدائي والثانوي التي لم تكن إجبارية منها إلا خمس سنوات إلى مرحلتين : تعليم أساسي إجباري مدته تسع سنوات، وتعليم ثانوي مدته ثلاث سنوات.

تشتمل المرحلة الأولى على سلكين : سلك أول مدته ست سنوات ويؤدي إما إلى السلك الثاني أو التكوين المهني، وسلك ثان مدته ثلاث سنوات ويؤدي إلى التعليم الثانوي العام أو التقني أو التكوين المهني.

يستغرق التعليم الثانوي ثلاث سنوات ويبدأ التخصص فيها من السنة الأولى ويؤدي في نهاية السنة الثالثة إلى التكوين المهني أو الالتحاق بالتعليم العالي بعد الحصول على الباكالوريا. وهو يشتمل على شعب أدبية وعلمية

جدولة إصلاح النظام التعليمي

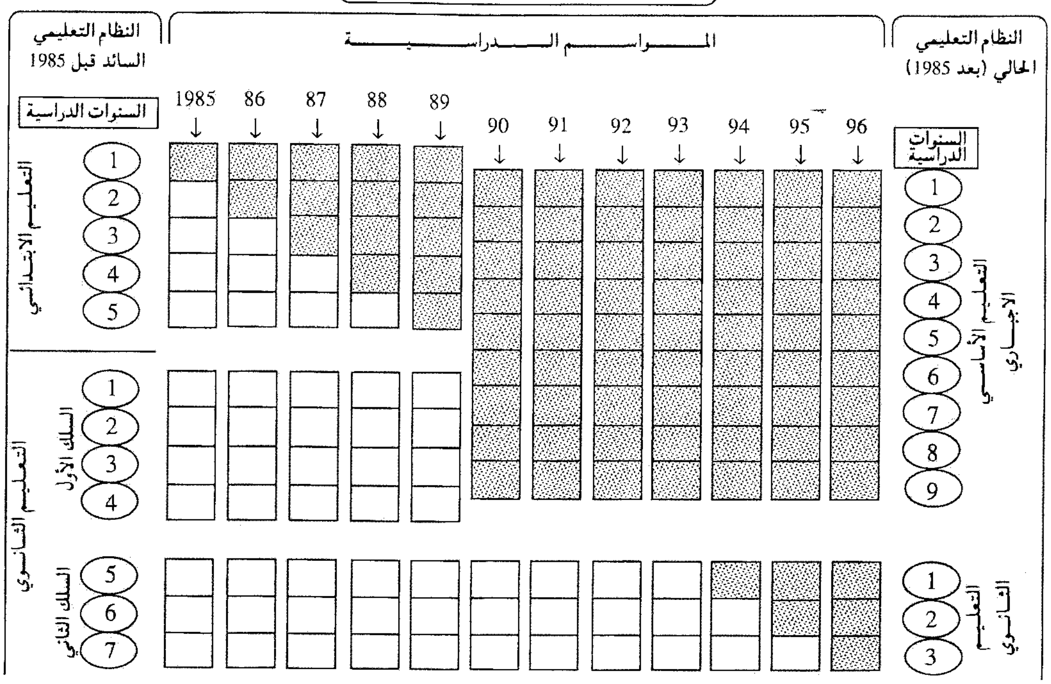

وتقنية متنوعة. وقد شرع في تطبيق هذا الاصلاح ابتداء من الموسم الدراسي 1985 - 1986. وينتظر أن يشمل تدريجياً جميع المستويات التعليمية من السنة الأولى من التعليم الأساسي إلى السنة الثالثة من التعليم الثانوي خلال الموسم الدراسي 1996 - 1997. كما توضح الخطاطة المرفقة.

وفي مستهل سنة 1994 قامت نفس الوزارة بإعادة هيكلة شُعب التعليم الثانوي امتداداً للتطورات التي عرفها التعليم الأساسي وتمشيا مع متطلبات "حاجات التنمية وسوق الشغل" فقلصت الحصص الزمنية الأسبوعية وراجعت المناهج الدراسية وخففت من كثافة المقررات "في اتجاه اتاحة الفرصة للتلميذ بالتعلم الذاتي" وجعله قادراً على التعامل مع المصادر والمراجع وارتياد المكتبات واستخدام رصيدها الوثائقي لإنتاج المعرفة واستغلالها. لذلك أصبح التعليم الثانوي ابتداء من التاريخ المذكور يتوفر على التخصصات التالية : شعبة الآداب وشعبة العلوم التجريبية وشعبة الرياضية والتعليم الأصيل بفرعيه الشرعي الأصلي والأدبي الأصلي، وشعبة التعليم التقني التجاري وتحتوي على تخصص في التسيير الإداري وأخرى في التسيير المحاسباتي بالإضافة إلى شعبة العلوم الاقتصادية. ويتكون فرع التعليم التقني الصناعي من شعبة الهندسة الميكانيكية وشعبة الصناعة الميكانيكية وشعبة تقنيات الكهرباء وشعبة الالكترونيك وشعبة الابتكار والبناء. وهناك أخيراً شعبة الفنون التشكيلية وشعبة فنون وصناعة الطباعة وشعبة الهندسة الكيميائية وشعبة العلوم الزراعية.


م. ابن شقرون، *مصادر التربية والتعليم في عهد الحماية الفرنسية والاسبانية*، الرباط، 1982 ؛ *بيان تاريخي من مثقفي المغرب حول سياسة التعليم والغزو اللغوي الاستعماري للمغرب العربي*، الرباط، 1985 ؛ م. عابد الجابري، *أضواء على مشكل التعليم بالمغرب*، الدار البيضاء، د. ت ؛ مجهول، *معركة المصير في سبيل إصلاح التعليم وتعريبه*، الرباط، 1967 ؛ وزارة التعليم وتكوين الاطارات، *التعليم : الحالة، المشاكل، الأهداف*، الرباط، 1970 ؛

وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، *كتابة الدولة في تكوين الأطر، آفاق مهنية*، الرباط، 1979 ؛ وزارة التربية الوطنية، *نحو نظام تربوي جديد*، الرباط، 1980 ؛ *منجزات وآفاق*، الرباط، 1983؛ *التعليم العالي بالمغرب صور وأرقام*، الرباط، 1985 ؛ *هيكلة التعليم الثانوي*، الرباط، 1994 ؛ *وثيقة عمل لإصلاح النظام التعليمي*، الرباط، 1985.

A. Baina, *Le système de l'enseignement au Maroc*, Casablanca, 1981 ; M. Benchekroun, *L'éducation et l'enseignement au Maroc*, Rabat, 1985 ; D. Boumnich, *Une pédagogie sans déchets*, Rabat 1989 ; K. Bouzoubaa, *L'enseignement au Maroc ou un voyage incertain*, Paris, 1982 ; *B.E.P.M.*, n° 5 Juin 1916, n° 18 Février 1920 et n° 230 Mars 1955; *B.O.*, n° 408 du 17 Août 1920, n° 2421 du 20 Mars 1959, n° 2596 du 27 Juillet 1962 et n° 3317 du 26 Mai 1976 ; J. Celerier, *L'instruction publique au Maroc*, *B.E.S.M.*, vol. 14, 1951; M. Chekroun, *Culture et pédagogie au Maroc*, Casablanca, 1989 ; R. Derout, *Le Maroc doit-il avoir son université? Le Maroc quotidien*, 16 décembre 1948 ; R. Gaudefroy- Demombynes, *L'œuvre française en matière d'enseignement au Maroc*, Paris, 1928 ; J. Hallaf, *A qui profite l'école*, Paris, 1974 ; G. Hardy, *Le Maréchal Lyautey et l'enseignement*, *A.F.*, Août 1934 ; A. Kamal, *Productivité et rentabilité de l'enseignement au Maroc*, D.E.S. Fac Sc. Jur. Eco. et Soc., Rabat, 1983 ; Le Templier, *L'enseignement supérieur au Maroc*, *B.I.M.*, Sept. 1954; M. Machrafi, *A propos de la réorganisation de l'enseignement supérieur au Maroc*, 1966, [s.l.] ; M. Merrouni, *Le problème de la réforme dans le système éducatif marocain*, Rabat, 1993 ; Ministère de l'Education Nationale, *Le mouvement éducatif au Maroc 1975 - 1984*, 3 vol., 1977 - 1981 - 1984 ; *Le mouvement éducatif 1986 - 1988*, Rabat [s.d.] ; *Le mouvement éducatif 1988-1990*, Rabat [s.d.] ; K. Mosdik, *Guide de l'enseignement supérieur*, Casablanca, 1993 ; L. Paye, *Enseignement et société musulmane, introduction et évolution de l'enseignement moderne au Maroc*, Rabat, 1992 ; Protectorat de la République Française au Maroc, Direction de l'enseignement publique, *L'enseignement public au Maroc*, Rabat, 1952 ; J. Salmi, *Crise de l'enseignement et reproduction sociale au Maroc*, Casablanca, 1985 ; A. Sekkat, *La politique de l'enseignement au Maroc 1956 - 1977*, Grenoble, 1977 ; C. Tibi, *Politique éducative et financement de l'éducation au Maroc*, Paris, 1976 ; K. Zhiri, *Définition d'une politique nouvelle de l'enseignement*, Rabat; 1969.


محمد بوسلام

* * أما عن التعليم العالي، فإن التوسع الجامعي في المغرب من العلامات الكبرى على النهضة التي حققتها البلاد في شتى المجالات. يتمثل هذا التوسع في ثلاث عشرة جامعة، منها جامعة عريقة في التاريخ، وقد تعد أقدم جامعة في العالم، هي جامعة القرويين، وجامعة ثانية تأسست عام 1958 أي بعد استقلال المغرب بعامين، وذلك في عهد جلالة الملك محمد الخامس تغمده الله برحمته، وقد تسمت باسمه: جامعة محمد الخامس، ومقرها في الرباط عاصمة المملكة المغربية، وهي أكبر الجامعات العصرية في مغرب اليوم، وهي ذات الفضل الأعظم في تهييء نسبة عالية من الأطر التي تعمل اليوم في الجامعات الأخرى. وقد انقسمت هذه الجامعة منذ السنة المالية لعام 1993 إلى جامعة محمد الخامس (أكدال) وجامعة محمد الخامس (السويسي). أما الجامعات العشر الباقية فقد تأسست كلها منذ 1960 وهي جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء وجامعة الحسن الثاني بمدينة المحمدية وجامعة سيدي محمد بنعبد الله بمدينة فاس وجامعة القاضي عياض بمدينة مراكش وجامعة محمد الأول بوجدة وجامعة عبد الملك السعدي بتطوان وجامعة مولاي إسماعيل بمكناس وجامعة ابن طفيل بالقنيطرة وجامعة أبي شعيب الدكالي بمدينة الجديدة وجامعة ابن زهر بأگادير. ولعدد من هذه الجامعات فروع في مدن أخرى. إن هذا النمو في مدة وجيزة نسبيا يعتبر في آن واحد من أسباب التحولات الكبرى في نهضة المغرب ومن نتائج هذه التحولات. ومن جهة أخرى فإن إحداث ثلاث عشرة جامعة كان نابعا من إرادة سياسية واستجابة لطلب اجتماعي وعن اقتناع بدور الجامعة في تطوير محيطها الاقتصادي والاجتماعي وفي ترقية المدارك العامة للمواطنين.

بيد أن كلا من الإرادة السياسية التي يترتب عنها تدخل الدولة وكذا الطلب الاجتماعي للتعليم ليسا بالأمرين الجديدين في البيئة المغربية، إذ أن التعليم في أعلى مستوياته القادرة على إعادة إنتاج المعرفة وتناقلها بين الأجيال وعلى التأليف والابتكار وكسب الشهرة الدولية والإسهام في الحضارة الإنسانية كانت له شواهده ووقائعه البليغة في هذا البلد.

تعينت عناصر بنية التربية والتعليم في ماضي المغرب في إطار سيرورة تكوين الأمة المغربية عبر مراحل من تاريخها الإسلامي. فقد أدى الفتح الإسلامي وانتشار متدرج لمبادئ الإسلامي ومحموله الحضاري إلى قيام دولة إسلامية ووقوع تحولات اجتماعية ولا سيما بظهور مراكز حضرية جديدة، كما أدى إلى وقوع اتصالات عميقة بين المغرب والمشرق وبين المغرب ومجالات تقع في العمق الإفريقي. فقد حمل الإسلام إلى المغرب لغة جديدة هي العربية ومعارف بعضها عربي وبعضها متوسطي أو أسيوي، وكلها انصهرت في بوتقة الرصيد العلمي والثقافي الذي صاحب انتشار الإسلام في هذا البلد. إن اللغة العربية والرصيد العلمي الثقافي حمله مشارقة إلى المغرب مباشرة أو انتقل إلى المغرب عبر الأندلس أو ذهب المغاربة لطلبه في المشرق أو في الأندلس، وقد تعزز الحضور العلمي والثقافي للمشرق في المغرب عبر المهاجرين الأفراد والقبائل المهاجرة، وساعد ارتباط الدين الجديد والاجتهادات فيه بوقائع السياسة ومذاهب الفكر على اندماج المغرب في التاريخ الإسلامي مبكرا كما ساعدت حركة التجارة والرحلة إلى الحج على تقوية الاتصال ونشر المادة العلمية المكتوبة.

بيد أن سيرورة أخرى واكبت سيرورة تلقي المغرب للعلم المشرقي ألا وهي سيرورة الاحتضان الخاص والتفاعل بين مقومات الشخصية المحلية وبين المعطيات المشرقية حيث أدى هذا التفاعل إلى تميز الشخصية العلمية المغربية في اختيارات على مستوى رسم الخط والقراءات الصوتية والتوجهات المذهبية والاجتهادات النظرية والتقاليد المدرسية، في جملة عناصر أخرى يطول شرحها.

وهنالك مبادئ ووقائع أساسية شجعت على انتشار التعليم والتعمق في مختلف فنونه، منها : 1) حض الإسلام على فريضة تلقي العلم. 2) ارتباط انتشار الإسلام بالتعليم وما ترتب عن ذلك من الحرص على فهم أصول الدين وفروعه والعناية بعلوم الآلة اللازمة لذلك وبعلوم أخرى مرتبطة به، بما فيها علوم الملل الأخرى، وقيام فئة من المختصين بهذه العلوم. 3) اعتبار رعاية العلم ورفده مجلبة للخير بالنسبة للأفراد الذين يتوخون الوجوه الشرعية للإنفاق وبالنسبة لجماعات الحواضر والبوادي التي تندمج بتلك الرعاية في النمط المبتغى للثقافة الإسلامية وبالنسبة للإمارات التي تستمد من تلك الرعاية خبرة القائمين على الدواوين وغيرها من الخطط كما تستمد منها أسباب الجاه والفخر والمشروعية.

التعليم العالي 1957 - 1994 : تطور التعليم العالي، وضمنه التعليم الجامعي، بالمغرب من بداية عهد الاستقلال إلى اليوم، أي خلال ما يزيد عن ثلث قرن، تطوراً متجاوباً مع ثلاثة عناصر تحكمت في مسار هذا التطور، ومنها :

1) طموح أبناء الأمة إلى تحصيل مستوى رفيع من التعليم كحق وكضرورة للترقية الاجتماعية والمادية.

2) تخطيط الدولة للاستجابة للطلب الناتج عن الطموح المتزايد على التعليم العالي، واستثمار نسب عالية من الميزانية العامة في سياق تزايد ديمغرافي تضاعف فيه سكان المغرب مرتين واتسع فيه الهرم السكاني بغلبة الشباب.

3) ارتباط التكوين بأهداف التنمية من حيث عمل الجامعة على توفير الأطر اللازمة لتحقيق المغربة في مختلف الميادين ومواكبة تطور حاجات القطاعات العمومية والخاصة من الكفاءات كما وكيفا.

وإذا كان من الصعب تعيين مراحل تحقيب التطور الجامعي في هذه المدة لأن الزيادات في أعداد الطلبة وإحداث المؤسسات الجامعية وإدخال التعديلات البداغوجية كانت تتراكم سنة بعد سنة، فإن بالإمكان إبراز تواريخ في هذا التطور تعد معالم مرور إلى مراحل جديدة.

1) صدور ظهير تأسيس جامعة محمد الخامس وإحداث مجلسها عام 1959، وكانت بعض مؤسسات هذه الجامعة قد بدأت عملها من قبل.

2) إعادة تنظيم جامعة القرويين بإحداث كلياتها العصرية الأربع في فاس وتطوان ومراكش وأگادير.

3) تنظيم مناظرة إفران عام 1970 حول التعليم العالي الجامعي والخروج منها بأفكار انبثقت منها بعض الإصلاحات والعناصر الهيكلية التي وقع تطويرها في ما بعد.

4) صدور ظهائر ومراسيم سنة 1975 لهيكلة الجامعة وإحداث مؤسساتها التمثيلية من شعب ومجالس وتحديد اختصاصاتها وإعطاء حق التسيير المالي وإضفاء صفة "الأستاذ الباحث" على المدرس الجامعي.

5) صدور ظهيري شهر مارس 1979 بإحداث جامعتين جديدتين هما جامعة القاضي عياض بمراكش وجامعة محمد الأول بوجدة. كما صدرت نصوص تطبيقية تحدد لائحة بأسماء الكليات والمعاهد التابعة لكل جامعة سواء القديم منها أو الحديث.

6) صدور المرسوم رقم 2. 75. 836 بتاريخ 17 محرم 1396 (19 يناير 1976) بتحديد اختصاصات وزارة التعليم العالي وتنظيم هذه الاختصاصات.

7) إحداث خمس جامعات جديدة عام 1989، وهي جامعة عبد الملك السعدي بتطوان وجامعة مولاي إسماعيل بمكناس وجامعة ابن طفيل بالقنيطرة وجامعة أبي شعيب الدكالي بالجديدة وجامعة ابن زهر بأگادير.

إن المؤسسات الجامعية التي أحدثت لاستقبال أكثر من تسعين بالمائة من الطلبة المستفيدين من التعليم العالي قد واكبها صنفان من مؤسسات التعليم العالي العمومي :

الصنف الأول مؤسسات تابعة لوزارات غير وزارة

التربية الوطنية خرجت إلى الوجود تباعا في سياق الحاجة الاستعجالية لأطر اقتضتها التنمية في تخصصات معينة ترتبط باهتمام الوزارات المؤسسة كأطر الإدارة العمومية ومهندسي التخصصات الزراعية والبيطرية، ومهندسي الإحصاء والاقتصاد التطبيقي ومهندسي الصناعة التعدينية ومهندسي المواصلات وأطر البحرية وأطر رجال السلطة وأطر الشرطة وأطر الجيش الملكي وأطر تدبير المقاولات وأطر الصحافة وعلوم الإعلام وأطر الملاحة البحرية والتجارية، إلخ. وكلها مدارس أو معاهد تسمى تجاوزا "بمؤسسات تكوين الأطر"، تمول كلا منها الوزارة التي أحدثتها ويخضع التوظيف فيها والترقية لنفس المقاييس التابعة للجامعة وبينها وبين الجامعة تواصل ما فتيء يزداد بمرور الأيام.

أما الصنف الثاني من المؤسسات العمومية التي لا تنتمي إلى التعليم الجامعي، فهي مؤسسات تابعة لوزارة التربية الوطنية تسمى "المدارس العليا للأساتذة" أو "المراكز التربوية الجهوية" وهي مختصة في تخريج مدرسين من مختلف المواد الأدبية والعلمية بالمدارس الإعدادية والثانوية يلتحق بها حاملو البكالوريا بعد النجاح في مباراة.

وإلى جانب التعليم العالي العمومي، ظهرت في الأعوام العشرة الأخيرة، لاسيما في الدارالبيضاء والرباط ومراكش، مؤسسات للتعليم العالي أسسها خواص، يدخلها حاملو البكالوريا الذين لهم استعداد لأداء الرسوم ولم يتوجهوا لسبب مًا نحو المؤسسات العمومية للتعليم العالي.

إن الجهود التنظيمية والتضحيات المالية التي أفرغت في تطوير التعليم الجامعي قد آتت نتائج لا تُنكر، أهمها 1) الهيكلة الإدارية للتعليم العالي. 2) تجهيز الجامعات بمقتضى توسع الخريطة الجامعية وفي إطار سياسة اللامركزية. 3) مواكبة التأطير ومغربته للتوسع المذكور كمًّا وكيفا. 4) إدخال إصلاحات تربوية متعددة تمس نظام الدروس والامتحانات. 5) ترسيخ المؤسسات التمثيلية الجامعية. 6) دعم ممارسة اللجان العلمية في المؤسسات الجامعية. 7) تقوية اللغة العربية والتفتح على مزيد من اللغات الحية ولغات البحث.

وفي هذا السياق ظل التعليم الجامعي تعليما بالمجان يستفيد فيه الطلبة من دعم اجتماعي يتمثل في المنح المالية التي تطال الأغلبية الساحقة منهم كما يتمثل في بوادر العناية الصحية والنشاط الرياضي.

وقد صار ارتباط التعليم بالبحث في الجامعة، دليلا على أن هذا التطور كان كيفيا أيضا ولم يكن كميا وحسب، ومن علامات هذا الارتباط تزايد في عدد المنشورات والأنشطة الوطنية والدولية للجامعة، ودخول المؤسسات في طور الاندماج مع المحيط الاقتصادي والاجتماعي ولاسيما عن طريق التعاقد لإنجاز مشاريع تستجيب لحاجيات القطاعين العام والخاص. وفي هذا الإطار تعزز التعاون الجامعي بالانخراط في شبكات للتعاون الدولي، وصارت المؤسسات تبتكر منتجات تربوية في شكل إجازات تطبيقية مفتوحة على سوق الشغل، كما عرفت الجامعة ميلاد جيل جديد من المؤسسات الجامعية هي : 1) المدارس العليا للتكنولوجيا. 2) كليات العلوم والتقنيات. 3) المدارس الوطنية للتجارة والتسيير.

ولقد كان التعليم بالمغرب في العقود الثلاثة الأخيرة "مسألة" وطنية ودار نقاش كثيف حولها بين الوزارة الوصية وبين نقابة التعليم العالي. لم ينحصر هذا النقاش في الجوانب المهنية بل نظر إليه كتعبير شامل عن اختيارات ترهن مصير عدة أطراف، ولذلك طرح مضمون التعليم وتوجهه ضمن محاور نقاش عدة إصلاحات تربوية أو هيكلية، وذلك في إطار معادلة حكمت تطور التعليم ككل والتعليم الجامعي على الخصوص، وهي معادلة الطموح والإمكانات وطرائق التدبير.

إحصائيات : كانت ميزانية الدولة عام 1994 تقدر في التسيير والاستثمار بـ 66.208 مليون درهم، حصة التعليم فيها 144.50 مليون درهم، وحصة التعليم العالي وحده 2.673.3 مليون درهم.

أما عدد طلبة التعليم في نفس هذا العام فيبلغ 234.946 يكون الإناث منهم 94.256 والأجانب 3.324 والمسجلون في ما بعد الإجازة 16.430. وقد تخرج منهم 22.677 وسكن بالأحياء الجامعية 27.606 من بينهم 14.157 من الإناث وخولت منح مالية بالداخل لـ160.264 وبالخارج لـ8.513. وقدمت في الأحياء الجامعية خلال هذا العام 7.646.286 وجبة غذائية.

أما التأطير فيتمثل في 7.566 من أعضاء هيئة التدريس منهم 1.044 في إطار أستاذ التعليم العالي و905 في إطار الأستاذ المحاضر و11.406 في إطار الأستاذ المساعد و328 من المساعدين. أما التأطير الإداري فيتمثل في 10.571 موظفا منهم 4.406 من الإناث.

أما التعليم العالي الخاص فقد بلغ عدد مؤسساته المرتكزة في المدن الكبرى 43 مؤسسة تسجل فيها 7.484 طالباً.

مؤسسات التعليم العالي ال[illegible] لوزارات غير وزارة التربية الوطنية :

معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة (الرباط). ـ المدرسة الوطنية للصناعة المعدنية (الرباط). ـ مدرسة علوم الإعلام (الرباط). ـ المدرسة الوطنية للإدارة (الرباط). ـ المدرسة الوطنية للبريد والمواصلات السلكية (الرباط). ـ المعهد الوطني للإحصاء والاقتصاد التطبيقي (الرباط). ـ المعهد العالي للصحافة (الرباط). ـ المعهد العالي للتجارة والإدارة والمقاولات (الدار البيضاء). ـ المدرسة الحسنية للأشغال العمومية (الدار البيضاء). ـ المعهد العالي للدراسات البحرية (الدار البيضاء). ـ المعهد العالي للسياحة (طنجة). ـ المدرسة الملكية للملاحة

المؤسسات الجامعية في يناير 1995

| الجامعات | الكليات والمدارس العليا والمعاهد | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | أ ع إ | ع ق | ع | ع تق | ط ص | ط أ | ت ت | م ع م | م ع ت | ع ت | ت أ | م ب | م تر |
| حمد الخامس (الرباط ـ أكدال) | 1 | 1 | 1 | | | | | | 1 | | | 1 | |
| حمد الخامس (الرباط ـ السويسي) | | 1 | | | 1 | 1 | | 1 | | 1 | | 3 | |
| لحسن الثاني (الدار البيضاء) | 1 | 1 | 1 | | 1 | 1 | | 1 | | | | | |
| لحسن الثاني (الدار البيضاء والمحمدية) | 2 | 1 | 1 | 1 | | | | 1 | | | | | |
| يدي محمد بن عبد الله (فاس) | 2 | 1 | 2 | 1 | | | | | 1 | | | | |
| لقاضي عياض (مراكش وبني ملال) | 2 | 1 | 1 | 1 | | | | | | | | | |
| حمد الأول (وجدة) | 1 | 1 | 1 | 1 | | | | | 1 | | | | |
| ن طفيل (القنيطرة) | 1 | | 1 | | | | | | | | | | |
| عيب الدكالي (الجديدة وسطات) | 1 | | 1 | | | | 1 | | | | | | |
| لولي إسماعيل (مكناس والرشيدية) | 1 | 1 | 1 | 1 | | | | | 1 | | | | |
| بد الملك السعدي (تطوان وطنجة) | 1 | | 1 | | | | | | 1 | | | | 1 |
| ن زهر (أكادير) | 1 | | 1 | 1 | | | 1 | | | | | | |
| لقروين (فاس وتطوان ومراكش وأكادير) | | | | | | | | | | | 4 | | |

تاح :

ت أ : التعليم الأصيل (شريعة أصد الدين، عربية). ـ أ ع إ : آداب وعلوم إنسانية. ـ ع ق : علوم قانونية واقتصادية تماعية. ـ ع : علوم. ـ ع. تق : علوم وتقنيات. ـ ط ص : طب وصيدلة. ـ ط أ. : طب الأسنان. ـ ع ت : علوم تربية. م ع مه : مدارس عليا للمهندسين. ـ م ع ت : مدارس عليا للتكنولوجيا. ـ م تر : مدرسة عليا للترجمة. ـ م ب : معهد بحث. ت ت : تجارة وتسيير.

(الدار البيضاء). ـ المدرسة الملكية للطيران (مراكش). ـ الأكاديمية الملكية العسكرية (مكناس). ـ مدرسة استكمال تكوين الأطر التابعة لوزارة الداخلية (القنيطرة). ـ مدرسة المعادن (مراكش). ـ المعهد الملكي لتكوين الأطر التابعة لوزارة الشبيبة والرياضة (الرباط). ـ دار الحديث الحسنية (الرباط). ـ المعهد الوطني للدراسات القضائية (الرباط). ـ المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية (الرباط). ـ المدرسة الوطنية للتدبير والتنظيم الحضري (الرباط). ـ المدرسة الوطنية الغابوية للمهندسين (سلا). ـ المدرسة الوطنية للعمل الاجتماعي (طنجة). ـ المدرسة الوطنية للفلاحة (مكناس). ـ المدرسة الملكية للصحة العسكرية (الرباط). ـ مركز التكوين المهني التابع للخطوط الملكية المغربية (الدار البيضاء). ـ المعهد العالي للمسرح والتنشيط الثقافي (الرباط). ـ المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث (الرباط). ـ مدرسة الفنون الجميلة (الدار البيضاء).

الحسين العمراني، *ترقية رجال التعليم بالمغرب*، د. د.ع.، كلية الحقوق بالرباط، 1989 ؛ *تقرير حول التعليم العالي والبحث العلمي بالمغرب : منجزات وآفاق*، غشت 1989، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني ؛ النقابة الوطنية للتعليم العالي، *نحو إيجاد مشروع لإصلاح التعليم العالي وهيكلة البحث العلمي*، تقرير مقدم إلى الندوة الوطنية بالرباط يومي 21 و22 أكتوبر 1989 ؛ عبد القادر باينة، *شرعية الإصلاح الحقيقي في التعليم العالي وإلزامية ميثاق وطني حول التعليم والتكوين والبحث العلمي*، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، عدد 2815 بتاريخ 21 أبريل 1991 ؛ عبد الإله فونتير، *الجامعة وقضية البحث العلمي في المغرب العربي*، مداخلة ضمن أعمال ندوة الجامعة الشتوية الثانية، أبريل 1991، مراكش ؛ *الوضعية النظامية للأساتذة الباحثين بالمغرب*، د. د.ع.، كلية الحقوق بالرباط، 1992 ؛ وزارة التربية الوطنية، التعليم العالي، *تطور التعليم الجامعي بالارقام*.

A. Baïna, *Le système de l'enseignement au Maroc*, Casablanca, 1981.

أحمد التوفيق

**تغات** (جبل ـ)، بضاحية فاس قريب من جبل زلاغ، وقعت بسفحه معركة فاصلة بين ولي العهد محمد الشيخ المامون ابن السلطان أحمد المنصور، وبين الناصر بن عبد الله الغالب الذي كان لاجئاً عند الإسبان منذ معركة وادي المخازن، وهذه هي المعركة الثانية ضد هذا الثائر إذ سبق أن تغلب الناصر على جيش سرحه المنصور لقتاله عندما حل بتازا، وتعرف هذه الواقعة الحربية الأولى بمعركة الركن.

لم تذكر المصادر العربية اسم موقع المعركة الثانية "تغات" التي حضرها ولي العهد المامون، وإنما جاء ذلك فيما كتبه الصيدلي الفرنسي تريبو الذي حضر المعركة ضمن حاشية المامون، وقدم عنها كثيراً من التفاصيل. وأول ملاحظة تثير الانتباه في كتابة هذا الفرنسي أن الناصر تقدم بجيشه نحو مدينة فاس حتى بلغ مشارفها وحينئذ خرج للقائه ولي العهد خليفة أبيه المنصور في الحاضرة الإدريسية. وهذا ما لا يفهم من الروايات المغربية. وسنورد تفاصيل معركة تغات كما جاءت عند تريبو.

كان جيش محمد الشيخ المامون كبيراً يضوم فرقا من العلوج ومهاجرة الأندلس وقبيلة شراكة وغيرها من قبائل العرب والبربر منهم 11.000 من المسلحين بالبنادق مشاة وفرساناً، و7.000 من حملة الرماح وفرقة من المدفعية. أما جيش الناصر فكان أقل رجالا وسلاحا، يضم إلى جانب المرتزقة عددا من قبائل الريف وضواحي تازا.

نزل الناصر وجنوده يوم 13 رمضان 1004 / 11 ماي 1596 على بعد مسافة قريبة من فاس حيث أمسى معسكره مكشوفاً في متناول قصف مدفعية العدو، وفي الليل، تحركت جنود الناصر من جديد واختارت أن تجرى المجابهة على سفح جبل تغات، في الشمال الغربي من فاس وعلى مقربة من جبل زلاغ، وعسكرت قوات محمد الشيخ قريبا من مكان المعركة، يوم 12 ماي 1596، حسب النظام التالي :

نصبت الخيم في صفوف عديدة، وبين هذه الخيم كانت توجد مخازن الذخيرة والعتاد، يحرسها ألف من المرتزقة المسلحين بالبنادق، في حين كانت فرقة المدفعية مستعدة للعمل، من على ربوة تشرف على مواقع الناصر.

كان المشاة كلهم يتقدمون الصفوف، وهم منقسمون إلى فرقتين، تفصل بينهما مسافة ست خطوات، وتتألف كل واحدة منهما مما يزيد على ثلاثة آلاف جندي من المسلحين بالبنادق، انضمت إليهم فرقة من الرماحة، تشكل هلالا في ميدان المعركة، وفي وسط الهلال، كان يوجد محمد الشيخ الذي نصّب قائدا على جنود الصفوف الأمامية العلج الباشا مصطفى أرمان، وابنه فوفري قائدا على جميع المرتزقة المسيحيين. واقتسم الأندلسيون والعرب وما بقي من شراكة

والبرابر، جميع الصفوف الخلفية.

وما كان نظام قوات الناصر ليختلف عن هذا النظام، ولم يكن يعوزها إلا المدفعية. وأما عدد جنوده فكان يُقدر بـ 18.000، منهم 8.000 رماح، و1.000 بندقي، والباقي يتألف من المشاة المسلحين بالسيوف والرماح القصيرة، ومن أهالي الجبال بأسلحة متباينة.

انطلقت المعركة بشن جيش محمد الشيخ هجوما عاما غداة 14 رمضان 1004 / 12 ماي 1596، واستغرقت العمليات الحربية ساعتين، بدت للمقاتلين وكأنهما شهران، حرب لم تحسم لفائدة أحد. ودخل فيها من جانب محمد الشيخ، جنود احتياطيون، لكن بدون جدوى، ورأى الناصر وانصاره أنهم على قاب قوسين أو أدنى من النصر ورأى محمد الشيخ نفس الرأي، في هذه الأثناء حدثت مفاجأة كبرى، ذلك أن كتيبة من الجيش، يتقدمها عناصر من الجوقة العسكرية التي كانت ترافق أحمد المنصور، وعلم الملك يرفرف عليها، ظهرت على أحد الربى، فارتفعت معنوية جيش محمد الشيخ وأصاب الهلع الجيوش التي كانت تقاتل مع الناصر، وظنوا أن أحمد المنصور جاء بالمدد إلى ابنه محمد الشيخ، فأخذوا في الفرار عبر الجبال، واستطاع الناصر أن يفر هو كذلك على متن فرس، وتشتت جمعه. خلفت هذه المعركة في الميدان زهاء ألف قتيل وجريح في جيش الناصر، وضعف ذلك في جيش محمد الشيخ. وغنم محمد الشيخ خيم عدوه كلها واستولى على عدد كبير من الأسرى. وتعقب محمد الشيخ ابن عمه الناصر، فأخذه وحمله إلى معسكر الشيخ وقتله وبعث برأسه إلى مراكش، فعلق مدة ثم أمر المنصور بدفنه بمقبرة سيدي بلعباس بمراكش.

م. الإفراني، *نزهة*، 91 ـ 92 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء 5 : 145 ـ 151.

*S.I.H.M.*, *France* II, III ; *Angleterre* I, II, II ; *Portugal* II, G. Jacqueton, *P. Treillault, Pharmacien de Ahmed al-Mansour*, *R.A.*, p. 212.

أحمد بنجلون

**تغاتين** أو تاغاتين، منطقة جبلية تقع إلى الشرق من مركز أنزي في الأطلس الصغير في الحدود بين إدا وبعقيل وإدا وسملال. ولكثرة صلحائها وعلمائها كانت تدعى رباط الصاحلين. ويذكر أن الشيخ أحمد بن موسى السملالي كان كثيرا ما يزورها ويحثّ مريديه على زيارتها.

**التغاتيني، أحمد** بن **سليمان** بن يعزّى الرسموكي فقيه مشارك وصالح ناسك. درس في مسقط رأسه تغاتين على والده سليمان، ومَحمد بن محمد بن يعقوب والحسن بن علي بن داوود السملالي، كما أخذ عن الحسن اليوسي وغيره. وأخذ الطريقة الناصرية عن الخليفة الشيخ أحمد ابن ناصر وصاحَبه مدة وسار على هدي الناصريين في اتباع السنة ونشر العلم والتصوف الخالص. ولما قُتل أبوه وأخوه محمد ظلماً عام 1072 / 1661 نهبت داره وهدمت من طرف فُتاك بينهم وبين التغاتيين إحَن قديمة، خرج أحمد إلى تارودانت ثم إلى فاس، وقدم إليه عرض مُغْر ليشارط في مصلحة تغازى بمشارف السودان (مائة مثقال ذهباً وأمة وعبد وكسوة رفيعة في كل عام) لكنه اعتذر وفضل الذهاب إلى مراكش فاستوطنها ساكناً في بيت علوي بسطح مدرسة المواسين عاش فيه طوال حياته عزباً مجداً في التدريس والتربية والتأليف وعمل الخير، إذ كان معظّما يعتقده العامة وذوو السلطة والأجناد ويمتثلون أمره، فانتفعت به البلاد والعباد وتخرج به جميع طلبة وقته وبلده.

كان أحمد بن سليمان مقصد المستفتين من كل أنحاء الجنوب وخاصة سوس، وقد وقف المختار السوسي على عدد كثير من فتاواه قال عنه : "لو جمع لكان وحده مجلداً أو أكثر"، وضمّن بعض هذه الفتاوي في كتابه مجموعة إلغ الفقهية.

ألف أحمد بن سليمان في الحساب والفرائض والفقه والعروض والتوقيت والتنجيم مؤلفات منها :

- *معونة الإخوان على مسألة أولاد الأعيان* في كراسه، بيّن فيه أحكاماً غريبة وتفاصيل عجيبة.
- *شرح الزايرجة السبتية*.
- *الجواهر المكنونة في صدف الفرائض المسنونة*، وهي أرجوزة في علم المواريث في أربعمائة واثنين وثلاثين بيتا. وهي ـ كما وصفها المؤلف ـ سهلة، يحفظها السوسيون عن ظهر قلب حتى اليوم، ويسمونها الأرجوزة السملالية في الفرائض.
- *ذيل الأرجوزة السملالية في الحساب* بما يكمل مائة وعشرين بيتاً.
- *شروح الأرجوزة السملالية وذيلها*، كبير في اثنتي عشرة كراسة، ووسط في ست كراسات، وصغير في أربع كراسات.
- *شرح اليواقيت لمبتغي معرفة المواقيت* لعلي بن محمد الدادسي، وتعرف بالأرجوزة الدادسية. شرح كبير في عشر كراسات، وصغير في خمس كراريس.
- *شرح الأرجوزة السملالية في الفرائض*، كبير في إحدى وعشرين كراسة، وصغير في ثلاث عشرة كراسة.
- *لامية في العروض*. وهي قصيدة من بحر الطويل في سبعة وستين بيتاً.
- *شرح لامية العروض* في خمس كراسات، بيّن فيه جميع ما يُحتاج إليه في ذلك الفن، مع تقطيع جميع شواهد العلل والزحافات يغني عن غيره من كتب العروض.

توفي بمراكش يوم الاثنين الأول من رجب عام 1133 / 28 أبريل 1721. ودفن خارج باب الدباغ.

وقد نبه كل من عباس ابن إبراهيم ومحمد المختار السوسي إلى وجود فقيه آخر يحمل نفس الاسم : أحمد بن سليمان الرسموكي، نسخ المدخل لابن الحاج بجزءية في

ثمانية وعشرين يوماً، فهذا متقدم توفي عام 984 أو 985.

م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 125 ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، تح. أ. عمالك، د.د.ع. الرباط ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الابدية*، 1 : 116 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 2 : 366 رقم 256 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 51؛ *سوس العالمة*، 192 ؛ *المعسول*، 18 : 330 ـ 337 ؛ إ. الادريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 129.

**التغاتيني، أحمد** بن **عبد الواسع** الرسموكي، أديب بليغ. عمل كاتباً للأمير أبي حسون بودميعة السملالي. وقد احتفظ المختار السوسي في كتابه إيليغ قديماً وحديثاً بعدة مراسلات صادرة عن بودميعة من إنشاء كاتبه أحمد بن عبد الواسع التغاتيني. ويحرف اسم المترجم أحياناً فيكتب محمد ابن عبد الواسع. وقد اضطرب السوسي في تحديد أو تقريب تاريخ وفاته، فذكر في رجالات العلم أنه توفي عام 1060 / 1650 واستنتج في المعسول أنه كان مازال حياً عام 1093 / 1682، وهو تاريخ انتهاء الرسموكي من تقييد وفياته، ولذلك لم يذكره.

م. المختار السوسي، *إيليغ*، 127 ـ 131 ؛ *المعسول*، 329 ؛ *رجالات العلم*، 35.

**التغاتيني، أحمد** بن **محمد** بن يعزى الرسموكي، أديب كاتب وفقيه مفت. أخذ الأدب عن محمد بن الحسن بن القاسم اللكوسي، وأورثه ولده محمد بن أحمد آتي الترجمة. يعد من شعراء بلاط أبي حسون بودميعة في إيليغ. وكانت له عليه دالة تتبين من قصيدة فائية وجهها إليه يشتكي من بعض خصومه ويستعديه عليه، مطلعها :

ماذا يريد الثعلب المستضعف ... من قَسْوَرٍ منه العدا تتقصَّف ؟

وهو إلى ذلك هجاء مقذع، هجا معاصره القاضي أحمد أمزوغار الوجاني ودعا إلى عزله في قصيدة مشهورة تنتهي كل أبياتها بكلمة أمزُغَر، مطلعها :

أمدَّ إلهي في المعالي مذاهباً ... وضعضع في قرب قواعدَ أمزغر

وهو ناظم القصيدة الطويلة التي امتزجت فيها العربية بالشلحية التي بدايتها : باسم الله في الكلام إزْوَر. ومع ذلك حلاه بلديه الرسموكي صاحب *الوفيات* بصفات لم يصف بها غيره وقال عنه : "الفقيه الأجل الكاتب العالم العلامة الدراكة النحوي اللغوي الفيلسوف صاحبنا ومحبنا.... عاصرته وجالسته وحضرت جنازته".

وفي ميدان الفقه له فتاوى كثيرة في مجموعة عبد *السميع الأمزالي*، و*المجموعة البرجية*. ويذكر له كتاب في *التاريخ والتراجم* لم يُعثر عليه لحد الآن.

توفي يوم الثلاثاء الثامن عشر من جمادي الثانية عام ثمانين وألف / 12 نونبر 1669.

الرسموكي، *وفيات*، 31 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 95 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 34 ؛ *سوس العالمة*، 185 ؛ *المعسول*، 18 : 271 ـ 285 ـ 310 و312.

**التغاتيني، حسين** بن داود الرسموكي، فقيه عارف بالفروع والأصول، مشارك في التفسير واللغة وقواعدها. درس في سوس وفي خارجها. ومن أشهر شيوخه داوود بن محمد التونلي التملي، ومحمد بن يوسف السنوسي التلمساني صاحب العقائد. ويظن أنه أخذ أيضاً بفاس عن الإمامين محمد ابن غازي وأحمد الونشريسي وطبقتهما.

من تآليفه الباقية :

- شرح *رسالة* ابن أبي زيد القيرواني.
- شرح *التلقين* للقاضي عبد الوهاب البغدادي.
- *مدارج الراغب على مختصر ابن الحاجب الفقهي*.
- شرح *نظم* بيوع *ابن جماعة*، والناظم عبد الرحمن السوسي.
- شرحا *توشيخ خالد الگرسيفي في الجنة ونعيمها*. كبير وصغير.
- *نظم في تصريف الأفعال*.
- شرح *نظم التصريف*.

توفي يوم الجمعة ثامن عشر محرم عام أربعة عشر وتسعمائة / 19 ماس 1508.

م. البعقيلي، *مناقب*، 18 ؛ الرسموكي، *وفيات*، 39 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 233 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 19 ؛ *سوس العالمة*، 179 ؛ *المعسول*، 279 ؛ *جامعة القرويين في ذكراها* ، 115 رقم 7.

**التغاتيني، داوود** بن عبد المنعم الرسموكي. "علامة جليل، وأديب كبير، وشاعر مصقع... من علماء جزولة المشاركين الكبار الذين لهم في كل العلوم التي أخذوها ـ لغة وفقها وتفسيراً وتاريخاً وحساباً وأصولاً وبياناً ـ يد طولي". بهذا حلاه صاحب المعسول في طليعة ترجمته. ولد حوالي عام 1310 برباط تغاتين، وبه نشأ ودرس على والده القرآن ومبادئ العلوم، وأتم تعليمه على يد عمه أحمد بن محمد التغاتيني، وأحمد بن مسعود في المعدر، والحاج أحمد الصوابي. وأخيراً عند الأديب الكبير الطاهر الافراني بمدرسة بومروان "حيث الآداب تتدفق، وغدران القوافي تترقرق، ونجوم المشاركة في جميع العلوم تتألق".

شارك داوود التغاتيني ـ كشيخه الطاهر الإفراني ـ في حركة الهيبة ضد الاحتلال الفرنسي، فالتحق به في تيزنيت وسار معه إلى مراكش. وبعد هزيمة جيش الهيبة سار داوود مع الحاحيين الفارين إلى زاوية سيدي الزوين ومنها رجع إلى سوس، فشارط سنة في مسجد قصبة تالاغت قبل أن يلتحق بالشيخ الحاج أحمد الصوابي في مدرسة تاكوشت ويلازم مجالسه العلمية سنين. ومن ثم انتقل إلى جامع ابن يوسف فأتم تكوينه في شتى العلوم اللغوية والشرعية والعقلية والأدبية. وأهم شيوخه هناك أبو شعيب الدكالي وفتح الله بناني الرباطي، وأحمد العلمي الفاسي.

رجع داوود إلى سوس وتفرغ للتدريس في تيبوت وغيرها من المراكز القروية العلمية. وأهم إنتاجه أدبي ترسلاً

وشعراً ونقداً دقيقاً عنيفاً في بعض الأحيان، وقد أورد نماذج عديدة من ذلك في *المعسول* كما أورد قائمة طويلة بأسماء الفقهاء والأدباء التي تخرجوا بداوود التغاتيني.

توفي عام 1389 / 69 . 1970.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 241 ؛ *المعسول*، 18 : 339 . 385؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1389.

**التغاتيني، سليمان** بن يعزى، فقيه موثق عدل، زاوج بين تلقي الشهادات وتحرير العقود، والقيام بالتعليم في مدرسة المولود بتغاتين، وهو من المتخرجين على يد الشيخ الكبير عبد الله بن يعقوب.

كان سليمان مثال الاستقامة والنزاهة، لكنه ذهب ضحية الفتن المضطرمة بين قبائل الجنوب آنذاك، فقتله بعض الأشقياء من خصوم قومه التغاتينيين هو وولده الطالب محمد ونهبوا داره وهدموها كما سبقت الإشارة إلى ذلك في ترجمة ولده أحمد بن سليمان. وقد ساق حادثة اغتياله بلديُّهُ الرسموكي صاحب *الوفيات* ووصفها بدقة وتأثر شديد.

وقف المختار السوسي على عدد من فتاوى سليمان التغاتيني في المجموعتين الفقهيتين الكبيرتين : *الأجوبة البرجية والأجوبة السميحية* "مما يدل على أنه مفتٍ كبير بين كبار المفتين في عصره".

قُتل ظلماً يوم الاثنين الثالث عشر من شعبان عام 1072 / 3 أبريل 1662 في مدرسة المولود التي كان يُقرئ فيها. ولايزال في المصلى محل جمد فيه دمه رحمه الله.

الرسموكي، *وفيات*، 27 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، الترجمة 747 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 34 ؛ *المعسول*، 18 : 329 . 330.

**التغاتيني، عبد السميح** بن محمد الرسموكي. أستاذ، حفظ القرآن والمتون الأولية، ثم درس في فاس على الإمامين: محمد ابن غازي، وأحمد الونشريسي وطبقتهما. ومن أشهر تلاميذه إبراهيم التيخفيستي السملالي الذي ترجم له، وعنه أخذها الرسموكي في الوفيات وغيره. حلاه الحضيكي بقوله : "كان - عبد السميح - فقيهاً قارئاً ناسكاً عابداً مدرساً صالحاً ناصحاً". وهو الجد الأعلى لآل عبد السميح التغاتينيين العلماء.

مات قتيلا في مسقط رأسه ظلماً وحسداً على ما آتاه الله من فضله، عام 915 / 10 . 1511.

الرسموكي، *وفيات*، 26 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، الترجمة 568 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 19 ؛ *المعسول*، 18 : 280 ؛ *جامعة القرويين في ذاكرها*، 115 رقم 8.

**التغاتيني، محمد** بن أحمد بن محمد بن يعزى الرسموكي. أديب كبير وشاعر مفلق. ولد قبل عام 1060 / 1650، وهو رابع الأدباء السوسيين الذين كانوا يسامرون في تارودانت الأمير الأديب مَحمد العالم ابن السلطان المولى إسماعيل وخليفته في الجنوب، وقد خلد كتاب *نفحات الشباب* محاوراتهم وإنشاداتهم ومساجلاتهم. تعرّف مؤلف *النفحات*، وهو أديب روداني، على المترجم في أحد أسواق تارودانت أوائل رمضان عام 1112 / فبراير 1701، حين جاء ليحضر إلى جانب علماء سوس مجالس صحيح البخاري عند الخليفة مَحمد العالم، وكتب يصف التغاتيني : "...، فوجدت طلعة بهية، ولبسة سنية، وشيبة منورة".

يبدو محمد التغاتيني في نفحات الشباب سريع البديهة، قوي الذاكرة في حفظ أشعار الأدباء ونقدها خاصة شعراء العصر العباسي، ذا قدرة فائقة على ارتجال النظم البديع. وقد بهر الخليفة مَحمد العالم بما أجاز من مصاريع أنشدها الخليفة، وهي تمثل مشاهد حية كانوا يرونها من منتزه مشرف على بستان : أشجار حولها كوم رمل، وأغصان مالت نحو أزهار، وحصّاد بمنجل في السنبل يضربه فيبدده ليلتقطه كبش معه، وصقر انقض على حمامة... كانت إجازات التغاتيني فورية لا تكتفي بالوصف الدقيق للمشهد بل تأتي بتشبيهات وتنظيرات تدل على إحساس مرهف في لغة متينة وسبك سلس. عبّر الخليفة عن إعجابه بالتغاتيني قائلا له : لقد أعدت عصر ابن عطية، فأجاب : كما أعاد سيدنا عصر عبد المومن بن علي. يشير إلى المساجلة الأدبية الشهيرة بين الخليفة الموحدي ووزيره ابن عطية وهما يسيران يوماً في بعض أزقة مراكش.

توفي بمسقط رأسه حوالي عام 1118 / 1702.

روداني مجهول الاسم، *نفحات الشباب*، في الجزء 18 من *المعسول*، 18 : 286 . 328.

محمد حجي

**التغاجيجتي** أو التاغاجيجيتي، **إبراهيم** بن محمد بن الحاج علي ولد سنة 1298 / 1880 أخذ القرآن عن المقرئ بلديه الاستاذ محمد بن إبراهيم المرابط، ثم اتجه نحو مدرسة إلغ لتلقي المتون العلمية حوالي 1312 / 1894 فقرأ على الفقيه بلقاسم التاجرمونتي، ثم على فقيه المدرسة علي بن عبد الله، المشار إلى وفاتهما في مادة بلوش من *معلمة المغرب*. قال فيه مؤلف *تحلية الطروس* : "الفقيه المرشد أبو سالم إبراهيم التاغجيجتي، مقدم الطريقة التجانية (...) لقيته مرة، فوجدته صافي الأخلاق، وافي المروءة منقبضا (...) ذا دين متين، فاراً من مجالس أهل الأهواء (...) صرف أوقاته في تحصيل الفضل والعبادة، وترك فضل العيش، وفضول الناس".

أخذ الطريقة التجانية عن الفقيه أبي الحسن الالغي المذكور أول يوم تلقنها، ثم أجازه التلقين فيها الفقيه الحاج الحسين الافراني قطب التجانية في سوس توفي إبراهيم التاغجيجتي بعد أن أتم الثمانين سنة 1378 / 1958.

علي بن الحبيب، *تحلية الطروس في ذكر رجالات سوس*، مخطوط؛

الإيكراري، *طاقة ريحان من روضة الأفنان*، 55 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 1 : 371 ؛ 9 : 106.

**التغاجيجتي، أحمد** بن **بلخير** بن بلعيد. ولد سنة 1337 / 1918 وأخذ القرآن في بلده عن الفقيه محمد بن الحسن التازروالتي الأصل، المتوفى 1367 هـ وعن مقرئ آخر هو الفقيه محمد بن الحسين الذي كان يشارط في آخر عمره في أيت باعمران قبيلة إصبويا.

وبعد مرحلة حفظ القرآن اتجه إلى مدرسة الجمعة بأيت عبلاً أيت باعمران، حيث أخذ عن الأستاذ القاضي محمد بن بلوش المتقدم ولازمه اثنتي عشرة سنة، خلافا لما ذكره المؤرخ السوسي من أن المدة هي ثمان سنوات، ففي رسالة طلب بها الاجازة من شيخه هذا، ذكر أنه مكث عنده اثنتي عشرة سنة وتوجد صورة الجواب عن هذه الرسالة في *كتاب المدارس العلمية بسوس* (3 : 338) وقد ورد في الرسالة ما يلي بالحرف : ..." المرام أن تكتب لي إجازة بأنني قرأت عندك العلم، ومكثت عندك اثني عشر عاماً، وأذنت لي في التدريس"...

وأخذ كذلك عن الأستاذ محمد بن الطاهر في تانكرت لازمه عامين، ثم اتجه إلى المدرسة الوفقاوية عند الأستاذ أحمد اليزيدي، ولازمه عامين، فتخرج أستاذاً لقنافهما مشاركاً، بعد ذلك شارط في بعض مدارس أيت عمران ثم تولى التعليم في المدارس الحديثة بعد الاستقلال وأخيراً ترك التعليم واتجه إلى سلك القضاء، لكنه لم يستمر فيه نظراً لطبعه وأنفته التي لا يرضى معها بقيود الوظيفة، وانتهى به المطاف الى المشارطة في المسجد الكبير في أكادير، لكنه مالبث أن غادره إلى بلده تغاجيجت، فحق فيه قول مؤرخه : "له نباهة وشفوف وألمعية، وتطلع إلى المعالي التي كان أحق بها وأهلها، مع عزوف وترفع عن الدنايا" ( *المعسول*، 18 : 155) اهتم في آخر حياته بالتأليف من ذلك كتاب *نور على نور* لتوضيح معالم الدين، كما قال، و*إقناع الإخوان والمنهاج الواضح* وموضوعه صحة التوسل بالأنبياء والأولياء وزيارتهم مطلقا وله مخطوطات لم تطبع أما الثلاثة المذكورة فقد طبعت.

توفي بعد عام 1404 / 1984.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 153 ؛ ع. الساحلي، *المدارس العلمية بسوس*، 3 : 338 ؛ *وثائق ومعلومات خاصة عند الكاتب*.

**التغاجيجتي، أحمد** بن **الحسين** بن محمد الملقب أضَارْضورْ (الأصم)، وهو غير أحمد أضارضور العالم السوسي الشهير المتوفى حوالي عام 1299 / 1881 وقرأ القرآن على شيخه الفقيه بلال (تـ. حوالي 1342 / 1923) المعروف بحفظه وتلاوته لكتاب الله هناك، كما قرأه على شيخه في أيت باعمران الفقيه محمد أمَجُوضْ (تـ. نحو 1368 / 1948) وذلك في قبيلة إدْمُوسَاكْنا حيث بقي المترجم إلى أن أتقن حفظ القرآن على يد هذا الشيخ ؛ وبعد ذلك اتجه إلى مدرسة أمَسْرا عند الأستاذ محمد بن المحفوظ، حيث ظل عشر سنوات، وتتلمذ كذلك على يد الإلغيين، في مدرستهم، وعلى يد الأستاذ الحسين بيبيس الاخصاصي الشهير المتوفى سنة 1339 / 1920.

وتردد أحمد التغاجيجتي بين هؤلاء أكسبه معرفة لا بأس بها، فله مشاركات تأدبية، لكن تطلعه إلى منصب الرآسة وما تقتضيه من تبعات حال بينه وبين الشفوف في المجال العلمي، ولعل السبب في هذا التطلع هو نشأته على يد أبيه الذي يعد من رؤساء القبائل الأشداء، فمن هنا اشتهر المترجم منذ صغره بصفات هي إلى الرآسة أقرب منها إلى العلم، وكان معروفاً بالإقدام والشجاعة، وفي الوقت ذاته كان يميل إلى المزاح ويغالي في اختلاق الغرائب والعجائب، دون مراعاة لمكانة أحد مهما كانت قيمته، وقد انحاز إلى جانب المحتلين الفرنسيين ضد حركة الهيبة المعروفة، فاتخذ ذلك هزؤا يباهر به أحد علماء المنطقة، ولما احتلت سوس من طرف الفرنسيين عين قائدا على قبيلته، وهذه كانت رغبته ومنيته. قال ابن الحبيب : "طلب القيادة فمنحها" وقال عن أخلاقه : "تارة يزدري بنفسه، وتارة بأبناء جنسه، فمجلسه خال من كل خير إلا من المضاحك" (*تحلية الطروس*). توفي أحمد التغاجيجتي سنة 1366 / 1946.

ع. ابن الحبيب، *تحلية الطروس في ذكر رجالات سوس*، مخطوط ؛ الإيكراري، *طاقة ريحان من روضة الأفنان*، 66 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 9 : 108.

**التغاجيجتي، أحمد** بن **حمّو**. محمد. بن صالح بن بلخير، ولد سنة 1235 / 1819 وهو من أعلام تغاجيجت المرموقين، بدأ حياته في التعلُّم عند أحد الركراكيين الأفاضل الفقيه : بلقاسم بن المحجوب في أحد مساجد بلده، حيث قرأ القرآن، ثم انقطع إلى مدرسة أدوز العلمية، حيث درس المتون على يد الأستاذ العربي بن إبراهيم، ولازم الأستاذ الشريف الكثيري حوالي أربع عشرة سنة، فكان يشتغل بالنساخة، حتى عُدّ له اثنان وأربعون مجلداً بخطه، ولما عاد إلى بلده وجد الناس على جهل مطبق فبذل ما في وسعه لإعادتهم إلى جادة الشريعة، فكان لجهده أثر محمود في تقويم اعوجاج أهل تغاجيجت وقد خلّف الاثر الحسن والمدارس العلمية التي تعاقب عليها، كمدرسة سيدي علي أُسعيد في قبيلة الأخصاص، ومدرسة سيدي مَحمد الشريف ومدرسة بويْزكارن وغيرها، وحظي بمقابلة السلطان الحسن الأول في زيارته لأكلميم سنة 1303 / 1885، فقد وفد عليه مع أحد علماء تلك الناحية، فأهدى إليه كتباً، وأكرمه السلطان مع صاحبه، وزودهما بالتحرير من الالتزامات التي يقوم بها غيرهما، وقد ظل حياته كلها مدرسا ناشراً العلم حتى وهو منقطع في داره بعد مشارطاته في مختلف مدارس المنطقة، وكانت له علاقة بالالغيين، يراسل أمثال علي بن عبد الله، ويتناقش معه في مشكلات فقهية، قال

في حقه المختار السوسي : "عالم كبير القدر نوازلي، له شهرة واسعة (..)] وكان نوازليا مفتيا مقداما قوالا لما يريده، غير متلجلج (*رجالات العلم*، 181 تحت رقم 1) وقال فيه ابن الحبيب "العلامة الذي حاز قصب السبق في الفقه (...) انقشع به غمام الجهل والغي في تلك الناحية، حكم بين الناس وافتى" (*تحلية الطروس*).

توفي في حدود عام 1314 أو 1317 أو 1320 حسب مختلف مصادر ترجمته.

ع. ابن الحبيب، *تحلية الطروس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي*، 181 ؛ *المعسول*، 18 : 151.

**التغاجيجتي، إدريس** بن الحسن بن مَحمد. ولد عام 1293 /1875 ينتمي إلى فخذ إدْ سعيد بن إبراهيم كسابقه إبراهيم بن محمد، أسماه علي بن الحبيب الجراري : "إدريس بن محمد" وحلاّه بالفقيه العالم، وقال عنه وعن إبراهيم : "قد قرنا في قرن التدريس، ولم يفت أحدهما الآخر في الفهم النفيس".

بعد أن قرأ القرآن في بلده حتى أتم حفظه، ذهب إلى مدرسة إلغ سنة 1308 /1890 لأخذ المتون العلمية على عادة أقرانه، فتتلمذ على أبي القاسم بن مسعود التاجرمونتي، أبي الحسن الإلغي وبعد أن استتم العلوم التي تدرس هناك، عاد إلى بلده بتغاجيجت، فتصدر للإفتاء، إذ كان فقيهاً مشاركاً فرضياً، حسن الخط حسب شهادة معاصره وبلديّة. إبراهيم بن محمد المتقدم، كما كان معروفاً بورعه وتقواه.

لم يكتف بالجانب الفقهي في معارفه، بل "كان له ولوع بحفظ المقطعات الشعرية، وغرائب اللغة، حتى صار قاموساً" - حسب قولة ابن الحبيب الجراري فيه. توفي سنة 1365 / 1945.

ع. ابن الحبيب، *تحلية الطروس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*. 9 : 107.

عبد الحميد محيى الدين الباعمراني

**تَـغَـازَى**، قرية تقع في أقصى شمال مالي الحالية، موقعها غرب تاودني. ضبطها ابن بطوطة بفتح التاء والزاي، وعليه المعول. وحولها سبخة (إجِّلْ) التي كان ملحها يشحن إلى أقطار السودان الغربي ويتبادل بالذهب مدة قرون عديدة، ويظهر أن منطقة الملح بما فيها تَغَازَى كانت في عصر البكري تعرف ببلاد الفَرْوين، نسبة إلى قبيلة أو عشيرة، حيث ذكر أن الملح يبدل فيها بالذهب، وقد تحكم المرابطون في الطريق الممتد بين المالح وغانا. وفي بداية رحلة ابن بطوطة إلى السودان سنة 753 / 1351 كانت تغازى ضمن التراب المغربي لأن هذا الرحالة يذكر إيوَالاتَنْ كأول عمالة السودان. ولم تكن تغازى سوى قرية متواضعة، مبانيها من حجر الملح وسقوفها من جلود الجمال، ويقطنها عبيد مسوفة، وهي القبيلة ذات النشاط الاقتصادي التي استولت على الطرق التجارية الصحراوية الممتدة إلى السودان الغربي منذ أواخر الثلث الأول من القرن السادس (12 م). وعلى هذا فإن الدولة المغربية لم تؤمم مالح تغازى قبل السعديين. وكان الملح في القرن الثامن (14 م) يقايض بالذهب كما كان قبل ذلك ولبضعة قرون أخرى بعد ذلك.

وشبه الحسن الوزان مالح تغازى بمقاطع الرخام، وقال إن ملحها يشحن بواسطة القوافل التجارية إلى تنبكتو التي تنقصها هذه المادة نقصا شديدا. أما سكان القرية ومعدنوها فتأتيهم المواد الغذائية من سجلماسة ودرعة وحتى من تنبكتو، وارتفع ثمن حمل جمل من الملح بعاصمة مالي هاته إلى ثمانين مثقالا في أوائل القرن العاشر (16 م). لكن بالنظر لضعف السلطة المركزية والحروب الأهلية التي عرفها المغرب لمدة قرن ونصف تقريبا حتى قيام الدولة السعدية، فإن صنغاي وضعت يدها على المالح، ولذلك لم يكد محمد المهدي الشيخ، العاهل السعدي، يستقر في الحكم حتى انتزع تَغَازَى من يد أسْكِية (ممادو توري) ولكنه تنازل عن بعض خراجها للعاهل الصُّنْغائي محتفظا بسيادة المغرب عليها. واستمر الأمر على ذلك حتى خلافة المنصور الذهبي ففرض مكسا بقيمة على كل حمل يرد على تَغَازَى وأنشأ حصنا وزوده بحامية مسلحة، فأدى ذلك إلى مفاوضات دبلوماسية لم تخل من حدة، ثم إلى حرب انتهت بفتح المنصور للسودان (1000 / 1599) ومن المفارقات أن التجهيز المادي والعسكري لفتح السودان تَمَّ بفضل خراج تغازى إلى جانب خراج درعة وأموال أخرى. وبذلك أصبح المغرب يراقب من جديد مجموع الطريق التجاري الممتد من سجلماسة ودرعة عبر تغازى إلى تنبكتو التي تراجع مستواها الحضاري حينئذ شأن باقي مملكة الصنغاي. وقد ألحقت تَغَازَى بعمالة درعة بحكم قربها النسبي وبالنظر لسعة هذه العمالة خصوصا في ظل الحكم السعدي. وهذا ما توضحه رسالة من السلطان مولاي إسماعيل العلوي إلى نجله المأمون خليفته بالصحراء.

غير أن تَغَازَى ما لبثت أن أصبحت قرية مهجورة في أواسط القرن الحادي عشر (17م) وحلت محلها (تاوْدني) الواقعة شرقها، كمحطة لقوافل الملح. على أن سبخة إجِّل استمرت تزوِّد عددا من مناطق إفريقيا الغربية بحاجتها من الملح. وحتى بداية الزحف الفرنسي ظل الملح عملة مقايضة يتبادل بها الزرع والخيل والثياب والعبيد. وفي هذه الفترة بالذات كان ملاك سبخة إجِّل من الكنتيين الماليين، ويشير "إيبولار" إلى تردد عدد من الرحالين المعاصرين على منطقة تغازى القديمة.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 174 ؛ م. ابن بطوطة، *الرحلة*، ج 2، ص. 191-192 ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، مختصر، ج 2، ص. 55، 82، تطوان 1964 ؛ أ. الشنقيطي، *الوسيط*، ص. 433، 522 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة : معلمة المدن والقبائل*، مادة : تغازى.
Léon l'Africain, *Description*, pp. 455, 456, 469 : Gouraut (Général), *Mauritanie Adrar*, Paris, 1945.

إبراهيم حركات

**تْغَاسْرُوتْ** (أهل ـ)، تسمية أمازيغية الأصل، تُطلق على موقع بجبل بني إزناسن (إقليم وجدة) يبعد بحوالي سبعة كلم عن قرية تافوغالت من جهة الشمال، ويتوسط السلسلة الجبلية المذكورة بين ثنايا قمم عالية وسفوح قوية الانحدار. حاول البعض البحث عن أصل التسمية انطلاقا من دلالتها في اللهجة الزناتية، فاهتدى إلى رواية لها علاقة بفرقة إباحية ـ تدعى الرُّسمة ـ طردها بنو إزناسن من الجبل واستقرت بقبيلة الزكارة.

استوطنت الموقع المذكور فرقة من بني عتيگ من بني إزناسن، اشتهرت باسم تْغاسْروتْ، وإليها يُنسب أولاد لهبيل. ويرجع الفضل لهؤلاء في ذيوع اسم تغاسروت بين قبائل وجدة، حيث صارت إليهم الزعامة ببني إزناسن في نهاية القرن التاسع عشر، بعد أن كانوا يتنافسون مع أولاد البشير بن مسعود من قبيلة بني وَرِيْمَّش (بني إزناسن). وتولى عدد منهم منصب "القيادة" خلال النصف الثاني من القرن الماضي أثناء فترة الحماية. ومن أهل تغاسروت ينحدر السيد مبارك البكاي لهبيل، الذي تولى رئاسة الحكومة غداة استقلال المغرب.

قدور الورطاسي، *بنو يزناسن عبر الكفاح*، الرباط، 1976 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873 ـ 1907*، منشورات جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1989.

عكاشة برحاب

**تْغَاطْ**، أرض غنية بمنطقة وادي نون. ولفظة تغاط تعني الشاة. تميزت البنية الإنتاجية في هذه المنطقة منذ ما قبل ظهور الجمل بأنها رعوية لها عادة وظائفها الذاتية الأساسية لإنتاج وتربية الأبقار والأغنام وتأمين ما يمكن لنمط العيش القروي شبه الترحالي أن يقدمه من الخدمات العامة. من هنا تتجلى أهمية تغاط الرعوية التي يتعدى مجال خدماتها مستوى القرى المجاورة نفسها. إذا كانت كلمة "تغاط" تعني الشاة فذلك لأن تربية الأغنام التي ميزت هذه المنطقة قد جعلت منها أداة لاستقطاب الفصائل القاصية والدانية. التركيز على هذا الجانب يحتم على الباحث الخوض في غمار إشكالية مراقبة المجال وتوضيح صورة التوزيع الحقيقي للفصائل المراقبة لتغاط منذ ما قبل أربعة قرون. لقد جعلت مدونة أسا من وادي نون وداي الحرب نظراً لكثرة الصراعات المحلية حول مراقبة المجال. ومما يثبت أهمية هذه الصراعات في تحديد مفهوم الملكية هو تضارب أنواع الوثائق حتى فيما يخص الأراضي الرعوية (F.C. De La Chapelle, *Les Tekna*, 60). هكذا تتزاحم المقولات وتتضارب من خلال الوثائق المحلية التي تدعي منذ أزيد من أربعة قرون تملك أرض تغاط الغنية (أنظر مادة أزوافيط *بالمعلمة*). بل إن هناك من العائلات المقيمة بتاسريرت (أيت باعمران) التي ما تزال تتوفر على ما يثبت حق تملكها القديم لتغاط. لقد كانت قبيلة إدا أوزال من بين الوحدات المقيمة بوادي نون خلال القرن العاشر (16 م) (F.C. De La Chapelle, *Les Tekna*, 44). وكان يومها جزء هام من فصائل أيت باعمران تتداخل بشكل قوي بفصائل وادي نون. وهو عامل يفسر لماذا ماتزال بعض العائلات التي هاجرت من وادي نون تحافظ لإثبات ارتباطها التاريخي بالمنطقة على ما يلزم من الوثائق.

تقع الآن منطقة تغاط بتراب أزوافيط بعد أن كانت في ملك فصائل لمطية أمازيغية يصعب اليوم تحديد مراحل تنقلها. وإذا أخذنا بعين الاعتبار حدود المقولة الزفاطية نفسها اتضح بأن تطويع أراضي تغاط من أجل الفلاحة ظاهرة لا ترجع إلا إلى حدود القرن التاسع عشر. بل إن أيت احماد أُعلي الزفاطيين يعتبرون عملية التطويع هذه هي السبب الفعلي في تملكها شبراً شبراً، وأن الضرورة المجالية هي التي أهلتهم لتجسيد قوة حربية فعلية حالت دون باقي مربي الماشية والانتفاع من أرض تغاط. هذه الظرفية تسهل جداً اقتلاع التفسير بالسببية الوظيفية للظواهر الحربية والسياسية منذ أقدم الفترات.

مصطفى ناعمي، مواد *أزوافيط* ؛ *أيت بلة* ؛ *التوبيبع* ؛ *تيرمسين بالمعلمة* ؛ *بحث ميداني*.

F.C. De la Chappelle, *Les Tekna* ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna* ; P. Marty, *Les Tekna*.

مصطفى ناعمي

**تْغَاغْطْ**، موضع معروف بأعلى مقدمة السفح الجنوبي من كتلة جبل قلعية. والاسم يعني بالأمازيغية المحلية المنحدر الجبلي الشديد الوعورة. ويزيد في تلك الوعورة سيادة الصخور الجرانيتية. والموضع طريق الحوافر إلى هضبة تازوطا الآتية من ازغنغان. وقد تكبد الإسبان أثناء زحفهم نحو هضبة تازوطا خسائر في الأرواح للوصول أثناء مقاومة المجاهد الشريف محمد أمزيان قبل 1912.

*خريطة طبوغرافية لسنة* 1935 ؛ *تحري ميدان ورواية شفوية*.

حسن الفكيكي

* * يعد أهل تْغَاغْطْ ضمن فصائل قبيلة بني منكوش، ويوجد موطنهم على السفوح الشمالية لجبل بني إزناسن (إقليم وجدة). ويستفاد من بعض الروايات أنهم من البربر الذين نزحوا من قصر المعيز بفگيگ إلى موطنهم الحالي.

انظر مادة بني إزناسن، ج 5، ص. ؛ *كناش الخزانة الحسنية* رقم 192.

Voinot, *Oujda et l'Amalat*, pp. 196 - 197.

عكاشة برحاب

**التَّغَرْغَرْتي**، أو التاغرغرتي عبد الرحمن بن إبراهيم ابن عبد الله الأندوزالي (تاغرغرت قرية في قبيلة أندوزال) مات والده وهو صغير فربته والدته وعلّمته واشتهر بعبد الرحيم. أخذ عن أبي بكر التاگموتي كثيراً، ومحمد بن حسن الطاطائي، وأحمد التيمگيدشتي، وتخرج عالماً مشاركاً ضليعاً في الحديث وعلومه. وقضى معظم حياته في تعليم أبناء الفقراء بعد الوباء الجارف لعام 1214 / 1799 ـ 1800 وكان دؤوباً على غرس الأشجار المثمرة مستعيناً في

ذلك بكبار تلاميذه، غرس أكثر من ألف شجرة أتت أكلها كلها في حياته، كان مكباً على اختصار أمهات كتب الحديث وانتساخها. وماتزال مؤلفاته ومنتسخاته بخطه عند أحد حفدته.

وأشهر مؤلفات التغرغرتي هو كتاب في *التراجم* لخص فيه *طبقات الشعراني* و*طبقات الحضيكي*، وذيّل عليهما بتراجم شيوخه وبعض معاصريهم العلماء. وهذا الذيل أهم قسم في الكتاب، استفاد منه المختار السوسي وغيره ممن يبحثون في *تاريخ سوس العالمة*.

توفي عن سن عالية تناهز التسعين عام 1278 / 61 ـ 1862.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 224.

محمد حجي

**التّغْزاز**، أو أيْقُوب في المغرب، وميْس أو نَشَم في المشرق العربي، ميكُوكُولِيي Micocoulier بالفرنسية. ألفاظ تطلق على نوع شجري يسمى علمياً : سلْتيسْ أُسْتْراليس Celtis australis وهو ينتمي إلى فَصيلة البوقيصيات Ulmaceae.

التغزاز

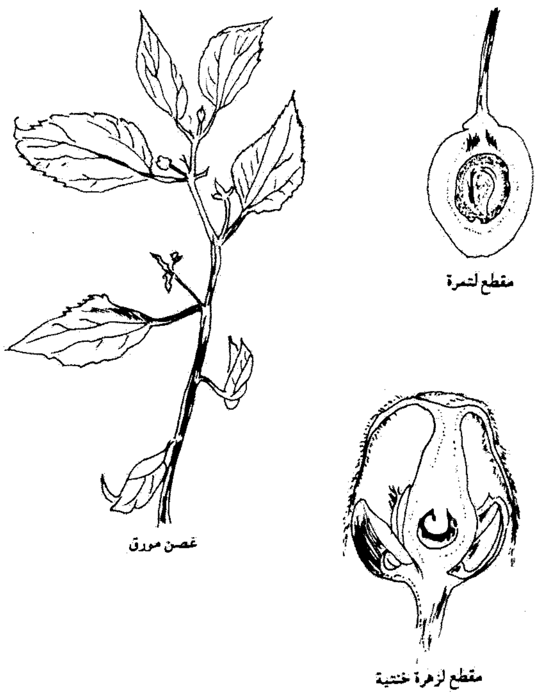

مقطع لثمرة

غصن مورق

مقطع لزهرة خنثية

تعمر شجرة التغزاز طويلا إذ من الممكن أن يتجاوز عمرها 500 سنة. تاجه كروي الشكل. قشرة جذعه رمادية اللون وملساء. أغصانه الصغيرة زغباء. أوراقه معنقة وزغباء، رمحية أو بيضوية الشكل. تظهر الأزهار والأوراق معا في فصل الربيع. الأزهار صغيرة وقليل منها ذكرية، مجتمعة في ازهارات صغيرة على شكل عناقيد. تظهر الثمار على رؤوس سويقات طويلة، في حجم الجلبان أو حبة صغيرة، ذات لون أصفر أولا، ثم تحمر قبل أن تسود بعد نضجها، ويصير لبها حلو المذاق وبداخله نواة.

يصادف التغزاز في الأودية الرطبة من جبال الأطلس المتوسط والكبير حتى علو 1300 م، وفي جميع الحالات لا يشكل غابة، وإنما تراه منفرداً أو مكوناً لباقات منعزلة.

أما خارج المغرب فهو يعيش في منطقة حوض البحر المتوسط من جزيرة ماديرا غرباً إلى جبال القوقاز وإيران شرقاً. يعطي التغزاز خشباً صلباً ومتيناً يستعمل عادة في إنشا المدراة أو مقبض السوط.

*استطلاع ميداني.*

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

**التّغْصِّي** أو التغسِّي، أسرة تطوانية أصلها من قرية تَغْصَّة أو تَغْسَّة بفرقة بني الحاج بقبيلة بني گرير الغمارية، ولعل اسم هذه الأسرة كان قبل انتقالها إلى تطوان هو اسم مرسية نسبة لمدينة مرسية الأندلسية (Murcia)، وقد انقرضتَ أسرة التغصي بتطوان في حين لازالت بها أسرة مرسية.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 52 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuaníes de abolengo* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuaníes de orígen español*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

**التفتيش** (في الوظيفة العمومية)، تأسس نظام التفتيش في الوظيفة العمومية بالمغرب في الثلاثينات من هذا القرن إبان عهد الحماية. عملت سلطات الاحتلال الفرنسي على إنشائه بعد أن أنهت بناء هيكلتها الإدارية العامة المكلفة بتسيير أمور البلاد وتدبير شؤونها. وهو نظام لم يكن معروفا في مغرب القرون السالفة، وإنما كانت السلطات المخزنية في القرن الثالث عشر (19 م) وما قبله تكلف جماعة معلومة من المحتسبين والأمناء بمراقبة تنفيذ الأحكام السلطانية وإجرائها في مجاريها والإشراف على السير العادي للحياة العامة ومحاربة التخاذل والتكاسل وأنواع الارتشاء والشطط ونهب أموال الدولة والأشخاص.

كان نظام التفتيش الحديث في المغرب منذ تأسيسه تابعاً للنظرية الكلاسيكية الخاصة بالمراقبة السائدة في الإدارة الفرنسية على الخصوص والمجتمعات الغربية على العموم في الثلاثينات. كانت هذه النظرية تعتبر أن الشخص العامل في الوظيفة العمومية قليل الطموح لا يحب العمل ولا يقوم بواجبه على الوجه المطلوب من تلقاء نفسه. وهو بطبعه ميال إلى الخمول والكسل إذا ترك لشأنه دون إشراف عليه، ومع ذلك فهو محب للكسب ويسعى إليه. لذلك عمدت الإدارة إلى تحفيزه بواسطة التفتيش الذي كان دوره يتمثل في حث الموظف على العمل ومراقبته

واغرائه بالحوافز المادية والمعنوية التي يستجيب إليها فكان حسن استجابته وامتثاله للتعليمات الصادرة إليه معادلا للمزيد من التكريم والعطاء والتعويض عن طريق الترقيات والمكافآت المتنوعة.

يكاد لا يخلو أي قطاع من قطاعات الوظيفة العمومية في المغرب من جهاز مكلف بمهمة مراقبة الموظفين وتفتيشهم في مختلف الإدارات مدنية كانت أو عسكرية، عامة أو خاصة. وينقسم طاقم التفتيش عادة إلى أنواع معروفة من المفتشين المتخصصين العاديين والمفتشين العامين ثم المفتشين فوق العادة ولجان التفتيش المتعددة الاختصاصات. وعلى الرغم من اختلاف مهام كل نوع من هذه الأنواع، فإن دورها كلها يتمثل في ضمان السير العادي لمؤسسات الدولة وتطبيق التعليمات ومراقبة أشكال العمل ومستوى المردودية والإنتاج وأساليب تنفيذ المذكرات الصادرة من الدوائر الإدارية العليا في البلاد في كل منطقة وكل إدارة وكل اختصاص.

وتقترن عمليات التفتيش التي يقوم بها المسؤولون المذكورون بزيارة الأشخاص والإدارات وتفحص الوثائق والسجلات وأدوات العمل وتقوم باستجواب العاملين ومقابلتهم وتدقيق النظر في التجهيزات الموجودة في عين المكان. وبعد الاستعانة بمعظم أساليب المراقبة والتحري ينهي المفتشون زيارتهم بكتابة تقارير موجزة أو مطولة حسب الحالات في عدة نسخ رسمية ترفع إلى المسؤولين الإداريين الأعلين. وتتضمن هذه التقارير وصفا دقيقا لواقع الجهة التي تم تفتيشها من حيث التجهيز والتنظيم والتسيير والاجتهادات المسجلة في هذه المجالات والمخالفات المرتكبة مع مجموعة من الاقتراحات القمينة بإصلاح أوضاع غير سليمة في حالة وجودها. وهذه نماذج من أشكال التفتيش نذكرها على سبيل المثال لا الحصر. يقوم المفتشون العامون للشرطة ومفتشو الجمارك والملاحة البحرية مثلا بالبحث عن المخالفات المرتكبة في تطبيق قوانين الدولة في مجال الحياة العامة وأمن البلاد واحترام حدودها ومدى الالتزام بقوانين الملاحة والصيد البحري. ويهتم مفتشو الشغل وإدارة السجون ووزارة العدل بضمان حسن السير العادي للعلاقات بين المشغلين والعمال وتوفير الظروف المناسبة لنزلاء السجون وتطبيق المسطرة في تنفيذ الأحكام بالعدل والتساوي بين الناس. ويراقب مفتشو مكاتب الحالة المدنية والجماعات المحلية ووكالات توزيع الماء والكهرباء مدى دقة التسجيل الديمغرافي للولادات والوفيات وسير إدارة الجماعات القروية والحضرية بشكل يخدم المصلحة العامة وضمان حسن التوزيع للماء والكهرباء وتدقيق الحسابات المتعلقة بصبيب هاتين المادتين والأسعار المتداولة في استخلاص واجباتهما. ويسهر مفتشو الدرك الملكي والقوات المساعدة والقوات المسلحة وغيرها من الإدارات ذات الطابع العسكري على انضباط العاملين فيها للقوانين العسكرية وتنفيذ الأوامر وتحديد السلوكات طبقا لما تنص عليه المسطرة العسكرية. ويوكل إلى مفتشي المالية ومفتشي الاقتصاد والتخطيط بضبط المسائل المالية المتعلقة بالصادرات والواردات وأشكال الإنفاق ومدى تطبيق التعليمات المتعلقة بالتخطيطات التي تحددها الدولة.

م. مرغيني، *الوجيز في القانون الإداري المغربي*، الرباط، 1978 ؛ ع. بنشنهو، *النظام الإداري بالمغرب*، الرباط، د. ت. ؛ الظهير الشريف رقم 1.53.008 بتاريخ 4 شعبان 1377 / 24 أكتوبر 1958 ؛ خ. المير وإ. قاسمي، *التشريع الإداري والتسيير التربوي*، الطبعة الرابعة، الدارالبيضاء ؛ وزارة الشؤون الإدارية، *الوظيفة العمومية تشريعات وقوانين تنظيمية*، الجزء الأول، الرباط، د. ت. ؛ *الجريدة الرسمية* رقم 3764 بتاريخ 23 أكتوبر 1984، وعدد 3308 بتاريخ 23 أكتوبر 1985.

* * والتفتيش في قطاع التعليم اليوم خاضع للمرسوم الوزاري رقم 2.85.742 الصادر بالجريدة الرسمية رقم 3308 بتاريخ 23 أكتوبر 1985 الذي يقسم موظفي وزارة التربية الوطنية، حسب التنظيم الجديد الذي دخل حيز التطبيق ابتداء من الموسم الدراسي 1985 - 1986، إلى سبعة أصناف هي : هيئة التأطير والمراقبة التربوية (التفتيش)، هيئة رجال التعليم، هيئة تسيير المصالح الاقتصادية، هيئة التوجيه والتخطيط التربوي، هيئة التوثيق المدرسي والجامعي، هيئة الحراسة التربوية وهيئة المختبرات المدرسية والجامعية.

وتتألف كل هيئة من الهيئات المذكورة من عدة أطر متخصصة تقوم كل منها بمهام تحددها التشريعات التربوية الجاري بها العمل. أما هيئة المفتشين فتحتضن ثلاثة أنواع من التخصصات لكل نوع إطاره الخاص به : مفتشو التعليم ومفتشو التخطيط التربوي ومفتشو المصالح الاقتصادية. وينقسم مفتشو التعليم بدورهم إلى ثلاثة أصناف : مفتشو التعليم الابتدائي (السلك الأول من التعليم الأساسي) ومفتشو التعليم الثانوي ثم المفتشون الممتازون. ويشتمل إطار مفتشي السلك الأول من التعليم الأساسي على درجة واحدة ترتب في سلم الأجور رقم 10 في حين يشتمل إطار مفتشي التعليم الثانوي على درجة واحدة ترتب في سلم الأجور رقم 11. أما إطار المفتشين الممتازين فيتضمن درجة واحدة ترتب خارج السلاليم (الرتبة الاستثنائية أو خارج الإطار).

ويلتحق بمهمة التفتيش في السلك الأول من التعليم الأساسي كل معلم رسمي قضى عشر سنوات على الأقل من الخدمة الفعلية في التدريس واجتاز بنجاح مباراة ولوج المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم بالرباط. وبعد دراسة تستغرق ثلاث سنوات في شعبة السلك الأول من التعليم الأساسي واجتياز امتحان التخرج بنجاح يعين الطالب المفتش المعني مفتشا بإحدى مقاطعات نيابة من نيابات وزارة التربية الوطنية بالمملكة. ويشترط في مفتشي التعليم الثانوي، بالإضافة إلى حصولهم على إجازة جامعية أو ما يعادلها في مادة تخصصهم وأقدمية لا تقل عن

خمس سنوات في العمل واجتياز مباراة الدخول إلى المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم والتخرج بنجاح من شعبة التعليم الثانوي بعد دراسة تستغرق سنتين. ويتم الالتحاق بإطار المفتشين الممتازين بعد قضاء خمس سنوات من العمل الفعلي على الأقل في مهمة التفتيش بالتعليم الثانوي والتسجيل في لوائح الترقية للدرجة الممتازة والحصول على التزكية الإدارية. ولا تتم الترقية خارج الإطار إلا في حدود المناصب المالية الشاغرة في كل سنة.

وقد كانت هذه المهمة قبل تأسيس المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم تسند إلى معلمين رسميين يقومون مقام المفتشين في السلك الأول من التعليم الأساسي وإلى أساتذة من السلك الأول أو الثاني يكلفون بتفتيش المواد المختلفة التخصصات مقابل تعويضات عن التنقل والإقامة والمهام.

ويكلف مفتشو التعليم على اختلاف درجاتهم وأطرهم بالتأطير والمراقبة التربوية للمدرسين العاملين في المؤسسات العمومية الخاصة ومؤسسات تكوين الأطر ويتتبعون تكوين واستكمال تكوين هذه الأطر ويساهمون في تنظيم وتسيير وإجراء الامتحانات والمباريات التعليمية والتربوية والمهنية. وعند الاقتضاء يسند إليهم الوزير المكلف بالتربية الوطنية مهمة القيام بدراسات في مجال التربية والتعليم والمشاركة في تأليف الكتب المدرسية ومراجعة المناهج والبرامج الدراسية ومباشرة تقويمها وإنجاز أبحاث فردية أو جماعية قصد تحسين مردودية التربية والتعليم.

عبد الله الاشقر، *منطلقات إشكالية ومبادئ لتأسيس استراتيجية الاشراف التربوي*، ندوة الاشراف التربوي بين النظرية والممارسة، الدار البيضاء، 22-23 أبريل 1994 ؛ *الجريدة الرسمية* رقم 3308 بتاريخ 23 أكتوبر 1985 ؛ خالد المير وإدريس القاسمي، *التشريع الإداري والتسيير التربوي*، الدار البيضاء، 1982 ؛ عبد العزيز أمين، *الاشراف التربوي واقع وآفاق*، المجلة التربوية عدد 2 ؛ محمد عابد الجابري، *من أجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية*، الدار البيضاء، 1981 ؛ محمد بوسلام، *تفتيش التعليم بين النصوص والواقع*، بحث لنيل دبلوم مفتش التعليم الثانوي، المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم، الرباط، 1986-1987.

R. Glotin, *A la recherche de l'école de demain*, Paris 1970 ; P. Paillet, *Faut-il planifier l'éducation ?* Paris, 1974 ; *Le problème de l'inspection et l'éducation nouvelle*, Rabat, [s.d.] ; A. Baina, *Le système de l'enseignement au Maroc*, Casablanca, 1981; I.C.E.M., *L'inspection en question*, Nov. 1982, s.l.

محمد بوسلام

**التفرسيتي** ابن سلام، هم جماعة من القواد من أبناء وحفدة سلام بن الطيب الذي كان من القواد الأوائل المنتمين إلى هذه الأسرة. وكان لسلام أربعة أبناء : حمادي وهو أكبرهم، وعمر، ومحمد، وعبد السلام. ولأسباب تعود إلى النزاع بين الأسر على السلطة المحلية قُتل حمادي وعمر.

وحينما أظهرت الوثائق المخزنية خضوع قبيلة تفرسيت للنظام الإداري الجديد المستحدث بالقبائل، والمتميز بتوزيع القبيلة الواحدة إلى عدة قيادات، طبقاً لرغبات أهلها، وجدنا من اسمه عمر بن سلام التفرسيتي قائداً على خمس جماعات وذلك قبل عام 1301. خلفاً لوالده سلام بن الطيب ثم اتسعت شقة الخلاف بين أبناء سلام إلى شقين :

- طائفة يمثلها محمد بن سلام، وابن أخيه عياد بن عمر بن سلام وسنه ست عشرة سنة. كانا مدفوعين للمطالبة بالقيادة بمساندة العربي الوليشكي قائد بني وليشك المجاورين لتفرسيت من جهة الشمال. وانضافت إلى هذا النزاع جماعة من بني توزين تدعى بني بُويري، مستقرة بين أيت إبراهيم وأيت ملول. وبذلك تم تعيين محمد بن سلام خلفاً لأخيه عمر. إلا أن هذا توفي خلال الأيام الأولى من ربيع الأول 1301 / يناير 1884.

- طائفة يقودها عبد السلام بن سلام، ظهرت رغبته في السلطة إثر وفاة أخيه محمد، مما جعله يستولي على أملاك أخيه عمر ويحاول القبض على ابنه عياد بن عمر الذي بادر بالفرار إلى بني وليشك. ووقف في صف عبد السلام بن سلام المرابط المختار محمد بوجدّين. صاحب زاوية بوجدّين التوزانية. وللتوصل إلى غرضه جمع عبد السلام بن سلام أعيان جماعات إمَاجيرَنْ، وبُوحْفُورَة والبَراغثة ونصف جماعة زْرَاولَة، وهي مندرجة في فرقة بني مَحَمَّد إلى جانب جماعة مزْدَلاَّصَة المنتمية إلى فرقة بني خالد. وتوجه بهم إلى فاس قصد الاشهاد على تعيينه كما جرت به العادة. وبذلك أصبح قائداً على تلك الجماعات ابتداء من 29 ربيع الأول 1301 / 28 يناير 1884.

ورغم ما قام به عبد السلام بن سلام من استرجاع ابن أخيه عياد إلى صفه (1304) ومصالحة الجماعة المتمردة عليه، فإن ذلك لم يخفف من تحرشات العربي الوليشكي، أو من تدخلات جماعة بني بويري الذين كانوا أكثر خطراً عليه، إذ أدى بهم الأمر إلى الهجوم على داره وهدمها وإخلاء ساكنيها والاستحواذ على ما كان بها من الممتلكات، مما حمله على التوجه إلى البحث عن المساعدة المخزنية، فظل ينتظر بفاس تسعة أشهر، وإلى غاية رجب 1307 / فبراير - مارس 1890 كان لا يزال بالمكان ليعود بدون نتيجة. وبمجرد عودته تم طرده فخرج هارباً إلى المطالسة المجاورة لقبيلته، ولم يعد إليها إلا تحت حماية المحلة المخزنية الواردة في محرم عام 1310. وفي 23 منه كتب إلى السلطان : "... حينما خيمت المحلة بواد كرط، يوم ورودها من الحضرة العالية، طلبنا منهم (كذا) النزول على أهل تفرسيت والتضييق بهم. فإن جميع أهل الريف ينظرون إلى عاقبتهم. فإن أهل تفرسيت حين نهضت المحلة لسلوان، دخلوا لهم أهل الوسوسة كالتوزاني (محمد أمغار)، ونقلوا جميع متاعهم لفخذة من بني توزين يعينونهم على الفساد. وهم بني بُيـر. فالمطلوب أن يأمر أخاه سيدي عثمان بالتضييق عليهم حتى يؤدوا ما بذمتهم من الحقوق ويتركون (كذا) اللّف مع أهل تفرسيت 23 محرم 1310".

استمر عبد السلام بن سلام في استمداد المخزن والإلحاح على إعادة بناء قصبة تفرسيت، ولم يتحقق عقاب

التفرسيتيين إلا في بداية 1313 على يد رئيس المحلة محمد الأمراني. ورغم ذلك فإنهم أصروا على تولية التفرسيتي عمرو بن عبد الله. وحينما أعيى السلطان أمرهم لبى رغبتهم وعزل عبد السلام ابن سلام بالأمر السلطاني الصادر إليه في 24 قعدة 1316 / 6 أبريل 1899.

*وثائق مخزنية خاصة ؛ ضابط الأمور الوطنية*، 93.

حسن الفكيكي

**التَّفْرَوُسْتِي**، عبد الله بن حسين الدرعي، التَّلْكَمْتي - بجيم معقودة -، نسبة إلى تَفْرَوُست، وهو مدشر يقع على الضفة اليسرى لوادي درعة، على بعد حوالي عشرين كلم شمالي زاگورة. ترجم له مَحمد بن عبد الله الخليفتي فقال عنه : "الشيخ الصالح العالم العلامة الدراك الفهامة... ذي الخلق الحسنة والسجية المرضية، كان إماما عالما عاملا، فقيها تابعاً للسنة، زاهدا، تقيا، تاليا لكتاب الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار..." (*الدرة الجليلة*، 225).

انخرط التَّفْرَوُسْتي في سلك الناصريين على يد الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي. وهو الذي أمره بالانتقال إلى تَلْجَمْت - وتسمى أيضا تافشْنة - شمال شرقي زاگورة، على بعد حوالي ستين كلم منها. بعث به إلى تلك القرية ليقوم بتعليم أهلها وإرشادهم، وبث تعاليم الطريقة هنالك ؛ فاستنابه به عنه في تلقين الأوراد الناصرية (*الدرة الجليلة*، 225). واستوطن تلك البلدة وحسنت سيرته، فانكب على التدريس والإفتاء طيلة حياته. ولاشك أنه قام بدور بالغ الأهمية من أجل ترسيخ التعاليم الاسلامية وتكريس الثقافة العربية في تلك الجهات النائية. وكان هو وباقي تلاميذ الناصريين المنبثين في تلك الجهات يشكلون حلقات متواصلة في سلسلة الطريقة القوية آنذاك، والتي عملت كلها من أجل تلك المبادئ. وهكذا كانت بينه وبين عبد الله الخليفتي المتوفى سنة 1196 / 1782، مراسلات من بينها رسالة أثبتها الخليفتي الابن في كتاب الدرة الجليلة، نتبين من خلالها مدى العلاقة التي كانت تربط بين الرجلين كتلميذين للشيخ أحمد ابن ناصر (*الدرة الجليلة*، 226).

وكان التفروستي من أشهر فقهاء تلك المنطقة، حيث تخرج على يديه تلاميذ كثيرون من بينهم عبد الله الخليفتي سابق الذكر. وقد أشار في كتابه الدرر اللوامع، الذي نقل عنه ابنه ترجمة التفروستي إلى أن والده استفاد من المترجم "فوائد".

ولم يشر الخليفتي الذي انفرد بالترجمة له، إلى تاريخ وفاته، ونرجح أن يكون قد توفي بعد وفاة والده، أي بعد سنة 1196 / 1782.

محمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة*، تح. أحمد عمالك، 1986.

أحمد عمالك

Editée par

DAR AL AMAN

**Dar Al Aman - Rabat**
Kingdom of Maroc - 4, Zanaka Mamouniat - Rabat
Tel.:+212 5 37 72 32 76 / +212 5 37 26 37 87
Fax.:+212 5 37 20 00 55
e-mail: libdarelamane@yahoo.fr

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

7

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

DAR AL AMAN

Dar Al Aman - Rabat

1ere Edition 1989 / 1410
2eme Edition 2014 / 1435

# Encyclopédie
# du
# Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

8

من إنتاج

الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر

دار الأمان - الرباط

الطبعة الأولى / 1410 هـ - 1989م
الطبعة الثانية / 1435 هـ - 2014م

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984/629



ردمك 7-000-03-9981 (المجموعة)

**دار الأمان - الرباط**

المملكة المغربية - 4، زنقة المأمونية - الرباط
هاتف: 87 37 26 37 5 212+ / 76 32 72 37 5 212+
فاكس: 55 00 20 37 5 212+
بريد الكتروني : libdarelamane@yahoo.fr

المغرب الأقصى

بسم الله الرحمن الرحيم

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ . | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في تحرير مواد حرف التاء

محمد **أزهار**، كلية الآداب ـ المحمدية.
سعيد **أعراب**، باحث ـ تطوان.
الحسين **أفا**، كلية الآداب ـ أكادير.
عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط.
المختار **الأكحل**، كلية الآداب ـ المحمدية.
عمر **أكراز**، معهد الآثار ـ الرباط.
الحسين **ألواح**، باحث.
محمد **الوزاد**، باحث.
حسن **أميلي**، كلية الآداب ـ المحمدية.
محمد **أمين**، باحث .
حسن **أنشاد**، باحث.
حمدي **أنوش**، كلية الآداب ـ أكادير.
مبارك **أوسديد**، باحث ـ الرباط.
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء.
محمد **أيت حمزة**، كلية الآداب ـ الرباط.
بلغازي **باختي**، باحث.
عبد الحميد محيى الدين **الباعمراني**، كلية اللغة العربية ـ مراكش.
عبد الكبير **باهني**، وزارة السكنى والتعمير ـ الرباط.
محمد **البايك**، كلية اللغة العربية ـ مراكش.
محمد **البدراوي**، المعهد الزراعي ـ الرباط.
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب ـ المحمدية.
الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية ـ القصر الكبير.
محمد **بلعربي**، باحث ـ الرباط.
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبدالعزيز **بلّ الفايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
البيضاوية **بلْكامل**، كلية الآداب ـ الرباط.
رقية **بلْمقدم**، المركز التربوي الجهوي ـ مكناس.
علي **البليشي**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **بنجلون**، باحث ـ الرباط.
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية.
محمد **بنشريفة**، أكاديمية المملكة المغربية ـ الرباط.
عبد العزيز **بنعبد الله**، أكاديمية المملكة المغربية ـ الرباط.
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا.
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب ـ بني ملال.
عمر **بنميرة**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **بوخبزة**، باحث ـ تطوان.

عبد القادر **بوراس**، المركز التربوي الجهوي ـ القنيطرة.
رحمة **بورقية**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب ـ فاس.
عيسى **البوزيدي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط.
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ عين السبع.
مصطفى **بوشعراء**، باحث ـ سلا
عبد الله **بوصحابة**، المعهد العلمي ـ الرباط.
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط.
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب ـ مكناس.
عبد العزيز **بوعصاب**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **بومزكو**، وزارة التربية الوطنية ـ تيزنيت.
جامع **بيضا**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد بن **تاويت التطواني**، باحث ـ تطوان.
عبد العزيز **توري**، وزارة الشؤون الثقافية ـ الرباط.
أحمد **التوفيق**، معهد الدراسات الإفريقية ـ الرباط.
أحمد **توفيق الزينبي**، وزارة الفلاحة.
عبد العزيز **تيلاني**، كلية اللغة العربية ـ مراكش.
محمد **جادة**، كلية الآداب ـ الرباط.
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء.
محمد **الجوماني**، باحث.
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية ـ الرباط.
محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة.
فاطمة **الحراق**، معهد الدراسات الإفريقية ـ الرباط.
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب ـ فاس.
محمد **حمام**، كلية الآداب ـ الرباط.
العربي **الحمدي**، كلية الآداب ـ بني ملال.
محمد **حنداين**، باحث.
محمد **حنيني**، كلية الآداب ـ الرباط.
علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **خنفار**، باحث.
نجاة **الخياطي**، باحثة.
مارية **دادي**، كلية الآداب ـ وجدة.
المهدي **الدليرو**، وزارة الثقافة ـ الرباط.

**المفضل** **دوحة**، باحث.

نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.

محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب ـ مراكش.

محمد **رزرق**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ عين الشق.

حسن **رشيق**، باحث.

محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط.

محمد **رمضاني**، وزارة التربية الوطنية ـ وجدة.

بوجمعة **رويان**، باحث.

محمد **زرهوني**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء.

العياشي **الزيتوني**، وزارة الجالية المغربية بالخارج ـ الرباط.

محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا.

رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش.

عبد المالك **السلوي**، كلية الآداب ـ المحمدية.

محمد **السماحي**، كلية الحقوق ـ الرباط.

الميلود **شاكر**، كلية الآداب ـ الرباط.

أحمد **شحلان**، مكتب التعريب ـ الرباط.

محمد **شقرون**، كلية الآداب ـ الرباط.

محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط.

محمد **صابري**، كلية الآداب ـ أكادير.

علي **صدقي ازايكو**، كلية الآداب ـ الرباط.

السعدية **صريح**، باحثة.

محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء .

عبد الرحمان **الطيبي**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط.

عبد الله **عاصم**، كلية الحقوق ـ الرباط.

عبد العزيز بن **عبد الجليل**، المعهد الوطني للموسيقى ـ مكناس.

الموساوي **العجلاوي**، كلية الآداب ـ مراكش.

أحمد **عزاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.

محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ الرباط.

عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط.

عز الدين **العلام**، كلية الحقوق ـ المحمدية.

حسن **علوي حافظي**، كلية الآداب ـ مراكش.

عبد الله **العمراني**، باحث ـ تطوان.

محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة.

أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش.

عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط.

مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط.

عبد الله **العياشي**، باحث.

عبد القادر **الغزالي الخراز**، باحث.

إدريس **فاسي**، كلية الآداب ـ الرباط.

عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.

يحيى أبو **الفرج**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط.

حليمة **فرحات**، معهد البحث العلمي ـ الرباط.

حسن **الفكيكي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.

محمد **فلا**، باحث.

مصطفى **فنيتر**، كلية الآداب ـ مراكش.

عبد القادر **القادري**، كلية الحقوق ـ الرباط.

أحمد **قدور**، كلية الآداب ـ القنيطرة.

زهرة **قنينبة**، معهد الآثار ـ الرباط

أ. **الكانوني**، باحث.

محمد **كريوط**، كلية الآداب ـ الرباط.

محمد **كلاد**، باحث.

حسن **اللبادي**، وزارة البريد ـ الرباط.

محمد **اللحية**، كلية الآداب ـ أكادير.

جاك **ليفرا**، باحث.

سيمون **ليفي**، كلية الآداب ـ الرباط.

حسن **ليمان**، محافظ مدينة وليلي الأثرية.

محمد **ماكامان**، كلية الآداب ـ مراكش.

رضوان **مبارك**، كلية الآداب ـ مراكش.

محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمّدية.

الحسن **المحداد**، كلية الآداب ـ أكادير.

محمد **مستاوي**، باحث ـ الدار بالبيضاء.

الصديق **معنينو**، وزارة الاعلام ـ الرباط.

محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط.

عبد الرحمن **الملحوني**، باحث ـ مراكش.

محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط.

عثمان **المنصوري**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء.

محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط.

محمد **منيوي**، المعهد العلمي ـ الرباط.

مصطفى **مولاي ارشيد**، كلية الآداب ـ الرباط.

فاطمة **الموني**، باحثة.

مصطفى **ناعمي**، معهد البحث العلمي ـ الرباط.

رشيدة **نافع**، كلية الآداب ـ المحمدية.

زهرة **النظام**، كلية الآداب ـ المحمدية.

محمد الحبيب **نوحي**، كلية الآداب ـ أكادير.

أحمد **الهاشمي**، باحث.

محمد عبد الجليل **الهجراوي**، المتحف الأثري ـ الرباط.

المختار **الهراس**، كلية الآداب ـ الرباط.

أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش.

علي **واحدي**، كلية الآداب ـ فاس.

أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة.

الطاهر **وعزيز**، كلية الآداب ـ الرباط.

## ببيليوغرافيا إضافة
## إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة


ع. م. **إبراهيم،**

*حقيقة التبشير*، مجلة *الوعي الإسلامي*، ع 180، أكتوبر 1979.

ج. **أبوالنصر،**

*طرقٌ صوفية في العصر الحديث : الطريقة التجانية*، 1965.

ع. **الاجهوري،**

*غاية التبيان لحل شرب ما لايغيّب العقل من الدخان*، مخطوط.

ح. **احبار،**

*دراسة النمو الحضري لمركز تنغير*، بحث لنيل الاجازة، فاس، 1989.

*احتلال درعة : مراحله وحيثياته*، أعمال ندوة كلية الآداب بأگادير، نونبر 1992.

ب. **الاشبيلي،**

*كتاب التيسير في صناعة التسفير*، نشر. ع. كنون، مجلة *معهد الدراسات الاسلامية بمدريد*، ع. 7 ـ 8. 1959 ـ 1960.

ع. **الاشقر،**

*منطلقات إشكالية ومبادئ لتأسيس استراتيجية الإشراف التربوي*، ندوة *الإشراف التربوي بين النظرية والممارسة*، الدار البيضاء، 22 ـ 23 أبريل 1994.

**إقليم ورزازات،**

*مونغرافيا إقليم ورزازات، منجزات وآفاق*، مارس 1986، ورزازات، 1986.

م. **الاكحل،**

*انتشار المكننة الزراعية وانعكاساته على التشغيل الفلاحي والبنية المجالية : مثال من بلاد زمور، جماعة أيت ميمون*، د. د. ع، الرباط، 1987.

ع. **امحاند،**

*خطر المبشرين في المغرب*، *الميثاق*، 8 مارس 1970، 23 نونبر 1970.

ع. **أمرير،**

*الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمّو*، الدار البيضاء، 1980.

ع. **أمهان،**

*الفنون المغربية الأصيلة*، مجلة *أبعاد فكرية*، ع 2، 1989.

ص. **أمين،**

*الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية*، عمان، 1978.

ع. **أمين**،

*الإشراف التربوي : واقع وآفاق*، *المجلة التربوية*، ع 2.

ج. **أوفيد**،

*اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية*، 1905 ـ 1955، الدار البيضاء، 1988.

د. **إيكلمان**،

*الاسلام في المغرب*، الدار البيضاء، 1989.

أ. **باب التنبكتي**،

*اللمع في الاشارة إلى حكم طبغ*، مخطوط.

ع. **باينة**،

*التنظيم الإداري بالمغرب*، الدار البيضاء، 1991.

*شرعية الاصلاح الحقيقي في التعليم العالي*، *الاتحاد الاشتراكي*، ع 2815، 21 أبريل 1991.

*المختصر في القانون الإداري المغربي*، الدار البيضاء، 1985.

ع. **بدوي**،

*مقالات الاسلاميين*، بيروت، 1971.

**البقدوري**،

*إتحاف أهل البدو والقرى*.

خ. **بقطاش**،

*الحركة التبشيرية في الجزائر من سنة 1860 إلى سنة 1879*، *مجلة الثقافة*، ع 61، 1401 هـ.

ع. **البكريوي**،

*الوجيز في القانون الإداري المغربي*، الرباط، 1990.

أ. **بل**،

*الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي*، تر. ع. بدوي، بيروت، 1987.

أ. **ابن المامون البلغيثي**،

*الابتهاج بنور السراج*، القاهرة، 1319 هـ.

ع. **بلقاسم**،

*تاريخ عائلات سلا*.

م. **بنشريفة**،

*حول كتاب المستفاد*، *دعوة الحق*، ع 259.

ع. **بنشنهو**،

*النظام الإداري بالمغرب*، الرباط، (د. ت).

ع. **بنعبد العالي**،

*الترجمة والمثاقفة*، *الوحدة*، ع 61 ـ 62.

ف. بوخريص،
*أحيدوس، معلمة المغرب*، ج 1، الرباط، 1989.
م.ع. **بوخلفة،**
*الطريق لمعرفة القصر الكبير*، تطوان، 1972.
ر. **بورقية،**
*العرف والشرع، المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع*، ع 7، 1984.
أ. **البوسعيدي،**
*بذل المناصحة في فعل المصافحة*، مخطوط.
م. **بوسلام،**
*تفتيش التعليم بين النصوص والواقع*، بحث لنيل دبلوم مفتش التعليم الثانوي، الرباط، 1986 ـ 1987.
م. **بوشعراء،**
*قبيلة بني حسن، 1860 ـ 1912*، مخطوط.
ع. **بوفتاس،**
*أمانوز، لمحات تاريخية واقتصادية واجتماعية*، الدار البيضاء، 1991.
خ. **بوقرعة،**
*الترجمة واللغة والهوية القومية، الوحدة*، ع 61 ـ 62.
ح. **بولقطيب،**
*جوانب العرف القبلي بمغرب العصر الوسيط، الاتحاد الاشتراكي الملحق الثقافي*، 5 يناير 1992.
ـ *بيان تاريخي من مثقفي المغرب حول سياسة التعليم والغزو اللغوي الاستعماري للمغرب العربي*، الرباط، 1985.
م. **التراب،**
*نظام الاكراه البدني كوسيلة للإجبار على التنفيذ، ضمن كتاب نظرات في الفقه والقانون*، ج 1، الرباط، 1992.
*تقرير حول التعليم العالي والبحث العلمي بالمغرب : منجزات وآفاق*، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، الرباط، غشت 1989.
ع. **التامنارتي،**
*ديوان*، مخطوط. خ.ح.
م. **التاودي السقاط،**
*خرق العوائد*، مخطوط، خ. ع. 52 ك.
م. ابن **تاويت التطواني،**
*تاريخ سبتة*، الدار البيضاء، 1982.

ع. أمين،

*الإشراف التربوي : واقع وآفاق*، المجلة التربوية، ع 2.

ج. أوفيد،

*اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية*، 1905 ـ 1955، الدار البيضاء، 1988.

أ. التجيبي،

برنامج التجيبي، تح. عبد الحفيظ منصور، تونس، 1981.

مستفاد الرحلة والاغتراب، تح. ع. منصور، تونس، 1975.

أ. التستاوتي،

*شرح واردات العياشي التستاوتي*، مخطوط، خ. ع. د 2010.

*نزهة الناظر : شعر التستاوتي*، جمع وتح. عبد اللطيف شهبون، د. د. ع، الرباط، 90 ـ 1991.

أ. التطواني،

*الفقيه التطواني ودوره في البحث العلمي*، بحث الإجازة، الرباط، 80 ـ 1981.

ع. التغرغرتي،

*تراجم بعض علماء سوس*، مخطوط.

ـ *تقاييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الايالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى*، الرباط.

ع. التليدي،

*حياة الشيخ أحمد بن الصديق*.

ع. التميمي،

*التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر خلال القرن 19*، المجلة التاريخية المغاربية، ع 1، يناير 1974.

*دور المبشرين في نشر المسيحية في تونس*، المجلة التاريخية المغاربية، ع 3، يناير 1975.

م. التميمي،

*المستفاد*، قطعة مخطوطة.

ع. توري،

*المسح الأثري بحوض سبو ومنطقة غمارة : نتائج الموسم الأول*، مجلة كلية الآداب، الرباط، 11، 1985.

ع. التوزاني،

*رسالة في الطريقة الناصرية*، مخطوط، خ. ع مجموع 2705 ك.

م. التوغزيفتي،

*الرسالة التوغزيفتية*، مخطوط.

ابن تومرت،

*أعز ما يطلب*، تح. عمار الطالبي، الجزائر، 1985.

*العقيدة*، القاهرة، 1328 هـ.

ح. م. جابر،

*الطريق إلى جماعة المسلمين*، الكويت، 1984.

م. ع. الجابري،

*أضواء على مشكل التعليم بالمغرب*، الدار البيضاء، (د. ت).

ع. **الجشتيمي**،

*الحضيكيون*، مخطوط.

إ. **الجعايدي**،

*إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار*، تح. ع. معنينو، د. د. ع، الرباط، 1990.

ت. **الجعيدي**،

*رسالتان تتعلقان بهجوم الأسطول الفرنسي على سلا عام 1268 / 1851*، مخطوط، خ. ص.

ط. **جلال.م. عجاج**،

*تثبيت الكثبان الرملية وتشجيرها في شمال إفريقيا*، تونس، 1986.

إ. **بن الجنوي**،

*أبناؤنا بين أيدي المبشرين*، الميثاق، ع 72، 1963.

م. **ابن الحاج**،

*إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، 1992.

ت. ع. **الحارتي**،

*البعثات التبشيرية الاميريكية في المغرب الاقصى قبيل الحماية الفرنسية*، *المجلة التاريخية المغاربية* ع 63 ـ64، يوليوز 1991.

أ. **ابن عاشر الحافي**،

*فهرس*، دراسة وتح. محمد السعديين، د. د. ع، الرباط، 90 ـ 1991.

ع. **حرازم برادة**،

*جواهر المعاني وبلوغ الأماني*، وبهامشه كتاب *رماح حرب الرحيم على نحور حزب الرجيم* لسيدي عمر بن سعيد الفوتي الطوري، بيروت، 1383 هـ.

ـ *حركة التعليم في المغرب خلال الفترة 90 ـ 91 ـ 1992*، الرباط، 1994.

ع. **حفيظ**،

*حول الترجمة والتعريب والتغريب : مأساة المصطلح وفراغ المعنى*، *الوحدة*، ع 61 ـ 62.

م. ع. **حلمي**،

*عادات الزي في المغرب الأقصى*، (د. م) (د. ت).

ب.

*الحركات البشرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر*، تونس، 1989.

م. **حمام**،

*وثائق من أيت سدرات*، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1978.

ل. **الحمداوي**،

*واحة تنغير : دراسة في الجغرافية البشرية*، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1977.

م. **حنداين**،

*تارودانت ومحيطها التاريخي، 1670 ـ 1790*، ر. د. ع التاريخ، الرباط، 1993.

م. **حنيني**،

*دراسة في الجغرافية الحضرية : الخميسات*، د. د. ع، الرباط، 1980.

م. **الخالدي-ع. فروخ**،

*التبشير والاستعمار*، بيروت 1970.

ابن **خرذاذبه**،

*المسالك والممالك*، ليدن، 1889.

ي. ابن **خلدون**،

*بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد* ، الجزائر، 1980.

م. بن **خليفة**،

*القصر الكبير : أعلام أدبية وعلمية وتاريخية*، القصر الكبير، 1994.

ع. **الخمليشي**،

*إعلام المسلمين بمقاصد المبشرين*، *الميثاق*، ع 80، دجنبر 1968، ع 107، مارس 1970.

سيدي علي **خنفر**،

*تقييدات شرط مسجد أفركط خلال سنتي 1344 ـ 1345 هـ / 1925 ـ 1926*، مخطوط خاص.

م. ابن أبي **دينار**،

*المؤنس في أخبار افريقية وتونس*، ط. 2، تونس، 1967.

الحافظ **الذهبي**،

*سير أعلام النبلاء*، تح. بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، بيروت، 1984.

م. م. **رشيد**،

*المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين*، الدار البيضاء، 1992.

أ. **الركني**،

*شفاء القلوب في مناقب الشيخ محمد بن يعقوب*، مخطوط.

ح. ابن **ريسون**،

*فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد*، تطوان، (د. ت).

ع. **زمامة**،

*أسماء الحرف المعروفة بفاس*، اللسان العربي، 1966.

*فاس وصناعتها التقليدية*، مجلة كلية الآداب بفاس، 1980 ـ 1981.

أبو بكر **زنيبر**،

*الحالة التعليمية في المغرب قبل الحماية وبعدها* ، مخطوط.

*العمل في أحكام الفقهاء*، ملحق جريدة المغرب، سلا 1938 وما بعدها.

أ. **الزياني**،

*تاريخ بلدة خنيفرة*، تح. محمد أ محزون، الدار البيضاء، 1986.

ع. ابن السائح،

*بغية المستفيد لشرح منية المريد*، القاهرة.

**الساحلي**،

*بغية السالك في أشرف المسالك*، مخطوط، خ. ع. 2630 ك.

ع. **السجلماسي**،

*الإلمام ببعض من لقيت من علماء الإسلام*، مخطوط.

م. **السجلماسي الرباطي**،

*شرح العمل الفاسي*، فاس، 1291 ـ 1298 هـ، ط. حجرية.

*شرح العمل المطلق*، فاس.

ابن مليح **السراج**،

*أنس الساري والسارب*، تح. محمد الفاسي، فاس، 1968.

ر. **سعيدو**،

*الهجرة وأثرها على العلاقات الاجتماعية بدوار حارة المرابطين، منطقة تنغير*، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1989.

أ. **السفياني**،

*صناعة تفسير الكتب وحل الذهب*، فاس، 1919.

أ. **سكيرج**،

*إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي*، الجزائر، 1917.

**السلطانة** بنت شيخنا،

*الشعر الشعبي في تكانت حتى نهاية الاستعمار*، نواكشوط، 1990.

م. **السماحي**،

*في مسطرة إيقاف التنفيذ أمام المجلس الأعلى*، *مجلة نظرات في الفقه والقانون*، ع 1، 1992.

*التنفيذ المعجل للأحكام المدنية في القانون المغربي : دراسة مقارنة*، الدار البيضاء، 1985.

ع. **الشاذلي**،

*التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري*، الدار البيضاء، 1989.

م. **الشامي**،

*حرب الريف والمأثور الشفوي : شعر المقاومة والجهاد*، ندوة حول جوانب من الأدب في المغرب الأقصى، وجدة، 1986.

إ. **الشرادي**،

*مجالس الجماعات الحضرية والقروية*، الرباط، 1983.

م. **شفيق**،

*أربعة وأربعون درسا في اللغة الأمازيغية*، الدار البيضاء.

*الشعر الأمازيغي والمقاومة المسلحة في الأطلس المتوسط وشرقي الأطلس الكبير، 1912، 1934*، *مجلة الأكاديمية*، ع 4، 1989.

م. ابن **شقرون**،

*مصادر التربية والتعليم في عهد الحماية الفرنسية والإسبانية*، الرباط، 1982.

*مظاهر الثقافة المغربية*، الرباط، (د. ت).

م. **شماعو**،

*المجتمع المغربي كما عرفته*، الرباط، 1980.

خ. **شوقي**،

*قبيلة السراغنة*، د. د. ع، الرباط، 90 ـ 1991.

أ. **الصبيحي**،

*مختصر تاريخ سلا*، مخطوط، خ ص.

ع. **صدقي أزايكو**،

*تيمتيار*، الرباط، 1989.

أ. ابن **الصديق**،

*التصور والتصديق*.

م. م. **الصيادي**،

*التعريب وتنسيقه في الوطن العربي*، بيروت، 1993.

م. **ضريف**،

*الإسلام السياسي في المغرب*، الدار البيضاء، 1992.

أ. **الطريبق**،

*أدب التستاوي من خلال نزهة الناظر*، د. د. ع، الرباط، 85 ـ 1986.

ع. **الطيبي**،

*المجتمع الريفي قبل الحماية*.

ع. **عابدين**،

*التوثيق : تاريخه وأدواته*، بغداد، 1982.

م. **عبد شافق**،

*التوسع العمراني بمركز تنغير*، بحث لنيل الإجازة، أگادير، 1993.

ح. ح. **عبد الوهاب**،

*خلاصة تاريخ تونس*، ط. 2، تونس، (د. ت).

م. **عبده**،

*الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة*، تقديم رشيد رضا، الجزائر، 1978.

**عبيدة الشنقيطي**،

*ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية*، القاهرة، 1951.

م. ابن **عثمان المراكشي**،

*الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة*، الرباط، 1937.

ع. **العروسي**،

*المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي*، مخطوط، خ. ح. الرباط، رقم 2889.

م. ابن **عزوز حكيم**،

*سفير تطواني في بلاط لويز الرابع عشر*، (تحت الطبع).

*فهرس خزانة الصحف العربية بتطوان*، تطوان، ع 107، 1953.

*مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن*، الرباط، 1989.

ع. **العسري**،

*كناش في أمور البحر*، مخطوط.

أ. **عصيد**،

*هاجس التحديث في النص الشعري الأمازيغي المكتوب*، آفاق، 1، 1992.

م. **عشيش**،

*المغرب الأقصى كما رأيته*، القاهرة، (د. ت).

س. **علوش**،

*خطاب الترجمة الأدبية : من الازدواجية إلى المثاقفة، المغرب الحديث 1912 ـ 1956*، طنجة، 1990.

*شعرية الترجمات المغربية للأدبيات الفرنسية*، طنجة، 1991.

ح. **العمراني**،

*ترقية رجال التعليم بالمغرب*، د. د. ع، الرباط، 1989.

م. **عياد**،

*المناطق المتجانسة الريفية ضمن التحولات الاجتماعية المجالية في الأرياف المغربية* (ندوة)، الرباط، 1994.

أ. **عياش**،

*المغرب حصيلة الاستعمار*، تر. عبد القادر الشاوي.

ق. **عياض**،

*الغنية*، تح. ماهر زهير، بيروت، 1982.

م. **العيدوني**،

*يتيمة العقود الوسطى*، مخطوط، خ. ع. ك 305.

علي ابن ميمون **الغماري**،

*رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن*، مخطوط، خ. ع، 1780د.

*الرسالة المجازة في معرفة الإجازة*، مخطوط، ميكروفليم، خ. ع. 1341.

إ. **فاسي**،

*الجفاف حول الصحراء، الطبيعة والسلوك البشري*، دراسة بيئة، مجلة جغرافية المغرب، عدد 6.

ع. **الفاسي**،

*نظم العمل الفاسي وشرحه*، مخطوط، خ. ع، 1448د.

ـ *التبشير المسيحي وبعض الوثنيات الطائفية الهندية*، الرباط، 1973.

م. **الفاسي**،

*التميمي والفندولاوي*، دعوة الحق، ع 262.

أ. بن يحيى **الفشتالي**،

*فتاوى علماء فاس في الدخان*، مخطوط.

ع. **الفكون**،

*محدد السنان في نحور أهل الدخان*، مخطوط.

ح. **الفكيكي**،

*عيسى البطوئي*، دعوة الحق، ع. 256.

ع. **فونتير**،

*الجامعة وقضية البحث العلمي في المغرب العربي*، ندوة الجامعة الشتوية الثالثة، مراكش، 1991.

*الوضعية النظامية للاساتذة الباحثين بالمغرب*، د. د. ع، الرباط، 1992.

ش. **الفيتوري**،

*الازدواجية اللغوية والازدواجية الثقافية في الوطن العربي*، الوحدة، ع 61 ـ 62.

**فيفري**،

*الأرقام العربية*، اللسان العربي، ع 2، 1965.

م. **قبيسي**،

*علم التوثيق والتقنية الحديثة*، بيروت، 1982.

و. **قدورة**،

*المستفيدون من خدمات المكتبات ومراكز التوثيق*، تونس، 1986.

ج. **كاني**،

*المغرب الشمالي في أواسط القرن الخامس الهجري*، البحث العلمي، 1973.

**كتابة الدولة** لدى الوزير الأول المكلفة بالشؤون الإدارية،

*معجم الادارة العامة*، الرباط، 1984.

ج. **الكتاني**،

*الرياض الربانية في الشعبة الكتانية*، مخطوط، خ. ع، 497 ك.

ع. **الكتاني**،

*تبليغ الأمانة*، مخطوط خ. ع. الرباط، ك 2729.

ابن **الكردبوس**،

*تاريخ الأندلس*، مدريد، 1971.

م. **كسرير**،

*أضواء على تاريخ تارودانت*، خزانة معهد محمد الخامس، تارودانت.

م. **الكشبور**،

*عناصر عقد الشغل في التشريع الاجتماعي المغربي*، الدار البيضاء، 1989.

ع. **كنون**،

*شؤون إسلامية*، الدار البيضاء (د. ت).

ع. **لطفي** (وآخرون)،

*تاريخ الرياضيات*، *اللسان العربي*، ع 2 و4 و12، ج 1 و ج 15.

ع. **لعلاوي**-م. **البخاري**،

*النصوص الإدارية، الوظيفة العمومية والاصلاح الاداري*، الرباط، 1992.

إ. **اللقاني**،

*نصيحة الإخوان باجتناب الدخان*، مخطوط.

ع. **لهمامي** (وآخرون)،

*التدبير المالي والمادي والمحاسبي للمؤسسات التعليمية*، الرباط، 1988.

إ. **ليفي بروفنسال**،

*مؤرخو الشرفاء*، تر. ع. الخلادي، الرباط.

م. **ماكامان**،

*أدب الرحلة عند المغاربة*، د. د. ع كلية الآداب، الرباط.

ت. **الماكري**،

*بعض المظاهر الاجتماعية واللغوية للوجود اليهودي بدرعة*. بحث للإجازة، أكادير، 1987.

ح. **المجاهد**،

*أمارگ*، *معلمة المغرب*، ج 2، الرباط، 1989.

**مجهول**،

*الابتسام عن دولة ابن هشام*، مخطوط، خ. ح، 12420 ز.

**مجهول**،

*المحلي في مناقب الشيخ محمد بن مبارك*، مخطوط، خ. ج 726.

**مجهول**،

*المرأة المغربية والحلي*، *العلم*، ع 870، 28. أبريل 1974.

**مجهول**،

*مجموع الدخان*، مخطوط.

**مجهول**،

*معركة المصير في سبيل إصلاح التعليم وتعريبه*، الرباط، 1967.

م. **محجوبي،**

*الغرامة التهديدية وتطبيقتها*، الرباط، 1993.

أ. ابن أبي **محلي،**

*الحكاية الأدبية والرسالة الطلبية مع الإشارة الشجرية*، مخطوط.

**المختار ولد حامد،**

*حياة موريتانيا*، 1994.

**مديرية الإحصاء،**

*النشرة الاحصائية السنوية للمغرب*، الرباط، 1990.

م. **مرغيني،**

*المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي*، الرباط، 1984.

*الوجيز في القانون الاداري المغربي*، الرباط، 1978.

**المركز الوطني للوثيق،**

*دليل الوحدات التوثيقية بالمغرب*، الرباط، 1992.

ح. **مرواني،**

*حول البنية الزراعية في تدغة*، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1979.

م. **مستاوي،**

*أسايس*، الرباط، 1988.

*إسكراف*، الدار البيضاء، 1976.

م. **المنوني،**

*إمارة بني يدر بسوس، مجلة دراسات*، أكادير، ع 1، 1987.

*تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة*، الرباط، 1991.

حضارة وادي درعة، *دعوة الحق*، س 18، ع 2، 1973.

*مدائن مكناسة القديمة من العصر الادريسي إلى أواخر عصر الموحدين*، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعلية، مكناس، 1988.

ابن **موسى تيسير،**

*الكتابة عند العرب نشأتها، تطورها، أدواتها. الناشر العربي*، أكتوبر 1987، ع 7.

*-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة*، الرياض، 1982.

ص. **المومني،**

*أوسّان صمّيضدنين*، الدار البيضاد، 1983.

م. **ميارة،**

*نظم اللآلي والدرر*، مخطوط، خ. ح، 3702.

خ. **المير، ـ إ. قاسمي،**

*التشريع الإداري والتسيير التربوي*، الدار البيضاء، 1982.

ع. **ناصيف،**

*الترجمة : أهميتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبية. الوحدة*، ع 61 ـ 62.

إ. **نحال،**

*التصحر في الوطن العربي*، بيروت، 1987.

أ. **الندوي،**

*الشيخ إلياس وحركته الدينية*، (د. ت).

*في مسيرة الحياة*، دمشق، 1987.

**النقابة الوطنية للتعليم العالي،**

*نحو إيجاد مشروع لإصلاح التعليم العالي وهيكلة البحث العلمي*، الرباط، 1989.

م. ع. **الهجراوي،**

*أشقار، معلمة المغرب*، ج 2.

*اقتراح أسماء جديدة لأدوات ما قبل التاريخ : من قضايا المصطلح، مجلة كلية الآداب*، الرباط، ع 15.

*بلاد سيدي علال البحراوي، معلمة المغرب*، ج 3.

*الحضارة الأشولية، معلمة المغرب*، ج 2.

*منطقة تافيلالت خلال فترة ما قبل التاريخ، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية*، الدورة الأولى، الريصاني، 1989.

ي. **هلال،**

*النظام التوثيقي العربي*، تونس، 1984.

ت. **الهلالي،**

*السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم*، الدار البيضاء، 1979.

**هويسي ميراندا،**

*علي بن يوسف وأعماله بالأندلس*، تطوان، ع 3 ـ 4، 1958.

*وقعة أفليس ومصرع دون شانجة*، تطوان، ع 2، 1957.

ع. ابن **الهيثم،**

*البغية في ترتيب أحاديث الحلية*، مخطوط، خ. ع رقم 2842 ك.

م. **الوزاد،**

*ابن تومرت الأندلسي، مجلة كلية الآداب*، فاس، 11، 1990.

**وزارة التربية الوطنية، التعليم العالي،**

*تطور التعليم الجامعي بالأرقام.*

**وزارة التربية الوطنية،**
*تطور التعليم الجامعي بالأرقام.*
*التعليم العالي بالمغرب صور وأرقام*، الرباط، 1985.
*الدخول المدرسي والجامعي بالأرقام، 93 ـ 1994*، الرباط، 1993.
*منجزات وآفاق*، الرباط، 1983.
*نحو نظام تربوي جديد*، الرباط، 1980.
*هيكلة التعليم الثانوي*، الرباط، 1994.
*وثيقة إصلاح نظام التعليم*، الرباط، 1985.
*وثيقة عمل لإصلاح النظام التعليمي*، الرباط، 1985.
**وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر**، كتابة الدولة في تكوين الأطر،
*آفاق مهنية*، الرباط، 1979.
**وزارة التعليم وتكوين الأطر،**
*التعليم، الحالة، المشاكل، الاهداف*، الرباط، 1970.
**وزارة الداخلية،**
*وثائق المديرية العامة للجماعات المحلية*، ج. ر، عددان 4164 و4165.
**وزارة السكن والتعمير،**
*تعداد السكان*، 1982.
**وزارة الشؤون الإدارية،**
*الوظيفة العمومية تشريعات وقوانين تنظيمية*، الرباط، (د. ت).
**م. الوطواط،**
*مناهج الفكر ومباج العبر*، ضمن كتاب *Extraits inédits relatifs à l'histoire du Maghreb*, Alger, 1924.
**ف. ولعلو،**
*الاقتصاد السياسي*، الدار البيضاء، 1974، ج 2.
**ف. يكن،**
*الموسوعة الحركية*، عمان، 1983.
**ح. اليوسي،**
*القانون*، فاس، 1315 هـ، ط. حجرية.

## Supplément
## à la bilbiographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie avec leurs abréviations


ABENSOUR, L. - *Ce que tout français doit savoir sur l'Afrique du Nord*, [s.d.].

ADAM, A. - *La Maison et le village dans quelques tribus de l'Anti-Atlas*, Rabat, 1951.

ADNAN, E. - *L'Artisanat créateur au Maroc*, Paris, 1938.

AHRENS, L.H. - *Distribution of the elements in our planet*, New-York, 1965.

AÏSSATI, A. EL. - *A study of the phonotactics of Ayt Touzin Tarifiyt Dialect*, D.E.S., Rabat, 1989.

AKERRAZ, A. - BROUQUIER, V. - LENOIR, E. - *L'Occupation antique de la plaine du Gharb, VIème colloque international sur l'archéologie et l'histoire de l'Afrique du Nord* (A paraître).

AKERRAZ, A. - LENOIR, M. - *Les Huileries de Volubilis, B.A.M*, 14, 1982.

AKERRAZ, A. - REBUFFAT, R. - *El Qsar el Kebir et la route intérieure de Maurétanie Tingitane entre Tremuli et Adnovas, in 113ème Congrès des Sociétés Savantes*, Strasbourg, 1988.

ALIMEN, H. - *Préhistoire de l'Afrique*, Paris, 1955.

ALLUES, E. des. - *Toumliline à la recherche de Dieu au service de l'Afrique*, Paris, 1961.

ALPHONSE. - *L'Achèvement de la pacification marocaine : méthodes et programme, R.M.F.*, 1935.

AMEUR, M. - *Fés ou l'obsession du foncier*, Tours, 1993.

*Annuaire des assurances du Maroc*, 1991, Casablanca, 1992.

ANTOINE, M. - *Aperçu sommaire sur les industries lithiques du Maroc Central, B.S.P.M.*, IV, Fasc. 1, 1930.

ANTOINE, M. - *L'Atérien du Maroc atlantique : sa place dans la chronologie nord-africaine, B.S.P.M.*, XIX, 1950.

ANTOINE, M. - *Les Grandes lignes de la préhistoire marocaine, IIème congr. Panafr. Préhist.*, Alger - Casablanca, 1952.

ANTOINE, M. - *Note de préhistoire marocaine : un gisement atérien en place dans les alluvions de l'Oued Goréa, B.S.P.M.*, VIII, 1934.

ANTOINE, M. - *La Préhistoire du Maroc atlantique et ses incertitudes, Soc. Sc. Nat. du Maroc*, 1948.

ANTOINE, M. - *La Question atéro-ibéromaurusienne au Maroc : historique et mise au point, B.S.P.M.*, XIV, 1937.

ANTOINE, M. - *Répertoire préhistorique de la Chaouia, B.S.P.M.*, T.1, 1927.

ANTOINE, M. - *Sur l'Atérien moyen et la Grotte de Dar-es-Soltan, Soc. Sc. Nat. Maroc : C-R. Séances mensuelles*, n° 1, 1949.

AOUAD, R. - *Réseaux marocains en Afrique subsaharienne, R.M.E*, n° 4, 1993.

ARAMBOURG, C. - *Les Corrélations paléontologiques entre le Pléistocène de l'Europe et celui de l'Afrique, Bull. Soc. Géol. de France*, 7ème Ser., XI, n° 1, 1969.

ARAMBOURG, C. - *Vertébrés villafranchiens d'Afrique du Nord*, Paris, 1979.

ARNOLD, R. - *The Islamic book : a contribution to its arts and history from the VII - XVIII century*, Leipzig, 1929.

ARQUES, E. - *Tres Sultanes a la Porfia de un Reino*, Tetuan, 1953.

ASSY. - *La vie familiale à travers ses rites chez les Ziyayda du Maroc*, D.E.S, Sorbonne, 1980.

AYOUB, E. - *La Fonction publique*, Paris, 1975.

AYOUN, R. - COHEN, B. - *Les Juifs d'Algérie : deux mille ans d'histoire*, Paris, 1982.

AZAM, P. - *Sédentaires et nomades dans le Sud marocain*, C.H.E.A.M., 16 Mai 1946.
BACAICOA, D. - *Inventario de la Hemeroteca de Tetuan*, Tetuan, 1953.
BAHANI, A. - *Les structures agraires et les systèmes d'irrigation dans la palmeraie de Fezouata, Drâa Moyen*, Th. Doct., Rouen, 1990.
BALDAOUI, J. - *Les Arts indigènes au Maroc*, Paris, [s.d].
BALOUCHE, A. - *Paléoenvironnement de l'homme fossile halocéne au Maroc : apport de la palynologie*, Th. Bordeaux I, 1986.
BALOUT, L. - *L'Homme préhistorique et la Méditerranée occidentale, R.O.M.M.*, n° 3, 1967.
BALOUT, L. - *Préhistoire de l'Afrique du Nord : essai de chronologie*, Alger - Paris, 1955.
BARDE, M.M. - *Coiffures féminines du Maroc*, Aix-en-Provence, 1990.
BARY, L. - *Etude syntaxique d'un parler de la langue tamazighte*, Rabat, 1983.
BATES, O. - *The Eastern Libyans*, London 1914 (1970).
BAYED, A. - *Le Milieu marin*, in *G.E.M. : géographie physique*, Rabat, 1987.
BAZIN, D. - *Etude géologique et métallogénique des chainons atlasiques du Tizi-N'Firest au Nord de Ksar-es-Souk, Maroc, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.
BAZIN, V. - TERRAY, E. - *Guerres de lignages et guerres d'Etats en Afrique*, Paris, 1982.
BAZZANA, A., [et al...]. - *Première prospection d'archéologie médiévale et islamique dans le Nord du Maroc, B.A.M.*, 1983 - 1984.
BEACH, P. - DUNPHY, W. - *Benedictine and Moor and Christian adventure in Moslem Morocco*, New-York, 1960.
BEAUBRUN, P.C. - *Un cétacé nouveau pour les côtes marocaines* : *Souza teuszii (Kukenthal, 1892), Mammalia*, 54, 1990, 1.
BEAUDET, G. - *Le Plateau central marocain et ses bordures : étude géomorphologique*, Rabat, 1969.
BEAUDET, G. - *Le Paléolithique inférieur du Maroc atlantique*, Rabat, 1961, (P.S.A.M. ; 17).
BEAUDET, G. - *Les Plus anciennes industries du Maroc*, 9ème Congrès de l'U.I.S.P.P., 1976.
BEAUDET, G. - *Le Quaternaire marocain : état des études, R.G.M.*, n° 21, 1971.
BEAUPERE, - *Sur les vallées du Todgha, de l'Imider et du Saghro oriental, in Villes et Tribus du Maroc*, Vol. 9, 1931.
BELHOMME - *Les armes dans le Sous occidental, A.B.*, Vol. 2, fasc. 1, 1917.
BELHOMME, - *Les Poignards du Sous, F.M.*, n° 5, 15 Mai 1917.
BELLAOUI, - *Un exemple de régionalisation au Maroc : la région économique du Tensift, Revue de la Faculté des Lettres, Marrakech*, n° 4, 1989.
BELLICHI, A. - *Contribution à l'étude de la pluviométrie de la partie septentrionale du littoral atlantique marocain, Espace Rural*, n° 25, Juin 1991.
BELLON - HUMBERT, C. - *Les Mollusques marins testacés du Maroc : premier supplément*, Rabat, 1973.
BEN CHENEB, M. - *Etude sur les personnages mentionnés dans l'idjaza...*, Paris, 1908.
BENABID - BOUSQUET - MAHE, - *Plan de gestion du Parc National de Toubkal*, Rabat, 1993.
BENABID, A. - MAHE, - *Plan de Gestion du Parc Naturel de Talasemtane*, Rabat, 1994.
BENCHEKROUN, M. - *L'Education et l'enseignement au Maroc*, Rabat, 1985.
BENHAZERA, M. - *Six mois chez Touareg du Ahaggar*, Alger, 1908.
BENJELLOUN, A. - *Droit administratif*, Rabat, 1984.
BENSEDDIK, N. - *La Pratique médicale en Afrique au temps de Saint-Augustin, Africa Romana, Atti del VI Convegno di Studio Sassari*, 1988.
BENTAHAR, M. - *Villes et campagnes au Maroc*, Rabat, 1988.
BENYOUSSEF, A. - *Répertoire des publications des partis politiques au Maroc, 1956 - 1980*, Mémoire, E.S.I., Rabat, 1983.
BERNARD, A. - *Les Régimes des pluies au Maroc, Mem. Soc. Sc. Maroc*, n° 1, 1er Juin 1921.
BERNUS, E et S. - *Du sel et des dattes, Etudes nigériennes*, n° 31, 1972.

BERQUE, J. - *Al-Yousi, Problèmes de la culture marocaine au 17ème S.*, Paris, 1958.

BERQUE, J. - *La cité éminente, in Entretiens interdisciplinaires sur les sociétés musulmanes*, Paris, 1958.

BERQUE, J. - *Etudes d'histoire rurale*, Tanger - Fès, 1938.

BESANCENOT, J. - *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988.

BIVAR, A.D.H. - HISKETT, M. - *The Arabic Litterature of Nigeria to 1804, B.S.O.A.*, XXV, 1, 1962.

BLANCO IZAGA, E. - *La Ley Rifeña*, Ceuta, 1939.

BOISSEL, De. - *Dans l'ombre de Lyautey*, Paris, 1954.

BOKBOT, Y. - *Habitat et monuments funéraires du Maroc préhistorique*, Th. Doct., Aix-en-Provence, 1991.

BOLENS, L. - *Les Parfums de beauté en Andalousie médiévale*, Genève, [s.d].

BONTE, P. - *L'Habitat sédentaire qsurien en Mauritanie saharienne*, in *Nomades et sédentaires en Asie Centrale, Actes du Colloque franco-soviétique*, Paris, 1990.

BORY, P. - *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941.

BOTTE, L. - *Au cœur du Maroc*, Paris, 1913.

BOUABDALLAOUI, Y. - *Rapport B.R.P.M*, 1981, Rabat, 1981.

BOUBOU, H. - *Recherches sur l'histoire des Touaregs sahariens et soudanais* , Niamey, 1967.

BOULANGER, A. - *Triton*, in *Dictionnaire Daremberg - Saglio*, Paris.

BOULIFA, S. - *Textes berbères en dialecte de l'Atlas marocain*, Paris, 1908.

BOUMNICH, D. - *Une pédagogie sans déchets*, Rabat, 1989.

BOUKOUS, A. - *Phonotactique et domaines prosodiques en berbère*, Th. Doct., Univ. Paris VIII, 1987.

BOUNFOUR, A. - *Linguistique et littérature*, Th. Doct., Univ. Paris III, 1985.

BOURCHOUK, K. - *Etude de paléolithique moyen à l'Aguelmane de Sidi Ali, Moyen Atlas*, Mem. I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

BOUZOUGAR, A. - *Schémas opératoires du débitage et du façonnage à la moyenne Moulouya, l'exemple de l'ensemble lithique de Megdoul*, Mem., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

BOUVAT, L. - *La Parure, les vêtements et le voile, R.M.M.*, Vol. 4, 1908.

BOUZOUBAA, K. - *L'Enseignement au Maroc ou un voyage incertain*, Paris, 1982.

BREBION, H. - *Paléoclimatologie du quaternaire marin du Maroc atlantique : méthode d'études, variations dans le temps et dans l'espace, Cahiers du quaternaire, Hors-série : paléoclimats.*

BRETON, J.M. - *Droit de la fonction publique des états d'Afrique francophone*, Paris, 1990.

BRIVES, A. - *Les Richesses minérales du Maroc*, Archives du Service des Mines, 7 Avril 1919.

BROWN, K. - *The Curse of Westermarck, Ethnos* (Stockholm), Vol. 47, 1982.

BRUNOT, L. - *La Cordonnerie indigène à Rabat, Hesp.*, Vol. 33, 1946.

BRUNOT, L. - *Noms de vêtements masculins à Rabat*, in *Mélanges René Basset*, Paris, 1923, 2 Vol.

BRUNOT - DAVID, C. - *Les Broderies de Rabat*, Rabat, 1943.

BÜCHNER, H.J. - *L'Habitat post qsourien du Maroc présaharien, in Espace et Société dans les Oasis marocaines*, Rabat, 1993.

BÜCHNER, H.J. - *Types récents d'habitat oasien en remplacement du qsar : observations sur les modalités de constitution spontanée des nouveaux villages chez les Ahl Todgha*, in *Le Maroc : espace et société*, Rabat, 1990.

BÜCHNER, H.J. - *Le Village post qsourien des Aït Atta du bas Todgha et l'impact du droit coutumier, in Le Nomade, l'oasis et la ville*, URBAMA, Fasc. n° 20, Tours, 1989.

BURCKHARDT, T. - MICHON, J.L. - *Notes sur l'enseignement des métiers d'art traditionnel au Maroc*, Rabat - Fès, 1973.

CADENE, J. - *Le Personnel administratif et la diversité des statuts juridiques, R.M.D.C.*, n° 2, 1983.

CAIA, J. - *Roches éruptives basiques et minéralisation en plomb, zinc et stromtium de la région de Tirrhist, Haut Atlas de Midelt, Notes. Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.

CAILLE, E. - *Le Commerce anglais avec le Maroc, pendant la seconde moitié du 16ème S. : importations et exportations, R.A.*, T. 84, 1940.
CAILLE, R. - *Journal d'un voyage*, Paris, 1965.
CELERIER, J. - *L'Instruction publique au Maroc, B.E.S.M.*, Vol. 14, 1951.
CELERIER, J. - HARDY, G. - *Les Grandes lignes de la géographie du Maroc*, Paris, 1922.
CESAR MORAN, P. - GIMENEZ BERNAL, C. - *Excavaciones en Tamuda, 1946*, Tétouan, 1948.
CHADAÏ, L. - *Langages d'artisans à Marrakech*, Univ. de Paris 4, Doct. nouv. régim., 1986.
CHAMPION, P. - *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1931.
CHARMES, G. - *Une ambassade au Maroc*, Paris, 1887.
CHARNOT, M. - *La Toxicologie au Maroc*, Rabat, 1943.
CHARVET, J.P. - *La Plaine des Triffa, R.G.M.*, n° 21, 1972.
CHAUMEIL, J. - *Le Mellah et Tahal au pays des Ammeln, Hesp.*, 1er - 2ème trim. 1953.
CHAUMIER, J. - *Les Techniques documentaires*, Paris, 1988.
CHAUVEA, A. - *L'Industrie du cuir au Maroc, Chimie et industrie*, 2ème trim. 1920.
CHAZAN, N. - *Rapport B.R.P.M.*, 1951, Rabat, 1951.
CHEIKH, A.W. - *Eléments d'histoire de la Mauritanie*, Nouakchott, 1988.
CHEKROUN, M. - *Culture et pédagogie au Maroc*, Casablanca, 1989.
CHERKAOUI, A. - *Indicateurs socio-économiques du Maroc*, Casablanca, [s.d].
*Cinq ans d'exécution du plan de coordination et d'équipement de l'Union française : réalisation, 1947 - 1951 et programmes 1952*, Paris, 1952.
CHOUBERT, G. - *Essai de corrélation des formations continentales et marines du pléistocène au Maroc, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, T. 25, 1965.
CHOUBERT, G. - ROCHE, J. - *Note sur les industries anciennes du Plateau de Salé, B.A.M.*, 1, 1956.
CHOUBERT, G., [et al...], *Essai de classification du quaternaire continental du Maroc, C.R.A.S.*, T. 243, 1956.
CLANDOT - HAWAD, H. - *Des états - nations contre un peuple : le cas des Touaregs, R.O.M.M.*, n° 44, 1987.
CLANDOT - HAWAD, H. - *Les Touareg ou la résistance d'une culture nomade, R.O.M.M.*, n° 51, 1989.
CLEMENT, J.F., *Révoltes et répressions au Maroc, Al Asas*, n° 13, Jan. 1979.
CLORIOND, L. - *Les Problèmes de l'eau au Tizimi et au Tafilalet, B.E.M.*, Vol. 6, n° 17, 1937.
CLOUZOT, H. - *Les Bijoux indigènes au Maroc, en Algérie et en Tunisie*, Paris, 1906.
COHEN, A. - *Le Talmud*, trad. J. Marty, Paris, 1950.
COLIN, G.S. - *La vie marocaine*, Paris, 1953.
COSLON, - *Notes sur les dinars trouvés en 1851 dans l'ancienne chapelle du monastère Del - Camp, Rev. Numismatique*, 18, 1853.
CRETINEAU-JOLY, J. - *Histoire religieuse, politique et littéraire de la compagnie de Jésus*, Paris, 1844.
CUVELIER, F. - *Histoire du livre : voie royale de l'esprit humain*, Monaco, 1982.
DAHL, S. - *Histoire du livre : de l'antiquité à nos jours*, Paris, 1960.
DAUGAS, J.P., [et al...], - *Le Néolithique nord-atlantique du Maroc : premier essai de chronologie par le radiocarbone, C.R.A.S.*, T. 308, série 2, 1989.
DAUMAS, G. - *La vie arabe et la société musulmane*, Paris, 1983.
DEBENATH, A. - *Aspect de la préhistoire marocaine, Bull. Soc. Préh. Fr.*, T. 78, 1981.
DEBENATH, A. - *Les Atériens du Maghreb, Dossier d'archéologie*, 1991.
DEBENATH, A. - *Dar - Es - Soltan II : rapport d'activité mission préhistorique et paléontologique au Maroc*, 1981 - 82.
DEBENATH, A. - *Nouvelles familles à Dar-Es-Soltan : champ de tir d'El Menzeh, prés de Rabat, Maroc : Note préliminaire, Bull. Soc. Préhist. Fr.*, T. 69, 1972.

DEBENATH, A. - LACOMBE, J.P. - *Remarques sur la double sépulture néolithique du gisement d'El Harhoura II, Province de Témara, Maroc, Arqueologia*, 12, 1986.

DEBENATH, A. - RAYNAL, J. P. - TEXIER, J.P. - *Position stratigraphique des restes humains paléolithiques marocains sur la base des travaux récents, C.R.A.S.*, T. 294, 1982.

DECROUX, P. - *Quelques aspects de la nationalité marocaine, Hesp.*, Vol. 35, 1948.

DELAFOSSE, M. - *Haut - Sénégal - Niger*, Paris, 1912, 3 vol.

DELPY, A. - *Les divers types de poignards marocains, C.A.T.A.N.*, n° 6, 1960.

DENOUN, - *Notice sur les Aït Atta du Sahara*, 1913.

DENOUN, - *Renseignement complémentaire sur les Aït Atta*, 1924.

DEROUT, R. - *Le Maroc doit-il avoir son université ? - Le Maroc quotidien*, 16 Déc. 1948.

DESPUJOLS, P. - *Recherches minières au Maroc : des origines à 1930, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 37, 1930.

DETHIERS, J. - *Soixante ans d'urbanisme au Maroc, B.E.S.M.*, n° 118, 1970.

DEVERDUN, G. - *Les Chrétiens à Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1966.

DEVISSE, J. - *Commerce et routes du trafic en Afrique occidentale, in Histoire Générale de l'Afrique*, III, Paris, 1990.

DEVISSE, J. - ROBERT, S. - *Tegdaoust, I : Recherches sur Aoudaghost*, Paris, 1970.

*Le Dictionnaire Colin d'arabe dialectal marocain*, Rabat, 1993 - 1994, 3 Vol.

DIDIER, CH. - *Promenade au Maroc*, Paris, 1844.

DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Guide du Reboisement au Maroc*, Rabat, 1978.

DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Le Plan National de Reboisement (P.N.R)*, Rabat, 1971.

DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Projet d'étude et d'identification des aires protégées et de l'élaboration des plans de gestion des parcs nationaux du Maroc*, Rabat, 1993 - 1994.

DONNET, G. - *En Sahara à travers le pays des Maures nomades*, Paris, 1989.

DONNET, G. - *Une mission au Sahara occidentale : du Sahara au Tiris*, Paris, 1896.

DOROSO, R. - *Estudio geografico - politico militar*, Madrid, 1913.

DOULS, C. - *Voyages dans le Sahara occidental et le Sud marocain, Soc. Normande de Géographie*, Jan. - Fév. 1888.

DOZY, R. - *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes*, Amsterdam, 1845.

DRESCH, J. - *Le Haut Atlas occidental*, Paris, 1951.

DRESNAY, R. du. - *Carte géologique du Haut Atals Oriental au 1 / 200.000, Notes Mem. Serv. Geol. Maroc*, n° 158, 1964.

DUBIEF, J. - *Une mission au Sahara occidental, Oct. - Déc. 1942, Travaux de l'I.R.S.*, 1943.

DUVEYRIER, H. - *Les Touareg du Nord*, Paris, 1864.

ECKHOLM, E. - BROWN, L.R. - *Spreanding deserts : The hand of man*, Washington, 1977.

EL HAJRAOUI, M. A. - *Etude paléopédologique et préhistorique dans la région de la Mamora : précisions stratigraphiques, B.A.M.*, XVII, 1987 - 1988.

EL HAJRAOUI, M. A. - *Nouvelles découvertes néolithiques et atériennes dans la région de Rabat, Grotte d'Elmnasra, Actes du Congrès Méditerranéen Historique de Lisbonne*, n° 2, 1993.

EL HAJRAOUI, M. A. - *La Région de la Mamora dans son contexte géologique et paléopédologique*, Th. 3ème cycle, Bordeaux I, 1986.

EL KHATIB, N. - *L'Archéologie marocaine de 1961 à 1964, B.A.M*, V, 1964.

EL KIRAT, A. - *Spirantization in the Beni Iznassen Dialect*, D.E.S, Rabat, 1987.

EL MEDLAOUI, M. - *Aspects des représentations phonologiques dans certaines langues chamito-sémitiques*, Th. Doct., Rabat, 1992.

EL MOUJAHID, E. - *Syntaxe du groupe nominal en berbère tachelhiyt*, Th. Doct., Rabat, 1993.

EL OUAZZANI, K. - *Coûts et rendements de l'enseignement supérieur au Maroc*, Casablanca, 1991.

EL YAAGOUBI, M. - *Le Droit administratif marocain*, Rabat, 1992.
ENNAJI, M. - *L'Emigration rurale intérieure : causes et incidences*, in *Actes du Colloque : Population et développement rurale*, Rabat, 1989.
*Ensiklopedia Talmudit*, Jérusalem, 1954.
ETIENNE, J. D', [et al...] - *L'Evolution sociale du Maroc*, Paris, [s.d].
EUSTACHE, D. - *Les Ateliers monétaires du Maroc, H.T.*, XI, 1970.
EUSTACHE, D. - *Le Corpus des dirhams Idrissites, B.S.H.M.*, n° 2, 1969.
EUZENNAT, M. - *Tamuda, The Princeton Encyclopedia of Classical Sites*, Princeton, 1976.
FAURE, R. - *Le Tafilalet : étude d'un secteur traditionnel d'irrigation*, Paris, 1968.
FERHAT, H. - *Le Maghreb aux XIIème et XIIIème siècles, les siècles de la foi*, Casablanca, 1993.
FIDEL, C. - *Le Commerce du Maroc*, [s.l], [s.d].
FLORET, C. - *Rapport sur l'érosion éolienne dans les régions d'Agadir et d'Ouarzazate*, Rabat, 1975.
FORGET, J. - *Initiation à la documentation*, Paris, 1988.
FORTIN, J.C. - *La Nappe phréatique salée du Tafilalet : son contrôle pour le développement de la mise en valeur, H.T.E.*, n° 7, 1973.
FOUCAULT, A. - RAOUL, J.F. - *Dictionnaire de géologie*, Paris, 1988.
FOUET, R. - POMEROL, C. - *Minerais et terres rares*, Paris, 1954.
FRACESHI, H.A. - *Costumes et bijoux au Maroc, L'Oeil*, n° 294 - 295, Janv.-Fév. 1980.
FREYSSINET, J. - *Formes et mobilisation du travail dans les économies sous développées*, in *Colloque Travail et Société*, Fès, 1984.
FUGLESTAD, F. - *Les Révoltes des Touareg du Niger, 1916 - 1917, Cahiers d'études africaines*, Vol. 13, n° 49, 1973.
GABUS, J. - *Notes sur le Sahara occidental, J.S.A.*, XXII, 1952.
GART, P.S. - *The American oyster, Fish. Bull., Vol. 64, 1964*.
GAUDEFROY - DEMOMBYNES, R. - *L'Oeuvre française en matière d'enseignement au Maroc*, Paris, 1928.
GAUTIER, E.F. - *Le Chott Tigri, Annales de Géographie*, n° 135 et 136, 1916.
GAY, L. - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1957.
GEERTY, C. - *Suq : the Bazar economy in Sefrou, in Meaning and order in Moroccan Soceity*, Cambridge, 1979.
*Géologie des gites minéraux marocaine : substances métalliques et non métalliques*, Rabat.
GHALLAHI, O.M.F. - *Essai expérimental d'élevage de l'huitre plate (O. edulis) dans la côte atlantique marocaine : langune de Moulay Bousselham et l'estuaire de Tahadart*, Mem. I.A.V., 1989.
GHIRELLI, A. - *Apuntes sobre la Cabila de Beni Iteft*, Madrid, 1956.
GHIRELLI, A. - *Monographia de la Kabila de Bokoia, Arch. Inst. Et. Afr.*, VIII, n° 32, 1955.
GIGOUT, M. - RAYNAL R. - *Recherche à la corrélation des phénomènes marins et continentaux dans le quaternaire marocain, C.R.A.S.*, T. 248, 15, 1959.
GLOTIN, R. - *A la recherche de l'école de demain*, Paris, 1970.
GOICHON, A.M. - *La Broderie du fil d'or à Fès, Hesp.*, Vol. 25, 1939.
GOLDZIHER, I. - *Le Livre de Mohamed Ibn Toumarte*, Alger, 1903.
GORICHON, - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1953.
GOURAULT, - *Mauritanie Adrar*, Paris, 1945.
GOYAU, G. - *Le Christianisme sur la côte Barbaresque jusqu'au 19ème S.*, Paris, 1930.
GOZALBEZ, E. - *Atlas arqueologico del Rif, C.B.E.T.*, 21 - 22, 1980.
GREILSAMMER, - *La Modernisation du Paysanat*, C.H.E.A.M.
GUARNER, V. et J. - *El Sahara y Sur maroqui españoles, Coll. Bibliogr. Militar*, XL, 1931.
GUERSSEL, M. - *Issues in Berber phonology*, M.A. Univ. of Washington, 1976.
GUIBERT, J. - *L'Histoire d'une ville : Tiznit*. Mem. E.H.E.S.S., Paris, 1970.
GUILLAUME, A. - *L'Oeuvre des S.I.P. au Maroc depuis la guerre, B.E.S.M.*, XIV, n° 50, 1951.

GUILLERMO GUASTAVINO, G. - *Tanger inglés*, Tanger, 1939.
GUYOT, R. - *Les Arts du cuir au Maroc*, Rabat, 1957.
HABBOUN, A. - *Etude de l'industrie lithique du Chaperon Rouge II*, Mem., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.
HALLAF, J. - *A qui profite l'école*, Paris, 1974.
HAMMOUDI, A. - *Pouvoir et société : Tamegrout aux XVII et XVIII siècles, A.E.S.C.*, Mai-Août 1980.
HARBY, M.K. - *L'enseignement technique dans les pays arabes*, Paris, 1965 (UNESCO).
HARDY, G. - *Le Maréchal Lyautey et l'enseignement, A.F.*, Août 1934.
HARRIES, M.J. - *Syntactic structure of Tamazight*, Ph. D. Univ. of California, 1971.
HART, D. - *A Customry law Document from Aït Atta, R.O.M.M.*, n° 1, Sept. 1966.
HART, D. - *Assu - u - Baslam*, in *Les Africains*, T. 5.
HART, D. - *La Estructura social de las Rgaybat : nomadas arabofonos del Sahara ocidental y las antecedentes del Frente Polisario, Primer Congreso Hispano Africana de la Cultura Mediterraneas, España y El Norte de Africa.*
HATIM, A. - *La Nation d'interêt du service dans le droit de fonction publique marocain*, D.E.S., Rabat, 1988.
HENSCH, B. - *Le contrôle de l'érosion hydraulique au Maroc*, Rome, 1971.
HENSCH, B. - *L'Erosion hydraulique au Maroc : son calcul et son contrôle, El Awamia*, n° 32.
HERBER, K. - *Les Peintures corporelles au Maroc, Hesp.*, Vol. 9, 1929.
HERBER, K. - *Les Tatouages de la face chez la marocaine, Hesp.*, Vol. 33, 1946.
HERBER, K. - *Les Tatouages des bras de la marocaine, Hesp.*, Vol. 38, 1951.
HESIODE, - *Théogonie*, trad. P. Mason, Paris, 1928.
HUNWICK, J. - *Notes on a late fifteenth century document concerning Al Takrur*, in Allemand Jonhson, Ed, *African perspectives*, Cambridge, 1970.
IAZZI, E.M. - *Morphologie du verbe en Tamazight*, D.E.S., Rabat, 1991.
IBANEZ, E. - *Diccionario español - rifeño*, Madrid, 1944.
IBANEZ, E. - *Diccionario español - Senhayi : dialecto berber de Senhay de Serair*, Madrid, 1959.
IBARROLA, J. - PASQUERELLI, N. - *Nouveau dictionnaire économique et social*, Paris, 1981.
IBN AZZUZ HAKIM, M. - *La Prensa del Norte de Marruecos*, Tetuan, 1956.
IBN AZZUZ HAKIM, M. - *Titulos vobiliano, Hispano - Maruquies*, Tetuan, 1954.
INSTITUT DU MONDE ARABE. - *Répertoire des bibliothèques et des organismes de documentation sur le Monde Arabe*, Paris, 1988.
ISNARD, H. - *La Répartition saisonnière des pluies au Maroc, Annales de Géographie.*
JACQUES MEUNIE, D. - MEUNIE, J. - *Abbar et le Tafilalet d'après les textes, Hesp.*, 1 - 2 trim., 1959.
JEAN, C. - *Les Touareg du Sud-Est : l'Aïr*, Paris, 1909.
JOUANNET, C.P. - *Note sur les conditions actuelles de la vie au Tafilalet, B.E.M.*, n° 23, 1939.
KAMAL, A. - *Productivité et rentabilité de l'enseignement au Maroc*, D.E.S, Rabat, 1983.
LAADIOUI, A. - *Etude de la céramique cardiale d'Achakar et de Kaf Taht - El - Ghar dans le cadre de la néolitisation du Maroc*, Mém., INSAP, Rabat, 1991.
LA BOISSIERE, G. de. - *Monographie des Ahl Tiznit*, Mém., *Archives Diplomatiques*, Nantes, 1940.
LA CHAPPELLE, F. De. - *Histoire du Sahara occidental*, in *VIIème Congrès de l'I.H.E.M sur l'histoire du Sahara occidental*, Rabat, 1930.
LA CHAPPELLE, F. De. - *Une cité de l'Oues Dra, Hesp.*, IX, 1929.
LACOMBE, J.P. - EL HAJRAOUI, M.A. - DAUGAS, J.P. - *Etude anthropologique préliminaire des sépultures néolothiques de la grotte d'Elmnasra, Témara Maroc, Bull. Trim. Soc. d'Anth. du S.W.*, T. 26, 3ème tri., 1991.

LA COURBE, - *Premier voyage du Sieur La Courbe*, Ed. par P. Cultra, Paris, 1913.

LAMRANI, N. - *Prolétarisation de la paysannerie marocaine : évolution et forme*, Th. 3ème cycle, Grenoble, 1980.

LAOUINA, A. - *Implications spatiales et environnement des transformations socio-économiques et technologiques sur les campagnes marocaines*, in *Le Maroc : espace et société*, Rabat, 1990.

LAOUST, E. - *Le dialecte berbère du Rif*, *Hesp*., 2ème trim., 1927.

LARRIBAUD, J. - *Tindouf et le Sahara occidental, Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie*, XXX, n° 3, Sept. 1952.

LAYACHI, A. - *La Formation professionnelle*, Mémoire, cycle Sup. ENAP, Rabat, 1971 - 77.

LAZAREV, G. - *Structures agraires et grandes propriétés au pays Hayaïna, R.G.M.*, n° 9, 1966.

LEBLANC, M. - *Etude géologique et métallonégique du Jbel Bou-Arhous, et de son prolongmenet oriental, Haut Atlas oriental, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.

LEBLANC, M. - *Ophiolites précambriennes et gites arséniés de Cobalt, Bou Azzer, Maroc, Notes. Mém. Serv. Géol. Maroc*, n° 280, 1981.

LE BRETON, J. - *La Modernisation rurale du Maroc, 1945 - 1946*, mémoire de l'I.I.A.P.

LEBRUN, A. - *La Question du Rio de Oro, A.F.*, 1929.

LECOINTRE, G. - *Recherches géologiques dans la Meseta marocaine, Mem. Soc. Sc. Nat.*, n° 14, 1926.

LE TEMPLIER, - *L'Enseignement supérieur au Maroc, B.I.M.*, Sept. 1954.

LENOIR, M. - *Les Etablissements militaires romains d'Afrique*, Rome, 1980.

LENOIR, M. - *Lixus à l'époque romaine*, in *Lixus, Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P.*, Larache, 8 - 11 Nov. 1989, Rome, 1992.

*Lettre pastorale aux fidèles et prêtres repandus dans le royaume du Maroc*, Paris, 1936.

LEVI-PROVENÇAL, E. - *Al-Maghrib, vie intellectuelle, E.I 2*, Vol. 5.

LEVRAT, J. - *Une expérience de dialogue : les centres d'étude chrétiens en monde musulman*, Altenberge, 1987.

LHOTE, H. - *Les Touareg du Haggar*, Paris, 195.

LIMANE, H. - *Contribution à l'étude des sigillées d'importation en Maurétanie Tingitane des Ier et IIème siècles : étude du matériel de Lixus, Banasa, Tamuda*, Th. Univ. Aix-Marseille, 1988.

LIMANE H. - REBUFFAT, R. - *Voie romaine et système de surveillance militaire sur la carte d'Arbaoua, in 118ème Congrès national des sociétés historiques et scientifiques.*

LOPES, D. - *Bentafut, alcaidemouro eo servico de Portugal*, in *Textos em aljamia portuguesa, estudio filologico e historico*, Lisboa, 1940.

LUCCIONI, J. - *Les Fondations pieuses au Maroc, Habous*, Rabat.

LUQUET, A. - *Prospections puniques de la côte atlantique du Maroc, Hesp.*, XLIII, 1956.

MACHRAFI, M. - *A propos de la réorganisation de l'enseignement supérieur au Maroc*, [s.l.], 1966.

MAIGRET, J. - *Données nouvelles sur l'écologie du Sousa teuszii (Cetacea Delphinidae) de la côte ouest africaine, B.I.F.A.N.* (A), 1980.

MAIMONIDE, M. - *Epîtres*, trad. J. de Hulster, Paris, 1983.

MALVAL, - *Le Secteur sud-ouest du front marocain, A.F.R.C.*, Août 1924.

MARCY, G. - *Notes linguistiques autour du périple d'Hannon, Hesp.*, XX, 1935.

MARCY, G. - *Le périple d'Hannon dans le Maroc antique de M.J. Carcopino, J.A.*, 1943 - 45.

MARGAT, J. - *L'Alimentation en eau potable des populations de la plaine du Tafilalet, Notes Mar.*, n° 13, 1960.

MARGAT, J. - *Données sur l'habitat au Tafilalet : contribution à l'étude démographique des palmeraies du Sud marocain, Notes marocaines*, n° 11 - 12, 1959.

MARTIN, H. - *Les Tribus du Sahel et du Rio de Oro, B.I.F.A.N.*, 1, 1939.

MASSIGNON, L. - *Sahara Espagnol, Rio de Oro, R.M.M.*, 1925, 1er fasc.

MAUNIER, R. - *La Construction collective de la maison en Kabylie : étude sur la coopération économique chez les berbères du Djurdjura*, Paris, 1928.

MAURA, G. - *La Question marocaine au point de vue espagnole*, Paris, 1921.

MAXWELL, G. - *El Glaoui : dernier Seigneur de l'Atlas*, Paris, 1966.

MAYEUX, M.R. - *Cours internationaux d'été de Toumliline, 1956, 1957, 1958, 1959, Arch. Soc. Rel.*, n° 9, 1960.

MECHERFI, A. - *Les Devoirs du fonctionnaire, R.M.D.E.D.*, n° 14, 1987.

MEDCOF, J.C. : *Oyster farming in the maritimes, Fish. Res. Canada Bull.*, 131, 1961.

MEDIONI, R. - *Le Chott Tigri, Notes Mém. Serv. Géol. Maroc*, T. 30, n° 225, 1970.

MEDIONI, R. - *Contribution à l'étude géologique des Hauts-Plateaux méridionaux marocains, Notes Mém. Serv. Géol. Maroc*, T. 19, n° 149, 1960.

MENCHIF KADDOUA, - *Etude comparative de développement des centres ruraux de service dans le pays Zamour*, INAO, 1984.

MERROUNI, M. - *Le Problème de la réforme dans le système éducatif marocain*, Rabat, 1993.

MESSIER, R. - *The Almovarids, West african gold and the gold currency of the Mediterranean bassin, J.E.S.H.O.*, 17.

MESSIER, R. - *Quantitative analysis of Almoravid dinars, J.E.S.H.O.*, 23.

MICHAUX-BELLAIRE, E. - *Description de la ville de Fès, A.M.*, Vol. 11, 1907.

MIEGE, J.L. - *Journaux et journalistes à Tanger au XIXème siècle, Hesp.*, 1er sem. 1954.

MILLOT, L. - *Démembrement des Habous*, Paris, 1948.

MILLIES-LACROIS, A. - *Quelques problèmes morphologiques concernant les versants instables au Maroc, S.E.G.M*, n° 13, 1967.

MINEYEV, D.A. - *Geochimical differentiation of the rare earths, Geochemistry*, 12, 1963.

MINISTERE DE L'AGRICULTURE ET DU DEVELOPPEMENT AGRICOLE. - *Lutte contre la désertification au Maroc : réalisation et perspectives*, Rabat, 1984.

MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE. - *Le Mouvement éducatif au Maroc, 1975 - 1984*, Rabat, 1977, 1981 - 1984, 3 Vol.

MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE., - *Le Mouvement éducatif, 1986 - 1988*, Rabat [s.d].

MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE., - *Le Mouvement éducatif, 1988 - 1990*, Rabat, [s.d].

MINISTERE DE L'HABITAT ET DE L'AMENAGEMENT DU TERRITOIRE. - *Etude urbaine de Tiflet*, Rabat, 1983.

MINISTERE DE LA SANTE. - *Enquête nationale sur la population et la santé au Maroc*, Rabat, 1987 - 1992.

MINISTERE DE LA SANTE. - *Visite à domicile de motivation systémique*, Rabat, 1988.

MINISTERE DES AFFAIRES ADMINISTRATIVES. - *La Fonction publique*, Rabat, 1981.

MINOT, J. - *L'Entreprise éducation nationale*, Paris, 1970.

MOHIB, A. - *Contribution à l'étude du paléolithique ancien de Casablanca : l'outillage du niveau M de Sidi Abderrahman, Famille Neuville et Ruhlman*, Mém., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

MONTEIL, V. - *Notes sur le Sahara Espagnol*, Tiznit, 1944.

MORAES FARIAS, P.F. de - *The Almoravides, BIFAN*, 23, 13, n° 3 - 4, 1967.

MORDOCHE ABI SEROUR. - *De Mogador au Djebel Tabayoudt : Le Rabbin Mordoché Abi Serrour, résumé du journal de voyage par Henri Duveyrier, B.S.G.*, Déc. 1875.

MOSDIK, K. - *Guide de l'enseignement supérieur*, Casablanca, 1993.

MOUETTE, G. - *Histoire des conquestes de Moulay Archid connu sous le nom de Rey de Tafilet et de Moulay Ismael ou Semein son frère*, Paris, 1682.

MOUGIN, - *Les Premiers sultans saadides et le Sahara, R.O.M.M.*, 1975.

MOUNIN, G. - *Les Problèmes théoriques de la traduction*, Paris, 1976.

NAIMI, M. - *American expansionist aims in South Western Morocco during the Ninteenth Century : The Atlantic Connection, 200 years of Moroccan - American relations, 1786 - 1986*, Rabat, 1990.

NAIMI, M. - *L'Apport de l'idéologie murabitia et du contrôle de l'espace dans l'émergence de la généalogie Takna*, (étude inédite).

NAIMI, M. - *Cinétique des leffs : fléxibilité et mobilité sociale*, étude inédite.

NAIMI, M. - *Contribution à l'étude du paléolithique ancien de Casablanca : industrie lithique du niveau D2 de Cap Chatelier, Famille P. Biberson*, Mém., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

NAIMI, M. - *The evolution o the Tekna confederation caught between coastal commerce and trans Saharian trade, in Tribe and state :* essays in *honour of David Montgomeny Hart*, Ed. by E.G.H. Joffe and C.R. Pennell, Cambridges - line, 1991.

NAIMI, M. - *Nomades et sédentaires dans l'évolution historique de l'ensemble confédéral Tekna, B.E.S.M.*, n° 157, 1986.

NAIMI, M. - *Nul Lamta : tableaux édifiants*, étude inédite.

NAIMI, M. - *Le Pays Tekna : centre ou périphérie*, Colloque international sur *le Devenir de la Société rurale au Maroc*, Rabat, 1986.

NAIMI, M. - *Le Pays Tekna : commerce et ethnicité avant la constitution confédérale*, in Actes du colloque : *Le Maroc et l'Atlantique*, Rabat, 1992.

NAIMI, M. - JAZOULI, A. - *Etat et société : quelles perspectives ? Al-Bayane*, 12 *Juin 1992*.

NAIMI, M. - JAZOULI, A. - *Régionalisation : Les impératifs du découpage, L'Economiste*, 8 Oct. 1992.

NASRI, Z. - *Le Droit de l'assurance au Maroc*, Rabat, 1984.

NEUVILLE, R. - RUHLMAN, A. - *La Place du paléolithique ancien dans le quaternaire marocain*, Rabat, 1941 (Coll. Hespéris, n° 8).

NICOLAS, F. - *Contribution à l'étude Twareg de l'Aïr, Paris, 1950* (Mémoires de l'IFAN, X).

NICOLAS, F. - *Tamesna : Les Ioullemmeden de l'Est ou Touareg Kel Dinnick*, Paris, 1950.

NIOLAISEN, J. - *Ecology and culture of the pastoral Tuareg, National Museum* (Copenhagen), 1963.

NOIN, D. - *La Neige au Maroc, Notes marocaines*, n° 5, 1961.

NORRIS, H.T. - *Saharian myth and Saga : the Touaregs*, Warminister, 1975.

NORRIS, H.T. - *The Tuaregs, Middle East Studies*, 1975.

NORRIS, H.T. - *Yeminis scholars ofTimbutoo, J.A.H.*, III, 1962.

NOUSCHI, A. - *La Ville dans le Maghreb pré-colonial, in Système urbain et développement au Maghreb*, Tunis, 1980.

OFFICE AGRICOLE DU TAFILALET. - *Etude de la salinité des sols*, Juin 1980.

OULD CHEIKH, A. - SAISON, B. - *Vie (s) et mort (s) de Al Imam Al-Hadrami : autour de la postérité saharienne du mouvement almovaride, 11ème - 17ème S, Atabica*, 34, 1987.

PABLO CASTELLANOS, M. - *Las Hijos de San Francisco en Marruecos, La Cruz*, 1982, t. 2.

PABLO CASTELLANOS, M. - *Las Misiones en Marruecos, Revista Fransiscana*, T. 3.

PAILLET, P. - *Faut-il planifier l'éducation ?* Paris, 1974.

PALLARY, P. - *Recherches paléolithiques, ethnologiques sur le littoral du Maroc, Anthropologie*, T. XI, 1908.

PALMER, H.R. - *Notes on Some Asben Records : Agades Chronocles, J.A.S.*, 9, 36, July, 1910.

PAQUES, V. - *L'Arbre cosmique dans la pensée populaire et dans la vie quotidienne du N.O africain*, Paris, 1964.

PASCON, P. - *La Main d'œuvre et l'emploi dans le secteur traditionnel, B.E.S.M.*, 1978.

PAYE, L. - *Enseignement et société musulmane : introduction et évolution de l'enseignement moderne au Maroc*, Rabat, 1992.

PEREDA, C. - *Estudios goegraficos de Gomara*, Ceuta, 1940.

PERGNIER, M. - *Les Fondements sociolinguistiques de la traduction*, Th. : Rennes II, 1976.

PEYRONNET, C. - *Sud Ouest Marocain, Rio de Oro, Sahara occidental, B.S.G.A*, 1928.

PIGNOL, [et al...] - *Costumes et parures dans le Monde Arabe*, [s.l], 1987.

PLATEAU, H. - *Au secours du sol marocain*, Rabat, 1952.

PLATON, P. - *Le Palmier nain, B.E.P.M*, n° 221, 1953.

POMPONIUS MELA. - *De Situs Orbis*, Leypzig, 1880.
PONS, Mgr. A. - *La Nouvelle église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830*, Tunis, 1930.
PONSICH, M. - TARRADELL, M. - *Garum et industries de salaison en Méditerranée occidentale*, Paris, 1965.
PONSICH, M. - *Note préliminaire sur l'industrie préromaine en Tingitane*, 15, 1960.
PONSICH, M. - *Nouvel aspect de l'industrie préromaine en Tingitane, B.C.T.H., N.S.*, 4, 1968.
PTOLOMEO, - *Geographike Uphegenesis*, Paris, 1901.
QNINBA, Z. - *La Mosaïque d'Orphée de Volubilis*, Th. 3ème cycle, Univ. Laval, 1988.
RACHIK, H. - *Le Sultan des autres : rituels et politique dans le Haut Atlas*, Casablanca, 1992.
RACLOT, G. - *La Vallée du Todra, R.G.M.*, n° 20, 1936.
RAMADE, F. - *Eléments d'écologie appliquée*, Paris, 1976.
REBUFFAT, - *L'Implantation militaire en Maurétanie Tingitane, VIème colloque international sur l'archéologie et l'histoire de l'Afrique du Nord* (A paraître).
REDOUANE, B. - *La Fonction marocaine face au changement, in Les services publics marocains face au changement*, Toulouse, 1987.
REDOUANE, B. - *Le Fonctionnaire marocain*, Casablanca, 1983.
REINACH, S. - *Medicus*, in Daremberg Saglio, *Dictionnaire des antiquité grecques et romaines*.
RENAUD, H.P.J. - *L'Enseignement des sciences exactes au Maroc, Hesp.*, XIV, 1932.
RENAUD, H.P.J. - COLIN, G.S. - *Tuhfat al-Ahbab*, Paris, 1934.
*Les Ressources naturelles et la mise en valeur de la plaine du Haouz, R.G.M.*, n° 17, 1970.
RICARD, P. - *Les Arts marocains : Les broderies*, Alger, 1918.
RICARD, P. - *Reliures marocaines du 13ème S. : notes sur des spécimens d'époque et de tradition almohade, Hesp.*, XVII, Fasc. 2, 1933.
RICARD, P. - *La Renaissance de la reliure d'art à Fès*, Paris, 1925.
RICARD, P. - *Le Souq El Merktan et les broderies de Fès, F.M.*, Vol. 1, 1917.
RICARD, P. - *Sur un type de reliure des temps almohades, Ars Islamica*, I, pat 1.
RICARD, P. - *Contribution à l'étude du commerce génois au Maroc durant la prériode portugaise, 1415 - 1550, A.I.E.O*, T. 3, 1937.
RICHARDSON, J. - *Travels in the Great Desert of Sahara*, London, 1985, 2 Vol.
RICHER, A. - *Les Ouilliminden*, Paris, 1924.
RIVAS, A. - *La Presa del Lau*, Tetuan, 1943.
ROCHE, J. - *Etude sur l'industrie de la Grotte de Dar-es-Soltan, B.A.M.*, T. 1, 1956.
ROCHE, J. - *La Grotte des contrebandiers, Témara, B.A.M.*, T. 12, 1978 - 1980.
ROCHE, H. - *Premiers outils taillés d'Afrique*, Th. 3ème cycle, Paris, 1981.
ROSENBERGER, B. - *Yahya U Tafuft, 1506 - 1518 : des ambitions déçues, H.T.*, 31, 1993.
ROUILLARD, P. - *Le Commerce grec du Vème et IVème siècles avant J.C. dans les régimes de Lixus et Gadès, in Lixus : Actes du colloque organisé pour l'I.N.S.A.P., Larache, 8 - 11 Nov. 1989*, Rome, 1992.
ROUSSEAU, G. - *Le Costume au Maroc*, Paris, 1938.
ROUX, G. - *La Neige au Maroc, Mem. Soc. Sc. Nat. Maroc*, n° 11, 1935.
ROUX, G. - *La Variation annuelle des précipitation au Maroc, Bull. Soc. Sc. Nat. Maroc*, T. 27, 1947.
RUELLAN, A. - *Contribution à la connaissance des sols des régions méditérranéennes*, Mém. ORSTOM, n° 54, Paris, 1971.
RUHLMAN, A. - *A propos de la subdivision de l'Atérien marocain, B.S.P.M.*, n° 2, 1948.
RUHLMAN, A. - *Le Paléolithique marocain : esquisse d'une étude d'ensemble, B.S.P.M.*, n° 2, 1948.
RUNGS, C. - *Catalogue raisonné des Lepidopteres du Maroc*, Rabat, 1981, 2 Vol.

RUSSO, P. - *Recherches géologiques sur le territoire des Hauts-Plateaux, Maroc oriental, Annales Univ. Lyon*, nouv. série, fasc. 46, 1926.

SAAIDI, M. - *Histoire de la recherche minière au Maroc : des origines à nos jours*, Rabat, 1967.

SAAIDI, M. - *Possibilités minières et hydrogéologiques de la région d'Akka et le rôle historique de Tamdoult, Mines et géologie*, n° 28, 1969.

*Le Sahara espagnol, La Documentation française : notes et études documentaires*, n° 2570, Sept. 1959.

SAAIDI, - *Palmier dattier : maladies et ravageurs des plantes cultivées au Maroc*, Rabat, 1976

SAIB, J. - *A phonogical study of Tamazight Berber*, Ph. D. Univ. of California, 1976.

SALIH, A. - *Le Moustérien et l'Atérien au Maroc*, Th. Univ., Aix-en-Provence, 1990.

SALIH, A. - *Recherche sur l'épipaléolithique dans le Moyen Atlas*, D.E.A., Aix-en-Provence, 1986.

SALMI, J. - *Crise de l'enseignement et reproduction sociale au Maroc*, Casablanca, 1985.

SALMON, G. - *Contribution à l'étude du droit coutumier du Nord marocain : de l'association agricole et de ses différentes formes, A.B.*, III, 1905.

SALVY, G. - *Tawdanni, Le Monde*, 31 Janv. 1976.

SAMSON, P. - *Un gisement plombozincifère en milieu récifal, Touissit, Maroc oriental, Notes. Mém. Serv. Géol. Maroc*, n° 242, 1973.

SARRE, F. - *Islamic book-binding*, London, 1923.

SARRIONDIA, P. - *Gramatica de la lengua rifeña*, Tanger, 1905.

SASSON, A. - *Développemenet et environnement*, Paris - La Haye, 1974.

SCHMITT, P. - *Le Maroc d'après la Géographie de Claude Ptolémée*, Th. 3ème cycle, Tours, 1973.

SCHROETER, D. - *Merchants of Essaouira*, Cambridge, 1988.

SCHUTZ, H. - *Le Rôle et l'organisation du Centre National de Documentation dans un pays en voie de développement*, Paris, 1975.

SEDJARI, A. - *Les Structures administratives territoriales et le développement au Maroc*, Rabat, 1981.

SEFRIOUI, A. - *Le Costume marocain, G.E.M.*, Vol. 2, 1987.

SEKKAT, A. - *La Politique de l'enseignement au Maroc, 1956 - 1977*, Grenoble, 1977.

SIRE, M. - *Le Document et l'information*, Paris, 1975.

SLOUSCH, N. - *Notes sur l'histoire des juifs au Maroc, A.M.*, VI, 1905.

SLOUSCHZ, N. - *Etude sur l'histoire des juifs et du judaïsme au Maroc, A.M.*, Vol. IV, 1905.

STAMBOULI, F. - *Système urbain et développement*, in *Système urbain et développement au Maghreb*, Tunis, 1980.

SYLVESTRE, P. - *Rapport B.R.P.M.*, 1976, Rabat, 1976.

*Le Tafilalet d'après M. Walter B. Harris, A.F.R.C*, n° 1, 1909.

TAG, B. - *Des mutations agro-pastorales à l'urbanisation dans le Maroc Oriental*, Th. Doct., Toulouse, 1987.

TAIFI, M. - *Dictionnaire tamazight français*, Paris, 1993.

TANGI, O. - *Aspects de la phonologie d'un parler berbère au Maroc : Ayth Sidhar, Rif*, Th. Doct. Univ., Paris VIII, 1991.

TARRADELL, M. - *El Benian : Castellum Romano entre Tetuan y Tanger, Tamuda*, I, 1953.

TARRADELL, M. - *Breves noticias sobre las excavaciones, Tamuda*, VI, 1958.

TARRADELL, M. - *Datos sobre la guerra de las romanos contro Aedem*, in *El Primero congreso arqueologico del Marruecos español, Tamuda*, II, 1955.

TARRADELL, M. - *Estado actual de nuestros conociomientos sobre Tamuda y resultades de la campaña 1948, Archivo Español de Arqueologia*, 74, 1949.

*Les Tendances des réformes de l'enseignement dans les pays du Maghreb* in *Actes du Colloque Euro-arabe sur la structuration des enseignements primaires et secondaires au Maghreb*, Rabat, 1992.

TERMIER, H. - OWODENKO, B. - AGARD, J. - *Les Gîtes d'étain et de tungstènes de la région d'Oulmès, Maroc central : étude géologique, pétrographique et métallogiques, Notes et Mém. Serv. Géol. Maroc*, n° 82, 1950.

TERRASSE, H. - HAINAULT, J. - *Les Arts décoratifs au Maroc*, Paris, 1925.

*Les Territoires espagnols, La Documentation française : notes et études documentaires*, n° 2951, Janv. 1963.

TEXIER, J.P. - *Les Pièces prédonculées de l'Atérien, Lybica : Anthropologie, Préhistoire, Ethnologie*, T. VI - VII, 1958 - 1959.

TEXIER, J.P. - *Le site atérien du Chaperon Rouge I, Maroc et son contexte géologique, B.A.M.*, T. 16, 1985 - 86.

*Textes administratifs, Fonction publique et réforme administrative*, Casablanca, 1987.

THOUVENOT, R. - *Le Géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Mautétanies, R.E.A.* 64, 1992.

THOUVENOT, R. - *Le Géographe Ptolémée et la route du Sous, Hesp.*, 33, 1946.

THOUVENOT, R. - *Promenade archéologique au Musée de Tétouan, R.E.A.* LII. 1950.

THOUVENOT, R. - LUQUET, A. - *La Mosaïque du Navigum à Volubilis, Rev. archéologique*, I, 1977.

THOUVENOT, R. - LUQUET, A. - *Les Thermes de Banasa*, Rabat, 1951, (P.S.A.M, IX).

TIBI, C. - *Politique éducative et financement de l'éducation au Maroc*, Paris, 1976.

TOLEDANO YA'AQOB MOSE, - *Ner Hamma 'arab*, Jérusalem, 1911.

TOLEDANO, J. - *Le Temps du Mellah*, Jérusalem, 1982.

TOMICHE, N. - *La Littérature arabe traduite : mythes et réalités, de l'image que se fait l'Occident du monde arabe contemporain à travers les traductions de la littérature arabe en langue française en anglaise*, Paris, 1978.

TORTOCHAUX, T. - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1954.

TOURI, A. - *Les Oratoires de quartiers de Fès : essai d'une typologie*, Th. Paris, 1980.

TOUTAIN, G. - *Sur une évolution économique de la vallée du Draa, Al-Awamia*, n° 53, 1974.

URVOY, Y. - *Chronique d'Agades, Journal Soc. Afr.*, IV, 1934.

VAJDA, G. - *Un recueil de textes historiques judéo-marocains, Hesp.*, 3ème - 4ème trim. 1948, 1er - 2ème trim. 1949.

VALEE, N. - *Mammifères d'Europe*, Paris, 1972.

VAUFREY, R. - *Préhistoire de l'Afrique*, Paris, 1955 (Publ. Inst. Hautes Et., Tunis, Vol. 4).

VERGERO, S. - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1942.

*Villes et sociétés au Maghreb*, Paris, 1974.

WILLIAMS, J. - MKADMI, A. - *Possibilités d'expansion dans l'ostreiculture dans la lagune de Oualidia*, Maroc,.

WILLCOS, H.C. - *Exploration of the Rio de Oro, Geogr. Review*, 1921.

ZAINABI, A.T. - *L'Homme et la montagne en milieu sub-aride : le pays de Taznakht, Anti - Atlas*, Th. 3ème cycle, Poitiers, 1989.

ZELTNER, F. de. - *Les Touareg du Sud, Journal of the Royal Anthropological Institute*, XLIV, 1914.

ZERYOUHI, I. - *Le Moyen Atlas plissé : ressources en eau du Maroc*, Rabat, 1977.

ZHAR, M. - *Approche climatique de la région de la Haute Moulouya, Revue Fac. Lettres Sc. Hum. Oujda*, n° 1.

ZHIRI, K. - *Définition d'une politique nouvelle de l'enseignement*, Rabat, 1969.

## Liste des principales abréviations des périodiques

**A.A.N :** *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
**Acad. Sc. Col. :** *Académie des Sciences Coloniales.*
**A.E.S.C :** *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
**A.F :** *Afrique Française.*
**A.F : R.C :** *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
**A.I.E.A :** *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
**A.I.E.O :** *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
**A.M :** *Archives Marocaines.*
**A.M.S :** *Archives Marocaines de Sociologie.*
**And. :** *Al-Andalus*
**Ann. Rech. Forest. Maroc :** *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
**Ant. Afr. :** *Antiquités Africaines.*
**B.A.M :** *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
**B.A.R :** *British Archeological Reports.*
**B.C.T.H :** *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
**B.E.P.M :** *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
**B.E.S.M :** *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
**B.I.F.A.N :** *Bulletin de L'Institut Français d'Afrique Noire.*
**B.M.S.A.P :** *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
**B.L.O.A.B :** *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
**B.L.S :** *Bulletin de Liaison Saharienne.*
**B.S.G :** *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
**B.S.G.A :** *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
**B.S.G.A.O :** *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
**B.S.H.M :** *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
**B.S.O.A.S :** *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
**B.S.P.M :** *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
**Bull. Archéol. :** *Bulletin Archéologique.*
**C.A.A :** *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
**C.A.T.A.N :** *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
**C.B.E.T :** *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
**C.C.E.J :** *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
**C.E.A :** *Cuadernos de Estudios Africanos.*
**C.H.I :** *Cuadernos de Historia del Islam.*
**C. Méd. :** *Cahiers de la Méditerranée.*
**C.R.A.I.B.L :** *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**C.R.A.S :** *Comptes Rendues des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
**C.T :** *Cahiers de Tunisie.*
**E.I.1 :** *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
**E.I.2 :** *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*

**E.T.A.M :** *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
**Et. Medit. :** *Etudes Méditerraniennes.*
**F.M :** *France - Maroc.*
**F.S.S.A.N :** *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
**G.E.M :** *Grande Encyclopédie du Maroc.*
**Hesp :** *Hespéris.*
**H-T :** *Hespéris-Tamuda.*
**H.T.E :** *Hommes, Terre et Eaux.*
**I.G :** *Information Géographique.*
**I.H.E.M :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**I.H.E.M : N-D :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. :** *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
**I.S.C :** *Institut Scientifique Chérifien.*
**Isl. Cult. :** *Islamic Culture.*
**I.S.P.M :** *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
**J.H.S.N :** *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
**M.A.I.B.L :** *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**Medit :** *Méditerranée.*
**N.A.M.S.L :** *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
**P.I.H.E.M :** *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**P.S.A.M :** *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
**P.S.H.M :** *Publications de la Section Historique du Maroc.*
**R.A :** *Revue Africaine.*
**R.A.P :** *Revue de l'Action Populaire.*
**R.C.C :** *Revue de la Chambre de Commerce.*
**R.D.M :** *Revue des Deux Mondes.*
**R.E.A :** *Revue des Etudes Anciennes.*
**R.E.I :** *Revue des Etudes Islamiques.*
**R.E.L :** *Revue des Etudes Latines.*
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. :** *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
**R.G.M :** *Revue de Géographie du Maroc.*
**R.H.E :** *Revue d'Histoire Economique.*
**R.H.M.C :** *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
**R.M.D.E.D :** *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
**R.M.E :** *Revue Maroc-Europe.*
**R.M.F :** *Revue Militaire Française.*
**R.M.M :** *Revue du Monde Musulman.*
**R.P.P :** *Revue Politique et Parlementaire.*
**S.G.L :** *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
**S.I :** *Studia Islamica.*
**S.I.H.M :** *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. :** *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*
**Trav. Inst. Sc. :** *Travaux de l'Institut Scientifique.*

**التُّفّاح** بالمغرب، لفظ التفاح يطلق على الفاكهة المعروفة عند الناس، أو الشجرة التي تنتجها والتي تسمى علميا بيروس مالوس (Pirus malus) وهي من فصيلة الورديات. وهي شجرة قصيرة القامة ذات تاج مستدير وأوراق معنقة وبيضوية الشكل، مسننة، قليلة الزغب على وجهها السفلي. الأزهار على شكل عذق أو خيمة بسيطة، أزهار ذات لون أبيض جذاب أو قرمزي. تحمل كل زهرة خمس بتلات.

كان التفاح يزرع منذ أكثر من 3000 سنة خارج المغرب، إذ عرف الرومان 22 صنفاً من التفاح. ولحد هذا العصر مازال التفاح يحتل الصدارة بين ثمار المناطق المعتدلة التي طور فيها التفاح حتى أصبح عدد طرزه يفوق 7000، وذلك يرجع إلى سهولة تهجينه.

يشمل التفاح ضربين رئيسيين :

- "الضرب الحراجي" شجرة مشوكة ذات أوراق عديمة الزغب على الوجهين، تنتج ثمارا حامضة الطعم. موطنه الأصلي هو أوروبا الشرقية.
- "الضرب الزغبي" شجرة أسيوية الأصل غير مشوكة وذات أوراق مكسوة على وجهها السفلي بزغب كثيف قطني، وثمار حلوة المذاق. يعود مصدر جميع أصناف التفاح البستانية في العالم إلى هذا الضرب الأسيوي.

إذا كان التفاح غير موجود كفاكهة أصلية من بين النباتات الطبيعية بالمغرب، ولا يعرف متى أدخل إلى هذا البلد، فإن ضروبه اليوم جد متنوعة ومنتشرة في المناطق الجبلية وخاصة الأطلس المتوسط وملوية العليا وأولماس والأطلس الكبير حيث تتأقلم زراعته مع المناخ المعتدل ووفرة المياه اللازمة لسقيه.

ولقد عرفت زراعة التفاح في المغرب في هذه المناطق تطوراً كبيراً في العقود الأخيرة من حيث الانتشار وتنوع طرزه. فإذا كان التفاح المحلي أو "البلدي" من قبل لا يظهر في السوق المغربي إلا في الصيف فإن التفاح المغربي يباع اليوم في كل الفصول نظراً لكونه يتميز بخصائص غير عادية في قابليته للحفظ وخاصة في البيوت الباردة، بالإضافة إلى انتشار طرزه الصيفية والخريفية والشتوية ذات الألوان المختلفة.

يزرع التفاح في المناطق المعتدلة حتى خط عرض 65 درجة ولا تنجح زراعته في المناطق الحارة. ومن أهم مناطق زراعة التفاح بالعالم نجد أوربا وأمريكا الشمالية واستراليا، ونيوزيلندا وجنوب افريقيا.

من الممكن الإكثار من شجرة التفاح بواسطة البذور لكنها تتكاثر عادة بالتطعيم.

يعتبر التفاح من الفواكه الغنية بالأملاح والمغذية والمفضلة عند أغلبية الناس، تؤكل الفاكهة نيئة أو مطبوخة أو تجفف أو تستعمل لصناعة المربى، أو تحول إلى عدة أصناف من الشراب مثل السيد.

تعطي شجرة التفاح خشبا يتميز بمتانته وصموده وتعريقه المنتظم، يستعمل عادة في صناعة المقابض والمطارق والمساطر وأعمال الخراطة.

*استطلاع ميداني* ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرين، القاهرة - نيويورك، 1962.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

**التفاحة السوداء**، امرأة من صالحات سبتة، قد تكون من أصل سوداني، جلبت للسخرة في بيوت السادة، كما يدل كل ذلك اسمها، وهو من الأسماء التي تطلق عادة على الخدم من النساء السوداوات (تفاحة، عنبر...)، اشتهرت بالعابدة. وقبرها مزار معروف بمقبرة المنارة، من سبتة، وذلك إلى حدود القرن التاسع (15 م) ( *اختصار الأخبار*، 20).

الانصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1403 / 1983.

زليخة بنرمضان

**تفاحي**، أو تفيفيحي وزقيقي كما هو في المعاجم جنس طير من الفصيلة الشرشورية (Fringillidae) ومن رتبة

الجواثم (العصافير) (Passeriformes) شبيه بالعصفور الدوري (جاوش)، حسن الصوت. يدعى علميا أكانتيس كنابينا (Acanthis cannabina) بالفرنسية Linotte melodieuse وبالأنجليزية Linnet وبالإيطالية Fanello وبالألمانية Bluthanfling. وتفاحي وحميري في المغرب لكثرة شبهه بلون التفاح الأحمر.

لا يتعدى طوله 13 سم ويزن 15 . 21 غرام. تبلغ بسطة جناحيه 24 سم وطول ذيله 5 . 6 سم. يعيش وسط الأدغال والحدائق والبساتين والمزارع والحقول. تمتد مدة الولادة من شهر أبريل إلى غاية شهر يوليوز. يغازل الذكر أنثاه فيمشي بجانبها مخفوض الجناحين وكأنه يجرها كما يبسط ريش ذيله ويفرقه. يبني عشه عادة بين أغصان الأشجار الكثيفة وأحيانا بين الأعشاب يتكون من قطع الأغصان الصغيرة ويفرشه بريش النباتات ومن قطع الصوف.

وغالبا ما يبني عشه في ظرف يومين، تضع فيه الأنثى من 4 إلى 6 ونادرا 7 بيضات زرقاء مصفرة مزركشة بنقط وردية وبنية وحمراء، يبلغ طولها 18،2 x11،2 ملم. تدوم مدة الحضانة 10 . 14 يوما. تبقى الصغار في عشها 11 . 14 يوما في المناطق الحارة و14 . 17 يوما في المناطق الباردة (المناطق الجبلية). يقوم الأبوان بحراستها وتغذيتها لمدة ثلاثة أسابيع بعد التفقيس.

وغالبا ما يتوالد مرتين متتاليتين في كل سنة وأحياناً ثلاث مرات. يتكون قوته من الحبوب وخاصة منها حبوب النباتات الشوكية كما أنه يلتقط الحشرات والديدان والعناكب. يعيش في أغلب الحالات مزدوجا أو وسط مجموعات لا تتعدى عشرة أزواج وتوزيعه الجغرافي مقتصر على أوربا وآسيا الغربية وافريقيا الشمالية. تضاف كل سنة إلى المجموعات المغربية المستقرة عدة مجموعات أوربية عبر مضيق جبل طارق لتشتو في افريقيا الشمالية ابتداء من شهر شتنبر وتعود ثانية إلى أوربا في فبراير لتتوالد.

والتفاحي موجود في كل أنحاء المغرب وخاصة في فصل الربيع ويعرف بصوته الجميل الذي يزيد الطبيعة بهاء وحسناً.


أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة 1932.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc : Janvier 1986 - 87 - 88*. Documents de l'Institut Scientifique, 11, Rabat, 1988 ; W. Reade & E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids, reproduction, œufs et jeunes*, Paris, 1968 ; C. Harrision, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977, 430 p ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle east*, London, 1984.


**تِفْلَق**، ـ بكسر التاء ـ نوع من الطيور القواطع يألف البحيرات والأنهار، ينتمي إلى فصيلة التفلقيات Rallidae وإلى رتبة التفالق Ralliformes وهو اسمه في مصر وفي الشام وفي المغرب. يطلق عليه في المغرب أيضا اسم "دجاج الماء" إلا أن هذا الاسم يشمل عدة أنواع أخرى من نفس الفصيلة يصعب على العامة التمييز بينها. يطلق عليه أيضا في مصر "عصفور كلب الماء". يسمى علميا رالوس اكواتيكوس Rallus aquaticus وبالفرنسية Rale d'eau وبالأنجليزية Water rail.

يتميز عن باقي أنواع فصيلته بمنقار طويل، رقيق وأحمر اللون، ريشه رمادي جهة الصدر والعنق والرأس، جوانب البطن مخططة بالأبيض والأسود. الجناحان والذيل بنية سوداء والعينان حمراوان، يتراوح طوله ما بين 27 و30 سم وبسطة جناحيه بين 37 و42 سم. طول جناحه 12 سم وطول ذيله 6 سم. الإناث أقل حجما من الذكر وتشبههم في ألوان الريش. يتراوح وزنه ما بين 100 و130 غرام.

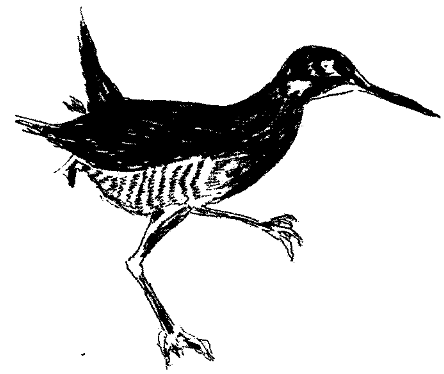

تفلق

يعد من الطيور المائية وهو شديد الحذر لا يظهر إلا نادرا ويعرف بصوته المتواصل. يفضل الجري عن الطيران أثناء الازعاج ويقضي النهار مختفيا بين الحشائش وقصب الماء. يعيش على ضفاف الأنهار والمناقع والبحيرات القارية والساحلية الكثيفة النباتات. لا يحسن الطيران وسريع المشي بين النباتات الكثيفة وفوق الأماكن الغنية بالوحل. يحسن السباحة والغوص ويكثر نشاطه أثناء طلوع النهار وغروبه. يتكون قوته من الحشرات والديدان والحلزونات البرية وصغار الضفادع والحبوب.

تمتد مدة التوالد من شهر مارس إلى شهر يوليوز. يبني الزوجان عشا ضخما بين القصب والحشائش المحاطة بالمستنقعات والبحيرات. كثيراً ما تلد الأنثى مرتين كل سنة وتضع في كل مرة من 6 إلى 11 ونادرا 16 بيضة، لونها أبيض مصفر منقط بالبني المحمر. طول قطريها 36 x 26 ملم. تتم الحضانة من طرف الزوجين أحيانا ومن طرف الأنثى في الغالب وتدوم 18 . 21 يوما ابتداءً من نهاية الولادة. تبقى الصغار في العش بضعة أيام بعد التفقيس ثم تغادره وترافق الأبوين. زغبها أسود والأرجل بيضاء محمرة. تتعلم الطيران بعد سبعة أسابيع تصير بعدها مستقلة.

يقضي أيام الربيع والصيف في أوربا الوسطى وآسيا الوسطى ويشتو في جنوب هذين القارتين. يهاجر ليلا ابتداءً من شهر شتنبر ويقضي فصل الشتاء في عدة بحيرات ومصبات الأنهار المغربية كبحيرة مولاي بوسلهام وسيدي بوغابة ومصب نهر ملوية. عدة أزواج من هذا النوع

تعيش مستقرة في كل من الضويات وبحيرة بوعرك قرب الناظور ومصب وادي ملوية وضاية أفرگاغ بالأطلس المتوسط وتتوالد هناك.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc :1980*. Documents de l'Institut Scientifique, 6, Rabat, 1988 ; W. Reade & E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids, Reproduction, œufs et jeunes*, Ed. Nathan, Paris, 1968, p. 191 - 192 ; C. Harrision, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris 1977, 430 p ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle east*, London, 1984, p. 124 - 125.

محمد رمضاني

**تـفَـنْس**، جماعة تنتمي إلى فرقة إزمورن من قبيلة بقيوة (بقوية)، تستقر تجمعاتها على الجانب الأيمن من مجرى واد بوسكور، محتلة الفراغ الواقع بين جبل الناظور (521 م) وجبل أغزار أوشّون (552 م)، من الهضاب الشرقية لجبال بقيوة.

كانت هذه الجماعة في أواخر القرن الماضي عش المقاومة البحرية أو ما يسميه الأوربيون القرصنة الريفية، حيث كان الأهالي يلتجئون إلى شاطئ موسى إيجدّين وبوسكور لترصد المراكب الأوربية المارة من تلك السواحل، كرد فعل طبيعي لما يتعرض له بعض أعيان تفنس المخالطين للاسبان من تقتيل ونهب لأموالهم، وخير وسيلة التجأ إليها البقيويون هو اعتراضهم لمختلف المراكب الأوربية وحجز طاقمها كرهائن للحصول على التعويضات التي يشترطونها كما تشهد على ذلك إحدى الوسائل المخزنية التي جاء فيها: "لا يخفى أن منشأ فساد هؤلاء هو ترويج باركيات (مراكب) الصبنيول التي تتصارف معهم ويتعاملون مع رؤسائها في الكنطربانض (التهريب) ويغيبون عن أهل الريف بالبعض من أعيانهم وبالدراهم التي يتصارفون بها معهم. فيترتب على ذلك ترصد أهل الريف لأخذ الثأر منهم" (رسالة أحمد بن موسى إلى النائب الطريس، 17 ربيع الأول 1315 / 6 غشت 1897).

تتكون أهم تجمعات هذه الجماعة من أيت أفراس إبنعْلشّنْ وأيت بوبكر وأيت ادشار وأيت شعيب وأيت يخلفَ. ومن أهم الشخصيات التي لعبت دوراً أساسيا في جماعة تفنس خلال بداية القرن الحالي دادي بن مسعود الذي يعتبر من أغنياء هذه الجماعة ووصفه أحد المغامرين الإسبان الذي قام برحلة استكشافية سنة 1905 م إلى قبيلة بقيوة أنه كان يمتلك منزلا فخما يشبه منازل المدينة ويلبس كأهل تطوان، كما كان يمتلك منزلاً آنذاك في مدينة تطوان وكان مسموع الكلمة داخل القبيلة البقيوية بالإضافة إلى صداقته الحميمة مع حكام جزيرة بادس، وشغل أيضا منصب القايد في أيام الثائر بوحمارة. ولا نعرف بالضبط متى توفي هذا الشخص.

*وثائق الخزانة العامة بتطوان*.

E. Arques, *Tres Sultanes a la Porfia de un Reino*, Tetuan, 1953 ; A. Ghirelli, *Monografia de la Kabila de Bokoia, Archivos del Instituto de Estudios Africanos*, Año VIII, n° 32, 1955.

عبد الرحمان الطيبي

**التّفْنُوتي**، أبو القاسم بن عمرو السوسي المعروف بالشيخ . ولد في أواخر القرن التاسع (15 م)، بقرية إغرم بتادارْتْ بالأطلس الصغير، ولاشك أنه تعلم أولاً في مدارس جزولة ثم رحل إلى فاس لإتمام تحصيله بجامع القرويين، فأخذ عن ثلة من جهابذة علمائه أمثال محمد ابن غازي وأحمد الونشريسي. وقد أثار بنجابته انتباه أساتذته وأقرانه من أهل فاس الذين لم يجدوا غضاضة في الأخذ عنه ( *الحركة الفكرية*، 2 : 542) وبالرغم من كون أبي القاسم الشيخ كان منشغلاً بالتحصيل بفاس فإن ذلك لم يمنعه من تعلم بعض الحرف والصنائع بها فبرع فيها براعته في علوم اللغة العربية والفقهيات والمواريث والحساب.

توجه أبو القاسم التفنوتي بعد تخرجه إلى وادي درعة فشارط بمسجد زاوية سيدي الناس بواحة فزواطة وكانت هذه الواحة آنذاك تزخر بالزوايا العلمية من أمثال زاوية تاگمادارت موطن الشرفاء الزيدانيين (السعديين) وزاوية سيدي علي، ولو لم يكن التفنوتي كفئاً لأنداده من علماء هذه الزوايا ما قبله الساهرون على زاوية سيدي الناس من الأنصاريين. وهكذا أقبل عليه الطلبة من مختلف واحات درعة وتافيلالت والسوس والصحراء، وطبقت شهرته الآفاق حتى بات لاينعت بين علماء درعة إلا بأبي القاسم الشيخ لوفرة المتخرجين على يده. وحتى لاينسى التفنوتي مدينة فاس وفضل علمائها عليه جمع مالا من شرطه بزاوية سيدي الناس، وأرسله إلي شيخه عبد الواحد الونشريسي ليشتري به عقاراً أو مثله يخصص ريعه لكرسي تدريس *حرز الأماني* ( *الدرر*، 112) وقد اشتهر التفنوتي بالزهد والورع والتجرد والإقبال على ربه متجنباً الشبهات، يخدم نفسه بنفسه ولايدع أحداً بخدمه في شيء، وكان يتعيش بما يصنعه بيده ويبيعه بنفسه في السوق ( *الدرر*، 112).

توفي أبو القاسم الشيخ في شهر رمضان سنة 953 ودفن بمقبرة خارج زاوية سيدي الناس، وعلى قبره بناء متواضع يقصده الزوار لقضاء الحاجات.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ محمد بن لحبيب، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 1979 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، فضالة 1978 ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة*، *دعوة الحق*، ع 2 س 18 ـ 1973.

أحمد البوزيدي

**تَـفُـوَدارْتْ** أو تافودارت، منطقة صحراوية. إذا كنا نجهل معنى التسمية، فإن التحليل الوصفي والكمي للصفات التفصيلية لنمط توزيع الأفراك يميز هذا الموقع بالذات. فعلى الضفة اليسرى لوادي الساقية الحمراء شرق مدينة العيون الحالية تأخذ منطقة تافودارت شكلاً طولياً في امتدادها العام حيث تقع في قلب منطقة رعوية غنية. وبذلك فهذا الموقع الذي يقع وسط مجموعة من النقط الرعوية الموزعة على جنبات الوادي الخصب تكمن أهميته في قدرته المستمرة على استقبال أفراگ صغار المنتجعين

بعد تساقط أمطار الخريف الفصلية. إذا لم تكن هذه الخاصية الطبيعية في حاجة لأي تفسير، فذلك لأن تافودارت تعد بحق مركز إنتاج رعوي متميز عن باقي مراكز الانتجاع الموزعة على ضفتي وادي الساقية الحمراء، ندرك من هنا لماذا استعمل أهل الشيخ ماء العينين تافودارت كقاعدة لأفراك مسانديهم من تكنة وباقي قبائل الصحراء. لقد لعبت تافودارت دوراً أساسياً خلال بداية هذا القرن في ترصيص العلاقات القبلية بين لفي اتحادية تكنة خاصة وقبائل الصحراء المجاورة الأخرى المساندة لجهاد أهل الشيخ ماء العينين. هذا الموقع الذي استعمل كقاعدة لمؤيدي أهل الشيخ عرف أحداثاً سياسية جعله يطور التواصل السياسي والنسبي والاجتماعي لكثير من الأهالي. وليس في الذاكرة الشعبية ما هو أكثر حضوراً من صيغ الارتباط العاطفي بزمن تافودارت ولا حتى في النفسية الفردية للمتكلمين.

ينتج عن ذلك أن ينقلب موقع تافودارت إلى موسم سنوي يكشف عن صورة التوزيع المكاني للموقع واقترابه من مسالك القوافل المحلية ووفرة المياه النسبية، وكذا جاذبية الموقع وتاثيره في حركية القوافل وتمتين روابط التحالف والتآلف بين عشائر الصحراء والتفافهم حول مربّيه ربّه ابن الشيخ ماء العينين خاصة. ويشكل قبر مربّيه ربه بتافودارت تعبيراً عن نواة صحراوية اجتازت بنجاح اختيار محاربة المد الفرنسي الاسباني. طبيعي إذن أن تجسد اليوم تافودارت رمزاً خضع لتجربة الذات في رفض كل المحاولات الاستعمارية.

*دراسة ميدانية* ؛ انظر *جوامع المهمات في أمور الرگيبات*.

J. Caro Baroja, *Estudios Saharianos*, Madrid, 1955.

مصطفي ناعمي

**التّـفـيتـف**، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل الريف، وقد انقرضت بتطوان في أوائل هذا القرن، وفعل تَفْتَف باللهجة الدارجة معناها لمس أو اختبر.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 52.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuaníes de abolengo* ; *Vademecum de Intervenciones*.

محمد ابن عزوز حكيم

**التقاعد**، نظام إداري يعني إحالة الموظف على المعاش أي إخراجه من وظيفته لقاء راتب شهري. وظهرت فكرة التقاعد في أوربا على إثر الازدهار الصناعي خلال العصر الحديث وتطورت فأصبحت نظاماً إجبارياً يساهم فيه الأجير نفسه والمؤسسة أو الإدارة التي تشغّله سواء أكان عاملاً في القطاع الخاص أو شبه العمومي أو موظفاً في القطاع العمومي، في حين لازال اختيارياً - لحد الآن - بالنسبة للحرفيين.

كان نظام التقاعد في المغرب أثناء عهد الحماية الفرنسية متطابقاً مع قانون التقاعد الفرنسي لأنه وضع في الأصل لفائدة الفرنسيين العاملين بالمغرب سواء بصفتهم موظفين أو أجراء، فكان المغاربة الموظفون يستفيدون من هذا النظام بالتبعية. وبعد الاستقلال بقيت النصوص التي كانت في عهد الحماية سارية المفعول إلى أن صدرت أنظمة مغربية للمعاشات، كنظام الضمان الاجتماعي، ونظام معاشات المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ونظام المعاشات المدنية، ونظام المعاشات العسكرية.

التقاعد أو المعاش المدني الحالي هو عبارة عن راتب يتقاضاه الموظف أو المستخدم الرسمي إثر انتهاء خدمته بصورة نظامية أو إصابته بعجز، ويؤول إلى المستحقين عنه وإلى أبويه بعد وفاته وذلك مقابل المبالغ التي تقتطع من أجرته ومساهمات الدولة أو الجماعات المحلية والمؤسسة التابعة لها. ويتولى الصندوق المغربي للتقاعد تسيير نظام المعاشات المدنية على جميع المستويات وخاصة منها الاقتطاعات والمساهمات وأداء المعاشات.

والمعاشات المدنية أربعة أنواع : معاش التقاعد، والزمانة، والمستحقين، والأبوين.

1) معاش التقاعد : يحال مباشرة على التقاعد الموظفون والمستخدمون البالغون من العمر ستين سنة دون اعتبار سنوات الخدمة علماً بأن السن يحتسب اعتماداً على أول عقد ولادة أدرج في ملف التوظيف. أما أساتذة التعليم العالي والقضاة فان الفصل الأول من حدّ السن في-نظام المعاشات المدنية ينص على ما يلي : "يعين في 60 سنة حد سن الموظفين والأعوان والمنخرطين في نظام رواتب التقاعد المدنية غير أن حد سن القضاة وأساتذة التعليم العالي يعين في 65 سنة". وتجدر الملاحظة إلى أن النظام الأساسي الخاص بالقضاة حدد للإحالة على التقاعد بالنسبة للقضاة في ستين سنة مع إمكانية الاحتفاظ بهم لمدة سنتين تجدد مرتين على الأكثر.

أما اكتساب الحق في المعاش قبل بلوغ السن القانونية (التقاعد النسبي) فيتم في تسع حالات :

- بعد قضاء إحدى وعشرين سنة من العمل الفعلي على الأقل شريطة موافقة الوزير المعني. وعند رفضه يمكن اللجوء إلى الوزير الأول وكل ذلك في حدود 15٪ من عدد المناصب المالية المخصصة لكل سلك (يمكن رفع هذه النسبة). وبعد قضاء ثلاثين سنة من العمل الفعلي على الأقل وتلبّى الطلبات دون قيد أو شرط. وعلى إثر الحذف من الاسلاك بسبب إصابة بعجز ناتج عن جرح أو مرض ناشئ عن مزاولة العمل أو غير ناشئ عنها. (الفصل 4 من نظام المعاشات المدنية - تغيير 1989). أو عند القيام بعمل في سبيل مصلحة عامة أو لإنقاذ روح بشرية وكل ذلك كيفما كانت مدة الخدمات المنجزة. وعلى إثر وفاة الموظف أو المستخدم كيفما كانت الخدمات المنجزة علماً أن المعاش يرجع إلى مستحقيه (الأرملة والأيتام).

هذا وإن معاش الموظفين والمستخدمين والعسكريين الذين استشهدوا على إثر عمليات المحافظة على الأمن في الأقاليم الصحراوية المسترجعة يصفّى على أساس أربعين

سنة من العمل وذلك كيفما كانت المدة الفعلية التي قضوها في الخدمة.

وإذا تغيب الموظف أو المتقاعد لمدة تفوق سنة كاملة دون أن يطالب بالمبالغ المتأخرة من راتبه أو من معاشه يعطى المعاش للمستحقين بصفة مؤقتة (الفصل 40 من نظام المعاشات المدنية والفصول 221. 222. 223 من مدونة الأحوال الشخصية والخاصة بالشخص المفقود أو الذي انقطع خبره (ظهير رقم 112. 58. 1 بتاريخ 3. 4. 1958 الجريدة الرسمية عدد 2371 بتاريخ 4. 4. 1958).

- بسبب عدم الكفاءة المهنية بعد استحالة إدماج المعني بالأمر في أسلاك إدارة أو مصلحة أخرى شريطة أن يكون له الحق في التقاعد (21 سنة من العمل) وإلاّ فإنه يعفى. (الفصل 81 من النظام الأساسي العام للوظيفة العمومية).

- بسبب العجز الصحي وذلك بعد استنفاذ رخص المرض القانونية حيث يحال الموظف على التقاعد النسبي اضطراراً أو بطلب من الموظف (الفصلان 43 و45 من النظام الأساسي العام للوظيفة العمومية).

- على أثر عقوبة تأديبية : العزل من غير توقيف الحق في التقاعد أو الإحالة الحتمية على التقاعد.

- بسبب إعفاء الموظف من مهامه شريطة توفره على إحدى وعشرين سنة من العمل على الأقل. ولاتحتسب من أجل التقاعد الخدمات التالية : - الخدمات المنجزة قبل 18 سنة من العمر والخدمات المنجزة بعد السن القانوني للإحالة على التقاعد وكذلك الخدمات المنجزة بعد قضاء أربعين سنة من العمل الفعلي المحتسب من أجل التقاعد والخدمات المؤدى عنها في معاش تقاعد مدني أو عسكري آخر ومدة التوقيف المؤقت (الاستيداع) ومدة الايقاف عن العمل : ومدة الاقصاء المؤقت والتغيبات بدون راتب.

أما مدة الخدمة المدنية والعسكرية فتحتسب.

2) معاش الزمانة : مبالغ مالية يستفيد منها الموظف أو المستخدم بسبب عجز دائم ناتج عن جرح أو مرض أصيب به أو تفاقم أثناء مزاولة الخدمة أو بسببها، أو عند قيامه وكان العجز المصاب به لا يقل عن 25٪.

ومعاش الزمانة نوعان : زمانة ناتجة عن مزاولة المهام كعجز مؤقت لمدة معينة أو عجز دائم مع قدرة الاستمرار في العمل أو عجز دائم مع الاحالة على التقاعد كيفما كانت مدة الخدمات. ولايستفيد الموظف من معاش زمانة غير ناتجة عن مزاولة المهام إلا إذا كانت لأجل مصلحة عامة أو لإنقاذ روح بشرية. إلا أنه يمكن أن يحال على التقاعد النسبي كيفما كانت مدة العمل (الفصل 27 من نظام المعاشات المدنية).

3) معاش المستحقين : مبالغ مالية يستفيد منها أرامل ويتامى الموظفين والمستخدمين عند وفاة ذوي المعاش، سواء كان معاش التقاعد أو معاش الزمانة. ويتضمن معاش الأرامل ومعاش الأيتام. ينص الفصل 31 من نظام المعاشات المدنية على ما يلي : "يسوغ لأرملة أو أرامل الموظف أو العون ولأيتامه أن يطالبوا عند وفاته براتب لذوي الحقوق طبق الشروط المنصوص عليها بعده" والأرملة الموظفة تستفيد من معاش زوجها مادامت لم تطلق ولم تتزوج من جديد. والأيتام يستفيدون وحدهم من التعويضات العائلية ويقسم المعاش بينهم بالتساوي وفي حالة موت أحد الأيتام أو سقوط حقه لسبب من الأسباب يوزع نصيبه بالتساوي على باقي أشقائه، ويتوقف اكتساب الحق في راتب الايتام على شرطين أساسيين : أن يكون الولد شرعياً وألا يكون متزوجاً أو بالغاً من العمر أكثر من ست عشرة سنة غير أن هذا السن يرفع إلى واحد وعشرين سنة فيما يرجع للأولاد الذين يتابعون دراستهم (الفصل 34) من نظام المعاشات المدنية.

4) معاش الأبوين : مبالغ مالية يستحقها والدا صاحب المعاش الأصلي الذي كان يعولهما في تاريخ وفاته، وذلك في حالة وفاة الموظف. ويشترط فيه أن يكون الموظف يعول والديه. وتفقد الأم حقها في هذا المعاش إذا تزوجت بعد ترملها أو طلاقها ولا يستفيد الأبوان إذا توفي الموظف بسبب مرض عادي أو إثر حادثة سير لا علاقة لها بالعمل، ويمكن أن يعطى هذا المعاش لكل من الأب والأم على حدة، على ألا يقل مبلغ كل واحد عن المرتب الأساسي المطابق للرقم الاستدلالي 100.

- رصيد الوفاة : إذا توفي الموظف قبل إحالته على التقاعد تستفيد عائلته من مبلغ مالي يسمى "رصيد الوفاة" يدفع لها مرة واحدة من لدن وزارة المالية بعد تكوين ملف خاص لذلك.

- إجراءات عامة : تاريخ الانتفاع من المعاشات :

معاش التقاعد ابتداء من تاريخ الحذف من أسلاك الوظيفة العمومية.

معاش الزمانة ابتداء من فاتح الشهر الذي يلي تاريخ إجتماع اللجنة الطبية.

معاش الأرملة إبتداء من تاريخ وفاة الزوج.

معاش الايتام ابتداء من تاريخ وفاة أبيهم أو أمهم.

معاش الأبوين ابتداء من فاتح الشهر الذي يلي تاريخ وفاة الموظف.

معاش الزوج ابتداء من فاتح الشهر الذي يلي تاريخ اكتمال الزوج ستين سنة من العمر ومن فاتح الشهر الذي يلي تاريخ ثبوت إصابته بعاهة أو بمرض عضال. وتؤدي مختلف المعاشات شهرياً ولا يمكن تحويلها إلى الغير.

- الزيادة في المعاش : ينص الفصل 44. 2 من نظام المعاشات المدنية على ما يلي : "تضاف إلى معاشات التقاعد ومعاشات المستحقين عن أصحابها بمقتضى هذا القانون كل زيادة تطرأ على المرتب الأساسي المخصص للدرجة والسلم والمرتبة أو الطبقة التي كان ينتمي إليها فعلاً الموظف أو المستخدم عند حذفه من سلك الموظفين أو المستخدمين التابع له. وتضاف إلى معاشات الزمانة المستحقة بمقتضى هذا القانون كل زيادة تطرأ على المرتب

الأساسي المخصص للرقم الاستدلالي 100".

يوقف الحق في معاش التقاعد أو الزمانة في حالة العزل مع توقيف الحق في معاش التقاعد طيلة مدة هذه العقوبة (الفصل 16 من القانون الجنائي المغربي) وفي حالة الحكم بعقوبة جنائية حسب مدلول الفصل 16 من القانون الجنائي المغربي طيلة مدة هذه العقوبة، وفي حالة التجريد من الجنسية المغربية طيلة التجريد من هذه الصفة.

*المراجع المشار إليها داخل النص* : إدريس قاسمي، *التقاعد*، سلسلة التكوين الإداري رقم 3 ؛ *التشريع الإداري والتسيير التربوي* ؛ *المنجد الاعدادي*.

محمد رمضاني

**التقدم**، جريدة أسبوعية للآداب والثقافة والسياسة، كانت تصدر بمدينة سلا بإدارة أحمد بن حساين النجار، مرتين في الشهر موقتاً. صدر أول عدد في بداية صيف عام 1938 وصدر العدد الرابع منها يوم الجمعة 13 رجب عام 1357 / 9 شنتبر 1938، في حجم صغير، نصف حجم الجرائد العادية.

لم يكن لهذه الجريدة كتّاب قارون سوى مديرها أحمد بنحساين النجار الذي كان يكتب المقال الافتتاحي، ويحرر المواد الأخرى، ما عدا بعض الاعداد الممتازة - وهي قليلة - كان يشارك فيها كتاب من العدوتين وفاس وغيرها. واستمر صدور التقدم ست عشرة سنة بشئ من التقطع.

وقد صارت التقدم في سنواتها الأخيرة تصدر في حجم الجرائد العادية ومن ذلك عدد خاص في ست صفحات عن الرحلة الملكية لفرنسا وانجلترا، بتاريخ 19 . 5 . 1952 وعدد آخر محلّى بالصور خاص بعيد العرش الفضي، مؤرخ في 18 . 11 . 1952. ومعلوم أن المغرب كان يعيش آنذاك أزمة سياسية خانقة أبدى صاحب التقدم فيها مَيْلاً للمستعمر فجرَّ ذلك عليه محنة قاسية. وربما كان آخر عدد صدر من جريدة التقدم هو العدد 498 بتاريخ 17 صفر عام 1374 / 16 أكتوبر 1954.

مجموعة جريدة *التقدم* في خ. ع.

محمد حجي

**التقدّم والاشتراكيّة** (حزب ـ)، ظهر سنة 1974 في خضم الحركة العارمة التي عمت البلاد في ذلك الحين والتي استهدفت تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب من قبضة الاستعمار الإسباني. وكما هو معلوم، فإن هذا الحزب هو وليد وامتداد لحزبين : الحزب الشيوعي المغربي وحزب التحرر والاشتراكية.

تأسس الحزب الشيوعي المغربي قبل ما يزيد عن خمسين سنة انطلاقاً من اندماج جماعات مكونة من ديمقراطيين وشيوعيين واشتراكيين وراديكاليين فرنسيين وأوروبيين آخرين، إذ أن وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا، سنة 1936 أفرزت من هذه الجماعات النواة الأولى للحركة الشيوعية في المغرب التي كان ينحصر أعضاؤها في الفرنسيين أساساً ومعهم بعض الإسبان والإيطاليين والبرتغاليين دون أي عنصر مغربي. وبعد أن كان نشاطها يرمي فقط، إلى مساندة "الجبهة الشعبية" الفرنسية، التحمت مع احتلال ألمانيا لفرنسا، من أجل المساهمة، انطلاقاً من التراب المغربي، في المقاومة المنظمة ضد هذا الاحتلال.

وفي خضم هذه المقاومة، انعقدت بالدار البيضاء أول ندوة وطنية نفضل تلقيبها "بالكونفيرانس ناسيونال"، من أجل التمييز، يوم 14 نونبر 1943، ذلك التاريخ الذي اعتبر، فيما بعد، منطلقاً لتأسيس الحزب الشيوعي المغربي بكيفية رسمية. وفي الوقت الذي كانت المقررات التي تمخضت عنها أشغال "الكونفيرانس" تنادي بتعزيز المجهود الحربي للحلفاء ضد "المحور" النازي الفاشيستي، اكتفت، بالنسبة إلى المغرب، بطرح بعض المطالب الإصلاحية الديمقراطية بدون التطرق إلى صميم القضية الوطنية المغربية، مع أن جريدة شيوعية سرية هي لاناسيون *La Nation* كانت تصدر بالدار البيضاء، تبنّت في عددها لشهر ماي 1942 ولأول مرة منذ فرض الحماية على المغرب، شعار استقلال البلاد - في حين كان "الحزب الوطني" و"الحركة القومية" يكتفيان "بالإصلاحات المستعجلة". ولكن، لما طرحت الجماعة الوطنية التي أسست، بالمناسبة، حزب الاستقلال، هذا المطلب في وثيقة 11 يناير 1944، لم ينضم الحزب الشيوعي المغربي المعلن تأسيسه الرسمي، كما سبق أن ذكرنا، في شهر نونبر 1943، إلى هذه الحركة بل عارضها بدعوى ضرورة عدم الإخلال بالجبهة المحاربة للنازية والفاشية. في الواقع، إن الحزب الشيوعي الفرنسي، وهو الذي كان يسير حينئذ ما كان يسمى في ذلك الوقت بالحزب الشيوعي المغربي لم يكن قد نضج لتبني شعار استقلال مستعمرات فرنسا.

ومع ذلك، وعلى الرغم من جذوره الأجنبية التي فرضتها الظروف التاريخية، كان من شأن الحزب الشيوعي المغربي، بحكم طابعه الإيديولوجي، ونتيجة لتكيفه التدريجي مع الواقع المغربي، أن يقوم، في مجتمع طبقي، برسالة ليس من شأن أي حزب آخر أن يقوم بها. وتتجسد هذه الرسالة في تمكين الشغيلة المغربية من حزبها الطبقي ليتكفل بالتعبير عن مطالبها الطبقية الخاصة، بالارتباط مع مطالب ومطامح الشعب كافة والأمة جمعاء، ويعتني في نهاية المطاف وعلى هذا الأساس، بتنظيم صفوفها نقابياً وسياسياً، ويرشد نضالها المستقل ويكون فصيلة طلائعية من الحركة الوطنية المتعددة الفئات الاجتماعية والمتنوعة الانتماءات الايديولوجية والسياسية.

ومن أجل الوصول إلى مثل هذا المستوى، مستوى الحزب العمالي الوطني المغربي، كان لزاما على الحزب الشيوعي المغربي أن يمر عبر مراحل عديدة اتسمت بصراعات داخلية كانت أحيانا جد حادة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كان على هذا الحزب منذ نشأته الأولى أن

يجابه ويناضل ضد الاضطهاد المتنوع الأشكال والمتعدد المصادر : اضطهاد الإدارة الفرنسية وبطش الإقطاعية خصوصاً في الأرياف والبوادي، ومعاداة الشيوعية الآتي من أوساط وطنية برجوازية كانت ترى فيه الخصم الطبقي والعدو الإيديولوجي والسياسي الذي تجب محاربته والقضاء عليه.

لقد تُوِّجت نهاية المرحلة الأولى، التي كانت فيها القيادة وسلطة القرار بأيدي الفرنسيين بانعقاد أول مؤتمر وطني للحزب في شهر أبريل 1946، فحدث، بهذه المناسبة، تحول تاريخي تجلى في انتخاب الوطنيين المغاربة الذين تحدثنا عنهم قبل قليل، ضمن القيادة الجديدة. لكن ورغم ذلك لم تكن المقررات السياسية التي تمخضت عنها أشغال المؤتمر في اتجاه وطني مغربي صحيح وشامل. بقيت في الجوهر، لم تتجاوز مستوى مطالب إصلاحية جزئية، وذلك لسبب بسيط هو أنها كانت من صياغة القيادة التي هيأت وسيرت أشغال المؤتمر أي القيادة الفرنسية.

ولكن، وبصعود وطنيين مغاربة إلى مراكز القيادة وبالتالي إلى مراكز القرار خلقت شروط ملائمة لتغيير الاتجاه رأساً على عقب، ليصبح اتجاهاً يتلاءم مع مقتضيات البلاد الوطنية ومستلزماتها. كان محور ذلك يتجسد في وضع قضية الاستقلال كشعار مركزي للبرنامج، فتوفرت بفضل هذا التحول شروط اندماج الحزب في الحركة الوطنية وجعله فصيلة متميزة من فصائلها.

وهكذا، لم تمر أكثر من أربعة أشهر على انعقاد المؤتمر الذي شكل دفعة حاسمة في اتجاه المغربة، حتى حدث ما يمكن وصفه بانقلاب على المقررات الإصلاحية ـ ولقد أشرفت على هذا الانقلاب وأنجزته اللجنة المركزية المنتخبة من لدن المؤتمر ذاته، فقررت، إثر اجتماعها المنعقد يوم 4 غشت 1946، إصدار بيان يلغي الاتجاه الذي حدده المؤتمر. جاء في هذا البيان، على وجه الخصوص : "إن الشعب المغربي لم يعترف قط، ولايمكن أن يعترف، بالعقود والمعاهدات التي أبرمت بدون استشارته، عقود فرضت عليه تجزيئ ترابه وقررت تبعيته السياسية والاقتصادية للاستعمار الأجنبي..." والجدير بالذكر أن اللجنة المركزية أقدمت على هذا التحول الجذري في الاتجاه المقرر من طرف المؤتمر في حين أن قانون الحزب الأساسي لم يمنحها هذه الصلاحية.

وتجب الإشارة إلى أن اللجنة المركزية، بعد تبنيها لهذا الموقف الوطني الجديد، بلغته إلى جلالة الملك محمد الخامس بواسطة وفد عنها أثناء مقابلة مع عاهل البلاد تمت في القصر الملكي يوم 20 غشت لنفس السنة أي 1946.

وبطبيعة الحال، إن هذا المنعطف التاريخي لم يجعل حداً للصراع الداخلي الذي، على عكس ذلك، لم يزدد إلا حدة بين المتعلقين بالخط الإصلاحي القديم والمتشددين له وبين أنصار الاتجاه الوطني الجديد والمناصرين له بعزيمة وطنية ثورية وحماس قوي. وإذا كان أنصار المفهوم القديم للحزب ولسياسته الإصلاحية المطبوعة بطابع استعماري كلهم من الأعضاء الأوروبيين، فالمدافعون عن الاتجاه الوطني كانوا، بالطبع، مناضلين ثوريين مغاربة. ولكن مع ذلك، لم يكن الفصل يمر بالضرورة، بين أوروبيين من جهة، ومغاربة من جهة أخرى، ذلك أن عدداً كبيراً من الشيوعيين الفرنسيين القدماء، ولا سيما منهم النقابيين المنتمين إلى "الاتحاد العام للنقابات الكنفدرالية بالمغرب" والمرتبطين بالتالي بالعمال المغاربة كانوا من الأنصار المتحمسين لشعار الاستقلال.

وكان من نتائج الصراع بين المتشبثين بالاتجاه القديم وبين أنصار الخط الوطني الجديد أن غادر الأولون الحزب أفواجاً أفواجاً بعد فشل محاولاتهم في إحباط التغيير الذي حصل والذي جعل من الحزب حزباً "غريباً" عنهم مثل ما كان حزبهم القديم "غريباً" عن الشعب المغربي وعن شغيلته.

ولقد استمر هذا الصراع داخل الحزب إلى حدود حوادث دجنبر 1952 الدموية العنيفة التي انطلقت من الدار البيضاء، إثر اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد.

وبهذه المناسبة، شن المستعمر حملة قمعية في منتهى الهمجية استهدفت، في البداية، الشغيلة وحركاتها النقابية، قبل أن تعم كافة الوطنيين وفئات واسعة من المواطنين في الدار البيضاء، ثم في باقي المدن والأقاليم المغربية.

في نطاق هذه الحملة الاضطهادية، اعتقل أعضاء المكتب الكنفدرالي للاتحاد العام للنقابات، الذي كان يتكون نصفه من أعضاء حزب الاستقلال والنصف الآخر من مناضلي الحزب الشيوعي المغربي.

وفي نطاق نفس الموجة القمعية، وقع اعتقال أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال وأعضاء نقابيين ينتمون إلى الحزب الشيوعي المغربي وأطر وسطى وصغرى من حزب الاستقلال. وفي نفس الاتجاه أعلن حظر حزب الاستقلال والحزب الشيوعي المغربي بقرار مقيمي واحد.

ولكن القيادة الوطنية للحزب الشيوعي المغربي كانت قد نجت من الاعتقال لأن جل أعضائها كانوا قد التجأوا إلى السرية منذ حوادث سنة 1951. لأن ملامح هذه الفترة التي شرع فيها المقيم العام "جوان" في تنفيذ مؤامرته ضد محمد الخامس والحركة الوطنية، كانت تشير إلى أن المغرب قد دخل مرحلة تصعيد المجابهات العنيفة بين الإدارة الفرنسية والحركة الوطنية. وجاءت أحداث دجنبر 1952 وما واكبها من إجراءات لتؤكد هذا التنبّؤ.

غير أن الكاتب الأول للحزب الشيوعي المغربي، علي يعتة، كان يعيش في المنفى خارج أرض الوطن بقرار المقيم العام الفرنسي الجنرال "جوان"، بعد أن وقع اعتقاله في القطار الرابط بين المغرب والجزائر، وقضى سنة بسجن الدار البيضاء والرباط، نقل على إثر ذلك، وهو مقيد بالسلاسل، على متن باخرة إلى فرنسا حيث أودع السجن بباريس لمدة سنة أخرى تقريباً.

وبنفس المناسبة، وبمجرد أن انطلقت حوادث دجنبر 1952 وقع حجز جل أعضاء الحزب الشيوعي المغربي الأوروبيين لترحيلهم قسراً بالطائرة إلى فرنسا. وقد اتخذ هذا الإجراء القمعي في حق هؤلاء المناضلين، وأغلبيتهم نقابيون، عقاباً لهم على تضامنهم مع الشغيلة المغربية والشعب المغربي في نضالهما التحرري.

إثر هذه العملية القمعية التي استهدفت مناضلين شيوعيين فرنسيين قد وقع ما لم يكن في حسبان الإقامة العامة : فالشيوعيون المغاربة، بعد إبعاد رفاقهم الأوروبيين، تُركوا لوحدهم وبالتالي وجدوا أمامهم الأبواب مفتوحة ليتحملوا كامل مسؤولياتهم، فأخذوا مصير حزبهم بأيديهم، وصاروا يقررون، بكامل الاستقلالية، المواقف التي تناسب الأوضاع المغربية الجديدة وتوافق مشاعرهم الوطنية.

وهكذا، كانت حوادث دجنبر 1952، في آن واحد، مرحلة تصعيد كفاح الحركة الوطنية ومرحلة تعميق مغربة الحزب الشيوعي المغربي وتعميق اندماجه في الحركة الوطنية المغربية.

كانت هذه الأحداث بالنسبة إلى الحركة الوطنية بمثابة منعطف تاريخي جديد في مسار نضالها، وكانت في نفس الوقت، مناسبة بروز الطبقة العاملة كرأس حربة الشعب والحركة الوطنية في نضال الأمة. نقول رأس الحربة وليس قيادة، تلك القيادة التي استمرت، كما كانت سابقاً، بين أيدي الوطنيين من أصل برجوازي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى وبالارتباط مع التحول الأول، سجلت حوادث دجنبر 1952 انتقال مركز الحركة الوطنية من المدن التقليدية، كفاس وسلا والرباط الخ ... إلى عاصمة البروليتاريا، الدار البيضاء، والمدن العمالية الأخرى مثل خريبكة والمحمدية والقنيطرة إلخ...

ففي هذا السياق السياسي الجديد، وجد الحزب الشيوعي نفسه أمام مهام جديدة وجد جسيمة في حين كانت إمكانياته المادية تكاد تكون منعدمة. كان عليه أن يحافظ على مناضليه وقيادته وأن يحميهم من بطش الشرطة الاستعمارية التي كانت تطاردهم وتتصدى لهم، وكان عليه أن يضمن لهم الإيواء السري والعيش لهم ولعائلتهم ولو بحد أدنى، سيما وأنهم كانوا ينتمون إلى الطبقة الأقل إمكانيات والأشد فقراً.

وكان على الحزب أن يواصل صدور صحافته : "حياة الشعب" بالعربية و "إسبوار" بالفرنسية وهو الحزب الوحيد، الذي استطاع أن يقوم بهذا العمل طيلة مدة المقاومة المسلحة وإلى حدود إعلان الاستقلال.

وكيف ما كان الأمر، فإن حوادث دجنبر 1952، على الرغم من قساوة عواقبها على الشعب وعلى البلاد، كانت لها نتائج جد إيجابية بالنسبة للحركة الوطنية عموماً والحزب الشيوعي المغربي خصوصاً، إذ ساعدت على تجذير الحركة الوطنية وأعطت دفعة هائلة لمسلسل التحرر الوطني وخلقت بالنسبة للحزب الشيوعي المغربي ظروفاً مكنته، على الرغم من كثرة العراقيل والصعاب، من تعميق اندماجه في المجتمع والحركة الوطنية، وجعلته في آخر المطاف أكثر استعداداً لمواجهة المرحلة الجديدة التي انطلقت من دجنبر 1952 وتصاعدت إلى أن وصلت إلى المرحلة النهائية من أجل استرجاع الاستقلال أي إلى المقاومة المسلحة.

بعد حوادث دجنبر 1952 وما ترتب عنها من اعتقالات جماعية وبعد قرار حظر الحزبين الوطنيين، حزب الاستقلال والحزب الشيوعي المغربي ومنع صحفهما وتعطيل الحركة النقابية، بعد كل هذه الأعمال التعسفية، اعتقد الطاغية أنه قضى بصفة لارجعة فيها على الحركة الوطنية وعلى مقاومة الشعب، كان ظن، في عجرفة وغرور، أن المجال صار مفتوحاً أمامه لقطع "رأس الحية"، وكان الجينرال "كيوم" يعني بهذا التعبير الوقح جلالة ملك البلاد محمد الخامس. فصار، منذ ذلك الحين يهيء المؤامرة التي تمت بخلع هذا الأخير عن عرشه ونفيه خارج الوطن، يوم 20 غشت 1953.

لم ينتبه المستعمر إلى أن الحركة الوطنية، من جهتها، كانت هي كذلك تتهيأ للمجابهة النهائية معه وبأن الهدوء الظاهري الذي أعقب حوادث دجنبر 52 الدموية لم يكن، في الواقع، إلا هدوءاً من النوع الذي يسبق العاصفة. وبالفعل، كان الشعب يستعد، في الظلام، ويتكيف، في صمت، مع الظروف الحالكة الجديدة قبل أن ينطلق بانتفاضته المسلحة العارمة التي لم يكن ينتظرها العدو، فكانت مؤامرة 20 غشت المدبرة ضد ملك البلاد ورمز سيادتها، المناسبة السانحة لحدوث هذه الانتفاضة. وعاد الشعب إلى الكفاح المسلح الذي تأكد أن توقفه القسري في منتصف الثلاثينيات لم يكن سوى توقف موقت. وعلى الرغم من الحصار البوليسي الشديد وكثرة المخبرين وكل أنواع الجواسيس، استطاع الحزب الشيوعي أن يخرج من قوقعته الضيقة ليرتبط بأوسع فئات المناضلين والمقاومين لينسق معهم العمل السياسي والمقاومة المسلحة في إطار تنظيمات وحدوية مشتركة.

في هذا الاتجاه أخذ مع مناضلين آخرين مبادرة تكوين "لجنة الاتحاد الوطني" التي كانت تجمع مقاومين يعملون في تنظيمات مختلفة للمقاومة المسلحة. كان مكتبها المدبر المنسق لعمل أفرادها يتكون من ثلاثة مقاومين وهم عبد الله العياشي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي المغربي وأحمد بلبشير (حكم عليه بالإعدام قبيل عودة محمد الخامس إلى وطنه ونجا من تنفيذ هذا الحكم بإعلان الاستقلال) ومحمد حجي العموري الذي اعتقل وحكم عليه بثمانية عشر شهراً سجناً، وكلاهما ينتميان إلى حزب الشورى والاستقلال، لكنهما كان يساهمان في المقاومة بصفة شخصية في حين كان يشارك في اللجنة عبد الله العياشي وهو موفد من لدن حزبه : الحزب الشيوعي المغربي. وبجانب هذه القيادة الثلاثية المنتخبة من لدن

زملائهم أعضاء اللجنة كان ينشط داخلها مقاومون شوريون واستقلاليون وشيوعيون ولامنتمون.

وبعد تكوين "لجنة الاتحاد الوطني" التي أبلت البلاء الحسن ضد الاستعمار وعملائه الخونة، اتصل بالحزب جماعة من المقاومين منهم عبد الله الحداوي ولحسن الاكلاوي والطيب البقالي (صهر علي يعتة) وكلهم كتب لهم الاستشهاد على يد السيء الذكر أحمد الطويل، في واقعة عين السبع المفجعة، وشقيق علي يعتة المرحوم مصطفى يعتة. وتم بعد هذا الاتصال تكوين منظمة المقاومة العتيدة "الهلال الأسود". صارت لهذه المنظمة قيادة يترأسها الشهيد عبد الله الحداوي وكان سنه لا يتجاوز التاسعة عشرة يوم استشهاده، وانضم إليها مناضلون من الحزب الشيوعي المغربي منهم على وجه الخصوص الشهيد عبد الكريم بنعبد الله الذي كان يشارك في قيادتها.

ولم يغفل الحزب عن أهمية الثقافة في النضال التحرري بحيث اجتهد لجعلها تشكل، هي كذلك، واجهة من واجهات المقاومة حتى تلعب في مجال تعبئة الشعب دورها الخلاق. ولقد كان كثير من المثقفين ذوي الانتماءات الحزبية المتنوعة، منهم على وجه الخصوص معلمون وأساتذة وصحافيون، يشاركون مباشرة في العمل المسلح منذ انطلاقه. ومن أجل تعميق الفكر الثوري عند هؤلاء، ولاستقطاب المزيد من المثقفين إلى صفوف حركة المقاومة، أنشأت مجلة ثقافية سرية بعنوان *الفكرة الوطنية*، وكلف بالإشراف على صدورها وإدارتها عبد الكريم بنعبد الله العضو في المكتب السياسي للحزب، وسرعان ما استطاع هذا الأخير أن يجمع حوله ثلة من المتنورين ذوي انتماءات سياسية وإيديولوجية مختلفة، لكن يوحدهم إيمانهم بعدالة قضية الوطن.

والنتيجة كانت هي أن صارت الجماهير، بالإضافة إلى عمليات المقاومة المسلحة، تعود رويداً رويداً إلى مظاهرات الشارع التي توقفت اضطراراً إثر أحداث دجنبر 1952، فكانت أول مظاهرة من هذا النوع تلك التي نظمت بالدار البيضاء، بمناسبة جنازة عمر السلاوي المحامي الشاب الذي اغتالته جماعة من الإرهابيين الفرنسيين، فكانت، فعلاً، جنازة وطنية ضخمة، جمع موكبها ما يقرب من 200.000 مواطن في مقدمتهم حشد ضخم من النساء، أزلن لثامهن عن وجوههن حتى صرن سافرات وذلك بحركة منظمة واحدة، وبمجرد أن انطلق الموكب، فكانت اللحظة في منتهى التأثر والانفعال. وهكذا، تحولت الجنازة إلى تظاهرة وطنية هائلة أصبحت لما وصل الموكب إلى المقبرة، مهرجاناً شعبياً ضخماً يسهر على نظامه عدد كبير من المقاومين الحاملين لسلاحهم.

وكان الحزب الشيوعي المغربي و "لجنة الاتحاد الوطني" من المنظمين الرئيسيين لهذه التظاهرة، وتقرر أن يأخذ الكلمة باسم اللجنة كاتب هذه السطور، وذلك ما فعل، أولاً في مدخل المقبرة، ثم مرة ثانية بعد الدفن، تحت الزغاريد والهتافات الجهادية. وقع ذلك بمرأى ومسمع من طوابير ضخمة وعديدة من البوليس والجنود الاستعماريين المجهزين بأسلحتهم ومصفحاتهم. لكنهم كانوا محاصرين من طرف حشود الجماهير الغفيرة وهذا ما منعهم من أي تدخل أو تحرك.

بعد ذلك، ساهمت "لجنة الاتحاد الوطني"، مع منظمات أخرى، في تنظيم الإضرابات العظمى التي انطلقت في شهر غشت 1955 والتي رافقتها حوادث خريبكة ووادي زم الدموية.

وعلى إثر هذه الوقائع الوطنية الرائعة، تم اعتقال عضوين من القيادة الثلاثية "للجنة الاتحاد الوطني" وهما المقاومان المرحومان أحمد بلبشير الذي أشرنا أعلاه إلى كونه حكم عليه بالإعدام ولم ينج من تنفيذ الحكم إلا بإعلان الاستقلال، ومحمد حجي العموري الذي حكم عليه بثمانية عشر شهراً سجناً. أما ثالثهما وهو محرر هذا البحث، فلقد نجا من الاعتقال لسبب واحد هو أنه كان يعيش مختفياً في السرية.

وفي فاتح أكتوبر دخل جيش التحرير في المعمعة. وفي نفس اليوم أفرج عن الزعماء السياسيين والنقابيين، وأبعد الكركوز ابن عرفة. وفي آخر نفس الشهر أي أكتوبر 1955 عاد محمد الخامس من مدغشقر إلى فرنسا، استعداداً لعودته ظافراً إلى وطنه وعرشه يوم 16 نوفمبر من نفس السنة...

في هذه الوضعية السريعة التطور والمليئة بكثير من الآمال وبالمخاطر في آن واحد، شعرت منظمات المقاومة الأكثر تبصراً، ومنها الحزب الشيوعي المغربي و "لجنة الاتحاد الوطني" و "الهلال الأسود" بضرورة مناداة الجماهير إلى التحلي باليقظة حتى لا يحرم الشعب من ثمار تضحيات شهدائه وحتى لا تفرض عليه حلول بعيدة عمّا كان يطمح إليه، لاسيما والاستعمار الفرنسي قد وقع به أعظم انهزام عسكري وسياسي عرفه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ذلك الانهزام الذي كبده إياه الشعب الفيتنامي في ماي 1954 إثر وقعة "ديان بيان فو"، كما كان بالإضافة إلى ذلك، يجابه انتفاضة الشعب الجزائري التي انطلقت يوم فاتح نونبر 1954.

ومما زاد الحزب الشيوعي شرعية، مع أنه كان لا يزال خارج القانون، الاستقبال الذي حظي به وفد عنه برئاسة علي يعتة بفرنسا من لدن صاحب الجلالة محمد الخامس يوم 6 نونبر 1955. ثم بعد عودته إلى أرض الوطن أبى جلالته إلا أن يستقبل المكتب السياسي للحزب بكامل أعضائه الموجودين في المغرب، وكان ذلك يوم 5 دجنبر 1955. ولقد قدم الحزب الشيوعي المغربي لصاحب الجلالة محمد الخامس أثناء المقابلتين مذكرتين تشتمل كل واحدة منهما على تحليل الحزب للوضعية السائدة آنذاك وتقدم باقتراحات مدققة كما كان يراها للسير بالمغرب نحو استقلاله الوطني.

استمر الحزب في عمله العلني ونضاله على جميع

الواجهات السياسية والنقابية والعمالية والطلابية بدون أن يتنازل عن حقه في التمتع بمشروعيته التي استمر بدون كلل يطالب باسترجاعها.

وفي هذا الاتجاه، وبعد توقيف جريدة *الجماهير*، قرر إصدار جريدة جديدة بالعربية تحت عنوان *المكافح* ولكنها بدورها منعت بمرسوم عن وزارة الداخلية بعلة أنها جريدة للحزب الشيوعي المحظور ! ولكن إصرار الحزب كان أقوى من قرار الحكومة بحيث تمكن الحزب، بعد مدة قصيرة، من طبعها ونشرها من جديد، أولاً في شكل أسبوعية إلى حدود سنة 1965، ثم قرر تحويلها إلى يومية، فوقع حجزها مرات عديدة قبل أن يصدر في حقها قرار المنع النهائي.

ولكن، وبنفس العزيمة، أعاد الكرة مرة أخرى. فأصدر جريدة جديدة في نهاية سنة 1965 هي أسبوعية *الكفاح الوطني*، فلم تعمر طويلاً بحيث تقرر منعها هي كذلك بقرار من وزارة الداخلية في سنة 1969. وقع ذلك بعد أن حظر حزب "التحرر والاشتراكية" الحزب الجديد الذي أنشئ لتعويض الحزب الشيوعي الممنوع وهذا ما سنتطرق له أسفله.

وبالفعل، فقد كان الحزب الموجود دائماً، على الرغم من المنع، يجتهد ليتوصل إلى الحصول على جريدة قارة تعبر عن حاله وتبين مواقفه، على غرار الأحزاب الوطنية الأخرى، وكان في الوقت نفسه يبذل كل ما استطاع من المساعي ليسترجع مشروعيته كحزب وطني معارض ومتميز.

في هذا الاتجاه، عقد الحزب الشيوعي المحظور مؤتمره الثالث في شهر يوليوز 1966 في الخفاء، ذلك المؤتمر الذي شكل منعطفاً جذرياً في تاريخه. ولقد تم تحضير هذا المؤتمر في خضم مناقشة واسعة وجد معمقة، ساهم فيها جميع فروعه وكل أعضائه. ولقد جرت هذه المناقشة في سرية تامة على أساس أطروحات تعتمد على فكرتين أساسيتين : نقد ونقد ذاتي يتعلقان بمراجعة رصيد الحزب منذ نشأته، مع الحرص على ترك أو إصلاح ما كان يجب تركه أو إصلاحه. وتمحورت الفكرة الثانية حول الوعي بضرورة التجديد وتعميق التكيف مع واقع المجتمع المغربي ومع عقلية شعبه وتقاليده. في الحقيقة لم يكن الاعتناء بممارسة النقد والنقد الذاتي والاجتهاد للتكيف أكثر مع واقعنا الوطني، بالأمر الجديد، فلقد اتسم الحزب، منذ نشأته، بنقد نشاطه باستمرار وبالاجتهاد المتواصل لتكييفه مع واقع بلادنا. وتجسد الجديد الذي أتى به المؤتمر الثالث في الوعي بضرورة إعادة النظر في مفاهيم كانت غريبة عن مجتمع له خاصياته. ومن أجل ذلك كان الحزب يجتهد دائماً لجعل هذه المفاهيم الثورية والتحررية العامة تتطابق أكثر فأكثر مع هذه الخاصيات لجعل الحزب الأداة اللائقة لاستقطاب جماهير شعبنا وقيادتها نحو الانعتاق والتحرر.

في هذا السياق، ومنذ فترة التحضير التي دامت شهوراً عديدة، ارتكزالتفكير على ضرورة تغيير اسم الحزب، لأن الممارسة أكدت أن لقب "حزب شيوعي" مع ما يحويه من شُحَن كرست فهمه الخاطئ الدعاية المعادية للأفكار التحررية، لم يكن مناسباً لا لتقاليد شعبنا ولا للمرحلة التي كان يحياها، مرحلة التحرر الوطني.

وكانت، كذلك، ضرورة التأقلم مع مجتمع متعلق بالدين الإسلامي، خصوصاً و"الشيوعية" كانت عند عامة المغاربة مرادفة "للإلحاد"، زد على ذلك أن المجتمع المغربي كان كما لا يزال، يتسم بهياكل اقتصادية واجتماعية وثقافية بعيدة كل البعد عن هياكل المجتمعات الرأسمالية الغربية المتطورة.

ففي شهر يوليوز 1968، تقدم إلى السلطات المختصة بطلب الشرعية لحزب جديد تحت لقب "حزب التحرر والاشتراكية"، فتم، فوراً، الاعتراف القانوني به بصفته حزباً وطنياً عمالياً وفصيلة متميزة من فصائل الحركة الوطنية وحزب أممي يناصر قضايا التحرر والاستقلال لشعوب العالم ويتشبث بمبادئ الاشتراكية وتكييفها مع واقع بلادنا وتقاليدها.

ظل حزب التحرر والاشتراكية يعالج القضايا الوطنية، كما فعل دائماً ولكن بأساليب جديدة، يعمل بحزم وفعالية من أجل خلاص الشغيلة التي، من أجلها، هو موجود. كما استمر كذلك في عمله لمساندة قضية الشعب الفلسطيني وباقي الشعوب العربية. كما ظل ينشط للتضامن مع كل قضايا تحرر واستقلال الشعوب في العالم أجمع، بقطع النظر عن العرق والدين واللون والقومية ...

وفي هذا السياق، ساهم وفد عن الحزب في أشغال الندوة العالمية للأحزاب الشيوعية والعمالية المنعقدة بتاريخ يونيو 1969 بموسكو. ولقد عالجت الندوة قضايا النضال ضد الأمبريالية. فاغتنمت السلطات هذه الفرصة، فقررت متابعة الحزب من أجل منعه من جديد، بعلة واهية أي "إعادة تأسيس حزب محظور شرعاً"، فاعتقلت وحاكمت علي يعتة الأمين العام للحزب وشعيب الريفي عضو ديوانه لمساهمتهما في هذه الندوة الأممية.

غير أن هذه الحملة الاضطهادية لم تحقق كل ما كانت ترمي إليه من أهداف : فلم توقف النضال الشعبي الجاري بالمدن وبالأرياف والبوادي، كما أنها لم تقض على الحركة الوطنية فلم تحقق، كنتيجة، سوى تفاقم الأزمة السياسية وكان من مظاهر هذا التفاقم محاولات للمس بالنظام في عامي 1971 و1972.

وبشكل مواز عرفت الجامعة اضطرابات وغلياناً أدى إلى بزوغ حركات يسارية متطرفة تعتمد الإرادية المفرطة والطوباوية كأسس لإخراج المجتمع من الأزمة التي يتخبط فيها. وأمام هذه الظاهرة التي لم يكن يرجى منها أي خير، اتخذ الحزب، رغم كونه كان محظوراً، موقفاً صارماً موضحاً أن هذه الحركة، رغم نبل عواطف من انساق وراءها، لن تؤدي إلا إلى الباب المسدود سياسياً مع كل ما سيترتب عن ذلك من عواقب وخيمة غير مجدية.

لكن وبعد مخاض دام شهوراً تخللتها اعتقالات

ومحاكمات، شعرت السلطات بضرورة نوع من "التصالح" مع المعارضة وفتح حوار مثمر معها، من أجل إيجاد حل توافقي مبني على تلبية بعض مطالب الشعب ومنظماته.

في هذا السياق، فتح رئيس الدولة، جلالة الملك الحسن الثاني، مشاورات مع قادة الحركة الوطنية بما فيها حزب التحرر والاشتراكية. وتم لأول مرة في تاريخ عهد الحسن الثاني، لقاء جلالة الملك مع الرفيق علي يعتة في شهر شتنبر 1972 من أجل معرفة رأي الحزب في الأوضاع السائدة في البلاد ، فكان ذلك اللقاء بمثابة اعتراف ضمني بالحزب وتقدير إصراره على مواصلة النضال كيف ما كانت الصعاب والعراقيل.

وهكذا، فُتح عهد جديد للحوار والتعامل بين الحكم والقوى السياسية الوطنية. وفي آن واحد فتحت أمام الحزب الشيوعي المغربي، كيف ما كان اللقب الذي يحمله، آفاق جديدة، آفاق الاعتراف به كفصيلة من فصائل الحركة الوطنية، له وعليه ما للآخرين وما عليهم.

وبعد أن ظل الحزب بدون صحافة علنية رسمية طيلة سنتين ونصف، تمكن في خريف سنة 1973 من إصدار جريدة بطبعة عربية وطبعة فرنسية هي جريدة *البيان* أولاً في شكل أسبوعيتين ثم صارتا يوميتين الواحدة بالعربية والثانية بالفرنسية.

في هذا الجو الجديد لم يبق أي عائق لاسترجاع مشروعية الحزب، وهذه المرة تحت اسم "حزب التقدم والاشتراكية" الذي يواصل اليوم تقاليد الحزب الشيوعي المغربي وحزب التحرر والاشتراكية. وللأحزاب الثلاثة تاريخ مشترك واحد، تاريخ مليء بالنضال والتضحية عبر مراحل اتسمت كلها بالتجديد والتكيف كلما اقتضت الضرورة ذلك. وبالفعل، تقدم في يوم 23 غشت 1974 وفد مكون من قدماء من الحزب الشيوعي وحزب التحرر والاشتراكية إلى السلطات المختصة، فوضع لها القوانين الأساسية لحزب جديد يحمل اسم "حزب التقدم والاشتراكية".

وفي هذا اليوم ذاته، وبدون انتظار استلام الإيصال الذي يسجل، حسب القوانين الجاري بها العمل، وضع مثل هذه القوانين، نظم مؤسسو الحزب الجديد مهرجانا شعبيا ضخما في قاعة المسرح البلدي بالدار البيضاء. وكان موضوع التجمع يتعلق بضرورة التعبئة الشاملة من أجل ضمان تحرير الصحراء الغربية من الاحتلال الإسباني.

وبعد أيام معدودات أعلن رسمياً تأسيس الحزب الجديد، ولقد كون الاعتراف بشرعية "حزب التقدم والاشتراكية"، في تلك الظروف بالذات، مكسبا تاريخيا جديدا ، للحزب أولاً، لأنه كان إنصافا لنضاله المستمر واعترافا رسميا بوطنيته، وتقديرا لإصراره على مواصلة تقاليد الكفاح والوفاء طيلة ثلاثين عاما خلت، ومكسبا كبيرا للحركة الوطنية جمعاء ثانياً، لأنه أغناها وزاد في مناعتها ومصداقيتها كحركة تحررية عصرية متعددة التركيبات والميولات. وبالنسبة للدولة ذاتها ، فلقد رفع شأنها وسمعتها إقدامها على هذا الاعتراف وبمثل هذا الحزب، "حزب التقدم والاشتراكية"، وزاد في مصداقيتها هي كذلك كدولة ملكية عربية إسلامية، تتميز عن نظم كثير من الدول العربية الأخرى، ملكية كانت أو جمهورية، إذ تجلت أمام الجميع، داخليا وخارجيا ، كدولة تسعى إلى تشييد حياة ديمقراطية قوامها التعددية السياسية والإيديولوجية والحزبية والنقابية والجمعوية.

وفي ظروف هذا التحول الذي صارت بوادره تسود وطننا ، نظم الحزب الجديد مؤتمره الوطني الأول وهذه المرة في العلانية، فحضرت في جلسته الافتتاحية وفود كثيرة تمثل كل فصائل الحركة الوطنية المغربية السياسية والنقابية والجمعوية بدون استثناء، كما تتبع أشغاله العديد من الوفود العمالية والاشتراكية وممثلون عن حركة التحرر الوطني، وفدوا من المشرق العربي وباقي بلدان آسيا ومن إفريقيا وأمريكا اللاتينية وأوربا الشرقية والغربية.

وما يعنينا في هذا السرد التاريخي هو فقط الانفراج السياسي الذي حدث في بداية السبعينات والذي سجل منعطفا في سياسة الحكم، بصفة عامة، وفي تعامله مع الحركة الوطنية بصفة خاصة. وهكذا جعل حدا للمجابهة التي كانت تكتسي، أحياناً، طابع العنف، وفتح عهدا جديدا : عهد التعامل الديمقراطي بين الحاكمين من جهة، والمواطنين وحركتهم السياسية الوطنية المنظمة من جهة أخرى. وهذا الانفراج الذي حدث بعد أعوام عديدة من التوتر والمجابهات والذي، في ظروفه، خرج إلى الوجود الشرعي "حزب التقدم والاشتراكية"، لم يخص بالطبع هذا الحزب وحده. فلقد كان انفراجاً عاماً شمل قوى سياسية أخرى ناضلت هي كذلك، وضحت من أجله مدة طويلة من الزمن.

ومما عزز هذه المكتسبات الديمقراطية رغم طابعها النسبي التي كانت تدخل فيما سميناه بالمسلسل الديمقراطي، كونها ارتبطت بمعركة وطنية في منتهى الأهمية، معركة تحرير صحرائنا الغربية المغربية من الاحتلال الاستعماري الإسباني، ولا سيما وقد وقع حولها إجماع وطني، جمع الحكم وكل القوى السياسية وخصوصاً منها المعارضة ومن ضمنها ، طبعاً، الحزب الجديد، حزب التقدم والاشتراكية.

فبفضل هذا الاجماع المدعم، بدون تحفظ، من لدن كل الفئات والطبقات الاجتماعية لشعبنا ، وبفضل جهاد القوات المسلحة الملكية، أنجزت المسيرة الخضراء، التي نظمها وقادها بإتقان جلالة الملك الحسن الثاني، والتي حققت هدفها الأساسي أي تحرير صحرائنا وعودتها من جديد إلى باقي التراب الوطني.

كانت معركة تحرير الصحراء المغربية الغربية، بفضل الانسجام بين الحكم والمعارضة، وفي احترام خاصيات ومواقف كل طرف من أطراف هذا الانسجام، نموذجاً حياً آخر يؤكد طبيعة المرحلة التي تمر منها البلاد ، وهي ، مرحلة

تحرر وطني تعني كل المغاربة ذوي النوايا الحسنة، فكانت ظروف هذه المعركة تتشابه، في أكثر من مظهر، ومعركة الاستقلال الوطني التي نجحت هي كذلك بفضل وحدة ملك بشعبه ووحدة شعب بملكه، مما جعل هذه المرحلة تعرف تحت شعار "ثورة الملك والشعب". وكما كان الحزب الشيوعي المغربي منسجما كل الانسجام في تلك المعركة المصيرية، معركة عودة ملك البلاد إلى عرشه وإعلان الاستقلال، كان حزب التقدم والاشتراكية، وهو من صلب وسلالة الحزب الذي سبقه، منسجما، بدون تحفظ في الإجماع الوطني الذي بفضله انتصرت، مرة أخرى، أمتنا في معركة تحررية وطنية، معركة تحرير الصحراء. وتاريخ وطننا مليء بمثل هذه الملاحم الوحدوية. فيكفي أن نذكر معركة وادي المخازن ضد البرتغال، والثورة الحفيظية ضد مؤامرة الاستعمار لاحتلال وطننا و"ثورة الملك والشعب" المعاصرة التي تضاف إليها معركة استرجاع صحرائنا الجنوبية الغربية التي صارت حرة بعد أن كانت مغتصبة.

وهكذا، ففي ظروف انطلاق مسلسل ديمقراطي وحدوث إجماع حول معركة وطنية تولدت أوضاع جديدة سمحت بالعودة إلى إحياء مؤسسات ديمقراطية بعد توقف دام خمسة أعوام. فنظمت في هذا الصدد انتخابات تشريعية : الأولى في سنة 1977 والثانية في سنة 1984 ثم الأخيرة في سنة 1993. ولقد سبقت كل عملية انتخابية تشريعية انتخابات جماعية، حضرية وقروية.

ولقد قررت المعارضة ومن ضمنها حزب التقدم والاشتراكية أن تساهم في انتخابات 1977، على الرغم من كونها كانت منظمة على أساس دستور 1972 الذي سبق لها أن قاطعته بالإجماع. وبررت هذه المساهمة بوجود جو التعبئة العامة حول قضية الصحراء كما أخذت بعين الاعتبار ظروف المكتسبات الديمقراطية ولو كانت نسبية، و"ضمانات" تعهد بها الحكم بأن تجري الانتخابات سليمة ونزيهة.

وبعد ذلك جاءت الانتخابات التشريعية لسنة 1984 فكانت، تقريباً، صورة طبق انتخابات 1977. إلا أن الحزب، هذه المرة، ضاعف تمثيله. فبعدما كان ممثلا بنائب واحد سنة 1977، صار إثر انتخابات 1984، ممثلا بنائبين مما جعل بعض المازحين يصرحون بأن الحزب "تقدم برلمانيا بنسبة 100٪".

لكن الأهم من كل هذا هو أن الحياة البرلمانية التي صار حزبنا مشاركا نشيطا فيها، كرست بشكل تدريجي الممارسة التمثيلية التي خلقت، وهذا شيء هام، فرصة تعامل وتنسيق بين نواب المعارضة بجميع أصنافها ومكوناتها حول قضايا تشريعية عديدة واضعة بذلك لبنة لسياسة وحدوية كان هذا الحزب ينادي بها منذ نشأته ولوحده مدة طويلة. وتجاوزت تلك المبادرات الوحدوية بين نواب المعارضة حلبة البرلمان لتكتسح الساحة السياسية خارجه وتشمل قضايا وطنية كثيرة ومتنوعة، فنمت هذه الظاهرة الجديدة إلى أن تبلورت في تشكيل "الكتلة الديمقراطية" سنة 1991.

وبمجرد إعلان نتائج الانتخابات التشريعية الأخيرة، قررت ثلاث من فصائلها الخمس إبعاد حزب التقدم والاشتراكية عنها، وذلك بدعوى أنه اتخذ مواقف مغايرة وسلك سياسة مستقلة. هذا، وعلى الرغم من إعلان هذا الحزب، في كل مناسبة وحتى بدون مناسبة، تعلقه المستمر "بالكتلة الديمقراطية وبميثاقها"، يصر بعض زعماء الأحزاب التي أسس هذا الحزب وإياها الكتلة الديمقراطية على أن سبب إبعاده راجع إلى مواقفه المتميزة عن مواقفهم مع العلم بأن مثل هذا النوع من الاختلاف في الرأي والسياسة والمواقف يتجلى حتى داخل الحزب الواحد، بل وحتى بين حزب من هذه الأحزاب وبين ما يعتبره منظمات من صلبه أو موازية له مثل التنظيم النقابي والشبابي !

الحقيقة هي أن حزبنا كان "مقبولا" بنوع من "التسامح" لما كان يعتقد أنه حزب "صغير الحجم" والتأثير. أما اليوم، فلقد أصبح حزبا يؤخذ بالجدية والاعتبار. صار مثل الآخرين، هو كذلك "محاوراً" من طرف أعلى سلطة في البلاد، يستشار ويؤخذ رأيه بعناية وجدية.

في هذه الأثناء إذن جرت الانتخابات التشريعية لسنة 1993 التي اتسمت، فيما اتسمت به، بما اعتبرته أحزاب المعارضة مخالفة لشروط النزاهة.

وعلى الرغم من ذلك، خرجت منها كل أحزاب المعارضة بنتائج أحسن عما عرفته سابقا. وحزبنا، هو كذلك خرج منتصراً من هذه الانتخابات التشريعية. فمن نائب واحد في انتخابات 1977 إلى نائبين في برلمان 1984 إلى تكوين فريق تحت قبة البرلمان اليوم !.

وبشكل مواز لهذا التطور الإيجابي الذي عرفه حزب التقدم والاشتراكية، لم تنل منه الانهيارات التي وقعت بما كان يسمى بـ"المنظومة الاشتراكية"، على عكس ما حدث لأحزاب أخرى عبر العالم. ويعزى السر في ذلك إلى أن حزب التقدم والاشتراكية لم ينسق، في يوم من الأيام، وراء أي تنظيم آخر وحافظ على استقلاليته التنظيمية. كان يتصرف بحرص شديد على استقلال قراره منذ غشت 1946، معتمدا على مساندة الشعب لخطته التقدمية الساعية إلى الدفاع عن المصالح العليا للوطن وللشغيلة، حريصا كذلك على عدم التقوقع وعدم السقوط في التعصب الحزبي الأعمى.

ويمكن تفسير بقاء حزب التقدم والاشتراكية وتقويته ونجاحه بكونه كان دائما، أولاً وأخيراً، حزبا وطنيا أصيلا، رافعا، في وجه جميع التحديات، راية الوطنية ومقدما في خدمتها وبسخاء التضحيات الجسام.

*معلومات شخصية : وثائق حزب التقدم والاشتراكية.*

عبد الله العياشي

**تَقْراطْ لَقْصايَدْ** في شعر الملحون يعني القصائد التي وجدت مبتورة في الكنانيش، لأن النُّسّاخ كثيراً ما

يلجأ إلى بتر جزء من القصائد التي يكتبها إذا وجد أحد العوامل التي تدعوه إلى ذلك كرداءة الخط، أو عدم الفهم أو طول القصيدة أو تضمينها ما يسمونه بالـزّرب أو التهجي. ويحدث هذا أيضاً حتى للمنشد "شيخ القريحة" فيلجأ بدوره إلى "تقراط لقصايد" خلال الإنشاد، إما هروباً من السّأم، لطول ما يُنشد ـ مثلا ـ وإمّا لحذف التهجي الذي ربما لا يتناسب مع الظرف الذي ينشد فيه.

لذلك كان "الخـزّانـة" الذين يجمعون في حوزتهم الكنانيش والكراسات، يتهافتون على ما يسمى "النسخة الأولى"، وهي التي قد تولاها بالرعاية "شيخ الملحون" نفسه إملاءً أو كتابةً، وتسمى عندهم أيضا "الفريدة" و"مالـﯖـليـل" أي الماء القليل الذي تشتد الحاجة إليه. والقصائد "المقروطة" في رواجها إنشاداً وتدويناً تحتاج إلى فطنة الدارس المحقق، كما تحتاج إلى الخبرة بنوعية الكنانيش التي يتعامل معها والإلمام ـ أيضا ـ بنوعية "الخطوط" التي كتبت بها هذه القصائد، وذلك ليتجنب الباحث ما يمكن أن يقع فيه الناسخون من هفوات وأخطاء، يتأذى بها رواج هذه القصائد بوسط "شيوخ القريحة" المنشدين، ما لم يُقابل المنشد قصيدة بأخرى. والأولى عندهم الرجوع إلى المحفوظ على يد "شيخ الأشياخ" من الرجوع إلى المكتوب المدوّن في الكنانيش والكراسات التي ربما تحوي نوعاً من "تقراط لقصايد".

ع. الجراري، *القصيدة ؛ الزجل المغربي الملحون، بين الانشاء والتدوين*، ص. 29 ـ 33 ـ 46 ـ 60 ؛ *سلسلة أعلام الملحون*، العدد الأول، الرباط، 1992.

عبد الرحمن الملحوني

**التقسيم** الإداري بالمغرب، هو تقطيع للتراب الوطني وفق وحدات مجالية متداخلة ومتراتبة تعكس مختلف البنيات الإدارية التي تمارس سلطتها محلياً حسب تعليمات الجهاز المركزي للإدارة الترابية. أمّا النوع الثاني من البنيات الإقليمية التي غالباً ما تتخذ نفس الإطار المجالي فيتمثل في المصالح الخارجية التي تتنوّع أنشطتها باختلاف مهامّ الإدارات المركزية التقنية أو المختصة التابعة لها. وقد أقيمت هذه الإدارة المحلية بشقيها الترابي والتقني لكي تكون وسيلة مباشرة ولا مركزية للإنعاش الاقتصادي والضبط البشري والتأطير الاجتماعي.

بهذا المفهوم الحديث للتقسيم الإداري لم يكن المغرب يتوفّر عل شبكة محلّية منمطة الهياكل ومستفيضة الانتشار وقارّة التوزيع ومحكمة الترتيب الإداري إلا في حدود مطلع القرن العشرين، عندما تغلغل النفوذ الأجنبي في البلد وتأهّبت القوات الاستعمارية لزعزعة مقوماته السياسية والترابية الأصلية والمتسمة بالتمركز والبساطة والمرونة. أطلق الاستعماريون "بلاد السيبة" على مناطق كانت تضمّ قبائل تعترف بالسلطة الدينية للسلطان من دون أداء الضرائب وترجع أحياناً إلى أعراف قديمة في معاملاتها وتعتمد في تدبير شؤونها على "جماعة" تتكوّن من الأعيان ويرأسها رئيس أو قائد. باستثناء هذه المناطق، كانت تخضع سائر الأقاليم في أعلى الهرم الإداري المحلي لخليفة يمثل السلطان من الناحية الرمزية والسياسية الإدارية وحتى العسكرية عند الطلب. وكان يختار من بين الأمراء والأقرباء للسلطان على رأس الجهات الأساسية التي تحيط عموماً بالعواصم التقليدية، وهي فاس (الشمال) ومراكش (الحوز) ومكناس (الغرب) وتافيلالت (الشرق). وكانت ارتباطات الخليفة أوثق بالباشا من القائد. وهما معاً إطاران يعيّنهما السلطان ويراقبهما الصدر الأعظم.

والباشوات هم أعلى حكام المدن المغربية الرئيسية ؛ فهم مدعوون للمحافظة على النظام وتطبيق تقارير المخزن ورعاية كل ما يهمّ المدينة، بمساعدة المقدمين. كذلك كانت تخضع بعض المدن الصغرى وأحوازها لسلطة قواد متصرفين قد ارتقى بعضهم إلى درجة عامل، كما هو شأن عاملي إقليمي وجدة وفگيگ ابتداءً من عهد الحسن الأول. وتجدر الاشارة إلى أن في أكبر المدن كانت للمحتسب وضعية خاصّة، حيث لا يعتبر مجرّد موظف مرؤوس من طرف الباشا، بل كان يحكم مباشرة وبتفويض من السلطان أو من خليفته. وكان يسهر من منطلق ديني وحسب التقاليد على مراقبة التجمعات المهنية وكذا البضائع من حيث الجودة والوزن والثمن. وكان يحرص على التوازن في السوق وعلى تنظيم العلاقات بين البائعين والمستهلكين.

أمّا القائد فكان يعيّن على رأس فخذة أو قبيلة بأكملها، ويختار من بين العائلات ذات المكانة السياسية في القبيلة. ويمارس سلطته الجبائية والقضائية والعسكرية بمعاونة الشيوخ والمخازنية. إلا أن تجاوزات عديدة كانت تحصل هنا و هناك من طرف قواد وسعوا مناطق نفوذهم أو بالغوا في جمع الضرائب العادية وغير العادية لاسترجاع ما صرفوه في التوصل إلى مناصبهم. وهو الأمر الذي دفع المولى الحسن الأول إلى محاولة تكسير شوكتهم برفع عدد القيادات من 18 إلى 330.

ظل هذا التقسيم ساري المفعول مظهرياً إلى فترة الحماية، غير أنه أخذ يهمش شيئاً فشيئاً ويفرغ من محتواه لصالح تقسيم دخيل. فأنشأت قوات الحماية الفرنسية سنة 1913 منطقتين مدنيتين في الجهات المحتلة مبكراً (وجدة والدار البيضاء) ولجاناً بلدية مختلطة في المدن الساحلية تحت رئاسة شكلية للباشا، وعمّمت هذه اللجان على مدن أخرى داخلية بمقتضى ظهير 1917 ليصبح مجموعها 16 بلدية. كما أحدثت بمرسوم للمقيم العامّ سنة 1919 ثلاث نواحي مدنية (الدار البيضاء ووجدة والرباط) ألحقت بها سنة 1921 ناحية الغرب. ثم تغيّر هذا التقسيم بمرسوم 1923 الذي أضاف ثلاث نواحي عسكرية (فاس ومكناس ومراكش)، فضلاً عن ثلاث دوائر مستقلة تحت رقابة مدنية (الجديدة وآسفي والصويرة).

إن الناحية هي أوّل ما أبدعته سلطات الحماية، لتجعل منها إطاراً عسكرياً سيتحوّل تدريجياً إلى وحدة مدنية لاستغلال الثروات وللمراقبة السياسية. تخضع الناحية

العسكرية لضابط والناحية المدنية لمراقب مدني. الأول ضابط سام يعينه المقيم العام لحفظ الأمن والنظام ولإخباره بمختلف الأحوال ومراقبة الفرنسيين العاملين إلى جانب السلطات المخزنية. والثاني يشرف على المراقب المدني للشؤون الأهلية الذي وضع في القبيلة إزاء القائد، وكذا رئيس الأشغال البلدية في المدينة الذي استأثر بمهام الباشا. لقد انطلقت الادارة المحلية الاستعمارية إذن من موقع الاشتراك في المراقبة، وانتهت إلى الإدارة المباشرة بعدما جرّد الباشا من صلاحياته وأصبح القائد وأعوانه الشيوخ والمقدمون عبارة عن هياكل صورية حتى إن الباشا والقائد صارا عملياً لا يعينان من طرف السلطان إلا باقتراح أو تزكية من سلطات الحماية المحلية.

عندما انتهت حرب الريف وأوشكت فرنسا أن تبسط نفوذها على البلد بأكمله أضيفت سنة 1926 دائرة واد زم إلى الدوائر المدنية السابقة (دكالة، عبدة، الشياظمة) ثم تأسست ناحية تازا العسكرية. فأصبح المغرب ينقسم سنة 1930 تحت الاحتلال الفرنسي إلى تسع مناطق : ثلاث نواح مدنية وثلاثة أقاليم مدنية وثلاث نواح عسكرية. وبعد تغييرين طفيفين تما سنتي 1940 و1947 صار التراب الوطني منقسماً إلى سبع نواح تضمّ سبعة عشر إقليماً هي الدار البيضاء (الشاوية، الدار البيضاء الجديدة واد زم تادلة والرباط (القنيطرة، وزان) ومراكش (مراكش المدينة، مراكش البادية، أسفي، ورزازات) وفاس (فاس، تازا) ومكناس (مكناس المدينة، مكناس البادية، تافيلالت، إفران) ووجدة وأگادير.

كانت هذه النواحي السبع تضمّ ست عشرة بلدية وستاً وعشرين دائرة وتسعاً وثلاثين مقاطعة وخمساً وستين ملحقة وسبعة وخمسين مركزاً وستمائة وخمساً وستين قبيلة. وكانت تتوزع السلطة المخزنية إذاك على عشرين باشا وتسعين خليفة بالمدن و ستة وثلاثين وثلاثمائة قائد وعشرة ومائة خليفة بالأرياف. بينما كانت السلطة المحلية الفرنسية تتألف من تسعة وستين وثمانمائة مراقب مدني وضابط عسكري.

كان محو التقسيم الاستعماري الذي لا يخدم أهداف الإدارة العامّة والمصالح التقنية هو من الأنشطة المستعجلة التي باشرها المغرب المستقل. فتم تعويض النواحي السبع التي كانت تحت نفوذ فرنسا والأقاليم الخمسة التي كانت في منطقة نفوذ إسبانيا بمقتضى مرسوم 19 دجنبر 1955 بحاضرتين مستقلتين (الرباط والدار البيضاء) وثلاثة عشر إقليماً (أگادير، بني ملال، الشاوية، فاس، تافيلالت، مراكش، مكناس، ورزازات ، وجدة، الرباط، أسفي، الجديدة، تازا). ثم صدر بعد بضعة أشهر ظهيران يعيدان تقسيم المغرب إلى تسعة عشر إقليماً وخمس عمالات : فاس ومكناس ومراكش وأقاليم سطات وطنجة والناظور والعرائش وتطوان وشفشاون والريف.

ومع ذلك كانت الاهتمامات منصبة في السنوات الأولى من الاستقلال على إعادة الهيكلة واستتباب الأمن. وبالتالي كان الوضع الإداري غير مستقر إلى حدود سنة 1960، لما صدر ظهير 2 دجنبر 1959 المعتمد إلى الآن والذي قلص من عدد العمالات (الرباط والدار البيضاء) والأقاليم (16)، وحدّدت جماعات تختلف قاعدتها وحدودها عن سابقاتها. فحذفت أقاليم آسفي والجديدة وسطات والعرائش وشفشاون وأضيف إقليما طرفاية والدار البيضاء (الشاوية سابقاً).

إن تزايد عدد الأقاليم والعمالات لاحقاً ستمليه ظروف سياسية على الخصوص واعتبارات جغرافية أخرى (منها خلق أقاليم حدودية وأخرى جبلية) وصعوبة الخدمات الإدارية أمام تزايد السكان وتضخم بعض المدن، خصوصاً وأن اتساع بعض الأقاليم كان كبيراً. وهكذا أنشئت أقاليم أسفي (1965) وسطات والجديدة وخريبگة (1967). إلاّ أن الشبكة الإدارية ستعرف تكثيفاً أسرع منذ سنة 1973، حيث ظهرت أقاليم قلعة السراغنة والخميسات وخنيفرة، ثم تلاها إقليم فگيگ سنة 1974. وظهرت خمسة أقاليم دفعة واحدة سنة 1974 : تيزنيت، أزلال، بولمان، الصويرة، شفشاون. حتى إن المغرب أصبح يضمّ عمالتين وثمانية وعشرين إقليماً. وسيعرف تعديلات أخرى بعد تقسيم الصحراء المسترجعة إلى أقاليم العيون وبوجدور واسمارة سنة 1976 وإنشاء أقاليم بنسليمان وتارودانت وطاطا وطانطان (الذي أصبح يضم إقليم طرفاية السابق) سنة 1978 وأقاليم تارودانت وسيدي قاسم وإفران وگلميم ووادي الذهب سنة 1981.

أمّا سنة 1982 فشهدت تحوّلا هامّاً في التقسيم الإداري مع إحداث الولاية مباشرة بعد أحداث الدار البيضاء (1981) ذلك أن الوالي أصبح يشغل منصب المنسق بين عمّال الولاية. وهكذا انقسمت الدار البيضاء وفق مرسوم 28 يوليوز 1981 إلى خمس عمالات : الدار البيضاء - أنفا ؛ وبنمسيك - سيدي عثمان ؛ وعين السبع - الحي المحمّدي ؛ وعين الشق - الحي الحسني ؛ والمحمدية - زناتة. ثم جاء دور ولاية الرباط في مرسوم 1 فبراير 1983 التي أصبحت تضم عمالات الرباط، وسلا، والصخيرات - تمارة. كما تمّ سنة 1985 إحداث إقليم العرائش والعمالة السادسة في الدار البيضاء (الفدا - درب السلطان).

وسيعرف المغرب تعديلات أخرى على تقسيمه الإداري في بداية التسعينات مع إحداث إقليم أسّا - الزاگ وعمالة سيدي البرنوصي - زناتة. كما سيتمّ إنشاء ثلاث ولايات جديدة بمرسوم 1 يناير 1991 المكمّل بمرسومي 30 يونيو و17 غشت 1992، وهي ولاية فاس (عمالات فاس الجديد - دار الدبيبغ؛ فاس المدينة ؛ زواغة - مولاي يعقوب ؛ إقليم صفرو) وولاية مراكش (عمالات مراكش و مراكش - المنارة؛ ومراكش - المدينة ؛ وسيدي يوسف بن علي ؛ وإقليما شيشاوة والحوز) وولاية مكناس (عمالتا مكناس - المنزه الإسماعيلية ؛ إقليم الحاجب).

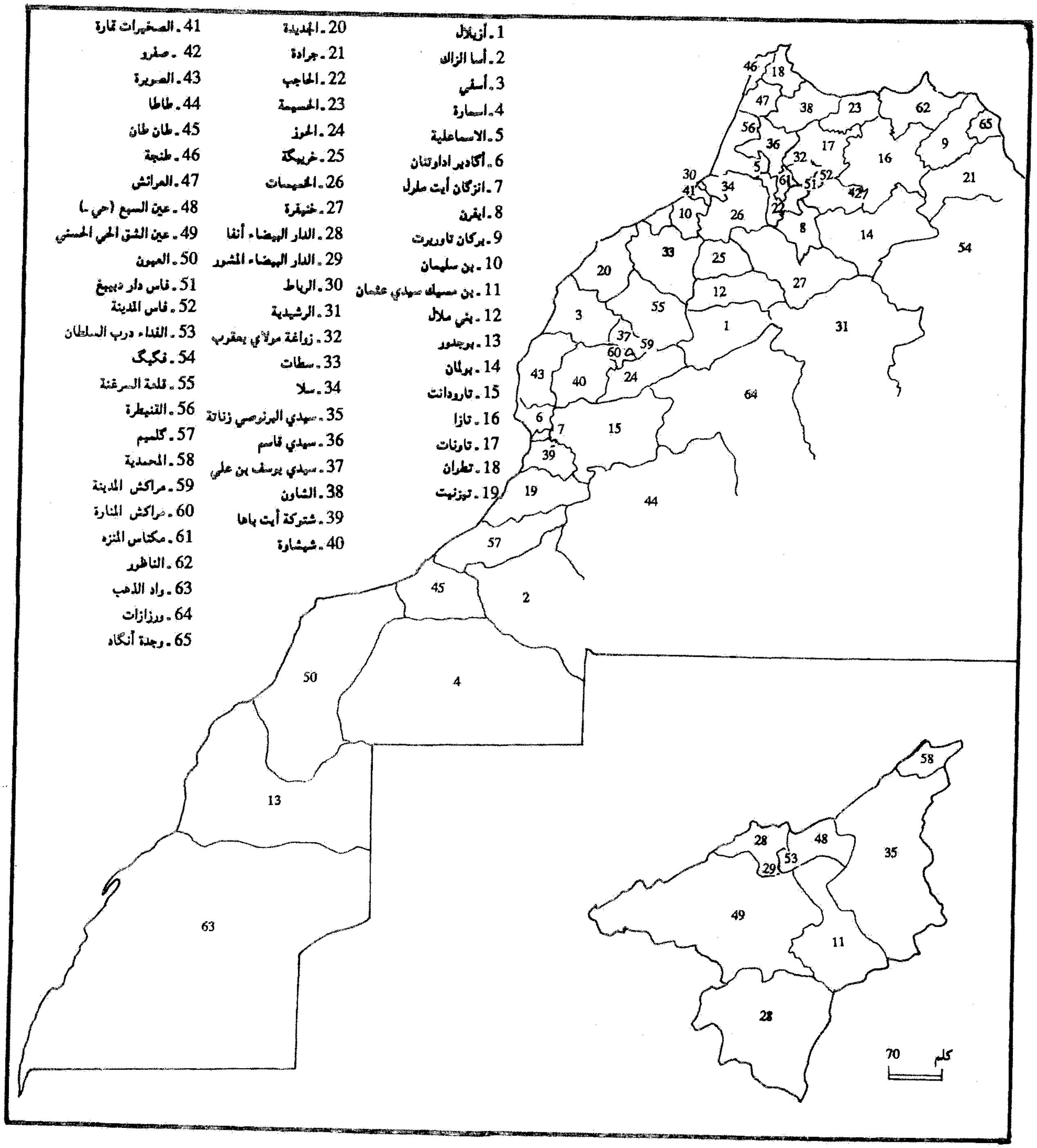


**مجموع العمالات (22) والأقاليم (43)**

**حسب التقسيم الإداري لسنة 1994**

وأخيراً، سيتم خلق أربع ولايات أخرى بمقتضى مرسوم 24 مـاي 1994 وهي ولاية وجدة (عمـالة وجدة ـ أنكاد وإقليما بركان ـ تاوريرت وجرادة) وولاية أكادير (عمالتا أكادير ـ وإدا وتنان وإنزكان ـ أيت ملول وشتوكة ـ آيت باها) وولاية تطوان (أقاليم تطوان والعرائش وشفشاون) وولاية العيون (إقليما العيون وبوجدور). هكذا يتوزع المغرب اليوم في أواخر سنة 1994 إلى واحد وثلاثين إقليماً خارج الولايات التسع التي تضم اثنتين وعشرين عمالة واثني عشر إقليماً وإلى مائتين وتسع وأربعين جماعة حضرية، وألف ومائتين وسبع وتسعين جماعة قروية.

لقد قطع المغرب ـ كما رأينا ـ أشواطاً هامة في تقسيمه الإداري لمحاولة توطيد اللامركزية. وتتمثل أهم محطاتها في قوانين 1963 (ثم 1966 و1969) المنظمة للإقليم والتي تنصّ على إنشاء مجالس إقليمية تضمّ ممثلي السكان وممثلي القطاعات المنتجة، وقوانين 1971 (ثم 1979) التي تنصّ على إحداث الجهات الاقتصادية، وقوانين 1976 التي أدخلت إصلاحات متميزة على التنظيم الجماعي لنقل بعض صلاحيات الباشا والقائد لصالح رئيس الجماعة المحلية ولتحسين مداخيلها ومستواها ووسائلها البشرية.

رغم هذه الطفرات النوعية، يسجّل على التقسيم الإداري المغربي الحالي تفاوت بين الأقاليم، وهو ناتج عن تمايزات في المساحة وعدد السكان والتجهيزات والموارد، خصوصاً بالنسبة لبعض الأقاليم التي نشأت بمقربة من الأقطاب الجهوية. أضف إلى ذلك أن الإدارات التقنية في العديد من الأقاليم لا تساير دائماً التقطيع الترابي. كما أن اللامركزية لازالت تشكو من بعض أثقال سلطة الوصاية، سواء بالنسبة للجماعات التي غالباً ما تكون عوائقها ماديّة أو بالنسبة للمجالس الإقليمية التي يعتبر العامل رئيسها الحقيقي بفعل مهامّه الدستورية التي تدعّمت سنة 1977 ثم سنة 1994 والتي تخوّل له سلطة مادية ومعنوية تجعله يشرف على انتخاب أعضاء المجلس ومراقبتهم وتنفيذ مقررات المجلس والتنسيق بين الإدارات، علاوة على اختصاصاته الأمنية والتسييرية.

*الجريدة الرسمية للمملكة المغربية* ؛ *معلمة المغرب*، مواد *إدارة*، *إقليم*، *باشا*، *بلدية* ؛ إدريس الشرادي، *مجالس الجماعات الحضرية والقروية*، الرباط، 1983 ؛ عبد القادر باينة، *التنظيم الإداري بالمغرب*، الدار البيضاء، 1991.

S. Benbachir, *L'Administration locale au Maroc*, Casablanca, 1969 ; A. Sedjari, *Les Structures administratives territoriales et le développement au Maroc*, Rabat, 1981 ; D. Basri, *L'Administration territoriale, l'expérience marocaine*, Paris, 1990

مصطفى عياد

**التّـقّـال**، أسرة أصلها من جبل حبيب كانت بتطوان، والوثيقة الوحيدة التي تشير إلى أنها كانت مازالت بتطوان هي المتعلقة بالإحصاء الذي جرى بالمدينة سنة 1257 / 1841.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 56 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 350 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuaníes de abolengo*.

محمد ابن عزوز حكيم

**ابن التّـقْـليتي**، أحمد المراكشي، ترجم له معاصره أحمد ابن القاضي ترجمة مختصرة في *درة الحجال* ولم يزد عليها شيئاً من ترجموا له بعده. إلا أن ترجمة ابن القاضي لابن التقليتي تكتسي أهمية خاصة نظراً لكونه رياضيا مثله، فقد قال عنه : "عارف بالحساب والتعديل والمساحات وبعض مبادئ الهندسة، وهو شيخ جماعة الفنون المذكورة بمراكش المحروسة".

توفي بعد عام 999.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 1 : 172 رقم 217 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. الرباط، 1974، 2 : 243 رقم 206 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 381.

محمد حجي

**تـقْـوا**، خليفة بن إسماعيل الدكالي، مقاوم ولد بسيدي بنور سنة 1922. وكان من ضمن المقاومين النشيطين بالدار البيضاء، وخاصة بحي ابن مسيك، يقوم بتوزيع المناشير والكتابة على الجدران من أجل حث المواطنين على الثورة ضد الاستعمار. ألقي عليه القبض من طرف السلطات الفرنسية بتاريخ 11 مارس 1955، وظل معتقلا بالسجن المدني بالدار البيضاء إلى أن استشهد خنقا بالغاز بتاريخ 21 نونبر 1955.

*وثائق المندوبية السامية للمقاومة* ؛ *كتاب الشهداء*، الجزء II.

عز الدين العلام

**تـكادا**، من أبرز المجموعات الموسيقية الشعبية التي أفرزتها ظاهرة "فرق الأجيال" في السبعينات بالمغرب. انطلق نشاط هذه المجموعة في بحر عام 1972 بدافع الرغبة في تطوير واقع الأغنية المغربية، وذلك على يد ثلة من العناصر التي كانت تعمل إلى جانب الفنان المسرحي الطيب الصديقي بالدار البيضاء. وقد اهتمت ـ كمثيلاتها الأخرى ـ بالتعامل مع التراث الموسيقي الشعبي، وخاصة منه الغناء البدوي والعيطة بأنواعها الحوزية والجبلية.

وفيما تحرص المجموعة على صيانة البنية العامة للأغنية الشعبية التي تتعامل معها، فإنها في ذات الوقت لا تتردد في البحث عن أساليب التلوين والتنويع، وذلك من قبيل تحوير المقام الأصلي للأغنية بنقله إلى المقام المناسب، أو الجمع بين مقطوعتين تراثيتين في أغنية واحدة، أو توظيف مزيج من الإيقاعات المغربية بغية إحداث تجاوب عضوي مع ألحان الفقرات الغنائية. ومن هنا جاءت أغاني تكادا حافلة بصنوف الإيقاعات المغربية الشعبية كالتعريضة والمرساوي وأقلال،والسوسي وتَاسْكوين، كما جاءت هذه الأغاني لتؤكد أن الإيقاع هو أكثر عناصر اللغة الموسيقية إغراء للمجموعة على حساب العناصر الباقية المكونة للأغنية الشعبية.

وإلى جانب الآلات الإيقاعية التي تستخدمها المجموعة (الطبلة - البندير - التعريجة - القرقبة) تكاد تنفرد - دون غيرها من "فرق الأجيال" - باستخدام الكمنجة، لأنها - في رأي أعضائها - أقدر على بلورة الموقف الدرامي في العيطة المغربية.

ومن جهة أخرى تتميز المجموعة بالجمع بين المسرح الغنائي والأغنية الشعبية. ومن إنتاجها في هذا المجال : مسرحيات عبّو والريح - حلوف كرموس - سبع أيام المشماش وهو حوار خاص مع أعضاء المجموعة : محمد اللوز - محمد الجدور - عمر دخوش - سليمان عاطف - أحمد دخوش (داكار بمناسبة الاسبوع الثقافي المغربي بالسنيغال 26 - 31 مارس 1994).

من أشهر أغاني المجموعة : آجي أُوكَانْ - التّـبُّـوريدا - فِينْ الأَحْباب اللّي كانوا - لَلَّـهْ ياهْلِـي - بَابَ - سلامي ليك.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**تَـگانة** Tagana، ذكر الباحث بوزنيي بأن تگانة من المراكز التي عددها الجغرافي بطليموس (القرن II م)، ووافقت حسب نفس الباحث مدينة توگانة (Tugana) عند منابع واد تانسيفت، إلى الشرق من مدينة مراكش.

H. Besnier, *La Géographie ancienne de la Maurétanie Tingitane*, *A.M.* I, 1904, pp. 301 - 365.

البضاوية بلكامل

**تَـگانتْ أُوگضيـضْ**، قرية جبلية في بلاد سملالة يعرِّبها السملالي والحضيگي وغيرهما من أصحاب كتب التراجم بغابة الطير وينسبون إليها بمزج الكلمتين : تَـگانـتُوگضـيضي، لكنهم لا ينسبون إلى غابة الطير ويكتفون بالسملالي. ينتسب إلى هذه القرية جماعة من الفقهاء والصلحاء معظمهم من الوگاگيين آل الشيخ عمرو ابن يعزّى السملالي.

**التگانتُوگضيضي، أحمد** بن عمرو بن يعزى السملالي فقيه مشارك درس في سوس ثم رحل إلى فاس - كأبيه - فأخذ عن كبار علماء القرويين حتى اكتمل تكوينه ورجع إلى مسقط رأسه. وقد رجع إلى فاس بعد أن دخلت في حكم السعديين ولم يذكر مترجموه إن كانت أسندت إليه مهمة رسمية في جهاز دولة الشرفاء. وفي فاس أدركته الوفاة عام 980 / 72 - 1573 ودفن في باب الگيسة (عجيسة)، ويعرف ضريحه بسيدي أحمد السوسي.

**التگانتُوگضيضي، عبد الله** بن أحمد بن عمرو السملالي ولد من قبله. حلاه الحضيگي بقوله : "من أجلة الفقهاء الأخيار وأولياء الله الصالحين وعلماء الدين، صائب الفراسة صادق الأحوال يشاور في الأمور والنوائب".

لم تُذكر له رحلة إلى فاس، لا في مرحلة تعلمه ولا تعليمه، وإنما ظل متصدراً للإفادة والإرشاد والتدريس والتربية الروحية في مسقط رأسه إلى أن توفي عام 1036 / 1627 - 26.

**التگانتُوگضيضي، علي** بن عبد الله بن أحمد، حفيد الشيخ الحاج عمرو ابن يعزى السملالي. فقيه كبير، ومدرس شهير. درس في سوس على شيخ الإسلام علي بن أحمد الرسموكي وغيره. وقد حلاه الحضيگي بقوله : "الفقيه العالم العامل الشهير العابد الناسك الصالح المرابط المدرس. برع في فنون وأقرأها فهو شيخ المشايخ". وأخذ عنه جماعة من السوسيين وغيرهم، منهم الحسن اليوسي لما كان يدرس بسوس.

مرض علي في آخر حياته وتوفي في مسقط رأسه تگانت أو گضيض يوم الأربعاء فاتح ربيع الأول عام 1074 / 3 أكتوبر 1663.

**التگانتُوگضيضي، عمرو** (الحاج -) بن يعزّى السملالي. جد الأسرة العَمْريَّة السملالية العالمة وإليه تنسب. وهو أحد أعلام سوس الذين لم يكتفوا بما تلقوه في بلدهم من معارف، وشدوا الرحلة إلى فاس في عهد الوطاسيين حين انتعشت الحركة العلمية فيها بمن حل بها من الأندلسيين والوهرانيين وغيرهم فأخذ عن الإمام محمد ابن غازي وطبقته إلى أن تخرج عالماً متمكناً في المعقولات والمنقولات، وحج فلقي طائفة من علماء المشرق وأخذ عنهم، فأصبح متميزاً في قطره علماً واستقامة. قال في حقه الحضيگي : "وبرع في علم المنطق والفقه وفاق الأقران... فصار من جهابذة العلماء ونقاد الفقهاء ويغار أن يتعاطى العلوم غير متقنها، في عفة وصيانة ونزاهة وديانة وورع وزهد تام".

توفي في مسقط رأسه حوالي عام 930 / 1524.

الرسموكي، *وفيات*، 17 - 18 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، رقم 584 و722 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 48 - 49 ؛ *رجالات العلم*، 17 - 27 - 28 ؛ *جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف*، 115 - 116.

محمد حجي

**تكدي** (أولاد -) ← **دليم**

**تَـكْـرْكُوسْتْ** أو تاكركوسْت (بسوس)، قرية توجد بقبيلة سكتانة الشهيرة جنوبي مركز أولوز، أنجبت عدداً من الفقهاء والمدرسين والصلحاء. تحدث عن بعضهم التاسافتي في *رحلة الوافد*، ومحمد المختار السوسي في *المعسول*. منهم :

**التكركوستي، محمد** بن إبراهيم بن أحمد بن عثمان ابن مَحمد بن يعقوب، من مرابطي تاكركوست. وقد اشتهرت تاكركوست بشهرة الأسرة اليعقوبية، التي ينتمي إليها المترجم، وهي من الأسر العلمية الكبرى بمنطقة سوس، حيث عرفت بالعلم والصلاح منذ قرون. (*المعسول*، 16 : 49...). وما هذا التاكركوستي إلا فرع من تلك الدوحة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء.

ذكر محمداً التاكركوستي صاحبُ *رحلة الوافد* (ص. 197) فحلاه بقول : "المرابط الخير الدين الصالح، الفقيه، المحدث"، كان قائما على تدريس كتب الحديث المشهورة ولاسيما *الصحيحين والموطأ والجامع الصغير*. ومن كتب التفسير التي كان يدرسها، البيضاوي والثعالبي وابن جزي والجلالين، بالإضافة إلى كتب الفقه والسيرة واللغة وغيرها من الفنون.

كان المترجم شديد الحرص على ختم *صحيح البخاري*، على عادة ناصريي درعة. فقد حضر التاسافتي ختمه ثلاث سنين دأباً. ووصف ذلك الحفل البهيج، حيث يجتمع جيران الزاوية، ويقومون بإطعام كل من حضر.

وترجم له الخليفتي (ص. 241) فقال : "كان عالما زاهدا، تقيا عاملا عابدا ناسكا...". وهو من كبار تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، حيث أذن له إذناً عاما مطلقا في النيابة عنه في تلقين الأوراد، وإعطاء العهود. لكن الخليفتي لم يثبت تاريخ وفاته.

كما ترجم له الحضيكي، بنفس الألفاظ تقريبا، وأضاف أنه : "حج ولقي أعلام الحرمين ومصر، وأخذ عنهم علوم الحديث وغيرها. وأحيى بلاده بتلك العلوم والسنن، وبنى المدرسة، وأقام الزاوية، وأطعم الطعام وشمر في إقامة الدين، وأحيى السنن وأمات البدع، وانتفع به الخلائق... وانتشر صيته، وقُصد من بعيد"، (*طبقات*، 2 : 120).

وبالإجمال فإن محمد بن إبراهيم التكركوستي كان من كبار أساتذة سوس، في القرن الثاني عشر (18 م) وممن عملوا على نشر الطريقة الناصرية هنالك.

توفي ليلة الجمعة من شهر جمادى الثانية سنة 1134، ويذهب المختار السوسي إلى أن وفاته كانت يوم الأربعاء.

وبالرغم من أن خزانة التكركوستي قد اشتهرت في ذلك الوقت، فإن من ترجموا له لم يشيروا إلى تصانيفه.

التاسافتي، *رحلة الوافد*، تح. علي صدقي أزايكو، القنيطرة، 1988 ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة*، تح. أحمد عمالك، 1986 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 16 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، ج. 2.

أحمد عمالك

## تكريم البترول ← البترول

**التكريم** (في الرياضة) Jubilé، تتم مكافأة اللاعبين الذين أتموا مسارهم الرياضي بواسطة تنظيم تظاهرة رياضية تليق بمقامهم وتعد تكريماً لهم نظراً للخدمات التي قدموها لبلادهم. إن ريع المقابلات ومداخيلها تعود للاعب الذي مثل بلاده أحسن تمثيل في الملتقيات الوطنية والدولية.

لقد سار المغرب على هذا التقليد إذ نظم أول تكريم لفائدة اللاعب حسن أقصبي لاعب الفتح الرباطي المحترف بفرنسا. وقد شارك في هذا الحفل الرياضي فريق ريال مدريد الإسباني إلى جانب ائتلافي الفتح وشباب المحمدية.

ثم كان التكريم الثاني لفائدة حارس الجيش الملكي والنخبة الوطنية قسو علال، وقد شارك في هذا التكريم منتخب إفريقي لعب ضد فريق بنيفكا البرتغالي.

لقد ساهم فريق الوداد البيضاوي، مساهمة فعالة في هذا المجال، بحيث قام بتكريم عدد كبير من لاعبيه. ولتكريم اللاعبين تستدعى في غالب الأحيان الأندية الأوربية للمشاركة في هذه التظاهرات الرياضية إلى جانب النادي أو الأندية التي ينتمي إليها اللاعب. وفيما يلي سجل هذه التظاهرات التي أقيمت احتفاءً بالرياضين سواء كانوا لاعبين أم حكاماً أو مسيرين :

3 يونيو 1971 تكريم اللاعب حسن اقصبي (الفتح) ؛ يونيو 1975 تكريم الحارس قسو علال (الجيش) ؛ 25 يناير 1977 تكريم اللاعب الزغاري (الوداد) ؛ 7 يناير 1979 تكريم اللاعب عبد الحق (الوداد) ؛ 16 يونيو 1983 تكريم اللاعب الحارس أحمد (الوداد) ؛ 10 غشت 1983 تكريم اللاعب العربي (الوداد) ؛ 30 أبريل 1984 تكريم اللاعب مجاهيد (الوداد) ؛ 26 مايو 1985 تكريم الحارس عبد القادر (الوداد) ؛ 30 مارس 1987 تكريم اللاعب عبد الخالق (الوداد) ؛ 31 يناير تكريم اللاعب كمال (الوداد) ؛ 21 يناير 1989 تكريم اللاعب الشريف (الوداد) ؛ سنة 1991 تكريم اللاعب العلوي (الوداد - الاتحاد البيضاوي) ؛ 9 يونيو 1992 تكريم اللاعب بريجة (الوداد).

من الرجاء البيضاوي : 27 نونبو 1983 تكريم اللاعب بونيني ؛ 16 يونيو 1988 تكريم اللاعب ميلازو ؛ 18 نونبر 1991 تكريم اللاعب بهيجة.

من المغرب الفاسي : 2 مايو 1982 تكريم اللاعب التازي؛ 25 يناير 1985 تكريم اللاعب الگزار ؛ 23 يونيو 1984 تكريم اللاعب ليمان.

من النادي المكناسي : 30 دجنبر 1983 تكريم اللاعب غوريني ؛ 24 يونيو 1991 تكريم اللاعب عبد الوهاب.

من نجم الشباب البيضاوي : بابا - 31 دجنبر 1988 ؛ ميري كريمو - 28 مايو 1991.

من الجمعية السلاوية : 22 أبريل 1989 تكريم الدليلي العربي الملقب بـ"بتشو" ؛ 23 مايو 1991 تكريم اللاعب الشندرة.

من الدفاع الحسني الجديدي : 10 يوليوز 1988 "بابا" ؛ 14 يوليوز 1984 شيشا.

من المحمدية، اللاعب عسيلة (20 يناير 1985).

من أگادير، اللاعب بومزگيدة (31 دجنبر 1991).

من سيدي قاسم، اللاعب السماط (23 مايو 1985).

وأخيراً لحسن شيشا لاعب (السيام، تطوان الوداد، الفتح وحسنية أگادير) يوم 24 أبريل 1990. والمرحوم الدايدي عزيز، من النادي المكناسي، وعبد الله العمراني باخا من الجيش الملكي، واللاعب بكار من الرجاء البيضاوي.

- إلى جانب اللاعبين، تم تكريم الحكم السطالي سنة 1983.

ولتخليد ذكرى الرياضين الذين انتقلوا إلى عفو الله، تقام تظاهرات رياضية، ريعها يعود لعائلاتهم. وهكذا تم

تخليد ذكرى المرحوم نور الدين أگديرة الصحفي الرياضي والمذيع يوم 29 دجنبر 1991، وذكرى المرحوم الصويري (28 ـ 12 ـ 1991) الذي قدم خدمات مشكورة للكرة المغربية بمدينة القنيطرة.

*تقاييد خاصة*. K. Arsalane, *Le Football marocain*.

عبد العزيز بل الفايدة

**تَـگْـطْـشْـتْ**، جامع بقنة جبل مطل على الشاطئ الممتد ما بين ترغة وتيجيساس (سطيحة)، بقبيلة بني زيات الغمارية، من آثار الفاتحين الأولين، ويشبه كثيراً في شكله ومادة بنائه (الطابية) جامع موسى بن نصير ببني حسان (الجامع البيضا)، وجامع طارق بن زياد باشرافات على مقربة من شفشاون.

وتَـگْـطْـشْـتْ، اسم امرأة صالحة سوسية الأصل كانت تتعبد هناك، وربما أقبرت في هذا المكان، فاشتهر باسمها. وتذكر بعد المصادر أن هناك مدفن عمر بن إدريس، أمير تيجيساس، والمعروف أن عمر بن إدريس هذا، توفي ببعض جهات بلاد صنهاجة بموقع يعرف بفج الفرس، عام 220 / 932، فحمل جثمانه إلى فاس حيث صلى عليه الأمير محمد بن إدريس، ودفن بجانب والده إدريس الأصغر، لكن قبره غير معين ولا معروف، مما يشككنا في مدفنه هناك ؛ فمن المحتمل أن يكون أهله وعشيرته ذهبوا به في خفاء إلى مكان إمرته وعاصمة ولايته، حيث أقبر في حرز مكين بهذا الجبل ؛ ودفن بعض أبنائه بروضة قرب جامع تندمان، وتعرف بروضة سيدي بنعمر، ولاتزال قائمة العين إلى الآن.

وقد عقد الأمير محمد بن إدريس على عمله لولده علي ابن عمر فكان من أمره أن أثار على ابنه عمه علي بن محمد بن إدريس، فاستولى على العرش الإدريسي بالقوة، فبايعه الناس ودخلوا في طاعته، وخطب له على جميع منابر المغرب ؛ وكذلك حفيده يحيى بن إدريس بن عمر واسطة عقد البيت الإدريسي، الذي يقول فيه ابن خلدون : "لم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه في الدولة والسلطان" ؛ وهذه شهادة تلقاها نقيب الأشراف أبو الحسن علي بن عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب العلمي، عن فقهاء غمارة وكبرائهم، محمد بن يشرف، والشيخ أحمد ابن مرزوق الهليلي والد عبد القادر بن مرزوق، وولده الشيخ قاسم، وابن عمه السيد عبد الله ـ أن سيدي عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل ـ قبره عندهم بروضة تَـگْـطْـشْـتْ المشهورة بقبيلة بني زيات ؛ وهي مزارة مشهورة، وخصوصاً في يوم عرفة، وعند طلب الغيث ورفعه. وعمر ـ على الخلاف في اسمه ـ كان متوليا عن أخيه الأكبر الأشهر مولاي محمد ابن إدريس بقصبة تيجيساس المشهورة بالبلاد المذكورة ـ وكتبه المتلقي عمن ذكر وغيرهم : علي بن عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب. وكتزكية لهذه الوثيقة، نقلها النسابة الشهير عبد السلام بن الطيب القادري في كتابه *الدر السني، فيمن بفاس من أهل النسب الحسني* (ص. 337).

ابن أبي زرع، *القرطاس*، نشر محمد الهاشمي الفلالي، 1 : 73 ـ 74 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 216 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 83 ـ 84 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 173 ـ 174.

سعيد أعراب

**تْـگَـفَـايْـتْ** أو **گْـفَـايْـتْ** ـ بدون تاء ـ، زاوية تقع بسهل صغير يعرف بنفس الاسم واقع على وادي زا عند الخانق الذي حفره قبل دخوله كتلة جبال بني بوزگو، وهذا السهل على شكل مثلث طول أضلاعه 2.5 كلم، 1.5 كلم و2.5 كلم.

تقوم بهذا السهل قصبة متركبة من ثلاثة تجمعات سكنية يحيط بها سور طوله ثمانون مترا وارتفاع جدرانه يتراوح بين ثلاثة وأربعة أمتار، وبابه ينفتح على الجهة الجنوبية. استقر بهذه التجمعات السكنية في بداية القرن الرابع عشر (20 م) حوالي 300 عائلة جميعها مسلمة، لكن من أصول قبلية مختلفة. منهم بربر بني يعلا، وأولاد عمرو، وبني مطهر، وعرب أولاد بختي والمهاية.

وعلى بعد حوالي كيلومتر ونصف شمال القصبة تقع زاوية تگفايت أو گفايتْ، وهي عبارة عن بناء متواضع طوله حوالي خمسين متراً وعرضه أربعون متراً. تسمى هذه الزاوية زاوية تگفايت أو زاوية أولاد ابن عبد الرحمن، نسبة إلى مؤسسها الأول محمد بن عبد الرحمن. كان مستقره أول الأمر بطرابلس في ليبيا صحبة أخيه الماحي بن عبد الرحمن بهدف تلقي العلم، وكانا يتتلمذان على يدي الشيخ محمد بن سعيد الهبري. وبعد عودتهما إلى المغرب عمل الماحي على تأسيس زاوية ببني سنوس في الحدود المغربية الجزائرية، بينما اتجه أخوه محمد بن عبد الرحمن إلى تگفايت وأنشأ زاوية اشتغل فيها بالتعليم وتربية المريدين، واستمر كذلك إلى أن قتل بأولاد عمرو، فتولى أمر الزاوية أخوه الماحي بعد أن ترك ابنه المهدي بزاوية بني سنوس.

أما عن فترة تأسيس هذه الزاوية، فيشير ڤوانو Voinot إلى أن الزاوية تأسست خلال القرن الثاني عشر (18 م) من طرف السيد الماحي، بينما تذكر الرواية أن زاوية تگفايت قديمة تأسست خلال القرن العاشر (16 م). ونرجح الرواية الأولى لأنها ملائمة لعمود نسب شيوخ الزاوية الذي يذكر شيخين للزاوية هما السيد محمد وأخوه السيد الماحي قبل السيد الطيب الذي ذكره ڤوانو كمؤسس للزاوية.

عبد الرحمن

1 ـ محمد

2 ـ الماحي
3 ـ الطيب
4 ـ بومدين
5 ـ الطيب
6 ـ حمزة
7 ـ حمادة
8 ـ حمزة
9 ـ بن أحمد
10 ـ الماحي

عمود نسب شيوخ زاوية تگفايت

ينتسب أهل الزاوية إلى الشرفاء الأدارسة. ويبدأ عمود نسبهم من عبد الرحمن بن أبي مدين بن أبي عبد القادر.... وينتهي إلى الحسين السبط ابن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، كما نشير إلى أن مؤسس الزاوية يلتقي في عمود نسبه بالولي أحمد الراشدي الملياني (ت. 927 / 1521) (*وثيقة نسب خاصة*). وطريقتهم جزولية شاذلية.

كانت زاوية تكفايت في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) عبارة عن بناء بسيط ليس فيه سوى ثلاث حجرات، ولما تولى أمر الزاوية الشيخ حمادة بن حمزة المكنى محمد "حماد لعناية" قام - بأمر من السلطان الحسن الأول - بتجديد بناء الزاوية وتوسيعها، فأصبحت تتوفر على عدة غرف وبها أقواس وأعمدة ويتوسطها فناء به نافورة.

وبقيت كذلك إلى سنة 1947 م حيث أدخلت عليها إصلاحات أخرى خاصة بالتزيين، وفي سنة 1970 م أدخلت عليها إصلاحات تتعلق بتجديد السقف، ورغم هذه الإصلاحات والتجديدات فإنها حافظت على الشكل الذي كانت عليه في أواسط القرن الثالث عشر (19 م)، وهو نفس التاريخ الذي يعود إليه بناء المسجد الذي يوجد الآن بجانب الزاوية.

كان للزاوية دور ديني وإشعاع ثقافي على كافة المناطق سواء المجاورة للزاوية الأم أو البعيدة عنها، وقد تخرج على يد شيوخها علماء أجلاء نذكر منهم : "العلامة الكاتب، سمط المساجد والمكاتب، أبو العلاء إدريس بن ولي الله سيدي الطيب بن الماحي دفين تسجافايت : قرية في أعلى وادي زا، كان عالما فقيها وجيها كاتبا شاعرا... له خط بارع.. وقد طلبته الدولة العلوية في زمن وزيرها الأعظم، الفقيه ابن إدريس أن يكون كاتبا في حضرتها فامتنع أخوه رئيس الزاوية يومئذ أبو يعلى سيدي حمزة بن الطيب" (*نزهة الأبصار* للمشرفي). وعموما فإن نشاط الزاوية على الساحة الدينية والثقافية يترجمه ما كانت تتوفر عليه خزانتها الضخمة من الكتب والمخطوطات التي ضاعت بسبب الحريق الذي تعرضت له من طرف أتباع بوحمارة.

بالإضافة إلى الدور الديني والثقافي للزاوية، كانت تقوم بدور سياسي يتمثل في مساعدة المخزن في حملاته التأديبية التي كان يشنها ضد القبائل الثائرة في المنطقة، ومقابل ذلك أنعم السلاطين العلويون بظهائر التوقير والاحترام على أهل الزاوية وشيوخها.

وكان أهل زاوية تكفايت في 23 رمضان عام 1291 يحتلون مكانة مرموقة بين قبائل المنطقة، مكنتهم من التدخل لإصلاح ذات البين بين القبائل المتناحرة، وكان السلم هو الميزة الأساسية بين أهل الزاوية وبين القبائل المجاورة لها إلا أنه خلال فترة فتنة الروگي بوحمارة دخلت الزاوية في صراعات حادة مع بعض القبائل المناصرة لبوحمارة كقبيلة أولاد سيدي الشيخ بقيادة بوعمامة حليف بوحمارة.

وأثناء الاضطرابات التي توالت على إقليم وجدة بين سنوات (1903 - 1906 م) بدأ بوعمامة يحرض القبائل للوقوف بجانب بوحمارة مع معاقبة كل من يمتنع عن ذلك، وفي هذا الإطار تعرضت زاوية تكفايت إلى الاعتداء، وأخرج منها أهلها، وتعرضت ممتلكاتهم للنهب. نستشف ذلك من خلال الوثيقة المرسلة من طرف بوعمامة إلى أحد عبيد الزاوية القائم على ممتلكاتها الموجودة بگنفودة يأمره فيها بتسليمها إياه.

وقد أدى ذلك إلى أن تدخل الزاوية في صراعات مع بعض القبائل خاصة قبيلة لبخاتة التي اتخذت موقفاً عدائيا من أهل الزاوية مازال مستمراً إلى الآن.

وأثناء استفحال الاضطرابات التي صاحبت ثورة بوحمارة في المناطق الشرقية لم يستطع أهل الزاوية الصمود في وجهها فغادروا تكفايت مولين وجههم إلى مدينة وجدة التي استقروا بها طيلة فترة الثورة ودخلوا بها في حروب بجانب المخزن ضد بوحمارة، حيث قتل عدد منهم كالسيد الموفق بن حمادة (ابن شيخ الزاوية السيد حمادة) وابن عمه الماحي بن الصديق، وإدريس بن الماحي، وغيرهم...

وهكذا نرى أنه بعد أن اقتصرت زاوية تكفايت في بداية أمرها على دورها الديني والثقافي والاجتماعي دخلت هي الأخرى إلى الساحة السياسية خاصة بعد دخول المستعمر إلى الجزائر، وبذلك عرفت الزاوية منعطفا آخر في مسيرتها.

**تكفايت**، جماعة قروية تم إحداثها بموجب المرسوم رقم 2 / 59 / 1834 الصادر بتاريخ 2 / 12 / 1959م. مقرها بدوار الزاوية الذي يتميز بوجود مساحات سقوية شاسعة، وواحة تغطي مساحة تقدر بـ290 هكتار، وهو على بعد 90 كلم جنوب غرب مدينة وجدة، و27 كلم عن مدينة جرادة، و63 كلم عن مقر المقاطعة القروية لبني يعلى. وتبلغ مساحة الجماعة حوالي 593 كلم².

تتوفر الجماعة القروية تكفايت على سهول داخلية ضيقة، تتخللها مجموعة من التلال، ومن أبرزها : سهل الفيضة وعكاية الكائنين بالواد الحي، وسهل الحاسي الكائن بدوار الروابح، بالإضافة إلى عدة هضاب وسلاسل جبلية ضخمة متوسطة الارتفاع. ويعتبر الواد الحي من أهم الأودية بالجماعة، حيث أن مجراه يعرف انتظاما طول السنة، وله عدة روافد تزيد في حجم مياهه التي يتم بواسطتها سقي مساحات شاسعة من الأراضي الفلاحية بالمنطقة.

كما توجد بالمنطقة عدة عيون طبيعية أهمها عين الشفاء الكائنة بدوار الزاوية السفلى، وعين خالص الكائنة بدوار الزاوية العليا. بالإضافة إلى عيون أخرى كعين غار الغولة، وعين معزوز وعين تيفراسين وأومراح. وتمثل الفلاحة وتربية المواشي النشاط الرئيسي والمورد الوحيد لسكان الجماعة.

م. العربي المشرفي، *نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار...*، مخطوط، خ. ع. 579 ك؛ *وثائق وظهائر* خاصة بالزاوية؛ *مونوغرافية* جماعة تكفايت، 1992؛ *معلومات من المصلحة الاقتصادية* التابعة لولاية وجدة؛ *معلومات من بعض مصالح عمالة جرادة*؛ *بحث ميداني*.

A. Cour, *Notes sur la région de Berguent* ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat* ; *Confréries et Zaouia au Maroc Oriental.*

ماربة دادي

**التِّكَّة**، حزام أهلي من صوف مفتول أو مظفور كان الرجل والمرأة كلاهما يشد به خصره قبل استعمال الأحزمة الجلدية والمضمات. ويطلق نفس الاسم على المكان المخصص لاحتواء الحزام نفسه في السراويل البلدية الفضفاضة. وغالبا ما تكون التكة داخلية تتحرك في مجرى باطني لا ترى منه إلا فتحتان يوجد بداخلهما طرفا الحزام. وكانت السراويل بالتكة، قبل انفتاح المغرب على البلدان الأوربية هي السائدة الانتشار في الحواضر والبوادي، على حد سواء على الرغم من استعمال بعض سكان الحواضر وخاصة منها الموجودة في شمال البلاد، لحزام منفصل عن السراويل، لكن هذا الحزام لم يكن مغربيا بل كان تركيا في أصله.

*Le Dictionnaire Colin d'arabe dialectal marocain*, vol. 1, Rabat, 1993 ; A. Sefrioui, *Le costume marocain*, *La Grande, Encyclopédie du Maroc*, vol. 2, Rabat, 1987 ; R. Dozy, *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes*, Amsterdam, 1845.

محمد بوسلام

**التكناوْتي**، الشريف بن علي الحسني المومناني الفاسي. من أسرة شريفة معروفة بفاس. وفيها ولد الشريف - اسماً - عام 1284 / 67 - 1868 ودرس في القرويين على مشاهير علمائها، أمثال عبد الله بن إدريس البدراوي، ومحمد بن قاسم القادري، وأحمد ابن الخياط الزكاري، وعبد السلام بن محمد بناني، وأحمد بناني كلاً وغيرهم، وتخرج عالماً مشاركاً في العلوم العقلية والنقلية.

قضى حياته في التدريس بالقرويين، وكان ذا طريقة حسنة في التبليغ والتفهيم، أخذ عنه أكثر الدارسين بالقرويين في العقود الوسطى من القرن الرابع عشر من الفاسيين والآفاقيين. ومن تلاميذه الذين سجلوا حسن انطباعهم عن شيخهم هذا محمد بن أبي بكر التطواني السلوي، وعبد السلام ابن سودة الذي عقد له ترجمة في فهرسه *سل النصال* وقال عنه "العلامة المطلع المشارك الكثير التدريس والإفادة والإجادة، كان يخوض في جل العلوم مع تواضع وعدم الدعوى ..." تولى عضوية المجلس العلمي بفاس إلى أن توفي بها على الساعة الحادية عشرة من ليلة الثلاثاء عاشر محرم عام ثمانية وستين وثلاثمائة وألف / فاتح نونبر 1949.

ع. ابن سودة، *إتحاف*، 1368؛ *سل النصال*، الترجمة 69؛ م. التطواني، *تقييد عن شيوخه*.

محمد حجي

**تَكْنَة**، اتحادية قبلية صحراوية، بذل العسكريون والباحثون الفرنسيون والإسبان جهوداً خلال العقود الخمسة الأولى من هذا القرن لبلورة منوغرافيات شاملة ومقتضبة حول الاتحادية القبلية، الأمر الذي جعلهم يحددون هويتها فيما أسموه بالكمفدرالية.

يمثل وادي نون وباني الغربية حيث يقيم القارون الذين ينتجعون الأماكن الخصبة قريبا من مداشرهم، المنطقة الحضرية لبلاد تَكْنَة. ولاشك أن مساند السفح الجنوبي الغربي للأطلس الصغير تمثل الحدود الشمالية بينما يشكل المحيط الأطلسي الحد الطبيعي الشمالي ووادي تامانارت و"معدر سلام" الحد الشرقي. يعتبر سهل وادي نون الأكثر خصوبة بالضفة الشمالية الغربية للصحراء الأطلسية. وهي خصوبة تميزها التأثيرات البحرية الملازمة للمحيط. أما كثبان وأعراف باني فتخترق الأودية بين الجبال مفجرة بذلك عيونا فياضة تسقي الواحات وتحصر حدود السكن. موقع المنطقة هذا ووفرة المياه وسهولة المواصلات جعلت من بلاد تكنة منطقة محورية لمرور القوافل. وقد بلغ عدد القرى والمداشر خلال النصف الأول من هذا القرن ثلاثة وخمسين منها ثلاثة عشر للف أيت الجمل الساحلي وأربعون للف أيت عثمان يفصلها جبلا تايسة وكير.

أما المنطقة الساحلية فتمتد بين خطي العرض 20 و32 درجة شمالا حيث ينتجع الرحل بين القعدة وإيزيك ومن وادي درعة إلى وادي نون. كما تمتد هذه المنطقة من الجنوب الغربي في اتجاه الشمال الشرقي معلنة التأثير المباشر للمحيط وخطوط العرض. غير أن وجود الجبل كحد طبيعي بينها وبين المنطقة الحضرية لا يشكل حدا فاصلا، فأماكن الانتجاع تصل إلى آخر المداشر. وربما كان الفرق الجوهري بين المنطقتين يتجسد في الأراضي السقوية واستعمال العربة. أما المنطقة الصحراوية حيث كانت قبائل تكنة تحمي القوافل مقابل ضرائب المرور، فتمتد عبر الساقية الحمراء عبر أزيد من ألف كلم تنحدر في مجملها من الشمال نحو الجنوب كما يدل على ذلك اتجاه مصبات أهم الأودية. وتلعب الحمادات دوراً مهما من حيث هي كصخور طاولية الشكل نادراً ما يزيد ارتفاعها عن 700 متر. هذه الخاصية تستطيع التأثير في العوامل المناخية وتقلبات الرياح جاعلة من الساقية الحمراء منطقة ساحلية أطلسية، وهو ما تثبته وفرة النباتات وكثافتها وعلوها واستمراريتها حتى مسافات قد تبعد بحوالي مائة كلم عن الشاطئ. كما تمتاز معظم تضاريسها ونتوءاتها بالانخفاض وبجريان المياه محليا إلى أن تنتهي في دنان. وتحاط أنجاد أربعمائة متر عادة بصخور عالية تغربلها الانخفاضات المسدودة حيث تتجمع المياه الجارية. كما تنقسم مناطق الكثبان الرملية بدورها إلى ثابتة غنية بالنباتات والمياه ومناطق أقل نشاطا حيث لا تعيش النباتات طويلا. وتعتبر الآبار كثيرة نسبيا غير أن أغلبها غير صالح للشرب، ويمكن تمييز آبار دائمة تستمد مياهها من القنوات الجوفية التي قد تصل إلى ثمانين متراً أو أكثر وأخرى موسمية يغذيها تسرب المياه

الشتوية. أما المياه الصالحة للشرب فتتمركز عموما بالشمال الغربي (زمور - وادي درا) وشرقا (إكَيدي - الحنك). وباستثناء الماء فإن الملح يعتبر العنصر المعدني الأكثر استغلالا منذ قرون بعيدة.

تتميز إذن بلاد تكنة بموقعها الأكثر خصوبة واعتدالا بالصحراء الأطلسية. ونرى بوضوح دور هذا التحديد الجغرافي في تثبيت الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة كنقطة التقاء القوافل القادمة من الصحراء والعائدة إليها. من هنا نتساءل ما دور أنماط العيش المختلفة وازدواجية اللغة في ترصيص التشكيلة الاجتماعية لقبائل الاتحادية والحيلولة دون تفككها ؟ يجيبنا الازدواج اللغوي بأن تسرب لسان ذوي حسان إلى الغور الصنهاجي إنما مرده إلى عدم تكافؤ العصبيتين بعد تعايش دام أزيد من ستة قرون. لقد تمكن ذوو حسان بإمعانهم في بلورة القيم الحربية المتزايدة، من الدفع بالفصائل الصنهاجية إلى مماثلتهم لغويا. ومن هنا فإن سلطة ذوي حسان لا تتمثل فقط في قوتهم الخاصة وإنما في طمس المعالم اللغوية لكبار الرحل من لفي تكنة. على أنه إذا كانت الحسانية قد تسربت من الجنوب تدريجيا في اتجاه الشمال كبقعة زيت عائمة، فإنها تؤكد بأن قبائل تكنة لم تكن محبوسة أو غير قادرة على التحول بقدر ما تفيد كذلك ظاهرة التأثر الميداني بمعايير المجتمع الحربية والسياسية السائدة. إلا أن هذه الرؤيا تفقد مع ذلك من طابعها العلمي ما لم ننتقل إلى رصد بعض معطياتها التوثيقية الملموسة.

تجسد هذه الاتحادية القبلية البنية الوظيفية التي تتحكم في المقاييس الحربية والسياسية والاقتصادية للساقية الحمراء ووادي نون وباني الغربية حيث يمثل وادي تامنارت الحد الشرقي. ولكي نبرز أسباب هذه التسمية وعلاقتها بالجانب التسييري لتكنة يبدو مدشر تاكَجكَالت أيت تيكني على وادي تامنارت متين الارتباط بمحور من المحاور الأولى التي تدور حولها نشأة هذه الاتحادية. فإذا كان هذا المدشر قد عرف ميلاد عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين خلال القرن الخامس (11 م)، فإنه يبدو وثيق الاتصال بنول لمطة حيث كان عثمان بن مندي الجد الأعلى لتكنة عاملا لابن ياسين وأبي بكر بن عمر اللمتوني (V. Monteil, *Les Tekna*, 10 - 17). إذا حاولنا استعراض الكيفية التي ترسم نشأة هذه الاتحادية فإننا نجد مخطوط *البحر المحيط في نسب تكنا وازوافيط* فصاحبه عبد المولى ابن بوعلام يزكي هذه المقولة. فهو يضيف بأن أبا الوليد ابن رشد القرطبي قاضي علي بن يوسف بن تاشفين قد وظف دور تَكْنَة وأزوافيط الحربي في حماية أمن وسلامة القوافل عبر مسالك الصحراء الأطلسية. فيرتبط بذلك اسم تَكْنَة بمراقبة المجال الذي يترجم من حيث تركيبه التاريخي تساكن المحورين الساحلي الغربي والموازي له شرقاً. من هنا فإن مهمة تقويم المعجم وتهذيب ألفاظه على ضوء الاستعمالات هو موكول إلى مفهوم هذا التعايش الذي يكمن أيضا وراء

مصطلح اللفين المكونين للاتحادية. وحتى نتمكن من إبراز أبعاد مفهوم اللف يكون لزاما أن نتخطى سياج النظرية التقليدية سواء في تصنيفها لنظام التحالفات القبلية أو نقدها له. هنا نشير إلى أن كل حلقة مراقبة محاور الصحراء تزكي تعايش الفصائل المؤسسة للاتحادية في إطار شبيه بالاشتقاق اللفظي الأمازيغي لمفهوم تكنة (الضرة - الزوجة الثانية) (م. ناعمي، *تشكل*...، 246). كما أن تعدد الأماكن التي تحمل اسم تَكْنوينْ بوادي نون وما جاوره من المناطق تنضاف إلى اسم تاكَجكَالت أيت تيكني لتشخص لنا أبعاد الاستعمال. فكل ما في تكنة وتيكني وتكنوين بمعناه ولفظه يدل دلالة قطعية على مدى ما تدين به هذه الاتحادية لمفهوم التساكن والتعايش من أجل مراقبة المجال. وهو ما يمكن أن يوضحه استعراض الفوارق بين لفي أيت الجمل الساحلي وأيت عثمان الشرقي من حيث كونهما محورين وظيفيين يثبتان النسق الدينامي للمعادلات الممكنة. فالشريط الساحلي الممتد من حدود أيت باعمران شمالا إلى ما وراء وادي الساقية الحمراء جنوباً يسيطر عليه الترحال الرعوي بفعل المعطيات المناخية والجيومرفلوجية (م ناعمي، *معلمة*، *أيت بلة*، 1349 ؛ V. Monteil, *Les Tekna*, 31 - 33 - 52)، وهو ما يزكي تعميم اسم أيت الجمل على قبائل هذا المحور كلف متميز عن لف أيت عثمان الذي يشمل كل ما عدا هذا الشريط. أما البنية السلالية القرابية فنجدها تبرر الوحدة الداخلية كاشفة جوهر التكتل في مواجهة الآخرين، ذلك أن كلا اللفين يتحرك داخل منظومة تستقي مبادئها التحالفية ومنطلقاتها من سياق التطور الذي مايزال يخول لبعض الفصائل أدلة شرعية تورثهم لدى فصائل اللف الآخر. والذي يسترعي الانتباه ويستوقف النظر هو حق بعض فصائل أيت لحسن القبيلة المركزية في لف أيت الجمل في الإرث بأسرير لدى قبيلة ازوافيط المركزية بلف أيت بلة (أيت عثمان). هذا التداخل القرابي يحدد معطيات الأسس النسبية والعصبية المشتركة التي تقوم على أساسها التشريحات التصنيفية لفيزيولوجيا الالتفاف القبلي. إن الرواية الشفوية هنا لا تنصب من جهتها إلا على مفاهيم هي حصيلة الصياغات المصلحية خلال تعاقب المراحل منذ المرابطين. فتاريخ أسرير وتاغاجيجت كما أوردناه في معلمة المغرب يعطينا أبعاد نظام التحالفات خلال الموحدين بينما تنتهي التحولات التي تخللت تاريخ أيت أوسا وإديعزى أوهدى إلى الاعتراف بقدرة تكنة على تبرير مشروعية تحالفهم خلال المرينيين (م. ناعمي، *تشكل*...، 244-246).

نصل بعد ذلك إلى بداية التسرب الإيبيري لتجسد الوثائق الاسبانية إطاراً ملموساً لنوعية العلاقات بين هذه الاتحادية والتحالف الاسباني - المحلي. إلا أنه في غياب المقروء المحلي تكشف صياغة العلاقات القرابية والخلافات المصلحية عن الشكل التحالفي المركب من أجل مراقبة السواقي والمداشر والمجال الرعوي والتجاري. على أن الذي

يسترعي الانتباه هو استقطاب القرن العاشر (16 م) لأكبر حجم من الوثائق والمخطوطات المحلية. فنصل بذلك إلى نظرية المراحل التي تميز في البحث التقليدي هذا القرن عما عداه. هذه ملاحظة أساسية تسجل بأن سياق التطور الذي وفق قبل ذلك بين المصلحة الذاتية والجماعية يبقى دائما هو مراقبة المجال كشرط أساسي لحماية البنية السلالية والقرابية. وإذا كانت هذه المقولة تهيمن على جميع منازع الفكر المحلي فإن خصائص هذا القرن تميزه بنهاية الهيمنة الإيبيرية والمتحالفين معها. وليس من شك في أن القرن الحادي عشر (17 م) يزخر بالتحالفات التي يتلوها الانبعاث الصريح للغور السكاني الأقدم رغم دور التغلغل التجاري الأوربي المتزايد. هذا ما يمكن أن تقوم عليه الأسس الفاعلة في تطبيع جبهة تكنة التي تستهدف حماية مواطن الاستقرار والترحال وما تستلزمه أنماط العيش من رواج تجاري واقتصادي واجتماعي.

تلك عموماً هي الطروحات التي تتداخل من خلالها تحديدات المجال اللغوي والقرابي والعسكري والتحالفي. أما فيما يخص المجال من حيث هو كأداة لمراقبة التجارة واستغلال المناجم والمراعي وتنظيم تربية الماشية، فإن تعريف تجار تكنة بسماسرة الصحراء يؤكد السائد المعياري حول دورهم بين ضفتي الصحراء كما تثبت ذلك الرواية المحلية والمنوغرافيات القديمة والبنية الاقتصادية والاجتماعية الحالية. أما الاتفاقيات المبرمة بين قبائل الاتحادية وإمارات أدرار والترارزة وتاگانت فتنظم مراقبة المجال وحق الاستعمال وشروطه كما تحدد حماية وأمن التجار. فالمراعي التي يجول بها تكنة تمتد إلى أزيد من ألف كلم نحو الجنوب الشرقي (من طرفاية إلى جنوب تاغوينيت) وعلى مسافة خمسمائة كلم من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي (من إيفني إلى إيگيدي). فتبرز بذلك أنماط العيش انتقالا غير محسوس من نمط الاستقرار النسبي إلى نمط الترحال التام. على أن الانحطاط التجاري الذي جاء ابتداءً من منتصف القرن التاسع عشر كنتيجة للتطور التجاري الأوروبي كان السبب المباشر في التصدع الكامل لبنيات الصحراء التجارية. وطبعا فقد نتج عن ذلك انهيار هذه التجارة التي جرت بدورها تضعضعاً بنيويا للحركية الاجتماعية والعسكرية. إلا أن الضربة الكبرى التي عانى منها تكنة تتجسد في معالجة فرنسا وإسبانيا لمفهوم الحدود على أنه لا يدخل إلا في سياق حساباتها المصلحية. فتكون هاتان الدولتان قد عملتا على تقسيم بلاد تكنة سياسياً وعسكرياً. إلا أن محافظة قبائل الاتحادية على عصبيتهم في مجمل أبعادها وخلفياتها جعلت منهم حتى ما بعد سنة 1934 هيكلا تأسيسيا يروم السيطرة على سياسة واقتصاد الصحراء واستيعاب كل المحاولات الهادفة إلى الإخلال به. هذا ما يؤكده حفاظ تكنة حتى اليوم على نفس الامتيازات وعلى الأولويات الاقتصادية والفلاحية والديمغرافية. وهو أيضاً ما تؤكده الوثائق المحلية المتوفرة بكثرة حول احتماء مجمل فصائل الزوايا ـ أهل العلم على اختلاف مستويات تطورهم خلال هذه المرحلة، بقبائل تكنة.

لقد أوضحنا في دراسة سابقة،حول قبيلة الرقيبات بأن العلاقة بين الحامين والمحميين ترسم أسلوب وكمية التفاعل بين تكنة المراقبين التقليديين للصحراء ومحمييهم (محمد سالم ولد عبد الحي، *جوامع المهمات*، 64ـ67). وتتضمن هذه الفكرة أن السياسة الاسبانية القاضية بتحديد الهوية عبر أوراق تعريف لا تشمل إلا الذين لم ينزحوا نحو الشمال، تعد مراجعة ذاتية لمفهوم مراقبة المجال وتحديده. ذلك أن نظام الحماية التقليدية لم يعد يترجم التعبئة التقليدية لشبكات القرابة والزبناء التابعين، فهو يطعن في الوجود الاسباني الفرنسي وفي مقاييسه التي تستهدف عزل الذات عن ذاتها.

تتضح هذه الحقيقة خاصة من خلال الأمثلة التي تركز على مدى احتكار تَكْنَة لاقتصاد الصحراء الأطلسية والتغلغل الفعلي في مواطنها الاستراتيجية بالضفة الجنوبية. وهو ما يمكن أن يعود بنا إلى ممارسة تجار الاتحادية بإمارة أدرار حين تجلت مصارعتهم للانحطاط التجاري عبر مسالكَ النيجر خلال القرن الثالث عشر (19 م) في احتلال موقع اقتصادي هام بمدينتي شنقيطي وأطار. فحيث كان التغلغل التجاري يقتضي التصرف في منتجات الأراضي المستصلحة والنخليل، نجدهم يعنون بحيازتها تمهيدا لمبادلة منتجاتها بالسلع الأخرى. وكانت إمارة أدرار يومها قد أصبحت منذ القرن العاشر (16 م) ملكا لقبائل الزوايا محتكري الميدانين الديني والتجاري. فكان الاندماج بهؤلاء يقتضي علاوة عن التجذر في احتكار إنتاج الأرض والنخيل، مصاهرتهم مما لا يستطيع أن يقوم به من لم يكن ذا حنكة تجارية ومرونة سياسية. ولعلنا سنتبين أكثر فأكثر استراتيجية تجار تكنة إذا علمنا أن محمد ولد علي حفيد الكوري الخنوسي أمير تيغمرت وسيد تجارة مسالكها خلال القرن الثاني عشر (18 م)، قد صاهر قبيلة الأغلال المحلية. وعندما اختط الإسبان والفرنسيون الحدود داخل بلاد تَكْنَة كانت سمعة أهل الكوري ماتزال تعترض كل مسافر يتأكد من مقدرتهم على حيازة أكبر قدر من الأراضي. لقد تجمعت يومها لأهل بيروك من قبيلة أيت موسى أوعلي شأنهم شأن مجموعة من تجار الاتحادية المقدرة الكافية لتطوير أساليب تجار أدرار التي استطاعت بفضلهم تمتين مبادلاتها مع سان لوي بالسنغال (P. Bonte, *Esquisse...*, 330). أما المحور الرابط بين تندوف وتنبكتو عبر تاودني فنجده يجسد قدرة تجار تكنة على التأقلم رغم السيطرة المتزايدة لتجار المرافئ الفرنسية. فعلى ضفاف نهر النيجر نجد من ألمع تجار تكنة بتنبكتو عمار ولد احماد او المهدي وأحمد الغصوكة من فصيلة أيت بليد الزفاطية. نجدهما يحتضنان صراعات العائلات ويتصدران كل ما من شأنه أن يرمم التصدعات ويسوي الخلافات. كما نجدهما يتبنيان كل القادمين عليهم

من تكنة ويسهلان مأمورية استقرارهم مع الجالية المحلية. هذا ما يمكن أن نتأكد منه بسهولة من خلال الأرشيفات الفرنسية والوثائق العائلية وكناشات التجار وما تروجه الرواية الشفوية حول فعالية نظام التحالفات بين لفي الاتحادية على أرض الضفة الجنوبية. إن المبادلات التي أقامها هؤلاء التجار مع مختلف مدن هذه الضفة الجنوبية لم تكن تتم إلا وفق صيغة التحالف بين اللفين. فعمار ولد احماد أو المهدي وأحمد الغموكة الزفاطيان اللذان لم يتوانيا عن حماية أحمد البركة من قبيلة أيت موسى أو علي، كانا يعلمان يومها بأن هذه القبيلة كثيرا ما دخلت لف قبيلتهما وغادرته عن طواعية. ولكنهما سعيا من وراء هده الحماية إلى تثبيت الشبكة التجارية لتكنة. لاشك إذن أننا هنا إزاء ممارسة تلقي الأضواء على الفاعلية القرابية والسياسية للفي الاتحادية في تمتين حلقات تصاعدية تتخطى المراحل التاريخية.

نكون بذلك قد عرفنا مختلف المجالات المحددة لهوية تكنة ماعدا الديني منها. وإذا كان إبراز هذا المجال يقتضي دراسة علاقة تكنة بحملة الكتاب وأهل الدين، فإن انعكاس الروابط التي كانت قائمة بين الطرفين يحدد من حيث هو بنية مجتمعية مفهوم ملكية المجال والأرض. لقد رأينا بأن عصبية تكنة التي أهلتهم للتماسك عبر عشرة قرون تعصمها خلال القرن العشرين نزوعاتها التحالفية والقرابية ومصاهراتها الاختيارية بذوي العصبيات الحربية المشابهة من قبائل هذه الضفة أو تلك. أما الاختيارات الأخرى لبعض العائلات التكنية المتاجرة فتبدو غير ذات نزوعات قرابية متماسكة. فالقناعة والمسالمة التي تبدو من شيم الزوايا تدخل في ممارسة هذه العائلات المرتبطة بأهل الحيثيات الدينية وحملة الكتاب كما رأينا بشأن أهل الحريطاني (*معلمة*، *أهل بلة*، 1349). وفي هذا الاتجاه تشخص لنا هذه الممارسات المختلفة عنصرا حاسما في المراهنات المستقبلية حول الاحتفاظ بالتعريفة التكنية أو الانسلاخ عنها. لقد أضحت العائلات التكنية المتاجرة بهذه الضفة تختلف باختلاف تدهور درجة تجذر سلمها القرابي حيث يحد الارتباط بالزوايا من حجم وأهمية التوارث الاجتماعي. فنرى بذلك أن ما يميز بشكل التراتب الاجتماعي هو قبل كل شيء لعبة التحالفات والمصاهرات في الحد من الطابع التكني لاصهار الزوايا. تستقر بذلك المقدرة التكنية على احترام طابعها الحربي والتجاري فوق كل الاعتبارات مساهمة بشكل حاسم في المراهنات على الاستمرارية الوظيفية للاتحادية خارج ترابها. أما داخل الساقية الحمراء حيث تطورت قبائل الزوايا منذ العقد الرابع من هذا القرن سياسيا، فأشكال ملكية المجال والنشاط الاقتصادي في وجوهها المختلفة تكشف عن مدى انصهار المحميين القدامى ضمن وحدات اجتماعية وسياسية تختلف باختلاف مواقفها من تبني الحدود الفرنسية الإسبانية. إن فاعلية أهل الزوايا حملة الكتاب شكلت خلال القرون الماضية بدون شك عامل تأطير لهيمنة تكنة على الساقية الحمراء ومسالكها. وقد جعلت السلم والتوازن الاجتماعيين مرتبطين بالعلاقات السلطوية لأهل السلاح من القبائل التكنية المتحكمة في المجال. غير أن الاستناد إلى روابط قانونية دولية كحق الشعوب في تقرير المصير وخلق دول وطنية أدى إلى بروز تباينات حول تحديد مفهوم المجال بالساقية الحمراء. على أننا إذا أسقطنا من حسابنا هاته التباينات التي ماتزال تقلص إلى حد بعيد من إمكانية التماسك المجتمعي، فإن قدرة مختلف الشرائح المجتمعية التكنية ماتزال تعمل كبنية تتصدى لكل تفتت سياسي أو اجتماعي. يكون إذن من الممكن أن نتحدث في هذا السياق عن المقابلة التي تحددت من المنظور التكني الحالي بين العصبية والتحدي الانفصالي الذي يستمد جذوره من واقع ما بعد التقسيم الفرنسي الاسباني. غير أننا نصل هنا إلى التقابل بين ضرورة احترام الخصوصيات البنيوية والانطلاق نحو تحديد مفهوم الدولة. فنجد بأن اكتمال المعرفة العلمية لا يمكنه أن ينجز مهمته إلا في إطار سياسي يعكس بكل صدق البناء الكامن وراء الظواهر بكل معطياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

يتضح للمتتبع أننا قد انطلقنا في تحديدنا لهذه الاشكالية اعتباراً من أن العنصر الأساسي للبناء الاجتماعي التكني هو أنماط السلوك الاجتماعي التي يمكن الوصول إليها عن طريق ملاحظة العلاقات الاجتماعية الواقعية. ليس في ماضي ولا في حاضر تكنة أقر ولا أثبت من وثائقها فيما تؤكده الدراسات الميدانية. وهنا نلاحظ أن أقوى القبائل التكنية سياسيا واقتصاديا بالصحراء هي التي يعصمها من الاضمحلال إما الترحال واحتكار القطاعات الحيوية أو الحجم الديمغرافي. فحين نفحص التقسيم الذي ترد إليه الدراسات الميدانية والمنوغرافيات المتقادمة في الأرشيفات، نلاحظ ارتباط منطق العصبية بمقاييس احتكار المجال. معنى هذا أن الطقوس الحربية التي قادت لفي تكنة إلى مجابهة الفرنسيين وحلفائهم بادرار والنيجر خلال الثلاثينات من هذا القرن (La Chappelle, *Les Tekna*, 63) قد ظلت تلوح بالواجهة الوظيفية للاتحادية من خلال عادات وتقاليد يصعب محوها بفعل القمع الفرنسي والإسباني. ففي الوقت الذي ظلت المعاهدات الحمائية تضمن للقبائل المحمية بالساقية الحمراء كثيراً من الامتيازات بوادي نون، تتلاءم بنود الاتفاقيات مع الخصائص المميزة لتكنة كمحتكرين للمجال حتى ما بعد الاربعينات. من هنا فإنه لا يمكن اعتبار تماسك لفي الاتحادية الحالي مجرد امتداد لأنظمة المنافسة بين الوحدات القرابية. إن ما نسميه الامتداد عبر أجيال من مراقبة الساقية الحمراء لا يمكنه أن ينفسخ إلا بتفسخ المرفلوجية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للاتحادية. وهو ما يدعونا إلى عدم إغفال المعطيات التي عززت خلال السنوات الماضية تصور العلاقات الاجتماعية وفق

مقتضيات الروابط القرابية والقبلية.

م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*، الرباط، 1988 ؛ *أهمية التجارة بالنسبة للبنية الاجتماعية شمال الصحراء*، *البحث العلمي*، الاعداد 34. 35. 37. 38. 39. 40 ؛ *نول لمطة من خلال الحفريات*، ندوة حول سجلماسة، وزارة الثقافة، 1988، الرباط ؛ *المصادر الموريتانية حول الفترة العلوية*، جامعة مولاي علي الشريف، الريصاني، 1989، 117. 128 ؛ *معلمة المغرب*، مواد *إزرگين*، 339. 340 ؛ *ازوافيط*، 364. 367 ؛ *أيت أوسا*، 377. 379 ؛ *أسرير*، 409. 411 ؛ *أسا*، 412. 414 ؛ *إيعزى أوهدي*، 517. 518 ؛ *اغفار واغفير*، 537 ؛ *إفران*، 548؛ *أگاوس*، 597. 598.

P. Marty, *Les Tekna du Oued Noun*, in *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, Paris, 1915, 60 - 89 ; F. De la Chappelle, *Les Tekna du Sud Ouest Marocain*, 1934, 108 p ; *Histoire du Sahara Occidental, Hesp.*, in *VII Congrès de l'I.H.E.M. sur l'histoire du Sahara Occidental*, 1930, 40 p, XI, fasc. I - II ; V. Monteil, *Notes sur le Sahara Espagnol*, Tiznit, 1944, 30 p ; Id, *Notes sur les Tekna*, Paris, 1948, 60 p ; L. Massignon, *Sahara Espagnol, Rio de Oro, R.M.M.*, 1925, 1er fasc., p. 108 - 109 ; C. Peyronnet, *Sud Ouest Marocain, Rio de Oro, Sahara Occidental, B.S.G.A.*, 1928, 687 - 710, 1 carte ; V. et J. Guarner, *El Sahara y Sud maroqui españoles, Coll. Bibliogr. Militar*, XL, Tolède, décembre 1931; M. Naïmi, *La politique des chefs de la confédération Takna face à l'expansionnisme commercial européen, Revue d'histoire maghrebine*, Tunis, n° 35 - 36, 1984, 153 - 173 ; *Nomades et sedentaires dans l'évolution historique de l'ensemble confédéral Tekna, B.E.S.M.*, Rabat, n° 157, 1986, 139 - 154 ; Id, *Le pays Tekna, Centre ou périphérie*, Colloque International *sur le devenir de la société rurale au Maroc*, Rabat, 1986, *B.E.S.M.*, n° 159 - 160 - 161 ; 231 - 245 ; *Les visées des Etats-Unis sur le Sud marocain au XIXème siècle à partir des rapports de Felix A. Mathews, International Conférence on Moroccan-American Relations*, Norfolk, Virginia, Novembre 13 - 15, 1986 ; *La Rive sud saharienne de 1842 à 1872 dans les registres comptables de la famille Bayruk, l'apport de trois nouvelles sources, Colloque sur les sources arabes de l'histoire africaine*, comission internationale pour une histoire scientifique et culturelle de l'humanité, Rabat, 1 - 3 avril 1987, in Université d'été, Juillet 1987, Colloque *Le Maroc de l'avénement de Moulay Abdelaziz à 1912*, Mohamedia 21 - 31 Juillet 1987, III, 167 - 193 ; *Le pays Tekna, commerce et ethnicité avant la constitution confédérale*, Actes du colloque *Le Maroc et l'Atlantique du XVème siècle*, Publ. Fac. des Lettres et Sciences Humaines, Rabat, 1992, 121 - 146 ; *American Expansionist Aims in South Western Morocco During the Ninteenth Century, The Atlantic Connection, 200 years of Moroccan-American Relations 1786 - 1986*, Ed. by Jerome B. Bookin Weiner and Mohamed El Mansour, Rabat, 1990, 105 - 116 ; *The evolution of the Tekna confederation caught between coastal commerce and trans saharan trade*, in *Tribe and state, essays in honour of David Montgomery Hart*, Ed. by E.G.H. Joffe and C.R. Pennell, Wisbech, Cambridgeshire, 1991, 213 - 238 ; M. Naïmi, A. Jazouli, *Etat et société : quelles perspectives ?, Al Bayane*, 12/6/1992 ; Id, *Régionalisation : les impératifs du découpage, L'Economiste*, 8/10/1992, 35 - 36 ; Id, *Régions : des idées pour les former, L'Economiste*, n° 71, 1993, 32 - 35.

مصطفى ناعمي

**التكني**، ميلود بن محمد، عُين قائداً على حامية قنيطرة علي وعدِّي سنة 1309 / 1891، بعد فرار قائدها السابق بوعزة بن الشيحاني الشرادي وتخليه عن عمله في حفظ الأمن بالمنطقة الاستراتيجية التي كانت تمر منها القوافل الذاهبة والعائدة من شمال المغرب وشرقه مروراً بتراب فرقة عامر، من قبيلة بني حسن، وهو مكان مدينة القنيطرة الحالية.

وقد قرر المخزن سنة 1310 / 1892 بناء قصبة هناك وضع تصميمها صالح بن محمد التادلاوي الربعي وواصل الإشراف عليها بعض الوقت محمد الهواري المسفيوي وكلاهما ممن تعلم بمدرسة الهندسة العسكرية من سنة 1884 إلى 1888. واستمر العمل في بنائها عدة سنوات، وكان المعلمون السلاويون هم الذين أنجزوا أهم أشغال البناء والنجارة وغيرها. واستمر ميلود التكني في قيادة هذه القصبة حتى سنة 1318 / 1900 تعينه إدالة (حامية) متألفة من مئات جنود الگيش الشرادي.

م. بوشعراء، *قبيلة بني حسن*، 1860. 1912، مخطوط ؛ وثائق آل بنسعيد.

مصطفى بوشعراء

**التكوين المهني** بالمغرب، يهدف إلى إعداد يد عاملة مؤهلة للمساهمة في التنمية وتيسير إدماج الشباب في قطاع الشغل. لتحقيق ذلك، ولإعادة الاعتبار إلى العمل البدوي، نشأت إدارة التكوين المهني وتكوين الأطر التي حددت مهامها في التخطيط والتنسيق والتوجيه والتقييم في ميدان التكوين.

تضم هذه الإدارة، بالاضافة إلى مديرية تكوين الأطر، مديرية تخطيط التكوين المهني التي تقوم بالتخطيط للتكوين على ضوء الحاجيات، ومديرية التعليم المهني وتسهر على جودة التكوين عن طريق توجيه ومراقبة المضامين الملقنة على المستوى التقني والتربوي.

تتألف مديرية التخطيط من قسم الخريطة وقسم التنظيم والتنمية وقسم البرامج والمنجزات وقسم الدراسات. أما مديرية التعليم المهني فتتكون من قسم المراقبة وقسم التنسيق البيداغوجي وقسم التكوين المستمر والتكييف.

وترتبط الإدارة المركزية على الصعيد الجهوي والاقليمي بعدة أجهزة فرعية تعمل على تنسيق نشاط مختلف القطاعات المكلفة بالتكوين على المستوى المحلي، أهمها اللجن الإقليمية للتكوين المهني ومجالس استكمال التكوين ولهما اتصال مباشر باللجنة الوطنية على الصعيد المركزي.

تتكون اللجنة الوطنية للتكوين المهني من المشرفين على التكوين والمشغلين وممثلي المأجورين وغيرهم. وتعقد تحت إشراف السلطة الحكومية المكلفة بالتكوين المهني ثلاث دورات في السنة على الأقل تخصص للموافقة على خريطة التكوين وتقييم نظامه وتحديد آفاقه الكمية والنوعية.

وتقوم اللجن الإقليمية للتكوين المهني بتقييم نشاط التكوين المهني في العمالة أو الإقليم وتقترح ما تراه مناسباً على اللجنة الوطنية. كما أنها تقدم توصيات لإنعاش قطاع التكوين في الإقليم وتقترح التخصصات الملائمة للمحيط الاقتصادي والاجتماعي المحلي.

أما مجالس استكمال التكوين فتساهم في إعداد وتعيين أهداف ومضامين التكوين وتنظم تداريب عملية ودورات تمرينية في الوحدات الإنتاجية وتعمل على إدماج المتخرجين من مراكز التكوين في قطاع الشغل.

هذا ويساهم في التكوين، إضافة إلى مكتب التكوين وإنعاش الشغل، وزارة الداخلية ووزارة الأشغال العمومية والتكوين المهني وتكوين الأطر ووزارة السياحة ووزارة

الصيد البحري والملاحة التجارية ووزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي ووزارة الصناعة التقليدية والشؤون الاجتماعية ووزارة الطاقة والمعادن ووزارة الصحة العمومية والمندوبية السامية لقدماء المحاربين والمكتب الشريف للفوسفاط والمكتب الوطني للسكك الحديدية والمكتب الوطني للكهرباء. كما يساهم فيه القطاع الخاص الذي يتوفر على أكثر من أربعمائة مؤسسة تستقبل حوالي 33٪ من العدد الإجمالي للمتكونين.

وينقسم التكوين المهني إلى ثلاثة مستويات : المستوى التقني ويهدف إلى الاستجابة إلى ما تحتاجه سوق الشغل من تقنيين وأطر متوسطة. وهو مفتوح في وجه التلاميذ الذين بلغوا على الأقل مستوى السنة الثالثة ثانوي ؛ ومستوى التأهيل وخلاله يكتسب التلميذ المهارات التقنية اللازمة لمزاولة مهنة بصفته عاملاً مؤهلاً، وهو مفتوح في وجه تلاميذ السنة التاسعة من التعليم الأساسي، وكذا تلاميذ السنتين الأولى والثانية من التعليم الثانوي. أما مستوى التخصص فيسعى إلى تكوين أعوان للتنفيذ في القطاعات الأساسية للنشاط الاقتصادي وخاصة في مهن الصناعة التقليدية والبناء والفلاحة. ويستقبل في هذا المستوى تلاميذ السنوات السادسة والسابعة والثامنة من التعليم الأساسي.

تتراوح سنوات الدراسة في التكوين المهني بين سنتين وثلاث سنوات موزعة على أكثر من مائتي تخصص تستجيب لحاجات مختلف القطاعات الاقتصادية. ويتم الالتحاق بمؤسسات التكوين إما عن طريق مباراة أو بواسطة روائز نفسية وتقنية في بعض الشعب كالنسيج والملابس الجاهزة والجلد وغيرها.

وقبل ولوج مؤسسات التكوين تنظم لفائدة التلاميذ حملات إعلامية بالمؤسسات التعليمية ومؤسسات التكوين وبواسطة وسائل الإعلام. وتؤخذ بعين الاعتبار في توجيه المتكونين نحو مختلف التخصصات النتائج التي حصلوا عليها والرغبات التي عبروا عنها لدى المستشارين في التوجيه.

وينصبُّ التكوين إجمالاً في المستويات الثلاثة المذكورة على التكنولوجيا والأعمال التطبيقية والتداريب داخل المعامل والمؤسسات. كما يستفيد المتكونون من برامج التعليم العام والتربية الوطنية والخلقية والرياضية.

ويحصل المتدربون في نهاية تكوينهم على شهادة أو دبلوم في التكوين : ففي مستوى التقني يمنح للمتخرج دبلوم التقني، وفي مستوى التأهيل ينال شهادة التأهيل المهني، وفي مستوى التخصص شهادة التكوين المهني.

ويمكن للمتفوقين من المتخرجين الالتحاق بالأسلاك العليا من التكوين المهني بفضل نظام انتقال خاص بالمتفوقين يسمى نظام الجسورالداخلية، وهو نظام يسمح بالانتقال من مستوى أدنى إلى مستوى أعلى حسب الشعبة التكوينية المختارة بعد موافقة لجنة من ذوي الاختصاص وثلة من الأساتذة الجامعيين في مواد تكنولوجية مختلفة. كما أن شهادات التأهيل المهني تمكن غيرهم من المتخرجين المتوفرين على المؤهلات المطلوبة إما أن يلتحقوا بالوظائف في القطاعات العمومية أو الخاصة أو إحداث مقاولات فردية أو تعاونية.


المملكة المغربية، *حركة التعليم في المغرب خلال الفترة ما بين 90. 91. 1992* ؛ *التقرير المقدم إلى الدورة الثالثة والأربعين للمؤتمر الدولي للتربية*، الرباط، 1994 ؛ وزارة التربية الوطنية، *وثيقة إصلاح نظام التعليم*، الرباط، 1985 ؛ وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، *كتابة الدولة في تكوين الأطر*، *آفاق مهنية*، الرباط، 1979 ؛ وزارة التربية الوطنية، *هيكلة التعليم الثانوي*، الرباط، 1994.

Ministère du Plan de la formation des cadres et de la formation professionnelle, *Le Maroc en chiffres*, Casablanca 1983 ; M. K. Harby, *L'enseignement technique dans les pays arabes*, Paris, UNESCO, 1965 ; T. Burckhardt et J. L. Michon, *Notes sur l'enseignement des métiers d'art traditionnel au Maroc*, Rabat - Fès, 1973 ; A. Layachi, *La formation professionnelle*, Mémoire de cycle supérieur, ENAP, 1971 - 1972.


محمد بوسلام

**تَـلاتْ ـ نْ ـ يَعقوبْ**، مركز وجماعة قروية بدائرة أمزميز إقليم مراكش مساحتها 520 كلم² وسكانها 12.301 ن (1982) تقع بوادي نفيس الأوسط على ممر استراتيجي يربط بين الحوز وسوس اشتهر بأحداث تاريخية إذ كان مهد دولة الموحدين، وميدان صراع القواد الكبار في القرن الثالث عشر (19 م) يمر به طريق ثانوي رقم 501. تنتشر أراضي الجماعة علي مقطع من وادي نفيس الذي يتبع اتجاه فوالق عبر صخور هشة : طَفْل وحُثْ پرموترياسي مما سهل على عوامل التعرية نحته وتوسيع الوادي. يحيط به من الجهة الشرقية سلسلة أعراف ويشدان (2796 م) ومن الجهة الغربية جبل گورزا (2662 م) تتكون من صخور صلبة شيست وحُثْ وكلْس الزمن الأول. تغطيها غابات البلوط الأخضر وأشجار السرْو بالقسم الأعلى من واد نفيس. أما حوض تَـلاتْ ـ نْ ـ يعَقوبْ الواقع بقلب المنطقة فإنه ينطبق على حوض بنيوي يتكون من مقعر واسع طوله سبعة كيلومترات ينقسم إلى قسمين، يفصل بينهما عتبة شيستية يخترقها الواد، يتكون من صخور هشة حث برموترياس. تغطيه تربة رملية رقيقة نظراً لقوة الجريان السطحي المرتبط بأمطار إعصارية وتعرية هوائية. يتراوح علوه بين 1225 و1160 م، يسوده مناخ شبه قاري يتميز بدرجات حرارة قصوى (+ 40 صيفا ودون الصفر شتاء) قليل الأمطار (237 ملم) لكنها تعوض بمياه الوادي وعيون نابعة بضفته. تنتشر قرى بأطراف الحوض وعلى مجرى الوادي، يسكنها فلاحون مستقرون من المصامدة ينتمون إلى قبيلة گندافة يشتغلون بالزراعة المسقية بقعر الوادي ومدرجات بسفوحه الدنيا تنتج الحبوب والخضر والزيتون وبعض الفواكه وتعرف هذه الزراعة اليوم تطوراً بتزايد الاهتمام بمنتجات تسويقية أهمها التفاح والبطاطس. باستعمال الأسمدة والأدوية خاصة بأراضي الملاكين الكبار

الذين ورثوا أو اشتروا ملكيات واسعة كونها بعض القواد الگندافيين قبل الاستقلال. وينتشر التفاح حتى في الملكيات الصغيرة المفتتة التي تعم وادي نفيس وروافده العليا حيث تنتشر أشجار الجوز، وتنتشر زراعة بورية للحبوب فوق متون ومنحدرات الحوض، وكذلك أشجار اللوز التي تشتهر بها المنطقة. وتتكامل تربية المواشي مع الزراعة بانسجام حيث تجد الأبقار تغذيتها في الحقول وفضلات الزراعة، وتجد الأغنام والماعز مجالا واسعاً للرعي بمتون الحوض والمنحدرات الجبلية الغابوية. وقد اشتهرت المنطقة بأنشطة معدنية قديمة وحديثة : رصاص نحاس ... لكن جل المناجم أغلقت باستثناء مناجم صخور الموزايك والبارتين.

انطلق اسم مركز تَلاتْ ـ نْ ـ يعقوب من قرية عند مخرج سيل بالطرف الجنوبي للحوض ويقصد بالتسمية شعب يعقوب ولعله يعقوب المنصور الموحدي لأن معقلهم تينمل يوجد على بعد ثلاثة كلم، وفرض الاسم نفسه لارتباطه بالتنظيم الإداري الحديث على أسماء تاريخية سابقة مثل گندافة وتسافت وتَمَسْتْ وإيمين أو گرزي وإيجوكاك، ومازال جلها يطلق على قرى محلية. برز اسم القرية في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) عندما بنى القائد الگندافي مقر قيادته بمكان قربها : تلات ـ ن ـ يعقوب التحتاني وزادت أهميتها عندما اختارتها السلطات الاستعمارية كمركز إداري لها فأنشأت بقربها ثكنة للمخازنية ومكتب نائب مراقب الشؤون الأهلية ونقلت إليها السوق الأسبوعي من امزوزيت، فاكتسب أهمية تجارية.

عرف مركز تَلاتْ ـ نْ ـ يعقوب نموا اقتصادياً وعمرانياً بنمو تجهيزات السوق وظهور السويقة وتزايد المنشآت الإدارية، لكن قرية تَلاتْ ـ نْ ـ يعقوب الأصلية بقيت صغيرة (180 نسمة) لأن سكن الموظفين والتجار وأصحاب الخدمات وعمال المعادن وغيرهم يتوزع بقرى متقاربة على طول الواد أو بأطراف الحوض، خاصة بدواوير البور وأمگدول وإيسمي نوگرزي. ويتكون المركز اليوم من الحي الإداري الذي امتدت منشآته على طول شارع مزدوج طوله 1400م بين القيادة بنهايته العليا وملتقاه بالطريق الثانوي 501، امتدت حوله مختلف المنشآت الإدارية والاجتماعية : دار الجماعة القروية ومستوصف ومدرسة وإدارات تابعة لمختلف الوزارات، بالإضافة إلى سكن الموظفين. ويعتبر الحي الإداري القطب الحضري الذي تنتظم حوله مختلف الوحدات، فبجانبه الأيمن وعند نهايته العليا ظهر دوار البور به منازل مخضرمة للموظفين والتجار وأسر المهاجرين وبعض الفلاحين ويرتبط بوسط الشارع من جهته اليسرى السوق الأسبوعي والسويقة المتصلة به والتجمع السكني الكبير المحيط بهما : دوار أمگدول يضم منشآت خدمات شخصية كالحمام والفران ومحلات لمختلف المهن. وهناك منشآت أخرى : محطة البنزين ومصالح إدارية واجتماعية بقرى أخرى على طول الطريق. ذلك أن عدم استواء السطح والامتداد الطولي للحوض وضعف الاذخار عمل على تشتيت الحمولة الحضرية على عدد من التجمعات السكنية. ويبدو أن هناك منافسة بينها للاستئثار بأهم المنشآت الاقتصادية والاجتماعية تفوق فيها دوار أمگدول الذي يتوفر على أكبر قوة اجتذاب ونمو بفضل احتضانه للحي الإداري والسوق ويتوفر على أهم التجهيزات : مولد كهربائي صغير يعمل في المناسبات وبرج ماء شروب يزود الإدارات ومنازل قليلة. وبعض الطرق المرصفة يليه دوار إيمي نوگرزي بالطرف الشمالي للحوض عند قنطرة الطريق 501 على وادي أگنديس، وقد كان محطة قديمة لاستراحة القوافل، تحول إلى محطة طرقية وسويقة بها مقاه ودكاكين وفندق كانت تمتلكه الشركة المعدنية لگندافة أعيد ترميمه وفتحه لتنشيط الحركة السياحية. أما الدواوير الأخرى مثل إيجوكاك وأزرو ن السوق وغيرهما فقد بقيت أحياء سكنية للفلاحين وغيرهم.

ينعقد السوق الأسبوعي يوم الأربعاء، يزود السكان بالحاجيات الأساسية يباع به فائض الإنتاج المحلي حسب الفصول : اللوز والجوز والتفاح والجلود والمواشي. ونظراً لانتشار أهم القرى بجوار الطريق وبالوادي الطويل فإن الكثير من المتسوقين يأتون إليه على الشاحنات وسيارات النقل. ويلاحظ أن تحويل حركة النقل بين مراكش وسوس إلى الطريق الجديد المار عبر إيمي نْ تانُوت حَرَمَ تَلاتْ نْ يعقوب من إسقاطات اقتصادية مهمة ولم يعد يستخدم طريقه التاريخي الذي رصف آخر مقطع منه الواصل إلى تيزي ن تاست سنة 1986 سوى سكان المنطقة : بلاد گندافة. إلا أنه يعرف نشاطاً سياحياً متزايداً إذ يدخل عبوره والاستراحة بفنادقه ومطاعمه ومقاهيه والتجول بأسواقه في برنامج الكثير من الشركات السياحية.

*دراسة ميدانية.*

أحمد هوزالي

**تَـلاَّجْدُوتْ**، وتكتب أيضا بالكاف المعقودة "تلاگدوت"، قرية من القرى المحيطة بمدينة مكناس في العصر الوسيط، بقي اسمها شائعاً إلى حدود الشطر الأول من القرن الثاني عشر (18 م) (*الحوالة الأحمدية*، 11). وحسب التحريات الخاصة، فإن هذا الاسم لا يجد ما يقابله في منطقة أخرى من المغرب، مما يصعب معه إعطاء تفسير ثابت لمدلوله ؛ وإنما نستطيع أن نقدم افتراضاً مرحلياً باعتبار الكلمة مركبة من"تلا" و"جدوت" فيحيل هذا على معنى المكان الذي "له الحمرة"، حيث تؤدي كلمة "تْلا" في الاستعمال الأمازيغي السائد، المعنى الأول، وكلمة "گْدَوْ" معنى الحمرة، إذا ما اعتمدنا قاموس الطوارق (*Dictionnaire Touareg*, T I, 379)، وهذا الافتراض يجد دعمه في الخصوصية الطبيعية لتربة المنطقة، التي تمتاز، كما وصفها ابن غازي، بأنها رملية حمراء، كانت تجود بها زراعة الكروم البعلية (*الروض*، 14).

يجعل هذا المؤلف، قرية تلاگدوت من عمل بني زياد،

تحدث عنها الإدريسي بأنها كانت أيام المرابطين تعتبر المركز السكاني الثاني بعد تاگرارت ( *وصف افريقيا*، 52). وقد ضبط موقعها الأستاذ محمد المنوني، اعتماداً على نصوص الحوالات الحبسية، غرب مدينة مكناس الحالية، حول ضريح سيدي علي منصور. أما عن تلاگدوت، فالمؤشرات المجموعة عنها، تفيد بأن محيطها الزراعي كان يمتد على أراض سقوية وبورية ؛ فالسقوية تشمل المنطقة التي بها ضريح سيدي عبد العزيز أسفل الموضع المعروف بـ"جنان العريفة" ( *مدائن مكناسة*، 182)، وفي إشارة أخرى تسمى هذه المنطقة ببلاد "ما بين الويدان" ( *الحوالة الأحمدية*، 72) والقصد منها المكان الذي يلتقي فيه نهرا "بوإسحاق" و"بوفكران". أما البلاد البورية فتمتد غرباً إلى حيث ضريح سيدي علي أولحاج الذي يرجح ابن زيدان أنه نفس المسمى عند ابن غازي بالشيخ أبي الحسن علي بن يوسف التلاگدوتي المدعو بسيدي علي بن يشو، من شيوخ مكناسة البارزين في العهد المريني ( *إتحاف*، 5 : 455) ومن دون شك فإن موقع القرية كان بهذه البلاد البورية، بناءً على الإشارة المتقدمة من أن السكان كانوا يزرعون كرومهم على البعل.

يشير ابن غازي بخصوص تلاجدوت ظاهرتين : عناية سكانها بزراعة الكروم واستخلاصهم منها خموراً فائقة الجودة، قيل عنها بسبب ذلك، إن السكان كانوا يستصبحون بها ( *الروض*، 10) فما هو أصل هذه الظاهرة ؟ أ هو تقليد روماني متجذر في المنطقة ؟ أم أنها حديثة العهد لها صلة بالعناصر الأندلسية التي نزحت إليها في وقت متقدم، والتي اشتهرت بحذقها لأساليب هذه الفلاحة، على حد رأي باحث مهتم ( *علاقة مكناس*، 201) ؟.

أما الظاهرة الثانية فتتصل بالتطور اللغوي الذي خضعت له منطقة تلاگدوت، إذ نحن إزاء قرية، كان سكانها في أول الأمر عناصر أندلسية كما هو مرجح (*علاقة مكناس*، 200)، والذين منحوها اسم بلادهم وأظهروا بها حرصاً كبيراً في الحفاظ على لسانهم وأشكالهم لأمد من الزمان، ثم تحول اسمها من قرية الأندلس إلى قرية تلاجدوت وصحب ذلك تحول مماثل في العجمة ( *الروض*، 11)، تحول لا نعتقد أنه قد تم باندماج العناصر الأندلسية في البيئة المجاورة، إنما باختفائها من المنطقة وحلول العناصر التلاجدوتية مكانها، في وقت غير مصرح به في *الروض*، ونقدره هنا، اعتمادا على ما تحمله كلمة تلاجدوت من مدلول لغوي له صلة بلسان الطوارق، كما وضحنا سابقاً، بأنه وقع في أيام المرابطين، مثلما هو مقترح بالنسبة لبني زياد (*مدائن مكناسة*، ص. 183)، وحتى نقتنع أكثر بفكرة التجدد البشري هذه، وقابلية المناطق المغربية عموماً لسرعة التحول في الفترات السابقة المطبوعة بعدم الاستقرار السياسي والمجالي، نذكر أنه في نهاية الدولة المرينية خضعت تلاجدوت على غرار المستقرات الأخرى المجاورة لمدينة مكناس الحالية، لعملية الإفراغ من السكان، فيصادف وجود العناصر التلاجدوتية فضلا عن مدينة مكناس بمدينة فاس (*زهرة الآس*، 356). وفي ذات الوقت التحقت ببلاد تلاجدوت، في بداية القرن العاشر (16 م) عناصر جديدة هم الحاملون اسم العرايشيين، كانوا قد صحبوا الشيخ عبد الله بن حمد لدى قدومه إليها من فاس، واستقروا بها مدة معلومة قبل أن يلتحقوا بدورهم بمدينة مكناس ( *المنزع اللطيف*، 276)، وهذا مهم، لأنه يوضح وجهاً من الأوجه المؤدية إلى انتقال الملكية العقارية بمنطقة تلاجدوت إلى سكان مدينة مكناس بالشكل الذي غدت معه مجالا من مجالاتها الزراعية الرئيسية.


م. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون* ؛ ع. الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات فاس*، مخطوط خ. ع، الرباط ؛ ع. ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، مخطوط خ. ح ؛ *إتحاف أعلام الناس*، ج 5 ؛ *الحوالة الأحمدية* بمكناس، رقم 3 (النسخة المستنسخة) ؛ م. المنوني، *مدائن مكناسة القديمة من العصر الإدريسي إلى أواخر عصر الموحدين، أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية*، 1988 ؛ م. بنشريفة، *علاقة مكناس بالأندلس والأندلسيين حتى نهاية العصر المريني، أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية*، 1988.

Ch. De Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*.


محمد اللحية

**التلاجدوتي، علي** بن يوسف، نسبة إلى تلاجدوت إحدى قرى حارات مكناس القديمة، ذكره ابن غازي (*الروض الهتون*، ص. 15) "وهذه القرية والله أعلم هي المسماة في هذه الأعصر تلاجدوت... ومنها كان الشيخ علي بن يوسف التلاجدوتي المدعو سيدي علي بن يشو". ووصفه ابن زيدان في *الإتحاف* (5 : 455) بقوله : "علامة مشارك نقاد خير محنك مطلع متفنن من فحول عصره المشار لهم بالبنان المرجوع إليهم في تحرير العلوم العقلية والنقلية وبالأخص علوم العربية والفرائض والحساب والعروض".

تتلمذ له عدد من علماء مكناس الأجلاء منهم : محمد ابن قاسم القوري (ت. 872)، وأحمد بن سعيد الحباك (ت. 870) ومحمد بن جابر الغساني.

ولا يعرف تاريخ وفاته، ويرجح ابن زيدان أن ضريحه هو المعروف حاليا بسيدي علي والحاج الواقع على بعد ثمانية كلم شمال مدينة مكناس.


م. ابن غازي، *الروض الهتون* ، الرباط، 1988 م. ص. 15 ؛ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 313 ؛ 3 : 595 ؛ 5 : 455.


رقية بلمقدم

**تلاغ**، واد قرب ملوية إلى الشرق من ممر تازا، حدثت به إحدى المعارك الهامة بين المرينيين أمراء فاس وبني زيان أمراء تلمسان في 12 جمادى الثانية من سنة 666 / 28 فبراير 1268، مع العلم أن الطرفين ينتميان إلى المجموعة الزناتية معاً. ويعود هذا الصراع إلى عهود سابقة آخرها عهد الموحدين الذين وجدوا في بني زيان (بني عبد الوادي) مناصرين لهم ضد أخوالهم من بني مرين، واشتد الصراع

بين الطرفين منذ تحولاتهما من الإطار القبلي إلى تأسيس الإمارة بتلمسان سنة 633 وبفاس سنة 646، فكانت أولى المعارك بينهما سنة 647 في إسلي قرب وجدة ( *العبر*، 7 : 172 و*روضة النسرين*، 48)، وتجدد الصراع سنة 651 (*روضة*، 48)، ثم انهزم أمير تلمسان أمام المرينيين سنتي 653 و657 ( *العبر*، 7 : 127 و173)، تلا ذلك هدوء مؤقت فجره عاملان أساسيان فيما يبدو : الأول، استيلاء يغمراسن أمير تلمسان على سجلماسة سنة 662 ( *بغية*، 207 ؛ *العبر*، 7 : 175 ؛ *الذخيرة*، 101)، وكان للمرينيين طمع شديد فيها وقد سبق لهم أن دخلوها قبل سنوات، بينما عجز الموحدون عن الاحتفاظ بها. والعامل الثاني - وهو الأهم - استنجاد أبي دبوس آخر الخلفاء الموحدين بأمير تلمسان للضغط على المرينيين الذين كانوا يحاصرون مراكش بدعم وتأييد من الحفصيين بافريقية، فتحرك يغمراسن بجيوشه في اتجاه تازا وعاث فساداً في المنطقة. فاضطر يعقوب المريني إلى رفع الحصار عن مراكش، والتقى مع جيش يغمراسن في وادي تلاغ، وكانت المعركة شديدة وانتهت لصالح المرينيين، وفقد يغمراسن ابنه ولي عهده، ولن يتمكن من الاستعداد لمواجهة المرينيين إلا سنة 670 حيث سيلقى هزيمة أخرى...

كانت أهم نتائج المعركة بالنسبة للمرينيين هي التفرغ للضغط على الموحدين وخاصة خلال سنة 667، بحصار مراكش تارة، وتارة أخرى لقطع مصادر التموين عنها بتخريب زروع المنطقة الخاضعة لهم أي أحواز مراكش ومنطقة تادلا واستعمالهما مراعي لمواشي بني مرين، إلى أن ضاق أبو دبوس بالحصار وخرج للقتال، فكانت نهايته ونهاية دولة الموحدين في 2 محرم 668 / فاتح شتنبر 1269 ( *القرطاس*، 360 ؛ *الذخيرة*، 116، 117).

بمناسبة حديث المصادر المرينية عن معركة تلاغ (ثم معركة إسلي بعدها سنة 670) ترد بعض الإشارات التي تهم أسلوب القتال لدى الطرفين الزناتيين، فبالإضافة إلى تعبئة الكراديس (مقدمة، جناحان، قلب، ساقة) كان يحضر خلف المقاتلين نساء الفريقين على الهوادج لابسات حليهنّ يحرضن على القتال ( *الذخيرة*، 115 ؛ *العبر*، 7 : 371).

ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، ص. 305 - 306 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، 115 - 116 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 176 - 177 و370 - 371 ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، ج 1، الجزائر، 1980 ؛ ابن الاحمر، *روضة النسربن في دولة بني مرين*، ص. 48 - 49.

أحمد عزاوي

**تلامْغَايْت**، موقع استراتيجي في حرب الريف ومركز عسكري واقع في بني توزين على الطريق الرئيسية الرابطة بين الناظور والحسيمة، فيه مركز الجماعة القروية "تسافْت" بالمدينة الناشئة : "گسيطة"، (ومعناها بالأسبانية المنزل الصغير). فلم يكن فيها زمن الحماية سوى بيت صغير تتوقف عنده حافلات النقل العمومي الرابطة بين تطوان والناظور. ومع الأيام حوله الأهالي خاصة العمال العائدون من أوربا إلى مركز حضري متنام يحتوي على مصالح الجماعة ومجموعات مدارس ومهن حرفية وصناعية وتجارية.

تشتهر تلامْغَايْت بإحدى المعارك الطاحنة بين قوات المجاهدين مع محمد بن عبد الكريم الخطابي، والجيش الإسباني في الهجوم التحالفي المشترك لكل من القوات الفرنسية والإسبانية على الثورة الريفية، وذلك يوم 15 ماي 1926 قبل انتهاء هذه الحرب بحوالي عشرة أيام. فقد كانت فيالق الجيوش الفرنسية والإسبانية زاحفة على أربع جهات من الجنوب والشرق والغرب والشمال. وكانت "تلامْغَايْت" على بعد أقل من كيلومتر واحد من الحدود الفاصلة بين منطقتي الاحتلال.

ومنذ ذلك التاريخ أقام الجيش الإسباني في سفح منكشف منها معسكراً دام إلى أيام الاستقلال.

وعند إنشاء جيْش التحرير وقيام المعارك التحريرية الأولى في جزناية المجاورة قبيل الاستقلال، قامت تلامْغَايْت بدور مساعد نشيط، إذ آوت المدنيين الهاربين من القصف المتوالي للطيران الحربي الفرنسي في معظم مناطق جزناية وبني أوراين وما إليها. كما كانت تشكل شبه قاعدة خلفية للمجاهدين تتسرب منها إليهم المؤونة والعتاد والذخائر والأسلحة.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*؛ *معلومات مستقاة من جماعة تسافت القروية* ؛ *روايات شفوية*.

عبد الله عاصم

**تَلْت**، تمثل أحد العناصر الهضبية المتعددة (فوغال، أُلماس، منت، تسافت الحاج...) المكونة لوحدة البلاد العليا داخل الهضبة الوسطى المغربية. ينحصر هذا العنصر الهضبي ذو الامتداد ج - شـ / ش - غ، بين تسافت الحاج شمالا ومنت جنوبا، ويشرف على أعراف وحدة المنخفض الشرقي من الجهة الشرقية وعلى هضبة أُلماس من الجهة الغربية. وهو بذلك يشكل خطا لتقسيم المياه بين حوض بهت وحوض بورقراق.

مظاهر السطح متنوعة، ففي الشرق يمتد سطح مستو يتوفر على أعلى نقطة ارتفاع (گرتيلة : 1340م)، وتنتصب في الوسط مجموعة من النتوءات الدلوريتية، ويتحول المشهد التضاريسي في اتجاه الغرب إلى مجموعة من المتون والأشرطة المتقطعة ينزل الارتفاع عندها إلى حدود 1260 م (قمة تافوغالت).

يعود هذا التنوع في مظاهر السطح بالدرجة الأولى إلى تنوع الركائز الصخرية عند تلت، إذ تبرز عند السطح صخور أولية متنوعة عبارة عن فليش وشست وحث إضافة إلى اتاوات من الدلوريت.

وقد مكنت ظروف الوسط، المتمثلة في تربة حمراء وفي تساقطات مطرية يتراوح متوسطها بين 800 و1200 مم تتوزع على مدى 60 إلى 70 يوما ممطرا، في حرارات قصوى تتراوح بين 0 و36 درجة، من خلق مستوى مناخي شبه رطب ذي

شتاء بارد يسمح بظهور غطاء نباتي طبيعي يتشكل من غابة كثيفة من البلوط الأخضر وغابة من البلوط الفليني. ويكون هذا المجال الغابوي منتجعا صيفيا لقبائل زيان والقبائل المجاورة.

G. Beaudet, *Le plateau central marocain et ses bordures : Etude géomorphologique*, Rabat, 1969.

الحسن المحداد

**التلغراف**، أو ما صار يعرف باسم البرق، كلمة مأخوذة عن اليونانية وتعني "téle" البُعد و"graphein" كتابة، تستخدم اصطلاحيا للدلالة على أول نظام للاتصالات السلكية واللاسلكية الذي بواسطته يتم استخراج المعلومات المرسلة عند طرف الاستقبال على شاكلة وثيقة مكتوبة، بمعنى أن هذه الخدمة تسمح بإرسال سريع لرسائل مكتوبة بين شخصين، يطلق عليها اسم تلغرام أو برقية، ومن ميزاتها أنها لا تتطلب توفر المرسل للبرقية أو المستلم لها على أي من الأجهزة الانتهائية كما هو الشأن بالنسبة لخدمات الاتصالات الأخرى.

برز التلغراف إلى الوجود سنة 1252 / 1834 كنتيجة لتقدم الأبحاث في ميدان الكهرباء ومنذ ذلك الحين أصبح من أكثر الوسائل شيوعا في العالم لنقل الاخبار والمعلومات في صورة مكتوبة من مكان لآخر لمدة تفوق القرن إلى حين بروز آلة التلكس، ثم إنشاء أول خط تلغرافي على أسس تجارية بين مدينتي واشنطن وبالتيمور بالولايات المتحدة الأمريكية وأشرف على وضعه الفزيائي الأمريكي صمويل مورس (1791 - 1872) الذي يعتبر المكتشف الحقيقي للتلغراف في صورته المألوفة وواضع أبجديته المعروفة باسمه والتي لازال معمولا بها إلى يومنا هذا، ويقع تبادل التلغراف بين محطتين تلغرافيتين بواسطة أسلاك معلقة أو مدفونة أو منغمسة أو بواسطة الموجات الكهرومغنطيسية بمعنى الراديوية وتم استخدام الحبل التلغرافي البحري لأول مرة يوم 12 غشت 1858 لتبادل أول "كابْلغْرامْ" (Câblegramme) بين القارتين الأمريكية والأوربية.

عرف التلغراف طفرة نوعية هائلة عندما ظهرت إلى الوجود في الخمسينات الطابعة التلغرافية أو ما صار يعرف تجاوزاً باسم التِّلكْس والذي أتاح إمكانية التحاور المكتوب بين طابعتين عن بعد مهما كانت المسافة الفاصلة بينهما بفضل استخدام الشفرة القياسية التي اعتمدتها اللجنة الدولية الاستشارية للتلغراف والتلفون التابعة للاتحاد الدولي للاتصالات بجنيف، والمعروفة عالميا باسم "الألفبائية التلغرافية الدولية رقم (2) ذات الخمسة عناصر ثنائية تتيح تركيبتها إمكانية الحصول على اثنين وثلاثين عنصرا تستخدم لترميز الحروف الأبجدية والأرقام وبعض الرموز الطباعية، على أن كل عنصر يكون مسبوقا بإشارة الابتداء وينتهي بإشارة الانتهاء والتي على إيقاعها تتحرك أزرار الطابعة التلغرافية عند طرف الاستقبال.

ظل العمل جاريا بهذه الشفرة التي تسمح فقط بتبادل

**الاتصالات التلغرافية في المغرب**
**ماي 1912**

الرسائل التلغرافية المحررة بحروف لاتينية فقط إلى حين إقرار المواصفة العربية رقم 449 في بداية الثمانينات من قبل الاتحاد المذكور والتي أتاحت إمكانية تبادل التلغراف المكتوب بحروف عربية، ولغرض تعميم الألفبائية اللاتينية والعربية على ميدان المعلوميات أجازت نفس اللجنة المذكورة عاليته الألفبائية التلغرافية الدولية رقم 5 ذات السبعة عناصر.

عرف المغرب استخدام التلغراف في العقد الأول من القرن العشرين وعهد إلى تشغيله سنة 1325 / 1907 بموافقة السلطان مولاي عبد العزيز إلى شركة خاصة "الشركة المغربية للتلغراف" التي أحدثت مكاتب تلغرافية في بعض المدن الرئيسية للمملكة حتى أصبح المغرب قبل دخول الحماية الفرنسية إليه يتوفر على :

- ست محطات تلغرافية لاسلكية (راديوية) في كل من طنجة والرباط والدار البيضاء والصويرة وفاس وصفرو.
- أربعة مكاتب تلغرافية مرصولة فيما بينها بأسلاك هوائية في كل من الدار البيضاء والرباط وأسفي ومكتب أصيلة الموصول إلى طنجة.
- كان الاتصال مع العالم الخارجي يتم من خلال المحطات التلغرافية الراديوية ومحطة الكوابل (الحبال) التلغرافية المنتهية عند مدينة طنجة بما فيها كابل وهران. وحتى يتم التغلب على إشكالية تسجيل المحطات التلغرافية لدى المكتب الدولي للاتحاد التلغرافي في "برنْ" لتسهيل تبادل التلغراف بين المغرب ودول الاتحاد المذكور فقد تم سنة 1330 / 1911 إلحاق المغرب بعضوية المعاهدة الدولية التلغرافية والراديوتلغرافية.

ظل الأمر على هذا الحال إلى حين إدماج الشركة المغربية للتلغراف بمكتب البريد والتلغراف بعد إنشائه في 29 شوال

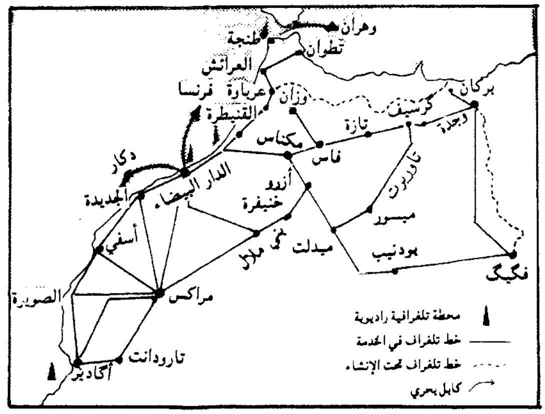


**الاتصالات التلغرافية الداخلية والدولية**

**ماي 1937**

عام 1331 / فاتح أكتوبر 1913 والذي شرع في تعزيز الشبكة التلغرافية لتلبية متطلبات الحركة المتنامية وإحداث مكاتب تلغرافية في جل المكاتب البريدية. وقد كان التلغراف أداة أساسية لخدمة أغراض الحماية بالمغرب واقتصر استخدامه في البداية على الأغراض العسكرية والسياسية التي اقتضتها الظروف آنذاك وحتى تظل مصالح الحماية على اتصال مستمر بقيادتها بفرنسا فقد تم تشغيل أول كابل تلغرافي بحري بين بريست والدار البيضاء، وبواسطته تم يوم 7 صفر عام 1335 / 11 ديسمبر 1915 إرسال أول برقية تبادلها المقيم العام مع وزارة خارجية فرنسا لإبلاغها بنجاح المشروع، ذلك لأن الدبلوماسية الفرنسية اعتبرت هذا النوع من المشاريع يحمل في طياته كثيرا من المخاطر وامتنعت عن تمويله من الميزانية العامة مما اضطر معه المقيم العام الجنرال ليوطي وباتفاق مع مدير مكتب البريد والتلغراف والتر Walter إلى تمويله من ميزانية الحكومة الشريفية.

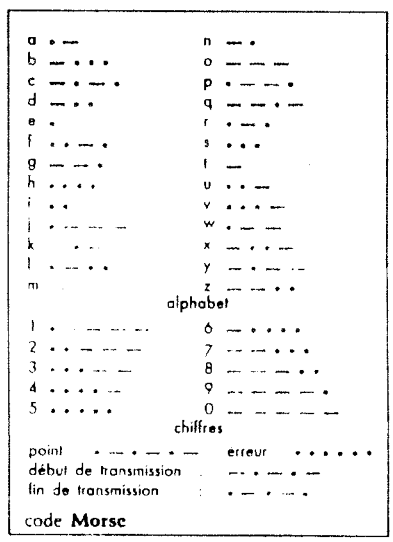


**أبجدية مورس التلغرافية**

وقد كانت الخطوط التلغرافية تقام داخل المغرب على المحاور التي كانت تعتبرها سلطات الحماية آمنة والتي تحظى بأهمية خاصة من قبلها كربط مناطق غرب المغرب بشرقه من خلال المحور فاس تازا كما كان للسلطات الاسبانية بمنطقة حمايتها على المغرب نفس الاهتمام وكان من المحاور الأولى التي أنشأتها الخط التلغرافي الرابط بين طنجة وعرباوة والذي استخدمته المنطقة السلطانية لربط الاتصال فيما بين الرباط والدار البيضاء ومنطقة طنجة الدولية.

وحديثاً فإنه بالرغم من وجود خدمات اتصالاتية جديدة تعوِّض عمل التلغراف نذكر منها التلكس والفاكس والتلتكس فالملاحظ أن أي دولة من دول العالم لم تقدم على إلغاء هذه الخدمة لطابعها الاجتماعي وذلك بالرغم من أن حركة التلغراف لم تعد تمثل سوى النزر اليسير في معدل حركة الاتصالات المتولدة عن استخدام التلفون أو الخدمات المستحدثة الأخرى.

ومع تعميم وسائل الاتصالات الحديثة على شتى الميادين بعد إدخال التقنية الرقمية والامكانيات الحاسوبية في معالجة الإشارات وما أتاحته من إمكانيات ضخمة وميسرة الاتصالات البحرية والملاحة الجوية فإن التلغراف في شكله الأولي يكون قد فقد آخر معاقله التي كانت حريصة على الاحتفاظ به.

*دراسات شخصية ؛ وثائق وزارة البريد.*

**التلفون**، مصطلح معرب مأخوذ عن اللغة اليونانية ويعني "Téle" البعد، "Phoné" الصوت. يطلق اسم تلفون أو ما صار يعرف أيضا عربيا باسم الهاتف اصطلاحيا، على جهاز يسمح بإرسال واستلام الصوت من وإلى مسافة قد تقصر أو تبعد وشاع استعماله في العالم منذ أن اخترعه العالم الأمريكي ألكساندر بل سنة 1293 / 1876 لاستخدامه في تعليمه النطق للصم البكم.

يؤدي التلفون في مفهومه التخصصي خدمة اتصالاتية تسمح بتمرير المكالمات عبر شبكة مقسمة (commuté) لربط المكالمة الصوتية بين شخصين يوجدان في نفس المدينة أو داخل منطقة خاضعة لتعرفة محلية (مكالمات محلية) أو في مدينتين مختلفتين (مكالمات بين المدن) أو في قطرين من قارة واحدة أو في قارتين منفصلتين (مكالمات دولية) والفرق الجوهري بين كل أنواع هذه المكالمات يتمثل أساساً في التعرفة المطبقة على كل منها.

يتكون جهاز التلفون من ثلاثة أجزاء أساسية هي :

1 ـ الميكرفون وجهاز الاستقبال (السماع) الموضوعان في يد الجهاز.

2 ـ أسطوانة الترقيم أو ملمس ترقيمي.

3 ـ كلابة توضع عليها السماعة.

ـ يقوم الميكروفون بتحويل الإشارات الصوتية الصادرة عن المتحدث إلى إشارات كهربائية متغيرة ترسل عبر شبكات الارسال.

ـ دور جهاز الاستقبال هو تحويل التيار الكهربائي

المتغير الذي يصل الجهاز من أقرب مقسم تلفوني "Central téléphonique" إلى إشارات مسموعة.

ـ الرنان الذي يرن نتيجة التيار المتغير الذي يصله من المقسم وبواسطته يتم تنبيه المشترك إلى أن أحدا يطلبه.

ـ أسطوانة الترقيم أو الملمس الترقيمي بواسطتها يتم تركيب رقم المشترك المرغوب الاتصال به ويضم الرقم في أعداده إضافة إلى رقم المشترك المقسم التلفوني الموصول إليه المشترك ويتكون هذا الرقم في المغرب حاليا من ستة أرقام.

ـ الكلابة تقوم بقطع أو وصل التيار المتغير للتلفون حين وضع السماعة أو رفعها.

كيف تتم المكالمة التلفونية :

عند رفع سماعة التلفون : (1) يقع ربط (المشترك بأقرب مقسم تلفوني (أ) بواسطة خط المشترك، وسماع الرنة المعهودة يعني أن الربط تم بنجاح بعدها يقوم الطرف الطالب بتركيب رقم المشترك المرغوب الاتصال به التلفون (2)، بعد أن يتعرف المقسم (أ) على الرقم المطلوب يصدر تعليماته ويقرر الطريق الذي ستسلكه المكالمة إلى أن تصل إلى مكانها عبر طريق مباشر أو عبر مقسم للتوسط قد يكون واحدا أو عدة مقاسم توجد داخل نفس القطر أو في أقطار مختلفة إلى أن تصل إلى الطرف المطلوب التلفون (2) والذي بعد أن تصله الرنة ويرفع سماعته تعود الإشارة أدراجها معلنة عن قبول المكالمة وتتدرج إلى أن تصل إلى مقسم الانطلاق (أ) الذي يصدر مجموعة من التعليمات الإضافية والتي يطلق عليها اسم التشوير "Signalisation" والتي بواسطتها تحتسب مدة المكالمة والتسعرة المطبقة ومجموعة من البيانات المرتبطة بالتشغيل، وكل هذه العمليات تتم خلال ثوان معدودات لا يشعر بها طبعا طالب المكالمة بحكم أن تبادل الإشارات يحصل بسرعة الضوء. ترتبط المقاسم التلفونية فيما بينها بواسطة دارات تمر بواسطة وسائل الإرسال المختلفة منها الكوابل المحورية، الوصلات الهرتزية، الاتصالات الراديوية، الاتصالات الفضائية عبر الأقمار الصناعية والكوابل ذات الألياف البصرية (الضوئية).

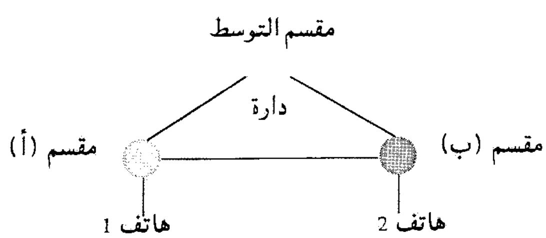


دخل التلفون إلى المغرب في مرحلة متأخرة عن غريمه التلغراف وهو من الأشياء الجديدة التي استخدمتها الحماية الفرنسية بالمنطقة السلطانية والحماية الاسبانية بالمنطقة الخليفية. وأقيم أول خط تلفوني بين الرباط والدار البيضاء وبين تطوان وسبتة بالشمال مع إحداث مكتب البريد والتلغراف في 29 شوال عام 1331 / فاتح أكتوبر 1913، وقد قال عنه ليوطي سنة 1335 / 1916 عند تقييمه لوضعية الحماية بالمغرب بأن التلفون "...أداة أساسية من وسائل العمل بالمغرب" (... un élément important de l'outillage du Maroc)

ومافتئ التلفون يكتسي أهمية كبرى حتى صار عدد أجهزته بدولة ما يعتبر مؤشرا أساسيا تعتمده الإحصائيات الدولية للحكم على مقدار النماء الذي وصلته تلك الدولة ويعبر عنه عادة بالكثافة التلفونية التي هي عدد الخطوط التلفونية الموجودة بالبلد لكل 100 نسمة، وهذه الكثافة على وجه التقدير هي : 0.4٪ بأفريقيا، 4.5٪ بأمريكا الجنوبية، 5.2٪ بآسيا (منها 40.3٪ باليابان وحده)، 19.1 بأوربا الغربية، 71٪ بأمريكا الشمالية (منها 80٪ بالولايات المتحدة الأمريكية)، وقد بلغت بالمغرب سنة 1414 / 1993 (2.98٪)، على أن متوسط هذه الكثافة هو في حدود 10٪.

عرف التلفون بالمغرب منذ بداية الثمانينات تحولات كثيرة أدركها المستعمل للتلفون في عدد الخدمات التي صارت في متناوله والتي يصل إليها من خلال جهاز تلفونه، وما كان ذلك ليتأتى لولا الاندماج الكامل الذي حصل بين ميداني التلفون والمعلوميات (Télématique) منذ السبعينيات إضافة إلى النقلة النوعية التي عرفها ميدان معالجة الإشارات بعد أن صارت تعتمد التقنية الرقمية (Numérique) بدل الإشارات التماثلية (Analogiques) والتي بواسطتها أمكن جعل التلفون أداة شخصية يتنقل به الشخص أينما أراد ويسمح له بالاتصال بأية نقطة بالعالم، بحيث يتوقع في القريب العاجل أن يصير التلفون وسيلة الإنسان الشخصية كما هو الحال للساعة المعصمية.

حسن اللبادي

**التلفزيون المغربي**، بدأ سنة 1372 / 1952 كأول تجربة على الصعيد الإفريقي، حيث تم إسناد شبكة الإرسال التلفزي إلى شركة مغربية مختصة، وذلك بمقتضى ظهير 29 ماي 1951، حين تمت المصادقة على اتفاقية خولت لشركة "تيلما" "TELMA" مهمة الإشراف على الشبكة التلفزية.

ورغم أن هذه التجربة لم تعمر طويلا فإن حصيلتها في الميدان التقني والفني جعلت التلفزة المغربية من بين التلفزات القلائل التي لم تواجه صعوبات تقنية عند بدايتها يوم 26 رمضان 1381 / 3 مارس 1962، حيث عملت على النقل التلفزي للخطاب الملكي بمناسبة الاحتفاء بذكرى عيد العرش، أو عند إحلال الألوان محل الأبيض والأسود سنة 1392 / 1972.

وللتذكير، فقد استقرت التلفزة المغربية إلى جانب الإذاعة في استديوهات ومرافق أعدت أساسا لهذا الغرض في نهاية الستينات، بعدما كان البث ينطلق من آخر طابق في مسرح محمد الخامس من سنة 1962 إلى سنة 1969.

ولقد تم إلحاق الإذاعة والتلفزة المغربية بوزارة الأنباء والفنون الجميلة والسياحة بمقتضى الظهير الشريف رقم 1.61.318 الصادر في 12 شعبان 1381 (19 يناير 1962) والذي بموجبه أصبحت التلفزة المغربية تتمتع بالكفاءة القانونية والاستقلال المالي إلا أن هذه الوضعية سرعان ما تغيرت بموجب مرسوم ملكي تحت رقم 13.66 بمثابة قانون متعلق بالإذاعة والتلفزة صدر في 7 رجب 1386 (22 أكتوبر 1966) تم بمقتضاه إحداث مؤسسة عمومية، ومنذ 7 رجب 1386 (22 أكتوبر 1966) صدر مرسوم ملكي تحت رقم 13.66 بمثابة قانون متعلق بالإذاعة والتلفزة المغربية، تم بمقتضى فصله الخامس عشر إلغاء جميع المقتضيات السالفة وإحداث مؤسسة عمومية.

غير أن هذه الوضعية لم تعمر طويلا، إذ نص المرسوم الملكي رقم 1024.67 الصادر في 29 رمضان 1387 (13 دجنبر 1967) بمثابة قانون المالية لسنة 1968، على إلغاء المرسوم الملكي رقم 13.66 المشار إليه آنفا، بينما أنشأ ميزانية ملحقة للإذاعة والتلفزة المغربية، وأحل "الدولة" محل "المؤسسة العمومية"، مما أدى إلى حصر الأسس القانونية للإذاعة والتلفزة المغربية في الفقرة الرابعة من الفصل الأول من المرسوم الملكي رقم 493.65 الصادر في 22 شوال 1386 (2 فبراير 1967) المتعلق باختصاصات وزارة الأنباء، والتي بموجبها تعمل الإذاعة والتلفزة المغربية تحت سلطة الوزير المكلف بالأنباء حسب الاختصاصات المحددة لها بنصوصها الخاصة.

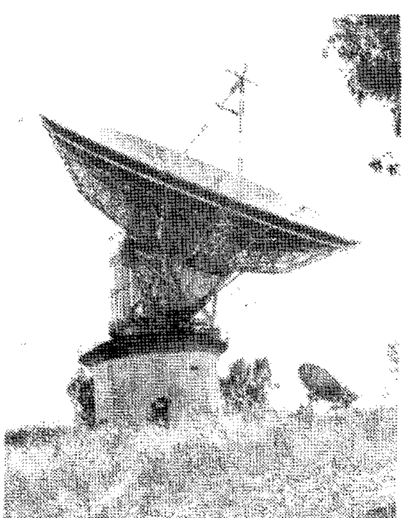

وفي 25 محرم 1388 (26 دجنبر 1978)، صدر مرسوم رقم 2.78.595 المتعلق بتنظيم واختصاصات وزارة الدولة المكلفة بالاعلام وينص على أن الإدارة المركزية للوزارة تشمل الإذاعة والتلفزة المغربية، وأن اختصاصات وتنظيم هذه الأخيرة ستحدد بمرسوم لاحق، صدر فعلا سنة 1994، حيث أصبحت الإذاعة والتلفزة بمقتضاه جزءاً لا يتجزأ من إدارة وزارة الإعلام المركزية.

وقد تميزت المسيرة الإعلامية للتلفزة المغربية بمواكبة كل الأحداث الوطنية والدولية، وتغطية كل التظاهرات الفنية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والرياضية التي عرفتها البلاد كما خصصت برامج للتعريف بالمنجزات الوطنية والمشاريع الاقتصادية والإنمائية.

وقد حققت التلفزة المغربية تطورات تقنية وبشرية هامة تجلت بالخصوص في التغطية الترابية التي أصبحت تشكل نسبة 89٪، كما سخرت لذلك شبكة هرتزية طولها 16.000 كلم، ترتبط من خلالها أربع وستون محطة ربطا هرتزيا بكل من شبكات الأوروفيزيون والمغرب ـ فيزيون والمحطة الأرضية الدولية للاتصال الفضائي المقامة بالسهول، على بعد 30 كلم من مدينة الرباط.

وتتكون شبكة البث التلفزي من 34 جهازا للإرسال، و56 جهازاً لإعادة الإرسال.

ويعتبر المغرب منذ سنة 1388 / 1968 أول دولة إفريقية استعملت "سواتل انتيلسات" لتبادل الاتصالات التلفزية مع دول العالم الخارجي، بفضل إقامة محطة أرضية من عيار A، ذات هوائية يبلغ قطرها ثلاثين متراً، تمت إقامتها بمنطقة السهول.

وبعد استرجاع المغرب لأقاليمه الصحراوية، تم سنة 1982 إيصال التغطية التلفزية لهذه الأقاليم باستعمال سواتل أنتيلسات لتأمين خدمة محلية ووطنية، إذ أقيمت ثلاث محطات أرضية من عيار B بكل من الرباط والعيون والداخلة تعمل بهوائية يبلغ قطرها أحد عشر متراً.

وللإشارة، فقد تقوى استغلال التلفزة المغربية للسواتل منذ العمل بنظام "عَرَبْسَاتْ" سنة 1989، وذلك بواسطة محطات متوسطة الهوائيات (7 أمتار) مكنت من إيصال البرامج التلفزية إلى المناطق النائية من الأقاليم الصحراوية حتى الحدود الجزائرية والموريتانية، وقد لجأت التلفزة المغربية سنة 1991 إلى إقامة محطة أرضية للاستقبال والإرسال بمركز الإرسال الإذاعي والتلفزي بزعير (ضواحي الرباط)، تعمل بهوائية قطرها تسعة أمتار، وذلك لتأمين تبادل البرامج والأخبار اليومية مع مختلف الدول الأوربية من خلال الأوروفيزيون.

وبمناسبة عيد العرش لسنة 1993، تم تدشين بداية بث

البرامج التلفزية بواسطة "ساتل أوتيلسات" (2F3) إلى كل الدول الأوربية، ودول حوض البحر المتوسط، حيث يمكن التقاط برامج التلفزة المغربية عبر هوائيات تتراوح أقطارها بين 0,8 و2 أمتار.

وقد خول الموقع الجغرافي للملكة المغربية، سواء على الصعيد الإفريقي أو الأوربي، انتماء الإذاعة والتلفزة المغربية إلى اتحاد إذاعات الدول العربية، واتحاد إذاعات الدول الاسلامية، واتحاد الإذاعات والتلفزات الوطنية الإفريقية، والاتحاد الأوربي للإذاعات، والمجلس الدولي للإذاعات والتلفزات الناطقة بالفرنسية، وإلى منظمات دولية أخرى.

وفيما يتعلق بالموظفين، تمت مراجعة القانون الأساسي لموظفي الإذاعة والتلفزة سنة 1990، ثم في يناير 1993، في إطار نص بمقتضاه على خلق إطار متكامل لكل من الصحافيين والفنانين والفنيين التقنيين.

كما نص على مراجعة بعض الأوضاع الإدارية المتعلقة بهذه الفئات المهنية وعلى إمكانية التوظيف بواسطة عقود لتعزيز العمل الإذاعي والتلفزي بقدرات وخبرات في المجال السمعي البصري مركزيا وجهويا.

وقد سعت التلفزة المغربية إلى مضاعفة ساعات الإرسال التلفزي، وتنويع البرامج كماً وكيفاً، كما عرفت نسبة الإنتاج الوطني التلفزي ارتفاعاً بلغ نسبة 63,14٪ مقارنة مع الإنتاج المستورد الذي شكل نسبة 36,86٪، حيث تمكنت التلفزة المغربية من إبراز فعاليات فنية في تصوير مسلسلات ومسرحيات مغربية وانتاجات أخرى.

وفي إطار التغطية المحلية والجهوية، تتوفر التلفزة المغربية على وحدات تلفزية بمختلف العمالات والأقاليم، تعمل على تزويد التلفزة المغربية بمواد إخبارية وتغطيات لمختلف الأنشطة والتظاهرات المحلية والجهوية.

وتميز العمل التلفزي على مستوى الانتخابات الجماعية والتشريعية التي عرفها المغرب، بتغطية الحملات الانتخابية، وتقديم برامج ذات طابع إعلامي حول ماهية الانتخابات، وطرق ممارسة هذا الحق المخول من طرف الدستور، كما شمل العمل الإعلامي التلفزي تغطية مختلف مراحل عملية التصويت والنتائج النهائية، وقد بلغت مدة ساعات التغطية الإعلامية للانتخابات الجماعية والتشريعة لسنة 1993، 43 ساعة و36 دقيقة شاركت فيها جميع الأحزاب السياسية الوطنية، إضافة إلى العديد من البرامج التي تم إعدادها بمساهمة فعاليات سياسية وجامعية من ذوي الاختصاص.

*النصوص القانونية المذكورة داخل النص : وثائق دار التلفزة المغربية؛ دراسة ميدانية.*

الصديق معنينو

**تلكْرامَا ذيلْ ريفْ** *El Telegrama del Rif* *(تلغراماً الريف)*، جريدة إسبانية كانت عند إنشائها بمدينة مليلة السليبة، مجرد نشرة إخبارية يومية تصدر في ورقة واحدة صغيرة الحجم، ومع ذلك كانت ترفع شعار جريدة صباحية تدافع عن مصالح إسبانيا بالمغرب. منشؤها ومحررها ضابط إسباني اسمه كَنْديدُو لُوبيرا خريل Candido Lobera Girel. وقد صدر العدد الأولَ منهاَ يوم فاتح مارس 1902 ؛ وفي سنة 1917 بدأت تصدر في أربع ورقات إحداها باللغة العربية ؛ وقد فرضت نفسها بصفتها الجريدة الوحيدة التي كانت توجد بمليلة على إثر الحرب الريفية الأولى سنة 1909، حيث أصبح حجمها 600 x 280 مم وعدد صفحتها ثمان.

وفي سنة 1951 غيرت اسمها حيث أصبحت تسمى *El Telegrama de Melilla* (تلغراما مليلية). والجدير بالذكر أن محرر القسم العربي بها منذ شهر مارس 1907 إلى شهر أبريل 1915 كان هو الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي.

*El Telegrama del Rif*, Melilla ; D. Bacaicoa. *Inventario de la Hemeroteca de Tetuán*, 1953 n° 522, p. 52.

محمد ابن عزوز حكيم

**التِّلاوي، مسعود** بن عبد القادر الشياظمي. كان خليفة لأبيه القائد عبد القادر وبعد وفاته ولي أخوه بوجمعة القيادة ثم سجن بفاس سنة 1283 / 1866، وعين مكانه شقيقه مسعود. لكن هذا الأخير استولى على أموال الدولة التي كانت مجموعة عند أبيه وأخيه، وتحايل على أبراهام قرقوز نائب قنصل الولايات المتحدة بالصويرة. ولكي يضمن مسعود إفلاته من رد الأموال التي كان احتجنها ذهب إلى الصويرة وطلب من أحد التجار الطارقيين المنجلزين سنة 1868 وهو جوت دامونطي J. Damonté أن يتخذه سمساراً له، ففعل ونال من نائب قنصل إنجلترا بها وهو ويليام گريس W. Grace صكاً بالحماية. ولما كان مسعود متبوعا بودائع بيت المال لم يجز المخزن له أن يكون في الحماية ففر لاجئاً إلى أضرحة مراكش وأسفي والصويرة وطنجة وجبل طارق، وأخيراً هرب إلى سوس وإستوطن تارودانت.

تدخل في هاته القضية نواب كل من إنجلترا جون دراموند هي والقنصل العام للولايات المتحدة دجيس ماك ماط Jess Mac Math ونائب إسبانيا فرانسيسكو دي پاولا ميري إي كولوم F. de Paula Merry Y Colom.

ولنبدأ في تناول قضية مسعود أولا بأول. في سنة 1283 / 1866 كتب الطيب بوعشرين إلى بركَاش عن "التلاوي" الذي فر للصويرة واحتمى بقونْصُ النجليز، بعد أن تقاعد على مال له بال، وصار يدخل ويخرج من غير مبالاة بأحد... فإنه لا يخفاك أن في الشروط أن لا يدخل في الحماية من هو يتعلق بالخدمة المخزنية".

"وهذا وقد كثر تعرض العمال للنصارى الذين بالمرسى ورغبتهم في مخالطتهم ليجدوهم عند العزل أو الموت، فيدّعوا أن لهم عليهم ديناً كثيراً. وقصدهم أن يفوتوا ما بيدهم من متاع بين المال لعند النصارى".

وهناك رسالة عامل الشياظمة عمر الحنشوي بعث بها إلى السلطان في نفس السنة يقول فيها إن "مسعود ولد عبد القادر التلاوي أخا بوجمعة... وصهره الحاج أحمد بن الحاج إبراهيم قد اشتغلا بمن يتسوق من قبيلة الشياظمة للصويرة ويحرضانهم على الفساد ويأمرانهم بمنع الوظائف السلطانية المرة بعد المرة... وكيف لا وهو أتى بمال له قدر وبال وتقاعد عليه واشترى منه دوراً هنا بثغر الصويرة. فمن جملة ما اشتراه داران بداخل قصبة الصويرة ... أما عامل الصويرة ابن المشاوري فأوضح في رسالة له أن عدلين : أحدهما حاجي والآخر شياظمي عرّفا بخط بوجمعة وبيعه الفندق للحاج أحمد بن إبراهيم البويحياوي. "فلما رأى القاضي خط يد بوجمعة المتضمن البيع بحث في العدول الذين عرفوه. فالشياظمي رجع في شهادته، والحاجي بقي فيها".

وبعث السلطان برسالة في 18 ربيع الثاني 1284 / 19 غشت 1867 إلى برگاش الذي كان يتهيأ للخروج في سفارة إلى أوربا، يأمره أن يضيف إلى قضاياه العويصة التي سيحاج فيها نواب الأجناس، قضية مسعود التلاوي المطالب بالأموال الباهظة للمخزن.

وهي بالفعل من القضايا الشائكة التي كانت بين المخزن والسلك الديبلوماسي. وانتهى أمر مسعود إلى الفرار إلى تارودانت والإقامة بها بأهله هناك بعد أن سمح لهم بذلك.

ويبدو من خلال النصوص التي أوردت مقتطفات قصيرة منها أن السلطان شعر بتزيد في حق مسعود الذي لاشك أنه أدى ما كان عليه، وإلا لما سمح له السلطان بالمكوث بسوس.

ومن نتائجها أن المهدي بن المشاوري عزل عن الولاية التي أسندت إليه منذ عام 1279 / 1862، وعين مكانه الحاج عمارة بن الحاج محمد بن عبد الصادق المسگيني السوسي، وأن القاضي الحاج عبد القادر بن أحمد الزمراني الصومعي المتوفى سنة 1310 / 1892 أخر عن قضاء الصويرة وعوض بالحاج علال بن عبد الصادق، وأن ستة عدول رفعت أيديهم عن الشهادة بالصويرة منهم الهادي بن الطائع القادري وعلي بن بلّة الشياظمي وكان من عدول المرسى، ومنهم اثنان آخران من الأربعة الذين شهدوا "بخيارة مسعود الشياظمي، والأمر بخلاف ذلك" اسمهما علي التّناني والحاج حمو.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج. 3، ص. 1088 - 1097؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 3، ص. 386 ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، ص. 98 - 118، طبعة الدار البيضاء، دون تاريخ ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 8، ص. 469، الرباط، 1982 ؛ *الوثائق الملكية*؛ *وثائق برگاش* ؛ *وثائق جائزة الحسن الثاني للمخطوطات* رقم 1274.

M. Nehlil, *Lettres chérifiennes*, tableau 34, Paris, 1915.

مصطفى بوشعراء

**تَـلّـو**، أسرة جزائرية هاجرت إلى تطوان سنة 1246 / 1830، وكان من بين أفرادها من يتعاطى الصيد البحري مثل رؤساء البحر حسن تَـلّـو ورمضان تَـلّـو وعبد القادر تلّو وإسماعيل تلّو الذين كانت لهم شبابيك للصيد بمرسى مرتين سنة 1252 / 1836 ؛ وأسرة تَـلّـو غير أسرة تليُـو.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 202 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Cagigas, *Familias* ; *Vademecum*, 1931.

**التلمساني**، أسرة تطوانية أصلها من تلمسان وكان من بين أفرادها العالم المدرس الإمام بزاوية مولاي محمد الوزاني بالقرب من باب التوت، محمد التلمساني المتوفى حسب سكيرج سنة 1192 / 1778 وحسب الرهوني سنة 1202 / 1788. وهناك شخص آخر من هذه الأسرة يحمل نفس الاسم وكان يشغل منصب خليفة الباشا ابن منصور المهدوي إلى أن سجنه سنة 1284 / 1867 الباشا الجديد أحمد الخضر السلاوي، وهذه الأسرة غير أسرة التلمساني المعروفة بالبلغيثي.

سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 217 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 96 - 173 ؛ 6 : 100 - 109 ؛ 8 : 352؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuaníes de abolengo* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

**التلمساني، إبراهيم** بن أبي بكر، فقيه وأديب ولد بتلمسان آخر جمادى الثانية سنة 609 / 26 نونبر 1212. انتقل إلى الأندلس مع أبيه ولم يتعد عمره التاسعة فاستوطن غرناطة ثلاث سنين ثم رحل إلى مالقة فسكنها مدة وبها حصل على جل تعليمه. ومن أشهر أساتذته بها أبو بكر بن دحمان. ثم انتقل إلى سبتة فأخذ بها العلم عن كل من ابن عصفور وابن عميرة الذي أجاز له، وكذا يوسف بن موسى الحساني الغماري، وبقي بسبتة إلى آخر عمره، حيث تزوج بها أخت شاعرها الشهير مالك بن المرحل. وكان أديباً شاعراً مع معرفة بالفقه متضلعا في العدد والفرائض، ونظم *أرجوزة* محكمة ولم يتعد عمره ثمانية عشر عاما. روى ابن عبد الملك عنه قائلا : "وخبرت منه في تكراري عليه تيقظاً وحضور ذهن وتواضعا وحسن إقبال وبر، وجميل لقاء ومعاشرة وتوسطا صالحا فيما يناط به من التكاليف واشتغالا بما يعنيه من أمور معاشه وتخاملا في هيأته ولباسه يكاد ينحط عن الاقتصاد حسب المألوف والمعروف بسبتة". له عدة تآليف *كأرجوزته في الفرائض* الفريدة من نوعها جودة وحسنا. *ومنظومات في السير*، *وأمداح نبوية ومقالة في علم العروض الدوبيتي*. وله شعر كثير مختلف المستويات.

توفي بسبتة سنة 690 / 1292.

ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 107، الرباط، 1979.

عبد الإله الفاسي

**التلمساني، أحمد** (رايس بحري) من رياس الأسطول المغربي على عهد سيدي محمد بن عبدالله. وهو من العناصر الجزائرية التي نزحت إلى الموانئ المغربية، والمرتبة في فئة "أهل المشرق". ورد اسمه ضمن المعتمدين في الأسطول سنة 1186 / 1772، وفي نطاق الفئة الثانية من الرياس الذين لم تسند إليهم رياسة السفن. وكانت أجرته تتحدد عند كل عطاء في ريالين وكسوة مشتملة على ثوب ملف.

عبد الهادي العسري، *كناش في أمور البحر*، مخطوط، ص. 38.

حسن أميلي

**التلمساني، أحمد بن محمد بن حمدان** القصري، العلامة والمحدث الحافظ الراوي، دفين مدينة القصر الكبير وأحد أعلامها خلال القرن الحادي عشر (17 م) (القصر، *أعلام*، 119)، وهو غير أحمد التلمساني السّماتي، الفقيه الذي كان إماماً في علم القراءات وأخذ عنه عبد السلام الطويل من بني مَصُور. كما ذكر ذلك الكتاني (*فهرس الفهارس*، 2 : 23 و24).

جمعت المحدث التلمساني علاقة متينة وصحبة الطلب ووحدة الغاية بالعالمين الشهيرين أبي عبد الله الكنيكسي وأبي العباس الهشتوكي، فتوجهوا جميعا إلى الشرق لطلب العلم، كما يبدو أنهم قد حملوا معهم من المغرب من علم الحديث والسند ماكان قد فقد في الشرق، مما نقله عبد القادر الفاسي عن العارف الفاسي عن الامام القصار عن رضوان الجنوي عن سقين، وهو سند يرقى إلى أكابر الصحابة والتابعين في الحديث، وهذا السند يقول عنه الكتاني : واشتهر في مصر أدخله إليها الهشتوكي وابن حمدان التلمساني والكنيكسي، أخذه عنهم الدمنهوري والمولاوي والجوهري... لا ندري شيئا عن الفترة التي قضاها ابن حمدان التلمساني وصاحباه في الشرق ولاشك أنها كانت غير وجيزة، جمعوا فيها من العلوم ما لم يكن متداولا في المغرب. استقر التلمساني بعد العودة مع زميله الكنيكسي بالقصر الكبير، يعقد مجالس العلم والمعرفة إلى أن وافاه الأجل المحتوم، وضريحه مزار حتى الآن بالقصر الكبير وعليه قبة حسنة البناء جددت أيام الحماية وقليل منهم من يعلم أنه إمام في الحديث (القصر، *أعلام*، 121). هذا ولدى تناول الكتاني لعبد القادر الفاسي بالترجمة في فهرس الفهارس ذكر أن ممن أجازه من تلاميذه العلامة أحمد ابن محمد بن حمدان التلمساني (*فهرس الفهارس*، 151:1).

ع. الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ محمد عبد السلام بوخلفة، *الطريق لمعرفة القصر الكبير*، تطوان، 1972 ؛ محمد بن عبد الرحمان بن خليفة، *القصر الكبير، أعلام أدبية وعلمية وتاريخية*، القصر الكبير، 1994.

الحسين البعاوي

**التلمساني، أحمد بن محمد بن القاضي**، ذكر محمد بوجندار في كتابه *الاغتباط* أن أحمد التلمساني تتلمذ بالرباط على أحمد الغربي، وكان من الفقهاء المفتين المدرسين الناظمين الناثرين، وعثر على عدد من فتاويه وإجازاته للغير، وبعض إنشاءاته النثرية والشعرية، كتقريظه *لشرح الهمزية* للقاضي محمد زنيبر السلاوي وله عدة أمداح نبوية.

وقد وصفه محمد بن علي دينية بأنه علامة داهية مشارك في عدة فنون ما بين معقول ومنقول وفروع وأصول، كما جعله من كبار المفتين، ومن تلاميذه الهاشمي أشكلانط والفقيه محمد بن جلون الرباطي ومحمد زنيبر السلاوي. ويقول بوجندار إن وفاته كانت في حدود 1180 / 1766، بينما لم يقف دينية على تاريخ وفاته. ودفن بالقرب من المسجد الأعظم بالرباط، وبنيت عليه قبة وهو الضريح الذي حمل اسم الزاوية التلمسانية نسبة لدفينها، وكان الكتانيون قد اتخذوها زاوية لإقامة شعائر طريقتهم فيها مدة تقرب من الخمس سنين حتى صارت الزاوية تنسب إليهم. وبعدما بنيت زاويتهم التي بحومة مولاي إبراهيم انتقلوا إليها وعادت الزاوية إلى اسمها الأول وبدأت تقام بها الصلوات الخمس.

محمد بوجندار، *الاغتباط*، ص. 26 ؛ محمد علي دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 108.

عبد الإله الفاسي

**التلمساني، محمد بن أحمد** بن إبراهيم بن محمد الأنصاري، سبتي، وبها ولد سنة 676 هـ. درس على أبيه وجده، وعلى جملة وافرة من علماء بلده وغيرهم، منهم الشريف أبو علي بن أبي الشرف رفيع، وأحمد بن أبي القاسم بن أبي العباس العزفي، وأبو القاسم بن الطيب وأبو إسحاق الغافقي، والكاتب أبو القاسم بن خلف القبتوري، وأبو عبد الله بن الخضار والرحالة المحدث أبو عبد الله بن رشيد وأبو عبد الله الغماري وأبو البركات بن أحمد القنطري وأبو عبد الله الطنجالي وأبو جعفر بن الزيات وأبو عبد الله بن برطال وأبو عبد الله بن قطرال، وأبو إسحاق البرغواطي، هؤلاء وغيرهم لقيهم وقرأ وسمع عليهم.

وأجاز له خلق كثير من المغاربة والمشارقة كتابة، ومنهم الأديب مالك بن المرحل والمحدث أبو جعفر أحمد بن الزبير وأبو الحسن بن مستقور، والوزير أبو محمد ابن سماك والشيخ أبو محمد الخلاسي والقاضي أبو العباس ابن الغماز، والشيخ أبو القاسم الحضرمي اللبيدي، وأبو عبد الله بن هارون، والمحدث أبو الحسن القرافي وإبراهيم ابن أحمد بن هبة الله بن أبي منصور والإمام شرف الدين الدمياطي، وبهاء الدين النحاس وقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد وضياء الدين عيسى بن يحيى بن أحمد، وآخرون من أهل الشرف يصعب حصرهم.

كان شيخاً وقوراً مجوداً لكتاب الله على علم بالحديث النبوي والأخبار، والآداب. وكثر اهتمامه بكتب السيرة النبوية، ويلقي منها بالمسجد الجامع بغرناطة للجمهور. وقد

رحل إلى غرناطة سنة 718 هـ واستوطنها واتصل بالسلطان واختاره لمجلسه فكان أهلاً لذلك. وولي بها "خطة الحسبة" التي كانت من الخطط النبيهة عند الأندلسيين، ثم قلد خطة "تنفيذ الأرزاق". وناب عن الكاتب ابن الخطيب الغرناطي في "العرض والجواب" بمجلس السلطان.

وتوفي في محرم عام 764 / أكتوبر ـ نونبر 1362 وقد ناهز التسعين.

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، ج. 3، 1975.

محمد المغراوي

**التلمساني، محمد الحاج**، ابن القاضي الرباطي وهو والد الأديب أحمد سابق الترجمة، نشأ بالرباط ونهل من العلوم وأسندت إليه مختلف الخطط الدينية فكان إماماً وخطيباً وعدلا ومفتيا ثم قاضياً. وقد عثر محمد بوجندار على رسوم مكتوبة بقلمه وفتاوى ممضاة بشكله. وشُهد له بالبراعة في خطتي العدالة والقضاء. ينتمي إلى أسرة عرفت بالعلم المتوارث وبالصلاح والدين، وكان أبوه من العلماء وهو صاحب الزاوية التلمسانية بالرباط، لم يتوصل مترجمه بوجندار إلى سنة وفاته.

محمد بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، ص. 138، الرباط، 1987.

عبد الإله الفاسي

**التلمساني، محمد بن يحيى** بن أبي الفتوح الشريف الحساني السليماني، تلمساني الأصل والمنشأ، درعيّ الدار والملحد، حلاه صاحب *الدرر* بالعلامة المقرئ الشهير بالشيخ ( *الدرر*، 362) نجهل كل شيء عن نشأته وتعليمه الأولي، ويذكر صاحب *الدرر* أن التلمساني قرأ بمصر وأخذ عن شيخ المقرئين المصريين في وقته أبي العز سلطان.

وكان سبب مجيئه إلى درعة، أنه التقى بالشيخ مَحمد ابن ناصر في حجته الأولى سنة 1070 / 1659 بمصر فأخذ عنه الورد الشاذلي، فلما عاد الشيخ ابن ناصر إلى المغرب صحبه الشيخ التلمساني ونزل عنده بزاوية تامگروت وكان عادة الشيوخ الناصريين تشجيع أهل الفضل من العلماء وغيرهم على الاستقرار بالزاوية، وقد زوج الشيخ ابن ناصر الفقيه التلمساني، السيدة مريم، ثم زوجه ابنته أم كلثوم، وخلف من هذه الاخيرة جملة من الأولاد مات بعضهم في طاعون 1091 (*طلعة المشتري*، 2 : 14).

توفي التلمساني سنة 1112 / 1700 بواحة أكتارة وأقام عليه أهل المنطقة قبة كبيرة تذكيراً بفضله وعلمه.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط خاص ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، ج. 2، طبعة حجرية دون تاريخ ؛ محمد بن لحبيب التامنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط.

أحمد البوزيدي

**التلمود** Talmud، كتاب يقدسه اليهود أكثر من التوراة ويشار إليه أحياناً بكلمة شاس Shas، وهي أختصار للكلمة العبرية Shishah sedarim أي "الأحكام الستة". وهناك سفر مماثل للتلمود تماماً يسمى ميدراش Midrash.

ينقسم التلمود إلى جزءين هامين : مشناة Mishnah وهو الأصل أو المتن، وجمارا Gemara وهو شرح المشناة. وتعدّ المشناة أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة جمعها يهودا هاناشي Judah Hanashi فيما بين سنة 190 و200 م، أي بعد قرن تقريباً من تدمير تيطوس الروماني Titus للهيكل.

أما جمارا فاثنان : جمارا *أورشليم* وهو سجل لمناقشات حاخامات فلسطين لشرح أصول المشناة. وقد جُمع حوالي 400 م. ويدعى *تلمود أورشليم*، وجمارا *بابل* الذي يضم مناقشات علماء بابل اليهود حول تعاليم المشناة وانتهوا من جمعه حوالي سنة 500 م. ويدعى *تلمود بابل*، وكلاهما يطبع على حدة. وقد طبعت فصول من *تلمود بابل* سنة 1484، وطبع كاملا في البندقية فيما بين 1520 و1523. كما طبع *تلمود أورشليم* لأول مرة بالبندقية سنة 22 ـ 1523. وقد كتب موسى بن ميمون في مقدمة كتابه شرح المشناة : "منذ أيام معلمنا موسى حتى حاخامنا المقدس (يهودا هاناسي) لم يتفق أحد (من علماء اليهود) على أية عقيدة من العقائد التي كانت تدرس علانية باسم "القانون الشفهي"، بل كان رئيس محكمة كل جيل أو نبيه يضع مذكرة عما سمعه عن سلفه وموجهيه، لينقلها شفهياً إلى شعبه. وهكذا ألف كل فرد (من العلماء) كتاباً مماثلا ليستفاد منه، حسب درجة كفاءته، إذا كان متمكناً من القوانين الشفهية وما توصل إليه السابقون من تفسير التوراة والقرارات التي أعلنت في مختلف الأجيال وقررتها المحكمة العليا (السنهدرين). وهكذا تقدم الزمن حتى أتى حاخامنا المقدس الذي جمع لأول مرة كل ما يتعلق بالسنة والأحكام والقرارات، وشرح القانون المروي عن موسى ـ معلمنا ـ المأمور به في كل جيل".

وقد اشتغل اليهود المغاربة بدراسة التلمود، فمن أقدمهم صمويل بن حفني، من مواليد 960 م بفاس. كان أبوه الحاخام حفني ها ـ كوهن معروفا بعلمه الواسع الديني والدنيوي، وقد بلغت شهرته آفاق المشرق، فأمسى رئيساً لأكاديمية صور بالشام، له عدة مؤلفات حول التلمود أهمها باللغة العربية : *مدخل إلى التلمود* ؛ *لوازم الأحكام* ؛ *نسخ الشرع وأصول الدين وفروعها*. ثم له أيضاً : *البلوغ والإدراك*؛ *وفي الطلاق والنفقة*، وكتاب *البيوع والالتزامات*؛ وكتاب *المجاورة والشفعة*...

أما جيل التلموديين الذين خلفوه، فكان يهيمن عليه الحاخام الربي إسحاق ها ـ كوهن الفاسي (1013 ـ 1103 م). ولد بقلعة بني حماد، وانتقل إلى فاس فأصبح قاضياً بها إلى عام 1088 م وهو تاريخ ذهابه إلى الأندلس، حيث واصل التدريس بمدينة الياسانة. من أهم مؤلفاته : هلأخوت الذي يحتوي على أهم ما في التلمود، لذا فإن كثيراً من

المؤسسات التعليمية اليهودية في العالم اعتمدت تدريس هلاّخوت، وتناولته بالشرح والتأويل، كما ترك إسحاق ها - كوهن عدداً كبيراً من الفتاوى، منها ما هو مكتوب بالعربية وقد نشرها اللوب اشخناز عام 1821، بمدينة ليفورن، إيطاليا - وما هو مكتوب بالعبرية، نشر بالقدس، عام 1899.

تميز هذا الحاخام المغربي بعقله المتفتح الذي كان وراء الفتاوى ووراء هلاّخوت، معتمداً العرف المحلي والمنهاج الذي أقره الحكماء اليهود في صيغة أحكام سموها *تقّانة*.

نذكر من بين أكبر مريديه يوسف الحلوي، الذي كلفه المعتمد بن عباد بعدة سفارات، وإسحاق بن ريوبان الفاسي، وإسحاق بن ريوبان البرشلوني.

والجدير بالذكر أن العهد الزاهر للتلموديين المغاربة بلغ أوجه على يد موسى بن ميمون (1138 - 1204 م) الذي قضى بفاس خمس سنوات من شبابه بعدما فرّت أسرته من قرطبة في عهد الاضطرابات الدامية الجارية بين المرابطين والموحدين. وألف ابن ميمون بفاس رسالته المشهورة التي تحمل عنوان : *رسالة في الاضطهاد* يناهض من خلالها "روح الضحية" الذي يتبناه البعض، وبيّن أنه رغم تخلي الموحدين عن الذمة وإلغائها، يبقى في استطاعة كل يهودي أن يؤدي صلواته وقراءته في بيته. ويصف ابن ميمون في هذه الرسالة، الحالة النفسية لليهود الذين أُرغموا على اختيار اعتناق الاسلام أو مغادرة البلاد. لذلك مضى عدد كبير منهم يتظاهرون بالإسلام وما هم بمسلمين، منتهجين سبيل التقية.

يبقى أن هذا الحل الإنساني الذي اقترحه ابن ميمون في إطار التلمود هو الذي مكّن اليهود المغاربة في عهد الموحدين، من اجتياز هذه المرحلة الصعبة وصيانة ثقافتهم. لذلك فإن اليهود المغاربة يعتبرون ابن ميمون مغربياً من بعض جوانب حياته وأنشطته، لأنه بفلسفته القائمة على العقل وانتمائه إلى مذهب أرسطو، مع تفتحه على الآخرين، فإن مؤلف كتاب *دلالة الحائرين* جدد ولاشك تلاوة التلمود بربطها بحياة الشعب، أما أعماله التلمودية الأخرى، مثل *مسنى - توراه ومشنايوت*، المكتوبة بالعبرية، فإنها صمدت في وجه عواصف الدهر، وأصبحت لا غنى عنها في الدراسات والأبحاث التلمودية.

ومن اليهود النازحين من الأندلس إلى المغرب، الذين اشتهروا بشرح التلمود وتدريسه : حاخام قرطبة إسحاق بن نحمياس الذي استقر بفاس ابتداءً من عام 1391 م، والرّبي موشي بن دنان بن ميمون - والربي سعدية دنان الطبيب التلمودي الشهير الغرناطي الذي حل بفاس عام 1492 وخلّف كتاباً بالعربية عنوانه : *الدرر في اللغة العبرية*، ثم يهودا عزيل وودال الصرفاتي وابنه إسحاق الصرفاتي صاحب التفاسير : حيدو شيم، ودينيل طوليدانو رئيس المجمع التلمودي بقشتالة الذي تم طرده من إسبانيا.

ومن اليهود التلموديين المولودين بالمغرب دنان الصرفاتي وصيريرو وأبنصور ومانصانو وصونيكو وبدريگو وطوليدانو، وكلهم ربيون مشهورون زاولوا أعمالهم بمكناس.

وفي القرن العاشر (16 م) اشتهر بفاس الربي الصرفاتي بن إسحاق (1550 - 1630) الذي كان يلقب "بالسنيور". ومن أهم مؤلفاته، كتاب *صوف دباش* الذي تم نشره بأمستردام.

ومن علماء القرن الحادي عشر (17 م) شمويل الصرفاتي (1660 - 1708) كان ربيا قاضيا بفاس وله مقالات عديدة حول التلمود، ثم شؤول سيريرو (1566 - 1655) له كتاب *في الموازين* ومنزلتها في التلمود. أما الفاسي هارون ابن حييم، فإنه ذهب ليدرس التلمود بالبندقية، وأهم كتاب له يحمل عنوان *"ميدون - أهرون"*.

وازدهرت الحركة التلمودية بمكناس في نفس القرن على يد جماعة من الربيين ينتمون إلى أسرة طوليدانو، نذكر من بينهم حبيب طوليدانو الملقب بالتقي حبيب الحاسيد، وله كتاب عنوانه *شعاري حوخمة* (أي أبواب الحكمة) انتخبه يهود مكناس رئيساً لجاليتهم.

وتجدر الإشارة إلى أن السلطان مولاي إسماعيل قرب إليه عدداً وافراً من اليهود، منهم ربيون بالخصوص، فأناط بهم عدة مرات، القيام بسفارات لدى الدول الأجنبية ومن بين هؤلاء الربيين نذكر دنييل طوليدانو وأبناءه يوسف وحبيب وحييم.

في نفس الوقت، ظهر بالمشرق يهودي دجّال ادعى أنه المسيح المنتظر اسمه شبّاي سبي، فآمن به عدد من يهود المغرب، خاصة بالرباط وسلا، فأثارت القضية جدلا في الأوساط التلمودية، بين الربي طوليدانو الذي تضامن مع يعقوب ساسبه رطاس واليهود.

إلى جانب هؤلاء الربيين، اشتهر بمكناس موشي طوليدانو (1641 - 1722) ثم حييم بن عطار بن موشي (1691 - 1743) صاحب كتاب أور - هاحييم، نور الحياة (البندقية، 1742) وله أيضاً حيفس هاسيم، الإرادة الإلهية (أمستردام، 1732)، ويعقوب طوليدانو، صاحب تفسير القصص الواردة في التلمود عقدوت، في ثلاثة أجزاء تحت عنوان حبور *عال روب هاشاس*، وبيتا حياة برديگو (1764 - 1820)، صاحب كتاب *بيتا حياة برديگو*، ثم الربي حييم طوليدانو بن موشي، المتوفى عام 1750، صاحب *شجرة الحياة وشجرة المعرفة* بالعبرية.

ولم تكن سلا والرباط وتطوان بمعزل عن هذه الحركة في القرن الثاني عشر (18 م) إذ عاش بسلا حييم بنعطار، المكناسي الأصل المتوفى عام 1721. وبالرباط، اشتهر كل من صمويل دبيلا واليعيزر دبيلا الذي مارس مهامه بمراكش كذلك. وبتطوان كان الربي يعقوب ملكا التلمودي، توفي عام 1771، وقد نشر ديوانه في الفقه التلمودي ببيت القدس عام 1932، تحت عنوان : نيو معرابي (نور غربي).

وقد واصل المجمع اليهودي المحلي بفاس تكوين التلموديين، بإدارة صمويل بن الباز (1697 - 1749)، فتخرج

فيه عدد من الموثقين والعدول اليهود بلقب ديان، ومنهم من رفض تقاضي أي راتب عن أعماله، مثل يهودا بن عطار (1655 ـ 1733). التلمودي والصياغ المشهور والربي الكبير، فإنه كان يعيش من موارد حرفته في الصياغة. وألف مقالات في قوانين الزواج والطلاق، وفي الذبح الشرعي بفاس. نشر كتابه شير *مختام* بفرسوفيا.

وبقيت فاس تشهد وجود فرع الحاخامات الكبار، نذكر منهم : إبراهيم مانسانو، المتوفى عام 1781، والياهو الصرفاتي (1715 ـ 1805)، وافراييم صونيگو (1710 ـ 1780) الذي كان حاخاما بفاس ثم بتطوان وكتب شرحا للمشنا، ثم خلفهم جيل كان على رأسه رفائيل هرون صونيگو (1760 ـ 1840) وابنه هديا صونيگو المتوفى عام 1868، صاحب كتاب دبار إيميت (القول الفصل)، ثم شاؤول ابن دنان، المتوفى عام 1871، القبالي وصاحب تفسير القوانين الشرعية.

إلى جانب هؤلاء نذكر رفائيل موشي السكوري، ربي بفاس مخضرم بين القرن 18 والقرن 19. أوقف حياته على شرح وتأويل المشنا والتلمود عامة، ثم إبراهيم انقاوا الذي اشتهر بكتابه الفريد من نوعه، *كرم حمير* (يعني الكرم المنتج). سبق له أن كان ربيا بسلا خلال القرن التاسع عشر، وهو كذلك صاحب كتاب *شبات إبراهيم* (راحة إبراهيم) وكتاب *سفر زباحيم شليميم*.

أما فيما يخص أهل القرن العشرين، فإن اثنين منهم يهيمنان على الساحة، هما : الربي شلومو دنان (1848 ـ 1929)، الذي كان بفاس، والربي رفائيل انقاوا الذي كان بسلا. كانا عضوين في المحكمة الربية العليا. الأول منهما كان خطيباً فصيحاً واستاذاً تخرج عليه عدد هام من الربيين منهم ابنه شاؤول دنان، آخر رئيس للمحكمة الربية العليا. أما رفائيل انقاوا فإنه قاض وحكيم كبير، له كتاب عنوانه *قارني رعيم* وكتب أخرى.

تجدر الإشارة إلى أن المعاهد التلمودية المغربية أنتجت عدداً لا يستهان به من الربيين أطروا الجاليات اليهودية في كل من فرنسا واسبانيا وانگلترا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية وأميركا اللاتينية، ومايزال إلى الآن مجمع للدراسات التلمودية مفتوحاً بالدار البيضاء.

**تلمود ـ توراة**، اصطلاح مركب يعني المدارس اليهودية التي استحدثت بالمغرب خلال القرن العشرين قصد تعليم أبناء اليهود تعليماً عصرياً في مادتي اللغة العبرية والدين. وجاءت هذه المدارس لتحل محل المؤسسات العتيقة المسماة صلوات، التي كان التعليم فيها يعتمد أساساً على الحفظ والذاكرة. وأدخلت بعض المواد بالفرنسية في برامج هذه المدارس التي أصبحت تشكل نظاماً تعليمياً وسطاً بين تعليم الرابطة الاسرائيلية العالمية ـ وهو تعليم فرنسي محض ـ وبين نظام *الصلوات واليصحبة* الديني المحض ـ وفي بعض المدن صارت مدارس تلمود ـ توراة تسمى إم هبّانيم، بمعنى أم الأطفال. وكانت هذه المدارس تحظى بعطف سلطات الحماية وصار بعضها يسمى مدارس الرابطة الاسرائيلية.


ظفر الله خان، *التلمود*، بيروت، 1985.

R. Ayoun et B. Cohen, *Les juifs d'Algérie : deux mille ans d'histoire*, 1982 ; Y. Benaïm, *Malkhe Rabbanan*, Jérusalem, 1931; A. Cohen, *Le Talmud*, trad. J. Marty, Paris, 1950, 470 pp ; *Ensiklopedia Talmudit*, Jérusalem, 1954 ; A. Laredo, I, *Les noms des juifs du Maroc : essai d'onomastique judeo-marocaine*, Madrid, 1978, 1161 pp ; Maïmonide, *Epîtres*, trad. Jean de Hulster, 1983, 195 pp ; J. Toledano, *Le temps du Mellah*, Jérusalem, 1982, 374 pp ; Toledano Ya'aqob Mose, *Ner Hamma'arab*, Jérusalem, 1911 ; G. Vajda, *Un recueil de textes historiques judéo-marocains*, *Hesp.*, 1948, 3ème, 4ème trim. 1949, 1er, 2ème trim. ; N. Slouschz, *Etude sur l'histoire des juifs et du judaïsme au Maroc*, *A. M.*, Vol. IV, 1905, pp. 345 - 410 et Vol. VI, 1906, pp. I - 167 ; H. Zafrani, *Les juifs du Maroc : vie sociale, économique et religieuse, études de Taqqanut et responsa*, Paris, 1972.


سيمون ليڤي

**تَلمودة**، بلدة صغيرة تقع جنوب جبل توبكال، غير بعيدة عن واد أيت مقور، وبين بلدتي تيزگي وأساراگ. وشيدت المجموعة السكنية على شكل مدرج على جنب جبل صغير، يوجد في سفحه واد تحيط به الحقول والجنان. ويعد هذا النهر المجاور من روافد واد تيفنوت الذي يصب بدوره في واد سوس. وتتميز المنطقة كلها من جهة أخرى بشبكة من الأنهار والجداول مثل واد أيت وطاس وواد أيت تاملدو وغيرهما، مما يجعل الجفاف لا يمسها.

أما اسم تلمودة فإن الجغرافيين المغاربة لم يعطوه تفسيراً، في حين أن بعض المستكشفين الأوربيين يذهبون إلى أن تلمودة تقع في منطقة ما فيها من قرية إلا وبها حي سكني لليهود الذين كانوا يقطنون بكثرة في هذه المنطقة مندمجين بين المسلمين، ولربما كانوا هم الذين أسسوا تلمودة مقتبسين اسمها من التلمود.

والجدير بالذكر أن أول من مر بها من الأجانب المستكشف لوي جانتي الذي نزل بها في 19 مارس 1905 أثناء استكشافه لمنطقة الأطلس الكبير، متنكّراً في زيّ مغربي مدعياً أن اسمه "السي علال الوزاني"، كما تجدر الإشارة إلى أن أهالي "تلمودة" ينتمون إلى قبيلة أيت أزيلال المنضوية تحت المجموعة القبلية الكبرى أيت واوزگيت. تتوفر تلمودة على مركز إداري وبعض المؤسسات الاجتماعية.


L. Gentil, *Dans le bled es-Siba* ; J. Célerier, *Massifs et vallées du Haut-Atlas* ; J. Dresch, *Documents sur les genres de vie de montagnes dans le Grand-Atlas*.


أحمد بنجلون

**تَلوات**، مركز وجماعة قروية بأگلاوة الجنوبية بدائرة أمْزْگّان إقليم ورزازات. يبلغ عدد سكانها 26.759 ن (1982). وتعني كلمة تلوات في اللهجة المحلية الحوض المنخفض. تتألف الجماعة في معظمها من حوض منخفض شبه دائري يتكون من صخور هشة : طين وبازلت يرجع إلى فترة الترياس يقطعه أسيف نْ تيفْراس الذي يلتقي بروافد كثيرة تحيط به من الشمال والشرق والغرب قمم عالية تتجاوز 2800 م تتكون من الكلس والفليش والحث، كما

تظهر بينها أجزاء من الكتلة القديمة لما قبل الكامبري، ويوجد الحوض بالمجرى الأعلى للواد المالح بالسفوح الجنوبية للأطلس الكبير الأوسط، يعرف برودة قوية في الشتاء حيث تنخفض الحرارة إلى مادون الصفر وتتساقط الثلوج وتدوم على الأرض عدة أيام. أما بالقمم فتبقى عدة أشهر، ويتعرض صيفا لموجات حرارة مرتفعة ورياح الشرگي. تبلغ الأمطار حوالي 400 ملم في السنة لكنها تعرف تذبذباً من سنة لأخرى، ويلاحظ تناقصها في العقد الأخير، كما تكون الغابات رقعا منفصلة على السفوح المتوسطة خاصة القريبة من تيزي ن تيشكا، وتتكون أساسا من البلوط الأخضر والعرعار الأحمر.

يمارس السكان زراعة تقليدية معاشية مسقية تتم أساساً بأشجار الزيتون واللوز وحبوب وخضر للاستهلاك الذاتي وزراعة بورية يناصيبية للشعير برقع متباعدة بقعر الحوض حيث تتوفر التربة وببعض المنحدرات. وأهم مزروع تشتهر به المنطقة هو الثوم الذي يوجه إلى أسواق المدن الكبرى. أقام السكان شبكة ري تتكون من سواقي وصهاريج لجمع مياه العيون الضعيفة الصبيب، كما يستفيدون من فيض الوديان لري بعض المشارات وتعرف الزراعة مؤخراً بعض التحولات : بداية استعمال الأسمدة وظهور مزروعات جديدة كالتفاح والبطاطس. وتتكامل الزراعة مع تربية المواشي فتعتمد الأبقارعلى العلف وفضلات الزراعة، أما الأغنام فتجد في السفوح المنخفضة شتاء والهضاب العليا صيفا مراعي كافية إذا ما تلقت أمطار كافية، إلا أنه يلاحظ تراجع كبير في تربية المواشي الصغيرة ليس فقط بسبب توالي سنوات الجفاف بل لنقص عدد الرعاة لأن كثيراً من الشباب يفضلون الهجرة وممارسة الأعمال غير الفلاحية رافضين الرعي باعتباره حرفة الأمية والفقر.

وتعد مداخيل الفلاحين ضعيفة مما يجعل الأسر تبحث عن مداخيل إضافية تأتي غالبا من هجرة أحد أفرادها إلى المدن الكبيرة أو الخارج حيث نجد نسبة 80٪ من الأسر منها شخص مهاجر. هناك بعض مناجم الملح الصخري تكتريها الجماعة القروية لبعض المقاولين الذين يشغلون بها السكان، وتنتشر بالحوض دواوير كبيرة وصغيرة، لكن بدأ يظهر سكن متشتت خاصة على جوانب الطريق المرصف، منه ما هو مبني بالإسمنت ومنه ما يستخدم كمساكن ترفيهية للعاملين خارج المنطقة. وهكذا بدأ يتحول المنظر من سكن متراص إلى سكن متشتت كدليل على بداية تفكك الأواصر القبلية.

مركز تلوات، هو تجمع سكني تاريخي ومركز قيادة وسوق أسبوعي ومرحلة مهمة على طريق تاريخي عرف أهمية متزايدة في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) عندما بدأ نفوذ قبيلة اگلاوة يتسع في إطار الصراع القبلي على الأراضي الجيدة والمياه بزعامة عائلة اگلاوية قيادية محلية مستفيدة من وضعها الاستراتيجي على الطريق القديم الرابط بين الحوز ومراكش ووادي درعة عبر تيزي ن تلوات ومجرى الواد المالح، وذلك قبل إنشاء الطريق الحديث بتيزي ن تيشكا، فصارت تلوات في نهاية القرن التاسع عشر وخلال الفترة الاستعمارية مركز قيادة اگلاوية امتد نفوذها منها إلى أن شمل أكبر جزء من جنوب المغرب فعرفت ازدهاراً اقتصادياً وعمرانياً إذ يقصدها المتقاضون من مناطق بعيدة، والفلاحون لإنجاز أعمال السخرة : صيانة مباني القصبة والطرق والأعمال الفلاحية بأملاك القايد الأگلاوي، وبعملهم بني الطريق الثلاثي المعبد الواصل بين تيزي ن تيشكا وتلوات، طوله ثمانية وعشرون كلم.

لكن تلوات عرفت ركوداً بل تقهقراً عمرانياً كبيراً بعد الاستقلال لاختفاء النظام القائدي القائم على أعطيات السكان للقايد وأعمال التويزة والوظائف المخزنية وفرار العديد من السكان خاصة الأعيان المتورطين في مشاركة الأسرة القيادية في استبدادها. كما نقل مركز القيادة إلى إغرم أوگدال على الطريق الرئيسي نحو ورزازات، لكن السوق بقي بها، واستعادت تلوات بعض النشاط الاقتصادي والعمراني بعد عام 1980 بينما صارت مركزاً إدارياً : أنشئ بها مركز قيادة اگلاوة وظهرت بجانبها منشآت إدارية واجتماعية، كما توسع السوق الأسبوعي بإضافة دكاكين عديدة وبدأ يفد لزيارة القصبة أعداد متزايدة من السواح كما بدأت تظهر إسقاطات أموال المهاجرين. ويتكون مركز تلوات من دوار كبير هو إمَاوْنِيِّين عدد سكانه 824 ن (1982) ودواوير صغيرة : تامگونْسي وأعْرابْنْ وتلاتَانْ وتلاتْ إمْزِينْنْ وقصبة القايد الأگلاوي الفارغة التي تهدم معظمها باستثناء قسم صغير، بوسطها مبني بالحجارة والجير أو الإسمنت المسلح. ويوجد الحي الإداري والسوق بهضبة مستوية على الحافة الغربية، وينتشر بين هذه الدواوير سكن متشتت، ويوجد المركز على علو 1770 م. كان يعقد بتلوات سوق أسبوعي قبل الاستعمار، غيّر موقعه في الثلاثينات ليرتبط بالطريق الجديد. وسع مراراً ببناء المزيد من الدكاكين، وحظي بتجهيزات عديدة وينعقد السوق يومي الأربعاء للمواشي والخميس للتبضع، وهو سوق محلي يزود السكان بالحاجيات الأساسية وخدمات شخصية وعمومية لا يروج به كفائض إنتاج محلي في بعض الفصول سوى المواشي والثوم واللوز ومصنوعات نسيجية ترد من واد أونيلا.

*بحث ميداني في خريف 1990 ؛ بحوث نهاية الإجازة لطلبة شعبة الجغرافية، كلية الآداب بمراكش.*

أحمد هوزالي

**التلوث**، عبارة تطلق الآن للدلالة على الأضرار التي تصيب البيئة وتجعل خاصياتها تتدهور أو تضمحل، من جراء سلوك غير رشيد. وكثيراً ما تخصص هذه العبارة للدلالة على الأضرار التي تصيب المياه السطحية والجوفية، ومياه البحار. بينما يعم التلوث في الحقيقة، إلى جانب المياه، التربة والسطح والمدن ومحيطها، والجو الخ.

ويمكن اعتبار المغرب بلداً بيئته مازالت متواضعة التلويث بحيث لم يتم الاهتمام بهذه الظاهرة إلا حديثاً، عندما أصبحتْ تأخذ آفاقاً تهدد بالاتساع والانتشار.

ويأخذ التلوث أشكالاً عدة وذلك بتنوع مصادرها الغازية والمائية والصلبة. فالتلوث الغازي ناتج أساساً عن الصناعة وغازات السيارات. وان كان بلدنا لا يساهم إلا بقسط محدود جداً في التلوث الجوي الناجم عن الصناعات والذي يتسبب حالياً في تطور مناخي أكيد يهم الكرة الأرضية جمعاء، فان مدنه الكبرى تعرف تلوثاً جوياً محلياً ناتجاً عن غازات السيارات، له بالغ الأثر على صحة السكان. ويرتبط هذا المستوى العالي من التلويث بسوء تدبير حركة تنقل السيارات من جهة، وعدم مراقبة المحركات والقديمة منها خاصة.

أما التلوث بالمواد الصلبة فهو ظاهرة أصبحت تأخذ آفاقاً هامة بسبب تراكم الأزبال قرب المدن من جهة، وسوء تدبير جمعها داخل عدد من الأحياء. كما أن قلة الوعي تفسر التلويث الذي يصيب العديد من المواقع التي يتردد عليها الزوار بكثافة كالغابات المجاورة للمدن والشواطئ والمنتزهات.

إلا أن ظاهرة تلوث المياه هي التي حظيت بوافر الاهتمام لما لها من خطورة مباشرة على التغذية بالماء الشروب أو على الثرواث الحيوانية السمكية.

تلوث مياه البحر : للمغرب واجهتان بحريتان هامتان، تهددهما أخطار تتمثل في مقذوفات الصناعات، المجاري المائية الحارة للحواضر، وفي الكوراث الممكنة المرتبطة بالملاحة البحرية.

وأخطار التلوث البحري تكمن في نفس الوقت في آثاره الصحية من جهة، وتدميره للثروات السمكية من جهة ثانية. كما أنه يهدد المنشآت السياحية التي تقام بتكلفة باهظة.

جل المقذوفات السائلة للمدن ترمى حالياً بصفة مباشرة وبدون معالجة في البحر. وجلها مواد عضوية قابلة للتدهور التلقائي الحيوي، رغم أنها مرحلياً تؤدي إلى تعفن مياه السواحل. إلا أن الخطر يكمن في بعض المواد غير القابلة للتدهور التلقائي وأهمها الفلزات الثقيلة والمحروقات. وقد أظهرت الدراسات التي قام بها المعهد العلمي للصيد البحري بأن بعض بقع الساحل المغربي، مثل ناحية المحمدية تعرف مظاهر تلويث مرتفعة، حيث تم العثور على مواد سامة مختلفة، بعضها طبيعي وبعضها ناتج عن مقذوفات الصناعات، والحواضر والسفن التجارية العابرة. والأحياء التي تعيش عند الساحل مثل القواقع تشير إلى مقادير مرتفعة من المواد السامة مما يجعلها مضرة للتناول الغذائي.

ـ تلوث المياه القارية : يظهر من خلال الدراسات التي تجريها مديرية المياه أن تلوث المياه القارية مرتبط أساساً بمقذوفات الحواضر والصناعات، بصفة مباشرة وبدون معالجة، والتي ترمى في الشبكة المائية. ويُساهم التلويث الزراعي بقسط يتزايد تدريجياً في هذا التلوث الإجمالي. ويؤثر هذا التلويث معا على المياه السطحية (مياه الأنهار والبحيرات) وعلى المياه الجوفية.

فبالنسبة للمياه النهرية، يظهر تأثير المدن الداخلية كفاس ومكناس ووجدة ومراكش على الأنهار التي تجري بسافلتها (سبو، تانسفت، إسلي). وترتفع مقادير التلوث في بعض الأجزاء من هذه المجاري، وخاصة منها تلك التي لا تملك إمكانية التصفية الحيوية بسبب ندرة مياهها أو جريانها المؤقت.

ويمثل سبو أخطر حالة معروفة للتلويث على المستوى الوطني بسبب تركز حواضر هامة في حوضه من جهة، وبسبب استعمال هذه المياه من طرف أهالي السافلة من جهة أخرى من أجل السقي، بل من أجل الشرب. وبذا يكون التأثير الصحي لهذا التلوث بدرجة عالية من الخطورة. في حوض سبو الأوسط، الذي يسكنه حوالي 1.2 مليون نسمة، ترمى حالياً ويومياً 110 طن من المواد العالقة، 70 طن من المواد القابلة للأكسدة، 18 طن من الأزوط و6 طن من الفوسفور. كما ترتفع درجة تعفن المياه بتكاثر الحييات المضرة للسكان المستعملين للماء. ويُساهم التلويث الصناعي بمقدار هام، إلى جانب المقذوفات الحضرية. وصارت حالياً المخصبات والمواد السامة الفلاحية ذات دور هام، وذلك نتيجة التطور الفلاحي الذي تعرفه سهول السايس والغرب.

ويصيب التلويث كذلك مياه الفرشات الباطنية. وذلك تحت تأثير تسرب مقذوفات الحواضر من جهة (مثال مقذوفات وجدة وآثارها على فرشة أنگاد) وبسبب التنامي غير الرشيد لاستعمال المخصبات والمبيدات الزراعية. وتعلو نسبة تلوث المياه الباطنية القريبة من السطح في السهول الزراعية، خاصة منها المسقية، حيث أعلى المقادير من هذه المواد الكيماوية. ومثال تادلا يُعتبر الأكثر إبرازاً لهذه الظواهر. ذلك أن مياه المطر ومياه السقي تحلل البعض من المواد الكيمارية المستعملة وتركزها في الفرشة الباطنية. وترتفع مقادير النترات في بعض آبار تادلة إلى 50 مغ /لتر مع تزايد سريع كل سنة. وهذا يجعل هذه المياه غير صالحة للتناول.

يتضح اذن أن التلوث أصبح يصيب البيئة والثروات الطبيعية الأساسية كالمياه والموارد البحرية البيولوجية التي تلعب دوراً أساسياً في التنمية، وبذلك أصبح التلوث عائقاً أساسياً أمام اطراد النمو الاقتصادي، خاصة إذا اعتبرنا الأضرار الصحية المباشرة الناجمة عنه.

*التقرير الوطني*، (1992) ؛ *مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية*، ريو دي جانيرو (137 ص) ؛ المجلس الأعلى للماء (1991)، *المحافظة على الرصيد المائي، حماية المياه من التلوث*، الدورة الخامسة (132 ص).

عبد الله العوينة

**تَلِيث**، يدل الاسم أولا على نهر دائم الجريان ينبع

شمال جبل باني ويتجه نحو الشمال الغربي، ممتداً على الطريق القروية التي تربط ضواحي فم زگيد بزاوية سيدي عبد الله أومحند جنوب تازناخت. يوجد على ضفاف هذا النهر واحة هامة غنية بمنتجاتها من الذرة والشعير والتمر والتين والأعناب.

ويدل اسم تْليتْ كذلك على قبيلة كبيرة يخترق الوادي المذكور أرضها من الجنوب نحو الشمال، ويحدها غربا وشمالا سهل زناگة الشاسع وشرقا قبيلتا أيت الحميدي وأيت الكوگوم في حين تتاخمها جنوبا قبيلة انسولة التي تشكل فرعا لأيت عطا التي تبتعد عن أصولها جغرافيا بمسافة كبيرة.

توجد أهم المراكز الإدارية والسكنية بأراضي تليت على ضفاف الوادي، وهي سوق الثلاثاء شمالا، وبجانبه تامعروفت، وقرية أمتا سگوين في الوسط ثم تاووريرت ن تليس.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; L. Gentil et de Segonzac, *L'Anti-Atlas* ; A. Choubert, *L'Anti Atlas Central.*

أحمد بنجلون

**التْليدي** (أسرة -)، توجد بتطوان عدة أسر تحمل اسم التْليدي لانتسابها إلى فرقة بني تْليدْ من قبيلة الأخماس (إقليم شفشاون) ومنها من هاجر من موطنها الأصلي مباشرة إلى تطوان ومنها من هاجر أول مرة إلى شفشاون ثم التحق بتطوان، حيث توجد زنقة بحومة العيون تحمل اسم التْليدي.

الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 33 ؛ داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 351.
Las Cagigas, *Familias*, T ; Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos.*

**التْليدي**، (زاوية سيدي يَسّفْ -) قرية تقع بفرقة بني تليد بقبيلة الأخماس (إقليم شفشاون). وأصل التسمية وجود ضريح الولي الصالح سيدي يسف (يوسف) بن الحسن التليدي بتلك القرية التي عقد فيها أول مؤتمر تمهيدي للثورة ضد الغزو الإسباني للمنطقة بتاريخ 7 ماي 1913 وذلك على إثر احتلال الجيش الإسباني لمدينة تطوان.

وقد تعرضت القرية لأعنف قصف جوي عرفته منطقة الشمال في عهد الحماية، وذلك يوم 4 أكتوبر 1920 عندما علمت السلطات الإسبانية بأنه يوجد بالزاوية عَلَم الجهاد وأرادت حرمان المجاهدين من تلك المعلمة ؛ وأما احتلال القوات الإسبانية للقرية فقد تم يوم 19 يونيو 1922.

وبالزاوية علم يعرف بعَلَم سيدي يسّف التليدي الذي كانت تتبرك به القبائل الجبلية الهبطية الغمارية من قديم الزمن، حيث كان المجاهدون يحملونه معهم في المقدمة عند محاصرتهم للجيوب السليبة في شمال البلاد وأثناء مقاومتهم المسلحة للغزو العسكري الإسباني، فكانوا يحتفظون به بزاوية سيدي يسف التليدي بقبيلة الأخماس، وعند الحاجة كانوا يخرجونه منها ويقيمون من أجل ذلك حفلا دينياً كبيراً تتلوه حفلات شعبية تشارك فيها الطبول والمزاميز، وكان ذلك علامة بإعلان الجهاد ضد العدو، وكانت تقام نفس الحفلات عند إرجاع العلم إلى مكانه بالزاوية المذكورة بعد انتهاء الحرب، وقد تويعت هذه العادة إلى غاية سنة 1927.

والجدير بالذكر أنه ما أن علم الإسبان بقضية العلم حتى قاموا بقصف جوي مكثف لزاوية سيدي يسف يوم 4 أكتوبر 1920.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*.
Archivo Historico Militar, Madrid (Informe del general Berenguer del 5 de octubre de 1920).

**التّليدي، يَسّفْ** (يوسف) بن الحسن، يعرف عامة بسيدي يَسّفْ التْليدي وهو يوسف بن الحسن بن عبد الله ابن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان بن يعلى بن يخلف بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبد الله بن جندار بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حسين بن جعفر بن عبد الله الكامل.

ترجم له الكتاني في *سلوة الأنفاس*، ووصفه ابن عسكر في *دوحة الناشر* بالشيخ "الذي كانت له شهرة عظيمة، ترد عليه الوفود والآلاف من الزوار والمريدين، ويطعم كلا على حسب شهوته، وذلك في كل ليلة، وكان له قبول عظيم في قلوب الخلق، وكان رحمه الله كثير الكتب للنواحي يأمر الناس بالتوبة ويشوقهم إلى الاطلاع على الكرامات، وكان يحفظ كتاب الله عز وجل وتوغل في طريق التصوف، وله كرامات، وكان ممن وُضع له القبول في الأرض".

وترجم له الرهوني في *عمدة الراوين* ووصفه بالشيخ الولي الشهير المجذوب الكبير القطب ذي الكرامات الجسيمة والنعوت الكبيرة العظيمة وهو تلميذ الشيخ أبي عبد الله الغزواني.

توفي سيدي يسف عن غير عقب في شهر ربيع الأول عام 948 / يونيه 1541.

ابن عسكر، *دوحة الناشر*، 17 ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 34 ؛ 5 : 9.

محمد ابن عزوز حكيم

**التليضي**، اسم يطلق على قريتين متقاربتين بساحل حاحة عند مدخل مدينة أگادير، أولاهما تقع بأگادير أُوفْلا، اشتهرت قديماً بكثرة الفقهاء الممارسين لخطة العدالة كما تدل على ذلك كثرة العقود الحاملة لأسمائهم في هذه المنطقة منذ العهد السعدي.

وثانيتهما قرية على شاطئ قبيلة أيت أمْرْ اشتهرت بغزارة مياه عيونها وبها مسجد عتيق ومقابر كثيرة يقال إنها للمجاهدين ضد البرتغال. وأشهر من دفن فيها سيدي محمد بَعْتُوتُو.

**التليضي، محند** بن سعيد التامري الحاحي (ت. 1337 / 1918). شيخ الطريقة التجانية بحاحة، كان رجلا

كبير المقام حسن المقاصد بعيداً عن كل ما يخوض فيه بعض أرباب الزوايا، صافي النية محظوظا، وقد تلقى منه إذن هذه الطريقة آلاف، فأقام له زاوية بقبيلة نكنافة تدعى المحضر، دعمها بالعمل وإطعام الوافدين عليها في كل وقت وحين، فتقاطر عليه الطلبة من كل حدب وصوب حتى اكتظت المدرسة فأخذ يشارط لهم الفقهاء لتدريس العلم، والمقرئين لتلقين القرآن للمبتدئين، بينما تفرغ هو لاستقبال المريدين وتلقينهم تعاليم الطريقة الصوفية، خاصة وأنه لم تتقدم له كثرة الممارسة في العلوم الرسمية، وإنما علومه لدنية وهبية ربانية أخذها عن شيخه السيد سعيد بن أحمد الداركي المسكيني الشهير المتوفى عام 1286 / 1871.

ومع ذلك فالتليضي يحب العلماء ويلازم مجالستهم، ويظهر من نفسه أنه العامي الصرف، وإذا غلط بعضهم في أي فن كان رده إلى الصواب بسرعة (الكاشطي، *التعريف*).

وقد كانت لمحند التليضي يد طولى في تدعيم الثورة الحاحية بزعامة محمد أنفلوس ضد التدخل الفرنسي في المنطقة، حيث دعا إلى الجهاد الإسلامي لإيقاف زحف جيوش الكفار على أرض الإسلام، فاستجاب الناس قاطبة بحاحة وإيداوتنان لندائه، فكان اللقاء بالموضع المسمى تيكَمّي اللُّوضا قرب مركز سميمو بقبيلة إيداوسَارْنْ في شهر محرم عام 1331 / دجنبر 1912، وكان الشيخ التليضي يسير ببغلته المسرجة في ركاب المجاهدين يحثهم على الصمود والثبات في وجه أعداء الإسلام، ومعه جماعة من العلماء أمثال الفقيه بيحبوس والحسين أوموليد النكنافيين فأظهر الحاحيون في هذه الحرب غير المتكافئة القوى من الشجاعة والثبات ما لم يُعهد مثله إلا في زمن الصحابة بفضل إرشادات هذا الشيخ الذي لم يلبث إلا قليلا حتى توفي رحمة الله عليه عام 1337 / 1918. وقد خلف أولادا مذكورين بالصلاح وخاصة منهم مقدم الزاوية حاليا سيدي الطيب الذي سلك نهج والده في تسيير الزاوية وتعمير المدرسة العلمية إلى اليوم.

م. المختار السوسي، *رحلة من الحمراء إلى إليغ*، مخطوط مرقون عند ورثته، ص. 60 ؛ الكشطي أحمد بن علي التناني، *التعريف بالبلدة التنانية ذات المواهب الربانية*، مخطوط ؛ بحث ميداني في المنطقة للاستفادة من العقود العقارية والعائلية والرواية الشفوية.

محند أيت الحاج

**تمارة**، في فترة ما قبل التاريخ، تعتبر منطقة تمارة من بين المناطق المغربية التي اهتم بها كثير من الباحثين في فترة ما قبل التاريخ، وهكذا تم التنقيب بست مغارات ومقبرة تعود إلى العصر الحجري الحديث، وسنكتفي هنا بسرد الأبحاث التي أجريت بالمنطقة واستخلاص أهم النتائج التي توصل إليها الباحثون.

بدأ البحث في فترة ما قبل التاريخ بمنطقة تمارة سنة 1937 حيث قام رولمان بتنقيبات بمغارة دار السلطان I، وهكذا استطاع البحث أن يستخرج عدداً كثيراً من القطع الأثرية وتبيين مقطع جيولوجي معقد يشتمل على ثلاث عشرة طبقة جيولوجية.

وخلال سنة 1955 بدأ جون روش J. Roch أبحاثه بمغارة أولاد بوشيخة الملقبة سابقاً بمغارة الكونتربونديي، وتابع أبحاثه إلى غاية 1975. أجريت عدة مهمات تنقيب بالموقع تم خلالها اكتشاف عدة أدوات أثرية وبقايا حيوانية وبشرية كما تم تحديد ستة عشر مستوى أركيولوجياً متتابعة تعود للحضارة العطيرية والعصر الحجري الأعلى والحديث.

وفي أواخر الستينات قام أندري ديبينات A. Debenath بتنقيبات في مغارة دار السلطان II التي تبعد عن دار السلطان I بحوالي 300 متر، غير أن اللقى الأثرية كانت قليلة جدا في حين عثر بهذه المغارة على بقايا عظمية لإنسان الحضارة العطيرية، وخلال سنة 1978 قام نفس الباحث بتنقيبات بمغارة الهرهورة رقم II واكتشف مدفناً ثنائياً يعود إلى العصر الحجري الحديث.

ومع بداية الثمانينات تم اكتشاف مقبرة الصخيرات الروازي حيث تم العثور بها على ما يزيد عن مائة هيكل عظمي وبجانبهم عدة أدوات جنائزية من أوان فخارية وحجر مصقول وحلي.

تبعد هذه المغارات عن شاطئ البحر الحالي ما بين 200 و300 متر وهي ناتجة عن تفاعلات مياه البحر من جراء ارتفاعه خلال امتداده في حقبة الولجيان (حسب شوبير 1956). وفي بداية الثمانينات قام جاك تيكسيي J. Texier برفع لمقطع جيولوجي يمثل مختلف التراكمات الجيولوجية بين موقع مغارة دار السلطان وشاطئ البحر.

وما يميز منطقة تمارة كونها الجهة الوحيدة التي عثر بها على البقايا العظمية للإنسان العطيري بالرغم من كون هذه الحضارة موجودة بكل مناطق شمال افريقيا، وبالفعل اكتشفت هذه البقايا بموقع دار السلطان II على يد أندري ديبينات (انظر الصورة بالصفحة 1390، الجزء 4 من *المعلمة*)، ومغارة أولاد بوشيخة على يد جون روش وتيكسي، وأسندت دراستها للسيدة فيرمباك واتضح أنها من أقدم بقايا الإنسان العاقل كما أن الأدوات العظمية الوحيدة التي استعملها الإنسان العطيري اكتشفت بهذه المنطقة وبالضبط بمغارة المناصرة سنة 1992.

ومن الناحية الجيولوجية المرتبطة بالتراكمات الترابية المتزامنة مع آخر مرحلة جليدية عرفتها القارة الأوربية استمدت اسمها من موقع دار السلطان I، بحيث يطلق عليه اسم السلطاني، ورغم بعض الانتقادات الموجهة مؤخراً لهذا اللقب وخاصة على يد تيكسيي فلازال متداولا بين الكثير من الباحثين.

م. ع. الهجراوي، *منطقة تافيلالت خلال فترة ما قبل التاريخ*، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة الأولى، ص. 327. 334، 1989 ؛ موقع *أشقار*، *معلمة المغرب*، ج. 2، ص. 468. 469 ؛ الحضارة *الأشولية*، *معلمة المغرب*، ج. 2، ص. 472. 473 ؛

*اقتراح أسماء جديدة لأدوات ما قبل التاريخ (من قضايا المصطلح)*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، عدد 15، ص. 275 - 277، 1989 - 1990 ؛ *الحضارة الإيبروموروزية*، *معلمة المغرب*، ج. 3، ص. 917 - 919، 1991 ؛ *بلاد سيدي علال البحراوي*، *معلمة المغرب*، ج. 3، ص. 1316، 1991.

J.P. Daugas [et al..], *Le néolithique nord-atlantique du Maroc : premier essai de chronologie par le radiocarbone*, *C.R.A.S.*, Paris, t. 308, Série II, p. 681 - 687, 1989 ; A. Debenath, *Nouvelles fouilles à Dar-Es-Soltan, Champ de tir d'El Menzeh, près de Rabat (Maros), Note préliminaire*, *Bull. Soc. Préhist. Fr.*, t. 69, p. 178 - 179, 2 fig., 1972 ; A. Débenath et J.P. Lacombe, *Remarques sur la double sépulture néolithique du gisement d'El Harhoura II, Province de Témara, Maroc. Arqueologia* 13 (espacial J. Roch-II), p. 120 - 125, 5fig., 1986 ; A. Débenath, *Les Atériens du Maghreb, Dossier d'archéologie*, p. 52 - 57, 1991 ; M. A. El Hajraoui, *Nouvelles découvertes néolithiques et atériennes dans la région de Rabat, Grotte d'Elmnasra, Actes du Congrès Méditerranéen Historique de Lisbonne*, édit. Mediterrâneo N° 2, p. 105 - 112, 1993 ; J.P. Lacombe, M.A. Hajraoui, J.P. Daugas, *Etude anthropologique préliminaire des sépultures néolithiques de la grotte d'Elmnasra, Témara-Maroc. Bull. Trim. Soc. d'Anth. du S. W.* T. XXVI. 3ème Trim., p. 167 - 176, 1991 ; J. Roche, *Etude sur l'industrie de la Grotte de Dar-es-Soltan, B. A. M.*, t. I, p. 93 - 118, 4 tabl., 9 fig., 1956 ; *La Grotte des contrebandiers, Temara, B. A. M.*, t. XII, p. 61, 1978 - 80 ; J.P. Texier, *Le site atérien du Chaperon Rouge I, Maroc et son contexte géologique, B. A. M.*, t. XVI, pp. 27 - 59 ; 1985 - 86.

محمد عبد الجليل الهجراوي

**تمارة**، مدينة صغيرة تدور في فلك العاصمة الرباط ونظراً لموقعها التابع فإنها تتميز عن باقي المدن التي في حجمها بسعة استقطابها لتيار الهجرة.

ويعزى هذا الامتياز للموقع الاستراتيجي الذي تحتله وكذا لما تزخر به من مقومات طبيعية هائلة بالإضافة إلى القطاع الصناعي الذي عرف تطوراً كبيراً. أما المجال الفلاحي فهو عنصر يجذب العديد من اليد العاملة.

أصبحت منطقة تمارة مركز استقطاب هجروي من كل مناطق المملكة حيث استقر بها العديد من المهاجرين أتوا من جهات عديدة كالسايس وحوض ملوية والغرب وزعير والشاوية وتادلا والحوز والأطلس المتوسط وسوس وعبدة وحاحة والهضبة الوسطى ودكالة والرحامنة.

بدأ هذا التيار الهجروي قديماً، فَتَحْتَ وطأة الجفاف الذي عرفه المغرب وويلات الحرب العالمية الثانيَة بدأت تتقاطر على المنطقة جموعَ المهاجرين وخاصة من الجنوب استقرت أولاً في جنبات أسوار قصبة تمارة العتيقة مكونة النواة الأولى لأحياء الصفيح (دوار صحراوة).

وخلال سنة 1950 كانت تمارة عبارة عن بلدة صغيرة، وأثناء هذه الفترة بقيت الهجرة متواضعة مقارنة مع الموجة التي ستعرفها بعد الاستقلال والتي ستبلغ أوجها سنة 1971.

يعتبر حي الطيران وقدماء المغاربة من الأحياء السكنية الأولى بتمارة فحي الطيران كان يتكون من خمسين مسكناً خصصت لإيواء ضباط الجو الفرنسيين وعائلاتهم أما حي قدماء المغاربة فكان مخصصاً لبعض الأسر الميسورة التي كانت تشتغل مع إدارة الحماية بالإضافة إلى بعض الأوروبيين.

وفي سنة 1971 أصبحت تمارة مركزاً حضرياً متوسطاً بلغ عدد سكانه 7.000 نسمة جلهم من المتقاعدين. ومع حلول سنة 1980 عرفت تمارة معالم المدينة الصغيرة ووصل تعداد ساكنتها إلى 27.000 نسمة وفي الفترة الأخيرة عاشت مدينة تمارة توسعاً عمرانياً كبيراً بلغ أوجه في القسم الجنوبي من المنطقة حيث انتشرت الأحياء الهامشية، والدواوير كدوار الگيش أولاد بناصر، دوار بلمكي، دوار صحراوة، لسكار، سوق السبت، دوار بلعربي. اكتسى هذا التوسع طابع العشوائية في البناء مع انعدام الشروط الصحية للسكن. فجل الأحياء لا تتوفر على الإنارة كما أن مجاري الواد الحار منعدمة أما الماء الشروب فلا تتوفر عليه إلا بعض الدور بالإضافة إلى انتشار ثلاث أو أربع حنفيات عمومية في كل حي.

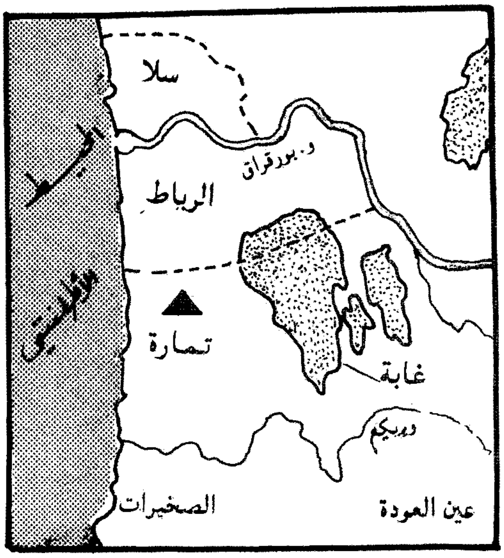


لم تقتصر هذه الفوضى في البناء على الأحياء الهامشية فحسبت بل عرفها حتى مركز المدينة، فباستثناء البنايات التي تصطف على جنبات الطريق والتي تخضع لشروط التصاميم المخصصة لها وكذا الدور المحادية للشاطئ فإن باقي البنايات تتنافى وشروط البناء الصحيح. أما الأحياء الجديدة كالمسيرة II والأوداية فانها خضعت لتصاميم وضعت لها والتزم أصحابها باحترامها. ويبقى الطريق الممتد من تمارة المركز إلى الشاطىء وكذا الشريط المحادي للخطوط الحديدية المجال المخصص لبناء الفيلات.

يقتصر نشاط الساكنة على مجالات الفلاحة والتجارة والصناعة، أما الخدمات أو ما يسمى بالقطاع الثالث فيكاد يكون منعدماً نظراً لقرب تمارة من مدينة الرباط. تحظى الفلاحة بالقسط الأوفر من اليد العاملة بتمارة، فضواحيها الفلاحية الممتدة الأطراف وانتشار المزارع المغطاة والخاصة بإنتاج الفواكه والخضروات خاصة الموز والبواكير، وكذا مزارع الورود، كل هذا بموازاة مع ضيعات تربية الدواجن والأبقار الحلوب جعل قطاع الفلاحة يستحوذ على ما يزيد عن 50٪ من اليد العاملة النشيطة بتمارة. أما الصيد البحري الذي يعد مكملاً لقطاع الفلاحة فهو يكاد يقتصر

على فترات معينة وبوسائل تقليدية، وهذا راجع لطبيعة الساحل الصخرية ووعورته الأمر الذي جعل من هذا القطاع قطاعاً غير منتج.

تأتي التجارة في الرتبة الثانية بعد الفلاحة ويعتبر سوق السبت الأسبوعي القطب الرئيسي الذي تنشط فيه التجارة بالمنطقة، كما أن إشعاعه فاق مجال تمارة وضواحيها إلى أماكن متعددة من المملكة، وتنتشر بالمدينة عدة متاجر وأسواق دائمة. ويشغِّل هذا القطاع حوالي 33٪ من اليد العاملة النشيطة.

أما قطاع الصناعة فقد عرف النور خلال الثلاثينات واقتصر في أول الأمر على بعض المعامل الخاصة بإنتاج الفلّين. وبعد سنة 1945 بدأت المنطقة تستقطب العديد من المؤسسات الصناعية حيث أنشئت شركة تحت اسم (SEDEC) لصنع المواد الجاهزة. وخلال عقد الستينات عرفت تمارة إنشاء عدد لا بأس به من مصانع النسيج والغزل والصباغة (SOFILACOMA, BEDAMO, UTEX) ومع بداية 1973 أُعلن عن قانون جديد خاص بالاستثمارات وقرار مغربة المؤسسات الصناعية مما جعل المنطقة تعرف ظهور عدة شركات صناعية أخرى متنوعة من حجم صغير ما عدا إسمنت تمارة (ASMENT) التي تنتج سنوياً 600.000 طن والتي شرع العمل بها سنة 1976 وبجانبها مؤسستان لإنتاج علف الدواجن (SMA) و(SIMA) تعدان من أكبر المصانع العلفية على الصعيد الوطني وقد يصل الإنتاج بها سنوياً إلى حوالي 300.000 طن. وفي سنة 1980 عرفت المنطقة إنشاء حوالي تسع وعشرين مقاولة صغرى ومتوسطة كانت تشغِّل ما يزيد على 2.200 عامل في غياب إحصاء دقيق لأن هذا العدد يبدو ضئيلاً بالمقارنة مع حجم هذه المقاولات.

ومع حلول سنة 1990 انتشرت عدة معامل لإنتاج اللوازم المنزلية وأدوات الكهرباء وأوراش النجارة والحدادة والنسيج خاصة ملابس الأطفال والنساء. وعلى العموم فالبرغم على انتشار المجال الصناعي وتطوره فهو لايشغِّل سوى 12٪ من اليد العاملة النشيطة بالإضافة إلى قطاع السياحة الموسمية وخاصة الشاطئية.

تبقى مدينة تمارة من المدن التي تعرف تطوراً مستمراً رغم وجودها وسط شبكة من المدن الكبيرة الرباط وسلا والدار البيضاء والمحمدية.

*تحريات ميدانية.*

M. Belfqih, A. Fadloulah, *L'Agglomération de Rabat - Salé, Processus, mécanismes et formes de croissance.*

** إقليم الصخيرات - تمارة، أنشيء بناء على الظهير الشريف رقم 351. 59. 1 في فاتح جمادى الآخرة 1379 (2 دجنبر 1959) في شأن التقسيم الإداري للمملكة. وعلى القانون رقم 12.92 المتعلق بوضع ومراجعة اللوائح الانتخابية العامة وتنظيم انتخاب مجالس الجماعات الحضرية والقروية الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 90. 1.92 بتاريخ 9 ذي الحجة عام 1412 (11 يونيه 1992). وقد تمت عملية تقسيم الاقليم إدارياً على الشكل التالي :

| العمالة | الدوائر | القيادات | الجماعات الحضرية والقروية |
|---|---|---|---|
| الصخيرات - تمارة | | | تمارة (البلدية)<br>الهرهورة (البلدية)<br>الصخيرات (البلدية)<br>عين العودة (البلدية) |
| | تمارة | مرس الخير<br>عين عتيق<br>صبّاح | |
| | عين العودة | المنزه | |

يتوفر إقليم تمارة على مقومات طبيعية وبشرية هامة ويتكون من ثلاث مناطق هي تمارة، والصخيرات التي ظهرت بها النواة الأولى سنة 1930 حيث كان يستقر بها حوالي ثمانين نسمة من بينهم اثنان وستون أوروبيا. وفي سنة 1977 بلغ عدد سكانها 3.674 نسمة وقد يصل سكانها اليوم إلى 8.000 نسمة. وتزخر منطقة الصخيرات بنشاط فلاحي كبير خاصة زراعة الخضروات والكروم والذرة. أما المنطقة الثالثة التي تُكوِّن الإقليم فهي عين العودة التي يرجع تاريخ إنشائها من طرف سلطات الحماية الفرنسية إلى سنة 1928 وقد بلغ عدد ساكنتها سنة 1936 منهم مائة وستة وسبعون أوروبيا. وفي سنة 1960 وصل هذا الرقم إلى خمسمائة وخمسين نسمة ليتضاعف عدة مرات حيث بلغ سنة 1978، ألفين وخمسمائة نسمة.

يمتاز إقليم الصخيرات - تمارة بموقعه الاستراتيجي الممتد على طول الساحل الاطلنتي. وشساعة مساحته وغطائه النباتي الوفير، كما أن أراضيه يخترقها نهران هما واد يكّم وواد الشراط، ويعد القطاع الفلاحي فيه من أغنى القطاعات الموجودة على طول الساحل. أما المجال الصناعي والمتركز في مدينة تمارة فيعتبر نموذجاً متطوراً باستمرار، كما أنّ هذا القطاع همّ كذلك جانباً من الصخيرات.

يتوفر الإقليم، على المستوى السياحي، على مكونات سياحية متعددة تتمثل في شواطئه الجميلة كالهرهورة والرمال الذهبية وميناءه الترفيهي سيد العابد والمرافق التابعة له، وسهب الذهب وشاطئ الصخيرات وغيرها، هذه الشواطئ عملت الجماعات المحلية على تجهيزها بكل وسائل الراحة والترفية لتكون في مستوى سمعة الإقليم. كما يتوفر الإقليم على بعض المركبات السياحية كمركب القصبة وبعض الفنادق الصغيرة الموجودة بين واد يكّم والهرهورة. هذا بالإضافة إلى ملاعب ترويض الخيول بكل من تمارة والقصبة وحديقة الحيوانات المعروفة على الصعيد الوطني بوفرة وحيشها وتعدد أنواعه.

وزارة الداخلية، *وثائق إحصائيات*، مديرية الجماعات المحلية.

1982 ؛ *الجريدة الرسمية*، العدد 4165 بتاريخ 26 يونيه 1992 ؛ *تحريات ميدانية*.

محمد بلعربي

**التمازيري** أو التامازيري، **علي** بن يوسف بن أحمد، ينحدر من أسرة سوسية، هاجرت ضمن موجة من المهاجرين من بلاد جزولة إلى وادي درعة في نهاية القرن التاسع ومطلع القرن العاشر (15 . 16 م). وقد استقر أسلافه بواحة أكتاوة.

وبالرغم من كوننا لا نعرف شيئاً عن انتقال أسرة علي ابن يوسف إلى قصر تامازيرت بترناتة، فلا نستبعد أن يكون والده، قد جاء إلى هذا القصر الذي أصبح في العقود الأخيرة من القرن العاشر (16 م) مقراً لعبد الله أُعيّاد السوسي، عامل السعديين على ترناتة في وقته، ولا تزال آثار هذا العامل مطبوعة على أسماء بعض فدادين قصر تامازيرْت إلى اليوم.

لا نعرف شيئاً عن بداية تعليم علي بن يوسف، ولا نستبعد أن يكون قد استفاد من الحركة العلمية المزدهرة بدرعة آنذاك، على يد ثلة من علماء سوس من أمثال البكريين بفزواطة وآل الجراري بترناتة، وبعد تعليمه الأولي بدرعة رحل إلى الشمال لإتمام تعليمه فنزل بالزاوية البكرية (الدلائية) بالأطلس المتوسط، التي كانت مهبطا لطلاب العلم من كل أصقاع المغرب، باستقطابها عدداً كبيراً من علماء المغرب، في وقت تعطلت فيه مجالس العلم بجامع القرويين (*الزاوية الدلائية*، 78).

وقد تخرج علي بن يوسف من الزاوية الدلائية فقيها متضلعا، وأديبا مشاركا، رائق اللفظ رائع العبارة. وبعد عودته إلى درعة، لازم مسجد تيسركات في الضفة الغربية لنهر درعة بواحة ترناتة، حيث كان يدرس اللغة العربية والفقه وعلوما أخرى لمجموعة من الطلبة بنية حسنة رغم انشغاله بمعاشه (*طلعة*، 1 : 127). ومن أشهر المتخرجين على يده الشيخ محمد بن أحمد الناصري، ومن دعوته نال الشيخ ابن ناصر ما اشتهر عنه من علم ودين وذرية صالحة، وإقبال الخلق عليه للنفع والعلم (*الدرر*، 222).

كان علي بن يوسف يقرض الشعر وأكثر شعره في المديح النبوي، كما مدح شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي، وكان هذا الأخير يقدر أمداحه ويصله بالصلات السنية فينقلب إلى أهله مسرورا (*الزاوية الدلائية*، 60). وقد ذكر صاحب *الدرر* أن علي بن يوسف أنشأ قصيدة في مدح الرسول الكريم من ستين بيتاً رتبها على قوله تعالى "لقد جاءكم رسول من أنفسكم" (*الدرر*، 222).

توفي علي بن يوسف في تاريخ غير معروف من القرن الحادي عشر الهجري ودفن بمقبرة تيسركات، وقبره مزارة إلى اليوم.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، طبعة حجرية دون تاريخ ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، طبعة أولى، الرباط، 1964 ؛ م. ابن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط.

أحمد البوزيدي

**تمازيغت** أو تامازيغت، لهجة من لهجات اللغة الأمازيغية المشتركة (انظر مادة أمازيغية، *معلمة المغرب*، ج 2) تستعمل هذه اللهجة كأداة أولى للتواصل لدى المجموعات البشرية التي تقطن المجال الممتد بين جبل صغرو جنوباً وممر تازا شمالاً ومجرى وادي گرو غرباً ومجرى ملوية الوسطى شرقاً. ومن أهم هذه المجموعات أيت واراين وأيت سغروشن وأيت يوسي وزمّور وگروان وأيت مگيلد وزيّان وأيت يافلمات وأيت عطّا.

لا تختلف البنيات العامّة للهجة تامازيغت عن نحو اللغة الأمازيغية المشتركة. إن أهمّ الاختلافات تخصّ النظام الصوتي حيث تحلّ الصوامت الاحتكاكية محلّ المقفلة : ب ← پ، ت ← ث، د ← ذ، ك ← كـ، گ ← گِ؛ وتحل الصوامت المعطشة محل الصوامت المُسَرَّة : ش ← تش، جـ ← د جـ. ويلاحظ كذلك وقوع بعض الظواهر الصوتية على المستوى الصوتي ـ التركيبي : ل + ث ← لّ + ذ ← لّ، ن + ث ← نّ، ن + ذ ← نّ، ر+ ن ← رّ. وفي لهيجة القسم الجنوبي من مجال تامازيغت نلاحظ تحول گ إلى ي وك إلى ش، فمثلاً كلمة أكال "الأرض" تنطق شمالاً أكالْ وجنوباً أشال، وكلمة أرگاز "الرجل" تنطق على التوالي أرگاز و أرياز.

وإذا كانت منطقة تاشلحيت هي مجال أمارگ وأحواش فإن الرقعة التي تتداول فيها تامازيغت هي ميدان إزلي وأحيدوس (انظر هذه المواد في *معلمة المغرب*).

أما الأجناس الأدبية فهي تنقسم إلى أجناس نثرية وأخرى شعرية وجلّها ينتمي إلى التقليد الشفهي بحيث يكاد الأدب المكتوب يكون منعدماً في تامازيغت. وتنحصر الأجناس النثرية في الحكاية والمثل واللغز في حين أن الشعر ينقسم إلى أربعة أصناف رئيسية وهي إزلي و تاماوايت وتايفّارت وتاميدوليت. فإزلي عبارة عن عدد قليل من الأبيات الشعرية المرتجلة يتبارى بها الشعراء ويكون عادة موضوعها الأحداث الهامة التي تسجّلها الذاكرة الجماعية ؛ وتاماوايت نوع من النثر الشعري الغنائي الذي يتغنّى به الشاعر خلال رحلاته ؛ وتايفّارت هي قصيدة مطولة تتميز بوحدة الموضوع وتتناول موضوعات مستلهمة من الدين أو الأحداث السياسية الخ ؛ وأخيراً هناك تاميدوليت وهو صنف من الشعر يُتغنى به في الأعراس ويرقص على إيقاعه في المناسبات، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ موضوع مقاومة الاستعمار أخذ قسطاً مهما من الإنتاج الشعري، ومن أشهر الشعراء حمّو يامعظور وحدّو وعمومياس وعلي ن تيريتّ وعلي ألحسين والشاعرة الكبيرة تاوگرات.

م. شفيق، *الشعر الأمازيغي والمقاومة المسلحة في الأطلس المتوسط وشرقي الأطلس الكبير (1912 . 1934)*، *مجلة الأكاديمية*، العدد 4، ص 70 . 99، 1987 ؛ *أربعة وأربعون درساً في اللغة الأمازيغية*، الدار

البيضاء : *المعجم العربي ـ الأمازيغي*، الرباط، منشورات الأكاديمية المغربية ؛ ف. بوخريص، أحيدوس، *معلمة المغرب*، 1 : 195 ـ 198، 1989.

E.T. Abdelmassih, *Tamazight Verb Structure*, The Hague, 1971 ; F. Bentolila, *Grammaire fonctionnelle d'un parler berbère: Aït Seghrouchen d'Oum Jeniba, Maroc*, Paris, 1981 ; F. Boukhris, *Le verbe en tamazight : lexique et morphologie, parler des Zemmours*, Thèse de 3ème cycle, Paris, EPHE, 1986 ; M. Guerssel, *Issues in Berber Phonology*, M.A. University of Washington, 1976 ; M. J. Harries, *Syntactic Structure of Tamazight*, Ph. D. Univ. of California, 1971 ; J. Saïb, *A phonological study of Tamazight Berber*. Ph. D. Univ. of California, 1976 ; M. Taïfi, *Dictionnaire tamazight - français*, Paris, 1993 ; E.M. Iazzi, *Morphologie du verbe en tamazight*, Mémoire de D.E.S., Faculté des Lettres, Rabat, 1991.

أحمد بوكوس

**تماسّين** (أيت ـ)، قبيلة تسكن منطقة ورزازات يعبرها نهر يحمل نفس الاسم. وهي واقعة على ضفاف هذا النهر بين قبيلة أيت زينب شمالا والزناكة جنوبا. أما المنطقة فإنها منحبسة وسط أربع قبائل إذ تحدها أيت أُوشّنْ على اليمين، وأيت زينب شمالا، وأيت خزامة على اليسار وأيت عامر جنوباً، وتوجد ضمن المجموعة القبلية التي تشكل منها ما يسمى واوزگيت إقليم ورزازات. تبلغ مساحة المنطقة نحو 120 هكتاراً معظمها أراض جرداء تكسوها أحجار بنية اللون ينبت بينها قليل من عشب منعدم النفع. وإلى جانب هذه الأحجار توجد جنوب المنطقة مقذوفات بركانية يميل لونها الأحمر إلى الأسود وهي واردة مما لفظته براكين السروة قديما في عهد نشاطها.

تنعكس هذه التضاريس القاسية على الإنتاج الزراعي وتعرقل غيره من الأنشطة المرتبطة باستغلال الأرض. إلا أن بعض الجداول القليلة المياه تمكن الأهالي من إقامة نظام للري الجماعي، فراحوا ينتجون بعض الخضر كالطماطم والبصل والقرع، ويعنون بأشجاراللوز والزيتون.

أهم المراكز الإدارية اليوم هي إينديوت وتماسين وتاشوكانت. وأكبر هذه المراكز هي بلدة إينْدْيوت التي تعد قديمة العهد وإن لم توجد بها أي قصبة.

تقع إينْدْيوت في وسط ما يشبه واحة بين المرتفعات، وتتميز بمنازلها الصغيرة العديدة الملتحمة في الأحياء العتيقة والمتفرقة طوال الوادي أو المرتفعات تبعا للتطور. وتتألف هذه المنازل المبنية بالحجر المصقول من طابقين أو ثلاثة. وعلى العموم فإن إينديوت تظهر كصورة مصغرة للمدن العتيقة المغربية، وقد استعاضت عن الأسوار بالمنازل الممتدة طوال الوادي وكأنها جدار أمني. وبالفعل، فإن ما يفسر التحام البيوت وترابطها أن المدينة كانت قديماً تتعرض لعمليات النهب من طرف عصابات لصوصية وتتعرض لهجمات قبائل أخرى.

تماسين وتاشوكانت محصنتان بفضل المرتفعات التي تشكل خطوط دفاع طبيعية، ولكنها لم تجعل البلدتين دائما في مأمن من الهجمات التي كانت تلحق بالأهالي أضرارا بالغة. وتأتي تماسين في المرتبة الثانية بعد إينديون من ناحية الأهمية السكانية والنشاط الاقتصادي، ولا يعني هذا أن المنطقة مزدهرة، بل إنها تعاني من الفقر ألوانا ومن التخلف درجات، واسمها يرجع إلى النهر الذي يحمل نفس الاسم والذي يمر قريبا منها وقد أصبح جافاً، قلما تجري فيه مياه الأمطار اللهم إلا إذا كانت هذه الأخيرة عاصفية في الصيف.

والجدير بالذكر أن المنطقة لم يستوطنها أي يهودي قبل الاستقلال لأن أيت تماسين حرمت عليهم أن يطؤوا أراضيها، وفي عهد الاستعمار استوطنها زهاء ستين يهوديا بين تاجر وصانع.

J. Célerier et G. Hardy, *Les grandes lignes de la géographie du Maroc*, Paris, 1922 ; J. Dresch, *Le Haut Atlas Occidental*, 1951; L. Gentil, *Dans le bled es-Siba*, 1906 ; Joly, *Géograpie du Maroc*.

أحمد بنجلون

**تْمايّتْ**، (أيت ـ) إحدى الفرق الهامة المندرجة ضمن قبيلة بني سعيد الريفية. تمثل اليوم بعدد مداشرها البالغ ستة وعشرين مدشراً، المرتبة الثالثة بعد فرقتي أولاد عبد الدايم (33 مدشراً) وإزْعُومَن (32 مدشراً). تحتل أراضيها نحو ربع مساحة القبيلة، جنوب كل من إزعومن وأولاد عبد الدايم، بين مجرى واد أغبال، رافد واد البعّاج، وواد كرط وواد وردانة، رافد هذا الأخير.

يرتبط الاستقرار السكاني في فرقة تمايت بطبيعة السطح وموارده الفلاحية. ويظهر نتيجة ذلك تجمعان : قديم وحديث.

1) تمايت الجبلية، أو أهل مقدمة جنوب كتلة بني سعيد المستقرون على التلال الغربية، المتمثلة في كدية سيدي عمر الراسي (482 م) والهضيبة الشرقية المعروفة بالگعدة الحمراء. ويخترق هذا المجال مجرى واد الدفلة في اتجاه جنوبي شرقي من منبعه بكدية سيدي عمر إلى اتصاله بواد البعاج.

يتألف سكان هذا القسم من أيت تمايت الأقدمين. نعرف منهم خلال العصر المريني المتأخر المتصوف الشيخ عمر بن محمد الراسي السعيدي، جد أسرة أولاد الفقيه عيسى بن محمد الراسي السعيدي، مؤلف *مطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح*، من أهل منتصف القرن الحادي عشر (17 م) (ح. الفكيكي، عيسى *البطوئي*، دعوة *الحق*، 252 ؛ *المعلمة*، 4 : 1273).

وتكونت تمايت الجبلية خلال عهد الحسن الأول من خمس جماعات :

ـ جماعة ثْلاثْ، مساكنها واقعة في الحد الشرقي من الگعدة الحمراء، بجوار أغبال إزعومن، وبها يعقد السوق القديم، يوم الثلاثاء، ولا يزال إلى اليوم محتفظا بمكانته كسوق رئيسي بالقبيلة.

ـ جماعة أولاد داود ينسب أهلها أنفسهم إلى الشرفاء الأدارسة، وبيدهم شجرة نسب وظهائر علوية (بتاريخ 1117 ـ 3 جمادى الثانية 1272)، يعرفون بأولاد القاضي أو القضاويون وأولاد الفقيه، إخوة الذين بأمَجّاوْ وبقلعية. نعرف منهم الفقيه محمد بن محمد أمزيان القضاوي وأولاد

إخوانه القاطنين بتمايت (17 رجب 1293، 3 شوال 1298). وتستوطن هذه الجماعة المنخفض المجاور لكدية سيدي عمر الراسي. وتتألف في الوقت الراهن من مداشر: مولاي إدريس وإيحياتن، وتالاعگشة. وقد شاركت هذه الجماعة في الجيش على عهد المولى إسماعيل، ووضعت نفسها تحت قيادة عمر بن حدّو التمسماني، آتي الترجمة، وأخيه أحمد أثناء عمليات تحرير طنجة والمعمورة والعرائش. وخلال حصار سبتة على يد علي بن عبد الله التمسماني وابنه أحمد (21 صفر عام 1089).

- جماعة الرحامنة، يستقر أهلها بجوار مركز دار الكبداني الحالي، مما يلي الغرب، بجوار إيگنصار ودركانة.

- جماعتا بني مخلوف وإمجّاطن (المجاطة) مختفيتان في الوقت الراهن من التقسيم الإداري، لأسباب قد تعود إلى الهجرة والاندماج في غيرها من التجمعات. (أواسط شعبان 1309).

ولفرقة تمايت الجبل تاريخ على عهد الحسن الأول، إذ أنها أصبحت مركز قيادة، بموجب التنظيم الإداري الجديد المحدث سنة 1292 / 1875 بالنسبة لقبائل الريف الشرقي. وأول من نعرف من قواد الفرقة المسمى محمد الجراري التمايتي السعيدي (آتي الترجمة). وآنذاك كانت الفرقة في تمرد على قائدها من جراء امتناعها عن أداء ما كان بذمتها من الواجبات والديون الشخصية.

ولتلك الأسباب تحولت قيادة أيت تمايت إلى قائد بني سعيد على فرقة بني عبد الدايم المدعو محمد أقشيش (21 ذي الحجة 1304؛ 6 و8 صفر 1302). وفي عهده دخلت الفرقة في نزاع مع جارتها فرقة أمجاو، كنتيجة من نتائج تنافس الأعيان والبحث عن التحالف الأسروي.

وترتب عن تأزم الخلاف بين تمايت وأمجاو، تعيين الحسن الأول باشا طنجة محمد بن عبد الصادق التمسماني على الفرقة، بغية التوصل إلى حل النزاع المذكور (10 ربيع الأول 1302، 26 ربيع الأول، 12 جمادى الأولى 1303). ويظهر أن باشا طنجة قد تخلى عن الفرقة لغيره (محمد أقشيش) بعد عام 1304، ولكن عاد إليها، حسبما يدل عليه تعيينه الجديد بتاريخ 20 ربيع الأول 1309.

2) تمايت العزائب: يعود الاستقرار بهذا القسم إلى بداية القرن الحالي. تحتل مداشره ودوره الأراضي السهلية الجنوبية الواقعة بين واد كرط ورافده واد وردان، مجال فلاحي ضعيف بسبب فقر التربة وقلة الغطاء النباتي.

وأقدم تلك العزائب هي التي ارتقت إلى مرتبة مدشر، بعد المرور باسم مالك العزيب من الأفراد والجماعة، منها: إمَسْجَنْ، الرگيبْ، تَفَّارْتْ، والرحامنة الوطا. وأحدثها هي التي لازالت محتفظة باسم دار مؤسس العزيب أو صاحبها: دار الحاج مزيان، بوعزة، علال بن الطاهر، حمّو التهامي، علال بن العربي.

وحسب الإحصاء السكاني المقدم من طرف بعض المراجع الإسبانية، خلال العقد الأول من هذا القرن، فإن عدد دور أيت تمايت بلغ قبل 1936 أربعمائة وخمساً وعشرين داراً، مما يوافق نحو 2.125 ساكن. وقد تزايد عدد المداشر من اثنين وعشرين مدشرا عام 1951 إلى ثمانية وعشرين مدشراً.

*وثائق شخصية بيد السيد القضاوي شعيب؛ وثائق خ. ح.* بالرباط، فترة الحسن الأول؛ *معلمة المغرب*، 4 : 1273؛ ح. الفكيكي، *عيسى البطوئي، دعوة الحق*، 250 ـ 251؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 95؛ *خريطة طبوغرافية عام 1921 و1935*.

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 1 : 136 ; Comisión histórica de las campañas de Marruecos, *Geografía de Marruecos*, 2 : 224, Madrid, 1936.

**التمايتي**، محمد الجراري السعيدي، أول من نعرف من قواد ربع تمايت المندرج ضمن قبيلة بني سعيد الريفية على عهد الحسن الأول، إلا أن معلوماتنا عنه قليلة بالنسبة لما نعرفه عن غيره. تظهر أولى تلك المعلومات في انفصال تمايت عن محيط قيادة محمد أقشيش السعيدي في شهور عام 1295 / 1878 بزعامة محمد الجراري التمايتي، (14 ذي القعدة 1296)، ومن تلك المراسلة نستخلص الإجراءات النهائية التي رافقت ذلك الانفصال، إذ أن الحسن الأول استدعى الطرفين المتنازعين إلى فاس قبل ذي القعدة عام 1296 ليلزمهما بالتصالح على يد أحد رجال المخزن المركزي المدعو محمد بن العربي. وقد أعقب ذلك التصالح التعهد بالحفاظ عليه بضريح مولاي إدريس، بشهادة قائد قلعية المعروف المختار ألْغَمْ، والقائد محمد أمزيان التوزاني.

ويظهر أن قيادة التمايتي محمد الجراري لم تطل كثيراً، إذ أن أيت تمايت خرجت عن طاعته، مفضلة العودة إلى محمد أقشيش (6 رمضان 1301). إلا أن التمايتي لم يتوقف عن الحركة إلى أن تحول ربع تمايت إلى قيادة محمد بن عبد الصادق الريفي المعين في 10 ربيع الأول 1302. ليصبح المترجم له خليفة القائد الريفي المقيم آنذاك بطنجة، وفي 4 ذي القعدة عام 1304 كان محمد الجراري التمايتي مايزال بالمكان وبنفس المنصب. ولم نتوصل بعد ذلك عنه بأي خبر.

*وثائق خ. ح. بالرباط؛ وثائق أسرة أقشيش بطنجة.*

حسن الفكيكي

**تمائم**، ـ في المغرب القديم ـ مفردها تميمة، والتميمة شيء يلبس على أنه تعويذة سحرية تطرد الشر. والاعتماد على مثل هذه الوسائل شائع في ثقافات كثيرة، واستعمالها لفترات بعيدة.

فقد استعمل المصريون القدماء التمائم وكذا العبرانيون وغيرهم من الشعوب.

إن مصطلح التميمة في اللغة اللاتينية Amuletum له جذور عربية، فهذا المصطلح ظهر لأول مرة عند المؤرخ اللاتيني بلين القديم في كتابه *التاريخ الطبيعي* (XXX, 15, 47) فالقدماء أطلقوا اسم "تميمة" على كل الأشياء التي تضمن لهم الوقاية من الأمراض أو بصفة عامة إبعاد كل قوة تحمل الشر في طياتها سواء كانت بشرية أو غيرها.

إن المؤرخ بلين القديم، يقول إن استعمال التمائم نتج عن التطبيب، بحيث يجد جذوره في المعتقدات السحرية Superstition.

وكانت التمائم تستعمل كعلاج ضد الأمراض الجسدية أو لاتقائها. وبما أنه في غالب الأحيان كانت هاته الأمراض مجهولة، فإن الناس كانوا يعتقدون أن هناك قوة خارقة هي التي تسبب هذه الأمراض. كما أن التخوف من "العين" عرف انتشاراً واسعاً في عديد من الأقطار ولهذه الغاية كانت تستعمل التمائم لإبعاد عين الحسود Fascinum.

من بين التمائم التي استعملت لإبعاد الشر، هناك الأحجار التي أتى أغلبها من الشرق. لقد استفاد المؤرخ "بلين" من كتب عديدة لتأليف كتابه السابع والثلاثين من التاريخ الطبيعي والذي خصصه لدراسة الأحجار ومنافعها. من بين هذه الأحجار نجد العقيق Agate وهو يستعمل لإبعاد الأعاصير والعواصف.

كان للمعادن هي الأخرى دور وقائي وخاصة منها الذهب (بلين 25، 4، XXXIII) والحديد الذي يستعمل لإبعاد الشر عن الطفل وذلك بواسطة وضع رسم دائري في الهواء بقطعة من الحديد. أما الأعشاب فلم تستعمل فقط في التطبيب بل تعدته إلى ميدان التمائم. فعند هوميروس نجد أن إحدى النباتات قد استعملت لتحمي شخصية أوليس Ulysse الأسطورية من أعمال الساحرة كيركي Circe كما أن ورقة موسى (Laurier) على سبيل المثال كانت توضع على أبواب المعابد والبيوت لإبعاد القوى الشريرة.

إلى جانب هذه المواد، لعبت الحيوانات بالنسبة للقدماء دوراً وقائياً، حيث كان الفلاحون يضعون بعض أحشائها فوق الأشجار أو في عتبات بيوتهم، كما أن بعضها كان يستعمل بأكمله كالخفاش (Pline XXIX, 83).

أما بالنسبة للطريقة التي كانت تستعمل بها هذه التمائم، فقد كانت خاصة على شكل قلادات أو أسورة أو أقراط (Boucles d'oreilles)، أما التمائم التي لم يكن من الممكن حملها للتزيين، فكانت توضع في سدادات (Capsules) يطلق عليها اسم (Bulles) وتربط بقلادات في العنق.

أما فيما يخص الأشكال الرمزية التي كانت تمنح لها خاصية إبعاد الشر فهناك صور الأوثان التي تعد ضمانة خاصة. ويبدو أن الأوثان التي كانت منتشرة أكثر هي الأوثان الأجنبية التي دخلت عبادتها في فترة متأخرة إلى العالم الروماني والإغريقي مثل ديانا من مدينة Ephése (بتركيا) ومترا (إيران)، وإيزيس وأنوبيس وخاصة سيرابيس (مصر).

واستعمل المسيحيون أيضا، خلال القرن الرابع، الصلبان والتمائم والتي كانت تضم أشياء مقدسة ونصوصا دينية.

Daremberg-Saglio, *Dictionnaire des antiquités grecques et romaines*, col. 252 - 257, S. V. *"Amulettes"* ; Riess, *Real Encyclopadie*, *"Amulette"*, col. 1904 - 1098 ; Pline, *Histoire naturelle*, livres 29, 33, 37.

عبد العزيز بل الفايدة

## التمثيل ← المسرح

**التمدين بالمغرب**، يعني التمدين التجمع الديموغرافي في أماكن مختارة، كما يعني النشاطات المتنوعة التي تعرفها هذه المجالات المختارة من أجل نشر ما يمكن أن نسميه بالحضارة المدينية.

ويتميز التمدين الذي عرفه المغرب بخاصيتين أساسيتين:

- التمدين الحديث بالمغرب سابق عن التصنيع، عكس ما حدث في الدول الصناعية التي كان فيها التصنيع هو العامل المحرك للتمدين.
- سبقت أنماط العيش الحديثة بدورها مرحلة التمدين.

ودون الدخول في تفاصيل تتعلق بأسباب هذه الوضعية فيلاحظ أن التمدين يختلف عما يوجد في المجتمعات المصنعة، وأن المدينة المغربية لا تعكس متطلبات النمو الصناعي. إن أهم ما يميز هذا النوع من التمدين بدون تصنيع هو مشكل الشغل. إن المتمدنين الجدد الذين يشكلون أغلبية السكان الحضريين بالمغرب لا يمثل الشغل بالنسبة لهم عامل اندماج في الحياة المدينية. يتم اندماجهم عبر مساهمتهم السلبية والبعيدة في نماذج الاستهلاك الصادرة عن مراكز التمدين بالمغرب. كما أن نماذج الاستهلاك هذه تشكل الحبل الأساسي الذي يربطهم بالمجتمع المديني. إن هذه النماذج الاستهلاكية قد اقتحمت القرى نفسها مساهمة في تفكيك المجتمع التقليدي القروي وأنماط عيشه.

إن القرويين المتمدنين يحملون معهم مجموعة من الممارسات والمعتقدات والأنماط الحضارية والعادات الاجتماعية يتم ترسيخ استمراريتها وبقائها عبر التضامنات العائلية والقبيلة والجهوية التي تشكل القاعدة في كل المدن المغربية الحالية.

وقد مر التمدين الذي عرفه المغرب الحديث بمرحلتين : مرحلة الحماية ومرحلة ما بعد الاستقلال. وقبل أن نتناول عمليات التمدين في هاتين المرحلتين نود أن نشير في البداية إلى مميزات التمدين في مرحلة ما قبل الحماية.

1 - التمدين والنظام السياسي قبل الحماية :

لقد كان المغرب إلى حدود بداية القرن العشرين بلداً ذا تمدين ضعيف بالرغم من توفره على بعض المدن المعروفة. لقد كانت هذه المدن داخلية بعيدة عن الشواطئ. وهذه خاصية نجدها في أغلب الدول العربية الإسلامية.

كانت هذه المدن نقطة التقاء طرق تجارية تمر من السودان إلى الأندلس. ولهذا السبب لم تكن هذه المدن تعيش أساسا من البوادي، لأن البادية نظراً لضعفها الاقتصادي لم يكن بإمكانها تقديم الفائض الضروري لحضارة مزدهرة داخل أسوار المدن. لقد كانت البادية في تنظيمها على شكل جماعات عشائرية منعزلة تشكل خطرا دائما على المدينة التي كان يرتكز نشاطها على التجارة البعدية. ولضمان أمنها من هذا الخطر الدائم كانت المدينة تلجأ إلى إقامة

تحالفات مع القبائل المترحلة على حساب القبائل المستقرة التي كانت تعيش من زراعة الأرض والتي بقيت في معزل عن الحركات التجارية الكبرى وعن التيار الإسلامي. وقد أشار ابن خلدون إلى عزلة الفلاحين في الجبال وإلى قلة مساهمتهم في ازدهار المدن الكبرى التجارية. وقد كان التحالف مع المترحلين راجعا لأسباب أمنية تهم ممرات القوافل.

وينعكس الدور الاقتصادي والاجتماعي لهذا التمدين القديم في تصاميم المدينة المغربية التقليدية. لقد كان المركز يتكون من السوق، ويوجد في وسط السوق المسجد الكبير، وبعد هذا تأتي الفنادق التي كانت تودع بها البضائع وتؤوي الغرباء من التجار. وإلى جانب الفنادق كانت توجد المدارس. وبعدهما تأتي القيصارية التي كانت مستودعا للمنتجات النادرة. وبالقرب من القيصارية يوجد محل الصرف أو مكان لسك النقود. وكانت تحيط بهذه النواة المركزية دكاكين الصناع والحرفيين. وخارج حياة المدينة كان يوجد المعمار العسكري للقصبة الذي كان يحتل موقعا استراتيجيا ويشكل وحدة مستقلة. وبعد دكاكين الحرفيين كانت توجد الأحياء السكنية ذات الطابع العائلي والقروي. وكان تنظيم السكن يخضع لشكل واحد : أربع غرف مغطاة تحد وسط الدار العاري. وكانت هذه الغرف مفتوحة على الداخل ومعلقة عن الخارج.

ومن مميزات التمدين في هذه المرحلة القديمة ما يلي :

- وجود المسجد الكبير الذي يتجه نحوه كل شيء ومنه يتشعب مثله مثل القلب في الجسم.
- وجود أحياء ذات طابع عائلي وقرابي في مستويات متراتبة.
- وجود استمرارية لنفس النموذج العقاري والمعماري وثباته.

في هذا الإطار كان يتحدد الانتماء للمدينة بالتمثيلية في أبعادها الأساسية الثلاثة : الحرف والتجارة والعلم. وقد كانت تنتظم حياة المدينة وفق الوظائف الأساسية للمحتسب ولأمين الحرفيين وأمين الأمناء أو نقيب الأشراف.

وقد كان المحتسب أو صاحب السوق يشرف على ضبط المعاملات ويسهر على تطبيق الاتفاقات. وقد كان المحتسب بمدينة فاس مثلا يعين من طرف السلطان لمراقبة التبادل والتأكد من الوزن وأدوات القياس وتحديد الأثمنة ومراقبة الأفرنة والحمامات والأسواق والحناطي (المهن) والحرف، الخ....

أما الأمين فكان يقوم بتمثيل مصالح "حنطة" الحرفيين. وكان يعتبر الحكم في النزاعات بين الصناع المنتمين لنفس الحنطة، وكان الملكف بتقديم قرارات الحنطة للمحتسب. كما كان يعتبر الواسطة بين السلطة المركزية والحنطة فيما يتعلق بالجبايات والهدايا والخدمات المجانية، الخ...

أما أمين الأمناء فقد كان هو زعيم كل أمناء الحنطات. وبفضل هذه السلطة الثلاثية الأبعاد كان يراقب كل الدكاكين وكل الحرف أي كل عمليات الإنتاج والتوزيع والخدمات. وقد عرف هذا النوع من التمدين تراجعا مع مجيء الحماية

2 ـ أحدث فرض الحماية تحولا عميقا في النظام المديني وفي مميزات التمدين القديمة بالمغرب. وكنتيجة لهذا أصبحت المدن الداخلية (فاس، مكناس، مراكش مثلا) مدنا تعرف انحطاطا ونكوصا أمام تقدم ونهوض المدن الساحلية أو مدن الموانئ التي ستتحول إلى قواعد وسيطة في إطار عملية التراكم الرأسمالي لأوربا.

وسيعبر هذا التحول في توجيه التمدين عن النموذج التنموي الاقتصادي والاجتماعي للحماية وكذا عن التفكك الذي سيصيب التمدين القديم والعلاقات الاجتماعية المرتبطة به. ومن بين المؤسسات المدينية التقليدية التي ستعرف تقهقرا مع إرساء قواعد تمدين من نوع جديد نجد الأمين والمحتسب.

لم تقم سلطات الحماية الفرنسية بمهاجمة التنظيمات الحرفية بطريقة مباشرة. بل نجد عكس هذا إذ أن الفرنسيين كانوا مهتمين بتقهقر هذه التنظيمات الحضرية القديمة واعتبروها حصنا منيعا أمام تأثير الخطابات النقابية الحديثة واليسارية الراديكالية. ومن أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط رموز النظام الحضري القديم يمكن أن نذكر التغير الذي حصل في هياكل السلطة خلال الحماية وخصوصا ما يتعلق منها بسلطة المحتسب والأمين والحنطة.

لقد اعتبر الفرنسيون حتى قبل الحماية أن الباشا هو المسؤول عن كل القضايا المحلية الخاصة بالمدينة ونظامها. هذا التعامل مع الباشا القائم على تصور مغلوط أصبح حقيقة خلال الحماية. وهكذا أصبحت السلطة مباشرة بعد معاهدة فاس، مركزة بين يدي الباشا الذي كانت قراراته تابعة لموافقة الرئيس الفرنسي للمصالح البلدية. وكان يقوم بخلافة الباشا مجلس بلدي جديد يحظى بمهمة استشارية فقط، وكان المحتسب من بين أعضاء هذا المجلس. بهذه الكيفية صار المحتسب الذي كان يتمتع بسلطة كبرى في المدينة ولا يخضع إلا لأوامر السلطان مجرد مستشار للباشا. وقد حاولت سلطات الحماية تصحيح هذا الوضع فيما بعد ولكن بقي الباشا هو الوحيد الذي يملك السلطة التنفيذية. وستتحول مجموعة من الوظائف الشرعية الخاصة بالمحتسب إلى المراقبة المباشرة للباشا الذي أصبح يقصده أمناء الحرف عند حدوث نزاع داخل الحنطة.

وبالإضافة إلى هذا صدرت عدة قرارات أخرى أسهمت في تراجع سلطة ووظيفة المحتسب، أهمها إصدار قانون من طرف رئيس المصالح البلدية الفرنسي سنة 1914 والذي يقتضي أن المراقبة أصبحت من اختصاص البيطري الذي له الصلاحية في إتلاف أو إبعاد كل إنتاج مشكوك فيه (اللحم، السمك، الحليب). ثم هناك ظهير 1923 الذي سيقوم بفرض النظام المتري.

وفيما يتعلق بالتنظيم الحرفي بالمدينة فإن إقصاء

المحتسب قد أدى أوتوماتيكيا إلى إقصاء الأمين وكذا البنية التنظيمية الحرفية. قد قامت سلطات الحماية بإصلاح النشاط الحرفي فصارت بمقتضى ذلك النشاطات التي تتطلب الممارسة في محرف أو حانوت أو خزين مفصول عن المسكن هي النشاطات المبدأة (Activités patentées). وستقصى من جراء هذا التنظيم مجموعة من الحرف كالبناء والنجارة. ولم يعد للأمين أي وجود حتى في قائمة المختصين المبرئين.

وبالإضافة إلى كل هذا أحدثت سلطات الحماية مدرسة جديدة للتكوين المهني تكلفت بتكوين الشباب المغربي في حرفتي البناء والنجارة حسب المعايير الأوربية وكذا في حرفتي الميكانيك الفلاحي وميكانيك السيارات. وفيما يتعلق بالتعمير قام ليوطي Lyautey باستدعاء متخصصين لإقامة تنظيم للمدن التي كانت بها مصالح السكان الأوربيين. ومن بين أوائل هؤلاء المختصين نذكر هنري پروست Henri Prost الذي وصل إلى الرباط سنة 1913 وبقي بها لمدة عشر سنوات. وقد أُسندت له مهمة تخطيط عشر مدن جديدة هي الدار البيضاء والرباط وفاس ومكناس ومراكش وصفرو وتازة ووزان وأگادير والقنيطرة فيما بعد.

وقد فرض ليوطي ثلاث قواعد كان على بروست أن يحترمها :

- عزل المدينة القديمة عن المدينة الأوربية.
- المحافظة على التراث الحضاري والمعماري للمغرب.
- إنشاء تمدين عصري للأوربيين.

وقد بدأ التنظيم القانوني بالظهير حول التعمير الذي صدر سنة 1914 والذي كان وسيلة مكيفة مع ضرورة العمل بسرعة حتى يتم التحكم في النمو السريع للمدن. ولم يكن هذا القانون معروفا بفرنسا إذ أنه لم يطبق بها إلا بعد مرور خمس سنوات على تطبيقه بالمغرب.

وقد تم تصميم المدن في هذه المرحلة كما لو كانت المدينة الأوربية هي التي سيتزايد سكانها. إلا أن المدينة القديمة هي التي سيعرف سكانها تزايدا مهما سيؤدي بليوطي إلى إقرار إنشاء أحياء جديدة للمغاربة على نموذج المدينة القديمة. وقد سميت هذه الأحياء بأحياء الحبوس بمدينة الرباط ومدينة مكناس ومدينة الدارالبيضاء. وتم إنشاء أحياء سكنية وفق هذا النموذج للعمال المغاربة المشتغلين في المعامل المهمة. ومن بين هذه الأحياء، أحياء كوزومار Cosumar بالدار البيضاء وأحياء المكتب الشريف للفوسفاط في بوجنيبة وخريبگة. وقد أحيطت هذه الأحياء بأسوار مثلها مثل المدينة القديمة.

وقد وصلت آثار الأزمة الاقتصادية العالمية للمغرب سنة 1931 مما أدى إلى انخفاض أثمان المواد الفلاحية، ومن جراء هذا انخفض دخل الفلاحين المعمرين مما سيسبب في ارتفاع معدل الهجرة من البوادي للمدن. وفي هذه الظروف ازدادت البطالة وعرفت المدن تزايدا من التكديح والقروانية. وسينتج عن هذا ظواهر تمدينية جديدة : "مدن الصفيح" و"الدواوير" أو السكن غير القانوني وتضخم عدد سكان المدينة القديمة. وبدأت سلطات الحماية بمحاولة جمع المدن الصفيحية في مكان واحد لتسهيل مراقبتها. وهكذا ظهرت المدن الصفيحية الأولى في الثلاثينات بمدينة الدار البيضاء وارتفع عدد سكان هذه المدن الصفيحية من 50.000 نسمة سنة 1940 إلى 100.000 سنة 1950.

وقد وصلت في الثلاثينات أفواج جديدة من المهاجرين الأوربيين الذين هربوا من أهوال الحرب، مما أدى إلى إنشاء المكتب الشريف للسكنى الأوربية (O.C.H.E.) سنة 1942. وأمام ضغوط الحركة الوطنية التي بدأ يكثر أتباعها بعد تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال نظراً للظروف الصعبة التي كان يمر بها المغاربة آنذاك قامت سلطات الحماية بوضع اسم محايد لهذا المكتب وهو "المكتب الشريف للسكنى" (O.C.H.). وابتداء من هذه المرحلة بدأت الإصلاحات المتعلقة بالسكنى يستفيد منها حتى المغاربة القاطنون بالمدينة القديمة أو مدن الصفيح.

وقد أصبح المجال الحضري في هذه الفترة يعيد إنتاج كل التغيرات البنيوية العميقة التي أحدثتها الحماية سواء فيما يتعلق بتصور هذا المجال أو باحتلاله وبالإقامة به. وسيصبح وسط المدينة معزولا عن وظائفه التقليدية (الإنتاج الاقتصادي (السوق) والنشاط العقدي (المسجد الكبير).

3 ـ التمدين منذ الاستقلال

عرف التمدين بعد الاستقلال سرعة لا مثيل لها مقارنة بما قبل. وتعود أسباب هذه العملية إلى تظافر عدة عوامل نذكر من بينها : الانفجار الديموغرافي وتعويض الأوربيين بالمغاربة وحدوث التغيرات في مجال الفلاحة وانخفاض مستوى معيشة الفلاح وتطور التمدرس وارتفاع الحركية الاجتماعية وبداية التصنيع.

ونتيجة لكل هذه العوامل عرف المغرب عملية تمدين كبيرة بعد ما كان بلدا قرويا وبدويا إلى حدود سنة 1960. لقد وصلت نسبة التزايد السنوي المتوسط للسكان الحضريين إلى 4،4٪ ما بين سنة 1971 وسنة 1982. وترتب عن هذا التزايد معدل للتمدين يكاد يصل إلى 50٪ حاليا بعد ما كان لا يتجاوز 35٪ سنة 1971 و29٪ سنة 1960. أما عدد المدن الكبرى فقد وصل إلى 14 مدينة سنة 1982 تجمع ما يزيد عن 64،3٪ من السكان الحضريين في حين أن هذا العدد كان هو 8 مدن سنة 1960 و11 مدينة سنة 1971. أما عدد المدن المتوسطة فقد مر من 15 مدينة سنة 1960 إلى 46 مدينة سنة 1982. وقد كانت نسبة التزايد السنوي المتوسط لسكانها هي 6،8٪. أما المدن الصغرى فقد مر عددها من 94 مركزاً سنة 1960 إلى 186 سنة 1982.

إن التناقضات التي نتجت عن حركة التمدين هذه تتعلق أساسا بالمشاكل العديدة التي لازالت مطروحة بحدة، كتضاعف حركة الهجرة من البادية إلى المدينة واتساع البطالة ونمو اقتصاد غير منظم وغير مهيكل وارتفاع معدل اللامساواة بين الفئات والطبقات الاجتماعية بالمدن. ولم

يعد إرث الحماية ولا التبعية للرأسمالية العالمية يبرران تفسير ارتفاع هذه التناقضات.

وفي إطار هذه التناقضات المميزة للتمدين بالمغرب يمكن وضع مشكل مدن الصفيح والأحياء العفوية. لقد تضاعف عدد المدن الصفيحية وسكانها منذ الاستقلال إلى الآن على الرغم من وجود المنفذ الذي خلقته الهجرة إلى الخارج. ومن أهم مميزات سكان هذه المدن الصفيحية هي البطالة والبطالة المقنعة وضعف التكوين المهني والمدرسي والمستوى المعيشي وممارسة النشاطات غير الخاضعة للتأطير الإداري والقانوني. يشكل هؤلاء السكان، إذا ما أضفنا إليهم سكان أحياء المدن القديمة المكدسة، أكثر من نصف سكان أهم المدن المغربية.

وهكذا فإن التمدين الذي عرفه المغرب منذ الاستقلال تميز بعدة أعراض مزمنة أهمها :

- عدم المساواة في امتلاك الأرض والنظام التعاوني الحديث في مجال الفلاحة أديا إلى تسريع الهجرة نحو المدن وإفقار الفلاحين.

- تحطيم تيارات الإنتاج الفلاحي التقليدي وإخضاعه لمنافسة القطاع العصري الذي أصبح مهيمنا أدى إلى تبعية هذا القطاع التقليدي للسوق العالمية مما أدى بدوره إلى تزايد البطالة.

- تفاقم انعدام التطابق بين السكان القرويين الذي يزداد عددهم باستمرار والإنتاج الفلاحي الذي لم يعد يلبي حاجيات هذا التزايد.

- عدم المساواة في المستويات المعيشية وفي الخيرات بين السكان الحضريين والسكان القرويين.

- ضعف الإمكانيات الاندماجية للفلاح. ويتجلى أثر هذا التفكك في ارتفاع معدل الهجرة للمدن.

- التباين الحقيقي بين امتداد الهجرة والإمكانيات الحقيقية للنظام الإنتاجي في كليته.

- ضعف إنتاج النظام الحضري (الحرفي والصناعي) أعاق ارتفاع الإنتاجية باستعمال أيدٍ عاملة متوفرة ورخيصة.

- التمدين المفرط يعتبر من المظاهر المميزة لدينامية التنمية بالمغرب. لقد ارتفع عدد السكان الحضريين بنسبة 200٪ تقريبا خلال نصف قرن في حين أنه لكي تصل أوروبا إلى هذه النسبة فقد تطلب ذلك قرنين من الزمن.

- تتجاوز الاستثمارات الضرورية المخصصة للحفاظ وصيانة التجهيزات الحضرية الموجودة من الضياع الاستثمارات الحقيقية.

- هذا التمدين غير متزن وغير موزع بطريقة متساوية بين كل المدن، يخص بعض المدن دون غيرها، إذ تجمع مدينة الدار البيضاء وحدها، مثلا، النسبة العالية لتزايد السكان والجزء المهم من الخيرات والمعرفة ووسائل الاتصال والترفيه والامتيازات.

- تضخم القطاع الإداري يتجاوز بكثير الحاجيات الحقيقية لهذا القطاع.

- تزايد التفاوت الاجتماعي بين "الطبقات الجديدة المحظوظة" و"الجماهير الحضرية". ويرجع عمق هذه الهوة إلى انخفاض المستوى المعيشي "للجماهير الحضرية" وارتفاع المستوى المعيشي "للطبقات الجديدة المحظوظة" الذي يفرض نفسه بطبيعته المتباهية والمعبرة عن ثراء حديث العهد.

- الحاجة الماسة عند تخطيط المدن إلى مزيد من العناية بمن يشكلون الأغلبية الساحقة من سكان المدن وهم الأطفال والشباب (أكثر من 60٪ من سكان المغرب تقل أعمارهم من 20 سنة).

J. Berque, *La Cité éminente*, in *Entretien interdisciplinaire sur les sociétés musulmanes*, Paris, 1958 ; M. Bentahar, *Villes et campagnes au Maroc*, Rabat, 1988 ; F. Stambouli, *Systéme urbain et développement*, in *Systéme urbain et développement au Maghreb*, Tunis, 1980, pp. 54- 67 ; A. Nouschi, *La ville dans le Maghreb pré-colonial*, in *Systéme urbain et développement au Maghreb*, Tunis, 1980, pp. 37 - 53 ; J. Dethiers, *Soixante ans d'urbanisme au Maroc*, *B.E.S.M.*, n° 118 - 119, 1970 ; Collectif, *Villes et sociétés au Maghreb*, Paris, 1974.

محمد شقرون

**التَّمر** - لغويا - هو حمل النخل متى نضج وذبل، يجمع على تمرات وتمور وتمران. كثير في المناطق الصحراوية الإفريقية وفي البلاد العربية ولاسيما في العراق ومصر وله ضروب عديدة أصلها من نوع Phoenix dactylifera.

إن التمر والحليب يمثلان رمز الكرم وحسن الضيافة المغربية منذ القدم ويبقى التمر من بين الثمار الأكثر استهلاكا والأفضل اختيارا في تقاليد الأكل بالمغرب وخاصة في شهر رمضان.

يبلغ عدد أشجار النخيل المنتجة للتمر بالمغرب 4.251.300 كلها موزعة في الواحات وضفاف الأنهار بالمناطق شبه الصحراوية من تافيلالت إلى تافراوت. يتراوح المحصول السنوي ما بين 139.400 قنطار (سنة 1985) و503.800 قنطار (سنة 1988) يتجر منها ما بين 40 - 60٪.

التمر أنواع عديدة موزعة في مختلف المناطق المغربية الجنوبية وتختلف هذه الأنواع عن بعضها حسب لون القشرة الخارجية وسمكها وحسب الحجم والتكوين من حيث جودة الحلاوة والتجفيف. يبقى ضرب "المجهول" وضرب "بوسكري" من أجود الضروب من حيث الحجم والحلاوة ويليهما كل من "بوسطامي" الأبيض والأسود و"بوفگوس" أوموسى وبوفگوس وسائر الليلات وإيكلان وتامدت وغيرها.

تعيش بداخل التمر عدة أنواع من دود الفراشات الليلية تتغذى منها وتنقص من جودتها. نذكر منها الأكثر انتشارا في المغرب وهي : Arenipses sabella الذي يوجد في التمر سواء فوق النخيل أو المذخر في المخازن، Ephestia calidella (Cadra) الذي يعيش في مخازن التمر وثمار التين الجافة. Tineola Muriella وCryptoblabes gnidiella يخلفان أضرارا في عدة أنواع من الثمار من بينها التمر.

من بين المراحل التي تمر منها ثمرة النخيل البسرة أي التمرة قبل إرطابها ثم البلحة والرطبة وهي كل ما نضج من

البسر قبل أن يصير تمراً. يحتوي التمر على 60 ـ 73٪ من سكريات سهلة الهضم وتعطي للعضلات عدة وحدات حرارية كما يحتوي أيضا على فيتامين "أ" و"ب" وعلى الأملاح المعدنية كأكسيد المغنيزيوم والكلس.

ينضج التمر في شهر أكتوبر ويتم جنيه في شهر نونبر كثيرا ما يختتم جنيه بحفلات موسمية كما هو الشأن في تافيلالت حيث توزع جوائز تشجيعية على أحسن المنتجين. ينضج التمر تدريجيا ويصعد الجاني إلى أعلى أعجاز النخل ليمد التمر بواسطة الحبال ثم تفرز التمور إلى عدة أنواع : النوع الممتاز وهو تمر ناضج سالم من المرض ومن الحشرات، حجمه كبير وكثير الرطوبة. يتكون النوع الثاني من التمر الناضج، سالم من المرض وصغير الحجم وقليل الرطوبة أما النوع الثالث فيتكون من التمر الجاف بمختلف أحجامه.

Ministère du Plan, *Annuaire statistique du Maroc*, 1989 ; C. Rungs, *Catalogue raisonné des Lepidopteres du Maroc*, tome 1 et 2, 1981 ; A. Akoka, *Le médical du XXème siècle, Encyclopédie médicale*, volume 7, Paris, 1980 ; Saaidi, *Palmier dattier, Maladies et ravageurs des plantes cultivées au Maroc*, Tome 1, Rabat, 1976.

نجاة الخياطي

**تمرة**، فخذة من الأفخاذ الثمانية التي تتكون منهما قبيلة البحاترة من عبدة، تقع في الجهة الشمالية الغربية منها، وتتصل شمالا بدكالة وغربا بقبيلة ربيعة. تبعد عن مدينة أسفي بحوالي خمسة وعشرين كلم، وتقدر مساحتها بحوالي ثلاثمائة كلم2.

تتميز فخذة تمرة بتربتها الخصبة من التيرس والحرش، وهذا ما جعلها تحتل أهمية من الناحية الفلاحية، باستثناء الشريط الشمالي الذي يتكون من حزام صخري يمتد ما بين "مول البرگي" ودكالة.

بدأت فخذة تمرة تحتل مكانة داخل مكانات قبائل عبدة منذ أن استأثر القائد الشهير عيسى بن عمر العبدي بزمام أمور عبدة، وذلك خلال القرن التاسع عشر، ويرجع السبب في ذلك إلى عناصر منها :

1 ـ أن فخذة تمرة كانت تشكل عصبية القائد عيسى بن عمر، ومنها كان ينتقي أعوانه ومساعديه، وكان يعتمدها في كل تحركاته. وهي التي قاسمته محنته أثناء مجابهته لانتفاضة "أولاد زيد"، لذلك أصبحت فخذة تمرة أكثر تميزاً داخل قبائل عبدة. ولازالت الذاكرة الشعبية تحتفظ بقولة شهيرة حول حدّة وبأس هذه الفخذة، تقول : "مائة جمرة وجمرة ولاَ حَرّ التمرة".

2 ـ أن فخذة تمرة كانت مقراً لقيادة عبدة، وبها أقام القائد عيسى بن عمر قصبته الشهيرة، التي لازالت تشكل معلمة من معالم عبدة عموما. وقد وصفها أحمد بن محمد الصبيحي بقوله :

"... ودار السّي عيسى بفرقة تمرة من عبدة معروفة بهذا الاسم، وهي قوية تامة المرافق كالبلد الصغير".

3 ـ انتقلت فخذة تمرة من مستوى مشيخة إلى مستوى قيادة من بين القيادات الخمس لعبدة، لكنها كانت الأقل أهمية داخل مجال عبدة، وذلك خلال السنوات الأولى من الفترة الاستعمارية (أكتوبر 1913 ـ يوليوز 1914).

تضاءلت أهمية تمرة بمجرد انتهاء دور القائد عيسى بن عمر العبدي، ولم تعد تمثل سوى مجال قروي من مجالات عبدة، تضم سوقين أسبوعيين لهما أهميتهما في التبادل الفلاحي، وهما :

ـ سوق الخميس : وهو سوق قديم، كان يقام بدار القائد السي عيسى نفسها.

ـ سوق الأربعاء : أحدث منذ سنة 1928، يقام بمول البرگي، وهو من صلحاء عبدة، يقال إنه شريف سباعي، ويعقد له موسم في السابع من عيد المولد النبوي الشريف.

أ. الصبيحي، *باكورة الزبدة* مخ. خ.ص ؛ *عيسى بن عمر وفظائعه* ؛ *صلحاء أسفي وعبده* ؛ م. فنيتير، *قواد الجنوب الكبار : نموذج القائد عيسى بن عمر العبدي (1879 ـ 1914)*، رسالة د. د.ع، كلية الآداب الرباط.

مصطفى فنيتير

**تمسمان**، قبيلة هامة وواد بالريف الشرقي، تحتل القسم الشمالي الغربي من مساحته، بين مجرى واد النكور الذي يفصلها عن أراضي قبيلة بني ورياغل مما يلي الغرب، حيث تنتشر مداشر فرقة تْرُوگُوت، وبين قبيلتي بني توزين وتفرسيت من جهة الجنوب، تقع على تلك الحدود مداشر فرقة الربع الفوقي. ويفصل بين تمسمان وجارتها بني أولَيشكْ مداشر فرقة بني مرغنين من جهة الشرق، بينما تمتد أراضي فرقة بني بونْدير في الشمال وتشرف على البحر المتوسط.

وجميع أراضي تمسمان جبلية، مؤلفة من كتلة ذات أصل بركاني. وتوجد فوهة البركان حول رأس سيدي شعيب المفتاح بأقصى الشمال غربي. وربما اكتسبت القبيلة اسمها من انبعاث النار البركانية بجوار مياه البحر. فسميت في الأصل الأمازيغي تمسٍّ (نار) أمان (الماء). وحينما جمع الكاتب العربي اللفظين سجل تمسمان. من أهم القمم البارزة، تلك السلسلة التي تشرف على البحر ووادي النكور : جبال إيقّارْ أقْضيسْ (634 م)، تبوذا (589 م)، جوب القامة (743 م)، بوعَمر (838 م).

يخترق القبيلة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي واد تمسمان، المدعو أيضاً وادي أمقران (الكبير). منابعه من بني توزين (بني علي، وبني بلعيز). مبدؤه بتمسمان عند دخوله أراضي فرقة الربع الفوقي، عند اتصاله برافده واد سبو، حيث مواطن بني ملكْشَنْ (بني ماكسن)، ويسمى هناك بواد الجماعة، حيث يمر بجوار مدشر بني بويعقوب. ويتصل به هناك واد العرسة وواد خميس بودينار. ومن هناك يدخل ببسيط إيگارْ أرگمام، حيث يتصل به واد أبي الحسن، ثم تنساب مياهه بين أراضي فرقة بني مرغنين الواقعة على الضفة اليمنى، وبين مداشر بني تعبان المنتشرة على الضفة اليسرى.

يترك الساحل عدة فجوات استغلت مراسي منذ القديم، نجد منها مرساة سيدي داود بمدشر الحديد، وهو المرسى الذي سماه البكري إيكار أفطيس لوقوعه عند قدم الجبل الذي يحمل نفس الاسم. ثم مرساة سيدي شعيب المفتاح، نسبة إلى صاحب رابطة هناك بأقصى الشمال الغربي، ويقابله في الشمال الشرقي مرسى رأس الطرف المذكور من طرف الإدريسي، وهو المعروف خلال القرن السابع عشر بمرسى بوحسون، وسماه الاسپان برأس كيلاتس (Quilates) ثم مرساة سيدي ادريس الواقعة بمصب واد تمسمان، وهي المرساة التي ذكرها البكري باسم بُدكّون بوادي البقر. ولازال الاسم الأخير متداولاً.

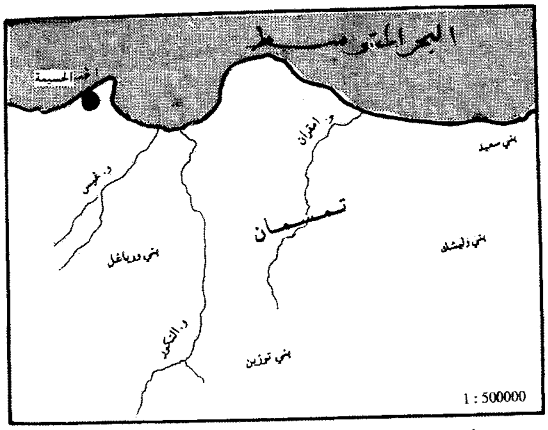


تشكل التقسيم الإداري منذ ما قبل القرن التاسع عشر. وتنقسم القبيلة إلى خمسة أقسام أو فرق وتتألف من ثمانين مدشراً : فرقة ترْكُوتْ تتكون من واحد وأربعين مدشراً موزعاً على السفوح الغربية المجاورة للضفة اليمنى من واد النكور ؛ فرقة بني بويدير، تتألف من واحد وعشرين مدشراً منتشراً على الكتلة البركانية الشمالية الغربية المشرفة على خليج الحسيمة ؛ فرقة الربع الفوقي عدد مداشرها أربعة عشر، تمتد على الحوض الأعلى من واد تمسمان وعقبة تيزي عـزّا ؛ فرقة بني تَعْبان وبها تسعة مداشر تحتل الضفة اليسرى من حوض واد تمسمان الأدنى ؛ وتقابلها على الضفة اليمنى فرقة بني مَرْغْنين بنفس العدد من المداشر.

ولقبيلة تمسمان تاريخ معروف منذ القديم. أول من عرفنا باسمها أبوعبيد الله البكري، بمناسبة استعراض تاريخ إمارة النكور، ومراسي الساحل الريفي. وأقدم من نعرف من السكان الفصيلة الصنهاجية التي تدعى بني يصليتن، كانوا خلال القرن الأول الهجري مستقرين على واد تمسمان من مجراه الأعلى إلى مصبه. ويضاف إليهم أهل تلكاتة، وهم تركوت الحالية، من أصل صنهاجي كذلك.

كانت تمسمان عماد قيام إمارة النكور، فبمرساتها بَدكّون من واد البقر، بمصب واد تمسمان نزل صالح بن منصور اليمني حوالي عام 92 هـ. ونشر الإسلام بالقبيلة ونظم شؤونها لتصبح نواة إمارة، عاصمتها مدينة النكور على يد ابنه إدريس. وتدخلت القبيلة في نزاعات أمراء النكور بالانحياز إلى المعارضين منهم، مثلما حدث في أواخر القرن الثالث الهجري، حينما قام سعادة الله بن هارون ضد سعيد بن صالح. كما كانت ملجأ الأمراء من غارات العبيديين على النكور، والمساند لهم على استرجاع النفوذ، مثلما حدث سنة 306 هـ على عهد صالح بن سعيد وسنة 324 هـ على يد موسى بن المعتصم. وباستيلاء أمراء ازداجة الوهرانيين على النكور عام 410 وعام 460 هـ. دخلت القبيلة تحت نفوذهم إلى أن وصل المرابطون إلى النكور عام 473 هـ. وبتمسمان مدينة تدعى إيغرم، يقال إنها من عمل المرابطين بالقبيلة، واقعة ببني تعبان الساحلية.

وحينما مر بها عبد المومن الموحدي سنة 535 هـ، كانت تمسمان مقبلة على تأسيس مركز للتصوف والثقافة الدينية على يد شيخها أبي داود مزاحم البطوئي، المتوفى عام 578 برابطته بساحل تغلال. واستمر هذا المركز إلى العهد المريني على يد أحفاد أبي داود، يجمعهم المدشر الذي تكون هناك باسم أولاده. اختفت عنا أخبار تمسمان خلال العصرين الوطاسي والسعدي، لتعود إلى الظهور مع بداية العهد العلوي. ففي الوقت الذي كان فيه مولاي رشيد ساعياً لتوطيد نفوذه بالمغرب الشرقي، كان أولاد حمامة، من فرقة بني مرغنين أول من بادر إلى بيعته سنة 1074 / 1663 بزعامة الشيخ عمر بن محمد الحمامي البطوئي، الذي ارتقى إلى مرتبة الوزارة أيام مولاي رشيد والمولى إسماعيل، إلى أن نكبه هذا الأخير، بسبب التآمر مع بن محرز. وقد انتدب المولى إسماعيل بعض أعيان تمسمان للاشراف على قيادة حركة الجهاد بالثغور الشمالية الغربي، كان منهم أحمد بن حدو التمسماني وابن عمه علي بن عبد الله الريفي، وأحمد ابن هذا الأخير. وأسرة بني عبد الصادق المستقرة بطنجة المعروفة في تاريخ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تنتمي إلى تمسمان.

وعلى عهد الحسن الأول كان القائد دادوش التمسماني (1292 / 1875)، تقيد على ثلاث فرق (الربع الفوقي، بني تعبان وبني مرغنين) ثم عزل. ومحمد بن حمّ البويديري (1292 ـ 1875) ثم محمد بن عبد الله البويديري (1302 / 1884) وأحمد بن محمد بن عبد الله البويديري (1304 / 1886)، وهم الثلاثة قواد بني بويدير. وظهر في الربع الفرقي شعيب بن حم التمسماني (1304 / 1886). وحينما ظهر بوحمارة بالريف الشرقي كانت تمسمان إحدى القبائل التي قاومت توسيع نفوذه. وبأراضي القبيلة حقق الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي أهم انتصاراته ضد الغزو الاسپاني في معركة أنوال عام 1921.

أ. البكري، *المغرب في ذكر أخبار افريقية والمغرب*، 90 ؛ البيذق، *أخبار المهدي*، 55 ؛ عبد الحق البادسي، *المقصد الشريف*، 56 ـ 62 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 439 ـ 440 ـ 491 ؛ *وثائق خاصة* ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 90 ـ 91 ؛ عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهر الاكم*.

*La relation de Roland Frejus*, *S.I.H.M*, France, 1 : 125 - 126 - 131 ; G. Mouette, *Histoire de Mulay Rchid et My. Ismaël*, 63 -

69 - 85 ; A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 1 : 102 - 104.

حسن الفكيكي

**التمسماني**، أسَر تطوانية متعددة يرجع أصلها جميعا إلى قبيلة تمسمان الكرتية، ومازالت موجودة بتطوان حيث احتفظ بعضها بنفس الاسم في حين أن البعض الآخر عاد إلى استعمال الاسم الذي كان قبل انتقالها لتطوان، ونذكر من بين هذه الأسر الأخيرة أسرة اليعقوبي والبهيوي وابطيو والحمامي وأولاد حدّو.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán*, 1921 (T) ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuaníes de abolengo*, 1929 (T).

محمد ابن عزوز حكيم

**التمسماني، إبراهيم** بن عيسى بن الشيخ أبي داود مزاحم آتي الترجمة. ولد عام 560 هـ بجماعة بني ورتْردْ المستقرة حول جبل الحديد (اليوم بني أبي داود، فرقة تروگوت). نشأ تحت كفالة جده، إثر وفاة أبيه في سن مبكرة، وعنه درس وتلقى أصول ومبادئ التصوف، مما جعله مؤهلا عن سن ثمان عشرة للقيام بشؤون الرابطة، ابتداء من وفاة أبي داود سنة 578 هـ.

نعرف أخبار الحاج إبراهيم مما قصه حفيده عبد الرزاق، على عبد الحق البادسي، صاحب *المقصد الشريف*. فعلاوة على ما سار عليه اقتداءً بنهج جده، من رعاية الرابطة والقيام بشؤونها الدينية، يمكن لنا التعرف على بعض أخبار فرقة تروگوت، مما له علاقة بصاحب الترجمة.

نعلم أن ساحل تغلال، ومعه رابطة أبي داود، كان معرَّضا للغارات القرصنية الأروبية وما كان يترتب عنها من أسر السكان. فأبو داود لم ينج هو نفسه من الأسر. وهذا كان حظ الحاج إبراهيم أيضا وذلك قبل 635 هـ. إذ أنه بقي في الأسر أقل من ثلاث سنوات، دون أن نعرف التفاصيل، خاصة عن طريقة افتدائه.

وربما كانت جماعة القراصنة التي أسرته، هي نفسها التي اقتحمت منزله الذي بناه بإزاء الرابطة، لنهب ما كان بداخله من ودائع بني ورتردْ الذين اضطرتهم المجاعة الشديدة لمغادرة مواطنهم إلى جهات أخرى. تمت تلك الغارة أثناء غياب الحاج إبراهيم في أسره.

ووصل إلينا من ضمن أخبار بني مرين وحلفائهم بني وطاس، من خلال ترجمة الحاج إبراهيم ما لم يصلنا من جهات أخرى. فالمرينيون بعد تمركزهم بقلعة تازوطا منذ عام 610 هـ (*معلمة المغرب*، ج. 6) واحتلالهم لتازا وفاس تركوا بوادي الريف الشرقي وضواحي أمصاره إقطاعا للوطاسيين وجباية لهم. قدم هؤلاء قبل سنة 635 هـ إلى بني ورترد لإرغامهم على أداء ما تخلد بذمتهم من المغرم. فما كان على الوطاسيين سوى الالتجاء إلى نفوذ صاحب رابطة أبي داود الحاج إبراهيم للقيام بدور الوساطة واقناع بني ورترد للنزول من معقلهم الساحلي. وهي المهمة التي توجه إليها صاحب الترجمة متثاقلا، وعاد منها بالفشل. وفيما يقرب من تلك السنة عاد ياسين بن الوزير الوطاسي إلى تروگوت في نطاق تفقد قبائل حوض النكور الأدنى، وكان من ذلك، الزيارة التي قام بها الحاج إبراهيم في سنة كانت المجاعة لاتزال على أشدها.

ولن نغفل الحديث عن المجاعة التي تعرضت لها بلاد الريف بسبب سوء المواسم الفلاحية المتوالية، ظهر آثارها ببني ورترد في آخر حياة الحاج إبراهيم. فقد كثرت الرواية عن تقشفه لمكافحة الفاقة. ولا أدل على ذلك من التجاء أهل جماعته إلى الهجرة، بل إلى بيع الأبناء للزائرين من الأوربيين لساحل تغلال، مما أدى به هو نفسه بالهجرة إلى داخل تمسمان.

كان الحاج إبراهيم قد عزم في السنوات الأخيرة من حياته على الانتقال من منزله الكائن بجوار الرابطة، نتيجة المجاعة وانعدام الأمن بالساحل المعرض للغارات القرصنية. اختار الانتقال إلى سكنى فرقة بني تعبان التمسمانية الواقعة شمال مصب واد تمسمان (واد أمقران)، بعد أن وهب له أحد صالحي مدشر أروجن قطعة أرض فلاحية، بجوار الواد الذي لا يزال حاملا لنفس الاسم، وقرية أبو معاد الحالية. وحينما أدركته الوفاة بالرابطة، على ما يبدو من سياق حديث البادسي أوصى بنقل جثمانه إلى مقر سكناه الجديد. كانت وفاته سنة 650 هـ. ولايزال قبر الحاج إبراهيم بنفس المكان قائما إلى اليوم، بارز القبة.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 52 ـ 59 ـ 60 ـ 62 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 30 ؛ خريطة طبوغرافية 1935.

**التمسماني، أحمد دادوش**، قائد مخزني من فرقة بني مرغنين التمسمانية، كان عام 1298 / 1880 قد قضى عدة سنوات في قيادته على الجماعات المستقرة على واد تمسمان المندمجة في ثلاث فرق : بني مرغنين المستقرة على الضفة اليمنى من حوض واد تمسمان الأدنى، وبني تعبان التي تقابلها على الضفة اليسرى، ثم فرقة الفوقي الموزعة على الحوض الأوسط من نفس الواد. ونعتقد أنه القائد الأول الذي تحمل المسؤولية بالقبيلة في ظل التنظيم الإداري الجديد المستحدث على عهد الحسن الأول سنتي 1291 - 1292 / 1873 ـ 1874 بالنسبة للريف الشرقي.

قضى أحمد دادوش السنوات الأخيرة من حكمه في خلاف مع أهل جماعة إعَوادَن التي سعت إلى تعيين الطالب الحاج محمد بن عبد السلام أميناً مكلفاً بالاشراف على التنظيم المالي للقيادة. ويصور هذا الخلاف ما كتب به الأمين إلى الحسن الأول، حسبما يظهر من الجواب السلطاني: "الأمين الحاج محمد بن عبد السلام التمسماني، وصل كتابك مخبراً بأن خديمنا دادوش حرك لإخوانك في مدة غيبتك بشريف حضرتنا وأخذ منهم مائة ريال، ثم حاز من إخوانك إعَوادن مائتين ريالا ظلماً وتعدياً، زيادة على هدم دورهم. كما وظف على القبيلة مونة وهدية، وطلبت أن يحاز منه ذلك...".

لكن المشكل الأساسي هو الذي ترتب عن اتهام السلطان بتهاون أحمد دادوش في ضبط التهريب، ليس فقط بالنسبة لحراسة مرسى سيدي إدريس التابعة لبني مرغنين، والواقعة بمصب واد تمسمان، ولكن بالنسبة لمتابعة المشتغلين بالتهريب في المراسي المجاورة، مثل مرسى سيدي حساين (أفراو الحالية) الواقعة بمصب واد سيدي حساين في ملتقى حد بني سعيد وبني وليشك. ومرسى أبي داود بأرض بني بويدير التمسمانية. هذا هو ما حدث حينما جلب اثنان من مواطنيه مائة واثنى عشر برميلا من زيت الگاز إلى مرسى سيدي حساين وتباطأ دادوش في القبض عليهما. ومن أجل ذلك كتب إليه الحسن الأول : "القائد أحمد دادوش التمسماني فقد تحقق لدينا من عدة طرق أن الغديوي (بوشعيب بن ميلود) عندك، وأنك آويته مع أننا كنا أمرنا بالبحث عنه، لما هو مشتغل به من أمور الكنطربانض وغيرها. وعليه فبوصوله إليك اقبض عليه ووجهه واصلا لحضرتنا الشريفة... وإلا كنت مؤاخذاً به وبجرائمه. في 12 صفر 1301". وازداد تأزم علاقاته بالمخزن خلال الأشهر التالية إلى أن تم عزله وصدر الأمر بالقبض عليه ومحاسبته على متروكه في 18 حجة السنة. والظاهر أنه اكتفى في هذه المرة الأولى بعزله، إلا أن الشكايات الواردة على البلاط الحسني وعدم امتثاله لتسليم ما بيده من متاع المخزن أدى إلى القبض عليه في 13 صفر 1306، ليضاف إلى أخيه المسجون بمكناس وأحد أبنائه وصهره المحبوسين بمراكش. ثم بيعت أمتعته على يد خلفه القائد شعيب بن حمّ التمسماني.

*وثائق مخزنية، كناش خ. ح.* 348، ص. 87 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

**التمسماني، أحمد** بن **محمد** بن عبدالله البيديري، تم اختياره من طرف أعيان خمس بني بيدير إثر مقتل والده، حسب رسالة مؤرخة في 15 قعدة 1304، وتسلم تعيينه المؤرخ بتاسع ذي الحجة من نفس السنة. اشتغل باله منذ البداية بمتابعة قاتل أبيه محمد بن حم التمسماني إلى أن توصل لمقصده. وعادت في وقته مسألة النزاع على الحدود بين خمسي بني بيدير وتروگوت، على مدشر "الحديد" الواقع عند مصب واد الحديد من الجانب الشرقي لساحل خليج المزمة، بجوار مرسى أبي داود. والنزاع بين الفرقتين على المدشر قديم بدأ بين القائد الحاج بوعزة التروگوتي والحاج محمد بن عبد الله البيديري، وتجدد بين علال بن بوعزة وأحمد بن أحمد. ومن أجل فض النزاع كلف السلطان مولاي عثمان رئيس المحلة المتوجهة للريف في ذي القعدة عام 1309. وبذلك رد المدشر إلى تروگوت، بناء على سابق الانتماء. ويعد هذا التاريخ آخر علمنا به وباستمراره في قيادته.

*وثائق مخزنية، كناش خ. ح.* 166، ص. 21-35 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

**التمسماني، إسماعيل** بن سيد الناس البطوئي، من فرقة الفوقي، خمس تمسمان، ومن مدشر بني عيسى الكائن بجوار واد العيون، الذي ينتهي إلى الضفة اليسرى من واد أمقران، وعلى السفح الجنوبي من كدية بني بويعقوب. والشيخ إسماعيل تلميذ أبي داود، استقر بعد وفاة شيخه بالموضع المعروف بتازروت من مدشره، وبه قضى مدة حياته، نقل عنه البادسي جملة من أوصاف الصلاح حافظ عليها إلى وفاته.

ع. البادسي، *المقصد*، 85 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90 ؛ خريطة طبوغرافية، 1935.

**التمسماني، بوعزة** التروگوتي، هو أول من نعرف من قواد تروگوت على عهد الحسن الأول، وذلك منذ ما قبل 1297. وفي هذه السنة كان قد توفي ليخلفه ابنه محمد. تولى على فرقة تروگوت الكائنة بالقسم الجنوبي الغربي من حدود تمسمان، بين واد النكور وفرقتي بني بيدير والربع الفوقاني التمسمانيين، إلى جانب خمس بني عكي التوزاني. تنتمي أسرته إلى جماعة بني أبي داود، داره مشرفة على المرسى المعروفة بنفس الاسم. وفي عهده أثير الخلاف بين تروگوت وبني بيدير المجاورة للفصل في الجهة التي ينتمي إليها مدشر "الحديد"، الواقع عند مصب واد الحديد بساحل شرق خليج المزمة. فبعد الاحتكام إلى الحسن الأول رُد المدشر إلى حدود تروگوت. وقد ترك بوعزة التمسماني ثلاثة أبناء ممن نعرف، اثنان منهم ورثا منصب القيادة على تروگوت، وهما على التوالي محمد وعلال.

*ضابط الأمور الوطنية*، 90 ؛ *وثائق مخزنية*.

**التمسماني، حمادي** البُيْديري، أول من نعرف من قواد بني بيدير إثر توزيع تمسمان إلى قيادات، متمثلة في الأخماس. فكان خمس بني بيدير من نصيبه. ولدينا وثيقة واحدة مؤرخة في 14 ذي القعدة 1293، أبلغه فيها الحسن الأول توصيته لصالح شرفاء أولاد لقمان المستقرين بقرية "إيجار أُفَضِيس"، الواقع على الجانب الغربي من جبل الحديد. وكانَ هؤلاء قد انتقلوا إليها من قرية تزوغت ببني ورياغل. بقي في منصبه إلى أن خلفه محمد بن حمّ البيديري حوالي 1298 / 1880.

*وثائق خ. ح.* بالرباط.

**التمسماني، شعيب** بن حم بن الطاهر، من فرقة "الربع الفوقاني" ومدشر "عين كثير" الواقع بجوار خميس بودينار شرقاً. تولى القيادة خلفاً لأحمد دادوش التمسماني على فرق بني مرغنين وبني تعبان والربع الفوقاني. تَمَّ تنصيبه على يد رئيس المحلة محمد الأمراني تبعاً للرسالة السلطانية المؤرخة في 18 حجة عام 1301. كُلف كسابقه بتشديد المراقبة على التهريب من مرسى سيدي إدريس

الواقعة بمصب واد تمسمان ومتابعة المشتغلين به من التمسمانيين، مما كان من لوازمه حيازة ما تبقى من أملاك المخزن بيد أحمد دادوش وبيعه، مثلما جرت به العادة إثر وفاة القائد أو عزله. بقي هذا المشكل قائما إلى أن تم له القبض على دادوش عام 1306 وكعادة عمال الريف مع أمناء الفرق والجماعات الداخلة تحت حكمهم، فإن الخلاف كان على أشده مع الأمين الحاج محمد بن عبد السلام التمسماني المتولي منذ 1300. ويصور هذا الخلاف ما ذكره الأمين في شوال 1304 : "إن القائد شعيب أمر إخوانه بقتل رجل من الربع الفوقاني، فوقع البارود، فقمت بترقيع ما خرق. طلبت القائد شعيب التمسماني بإعطاء الحق لأرباب الدم، فأبى كإخوانه.. غير أنه لم يرض بحضوري معه عند قبض مال سيدنا. لم يرض بما أمرني به سيدي من الحضور معه عند الفرض وعند القبض...". ونجهل الأسباب التي عجلت بإصدار أمر القبض عليه لكبير المحلة مبارك بن الطاهر الرحماني في 9 شوال عام 1306. وإسناد حكم الفرق الثلاث إلى قائد فرقة "تروگوت" علال بن ج بوعزة التمسماني. غير أن القائد شعيب سيعود إلى الحكم مرة ثانية بطلب من أهل الفرق ومساندة الأمين حسب وثيقة مؤرخة في فاتح جمادى الأولى عام 1309. وبعد ذلك تختفي عنا أخباره.

*وثائق مخزنية* : *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

حسن الفكيكي

**التمسماني، العربي** بن محمد الطنجي. انتقل جده الفقيه أحمد من قبيلة تمسمان بالريف في جملة المجاهدين الذين فتحوا طنجة وطردوا الأنجليز منها عام 1095 / 1682، فسمى أحمد التمسماني قاضيا بالمدينة المحررة إلى أن توفي بها فغدت دار مقام عقبه حتى الآن.

ولد العربي التمسماني بطنجة في فاتح شوال عام 1299 / 16 غشت 1882 وبها حفظ القرآن الكريم في كتّاب الأستاذ العربي بن عبد الكريم المدور الطنجي بجوار الجامع الجديد من حومة الشرفاء بطنجة، ودرس مبادئ العلوم الشرعية واللغوية على الأخوين محمد ومَحمد الغماريين، وعلى الفقهاء الوافدين على طنجة لتقلد مناصب القضاء كعبد السلام الهواري ومحمد بن أحمد الهواري وعبد السلام العلوي ومحمد زويتن وغيرهم. ثم درّس في الجامع الكبير بطنجة وخطب فيه، وانتصب للشهادة في سماط العدول، وشغل عدة وظائف إدارية وشرعية. كان كاتب اللجنة المكلفة بتتميم أشغال مؤتمر الجزيرة الخضراء بطنجة (24. 6. 1326 / 1908) ثم عدلا بالمرسى فقاضيا شرعيا بطنجة، فباشا المدينة. وله كتاب *التنويه بقدر النبي الكريم في آي الذكر الحكيم* ؛ ومجموع *خطب الجمع والأعياد* ؛ *وأشعار* في أغراض شتى لم تجمع في ديوان.

توفي بمسقط رأسه ليلة الثلاثاء سادس شوال عام 1389 / 16 دجنبر 1969 ودفن بضريح سيدي بوعراقية.

م. ابن الحاج، *إسعاف*، 465 ـ 468.

محمد حجي

**التمسماني، علال** بن بوعزة التروگوتي، تولى القيادة بفرقة تروگوت إثر مقتل أخيه محمد قبل 11 ربيع الثاني عام 1309. ووصول الإعلام بذلك إلى الحسن الأول، ففي جمادى الثانية من نفس السنة تم استدعاؤه إلى فاس، وآنذاك كان قد قضى وقتاً يسيراً في مهمته الجديدة. وقد تجدد النزاع بينه وبين أحمد بن محمد بن عبد الله البيديري على مدشر "الحديد" الواقع على مقربة من مصب الواد المعروف بنفس الاسم، مشرف من شرق ساحل خليج المزمة، حسبما كلف به السلطان رئيس المحلة المتوجهة إلى الريف مولاي عثمان : "... وعليه فنامرك أن تطالع مكاتب ولايتهم، ومن وجد تهم عنده أقر عليهم وكف الآخر. 5 قعدة 1309". وقد شهد لصالح القائد التروگوتي العربي الوليشكي، قائد بني وليشك. ويمكن تعقب أخبار القائد علال خلال السنوات التالية إلى عام 1315 / 1897 حينما علمنا أن الواجبات المخزنية المفروضة على تروگوت قد ارتفعت إلى 2.200 ريال.

*وثائق مخزنية*، *كناش* ، 195 و199 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

**التمسماني، عمر** بن حدّو. أضافت إليه بعض المصادر نسب الريفي. وهو من أولاد حمامة التمسمانيين الذين عينا موقع جماعتهم في ترجمة التمسماني عمر بن محمد الآتية، مثله مثل أخيه التمسماني أحمد بن حدّو، سابق الترجمة (البطوئي أحمد، *المعلمة*، 4 : 1272)، وابن عمهما علي بن عبد الله، وابن هذا الأخير أحمد بن علي المعروفين بالريفي.

انخرط عمر بن حدّو بالجيش الرشيدي في جملة أولاد حمامة الذين تحت رئاسة الشيخ عمر بن محمد، ولم يبرز إلا في عهد المولى إسماعيل، ابتداء من المشاركة في حصار فاس ومطاردة كل من أحمد بن محرز عن تازا، والخضر غيلان من إقليم الهبط. وبمجرد مقتل هذا الأخير عينه السلطان عاملا على المنطقة الواقعة بين طنجة والقصر الكبير، أي ما كان معروفاً آنذاك بالفحص والهبط الأصلي. تم ذلك التعيين في عام 1084 / 1679، حسبما سجله عبد الكريم الريفي في زهر الأكم. ساعده عن قرب أخوه وخليفته أحمد بن حدّو، وبحوز تطوان ابن عمه علي بن عبدالله. قاعدة ولايته مدينة القصر الكبير.

ظهرت المهمة الرئيسية التي ألقاها المولى إسماعيل على عاتق عمر بن حدّو منذ بداية ولايته. تمثلت تلك المهمة في العمل على استعادة مدينة طنجة من قبضة الأنجليز. وإن لم يتحقق له ذلك فقد واتته الفرصة لاسترجاع المعمورة من يد الإسبان. وحينما عين القائد التمسماني عاملا على إقليم الغرب كله، ونائب السلطان به، اهتم بمشاكل مراسي الثغور الساحلية الواقعة بين طنجة وسلا.

1) صرف عمر بن حدّو معظم جهوده ضد طنجة منذ توليته إلى أن باغتته الوفاة يوم 18 رمضان 1092 / 2 نوفمبر 1681، أثناء زيارته لمدينة مكناس. كانت المدينة المحتلة من

طرف البرتغال (869 / 1471) قد انتقلت إلى الوصاية الإسبانية. وحينما استعادها البرتغاليون حولّوها إلى النفوذ الإنجليزي منذ 25 جمادى الأولى 1072 / 16 يناير 1662، على عهد قائد الهبط الخضر غيلان. ومنذ ذلك شرعوا في بناء سلسلة من التحصينات وتشييد الأبراج الخارجية، مستغلين الظروف التي عاشتها البلاد مع بداية الدولة العلوية، وحرب المولى رشيد للرايس غيلان منذ سنة 1077 / 1666.

كان الأنجليز متحصنين بالمدينة وقصبتها، ولكنهم كانوا في حاجة إلى مجال أمني خارجي أوسع من جهتي الغرب والجنوب، فأقبلوا على إحداث سلسلة من الحواجز متصلة بالأبراج الخارجية، بامتدادها على شكل شبه دائري حول المدينة، ابتداء من الجرف الشمالي الساحلي المشرف على مياه المضيق إلى ساحل خليج طنجة، جنوب المدينة. هذا الستار الخارجي هو الذي سمح لهم بالتجول داخل مساحة تبعد عن أسوار المدينة بنصف فرسخ كمقياس متوسط، حسب تقدير المصادر المعاصرة.

وقد ساعد تضرس السطح حول مدينة طنجة لإنشاء تلك الأبراج على التلال البارزة بالجهتين الغربية والجنوبية. وهناك رسمان معاصران للعمليات الجهادية التي قادها عمر ابن حدّو، يوضحان توزيع تلك الأبراج ومواقعها، إلى جانب المواقع المغربية المجاورة لها. ولا يقل عدد تلك الأبراج عن ثلاثة عشر برجاً، أغلبها مجاور بمحطة للمراقبة ومركز الإغاثة.

أمام هذه الكثافة من التحصينات الخارجية المحدثة خلال أمد قصير أصبح من المستحيل تحقيق الأمل الذي راود المولى إسماعيل في شأن تحرير المدينة من الاحتلال الأجنبي. لذلك كانت مهمة القائد عمر بن حدّو منحصرة في التمكن من هدم تلك الأبراج، وهي نفس السياسة التي كلف بها السلطان قائده بقلعية محمد بن مسعود القيطوني، تجاه أبراج مليلة، في نفس الفترة.

تتلخص خطة القائد عمر بن حدّو لهدم الأبراج أو اقتحامها في عزلها كخطوة أولى عن المدينة، بواسطة حفر الخنادق، وصل عمق بعضها إلى إثني عشر قدماً، أي أربعة أمتار. وشرع المغاربة كخطوة ثانية في حفر الأنفاق الباطنية في اتجاه أساس الأبراج، ليتسنى بعد ذلك تفجيرها بواسطة قارورة مشحونة بالبارود. وتتم عملية التفجير عادة عند الغروب، وآنذاك يكون المجاهدون على استعداد لتنظيم هجوم عام على البرج المحاصر، إذا لم يلعن المتحصنون استسلامهم. وقد اعتاد عمر بن حدّو توجيه الدعوة إلى حاكم طنجة لإرسال من ينوب عنه للتأكد من العمليات الحربية المعدة ضد الأبراج، قصد التأثير عليه وإرغامه على الاستسلام.

وتألفت قوات المجاهدين الذين تحت إمرة القائد عمر بن حدّو من فيلق دائم يشكله أهل الريف، يضيف إليه السلطان متى دعت الضرورة إلى ذلك فيلقاً آخر من عبيد البخاري. وأكبر قوات المجاهدين تكونت مما كان يصل من متطوعة فاس ومكناس وسلا والقصر الكبير وتطوان، عامتها وشرفائها وفقهائها ورجال الزوايا، إلى جانب المستجيبين لنداء الجهاد من إقليمي الغرب والهبط. ولذلك أخبرت المصادر الأجنبية بتعبئة ما تراوح بين ثمانية وعشرة آلاف مجاهد.

أشعرنا مويت Mouette أن القائد عمر بن حدو كان في جمادى الثانية عام 1085 / شتنبر 1674 قد شرع في الضغط على ميدان طنجة، مما دفع بحاكم المدينة ويت Whet إلى الوفادة على فاس لطلب الهدنة، وبرفقته عدد من أسرى مدينة سلا، كانوا قد وقعوا في أسر إحدى السفن الأنجليزية. تلك الهدنة التي عارضها بشدة أحد كبار الفقهاء، مما أدى إلى فشلها.

ويعود علمنا بأولى الحركات الجهادية، إلى ما أخبرنا به مويت Mouette في مذكراته عن تاريخ المولى إسماعيل، وما أكده رويت Routh في مؤلفه عن طنجة، وكلاهما أخبر أن القائد عمر بن حدو حاصر برجين هما : كندال Kendal وهنْريتا Henrietta وذلك ما بين 6 و16 يناير 1678، مما يوافق 13 و25 ذي القعدة من عام 1089. والبرجان المذكوران ظاهران بالرسم تحت رقمي 24 و31 في آخر خط الأبراج الغربية المقابلة لوادي اليهود، يتوسطهما حصن مرشان أو "شارل".

اختار المجاهدون المساحة التلية الواقعة غرب ظهر مرشان، ميداناً لتحركاتهم بين ما يسمى آنذاك بالوادي الكبير وواد اليهود، لتنظيم هجوماتهم على البرجين. وقد عاد عمر بن حدّو من هذه الغزوة بأول انتصار على الإنجليز، حين تمكن من إجلائهم عن البرجين، وأسر عشر من الجنود، والحصول على قطعة مدفعية برونزية. وكل ذلك بفضل المدفع الذي جلبه إلى الميدان.

هذا هو الانتصار الذي استحق به القائد عمر تقدير المولى إسماعيل وتسميته عاملا للغرب كله ونائبه به. ولهذا التعيين معناه في المجال الديبلوماسي، وفوق ذلك فإنه عد أكبر مشجع على متابعة خطة الجهاد.

فقبل شوال عام 1090 / نوفبر 1679 نظم القائد حملته الثانية على أبراج طنجة، بعد وصول تعبئة جاءته من فاس ومكناس وسلا للانضمام إلى ما تهيأ جمعه من القصر الكبير وتطوان ومن إقليم الغرب. عاد من تلك الغزوة التي نجهل بعض تفاصيلها بثمانية عشر أسيراً، وقطعة مدفعية برونزية أخرى.

وعلمنا من وقائع الحملة الثالثة التي انتهت يوم 16 شوال 1090 / 20 نوفمبر 1679 بحصار المجاهدين وهدمهم لأبراج آن Anne ومُونْمُوثْ Montmouth وجيم Jaime. وكلها من الأبراج الجنوبية المتقدمة، تظهر بالرسم تحت أرقام 29 و21 و31 على التوالي. ووجدت آنذاك المواقع المغربية متحصنة بشعاب الضفة اليسرى من واد العين.

وفي أغلب الاعتقاد أن تعليمات المولى إسماعيل إلى القائد عمر أثناء الإعداد للحملة الرابعة، حثته على السعي

لاحتلال أكبر تحصينات طنجة الواقعة بالميدان الخارجي، يدعوها الإنجليز حصن شارل Charles، نسبة إلى الملك شارل الثاني وسماه عبد الكريم بن موسى الريفي قصبة مرشان وهو واقع في الحد الغربي من هضبة مرشان، مما يقابل باب قصبة المدينة على بعد منه بنحو 660 م. يعلو بناؤه الضخم بالكدية المشرفة على الحوض الأوسط من وادي واد اليهود، مربع الشكل، تبرز من زواياه الأربع أبراج صغيرة تطل منها أفواه المدافع. ويتسع لنحو مائتي جندي وعشرين قطعة مدفعية. أشير إليه في الرسم برقم 28.

هذه هي المهمة التي ساقت عمر بن حدو إلى قيادة حملة رابعة لمحاصرة الحصن. بعد أن أمده السلطان بثمانية آلاف محارب من عبيد البخاري، ونعرف بعض التفاصيل عن هذه الغزوة مما قدمته المصادر الأجنبية.

صدر الأمر السلطاني إلى القائد التمسماني في بداية ربيع الأول عام 1091 / بداية أبريل 1680، فغادر مكناس ليصل إلى القصر الكبير يوم عيد المولد النبوي 12 ربيع الأول / 12 أبريل، وتوجه إلى ميدان طنجة في اليوم الموالي، ليبدأ الحصار يوم 14 من نفس الشهر، ويستمر خلال شهر كامل، دون أن يبدي أهل المدينة أي اهتمام بمساعدة المحاصرين اعتماداً على حامية حصن مرشان المتكونة من مائتي جندي وعلى ما كان بمخزن الأقوات من المؤونة الكافية لستة أشهر. وكان لا بد من فرض الحصار كذلك على برج "هنْريتا" المجاور له من جهة الشمال (رقم 24). كان قد أُعيدَ ترميم ما تخرب منه خلال الحملة السابقة.

اتخذ الجيش المغربي محلته المعهودة بالجهة الغربية على الضفة اليسرى من واد اليهود، مما يقابل البرجين المذكورين. أمر القائد عمر بن حدّو في البداية بحفر ثلاثة خنادق، ذات وجهة شمالية جنوبية بين البرجين وباب قصبة المدينة، للتمكن من قطع الإمدادات الخارجة من المدينة. بلغ عمق أحد الخنادق نحو أربعة أمتار، حسب شهادة أحد الضباط الانجليز، وتم تحصينها بالأحراش وجذوع الأشجار وأكوام الأتربة والأحجار.

وأشرف القائد التمسماني من جهة أخرى على البدء في حفر نفق موجه ضد أساس حصن مرشان، في ظروف صعبة حتمتها طبيعة الصخر وعدم استواء السطح، علاوة على مقاومة أهل الحصن. وربما لم تختلف مواصفات الأنفاق عما فصله لنا أحمد بن القاضي الگعداوي في *تقاييده*، بالنسبة لما كان يقوم به مجاهدو قلعية ضد أبراج مليلة في نفس الفترة.

بدأ المجاهدون الهجوم يوم 21 ربيع الأول / 21 أبريل بتصويب ضربات مدفعين في اتجاه برج "هنْريتا"، وبفضلهما تم إحداث خرق في جانبه الغربي، مما أدى إلى استسلام أهله يوم 22 ربيع الثاني 1081 / 18 ماي 1680، الأمر الذي كان له أبلغ الأثر على إضعاف قوة دفاعية حصن شارل (مرشان). وهذا ما كان يرمي إليه المجاهدون من البدء باقتحام البرج المذكور.

بسقوط برج "هنريتا" أصبح المجال مفتوحاً أمام حصن مرشال من الجهة الشمالية، مما سمح بمضاعفة الحصار من تلك الجهة، في وقت حاول فيه القائد عمر بن حدّو التأثير على معنويات المتحصنين، مهدداً إياهم بتخريب الحصن بواسطة النفق الممتد إليه، وهو ما أمر بتنفيذه بمجرد عودة شاهد عيان من المدينة تم استدعاؤه لتلك الغاية.

وعلى الرغم من أن عملية حفر النفق لم تكن متقنة إذ أنها أخطأت في قياس المسافة على بعد من أساس البرج، إلا أن الانفجار أشاع الفزع بين المعتصمين، وكان السبب في حدوث انشقاق بين الجنود الذين فضلوا الاستسلام وضباطهم، مما سهل مهمة اقتحام الحصن، سيما بعد نجاح المجاهدين في صد هجوم المدينة. فلم ينج من مائتي جندي سوى اثني عشر منهم، وتم أسر أربعين منهم. أما الباقون فقد قتلوا. تحقق هذا الفوز يوم 24 ربيع الثاني 1091 / 24 ماي 1680، حسبما تم ترجيحه.

ولا بد من التنبيه إلى أن عبد الكريم بن موسى الريفي أشار إلى هذه الغزوة، ولكنه أخطأ أثناء تعيين سنة حدوثها، حين أشار إلى تخريب قصبة مرشان وبرج الصفيحة الذي عنى به برج "هنريتا" ولا شك، وأضاف إليهما برج البحر، أي برج المراقبة المجاور لهنريتا من جهة الشمال والمشرف على ساحل المضيق (رقمه بالرسم 25). وحدد تاريخ الغزوة في 25 ربيع الثاني من عام 1092 أي موافق 14 ماي 1681. ونحن على علم من أن القائد عمر بن حدو كان في ذلك التاريخ بميدان المعمورة، ما بين صفر / مارس، وما بعد ربيع الثاني / بعد أبريل، منهمكاً أولاً في إجراءات استرجاع المدينة، ومشتغلا بعد ذلك في التغلب على المشاكل الحربية والاقتصادية المترتبة عن تحريرها، مثلما سنقف عليه.

لا تخفى علينا أهمية هذا الانتصار، ويمكن إضافة نتائج حربية إيجابية أخرى بتتبع أخبار المجاهدين خلال الأيام المتبقية من شهر ربيع الثاني / ماي. فقد لاحظ الانجليز سرعة تحركات الجيش المغربي بمواقعه الغربية، إذ أن المجاهدين نصبوا أربعة مدافع على كدية واقعة بين حصن مرشان وبرج پول (Pole) الظاهر في الرسم تحت رقم 20. كان ذلك يوم 25 من الجاريين حينئذ. ومن ذلك الموقع شرعوا في إطلاق النار على أسوار المدينة. وشرعوا خلال اليومين التاليين في حفر خندق طويل يمتد بين برجي "مونموت" و"يورك" (Yorck)، وهما من ضمن الأبراج الجنوبية الشرقية، رقمهما بالرسم على التوالي : 21 و18. والغاية من حفر الخندق اتصاله بخندق آخر ممتد بين برجي : "نوروود" (Norwood) و"پول" من الأبراج الوسطى.

واستهدفت هذه العمليات الحربية تطويق المدينة من جهتيها البريتين الوحيدتين، الغربية والشمالية استعداداً لعمليات أوسع. هذا هو ما تبين خلال الأيام الثلاثة الأخيرة من شهر ربيع الثاني / ماي، بإحداث ساحة مركزية، استعداداً للهجوم، اختار لها القائد عمر فراغاً بين برجي

"جاك" و"مُونْموث".

الواقع أن القائد التمسماني لم يكن ينوي اقتحام المدينة بالقدر الذي كان فيه راغباً لجر الانجليز إلى هدنة تضمن له الاحتفاظ بالمكتسبات التي توصل إليها بالميدان خارج أسوار المدينة. وهذا هو ما تأكد إثر استدعاء ثلاثة ضباط من المدينة لمعاينة استعدادات المغاربة. فقد صرح أولئك لحاكم المدينة أن هناك عشرين قطعة مدفعية مستعدة للتدخل، كما أن الجيش مقسم إلى قسمين يحيطان بالأسوار من الجهتين الغربية والجنوبية، مما دفع حاكم طنجة لطلب الهدنة لمدة أربعة أشهر، تم الاتفاق المبدئي على بنودها في 3 جمادى الأولى 1091 / أول يونيه 1680. هكذا اتفق على أن لا يعود الانجليز إلى تعمير الأبراج التي وقع اقتحامها، أي الأبراج المتقدمة، الغربية والجنوبية. واحتفاظ الحامية بباقي الأبراج الواقعة بالمحور الأوسط من الميدان. ويتعلق الأمر ببرج العين (Fuente) رقم 15، وبرج كَمْبْرِدْج (Cambridge) رقم 16، وبرج بيبسس (Belleses) رقمه 17 وبرج پول (Pole) رقم 20، وبرج ويتْ هال (White Hall) رقم 22. ويمكن لأهل طنجة حسب الاتفاق الخروج إلى الميدان لقضاء مختلف أغراضهم خلال مدة الهدنة التي ستنقضي مع نهاية شهر شتنبر.

وقد فهم ناقلو أخبار تلك الهدنة الغاية التي يهدف إليها الطرفان، حين ذكروا أن الأنجليز كانوا يرجون من وراء ذلك انتظار وصول الإمدادات الكافية. كما أن القائد عمر وقع الاتفاق رجاء جمع القوات الكفيلة باقتحام المدينة. ومهما كانت تلك الغايات فإن عمر بن حدّو لم يعد إلى ميدان طنجة للضغط على المدينة وأبراجها على الرغم من تفقده لأحوال الحراسة. علاوة على أن غاية الطرفين المغربي الأنجليزي عادت في أكتوبر للتعبير عن الرغبة في تجديد الهدنة لمدة أطول.

ففي مستهل شوال عام 1091 / نهاية أكتوبر 1680 بعث حاكم طنجة رسالة إلى المولى إسماعيل وأخرى إلى القائد عمر بن حدّو يعبر فيهما عن رغبة العاهل الأنجليزي في إرسال سفير لبحث اتفاق الهدنة. وسرعان ما كلف السلطان عامله على الغرب بتسهيل إجراءات نقل السفير. ويظهر أن الهجوم الذي باغت به الأنجليز الحراسة المغربية المتمركزة خلال فترة الهدنة بقصبة مرشان لم يُؤثر على استمرار المحادثات. وبذلك عقد القائد عمر عدنة لمدة ستة أشهر وذلك ما بين 3 ذي القعدة / 25 نوفمبر و14 ذي القعدة 1091 / 6 ديسمبر 1680. أي أن نهايتها محددة، إذا اعتبرنا الغايتين 14 ذي القعدة و6 ديسمبر، بمنتصف جمادى الأولى 1092، وبداية يونيه 1681.

ولم يلبث أن عاد حاكم طنجة لطلب عقد هدنة مطولة تستغرق أربع سنوات. ومن أجل تلك الغاية حل بمكناس في 5 صفر 1092 / 24 فبراير 1681، برفقة القائدين عمر بن حدو وابن عمه علي بن عبد الله، قائد تطوان. وحضرا استقبال السلطان للسفير في اليوم الموالي، وعقد الاتفاق وتوقيعه.

هكذا فإن تاريخ نهاية الهدنة سيكون في صفر 1096 / فبراير 1685.

2) وفي الوقت الذي كانت فيه السفارة الانجليزية بمكناس والقائد عمر بن حدو برفقتها حوالي 10 ربيع الأول 1092 / آخر مارس 1681 بلغ إلى السلطان خبر عن المعمورة لم يكن في الحسبان. ذلك أن إسبانياً فر من المدينة وحث على احتلالها، نتيجة حالتها المتدهورة بفرط المجاعة والأمراض. هذا هو ما قصه علينا الأسير "مويت" الذي كان آنذاك بتطوان بعد أن تم افتداؤه. وقد تأكدت أقوال المخبر من تتبع أطوار الحصار والسرعة التي تم بها استسلام المدينة.

كلف المولى إسماعيل قائد القصر الكبير بتعبئة الرجال الذين بلغوا عشرة آلاف محارب من فاس ومكناس وسلا والقصر الكبير وتطوان. وقد حضر من سلا الولي الصالح أحمد حجي. وبالجميع بدأ الحصار في أواخر ربيع الأول 1092 / منتصف أبريل 1681.

أمر القائد عمر أولا باختراق الحواجز الصخرية من السور الشمالي إلى ضفة واد سبو على مسافة طلقة بندقية ليكون قريبا من السور الشمالي. ومن تلك الجهة وجه نظره إلى اقتحام برجين، كانت مهمتهما منحصرة في حماية السفن الداخلية إلى حلق سبو وتم له ذلك.

وفي أغلب الاعتقاد فإن البرجين المقتحمين هما اللذان سماهما عبد الكريم الريفي بالقبيبات والفندق، كانا بمثابة مخزن للبضائع والأقوات، مضيفاً أن الاقتحام كان يوم الاثنين الموافق ليوم 27 ربيع الأول / 15 أبريل. كما أن المغاربة حالوا بين الاسبان وبين البئر الذي كان منه شربهم.

استخدم القائد عمر أسرى البرجين لإخبار حاكم المعمورة بالحصار المحكم حول المدينة، وبعزمه على البقاء إلى أن يتم له ما أراد. وسرعان ما بعث الحاكم اثنين من ضباطه لبحث بنود الاستسلام يوم 3 ربيع الثاني / 22 أبريل، ولكن الاتفاق لم يكتمل بين الطرفين إلا بعد أربعة أيام تالية. تم إثرها إخبار المولى إسماعيل الذي كانت محلته بواد أم الربيع واستعجاله للحضور وتوقيع شروط الاستسلام. وهذا هو ما تم يوم الأربعاء 11 ربيع الثاني 1092 / 30 أبريل 1681.

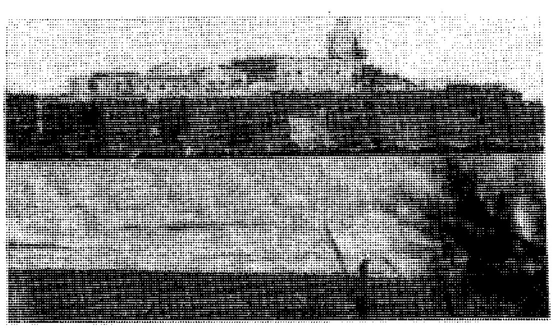

قلعة النكور

مقر عمر بن محمد التمسماني

بإجماع المؤرخين المغاربة والأجانب.

قضى عمر بن حدّو ما تبقى من حياته في ترتيب شؤون معمورة وتطبيق تعليمات المولى إسماعيل الخاصة بهذا الشأن. فإذا تخطينا ما وجب إحداثه من إصلاحات داخلية تساير الوضع الجديد للمدينة، فإننا نعلم أن أوامر السلطان إلى القائد عمر خصت تحصين المدينة من جهة الحلق ببناء الأبراج من جهتين. ومحاولة خلق مركز تجاري هناك. فقد لوحظ أن المصب يسمح بدخول السفن ذات الحمولة المتراوحة بين 500 و600 طن، وأن دخولها إلى المرسى أسهل من دخولها إلى سلا. وراج التفكير في خلق حوض لبناء السفن، باستغلال خشب غابة المعمورة.

3) اشتغل القائد عمر أيضاً بحل مشاكل القرصنة، إذ أن المولى إسماعيل أضاف إلى مهامه السهر على شؤون الثغور الواقعة بالغرب وفي مقدمتها مدينة سلا، التي تشكت من الحصار البحري المفروض عليها من طرف أسطول فرنسي مكون من عشر سفن، يقودها الفارس "شاتو رونو" (Chateau Renault) منذ جمادى الثانية - رجب 1091 / يوليوز 1680، والغاية جر المغرب إلى عقد اتفاق يرضى عنه لويس الرابع عشر.

كلف المولى إسماعيل قائد الغرب وثغوره البحرية ببدء المحادثات. ومن أجل ذلك انتقل السفير الفرنسي "شاتو رونو" إلى مصب واد تاهدارت شمال أصيلا، لقطع الطريق من هناك براً إلى القصر الكبير والاتصال بقائد المدينة. وهناك الرسالة التي بعثها عمر بن حدو إلى السفير الفرنسي بتاريخ 9 شبعان 1091 / 4 شتمبر 1680، يتضح منها ما توصل إليه الطرفان من الاتفاق : يتعذر على السلطان توقيع الهدنة خلال شهري شعبان ورمضان، ولكنه يمكن تطبيق بنود الاتفاق، بدءا من تاريخ المراسلة، خلال مدة خمسين يوماً. وبناء على ذلك سيسمح للفرنسيين بالنزول إلى البر والبقاء به خلال المدة المذكورة. ويمكن للسفن التزود بالماء والحطب وغير ذلك من الأقوات بدون أي عرقلة.

ويظهر أن عمر بن حدو اشترط على الفرنسيين تزويد البلاد بالبارود لقاء ما يحصلون عليه من المراسي، وهو أهم ما يلح عليه السلطان المولى إسماعيل. وهذا هو ما طلبه وأصر عليه قائد مرسى تاهدارت، وأثار مخاوف السفير الفرنسي. مما اضطر قائد القصر الكبير إلى طمأنته ببيان أن هذا النوع من التبادل هو الجاري مع التجار الانجليز والفرنسيين أنفسهم.

وآخر الشروط التي تبرزها الرسالة، معاملة السفن المغربية المتجولة بين مراسي الدول بنفس المعاملة خلال الأجل المحدد الذي سينتهي يوم 25 أكتوبر 1680. وبعد انقضاء ذلك الأجل تابع الفرنسيون البحث للتوصل إلى عقد الهدنة منذ نهاية شتنبر 1681 / 17 رمضان 1092، حينما بعثوا سفينتين الواحدة إلى تاهدارت والثانية إلى سلا وعلى ظهرها عدد من يهود مدينة أمستردام الهولندية.

تأكدنا من العودة إلى المحادثات من الرسالة التي وجهها القائد عمر بن حدو وهو آنذاك بميدان طنجة في 20 ذي الحجة 1091 / 11 يناير 1681، يخبر فيها باتفاقه مع "شاتو رونو" على بنود الهدنة، وإرسال سفير السلطان الحاج محمد تميم التطواني إلى لويس الرابع عشر. وبناء على ذلك بعث لويس الرابع عشر بتعليماته إلى "دو لا بار" (De La Barre) لمتابعة المحادثات وتحرير نص البنود، مؤرخة بـ 9 أبريل 1681 / 20 ربيع الأول 1092.

ولا شك أن المحادثات كانت قد توقفت بسبب عمليات استرجاع المعمورة (أوائل ربيع الثاني / أواخر أبريل) ولم تستأنف إلا خلال الشهرين المواليين، لتظهر بنود الاتفاق في صورتها الأولى مع بداية يوليوز 1681 / 14 جمادى الثانية 1092 وفي صورتها النهائية يوم 13 يوليوز / 27 جمادى الثانية.

توجد بنود الاتفاق منشورة بوثائق دو كاستري بنصيها الإسباني والفرنسي وتتكون من ستة عشر بنداً. ويزيد النص الفرنسي على الإسباني في آخره بإضافة بندين سريين. وتم عقد الاتفاق بالمعمورة بين القائد عمر بن حدو و"شاتو رونو". قصد منه ضمان أمن تحركات السفن القرصنية بين المغرب وفرنسا، وتنظيم العلاقات التجارية بين مراسي البلدين، إلى جانب تحرير الأسرى. وتعلق شأن البندين السريين بأمر السفن الحربية القاصدة لمراسي البلدين.

وعلمنا في 26 غشت 1681 / 10 شعبان 1092 برفض لويس الرابع التوقيع على الاتفاق في الرسالة الموجهة إلى "شاتو رونو"، يأمره فيها بإعلان الحرب على قراصنة سلا إلى أن يرضخ المغاربة لتوقيع بنود أكثر ملاءمة لفرنسا. وقد اهتم الوزير الفرنسي كولبير (Colbert) ممثل بلاده في المحادثات بضعفه أمام جليسه القائد عمر بن حدو حين وافق له على تسريح أزيد من أربعمائة أسير مغربي، من سلا خاصة كانوا قد أسروا بعرض الساحل البرتغالي، لقاء اثني عشر فرنسيا فقط. وقد انضاف إلى ذلك ما أقدم عليه القائد عمر من أسر سفينة ليجي (Leger) الفرنسية، إثر أسر سفينة سلاوية كانت للرايس علي (Ali Baudy) وهذا هو الموضوع الذي كاتب المولى إسماعيل لويس الرابع عشر في شأنه بتاريخ آخر شعبان 1092 / 18 شتنبر 1681.

اختفت عنا أخبار عمر بن حدو خلال الشهرين التاليين إلى أن أعلنت وفاته بمكناس من جراء إصابته بالوباء، وذلك في 18 رمضان عام 1092 / 2 نوفمبر 1681، خبر أعلن من طنجة وقادس. ودفن بضريح سيدي عبد الله بن محمد، خارج المدينة، وتولى مكانه ابن عمه القائد علي بن عبد الله الريفي.

عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهرة الأكم*، 151 - 158 - 166 - 168 - 169، الرباط، 1992 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 63 - 64 ؛ *معلمة المغرب*، 4 : 1272.

*S.I.H.M.*, 2ème série, *France*, 1 : 489 - 490 - 491 - 492 - 493 - 499 - 500 - 501 - 503 - 507 - 532 - 537 - 539 - 540 - 541 - 559 - 560 - 566 - 567 - 594 - 603 ; *S.I.H.M.*, *Hollande*, 2 : 340 ; G.

Mouette, *Histoire de Mulay Rachid et Mulay Ismaïl*, 79 - 162 - 168 - 170 - 171 - 172 - 193 - 196 - 198 - 180 - 193 - 196 ; Routh, *Tanger*, 162 - 168 - 170 - 171 - 172 - 175 - 193 - 198 - 180 - 193 - 196 ; T. Garcia Figueras, *Miscelaneas*, 285 ; G. y de Vera, *Memoria historica*, 275 - 276 ; J. Castillanos, *Historia de Marruecos*, 93 - 94 - 443 ; G. Guillermo Guastavino, *Tanger inglés*, 6 - 10, Tanger, 1939.

**التمسماني، عمر بن محمد**، يضاف إليه لقب المريني، لانتسابه إلى بقايا الأسرة المرينية الباقية بتمسمان إلى الوقت الراهن. ويكنى أيضا بالحمامي، نسبة إلى جماعة أولاد حمامة القديمة الاستقرار بفرقة بني مرغْنين، حول ضريح جدهم محمد الحمامي الإدريسي، منذ القرن الرابع الهجري (محمد السنوني، *الدرر السنية*، 125)، بجوار واد تجزرين (الجزيرات)، رافد واد تمسمان.

أول من عرفنا بالشيخ عمر التمسماني، التاجر الفرنسي"رولان فريجوس" (Roland Frejus)، حين تكلف بنقله من مرسى المزمة إلى فاس في ربيع عام 1078 / 1666. كما أشار إليه عبد الكريم بن موسى الريفي في *زهر الأكم*، وخصص له الأسير "مويت" (G. Mouette) مكاناً في *مذكراته*، منفرداً بتفاصيل عن تمرده على المولى إسماعيل.

برز الشيخ عمر التمسماني المريني في منتصف القرن الثاني عشر (منتصف 18 م) بتمسمان، في ظروف ظهور قوة شيوخ القبائل بالريف الشرقي أواخر الدولة السعدية. تكونت نواة بحثه عن السلطة بالقبيلة بجماعة أولاد حمامة، وفرقة بني مرغْنين، في وقت كانت فيه قبائل تمسمان وبني توزين وتافرسيت تابعة للشيخ أحمد أعراص، صاحب المزمة وحوز بادس، آخر قواد السعديين بالريف. (*معلمة المغرب*، 2 : 515).

ففي عام 1072 / 1660 الذي وصلت فيه الدعوة العلوية إلى الريف الشرقي، بثبوت طاعة أحمد أعراص لمولاي مَحمد بن الشريف، أثناء مقدمه الأول إلى المغرب الشرقي، كان النزاع قائماً بين الشيخين على تمسمان وتافرسيت. وكان على الشيخ التمسماني الانتظار إلى حين ظهور حركة مولاي الرشيد بالريف الشرقي. فبمجرد حلوله بكبدانة وقلعية بادر إلى تقديم الطاعة إليه عام 1074 / 1662 وإقناعه للزحف بنفسه لإجلاء أعراص عن تافرسيت ومتابعته إلى حوض النكور وعاصمته المزمة.

كان هذا الفوز هو الذي جعل الجبال الواقعة شرق النكور تحت قيادة الشيخ عمر. إلا أن مشاكله لم تكن قد انتهت بعد مع أعراص، إذ أنه تعرض لهجومه، أثناء تأهب مولاي الرشيد للزحف على فاس، فلم يسترجع التمسماني اعتباره إلا بعد عودة حليفه إلى النكور وتخريب المزمة في نفس السنة المذكورة.

وعادت المحنة إلى الشيخ عمر أثناء زحف مولاي مَحمد بن الشريف إلى الريف ومحاصرة أولاد حمامة بقصبتهم، ولم ينجوا من بطشه إلا لكونهم فروا إلى بني إزناسن. ولم يحن وقت الانفراج إلا بعد مقتل مولاي مَحمد عام 1075 / 1663، وتنظيم زحف أخير على أحمد أعراص، وهدم قصبته بتلا بادس، من قبيلة بني يطّفت، بعد التجائه إلى إسبان حجرة بادس. (وجودهم بها منذ 1564). وسيبقى بها إلى أن يصدر العفو عنه، ويتم بعد ذلك نقل أسرته إلى فاس.

وإصدار العفو على الأعارصة جعل الشيخ عمر يعمل جنباً إلى جنب معهم طيلة ما تبقى من حياة المولى الرشيد وسنوات من عهد المولى إسماعيل. ولا شك أنه شارك في احتلال فاس (1076 / 1664) ومراكش (1079 / 1668) بالجيش الريفي، وساهم في الجانب السياسي، بحكم المكانة التي كان يحتلها في نظر مولاي الرشيد، مما جعل عبد الكريم الريفي يسند إليه منصب الوزارة. غير أنه ينبغي أن نرد إليه فقط مرتبة أهم قواد الجيش الريفي، وما كان تحت سلطته من حكم الريف الشرقي.

انتقل الشيخ عمر، حين استقرار أوضاع الجزء الغربي من الريف الشرقي لصالحه، من سكناه بجماعة أولاد حمامة وفرقة بني مرغنين إلى مدشر بني بويعقوب، فرقة الفوقي، واتخذه مقر إدارته. يقع المدشر على الكدية الواقعة بين واد تمسمان، المدعو هناك واد الجماعة وبين واد العرصة، رافده. ولا يزال المسجد وقبة سيدي بويعقوب اللذين شاهدهما رولان فريجوس في 20 أبريل 1666 / 15 شوال 1076 قائمين، كما أن هناك دوراً واسعة، محصنة بواسطة أسوار منخفضة وعريضة، قيل إنها عائدة إلى تلك الفترة، وإحداها هي التي أقام فيها التاجر الفرنسي، وقدم لنا بعض ملامحها. ووجدت بالمدشر جالية يهودية كانت مكلفة بالتجارة مع النكور والمزمة.

وأحاط الشيخ عمر نفسه بعدد من المساعدين اختارهم من أفراد أسرته، أقربهم إليه الشيخان عبد الكريم وعبد العزيز، ولدا عمه، ومن قواده عيسى بن عدو ومحمد المتيوي، وتألفت قوته الحربية الدائمة من عشرين فارساً، يستعملهم أثناء جمع الجباية، أو مواجهة عصيان، مثلما حدث يوم عشرين أبريل بالنسبة لبني توزين.

وفي يوم 25 رمضان 1076 / بداية أبريل 1666 كان الشيخ عمر بمنزله في بني بويعقوب، حينما رست سفينة فرنسية بمرسى المزمة الكائن بالصخرة المقابلة لها (صخرة النكور). وعلى ظهرها التاجر الفرنسي رولان فريجوس، وعلم من الرسالة الموجهة إليه بتاريخ 5 أبريل أنه راغب في الاتصال بمولاي الرشيد، موهماً إياه أنه سفير لويس الرابع عشر. وسرعان ما طيَّر الشيخ الخبر ورسالة التاجر إلى مولاي الرشيد. وتوصل بالجواب بنفس السرعة يوم 19 من نفس الشهر، يأذن فيه الشريف العلوي بنقل الزائر إليه.

بدأ الشيخ عمر في تنفيذ الأمر بقطع حوض النكور من المزمة إلى مدينة النكور، وهو في طريقه وجهة بني بويعقوب. ومن هناك سلك بالتاجر الطريق المار بتافرسيت وأراضي المطالسة واكزناية وتازا إلى فاس. وبعد استقبال مولاي الرشيد لرولان فريجوس مرتين، شرع الشيخ في طريق العودة مع بداية شهر ماي / 7 ذي القعدة 1076.

لم يلبث أن انكشف لمولاي الرشيد زيف سفارة

فريجوس، فتم طرده بعد أن ضبطت لديه ورقة عليها رسم أعده مشروعاً لبناء قلعة على صخرة النكور. وكان هذا سبب صدور أمر مولاي الرشيد إلى الشيخين محمد بن عمر ويحيى أعراص للإشراف على بناء القلعة على الصخرة، حسبما جاء به عبد الكريم بن موسى الريفي، اتقاء لشر غزو أجنبي، إذ أن الفرنسيين والانجليز كانوا عازمين على تأسيس شركة المزمة.

اشتغل الشيخ عمر التمسماني مع يحيى أعراص ببناء القلعة، في تاريخ نقدره بين 1076 و1082 / 1666 و1671، إذ أننا علمنا باكتمال بنائها قبل وفاة مولاي الرشيد. ولا شك أن شكل البناء هو الذي وجده عليها الإسبان حينما داهموها عام 1086 / 1674 في بداية أمر المولى إسماعيل، وهو في شكله الخارجي نفس المحيط الظاهر إلى اليوم (*المعلمة*، 2 : 515).

احتفظ الشيخ عمر التمسماني بمكانته في البلاط المخزني، كأحد رجال الجيش البارزين، خلال السنوات الأولى من حكم المولى إسماعيل. وفي أغلب الاعتقاد أن ميله بدأ يتحول منذ ثورة فاس عام 1083 / 1667 لصالح أحمد بن محرز. فحسب "مويت" أخذ الشيخ التمسماني على صهره المولى إسماعيل سوء معاملته لأخته. ولكن أهم المآخذ هي التي جمعها تصريحه في الاجتماع السري الذي دبر فيه اغتيال السلطان.

تبين من خطاب الشيخ عمر الذي ألقاه أمام ثمانية من أولاد أعراص : عبد العزيز بن أحمد أعراص، وابنه عبد الله، عبد الله أعراص وأخوه محمد، وعبد الكريم بن عبد الله، ومحمد بن يحيى أعراص، والأخوان عبد القادر وعبد الله أعراص، أكد فيه تدني مرتبة أهل الريف وقواده عما كانت عليه أيام المولى الرشيد، مشيراً إلى بعض الأسباب :

1) رفض السلطان الاستجابة لما طلبوه من العفو لأهل الريف، وهو يعني بذلك الجماعة التي كانت بسجن فاس من المقبوض عليهم عام 1083 / 1672، أثناء ثورة الريف لصالح بن محرز، والجماعة التي ردت الحركة الموجهة إلى الريف لجمع الجباية. ومن ذلك أيضا رفض السلطان إصدار عفوه على يحيى أعراص، خليفته بمراكش المنحاز إلى أحمد بن محرز في ربيع 1087 / 1675 (*المعلمة*، 2 : 516).

2) أن السلطان كان عازماً على إنزال أقسى العقوبات بأهل الريف، تبين هذا من الحركة التي وجهها إلى الناحية بقيادة خليفته بفاس عبد الرحمن الفيلالي ومن الأوامر الصارمة التي تلقاها لتأديب السكان، مما جعل قواد الريف الموجودين بمعية السلطان غير آمنين على أنفسهم، نتيجة المراقبة المستمرة لتحركاتهم.

لم ينفض المجلس إلا بعد الكتابة لأحمد بن محرز الموجود آنذاك بمراكش وبمعيته يحيى أعراص. وتعهد الشيخ عمر في الأخير بالإقدام على الخطوة الأولى باغتيال السلطان. فمتى دبرت المؤامرة ؟

لم يتمكن عبد الكريم بن موسى، في *زهر الأكم*، من ضبط تاريخ تلك المؤامرة التي عبر عنها بنفاق أهل الريف، حين رده إلى سنة 1083 / 1671 وربطه باحتلال أحمد بن محرز لتازا، وثورة فاس الموالية إذ أن التفاصيل التي قدمها "مويت" تبطل ذلك. وتتبع تلك التفاصيل يقودنا إلى ضبط ذلك التاريخ، مستعينين بتاريخ ثورة الريف (1083 / 1672) وبانحياز يحيى أعراص إلى ابن محرز، وتعيين عبد الرحمن الفيلالي قائداً على فاس، بدل مولاي هشام الذي بعثه المولى إسماعيل إلى تافيلالت في ربيع 1087 / 1675، أي في الوقت الذي كان فيه السلطان بالجبل الأخضر من دكالة، أثناء زحفه من سلا إلى مراكش في محاولة لطرد ابن محرز.

عقد الشيخ عمر اجتماعه السري حين حلول الجيش المغربي بقرية "مائة بير" من حوز أسفي، وذلك في صفر 1087 / أبريل 1675. وقد نفّذ وعده بإطلاق رصاصة أصابت المولى إسماعيل إصابة خفيفة بأحد كتفيه. وكانت النتيجة مقتل الشيخ عمر في عين المكان على يد حراس السلطان من عبيد البخاري، وملاحقة الأعارصة وأولاد حمامة. وقد قدم لنا مويت لائحة المقتولين من أولاد أعراص، سواء من الذين دبروا المؤامرة مع الشيخ عمر المشار إليهم، أم من الذين كانوا بفاس، مثل الشيخ المسن محمد بوراس أعراص. ومن كان بمراكش ممن استطاع الفرار إليها : عبد الكريم بن عبد الله أعراص ومحمد بن يحيى أعراص وعبد القادر، بعد أن تكلف بالمتابعة والتنفيذ عبد الرحمن الفيلالي.

عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 123 ـ 126 ـ 130 ـ 143 ـ 146ـ 150 ـ 162 ـ 201 ـ 211، تح. ابن عدادة ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، 2 : 106 ؛ *معلمة المغرب*، 2 : 514 ـ 515 ـ 516 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90 ؛ خريطة طبوغرافية 1935 ؛ زيارة ميدانية.
*Relation de R. Frejus*, *S.I.H.M.*, *France* 2ème série, 1 : 125 - 128 - 131 - 188 ; G. Mouette, *Histoire de Mulay Rchid et Mulay Ismaïl*, *S.I.H.M.*, *France*, 2ème série, 2 : 63 - 69 - 85 - 86 - 87 - 88- 89 - 90 - 115.

**التمسماني، محمد** بن **أحمد** البُيْديري من جملة قواد خمس بني بُيْدير التمسمانيين، دلت الوثائق على أنه كان قائد الحسن الأول بين 1306 و1309 (1888 ـ 1891)، فهو بذلك معاصر للقائد أحمد بن محمد بن عبد الله البُيديري (1304 ـ 1309)، مما دلنا على أن خمس بني بُيْدير كان بدوره مقسماً إلى قيادتين، على الأقل خلال تلك المدة. ولكننا نجهل طريقة التقسيم تلك.

ظهر محمد بن أحمد أول مرة بالوثائق المخزنية بتاريخ 11 جمادى الأولى 1306. حينما خاطبه الحسن الأول في شأن انتخاب الرماة من إيالته للمشاركة في حركة الغرب، والحضور بهم إلى فاس في أوائل شعبان تلك السنة. ونعلم بعد ذلك أن الواجب عليه من جباية سنة 1306 وصل إلى 1.500 ريال، وفرض عليه نفس المقدار ذعيرة، نتيجة عدم مشاركته في حركة الغرب (13 و14 ربيع الثاني 1307).

وكما جرت العادة، كلما توجهت الحركة المخزنية إلى

الريف، توصل محمد بن أحمد بمراسلتين، أمر في الأولى بإعداد المؤونة للمحلة عند نزولها بتمسمان في الأماكن المعينة لها (5 رمضان 1309) وأخبر في الثانية بالتأهب لجمع رجاله وملاقاة الحركة في أوائل بلاد الريف بحدود بني بويحيى المتصلة بواد ملوية من جهة أكرسيف، ومرافقتها إلى قصبة سلوان، والاستمرار في رفقتها أثناء تنقلاتها إلى أن تستوفي أغراضها ثم التوجه معها إلى فاس (12 رمضان 1309). وهذه آخر مراسلة متصلة بأخباره.

*وثائق خ. ح. بالرباط ؛ كنانيش خ. ح. بالرباط*، 1062، 165.

**التمسماني، محمد بن بوعزة** التروكوتي، تولى خلفاً لأبيه قائدا على فرقة تْروكوت، يعود أول علمنا بوجوده بتلك الصفة إلى 14 رجب عام 1297، بمناسبة وصول الخبر إليه للشروع في قبض الواجبات المخزنية المعتادة. وقد بلغت آنذاك 1933 ريالا. استمر في الحكم إلى أن أُعلن عن اغتياله قبل 11 ربيع الثاني عام 1309. وتظهر الوثائق حسن علاقته مع الأمين الحاج محمد بن عبد السلام التمسماني والفرق التي كانت تحت تصرفه، ومع القائد التوزاني محمد أمغار. بينما كانت علاقته على خلاف ذلك مع القائد شعيب بن حم التمسماني، الذي أخبر عنه : "... وأما الخديم محمد فهو مجاور لمرسى سيدي أبي داود، وقريب من جزيرة النكور. وقد كثر تردده إليها في الذهاب والإياب، ولطالما تكرر ذلك منه مراراً، حتى أفضى به الحال إلى أن عزم على أناس من النصارى من الجزيرة، فأضافهم إلى داره، وباتوا لديه، وتعاملوا بالهديات من الجانبين، وقد شوهد يتماشى معهم بالشط نهاراً... في 6 شعبان 1306". لا نعرف دواعي اغتياله من طرف شخصين معلومين فرا إلى طنجة، فخلفه أخوه علال.

*وثائق مخزنية ؛ كنانيش خ. ح.* 152، 166، 175، 468، 747 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

**التمسماني، محمد بن حمّ** البُـبْديري، قائد مخزني، عُين على خمس بني بُـبْدير الواقع في الشمال الغربي من أراضي تمسمان، خلفاً لسابقه حمادي البيديري. ظهر اسمه في الوثائق المخزنية عام 1298 / 1880 حين نظم الهجوم على جماعة بني مرغنين، التابعة آنذاك للقائد أحمد دادوش، كانت مهامه الأساسية قائمة على حراسة النقط الساحلية الداخلية في كتلة رأس الطرف أو سيدي شعيب المفتاح، مثل رأس سيدي شعيب وشاطئ سيدي داود ورأس الطرف. ولم ينج من الاتهام في قضية تهريب زيت الگاز إلى مرسى سيدي حساين، من قبيلة بني سعيد عام 1301، إذ أن المراسلات المتأخرة أشارت إلى تهاونه، منها ما كتب إليه الحسن الأول في 12 صفر عام 1301 : "وبعد فقد أخبرنا خديمنا القائد أحمد دادوش التمسماني أنه لما قبض على بوشعيب بن ميلود، المشتغل بإنزال الكنطربنض بمرسى سيدي حساين، عملا بما أمرناه به، تعرض له صهرك محمد بن عبد القادر أمغار وتشاد معه وأفلتوه حتى فر لداره. وهو من الافتيات والسعي في الفساد في الأرض الذي يستوجب مرتكبه العقوبة الشديدة. وعليه فنامرك بالقبض عليه وتوجيهه لعلي مقامنا، وإلا كانت عهدته عليك ومصيبته راجعة إليك...".

وهذا مما شجع معارضه الحاج محمد بن عبد الله البيديري على انتزاع القيادة منه. وحينما استدعاه السلطان يوم 12 شوال عام 1301، كان منافسه قد حصل على التعيين في اليوم الموالي وتوصل بإذن القبض عليه. إلا أن محمد بن حم لم يستسلم لتلك الهزيمة، وأثار الفتن في وجهه بمساعدة بني مدين ورجال من بني تعبان إلى أن تمكن من اغتيال محمد بن عبدالله، والتجأ إلى قائد فرقة تروكوت محمد بن بوعزة. غير أن أحمد بن محمد المقتول، المتولى مكان والده طالب المخزن بملاحقته. وفي 6 شعبان عام 1306 أعلن عن مقتل محمد بن حم بمساعدة رجال المحلة المخزنية.

*وثائق مخزنية ؛ كنانيش خ. ح.* 348، 121، 370 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

**التمسماني، محمد بن عبد السلام**، أمين مخزني من مدشر إعَوّادن، فرقة بني مرغنين. عين أمينا لفرق بني تعبان المقابلة لها على الضفة اليسرى من نفس الواد. ثم فرقة الربع الفوقاني الواقعة حول المجرى الأوسط. تم تعيينه في شعبان عام 1300، إثر الزيارة التي قام بها للحسن الأول على رأس وفد يضم أعيان بني مرغنين أثناء قيادة أحمد دادوش على نفس الفرق. واستمر في مهمة الأمين إلى ما بعد 13 رجب 1314، معاصراً للقائدين شعيب بن حمّ التمسماني وأخيه علال بن حمّ.

عاش محمد التمسماني في أزمة مع قواد الفرق بسبب الخلاف الناشئ بينهم على التصرف في شؤون المالية من زكاة وأعشار وهدايا وذعائر، والمؤونة التي هي من مهام الأمين. وكان من لوازمه أيضا مراقبة ما يصل من التهريب إلى مرسى سيدي إدريس الواقعة بمصب واد تمسمان، ومن ذلك ما أخبر به بمسألة تهريب زيت الگاز على عهد أحمد دادوش في محرم 1301. ومن أجل ذلك كثرت الاتهامات والشكايات بينه وبين القواد، ومثل ذلك ما كتب به مولاي عرفة، رئيس المحلة في 13 رجب 1314 : "وصل أمره الشريف فيما كان بلغ لعلم سيدنا من أن خديمه القايد علال ابن محمد التمسماني استوفى من القبيلة عدداً من الأموال وتقاعد عليه واشتغل بإيقاد نار الفتنة واحراقه لعدد من المداشرالتي من جملتها مدشر سكنى الأمين الحاج محمد بن عبد السلام التمسماني، فاقتضى نظر مولانا أن أصدر له أمره بالإقلاع عن شنيع تلك الأفعال... فأجاب بعدم وقوع شيء من ذلك... ولا طاقة له بحرق دار واحدة، فضلا عن حرق مداشر، وإنما الأمين المذكور هو الذي سعى في فساد القبيلة بالخوض، حتى اهتمت بالارتحال من أجله مراراً، ثم انقلبوا عليه ونفوه أياماً وأحرقوا داره، وحيث رجع لها صار

يقلب الحقائق على عادته..." وهذا آخر علمنا بالأمين وبمصير أحواله.

*وثائق مخزنية* ؛ *كناش* 166، ص. 21ـ35 ؛ *كناش* 353، ص. 90 ؛ *كناش* 117، ص. 85 ؛ *كناش* 348، ص. 81ـ209 ؛ *كناش* 121، ص. 158 ؛ *كناش* 370، ص. 3ـ203.

**التمسماني، محمد بن عبد الله** البُيديري، قائد مخزني من خمس بني بيدير، ومدشره تغْزَ، الواقع عند منبع واد بوعياش. مما يقابل رأس الطَرف من ساحل تمسمان. انتزع القيادة من سابقه محمد بن حم البيديري التمسماني، وتم تعيينه في 13 شوال عام 1301، بعد التمكن من جمع أعيان الفرقة والتوجه لهم بحراً إلى مرسى بادس للنزول عند القائد محمد بن عبد السلام أمقشد، قصد التدخل لصالحه لدى الحسن الأول. وبذلك انتقل إلى فاس برفقة وفد القبيلة وتسلم هناك تعيينه. وقد عانى من الاضطراب الذي كان يحدثه له سابقه القائد محمد بن حمّ. ومن ذلك ما قصه علينا الطالب الأمين الحاج محمد بن عبد السلام التمسماني : "... إن القائد الحاج محمد بن عبد الله البيديري التمسماني لما ولاه سيدنا على إخوانه، فقام الحاج القائد الذي كان عليهم في السابق ثم انتُزع، وهو محمد بن حمّ البيديري، بالسعي في فساد الإيالة، فوقع البارود، فغُلبت طائفة من إخوان المتولي وانهدمت ديارهم، ونهبت أموالهم وتفرق الأصل منهم والحاشية، وتشتتوا سكان تلك القرية من أصول وأملاك ومواشي وشعير، نحو خمسون مطامير (... كذا) في تمام جمدى الأوى عام 1303".

ولم ينج محمد بن عبد الله من ملاحقات منافسه إلى أن توصل إلى اغتياله قبل 15 قعدة عام 1304"، وهذا التاريخ هو الذي يحدد تعيين ابنه أحمد خلفاً له من طرف أعيان القبيلة.

*وثائق مخزنية* ؛ *كناش خ. ح.* 360، ص. 153ـ183 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

**التمسماني، محمد بن محمد** سحنون، نعتته الوثائق المخزنية بالطالب، أسرته من غزاوة الغمارية. عثرنا على تعيينه أمين بني بُيْدير في رسالة 12 رجب 1302، إلى جانب القائد محمد بن عبد الله البُيْديري، المعين في 13 شوال 1301. وحينما اغتيل هذا الأخير في ذي القعدة عام 1304 على يد منافسه شعيب بن حمُّ البُيْديري، سهر على تولية أحمد بن المقتول، ومن أجل ذلك كون وفداً قصد به مبارك بن علي الدّويلالي، قائد إدالة الريف بقلعية، للإعلان عن تلك الرغبة والتوجه إلى فاس. وهذا هو ما تم بالفعل. مما يفسر حسن علاقة الأمين مع قائد بني بُيْدير أحمد بن محمد. ولم نعلم بعد ذلك بنهاية مهمة الأمين أو وفاته. ولا يزال أعقاب سحنون إلى اليوم بتمسمان.

*وثائق خ. ح.* بالرباط.

**التمسماني، مركاب** بن عيسى، ويضاف إليه البُلُنْدي، نسبة إلى جماعة بني بُلُنْد الكائنة بعقبة تبلخاشت المندرجة في فرقة تْروگوت. وحسب البادسي فإن بلند هو ابن يصليتن من قبيل بَطُوية. وصاحب الترجمة أول المذكورين من تلامذة الشيخ أبي داود مزاحم المتوفى بتروگوت عام 578 هـ. وتدخل مرحلة تلمذته ما بين 560 هـ وتاريخ وفاة شيخه.

اعتاد مركاب زيارة رابطة أبي داود، وهي على بعد يزيد عن الفرسخين من منزله. وقيام الليل مع صاحبها الذي كان معجباً بحسن تلاوته لكتاب الله، يقدمه إماماً أثناء تهجده. لم يذكر البادسي تاريخ وفاته.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 56ـ57 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

**التمسماني، مزاحم** يكنّى أبا داود وبه اشتهر. أول وأشهر من نعرف من متصوفي الريف الشرقي خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري (12 م). أورد الخبر عنه عبد الحق البادسي في كتابه *المقصد الشريف*، استناداً إلى الرواية التي أفاده بها عبد الرزاق بن عبد الواحد التمسماني، أحد أحفاد أبي داود، وإلى ما أخبره به بعض من اتصل بهم أثناء جولته بالقبيلة.

قدم لنا عبد الحق البادسي تسلسل نسب أبي داود على الشكل التالي : مزاحم بن علي بن جعفر بن سليمان، بن علي بن أبي عزيز بن أبي حربيل، بن ورترد بن يصليتن بن بطوي. إلا أن اختبار هذا التسلسل، بناء على تاريخ وفاة أبي داود سنة 578، دل على أنه غير موافق مع ما نعرفه من توغل تاريخ وجود بني يصليتن وبني بطوي في القدم. وبناء على ذلك إذا سلمنا بصحة القسم الأول من النسب الممتد إلى أبي حربيل، الجد السابع الذي كان حياً في آخر القرن الرابع الهجري، فإن ما جاء في القسم الثاني يدل فقط على انتساب أبي داود إلى بني ورترد وبني يصليتن وبني بطوي (*معلمة المغرب*، 5 : 1601) المستقرين بتمسمان منذ ما قبل الفتح الإسلامي بالمغرب.

ينتمي أبو داود إلى جماعة بني ورترد أو بني ورتدى (*معلمة المغرب*، 5 : 1589) التابعة لفرقة بني يصليتن، المستقرين منذ ما قبل الثاني الهجري بجبل أبي الحسن وحوض واد تمسمان ولقبيل بطوية، سكان الريف الشرقي الحالي. وفي القرن السادس الهجري كان بنو ورترد مستوطنين بالسفوح الشرقية المشرفة على ساحل خليج المزمة، المعروف آنذاك بساحل تغلاغ (*المعلمة، تغلاغ*)، مما يوازي في الوقت الحاضر جماعة أبي داود المستقرة بجبل إيگر أُفاضيس وجبل الحديد أوتبوذا.

ففي وسط جماعة بني ورترد ولد أبو داود بمدشر إفلاس في تاريخ نقدره بأوائل القرن السادس الهجري، ونشأ به وتلقى دراسته الأولى. وإذا كان اسم مدشره لا أثر له في التقسيم الإداري الحالي، فإننا نجزم أنه مدشر الرابطة الراهن، إذ أنه بنى الرابطة في أرض أحد جيرانه من نفس

المدشر. ويعود تقديرنا لتاريخ ولادته بأوائل القرن السادس إلى سنه المتقدم وفقدان بصره وأخيراً تاريخ وفاته المصرح به في عام 578.

ولا يسعنا لتتبع مراحل تكوين أبي داود سوى النظر في مراحل وأطوار حياته، إذ أننا نعلم أنه غادر بني ورترد أول مرة بالاتجاه نحو الأندلس، وبعد العودة انتقل إلى فاس، قبل استقراره النهائي ببلدته. وعلينا أن نتصور أنه لم يغادر قريته إفلاس إلى الأندلس إلا فيما قرب أو زاد على العقد الأول من القرن السادس (12 م) بعد أن استكمل تكوينه الأولي بالمنطقة. وحيث إننا توصلنا إلى أن صاحب الترجمة كان مستقراً بإفلاس منهمكاً في تنفيذ مشروعه على الأقل منذ سنة 560 هـ. فإننا نقدر أن أبا داود أمضى العقد الثاني من حياته لاستكمال التكوين الثاني بدءاً من قرطبة إلى الالتحاق بفاس. ونفهم من عبدالحق البادسي أن المدة التي قضاها بالأندلس المرابطية أطول من التي قضاها بفاس. لكننا من جهة أخرى نجهل كل شيء عن هذه المرحلة الدراسية.

ومعرفتنا بزيارة أبي داود لفاس أفضل، رغم ما هي في حاجة إليه من التوضيح. فرواية البادسي تشير إلى اتصال أبي داود بأبي مدين الغوث، دفين العباد من تلمسان. والواقع أنه يخامرنا الشك فيما بلغنا عنه في هذا الصدد، في وقت نبحث فيه عن تاريخ ذلك الاتصال.

فأبو مدين المولود عام 520 هـ، قصد مدينة فاس في منتصف القرن السادس لنفس الغاية التي ساقت الشيخ أبا داود، وهو أكبر سناً منه. استخلصنا تاريخ وجود الرجلين من شيوخ أبي مدين : الدقاق المتوفى في منتصف القرن، وعلي بن حرزهم المتوفى عام 559، وأبي يعزى المتوفى سنة 561 هـ. فالظاهر من هذا أن أبا داود كان بفاس خلال العشر سنوات الأولى من النصف الثاني من القرن السادس الهجري، أو قبل ذلك بقليل. نقول هذا لأن أبا مدين غادر فاساً في آخر تلك المدة المقدرة متوجها إلى المشرق ولم يعد إليها بعد ذلك. كما أن أبا داود كان ببلدته حوالي سنة 560 هـ، مثلما سنراه.

والسؤال الذي نطرحه، ألم يكن من الأوفق أن نقول إن أبا داود قد اكتفى بربط صلاته مع أبي مدين والتتلمذ جنباً إلى جنب على شيوخ فاس المعاصرين ؟. فهذا مما اشتبه على حفيده عبد الرزاق في آخر القرن السابع، حين ذكر أنه شيخه، وهذا يؤدي بنا إلى نفس ما قيل عن اقتباس أبي داود طريقة في التصوف عن دفين العباد، إذ أن صاحب الترجمة لم يعد إلى الاتصال بعد فاس برفيقه أبي مدين. فحين أدركته الوفاة عام 578، كان أبو مدين لا يزال بالمشرق، ولم يصل بعد إلى بجاية التي استدعاه منها يعقوب المنصور الموحدي في آخر عمره.

ونفس الاعتبارات هي التي تسمح لنا باعتقاد أن أبا داود كان بمدشر إفلاس قبل عام 560. فقد كانت أمامه ثمان عشرة سنة فقط لتأسيس أول مركز لتصوف الريف الشرقي.

ومن أجل ذلك لم يلبث أن أقنع جاره الورتردي بالتنازل عن مساحة بناء المسجد الذي أصبح رابطة بعد إضافة مرافق أخرى بمساعدة ما توصل به من مساعدة الصالحين.

شيدت الرابطة في مكان قريب من البحر بين مدشري الساحل والحديد الحاليين، عند نقطة خروج مجرى سيل منحدر من منتصف السفح الغربي البارز من جبل إيكار أفاضيس. ووجد بجوار الرابطة منبع ماء في آخر المنحدر المتصل بشاطئ صغير من ساحل تغلال.

اعكتف أبو داود في رابطته الجديدة، التي سرعان ما جلبت إليه عدداً من الطلبة الذين استحقوا من البادسي اسم الصالح المتعبد الزاهد والمجد الفاضل، وغير تلك الأوصاف. كان منهم التمسمانيون : مركاب بن عيسى البلندي، وإسماعيل بن سيد الناس، ومحمد بن دوناس، وإبراهيم بن عيسى، ثم البقويي الحاج حسون الأدوزي. وهؤلاء هم الذين ساعدوا أبا داود على تثبيت مكانته في مرتبة الصوفية بالمنطقة، بما أحدثوه من المراكز الدراسية الثانوية وبما بلغوه من درجة الصلاح.

وليس هناك أي صعوبة في اكتشاف طريقة الشيخ أبي داود الصوفية، إذ أنها بسيطة وخالية من التعقيدات المذهبية، قائمة على استحقاق أكبر قدر من سمات الصلاح والفلاح، بواسطة المبالغة في ممارسة الشعائر الدينية، والزهد في مباهج الدنيا وتقديم الخدمات الاجتماعية للغير.

اهتم أبو داود بالنظر في مصير الرابطة بعد وفاته. ويظهر أنه لم يخلف سوى ذكرين. ولم يكن راضياً عن ابنه يوسف الذي لم يقتف أثره في الصلاح. أما ابنه عيسى فقد توفي في شبابه، بعد عام 560. وبذلك التمس رجاءه في إعداد حفيده إبراهيم، الذي تولى تسيير الرابطة منذ سنة 578 هـ، إثر وفاة جده أبي داود، وعمره آنذاك ثمان عشرة سنة.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 50 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 9 ؛ خريطة طبوغرافية، 1935.

حسن الفگيگي

**التَّمْلي**، أسر من قبائل شتى تسكن حول حوض أَمَّلْنْ الكَبِير بالأطلس الصغير شمالي مركز تافراوت، وتنتسب إليه على غير قياس. وتكتب أحياناً ممدودة بالفتح (التاملي) وبالكسر (التيملي) والنسبة الأقرب هي التَّمْلي - بفتح التاء دون مد - وأشهر قبائل أمّلن : أَگْنْسْ وَاسِيفْ (داخل الواد) أفْلاً واسيفْ (فوق الواد) إداوَميلْكْ، تاهالا، تيزخت، تودما. وقد فضلنا أن ننسب مباشرة إلى القبائل الثلاث الأخيرة، تبعاً للاستعمال الغالب في كتب التراجم، وإن كانوا جميعاً في عداد التمليين. وتجب الإشارة إلى أن التمليين نجُب منهم في العصر السعدي عدد وافر من الفقهاء والأدباء والقواد تولوا مناصب سامية في دولة الشرفاء، سواء في حاضرتهم الأولى المحمدية (تارودانت) أو في بلاط مراكش، أو فاس دار مقام ولي العهد. وكذا في مختلف الأقاليم التي امتد

إليها نفوذ السعديين حتى ما وراء الصحراء من بلاد السودان.

محمد حجي

* * وهناك أسرة التّمْليّ التطوانية لعل أصلها من سوس. اشتغل أفرادها بتلقي الشهادات طوال القرن الثالث عشر (19 م)، منهم الفقيه أحمد بن المختار التملي الذي تعاطى خطة العدالة فيما بين عام 1259 - 1265 / 1843 - 1849، والفقيه أبو بكر بن اليمني التملي الذي كان على قيد الحياة عام 1274 / 1858، والفقيه محمد بن عبد المجيد التملي الذي كان يزاول خطة العدالة عام 1251 / 1835.

وهناك فرقة أخرى من التّمْليين في تطوان جاؤوها من بني گرفط، ولعل أصلهم أيضاً من سوس، منهم الفقيه عبد العزيز التملي الذي اشتغل بالعدالة عام 1230 / 1815، وأحمد التملي الجندي في المدفعية الذي كان يعمل بحامية تطوان عام 1246 / 1830.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 214 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

* * وتوجد أسرة سلوية تدعى التّمْليّ أصلها من سوس، عرفت بالعلم والنسك. ومن بين أفرادها محمد بن عبد الله التملي الذي كان من العدول المنتصبين لتلقي الشهادات في مدينة سلا عام 1107 / 1695 وكان مايزال بقيد الحياة عام 1132 / 1719.

*كناشة الفقيه محمد التطواني*، مصور خ. ص. ؛ *رسوم عدلية في خ. ص.* ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، مخطوط.

مصطفى بوشعراء

**التّمْليّ، أحمد** بن علي بن سليمان السوسي، فقيه أديب سياسي محنك، خدم الدولة السعدية بإخلاص وتفان، وشغل - كأبيه - أهم منصب في حكومة أحمد المنصور الذهبي، وهو ولاية المظالم التي كان المنصور يقوم بها أحياناً بنفسه، ولا يُنيب عنه فيها إلاّ من يثق بكفايته واستقامته وصرامته.

ولي أحمد التملي خطة المظالم بعد وفاة أبيه في مطلع القرن الحادي عشر، وقام بأعبائها خير قيام. حلاّه أحمد ابن القاضي في *درة الحجال* بقوله : "فقيه نحوي معقولي" ولقيه أحمد المقري حين حل بمراكش عام 1010 / 1601 ووصفه في *روضة الآس* (ص. 211) "بالفقيه الأجل العلامة..." وأورد له قطعة شعرية من قصيدة طويلة أجاب بها الأديب العدل علي المرواني المطاعي، مطلعها :

أدمعُ جفونك بالمحفل  تفيضُ وخلّك في المنزل

لكن خطورة المنصب وتكاليفه شغلت المترجم - على ما يبدو - عن التدريس والنظم والتأليف، فلم يحفل به أصحاب كتب التراجم ولم يذكروا حتى تاريخ وفاته. ولعله هلك في خضم الوباء الجارف الذي ذهب بمخدومه أحمد المنصور عام 1012 / 1603.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 1 : 170 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، 211 - 212.

**التّمْليّ، أبو بكر** بن أحمد التازولتي (تعرّب نسبته في كتب التّراجم بالإثمدي أو الاثمودي) فقيه لغوي أديب بارع في الترسل وقرض الشعر. أخذ عن بلديّه شيخ الجماعة الحسن بن عثمان التملي في تِيِيوتْ، واشتغل بعده بالتدريس فيها إلى أن اتصل بمحمد المهدي الشيخ فصار من كتّابه بحاضرته الأولى المحمدية.

وقد عفّى الزمان على إنتاجه الأدبي عدا رسالة فريدة بليغة بعث بها أبو بكر إلى الأمير محمد الشيخ يطلب فيها الانخراط في سلك كتابه، أثبتها في *المعسول* (8 : 289). كما عفّى على شرحه *مقصورة المكودي*، وهو كتاب متميز في الإنتاج الأدبي للسوسيين في ذلك العصر.

توفي بمراكش عام 977 / 69 - 1570.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 1 : 227، رقم 333 ؛ م. الفشتالي، *اللامية*، البيت 169 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 193 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 1 : 208 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 22 ؛ سوس العالمة، 180 ؛ *المعسول*، 8 : 288 - 290 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 572.

**التّمْليّ، الحسن** بن عثمان، شيخ الجماعة بسوس وفقيهه الكبير الذي سارت بعلمه وتحقيقه وجدّه الركبان. ولد في قرية أسْگاوْرْ بأمّلن وفيها نشأ ودرس على فقهاء قومه، ثم ارتحل إلى فاس ودرس فيها إلى أن تخرج على يد الإمامين محمد ابن غازي وأحمد الونشريسي مؤلف *المعيار*. ولما انفصل عنهما سنة 908 / 2 - 1503 قال في حقه ابن غازي : "الآن أجزأت فاس" أي ولدت الإناث، كناية عن كثرة من سيتخرج على يده من العلماء، وشيعه الونشريسي بنفسه تقديراً لتحصيله وفضله. وقد ردد أحمد المنجور صدى الإعجاب والتقدير الذي تركه الحسن بن عثمان في الحاضرة الإدريسية فحلاّه في *الفهرس* بألقاب عالية، وروى - بالسند - جملة من أخباره العلمية. ومما قاله فيه : "كان صاحبَ جد في العلم والعمل مجانباً للراحة كثير السّهر والدرس والتدريس والعبادة. وكان إذا غلب عليه النوم يضع رأسه على حجر لتوقظه قسوة الحجر ولا يستغرقه النوم، ويطول في مجلس تدريسه حتى قد يُقرأ عليه في المجلس الواحد أربع عشرة دولة (= أربعة عشر درساً)... وكان حافظاً *لتوضيح خليل* لكثرة ملازمته بالنسخ والتدريس، ويقال إنه نسخه أربع عشرة مرة". كما ردد عبد الرحمن التامنارتي فيما بعد ذلك صدى تقديس السوسيين لعالمهم الكبير الحسن بن عثمان، وحلاه في *الفوائد الجمة* بما لا يقل عمّا جاء في كتب المنجور وابن القاضي الفاسيين.

أسس الحسن بن عثمان بعد رجوعه من فاس مدرسة في قرية تِيِيوت بضاحية تارودانت نشر فيها علمه وقصده الطلاب من جميع الجهات. وكان من جملة الآخذين عنه فيها الأمير السعدي محمد المهدي، والعالم الكبير محمد بن إبراهيم الشيخ التامنارتي، والأديب الشهير أبو بكر بن

أحمد التملي سابق الترجمة.

لم يقتصر نشاط الحسن بن عثمان على التدريس، وإنما قام إلى جانب ذلك بدور سياسي هام في إرساء قواعد دولة الشرفاء الناشئة، وظل يرشد تلميذه الأمير المهدي الشيخ ويؤازره في الخطوات التي خطاها في تمهيد الجنوب ومطاردة المحتلين الأجانب، كما قام في ميدان التشريع باجتهادات منها رأيه التوفيقي في ألواح سوس التي تعتمد عليها القبائل في بعض القضايا الجنحية.

توفي الحسن بن عثمان في تييّوت عام 932 / 25 ـ 1528. وقيل في السنة بعدها. وضريحه مازال معروفاً حتى اليوم في بُويت وسط مقبرة تييّوت.

أحمد المنجور، *فهرس*، 51 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 182 رقم 143 ؛ *درة الحجال*، 1 : 240 ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ الرسموكي، *وفيات*، 50 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، الترجمة 237 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 192 ؛ *سوس العالمة*، 157 ؛ *المعسول*، 7 : 22 و13 : 269 ـ 271 ؛ م. حجي، *الحركة*، 1 : 299 و2 : 571 ـ 572.

**التِّمْلِيّ، داوود** بن محمد بن علي التُّونْلِي "فقيه عصره، ووحيد دهره" حسب عبارة الحضيكي. تخرج على يد الشيخ حسين الشوشاوي، وانقطع للتعليم بالمدرسة التي أسسها بفم أكشتيم من قبيلة أفْلاَ وَاسِيفْ بأمَّلْنْ. وتخرج على يده فيها جماعة من الفقهاء، منهم حسين بن داوود التغاتيني سابق الترجمة.

ألف داوود التِّمْلِيّ كتباً في فقه الوثائق والنوازل والقراءات، وكلها ماتزال مخطوطة في خزائن خاصة بسوس :

- *أمهات الوثائق وما يتعلق بها في العلائق*، لقيت قبولا ورواجاً واسعاً في أوساط الفقهاء السوسيين.
- *أجوبة* لأسئلة تلميذه حسين التغاتيني.
- *وسيلة النشأة* في شرح أرجوزة الرگراگي الوادنوني في القراءات وهي في نحو مائتي بيت.

توفي داوود التملي في ثامن المحرم عام تسعة وتسعين وثمانمائة / 19 أكتوبر 1493.

الرسموكي، *وفيات*، 40 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، الترجمة 264 (وفيها أن جده عبد الحق بدل علي، وهو خطأ) ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 22 ؛ *سوس العالمة*، 178 ؛ *المعسول*، 18 : 279.

**التِّمْلِيّ، سعيد** بن عبد الله بن يديرْ، فقيه مشارك في كثير من الفنون، انتقل من قريته في أَمَّلْن إلى حاضرة السعديين الأولى المحمدية ليقوم بالتدريس في جامعها الكبير، وكان من بين الطلبة الذين أخذوا عنه فيها عبد الرحمن التامنارتي فترجم له في *الفوائد الجمة* في جملة شيوخه وقال "...وحضرت دروسه سنة كاملة في الفقه والعربية والعقائد والأصول والبيان. وله خط حسن وشعر مليح ورسائل فصيحة وكان يُستناب في قضاء الجماعة".

وهناك فقهاء سوسيون آخرون يحملون نفس الاسم "سعيد بن عبد الله" لكن أسماء جدودهم تختلف عن يدير، وهم من السملاليين أو العباسيين، وتختلط أخبارهم في كتب التراجم بأخبار سعيد المترجم هنا.

توفي سعيد التِّمْلِيّ في شهر رمضان عام 1003 / ماي ـ يونيه 1595.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 38 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، الترجمة 764 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 47 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 409.

**التِّمْلِيّ، سليمان** بن إبراهيم بن سليمان الصنهاجي، من أبناء عمومة الشيخ الحسن بن عثمان دفين تييّوت سابق الترجمة. ولد عام 968 / 60 ـ 1561 وتكوّن فقيهاً أديباً شاعراً ناثراً، من كُتّاب بلاط أحمد المنصور الملازمين له إقامة وظعناً. قال عنه معاصره أحمد ابن القاضي إنه "شاعر مطبوع". وشعره مرآة لبيئته المراكشية، وسجلٌ لتحركات مخدومه في ضواحيها وخاصة أغمات التي كان لا يغبّ عنها. ومن ذلك قطعة يذكر فيها أفراكْ المنصور الجميل الذي وصفه أصحاب الرحلات، مطلعها :

ومحلةٍ ملأ البسيطةَ حسنُها ... وتشرَّفت لنزولها أغمات

توفي بعد عام 999 / 1591.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 312 رقم 1410 ؛ *المنتقى المقصور*، 603 ـ 604 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، 56 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 153 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، 10 : 42 رقم 1525.

**التِّمْلِيّ عبد العزيز** بن محمد بن عبد الله الصنهاجي، أديب خدم ولي العهد محمد الشيخ المامون في فاس، ونظم في مدحه قصائد عديدة. وألفّ له كتاب *طلائع اليمن والنجاح فيما اختص بمولانا الشيخ من الأمداح*. جمع فيه ما قيل في ولي العهد من الأمداح بمناسبة حفلات عيد المولد وغيرها. والباقي من هذا الكتاب يشتمل على قصائد لأربعة عشر شاعراً أكثرهم من كتاب بلاط المامون بفاس، ومن بينهم المؤلف عبد العزيز التملي وأخوه أحمد بن محمد التملي وشعراء من بادية المغرب كزمران وحصين والخلط لم يرد ذكر أسمائهم في غير هذا الكتاب.

ومن شعر عبد العزيز رائية رقيقة طويلة في مدح الشيخ المامون مطلعها :

تجلت بطاحُ الأرض في حلل خضر ... بديعات وشيٍ أتقنته يدُ القَطرِ

توفي بعد عام 1030 / 1621.

عبد العزيز التملي نفسه، *طلائع اليمن والنجاح*، مخطوط ؛ أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور*، 1 : 413 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 444 رقم 1265 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1 : 155 رقم 574 ؛ أ. المكناسي، *أهم مصادر*، 91 ؛ م. حجي، *الحركة*، 1 : 29 ـ 30 والهامش 74.

**التَّمْلِيّ، علي** بن سليمان بن عبد الله بن عثمان، ابن أخي الحسن بن عثمان التَّمْلِيّ سابق الترجمة. ولد حوالي عام 930 / 1524 وهو وإن كان مثل عمه فقهاً ومشاركة وتحصيلا، فإنه لم يشتغل بالتدريس والتربية، وإنما شغلته السياسة ومهام السلطة. يمثل السياسي المحنك ورجل السلطة السامي المثالي نزاهة وتواضعاً وإحساناً، أجمع على ذلك معاصروه الذين عرفوه عن قرب. فقد روى عنه أحمد المنجور في *الفهرس* بعض أخبار عمه الحسن بن عثمان، وحلاه بصفات علمية وأخلاقية راقية : "الثقة المشارك النجيب الخير الناصح أبو الحسن علي بن سليمان..." وقال عنه أحمد المقري في *روضة الآس* : "الشيخ الحجة القدوة". وحلاه معاصره أحمد بن القاضي في *درة الحجال* بالفقيه البركة المحسن عمدة المساكين، وقال عنه "ومن محاسنه أنه لم تثبت عنه رشوة قط ولا أكل ثمن الجاه منذ ولي خطته، ولا سمع عنه... أعقل أهل زمانه وأعلمهم بالأمور".

وتحدث عنه بلديّه وعشيره في البلاط الكاتب صاحب القلم الأعلى محمد بن عيسى التَّمْلِيّ في المقامة الأدبية بقوله :

"قلت : وأين الفقيه أبو الحسن علي بن سليمان ؟ فقال : رجل الدين واليقين، وحامل راية المتقين، ليس أحد في طريقته مثله، فلا أحد إلا ويشكر دينه وفضله، شأنُه التسهيل والإيناس، والسعي في مصالح الناس، والنصح للمستنصحين، واقتفاء أمر عباد الله الصالحين، خصته الدولة بخطة المظالم، يعالج بجده السقيم منها والسالم، متبلّغاً باليسير، زاهداً إلا فيَ زَاد المسير، معتقداً أن مثري هذه الدار أسير. وبالجملة، فهو بركة الوقت وزاهده، وصلة موصول العدالة وعائده. فخرت منه السوس بثاني ابن الجراح، فإن تكن اقترحته على الله فقد جاء والحمد لله وفقَ الاقتراح".

كان علي بن سليمان محط ثقة الملوك السعديين ومستشارهم الخاص والقائم بخطة المظالم على أبوابهم، وموضع تقدير ومحبة سائر الذين خلطوه أو اتصلوا به من خاصة الناس وعامتهم. فقد ختم المنجور حديثه عنه بالدعاء له قائلا : "أعانه الله على ما هو بصدده من الأخذ بأيدي المسلمين".

توفي بعد عام 999 / 1591.


أ. المنجور، *فهرس*، 51 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 254 ـ 255 رقم 1295 ؛ *المنتقى المقصور*، 1 : 249 و409 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، 211 ؛ الرسموكي، *وفيات*، 46 ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 1536 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگور، الترجمة 620 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 572.


**التَّمْلِيّ، محمد** بن **عيسى** الصنهاجي، هذا هو المشهور فيَ نسبته مباشرة إلى جده الثاني عيسى. وهو محمد بن محمد بن أحمد بن عيسى، ولقبه الغالب عليه في ألسنة معاصريه : الكاتب، وفي كتب التراجم : صاحب القلم الأعلى. عالم أديب شاعر ناثر، من أكبر كتاب الدولة السعدية منذ عهد عبد الله الغالب، وابنه المتوكل، وعبد الملك المعتصم، ثم كتب لأحمد المنصور بمراكش، وولي عهده المامون بفاس، وألف في مخدومه كتاب *المنتقى المقصور من سنا أبي العباس المنصور*، وهذه التسمية ـ كما قال أحمد المقري في *نفح الطيب* ـ وحدها مطربة، وحلاه بالرئيس كاتب أسرار المنصور. وعده معاصره أحمد المنجور في *الفهرس* من العلماء الذين ذاكرهم واستفاد كل منهم من صاحبه، وحلاه بالفقيه الأديب الماهر الكاتب البليغ الناظم الناثر، كما حلاه رفيقه أحمد ابن القاضي في *الجذوة* بالفقيه الكاتب الأديب وقال "كان له نثر فائق ونظم لا بأس به وخطوط منوعة في الحسن". وقد أُتلف ـ عمداً ـ كتابُه *المنتقى المقصور* لأسباب تحاشى معاصروه ذكرها، كما أُتلف معظم آثاره الأدبية حين قُتل في سجن قصبة فاس لأسباب لم يفصح عنها كذلك الذين كتبوا عنه من رفاقه ولداته. وأظن أن لذلك علاقة بسلوكه الخلقي.

وقفت عندما كنت أهيئ أطروحتي عن الحركة الفكرية أيام السعديين في الخزانة الحسنية بالرباط على مجموع أدبي صغير سميته *أدبيات ابن عيسى*، تحتوي صفحاته الاثنتا عشرة الأولى على أدبيات هذا الكاتب الشاعر، وتكاد تكون المجموعة الوحيدة مما بقي من نفثات أقلامه. يذكّر أسلوب ابن عيسى بأسلوب بديع الزمان الهمداني متانة وإشراقاً، ولا ينحط شعره إلا قليلا عن شعر أدباء عصره. وله مقامات في الجد والهزل، منها *مقامة* تناول فيها بعض معاصريه على طريقة ابن شهيد في التوابع والزوابع إلا أنه لم ينتقدهم مثله، وإنما استعرض محاسن المحسنين منهم : عبد الواحد الحسني، وعلي بن سليمان التملي، وأحمد الغرديس. وله *مقامة* أخرى بعنوان *في الحكة والإشارة إلى ما تحت التكة*، أفحش فيها وأقذع. وكنت أعتزم نشر دراسة خاصة عن هذا الكاتب المتميز فلم يتيسر ذلك حتى الآن.

توفي محمد بن عيسى قتيلا بسجن قصبة فاس عام 990 / 1582 واستولى محمد المامون على ماله ومتاعه الثمين.


م. ابن عيسى التملي نفسه، *أدبيات ابن عيسى*، مخطوط خ. ح. رقم 5408، ص. 1 ـ 12 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 326 رقم 344 ؛ *درة الحجال*، 2 : 226 رقم 672 ؛ *لقط الفرائد*، 315 و318 ؛ *المنتقى*، 1 : 465 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 17 : 82 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 149 ـ 150 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمتان 300 و492 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 172، رقم 646 ؛ أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، 63 ؛ م. ابن تاويت، *الأدب المغربي*، 431 ـ 434 ؛ *الوافي بالأدب العربي*، 3 : 699 ـ 705 ؛ ع. الرندى، *الكتابة والكتاب*، 24 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1 : 160 ؛ ل. بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. ع. الخلادي، 81 ؛ ع. گنون،

*رسائل سعدية*، 7 رسائل وظهائر من إنشاء الكاتب ابن عيسى ؛ م. حجي، *الحركة*، 1 : 29 ؛ 2 : 372 والهامش 72.

**التَّمْلِيّ، محمد** بن **يحيى** بن عيسى ابن عم محمد ابن عيسى الكاتب سابق الترجمة. وهو أديب مثله، أورد عصريه أحمد ابن القاضي طائفة من أشعاره في *المنتقى المقصور* قائلا عنه "وكان ـ رحمه الله ـ ناظماً ناثراً مطبوعاً فكاهة". وربما كانت له دالة على المنصور إذ نجده يستشفع بقصيدة لأحد بني الأحمر ملوك الأندلس القدامى ويستمطر له فضل أحمد المنصور مطلعها :

أتاك ابن نصر مستغيثاً وما له    مَتاتٌ إليك غيرَ ما خلَّد الدهرُ

وهي على نسق قصيدة ابن الخطيب الشهيرة : "سلاهل لديها من مُخبِّرة ذكرُ".

توفي قبل عام 998 / 1590، وهي سنة انتهاء ابن القاضي من تأليف *المنتقى المقصور* حيث ذكره فيه وترحّم عليه.

أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور*، ص. 607 وفي مواضع متفرقة.

**التَّمْلِيّ، محمد** بن **يوسف** بن أحمد المراكشي. كان أبوه يوسف أستاذاً صالحاً يؤدب الصبيان في مراكش، مشرفاً على خزانة المصاحف في جامع المنصور وبيده مفاتحها إلى أن توفي في حدود عام 982 / 1574 ويبدو أن محمد بن يوسف ولد في مراكش ونشأ بها ودرس على علمائها وعلماء فاس. ومن أشهر شيوخه الحسن الدراوي، ومحمد بن يوسف الترغي، ومحمد الصغير المستغانمي، وأحمد المقري.

تخصص محمد بن يوسف ـ كأبيه ـ في علوم القرآن، إلا أن دائرة معارفه اتسعت بالمشاركة في الفقه واللغة والأدب. وانتشر ذكره وأدبه في المغرب والمشرق. وله مراسلات مطولة مع شيخه المقري نظماً ونثراً، سواء حين كان المقري مقيماً بفاس أو حين انتقل إلى المشرق، وقد أثبت المقري نصوص هذه المراسلات والقصائد في *نفح الطيب* وغيره وأثنى عليها وعلى منشئها.

كان محمد بن يوسف التملي في أول عهده بالتدريس يقتصر على تعليم أبناء الملوك وعليّة القوم، ثم اهتدى إلى تعميم تعليمه وأخذ يعقد مجالس عامة في مدرسة ابن يوسف (الغالبيّة) فكثر الآخذون عنه سواء في القراءات والتجويد أو في اللغة العربية وقواعدها والفقه وفروعه. وتتحدث فقرة من رسالة بعث بها التملي إلى المقري بعد رجوعه من فاس إلى مراكش عن تقدير الطلبة له واشتياقهم لدروسه، وتسمّي بعض الكتب التي كان يلقنها لهم : "...ولا زائد على ما نعرِّفكم به سوى ما ألهم الله بفضله من معاطاة كؤوس القراءات مع طلبة هذه الحضرة. ولقد خرجوا للقائي متعطشين لمرحلة عن مراكش في جمع كثير أزيد من ثلثمائة طالب. وقد بدأت مع الطلبة بالمدرسة الغالبية *الشاطبية* ولامية *الأفعال* بعد العصر، *والكراريس* بعد العشاء، ووقت التجويد من طلوع الشمس إلى العصر...".

تخرّج على يد محمد بن يوسف التملي عدد وافر من الأساتذة والفقهاء والأدباء، وفي مقدمتهم عبد الرحمن ابن القاضي إمام القراءات في عصره وصاحب التآليف الكثيرة الشهيرة المنتشرة في المغرب وخارجه. وعبد العزيز الزياتي مؤلف *الجواهر المختارة في فتاوى جبال غمارة*، ومحمد بن سعيد المرغيتي مؤلف *العوائد المزرية بالموائد*.

ألف محمد بن يوسف التملي كتباً وتقاييد وأراجيز في مواضيع شتى، منها :

- *تحفة الطلاب* في قراءة ابن كثير.
- *تقييد في الوقف*.
- *أرجوزة في السيرة النبوية*، نظم فيها سيرة اليعمري، وزاد عليها.
- *مقامة في بستان المسرة بمراكش*.
- *فهرس* جمع فيه أخبار أشياخه.

توفي بمراكش عام 1048 / 38 ـ 1639.

أ. المقري، *فتح المتعال*، 238 ـ 241 ؛ *روضة الآس*، 25 ـ 26 ؛ *نفح الطيب*، 2 : 470 ـ 478 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. المحبي، *خلاصة الأثر*، 4 : 271 ـ 273 ؛ ع. ابن معصوم، *سلافة*، 404 ـ 406 ؛ أ. ابن عطية، *التفكر*، 46 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 136 ؛ م. القادري، *الإكليل*، تح. م. دادي، الترجمة، 340 ؛ *التقاط الدرر*، 108 ؛ *نشر المثاني*، 1 : 373 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 331 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 66 ـ 274 ؛ المختار السوسي، *سوس العالمة*، 187 ؛ س. أعــراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

محمد حجي

**التِّمّ** ـ بكسر التاء وتشديد الميم ـ كما هو في الفصيح وفي المعاجم وفي النطق الدارج المغربي في كثير من الجهات، وينطق به في جهات مغربية أخرى إوَز وإوزّ عراقي، وهو جنس طير مائي أبيض، كبير الحجم، من رتبة صفيحيات المناقر (Anseriformes أو Lamellirostres) ومن فصيلة كفيات الأقدام (Anatidae) ومن الوزيات (Anserinae) التي تشمل البط والإوز والتم. شبيه بالإوز على أنه أطول منه عنقا وأكبر منه حجما. اسمه في مصر التم، وإوز عراقي في باقي الدول العربية.

يشمل جنس التم Cygnus خمسة أنواع تعيش في المناطق الباردة والمعتدلة من العالم. نوعان منها يعيشان في المغرب :

التم الأخرس المسمى علميا Cygnus olor وبالفرنسية Cygne muet أو Cygne tubercule وبالأنجليزية Mute swan. إنه طائر أهلي يربى في البوادي بجانب البط والإوز الأهلي وشائع في حدائق الحيوانات العمومية المغربية. المنقار مصفح وعريض، ليموني محمر ومحفوف قرب العينين بنتوءات سوداء كبيرة عند الذكور وصغيرة عند الإناث. عنقه طويل ومقوس يساعده على التقاط المأكولات بداخل المياه. الريش أبيض عند الكبار ورمادي بني عند الصغار. الأرجل قصيرة وسوداء.

يحسن السباحة ولا يغطس كما يفعل باقي البط والإوز. يمتد العنق إلى الأمام والأرجل إلى الخلف أثناء الطيران وتتعدى سرعة طيرانه 63 كلم في الساعة. يبلغ طوله 1،52 متر ويعتدي وزنه 12،5 كلغ. تبلغ بسطة جناحيه 2،75 متر. طول جناحه 74 سم وطول ذيله 27 ـ 30 سم.

يتوالد ما بين أبريل ومايو ويبني الأبوان عشا ضخما بين القصب والحشائش المحاطة بالمستنقعات والبحيرات، يفرشانه بالريش وتضع الأنثى فيه من 6 إلى 8 بيضات ونادراً 12، لونها رمادي مخضر إلى رمادي أزرق وغير منقطة، يبلغ طول قطريها 11،5 x 7،5 سم.

تضع الأنثى بيضة كل يومين تحضنها بعد انتهاء الولادة لمدة تتراوح ما بين 34 و38 يوماً. تبقى الصغار في العش يوما أو يومين بعد التفقيس ثم ترافق الأبوين إلى البحيرات وكثيراً ما تصعد فوق ظهور الأمهات. تبقى بجانب الأبوين زهاء أربعة أشهر وذلك من أجل الحماية والمساعدة على التقاط المأكولات التي تتكون من النباتات المائية ومن العساقيل والجذور وبعض الحشرات والديدان المائية.

يقضي النهار وسط البرك والبحيرات والمستنقعات غير العميقة ويرمي بمنقاره في الماء بحثا عن المأكولات. يقوم الزوجان برقصات وبحركات غريبة فيُقوسان الجناحين ويرفعان الذيل أثناء السباحة ويدور الزوج حول عشيرته عدة مرات ليغازلها قبل أن يتم التزاوج.

التم الوحشي المسمى علميا Cygnus oygnus يعرف بالفرنسية Cygne sauvage والأنجليزية Whooper swan. كثير الشبه بالتم الأخرس ويختلف عنه في منقاره الأصفر الخالي من النتوءات قرب العينين. الأرجل قصيرة وصفراء عند الكبار والصغار، عنقه طويل ومستقيم ولا يتقوس. يبلغ طوله 1،62 متر ولا تتعدى بسطة جناحيه 2،47 متر. طول الجناح 66 سم وطول الذيل 22 سم. تتعدى سرعة طيرانه 75 كلم في الساعة ويفوق وزنه 11 كلغ.

يتوالد ما بين مايو ويونيو ويبني الأبوان العش وسط الحشائش والقصب المجاورة للبحيرات تضع فيه الأنثى من 4 إلى 8 بيضات ناصعة البياض وغير منقطة. تضع الأنثى بيضة كل يومين تحضنها مباشرة بعد وضع البيض لمدة تتراوح ما بين 35 و42 يوماً. يكسو الصغار ريش رمادي بني كثيف.

يعد هذا الطائر من القواطع، يقضي الصيف في شمال أوربا وآسيا ويشتو في جنوب أوربا وكثيراً ما يقضي شهري دجنبر ويناير في بحيرة مولاي بوسلهام ومصب وادي ملوية عندما يكون فصل الشتاء شديد البرودة في أوربا. إنه طائر شديد الحذر وغير قابل للتدجين.


المعلوف أمين، معجم *الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة 1932.

P.C., Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc*, Janvier 1981. Document de l'Institut Scientifique, Rabat, 1982 ; W. Reade et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids : Reproduction, œufs et jeunes*, Paris, 1968, 300 p. ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The Birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984, 320 p.


محمد رمضاني

**التمّاق**، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمان الفاسي، جدوده من الغرناطيين المهاجرين إلى فاس في عصور سابقة، وهم معدودون من أولاد السراج. "كان فقيها مفتيا نوازليا يبحث البحث الذي لا يُدرى، ويجيب بالجواب المحكم" (*نشر المثاني*، 4 : 213)، "كثير المباحث، مع ملكة التعبير وجودة الخط وإحكام الشكل والضبط، موصوف بالإتقان..." ( *الروضة المقصودة*، ص. 62) وبالإضافة إلى هذا اشتهر بالزهد والورع والتواضع : "لا يأكل إلا من عمل البراعة، يرتاد الخلوات... اتخذ مأوى بظهر زاوية شيخه أحمد بن عبد الله مَعْن (ت. 1120 / 1709) بأقصى حومة المخفية فكان ينسخ هناك ويقيد ويدرس سنين... ثم أُلزم التصدر للانتفاع به بأمر من سلطان الوقت فخرج لمجال الظهور على إكراه، وانتفع به من أهل فاس الجم الغفير..." (المصدر السابق، 63). كما كان يقرض الشعر ويجيد النثر.

تمّ تكوينه على يد عدد من الشيوخ أمثال : محمد بن عبد القادر الفاسي وأخيه عبد الرحمان، وعبد السلام بن الطيب القادري وأخيه محمد العربي ومحمد بن أحمد القسنطيني الكماد الحسني، والقاضي العربي بن أحمد بردلة، ومحمد المسناوي الدلائي، وأحمد بن محمد اليمني، وأحمد بن عبد الله معن الأندلسي.

تولى الخطابة بجامع القرويين والقضاء بمدينة فاس سنة 1140 / 1728 بعد طول امتناع زمن السلطان أحمد الذهبي العلوي، وعزل بعد مبايعة أخي السلطان المذكور عبد الملك في نفس السنة، بعد ثمانية أشهر بدون "ريبة".

من مؤلفاته : *حاشية على شرح الحصن الحصين* لشيخه محمد بن عبد القادر الفاسي، و*إزالة الدلسة عن أحكام الجلسة*، و*جمع الأقوال في لبس السروال*، إلى أبحاث على *التحفة*، و*لامية الزقاق*، و*العمليات الفاسية* التي كان يدرسها مع *الموطأ* و*الرسالة* وغير ذلك، وكنانيش متعددة بخطه.

توفي عشية يوم الأربعاء 10 جمادى الأولى سنة 1151 / 26 غشت 1738 ودفن بفاس. ولم يقف القادري في *نشر المثاني* على تاريخ وفاته فذكره في الخاتمة.


م. القادري، *نشر المثاني*، 4 : 213 ـ 214 ؛ التاودي ابن سودة، *فهرسة*، مخطوط خ ع. رقم 725 د ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، مخطوط، خ. ع. رقم 2211 د ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 4 : 121 ـ 122 ؛ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 464 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*.


محمد رزوق

## التَّمْنَجَلي ← التامناكالي

**تمنوكالت** أو تامنوكالت، قصبة من القصور القديمة بواحة مزكيطة بعالية وادي درعة. والنسبة إليها تامنوكالي

أو تمنوگالي (بدون تاء أخيرة) أُعطيت لدلالة تمنوگالت ومعناها عدة تفسيرات، فهناك من يرى بأن هذا الاسم تحريف لكلمة تمنوالت الأمازيغية، وتعني الخيمة *(Districts*, 42) وهناك من يرى أن الكلمة تحريف لتمنوگارت، حيث حل اللام مكان الراء، وتعني المكان الذي يُلتقى فيه أو يُجتمع به (*Cadres Sociaux*, 4) ويرتكز هذا التفسير على معطيات اقتصادية وسياسية، ذلك أن قصبة تمنوگالت بنيت بالقرب من سوق قديم يعرف بسوق الخميس، وقد ظل هذا السوق قائماً إلى أن ألغته سلطة الحماية بعد تحويله إلى مركز أگدز الحالي. والمكان يساعد أيضا على إقامة تجمعات قبلية (قبائل أهل مزگيطة) لاتخاذ القرارات التي تنظم العلاقات العامة، سواء فيما يتعلق بقبائل مزگيطة فيما بينها، أو فيما بينها وبين القبائل المجاورة.

أما الرأي الثالث، فيرى أن اسم تمنوگالت مشتق من الفعل الأمازيغي "أگَلْ" بمعنى علَّقَ الشيء يعلقه، فيكون معنى تنموگالت "المعلقة" لكون القصبة تظهر من الضفة الغربية لنهر درعة وكأنها معلقة في أكناف جبل كيسان الذي يشرف على الضفة الشرقية لنهر درعة.

كان قصر تمنوگالت قبيل قيام الدولة السعدية، كغيره من قصور واحة مزگيطة، مندرجاً ضمن مجموعة تمنوگالين، أو أيت تمنوگالت وتضم هذه المجموعة أسليم نزدار، وزاوية سيدي مولود وتمنوگالت وغيرها. وما كاد الأمر يستتب للدولة السعدية حتى وجهت عنايتها بشكل خاص لواحات وادي درعة، فعملت على توفير ظروف الأمن والاستقرار لسكان الوادي وحمايتهم من قبائل أولاد عمران وأولاد سليم المعقلية، حيث كان شيوخ هذه القبائل يفرضون الإتاوات الباهظة على سكان الوادي (*افريقيا*، 3 : 146) وهكذا أقام السعديون سلسلة من التحصينات العسكرية على شكل قصبات محصنة في مختلف واحات الوادي. ومن قصبات واحة مزگيطة قصبة أبرنوص وقصبة تمنوگالت.

وفي إطار التهييئ لفتح السودان، جدد السلطان أحمد المنصور السعدي تحصينات وادي درعة وعززها بالحاميات العسكرية والعتاد الحربي، وجعل من تمنوگالت عاصمة للمنطقة ومقراً للعامل المخزني حيث باتت كل قصبات الوادي تخضع لأوامره، وقد عرفت قصبة تمنوگالت إبان هذه الفترة ازدهاراً كبيراً وتحولت إلى كعبة للقاصدين من سكان الوادي وغيرهم من المناطق المجاورة. وبعد وفاة أحمد المنصور عام 1012 / 1603، عرف وادي درعة نكسة خطيرة بسبب النزاعات المستمرة بين أبناء المنصور على السلطة، حيث كان كل أمير من المتسلطنين يحاول السيطرة على الوادي باعتباره أهم طريق تجاري بين إفريقيا السوداء والمغرب. وأصبحت قصبات المنطقة هدفا للمتحاربين، ذلك أن المستولي على هذه القصبات يسهل عليه التحكم في طرق الوادي ومرافقه الاقتصادية. وقد عانت قصبة تمنوگالت الأمرين لكونها مقراً للعامل المخزني ولموقعها في عالية الوادي، حيث كانت تتحكم في كل المنافذ التي تربط وادي درعة بدادس شرقا، وبسوس غربا وورزازات شمالا وباقي واحات درعة والصحراء جنوبا.

وعلى إثر ظهور إمارة العلويين بتافيلالت، تطلع مَحمد ابن الشريف في أواسط القرن الحادي عشر (17 م) إلى السيطرة على وادي درعة، وكانت واحاته الشمالية خاضعة لنفوذ وسيطرة أبي حسون السملالي، ونستشف من بعض الإشارات التاريخية أن قصبة تمنوگالت قادت معارضة المسلاليين بالمنطقة، وحتى يكون بإمكانها التصدي للسملاليين نجحت في خلق تحالف قوي بين أهل مزگيطة وقبائل إمغران. ويظهر أن السملاليين أدركوا خطورة هذه التحالفات القبلية ضد وجودهم بدرعة، لذلك حشد أبو حسون السملالي قوة كبيرة وهاجم واحة مزگيطة سنة 1050 / 1640، فهدم عددا من القصور وخرب السواقي، ثم قام القائد عدي السوسي بمحاولة اقتحام قصبة تمنوگالت، إلا أن أهل مزگيطة وإمغران، تصدوا لهجوم القوات السملالية وألحقوا بها خسائر فادحة، فقتلوا من أهل سوس ما يزيد على تسعمائة رجل واستولوا على ذخائر هامة من الأسلحة والأموال (*إبليغ*، 117 ـ 118) وتؤكد كل الدلائل والمعطيات التاريخية أن هذه المعركة، كانت قاصمة بالنسبة لأبي حسون السملالي، إذ لم يتمكن بعدها من فرض وجوده بدرعة، كما فتحت الباب أمام أنصار مَحمد بن الشريف العلوي بوادي درعة.

وبعد بزوغ نجم السلطان الرشيد العلوي، على إثر مقتل أخيه مَحمد ببسيط أنگاد سنة 1075 / 1664، كانت بلاد درعة تشكل أحد أعمدة إمارته، فعهد للقائد محمد الأنگادي (جد آل القائد التامنوگالي) بالإشراف على إدارة أمور وادي درعة، فاستقر القائد محمد بقصبة تمنوگالت وقد ظل حفدة القائد يمارسون السلطة على قبائل أهل مزگيطة، انطلاقا من قصبة تمنوگالت منذ ذلك الحين إلى غاية الثلاثينات من القرن العشرين.

كانت قصبة تمنوگالت، في عهد أسرة آل القائد التامنوگالي، مقصدا لأهل الصلاح والعلم، حيث كان بعض قوادها يحرصون على تشكيل حاشيتهم من أهل الصلاح والعلم، وهكذا استقدم القائد الحسن بعض مرابطي زاوية سيدي صالح بأكتاوة، ثم بدا له أن يستقدم بعض الناصريين من تامگروت. وكان لهؤلاء المرابطين دور حيوي في الحفاظ على التوازن الداخلي لسكان قصبة تمنوگالت، كما كانوا يقومون بدور صمَّام أمن إبان الأزمات الاجتماعية والسياسية، سواء بالنسبة لدار القيادة أو بالنسبة لسكان قصبة تمنوگالت خاصة وقبائل أهل مزگيطة عموماً، حيث كان هؤلاء المرابطون يقومون بدور الحكم للحفاظ على الاستقرار والأمن العام.

ويرجع الفضل للناصريين والصالحيين في إنشاء مدرسة علمية بقصبة تمنوگالت، وقد عرفت هذه المدرسة أوج عزها بشكل خاص مع العلامة محمد المكي الناصري الدرعي (المتوفى سنة 1356 / 1937) وقد كان هذا الرجل علماً من

أعلام الشريعة والعلوم الفقهية في وقته، ليس بقصبة تمنوگالت فحسب وإنما في كل وادي درعة، وقد تخرج عليه جم غفير من فقهاء درعة من أمثال القاضي محمد بن الشافعي الأنصاري، ومحمد الترغي، ومحمد بن لحبيب التامنوگالي صاحب *العقود الجوهرية* وغيرهم (*أعلام درعة*، 68). كما استقدم غيره إلى قصبة تمنوگالت بعض الأشراف العلويين من قصر تمتيگ بفزواطة، لخلق توازن جديد أمام المرابطين الذين اندمجوا في الحياة العامة لقصبة تامنوگالت بعد سلسلة من المصاهرات مع دار آل القائد التامنوگالي.

برزت قصبة تمنوگالت في نهاية القرن الثالث عشر (19م) ومطلع الرابع عشر (20 م) كأقوى مركز معارض لنفوذ أسرة الأگلاوي بوادي درعة كما سنرى تفاصيل ذلك خلال تراجم ورجال أيت القائد التامنوگاليين. وبالرغم من أن آخرهم القائد علي التامنوگالي أدرك أن الظروف تسير لغير صالح دار القيادة بتمنوگالت فإنه حاول أن يتعاون مع السلطة الفرنسية، إلا أن نفوذ كلمة الأگلاوي بوادي درعة جعل دور قصبة تمنوگالت وقيادتها يتقلص باستمرار. وانتهى دور قصبة تمنوگالت السياسي والإداري بعد تأسيس مكتب الشؤون الأهلية بتلال أگدز على بعد حوالي عشرة كيلومترات شمال تمنوگالت. وتحولت القصبة إلى قصر عادي لا يختلف عن باقي القصور إلا بشموخ جدرانها وبقايا الأوشام المعمارية على أبراجها تحكي في استحياء لزوارها ما كان لها من أمجاد في عصور غير بعيدة.

م. ا بن لحبيب التامنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ المهدي الناصري، *الرحلة الزاهرة إلى درعة العامرة*، مخطوط ؛ *أعلام درعة*، البيضاء، 1974 ؛ م. المختار السوسي، *إيليغ* ؛ مارمول كاربخال، *افريقيا*، ج 3، تر. محمد حجي ومن معه، الرباط، 1989 ؛ أ. البوزيدي، *تاريخ درعة الاجتماعي*، د. د. ع. الرباط، 1988.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la Haute Vallée du Draa*, *A.M.*, V. 9n Tome II ; *Souvenirs d'un colonialiste*, Paris, 1951 ; *Les pays inaccessibles du Haut Draa*, R.G.M., n° 1 et 9, 1929 ; Ouhajou, *Cadres Sociaux de l'irrigation dans la vallée du Draa* (inédit).

أحمد البوزيدي

**تَمُورُو**، من الأسر الرباطية التي عدّها محمد بوجندار من الأسر الأندلسية القاطنة بالرباط. وبما أن المهاجرين الأندلسيين إلى الرباط (ضفتي أبي رقراق) كانوا قد هاجروا بعد سنة 1018 / 1609 أي بعد قرار فيليب III بطرد مسلمي الأقاليم الأندلسية، فتكون أسرة تمورُو قد هاجرت ضمن المطرودين من العائلات الأندلسية مثل مورينو وأشكلانط وبلامبو... واللائحة طويلة.

إن المؤلفات التاريخية وكتب الحوليات والسير مثل كتاب *الضعيف* و*أعلام* بوجندار ودينية تعرضت إلى أغلبية الأسر الرباطية التي لعبت فيها الأسر ذات الأصل الأندلسي دوراً مهما في السياسة والعلم والثقافة، ولكن هناك أسر تكاد تكون مغمورة، فأصحاب المؤلفات المذكورة لم يشيروا إلى بعضها ومنها أسرة تمورُو عدا ما جاء في كتاب *مقدمة الفتح* الذي أشار فيه مؤلفه إلى أنها من الأسر الأندلسية، فربما يعزى ذلك إلى عدم اشتهار أفرادها بما يستحق ذكره عندهم.

محمد بوجندار، *مقدمة الفتح في تاريخ رباط الفتح*، الرباط 1345هـ ص. 194 ؛ *معلومات خاصة*.

عبد الإله الفاسي

**التموين** بالمغرب خلال الحرب العالمية الثانية، خلقت الحرب بالمغرب أحوالاً من الضيق والقلة جعلت سلطات الحماية تنظم تزويد السكان بالمواد الأساسية، بعد أن سنت من القوانين ما تصبح بمقتضاه كل الموارد الطبيعية والبشرية والاقتصادية في خدمة المجهود الحربي الفرنسي.

وقد خلق تفاحش الاستغلال الفرنسي للمغرب في هذه الفترة، بسبب ما كانت تنقله فرنسا من ثروات وخيرات، وضعية خصاص كبير، أصبحت معه المواد الأساسية نادرة، وقلّت الثياب والصابون ومواد الوقود، مما حتم اتباع نظام جديد في توزيع المواد الضرورية. وظهر ما سمي آنذاك بنظام "التموين"، ويقضي بتقنين المواد وحصر الكميات الموزعة منها، وتحديد حصة كل شخص منها في الشهر. كان لهذا النظام قد طبق في فرنسا ابتداءً من يونيو 1940، ثم انتقل العمل به إلى المغرب، وتم ذلك بقرار مقيمي ظهر بالجريدة الرسمية في 19 يوليوز 1940 وضعت بموجبه بطاقات التموين للحصول على المواد المقننة. ويعتبر هذا القرار تتمة لثلاثة قرارات سابقة : هي قرار شتنبر 1938، وشتنبر 1939، المتعلقان بتنظيم البلاد في حالة الحرب، وقرار منتصف شتنبر 1939، الذي تأسست بمقتضاه إدارة المصالح الاقتصادية في حالة الحرب. ولم يكن قرار التموين هذا يهم في البداية سوى الأوربيين، لكنه اتسع فيما بعد ليشمل المغاربة. وكانت بطاقات الحصول على المواد المقننة تمنح من قبل رؤساء المصالح البلدية والسلطات المحلية، على إثر طلب يتقدم به الشخص، ويتضمن الأشخاص الموجودين تحت كفالته. وكانت كل بطاقة مصحوبة بورقة موزعة إلى قسيمات مرقمة يسمى كل واحد منها "تقطيع" أو "مقتطع" أو "بون"، ويمثل كل منها منتجا مقننا رصدته لها إدارة التموين. وكانت لا تصلح إلا لشهر واحد. ويتغير لونها كل ستة أشهر.

وانطلاقا من صدور القرار المنظم للتموين بالبطاقات، أصبحت بلديات المدن هي التي تتولى توزيع المواد الضرورية. وكانت المقادير المخصصة لكل شهر قليلة جدا، بالإضافة إلى أنها كانت تتناقص شهراً عن شهر. ففي أبريل مثلا من سنة 1942 وزعت بلدية الرباط مقابل ورقة التموين :

السكر 700 غرام للشخص
الشاي 20 غرام للشخص
الزيت 400 غرام للشخص
الصابون الجامد 125 غرام للشخص
الصابون المائع 100 غرام للشخص

وفي يوليوز من السنة ذاتها، وزعت نفس البلدية 700 غرام من السكر مقابل المقتطع 15 من بطاقة التموين، ومن الزيت 230 غرام فقط مقابل المقتطع 17، أما حصة الشاي فقد نقصت إلى 5 غرامات. ورغم النزول الأمريكي بالمغرب في نونبر 1942، وما كان يروج من أن قوات الولايات المتحدة تحمل معها الخيرات، فإن الحصص الموزعة من المواد الأساسية لم تعرف أي تحسن، وظل المغاربة يقتنون حاجياتهم الضرورية بالشكل الذي عرف منذ سنة 1940. بل إن كميات السكر نقصت من 700 غرام في أبريل 1942 إلى 400 غرام في نونبر من نفس السنة.

وأصدرت "مصلحة التموين الأهلي" في مارس من سنة 1945 إعلاناً تنهي فيه إلى علم العموم أنها ستوزع 370 غرام من الزيت مقابل المقتطع 138 من بطاقة التمويل، و300 غرام من السكر مقابل المقتطع 138، وتجدر الإشارة هنا إلى أن البلاد عرفت خلال سنة 1945 هذه، مجاعة تعد من أخطر المجاعات.

كانت الصفوف تمتد أمام مراكز التموين، حيث كان الناس يذهبون إلى باب القاعة في الساعة الثانية عشر ليلا لانتظار توزيع قدر بسيط من الزيت على كل فرد، وهناك من كان يظل واقفاً عشر ساعات دون الحصول على قطرة واحدة. وقد عبر المرحوم الحسين السلاوي في أغنية له تحت عنوان "احْضِ راسك لا يْفُوْزُوا بك القَوْمَانْ يا فْلان"، عن اصطفاف المغاربة نساء ورجالا للتزود بالقليل من الزيت والكتان، وما كان يتخلل مدة الانتظار الطويلة من شجار وتلاكم بين المصطفين من أجل "النوبة"، ليصل أحياناً إلى العض والرعاف.

ونتيجة كثرة الطلب على المواد الأساسية، خلال فترة تقنين المواد وتوزيعها مقابل "البون"، كان المراقب وأعوانه من الشيوخ والمقدمين يحتكرون أوراق التموين لبيعها بأثمان مرتفعة جداً، أو لتقديمها مقابل خدمات في ضيعات المعمرين ومشاريعهم. وبهذا فإن عملية تقنين توزيع المواد الأساسية كانت تفتح الباب على مصراعيه أمام استغلال أوراق التموين لمآرب شخصية، وأمام الاغتناء والاحتكار والسوق السوداء. ثم إن التقنين لم يكن مفروضاً بالشكل الذي رأيناه من التقشف والتقتير، سوى على المغاربة. ذلك أنه من بين أربع عشرة مادة أساسية مقننة كان للفرنسيين كامل الحرية في الحصول عليها، لم يكن يسمح للمغاربة بالحصول سوى على خمس منها وبمقدار. وبينما كان الفرنسيون يحصلون مثلا على 500 غرام من السكر للشخص و250 غرام من الصابون، بالإضافة إلى الشكولاطة والكاويبل، في سنة 1945، وهي سنة مجاعة مهولة، لم يكن المغاربة يتوصلون سوى بالقليل الأقل من السكر والصابون.

انتهت الحرب العالمية الثانية، واستمر العمل ببطاقات التموين طيلة سنة 1946، حيث أخبر قسم التموين التابع لإدارة المصالح البلدية أنه سيوزع 500 غرام من السكر مقابل المقتطع 171، و400 غرام من الزيت مقابل المقتطع 172، و150 غرام من الصابون مقابل المقتطع 173. وتابعت مصلحة التموين العمل بالبطاقات على طول سنة 1947 وجزء كبير من سنة 1948.

وقد أوضحت الفترة التي استمر فيها التموين بالأوراق، من يونيو 1940 إلى صيف 1948، بما لا مزيد عليه من البيان، ما كان يطبع عملية توزيع المواد من تمييز بين الفرنسيين الذين كانت الخزائن رهن إشارتهم، والمغاربة الذين كانت تقدم لهم المواد بكثير من التقتير والتقشف. وكان لهذا التمييز في التعامل أثر كبير في فتح أعين المغاربة على زيف الشعارات التي كانت تلوح بها الدولة الحامية.

*الجريدة الرسمية* ؛ *السعادة* ؛ *الوداد* ؛ *العلم* ؛ *الرواية الشفوية*.

P. Esquillat, *Le ravitaillement en France en temps de guerre*; Parti de l'Istiqlal, *Maroc*.

بوجمعة رويان

**تَمِيم**، أسرة تطوانية لاشك أن أصلها تونسي لأن أول فرد من هذه الأسرة بتطوان تذكره الوثائق كان يسمى تَميم عاشور بن محمد، ومن المعلوم أنه لم يكن من عادة التطوانيين التسمية بعاشور والشخص المذكور كان من بين الذين شهدوا بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم عندما قرر مولاي الرشيد استغراق ذمتهم وبيع أملاكهم وذلك بتاريخ 21 شوال 1078 / 4 أبريل 1668.

ومما يدل على المكانة الاجتماعية لأسرة تميم بتطوان أن ثلاثة من أفراد هذه الأسرة تولوا حكم المدينة في عصور مختلفة، حيث نجد الباشا محمد تَميم (الأول) يحكمها سنة 1002 / 1681، ونجد شخصا آخر يحمل نفس الاسم (تميم الثاني) حاكما بتطوان من سنة 1156 / 1743 إلى سنة 1163 / 1750. كما نجد ثالثا يدعى أحمد تميم يتولى حكم المدينة نيابة عن الحاكم العام بشمال المغرب الوزير السلاوي في حدود سنة 1224 / 1809.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 7 : 39 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 239، 3 : 242 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

**تميم، بن زيري** بن يعلى اليفرني، أبو الكمال، أحد أمراء بني يفرن بسلا خلال النصف الأول من القرن الخامس (11 م). وكان أخوه حمامة أسس إمارة سلا مقتطعة من إمارة فاس المغراوية التي كانت في أول أمرها تابعة للأمويين بالأندلس على عكس اليفرنيين، ووصل نفوذ إمارة سلا إلى تادلا أيام الأمير حمامة ثم أخيه تميم (*العبر*، 7 : 44 . 45). ويفهم من ظهير صادر عن الأمير تميم مؤرخ بأوائل ربيع الأول من سنة 409 / 1019 لفائدة الشيخ أبي جعفر إسحاق بن إسماعيل شيخ رباط آل أمغار في تيط (قرب أزمور) امتداد نفوذ إمارة سلا على ساحل تامسنا أيضاً، حيث يتضمن الظهير إعفاء آل أمغار من المغارم، ومنحهم حق التصرف في الزكاة والأعشار المحلية لتوزع

مباشرة على ذوي الحاجات (*بهجة الناظرين*، 52 ـ 53). وبمقارنة التاريخ الوارد في الظهير وهو 409 مع تاريخ وفاة الأمير تميم الوارد في *روض القرطاس* وهو سنة 448 يتبين أن مدة حكم هذا الأمير استمرت حوالي نصف قرن، فكان أهم أمراء سلا اليفرنيين خاصة إذا تفحصنا علاقته مع كل من برغواطة وإمارة فاس، فامتداد نفوذه جنوبيا إلى تادلا داخليا وإلى أزمور (على الأقل) ساحلياً يفرض اصطدامه مع إمارة برغواطة التي ظهرت بأرض تامسنا منذ القرن الثاني (8 م)، وواجهت كلاً من الأدارسة وأمويِّي الأندلس في فترة العامريين... يقول صاحب *القرطاس* عن تميم : "كان مولعاً بجهاد برغواطة، كان يغزوهم في كل سنة مرتين فيقتل منهم ويسبي، فلم يزل على ذلك إلى أن مات سنة 448" (ص. 110)، ويقول ابن خلدون : "فغلبهم على تامسنا، وولّى عليها من قبله بعد أن أثخن فيهم سبياً وقتلا" ( *العبر*، 6 : 434)، أما البكري المعاصر للأحداث فيقول عنه : "غلبهم على بلادهم وسباهم وجلا من بقي منهم، واستوطن ديارهم، وانقطع أمرهم، وعفا آثارهم، ولم يبق لضلالتهم باقية..." (141).

وتبرز المصادر الأمير تميم حاكما عادلا ومجاهدا، إذ أنها اعتبرت الحرب ضد برغواطة "جهادا" لاتهامها بالانحراف عن الإسلام. ويبدو أن إمارة برغواطة انهارت ـ أو على الأقل تقوقعت في بعض الجهات الداخلية الحصينة من أرض تامسنا ـ لتفسح المجال لامتداد نفوذ سلا إلى تادلا وما وراءها، وستسترجع قواها بعد موت تميم، لكن صعود المرابطين من الجنوب لم يتح لها الاستمرار ( *العبر*، 7 : 434).

هذا الامتداد جنوباً لإمارة سلا منذ العشرينات خاصة كانت تقابله عملية امتداد شرقاً بالاتجاه إلى فاس في العشرينات أيضاً، حيث تمكن تميم بواسطة حملة عسكرية مهمة من إبعاد أمرائها المغراويين نحو المغرب الأوسط طيلة خمس أو سبع سنوات، ثم تمكن هؤلاء من استرجاع نفوذهم بفاس، وتراجع الأمير تميم إلى عاصمته سلا. بحيث يمكن القول إن الأمير تميماً ربما كان أعظم أمراء المغرب الأقصى وأوسعهم نفوذاً خلال العشرينات من القرن الخامس. ومن الملاحظ أن بعض المصادر عندما تتحدث عن وجود الأمير تميم بفاس تذكر قتله لعدد كبير من يهودها دون أن تبرر ذلك، مكتفية بالإشارة إلى أنه "أخذ أموالهم وسبى حريمهم" (*القرطاس*)، فهل يرجع السبب في ذلك إلى محاولة جمع المال لتمويل أعماله العسكرية ؟ أم أن العملية تدخل في إطار محاولة لإضعاف مكانة فاس الاقتصادية التي كانت سلا عاجزة عن منافستها على أساس افتراض أن اليهود كان لهم دور اقتصادي هام بالمدينة ؟ فالقرطاس يتحدث عن هذه الأهمية لمدينة فاس في النصف الأول من القرن الخامس قبل بدء التحرك المرابطي داخل المغرب الأقصى الشمالي (ص 111 و113).

ضعفت إمارة سلا بعد موت تميم حيث تكونت إمارتان يفرنيتان على حسابها ـ فيما يبدو ـ في تادلا وأغمات، كما انتعشت من جديد إمارة برغواطة ولكن لسنوات قليلة حيث سيتغلب المرابطون عليها وعلى بقية الإمارات في الخمسينات والستينات من القرن الخامس.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 141 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 109 ـ 110 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 434، 7 : 44 ـ 45 و73 ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، 2 : 165 ـ 166 ؛ ع. الزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط خ. ع. د. 1343 ود 1501 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 1 : 172 ـ 173.

أحمد عزاوي

**تميم، محمد** التطواني (الأول)، كل ما نعرفه عن هذا الشخص هو أنه كان يحكم تطوان نيابة عن الحاكم العام بشمال المغرب الباشا علي بن عبد الله الحمامي الريفي عندما عينه السلطان مولاي إسماعيل سفيراً له لدى ملك فرنسا لويس الرابع عشر Louis XIV، حيث كان محمد تميم أول سفير بعثه العاهل المغربي إلى فرنسا وكان وصوله إلى ميناء بريست يوم 17 أكتوبر 1681 وإلى باريس يوم 30 ديسمبر من نفس السنة، وأما استقباله من لدن العاهل الفرنسي فقد كان يوم 4 يناير 1682.

وفي يوم 20 محرم 1093 / 29 يناير 1682 وقّع السفير المغربي على معاهدة صلح وصداقة بين المغرب وفرنسا، وفي يوم 10 فبراير استقبل تميم استقبال وداع من طرف العاهل الفرنسي وفي يوم 25 من نفس الشهر غادر تميم العاصمة الفرنسية متوجهاً إلى ميناء طولون عبر ليون وأفينيون ومرسيلية وكان حلوله بطولون يوم 28 مارس وهو اليوم الذي غادر فيه الميناء المذكور.

تميم حاكم تطوان

ونتوفر على رسالتين وجههما تميم إلى كل من ملك فرنسا وإلى الوزير Seignelay من تطوان بتاريخ 27 ربيع الثاني/5 ماي 1682. وقد أعاد نشرهما الفقيه داود في كتابه *تاريخ تطوان* (1 : 265).

وفي سنة 1098 / 1687 توجه تميم مرة ثانية إلى فرنسا ولكنه لم يسمح له بمتابعة سفره عند وصوله إلى ميناء طولون كما يستنتج من الرسالة التي وجهها الباشا علي بن عبد الله الحمامي إلى الملك لويس الرابع عشر بتاريخ 30 جمادى الأولى 1098 / 13 أبريل 1687.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 261 . 265 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ *سفير تطواني في بلاط لويز الرابع عشر* (تحت الطبع).
Ch. Penz, *Les rois de France et le Maroc*, Casablanca, 1945.

**تميم، محمد** التطواني (الثاني)، قائد حكم تطوان بعد مقتل الباشا أحمد الريفي سنة 1156 / 1743 وكان في أول الأمر يشتغل بحرفة النجارة. ويبدو أن تعيينه حاكما على المدينة كان من طرف سكانها ثم وافقهم على ذلك السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل. وكان أول عمل قام به بعد توليته هو إعادة بناء أسوار المدينة وقصبتها التي كان قد هدمها الباشا أحمد الريفي، وصرف على ذلك من ماله الخاص الذي ورثه من أخ له توفي باسطنبول سنة 1157 / 1744.

وفي سنة 1160 / 1747 ثار الأمير مولاي المستضئ ضد أخيه السلطان مولاي عبد الله، وبعد مبايعته من طرف سكان العرائش وأصيلا وطنجة توجه إلى تطوان مطالبا بمبايعته، وحيث إن أهل تطوان، وعلى رأسهم قائدهم التميمي، امتنعوا من تلبية رغبته، فقد قام بمحاصرة المدينة لمدة ثلاثة أشهر كان خلالها يقوم بقنبلتها بواسطة المدافع التي أعاره إيّاها حاكم سبتة الإسباني لكن دون جدوى، لأن مولاي المستضئ اضطر إلى رفع الحصار.

وفي سنة 1163 / 1750 عرفت تطوان أحداثا مهولة على يد عصابة كانت تقوم بأعمال الشغب ضد الأهالي، وتتكون العصابة من خمسة أشخاص هم عبد الفضيل الصّردو وعبد السلام بن محمد بن قريش وعبد الكريم الصّردو ومحمد البشري ومحمد بن عبد السلام الغازي، وكانت النتيجة أن اغتيل الباشا تميم وهو يصلي بجامع القصبة يوم الجمعة 7 ذي القعدة 1163 / 9 أكتوبر 1750.

م. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 7 : 39 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 231 . 239، 3 : 58 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

**تميم، بن معنصر** المغراوي، وهو حفيد حماد بن معنصر ابن المعز بن زيري بن عطية المغراوي وآخر أمراء قبيلة مغراوة الزناتية التي حكمت منطقة فاس بين سنة 362 هـ / 972 م و سنة 462 هـ / 1070 م بعد أن طردوا الأدارسة منها إلى المناطق الشمالية الغربية. وقد تزامنت فترة حكم تميم المغراوي (460 هـ / 1068 م - 462 هـ / 1070 م) مع تصاعد وتيرة فتوحات المرابطين بالمغرب الأقصى ونهاية إمارة مغراوة بفاس. وإذا كانت المصادر قد أهملت الحديث عن فترة ولاية تميم، كما هو الشأن بالنسبة لمعظم أحداث القرن الخامس (11 م)، فإنها ركزت مع ذلك على اللحظات الأخيرة من حكمه عندما اصطدم بالجيش المرابطي الزاحف لتوحيد البلاد والقضاء على الإمارات والكيانات السياسية مثل برغواطة بتامسنا وبني خزرون بسجلماسة ومغراوة بفاس... الخ. وتجدر الإشارة إلى أن والد تميم معنصر بن حماد حاول قبله صد الهجمات المرابطية التي كانت تستهدف مدينة فاس بعد أن استعاد سيطرته عليها من جديد، وتمكن من قتل عامل يوسف بن تاشفين عليها ومن كان معه من لمتونة. ثم زحف بعد ذلك إلى صاحب مكناسة مهدي بن يوسف الجزنائي حليف المرابطين فهزمه بعد مواجهات عنيفة انتهت بمقتله وبعث برأسه إلى صاحب سبتة سقوت البرغواطي عدو المرابطين اللدود، لكن تصميم وعزم صنهاجة اللثام على حصار فاس كان أقوى من صمود معنصر الذي قتل سنة 460 هـ / 1068 م.

تحت تأثير هذه الأحداث وحدة تصارعها بايع أهل فاس الأمير تميماً الذي كان يعلم جيداً أن البيعة في هذه الظروف تعني متابعة مسيرة والده معنصر في مدافعة الخطر المرابطي عن فاس، فكانت أيامه أيام حصار وفتنة وجهد في مواجهة اللمتونيين الذين كانوا يهددون إمارته في كل لحظة وحين. ومن المعلوم أن يوسف بن تاشفين كان في هذه الفترة مشغولاً يفتح بلاد غمارة الشئ الذي ساعد تميماً على الاستمرار في حكم فاس سنتين أخريين. ولما انتهى يوسف ابن تاشفين من فتح بلاد غمارة، وأخضع لسيطرته أغلب مناطق الريف الغربي توجه إلى المناطق الوسطى وبالضبط منطقة فاس بهدف ربط شمال المغرب الأقصى بوسطه إذ كانت فاس تشكل في هذه الفترة موقعاً استراتيجيا بالغ الأهمية بالنسبة لمسار الفتوحات المرابطية في اتجاه الشمال والغرب والشرق. لذلك وجه الامير المرابطي كل ثقله العسكري والبشري لحصار المدينة وتشديد الخناق عليها، فلما رأى تميم بن معنصر أن "الأمر قد اشتد عليه وطالت عليه الفتنة وانقطعت عنه المواد والموارد وعدمت الأقوات جمع جيشاً عظيماً من مغراوة وبني يفرن وخرج إلى المرابطين، فكانت الهزيمة عليه" (*القرطاس*، 140). وتمكن المرابطون من اقتحام فاس وقتل أميرها تميم بن معنصر سنة 462 ومن كان معه من قبائل مغراوة وبني يفرن ومكناسة وخلق كثير إلى درجة أن المصادر اختلفت في تحديد عدد القتلى، فابن خلدون يشير إلى أن هذا العدد وصل إلى ثلاثة آلاف بينما يذكر ابن الخطيب أن الحصيلة تتعدى العشرين ألفاً ويبلغ التناقض مداه عند ابن أبي زرع الذي أشار في *القرطاس* إلى الرقمين السابقين معاً خلال حديثه عن دولة تميم، ومرة أخرى عندما تحدث عن الأعمال العسكرية ليوسف بن تاشفين. وعلى الرغم من التضارب الواضح في هذه الروايات فإن ما يمكن استنتاجه منها هو الخسائر البشرية الفادحة التي مني بها الزناتيون، ومما يؤكد هذا أن نفس المصادر أجمعت على أن قتلى زناتة ملأت

أسواق المدينة وشوارعها وكذلك جامع القرويين وجامع الأندلس حتى عجز الناس عن دفنهم فرادى، فاتخذوا لهم الأخاديد وأقبروا جماعات. لكن المرابطين لم يكتفوا بهذا بل نجد يوسف يأمر جنده بهدم أسوار المدينة التي تفصل عدوة القرويين عن عدوة الأندلس، وجعلها مجالاً واحداً وأحاطها بسور واحد حتى لا تقوم فيها لزناتة بعد ذلك قائمة.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1983، 4 : 28 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972، ص 113، 114، 139، 140، 141 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء، 1979، ص 28 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، 7 : 75 ـ 76 ؛ ابن الخطيب، *أعمال الاعلام (القسم الثالث)*، تح. أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، 1964، ص 163 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1951، 1 : 224.

رشيد السلامي

**تميم، بن يوسف** بن تاشفين، يكنى أبا طاهر، وهو من أهم رجالات لمتونة لما عرف به من حنكة ودراية بأمور الإدارة والجيش. ولاه أبوه في سنة 467 / 1074 على منطقة اغمات ومراكش وبلاد السوس والمصامدة وتادلا وتامسنا (*القرطاس*، 142 ؛ *الاستقصا*، 2 : 30). ويغلب على الظن أنه اشتغل بهذا المنصب مدة طويلة من الزمن لأن المصادر التاريخية لم تشر إلى ما يدل على قيامه بأي نشاط آخر حتى سنة 500 / 1106 باستثناء عبوره إلى الأندلس رفقة أبيه يوسف في جوازه الرابع (*الحلل*، 77).

لما توفي يوسف بن تاشفين أعلن تميم بيعته لأخيه الأصغر علي ولي العهد. واضطر مع رفض الأمير يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين والي فاس مبايعة علي بن يوسف إلى التقدم بالجيوش من مراكش في اتجاه فاس قبل أن يلتحق به السلطان علي، لكن لما علم يحيى بن أبي بكر بأن لا طاقة له بحرب الجيوش المرابطية فرّ عن مقر ولايته وأسلم المدينة لعمه يوم الأربعاء ثامن ربيع الآخر سنة 500 / 7 دجنبر 1106.

عين تميم بن يوسف واليا على مدينة فاس بعد إبعاد يحيى بن أبي بكر عنها. ومعلوم أن ولاية فاس كانت من المناصب الجليلة لدى المرابطين لأن المشتغل بها كان بمثابة أمير المغرب تماماً كما هو الحال بالنسبة لولاية غرناطة التي كان صاحبها هو أمير المرابطين على الأندلس. وقد تم عزل الأمير يحيى عن هذا المنصب بعد أن اجتاز علي بن يوسف جوازه الأول إلى الأندلس فعين تميماً على ولاية غرناطة وشرع في ممارسة مهامه في منصبه الجديد سنة 501 / 1107.

وجه الأمير تميم اهتمامه نحو الجهاد فعمل على النظر في أسباب الغزو وأحسن إلى الجند ثم خرج من غرناطة إلى جيان وهناك انتظر اجتماع جيوش الأندلس فاجتمع إليه صاحب قرطبة ابن أبي زنفي وصاحب مرسية أبو عبد الله محمد بن عائشة وصاحب بلنسية أبو محمد عبد الله بن فاطمة ثم قصد بعد ذلك حصن أقليش Uclés وكان له مع القشتاليين به حرب دارت فيها الدائرة على النصارى وقتل فيها أمير قتشالة دون سانشو Don Sancho وعدد كبير من الكونتات فكان هذا الانتصار دليل يمن وبركة بولاية علي بن يوسف في أول دولته، وكانت هذه الوقعة في نفس سنة تعيين تميم أميراً على الأندلس (*ابن الكردبوس*، 114 ؛ *القرطاس*، 159 ؛ *البيان*، 4 : 50 ؛ *نظم الجمان*، 66 ؛ هويسي ميراندا، *علي بن يوسف*، ص، 153 ـ 157 *ووقعة أقليش*، ص. 115 ـ 130).

عزل تميم عن ولاية غرناطة سنة 503 / 1109 لما جاز علي ابن يوسف إلى الأندلس جوازه الثاني الذي كان الغرض منه فتح مدينة طلبرية، وعين واليا على تلمسان مدة تراوحت بين سبع وثمان سنوات على اعتبار أن ابن عذاري جعل تاريخ عزل تميم عن غرناطة سنة 504 هـ / 1110 م (*البيان*، 4 : 56). ويهمنا أن تميما كان واليا على بلنسية عام 511 هـ / 1117 م (*القرطاس*، ص. 164). ثم عين سنة 515 هـ / 1121 م على ولاية غرناطة والأندلس بأجمعها بعد ثورة أهل قرطبة على الوالي المرابطي أبي يحيى بن روادة (*الحلل*، 70 ـ 71 ؛ *نظم الجمان*، 32).

استمرت ولاية تميم على غرناطة سنة كاملة ثم عينه أخوه علي بن يوسف على إشبيلية سنة 516 هـ / 1122 م ثم عزله عنها بعد سنة وأربعة أشهر (*البيان*، 4 : 67). وفي سنة 519 هـ / 1125 م عين مجدداً على غرناطة وهي السنة التي قام خلالها ألفونسو المحارب ملك أراغون بالهجوم على كل بلاد الأندلس في حملة دامت ثلاثة عشر شهراً اتجه خلالها نحو غرناطة بدعوة من النصارى المعاهدين (*الإحاطة*، 1 : 110 ؛ *البيان*، 4 : 70 ـ 71 ؛ *الحلل*، 93 ـ 94).

وفي سنة 520 / 1126 عزل تميم عن إمارة الأندلس من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف بعد أن ساءت علاقته بأهل غرناطة. فقد ورد في كتاب *الحلل* أن القاضي أبا الوليد بن رشد لما قدم إلى مراكش في هذه السنة سعى إلى السلطان المرابطي في غرضين : أولهما تغريب النصارى المعاهدين وإخراجهم من ديارهم بسبب ما صدر منهم من الإعانة للفونسو المحارب ملك أرغون في حملته على الأندلس وثانيهما عزل الأمير تميم عن ولاية الأندلس (*الحلل*، ص. 98).

ويرجع السبب فيما وصلت إليه العلاقة بين أبي طاهر تميم وأهل غرناطة إلى ما نسبوه إليه من تقاعس في مواجهة حملة الفونسو المحارب، ذلك أنه لما تحركت جيوش أراغون من وادي آش Guadix في اتجاه غرناطة خرج الأمير تميم على رأس جيوشه للقاء العدو فمشى مسافة أميال ثم صدر إلى المدينة فظهرت طلائع جيوش العدو في غد صدوره إليها (*البيان*، 4 : 70) وبعد أن أقامت الجيوس الأراغونية ما يقرب من عشرة أيام بضواحي غرناطة دون مواجهة مع الجيوش المرابطية ارتحلت إلى الجبال المجاورة فتعقبها الأمير تميم حتى حصن أرنْسُولْ Arnizol إلى الجنوب من غرناطة. وحدث أثناء ذلك أن أمر تميم برفع خبائه من وهدة كان فيها

إلى ربوة عالية فأساء الناس به الظنون وأخذوا في الفرار واختل أمر جيوشه (*البيان*، 4 : 71)

عين الأمير تميم واليا على مدينة فاس بعد عودته من الأندلس واستمر في شغل هذا المنصب إلى أن عزله السلطان علي بن يوسف وولى مكانه محمد بن يزول سنة 523 هـ / 1129 م (*البيان*، 4 : 78). فيكون بذلك كل من ابن أبي زرع والناصري قد جانبا الصواب حين جعلا تاريخ وفاة تميم سنة 520 هـ / 1126 م (*القرطاس*، 124 ؛ *الاستقصا*، 2 : 68). وقد انقطعت أخبار تميم من مختلف المصادر المتداولة بعد تاريخ عزله عن ولاية فاس وهو ما يرجح أن يكون تاريخ وفاته بعد ذلك بقليل.

ابن الكردبوس، *تاريخ الأندلس*، مدريد، 1971 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 2، الدار البيضاء، 1954 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج. 4، بيروت، 1983؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، ج. 1، القاهرة، 1973 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء، 1979 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، بيروت 1990 ؛ هويسي ميراندا، *علي بن يوسف وأعماله بالأندلس*، مجلة *تطوان*، العدد 3 ـ 4، 1958 ؛"*وقعة أقليش ومصرع دون شانجة*"، مجلة *تطوان*، العدد الثاني، 1957.

حسن حافظي علوي

**التميمي**، أسرة عربية نابهة دخلت بلاد المغرب والأندلس في وقت مبكر ربما يرجع إلى عهد الفتح الإسلامي. ومن أوائل رؤسائهم المذكورين في التاريخ الأغلب بن سالم التميمي، من دعاة العباسيين طبقة أبي مسلم الخراساني. وجهه أبو جعفر المنصور العباسي إلى افريقية ليضبط شؤونها ويطارد الخوارج الملتجئين إليها. وهو والد إبراهيم بن الأغلب رأس الامارة الأغلبية التي حكمت افريقية وصقلية نحو قرن ونصف قرن.

ذكر ابن خلدون أن سلف التميميين كانوا في المهدية من جملة أجناد بني تميم إلى أن انتقل منهم علي بن إبراهيم إلى تونس لخدمة السلطان الحفصي المستنصر محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص (647 ـ 675 / 1249 ـ 1277) فقلده خطة القضاء واستعمله على كتابة علامته في الرسائل والأوامر الكبرى والصغرى، كما أسند إلى ولده محمد بن علي التميمي قضاء تلمسان. ولما استولى السلطان أبو الحسن المريني على تلمسان أعجب بشخصية قاضيها التميمي وسعة أفق علمه، فاختصه بتعليم ولده أبي عنان وتأديبه. وهكذا دخل هذا الفرع التميمي إلى فاس. وعاش فريق آخر من التميميين قبل ذلك في تاهرت، ومنها انتقل بعضهم في القرن الخامس (11 م) إلى فاس ثم إلى سبتة. وقد نجب من التميميين عدد وافر من الفقهاء والأدباء تولوا أسمى المناصب من وزارة وحجابة وكتابة وقضاء في كل الحواضر التي عاشوا فيها.

محمد حجي

**التميمي، محمد** بن **الحسن** بن عتيق بن الحسن بن محمد بن حسن بن منصور الجنب. أصله من المهدية بإفريقية، وسكنت أسرته مراكش، وعرفت بخدمة الموحدين، وقد تسلسل القضاء في أسرته. عين قاضيا بكل من شريش بالأندلس، وأغمات أُوريكة، كما ولي بمراكش خطة قضاء المناكح.

وتوفي بمراكش سنة 650 هـ ودفن بجبانة باب تاغزوت، واحتفل الناس لشهود جنازته وأثنوا على صلاحه.

م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. م. بن شريفة، الرباط، 1984، 8 : 286؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. الرباط، 4 : 552.

**التميمي، محمد** بن **عيسى** بن حسين السبتي، ويعرف بابن الدقاق. أصل أسرته من تاهرت، ومنها انتقل جده إلى مدينة فاس، وبها ولد سنة 428 هـ، ثم انتقل مع أبيه إلى سبتة وهو شاب، وبها درس على عدد من العلماء، فلازم الشيخ أبا محمد المسيلي وتفقه عليه وعلى أبي عبد الله بن العجوز. ثم رحل إلى أشبيلية طلبا للعلم، فأخذ الأدب عن أبي بكر بن القصيرة، وبعد رجوعه إلى سبتة تقلد خطة الشورى في أخريات أيام سگوت البرغواطي. ثم عاود الرحلة إلى الأندلس طلبا للمزيد من العلم مرتين، كانت إحداهما إلى المرية سنة 480 هـ، فسمع من أبي عبد الله بن المرابط *صحيح البخاري*، وأجاز له أبو العباس العذري الدلائي.

أما رحلته الثانية فكانت إلى قرطبة سنة 488 هـ، وفيها سمع من بعض العلماء كأبي علي الجياني وابن الطلاع وأبي عبد الله بن فرج وأبي مروان بن سراج وأبي الحسن العبسي. وقد أقام بقرطبة نحواً من عامين.

وقد أكثر التميمي من الاتصال بالعلماء والأخذ عنهم، فسمع من ابن سعدون وأبي القاسم الباجي وابن وضاح، والقاضي أبي علي الصدفي عند مروره بسبتة راجعا من المشرق.

أصبح التميمي بفضل توسعه في طلب العلم من أجل شيوخ سبتة، وكان حافظا، عارفاً بالفقه حتى اعتبر إمام المغرب في وقته، كما كان مليح الخط والكتابة والمحاضرة.

درس الفقه بسبتة، فتفقه عليه عدد كبير من فقهائها، ومنهم جماعة من العلماء أمثال قاضي الجماعة في العصر المرابطي عبد الله بن منصور اللخمي، وقاضي سبتة أبو اسحاق بن يربوع، والفقيه أبو بكر بن صلاح، والفقيه أبو عبد الله ابن قاسم، والفقيه أبو علي بن سهل، وأبو محمد ابن شبونة وقاضي سبتة محمد بن عبود التنوخي، والفقيه المؤرخ محمد بن حمادة البرنسي صاحب *اختصار المدارك* الذي ذكره فيه وبالغ في الثناء عليه.

أما أكثر تلاميذه ملازمة له فهو القاضي عياض الذي ناظر عليه في *المدونة والموطأ*، وسمع منه عدداً من مصنفات الحديث، وذكره على رأس شيوخه في *الغنية*.

وقد اشتهر علمه وذاع صيته، فرحل إليه طلاب العلم من مختلف البلدان، حتى قال عنه تلميذه محمد بن حمادة: "ولم يكن في قطر من الأقطار بعد يحيى بن يحيى من

حمل عنه الناس أكثر منه ولا أكثر نجابة من أصحابه، وما منهم أحد إلا قدم للقضاء والشورى" (*ترتيب المدارك*، 8 : 200).

وعرف عنه تضلعه في الفقه المالكي، فكان أحفظ الناس للمسائل، لذلك اعتمد عليه عدد من القضاة في الفتوى، وكانت الأسئلة تأتي إليه من قاضي الجماعة ابن حمدين بقرطبة، ومن القاضي ابن شبرين من أشبيلية، ومن قاضي فاس ابن الملجوم وغيرهم.

وقد جمع إلى سعة العلم نبل الأخلاق وحسن العشرة، فكان شديد الاهتمام بتلاميذه كثير السؤال عنهم والمواساة لهم، كما كان عميق التدين كثير الإقبال على الصدقة وأعمال البر، إلى جانب اهتمامه بالمظهر والتأنق في اللباس والسمت الحسن حتى سمي بالفقيه العاقل، وقد جلب له كل ذلك حب الناس فحظي بتعظيم الخاصة والعامة.

ولي قضاة سبتة نحو ست سنوات، ثم طلب إعفاءه من ذلك لأسباب لم تذكرها المصادر، وطال إلحاحه فأُعفي سنة 496 هـ، وخلال مدة قضائه أشرف على توسيع جامع سبتة، وزاد فيه مقدار الثلثين.

وبعد تركه للقضاء بقي مشاوراً بسبتة لقاضيها أبي القاسم المعافري، إلى أن عرض عليه قضاء مدينة فاس فرفض، وسجن من أجل ذلك فقبله سنة 503 هـ، وخلال مدة قضائه بفاس أشرف على الزيادة في جامع القرويين حيث زيد فيه الباب الغربي الذي أصبح يعرف بعد بباب العدول.

وقد كان التميمي مدة قضائه نزيها محمود السيرة حريصا على إقامة العدل إلى أن توفي في جمادى الأولى سنة 505 هـ بسبتة، وخصص له أهلها جنازة حافلة "وولعت العامة بنعشه مسحا بالأكف ولمساً بأطراف الثياب تبركاً به". ( *الغنية*، 29).


القاضي عياض، ترتيب *المدارك*،تح. سعيد أعراب، الرباط، ج 7: 42 ؛ *الغنية*، تح. ماهر جرار، بيروت،، ط. 1، 1982 ، ص. 27 ـ 29 ؛ ابن حمادة البرنسي، مختصر *المدارك*، ملحق بالجزء 8 من *ترتيب المدارك* لعياض، تح. سعيد أعراب، المحمدية،، 1983، ص. 199 ـ 201 ؛ ابن بشكوال، *الصلة في تاريخ أئمة الأندلس*، القاهرة، 1966، ج 2 : 605 ؛ ابن الآبار، *المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي*، القاهرة، 1967، ص. 101 ؛ *التكملة لكتاب الصلة*، القاهرة، 1955، ص. 372 ؛ الجزنائي، جنى *زهرة الآس في بناء مدينة فاس*، الرباط، 1967، ص. 65 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة *الاقتباس*، الرباط، 1973، ج 1 : 252 ـ 254 ؛ أ. المقري، *ازهار الرياض في أخبار عياض*، ج 3، تح. مصطفى السقا وآخرين، المحمدية، 1980، ج 3 : 159 ؛ شمس الدين الذهبي، سير *أعلام النبلاء*، تح. بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، بيروت، 1984، ج 21 : 266 ؛ م. مخلوف، شجرة *النور*، بيروت، 1349، ص. 124.


محمد المغراوي

**التميمي، محمد** بن **قاسم** بن عبد الرحمن بن عبد الكريم. تدل نسبته على أنه عربي ينتمي إلى قبيلة تميم، مثله في هذه النسبة مثل معاصره عبد الواحد المراكشي التميمي مؤلف *المعجب*، ولا نعرف متى نزل أهله بمدينة فاس، ويبدو من معرفته الكبيرة بأعلام هذه المدينة وتاريخها أنه فاسي عريق. لم يذكر الذين ترجموا له تاريخ ولادة، ونقدر بناء على بعض القرائن أنه قد يكون ولد في العقد الثالث من القرن السادس الهجري.

كان أول شيخ جلس بين يديه لتلقي العلم في فاس ـ بعد أن حفظ القرآن الكريم ـ هو العالم المصلح القاضي العادل أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بابن الرمّامة (ت.567 هـ) وقد أخذ العلم عن غيره من أئمة العلم في فاس يومئذ كأبي إسحاق إبراهيم ابن قرقول (ت. 569 هـ) وأبي الحسن علي بن أحمد بن حنين (ت. 569 هـ) وأبي الحسن علي بن الحسن اللواتي (ت. 573 هـ) وأبي الحسن علي بن موسى المعروف بابن النقرات (595 هـ).

وأبرز هؤلاء الشيوخ بعد ابن الرمامة هو ابن حنين الذي غلبت عليه هذه الشهرة "لتجديده مسجداً منسوباً لابن حنين والتزامه الإمامة به والتدريس فيه ستا وستين سنة".

ولم يكتف التميمي بما قرأ وروى عن هؤلاء الشيوخ في مدينة فاس وطمحت نفسه إلى المزيد من الرواية فقصد مدينة سبتة وأخذ العلم عن اثنين من كبار علماء الحديث بها وهما أبو عبد الله محمد ابن الغازي صاحب القاضي عياض وتلميذه (ت. 591 هـ) وأبو محمد عبد الله ابن عبيد الله الحجري (ت. 591 هـ).

إن أبرز شيء في حياة التميمي هو رحلته إلى المشرق وإقامته الطويلة فيه، فقد حجَّ وأقام ببلاد المشرق خمسة عشر عاماً ولقي خلال إقامته وفي طريق ذهابه وإيابه عدداً كبيراً من أهل الحديث، إذ كان منذ بدايته مولعاً به وأصبح لذلك "محدثا حافظا ذاكرا للحديث ورجاله وتواريخهم وطبقاتهم.. وحدث بالمشرق والمغرب".

وقد بلغ عدد شيوخ العلم الذين أخذ عنهم نحو مائة شيخ ذكرهم بتفصيل في برنامج سماه : *النجوم المشرقة، في ذكر من أخذنا عنه من كل ثبت وثقة*، ويبدو أنه شعر بطول هذا البرنامج فاختصره في مجلد لطيف، وقد وقف المؤرخ المحدث ابن عبد الملك المراكشي على هذا *البرنامج المختصر* ونقل عنه معظم أسماء المحدثين الذين روى عنهم التميمي في الأمصار الإسلامية التي مرّ بها أو أقام فيها بالحجاز ومصر وليبيا وتونس.

ولما رجع التميمي إلى فاس أقبل على بث العلم الذي اكتسبه في صدور الرجال وتدوينه واحتفل بتدوينه في بطون الكتب، وقد ذكر ابن عربي الحاتمي في *الفتوحات المكية* أن التميمي كان يؤم بالناس ويلقي دروسه في المسجد الأزهر الموجود في الحي المعروف بعين الخيل وهو مسجد لايزال قائم الذات ويصعد إليه بدرج كما يقول الأستاذ المرحوم محمد الفاسي.

لقد حدث التميمي بالمشرق والمغرب، وروى عنه الحديث جماعة منهم أبو الحسن على الشلطيشي وأبو عبد الله

محمدابن مجبر التجيبي السبتي وأبو العباس أحمد بن أبي الربيع بن ناهض وأبو مروان عبد الملك التوزري المعروف بابن الكردبوس مؤلف كتاب *الاكتفاء في أخبار الخلفاء*، وقد لقيه التميمي بالاسكندرية وسمع منه *الموطأ* ثم لقيه بتونس وأخذ عنه أيضا بها.

وممن أخذ عن التميمي بفاس الشيخ محيي الدين ابن عربي كما سبق ذكره، فقد روى عنه في *الفتوحات المكية* (4 : 541) خبراً يتعلق بأبي عبد الله الدقاق وقال : "خرج مناقبه شيخنا أبو عبد الله ابن عبد الكريم المذكور آنفاً في كتاب *المستفاد، في ذكر الصالحين والعُبّاد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد*". وروى عنه في *الفتوحات* أيضا (4 : 549) حديثا سمعه منه بمدينة فاس سنة 591 هـ وحديثاً آخر سمعه منه بالمدينة نفسها سنة 594 هـ.

وقد وجدت البلوي مؤلف كتاب *ألف با* يسوق في كتابه هذا (2 : 395) حديثاً مسلسلاً يرويه التميمي فلعله ممن أخذ عنه بالاسكندرية أو لقيه بالأندلس. ومن تلاميذ التميمي الذين لم يذكرهم ابن عبد الملك ابن فرتون الفاسي مؤلف كتاب *الذيل* فقد ذكره في هذا الكتاب وقال فيه : "شيخنا الحاج محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي" ونقل عن كتابه *المستفاد*.

وإذا كان ابن عبد الملك المراكشي لم يتتبّع عدد الآخذين عن التميمي فإنه عنى بإثبات معظم مصنفاته فذكر منها ما يلي :

1 ـ كتاب *المستفاد، في مناقب العباد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد*. وهو يقع في سفرين. 2 ـ *أدب المريد السّالك، والطريق إلى الواحد المالك*. 3 ـ *رسالة البرهان، في ذكر حنين النفوس إلى الأحبة والأوطان*. 4 ـ *اللمعة، في ذكر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده السبعة*. 5 ـ *الإنابة، في ذكر طريق أهل الاستجابة*، وهو يقع في جزأين. 6 ـ *الإيضاح، عن طريق أهل الصلاح*. 7 ـ *كشف أحوال المفتونين، عن الدنيا بالدين*. 8 ـ *بستان العابدين، وريحان العارفين، في ذكر أهل الصفوة، والانقطاع إلى الله بالخلوة*. 9 ـ *التعزية، في المصائب والرزية*. 10 ـ *الأغذية*، مما جاء في الحديث. 11 ـ *تحفة الطالب، ومنية الراغب، في الأحاديث النبوية، العلية السنية*. 12 ـ *المنتقى من بهجة المجالس*. ويبدو أنه اختصار لكتاب ابن عبد البر الذي اختصره أيضاً بعد التميمي ابن ليون التجيبي. 13 ـ *زاد الحاج*. وهو في مناسك الحج. 14 ـ *الأربعون حديثا*. وقد أنهى ابن عبد الملك هذا التعداد بقوله : "إلى غير ذلك.." وهي عبارة يفهم منها أن للتميمي مصنفات أخرى غير التي ذكرها.

ومهما يكن من أمر فإنه لم يصل إلينا من مصنفات الرجل إلا قطعة من الكتاب الأول الذي هو *المستفاد*. أما المؤلفات الأخرى فهي مع الأسف ممّا ضاع من تراثنا المغربي القديم "وهذا ـ كما يقول الأستاذ المرحوم محمد الفاسي ـ أقصى ما يمكن أن يبلغ إليه الإهمال وعدم الاكتراث، عفا الله عن سلف أمتنا". وقد كاد الاهمال وعدم الاكتراث يسلب التميمي أشهر تآليفه الذي هو *المستفاد*، إذ نسبه عدد من المؤلفين إلى محمد بن علي الفندلاوي وهو عالم فاسي كان معاصراً للتميمي.

ونظراً لضياع مصنفات التميمي فإن كل ما يمكن معرفته عنها هو ما تدل عليه عناوينها، فبعضها ـ حسب ذلك ـ في الحديث النبوي والسيرة النبوية والطب النبوي والأدب النبوي ومناسك الحج، وبعضها الآخر ـ وهو معظمها ـ في التصوف وما يرجع إليه، ويعتبر *المستفاد* و*البرنامج المختصر* الوحيدين من كتب التميمي الذين ورد وصفهما أو النقل عنهما في بعض المصادر ؛ فقد وقف ابن الأبار على *البرنامج المختصر*، وذكر ابن عبد الملك أنه وقف كذلك على نسخة من هذا المختصر بخط التميمي نفسه. وأما كتاب *المستفاد* فقد ذكره ونقل عنه عدد من المؤلفين، ووصل إلينا لحسن الحظ جزء صالح منه يشتمل على 80 ترجمة، وجميع المترجمين هم من العبّاد، وفيهم المشهورون مثل أبي يعزى وأبي مدين، وفيهم المغمورون وهم الأكثرون عدداً، وكلهم عاشوا زمنا قل أو كثر في مدينة فاس، وقد عرف التميمي عدداً كبيراً منهم وخالطهم في فاس وغيرها.

وإذا كان هذا الكتاب يعرفنا بالزهاد والعباد الذين عاشوا في فاس في القرن السادس الهجري فإنه يعرفنا أيضا بالتوجه الصوفي للتميمي وهو التوجه الذي كان له من بداية حياته إلى نهايتها، يقول في ترجمة أبي يعزى : "رأيته بمدينة فاس وصل إليها وأنا إذ ذاك صغير، فحملني إليه والدي ودعالي وجريده على رأسي، ثم لما كبرت سافرت إليه إلى موضعه مع جماعة من المريدين".

وقد تعلق التميمي بهذا الشيخ ذي المناقب والأحوال العجيبة، وسافر للقائه في مراكش لما استدعي الشيخ إليها، وأراد أن يلازمه في إروگان فلم يوافقه الشيخ، قال : "وفي وقت إقامتي عنده أخذتني حالة فبُغّضت إلي الدنيا، وكرهت الرجوع لموطني، وقلت لا أدخل مكانا عصيت فيه ربي، وعزمت على ذلك، فقال لي الشيخ : لا يمكنك ذلك لأن لك والدة والمقام معها وبرك بها أفضل، فامتنعت من ذلك وبكيت فعزم علي فرجعت"، ومن كبار شيوخ التصوف الذين تأثر بهم : أبو الحسن علي بن حرزهم فقد أدركه واختلف إليه كما يقول في *المستفاد* وقال إنه لم يخلفه مثله في الكلام على *الرعاية* للمحاسبي.

ومن مظاهر التوجه الصوفي عند التميمي أيضا أنه كان منذ صغره يتأبط *رسالة القشيري* وقد ذكرها في *المستفاد* أكثر من مرة، قال في ترجمة أبي مدين الغوث :

"وفي أول اتصالي به أتيته في منزله فوجدته وحده فأدخلني في البيت فأخرجت كتاب *الرسالة* للقشيري فقلت له ياسيدي أريد أن أقرأ عليك هذا الكتاب فقال لي : أنت صغير ويطول عليك الكتاب لكن اعمل بحديث واحد وقد حصل لك جميع الكتاب والعمل به فقلت له وما ذاك ؟ فقال لي : قال النبي صلى الله عليه وسلم : حب الدنيا رأس كل خطيئة. فازهد فيها واتركها تنلْ فضيلة هذا الحديث وان عملت به كفاك".

وقد بدا توجه التميمي الصوفي واضحاً خلال رحلته وسياحته الصوفية وجواره بمكة المكرمة، ويبدو أن رحلة التميمي إلى المشرق كانت بعد وفاة شيخه ومربيه أبي يعزى التي كانت عام 572 هـ بل إنها كانت بعد عام 575 هـ أو خلالها لأنه يخبرنا في *المستفاد* أنه لقي المهدوي بفاس في هذا العام.

وقبل رحلته بنية الحج بشّره بذلك الشيخ الصالح المقرئ أبو عبد الله التاودي قال في ترجمته : "ومشيت إليه يوماً زائراً فوجدته في الكتّاب مع الصبيان، فقال لهم : سلّموا على عمكم الحاج ففعلوا ذلك، فقلت له : ما هذا ؟ فقال لي : هذا وقع بسرّي، فقلت لعل الله يفعل ذلك، فما أقمت إلا قليلا وخطر ببالي المسير إلى الحج ويسّر الله ذلك بمنه" وقد كان هذا قبل سنة 577 هـ لأنه ذكر في ترجمة أبي يدّو ما يلي : "كنت اجتمع مع أبي يدّو عند الشيخ أبي مدين رحمه الله بمدينة فاس حرسها الله تعالى، ثم خرج من مدينة فاس إلى المشرق لأداء حجة الفريضة فأداها ثم استوطن بمدينة الاسكندرية فلما مشيت إلى المشرق اجتمعت به وكنت أزوره، وتوفي رحمه الله بالاسكندرية وحضرت جنازته وذلك في عام 577 هـ أو بعد ذلك أشك في ذلك".

ونقدّر أن بداية رحلته كانت خلال سنة 575 هـ وهذا ما يستفاد من كلام له يقول فيه : " لما مشيت للمشرق كنت قد ريّضت نفسي على الصبر والاحتمال لأني قلت إني أتغرب وأدخل بلاداً لا أُعرف فيها، فلما وصلت الاسكندرية أقمت بها أشهراً في المدرسة عند الإمام الحافظ السلفي وتأدبت بأدب الذين رأيت هناك من المصريين وأهل الشام والعراق والعجم، فلما توفي الحافظ رحمه الله خرجت إلى مكة". ومن المعروف أن وفاة الحافظ السلفي كانت "خامس شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة".

ولا بأس أن نورد بقية كلامه لما له من دلالة على تصوفه وطبيعته المغربية : "وكنت ألقى طلبة العلم والعلماء والصوفية في كل بلد أدخله حتى وصلت إلى مكة ودخلتها وفي رأسي نخوة الصوفية وقلت : ماتت نفسي، فدخلت يوماً إلى زمزم وبيدي ركوة فيها شريط وذلك في أيام الموسم فوجدت على البير جماعة من المشرق هم من اليمن وليس عندهم بما يستقون من الماء فلما ألقيت الركوة في البير ورفعتها أخذها أحدهم فشرب ثم ناولها آخر فشرب ثم آخر حتى فرغت فألقيتها في البير مرة ثانية ورفعتها فلما وصلت فم البير أخذها أيضا أحدهم فشرب ثم أعطاها لصاحبه ثم دارت بينهم حتى فرغ الماء فألقيت بها مرة ثالثة وقد خالطني الغضب ولست أدري أين أنا مما غلب علي من الغضب، فلما طلعت الركوة وحصلت على فم البير أخذها أحدهم فشرب فلما أزالها عن فيه خطفتُها من يده وضربته بها على وجهه، وبالله ما عرفت ما صنعت ولا أين كنت، فما انتهرني ولاسبني وما زاد على أن قال لي : يا حاج أو في مثل هذا الموضع تصنع هذا وأنا وأنت ومَنْ حضر هنا ضياف الله فكيف تصنع هذا بضيفه في بيته ؟ فرجع إلي عقلي وألقيت بنفسي على رجله أقبلها وقلت له : اجعلني في حل، فقال لي : غفر الله لك وجعلك في حل مما صنعت".

لقد ذكرنا قبل أن التميمي كان مولعاً بطلب الحديث ولقاء رجاله ولكن ولعه بالتصوف وأهله - كما رأينا - هو الغالب عليه، قال في ترجمة ابن الحداد تلميذ ابن حرزهم : "ولما اجتمعت به بمكة بعد قضاء الحج رآني أتكلم في أمر السفر فقال لي : إلى المغرب ترجع لأجل الوالدة ؟ قلت له : إنما أريد العراق، فقال لي : ما كان الظن بك هذا، تأتي إلى بيت الله ثم تتركه وتمشي إلى العراق ما أرى نيتك كانت خالصة لهذا البيت، إنما جئت لترى البلاد وتتنزّه فيها فيكون حظ نفس عاجل وما أعتقد فيك ذلك، فنبّهني على قبح ذلك الخاطر الذي خطر لي مع أني ما كنت أريد دخول العراق إلا للقاء العلماء وأهل الحديث، وعلمت أيضا أن الحق في الذي قال لي، وما كان ذلك الخاطر إلا خاطر طرد عن الحرم الشريف".

ولعلّ ممّا يدل على أن التصوف تغلب على الحديث عند التميمي ما لاحظه أصحاب النقد الحديثي عليه، فقد قال ابن الأبار فيه : "ولم يكن بالضابط وقفت بخطه على أوهام وأغلاط" وقال ابن عبد الملك : "ولم يكن في ضبطه بذاك".

هذا هو التميمي الفاسي الذي نعتبره المؤسس السابق لأدب المناقب في المغرب والثاني اللاحق به هو التادلي مؤلف *التشوف*، وثالثهما عبد الحق البادسي، فقد توفي الأول آخر سنة ثلاث وستمائة أو في أول سنة أربع وستمائة وتوفي الثاني سنة سبع أو ثمان وعشرين وستمائة وعاش الثالث فيما يبدو إلى ما بعد هذا التاريخ.

م. التميمي نفسه، *المستفاد*، قطعة مخطوطة ؛ م. ابن الابار، *التكملة*، 682، ط. 1956 ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 8 : 352 - 356 ؛ م. ابن عربي، *الفتوحات المكية* ؛ م. ابن عيشون، *الروض* (نسخة مرقونة من إعداد زهراء النظام) ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أ. التوفيق ؛ م. بنشريفة، *حول كتاب المستفاد*، *دعوة الحق*، عدد 259 ؛ م. الفاسي، *التميمي والفندلاوي*، *دعوة الحق*، عدد 262.

محمد بن شريفة

**التميمي، محمد** بن **محمد** بن **أحمد** بن علي بن إبراهيم بن عبد الله أبي عمرو، فقيه مشارك، أخذ عن والده القاضي وغيره من علماء فاس وتربى لحسن حظه مع الأمير أبي عنان المريني ونسب إلى جده الأعلى فدُعي محمد بن أبي عمرو، وحظي منذ صغره بما يوفره البلاط المريني من امتيازات وأسباب الرفاهية مما لم يحلم به كثير من متعلمي ذلك العصر، حتى إذا شب وصلب عوده اصطفاه السلطان أبو عنان لما تولى حكم البلاد (749 - 759 هـ / 1348 - 1358 م) "وجعله من أقرب مقربيه وأخلص خلصائه ورقاه من منزلة إلى أخرى، حتى إذا أوفى به على سائر المراتب، وجعل إليه العلامة والقيادة والحجابة

والسفارة وديوان الجند والحساب والقهرمة وسائر ألقاب دولته وخصوصيات داره، فانصرفت إليه الوجوه ووقف ببابه أشراف من الأعياص والقبائل والشرفاء والعلماء، وسرب إليه العمال أموال الجباية تزلفاً وتقرباً إليه لقضاء حاجة أو للظفر بالتفاتة" ( *العبر*، 7 : 607).

تؤكد أهمية هذه المناصب مدى قوة شخصية ابن أبي عمرو وحضوره السياسي لدرجة أصبح معها الرجل القوي الذي يعتمد عليه السلطان أبو عنان في كل أمور دولته "فكان في الحضرة الفاسية الناهي الآمر، والراكب من أفراس تدبيرها الجسيم لا الضامر" (مستودع، 36) ومن الأمور الحسنة التي تنسب إليه أنه لعب دوراً إيجابياً في رأب الصدع الذي وقع على إثر ثورة أبي عنان على والده السلطان أبي الحسن، فاستطاع بنفوذ شخصيته وذكائه، تحسين العلاقات بين الأب وابنه ونسيان سلبيات الماضي ليعترف الأول بمتغيرات الواقع السياسي الجديد ويتخلى لابنه عن السلطة.

وعندما كان أبو عنان يتخذ من تلمسان قاعدة لتوجيه حملاته العسكرية إلى كل من المغرب الأوسط وتونس، كانت تقوم بين الفينة والأخرى ثورات محلية معارضة للوجود المريني، من أخطرها ثورة أهل بجاية بزعامة الحاجب فارح مولى محمد بن سيد الناس التي انتهت سنة 753/ 1352 بمقتل عمر بن علي الوطاسي عامل أبي عنان على المدينة. وقد دفعت خطورة هذه الأحداث السلطان إلى اختيار الحاجب محمد ابن أبي عمرو التميمي على رأس قوة عسكرية مكونة من خمسة آلاف فارس لإخماد ثورة بجاية والقضاء على زعمائها، حتى إذا تمكن من تحقيق ذلك عينه أبو عنان خليفة له على بجاية سنة 754 هـ فكان مدة ولايته بها حميد السيرة عادلا بين الناس كما شهد بذلك ابن خلدون الذي كان من بين المرافقين للحاجب ابن أبي عمرو إلى بجاية وقد حصل بدوره على الخُلع والجوائز من السلطان، كما وعده بتجديد الإقطاعات التي كانت لقومه ببلد بجاية، ومن غير المستبعد أن يكون أبو عنان قد أوصى حاجبه التميمي بالاهتمام بابن خلدون والإبقاء على الامتيازات المادية والمعنوية لأسرته.

استمر ابن أبي عمرو على بجاية مدة عامين ثبّت خلالها الوجود المريني بالمنطقة وحارب المتمردين بها أو بالمناطق المجاورة خاصة قسنطينة إلى أن وافته المنية سنة 756 هـ / 1355م، فنقل السلطان نعشه إلى مقبرة والده القاضي محمد التميمي بتلمسان حيث دفن بجواره.


ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، 7 : 597، 601، 603، 610 ؛ *التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً*، تح. محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة، 1951 ؛ ابن الأحمر، *مستودع العلامة*، تح. محمد التركي ومحمد بن تاويت، تطوان، 1964، ص 36، 37 ؛ *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص 28 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. محمد الاحمدي أبو النور، القاهرة، 1971، 2 : 265 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، 3 : 184، 186.


**التميمي، محمد** بن **محمد** بن **محمد** بن أحمد سابق الترجمة، يكنى أبا الفضل. فقيه أديب حيسوبي، وسياسي محنك قال في حقه لسان الدين ابن الخطيب : "حامل العلوم التي سد بها الذرائع، والمطيل لسانه في حفظ علوم الشرائع، المستولي على المعرفة بالفقه والفرائض، ومذلل جماح جياد الأصول إذ لم يزل لها برائض، وأستاذ العربية والحساب ..." (*مستودع العلامة*، 38).

تولى الحجابة والكتابة للسلطان المريني أبي فارس موسى بن أبي عنان في مدة حكمه ما بين 786 / 1384 و788/ 1386، وكأنه ورث منصب الحجابة والكتابة عن أبيه.

وعن بداية تولية أبي الفضل لشؤون الحجابة تشير المصادر إلى أن السلطان موسى بن أبي عنان لما بسط نفوذه على المغرب الأقصى بعد إقصائه لسلفه أبي العباس أحمد بن أبي سالم ونفيه إلى الأندلس، كانت له رغبة أكيدة في التخلص من استبداد حاجبه ووزيره مسعود بن ماساي الذي كان يعتبر الآمر الناهي في أمور البلاد والرجل القوي في الحكم، مما جعل السلطان موسى يفاوض كاتبه أبا الفضل التميمي في تنحية ابن ماساي ويقربه هو إليه "فاستخلصه للشورى، ورفعه على منابر أهل الدولة، وجعل إليه كتابة علامته على المراسم السلطانية، كما كان لأبيه، وكان يفاوضه في مهماته ويرجع إليه في أموره" ( *العبر*، 7 : 751) وكان يبعثه في مهام سفارية إلى الأندلس عند بني الأحمر ملوك غرناطة.

لكن هذه الحظوة لم تجعل أبا الفضل في منأى عن المؤامرات والدسائس التي أصبح مستهدفاً لها من طرف كثير من أعدائه وخصومه كمسعود بن ماساي والقاضي إبراهيم اليزناسني اللذين عملا كثيراً على زعزعة علاقة التميمي بالسلطان موسى وزحزحته من موقعه السياسي في الدولة. وفي خضم الأحداث التي تلت وفاة السلطان المريني سنة 788 هـ / 1386 م والتي تميزت بالسرعة والحدة من خلال تولية أميرين على حكم المغرب في فترة وجيزة جداً هما : المنتصر بالله أبو زيان محمد بن أبي العباس بن أبي سالم الذي حكم حوالي ثلاثة وأربعين يوماً فقط تحت استبداد الوزير مسعود بن ماساي، ثم الأمير الواثق بالله أبو زيان محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن الذي بويع بعده في نفس السنة تحت هيمنة ابن الأحمر صاحب غرناطة واستبداد الوزير مسعود. وبعد نشوب النزاع بين صاحب غرناطة والأمير المريني بسبب رغبة الأخير في استرجاع مدينة سبتة من هيمنة غرناطة إلى الحكم المريني، حاول ابن الأحمر ضرب أمراء بني مرين بعضهم ببعض واستغلال الأمراء الفارين إليه لخلق قلاقل وفتن داخل المغرب، هكذا أرسل صاحب غرناطة الأمير المريني المخلوع أحمد بن أبي سالم فاستولى على سبتة وفاس وخلع الأمير أبا زيان ثم بويع البيعة العامة سنة 789 هـ /1387 م واستعاد بذلك حكم المغرب للمرة الثانية، وقد دشن عهده بالانتقام من الذين كانوا وراء خلعه وتآمروا ضده أثناء ولايته الأولى التي

امتدت من 776 / 1374 م إلى 786 / 1384 م، واعتقل الوزير مسعود بن ماساي وقتله بعد تعذيبه وامتحان أهله وحاشيته، ثم اعتقل أيضاً أبا الفضل التميمي لموقفه منه خلال فترة نفيه بالأندلس إذ كان يمر عليه في بعض سفرياته عن سلطانه موسى بن أبي عنان إلى غرناطة ولا يهتم به ولا يقوم بتحيته، فأسرها أحمد في نفسه إلى حين عودته إلى المغرب واسترجاع ملكه لينتقم من التميمي ويعتقله. وقد أمر بتعذيبه وضربه بالسياط إلى أن قضى نحبه بالسجن وحمل إلى داره ليدفن، لكن السلطان إمعاناً في التنكيل بالتميمي أمر بحمله من نعشه وسحبه من حبل ربط في رجله والطواف به في شوارع وأزقة مدينة فاس ثم إلقاء جثته في بعض مزابلها، وكان ذلك سنة 789.

ومن غريب الصدف أن يكون عهد أبي العباس هذا قد شهد مقتل شخصيات لامعة في ميدان الفكر أو السياسة ذهبوا كلهم ضحية المساومات والمناورات أو الاطماع الشخصية، ومن هؤلاء المترجم له محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي، ولسان دين ابن الخطيب والوزير أبو بكر بن غازي ابن الكاس الورتاجني، والوزير محمد بن عثمان بن الكاس والوزير مسعود بن ماساي ثم القاضي رزوق بن توقريطين.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، 7 : 735، 738، 739، 751، 752 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص 36 ؛ *مستودع العلامة*، تح. محمد التركي ومحمد بن تاويت، تطوان، 1964، ص 37، 38 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص 237 ؛ *درة الحجال*، تح. محمد الاحمدي أبو النور، القاهرة، 1971، 2 : 276 ؛ *لقط الفرائد*، *ألف سنة من الوفيات*، 224 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، 4 : 75.

رشيد السلامي

**التمييز**، مصطلح عسكري تنظيمي موحدي يتضمن في ما يتضمنه مدلول الاستعراض العسكري وتنظيم الجيش استعدادا للمعركة أو للتنقل.

ويعود ظهوره، لأول مرة، إلى أيام المهدي بن تومرت، حيث قام عبد الله بن محسن البشير، أحد أقطاب الدعوة الموحدية بـ"تمييز" القبائل المخلصة من المشكوك في ولائها للدعوة ولصاحبها . وكانت النتيجة تصفية خمس قبائل حسب ما يذكر البيذق. ولا يماثل هذه العملية في القسوة، إلا ما حدث في بداية عهد الخلافة (544 هـ) لما قام الموحدون بوضع قوائم لجماعات تنتمي لمختلف القبائل فأعدموها. وهذه التصفية الثانية لا يطلق عليها اسم تمييز بل سميت "بالاعتراف".

وعلى هذا، وانطلاقا من قرائن أخرى، يبدو أن التمييز في عهد الأمبراطورية الموحدية لم يعد يتضمن معنى التصفية بل أصبح عملية تنظيمية تتوفر، مع تقدم الدولة ونظمها، على جهاز إداري يتمثل في ظهور "زمام" أو ديوان التمييز الذي يشرف عليه موظف سام يكلف بتنظيم وترتيب العساكر. هذا، ورغم وجود ذلك الموظف فإن عملية "التمييز" تتم دائما بحضور أحد أمراء أو قواد الجيش، أو بحضور الخليفة نفسه وذلك حين الاستعداد للغزوات أو التنقلات الكبرى.

ويستنتج من بعض المصادر أن ديوان التمييز، يهتم كذلك بإحصاء الجنود وتسجيل أسمائهم ورتبهم لضبط مبالغ أرزاقهم. ويذكر ابن صاحب الصلاة أن تمييز العرب وحدهم سنة 566 هـ دام خمسة عشر يوما مما يدل على أن الأمر لا يقتصر على مجرد استعراض بل يتعداه إلى الاهتمام بمختلف الجوانب المادية والبشرية والتقنية لأفراد الجيش الموحدي.

أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت...*، الرباط 1971 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، تح. ع. التازي، بيروت 1964.

رضوان مبارك

**تناخة** (أهل.) ← **الركيبات**

**تناسة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد انقرضت بتطوان سنة 1126 / 1714 وهي غير أسرة تاناسة المتقدمة الذكر.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

**التناكر**، اسم كان يطلق على حي سكني شعبي بالدار البيضاء خلال القرن التاسع واشتهر اسمه بمناسبة تعرض المدينة للقنبلة في غشت سنة 1907 من طرف الأسطول الفرنسي.

كان حي التناكر يقع إلى الغرب من مدينة الدار البيضاء، أي غرب المدينة القديمة. ويمتد من باب مراكش إلى سيدي علال القيرواني. وكانت مساكن الحي في غالبيتها من النوايل المبنية بالقصب والتراب أحياناً. وكان معظم ساكنيه من الطبقة الشعبية الفقيرة التي هاجر أفرادها إلى الدار البيضاء من القبائل المجاورة وكذلك من قبائل بعيدة كسوس وحاحة.

ومن وجهة نظر الأوربيين، كان حي التناكر حي العرب المعوزين، يقابله حي الملاح الذي يسكنه اليهود، والذي كان يقع بالجنوب الشرقي للمدينة. أما المدينة نفسها والتي كانت تحتضن باب مرسى الدار البيضاء، فكانت مقراً لسكنى التجار والموظفين والجالية الأجنبية كما كانت مقراً للقنصليات الأجنبية.

ويبدو أن حي التناكر كان في نظر الأوربيين وخاصة الفرنسيين هو الحي الذي يحتضن المعارضة الوطنية للمشاريع الاستغلالية الأجنبية. يتأكد ذلك من القمع الذي تعرض له السكان خلال حادثة الدار البيضاء المشار إليها.

ففي الصباح الباكر من يوم 5 غشت 1907 أفاق سكان حي التناكر على دوي المدافع تدك حيطان مساكنهم وألسنة النيران تلتهم نوايلهم، ذلك أن قائد البارجة الفرنسية

"غاليلي"، قد أرسل من طنجة إلى الدار البيضاء عقب مقتل تسعة عمال بالمرسى يوم 20 يوليوز، كمقدمة لحملة فرنسية موجهة لاحتلال المدينة ؛ غايتها فيما يبدو إرهاب سكان الدار البيضاء خاصة والمغاربة بصفة عامة، فشرع القائد في صباح ذلك اليوم في قنبلة الدار البيضاء مبتدئاً بحي التناكر الذي هدمت مساكنه وفر من بقي من ساكنيه أحياء إلى البوادي المجاورة. ومن سكان حي التناكر من التجأ إلى أرض عارية غرب حي التناكر، وهي أرض السور الجديد الذي كان الحسن الأول بناه لتتحول إليه الجالية الأجنبية، لكنها فضلت البقاء بالمدينة. وبالسور الجديد ارتكب الأسطول الفرنسي الذي وصل إلى الدار البيضاء يوم 7 غشت مجزرة جديدة في حق سكان الدار البيضاء ومعظمهم من سكان حي التناكر.

ويظهر أنه منذ هذه الكارثة التي حلت بالدار البيضاء سنة 1907 لم يعد لحي التناكر وجود في ظل الاستعمار الفرنسي، كحي شعبي من أحياء الدار البيضاء قريب من المدينة القديمة.

علال الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، 1991.

E. Aubin, *Au seuil du Maroc moderne*, 1948 ; Georges, *Ce que j'ai vu au Maroc, les journées de Casablanca*, 1908.

علال الخديمي

**تَنَالت**، مجموعةٌ من القرى تكوِّن قسماً من قبائل أيت صواب بالأطلس الصغير، وتبعد عن مدينة أكادير إلى جهة الجنوب الشرقي بحوالي 141 كلم عبر الطريق الممتد نحو بِيُوكْرا وَأيتْ باها وأيت صواب، ويبلغ سكان تانالت سنة 1971 حوالي ستمائة أسرة.

تعتبر تَانالت من الناحية الإدارية إحدى قيادات إقليم هشتوكة أيت باها الذي نشأ بموجب التقسيم الإداري الأخير سنة 1994. وهي جماعة قروية مركزية تمثل ثلاث جماعات لا مركزية : تانالت، وتارگانتُوشْكا وأوگُرْ. توجد بها عدة مرافق اقتصادية واجتماعية، منها : سوق أربعاء تنالت وثمان عشرة مدرسة من المدارس العتيقة أكثرها أهميةً مدرسة تنالت العلمية، وقد عرفت ازدهاراً علمياً واسعاً منذ منتصف القرن الثالث عشر (19 م) إلى الآن، وكان الأمر يعود في هذه الشهرة إلى جملة من العلماء الأجلاء من بينهم الحاج محمد اليزيدي (سنة 1283) والحسين التّياسينْتي وعمر المقرىء الشهير (سنة 1304) وداود الگرسيفيَ الأسگّاوْري، ومحمد بن عبد الله الصوابي (أقاريضي) والحاج عابد البوشواري، والحاج الحبيب التنالتي (1397) ثم الحاج إبراهيم الغازي (1412) وكان عدد الطلبة بهذه المدرسة سنة 1391 هو 130، وسنة 1408 هو 142 طالباً وعدد بيوت الطلبة 120 في هذه السنة الأخيرة، ومعلوم أن تموين هؤلاء الطلبة تقوم به القبيلة من قسط الأعشار والهبات. كما تساعد وزارة الأوقاف ابتداء من السنة المذكورة بمنحة تبلغ أربعين درهماً لكل طالب شهرياً.

**التنالتي**، محمد الحبيب بن إبرهيم بن عبد الله الإدريسي نسباً البوشواري أصلاً الميلكي الهشتوكي مولداً التنالتي مقاماً. ولد حوالي سنة 1282 / 1866 بقبيلة أيت ميلك إحدى قبائل هشتوكة، وكان والده قد انتقل من قبائل أيت وادريم وتزوج بهشتوكة حيث ولد صاحب الترجمة. حفظ القرآن على يد ثلّة من الفقهاء الأجلاء بهشتوكة أمثال محمد بن عبد السلام الميلكي ومحمد بن العربي المزالي، وأحمد بن محمد نايت لامين، والحاج علي الهلالي وسعيد المغراوي وغيرهم، وأتقن قراءات ورش وقالون والمكي، وأنهى هذه المرحلة الدراسية سنة 1314/ 1896 ثم شد الرحال في طلب العلم إلى جهات كثيرة، فدرس في سوس على العالمين العربي بن إبراهيم الصوابي والحاج عابد - عبد الرحمان - البوشواري ؛ وقرأ في مراكش على العلماء الطاهر بن محمد الهشتوكي (ازنيض) وأحمد الجيشتيمي ومحمد بن إبراهيم السباعي ؛ وفي تيزنيت على الشيخ ماء العينين ثم على ابنه المجاهد أحمد الهيبة وأخويه الشيخين النعمة ومربِّيه ربّه.

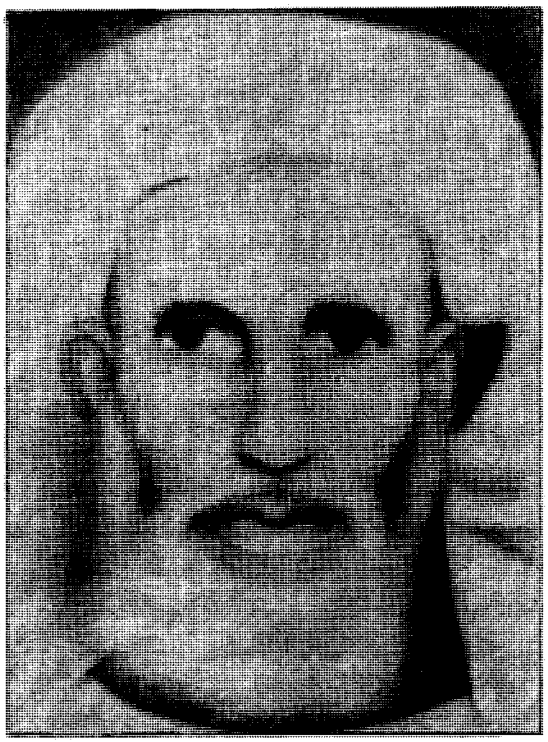

وما أن انتهى من تحصيل العلوم في حدود سنة 1322 / 1905 حتى ندب نفسه للعلم والجهاد والتفاني في المصلحة العامة وإنكار الذات، فقرر العزوف عن الزواج والأولاد والأموال وكرس حياته للتدريس بالمدارس العتيقة فترة من الزمن. وعند إعلان الحماية الفرنسية على المغرب في 11 ربيع الثاني 1330 هـ / 30 مارس 1912 م كان محمد الحبيب التنالتي من بين العلماء المشاهير في منطقة سوس وقد هبَّ منادياً للجهاد في إطار حركة أحمد الهيبة، وتقدم المجاهدين الهشتوكيين الذين لبوا دعوته لينضم إلى هذه الحركة في تيزنيت ويلتحق بجملة من العلماء المتنورين ممن اصطحبهم الشيخ أحمد الهيبة إلى مراكش بعد أن بايعوه

ليتولى رئاسة الجهاد، أمثال الشيخ المحفوظ الأدوزي والفقيه المؤرخ محمد بن أحمد الإكراري، والأديبين الطاهر ابن محمد الإفراني والبشير بن المدني الناصري، والشيخ علي بن عبد الله الإلغي، والشيخ محمد أُعَبُّو. وكان الحبيب، في هذه الفترة، مستشاراً خاصاً لأحمد الهيبة، وإلى جانب هؤلاء هناك جماعة من قادة الجهاد البارزين ممن سجلوا صفحات من الكفاح الوطني في مواجهة الاحتلال أمثال القائد الناجم الأخصاصي والقائد سعيد الباعمراني والقائد أحمد الأصباوي والقائد المدني الأخصاصي، وغيرهم.

وقد انطلقت الحركة من تيزنيت بقيادة الشيخ أحمد الهيبة متجهة إلى مراكش ومنها إلى سيدي بوعثمان، وأمام زحف الجنود الفرنسيين هناك واجهت الحركة الجهادية جيوشاً منظمة ومجهزة بأحدث الأسلحة فكانت النكسة، وعاد المجاهدون إلى سوس بعد أحداث لامجال لذكرها، حيث توجه الحاج الحبيب إلى مدرسة تنالت بقبيلة أيت صواب، وهناك واصل المقاومة الوطنية في عدة واجهات، فكان إلى جانب قيامه بالدور العلمي يؤازر الشيخ الهيبة بما يسدي إليه من نصح ومشورة وبما يقوم به من تعبئة السكان وتوعيتهم ضد الاستعمار وجيوشه التي غدت تزحف نحو جبال سوس والأطلس الصغير.

وأثناء قيامة بالسفرة الأولى لأداء مناسك الحج سنة 1331 / 1913 أخذ بالمدينة المنورة عن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني - وكان مهاجراً هناك - والشيخ يوسف بن إسماعيل النبهان، كما أخذ عن الشيخ عمر حمدان التونسي في الحرمين الشريفين. ووسع رحلته فزار دمشق ولبنان وإسطنبول. وتلقى من كل هؤلاء العلماء والمشايخ إجازات تثبت تضلعه في العلوم والمعارف السائدة يومئذ، وبالخصوص علوم الفقه والنحو والآداب العربية وعلوم التفسير والحديث والمنطق والبيان والحساب والسير والتاريخ. وإلى جانب الانهماك في تحصيل هذه المعارف كان مفتوناً بقراءة أمهات الكتب مما استغرق كل أوقاته.

كان لهذه التوعية التي يضطلع بها الحاج الحبيب في زمرة من رفاقه العلماء أثرها الواضح في إذكاء حماس رجال المقاومة وتعزيز صمودهم أمام الاحتلال الفرنسي في منطقة سوس، مما أخر احتلال هذه الجهة لمدة اثنتين وعشرين سنة، دارت خلالها عدة معارك، من بينها معركة أيت باها وأيت باعمران وأيت عبد الله وتافراوت وغيرها. إلى أن انقضّت الجيوش الفرنسية على جبال الأطلس الصغير وسوس فاحتلت كامل المنطقة سنة 1352 / 1934، فتم توزيعها بين الاستعمارين الفرنسي والإسباني.

وفي هذه الأثناء كان الحاج الحبيب مطارداً في جبال أيت صواب يتنقّل في خفاء إلى أن التجأ إلى أيت باعمران فعاش في منفاه هناك عدة شهور إلى أن توجه إلى الشرق لأداء فريضة الحج للمرة الثانية عام 1353 هـ / 1934 م. ولما عاد من الحج نزل بطنجة وكتب إلى القائد مولاي مَحمد يرعاه قائد هشتوكة بسوس ليستأذن له المخزن في الرجوع إلى بلده لمتابعة عمله في القيام بالتعليم، فعاد إلى تنالت من جديد وكانت شهرتها قد طبقت الآفاق منذ أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وقد مر بها ثلّة من الفقهاء المشهورين آخرهم العلامة الصوفي الحاج عابد البوشواري أحد شيوخ الحاج الحبيب التنالتي. وقد حول الحاج الحبيب هذه المدرسة إلى مركز إشعاع علمي وثقافي ومركز إرشاد وتوعية استمر زهاء ستين سنة من حياته حيث كانت تأوي مئات الطلبة الوافدين من جهات مختلفة.

وكانت منهجيته في التربية والتعليم مبنية على أساس التدرج والتوسط والمثابرة، فرتب طلبته على مستويين أوّلي ومتقدم، وسلك لكل منهما مسلكاً خاصاً، ولكنه لا يفرق بينهما في الرعاية والحنو، وعلى أساس من الشفافية في العلاقة بينه وبين طلبته كانت تتجلى له أحوالهم فيتحدث إليهم في شبه مكاشفة مما يعدُّونه من كراماته، فيجتهدون في التحصيل، وهم يبادلونه نفس الإحساس مما نجده في شهادة أحد طلبته حيث يقول : "أثناء إلقاء الدرس تُحس بشعاع من الضوء يتسرب إلى أعماق قلبك حيث يلين له الكلام وتستجيب له المعاني متدفقة متناسقة" فكان اهتمامه منحصراً في تثقيف الطلبة وتنمية معارفهم وتعهد أحوالهم، فإذا أحس بقلق أحد الطلبة، وكان الأمر يتعلق بحالته المادية، فإنه يعينه ويشجعه على التحصيل، وإذا تعلق بالجانب النفسي يختار له آيات من القرآن الكريم ويلقنه أدعية، وما أن يقرأها الطالب حتى ينجلي ما انطوت عليه نفسه فيطمئن قلبه للاجتهاد والتحصيل.

وقد كان قمة شامخة في العلم، ويعتبر العلم بالنسبة إليه عبادة، إذ كان لا ينصرف إلى الدرس إلا على طهارة وصلاة ركعتين والجلوس مستقبلاً القبلة، وقد درّس مختلف العلوم والفنون : الفقه وأصوله والتفسير والحديث والنحو والصرف واللغة، والأدب العربي والبيان والبديع والعروض وعلم المنطق والمواريث والتصوف، فكان إلى جانب اعتماد الكتب المرتبطة بالمواد الدراسية يوسع مطالعات الطلبة إلى بعض الكتب مثل *زاد المعاد* لابن القيم، و*شرح المرتضى لإحياء علوم الدين* للغزالي، و*لطائف المنن*، و*الأنوار القدسية* للشعراني و*ديوان الجشتيمي* و*ظهر الإسلام* لأحمد أمين، و*في ظلال القرآن* للسيد قطب، وكان يتبع عن كثب كبار العلماء المجاهدين ويستأنس بمواقفهم، أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وابن بادس وأبي شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي.

وقد تخرج على يد الحاج الحبيب أفواج كثيرة من المتعلمين على اختلاف مستوياتهم، منهم علماء وفقهاء ومحدثون انتشروا في المدارس العتيقة والعصرية، ومنهم تجار وموظفون يؤدون مهامهم في مختلف القطاعات الاجتماعية، ونظراً لتعلقه بالتدريس لم يخلف في مجال التأليف سوى بعض *الفتاوى ومقطعات شعرية ونماذج من إجازات وخطب وابتهالات*.

وفي مجال الإرشاد والتوعية الاجتماعية قام الحاج

محمد الحبيب بدور فعال، فهو وإن كان معرّضاً لمضايقات كثيرة ومراقبة صارمة من حكّام سلطة الحماية الفرنسية، مما تشهد به سجلات المركز الإداري بتنالت، فإن اشتهاره بالزهد والتجرد وحب الخير للجميع جعلت إشعاعه يتجاوز حدود هذه القيود والمضايقات، فتدفقت عليه - في عهد الحماية وعهد الاستقلال - أعداد هائلة من الزوار الوافدين من مختلف جهات المغرب، فإلى جانب قيامه بإرشاد سكان القبائل المجاورة وتحفيزهم ضد سلطات الاستعمار، وإصدار فتاوى في نوازلهم، والقيام بالمصالحة والتحكيم في النزاعات بين تلك القبائل، كان يستقبل في مجلسه وفوداً من مختلف الشرائح الاجتماعية من تجار وعلماء وموظفين ورجال الدولة وغيرهم، وقد أقبلوا عليه التماسا لنصائحه واستشاراته، أو تبركاً بعلمه وصلاحه لما يعتقدون فيه من خير - وهو أهل لذلك من غير شك - فإنه نظراً لما يتميز به من شفافية روحانية سرعان ما ينفذ إلى نفوس زواره وتنشرح له صدورهم، فيستفيدون من علمه وإرشاده ويستشيرونه في أخص شؤونهم، وبعضهم يضمرون أموراً من أجلها قدموا للزيارة، وأثناء حديث الشيخ ترد في سياق كلامه عبارات يتناولها الزائر حسب ما يضمر في نفسه كجواب له، وهذا التجاوب عبّر عنه الكثيرون شعراً ونثراً.

لقد كان بحق يرشد إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة، ويحارب الجهل والشعوذة، وكل آثار العقلية الخرافية في الإسلام، فكان يربي تربية ذاتية تنبع من صميم سلوكه اليومي، فلم ينتم إلى جمعية أو حزب أو طريقة من الطرق أو زاوية، إنه كان إشعاعاً بنفسه.

هكذا كان الحاج الحبيب مجاهداً في مجال العلم، أفنى أزيد من ستين عاماً من حياته في الدراسة والتدريس وتربية جيل كامل من الطلبة وفرّ لهم أسباب التحصيل. وكان مجاهداً في ميدان المقاومة ضد الاستعمار، ثم ظل متفانياً في سبيل المصلحة العامة وحب الخير للجميع، متصفاً بالتضحية ونكران الذات، معرضاً عن الجاه والمال والولد. كما كان مجاهداً في النفس - الجهاد الأكبر - فأقبل على الله. وقد اشتهر عنه أنه كثير التهجد ليلاً، يقرأ القرآن كاملاً في ركعتين واقفاً، سيما في ليلة القدر، كثير الأذكار.

كان الوسط الذي نشأ فيه الحاج الحبيب قد وفر له - في إطار أسرة محافظة قنوعة - بيئة مشبعة بالسلوك العقدي القويم، وفر له جواً جهادياً عاشته البلاد يوم كان المجتمع كله يتحفز لمناهضة الوجود الأجنبي. وتعتبر القدوة الحسنة من المنظور التربوي عاملاً مؤثراً أكثر من المواد الدراسية، وقد تمثلت هذه القدوة في سلسلة من الفقهاء والمشايخ والمتصوفة داخل البلاد وخارجها، ممن نهل من معينهم.

قد تجتمع هذه المكونات والعناصر لفرد آخر دون أن تنتج عنها شخصية مماثلة، ذلك أن الحاج محمد الحبيب توفر له فوق ذلك استعداد شخصي متميز جعل منه تلك الشخصية الخيِّرة التي أحبها الجميع وأعجب بها في كل مراحل حياته حتى التحق بالرفيق الأعلى يوم الإثنين 26 محرم عام 1397 الموافق 17 يناير 1977. فهبَّ لرثائه - رحمه الله - عدد من كبار العلماء والأدباء الشعراء.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 17 : 282 ـ 288 ؛ *رجالات العلم العربي في سوس*، ص 219 ؛ موحتاين عبد الله الفارسي، *كتاب الرتائم الجميلة في ذكريات الحبيب الجليلة*، الدار البيضاء، 1992 ؛ م. العثماني، *علماء مجاهدون، العلامة الحاج الحبيب أستاذ مدرسة تنالت*، مجلة *الكلمة*، لجمعية علماء سوس سنة 1972 عدد 4 ؛ *تقرير عام عن المدارس العلمية القرآنية العتيقة سنة 1972* بتكليف من وزارة الشؤون الثقافية والتعليم الأصيل ؛ *وفاة عالم جليل*، جريدة *الميثاق* لرابطة علماء المغرب سنة 1977، عدد 241 ؛ م. الحبيب الفرقاني، *علم من أعلام العلم والجهاد الحاج الحبيب في ذمة الله*، جريدة *المحرر* تاريخ 27 فبراير 1977 ص 5 ـ 6 ؛ ح. البونعماني، *ديوان شعر الحسن البونعماني*، تح. أفا الحسين، 1992، د. د. ع، كلية الآداب، الرباط، القصيدة 40 ؛ ح. جهادي، *لمحة عن حياة فقيه تنالت الحاج الحبيب البوشواري*، أعمال الدورة الثالثة لجمعية الجامعة الصيفية بأكادير 1988، ص 284 ؛ عمر الساحلي، *المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس*، الدار البيضاء، 1990، ج 4 ص 126 ؛ إبراهيم التوراوي، *تعريف بالشيخ الحاج محمد الحبيب البوشواري في سطور*، بمناسبة تسمية المركب الثقافي لمدنية أنزا باسم الحاج الحبيب (من *محاضر المجلس البلدي بأكادير*).

عمر أفا

**التناني، إبراهيم** بن علي التيغانيمي، يكني أبا سالم وترفع كتب المناقب نسبه إلى علي بن أبي طالب عن طريق جعفر (أخي إدريس الأكبر) بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط. والتناني نسبة إلى قبيلة إدا وْتَنانْ أخذ في مسقط رأسه حاحة عن بلديِّه الشيخ العالم الصالح سعيد بن عبد المنعم ثم عن الشيخ أحمد بن موسى في تازروالت. وكان يقول إذا سئل عمَّن أخذ : "سيدي سعيد بن عبد المنعم طهرآنيتي، وسيدي أحمد بن موسى ملأها عسلا".

اشتهر إبراهيم بتربية المريدين أكثر من اشتهاره بتلقين المتعلمين ولو أن بضاعته العلمية - على ما يبدو - كانت غير مزجاة. واعتقده السوسيون عموماً والتنانيون خصوصاً خلفاً عن سلف منذ قرون، ونسبوا إليه خوارق عادات وكل ما يقع في أرض قبيلتهم من النفع والضرر.

وقد وقف صاحب *المعسول* على ظهير لأحمد المنصور الذهبي بتعظيم الشيخ إبراهيم بن علي وتحريره من الكلف المخزنية. ويقال إن الشيخ لقي السلطان المنصور قبيل وفاته. ومازال التنانيون حتى الآن يعظمون حفدة الشيخ إبراهيم بن علي ويقاسمونهم محصولات حقولهم وبساتينهم، ويقيمون مواسمهم عند ضريحه في زاوية تيغانيمين. وزارها المختار السوسي سنوات بعد الاستقلال ووصف موقعها.

توفي إبراهيم التناني في شهر جمادى الثانية عام 989 / يوليوز 1581.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة* ؛ م. الافراني، *صفوة*، 153 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، 104 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أبومزگو، الترجمة رقم 148 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 15 : 72 ـ 75.

محمد حجي

**التناني، أحمد** بن **عبد الله**. كان والده عبد الله التناني نديم المولى عبد الرحمان ابن هشام لما كان واليا بمدينة الصويرة، وبسببه تعرف بأحمد هذا، فضمه إلى ولده سيدي محمد بن عبد الرحمن، فأخذا العلم معا على العالم عبد الرحمان العلج، وكان لهذا الأخير باع طويل في العلوم الرياضية والعسكرية الحديثة وهو من عائلة فرنسية تدعى دوستلي، اعتنق الإسلام وورد على المولى عبد الرحمان بن هشام، ونشر هذه العلوم بالمغرب.

ولما ولي مولاي عبد الرحمان ملك المغرب، قدم عبد الله التناني وولده أحمد لمراكش سنة 1238 / 1822 ـ 1823 ومن هناك استوطن أحمد مراكش، فأخذ العلم على علماء هذه المدينة وقيد الكثير مما سمعه من أساتذته بها في *كناشة علمية*. وأصبح متضلعا في الحساب عارفا بالتوقيت والتنجيم وعلم الأحكام الفلكية والتعديل وتسطير الرخامات وعملها وما يتعلق بها وعلم الهيأة، وله مؤلفات وتعاليق في الحساب والجبر والمقابلة واللوغاريتم، وحل أشكالا هندسية ونقلها إلى الأعمال الحسابية، وله مشاركة أيضا في العربية والحديث والفقه.

وظف في الثمانينات من القرن الثالث عشر كاتبا وخليفة وزير الحرب، وكانت له حظوة لدى السلطان محمد ابن عبد الرحمان الذي كان له اهتمام بالعلوم العقلية كالحساب والتوقيت والتنجيم والهندسة والهيئة والموسيقى وأسس مدرسة لتلك العلوم في خلافته على عهد والده المولى عبد الرحمان بجوار القصر السلطاني بفاس الجديد، فكان أحمد التناني من أساتذة هذه المدرسة التي ابتدأت الدراسة بها سنة 1260 / 1844 وكانت مازالت قائمة بها سنة 1296 / 1879. وكان السلطان المولى الحسن قد سلك مسلك والده فاعتنى بهذه المدرسة. واتخذ أحمد التناني رئيساً لطلبة الحساب والمهندسين وكان عدد هؤلاء الطلبة يتراوح بين 44 و58 طالباً. وكان مقربا لدى السلطان المولى الحسن يحضر مجلس *البخاري* بحضرته ويوجهه لحل القضايا المهمة.

وقد أخذ عن أحمد التناني عدد من المهندسين أمثال محمد بن المكي المسفيوي المراكشي وعبد القادر العلج الذي أسلم سنة 1295 / 1878 ومحمد بن سعيد الجرجوري الذي تولى باشوية الصويرة، ومحمد بن أحمد المكناسي أمين الصائر على الطبجية وغيرهم.

كما أخذ عنه إدريس بن الطايع البلغيثي مشاركه في الأخذ عن عبد الرحمان العلج. وممن استفاد منه الموقت الحيسوبي محمد ابن شقرون، والكاتب الطاهر ابن المحجوب الحمري المراكشي الذي وصفه صاحب كتاب *الإعلام* بصاحبنا البارع في التعليم والذي له كتاب *الدستور في أوقات المعمور*، واستفاد منه عباس بن إبراهيم نفسه ووصفه بأن له نفساً عالية وكونه قليل الكلام إلا فيما يفيد. ونسب إليه أخلاق الكرم والعطاء فقال إنه كان "يبذل الكساوي والدراهم والبغال" وكان "كريم المائدة لا يأكل وحده ويفرق الضحايا على المائة من المساكين".

توفي بضريح سيدي عبد الله غياث، ونقل من هناك ودفن بضريح سيدي يوسف بن علي وجعلت على رأسه مقبرية من رخام عليها تاريخ وفاته وذلك يوم الجمعة 23 محرم عام 1320 / أبريل ـ ماي 1902 عن نحو أربعة وتسعين عاما.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الطبعة الجديدة، 2 : 453 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج. 1، الرباط، 1973، من 103 إلى 106.

عبد الإله الفاسي

**التناني، أحمد** بن **علي** بن أحمد بن إبراهيم الوعزوزي المدعو الصويري. أحد كبار علماء أسفي والصويرة في أواخر القرن الثالث عشر والثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري. ولد بسوس سنة 1263 / 1847 واستوطن الصويرة ثم أسفي حيث كان ينوب عن قضاتها. درّس بسوس والصويرة وفاس، وتخرج على يديه عدد كبير من الفقهاء الأسفيين أمثال الفقيه السيد محمد بن إدريس مولاي الحاج والفقيه حسن بن الحاج أحمد بن حسن بن الشيخ والفقيه إدريس بن محمد بن الطيب بن هيمة والفقيه إدريس بن الحاج بن ناصر ميتة... وعن تآليفه يقول الكانوني : "*شرح البردة والهمزية وشرح لامية الأفعال وتلخيص الشفا وتعليق على الشمائل وصحيح البخاري ولامية الزقاق والمرشد المعين*، رأيت بعض ذلك في مسوداته، وله كتابة على هوامش الكتب التي درسها، لكن تفرق ذلك بأيدي الناس فلم يحظ بجمع".

توفي بأسفي عام 1335 / 16 ـ 1917.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*.

عبد الرحيم العطاوي

**التناني، أحمد** بن **محمد** بن مَحمد. انحدر من أسرة ذات علم وصلاح، وإذا كان مولده معروفاً عام 1293 / 1876 فإن وفاته غير محددة، على رغم شهرته وذيوع فضله. تنوعت مصادر معرفته، إذ تنقل في مدارس عديدة لحفظ القرآن، وأخذ فنون العربية ومواد العلوم الإسلامية، على أن أستاذه الكبير هو محمد بن مسعود (1330 / 1911) في مدرسة بونعمان التي لازمها حتى موت أستاذه. واكتفاؤه أخيراً بهذه المدرسة دليل على تخرجه فيها وقد أصبح متمكنا، يؤكد هذا أنه بعد أن حذق علوم العربية والفقه وغيرها، أخذ أستاذه ينيبه عنه في تلقين المواد لبعض الطلبة أيام الدراسة، وكذا تعليم الناس في أيت برايبم خلال العطل الموسمية، ويتضح من مسيرة حياته، أن الجانب الروحي كاد يطغى على معالم حياته الأخرى، إذ الجانب

العلمي لا وجود لـه، إذا قيس بالعلوم والمعارف التي أتقنها، فلا أثر لعلمه في طلبته، كما أنه لم يكن طموحاً لفرض وجوده على مستوى المدارس العلمية التي تعتبر مجالا لمن هم في طبقته، فلم يتجاوز بعض المساجد التي علّم فيها كتاب الله، على أنه بالنسبة إلى تحفيظ القرآن كان مثالاً للجد والمثابرة، ولعل ميله إلى التصوف كان له أبلغ الأثر في اتجاهه الذي ترتب عليه انغماره في بيئته، وانطماس مواهبه، على الرغم من أن القرن الماضي الذي عاش فيه شهد تطوراً ملحوظاً في المدارس العلمية بالمنطقة، وعرف ازدهاراً تجلّى في بروز أنداد له على مختلف المستويات.

توفي بعد عام 1382 / 1962.

م. السوسي، *المعسول*، 15، 63، 65 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للاعلام البشرية*، 3 : 145.

عبد الحميد محي الدين الباعمراني

**التناني، الحسن بن الحاج** محمد أو بّاعزيز، من نوابغ الشعر العربي الذين تألقوا في سماء مراكش مع بداية عصر النهضة بالمغرب.

ولد بقبيلته إداوتّنان بسوس عام 1330 / 1911 وبها تلقى دروسه الأولية، قبل أن يلتحق بمراكش وينخرط في سلك طلبة المدرسة الحرة التي أنشأها محمد المختار السوسي، وبذلك احتك مع نبغاء أدباء هذه المدرسة السوسيين من أمثال إبراهيم الإلغي والحسن البونعماني ومحمد التناني التامروتي وغيرهم من المراكشيين.

ولما أخرجت السلطات الاستعمارية الشيخ محمد المختار السوسي من مراكش، التصق الحسن التناني ببيئة شاعر الحمراء، وهي بيئة أدبية عالية لكنها كانت مصابة بأدواء اجتماعية.

وقد عمل التناني كاتباً عند الاكلاوي باشا مراكش وقال فيه وفي محمد الخامس قصائد بليغة "وقد انطلق في ميدان الشعر حتى كان أكثر أقرانه شعراً" ( *المعسول*، 15 : 94).

وقد هدّ الإدمان صحة الشاعر الشاب، واشتد به مرض السل فرجع إلى بلده حيث توفي وهو في الثانية والثلاثين من عمره عام 1362 / 1943 ودفن بمسقط رأسه في إداوتنان ووصّى أهله بإيصال مسودّات شعره إلى شيخه المختار السوسي قائلا لهم : "لا مال عندي ولا متروك إلا هذا، ولا كان بعدي من يقدرها حق قدرها إلا أستاذي وحده". وقد أثبت له المختار السوسي في الجزء الخامس عشر حوالي ستمائة وثلاثة وستين بيتاً موزعة على خمس وعشرين قصيدة في الأمداح والمراثي والوطنيات والإخوانيات وغيرها من الموضوعات التقليدية والجديدة في عصره.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 15 ـ 93 ـ 118 ؛ *بعض قصائده الواردة في كنانيش شيخه الكشطي* بالمدرسة التنانية ؛ *روايات شفوية للطلبة الذين عاصروه.*

محند أيت الحاج

**التناني، الحسين** بن **سعيد** بن محمد التامكوستي أصلاً ومنشأ، ولد عام 1272 / 1855 وينتهي نسبه إلى الشريف سليمان بن الحسن الادريسي المدفون في أباينو قريباً من حمّة الماء الشهيرة المقصودة من الزوار والسياح لخصائصها الشبيهة بحمة مولاي يعقوب قرب فاس للاستشفاء بمائها من الأمراض الجلدية، وتبعد تلك الحمة عن مدينة أكلميم بحوالي عشرة كلم، وإذا كانت هذه الشخصية قليلة الأثر في الميدان العلمي، فإن مجالاً آخر استأثر بها حتى كادت لا تلتفت إلى غيره، ذلك هو ميدان التصوف حسب الطريقة الدرقاوية. على أن المترجم كان له ولوع بالمعرفة والعلم، ومطالعة الكتب المختلفة المشارب، وله نظرات نقدية في بعضها، فقد سأله ولده القاضي عبد الحميد بطريقة غير مباشرة عن كتاب *إحياء علوم الدين* فقال "إنما هؤلاء قطاع الطريق، فالطريق إلى الله لا يحتاج إلى هذا التعب عند أهل هذا الزمان".

على أن هذه النظرة هي من نفس المنبع، وبذلك تتضح الصورة وينجلي المضمار الذي ظل يلازمه، وهو ما جعل مؤرخ سوس يخصه بقوله : "عارف بالله، كبير المقام، عظيم القدر، أمضى عمره وقضى شبابه كله في باب الله، ولم يزل طوال عمره في ميدان التوجه إلى الله إنابة وإرشاداً، إلى أن أسلم روحه لربها".

وهو يعتمد في قوله على معرفته الشخصية به، وعلى ما كتبه ولده القاضي المذكور، ويكفيه أنه من المشايخ الذين لهم فضل في توجيه أمثال صاحب *المعسول* إلى طريق القوم، على استقصاء أحيانا، وارتقاء أحياناً وهو على سَنن أمثال الشيخ سعيد بن محمد آتي الترجمة، الذي كان يتخذه المترجم قدوته، مسلماً إليه وإلى الشيخ علي الدرقاوي القيادة بكل طواعية واختيار ؛ وفي حياته جانب آخر، فقد نفاه الاستعمار الفرنسي أعواماً، وله مكاشفة تنبئ برحيل الاستعمار تحققت حسب ما قال سنة 1365 / 1945 م.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 10، 274، 15 : 122، (وقبلها ص 19، 25).

**التناني، سعيد** بن محمد بن أحمد، ولد بقرية أزيار بإداوتنان سنة 1280 / 1863 وترعرع في بيت علم وصلاح، وتهيأت له أسباب العلم والعمل، وإن طغى عليه جانب الطريقة الدرقاوية، حتى كادت حياته تتخلص إلى التصوف والزهد فكان مثالاً فريداً في بيئته. اتفق مترجموه على تحليته بألقاب تدل على مكانته العلمية والعملية، فهو "الفقيه العالم العلامة الورع الخاشع الصوفي المتقشف"، حسب شهادة : الإيكراري : (*طاقة ريحان*، 68) ولتأثره بالشيخ الحاج علي الدرقاوي (ت. 1328 / 1910) انقطع إليه، وانتقل من بلده إلى إلغ حيث ألقى عصا التسيار، وشرب من كأس شيخه حتى الثمالة، على أن الجانب العلمي لم يهمله، إذ شارط في مدارس كتيديلي بإدَاوْتَنَانْ، وكان

يبث العلم أينما حلَّ دون حاجة إلى مكان قار، وأغلب من أخذ عنه مريدو الطريقة الدرقاوية بموافقة من شيخها المذكور، ولعل لعزوفه عن المكاسب المادية دوراً في بقائه مرتبطاً بإلغ بعيداً عن المدارس الكبرى التي يطمح إليها أمثاله، وكذا المناصب العليا لعلماء المنطقة كالقضاء والفتيا، وعن تحوله من ميدان التدريس إلى ميدان الطريقة، يذكر مترجموه أنه كان يقرئ الطلبة في مدرسة فجاز به الشيخ الدرقاوي، ومنذ تلك اللحظة تغيرت حاله، فأصبح لا يرى مصلحته إلا في اتباع الطريقة والإعراض عما سواها "فنهض عن طلبته، وأعرض عن والديه" (*طاقة ريحان*، ص. 68) وهذه الحالة التي أصبح عليها هي التي لازمته طوال حياته، سواء في إلغ أو بعد رجوعه إلى إيداوتنان. وتذكر له كرامات ورؤى، جعلته فريد عصره في هذا النطاق الروحي، حتى إن مؤرخ المنطقة المختار السوسي نقل عنه من ذلك ما يقضى منه العجب، ومن ثم نفهم التقدير الذي أولاه إياه مؤرخ سوس، حتى عدَّ ترجمته له إحدى المفاخر التي سجلها في كتابه، وهي الطافحة بصفحات في الإشادة، والملأى بعواطف التلميذ نحو شيخ جليل.

توفي في مسقط رأسه إيداوتنان عام 1343 / 1924.

م. المختار السوسي، *طاقة ريحان*، 68 ؛ *المعسول*، 1، 236، 15 : 5 ، 148، 150، 151، 155، 161.

**التناني، علي** بن إبراهيم التازروالتي، أحد رجالات الأسرة المنتسبة إلى الشيخ الصالح أحمد بن موسى السملالي دفين تازروالت. من هذه الأرومة انحدر مترجمنا ما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر، إذ نجهل تاريخ ولادته، انتقل من مسقط رأسه تازروالت إثر تخرجه في المدرسة البونعمانية على يد الشيخ مسعود المعدري فاكتسب نجابة وتقدما في المعارف، حتى أصبح فقيهاً يفضّ النوازل عقوداً من السنين وبذلك نال مجداً وشرفاً وحسن سمت، ودماثة خلق، من علماء المنطقة الذين شارطوا في أحد مساجد إيداوتنان فنسبت إليه آثار أدبية شهد لها مؤرخ سوس، وكان يزور مدينة مراكش، ويلازم زاوية الرميلة حيث مقر محمد المختار السوسي ويزور شيخ هذا الأخير سعيد التناني المذكور.

ناله بعد احتلال قبيلته من لدن الفرنسيين قبل وفاته بعشر سنوات ما أدى إلى فقدان مكانته، فظل مغموراً إلى وفاته بعد أن ناهز السبعين من عمره في 28 شوال عام 1358 / 11 دجنبر 1939.

م. المختار السوسي، *إيليغ*، 24 ؛ *رجالات العلم*، 243 ؛ *المعسول*، 12 : 61.

**التناني، محمد** بن **أحمد** لقب بـأُوشّنْ أي الذئب، عاش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م)، ينتسب أهله أيت وازغي إلى فريق من التنانيين انحدروا من رجل كان في خدمة الشيخ محمد بن سليمان الجزولي يوم نزل هناك، بعد ما أجلاه سكان أسفي. والمترجم فقيه له مكانته بما أحرزه من العلوم، فقد كان يحضر دروس الأديب محمد بن أحمد الكنسوسي (1294 / 1877) بمدينة مراكش، وكتب بعض رسائل شيخه هذا، وكان متميزاً بحسن خطه، حتى إن السلطان الحسن الأول حرره وأعفاه من الالتزامات التي لا يعفى منها إلا ذوو المواهب الخاصة.

له آثار أدبية وتقاييد تاريخية، سجل فيها بعض أخبار وقته، ووقف عند الظروف العصبية التي عاشها مجتمعه، من جوع ووباء، وصوَّر حالات مهولة مما وقع في سنتي 1266 و1267 وغيرهما، وكذا ما عاناه التنانيون من ظلم الولاة وتسلطهم، مما يدل على أنه ذو حاسة مرهفة، إزاء ما كان يتعرض له الناس في محيطه، إذ لم يكن من النوع الذي يلزم خويصة نفسه، فلا يبالي إلاّ بما يهمه، ويبدو أنه يحذو في ذلك حذو المؤرخين، كالناصري، من حيث تسجيل الأحداث والوقائع، وإن كان نَفَسُه أقل، ومجاله التاريخي والاجتماعي أضيق.

توفي حوالي عام 1316 / 1898.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في ترجمة أكنسوس*، 207 ؛ *المعسول*، 15، 10.

عبد الحميد محي الدين الباعمراني

**التناني، محند** بن **عبد الله**، ولد بقرية تافكّاخت من قبيلة أيت واعزّون التنانية عام 1280 / 1863، حيث نشأ وحفظ القرآن الكريم على يد عثمان البعريري، ثم التحق بمدرسة ايسقال التنانية لأخذ العلوم على يد فقيهها الشهير إبراهيم بن الحسن التانكرتي (تـ. 1295 / 1878) الذي لازمه لزوم الظل لصاحبه إلى أن توفي الأستاذ فشد التفكّاختي رحاله إلى مدرسة بونعمان بسوس حيث استتم أخذه للعلوم على يد أستاذه المشهور بالجد في التدريس الشيخ مسعود فلازمه نحو سبع سنين إلى أن ظهرت نجابته في علوم النحو والفقه واللغة، فدار عليه أمر المذاكرة بين الطلبة لما أعطاه الله من ذهن ثاقب وفهم مستقيم، فانتفعوا به حتى صار لهم شيخاً، فلا تشكل عليهم مسألة في المجلس إلا حل لهم إشكالها وأوضح وجهتها، فأحبه الشيخ مسعود محبة خالصة ودفع له أولاده ليعلمهم لما رآه من نجابته وصدق طويته.

وفي سنة 1302 / 1884 شد محند التناني رحاله من جديد إلى تارودانت ليستتم الأخذ عن كبار علمائها، فانتفع بعلم عبد الرحمان الجشتيمي كما أخذ عن الشيخ أحمد أمزّاركو. وقد نال التافكّاختي حظوة كبيرة لدى هؤلاء الفقهاء الأجلاء بعلمه فأصبح مقربا إليهم ومن خاصة خاصتهم، فلما قرأ عليهم ما رجا أن تعود عليه بركته عاجلا وآجلا، طلب منهم الإذن فأذنوا له وأجازوه في جميع مرغوبه، ثم تصدر للتدريس بمدرسة رأس الواد بموضع تالكّجونت عاما واحدا حوالي 1310 / 1892، ثم عاد إلى بلدته التنانية ليتولى التدريس بمدرسة إيكّي نحو سبع وعشرين سنة، امتلأت عليه المدرسة بالطلبة من كل جهة، فقام على ساق الجد في

تعليمهم فتخرجت عليه أفواج من كبار الفقهاء والأدباء الذين هم زينة هذا العصر في بلاد إيداوتنان وحاحة ومنهم أولاده أحمد أستاذ مدرسة سيدي غانم بقبيلة أيت زلطن المتوفي عام 1366 / 1946، وشقيقه الذي خلفه فيها عبد الرحمان المتوفي عام 1395 / 1975، وشقيقهما الفقيه الحاج محمد التافگاختي الذي ملأ مدرسة ألْمَا التنانية بتدريس العلوم العربية وتلقين الطريقة التجانية إلى الآن.

فلما ذاع صيت محند بن عبد الله التناني، وعم نفعه سائر الآفاق أتت إليه قبيلة بني تنانة المنسوب هو إليها وطلبوه بالإقامة في مدرستهم الكبيرة إزاء زاوية الشيخ إبراهيم بن علي التغانيميني، التي هي مجمع أمورهم ومقام أسلافهم، فامتنع في الأول لتواضعه معتذراً بأن المقام عظيم ومشهور بفحول العلماء وأكابر الأولياء فأبرز لهم ذلك نثرا ونظما، إلا أن إلحاحهم عليه جعله يقبل الالتحاق بمدرسة تيغانيمين عام 1338 / 1919 فلما استقر بها ازداد أمره وارتفع قدره لما ظهر من وفور علمه وإصابة رأيه واشتهار عدله في أحكامه، فلم تبق قبيلة إلا أتت إليه مذعنة، وفي نيل خيره راغبة، وبسطت عليه الدنيا، وهو مع ذلك لا يفارق حال الزهد، فانتفع الناس بعلمه لكثرة المتخرجين عليه أمثال العلامة الحاج أحمد بن علي الكشطي (ت. 1374 / 1954) أستاذ مدرسة ألْمَا الذي تخرج عليه بدوره جيش جرار من الطلبة النجباء لاتزال قبائل إيدأوتنان وحاحة مزدانة بهم إلى اليوم، وقد ألف الكشطي كتاباً في التعريف بفضائل شيخه التافگاختي، ذكر فيه شيوخه في العلوم العقلية والنقلية، وأكابر مشايخه في الطريقة الأحمدية مع ذكر مشاهير تلاميذه ومريديه الذين اتسعت دائرتهم حتى شملت كل قبائل إيداوتنان فسمى تأليفه هذا *التعريف بالبلدة التنانية، ذات المواهب الربانية*.

ويتمتع محند بن عبد الله التناني بموهبة أدبية في نظم الشعر ارتجالا، وكتابة الرسائل الإخوانية الدينية والأدبية، وتحرير الإجازات العلمية، إلى جانب نبوغه في طرق التعليم والإرشاد الديني بما رزقه الله من الفتح المبين، فهو أول شاعر تناني وصلتنا أشعاره في *ديوان* مخطوط خاص جمعه ولده أحمد، يضم هذا الديوان 1682 بيتاً موزعة على خمس وخمسين قصيدة متأرجحة بين الطول والقصر في مختلف الأغراض الشعرية التقليدية، أهمها *قصيدة في طريقة التعليم بالكتاتيب* والمدارس العلمية العتيقة، وأخرى *في الحث على الجهاد* ضد الفرنسيين الذين خرجوا من ثغر الصويرة بجيوش الاحتلال قاصدين هتك القرى والبلاد فارتكبوا أشنع الجرائم بانتهاك حرمات الزوايا والمقدسات الدينية دون أن يحرك الرؤساء ساكنا.

وفي سنة 1348 / 1929 اعتزل محند التناني التدريس وانتقل لداره بعدما بنى قربها مسجداً عازماً على أن يلازم المذاكرة فيه، ولكنه توفي بعد ذلك بسنة فقط عام 1349 / 1930.

محند التناني نفسه، *التعريف بالبلدة التنانية ذات المواهب الربانية*، مخطوط.

محند أيت الحاج

**تَنْشْرْفي** أو تانشرفي حوض جبلي بالهوامش الشمالية الغربية لسلسلة الهورست بالمغرب الشمالي الشرقي، ضمن كتلة بوخوالي التي تعتبر أعلى قمة بالمنطقة. موقعه الهامشي يجعله منطقة اتصال بين الأراضي المنخفضة الهضبية والسهلية القاحلة (ممر العيون - تاوريرت) والكتلة الجبلية الرطبة نسبيًّا، يعرف بذلك ضغطاً بشرياً نوعياً متزايداً، على الخصوص خلال السنوات الجافة.

يتميز الحوض من الناحية الطبغرافية بالانغلاق شبه التام، إذ لا ينفتح إلا في الواجهة الشمالية على هضاب مستگمار بواسطة واد بوصدان الذي يصب مباشرة في بحيرة سد محمد الخامس وفي الجنوب والجنوب الشرقي يمتد عرف بوخوالي، تتراوح قممه ما بين 1400 و1700 م ؛ في الغرب والجنوب الغربي ينتصب عرف بولرواح وتلال سيدي يحيى، أما في الشمال والشمال الشرقي فتمتد تلال ومتون توريرين (1200 م)، ويزيد انحدار السفوح المحيطة بالحوض في أغلب الحالات عن 30٪، وأطولها يتعدى 700 م ويغلب على الأجزاء الوسطى في الحوض (1000 م) الانبساط رغم الانحدار الخفيف في اتجاه الشمال على شكل حادورات طويلة.

ارتبط التنوع الطبغرافي بالخصائص الصخارية والنباتية، حيث الحوض عبارة عن جون عريض، مكون من صخور تنتمي أساساً للزمن الجيولوجي الأول منها على الخصوص الصخور الاندساسية والبزلتية. تعلو هذه المجموعة القديمة، وبشكل متنافر، صخور طينية وبزلتية ترياسية، ثم الصخور الكلسية الدولوميتية لبداية الزمن الثاني.

تعرضت المنطقة للرفع بشكل مبكر مما أدى إلى نشاط التعرية بشكل مسترسل، تمكنت بإفراغ المحدب وتكوين بهرة واسعة (7 كلم مربع) محاطة بأضلاع قممها كلسية وسفوحها متنوعة الصخارة.

نتج عن التفسخ العميق لمختلف الصخور الگرانيتية، بوسط الحوض، انبساطه في جهة وتشكيل حادورات مختلفة تعكس مراحل دينامية الحوض خلال الرباعي.

تبعاً للتدرج الطبغرافي من القمم (1700 م) إلى مخرج الحوض (700 م) تتنوع المعطيات والظروف البيومناخية بشكل صريح. على القمم والسفوح حيث تزيد التساقطات عن 400 ملم / سنة، تنوعت التشكيلات النباتية الطبيعية حيث تسود على الخصوص أشجار البلوط الأخضر على شكل غابة حقيقيةأحياناً، وعلى شكل أحراش مختلطة من الشجر العفصي البونيقي والعرعار ... في حالات أخرى. لكن سرعان ما يحصل المرور إلى النباتات السهوبية بقعر الحوض حيث تقل التساقطات عن 300 ملم / سنة، إذ نجد على الخصوص شجيرات العنَّاب والحلفاء بالهوامش الشمالية للحوض.

سكان المنطقة بربر باستثناء أولاد سيدي بلقاسم، إذ

رغم لهجتهم ونشاطاتهم وعاداتهم التي لا تختلف بشيء عن الأمازيغ، ينسبون للشرفاء الأدارسة.

في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19. 20 م) كان السكان يعيشون داخل قصبات واسعة، محاطة باسوار عالية لا تزال شواهدها قائمة مثل قصبة حمادة وأولاد الماحي وأولاد موسى وقصبة رابعة لأولاد أعلي بجنوب الحوض. بُنيت هذه القصبات على نمط قصور فكيگ التي استُقدم منها الحرفيون لوجود علاقات عائلية بين المنطقتين. لكن في نهاية النصف الأول من القرن العشرين، حيث استقر الأمن نسبياً، أخذت القصبات تنفجر إلى حدود إفراغها والتخلي عنها بشكل نهائي، وعاد السكان إلى نصب الخيام داخل كل مجال الحوض. حالياً وبشكل تدريجي تُبنى بجانب كل خيمة بيوت من الحجارة التي أخذت تعوض السكن الهش.

واستبدال القصبات بالخيام دلالة على أصل واهتمام السكان بالرعي الذي كان يحتاج إلى الترحال والتنقل، وقد استقر السكان حالياً بشكل نهائي مما دعا إلى بناء اصطبلات والتخلي تدريجياً عن الخيام.

كان لانفجار القصبات وانتشار السكان على كل الحوض أثر بيئي واضح حيث إن السكان غلب عليهم الاستقرار بجوار السفوح ولذلك اشتدت ظاهرة الاجتثاث لتوسيع الأراضي الزراعية على حساب المجالات الرعوية، حيث تم اقتلاع ما يقرب من 80٪ من أشجار العنّاب ما بين 1950 . 1986 (مقارنة الصور الجوية).

تميز الحوض بالإضافة للرعي والزراعات المسقية والبورية بوجود ثروات معدنية هامة (المنغنيز على الخصوص)، تم استغلالها خلال فترات متقطعة باسم "مناجم تانورالت" والتي توقفت منذ سنة 1969 حتى الآن رغم هجرة بعض العمال إما للخارج أو إلى المراكز الحضرية المجاورة، ورغم كثافة السكان الطفيفة فإن الضغط البشري اشتد على الموارد المرتبطة بالنشاط الفلاحي.

أصبح الرعي يمارس بشكل جائر على الأوساط الطبيعية حيث ارتفع عدد رؤوس الماشية بالأوساط الغابوية أثناء فترات الجفاف إلى ثمانية رؤوس من الماشية الصغيرة /هـ، بالإضافة إلى عملية الاحتطاب حيث تستهلك سنوياً كل أسرة ما يزيد عن خمسين قنطاراً من الحطب، مما أدى إلى عراء سفوح الحوض وتجدد دينامية مختلف نظم التعرية بها.

لعل أبرز خاصية لحوض تَنْشَرْفي بوجه خاص وكتلة بوخوالي بوجه عام، هو استمرارية قيام الروابط بين السهل والجبل، حيث إن جل سكان المناطق المنخفضة لا يزالون يملكون بعض الرقع الأرضية بالمنطقة الجبلية التي انحدروا منها، لذلك لا يزال لهم الحق في استغلال المجال الجبلي كلما اشتدت القحولة في السهول.

يمكن القول إن جبهة التدهور تزحف حالياً وبشكل سريع نحو القمم التي لم تعد تعتبر إلا واحات حقيقية مهددة بالانقراض.

التدهور البيئي بحوض تنشرفي ليس إلا نموذجاً من أساليب تدهور المناطق الجبلية النصف جافة وخاصة تلك المحاطة بالمجالات القاحلة حيث يضطر سكانها إلى اقتلاع أغلب حاجياتهم من الجبل المجاور.

*تحريات ميدانية.* شاكر الميلود

## تنظيم الأسرة ← التخطيط العائلي

**التنفيذ** في القضاء المغربي، هو المظهر العملي لتلك الحماية التي يتمخض عنها العمل القضائي. وهي بدورها لا يمكن أن تكون إلا عامة غير خاصة. ذلك أنه ما كان للدولة أن تحرم على الفرد اقتضاء حقه بنفسه ولا تقوم بما يكفل له الحماية الواجبة. وهي إن نظمت سلطة قضائية لهاته الغاية، إلا أن هاته الحماية الموضوعية المتفرعة عنها لا تكفي في حد ذاتها، ولا بد من صورة أخرى لهاته الحماية القضائية تترجمها إلى الواقع، وتمكن صاحب الحق من حقه بشكل ملموس ولو عن طريق وسائل الإجبار التي تملكها الدولة، تسخرها لفائدته، حماية للقانون، وللحق المعترف به.

إن التنفيذ القضائي هو العمل الذي يقوم به القضاء لإزالة مخالفة القانون، وذلك بتغيير الواقع الخارجي، حتى يصبح موافقاً له، عن طريق ما يمتلكه من أجهزة قضائية لهذا الغرض، لا يتوقف استعمالها على إرادة المنفذ عليه، ويمكن أن يتم عن طريق جميع وسائل الإجبار التي تمتلكها الدولة لهاته الغاية.

ويقتضي القانون لنشوء الحق في التنفيذ، حصول صاحبه على سند تنفيذي حكما كان أو غيره، متوفراً على القوة التنفيذية التي تخوله الحصول على الحماية المتطلبة.

وهكذا فإن كان صدور الحكم نهاية في حد ذاته للحماية الموضوعية المتوخاة من القضاء، فإن القوة التنفيذية للحكم تعتبر بداية للحماية التنفيذية المنشودة، أو بعبارة أخرى يمكن أن نقول إن الحماية القضائية يلتمسها صاحب الحق على مرحلتين : الأولى هي صدور الحكم وحصوله على حجية الشيء المحكوم به (Autorité de la chose jugée)، والمرحلة الثانية تبدأ حين إضفاء القوة التنفيذية عليه، كي يستطيع المحكوم له بلورة هاته الحماية القضائية إلى واقع ملموس عن طريق التنفيذ الجبري الذي يرجع إليه حق تحريكه.

والمسلم به أن الأحكام لا تكون جميعها محلا للتنفيذ الجبري، فالأحكام الإجرائية، كالحكم في مسألة الاختصاص ينفذ بتخلي المحكمة عن نظر الدعوى، ولا يحقق أية حماية مادية لحقوق الأفراد. ولهذا يقع تقسيم الأحكام إلى تقريرية ومنشئة، وأحكام إلزام، وإن التنفيذ الجبري لا يلحق الصنفين الأول والثاني منها، وهو مقصور على أحكام الإلزام.

والأصل أن الأحكام إنما تنال هاته الدرجة عن طريق القوة التنفيذية، بعد أن تكون قد أصبحت نهائية بحكم استقر عليه القضاء. ولكن طول الإجراءات المسطرية التي

يجب اتباعها لبلوغ هذا النوع من الحماية، والتعقيدات التي تتبعها قد يفوت على المحكوم له الاستفادة فعليا منها، كأن يعسر المدين خلال جريان دعوى الطعن، أو يتلف ما أمر برده ابتدائيا، مما دفع بالمشرعين إلى التفكير في حماية أخرى مؤقتة، تستجيب لعالم السرعة، وتضمن للأحكام فاعليتها وتلبي حاجة من يطمح إلى الحماية القضائية، وذلك عن طريق السماح له باللجوء إلى بعض الإجراءات التحفظية، أو عن طريق إضفاء النفاذ المعجل على الأحكام الابتدائية.

وما التدابير التحفظية إلا أحد أشكال الحماية المؤقتة التي يمنحها القضاء، ووظيفتها السماح لطالبها عن طريقها بتحقيق ما من شأنه أن يسمح له فيما بعد من الاستفادة من الحماية القضائية، بعد أن تصبح أحكامها على درجة الاستقرار تسمح بالخروج بها إلى حيز التنفيذ.

والأمثلة المألوفة منها الحجوز التحفظية على المنقول أو العقار، والحراسة القضائية، وحجز ما للمدين لدى الغير، والتنفيذ الاحتياطي على الرسوم العقارية، ووضع الأختام على الأمكنة، وجرد أموال الشركات وتعيين متصرفين قضائيين لتسيير شؤونها وغير ذلك. ويختص بالأمر بها في أغلب الأمثلة السابقة قاضي المستعجلات لدى المحكمة الابتدائية.

وتذهب بعض التشريعات الأجنبية إلى أبعد من ذلك، وتسمح للدائن بأن يلمس في دائرة هاته الحماية المؤقتة، منع خصمه المحكوم عليه من السفر إلى الخارج كإجراء تحفظي لفائدته.

وتتميز هاته التدابير التحفظية بالبساطة في المسطرة الرامية إليها، وهكذا فلا يتطلب في الحصول عليها توفر الطالب على حكم نهائي، وأن مجرد حصوله على حكم ابتدائي، ولو غير قابل للتنفيذ، يمكن أن يعتمد أساسا لمنحها، رغم قابلية هذا الحكم المحتج به للطعن فيه بطرق الطعن العادية وغير العادية منها (الفصل 452 من ق. م. م.).

بعض هاته التدابير التحفظية كالحجوز مثلا يمكن تحويلها إلى حجوز تنفيذية عندما يصبح الحكم الصادر في الموضوع قابلا للتنفيذ. ومعلوم أن قابلية الحكم للتنفيذ تتوقف على توفره على القوة التنفيذية، ومثل هذا لا تتمتع به إلاالأحكام الحائزة لقوة الشيء المقضي به، أي بعد أن تكون قد استنفدت طرق الطعن العادية، من تعرض أو استئناف.

لكن ما تجب الإشارة إليه أن هاته القاعدة تعرف بعض الاستثناءات، حين يتعلق الأمر بالديون المستحقة للدولة، فتسلك في سبيل تحصيلها ما نسميه التنفيذ المستمر، أو حين يتمتع الحكم الابتدائي بالنفاذ المعجل، فيشذ بدوره عن القاعدة العامة في التنفيذ.

والأصل أن لا يتم الانتقال إلى مرحلة التنفيذ إلا بعد أن يقول القضاء كلمته أولاً. ولكن هاته القاعدة تجد لها استثناء حين يتعلق الأمر بديون الدولة من مدخولات الأملاك المخزنية ومستغلات الغابات وكافة الضرائب وغيرها.

ينتقل القابض حينذاك، بعد أن يستوفي إنجاز الإنذارات المنصوص عليها في ظهير 21 غشت سنة 1935، إلى المتابعة من أجل استخلاص الديون بكيفية مباشرة على مراحل، يكون أولها الإنذار القانوني ثم الحجز على أمتعة المدين فبيعها بعد ذلك. غير أن تعديلا صادرا في 6 مارس سنة 1961 جعل المرحلة الثانية بعد الإنذار هي الإكراه البدني مباشرة، دون التفات لإمكانية الحجز قبل ذلك. وهو ما يعتبر إجحافا بحقوق المدينين ومخالفا للمسطرة العادية في التنفيذ التي تعلق اللجوء إلى مسطرة الإكراه البدني على عدم وجود ما يحجز للمنفذ عليه.

ومعلوم أن المنازعة في هاته التنفيذات المباشرة يضبطها ظهير 22 نونبر 1924، والقوانين الخاصة المنظمة لكل ضريبة على حدة (الفصل 3 في هذا الظهير)، وكذا قانون 3 نونبر 1993 المؤسس للمحاكم الإدارية.

أما الاستثناء الثاني للقاعدة العامة في التنفيذ، فيجد له مجالا واسعا لدى المؤسسات العمومية والدائنين المتوفرين على رهن عقارات لضمان الدين. وتعفى هاته الفئة من الدائنين بحكم الرهن المسجل لفائدتهم على عقار المدين من ضرورة التوجه إلى المحكمة قصد استصدار حكم لفائدتهم والحصول على سند تنفيذي يباشرون به استخلاص الدين، ذلك أن ظهير 2 يونيه 1915 قد أجاز لهم بمقتضى الفصل 204 منه أن يسلكوا مسطرة مختصرة تنتقل بهم مباشرة بعد توجيه إنذار للدائن، كي يتابعوا بيع عقار المدين بالمزاد العلني لاقتضاء الدين.

والملاحظ أن المؤسسات العمومية وشبه العمومية التي تمنح إمكانية استعمال مقتضيات ظهير 21 غشت 1935 وكذا مباشرة التنفيذ في إطار ظهير 2 يونيه 1915 المتعلق بالعقارات المحفظة تختار ما هو أجدى لها من المسطرتين، وكثيراً ما تلجأ إليهما معا، بالرغم بما في ذلك من إخلال بمبدإ المساواة بين حقوق وواجبات أطراف النزاع لدى القضاء.

وفي جميع الأحوال فإن المتضرر من هاته المساطر المباشرة في التنفيذ، يستطيع أن ينازع في صحتها والالتجاء إلى القضاء لإلغائها وإيقاف مسطرتها أحياناً.

والشائع لدى الناس أن الملزمين بالضريبة لا يسعهم إلا الدفع، وأن المنازعة في الضريبة مهما كان نوع هاته المنازعة لا يمكنها أن تعوق الوفاء بها. ولكن هاته الشائعة ليست صحيحة كل الصحة، لأن الفصل 15 من ظهير 21 غشت 1935 تولى تأكيدها من جهة، ولكنه من جهة ثانية نص على مسطرة خاصة يؤدي اللجوء إليها إلى تأجيل دفع القسط المتنازع فيه. وإنما يستنكف الناس عن سلوكها للتعقيدات المسطرية التي تكتنفها.

أما الجهة القضائية المختصة فقد كانت المحاكم العادية

منذ صدور قانون 26 يناير 1965، ويؤول الاختصاص النوعي بصددها اليوم إلى المحاكم الإدارية المؤسسة بالظهير رقم 90 ـ 41 الصادر بتاريخ 3 نونبر 1993.

ونجد المشرع المغربي قد تناول الاختصاص المكاني لها في القانون المنظم للمحاكم الإدارية وأورد استثناءات تخرج عن القواعد العامة في الاختصاص، بحيث جعل المحكمة المختصة هي دائما محكمة المكان الذي يجب أن يتم فيه تحصيل الدين المستحق للدولة. (المادة 29 ـ 30 ـ 31 ـ 32).

ومهما كان الأمر وكما سبق القول فإنما يصار إلى التنفيذ كقاعدة عامة عندما تحوز الأحكام قوة الشيء المقضي به، ومتى توفر لها هذا الوصف لا يجوز إيقافها، ولو مع الطعن بالنقض، لأن هذا الطعن الأخير لا يوقف التنفيذ في المجال المدني، إلا في حالات أربع :

1 ـ في مادة الأحوال الشخصية (الفصل 361 من ق. م. م.).

2 ـ في الزور الفرعي.

3 ـ في التحفيظ العقاري.

4 ـ الأحكام الصادرة في القضايا الانتخابية (الفصل 40 من ظهير فاتح شتنبر 1959).

ومعلوم أن مقتضيات الفقرة الثالثة من الفصل 361 من ق. م. م. كانت في صيغتها الأصلية تسمح بصفة استثنائية بأن تقدم للمجلس الأعلى طلبات إيقاف تنفيذ الأحكام المدنية المطعون فيها بالنقض، غير أن المشرع تراجع عن هاته المسطرة بالقانون رقم 82 ـ 04 الصادر بتاريخ 10 شتنبر 1993، ورجع بذلك إلى تطبيق القواعد العامة التي تحكم الآثار الناتجة عن الطعن بالنقض، وهي قواعد تجعل المحكوم له يطمئن إلى أن صدور الحكم عن محكمة الطعن العادية يوصد في وجه خصمه المحكوم عليه كل إمكانية لإعاقة تنفيذه، ويجعل الحكم الحائز هكذا لقوة الشيء المقضي به قابلا للتنفيذ بجميع وسائل الإجبار المسموح بها قانوناً.

ويقابل التنفيذ الجبري التنفيذ الاختياري، وهو على عكس هذا الأخير يمكن أن يتم بواسطة كافة وسائل الإجبار القانونية المتوفرة، بما في ذلك الإكراه البدني، واللجوء إلى استعمال القوة العمومية، إن دعت الضرورة لذلك. ويحتاج التنفيذ الجبري إلى تقديم طلب بذلك من لدن المحكوم لفائدته، ومثل هذا الطلب يقيد صاحبه، ويجعله يتحمل نتائج إقدامه عليه، ونتائج التعويض عن الأضرار الناجمة عنه، خاصة عند إلغاء الحكم المعتمد في التنفيذ، وإصدار المحكمة أوامرها برد الحال إلى ما كانت عليه قبل التنفيذ.

وقد كانت المسطرة الحالية تنص على أن تنفذ كتابة الضبط تلقائياً كل قرار أصبح يكتسي قوة الشيء المقضي به دون حاجة إلى طلب من المستفيد من الحكم. (الفصل 428)، ثم تراجعت عن ذلك فيما بعد بمقتضى الظهير رقم 222 ـ 82 ـ 2 الصادر بتاريخ 5 أكتوبر 1984. وهكذا غدا المحكوم له يقرر بنفسه، في أمر تحريكها أو عدمه، وهو الموافق للصواب. ويخضع التنفيذ للقواعد التالية :

(1) تنفيذ الأحكام في مجموع التراب الوطني. تحدد قواعد الاختصاص المحلي المحكمة ذات الاختصاص المكاني للبت في النزاع. غير أن حكمها يكون قابلا للتنفيذ خارج دائرتها وفي مجموع التراب الوطني. بل إن هذا الحكم يجد له مجالا في التنفيذ حتى خارج الحدود الوطنية، لكن على أساس أن يتقيّد في ذلك بما تتضمنه الاتفاقيات الثنائية والدولية، وعلى أن يذيل بالصيغة التنفيذية لدى الدولة المطلوب مساهمتها في تنفيذه.

(2) يرجع تنفيذ الحكم للمحكمة التي أصدرته : ومع ذلك فليس هنالك ما يمنع محكمة الاستئناف، من أن تعهد بتنفيذ قراراتها إلى محكمة ابتدائية. (الفصل 429 من ق. م. م).

من المعلوم أن أحكام محكمة الاستئناف، حين تكون قابلة للتنفيذ، نجدها لا تخرج عن نوعين اثنين : الحكم بتأييد الحكم المستأنف، والحكم بإلغاء الحكم المستأنف، وبعد التصدي، إصدار أمر جديد قابل للتنفيذ.

ففي الحالة الأولى يكون الحكم المقدم للتنفيذ هو الحكم الابتدائي، وبذلك فإن المحكمة التي أصدرته يرجع إليها أمر تنفيذه. أما في الحالة الثانية، فإن الحكم المنفذ يكون هو الحكم الاستئنافي، وعليه فيختص بتنفيذه المحكمة المصدرة للحكم الابتدائي، أو المحكمة التي تعهد إليها محكمة الاستئناف بذلك.

هذا التمييز في الوصف تظهر فائدته حين الاستشكال من التنفيذ وإثارة صعوبات قانونية وواقعية في وجهه، عندما تدعو الحاجة إلى معرفة الجهة القضائية المختصة للنظر في الصعوبة.

(3) يتم التنفيذ بمقتضى النسخة التنفيذية. نسخ الأحكام إما عادية أو تنفيذية. والنوع الأخير منها هو ذلك الذي يذيل بالصيغة التنفيذية، حسب ما وردت في الفقرة الثانية من الفصل 433 من ق. م. م. على الشكل التالي :

"بناء على ذلك يأمر جلالة الملك جميع الأعوان ويطلب منهم أن ينفذوا الحكم المذكور (أو القرار)، كما يأمر الوكلاء العامين للملك ووكلاء الملك لدى مختلف المحاكم أن يمدوا يد المعونة لجميع قواد وضباط القوة العمومية وأن يشدوا أزرهم عندما يطلب منهم ذلك قانونيا".

ومما تجب الإشارة إليه أنه لا تسلم إلا نسخة تنفيذية واحدة للمحكوم له، وأنه، في حالة ضياعها، يكون عليه أن يتوجه إلى قاضي المستعجلات لطلب نسخة ثانية قصد التنفيذ.

ولا تذيل بالصيغة التنفيذية إلا الأحكام الحائزة لقوة الشيء المقضي به، أي تلك التي لم تعد تقبل أي طريق من طرق الطعن العادية، تعرضاً كان أو استئنافاً، كما تذيل بالصيغة التنفيذية، على سبيل الاستثناء الأحكام الابتدائية النافذة معجلا، أو الأحكام الغيابية الصادرة عن المحكمة الاستئنافية، المتمتعة بدورها بامتياز النفاذ المعجل.

وتظل النسخة التنفيذية سنداً للتنفيذ، مدة ثلاثين سنة، منذ اليوم الذي صدر فيه الحكم موضوع طلب التنفيذ، فإذا انصرمت المدة المذكورة، سقط الحق في تنفيذها تبعا لذلك (الفصل 428 من ق. م. م.).

ووجب التأكيد على بنية القوة التنفيذية للأحكام، بمعنى أنها إنما تسري في حق أطراف الدعوة دون الغير، إلا أن يكون هذا الغير مدعواً فقط للإسهام في تنفيذ ما يؤول للمحكوم عليهم في الدعوى (الفصل 437 من ق. م. م.).

(4) يباشر التنفيذ على الأموال المنقولة أولا.

يملك المحكوم له أن يباشر ضد المحكوم عليه، الحجز على أمواله العقارية منها والمنقولة (الفصل 445 من ق. م. م.). غير أنه لا يستطيع التنفيذ على الأموال العقارية إلا بعد مباشرة التنفيذ على المنقولة، وفي حالة عدم كفاية هاته الأخرى يمكن عندها التنفيذ على عقارات المحكوم عليه.

لكنه يستثني من ذلك الديون التي تتمتع بضمان عيني عقاري مباشرة على العقار المراد التنفيذ بالحجز عليه وبيعه من أجل ذلك. هذا الاستثناء أكده المشرع مرتين، بالفصلين 445 و469 من قانون المسطرة المدنية، ويجد تطبيقاته في إطار ظهير 2 يونيه 1915 المتعلق بالعقارات المحفظة. وهو امتياز جاء لصالح المستفيد من الضمان، غير أنه ضمان لا يمنعه من الرجوع إلى المنقولات عند عدم كفايته، لاستخلاص مبلغ الدين وجميع ما وقع الحكم به من تعويضات ومصاريف، ومباشرة كافة وسائل التنفيذ المسموح بها قانوناً.

وسائل التنفيذ : التنفيذ إما أن يتم طواعية من لدن المحكوم عليه، أو يكره عليه بوسائل التنفيذ الجبري. وإنما يصار إلى الإجبار بعد إعذار المحكوم عليه لذلك عن طريق عون التنفيذ، لمعرفة نواياه وموقفه من الحكم (الفصل 440 من ق. م. م). لكن إذا عبر عن رغبته في الامتثال لمقتضياته، والتمس أجلا لذلك، لزم العون التوقف عند ذلك والرجوع إلى رئيس المحكمة الابتدائية، ليرى ما إذا كانت ظروف المحكوم عليه تقتضي إمهاله أجلا معقولا لتنفيذ الحكم الصادر ضده. لكن الملاحظ لدى كثير من المحاكم الابتدائية، أن المنفذ عليهم يفضلون التماس هذه المهلة في إطار القضاء الاستعجالي، بواسطة مقال يرمي إلى الحصول على الأجل الاستعطافي، بالرغم من أنه لا يوجد أي نص في القانون المغربي يعطي هاته الصلاحية لقاضي المستعجلات، بل يجلعها من صميم اختصاص قاضي الموضوع، وكذا من صلاحيات رئيس المحكمة الابتدائية، في إطار سلطته الولائية والإدارية. يملك رئيس المحكمة بهاته الصفة أن يقرن الإمهال بالأمر بالحجز تحفظيا على أموال المدين، إذا رأى ذلك ضروريا للحفاظ على حقوق المستفيد من الحكم (الفصل 440 من ق. م. م.). غير أنه يشترط لذلك أن يصرح المدين برفضه أداء الدين، أو بعجزه عن الوفاء به، حيث يكون على عون التنفيذ أن يلجأ عندها إلى وسائل الإجبار المعروفة قانونا، من حجوزات مختلفة، وإكراه بدني.

وتجب الإشارة إلى وسيلة خاصة، تأتي وسطاً بين التنفيذ الاختياري والجبري، وهي تلك المتمثلة في مسطرة الغرامة التهديدية L'astreinte. هاته الغرامة كما يدل عليها اسمها، غايتها التهديد والضغط معنوياً على المحكوم عليه حتى يتخذ موقفا إيجابيا من التنفيذ، وهي لذلك يحكم بها ضده عن كل يوم يتأخر فيه عن الامتثال لما حكم به عليه، وغالباً ما يكون مبلغها اليومي مرتفعاً جداً، حتى تؤدي دورها التهديدي. لكن ما تجب ملاحظته بمثابتها أنها لا تكون قابلة للتنفيذ بمجرد صدور الأمر بها ضمن الحكم البات في الجوهر، أو بمقتضى أمر صادر عن رئيس المحكمة الابتدائية (الفصل 448 من ق. م. م.)، وأنه يجب معاودة القضاء في موضوعها، من أجل الأخذ علما بموقف المحكوم عليه، وإصدار حكم جديد بتصفيتها، ويكون للمحكمة في ذلك إما أن تخفضَ منها، وهو الغالب، أو تبادر إلى تثبيت المبلغ المحكوم به، أو إلغائها بالمرة متى ثبت لها حسن نية المحكوم عليه وسلامة موقفه من التنفيذ. ويكون من المفيد التأكيد على أنها غير التعويض عن الضرر، بالرغم من الموقف المخالف الذي ذهب إليه المجلس الأعلى في ذلك، حيث استبعد إمكانية الحكم بها، إلى جانب الحكم بالتعويض عن الضرر؛ ولأن من شأن التمييز بينهما في نظر المجلس أن يؤدي إلى تعويض المحكوم له مرتين، وهو إثراء بلا سبب يرى المجلس أنه لا يجوز قانونا في مادة الغرامة التهديدية، لأن أساس تصفيتها يقتضي حصول الضرر من عدم التنفيذ أو التعويض عنه بواسطتها.

وفي جميع الأحوال، فقد لا تكفي الغرامة التهديدية لإرغام المحكوم عليه على الرضوخ لتنفيذ ما أمر به قضائياً، مما يفتح أمام المستفيد من الحكم سبل التنفيذ الجبري، وخاصة منه مسطرة الاكراه البدني الذي يهدف بدوره كوسيلة من وسائل التنفيذ إلى الضغط على المدين المحكوم عليه، لكن ضغطاً مادياً، عن طريق إيداعه في السجن، حتى يذعن إلى الوفاء بما حكم به عليه.

عرف التشريع المغربي نظام الإكراه البدني بواسطة قانون المسطرة الجنائية الصادر بتاريخ 10 يبراير 1959. ووقع تعميمه على القضايا المدنية الصادرة عن جهة المحاكم المدنية بالظهير رقم 305.10.1 الصادر بتاريخ 20 يبراير 1961، بينما نجد تشريعات أخرى لا تطبقه في المجال المدني إطلاقاً، كالقانون الألماني، أو تجيزه بصفة استثنائية في مواد خاصة، كما فعل المشرع المصري الذي نص على إمكانية تطبيقه لتنفيذ الأحكام الصادرة في النفقة والرضاع والمسكن.

أما معاهدة نيويورك الدولية المؤرخة في 16 / 12 / 1966 فقد اتخذت موقفاً مغايراً، ونصت على عدم جواز سجن الإنسان إذا لم يكن قادراً على الوفاء بالتزاماته التعاقدية. وقد صادق المغرب عليها بالظهير رقم 186.79.1 المؤرخ في

17 ذي الحجة 1399 موافق 8 نونبر 1979. ومع ذلك مايزال العمل جارياً بمبدإ الإكراه البدني على نطاق واسع بالمغرب، وفي مجال استخلاص الضرائب خاصة.

لكن ما تجب ملاحظته أن القانون المغربي قد بادر إلى الأخذ به في الميدان الضريبي في 6 . 3 . 1961، بعد أقل من شهر على تعميم الأخذ به في القضايا المدنية. كما تجب الملاحظة كذلك أن عدة نصوص منظمة لأنواع مختلفة من الضرائب صدرت بعد سنة 1961، وأحالت على بعض المساطر الواردة في ظهير 21 غشت 1935، دون التأكيد على الأخذ بالتعديلات المدخلة عليه بعد ذلك.

يجب التأكيد هاهنا على أنه يتحتم التقيد بالإحالة للشرطة والإحجام عن التوسع فيها حتى تشمل التعديلات اللاحقة في التاريخ.

وانطلاقاً من هذا الموقف، نقول بضرورة الالتزام بمقتضيات النص الأصلي لظهير 20 غشت 1935، في موضوع اللجوء إلى الإكراه البدني، وأنه في هذه الحالة تحكمه المقتضيات العامة الواردة بتاريخ 20 يبراير 1961 دون غيرها.

لكن متى جاز الأخذ بتعديلات 6 . 3 . 1961، في المجال الضريبي واستخلاص مبالغها عبر الإكراه البدني، كان بإمكان المدين أن يتحلل من إكراهه عليه عبر إثباته لحالة عسره، على أن يدفع بذلك خلال العشرين يوما الموالية لتاريخ تبليغه بالإنذار القانوني من لدن مصالح الضريبة.

غير أن هاته الوسيلة لا تجدي المدين نفعاً، في غير الديون الضريبية، ولا تقيه الحبس من أجل تنفيذها، وإنما تمنحه تخفيض مدة الحبس بنسبة النصف، عملا بمقتضيات الفصل 679 من ق. م. ج، سواء تعلق الأمر بتنفيذ أحكام مدنية تابعة، صادرة عن جهة القضاء الزجري، أو أحكام مدنية صرفة، مصدرها القضاء المدني.

ومع ذلك نجد النيابات العامة عندنا تميز بين النوعين من الأحكام المدنية المشار إليها، فيما يرجع لتطبيق مسطرة الإكراه البدني في سبيل تنفيذها. وهكذا تشترط في مسطرة الإكراه البدني بالنسبة للأحكام المدنية الصادرة عن جهة القضاء الزجري، أن يكون الحكم حائزاً لقوة الشيء المقضي به، وغير قابل لأي طريق من طرق الطعن العادية أو غير العادية. بينما لا تتطلب في الأحكام الصادرة عن المحاكم المدنية إلا أن تكون قابلة للتنفيذ.

وهي تستند في موقفها هذا إلى عدم الإحالة الصريحة على مقتضيات الفصل 645 من ق. م. ج. ذلك أن ظهير 20 . 2 . 1961 لم يأخذ بجميع القواعد التي تحكم مسطرة الإكراه البدني كما وردت في قانون المسطرة الجنائية، واكتفى بالإشارة إلى بعض فصولها وهو الفصل 675 وما يليه إلى الفصل 689، وأن الفصل 645 غير وارد ضمنها بطبيعة الحال.

أما عن شروط تطبيقه فقد ألزم المشرِّع المحاكم الزجرية بأن تحدد من تلقاء نفسها مدة الإكراه البدني، كلما قضت بالحكم بغرامة، أو بالمصاريف، أو رد ما يجب رده، أو بأداء تعويضات مدنية (الفصل 676 من ق. م. ج). أما المحاكم المدنية فيلتمس ذلك منها المحكوم لفائدته، وتستنفد ولايتها في الموضوع بعد البت في الحكم. وهي تحكم بالإكراه وبتحديد مدته، في أدناها أو الأقصى (الفصل 678 من ق. م. ج.). غير أنه يمتنع الحكم بالإكراه البدني بالنسبة للأحكام الآتية :

1 ـ الأحكام الصادرة في المخالفات السياسية.

2 ـ عند الحكم بالإعدام أو السجن المؤبد.

3 ـ متى كان المحكوم عليه لم يبلغ عمره ست عشرة سنة، عند تاريخ ارتكاب المخالفة.

4 ـ يمتنع مباشرة تنفيذ الإكراه البدني ضد الشخص الذي بلغ من العمر أكثر من خمس وستين سنة.

5 ـ يمتنع الحكم به لفائدة أحد الزوجين، أو ضد الأصول والفروع، والإخوة والأخوات، والأعمام، والعمات، وابن الأخ وابن الأخت وبنت الأخ وبنت الأخت ومن تربطه به مصاهرة في نفس الدرجة (الفصل 676 من ق. م. ج.)

6 ـ ويمتنع مباشرته في آن واحد ضد الزوج والزوجة، ولو بمثابة دينين مختلفين (الفصل 677).

ومع ذلك لا يمكن إلغاء القبض على المحكوم عليه وتطبيق مسطرة الإكراه البدني في حقه، إلا بعد استيفاء الإجراءات التالية :

ـ أن يوجه إنذار له للأداء، ويبقى دون جدوى بعد مرور عشرة أيام على توصله به (الفصل 680 من ق. م. ج.).

ـ أن يطلب اعتقاله الفريق المطالب بالمتابعة.

بعد ذلك فقط يوجه وكيل الملك الأوامر اللازمة إلى رجال القوة العمومية لكي يلقى القبض على المحكوم عليه ويزج به في السجن، مثلما يتم بالنسبة للأحكام بالسجن الصادرة عن العدالة بصفة عامة (الفصل 680 من ق. م. ج.).

وللمحكوم عليه بالإكراه البدني أن ينازع في صحة هاته الإجراءات وسلامة مسطرة تطبيقها ضده، ينازع في ذلك أمام القضاء، وبالضبط أمام المحكمة الابتدائية لمكان الاعتقال أو التنفيذ سواء كان معتقلا بالفعل أو ألقى عليه القبض من أجل تطبيق الإكراه البدني ضده (الفصل 683 من ق. م. ج.).

ويرى بعض الفقهاء أن المنازعة في إجراءات الإكراه البدني لا يمكن طرحها إلا أثناء مرحلة التنفيذ الفعلي حينما يصبح المحكوم عليه رهن الاعتقال، وأن رئيس المحكمة الابتدائية يكون غير مختص قبل ذلك، كما لو تمت المنازعة بمجرد إنذار المحكوم عليه بالأداء في إطار الإكراه البدني، لأن النظر في سلامة إجراءات الإكراه البدني من الناحية الشكلية والقانونية يؤول إلى وكيل الملك، قبل أن يأمر بإلقاء القبض على المحكوم عليه، ويعتمدون في موقفهم هذا على مقتضيات الفصل 683 من ق. م. ج. الذي يحيل على اختصاص رئيس المحكمة الابتدائية لمحل إلغاء

القبض أو الاعتقال، وعلى ما ذهب إليه المجلس الأعلى من أنه إذا ما تبين لرئيس المحكمة عدم صحة الإجراءات المتبعة في الإكراه البدني، فإنه ليس من اختصاصه الأمر بإطلاق سراح الشخص المعتقل في إطار هاته المسطرة.

ومعلوم أنه إذا كان رئيس المحكمة الابتدائية لا يؤول إليه أمر إطلاق سراح المعتقل، فإن تصريحه ببطلان الإجراءات المتبعة في التنفيذ يلزم وكيل الملك ويتحتم عليه الأخذ بالنتائج التي تترتب عن هذا البطلان.

ولا يخفى كذلك أنه يتطلب لتحريك مسطرة الإكراه البدني توفر الحكم موضوع طلب التنفيذ في أدنى مراتبه، على قوة الشيء المقضي به. وأن رئيس المحكمة الابتدائية عندنا، يعتبر قاضي التنفيذ، ويقع الاستشكال لديه، كقاضي المستعجلات، للنظر في صعوبات التنفيذ، والقانونية منه على الخصوص. ومن الصعوبات القانونية أن لا يتوفر الحكم على قوة الشيء المقضي به، ويراد اعتماده في مسطرة الإكراه البدني. لا نرى كيف نوصد باب القضاء الاستعجالي أمام المهدد بالاعتقال عن طريق مسطرة الإكراه البدني، ولا نسمح له باستصدار ما يعتمده لدرء هذا الخطر عنه.

إن الإكراه البدني مجرد مسطرة استثنائية لتنفيذ الأحكام المدنية خاصة، ويكاد يشبه دور النيابة العامة فيها الدور الذي تضطلع به لتحريك القوة العمومية المرخص باستعمالها لتنفيذ الأحكام المدنية كذلك، وهو يفترض وجود ملف تنفيذي، وإعذار المحكوم عليه للوفاء بالدين أو التعريف بموقفه من ذلك. وإنما يصار إلى التنفيذ الجبري، بما فيه الإكراه البدني، بعد تحرير محضر بالرفض أو التماس إمهال يعرض على أنظار رئيس المحكمة الابتدائية (الفصل 440 من ق. م. م.).

وهكذا يظل ملف التنفيذ تحت أنظار رئيس المحكمة الابتدائية دائما، وهو لم يخول هاته الصلاحية بمقتضى نصوص قانون المسطرة الجنائية، بل يستمدها من الاختصاصات القضائية والإدارية الممنوحة له في المسطرة المدنية.

ونعتقد أن المقتضيات القانونية التي تضمنها الفصل 683 من ق. م. ج.، تتعلق بالنزاع الذي تقع إثارته بعد أن يكون المحكوم عليه قد ألقي عليه القبض أو معتقلا فعلا، وقد ألح المشرع بواسطته على أن قاضي المستعجلات يختص بالنظر في مثل ذلك، غير أن هذه الإشارة إلى اختصاصه لا ترجع عن اختصاص النظر في المنازعة التي تثار قبل إلقاء القبض والاعتقال، لكننا نؤكد دائما، أن قاضي المستعجلات لا يملك حق الأمر بإطلاق السراح، لأن مجال صلاحياته لا يخرج عن التصريح بسلامة إجراءات التنفيذ أو عدمها. أما وضع الحد لاعتقال المحكوم عليه، فيتم عن طريق تنازل صادر عن الدائن المحكوم له، وكذا بعد قضاء فترة الاعتقال المحددة في الحكم موضوع طلب التنفيذ. ومعلوم أن المحكمة تحدد الإكراه البدني في حده الأقصى أو الأدنى، كما ورد في الفصل 678 من ق. م. ج. ولا يقع اللجوء إلى هاته المسطرة في التنفيذ إلا بعد أن يكون الحكم قد حاز قوة الشيء المقضي به، مما يعني استثناء التنفيذ المعجل في مجالات تطبيقاته.

وجدي راغب، *النظرية العامة للتنفيذ القضائي*، ص. 56 ؛ فتحي والي، *قانون القضاء المدني*، 1 : 217 ؛ محمود محمد هاشم، *المجلة العربية للفقه والقضاء*، ص. 30 ؛ محمد السماحي، *في مسطرة إيقاف التنفيذ أمام المجلس الأعلى، مجلة نظرات في الفقه والقانون*، العدد 1، ص. 5، سنة 1992 ؛ محمد محجوبي، *الغرامة التهديدية وتطبيقتها*، الرباط، 1993، ص. 34 ؛ مصطفى التراب، *نظام الاكراه البدني كوسيلة للإجبار على التنفيذ*، بحث منشور في سلسلة *نظرات في الفقه والقانون* للأستاذ إدريس طارق السباعي، العدد 1، ص. 76، سنة 1992 ؛ *قرار المجلس الأعلى ـ الغرفة المدنية* مؤرخ في 17 يوليوز 1964 منشور *بالمجلة المغربية للقانون*، فاتح نونبر 1964، ص. 339 ؛ *مجلة المحاكم المغربية*، *.G.T.M*، 10 يونيه 1964، ص. 62.

**التنفيذ المعجل**، استقته البلاد العربية من أوربا عن طريق فرنسا في غالبية الأحوال، وتصطلح عليه هاته الأخيرة بالتنفيذ المؤقت (L'exécution provisoire)، ولكننا نجد الاصطلاح الشائع في البلاد العربية، هو المعجل مكان المؤقت.

أما في المغرب حيث تصدر النصوص القانونية باللغتين العربية والفرنسية، فقد حافظ النص الفرنسي على مثيله المتعارف عليه في القانون الفرنسي، بينما اقتبس النص العربي من الاصطلاحات الشائعة في البلاد العربية وفرنسا معاً. وهكذا بعد أن استعمل المشرع لفظة التنفيذ أردفها بكلمة المعجل بدل المؤقت (الفصل 147 من قانون المسطرة المدنية) بينما استعمل كلمة الموقت بالنسبة لقانون المسطرة الجنائية مثلا (الفصل 400 من قم . م. ج.).

لكن ما هو المدلول القانوني للاصطلاحين المؤقت والمعجل ؟ إن هذا التنفيذ مؤقت لسببين :

لأنه يتم عن طريق التسبيق (Par provision). ولأنه غير نهائي.

إنه يتم عن طريق التسبيق، بمعنى أنه تدبير احتياطي يراد منه تفادي الضرر الحاصل من الإبطاء في التنفيذ، ومؤقت كذلك لأنه غير نهائي. ويجب أن تسقط الأعمال التي تمت بمقتضاه إذا ما ألغي الحكم المعتمد في التنفيذ.

أما لماذا سُمي معجلا، فلأنه تنفيذ يتم قبل الأوان العادي له، أي قبل أن يصير الحكم نهائياً حائزاً لقوة الشيء المقضي به، لا يؤثر بإيقافه لا التعرض أو الاستيناف، ولا آجالهما.

والواقع أن اختلاف الاصطلاحين لا يؤدي إلى فارق جوهري في مفهوم نظام هذا النوع من التنفيذ سواء قلنا إنه معجل أو مؤقت. وأنه وردت في موضوعين عدة تعريفات تعتمد وصف الموقت تارة، ووصف المعجل تارة أخرى،

ونقترح له من جهتنا تعريفا تظهر فيه نتائج صفتي التعجيل والتوقيت معا، فنقول ... إنه حق يمنحه القانون، أو رخصة من لدن المحكمة، تتيح للمحكوم له، وتحت مسؤوليته إمكانية تنفيذ الحكم الصادر لفائدته قبل الأوان العادي له، تنفيذاً يتم بصورة مؤقتة.

والحقيقة أنه إذا كانت أزمة القانون حالياً تكمن في عدم استطاعته إضفاء حمايته على الحقوق المعتدى عليها، بالسرعة التي تحافظ لهاته الحماية على فاعليتها، فإن نظام التنفيذ المعجل يعتبر إحدى الوسائل الناجعة التي تبنتها كثير من المجتمعات، لتفادي ما يمكن أن يعتريها من عقم أحياناً.

نظام التنفيذ المعجل تعرفه التشريعات الأوربية منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر ولم يعرفه المغرب إلا منذ بسط الحماية الأجنبية على ترابه أوائل القرن العشرين.

لا يمكن أن يتصور نظامه إلا بالنسبة للقوانين التي لا تضفي قوة تنفيذية على أحكام محاكم الدرجة الأولى، أو تسبغها عليها، ولكنها تجعل للتعرّض والاستئناف أثراً واقفاً للتنفيذ.

والتنفيذ المعجل بالدول التي أخذت به، ومن بينها المغرب، مايزال في تطور مستمر، لم تعرف نصوصه بعدُ استقراراً نهائياً، نتيجة التيارات الفقهية المتباينة التي تتجاذب أحكامه. وقد كان المغرب بحق حقل تجارب متعددة لنظام التنفيذ المعجل، بحيث عرف أكثر من نوع بحكم تعدد المحاكم عندنا، وخضوعه لاحتلال دولتين أجنبيتين، واحتكاكه بقوانينهما، وكذا بتطبيق نظام دولي اختصت به مدينة طنجة في عهد الاحتلال. يضاف إلى هذا وذاك حفاظ المغرب على بعض مظاهر أصالته المتمثلة في المحاكم الشرعية والتنظيم القضائي الخاص بها.

وهكذا عرف كل نوع من هذه المحاكم المختلفة في الشمال والجنوب العصرية والشرعية والعبرية والمخزنية والدولية، نظاماً للتنفيذ المعجل خاصاً بها، وتمخض عن كل هاته التجارب، النظام الحالي، الذي يمكن أن نقول عنه إنه جاء وسطاً بين التيارين اللذين يتجاذبان الفقهاء في موضوع التنفيذ المعجل، فهو قد سلك بدوره طريق الجرد لحالاته، والتزم نفس التقسيمات التي عرفت في أكثر من تشريع، بين نافذ بقوة القانون وواجب أو جائز قضائياً، ولكننا نجده في نفس الوقت قد ساير التيار الآخر الداعي إلى إعطاء أوسع الصلاحيات للقاضي في هذا المجال.

ونعتقد أنه إذا كان القانون المغربي يحتوي على قواعد المسؤوليتين الشخصية والموضوعية، بالرغم من أنه لا يتضمن نصوصاً خاصة يقر فيها العمل بمبدإ تحمل تبعة المخاطر، فإننا لا يمكن أن نعتمد قواعد إحدى المسؤوليتين فقط لمؤاخذة المستفيد من النفاذ المعجل، ونرى أن يأتي الحل منسجماً مع التمييز الذي أقمناه لأنواع النفاذ المعجل الذي صنفناه مع زمرة الرخص والنوع الذي أرجعناه إلى الحقوق بصفة عامة.

إن استعمال الرخصة يؤدي إلى مسؤولية طالب التنفيذ حتماً في إطار المسؤولية الشخصية، مسؤولية أساسها الخطأ أو عدم التبصر في استعمال الرخصة.

أما استعمال الحق، فهو إما أن يصحبه التعسف، فتكون المسؤولية شخصية، أو أن يأتي بعيداً عن ذلك، فلا تتوفر شروط التعسف، وتتحقق مسؤولية المحكوم له طالب التنفيذ مع ذلك، لكن في إطار المسؤولية الموضوعية لا غير.

م. السماحي، *نظام التنفيذ المعجل للأحكام المدنية في القانون المغربي، دراسة مقارنة*، الدار البيضاء، 1985 ؛ وقائمة المصادر والمراجع المذكورة في آخر هذا الكتاب.

محمد السماحي

**التنفيذة**، تعني حق المنفعة أو الانتفاع بملك من أملاك بيت المال أو من أملاك الأحباس، ويعتبر هذا الحق امتيازاً خاصاً، يمنحه السلطان فيضع تحت تصرف المنعم عليه بهذا الحق بعض الأملاك قصد استغلالها والانتفاع بمواردها.

والتنفيذة حسب گريگوري لازاريف (Grigori Lazarev) تعني الظهير الذي يتم بموجبه الإنعام بأرض مخزنية. كان إقطاع أرض مخزنية يتم على شكل عقد يطلق عليه التنفيذة.

وتنشأ التنفيذة بظهير سلطاني يحرر غالبا على الشكل التالي : "ننقل بالتنفيذة إلى السيد.... حق الانتفاع بالقطعة الأرضية الكائنة بـ.... والتي كانت سابقا بيد.... لينتفع بها...". كما تنقطع بقرار سلطاني، ويمكن أن تجدد عند مبايعة سلطان جديد.

والأملاك المنفذة، غير قابلة من الناحية التشريعية للتملك أو التفويت، فظهير التنفيذة، يمنح المستفيد حق الانتفاع لا غير، بينما يحتفظ المخزن بحق الرقبة.

إن بدايات العمل بالتنفيذة غير واضحة المعالم، مما يصعب معه تحديد العصر والسياق الذي نشأت فيهما. فهي تشترك في عدة وجوه مع "إقطاع الاستغلال" الذي عرفه المغرب منذ العصر الوسيط. ويبدو أن التنفيذة أخذت شكلها التأسيسي في العصر السعدي، فقد جاء عند پول پاسكون Paul Pascon : أما في العهد السعدي فإذا كان قد أشير إلى هذا التشريع أحياناً، فإن استعماله أصبح نادراً، ووقع تعويضه بتشريع التنفيذة التي لها نفس معنى إقطاع الاستغلال قانونيا". فقد منح أحمد المنصور السعدي ظهائر متعددة للعائلات وللشخصيات نذكر منهم العالم قاسم بن سودة (1004 / 1596 م)، الذي منحه مجموعة من الأراضي بناحية فاس، مقابل قيامه بمهمة القضاء في فاس ومكناس وناحيتهما.

ونجد المولى إسماعيل في العهد العلوي، حسب ما ورد عند ابن زيدان في *المنزع اللطيف* (ص 77) ينفذ للشريف محمد بن عبد القادر الشبيهي : "قطعة الأرض.... المتسعة الاكناف الجيدة التربة التي لا تقل عن ألف زوج الواقعة بسلفات في مزارع الشراردة"، وللنقيب عبد القادر ابن عبد

الله الجوطي : "ولجة لسقي الأرض الهائلة النفع الكائنة بسيدي علي المخفي من مزارع مكناسة... حسبما وقفت في ظهير التنفيذ بالإقطاع لمن ذكر".

وتعمق العمل بالتنفيذة في القرن الثالث عشر (19 م)، وانتشر بشكل خاص في النصف الثاني منه، وبلغ ذروته في عهد مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ. كانت قبائل "الجيش" وقوادهم أول المنعم عليهم بالتنفيذة مقابل خدماتهم العسكرية، وعن طريق "التنفيذة" كان السلطان يمنح أفراد الجيش الأراضي اللازمة لمعاشهم"، وكانت تلك التنافيذ توزع عليهم بكيفية جماعية تحت إشراف بعض موظفي المخزن أو قواد القبيلة.

أما تنافيذ القواد (الباشا، وقايد الماية، وقايد الرحى..) فكانت تمنح لهم من قبل السلطان حال تقلدهم مهامهم. وكانوا يؤدون إلى جانب الخدمة العسكرية واجب الزكاة والأعشار وجميع الكلف والضرائب المخزنية.

ومن القبائل التي استفادت من الأراضي المنفذة في هذا القرن مقابل تأمينها لـ"طريق المخزن" نذكر قبائل دخيسة وذوي منيع وأعراب سايس بين مكناس وفاس وأيت اسحق وأيت حمو بـكروان، فقد كانت فرق الغنانمة مثلا تستغل منطقة واد الرمان، بينما كانت تعمر گدارة البواخر منطقة واد مكس.

لقد ارتبطت التنفيذة في مراحلها الأولى بالأرض، لكنها تطورت، إذ أنعم المولى الحسن ومولاي عبد العزيز، ومولاي عبد الحفيظ بتنافيذ شملت دوراً وحوانيت وأراوي وأراحي وهبات مالية، كما تنوعت العناصر المستفيدة لتضم الفقهاء والعلماء والقضاة وأفراداً من العائلة المالكة، وعائلات أكابر المخزن والشرفاء، مثل الأرض التي منحت لأحد الشرفاء المرانيين بواد الجديد بنواحي مكناس. ويتضح من كنانيش أملاك المخزن بالخزانة الحسنية أن كثيرا من دور مدينة مكناس كانت منفذة لعائلات قواد الجيش كالقائد بوعزة بن ميلود والقائد عقّ البويدماني.

وقد طرأ على التنفيذة تحول كبير في نهاية القرن الثالث عشر (19 م)، حيث فقدت جانباً كبيراً من معناها كانتفاع مؤقت قابل لأن ينزع من المستفيد منه، واستغلت في تكوين الممتلكات الشخصية على حساب أراضٍ تخص بيت المال، حيث عمدت بعض الشخصيات والأسر الكبيرة ممن كانوا يتولون مهام قيادية إلى تملك الأراضي المنفذة لها، وأصبحت نتيجة ذلك تفوت وتورث وتباع وتحبس، فقد ادعى القائد محمد ابن حمّ الگرواني شراء جزء كبير من أراضي گروان، وكاد أن يستولي عليها لو لا تدخل السلطان مولاي الحسن. كما أصبح القايد عبد الرحمن الجامعي مالكاً للأرض المنفذة له ببلاد عزابة بنواحي فاس، ولم يستطع المخزن إثبات حقوقه في هذه الأرض إلا عن طريق الحجز بعد نكبة أولاد الجامعي حوالي عام 1313 / 1895.

وقد تفاقمت عادة تملك الأراضي المخزنية المنفذة مع ضعف المخزن وتزايد عدد المحميين. وقد أشار إلى ذلك محمد الحبابي : "قام المستفيدون من بعض الأراضي المخزنية ببيع هذه الأراضي التي لم يكن لهم فيها سوى حق الانتفاع، بعد أن تحصنوا في الغالب بحماية أجنبية"، فأصبحت أملاك عديدة للمخزن في حوزة أفراد يتمتعون بملكيتها حق التملك.

وقد طالت التنفيذة أراضي الأحباس أواخر هذا القرن، حيث كان السلاطين يمنحون بواسطة ظهير حق الانتفاع من أملاك حبسية (أراضٍ وبناءات) لأفراد من المخزن، وللموظفين الدينيين : خطباء وأئمة ومؤذنين ومؤقتين. وهذا غير الحبس المعين. وللقضاة وللشرفاء من أعضاء الأسرة المالكة خاصة الفقراء منهم. وهذا ما أشار إليه لوي ميو L. Millot حين قال : "يمكن للسلطان بواسطة عقد اسمه التنفيذة أن يمنح حق الانتفاع بأملاك حبسية لقواد الجيش والعلماء مقابل خدماتهم الهامة أو لمساعدة الفقراء من أبناء العائلة الحاكمة". كما جاء بقلم جوزيف لوسيوني (J. Luccioni) "هناك عدد من الدور الهامة والجيدة كانت تمنح تنفيذة انتفاع مجاني للقضاة وبعض الموظفين الدينيين... وأعضاء من الأسرة المالكة وبعض الشرفاء والأعيان".

وهكذا مثلا أنعم سيدي محمد بن عبد الرحمن سنة 1276 / 1860 على عبد الرحمن الشرفي - أحد موظفي المخزن - بأرض حراثية من أوقاف جامع القرويين.

وذكر الناصري في *الاستقصا* (7 : 168) أن السلطان مولاي الحسن أنعم على الفقيه عبد الله بن خضراء بتنفيذة من مال الأحباس : "أنعم عليه السلطان أعزه الله بالإذن في الإفتاء وبظهير الاحترام ونفذ له راتبا من أحباس جامع ابن يوسف إعانة له على الدرس". وبلغ الإنعام بتنافيذ من أملاك الأحباس ذورته في عهد المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ.

ونجد في وثيقة حبسية مؤرخة بـ 19 محرم عام 1331 إحصاء للتنافيذ بمكناس نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- بلاد الشبلية بنواحي مكناس كانت منفذة للفقيه بلقاسم بصري بظهير عزيزي يحمل تاريخ 13 رجب عام 1321 هـ.
- فدان الشيخ نفذ للحاج السعيد غريط في عهد مولاي عبد الحفيظ بتاريخ 22 جمادى الثانية عام 1326 هـ.

بلاد فرج منفذة لسيدي قدور آل سيدي سعيد بمقتضى ظهير يوسفي مؤرخ بمتم شوال عام 1330 هـ.

- دار الاسبوع كانت منفذة للفقيه المدرس محمد السوسي.
- دار بصوراتة منفذة لأولاد الفقيه المختار الأجراوي.

وشملت التنافيذ إنعامات مالية من مداخيل الأحباس استفاد منها عدد من الفقهاء والمدرسين والأئمة والمؤقتين والقضاة والأشراف، منهم بمكناس مثلا :

الفقيه المدرس المعطي ابن عبود 90 ريالا، والفقيه المدرس محمد السوسي 60 ريالا، والفقيه المدرس القاضي محمد الطاهري 120 ريالا، والفقيه النقيب مولاي عبد الرحمن بن زيدان 1050 ريالا، وغيرهم كثير مما لا يتسع المجال لتعداده.

ويظهر من هذا أن التنافيذ أصبحت مرادفة للراتب وللحبس المعين. استناداً إلى حق الانتفاع الذي تخوله التنفيذة قام المنتفعون بالاستيلاء على ما بأيديهم من العقارات الحبسية، فعائلة الزبدي وبعض الشرفاء العراقيين مثلا تمكنوا من امتلاك أراض حبسية بأولاد الحاج قريبا من فاس وقد تفاقمت هذه العادة مع ضعف المخزن مما ترتب عنه تبديد وضياع عدد هام من الأملاك الحبسية.

وقد اصطدم المسؤولون عن الأحباس في بداية عهد الحماية عندما شُرع في جرد الأملاك الحبسية، بتجزئة وضياع الكثير من هاته الأملاك المنفذة مما حدا بسلطات الحماية إلى إلغاء التنافيذ المقتطعة من أملاك الأحباس خاصة الأراضي، بمقتضى ظهير صدر في 10 رمضان 1331 / 1912 موجه إلى إدريس اللجائي الكاتب العام للبنيقة الحبسية ومما جاء فيه "…. نأمرك أن تكتب للنظار كافة بأن يلتفتوا إلى التنافيذ السالفة في استيفاء الكراء الوقتي في الأوقاف المنفذة لمن هي بيده بدون كراء أو بكراء…" ومع ذلك لم يقف العمل بالتنافيذ نهائيا فنجد في وثيقة حبسية مؤرخة بـ 20 جمادى الثانية 1336 عبارة عن رسالة من مراقب أحباس مكناس محمد بوعشرين يطلب فيها من الوزارة تقديم تنفيذة مالية لمهندس فرنسي مقابل خدماته. "وبعد فإن مهندس الفنون الجميلة مسيو فيل… قد استحق…. أن تعطاه منحة من الأحباس المكناسية مجازاة على خدماته… وعليه فلينفذ بسيطات 600 من الأحباس التي قام بخدماتها مكافأة له على عمله".

يتضح إذاً أن "التنفيذة" عرفت تطورا نوعيا وكميا في نهاية القرن الثالث عشر (19 م). وأخذت في التقلص منذ بداية عهد الحماية. وانتهى العمل بالتنافيذ المرتبطة بالأرض بعد انتشار الاستيطان الرسمي، وصدور ظهير 1919 الذي حدد الملكية الجماعية باسم المصلحة العامة، وظهير 1927 الذي اعتبر من المصلحة العامة أيضاً نزع الأراضي الصالحة للزراعة من يد "الأهالي" ومنحها للمعمرين. بينما ظل الإنعام بالتنافيذ المالية قائما في إطار جد محدود.

*إحصاء الأملاك المخزنية بمكناس*، خ. ح. بالرباط، كناش 454 ؛ عهد المولى الحسن 1307 هـ / 1886 م، وثائق خ. ح ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9، الدار البيضاء، ص. 168 ؛ ع. ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، مخطوط خ. ع. بالرباط، (ج 595) ص 77 ؛ گريگوري، *الاقطاعات العقارية بالمغرب*، القسم الثاني، دار النيابة، العدد 8، 1985، ص 52 . 53 ؛ نفس المرجع، القسم الثالث، العدد 25، 1990 ص. 25 . 28.
Habous - contrôle inventaire de bien (1912 - 1927), 19 Meknès ; J. Luccioni, *Les fondations pieuses au Maroc, les Habous*, Rabat, p. 44, 127, 161 ; L. Millot, *Demembrement des Habous*, Paris, 1948, p. 40 - 42.

رقية بلمقدم

**التنقيب** عن الآثار (ما قبل التاريخ)، لعل الهدف الأصلي والوحيد من كل عملية تنقيب يبقى دائماً هو اكتشاف آثار الذين سبقونا ومحاولة التعرف عليهم وعلى عاداتهم وتقاليدهم وهمومهم ومشاكلهم اليومية قدر المستطاع.

وإذا كان ضروريا القيام بهذه الحفريات للوصول إلى الأدوات المساعدة واستخراجها ودراستها للتعرف على حقائق الحضارات الغابرة، فإن هذه العملية في نفس الوقت هي هدم وتخريب، لأننا حينما نجمع هذه اللقى الأثرية سنعمل على تغيير موضعها الأصلي حيث تركها الإنسان القديم منذ سنين خلت. وفي هذا الصدد ندرج كمثال مقبرة الصخيرات، لقد تم العثور على هذا الموقع في بداية الثمانينات عن طريق الصدفة. فحينما كان العمال يستخرجون الرمل من مقلع قرب مصب وادي الشراط عثروا على عظام بشرية، فتم إشعار المصالح المختصة التابعة لوزارة الشؤون الثقافية، وبالفعل توجهت مجموعة من المتخصصين وأجروا حفريات فاستخرجوا ما يزيد عن مائة هيكل عظمي وبجانبها عدة أدوات جنائزية منها أوان فخارية وحجر مصقول وأدوات عظمية وحلي.

ومما تجدر الإشارة إليه كون هذه الهياكل العظمية وتلك الأدوات الجنائزية ظلت على الحالة التي وضعها فيها الإنسان منذ حوالي أربعة آلاف وخمسمائة سنة ولم تتأثر بأي عامل من عوامل الطبيعة إلى غاية بداية الثمانينات. إننا ملزمون بهذه الحفريات. ولولاها لما استطعنا أن نعرف مثلا بأن سكان الصخيرات منذ حوالي أربعة آلاف وخمسمائة سنة خلت كانوا يدفنون أمواتهم إما منكمشين على الطريقة الجنينية وإما نصف جالسين وبجانبهم أدوات جنائزية جد متنوعة ومختلفة.

يجب علينا أن نعرف بأن أية قطعة كيفما كان حجمها وشكلها ولونها يمكن أن تكون لها دلالات كبيرة عن وجودها في مكان معين دون غيره، فمثلا أحجار الصم التي وُجدت مجتمعة بموقع القبعة الحمراء بضواحي سلا وهي تعود إلى الحضارة العطيرية (حوالي 30000 سنة)، تبين أن الإنسان الذي عاش بالمنطقة بنى الخيام وجمع الأحجار لتدعيم أعمدتها. فعلى المنقب إذن أن يسجل جميع الملاحظات والمعطيات حتى التي تبدو له بديهية ودون أهمية.

لكل هذه الاعتبارات، يستحب أن لا تُجرى الحفريات إذا نحن لم نتوفر على الإمكانيات المادية والمعنوية اللازمة وكذا الخبرة الضرورية والوقت الكافي للقيام بها جيدا وفي أحسن الظروف، اللهم إذا كان الموقع مهدداً بالخراب والضياع.

تعرى الأدوات داخل كل مربع بحذر وبعناية فائقة حتى

تبقى كل قطعة في محلها الأصلي، ويرسم فوق الورق الميلمتري كل مربع على حدة ويسجل مكان واتجاه كل قطعة، ثم تأخذ الصور العامة للمساحة التي تم التنقيب بها، وصور جزئية للمربعات والأدوات (انظر الصورة رقم 2) كما تؤخذ الإحداثيات العمودية X et Y والأفقية Z لكل قطعة، وبالنسبة لـ Z يختار الباحث نقطة الصفر في بداية التنقيب بمكان ثابت حتى لا تضيع، وبمنطقة يمكن رؤيتها من جميع جوانب الموقع.

وحتى يتسنى للباحث تمديد وقت الحفريات يتم في بعض الحالات تحويل التنقيب إلى المتحف، وذلك إما عن طريق القولبة، وكمثال له : هياكل مغارة الهرهورة المعروضتين حاليا بالمتحف الأثري بالرباط (الصورة رقم 3) أو عن طريق التلفيف وكمثال له : الهياكل المستخرجة من موقع الروازي بالصخيرات ومغارة المناصرة قرب شاطئ تمارة (الصورة رقم 4).

وللتنقيب في فترة ما قبل التاريخ خاصيات تميزه عن التنقيب بباقي المراحل التاريخية. ويمكن تحديد هذه الخاصيات في النقط التالية :

- إن الباحث في الفترات التاريخية يجد عدة آثار ثابتة على الأرض كالأسوار والبيوت والحمامات والفسيفساء... يمكن الاحتفاظ بها في عين المكان وزيارتها بعد عملية التنقيب للتأكد أو مراجعة بعض النظريات والاستنتاجات، بينما يبحث المنقب في فترة ما قبل التاريخ في غالب الأحيان عن أدوات متحركة يزيلها بعد التنقيب ولا يترك وراءه إلا طبقات جيولوجية عذراء، وبالتالي يمحو أثر الموقع بذاته.

- نوعية الآثار المنقب عنها. إذا كان الهدف من علم الآثار عامة هو التقرب من الذين سبقونا عبر ما خلفوه من أدوات وعمران، فإن طبيعة هذه الأدوات وكذا أهميتها تختلف من مرحلة إلى أخرى، وكمثال لذلك بالنسبة لفترة ما قبل التاريخ تجمع عدة لقى لا أهمية لها بتاتاً بالنسبة للباحث في الفترات الموالية كالبقايا العظمية للحيوانات والطيور (فقريات، فئران...) التي تعطي فكرة عن المناخ القديم الذي عاش فيه الإنسان وتطوره وكذا الحيوانات والنباتات التي كانت موجودة آنذاك وكمثال ثان نذكر المقابر، ففي الفترة الإسلامية لا تدرس الهياكل العظمية المدفونة بنفس الطريقة التي تدرس بها بالنسبة لفترة ما قبل التاريخ، وذلك لعدة اعتبارات أهمها، كون طريقة الدفن خلال فترة ما قبل التاريخ تبقى جد مختلفة عن الفترات اللاحقة ولها عدة أساليب، ولكشف أسرارها لا بد من دراستها من جميع الجوانب، ثم إن مورفولوجية الهيكل العظمي عرفت تطوراً ملحوظاً، وللإحاطة بها لا بد من الأخذ بعين الاعتبار لعدة معطيات وجوانب لا يعيرها الباحث بالنسبة للفترات اللاحقة أي اهتمام.

- إن اللقى الأثرية التي تعود إلى الفترات التاريخية تكون مدفونة تحت التراب بعمق بسيط. في حين أن المستويات الاركيولوجية الماقبل تاريخية توجد بأعماق جد مختلفة تفوق في بعض الحالات عشرات الأمتار (مثلا موقع أولاد احميدة حوالي عشرين متراً).

- تعرف المواقع الماقبل تاريخية في كثير من الحالات وخاصة المغارات، تعاقب عدة حضارات خلال فترات زمنية جد متباعدة. مثلا مغارة المناصرة عرفت الحضارة العطيرية وحضارة العصر الحجري الأعلى ثم حضارة العصر الحجري الحديث. وقد تكون هذه الحضارات متفرقة بطبقات جيولوجية عذراء (انظر المقطع الجيولوجي رقم 1).

يوازي تاريخ التنقيب والحفريات بالمغرب من الناحية التاريخية في خطوطه العريضة تاريخ البحث في أوربا، حيث بدأ الاهتمام في بداية الأمر بجمع الأدوات "الجميلة"، دون إعطاء أية أهمية للأدوات "الخشنة" والستراتيغرافيا والمحيط الطبيعي للإنسان القديم. وخلال السنوات الأخيرة تطور البحث والتنقيب الأثري بأوربا وسائر المغرب هذا التطور، وهكذا تعددت التساؤلات والتخصصات والمعطيات والفرضيات والنتائج المتوخاة من البحث الأركيولوجي بصفة عامة. لكن يبقى لكل منطقة خاصيات تميزها، ويمكن أن نقسم تاريخ البحث في فترة ما قبل التاريخ بالمغرب إلى أربع مراحل مرتبطة بأربعة أحداث مهمة وذلك على النحو التالي :

تبتدئ المرحلة الأولى مع بداية البحث بالمغرب في هذا المجال (سنة 1875) وتنتهي بتأسيس أول جمعية للباحثين في هذا المجال سنة 1925، والملاحظ خلال هذه الفترة هو أن جل الأعمال كانت فردية ومتفرقة. أما المرحلة الثانية فتسير بنا إلى حين تسجيل أول موقع مغربي ضمن التراث الوطني سنة 1951 وتتميز بتعدد التخصصات التي أصبح الباحث الأثري يلجأ إليها (الجيولوجيا، الإحاثة، الأنتروبولوجيا...). وتمتد المرحلة الثالثة إلى غاية 1985 حيث تكونت الأطر المغربية الأولى المتخصصة في حقل ما قبل التاريخ، ومن مميزاتها تعميم البحث بمختلف مناطق المغرب، وتطور التقنيات والدراسات، وصدور عدة كتب ساهمت في التعريف بأهمية المواقع المغربية. وتهم المرحلة الرابعة البحث خلال السنين الأخيرة، ومن خاصياتها مشاركة الأطر المغربية بصفة مكثفة ومسترسلة في القيام بحفريات ودراسة الأدوات، فتعددت الأطروحات والمقالات الخاصة بهذا المجال.

يعود تاريخ أقدم مقال يتحدث عن وجود آثار ما قبل التاريخ بالمغرب إلى ما كتبه الدكتور بلايشير سنة 1875، وخلال سنة 1906 بدأ بالاري Pallary تنقيباته الأولية بناحية العرائش والناظور، وفي سنة 1908 اكتشف الدكتور پينشون Pinchon عدة مواقع أثرية قرب مدينة وجدة كمغارة تافوغالت، كما قام كامباراد Compardou بحفريات في كهف بالغماري.

خلال عقد الخمسينات تم تسجيل موقع سيدي عبد الرحمان ضمن التراث الوطني، كما نشرت عدة كتب تهم

البحث في فترة ما قبل التاريخ بشمال إفريقيا عامة وبالمغرب خاصة. فصدر سنة 1955 كتابان يحملان نفس العنوان *"ما قبل التاريخ بافريقيا"* الأول لأليمان Alimen والثاني لڤوفري Vaufrey. كما نشر بالو Balout خلال نفس السنة كتابه *"حضارة ما قبل التاريخ بشمال افريقيا"* واكتشف بيبيرسون Biberson بقايا الإنسان المنتصب بناحية الدار البيضاء وفي السنة الموالية (1956) عثر جون روش Roche على أولى بقايا الإنسان العطيري بمغارة أولاد بوشيخة الملقبة سابقا بمغارة الكُنْتْروبونْديي Contrebandier. وفي الفترة ما بين 1951 و1955 قام نفس الباحث بتحريات وتنقيبات منهجية بمغارة تافوغالت.

ومع بداية الستينات وبالتحديد سنة 1961 ظهر كتابان لبيبيرسون تحت عنوان *حضارة العصر الحجري القديم بالمغرب الأطلسي والاطار الجيوغرافي القديم لما قبل التاريخ بالمغرب الأطلسي*. هذان الكتابان يعتبران المرجع الأساسي للبحث في هذه العهود الغابرة بالشمال الغربي للمغرب إلى يومنا هذا.

وخلال سنة 62 ـ 1963 تم اكتشاف جمجمتين بجبل إيغود قرب مدينة أسفي يعود تاريخهما حسب المعطيات الحالية إلى حوالي 100.000 سنة تم تصنيفهما حالياً ضمن الإنسان العاقل القديم.

وخلال سنة 1963 نشرت أطروحة جونْ روشْ تحت عنوان *حضارة العصر الحجري الأعلى بالمغرب* كما تم اكتشاف مقبرة الكيفان Kiffan قرب مدينة الدار البيضاء وفي سنة 1974 نشر كامبس Camps كتابا ملخصا للدراسات السابقة تحت عنوان *حضارات ما قبل التاريخ بشمال إفريقيا والصحراء* استعرض فيه جميع حضارات ما قبل التاريخ بالمغرب وعرض المشاكل الخاصة بها كانتشارها وتطورها وتأريخها... ورغم كون الباحث اهتم بالخصوص بالعصر الحجري الحديث فإن الكاتب استطاع أن يخرج مرة أخرى إلى الوجود مختلف مشاكل حضارات ما قبل التاريخ بهذه المنطقة.

وتميزت السنة الموالية (1975) باكتشافات جد مهمة تتجلى في العثور على بقايا الانسان العطيري بمغارتي السلطان II وأولاد بوشيخة بضواحي مدينة الرباط، الأولى على يد أندري ديبينات Debenath والثانية على يد جون روش وتيكسيي Texier. ومن خلال الدراسة التي قامت بها فيرمباك سنة 1978 لهذه البقايا استنتجت بأن إنسان دار السلطان ينتمي إلى صنف الإنسان العاقل ويعود تاريخه إلى حوالي 30.000 سنة. ومنذ سنة 1978 استأنفت الأبحاث بمقالع سيدي عبد الرحمان (كموقع سيدي عبد الرحمن امتداد، ورأس شاتوليي) كما أعيد النظر في الستراتيغرافيا التي رسمها بيبيرسون وأقيمت عدة تنقيبات بمغارة الهرهورة على يد ديبينات، وموقع القبعة الحمراء على يد تيكسيي، وتوبعت التحريات بالمغرب الشرقي على يد فانكلير Wengler.

وخلال سنة 1985 تم تقديم الأطروحات الأولى لباحثين مغاربة، كما تم إحداث المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث ابتداء من الموسم الجامعي 86 ـ 1987، فبدأت الأطر المغربية تتكون داخل المغرب.

وتوبعت الأبحاث بمختلف مناطق المغرب فتكلفت الباحثة فاطمة الزهراء الصبيحي العلوي، والسيد جون بييرو دو گاس Daugas بالتنقيب بمقبرة الصخيرات الروازي، كما ساهمنا في هذه التنقيبات التي دامت أربع سنوات، واستأنف أندري ديبينات خلال سنة 1982 أبحاثه بموقع سيدي عبد الرحمان، وقمنا في نفس الفترة بالتنقيب في موقع الضاية الحمراء الموجودة قرب مدينة تيفلت.

وخلال سنة 1985، استأنفت الأبحاث بمقلع طوماس I على يد السيدة الصبيحي العلوي والسيد جون بول رينال J.P. Rynal، أما الدراسة الجيولوجية فقد عهد بها للباحث جون بيير تيكسيي، وفي نفس الفترة كذلك بدأت التنقيبات بمواقع الشمال على يد دوكاس وخاصة مغارتي كهف تحت الغار والغار الكحل وكذا مغارات رأس أشقار. وفي سنة 1988، قام فريق مكون من باحثين مغاربة وإسبان بتحريات بمنطقة وادي لَاوْ بشمال المغرب.

وخلال سنتي 1990 و1991 ساهمنا في عدة تنقيبات بمغارة المناصرة الموجودة قرب شاطئ تمارة كما تم خلال سنة 1991 اكتشاف موقع أولاد حامدي (1) بضواحي مدينة الدار البيضاء وتوبعت التنقيبات بمغارة كهف البارود قرب مدينة بنسليمان.

ومجمل القول فإن عملية التنقيب تبقى دائماً الوسيلة الوحيدة للوصول إلى اللقى الأثرية، وتبقى دون أي خطر إذا ما نحن أخذنا جميع الاحتياطات اللازمة، وخصصنا الوقت الكافي للتأمل والدراسة قبل الشروع في أي عمل ما. ولم نجعل من الوصول وجمع الأدوات الهدف الأسمى ولكن لنجعل من حصر جميع المعلومات الهدف الأول من عملنا، لأن الباحث يشعر أثناء التنقيب، وحين ظهور أول مؤشرات عن وجود الموقع الأثري، بفرحة لا يشاطره فيها غيره، ورغبته في العثور على المزيد والمهم قد يزيغه عن طريق الصواب، لذلك فالباحث المتزن هو الذي يعرف كيف يتغلب على إحساساته الداخلية ويعمل أولا وقبل كل شيء لصالح العلم وتاريخ الإنسانية جمعاء، ويفكر في كل لحظة وحين في كل خطوة يريد أن يخطوها. وما يجب التأكيد عليه أن أخطاء عالم الآثار أثناء التنقيب قد تشوه معالم تاريخية وحضارات بائدة تركت بصماتها في تاريخ الإنسانية.

H. Alimen, *Préhistoire de l'Afrique*, Paris, p. 578, 1955 ; M. Antoine, *Répertoire préhistorique de la Chaouia*, n° 134, *B.S.P.M.*, t. I, 1927 ; *Aperçu sommaire sur les industries lithiques du Maroc central*, *B.S.P.M.*, t. IV, Fasc. I, Casablanca, pp. 29 - 49, 1930 ; *Note de préhistoire marocaine : un gisement atérien en place dans les alluvions de l'Oued Goréa*, *B.S.P.M.*, t. VIII, 1934; *La question atéro-ibéromaurusienne au Maroc : Historique et mise au point*, *B.S.P.M.*, t. XIV, 1937 ; *Préhistoire du Maroc atlantique et ses incertitudes*, *Pub. de la soc. des sc. nat. du Maroc*, pp. 361 - 389, 1948 ; *Sur l'Atérien moyen et la Grotte de Dar es Soltan*, Extrait de la Société des Sc. Nat. du Maroc, *compte rendu des séances mensuelles*, n° 1, p. 13, 1949 ; *L'Atérien du Maroc atlantique, sa place dans la chronologie nord*-

*africaine, B.S.P.M.*, t. XIX, 1950 ; *Les grande lignes de la préhistoire marocaine, IIè Congr. Panaf. de préhist., Alger - Casablanca, 1952* ; C. Arambourg, *Les corrélations paléontologiques entre le Pléistocène de l'Europe et celui de l'Afrique, Bull. Soc. Géol. de France*, Paris, 7ème série, t. XI, N 1, pp. 106 - 115, 1969 ; *Vertébrés villafranchiens d'Afrique du Nord*, Fondation Singer-Polignac, éd. 141 p, 1979 ; A. Balouche, *Paléoenvironnement de l'homme fossile holocéne au Maroc : apport de la palynologie*, Thèse, Univ. Bordeaux I, 1986 ; L. Balout, *Préhistoire de l'Afrique du Nord, essai de chronologie*, Alger-Paris, 554 p, 29 fig. 2 pl, 1955 ; *L'homme préhistorique et la Méditerranée occidentale, R.O.M.M.*, 3, pp. 9 - 29, 1967 ; G. Beaudet, *Le quaternaire marocain : Etat des études, R.G.M.*, 21 : 3 - 66, 1971 ; P. Biberson, *Le cadre paléogéographique de la préhistoire du Maroc atlantique, P.S.A.M.*, 16, 253 p, 2 cartes, 23 pl, 1961 ; *Le paléolithique inférieur du Maroc atlantique, P.S.A.M.*, 17, 544 p., 52 fig., 194 pl, 1961 ; *Les plus anciennes industries du Maroc*, 9ème congrès de l'U.I.S.P.P., pp. 1 - 13, 1976 ; Y. Bokbot, *Habitat et monuments funeraires du Maroc préhistorique*, Thèse de Doctorat, Aix-en-Provence, 1991 ; K. Bourchouk, *Etude du paléolithique moyen à l'Aguelmane de Sidi Ali, Moyen Atlas*, Mem. Fin d'étude,I.N.S.A.P., 1991 ; A. Bouzougar, *Schémas opératoires du débitage et du façonnage à la moyenne Moulouya, l'exemple de l'ensemble lithique de Megdoul*, Mém. fin d'étude I.N.S.A.P., 1991 ; Ph. Brebion, *Paléoclimatologie du quaternaire marin du Maroc atlantique, méthode d'étude, variations dans le temps et dans l'espace, Cahier du quaternaire*, hors série : *Paléoclimats*, pp. 179 - 186 ; G. Camps, *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Paris, 372 p., 100 fig., 39 tabl., 1974 ; G. Choubert [et al..], *Essai de classification du quaternaire continental du Maroc, C.R.A.S.*, Paris, t. 243, pp. 504 - 506, 1956 ; G. Choubert et J. Roche, *Note sur les industries anciennes du plateau de Salé, B.A.M.*, t. 1, pp. 9 - 37, 1956 ; *Essai de corrélation des formations continentales et marines du pleistocène au Maroc, Notes et Mem. Serv. Géol. Maroc*, t. 25, p. 36, 1965 ; J.P. Daugas [et al..], *Le Néolithique nord-atlantique du Maroc : premier essai de chronologie par le radiocarbone, C.R.A.S.*, t. 308, Série II, p. 681-687, 1989 ; A. Debenath, *Nouvelles fouilles à Dar Es-Soltan, Champ de tir d'El Menzeh près de Rabat, Maroc, Note préliminaire, Bull. Soc. Préhist. Fr.*, t. 69, p. 178 - 179, 2 fig., 1972 ; *Aspect de la préhistoire marocaine, Bull. Soc. Preh. Fr.*, t. 78, p. 133, 1981 ; *Dar Es-Soltan II, rapport d'activité mission préhistorique et paléontologique au Maroc*, p. 27 - 30, 1981 - 82 ; A. Debenath, J.P. Raynal et J.P. Texier, *Position stratigraphique des restes humains paléolithiques marocains sur la base des travaux récents, C.R.A.S.*, Paris, t. 294, pp. 1247 - 1250, 1982 ; A. Debenath [et al..], *Mission préhistorique et paléontologique françaises au Maroc, Rapports d'activités, 1981 - 1982 et 1983* ; A Debenath et J-P. Lacombe, *Remarques sur la double sépulture néolithique du gisement d'El Harhoura II Province de Témara, Maroc, Arqueologia*, 13 (espacial J. Roche - II), Porto, p. 120 - 125, 5 fig., 1986 ; A. Debenath, *Les Atériens du Maghreb, Dossier d'archéologie*, p. 52 - 57, 1991 ; M.A. El Hajraoui, *La région de la Mamora dans son contexte géologique et paléopédologique*, Thèse de 3ème cycle, Univ. Bordeaux I, 1986; *Etude paléopédologique et préhistorique dans la région de la Mamora, Précisions stratigraphiques, B.A.M*, t. XVII, pp. 13 - 32, 1987 - 88 ; *Nouvelles découvertes néolithiques et atériennes dans la région de Rabat Grotte d'Elmnasra*, Actes du congrès méditerranéen historique de Lisbonne, édit. Mediterrâneo N° 2, p. 105 - 112, 1993 ; M. Gigout et R. Raynal, *Recherche à la corrélation des phénomènes marins et continentaux dans le quaternaire marocain, C.R.A.S.*, 15, t. 248, Paris, pp. 2223 - 2225; D. Ferembach, J. Datsugue et M.J. Poitrat-Targowla, *La nécropole épipaléolithique de Taforalt, Maroc oriental, Etude des squelettes humains*, Rabat, 176 p., 1962 ; A. Habboun, *Etude de l'industrie lithique du Chaperon Rouge II*, Mém. fin d'étude, I.N.S.A.P., 1991 ; A. Laadioui, *Etude de la céramique cardiale d'Achakar et de Kaf Tahti- el-Ghar, dans le cadre de la néolitisation du Maroc*, Mém., INSAP, Rabat, 1991 ; G. Lecointre, *Recheches géologiques dans la Meseta marocaine, Mém. Soc. Sc. Nat.*, n° XIV, pp. 241 - 263, 1926 ; J.P. Lacombe, M.A. El Hajraoui, J.P. Daugas, *Etude anthropologique préliminaire des sépultures néolithiques de la grotte d'Elmnasra, Témara-Maroc, Bull. Trim. Soc. d'Anth. du S.W.* T. XXVI, 3ème trim., p. 167 - 176, 1991 ; A. Mohib, *Contribution à l'étude du paléolithique ancien de Casablanca : l'outillage du niveau M. de Sidi Abderrahman, Fouille Neuville et Ruhlman*, Mem. fin d'étude, I.N.S.A.P., 1991 ; E. Nami, *Contribution à l'étude du paléolithique ancien de Casablanca : industrie lithique du Niveau D2 de Cap Chatelier, Fouille P. Biberson*. Mém. fin d'étude I.N.S.A.P., 1991 ; P. Pallary, *Recherches paléolithique. ethnologique sur le littoral du Maroc, Anthropologie*, t. XI, p. 168, 1908 ; R. Neuville et A. Ruhlman, *La place du paléolithique ancien dans le quaternaire marocain*, Rabat, 1941 ; H. Roche, *Premiers outils taillés d'Afrique*, Thèse de 3ème cycle, *Société d'Ethnographie*, 261 p., 1981 ; J. Roche, *Etude sur l'industrie de la Grotte de Dar-Es-Soltan, B.A.M.*, t. I, p. 93 - 118, 4 tabl. 9 fig., 1956 ; *L'Epipaléolithique marocain*, Lisbonne, t. I, 1963 ; *L'Atérien de la Grotte de Taforalt, B.A.M.*, t. III, pp. 11 - 55, 1967; *La grotte des contrebandiers, Temara, B.A.M.*, t. XII, p. 61, 1978 - 80 ; A. Ruhlman, *Le Paléolitique marocain : esquisse d'une étude d'ensemble, B.S.P.M.*, n° 2, 1945; *A propos de la subdivision de l'Atérien marocain, B.S.P.M.*, n° 2, 1948 ; *La Grotte préhistorique de Dar-Es-Soltan*, Coll. *Hespéris*, N° 11, Paris, 210 p., 67 fig., 2 pl, 1951 ; A. Salih, *Recherche sur l'épipaléolithique dans le Moyen Atlas*, Mémoire de D.E.A., Université Aix-En-Provence, 1986 ; *Le Moustérien et l'Atérien au Maroc*, Thèse d'Université, Aix-En-Provence, 1990 ; J. P. Texier, *Le Site atérien du Chaperon Rouge I, Maroc et son contexte géologique, B.A.M.*, t. XVI, pp. 27 - 59, 1985 - 86 ; *Le Site atérien du Chaperon Rouge I, Maroc et son contexte géologique. B.A.M.*, t. XVI, pp. 27 - 59 ; *Les Pièces pédonculées de l'Atérien, Libyca : Anthropologie - Préhistoire - Ethnologie*, t. VI - VII, pp. 127 - 158, 1958 - 59 ; R. Vaufrey, *Préhistoire de l'Afrique*, T. I. *Maghreb*, Paris, vol. 4, 458 p., 1955.

محمد عبد الجليل الهجراوي

**التنقيب عن البترول**، بدأ نشاط التنقيب عن البترول مبكراً في المنطقة الشمالية بجبل الفُقْرة في مقدمة الريف، حيث وجدت آثاره منذ سنة 1880 م، هذا ما جعل المنقبين الفرنسيين عن هذه المادة يعلنون عن وجود البترول بالمنطقة سنة 1910 م. وفي المرحلة ما بين 1912 . 1913 قامت شركة فرنسية تدعى بشركة بيرسون Pearson بأبحاث عن هذه المادة بتسلفات. وفي شهر يونيو 1914 م قررت مجموعة من الفرنسيين إرسال باحث جيولوجي إلى المغرب وذلك لتقصي حقيقة وجود البترول من جهة وتكملة الاستكشاف من جهة ثانية. وفي مارس 1915 م شكلت هذه المجموعة من الفرنسيين ما سمي بالنقابة الجزائرية ـ المغربية، وبعدها نقابة البترول الجزائري ـ المغربي، وبعد ذلك أصبحت النقابة الجزائرية المغربية للأنقاب والبحث وكان يديرها شوطارد Chautard، حيث أرسل هذا الأخير إلى الولايات المتحدة لاقتناء أدوات الحفر واستخراج البترول. وفي أواخر يونيو 1916 م كان شوطارد قد أنهى دراسته للناحية الموجودة بين مولاي إدريس زرهون والريف.

أنجزت منذ سنة 1917 عدة محاولات للتنقيب عن البترول، حيث قام لوي جانتي Louis Gentil بثلاث مهام في هذا الإطار، وصحبه بعد ذلك لوجون Lugeon وجولو L. Joleaud سنة 1918 ؛ وكذلك مرازيك Mrazec ومساعدهم لوطود Luteaud في غشت ـ نوفمبر من نفس السنة.

وقد أسفرت هذه المحاولات عن تمكين الشركة الشريفة للبحث والأنقاب من تكملة التنقيب والتأكد من الاستكشافات التي وصلت إليها عن طريق الأهالي في منطقة الغرب. وعلى إثر هذه النتائج قُرر حفر نقبين وما يناهز عشرين بئراً صغيرة بجبل الفُقْرة، كما حُفر مسبران بجبل تْسلفات حيث أعطى أحدهما قدراً من زيت البترول من عمق اثنين وعشرين متراً.

إلا أن نشاط التنقيب عن البترول حقيقة ابتدأ منذ سنة 1919 م، حيث عثر على عدة قرائن زيتية في عدة أماكن من حوض الغرب. وكان البحث آنذاك يعتمد على الحفر بجانب القرائن الزيتية، حيث أدى سنة 1923 م إلى اكتشاف التجمع النفطي بالقرب من سوق أربعاء الغرب (العين الحمراء)،

وقد كان معظم هذا النفط ينبع من عدسات رملية تنتمي إلى الميوسين الأعلى. وبعد ذلك وعلى عمق يناهز سبعمائة متر تم اكتشاف أحجار خزينة في اللياس أعطت إنتاجاً يقدر بحوالي مائتي وخمسين طنا يومياً، وفتح هذا المجال للتنقيب عن البترول في صخور اللياس في أماكن أخرى غير منطقة الريف.

ونشير هنا إلى أن اكتشاف النفط بمنطقة الغرب قد شجع على استعمال عدة تقنيات معاصرة منها المسح الجيولوجي والجيوفزيائي (طريقة الاهتزاز الانعكاسي، كرافيمتري، المانيتومتري، وبعض المقاطع السيسميكية، والقبروسايز).

ومن بين الشركات التي ساهمت في عملية التنقيب في هذه المرحلة نذكر :

- الشركة الشريفة للبحث والأنقاب، والشركة الفرنسية لبترول المغرب، ونقابة دراسة البترول بالمغرب، وشركة بني عيشة، وشركة النفط للمغرب الأوسط.

وفي سنة 1946 م اكتشف حقل وادي بهت (الجنوب الغربي لتلال ما قبل الريف)، وحقل باثون سنة 1947 م، وحقلا وازرار وبودراع سنة 1955. وإذا ما استثنينا حقل بودراع الذي أنتج بعض النفط من الأحجار الجيرية، فإن إنتاج باقي الحقول كان يأتي من صخور الغرانيت، والباليوزوي وكذلك صخور اللياس الجيرية وحجر رمل الميوسين.

حدث مباشرة بعد اكتشاف حقل الحريشة في الشمال وجبل بودراع والذي كان يأتي إنتاجه من الأحجار الرملية المنتمية إلى الجوراسيك المتوسط المغطى بالميوسين، أن تحمل مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية (B.R.P.M.) المؤسس بالظهير الشريف المؤرخ 15 دجنبر 1928 م مسؤولية البحث عن البترول بالمغرب. وقد توسع على إثر ذلك نطاق البحث فشمل كافة التراب الوطني.

بالطبع كان لنشاط التنقيب بعد سنة 1949 انعكاسات جد إيجابية حيث بلغ إنتاج البترول حوالي 1200 طنا شهريا سنة 1949، مقابل 1000 متر من الحفر.

أما فيما يخص منطقة تلال ما قبل الريف، فلقد بدأت الدراسات الأولية سنة 1973 واستمرت إلى ما بعد 1977، ويعلق المختصون آمالا كبيرة عن هذه المنطقة، لتوفرها على كافة الشروط اللازمة لوجود النفط الخام.

إلا أن التنقيب قد شمل مجموع التراب الوطني، حيث اكتشفت على إثر ذلك عدة أحواض بمناطق مختلفة أهمها :

1 - حوض الصويرة : لقد تم اكتشاف الغاز بحقل كشولة سنة 1957، وحقل جبل الجير 1958 م. أما في سنة 1964 فلقد تم اكتشاف البترول بحقل سيدي غالم حيث أنتج هذا الأخير ما يزيد على 800.000 طنا من النفط الخام إلى غاية 1977 م ولم يتوقف التنقيب عند هذا الحد، بل تم اكتشاف النفط بحقل توكمت، والغاز بحقل ندارك سنة 1975 م.

2 - حوض دكالة : بدأ التنقيب عن النفط بهذه المنطقة منذ 1962 م حيث تم حفر بئر هلال حتى عمق 2.472 متراً، ولم تعط هذه الأخيرة أية آثار للنفط. وتوسع التنقيب بحفر بئر عمقه 2.842 متراً، بشمال أسفي، والتي أعطت علامات نفطية مهمة في الصخور الشعابية بالدفونيان المتوسط، وبعد ذلك تم حفر بئر ثالثة بالوالدية على عمق 2.380 متراً، ورابعة على عمق 3.421 متراً، إلا أن هذه المجهودات لم تعط أكلها. وفي سنة 1970 أعيد مسح المنطقة ودراستها جيولوجيا بوسائل أحدث، والتي على إثرها تم حفر بئر أولاد بوزيد وأولاد زيان وكذا أولاد يعقوب سنة 1973 م.

ورغم أن هذه المجهودات الجبارة لم تسفر على أي نتائج مشجعة، فإنه أعيد تقويم كل الدراسات السابقة سنة 1974 م.

3 - منطقة الهضاب العليا : بدأت أول مرحلة من الاستكشافات سنة 1963 م واستمرت إلى غاية سنة 1967 م. وبعد دراسة دقيقة من الناحيتين الجيولوجية والجيوفزيائية تقرر حفر بئرين بتندرارة للتعرف على الرسوبيات الفتاتية في قاعدة الدور الترياسي والدلوميت والحجر الجيري باللياس، حيث استنتج أن صخور قاعدة الدور الترياسي كتيمة وصخور اللياس قد غزتها المياه العذبة.

أما ثاني مرحلة للتنقيب عن البترول فبدأت منذ سنة 1975 م، حيث أعيد على إثرها النظر في الدراسات السابقة كما أجريت دراسة جيوفزيائية تكميلية، والتي على إثرها تم حفر عدة آبار عينية قصد التعرف على طبيعة بعض الآفاق السطحية التي أظهرتها الدراسات الاهتزازية. ولقد أدت هذه المجهودات إلى اكتشاف وجود سلسلة رسوبية متطورة تنتمي إلى الباليوزوي الأعلى المتأثر بالحركات التشكيلية الهرسينية.

4 - حوض گرسيف : كل الدراسات التي أجريت على هذه المنطقة من سنة 1969 إلى غاية 1971 أبانت على أهمية الميوسين، الكامنة في طبقاته السفلية الرملية والتي تشير إلى احتمال وجود عدسات حابسة للنفط أو الغاز. وعلى إثر هذه الدراسات تم سنة 1972 م حفر بئر شمال گرسيف على عمق 1.967 متراً، إلا أن هذه البئر أبانت عن وجود طبقة سميكة من الطين الأزرق الميوسيني الخالي من كل آثار النفط والغاز.

5 - منطقة الراشدية : بدأ التنقيب عن البترول بحفر بئر تَمَتْرو في نهاية 1963 م حيث أوقف الحفر بهذه البئر على عمق 1.831 متراً رغم أنه قد أبان على وجود آثار نفطية وغازية في اللياس. وتوبع نشاط الاستكشاف بحفر بئر تْزوجَرْت، غير أنها لم تسفر عن أي نتيجة، وأوقفت البئر على عمق 927 متراً، وبحفر بئر قصر السوق، وقد أوقفت هذه الأخيرة على عمق 1.344 متراً دون جدوى.

6 - حوض تندوف وطرفاية : بدأ التنفيب عن البترول منذ سنة 1958 بهذه المنطقة، وأجريت عدة دراسات معمقة، نتج عنها حفر أربعة آبار عميقة أحدها في تندوف، إلا أنه

ينعدم في هذه الأخيرة وجود صخور خزينة للبترول ؛ والباقي في حوض طرفاية وينعدم فيه وجود مصدرية للبترول.

7 ـ حوض العيون : لقد تم حفر ما يزيد عن سبعين بئراً، وذلك منذ سنة 1962 م، إلا أن ما استنتج من خلال الدراسات التي أجريت على هذا الحوض أن سحنات الميزوزوي أحسن في قيمتها داخل البحر.

8 ـ التنقيب عن النفط في مجال البحر : بدأ التنقيب عن النفط في مجال البحر سنة 1967 وذلك في عرض المحيط الأطلسي حيث تم حفر تسعة آبار عرض شاطئ طرفاية. أما في عرض المحيط فلقد تم حفر بئر واحدة غرب أگادير سنة 1972، وثانية في منطقة إيفني، وأخرى غرب حوض الصويرة ودكالة سنة 1970 ـ 1971 م، وأخيراً حفرت بئر استكشافية غرب مدينة العرائش، ونشير هنا إلى أن هذه المجهودات الجبارة لم تسفر على أي نتائج مرضية. وبالرغم من كل هذا، فلقد استمر التنقيب عن البترول عرض البحر المتوسط سنة 1974، شرق كدية الطيفور ومنطقتي الحسيمة والناظور.

هكذا شمل التنقيب عن البترول كافة الأحواض المذكورة من طرف مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية والشركة الشريفة للبترول في مرحلة ما بين 1958 ـ 1981 م، حيث أُنجز 176 منقباً، اكتشفت على إثرها تكدسات من الزيت والغاز في حوضي الصويرة والغرب.

وفي أبريل 1981 أسس المكتب الوطني للأبحاث والاستثمارات النفطية (ONAREP) حيث كلف بجميع الأبحاث التي تخص البترول بالمغرب معتمداً في ذلك على إمكانياته الخاصة، وأحياناً أشرك في أبحاثه بعض شركات البترول الأجنبية.

وتجدر الإشارة إلى أن المجهودات التي قامت بها هذه المؤسسة أسفرت على نتائج هامة نذكر منها على سبيل المثال، حفر ستة وسبعين منقباً تم على إثرها اكتشاف حوض من الغاز بمسقالة (حوض الصويرة) وتكدسات مختلفة من الغاز البيوجيني في حوض الغرب.

**التنقيب عن المعادن**، ذكر ابن خرذاذبّه حوالي سنة 226 هـ / 840 م أنه كان بدرعة المدينة الكبيرة الكثيفة السكان آنذاك مَكْمَن من الفضة. وقد أشار البكري سنة 442 هـ / 105 م إلى مكمنين واقعين على الضفة اليمنى وعلى مقدار يوم واحد سيراً من النقطة التي تغادر فيها طريق أغمات ـ سوس الأطلس. ولا بد من التذكير أن عاصمة سوس كانت آنذاك تسمى إگلي (قرب تارودانت)، وكانت على حوالي يومين من المشي من واد النُّفيس حيث وجدت عدة آثار لأسواق كثيرة تمتد إلى المحيط الأطلسي. ويمكن أن يكون أحد هذه المكامن مكمن تازْرَارْت. وقد أشار البكري كذلك إلى مكمن آخر من النحاس في تيحمامين على حوالي يومين من المشي من سجلماسة عن الطريق المؤدية إلى ورزازات.

لا بد أن مكامن درعة قد بدأ استغلالها قديما، حيث كان مَوْلَى سجلماسة يأخذ الخماسية على المنتجات في ذلك الوقت. وفي سنة 529 هـ / 1134 م أشار الإدريسي إلى مكمن آخر من النحاس الخالص بالأطلس المتوسط قرب بني ملال على طريق فاس المؤدية إلى مراكش عبر تادلا، ونشير هنا إلى أنه كان هناك مشعب يربط هذه الطريق بجبل عوام.

وذكر *روض القرطاس* أنه كان هناك عبر باب الحديد بفاس طريق مؤدية إلى جبل فزاز ومكامن عوام. ونعلم أن باب الحديد صنع في عصر إدريس الثاني، في آخر القرن الثاني الهجري (أوائل 9 م). وبقي المكمن ينتج المعدن حتى ربيع الأول 647 هـ / 1249 م حيث خرج آنذاك الأمير أبو يحيى من فاس قاصداً مكمن عوام (منطقة فزاز). وعندما زار الحسن الوزان بلد عوام وجدها خراباً خالية من السكان، ويقال إن مكمن جبل عوام كان قد خلا منذ أكثر من مائتين وخمسين عاماً أي حوالي 659 / 1260. ولقد أعيدت الحياة في منجم عوام مع بداية استغلال المكمن من طرف البرتغال حيث أعطى الكثير من معدن الرصاص. وتذكر أسطورة "السلطان الأسود" الذي كان يحكم بلد عوام والتي تقول إنها كانت بلداً شاسعة، وأن مسابكها ودكاكينها كانت تغطي المرتفعات عن آخرها، وتشير الأسطورة إلى أن بَلْجَة نار المسابك كانت ترى من مكناس وفاس. ومن بين المآثر المنسوبة إلى البرتغال خطأً بقايا قصبة توجد قرب جبل عوام وداخلها توجد بقايا التراب المحروق، والآجُر، وكذلك خبث المعادن.

وأشار الحسن الوزان Léon L'Africain أنه يوجد بإفران في سوس أربعة قصور كان الصناع التقليديون يصهرون بها النحاس، وغير النحاس. وكانوا يصنعون بها أعمالا فنية مختلفة من النحاس (كالكؤوس مثلا).

وفي مطلع القرن السابع عشر كان سادة تافيلالت يسكون عُمُلات من الذهب والفضة، إلا أن الذهب كان يأتي من السودان عن طريق المقايضة. ومما تجدر إليه الإشارة أن ملك فرنسا هنري الثاني Henri II قد كلف قنصله سنة 987 / 1579 للتحاور مع السلطان مولاي أحمد المنصور لتموين فرنسا بحوالي 40.000 قنطاراً من النحاس. أما في 1019 / 1610 فقد كتب الشريف مولاي زيدان في إحدى رسائله إلى الدول المتحدة المشتركة الهولاندية، لإلقاء نظرة على خيرات المغرب وهذا موجزها : "المغرب غني بمكامن الذهب والنحاس والكبريت والرصاص والحديد وغيرها من المعادن والأشياء الضرورية للحرب". ويجب ألا ننسى أن الأهالي وعلى الخصوص الموجودين قرب المكامن، كانوا يستغلونها لصناعتهم الخاصة وتمكنوا من استخراج أكثر من 70٪ من المعدن الخام (مثلا الرصاص).

ومن أول أعمال البحث الجيولوجية بالمغرب، أعمال الجغرافي أحمد بن الحسين المتيوي سنة 1213 / 1789،

وتوسعت سنة 1220 / 1805 بدقة أكثر مع علي باي العباسي. وفي سنة 1306 / 1888 أخرج طمسون Thomson أول خريطة جيولوجية بمقياس 1.500.000 / 1، وبعدها، أدت أعمال جانتي Gentil وبريف Brives إلى نشر خريطة جيولوجية من مقياس 2.500.000 / 1 سنة 1329 / 1911.

إلا أن التنقيب عن المعادن بمعناه الصحيح لم يبدأ بالفعل إلا بعد سنة 1331 / 1912 م، وينقسم إلى مرحلتين :

- الأولى وكان يُعتمد فيها أساسا على المعلومات المستمدة من الأهالي.

- الثانية اعتمد فيها على أعوان الشركات المعدنية الكبرى، والجيش، والمستكشفين الخواص وغيرهم، حيث كان هؤلاء يطلعون ويعيدون النظر في المناجم الصغيرة للكحل، والنحاس والحديد والملح الخام، والتي كانت تستغل من قبل بطريقة تقليدية من طرف بعض القبائل المغربية. إلا أن أكثر هذه المعلومات غير صحيحة.

وعلى إثر هذه المعطيات، وبعد هذه المرحلة الثانية أضحى التنقيب عن المعادن من طرف الشركات الخاصة، وعلى الخصوص بعد اكتشاف الفحم الحجري والبترول بالغرب، غير كاف ودون المستوى. وهذا ما دفع المسؤولين آنذاك لخلق مؤسسات تابعة لجهاز الدولة كمكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية، ومصلحة المناجم والخريطة الجيولوجية (ظهير 15 دجنبر 1928)، بدأ بدراسة بعض المكامن المعدنية المعروفة، ورسم خريطة جيولوجية أدق. ونظراً لأهمية المعادن بالمغرب أسست بعد ذلك سنة 1942 شعبة دراسة الرواسب المعدنية. وفي سنة 1958 بدأت تصدر مديرية المعادن والجولوجيا مجلة على رأس كل ثلاثة أشهر *(مجلة المناجم والجيولوجيا)*، هدفها الأساسي نشر الأبحاث المعدنية والجيولوجية لتسهيل الاستكشاف والتنقيب عن المعادن بالتراب الوطني.

ولكي نوضح أكثر تاريخ التنقيب عن المعادن بالمغرب فلا مناص من أن نهتم بالتاريخ القريب لعملية استكشاف أهم المعادن المغربية كالفوسفاط، والرصاص والخرصين والحديد والكوبالت والنيكل والقصدير.

1 - يبدو أن الإعلان عن وجود الفوسفاط لأول مرة جاء في تصريح 21 أبريل 1908 م على لسان بريف Brives. أما أول من عثر عليه وحَلَّله، فكان صيدلياً عسكرياً وتم ذلك سنة 1911 م، وتبعه تصريح كومبلا Combelas يوم 3 دجنبر 1912 م والذي عثر على الفوسفاط قرب الآبار المحفورة من طرف السكان للحصول على الماء الشروب.

إلا أن هذه المحاولات وغيرها لم تعط أكلها، حتى أواخر سنة 1917 حيث قام جانتي Gentil على رأس بعثة علمية وذلك قصد رصد الدلائل ومكامن الفوسفاط بالبروج وواد زم. وبعدها مباشرة بدأت مصلحة المعادن في نوفمبر 1917 بأول أعمال للكشف بشمال وغرب البروج، وفي سنة 1919 وسعت مصلحة المعادن أعمالها إلى شرق البروج حيث حفرت خنادق وسراديب عدة في المنطقة، مكنت المصلحة من التعرف على أهم مكامن الفوسفاط.

وعلى إثر هذه النتائج أُسس المكتب الشريف للفوسفاط التابع للدولة بظهير 7 غشت 1920 والذي أُسند إليه كل ما يتعلق بهذه المادة بالمغرب (تقييم الرواسب، عملية الإنتاج، الخ...). وأهم إنجازات هذا المكتب تخص عملية التنقيب الواسعة والتي شملت مسقالة، وأولاد عبدون، الناحية الغربية حتى طريق البروج المؤدية إلى سطات في المرحلة ما بين 1921 - 1922 م ثم انتقلت الاستكشافات بعد ذلك إلى مناطق الكنتور، أولاد عبدون حتى شرق تادلة، حوض إمي - ن - تانوت وشيشاوة، وحوض الكركوري في مرحلة ما بين 1923 - 1924 م. ويمكن تلخيص هذه الأعمال في حفر ما يزيد على 1.138 مترا من الخنادق و124 متراً من السراديب و568 متراً من الآبار. وبعد هذه المرحلة التمهيدية والتي على إثرها تبين أن هذه الراسب جد غنية من حيث الاحتياط وكذا من حيث معادنها ذات النسبة المرتفعة على الصعيد العالمي، تلتها مرحلة استغلال المكامن المذكورة إلى حدود 1951. بعدها أقيمت عدة دراسات تكميلية بتقنيات حديثة نذكر منها الدراسات الاستراتيغرافية والباليونتولوجية، والمرحلة الأهم بدأت من 1960 م إلى يومنا هذا دائماً تحت إشراف المكتب الشريف للفوسفاط، وتمتاز هذه الفترة بتكثيف دراسات المكامن، والدراسات الرسوبية والجيوكميائية، وهمت هذه الدراسات حتى مكامن بوكراع بالصحراء المغربية.

2 - لقي التنقيب عن الذهب والفضة والنحاس حماساً كبيراً، لوجودها خالصة في الطبيعة، ولا تستدعي أي جهد إضافي، بخلاف الحديد وأوكسيد الحديد المختلط بالمرو أو بالكلس أو بالكلوريت أو بغيرها، يتطلب استخلاصه حرارة عالية تتراوح ما بين 800 و900 درجة حرارية، وأحياناً أكثر بكثير. وغالب الظن أن هذا هو السبب الرئيسي الذي جعل التنقيب عن الحديد يبدأ متأخراً بالمغرب إذا ما قارناه مع معادن أخرى.

تحدث بعض المؤرخين عن وجود مكامن الحديد في جهات مختلفة من المغرب. إلا أن مرحلة التنقيب المنهج لم تبدأ بالنسبة للحديد بالمغرب إلا في مطلع القرن العشرين. ومن أهم أعمال التنقيب تلك التي قامت بها الشركة الإسبانية لمناجم الريف، حيث استعملت فيها التقنيات المعاصرة. وفي 1935 م اكتشفت هذه الأخيرة مكمن سطولازار بجبل ويسان مستعملة في ذلك المانيتومتري. وفي 1954 م وبنفس التقنية وضعت خريطة جيولوجية ومغْنَطيّة بمقياس 2.000 / 1 أعطت العديد من الشذوذ التي أبانت بعد سَبْرها على عدة مكامن من الحديد.

وبالموازاة لهذه المجهودات قامت مديرية المعادن والجيولوجيا بعدة حملات استعملت فيها تقنية المانيتومتري الجوية شملت مجموع منطقة بني بويفرور، وقد أسفرت هذه المجهودات عن نتائج جد مهمة تم فيها الكشف عن مكامن أخرى جديدة بالريف الشرقي.

أما في منطقة المغرب الشرقي فقد بدأ التنقيب عن الحديد في مرحلة 1914 ـ 1920 م من طرف شركة المعادن لوجدة بناحية جبل عزوز وجبل محسول حيث حفر 2.709 م من الخنادق و107 م من الآبار و602 م من السراديب. وفي مرحلة 1927 ـ 1929 م قامت شركة مقطع للحديد بعدة استكشافات شرق جبل عثمان على بعد ثلاثين كلم من الجنوب الغربي لوجدة حيث حفرت ما يزيد على 36 م على شكل آبار.

في 1917 م قام بوسي Bosset بمحاولات عدة للتنقيب عن الحديد في المغرب الأوسط بمكامن بولحوت، وبالتعاون مع شركة مقطع للحديد أمكن استمرار التنقيب بمناجم بولحوت خلال مرحلة 1918 ـ 1919 م. وفي سنة 1929 ـ 1930 م أسند أمر التنقيب عن هذه المادة بالمنطقة إلى شركة معادن الحديد للروينة.

وفي غشت 1925 قام لوفيڤر Lefévre جنوب تافيلالت بعدة محاولات للتنقيب عن الحديد، أسفرت عن حفر خندق يبلغ طوله 180 متراً، وعمقه ما بين 3 و7 أمتار، إلى جانب سرداب طوله 120 متراً وعلى عمق 17 متراً.

وفي سنة 1929 قامت شركة مقطع للحديد بأولاد سعيد بالمغرب الأوسط بحفر 109 بئر (تبلغ في المعدل 10 أمتار عمقاً)، و200 متراً من الخنادق و166 متراً من السراديب.

وفي سنة 1922 اكتشفت مناجم خنيفرة بالمغرب الأوسط من طرف النقابة المعدنية المغربية حيث قامت بحفر 190 متراً من السراديب و170 متراً من الآبار. وفي فترة ما بين 1925 ـ 1926 حفرت هذه الأخيرة بنفس المنطقة حوالي 2.780 متراً على شكل سراديب تحت إدارة سافري Savary. وفي سنة 1929 انتقلت هذه المناجم إلى شركة الدراسات والاستكشافات المعدنية لتادلة. وفي نفس السنة قامت شركة مقطع للحديد بمكامن مشرع بن عبو *(المغرب الأوسط)* بحفر 122 متراً من الآبار، و73 متراً من السراديب.

3 ـ إقليم وجدة وملوية العليا : بدأ التنقيب عن الرصاص والخرصين بهذه المنطقة منذ سنة 1908 من طرف الشركة الملكية الاستوريانية للمعادن بجبل محصور. وفي 1920 ـ 1921 قامت الشركة المعدنية لوهران بأبحاث بنواحي تيولي، ثم شركة المعادن لوجدة بجبل عزوز وجبل محصور، وكذا الشركة الفرنسية لمعادن المغرب بجرف وزان والشركة الملكية الاستوريانية بجبل محصور وحاسي تويسيت وأخيراً شركة صناعة المعادن والمناجم الفرنسية المغربية بسيدي لحسن. إلا أنه لم يحتفظ بعد سنة 1922 سوى بالشركات الثلاث الأخيرة لتقوم بمهمة التنقيب. وفي سنة 1924 أضيف إليها المنقب برودان Brudenne قرب حاسي الكرمة والمنقب سيمون Simon بمنجل الخال. ومنذ 1926 كرست شركة المعادن لزليجة جهودها لعملية التنقيب ببوبكر، وأخيراً قامت شركتا أعمارة الشرقي بدراسة بني إزناسن وبيرشو Perchot بدراسة جبل بوالعروة.

وفي سنة 1925 قام دلهاي Delhaye بالتنقيب عن الرصاص والخرصين بمكامن أحولي وبوسلوم مع بداية الدراسة الجيولوجية التي قام بها هذا الأخير في حوض ملوية. وكُلِّفت بعد ذلك بمهمة الاستكشاف الشركة المعدنية لافريقيا الشمالية، حيث قامت سنة 1930 م بإنجاز 1.754 متراً من الآبار و3.548 متراً من الخنادق.

لقد استمر التنقيب بمنطقة المغرب الشرقي (أحولي، ميبلادن، بوبكر، تويسيت) على يد شازان Chazan سنة 1948 م، وفوڤلي Fauvelet في مرحلة ما بين 1949 ـ 1951م وكذلك من طرَف مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية (BRPM) من سنة 1948 إلى غاية 1951، إلا أن هذه المجهودات كلها لم تعط إلا رصد بعض الدلائل.

أما بعد 1968 م فاجتازت مكامن تويسيت مرحلة صعبة تحت إدارة الشركة الملكية الاستوريانية للمعادن حيث كادت على إثرها أن تغلق أبوابها، لولا البحث الذي قام به سامسون Samson آنذاك والذي مكن الشركة من اكتشاف مكمن بَدْيار على بعد كيلومترين في الجنوب الغربي للمكمن القديم.

وبالأطلس الصحراوي كان مكمن جبل ملياس الموجود على الحدود الجزائرية على بعد ستة كلم من مدينة فگيگ الناحية الجنوبية أول ما اكتشف في هذه الجهة سنة 1909 م، أما الجهة الشمالية فتم اكتشافها سنة 1923 م، ومن سنة 1924 إلى 1928 م قامت شركة المعادن لبوعرفة بأعمال بحث في مكمن بجبل الگروز على بعد عشر كلم شمال بوعيش. أما في مرحلة ما بين 1926 ـ 1927 قامت الشركة المعدنية لإفريقيا الشمالية بأبحاث قصد التنقيب عن الرصاص والخرصين بجبل حوانيت. ولا بد أن نشير هنا إلى أن الشركة المعدنية للگير الأعلى قد أعادت التنقيب ثانية بالنسبة لأغلب هذه المكامن بالمنطقة.

بالأطلس المتوسط بدأ التنقيب منذ سنة 1925 م من طرف الشركة المغربية لجبل الشيكر، وهو يقع على حوالي 18 كلم في الجنوب الشرقي لمدينة تازا. وفي سنة 1930 م كانت هذه الأخيرة قد حفرت ما يزيد عن 235 متراً على شكل خنادق وسراديب.

عُرف معدن الرصاص بالمغرب الأوسط بمنطقة عوام (قرب مدينة مريرت) منذ زمن بعيد، ولربما استغله السكان من قبل. إلا أن التنقيب بمعناه الحقيقي قد بدأ بجبل عوام سنة 1924 من طرف الشركة الملكية الاستوريانية حيث حفرت حتى سنة 1930 ما يعادل 15 متراً من الآبار و1.636 متراً من الخنادق.

وقد تحملت الشركة المعدنية لعوام (SMA) فيما بعد، مسؤولية البحث والتنقيب عن معادن الرصاص والخرصين وغيرهما. ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الشركة قامت ولاتزال، بأبحاث جد مهمة مكنتها من الاستمرار في استغلال مناجم عوام إلى يومنا هذا.

ـ وفيما يخص الكوبالت والنيكل كان السكان ببوازار

يستعملون منذ القديم الإريترين (زرنيخ الكوبالت) كمبيد للحشرات والفئران. ولا يستبعد أن السكان كانوا يستخرجون النحاس بتسهيل ذهاب الكبريت أثناء الانصهار. وهذا ما أثار انتباه المنقبين عن الكوبالت، وكان أولهم هو الدمناتي من سكان المنطقة، حيث قام هذا الأخير بتحليل عينة واحدة سنة 1925.

وفي سنة 1928 م أشار كورناند Cornand إلى وجود مكمن للنيكل في بوازار، وإلى حدود 1933 كان إبينة Epinat قد رصد ما يناهز 70 دلالة معدنية بمنطقة بوازار لگرارة. وعلى إثر هذه النتائج أسندت مأمورية التنقيب والإنتاج إلى الشركة المعدنية لبوازار لگرارة (Smag). وفي سنة 1956 م انتقل التنقيب إلى ناحية إيغْتَمْ بنفس المنطقة.

ويجب أن نشير إلى أنه قد تعاقب عن البحث والتنقيب عدة باحثين ومنقبين نذكر منهم جورفسكي Jouravsky من سنة 1938 م إلى سنة 1963 م، وكان هو أول من أعطى تحليلا مفصلا عن نشأة فلزات الكوبالت والنيكل بالمنطقة ؛ وتبعه في ذلك كولسون Colson في مرحلة ما بين 1949 - 1952 م ؛ وبعده مباشرة گولوبينوف Gouloubinov من سنة 1952 إلى 1957 م ؛ ثم صْزابو Szabo من سنة 1957 إلى سنة 1961 م ؛ وتْراي Trey في مرحلة ما بين 1961 و1965 م ؛ وكْلافال Clavel من سنة 1966 إلى غاية 1970 م ؛ ولبلان Leblanc في مرحلة ما بين 1967 - 1975 م.

أما في مرحلة ما بين 1969 - 1971 م فقد أقيمت أكبر حملة للتنقيب بالمنطقة من طرف فريق من الباحثين السوفيات اسمه تكنواكسپور Technoexport، استعملت فيها أحدث التقنيات، نذكر منها الجيوفزياء والجيوكمياء وكذا عملية الاستبار. وقد أدت هذه المجهودات إلى اكتشاف مكامن جديدة كانت مخبأة تحت سطح الأرض على بعد 150 متراً.

- عُرف قصدير أُلْماس (المكمن الوحيد الموجود بالمغرب) على الأقل قبل القرن السابع عشر. ونشير إلى أن گاسبار دو راستان Gaspard De Rastin كتب رسالة إلى ريشليو Richelieu بتاريخ 16 يوليوز 1639 من مدينة سلا المغربية يذكر فيها أنه قد اكتشف منذ ثمانية شهور قبل تاريخ الرسالة مكمن للقصدير بالمغرب يمكن أن يكون أهم من مكمن القصدير بأنجلترا آنذاك، إلا أنه لم يعط أي معلومات حول مكان وجوده بالضبط ؛ ويمكن أن نفسر هذا بمجيئ معدن القصدير من منطقة والماس عن طريق سكان ناحية القريت وذلك قصد تصديره إلى ما وراء البحار انطلاقا من مدينة سلا.

في سنة 1917، وبمناسبة ذهاب أحد المنقبين الفرنسيين المدعى جوفري Jouffray إلى منطقة أُلْماس، سلم له أحد سكان ناحية القريت كيساً من القصدير، وبهذا اعتبر هذا الأخير أول من عثر عن القصدير في أُلْماس، الشيء الذي دفع بريڤ Brives للذهاب إلى عين المكان، قصد دراسة المكمن للدفع بعلمية الاستكشاف أكثر. وفي أبريل 1919 م أعطى هذا الأخير أول دراسة عن المنجم.

وفي يوليوز 1920 صاحب بريڤ بعثة من المختصين الجيولوجيين، أشرفت على إرسالها الشركة المعدنية الفرنسية بالمغرب. وقد أنجزت هذه الأخيرة 231 متراً من الخنادق والعديد من الآبار والتي يبلغ معدل عمقها متراً واحداً.

وفي مارس 1934 م انتقلت إدارة منجم القريت من الشركة المعدنية الفرنسية المغرب إلى مانَفْرُيْ Manafroy الذي أسس شركة معادن القصدير للقريت. وفي مرحلة ما بين شتنبر 1938 وشتنبر 1939 وبتعاون مع تارمييي Termier قام أوودنكو Owodenko بالتنقيب عن القصدير في عروق المرو بمنجم القريت. ونشير هنا إلى أن التنقيب حاليا مستمر تحت إشراف مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية (BRPM).

Léon L'Africain, *Description de l'Afrique*, édition Schefer I , Comte de Castries, *S.I.H.M.*, 1ère série, *France*, t. III ; *Roudh el Kartas* (1326), Trad. A. Beaumier, 1860 ; Luis de Marmol, *L'Afrique*, t. III, Paris, 1667 ; El Idrissi, *Description de l'Afrique et de l'Espagne*, trad. R. Dozy et M.J. de Goeje, Paris, 1866 ; Ibn Khordadbah, trad. par M.J. de Goeje, 1889 ; El Bekri, trad. par Mac Guckin de Slane, 1913 ; A. Brives, *Les richesses minérales du Maroc*, Archives du Service des Mines, 7 Avril 1919 ; P. Despujols, *Recherches minières au Maroc, des origines à 1930, Notes et Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 37, 1930 ; H. Termier, B. Owodenko et J. Agard, *Les gîtes d'étain et de tungstène de la région d'Oulmès, Maroc central, étude géologique, pétrographique et métallogénique, Notes et Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 82, 328 p, 1950 ; D. Bazin, *Etude géologique et métallogénique des chaînons atlasiques du Tizi-N' Firest au Nord de Ksar-es-Souk, Maroc, Notes et Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, p. 37 - 96, 1968 ; J. Caia, *Roches éruptives basiques et minéralisation en plomb, zinc et stromtium de la région de Tirrhist, Haut Atlas de Midelt, Notes et Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, p. 7 - 27, 1968 ; M. Leblanc, *Etude géologique et métallogénique du Jbel Bou-Arhous et de son prolongement oriental, Haut Atlas marocain oriental, Notes et Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, p. 117 - 185, 1968 ; Ph. Samson, *Un gisement plombozincifère en milieu récifal, Touissit, Maroc oriental, Notes et Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 242, 133 p., 1973 ; M. Leblanc, *Ophiolites précambiennes et gîtes arséniés de Cobalt, Bou Azzer - Maroc, Notes et Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 280, 306 p., 1981 ; *Mines et géologies* du n° 1 au n° 43, Publication de la Direction des Mines de la Géologie et de l'Energie ; *Activité du secteur minier de 1950 à 1986*, Publication de la Direction des Mines, de la Géologie et de l'Energie.

عبد الله بوصحابة

**التنگية** أو التنقية، تفيد باللهجة الحسانية - مثلما هو في العربية الفصحى - تصفية حبوب القمح والشعير من الشوائب حتى تصبح صالحة للطحن. على أن هذه التسمية تأخذ بعداً اجتماعياً متميزاً يرتبط بمراسيم عملية الزواج ويوجد هذا الطقس في جهات مختلفة من المغرب حيث تسمى في سوس وجبال المصامدة مثلا باسم "أفْران".

فيوم التنگية يعلن اقتراب ليلة الزفاف ويهيأ بما يعمله من رموز ودلالات مرجعية لمجموعة من الممارسات التقليدية. تختار أم العريس من بين النساء القريبات من تريد إشراكهن في العملية محددة الموعد مسبقا. وعندما تنطلق العملية صبيحة اليوم المحدد تكون الأم قد دست مجموعة من قطع السكر أو حبات التمر. فيكون البحث من خلال التنگية مبرراً إضافيا للتغني الجماعي الذي يعرف محليا بالتسنگيف. تتميز وليمة هذا اليوم بأنها تتكون أساساً من دقيق الشعير خاصة. تعمل الكميات التي تمت

تنگيتها داخل عينات صحراوية من الأكياس المخصصة لهذه الأغراض. وفي طريقهن إلى مجرى مياه ساقية القرية تكون أم العريس قد دست مرة أخرى خلخالا نسويا سيكون على الشبان التباري من أجل العثور عليه. تستمر عملية التسنگيف عبر الطريق الرابطة بجداول الساقية حيث تنشد النساء عادة :

وازرع ياگمحي مع المصارف    خيي يدُورْ الزينْ مَبْرُومَاتْ السالف

تنتهي عملية التنگية بعد ذلك مباشرة بعثور أحدهم على الخلخال الذي يعيده لذويه بعد أن يكون قد استبشر بقرب زواجه. يكون الشبان قد تأملوا في انسياب حبات القمح أو الشعير مع الجداول كانسياب السوالف. ويكونون قد تباروا من أجل العثور على خلخال يرمز إلى تباريهم من أجل رمز الأنوثة. الماء والأرض والزرع والخلخال تجسد هنا رموزاً ودلالات واضحة المعنى للدارس المتأمل في ضوابط الطقس المجتمعي. وهي دلالات ورموز تعود بنا إلى أبعد الفترات التاريخية القديمة مما يجسد عمق الامتداد الحضاري للغور السكاني الأقدم بوادي نون وسلسلتي أيت باعمران وباني.

*دراسة ميدانية.*

محمد الجوماني

**التّنّ**، والتون والتونيت، جنس أسماك بحرية كبيرة، مغزلية الشكل وطويلة الزعانف زعنفته الذيلية هلالية الشكل وكبيرة. ينتمي إلى الأسماك العظمية Osteichthyens الشائكات الزعانف Actinopterygiens ورتبة Perciformes وفصيلة الأسقمريات التونية Scombridae, Thunnidae.

تعيش معظم أنواع سمك التن في البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي وبينما لا توجد هذه الأسماك إلا في أجزاء من المحيط الأطلنطي معتدلة الجو ودافئة، فإنها توجد في كل مكان من البحر المتوسط، على الأقل في أوقات معينة من السنة. يغوص إلى الأعماق شتاء أو يهاجر من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلنطي ماراً بمضيق جبل طارق. يصعد إلى أعلى في أوائل الربيع وبعد ذلك يشق طريقه وسط أفواج متساوية الحجم نحو الشواطئ الأكثر حرارة والأقل عمقا حيث تضع الإناث بيضها. تنتشر أسماك التن في جميع الاتجاهات للبحث عن الأكل والذي يتكون من السردين والنشوفة والرنجة Herrings.

في بداية الصيف، وعند اعتدال الجو يمكن مشاهدة عدد كبير من بيضات سمك التون سابحة في أعماق البحر غير بعيد عن الشواطئ، توجد داخل غلاف صغير على هيأة كبسولة بها نقطة صغيرة من الزيت هي التي تحفظها عائمة. يتراوح قطر البيضة ما بين 8 و11 ملم.

تلتهم الأسماك معظم هذا البيض وتبقى كمية صغيرة هي التي تعطي سمك التن الذي يغدو الفريسة المحببة لأسماك القرش الشرهة والطعام السائغ والأفضل جودة للإنسان. تضع الأنثى عدة ملايين من البيض كل عام وبعد بضعة أيام تنفجر البيضة وتخرج منها سمكة صغيرة عارية بدون زعانف يصل وزنها بعد ثلاثة شهور 500 غرام ولا يصل وزنها إلى 100 كلغ إلى في أوائل العام الخامس وتصل إلى أقصى حجمها عندما يصبح عمرها ما بين 15 و20 سنة.

جسم سمك التن قوي جدا وخفيف الحركة، ومع كبر حجمه فإن الزعنفة الذيلية الهلالية الشكل والقوية مع جسمه المغزلي الشكل، تمكنه من حركات قوية الاندفاع وقطع مسافات طوال في البحار الدافئة.

لون ظهر التّنّ أزرق مائل إلى السواد، الجوانب والبطن رمادية فضية، الجسم أملس تغطيه قشور صغيرة وتوجد بمنطقة الصدر حراشف كبيرة تكون درعا وتستخدم كسلاح للوقاية. توجد في مؤخرة البطن والظهر عدة زعينفات (7. 9) تربط الزعانف الظهرية والبطنية بالزعنفة الذيلية كما هو الشأن عند سمك بينيث الذي ينتمي إلى نفس الفصيلة، توجد على الظهر زعنفتان متواصلتان. يتميز عن باقي أنواع الأسماك بدرجة حرارته الداخلية التي تفوق بعدة درجات حرارة المياه التي يعيش فيها ويملك عوامة السمك Vessie natatoire. نشاطه التنفسي قوي جداً وتعتبر لحومه من أجود اللحوم السمكية.

تعيش في البحار المجاورة للمغرب أربعة أنواع من سمك التن تلعب دوراً هاما في اقتصاد البلاد :

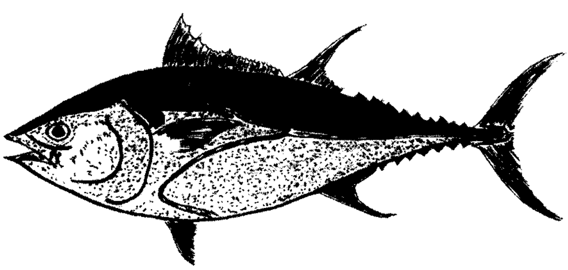

التن الحر أو التن الأبيض أو الباكورة كما يدعى في أسواق الأسماك المغربية. يسمى علميا Thunnus alalunga وبالفرنسية Germon أو Thon blanc وبالأنجليزية Albacore وبالإسبانية Aton Blanco. لا يتعدى طوله المتر، وشائع ما بين 50 و80 سم وهو أصغر أنواع سمك التن في المغرب.

يعيش في أعماق لا تتعدى مائة متر وفي المياه التي تتراوح درجات حرارتها ما بين 16 و21 درجة. يتنقل وسط أفواج متعددة الأفراد ويقطع مسافات طويلة. يتوالد ما بين يوليوز وشتنبر قرب جزر البليار والشواطئ الجزائرية ويصير بالغاً بعد ست سنوات. صيده شبه صناعي وتقليدي ورياضي أيضا. يعيش في البحر المتوسط وفي المحيط الأطلسي ويتميز عن باقي أنواع سمك التن بزعانفه الصدرية الطويلة ولحمه الأبيض الذي يختلف عن اللحم القرنفلي للتن الأحمر. يصاد هذا النوع عند وصوله

للشواطئ لوضع البيض في فصل الصيف وكذلك عند اتمام وضعه وعندما تكون جائعة وعلى استعداد لأكل أي طعم.

التن الأحمر أو منيرفا كما هو شائع في مدينة الجديدة يسمى علميا Thunnus Thynnus thynnus وبالفرنسية Thon rouge وبالأنجليزية Northern blue fin tuna وبالإسبانية Aton. زعانفه الصدرية صغيرة، الظهر أبيض والجوانب والبطن بيضاء. الزعينفات بنية حمراء.

إنه أكبر أنواع سمك التن حجما حيث يبلغ طوله ثلاثة أمتار وشائع ما بين 50 ـ 150 سم. يعيش غير بعيد عن سطح البحر ويقطع مسافات طويلة أثناء تنقلاته، يفضل الصغار العيش في المياه المرتفعة الحرارة بينما تعيش الكبار في المياه الباردة وتقتات من الأسماك الصغيرة الحجم ومن القشريات والرخويات. يتوالد ما بين مايو ويوليوز قرب جزر البليار وسواحل جنوب أوربا المتوسطية. يصير بالغا بعد ثلاث سنوات، يبلغ طوله خلالها تسعين سم.

إنه سمك أوقيانوسي يعيش أحياناً في أعماق تتعدى 1500 متر ويتغذى من الأسماك والرخويات والقشريات ويعد من أفضل الأسماك جودة. إنه تحت التجارب الأولية في جنوب سبتة وقرب المضيق من طرف شركات يابانية وصينية تحاول التمكن من ولادته وتربيته حتى يمكن تكاثره ويرتفع انتاجه.

التن العادي يدعى علميا Thunus albacares وبالفرنسية Albacore وبالأنجليزية Yellow-fin tuna وبالإسبانية Rabil. يختلف عن الأنواع الأخرى بزعنفته الظهرية الثانية الطويلة وبجوانبه المخططة. لا يتعدى طوله مترين وشائع ما بين متر ومتر ونصف. يعيش في البحار الدافئة تتراوح حرارتها ما بين 18 و31 درجة. شائع في السواحل الأطلنطية ومفقود في البحر المتوسط.

التن السمين يدعى علميا Thunnus obesus وبالفرنسية Thon obese وبالأنجليزية Begeye tuna وبالإسبانية Patudo. يختلف عن التن الأحمر بزعنفته الصدرية الطويلة وبزعينفاته الصفراء المحفوفة بالأسود. يبلغ طوله أحيانا 2,4 متر وشائع ما بين 1,5 و1,8 متر. يعيش في المياه الأطلنطية الدافئة التي تتراوح حرارتها ما بين 13 و29 درجة.

تصاد أسماك التن بواسطة شباك تسمى المزربة Madrague اخترعها العرب حوالي سنة 1000 ميلادية وهي عبارة عن قفص ضخم مبني من الشباك المثبة عادة في قاع البحار وتقام في الأماكن التي تشاهد فيها أسماك التن بكثرة. تثبت في مكانها بالقاع بواسطة عدد كبير من المرساة Ancres وعدد كبير من الفلين والعوامات الحمراء.

تتكون المزربة من جزئين أساسين : الذيل والجزيرة. يتركب الذيل من شبكة قوية ثقوبها واسعة، توضع في أعماق تفوق 160 متراً ويستغرق تنصيب هذه الشبكة شهوراً عديدة. تقام الجزيرة على حافة الذيل وقد يصل طولها في المزربات الكبيرة 330 متراً وهي عبارة عن ممر طويل وضيق مقسم إلى حجرات مصنوعة من شباك يمكن رفعها أو خفضها بالهيمنة عليها عند سطح البحر. والشباك المكونة للحجرات كلها عمودية وللحجرة الأخيرة شبكة أفقية ثقوبها ضيقة وتسمى حجرة الموت.

حينما تقترب أسماك التن من المزربة تسبح حولها وهي لا تدري أنها تدخل دهليز الجزيرة وتستمر في الدخول محاولة بثقة وبعد ذلك تبدأ الريبة تراودها ولكنها حتى الآن تكون محتجزة في المصيدة. يراقب الصيادون الشباك من على سطح البحر ويغلقون الشباك المتصلة بعد مرور السمك من جهة لأخرى حتى لا يتسطيع الرجوع إلى الوراء. يمكن الاحتفاظ بالسمك داخل الحجرات كما لو كان في حجرة انتظار وبذلك يتم صيده على مراحل.

تسمى الحجرة الأخيرة حجرة الموت وتشكل المرحلة الأخيرة لصيد سمك التن عندما يبلغ كمية كبيرة. يغلق الحاجز الأخير وتحيط المراكب بالشباك لرفعها أفقيا وبعد ذلك يضرب الصيادون السمك الواقع في الأسر بحراب طويلة من الحديد مزودة بخطاطيف فيصبغ الماء بالدم وتقاوم الأسماك المجروحة بجنون ضارية بأذيالها وكثيراً ما يقتل بعضها بعضاً. تجمع الشباك وتنقل حصيلة الصيد الذي تبلغ أحياناً 400 سمكة.

تعد البحار المجاورة لكل من أصيلا وطنجة وسبتة والمضيق قرب تطوان من أهم الأماكن المغربية التي توضع بها المزربات ويقدر عددها حالياً سبع مزربات يبلغ معدل محصولها السنوي 400 طن (800 طن سنة 1992 و400 سنة 1993 منها 258 طن من سمك التن الأحمر و136 طن من سمك منيرفا). يقدر معدل المحصول السنوي لسمك التن المصطاد في أعالي البحار بأربعة آلاف طن تصدر معظمه إلى الأسواق الأجنبية بالخارج.

يؤكل سمك التن طازجاً أو محفوظاً وتعتبر القطع الموجودة حول البطن أطيب مذاقاً وأكثر القطع طلباً.

أمين المعروف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

G. Bianchi, *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain, Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1984, p. 59 - 62 ; W. Fisher, M. Schneider et M.L. Bauchot, *Méditerranée et Mer Noire, Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1987, p. 1264 - 1279.

محمد رمضاني

* * عرف الإنسان صيد التن منذ القديم (الفينيقيون والإغريق) (*La Méditerranée*, 44)، وعرف المغرب أيضاً صيده منذ تاريخه القديم (Boutaleb et al..., *Histoire du Maroc*) خاصة في المنطقة الشمالية على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، وكشفت الحفريات الأثرية عن بقايا محلات معالجة هذا السمك وتمليحه وتصنيعه، وعن نقود تحمل رسوم التن. ويكتب أيضاً بالطاء (الطن).

لم تشر المصادر العربية الأولى التي تحدثت عن المغرب إلى وجود التن لكن ذلك لا يعني أن صيده توقف بل إن الظروف التي صاحبت نهاية الوجود الروماني بالمغرب وكذا حروب الفتح الإسلامي والاضطرابات التي صاحبت ذلك حالت دون استمرار تصدير السمك ومشتقاته (الگاروم)

وبالتالي صيده.

وأول المصادر التي تحدثت بتفصيل عن التن وطريقة صيده هو *نزهة المشتاق* (5 : 529) ومما جاء في وصفه : "بسبتة مصايد للحوت... يصاد بها السمك المسمى التن الكبير الكثير وصيدهم له يكون "زرق" بالرماح... ولهم في ذلك دربة وحكمة سبقوا فيها جميع الصيادين لذلك...".

لعب صيد سمك التن إلى جانب أنواع أخرى كثيرة وبكميات كبيرة دوراً إلى جانب مواد كالمرجان في نشاط المدن التجاري وفي إثراء العديد من الأسر كأسرة العزفي مثلا. ومن هؤلاء الأثرياء شخص ورد ذكره في *أزهار الرياض في أخبار عياض* (1 : 42 ـ 43) سماه الشريف أبا العباس الحسني.

إن الكميات الكبيرة التي ذكرها الإدريسي أكدها بعده ابن سعيد المغربي (*بسط الأرض*، 45) وذلك يدل على أن التن كان يصدر قديداً مجففاً، وطرياً حسب المناطق المصدر إليها، وكان المغرب والأندلس يستهلكانه طرياً في وقته ومجففاً في غير وقته (*فضالة الخوان*، 141 ـ 142). استمر صيد التن نشيطا إلى حين اضمحلال الدولة الموحدية وما ورثه العهد المريني الأول عنها من ازدهار اقتصادي، ومن الإشارات الأخيرة عنه وعن طريقة صيده، وصف العمري في *مسالك الأبصار* قال إن سبتة يصاد بها مئات الأنواع من الأسماك من بينها التن، ثم يدخل في وصف الطريقة وأدوات الصيد مثل من سبقه نقلا عن الإدريسي، توفي العمري عام 749 / 1348 ـ 1349. ويظهر أن قلة ذكر التن بعد ذلك يدل على تدهور الصيد.

بعد احتلال شمال المغرب من طرف الاستعمار الإسباني وإخضاع المغرب للحماية الفرنسية كانت معامل تصبير التن من بين الصناعات التي أقامها المستعمر، وقد استمر بها العمل إلى أن أغلقت في الستينات من قرننا هذا، بسبب تقدم التقنيات المتبعة في الصيد بأعالي البحار، إذ أصبحت (الرادارات) تترصد قطعان التن أثناء هجرتها من وإلى البحر المتوسط فتعترض سبيلها (البواخر ـ المصانع). كان الصيادون المغاربة في عهد الإدريسي وما قبله على علم بهذه الهجرة، وقد وصفه لنا ابن سعيد المغربي (*بسط الأرض*، 45) قائلا : "... الجون الأخضر... وفيه يتربى التن ويدخل مرة واحدة في العام إلى بحر الزقاق فيزعم الناس أنه يحج إلى حجر معلوم في جزائر البحر ثم يعود فيعيش منه أهل السواحل، بر العدوة والأندلس..." فخط الرحلة واضح من نص ابن سعيد ،فهو يتنقل من المحيط الأطلسي من عرض سواحل إفريقيا الغربية (جزر الرأس الأخضر ؟) إلى البحر المتوسط متبعاً حركة التيارات البحرية (تيار الكناري).

وقد اعترف بروديل في كتابه *البحر المتوسط* *La Méditerranée* للعرب بأسبقيتهم وتقدمهم في تقنيات صيد التن وبرهن على ذلك بالمصطلحات واللغة والأناشيد المستعملة اليوم في موسم صيد التن بسواحل صقلية بإيطاليا، لكنه لم يعترف للمغرب ولمدينة سبتة على الخصوص بتفوقها في هذا الميدان وأن التقنيات واللغة المستعملة اليوم موروثة عنها.

ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن سعيد المغربي، *بسط الأرض* ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار* ؛ العمري، *مسالك الأبصار* ؛ ابن رزين التجيبي، *فضالة الخوان وطيبات الطعام والألوان*، تح. محمد بن شقرون، 1981 ؛ الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، 1980.

محمد حجاج الطويل

**التنوخي، عبود** بن سعيد السبتي، ويعرف بابن العطار، ولعله الذي ينسب إليه حمام عبود بسبتة كما في *مختصر الأخبار* للأنصاري، ورد ذكره كذلك في *مذاهب الحكام* لمحمد بن عياض.

أخذ عبود عن أبي عبد الله المسيلي، وابن جماح ؛ وسمع من أبي الأصبغ ابن سهل القرطبي وحضر مجلسه ؛ وأخذ عن مروان بن عبد الملك اللواتي المعروف بابن سمجون؛ وهو أول قاض بسبتة على عهد المرابطين، ذلك أنه لما فتح يوسف بن تاشفين سبتة، أراد أن يولي قضاءها مروان بن عبد الملك اللواتي فتأبى، وأشار عليه بقاضيها أبي عبد الله الأموي، فلم يرتض ذلك، لكونه كان مولى من قبل خصومه البرغواطيين، فولى مكانه عبود بن سعيد هذا؛ وكان يشتغل بالقراءة والتجارة، فحاز السبق في القضاء والخطبة ؛ وكان صادعا بالحق، غير هيوب للأمراء، لا تأخذه في الله لومة لائم. وهو من القضاة الذين أغفلهم د. حسن أحمد صاحب كتاب *قيام دولة المرابطين*.

وبقي قاضيا بسبتة إلى أن توفي سنة 480 / 1087.

**التنوخي، محمد** بن عبود، تعلم ببلده سبتة وأخذ عن مشايخها ـ كأبي عبد الله بن عيسى التميمي، وأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد، وأبي عبد الله بن عبد الله الأموي ـ وكان مختصا به، وبإشارته ولي القضاء على سبتة، وعلى فتياه كان معوله ؛ وكان محمد التنوخي مثال العدل والاستقامة، مغلظاً على أهل البدع والأهواء، منقبضا عن الناس إلى أن استعفى فعوفي ؛ وكان حزمه وورعه أكثر من علمه كما يقول ابن حمادة.

لم أقف على تاريخ وفاته، وهو من أهل القرن الخامس الهجري (11 م).

ق. عياض، *ترتيب المدارك*، ج 8، الملحق الرابع، ص. 197 ـ 208، تحـ. س. أعراب ؛ ابن حمادة، *مختصر المدارك* (مصورة خاصة خ. ح. بالرباط رقم 672) ؛ س. أعراب، *جوانب من الحياة الفكرية بسبتة*، مجلة كلية الآداب بتطوان، ع 3، ص. 227 ـ 246.

سعيد أعراب

**التهالات**، تتباين انتماءات أتباع أحمد الركيبي مؤسس قبيلة الركيبات كما أشار إلى ذلك محمد سالم بن لحبيب بن الحسين بن عبد الحي في مخطوطه *جوامع المهمات*. كانت السمة الطاغية على هذه النواة هي

استيعاب كل الطلبة وحملة القرآن والتباع. ذلك ما يمكن أن نستشفه في هذا المخطوط حين يفيد بأن الطالب سيد علي ابن الطالب جد أهل سي علي، والطالب احماد جد أهل الزيغم وأهل صالح وأهل لبهيل قد وصلا إلى هذه النواة في وقت لاحق لوفاة الشيخ المؤسس. أما الطالب إبراهيم جد التهالات فقد ورد على عمرو بن الشيخ المؤسس.

كان الطالب التهالي قد خرج من بلده بإدا أولتيت ليقيم مع أهل تاگونيت حيث تزوج وأنجب الطالب سيد أحمد التهالي. انتقل بعد ذلك إلى أفراگ إذا أعلي حيث تزوج من أم هاني بنت المامون فأعطته ابنه الثاني الطالب سيد عبد الرحمان. وصل بعد ذلك إلى مجموعة الطالب عمرو بن الشيخ مؤسس القبيلة. وبذلك يكون الإطار المحدد للعلاقة بين الطرفين مرده إلى الاشتغال بتعليم القرآن وإنعاش زاوية الشيخ سيدي أحمد الرگيبي.

وإذا حاولنا تحديد مدى فاعلية هذه العلاقة، فإنه يكفي أن نعلم بأن وفرة أمطار سنة 1199 / 1784 - 1785 قد جعلت الطالب سيد إبراهيم يقرر العودة إلى أهله بالأطلس الصغير للاستفادة من وفرة الإنتاج الفلاحي كاشفة بذلك عن تضارب المصالح. تكون يومها قد مضت على وفاة الشيخ المؤسس حوالي 15 سنة تقريبا (*جوامع المهمات*، 72 وهامش 7) تشهد كلها على أن الروابط التي كانت تشد الطالب سيد إبراهيم التهالي إلى وسائل العيش هي أبلغ وأمتن من ارتباطه بالنواة المؤسسة للقبيلة المسالمة. ولا أدل على ذلك من أن علي بن الشيخ المؤسس الذي كان يجسد عنصرا فعالا في تقوية هذه النواة، قد عمد إلى ذبح كبش أمام خيمة الطالب سيد إبراهيم مرغما إياه على ترك أبنائه إلى عودته من إدا أو لتيت. فتجلى بذلك دور الذبيحة كمرتكز أساسي يرمز لضرورة المحافظة على الارتباط وصيانته. لم يكن الطالب سيد إبراهيم التهالي يعلم أن الوفاة ستحول دونه والعودة إلى حيث سيشكل ابناه الطالب سيد أحمد والطالب عبد الرحمان النواة الفعلية لفصيلة التهالات بجوار الرگيبات الساحليين.

إذا انتقلنا إلى مستوى العلاقات التحالفية بين التهالات وباقي الفصائل الساحلية للرگيبات وجدنا حفدة الطالب سيد إبراهيم ملتزمين بالمقولة التي تلتصق بالأوصاف الذاتية وتحتفظ بالهوية الجزولية إلى أواسط هذا القرن (F. De La Chappelle, *Les Tekna*, 78 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، I : 3. 8. 9 ؛ البعقيلي، *مناقب*، 23). بل إن البحث الميداني مايزال يكشف عن أن ما يشد التهالات إلى الفصائل الساحلية من الرگيبات هو التحالف والتعايش في إطار بنية متبلورة هي المحدد الرئيسي لما تنسجه بينها من روابط.

لقد ترعرعت مجمل فصائل الرگيبات وما إليها في ظل الحماية الفعلية للفّي تكنة. فبعد أن استطاعت هذه الاتحادية طرد إدا أوبلال عن المنطقة وخوض غمار ومعارك طويلة انتهت بجلاء ذوي حسان بما فيها الفروع الساحلية والشرقية لأولاد دليم وذوي سلام، تمكنت النواة الرگيبية من الترعرع في أحضان لفي تكنة. ابتدأت هذه الفصائل المسالمة من الطلبة وحفظة القرآن في تربية الأغنام وقليل من النياق الحلوبات. وهو ما جعلها تنتمي إلى صغار الرحل ذوي النجعات المحدودة الارتباط بحركية الأغنام البطيئة والارتباط العضوي بأفراگ تكنة حاملة السلاح وحامية المجال ومراقبة مسالك الصحراء. كانت حركية الأفراگ تعتمد على إرشادات المنيرين الذين كانوا يوجهون الرعاة نحو الكلأ. كانت عملية اقتسام المنافع تقتضي مرعى لكل خمسة خيام مما يجعل إحياء الأرض الموات أمراً غير وارد. فالاقتصار على استغلال المرعي والمياه حدد أنماط التملك الجماعي وارتبط أساساً بالقدرة الحربية على المراقبة الفعلية والاستقرار.

وصل محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي صاحب *الرحلة الحجازية* إلى فريگ أهل الدخيل من التهالات خلال النصف الثاني من شهر شوال 1312 / 28 مارس إلى 11 أبريل 1895 ليجدهم على هذا الحال. تربيتهم للأغنام جعلت مسيرتهم منذ وفاة الطالب سيد إبراهيم (قرن وعشر سنين) هي أشبه ما تكون بالتطور الملازم لباقي الرگيبات الساحل. فبعد أن نزل الولاتي ومرافقوه ضيفاً على بعض السواعد وصل إلى أهل الدخيل ليتخلى له محمد المهدي بن الحاج البشير عن خيمته ثلاث ليال ذابحا له كل يوم شاة ( *الرحلة الحجازية*، 87). وإذا كان هذا الموقف يزكي تمسك هذه الفصيلة التعالية بطابعها الزاوي الملازم لاحترام الفقهاء وحملة الكتاب، فإن قاضي الرگيبات الساحل ولد عبد الحي يؤكد في مخطوطه على أنهم قد أصبحوا في ذات الوقت من المشاكسين لا يلبث أن يتجنبهم المسالمون.

نخلص بذلك إلى أن ظروف تطور التهالات قد أسهمت خلال قرن وعشر سنين من التطور في تقوية عودهم حربيا ودينيا أيضا. ولا غرابة في ذلك طالما أنهم يجسدون أحد الرموز الدينية التي باسمها دخلت فصائل الرگيبات في مرحلة من الدفاع عن النفس ضد خطر ذوي حسان وخاصة منهم أولاد دليم. وبموازاة هذا التطور، فإن الارتباطات الحمائية مع تكنة لم تعرف أي فتور كما يشهد على ذلك إبقاء هذه الاتحادية على تسيدها على الساقية الحمراء، فطلب الحماية من قبائل تكنة سيظل قائماً إلى ما بعد الثلاثينات من هذا القرن العشرين. ولعل في ذبيحة التهالات على أهل المعطي ما يؤكد جسور الارتباطات السياسية القديمة سنة 1329 / 1911 (*جوامع المهمات*، 66 - 67). أهمية الوثيقة في هذه المرحلة بالضبط تكمن في قدرتها على إبراز بعض المحددات المباشرة لثوابت العلاقات التي تنير فهمنا لطبيعة وحدود التحول الذي طرأ على العلاقة بين الطرفين. نبدي هذه الفكرة لنؤكد على أن الذاكرة الشفوية ماتزال تمتع النهج السردي بكامل قواه رغم اندثار المسنين التدريجي.

محمد يحيا بن محمد المختار الولاتي، *الرحلة الحجازية*، 87 ؛ م.

المختار السوسي، *المعسول*، 1، 3.5.8.9 ؛ محمد سالم بن لحبيب ابن الحسين بن عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، 66.67.

F.C. De La Chappelle, *Les Tekna du sud ouest marocain*, 78; D. Hart, *La estructura social de los Rgaybat, nomadas arabofonos del Sahara Occidental y los antecedentes del Frente Polisario, Primer Congreso Hispano-Africana de las culturas Mediterraneas Espana y el Norte de Africa*, In Manuel Almedo Preminez, éd. Espana y el Norte de Africa, *Actas Historicas de Una Relacion Fundamental "aportation Sobre Mellila*, Fernando de los Rios, Nuriti, 11 al 16 de Junio 1984, 2 vol, I, 463 - 482, 1987 ; Cabot Brigg Lloyd, *Tribes of the Sahara*, Cambridge, 1967; S. Caratini, *Les Rgaybat (1610 - 1934)*, Paris, 1989.

مصطفى ناعمي

**تَهالة**، قبيلة سوسية عالمة، اشتهر منها شيوخ عديدون، وفي نفس الوقت هي اسم لجماعة قروية تابعة لدائرة تافراوت إقليم تيزنيت، تقع في قلب جبال الأطلس الصغير، على بعد حوالي خمسة عشر كلم غرب مدينة تافراوت على الطريق الرابط بين تافراوت وتيزنيت، وتحيط بتهالة القبائل الآتية : أمّلن في الشمال، وإغْشان في الشرق، وإداوسملال في الجنوب. بلغ عدد سكانها 5.683 نسمة حسب إحصاء سنة 1982.

من أهم منتجات تهالة اللوز، وبها مدفن عبد الله بن سعيد جد الإلغين في مدشر إيمور. وكان بتهالة ملاح كبير لليهود قرب السوق الأسبوعي الذي ينعقد يوم الأحد.

*تحريات ميدانية* ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب*، سوس 1822.1906 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 1 : 80 ؛ السكان القانونيون للمغرب حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1982.

J. Chaumeil, *Le Mellah et Tahala au pays des Ammelen*, *Hesp.*, 1953, 1er et 2ème trim., p. 227 - 240.

حسن أنشاد

**التهالي، عبد الله** بن سعيد الإيموري، الجد الأعلى للإلغيين أسرة محمد المختار السوسي. ولد حوالي عام 955 / 1548 ويقال إن أصله من مدينة تامدولت المندثرة، وإنه أخذ عن الشيخ الصالح يحيى بن عبد الله التملي (ت. 999) وسكن بأمر منه في وادي إيمور، فتكاثر مريدوه، وكان همه بالإضافة إلى التربية الروحية والسلوك الصوفي أن يبني مع مريديه مخازن للماء (نطفيات) فكان يجوب معهم القفار جنوبي سوس لإقامة النطفيات في المواقع التي يقل فيها الماء، فأسس منها اثنتي عشرة معروفة مواقعها بأسمائها.

وقد أورد في *المعسول* نصوص عدد من المراسيم التي حرر بها قواد أحمد المنصور ومَن بعده من الملوك السعديين والعلويين في سوس الشيخ عبد الله التهالي الإيموري وأولاده من الكلف المخزنية. ورغم أن الشيخ عبد الله التهالي كان أمياً فإنه كان يحب أهل العلم وينحاش إليهم ويستشيرهم. تقول الروايات الشفوية إنه كان من الواقفين على تأسيس مدرسة أوجو، وجعل لها نصيباً من الحبوب يؤديه كل سنة من ماله، وأوصى أولاده بالعمل على ذلك بعد وفاته، ومازالوا يسهرون على هذه المدرسة حتى الآن.

توفي عبد الله في إيمور بقبيلة تهالة يوم الأربعاء 27 ربيع الثاني عام 1040 / 4 دجنبر 1630.

م. البعقيلي، *مناقب*، 23 ؛ الرسموكي، *وفيات*، 25 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 600 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 1 : 80.116، وهي أول ترجمة فيه.

**التهالي، يحيى** بن حمزة التملي، من الفقهاء الذين خدموا الدولة السعدية منذ نشأتها، وهو أول قاض لمدينة المحمدية ولاّه عليها محمد المهدي الشيخ حين أنهى بناء هذه المدينة، واستمر في عمله إلى أن مات محمود السيرة في تاريخ غير محدد، فخلفه في قضائها ابنه محمد بن يحيى التهالي، وكان مثل أبيه فقهاً واستقامة. كل ذلك في منتصف القرن العاشر (16 م).

الرسموكي، *وفيات*، 29 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 804 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 23.

محمد حجي

ابن **التهامي**، أسر تطوانية ثلاث، إحداها شريفة أصلها من وزان، وقد اشتهر عدد من أفرادها بالعلم مثل سيدي عبد الكريم بن عبد الله بن العربي ابن التهامي الذي كان خليفة للسلطان بمدينة تطوان سنة 1236 / 1821. وكان من بين الموقعين على وثيقة بيعة مولاي سعيد ابن السلطان مولاي اليزيد العلوي بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821 ؛ والعالم سيدي عبد القادر ابن المختار ابن التهامي الذي اشتغل بالفتوى من سنة 1238 / 1823 إلى سنة 1241 / 1826 ؛ والفقهاء الذين كانوا يتعاطون خطة العدالة : سيدي التهامي بن أحمد من 1242 / 1827 إلى 1246 / 1831 ؛ وسيدي المختار بن عبد الرزاق من 1243 / 1828 إلى 1251 / 1836 ؛ وسيدي عبد الله بن عبد الكريم من 1250 / 1835 إلى 1259 / 1844 ؛ وسيدي العربي بن المختار من 1292 / 1874 إلى 1308 / 1891 ؛ وسيدي محمد بن أحمد من 1293 / 1875 إلى 1299 / 1882.

داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 267.

Delegación Asuntos Indígenas, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **التهامي**، أسرة سلوية مازالت حتى اليوم معروفة بالمروءة والاستقامة. وكان من بين أفرادها محمد ابن التهامي فقيهاً عدلاً موثقاً منتصباً لتلقي الشهادات وتحريرها بمسقط رأسه، وآخر ما وقفت عليه من آثاره رسم شهد فيه مع رفيقه الفقيه محمد بن عمر گلزيم بتاريخ 28 محرم عام 1293 / 24 فبراير 1876.

رسوم قديمة عند العدل عبد النبي النجاري السلاوي.

محمد حجي

**التّهامي**، أسرة نبيلة من شرفاء جبل العلم، تنتسب إلى جدها الشّيخ الصوفي الشهير مولاي التهامي بن سيدي محمد بن مولاي عبد الله الشريف مؤسس مدينة وزان ودفينها آتي الترجمة. كان لمولاي التهامي ستة وعشرون

ولداً ذكوراً تفرقوا هم ومن انتسل منهم في عدد من المدن والقرى بمختلف جهات المغرب واشتهرت من التهاميين منهم فرقتان، الأولى بوزان وفاس يعرفون بالوزانيين التهاميين، والثانية بسلا والرباط يعرفون بالتهاميين الوزانيين. وهؤلاء الأخيرون هم المعنيون في هذا المدخل بالمعلمة. بينما يدخل الآخرون في حرف الواو (الوزاني). ونشير إلى أن التهاميين على العموم يمثلون الفرع الأول لشرفاء وزان بينما يمثل أبناءُ عمهم الطيبون (حفدة مولاي الطيب شقيق مولاي التهامي) الفرع الثاني لشرفاء وزان. وقد أنجبوا كلهم طوال القرون الثلاثة الأخيرة عدداً وافراً من الصلحاء والعلماء قاموا بأدوار دينية واجتماعية وسياسية بارزة في تاريخ المغرب الحديث، ترجم لستة وعشرين منهم محمد بن الطيب القادري في آخر نشر المثاني (4 : 253 ـ 268) علاوة على ترجمات أخرى موسعة موزعة في الكتاب حسب سني الوفاة. والتهامي ـ بكسر التاء ـ نسبة إلى تهامة، منطقة واسعة في الجزيرة العربية موالية للبحر وفيها مكة المكرمة، والحجاز يفصل بين تهامة ونجد. والعامة في سلا والرباط تنطق بها بضم التاء "تُهامي" وتسمّي دار التهاميين الوزانيين دار الضمانة.

**التِّهامي، إبراهيم** بن محمد الوزاني الحسني السلوي، من علماء المدينة وأعيانها تخرج على يد أعلامها أمثال الشيخ أحمد الجريري، وعبد الله ابن خضراء، وأحمد ابن خالد الناصري، واشتغل بالتدريس والإفادة، وكان ذا طريقة حسنة في التعليم، يوصف من طرف مترجميه بالنفاعة. ويتعيش في كفاف وعفاف من تلقي الشهادات وتحرير الرسوم العدلية.

توفي بمدينة سلا عام 1331 / 1912. ودفن بالزاوية التهامية في حومة الصف.

**التِّهامي، أحمد** بن عبد الله الوزاني الحسني الرباطي. درس في مسقط رأسه على علماء المدينة أو الطارئين عليها أمثال محمد بن عبد السلام الرندة، وعبد الكريم الوزاني، والحافظ أبي شعيب الدكالي، وأحمد بن المامون البلغيثي، وعبد الرحمن بن القرشي، وكان ذكياً حسن الخطّ أصيب في فترة من حياته بانحراف نفسي، ثم عوفي منه وعمل كاتباً بمندوبية المعارف بالقصر الملكي، وبعد الاستقلال انتقل إلى العمل في الأمانة العامة للحكومة.

توفي بالدار البيضاء وهو يعالج في أحد مستشفياتها ليلة الخميس 12 ربيع الثاني عام 1387 / 20 يوليوز 1967 ونقل إلى الرباط حيث دفن بمقبرة محمد بن عبد القادر بحومة الدورة.

**التِّهَامِيّ، التهامي** بن إبراهيم بن أحمد الوزاني الحسني الرباطي. ولد بوزان وبها نشأ ودرس على علمائها، ثم انتقل إلى الرباط وتزوج فيه وبقي يتردد على وزان لزيارة أهله هناك. وصفه قريبه العربي التهامي في معجمه *بلوغ المنى والآمال* بقوله : "الفقيه العلامة ذو الأخلاق الحسنة والسيرة المستحسنة...".

كان له مجلس علمي حافل بضريح مولاي المكي في حومة الدورة بالرباط، يحضره أكابر العلماء أمثال الفقهاء محمد بناني والحاج عبد السلام الزبيدي ومَحمد ملين والمهدي متجينوش والمكي الأزرق والمحتسب الفقيه محمد الزكي. وكان مولعاً بالأدب مواظباً على قراءة *نفح الطيب* لأحمد المقري، وغيره من كتب الحكم والأمثال، معجباً بالطرب معتنياً بأهله يقرأ كتاب *الحايك*.

لم يذكر مترجموه تاريخ وفاته، ولعله توفي في مطلع القرن الرابع عشر (20 م).

**التِّهاميّ، عبد القادر** بن بوسلهام بن عبد الله الوزاني الحسَني السلوي. ولد بسلا عام 1318 / 1900 وحفظ القرآن وأخذ مبادئ العلوم الشرعية واللغوية. وخلف والده في العناية بمريده الكثيرين في قبائل شمالي مدينة سلا إلى أن منعه الفرنسيون من الاتصال بهم بسبب نشاطه الوطني. وكان من الرعيل الأول في الحركة الوطنية، له موقف متحمس مشهور فيما يعرف بيوم محاربة الخمر بسلا (10 محرم 1353 / 25 أبريل 1934) وظل طوال حياته يقاوم المستعمر ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وقد منعت سلطات الاستعمار مدةً رفاقَه في الكفاح من الاتصال به في بيته. ولم يتشوف بعد الاستقلال لأي منصب أو جاه.

توفي بمسقط رأسه سلا يوم الخميس 9 صفر عام 1390 / 16 أبريل 1970.

## التُّهامِيّ، عبد القادر بن محمد الوزاني الحسني

السلوي، فقيه وجيه تخرج على أكابر علماء عصره السلويين وشارك أخاه إبراهيم سابق الترجمة في جل شيوخه. وأكثر أخذه عن العالم الصالح أحمد ابن الفقيه الجريري، وظل يحضر مجالسه العلمية حتى بعد أن تقدم سنه وأصبح ذا مكانة اجتماعية مرموقة في المدينة. أصهر إلى الفقيه أبي بكر بوزيد باشا الدار البيضاء الشهير بابنته فأنجبت له ذرية صالحة. وكان يشتغل أولاً بتلقي الشهادات، ثم ولي قضاء مدينة سلا ونواحيها في 29 جمادى الثانية عام 1335 / 22 أبريل 1971 عند عزل سلفه القاضي علال الثغراوي، واستمر عبدالقادر التهامي في هذه الخطة نحو سبع عشرة ستة إلى أن مات وهو قاض.

قال في حقه معاصره عبدالله الجراري : "كان له ولوع بالنوازل الفقهية والأحداث القضائية. ومن تحريه - رحمة الله عليه - أنه كان يُحضر العلماء في بعض النوازل قصد استشارتهم وأخذ آرائهم كما هو المطلوب فقهاً".

توفي صبيحة يوم الأحد 12 محرم عام 1352 / 7 ماي 1933 ودفن بالزاوية التهامية بحومة الصف بسلا.

## التهامي، عبد الله بن عبد القادر بن محمد

الوزاني الحسني السلوي. ابن القاضي سابق الترجمة. ولد بسلا عام 1336 / 1917 ودرس في مدرسة أبناء الأعيان الفرنسية ثم في ثانوية مولاي يوسف بالرباط، إضافة إلى دراسته العربية في مدرسة درب العلو الحرة وعلى والده وغيره من علماء المدينة وأدبائها، فتكوّن تكويناً مزدوجاً متيناً، واشتغل - بمباراة - كمترجم ومحرر في إدارة الداخلية، والإذاعة المغربية، وبعد الاستقلال عمل مديراً لديوان ابن عمه الوزير التهامي الوزاني ثم انتقل إلى الترجمة برآسة الحكومة وظل يعمل بها إلى أن وافاه الأجل.

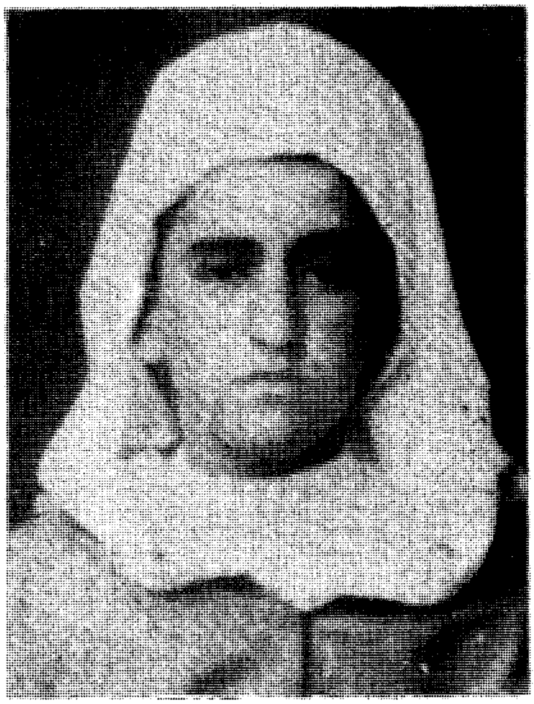

اشتهر عبد الله التهامي بدماثة الأخلاق وكرم النفس وأسهم إسهاماً فعالاً في التعليم العربي الحر أيام اشتداد الأزمة السياسية فكان من عُمد المدرسين بمدرسة الأميرة عائشة بسلا تطوعاً واحتساباً.

توفي بمسقط رأسه في أواخر شوال عام 1388 / يناير 1969 وأبنه رفاقه الأوفياء عند دفنه بالزاوية التهامية بحومة الصف، وفي ذكرى الأربعين نثراً ونظماً. ومن ذلك قصيدة دالية طويلة للشاعر محمد عرفة الفاسي مطلعها :

قضيت فضاع العزم مني والرشد وعمّ رجال الفضل من فقد كم سهد

وأخرى نونية لشاعر سلا محمد بن محمد حركات، مطلعها :

الله أكبرُ كل حي فانِ ياوي الضريحَ ملفَّف الأكفان

## التُّهَامِيّ، عبد الله بن العربي الوزاني الحسني

الرباطي. أديب كاتب شاعر قرأ بمسقط رأسه على الشيخين إبراهيم التادلي وأبي حامد البطاوري، وكان هذا الأخير معتمده ومجيزه. قال في حقه بلديُّه بوجندار في *الاغتباط*: "دوحة الشَّرف، وذرة المجد العالية الشُّرف ... ذو وجه وسيم، وثغر بسيم، وخلق يزري بلفظ النسيم، إلى جود وسخاء، ونعمة وثراء، وهمة شمَّاء، تُطاول السماء ... وتعاطى الإنشاء نثراً ونظماً، وكم له من خدمات، وأسفار ورحلات إلى أن أصيب بإقعاد في آخر حياته".

توفي بالرباط في شهر ربيع عام 1338 / دجنبر 1919 ودفن بالزاوية التهامية المجاورة لدار سكناه، ورثاه صديقه محمد اليمني الناصري بنونية طويلة (انظرها في *الاغتباط*، 393 - 394).

**التهامي، العربي بن عبد الله** بن محمد الوزاني الحسني الرباطي. عالم الشرفاء الوزانيين بالرباط ونقيبهم (المزوار). ولد عام 1250 / 1834 ونشأ في رعاية والديه اللذين اهتما اهتماماً فائقاً بتربيته وتعليمه وتهذيبه، وكان شغوفاً باقتناء الكتب العلمية والأدبية فكانت له مكتبة غنية عامرة. وقد عين في عام 1327 / 1909 نقيباً عاماً لجميع الشرفاء الوزانيين بالمغرب. وألّف عدة كتب في آخر حياته، منها *لوائح الأنوار في الصلاة على النبي المختار* في سبعة أجزاء، على غرار ذخيرة الشيخ المعطي بن الصالح الشرقاوي ؛ وكتاب على نسق دلائل الخيرات سماه : *مسالك الفتوحات في الصلاة على أشرف المخلوقات* ؛ وكتاب في مناقب عمه الحاج العربي الوزاني وابنه عبد السلام ؛ *وفيض النيل* في الفروسية وركوب الخيل ؛ وشرح أرجوزة القادري في الخيل ؛ ومعجم *تاريخي* ضمنه فهرسه وتراجم شيوخه سماه *بلوغ المنى والآمال، فيمن لقيته من المشايخ أهل الفضل والكمال*. ويعد هذا الكتاب من مصادر كتاب *الاغتباط*، نقل عنه مؤلفه محمد بوجندار كثيراً. "وله قصائد في الملحون رقيقة المعاني، فائقة المباني، كلها حقائق غامضة، ونكت إشارية، على طريق الصوفية، وبعضها في المديح النبوي".

توفي بمسقط رأسه الرباط زوال يوم الخميس 5 شعبان عام 1339 / 14 أبريل 1921 ودفن بروض صغير داخل روضه الكبير حبّسه على دفنه ودفن أبنائه من بعده.

**التهامي، المكي بن محمد** بن عبد القادر بن الشيخ مولاي التهامي الوزاني التهامي الحسني الرباطي. صوفي شهير، وولي كبير، قال عنه في *الاغتباط* : "من ذوي الأحوال، ومن الأكابر الكمال، وكان يقال له معوِّم السفن" عاش بالرباط في أوائل القرن الثالث عشر (19 م) وهو صاحب الضريح المعروف (مولاي المكي) بالدوره من حي سيدي فاتح بالرباط، وكان دار سكناه، فلما توفي دفن به وبنته والدته بنت الحاج العربي اللوشي الأندلسي. وهو غير مولاي المكي بن محمد بن مولاي عبد الله الشريف الوزاني دفين الرباط أيضاً المعروف مسجده الكبير كذلك بمولاي المكي. فهذا الأخير غير تهامي ومن رجال القرن الثاني عشر (18 م).

م. القادري، *نشر المثاني*، 3 : 219 . 227 ؛ 4 : 253 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، طبعة الرباط المصورة، 1987، ص 283، 339، 340، 391 . 394، 427 . 429 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 2 : 292 ؛ جعفر الناصري، *تقييد في قضاء سلا*، ص 6، مخطوط خ. ص ؛ *كناشة الحاج عمر عواد*، ص 14، مخطوط خ. ص ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 323، 365، 387، 409 ؛ أ. الصبيحي، *مختصر تاريخ سلا*، ص 27، مخطوط خ. ص ؛ *تقاييد* بخزانة الحاج أحمد معنينو بسلا ؛ جريدة الشعب، ع 964 بتاريخ 27 . 1 . 69.

محمد حجي

**التهامي** (مولاي ـ)، بن محمد بن عبد الله اليملحي العلمي الحسني، شيخ الزاوية الوزانية الثالث. أجمع مترجموه على وصفه بالخمول والزهد في المأكل والمشرب والملبس. ومازالت الكرامات المتواترة عنه وكذا قبره الذي غطي سقفه بالقش، على خلاف باقي أضرحة الأشياخ الوزانيين، شاهدا على هذه الأوصاف.

أخذ عن جده في حياته ثم عن والده، وكان الاثنان يكلفانه المشاق في خدمة الزاوية ومريديها وزوارها. وقد اختاره والده من بين أبنائه السبعة ليحجز في القصر الملكي بمكناس كرهينة وعربون عن ولاء الوزانيين للدولة العلوية الإسماعيلية.

خلف أباه على رأس الزاوية الأم عام 1120 / 1708، وكان أعضاء زاوية الشرشور بفاس أول من رشحوه لهذا الأمر. ويتجلى من بعض كتب المناقب أن أخاه مولاي الطيب كان معرضاً عنه في أول أمره لكنه سرعان ما انحاش إليه وأصبح حاجبه الأول.

كان مولاي التهامي كثير الذكر لله وكثير الدعاء للمسلمين ولأمير المومنين خاصة، يحض على الجهاد ويكرس قسطا من مداخيل الزاوية ومذخرات الشرفاء للإنفاق على المجاهدين المرابطين بسبتة. وكان إذا استُشير في أمر أجاب إما بآية قرآنية أو حديث نبوي شريف أو بحكم من حكم عطاء الله، وفي المسائل العويصة كثيراً ما كان يلجأ للأمثلة المبسطة الملموسة لتقريب الفهم.

اتسع نفوذ الزاوية في أيامه داخل المغرب وخارجه فكانت الوفود والمراسلات والمشاورات وطلب الدعاء تأتيه من أعيان وفقهاء مصر والشام والعراق والجزائر والبلاد الصحراوية.

توفي المترجم يوم فاتح محرم عام 1127 / 7 يناير 1715 بوزان، وكان قد أوصى في حياته لأخيه مولاي الطيب.

الوزاني عبد الله بن الطيب، *الروض المنيف*، ج II، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، عدد ك / 2304 ؛ ع. القادري، *التحفة القادرية*، مخ. خ. ع. بالرباط، عدد ك / 2310 ؛ حمدون بن محمد الطاهري، *تحفة الإخوان*، مخ. خ. ح.بالرباط، عدد 4063 ؛ العلمي محمد بن الطيب، *الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب*، طبعة حجرية، 1887 ؛ القادري محمد بن الطيب، *نشر المثاني*، ج III، ص. 219 . 227.

G. Drague (Spillman), *Esquisse d'histoire religieuse*, Paris, 1951.

فاطمة الحراق

**التّهاميون**، أو تهامة، هم شرفاء وزان آل الشيخ مولاي التهامي حفيد مولاي عبد الله الشريف، وهم أيضا أتباع الشيخ مولاي التهامي المذكور صاحب الزوايا الوزانية المنتشرة داخل المغرب وخارجه.

كاد ذكر الشرفاء التهاميين في كتب الأنساب والمناقب أن يقتصر على الأعلام البارزين الحضريين، ويستفاد من هذه المصادر أن التهاميين بمدينة فاس على سبيل المثال، اختاروا السكن في عدوة القرويين بأحياء كان يوجد بها أسلافهم، كحومة فرن الكوشة، وسقاية الدمناتي، وسويقة

ابن صافي، وانواعريين، والشرشور. وقد أحصى صاحب *الدرر البهية* منهم سبعة وعشرين نفراً كانوا قيد الحياة زمن التأليف. وميز في سرده بين جماعتين : جماعة وصف أفرادها بالوجاهة والثروة والحظوة لدى السلطان، وجماعة أخرى اشتهرت بالصلاح والزهد واقتفاء أثر السلف، وعاشت على استثمار الرموز الموروثة وممارسة وظائف التصوف المعروفة. ويظهر من خلال النصوص أن التهاميين بفاس، رغم وجودهم بالقرب من جامع القرويين، لم ينجبوا علماء بارزين في الوسط العلمي إلا في حالات نادرة. ولم يكن للتهاميين بفاس نفس المرتبة التي كانت لأبناء عمهم حفدة مولاي الطيب الوزاني المعروفين بالطيبيين. ولعل ذلك راجع إلى استقرار الولاية والمشيخة في هذا الفرع، بعد وفاة الشيخ مولاي التهامي.

أما المتصوفة التهاميون المنتسبون للطريقة الوزانية التي كان مولاي التهامي شيخها الرئيسي فترة غير قصيرة من الزمن، تمييزاً لهم عن الطيبيين المنتشرين بالجزائر وتونس. فإنهم يعمرون الزوايا التهامية في الريف وجبالة، والأطلس المتوسط والتسول وغياثة وهوارة وسوس وتوات وتافيلالت والصحراء، بالإضافة إلى بعض الحواضر كفاس ومكناس وسلا والرباط. وتجاوزت شهرة الزاوية التهامية المغرب وذاع صيتها في تونس ومصر والشام والعراق وانتشر ذكرها في بلاد السودان وبلاد النصارى، كما ورد في مناقب الشرفاء الوزانيين. كان هذا الانتشار نتيجة عدة أسباب، منها : سهولة الطريقة الوزانية الشاذلية الجزولية، وموقع الزاوية الأم بين القبائل الجبلية، وقربها من طريق المخزن، ووجودها على الطريق المؤدية إلى ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش صاحب جبل العلم حيث كانت الزاوية محطة لاستقبال ركبان "الزيارة". هذا فضلا عن الدعم السياسي والمادي الذي لقيته الزاوية من طرف السلطان مولاي إسماعيل بعد حدوث التصالح بمدينة مكناس بينه وبين مولاي التهامي.

شكل الأتباع التهاميون، زمان مولاي التهامي وبعده، طوائف صوفية منتظمة في الفروع التابعة لزاوية وزان، وأهمها فرعا فاس اللذان كان لهما اعتبار خاص لدى مولاي التهامي : فرع زقاق الشرشور بحي الشرابليين الذي أسسه الحاج الخياط الرقعي أحد الأتباع القدامى وتلميذ الشيخ مولاي عبد الله الشريف، وذلك أثناء مشيخة مولاي محمد. ضم هذا الفرع فيما بعد أتباعاً من أعراق مختلفة استوطنت مدينة فاس، كأهل توات وتافيلالت، وفرع زقاق الحجر بسويقة ابن صافي الذي تأسس على يد قاسم ابن رحمون الزرهوني أحد الأتباع الأوفياء للشيخ مولاي التهامي، وقد تحول مع الأيام إلى زاوية خاصة بأهل فاس. يلاحظ من خلال مناقب الشرفاء الوزانيين أن المتصوفة التهاميين كانوا يتقاسمون كغيرهم المعتقدات الصوفية ويؤمنون ببركة الشيخ إلى درجة القداسة ويدافعون عن مناقبه وكراماته بين الشيوخ، إلا أن الوحدة العقائدية لم تكن تعني التجانس بين الأتباع، إذ عكست العلاقات التي ربطت هؤلاء بالشيخ البركة تفاوتا بيناً بين فئتين، على مستوى ممارسة طقوس الزيارة ويمكن قياس درجة التفاوت بالخدمات والهدايا المقدمة من طرف الزوار إلى الشيخ البركة. جاءت في كتب المناقب إشارات إلى أعيان الفقراء وإلى الأصحاب المقربين وتطرقت إلى اخبارهم كما حددت نوع الصلات التي كانت تربطهم بالشيخ ونوع الخدمات التي كانوا يقدمونها إليه. ومثل الأصحاب قلة عددية من مجموع الزوار وكان جلهم منتميا إلى الوسط الحضري الفاسي. ونجد من بينهم التاجر الذي يمزج بين الزيارة والتبادل والحرفي الذي يقوم بنفس الشيء والفقيه والمقدم أبرزهم قاسم بن رحمون الزرهوني ومحمد القادري، وقد حظيت هذه الجماعة التي كانت تتردد كثيراً على الزاوية الوزانية بالجلوس بين يدي الشيخ مولاي التهامي والاطلاع على أسراره. وإذا كان الزواج داخل الأسرة الوزانية محافظاً ويتم في دائرة الشرفاء فإن صحبة الشيخ أدت أحيانا إلى الخروج عن هذا التقليد حيث تم زواج شريف من إحدى بنات الأصحاب مثلما حدث بين مولاي أحمد بن التهامي وابنة الحاج الخياط الرقعي. ويجب أن نشير إلى أن أعيان الاتباع لعبوا دوراً هاماً في الدعاية للشيخ مولاي التهامي من أجل استخلافه بعد وفاة والده وإضفاء المشروعية على التبعية له.

لقد تكرر ذكر العوام في كتب المناقب، وموطنهم في البادية. توالت زيارتهم إلى دار الضيافة كل سنة بقصد قضاء الحاجات والتماس بركة الشيخ. وهؤلاء مثلوا الكثرة إلى درجة التراكم زمان مولاي التهامي، إلا أن الاتصال بالشيخ كان يتم في الغالب بواسطة، إذ أن أسئلتهم كانت تضايقه أحياناً إذا ما حدث اتصال مباشر.

ويتجلى التفاوت أيضاً في تقديم الطعام للزوار ـ كما جرت العادة في العديد من زوايا المغرب ـ حيث عددت كتب المناقب أصنافا من الطعام وصنفته إلى صنفين مع تبرير ذلك ؛ طعام الخاصة وطعام العامة، بل ويظهر التفاوت جليا حتى على مستوى تنظيم ركبان الزيارة.


م. ط. القادري، *نشر المثاني*، الجزء 3، الرباط 1986، ص. 219ـ 227 ؛ حمدون الطاهري، *تحفة الاخوان*، طبعة حجرية فاس 1906، ص. 79ـ 114 ؛ محمد بن حمزة المكناسي، *الكوكب الأسعد*، مطبوع على هامش التحفة المذكورة أعلاه، ص. 58ـ 73 ؛ إدريس الفضيلي، *الدرر البهية*، الجزء الثاني، طبعة حجرية فاس 1898، ص. 77ـ 91.

E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904, p. 466 - 477; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1950, p. 230 ; G. Spillman, *Ouezzan et les Taïbiyine - Thamiyine*, Direction des affaires indigènes, Rabat, 1938 ; Michaux-Bellaire, *La maison d'Ouezzan*, *R.M.M.*, vol. 5, 1908, p. 23 - 89, voir p. 34, 39, 41.


محمد عمراني

**التهدئة** La pacification، أطلقت الإدارة الاستعمارية مصطلح التهدئة على كل العمليات العسكرية وكل أشكال

التوغل والغزو التي تستهدف احتلال المغرب وجعله تحت سيطرة الإقامة العامة الفرنسية. وقد التجأت إدارة الحماية إلى استعمال هذا المصطلح لأسباب سياسية : إذ يتبادَر إلى الذهن لأول وهلة أن المغرب كان يعيش في حالة من الفوضى والحروب تستدعي تدخل فرنسا لإحلال التهدئة والسكينة وتوحيد البلاد. وإلى هذا المعنى يشير الكولونيل مارك ميرو Marc Meraud في كتابه *ضباط الشؤون الأهلية* :

".. التهدئة مصطلح لا يروق المغاربة كثيراً. فالتهدئة مرحلة تاريخية خصصت لتوحيد المغرب تحت إمرة السلطان كما هو مسطر في معاهدة الحماية سنة 1912 في المادة الثانية التي تجيز للحكومة الفرنسية القيام بالاحتلالات العسكرية الضرورية... ولهذا فإن استعمال لفظة التهدئة أمر مناسب له محله، إذ أن الأوامر التي صدرت من ليوطي "رجل التهدئة" كانت تلح على عدم استعمال القوة العسكرية إلا عند الضرورة القصوى. ومعنى ذلك العمل على تهدئة البلاد بواسطة كلمة الشرف والالتزام وبواسطة الثقة المتبادلة. ومع ذلك فالمقيم العام ليوطي يعرف أكثر من غيره أن الخصم القوي يحترم أكثر من الضعيف، ولهذا فهو في كل فرصة وفي كل مناسبة ينادي بتطبيق شعار "ضرورة إبراز القوة لتلافي وتجنب استعمالها" وقد كان ضباط الشؤون الأهلية الذين كُلفوا بمهمة انجاز التهدئة يعملون باستمرار على استقطاب القبائل بدون إراقة الدماء".

غير أن القصد الحقيقي من هذا المصطلح هو الإمعان في التعتيم والتضليل للرأي العام في فرنسا وخارجها حتى يبدو وكأن فرنسا تقوم برسالة حضارية في المغرب تتجلى في تهدئة البلاد، والتمويه بالالتجاء إلى المكائد السياسية للاقتصاد في القوة العسكرية التي لا بد من استعمالها. ومما يؤيد هذا التنكر للحقيقة هو ما يقوله الفرنسيون عن تقسيم المغرب إلى مغربين اثنين متعارضين أجنبيين عن بعضهما البعض : مغرب بلاد المخزن، وهو كيّان دائم الغليان والتمرد ضد السلطان المرهق له ضرائبيا، ومغرب بلاد السيبة الذي يشبه قطعاً من الفيسفاء، وهو عبارة عن عالم مستقل عن سلطة السلطان ويعيش في حروب انتقامية لأتفه الأسباب. وهذا ما يرصده المتمعن في مقدمة عقد الحماية. وهذا الاعتقاد هو الذي حدا بالمارشال جوان Juin إلى أن يقول مفاخراً ما معناه : "... إن عمليات التهدئة لم تتم إلا في سنة 1934، وذلك لأول مرة في التاريخ، وبفضل فرنسا خضع مجموع القبائل لراية السلطان".

هكذا نلاحظ أن الطروحات الاستعمارية سعت إلى نزع كل قيمة عن الحكم المركزي (المخزن) وركزت تقارير ضباط الشؤون الأهلية ومختلف الدراسات التي قام بها العملاء من مختلف الاختصاصات على فرضية تتصور القبيلة المغربية كوحدة منافية للدولة، وروجت لنظرية المغربين : بلاد المخزن وبلاد السيبة، وكان الهدف من ذلك نفي الوحدة المغربية، ومن ثم إبراز الدور الحضاري لفرنسا في المغرب الذي يتجلى حسب الطرح الاستعماري في توحيد البلاد وإحلال التهدئة محل الفوضى القبلية. وقد تمكنت فرنسا من جلب بعض الأعيان والقواد الكبار وتجنيد المغاربة في صفوف جيوشها باسم التهدئة، بل حتى إزاء الشعب الفرنسي نفسه، ذلك لأن هناك في فرنسا حركة واسعة للرأي العام مناوئة ومنددة بالحرب الاستعمارية التي تخوضها فرنسا في المغرب باسم التهدئة. وعلى ضوء هذا كله نرى أن "التهدئة" ليست نوعاً جديداً من العلاقات بين الدول القوية والدول الضعيفة، وإنما هي مرحلة ووسيلة لاستعمار المغرب، تستمد شرعيتها من معاهدة الحماية التي فرضتها فرنسا على المغرب، ثم خرقت بنودها لتوسيع سلطاتها.

وبمجرد توقيع معاهدة الحماية، عُين ليوطي كأول مقيم عام لفرنسا في المغرب لإنجاز عملية التهدئة. وقد وقع الاختيار عليه نظراً لما يتميز به من خصال حربية ونظراً لماضيه الاستعماري وتخصصه في الغزو العسكري، لأنه شارك في احتلال بلاد طونكان بالصين ومدغشقر، وله خبرة أيضا بشؤون غزو المغرب بصفة خاصة لأنه تولى منذ سنة 1903 قيادة الجيش الفرنسي العامل على طول الحدود الجزائرية ـ المغربية، وكان قد برز باستعمال الدسائس للتدخل في المغرب والاستيلاء على بعض أجزائه بطريق التفريق بين القبائل كما عمل على اصطناع العملاء حتى لا يريق دم الجيش الفرنسي ويتم ذلك الاحتلال دون إثارة

الرأي العام في فرنسا وخارجها. ومن ذلك مثلا : احتلاله قرية رأس العين بالتراب المغربي مما أثار أزمة ديبلوماسية بعد احتجاج المخزن، وبسرعة غيّر اسم رأس العين فأصبحت تدعى برگانت. وكذلك فعل في بشار التي أطلق عليها كلومب بشار.

وهكذا تمكن ليوطي فيما بين 1903 و1910 من قضم أجزاء من التراب المغربي وإضافتها إلى الجزائر، بدعوى حماية الحدود الجزائرية من هجمات قبائل بني إزناسن المغربية. وتم ذلك كله بواسطة ما يسميه ليوطي بقعة الزيت التي تنتشر بسرعة دون إثارة الانتباه، أو ما كان يطلق عليه السياسة الأهلية، حجر الزاوية بالنسبة لنظرية التهدئة التي وضعها ليوطي من أجل احتلال المغرب باسم التهدئة.

ولقد أجبرت ظروف الحرب العالمية الأولى المقيم العام على إرسال القوات العسكرية الفرنسية المرابطة بالمغرب. وبدل التخلي عن الأراضي الواسعة الأطراف التي احتلتها فرنسا مع الاحتفاظ بالمراكز الحيوية فقط في المغرب حسب الأوامر التي تلقاها لم يتراجع ليوطي عن الأراضي المحتلة. بل تابع سياسة التوسع أو التهدئة بفضل سياسة القواد الكبار التي اتبعها. وستصبح هذه السياسة أمراً واقعاً بفضل استعمال عناصر محلية عميلة في الإدارة والجيش. وقد استمرت مقاومة القبائل المغربية للاحتلال الفرنسي والوقوف في وجه ما سمي بالتهدئة أزيد من عشرين سنة بحيث لم يستسلم آخر معقل للمقاومة المسلحة إلا سنة 1934.

كردية إبراهيم، *السياسة البربرية للحماية الفرنسية في المغرب*، البيضاء 1985.

M. Méraud, *Histoire des A.I du Maroc*, T.3- *Lakoumia*, Paris, 1990 ; J. Saulay, *Histoire des A.I du Maroc*, T. I, Paris, 1985 ; J. Celerier, *Le Maroc*, Paris, 1936 ; G. Spillman, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Rabat, 1936 ; *Souvenirs d'un colonialiste*, Paris, 1968 ; G. Oved, *La Gauche française et le nationalisme marocain , 1905 - 1955*, Paris, 1984 ; G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif*, Rabat, 1981 ; C. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes, 1415 - 1956*, Paris, 1978; Le Général de Boissel, *Dans l'ombre de Lyautey*, Paris, 1954 ; A. Huré, *La pacification du Maroc dernière étape, 1931 - 1934*, Paris, 1934.

عبد القادر بوراس

## التهذيب ← التربية

**تهليط**، مدينة قديمة كانت تقع بجوار وادي اللكوس، اختفت آثارها في أزمنة غير معروفة، الأمر الذي أدى إلى صعوبة تحديد موقعها، ومع ذلك يمكن توطينها اعتماداً على الخريطة التي وضعها د. أوستاش D. Eustache على الضفة اليمنى لنهر اللكوس، إلى الغرب من مدينة قصر ابن عبد الكريم (القصر الكبير)، بعيدة عنها بمسافة قليلة نحو سافلة النهر، أو تحت القصر حسب البيذق.

ويعتبر البيذق الوحيد الذي ذكر هذه المدينة، دون أن يبين حالتها المادية والبشرية، فلا يعرف شيء عن أسوارها ومؤسساتها وأبوابها، كما يجهل كل شيء عن سكانها وبانيها. وجاء ذكرها عند حديث البيذق عن المرابطين الذين نزلوا بها خلال المواجهات العسكرية الطويلة بين الطرفين الموحدي والمرابطي، وانتهت بدخول الموحدين إلى مدينة مراكش سنة 541 / 1146. بقي المرابطون في تهليط اثني عشر يوماً، ومنها انتقلوا إلى تيطاون دون أن يلحقوا بها أي أضرار، مما يدل أن تهليط كانت ماتزال قائمة على عهد الموحدين.

من المرجح أن تاريخ هذه المدينة يعود إلى فترة قديمة، وأن وجودها مرتبط بالعهد الروماني في هذه المنطقة، وخربت في أزمنة قبل الفتح العربي، ثم بنيت من جديد في عهد الإسلام، إثر قيام تجارة السودان، فارتبط تطورها بهذه التجارة التي كان اتجاهها من الجنوب نحو الشمال، فنما هذا الموقع، وتطورت ساكنته، وأصبح مدينة صغيرة على عهد الأدارسة الذين ساهموا في بناء مدن كثيرة بهذه الجهة.

وقد سبب عدم ورود اسمها في المصادر العربية الوسيطية مزيداً من الغموض عن وجودها، لولا اكتشاف نقد يعود إلى عهد إدريس الثاني، ضرب بهذه المدينة، ويحمل اسمها "تهليط" وتاريخه سنة 197 هـ. وأكد هذا الاكتشاف قيام هذه المدينة في موقعها السابق الذكر منذ دخول الإسلام، وأنها عمرت زمناً طويلاً يمتد على الأقل إلى عهد المرابطين.

وكتب على ظهر هذا النقد "والمهدي إدريس بن إدريس" إلى جوار "محمد رسول الله" وهذه إشارة مفيدة، ذلك أن إدريس الثاني - حسب هذا النقد - ادعى المهدوية، لمواجهة الدعوة البرغواطية المنحرفة عن الإسلام، غير أن هذه الإشارة وردت في نقد وحيد لا غير، ولا توجد إشارة مماثلة في أي مصدر، وهذا يعني أنها حالة فريدة، فهل كان سكان هذه المدينة أغلبهم من الشيعة ؟ وهم الذين قاموا بكتابة هذه الكلمة على ظهر هذا النقد. مع العلم، أنه لا تعرف الكيفية التي كان يسمح بها لأي موقع في سك النقود، أم هي مبادرة محلية للمواقع المتوفرة على مادة الفضة أو الذهب، في إطار مسطرة متفق عليها تحدد نوع النقد وقيمته ؟ غير أن ذلك يتطلب شروطاً تقنية واقتصادية واجتماعية من المحتمل أنها توفرت في هذه المدينة، فكانت إحدى المدن التي ضربت بها السكة في عهد الأدارسة.

أ. البكري، *المغرب*، بغداد، ص. 110-114 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، ص. 55، الرباط، 1971 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، 179 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*.

D. Eustache, *Etude sur la numismatique et l'histoire du Maroc*, p. 140.

أحمد قدور

## التهيئة الحضرية ← التمدين

**التواتي**، أسرة تطوانية أصلها من واحة توات، كانت بتطوان إلى حدود سنة 1321 / 1903 حيث انقرضت وكان من بين أفرادها معلم اشتهر بطريقته الخاصة لاكتشاف منابع المياه الجوفية واسمه محمد بن بوشعيب التواتي.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 52 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuanies* ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931).

محمد ابن عزوز حكيم

**التواتي**، أسرة صحراوية انتشرت بربوع المغرب في فترات شتى، قادمة من واحة توات الكبرى التي احتلها الفرنسيون عام 1900، يوم كان المغرب يجتاز أزمة من أكبر الأزمات التي عرفها في تاريخه. وقد نزح التواتيون تبعاً لذلك وطلباً للعيش وامتهنوا صنائع وباشروا خدمات وضيعة ورفيعة معاً، وعرفوا بالعفة والأمانة في مختلف المدن التي عاشوا فيها، ومنها سلا التي كان لبعضهم فيها شفوف في حفظ القرآن والعلم والقضاء.

مصطفى بوشعراء

**التواتي، عبد الرحمن** معاذ، صاحب الضريح الشهير خارج باب الجيسة. ولي صالح، كان صلاحه مشهوراً عند أهل فاس، ذا أحوال كثيرة ومقامات، لا يأكل إلا من عمل يده، يؤاجر نفسه لخدمة الفأس ونحوها، ويجلس حتى يفرغ من إنفاق ما خدم به ثم يعود، وكهذا... وكان لا يشرب من ماء داخل فاس، بل له قلة يأتي فيها بالماء ليشربه من خارج المدينة. وهو من تلاميذ علي بن عبد الرحمن التادلي، ومن جملة تلاميذه عبد السلام التواتي دفين طالعة فاس.

توفي في الحادي عشر من ربيع الأول عام أربعة ومائة وألف / 20 نوفمبر 1692. ودفن خارج باب الجيسة من فاس قرب ضريح سيدي يوسف المصمودي، وضريحه معروف لحد الآن معظم مزار.

م. القادري، *نشر*، 3 : 60 ؛ *التقاط*، 265، ع 399 ؛ *التاج والإكليل*، 420، ع 499 تح. مارية دادي، ص. 118 من المخطوط ؛ م. الزبادي، *دوحة البستان*، مخ، خ، ع، الرباط 390 ) ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 149.

**التواتي، عبد السلام** بن محمد الجعفري. ينتسب لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي. كان من الزهاد الملازمين مسجد القرويين. يجلس إليه أقوام لسماع معارفه، فكان يأتي من ذلك بما يسحر الألباب، يتبرك به عامة الناس وخاصتهم.

كان أول أمره يتعاطى أسباب الدنيا مدة عشرين سنة، ثم انتقل لبيع الكبريت قرب سوق الغزل من عدوة فاس القرويين، ثم تجرد للعبادة والذكر ولازم الانفراد في الكهوف والبراري واقتصر على القوت من ربيع الخلاء وما يلتقطه من الطريق، وكان يقول : أولها - أي الطريقة - فنون، ووسطها جنون، وآخرها : قيل يكون وقيل لا يكون. ثم دخل إلى مدينة فاس ولازم الجلوس في مسجد القرويين وكان أميا لا يحفظ القرآن.

أخذ صاحب الترجمة عن الشيخ مولاي التهامي دفين وزان، ثم عن الولي سيدي عزوز دفين طالعة فاس وسيدي عبد الرحمان معاذ، وعن سيدي عنتر. لقيه وتبرك به من لا يحصى كثرة ومن جملتهم محمد القادري صاحب *نشر المثاني*.

توفي في مهل رجب عام خمسة وخمسين ومائة وألف / 1 شتنبر 1742، ودفن بدار بطالعة فاس قرب سيدي أبي الرجاء، وبنيت عليه قبة.

م. القادري، *نشر*، 4 : 32 ؛ *الالتقاط*، 390 ع 526 ؛ *التاج والاكليل*، 436 ع 524، تح. مارية دادي، (12 من المخطوط ؛ م. التاودي بن سودة، *فهرسة*، مخطوط ؛ م. الزبادي، *سلوك الطريق*، 213 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 248.

مارية دادي

**التواتي، عثمان** أبو عمرو حلاّه مؤرخ سلا محمد بن علي الدكالي السلاوي بالفقيه العلامة. كان من أعلام سلا وأعيانها ومدرسيها. ولي قضاء سلا سنة 1150 / 37 ـ 1738 وكانت وفاته بها يوم الأربعاء 22 شوال عام 1158 / 17 نونبر 1745، ودفن داخل روضة الشيخ الحاج أحمد بن عاشر.

**التواتي، محمد** بن **أحمد**. كان أيضاً من عدول المدينة وفقهائها، انتصب للشهادة بسماط العدول، وكان سنة 1212 هجرية بقيد الحياة.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 84 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، ص. 114 ؛ *إتحاف أشراف الملا*، مخ. خ. ع.، رقم 11، ص. 66 ؛ أ. الصبيحي، *الروض*، مخطوط خ. ص.، رقم 248، ص. 152.

مصطفى بوشعراء

**التواتي، محمد الرامي** (الحاج.) بهلول مشهود له بالولاية والتفضيل، كان هو صاحب الوقت بفاس قبل ورود الشيخ أبي المحاسن إليها، ولم يقدم هذا إليها إلا بعد أن استأذن الشيخ التواتي، فأذن له وخرج هو منها محمولا لأنه كان مقعداً، وسكن خارجها، ولم يدخلها بعد ذلك إلا مرة لأمر مهم. وكان قبل خروجه من فاس قاطناً بباب النقبة من عدوة القرويين.

أخذ عنه جلول العيساوي دفين داخل باب الجيسة وإليه ينتسب فيقال جلول بن الحاج لأنه كثيراً ما كان يقول : أنا بَبَ جلول بن الحاج، ولا يعرف له شيخ في الطريق.

توفي أواخر القرن العاشر أو أوائل القرن الحادي عشر ودفن خارج باب الجيسة بقرب ضريح الأديب مالك بن المرحل.

م. ابن عيشون، *الروض*، 104 ـ 356 ؛ المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، 88 ؛ القادري، *المقصد الأحمد*، 294 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 101.

زهراء النظام

**التواتي، محمد** بن **عبد الكريم**، لقيه أبو سالم العياشي في رحلته المشرقية الأخيرة سنة 1072 / 1662 بتاكرت حيث استقر به المقام بعد أن قضى أعواماً في مدينة وركلة.

بدأ حياته التعليمية بمسقط رأسه، قصر تيمنطيط بإقليم توات، واستفاد من الجو العلمي الذي نشأ فيه، فوالده الشيخ عبد الكريم عالم توات، ومتولي خطة القضاء بها في زمانه. وتشهد مكانة أسرته الاجتماعية على إمكانية تفرغه للدرس، واطلاعه على الأصول منذ المرحلة التعليمية الأولى الشيء الذي جعله يرحل إلى الجزائر "وقد شدا طرفا من الفقه، والنحو، وله بعض الخبرة بعلم العروض" (*رحلة*، 49). ولا شك أن إشارة أبي سالم تدل على دور المرحلة المغربية في تكوينه الفقهي خاصة وأن بضاعة أهل البلد مزجاة في هذا الفن "فليس عندهم من يعتمد على قوله من الفقهاء" (*رحلة*، 51). وهو في مستوطنه الجديد طالب علم، شغوف بالسؤال عن أهله، مقبل على التعلم والقراءة فقد سمع على أبي سالم شرح منظومة أبي الفرج الإشبيلي في ألقاب الحديث، وظل يتردد عليه مع نخبة من المهتمين يسألون، ويتبادلون المؤلفات طيلة إقامتهم هناك. كما أنه أول من أقبل على أفراد الركب عند وصولهم يسأل عن عدد من المسائل والروايات التي اختلف متفقهة البلد في شأنها.

ولم يغفل أبو سالم في التعريف الموجز الذي خصه به إبراز بعض صفاته الشخصية "فهو رجل دمث الأخلاق، طيب الأعراق... أجزل الضيافة جهده".

أ. العياشي، *رحلة*، ج 1 ؛ م. القادري، *نشر*، ج 2.

نفيسة الذهبي

**التواتي، محمد** بن **عبد الله** فقيه من عدول المدينة السلاوية، باشر الشهادة بها، وكان بقيد الحياة سنة 1225.

م. بن علي، *الاتحاف الوجيز*، ص. 144 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، ج 8، ص 84 ؛ تقييد جعفر الناصري عن قضاة سلا ؛ رسوم الخزانة الصبيحية ؛ م. بوشعراء، *ذيل الاتحاف الوجيز*، الجديد، مخطوط.

مصطفى بوشعراء

**التوارگ** أو الطوارق بالمغرب، على الرغم من الوضوح النسبي الذي يميز وفرة الدراسات الانتربلوجية والتاريخية حول هذه الفصائل بالصحراء، فإن تساؤلا عريضا ومشروعا حول علاقتهم ببعض نقط الاستقرار شمالا يقتضي مزيدا من الفهم. كلمة تارگا التي لا تفيد إلا مجاري الأودية والسواقي تنطبق على عدة أماكن بالضفة الشمالية للصحراء منذ أبعد الفترات كما تشهد على ذلك كتب الجغرافيين العرب الأولى، على أن الذي يكمن وراء صيغة التوارگ هو الانتماء إلى إزناگن كَلّ إيموهَّاق (صنهاجة الناطقين باللغة الإيموشَّاقية). من هنا فإن إطلاق هذه التسمية على مجموعة من الأماكن خارج الصحراء إنما يقتضي دراسات ميدانية تتعدد بتعدد المواقع. من المعتقد أن فصائل من التوارگ حوَّرها أبو عبيد الله البكري إلى تارگا كانت تقيم قبل القرن الخامس (11 م) بمجموعة من القصبات المجاورة لوادي درعة غير بعيد عن سجلماسة. كما كانت تنتجع فصائل أخرى بمحاذاة رباط واگاگ بن زلو اللمطي بأگلو السوس الأقصى. ولعله من الضروري الإشارة إلى أن غزو عبد الله بن ياسين وجيش المرابطين لسجلماسة قد تم بإيعاز من فقهاء لمطة القاطنين بالمدينة. كما أنه من الضروري الإشارة إلى أن لمتد ابن ناصر اللمطي هو الذي قاد عملية الغزو ضد الزناتيين ورئيسهم مسعود بن وانودين. وتتجسد صرامة هذا القائد اللمطي في قساوة الإصلاحات التي قام بها في عين المكان كما أوضح ذلك ابن خلدون. تؤكد لنا الصورة المتاحة هنا بما لا يدع مجالا للشك ما تتداوله أمهات المصادر بشأن الارتباط القديم والمتصل بين فصائل لمطة (إلميضن) وهوارة (إهگارن) وتارگة (التوارگ). لا شك أن وصول المرابطين وتشييدهم أبراجاً وحصونا بالمواقع الخصبة والاستراتيجية كسهل الحوز (مراكش) ورباط سلا قد أدى إلى تسهيل عملية تنقل فصائل لمطة والتوارگ وهوارة نحو بعض المواقع التي ماتزال تحمل اسمها.

O. Bates, *The Eastern'Libyans*, London, 1914 (Réed. 1970) ; M. Benhazera, *Six mois chez les Touareg du Ahaggar*, Alger, 1908 ; E. et S. Bernus, *Du sel et des dattes, Etudes nigeriennes*, n° 31, Niamey, 1972 ; A.D.H. Bivar et M. Hiskett, *The Arabic Litterature of Nigeria To 1804*, *B.S.O.A.*, XXV, 1, 1962 ; Hama Boubou, *Recherche sur l'histoire des Touaregs sahariens et soudanais*, Niamey, 1967 ; M. Delafosse, *Haut Sénégal - Niger*, I - III, Paris, 1912 ; H. Duveyrier, *Les Touareg du Nord*, Paris, 1864 ; F. Fuglestad, *Les révoltes des Touareg du Niger 1916 - 1917*, *cahiers d'études africaines*, n° 49, vol. XIII, 1973, 82 - 182; J. Hunwick, *Notes on a Late Fifteenth Century Document concerning "al Takrûr"*, *African Perspectives*, éd. C.H. Allen and R.W. Johnson, CUP, 1970 ; C. Jean, *Les Touareg du Sud-Est, l'Aïr*, Paris, 1909 ; H. Lhote, *Les Touareg du Haggar*, Paris, 1955, *B.I.F.A.N.*, B, XVII, 1955, 334 - 370, et 1956, 391 - 407 ; J. Niolaisen, *Ecology and Culture of the Pastoral Tuareg, National Museum*, Copenhagen, 1963 ; F. Nicolas, *Tamesna, Les Ioullemmeden de l'Est ou Touareg Kel Dinnick*, Paris, 1950 ; Id., *Contribution à l'Etude Twareg de l'Air*, *Mémoires de l'IFAN*, X, Paris, 1950 ; H.R. Palmer, *Notes on Some Asben Records "Agades Chronicles"*, *J.A.S.*, 9, 36, July, 1910 ; J. Richardson, *Travels in The Great Desert of Sahara*, Vol. I - II, London, 1853 ; A. Richer, *Les Ouilliminden*, Paris, 1924 ; Y. Urvoy, *Chronique d'Agadès*, *Journal de la Société des Africanistes*, IV, 145 - 177, Paris, 1934 ; Fr. de Zeltner, *Les Touareg du Sud*, *Journal of the Royal Anthropological Institute*, XLIV, 351 - 375, London, 1914; H.T. Norris, *The Tuaregs*, *Midde East Studies*, 1975, 234 p ; H. Claudot - Hawad, *Les Touareg ou la résistance d'une culture nomade*, *Les Prédicateurs Profanes au Maghreb*, *ROMM*, n° 51, 1989, 63 - 73 ; Id., *Des états - nations contre un peuple : le cas des Touaregs*, *ROMM*, n° 44, 1987, 2 - 48 ; V. Bazin et E. Terray, *Guerres de lignages et guerres d'états en Afrique*, Paris, 1982.

مصطفى ناعمي

**التوارگة** ← **الرباط**

**التوازيط**، بطن كبير من فرقة أولا نعيم من قبيلة بني حسن، يتبع إدارياً لقيادة سيدي يحى الغرب وضمن مركزها المستقل المسمى باسم سيدي يحيى أيضاً. والقيادة المذكورة داخلة في نطاق دائرة أحواز مدينة القنيطرة. كان تعداد فخذات التوازيط ودواويرهم وخيامهم في بداية عهد الحماية 396 مفصلة كما يلي :

| الفخذات | الدواوير | الخيام |
|---|---|---|
| - أولاد حْمودو : | المخاليف - أولاد الكناوي<br>المكانيس - الكرارمة<br>الكراض | 58 |
| - الركابي : | أولاد كريش - أولاد الحسن<br>أولاد بوشايبة(أو أولاد بوشعيبة ؟)<br>أولاد عياد - أولاد ابن دامو | 109 |
| - أولاد يعيش : | أولاد علي - أولاد محمد<br>الخطاطبة | 38 |
| - الشنافة : | أولاد سيدهم - الشنافة البيض<br>الشنافة الحمر - الرهاونة | 78 |
| - الحلالبة : | القاسمية - المشايبية - أولاد الوجيهية -<br>الحلالبة | 61 |
| - أولاد فضل : | أولاد عدي - أولاد الكنانسة | 52 |

ويوجد أولاد فضل أيضاً بسفيان، فاقتضت المصلحة جعلهم مع إيالة أولاد نعيم. وهناك تزوطيون آخرون مع قيادة أولاد يحيى ضُموا إليها اعتباراً للعامل الجغرافي.

أما قبل العهد الحسني فقد كان أولاد ابن القرشي متولين على كافة أولاد نعيم وغيرهم من الفرق الأخرى مثل عامر السفلى المجاورة لقصبة القنيطرة. وطرأ تنظيم جديد أدخله الحسن الأول، وأسند القيادة إلى عمال توازيط.

مصطفى بوشعراء

**التوأمة** Jumelage، من فعل تاءم بمعنى زاوج، والتوأمة عملية حديثة تفيد معنى إقامة ارتباط أخلاقي بين مدينتين تنتميان إلى دولتين مختلفتين من أجل توطيد روابط التعاون الأخوي وتطوير العلاقات الثقافية والرياضية والاقتصادية والسياحية وغيرها.

والأمثلة على هذه التوأمات عديدة، كتوأمة باريس وروما سنة 1958. إلا أن ما يهمنا في هذا الصدد هو توأمة المدن المغربية بمدن أخرى عربية شقيقة على الصعيد الرياضي.

لقد سارت المدن المغربية على هذا التقليد منذ أمد غير بعيد وهكذا تمت في 22 أبريل سنة 1982 توأمة مدينتي جدة ووجدة وجرت بالمناسبة بمدينة وجدة مقابلة جمعت مولودية وجدة واتحاد جدة السعودي. وفي نفس السنة تمت توأمة مدينتي سلا وأريانة (تونس) وجرت مقابلتان للتعبير عن هذا الارتباط، المقابلة الأولى جرت بتونس والثانية بمدينة سلا.

أما في 24 يناير عام 1989، فقد تمت توأمة مدينتي مراكش وبنياس (الامارات العربية). وجرت مباراة بالمناسبة "بأبو ظبي" جمعت فريقي الكوكب المراكشي وبنياس الإماراتي.

ومن شأن هذه التوأمة تطوير ممارسة الرياضة في البلدان العربية الشقيقة الراغبة في تمتين هذه الروابط والاستمرار في هذا النهج.

*تقاييد خاصة.*

*Dictionnaire Encyclopédique Quillet*, p. 3634.

عبد العزيز بلفايدة

**توبكال**، جبل عال توسع مدلوله وصار يطلق على كتلة جبلية ومنتزه وطني. وتعدّ قمة توبكال أعلى قمة بالمغرب تقع بالأطلس الكبير الغربي (المركزي أو المراكشي) تم تحديدها وقياس ارتفاعها لأول مرة من طرف بعثة استكشافية وجغرافية برآسة الباحث الفرنسي "دو سيگونزاك" في 12 يونيه سنة 1923، ولم يكن معروفاً عند سكان الأودية المحيطة به لبعده عن الأماكن المأهولة. فقد كان سكان وادي نفيس يعتبرون جبل وانوكريم أعلى قمة لضخامته واتساع مراعيه التي كانوا يرتادونها. كما كان أهل تيفنوت يعتبرون بعض القمم المشرفة على واديهم الأعلى مثل جبل إفروان هي أعلى قمة وأطلقوا عليها : أدرارْنْ إدْرارْنْ أي جبل الجبال.

ظنت بعثة سيكونْزاك أن جبل إفْروْان بمنابع واد أُوريكا هو أعلى قمة : 4001 م ولكن عندما صعدت إليه تراءى لها بوضوح تفوق قمة توبكال. كانت مراعيه بواد غيغاية الأعلى تابعة لأهل تيفنوت حارمين منها أقرب السكان إليها : أهل أرمض وإمليل بوادي غيغاية الأعلى. وكانت هذه القمة معروفة لدى الرعاة الذين يرتادون سفوحها الدنيا صيفاً للرعي ويطلقون عليها : "توگ أكال" أي أعلى الأرض بلهجتهم المحلية، ولعل هذا هو معنى توبكال. حددت الخرائط السابقة علوه بـ 4165 م لكن عملية القياس الحديثة (قسم الخريطة المغربية بالرباط) حددت علوه 4166,20 م. ويتكون توبكال من صخور صهيرية قاتمة من الريوليت والاندزيت تبدو ككتلة اندفاعية يبلغ سمكها 2000 م تظهر بها نتف من الگرانيت والبازلت وتدفقات بركانية.

تطلق كتلة توبكال على مجموعة من القمم والأودية العالية التي تضم منابع أهم روافد نهري تانسيفت وسوس. تمتد بين وادي نفيس غرباً وأوريكا شرقا وتضم أعلى القمم بالأطلس الكبير الغربي التي تتجاوز 4000 م وهي التي كان يطلق عليها بعض المؤرخين القدامى اسم "أدرارن إدرارن" أو أدرارن درن كما تضم فجاجا عالية تزيد على 3000 م وهي جبال تتميز بأشكالها الكتلية وقممها القببية وسفوحها العمودية المنطبقة على فوالق تكثر فيها الصخور الصهيرية يغلب عليها اللون القاتم، والگرانيت وهو نوعان صلب قاتم بمنابع أوريكا وهش وردي، بمنابع واد تيفنوت، وكلها صخور قديمة ترجع إلى الزمان الأول وما قبل الكامبري يظهر فوقها بقايا من الأغطية الرسوبية للزمن الأول وقد عرف تكوينها تطوراً جيولوجيا معقداً ينطلق من جبال هرسينية سوتها عوامل التعرية وحولتها إلى سهل تحاتي

غمرته البحار وخلفت عليه رواسب بحرية متنوعة وتعرض لحركات رفع متتالية في نهاية الزمن الجيولوجي الثاني وبداية الثالث متفقة مع الحركتين البيرينية والألبية أدت إلى ارتفاع الكتلة وتصدعها وفقدها لأغطيتها الرسوبية بالأماكن العالية. كما خلفت بها الحركات البركانية آثاراً بارزة على شكل طفوح وكتل تأثرت بالتعرية الجليدية والصقيعية في الزمن الجيولوجي الرابع خلفت بها أودية عريضة وبحيرات صغيرة تحول معظمها بالطمر إلى مروج. وهي عارية من الغابات تغطيها الثلوج شتاء، وعندما تذوب صيفاً تظهر بين شظايا الصخور نباتات شوكية متباعدة وأعشاب قليلة.

يشمل المنتزه الوطني لتوبكال القمم والهضاب والأودية العالية التي تربطها فجاج كثيرة وبحيرة إفني وذلك بقلب كتلة توبكال، مساحتها 36.000 هـ أحدثت بقرار وزاري سنة 1942 بهدف تنمية السياحة الجبلية وحماية البيئة، تغطي الغابة 15٪ من مساحتها بوادي أزاضن، وفيما عدا بعض المروج الصغيرة بقعور الأودية والحلبات الجليدية القديمة وبعض الأودية التي تنبت بها أعشاب ونباتات شوكية فإن معظم أراضي المنتزه تغطيه الصخور الخالية من كل نبات وقد كانت هذه المناطق مجالا طبيعيا للوعول لكنها انقرضت بعد أن غزا مجالها قطعان المواشي والسواح ومازال بها بعض الحيوانات الصغيرة والطيور والجوارح وأسماك التروتة المحلية (فاريو) بالأودية العالية كما يوجد بها عزبان يرتادها الرعاة صيفا ولايوجد بها سكن دائم، وتمنع السلطات أي استغلال اقتصادي وتضعها رهن الدراسات العلمية، وهي تابعة لوزارة الفلاحة والمياه والغابات لكنها تخضع لحقوق جماعية للرعي. يوجد بها أربعة مآو جبلية شجعت على توسع السياحة والرياضات الجبلية منذ بداية الأربعينات. وقد توسعت بها كثيراً حتى باتت تعاني من سلبياتها. وأخيراً بدأت تتصدى لها شركات تنظم الجولات لجماعات الهواة وتعمل المصالح المختصة على تقنين هذه الأنشطة وحماية البيئة، ويحيط بالمنتزه عدد من الفنادق وأمكنة للمبيت لدى السكان بالقرى التي تستعمل كمحطات للانطلاق كإمليل وويرگان وتاشديرت وستي فاضمة بأعلى أوريكا. ويعتبر إمليل بأعلى وادي غيغاية أهمها.

وأحدث بالقسم الغابوي من المنتزه بوادي أزاضن سنة 1969 محمية تاخخورت لحماية الحيوانات المهددة بالانقراض خاصة الوعول ذات الاكمام تبلغ مساحتها 1600 هكتار، وتعد هذه الغابة من أجمل غابات الأطلس الكبير تتميز بضخامة أشجار البلوط المختلطة في أجزاء منها بفصائل من العرعار الأرزي والسنديان الزياني والعرعار الفواح بالأعلى مع نباتات ثانوية أخرى. وتتلقى المحمية عناية كبيرة من مصالح المياه والغابات مكنت الوعول من التكاثر إلى أن فاق عددها 600 رأسا وكذلك الخنازير والسناجب والضربان، وحوربت الذئاب التي تقضي على صغار الحيوانات. ويفكر المسؤولون في توسيع المحمية بعد أن ضافت بحيواناتها وبدأت تتفرق في الغابات المحيطة بها التي أكترتها شركات الصيد السياحي.

*التحولات المجالية والاقتصادية بالأطلس الكبير المراكشي*، د. د. ع. الرباط 1987.

J. Dresch et Y. Lepiney, *Le Massif du Toubkal, Guide Alpin*, Rabat, 1938 ; J. Dresch, *Recherches sur l'évolution du relief dans le massif central du grand Atlas de Marrakech, le Haouz et Sous*, Tours, 1941.

أحمد هوزلي

* أنشئ المنتزه الوطني توبكال رسميا سنة 1942 كما سبقت الإشارة إلى ذلك، لكنه لم يحظ بالعناية اللازمة لإعداد المنتزهات إلا في سنة 1993.

الأهداف المتوخاة، في بداية الأمر، من خلق هذا المنتزه هي حماية ما يلي :

- أجمل غابات البلوط الأخضر والعرعر الفوّاح في منطقة أطلس مراكش.
- أعلى قمم جبال الأطلس مثل توبكال ووانكريم وأسكوال...
- مواقع رائعة الجمال على سفوح هذه الجبال وخاصة تلك التي تضفي على الوجه الجنوبي طابعا خاصا بوجود بحيرة إفني.
- أنواع حيوانية مهددة بالانقراض كالاروية والقردة وثدييات أخرى.

يقع منتزه توبكال في الجهة الوسطى من الأطلس الكبير ما بين وادي نفيس غربا ووادي أوريكة شرقا. وهي المنطقة التي تسمى جبل درن وباللسان المحلي "أدرارْنْ درْنْ" (جبل الجبال) والتي تضم أعلى قمم جبال شمال إفريقيا.

ينفرد المنتزه الوطني لتوبكال بميزات خاصة وفريدة من نوعها :

- على المستوى الجيومورفلوجي يتميز المنتزه بقمم مسننة أو شبه مسطحة مكونة من صخور بركانية قديمة حمضية تشمل الأندزيت والريوليت والگرانيت. تظهر على الوجه الشمالي هضاب عالية من البرموترياس.

تتجه أهم قمم المنتزه الوطني من الغرب إلى الشرق : سطح تازاغارت (3995 م)، وانكريم (4089 م)، توبكال (4167 م)، تيشكا (3753 م)، أزرون تمادوت (3664 م)، أكَسْوَالْ (3910 م)، ريو إيگنْوان (3882 م)، إينَغْمَار (3892 م).

في المنتزه منابع عدد كبير من الوديان الدائمة الجريان التي تؤمِّن السقي في السافلة، وأهمها نفيس، وغيغاية وأوريكة على السفح الشمالي، وسوس على السفح الجنوبي.

- على المستوى المناخي، يعرف المنتزه خاصيات لا مثيل لها في سائر سلاسل الأطلس. مناخ جد متنوع حيث تصادف البيومناخات من شبه الجافة المعتدلة الحرارة إلى بيومناخات الجبال العالية ذات الشكل الصقيعي مروراً بالبيومناخات الرطبة وشبه الرطبة الباردة جداً. تتساقط

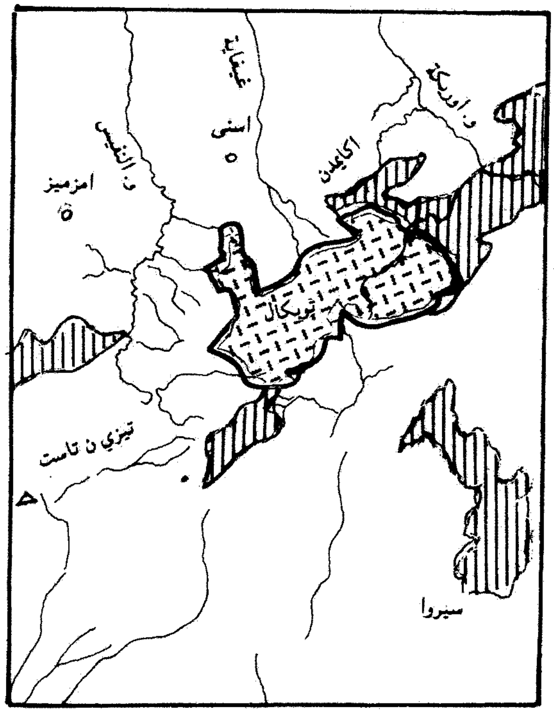


منتزه توبكال

الثلوج بكثرة وهي تلعب دوراً هاماً بالمنتزه.

ـ على مستوى الثروة النباتية يمتاز المنتزه بكثرة الأنواع القبسية والتشكيلات النباتية المختلفة والمتوزعة على طوابق المتوسطي الدافئ والمتوسطي وفوق المتوسطي والجبلي المتوسطي وفوق الجبل المتوسطي. وتشكل التجمعات النباتية الغابية أو شبه الغابية من طرف العرعر البربري والبلوط الأخضر والعرعر الأحمر والعرعر الفواح. لكن قمم الجبال الشاهقة تبقى الميدان للتجمعات النباتية المكونة من الأنواع الشوكية أو العشبية. وأكثر الأنواع القبسية تعيش في الطوابق العالية.

ـ على مستوى الثروة الحيوانية كان منتزه توبكال غنياً، لكن حدث تراجع لأعداد الحيوانات. نذكر من الثدييات الأروية، والشيهم والقط البري والأوَس والأرنب والقرد. عدد أنواع الطيور المعششة يناهز المائة، منها النسر، والعقاب، والباز. وتشمل الزواحف والضفدعيات عددا كبيرا من الأنواع القبسية.

ـ على مستوى المجال الطبيعي يتميز المنتزه بجمال طابعه الجيولوجي والتضاريسي، ووفرة مياهه، وتشكيلاته النباتية ومناخه ووديانه.

ـ على مستوى التراث الثقافي تزخر منطقة المنتزه بوجود عدد كبير من النقوش الحجرية، ومعالم تاريخية أخرى بالإضافة إلى التراث المعماري الأصيل الذي يتجلى في بناء القرى داخل المنتزه أو المحاذية له.

ـ على مستوى السياحة، يزور المنتزه عدد كبير من السواح الأجانب خاصة للتمتع بجمال طبيعته وثرواته وتسلق جباله الشاهقة مشياً على الأقدام أو ركوبا على البغال. يسلك السواح ممرات خاصة ويبيتون ببعض الملاجئ المخصصة لهذا الغرض.

وفي انتظار إعداد المنتزه وتنظيمه في السنوات المقبلة، يتوقع تكاثر أعداد السواح وذلك بعد تشييد المتحف الايكولوجي وبناء الأبواب والملاجئ، والقيام بحملات إعلامية تُعرِّف الزوار بمزايا المنتزه، بالإضافة إلى القيام بإنجاز برامج اجتماعية واقتصادية تدخل في إطار تنمية المناطق المجاورة وذلك لتدعيم جهود المحافظة على الثروات الطبيعية وإعادة الاعتبار لها.

*أبحاث ميدانية.*

Benabid, Bousquet et Mahe, *Plan de gestion du Parc National de Toubkal*, Direction des Eaux et Forêts et de la Conservation des Sols, Rabat, 1993.

عبد المالك بنعبيد

* * يعد توبكال من أسماء الأعلام المغربية التي تحتفظ بسر معناها في أعماق التاريخ. وتكتم كل شيء عمن أطلق الاسم وأجراه، ويجيء الاستعمال الممتد على مدى قرون ليدخل تعديلات شتى على الكلمة (النحت أو تغيير أماكن الحروف داخل الكلمة أو إبدال حرف بحرف آخر...) فيبعدها التداول عن مفاتيح الفهم وتبقى علما خارج الذاكرة يتعدى كل تأويل أو تصنيف.

ومن هذا النوع من الأسماء "توبكال" الذي يطلق على أعلى قمة جبلية في المغرب (4166 م). في مثل هذه الحالة لا يملك الباحث إلا أن يترصد القرابة المحتملة بين الكلمات ويقترح الفرضيات الممكنة.

يوجد فعل "إيكْبْل" الذي يمكن أن ينطق كذلك "إيبْكْلْ"، ومنه "تيكْبَالْ"، وتعني كلمات هذه المادة : المساندة والدعم والتقوية... ماديا ومعنويا، إيجابيا وسلبيا. وتوجد كلمة "إيبْكَالْ" وتعني القمة المذببة أو الجبل المذبب القمة أو القمم.

ويبدو لي أن كلمة "توبكال" لها علاقة بالكلمات المذكورة سواء من حيث الشكل أو المضمون.

تقع قمة "توبكال" ضمن كتلة جبلية شامخة وسط الأطلس الكبير أو جبل "دْرْنْ" والتي تتميز عن منافستها في الغرب : كتلة تيشكا بواسطة وادي نهر نفيس، وعن منافستها في جهة الشرق : كتلة إيغيلْ ـ نْ ـ مْگُونْ بواسطة وادي نهر غْدَاتْ ووادي نخر أُونِيلْ. وتشرف على ثلاثة أقاليم تاريخية كبيرة هي : حوض درعة وحوض سوس وحوض تانسيفت.

وهكذا تبدو كمحور هائل تسيل منه المياه في كل اتجاه وتسقي الأراضي المنخفضة، ويدور حوله الإنسان ويزرع تلك الأراضي باستمرار، كل هذا يجري في هدوء يليق بهيبة عُلى الأطلس.

أما المجموعات البشرية المجاورة لتوبكال، فهي أيت واوزگيت من جهة الجنوب والشرق والغرب، وإيوريكْنْ (وريكة) وإيغيغايْنْ (غيغاية) وإيمْسّيوانْ (مسّيوة)، من الشمال جهة مراكش ويكفي أن نذكّر بدور هنتاتة

(إينْتَانْ) في تاريخ المغرب ليتأكد المرء بأن كتلة توبكال لم تكن حاجزاً يثبط حركة التاريخ.

Ch. De Foucauld, *Dictionnaire*, II, p. 729 - 30 - 31 ; Collectif, *Géographie du Maroc*, 1964, pp. 130 sqq ; J. Dresch [et al...], *Le massif du Toubkal*, 2ème éd., 1942, pp. 185 sqq et passim.

علي صدقي أزايكو

**التّوبِيت**، قماش منسوج من صوف خفيف شفاف أو قطن أو كتّان مقطن أو ساتان. يعرف عند بعض السكان الحضريين تحت اسم الكاليكو، وهي لفظة أعجمية تدل على أن هذا النوع من القماش كان يستورد من بلدان أوربية ازدهرت فيها صناعة النسيج منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي.

ويتميز قماش التوبيت بأنه فاقع اللون، ناعم الملمس، لامع المنظر، مقطن من داخله. يسميه العديد من الناس الأطلس أو الطلس ويدعى في اللغة العربية بالطليسة. كان البعض من المغاربة يتخذ منه الطياليس (جمع طيلسان)، وهي عبارة عن أردية مازال أهل الصعيد المصري والفلاحون منهم على الخصوص يضعونها فوق جلابيبهم للزينة في المناسبات ويضع الأثرياء منهم قطعاً فارهة منها على الكتف الأيمن وبعضهم الآخر يتخذ منها الطياليس والعمائم البديعة من نفس اللون.

لا نعرف الأصل في تسمية هذا النوع من القماش بالتّوبيت، لكن اللفظة سائدة الاستعمال في المراسلات المخزنية وفي الوثائق الخاصة الموجودة في مكامن مختلفة من المغرب. كانت النساء ومازالت المتقدمات في السن منهنّ إلى اليوم يفصلن منه الأقمصة التحتية وبعض الأنواع من القفاطين والفوقيات وخاصة في فصل الخريف والشتاء لأنه مقطن مبطن ناعم يصلح ليرتدى كملابس داخلية تجلب الدفء للجسم. وتتخذ من أنواعه الأقل جودة ملابس متوسطة غير متينة في الفصول المعتدلة والحارة لأنها لا تحتفظ بحرارة الجسم والطبيعة تسمى "التويتة".

*Le dictionnaire Colin d'arabe dialectal marocain*, vol. 1, Rabat 1993 ; H. Zafrani, *Mille ans de vie juive au Maroc, Histoire et culture, religion et magie*, Paris, 1983 ; G.S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953.

محمد بوسلام

**التوت**، نبات يشتمل على أنواع منتمية إلى أجناس وفصائل مختلفة، أهمها :

- التوت الشجري وهو ما يسمى بالفرنسية Mûrier. وهو جنس موروس Morus الذي يضم نوعين أُدخلا من آسيا إلى منطقة حوض البحر المتوسط ومناطق أخرى من العالم للتمكن من تربية دودة القز وانتاج الحرير. ينتمي الجنس إلى فصيلة التوتيات Moraceae.

- توت العُلّيق أو السّتّيق وهو بالفرنسية رونس Ronce، كما يسمى بالعربية عوسج وشوكل وشوك، نوع معترش ومتسلق وشائك وهو من جنس روبوس Rubus وفصيلة الورديات Rosaceae.

- توت الأرض أو الفراولة أو الشليك وهو فريز Fraise بالفرنسية، نبات عشبي لا يتعدى ارتفاعه عشرين سنتيمتراً. والفصيلة التي ينتمي إليها هي الورديات Rosaceae.

أهم المميزات لكل نوع من التوت :

1) التوت الشجري من جنس موروس Morus يشمل نوعين بالمغرب : التوت الأبيض Le mûrier blanc وهو موروس آلبا Morus alba والتوت الأسود Le mûrier noir وهو موروس نيگْرا Morus nigra.

أ - التوت الأبيض : شجرة يمكن أن تعطي تاجا كروي الشكل، جذعها قصير، لون قشرته ضارب إلى الرمادي، أوراقها جد متغيرة في أشكالها وأحجامها، فمنها الكاملة المسننة ومنها المفصصة والمسننة، غير متماثلة ملساء وذات

توتة

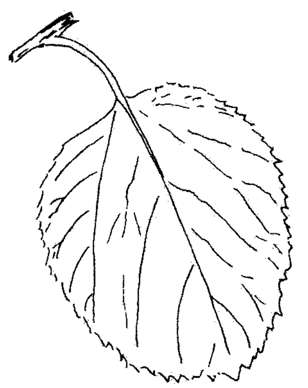

ورقة التوت

زهرة أنثوية

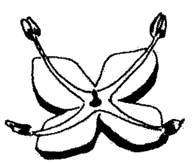

زهرة ذكرية

لون، وجهها العلوي أخضر فاتح، عروقها قليلة الزغب. تظهر أزهارها في الربيع وغالبا ما تكون ثنائية المسكن. الذكرية منها على شكل سنبلة معنقة تحمل أزهاراً صغيرة مكونة من أربع كأسيات، والأنثوية منها مجتمعة في سنبلة معنقة وذات مبيض عديم العنق. وثمار التوت سنبلية الشكل بيضاء أو قرمزية لحمية، مذاقها حلو لكنه عديم الطعم.

والموطن الأصلي للتوت الأبيض معروف بآسيا الوسطى والشرقية. ولا يعرف متى أدخل إلى المغرب. تكمن أهميته في كونه يستعمل كشجرة علفية لتحسين المراعي وللزينة في الحدائق وعلى جوانب الطرق والشوارع وكغذاء مفضل من طرف دودة القز، وهو يعتبر أحسن الأنواع النباتية لتربيتها. كما يستعمل خشبه ذو القيمة الجيدة، وتستخرج من جذوره صباغة صفراء اللون.

يغرس التوت الأبيض في المناطق شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة الدافئة والمعتدلة أي لا يتجاوز المستوى السطحي للطابق المتوسطي الدافئ لأنه لا يتحمل البرودة مثل التوت الأسود. ويغرس هذا النوع في الأراضي ذات التربة الرملية والطينية.

ب ـ ويختلف التوت الأسود عن التوت الأبيض بقامته التي تبلغ عشرين متراً وبأوراقه الحرشاء، ذات اللون الأخضر الغامق، وكثير الزغب، قلبية الشكل، وبأزهاره الأنثوية، ذات عنق قصير جدا، وبثماره السوداء الضاربة إلى الاحمرار وذات المذاق اللذيذ وقليل الحموضة.

ومصدر التوت الأسود هو آسيا الغربية الممتدة بين أرمينيا وإيران. زرع منذ أقدم العصور. ذكر كثيراً في الإنجيل، وكان معروفا عند الإغريق والرومان. وقد أدخل إلى أوربا في القرن الثاني الميلادي وبعده إلى شمال افريقيا.

يغرس التوت الأسود لثماره التي تستعمل كفاكهة وللزينة وكشجر علفي لتحسين المراعي ولإنتاج الخشب. إنه أكثر تحملا للبرودة من التوت الأبيض حيث من الممكن غرسه في الطابقين المتوسطي الدافئ والمتوسطي شبه الجافين وشبه الرطبين والرطبين ذوي الأشكال الدافئة والمعتدلة والباردة. أما من حيث التربة فهو يفضل الأراضي السميكة رملية كانت أو طينية.

2) العُليق أو السِّتيف : جنس رويوس Rubus يضم أنواعا عديدة ممثلة بنوع واحد طبيعي بالمغرب وآخر دخيل اسمه بالفرنسية Framboisier، ولا يوجد هذا النوع الأخير إلا في عدد قليل جدا من البساتين كزراعة تجريبية لإنتاج هذا النوع من الثمار.

التوت البري

والنوع الطبيعي بالمغرب هو ما يسمى علميا بروبوس أولميفُولِيُوس Rubus ulmifolius.

إنه شجيرة معترشة ومضطجعة شائكة لها أوراق قلبية الشكل تغطيها أشواك أو شعر قوي. أزهارها تشبه وردة صغيرة. ثمارها متجمعة، تحتوي على مبايض كثيرة لزهرة واحدة، تنتج ثماراً خضراء ثم حمراء وأخيراً سوداء عند نضجها.

يعيش الستيف في المناطق البيومناخية شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة جدا ذات الأشكال الدافئة والمعتدلة والباردة والقارسة والقارسة جدا، وفي جميع الطوابق ابتداء من سطح البحر إلى علو 2500 م من العلو.

يصادف الستيف في البيومناخ شبه الجاف على جوانب الأنهار والسواقي وعلى أتربة سميكة وخصبة. أما في البيومناخات الأخرى فهو ينتشر في الغابات منفرداً أو على شكل باقات كثيفة.

يستعمل الستيف كسياج حي للبساتين يصعب اختراقه إذا كان كثيفا، نظرا لتشابك أفرعه المختلجة ولكثرة أشواكه. وفي هذه الحالة يلعب دوراً هاماً في تكاثر بعض الحيوانات من الزواحف والقواضم التي تختبئ في تشكيلاته.

يؤكل توت الستيف طازجاً أو يستعمل استثنائيا في المربات.

3) توت الأرض أو الفراولة أو الشليك : أنواع عديدة من جنس فْراگارْيا Fragaria وأشهرها تلك التي تعطي الثمار الصغيرة المحببة إلى النفس في جميع المناطق المعتدلة. إنه نبات عشبي قصير ومعمر. أوراقه مركبة من ثلاث وريقات. ينتج أغصاناً رئدية تتجذر وتمكنه من التكاثر. تتكون ثماره في الثمار الفقيرة الجافة المغطية لسطح زهري كبير ومتشحم.

عرفت زراعة توت الأرض بأوربا في القرن الرابع عشر، وربما لم تدخل إلى المغرب إلا في بداية القرن العشرين ولم تزدهر إلا في الثمانينات حيث بدأ توت الأرض يغزو أسواق المغرب منذ ذلك الوقت في فصلي الشتاء والربيع وحتى بداية الصيف ثم يظهر قليلا في فصل الخريف.

وأشهر مناطق توت الأرض بالمغرب هو الساحل *الأطلسي الممتد شمال القنيطرة* حيث تغرس أصناف عديدة منه تحت الخيمات البلاستيكية المعدة لذلك.

يتطلب توت الأرض تربة جيدة ومناخا معتدلا، وسقيا منتظما.

ويستعمل للأكل وكفاكهة تحلية وفي الحلويات ولصناعة المشروبات والمربات، كما يحفظ ويعلب.


*استطلاعات ميدانية* : ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة عبد المجيد زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Mètro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955.


عبد المالك بنعبيد

**التوت** (باب ـ)، اسم كان يطلق على بابين من أبواب مدينة تطوان السبعة، ولم يبق من البابين سوى واحد لأن الباب الثاني هدم في عهد الاستقلال ؛ وقد سمي بباب

التوت لوجود هذا النوع من الشجر بكثرة خارج البابين.

وأقدم وثيقة نجد فيها ذكر باب التوت يعود تاريخها إلى سنة 1174 / 1761. ومن المعلوم أن الإسبانيين عند احتلالهم لمدينة تطوان سنة 1276 / 1860 أطلقوا عليها اسم باب السيد Puerta del Cid، والسيّد هذا هو لقب المغامر الإسباني رودريگو دييات (Rodrigo Diaz) الذي قاوم الجيش المرابطي بناحية بلنسية إلى أن وافته المنية سنة 1049م.

وعند احتلالهم لتطوان للمرة الثانية سنة 1331 / 1913 أطلق الإسبانيون على هذا لباب اسم باب طنجة Puerta de Tánger.

وتوجد بجانب الباب الذي مازال قائماً قناة بناها باشا المدينة القائد محمد لوقش سنة 1168 / 1748. وفي أعلى القناة أبيات منقوشة نقلها الفقيه داود في كتابه *تاريخ تطوان* (2 : 243).

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 243، 339، 342.

P. Antonio de Alarcon, *Diario de un testigo de la guerra de Africa*, Madrid, 1860.

محمد ابن عزوز حكيم

**التوتة**، حي سكني قديم شيد في العهد المرابطي بمدينة مكناس، ولا يعرف سبب أكيد لهاته التسمية. وقد شيد المرينيون بهذا الحي جامعا يحمل اسم "جامع التوتة" وتبلغ مساحته 158.22 متراً مربعاً، وقد ذكر محمد المنوني في مقاله *التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور* (ص. 41) ما نصه : "ويذكر ابن مرزوق أن أبا الحسن بنى بهذه المدينة مسجداً دون أن يحدد موقعه، بينما يصنف البعض جامع التوتة ضمن المساجد المرينية". كما شيدوا قبالة الجامع سقاية يعلوها كتّاب كان يعرف وقتئذ بـ "مكتب أحمد بن جابر". وتبدو معالم العمارة المرينية الجميلة واضحة من خلال "مشربيات" هذا الكتّاب.

م. المنوني، *التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور*، *مجلة الثقافة المغربية*، الجزء السابع، 1972، ص 41 ؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس في عهد المولى إسماعيل*، د.د.ع، الرباط، 1991، مرقونة.

رقية بلمقدم

**التوتة**، مقبرة بمدينة سبتة الإسلامية، كانت توجد شرق الميناء، على سفح جبل المينا أو جبل آشو Acho كما هو معروف حاليا، قد تكون من أقدم مقابر المدينة ؛ أشار إليها البكري خلال القرن الخامس (11 م)، واعتبرها ثانية مقابر سبتة. ومع مطلع القرن التاسع (15 م) عدها الأنصاري ضمن الثلاث عشرة مقبرة الموجودة آنذاك. وذكر من مزاراتها ضريح أبي زرعة الذي اعتبره - نقلا عن بعض شيوخ سبتة - أول من أدخل القرآن إلى المغرب. ذكر أيضاً المقري موضعاً من سبتة بهذا الاسم يوجد به كثير من الياقوت الأحمر.

الأنصاري، *اختصار الأخبار كما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، الرباط، 1983، ص. 13 - 50 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، 1978، ج. 1، ص، 36.

El-Bekri, *Description de l'Afrique septentionale*, Alger. 1913, p. 202 - 203.

زليخة بنرمضان

**التُوتْليني**، علي أوتالگط، نسبة إلى فخدة أيت تُوتْلين من قبيلة ولتانة. تقع مواطنها جنوبيَ مدينة دمنات، على السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط (*إينولتان*، 96). كان عالما مشاركا، ناصري الطريقة، تتملذ على يد الشيخ أحمد بن مَحمد ابن ناصر.

ومن بين الأحداث الكبرى التي شهدها المترجم ثورة يوسف بن سعيد الحنصالي الذي قام بمداهمة منطقة تادلا، حيث كان التوتليني قاطنا بالصومعة (*الدرة الجليلة*، 268). ومن خلال الإشارات الواردة في تضاعيف ترجمته، يتضح أنه لم يكن متفقا مع الحنصالي، وكيف لا وقد نهب بعض جنوده داره، وأتلفوا كتبه (م. س. ن. : 269).

لم نقف على تاريخ وفاته إلا أنه كان حيا سنة 1145 / 1733.

مَحمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*، تح. أ. عمالك، 1986.

أحمد عمالك

**التوتيا** أو التوتياء، أكسيد الزنگ الذي يرمز إليه في الكيمياء الحديثة بـ ZNO أي الزنگ + الأوكسجين. والتوتيا لفظ معرب يحمل معاني كثيرة، فهو اسم لصدف بحري مفرطح له شوك حاد صلب ومن داخله شيء كمح البيض صالح للأكل (*محيط المحيط*، مادة توت). وهو أيضاً حجر يكتحل به (*لسان العرب*، مادة توت). والتوتيا المعدنية ذات لون أبيض لامع يضرب إلى الزرقة ويسميها الإفرنج بالزنك، وتعرف في الأمازيغية باسم أزاريفْ وهو الشب أيضاً.

تعددت استعمالات التوتيا بالمغرب قديما وحديثا وتنوعت بين التعدين والعلاج الطبي التقليدي. وأهم الصناعات التي كانت تحتاج إلى هذه المادة ولا تقوم بدونها صناعة النحاس. قال المراكشي "وهي التوتيا التي يُصبغ بها النحاس الأحمر فيصير أصفر" (*المعجب*، 510) كما كانت تستعمل في تنحيس الذهب المسبوك، والتنحيس معناه خلط الذهب بمقدار معين من النحاس ليجعله أكثر صلابة شريطة أن لا تفوق كمية النحاس قدراً معنيا فيفسد عيار الذهب ويصبح ذلك الذهب مغشوشا (*الأصداف المنفضة*، 47 - 49).

ومازالت التوتيا تستعمل في الصناعات المعدنية التقليدية حتى اليوم بصفة مسترسلة، ففي حالة تفضيض الأواني المعدنية يتم خلط طلاء الفضة بالتوتياء قبل وضعه على تلك الأواني فيصبح الطلاء أكثر لمعاناً مما لو اقتصر الأمر على اعتماد طلاء الفضة وحده. كما تستعمل التوتياء في عملية لحام مختلف القطع المعدنية خاصة

صفائح القصدير حيث يتم وضع اللحام على التوتيا قبل وضعه في المكان المراد لحامه والغاية من هذه العملية تخليص مادة اللحام من الشوائب التي تكون علاقة بها. والشائع عند المشتغلين بصناعة القصدير في مدينة مراكش أن التوتياء التي يستعملونها اليوم في صناعتهم والتي هي عبارة عن قطعة معدنية مصنوعة يتم جلبها من أوربا تختلف عما كان عليه الأمر في السابق لما كانت تلك القطعة عبارة عن حجر على هيئته الطبيعية لم تتدخل في صناعته يد الانسان.

وتستعمل التوتياء في صباغة المنسوجات على الطريقة التقليدية وذلك عن طريق مزجها بمسحوق النباتات التي كانت تستخدم في هذه العملية كالحناء والفوة. والغرض من استعمالها في تحضير الكحل إلى اليوم بواسطة خلط مسحوق مواد عديدة نذكرها حسب الأولوية على الشكل التالي : الحجرة الزرقاء (تازولت = الكحلة)، التوتياء الحديدة الحمراء (أكسيد النحاس) بالإضافة إلى عود الدفلة، نواة التمر، نواة الزيتون، وهذه المواد الثلاث يتم حرقها ودقها ثم غربلتها بعناية، وأخيراً يضاف القليل من زيت الزيتون.

وتستعمل التوتيا أيضاً في تحضير عطر تقليدي يتطيب به النساء ويتركب من التوتياء بكمية كبيرة ثم من المسك والجاوي الأبيض وقليل من الشب. وهذا الطيب من أجود الأنواع التي يتم تحضيرها بالطرق التقليدية وأغلاها ثمنا بسبب ارتفاع ثمن التوتياء.

كانت التوتيا قليلة بالمغرب الأقصى على ما يظهر، فقد تحدث المراكشي عن منجم واحد لهذا المعدن بمنطقة سوس في العصر الوسيط ( *المعجب*، 510). ولم تصلنا إشارات عن غيره من المناجم بعد ذلك رغم تعدد معادن النحاس في جهات كثيرة من البلاد واستغلالها منذ فترة مبكرة من العصر الوسيط. وقد استمر النقص في هذه المادة بالمغرب حتى العصور المتأخرة لذلك عرفت التوتياء باسم التوتياء الهندية تأكيداً لندرتها وما يتطلبه جلبها من مشاق بسبب بعد المسافة بين المغرب والهند، رغم أن استيرادها كان يتم من البلاد الأوربية. وقد اختصت هذه المادة بالغلاء كما هو الحال بالنسبة لكل السلع النادرة في كل المجتمعات وهذا ما يعكسه المثل الشعبي القائل : "صْدَاقْ الأَنْدَلُسية مْشَى ليهَا فالتُّوتِيّا" كناية عما كان يتطلبه استعمال التوتيا في تحضير الكحل والطيب من مصاريف مالية باهظة.

ع. المراكشي، *المعجب* ، تح. محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، الدار البيضاء، 1978 ؛ أ. الجزنائي، *الأصداف المنفضة عن أحكام صنعة الدينار والفضة*، تح. خالد بن رمضان ؛ الرواية الشفوية ؛ علي بن يوسف الحكيم، *الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة*. صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد السادس، 1958.

حسن حافظي علوي

**التوثيق** (مركز ـ)، الوثيقة بمفهومها الواسع هي كل وعاء يحتضن معرفة أو طريقة لاستعمالها سواء كان وعاء ورقيا يتضمن الصور والخرائط والمؤلفات أو وعاء ممغنطا يتضمن أشرطة سمعية وبصرية أو سميعة. ويندرج ضمن هذا التعريف الشامل بطبيعة الحال الكتاب والخريطة والصورة الشمسية والصورة الشفافة والشريط المسجل والممغنط والفيلم الوثائقي والفيلمان الطويل والقصير والجذيذات والفليمات Les microfiches et microfilms والأودات المتحفية على اختلافها والمسكوكات والملبوسات وغيرها.

وتقتضي عملية التوثيق جمع جزء من هذه الأوعية أو كلها، أو جرد مكامنها ومكان وجودها وتصنيفها وترتيبها وصيانتها بهدف تهييئها للاستعمال من قبل رواد مراكز التوثيق سواء كانوا باحثين متخصصين أو قراء عاديين أو مكلفين للتحضير لندوات أو ملتقيات مختلفة وطنية ودولية أو غيرها.

والتوثيق علم قائم بذاته له تقنياته ووسائله ولغته الخاصة وقوانينه ورجاله وتجهيزاته وهو يستعين بعدة علوم مساعدة له أهمها الرياضيات والإحصائيات وتقنيات التصنيف وتحليل النظم وعلوم اللغة وعلوم الإعلام. إنه فن معالجة جميع المعلومات غير العددية بأسلوب علمي دقيق. وهو فرع من فروع علوم الإعلام أو علم المعلومات التي لا تستطيع الاستغناء عن الاستعانة بآخر التطورات التقنية للحصول على المواد الأولية الإخبارية ومعالجتها وتهييئها للاستعمال. وقد تخصصت في مهمة التوثيق في جميع دول العالم المعاصر مؤسسات متخصصة يندرج العالمون فيها فيما يسمى عادة "جنود معاهد الخفاء" لأنهم يساهمون بطريقة خفية وغير علنية في تقدم البحث العلمي في بلداتهم ودعم مجهودات التنمية في عدة ميادين.

ويقوم بالإشراف على هذه المؤسسات موثقون متخصصون متخرجون من مدرسة علوم الإعلام أو أساتذة باحثون أو غيرهم من ذوي الخبرة الواسعة أو المحدودة في مجال تنظيم وتسيير مراكز التوثيق.

وتسمى العمليات التوثيقية الدقيقة المتداولة في مراكز التوثيق "السلسلة التوثيقية". تتألف هذه السلسلة من ست مراحل أساسية تبدأ من اقتناء الوثيقة بالشراء أو الهبة والهدية إلى الإعلام بها ونشرها بين الرواد والقراء والمهتمين والباحثين مروراً بتسجيل الوثيقة وتجهيزها ووصفها وصفاً بيبلوغرافيا ( *الفهرسة* البيبلوغرافية) ومعالجتها وتحليل محتواها ثم تصنيفها التصنيف الملائم وصيانتها في أماكن خاصة معدة لترفيفها.

ويمكن تجاوزاً اعتبار كل مكان يحتوي جزءاً أو كلا من الأوعية الوثائقية المذكورة وتطبق فيه أساليب التوثيق الحديثة في بعضها أو مجملها مراكز للتوثيق من مكتبات مدرسية وجامعية ومكتبات البلديات ومكتبات الوزارات والبعثات الثقافية والسفارات ومكتبات المصالح الإدارية

ودور الوثائق والمخطوطات العامة والخاصة والمكتبات العامة أو الوطنية. إلا أن مراكز التوثيق الحقيقية هي تلك التي تتخصص في معالجة الوثائق التي تتوصل بها معالجة راقية وحديثة فتكون الوثيقة مهما بعدت عمن طلبها أقرب إليه من حبل الوريد. في هذه المراكز يتم الاستغناء عادة عن الوثيقة الأصلية (المادة الخام) وتعوض بوثيقة معالجة يحتفظ بها إما في الحاسوب الآلي أو على شكل جذيذات أو فيلمات أو غيرهما يمكن طلبها والعثور عليها بسرعة ومساءلتها واستثمارها في أقل وقت. يتوفر المغرب على مركز واحد من هذا النوعد يوجد مقره بالرباط وعلى سبعة فروع له في جهات المغرب الاقتصادية المعروفة.

تأسس هذا المركز في 18 دجنبر 1972 وحددت مهامه واختصاصاته وتنظيماته الداخلية بتاريخ 4 يونيو 1980 وكان تابعا منذ نشأته الأولى لوزارة الدولة المكلفة بالتخطيط. وقد أسندت إليه مهمة "البحث عن المعلومات المتصلة بالمغرب وتتبعها عبر مختلف ميادين المعرفة سواء نشرها بالداخل أو الخارج، من قبل مغاربة أو أجانب، بهدف تنظيمها ومعالجتها وخزنها وإغنائها باستمرار ونشرها لتكون أداة لخدمة التنمية والتطور". وكان تأسيس هذا المركز في إطار مشروع موّله برنامج الأمم المتحدة للتنمية ونفذته منظمة الأمم المتحدة للتغذية والزراعة. وبسبب حاجته المتزايدة إلى الأطر المتخصصة، أشرف المركز الوطني للتوثيق بدوره على إنشاء مدرسة علوم الإعلام التي فتحت أبوابها في 1974 - 1975.

ويختلف المركز الوطني للتوثيق في وظيفته عن المكتبة. فعندما يطلب المستعمل الوثيقة فإنها تسلم إليه من مكتبة الجذيذات ليطلع عليها في عين المكان بواسطة مقرئات ضوئية مجانا. كما أنه بإمكانه أن يطلب الاستنساخ إما على الجذيذات أو على الفيلمات أو على الورق وأيضا على نسخ مصورة من الورق إلى الورق أو على صور ضوئية من الجذيذات. وتتوفر مصلحة الأسئلة والأجوبة الموجودة داخله على مكتبة متخصصة في ميدان علوم الاعلام (مراكز التوثيق والمكتبات وغيرها) وعلى مجموعة من المصادر والمراجع الأساسية من معاجم وقواميس وموسوعات ودوريات متخصصة وكشافات وبيبليوغرافيا وطنية ودلائل متنوعة ووثائق منظمات متخصصة عالمية كالبنك الدولي للإنشاء والتعمير ومنظمة الأغذية والزراعة ومصلحة المعلومات التقنية الأمريكية ومركز التوثيق التابع للأمانة العامة لجامعة الدول العربية وغيرها مما هو موضوع رهن إشارة رواد المركز. كما تقوم مصلحة الأسئلة والأجوبة في حالة عدم تمكنها من الحصول على أجوبة دقيقة وتوفيرها للمتخصصين بتوجيههم إلى مصادر الحصول عليها داخل الوطن وخارجه. ويفتح المركز المذكور أبوابه لكل راغب في التدريب في مجال التوثيق ويمنح إرشادات تقنية في ميادين التوثيق وتكنولوجيا استعمال المعلومات. وله اتصالات مباشرة مع أكثر من مائتي بنك دولي للمعطيات ويتوفر على أزيد من ستين مليون تسجيلة في جل ميادين المعرفة. ويتلخص دوره على الصعيد الدولي في تمثيل المغرب بالندوات الدولية المهتمة بقطاع التوثيق والمعلومات وبنوك قواعد المعطيات وإبرام الاتفاقيات مع المؤسسات والمنظمات المتخصصة في هذا الميدان. وقد أصبحت للمركز ابتداء من الثمانينات سبعة فروع موزعة في المناطق الاقتصادية السبعة. كلفت هذه الفروع بإنجاز نفس المهام الموكولة إليه والتي تتلخص في جمع الإنتاج المعرفي الذي توفره المصالح والإدارات والمؤسسات على الصعيد الجهوي وتقديم مختلف الخدمات التوثيقية للمستعملين في عين المكان وتنسيق أعمال التوثيق بين الوحدات التوثيقية في المنطقة وتمثيل المركز جهويا.

هذا ويرتبط المركز الوطني للتوثيق عبر حاسوب مركزي بعدة مؤسسات وطنية ودولية مقيمة بالمغرب بواسطة مطاريف للاستجواب البُعدي (الفاكس والتلكس) أهمها وزارة الطاقة والمعادن ووزارة الإعلام ووزارة التربية الوطنية ووزارة التخطيط (سابقا) ووزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي والشركة الوطنية لدراسات المضيق ومؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية والبنك الشعبي المركزي بالدار البيضاء. كما يرتبط بمؤسسات ومنظمات جهوية أخرى داخل المغرب وخارجه كمركز التوثيق والمعلومات التابع للأمانة العامة لجامعة الدول العربية وغيرها.

عبد المجيد عابدين، *التوثيق، تاريخه وأدواته*، بغداد، 1982 ؛
محمد قبيسي، *علم التوثيق والتقنية الحديثة*، بيروت، 1982 ؛
يحيى هلال، *النظام التوثيقي العربي*، تونس، 1984 ؛ وحيد قدورة، *المستفيدون من خدمات المكتبات ومراكز التوثيق*، تونس، 1986 ؛
المركز الوطني للتوثيق، *دليل الوحدات التوثيقية بالمغرب*، الرباط، 1992.

J. Forget, *Initiation à la documentation*, Paris, 1988 ; M. Sire, *Le document et l'information*, Paris, 1975 ; J. Chaumier, *Les techniques documentaires*, Paris, 1988 ; H. Schutz, *Le rôle et l'organisation d'un centre national de documentation dans un pays en voie de développement*, Paris, 1975 ; Institut du Monde Arabe, *Répertoire des bibliothèques et des organismes de documentation sur le Monde Arabe*, Paris, 1986.

محمد بوسلام

**التوجيه**، مجموعة من العمليات البسيكوتربوية والسوسيو اقتصادية مساعدة للتلميذ والطالب على السواء في عملية اختيار مسلك دراسي أو مهني.

وفي هذا المضمار يبدو جليا أن التوجيه، مدرسياً كان أو مهنياً، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإعلام الذي يشكل قاعدته العامة من حيث إعطاء الفرد معلومات عن مختلف المسالك الدراسية والمهنية ومختلف محتوياتها والجانبيات الخاصة بالمهن التي توصل إليها، كما يشكل قاعدته الخاصة من حيث إخباره التلميذ عن ذاته وقدراته والكشف عن مؤهلاته.

وفي هذا المضمار، فرض نظام التوجيه المتبع في المغرب وذلك بجرد مختلف العمليات، مع الإشارة إلى التغيير

الذي طرأ على هذا النظام من خلال مقارنته مع النظام المتبع في السابق.

فتوجيه التلاميذ يتم في النظام التعليمي على مستويين : مستوى السنة الرابعة الإعدادية أي التاسعة من التعليم الأساسي. ومستوى السنة الأولى من التعليم الثانوي. إلا أن المستوى الأول في عملية التوجيه يبقى الأكثر تأثيراً، في الحياة المستقبلية الدراسية أو المهنية للتلميذ، إذ أنه يحدد مساره الدراسي نحو أحد فروع التعليم الثلاثة العلمي والأدبي أو ما يصطلح على تسميته بالتعليم العام، والنوع الثالث هو التعليم التقني الذي يتضمن أحد عشر تخصصا.

ويواجه التلميذ الملتحق بإحدى شعبتي التعليم العام مستوى آخر للتوجيه في آخر السنة الأولى من التعليم الثانوي وذلك رغبة في تخصص أكثر دقة تبعا لتنوع الشعب واختلافها.

وهكذا يمكن توجيه تلاميذ السنة الأولى ثانوي من الجذع المشترك لشعبة الآداب، إلى السنة الثانية من التعليم الثانوي حسب رغبة التلميذ إما إلى :

- الآداب العصرية
أو - الأقسام الإعدادية للغة الأنجليزية
أو - " " " الألمانية
أو - " " " الإسبانية
أو - " " للتربية البدنية
أو - العلوم الاقتصادية

أما التلاميذ الموجهون للجذع المشترك العلمي فيمكن أن يختاروا، بناء على استعداداتهم ومؤهلاتهم، إعداد البكالوريا في إحدى المسالك الثلاثة التالية :

- العلوم التجريبية
- العلوم الرياضية
- العلوم الاقتصادية

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أنه انطلاقاً من السنة الدراسية 1990 - 1991، شُرع في تجربة لازالت سارية في عدد من النيابات، الغرض منها وضع الأسس لمسطرة في التوجيه تعتمد مستوى واحداً خلال السنة الرابعة الإعدادية، أي التاسعة أو النهائية من التعليم الأساسي، وهكذا سيصبح التخصص مباشراً وسيتم خلال السنوات الثلاث من التعليم الثانوي بالنسبة لجميع المسالك المؤدية للبكالوريا.

ومن جهة أخرى، وفي إطار التعاون بين وزارة التربية الوطنية ووزارة الأشغال العمومية والتكوين المهني وتكوين الأطر تم الشروع في تجربة التوجيه المباشر للتلاميذ نحو مراكز التكوين المهني، وذلك بنيابة القنيطرة لتوسع خلال الموسم الدراسي (1991 - 1992) إلى سبع نيابات إقليمية أخرى على أساس أن يتم التعميم تدريجيا مع مراجعة الإجراءات التقنية المتبعة في التوجيه المهني.

هذا ونظراً لكون العتبة الثانية في التوجيه هي في طريق الانقراض، سنقتصر على وصف إجراءات التوجيه إلى عتبته الأولى أي خلال السنة الرابعة الإعدادية.

أهلية المجلس الخاص بالتوجيه. قبل صدور المنشور 112، كان المجلس الخاص بالتوجيه يناقش القرار الذي يجب اتخاذه بالنسبة لكل حالة فيما يخص الانتقال إلى السلك الثاني (التعليم الثانوي) وتعيين الشعبة بالنسبة لكل منتقل إلى التعليم الثانوي وهو ما يصطلح عليه "بالتوجيه" ويقرر المجلس ضمنيا حالات التكرار، حيث تمنح لكل تلميذ فرصتان اثنتان بالتكرار خلال السلك الأول، أما إذا استنفدهما ولم ينتقل إلى القسم الأعلى فيتقرر في حقه التوقيف النهائي.

وكل هذه القرارات يعتمد فيها مجلس التوجيه علي النتائج الدراسية وملاحظات وتقديرات وآراء الأساتذة.

وثائق التقدير المعتمدة من طرف مجلس التوجيه :

1 - بطاقة التوجيه : تضم إلى جانب المعلومات المتعلقة بهوية التلميذ، السنوات الدراسية بكل مستوى والرغبات الثلاث من بين الشعب الموجودة بالتعليم الثانوي (السلك الثاني) مرتبة حسب الأفضلية، كما تزوِّد المجلس أيضاً بنقط ومعدلات المواد خلال الدورات الثلاث للسنة الرابعة الإعدادية وكذا المعدل السنوي العام.

2 - الملف المدرسي الذي لا يرجع إليه المجلس إلا بالنسبة لبعض الحالات التي يصعب البت فيها نتيجة ضعف في الميول ونقص في النتائج الحالية التي قد تؤدي إلى إقرار عدم متابعة الدراسة. هذا ويضم الملف المدرسي وثائق مختلفة :

- ملف امتحان الالتحاق بالسنة الأولى بالإعدادي.
- مستخرجات النقط الخاص بكل سنة قضاها التلميذ في السلك الأول.
- دفتر النقط.
- بطاقات الغياب.
- مستخرج العقوبات التأديبية.
- الشواهد الطبية التي تقدم بها التلاميذ خلال دراسته.

إلا أنه بعد سنة 1986، عند صدور المنشور 112، شرع في ترتيب التلاميذ تنازليا بناء على المعدل السنوي العام المحصل عليه من طرف التلميذ، ولكون عدد التلاميذ الذين يمكن قبولهم بالسلك الثاني أصبح محدداً من طرف الخريطة المدرسية، فإن المجلس الخاص بالتوجيه يجتمع لكي يقرر توزيع التلاميذ المقبولين، على مختلف الشعب بناء على المؤهلات الدراسية والذاتية لكل تلميذ وعلى رغباته وباعتبار عدد المقاعد المتوفرة بكل شعبة.

توجيه تلاميذ التعليم الخاص : إن عملية التوجيه تهم تلاميذ التعليم الخاص الذين تتوفر فيهم الشروط التي يخضع لها تلاميذ التعليم العمومي والتي نجملها فيما يلي :

1 - أن يكون التلميذ قد نجح في امتحان الالتحاق بالسنة الأولى إعدادي.

2 - أن تكون الدراسة عادية أي أن يقضي التلميذ أربع

سنوات على الأقل بالسلك الأول ابتداء من سنة الالتحاق بالسنة الأولى إعدادي.

3 - أن لا يكون قد سبق في حقه قرار طرد من مؤسسة عمومية.

اللجنة الخاصة بتغيير التوجيه : بالنسبة للتلاميذ الذين لم تلب رغبتهم في الاختيار ورأوا بأن الشعبة التي تم تعيينهم فيها غير ملائمة لهم - إذا لم يكونوا قد وجهوا لإحدى الشعب التقنية - يمكنهم أن يتقدموا بطلب لمراجعة قرار التوجيه إلى اللجنة الإقليمية الخاصة بتغيير التوجيه إذ لها الصلاحية الكاملة للبت في مثل تلك الطلبات. ويترأس هذه اللجنة نائب وزارة التربية الوطنية ويدخل في عضويتها، طبقا للمذكورة 29 بتاريخ 7 فبراير 1983، كل من :

- رئيس مصلحة التخطيط بنيابة وزارة التربية الوطنية.
- مدير إعدادية.
- مدير ثانوية.
- أستاذ عن كل مادة تدرس بقسم الرابعة إعدادي.

اللجنة الجهوية الخاصة بالاختيار الأولي

تتكون هذه اللجنة من المفتش الجهوي للتوجيه التربوي، ومن رؤساء مصالح التخطيط التابعين للنيابات التي يهمها الأمر ومن ممثلين عن التعليم التقني (مفتشي التعليم التقني ورؤساء الأشغال وأساتذة التعليم التقني).

وتجمع هذه اللجنة في أواخر شهر أبريل أو أوائل شهر ماي، وتقوم بدراسة بطاقات الترشيح للتعليم التقني وبعملية الاختيار الأولي ووضع لائحة بأسماء التلاميذ الذين وقع عليهم الاختيار حسب الشعبة والنيابة الأصلية التي توجه إليها نسخة قصد أخذها بعين الاعتبار أثناء انعقاد مجالس التوجيه التي تبقى لها الكلمة الأخيرة في اتخاذ القرار الملائم.

المجلس الخاص بالتوجيه : يتكون المجلس الخاص بالتوجيه من :

- مدير المؤسسة بصفته رئيسا.
- المستشار في التوجيه.
- جميع أساتذة القسم.
- أحد أساتذة السلك الثاني، في حدود الإمكان، بصفة استشاري.
- ممثل عن آباء التلاميذ بصفته ملاحظا.

إعداد التلاميذ الموجهين بكل شعبة : كل من اللجنة الجهوية للاختيار الأولي للشعب التقنية والمجالس الخاصة بالتوجيه ولجنة تغيير التوجيه ملزمة أثناء مزاولة المهام، باحترام الأعداد المقررة من طرف مصالح الخريطة المدرسية.

*وثائق ومنشورات وزارة التربية الوطنية.*

محمد فلاً

**التوحيد** (علم.) ← **العقيدة**

**التوحيد** (مصطلح موحدي)، اعتبر المهدي ابن تومرت أتباعه الموحدين الحقيقيين لله تعالى، فكان هذا أصل تسميتهم بهذا الاسم، وقد ارتكزت عقيدة "التوحيد" عند ابن تومرت على مجموعة مسائل أهمها : مسألتا الصفات الإلهية والآيات المتشابهات.

فبالنسبة للصفات يذكر صاحب *المعجب* أنه كان على رأي المعتزلة في نفيها، أي أن الصفات ليست زائدة عن الذات الإلهية ولا منفصلة عنها ؛ فكان ابن تومرت يختلف في هذه النقطة مع النّقليين ومنهم فقهاء المالكية بالمغرب المدعمون للحكم المرابطي، فاعتبر هؤلاء الذين يأخذون برأيهم "مشركين".

وبالنسبة للآيات المتشابهات اعتمد ابن تومرت في تفسيرها على الأشاعرة، قال ابن خلدون : "ذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث"، والمقصود بذلك الآيات التي توهم بالتشبيه والتجسيم، وقال صاحب *المعجب* عن فقهاء المالكية بالمغرب إنهم كانوا ينافرون "علم الاعتقاد على طريق الأشعرية" ؛ فاعتبر ابن تومرت المرابطين الذين لا يأخذون برأي الأشاعرة في هذا الميدان "مجسّمين" للذات الإلهية، كما وصفهم بالكفرة والمشركين، فجعل جهادهم "أعظم من جهاد الروم وسائر الكفرة بأضعاف مضاعفة".

وتطور مصطلح "التوحيد" مع انتقال الحركة الموحدية إلى إطار الدولة فأصبح يعبر عمّن دخل تحت سلطتها بكونه "وحّد" ومن خالفها فقد "ارتدّ" ؛ وهذان المصطلحان يردان كثيراً فيما كتبه البيذق المعاصر لحركة الموحدين في الفترة الأولى من دولتهم.

أ. عزاوي، *رسائل موحدية* (مجموعة جديدة)، (الرسالة رقم 2) ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت*...، الرباط 1971 ؛ م. ابن تومرت، *أعزّ ما يطلب*...، الجزائر 1983 ؛ م. المراكشي، *المعجب*؛ سعد زغلول عبد الحميد، محمد بن تومرت وحركة *التجديد في المغرب والأندلس* (منشورات جامعة بيروت العربية) ؛ ألفرد بل، *الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي*، بيروت 1981.

E. Levi-Provençal, *Documents inédits d'histoire Almohade*, Rabat, 1928.

أحمد عزاوي

ابن **تودة، رحُّو** أو رحٌّ أو أُرحّو قائد مجاهد كان يحكم الناحية الغربية من شمال المغرب ومقره بالقصر الكبير حيث كان نفوذه يشمل مدينتي العرائش وأصيلا وقبائل الخلط وأهل سريف وبني يَسّفْ وسُماته وبني زكّار وبني كرفط والساحل وبني عروس والغربية وذلك في عهد السلطان عبد الله الغالب بالله وبداية عهد المتوكل على الله أواسط القرن العاشر (16 م).

وتقول الوثائق البرتغالية إنه كان يقود حركة الجهاد ضد الوجود البرتغالي بمدينتي طنجة وأصيلا وأنه كُتب له أن يكون أول من دخل أصيلا بعد أن انسحبت عنها البرتغال يوم 10 شعبان 957 / 24 غشت 1549 ؛ وتؤكد نفس الوثائق أنه بعد أن نقل مقر قيادته إلى أصيلا كان شغله الشاغل هو تضييق الخناق على مدينة طنجة حيث سجلت تلك

الوثائق المعارك التي جرت بضواحي المدينة المذكورة في الأيام التالية :

يوم 30 جمادى الأولى 857 / 16 يونيو 1550 حيث قتل عدد كبير من البرتغاليين وأصيب بجروح خطيرة حاكم المدينة البرتغالي بيدرو مينيسيس Pedro de Meneses الذي مات من جرائها بعد أربعة أيام.

يوم 29 ربيع الأول 959 / 25 مارس 1552، حيث جرح الحاكم الجديد خوان ألفاريث Juan Alvarez.

يوم 27 ربيع الأول 960 / 13 مارس 1553 حيث قتل أكثر من ستين برتغالياً ولقي حتفه الحاكم لويس ذي لوريرو Luis de Lurero الذي كان قد سبق له أن أذاق المغاربة الأمرين عندما كان حاكماً بالقصر الصغير وأصيلا ومازاگان (الجديدة).

يوم 15 جمادى الأولى من نفس السنة / 29 أبريل حيث قتل الحاكم الجديد لويس ذي سيلفا Luis de Siva.

يوم 21 جمادى الأولى / 5 ماي من نفس السنة حيث قتل الحاكم پيدرو ألفاريث Pedro Alvarez الذي كان الحاكم البرتغالي الرابع لمدينة طنجة، لقي حتفه على يد القائد ابن تودة، ولذلك لقبه البرتغاليون بـ "جلاد البرتغال".

وتذكر نفس الوثائق البرتغالية أن القائد المذكور هاجم طنجة يوم 20 صفر 972 / 27 سبتمبر 1564 ويوم 7 رجب 972 / 8 فبراير 1565.

ومن هذه الأحداث نعلم أن القائد رحُّو كان يحكم تلك الناحية على الأقل من سنة 957 / 1549 إلى سنة 972 / 1565؛ وهذا القائد هو والد القواد عبد الكريم وعزوز وعلي ابن تودة.

Fernando de Meneses, *Histoire de Tanger*, Traducion española, Tanger, s. a. ; G. Rittwagen, *Guerra del Moro en Africa datos, fechas y estadisticas, MS. n° 66 de 4 / 3 / 34*, Biblioteca de la Secretaria General del Protectorado ; *S.I.H.M.* Portugal V, 62, 79, 110 ; France I, 528 ; Augleterre I, 392 ; Ibn Azzuz Hakim, *Un siglo de la historia de Arcila*, (Sous presse).

ابن **تودة، عبد الكريم** بن رحُّو سابق الترجمة. كان في أول الأمر حاجبا للسلطان عبدالله الغالب بالله سنة 981 (1574)، ولم نجد له في المصادر المغربية ما يمكّننا من وضع ترجمته الكاملة لأن الوثائق البرتغالية والإسبانية التي نتوفر عليها تتعلق بفترة ما بعد وفاة السلطان الغالب بالله. وبعد مبايعة ابنه محمد المتوكل على الله أصبح المترجم له يحظى باعتبار أهم بصفته مستشاراً للمتوكل بفضل كون أخته كانت من بين زوجات السلطان وكذلك بفضل زواجه بابنة الصدر الأعظم علي ابن شقرا.

تقول المصادر الإسبانية إن عبد الكريم ابن تودة كان بجانب المتوكل في المعركة التي خاضها ضد عمه عبد الملك بالمكان المعروف بالركن بأحواز فاس يوم 16 ذي الحجة 983 / 17 مارس 1576 وانهزم فيها المتوكل، فكان المترجم له من القواد القلائل الذين ظلوا بجانبه بعد أن فر إلى فاس ومنها إلى مراكش. وتذكر المصادر البرتغالية أن المترجم له لم يتبع المتوكل إلى مراكش بل توجه بأمر من السلطان المهزوم إلى الناحية الشمالية الغربية من المملكة ولم يشارك في معركة خندق الريحان التي جرت على ضفة وادي الشراط يوم 12 ربيع الثاني 984 / 9 يوليوز 1576 ولا في المعارك التي جرت فيما بعد بين المتوكل وعمه عبد الملك بناحية سوس.

ولا غرو في ذلك لأن المتوكل كان علي علم بالنفوذ الذي كان يتمتع به عبد الكريم ابن تودة بناحية جبالة والهبط، فأراد بوجود القائد عبد الكريم بها أن يحول دون انحياز سكان الناحية إلى جانب عمه عبد الملك.

وتدل القرائن كلها على أن المترجم له استطاع أن يحول دون تسرب نفوذ عبد الملك إلى تلك الناحية بدليل أنه بالرغم من الرسائل التي كان يوجهها السلطان عبد الملك المذكور إلى مدن الشمال تمكن المترجم له من السيطرة على مدينة القصر الكبير والعرائش وأصيلا وتطوان فترة من الزمن، إلى أن اضطر، في ظروف غامضة، إلى مغادرة القصر الكبير واللجوء إلى العرائش في شهر شوال عام 984 / يناير 1577 وهو الشهر الذي نجده يتصل فيه بالملك البرتغالي دون سيباستيان ويعرض عليه تسليمه المدينة المذكورة مقابل مساعدة يقدمها للمتوكل.

لم يستجب العاهل البرتغالي لطلب عبد الكريم لأسباب عديدة. منها أنه لو قام باحتلال العرائش دون قتال لما تمكن من أن يبرر أمام رجال دولته وخاله الملك الإسباني فيليبي الثاني الحملة الصليبية التي كان يهيؤها من أجل الاستيلاء على العرائش حتى لا يبقى للأتراك ميناء في الساحل الأطلسي يترددون عليه ويهددون منه البرتغال وإسبانيا معا.

عندئذ غادر عبد الكريم مدينة العرائش في شهر ذي الحجة عام 984 / مارس 1577 واعتصم بأصيلا ومنها اتصل بحاكم طنجة البرتغالي دون دوارطي ذي مينيسيس Duarte de Meneses وعرض عليه تسليمه أصيلا المدينة الوحيدة التي ظلت وفية للمتوكل في شمال المملكة، وذلك خوفاً من ان يكون مصير اصيلا هو نفس مصير تطوان التي بايعت عبد الملك حسب ما تشهد به الرسالة التي وجهها الملك المذكور إلى حاكمها يوم 28 ذي الحجة عام 984 / 18 مارس 1577.

ولم يتردد الحاكم البرتغالي في قبول عرض المترجم له فطلب منه أن يبعث أخاه عزوز ليظل رهينة بطنجة إلى أن تتم عملية التسليم فتم ذلك في منتصف شهر ربيع الثاني عام 985 / أوائل شهر يوليوز 1577 حيث قامت كتيبة برتغالية مكونة من سبعمائة رجل باحتلال أصيلا بعد أن أخرج منها سكانها. ثم أرسل عزوز إلى لشبونة ليخبر دون سيباستيان بتلك العملية التي تمت بدون علم سابق من طرفه. وكانت هذه هي المرة الثانية التي تحتل فيها البرتغال مدينة أصيلا.

وهكذا لم يبق لعبد الكريم مدينة يعتصم بها، ومع ذلك ظل نفوذه قائماً بقبائل الناحية الشمالية الغربية التي ظلت تدين بالولاء للمتوكل، والدليل على ذلك هو أنه بعدما

ضاقت عليه الأرض بجنوب المملكة لم يجد صعوبة في اللجوء إلى قصبة اسْنادَةَ بقبيلة بني يطفت الريفية، وكان عبد الكريم هو الذي مهد الجو ليتمكن المتوكل من اللجوء إلى القصبة المذكورة في شهر رمضان عام 985 / نوفمبر 1577 حيث وجد المترجم له في انتظاره هناك صحبة عدد من قواد القبائل الريفية، وظل الجميع بجانب المتوكل إلى أن انتقلوا معه إلى الشاطئ الموالي لجزيرة بادس المحتلة من طرف إسبانيا.

أغرب ما في الأمر أنه في الوقت الذي كان المتوكل يكاتب من قصبة اسنادة ملك إسبانيا فليبي الثاني ويطلب منه مدّ يد المساعدة كان المترجم له يكاتب ملك البرتغال دون سيباستيان في نفس الموضوع حيث نجده يقول له في رسالة بتاريخ 25 شوال 985 / 5 يناير 1578 بأن الوقت قد حان ليتدخل في الحرب القائمة بين المتوكل وعمه عبد الملك.

وعلى كل حال فان العاهل الإسباني لم يستجب لطلبات المتوكل فكان على هذا الأخير ان يغادر قصبة اسنادة ويتوجه إلى الشاطئ الموالي لجزيرة بادس حيث ظل إلى يوم 17 محرم عام 986 / 26 مارس 1578 وهو اليوم الذي أبحر فيه من الجزيرة المذكورة متوجها على ظهر باخرة برتغالية إلى مدينة سبتة المحتلة آنذاك من طرف البرتغال، في حين أن ابن المتوكل الأمير مولاي الشيخ توجه صحبة المترجم له وباقي أنصار والده إلى سبتة عن طريق البر.

وفي منتصف ربيع الأول 986 / أواخر ماي 1578 غادر المتوكل مدينة سبتة متوجها نحو طنجة عن طريق البحر في حين أن الأمير مولاي الشيخ والمترجم له توجها صحبة أنصار المتوكل إلى نفس المدينة عن طريق البر.

وفي يوم ثاني جمادى الأولى / 7 يوليوز وصلت الحملة الصليبية البرتغالية لميناء طنجة وعلى رأسها الملك دون سيباستيان الذي تقابل مع المتوكل وأجرى معه محادثات سرية لم يحضرها سوى المترجم له.

وفي يوم 7 من الشهر المذكور / 12 يوليوز غادر المتوكل ميناء طنجة على ظهر سفينة دون سيباستيان متوجها نحو مدينة أصيلا، في حين أن الأمير مولاي الشيخ والمترجم له توجها صحبة أنصار المتوكل إلى نفس المدينة عن طريق البر.

وطيلة المدة التي قضاها الجيش البرتغالي بأصيلا ظل المترجم له بجانب المتوكل يحضر جميع الاجتماعات التي كان يعقدها هذا الأخير مع العاهل البرتغالي.

وفي يوم 24 جمادى الأولى / 29 يوليوز غادر الجيش البرتغالي مدينة أصيلا. وفي يوم 29 من نفس الشهر / 3 غشت عقد دون سيباستيان مع المتوكل اجتماعا بالمكان المعروف بتامدة (وادي المخازن) وأراد أن يعرف رأي عبد الكريم ابن تودة في الخطة العسكرية التي يجب اتباعها، فكان جوابه أنه من المستحسن أن يؤخر موعد المعركة بيوم واحد وذلك لأن الأمير مولاي الناصر أخا المتوكل كان قد فر من معسكر عبد الملك وأخبره بأن هذا الأخير يوجد على فراش الموت.

وجرت المعركة الفاصلة يوم 30 جمادى الأولى / 4 غشت وفيها لقي حتفه كل من دون سيباستيان والمتوكل وسقط عبد الملك شهيداً، ومن بين المغاربة أنصار المتوكل الذين تمكنوا من النجاة والفرار إلى أصيلا نجد عبد الكريم ابن تودة الذي ظل بتلك المدينة يعالج من جروحه إلى أن توجه صحبة أزواجه وأبنائه إلى لشبونة في أوائل شهر شوال عام 986 / أوائل ديسمبر 1578.

وقد خصصت لعبد الكريم ابن تودة إعانة مالية على أساس اعتباره لاجئا سياسياً، وكانت تصرف له من خزينة الدولة إلى أن توفي الملك البرتغالي الأسقف إنريكي في منتصف ذي الحجة عام 987 / أوائل سنة 1579 وحل محله الملك الإسباني فيليبي الثاني الذي أمر بقطع الإعانة عن المترجم له بسبب وقوفه بجانب الأمير البرتغالي دون أنطونيو الذي كان يطالب بعرش البرتغال.

ويبدو أن المترجم له ساءت حالته المالية لدرجة أنه اضطر إلى بيع خيوله وأمتعته في رمضان عام 989 / أكتوبر 1581 ومع ذلك لم يسمح له بالعودة إلى المغرب لأن الملك فيليبي الثاني كان يريد الاحتفاظ به في البرتغال رهينة يهدد بها السلطان أحمد المنصور الذهبي.

ولم يكن السلطان المذكور بغافل عما كان يقصد ملك إسبانيا باحتفاظه بالمترجم له وبالأمير الشيخ وعمه الناصر، لذلك نجد العاهل المغربي يوجه في منتصف شهر ربيع الأول 995 / 22 فبراير 1587 رسالة إلى فيليبي الثاني يطلب منه فيها السماح للقائد ابن تودة بالعودة إلى المغرب وقد وصفه في الرسالة "بخديم هذه الإيالة المعروف الحظوة الجليل المكانة القائد الوجيه النبيل النابه الأجل الأجيل المثيل الأثيل القائد عبد الكريم بن رحُّ ابن تودة".

ولم يستجب العاهل الإسباني لطلب الملك أحمد المنصور وظل ابن تودة بالبرتغال إلى أن قرر فيليبي الثاني نقله صحبة الأمير مولاي الناصر إلى مقاطعة الأندلس في شهر ربيع الثاني عام 997 / مارس 1589 وذلك كرد فعل على المحادثات التي كان يجريها ملك المغرب مع ملكة انگلترا من أجل إبرام معاهدة تحالف ضد إسبانيا.

ونجهل ما كان يقوم به المترجم له من سنة 997 إلى سنة 1005 / 1589 - 1596 وكل ما نعرف عنه أنه عندما علم بأن الأمير الشيخ ابن المتوكل قرر اعتناق الدين المسيحي، قام بمحاولة تسميمه في شهر رمضان عام 1001.

والغالب علي الظن أن المترجم له لم يشارك من قريب ولا من بعيد في الحركة التي قام بها الأمير الناصر ابن عبد الله الغالب عندما توجه إلى مليلية ومنها إلى بلاد الريف يطالب بعرش المغرب. وكان من أمره ما كان حيث تصدت له جيوش المنصور الذهبي وقتل بالقرب من فاس في شهر رمضان عام 1004 / ماي 1596.

ويبدو أنه في هذه السنة بالذات أراد عبد الكريم ابن تودة أن يتوجه إلى تركيا فعلم العاهل المغربي بذلك وكتب

إلى ملك إسبانيا بتاريخ 28 ربيع الأول عام 1005 / 19 نوفمبر 1596 يطلب منه عدم السماح له بمغادرة التراب الإسباني والتوجه إلى تركيا. وقد لبى العاهل الإسباني طلب السلطان وأخبره بذلك برسالة مؤرخة في 28 شعبان 1005 / 16 أبريل 1597.

وظل المترجم له بإسبانيا إلى أن مات الملك فيليبي الثاني وخلفه الملك فيليبي الثالث الذي أذن للمترجم له بالعودة إلى المغرب وحمّله رسالة موجهة إلى أحمد المنصور بتاريخ 19 جمادى الثانية 1007 / 17 يناير 1599 يوصيه فيها خيراً بحاملها القائد ابن تودة.

وفي شهر رجب من السنة المذكورة (فبراير) ركب ابن تودة البحر من جبل طارق متوجها إلى تطوان ومنها التحق بالسلطان في مراكش. وتقول المصادر الإسبانية إن أحمد المنصور الذهبي رحب بالمترجم له وجعله من المقربين إليه إلى أن توفي بمراكش في شهر ربيع الأول عام 1010 / سبتمبر 1601.

وأخيراً يجب أن نشير إلى أن عبد الكريم ابن تودة هو من بين الشخصيات الرئيسية في المسرحية التي ألفها الكاتب المسرحي الإسباني الشهير لوبي ذي فيكا تحت عنوان *La tragedia del Rey don Sebastian* *مأساة الملك* دون سيباستيان كما أنه هو الشخص الذي اعتمد عليه المؤرخ البرتغالي الراهب بيرناردو دا كروث في وضع كتابه: *Chronica de El Rei Dom Sebastiao* *وقائع الملك* دون سيباستيان الذي لم ينشر إلا في سنة 1837 بلشبونة.

م. الإفراني، *نزهة الحادي*، ص. 49 و55 و100 و101 ؛ *رسالة السلطان المنصور إلى فيليبي الثاني*، بتاريخ 19 نوفمبر 1596 (الأرشيف العام بسيمانكاس، ملف 179) ؛ *رسالة السلطان المنصور إلى فيليبي الثاني*، بتاريخ منتصف ربيع لأول 995 (نفس الأرشيف والملف) ؛ *رسالة السلطان المتوكل إلى فيليبي الثاني*، بتاريخ 10 رمضان 985 ؛ *S. I. H. M* إسبانيا، الجزء الثالث صفحة 444-446 ؛ كريم عبد الكريم، *المغرب في عهد الدولة السعدية*، الدار البيضاء، 1977 صفحة 195.

Agrippa d'Aubignée, *Histoire universelle depuis l'an 1601*, Paris, 1886 - 1897 (*S.I.H.M.* France t. I, p. 628 - 648, Paris, 1905), Biblioteca Nacional de Madrid (ms. n° 7453) : Dario Cabanels, *El caid marroquí Ibn Tuda refugiado en la España de Felipe II*, Miscelanea de Estudios Arabes y Hebraicas, Granada, 1963 - 1964, vol. XII - XIII, fas. 1, pag. 75 - 88 ; *Carta del gobernador de Tanger al Rey Don Sebastian, 30 septiembre 1564* (ms. Biblioteca Nacional de Madrid n° 2422 folio 15 - 20) ; *Carta del mismo gobernador al mismo Rey, 10 febrero 1565* (ms. de la misma Biblioteca n° 2422 folio 11 - 14) ; *Carta de Juan Silva a Felipe II, Lisboa 17 julio 1577* (Archivo General Simancas, Estado, leg. 394 f. 266 = *S.I.H.M.* España t. III, pag. 320 - 323) ; *Carta del caid Abd al-KariM a Don Sebastian, 5 enero 1578* (Ar. G. Simancas Estado 395 = *S.I.H.M.* España t. III, pag. 376 - 377) ; *Carta de Cristobal Moura a Felipe II, Lisboa 10 diciembre 1578* (colección de documentos inéditos para la historia de España, Madrid, t. 40, pag. 208) ; *Carta del Duque de Alba a Felipe II, 30 agosto 1580* (colección citada t. 32, pag. 493) ; *Carta del Duque de Medinasidonia a Felipe II, 14 febrero 1597* (Archivo General Simancas, leg. 179) ; *Cedula de Felipe II, Lisboa 30 octubre 1581* (*S.I.H.M.* Angleterre t. I, p. 392 - 2) ; Fr. Cruz Bernardo, *Chronica de El-Rei Don Sebastian*, Lisboa, 1837 y 1903 ; Jeronimo de Franchi Connestaggio, *L'Union du royaume de Portugal à la Couronne de Castille*, Paris, 1680 (*S.I.H.M. France*, t. I, Paris 1905, pag. 506 - 574) ; Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada que el Rey don Sebastian hizo en Berberia el año 1578*, Madrid, 1929 ; Jaime Oliver Asin, *Vida de Felipe de Africa, principe de Fez y de Marruecos*, Madrid - Granada, 1955, pag. 47, 56 a 60, 60 a 77 ; Jose Pereira Baiao, *Portugal cuidadoso e lastimado com a vida e perdida do senhor Rei Dom Sebastiao*, Lisboa, 1737 (Bib. Nacional Madrid, ms. 205-4-B) ; J.M. de Queiroz Velloso, *Dom Sebastiao 1554 - 1578*, Lisboa 1935, trad. española de Ramon Garciasol, Madrid, 1943, pag. 189, 190, 193, 194, 229, 238, 239, 273, 298 ; Fr. Manuel dos Santos, *Historia Sebastica*, Lisboa, 1735, Libro II cap. XXVI ; *S.I.H.M.*, Portugal, t. V (1552 - 1580), Paris, 1953 ; *S.I.H.M.*, France, t. I, pag. 346, Paris 1905 ; Lope de Vega, *Tragedia del Rey Don Sebastian*, Madrid, 1618 y 1898.

محمد ابن عزوز حكيم

**ابن تودة، عزوز** بن رحُّو، قائد في عهد محمد المتوكل السعدي وهو أخو القائد عبد الكريم بن تودة وخليفته في قيادة الناحية الشمالية الغربية من المملكة، شارك في معركة الركن بجانب المتوكل الذي بعثه إلى لشبونة حيث اتصل بالملك البرتغالي دون سيباستيان Don Sebastian وتذاكر معه في أمر المساعدة للسلطان ضد عمه عبد الملك الغازي في سبيل الله، وأسفرت المذاكرات عن تسليم مدينة أصيلا لحاكم طنجة، وتم ذلك في شهر ربيع الثاني عام 985 / يوليوز 1577 ؛ وقد شارك عزوز في معركة وادي المخازن، ثم لجأ إلى لشبونة وظل بها عدة سنوات إلى أن عاد إلى المغرب صحبة أخيه عبد الكريم.

Bernardo da Cruz, *Chronica de El Rei Don Sebastian*, Lisboa, 1837, cap. 41.

محمد ابن عزوز حكيم

**ابن تودة، علي** بن رحّو، قائد عسكري في عهد السلطان عبد الله الغالب السعدي. يقول عنه الإفراني : إنه "دخل البريجة التي بثغر أزمور وأخذ أسوارها وعزم أن يستأصل في الغد بقيتها ولا يُبقى للكفر بها أثراً. فكتب له السلطان مولاي عبد الله ينهاه عن ذلك، فتراجع النصارى إليها بعد أن ركبوا البحر عازمين على الجلاء عنها". ويتعلق الأمر بالحصار الذي ضربه المغاربة على مدينة مازاگان (الجديدة) سنة 969 / 1562.

وتتفق رواية الإفراني مع ما جاء في المصادر البرتغالية والإسبانية، في حين نجد الناصري يقول : إن القائد الذي حاصر الجديدة هو عبد الرحمن بن تودة العمراني (*الاستقصا*، 5 : 42).

م. الإفراني، *نزهة الحادي*، 49 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 42.

*Archivo de la Torre de Tombo*, Lisboa ; Berbardo de Cruz, *Cronica del Rey Dom Sebastian*, Lisboa, 1837

محمد ابن عزوز حكيم

**تودما**، قرية في قبيلة أيت صواب بالأطلس الصغير. ينسب إليها عدد من الفقهاء والصلحاء، منهم :

**التودماوي، موسى** بن أحمد الصوابي، أستاذ متمكن في القراءات منقطع لتلقينها في حاضرة السعديين الأولى مدينة المحمدية (تارودانت). قال عنه الإفراني في *الصفوة* "كان أستاذاً محققاً حريصاً على تعليم الناس خيراً ديناً وورعاً". ومن بين الآخذين عنه الأمراء أبناء محمد المهدي الشيخ، لذلك حين ولي أحمد المنصور الذهبي الخلافة ووفد موسى التودماوي عليه قام له وأجلسه إلى جانبه

وأكرمه رعياً لأستاذيته وكونه من أول شيوخه في الكتّاب. وتذكر كتب التراجم أنه "كساه وأجرى عليه جراية حياته".

ومن الطلبة المتأخرين الذين أخذوا عن موسى التودماوي عبد الرحمان التامنارتي الذي ترجم له في *الفوائد الجمة* وأثنى على كفايته وتفانيه في تعليم المبتدئين والشادين قائلا : "جئته أول دخولي مدينة تارودانت سنة إحدى وتسعين أو التي تليها (991 ـ 992 هـ) وأنا ذو ذؤابة لأقرأ عليه لوحي في مورد الظمآن، فأبطأ معي فيها حتى ارتفع النهار...".

توفي عام 1003 / 94 ـ 1595.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط، 51 ؛ م. الافراني، *صفوة*، 130 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 509 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 410.

محمد حجي

## التوراة ← التلمود

**توربو** أو تَـرْس، جنس أسماك بحرية مسطحة من فصيلة المفلطحات سكوفتالميدي (Scophthatmidae) ومن الأسماك العظمية (Osteichtyens). يتميز بعدة أوصاف : فالجسم مضغوط جانبيا والعينان موجودتان على الجانب الأيسر فقط ويبقى الجانب الأيمن أعمى. الذنب دائري وخال من الشعاعات. يعرف في أسواق الأسماك المغربية تحت اسم توربو المأخوذ من الاسم الفرنسي Turbot. ويعرف أيضا بسمك الترس في الجنوب.

يعيش نوعان من هذا الجنس في البحار المحيطة بالمغرب :

الترس الكبير (Psetta maxima) وسابقا يسمى بالفرنسية Turbot وبالأنجليزية Scophthalmus maximus وبالإسبانية Rodaballo ويعرف في المغرب حسب النطق الدارج وحسب المناطق باسم توربو والقرعة والقويع ورودابالو في كل من طنجة والعرائش وتطوان والعيون وطرفاية. والترس في العيون وطرفاية.

يتميز هذا النوع بجسم شبه دائري سميك شيئا ما. الفم كبير ومنحرف. يحمل الفكان أسنانا صغيرة وحادة. تمتد الزعنفة الظهرية من أسفل العين العلوية إلى مقدمة الذنب وتتكون من 57 ـ 80 شعاعا. الزعنفة الذنبية دائرية وخالية من الشعاعات العظمية. الخط الجانبي واضح في كلا الجانبين ومقوس فوق الزعنفة الصدرية. الجسم خال من الحراشف وتكسوه شويكات عظمية دقيقة ومتعددة. يتغير لونه حسب الأماكن الموجودة فيها مما يساعده على التنكر. لونه في أسواق الأسماك رمادي بني جهة اليسار وأبيض مصفر جهة اليمين. لا يتعدى طوله المتر الواحد. يفضل العيش في أعماق لا تتعدى مائة متر وخاصة منها الرملية والصخرية، ويرتبط هذا بتغذيته المكونة من الأسماك الصغيرة ومن الإربيان والقشريات الأخرى الصغيرة ومن الديدان التي تعيش في الرمال.

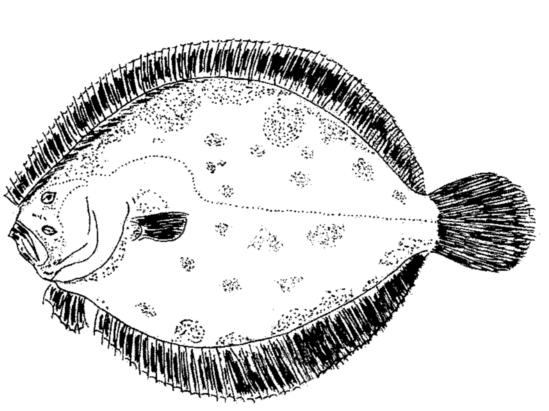

يلد الترس في فصل الربيع بين شهري مارس وأبريل ويصل سن البلوغ بعد ثلاث سنوات بالنسبة للذكر وما بين أربع وخمس سنوات بالنسبة للإناث. يعمر الذكر سبع عشرة سنة والأنثى سبعاً وعشرين سنة. شائع في البحار المغربية والأوربية وفي البحر المتوسط. يتم صيده بواسطة الشباك المختلفة الأحجام وبواسطة الصنانير. متوفر باستمرار في الأسواق المغربية الكبرى. ويصدر معظمه للخارج. يأكل طريا ولحمه لذيذ. يبلغ محصول الصيد السنوي في العالم لهذا النوع ستة آلاف طن. نظراً لكثرة الاقبال عليه يحتمل متسقبليا أن تبدأ تربيته في إحدى الجهات من البحر المتوسط ليرتفع إنتاجه.

يدعى النوع الثاني علميا Scophthalmus rhombus جسمه بيضوي الشكل وفمه شديد الانحراف. تتكون الزعنفة الذنبية من ستة وخمسين إلى اثنين وستين شعاعا وشكلها دائري. تتكون الزعنفة الظهرية من ثلاثة وسبعين إلى ثلاثة وثمانين شعاعا. يتكون الخط الجانبي من 115 ـ 125 حرشفة. تكسو الجسم حراشف صغيرة ودائرية، لونه في الأسواق رمادي بني ملطخ ببزاقع دائرية تارة بيضاء وتارة سوداء. لا يتعدى طوله 75 سم وشائع ما بين 20 ـ 4 سم. يعيش في الأعماق الصخرية والرملية التي لا تتعدى 125 متراً من العمق. يتوالد في شهر فبراير ومارس ويصير بالغاً بعد ثلاث سنوات ويعمر ما بين 17 و25 سنة. يتغذى من الأسماك الصغيرة والافقريات الصغرى. صيده تقليدي في شمال المغرب ومتوفر باستمرار في الأسواق المغربية.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

W. Fischer et M. Schneider, *Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche, Méditterranée et Mer Noire, zone de pêche* 37, volume II, *Vertébrés*, Rome, 1984 et 1987 ; J.R. Schouten et M. Ramdani, *Fish of the Khnifiss laggon and the Tarfaya coast*, Rabat, 1988 ; G. Bianchi, *Guide des ressources halieutiques de l'Atlantique marocain.*

محمد رمضاني

**توربيس** (Turbice)، مدينة مغربية قديمة ذكرها جغرافي رافينا (Géographe de Ravenne) (عاش في القرن 9 م ونقل عن مصدر يعود للقرن السابع الميلادي) ضمن المراكز القريبة من مدينة طنجيس (طنجة الحالية) وهي حسب نفس المصدر تُروى من مياه نهر توربولينتا (Turbulenta)، بمعنى "النهر الصاخب". فأي أنهار شمال

المغرب كانت تنطبق عليه هذه المواصفات ؟ كل ما نعرفه، باعتمادنا على المصدر ذاته بأن هذا النهر كان يحمل كذلك اسم داڤينا (Davina).

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.

البضاوية بلكامل

**تورديسياس** (Tordesillas)، مدينة تقع بمقاطعة بلاد الوليد Valladolid الإسبانية، وقّعت بها المعاهدة البرتغالية الإسبانية الثانية من أجل المغرب الذي كانت البرتغال من جهة، وقشتالة من جهة أخرى، تدعيان أن لهما وحدهما "الحق" في "فتح" المغرب وضمه إلى ممتلكاتهما وتنصير سكانه ؛ وكانت البرتغال قد تمكنت من الاستيلاء على مدنية سبتة سنة 818 / 1415، وبذلك أصبحت تدعي أن لها الأسبقية في "فتح المغرب". وقد وافقها على ذلك البابا أوخينيو الرابع (Eugenio IV) بمقتضى صكه المؤرخ في 5 يناير 1443 ؛ هذا الصك الذي أقره البابا "نيكولاس الخامس" (Nicolas V) يوم 8 يناير 1455 والبابا "كاليكسطو الثالث" (Calixto III) يوم 13 مارس 1456.

وحيث إن قشتالة كانت تدعي من جهتها أن لها "حق الأسبقية" في "فتح" الجزر الخالدات، فلم تبق مكتوفة الأيدي أمام "الفتوحات" التي كانت تحرز عليها البرتغال بأرض المغرب حيث تمكنت من احتلال القصر الصغير سنة 1458 ومدينتي أصيلا وطنجة سنة 1471، الأمر الذي أدى إلى نشوب حرب بين قشتالة والبرتغال.

وتدخل البابا سيكسطو الرابع (Sixto IV) وفرض على المملكتين الدخول في مفاوضات لحل النزاع القائم بينهما، وانتهت المفارضات بإبرام معاهدة ألْكاثوباس (Alcazobas) ليوم 4 سبتمبر 1479 والتي أصبح بمقتضاها الحق لقشتالة في "فتح" الجزر الخالدات وانفردت البرتغال "بحقها في فتح المغرب" ؛ وقد وافق البابا على المعاهدة المذكورة حسب صكه المؤرخ في 9 يونيو 1481.

وما أن تمكنت قشتالة من بسط نفوذها على جميع جزر الخالدات حتى بدأت تطالب بحقها في جزء من التراب المغربي مدعية أن معاهدة الكاثوباس قد فرضت عليها بالقوة.

ومرة أخرى تدخل البابا في النزاع الجديد وفرض على الطرفين الدخول في مفاوضات انتهت بعقد معاهدة "تورديسياس" ليوم 7 يونيو 1494 والتي بمقتضاها اعترف الملك البرتغالي خوان الثاني Juan II بحق قشتالة في "فتح" مدينتي مليلية وغساسة والاحتفاظ ببرج سانطاكروث ذي مارْبيكينْيا (Santa Cruz de Mar Pequeña) الواقع بناحية وادي نون المغربية.

وقد صادقت ملكة قشتالة إيسابيل الكاثوليكية (Isabel la Católica) على المعاهدة يوم 2 يوليوز من نفس السنة كما صادق عليها العاهل البرتغالي يوم 5 شتمبر.

والجدير بالذكر أن هذه المعاهدة الثانية بخصوص اقتسام المغرب بين البرتغال وقشتالة لم تكن هي الأخيرة، لأن قشتالة التي لم تحترم معاهدة الكاثوباس سنة 1479 لم يكن في نيتها احترام معاهدة تورديسياس سنة 1494، فكانت معاهدة ثالثة أبرمت بمدنية "سينطرا" يوم 18 سبتمر 1509.

Elenterio Fernandez, *Historia de Tordesillas*, Valladolid, 1914 ; Rumen de Arueg, *España en Africa Atlantica*, Madrid, 1957 ; *Espana Calpe*, t. 62, p. 957.

محمد ابن غزوز حكيم

**تُوْرزِين**، نعال خفيفة معروفة في جنوب المغرب، وخاصة في منطقة سوس، تستعمل عندما يريد الإنسان أن يقطع مسافة طويلة مشياً على الأقدام. وتتكون هذه النعال من قطعة جلد متينة تسمى تَمْسلْتْ يضع عليها الإنسان أخمص قدمه. وتُلصق بها خيوط من صوف يُدخلها الراجل بين إبهامه والأصبع الذي يليه، ويربطها على ظهر قدمه. والجدير بالملاحظة أن مثل هذه النعال الخفيفة معروفة في أماكن أخرى وباسماء مختلفة : إبُوركُسْنْ (دادس، وأيت بُوولْي)، إحْركْسْ (إنْفضْواكْ)، أرْشَّاصْنْ (أيت ورايـن). وبصفة عامة فمختلف هذه النعال منها ما هو بسيط (قليل الخيوط) وما هو معقد (كثير الخيوط).

تحريات ميدانية.

E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Rabat, 1983, p. 131 - 132.

محمد حمام

**توركوز**، قبيلة صحراوية تنص مشجراتها على أن جدها وجّد أيد إگزمبو هو عبد الرحمان الركّاز سليل عقبة ابن نافع (W. Cheikh, 19 - 53). ونلاحظ بأن أولاد سيد أحمد الذين يمثلون إحدى أهم الفصائل التوركوزية ينفردون بمقولة تجعل من الشيخ الإمام الحضرمي المرادي قاضي أبي بكر بن عمر اللتموني المرابط على أزوگي خلال القرن الخامس (11 م) جدهم الاسمي (W.O. Cheikh et B. Saison, *Vie(s)*, 60 note 43). فنستنتج بذلك تضارباً والتباسا يؤكده بما لا يدع مجالا للشك P.F. de Moraes Farias (*The Almoravids*, 856). وقد أظهرت التحريات الميدانية أن باقي فصائل توركوز أهل بركة وأهل عبد الرزاق والغواريب وأولاد تيگي يفصلون بين النسب كتصور ديني ونظامهم القرابي كحقيقة قائمة. وهي مسألة تقتضي مساءلة دورهم الاجتماعي كأهل علم وحملة كتاب يمارسون الانتجاع. نجدهم عبر القرون متنقلين بين الفصائل القبلية متميزين بمقدرة علمية تؤهلهم للتأثير في مجال التنافس خاصة بين تكجانت وأولاد بو السبع وكنتة. إن الأحداث الكبرى من صراعات بين الزوايا وحسان يمكن أن نعتبرها مراحل لم تحل دون توركوز وتطوير أساليب تعايشهم شمال وجنوب الصحراء. فبقدر ما نجد شمس الدين الديماني الذي ترأس حرب شربـبّه التباري بين الزوايا وحسان خلال القرن الحادي عشر (17 م) يحرص على انتقال توركوز إلى سهلي آمدير الواقعين بين شنقيطي وأطار (H.T. Norris, *Saharan Myth*, 148)، نجد عوينة توركوز بمنطقة باني الأطلس الصغير تجسد قدرة هذه القبيلة على التساكن مع قبيلة أيت أوسا التكنية (انظر مادة أيت أوسا بالمعلمة). لقد تمكنت

كل فصيلة من فصائل توركوز من التعايش مع قبائل الضفتين كاشفة بذلك عن ميكانيزمات ومسالك لدرء خطر التفكك عن كيانها. وقد تمثلت المقدرة التحالفية لتوركوز ببلاد تكنة في التسرب إلى وعرون أغنى منطقة خلال القرن الماضي بوادي نون لتحظى هناك بحماية امبارك "التريكزي" (انظر مادة أهل التريكزي بالمعلمة). وقد تمثلت محاولات هذه القبيلة لاتقاء مخاطر أزمات نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن بالمغرب في الهجرة إلى الموانئ والمناطق الصناعية. وقد عملت الجماعات التوركوزية على تعزيز مكانتها وقدرات بعض عائلاتها المتميزة بالمدن التي أصبحت اليوم تمثل جزءاً من سكانها.

م. الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، 381 ـ 396 ؛

م. المختار السوسي، المعسول، 18 : 159.

A. Ould Cheikh, *Eléments d'Histoire de la Mauritanie*, CCF, Nouakchott, 1988 ; Id. et B. Saison, *Vie (s) et mort (s) de Al Imam Al-Hadrami, autour de la postérité saharienne du mouvement almoravide (11ème - 17ème S)* ; *Arabica*, XXXIV, 1987, 48 - 79 ; P.F. Moraes Farias, *The Almoravids : Some questions concerning the character of the mouvement during its periods of closest contact with the Western Sudan*, *B.I.F.A.N.*, XXIX, 13, n° 3 - 4, 1967, 794 - 878 ; H.T. Norris, *Saharan Myth and Saga*, 148.

مصطفى ناعمي

* * وهناك واحة توركوز، وهي صغيرة بها مركز إداري بإقليم أسّا ـ الزاگ، جنوب جبل تييوت، في منطقة يغلب عليها المناخ الصحراوي الجاف. وقد كانت قبل عام 1975، محطة للأرصاد الجوية والأبحاث البيولوجية، تابعة لكلية العلوم بالرباط. لا يخلو موقعها الجغرافي من أهمية استراتيجية لأنها جاءت في الطريق الوطنية الثانوية الرابطة بين أسا وطانطان. أهاليها يشكلون قبيلة توركوز المتفرعة عن المجموعة القبلية المسماة تكنة.

*أنشطة البحث بكلية العلوم*، (غير مطبوع).

أحمد بنجلون

**تورماليت** (أو الحجر الكهربائي). سيليكات معقد من البورق (B) وسلسلة من عناصر أخرى كالصوديوم (Na)، والألومينيوم (Al) والحديد (Fe)، والمنغنيسيوم (Mn) والكلسيوم (Ca)، حيث ينعكس هذا على تركيبتها الكيميائية الجد متنوعة :

$Al_6 Y_3 Na [(Si_6, O_{18}) (BO_3)_3 (OH, F)_4]$ ، ويمكن أن تكون Y منغنيزاً (Mg) أو حديداً ومغنيسيوم (Fe, Mn) أو ليتيوم وألومينيوم (Li, Al) ؛ نظامها البلوري موشوري سداسي، شكل بلوراتها موشوري أو إبري. كثافتها 3 ـ 3,3 ؛ صلابتها 7 ـ 7,5، ألوانها متنوعة وتترجم تركيبتها الكيميائية المختلفة، ومن أهمها سكورليت (Y = Fe, Mn) ولونها أسود، ودرافيت (Y = Mg) ولونها أسمر إلى أخضر، والألبئيت (Y = Li, Al) ولونها أزرق ثم الروبليت (Y = Li, Al) ولونها وردي. لمعانها زجاجي.

تعد التورمالين من بين المعادن غير الأساسية التي كثيراً ما تجتمع إلى الأباتيت، والأرتوز، والمرو، والبريل والزبوجد، بالصخور الصهارية والتحولية. فنجد مثلاً سكورليت مرتبطة بالاعبل، والبجماتيت، والاركزة المروية، والنضيد الميكائي، والغنايس ؛ أما درافيت فتجدها في الصخور الكلسية، والدولومي، والنضيد المتحول ونشير إلى أن الصخور التي تتكون في أغلبها بالتورمالين تسمى التورمالينيت.

نجد التورمالين بالمغرب مرتبطة بالصخور الصهارية وعلى الخصوص الجرانيت والبجماتيت، والاركزة المروية الحرمائية، والنضيد التحولي، والصخور الرسوبية.

تعتبر التورمالين أحد أهم معادن التورّق، حيث يستعمل هذا الأخير في الصناعات المعدنية والصيدلة وصناعة الزجاج وصناعة الجلد، والنسيج، والحكاك، والحفّار، والمتفجرات، وصناعة الألوان.

**توريوم**، رمزه الكيمائي Th، وزنه الذري 232,12، وثقله النوعي 12,1. من أهم معادن التوريوم التوريت والتوريانيت والمونازيت.

1 ـ التوريت : هي سيليكات التوريوم $Th\,SiO_4$ مركبة من $ThO_2$ = 81,42٪ و$SiO_2$ = 18,58٪، وتشتمل على عناصر دخيلة كالأورانيوم (U)، والرصاص (Pb)، والحديد (Fe)، والكالسيوم (Ca)، والفوسفاط (P)، والألومينيوم (Al)، والتيتان (Ti). نظامها البلوي تربيعي ؛ بلوراتها على شكل أهوام ومواشير. ثقلها 4,4 ـ 4,7 ؛ صلابتها 4,5 ـ 5 ؛ لونها أسمر أصفر إلى أسمر قان، ليموني وأحيانا أسود ؛ لمعانها زجاجي إلى زيتي.

توجد التوريت في الصخور الصهارية كالسيانيت والبجماتيت، أو مُتموهة وممتزجة بثاني أوكسيد الأورانيوم ($UO_2$) وثاني أوكسيد الرصاص ($PbO_2$) في العزين.

2 ـ التوريانيت : هي أوكسيد التوريوم $ThO_2$، مركبة أساساً من $ThO_2$ = 100٪، وتشتمل أحياناً على عناصر دخيلة قارة كأوكسيد الأورانيوم ($UO_2$، $UO_3$، و$U_3O_8$) الذي يجعل من التوريانيت بلورات قوية الإشعاع. نظامها البلوي تكعيبي ؛ وشكل بلوراتها سداسي. كثافتها 10 ؛ صلابتها 6 ؛ لونها أسمر إلى أسود ؛ لمعانها شبه معدني.

مكمنها الأولي في كثير من صخور البجماتيت والكاربوناتيت، وفي بعض الرمال حيث نجدها مجتمعة إلى البلورات ذات كثافة عالية، كالزركون والجيكليت، والتوريت، والمونازيت.

3 ـ المونازيت هي : فوسفاط السريوم واللنتانوم والتوريوم $(Ce, La, Th)\,PO_4$ ؛ نظامها البلوي أحادي الميل؛ كثافتها 4,9 ـ 8,3 ؛ صلابتها 5 ـ 5,5 ؛ لونها أسمر إلى أسمر بنفسجي ؛ لمعانها زجاجي أو صَمغي.

تعد المونازيت من بين البلورات الثانوية لصخور الأعابيل المشتملة على الميكا السوداء (ليوتيت)، والبجماتيتات المرتبطة بها وكذلك بصخور الشارتوكيت حيث توجد المونازيت الغنية بالتوريوم بكثرة.

يستعمل التوريوم لتسيير المُفَاعلات النوية، وصنع

الاقواس الكهربائية، والخلايا الكهربائي ضوئية لأشعة ما فرق البنفسجية (U.V.)، وصنع أسلاك التنكستين الضوئية.

نجد التوريوم بالمغرب مجتمعا إلى الترابة النادرة في الرمال التابعة للاكادي بالأطلس الصغير، وكذلك في صخور الكربوناتيت المرتبطة لصخور السيانيت في تمازيوت بالأطلس الكبير (ميدلت).

عبد القادر بوصحابة

**التُّوزاني**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني توزين الكرتية حيث كانت تعرف بأولاد الباز، غير أنها عندما انتقلت إلى تطوان صارت تعرف بالتوزاني، وهي نسبة شائعة على غير قياس، والقياس التوزيني وهو قليل كما سياتي. وكان من بين أفرادها بتطوان الفقيه محمد بن عبد الصمد التوزاني الذي كان يتعاطى خطة العدالة بالمدينة سنة 1305 / 1888، والفقيه أحمد بن حمو التوزاني الذي كان هو الآخر يزاول نفس المهنة سنة 1315 / 1897.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuaníes* ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

**التوزاني، الحسين** بن أحمد، المعروف بـ"تْرِينْت"، فقيه تخرج من مدرسة زاوية إيگرموآس الشهيرة ببني توزين منذ العصر المريني (إيْرموآس : *المعلمة*، 3 : 926). توصل بتعيينه قاضياً على بني توزين، وعلى فرقته بني بلعيز خاصة بتاريخ 5 رمضان عام 1292 /5 أكتوبر 1875. وهو جد الأسرة التي مازالت بالمكان والفرقة، معروفة بآل تْرِينْت، بجوار بني محسن وإخمّالاً، جماعة إيگرموآس.

*وثائق خ. ح. بالرباط* ؛ *كناش خ. ح. بالرباط* رقم 682 / 79 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 92 ؛ خريطة طبوغرافية 1935.

**التوزاني، حميدو** (حميدة أيضاً) من جماعة بني ملّول على ما يظهر، فهي الجماعة الوحيدة التي ظلت متمسكة بحكمه طيلة مدة قيادته. ومن أوائل قواد بني توزين على عهد الحسن الأول، دلنا على ذلك اتساع نفوذه قبل التقليص الذي تعرض له في أوائل شوال عام 1301 / يوليوز 1884. نعرف الإطار الجغرافي لقيادته بناء على ما جاء في مراسلته بتاريخ 23 رمضان 1301 :

1) نصف فرقة إغَرْبِيَّنْ : مداشر هذه الفرقة ممتدة من حدود فرقة بني بَلْعيز بجهة إيگرمَوآس في اتجاه جنوبي شرقي عبر مساحة جَبلية (طلعة تمَرْزوگة 1.286 م ـ أزرو أمَحْلي 1.387 م ـ أدْرارْ الرّواضي 1.324 م). ويدعى سكان تلك الجهات من الفرقة بإغَرْبِيَن الجبل. ولانعرف ممن هم داخلون تحت حكم حميدو سوى أولاد القاسم المستقرين بجوار جدهم سيدي بلقاسم بطلعة بوِيَنْدُوزْ. منهم أهل إمسارْ. وانضاف إليهم بني بويري الجبل وإمَدِّيُون الجبل لوجود إخوان لهم بإغرْبِيّن الوطا.

ويستمر توزيع سكان فرقة إغْربيِّن بانتشارهم على سفح جبل بني توزين أو الدير، حيث بني بويري الوطا إلي عزيب مضار ومجرى واد ملّول، مما هو داخل في إغربيِّن الوطا. وإذا علمنا أن فرقة إغربيِّن كانت مؤلفة من ثمان جماعات في أواسط شعبان عام 1309، فإن أربعاً منها كانت تحت نفوذ حميدو التوزاني، أغلبها في تجمعات أهل الدير أو الوطا.

2) قبائل الدير الشرقي من جبل تسافت، وتتكون من :

ـ أولاد إبراهيم بن علاّ (عليّ) : جماعة مستقرة على السفح الجنوبي من جبل عليّ أ ُبراهيم المشرف على منخفض تافرسيت (504 م)، منها إبَرْداعَنْ وتَرَمْزيتْ.

ـ بني ملُّول : مستقرون بين بني بويري الدير وبني تعبان، من تجمعاتها أيت بولَبْضايَع. ولم تشر وثيقة 23 رمضان 1301 إلى بني بويري المستقرين بين جماعتي أولاد إبراهيم بن علاّ وبني ملّول.

ـ بني تعبان وبني عزيمان : مستوطنون بآخر الدير مما يلي الجنوب، مجاورون هناك لبني ملّون. تكونت الفرقة عام 1309 من خمس جماعات، أهمها بني عزِّيمان.

وهناك أيضاً أولاد العلاّم الذين لا أثر لهم في التقسيم الإداري الحالي، مما جعل علينا توطينهم مستعصياً.

3) ثلث بني بلعيز : اسم الفرقة الكامل أيت حسن بن بلعيز، مداشرها موزعة على أعالي واد تمسمان (واد مقران). من أهم مراكزها إيگرموآس. كان من نصيب حميدو الثلث من جماعاتها التي عدت سنة 1309 بست جماعات. ويعني هذا أن اثنتين منها كانت تحت نظره، لكننا لا نستطيع معرفة أسمائها بما لدينا من الوثائق.

سيفقد القائد حميدو جميع ما كان بيده من الجماعات المستقرة بجبل بني توزين : بإغربيِّن الجبل، وببني بلعيز. وسيحتفظ فقط بالجماعات المستوطنة بالدير (أولاد إبراهيم ابن علاّ، بني ملّول، بني تعبان وبني عزِّيمان)، نتيجة سعي نقيب زاوية بوجدّين المختار بن محمد البوجدّيني سابق الترجمة إلى رد حكم جبل بني توزين لابن عمه محمد بن محمد أمغار التوزاني آتي الترجمة وهذا هو ما تم في آخر شوال عام 1301 (14 شوال ـ فاتح ذي القعدة 1301).

وسيزداد نطاق قيادة حميدو تقلصاً بسبب تحرشات آل بوجدّين الذين أصبحوا خصومه الأساسيين، وفي مقدمتهم محمد بن محمد أمغار الذي سيجلب إليه ما تبقى من إغربيّن الوطا وبني تعبان وبني عزّيمان. وفي آخر سنة 1301 أظهرت الوثائق أنه لم يبق بجانب حميدو سوى بني ملّول وأولاد إبراهيم بن علاّ (7. 11. 16 حجة 1301).

اختفت عنا أخبار التوزاني حميدو خلال عدة سنوات، ولم نعلم باستمراره في مهمته إلا في فاتح ربيع الأول عام 1306، بمناسبة عودة قسم من بني تعبان إليه فراراً من محمد بن محمد أمغار، لتتوارى عنا أخباره مرة أخيرة. ودل وجود بني ملّول تحت حكم أمغار عام 1309 / 1891 ؛ على أن

حميدو كان قد أبعد من السلك المخزني قبل ذلك. ونشير على سبيل الترجيح إلى تنحيته في آخر عام 1306، وهو التاريخ الذي عزل فيه الحسن الأول عدداً من قواد الريف (انظر البويفروري)، نتيجة إحجامهم عن المشاركة في حركة الغرب. وهذا مما حدث بالنسبة لجاره القائد محمد أمزيان التوزاني.

وثائق خ. ح. بالرباط ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 91-92 ؛ *خريطة طبوغرافية* عام 1935 ؛ *رواية شفوية*، 1975.

**التوزاني، سليمان** بن يحيى المعروف بابن ستّهم. من فرقة بني بلعيز، ومدشر بني محسن، الواقع ضمن التقسيم الإداري الحالي بجوار فرقتي صوف وأيت تْرِينْت، من جماعة إيكر مواس. لا نعرف أوّلياته، من تاريخ وَلادته ووفاته حسب سرد البادسي، إذ أنه لم يعاصره. كما لم يغن تتبع أخبار معاصريه، أمثال أخيه زكرياء، وعبد الكريم بن ورشون وبوشعبان البادسي في شيء. ومع ذلك نبادر إلى التقدير أن الشيخ سليمان كان حيا خلال العقد الأخير من القرن السابع الهجري (13م)، استناداً إلى أن البادسي الذي كان حيا سنة 722 / 1322 أدرك بعض أصحاب الشيخ ممن أفادوه بأخباره أثناء تجوله بالريف في أوائل القرن الموالي، وإلى ما سيتضح من مشاركته في حملات الجهاد بالأندلس.

لم يشر البادسي كذلك إلى المصدر الذي استقى منه الشيخ سليمان أصول صلاحه ومسلكه في التصوف، وما إذا كان من المتأثرين بحركة الشيخ التمسماني أبي داود، سابق الترجمة. وكلُّ ما عرّفنا به في هذا الباب أنه وفق في تأسيس زاوية بمدشره بني محسن، معروفة باسمه، للقيام بالوظائف المعهودة للزاوية.

كانت زاوية بني محسن مركزاً لتعليم الصبيان، رتب بها شيخها الطالب المعلم عبد الكريم بن ورشون، كما كان بابها مفتوحا في وجه الطلبة والإخوان والفقراء من مريديها بقبائل الريف الشرقي. وثبت اتصال الزاوية برابطة الجنّ المنسوبة إلى أبي يعقوب البادسي الكائنة آنذاك بمدينة بادس. ويظهر من جهة أخرى أن الزاوية وصاحبها كانا معروفين لدى أهل زوايا الجنوب الغربي المغربي. فهذا هو ما يفهم من ورود جماعة حجاج المصامدة عليه، بعد أن تقدم إليه الخبر بقدومها لزيارته.

وسجل لنا عبد الحق البادسي مشاركة الشيخ سليمان وزاويته في حركة الجهاد الأندلسية المعروفة على العهد المريني، حين أشار إلى وجوده بقصر المجاز (القصر الصغير) ضمن جماعة المجاهدين من بني توزين. ومعلوم أن هذه القبيلة كانت أكثر القبائل الريفية ارتباطاً ببني مرين منذ أول أمرهم، وكانت مرجعهم لتزويد حملاتهم ضد تلمسان وفي اتجاه الأندلس.

وإذا كان تاريخ تلك المشاركة قد حجبه عنا ما نجهله عن عصر صاحب الترجمة، فإننا نعود إلى تقدير أن الشيخ سليمان بن يحيى كان من المشاركين في إحدى الحملات الأربع التي قادها يعقوب المنصور المريني إلى الأندلس خلال سنوات 674 و676 و681 و683. ( *الاستقصا*، 3 : 39، 58). دون أن نرجح هذه أو تلك.

ومن تلك التواريخ نستطيع تقريب تاريخ وفاة الشيخ سليمان إلى أذهاننا. ويبدو أنه مات عن سن غير متأخرة، إذ أن منيته عجل بها الورم الذي أصابه في وجهه وعانى منه لمدة غير يسيرة. ونعود إلى جعل سنة 683 هـ. كنقطة للاسترشاد في معرفة نهاية حياة شيخ بني محسن سواء بالالتجاء إلى الزيادة أو النقصان. وتولى شؤون الزاوية بعده أخوه زكرياء.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 117 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 3 :39 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 92 ؛ *خريطة طبوغرافية* 1935.

حسن الفكيكي

**التوزاني، علي بن عبد الله** بن أحمد بن علي، صوفي صالح، حفيد صنو مؤسس الزاوية الناصرية بمدينة تازا. لقيه سليمان الحوات بفاس، فأخذ عنه ولقنه الورد الناصري. وذكر في *الروضة المقصودة* (ص. 385) "أنهم (أي آل التوزاني) باقون على المحافظة على السنة والقيام بالطريقة الناصرية".

وقد علا كعب المترجم في الطريقة الناصرية، وفشا أمره بين الخاص والعام ؛ فألف *رسالته في الطريقة الناصرية*. جاء ت هذه الرسالة على شكل وصية وجهها إلى مختلف أتباع الطريقة، يدعوهم إلى التمسك بطريقتهم الرامية إلى اتباع السنة وترك البدعة. ودعم كلامه بنصوص شرعية تحذر من التفرقة، وتدعو إلى الوحدة. وقد ألح على المحافظة على الصلوات في أوقاتها والإكثار من النوافل وتلاوة القرآن والاشتغال بالاذكار حسب الأوراد الناصرية المعلومة. وشدد على مجاهدة النفس والعزلة والزهد في الدنيا، وشكر النعم، واجتناب الحسد والطمع، وتحسين الظن بالله، كما لوّح إلى وجوب طاعة السلطان معضدا ذلك بأدلة وشواهد من الكتاب والسنة.

وفي القسم الأخير من الرسالة حذّر عليّ التوزاني من التردد في الانتساب، حيث ينبغي سلوك طريقة واحدة، ويدعو الفقراء إلى الابتعاد عن "الدجالين المحسوبين على الطريقة الناصرية". ملحاً على أخذ الإذن من أهل الطريقة، و"عدم الإحداث فيها مما ليس منها".

يتضح من هذه الرسالة أن المنتسبين إلى الطريقة الناصرية بدأوا يخرجون عن أصولها الأولى، ويرجع هذا إلى بداية الانحراف الذي أصاب الزاوية الأم بصفة عامة.

وفي شوال من عام 1212 / مارس - أبريل 1798، وفد عليّ التوزاني على السلطان المولى سليمان "فأعطاه خمسمائة ريال وخمسين شقة كتانا وأربعين طرفا من الملف، وأمره أن يبني داره بفاس" ( *الضعيف*، 303). وفي عام 1232 / 1807

وصل نفس السلطان زاوية علي بن عبد الله التوزاني بهدية لم يذكر صاحب *الاستقصا* مبلغها (8 : 132).

ولم نقف على تاريخ وفاته في المصادر التي رجعنا إليها. ولكنه مات بعد عام 1232 / 1807.

س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. عبد العزيز تيلاني ؛ علي بن عبد الله التوزاني نفسه، *رسالة في الطريقة الناصرية*، مخطوط خ. ع. الرباط، رابعة مجموع 2705 ك ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*.

أحمد عمالك

**التوزاني، علي** (الحاج ـ) بن **عيسى** بن ماخوخ، من صلحاء الريف الشرقي، مؤسس الزاوية المعروفة باسمه بجبل تسافت من قبيلة بني توزين. نعرف تفاصيل نسبه بما ورد في شجرة أولاد الحاج علي الماخوخي، المحفوظة بيد أحفاده، وبناء على ما أدلى به صاحب كتاب *التشوف الصغير* وما جاء في كتاب *أنساب العشماوي* وكتاب *زهرة الأخبار*، فهو علي بن عيسى (المكنّى أبا وكيل) بن موسى (المكنى ابن ماخوخ). وتوفي عيسى بواد زيز بعد أن خلف ولديه محمداً الذي بقي بموطن أبيه بينما فضل عليٌّ الهجرة، ليستقر في الأخير بقبيلة تمسمان من الريف الشرقي، تحت رعاية الشيخ محمد اليستيتني، مؤسس زاوية بجبل بني عيسى بن يحيى بمكان تازروت، فرقة الفوقي الحالية.

قصد علي بن عيسى تمسمان في شبابه لدوافع نجهلها، ولا يمكن أن نقول إن الهجرة تمت لغاية علمية، لأنه وصل إلى الزاوية أمياً، واكتفى في البداية بخدمتها، إلى أن أصبح أقرب خدام الشيخ محمد اليستيتني إليه، ثم أتاح له وجوده هناك تعلم الكتابة والقراءة والشروع في حفظ القرآن، ولم يتم حفظه إلا في كبره بشهادة زوجته المطالسية. والثابت أنه غادر الزاوية إثر وفاة شيخه، إذ أنه كان حاضراً حين لفظ اليستيتني أنفاسه الأخيرة في تاريخ نجهله نتيجة عدم اهتمام عبد الحق البادسي بتسجيل تواريخ من صادفهم من الطلبة والصلحاء. ونعلم من جهة أخرى أن القرار لم يستقر بعلي بن عيسى إلا بعد أوبته من الحج واتصاله بالشيخ يوسف الأقْصُري بمصر.

وإذا كنا لا نعلم تاريخ عودة علي التوزاني من المشرق وأسباب استقراره بجبل تاسفت، فإننا متأكدون من أنه كان في عام 685 / 1286 قد أسس زاويته، وأصبحت معروفة في أنحاء الريف الشرقي والغربي، تعج رحابها بالفقراء. وفي هذا التاريخ زار الحاج علي يحيى بن حسون البادسي، خال صاحب *المقصد الشريف*. ولم يتأخر عبد الحق البادسي عن زيارة الشيخ علي خلال السنة الموالية.

أسس الحاج علي زاوية بأعلى جبل تاسفت، على بقعة واقعة غرب قمة إسْرَاخْ (1327 م) مشرفة على واد عبد الكريم الحالي، مما يقابل قمة جبل قَشْ قَشْ. ومبناها جد بسيط، كان على عهده مؤلفاً من مسجد ومرافق أخرى متصلة به، أنشئت استجابة لوظيفة استقبال الزائرين، ثم أضيف إليها ضريح الشيخ علي. وخارج المبنى وبالقرب منه وجد مسكنه.

لم يسمح تكوين علي بن عيسى المتواضع في مجال التصوف بتميزه عن غيره من صلحاء عصره. فلم يخرج عن طريقة الإكثار من التعبد والصيام والزهد في الدنيا، إلى أن أصبح صاحب كرامات. وبقي على تلك الحال إلى حين وفاته قبل عام 711 / 1311 وهو التاريخ الذي أنهى فيه عبدالحق البادسي قسم التراجم الخاص بصلحاء الريف.

وقد حافظ أولاد الحاج علي على مكانة زاوية جدهم، وتكون حولها مدشر لا يزال يدعى أولاد الحاج علي المخوخيين. وتوجد بأيديهم شجرة نسب شرفهم، مؤرخة بعام 1245 / 1829 أصدرها في حقهم السلطان عبد الرحمن بن هشام، وعليها طابعه.

شجرة أولاد الحاج علي الماخوخي ؛ ع. الصومعي التادلي، *التشوف في رجال السادات أهل التصوف (التشوف الصغير)* ؛ أ. التلمساني، *زهرة الأخبار في كنز الأسرار* ؛ مجهول، *أنساب العشماوي*.

**التوزاني، محمد** بن **أحمد**، أحد أفراد أسرة بوجدّين ونقيبها بعد ابن عمه بوجدين المختار بن محمد، سابق الترجمة. كان في عام 1309 / 1891 قد قضى عدة شهور في نفس المهمة. ففي ذي القعدة من نفس السنة كان بفاس، ولكنه عاد سريعاً بمجرد علمه بتوجه المحلة إلى الريف، ليكون معيناً لها على استيفاء الواجبات المخزنية (26 ذي القعدة عام 1309). وبذلك عول عليه ابن عمه القائد محمد ابن محمد أمغار التوزاني سنة 1310 لمساعدته على جمع أداءات بني توزين، كما تبينه المراسلة التي تمت بينهما. (2 ربيع الثاني عام 1310). ولم نتوصل إلى معلومات عن صاحب الترجمة بعد ذلك التاريخ.

وثائق خ. ح. بالرباط ؛ *كناش خ. ح.* بالرباط، رقم 185.

**التوزاني، محمد أغاي**، حسبما سجلته الوثائق المخزنية، ربما من اللفظ التركي آغا. وحسب ما توصلنا إليه من الرواية الشفوية (علال لعبيش بمضار عام 1975)، فإن ضبط النطق باللقب هو غايْ. ينتمي صاحب الترجمة إلى إغَرْبيِّـن الوطا المستقرين حول عزيب مضار. ظهر أول مرة بمراسلة مؤرخة في 5 ذي الحجة عام 1313 / 1895. ففيها تبيّنت الطريقة التي توصل بها إلى تعيينه قائداً. إذ حمل إغربيِّـن الوطا، أهل مضار، وآل زاوية سيدي يحيى المرابطين، من إغربيّن الجبل، للتمرد على القائد محمد بن محمد أمغار، لأسباب غير ظاهرة. وتمكن من قيادة وفد ضم أعيان الجماعتين، زار به الحسن الأول، وعاد بظهير تعيينه، قبل وصول الشهادة السيئة التي حررها في حقه مولاي عرفة مبعوث السلطان المولى عبد العزيز للنظر في أحوال الريف.

وتعود أولى مراسلات محمد أغاي إلى فاتح ربيع الثاني عام 1314 / 9 شتنبر 1896، الدالة على أن تعيينه شمل أيضاً بني بويري، أهل الدّير الذين كانوا آنذاك في نزاع مع أهل تافرسيت على عهد قائدها عبد السلام بن سلام التافرسيتي، بتحريض من القائد محمد أمغار (11 رمضان 1314). وتورط محمد أغاي في نزاعه مع بني بويري، مما كان يريده له منافسه (9 رمضان 1315) ولم ينفع تدخل الحاج حمّ الوليشكي، خلف أمغار، مما تطلب لردهم للإذعان إلى الاستعانة بقوات تافرسيت وبني وليشك. وآخر ما نعلمه عن محمد أغاي ما حملته رسالة 29 محرم عام 1318 / 29 ماي 1900.

*وثائق خ. ح. بالرباط ؛ ضابط الأمور الوطنية*، 92 ؛ *رواية شفوية*، 1975 ؛ *خريطة طبوغرافية*، 1935.

**التوزاني، محمد أمزيان** بن حدو بن عمر. قائد من فرقة إغربيّن الوطا، تعرفنا عليه بواسطة مراسلته المؤرخة في 23 رمضان عام 1301، كان آنذاك قد قضى وقتاً في مهمته. وربما كان قبل شوال عام 1301 قائدا على نصف إغَرْبيّن وثلثي بني بلعيز مما تبقى عن القائد حميدو التوزاني السابق الذكر، إذ أننا نجده في نفس المراسلة يشتكي من المختار بوجدّين وتدخله فيما تحت نظره. وأخبرت مراسلة الحسن الأول المؤرخة في 16 ذي الحجة عام 1301 اقتصار نفوذه على أهل الدير إلى جانب جاره حميدو التوزاني، يفصل بينهما سوق خميس عزيب مضار.

ونعتقد أنه كان بيده جماعة بني بويري الوطا، إذ أنها لم ترد ضمن ما كان في حكم القائدين المعاصرين له، حميدو ومحمد بن أمغار. ولا ندري ما إذا كان له حظ في إغربيّن الوطا.

تقع جماعة بني بويري الوطا، تمييزاً لها عن بني بويري الذين بالجبل، على الدير الشرقي من جبل تاسفت، بين أولاد إبراهيم بن علاّ وبني ملّول الذين كانوا بيد القائد حميدو. تبدأ مساكن الجماعة من أدْرَارْ الرّواضي لتتوزع على مجريين هما : واد إسْرَنْ وواد تَعْمامْت المتصلين بواد ملّول. من مداشرها أيت وعْلاتَن وأولاد مْحَنْد أُفارِسْ وإِغْربَن (الغرباء).

اختفت عنا أخبار محمد أمزيان إلى غاية جمادى الثانية من عام 1306 / فبراير 1889، وهو التاريخ الذي أخبر فيه بتأهبه للمشاركة في حركة الغرب التي حتمت على قواد الريف كافة الحضور إلى فاس في أوائل شوال السنة. وأغلب الاعتقاد أن أمر العزل قد شمله أيضاً، سيما وأننا وجدنا أهل بني بويري سنة 1309 / 1891 بيد محمد بن محمد أمغار البوجدّيني.

*وثائق خ. ح ؛ ضابط الأمور الوطنية*، 91. 92 ؛ *خريطة طبوغرافية* 1935 ؛ *رواية شفوية* 1975.

**التوزاني، محمد بن علال**، فقيه ومرابط، نقيب أسرة مرابطي زاوية سيدي يحيى التوزانية الكائنة بفرقة بني بَلْعيز، مشيخة إغَربْيّن الجبل، بجوار إمدِّيوَن وبني بويري الجبل. تاريخ هذه الزاوية غير معروف لدينا. وحسب تقييد أواسط شعبان سنة 1309 / 1891، فإن جماعة أيت يحيى كانت مؤلفة من مدشرين، مما دل على قدم وجود الزاوية بالمكان.

ظهر صاحب الترجمة بالوثائق المخزنية في ثلاث مراسلات، حررت كلها في منتصف ربيع الثاني من عام 1307 / 1889، متعلقة بالشكاية التي قدمها نقيب الزاوية محمد بن علال إلى السلطان الحسن الأول من قائد العسكر محمد بن الفقيه البخاري، آنذاك ببني توزين في ضمن قوات المحلة المخزنية سنة 1307، وذلك إثر إقدامه على خرق حرمة الزاوية بإخراجه منها شخصين كانا محترمين بداخلها، بدل الترصد لهما خارج بنايتها، مثلما جرت العادة بذلك. وقد أعاد السلطان الاعتبار للمرابط محمد بن علال والحرمة لزاويته بتوبيخ القائد البخاري على فعله. (منتصف 15 و16 ربيع الثاني 1307).

*وثائق خ. ح. بالرباط ؛ كناش خ. ح. بالرباط*، 682 / 72 ؛ *خريطة طبوغرافية سنة* 1935 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

حسن الفكيكي

**التوزاني، مَحمد بن علي**. وقد نبه سليمان الحوات على هذه النسبة على غير قياس في *الروضة المقصودة* (381) بقوله : "حذفت الياء لالتقاء الساكنين، وفتحت الزاي لمناسبة الألف". وهذه النسبة بالألف هي الجارية على الألسنة، والقياس أن يقال التوزيني، نسبة لبني توزين، بالزاي بعد الواو. ويعرف رهط هذا الشيخ فيهم بأولاد المقري، وهو بيت قديم في العلم وتجويد القرآن والقيام على تلاوته مع الدين المتين.

أخذ محمد بن علي التوزاني عن الشيخ أحمد بن مَحمد ابن ناصر الدرعي، وكان من كبار أصحابه وأتباعه قولا وفعلا، حتى صار من كبار مقدَّميه في تلقين الأوراد. ويذكر نفس المصدر أنه كان : "متمسكا بالسنة مجانبا للبدعة، كثير الصلاة والتلاوة". (م. س. ن. : 382).

ومن المرجح أن محمداً التوزاني هو الذي نقل الطريقة الناصرية إلى تازا، وهو مؤسس الزاوية هنالك.

توفي سنة 1151 / 1739 بمدينة تازا، وضريحه بها معلوم. وبعد وفاته عهد بالخلافة إلى ابن أخيه الشيخ عبد الله بن أحمد بن علي التوزاني المتوفى سنة 1164 / 1751. وإثر وفاة هذا الأخير قام مقامه ولده الشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي المتوفى سنة 1193 / 1780، ثم عهد هذا الأخير لأخيه علي بن عبد الله بن أحمد بن علي التوزاني (م. س. ن. : 385).

س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. عبد العزيز تيلاني، رسالة د. د. ع. مرقونة.

أحمد عمالك

**التوزاني، محمد بن محمد أمغار**، ولاه الحسن الأول القيادة بمساعدة ابن عمه بوجدّين المختار بن محمد مقدم زاوية بوجدّين على جماعات من بني توزين مستقرة بجبل تاسفت، الداخل ضمن فرقة إغربيين الجبل، منها أولاد الحاج علي ماخوخ التوزاني، وأولاد العالي، وبني يحيى، وذلك ما بين 1301 / 1883 و1303 / 1885. ومنذ هذا التاريخ الأخير انتزع من جاريه حميدو التوزاني ومحمد بوزيان التوزاني جماعتي بني تعبان وبني عزيمان المنتميتين إلى فرقة إغربيين الوطا. ولهذا كثرت نزاعاته مع القائدين المذكورين وحليفهما العربي الوليشكي، قائد بني أوليشك. ولقاء هذه القيادة كان يدفع للجانب المخزني كلما حلت مناسبة عيد من الأعياد الدينية خمسة وعشرين ريالاً، ويجمع من المؤونة نصف مد من الشعير، وربع دقيق، وأربع أواق من السمن وفرنكاً واحداً لكل دخان (كانون). وابتداء من سنة 1310 / 1892 غابت عنا أخباره لنجده سنة 1313 / 1895 في نزاع مع جيرانه، خاصة مع محمد أغاي التوزاني، خلف حميدو التوزاني ومحمد بوزيان على إغَرْبين الوطا ومن ورائه أهل تافرسيت وبني أوليشك، إلى أن علمنا بالقبض عليه على يد الحاج حمُّ الوليشكي وأودع سجن فاس العليا. ومن هناك وجه رسالة شكوى للوزير أحمد بن موسى، وهي مؤرخة بخامس عشر رمضان عام 1315 يطلب فيها النظر في قضيته والتعجيل بتسريحه.

*مراسلات مخزنية خاصة : ضابط الأمور الوطنية*، 92.

حسن الفكيگي

**التوزاني، مَحمد** (الحاج.) **بن ميمون** الوليشكي الأصل. عالم صوفي مجاهد ولد سنة 1301 / 1883 بميضار الأعلى، وهي بلدة محاذية لجبال بني توزين بالريف الشرقي، تبعد عن ميضار بسبعة كيلومترات (حوالي 70 كيلومتراً غرب مدينة الناظور)، وكان يقول عن ميلاده : "أسيرُ أنا والقرن سواء". من سلالة سيدي الورداني الموجود ضريحه بقبيلة بني وليشك، ويسميه العامة : "سيدي الحاج مَحمد". تلقى دراسته القرآنية في بني توزين وبني ورياغل على يد شيوخ القراءات، يذكر منهم الفقيه السيد الحاج بن هدِّي العـزّماني، والفقيه السيد محمد المرنيسي (المتوفى عشية يوم الجمعة 3 عيد الفطر 1332)، والفقيه محمد بن مُنَى الملقب بـ"موزّور"، أي الغليظ. ثم رحل إلى جبالة، حيث تتلمذ على الشيخ أحمد بن يرمق السوماتي بعين بيضا وهو الذي أمره بالتوجه إلى فاس لدراسة العلم (تواريخ منقولة عن قصاصاته المحفوظة في خزانته). وفي سنة 1327 / 1909، رحل إلى فاس صحبة رفيقه الشيخ علال التنوتي، ثم التحق بهما رفيق ثالث هو السيد الحاج ميمون بن محمد الشرقاوي، الذي سيصبح فيما بعد شيخ الطريقة الدرقاوية بالريف، بعد أن نصحه شيخه السيد البودالي بتلقي مبادئ العلوم في جامعة القرويين (راجع كتابنا، *الطريقة الدرقاوية ببلاد الريف*).

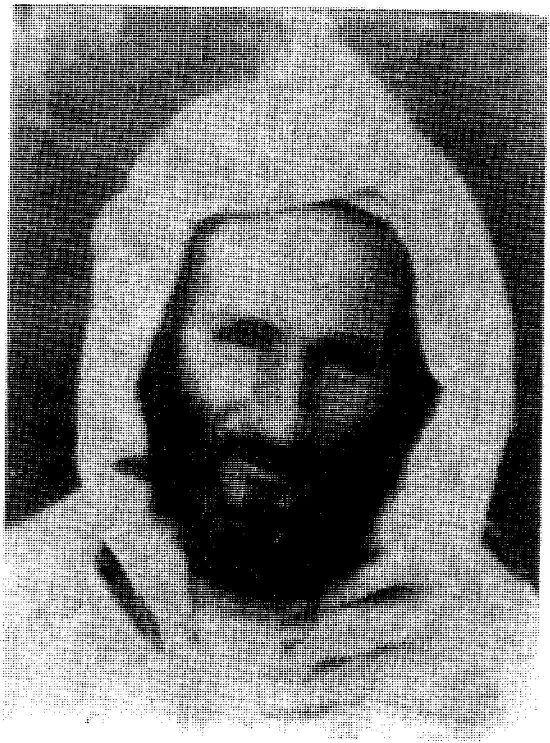

من اشهر أساتذته بالقروين الذين يذكرهم في كتاباته : شيخ الجماعة أحمد بن الخياط الزگاري الحسني، صاحب *الحاشية على شرح الإمام الخرشي لفرائض الشيخ خليل*، والشيخ إدريس المراكشي إمام القرويين والشيخ مولاي أحمد المزواري والفقيه أحمد العلمي، ثم العالم محمد الشريف بن علي الموماني المشهور بالتگناوتي.

عن هؤلاء وغيرهم كان يتلقى المعارف السائدة في ذلك الوقت، من فقه ونحو وفرائض وتوقيت وصرف وبلاغة وحساب وحديث ونوازل وتفسير.. وحتى مبادئ علم الأوفاق وأراجيز في الطب والأدوية، طوال سبع سنوات. ولاتزال خزانته تحتوي على العديد من القصاصات والمخطوطات التي كان ينقلها عن هؤلاء الأساتذة، أحيانا بخطه، وأحيانا بخطهم الأصلي.

وفي منتصف ليلة الخميس، فاتح ربيع الثاني عام 1333 / 16 فبراير 1915، التحقت روح والدته فطوش بنت الفقيه السيد محمد أمياي ببارِيها لتضع حداً لإقامته بفاس، ويعود إلى جانب والده وإخوته.

ففي 7 جمادى الثانية عام 1329 / 5 يونيه 1911، عند احتلال فرنسا لفاس، وهو طالب بها يومئذ، كتب إلى والده يقول : "نعلمكم أن مدينة فاس قد اكتنفها العدو وأحاط بها، وجميع أهلها يأتون إليه ويسلمون عليه كل صبيحة، وتحرك الأمير بقوته، وشاع الغلاء في السوق ونفدت المؤونة وكل ما نشتهيه إلا وندفع الدراهم فيه".

وفي يوم خميس من السنة التالية 1336 / 1917، التقى برفيقه الشيخ الحاج ميمون بن محمد بن محمد بن عمر الملقب بأشرقي الذي تلقى إذناً من شيخه البودالي بتأسيس

فرع جديد للطريقة الصوفية الدرقاوية فاندفع معه بصورة كلية في هذا المنحى وأخذ ينشر الطريقة في مختلف البقاع حتى عمت معظم مناطق الشمال، وبسبب جهودهما برزت إلى الوجود نواة حركة صوفية جديدة بالريف الشرقي.

في هذه الأثناء التي كان فيها التوزاني مندمجا في طريق التصوف كانت فيالق الجيش الإسباني آخذة في التحرك إلى الغرب انطلاقا من مليلية، ولمجرد وصولها إلى أطراف قبيلة "مطالسة" سنة 1338 / 1919، أقامت معسكراً في موضع يعرف بـ"الجرف الأحمر" (تيوريْن تزَوَّاغينْ)، وقد ذهب التوزاني لمشاركة المجاهدين في المعَارك التي سبقت سقوط المعسكر سنة 1339 / 1921 بحوالي خمسة وأربعين يوماً. وكان التوزاني يتابع باهتمام تطورات الزحف الإسباني على أراضي الريف الشرقي، ومما سطره قلمه عنها في قصاصاته : "دخل الجيش الإسباني بلاد الريف بقبيلة مطالسة وأطراف بني توزين وقبيلة تافرسيت في عام 1338 / 1920 وفي أول عام 1339 / 1921 دخل قبيلة بني أوليشك وبني سعيد في يومين. وفي آخر هذا العام في شهر ذي القعدة خرج من قبائل الريف كلها، وكان أول خروجه في 15 من الشهر المذكور (21 يوليوز 1921). وفي يوم السبت خرج من تافرسيت وعزيب ميضار والعبابدة وبني سعيد وبني أوليشك، وبقي في بعض المواضع إلى صبيحة يوم الأحد، وفي بعضها إلى يوم الأربعاء 20 ذي القعدة، وهو قصبة سلوان، وآخر مكان بقي فيه هو :"أعروي" بين بني يويحيي وقلعية، حيث أخذه المسلمون يوم الثلاثاء ثالث ذي الحجة عام 1339 / 8 غشت 1921، ورجع عدو الله فدخل بلاد الناظور بقلعية في شهر محرم عام 1340، ووصل العبابدة في صبيحة الاثنين 19 شعبان، ونصب أنواع المدافع الصغيرة والكبيرة فيها نحو ثلاثة أشبار ونصف الشبر في رأس قذيفته.

وأخذت طائراته تقصف جميع الأسواق والديار والجبال وغير ذلك، وعدد العساكر التي جاء بها لقبائل الريف، أربعون ألف جندي، كلهم نصارى. وأما عدد المسلمين الذين دخلوا في حكمه فيقدّر بتسعة آلاف بوليسي.

وبعد التحاق الشيخ التوزاني بجيش المجاهدين، بأقل من شهرين، منيت الجيوش الغازية بواحدة من أشنع وأفظع الهزائم التي عرفها الاستعمار على الأرض، وهي هزيمة "أنوال" الشهيرة الواقعة في صيف 1921، في نواحي "أنوال" و"إغريبن" و"أبَران" و"مضار" وتافرسيت ودريوش وأعروي والناظور، وما إليها من المواقع. ثم أخذ سلاح الجو الإسباني في الانتقام، فطفق يصب جام غضبه على القرى والأمصار الآمنة يدكها بالقنابل والقذائف والأسلحة الكيمائية السامة.

استقر الحاج مَحمد التوزاني في البداية بقرية إمزيرن، الواقعة بحجرات القضا، على الحدود الفاصلة بين بني توزين وجزناية، حيث ولد له ابنه الأكبر محمد يوم الأحد 10 جمادى الثانية عام 1341. وخفت الحرب فانطلق التوزاني من جديد إلى تخميرت الواقعة على بعد حوالي 300 كلم داخل التراب الجزائري، لاستكمال مراحل الترقي الروحي، لدى الشيخ البودالي الذي هو التلميذ المباشر للصوفي المغربي الشهير الهبري الكائن قبره بأحفير.

وهناك بتخميرت كان عليه أن يتفرغ لما يعرف بعبادة الخلوة، مدة ستين يوما وليلة "منقطعاً عن الخلائق، متجرداً من العلائق، متحرراً من العوائق إلى أن تنبثق الحقائق".

وبعد عودته إلى حجرات القضا إذا به ينتقل إلى بلدة مجاورة هي إيَارْ أحْذوذْ، من أعمال جزناية أيضاً، حيث لازم مسجد سيدي بوزيد بقرية تمجونْت، فأقبل على إرشاد الناس وتعليمهم آداب السلوك وفرائض الدين وسننه، وكان يعطي الأوراد للفقراء والفقيرات الذين هبوا من جميع المناطق، فذاع صيته وكثر رواده وأتباعه حتى بلغت أصداؤه إلى مسامع محمد بن عبد الكريم الخطابي في أجدير فاستدعاه إليه.

لم تهدأ الحياة في إيار أحذوذ الذي بدأت تبسط عليه فرنسا سيطرتها، وأخذ الجيش الفرنسي يقصف نواحي جزناية بشدة، فنزح التوزاني من جديد بعائلته إلى موضع يعرف بسيدي علي بن داود، داخل أراضي مرنيسة، ولكن القصف قد سبقه إلى هناك أيضا، فمكث نحو تسعين يوماً، ثم قفل عائدا إلى مضار، وقال : مادام العدو موجوداً في كل مكان، فمن الخير أن يلوذ المرء بمسقط رأسه، وذلك بعد أن وضعت الحرب أوزارها واستولت الدولتان على مجموع أرض الوطن.

لم ينج التوزاني من مضايقة سلطات الحماية عندما تولى القيادة محمد علال أُمْحنْد على القبيلة.

يُعدّ الإفتاء والتدريس والخطابة والطريقة من المشاغل الرئيسية التي قضى فيها التوزاني بقية حياته منذ إنهاء دراسته، فلم يتول قضاء ولا عدالة ولا سلطة معينة. وفيما يخص الإفتاء كانت فتاويه بمثابة أحكام عامة وكان القضاة يستندون إليها قدر إمكانهم، فيكتبون حولها عبارة : "قد تكفل المفتي أعلاه بما ليس الرجوع إلا إليه".

وتنوعت مهمة التدريس عند التوزاني نوعين : فهناك التدريس الخاص الذي كان يمارسه في المساجد، خاصة في مضار الأعلى منه والأسفل، حيث تتلمذ عليه العديد من المثقفين، منهم الفقيه العدل السيد بناصر الباز، والفقيه أحمد الطاهر الوليشكي، والفقيه بلحاج المرنيسي، والعالم محمد بن الراضي شوحو. وهناك التدريس العام الذي كان يمارسه أينما حل وارتحل، فإذا شرع فيه ساد السكون والطمأنينة الأشهاد، وأفرغت الأسماع والقلوب إليه، فكأنما يحفر حديثه فيها حفراً. كانت الخطابة تسير مع التدريس في جوامع الخطبة التي يتولى ملازمتها.

أما الطريقة فقد رأينا بعض خطوطها العريضة من قبل، وتكفي الإشارة إلى ما كان يروي عنه معارفه من تطبيقاتها السلوكية. وقصته مع العالم الفقيه السيد محند أوزيان مشهورة بالريف.

يتمتع الحاج مَحمد التوزاني بمكانة مرموقة في الحقل الثقافي بالريف الشرقي، تتجلى في وفرة آثاره، فقد كان كثير المطالعة والاستنساخ للمؤلفات الفقهية والصوفية واللغوية.

تشمل تآليفه الفتاوى والتعاليق وأدب الرحلات ومتنوعات.

تتناول الفتاوى مختلف أوجه الحياة من عبادات ومعاملات، أشهرها : ـ فتوى تتعلق بتحريم المخدرات عامة. وكان قد كتبها أساساً في شأن "الدخان"، وله أيضا فتوى حول الأمانة ومسؤولية من أودعت لديه ؛ وفتوى حول إمامة المعطوبين في الصلاة.

تشكل التعاليق تأويلات وتصويبات توضع على حواشي المؤلفات الفقهية واللغوية وغيرها، إنها شرح لشرح آخر، ويمكن تقسيمها إلى قسمين : تعاليق يقصد بها التركيز على معنى للاستفادة والانتباه إلى المغزى من الموضوع. وفي هذه الحالة يضع سطراً على المعنى المقصود ويشكله ويشير إليه في الهامش بما يدل على فائدته أو الحث عليه ؛ وتعاليق يقصد بها الشرح والتمحيص أو التصويب. وأهم ما نذكر هنا : *حاشيته على شرح ابن كيران لمنظومة ابن عاشر في قسم التوحيد منها*. ومنها *إيضاحات وتصويبات* كثيرة، بعضها موضوع من قبله، وبعضها الآخر منقول عن مؤلفين آخرين، وهي في حجمها تكاد تعادل حجم الكتاب الذي وضعت عليه.

وفي سنة 1347 قام برحلة إلى الديار المقدسة، صحبة وفد من أصدقائه الحجاج يتكون من سبعة أشخاص. وكتب في ذلك *رحلة* حجازية سجل فيها جميع تفاصيل الحياة اليومية لهذا الوفد وما سمعه وما رآه من مظاهر وأحداث بشكل دقيق، منذ خروجهم من الزاوية التي اجتمعوا بها يوم الخميس 9 شوال 1347 إلى تاريخ عودتهم، مارين بالمغرب العربي والبحر ومصر والحجاز. ووصف مظاهر الحياة في تونس التي أقام فيها أسبوعين ونظام الدراسة في جامعة الزيتونة.

وتعرف في السفينة على كبار علماء تونس، منهم قاضي عمالة تونس محمد بن عبد الغفار من الطريقة التجانية والمكي الحفناوي بن عبد الحفيظ من الطريقة الرحمانية، ومحمد المدني مقدم الطريقة العليوية بتونس. فتحولت السفينة بطبقاتها الثلاث إلى حلقات للدروس والمذاكرة في مناسك الحج والحضرة والأذكار وتلاوة القرآن. وفي الرحلة معلومات كثيرة عن مآثر مكة والمدينة وجدة وتونس. كما أورد فيها قصة ريفيين ذهبا مشياً على الأقدام طوال عشرة أشهر من بني ورياغل إلى مكة. أما المتنوعات ففيها تحقيقات لغوية وتقييدات لوقائع حدثت في زمنه وتسجيل لغرائب للعبرة. ورسائل متداولة مثل *رسالة الشيخ الهبري ورسائل من الشيخ البودالي ورسائل كثيرة من رفيقه الشيخ السيد الحاج ميمون الشرقاوي*. وضع تلخيصات فقهية كثيرة وأحاديث وقصائد صوفية وأدعية ورسائل الشيخ ابن عجيبة وحكم مأثورة وكتب في الترغيب والترهيب وكتابات علاجية ونصائح طبية.

توفي الحاج مَحمد التوزاني صباح يوم الخميس 15 رمضان عام 1362 / 16 شتنبر 1943، على الساعة التاسعة والنصف. ودفن بمضار الأعلى. عثر في محفظته يوم مماته على مبلغ نقدي يعادل سبعين سنتيماً، وكانت زوجته الحاجة فطوش تسأله : ماذا تركت لأولادك فيشير إلى مكتبته قائلا : "تركت لهم خيراً كثيراً".

*مؤلفات التوزاني* المخطوطة المحفوظة في خزانته ؛ *مستنسخاته* ؛ *تقييداته للأحداث والوقائع* ؛ عبد الله عاصم، *أصل الطريقة الصوفية الدرقاوية في أقاليم الريف*، الرباط، 1984 ؛ *صراع القبائل*، مركز اتحاد كتاب المغرب ؛ *روايات شفوية معاصرة* ؛ م. ع. حكيم، *معارك الثورة الريفية* ؛ *معركة أنوال*.

R. Forman, *Le rêve d'Abdelkrim, esquisse d'histoire marocaine* ; Benoist - Mechin, *Lyautey l'Africain, ou le rêve immolé*.

عبد الله عاصم

**التوزونيني، مبارك** بن الحسين، قائد المقاومة في تافيلالت فيما بين عام 1332 و1337 / 1914 و1919. يقول عنه المختار السوسي : "الثائر المشهور في تافيلالت وبه خرجت القوات الفرنسية منها بعد احتلالها لها أكثر من سنة" (*المعسول*، 16 : 263). هو حفيد محمد بن أحمد بداح من قرية توزونين بقبيلة أقّا، من أسرة فقيرة بها. غادر بلده لينضم إلى فقراء زاوية إلغ عام 1323 / 1908 ومقدمها الشيخ مولود اليعقوبي. وأظهر التوزونيني اجتهاداً في العبادة والأذكار، ولربما باسط الفقراء بقوله : "لا بد أن أكون سلطانا".

التحق مع جماعة من إخوانه الفقراء بحركة أحمد الهيبة، وعرف أسباب هزيمة الهيبة بمراكش وهو اغتراره بالأبهة وخيانة القواد الكبار. فغادر التوزونيني مراكش وتنقل بين البلاد ثلاث سنوات إلى أن حل بتازارين قرب جبل صغرو، ثم توجه إلى واد الرگ في اتجاه تافيلالت تحت خفارة أهل ذلك الواد من سكان ايت عطا السود (إملوان) فنزل هناك في قبة محمد أُويْفروتن، فكان يعظ الناس حتى أُعجبوا به لأنهم وإن كانوا غير قارئين فإن كراهة الكفر متأصلة فيهم، فصاروا يأتونه بالأعشار، فذاع صيته وصار يستنهض الناس لإعلاء كلمة الدين ويندد بأيت عطا الذين فرطوا في تافيلالت حتى وقع احتلالها.

أحاط التزونيني نفسه بهيبة ولقب نفسه بـ "أويْفروتن" ومعناه بالأمازيغية صاحب القول الفصل في المشاكل والمنازعات. ونظر إليه خدامه من إملوان بأنه "المهدي المنتظر". وكل ذلك من جانبه خلق الشروط الضرورية لقيادة الجهاد، وهي شروط لا تتأتى في ذلك الظرف إلا إذا آمن أصحابه بأنه يستطيع خرق العوائد. وكان سلوكه ينمي تلك الاعتقادات، ومن ذلك أنه كان إذا أتته هدايا من الناس أعاد توزيعها على المحتاجين.

كانت بعثة عسكرية قد حلت في تافيلالت عام 1916،

ولما كان عام 1918، قام التوزونيني بتكليف أحد أعوانه باغتيال حاكم تافيلالت الفرنسي آنذاك وهو الضابط المستعرب أُوستري Oustry وذلك يوم 3 يونيو 1918. وانطلقت من ذلك الحين المقاومة التي نظمها لتشمل واحات تافيلالت وزيز وغريس وفركلة وتدغة ودرعة. وكانت هذه الحركة تخالف في حقيقتها الصورة الشوهاء التي قدمتها بها كتابات المستعمرين الذين ركزوا على أنه "مغتصب سائب ادعى أنه مبعوث بإذن إلهي ليطرد النصارى وأحاط نفسه بما بين ثلاثمائة وأربعمائة من قطاع الطرق البؤساء من قبائل أيت عطا وأغراهم بالسحر والشعوذة" (Spillman, *Aït Atta du Sahara*..., p. 99).

ومن الفقهاء من اتهم هذا المجاهد بالتدجيل متجاهلا أهدافه، ومن هؤلاء المهدي الناصري مؤلف كتاب *نعت الغطريس النحسيس هيان بن بيان المنتمي إلى سوس* وفيه قام بالتهجم على التوزونيني وخليفته بلقاسم النگادي حيث اعتبر نشاطهما الجهادي بدعة، وفي هذا الموقف ضيق نظر طائفي وتحريض بعض القواد الموالين للاستعمار، وتتلخص حجة هذا المتهجم، في قوله : "... إن الجهاد الشرعي قد تعذر منذ أحقاب، فكيف نطلبه اليوم ! فإن كنت تسارع إلى الحرب لتدركه جهلا منك بحقيقة الأمر، فاعلم أنك تسارع إلى إيقاد نار الفتنة وإيجاد العدو السبيل عليك، وإمكانه من ثغرك وتسليطه على السبي لحريمك ومالك ودمك".

وسع التوزونيني حركته، فبعث برسائل إلى مختلف قبائل أيت عطا من تافيلالت إلى درعة يدعوها إلى الجهاد، واتخذ العدة للحرب ببناء بيوت للمجاهدين في قرية أفليون حذاء روضة سيدي محمد أويفروتن، واتخذ فيها المرابط للخيل والدواب وأكثر من الشكائم والأرسان *(نعت الغطريس)*. وقدم عليه محمد بن أبي القاسم النگادي وقدمه للأعوان واتخذه صاحب رايته. وبعد ذلك كون مجلسا للحرب يضم ممثلين عن كل الأخماس المكونة لقبائل أيت عطا، سبعة ممثلين لخمس أيت يعزى وثلاثة لأيت الفرسي واثنين لأيت إسفول واثنين لأيت عيسى أُبراهيم وثلاثة لأيت بويكنيفن وواحداً لأيت به أُحسو وواحداً لأيت أوشان. وقد ضم هذا المجلس ممثلين عن قبائل تافيلالت وأيت مرغاد وأيت يافلمان. ويعد هذا التمثيل الواسع تكذيباً لظنون المخططين الاستعماريين الذين قرروا في كتاباتهم أن تشكيل الإثنيات في تلك النواحي أضعف من القدرة على المقاومة (الضابط عباس، *مجلة الجغرافيا*، عدد 9، عام 1919، ص. 61).

لقد تغلبت حركة التوزونيني على التناقضات القبلية وأحلت الأخوّة الدينية محل تنافس القبائل كما أغرت القبائل بوعود تحقيق عدد من المنافع المعيشية. وتدخل التوزونيني في نزاعات قبلية ففصل فيها وسوّاها. وقد أقر الاستعمار بنجاعة هذا الأسلوب منذ سنة 1918، واستغربوا لتوحد القبائل بشكل لم يسبق له مثيل في تلك المنطقة (تقرير اليوتنان گوليس). والواقع أنه قد انضم للحركة حتى أيت يافلمان الذين كانوا يعدون مناوئين لأيت عطا، كما انضم إليها عرب الصباح، وغالبيتهم قبائل من البربر.

مرت حركة التوزونيني بمرحلتين : 1) مرحلة انتصارات بدأت باغتيال الضابط أُوستري ورد فعل الفرنسيين بإرسال قوات إلى تافيلالت من بوذنيب ومكناس لمحاصرة المنطقة، وقد انضم إلى حركة الجهاد شيخ الزاوية الدرقاوية بفركله "سيدي العربي" وله نفوذ عند أيت مرغاد، والتحق بها أيت حديدو، ودعمها أهل تدغة ببضع مئين من المقاتلين. وترأس الجميع محمد بن بلقاسم النگادي، ووقعت المجابهات القتالية الأولى مع الفرنسيين يوم 9 غشت 1918، فقد استدرج المقاومون العدو إلى مكان يدعى "البطحاء" كثير أشجار النخيل وفوجئ الجيش الفرنسي بمحاصرة المجاهدين له فحاول التراجع ولكنه أُبيد عن آخره واستولى المسلمون على ذخائره. وكان هذا الانتصار مشجعا للحركة الجهادية، فانتقل التوزونيني إلى الريصاني واستقر بها بعد جلاء الفرنسيين عن تافيلالت، وكان جنوده حوالي أربعة آلاف. وبدأ يمهد لمرحلة موالية وصار يراسل زعماء الجهاد في جهات أخرى، كأعالي ملوية وگير الأعلى، كما راسل الثوار المجاهدين أمثال أحنصال قرب أزيلال والحسين أُوتمگا وموحا أُوسعيد في الأطلس المتوسط وتادلا، ودخل في علاقات مع الهيبة الذي استقر بكردوس، واتصل بقبائل غياثة والريف في الشمال وكذا مع الزعيمين سيدي الصغير وسي الكبير اليعقوبي (القبطان كوطار، *مجلة فرنسا - المغرب*، عدد 5، بتاريخ 15/5/1919، ص. 136 - 138).

كوّن التوزونيني حوله مجلسا مصغرا للجهاد وفيه قاض للإفتاء، وجعل حرسه الخاص من حراطين إملوان وعين محمد بن بلقاسم النگادي قائدا للجيش يساعده أربعة رؤساء حرب منهم قائد من زمور وحسن العيساوي من الزاوية الشرقاوية وباعلي من حراطين تازارين وهاجم التوزونيني ممتلكات الأعيان والرؤساء الموالين للاستعمار واستولى عليها ولم يفتح في وجههم باب التوبة كما فعل الهيبة.

أما المرحلة الثانية من حركة التوزونيني فتتميز بانزعاج كبير أظهرته القوات الفرنسية ضد نجاح التوزونيني فصارت تنكل بأهل تافيلالت وتحمل مسئولية ذلك للأعيان، وقد نشرت الرعب بتحليق الطائرات فوق المنطقة، وإطلاق مناشير تهدد بتخريب البلاد إذا اتبع الناس القائم بالجهاد الذي تصفه هذه المناشير بالقتّال الفتّاك، ثم انطلقت تعزيزات فرنسية من بوذنيب لفك حصار تغمرت يوم 3 أكتوبر فدمرت سد "أمربوش" الذي ينظم توزيع مياه نهر زيز في واحات تافيلالت، بل قاموا بتحويل مجرى هذا النهر خارج الحقول بقصد الضغط على السكان حتى يتخ عن مساندة المقاومة.

وبموازاة لهذه الضغوط قام باشا مراكش بتنظيم حملة عسكرية على تدغة قوامها عشرة آلاف مقاتل ما بين دجنبر

1918 وأبريل 1919. وكان إلى جانب الاگلاوي في هذه الحملة الجنرال دولاموط De La Mothe، وكان غرض الحملة قطع الدعم الذي تتوصل به حركة التوزونيني عن طريق تدغة، وكذا التشويش عليها بجلب الأعيان واستمالتهم، وقد وقع فعلا استمالة علي الهواري مقدم الدرقاويين بفركلة حيث دعا أيت مرغاد إلى الانسحاب من المقاومة، ومنذ ذلك الحين صارت حركة التوزونيني تتلقى الضربات من الخلف. على الرغم من المواجهة المسلحة بين أيت عطا وجيوش الاگلاوي، وقد ظهرت خلافات بين التوزونيني وقائده بن بلقاسم النگادي، ووقعت في معاملته لأهل تافيلالت ومطالبته لهم بالعطاء أخطاء أضعفت صفوفه.

انتهى الأمر باغتيال التوزونيني على يد قائده النگادي في أكتوبر 1919، وخلفه النگادي فحقق عددا من الانتصارات في درعة واستمر يقاوم بتأييد من جماعة من أيت خباش وأيت حمو إلى عام 1934، حيث اضطر بعد إجهاد إلى الاستسلام بعد أن واجه قوات لا قبل له بعددها ولا بعدتها، وظل مع ذلك رمزاً للمقاومة والصمود في تلك الجهة.

المهدي الناصري، *نعت الغطريس الخسيس هيان بن بيات، المنتمي إلى سوس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء 16 ؛ ع. بوراس، *مقاومة أهل تافيلالت والاسطوغرافيا الاستعمارية*، *مجلة دار النيابة*، ع 28، 1991 ؛ م. المعزوزي وهاشم العلوي، *الكفاح المغربي*، الرباط، 1986.

G. Spillman. *Les Aït Atta du Sahara et la Pacification du Haut Draa* ; Abès, *R.G.M.*, n° 9, 1919 ; Coutard, *France-Maroc*, n° 5, du 5 / 5 /1919 ; A. Hammoudi, *Aspects de la mobilisation*. SRESM, Aix, Juin 1979.

عبد القادر بوراس

**التوزيني**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني توزين الكرتية (نسبة على القياس) وقد انقرضت بتطوان حوالي سنة 1323 / 1905، وكان من بين أفرادها الفقيه عبد السلام التوزيني الذي كان على قيد الحياة سنة 1279 / 1863، والفقيه أحمد بن حدو التوزيني الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1295 / 1878، والفقيه أحمد بن محمد التوزيني الذي كان يتعاطى نفس الخطة سنة 1307 / 1890.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación, *Familias* : *Familias ilustres* ; Isidor de las Cagigas, *Familias tetuaníes*.

محمد ابن عزوز حكيم

**التوشية**، في موسيقى الآلة، معزوفة آلية موقعة في الغالب على ميزان ثلاثي الضربات تحدث عنها التادلي، فذكر أنها "مجال لتفاضل المعلمين، فالماهر من عنده ثلاث تواشي فأكثر". وهي ثلاثة أنواع :

1 ـ توشية النوبة. ويمهد بها لعزف النوبة، بقصد الإعلام بطبعها الموسيقي، ويتجلى في عبارة واردة في مقدمة *كناش الحايك* أنه كان لكل نوبة توشيتها، غير أن أغلب التواشي ضاع ولم يحفظ الاستعمال منها سوى زهاء عشرين، أروعها التواشي السبع التي تتصدر نوبة الحجاز المشرقي.

2 ـ توشية الميزان. ويقصد بها المعزوفة التي يمهد بها للدخول في الميزان، ويبلغ ما تبقى من تواشي الميازين زهاء الثلاثين.

ويبدو أن التمهيد للنوبة والميازين بعزف التواشي تقليد ضارب في القدم، فقد لمح مالك بن المرحل في إحدى قصائده إلى ما يفيد ذلك إذ قال :

كضارب العود وشّى فيه توشية     وبعد ذلك غنى فيه أشعارا

3 ـ التوشية الداخلية. وتسمى أيضا توشية الصنعة. وهي فقرات لحنية رشيقة تتوسط بعض صنعات الميزان، وتقع من أبياتها موقع الحجارة الكريمة من القلائد الثمينة.

إ. التادلي، *أغاني السقا*، ص. 84.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**التوظيف** (نظام ـ)، بعد الاستقلال عرّف ظهير 1.58.008 الصادر بتاريخ 4 شعبان 1377 / 24 فبراير 1958 الموظف بأنه "كل شخص يعين في وظيفة قارة ويرسّم في إحدى رتب السلم الخاص بأسلاك الإدارة التابعة للدولة". وينص الفصل 12 من دستور 1992 على أنه "يمكن لجميع المواطنين أن يتقلدوا الوظائف والمناصب العمومية وهم سواء فيما يرجع للشروط المطلوبة لنيلها" دون تمييز بين الذكر والأنثى أو الوضعيات الاجتماعية والاقتصادية.

ويستفاد من هذا التعريف بأن المتعاقدين الوطنيين والأجانب والمتمرنين والأعْوان المؤقتين والعرضيين والمياومين والمتدربين لا يندرجون ضمن فئة الموظفين. كما أن رجال القضاء والمتصرفين بوزارة الداخلية وموظفي الجماعات المحلية والأعوان غير الموظفين لا يشملهم هذا التعريف إذ لهم نظامهم الخاص بهم.

وقد حددت وثيقة النظام الأساسي للوظيفة العمومية الصادرة في الجريدة الرسمية عدد 2372 بتاريخ 11 أبريل 1958 كيفية وشروط الانخراط في الوظيفة العمومية والخروج منها وحقوق الموظف ومسؤولياته والضمانات الإدارية والقانونية الممنوحة له والعقوبات التأديبية التي قد يتعرض لها في حالة الإخلال بواجبه.

وبناء على ما سبق يتضح بأن الموظفين نوعان : نوع يخضع لقانون الشغل، ونوع قار منظم في أسلاك الوظيفة العمومية ممن يجري عليه القانون الإداري وتربطه بالدولة التي تشغله مجموعة من الحقوق والواجبات.

يتقاضى الموظف أجرة محددة ويتمتع بالرخص والإجازات والعطل المختلفة ويرقى إلى الدرجات الأعلى، وله الحق في طلب الاستقالة من وظيفه والحق في الإيداع والتعويض عن حوادث الشغل والاستفادة من الضمان الاجتماعي والحصول على معاشات التقاعد والزمانة والحق في الدفاع عن نفسه من أي شطط إداري والطعن في القرارات الجائرة والتمتع بمختلف أنواع التعويضات المخصصة للتنقل والإقامة والتكليف بالمهام.

ويخضع الموظف مقابل ذلك لمجموعة من الشروط والواجبات منها قبول المنصب المسند إليه والوفاء بالعمل دون تأخر أو تغيب وممارسة المهام الموكولة إليه بشكل فعلي وضمير مهني والتمسك بالأخلاق الحميدة والامتناع عن ممارسة أي عمل آخر واحترام سلطة الدولة والتسلسل الإداري والالتزام بكتمان السر المهني وإنجاز العمل بكفاءة وإخلاص ومسؤولية، ونبذ كل تهاون، والصد عن الارتشاء واستغلال النفوذ.

وكما أن التوظيف يقع "في كل منصب من المناصب إما عن طريق مباريات تجري بواسطة الاختبارات أو بناء على الشهادات أو بواسطة امتحانات الأهلية وتمارين إثبات الكفاءة"، فإن كل الإدارات تسهل لجميع موظفيها الذين يتوفرون على الكفاءة المطلوبة الارتقاء إلى السلاليم العليا طبقا لنفس الأساليب بواسطة المباريات والامتحانات المهنية أو التسجيل في لوائح الترقية. وبعد كل ترقية تنشر أسماء الموظفين الذين تتم ترقيتهم في الجريدة الرسمية. وتعمل الإدارة كل سنة على تنقيط موظفيها بالأرقام المصحوبة بتقييم مهني عن الكفاءة المهنية والفعالية والإنتاج والمواظبة والسلوك. ولكل الموظفين الحق الكامل في الاطلاع على النقط الممنوحة لهم من قبل رؤسائهم.

ويكون الموظف في علاقته بالإدارة في ثلاث وضعيات: وضعية الموظف النشيط وهي الحالة العادية والسائدة، وضعية التفرغ لمهام معينة أو إيداع مؤقت لسبب ذاتي أو موضوعي، وهي حالة استثنائية. كما أنه قد يكون في رخصة خاصة.

وعلى مستوى التأجير يرتب موظفو الدولة في سلاليم أجور تمتد من السلم الأول إلى السلم الحادي عشر. ويكون بعضهم في وضعية متميزة وخاصة إذا تعدى في ترقيته جميع السلاليم وأصبح خارج الإطار أو خارج السلم. وتتم ترقية سائر الموظفين في سلاليم الوظيفة العمومية حسب ما تنص عليه أساليب التنقيط والترقية الموضحة في القانون العام للوظيفة العمومية كما هو وارد في ظهير 24 فبراير 1958 وفي المرسومين الوزيريين رقم 2.62.344 الصادر بتاريخ 8 يوليوز 1963 ورقم 988 المؤرخ في 17 ماي 1968.

*الجريدة الرسمية*، عدد 2372 بتاريخ 11 ـ 4 ـ 1958 ؛ *ظهير 1.58.008* بتاريخ 4 شعبان 1377 هـ / 24 ـ 2 ـ 1958 ؛ *المرسوم الوزيري رقم 2.62.344* بتاريخ 8 ـ 8 ـ 1963 ؛ المرسوم الوزيري رقم 988 بتاريخ 17 ـ 5 ـ 1968 ؛ المملكة المغربية، وزارة الشؤون الإدارية، الأمانة العامة للحكومة، *النظام العام والنظم الأساسية الخاصة بموظفي الإدارات العمومية*، الرباط 1969 ؛ عبد النبي ميكو، *المدخل لدراسة القانون*، الرباط، 1974 ؛ عبد القادر باينة، *المختصر في القانون الإداري المغربي*، الدار البيضاء، 1985.

A. Benjelloun, *Cours de droit administratif*, Rabat, 1978 ; *Droit administratif*, 2 vol. Rabat, 1984 ; A. Hatim, *La notion d'intérêt du service dans le droit de la fonction publique marocaine*, D.E.S en droit public, Rabat, Fac. Sc. Jur. Econ. et Soc. 1988 ; A. Mecherfi, *Les devoirs du fonctionnaire*, *R.M.D.E.D.*, n° 14, 1987, pp. 93 - 110 ; B. Redouane, *Le fonctionnaire marocain*, Casablanca, 1983 ; *La fonction marocaine face au changement*, in *Les Services publiques marocains face au changement*, Toulouse, 1987 ; Royaume du Maroc, *Textes administratifs, fonction publique et réforme administrative*, Casablanca, 1987 ; Ministère délégué auprès du Premier Ministre chargé des affaires administratives, *Législation, textes administratifs*, tome 1, Rabat, 1987 ; O. Mouddani, *L'évaluation du processus d'adaptation de la fonction publique marocaine de développement*, Rabat, 1984 ; E. Ayoub, *La fonction publique*, Paris, 1975 ; M. Piquemal, *Le fonctionnement, devoirs et obligations*, Paris, 1973 ; J. Cadene, *Le personnel administratif et la diversité des statuts juridiques*, *R.M.D.C.*, n° 2, pp. 29 - 35, 1983.

محمد بوسلام

**التوغزيفتي**، مَحمد ـ فتحا ـ بن الحسن بن سعيد بن إبراهيم الگرسيفي، ينتسب إلى عثمان بْن عفان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ذكر ذلك المترجم نفسه في مؤلف له صغير اسمه *الرسالة التوغزيفتية* جاء في *سوس العالمة* (ص. 216) عند ذكر مراجع التاريخ السوسي "*رسالة التوغزيفتي الگرسيفي*، وهو الفقيه سيدي محمد بن الحسن بيّن نسبهم، وذكر بعض ما يتعلق بأسرتهم" وقد احتفل المترجم بنسبه الذي ساقه في رسالته كثيراً، وأفاض في الحديث عن المواضع التي دفن فيها رجال سلسلة النسب، لاسيما في سوس، حلاّه مترجموه بنعوت تتفق مع جلالته وعلمه، فهو "العلامة الجليل كان عالماً صالحاً مجاهداً في التعليم طول عمره" له نظرات وأقوال تدل على مدى تجربته وعلمه، مثل قوله : "من حق المُحَكَّم أن يتربص بحكمه سنة، ليفهم تفاصيل النازلة، أو لعل الخصمين يسأمان فيتصالحان" (*المعسول*، 17 : 61).

ترتكز مصادر معرفته على الأخذ عن العلامة مسعود المرزگوني الذي أخذ بدوره عن الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر وتنقل في مدارس علمية كمدرسة بومروان أو مدرسة المولود على مايرجحه المؤرخون.

كان معمراً، لكن تاريخ وفاته غير مضبوط، فقد كتب رسالته المشار إليها سنة 1212 بناء على تقريظات كتبت عن هذه الرسالة مؤرخة في هذه السنة.

ويذكر أنه ربما كان ممن جرفهم وباء عام 1214 / 1799.

م. التوغزيفتي، *الرسالة التوغزيفتية*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 216 تحت رقم 27 ؛ *المعسول*، 17 : 43، 60.

عبد الحميد محيي الدين الباعمراني

**توفالعزت** (أيت ـ)، فرع من أيت وِّسّ ضمن قبائل إيلالن المستوطنة الحدّ الشمالي للأطلس الصغير الأوسط. يتبنى سكان توفالعزت النسب الجعفري. وحسب ما يتضمنه مشجرهم، فإن جدهم الأعلى هو توفالعزت بن گنون بن ظريفة بن تگنت... من مداشرهم الرئيسية : إمغرز، وتگنضوط، ودوتلغ، وتمجشت. وتتوزع داخل أراضيهم مجموعة من المخازن الجماعية أهمها : تولَوْن، وأسري. ومن علماء أيت توفالعزت المشهورين : علي بن سعيد التوفالعزتي (1260 ـ 1329)، محمد بن أحمد التوفالعزتي (ق 13 هـ)، أحمد بن محمد التوفالعزتي (كان حيا عام 1265).

البقدوري، أحمد، *إتحاف أهل البدو والقرى بسلالة زينب الكبرى*، ص. 123 ـ 124، مخطوط.

أحمد بومزگو

**التوفير** (صندوق ـ)، تستعمل كلمة التوفير في المغرب للدلالة على الاذخار، والاذخار في معناه اللغوي هو خزن الشيء إلى حين الحاجة إليه، ونعني بالشيء هنا نقوداً عينية وفي معناه العام اذخار جزء من الدخل الفردي أو من الإنتاج الوطني والامتناع عن استخدامه لأغراض استهلاكية.

صندوق التوفير الوطني مؤسسة مالية عمومية معفاة من دفع الضرائب والرسوم للدولة، أحدث بالمغرب بموجب الظهير رقم 288.57.1 بتاريخ 10 / 2 / 1959 وأعيد تنظيمه على أسس جديدة بموجب الظهير رقم 118.87.1 بتاريخ 2 / 4 / 1992، وحسب هذا القانون فإنه لا يسمح لأي مؤسسة أو هيئة خاصة بحمل هذا الاسم مهما تشابه اختصاصها بصندوق التوفير.

المهمة الأساسية التي يضطلع بها صندوق التوفير هي استلام الودائع النقدية من أشخاص عاديين (المذخرين) في حدود سقف تحدد قيمته الدولة والعمل على رسملتها سنويا وتظل الودائع تحت تصرف مالكيها يسحبونها كاملة أو مجزأة متى شاؤوا.

يقوم البريد المغربي بواسطة شبكته الواسعة من المكاتب والوكالات البريدية بتأمين هذه الخدمة لحساب صندوق الإيداع والتدبير بضمانة من الدولة لقيمة الودائع والفوائد المترتبة عليها وبذلك أصبحت هذه الخدمة في متناول الجميع بحكم التغطية الشاملة التي تؤمنها المصالح البريدية في مجموع الأقاليم المغربية بما فيها القروية. وسهولة إجراءات فتح الحساب بالصندوق لكل من أراد وبقيمة زهيدة حددها المشرع بخمسة دراهم، مما يجعل منه أداة فعالة لجلب الاذخار الوطني على نطاق واسع.

| السنة | عدد المذخرين | رصيد الاذخارات (بالدرهم) |
|---|---|---|
| 1975 | 440.861 | 293.590.000 |
| 1980 | 504.376 | 429.470.000 |
| 1985 | 590.286 | 780.000.000 |
| 1990 | 597.894 | 1.663.000.000 |
| 1993 | 667.573 | 2.342.000.000 |

التقارير السنوية لنشاطات المكتب الوطني للبريد والمواصلات

بحكم القانون الجديد رقم 83.05 (2 / 4 / 1992) الخاص بإعادة تنظيم هذه المؤسسة صار للصندوق مجلس إداري مسؤول عن تسييره ومكوّن من عضوية كل من ممثل عن الحكومة، ووالي بنك المغرب أو من يمثله، ومدير صندوق الإيداع والتدبير أو من ينوب عنه، إضافة إلى مدير المكتب الوطني للبريد والاتصالات أو ممثله ؛ كما أسندت للصندوق مهام جديدة وسعت اختصاصاته بحيث أصبحت تشمل :

1 ـ فتح الحسابات لتلقي الودائع النقدية.
2 ـ منح تسبيقات أو سلف للمذخرين.
3 ـ تقديم تسبيقات على المعاشات المدنية أو العسكرية بقيمة الاستحقاقات عن شهرين كحد أقصى.
4 ـ اقتراح عقود تأمين على الأشخاص.

*نصوص القوانين* المشار إليها أعلاه.

حسن اللبادي

**توڤنو**، ريموند R. Thouvenot، من المؤرخين المرموقين الذين سعوا في التعريف بالمغرب الأقصى القديم. مارس الأستاذية بمعهد الدراسات العليا المغربية (كلية الآداب والعلوم الأنسانية بالرباط، حاليا) ؛ كما أنه كان مفتشاً للآثار القديمة، حيث سيظل اسمه مرتبطاً بالإنتاج الوافر والخاص بموريطانيا الطنجية من خلال مجلتي *P.S.A.M.* (منشورات مصلحة الآثار القديمة بالمغرب) و*B.A.M.* (مجلة الآثار المغربية) ومجلات أجنبية (فرنسية على الخصوص)، يهم إنتاج توڤنو الجغرافيا التاريخية والتاريخ العام والمخلفات الأثرية والمعتقدات العتيقة. راجع إنتاجه بالتفصيل في المرجع التالي.

مصطفى م. رشيد، *المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين*، الدار البيضاء، 1992.

مصطفى مولاي رشيد

**تُوگّا** ـ بتضعيف الگاف ـ تعني الشهادة لإثبات شيء أو نفيه، سجلت في جميع الأعراف الأمازيغية المكتوبة. كما وقع تقنينها وتقنين عقوبتها أو جزائها الإيجابي. فعندما تـهمّ تلك الشهادة المجتمع القبلي عامة، كأن يؤديها شاهد لجماعة إنفلاس لإثبات أمر جلل، وتكون تلك الشهادة أساسا في فض المشكل، فإن الشاهد ينال جائزة يعلن الجمع العام عن مقدارها قبل ظهور الشاهد.

كما يكون للشهادة وزن كبير عندما تصدر عن شخص تقي بعيد عن كل الشبهات، وفي نفس الوقت تكون العقوبة قاسية متى كانت الشهادة زورا، كل ذلك مقنن في الأعراف، واسم الشاهد إينيگي وجمعه إينـَّاگـان.

م. العثماني، *ألواح جزولة*، ذ. د. ع ؛ أوزال، *الحوض في الفقه المالكي باللسان الأمازيغي*، تح. الرحماني عبد الله الجشتيمي ؛ *عرف أيت باعمران، عرف العوينة وآل تزنيت* ؛ م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*.

الحسين جهادي

**توكودا**، أمير ينتمي إلى قبيلة البكواتيين في موريطانيا الطنجية، خلال فترة السيطرة الرومانية. وهو أول من وقّع مع السلطة الرومانية في ولاية موريطانية الطنجية على معاهدة سلم، ترجع إلى عهد الامبراطور الروماني أنطونينوس Antoninus، حوالي سنة 140 للميلاد.

وقد تمتع هذا الأمير البكواتي بحق المواطنة الرومانية، ولذلك أُعطي لقب أيليوس Aelius. ووردت هذه الأخبار في نقيشة مكتوبة باللاتينية، عثر عليها في مدينة وليلي،

جاء فيها ما يلي : Aelius Tuccuda Princeps Gentis Baquatium.

M. Euzennat et J. Marion, *Inscriptions antiques du Maroc*, 2, *Inscriptions latines*, Paris, 1982 ; E. Frezouss, *Les Baquates et la province romaine de Maurétanie Tingitane*, *B.A.M.*, 2, 1957, p. 65 - 116 ; M. Rachet, *Rome et les Berbères : un problème militaire d'Auguste à Dioclétien*, Paris, 1970.

محمد مجدوب

**تولا**، إحدى قرى قبيلة سُمَاتَة، مندرجة ضمن فرقة الشناتفة، واقعة على ظهر الكتلة الجبلية المشرفة على واد المخازن من شمال القبيلة، بجوار الشناتفة والرواوسة. يتجمع السكن حول عين الحديد، أحد منابع واد الرواوسة، رافد واد المخازن. من القرى التي تعرضت كثيراً للغارات البرتغالية انطلاقاً من أصيلا، سيما سنة 1529، حين سلب جنود أصيلا منها ومن القرى المجاورة لها ما زاد على ألفي رأس ماعز. ووصل البرتغاليون إليها عن طريق بني گرفط وبني ومراس العروسيين.

*ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية*، 57 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري*، 2 : 426.

B. Rodrigués, *Anais de Arzila*, 2 : 86 - 129 - 130.

حسن الفگيگي

**تولال**، قصبة شيدها السلطان الحسن الأول من أجل تقوية المرافق الدفاعية لمواجهة هجمات القبائل على مدينة مكناس، ولذلك اختار موضعها غرب المدينة على الضفة اليسرى لواد بواسحاق، عند أهم نقطة اتصال بينها وبين قبائل گروان، وأسكن بها أهل تولال الذين ينتسبون إلى تولال أحد أودية صحراء تافيلالت حسب ما ورد عند ابن زيدان في *إتحاف أعلام الناس* (1 : 217).

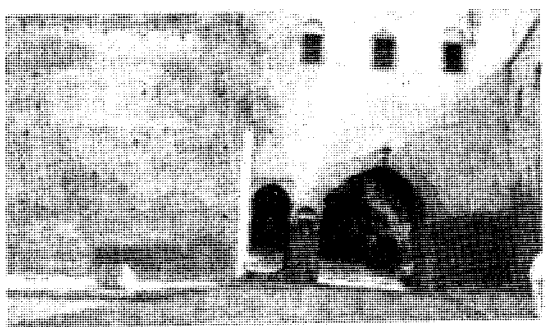

لم يكن مجيء هؤلاء إلى مكناس مرتبطاً ببناء القصبة. ذلك أن نقلهم من صحراء تافيلالت تم بأمر من السلطان مولاي عبد الرحمن عقاباً لهم على تمردهم. وأُنزلوا بدار دبيبغ بنواحي فاس، وجعلوا تحت إمرة القائد فَرَجي. ولجأ المولى محمد بن عبد الرحمن سنة 1882 م إلى ترحيلهم من فاس، وأسكنهم بضواحي مكناس جنوب قصبة سيدي سعيد، وأدرجهم في الجيش البخاري، بهدف تقوية هذا الأخير الذي كان قد وصل إلى أقصى درجات الضعف والتردي. وظلوا يسكنون الخيام إلى أن بنى لهم المولى الحسن القصبة التي اقترنت باسمهم لتقوم بحراسة مكناس في وقت كثرت فيه هجومات القبائل المجاورة خاصة أثناء الأزمات.

ظلت هاته القصبة تقوم بدورها طيلة العهد الحسني، ثم أهملت وتلاشت دورها وأسوارها خاصة بعد فرض الحماية على المغرب، فقد كانت تولال من بين المناطق التي شملتها التجارب الاستيطانية الأولى سنة 1915 م، واستحوذ إيميل پانيو Emile Pagnon - أكبر معمري الإقليم - على جل أراضي تولال الجماعية، وحولها إلى ملك خاص له.

وتعتبر تولال اليوم أهم مركز حضري في الضاحية الغربية لمدينة مكناس سواء من حيث تعداد سكانها (10.540 نسمة حسب تقديرات 1992) أو من حيث توسعها المجالي (117 هكتار). أما القصبة فلم يبق منها ماثلا للعيان غير بعض الأسوار المتلاشية.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام*، الجزء الأول، ص. 217 ؛ *زيارة ميدانية*.

رقية بلمقدم

**تولوك** Tulluck منصِّرة بريطانية من مواليد إيقوسيا، وصلت إلى طنجة سنة 1884 وماتت بعد سنتين، وأطلقت بعثة نورت أفريكا ميشن North Africa Mission على أحد مستشفياتها بطنجة اسمها تخليداً لها.

مييج، *البعثات البروتيستانية بالمغرب* 1875 - 1905، في مجلة *تمودا*، المجلد 42 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1401.

مصطفى بوشعراء

**التوليد التقليدي** في المغرب القديم، إن المصطلح المستعمل بمعنى القابلة أو المولدة التقليدية هو Obstetrix iatromaea بمعنى تلك التي تقطع حبل الصُّرَّة ونصادف أحيانا مصطلح Medica وخاصة فوق النقائش اللاتينية الإيطالية (*Cil*, VI, 1477).

كانت النساء الطبيبات في روما وبلاد اليونان يتخصصن في ميدان التوليد ولم يكن الأطباء يتدخلون في هذه العملية إلا في الحالات المستعصية. وقد لاحظ الطبيب أبوقراط Hippocrate في كتابه *الجامع في أمراض النساء* قلة خبرة الأطباء في هذا المجال (مجال التوليد) نظراً لعدم لجوء النساء الحوامل لخدماتهم.

لم يكن التوليد في المغرب الهاجس الوحيد الذي كان يهدد صحة النساء، فقد كانت القابلات يعالجن أمراضاً أخرى كالعقم وغيره، كما أشار إلى ذلك كل من Martial (XI, 71) وJuvénal (*Sat*, II, 141) وبلينيوس الشيخ (*H N*, XXVIII, 82). وقد اشتهرت في القديم، قابلة عرفت تحت اسم Salpé أشاد المؤرخ بلينيوس بروحها العلمية.

كانت القابلات محط تقدير، يتم اختيارهن في الغالب من بين المعتقات للعمل في هذا الميدان. وقد ورد على روما أطباء إغريق وقدمت معهم مولدات إغريقيات عوضن في روما المتجالات Matronnes.

ترك لنا سقراط وهو ابن قابلة صورة حية عن هذه المهنة، وكذلك فعل الطبيب اليوناني سورانوس Soranus

خمسة قرون بعده في مؤلفه Gynaecia (القرن الثاني الميلادي) يقول سقراط :" إن أي قابلة لا يمكن لها أن تولد نساء أخريات مادامت هي قادرة على الإنجاب".

إن القابلات يعرفن كيف يخففن من آلام النساء الحوامل عن طريق بعض الأدوية وقد عرض الطبيب سورانوس في مؤلفه السابق الذكر، وبتفصيل، للخصائص التي يجب توفرها في القابلة ومن بينها معرفة الكتابة والتمتع بعقل سليم وبصحة جيدة وأن تكون لها معرفة بالتغذية والصيدلة وكذا الجراحة. كما أن سورانوس كان يحذرهن من المعتقدات الباطلة Supersition ومن عملية الإجهاض التي عرفت انتشاراً واسعاً خلال العهدين الجمهوري والأمبراطوري بروما، في حين كان يقدم لهن نصائح طبية هامة خاصة فيما يتعلق بعمليات التوليد المستعصية كانقلاب الجنين وكذا الحالات التي يجب اللجوء إليها لإخراج الجنين من الرحم لإنقاذ حياة الأم Embrytomie.

وقد حملت النقائش الإغريقية بعض أسماء أولئك اللاتي امتهن حرفة التوليد التقليدي بحيث عثر في مدينة Tiboursouk (*Ilalg* I, 1377) على شاهد قبري لقابلة تدعى Irene عاشت خمسا وثلاثين سنة وهي زوجة أحد الأطباء.

ومن Thagaste (*Ilalg*, 887 = AC, 1914, 240) جاءتنا نقشية هي الأخرى عبارة عن شاهد قبري لقابلة تدعى Caelia Victoria عاشت 26 سنة.

إن هذه الشهادات التي تعود للقرن الأول للميلاد ربما وجدت استمرارية خلال عهد القديس أُغسطين وبعده بقليل بحيث ترك لنا أحد الأطباء (القرن VIم) موجزاً طبياً عنوانه Muscio استفاد فيه من مؤلف Cynaecia للطبيب اليوناني Soranus، وقد عرف هذا الموجز نجاحاً كبيراً خلال القرون الوسطى.

S. Reinach, *"Medicus"*, in *Daremberg-Saglio, Dictionnaire des antiquités grecques et romaines*, p. 1674 et suiv. ; N. Ben Seddik, *La pratique médicale en Afrique au temps de Saint-Augustin, Africa Romana, Atti del VI convegno di studio Sassari*, 1988, 663 - 682 : *Insriptions latines d'Algérie*, T. I ; *Année Epigraphique*.

عبد العزيز بل الفايدة

ابن **تومرت، محمد** بن علي أو محمود أو محمد المغربي الأندلسي المالكي. وهو غير المهدي ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين، إلا أنهما قد يكونان من أسرة واحدة. لذلك وقع الخلط بينهما عند بعض أصحاب كتب التراجم والفهارس المتأخرين كصاحب *كشف الظنون* ومؤلف *هدية العارفين*، اللذين جعلاهما شخصاً واحداً بنفس تاريخ وولادة ووفاة المهدي (485 . 543)، ونسبا مؤلفات محمد بن علي للمهدي.

والذي تنبه للتمييز بين الشخصين هو بروكلمان في كتابه *الأدب العربي*، وقال إن ابن تومرت المغربي الأندلسي من رجال القرن الرابع (توفي عام 391 / 1001 م) ويُروى أنه صنف نحو خمسمائة كتاب، وكانت له في مكتبة جوتا سبعة عشر مخطوطاً لم يبق منها إلا الصفحة الأولى من كتاب في أصول الدين، وقطعة من كتاب في الطب، وعزز هذا الرأي المستشرق كولدزيهر مؤكداً وجود عدة نسخ مخطوطة تامة لأحد كتب ابن تومرت هذا في الخزانة الخديوية بالقاهرة وهو *كنز العلوم والدر المنظوم في حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة*.

وعلق محمود مكي على كتاب *كنز العلوم* في جملة من المخطوطات التي اطلع عليها أثناء زيارته للمغرب في يوليوز سنة 1961. ورقمه في الخزانة العامة بالرباط 1563 ك، ونسبه لابن تومرت الأندلسي المغربي، إلا أنه عده - تبعاً للمستشرقين السابقين - من أهل القرن الرابع واستنتج على ذلك بطلان ما يردده بعض الباحثين من عدم رواج العلوم الفلسفية أيام الخلافة الأموية والدولة العامرية. وقد اطلع محمد إبراهيم ألوزاد على هذا المخطوط وقارنه بمخطوط آخر بتونس، فتبين له تطابقهما، وترجح لديه أخذاً من نصوص الكتاب واستشهاداته أن المؤلف ابن تومرت من رجال القرن السابع، وقال إن الكتاب مازال يفتقر إلى تحقيق علمي.

حاجي خليفة، *كشف الظنون*، 2 : 1518 ؛ إ. باشا البغدادي، *هدية العارفين*، 2 : 90 ؛ ع. كحالة، *معجم المؤلفين*، 10 : 312 ؛ كـ. بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، تر. النجار، 3 : 391 ؛ محمود مكي، *صحيفة المعهد المصري بمدريد*، مجلد 9 . 10، ص. 445 ؛ م. إبراهيم ألوزاد، *ابن تومرت الأندلسي وكتابه كنز العلوم*، *مجلة كلية الآداب بفاس*، العدد 11، 1990، ص. 133 . 162.

I. Goldziher, *Le livre de Mohamed Ibn Toumarte*, Alger, 1903, Appendice 1, p. 103 - 105.

محمد حجي

ابن **تومرت، المهدي** هو - كما عند ابن خلدون - محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصال. أمازيغي من قبائل مصمودة. والرأي الغالب أنه ولد عام 471 أو 474 هـ الموافق 1078 أو 1081 م.

وصلنا من تآليفه بالعربية : *كتاب أعز ما يطلب* وأبوابه في الفقه والعقيدة، رواها عنه خليفته عبد المومن ؛ *وشرح الموطأ* للإمام مالك برواية يحيى المخزومي، رواه عنه عبد المومن كذلك ؛ *وسفر في تلخيص صحيح مسلم* ؛ *ورسائل* وأقوال متفرقة.

يتبين من خلال هذه النصوص أن عقيدة ابن تومرت تتمحور حول مسألتين رئيسيتين في الكلام الإسلامي الوسيط : مسألة التوحيد ومسألة الإمامة. تتميز منهجيته بالرجوع إلى الأصول ونبذ كتب الفروع التي انكب عليها التقليد السلفي في المغرب والأندلس واعتمدها وحدها في تقرير مبادئ العقيدة.

مسألة التوحيد : أجمع الذين أرّخوا للدولة الموحدية على أن دعوة المهدي ابن تومرت في بلاد المصامدة عرفت أول خطواتها الحاسمة بإثارته لتهمة التجسيم في وجه المرابطين. ففي *أعز ما يطلب* "باب في بيان طوائف المبطلين من الملثمين والمجسمين وعلاماتهم" (ص. 242) وفيه نجد

أيضاً رسالة تذكر ضمن ما يبرر ضرورة الجهاد في المرابطين وقتالهم تهمة التجسيم وإكرام المجسمة، ويتكرر في هذا النص الربط بين التجسيم والفساد. وأن من "قُتل من المجسمين والمفسدين فهو في النار ومن قتل من الموحدين والمجاهدين فهو شهيد" (ص. 264 ـ المصدر). كما نجد فيه باباً صريحاً في "وجوب جهادهم على الكفر والتجسيم" (ص. 246 ـ المصدر).

إن تهمة التجسيم هي التي منحت مسألة التوحيد موقع الصدارة في دعوة ابن تومرت وحركته. ذلك أن الأمر يتعلق بموقفين متعارضين منذ ظهور الإسلام من الذات الإلهية وصفاتها : موقف المجسمة وموقف المنزهة. وتوحيد ابن تومرت يدعم الاتجاه السني العام في التوحيد : إدانة كل تعطيل وتجسيم للذات الإلهية وتكفير أصحابه والإلحاح على المباينة المطلقة بين الخالق والمخلوق، بين الله والعالم أي التصريح بالتنزيه المطلق كما أشاعه التقليد الاعتزالي ـ الأشعري في المشرق، وظل غريبا عن سلفية الفقهاء في دولة المرابطين.

إن ثمة من شكك في تهمة التجسيم كما شكّك في سائر التهم الغليظة التي صدرت عن المهدي بن تومرت في حق المرابطين وفقهائهم واعتبر هذه التهم مجرد دعاية سياسية تستغل سذاجة الأتباع شأنها في ذلك شأن أساليب الادعاء التي لجأ إليها المهدي بن تومرت لتعظيم شخصه غير أن قراءة متأنية لأهم مؤلفات أعلام الفقه في دولة المرابطين ككتاب *الشفا* للقاضي عياض وكتاب *العواصم من القواصم* للقاضي أبي بكر بن العربي لا تؤيد هذا التشكك، فتردد الحرفية واللاأدرية عند عرض الآيات والأحاديث المتعلقة بالصفات الإلهية أو التي يرتبط فهمها بمسألة الصفات كحديث الإسراء والمعراج ينحو منحى التجسيم إن لم يُعلنه صراحة.

بل إن هذا المنحى يفرض نفسه رغم أن هذه المؤلفات في أماكن أخرى تدين التجسيم وتتبنّى التنزيه المطلق. فالمهدي ابن تومرت استفاد من المأزق الذي وقعت فيه سلفية المرابطين التي تتحاشى التأويل الكلامي. وأمكنه ذلك لعلمه الدقيق بالممارسة الكلامية خلال رحلته إلى المشرق وحضور دروس عدد من أئمة الأشاعرة كالطرطوشي. (ولو أن صلته بالغزالي غير ثابتة رغم ذيوع أمرها). ذلك أن الأشعرية في المشرق خلال هذه الفترة منحت للتوحيد أولوية في تصانيفها، وتقلص لديها، إن لم ينقرض تماماً، باب العدل. والملاحظ أن تهمة التجسيم كانت حاضرة في السجال الكلامي آنذاك. بل إنها كانت الرد الحاسم على دعاوي الحنبلية النقلية التي استفحل أمرها في بغداد.

لا نجد في أقوال المهدي ابن تومرت ما يشير تهمة التجسيم التي كفّر بسببها المرابطين، ذلك أن مسألة التوحيد عموما لم يلتزم في تقديم قضاياها المنهجية التقليدية في صناعة الكلام : فحصر اعترافات سائر الأطراف وبناء استدلالات النفي والإثبات عبر هذا الفحص وفي نطاقه. فالمهدي ابن تومرت في سائر نصوصه تحاشى هذه المنهجية الجدالية، وحرص ما أمكنه ذلك، على تقديم تعاليمه في صيغة تغلب عليها النزعة التقريرية ـ الوثوقية. فموقعه كداعية وسط جمهور لا عهد له بالجدل الديني وروح الفقهية التي ظلت أصيلة في شخصيته، كل ذلك له صلة بطريقته في العرض التي حرصت على بيان التوحيد دون بيان التجسيم.

ففي *المرشدة* يحكم المهدي بن تومرت أن وجوب الإيمان بعقيدة التوحيد واجب كسائر الواجبات الشرعية على المكلفين، فوجب على كل "مكلف أن يعلم أن الله عز وجل واحد في ملكه خلق العالم بأسره" وأن جميع الخلائق "مقهورون بقدرته" وأنه موجود "قبل الخلق" وأنه "كوّن المكان ودبّر الزمان لا يلحقه وهم ولا يكيفه عقل" ( *أعز ما يطلب*، ص. 228).

ويضع المهدي بن تومرت في أحد أبواب التوحيد، إثبات الواحد ونفي ما سواه كحد فاصل بين الإيمان والكفر. فكل من يعبد سواه "يجب نفيه والكفر به والتبرؤ منه" (*أعز ما يطلب*، ص. 267). إن هذه القضية المسلم بها في الوسط الإسلامي قدمها المهدي في صياغة لا تزال تحمل إلى اليوم دلالة سياسية ـ تحريضية. فقد استعمل الوهابيون في العصر الحديث ما يماثل هذه الصياغة. فالتوحيد كما قال ابن تومرت "هو إثبات الواحد ونفي ما سواه من إله أو شريك أو ولي أو طاغوت" ( *أعز ما يطلب*، ص. 267).

بيد أن عرض ابن تومرت لمسألة التوحيد تخللته بعض الاستدلالات. وأهم ما يمكن الوقوف عنده الاستدلال الذي بدأ به أبواب هذه المسألة. فقد بين ما أكده المعتزلة والأشاعرة من كون "الواحد" سبحانه يعلم بضرورة العقل. وأن هذا العلم ينبني على "افتقار الخلق إلى الخالق" وعلى "وجوب الخالق". ( *أعز ما يطلب*، ص. 272). كما أنه حاول أن يقدم بإيجاز مبسط بعض الدلائل على وجود الله : فبحدوث "نفسه يعلم الإنسان وجود خالقه". وبجميع "المخلوقات يعلم وجود الباري سبحانه" ( *أعز ما يطلب*، ص. 214.215).

وينتقل المهدي بن تومرت بعد ذلك إلى إثبات أن الخالق يستحيل أن يكون من جنس "المخلوقات" إذ لو كان من جنسها "لعجز كعجزها" وعندئذ يستحيل منه "وجود الأفعال" (*أعز ما يطلب*). وإذا علم نفي "التشبيه بين الخالق والمخلوق" علم وجود الخالق "على الإطلاق" من غير تشبيه أو تكييف. ليس له مثل "يقاس عليه". فلا يلحقه الوهم ولايكيفه العقل ( *أعز ما يطلب*، ص. 216.217).

من الصعب تبعا لهذا المدخل وما يلحقه أن يقارن توحيد المهدي بن تومرت بما وضعه أئمة المعتزلة والأشاعرة في المشرق. فأقربُهم إلى عهد ابن تومرت إمام الحرمين الجويني (المتوفى عام 478 هـ / 1085 م) وضع مصنفات لا مثيل لها في النظر والتدقيق والعمق وفيها أعاد صياغة دليل الحدوث صياغة خلص منها إلى إثارة قضايا فلسفية

"طبيعية" تتعلق بحدوث الجواهر والأعراض، أثارت جدلا ونقاشاً في الوسط السني. ولا وجه لأن يقارن توحيد ابن تومرت أيضا بما وضعه ابن حزم الأندلسي الظاهري (المتوفى عام 456 هـ / 1064 م) في أبواب كتابه المعروف *الفصل في الملل والأهواء والنحل*.

لكن ابن تومرت منح للتوحيد ما عجزت عنه كتب المتكلمين وسجالهم في المشرق والأندلس. فالبساطة في التعبير وقوته قرّبت ما هو نظري مجرد وبالغ التعقيد والالتباس إلى نفوس العامة فنشأ له اقتناع في عقولهم وإيمان في قلوبهم. وبدت لهم دعوة ابن تومرت امتداداً لدعوة الرسول لمقاومة الوثنيين الكفار المجسمين المفسدين.

مسألة الإمامة : تؤكد المصادر أن المهدي ابن تومرت أعلن أنه هو "المهدي" بعد استقراره بتينمل (على وادي نفيس) سنة 515 / 1121. وبايعه الناس على ذلك وقمع كل المخالفين والمشككين في مهدويته وانكب بعد ذلك على تنظيم أنصاره وتسيير الحملات العسكرية ضد المرابطين.

إن هذا التطور السياسي له صلة بمسألة الإمامة. فإذا كانت مسألة التوحيد قد هيأت الإطار المذهبي للدولة الموحدية الناشئة فإن مسألة الإمامة حددت البنية التنظيمية لهذه الدولة ومشروعية سلطتها.

ارتبطت مسألة الإمامة في نصوص المهدي بن تومرت بتهمة أخرى في حق المرابطين : تهمة الظلم والفساد السياسي، فله باب فيما "أحدثوه من المناكر والمغارم وتقلبهم في السحت والحرام.." ( *أعز ما يطلب*، ص. 244). ويفهم من تفاصيل هذا الاتهام العنيف أن المرابطين في نظر ابن تومرت أباحوا ما حرّمه الشرع : تبرج النساء، شيوع الخمر، الاختلاط في الأماكن العامة، فرض المغارم والمكوس.. إلخ. فبطلت طاعتهم ووجبت مخالفتهم وبغضهم ومعاداتهم وتحريم الاقتداء بهم. والأهم من هذا "وجوب جهادهم على ارتكاب المناكر" وعلى "العناد والفساد في الأرض" ( *أعز ما يطلب*، ص. 245 ـ 249).

والواقع أن المهدي ابن تومرت رسخ بهذه التهمة تقليداً دأبت على إحيائه كل الحركات السياسية المتمردة في الوسط السني. وقد نجح ابن تومرت عبر هذا التشهير بفساد الدولة المرابطية في النيل من مشروعية إمامتها، وتقديم نفسه وأنصاره كبديل لهذه الدولة الفاسدة. ومن ضمن أسباب هذا النجاح أن الدولة المرابطية التزمت في دعوتها وسياستها تطبيق الشريعة الإسلامية بكل دقة وصرامة، وقدم أمراء الدولة أنفسهم في صورة زهاد ومجاهدين فأصابت تهمة ابن تومرت صميم هذا الخطاب الرسمي وتيسر لها الطعن في مثاليته الدينية، يضاف لذلك أن هذه الدولة لم تتلقب بألقاب الخلافة واكتفت بولاء لا وزن له لخليفة ضعيف ببغداد بعد أن شنّع خصومها في الأندلس بنسبها الأمازيغي الصريح الذي يتنافى مع شرائط الإمامة في كتب المتكلمين.

لذلك حرص المهدي بن تومرت على تقديم نظرية في الإمامة تمنحه مشروعية السلطة وإقامة دولة على أنقاض المرابطين. وهي نظرية تستفيد من الجدال التقليدي في هذه المسألة لكنها تتميز بتفردها.

فابن تومرت طرح مسألة الإمامة كما طرحتها الفلسفة الشيعية في أفق تاريخي شمولي. فلا تنحصر الإمامة في خلافة الرسول ولا تبتدئ بوفاة الرسول. إن الإمامة هي مدار التاريخ الإنساني كله. ماضيا وحاضرا ومستقبلا. إن مسألة الإمامة هي مسألة الحق في الدنيا منذ آدم إلى نهاية الحياة الدنيا. "فلا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة في كل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة" ( *أعز ما يطلب*، ص. 229). إن للإمامة نفس مقام التوحيد ومكانة الوحيد. فهي تشكل مع التوحيد في مذهب ابن تومرت قطبين رئيسيين للإيمان الصحيح.

لكن ابن تومرت ينفصل عن التحليل الشيعي لهذه التاريخانية، فهي لا تتعلق عنده بميتافيزقيا باطنية مخالفة للعقيدة السنية، بل هي مجرد قراءة مركزة للتاريخ الديني المقدس في المدونة السنية، تاريخ الرسالات السماوية وتاريخ الخلفاء الراشدين وما بعدهم. رغم أن تعبير ابن تومرت يستلهم البيان الشيعي : "إذ لا يقوم بحقوق الله إلا العدل الرضا المعصوم من الفساد والفتن كلها". والإمام هو العمود "الذي قامت به السموات والأرض في سائر الأزمان في الدنيا" ومتى زال العمود "خر السقف من فوق" ( *أعز ما يطلب*، ص. 230).

تبتدئ الإمامة أو تاريخ الإمامة في نظرية ابن تومرت بمرحلة أولى تتميز بعصمة الإمام : بعصمته من الضلال والفساد والفتن. وهي المرحلة : "من آدم إلى نوح ومن بعده إلى إبراهيم". وتتميز المرحلة الثانية "من بعد إبراهيم والنبيئين إلى داود" ببروز الأمر الإلهي. أمر الله أن يحكم في الناس "بالحق" وأن يلتزم الناس "الطاعة" للإمام. وفي المرحلة الثالثة "من داود إلى عيسى" أصبحت الإمامة تفيد الطاعة المطلقة ولو في "أدنى الأشياء" ( *أعز ما يطلب*، ص. 229 ـ 230).

وبهذه المراحل الثلاث تكتمل فترة ما قبل الرسول المصطفى (صلعم) كما تكتمل معالم الإمامة الثلاث (العصمة / الأمر / الطاعة). وفي فترة الرسول تجسدت هذه المعاني في إمامته في أكمل صورها. فجعله الله "إمام المتقين في زمانه ورسوله إلى العالمين وأظهر دينه على الدين كله" وأخلص له أتباعه الطاعة في القليل والكثير "وبذلوا له المهج والنفوس ولزموه لحسن الصحبة" ( *أعز ما يطلب*، ص. 231).

إن فترة الخلفاء الراشدين سماها ابن تومرت "بمدة خلافة النبوة" واستمرت ثلاثين سنة بعد المصطفى (صلعم). والملاحظ أنه لم يساير النقد الشيعي أو الخارجي لهذه الفترة، بل إنه أقر كأهل السنة عموماً بإمامة أبي بكر وعمر. فالرسول اختار أبا بكر للصلاة بالناس وقدمه على غيره من الصحابة. فرضيه للناس "إماما في دينهم" وكان

من الطبيعي أن يرتضيه المسلمون إماماً لدينهم ودنياهم بعد وفاة الرسول ( *أعز ما يطلب*، ص. ص. 232) وانبنت إمامة عمر على قيامه بالحق "أحسن قيام" وطاعة الناس له. "كما ثبت من صفاته وأخباره" ( *أعز ما يطلب*، ص. 332).

لكن المهدي بن تومرت تحاشى ذكر إمامة عثمان وعلي واكتفى بالقول بأن الأمر ظل على نفس النهج بعد وفاة عمر إلى أن اكتملت السنة الثلاثون بعد وفاة الرسول، أي (تاريخ مقتل علي بن أبي طالب)، فتمكّن بذلك من تلافي الخوض في السجال الديني - السياسي الذي أسهبت فيه كتب الفرق في تفسيرها للأحداث الخطيرة التي هزت الضمير الإسلامي في صدر الإسلام. (الثورة على عثمان ومصرعه والمعارك الدامية بين علي وخصومه...) كما أمكنه التخلص من المواقف التقليدية في هذا السجال.

إن الفترة التي أعقبت الخلافة الراشدية تبدو في وصف ابن تومرت ذات ملامح سوداوية، وتمتد إلى زمنه. فكل الدول المتعاقبة في المشرق والمغرب الإسلامي لم تتوفر فيها شرائط الإمامة الصحيحة. فقد تفرقت "السبل وتفرقت الآراء وظهرت الفتن". وذهب العلماء "بالكفر والفسوق والعصيان" وتغيرت "بالبدع والأهواء" وامتلأت "بالجور والظلم والهرج والفتن". وساد في تعاقب الدول مبدأ "الاستيلاء والغلبة". ويسهب ابن تومرت في هذا الوصف الظلامي - الذي لا يزال يلقي ترحيبا في الوسط السلفي إلى اليوم - وقصده الرئيسي أن يضع المقدمة الضرورية والأساسية لإثبات ضرورة عودة الإمامة بأسمى معانيها في شخص المهدي لإنقاذ الأمة بعد طول انتظار، ولإثبات كونه هو ذلك المهدي وزمنه هو زمن "المؤيد المنصور القائم بالحق بعد ذهابه" ( *أعز ما يطلب*، ص. 233). فالمهدي جاء في "زمن الغربة" الزمن الذي "عكست فيه الأمور وقلبت الحقائق وبدلت الأحكام" ( *أعز ما يطلب*، ص. 234). وقد خصّه الله "بما أودع فيه من معاني الهداية ووعده قلب الأمور عن عاداتها وهدمها بهدم قواعدها ونقلها إلى الحق" ( *أعز ما يطلب*، ص. 234). وعبر هذه الفوارق (الظلام والنور - الظلم والعدل - الباطل والحق - الجهل والعلم.. إلخ) انتقلت إمامة ابن تومرت من مجال الذاكرة الإيمانية (تاريخ الأنبياء والخلفاء الراشدين) إلى مجال العلم السياسي - الديني، حكم الإمامة، حكم الحق في الدنيا، حكم الأمل الذي انتظرته طوائف الشيعة والخوارج وانتظره المعلم الثاني أبو نصر الفارابي، وحكم المستحيل في مذهب الغزالي وابن باجة وابن رشد وابن خلدون.

ولا نعتقد أن نقد مهدوية ابن تومرت وما ادعاه من عصمة ونسب نبوي وما زعمه من تجسيد لكل علامات "المهدي" التي شاعت في التراث الإسلامي يمكن أن يخلق أي اضطراب جوهري في مذهب ابن تومرت السني. ذلك أن الإمامة ظلت في الكلام السني منفصلة عن "بقية الأبواب" ظلت منطقة تعكس التعارض بين الواقع والمنال، تتعدد فيها الاجتهادات التي كانت تتوخى كلها تجنب التطرف الشيعي أو الخارجي. بيد أنها دوما كانت منطقة الذكرى والحلم. منطقة تصور الإنسان الكامل المنقذ. ويحدو الأمل دوما السلفية السنية إلى اليوم في إحياء عهد النور النبوي وعهد الخلفاء الراشدين.

لا شك في أن فقه ابن تومرت يستحق الدرس والتحليل، لكنه لم يبلغ رغم عودته إلى الأصول مقام عقيدته التي أوجزنا أهم ملامحها في التوحيد والإمامة، فهي عقيدة وإن تعذرت مقارنتها نظريا بكلام أئمة الاعتزال والأشعرية في زمنه فإنها تفردت عنهم جميعا، فالمهدي بن تومرت وضع عقيدة سياسية كان لها التأثير والحضور والفعالية. فأسس في الوسط السني التكامل الذي ظل مفقوداً بين النظر والعمل. إسلام الأدلجة والتنظيم والتحريض. الإسلام الذي يتحاشى الجدال والسجال ويغذي الحلم الجماعي في مدينة فاضلة يحكمها الأمر الإلهي.

ابن تومرت، *أعز ما يطلب*، تح. عمار الطالبي، الجزائر، 1985 ؛ *العقيدة*، القاهرة، 1328 هـ ؛ البيذق، *كتاب أخبار المهدي*، تح. ليفي برفنسال، باريس، 1928 ؛ ألفريد بل، *الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي*، بيروت، 1987 ؛ محمد ألوزاد، *ابن تومرت الأندلسي*، *مجلة كلية الآداب فاس*، 11، 1990 ؛ ع. بـــــدوي، *مقالات الإسلاميين*، بيروت، 1971 ؛ المراكشي، *المعجب*، ص. 198 ؛ ابن الأثير، *الكامل*، ح - ص. 571 ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، ص. 45 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، ص. 193 ؛ ابن خلدون، *كتاب العبر*، ج 6، ص. 488.

I. Goldziher, *Le livre de Mohamed Ibn Toumarte*, Alger, 1930 ; *Encyclopédie de l'Islam*, Nlle. Ed., T. III, *Ibn Toumarte* ; *Hespéris*, 1924.

محمد ألوزاد

## تومليلين ← تيومليلين

**التومي**، أسرتان تطوانيتان، أصل الأولى من مدشر عين التوم بفرقة العزابة من قبيلة بني عروس (إقليم العرائش)، وقد اشتهر أفرادها في الماضي بمهارتهم في صنع "السفنج" (كعك من العجين المقلي). والثانية أصلها من الجزائر، وكان جل أفرادها ينتمون إلى الجندية حيث نجد ذكر بعضهم في الوثائق مثل محمد التومي الذي كان جندياً بفرقة البحرية سنة 1246 / 1831 وعبد الرحمن بن أحمد التومي الذي كان مدفعيا بحامية المدينة سنة 1292 / 1875 والبحّار أحمد بن عبد الخالق التومي الذي كان ينتمي إلى نفس الحامية سنة 1296 / 1879، والجندي أحمد بن البشير التومي الذي كان مدفعيا سنة 1300 / 1883.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 55 ؛ م. داود، تاريخ تطوان، 6 : 170، 8 : 212 - 250 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum de Interventiones* (año 1931) 1932 (T).

محمد ابن عزوز حكيم

**تُونْزي**، محمد بن أحمد، أحد أنشط المقاومين ضد الاستعمار الفرنسي. ولد سنة 1931 بمدينة أسفي، واشتهر

كأول مسؤول عما كان يعرف "بالمجموعة البريدية" التي كانت مكلفة بنقل المناشير والرسائل السرية من الأمانة العامة لحزب الاستقلال بالرباط إلى أسفي، ومنها إلى كل من الصويرة ومراكش وأكادير. وكانت هذه المجموعة تضم علاوة عليه السيد عبد الخالق الشقوري والسيد بْريك...

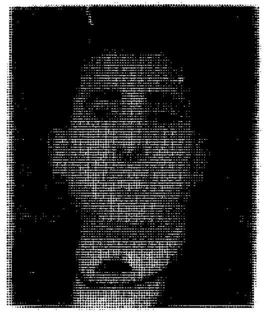

تونزي محمد

ولعب السيد محمد تونزي دوراً أساسياً في نجاح مهام لجنة تموين المعتقلين الوطنيين المنحدرين من مدينة أسفي ونواحيها بمختلف سجون المغرب، فكان رحمه الله، يسهر على توزيع التموين عليهم ويعمل جهد المستطاع لمعرفة أحوالهم الصحية... كما أن السيد تونزي كان أحد الأعضاء النشيطين في خلية "أسود التحرير" التي أسست بأسفي إبان أزمة 1953 ـ 1956 والتي كان لها نشاط ملحوظ في مجال مقاومة الاستعمار.

اعتقل السيد تونزي عدة مرات. وتوفي بأسفي يوم 15 جمادى الأولى عام 1412 / 22 نونبر 1991.

*معلومات شخصية وروايات شفوية ؛ استجواب مع السيد مَحمد بن الخضير، في جريدة "العلم" بتاريخ 11 / 12 / 1989.*

عبد الرحيم العطاوي

**تونس والمغرب**، ترجع العلاقات بينهما في العصر الإسلامي إلى عهد الفتح العربي في منتصف القرن الهجري الأول (7 م). وقد دعا العرب القطر التونسي ـ تبعاً للرومان ـ افريقية، كما دعوه أيضاً المغرب الأدنى لقربه من بلادهم في مقابل المغرب الأقصى البعيد عنها. فبعد أن أسس عقبة بن نافع الفهري القيروان عام 50 / 670 ثم فتح المغرب الأقصى عام 62 / 682 توالي الولاة على حكم هذه المنطقة الممتدة من المغرب الأدنى إلى المغرب الأقصى من مدينة القيروان باسم الأمويين ثم العباسيين إلى أن جاء إدريس بن عبد الله الكامل فأسس بأقصى المغرب عام 172 / 788 دولة مستقلة في وليلي بجبل زرهون ثم في فاس بعد تأسيسها. وبذلك انفصل المغرب الأقصى عن نظر العباسيين بالشرق وولاتهم بالقيروان.

وللتشويش على الدولة الناشئة أقام العباسيون إمارة بني الأغلب في القيروان (184 / 800) ليكونوا شوكة في حلق الأدارسة، لكن العلاقات بين فاس والقيروان ولو أنها اصطبغت بصبغة الحذر والتربص لم تصل قط إلى المواجهة.

ولما حل العبيديون الفاطميون الشيعة محل الأغالبة في افريقية (297 / 910) حاولوا ـ بدون جدوى ـ بسط نفوذهم على المغرب الأقصى، وجهز رابع خلفائهم أبو تمام المعز لدين الله جيشاً قوياً بقيادة جوهر الصقلي تمكن من الدخول إلى فاس بسبب ضعف دولة الأدارسة، لكن النفوذ الفاطمي لم يعمر طويلاً بعد نزوح جوهر الصقلي ومخدومه المعز إلى مصر. وقد أعاد الكرة الصنهاجيون حلفاء الفاطميين وخلفاؤهم في افريقية لكن حملاتهم على المغرب انتهت بالفشل أمام مقاومة الأمراء الزناتيين الذين خلفوا الأدارسة.

وتعتبر فترة المرابطين (453 ـ 539 / 1061 ـ 1145) فترة توقف في العلاقات بين المغرب وافريقية (تونس). ذلك أن المرابطين الذين امتدت امبراطوريتهم من جبال الذهب بالسودان جنوباً إلى أقصى بلاد الأندلس شمالاً رأوا أن تتوقف حدودهم الشرقية في وسط الجزائر بالرغم على الاستنجاد المتكرر من الصنهاجيين حكام افريقية الذين اضمحل نفوذهم بتوالي الضربات عليهم براً من قبل أعراب بني هلال وبحراً من أساطيل النورمانديين والجنويين وغيرهم. وتذكر المصادر التاريخية أن أساطيل المرابطين هاجمت أحد ثغور صقلية فلم يشكّ روجار ملك النورمانديين أن ذلك كان بإيعاز من الحسن بن علي آخر الملوك الصنهاجيين فكانت حملة الأسطول النورماندي الكبرى على افريقيا عام 536 / 1141، وانتهت باحتلال العاصمة المهدية ومعظم الثغور البحرية وانقراض الدولة الصنهاجية.

ولما قامت دولة الموحدين في مراكش (539 ـ 664 / 1145 ـ 1265) صارت افريقية (تونس) تابعة للمغرب وجزءاً من الامبراطورية الموحدية العظمى الممتدة من برقة إلى المحيط. ذلك أن الخليفة عبد المومن الموحدي بعد أن أرسى قواعد ملكه بالمغرب، خرج في حملة عسكرية كبرى دامت سنتين (554 ـ 555 / 1159 ـ 1160) قضى فيها على الفتن والإمارات المتناحرة في المغربين الأوسط والأدنى، وطرد النورمانديين من المهدية وغيرها من الثغور المحتلة، فنظم شؤون تلك البلاد وجعل نائبه في حكمها مقيما في تونس وغدت منذ ذلك الحين مدينة تونس عاصمة افريقية، وحمل المغرب الأدنى اسم عاصمته الجديدة تونس، إلى جانب الاسم القديم إفريقية إلى أن اختفى هذا الأخير.

وفي عام 600 / 1204 توجه رابع الخلفاء الموحدين محمد الناصر إلى تونس للقضاء على ثورة ابن غانية ومكث فيها ثلاث سنين يرتب شؤونها، وقبل أن يرجع إلى المغرب في رمضان عام 603 / أبريل 1207 استخلف على تونس وزيره عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص الهنتاتي، وبعد وفاة أبي حفص خلفه في حكم تونس أبناؤه باسم الموحدين ملوك مراكش، إلى أن آل الأمر إلى رابعهم يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي، وكان نجم الموحدين قد أخذ في الأفول، فاستبد يحيى بالسلطة وقطع الخطبة للموحدين وجعلها لنفسه، فكان ذلك بداية قيام الدولة الحفصية

بتونس عام 626 / 1229.

ولما آلت دولة المغرب إلى بني مرين، وكان أمر الموحدين المصموديين قد بقي راسخاً في النفوس، رأى المرينيون أن يدعوا للحفصيين ملوك تونس باعتبارهم فرعاً للموحدين وشعبة منهم "تأليفاً لأهل المغرب واستجلاباً لمرضاتهم وإتياناً لهم من ناحية أهوائهم" - حسب عبارة *الاستقصا* - وكان الحفصيون من جهتهم يهتبلون بهذا التقارب ويهادون المرينيين ويمدونهم بالمال والسلاح وغير ذلك. وقد كتب يعقوب بن عبد الحق المريني حين عزم على منازلة مراكش إلى محمد المستنصر الحفصي وبعث بكتابه مع ابن أخيه عامر بن إدريس بن عبد الحق في جماعة من وجوه بني مرين، فأكرم المستنصر وفادتهم. ولما تم ليعقوب فتح مراكش بعث إليه المستنصر بهدية فيها الكثير من أصناف الخيل الجياد والسلاح والثياب الرفيعة... واتصلت المودة والمهاداة بين المستنصر والسلطان يعقوب سائر أيامهما، ولو أن يعقوب المريني قطع دعوة الحفصيين. ثم حدث فتور في العلاقات المغربية - التونسية لمدة تنيف عن ستين سنة بسبب انشغال يعقوب المريني وبنيه من بعده بأمور الجهاد في الأندلس وغيرها، إلى أن هاجم أبو تاشفين صاحب تلمسان الحفصيين في عقر دارهم ودخلت جيوشه مدينة تونس سنة 729 / 1329 وخلعوا ملكها أبا بكر بن يحيى الحفصي واستبدلوا به صنيعة لهم. فالتجأ الملك المخلوع إلى مدينة بونة جريحاً وأوفد ابنه أبا زكرياء ووزيره ابن تافراجين إلى حضرة السلطان أبي سعيد المريني يستصرخه، فنهض أبو سعيد لغزو تلمسان، وقبل أن يصل إليها تمكن أبو بكر الحفصي من الرجوع إلى حاضرته تونس، وانعقدت المصاهرة بين الطرفين فحُملت فاطمة بنت السلطان أبي بكر الحفصي في موكب فخم بحراً وزفت لولي العهد أبي الحسن ابن أبي سعيد المريني (731 / 1331)، "واحتفل السلطان أبو سعيد رحمه الله لوفدها وأعراسها بما لم يُسمع به في دولتهم وتحدث الناس به دهراً" (*الاستقصا*، 3 : 117).

تمتنت الصلات بين السلطان أبي الحسن المريني وأصهاره الحفصيين ملوك تونس، وكان أول ما قام به أبو الحسن هو الانتقام من أبي تاشفين صاحب تلمسان الذي رفض أن يرد إلى الحفصيين المدن التي استولى عليها في المغرب الأوسط، ودام حصار تلمسان ثلاث سنوات انتهى بدخول أبي الحسن إليها عنوة وقتل أبي تاشفين وأولاده وكبراء دولته في سابع وعشري رمضان عام 737 / 29 أبريل 1337.

وفي معركة طريف بالأندلس التي محص الله فيها المسلمين، فقد أبو الحسن زوجته فاطمة الحفصية، فزوجه السلطان أبو بكر الحفصي أختها عزونة (747 / 1346) وأرسلها في موكب فخم رأسه شقيقها أبو العباس الفضل، ولم تكد تصل العروس إلى المغرب حتى جاء نعي أبيها أبي بكر ومبايعة ابنه عمر لتغيب ولي العهد عن الحاضرة. وقد حاول أحمد استرجاع حقه في الملك وقاتل أخاه فكانت الحرب بينهما سجالا وانتهت بقتل أحمد، وقدم الوزير ابن تافراجين على أبي الحسن المريني "وقص عليه الخبر وأغراه بتملك افريقية وأوجب عليه النظر للمسلمين فيها" (*الاستقصا*، 3 : 155).

سار أبو الحسن في جيش جرار إلى تونس، وملك في طريقه جميع المدن والأقاليم في بلاد الواسطة وما وراءها ونصّب فيها الولاة، وقبل أن يصل إلى تونس خرج عمر الحفصي فاراً إلى الصحراء، فأدركه جيش أبو الحسن وقتله، ودخل أبو الحسن مدينة تونس يوم السبت حادي عشر جمادى الثانية عام 748 / 18 شتنبر 1347 في موكب بلغ غاية الفخامة والأبهة بمن حضره من العلماء والرؤساء والأمراء الحفصيين وغيرهم تخفق عليه راياته التي كانت نحو مائة، وقد شاهد ابن خلدون، وهو ابن ست عشرة سنة، هذا الموكب العظيم ووصفه بدقة وقال في خلاصته : "وكان يوماً لم يُرَ مثله فيما عقلناه،" (*العبر*، 7 : 562).

أقام أبو الحسن قرابة ثلاث سنوات في تونس ينظم أحوالها ويحصن ثغورها. لكنه اصطدم بمشكل الأعراب الذين ألفوا الإقطاعات والامتيازات الكثيرة أيام الحفصيين، فلم يطيقوا تضييق أبي الحسن عليهم وضربه على أيديهم، فثاروا به وهزموا جيوشه في القيروان وحاصروا حاشيته في تونس. وثار أثناء ذلك صهره أبو العباس الفضل لاسترجاع ملك أبيه، وجرت على أبي الحسن محن وأهوال وركب البحر أخيراً من تونس راجعاً إلى المغرب في أوائل شوال عام 750 / 1349. وفشا الطاعون وغلت الأسعار والفصل شتاء فعصفت بهم الريح وتكسرت السفن في شواطئ الجزائر، وغرق الكثير من حاشيته وفيهم نحو أربعمائة عالم ونجا السلطان على لوح.

وبعد ثمان سنوات أعاد أبو عنان المريني الكرة على افريقية فدخلت في طاعته طوعاً أو كرهاً. لكنه اصطدم - كأبيه - بمشكل الأعراب واضطر إلى الرجوع إلى فاس. وفي السنة الموالية وجه أبو عنان حملة عسكرية إلى تونس قامت بتأديب العصاة من الأعراب، ولم يلبث أبو عنان أن توفي في تمام نفس السنة 759 / 1358 وصرف المرينيون بعد ذلك نظرهم عن تونس بحيث لم يعد نفوذهم يجاوز تلمسان التي كانوا يتداولون حكمها هم والمتأخرون من ملوك بني عبد الواد إلى أن ملكها الأتراك وأصبحت الجزائر إيالة عثمانية.

بعد أن غزا الامبراطور شارلكان تونس عام 942 / 1535 وجعلها تحت حمايته بمشاركة حلفائه الحفصيين المتأخرين المتناحرين على السلطة، وجه الخليفة العثماني سليم الثاني عام 981 / 1574 أسطولا حربياً بقيادة الوزير سنان باشا لطرد الإسبانيين من تونس، وشارك في هذه الحملة الحربية الأميران المغربيان عبد الملك (المعتصم) وأحمد (المنصور الذهبي) اللذان كانا ملتجئين آنذاك إلى تركيا. وتقول بعض الروايات التاريخية إن الأميرين المغربيين سبقا ببشارة فتح تونس إلى السلطان العثماني، فأسعفهما بجيش من انكشارية الجزائر صحبهما إلى فاس، واستردا بذلك ملك

أبيهما.

وقد استمر الحكم التركي المباشر لتونس منذ هذا التاريخ إلى أن حلت محله الحماية الفرنسية سنة 1298 / 1881، كما فرضت الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1330 / 1912، وبذلك انقطعت الصلات السياسية عمليا بين المغرب وتونس خلال القرون الخمسة الأخيرة.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ط. بيروت، 1959، الجزء 7 ؛ م. الافراني، *نزهة الحادي*، ط. الحجرية بفاس ؛ م. الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحصفية*، تح. محمد ماضور، تونس، 1966 ؛ م. ابـن أبي دينار، *المونس في أخبار افريقية وتونس*، تح. محمد شمام، تونس، 1967؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. الدار البيضاء، 1954، الجزء 3 ؛ ح. حسني عبد الوهاب، *خلاصة تاريخ تونس*، ط. 2، تونس د. ت.

محمد حجي

* * تجددت العلاقات بين المغرب وتونس بعد الاستقلال بكيفية أقوى وأوسع. ففي ثاني مارس سنة 1956، وقع المغرب وفرنسا تصريحا مشتركا بمقتضاه تعترف فرنسا باستقلال المغرب على نحو غير مشروط، منهية بذلك عهد الحماية. وهو اتفاق جاء في شكل مبسط Accord en forme simplifiée، بمعنى أنه ينفذ بمجرد التوقيع دونما حاجة إلى التصديق عليه. كما يتضمن برتكولا ملحقا وتبادل رسائل. وفي العشرين من نفس الشهر أقدمت فرنسا على الاعتراف باستقلال تونس واضعة بذلك حداً لمرحلة ما عرف بالاستقلال الداخلي. وهكذا انتقل كل من المغرب وتونس من مركز الدولة المحمية إلى مركز الدولة المستقلة. وأصبحا يتمتعان بمواصفات السيادة بما في ذلك حق تبادل العلاقات الدبلوماسية وحق إبرام المعاهدات الدولية. تأسيسا على ذلك تَمَّ إلغاءُ المادة السادسة من معاهدة فاس بتاريخ 30 / 3 / 1912 التي تصرح بأن على جلالة السلطان أن يلتزم بأن لا يعقد أي اتفاق ذي طبيعة دولية إلا بموافقة مسبقة من قبل حكومة الجمهورية الفرنسية.

ونفس الأمر طال المادة الثانية من معاهدة قصر سعيد المؤرخة بـ 12 / 5 / 1881 التي كانت بدورها تنص على أن صاحب السمو الباي يلتزم بأن لا يعقد أي اتفاق دولي دون أن يخبر بذلك حكومة الجمهورية الفرنسية ودون أن يتفق معها مسبقا.

ترمي هذه المادة إلى استجلاء طبيعة الاتفاقات الثنائية المبرمة بين المغرب وتونس، ذلك أنه علاوة على وحدة الانتماء الجغرافي والحضاري فالبلدان يعرفان قضايا متشابهة (التنمية، الاستقرار، وحدة الرؤية فيما يخص العلاقات مع دول الشمال) الخ.

ارتكازاً على هذه المعطيات الأولية، فإن المسح المونغرافي الذي قمنا به لدى الدائرة القانونية التابعة لوزارة الخارجية المغربية يكشف لنا أن عدد الاتفاقات الثنائية وصل إلى 124، منذ التوقيع على أول اتفاقية في عام 1957 إلى آخرها في عام 1994. ويتعلق الأمر باتفاقات في معناها الواسع وفق التعريف الذي تقدمه اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات بتاريخ 26 / 5 / 1969. يراد بعبارة "معاهدة" كل اتفاق دولي يبرم كتابة بين دول، ويجري عليه القانون الدولي سواء كان محرراً في وثيقة فريدة أو في وثيقتين أو عدة وثائق مرتبطة فيما بينها، وكيفما كان الاسم الخاص المطلق عليه.

يندرج إذن ضمن هذا التعريف كل التعابير والمصطلحات المرادفة للفظ "معاهدة" نسوق منها على سبيل المثال لا الحصر : اتفاقية، تصريح مشترك، برتكول، أشغال لجان، ميثاق، عهد الخ، على أنه يستثنى من هذا الجرد "العقود" المبرمة بين الدولة والشركات الخاصة وكذلك التوصيات والمقررات الصادرة عن المنظمات الدولية أو عن المؤتمرات الدبلوماسية.

يتجلى من قراءة فاحصة للاتفاقات المبرمة بين المغرب وتونس خلال 37 سنة أنها لا تخرج عن نطاق ما هو جارٍ به العمل الاتفاقي من حيث تقنيات الإبرام وتنفيذ الاتفاق وطرق التعديل والإلغاء. ليس هناك إذن إبداع، والاتفاقات المعقودة تم التفاوض في شأنها ثم حررت باللغة العربية مع وجود نص فرنسي، ثم التوقيع عليها والمصادقة إلا إذا اتفق الطرفان على الاقتصار على التوقيع لتدخل الاتفاقية في حيز التنفيذ. وهو نوع يعرف بالاتفاقات ذات الشكل المبسط على خلاف الاتفاقات الرسمية التي تتطلب استيفاء كل الإجراءات. وبعد ذلك تدخل إلى حيز التنفيذ. غير أن العديد من الاتفاقات، بالرغم من توفرها على الإجراءات لا تطبق في الواقع لأسباب سياسية أو ظرفية أو على الأقل تعلق أو تعوض باتفاقات مماثلة حيث تطبق في هذه الحالة نظرية المعاهدات المتعاقبة والمتتالية Traités successifs. حيث تُعوِّضُ الاتفاقيةُ اللاحقة الاتفاقية السابقة شريطة أن يكون موضوعهما نفس الموضوع، والطرفان هما نفس الطرفين.

من حيث الموضوع نجد هذه الاتفاقات لا تخرج عن المعتاد : تتكون من ديباجة أو تصدير هو عبارة عن إعلان النوايا والمبادئ التي تدخل كلها في بوتقة الوحدة المغاربية والتضامن العربي الإسلامي والإفريقي وتؤكد على مستلزمات التعاون والاندماج التدريجي، ويختلف متنها حسب الموضوع. فإذا كان الموضوع سياسيا، كاتفاقية الأخوة والتضامن التي دشنت مسيرة العلاقات الثنائية بين المغرب وتونس، فهي عادة تشكل إطارا كان يكمل بالتوقيع على برتكولات تقنية هي عبارة عن تطبيق عملي لأهداف الأخوة والتضامن. وهذا ما نجده فعلا بالنسبة لاتفاقية سنة 1960 التي دعمت بالتوقيع في عام 1960 على ستة برتوكولات تجسد هذه الرغبة في المجالات القنصلية والثقافية والبريدية والصحية والقضائية. ولما انتهى العمل بهذه الاتفاقيات لبلوغها الاجال القانونية تم تعويضها باتفاقات لاحقة في عام 1961.

وقد يكون موضوعها يتعلق بالأشخاص العاديين. وفي

هذه الحالة نجد اتفاقات الاستيطان Conventions d'établissement غير أنها ليست اتفاقيات تنفذ ذاتيا دون حاجة إلى اللجوء إلى الإجراءات المتعارف عليها. وقد يكون موضعها شموليا متعلقا بالتعاون في جميع الميادين :

- الثقافة والإعلام.
- القضاء : تنفيذ الأحكام، تسليم المجرمين.
- الصحة والشغل والضمان الاجتماعي.
- التعاون القنصلي وإلغاء التأشيرة.
- المواصلات والنقل.
- التجارة والصناعة.
- إلغاء الازدواجية الضريبية.
- التعاون التقني.
- الطب والطب البيطري.
- التجهيز.
- الصيد البحري.
- الزراعة والتعاون بين المعاهد الزراعية.
- التعليم العالي (الطلبة).
- الشباب والرياضة.
- الخبرة.
- السكن والتعمير.

لقد تناولت هذه الاتفاقات كل المجالات ولم تستثن منها شيئاً.

وقد يكون موضوعها تأسيس لجان (كاللجنة المختلطة أو اللجنة المشتركة أو اللجنة الكبرى التي تضم العديد من الوزارات المعنية والتي تجتمع دوريا وبالتناوب في عاصمة كل من البلدين، كما تعطي للتعاون دفعاً وتنسيقاً وحجماً أكبر مما كان عليه الأمر في الماضي. وهو تنسيق يتناول قضايا الخارجية والداخلية، غير أنه ليس بمثابة اندماج Intégration.

عبد القادر القادري

**التونسي**، اسم لعدة أسر تطوانية لا علاقة لها ببعضها سوى أن أصلها من القطر التونسي، حيث إن هناك أسرة هاجرت إلى تطوان على إثر الاحتلال الفرنسي للقطر المذكور سنة 1305 / 1888 ؛ وهناك أسرة تونسية استوطنت مدينة شفشاون قبل انتقالها إلى تطوان وكان جل أفرادها يتعاطون حرفة البناء مثل المعلم محمد بن أحمد التونسي المتوفي سنة 1334 / 1916 والمعلم عبد الرزاق التونسي المتوفى سنة 1337 / 1919 والمعلم أحمد بن عبد الصادق التونسي الذي كان على قيد الحياة سنة 1340 / 1922 ؛ وهناك أيضاً أسرة تونسية جاءت إلى تطوان في عهد الحماية.

وأخيراً هناك أسرة تونسية لا علاقة لها بالقطر التونسي لأن أصلها من قرية التوانسة الواقعة بفرقة أسبيطة من قبيلة الغربية (إقليم طنجة).

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

**التونسي، سعيد** (رايس بحري)، من رياس الأسطول المغربي العاملين خلال عهد سيدي محمد بن عبدالله، تونسي الأصل من ضمن البحريين المقربين من فئة "أهل المشرق"، ورد اسمه ضمن المعتمدين في الأسطول سنة 1186 / 1772 في نطاق الفئة الثانية من الرياس الذين لم تسند إليهم قيادة السفن.

العسري، *كناش في أمور البحر*، (مخطوط)، ص. 38.
S. Timoule, *Le Maroc à travers...*, T. I., p. 310.

حسن أميلي

**التونسي، صادق** وأخوه المختار، طالبان من طنجة تعلما بإيطاليا بمدينة ليفورنو في مطلع القرن العشرين ولبثا هناك بضع سنوات، بعد أن كانا قد تعلما اللغة بمدينة طنجة.

م. المنوني، *مظاهر يقظة*، 2 : 296 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1359، 1361 ؛ *الوثائق المغربية*.

مصطفى بوشعراء

**التونسي، عبد الحكيم** بن محمد بن عبد الحكيم، ولد بتونس العاصمة، وتلقى تعليمه ببلاده حيث تخرج من أشهر المدارس التونسية العصرية، ثم أكمل تعليمه بمصر. وتشهد رسائله التي تبادلها مع بعض أصدقائه المغاربة، على متانة تكوينه وسعة علمه. فمن خلال مجموعة من الرسائل، التي كتبها في المغرب يوم كان يقوم بمهمة ما لصالح المخزن، يظهر أن الرجل كان مثقفا ثقافة سياسية وقانونية رفيعة المستوى، وأنه كان يتقن اللغتين الفرنسية والإنجليزية. وعلى خبرة تامة بمعطيات السياسة الدولية في بداية القرن العشرين ؛ ووضع هذه الخبرة في خدمة بلده الثاني المغرب في مواجهة الضغوط والمشاريع التوسعية الفرنسية خاصة.

هاجر عبد الكريم إلى المغرب مع أبيه وبعض إخوته، في أواخر عهد الحسن الأول، حوالي سنة 1311 / 1894، واستوطنت أسرته مدينة مراكش. وتجدر الإشارة إلى أنه انتسب لاحقاً إلى امْزوغة بنواحي أمزميز قرب مراكش. وادعى أن أصله مغربي من جهة أبيه الذي كان قد هاجر إلى تونس. ولسنا في حاجة إلى مناقشة مدى صحة هذا الادعاء الذي أدلى به الرجل عندما حاول الفرنسيون نفيه من المغرب سنة 1902 - كما سنرى - بل نبادر إلى القول : إن عبد الحكيم قضى بقية حياته بمراكش التي توفي بها أبوه سنة 1320 / 1902، وأنه تزوج إحدى بنات باشا مراكش سابقاً عباس بنداود. وكان يزاول مهنة المحاماة في عهد الحماية الفرنسية. وظل مثالا للاستقامة والنزاهة، ومساعدة الضعفاء إلى وفاته

لا نعلم الكيفية التي التحق بها عبد الحكيم التونسي بالمخزن، ولكن من خلال رسائله العديدة، تأكد لنا أنه

التحق بالمخزن سنة 1317 / 1899. ونظراً لثقافته الواسعة ومعارضته الشديدة للمطامع الفرنسية، فسُرعان ما كون له أصدقاء داخل المخزن وخارجه. نذكر من هؤلاء : الوزير المهدي المنبهي والنائب الحاج محمد الطريس والقائد عبد الله بن سعيد السلوي والأمين عبد السلام التازي الرباطي والكاتب أبا بكر التطواني والفقيه الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني والتاجر الركينة التطواني وغير هؤلاء.

أما الوظيف الذي كان يشغله فيبدو أنه لم يكن وظيفاً رسمياً معروفاً. وربما كان ذلك نتيجة لأسباب سياسية. فمن خلال مراسلاته نتأكد من أنه كان يقوم بدور المستشار القانوني والسياسي للسلطان مولاي عبد العزيز وللوزير المهدي المنبهي قبل عزله من الوزارة سنة 1322 / 1904. كما كان عبد الحكيم يطلع أصدقاءه على التطورات السياسية بأوربا، خاصة ما تعلق منها بالمغرب. وكان يقدم لهم النصح والمشورة في كل ما يهم العلاقات المغربية مع الدول الأوربية.

كان عبد الحكيم التونسي عنصرا نشيطاً في مقاومة الأطماع الفرنسية في المغرب، وفضح مشاريعها في الوقت المناسب. وقد كوّن مع أصدقائه الذين تعرفنا على بعضهم، نخبة وطنية معادية للتدخل الفرنسي وداعية للتعاون مع الدول الإسلامية مثل تركيا.

ولكي نتعرف على مدى اقتدار الرجل وفهمه العميق لمجريات التطورات السياسية في وقته واطلاعه الواسع على أحكام القوانين الدولية، نعرض لبعض الأمثلة من مواقفه من قضايا التدخل الأجنبي بالمغرب : فحول أهم قضية، وهي قضية الحمايات القنصلية التي نتجت عنها عواقب سياسية واقتصادية واجتماعية خطيرة، نجد عبد الحكيم التونسي ينبه ويندد بإهمال المسؤولين لهذه المسألة الخطيرة، وتضييعهم لحقوق المغاربة في مواجهة تعسفات الأجانب ؛ فالأجانب - حسب عبد الحكيم - كانوا يحكمون المغاربة بدون حق. بل كان يكفيهم قول شفاهي يبعثون به إلى الحاكم المغربي فيعمل بمقتضاه بدون بحث ولا تعقب ولا نظر، هذا إذا كان المدعي أجنبيا، أما إذا كان الضحية مغربيا، "فإن حقه ضاع إلى يوم القيامة" حسب تعبير عبد الحكيم. وتبعاً لهذا المنطق في الحكم، فإن الأجانب كانوا مبرئين دائما مع أنهم هم المعتدون في غالب الأحوال.

وغير خاف أن مسألة الامتيازات السياسية والقانونية التي حصل عليها الأجانب بالمغرب بمقتضى معاهدات لا متكافئة هي التي جعلت المخزن يقف عاجزاً أمام تطرفاتهم، وزيادة على ما كان يتصف به المغرب من ضعف عام في مواجهة دول قوية وطامعة تتربص به الدوائر.

كان لعبد الحكيم التونسي موقف إصلاحي واضح من ضرورة تجديد بعض المرافق كالسكة أو العملة، نبه عبد الحكيم إلى ضرورة النظر في أمر تبعية العملة المغربية إلى العملات الأجنبية الإسبانية والفرنسية خاصة، لأن ذلك ليس في "مصلحة الوطن". واقترح أن يكون ضرب السكة المغربية على يد من يوثق به لكي لا يغش فيها مثل ما فعل بعض الفرنسيين والإنجليز الذين أضاعوا حقوق المغرب.

وفي سنة 1322 / 1904 كان لعبد الحكيم موقف واضح من مشروع "الإصلاحات" الفرنسية المقدمة للمغرب، تلك الإصلاحات التي كان الهدف منها فرض حماية فرنسية مبكرة. فبعد الاتفاق الودي بين فرنسا وبريطانيا، ظنت الحكومة الفرنسية أن الوقت قد حان لقطف الثمرة المغربية، ولذلك هيأت مشروعاً يرتكز على منح الفرنسيين الإشراف على المالية والجيش والإدارة. وقد قدم هذا المشروع السفير الفرنسي سان روني طايندي Saint René Taillandier، في شكل مطالب بإصلاحات تتناول الميادين المذكورة. لكن المغاربة رفضوا المشروع وكان لعبد الحكيم التونسي دور كبير في فضح النوايا الفرنسية في حينها.

فقد كتب رسالة من باريز بعثها لصديقه عبد الله بن سعيد شرح فيها النوايا الفرنسية الحقيقية. وأكد عليه بمزيد من الإلحاح في ضرورة أن ينصح ويحذر السلطان، حتي لا يسلم للفرنسيين أي شيء من النفوذ في البلاد، لأن الفرنسيين إذا استولوا على المال استولوا على الرجال. وقد اقترح عبد الحكيم فكرة سياسية هامة هي جمع أكابر العلماء والأعيان، للتشاور معهم. وكانت هذه الفكرة هي أساس جمع مجلس الأعيان الذي ناقش المشروع الفرنسي ورفضه سنة 1323 / 1905.

ونتيجة لنشاط عبد الحكيم في فضح النوايا الاستعمارية في حينها ولو بكيفية سرية، خاصة وأنه كان يقوم بمهمات سرية لصالح المخزن بأوربا وربما بتركيا كذلك، يبدو أن المفوض الفرنسي بالمغرب كان يتتبع منذ وقت مبكر نشاط الرجل. وبدأ يحيك مؤامرة لإخراج عبد الحكيم من المغرب. وقد استعان ببعض المغاربة العاملين بالمخزن، ممن كانوا مقربين من الأوساط الفرنسية مثل غنّام بدار النيابة والجباص وغيرهما.

وهكذا لما علم سان روني طايندي، بسفر عبد الحكيم بمهمة مخزنية خارج المغرب سنة 1320 / 1902، بعث إليه بورقة النفي وهو يستعد لركوب السفينة بميناء طنجة. ومما جاء فيها : "أنا نائب الدولة الفرنسوية بالمغرب، بناء على الشكايات التي وردت بعبد الحكيم بن محمد بن عبد الحكيم من رعايا تونس وتعددها من اليوم الذي دخل فيه لمملكة المغرب... فإن نائب الدولة الفرنسوية قد ظهر له أن يمنع عبد الحكيم المذكور من السكن بالمغرب حيث كان في جلوسه بالغرب تحيير الراحة العامة...".

لم يقف عبد الحكيم مكتوف الأيدي أمام هذا التعسف الأجنبي بل رفض الأمر الفرنسي، وناقشه من الناحية السياسية والقانونية، نقاشاً واسعاً ودقيقاً بين اقتدار الرجل وسعة عارضته ومتانة ثقافته القانونية والسياسية. فقد اقترح الردود المناسبة التي يجب أن يواجه بها المخزن ادعاءات النائب الفرنسي في كل نقطة نقطة من مذكرة

النفي.

ولم يكتف عبد الحكيم، بصراعه مع الأوساط الاستعمارية على الواجهة المغربية، بل يظهر أنه وضع قضيته أمام العدالة بفرنسا، ووكل عنه بعض المحامين أشهرهم محام انجليزي كان يسكن جبل طارق وله علاقات متينة مع الأوساط الوطنية المغربية اسمه متشل Michel.

وقد آتت جهود عبد الحكيم أكلها في النهاية. وتمكن بتعاون مع أصدقائه المغاربة، وبمساندة المخزن المالية، من الانتصار والعودة إلى المغرب، ليعيش فيه مكرماً محترماً، بالرغم من نظام الحماية الفرنسية التي جاهد للحيلولة دون فرضها جهاداً صادقاً.

توفي عبد الحكيم سنة 1351 / 1932 ولم يخلف عقبا يرثه ولذلك تذكر الرواية الشفوية أن أحد إخوته جاء من تونس واستحوذ على ميراثه بعد أن تزوج امرأته.

مجموعة *المراسلات* التي تبادلها عبد الحكيم مع أصدقائه، والمحفوظة بخزانة الحاج العربي بن سعيد بسلا رحمه الله ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، الجزء الثاني ؛ ع. الخديمي، *عبد الحكيم التونسي، أو نموذج مغمور من التضامن بين المغاربة والتونسيين لمقاومة التدخل الأجنبي بالمغرب في بداية القرن (20 م)*، ضمن أعمال الجامعة الشتوية، يفوت 1988. الكتاب الثاني.

علال الخديمي

**التونسي** بن **مبارك** العوني، فقيه متصوف. يكتب بعض النسابة نسبه كالتالي : التونسي بن مبارك السباعي أصلا، نسبة إلى أولاد أبي السباع القبيلة المغربية الشهيرة، الرحالي العوني الدكالي داراً وموطناً، بحكم إقامته بفرقة اولاد رحال بقبيلة العونات من دكالة (مجموع، 1).

وإذا علمنا أن أولاد أبي السباع ينتسبون للشرفاء الأدارسة كما هو مشهور (*المعسول*، 15 : 267) فمن تحصيل الحاصل القول بأن التونسي بن مبارك شريف النسب من الفرع الحسني. وقد نصت على ذلك مختلف مصادر الزاوية التونسية، منها وثيقة في مجموع مخطوط يوجد بخزانة الزاوية نفسها مما جاء فيها "الشريف الأمجد ذو السلالة النبوية الأشهر... التونسي بن مبارك..." (مجموع، 1).

وتقول الروايات الشفوية إن "التونسي" لقب لابن مبارك هذا وحسب، وليس اسمه الشخصي، وأنه لُقّب به بحكم إقامته الطويلة التي قدرت بسبع سنوات في بلاد تونس، خلال إحدى أوباته من الحج. ومن ثم عرف بالتونسي بن مبارك إلى حد نسيان اسمه الشخصي الحقيقي.

ولد التونسي بن مبارك بشيشاوة بحوز مراكش حيث أقام ذووه ضمن مضارب أهاليهم أولاد أبي السباع في تاريخ لم تفصح عنه الروايات مكتوبة كانت أو شفوية. لكننا نرجح أوائل القرن الثاني عشر للهجرة (18 م) تاريخاً لذلك، بحكم معاصرته لبداية فترة حكم السلطان المولى محمد بن عبد الله العلوي الموافق لـ 1171 هـ - 1750 م / 1201 هـ - 1783 م.

وعلى إثر الحركة الشهيرة التي نظمها السلطان المذكور على مضارب أولاد أبي السباع نزح التونسي بن مبارك صحبة والده من بلدته الأصلية (مجموع، 4.2)، على غرار كثير من بني قومه الذين تفرقوا بمختلف نواحي البلاد (*الروضة السليمانية*، 125). وقد نزل المترجم له - صحبة ذويه - أول الأمر بقبيلة "حمر" عند العم المسمى حرمة الله، شقيق السيد مبارك والد التونسي، وهناك توفي السيد الوالد ودفن بالقبيلة نفسها، ولشهرته نسبت المقبرة التي دفن بها إليه وأصبحت تعرف إلى الآن بروضة سيدي مبارك (مجموع، 6.4).

وبعد وفاة والده انتقل التونسي بن مبارك إلى دكالة ونزل بفرقة أولاد رحال بقبيلة العونات من دكالة، واستقر بها يشارط في مساجدها، الأمر الذي يفسر نسبته المذكورة : الرحالي العوني، على نحو قول مؤلف مجهول بمناسبة حديثه عن نسبته إلى أولاد رحال، مؤداه "وانتسب إليهم على حسب القاعدة المألوفة لدى المؤرخين حيث إذا مر بقبيلة أو مكث بها شخص مدة أربعة أعوام انتسب إليها ولقب باسمها" (مجموع، 6). كما يبدو أيضا أنه أخذ العلم بفرعيه الظاهر والباطن أي علوم الشريعة والحقيقة إبان رحلاته هاته من حوز مراكش إلى حمر إلى أولاد رحال، لكن المصادر لم تهتم بذكر شيوخ التونسي بن مبارك في العلم الظاهر، واكتفت بالقول بأنه انخرط في سلك التصوف على يد الشيخ سعيد احنصال أحد كبار شيوخ الطريقة الحنصالية الشاذلية بمغرب القرن الثاني عشر (18 م)، وصاحب الزاوية الشهيرة بالجهة الشمالية من مرتفعات الأطلس الكبير (مجموع، 6).

وامتداداً لنشاط شيوخ التصوف ولاسيما في الطريقة التي اعتنق مبادئها، عمل الشيخ التونسي على إنشاء زاوية له، واختار لإقامتها تلا صغيرا يدعى "كدية العرعار" بجوار واد جاف، في قلب قبيلة العونات ببلاد دكالة، حيث لاتزال أعمدتها قائمة ونشاطها العلمي متواصلا، إلى الآن.

وتذكر روايات آل التونسي الشفوية أن تأسيس هذه الزاوية تم في أواخر عهد السلطان المولى محمد بن عبد الله الممتد بين 1171 هـ - 1752 م / و1206 هـ - 1783 م. ورغم أن هذا الخبر شفوي فإننا نرجحه على قول آخر مكتوب لصاحب "*كتاب المغرب*"، الذي يرى بأن الزاوية التونسية تأسست سنة 1100 هـ/ 1822 م (*كتاب المغرب*، 48)، خاصة إذا علمنا أن السلطان المولى سليمان زار هذه الزاوية، وهو الذي بدأ حكمه قبل التاريخ المذكور وهي في أوج ازدهارها، وأن أبناءه درسوا بها، كما سنرى.

ومهما يكن من أمر، فقد اتخذ الشيخ التونسي بن مبارك من "كدية العرعار" بالعونات مقراً له، وشرع في توفير أسباب الاستيطان بها، من بيوت وماء ومزارع ومحطب ومرعى... فأُقيم المسجد وبنيت دار الزاوية، وعلى رأسها مسكن الشيخ الذي ما زالت آثاره قائمة إلى الآن، على بابه خاتم السلطان المولى سليمان باللون الأحمر،

كما حفرت الآبار، من أشهرها بئر بجانب الزاوية، أعيد إصلاحه سنة 1974 من طرف أحفاد الشيخ المؤسس، حسب رواية شفوية لآل التونسي، وغرست الأشجار، ولا سيما أشجار الزيتون، التي بلغت من الكثرة حدا جعلت الشيخ التونسي يخصص أعواناً مهمتهم الأساسية رعاية حقول الزاوية، كانوا يسمون بالحواضة، لازال دوار يحمل اسمهم إلى الآن.

هذا، ويستفاد من الوثائق المحفوظة بخزانة الزاوية أن الشيخ التونسي خلف ثلاثة أبناء أكبرهم يوسف وكان فقيهاً عالماً، وثانيهم أحمد، وكان فقيهاً صالحاً، ثم محمد، وكان ولياً مجذوباً (*ظهائر سلطانية خاصة*) كما يفهم من الوثائق أن الشيخ أحمد بن التونسي المكنى بابن الطالب هو الذي خلف والده في تسيير شؤون الزاوية التونسية (*ظهائر سلطانة خاصة* ؛ *مهرجان*، 35). هذا من جهة، ومن جهة ثانية تخبرنا بعض المصادر أن هذا الشيخ كان مثل والده حنصالي الطريقة، وأنه عاش وتوفي خلال القرن الثالث عشر للهجرة (19 م) (*جواهر*، 1 : 61) حيث دفن بزاوية والده، وقبره بها مشهور إلى الآن، باسم قبر سيدي ابن الطالب، ويفهم من الظهائر السلطانية كذلك أن الفقيه التونسي بن أحمد بن التونسي هو الخليفة الثالث للزاوية المذكورة، وأنه عاصر فترة حكم السلطان المولى الحسن الأول (*ظهائر سلطانية خاصة*) ثم ظل آل التونسي من أبناء وأحفاد الشيخ المؤسس يتوارثون هذه المهمة إلى عهدنا هذا.

وفيما يلي جدول يبين أبناء وأحفاد الشيخ التونسي ابن مبارك، ومن ضمنهم شيوخ الزاوية التونسية كما ورد ذلك في الوثائق (*ظهائر سلطانية*) وروايات آل التونسي الشفوية.

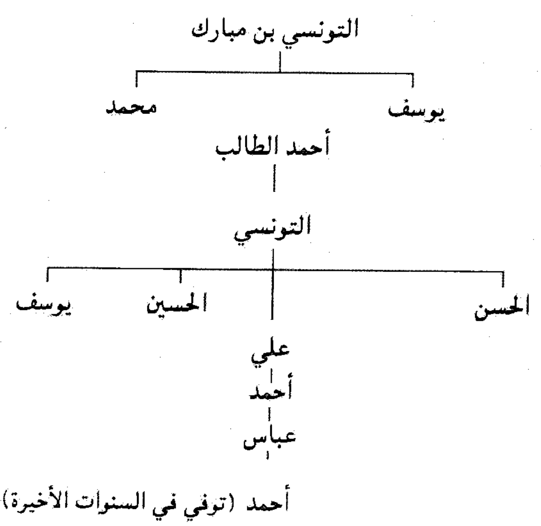


*وثائق خاصة بتاريخ الزاوية*، خزانة الزاوية التونسية ؛ مؤلف مجهول، *مجموع مخطوط عن الزاوية التونسية*، خزانة الزاوية التونسية، بدون رقم ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج. 1، البيضاء، 1356 ؛ أ. الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط، خ. ع.، الرباط، رقم 658 د ؛ الصديق بن العربي، *المغرب*، الرباط، ط. 3، 1404 هـ ؛ *كتاب مهرجان دكالة*، بلدية سيدي بنور، إقليم الجديدة.

أحمد الوارث وفاطمة المونى

**التونسية** (الزاوية ـ)، من المراكز الحضارية التي عرفت نوعاً من الازدهار في عهد الدولة العلوية. توجد في قبيلة العونات بدكالة، على بعد عشرين كيلومتراً تقريباً من مركز أربعاء العونات على الطريق المؤدية إلى صخور الرحامنة ؛ وهي تقع فوق تَلّ على واد جاف لأن المنطقة تلال متوازية.

لقد وصف گولفان الزاوية في عام 1917 بقوله : "هذه الزاوية عبارة عن مجموعة من الدور العتيقة المحاطة بالقباب البيضاء وبغابة من أشجار الزيتون. وتشتمل إحدى هذه الدور على فناء رحب ومفتوح تحف به أعمدة عالية تحمل إفريزات من الخشب المنقوش وعلى غرفة طويلة ذات سقف مُتقن الصنع ومُلون على الطريقة الأزمورية في اتساق بديع. ومن مميزات هذه الزاوية أنها تقع في ناحية غنية بالصَّمْغ والزيتون واللوز".

وفيما يتعلق بتاريخ تأسيس الزاوية التونسية، فإن كتاب *ناحية دكالة* من مدن وقبائل المغرب، يقول : إن هذه الزاوية تأسست في عهد السلطان المولى إسماعيل. ومن الراجح أن تأسيسها كان، حسب بعض الروايات الشفوية في العهد الموالي للعهد الإسماعيلي. ويمكن أن يكون هذا التاريخ صحيحا إذا ثبت أن المولى سليمان زار الزاوية التونسية لما كانت في أوج ازدهارها العلمي.

أما مؤسس هذه الزاوية فهو الفقيه التونسي بن مبارك العوني، وهو ينتسب لفخذ من أولاد مبارك بقبيلة الشرفاء أولاد أبي السباع. وكان من تلامذة الشيخ أحنصال. ورد على قبيلة العونات وفتح بها مدرسة وبدأ يُدرس بها، غير أن الزاوية لم تعرف قمة نشاطها العلمي إلا على عهد الفقيه التونسي أحمد بن مبارك الذي يوجد ضريحه في مقبرة الزاوية قرب ضريح الفقيه أحمد بن الطالب.

كانت الزاوية التونسية تحتوي على المرافق التالية :

1 ـ المقصورة : وهي مكان إلقاء الدروس وإقامة الصلوات.

2 ـ مجموعة من الغرف المخصصة لسكنى الطلبة الذين كان عددهم يتجاوز المائة أحياناً.

3 ـ المكتبة : التي تزود طلبة الزاوية بما يحتاجونه من كتب في مختلف العلوم الفقهية واللغوية والتي ما يزال بعضها محفوظا لحد الساعة بدار السيد أحمد بن عباس. وجل هذه الكتب مخطوط.

4 ـ دار السلطان مولاي سليمان : إن أهل الزاوية التونسية يدعون أن هذا السلطان كان قد أرسل ابنه للدراسة بالزاوية المذكورة. وهذا الادعاء يحتاج إلى برهان.

وعلى أيٍّ، فقد قامت هذه الزاوية بدور بالغ الأهمية في الإشعاع الفكري بالمنطقة، وكانت تؤدي رسالتها كمؤسسة تعليمية تهتم بتدريس اللغة والنحو وعلوم القرآن والتفسير والحديث.

وكان الطلبة مقسمين إلى طبقتين :

المبتدئون : هم الذين يدرسون المتون مثل *الأجرومية والألفية* في النحو ولامية *الأفعال* في التصريف *ومتن ابن عاشر* في التوحيد والفقه ومبادئ التصوف وغير ذلك من المتون التي تلائم مداركهم.

الكبار : وهم الذين يتعمقون في النحو والفقه والحديث والتفسير. وبعد إتمام دراستهم بالزاوية التونسية، ينتقلون إلى فاس أو مراكش لنيل الإجازة العلمية.

ويذهب بعض أحفاد الفقيه التونسي إلى القول : إن الزاوية استمرت في مهمتها التعليمية أزيد من قرنين منذ عهد سيدي محمد بن عبد الله حتى عهد السلطان محمد الخامس، كما يؤكدون أنها لعبت دوراً وطنياً طلائعياً، إذ كان الفقهاء يحثون الطلبة على مقاومة المستعمر الدخيل... بل يشاع أن بعض رجالاتها وشيوخها كانوا على اتصال برجال المقاومة والفداء بالدار البيضاء ؛ غير أن أحد أفراد الأسرة التونسية، وهو القائد علال التونسي، اختار العمل إلى جانب الاستعمار وأصبح يضيق الخناق على الزاوية التونسية وشيوخها حتى اضطرت إلى إقفال أبوابها وإيقاف نشاطها الثقافي الذي امتد طيلة قرنين من الزمن.

وعلى الرغم من أن الشيوخ والفقهاء الذين تعاقبوا على التدريس بالزاوية المذكورة اشتهروا بتقواهم وزهدهم وورعهم وتفرغهم للعلم والعبادة، فإنهم لم يُخلفوا طريقة صوفية كما هو الشأن بالنسبة لعدد الزوايا المنتشرة بأنحاء المغرب.


م. الشياظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة* (مخطوط) ؛ *مدن وقبائل المغرب*، ناحية دكالة، تر. محمد الشياظمي، وزارة التربية، *أعلام ومآثر دكالة*، 1981.

Goulven, *Cercle des Doukkala*, 1917.


محمد الشياظمي

**تونفيت**، تقع في منطقة ملوية العليا، وبالتحديد في نقطة التماس بين السفوح الشمالية للأطلس الكبير الأوسط وحوض ملوية العليا. ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي 2.000 متر، وتتميز المنطقة من الناحية البنيوية بكونها تقع في منطقة الحادث التكتوني الشمال أطلسي (شمال الأطلس الكبير)، حيث بروز صخور الترياس في السفح الشمالي المنكسر لجبل الـمْـعَـسْـكَـرْ (3.277 متر) والذي يقع جنوبها. من الناحية الإدارية فهي جماعة قروية تقدر مساحتها بـ 946 كلم$^2$ تابعة لدائرة ميدلت عمالة خنيفرة.

رغم وجود منطقة تونفيت في منطقة جبلية، إلا أن عامل الارتفاع لا يغير من المميزات المناخية العامة التي نجدها في حوض ملوية العليا، ذلك أن الجفاف يبقى هو السمة العامة للحوض وهوامشه المرتفعة، يقدر معدل التساقطات السنوية لمحطة تونفيت للفترة المتراوحة ما بين 1954 و1979 بحوالي 460 ملم يسقط معظمها خلال فصل

تونفيت

الربيع، وبالخصوص خلال شهر أبريل، هذا مع الإشارة إلى أهمية العواصف الرعدية التي تعرفها المنطقة خلال الصيف. الصقيع ظاهرة واضحة خلال فصل الشتاء، فعلى امتداد ستة أشهر تسجل أرقام حرارية أقل من 0 درجة، أما متوسطات الحرارة العليا خلال الصيف فلا تتعدى 30 درجة، كما تعرف المنطقة تساقطات ثلجية خلال فصل الشتاء (حوالي 20 يوماً) بمحطة تونفيت، وأكثر من ذلك في المرتفعات الجبلية الواقعة جنوبها.

الغطاء النباتي غابوي في السفوح والمنحدرات الجبلية، وذلك على مساحة تقدر بحوالي 54.223 هكتار، أما في الحادورات المطلة على وادي ملوية فتنتشر النباتات السهوبية، وخاصة نبات الشيح.

يتميز النمو الديموغرافي بالمنطقة بكونه ظاهرة لافتة للنظر، وهي ميزة عامة نجدها في كل مدن وقرى منطقة ملوية العليا، حيث إن تطور عدد السكان يعد بطيئاً وضعيفاً، والجدول التالي يوضح ذلك.

| السنوات | 1936 | 1943 | 1951 | 1961 | 1971 | 1982 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| عدد سكان جماعة تونفيت | 10.547 | 12.882 | 12.968 | 8.757 | 10.208 | 11.610 |

من خلال هذه الإحصائيات نستنتج بأن هناك تناقصاً بعد 1951 ثم نمواً متوسطاً أو ضعيفاً بعد ذلك نسبياً في عدد سكان المنطقة، هذا الاستقرار لا يمكن تفسيره فقط بتوازن ما بين نسبة الولادات ونسبة الوفيات، بل هناك عامل الهجرة، فنظراً للعزلة التي تعيشها المنطقة وقلة الطرق وضعف التجهيزات الأساسية ونقص الموارد، فإن سكان قبيلة أيت يحيى يغادرون منطقتهم في اتجاه المراكز القريبة كميدلت وزايدة أو المدن البعيدة كفاس ومكناس، أو نحو الخارج.

تقدر الكثافة السكانية بمنطقة تونفيت بحوالي 10.7 ن / كلم$^2$.

إن مركز تونفيت عبارة عن تجمع سكني لمجموعة من القصور الممتدة على شكل شريط مواز للضفة اليمنى لواد أودغيس، حيث يقدر عدد سكان هذه القصور بـ 4.250 نسمة

(حسب إحصاء سنة 1982)، ويقوم السكان باستغلال ضفاف هذا الواد في زراعات مختلفة ومتنوعة، إلا أن أهم مورد للسكان هو تربية الماشية، وذلك راجع لوفرة المراعي والمروج الجبلية، وكذا المراعي السهوبية، والجدول التالي يوضح أهمية هذا القطاع.

| الأبقار | الأغنام | الماعز | الإبل |
|---|---|---|---|
| 829 | 32.504 | 22.683 | 12 |

مصلحة تربية المواشي بميدلت، *إحصايات سنة 1983*، مديرية الإحصاء.

*Ressources en eau du Maroc*, Tome 3, *Domaines atlasique et sud atlatique*, *N.M.S.G.*, N° 231, Rabat, p. 122 ; R: Raynal, *Plaines et piémonts du bassin de la Moulouya, Maroc oriental, Etude Géomorphologique*, Thèse d'Etat, Rabat, p. 273, 1961 ; *La terre et l'homme en Haute Moulouya*. *B.E.S.M.*, Rabat, 1991 ; M. Zhar, *Approche climatique de la région de la Haute Moulouya*, *Revue de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Oujda*, 1er année, n° 1, p. 17.

محمد أزهار

**تونـارت** بن علي، أبو ولگوط الأيلاني من أهل حومة ثلاثاء موسى بن يلول من عمل مراكش. كان من أهل العلم تتلمذ عليه عبد الغفور بن يوسف الأيلاني المتوفى بأغمات وريكة سنة 583 هـ / 1190 م. كما كان من الزهاد المنقطعين للعبادة وقد أقام معتكفا مدة ثلاثين سنة، أما وفاته فكانت سنة 571 هـ / 1175 م (*التشوف*، 248 . 249 ؛ *الإعلام*، ج. 3 : 79 وج. 8 : 450).

ذكر محقق كتاب *التشوف* أنه جاء في طرة نسخة الأستاذ محمد المنوني التي يرمز إليها في التحقيق بحرف "غ" أن أبا ولگوط تونارت بن علي الأيلاني هو الذي بالزيتون بالحوز وهو والله أعلم الذي يقال له سيدي سعيد برباط عقبة نفيس وقال بأن هذه الإشارة تفيد أن معنى تونارت هو سعد، وقد ترجم ابن الزيات لثلاثة ممن يحملون اسم تونارت وكنى كل واحد منهم أبا ولگوط كما ترجم لاثنين ممن يحملون اسم ولگوط وكنى كل واحد منهما أبا تونارت (أحمد التوفيق، *التشوف*، هامش 609 ص. 248).

ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الرباط، 1984، ص. 248 وهامش 609 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 3، 1975 وج 8، 1988.

حسن حافظي علوي

**التوبييع**، قبيلة صحراوية كانت معروفة بحماية القوافل. وتكشف بعض كتب الرحلات وجل الإشارات المحلية عن المقدرة الحربية المتميزة لقبيلة أزوافيط بمنطقة وادي نون والساقية الحمراء (*أزوافيط*، *المعلمة*، 364 . 367). فعلى الرغم من أهمية الحضور الصنهاجي والحساني المتميز بالصحراء الأطلسية كانت قبيلة التوبييع مؤهلة عبر القرون لحماية ومرافقة القوافل على امتداد المحور التجاري الرابط بين الضفتين. لم يكن مرد هذه القدرة الحمائية إلى احتكار أزوافيط أهم أسواق وادي نون ومواسمه (گويرة السوق وأسرير). فما تؤكده مجمل المنوغرافيات حتى النصف الأول من هذا القرن ينضاف إلى كتب الرحلات ليركز على المقدرة الحربية في تثبيت الحضور الزفاطي بمسالك الصحراء. فخلال القرنين الحادي والثاني عشر (17 و18 م) كان الحضور الدليمي والإداأوبلالي بالساقية الحمراء يفترض إرادة سياسية وحربية كبيرة للدفاع عن حركية أسواق ومواسم وادي نون وباني.

هذا ما يفسر يومها نزوع أزوافيط المتزايد لاحتكار الأراضي الأكثر خصوبة والحفاظ على ديناميكية موسمي گويرة السوق وأسرير. كان الاستعداد الأمني لهذين الموسمين يتطلب أزيد من عشرين يوما من الاتصالات لكل واحد. لم يكن موسم گلميم قد ظهر بينما عرفت أسواق تاگاوست انحطاطا تدريجيا منذ القرن العاشر (16 م) (*تاگاوست*، *المعلمة*، 2084 . 2089). وإذا أضفنا إلى ذلك حضور أولاد دليم وادا اوبلال بالساقية الحمراء، وجدنا رفض أزوافيط للتحالف مع هاتين القبيلتين دليلا لاحتكارها الوظائف الأمنية (P. Marty, *Les hautes tribus*, 61). لم تكن الأسلحة النارية قد أصبحت مشاعة بين القبائل منذ وصولها إلى مرافئ السعديين. إلا أن مادة البارود كانت معروفة من طرف الغور السكاني الأمازيغي منذ مدة (*إيعزى أوهدى*، *المعلمة*، 517 . 518). من هنا تظهر أهمية منطقة التوبييع الواقعة بين وعرون وأسرير حيث كان الناس يقومون بتبخير التراب لاستخراج البارود، استحواذ أزوافيط على هذه المنطقة في وقت لم يتسربوا فيه بعد إلى وعرون القريب (*أگاوس*، *المعلمة*، 597 . 598)، زاد من تطورهم بشكل متميز مقلصا إلى حد بعيد إمكانيات القبائل الأخرى. هذا العامل أفسح المجال أمام المد الزفاطي على أخصب الأراضي وأهم المداشر. ومع ظهور الأسلحة النارية بكثرة على السواحل القريبة، أصبح سوق البارود بأسرير من بين ما اشتهر به من سلع متميزة. رسخت القبيلة من قدراتها الفعلية معززة بذلك لدى القبائل الأخرى تصور العلاقات الاجتماعية وفق مقتضيات التنافس بين لفي تكنة. وإذا انتقلنا إلى مستوى العلاقات بين اللفين خلال القرن الماضي وجدنا شاعر أزوافيط علي فال يشهّر بالمد الزفاطي على وعرون قائلا :

ارشگ يا وعرون اگطاطيك — واللي تعرف فيك ألاّ فيك

نَعرفْ فيك ألاّ ما تَلْيانْ — يَعْرَفْهـا مـلك نْمَلَـكْ

وِيَعْرفَها عسكر بُجَخَّانْ

*دراسة ميدانية ورواية شفوية.*

مصطفى ناعمي

**التويجر**، تصغير لكلمة تاجر. وهو اسم أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر، ولعل تسميتها بالتويجر يرجع سببه لوجود علاقة مع عائلة أخرى تدعى "التاجر".

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán*, 1921 (T) ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (T) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932 (T).

**التويرس**، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل الريف. وآخر فرد منها بتطوان هو أحمد التويرس الذي كان جندياً بحامية المدينة سنة 1261 / 1845. والكلمة تصغير للتيرس.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 269، 279 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias* (T) ; Cagigas, *Familias* (T) ; *Vademecum 1931*.

محمد ابن عزوز حكيم

**التويزة**، مساعدة جماعية تطوعية، أصلها من الأمازيغية : تويزي من فعل جذره ي س، بمعنى حمل أو ساعد على حمل شيء ثقيل. وهي مساعدة جماعية في شكل عمل، تقدم عن طواعية وبدون أي إكراه، من طرف أهل الدوار أو القبيلة لفرد، أو عائلة لا تستطيع بمفرد طاقتها أن تقوم بذلك العمل. وهي لا تلزم المستفيد أداء أي أجر أو مقابل.

والتعبئة الجماعية قصد إنجاز بعض الأشغال ظاهرة عرفتها كثير من المجتمعات. إلا أنه في شمال إفريقيا على العموم والمغرب على الخصوص يتميز بكونه نوعاً من أنواع التعاضد الاجتماعي يطلق عليه التويزة.

فالأعمال التي تكون موضوعاً للتويزة متعددة، أهمها تلك التي تتعلق بالأرض كالحرث والحصاد، ونزع الأعشاب المضرة، وجمع المحصول ونفضه ودراس السنابل.

قد يستفيد الدوار أو القبيلة من التويزة حينما تدعو الجماعة إلى ذلك، من أجل إنجاز أعمال ذات مصلحة جماعية، كبناء مسجد أو تحويل مجرى مياه من أجل السقي.

تعد التويزة في جل القبائل المغربية واجبة في حق بعض الأشخاص كالطالب مثلا. كانت واجبة عند قبائل نتيفة في حق الطالب والنجار، لاعتقادهم أن الأول حامل للبركة والثاني يصلح المحاريث بدون مقابل. (*بوريلي*، 140). كما أنها واجبة أيضاً في حق الأرامل والأيتام. ويلاحظ "روبير مونطاني" بأنها تجب في حق أمغار عند قبائل الأطلس الكبير. ( *البربر والمخزن*، 247).

فما عدا هذه الحالات كل فرد احتاج إلى عملية التويزة يمكن له أن يطلبها من الجماعة، حيث يقدم ذبيحة (ما يسمى بالأمازيغية تغرسي) أمام المسجد فيتقدم إليه الناس، ويعلن جهرا عن طلبه، فيقبل الجميع ويتم الاتفاق على يوم محدد وعلى طبيعة العمل المطلوب لكي تتم التويزة. (بوريلي، 140) قد تستعمل التويزة في كثير من القبائل خلال كل موسم فلاحي، بحيث يستفيد منها كل دوار على حدة وهو ما يسمى بالبربرية بـ "تَـوَلاَ" أي الدور، إلى أن ينتهي الموسم. (لاووست، 326).

تعبئ التويزة عمل الرجال والنساء والأطفال، وفي بعض الحالات يتم توزيع العمل تبعاً للجنس أو للسن حسب طبيعة العمل المطلوب إنجازه. هناك مع ذلك أعمال لا تتطلب إلا العمل النسوي كتلك التي تتعلق بالحياكة. فكل امرأة تجد نفسها مضطرة قبل بداية أي عملية نسيج لطلب مساعدة النساء الأُخريات. (بوليفا، 193. 194. 195).

تكون المساعدة عن طريق التويزة إما بتقديم اليد العاملة أو الدواب. تستعمل التويزة بالدواب في حالة دراس المحصول نظرا لكون هذه العملية تتطلب الطاقة الحيوانية التي لا تتوفر عليها كل عائلة بمفردها، بحيث تتم التوزيرة بالتناوب (تولا) بين العائلات في الدوار. (بوريلي، 141).

يعتبر الأفراد المجندون في عملية التويزة بمثابة ضيوف حلوا على الشيخ المستفيد منها، إذ يتكلف بإطعامهم خلال المدة التي يقضونها في خدمته، وإن كانت التويزة لا تجبر مبدئياً المستفيد منها على ذلك. وفي حالة ما إذا كان فقيراً فهو غير ملزم بإطعام ضيوفه. (هنوطو ولوطورنو، 499).

إن التويزة التي حظيت باهتمام الإثنوغرافيين هي تلك المتعلقة بالأعمال التي تدور حول الأرض من غرس وحصاد ودراس...، في حين أن هناك أنواعاً أخرى لا تقل أهمية. ولقد خصص رونيه مونييه في بداية القرن العشرين دراسة للتويزة المتعلقة ببناء الدور في قبائل "القبائل" بالجزائر.

تعبِّر التويزة مبدئياً عن أهمية القرابة المباشرة (العائلة) والقرابة في شكلها الموسع (الدوار أو القبيلة). فما من فرد إلا ويعتبر ملزما مبدئيا بتقديم يد المساعدة لأقربائه. وتعبر لفظة "أيت تويزي أو جماعة التويزة" التي تطلق على المشاركين فيها عن العلاقة الأخوية التي تربط الأفراد فيما بينهم خلال إنجاز عمل جماعي، (لاووست، 327).

فعلى الرغم من أن التويزة شكل من أشكال التعاضد الاجتماعي باعتبار أنها مساعدة أخوية تقدم لكل من احتاجها، فهي تخضع لمبدإ الدَّين ورد الدَّين. فالفرد الذي يقدم المساعدة عن طريق التويزة يستثمر جهداً و عملا يردان إليه في وقت آخر. والفرد الذي يستفيد من التويزة يعتبر نفسه مدينا معنويا للآخرين، وتفرض عليه عزة نفسه وأنفته أن يرد الدين عند الطلب. (هنوطو ولوطورنو، 499). إن المساعدة في إطار التويزة هي مساعدة مجانية من حيث المبدإ الظاهري، إلا أنها في العمق تستدعي رد المساعدة في المستقبل. فكل فرد يشارك في التويزة يفترض بأن الأفراد الآخرين سيقومون بدورهم بتويزة لصالحه إذا ما احتاجها. (مونييه. 64).

هناك تمييز لدى القبائل في الجزائر بين التويزة وما يسمى بأمدول. وأمدول كلمة مشتقة من الفعل العربي دال ومنه متداول، تعني العقد الذي يتم بحكمه الاتفاق على تقديم المساعدة للآخر على أساس أنه سيردها بدوره فيما بعد. والفرد الذي لا يرد الدين يكون محط احتقار في قبيلته. أما الذي لا يستطيع فيؤديه نقدا. (هنوطو ولوطورنو، 497).

فالفرق إذن بين أمدول والتويزة ينحصر في كون الأول

هو مساعدة ـ دين يصرح بها الطرفان المعنيان بالأمر، أما في حالة التويزة فليس هناك تصريح بذلك ومع ذلك تخضع التويزة هي الأخرى، ولكن ضمنيا لمبدإ الدِّين ورد الدَّين.

إن التويزة ظاهرة تتداخل فيها عدة جوانب من الحياة الاجتماعية :

ـ فهي ظاهرة اقتصادية تتجلى في خدمة الأرض، بناء الدور، القيام بأعمال الحياكة وأعمال ذات مصلحة جماعية. فعبر التويزة تتم إذن عملية الإنتاج في شتى مظاهرها.

ـ وهي أيضا ظاهرة اجتماعية في التعاون الجماعي الذي تصاحبه عدة طقوس. تبدأ التويزة بذبح الأضحية أو برمي العار. وخلال التويزة يتم العمل في جو احتفالي. (لاووست، 327). ففي بعض المناطق (إدَاوْتَنَانْ) بعد الإنهاء من التويزة تتقدم بنات المستفيد منها بالزغاريد نحو العاملين يحملن قضيباً علق عليه منديل كرمز لمسح العرق المتصبب على جبينهم. ويتبع ذلك حفل يغني ويرقص فيه الجميع. فكل تويزة تنتهي بمأدبة جماعية، وفي حالة بناء المنزل تنتهي بذبح أُضحية. وغالباً ما يكون طقس الأضحية إعلانا عن بداية التويزة وعن انتهائها.

ـ التويزة هي أيضاً ظاهرة إبداع جماعي خصوصا عندما يتعلق الأمر ببناء الدور أو إنجاز أشغال الحياكة.

تجد التويزة مكانتها داخل النظام القبلي وضمن مختلف أشكال التضامن الاجتماعي التي عرفها هذا النظام في الماضي وخصوصا قبل بداية التدخل الاستعماري. إلا أنه مع بداية هذا التدخل طرأت على هذه المؤسسة كثير من التحولات بفعل التغيرات التي تعوض لها هذا النظام نفسه. لقد أصبحت التويزة في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19 ـ 20 م) نوعاً من الكلفة تجبر السكان على إنجاز أعمال لصالح القائد أو الشيخ. فحسب ما أورده سالمون في *"شمال المغرب"*، يجمع الشيخ أفراد القبيلة التي توجد تحت نفوذه، فيجبرهم على حرث أرضه أو حصادها أو درس المحصول عن طريق التويزة. وإذا ما رفضوا يقادون إلى السجن. (سالمون، 396). كما يلاحظ سالمون بأن التويزة في شكلها القديم اختفت من شمال المغرب مع بداية هذا القرن (سالمون، 397).

وفي حالات أخرى يفرض القائد على السكان عددا من الأيام في السنة يعملون فيها لصالحه. ويكون الإطعام على حساب كل مشارك في التويزة، بل وأكثر من ذلك يتكلف كل منهم بإطعام عبيد القائد المكلفين بالإشراف على العمل. (مونطاني، 247) وأصبح السكان ينظرون إليها كما ينظرون إلى "الفريضة"، ذلك الاكتتاب الذي يفرض عليهم من طرف ممثلي المخزن.

أصبح للتويزة إذن طابع إكراهي، يستعملها الأعيان لقضاء مصالحهم الخاصة، وذلك بتسخير السكان وإرغامهم على القيام بمختلف الأعمال الشاقة لصالحهم. (بوريلي، 142) مما جعل البعض يرى فيها نوعا من الاستغلال الفيودالي الذي عرفته المجتمعات الأوربية في المرحلة الفيودالية. (بيرك، 30) و(لاووست، 328).

A. Hanoteau et Letourneux, *La Kabylie et les coutumes kabyles*, Paris, 1893, vol. II ; G. Salmon, *Contribution à l'étude du droit coutumier du Nord marocain : De l'association agricole et de ses différentes formes*, *A. B.*, T. III, 1905, pp. 331 - 412 ; S. Boulifa, *Textes berbères en dialecte de l'Atlas marocain*, Paris, 1908 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères. Notes de linguistique et d'ethnographie : Dialectes du Maroc*, Paris, 1920 ; R. Maunier, *La construction collective de la maison en Kabylie : Etude sur la coopération économique chez les berbères du Djurjura*, Paris, 1926 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, Paris, 1930 ; Joseph Bourrilly, *Eléments d'ethnographie marocaine*, Paris, 1932 ; J. Berque, *Etudes d'histoire rurale maghrébine*, Tanger-Fes, 1938 ; G. Marcy, *Le droit coutumier Zemmour*, Alger, Paris, 1949.

رحمة بورقية

**تُويسِّيتْ**، موقع يبعد عن مدينة وجدة بنحو سبعة وعشرين كيلومتراً جنوباً، وعن الحدود الجزائرية بنحو أربعة كيلومترات. تسكن حوله قبيلة تسمى تويسيت أيضا وتنتمي إلى قبيلة بني حمليل التي تذهب إلى أن أجدادها شرفاء من فگيگ استوطنوا هذه المنطقة في مستهل القرن الثاني عشر (18 م)، وأن جدهم المشترك هو عبد الله بن محمد ابن عزوز.

ظل هذا المكان لا يستأثر بالاهتمام ولا يلفت الانتباه حتى كان عام 1325 / 1907، حيث اكتشف فيه خبراء إسبان قدموا من الجزائر معدنا للرصاص.

وبدأت الدراسات والتقديرات، لكن الظروف السياسية والأجواء المضطربة التي تميز بها المغرب عموماً والمغرب الشرقي خصوصا مع ثورة بوعمامة وثورة بوحمارة وتدخل فرنسا المتكرر واستفزازاتها المتعددة، جعلت القائمين بالدراسات حول مناجم تويسيت تتعطل حينا وتستأنف حينا آخر حتى عام 1333 / 1914. وما أن قررت الشركة الإسبانية الشروع في الاستغلال بموافقة فرنسا حتى أخذت بوادر أزمة عالمية تهز أركان أوربا خاصة، فانشغلت بها الدول كلها وتعطلت المشروعات، ومنها مشروع تويسيت.

وفي عام 1340 / 1921، استأنفت "الشركة الملكية الأستورية" أعمالها، لا سيما وأن معدن الرصاص، في بعض الجهات من تويسيت، يكاد يظهر على وجه الأرض مما جعل استغلاله هينا في البداية.

وأخذ مركز تويسيت يثير الاهتمام، ويستقطب طالبي الشغل من المواقع المجاورة، واستبشر الخبراء بكميات الاحتياطي وبالأرباح التي سيحققونها، مع اكتشاف معدن الزنگ في المنجم ذاته. وسجل عام 1343 / 1924، بداية الاستغلال والتسويق، فانتج المنجم 245 طنا في هذه السنة، وفي العام الموالي، تبين أن منجم تويسيت يحتاج إلى آليات لغسل المعدن في عين المكان، فتحسنت التجهيزات، ودخلت تويسيت في عهد الاستغلال الرشيد. وتوقفت عمليات الاستغلال موقتا عام 1348 / 1929 حتى تنهي الشركة المسؤولة إعادة تنظيم العمل على ضوء ما ستأتي به من تجهيزات متطورة ومعدات لغسل وتنظيف المعدن واثرائه برفع النسبة المائوية من محتواه من الرصاص الخالص والزنگ الخالص. وفي عام 1350 / 1931، اكتشفت الشركة

إمكانات جديدة وآباراً جديدة، في كل جهات تويسيت. وتضاعفت التنقيبات بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وكان للحدث انعكاس على قرية تويسيت التي لم تكن إلى حدود عام 1359 / 1940، غير مدشر مجهول ليس به أي مدرسة.

ثم في عام 1370 / 1950، أخذ تطور تويسيت يفرض نفسه وأقامت به سلطات الحماية مكاتب إدارية القصد منها مراقبة السكان والتحكم في الهجرة. وأتت النشرات الإخبارية والإحصائية تؤكد أن القرية تؤوي زهاء ستمائة أسرة بمعدل خمسة أفراد للواحدة. وأنشأت الشركة مركزاً صحياً صغيراً للعمال، وبعض أقسام مدرسية لأبنائهم وبعض مرافق الحياة، وعدد العمال يومئذ زهاء ألف. وارتفع بعد ذلك إلى 1.700 عامل.

وبعد الاستقلال، تزايد الاهتمام بتويسيت، اجتماعيا وإداريا وعمرانيا، فأنشئت بها مدرسة عمومية ومركز قيادة إدارية، ومصالح الأمن ومستشفى قروي وغير ذلك. وتزايد الاهتمام بها لموقعها على مقربة من الحدود الجزائرية، ومحط أنظار الشركات الاستغلالية وخصوصا "زليجة" صاحبة مناجم جرادة للفحم، ومناجم بوبكر للحديد والزنك والرصاص، وهذه الشركة هي التي أنشأت وحدات صناعية بواد الحيمر، في نفس المنطقة، لصهر المعادن المستخرجة من تويسيت وبوبكر. ويوجد مركز واد الحيمر على بعد سبعة عشر كيلومتراً من وجدة.

نشير إلى أن الإنتاج من الرصاص الخالص، ارتفع كثيراً عام 1395 / 1975، واستعمل أغلبه في المغرب. ثم كاد الاستغلال أن يتوقف لسبب نضوب الآبار الرئيسية. إلا أن الحكومة المغربية وعت خطورة هذا الاتجاه وقررت مواصلة البحث عن مكامن أخرى، فكانت النتائج إيجابية، ولايزال العمل جاريا إلى الآن، رغم ما تعرفه مادة الرصاص من اضطراب في الأسعار الدولية. وتقوم الشركة حاليا بمعالجة 1.500 طنا يوميا من المعدن.

ومن الناحية الاجتماعية، صارت تويسيت اسما مرادفا للمركز المعدني، وأسست الشركة قريتين سكنيتين للعمال تتألفان من 410 منازل، منها 140 منزلا للأطر التقنية والإدارية، كما أسست مستشفيين مجهزين تجهيزاً عصريا بآلات الراديو والجراحة وغيرها، ومختبرا للتحليلات البيولوجية وصيدلية وناديا فيه مطعم حديث ومسبح للعمال، وناديا آخر للأطر بجميع مرافقه الضرورية والترفيهية ومسجدا وحماما وخزانة وغير ذلك.

يبلغ عدد عمال تويسيت اليوم زهاء ألف عامل، وقد أنشأت به وزارة الطاقة والمعادن، منذ بضعة أعوام، معهداً تقنياً لحاملي البكالوريا به ثلاث شعب : شعبة الكهرباء والميكانيك، وشعبة الرسم الهندسي، وشعبة تكوين مراقبي المناجم. هذا زيادة على المؤسسات التابعة لوزارة التعليم. كما أن الوزارات الأخرى أنشأت بتويسيت مصالح لها، مما يشكل مؤشراً لآفاق مستقبلية زاهرة لهذا المركز المعدني.

Voinot, *Oujda et l'Amalat* ; Fardel, *La plaine des Angad* ; Service du Protectorat, *Les tribus marocaines* ; Ministère des Mines, *Panorama de l'industrie minière*, t. 1 et 2.

أحمد بنجلون

**تـيَـاوْتْ** أو تَـگـاوْتْ، الاسم الأصلي المحلي لواد سلوان الذي يجري بأرض قبيلة قلعية. يستمد مياهه بالسفح الجنوبي من كتلة وكْسان بانحدار مياه كل من واد بوجدار وأنْداخ إلى ضفته اليسرى. ويتصل بضفته اليمنى واد سيدي علي بن موسى بجوار عْرَوَاتْ (جبل عَرْوي).

ويعود الأصل الأمازيغي تياوت (من إيوي، أي حمل معه أو جرف) إلى التعبير عن الخسائر المترتبة عن الجريان السريع الطارئ أثناء تهاطل الأمطار الإعصارية من غرق الأنفس والمواشي، وبمجراه العميق الممتد بين سيدي علي بن موسى الوكيلي وسيدي علي الحسّاني خاصة، بعد مروره بقصبة سلوان ومصب واد تياوت بسبخة بوعرك.

تعيش حول حوض تياوت الأوسط منذ القرن الثامن (14 م) إلى الآن تجمعات تنتمي إلى بني وكيل ملوية وبني بويحيى، تعرف ببني وكيل العساري. استوطن جدها سيدي علي بن موسى الوكيلي هذا المكان إثر مرافقته لأحلاف أولاد شعيب المعقليين الداخلين إلى سهب گارت خلال القرن الثامن الهجري. وقد أشارت الوثائق المخزنية إلى اسم تكاوت وأهله بني وكيل خلال عهد الحسن الأول. (16 حجة 1296 هـ).

*وثائق خ. ح.* بالرباط ؛ ح. الفكيكي، *قلعية*، 1 : 129 ؛ *زيارة ميدانية* ؛ *خريطة طبوغرافية*، 1921 و1935.

حسن الفكيكي

**تيبِّرْبارين**، أحد دروب مدينة مكناس القديمة، وتكتب أحياناً "إيبرบارين" كما جاء في حوالة المساجد الصغار رقم 4، الخاصة بمكناس. واللفظ جمع في اللغة البربرية. وقد استعمل للدلالة على حامية من البربر كانت تعمل بالجيش المرابطي، واستوطنت الدرب الذي حمل اسمها. وكان يمثل أحد خطط القطاع العسكري الذي شيد صرحه المرابطون في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري. وشمل هذا القطاع إضافة إلى درب تيبرบارين خططا أخرى هي : درب الفتيان الذي استقر به فريق من الإسبانيين، وحومة گناوة (بالجيم المعقودة) التي سكنتها طائفة من السودانيين، وهما معا يدلان على حاميتين عسكريتين كانتا بالجيش المرابطي، هذا إضافة إلى عدد من الأسواق، والأحياء السكنية.

وما زال "درب تيبرบارين" قائما محتفظا باسمه وراء رياض الجامعي، ومنه نخرج إلى درب سيدي عمرو بوعوادة قريبا من مكتبة الجامع الكبير.

*حوالة المساجد الصغار*، نظارة أحباس مكناس، الجزء الرابع، ص. 83 ؛ م. المنوني، *التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور*، مجلة *الثقافة المغربية*، الجزء السابع، 1982، ص. 23.

رقية بلمقدم

**تيبوحنايكت**، موقع بأيت بوالطيب، قبيلة هشتوكة.

ترتبط شهرته بالواقعة التي جمعت القائد المخزني سعيد الگيلولي بمحمد بن الحسين الإليغي سنة 1313 / 1895. وتأتي هذه الحادثة عقب وفاة السلطان الحسن الأول، حيث توالت موجة من الاضطرابات. وفي هذا السياق نسجل نوعاً من التشابه في ردود فعل القبائل، وكان المستهدف من ذلك بعض رجال المخزن، وخاصة من قبائل رسموكة وأيت باعمران وأگلو والمعدر والأخصاص... وقد أحدثت هذه الانتكاسة وضعاً متأزماً ودخلت بسببها المنطقة في بوتقة من الصراعات اللفية (تحگات وتاگوزلت). ويبدو أن صدى هذه الاضطرابات بلغت إلى الجهات المسؤولة، وهكذا أوعز الوزير أحمد بن موسى إلى القواد المطرودين من قبائلهم بالمرابطة في موقع تيبوحنايكت، وذلك لتجميع الفعاليات المخزنية، في انتظار إرسال قوة مخزنية بقيادة سعيد الگيلولي. وكانت دعامته قبائل لف تحگات (تزنيت، أولاد جرار، بعقلية...) وطابورين من الجيش الحاحي، بينما عسكر في مقابل المحلة السلطانية محمد بن الحسين الإليغي بموضع تيبوزار، وقد حظي بمساعدة ودعم من قبائل لف تاگوزلت. نحن هنا أمام وضعية تواطأت فيها مجموعة من الأطراف، وقد تم تدارك الأمر بتدخل من العلماء حقناً للدماء رغم النهب الذي تعرضت له المحلة المخزنية. ولم يتوان الگيلولي بعد ذلك عن نهج سياسة انتقامية ضد القبائل المناوئة له، حيث فرض عليها غرامة مالية تقدر بعشرة آلاف ريال. كما دشن حملات واسعة لاحتواء مواقع استراتيجية (ويجان، أيت باعمران) إجمالا كانت المعركة حدثاً حاسماً، مهدت الطريق للمخزن لاسترجاع مواقعه السابقة، كما تبين مدى حرص المخزن العزيزي على الحيلولة دون تطويق مركز تيزنيت، وتأمين الطريق الذاهبة إلى الجنوب.


*وثائق خزانة بودميعة البخاري* (تيزنيت) ؛ *كناش الأدوزي* (مخطوط) ؛ الاگراري، *روضة الأفنان*، ص. 10 . 20 ؛ *تاريخ الوجاني* (مخطوط) ؛ *المعسول*، ج 3 : 252 ؛ 14 : 112 ؛ 15 : 206.

L. Justinard, *Notes d'histoire et de littérature berbères : les Haha et les gens du Sous*, *Hesp.*, T XXXVI, 3ème - 4ème tr. 1949, pp. 346 - 347.


أحمد بومزگو

**تيبيبْط**، طير صغير من العصافير يألف المدن والقرى. يطلق عليه في مصر وفي الشام الصعو. تيبيبط اسمه الشائع في المغرب ويسمى في المعاجم أرطلان ودريسة الشعير.

ينتمي إلى رتبة العصافير Passeriformes وفصيلة Emberizidae التي تشمل عدة أنواع من الدريس تعيش في المغرب وفي أوربا وآسيا. يسمى علميا Emberiza striolata وبالفرنسية Bruant striolé وبالأنجليزية House bunting أو Striped bunting.

يتميز تيبيبط بجسم صغير لا يتعدى طوله 13,5 سنتمتر ولا يفوق وزنه 10 غرامات. طول بسطة جناحيه 30 سم وطول جناحه 8 سم، ريشه بنّي عند الإناث ورمادي جهة العنق والرأس عند الذكور وباقي الجسم بُنّي. المنقار قصير ورمادي مسود والأرجل بُنّية سوداء.

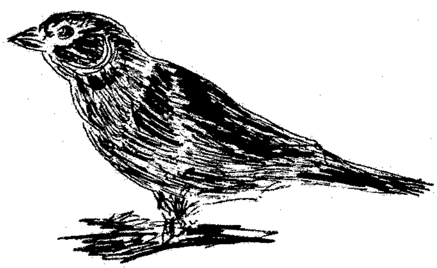

يتوالد ما بين مارس وأبريل، وكثيراً ما يلد مرتين في كل سنة. يضع العش بين جدران البيوت المشقوقة كما يفعل طائر الزاوش. يتكون العش من الحشائش اليابسة وقطع التبن ويفرش بريش الطيور. تضع الأنثى من بيضتين إلى أربع بيضات بيضاء مخضرة منقطة بالأحمر والأسود. يبلغ طول قطريها 20 x 15 ملم. تدوم مدة الحضانة من طرف الأم 27 يوماً يقوم الزوج خلالها بحراسة مشددة. تبقى الصغار داخل العش أسبوعين تقريباً، يسهر الأبوان خلالهما على الأكل والحماية. يتكون قوته من الحشرات الصغيرة كالنمل ومن الديدان والعناكب كما يلتقط الحبوب وبعض بقايا مأكولات الإنسان.

يعد تيبيبط من الطيور المستأنسة بالإنسان وكثيراً ما يختلط مع طيور الزاوش فيصعب على الإنسان التمييز بينها نظراً لكثرة التشابه. يقتصر توزيعه الجغرافي على المناطق الجافة وشبه الجافة في افريقيا الشمالية وفي شمال مصر والخليج العربي وجنوب آسيا.

إنه طائر شائع في المدن والقرى الموجودة في المناطق المغربية الجافة وشبه الجافة نذكر منها مراكش وبني ملال والدار البيضاء والجديدة وورزازات وبوعرفة ووجدة وأگادير. مفقود في مناطق الأطلس المتوسط والشمال الغربي من البلاد.


أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc*, 1980, Documents de l'Institut Scientifique, 6, Rabat, 1981 ; W. Reade & E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids : Reproduction, œufs et jeunes*, Paris, 1968, p. 191 - 192 ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984, p. 124 - 125.


محمد رمضاني

**تيبيداس** Tepidas، مدينة قديمة ورد ذكرها عند جغرافي راڤينا Geographe de Ravenne (القرن IXم). وهي بالنسبة له تنتمي لسلسلة مدن موريطانيا الطنجية. ولازال يجهل موقعها. وانظر ما علاقتها بقرية تيداس الشهيرة اليوم في بلاد زمور في طريق أُلماس.


R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.


البيضاوية بلكامل

**تيحمّامين**، معدن نحاس يقع في الجنوب الغربي

لمدينة سجلماسة على بعد يومين، وهو بذلك يتوسط المسافة الفاصلة بين هاته المدينة والمكان الذي كان يلتقي فيه طريق سجلماسة ـ غانا بمجرى وادي درعة ليسير عبره حتى مدينة تامدولت ومنها إلى نول لمطة أو ملاحة تاتنتال (انظر مادة التجارة المغربية في العصر الوسيط). تعود أول إشارة وصلتنا عنه إلى القرن الخامس (11 م).

ذكر البكري هذا المنجم في معرض حديثه عن طريق سجلماسة ـ أغمات الذي كانت مراحله على الشكل التالي: من سجلماسة إلى تيحمامين يومان ومن تيحمامين إلى وادي درعة يومان ومنه إلى موضع يقال له أدامست ومنه إلى ورزازات يومان ثم يمشي المسار في بلد هسكورة أربعة أيام ليصل إلى جبل هزرجة ومنه مسافة يوم إلى أغمات (البكري، *المغرب*، 152 ـ 153).

إن المسافة التي كانت تفصل سجلماسة عن تيحمامين والتي هي يومان من المشي في اتجاه الجنوب الغربي تدفعنا إلى تحديد موقع تيحمامين في منطقة النّيف الحالية. ومن ثم فإن منجم النحاس الوحيد المستغل منذ القديم في كل تلك المنطقة والذي ينطبق عليه ما ذكره البكري هو منجم النحاس المعروف باسم تازلافت الذي يقع على بعد تسعة عشر كيلومترا غرب مركز النيف. وإذا أضفنا هذا الرقم إلى المسافة الفاصلة بين النيف والريصاني عبر أشبارو وأم صيصي التي تبلغ عبر الطريق المستعمل حالياً تسعين كلم فإن مجموع ما نحصل عليه يتطابق مع المسافة التي ذكرها البكري بين سجلماسة وتيحمامين إذا اعتبرنا اليوم من المشي يساوي ما بين 50 و60 كلم.

إن موقع تِيحْمَامِينْ على طريق سجلماسة ـ أغمات يؤكد أهمية هذا المنجم في تزويد المدينتين بخام النحاس نظراً لما كان للمصنوعات النحاسية من أهمية في سلع تجار أغمات إلى بلاد السودان من النحاس الأحمر والملون (الإدريسي، *نزهة*، 42) وكذلك سلع سجلماسة من نفس المادة رغم إغفال المصادر لذكر ذلك، لأن هاته المدينة توفرت كغيرها من المدن الرئيسية الفاعلة في التجارة الصحراوية على حي خاص بالصفارين، خصوصا وأن مجالاتها كانت تتوفر على مناجم للنحاس كما هو الحال بالنسبة لمنجم تيحمامين ومنجم تينودادن (انظر ماد تينودادن).

أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، باريس، 1965 ؛ *الخريطة الطبوغرافية* لألنيف 1 / 100.000 ؛ ش. الإدريسي، *وصف افريقيا الشمالية والصحراوية*، الجزائر، 1957.

حسن حافظي علوي

**تيخفيست**، قرية تقع في قبيلة إدا وْسمْلال بالأطلس الصغير. ينسب إليها فقهاء وصالحون ترجم لتسعة منهم محمد المختار السوسي في *المعسول* (5 : 32 ـ 34) منهم :

**التيخفيستي، أحمد** بن عبد الله بن سعيد السملالي، فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، ولي قضاء بلده، وتعدد القضاة في جدوده كسعيد والحسين. ووُصف بالصلاح والاستقامة. توفي بداره بتيخفيست يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأخيرة عام 1079 / 29 نونبر 1668.

الرسموكي، *وفيات*، 32 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 78 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 26 ؛ *المعسول*،

**التيخفيستي، سعيد** بن إبراهيم بن الحسين السملالي. فقيه ولوع بالبحث والمناقشة، كثير المراسلات لمعاصريه من فقهاء سوس. ولي القضاء في بلاد سملالة ورسموكة كما تولى قضاء إفران في العقد الثامن من القرن العاشر، وله أسئلة فقهية في *الفتاوى البرجية* موجهة إلى محمد بن الشيخ محمد ابن إبراهيم التامنارتي.

توفي في أزاريف من قرى بني حامد شرق تيزنيت عام 1001 / 92 ـ 1593.

الرسموكي، *وفيات*، 27 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 759 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 : 33 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 597.

**التيخفيستي، عبد الله** بن إبراهيم السملالي، من المتخرجين على يد الشيخ عبد الله بن يعقوب السملالي، حلاه الحضيگي في *الطبقات* بأوصاف عالية كثيرة، فقال : "كان فقيهاً ورعاً زاهداً خيراً ديناً فاضلاً صالحاً ذا سمت حسن وسيرة حسنة، دمث الأخلاق، من أورع الناس وأزهدهم في الدنيا وأهلها، دائم الذكر والخشوع، كبير الشأن متين الدين". وقد سبقه في التنويه بهذا العالم الصالح السملالي صاحب *الوفيات* وكان يعرف عبد الله التيخفيستي وحضر جنازته والصلاة عليه.

توفي بتيخفيست في شهر صفر عام 1041 / غشت ـ شتنبر 1631.

الرسموكي، *وفيات*، 25 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 599 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 26 ؛ *المعسول*، 5 : 32 ـ 33.

محمد حجي

**تيداس**، مركز يقع على الطريق الثانوية رقم 209، الرابطة ما بين تيفلت (مع الخميسات) وأُلماس عبر المعازيز. وهو يحتل موضعاً متضرسا على هضبة بلاد زمور العليا، ذات طابع جبلي ومؤهلات رعي زراعية، يفوق ارتفاعها 500 م، استقرت فيها قبيلتان : بني حكم وحوْدرأن، المنتميتان، حاليا، للإقليم الإداري للخميسات، دائرة أُلماس.

ولقد اختارت السلطات العسكرية الاستعمارية هذا الموضع بالذات، ـ كموضع حصين دفاعي لكونه عبارة عن تل مرتفع (ـ 527 م) ـ لإنشاء ثكنة عسكرية في نوفمبر 1912، وذلك بعدما تبين لها أن الثكنات الأخرى غير كافية لمراقبة مجموع قبائل زمور. وهكذا كانت أولى وظيفة المركز هي الوظيفة العسكرية التي أتاحت له ازدهاراً نسبياً في العشرينات. وبعد الاستقلال أصبح يعيش تدريجيا حالة ركود.

تطور عدد سكان المركز كالتالي : 1960 : 1.336 نسمة (تم إحصاؤه كـ"دوار") ؛ 1971 : 1.779 ن ؛ 1982 : 2.808 ن. إنه يتسم بتطور ديموغرافي ضعيف جدا، حيث إن نسبة الزيادة السنوية ما بين إحصائي 1941 - 1960، لم تتعد 2.6٪؛ بل ظلت تقريبا راكدة فيما بعد : 2.9٪ في الفترة ما بين إحصائية 71 و1982. فهذه النسبة الأخيرة تُعادل المتوسط العام للزيادة السنوية على المستوى الوطني ! وضعيفة جدا بالقياس إلى المعدل العام للزيادة السنوية للمدن : 44٪ (ما بين 1971 و1982).

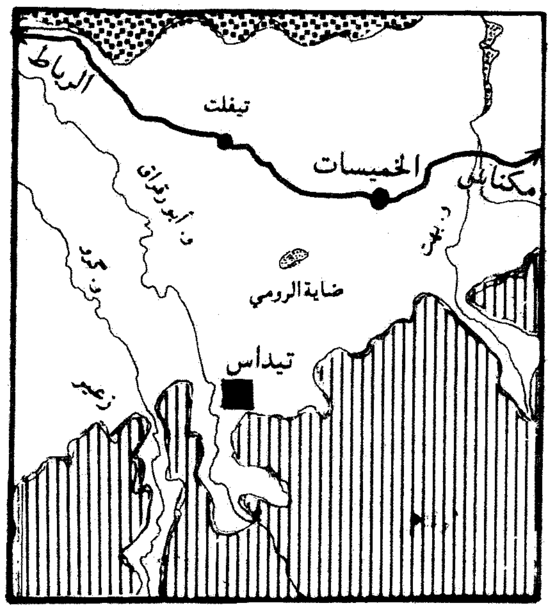


0 10 20 كلم

لقد غدا هذا المركز القروي، بعد الاستقلال وبالأخص في السنوات الأخيرة، يعرف هجرة معاكسة، حيث إنه لم يعد يحتفظ بسكانه، فلا يستقر فيه اليوم إلا المهاجرون المضطرون إلى الاستقرار، من بين فلاحي المنطقة الخلفية وعائلات المتقاعدين والعسكريين والعمال المياومين الفلاحين والأرامل والعجزة ومستخدمي المصالح العمومية.

ويمثل المهاجرون من إقليم الخميسات حوالي 77٪، مقابل 23٪ فقط من الأقاليم الأخرى للبلاد، مع القلة القليلة من عدد من المدن. يبدو المركز، على العموم وكأنه مجرد مقر إقامة أو "مأوى" لنسبة كبيرة من الأسر (58٪ حسب معطيات "بحث حول الأسر" (Enquête - menage) لسنة 1983.

تعيش تيداس وضعية ركود في موقع شبه منعزل، فلا غرابة إذا أصبحت المراكز المجاورة والبعيدة (المعازيز، تيفلت، الخميسات...) تمارس جاذبية على المهاجرين المغادرين لهذا المركز، وخاصة التجار ؛ كما أن الرواج الطريقي لم يسمح بظهور نواة تجارية طريقية، وأن الجهاز التجاري غير كاف كَمّاً ونوعاً، وأن السوق الأسبوعي، ليوم الاثنين، يبقى سوقاً صغيراً محلياً، عاجزاً عن مواجهة منافسة الأسواق الأخرى مثل سوق المعازيز المجاور (وسوق الأحد).

كل هذه الأوضاع الاقتصادية - الاجتماعية كانت لها انعكاسات سلبية على التوسع العمراني وعلى تشكيل المجال "الحضري"، الذي يتضمن أربع مجموعات سكنية عشوائية التوزيع، ويطغى عليها طابع السكن الهزيل ونقص التجهيز الأساسي، باستثناء مجموعتين شبه مندمجتين، من بينهما قرية نموذجية حديثة الإنتاج. فالتوسع الحضري سيبقى مستحيلا بدون التدخل الرسمي للدولة، مادامت المبادرة الخاصة منعدمة.

*المنشورات الإحصائية الرسمية.*

Menchif Kaddoua, *Etude comparative de développement des centres ruraux de services dans le pays Zamour*, I.N.A.U., 1984.

محمد حنيني

**تيداس**، لعبة من نوع الشطرنج أو الضامة، كانت سائدة في المغرب منذ القديم، لكنها أصبحت حاليا لا توجد إلا في منطقتي ورزازات ووادي درعة، وهي حاليا في طريق الانقراض بسبب رواج "الضامة" الرومية.

تعني تيداس الوقفة والمواجهة الحربية، من كلمة تِيدِّي وهي الوقفة والموقف. وذكر عدد من المسنين أن لعبة تَيداس عبارة عن أرض للمعركة، لاعبها هو القائد، والبيادق جنود، يجب أن يقاتلوا دائما في شكل صفوف، وليس بشكل متفرق في الميدان. ويعتمد اللعب على الذكاء والخبرة والمكيدة، والهدف هو تحقيق الانتصار بأقل عدد من الجنود.

هناك قصة متوارثة حول لعبة تيداس، قال السيد شَلُّوح مبارك ابن أحمد بتاكَنيت، موضع قصر بني صبيح، عمالة ورزازات، ولد سنة 1914 م، قال : سمعنا عن المسنين، أن تيداس خلصت سلطانا أبيض من قبضة سلطان أسود، وذلك أن السلطان الأبيض قدم من شمال المغرب متوجهاً نحو بلاد السود جنوبا، ومعه جيوشه قصد أخذ الجزية من أولئك السود، فأمر جيشه بأن يحيط بمحلة السلطان الأسود، على شكل مربع هندسي، فإذا بالسلطان الأسود قد أدار مربعين اثنين بنفس الشكل من جنوده على محلة السلطان الأبيض، وذلك ما تمثله تيداس (انظر الرسم).

فكانت إذن نسبة الجنود البيض في مأزق، ولم يبق للسلطان الأبيض لإنقاذ جيشه سوى الحيلة والمكيدة، وهنا وجد جنديين يلعبان تيداس ويُرددان عند اللعب بالأمازيغية ما معناه بالعربية "خذ هذا يابْنَ هذا الذي دخل ولم يعرف كيف يخرج"، فقال السلطان الأبيض : هذه قضيتي، لكن كيف نطبق هذه اللعبة ونحن في حصار تام ؟ فقالا له : عليك بالخدعة والمكيدة، وذلك بأن تعلن للسلطان الأسود أنك جئت لتصالحه وتهدي له ليستمر السلم. وهنا فك عليه السلطان الأسود ذلك الحصار المضروب، قائلا : قبلت صداقتك، أما الهدايا فإن السود هم الذين يقدمونها للبيض". فتم الأمر على ذلك.

تتكون مواصفات تيداس من مربع في الوسط ومن ستة

عشر شكلا شبه منحرف وتلعب باثني عشر بيذقا لكل لاعب، لكنها توضع واحدا واحدا بالتناوب بين اللاعبين، والبيذق لا يكون إلا على الزاوية، وينتقل في جميع الجهات، عبر خط مستقيم من زاوية إلى الزاوية التي تليها، فكلما تكون صف من ثلاثة بياذق إلا ويؤخذ بيذق واحد للخصم، واللعبة متشعبة ودقيقة.

الحسين جهادي

**تيدرارين** (أولاد ـ)، لا تعدو قولة أولاد تيدرارين بانتمائهم إلى الأنصار أن تكون دعوة إلى مساءلة انحدارهم من الغور الصنهاجي القديم بالصحراء الأطلسية. بهذه المنطقة تبنت جل الفصائل المنحدرة من "كلّ انْتَصَار المسّوفيين" القول بانتمائها إلى النسب الأنصاري بعد انهزامها أمام المد الحساني (البكري، *المغرب*، 164. 310 ؛ Chennafi, *Tegdaoust*, I : 526). نلاحظ أن كلمة تيدرارين تعبر عن المنحدرين من أصل جبلي مجسدين بذلك تركيباً لا يعني أكثر مما يوحي به معنى الكلمة. ما يزكي هذا الاحتمال أن تجزئات أيت تيدرارين الخمس والعشرين تعد من أكثر القبائل انتشارا وأكبرها حجما بالمنطقة الفاصلة بين أدرار وحوز مراكش (ابن حامد، *حياة موريتانيا*، 10، ص. 1 من ملف قبائل الأنصار). أورد المختار ولد حامدون هذه التجزءات بين قوسين في المشجر التالي :

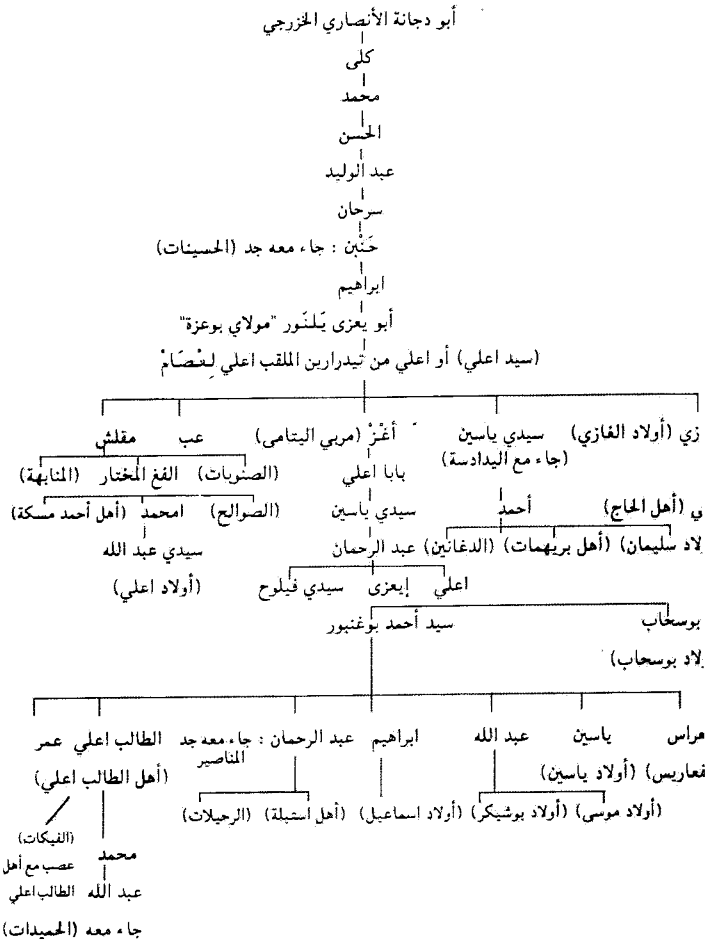


يعتبر حنين بن سرحان أقدم الجدود اقترانا بالرواية الشفوية. فقد قدم من ودان حيث ترك أبناءه ليتزوج بمنطقة الساحل من قبيلة گندوز التي تنسب إليها البئر المشهورة حالياً ببئر گندوز. تؤكد الرواية الشفوية على قيام حنين بتعليم الصبيان القرآن وعلوم الدين إلى أن دفن بالمسيد حيث مايزال قبره مزاراً بشمال بوجدور. وهو بنظر الرواية المحلية الجد المباشر (أب أب) لأبي يعزى يلنور بن ميمون الذي خصه الصومعي بالمعزي (*التشوف*، 213). تؤكد هذه المقولة بما فيها من غموض وبما تدعو إليه من احتياط أن استجلاء المنطق الباطني للعلاقة بين حنين وأحد أعلام التصوف خلال القرن السادس (12 م) يكشف نقطة الالتقاء والارتباط بممارسة التصوف. بل إن التقاء أغلبية بطون تيدرارين عند علي لعصام المنسوب إلى أبي يعزى إنما يصبغها بشيء من امتهان حمل الكتاب في زمان لم تصبح فيه بعد هذه الممارسة حكراً على المنهزمين أمام المد الحساني. يحق لنا في غياب المعطيات التوضيحية أن نتساءل عن طبيعة تطور أيت تيدرارين خلال الفترة الممتدة بين القرن السادس (12 م) والحادي عشر (17 م). هنا نسجل بأن المشجر يستعمل ضمنياً اختياراً عفوياً يميز طبقة الصوفية وذوي العلم الظاهر عن كل ماعداها من الطبقات. فخمسة أجداد يفصلون علي لعصام عن سيد أحمد بنغنبور نجد في مواصفاتهم ملاحظات كثيرة تتعلق بتداخل ممارسة العلوم وحمل الكتاب. على أن الذي يضع القبيلة في بداية الانتماء إلى حملة السلاح هو الطالب علي الذي كتب له إخوته الرئاسة التامة عليهم خلال المائة التاسعة للهجرة. هذا المعطى السودي وإن كان جديراً بكل تحفظ قد يعكس انتقال الأوصاف الحربية إلى جماعة أيت تيدرارين. حقاً إن سليلي سيد أحمد بوغنبور الحاليين يحسبونه العاشر أو الحادي عشر من أجدادهم، على أن هذا التحديد الزمني لا يمكن أن يقدم لنا من الإثباتات سوى بعض التدقيق الذي لا يغير من شيء في جوهر التطورات الحاصلة. لقد وجه المولى إسماعيل إلى محمد بن الطالب علي بن سيد أحمد بوغنبور رسالة توقير واحترام عام 1126 / 1714. كما بلغ أيت تيدرارين في زمن رئاسة سيد إبراهيم بن محمد بن الطالب علي بن سيد أحمد بوغنبور من القوة ما أهلهم للقضاء نهائياً على الحسينات الذين بادلوهم الصراع منذ أن أتى جدهم الأعلى مع حنين بن سرحان. أصبح الحسينات خلال هذه المرحلة التاريخية من المحميين التابعين لأيت تيدرارين.

كانت القوة الحربية لأيت تيدرارين تتمثل في قدرتهم على الحفاظ على مجالهم الواقع بين أدرار الشرقي (أدرار التمر) وأدرار الغربي (أدرار اسطوف) خاصة في مواجهة الشناگلة. ولهذا السبب نجد في بعض الوثائق المكتوبة والمروية ما مفاده أن اسمهم الحقيقي هو أيت إدرارين الذين ماتزال بعض آثارهم القديمة متمثلة في القرى القريبة من وادان (اگصر ايت ادرارين). وإذا التفتنا إلى تلك الماء والعيون والسواقي وجدنا حرف الدال المنقوش على عيون

هذه المنطقة هو نفسه الذي ماتزال مجمل فصائل أيت تيدرارين تضعه على الجانب الأيمن من رقاب إبلها. وكانعكاس للواقع المعيش فإن احتفاظ هذه الفصائل بملكياتها خلال هذه المرحلة الحافلة بالصراع الصنهاجي - الحساني من أجل مراقبة المجال يمثل في حد ذاته حقيقة قائمة. لقد عثر على وثيقة مؤرخة بعام 1182 / 1768 وكَّل بمقتضاها الحاج أحمد الصغير التيدراريني صديقه امحمد بن الحسين من إيد أو الحاج علي أراضيه المتبقية في وادان (بن حامدون، *حياة*، 3: x). كما أن جملة من الظهائر الإسماعيلية تحدد موقع أيت تيدرارين بمنطقة تيرس وأدرار حادة بذلك من تسلط أولاد دليم خلال هذه المرحلة. إذا كان سيد أحمد بوغنبور وابنه الطالب علي مدفونين بالمسيد فإن أبناء هذا الأخير قد تميزوا بقدرة مثالية على مواجهة المد الدليمي. أما الفصائل المهاجرة شمالا فتجسد الشكل العام للقبيلة بعد أن تعددت صيغ الوجود الحربي والسياسي الحساني. نجد منها على سبيل المثال أولاد علي وبعض أولاد ياسين وكثير من اليدادسة بالمنطقة المسماة آلرار أولاد اعلي. كما نجد أهل الصنوبي في تيورار بمنطقة أگادير (سوق ثلاثاء الحاج أحمد علي وادي سوس). والصوالح في الصويرة وبعض أولاد ياسين وأولاد سليمان بسوق خميس سيدي بوزيد بالبير الجديد بينما بعضهم الآخر في أرض الرحامنة أو في قبيلة السراغنة.

لقد عرفت قبيلة أيت تيدرارين تقلبات اجتماعية وسياسية متوالية فيما بين القرن الحادي عشر (17 م) والقرن الثالث عشر (19 م). فهي لم تعد من القوة بحيث تزيح الهيمنة المتزايدة للمد الدليمي ولا حتى المد الرگيبي ابتداء من نهاية القرن الثاني عشر (18 م). لم يعد بإمكان أيت تيدرارين المحافظة على جهاز قبلي موحد وثابت ولا حتى المحافظة على اسمها الذي تحول من أيت إلى "أولاد". لم تعد تستند إلا إلى جهاز ديني مختص في المحافظة على الجانب المثالي القديم وممارسة شعائر وتقاليد متمايزة عبر مختلف الأرباع التي أصبحت تعيش بها الوحدات التيدرارينية المختلفة. وقد أصبحت تمثل في الصحراء هدفا سهلا بالنسبة لأولاد دليم خاصة، مما زاد من تهميش وحداتها. لقد شارك دول C. Douls في إحدى الغزوات الدليمية التلقائية أودت بحياة ثلاثة وعشرين تيدراريني وتم فيها سبي القافلة والنساء والأطفال المرافقين لها (C. Douls, *Voyages*, 15 - 16). ويتضح بما لا يدع مجالا للشك أن البنية السياسية لأولاد تيدرارين الموجودين بمنطقة بوجدور قد أصبحت تتميز على غرار قبائل الزوايا بالاعتماد على نظام الحماية القبلية. إننا عثرنا لدى قبائل تكنة وأولاد دليم ورگيبات بداية من هذا القرن على وثائق تثبت حمايتهم لمختلف فصائل أولاد تيدرارين. بل إن بول مارتي P. Marty لم يتوان في إدخالهم في إطار تابعي أولاد دليم (*Les tribus*, 14 - 15). على أن محاولاتهم التحررية قد أدت بهم خلال سنة 1910 إلى الدخول في مفاوضات سرية مع فرنسا للخروج من تحت النفوذ الدليمي. وقد كان الشيخ سيدنا بابا بن الشيخ سيدي الكبير أكبر الدافعين عن مقولتهم هذه لدى الفرنسيين بنواكشوط. على أن رغبة فرنسا في عدم إثارة أولاد دليم حالت دونها وتحقيق المطالب التيدرارينية.

أهم ما يمكن أن نقف عنده اليوم بشأن هذه القبيلة هي السمات الطاغية على جل تجزؤاتها الموزعة ما بين تيرس والسراغنة. فالتصور الذي ينبغي اتخاذه أداة للبحث هو سبب ارتباطها بممارسات وطقوس تجسد نموذجاً خاصاً في رصد سيرورتها التعاقبية، لماذا يرفض أولاد تيدرارين شراء أوعية شرب حليب النياق ولماذا يعتبرون ما تبقى من هذه المادة بالأوعية دواء شافياً للإبل لا يمكن شربه بأي حال من الأحوال ؟ لماذا ترفض مختلف فصائل أولاد تيدرارين سقي إبلها يوم الجمعة ولماذا يعد يوم السبت يوم المعالجة والاستشفاء بينما تخشى النساء التزين بالحلي الذهبية ؟ هذه التساؤلات تفضي بنا إلى الفرضيات الموجهة للبحث. هل يمكن تفسير مختلف أشكال الانغلاق على الذات التيدرارينية بالانتماء القديم إلى البافور - إيگدالن الذين حاربوا المد المرابطي ؟ إن بعض الوقائع والظواهر القبلية الصنهاجية قد عرفت على امتداد الفترة التي تفصلنا عن المرابطين من التشبث ببعض القيم والعادات ما لا يمكن التغافل عنه (انظر مادة *تازگاغت بالمعلمة*). يمكننا الانطلاق فقط من الخاصيات الميدانية التي يشتمل عليها النموذج التيدراريني لاستشفاف المسار العام الذي يعود بنا إلى ما قبل المرابطين.

مختار ولد حامدون، *حياة موريطانيا*، ج. 10 ؛ *قبائل الأنصار* ؛ محمد الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*.

C. Douls, *Voyages dans le Sahara Occidental et le Sud Marocain*, *Société Normande de Géographie*, Jan. - Fév. 1888, 15-16 ; P. Marty, *Les Tribus de la Haute Mauritanie*.

**تيدرگيت**، مدشر تاريخي على الساحل الأطلسي بوادي نون والساقية الحمراء، تقطنه قبيلة أيت لحسن كبيرة أحد لفي اتحادية تكنة أيت الجمل. ولا تعدو هذه التسمية أن تكون مجرد تجسيد لممارسة تربية الإبل كنمط أساسي للعيش عبر المحور الرعوي المحادي للساحل الأطلسي بوادي نون والساقية الحمراء (انظر مادة *أيت بلة بالمعلمة*). السمات التي يمكن أن نستعرضها بشأن قبيلة أيت لحسن كبيرة هذا اللف الساحلي هي من صميم بنيتها الاجتماعية، فانطلاقها نحو نمط العيش هذا لا يعني أنها قديمة العهد بالترحال الرعوي الكبير النجعات. فمازال أيت بومگوت أكبر فصيلة بهذه القبيلة يطالبون بحقهم في ساقية ونخيل أسرير حيث كانوا يقيمون إلى حدود القرن الحادي عشر (17 م). تسببت صراعات مفتوحة يومها بينهم وبين أيت احماد أوعلي في انسحابهم إلى المنطقة الفاصلة جنوبا بين وادي درعة الشبيكة حيث أقاموا مدشر تيدرگيت (V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, 17). كانت قبيلة

إزرگيين تنتجع يومها حوالي منطقة آوريورة المجاورة للمحيط الأطلسي. وقد كانت تمثل امتدادا فعليا لفصائل أزوافيط شأنها في ذلك شأن أهل أمغار اسعيد بمنطقة الركن بتاسريرت المسماة حاليا بسلسلة جبال أيت باعمران (انظر مادتي *إزرگيين وتاسريرت بالمعلمة*). ولما تمكن تحالف فصائل أيت لحسن من طرد أولاد إدريس من القصابي الحالية (انظر مادة *تگاوست بالمعلمة*) خلال القرن الثاني عشر (18 م) بدأت فصائل إزرگيين في التوجه نحو وادي الساقية الحمراء والدورة. عرف هذا القرن تقوية النفوذ المحلي لتكنة على حساب أولاد مبارك وأولاد دليم المعقليين الذين انسحبوا نحو مواقعهم الحالية بتيرس وأدرار. بل نجد أن إعادة تشكيل التحالفات بين مختلف الفصائل تتداخل وتتقاطع مع الصراعات ذات الطابع الانقسامي. فقد عرف هذا القرن طرد أيت احماد من تاغاجيجت إلى فصك ومن تيغمرت إلى إيغرم إيگزولن مستندين في ذلك إلى مبادئ تحالفيه مع منافسي أيت إبراهيم وأزوافيط الذين طردوهم.

من هنا يمكن أن نقول بأنه لا وجود لأية مطابقة بين التوزيع المجالي ومدى انصهار تجزؤات كل قبيلة ضمن وحدات اجتماعية وسياسية أشمل. فلا يمكننا التغافل مثلا عن الفرق الشاسع الذي يفصل دائماً بين أهالي تيدرگيت من أيت لحسن وفصيلة الرويمات الكويتين بنفس القبيلة. لقد أبرزت فاعليات التحالف مع المد الإيبيري منذ سنة 1500 دور التعبئة الفعلية للرويميات إلى جانب الحضور الإسباني. وهذا مبدأ لا انقسامي سوف يعمل باستمرار على الفصل الحثيث بين الرويميات وأيت بومگوت المرتبطين بدينامية القيم المحلية والرموز الدينية. إذا كان أهل بوعيدة قد فرضوا نفوذهم بفعل مواقف وانتماءات، فإن أيت بومگوت ومجمل أهل تيدرگيت من أيت لحسن قد لعبوا أدواراً هامة على صعيد السياسة التي انتهجوها داخل تحالفات أيت الجمل.

ليس صدفة أن يجتمع ممثلو أيت الجمل ليعلنوا منذ القرن الثاني عشر (18 م) نزوعهم إلى الحياد والمسالمة والتحالف مع لف أيت عثمان. فقد كان اللفان مندمجين في إطار وحدة فاعلة ومتنافسة كثيرا ما عرفت استقبال تيدرگيت لمجالس جماعية من الحجم الكبير. لم تنحصر قط دائرة مدشر تيدرگيت في سلطة أيت لحسن بل بقي سكان المدشر بحكم تعاملهم مع منتجعي الأودية والسهول المجاورة من الأهمية ما جعلهم يمثلون نواة تجارية محلية. وبعد أن حاولوا ولو بشكل متواضع الاستجابة لمتطلبات الأفراگ الجهوية، نجدهم ينساقون في تيار تثبيت الحضور الفعلي لقبيلتهم. حقا لا أحد من الكبار الذين تعاقبوا على رأس تيدرگيت تمكن من فرض هيمنة متواصلة. والسبب يكمن دونما شك في أن السلطة لم تكن ممركزة إلى درجة تجعل من المدشر عاصمة محلية راسخة. فقد كان أكبر وأهم شيوخ القبيلة هم أعيانها وكبار فصائلها المحورية. وعلى غرار المجتمع الذي يمارس نمط العيش الترحالي تميزت البنية الاجتماعية لمدشر تيدرگيت بالهشاشة وبتداخل مختلف مستويات أفراگ القبيلة بعيداً عن عاصمتهم القصابي.

يبقى أهم شيء يمكن أن نميز به دور تيدرگيت التاريخي خاصة خلال القرن الثالث عشر (19 م) هو قدرة أيت لحسن المحلية على احتكار الماء الصالح للشرب. هذا ما يمكن أن نستشفه من خلال الكيفية التي تعامل بها أهل تيدرگيت مع مسألة استغلال الماء وتوزيعه على الأفراگ المجاورة. إن ندرة الماء الصالح للشرب بهذه المنطقة المحادية للمحيط المالح تجعل من تيدرگيت بحق محطة نادرة لرصد وتحليل مجمل التفاعلات والدوافع والأهداف التي حدت بأيت لحسن إلى إنشاء هذا المدشر. إذا كان استغلال المراعي يعد جماعيا على امتداد مختلف فترات وفرة الكلأ، فإن التحكم في المياه الجوفية النادرة لم يكن يستند هنا على أساس المبادئ المشتركة، وهو بالضبط ما يؤكد قدرة أيت لحسن الفعلية على التحكم في المجال الحيوي سواء على مستوى تنظيم الحياة الرعوية أم على مستوى الحفاظ على وحدة المجال التكني. كانت التعارضات بين أيت لحسن وأزوافيط قد شكلت ميكانزما أساسيا للحفاظ على ثنائية اللفين التكنيين وجسدت القدرة الفعلية للسلطة القبلية على مراقبة المجال. وإذا كان أزوافيط قد احتكروا منذ زمن بعيد أهم المداشر بوادي نون (انظر مادة *أزوافيط بالمعلمة*)، فإن تيدرگيت انضافت إلى القصابي لتجعل من قبيلة أيت لحسن إطاراً فعلياً للتعبير عن شخصية أيت الجمل.

*دراسة ميدانية وروايات شفوية.*

مصطفى ناعمي

**تيدسي،** قرية بسوس، تقع قرب أولاد تايمة الحالية، وقد كان لها دور تاريخي خلال بداية القرن العاشر (16 م)، حيث بايعت بها قبائل سوس محمد القائم بأمر الله، مؤسس الدولة السعدية. ولعل الحسن الوزان، في هذا القرن، هو أول من أشار إليها ووصفها بأنها "مدينة كبيرة تحتوي على أربعة آلاف كانون، أسسسها الأفارقة على بعد ثلاثين ميلا من شرق تارودانت (...) وهذه البلاد منتجة خصبة (...) وفيها أناس يتاجرون مع بلاد السوادن (...) لهم نظام جمهوري حيث يحكم البلاد ستة أشخاص يختارون بالقرعة، ويعوضون بآخرين كل ستة عشر شهراً (...) وفيها عدد كثير من الصناع اليهود كصياغين وحدادين (...) وقد دخلت تيدسي عام 920 في طاعة الشريف الذي اتخذ منها عاصمة له" (*وصف افريقيا*، ص. 119).

يقدم لنا هذا النص معلومات مفيدة ودقيقة حول هذه القرية، فهي قديمة رغم أن البكري (ق 5 هـ) لم يشر إليها. ويبدو الرقم الذي أورده الوزان بالنسبة لعدد السكان مبالغا فيه (4.000 كانون x 5 = 20.000 نسمة).

يرتبط تاريخ تيدسي بظهور الدولة السعدية، حيث إن أبا عبدالله القائم بأمر الله لبى دعوة زعماء القبائل السوسية حيث "جاء معهم إلى قرية يقال لها تيدسي قرب

تارودانت فبايعه الناس بها" (*نزهة*، 16). إن مبايعة السوسيين لمؤسس الدولة السعدية في تيدسي يجعل الباحث يطرح تساؤلات عن الأسباب الكامنة وراء ذلك الاختيار. إذ من المعلوم أن الشرفاء السعديين انطلقوا من قرية في درعة تحمل نفس الاسم "تيدسي". وإذا فهمنا من النصوص أن هناك قريتين تحملان نفس هذا الاسم فما هي طبيعة العلاقة بين قصر تيدسي بدرعة مقر الشرفاء السعديين، وقرية تيدسي بسوس مقر انطلاق حركتهم السياسية ؟

هنالك احتمالان : إما أن تكرار تيدسي في درعة وسوس يدخل ضمن ظاهرة تكرار أسماء الأعلام الجغرافية في الجنوب المغربي الناتج عن تنقل القبائل من مواطنها الأصلية إلى أماكن أخرى، تطلق عليها أسماء منطقتها الأصلية، مثل ما حدث في تكرار أسماء الأعلام الجغرافية في سهل سوس وجبل درن ؛ وإما أن يكون لاسم تيدسي علاقة مباشرة بالشرفاء السعديين الذين قد يكونون أسسوا زاوية لهم بالمنطقة لها علاقة ما مع زاويتهم بدرعة (Meunié, *Le Maroc*, T. 1, 432).

ومما يعزز الاحتمال الأخير عثورنا على ظهير توقير لأهل زاوية تيدسي أرسله السلطان المنصور الذهبي إلى الشريف عبد الله التيدسي مؤرخ في أواسط ذي الحجة الحرام عام 1012 / 1602 قبل وفاته ببضعة أشهر. وتشير الوثيقة إلى أن عادة التوقير قديمة ومما جاء فيه "... ولم تجر عليه عادة الغرامة قط من قديم إلى الآن (....) ولا سبيل لأحد في خرق العادة عليهم" (م. حنداين، *تارودانت*، ملحق الوثائق).

ومما لا شك فيه أيضا أن شرفاء تيدسي (سوس) كان لهم دور كبير في إقناع زعماء قبائل المنطقة ببيعة محمد القائم بأمر الله، وفي التوفيق بين الآراء أثناء التخطيط لقيام الدولة السعدية. ويورد الإفراني نصاً يتضمن الصعوبات التي وجدها مؤسس الدولة في تيدسي مع أحد الرؤساء قائلا : "ثم إنه رجع إلى مكانه من تيدسي المذكورة فوقع بينه وبين أحد الرؤساء هنالك منافرة أدت إلى ارتحاله عنها ورجوعه إلى درعة، فلم يزل بدرعة إلى عام ثمانية عشر فرجع إلى مكانه من تيدسي واطمأنت به دارها..." (*نزهة*، 16).

نستخلص من كل ذلك أن دخول قرية تيدسي إلى التاريخ، كان مرتبطاً بظهور الدولة السعدية بسوس. واستمرت تلعب دوراً ثقافياً ودينياً طيلة فترة السعديين، مما يفسر إصدار ظهائر التوقير والاحترام لشرفائها. ورغم أن دورها عرف نوعا من الفتور خلال الفترة العلوية، إلا أن السلاطين العلويين احتفظوا بتقليد اصدار ظهائر التوقير لشرفاء تيدسي. ويؤكد ذلك ظهير توقير أصدره السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام مؤرخ بـ 29 ذي الحجة الحرام عام 1255.


ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر ؛ م. الافراني، *نزهة الحادي*، نشر هوداس. د. ت. ؛ م. حنداين، *تارودانت ومحيطها التاريخي خلال القرنين 17 و18*. ر. د. د. ع. الرباط، 1993.

D.J. Meunié, *Le Maroc saharien*, T. 1, Paris, 1982.


محمد حنداين

**تيدسي**، قصر بوادي درعة، ونستشف من بعض الإشارات التاريخية، أن قصر تيدسي بدرعة يعتبر من القصور القديمة بالبوادي، وقد كان موطنا لأسلاف الأشراف السعديين الذين استقدموا إلى الوادي في بداية القرن الثامن الهجري. ويبدو أن قصر تيدسي كان مركزاً تجاريا مهما بواحة ترناتة خلال نفس القرن، فقد ذكر ابن خلدون، أن نهر درعة "يمتد إلى أن يصب في البحر، وحفافيه قصور لا تحصى، شجرتها النخل، وقاعدتها بلد تادنست، بلد كبير يقصده التجر للسلم في النيلج وانتظار خروجه بالصناعة" (*العبر*، 6 : 88 ـ 89). وقد علق صاحب *طليعة الدعة في تاريخ وادي درعة*، على كلمة "تادنست" الواردة عند ابن خلدون بقوله : "لعلها تيدري أو تيدسي، لأن في هاتين البلدتين من الخراب ما يدل على عمارتها وحضارتها، وإلا فهو خطأ وتحريف من الناسخ لأن هذا الاسم (تادنست) لا يعرف بدرعة" (*طليعة*، 5). وقد صحح لفظ "تادنست" باسم "تيدسي" في بعض النسخ المطبوعة لتاريخ ابن خلدون (*دعوة الحق*، ع 2 ـ 1973 : 132).

وقصر تيدسي الذي أشار إليه صاحب طليعة الدعة، يقع فوق تل متوسط الارتفاع بواحة ترناتة على يمين الطريق الذي يربط بين مدينة زاكورة وقصر بني صولي بالضفة الشرقية لنهر درعة، ولاتزال بالقرب من تيدسي أطلال ضخمة تعرف محليا بالقصر الخالي، ولا شك أن هذا القصر الخالي هو قصر تيدسي القديم الذي كان موطن أسلاف السعديين قبل انتقالهم إلى تاكمادارت بواحة فزواطة، ولعل ما يؤكد وجود قصر تيدسي القديم بترناتة، هي التحلية التي كان يضفيها صاحب كتاب *الدولة السعدية التكمادارتية* على بعض ملوك السعديين بقوله : التكمادارتي الترناتي (*الدولة السعدية*، 105). ويشرف القصر الخالي على فضاء من الأرض يعرف بحدب الحاج عبد الله، وقد كان هذا المكان ملتقى للقوافل التجارية قبل تخريب قصر تيدسي (*وثائق قصر أولاد الحاج*).

متى خرب قصر تيدسي القديم ؟ ومتى بني قصر تيدسي الحالي ؟ ليس من السهل الإجابة على السؤالين لضياع أخبار قصر تيدسي القديم في غمرة الأحداث التي عرفتها بلاد درعة خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16م)، وهي أحداث تميزت بصراع حاد بين قبائل الرحل الصحراويين وسكان الوادي المستقرين، ولم ينته هذا الوضع الشاذ إلا بتمكن الدولة السعدية من إحكام سيطرتها على درعة في بداية النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) (*التاريخ الاجتماعي لدرعة*، 145 ـ 150). ويظهر أن قصر تيدسي القديم، فقد أهميته كمركز تجاري مهم بترناتة في بحر القرن التاسع (15 م) بدليل أن الحسن الوزان لم يشر إليه

ولو أدنى إشارة عندما زار وادي درعة في مطلع القرن العاشر (16 م).

ونستشف من بعض الوثائق المحلية التي عثرنا عليها في قصر بوخلال الواقع قرب قصر تيدسي الحالي، أن عددا من قصور ترناتة قد بنيت خلال القرن الثاني عشر (18 م)، حيث اضطرت عدة قبائل بترناتة إلى تجميع عشائرها في قصور محصنة لمواجهة هجومات قبائل أيت عطا الصحراويين آنذاك، فهل يمكن القول إن بناء قصر تيدسي الحالي يرجع إلى القرن الثاني عشر (18 م)؟

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 1981 ؛ م. الافراني، *نزهة الحادي* ؛ مجهول، *الدولة السعدية الدرعية التگمادارتية*، الرباط، 1934 ؛ م. المكي الناصري، *طليعة درعة*، مخطوط ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة*، *دعوة الحق*، ع 2 السنة 18 ـ 1973.

G. Spillman, *Districts et tribus de la haute vallée du Dra*, *A.M.*, Vol. 9, Tome II, Paris, 1931 ; Dj. Jacques Meunié, *Le Maroc Saharien : des origines au XVIème siècle*, Paris, 1982.

أحمد البوزيدي

**التيدسي، بركة** بن محمد بن أبي بكر، ويكتب أيضاً بصيغة الجمع : بركات. شيخ صوفي كبير، وأستاذ عارف بالروايات والقراءات. قضى حياته في زاويته بتيدسي سوس يعلم القرآن ويربي المريدين، ويسهر على توجيه المجاهدين المقاومين للتوسع البرتغالي في سواحل سوس، ويسعى إلى فداء الأسرى وإبرام هدنة مع المغيرين ليطمئن السكان ولو إلى حين. حتى إن السوسيين عرضوا عليه أن يبايعوه، كما عرضوا ذلك على معاصره شيخ زاوية أقا محمد بن مبارك. لكنهما رفضا وأشارا على الناس بمبايعة فقيه درعة الشريف محمد بن عبد الرحمن الزيداني (جد السعديين) لكفايته ونسبه القرشي وبلائه البلاء الحسن في جهاد المحتلين. وفي زاوية تيدسي بايع السوسيون محمد بن عبد الرحمن الذي تلقب بالقائم بأمر الله عام 915 وكان ذلك منطلق حركة جهادية انتهت بطرد المحتلين من سواحل سوس وإقامة صرح الدولة السعدية.

توفي الشيخ بركة بتيدسي في السابع عشر من جمادى الثانية عام 934 / 9 مارس 1528.

الرسموكي، *وفيات*، 38 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 228 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 24 ؛ م. حجي، *الحركة*، 1 : 42 ـ 43.

**التيدسي، علي** بن عبد الملك بن بركة. فقيه صالح، تمتع ـ كأبيه وجده ـ بحظوة كبرى لدى السعديين، وولّوه قضاء بلده وبقي على ذلك إلى أن توفي ليلة الاثنين الثاني عشر من رمضان عام 1012 / 13 فبراير 1604.

الرسموكي، *وفيات*، 116 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 623 ؛ م. المختا السوسي، *رجالات العلم*، 51.

محمد حجي

**تيديگين**، جبل يقع بأرض قبائل كتامة وبني سدات وبني بونصار وبني خنوس الصنهاجية، وبه توجد أكبر غابة لشجر الأرز بشمال المغرب، وحيث إن ارتفاعه على سطح البحر يبلغ 2.453 متر فهو أعلى جبل بسلسلة جبال الريف، ولذلك سمي بتيديگين أي "العملاق" باللهجة الريفية.

ع. بنبعد الله، *معلمة*، 157.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 27 y 110 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 71.

محمد ابن عزوز حكيم

**تيديلي**، اسم أمازيغي يطلق على المناطق الخصبة ذات المياه الجارية والبساتين الفيحاء، لأن كلمة تيديلي مشتقة من فعل "ئدلْ" بمعنى سَقَّفَ، فتعني بذلك الحدائق المعلقة، ومن الأماكن المشهورة بهذا الاسم قبيلة تيديلي بإقليم ورزازات الواقعة على السفح الشمالي للأطلس الكبير وتضم عشرات الدواوير الممتدة على ضفاف وادي واوزگيت الذي شيد عليه سد المنصور الذهبي قرب مدينة ورزازات.

وبقبيلة إيداوتنان توجد قرية تضم الآن حوالي مائتي كانون تدعى تيديلي، وهي فرقة من قبيلة تانكرت التنانية، وتمتاز هي الأخرى بعيونها الجارية وبساتينها الظليلة، فهذا الرحالة المختار السوسي يحدثنا عن مدى إعجابه بقرية تيديلي وجارتها تاماروت. وقرية تاماروت في واد متسع ملتف الاشجار والحقول وأسفل منها بقليل قرية تيديلي، وحوالي القريتين حقول متصلة مخضرة أنيقة وقد تباعد ما بين الجبال التي تحيط بها، وهناك زياتين كثيرة والجوز واللوز وأنواع الفواكه ويسقى الجميع بعيون متعددة انبعثت قرب الحقول. وهذا المكان يقع في أعالي جبال ايداوتنان ولكن يشتد فيه البرد إلا أنه مع ذلك أبهج مكان رأيته في هذه الجهات إذا استثنينا "أنسري" المتقدم ( *خلال جزولة*، 4 : 82).

وقرية تيديلي متشبعة بالروح الدينية كغيرها من القرى التنانية فنجد فيها من الشرفاء الأدارسة المنحدرين من أسرة السيد إبراهيم بن علي التيغانيميني أعدادا كثيرة كما نجد من بينهم حفظة القرآن وعلماء أجلة أمثال السيد علي ابن إبراهيم التازروالتي. ولسكان تيديلي اهتمام كبير ببناء المساجد وتعميرها منذ القدم. وأول ما استرعى انتباه محمد المختار السوسي أثناء زيارته لهذه القرية هو قدم جامعها الذي يُبرز مدى اعتناء بني تنانة بالمؤسسات الدينية والعلمية حيث قال : "سرعان ما وصلنا ـ تيديلي ـ فدخلنا إلى الجامع الذي تقام فيه الجمعة وهو مسجد عتيق مثل مسجد تاماروت وقد تخطى أكثر من ثلاثة قرون، فاستحضر أهل القرون الوسطى كيف كانوا في حرارة دينية صارت تبرد اليوم شيئا فشيئا في هذه الأجيال الأخيرة، وقد اعتنوا كما ترى ببناء المساجد هكذا في قمم الجبال وفي أعماق الشعاب على كيفية هي أعلى ما يعرفونه إذ ذاك في فن معمارهم، ثم كسا القدم هذا الفن حلة أخاذة في نظر أمثالي" ( *خلال جزولة*، 4 : 82).

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 82 ؛ *تحريات ميدانية* ؛ *تقرير*

حول إداوتنان أعده قائد دائرة حاحة الجنوبية (لاتيرون) عام 1924.

محند أيت الحاج

**تيذنت**، قالة أي مرسى صغير، واقع على الساحل الشرقي المتوسطي من شبه جزيرة هرك (ورك أيضا)، بين مدينة مليلة ورأس هرك. يحتل موضع القالة النقطة الوسطى من الجون الممتد بين رأس تَرْيات (حسب الإسباني بيرميخا Bermeja) ورأس الزاوية القادرية (حسب الإسباني سبانيا Sabanilla). ويعود استعمالها إلى استغلال المراكب الصغرى لمصب واد سيدي الحاج مْحَنْد (محمد) للإرساء أسفل الأجراف المشرفة من علو ثلاثمائة متر.

عرّفنا أبو عبيد البكري بموقع مرسى تيذنت الذي لم يكن مستغلا سوى في فترة الصيف، مشيراً إلى دوره في التجارة الصحراوية، إذ أنه كان من احتكار مرسى المنكّب الأندلسي.

واستغل بنو شكر القلعيون هذا الموقع، خلال العصر الحديث، لاعتراض السفن الإسبانية الآتية من مالقة محملة بالمؤن والعتاد الحربي إلى مليلة المحتلة. ويدخل المرسى في الوقت الراهن ضمن مدشر "ثْلاث" التابع لفرقة بَجِيوَة بني شكر.

أ. البكري، *المغرب*، 99 ؛ ح. الفكيكي، *قلعية*، 1 : 30 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 100 ؛ خريطة طبوغرافية، 1921 و1935.

حسن الفكيكي

**التيرس** (قسم "الأتربة المتقلبة" المغربية) التيرس من أكثر الأسماء حضوراً عند تناول موضوع الأتربة المغربية على مستوى التصنيفات البلدية والأسباب في ذلك عديدة.

أهمها أنه التربة المثلى للحبوب وذلك بأسمى المعايير، فهو يسهم بقسط وفير في تغذية سكان المغرب. ويُنتظر منه أن يُضاعف إسهامه بزيادة المردودية. كما أن مجالات انتشاره غالباً ما توافق أغنى الأراضي لأنه يكاد يكون حكراً على السهول والأراضي الشاسعة المتيسرة التجهيز، بالإضافة إلى ارتباطه الوثيق بمصادر المياه وظروف تجميعها، وهي لاشك أثمن الظروف في نطاق جغرافي يَحكُمه هاجس الجفاف.

التيرس إذن تراب نفيس استرعى اهتمام الدراسين والمستعملين على السواء. يقتصر هذا العرض على التعريف المختصر به وبمميزات استعماله، مع تناول لأهم خصوصياته التحليلية وظروف وأبعاد تطوره بمختلف بقاع التراب الوطني التي تتوفر على رصيد كاف.

شهرة التيرس مرتبطة كذلك بالسهولة النسبية في التعرف عليه ميدانياً. فهو يوافق الأتربة الطينية الداكنة اللون، العسيرة المعالجة حيث إنها تصير ثقيلة في حالة ترطيبها واكتنازها بالمياه، كما أنها تكتسب عند تجفيفها البنية الخشنة والصلابة. أقرب التسميات العلمية للمفهوم البلدي للتيرس هو مصطلح الأتربة المتقلبة Vertisol حسب الترتيب الفرنسي للأتربة (CPCS 1967) والتصنيف الأمريكي (Soil Taxonomy, 1975).

على أن التيرس عندنا يتعدى مفهوم الأتربة المتقلبة ليشمل كل فصول الأتربة الأخرى متى توفرت على بعض الخاصيات القالبة، كما هو الشأن بالنسبة للأتربة الضعيفة التطور، والكلسمغنيزية والسيدبالية والمتحدسلة والأندوتربات ذات النزعة البينية.

أما بالنسبة لإمكانات الاستعمال فمعلوم أن الخاصيات الآلية للتيرس غير مواتية في ظروف الرطوبة والجفاف معاً. فهي لصوقة لدنة في الحالة الأولى وصلبة مصمتة في الثانية. نسبة انتفاخ السمكتيت المحتقنة يمكن أن تبلغ عشرة أضعاف حجمها الجاف. عمليات التمدد والتقلص والقلب بهذه الأبعاد غير ملائمة للنبات ذي التجذر القوي.

في مجالات الزراعة المكثفة، يتعرض التيرس لمشكلين هامين : الاندكاك والتمليح. فمعالجته خلال الفترة الرطبة بواسطة الجرارات الثقيلة، ومرور الشاحنات الكبيرة على سطحه يتسبب في حالات اندكاك جزئياً لارجعية تُفقده المسامية والهيكلة الحاصلة بفعل الأطيان.

كذلك يُحدث السقيُ بواسطة مياه متواضعة الجودة تراكماً للأملاح الذووبة والصوديوم المستبدَل بسبب ضعف الإيصالية المائية لهذه الأتربة. وفي غياب نظام ملائم للتصريف، ينجُمُ عن التمليح والتَّقلية تدهورٌ لقيمة التربة.

في مجال الهندسة المدنية، مشاكلُ توازن المنشآت المختلفة تُطرح بحدة حيث إن مدَّ الطرقات فوق التيرس يستلزم عمليات تثبيت بالجير أو الإسمنت على سمك كاف، أو حتى إزاحة التربة الطينية بصفة تامة. نفس الصعوبات تعترض كل مشروع تشييد للمباني والسدود ومحطات الضخ والأعمدة الكهربائية وغيرها. لكن التوارس أتربة مشهود لها بالخصوبة الكيماوية العالية. وهذا يشفع لها من كل العيوب. وهي وإن كانت في حاجة إلى مقادير هامة من المياه حتى تتبلل وتُكَوِّن الذخيرة النافعة التي يمكن أن تستفيد منها جذور النباتات المزروعة، فإنها تَكُون في هذا الحال قد جَمَّعت مخزوناً مائياً يُمدِّد تزويده للغطاء النباتي عبر المراحل الجافة. لذا كانت هذه الأتربة مجال زرع تفضيلي لأنواع القمح والذرة ونوار الشمس، وما شابه ذلك من ذوات التجذر الدقيق.

تتميز أنواع التيرس - تشكيلياً - عن الأتربة الأخرى من حيث اللون والبنية والنسيج.

- ألوان التيرس داكنة في جل القطاع، تتراوح بين الأسود والأسمر الداكن أو الرمادي. حدة السواد لا علاقة لها بحاصل المادة العضوية حيث إنه غالباً ضعيف، ولكنها تُعزَى لنوع العلاقات التي تربط بين المادة الدبالية الجيدة التكاثف والأطيان النفوخة.

- تختلف بنية التيرس حسب مستواه من التبلُّل : في وضعية الرطوبة، تكون بنية التيرس متجانسة، كتلية، منصهرة، تجعل منه مادة لصوقة لَدنة. وفي حالة الجفاف، تصير البنية انشطارية، شديدة الخشونة، يُحدث تواتر

دورات التبليل والتجفيف تضريساً صُغْرياً يحمل اسم الگلگاي (Gilgaï) يتجسد في شكل مُتورِّم للسطح ذي أبعاد ديسمترية في الأراضي البوار.

تتكون المسكة السطحية في الغالب، من جلطات ناتجة عن تشتت الكتل الترابية. يتعمق التجفف في جوف المادة الطينية التي تتفكك على أساس شبكة من شقوق التراجع، عازلة مواشير كبيرة مصمتة وصلبة.

في المستويات الوسطى من القطاع، حيث تطول مدة الرطوبة واللدانة، تزيد حدةُ الضغوط فتتكون مجمعات خشنة، حادة الأضلاع ولامعة السطوح مع بعض الميل والتشوه، تُدعى مصقلات Slickenside. مع تقدم التجفيف، تتعمق الشقوق وتتسع وتزداد صلابةُ التربة وإصماتها.

يحتمل التيرس تراكُمات جيرية في عمقه على شكل أكداس فَتُوتَة، كما يمكن أن يقع فوق قشرة كلسية حقيقية بالنسبة للأتربة ذات الخاصيات المتقلبة القليلة العمق.

- في معظم الحالات، القطاع النسيجي للتيرس غير متغاير، طيني، أحياناً طيني - طميي متجانس على مدى عمق التربة.

- تتراوح نسبة الطين عامة بين 30 و80 بالمائة مع هبوط للرمال إلى مادون 10٪. ومن ضمن القسم الطيني، تُمثل السمكتيت أكثر من 50٪ مع إمكانية الوصول إلى 90٪.

وقد أبانت الدراسات العدانية الدقيقة على أن سمكتيت توارس الشاوية والغرب والسايس هي من فصيلة البيدليت المتحددة، وهي ذات شحنة إجمالية جد عالية (0.5 إلى 0.66 شحنة في النصف عقدة) توجد منها 60 إلى 70٪ في الفرشة الرباعية الأوجه (Badraoui, 90). المعادن القليلة الأخرى المشاركة للسمكتيت، يمكن أن تكون الإليت، الكاولنيت، البيمتطبقات النفوخة، الكلوريت والباليگورسكيت. يقع جانبٌ كبير من سلوك التيرس إزاء الماء والعناصر المعدنية تحت مراقبة السمكتيت.

ارتباطاً بالنسيج والطبيعة العدانية، تتوفر التوارس على قدرات تبادل كاتيونية مرتفعة، حيث تصل إلى 70 ملّي مُكافئ في 100 غرام من توارس الشاوية والغرب واللكوس وسايس. إشباع مُركّب التبادل حاصلٌ أساساً بالكالسيوم والمغنزيوم. وتفوق نسبةُ الإشباع بالقواعد 90٪. ومن خصوصيات مركب التبادل، تزايدُ المغنزيوم والصوديوم في عمق القطاع على حساب الكالسيوم، حيث تصير آفات التقلية أمراً واردَ الوقوع حتى من غير سقي.

تمتص التوارس عموماً مقادير هائلة من المياه بسبب تركيبها النسيجي. ومع ذلك فإن خزينة الماء المستعملة من طرف النباتات، في كل وحدة حجمية من التربة، تبقى نسبياً ضعيفة بسبب مَناسيب الماء العالية المحتجزة لدَى نقطة الذبول الدائم. غالباً ما يعوض عن هذا الوضع بعمق أكبر للتجذر يسمح باستغلال كميات كبيرة من الماء.

مضمون المادة العضوية في توارس المغرب ضعيف، غالباً دون 1،5٪ باستثناء أتربة المروج في الغرب. لكن هذه النسبة الضعيفة من المادة العضوية عميقة الاندماج مع التربة.

تكلُّس التوارس ضعيف إلى منعدم. منسوب الكلس الإجمالي عامة أقل من 20٪ في المسكات العلوية. كما يبدو أن آليات القلب لم تعق حلحلة الكلس في أدنى القطاع والتي ولاشك لها علاقة بالمناخ وعمر التربة.

تتراوح نسبة الهيدروجين في توارس المغرب بين 7 و9. أما القيم العالية فمرتبطة بمناسيب الإشباع بالصوديوم والمغنزيوم المرتفعة في قاعدة القطاعات.

توجد التوارس في مناطق مختلفة من المغرب، تقدر مساحتُها بحوالي المليون ونصف مليون هكتار يتمركز جلها في الغرب ومقدمة الريف واللكوس وفحص طنجة والشاوية ودكالة وزعير وسايس وتادلة (Mamva 94 Wilbert 65).

| المناطق | المساحة بالهكتار | النسبة المائوية |
|---|---|---|
| الغرب، مقدمة الريف اللكوس، فحص طنجة | 1.050.000 | 69،5 |
| دكالة وعبدة | 200.000 | 13،5 |
| الشاوية | 180.000 | 11،9 |
| زعير | 50.000 | 3،3 |
| تادلة، سايس | 30.000 | 2 |

جدول توزيع التوارس بالمغرب

أما الأتربة التي تُعتبر من ضمنها حقيقةً متقلبة فهي لا تتعدى ثلث المساحة الإجمالية للتوارس، وينحصر جلها في الغرب والشاوية وزعير.

- يتسم التوزيع المجالي للتيرس على العموم بنوع من المرونة، وإن كانت له بعض الضوابط المناخية والطبوغرافية والصخرية، يمكن إجمالُها في توفر قاعدة صخرية أو فسخة ذات نسيج طيني، تغلب عليه الأطيان النفوخة في ظروف تطورية تتعاقب فيها على التربة ظروفُ التهوية والاحتقان. حصول مَيْهة موسمية خلال فترة متفاوتة من السنة أمر ضروري، وأبسط ظرف لتحقيقه هو الانبساط الطبوغرافي مع نزعة لعرقلة الجريان المركز في سياق تساقطات كافية، وأخيراً، تواتُر فترات الترطيب والتجفيف شرطٌ في عملية قلب التربة وهيكلتها.

يُعتبر توفير النسيج الطيني حاصلاً متى ضمت القاعدة الصخرية أكثر من 30٪ من الطين الحُبيبي الغني بالأطيان النفوخة، أو متى تهيأت الظروف لتحويل الأطيان المُتاحة إلى الفصائل الطينية المطلوبة.

- تخص ظروف التساقط المواتية للتترس في المغرب حيزاً واسعاً جداً، يتراوح بين 30 و800 مم. فالانحباس الطبوغرافي يساعد في التغلب على ظروف القلّة المطرية، ذلك أن مقادير المياه التي تتجمع في قيعان المنخفضات بمساعدة السيلان تفوق كثيراً ما تسمح به التساقطات وحدها. أضف إلى ذلك أن الاحتباس يعزز كميات الطين

النفوخ والعناصر الألقلية (كالسيوم ومغنزيوم).

أكيد إذن أن اتساع المجال المعتبر، بالمرونة الملحوظة، راجع لإمكانية التغليب المحلي لعامل واحد من عوامل تحقيق التترس على العوامل الأخرى، فمن جهة، تتجلى التبعية المناخية في وجود أهم المجالات التيرسية داخل المدرج الطبوغرافي الكبير الشمالي الغربي الذي تشكله السهول والهضاب والتلال المنخفضة المنفتحة على التيارات المحيطية. ويزيد من ذلك التناقص البيِّن كلما ابتعدنا عن الساحل وتراجعت الرطوبة.

لكن الملاحظ من جهة أخرى أن التترس لا يقف عند مستوى عتبة مضبوطة لتساقط الأمطار، بل يمكن أن يتحقق في ظروف هامشية، بها فائض أو عجز مطري، متى حصل التعويض الكافي من طرف انغلاق الطبوغرافيا، أو توفر القاعدة الصخرية الملائمة.

لذا، أمكن تمييز فصيلتين كبيرتين من التيرس. تلك التي يمكن أن تقبل بطبوغرافيا بها بعض الميل، وتسمى الصخر تابعة lithomorphe، وتلك التي تستلزم السهول والمنخفضات وتُدعى الطبو تابعة topomorphe. تتطور الأولى على حساب الصخور الطينية الغنية بالسمكتيت كما هو الشأن في الصلصال الميوسيني، ضمن تلال مقدمة الريف مثلاً، وتقتصر الثانية على المنخفضات ذات التصريف المُعاق وأهم نماذجها في سهل الغرب.

يبقى أن أوسع وأغنى ضروب التيرس هي دائماً من النوع الثاني، ويدخل أهمها في سياق السهول الفيضية، مثل الغرب واللكوس، والأحواض البنائية، مثل دكالا.

أما توارس زعير وجزء من الشاوية فهي توافق مقتضيات النوع الأول.

ثم هناك مجالات مركّبة منها مقدمة الريف والسهل الداخلي لوادي ورغة وسايس وفحص طنجة.

توارس السهول الفيضية : أكبر رصيد من أتربة التيرس وأعمقها على الإطلاق يوجد في سهل الغرب. ذلك أن التطور الذي صنع سهل الغرب على حساب خليج بحري قديم، انغرز تدريجياً خلال البليوسين والرباعي، ما انفك يشتغل حتى الآن، لكنه في الوقت الراهن يُنتج مواد متفاوتة التترس منذ حوالي عشرة آلاف سنة، وذلك بنفس الأدوات وهي أنهار سبو وورغة والرضم والبهت.

استمر نفسُ التركيم الغريني انطلاقاً من الريف والهضاب الوسطى، ونفس التهدل في وسط الغرب الذي استوعب كميات هائلة من الرواسب. كل ما هنالك أن المواد التي كانت رصيصية، خشنة في بداية الأمر، تطورت حالياً إلى عناصر دقيقة تتكفل المنعرجات النهرية عبر عمليات الكشط الواسعة التي تقوم بها، وكذلك الفيضانات الموسمية منها والاستثنائية، بتوزيعها على مجموع السهل.

تترس من هذا النوع من شأنه أن يبقى ضعيف التطور بسبب النشاط الجيومرفلوجي المستمر الذي لا يفتُر عن تجديد السطح ولا يسمح بتطور كاف للأطيان. يظهر ذلك من خلال اللون الأسود المشوب بالرمادي ومختلف درجات التترس عبر سلسلات تربط بين مواد أرصفة الأنهار الخشنة نسبياً والغنية بالطمي (الدهس) والمواد المنقعية التي كانت تطغى عليها مظاهر الميهة قبل عمليات الاستصلاح، والتي بدأت هي الأخرى تتطور نحو التربة التيرسية الصرفة (المرجة الكبيرة).

ظاهرة الغرب هذه تكاد تكون استثناء في مجموع المغرب، حيث إن الإقليم كله يتطور، وحتى الآن، بوصفه سهلاً فيضياً نشيطاً، وذلك في الواقع مصدر غناه الترابي والمائي معاً.

- هناك مناطق أخرى عرفت تطورات مشابهة في مراحل مختلفة من تاريخها الجيولوجي، ثم غيرت من سلوكها في مراحل متأخرة، فكانت النتائج مخالفة على المستوى الترابي. مثال ذلك منطقة تادلا. عرفت تادلا خلال الثلاثي وثلثي الرباعي تاريخاً قارياً يغلب عليه الانحباس. فتجمعت فيها أكداس من المواد الخشنة ومختلف المواد الدقيقة والرواسب البحيرية. لكنها انفتحت على المجال الخارجي في الثلث الأخير من الرباعي، وتعمق فيها وادي أم الربيع. ومع ذلك بقي هناك مجال تهدل في المحور البنيوي للمُقَعّر الأصلي، في قدم الأطلس، في الميدان الفاصل بين القصيبة وسوق السبت. طبيعتُه المنقعية السابقة للاستصلاح، وتصريفه الضعيف على العموم هو المسؤول عن التكوينات التيرسية للسهل والتي تمثل هنا رصيداً ثميناً في ناحية بني موسى على الخصوص، أهم قطاع زراعي سقوي في تادلا.

أنواع التيرس التابعة للبنية والصخور مرة أخرى، تخلق الأراضي التيرسية محطات ترف نسبي في الأقاليم التي توجد بها. في زعير، الشاوية ودكالة، تظافرت لهذا الغرض طبيعةُ الصخور ونوع البنيات.

- تَعْرِضُ منطقة زعير رصيداً تيرسياً يتصف موقعُه بنوع من الغَرابة الطبيعية لأنه يُغلّف مجالاً هضبياً على شكل مثلث تقريبي يجمع بين مراكز احد البراشوة ومرشوش والمعازيز، شمالي حوض الرماني، وفي قدم الجرف الذي يرتفع إلى زعير الأعلى. موطن الغرابة الثاني هو أنه يكاد يوافق تماماً كل الظهورات الكلسية المنتمية لنهاية الميوسين. ورغم مظاهر الشذوذ هذه فإن التربة هنا جيدة التطور، خلقت منظراً زراعياً راقياً ذا مردودية عالية من الحبوب، إلى حد أن المنطقة كان متعارفاً عليها منذ الخمسينات بأنها "هضبة أصحاب الملايين".

من أسباب تطور التيرس في هذا الظرف التموجُ المترفق الواسع الانحناء، واختلاف مظاهر التفسخ الذي عرفته الضلفاء الكلسية الميوسينية على مدار الرباعي، حيث التقببات المتواضعة تظهر عليها مسحة خافتة الحمرة تشير إلى أصلها المتحدسل، والغنية بالأطيان من بنية 1 : 2 في حين أن المنخفضات العريضة تبدو داكنة السواد بلون التيرس المتطور الذي يُعبِّئها، وقد استحال سطح الكلس

في قرارها إلى فُليس أبيض شبيه بالطباشير. يساعد التموج على تزايد إغناء المنخفضات بالأطيان، كما أن الفليس يسهم في خلق الوسط القاعدي الذي يُهيء ظروف التحولات العدانية وتنشئة الأطيان النفوخة.

مسألة التصريف الخارجي للكلس الذي من شأنه أن يُناوئ عملية التترس، قد أمكن فعلاً الحدُّ منها بفضل الفسخات التي تغلفه وضعف سمكه ووجود البازلت الترياسي الشديد التفسخ والكتيم تحته.

محلياً، تبرز القاعدة البازلتية على هامش الهضاب، وحتى في وسطها، حيث تحمل أتربة تيرسية متفاوتة التطور حسب أهمية الانحدار الطبوغرافي. تتكرر هذه الأوضاع، ليس بعيداً إلى الغرب والشمال الغربي، وعلى مدى أوسع، في سهول وهضاب الشاوية.

يشغل التيرس حيزاً واسعاً من الشاوية السفلى في سهل برشيد ـ الكَارة ومديونة ـ سيدي العربي، قريباً من الدار البيضاء والمحمدية. وهي مجالات بنيوية معدة لهذا الغرض لكونها مقعرات في طبقات الكريتاسي بدورها محمولة على قواعد من الترياس. هذه الأحواض البنيوية مغلّفةٌ بالـمُستويات الكلسية والصلصالية "المغربية" (البليوسين الأوسط) والفواراتية (البليوسين الأعلى) التي تقع عند قدم جرف انتناء سطات. الكثبان الرباعية المتصلبة الموازية للساحل، على عمق يتعدى 10 كلم، تعوق التصريف إلى البحر، وتخلق ظروف انحباس نسبي. بعض عناصر النشر الدقيق تساعد كذلك على الإغناء بالمواد الطينية.

يتقدم حيزُ التيرس، متعدياً خط الانتناء، إلى الجنوب الغربي من سطات في مستوى أولاد سعيد. في الشاوية العليا، طبقات الكريتاسي الأعلى والإيوسين متوفرة على أطيان السمكتيت وأطيان ليفية قابلة للتحول إليها. لكن القشرة الكلسية منتشرة على هذه القواعد الصخرية، وسمك التيرس ضعيف.

لاشك أن الإيوسين يُفيد سافلته حول برشيد بإغناءات سليسية ثمينة تساعد على التترس انطلاقاً من التعقدات الصوانية الكثيرة التي تتخلل سحنته الكلسية.

كما يغلف التيرس سطوح البازلت الترياسي، خاصة بين عاليتي واد المالح وواد النفيفيخ. التربة هنا أعمق وأثقل، لأن البازلت شديد التفسخ، وظروف تنشئه السمكتيت مواتية على حساب معادن الصخر من بلاجيوكلاز ومختلف الحديد مغنيزيات.

ـ مجالات التيرس في دكالة تكتسي صبغة خاصة نظراً للتضارب الكبير الموجود بينها وبين أراضي الساحل المحجرة الجرداء التي تحدها غرباً، والمرتفعات الأولية بالرحامنة في الشرق. فهي أساس منخفض بنائي يمتد من اثنين غربية إلى حدود سيدي بنور.

الوضع البنائي حرمه من أي تصريف إلى البحر وجعل منه مكان استقبال لمختلف الرواسب المنحدرة من العالية الشرقية.

أهم هذه الرواسب الأطماء الحمراء التي وفدت ربما في فترة العميري وبصفة مؤكدة وبصورة كثيفة خلال السلطاني. تحولات الدور الغربي جعلت من هذه الإتاوات أتربة تيرسية بينية تتطور من المتحدسل والسيدبالي إلى التيرس.

مشاكل المجالات التيرسية في دكالة من الوجهة الفنية لها العديد من مواطن الشبه مع المناطق الأخرى، ومنها سُبُل الرفع من المردودية. لكنها هنا تأتي في الموقع الثاني بعد تلك التي تشوب التعامل بين الأوساط التقنية الإدارية والصناعية من جهة، والأهالي بكثافاتهم العالية وعراقة النشاط الزراعي عندهم من جهة أخرى.

تـوارس المجالات الـمُركَّبة، تشترك في صُنعها الصخور والبنيات المناسبة، كما هو الشأن في زعير والشاوية، وكذلك ظروف الانحباس في سهول فيضية متفاوتة النشاط والأحجام على غرار سهل الغرب.

ـ مواطن الجريان المعرقَل والسهول الفيضية تتعاقب على أقصى شمال الساحل الأطلنتي من ظهير طنجة إلى سهل الغرب. أهم العوامل المساعدة هي التقطعُ التضاريسي للكتل المتقدمة عن الريف في اتجاه المحيط، اعتراضُ الكثبان الساحلية لتصريف سهول توجد في مستوى سطح البحر، الغزارةُ النسبية للمياه وعنف تركزها، وكثافة المنقولات الغرينية.

لذا تشهد وديان بوخالف وتاهدارت والحاشف والغريفة وخاصة اللكوس متواليات ينتمي جلها للأتربة الانطاقية والطينطاقية، تجمع بين بعض مظاهر التترس والمواد الغرينية الضعيفة التطور والقطاعات الميهة.

ـ أما مقدمة الريف الواسعة، من حدود تاونات إلى شمال سايس فإن الثوابت التي تجمع بين عناصرها هي الصخرتبعية والتعقيد البنيوي والتغاير الطبوغرافي.

المظهر البنيوي الغالب هو أكداس المواد المختلطة الزاحفة نحو الجنوب والمكونة أساساً من صلصال وحث، وعلى الخصوص التوضعات البحرية الصلصالية المنتمية للميوسين الأعلى والنهائي. يوفر هذا الأخير تركيبة مثالية بحوالي 40٪ من الكاربونات. المادة غير الذؤوبة طينية بأكثر من النصف والمهم أن نسبة الأطيان النفوخة من ضمن الطين الدقيقة تشكل أكثر من 90٪. قواعد بهذا المستوى من الغنى تسمح للتيرس بأن يَستقر على بعض السفوح. لكن باستثناء المنخفضات، التضاريس التلية تقطع التيرس وتخلطه بأتربة بينية ضعيفة التطور.

ـ شمال الإقليم البنيوي، وفي حدود الريف الأوسط، يجري نهر ورغة في سهل داخلي طولي من الشرق إلى الغرب، يمثل أفضل الأراضي الزراعية داخل المجموعة الريفية على الإطلاق.

تعبئتُه بصلصال الميوسين في ميدان تام الانبساط يجعل جل أتربته تيرسية. يتوفر وادي الورغة على نماذج واسعة من المصطبتين الحديثتين على الخصوص، لهما دور

في تنويع المتواليات الترابية.

تتكون المصطبة السلطانية، قريباً من السطح، من مواد طينية وطميية حمراء مُنَزْكَلَة، تعرضت لعسف تيرسي يكاد يكون شاملاً، تزداد دُكنته بعيداً عن الهوامش.

أما المصطبة الغربية فهي طمي - رملية، سمراء فاتحة، كلسية.

لا تقتصر المواد الغربية على المصطبة وحدها، بل تشكل بعيداً عن المجرى وشاحاً رفيعاً، طميياً، وهو كلسي جزئياً، يُصلحُ من شأن الصلصال الميوسيني بتخشينه بعض الشيء وتجنيب أتربته مطبّات التدهور بواسطة الميهة.

تجمع المتواليات هنا بين التيرس الذروي وأتربة بينية متحدسلة، سيدبالية، كلسمغنيزية، وغرينية تنزع إلى التيرس.

التيرس بين الموروث وأبعاد المستقبل : مقدمة الريف وسايس والغرب وزعير والشاوية ودكالة وعبدة وتادلا ... في كل مرة يأتي قطاع التيرس لينقذ الاقتصاديات الزراعية لهذه الأقاليم. لكنه يبدو في نفس الوقت عطوبا لأسباب متعددة منها : أنه بحكم ظروف تطوره يوجد في السهول، إذن غالباً في السافلات. لذلك فهو يتأثر بكل أنواع التلوث. كما يعجز عن تصريفها إلى البحر نظراً للانبساط الكبير والانحباس.

أخطر الأوضاع في هذا الصدد يعيشُها حالياً سهل الغرب لكونه يستقبل نفايات مدينة فاس التي تُعتبر أكبَر منتج للنفايات وأكثرها إضراراً بالبيئة على صعيد كل المدن المغربية الداخلية، مضاف إليها نفايات العديد من المدن الأخرى والصناعات والكيماويات الزراعية ...

مشاكل تلويث وتدهور السهول التيرسية الأخرى مطروحة بمقادير مختلفة، خاصة مع انعدام استراتيجية مضبوطة للتعامل مع القمامة والمياه العادمة الصادرة عن مختلف التجمعات السكنية. كما أن ضوابط استعمال الأسمدة والمبيدات في الحقول لازالت مختلة.

سبب آخر لهشاشة الوضع الراهن للتيرس راجع لتاريخ تطوره الجيومرفلوجي في المغرب. فمن المرجَّح أن هذا النوع من التربة الداكنة ليس موروثاً بل هو متكيف مع البيئة البيومناخية الحالية إلى حد بعيد، حيث يمكن أن نراقب تجدده الآن في سهل الغرب مثلاً.

لكن يبدو أن ظروف نشوئه المثلى وانطلاق تطوره أول الأمر كان خلال آخر قمة رطوبة عرفها الرباعي منذ حوالي ثمانية عشر ألف سنة قبل الوقت الحاضر، حيث إنه، داخل منظومة أتربة داكنة أخرى، خَلَفَ الأتربة الحمراء السلطانية إما بالتغطية أو العسف أو التعويض اللاحق للتعرية.

حصل بعد ذلك، خلال الهولوسين، بعض التجفيف، نجم عنه إقفار الصحاري المجاورة وتراجع حضاراتها، فتدهور التيرس ومعه الأتربة الداكنة الأخرى، نتج عن التعرية فانحدرت من مواقعها إلى هوامش الأنهار مكونة المصاطب الرمادية لقيعان الأودية.

كما أن الأتربة التيرسية التي لازمت أماكنها قد ابتُليت ببعض التشويهات كالبتر أو التطعيم أو القشرنة الكلسية المحَطِّية.

مظاهر التيرس التشكيلية : يمكن إجمالها في لونه الداكن وسمكه وتجانسه وثقل الأطيان المبتلة أو صلابتها الكبيرة عند التجفيف، وكذلك خصوبته .. كلها توحي بكثير من الاستقرار، الشيء الذي أوهم المستعملين أن لا داعي لاتخاذ الاحتياطات حتى ظهرت المشاكل متنوعة ومعقدة.

فأكيد أن التدخل البشري الذي تسبب في كثير من الاختلال عن جهل بدواليب البيئة الطبيعية، عليه الآن أن يسخر معلوماته لإصلاح الأعطاب. فاستثمار التيرس على الوجه المطلوب أمر حيوي لأنه يتعدى دائماً وفي كل مكان محصول الحبوب المعاشي، ليرقى إلى المحصول التسويقي الذي يوفر الغذاء لأكبر الأعداد من السكان. لذلك كان له عمق استراتيجي في مشروع ضمان الاكتفاء الذاتي الغذائي للبلاد.

M. Badraoui, *Iron-rich high-charge beidellite in vertisols and mollisols of high Chaouia region of Morocco, Soil Sci. Soc. Amer. Journal*, vol. 54 : 267 - 273, 1990 ; G. Bryssine, *Les propriétés physiques des tirs du Maroc, Cah. Rech. Agron.*, n° 20, pp. 87 - 279, 1965 ; *Contribution à l'étude de la typologie des sols du Maroc : typologie des tirs, Attorba*, vol. III, n° 4, 3 - 56, 1980 ; Commission de Pédologie et de Cartographie des sols, *Classification des sols*, 1967 ; MAMVA - DC FCC, *Carte des sols du Maroc au 1 : 2.000.000*, 1994 ; Soil Survey Staff, *Soil Taxonomy : a basis system of soil classification for making and interpreting soil survey*. USDA-SCS Agri. Handb. 436, Washington DC, 1975 ; J. Wilbert, *Localisation géographique de la tirsification au Maroc, Cah. Rech. Agron.*, n° 20, pp. 1 - 22, 1965 ; *Tirs et sols tirsifiés du Maroc, Cah. Rech. Agron.*, n° 20, pp. 23 - 85, 1965

إدريس الفاسي ومحمد البدراوي

**تيرس**، منطقة صحراوية تقع بين زمور والساقية الحمراء شمالا والمحيط الأطلسي غربا وأدرار التمر جنوبا وأدرار ستوف والمريكلي شرقا. تتجه أوديتها من الشمال الشرقي في اتجاه الجنوب الغربي عبر حمادة تنوسان وحمادة البركة. ترتفع بها درجات الحرارة حسب الابتعاد عن الساحل الأطلسي الذي يعمل على ترطيب المناخ وإنعاش الغطاء النباتي. يحد تيار كناريا البارد من التساقطات مما يجعلها نادرة حيث تعد منطقة إيكيدي (الأوهيلة) خاصة قليلة المياه. على أن تعدد السبخات وظاهر السطح وعوامل التعرية علاوة عن المخلفات البحرية وتعدد نقط المياه والواحات المتبقية تدل كلها على أن المنطقة كانت من أكبر المستودعات المائية خلال الأزمنة البعيدة. فلربما كانت هناك بحيرات من حجم كبير وشامل حلت محلها اليوم سبخات تحيط بها الكثبان الرملية. ترسم هذه الكثبان اتجاهات الرياح خاصة منها الساحلية الغربية الغالبة متجاوزة ارتفاع 200 متر. فلا نستغرب إذن إذا كان الغور السكاني الأسبق (الصنهاجي) قد أطلق اسم الكثبان الرملية (إيكيدي) على المنطقة الشرقية من تيرس.

تعتبر قدرة تيرس على تخزين مياه التساقطات ودور الرطوبة الساحلية الممتدة إلى أزيد من مائة كلم شرقا،

السبب في امتداد حياة الغطاء النباتي أزيد من سنتين لكل سنة ممطرة. هذا المعطى الأساسي يفسر تنافس الغور السكاني منذ أزيد من ألف سنة على احتكار المجال وتقاسم المراتع. فتيرس التي تعد في نظر الرواية المحلية رمزاً للخصوبة، تنبت الإبل كما ينبت المطر العشب (محمد الأمين الشنقيطي، *الوسيط*، 339. 440). وللاستدلال على ذلك تضيف الرواية المحلية أن السنة الممطرة تكاد تفسد ضروع النياق من كثرة الحليب مما يستدعي الاستعانة بالفصلان للرضاعة وبالرعاة لحلب ما قد يهرق أرضا إذا فاض عن الحاجة. ندرك من هنا لماذا تعد تيرس بنظر الباحثين رحم الحركة البشرية الترحالية نحو مختلف المناطق التي تفصلها عن نهر السنيغال منذ ألف سنة (P. Bonte, *L'habitat*, 60). أما دورها في تأطير المد البشري في اتجاه وادي نون والأطلس الصغير فهو ما يمكن أن نتتبعه منذ ما قبل الحركة المرابطية. لقد قامت أركان الحملة المرابطية انطلاقا من انتشار العمران بمحور تيرس الساحلي حيث جسد البافور ـ إيگدالن أفضل أسباب النماء العمراني. كما أن ملاحتي أوليل وإيجيل القريبتين قد حققتا أسباب غنى أمراء صنهاجة وتبثتا هياكل التجارة المنتظمة وقوانينها المحلية. وإذا كان المد المرابطي قد أفرغ هذه المنطقة من لمتونة (إيويليميضن)، فإن القرن السادس (12 م) قد تميز، شأنه شأن القرون الثلاثة اللاحقة، بهيمنة مسوفة (إيمسوفن). لقد كان المجتمع تركيبا قبليا لا يعني أكثر مما توحي به كلمة صنهاجة (إزناگن) التي تفيد المراقبة الحربية للمجال وممارسة الانتجاع الترحالي. جاءت مضاعفات المد المرابطي لتخضع تيرس لمستلزمات منطق الفصل بين المحاربين وممتهني التعليم والعلوم النقلية على رأس سلم التراتبات المجتمعي. وعندما نستنطق الوقائع، نجد أن وصول بني حسان إلى المنطقة خلال القرن الثامن (14 م) سيعمق من هوة الانفصام بين حملة السلاح وحملة الكتاب. كان التنظيم الاجتماعي تنظيماً سياسياً في نفس الوقت، والنفوذ والقوة من مظاهر الواقع المميز لحملة السلاح. فلم يبق على ذوي حسان سوى الدخول في صراع مفتوح مع الفصائل المحاربة لينتهوا بالسيطرة على الغور السكاني الأقدم خلال القرن الحادي عشر (17 م).

لا مناص هنا من الوقوف عند دور تيرس في نمو وتطور أهم فصائل ذوي حسان لنكشف أهم أسباب التطور السياسي والاجتماعي بمجمل الصحراء الأطلسية خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16 م)، عندما نتتبع مصادر هذه الفترة المتميزة نجد أن الصراع بين فصائل الغور السكاني الأقدم وقبائل ذوي حسان على شدته لم يتحول بعد إلى مواجهة مفتوحة. ما يميز هذه المواجهة بتيرس هو سيطرة "أولاد" تيدرارين الصنهاجيين على أولاد دليم، الاتحادية التي كانت تشمل يومها علاوة على أولاد دليم الحاليين أولاد اللب وأولاد المولات وأولاد غيلان. كانت كل الفصائل الحسانية القادمة من منطقة وادي نون والساقية الحمراء مازال تنطوي تحت تسمية المغافرة. إلى جانب هذه التسمية كانت قبائل أولاد امبارك وسلام و عبدة والرحامنة واحمر والأوداية تنتجع ما بين تيرس جنوبا وسهول دكالة شمالا عبر نفس المحور الساحلي الذي حمل قبل ذلك گدالة إلى منطقة تيط حيث تأسس على يدهم رباطها. والذي يجب أن نسجله هنا هو كون بداية القرن التاسع (15 م) عرفت فقدان الغور الصنهاجي لتصنيفاته القديمة حيث لم يبق منه بتيرس سوى "أولاد" تيدرارين وتجكانت و"أولاد" بو السبع الذين يعتقد الكثيرون بعدم وجودهم آنذاك. إلى جانب هذه الفصائل كانت مجموعة من صغريات الفصائل المحلية القديمة تمتهن مختلف الحرف من صيد بحري وفلاحة وحدادة وغناء. وإذا كانت قبيلة أولاد تيدرارين من أشد الفصائل الصنهاجية، فإن موقعها بتيرس سيأخذ في التناقص منذ القرن الحادي عشر (17 م) بفعل مدة المواجهات الدليمية. وسيحمل القرن الموالي معه الغربة القاضية التي أنهكت قوى الغور السكاني جنوب الصحراء الأطلسية. نكتفي بتسجيل هذه الخطوط العريضة دون الخوض في التفاصيل لنصل إلى الوضعية التي جعلت من الغفر مصطلحا حسانيا يفيد مجازاً الضريبة المفروضة من طرف ذوي حسان المغافرة على الزوايا واللحمة من الغور السكاني الأقدم.

استطاعت قبيلة إدا أوبلال أن تفرض وجودها العسكري والسياسي المكثف بالساقية الحمراء ووادي نون إلى أن طردتها تكنة خلال هذا القرن الحادي عشر (17 م). كان التحالف الإداأوبلالي الدليمي قبل ذلك قد أسهم بشكل كبير في حدة التناقضات مع لفي اتحادية تكنة. فكان أن اتفقت فصائل هذين اللفين على تحديد أسلوب التعامل مع أولاد دليم. وقد جاءت أفضل وسيلة لتمتين جبهة المواجهة هي تعيين رئيس إحدى صغريات القبائل ليقود العمليات الحربية. معلوم بهذا الصدد أن سيد أولاد بلحويلات التكنيين خلال الفترة الحاسمة التي عرفت إقصاء آخر الوحدات الدليمية من وادي نون والساقية الحمراء هو ولد امريزيگ الذي تزعم كل العمليات الحربية. كانت آخر الوحدات الدليمية تتجسد في فصيلتي امعرف واسنان اللتين كانتا تراقبان بئر إنزران. وغير بعيد عن هذا المكان وقعت المعركة الفاصلة في الموقع المعروف حاليا بمگيسم ولد امريزيگ. كانت تيرس تستقبل باستمرار القبائل الهاربة من شدة الجدب، وهو ما أدى سنة 1116 / 1699 بالمولى اسماعيل إلى تنظيم الأعشار وزكاة الإبل والغنم جاعلا على أولاد دليم بفصائلهم المتعددة وأولاد تيدرارين خراجا سنويا.

كانت فصائل أولاد دليم تتزود بما تحتاج إليه من مواد أساسية عن طريق إذا أوبلال. غير أن انهزام الطرفين في معاركهما بالساقية الحمراء أدى إلى تفكك العلاقات التحالفية. وقد اعتمد أولاد دليم على العروسيين في تزويدهم بما يحتاجون إليه ابتداء من القرن الثاني عشر

(18 م). خلال هذا القرن استطاع أولاد دليم أن يدخلوا أولاد تيدرارين في نطاق محمييهم بعد أن أنهكوا قواهم الحربية وتغلبوا على فصائلهم القديمة. سيعرف هذا القرن أيضاً ظهور قبيلة الرگيبات المسالمة. فولا حماية لفي تكنة لاستطاع أولاد دليم القضاء عليها نظراً لما تميزوا به من ممارسات حربية ومواصفات لا تخص المسالمات من قبائل الزوايا بأية مهادنة (*جوامع المهمات*، 76). وإذا عرفنا قبيلة أولاد دليم بأنها محاربة تحرص على مراقبة تيرس بقسميها الغربي والشرقي منذ القرن العاشر (16 م)، أصبح من السهل التأكد من عدائها المعلن لكل محاولات التسرب الأروبية عبر السواحل. كل الشهادات التي خلفها المسجونون والرحالون الأروبيون تعكس شخصية أولاد دليم الحربية وتؤكد بما لا يدع مجالا للشك استقلالهم عن منابع التجارة التي تخصص تكنة في احتكارها. ويرى بول مارتي P. Marty أن علاقة أولاد دليم بالفرنسيين لم تبدأ إلا مع بداية القرن العشرين (*Les Tribus de la Haute*, 15). شكل بيع السلاح بالداخلة *Villa Cisneros* سنتي 1905. 1906 بداية العلاقة التجارية بين أولاد دليم والإسبان. وقد تلخصت تجربة المحاولات الإسبانية خلال هذه المرحلة في مد القبائل بالسلاح قصد الحد من التطلعات الفرنسية وتمتين أسباب وجودها في عين المكان. انطلق أولاد دليم في حدود سنة 1910 إلى غزو فصائل قبائل أدرار وغيرها التي بدأت منذ سنة 1905 في التعامل مع الوجود الفرنسي (P. Marty, *Les Tribus*, 21). وهي وضعية ستمتد عبر العشرينات والثلاثينات إلى أن تمكن الوجود الفرنسي من تثبيت قواعده ابتداءً من سنة 1935. مجموع القيم المتولدة يومها عن الغاية العليا لقبائل تيرس تقتضي حمل كل الأسلحة العسكرية والدينية وغيرها من أجل محاربة الغزو الأوربي والحفاظ للذات على خصوصياتها. وقد تعددت بعد هذا التاريخ أشكال ارتباط أهل الصحراء بذاتهم في نطاق المنظار المحلي المجسد لحقائق القرون الماضية.


م. الامين الشنقيطي، *الوسيط* ؛ م. بن المختار الكنتي، *الرسالة الغلاوية* ؛ *الطرائف والتلائد* ؛ الشيخ سيديا بابا بن الشيخ سيديا الكبير، *تاريخ إمارتي اد ويعيش ومشظوف* ؛ م. بن سعيد اليدالي، *شيم الزوايا* ؛ *مناقب الامام ناصر الدين* ؛ محمد سالم بن لحبيب بن الحسين بن عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*؛ المختار ولد حامدون، *جغرافيا* ؛ *حياة موريتانيا* ؛ مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*.

P. Bonte, *L'habitat sédentaire qsûrien en Mauritanie saharienne*, in *Nomades et Sédentaires en Asie Centrale : Apports de l'Archéologie et de l'Ethnologie*, Actes du Colloque franco-soviétique, Alma Ata (Kazakhstan) 17 - 26 Oct. 1987, Paris, 1990, 57 - 67 ; P. Marty, *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, Paris, 1914 ; A.W. Ould Cheikh, *Eléments d'Histoire de la Mauritanie*, CCF, Nouakchott, 1988 ; J. Asensio, Note présentée au Congrés par Mr. le Col. J. Asensio au nom de la délégation espagnole, *Hesp.*, XI, fasc. I - II, Paris, 17 - 33 ; H. T. Norris, *Saharan Myth and Saga*, Oxford, 1972 ; J. Léon L'Africain, *Description de l'Afrique* ; *La documentation française, Notes et études documentaires : le Sahara espagnol*, Paris, Sept. 1959, n° 2570 ; Id., *Les territoires espagnols d'Afrique, Janvier 1963, n° 2951* ; G. Donnet, *Une mission au Sahara Occidental, du Sénégal au Tiris*, Paris, 1896 ; id., *En Sahara à travers le pays des Maures nomades*, Paris, 1989 ; C. Douls, *Cinq mois chez les Maures du Sahara Occidental*, Paris, 1888 ; J. Dubief, *Une mission au Sahara Occidental*, Oct.-Déc. 1942, *travaux de l'IRS*, Alger, 1943, 199 - 204 ; T.Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña, Ifni, Sahara*, Madrid, 1941 ; J. Gabus, *Notes sur le Sahara espagnol*, *J.S.A.*, XXII, Paris, 1952 ; *Histoire du Naufrage et de la captivité de Monsieur de Brisson*, Paris, 1884 ; La Courbe, *Premier Voyage du Sieur La Courbe*, Paris, 1913 ; A. Lebrun, *La question du Rio de Oro*, *A.F.*, Paris, 1929, 13 - 20 ; H. Martin, *Les tribus du Sahel et du Rio de Oro*, *Bull. IFAN*, I, 1939, 587 - 629 ; L. Panet, *Relation d'un voyage du Sénéral au Maroc*, Paris, 1968 ; H. C. Willcos, *Exploration of the Rio de Oro*, *Géogr. Review*, London, 1921, 372 - 383 ; J. Caro Baroja, *Estudios saharianos*, Madrid, 1955 ; M. Naïmi, *Le pays Tekna, Commerce et ethnicité avant la constitution confédérale*, in *Le Maroc et L'Atlantique*, Rabat, 1993, 121 - 146.


مصطفى ناعمي

**تيرغيوين** أو ترغيوين، لفظة أمازيغية مفردها تارغاً، وهي جورب من الصوف المتين والجلد الرطب أو الجلد غير المدبوغ. ومن الناس من كان يجعلها حذاء إذا صنع أعلاها من دوم أو قنب أو حلفاء ومتن أسفلها تصبح حذاء محلياً أولي الصنع مادته الأولية غير مكتملة الإتقان غير دقيقة. وهي تقرب في شكلها وطريقة صناعتها المحلية من أجكجوض التي تسود في جنوب المغرب في منطقة سوس وجبال الأطلس الصغير، لا فرق بينهما تقريباً اللهم إلا في أن الأولى لا يتعدى مجال استعمالها جبال الأطلس المتوسط ومناطق الدير من تادلا.


J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, Rabat 1988, réédit. ; P. Champion, *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris 1931 ; A. Chauvea, *L'industrie du cuir au Maroc*, *Chimie et industrie*, 1920, 2ème trim., sans n°.


محمد بوسلام

**تيرمسين**، منطقة تقع بتراب قبيلة أزوافيط شرق ازريويلة. قدّ يكون مفرد الكلمة هو تريمت الذي يفيد نوبة السقي بمياه السواقي المحيطة بمداشر وادي نون. وهو احتمال يصل بنا إلى أن منطقة تيرمسين ربما تكون قد استعملت قديما في صنع المكاييل المائية لقياس الوحدات الزمنية حول السواقي. على أن ما يحد من صلاحية هذا الاحتمال هو غياب أي منجم للنحاس المستعمل عادة في صنع المكاييل المائية وعدم وجود أي أثر لوحدة إنتاجية مهما كان حجمها. يبقى والحالة هذه أن مرفلوجية المكان الذي يخترقه رافدان من روافد وادي نون يجعله من أغنى المناطق ماءً وأكثرها صلاحية لتجريب صلاحية المكاييل المائية. وإذا كان أهل احماد أوعمار قد تمكنوا من تطويع أرض ترمسين، فذلك لأن باستطاعتهم مواجهة المزاحمة الفعلية لأيت ياسين المجاورين الشرقيين. ولولا أن أهل احماد أعمار يتميزون بشخصيات يضرب المثل بمقدرتها الحربية على امتداد القرن الثالث عشر (19 م)، لما استطاعوا فعلا صد المحاولات المتكررة لأيت ياسين (انظر مادة *تيسرگيوين بالمعلمة*). فأيت ياسين هم على ما يبدو سكان المنطقة السابقون لأهل احماد أوعمار ولربما كانوا مالكي تيرمسين قبل القرن الثاني عشر (18 م). مهما يكن من أهمية هذا الاحتمال، فإن الواقع الحالي للأبحاث يكشف بما لا يدع مجالا للشك عن دور أهل احماد أوعمار المحلي في تنمية الفلاحة واستعمال ازريويلة كمخزن لمحاريثهم الكثيرة ومطاميرهم

لخزن الحبوب. ولاشك أيضا في أن دور تيرمسين في توفير الكلأ الكثير قد ساهم بشكل فاعل في تأطير نظام التحالفات بين الفصائل الزفاطية وكرس قدرتها على مراقبة المجال الاستراتيجي. لقد كان عبد السلام بن أحمد بن سعيد مرابط أساكا بأيت باعمران القريبة من الذين تخصصوا في مشاكل تقسيم الماء حيث استعان على ذلك بمجموعة ممن عينهم خلال منتصف القرن الثالث عشر / 1840 ( *المعسول*، 12 : 218 ـ 219). وهي إشارة إلى دور المرابطين والزوايا في تطوير آليات التحالف حول مراقبة المياه والأراضي المسقية. ويمكننا في هذا السياق العودة إلى سنة 1040 / 1630 ـ 1631 حيث شكلت دار الشيخ محمود بازرويلة تهديداً لمدى تماسك السلطة الفعلية لبودميعة أبي حسون السملالي سلطان إيكزولن بإليغ ( *إيليغ قديما وحديثا*، 96). فالنزاعات الداخلية حول مراقبة المجال والسواقي بوادي نون أهلت بودميعة لشراء عدد من الأماكن المسقية بإيكيسل ووعرون والقصابي وإفران وتاغاجيجت. وهو ما لم يكن يتماشى مع التعارض الانقسامي داخل قبائل تكنة الذين جابهوه من داخل وخارج قلاعهم الكثيرة. جسدت دار الشيخ محمود يومها قلعة متميزة للحد من تطلعات الغزاة وكل المحاولات الخارجية. وفيما يخص إزرگين الذين كانوا يجسدون جزءاً من أزوافيط شأنهم في ذلك شأن أهل أمغار اسعيد بالركن (أيت باعمران) (م. ناعمي، *تشكل*، 307 ـ 25)، وإن الصورة التي تضفيها الرواية المحلية على تناقض المصالح تركز على الاستبداد المتواصل لأزوافيط. مايزال البحث الميداني يسمح بكشف الجذور الممتدة في التاريخ لنظام القرابة الزفاطي والأزرگي. وفي هذا ما فيه من ارتباطات فعلية بين إزرگين وتيرمسين.

مصطفى ناعمي، *تشكل اتحادية تكنة كنموذج للعلاقة بين الرواية الشفوية والعلوم الاجتماعية والانسانية*، الجامعة الصيفية ـ أگادير، الرباط، 1990، 307 ـ 325.

مصطفى ناعمي

**تيريگيوْت**، قصر على واد دادس، من أهم قصور قبائل أيت إحيا السدراتية. يقع على الضفة اليمنى لوادي دادس جنوب نقطة التقاء هذا الأخير بوادي مگُون. وهو في وقتنا الحاضر عبارة عن أطلال هجره سكانه تدريجيا ـ كما هو الحال بالنسبة للقصور القديمة بالمنطقة ـ خلال العقود الأخيرة فبنوا مساكن جديدة غير بعيد منه. إذا كانت منازل قصر تيريگيوت القديم متجمعة ومتراصة وعالية الارتفاع، حيث كانت تتوفر على ثلاث أو أربع طبقات، فإن السكن الجديد يغلب عليه التبعثر وانتشار المنازل على مساحة أوسع، إضافة إلى أن ارتفاعها لا يتعدى في الغالب طبقة واحدة. وهذه السمات وغيرها، هي على العموم، سمات السكن بوادي دادس في وقتنا الحالي.

وحسب الرواية الشفوية المتداولة لدى سكان القصر وسكان المنطقة، كان قصر تيريگيوْت آخر قصر احتفظت به قبائل مگونة (إمگون) بمنطقة أيت إحيا قبل أن ترغمها قبائل أيت سدرات ـ في وقت يصعب تحديده بالضبط ـ على التخلي عن نفس المنطقة بصفة نهائية والتراجع إلى أعالي وادي جامُو (الاسم القديم لوادي إمگون).

بيد أن أول وثيقة تاريخية مكتوبة تشير إلى وجود قصر تيريگيوْت تعود إلى سنة 1180 / 1766 ـ 1767. وهذه الوثيقة تتعلق بموضوع جد مهم ألا وهو بناء وصيانة سور قصر تيريگيوْت. ومما جاء في تلك الوثيقة بعد الحمدلة والتصلية: "اتفقت الجماعة أهل ترجوت بأن الصور (السور) التي بنوه أهل القبيلة بأنهم شرطوا في شرطهم كل واحد يرعى قدام داره من الماء وغيره مما يضره، ومن فرَّط فيه حتى يهدم له فيعاونه له أهل القبيلة حتى يصلون أربعة ألواح ثم يكمله إلى تسعة ألواح وهذا ما قالوا بلسانهم وزمَّمه في الورقة وبتاريخ وربع عام ثمنين ومائة وألف لحسن بن محمد أعرب كان الله له آمين".

ودون الدخول في مناقشة لغة هذا النص، فإن هذا الاتفاق الجماعي يؤكد أن على السكان أن يتضامنوا في بناء سور قصرهم ويعتنوا به ويحفظوه من كل ما يمكن أن يسيء إليه كالماء وغيره، ذلك أن المنطقة التي يوجد بها قصر تيريگيوْت كثيراً ما كانت معرضة ـ ولا تزال ـ لفيضانات السيول المكونة لواد تَگَلْزيتْ خلال فصلي الخريف والشتاء (فترة الأمطار) فتجرف الحقول والفدادين وترتطم بجدران القصر. وإذا لم يشر النص إلى العوامل الأخرى التي بإمكانها الإساءة إلى السور كالحروب مثلا فربما يرجع ذلك إلى كون المنطقة خلال الثلث الأخير من القرن الثاني عشر ـ وهي الفترة التي يرجع إليها تاريخ النص المذكور أعلاه ـ كانت تعيش في أمن وسلام. ورغم أنه لم يبق من سور قصر تيريگيوْت إلا شذرات قليلة في الوقت الحاضر فإن ذلك السور ـ حسب دراسة ميدانية حديثة ـ يمكن أن يكون ارتفاعه قد تعدى سبعة أمتار (7,20 م).

تيريگيوت

بُني قصر تيريگيوت القديم فوق مكان صخري مسطح تحيط به الفدادين من كل الجوانب. ويظهر أن بناءه خضع لتصميم محكم فرضته اعتبارات متعددة من بينها على الخصوص الحفاظ على انسجام وتماسك العظام (إغْصانْ) الثلاثة التي كانت تشكل هيكلته البشرية والاجتماعية،

وذلك لكي تتوفر لها القوة الكافية للدفاع عن نفسها عندما يتعرض القصر لكل طارئ خطير يهدد أمن وسلامة سكانه (مثل الحروب والفيضانات، الخ...). أما عظامه فهي حسب أهميتها : أيت مَحمد، وأيت موسى وأيت حدّو. فالعظم الأول بُنيت منازله في الجهة الجنوبية، في حين شُيدت منازل العظم الثاني في الجهة الشمالية. أما منازل العظم الثالث فتوجد في وسط القصر (بين منازل العظمين الأول والثاني). وعلى العموم فإن القصر كانت تتقاطعه ثلاثة أزقة رئيسية متوازية : بعض أجزائها مسقوفة وبعضها الآخر كان مفتوحا لإدخال الهواء والضوء اثنتان منها (وهما الجنوبية والوسطى) تؤدي كل واحدة منها إلى باب رئيسي، إذ كان لهذا القصر مدخلان رئيسيان يُقفلان ويُحرسان أثناء الليل.

وكان هذا القصر متوفراً على مرافق خارجية مهمة لها ارتباط وثيق بحياة سكانه في مختلف تجلياتها. وهكذا نجد أن ما تبقى في الجهة الشرقية من المكان الصخري المسطح الذي بُني فوقه القصر، مخصص للنوادر (إرْنارْنْ) الصالحة لجمع مختلف المحاصيل الزراعية بعد حصادها. وهناك إلى جانب هذه النوادر ساحة تصلح للاجتماعات والسمر يؤدي إليها الباب الشرقي للقصر مباشرة. وكانت هذه الساحة تُسمى تَسَمْرْتْ نَيْتْ بوحَدُّو. وتَسَمْرْتْ معناها اصطلاحا المكان المشمس. وفي هذا المكان بالضبط كانت تتم وتُقام مراسيم أعراس وأفراح القصر.

ويوجد بالجهة الجنوبية لنفس القصر منخفض هو على شكل حُفرة عميقة واسعة يظهر أنه كان المقلع الذي منه أُخذ التراب الذي شيدت به منازل القصر. وقد تحول هذا المكان إلى مأوى يُقيم به التجار المتجولون (من عطارين أو إقْدارْنْ الذين يقومون ببيع أواني الفخار بعد صُنعها). وبهذا المكان أيضا كان ينزل الحدادون (إمْزيلْنْ) عند تجوالهم بالمنطقة، فيمكثون به مدة للقيام بمختلف الخدمات التي يحتاجها السكان والتي تخص الأدوات المنزلية والآلات الفلاحية.

وبجانب هذا القصر في الجهة الجنوبية، تمر ساقية كبيرة هي استمرار لساقية منطقة أيت إحيا التي اشتقت مياهها من وادي امكون على بعد بضعة كيلومترات. وبعد أن تسقي هذه الساقية فدادين مختلف قصور أيت إحيا تروي تباعا فدادين قصور تيريگيوت وإقْدارْنْ ثم أيت گْمَاتْ. ومما تجدر ملاحظته إليه كذلك، أن السكان يتزودون من نفس الساقية بما يحتاجونه من ماء شروب وغيره. إلا أن هناك آباراً داخل بعض المنازل تُستعمل عند الضرورة (حالة حصار أو عندما تنضب مياه الوادي فتجف الساقية).

أما خارج السوق من جهة الشمال فتوجد المقبرة التي بُني بها ضريح ولي القصر.

وحسب التحريات التي أجريناها بعين المكان يظهر أن الحياة الاجتماعية داخل هذا القصر وخارجه كانت تُقنِّنُها أعراف منها ما هو شفوي ومنها ما هو مكتوب، وقد أصبحت الآن في طي النسيان.

كان لهذا القصر دور سياسي مهم لدى قبائل أيت سدرات عموماً وأيت إحيا خاصة. وتجلى ذلك في كون شيخ فرقة هامة من نفس القبيلة ينتمي إلى إحدى الأسر المكونة له وهي أسرة أيت مَحمد. وحسب الوثائق المتوفرة لدينا فقد استمرت الشياخة بدون انقطاع في أعضاء نفس الأسرة منذ العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر إلى بداية الاستقلال. وتجلى ذلك أيضا في كون أحد شيوخه وهو السي علي نيت مَحمد لعب دوراً أساسياً في بناء زاوية أيت بومسهول في منطقة أيت إحيا بقيادة المتصوف مولاي عبد المالك الذي انتقل من زاوية إيماسين إلى منطقة سكورة فإيمغران ثم إلى دادس (منطقة أيت إحيا بالقرب من قصر تيريگيوت) وذلك إثر خلاف وقع بينه وبين أعمامه بهذه الزاوية الأم خلال الربع الأخير من القرن الماضي.

يتوفر سكان هذا القصر اقتصاديا على ممتلكات مهمة نسبياً تتمثل في امتلاكهم مجموعة من الأراضي في أيت إحيا تسمى تَمَزْرْتْ. كما أن لهم أيضا أراضي أخرى مهمة في أوسْروتُو (جمع أوسْروتوتْنْ) التي يُقصد بها الأراضي العالية نسبيا على مستوى الوادي ومن ثمة فهي تُسقى بصعوبة.

ويشكل الميدان الثقافي بشقيه الديني والأدبي أحد الميادين الأخرى التي كان لقصر تيريگيوت فيها نصيب وافر. وبالفعل كان قصر تيريگيوت يتوفر على أعظم مساجد المنطقة كلها. كانت مقصورته الواسعة تغص بالمصلين لأداء صلاة الجمعة. ومن هؤلاء من كان يأتي إليه من أماكن بعيدة. وقد كان لأحد أئمته خلال الفترة الممتدة من الأربعينات إلى الستينات من قرننا الحالي شهرة طبقت الآفاق. وهذا الفقيه هو العلامة السيد محمد بن أحمد الزكري (نسبة إلى أيت زكري) المغراني الذي كان مقصد الطلبة وحفظة القرآن من دادس وإمگون وإيمغران. وبفضل ودراية هذا الفقيه المتضلع كان مسجد قصر تيريگيوت مدرسة لحفظ القرآن وتلقين علوم الدين والفقه لأبناء المنطقة وغيرهم. وهكذا تخرّج على نفس الفقيه بنفس المسجد عدد كبير من طلبة القرآن والعلم لنفس المنطقة. ومما ساعد على هذا الازدهار كون مسجد تيريگيوت يتوفر على بعض الحجرات المخصصة لإيواء الطلبة القادمين من أماكن بعيدة. ولا يمكن إغفال الدور الأساسي الذي لعبه السكان عن طريق تشجيعهم لإمام المسجد ولطلبته حيث وفروا لهم كل ظروف التحصيل من إقامة ومؤونة. ومما تنبغي الإشارة إليه، أن السكان كانوا يؤدون لإمام مسجدهم راتبا سنويا منه قدر عيني وآخر نقدي.

وكان مسجد قصر تيريگيوت يتوفر على حجرة للاستقبال في الطابق الثالث منه تُسمى تَنْصْرِيْتْ. وهذه الحجرة ذات الجدران المطلاة بالجير كانت تحت تصرف إمام المسجد لاستقبال ضيوفه. ولكنها أيضا هي رهن إشارة أعيان القصر عند الاقتضاء للاجتماع فيها لتدارس مشكل

جماعي أو لاستقبال أحد ضيوف القبيلة (شريف أو مرابط عند مروره بمنطقتهم، الخ...).

أما على المستوى الأدبي فقد تميز سكان هذا القصر بمساهمتهم المحمودة في الشعر الأمازيغي الذي كانوا مضرب الأمثال فيه. وكان من أشهر شعرائه على الخصوص مُوح أُحْماد نيت مَحمد الذي كان شيخاً (أمغار) على قبيلته وعلى قسم مهم من قبائل أيت إحيا السدراتية. وهكذا جمع هذا الشيخ بين السياسة والشعر. وبالفعل فمازالت بعض أشعاره ومأثوراته الأدبية متداولة بين شعراء أيت سدرات خصوصا ودادس عموما.

وفي الأخير بقي إلى أن نشير إلى أن الدور السياسي والاقتصادي الذي كان يلعبه هذا القصر في منطقة أيت إحيا تراجع شيئا ما في الآونة الأخيرة لصالح قصور أخرى نتيجة التطورات السياسية والاقتصادية التي شهدتها نفس المنطقة خلال العقود الثلاثة الأخيرة.

محمد حمام، *وثائق من أيت سدرات*، تحقيق وتعليق، بحث لنيل الإجازة، كلية الآداب، الرباط، 1978 ؛ *تحريات ميدانية*.

A. Touri et M. Hammam, *Tradition écrite et architecture : Acte coutumier d'un village du Dadès, "Tirigiwt"*, *H-T.*, vol. XXIV, 1986, pp. 213 - 229.

محمد حمام

**تيزخت**، إحدى القبائل الخمس الكبرى المكوِّنة لأسرة التمليين. تقع مراطنهم في السفح الجنوبي لجبل الكست المُطل على حوض أمَّلن شمال مركز تافراوتَ. منهم :

**التيزختي، أبو بكر** بن علي بن أبي بكر التملي. من تلاميذ الزاوية الناصرية الأم بتامكروت، أخذ فيها عن الإمام مَحمد ابن ناصر، والعلماء الذين كانوا يقومون بالتدريس في زاويته، أمثال محمد بن أحمد الورزازي المعروف بالصغير، وعبد الكريم التدغي وأحمد أحوزي الهشتوكي.

طالت صحبة التيزختي للشيخ ابن ناصر سنين عديدة فزوجه الشيخ أخته وعاش في الزاوية إلى ما بعد وفاة الشيخ، فرجع إلى موطنه في أمَّلن يُعلِّم ويُرشد ويُربي إلى أن أدركته الوفاة عن سن عالية نحو خمس وتسعين سنة، ليلة الخميس سابع ذي القعدة عام 1179 / 17 أبريل 1766. وكانت جنازته مشهودة، ودفن في مقبرة الويدان بقبيلة إيسافن نايت هارون شمال شرق تافراوت.

**التيزختي، علي** بن أبي بكر التملي. أستاذ عارف بالقراءات حلاه الحضيكي "بالمقرئ الناسك العابد التالي الورع الزاهد الولي الصالح". تفرّغ لإقراء القرآن طوال حياته، وهجر مسقط رأسه إلى مكان خال لايعيش معه فيه إلا الطلبة، وبقي على تلك الحال إلى أن أدركته الوفاة بمكان إقرائه في أيت فيد شمال شرق تافراوت في ربيع الثاني عام 1088 / يونيه 1677.

م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، الترجمة 608 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 46 ؛ *سوس العالمة*، 122.

**تيزركين**، إحدى قبائل إيكنان إيسي، تقع مواطنها جنوب شرق تافراوت، وتسمى أيضاً عين الطلبة لكثرة العلماء المسكداديين النازلين بها. وإليها ينتسب فريق من أسرة علمية سملالية شريفة كبرى من أبناء عمومة الشيخ أحمد بن موسى انتقلت قبل القرن التاسع (15 م) إلى إيمسكدادن في قبيلة إيسي، ثم تفرقت في مواطن شتى بسوس.

**التيزركيني، أحمد** بن عبد الرحمن بن عبد المومن المسكدادي المصمودي ولد قبل عام 880 / 1475 وأخذ بسوس عن شيخ جماعتها الحسن بن عثمان التملي في تييّوت وتخرج بفاس عالماً مشاركاً وصوفياً صالحاً على يد الإمامين محمد ابن غازي وأحمد الونشريسي وطبقتهما. لقي عدداً من كبار الصالحين في عصره وأخذ عنهم وفي مقدمتهم الشيخ أحمد بن موسى السملالي. "كان - حسب الحضيكي - فقيهاً عالماً من علماء المسلمين صالحاً عاملاً جلداً صارماً قوالاً للحق أماراً بالمعروف تقياً واقفاً على حدود الله لا تأخذه في الله لومة لائم، له قدم راسخ في العلم والعمل". وكان - كمعظم علماء سوس وصالحيها - على صلة بالملوك السعديين الأوائل يفد عليهم وينصحهم ويعظهم. وكان محمد المهدي الشيخ يقول عنه وعن بعض معاصريه : "إن سيدي أحمد بن عبد الرحمن يخاف الله ولا يخافنا، وسيدي محمد بن إبراهيم (التامنارتي) يخاف الله ويخافنا، وفلان لأحد مرابطي سوس لايخاف الله ويخافنا".

تفرغ أحمد التيزركيني للتدريس والتربية في مسقط رأسه، وقدم إليه أهل أقا عروضاً مغرية لينتقل إلى قُراهم يدرس بها فأبَى وكتب إليهم : "تبننا خير من تبركم. ومَن أراد العلم فليأته وليطلبه في محله" وتخرج على يده أعلام من الفقهاء والصلحاء.

ومن شدة أحمد التيزركيني وصلابته في الحق موقفه الصارم من معاصره وصديقه الحميم الشيخ العالم سعيد بن عبد المنعم الحاحي الذي دخله وسواس الملك بعد انتقال محمد المهدي الشيخ إلى مراكش وموته، وكأنه استضعف ابنه عبد الله الغالب ورأى نفسه في منعة من قومه الحاحيين وحلفائهم السوسيين، فبعث إليه أحمد التيزركيني برسالة مطولة صريحة فصيحة إلاّ كلمات عامية مؤثرة، مما جاء في أولها : "بلغنا عنكم أنكم عازمون على مخالفة الشرع العزيز، وعلى الرمي بأديانكم وأبدانكم وأرواحكم وعقولكم وأولادكم وأموالكم وأحبابكم وأتباعكم وأزواجكم في بحور الهوى والردى، ولاسفينة ! وعلى التورط في مهواة الذنوب تتشبثون فيها بالصغيرة والكبيرة، وذلك طلب الملك والولاية، ومنازعة أرباب الدولة بالقتل والمشاقة. هاه هاه هاه ! كلا لا ! كلا لا ! كلا لا ! أين عقولكم الراجحة ؟ أين علومكم الراسخة ؟ أين بصائركم الثاقبة ؟ أين عهودكم للسادة السالفة ؟ انتهوا خير لكم. انتهوا خير لكم. وإنّي لكم والله من الناصحين".

ومن المعلوم تاريخياً أن سعيد بن عبد المنعم تراجع عن طموحه، وأن عبد الله الغالب أبعده عن حاحة وأسكنه في أسيف نْتامّنتْ بزداغة في حدور الأطلس الكبير المطلة على تارودانت، وأن نعرة السلطة بقيت في أحفاد الشيخ سعيد حتى نهض بها يحيى بن عبد الله الحاحي في فترة الاضطراب التي أعقبت وفاة أحمد المنصور، وملك سهول سوس ردحاً من الزمن.

ألف أحمد التيزركيني في مواضع دينية متنوعة عفّى الزمان على بعضها منها :

- *منظومة في العقائد.*
- *كتاب في التصوف* أجاب به الشيخ أحمد بن موسى السملالي.
- *كتاب في التاريخ.*
- *رسالتان* إلى الشيخ أحمد بن موسى.
- *رسالة* إلى تلميذه يبورك الهشتوكي.
- *فتاوى* كثيرة بعضها في *المجموعة الفقهية السوسية.*
- *رسالة* إلى سعيد الحاحي المذكور آنفاً، إلى غير ذلك من الرسائل.

توفي بتيزركين عام 958 / 1551. وضريحه بها معروف.

أ. أذفال، *مناقب الشيخ أحمد بن موسى* ؛ م. البعقيلي، *مناقب*، 28 ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 1 : 158 ـ 159 ؛ *درة الحجال*، 1 : 164 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 86 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، الترجمة 2 ؛ م. المختار السوسي، *جامعة القرويين في ذكرها* ؛ *خلال جزولة*، 2 : 20 ؛ *رجالات العلم*، 21 ؛ *سوس العالمة*، 179 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 198 ـ 599.

**التيزركيني، عبد الله** بن أحمد بن عبد الرحمن، ابن مَنْ قبله وملازمُه المتخرج على يده في العلم الظاهر والباطن. شارك أباه في الأخذ عن الشيخ أحمد بن موسى السملالي، وأقام مدة في زاويته بتازروالت حيث روى عنه الشيخ أذفال كثيراً من أخبار والده وعلاقاته بالشيخ ابن موسى.

واشتغل عبد الله بالتدريس في تيزركين إلى جانب والده، ثم خلفه بعد وفاته فصار قطب الرحى في مركز عين الطلبة وما حولها. ولايعرف له من التأليف غير *أرجوزة في التصوف* ذكر فيها شيوخ الشاذلية بالمغرب، أمثال مَحمد ابن سليمان الجزولي، وعبد العزيز التباع وأحمد بن موسى السملالي.

توفي بمسقط رأسه بعد عام 971 / 1563 ودفن بإزاء والده.

أ. أذفال، *مناقب الشيخ أحمد بن موسى* ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، الترجمة 559 ؛ م. المختار السوسي، رجالات *العلم*، 21 ؛ *المعسول*، 13 : 268 و278 ـ 279 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 599.

محمد حجي

**تـيزطُـوطِين**، اسم هضبة تقع بقبيلة بني بويحيي إقليم الناظور، وقد يخطه من يكتبه تيستوتين نقلا عن الإسبانية Tistutin وذلك لأن اللغة الإسبانية تفتقر لحرف الزاي ؛ وقد احتل الجيش الإسباني الهضبة المذكورة يوم 23 يونيو 1914 وبنوا بها ثكنة عسكرية تحولت مع الأيام إلى قرية، وعند اندلاع الثورة الريفية التجأت القوات الإسبانية الفارة من أنوال إلى تيزْطُوطين يوم 23 يوليوز 1921 وفي اليوم التالي حاصر المَجاهدونَ المركز إلى أن أرغموا الجنرال نافارو Navarro على مغادرته يوم 29 بعد أن فقد ثلاثة كولونيلات وستة قباطنة وخمسة ملازمين وأربعة ضباط صف وخمسة وسبعين جنديا.

غير أن الجيش الإسباني استطاع أن يحتل تيزطوطين للمرة الثانية يوم 21 ديسمبر من نفس السنة.

وتيزطوطين اليوم مقر جماعة قروية تحمل اسم القرية وهي تابعة للدائرة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 158 ؛ ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*.

Domenech, *Zona Norte*, 25 ; Cabello, *Geo. Marruecos*, 73, 185 ; Martinez Campos, *España belica*, 116, 120, 249 ; Comision historica, 119, 149, 185, 481, 493.

محمد ابن عزوز حكيم

**تـيزْغَـة**، أو أوْسَـرْد بالأمازيغية، أو السُّماق أو الجَدْيرية أو الجْداري أو الزّوّاي بالعربية أو العامية، أسماءَ تَطلق على أنواع من جنس رُوسْ Rhus الذي ينتمي لفصيلة البطميات Anacardiaceae التي تشمل الفستق أيضاً وأجناساً أخرى.

ولفظ تيزْغَة الأمازيغي أكثر تداولا عند الناس بالمغرب، وهو يرمز إلى اللون الأحمر (أزْكّاغ).

يوجد بالمغرب ثلاثة أنواع طبيعية من تيزْغَة :

1 ـ رُوسْ بِنْتَافيلاً : Rhus Pentaphylla أو السُّمَاق الخماسي، وهو تيزْغَة المعروفة والواسعة الانتشار في المنطقة الوسطى من المغرب. شجيرة أو شجرة قصيرة القامة لايتجاوز ارتفاعها سبعة أمتار، جد متفرعة ومشوكة، ذات تاج عريض ومنبسط على الأرض، أوراق شبه دائمة وغير متقابلة جرداء بالنسبة للبالغة منها، ومجزأة إلى ثلاث أو خمس وريقات، ذات لون أخضر زاه. طول الوريقة من واحد إلى ثلاثة سم، وعرضها من اثنين إلى خمسة مم. أزهار بسيطة صفراء مجتمعة على شكل عناقيد مركبة وقصيرة وغير كثيفة، ثنائية المسكن. للأزهار الأنثوية كما للذكرية خمس فصلات وخمس بتلات. الثمار مفردة النواة في شكل عدسة وفي حجم حبة كرز صغيرة، لونها أصفر غير أن جزءاً منها يظهر بلون أحمر قان.

يعيش هذا النوع في الغابات الغير الكثيفة المكونة من العرعر البربري أو الزيتون البري أو العرعر الأحمر أو البلوط الفليني أو في فرجاتها لأنه أليف الشمس. ويصادف في الطابق المتوسطي الدافئ حيث نراه لايتجاوز 1000 م من الارتفاع. أما من حيث البيومناخ فهو يوجد في

المناطق شبه الجافة وشبه الرطبة الدافئة منها والمعتدلة. ولا يصادف إلا استثنائياً في المناطق الجافة.

يعيش هذا النوع في الأراضي الغنية بالطين الموجودة على سفوح الهضاب أو الجبال قليلة الارتفاع أو في المنخفضات.

توجد تِيزْغَة في الجهة الشمالية من المغرب أي شمال سلسلة جبال الأطلس الكبير والأطلس المتوسط وخاصة في الهضبة الوسطى. ولانراه إلا استثنائياً في المنطقة الجنوبية من المغرب ويظهر أيضاً في شمال الجزائر وتونس وفي صقلية.

ينتمي هذا الصنف مع النوعين التاليين إلى شعبة ممثلة بأنواع عديدة تكثر في جنوب افريقيا خاصة، وافريقيا المدارية والهند أيضاً مع وجود نوع واحد بأستراليا.

وقد وجدت تِيزْغَة في المنطقة المتوسطية منذ العصر الطباشيري.

تِيزْغَة نوع غني بمادة الدباغة التي توجد بكثرة في قشرة أغصانه وجذوره وذلك بنسبة تتراوح ما بين 27 و30٪ وهي نسبه تجعله أغنى من أنواع البلوط التي لاتحتوي إلا على 10 إلى 16٪. أما الآكاسيا (جنس الطلح) فهو يحتوي على نسبة تصل إلى 35 أو 40٪ مقابل 60٪ لشجرة القسطل. كما يمكن استعمال الأوراق التي تجمع في الخريف عندما تبدأ في الاحمرار ثم تجفف وتطحن لتصبح مسحوقاً.

استعمل هذا النوع في المغرب والبلدان الأخرى التي يوجد بها منذ قديم الأزمان، وخاصة في عهد الحماية، كمادة دباغة وصبغ للجلد الذي يكسب لوناً أحمر وبناء رَخْواَ وهو أفضل الجلود لتجليد الكتب وصناعة الصُرَّات والحقائب والمحفظات والمشبنات والقفازات.

ونتيجة للاستغلال المفرط من طرف المستعمرين تراجعت تشكيلات هذا النوع بنسبة خطيرة في نهاية عهد الحماية حتى كاد يندثر تماماً بسببها. لكن من حسن الحظ انتهى الاستعمار وظهرت مصادر أخرى طبيعية واصطناعية للدباغة والتلوين، فتكاثر النوع من جديد نظراً لقلة استغلاله ابتداء من عهد الاستقلال، وبدأ ينتشر ويحتل جل مناطقه الأصلية.

بالإضافة إلى مادة الدباغة والصبغ، واستعماله في التطبيب التقليدي ضد أمراض الجهاز الهضمي، تعطي تيزغة خشباً جد صلب ذا لون ما بين وردي وأسمر صقيل من الممكن استعماله في إنشاء أدوات صغيرة الحجم. كما تنتج ثماراً تؤكل من طرف الإنسان دون الإكثار من أكلها. وتلعب دوراً مهماً في إغناء التربة بالدبال الجيد، وحمايتها ضد الانجراف، وفي دينامية وتجديد الأنظمة الغابوية نظراً لكونه يحمي تحت فَنَادَتِه أنْوَاعا عديدة من الحيوانات والنباتات وخاصة شُتَيْلاتَ الأشجار التي تجد هنا الظروف البيئية الملائمة لنموها.

2 - رُوسْ تْرِيبَارْتِيتَا : Rhus Tripartita أو رُوسْ أُوكْسِيَمانْتَا : Rhus Oxyacantha أو ما يمكننا أن نسميه بالسُّمَاق الثلاثي، يسمى أيضاً تيزغة في المناطق الوسطى والشرقية من المغرب، والجداري (لفظ جماعي) والجديرية (لفظ مفرد) و أوْسَرْد في المناطق الصحراوية. للتذكير فإن الاسمين الأخيرين أُعطِيا لبلدتين في المناطق الصحراوية المغربية.

إنها شجيرة أو شجرة قصيرة القامة لايتعدى ارتفاعها ستة أمتار تميل أغصانها إلى الاحمرار، قصيرة ومشوكة، أوراقها دائمة الاخضرار، معنقة، وثلاثية الوريقات، ذات لون أخضر باهت. طول الوريقة الواحدة ما بين 1,5 وأربعة سم، ونصلها عميق التسنن. أزهارها ثنائية المسكن تظهر في فصلي الشتاء والربيع. الثمار مفردة النواة في حجم جلبانة، أي أصغر بكثير من ثمار النوع السابق، ذات لون أحمر داكن.

يصادف هذا النوع في المناطق شبه الجافة والجافة والصحراوية الدافئة والمعتدلة، في الطابقين المتوسطي الدافئ وتحت المتوسطي. وفي أغلب الحالات يوجد منفرداً أو مجتمعاً على شكل باقات منتشرة في تشكيلات العرعر البربري وأرگان، والبطم الأطلسي والعرعر الأحمر والطلح الصحراوي، غير أنه ينظم تشكيلات كثيفة نسبيا في المنخفضات المسماة بالگَرارَات (الغْرارات) الموجودة في حمادة الساقية الحمراء شرق مدينة العيون إلى نواحي اسمارة.

يلاحظ وجوده في وادي شراط وسهول الرحامنة والحوز والشياظمة وعبدة وحاحة والمغرب الشرقي والجهة الغربية من الأطلس الكبير، وجل السفوح الجنوبية من الأطلس الكبير، وسوس والأطلس الصغير، وجل المناطق الصحراوية من المحيط إلى آسيا الصغرى مروراً بكل البلدان الإفريقية الموجودة شمال الصحراء، وصقلية.

يقطن السماق الثلاثي الأراضي الصخرية في شمال مجاله الطبيعي، ولايوجد إلا على الأتربة السميكة نسبياً في المناطق الجافة والصحراوية.

يعرف هذا النوع نفس الاستعمالات المذكورة بالنسبة للنوع السابق، لكن بصفة أخف نظراً لقلة وجوده بمجاله الطبيعي، وإنه يلعب نفس الدور في المحافظة على التربة وفي دينامية الأنظمة الغابوية وتجديدها.

3 - رُوسْ آلْبِيدَا : Rhus Albida أو السماق الأبيض وهو الـزَّوَّايْ أو تَيزْغة أيضاً. شجيرة قصيرة لايتجاوز ارتفاعها مترين، عديمة الأشواك، تتميز بأوراق ذات لون أخضر ضارب إلى الرمادي نظراً لكثافة الزغب. أوراقها ثلاثية الوريقات، دائمة الاخضرار وصغيرة. طول الوريقة من سنتيم واحد إلى سنتيمترين، وعرضها من 0,5 إلى 0,8 سم. عنق الورقة مجنح. الأزهار ثنائية المسكن، تظهر في بداية فصل الربيع لتعطي ثماراً في فصل الشتاء من نفس السنة.

يصادف السماق الأبيض في البيومناخ شبه الجاف والجاف والصحراوي وينبت أتربة رملية أو قليلة الصخرية،

موجودة على طول الساحل الأطلنتيكي ما بين أسفي ولگويرة، لكنه يوجد بكثرة بالجهة الشمالية لهذا الساحل أي ما بين الصويرة وأسفي حيث يلعب دوراً جد هام في تثبيت الكثبان الرملية التي بدأت بزحفها الحالي تهدد المنطقة الساحلية، نتيجة اجتثاث مساحات شاسعة من تشكيلات هذا النوع.

بهذا النوع القبسي بعض الميزات المذكورة بالنسبة للنوعين السابقين لكن استعمالاته شبه منعدمة.

*استطلاعات ميدانية.*

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

**تيزْغْتْ** أو تـزْغْـتْ، قرية على واد تعلاوت قرب دمنات لعل اسمها من حمرة أرضها، يوجد بها منجم لاستخراج حجر الملح، كان معروفاً ومستغلاً منذ عدة قرون. فقد حفر السكان لاستخراج هذا الحجر غاراً اشتغلوا فيه عشرات السنين حتى بلغ في نهاية القرن الماضي عمق ثمانمائة متر تقريباً فنفد المعدن من ذلك المكمن وشرع السكان في حفر نفق آخر.

تكونت قرية تيزخت الحالية من ثلاث أسر أصلية هي : أسرة أيت عاشور التي تذكر الرواية الشفوية أنها من قبيلة إمغران. جاء الجد إلى مستقره الجديد في عصابة من أهله، وطلب الضيافة فرفض طلبه وتربص بالسكان حتى خرجوا لإقامة طقوس عاشوراء بظاهر البلد عام 1198 / 1789 فاقتحم البيوت على أهلها. وأسرة أيت بادو وأصلهم من هنتيفة وأسرة أيت ناصر وأصلهم من زمور.

لاحظ أبناء هذه الأسر ظهور حجر الملح على جوانب وادي تعلاوت، فقاموا بالحفر واستغلال مرتب. ويظهر أنهم تنازعوا على الزبناء وعلى أسعار البيع وتنظيم استخراج الحجر وحفره، فاصطلحوا أخيراً واتفقوا على استغلال منجم واحد اشتغلوا فيه حتى تهدم بابه وبداخله سبعة أشخاص لم يغاثوا وهم أحياء، وكان ذلك حوالي عام 1250 / 1834. ووقع الاتفاق من جديد على حفر غار آخر في ملك أيت عاشور، وتقرر في العقد أن يكون الاستغلال لورثة النفر الثلاثة الأصليين من الذكور دون الإناث، وعند موت واحد من أصحاب الحق ترجع قسمته للجماعة.

وعندما بلغوا في الحفر حوالي مائتي متر، أقاموا من أعلى التل الذي يوجد تحته الغار منفذاً عمودياً للتهوية، التقي بأقصى عمق الغار. أما الإنارة أثناء الحفر فكانت تستعمل فيها قناديل الزيت. وكان الحفر يتم بفؤوس يسمى الواحد منها محلياً "أگليم"، وهي ذات رؤوس حادة وأخرى غليظة مزودة بمقابض من خشب الدفلي لأنها قابلة لانثناء خفيف عند الإجهاز دون انكسار.

وفي داخل الغار كان كل مستفيد يحدث حفيراً في هيئة مشكاة لايشاركه فيه أحد. يحفر حجر الملح خلال ثلاث ساعات أو أربع في اليوم، ولم يكن يتولى الحفر إلا من درب عليه. وكان يتم إخراج ما حفر من طرف عمال، يحمل الواحد منهم حجارة الملح الضخمة على كتفيه بعد شدها بالحبال. ومعظم القائمين بالحفر عمال أجرة الواحد منهم سدس ما استخرج. وكان العمل دائماً على مدار السنة لايفتر إلا في بعض مواسم الفلاحة.

وكلما استخرجت كمية من الحجارة إلى باب الغار حضر رؤساء الأسر المستفيدة وأخذوا في البيع طيلة يوم يعلمه الزبناء القاصدون من آفاق مختلفة، وبعد البيع يخصمون الصوائر ويوزعون ما تبقى أنصبة بين أصحاب الحق، لكل على حسب النسبة المعلومة له.

كان المشترون للملح يقدمون من جهات بعيدة كوادي زم وخريبگة وتادلة والشاوية والسراغنة بقوافل الجمال. وكان الزبناء من القبائل الجبلية المجاورة يأتون بالحمير أو البغال. ويتم الكيل بالقفة بالنسبة للحجر الملح المكسر، وبحمل الجمل (أربعة أحجار كبرى) بالنسبة للملح غير المكسر، والمقابل يكون نقداً أو حبوباً بالمقايضة.

وقد كان بعض المتمولين يتدخلون لكراء أنصبة من ذوي الحقوق في استغلال معدن الملح، كما كان بعض متمولة الدمناتيين يشترون الملح حين رخصه لادّخاره إلى وقت غلائه، إلا أن النظام الجماعي لاستغلال هذا المعدن كان يمنع تفويت الحقوق بالبيع ويحول دون السطو عليها.

ولا نستطيع أن نقدر إنتاج غار ملح تيزخت، إلا أن تقييداً في كناش قائد دمنات الجيلالي الدمناتي ينص على أن خمسة أشخاص قد التزموا في متم ربيع الثاني عام 1300 / 9 مارس 1883 بأداء عُشُر غار الملح وقدره مائة مثقال.

أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إينولتان 1850-1912*، الرباط، ط. ثانية 1983.

أحمد التوفيق

**تيزگان**، مرسى تقع بشاطئ قبيلة بني زيات الغمارية على البحر المتوسط، وتعرف أيضا بمرسى تاغسراس. كانت بها من قديم ترسانة لصبغ السفن الصغيرة وإصلاحها ؛ وفي عهد الحماية اقتصر العمل بهذه الترسانة على إصلاح السفن. وكان آخر معلم ماهر في هذه الصناعة هو المعلم أحمد بن محمد الهواري المتوفي سنة 1378 / 1959. وبسبب وجود الترسانة تعرضت مرسى تيزگان لعدة هجومات قامت بها حامية سبتة البرتغالية، وأهمها الحملة التي نظمها سنة 886 / 1481 حاكم المدينة السليبة فيرناندو دي مينيسيس Fernando de Meneses وتكونت من خمسين سفينة حاملة على ظهرها خمسة آلاف من الجنود، وأسفرت عن تحطيم الترسانة والسفن التي كانت تصنع أو تصلح بها.

وفي يوم 29 رجب عام 1009 / 3 فبراير 1601 تعرضت مرسى تيزگان لهجوم قام به الحاكم الإسباني لمدينة سبتة بواسطة أسطول يتكون من خمس عشرة سفينة، إلا أنه وجد سكان الناحية في انتظاره ورد على أعقابه مهزوما بعد أن فقد ثمانية وسبعين من جنوده وعلى رأسهم قبطان.

وفي عهد الحماية تمكن الأسطول الإسباني من احتلال المرسى يوم 9 شعبان 1339 / 18 أبريل 1921، غير أنه اضطر إلى الانسحاب منها يوم 2 نوفمبر 1924 ليعود إليها مرة ثانية في 9 يوليوز 1926.

وبهذه المرسى يوجد ضريح سيدي عمران وبجواره مقابر تعرف بمقابر "مائة فاطمة وفاطمة" استشهدن أثناء هجوم تعرضت له المرسى من طرف النصارى.

C. Pereda, *Estudios geograficos de Gomara*, Ceuta, 1940 ; C. Martinez Campos, *España belica, El siglo XX, Marruecos*, Madrid, 1972.

محمد ابن عزوز حكيم

**تيزگي**، معناه الخانق المحدث في الوادي في أسفل السلسلة الجبلية، إما لاختلاف الطبقات أو لمصادفة الثنية المقعرة، ولذلك تعد تيزگي، ممراً طبيعياً في أسفل الجبال، مثل تيزي في قمة الجبال.

والذي يهمنا هنا هو تيزگي بقبيلة أيتْ اخْلَفْ، وبها يمر النهر الذي يصب في مدينة سيدي إفني، وتتوفر تيزگي على الحطب والمياه العذبة، وكانت بها عين غزيرة، تسقي أراضي شاسعة، إلى بداية هذا القرن الميلادي فانطمست.

وفي سنة 1367 / 1948 اختارت إسبانيا بلاد تيزگي هذه، فأمرت السكان بالرحيل منها، بدعوى أنها ستقيم فيها سداً كبيراً يكفي أيت باعمران بكاملها، إلا أن قبيلة أيت اخْلَف عدت ذلك محاولة لمصادرة أراضي القبيلة، ولما كان شيخ القبيلة عبد الكريم والسيد أنفلوس عيسى بن عثمان وعائلة بوريگ، سيصابون بخسارة أكبر، وكلهم من أعيان القبيلة، فقد رفضوا أي تفويت أو بيع لدولة إسبانيا، فتحركت القبيلة وقال الملاك الكبار لحكام إسبانيا، نحن مقيمون هنا إلى أن ترحلنا مياه سدكم، فاستعملت إسبانيا التهديد، إلى أن تدخل الشيخ عبد الكريم فأوصل الخبر إلى الجنرال فرانكو بالذات فتوقف المشروع.

توجد في تيزگي هذه آثار قديمة منها أگادير نداوْيوزْيا ورسوم على أحجار، ومقابر على هيئة قعود ومحراب مسجد في اتجاه الجنوب (*معلمة المغرب*،1 : 222).

لعبت تيزگي هذه دوراً كبيراً في حرب التحرير بأيت باعمران، إذ كان فيها مركز السلاح والتموين والمياه والخضر، وكانت دار الشيخ عبد الكريم تتوفر على فرن للخبز وجميع لوازم التموين حتى مطامر الحبوب ومحركات للسقي وبساتين وصهاريج، وفيها نزل الجيش الملكي الذي واجه الإسبان بعد إدماج جيش التحرير حتى استقلت أيت باعمران، وانضمت إلى الوطن الأم.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*.

الحسين جهادي

**التيزكيني ← تيسرگوين**

ابن **تيزْمْت**، أبو بكر ومعناه ابن اللبوءة، وتيزمت مؤنث إيزْمْ أي الأسد. كان ابن تيزمت هذا من بقية الأمراء المرابطين الذين اقتحم عليهم الموحدون عاصمتهم مدينة مراكش، ولنلخص أخبار هذه الشخصية نقلا عن كتاب *أخبار المهدي بن تومرت* لأبي بكر المكنى بالبيذق قال : ثم رجع أبو الحسن إلى إيگيليز، جبل شمال مراكش المدينة، وقتل فيه أولاد السلاطين (يقصد المرابطين) ولم يبق منهم إلا أبو بكر بن تيزمت وإسحاق وغلامه طلحة. وكان إسحاق يتضرع للخليفة عبد المومن ليبقيه، لكن غلامه نهره قائلا : أصمت عنا هل رأيت ملكا يتضرع لملك مثله، ويذكر التاريخ أن إسحاق هذا هو عم إبراهيم بن تاشفين آخر ملوك المرابطين سنة 539 هـ. وكان كل هؤلاء الثلاثة صبياناً، فرق لحالهم عبد المومن الموحدي وقال لأبي الحسن : "اترك هؤلاء الصبيان ما الذي نعمل بهم" فصاح أبو الحسن قائلاً: ويوا ويوا الموحدين ! ارتد علينا عبد المومن، يريد أن يربي علينا فراخ السبوعة"، فغضب عبد المومن وانسحب ومع ذلك قُتل الأمير إسحاق هذا، وكذلك غلامه طلحة، لكن بعدما احتال على أبي الحسن الموحدي فقتله وقُتل من بعده.

أما أبو بكر بن تيزمت فقد رفعوه إلى أمير المومنين عبد المومن، ودافع عن نفسه بدعوى أنه خصم لعلي بن يوسف المرابطي لكن عبد المومن رد عليه بأن "السّنة قتلته" لأنه حمل المهدي بن تومرت إلى السجن، مما يدل على أن ابن تيزمت هذا كان من رجال الدولة المتولين منذ ظهور المهدي ابن تومرت. وكما أن الغلام طلحة السابق احتال على أبي الحسن ليفك وثاقه من أجل أن يسلم له سلاحه قبل أن يموت، ولما أجيب إلى ذلك طعن أبا الحسن فقتله، فإن ابن تيزمت هذا لما تأكد من قتله قال لعبد المومن، قبل أن أقتل عندي بُرْمتان (قدران) من مال كلها ذهب يأخذها الموحدون، لأني أخاف أن أموت وأحاسب عليها، فأعطني أمناء... فاختار عبد المومن اثنين من كل قبيلة وعدد اثني عشر أمينا، ولما دخلوا الدار في إيگيليز... شد عليهم ولم يسلم منهم إلا واحد، ثم قبض الموحدون على ابن تيزمت وأعدموه، وكان آخر من بقي من أمراء المرابطين ورجالهم الحربيين الذين أسروا في حصار مدينة مراكش.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، 65 ؛ *أعلام المغرب العربي*، 1 : 235.

جهادي الحسين الباعمراني

**تيزْمَمْت**، موضع بقبيلة إيدأوسملال بين أنزي وتافراوت. كان مستقر أعيان أيت وليلي، مشهوراً بغناه بمعدن الفضة في مغارة تعرف بـ"تفْريت نْتغاط"، وقد وصفه أحمد بن محمد التيمگيدشتي قائلا "هو أكحل وأرفع منه ما شئت حجراً أو تراباً".

كتاب عبد العزيز الأدوزي (مخطوط).

أحمد بومزگو

**تيزنيت**، ـ طبونيميا ـ ذكر م. المختار السوسي وثيقة ترجع إلى العهد السعدي تقول إن امرأة هي التي مصّرت مدينة تيزنيت بسوس منذ عهد عقبة بن نافع الفهري (القرن الأول للهجرة)، وتحكى الوثيقة قصة هذه المرأة التي كانت

من بنات الملوك البرابر، ذات جمال بارع، ونسب ومال، غير أنها كانت زانية، فلما أسلمت على يد عقبة، أدت فريضة الحج، ونزلت بموضع تيزنيت، وكان قاعا صفصفا، فحفرت فيه على الماء هي وجواريها، واتخذت مسجداً للعبادة والتعليم، وتنبأت بما ستؤول إليه المدينة من تبرج النساء وظهور المناكر، إلى غير ذلك (*خلال جزولة*، 2 : 188). وقد انتقد المختار السوسي هذه الحكاية وبين ضعفها التاريخي واللغوي، وسنحاول فيما يلي استكناه المعنى اللغوي التاريخي للفظة تيزنيت من خلال تحليل بنية الكلمة وتقريبها من كلمات أخرى لها معنى معروف لأن المعجم المحلي لم يحتفظ بمدلول الكلمة. ونقدم في هذا الاطار افتراضات ثلاثة :

- الافتراض الأول : تيزنيت باعتبار زايها بقيمة الهاء عند التوارگ، وضعنا هذا الافتراض استناداً إلى مبدإ تطور الحروف الصفيرية في الأمازيغية الشمالية إلى حروف حلقية في الأمازيغية الجنوبية ( *المدلاوي*، 1990 ص 57)، فالزاي في تاشلحيت مثلاً تقابلها الهاء في لهجة التوارگ، وكلمة أهني جمع إهنان تعني عندهم الخيمة، ومنه تينهنان (ذات الخيام) اسم أميرة أمازيغية قديمة (معجم *دوفوكو*، 2 : 609). وتسمية الخيمة ومرادفاتها مألوف في الأعلام الجغرافية، ومنه تسمية الفسطاط بمصر في قصة معروفة، فيكون اهني بمعنى ازني عند التذكير، وتهنيت بمعنى تزنيت عند التأنيث.

- الافتراض الثاني : تيزنيت باعتبار زايها مبدلاً من السين، وهذا الإبدال ظاهرة مألوفة في لهجات اللغة الأمازيغية، ومبررة باشتراك الصوتين في المخرج والصفة ولايختلفان إلا في سمة الجهر والهمس، ونجد في الطوبونيميا المغربية العلم الجغرافي أسْني الذي نراه صيغة المذكر للعلم تسنيت المفترض أصلاً لتيزنيت واسني علم على حوض فلاحي سقوي بمنطقة جبال الأطلس الكبير (*معلمة المغرب*، مادة أسني) وتيزنيت بدورها معروفة بعينها وساقيتها ونشاط سكانها الزراعي السقوي، كما أن "تيزنيت ومزّر" في جبال إداولتيت - حسب ما وصفه لنا من عاين المنطقة - يزاول أهلها زراعات بسيطة أساسها السقي بمياه الآبار الكثيرة بالمنطقة ويُعدون لذلك أحواضاً خاصة.

ولعل مما يدعم هذا الافتراض أن جذر السين والنون تشتق منه سينيت أو السانية، وهي لفظة تستعمل في صيغها المختلفة للدلالة على البئر أو أداة السقي كالناعورة والدلو الكبير المجرور ببهيمة، أو الأرض المسقية ... الخ. ولو صدق هذا التحليل لانفتح الباب لشرح علم آخر هو "تامسنا" ومايقاربه من أعلام جغرافية. *

تحليل آخر تقبله لفظة تيزنيت لاعتبار زايها مبدلا من السين، مع اعتبارها تركيباً إضافياً مكوناً من تيسّي ونون الإضافة وإيطّ بمعنى العين، فيكون التقطيع كالتالي : تيسّي / ن / إيط بمعنى سقي العين، أي الأرض التي تروى بماء العين وبكثرة الاستعمال يخفف نطق التركيب إلى تسْنيتْ، وبجهر السين تصبح تيزنيت.

- الافتراض الثالث : تيزنيت باعتبار زايها معاقباً للجيم، فقد أورد محمد شفيق في معجمه (1990 ج 1 ص 298) والحسن نبيل في *دراسة* لـه (1989 ص 112) كلمة تَگْنيتْ بمعنى الحوض الذي تجمع فيه مياه السقي ومعلوم ما بيَن الجيم والزاي من علاقة صوتية، وتعاقبهما في بعض لهجات شمال المغرب، فتكون زاي تيزنيت معاقبة لجيم تجنت بالمعنى نفسه المرتبط بالفلاحة والري، فيلتحق هذا الافتراض بالافتراض السابق ولعلهما الأقرب إلى طبيعة المنطقة وتاريخ الاستقرار بها المرتبط بظهور عينها واستغلالها من قبل الوافدين إليها من الجبال الولتيتية على الخصوص.

محمد المدلاوي، *مبادئ المقارنة الحامية السامية*، *مجلة كلية الآداب*، وجدة ع 1، 1990 ؛ محمد شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، ج 1 ، الرباط، 1990 ؛ دوفوكو، *Dictionnaire touareg-français*, Tome 2 ؛ لحسن نبيل، *Essai de toponymie*، (*مجلة كلية الآداب - تطوان* ع 1، 1986).

أحمد الهاشمي

* - جغرافيا - مدينة تيزنيت أو تزنيت في موقع متميز في جنوب المغرب، فوجودها على بعد تسعين كيلومتراً تقريباً من أكبر قطب حضري في الجنوب (أگادير)، وعلى طول الطريق الرئيسية رقم 30 جعل منها محطة مهمة وصلة وصل بين شمال المغرب وجنوبه، كما أنها تحتل موقعا وسطا في سهل يحمل اسمها (سهل تيزنيت) مبتعدة بذلك عن البحر بحوالي سبعة عشر كيلومتراً. فموقعها الإستراتيجي هذا أثر كثيراً على تاريخها وتطورها وجعل منها مركزاً حضرياً يتعدى إشعاعه في بعض المجالات تراب الإقليم سيما في اتجاه الجنوب. كما أن استرجاع الأقاليم الصحراوية أعطى المدينة بعداً جديداً ونفساً قوياً.

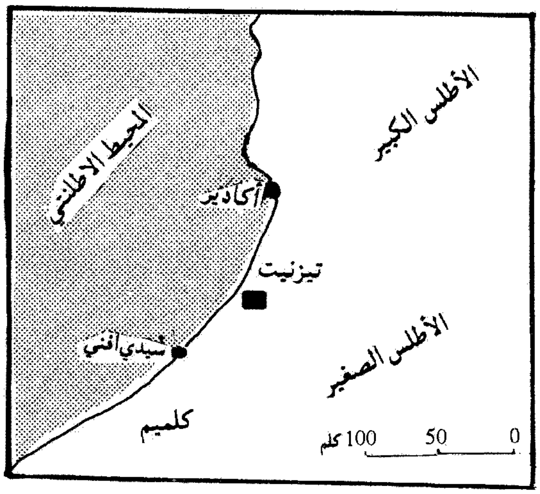


عرفت تيزنيت تطوراً ديمغرافياً بمرحلتين، المرحلة الأولى غطت سنوات الستينات وما قبلها لأن المدينة كانت عبارة عن مركز صغير لم يتجاوز عدد سكانه 5.000 نسمة سنة

1959 و7.694 نسمة سنة 1960. أما المرحلة الثانية التي تغطي السبعينات والسنوات اللاحقة فعرفت المدينة قفزة ديمغرافية حيث انتقل عدد سكانها من 14.413 نسمة سنة 1971 إلى حوالي 22.922 سنة 1982. وأغلب سكان المدينة ينتمون إلى القبائل البربرية المجاورة في السهل والأطلس الصغير. كما كانت المدينة تضم إلى عهد قريب طائفة يهودية مهمة غادرت المدينة إما في اتجاه المدن المغربية الأخرى أو إلى الخارج.

فبموازاة مع النمو الديمغرافي شهدت مدينة تيزنيت توسعاً مجالياً عرف أوجه منذ السبعينات واستمر إلى وقتنا الحاضر حيث عرفت ظهور مدينة جديدة خارج الأسوار. ويرجع هذا التوسع من جهة إلى الدور الذي بدأت تلعبه المدينة منذ سنة 1975 حيث أصبحت تستقبل المصالح الجهوية لمختلف الوزارات كما عرفت كذلك توافد الموظفين وعائلاتهم، ومن جهة أخرى لعبت الهجرة القروية دوراً مهماً في التوسع الحضري حيث أصبحت مدينة تيزنيت قبلة لمهاجري الأرياف المجاورة في السهل والأطلس الصغير بحثاً عن فرص العمل. كما أن المدينة استفادت من تيارات الهجرة الدولية باعتبار الإقليم من أهم المناطق المغربية المصدرة لليد العاملة إلى الخارج (فرنسا خاصة)، وبذلك أصبحت مجالا خصباً لاستثمار موارد الهجرة سيما في الميدان العقاري الذي عرف سوقه توسعاً مثيراً حيث تعددت التجزئات السكنية من طرف الدولة أو الخواص، وأصبحت المدينة قبلة للمضاربات العقارية (فطلبات إنجاز التجزئات السكنية المودعة لدى مصالح وزارة السكنى يفوق مائة مشروع) كما ساهمت موارد الهجرة الدولية في تطور الأنشطة الاقتصادية والتجارية منها بالخصوص، مما زاد من جاذبية المدينة لأعداد جديدة من المهاجرين الريفيين. ويتميز النسيج الحضري لتيزنيت بوجود نواة قديمة ومدينة عصرية.

المدينة العتيقة : تحيط بها الأسوار من جميع الجهات على طول سبعة كيلومترات تقريبا وبعلو يقارب ثمانية أمتار، وتتصل المدينة بالمجال الخارجي بواسطة تسعة أبواب مختلفة الاتساع والأهمية.

تنقسم هذه المدينة إلى أربعة أحياء كبرى هي : - إدزكري - أيت امحمد - إضلحا - إداوكفا، وهي في الأصل عبارة عن أربعة دواوير مختلفة من حيث قدم المعمار بها. ويبدو من خلال شكل البنايات وتنظيم الأزقة أن إضلحا وإداوكفا يعتبران أقدم الأحياء بمدينة تيزنيت حيث يغطيان المنطقة الشمالية للمدينة ويمتازان بكونهما أساس أحياء سكنية تقل بهما المنشآت التجارية وذلك بالرغم من التطور المتزايد لهذا القطاع على طول شارع سيدي عبد الرحمان. أما المنطقة الجنوبية للمدينة (حي إدزكري وحي أيت امحمد) فتعرف تركزاً للأنشطة التجارية والحرفية بجميع أصنافها حيث تنتشر المتاجر والقيساريات حول ساحة المشور باعتبارها النواة الفعلية للمدينة وعلى طول الشوارع المؤدية إليها، وكان هذا الجزء من المدينة العتيقة يضم إلى عهد قريب أغلب الإدارات العمومية.

تعرف المدينة العتيقة مقارنة بمثيلاتها في المدن المغربية الأخرى كثافات سكانية ضعيفة تتخللها مجالات فارغة عبارة عن أجنة وبقع أرضية غير مبنية، إلا أن نمو ساكنة المدينة وتطور أنشطتها أدى إلى تحولات كان أهمها تقلص المساحات الفارغة وإعادة بناء المنازل القديمة وذلك بتبني تصاميم جديدة واستعمال مواد البناء العصرية الشيء الذي أدى إلى تغيير المنظر العام في بعض جهات المدينة.

تنتشر المدينة الحديثة خارج الأسوار وتمتد خصوصا جنوب المدينة العتيقة وهي عبارة عن أحياء حديثة ظهرت أساساً بعد سنة 1975 (حي الموظفين 946 بقعة، إيراك 996 بقعة، البرنامج الإجماعي 840 بقعة، سيفم 447 بقعة، بالإضافة إلى أحياء اليوسفية، المسيرة، أفراگ، والأحياء الجديدة على طول الطريق المؤدية إلى گلميم). فهذا التوسع الحضري زاد من جاذبية المدينة الحديثة للسكان وبانتقال أغلب المصالح الإدارية والمؤسسات البنكية ومؤسسات التأمين إلى جانب استقبالها لجميع الفنادق المصنفة وتخصصها في التجارة الراقية وتجارة الجملة... كما تتميز المدينة من جهة بوجود حي صناعي في الجهة الشرقية على طول الطريق الرئيسية المؤدية إلى مدينة أگادير، يضم أربع وحدات صناعية كبرى استقر أغلبها بالمدينة خلال الثمانينات. ومن جهة ثانية عرفت المدينة الحديثة انتقال السوق الأسبوعي (الخميس) إليها واحتضانها في المستقبل القريب المحطة الطرقية.

وبصفة عامة، إن توفر مدينة تيزنيت على نواة عتيقة جعل منها قبلة للسواح الأجانب، مستفيدة بذلك من قربها من أهم مدينة سياحية مغربية (أگادير) ومن وجودها في نقطة عبور للرحلات السياحية في اتجاه مدينة گلميم أو تافراوت. وهذا العنصر أدى إلى نمو الطاقة الإيوائية للمدينة (20 فندقا من مجموع 23 هي عبارة عن فنادق غير مصنفة ينتشر أغلبها حول ساحة المشور أو الشوارع المؤدية إليها).

J. Guibert, *L'histoire d'une ville : Tiznit*, mémoire de l'Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales, Paris, 1979, 9. 178 ; *Documents de la province de Tiznit* ; *Documents des différentes délégations ministerielles à Tiznit*.

يحيى أبو الفرح

* * إقليم تيزنيت، من الأقاليم الحديثة أُنشئ سنة 1975 وكان تقسيمه الإداري آنذاك يحتوي على خمس دوائر وخمس عشرة قيادة وأربع وأربعين جماعة، منها جماعتان حضريتان ومركزان مستقلان. يحد الإقليم من الجهة الشرقية إقليم طاطا، ومن الغرب المحيط الاطلنتي، ومن الشمال إقليم أگادير، ومن الجنوب إقليم گلميم.

وبناء على القانون رقم 12.92 المتعلق بوضع ومراجعة اللوائح الانتخابية العامة وتنظيم انتخاب مجالس الجماعات الحضرية والقروية الصادر بتنفيذ الظهير الشريف رقم 1.92.90 بتاريخ 9 ذي الحجة 1412 / 11 يونيو 1992 تمت إعادة عملية تقسيم إقليم تيزنيت إدارياً على النحو التالي :

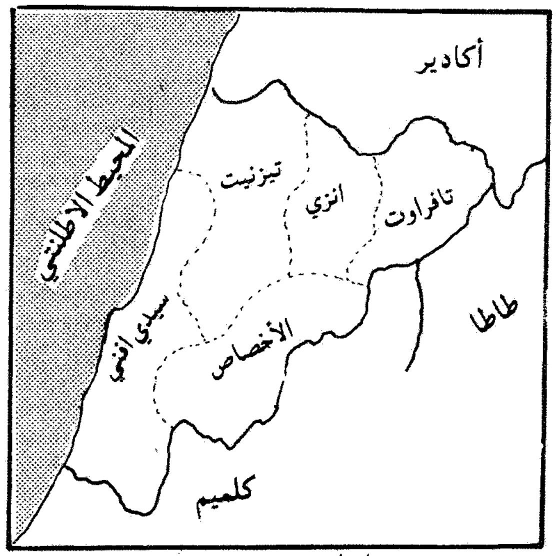


إقليم تيزنيت

ـ خمس دوائر هي : إفني ـ تافراوت ـ أنزي ـ الأخصاص ـ تيزنيت.

ـ ست قيادات هي : أملن ـ أفلا إغير ـ أحد تاهلة ـ سيدي حساين ـ أيت الرخا ـ تيغيرت.

أما الجماعات فيبلغ عددها تسعة، منها أربع جماعات حضرية وهي سيدي إفني (البلدية) ـ تيزنيت (البلدية) ـ تافراوت (البلدية) ـ الاخصاص (البلدية) ويبقي خمس جماعات قروية هي : أملن ـ تارسوط ـ تاسريرت ـ سيدي مبارك ـ سيدي حساين أعلي .

| الإقليم | الدوائر | القيادات | الجماعات الحضرية أو القروية |
|---|---|---|---|
| تيزنيت | | | سيدي إفني (البلدية)<br>تيزنيت (البلدية)<br>تافراوت (البلدية)<br>الاخصاص (البلدية) |
| | إفني<br>تافراوت | أملن | أملن<br>تارسواط<br>تاسريرت |
| | | أفلا اغير | |
| | | احد تاهلة | |
| | أنزي | سيدي حساين | سيدي مبارك<br>سيدي حساين أوعلي |
| | الاخصاص | | |
| | | أيت الرخا<br>تيغيرت | |
| | تيزنيت | | |

تبلغ مساحة إقليم تيزنيت 6.937 كلم$^2$ وقدرت ساكنته سنة 1982 بـ 310.797 ن كما أن الكثافة السكانية بلغت أقصى حد لها في مدينة تيزنيت حيث وصلت إلى 1510 ن في كلم$^2$، وتقدر مساحة تيزنيت المدينة باثني عشر كلم، وتعتبر جماعة أيت الرخا من أضعف الكثافات السكانية بالإقليم حيث وصلت الكثافة إلى 38 ن في كلم$^2$ وعلى مساحة قدرها 110 كلم.

مدينة تيزنيت هي عاصمة الإقليم من أكبر التكتلات السكانية حيث بلغ عدد ساكنتها 22.922 ن وهي تحتل موقعاً هاماً داخل الإقليم، فهي لاتبعد عن الساحل إلا بسبعة عشر كلم، كما أن قربها من أكبر حواضر الجنوب (أگادير) ومحاذاتها للطريق الرئيسية رقم 30 خولها لتكون صلة بين الشمال والجنوب.

يعتبر إقليم تيزنيت من الناحية الاستراتيجية ذا أهمية متميزة على صعيد التراب الوطني، فهو يحتل موقعاً هاماً نظراً لمحاذاته الساحل الاطلسي وتوغله داخل القارة وكذا مقوماته الطبيعية والبشرية والحيوانية. يعتمد اقتصاد أهالي الإقليم على بعض المزروعات المعاشية والرعي والصيد البحري الموسمي والتقليدي والتجارة والصناعة التقليدية خاصة صياغة الحلي الفضية وبعض المنحوتات الحجرية والخشبية والنسيج وأدوات التجميل التقليدي.

في المجال السياحي تبقى البنية الأساسية لهذا القطاع جد متواضعة رغم المقومات الطبيعية والخصوصيات التراتية التي قد تجعل من المنطقة قطباً سياحياً هاماً. فالإقليم لايتوفر إلا على بضع فنادق مصنفة وشاطئ يعتبر من أجمل الشواطئ الاطلنتية (مير اللّفت) الذي تقطنه موسمياً جاليات أجنبية مهمة تغذي الحركة الاقتصادية بالمنطقة وتدر عملة صعبة مهمة. ويتوافد على هذا الشاطئ خاصة الألمان والإسكندنافيون وبعض الفرنسيين الذين يستقرون بصفة شبه دائمة وجلهم من المسنين المتقاعدين.

ويبقى الخصاص في مد الإقليم بالمحاور الطرقية التي تصل إلى الشواطئ والغابات وبعض المرتفعات التي تجلب السياح، كما أن الفنادق المتوسطة والمخيمات منعدمة تماماً.

وأمام هذه العزلة نشطت حركة الهجرة خاصة في أواسط الشباب منذ الستينات على الصعيدين الداخلي والخارجي فكانت وجهة عدد منهم إسبانيا وفرنسا. أما الباقي فكانت تستقطبه الحواضر المغربية الكبرى كأگادير والبيضاء والرباط. وبعد تحرير الأقاليم الصحراوية اتجه العديد من المهاجرين إلى الأقاليم الجنوبية كالعيون والداخلة، كما أن حركة الهجرة عرفت الطريق نحو بعض الأقطار العربية كليبيا والسعودية ودول الخليج العربي.

وزارة الداخلية، *وثائق المديرية العامة للجماعات المحلية* ؛ *الجريدة الرسمية*، رقم 4166 و4165 ؛ وزارة السكنى والتعمير، *تعداد السكان، 1982*.

محمد بلعربي

* * ـ تاريخ ـ من الصعوبة بمكان تحديد كرونولوجية دقيقة بتاريخ تيزنيت، فما نتوفر عليه حالياً لا يعدو مجرد إشارات عابرة، أو أنها تدخل ضمن إطار التاريخ العام لمنطقة

سوس ولا يحتفظ سكانها إلا بذكريات ومعلومات غامضة.

فالاسم لم يرد في المصادر الوسيطية وكتب الرحلات، حتى الحسن الوزان لم يذكره في وصفه لحواضر وقرى سوس، ولم تصلنا أولى الإشارات إلى تيزنيت إلا في العهد السعدي *(ديوان قبائل سوس)*. ومما يتضح من خلال خريطة ممتلكات إيليغ من الأراضي والعيون بمنطقة أزغار، أن تيزنيت تستأثر بالنصيب الأكبر مما هو منصوص عليه في ديوان الواجبات المذكور وذلك بمقدار 32.303 مثقال ما بين 1623 ـ 1659 ويبدو أن ذلك كان مرتبطاً بالهبات التقليدية التي تقدم لتازروالت أو أن أبا حسون السملالي حصل عليها بالقوة أو عن طريق المعاملات التجارية *(Maison d'Iligh)*.

ويظهر من خلال شتات الإشارات والنصوص المبعثرة في المصادر والوثائق أن البلدة أصبحت تستأثر ببعض الزعامات المعارضة. ففي خضم الانقسام والاضطراب السياسي الذي شهدته منطقة سوس بعد وفاة أحمد المنصور، ظهر عبد القادر التاهرتي بتيزنيت مدعياً المهدوية (1626 ـ 1630). ويمدّنا عبد الرحمان التامنارتي بإفادات نستخلص منها أن الداعية كان يخطط لمشروع سياسي طموح، وأن ميدان نشاطه شمل بالأساس جنوبي البلدة نحو وادي نون *(الحركة الفكرية*، ج 1 ص 231). وخلال فترة الأزمة السياسية بعد وفاة المولى إسماعيل انبثقت زعامات محلية متمردة على المخزن، ومن أهم الحركات التي كان لها الأثر الكبير على منطقة تيزنيت :

ـ حركة يزيد بن محمد المعروف بأبي دربالة *(رحلة الوافد*، 186).

ـ حركة محمد المكاوي، الذي تمكن من استقطاب اتباع له بين قبائل المنطقة إلا أنه أخفق في مشروعه سنة 1170 / 1756 *(الحضيگيون*، 9 ؛ *المعسول*، 14 : 25).

ـ وعقب وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله ثار أبو حلايس بمنطقة أيت باعمران. وكان يزعم أنه المولى اليزيد ابن محمد بن عبد الله، ليدعي بعد ذلك أنه المهدي المنتظر، وتمكن بذلك من كسب الأتباع في صفوف العامة. لذا تصدى له الشيخ محمد بن أحمد التاسكاتي في مجموعة من القبائل السهلية، متخذاً تيزنيت مركزاً للإشراف على عمليات ملاحقة الداعية. وقد تحقق القضاء عليه بقرية العوينة عام 1208 / 1793 *(نزهة الجلاس*، 31).

إن اهتمام المخزن بتيزنيت كان قديماً حيث برزت على مسرح الأحداث عدة مرات كقاعدة للحملات المخزنية التي استهدفت الجزء الجنوبي من سهل سوس. وما يبين أهمية تيزنيت أنها أختيرت كنزالة من نزائل السلطان أحمد المنصور *(ديوان قبائل سوس)*. وفي نهاية القرن الحادي عشر (17 م) سجلت المصادر توقف المولى الرشيد بالمنطقة في طريقه إلى إيليغ، وكانت مناسبة حرر فيها السلطان ظهائر توقير لأولاد سيدي عبد الرحمان الخنبوبي بزاوية تيمزليت قرب تيزنيت (Justinard, 267). ويتضح من خلال ظهائر التوقير لبعض شرفاء تاضوارت، أن أحمد بن محرز، قد باشر أثناء تمرده على المولى إسماعيل بعض مهامّ السلطة المركزية، وذلك بإقراره لظهائر التعيين وتحرير الأسر العلمية والزوايا من الكلف المخزنية. كما تبين الرسائل التي وقفنا عليها طبيعة علاقة الجهاز المخزني المرتكز بتارودانت بقبائل سوس خاصة بين محمد العالم وقبائل إيداولتيت، ويظهر من خلالها مدى هيمنة المخزن على المجال السهلي، وسعيه لتسهيل انتقال بعض المجموعات البشرية واستقرارها بأزغار، كما هو الشأن بالنسبة لإمْجّاضْ نْتْزْلْمي، إلى جانب حرصه على تلبية حاجيات القاضي أحمد بن محمد أمزوغار، بما في ذلك تحرير أملاكه بساقية تيزنيت *(وثائق الأمْزُوغَارِين)*.

وتسجل الوثائق في عهد سيدي محمد بن عبد الله هيمنة القائد محمد بن أحمد الدليمي على أزغار تيزنيت. وكان للبلدة الدور المهم في ذلك، حيث استعملت كقاعدة لتوجيه واستقبال الحملات التي يرسلها القائد المذكور إلى كل من أگلو ووِيجَّانْ والسيحل. كما مر بها المولى سليمان أثناء زيارته للجنوب المغربي سنة 1222 / 1807. وكانت مناسبة جدَّد فيها ظهائر توقير واحترام لورثة سيدي عبد الرحمان الخنبوبي *(تاريخ الضعيف*، 341). وفي عهده أيضاً قام القائد محمد أغنَّاج الحاحي بحملة على سوس مستهدفاً مركز إيليغ. وكانت دعامته الأساسية في ذلك قبائل أزغار من لف "تحگاتْ" وتنسب إليه القصبة القديمة غرب العين الزرقاء داخل تيزنيت (Justinard, 337).


إ. الحساني، *ديوان قبائل سوس ...* تح. عمر أفا، أگادير، 1987 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1983 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. أحمد العماري، الرباط، 1986 ؛ ع. الزرهوني، *رحلة الوافد*، تح. علي صدقي، د. د. ع، الرباط، 1988 ؛ ع. الجشتيمي، *الحضيگيون* (مخطوط) ؛ م. الأدوزي، *نزهة الجلاس في أخبار أبي حلايس* (مخطوط) ؛ ع. المرادي، *لمحات من تاريخ سوس* (نسخة خاصة) ؛ *رسائل الامزوغارين* ؛ *ظهائر التوقير لشرفاء تاضوارت* ؛ الأدوزي محمد بن محمد بن عبد الله، *الأجوبة الفقهية* (خزانة أزاريف) وثائق خاصة ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 2، الرباط، 1932 ؛ م. الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ ج. الوجاني، *تاريخ سوس* (مخطوط) ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب*، 1976، ج 1 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 1، 2، 4، تطوان، 1966 ؛ *المعسول*، (الأجزاء العشرون) الدار البيضاء، 1963؛ *إيليغ قديماً وحديثاً*، 1966 ؛ ع. الادوزي، *كناشة* (مخطوط) ؛ *وثائق خزانة البخاري بودميعة* ؛ الاگراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، تح. حمدي أنوش، د. د. ع. الرباط، 1989.

L. Arnaud, *Au temps des Mehalla*, Casa, 1952 ; Gatelle, *Description du Sous*, *Bulletin de la Société de Géographie*, mars-avril, 1871 ; E. Aubin, *Le Maroc d'Aujourd'hui*, Paris, 1904; G. Rehlps, *Mein erster Aufenthaltin Morokko*, Bremen, 1873 ; Renou, *Description géographique de l'empire du Maroc*, Paris, 1816 ; M. de Segonzac, *Itinéraires au Maroc, 1904 - 1905*, Paris, 1910 ; C.B. Segonzac, *Excursion au Sous...*, Paris, 1901 ; Bourguignon, *Tiznit*, *Arch. S.H.M.*, 1913 ; A. Le Chatelier, *Tribus du sud-ouest marocain, Bassins cotiers entre Sous et Draâ*, Paris, 1891 ; E. De Segonzac, *Voyage au Maroc 1899 - 1901*, Paris,

1903 ; H. Dugard, *La conquête du Maroc : La colonne du Sous 1917*, Paris, 1918 ; E. Gérenton, *Les expéditions de Moulay El Hassan dans le Sous 1882, A.F : R.C*, 1914 ; G. Guibert, *Histoire d'une ville : Tiznit*, 1979 ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, 1939 ; P. Ricard, *Les guides bleus : Le Maroc*, 7ème éd., 1950 ; H. Bordeaux, *Le visage du Maroc*, Paris, 1946 ; Godard, *Description et histoire du Maroc*, Paris, 1860 ; R. Basset, *Relation de Sidi Brahim de Massat*, Paris, 1882 ; J. Lafond, *Les sources du droit coutumier dans le Sous*, Agadir, 1949 ; R. Aspinion, *Contribution à l'étude du droit coutumier berbère*, 2ème éd., Casablanca, 1946 ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc*, Paris, 1988 ; Mouette, *Histoire des conquêtes de Moulay Archy*, Paris, 1963 ; L. Justinard, *Un petit Royaume berbère : Le Tazeroualt*, Paris, 1954 ; *Un grand chef berbère*, Casablanca, 1951 ; *Notes sur l'histoire du Sous au XIX siècles, Hesp.*, 1925 - 1926 ; P. Pascon et M. Ennaji, Le *Makhzen et le Sous al-Aqsa : la correspondance politique de la maison d'Iligh 1821- 1894*, Casablanca, 1988 ; *La Maison d'Iligh...*, Rabat, 1984 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1930

**أحمد بومزگو**

* * وفي التاريخ المعاصر لم تكن تيزنيت قبل عام 1300 / 1882 سوى واحة كبيرة تنتظم قصباتها حول وادي توخسين الذي يخترقها. وتستوطن هذا المجال مجموعات بشرية ذات أصول مختلفة، أهمها الأربعة التالية :

- أيت امحمد : أصلهم من أيت باعمران، استقروا بالشمال الشرقي للواحة.
- إد زكري : نزحوا إليها من وادي نول، فاستوطنوا الجنوب.
- إد ضلحا : أصلهم من إداوسملال، استقروا بالجنوب الشرقي.
- إدا گفا : نزح أغلبهم من إداوباعقيل وإداوسملال، فاستوطنوا الشمال الشرقي.

وبالبلدة وافدون آخرون من إسموگن، وإسكتان، وأگلو... التحمت كل هذه المجموعات رغم تباين أصولها لتشكل ما يعرف بـ"أيت تيزنيت". ويشير الجغرافي الفرنسي جواكيم گاطيل Joachim Gatell إلى تيزنيت في مقال نشره سنة 1871 في إحدى الدوريات الباريسية على أنها مركز أكبر من أگلو، توجد فيه مياه غزيرة وفواكه مختلفة، ويقام فيه سوق أسبوعي كل يوم خميس.

إن موقع تيزنيت في أزغار وسط وحدات بشرية كبرى (أيت باعمران غرباً وإداولتيت شرقاً ووادنول جنوباً) جعلها تستقطب موجات بشرية إما غازية أو قاصدة الانتجاع أو الاتجار. وكان طبيعيا، والحالة هذه، أن يدخل أهل تيزنيت في صراع مستمر مع الوافدين من الجبال المجاورة، خاصة إداولتيت، والذين يعتبرون أزغار منتجعا لقطعانهم وجزءاً من ترابهم.

وقد يكون رغبة أيت تيزنيت في التخلص من هيمنة إداولتيت وراء تأييدهم لحملة محمد بن يحيى أغناج، خليفة أحمد بن مولود الحاحي بتاودانت، ضد إيليغ وزعيمه هاشم ابن علي سنة 1224 / 1810 م. وبعد جلاء الحاحي عن سوس الأقصى، ضرب الولتيتيون، وعلى رأسهم هاشم، حصاراً شديداً على تيزنيت (1237 / 1821). ومع أن البلدة لم تكن آنذاك محصنة إلا بسياج قصير من قصب (السوسي، *إيليغ*، ص. 241 - 242). فإن أهلها استطاعوا أن يردوا المهاجمين على أعقابهم، خاصة بعد أن استفادوا من مؤازرة قبائل أزغار.

لعل موقع تيزنيت كصلة وصل بين واد نول والسويرة، ورفضها لسلطة إيليغ، وتأييدها المستمر لعمال المخزن بتارودانت، من العوامل الأساسية التي حدت بالمخزن إلى اختيارها قاعدة لسوس الأقصى. بل إن السلطان المولى الحسن برر اختيارها كمركز مخزني إلى جانب تارودانت بكونها "محل المخزن في القديم" (*الاستقصا*، 9 : 177). وبذلك أصبحت تيزنيت ـ القرية، منذ زيارة السلطان لها سنة 1300 / 1882، قاعدة مخزنية لمجموع سوس الأقصى من وادي أولغاس (ماسة) إلى وادي نول، بها خليفة السلطان وكذا حامية عسكرية لتسهيل مهمة مراقبة وحماية السواحل الجنوبية من التسرب الأوروبي (محاولات ماكنزي Mackenzie وكورتيس Curtis...) وتثبيت النفوذ المخزني بتلك الأصقاع.

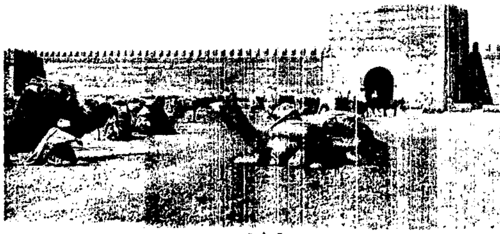

تيزنيت

أمر السلطان المولى الحسن بتسوير تيزنيت، وكلف الأمين مسعود الراشدي بالتنسيق مع أمناء السويرة قصد تمويل ومراقبة البناء. فابتدأ بناؤها عام 1301 / 1883 واستغرق سنتين ونصف. ورغم أنه لم يحط بكل مداشر تيزنيت فإنه حصن أغلبها، وقد عاب السلطان على المشرفين على البناء ضيق السور بقوله : "ضيقتم على أنفسكم السور" (*روضة الأفنان*، 11). كان ذلك أثناء حركته الثانية إلى سوس سنة 1304 / 1886 عندما عين خليفته بتيزنيت في شخص محمد بن أحمد أُحسون التيزنيتي. وقدرت ساكنة المدينة حينئذ بحوالي ألف نسمة (Erckman, p. 56).

بعد بناء تيزنيت، استقطبت يهوداً قدموا إليها من الأطلس الصغير (إفران، وجان، *تازروالت* ...) أو من مراكز أبعد مثل تارودانت والسويرة. وشكل هؤلاء الوافدون "ملاحا" بالمدينة، فنشطوا في صياغة الفضة وبيع الأثواب، كما لعبوا دوراً تجارياً مهماً بين البلدة والسويرة التي يجلبون منها السكر والشاي والمواد المصنعة.

لما وافت المنية السلطان المولى الحسن عام 1312 / 1894 استشرت الفتن بسوس الأقصى، فقام أهله على ساق واحدة ليمحوا ما فيه رائحة قواد المخزن (*روضة الأفنان*، 19)، وقصدت القبائل تيزنيت فحاصرتها عدة مرات، ولم ينقذها من الخراب سوى سورها المنيع وما بقي بها من عسكر السلطان. ظلت المدينة في محنة حتى دخلها القائد سعيد

الگيلولي سنة 1315 / 1897 كخليفة للسلطان المولى عبد العزيز. لكنه ما لبث أن نتف القبائل جميعاً ولم يوقر أحدا فجاوز الحد في الأحكام (*روضة الأفنان*، 21) فنُحِّيَ سنة 1318 / 1900 ليعوض ببلديِّه أنفْلوس الحاحي الذي لم تكن سيرته أفضل من سيرة سالفه. بقي بتيزنيت حتى وفاته في شعبان - رمضان عام 1321 / نونبر 1903.

دخلت تيزنيت ومن جديد في صراع مع القبائل المجاورة واضطر المخزن، بالرغم من انشغاله بثورة بوحمارة في الشمال، إلى إرسال حامية عسكرية يرأسها الحسين المزميزي. وإن لم تسمح هذه القوة بإخماد الفتن، فإنها على الأقل نجحت في فك الحصار عن تيزنيت وحالت دون دخول المهاجمين إليها. بعد ذلك عين القائد الحبيب باقا الفطواكي بالمدينة، غير أنه لم يتمكن من ضبط الأمن حتى داخل أسوارها، فاقتصر دوره على مراقبة دار المخزن بها. وفي 1327 / 1909، وبإيعاز من المخزن، نزل بها الشيخ ماء العينين الذي أرغمته القوات الفرنسية على مغادرة زاويته بالسمارة. وقد ساهم بنفوذه الروحي في حماية البلدة من غارات القبائل المجاورة، بل أعاد لها مكانتها السابقة فأصبحت قبلة للعلماء والتجار. وبعد وفاة الشيخ في خريف عام 1327 / 1910، استمر ابنه أحمد الهيبة على نهج والده ليتجاوز نفوذه أسوار المدينة ويشمل معظم قبائل المنطقة.

لما تمكنت فرنسا من فرض نظام "الحماية" على المغرب، التفت القبائل حول الهيبة وأعلن بتيزنيت قائداً للجهاد ضد الغزاة. ومن هذه المدينة انطلق إلى مراكش لمجابهة قوات الإحتلال، لكن سرعان ما انكسرت شوكته في سيدي بوعثمان (رمضان - شوال عام 1330 / شتنبر 1912). وإثر هذه الهزيمة، طرد التيزنيتيون الشيخ النعمة الذي استخلفه الهيبة عليهم. وفي نفس الوقت عين الحبيب باقا قائداً على تيزنيت للمرة الثانية لمعرفته السابقة بالمنطقة وأهلها، غير أنه توفي إثر غرق القارب الذي كان يقله في ساحل أگلو (جمادى الأولى - الثانية عام 1331 / ماي 1913). سرعان ما عوض الهالك بالقائد محمد بن دحان العبدي، لكن نفوذه لم يتجاوز أرباض المدينة نظراً لكون القبائل مازالت تكن التقدير لأحمد الهيبة، بل إن بعضها قد أقدم على محاصرته في تيزنيت لمدة شهرين.

كان التأييد الألماني للهيبة من العوامل التي عجلت بجعل فرنسا تسعى إلى تكثيف وجودها بتيزنيت بعد أن احتلت كلا من تارودانت وأگادير. وفي ظلال الحرب العالمية الأولى، تعزز ذلك الوجود بإرسال القائد عبد الرحمن الحاحي - المعروف بحاديمان - إلى المدينة (1335 / 1916)، يؤازره في مهمته ضابط الشؤون الأهلية القبطان جوستينار Justinard. فعملا على جمع المعلومات من المخبرين وإفشال المخططات الألمانية بالمنطقة. وفي هذا الإطار، تدخل حملة حيدة بن ميس إلى أيت باعمران سنة 1336 / 1917، لكن اندحارها أظهر للكولونيل دولاموط De La Mothe استحالة المراهنة كثيراً على القبائل وحدها لإخضاع المقاومين. فقاد دولاموط بنفسه حملة عسكرية معززة بالمجندين من قبائل حوز مراكش برئاسة قوادهم الكبار أمثال التهامي الاگلاوي والطيب الگندافي. وقد شبه دخول هذه الحملة إلى تيزنيت بدخول مْـوانْـيي Moinier فاس سنة 29. 1330 / 1911 نظراً لأبعادها الإستراتيجية الهامة. وكان على حملة دولاموط أن تتجه إلى من اعتبرهم الفرنسيون منشقين عن المخزن من وجَّانْ وأيت باعمران، وبعد حملات عنيفة ضدهم انسحب دولاموط مخلفاً بتيزنيت الطيب الگندافي باشا للمدينة ونائباً للمخزن بسوس الأقصى.

حاول الگندافي أن يستميل أعيان القبائل المجاورة لتيزنيت، فراهن على السياسة والإغراء أكثر من القوة. لكن في رمضان - شوال عام 1339 / يونيو 1921، ولأنه فشل في إخماد انتفاضة أيت وادريم بأشتوكن، تمت إقالته (لأسباب صحية !) من منصبه فعوض بمولاي الزين، أخي السلطان مولاي يوسف الذي كان من قبل خليفة بمراكش. إلا أن منصب هذا الأخير كان شرفياً قبل كل شئ، فتم إسناد باشوية المركز إلى القائد أحمد بن البشير الرحماني الذي بقي في منصبه حتى وفاته سنة 1353 / 1934 فخلفه ابنه الفاطمي.

في ظل الاستعمار الفرنسي، شكلت تيزنيت مركز انطلاق ودعم لكل العمليات التي كانت تخوضها فرنسا في المناطق الجنوبية قصد استكمال سيطرتها العسكرية على مجموع التراب المغربي وإخضاع القبائل الرافضة للامتثال، كما شكلت مرصداً لمراقبة الأطماع الإسبانية في إيفني والتخوم الصحراوية. أما دورها الإقتصادي، فلم يشهد أي ازدهار، سيما وأن أسباب ذلك شبه منعدمة : ندرة الأمطار وضعف الإنتاج الفلاحي وانعدام الثروات المنجمية والبنيات الصناعية. ولذا فضل أهل تيزنيت الهجرة بحثاً عن الأرزاق، فانتشر بعضهم في ربوع البلاد المغربية، وفضل البعض الآخر الرحيل إلى الجزائر أو تونس أو البلاد الأوروبية، خاصة فرنسا. وظاهرة الهجرة هذه لفتت انتباه الملاحظين منذ العشرينات من القرن الحالي. وقد تقوت غداة الحرب العالمية الثانية عندما كانت أوروبا، وهي تعيد بناء ما لحقه الخراب، في حاجة ماسة إلى السواعد العاملة الرخيصة.

م. الإگـراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، تح. حمدي أونوش، د. د. ع، الرباط 1989، غير منشور ؛ بيضا جامع، *سقوط أگادير تحت الاحتلال الفرنسي و"سياسة القواد الكبار"* بالمنطقة في عهد ليوطي في أعمال ندوة أگادير الكبرى (المحور التاريخي)، منشورات كلية الآداب، أگادير، 1990، ص. 155. 170 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 2. 3. 4. 12. 20 ؛ *خلال جزولة*، ج 1. 2 ؛ *إيليغ قديماً وحديثاً* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*. . . ، ج 9.

C. Dominique, *Fiche de la tribu des Ahl Tiznit, rapport dactylographié établi à Tiznit en mars 1953*, conservé aux Archives Diplomatiques de Nantes, cote : Maroc, 415 ; H. Dugard, *La conquête du Maroc : la colonne du Sous*, Paris, 1918; J. Erckmann, *Le Maroc moderne*, Paris, 1885 ; J. Gatell, *Description du Sous*, *Bulletin de la Société de Géographie*, Paris,

mars - avril 1871, p. 81 - 106 ; J. Guibert, *L'histoire d'une ville : Tiznit*, Mémoire pour l'obtention du diplôme de l'Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales, Paris, 1978 - 79 ; Justinard, *Un grand chef berbère : le caïd Goundafi*, Casablanca, 1951 ; G. de La Boissière, *Monographie des Ahl Tiznit*, mémoire dactylographié daté de mars 1940, conservé aux Archives Diplomatiques de Nantes, cote : Maroc, D.A.L., 426 ; A. Le Chatelier, *Tribus du Sud-Ouest marocain, bassins côtiers entre Sous et Draâ*, Paris, 1891 ; Malval, *Le secteur sud-ouest du front marocain, A.F. : R.C.*, août 1924, p. 245 - 254.

حمدي أنوش وجامع بيضا

**تيزنيت** (أيت ـ)، يحيل الاسم إلى قبيلة متميزة، تستوطن الجزء الجنوبي الغربي من سهل سوس، غير بعيد عن المحيط الأطلنتي. تحدها مرتفعات الأطلس الصغير في الجنوب والشرق، بينما تبقى جهاتها الشمالية منفتحة على سهل هشتوكة.

لا تتعدى تسمية "أيت تيزنيت" الإشارة إلى انتظام مجموعات سكانية على شكل وحدات متجانسة معمارياً حول بلدة تيزنيت. وبالرغم من جهلنا لتاريخ بداية هذا القبيل، إلا أنه يبدو مرتبطا بالعناصر الوافدة على أزغار تيزنيت من مرتفعات الأطلس الصغير والهوامش الصحراوية، والتي ضاقت بها سبل العيش تحت ضغط ظروف مختلفة كالصراعات المحلية والأزمات الطبيعية. لذا غدت جبال الأطلس الصغير، وخلال فترات زمنية طويلة، خزاناً بشرياً وموردا رئيسياً للمنطقة، إما انتجاعاً للمراعي، وإما غزواً وامتلاكاً، وإما نزوحاً قسرياً.

وحدات أيت تيزنيت

| الوحدات الكبرى | فروعها | الأصل |
|---|---|---|
| 1 ـ تيزينت | ـ إيداومگنون | ـ من العناصر الأولى المستقرة، ويقال إنهم من عرب بوالسباع. |
| | ـ إيمزكري | ـ من منطقة أباينُو بواد نون. وهم شرفاء ينتسبون إلى سليمان بن الحسن الوادنوني. |
| | ـ إيدضلحة | ـ لا نعرف موطنهم الأصلي. |
| | ـ إيداگفا | ـ إيداوگارسموكت (رسموكة)<br>ـ إيداوبعقيل (بعقيلة) |
| | ـ أيت مَحمد | ـ من منطقة إيسگّ بأيت باعمران. ينتسبون إلى مَحمد بن يعقوب، وهو من ذرية أحمد بن إبراهيم الايسكي دفين تارودانت. |
| 2 ـ تاضوارت | ـ إيد سيدي المختار<br>ـ أيت حدا<br>ـ أيت موسى | ـ أصلهم من إيداوگارسموكت وإيداوسملال. استقروا بالمنطقة خلال القرن 11 حسب رسومهم. |
| 3 ـ دوترگا | ـ أگادير<br>ـ تالعينت | ـ عناصر وافدة من قبائل إيداولتيت. |
| 4 ـ أتبان | ـ إيدبوورغ<br>ـ أيت المرح | ـ تيرمسانا، إيدبحمان |
| 5 ـ العوينة | ـ أيت تلمشت<br>ـ أيت بنوح<br>ـ أيت البيگ | ـ أيت باعمران، أمانوز، إيداوبعقيل، تامنارت. |

تظهر هذه العلاقة جليا في انتساب عدد من الأسر داخل القبيلة إلى قرى ومداشر جبال جزولة، أو إلى عائلات تحمل نفس الألقاب، أو إلى جد مشترك تتفرع عنه وحدات عائلية (فرع واسلام، فرع أحمد بن موسى، فرع كوغرابو...) أو أنها على الأقل تحمل مجموعة من التقاليد والعادات التي تتوافق ومزاج أهل الجبل. ويمكن تلمس هذه العلاقات أيضاً من خلال أسماء الأفخاذ التي تحتفظ بأسمائها الأصلية (تاضوارت، ايداگفا، إتبان، أيت بنوح...) إن استمرار تداول هذه الأسماء يبين رغبة الجماعة التي تحملها في الحفاظ بها وربط خيوط التواصل مع أماكن نزوحها. وهذه سمة مشتركة بين القبائل السوسية. من هنا تبرز الأهمية التاريخية لتكرار نفس الأسماء في مجالات جغرافية مختلفة. وكما يتضح من خلال الجدول، فإن قبيلة "أيت تيزنيت" عبارة عن نسيج متشابك، تخفي تنوعاً كبيراً، وتتقاطع عبرها عدد كبير من الأصول المستقرة خلال الفترة التي عرف فيها أزغار تيزنيت تناثراً سكانياً كبيراً (القرن العاشر). وبعدها توسعت القبيلة لتستوعب أفواجاً من العناصر السوداء، ويهود إيليغ وإفران.

*كراس حول نسب إيدزكري* (مخطوط) ؛ *شجرة نسب أبناء مَحمد ابن يعقوب* (أيت مَحمد) ؛ *ظهائر توقير لشرفاء تاضوارت* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 10 : 275. 276 ؛ *خلال جزولة*، 4 : 29.
L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XIXème siècles*, in *Hesp.*, 1926, VI, p. 246.

**التيزنيتي، مَحمد بن أحمد بن عبد العزيز** المعروف بمَحمد واعزيز، صوفي كبير مشهور بالولاية والصلاح انتقل من قبيلة السباعيين بالصحراء، فاستقر فرع من الأسرة بقرية تيمگديشت قبل أن ينتقل إلى بلده تيزنيت في بداية القرن الثالث عشر (19 م).

تشير المصادر إلى ورعه وصلاحه، وقد مكنته مكانته الدينية من القيام بأدوار في تعامله مع المحيط القبلي الذي عاش فيه، حيث كان يتدخل لحل المشاكل بين القبائل مهتماً بإرشاد السكان ينبههم على ترك البدع. كما استعمل نفوذه بين أهل تيزنيت في استنفار سكان البلدة أثناء حصار هاشم التازروالتي لتيزنيت في بداية القرن الماضي. له أخبار وكرامات متداولة لدى سكان المنطقة، كما شهد له معاصروه بالتفوق. وهو من أعمدة الطريقة الناصرية بسوس.

م. المختار السوسي، *إيليغ قديماً وحديثاً*، ص، 240 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 11. 12 ؛ *المعسول*، 12 : 93. 94.

**التيزنيتي، مَحمد بن أحمد** المعروف بـهمُّو قائد من عائلة إيدَوْخسُّونْ التي يرجع أصلها إلى منطقة إيسگ بأيت باعمران. لذلك يدعى في الوثائق المخزنية محمد

أُحْسُّونْ وعائلته من الأسر العريقة في بلدة تيزنيت من حيث الرئاسة والنفوذ المادي، ومنها إبراهيم بن أحمد بن حسون والحسين ابن أحمد، وهما من كبار نفاليس أعيان قبيلة تيزنيت ضمن فخذ أيت مَحمد.

ويبدو أن هذا النفوذ الاجتماعي هو ماحدا بالسلطان مولاي الحسن الأول أثناء رحلته الأولى إلى سوس عام 1299 / 1882، إلى تعيين مَحمد بن أحمد التيزنيتي قائداً على قبيلة أيت تيزنيت. نستطيع من خلال بعض الإشارات التي وردت في الوثائق التي تحصلت لدينا تلمس دور القائد المذكور في تعامله مع محيطه القبلي، إذ تمكن من تركيز السلطات المخزنية بالنواحي وذلك بضم عدد من القبائل التي سبق أن عين عليها السلطان قواداً محليين كما هو الشأن في أيت برابيم وأولاد جرار والمعدر وأگلو، كما أوقف أطماع الحلف الآخر (تاگوزولت) في التوسع نحو المناطق المهمة بأزغار تيزنيت خاصة : العرينة، بونعمان... وهي مجالات تتعارض في إطارها مصالح القوى القبلية المجاورة (أگلو، أيت باعمران إيليغ ...) في إطار لفي : تحگات وتاگوزولت. وغالباً ما يكون الصراع حولها تحت غطاء مبررات هامشية (العيون المائية، الأراضي الزراعية، مراقبة الطرق التجارية). وهذه الاعتبارات هي التي حدت بالقائد التيزنيتي إلى التدخل غير ما مرة لحماية وتطويق أكبر قدر ممكن من المجال الترابي المحيط بتيزنيت كإجراء وقائي تحت مظلة التأييد المخزني، إذ عادة ما يتدخل السلطان لصالحه في كل مناسبة يشتكي فيها الطرف الآخر، وبسبب ذلك تحصلت لديه أملاك عقارية كثيرة في سواقي : تيزنيت، العوينة، تاگنسة، أساكا ... مما جعله في مصاف القواد الكبار بالمنطقة.

توفي سنة 1321 / 1903 وخلفه ابنه القائد مبارك.

م. الايگراري، *روضة الافنان في وفيات الاعيان*، تح. حمدي أنوش، رسالة لنيل د. د. ع، في التاريخ 1989 ص 107 ؛ م. المختار السوسي، *طاقة ريحان من روضة الافنان*، مطبعة الساحل 1984 ؛ ع. ابن زيدان، *اتحاف أعلام الناس*، ج 2، الرباط 1932.

E. Gerenton, *Les expéditions de Moulay El Hassan dans le Sous*, *A.F. : R.C.*, N° 4, Avril 1917, p. 273 ; L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XIX siècles*, *Hesp.*, T. V, 3ème trim., 1925 ; T. IV, 4ème trim., 1926 ; P. Pascon et M. Ennaji, *Le Makhzen et le Sous Al Aqsa 1821 - 1894*, Casablanca, 1988, p. 203 ; *Bulletin du Comité de l'Afrique française*, N° 3, Mars 1917 ; Bourguignon, *Tiznit*, in *S.A.M.*, 1913, p. 3.

**التيزنيتي، محمد** بن **عبد الرحمان** فقيه من عائلة آل گوغرأبو المستقرة بتيزنيت. أخذ عن سعيد بن أحمد الكثيري المعروف بالشريف (ت 1296 / 1879) وانتدب للتعليم بالجامع الكبير بالبلدة 1275 / 1858، كما تصدر للقضاء والإفتاء مدة. كان في آخر عمره كثير الانزواء والابتعاد عن مخالطة الناس.

توفي سنة 1309 / 1891.

م. الإيگراري، *روضة الأفنان*، تح. حمدي أنوش، د. د. ع في التاريخ 1989، ص 270 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في سوس*، طنجة 1989، 131، 151.

أحمد بومزگو

**التيزنيتي، محمد** بن **محمد** البعقيلي ينحدر من أسرة كبيرة من العلماء الأغرابوئيين الفضلاء الذين اختار طائفة منهم النزول بمدينة تيزنيت حتى نسبوا إليها كما اتصلوا بالدولة العلوية لذلك (*رجالات*، 131) اشتهر والده محمد بن بلقاسم بحسن التقييد ونسبوا إليه كناشة في النوازل وأخرى في الجفريات باللسان الامازيغي الشلحي (*المعسول*، 11 : 121. 122).

وبعد أن أخذ المترجم عن أحد علماء أسرته القرآن الكريم طائفة من المعلومات في الفقه والحساب زاحم الاستاذ الشهير سعيد بن الطيب الأگماري (تـ. 1354 / 1935) المفتي القاضي المتميز في المنطقة حتى اضطر هذا الأخير إلى مصالحته ومهادنته.

ولعل تنقلاته مدرساً في مناطق بسوس بادية وحاضرة وتولية خطة العدالة عند قاضي تيزنيت ورحلته إلى الديار المقدسة بالإضافة إلى مزاحمته للعلاقة سعيد الأگماري آنف الذكر، مما أكسبه تجارب واطلاعاً على كثير من المفارقات وحصل بكل ذلك وبغيره على روح المرح والدعابة اشتهر بهما إلى درجة الاستفاضة بحيث لايمكن أن يفلت مُجالسه من عدوى الاستغراق في الضحك لما يتفنن فيه صاحب الترجمة في تصوير وارتجال النكت والغرائب المضحكة (*المعسول*، 11 : 122) وقد عاش غريبا إلى حين وفاته سنة 1345 / 1926.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 81 ؛ 121. 122 ؛ *رجالات*، 133.

محمد البايك

**تيزي**، لفظ أمازيغي، يطلق على ممر طبيعي في قمة سلسلة جبلية، يكون أسهل على القوافل من غيره.

ومن أشهر هذه الأسماء : تيزي ـ نْ ـ تيشكا وتيزي ـ ن تاسْتْ بالأطلس الكبير، وتارْفاتينْ بالأطلس الصغير.

والذي يهمنا هنا هو تيزي الفاصل بين سهل أزاغار جنوب مدينة تيزنيت، وبين سهل تاگراگرا على بعد أربعين كلم على ارتفاع 580 م فوق مستوى سطح البحر، وكلما ذكرت كلمة تيزي في الجنوب المغربي، إلا وانصرف الذهن إلى معركة تيزي أو "تيزي المعركة" وفي هذا الممر دارت المعركة القاسية سنة 1335 / 1917 بين قوتين غير متكافئتين : قوة الحماية الفرنسية في الشمال، وقوة المقاومة الرافضة للاحتلال في الجنوب.

وكان قائد الحملة الفرنسية هو الجنرال دولاموط De Lamothe معززاً بجميع أنواع الأسلحة وخمسة وسبعين ألف مقاتل، وعشرين مدفعاً، وكان قائد المقاومة المغربية الباعمرانية هو القائد مَحَنْدْ بن القاضي سيدي علي الخلفي المعتمد على تحريك الهمم وإلهاب العقول بالشعور الديني والوطني، وقد استمر حصار هذه الحملة الفرنسية سبعة أيام، ولما خاف الجنرال من أن يلقى المصير الذي لقيته حملة الباشاحيْدا بن مايْس منذ ثلاثة أشهر فقط، فإنه فضل الرجوع إلى تيزنيت، فاختار ممر تيزي لتلك المعركة الفاصلة، وأعد لها عدتها. وقد لخص صاحب *المعسول* ذلك

بقوله : "فأوعزت الحكومة إلى جميع القواد الكبار من مراكش إلى الجنوب... أن يكونوا جميعاً على أهبة الزحف، كل واحد يقود رجاله، ومن وراء ذلك فيالق تبلغ عشرين ألفاً من الجند المنظم الحكومي" (*المعسول*، ج 4، ص. 206).

فإذا كان أيت باعمران ومن معهم من القبائل قد استطاعوا أن يردوا الحملة الفرنسية هذه منهزمة، فإن تلك المعركة قد حصدت المقاتلين حصدا، فقضت على الرؤساء والشجعان، وعلى رأسهم الرأس المدبر القائد محند الخلفي. وهناك مقبرة كبيرة تنسب لشهداء تلك المعركة الأولى، على أن فرنسا أعادت معركة أخرى في عين المكان بعد ذلك بسبع عشرة سنة عام 1353 / 1934، وبعد هذه المعركة الأخيرة قبل أيت باعمران المشاركة في اتفاقية ثلاثاء الأخصاص 1934 وخروج الإسبان في 6 أبريل نفس السنة من سيدي إفني.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 4، ص. 206 ؛ *الثقافة الشعبية بين المحلي والوطني*، أعمال الدورة الثالثة لجمعية الجامعة الصيفية بأگادير 1988.

الحسين جهادي

**تيزي ألـمَـا**، فجّ طبيعي، ومرصد جهادي يقع على مشارف الجبال بين بني توزين وتافرسيت على مقربة من مركز تيزي عزّا الشهير غرب مدينة الناظور بعيداً عنها بحوالي تسعين كيلومتراً.

يتميز الفجّ بتدفق المياه المنحدرة الناجمة عن ذوبان الثلوج أو النابعة من العيون. كان المجاهدون أيام عبد الكريم الخطابي يستعملون تيزي ألما في الحرب الريفية الثالثة مرصداً مساعداً نظراً لقربه من المركز الجهادي والثغر الحربي الهام تيزي عزّا، ونظراً لارتفاعه وانكشافه إذ يسمح برؤية القبائل والمواقع القريبة والبعيدة سواء في تافرسيت أو بني أوليشك أو تمسمان وبني توزين.

يقول الملازم الاسباني لويس كسَادُو Luis Casado الضّابط الوحيد الذي نجا من معركة إغْريبَنْ الشهيرة بالقرب من أنوال، في كتابه الذي يحمل اسم هذه المعركة : "وفي صباح يوم 16 يونيو 1921 شاهدنا من إغريبن وجود عسّة بتيزي ألما وأخرى بكدية سيدي إبراهيم (كدية الاشجار) وثالثة فوق مدشر أزغول، وكانت كل واحدة من هذه العسس تابعة لأحد المعسكرات التي أسسها عبد الكريم بمدشر أجدير وأُشّاناً وأعَنْكيسْ في حين أن المعسكر الرئيسي كان يوجد بأمزّاورْو حيث يوجد عبد الكريم بصفته القائد الأعلى لتلك الجيوش".

م. بن عزوز حكيم، *معركة أنوال* ؛ *معارك الثورة الريفية*.
La Charrière, *Le rêve d'Abdelkrim, esquisse d'histoire marocaine* ; Benoist-Mechin, *Lyautey l'Africain*.

عبد الله عاصم

**تيزي أوسْلي**، ممر جبلي في الريف بأعالي مجرى واد مسون ـ على ارتفاع 1330 م وعلى بعد ثمانين كلم شمال تازا. في وسط قبائل بني يونس (گزناية).

تُشكل تيزي أوسلي أهم نقطة تماسّ بين منطقتي الاحتلال سابقاً الإسباني شمالاً والفرنسي جنوباً، كما أنها تشكل إلى جانب بوريد وأكنول شمالاً وإمُوزّار مرموشة جنوباً العمق الاستراتيجي بالنسبة لمر تازا. ونظراً لهذه الأهمية الاستراتيجية عرف تيزي أوسلي أحداثاً تاريخية طوال عهد الحماية إلى الاستقلال، وشكل إلى جانب المراكز الأخرى المذكورة أهم معقل من معاقل المقاومة ضد الاستعمار، وكان ذلك عبر مراحل.

المرحلة الأولى 1914 ـ 1920 : بمجرد توقيع معاهدة الحماية كان هم الإدارة الاستعمارية هو ربط الاتصال بين المغرب الشرقي والعاصمة فاس عبر ممر تازا، وفي هذا الإطار تم استنفار قوات ضخمة لاحتلال ممر تازا الذي تم يوم 10 ماي 1914. وكان على القوات الاستعمارية أن تحارب القبائل المحيطة بهذا الممر خاصة البرانس وغياثه والحياينة التي اعتصمت بالمعاقل الجبلية في أعالي واد مسون وواد اللبن وورغة، وشكلت تيزي أوسلي خلال هذه المرحلة معقلاً رئيسياً للمقاومين. وقد تكبدت جيوش الاحتلال بقيادة الجنيرال گورو Gouraud خسائر جسيمة. ولولا الإمدادات العسكرية الضخمة التي ساندته بقيادة الجنرال "بومگارتن" Baumgarten لما استطاعت الجيوش الاستعمارية السيطرة على ممر تازا مؤقتاً.

وتبتدئ المرحلة الثانية على أثر اندلاع الثورة الريفية بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي، تحول مركز تيزي أوسلي إلى قاعدة خلفية للمقاومة الريفية لمواجهة الاحتلال الإسباني. ونتيجة للانتصار الساحق الذي حققته جيوش ابن عبد الكريم في معركة أنوال سنة 1921 أصيبت الإقامة العامة الفرنسية بالذعر وسارعت قبل الشروع في المواجهة العسكرية المكشوفة ضد جيش التحرير إلى إقامة مراكز وقواعد عسكرية على امتداد مقدمة الريف ـ كما عين المارشال ليوطي يوم 13 دجنبر 1922، الجنرال "بويميرو" (Poeymireau) كقائد أعلى للعمليات العسكرية في المناطق العسكرية الثلاث : ـ فاس ومكناس وتازا. وأصبح احتلال تازا والمراكز المحيطة بها مثل تيزي أوسلي يعرف في الوثائق العسكرية الفرنسية الرسمية بعبارة : "مهمة احتلال تازا La tâche de Taza"، وتميزت هذه المرحلة بتسديد المقاومة ضربات لجيوش الاحتلال مما جعل الحكومة الفرنسية تخطط بشكل جدي للانسحاب من تازا والمراكز المحيطة بها لولا معارضة المقيم العام ليوطي الذي رأى في هذا الانسحاب خطراً محدقاً بفاس مباشرة. وجندت فرنسا جيوشاً ضخمة يقودها ضباط لامعون أمثال الجنرال جيرو Giraud والقبطان بورنازيل Bournazel. وبموازاة لهذه الإجراءات التي استهدفت وقف المقاومة المغربية، كانت حكومة بانلوفي Painlevé تتابع بقلق كبير الانتصارات التي حققها المغاربة والتي أدت إلى تحرير مناطق الاحتلال الإسباني. ولهذا سارعت إلى تعيين المارشال بيتان Pétain كمنسق عام للعمليات العسكرية بالمغرب وأمدته بحوالي

250.000 جندي ومعدات عسكرية ضخمة. وعين الجنيال نولان Naulin كقائد للعمليات العسكرية بينما احتفظ ليوطى فقط بالمهام السياسية والإدارية - نظراً لكونه يميل إلى الاحتلال العسكري خطوة خطوة - في حين أخذ الاتجاه العام يسير لفتح الحرب ضد جيوش محمد بن عبد الكريم الخطابي.

وخلال هذه المرحلة من الحرب الفرنسية ضد المقاومين الريفيين تمكن المغاربة بفضل حماسهم وشجاعتهم من تحقيق عدة انتصارات على الجيوش الاستعمارية المغيرة، وتم فتح عدة جبهات ضد الاستعمار الفرنسي الذي عجز عن تحقيق انتصار مباغت مما مرغ هيبة فرنسا في التراب وعرضها للإذلال. وأصبحت وسائل الإعلام الاستعمارية تتميز بالتعتيم والتضليل وتتحدث عن المقاومين كأنهم قوة عسكرية ضخمة تماثل الجيوش الفرنسية !! وكان الهدف من ذلك كله التقليل من حجم الانتكاسة التي أصابت الجيوش الاستعمارية. والتجأت فرنسا إلى وسيلة أخرى للنيل من معنويات المقاومين الشجعان - إذ استعانت بالقواد والأعيان أمثال القائد المذبوح والقائد عمار داحميدو وزودتهم بالأسلحة في حين استنفر هؤلاء القبائل التي يسيطرون عليها قهراً وبذلك وحسب تعبير شارل أندري جوليان : "تكون فرنسا قد نظمت الحرب الأهلية في البلد الذي تدعي أنها جاءت لحمايته".

ففي 31 أكتوبر 1925 حاول القائد عمار داحميدو" انطلاقاً من بوريد استرجاع تيزى أوسلي الذي استولى عليه المقاومون، إلا أنه هُزم وفر يجر الهزيمة إلى بوريد وتعقبته كتائب المقاومين وتبعثرت فلول أتباعه. وانطلاقاً من تيزي أوسلي أيضاً شن المقاومون يوم 17 نونبر 1925 هجوماً كاسحا على الجيوش الاستعمارية وتعقبوا فلولها إلى أن بلغوا تازا. ومرة أخرى استعانت الإدارة الاستعمارية بالقائد المذبوح للهجوم على تيزى أوسلي ودعمت القوات الفرنسية هجومه على هذا المركز بالقصف الجوي بالإضافة إلى وابل مسترسل من النيران من مختلف الأسلحة. ومع ذلك ظل مركز تيزي أوسلي يُقاوم الاستعمار وعملاءه لمدّة شهرين إلى أن سقط في أواخر دجنبر سنة 1925. وبذلك سيطر الاستعمار على أهم مركز استراتيجي متقدم في الريف يتحكم في الطريق المؤدية إلى بوذنيب وبوريد ومنطقة وادي كرت وأصبح تيزي أوسلي يُرادف مقاومة قبائل گزناية ضد الاستعمارين الفرنسي والإسباني والتحامه بالثورة الريفية.

وبعد احتلال تيزى أوسلي تم إنشاء مركز الشؤون الأهلية به سنة 1926، على غرار مركز بوريد الذي أنشأ به الضابط بورنازيل مركز الشؤون الأهلية قبل التحاقه بتافيلالت. وقد تعاقب على تيزي أوسلي ضباط يجمعون بين الوظيفة العسكرية والوظيفة السياسية والإدارية. لهذا حولوا تيزي أوسلي بالتدريج إلى مقر حامية عسكرية يقيم فيها الگوم والمخازنية. كما تجند ضباط الشؤون الأهلية لرصد تحركات قبائل المنطقة. وتم وضع بطاقات تتضمن المعلومات المستفيضة عن كل قبيلة تسمى بطاقات القبائل *(Les fiches de tribus)* وكان الهدف من ذلك هو معرفة البنى العميقة للقبائل التي ساهمت بتقاليد التماسك والتضامن في تنظيم المقاومة ضد الاستعمار. لهذا كان الاستعمار يستهدف من هذه المعرفة استكشاف مواطن الضعف في هذا الكيان القبلي للنفاذ منه وبالتالي هدم القبيلة كوحدة مقاومة للاستعمار. وبالإضافة إلى البحث الميداني، سعى ضباط الشؤون الأهلية إلى إبراز الدور الحضاري المزعوم لفرنسا بالمغرب وتم الاهتمام ببعض الأشغال العمومية كمد الطرق والقناطر بين تيزي أوسلي والمناطق المجاورة لها كالقنطرة التي أقيمت في اتجاه مركز بوريد. وكذلك توسيع أنشطة السوق الأسبوعي وتقديم بعض الخدمات الصحية. والتحكيم في بعض النزاعات الظرفية التي تنشأ بين الفلاحين. وفي نفس الوقت ساهم ضباط الشؤون الأهلية في تدعيم سياسة الأعيان وإطلاق أيديهم لنهب القبائل وتكديس الثروات، كما فتح المجال لأبنائهم لولوج التعليم في تازا ومكناس.

وهكذا حاول الاستعمار خلال عهد الحماية تدعيم وجوده بتيزي أوسلي كغيرها من مناطق المغرب، إلا أنه لم تكد تصل سنة 1955 حتى تحول هذا الممر الجبلي الوعر من جديد إلى مركز للمقاومة من أجل استقلال المغرب. وكانت مدينة الناظور مقراً لقيادة جيش التحرير بالشمال، بحكم أن هذه المدينة كانت خاضعة للنفوذ الإسباني من جهة، ثم في ضواحيها كان ينزل السلاح من جهة ثانية، وهذه القيادة كانت تشرف على سير العمليات الحربية التي دارت رحاها بإقليم تازا وإقليم بولمان (مرموشة).

وشكّل تيزى أوسلي إلى جانب بوريد وأكنول وبركين وبوزينب وإيموزار مرموشة، أهم المراكز التي اندلعت فيها أولى عمليات جيش التحرير ضد الاستعمار الفرنسي. ففي الساعة الواحدة من صباح يوم الأحد ثاني أكتوبر سنة 1955 تم هجوم موحد على كل من تيزى أوسلي وبوريد وأكنول أي على ما يعرف بالمصطلح الحربي بمثلث الموت (Le triangle de la mort) وغنم المقاومون خلال هذه العمليات أسلحة متنوعة، كما تم إحراق مراكز الشؤون الأهلية في هذا المثلث ورغم وصول الإمدادات العسكرية الضخمة. فإن المقاومين تمكنوا من الإفلات دون خسائر كبيرة في الأرواح لكونهم كانوا يختارون من سكان المداشر المجاورة لمناطق الحرب حيث تتوفر لديهم معرفة المسالك والأدغال وغيرها من المخابئ الحربية للقضاء على العدو دون أن يصاب جانب من المقاومين بأضرار. وإلى هذا يذهب شارل أندري جوليان في كتابه *المغرب في مواجهة الأمبرياليات* (ص 460) في القول "إن القوات الفرنسية التي كانت تقوم بعملياتها العسكرية في مثلث الموت - أكنول، بوريد، تيزى أوسلي - لاتجد أبداً أمامها قوات منطقة لمجابهتها. ورغم تمكنها من السيطرة على المراكز الثلاثة المكونة لمثلث الموت فإن أكبر مهمة تعود لفرق

الهندسة التي كان عليها كل صباح إصلاح ماتم تخريبه خلال الليل، وهذا ما جعل العقيد بيلوت Billotte يصرح "بأننا أمام حرب المستنقعات في مجابهة الأشباح". وغالباً ما تقوم القوات الفرنسية بقنبلة المداشر المحيطة بمثلث الموت واعتقال الشيوخ للبحث عن مكان المقاتلين، ولكن دون جدوى.

هكذا ساهمت تيزى أوسلي بفضل صمود أبنائها في الكفاح التحرري ضد الاستعمارين الإسباني والفرنسي طيلة عهد الحماية لموقعها الإستراتيجي وشجاعة الجبليين وشدة إيمانهم.

*مجلة المقاومة وجيش التحرير*، الاعداد، 8 : 1984 ؛ 14 : 1985 ؛ 16: 1986.

C. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes* ; *Le Memorial du Maroc*, Tome V, Rabat, 1983 ; J. Saulay, *Histoire des Goums marocains*, Tome I, Paris, 1981 ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 ; J. Allard, *La guerre du Rif 1925 - 1926*, *La Koumia*, n° 94, Sept. 1984, p. 17 - 20.

عبد القادر بوراس

**تيزي عَدْنيت**، رابطة للجهاد ومركز للتدريس والثقافة الدينية والتربية الصوفية بقبيلة بني سعيد الريفية من بطوية الريف الشرقي، عرفنا بنشاطه الثقافي الفقيه عيسى بن محمد الراسي البطوئي، صاحب كتاب *مطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح* منذ أواخر القرن العاشر ومنتصف الذي يليه (16 ـ 17 م). ينتمي المركز إلى فرقة أولاد الفقيه ببني سعيد، وهو كائن بجوار منبع واد رأس الدفلة (إِخْفْ إِغْزَارْ أُلِيلي). موطن كل فقيه يحمل كنية "الراسي"، سواء أولئك الذين ظلوا بالمركز، أو ممن اشتهر بفاس خلال تلك الفترة.

تعود نشأة هذا المركز إلى أسرة عيسى البطوئي، وإلى ما بذله هو من توطيد مكانته في مجال الثقافة الدينية، وإلى الوافدين عليه من رجال التربية الصوفية. وما نعلمه من خلال *مطلب الفوز والفلاح* أن رابطة تيزي عدنيت استمرار لرابطة أخرى مجاورة لها كانت نشيطة خلال القرن النصف الأول من القرن العاشر الهجري، مقرها وردان من قبيلة بني أُولِيشك، جارة بني سعيد. بدأت نشاطها بفضل الشيخ المتصوف الحاج يحيى الورداني الفجيجي، ففيه تكون بعض الراسيين، أمثال علي بن سالم الراسي، وأحمد ابن يحيى الراسي وعيسى بن إبراهيم اليزناسني، وكل هؤلاء درسوا على الشيخ أحمد بن عبد الله المديني البطوئي، أحد تلامذة بن غازي المكناسي، وساهموا في التدريس برابطة تيزي عدنيت.

برز مركز تيزي عدنيت حينما آوى إليه طلبة وردان واشتغلوا بالتدريس به، وزاد اشتهاره بفضل من قصده من شيوخ التربية الصوفية. ومن صنف هؤلاء الأخيرين الشيخ أحمد الفيلالي، دفين قبيلة بني بوزرة الغمارية، كان قد حل به قبل عام 996 / 1587 وظل به إلى بداية القرن الحادي عشر. وورد على المركز الشيخ أحمد بن أبي بكر بن جعفر السوسي سنة 998 / 1589 ومكث به خلال عامين. ومن مدرسيه الراسيين الأوائل الشيخ أحمد بن إبراهيم بن أحمد الراسي المتوفي عام 1039 / 1629. وهؤلاء كلهم شيوخ عيسى ابن محمد البطوئي. وفيه تعلم ودرّس الشيخ علي وارث الغساسي القلعي، المتوفى يوم الجمعة آخر صفر عام 1033 / 22 دجنبر 1623، وعلي بن سالم الراسي (ت. 1032 / 1625) وأحمد بن يحيى اليحيوي الراسي (ت. 1040 / 1630) وأحمد ابن عيسى بن الفقيه الراسي (حي 1040)، ومحمد بن صالح البقيوي. وقصد المركز آخرون من صلحاء القبيلة السعيدية، من فرقتي أمجاو وتْشُوكَتْ، ومن القبائل المجاورة، مثل بني توزين وبني أُوليشك وتمسمان وقلعية، خاصة بعد عودة عيسى البطوئي من رحلته العلمية الطويلة إلى فاس فتلمسان، في آخر العقد الأول من القرن الحادي عشر الهجري، والاشراف على نشر طريقة شيخه محمد بن مريم المليتي التلمساني، صاحب *كتاب البستان*، والشروع في تأليف كتابه في التصوف المعنون *بمطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح*، وإلى غاية عام 1040 / 1630 كان شيخ تيزي عدنيت قائماً بدوره الديني والثقافي بالريف الشرقي.

لا تزال رابطة تيزي عدنيت على الحالة التي عاش فيها عيسى البطوئي، محتفظة بسماتها الأولى، باستثناء التوسعة التي عرفها المسجد الجامع. يتألف الأصل من غرفتين طويلتين، بابهما من خشب العرعر السميك. والظاهر أن الغرفة الأولى الغربية هي التي كانت مخصصة للصلوات الخمس وللجلسات التعليمية، بينما كانت الثانية مأوى الشيوخ الغرباء والطلبة المشارطين. ويوجد في الزاوية الشمالية الغربية قبر الفقيه عيسى بن محمد البطوئي.

عيسى البطوئي، *مطلب الفوز والفلاح*، مخطوط بالخزانة الحسنية، 1667 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، 454 ـ 456 ؛ ح. الفكيكي، *عيسى بن محمد الراسي البطوئي*، *دعوة الحق*، عدد 250 ـ 251 ـ 252 ـ 253 ـ 256.

حسن الفكيكي

**تيزي عـزّاً** (معركة ـ)، اشتهر الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي كما اشتهرت الثورة الريفية بمعركة واحدة هي معركة إغريباً التي تعرف بمعركة أنوال، وكأنه لم تكن هناك معركة بل معارك أخرى في مستوى المعركة المذكورة، والحالة أنه خلال السنوات الخمس التي استمرت فيها الثورة الريفية التحريرية جرت عدة معارك لا تقل عن أهمية معركة إغْريباً، غير أنها ظلت مغمورة ؛ ونخص هنا بالذكر معركة تيزي عَزّاً.

وتيزي عـزّاً اسم ربوة تقع بقبيلة تافرسيت (إقليم الناظور) كان والد الأمير الخطابي قد أسس بها يوم 6 شوال 1338 / 23 يونيو 1920 رباطاً للجهاد عندما قرر مقاومة الزحف العسكري الإسباني نحو قبيلة بني ورياغل، غير أن القاضي عبد الكريم ألمّ به مرض جعله يغادر تيزي عزّاً

ويعود إلى مدشره بأجدير حيث وافته المنية يوم 22 ذي القعدة / 7 غشت.

وفي يوم 7 ربيع الأول 1341 / 28 أكتوبر 1922 قام الجيش الإسباني باحتلال ربوة تيزي عزاً لينطلق منها إلى غزو قبيلة بني ورياغل، وقد كلفت بهذه المهمة الخطيرة فرقة اللفيف الأجنبي برئاسة الكولونيل ميـيّان أسْطْرَايْ Millan Astray الذي كان يساعده الكولونَيل رافايل بالينثويلا Rafael Valenzuela.

وكان رد فعل الأمير الخطابي على ذلك أنه أمر القائد الأعلى للجيش النظامي الريفي للجبهة الشرقية القائد أحمد بوذْرَة بمحاصرة المركز الذي أقامه اللفيف الأجنبي بتيزي عزاً، وكان القائد المذكور مصحوبا بالقواد : عبد السلام عَجْرود ولُقْمان وعلّوش المرابط العزيزي ومُوح بن عمر سلام السعيدي وموح الكندوزي وشعيب أبلي.

وقع الهجوم الأول على المركز المذكور يوم 11 ربيع الأول 1341 / 1 نوفمبر 1922، وتلاه هجوم في اليوم التالي الذي جرح أثناءه قائد الحامية الإسبانية الكولونيل ميـيان أسطراي فنقل إلى مليلية وحل محله بالمركز خليفته الكولونيل بالينثويلا.

واتضح للأمير الخطابي أن الطريقة الوحيدة للقضاء على المركز هي الحيلولة دون تمكن حاميته من التوصل بما تحتاج إليه من مؤونة وعُدة، وأن الوسيلة الوحيدة لذلك هي حفر الخنادق حول المركز ؛ واستغرقت العملية أكثر من ثلاثة أشهر حيث لم يهاجم المركز من جديد إلا يوم 24 شعبان / 11 أبريل 1923، وقد أسفر الهجوم على مقتل ضابط وخمسة عشر من الجنود الإسبانيين ؛ ثم كان هجوم يوم 21 رمضان / 7 ماي حيث قتل ضابط وثلاثة من الجنود وجرح ضابط و20 جندياً. وفي يوم 11 شوال / 27 ماي تمكن المجاهدون من حفر حزام من الخنادق بالقرب من المركز الذي هوجم في اليوم التالي فكانت النتيجة أن قتل من الإسبانيين الكومندار ريبويس Repolles وأربعة ضباط وقائدان من القواد المغاربة المرتزقة اسمهما أحمد الزرهوني وإبراهيم بن الحسن، وثمانية عشر من الجنود الإسبانيين وسبعة عشر من الجنود المغاربة المرتزقة، وقد جرح أربعة ضباط وقائد مرتزق اسمه محمد الملالي وثلاثة وثمانون من الجنود الإسبانيين.

وفي يوم 14 شوال / 30 ماي، حال المجاهدون دون تمكن قافلة التموين من الوصول إلى المركز، وكان يرأسها الكولونيل گوميث موراطو Gomez Morato، وقتل من حراس القافلة مائة وثلاثون جندياً وجرح منهم مائة وأربعة وعشرون.

وفي اليوم التالي هاجم المجاهدون المركز وقتل من الإسبانيين ضابط وواحد وثلاثون جندياً واثنان وأربعون من الجنود المرتزقة كما جُرح أحد عشر ضابطاً واثنان وسبعون جنديا إسبانيا وثلاثة وستون جندياً مرتزقا وذلك بالرغم من مشاركة الطيران في المعركة وإلقاء القنابل المسمومة (الكيماوية).

وأثناء الهجوم الذي تعرض له المركز يوم 16 شوال / فاتح يونيو، بلغت خسائر الإسبانيين ثلاثة وستين من القتلى وثمانين من الجرحى ؛ وكان يوم عشرين من نفس الشهر (5 يونيو) على موعد مع معركة جرت بالقرب من المركز عندما اعترض المغاربة طريق قافلة تموين كانت تحرسها كتيبة تتكون من ثلاثة آلاف جندي برئاسة الكولونيلات كوميث موراطو ورويث پورطال Ruiz Portal وفيرنانديث بيريث Fernandez Perez وسالثيدو Salcedo وموراليس Morales يعززها الطيران ؛ وقد أسفرت المعركة التي شاركت فيها حامية تيزي عزاً عن مقتل رئيس المركز الكولونيل بالينثويلا وأربعة من الضباط ومائة وأربعين من الجنود الإسبانيين واثنين وخمسين من الجنود المرتزقة، وكان عدد الجرحى خمسة وثلاثين ضابطا وقائداً مرتزقاً اسمه محمد بن الحسن ومائة واثنين وسبعين من الجنود الإسبان وتسعة وتسعين من الجنود المرتزقة، بالإضافة إلى فقدان تسعة عشر جنديا إسبانيا لم يعثر لهم على أثر. وتقول المصادر الإسبانية إن عدد الشهداء في صفوف المجاهدين ناهز ستمائة وتقول نفس المصادر إن الجيش الإسباني خسر في المعركة من أجل المحافظة على مركز تيزي عزاً إلى يوم 5 يونيو، من القتلى : الكولونيل رئيس المركز وكومندار واحد وثمانية عشر من الضباط وقائدين مرتزقين وأربعمائة وأربعة وثمانين من الجنود الإسبان ومائتين واثني عشر من الجنود المرتزقة. وكان من الجرحى الكولونيل رئيس المركز Millan Astray وخمسة وستون من الضباط وقائدان من المرتزقة وستمائة وأربعة وخمسون جنديا إسبانيا وأربعمائة واثنان وثمانيون من الجنود المرتزقة. ومن المفقودين، أربعة وعشرون من الجنود الإسبان لم يعثر لهم على أثر، واتضح فيما بعد أن خمسة منهم فروا إلى المعسكر المغربي.

وكان لهذه الخسائر الفادحة أثر كبير على الرأي العام الإسباني حيث بدأت الصحافة الإسبانية تطالب بإيقاف الحرب، الشيء الذي جعل الحكومة الإسبانية تقوم بإعفاء الحاكم العام لناحية مليلية الجنرال پيدرو ڤيڤيس Pedro Vives وتعيين خلف له الجنرال خوليو إشَاگْوي Julio Echagüe الذي حشد جميع قواته بالناحية ودفع بها إلى تيزي عزاً لرفع الحصار المضروب على المركز، وتمكنت تلك القوات من فك الحصار لأن عددها كان يناهز ثلاثة عشر ألفاً من الجنود.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*.

Martinez Campos, *España belica*, 273, 277, 281, 294 - 97, 371 ; Comision historica, 118.

محمد ابن عزوز حكيم

## تيزي - ن - تالغمت ← تالغمت

**تيزي - نْ - تلْوَاتْ**، أو ثنية الاگلاوي، عبارة عن ممر هام يخترق الأطلس الكبير الغربي في اتجاه واحات درعة ودادس وتدغة انطلاقاً من الحوز ومراكش. ولهذا يحتل ممر تلوات أو تِـيزي - نْ - تَلْوَاتْ وضعية مهمة بين درعة

ودادس وتدغة وتافيلالت في الجنوب والجنوب الشرقي، وبين الحوز ودمنات في الشمال والشمال الشرقي.

تعتبر تيزي - نْ - تَلْوَاتْ من الممرات التاريخية الهامة، ذكرها البكري في *المسالك والممالك*، وقال إن هسكورة كانوا يراقبون الطريق بين سجلماسة وأغمات لوقوعهم على طول مسافة أربعة أيام بين ورزازات وزركطن عبر ممر تلوات، ويقال إن عقبة بن نافع مرّ بها عند رجوعه إلى أغمات ليتابع طريقه إلى سوس.

وبصفة عامة كانت تيزي نْ تَلْوَاتْ من الممرات التجارية الإستراتيجية التي لا بد للسلطة المحلية من التحكم فيها. وقد جاء أن "عامر" أمير هنتاتة كان يتحكم في الممرات المؤدية إلى درعة ودادس وأمكنه ذلك من السيطرة المطلقة على الأطلس الكبير فكان بذلك في مركز قوة لمعارضة أو مساندة الوزراء المرينيين.

وقد مر السلطان المولى إسماعيل سنة 1090 / 1679 عبر تيزي نْ تَلْوَاتْ وهو قادم في حركة من تافيلالت وتعرضت جيوشه لعاصفة ثلجية أثناء هذا المرور، الشيء الذي جعل "أمغار اكلاوة" بتلوات يقدم المساعدات والإغاثة للحركة المخزنية. وقد تكررت مثل هذه الواقعة أثناء مرور جيوش الحسن الأول الذي كان بدوره على رأس حركة سنة 1311 / 1894، فقدم له شيخ اكلاوة المدني الاكلاوي المساعدات الضرورية مما جعل السلطان يزوده بالأسلحة ويعيّنه خليفة للمخزن على تافيلالت ودادس ودرعة وتدغة.

وهكذا اجتاز بممر تلوات بعض الرحالين الذين زاروا المغرب في إطار التمهيد للاحتلال والقيام بالجاسوسية، ومن هؤلاء شارل دوفوكو الذي تحدث في رحلته عن تلوات وممرها وكذلك الماركيزْ دي سِكُونْزَاك الذي ألف كتاباً سماه *في قلب الأطلس*.

وبصفة عامة كانت تيزي نْ تلْواتْ المسلك التقليدي للقوافل التجارية من ورزازات وتدغة نحو مراكش وبين الحوز ودرعة. وقد سعت الدول التي توالت على حكم المغرب إلى الاستفادة من هذه الوضعية بفرض رسوم على نشاط القوافل وكذلك إحكام السيطرة على القبائل بأسر عدد منها لإخضاعها لطاعة المخزن. ومن ذلك على سبيل المثال ما وقع لأهل تدغة، وهي قبائل ترتبط بممر تلوات للقيام بنشاطها التجاري بين تدغة ومراكش من جهة ودمنات من جهة أخرى عن طريق ممر فدغات. وقد حدث أن اقتصر تجار تدغة في تجارتهم على مراكش فقط خاصة لما تولى القائد الجيلالي الدمناتي بتفويض من السلطان أمر تلك القبائل التدغية. ولم يعد تجار هذه القبائل يستطيعون وضع أقدامهم في دمنات خشية أن يؤخذوا رهائن حتى يتعهد إخوانهم بالولاء لممثل المخزن بهذه المدينة فأخذوا يفضلون صرف تجارتهم إلى مراكش عن طريق ثنية الاكلاوي بعد أن كانوا يتخذون سبيلهم إلى دمنات عن طريق ممر فدغات، وقد استغلت أسرة الاكلاوي ممر تلوات بإحداث سوق جديدة هي سوق أنزال في طريق القوافل.

ورغم أن المخزن - كما جاء في رسالة الحسن الأول إلى محتسب مراكش عبد الله البوكيلي المؤرخة بعاشر ربيع الأول عام 1306 / 14 نونبر 1888 - حاول إبطال هذا السوق لأنه يحول دون وصول بضائع درعة إلى مراكش، إلا أن سوق أنزال ظل محتفظاً بدوره مع السماح للأمناء منذ 1310 / 1892 بالقيام بدورهم، وقد اشترى الاكلاوي منهم منفعته السنوية باثنين وثلاثين ألف مثقال.

هكذا نلاحظ أن تيزي ن تلوات قامت بعدة وظائف ولعبت أدواراً سياسية واقتصادية وظلت معبراً أساسياً للقوافل نحو الواحات وبلاد الفائجة انطلاقاً من الحوز ومراكش. ولهذا قامت سلطات الاحتلال لتعزيز هذا الدور بإقامة مركز للشؤون الأهلية بتلوات منذ سنة 1927 فاتخذ كقاعدة عسكرية للتوغل في إقليم ورزازات، كما تم شق الطريق إلى درعة وورزازات انطلاقاً من تيزي ن تلوات محادية لها عبر تيزي نْ تيشْكا.

أحمد التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إينولتان*، الرباط 1983، ص. 53.

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Tome I, Rabat 1977 ; J.et J. Tharaud, *Marrakech ou les seigneurs de l'Atlas*, Rabat, 1953 ; J. Brignon [et al...], *Histoire du Maroc*, p. 167.

عبد القادر بوراس

**تيزي - نْ - تيشكا** أو توشكا، ممر ومراع جبلية عالية بالأطلس الكبير الغربي، بها عشب يعرف بأمشكي (م. أوجامع) ويشتهر من بينها مكانان هما: تيزي ن تيشكا وهي فج مرتفع (2.260 م) يقع على الطريق الرئيسية رقم 32 بين مراكش وورزازات يتكون من سطيح مستو بمنطقة ضعف بنيوي عند ملتقى سحنتين من الشيست، الأولى بالجهة الشرقية تنتمي إلى الزمن الأول والثانية بالغرب ترجع إلى ما قبل الكامبري. ويحيط به من الجهتين قمم عالية من صخور اندفاعية صلبة. ويتكون المرعى من شريحة طولية ضيقة تجري بها عين تنبت أعشابا رطبة وبها مراع جافة على المنحدرات المحيطةَ بها، يقطعها الطريق الرئيسي على طولها حوالي أربعة كيلومترات تغطيها الثلوج لعدة أسابيع أو أشهر شتاء. وفي الصيف تنبت بها أعشاب جيدة مما جعل منها مرعى غنيا تحرص القبائل المجاورة على المحافظة على حقوقها للرعي به، وهي أيت الربع وأهل تلوات وأهل أگلموس وكلهم من مجموعة اكلاوة، وأهل تيديلي من أيت واوزگيت. يبدأ بها موسم الرعي في منتصف مايو وينتهي في أكتوبر بناء على أعراف متوارثة. ومرعى تيزي ن تيشكا ليست به أشجار ولا سكن دائم وإنما بعض العزبان في السفوح الدنيا، ولأهميته كمرحلة على الطريق وجمال مناظره ظهرت به منشآت سياحية وهي مقهى ومأوى بجانب خميلة من الأشجار المغروسة بجانب الطريق عند مدخل المرعى من جهة مراكش وهي منشأة قديمة بقيت من عهد الاستعمار، ويقع عند مدخله من جهة ورزازات معرض مرتجل للحجارة والصخور التجميلية تحول في منتصف الثمانينات إلى مجموعة دكاكين وبازارات تبيع الصخور

والتحف والمصنوعات التقليدية وحاجيات أخرى يطلبها المسافرون والسواح خاصة، كما بنيت مقاه ومطاعم، إذ تحول المكان إلى استراحة للسواح يلقون منها نظرة على المنحدرات الجنوبية للأطلس الكبير من أعلى مكان بفج تيشكا.

تيشكا (هضبة ـ)، هي مرعى جبلي واسع يوجد بجماعة امْزُوزِيتْ دائرة أمزميز بإقليم مراكش، يتكون من كتلة مسطحة من الگرانيت، تتخلله بقع من الگرانيتوديوريت والماگماتيت، يتراوح ارتفاعها بين 2.100 و2.900 م، وتتناقض هذه المسطحات والمحدبات بعنف مع الأودية السفلى ذات السفوح العنيفة والصخور المسننة والأعراف الحادة يحيط بها هالة من القمم المتكونة من صخور صلبة ومتحولة : كوارتزيت وشيست ترجع للزمن الأول أهمها رأس مولاي علي 3.349 وجبل أوليم 3.043 م وتاگونست 3.095 م. تعتبر هذه الهضبة برج ماء طبيعي ينبع منها ومن القمم المحيطة بها المجاري العليا لوديان نفيس وسكساوة والمالح وأسيف المال وسوس. ويتكون المرعى من محدبات ومتون تمر بينها جداول تكون منابع واد نفيس، ينبت بجوانبها عشب طري يتكون مرجا أگدال ويعرف هنا بأزمور. تغطيها الثلوج شتاء من نونبر إلى مارس.

ومن الصعب تحديد كمية التساقطات السنوية لانعدام مرصد بها. وللمقارنة نشير إلى أن معدل تساقطات تيزي نْ تاسْتْ القريبة منها والواقعة على علو 2.100 م هو 384 ملم. ويمنع الرعي بها ابتداء من 10 مارس لحماية العشب حتى يكتمل نموه إلى منتصف يوليوز فيصعد الرعاة وبعض الأسر ويقيمون احتفالات افتتاح موسم الرعي، ويفتتح الموسم برعي الأبقار والدواب أولا ثم الماعز والأغنام.

وقد أثارت حقوق الرعي نزاعات تاريخية، وأهم القبائل التي تمتلك حقوق الرعي اليوم هي سكساوة بالسفوح الشمالية والغربية وگندافة بالسفوح الشرقية وإيگوگا بالسفوح الجنوبية، ولكل مجموعة قروية عزبانها التي تنتشر فوق المنحدرات وتسمى أدَاغَاسْ إذا كان البناء قارا أو أسْگَنْ إذا كان حظيرة بسيطة أو حائطاً للمواشي والرعاة، وتحتضن العزبان عادة حضيرة وغرفة صغيرة مسقوفة بالقش والتراب لمبيت الرعاة وطهي الطعام، وكل المباني هشة لا تحمي من البرد، يتجمع في ساحتها سماد المواشي، يقيم بها غالبا الرعاة، ولكن هناك قرى يأتي معظم أفرادها إلى المرعى للاصطياف واستهلاك حليب المواشي. وتتجمع معظم العزبان في مرج أزمو گنسيف على علو 2.600 ـ 2.700 م حيث تكثر الترشحات والعشب الندي الذي يزدان بأزهار صفراء في فصل ربيع متأخر : مايو ـ يونيه. وهو ملكية قروية لا ترعى فيه سوى الأبقار وبعض الأغنام لأن العشب الرطب يضر الماعز. وينمو بالمنحدرات أعشاب حولية ونباتات شوكية دائمة مكورة لمواجهة قساوة الشتاء الطويل تكون طبقة الأعشاب الألبية، وهي مرعى للماعز والأغنام مشاعة لجميع القبائل التي تمتلك عزبانها بالهضبة. ولا يوجد بهضبة تيشكا سكن دائم ولا زراعة لارتفاعها وقساوة برودتها، وأقرب التجمعات السكنية إليها هي قرى أغبار بوادي نفيس الأعلى وقرى تيگوگا بأعلى واد تلگجونت، رافد واد سوس بالسفوح الجنوبية حيث يعقد أقرب سوق أسبوعي إليها يوم الاثنين في مكان على علو 1.840 م وتصله بعض الشاحنات يوم السوق.

*بحث ميداني ؛ تحليل خرائط طبوغرافية وجيولوجية ؛ معلومات من الأستاذ محمد الإفريقي*، باحث بيولوجي.

J. Berque, *Structures sociales du Haut Atlas - Seksawa*, Paris, 1955.

أحمد هوزالي

**تيزِيران**، جبل كان يعرف في القديم بجبل الكواكب حسب الشريف الإدريسي (ص. 110)، في حين أن البكري قبله يذكره باسمه الحالي (ص. 210). يقع هذا الجبل بقبيلة بني خالد الغمارية وبه توجد منابع وادي أمثار ويبلغ ارتفاعه 2.101 متر فوق سطح البحر، وبه اعتصم الثائر سبع بن منغفاد عندما ثار على السلطان يوسف بن عبد المومن سنة 561 / 1166.

يذهب الأستاذ بنعبد الله في معلمته (ص. 167) إلى أن اسم تيزيران قد يكون محرفا عن تزاران أي جبل المنظر الجميل.

أ. البكري، *المغرب*، 210 ؛ م. الشريف الإدريسي، *النزهة*، 110 ؛ م. الوزان الفاسي، *وصف افريقيا* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 2 ص. 132 ؛ ع. بنعبد الله، *المعلمة*، 158، 165، 167.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 28 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 69.

محمد ابن عزوز حكيم

**تيزيمي**، منطقة محيطة بجبل أرفود الذي قال عنه البكري إنه جبل موت لاعمارة حوله، فيه حمة ويبعد عن مدينة سجلماسة بمرحلة جهة الشمال (*المغرب*، ص 147). معدل الحرارة بها في أغلب فصول السنة 21,7°، وتتجاوز في فصل الصيف 40، يحدها شرقاً وادي زيز وغرباً وادي غريس وشمالاً منطقة الرتب وجنوباً تافيلالت بالمعنى المحلي للكلمة أي الواحات المحيطة بالريصاني. ولا نعرف معنى لهذه التسمية. لكن سكان هذه المنطقة مازالوا يتداولون حتى اليوم أن معناها التربة المالحة أي السبخة. وإذا كان مدلول هذا الاسم يحتاج إلى عارف بالاشتقاقات في اللغة الأمازيغية لتأكيد هذا المعنى أو نفيه فإن التفسير المحلي لمعنى تسمية هذه المنطقة يجد مبرره في ملوحة التربة والمياه بها كما جاء في المصادر الجغرافية القديمة (*المغرب*، 148، الكتبي من خلال، E. Fagnan, p. 54، العمري 140).

أكدت الدراسات البيدولوجية الحديثة أن نسيج التربة بتيزيمي يتكون من الطمي المتراكم عبر فيضانات وادي زيز والرمل الذي تنقله الزوابع الغبارية. والتربة في غالب الأحيان ذات لون رمادي مفتوح، لكن كلما كثر الصلصال بها صار لونها أحمر (Office Agricole de Tafilalt, p. 19).

ولأن أغلب أراضي هذه المنطقة سبخة كما هو الشأن بالنسبة لأغلب مناطق تافيلالت (البكري، 148) فإنه غالباً ما تطفو الملوحة على سطح التربة مشكلة فرشة بيضاء يطلق عليها المحليون اسم البَخْبَاخْ.

ولا تنفصل ملوحة التربة بهذه المنطقة عن ملوحة مياهها الجوفية التي تنقسم إلى قسمين : مياه قريبة من سطح الأرض يتراوح عمقها ما بين أربعة وثمانية أمتار وهي التي يتم استغلالها بواسطة التقنيات العتيقة كأعزور والناعورة، وأخرى على عمق كبير تتوفر على احتياطي مائي مهم لكن استغلالها يتطلب تقنيات متطورة. وطبيعة الماء في الفرشتين المائيتين معا يمتاز بالملوحة لملامسته طبقات جيولوجية تكثر بها مادة الملح *(Problème de l'eau au Tizimi, 238)* وهذا ما يبرز قول البكري في معرض حديثه عن سجلماسة "وماؤها زعاق وكذلك جميع ما ينبط بها" (البكري، 148). وتتراوح نسبة الملوحة في المياه الجوفية بتيزيمي ما بين 0،8 و5 غرام في اللتر، غير أن أغلب الآبار التي يتم استعمالها يبلغ تركز الملح بها 4 غرامات في اللتر وتزيد هذه النسبة قليلاً في الآبار الموجودة بالشمال الغربي (C.P. Jouannet, J. Masgat, *L'Habitat*, p. 54 ; *Le Tafilalet*, p. 29). كما تضم هذه المياه مواد أخرى تزيد في رداءتها كالكلور والصوديوم اللذين تتراوح نسبتهما ما بين 700 و900 مليغرام في اللتر (J. Masgat, *L'alimentation en eau*, p. 21) ولا وجود للمياه العذبة بمنطقة تيزيمي باستثناء مصدر مائي وحيد هو عين المشارفة في مجرى وادي زيز التي يبلغ صبيبها عشر لترات في الثانية (*Le Tafilalet*, p. 12).

اعتمدت تيزيمي في نشاطها الزراعي على مياه وادي زيز التي يتم تحويل اتجاهها بواسطة السواقي انطلاقاً من سد البروج شمال المعاضيد والذي تتراوح قدرة تحويله للمياه ما بين 10 و15 م$^3$ في الثانية. كما تعتمد على مياه الآبار التي تنبط لاستغلال الفرشة المائية الجوفية القريبة من سطح الأرض وعددها اليوم حوالي 180 بئر. أما الخطارات فلا وجود لها بهذه المنطقة لاستواء سطح الأرض وإنبساطه ويقتصر ما هو مستغل منها بمنطقة تافيلالت على الجرف والسيفة - (J. C. Fortin, *La Nappe phréatique*, p. 112 - 113 ; C.P. Jouannet, p. 9).

لم يكن لتيزيمي دور هام في المجال الزراعي وقت ازدهار مدينة سجلماسة (البكري، 147) لكنه ابتداء من القرن الثامن (14 م) أصبح لهذه المنطقة مكانة بارزة في هذا المجال، ومرد ذلك إلى استقرار عرب أولاد حسين بها واتخاذ زعمائهم لها مقراً لإقامتهم كما هو الحال بالنسبة لأولاد خالد بن جرمون الذين ينتسب إليهم علي بن غانم زعيم أولاد حسين أيام السلطان أبي الحسن المريني وابنه يوسف الذي آلت إليه الزعامة بعد أبناء عمه في النصف الثاني من القرن الثامن (14 م) (*العبر*، 6 : 87 و7 : 475).

إن إرتباط ازدهار تيزيمي باستقرار أولاد حسين بها لاينفصل عن صراعهم مع أبناء عمومتهم من عرب المنبات والعمارنة أسياد سجلماسة وضواحيها، لأن تحكم أولاد حسين في مجالات تيزيمي حرم سجلماسة من الاستفادة من مياه وادي زيز بصفة منتظمة بعد تحويل هاته المياه نحو أرضهم الجديدة التي بنوا بها قصوراً تحمل أسماء بطونهم أو أسماء زعمائهم كما هو الحال بالنسبة لقصر أولاد غانم. لذلك لم يكن من قبيل الصدقة ما عرفته سجلماسة من تراجع في إنتاج الحبوب خاصة القمح في القرن الثامن (14 م) بحجة إغفال المصادر الجغرافية ذكر هذا الإنتاج الزراعي رغم ما اشتهرت به المنطقة من فائض في إنتاجه (البكري، 148 ؛ الإدريسي، 38) واقتصار حديثها على إنتاج التمور فقط (ابن بطوطة، *الرحلة*، 773 ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، 180 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، 5 : 164، العمري 1409).

إن الذي يؤكد استفادة تيزيمي في المجال الزراعي على حساب المناطق الواقعة إلى الجنوب منها في القرن الثامن (14 م) على وجه الخصوص هو التراجع الذي عرفته سجلماسة خلال هذه الفترة بسبب صراع بطون عرب معقل فيما بينهم خاصة صراع أولاد حسين مع الأحلاف، وهو ما أثر على الحياة الفلاحية والتجارية بالمنطقة. غير أنه بالنظر لما كان لعرب أولاد حسين من نفوذ وقوة على الصعيد المحلي وعلى صعيد المغرب ككل خلال هذه الفترة فإن الاستفادة من مياه وادي زيز - مع إيلاء الاعتبار لما للماء من دور حيوي في المجال الواحي - كانت من نصيب أراضيهم بتيزيمي دون أراضي أبناء عمومتهم الأحلاف في سجلماسة بحكم موقع موطنهم في العالية بالنسبة للمجال وبحكم ما تمتعوا به من جاه وظهور على سائر بطون عصبيتهم من ذوي منصور (سجلماسة، 269 - 285).


أ. البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ ابن بطوطة، *رحلة*، بيروت، 1975 ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، المحمدية، 1976 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، ج 5، القاهرة، 1915 ؛ *مسالك الأبصار*، الدار البيضاء، 1988 ؛ ش. الإدريسي، *إفريقيا الشمالية*، الجزائر، 1957 ؛ ح. حافظي، *سجلماسة واقليمها في القرن الثامن (14 م)*، مرقون، فاس 1989.

J. Margat, *Données sur l'habitat au Tafilalet condition à l'étude démographique des palmeraies du sud marocain, N. M.*, N° 11 - 12, 1959 ; *L'alimentation en eau potable des populations de la plaine du Tafilalet, N.M.*, N° 13, 1960 ; J.C. Fortin, *La nappe phréatique salée du Tafilalet, son contrôle pour le développement de la mise en valeur, R.H.T.E.*, N° 7, 1973 ; L. Cloniond, *Les problèmes de l'eau au Tizimi et au Tafilalet, B.E.M.*, Vol. 6, N°17, 1937 ; R. Faune, *Le Tafilalet étude d'un secteur traditionnel d'irigation*, Paris, 1968 ; C.P. Jouannet, *Note sur les conditions actuelles de la vie au Tafilalet, B.E.M.*, N° 23, 1939 ; Office Agricole du Tafilalet, *Etude de la salure ses sols*, Juin, 1980.


حسن حافظي علوي

**تيزيمي**، باب وقصبة في مدينة مكناس. شيد السلطان المولى إسماعيل باب تيزيمي قريباً من مكان باب دردورة الذي تحدث عنه ابن غازي في *الروض الهتون*، ضمن التعديلات الكبيرة التي شملت أطراف المدينة المرابطية

والموحدية في عهد هذا السلطان. وسمي هذا الباب باسم تيزيمي الصغيرة تمييزا له عن تيزيمي الكبيرة، القصبة الشهيرة الكثيرة السكان الكائنة داخل باب البراذعيين". ويقع باب تيزيمي في الجانب الشمالي من المدينة خلافا لما جاء عند عبد الرحمن ابن زيدان، ويصل قصبة تيزيمي في المدينة القديمة بحمرية، خاصة بمنطقة كرأس إغيل" عبر قنطرة دردورة، و"تنفتح دفتاه بين قوسين يسترهما سقف أعلاه غرفة معدة للقائم بحراسته".

وحسب الوثائق الحبسية الخاصة بالعهد الإسماعيلي فإن هذا الباب ظل ينعت كذلك بـ"باب دردورة".

*حوالة المساجد الصغار بمكناس* (رقم 4)، نظارة أحباس مكناس، ص. 217 ؛ م. ابـن غـازي، *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون*، تح. عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، (الطبعة الثانية)، الرباط، 1408 / 1988، ص. 31 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، الجزء الأول، مطابع "ايديال" (الطبعة الثانية)، الدار البيضاء، 1410 / 1990، ص. 57، 158، 225، 227.

رقية بلمقدم

* * أما قصبة تيزيمي، فأسسها السلطان المولى إسماعيل (1672 ـ 1727) ضمن قصبات أُخر، ويرجع أصل هذه التسمية إلى قبيلة أُخرج أهلها من سلجماسة، وأسكنوا في الموضع الذي أصبح يحمل اسمهم، وكان هذا الموضع قبل استقرار أهل تيزيمي به دار عمل الفخارين الذين أخرجوا منه، واستوطنوا بالضفة الشرقية لوادي بوفكران، ومازال المكان الذي استقر فيه هؤلاء الفخارون يحمل نفس الاسم قرب المنظر الجميل حالياً.

وقد وطن عبد الرحمان بن زيدان ( *الإتحاف*، ج 1 ص. 170) قصبة تيزيمي أثناء حديثه عن باقي القصبات، بقوله : "... ومنها القصبة المعروفة بتيزيمي الكبير خارج باب البرادعيين القديمة التي موقعها الآن على يسار الداخل لباب البرادعيين الجديد، وهو الذي يعنون عنه بهذا الاسم الآن فالجدار الذاهب عن اليسار المذكور من الباب الجديد المذكور إلى الباب القديم أمامه هو لقصبة تيزيمي الكبرى المذكورة، والباب الذي عن يسار الداخل للباب القديم المذكور هو لها..".

وهكذا، تقع قصبة تيزيمي، متصلة بباب البرادعيين الجديدة ـ وهي من بناء المولى إسماعيل ـ التي يخرج منها لضريح عبد الله بن حمد، حيث توجد قبور الشهداء. وقصبة تيزيمي، تنقسم إلى قسمين : تيزيمي الكبيرة وهي الواردة في النص أعلاه، الشهيرة والمعروفة بكثرة سكانها وهي واقعة يسار الداخل من باب البرادعيين الجديدة.

وتيزيمي الصغيرة التي يوجد بها الباب المنسوب للقصبة ـ باب تيزيمي ـ الذي بني على أنقاض باب دردورة المتهدم، ويقع بالشمال الشرقي لمكناس، بنيت فوقه غرفة معدة للقائم بحراسته، وأمامه سقاية السبيل المعروفة بسقاية الذهب التي لم يبق لها أثر يذكر، وكانت قرب المكان المعروف بالرهيبات في عهد الحماية. وقد بنيت بقصبة تيزيمي سقايات عديدة في عهد المولى إسماعيل، وأصابها الخراب بعده، إلى أن جُدد بناؤها في بداية عهد الحماية الفرنسية، أيام السلطان مولاي يوسف، وهكذا تم إصلاح سقاية حمادشة في تيزيمي الصغيرة، وسقاية أخرى في تيزيمي الكبيرة، وقد فتح بهذه الأخيرة في نهاية العشرينات من هذا القرن، باب لدخول البقر منه عند عودته من المسارح. واعتبر عبد الرحمان بن زيدان ( *الإتحاف*، ج 1 ص 114)، تيزيمي الكبيرة وتيزيمي الصغيرة من الحومات التسع والعشرين المهمة في مكناس خلال الثلاثينات. ومن بين الشخصيات المرموقة في المدينة التي سكنت في قصبة تيزيمي الكبيرة الباشا بنعيسى البخاري.

تغيرت حاليا المعالم العمرانية لهذه القصبة المطلة على واد بوفكران المار بحارة تاورا، وشوهت معالمها الأثرية، بما أحدث بها من تغيرات، سواء ما أقيم بها من بنايات، أو ما هدم منها من أسوار ودور.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1929.

بوشتى بوعسرية

**تيستا، شارل** Ch. Testa، كان قبل سنة 1303 / 1885 الترجمان الأول بسفارة ألمانيا بإسطنبول، حيث قضى مدة اكتسب فيها خبرة واسعة بشؤون الشرق والإسلام، وكان له طموح كبير واتسم بلباقة وعرف بنشاطه وإخلاصه لبلاده. ولما أحيل تيودور فيببير على المعاش في منتصف سنة 1303 / 1885 عين تيستا سفيرا بطنجة عوضاً عنه، فاستعمل همته في حث الحكومة المغربية على ربط علاقات مع الدولة العثمانية. غير أنه تجاوز الحد المخطط له، حتى بلغت أخبار اتصالاته إلى علم الدولة المنافسة لألمانيا وهي فرنسا. فارتأت حكومته إقالته، بل ربما كان هو الذي استعفى في 18 مارس 1887 "فأعفته دولته لما ألمَّ به" على حد تعبير السلطان. ولما أقيل رجع إلى تركيا لممارسة عمله الأول، وعين خلفاً له بطنجة البارون طراڤرس Travers بوصفه مكلفاً بالأشغال، في انتظار تعيين طاطنباج Christian Graaf von Tattenbach سنة 1306 / 1888.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج. 1 ص. 130 و142 وج. 2 ص. 449 و450 ؛ *الوثائق الملكية* ؛ *وثائق مكتبة تطوان*.
J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. IV, p. 177.

مصطفى بوشعراء

**تيسّة**، اسم يطلق على المركز الحضري الذي يوجد بالمنطقة الوسطى لتلال مقدمة الريف، شمال شرق مدينة فاس. كما تطلق هذه التسمية على الجبال المحيطة بهذا المركز، أي على ما يسمى بمنخفض تيسة. يقع هذا المركز شرق الطريق الثانوية رقم 302 الرابطة بين فاس وتاونات على الطريق الثانوية رقم 318 المؤدية إلى كل من رأس الواد ومطماطة، على بعد خمسة كيلومترات من ملتقى الطريقين.

يوجد موضع المركز الحضري في قلب المنخفض المذكور على الضفة اليمنى لواد اللبن، يتخذ شكلاً طولياً ويمتد من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي. وتعتبر تيسة من المراكز الحضرية الحديثة النشأة مع بداية الاستعمار بالمغرب. وقد عرفت في السنين الأخيرة توسعاً كبيراً مثل باقي المراكز كعين عائشة، قرية ابا محمد وجرف الملحة وأسجن وعرباوة، وكلها مراكز توجد في الجنوب الريفي.

من الأكيد أن تيسة كلمة بربرية تطلق على المنبسط العالي وعلى عملية السقي أو الشرب. فالعناصر الدالة على هذين المعنيين متوفرة بمنخفض تيسة. فبالنسبة للمنبسطات الموجودة أساساً بالمجال الذي يحتله مركز تيسة، ترتبط في تكوينها بتوضعات واد اللبن خلال فترات الزمن الجيولوجي الرابع. أما بالنسبة للموارد المائية فمصدرها الأساسي هو الواد السابق الذكر الذي يتزود منه السكان لسد حاجياتهم ولتوريد مواشيهم ودوابهم ؛ كما تستعمل مياهه لسقي الأراضي الفلاحية القريبة من مجراه.

ونشير إلى أن الأصل البربري لكلمة تيسة لايشكل مفارقة باعتبار أن سكان المنطقة يتكلمون حالياً اللغة العربية. فالحقائق التاريخية توضح بأن قبائل "الحياينة" ذات أصول بربرية لأن المنطقة عرفت توافد السكان من صنهاجة في الشمال ومن سوس وتادلا.

يتكون مجال منخفض تيسة من الناحية الطبيعية من ثلاث وحدات طبوغرافية متميزة (انظر خريطة موقع وموضع تيسة).

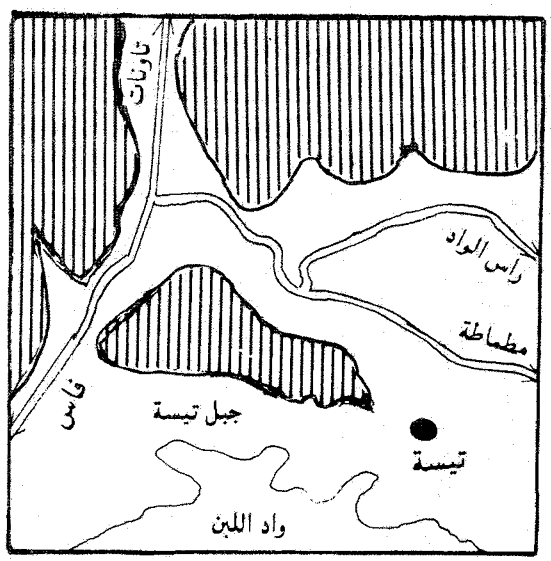


1 ـ السهل الفيضي : هو المجال المنخفض الرطب في هذه المنطقة، يوجد بمحاذاة واد اللبن وعلى جوانب أهم روافده : واد الحومة في الشمال الشرقي، واد العنصر في الشمال الغربي. تتراوح الارتفاعات في هذا السهل بين 200 م في الشمال الشرقي و170 م في الجنوب الغربي، ويتميز بضعف انحداره في اتجاه سافلة واد اللبن الشئ الذي ينعكس على خط مجرى هذا الواد الذي تتعدد منعطفاته. ويشكل هذا السهل الفيضي الدرجة النهرية السفلى والحديثة.

2 ـ المستويات النهرية العالية : رغم امتدادها المجالي المحدود بالمقارنة مع العناصر الطبوغرافية الأخرى، فإن بقايا هذه المستويات تدل على التطور الذي عرفه واد اللبن خلال فترات الزمن الجيولوجي الرابع. إن أهم هذه البقايا توجد في موضع المركز الحضري لتيسة على الضفة اليمنى لواد اللبن.

أما على الضفة اليسرى فإن بقايا هذه المستويات عرفت تراجعاً بفعل عمل التعرية، ولم تبق إلا أجزاء متناثرة من المستوى الخامس تشرف مباشرة على المستوى الأول الذي يمثل السهل الفيضي المشار إليه آنفاً. تصل أقصى الارتفاعات في هذه الدرجات إلى حوالي 280 م فوق الدرجات النهرية العليا.

3 ـ المجالات التلية : تحيط بمنخفض تيسة شمالاً وجنوباً تلال متوسطة الارتفاعات، تتراوح بين 493 م في الزاوية الشمالية الغربية و348 م في الجنوب. تنتمي تكويناتها الصخرية إلى الطيات الزاحفة من الشمال، وتتكون من الصلصال والصلصال الكلسي والحث، إضافة إلى التكوينات الطينية والمحلية والجبصية التي توجد أساساً بجبل تيسة المحلي.

لهذه التلال أشكال بسيطة عبارة عن قمم محدبة، طولية ومستدبرة وأحياناً حادة. سفوحها ذات انحدارات متوسطة إلى قوية. وتخترق هذه التلال أودية موسمية يتجاوز تعمقها 200 م. ورغم طابع التقطع وسيادة الانحدارات، فإن هذه التلال تشكل مجالات للزراعات الموسمية وللمغروسات وأهمها الزياتين. ومن الملاحظ أن السكن بهذه التلال يحتل مجال القمم وأواسط السفوح رغم التطورات الحالية حيث يتوطن السكان في المجالات المنبسطة وخصوصاً في السهل الفيضي لواد اللبن. إن جل رقع هذا المركز توجد في مواضع منبسطة تبعاً لتوزيع الدرجات النهرية وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم المركز الحضري لتيسة إلى ثلاثة أقسام :

أ ـ تيسة السفلى : وهي النواة الأولى لهذا المركز، وتوجد على الدرجة النهرية الأولى. كانت في البداية عبارة عن سكن هش ويطلق عليها لحد الآن "المحلة" وعرفت في السنوات الأخيرة حركة معمارية مهمة تجلت في انتشار السكن الصلب وفي توسيع الرقعة المبنية، إضافة إلى تطور الحركة التجارية.

ب ـ تيسة الوسطى : موضعها أساساً فوق الدرجة

النهرية الرابعة، وتحتوي بالإضافة إلى السكن على منشآت اجتماعية وإدارية كالثانوية والملجأ الخيري والمستشفى ومقر الجماعة. ونتيجة لهذه الوظائف عرف هذا الجزء توسعاً في الرقعة المبنية منذ أواخر السبعينات.

**جـ ـ تيسة العليا** : هي النواة الأولى التي أنشأها المعمر الفرنسي كمقر إداري استراتيجي. ولازال هذا الموضع يحتفظ بنفس الوظيفة إذ يوجد به مقر الدائرة ومقر الدرك الملكي فضلاً عن بعض البقع التي يحتلها السكن. وتحتل هذه النواة الدرجة النهرية العليا أي الدرجة السادسة.

يتبين من خلال هذا التقسيم الحضري مدى تأثير الطبوغرافية على مرفلوجية المركز. وقد عرف تطور كبيراً من الناحية العمرانية واحتل مجالات مهمة من السنوات النهرية المتدرجة.

فبعد ما كانت النواة الأولى عبارة عن مساكن هشة في الجزء الأسفل، أصبحت الآن مركزاً حضرياً يشهد التوسع الافقي والعمودي فضلا عن التغير النوعي في السكن (من السكن الهش إلى السكن الصلب). يوازي هذا التوسع الزيادة في عدد السكان الذي مر من 1385 نسمة سنة 1971 إلى 2251 نسمة سنة 1982، ليتضاعف أكثر في بداية التسعينات.

تمثل تيسة من الناحية الإدارية مقراً للدائرة، وقد أصبحت منذ التقسيم الإداري سنة 1983 تابعة لعمالة تاونات، بعد ما كانت قبل هذا التاريخ تابعة لعمالة فاس. وتحتوي هذه الدائرة على أربع قيادات.

أما من الناحية القبلية، فإن تيسة هي مركز لسكان قبائل "الحياينة" وعددها ثلاث :

- أولاد عمران في الشمال إلى حدود واد ورغة.
- أولاد عليان في الوسط على جانبي واد اللبن.
- أولاد رياب في الجنوب بمحاذاة واد إيناون.

يتضح من بعض المعطيات التاريخية المستمدة من دراسة لازاريف G. Lazarev حول البنيات الفلاحية والملكيات الكبرى في بلاد الحياينة (*مجلة جغرافية المغرب*، رقم 9، 1966)، أن هذه المنطقة عرفت توافد سكان من أصول عربية وبربرية. فقد شهدت منذ القديم توطناً من طرف الصنهاجيين ومن أهم قبائلهم قبيلة بني واعمود، حل محلهم بعد ذلك سكان من أصل حجازي ممن هاجر إلى المغرب من العرب. ولم يظهر توطن الحياينة والحديث عنهم إلا خلال حكم السعديين حيث اعتبروا عرباً متميزين عن البربر الصنهاجيين.

وهناك من يذكر بأن هذه المنطقة قد فوتت للحياينة في إطار نظام الگيش وخصوصاً بعد حدث سنة 1558 حيث وقعت معركة حاسمة بين السعديين والباشا التركي حسين على واد اللبن. ومما يؤكد هذا التفويت وجود تسميات محلية ترجع إلى أصول سوسية وتادلية.

وقد عرف الحياينة في القرنين السابع والتاسع (13 . 15 م) كقبيلة مخزنية ارتبط مصيرها بفاس (أداء الضرائب العسكرية، التدخل في المعارك). وقد تميز الجيش الحيايني بالاستقرار الجغرافي وبملكيته للأراضي الزراعية.

من شأن هذه المعطيات التاريخية تأكيد الوجود الفعلي للبربر في بلاد الحياينة، مما يدل على أن بعض التسميات المحلية ذات الأصل البربري مثل تيسة لم توجد بمحض الصدفة. وفي نفس هذا السياق، فإن المعمر الفرنسي ترك في هذه المنطقة بعض بصماته التي مازالت تتداول لحد الآن، مثل أسماء بعض الضيعات. ولم يقتصر الفرنسيون في احتلالهم على الجزء الأعلى من تيسة، بل احتلوا كثيراً من الأراضي الفلاحية الخصبة على طول واد اللبن وواد العنصر وغيرهما.

إن تيسة كمركز داخل حلقتيه الصغرى والكبرى تطبعها خصوصيات طبيعية وبشرية، يمكن إجمالها فيما يلي :

- **جبل تيسة ومنجمه المحلي** : تسمية الجبل هي تسمية محلية فقط لأن الشكل الحقيقي هو التل، وهو عبارة عن كتلة صخرية مكونة من الطين الأحمر والملح والجبس وفتاتات من الدوليريت، وكلها تكوينات ترياسية، تمتد في الجنوب الغربي من مركز تيسة بمحاذاة واد اللبن يبلغ طول هذه الكتلة حوالي كيلومترين وعرضها يتراوح بين نصف كيلومتر وكيلومتر واحد. يستغل الجزء الجنوبي الغربي من هذه الكتلة لاستخراج الملح، حيث أقيمت لهذه الغاية أحواض للمعالجة.

- **السوق الأسبوعي لتيسة** : يعتبر هذا السوق الأسبوعي الذي يقام كل يوم أربعاء، من أكبر أسواق منطقة الحياينة. تسوق فيه منتجات محلية كالحبوب والخضر والفواكه والمواشي والدواب ومن أهمها الخيول. وهو سوق يتعدى إشعاعه حدود المنطقة، ليمتد إلى السايس والأطلس المتوسط والريف في الشمال. وتعتبر مدنية فاس المزود الرئيسي لهذا السوق وللمركز الحضري لتيسة بالمواد الأساسية.

- **موسم الخيول بتيسة** : تشتهر تيسة بصفة خاصة، ومنطقة الحياينة بصفة عامة، بموسم الخيول الذي ينظم في شهر شتنبر من كل سنة. ينشط هذا المهرجان بإقامة حفلات تستعرض فيها الأجواق الفلكلورية وبتنظيم مسابقات للخيول. ويدل تنظيم هذا الموسم على أهمية تربية الخيول والعناية بها في هذه المنطقة.


*الاحصاء العام للسكان والسكنى ؛ بحث ميداني شخصي.*

A. El Bouzid, *Vallée moyenne de l'Oued Lebène Prérif Maroc : Etude de cartographie géomorphologique*, thèse de doctorat de 3ème cycle, Université de Poitiers, France, 1987 ; G. Lazarev, *Structures agraires et grandes propriétés en pays Hayaïna*, *R.G.M.*, n° 9, p. 23 -57, 1966.


عيسى البوزيدي

**تيسّو**، شارل جوزيف Tissot، عالم فرنسي له أبحاث مهمة في تاريخ المغرب القديم، ولد بباريس في 29 غشت سنة 1828، ينتمي إلى أسرة عريقة أصلها من إيطاليا العليا. دخل إلى تونس كتلميذ قنصل عام 1852 وتعلم العربية والتركية، واستوته الأبحاث الأثرية في هذا البلد

حيث قام بعدة اكتشافات، كانت له ثقافة واسعة وعلم بالنصوص الإغريقية واللاتينية.

في سنة 1865 زار مصر ورودس ولبنان وسوريا، وبعد ذلك تابع بدون ملل بحوثه *الجغرافية المقارنة للمقاطعة الرومانية بإفريقيا*.

وفي سنة 1871 حقق حلمه المتعلق بالعودة إلى أرض إفريقيا، حيث تقلد منصب وزير مفوض مطلق الصلاحية بالمغرب وهكذا استعاد حيويته، ليبدأ اكتشافاته من جديد. ويقترن مقامه بالمغرب ما بين 1871 - 1876 بأخصب فترة من حياته الاركيولوجيه، لقد استطاع أن يتتبع كل الطرق الرومانية بالمغرب، محاولا رسم جميع بقايا المدن والمراكز الرومانية التي استطاع مصادفتها في رحلاته. لم يستطع من جاء قبله أن يقوم بدراسة مستفيضة لموريطانيا الطنجية القديمة، وفي نفس الوقت الذي كان يحرر بحثه حول موضوع *بحوث حول الجغرافية المقارنة لموريطانيا الطنجية*، كان يتابع عمله حول طرق المواصلات القديمة بتونس، لقد استطاع نشر النقوش اللاتينية القديمة التي اكتشفها بسيدي علي بوجنون، بالمجلة الأركيولوجية، هذه النقوش التي ساعدته على اكتشاف موقع مستعمرة بناصا. وبعد رحلاته المتعددة إلى مختلف المناطق المغربية اكتشف مجموعة من النقوش اللاتينية الجديدة بموقع وليلي. لقد كان شارل تيسو في دراسته لهذه النقوش يستعين بخبرة صديقه المتخصص ليون رينيي Léon Renier. بعد انتهائه من تحرير عمله حول موريطانيا الطنجية يضعه بين أيدي صديقه Ernest Desjardins ليطلع عليه ما بين 16 يوليوز 1875 و7 أبريل 1876. ونتيجة لهذا العمل حظي بانتخابه أو بقبوله عضواً مراسلاً للأكاديمية. ويحمل هذا الانتخاب في طياته اعترافاً ضمنياً بقدراته العلمية لكنه عوض أن ينشر عمله آنذاك فضل الاحتفاظ به إلى أن يدخل عليه مجموعة من التغييرات. وبالإضافة إلى هذا، فإن انشغاله بمهمة أثرية بتونس لم تساعده على نشر هذا العمل في أوانه. بعد انتهاء هذه المهمة انتهت مهمته كذلك بالمغرب.

شرع تيسو سنة 1879 في إعداد برنامج بحث جديد بتونس، وهو محاولة جرد وادي بگرادا Bagrada، ورغم ظروف العمل القاسية والمرض الذي أصابه فقد استطاع تحرير بحث جيد حول هذه المهمة عنوانه *حوض بگرادا والطريق الرومانية من قرطاجة إلى هيبون مروراً ببيلا ريگيا* Bella Reci. لقد مكنه هذا العمل من انتخابه كعضو حر بالأكاديمية وذلك سنة 1880.

وخلال هذه السنة بدأت صداقته مع المؤرخ الالماني توماس مومسن. كان هذا الأخير قد شرع في نشر *مدونة النقوش اللاتينية لإفريقيا* والتي سيساهم فيها شارل تيسو، بحيث وضع رهن إشارة مومسن كل النقوش اللاتينية التي عثر عليها والتي لم ينشرها بعد، على إثر هذه العلاقة التي جمعته بتومس مومسن، سيقوم هذا الأخير بتنصيب شارل تيسو كعضو عادي بالمعهد الأمبراطوري الألماني.

وفي مارس سنة 1881، فتحت معاهدة الحماية التي فرضت على تونس، عهداً جديداً أمام البحث الأثري. لقد اهتم عدد كبير من الباحثين ومن بينهم مجموعة من الطبوغرافيين بعمليات نقل النقوش اللاتينية والتصاميم الطبوغرافية لمختلف المناطق التونسية، هذا الاهتمام أكد النتائج التي توصل إليها تيسو، ولكنها أوشكت على تخطيها بكثير. كان تيسو في هذه الفترة يباشر مهمة سفير في القسطنطينية، ومع ذلك فإنه حاول أن يشرف على هذا التهافت الاثري لمختلف الباحثين، كما حاول توجيهه إلا أنه كان لابد من وجوده في عين المكان. وفي نفس الصدد حاول سلمون ريناخ Salomon Reinach أن يكلف بعض أعضاء المدرسة الفرنسية لروما بالبحث الأثري بتونس، إلا أن هذا الاقتراح قوبل من طرف تيسو بالرفض، بدعوى، كما كان يردد دائماً، أن إفريقيا ولايته. وأمام هذا الاهتمام المتزايد للباحثين بتونس، قرر تيسو تخليه عن مهامه الديبلوماسية وانكبابه على مهمة تسيير البحث بتونس. وفي هذه الفترة قدم بحثه حول سرية القيصر بإفريقيا وذلك بالمعهد حيث حصل على نجاح جد مهم.

لم يعد شارل تيسو في أواخر حياته يهتم إلا بكتابته حول الولاية الرومانية بإفريقيا وبحفرياته بقرطاجة، وآخر عمل قام به هو تصحيح تصميم قرطاج وتحريره لفصل خاص عن طبوغرافية قرطاجة الذي عرضه على صديقه سلمون ريناخ، وانطفأت شعلة حياته في 3 يوليوز 1884، تاركا جميع مخطوطاته ورسومه لسلمون ريناخ الذي عمل على نشر كل أعماله.

يتضح أن هذه الشخصية التي يقترن اسمها بمجموعة من الأعمال والأبحاث الأثرية المغربية استطاعت أن يجمع ما بين البحث الأثري والحياة الدبلوماسية، أي أنه استفاد من مجموعة من التسهيلات والامكانيات التي لم تتوفر لشخص آخر. يضاف إلى هذا قدرته العلمية وثقافته اللامعة، بحيث إنه كان على اطلاع على جميع النصوص القديمة التي أشارت إلى مختلف المواقع سواء في تونس أو في المغرب، وأهم مثال على ذلك هو الاشارات إلى المؤرخين القدامى التي يستعملها بالنسبة للمواقع المغربية في بحثه المستفيض حول *الجغرافية المقارنة لموريطانيا الطنجية*. نشر شارل تيسو العديد من البحوث التي مازالت تعتبر مرجعاً إلى يومنا هذا في الميدان الأثري وهذه المؤلفات هي كالتالي :

رسالته الجامعية بعنوان :

- *Des Proénies grecques et leurs analogies avec les institutions consulaires, et de Tritonid lacu*, Dijon, 1863. *Itinéraires de Tanger à Rabat*, Paris, 1876.
- *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, dans Mémoires et l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres, T. IX, Paris, 1877.
- *Le bassin du Bagrada et la voie romaine de Carthage à Hippone par Bella regia*, Paris, 1881.
- *Recherches sur la compagne de César en Afrique*, Paris, 1884.

- *Fastes de la province romaine d'Afrique*, publié par S. Reinach, Paris, 1885.
- *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique* (Publié par S. Reinach), 2 vols + 1 vol, Atlas, Paris, 1884 - 1891.

حسن ليمان

**تيسرگيوين**، أو تِسرگون، أسرة صحراوية لعبت أدواراً تاريخية مهمة، وماتزال قرية تيغمرت تجسد مخلفات نول لمطة بوادي نون حيث احتفظ الشارع التجاري المركزي باسم تامسّوقت منذ ما قبل المرابطين. على مقربة من معمل سك الدينار الذهبي المرابطي كانت تتجلى أهمية هذا السوق المركزي في أثمان المنازل التي اشترى عمار بن محمد تسْرگونْ إحداها حوالي سنة 1160 / 1750. تبرهن وثيقة الشراء على تداخل المشجرات النسبية داخل فصيلة أيت احماد أُعلي من قبيلة أزوافيط (إزفاضن) حين تؤكد انتماء المشتري إلى هذه الفصيلة. كيف يمكن لمن تأمل صيغة تسرگون التي تخص بها الوثائق هذه العائلة أن يتأكد من علاقات الامتزاج القرابية ؟ ما يسترعي الانتباه هنا هو كون صيغة تسرگون لاتستنفد إمكانيات المقارنة مع الصيغ المشابهة. أول شيء يجب أن نؤكد عليه هو أن الكتابة السليمة لصيغة تسرگون تعتبر محلياً هي تيسرگيوين. وهي صفة إلزامية تفيد الجبليين المنحدرين من مرتفعات الأطلس الصغير إلى السهول حيث استقرت منهم هذه العائلة بتيغمرت. إذا كانت صيغة إيبودرارن هي المرادفة الفعلية لصيغة تيسرگيوين، فإنه يكون لزاما علينا الرجوع إلى ما قالته المصادر لمعرفة ما جاء حول هذا الموضوع.

لكي نتبين صور الترابط المجالي والنسَبي يحسن بنا أن نعود إلى ما قاله الباعقيلي منذ أربعة قرون حين تحدث خلال القرن العاشر (16 م) عن تيغمرت التي قضى بها أربع سنوات. علاوة عن كونه يعتبرها قاعدة نول لمطة القديمة نجده يؤكد بأن بلدة تيزرگين تدخل في نطاق المجال المجاور لها. وهو ما يؤكد بأن القرب المجالي يشكل لحاما لاستقراء الذاكرة التي تصب كلها في قالب نسبي معين. قد لايتعلق الأمر هنا ببلدة تيزرگين القريبة من أمانوز بقدر ما يتعلق بمدشر أخذ في التلاشي والاندثار منذ زمن الباعقيلي (*مناقب*، 28). مهما يكن فإن شهرة فقهاء تيزرگين ستتأكد على لسان الباعقيلي والتامنارتي على حد سواء في شخص العالم الصوفي أحمد بن عبد الرحمان التيزرگيني المعاصر لمحمد الشيخ السعدي. بل إن التامنارتي يؤكد على أن هؤلاء الفقهاء كانوا يستثنون منطقتهم من بلد سوس الذي كانوا يسمونه "بلد الملك" (م. السوسي، *المعسول*، 3 : 267 ؛ At Tamanarti, *Fawa'id*, 80 - 81). كما أن من المقاربات التي استوجبت يومها الربط بين بلدة تيزرگين وتيغمرت وفرة الماء والخضرة التي تغنى بهما الشعراء في هذه الضفة الصحراوية. أورد م. المختار السوسي بعض ما قاله البونعماني في حق تيزرگين مستوجبا بذلك تمييز المكان عما حواليه من اصفرار وقلة ماء وحرارة مفرطة (*المعسول*، 3 : 278).

نرى إذن أن الوقائع تستوجب مقارنة تيسرگيوين بتيزرگين التي يحورها الحضيگي بدوره إلى صيغة تصرگن (*طبقات*، 1 : 12، 13) فيصبح بذلك لزاما علينا أن نعتمد الدراسة الميدانية لنستشف أي هذه الصيغ أقرب إلى الوثائق التي بين أيدينا والتي تقتصر على تسرگون. هنا نسجل بأنه إذا كانت صيغة تيسرگيوين هي أقرب هذه الصيغ إلى الاستعمال اليومي فإن الصيغ المتبقية تكشف عن دور الفقهاء في تنويع الصيغ المكتوبة وتحريف النطق. وقد يكون من الضروري لتبيان طبيعة التفاعل بين الصيغ المتقاربة الربط هنا بين تيسرگيوين القدامى وإحدى فصائل الغور الصنهاجي الأقدم بمنطقتي تيرس وأدرار بالصحراء الأطلسية (المختار حامدون، *حياة موريتانيا*، x : 9 من ملف الأنصار ؛ P. Marty, *Les tribus*, 31). فبتيرس حيث مايزال أحد الآبار يعمل اسم إسرگاو تمثل قبيلة إسرگاون علامة من علامات التاريخ الصنهاجي الممتد عبر القرون البعيدة. ولربما كان للانتجاع الكبير ونمط العيش الترحالي دوره في الوصول بإسرگاون إلى بسيط أگادير حيث اعتادت محلة السلطان مولاي الحسن الأول الإقامة قرب المرسى (ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 217، 245) وحيث أقيم فيما بعد أقدم مطار بالمدينة. لا تندرج آليات الحركة الانتجاعية الكبيرة فقط ضمن السياق الداخلي لتحالف فصائل صنهاجة بل أيضاً في مواجهة المد الحساني منذ القرن الثامن (14 م) وبذلك يبدو معنى القرب المجالي بين تيغمرت وتيسرگيوين خلال القرن العاشر (16 م) كمن يركز على أن التحالف لايعود فقط إلى التوازنات الانقسامية، بل كذلك إلى المهام الأمنية التي تنهض بها كل فصيلة أو تجزئة صنهاجية. فيكون من بين أهم الاحتمالات التي يمكن أن نصل إليها هو أنه يصعب علينا الحديث عن بنية حربية تحالفية.

في خصم المد الحساني - المعقلي على وادي نون والساقية الحمراء خلال القرن العاشر (16 م)، لم يحل اضمحلال نول لمطة التجاري دون صمود أيت الخنوس وأيت يكو وإدا أولگان وأيت امحند أو لحسن وأيت احماد في تيغمرت. تقدم أيت احماد أوعلي لإقامة حزام واق يحد بين هذه الفصائل والهجمة الحسانية خاصة لأولاد مبارك يومها. على أن صراعاً مفتوحاً سينتهي بطرد إدا أوعقان المقيمين حالياً بتارگمايت محدداً دور أيت أوعلي في اكتساح المجال القروي. قبل هذا الاكتساح، كان أيت احماد أوعلي ينتجعون قرب المداشر والقصبات فارضين مقاييس جديدة تعتمد يومها التدخل الحربي على المستويين المحلي والجهوي. بهذا المعنى، فإن إدماج أسلاف "عمار تسرگون" الذي رأيناه يشتري داراً بتيغمرت في منتصف القرن الثاني عشر (18 م) في إطار أيت احماد أوعلي يركز على مفهوم التحالف ويطرحه على أنه الإطار المحدد لآليات القرابة. لاشك أن قلة المعطيات الأولية تحول دوننا والتأكد

هنا من صحة المقولة التي تجعل من أسلاف "عمار تسرگون" أمراء وأعياناً أعطوا الأولوية يومها لجوانب الصراع المفضي إلى طرد مزاحميهم. حقاً كانت تيسرگيوين لا تقل ماء وخضرة عن تيغمرت، غير أن اندماج أسلاف "عمار تسرگون" في إطار أيت أحماد أوعلي يعد نتيجة أوضاع جديدة مختلفة عن الوضعية السابقة. ولعل في التأكيد على جوانب هذا التداخل ما يحدد هنا المستوى الاجتماعي المميز لأسلاف عمار تسرگون. فبينما لا يرتبط ذكر هذه العائلة إلا بالنشاط الحربي أو الفلاحي، تؤكد الرواية الشفوية تعاقب كبارها على رأس لوائح أعيان القبيلة ولف أيت عثمان التكني.

إذا تناولنا لوائح أعيان قبيلة أزوافيط على امتداد القرون الثلاثة الأخيرة وجدنا أن أهل عمار لن يتجردوا من الانتساب إلى "تسرگون" قبل عام 1229 / 1814. على أن عدم التصاق هذه النسبة يسعفنا هنا في معرفة حلقة قوية في سياق تبلور فصيلة أيت احماد أوعلي داخل قبيلة أزوافيط. إن اندراج كل عين من أعيان القبيلة ضمن إطار اجتماعي كلي يبرز بما لا يدع مجالا للشك مكانة أهل عمار على رأس سلم التراتبات المجتمعية. كما أن تصدرهم الأحداث الحربية والسياسية يتجلى في قدرتهم على احتكار أرض تيرمسين باعتبار أن تلك منطقة بكاملها يمس جوهر الحياة الاجتماعية. لن يفوتنا إذن التأكيد على أن هذا التمكن يجعل من أهل عمار كيانا مستقلاً قائماً بذاته يندرج في سياق احماد أوعلي كوحدة متكاملة، حقاً لم يكن الناس يوثقون ممتلكاتهم من الأرض البورية خلافاً للماء والبساتين المسقية والمنازل، على أن الشهادات العينية تؤكد بأن آليات التحالف مع أهل الفيجج (أهل علي أوعبد الله قائد المولى إسماعيل) كانت قد تجاوزت منذ القرن الثاني عشر (18 م) التعارضات الانقسامية. بل إن من شأن مصاهرة عمار تسرگون لأهل علي أوعبد الله أن تحجب عنا التباينات النسبية مرجحة تكافؤ الوزنين الاجتماعي وتوظيف النفوذ الحربي في الاستحواذ بشكل أو بآخر على الأرض والساقية (أزوافيط، *المعلمة*، 364. 367). على أننا إذا أسقطنا من حسابنا ممارسات أبناء عمار تسرگون التي ترجع في أصلها إلى تمتين النفوذ الذي خلفه والدهم، نكون قد أهملنا دور الصلات المعقودة في تجاوز التعارضات الانقسامية وتجسيد مفهوم التماسك الزفاطي.

خلف عمار بن محمد تسرگون الجد الفعلي لهذه العائلة ثلاثة أولاد هم احماد وبلال وبيروك خلال فترة تميزت في أواخر القرن الثامن عشر بطرد إحدى فصائل أيت احماد من تيغمرت إلى إيغرم إيگزولن (V. Monteil, *Notes*, 17). تتمثل علاقة هؤلاء الأبناء بالأرض المسقية في شراء احماد أوعمار ليلة ماء بساقية تيغمرت تقدر بـ24 ساعة مائية أهمية هذه العملية تنكشف أكثر إذا علمنا أنها قد تمت في آخر ربيع الأول 222 / 7. 6. 1807 حسب ما خطه العدل عبد العزيز بن علي الزيات. ذلك أن طاعون 1798. 1800 كان يومها قد جمد الديناميات الفلاحية والبشرية بسهول سوس ودكالة والشاوية وحال دون الفلاحين والاستفادة من وفرة الأمطار (Jakson, *An Account*, 175). وإذا كنا نجهل ما إذا كانت مدة هذا الطاعون قد ضربت وادي نون بنفس الدرجة، فإن الخلافات التي انفجرت بين أبناء عمار بن محمد تسرگون حول اقتسام دار تامسوقت في أوائل ربيع الأول 1223 / 27. 4. 1808 تبدو مرتبطة فقد شكل تملك احماد التعسفي لهذه الدار سبباً في احتداد الصراع بينه وبين أخويه إلى أن تراضوا في التاريخ المذكور بشهادة مبارك بن العبد التناني الزروالي. يبقى إذن والحالة هذه أن نتساءل ما إذا كان تفكك الهياكل المحلية بفعل الطاعون وهجرة أيت احماد هو الذي فسح المجال أمام توزيع الملكيات المهجورة والموارد المائية ؟ للإجابة عن هذا السؤال يجب ألا نتغافل عن كون تشبث أبناء عمار بن محمد تسرگون بالأرض والساقية يصب في اتجاه التملكات الخاصة والاقتطاعات التي سنها والدهم منذ منتصف القرن السابق. نقطة ثانية يجب أن نأخذها بعين الاعتبار هي دور وثائق القرى والمداشر المجاورة في إثبات زحف الملكية الخاصة ونزوعها المتزايد يومئذ إلى التوسع على حساب الأرض الجماعية التي أصبحت بسبب ذلك تفقد تدريجيا وزنها القديم في الحياة الاجتماعية. من هنا فإن التنافس على تملك الأراضي والساقية يدخل دون شك في إطار تطوير الدور الفلاحي الذي كان يعززه أبناء عمار في تيغمرت وأحوازها. على أن ثالث نقطة يجب أن نقف عندها هي دور أنماط الملكية والوزن المختلف لكل منها على مستوى انتظام أبناء عمار بن محمد تسرگون في الحياة الاقتصادية بتيغمرت.

إذا كنا لا ندري مدى تأثر وادي نون بمضاعفات الطاعون الجارف، فإن هجرة إدا أوبلال وأولاد دليم وأولاد بوالسبع إلى ظاهر تاسريرت (أيت باعمران) ومراتع تكنة (*المعسول*، 3 : 250) قد رفع من مستوى الطلب على المواد الاستهلاكية. نتصور أن فئة من التجار قد تكون تصدرت لمهمة إمداد المنطقة بما تحتاجه من حبوب مستندة في ذلك إلى أرستقراطية حربية أحكمت تنظيم النقل من الشمال. هذا ونتساءل لماذا اشترى احماد أو عمار كمية هامة من الحبوب بالمنطقة الشمالية (التل) سنة 1223 / 1808 ؟ قد تساعد هذه العملية على تسليط الأضواء على ازدواجية دوره التجاري والحربي أو قد تفيد توفره على فائض نقدي كبير أهله لتقليص وطأة الطبيعة. هذا الاحتمال الأخير يبدو مستبعداً لسببين : أولهما أن وفرة الأمطار خلال هذه السنوات قد سهلت تربية المواشي وتحقيق الاكتفاء الذاتي من الحبوب. ثانيهما أن طغيان تربية المواشي على الفلاحة بفعل هجرة الرحل قد هيأ لمحتكري الأراضي الفلاحية المسقية فرصة التفتح بدرجة أكبر على تجارة الأسواق ومنتجاتها النباتية. نرى إذن أن الطاعون الذي تسبب في إعادة توزيع الثروات لايساعدنا في الحكم على نزوع أبناء عمار بن محمد تسرگون نحو الاستحواذ على الفائض

الزراعي. هذه السمة الطاغية على متملكي الأرض المسقية جسدت دائماً سعيهم إلى الحفاظ على التحامهم والدفاع عن كيانهم ضد مخاطر مد الرحل مربي المواشي.

إذا حاولنا في الواقع الراهن للبحث أن نتتبع مسار هذه العائلة، فسنكون مضطرين للاقتصار على وثائق احماد أوعمار بن تسرگون وابنه عمار. خلال إحدى وعشرين سنة التي ربطت بين 1807 و1828 تخول إحدى عشرة وثيقة لاحماد أوعمار التحكم في قدر هام من ماء ومرافق ساقية تيغمرت حسب ماتسمح به نصوص العرف المحلي والشريعة الإسلامية. تميزت هذه الفترة بظهور طاعون 1819. 1820 (الزياني، *الترجمان*، 435) ومجاعتي J. F. Clement, 1817) (40 - 20 ,*Revoltes* و1825 (الزياني، *الترجمان*، 435). من بين هذه السنوات الإحدى والعشرين، تمثل فترة 1810. 1819 مرحلة سعي احماد أوعمار الحثيث إلى إنماء ملكيته وتوسيع نطاقها كمؤشر واضح عن عدم استفادته من السنوات العجاف، وهي حقيقة تؤكد ما رأيناه من عدم اعتماده على مضاعفات الكوارث الطبيعية للاستفادة والاستغناء السريع. بل نسجل على العكس من ذلك أن طاعون 1819. 1820 قد حد بشكل حاسم من وتيرة مشترياته العقارية والفلاحية. معنى هذا أنه رغم استحواذ الفلاحة على قسط كبير من جهوده يعتمد على تربية الماشية في تحسين مداخيله. وهو ما يفسر إلى حد كبير مدى تأثره بظاهرة تفشي الوباء الجارف التي كانت تقتضي ضرورة التنقل والترحال بعيداً عن المداشر.

نظراً لتباين مكونات المحيط الزفاطي ولما يسود لدى أيت احماد أوعلي من قيم مساواتية، فقد اقتضى قانون المعاملات الداخلي الاندماج الفعلي في عمليات الدفاع والهجوم. تعددت أسباب الاصطدامات القبلية وكشفت يومها عن قدرة احماد أو اعمار بين ذويه حيث ماتزال الرواية المحلية تفرده بصفات مميزة كانت السبب في اطلاق تسمية "الحمْيِّر" عليه هذا ما يمكن أن نتأكد منه إذا نحن تصفحنا وثيقة 1 رجب 1231 / 28.5.1816. كان التعايش بين أشباه الرحل من شماليي الصحراء وذوي النجعات الكبيرة يصل إلى حد الاندماج بالساقية الحمراء وتيرس. كما أن أراضي وادي نون البورية لم تكن مفصولة عن أراضي الرعي إلاّ خلال فصول الاستغلال في السنوات المطرة. ندرك لماذا جسدت هجرة بعض قبائل الصحراء إلى المنطقة مقتضيات الالتحام الزفاطي. فمهما تكن حدة الخلافات، نجدها لاتنفي كون الخط العام للعلاقات يغلب عليه طابع التوافق والتساند. ومن الملاحظ بهذا الصدد أن حماس احماد أوعمار للدفاع عن مرس ازريويلة ومدشرها الذي غادره إزرگين وأيت بلقاسم، دفعه إلى بناء إحدى أكبر منازل المدشر في حركة كانت تستهدف إقرار الأمن الداخلي. عمد احماد أوعمار إلى حصر فائض الإنتاج الفلاحي ضمن حدود توفير الاحتياطي الضروري لمواجهة طوارئ الخصاص، كان لابد أن يدرج هذه العملية الاقتصادية في سياق عام من الممارسات القرابية التي سهلت فعالية التحالف مع أيت بليد إحدى فصائل أيت احماد أوعلي، لم تكن صدفة أن تتعزز مكانة احماد أوعمار داخل أيت بليد في وقت كان هدف أيت ياسين المجاورين لازريويلة هو إضرام النار في مطاميره وداره المتميزة. فالمعايير التي يتم على أساسها التمايز الاجتماعي لم تكن تأخذ أشكالا اقتصادية صريحة بقدر ما كانت تتلبس بقيم ورموز مقبولة اجتماعياً، أو تختفي وراء فاعليات لاتجرؤ على تبيان معالمها ومراميها الاقتصادية. لسنا ندري في الواقع الراهن للأبحاث ما إذا كان احماد أوعمار قد خلف أبناءه من أم تنتمي إلى أهل المهدي الذين يمثلون أقدم عائلة بوليدية، على أن مصاهرة جل أبنائه وسليله لهذه العائلة يسمح لاختبار مدى نجاعة الاستراتيجية القرابية والمكانة المتميزة للطرفين. لقد كان الزواج ينظم التعايش ويسهم في تقوية التداخل القرابي مع المحافظة على تعارضات البنية الانقاسمية البلدية. لقد جسد أهل اعمار بدون شك عامل تقوية لم يكن يتعارض مع المبادئ التي كان يقوم عليها أيت بليد كما سنرى.

لاشك أن احماد أوعمار بن محمد تسرگون قد توفي بعد آخر رسم يحمل اسمه في منتصف ربيع الأول عام 1244 / 25.9.1828 وأول رسم يحمل اسم ابنه عمار في غرة شعبان عام 1244 / 6.2.1829 عن سن تناهز المائة حسب الرواية الشفوية. السمات المميزة لهذه السنة هي ظهور داء الكوليرا الذي ضرب المغرب مخلفاً عدداً كبيراً من الضحايا قد يكون احماد أوعمار من بينهم. تكون بذلك مرحلة الخصوبة التي ميزت الحقبة السابقة قد مكنت المتوفى من توظيف نفوذه الحربي والفلاحي في فسح المجال أمام أبنائه. إذا كان تراتب هذا المجتمع يقوم بدرجة كبيرة على أساس هيمنة المعيار القرابي والاجتماعي، فإن سياسة ابنه عمار ستجسد امتداداً فعلياً. تتدرج الرسوم التي بين أيدينا من 1244 / 1828 إلى سنة 1284 / 1867 لتكشف باسم عمار بن احماد أوعمار عن ثمان وثلاثين سنة من العمل على توسيع نطاق الملكية العائلية في إطار مزاولة الفلاحة وتربية المواشي.

يكشف استعراض هذه الأنماط من الملكية التباينات القائمة ما بين تيغمرت وازريويلة والوزن المختلف لكل منهما على مستوى انتظام الحياة الاقتصادية للسكان. فإذا كانت ازريويلة مشاعة اقترن دخول أيت بليد وباقي أيت احماد أوعلي إليها بأحداث الفترة المعاصرة لاحماد أوعمار، فإن أشكال الملكية في ساقية تيغمرت قد انتقلت لتقترن بدينامية القيم الأحماد أوعلي. إذا لم نسقط من حسابنا هذا النمط من التملك التعسفي الذي يرجع في أصله إلى سيطرة أعيان أيت احماد أوعلي، وجدنا عمار بن احماد أوعمار يحصل بساقية ازريويلة على أربع وعشرين ساعة مائية كأكبر وحدة تم احتكارها. ولا أدل على ذلك من أن بقايا الغور الأزرگي الأقدم (أهل ازريگين وأهل بومزيريگ)

الذين كانت لهم أولوية استقبال الوافدين من مرابطي أيت إيعزى وهدى لم يتمكنوا من توظيف نفوذهم من أجل محاربة مد أهل لحمير، تسجل المصادر الشفوية الالتحام الزفاطي المتمخض يومها عن تحريك دينامية قيم التملك التعسفي كمظهر من أقوى مظاهر التضامن الزفاطي وأوثقه. يكفي أن ننظر لدور هذه القبيلة الحربي في تخريب قصبة گلميم يومها لنتأكد من الالتحام الزفاطي على جميع الواجهات الحربية. لم يكن السواد الأعظم من أفراد القبيلة ينتجون ما يستهلكون معتمدين على تربية المواشي كوسيلة للتبادل. أما انفتاحهم على منتجات السوق، فإنه لم يبرز من بينهم إلا قليل جداً من الوسطاء المختصين في مهام التوزيع بصفة متواصلة. كان عمار بن احماد أوعمار شأنه شأن جل أزوافيط مربيا للماشية فلاحاً لايقيم بداريه بتيغمرت وازريويلة إلا خلال الشتاء بائعاً ومستهلكاً محتضناً صراعات أيت بوليد وباقي الفصائل على أنها الحد الأدنى لما يمكن أن يحدق به من خطر. هذه السمات هي من صميم البنية الاجتماعية كما يمكن أن تكشفها الوثائق التي بين أيدينا.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 ؛ م. البعقيلي، مناقب، 1987 ؛ م. الحضيگي، طبقات 1355 / 1936 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 3 ؛ المختار بن حامدون، *حياة موريتانيا*، ملف الانصار ؛ مجهول، *الابتسام عن دولة ابن هشام*، مخطوط خ ح ز 1242 ؛ الزياني أبو القاسم، *الترجمان المغرب*، مخطوط خ ع، د 658 ؛ محمد سالم ولد لحبيب ولد الحسين ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، 1992 ؛ *معلمة المغرب*، *مواد أزوافيط*، تيغمرت، أيت بوليد.

J.F. Clement, *Révoltes et repressions au Maroc*, *Al Asas*, n° 13, Janvier 1979, 20 - 40 ; F.C. De La Cappelle, *Les Tékna du S-O Marocain* ; J. C. Jackson, *An Account of the Empire of Morrocco*, London, 1811 ; P. Marty, *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, 1914 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna du Sud Ouest Marocain*, 1948 ; Tamanarti, *Fawa'id al Jamma*, 1953.

مصطفى ناعمي

**تيسْكاوِينْ**، أو تاسْكاوين، جمع تسْكت وهو القرن بالتأنيث المراد به التصغير في لغة المصامدة، وقبيلة أيت تيسكاوين أو أيت تاسكاوين من قبائل الأطلس الكبير، عرفت بهذا الاسم لأن أهلها توارثوا، لسبب له علاقة بجهاد الأجانب الغازين للمغرب في بداية العصر الحديث، تقليد حمل قرون من فضة مثل تلك التي يوضع فيها البارود، والقرون التي ظلوا يحملونها اليوم. إنها يحملونها فوق الكتف الأيسر للتزين عند أداء رقصة صارت تعرف برقصة القُرينات وقد اختصت بها هذه المجموعة دون غيرها، وهي تؤديها في حركات تحكي الكر والفر وحركات تربص ومخاتلة.

تنتشر رقصة تيسكاوين بالقرى الممتدة في أودية جبال الأطلس الكبير الغربي في جبال گدميوة ولدى قبائل أغبار وخاصة سكساوة وإدا ومحمود، وتتجلى رمزيتها الاجتماعية في مظهرين أساسيين :

أولاً : في التنظيم المحكم لفرقة الرقص، حيث إن أفرادها يمثلون مختلف الأسر والسلالات التي يتكون منها المدشر، كما أنها تخضع لرئيس الفرقة أو المقدّم. ويلتزم أفرادها بلباس أبيض ويحمل كل واحد منهم على كتفه الأيسر قرناً مرصعاً بالفضة قد يصلح أيضاً كوعاء للذخيرة الحربية، وأثناء أداء الرقصة يلتقون في شكل دائرة حول الرئيس وهو مركز الرقصة وعنه تصدر التوجيهات لأداء الحركات بإيقاع سريع وموزون.

ثانياً : في الوظيفة الاجتماعية والثقافية لفرقة تيسكاوين سواء داخل القبيلة أو خارجها : إذ تتكون أساساً من الرجال دون النساء، ويغلب فيها الرقص والحركة على الكلام الموزون. وهي رقصة تصويرية تمجد خصال القبيلة وتعمل على تبليغ خطابها عن طريق حركة الجسم وجمل تتكرر من حين لآخر، وهذا ما دفع بالذين اهتموا بدراسة مجتمع الأطلس الكبير الغربي أمثال جاك بيرك إلى نعت هذه الرقصة برقصة الحرب تشبيهاً لها ببعض رقصات الحرب لدى الهنود الحمر. وقال عنها روبيرمونطاني في كتابه *البربر والمخزن في جنوب المغرب* (ص 191) : "تبدأ الحفلات عادة بالرقصة الحربية التي يقوم بها أيت تيسكاوين حيث يقوم حوالي خمسة عشر من الرجال يلبسون جبة من القطن الأبيض بهذه الرقصة ويزيّنون أكتافهم بقرن من الفضة يسمى تيسكت".

وعندما تستقبل القبيلة ضيوفها من قبيلة متحالفة معها فان استحضار فرقة تيسكاوين للرقص يعد من علامات الحفاوة بالضيوف. ومن رموز استمرار التحالف العسكري مع القبيلة التي ينتمي إليها الضيوف.

تتوارث الأسر القرن التي توضع على كتف الراقص "تيسكت" على امتداد الأجيال بحيث يمنع بيعها، إذ تعتبر بمثابة الرأسمال الرمزي للأسرة من جملة علامات انتمائها العريق للقبيلة. ومنذ أواخر العهد الاستعماري إلى اليوم لم تعد "تيسكاوين" تلعب تلك الأدوار الاجتماعية والثقافية، بل أصبحت اليوم عبارة عن فرقة فلكلورية عادية يؤتى بها للفرجة في المناسبات السياحية. أما في القبيلة فنادراً ما يؤتى بتيسكاوين للرقص ما عدا في بعض حفلات أعراس بعض الأسر المترفة.

الحسين بو لقطيب، *بعض جوانب العرف القبلي بمغرب العصر الوسيط*، *الاتحاد الاشتراكي*، *الملحق الثقافي*، 5 . 1 . 92.

J. Berques, *Structures Sociales du Haut Atlas*, Paris, 1959 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc*, Paris, 1930.

عبد القادر بوراس

**تيسْگنانْ**، قصبة ببسيط وادي نون وعند سفح سلسلة جبال أيت باعمران لا تبعد عن شمال القصابي إلا ببضعة أميال (انظر مادة *تگاوست بالمعلمة*). وتيسْگنانْ تبرز كامتداد عضوي لتگاوسْتْ القديمة حيث تمثل القصبتان مع قصبة أگاوس مجمل الصفات الطبيعية والحضارية والبشرية لملتقى بسيط وادي نون بمرتفعات أيت باعمران

(انظر مادتي *أكاوس وتاسريرت بالمعلمة*) تمر الطريق المتوجهة من باقي مداشر وقصبات نول لمطة القديمة بقصبة تيسْكْنَانْ (انظر مادة *أسرير وتغاجيجت وتيغمرت بالمعلمة*). وهي إشارة ذات أهمية قصوى تفيد مدى اقتراب تيسكنان من الجبل، ومن هنا دراسة نمط الاستقرار القروي بأماكن هي أشبه ما تكون بالبوابات الجبلية. قد يكون استخدام الكثافة الحسابية المطلقة للسكان هنا مقياساً مفيداً، رغم عيوبه، للمقارنة وإظهار التباين النسبي في التوزيع السكاني حسب الانتماء إلى الجبل أو السفح من جهة وكمؤشر لتوضيح التركيز السكاني في الموقع الأقرب إلى الجبل. فالخريطة التاريخية تكشف منذ ابن سعيد والإدريسي عن اكتظاظ موقع تكاوست وأكاوس وتيسكنان وعبودة ونول لمطة بالسكان (انظر مادتي *أكاوس وتكاوست بالمعلمة*). ولاشك أن الغور الكوشي اللمطي الجزولي والصنهاجي قد شكل أسلوباً محلياً في التداخل. كان التداخل بين لمطة ولمتونة من جهة وبين جزولة وكدالة من جهة أخرى يتم تبعاً لمقاييس حركية الترحال الرعوي وحقيقة الاندماج الفعلي بين سكان البسيط والجبل (انظر مادتي *تغاجيجت وتكجكالت وأيت تيكني بالمعلمة*). فسكان الجبل يتوفرون على مساكن بقصور ومداشر وادي نون مما يجعل منهم جزءاً لا يتجزأ من الغور الإثني المندمج. وكل محاولة للفصل يومها بين الجبليين وسكان البسيط تفشل أمام حتميه الانتماء الإثني والتداخل البين. ندرك من هنا لماذا فشل المد الحساني والشباني على المنطقة خلال خمسة قرون من احتكار المجال الترحالي المجاور في تغيير أو بلورة المعطيات الإثنية الأساسية. هذا ما يمكن أن نتأكد منه إذا تتبعنا مجمل المصادر المواكبة لهذه المرحلة الزمنية الممتدة منذ بداية القرن السابع (13 م) إلى حدود القرن الثالث عشر (19 م). بل الأكثر من هذا وذاك أن مقاييس التداخل الإثني مازالت تحد إلى يومنا هذا من صلاحية نظام التحالفات المجالي الذي ظهر بظهور اتحاديتي تكنة وأيت باعمران. ففي مثل هذه الجهات المتميزة بمجاورة صحراء الترحال يمثل الماء والسواقي عنصراً إنتاجياً نفيساً يربط الأهالي بالأرض على امتداد القرون ويحد من دور الهجرة والتنقل المحلي في تفتيت عوامل الارتباط الإثني.

هذا ما يمكن أن نقوله بشأن جل المداشر والقصبات، غير أن الواقع يختلف إلى حدما بالنسبة لتيسكنان. فقد أثبتت وثيقة الحماية التي أمضاها أهالي بوطاطا على امتداد تاسريرت ووادي نون وتامنارت وإفران سنة 1499 مع الحاكم العام الإسباني بجزر كناريا، تورط شيوخ بعض القبائل بهذه المنطقة في تحالف سياسي مع ملك ومملكة قشتالة (M. Naïmi, *Le Pays Takna*). وقد أصبح من السهل تبعاً للمعطيات التي كشفت عنها دراسة هذه الوثيقة إعطاء تفسير موضوعي لخلو تيسكنان من أهاليها الأصليين بعد أن استقر بها أحد شيوخ أولاد عمران بجيشه وعتاده وأهاليه. كانت معرفته للغة القشتالية ومصاهرته لشيخ تكاوست الذي ينتمي لنفس القبيلة من أكبر الدلائل على تجذره النسبي بعين المكان حيث كانت للمقيم العام الاسباني على جزر كناريا دار للإقامة بتكاوست. وتبعاً لذلك ندرك كيف تمكن هذا الشيخ وذووه من الاستيطان النسبي بتيسكنان الصغيرة المساحة. لم تكن هذه القصبة تبدو أكبر مما هي عليه اليوم، تحيط بها كمية من مياه السواقي لسقي المحاصيل وللأغراض المنزلية. وكان طبيعياً أن يهجرها غورها السكاني الأقدم حيث يشكل الجبل القريب أحسن أداة للتحصن من تحالف المد المعقلي الإيبيري. ندرك إذن لماذا أصبحت القصبة مباشرة بعد سطو الغور الأقدم عليها وطرد أولاد عمران والإيبيريين من المنطقة سنة 1500 م مقر إقامة الشرفاء الذين لايجرؤ أحد على معاداتهم (انظر مادة *أساكا بالمعلمة*).

استوطن الشرفاء وعمروا تيسكنان، فمازال دور أهل القصبة في التدخل بين المتخاصمين وحسم الصراعات المحلية والجهوية كبيراً إلى يومنا هذا. للتحقق من صحة هذه الرؤية أو عدم صحتها، فإن قياس العلاقة الفعلية بين أهل تيسكنان الشرفاء وباقي الفصائل المنحدرة من الجبل أو المقيمة بالبسيط يمكننا وحده من تحليل صيغ التحالفات المحورية أو المرحلية التي قامت منذ أربعة قرون. يمكننا أن نقارن بشكل تقريبي وعام تاريخ أيت باعمران كما يبينه لنا شرفاء تيسكنان بتاريخ تكنة. من هذا المنطلق يصير تاريخ الاتحاديتين تاريخاً للعلاقات المحورية بين البسيط والجبل وبنية مجالية تضفي على الصيغة التحالفية جوهراً سياسياً محضاً ويجعل من الاختلاف الإثني عنصراً معزولاً غير واقعي وغير قادر على تفسير النمو الفعلي للعلاقات بين فصائل الغور السكاني الأسبق بالسفح والجبل.

مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*.

F.C. De La Chappelle et P. de Cenival, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique : Santa Cruz de Mar Pequeña et Ifni*, *Hesp.*, 1935, 2 - 4ème trim., 19 - 77 ; Id. et Th Monod, *Description de la Côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal par Valentin Fernandès. 1506 - 1507*, Paris, 1938, 214 p. ; Id., *Les Tekna du Sud Ouest Marocain*, *A.F.*, 1934, 108 p. ; Cl. Justinard, *Villes et Tribus du Maroc*, Vol. VIII, *Tribus berbères*, T. I, *Les Aït Ba Amran*, 1930, 144 p. ; R. Ricard, *Les Portugais et le Sahara Atlantique au XVème siècle*, *VIème Congrès de l'IHEM*, *Hesp.*, 1930, 97 - 110 ; M. Naïmi, *Le pays Takna, Commerce et ethnicité avant la constitution confédérale*, in *le Maroc et l'Atlantique*, Faculté des Lettres, Rabat, 1992, 121 - 146.

مصطفى ناعمي

**تيسُوكَة**، جبل يقع بأرض قبيلتي بني زجل والأخَماس، يطل على مدينة شفشاون، وبه توجد العين التي تحمل اسمه وتكوِّن أحد منابع وادي لاَوْ، وأما علو الجبل على سطح البحر فيصل إلى 2.120 متر. ومن المعلوم أنه يوجد بقبيلة الأخماس مدشر يحمل اسم هذا النهر ويقع بفرقة تحمل نفس الاسم أيضاً.

A. Domenech Lafuente, *Apúntes sobre goegrafía de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 28.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **تيسيت**، عبد المنعم بن محمد (أو ابن أحمد)

الأغماتي، يكنىّ أبا القاسم. اختلفت المصادر في رسم اسم شهرته، فإذا كان ابن صاحب الصلاة وابن عبد الملك المراكشي يتفقان حول هذا الاسم كما ورد سابقاً، فإن ابن الخطيب يرسمه هكذا ابن تيست بدون يائين بعد التاء والسين، أما ابن القاضي فقد رسمه ابن تيست بياء واحدة بينما سماه ابن أبي زرع ابن تسميت بإضافة الميم، وهو مالم يرد في بقية الروايات. وعلى عكس ذلك نجد مصادر أخرى أشارت إلى كنيته فقط دون ذكر باقي الاسم، ومن هؤلاء ابن القطان والسيوطي والتجيبي.

كان عبد المنعم ابن تيسيت فقيهاً أديباً جميل الطلعة أزرق العينين، انتقل من مسقط رأسه أغمات إلى فاس أيام الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي واستوطنها، لكن المصادر لم تذكر شيئاً عن ولادته أو وفاته. ومن خلال المعلومات القليلة نستنتج أن ابن تيسيت كان أحد أدباء العصر الموحدي الأول وفقهائه، إذ تتلمذ على يد كبار فقهاء هذه الفترة وأدبائها من أمثال القاضي الأديب أبي بكر عبد الله ابن ميمون القرطبي وأبي محمد اللخمي السبط، وقاسم الزقاق وغيرهم، فأصبح بفضل هؤلاء من أهل العلم عارفاً باللغة والأدب والحساب. كما أخذ عنه الكثير من أهل عصره، إذ يذكر ابن الأبار أنه وقف على إجازة بخط ابن تيسيت لبعض أصحابه مؤرخة في غرة رمضان سنة ثمان وتسعين وخمسمائة.

ومع ذلك فإن المصادر المغربية الوسيطية بمختلف أنواعها لم تول عناية للجانب العلمي والأدبي في شخصية ابن تيسيت بقدرما اهتمت بقصة علاقته بأستاذه أبي بكر ابن ميمون. تشير أحداث هذه القصة إلى أن ابن ميمون كان يحضر مجالس الخليفة عبد المؤمن إلى جانب جملة من العلماء والأدباء يتجاذبون أطراف العلوم والآداب. وفي أحد هذه المجالس أنشد أبياتاً يتغزل فيها بابن تيسيت مطلعها:

أبَا قاسِمٍ والهَوى جِنَّـةٌ ... وها أنا من مَسِّهَا لمْ أفِـقْ

وعندما سمع عبد المومن هذه الأبيات هجر أبا بكر ومنعه من حضور مجالسه بعد ذلك، كما منع أبناءه من القراءة عليه.

ومن المعروف أن ابن ميمون نظم كثيراً من المقطعات الغزلية في أبي القاسم ابن تيسيت حفظها الناس وتناقلوها فيما بينهم، لكن لم يبق منها إلا شذرات في بعض المصادر. وقد حاول بعض الذين ترجموا لأبي بكر أن يبرزوا في حياته الجانب الأخلاقي والسلوكي فوصفوه بأنه كان حسن الخلق متواضعاً، فكه المحاضرة، مليح المداعبة وكان في الطبقة العليا من الطّهارة والعفاف (*الذيل*، سفر 6، 319 ـ 320) وكأنهم بذلك يريدون التأكيد على أن علاقة أبي بكر بأبي القاسم كانت عادية لا تتجاوز مداعبة الأدباء وملاطفاتهم. وليس من الغريب أن يصنف ابن ميمون كتابين في هذا الموضوع، الأول هو شرح *مُعَشَّرَاته الغزلية*، والثاني مصنف ضخم كفَّر به عن تغزله وهو شرح *مكفراته الزهدية*.

توفي ابن تيسيت بعد عام 598 / 1 . 1202.

أ. التجيبي، *زاد المسافر*، تح. محداد، بيروت 1939، ص 6 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، تح. التازي، ط 3، بيروت، 1987، ص 159 ـ 160 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. م. مكي، بيروت، 1990، ص 212 ؛ ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. العطار، مصر، 1956، ص 511 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. احسان عباس، السفر السادس، بيروت، 1973، ص 319 ـ 321 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972، ص 205 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. عنان، القاهرة، 1975، 3 : 85 ـ 87 ؛ جلال الدين السيوطي، *بغية الوعاة*، تح. م. أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1964، 1 : 254 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974.

رشيد السلامي

**تيسينت**، واحة من مجموع الواحات الواقعة على طول جبل باني جنوب الأطلس الصغير بين طاطا وفم زگيد (انظر جبل باني : *المعلمة*) كانت تيسينت في عهد الاستعمار مركزاً إدارياً لشؤون الأهالي على قدم جبل تاينزور، إحدى قمم جبل باني الذي يبلغ ارتفاعه 1159 م. تقطن تيسينت جماعة قروية تنتمي حسب التقسيم الجماعي القديم إلى دائرة فم زگيد المنتمية بدورها إلى إقليم طاطا عندما تم إحداثه سنة 1977.

تتكون واحة تيسينت من عدة قصور توجد على ضفتي واد يحمل اسم واد تيسينت، ويتشكل من ثلاثة مجار مائية تلتقي كلها في منطقة عميقة تسمى الخنگ عند قرية أقانيت سدي. وبهذه القرية تجري مياه مالحة تشبه في ملوحتها مياه البحر، وتتكون قرى هذه الواحة من أقانيت سدي، تأنزيضا وتغيت، القصبة وأيت ويران وتازنوت والزاويت، وبني موسى ومغاييما وأگادير ن تيسينت مركز القيادة ونواة مركز حضري، وفيه يقام السوق الأسبوعي للواحة يوم الثلاثاء.

استوطن الانسان هذه الواحة كباقي واحات السفح الجنوبي للأطلس الصغير منذ أقدم العصور. وفي العصور الوسطى لعبت قبائلها المختلفة، نظراً لموقعها الهام في منطقة تمر عبرها الطرق التجارية الرابطة بين المغرب والسودان، دوراً مهماً على المستوى الاقتصادي أي على مستوى العمليات التجارية بين السودان الافريقي والشمال الافريقي خاصة في عهد الأعشاب المجلوبة من المناطق الصحراوية. وهؤلاء معروفون في جل المدن الغربية وخاصة ساحة جامع الفناء في مدينة مراكش. إذ نرى هؤلاء يتحدثون عن أصل هذه التجارة وموادها التي تتكون من بيض النعام وريشها وجلود الأفاعي الكبرى والخواتم الفضية. وأهم الدواوير التي يتعاطى سكانها إلى الآن هذا اللون من التجارة هم دوار تانزيضا و الزاويت وأگادير.

وفي عهد المولى إسماعيل تولى القضاء الرسمي في قرى هذه الواحة محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر

الأقاوي سنة 1124 هـ وهذا ظهر توليته : "لكتابنا هذا ... بيد حامله المرابط الفقيه ... سيدي محمد بن أبي بكر بن محمد ابن أبي بكر الأقاوي من حصن أرز يتعرف الواقف أننا وليناه خطة القضاء بالمشمس (اناصر) من تيسينت إلى واد نون وأحوازه من عربان وغيرهم والفتوى فيها. فعليه بتقوى الله في السر والعلانية. وبسطنا له اليد على القضاة والفقهاء ينظر في أمورهم. ومن تعداه فلا يلوم إلا نفسه، ولا يجني إلا على رأسه والله حسيبه والسلام وفي الثاني من شهر رمضان المعظم عام أربعة وعشرين ومائة وألف وفوقه الطابع الكبير ...". ثم إنه لم يكن قاضياً فقط، بل قاضي القضاة الموجودين في تخوم الصحراء السوسية من تيسينت بطاطا إلى وادي نون الواقع على البحر المحيط. وذلك يشمل إيالة كبيرة تضم كل ما تحت جبل باني وتامانارت وتاغاجيجت بإفران الأطلس الصغير (*المعسول*، 18 : 185). وفي عهد الحسن الأول خضعت قرى هذه الواحة لحكم القائد محمد بن علي بن احماد بن أبي النعيلات المعروف ببونعيلات، حيث تولى القضاء الرسمي من طرف السلطان لما زار المنطقة. "ومن حكومة هذا القائد تيسينت وأيت جلال الأعراب. وقد سمعت بعض الناس يقولون : إن القرى التي تحت يده تناهز ثلاثا وأربعين قرية، فيها من طاطا زهاء ثلاثين قرية وست من تيسينت وما إليها، وقرية أقا نايت سدي وقرية تامزيبت وقرية تغيت وقصبة أنگارف..." (المختار السوسي، *الرحلة الثالثة*).

عرفت هذه الواحة عبر الفترات التاريخية ألواناً شتى من القبائل. ويظهر هذا من خلال العادات والتقاليد التي ما تزال تسودها. وأغلب هذه القبائل ذات أصل من جنوب الصحراء جاءت إلى المنطقة خلال مراحل مختلفة. كما أنها تحتوي على قبائل عربية : رحل إدا وبلال وأيت أشا وأيت جلال، ثم هناك الشرفاء المرابطون الذين يسكنون في الزوايا. وقد امتزجت هذه القبائل وتعايشت جنباً إلى جنب. كما أن الواحة كانت تسكن بها طائفة يهودية تتعاطى التجارة وبعض الحرف.

يتخذ استقرار السكان على جوانب الأودية في هذه الواحة كما هو الحال في كل الواحات المرتكزة على مشارف وادي درعة شكلَ قصور ومداشير يستغلون بقعاً أرضية لمزاولة الزراعة المختلفة اعتماداً على العيون أو السواقي المنبثقة من الأودية. وقد كان أسلوب النواعر إلى جانب السواقي أحد أساليب السقي في الواحة ببعض الدواوير في ما مضى، إلا أن إدخال المحركات الحديثة المستخدمة بالديزل والبنزين حلت محلها، واستغلها الفلاحون أحسن استغلال في زراعتهم. تتكون هذه الزراعة غالباً من أشجار مثمرة أهمها النخيل وفيه عدة أنواع، كالمجهل وبوسكري وبوفگوس، والحبوب وخاصة الشعير بالإضافة إلى الخضر والفصة والحناء.

أما السكن فهو عبارة عن تجمعات بشرية منتظمة تبني بالتابوت عادة أو بالأحجار مسقفة بجذوع النخيل والكاليبتوس وسعف النخيل. وتتوسط كل تجمع ساحة عمومية يجتمع فيها رؤساء القبائل للنظر في أمور قريتهم أو تستعمل للأفراح والمناسبات. بل هناك قرى مثل تانزيضا أهلها يسكن في كهوف ومغارات حفرت على تلال من الكلس، وقد كان هذا النمط من السكن فيما مضى ذا أهمية بالغة حيث تتبارى به الأسر، بل إلى هذا اليوم ما زالت بعض الأسر تملكه وتستغله خلال فصل الشتاء وأيام تهاطل المطر.

إلا أنه نظراً للتحولات الاقتصادية والظروف الاجتماعية وما عرفته الواحات وقع تطوير شكل البناء سواء من حيث المواد أو التصميم. أما الخيام التي كانت في ما مضى هي الأخرى أحد أنواع السكن لقبائل الرحل فلم تعد لها هي الأخرى الأهمية التي كانت لديها.

أما تقاليد وعادات الواحة فمن مظاهرها في ما يعرف بالمنطقةبالهرمة والشمرة وأحواش، بل هناك فرقة فلكلورية مشهورة في الواحة تسمى فرقة تيسينت تشترك على الصعيد الوطني في مهرجانات فلكلورية أو دولية، تتكون من الرجال والنساء. فالرجال يلبسون زياً أزرق عبارة عن أقمصة ذات نمط صحراوي زرقاء وعمائم سوداء، متقلدين خناجر من فضة. أما النساء فيلبسن زياً أسود في الغالب ويتحلين بالحلي التقليدية المعروفة في الواحة "بالخلالة" "وإِزَرْزْ" "وأَسَرْسْلْ". تدخل إحداهن الوسط وتتبارى مع أحد الرجال في الشطحات والرقصات كأنها خذروف.

وقد اشتهر سكان قرى هذه الواحة في الصناعة التقليدية المحلية لصياغة حلي الفضة معتمدين في ذلك على المواد المحلية إذ بالمنطقة توجد بعض مناجم الفضة، والحدادة والخرازة والنجارة تستعمل فيها جذوع النخل. كما اشتهرت بعض الأسر في قرية تانزيضا في صناعة الفخار، وكذا قرية تغيت التي اشتهرت في صناعة الملح الأبيض. كما اكتشف بها في الآونة الأخيرة في منطقة تسمى "أگولزي" منجم للرخام إلا أنه مازال لم يستغل بعد. أما نساء المنطقة فهن بارعات في صناعة الأواني المنزلية ولوازمها كالطباق والقفاف، يعتمدن في صناعة ذلك على سعف النخيل كما يشتغلن في الغزل والنسيج. وتعقد في قرى هذه الواحة عدة مواسم سنوية أشهرها موسم إبراهيم بن عبد الله في تانزيضا وموسم عبد الله بن محمد في الزاويت أيام عيد المولد النبوي ثم موسم الحاج إبراهيم في أقا إغان. ورغم أن هذه القرية بعيدة شيئاً ما عن الواحة إلا أن أهل دواويرها يزورون هذا الموسم بل يحضرون حفلاته التي تشتهر بطهي العصيدة وتوزيعها على كل أفراد القرى.

م. السوسي المختار، *المعسول*، 3 : 204 - 206 ؛ 18 : 185 ؛ الرحلة الثالثة : *معلمة المغرب*، 3 ص. 1016 - 1017 - 1018.

مبارك أوسديد

**تيشيشْتْ**، عاصمة قديمة بوادي نون. وتعتبر قريتا تيغمرت وأسرير المجسدتين الفعليتين لبقايا نول لمطة على ضفاف وادي نون بالضفة الشمالية الغربية للصحراء

الأطلسية (انظر مادتي *أسرير وتيغمرت بالمعلمة*). وقد اعتمد مونتوي V. Monteil الرواية المحلية ليسجل خلال الأربعينات بأن تيشيشت التي تقع حيث يقيم أيت مسعود بتيغمرت هي مركز العاصمة القديمة (*Notes sur les Tekna*, 21). لم يتوان D. Eustache بدوره انطلاقاً من هذه الفرضية عن تحديد موقع ورش سك الدينار الذهبي المرابطي بتيشيشتْ (*Les Ateliers*, 95 - 102). معلوم أن دخول المرابطين القادمين من الصحراء إلى نول سنة 448 . 449 / 1056 . 1057 قد تم في إطار عقد تحالف قبل بموجبه أهل المدينة دفع ثلث ممتلكاتهم للمرابطين "ليطيب لهم بذلك الثلثان" (البكري، *المغرب*، 166).

كانت نول تمثل يومها عاصمة الضفة الشمالية الغربية لمسالك الصحراء الأطلسية الساحلية. فقد كانت تحتكر مسلك نول ـ أوليل. كما كانت قوافلها تصب في المحور الرابط بين سجلماسة وأوداغست. فلم يجد المرابطون لذلك أي صعوبة في إنشاء معمل لسك الدينار الذهبي الذي ما تزال المتاحف الأوربية والمغربية والجزائرية تحتفظ بعينات كثيرة منه. تميزت الفترة الفاصلة بين 497 / 1103 و540 / 1146 بوفرة معامل سك الدينار المرابطي الذي كان يزيد وزنه عن أربعة غرامات من الذهب. وقد أوضحنا في دراسة خاصة عن معمل نول خلال هذه الفترة أن إنشاءه يعود بنظرنا إلى ما قبل سنة 486 / 1093 . 1094 معتمدين في ذلك على مكانته البارزة في الإنتاج. كان يمثل رابع معمل بالمنطقة الجنوبية مع سجلماسة ومراكش وأغمات. فبينما تخصصت تامدولت وتارودانت وإيجلي في سك الفضة. كان التبر يصل إلى نول على شكل تراب أو حبات أو قضبان أو أشكال هندسية مختلفة الأحجام. ما كان يميز تبر آبار الغرب الافريقي المتعددة هو اعتباره يومها ذهباً خالصاً قابلاً للسك دونما تحليل. وبالرغم من أن أبحاث R. Messier المختبرية قد أثبتت وجود نسبة صغيرة جداً من النحاس والفضة، فإن هذا الذهب يظل مع ذلك أفضل مادة ذهبية قابلة للسك المباشر، نصل من هنا إلى إشكالية المقادير المسكوكة وما إذا كانت الكميات الواصلة من آبار الغرب الافريقي تسمح بالاستعمال النقدي المباشر ؟ إذا كان الباحثون قد أجهدوا أنفسهم في تحديد المقادير الذهبية العابرة للصحراء دون جدوي، فإن التقديرات والاحتمالات لا تسمح حالياً بمعرفة ما إذا كانت الكميات المسكوكة توفر المقدرة التأطيرية للمبادلات المحلية والجهوية كما كان عليه الشأن بالنسبة لمجتمعات البحر المتوسط (J. Devisse, *Commerce*, 416). نعلم فقط بأن عملية سك الذهب لم تستهو أهالي أوداغست وغانة حتى بعد سنة 442 / 1050 وهو تأكيد لعدم احتياجهم التعامل بمسكوك ذهبهم العائد من الضفة الشمالية. من هنا ندرك بأن رواج الدينار المرابطي لم يتجاوز الصحراء جنوباً وأنه أخذ وجهة الأندلس وما وراءها شمالاً. ما تزال تكشف التنقيبات الأوربية عن عينات من هذا الدينار المرابطي الذي جسد نوعية العلاقات التجارية بين ضفتي المتوسط وفق مقتضيات البنيتين الاقتصادية والاجتماعية (Colson, *Notes*, 241). لقد تمثل التمايز الاقتصادي بين الضفتين إلى حد بعيد في قدرة الشماليين على جلب موفور الدينار لتوطيد دعائم اقتصادهم وإدماج تجارة القوافل في محيطه. وهي إشارة إلى أن معمل نول لمطة لسك الدينار لم يكن، شأنه في ذلك شأن باقي المعامل الجهوية، قادراً على تأطير النشاط الاقتصادي وتعميم مفهوم التبادل بالعملة المسكوكة. وقد زاد من حدة هذا العجز استقلالية سياسة السك بهذه المعامل الجهوية. كان تحكم أمراء المرابطين ومديري معامل السكة في قرار السك يهم بشكل أو بآخر القضايا السياسية والاقتصادية العالقة. هذا ما يمكن أن نقره بشأن إبراهيم بن أبي بكر بن عمر اللمتوني عامل سجلماسة (462 / 1069 ـ 70 . 467 / 1074 . 1075). وهو أيضاً ما يؤكده تمسك معمل نول لمطة بسك دينار مرابطي سنتين بعد انهيار دولة المرابطين على يد الموحدين.

انطلاقاً من هذه الاستقلالية الإدارية والعسكرية، نرى أن سك التبر الإفريقي لم يكن يرقى رغم جودة الدينار وسمعته المتميزة، إلى مستوى الاستغلال المكثف للأسواق الشمالية البعيدة. بل الملاحظ أن سياسة سك الذهب لم تكن مندمجة ضمن أي مشروع لخلق بنية ترويجية متكاملة في الضفة الشمالية للصحراء، بقدر ما كان منعزلاً عن المبادلات الداخلية وتابعاً لحاجيات الضفة الشمالية للبحر المتوسط. استناداً إلى هذا المنظور ندرك لما ذا توقف معمل نول لمطة عن العمل بعد فترة قصيرة من انهيار المرابطين. فرغم ما أورده P. Cenival وTh. Monod بشأن استمرار العمل به خلال الموحدين وبعدهم، نرى غياب شواهد الإثبات، من مسكوكات ومصادر، كفيلا وحده بعدم الاقتناع بهذا الاحتمال (*Description de la Côte*, 159 - 161, note 191). على أنه لا يمكننا التغافل عما قامت به نول لمطة من دور طلائعي في تطوير المبادلات بين ضفتي الصحراء من جهة وبين سوس والبحر الأبيض المتوسط من جهة ثانية. لقد أبرزت فاعليات الرواج التجاري أهمية نول في التحام فصائل لمتونة وتبعاً لذلك فإننا لسنا هنا أمام تعارض بين مفهوم التلاحم القبلي وتأسيس معمل لسك الدينار الذهبي. ونفس الملاحظة يمكن أن نبديها بشأن التداخل النسبي بين البنية التجارية المحلية وتسرب استعمال النقود الذهبية. فمجرد إقامة علاقة اقتصادية من هذا النوع ما كانت لتثير مثل هذا النقاش لو لم تكن تعزيزاً لمسلسل تسرب القيم النقدية.


مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*، الرباط، 1988.

Colson, *Notes sur les dinars trouvés en 1851 dans l'ancienne chappelle du monastère Del-Camp*, *Revue Numismatique*, XVIII, 1853, 240 - 243 ; J. Devisse, *Commerce et routes du trafic en Afrique Occidentale*, *Histoire Générale de l'Afrique* III, *L'Afrique du VIIème au XIème siècle*, Paris, 1990, 397 - 463 ; D. Eustache, *Les ateliers monétaires du Maroc*, *H-T*, 1970, 95 - 102, carte ; R. Messier, *Quantitative analysis of Almoravid dinars*, *J.E.S.H.O.*, XXIII, parts I - II, figures 2 et 3, 105 - 114 ; Id., *The Almoravids, West africain gold and the gold currency of the mediterranean*

*bassin. J.E.S.H.O.*, XVII, part I, 1 - 47 ; Th. Monod et P. Cenival, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal, par Valentin Fernandès*, Paris, 1938 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna du Sud Ouest Marocain*, Paris, 1948 ; M. Naïmi, *L'apport de l'idéologie murabitia et du contrôle de l'espace dans l'émergence de la généalogie Takna*. Etude inédite in *Pays Takna, Commerce, Histoire et Structures*.

مصطفى ناعمي

**تيضَافْ** أو تيظاف، كلمة أمازيغية تعني الحراسة والمراقبة والمتابعة والتجسس والسهر على الشيء. وقد استعملت استعمالات أخرى في المجال العسكري عند الموحدين كما سنرى.

الفعل من الكلمة هو "ءِيضُوف" ويعني عايَن، راقب، تربَّص، تجسس، تابع، سهر على... وقد استعملت الكلمة منفردة أو مركبة كاسماء أعلام بشرية أو جغرافية للدلالة على معنى مرتبط بالمعاني السابقة الذكر. وهذه أمثلة على ذلك : إيَدَوْنيضيفْ، إيگّنْتَافَنْ، يحيي ابن گُنْدَافّ، ءانْضَافْ، تَاضَافْتْ، تِيِنْضُوفْ (أي تِنْدُوفْ الحالية) أزرو واَضَافَنْ...

دخلت الكلمة قاموس التاريخ المكتوب منذ القرن السادس (12 م) على أقل تقدير، حين كتب أبو بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق كتابه عن *أخبار المهدي*. ويكفي أن نورد هنا العبارات التي وردت فيها الكلمة في الكتاب المذكور، لتتضح المعاني التي تؤديها في المجال العسكري على الخصوص :

"... وجعل المعصوم (ابن تومرت) برجا (بتينملّ) يقال له برج تيظاف، وجعل فيه طبلا، فكان يمسك الطبل عبد السلام آغيغي ..." (ص 80) (قارن مع *الحلل الموشية*، ص. 112).

"... فدخلنا أزرو (جيش عبد المومن) وسكنا به (...) ثم تقاسم العسكر على أعداد، خرج ابن زگو لبنى كانون وخرج آخر لتيظاف..." (ص 89) "... ثم قلع الخليفة (عبد المومن بن علي) من أگرسيف يريد فاسا، فنزل بالمقر مدة، فجاءه أبو بكر بن الجبر بعسكر غمارة، فقال الخليفة للموحدين : أعطونا تيظاف يمشون إلى فاس ويتعرفون إن كان هذا الرجل (والي فاس) في قوة أم لا ..." (ص 99).

"... ثم قال الخليفة (عبد المومن) للموحدين أعزهم الله : أعطوني تيظاف يصرفون لمكناسة، فخرج إليهم يدّر بني ولگوط فقتلهم جميعاً إلا ثمانية من الخيل..." (ص. 100).

انطلاقاً عن هذه الفقرات يتبين ان كلمة "تيضاف" يمكن أن تعني في المجال العسكري المعاني التالية : برج المراقبة أو طلائع الجيش أو كتائب الاستطلاع أو فرق الحراسة.

والجدير بالذكر أن الكلمة لا تزال متداولة في اللسان الأمازيغي رغم التراجع الذي وقع في استعمالها إذا تعلق الأمر ببعض معانيها المذكورة.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، باريس، 1928 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء، 1979 ؛ م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، 1990، ص. 260.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire*..., I, p. 260 ; E. Destaing, *Vocabulaire*, Paris, 1920, p. 270 ; E. Laoust, *Contribution*..... Paris, 1942, p. 72.

علي صدقي أزايكو

**تيط**، كلمة بربرية تعني العين الجارية، واسم الموقع الكامل : "تيطنفطر" أي عين الفطر. وقد عربه ابن قنفذ في *أنس الفقير* بأنه العين الباردة. ويفهم من الزموري صاحب *بهجة الناظرين* أن لهذه التسمية علاقة بالتعاليم الصوفية للأمغاريين مؤسسي رباط تيط، فكانوا يفطرون هم ومريدوهم من ماء عين متفجرة في صخرة داخل البحر، ومن كرامة شيوخ بني أمغار أنهم كانوا يسيرون على الماء للوصول إليها.

وهناك تأويل وجيه لمعنى تيطنفطر ساقه محقق كتاب *التشوف* لابن الزيات، رأى فيه أن أقرب تأويل يقبله هذا الاسم هو أنه تيطنفطر أي عين انفطر، ومعنى انفطر إناء معروف من قديم يشبه المد الذي به تحسب زكاة الفطر وتقتسم به مياه الري (*التشوف*، ص. 209، هامش 462).

تبعد تيط عن مدينة الجديدة بنحو أربعة عشر كيلومتر جنوباً، ويلاحظ أن مركز الاستقرار البشري القديم يبعد عن ساحل تيط الصخري بحوالي ثلاثمائة متر، ويأخذ موقعا مرتفعاً عن سطح البحر، تحيط به أراض صالحة للزراعة من كل الجهات، باستثناء الجهة الغربية، ولا توجد بهذه الأراضي أي عيون ماء ولا آثار لمظاهر السقي.

ودأب مؤلف *البهجة*، منذ بداية حديثه عن مجهود الأمغاريين السقوى، على التمييز بين العين القديمة والعين الجديدة. وهذه الأخيرة هي التي اتخذها شيوخ الرباط مستقراً لهم أثناء انقطاعهم للعبادة. وبالفعل، أمكن ملاحظة العديد من العيون ذات النبع الباطني، التي يرتبط ظهورها بحركة المد والجزر. وماء بعضها حلو عذب، لذا يحتمل أن تكون إحداها هي المقصودة من وصف الزموري.

يزخر الساحل الدكالي بمثل هذه المنابع، خصوصا في الناحية الممتدة بين أزمور وأيير (جنوبي تيط) وأن ميزة تيط لا تنطوي على أي خصوصية جغرافية بقدر ما توحي بخصوصية ميزت عينا من عيونها الكثيرة، وقد تكون هذه الميزة هي البرودة والنقاوة التي أوحى بها وصف ابن قنفذ. لقد أثرت هذه المعطيات في تاريخ تيط الطويل، وفي اقتصادها القائم على الصيد والزراعة. كما شكلت تلك المعطيات عنصر استقطاب للبرتغاليين الذين وجدوا في مركز تيط الوسطى القريب من أزمور ومازيغن (الجديدة) عاملا استراتيجيا في خططهم الاستعمارية.

يتوطن مركز تيط ساحلا صخريا، يمتد على نطاق واسع، من أزمور في الشمال إلى أسفي في الجنوب. ويتصل بالبحر بواسطة أجراف متباينة الارتفاع، باستثناء خلجان وألسن بحرية وفرت أحواضاً صغيرة كانت كافية في السابق، لاستغلالها كموانئ صغيرة، ومن ضمنها ميناء تيط.

أما من الناحية المناخية، فلا تختلف ناحية تيط عن

باقي مناطق دكالة الساحلية، حيث ساعد اعتدال الساحل على التخفيف من جفاف المنطقة واحتفاظها بمستويات حرارية معتدلة خلال فصول السنة، وقيام نشاط زراعي ساحلي (الولجة) وانتشار غطاء غابوي حول تيط يحتمل أن يكون من العوامل المشجعة للاستقرار المبكر الذي عرفته هذه الجهة.

وتعتبر الولجة النطاق الزراعي الرئيسي لمحيط تيط، وبالرغم من مساحتها الضيقة، فإنها كانت توفر إنتاجاً كثيفاً ومتنوعاً، فخلال نهاية القرن السابع (13 م)، كانت بتيط جنان تنتج الأعناب وأراض لزراعة الحبوب (*البهجة*، ورقة 18) وينتشر خارج نطاق تيط مجال إضافي شاسع أسماه الزموري بفحص تيط. وقد استعمل هذا المجال في الفترة المرابطية كمرعى لصنهاجة دكالة.

وسنلاحظ في فترة لاحقة إن إنتاج تيط للحبوب جعلها من المزودين الرئيسين للبرتغاليين بهذه المادة، كما رشحت تيط باستمرار لتكون المخزن الرئيسي لحبوب سائر المناطق المحيطة، سواء منها الحبوب التي استخلصت كإتاوات، أو تلك التي كانت تشترى لحساب الملك البرتغالي.

تأثر الموضع البشري في تيط بنفس المؤثرات التي تحكمت في سائر المراكز الدكالية قبل القرن العاشر (16 م) وتتلخص هذه المؤثرات، من جهة، في استقرار القبائل العربية وما أعقبه من تغيرات في البنية البشرية الدكالية، ومن جهة ثانية في الاستعمار البرتغالي ومخلفاته الاجتماعية والاقتصادية.

هكذا ظلت تيط كغيرها من المراكز الدكالية الأخرى بربرية اللسان، على الأقل إلى حدود القرن الثامن (14 م) بشهادة لسان الدين ابن الخطيب في *نفاضة الجراب*.

وقد شكل تعمير تيط حلقة من حلقات التغيير البشري الذي عرفته هوامش تامسنا الجنوبية وأطراف دكالة الشمالية، بسبب حروب برغواطة المستمرة إلى القرن السادس. وسوف يشكل وصول صنهاجة إلى ناحية أزمور تتويجاً لانتصارات المرابطين على الحركة البرغواطية. وهناك من المؤرخين من يربط بين هذه الانتصارات وتأسيس رباط تيط الأمغاري. إلا أن هذا الرأي لا يطابق المعطيات التاريخية المتوفرة عن هذا الرباط، فاستقرار مؤسس الرباط (إسماعيل) بناحية أزمور كان سابقا لقيام دولة المرابطين، ويحتمل أن يكون استقراره المبكر بطرف تامسنا الجنوبي مرتبطاً بدوره الصوفي الرامي إلى تصحيح معتقدات السكان ومحاربة عقيدة البرغواطيين. وظلت تيط محتفظة بشخصيتها القبلية ـ شأنها في ذلك شأن سائر مناطق صنهاجة أزمور ـ لم تندمج في الوسط العربي إلا تدريجياً، وهو ما تؤكده بوضوح المعلومات القليلة التي وفرتها مشاهدات بعض الرحالين ومراسلات برتغالية متأخرة. ويمكن اعتبار النصف الثاني من القرن التاسع (15 م) مرحلة انتقالية بين المرحلة البربرية من تاريخ تيط والمرحلة العربية.

لا تساعد الإشارات العارضة التي وردت في الحوليات التقليدية عن تيط، الباحث على تتبع تطور هذا المركز ـ الرباط وأدواره الصوفية والاقتصادية، وهو ما جعل بعض الدارسين المتأخرين يولون أهمية خاصة لتاريخ هذا المركز بصفة عامة ولعمارته الأثرية بشكل خاص. وقد استنتج بعض هؤلاء مثل باصي وطيراس أن عمارة تيط تمثل مفارقة كبيرة في التاريخ الأثري المغربي، ومجهوداً ضخماً في إنجاز غير مخزني أهمل من طرف المؤرخين المغاربة. ويحتمل أن يكون لهذا الإهمال علاقة بما أوحت به ملاحظة الدارسين السابقين، من أن المبادرة في التشييد لم تكن للمخزن بل كانت لأسرة مرابطية. ويمثل صمت المؤرخين عن ذكر أخبار تيط إجحافاً بمجهود أسرة صوفية كان لها عطاء متميز في مجال جد حساس. فقبل أبحاث باصي وطيراس عن عمارة تيط، لم نكن نعرف عن هذا المركز إلا بعض الإشارات المتفرقة التي لم تتعد في الغالب تحديد موقعه على خريطة المغرب، وسوف تمكن هذه الأبحاث من إثارة الانتباه إلى عنصر جديد لم يكن وارداً في أخبار المؤرخين القدامى، ويتعلق الأمر باحتمال استقرار بشري قديم بمركز تيط قبل الفتح الاسلامي للمغرب.

إن مثل هذه الحقيقة ستغير من النظرة إلى تاريخ الأمغاريين مؤسسي رباط تيط، الذين ارتبط وجودهم ونشاطهم الروحي بهذا المركز، ويحد لا محالة تأويلاً مغايراً لما هو سائد في الحوليات التقليدية ويحدّ من القيمة الرمزية التي اكتسبها الأمغاريون طيلة خمسة قرون من زعامتهم لهذا الرباط. ولتنظيم أخبار تيط المبعثرة يستحسن استعراضها من خلال مرحلتين : ـ مرحلة قديمة وهي التي كشفت عنها أبحاث باصي وطيراس وتمت معاينة بعض بقاياها الأثرية. ـ مرحلة السيادة الأمغارية، وتطابق أخبارها دور تيط الصوفي العلمي.

ولنغض الطرف هنا عن المرحلة القديمة مكتفين بمرحلة السيادة الأمغارية : تنحصر أخبار هذه المرحلة في مجموعة محدودة من المعلومات، تم جمعها من خلال ثلاثة مصادر متباينة الأصول : مصادر إخبارية مغربية ومراسلات برتغالية ومخلفات أثرية.

لعل ابن الزيات أول من تحدث عن تيط كرباط ديني "في بلاد أزمور" ( *التشوف*، ص. 209) ولم يتعد كلامه هذا التحديد البسيط لموقع الرباط. واكتفى ابن قنفذ فيما بعد، باعطاء المقابل العربي لتسمية تيطنفطر ( *الأنس*، ص. 71) ولخص ابن الخطيب في *معيار الاختيار* (ص. 30) رحلته إلى رباط تيط في وصف وجيز ذي قيمة تاريخية مهمة. ويسجل على مؤرخ الأسرة الأمغارية ابن عبد العظيم الزموري إغفاله لذكر أي مظهر من مظاهر الحياة العمرانية بتيط، بحيث يصعب على متتبع هذا الكتاب أن يجد فيه إشارات مفيدة تهم مثلا تطور سكان رباط تيط أو تاريخ بنائه أو بناء سوره الكبير، وانحصر حديثه في بعض الجمل المتعلقة بالمسجدين العتيق والحديث.

وبخلاف المؤرخين السالفين، قدم الحسن الوزان في

وصفه لتيط خلال بداية القرن العاشر (16 م) إشارات تاريخية مفيدة تهم الآثار السلبية الناجمة عن تعامل سكان تيط مع البرتغاليين، وتوضح الطريقة والسبب في ترحيل سكانها من طرف السلطان الوطاسي محمد البرتغالي.

ونستنتج في النهاية أن جل المعلومات المتعلقة برباط تيط، جاءت عارضة في أغلب الأحيان، ولم تتعد مجرد التلميح الهاشمي. وعلى أهميتها جاءت المعلومات المستقاة من المراسلات البرتغالية محدودة، لا تهم إلا الفترة الممتدة بين سنتي 919 و921 / 1513 و1515 (سنة إخلاء تيط).

وينـدرج اهتمام البرتغاليين بتيط ضمن خطتهم الاستعمارية الرامية إلى التعرف عن قرب على إمكانيات المناطق المجاورة لأزمور المحتلة، والوضع الداخلي لهذه المناطق، وكذا علاقاتها السياسية بالسلطة الوطاسية. وما دامت تيط إحدى المراكز الخارجة عن السلطة البرتغالية، فقد أولاها البرتغاليون أهمية خاصة تمثلت في مراقبة تجارتها والتضييق بسكانها، وهي الخطة التي أفضت في النهاية إلى إجبار شيوخها على التماس الحماية البرتغالية يوم 10 جمادى الثانية عام 919 / 13 غشت 1513 م. ومن أهم المراسلات البرتغالية التي تهم هذه المرحلة، رسالة من القائد "استاڤو رودريگيش" إلى الملك البرتغالي "عما نويل الأول"، ضمنها حقائق هامة عن مركز تيط، منها أهميته الاستراتيجية وما يوفره ميناؤه الصغير من إمكانيات لوسق الحبوب فضلا عن أهمية محيطه الغابوي ووفرة الأحجار الجيرية به. ويفهم من مضمون هذه الرسالة أنها وسيلة لإغراء الملك البرتغالي لقبول القيام بحملة عسكرية تدعم الولاء الشكلي لشيوخ تيط (تاريخ هذه الرسالة 31 غشت 1513).

شكلت البقايا الأثرية، بغض النظر عن المصادر الإخبارية السابقة مصدراً هاماً لتاريخ تيط الاسلامية قبل التخريب. وتأخذ هذه البقايا مدلولات مختلفة، فهي في مضمونها دينية صرفة وفي مظهرها دفاعية. وتبقى هذه المخلفات أهم الوثائق الحية لتاريخ تيط الطويل، وبفضلها أمكن تجاوز صمت المؤرخين الذين أهملوا - عن قصد أو غير قصد - ذكر آثار صوفية ودينية ضخمة شيدت في الأساس للدفاع عن الإسلام.

إن المتجول اليوم بتيط (المعروفة بمولاي عبد الله أمغار) لا تثيره بهجة ساحلها أو فسحة محيطها، بل تشده في المقام الأول تلك المسحة الصوفية التي مازالت تطبع أطلال سور مندرس وأبراج متداعية ومقابر تعلوها القباب والأضرحة. إن تتبع مختلف البقايا (اتجاه السور ومواقع الأبراج) يبين بوضوح أن رباط تيط كان في الأصل رباطاً بحرياً مفتوحاً على الساحل بواسطة برج ضخم. وتثير هذ البقايا مجموعة من التساؤلات تتعلق بتاريخ بناء العمارة الدفاعية والقصد الحقيقي من إقامتها، خصوصاً وأن المصادر التاريخية لم تشر إليها. وتشمل هذه البقايا مجموعتين كبيرتين، أولاهما دينية وثانيتها دفاعية. تضم المجموعة الأولى مسجدين وصومعتين. ينسب المسجد الأول لأبي جعفر إسحاق الأمغاري، أما الثاني فغالباً ما يرجع المؤرخون تشييده إلى ابنه محمد أمغار الكبير.

لقد مكنت أبحاث باصي وطيراس من تحديد النواة الأصلية لمسجد أبي جعفر إسحاق، وبفضل المعاينة المباشرة لهذا القسم تبين فعلا أنه ما زال يحتوي على كل مواصفات المسجد العتيق، فبداخله يوجد حصن متوسط المساحة وقبة صغيرة يرقد بداخلها جثمان مشيده، وإلى جواره شيدت عمارة أوسع تشمل حجرة واسعة يتقدمها محراب عتيق بسيط المظهر.

وتدل معالم هذا القسم على أنه استعمل كمسجد صغير، تم توسيعه فيما بعد بإدماج منزل أبي جعفر إسحاق فيه. والملاحظ أن ابن الخطيب وبعده الزموري لم يقفا في وصفهما لتيط عند صومعة هذا المسجد، واكتفيا بذكر منارة المسجد الحديث، وهو ما تخالفهما فيه نتائج الأبحاث الاركيولوجية التي كشفت عن بقايا صومعة عتيقة بموضع مسجد أبي جعفر. وحسب نفس النتائج فإن هذه المنارة كانت خالية من كل تكلف ولم تكن متقنة البناء، وإن علوها قارب السبعة أمتار، وتطابق في كل مواصفاتها النموذج القرطبي والزناتي. أما المسجد الحديث فقد اكتمل بناؤه حوالي سنة 652 / 1254، بناء على إشارة كتبت على قطعة خشبية وضعت قرب محرابه، وجاءت معالم منارته واضحة، تقارب في مظهرها العام منارة الكتبيين بمراكش.

أما المجموعة الثانية من البقايا الأثرية فتشمل سوراً ضخماً وأبراجاً عالية، تدل على قوة رباط تيط الدفاعية. فعلى بعد قرابة مائتي متر من الساحل يحيط سور ضخم بمساحة كافية لاستيعاب مدينة بأكملها (باصي، ص. 121) ويميل تخطيطه الهندسي إلى الاستدارة، باستثناء الواجهة البحرية الممتدة على مسافة تتراوح بين 200 و300 متر، وتأخذ شكلاً مستقيماً.

تتخلل هذه الواجهة أبراج عالية تتمركز عند الزاوية الجنوبية للسور، وهي الجهة المقابلة لنقطة الرسو عند الخليج الصغير. وانطلاقا من هذه الزاوية يمتد ممر عريض في اتجاه الساحل الصخري منتهيا عند برج ضخم يمثل النقطة الأكثر توغلا في الساحل، وينفتح السور على الخارج بواسطة ثلاثة أبواب : باب جنوبي (باب أسفي) وباب شمالي (باب الجديدة) وآخر شرقي (الباب القبلي) ويعتبر الجزء المطل على الساحل أمتن أجزاء السور إذ يتوفر على قاعدة صلبة، بينما تفقد الأجزاء الأخرى من صلابتها كلما توجهنا ناحية الجنوب الشرقي، أي قبالة بلاد دكالة.

وتباينت أشكال الأبراج بين الشكل الدائري والنصف الدائري والمربع والمستطيل، ومازال البرج البحري يحتفظ بكل مواصفاته القديمة : قاعدة صلبة مسلحة بأحجار كبيرة تتلاحم موادها بصخور الساحل. ويلاحظ أن الطريقة التي شيد بها السور والأبراج كانت تتوخى إعاقة عمليات الإنزال البحري المحتملة. وإذا ما كُتب لهذا الرباط أن يسقط فعن

طريق البر وتحت ضربات متتالية، وهو ما لم نتأكد من حدوثه. ويبقى إشكال تشييد هذه العمارة الضخمة أمراً وارداً ما دامت المعلومات المتوفرة لا تسعف الباحث بمعرفة الأسباب الحقيقية لذلك.

وعموما، ستظل عمارة تيط الدفاعية مظهراً عمرانياً متميزاً ولغزاً تاريخياً محيراً، بالرغم على أن تيط لم ترق إلى مستوى المراكز الدكالية المجاورة، كمدينة أزمور حاضرة الإقليم الصنهاجي.

لقد كان لبعد تيط عن مراكز الأحداث دور كبير في تهميشها وانغلاقها عن مسايرة التفاعلات السياسية المختلفة التي شهدها المغرب منذ العصر المرابطي إلى حين تخريبها في بداية القرن العاشر. كما أن لموقع تيط الهامشي بالنسبة للمسالك التجارية التقليدية أثراً كبيراً في عزلتها. تضاف إلى هذه العوامل محدودية مينائها منذ البداية.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الرباط، 1984 ؛ ل. ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، تح. م. شبانة، المحمدية، 1976 ؛ *نفاضة الجراب*، تح. م. مختار العبادي ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*؛ أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984.

*S.I.H.M.*, 1ère série *Portugal*, Volume 1 ; H. Basset-Terrasse, *Sanctuaires et forteresses Almohades: le Ribat de Tit*, *Hesp.*, Vol. 7, 1927.

محمد المازوني

**تيط - روتوبيس** (Rutubis)، استرعى موقع تيط انتباه الكتاب قدمائهم ومحدثيهم، فاعتبرها الحسن الوزان مدينة قديمة من بناء الأفارقة الذين أسسوها على شاطئ المحيط. وتسب مارمول Marmol اسم المدينة القديمة توت (Tut) نقلا عن المؤرخ اليهودي يوسيفوس Josephe لحفيد نوح توت الذي نقل أتباعه التوتيين إلى موريطانيا الطنجية. وذكر مارمول بأن بطليموس Ptolemée جعلها عند خط 7°30'. وأضاف مارمول قائلا بأنه حتى زمانه اعتبرت من المدن الليبية - فنيقية.

وتحدث الباحثان طيراس Terrasse وباصي Basset عن وفرة مقابر هذا الموقع التي تعود لمرحلة ما قبل الإسلام. وأكد المختص في الحضارة البونية سنطاس Cintas هذا الرأي. ومن ثمة بدأت الافتراضات حول موضعة موقع روتوبيس Rutubis البوني. وقد نحا الباحثون المعاصرون منحاه، ففريق وطنها بموقع مازيغان (الجديدة) وفريق ثان طابقها بتيط (مولاي عبد الله).

وكان ڤيڤيان دوسان مارتان Vivien de Saint Martin من أول الباحثين الذين تحدثوا عن ميناء روزيبيس Rhusibis البطولومي والوارد عند بوليب تحت اسم روتوبيس. وذكر بأن الفرق بين المصطلح من خلال المصدرين هو كون لائحة بطليموس تحدد الميناء شمال نهر أصاماس Asamas بينما يجعله المؤرخ بوليب على بعد ثمانية أميال وراءه أو جنوبه. ومال ڤيڤيان إلى المصدر الثاني لمصداقية كتابات صاحبه وأيضا لأن شهادته يؤكدها الميدان كشمال نهر أم الربيع وعلى مجال يقرب خمسين ميلا رومانيا لا يوجد أدنى أثر لميناء على الساحل الأطلسي بينما نجد مباشرة بعد النهر فتحة Baie واسعة تحميها عند طرفها الجنوبي المدينة المحصنة مازيغان وتفسح كذلك المجال للسفن لتبحر في مكان رحب ومناسب. ونحس بحيرة ڤيڤيان عندما يذكر أنه لا يدري أي الأسماء يلزم الاحتفاظ بها هل مصطلح بوليب روتوبيس Rutubis أم مصطلح بطليموس روزبيس Rhusibis. ويقول ڤيڤيان بأن المدينة تتوسط هذه الفتحة وهي بذلك توجد في مساحة متساوية من الموقعين الحاليين أزمور ومازيغان.

ويحدد تيسو Tissot ميناء روتوبيس البوليبي وروزبيس البطوليمي عند مرسى مزيغان أو البريجة والمصطلح الأخير هو الشائع الاستعمال بين الأهالي.

ويخالف تيسو ڤيڤيان الرأي ويعتبره خاطئا عندما وطن الميناء عند الفتحة نصف الدائرة التي تمتد من البريجة إلى أزمور. فالصخور البارزة على الشاطئ تجعل المكان غير مناسب. وإلى يومنا هذا يعد مرسى مازيغان هو المكان الوحيد الصالح لرسو السفن إذ يحميه الرأس الصخري المكون من الطرف الجنوبي للفتحة، واسم روتوبيس يستند عليه تيسو ليؤكد فرضيته المتمثلة في توطينه لميناء روتوبيس عند رأس البريجة نفسه. فالمصطلح هو من التراكيب الفينيقية التي يندرج ضمنها مصطلح رأس Rus ذو الدلالة اللغوية الواضحة.

ويردد بزنيي Besnier وگزيل Gsell بدورهما ما ذكره تيسو. يقول بزنيي بأن بوليب أو أگريبا اللذين توصلنا بخبر رحلتهما عن طريق بلين يجعلان ميناء روتوبيس على بعد سبعة أميال جنوب نهر أناتيس. وبطليموس بدوره يوطن خطأ ميناء روزبيس شمال هذا النهر، ويحدد بزنيي الميناء في مرسى الجديدة عند رأس البريجة.

ويذكر توڤنو Thouvenot بأن ميناء روتوبيس يوافق مازيغان، ويقع هذا الميناء على بعد ثلاثمائة وعشرين كلم من ليكسوس، وعلى مسافة أقل من تلك التي ذكرها بلين وبوليب وهي مائتان وأربعة وعشرون ميلا. ويحتفظ بنفس الرأي في العديد من كتاباته ويضيف في إحدى مقالاته قائلا بأن رتيبيس توافق مازيغان، هذا إذا كنا قد أخذنا قياساتنا من الساحل بدءا من رأس سپارطيل.

يقدم مارسي G. Marcy تفسيراً لغويا لمصطلح روتوبيس أكثر ضبطا وتفصيلا، فيقسم المصطلح إلى كلمتين راس (Rus) وإبيس (Ibis)، يرجعه لأصل بربري ليبي ويعطى كمقابل له بالفرنسية مططلح رأس الغليان (Cap du bouillonnement)، يعتقد بأن الرأس يوافق به شط الرأس الأبيض الذي استقى اسمه من الصخور الشاطئية التي تتكسر عندها الأمواج وتبدو للعيان بزبدها الأبيض. ويتفق بدوره على أن ميناء رتيبيس يوافق مدينة مازيغان.

ويوافق پديش Pedech هو الآخر بين ميناء روتوبيس ومرسى مازيغان. ويقع الميناء بالضبط وكما دل على ذلك

بلين القديم برجوعه لبوليب على بعد مائتين وأربعة وعشرين ميلا من ليكسوس. وباعتماد أيام الإبحار يقع هذا الميناء على بعد أربعة أيام من النهر المذكور.

ويطابق موني Mauny بدوره ميناء روتوبيس بمرسى مازيغان. ويذكر في نفس الصدد بأن مازيغان يقع فوق رأس بحري، والمصطلح البوني له نفس الدلالة : رأس Rus. وهو الميناء الوحيد الذي يوجد تقريبا عند المسافة المذكورة بعد ليكسوس 224 ميلا. ويوافق أيضا ميناء روزيبيس الوارد عند بطليموس.

وذكّر موني بخاصية المراكز البونية، فهي تقع عند المجاري المائية مثل ليكسوس وسلا وأزمور. وفي بعض الحالات عند الرؤوس Caps للاحتماء بها وكمثال روتوبيس ـ مازيغان وميناء ريسادير Rhyssadir ـ أگادير (؟).

واكتفى كاركوبينو Carcopino بترديد ما قدمه هذا الفريق من معطيات عندما وافق هو الآخر بين روتوبيس ومازيغان. ولكنه وطنه خطأ على بعد مائتين وأربعة وثلاثين ميلا وليس على بعد مائتين وأربعة وعشرين ميلا كما هو وارد عند جل الباحثين المذكورين وضمن المصدر نفسه (بلين القديم، *الكتاب V*، الفقرة 9).

وكان الباحثان طيراس Terrasse وباصي Basset من الذين لفتوا الأنظار لقدم مآثر تيط التي تقع على بعد بضع كيلومترات جنوب غرب مازيغان وبالقرب من البحر وتشتهر في القرون المتأخرة تحت اسم مولاي عبد الله. وتيط حسب الباحثين المذكورين رباط بحري مهم من السهل أن ترسو فيه سفن ذات حمولات صغرى.

وأكد طيراس وباصي على قدَم التعمير فيه كما تدل على ذلك المقابر العديدة الموجودة إلى الجنوب الغربي عند الساحل الصخري. وهي أحواض مستطيلة Cuves rectangulaires ذات أبعاد مختلفة، مصطفة بانتظام ومفصولة عن بعضها في بعض الحالات بجدار صخري ضعيف السمك. وقد تعرضت هذه الآثار للتعرية البحرية التي غيرت من معالم بعضها كما أن حركية الأرض خفضت المستوى القديم الذي وجدت فوقه المقابر.

ولقد شبه الباحثان طيراس وباصي شكل المقابر في حالتها الناجمة عن التعرية بشكل مقابر طنجة وتازة. وذكرا أيضا بأن المنطقة شكلت تجمعا بحريا مهما خلال العصر البوني الجديد Neo-punique وعن اسم التجمع وأهميته اعترفا بأنهما لا يدريان أدنى شيء، ورجعا بدورهما لشهادة الحسن الوزان ولمارمول اللذين حصرا تيط ضمن المدن الليبي ـ فنيقية. ولا نعرف ما هي باقي مصادر مارمول القديمة التي اعتمدها للقيام بتصنيفه.

وقد تعرض الباحثان طيراس وباصي لخاصية الموقع، فالفتحة الضيقة صالحة لرسو السفن والمياه متوفرة. ولا يطلب المزيد لتركيز السكان، فتيط القديمة هي بلا شك قرية بحرية.

وتحدثت التقارير البحرية البرتغالية بدورها عن مميزات تيط وعن الفتحة ذات الاتساع المناسب التي يمكنها أن تستقبل من عشر سفن إلى اثنتي عشرة سفينة صغيرة. ويوجد بالموقع إضافة لذلك خليج صغير Crique يسمح للزوارق أن تدخل إليه عندما يكون الجو هادئاً.

واعتبر سنطاس موقع تيط أقدم من مازيغان وعاصمة سابقة للمنطقة قبل أن تحتل مازيغان مكانتها بعد أن أضحت الأولى أطلالا وأهملت. وذكر سنطاس هو الآخر بالعدد الهائل للحفر المنحوتة في الصخر وبين أنه من الصعب أن تعرف استعمالاتها بيقين تام. فهي فارغة من محتواها الأثري ـ إذا كان لها بالفعل محتوى ـ وقد تعددت حولها الآراء والكل ينسى ـ وعلى حد قول سنطاس ـ بأن موقع وأبعاد أحواض تيط تقترب بشكلها من القبور البونية الحديثة Neo - puniques.

ومن الواضح أنه بموقع تيط توجد مقابر روزيبيس القديمة المطلة على الساحل بموضع مناسب لرؤيا البحارين البونيين وهو موضع أفضل من الموضع الذي تقع فيه مازيغان الحديثة.

والجدير بالملاحظة أن أحواض تيط حفرت بقاعدة تعود لتلال تنتمي للزمن الرابع. وهي تحيط بالفتحة الصخرية وتحمي الشاطئ وتصطف بالنسبة للجزء المرئي منها والقريب من البحر بانتظام. ولا شك أن للحفر نفس الشكل نحو داخل الأراضي.

ولقد آمن سنطاس إيماناً قوياً بأن تيط موقع بوني، فالرسو فيه سهل، وهو مخبأ ضد الصابيات Alizès وأيضا منبع للمياه العذبة وضواحيه وافرة الثراء ومن الممكن أن يكون البحارون البونيون قد عرفوا ميزة مياهه واستعملوا طرقا خاصة بهم لتجميعها من الساحل نفسه.

وخلص سنطاس إلى أنه توجد بتيط وبرأس كانتان Cap Cantin بقايا مقابر تغمرها مياه المحيط، ويمكن أن تكون مقابر السكان الأوائل للمستعمرات البونية، أما المقابر التي تقع على بعد ثلاثمائة متر من الساحل برأس كانتان وعلى بعد خمسمائة متر أو كيلومترين بداخل تيط فيمكن أن تطابق مقابر المعمرين الذين وفدوا على المنطقة في مرحلة الاستعمار الثانية.

وأثبت لوكي Luquet وجود أحواض Cuves بتيط على بعد عشرة كيلومترات جنوب مازيغان. وقام بحفريات بهذا الموقع البوني المعروف والموجود شمال شرق المقابر، ولكنه لم يصل إلى نتيجة تذكر. وبمساعدة مونيي Meunier تابع الحفر في جهة أخرى فبحث على بعد حوالي 500 متر من الساحل وجنوب أسوار تيط الإسلامية فتعرف على مدافن عديدة، وأسفرت الحفريات في مجموعها عن مقبرة كبيرة بتيط وعلى ثمان عشرة مقبرة صغرى لها أهميتها بالضواحي، كما تم الكشف شمال أسوار الموقع على خمسين بئراً. وهكذا تبين للأثريين أن مدينة تيط البربرية تقع بلا ريب في موضع المدينة البونية نفسها. ومن الواضح أن الجبانة كانت ـ كما هو سائد بالنسبة لمعظم الحضارات ـ

خارج الأسوار. أما ركمور Roquemaure الذي اهتم بموقع تيط اهتماما كبيرا فرأى أنّ العمود المحاط بحجارة والموجود أمام جامع مولاي عبد الله لعمود أحادي Monolithe شبيه بذاك الذي كان يضعه الفينيقيون بمزاراتهم.

واستحضر رايموند روجي R. Roget مصدر بلين الذي ورد ضمنه مصطلح روتوبيس وذكر بأن الكاتب القديم حدد الموقع نقلا عن الرحالة بوليب على بعد 19 ميلا جنوب أناتيس (ليكسوس ← روتوبيس = 224 ميلا، ليكسوس ← أناتيس = 205 ميلا. إذن فمسافة روتوبيس ← أناتيس هي 224 ـ 205 = 19 ميلا).

أما اللائحة البطوليمية فوطنت الميناء خطأ شمال نهر أناتيس وأطلقت على الموقع اسم روزيبس. وهكذا ومن خلال هذه اللائحة تم قلب وضع النهر والميناء.

ولخص روجي الدراسات التي وافق أصحابها بين روتوبيس والرأس الصخري البريجة (أو ميناء الجديدة) وأصحابها كما سردهم روجي وكما بيناه أيضا وهم على التوالي : تيسو وبوزنيي وگزيل، الخ...

وحسب روجي يوجد على بعد اثني عشر كلم من مازيغان بمولاي عبد الله أي على بعد حوالي تسعة وعشرين كلم جنوب أزمور ميناء يقع على مصب نهر أم الربيع يوافق تسعة عشر ميلا الواردة عند بلين القديم. وتؤكد المقابر القديمة الشبيهة في شكلها بتلك التي اكتشفت بطنجة وتازة والتي تم استخراجها من الحصن الموحدي على قدم المنطقة.

وعاد روجي هو كذلك للحسن الوزان ولمارمول ونبه إلى خاصية الموقع : منبع وخليج صغير صالح لرسو السفن. ولذا احتمل أن توافق تيط روتوبيس القدماء والتي حلت محلها بعد ذلك مازيغان.

ويعد دوزانج Desanges آخر من اهتم بهذا الموضع فاعتبر بأن تعريف ميناء روتوبيس المحطة المهمة في الرحلة البوليبية يتم انطلاقا من نهر ليكسوس على بعد أربعة أيام من الإبحار التي توافق 224 ميلا بوليبيا. ومن نهر أناتيس إلى ميناء روتوبيس 19 ميلا أي حوالي 27 كلم جنوب النهر الذي يوافق بلا شك نهر أم الربيع. ومع ذلك يعتبر دوزانج ميناء روتوبيس من المواقع التي يصعب ضبطها بيقين.

وهكذا نرى بأن معظم الدراسات تميل إلى مازيغان المعاصرة التي تقع على بعد ستة عشر كلم من نهر أناتيس ويميل بعضها لتيط (مولاي عبد الله) الذي يوجد على بعد حوالي ثلاثين كلم فأكثر من النهر. ويجمع الباحثون على اعتبار روتوبيس البوليبي موافقاً لروزيبس البطوليمي.

وبما أن نهر أناتيس يقع على بعد مائتين وخمسة أميال من ليكسوس وإذا آمنا بموافقة نهر أناتيس لنهر أم الربيع فستوافق رتيبيس بلا شك تيط (مولاي عبد الله) التي توجد على بعد ثلاثين كلم من مصب هذا النهر عوض مازيغان التي لا تبعد عنه إلا بحوالي ستة عشر كلم.

ح. الوزان الفاسي، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الاخضر، بيروت، 1983، ج 1، ط. 2، ص. 152.

Marmol, *L'Afrique*, trad. par Perrot Sieur d'Ablancourt, Paris, Tome II, chap. 55, pp. 94 - 95 ; Vivien de Saint Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine : Etude historique et géographique*, Paris, 1863, p. 361 et p. 421 ; Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1876, p. 101 note 2, p. 361 et p. 184 ; H. Basset et H. Terrasse, *Sanctuaires et forteresses almohades, le ribat de Tit, Hesp.*,VII, 1927, pp. 117 - 121 ; R. Ricard, *La côte atlantique du Maroc au début du XVI siècle d'après les instructions nautiques portugaises, Hesp.*, VII, 1927, pp. 224 - 225 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc*, P.S.A.M., 4, 1938, p. 69 ; R. Thouvenot, *La connaissance de la montagne marocaine chez Pline l'Ancien, Hesp.*, XXVI, 1939, p. 116 et p. 117 ; R. Thouvenot, *Le géographe Ptolémée et la route du Sous, Hesp.* 1946, p. 381 ; R. Thouvenot, *Défense de Polybe, Hesp.*, XXXV, 1948, p. 88 ; R. Thouvenot, *La côte océanique du Maroc, ce qu'en ont connu les anciens, B.E.P.M.*, 205, 1951, p. 46 ; G. Marcy, *Le périple d'Hannon dans le Maroc antique de M. J. Carcopino, J.A.*, 1943 - 45, pp. 24 25 ; P. Cintas, *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Paris, 1954, p. 25; A. Luquet, *Prospections puniques de la côte atlantique du Maroc, Hesp.*, XLIII, 1956, p. 120, pp. 125 - 126, p. 128 et pp. 130 - 132; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, p. 160 ; J. Desanges, *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique VIème av. J.C - IVème ap. J.C*, Paris, 1978, pp. 134 - 135.

البضاوية بلكامل

**تيعَزّيتْ**، زاوية في قبيلة هنتيفة. وينطقها أهل البلد تعَزّيطْ، بتاء مكسورة وعين مفتوحة وزاي مفخمة مشددة مكسورة، فياء فطاء ساكنة، وهي لفظة أمازيغية معناها الوعر الصعب المنال. وتدعى أيضا زاوية سيدي عبد الحق.

تقع تيعزيت في شعب عميق يدعى محلياً شعبة تَلاَنْزيدْ، تحيط بها تلال مرتفعة من ثلاث جهات. كما تقع على الضفة اليسرى لوادي العبيد الذي يفصلها عن أيت عتاب. وتبعد عن مدينة دمنات بحوالي ستين كلم جهة الشمال الشرقي. وتنتمي لفخذة بني حسان من ضمن قبيلة هنتيفة السهل (*Répertoire*, 467).

تأسست زاوية تيعزّيت على يد المتصوف سيدي عبد الحق بن عبد الرحمن القيرواني دفينها، وهو من أصحاب الشيخ أبي عبيد محمد الشرقي البجعدي، يستفاد من وثيقة عثرنا عليها في الزاوية المذكورة أن سيدي عبد الحق المذكور من نسل جعفر بن أبي طالب، وأنه قدم إلى تيعزيت في رجب سنة 1025 / يوليوز ـ غشت 1616.

وقد ذكرت تيعزّيت في كتاب *المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي* عند ترجمة أبي عبيد الشرقي حيث ذكر عبد الحق بن عبد الرحمن من بين أصحاب الشيخ المترجم. ولعل زاوية تيعزيت قد انتمت إلى سند الشرقاويين آنذاك. وفي القرن الحادي عشر (17 م) ارتبط ذكرها بالناصريين، حيث تتلمذ لهؤلاء بعض أعلام هذه الزاوية. وقد ترجم الخليفتي لاثنين منهم. أولهما محمد بن الهاشمي التّيعزّيتي الذي أخذ عن الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي طريق القوم (*الدرة الجليلة*، 275). ثانيهما أحمد الصنهاجي الذي كان من بين أساتذة تامگروت. وبذلك غدت تيعزّيت محطة في طريق الناصريين إلى فاس، زارها الحسين الشرحبيلي البوسعيدي حين كان متوجهاً من تامگروت إلى فاس (*الدرة الجليلة*، 276). وذكرها صاحب *الإعلام* أثناء ترجمة الشيخ محمد العربي بن محمد المعطي

الشرقاوي، حيث كانت بين شرقاوة وأهل تيعزيت علاقة مصاهرة، إذ تزوج والد المترجم بامرأة حقاوية "من ذرية الشيخ سيدي عبد الحق القيرواني دفين جبل تعزيط". مما يدل على أن الصلات كانت وثيقة بين الجانبين. وهذا ليس غريبا باعتبار الصحبة التي جمعت بين الشيخين سيدي عبد الحق وسيدي محمد الشرقي، ونظراً لانتمائهما معا إلى الطريقة الناصرية (*الإعلام*، 6 : 183).

وصُنفت تيعزيت حسب إحصاء سنة 1936 كقصر بلغ عدد سكانه 512 نسمة (*Répertoire*, 467).

وثيقة من زاوية تيعزيت ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ عبد الخالق بن محمد العروسي، *المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي*، مخطوط خ. ح.، رقم 2889 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*. *Répertoire*.

أحمد عمالك

**تيعقّيدين**، مصطلح شائع التداول بين القبائل الأمازيغية في الجنوب الشرقي المغربي، خاصة قبائل أيت عطّا واتحادية أيت يَفَلْمَان، وهو مأخوذ من لفظ "العقد" العربي بمعنى الوثيقة. ويعني عندهم تسطير القواعد التقليدية الموروثة عن الأجداد، كما يعني الاتفاق والميثاق بين المجموعة القبلية لخدمة الصالح العام. ويطلق أيضاً مجازاً على المجلس الذي يسهر على تطبيق القواعد أو الشروط المتفق عليها، وعلى المكان الذي ينعقد فيه المجلس، ففي أيت عطّا يطلقون "تيعقّيدين" على مكان يوجد بجبل صَغرو ويسمى "إغرم أمزدار" كان يُعقد فيه مجلسهم.

وتطلق تيعقّيدين كذلك على مجموع الأحكام والأعراف المدعوّة أيضاً "إزْرْفْ" أي القانون العرفي أو"شرط خمس خماس نايت عطا". تهم هذه الأعراف جوانب مختلفة من الحياة اليومية، فهي تشمل الملكية والحيازة الزراعية وتنظيم الانتجاع والحرث وجني الثمار، والضيافة والكرم ومعاملة الضعيف، والغزو والثأر ومعاملة الأسرى، وكذلك طريقة التعامل مع أمور العائلة وقضايا الشرف والعرض والعار وضبط العلاقات مع الأجانب عن القبيلة إلى غير ذلك من الممارسات اليومية.

تحافظ قبائل الأطلس على الأعراف أو "تيعقيدين" عن طريق "الرواية الشفوية" وهذا لا يمنع من اجتماع الأعيان أو أهل الحل والعقد في القبيلة أحياناً لتدوين شروط "تيعقيدين" وإعطائها طابع المشروعية والإجماع، يشار في مقدمة التقييد إلى أسماء الحاضرين ومكانتهم الاجتماعية.

ورغم أن "تيعقيدين" توجد على شكل مدونات فإن طابع الشفوية يغلب عليها وهذه الخاصية ربما هي المسؤولة عن الاختلافات في تطبيقها من منطقة إلى أخرى.

وفي إطار السياسة البربرية للحماية الفرنسية التي استهدفت التفرقة بين عناصر الشعب المغربي، وتكريساً لخطة الظهير البربري، أحيت سلطات الحماية الأعراف القديمة من مرقدها وشجّعت سكان المناطق الجبلية على

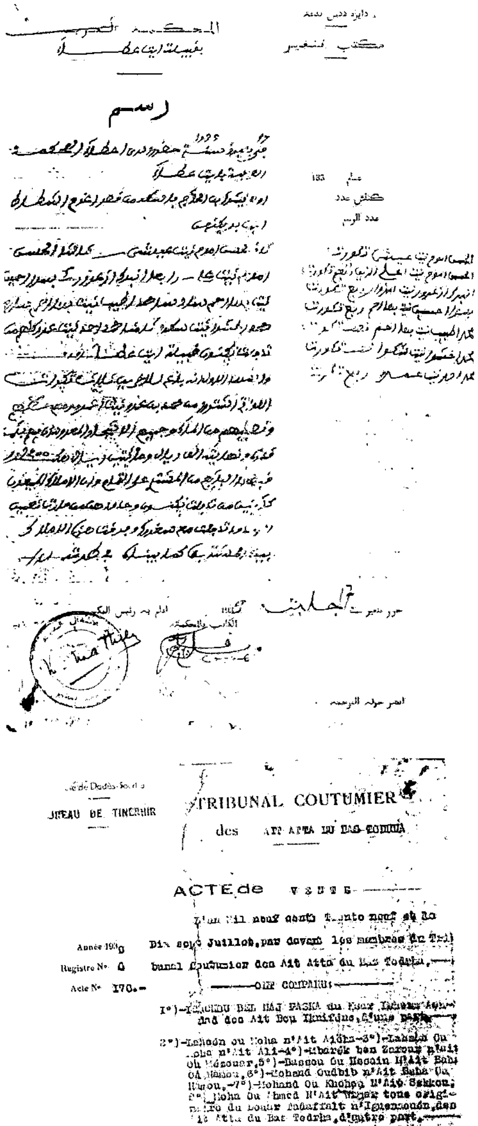


التمسك بها في محاولة لسلخهم عن الشريعة الإسلامية، مجندة لذلك رهطاً من الاداريين والمتفقهة الاستعماريين، وأحاطت تيعقيدين في أيت عطا وغيرها من القبائل الجبلية بهالة من الاعتبار المصطنع، وأوجدت الوسائل الكفيلة بتسجيل الأحكام والعقود العرفية بالفرنسية ثم بالعربية أيضاً (انظر نموذج العقد المحرر بمكتب تينغير من قبيلة أيت عطّا). لكن هذه السياسة باءت بالفشل وعمت الأحكام

الشرعية الإسلامية بعد الاستقلال جميع أطراف المغرب سهلا وجبلا، مع بقاء بعض الأعراف المحلية التي لا تصادم مبادئ الشريعة السمحة.

وقد كتبت الباحثة المغربية رحمة بورقية بحثاً حول عرف "تيعقيدين" جاء فيه "ينبغي أن لا نفسر العرف بكونه نظاماً قانونياً متعارضاً مع الشرع كما لجأ إلى ذلك البحث الاستعماري الذي قسم المجتمع المغربي إلى ازدواج المخزن - السيبة / العرب - البربر / الشرع - العرف، بقدر ما هو تقنين لحياة اجتماعية وسياسية خاصة وللتناقضات التي تتخلل هياكلها. لذلك يستمد العرف - على الرغم من تأثره بالشرع - عناصره الضرورية من التعبير عن الحياة الاجتماعية والسياسية لهذه القبائل".

أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن 19 م : إينولتان (1850 - 1912)* ؛ ج. م. العثماني، *ألواح جزولة والتشريع الإسلامي*، ميكرو فيلم خ. ع. رقم 1340 ؛ ر. بورقية، *العرف والشرع*، *المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع*، ع. 7، 1984، ص. 155 - 173 ؛ الحسين بولقطيب، *بعض جوانب العرف القبلي بمغرب العصر الوسيط*، *الاتحاد الاشتراكي*، *الملحق الثقافي*، العدد 382، 5 يناير 1992 ؛ أعمال ندوة الجامعة الصيفية بأكادير، الدورة الأولى 1980 ؛ أفا عمر، *بعض العلاقات الداخلية في مجتمع البادية في القرن 19*، ص. 119 - 134 ؛ إ. العمراني وإ. الغربي، *التنظيم القبلي نموذج أيت عطا*، بحث لنيل الإجازة بكلية الآداب، أكادير 1990 - 1991.

G. Spillman, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Rabat, 1936 ; D. Hart, *Assu - u - Baslam, Les Africains*, Tome 5 : *A Customry Law Document from Aït Atta*, *R.O.M.M.*, n° 1, Sept. 1966 ; L. Mezzine, *Le Tafilalet : Contribution à l'histoire du Maroc au 17ème et 18ème siècles*, Rabat, 1987 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le sud marocain*, Paris, 1930 ; Denoun, *Notice sur les Aït Atta du Sahara*, 1913 ; *Renseignement complémentaire sur les Aït Atta*, 1924 ; Mont de Savasse, *Le régime foncier chez les Aït Atta du Sahara*, C.H.E.A.M, 1951.

عبد القادر بوراس

**تيعلالّين** (قصر في الأطلس الكبير ← **تامراكشت**

**تيغالّين**، مدينة مغمورة في مياه البحر، تقع أمام رأس كنتانّ، اللسان الصخري الداخل في الماء، الذي تقع عليه منارة (فنار) كاب (رأس) كنتان، ويسميه أهل المنطقة (رأس بدّوزة) Bedouza الذي دشن سنة 1334 / 1916، وهو من أقوى الفنارات المغربية وأهمها.

وتوجد بجوار تيغالّين على بعد كيلومتر تقريبا إزاء الرأس مدينة تغمرها مياه المحيط وتسبب تياراً دائرياً تطفو أمواجه حتى حينما يكون البحر هادئاً لارتطام التيارات المتعاكسة في قعر البحر بسبب التعاريج التي تسببها الممرات (الشوارع) والسواري الغارقة. ويحكي البحارون أنهم يشاهدون تلك الأشكال الهندسية المختلفة حينما يكون البحر هادئا في ساعات الجزر. وكان أولئك البحارون المغاربة أبناء المنطقة وكذلك السياح الأجانب عشاق رياضة الصيد في الأعماق يقصدونها لأنها تجمع أنواعاً عديدة من الأسماك المطلوبة في الأسواق كذئب البحر (الدرعي) والسنيور (الفرخ) واللانكوس (جراد البحر).

والآن منعت السلطات الصيد فوق مياه المدينة بعد أن كثر الحديث حول خباياها المجهولة. ويعود سبب غمرها تحت الماء إما إلى زلزال قوي أو بفعل جيولوجي غير معروف.

وقبالة هذه المدينة، وتحت منحدرات الفنار نحو البحر، يوجد ضريح تَسّاوِلّتْ، يشاع بين سكان المنطقة أنها سيدة خرجت من البحر على ظهر قارب، وألقت بها الأمواج على الصخور فسكنت هناك مدة حتى توفيت فتحول مركبها إلى حجرة (مازالت مقصودة هناك). وبنى الأهالي قرب ضريحها مسجداً صغيراً ما زال حتى الآن، ويحكي حراس الفنار المتوارثون ذلك أباً عن جد أسطورة مفادها أنهم فوجئوا كثيراً من الأحيان بظهور حُفر قرب ضريحها والمسجد ووجود حجر عملاق مقلوب لا يستطيع إنسان مهما كانت قوته وحتى عشرة أشخاص، تحريكه، سوى "عفاريت" يستخدمها بعض فقهاء سوس الذين يقصدون الموقع لاستخراج الكنوز التي جاءت بها تلك السيدة المجهولة. ومازالت آثار تلك الحفر موجودة في تلك المنطقة حتى الآن.

**تيغانيمين**، فخذة من قبيلة إيداوتَنَانْ السوسية الشهيرة بغربي الأطلس الكبير. كما توجد قبيلة تيغانيمين أيضاً شرقي مدينة تارودانت، على بعد حوالي ستين كيلومتراً. وهي المقصودة بهذا التعريف. ارتبط ذكرها بانتقال الطريقة الناصرية إلى أولوز التي توجد في أراضي تيغانيمين.

فعلى إثر وفاة الشيخ مَحمد ابن ناصر سنة 1085 / 1674، وقعت منافرة بين الشيخ أحمد الخليفة وأخيه علي، الشيء الذي دفع هذا الأخير إلى الانتقال إلى أولوز، ليستقر بين ظهراني قبيلة تيغانيمين، حيث أسس زاوية ناصرية هنالك، وسميت فيما بعد بزاوية البور، بمدشر رأس الوادي ( *الروض الزاهر*، 122 - 124 ؛ *طلعة المشتري*، 2 : 4 ؛ *المعسول*، 10 : 34). إلا أن الشيخ علي بن مَحمد ابن ناصر لقي معارضة قوية من طرف أهل تيغانيمين، الذين ضيقوا عليه وذاق معهم شتى ألوان النكال. كما يتضح من رسالة جوابية وجهها إلى أخيه الشيخ أحمد الخليفة، يستغيث به وبالرجال الناصريين، بعد مقاطعة طويلة بين الرجلين. ومما جاء فيها : "واغوثاه إليك ثم للأشياخ من عصابة الغيّ والفساد وجرثومة العناء والعناد، أهل تيغانيمين، أن يبيح الله ديارهم، ويستأصل شأفتهم، ويهتك أستارهم..." *الدرة الجليلة*، 85). يظهر أن الشيخ الناصري قد غضب بسبب النصب الذي لاقاه من أهل تيغانيمين. لكن ما هو السبب في هذا العداء المستحكم بين قبيلة وزاوية ؟

يذكر محمد المكي الناصري أن عليا ابن ناصر حين نزل بأولوز "ابتنى دياراً، واشترى به الأجنة ومعادن الحرث" (*الروض الزاهر*، 122). أي أن الزاوية قد توسعت في المنطقة وأصبح لها إشعاع. فهل معنى ذلك أن توسعها تم على حساب السكان الأصليين الذين ظلوا ينظرون إلى الزاوية

كطارئ على المنطقة ؟ أم أن تلك المعارضة نابعة من انتماء أولئك السكان إلى طائفة أخرى ؟ ولا ينبغي أن نستبعد أن أهل تيغانيمين كانوا من بين من لم يأخذ التصوف بأفئدتهم بعد، لذلك ظلوا يناوئون الزاوية.

ومهما يكن من أمر فقد آذى أهل تيغانيمين الشيخ الناصري إذاية كبيرة على الرغم من مكوثه بين أظهرهم طيلة ثمان عشرة سنة. وفي ذلك يقول محمد المكي الناصري : "كان (علي) لا ينام من الليل إلا قليلا من كثرة اللصوص، كلما أحس بهم نقبوا نقبا من خارج الدار ضرب بيده على مقابلة النقب من داخل فيعلمون أنه متيقظ فينصرفون" ( *الروض الزاهر*، 124).

ويمكن استشفاف مدى الإذاية التي لاقاها علي ابن ناصر من لدن أهل تيغانيمين من خلال قصيدة هجاهم بها، رتبها على حروف المعجم ؛ وذكر فيها بعض أوصافهم وأفعالهم ( *الروض الزاهر*، 124).

وقد ظلت العلاقات متوترة بين زاوية علي ابن ناصر، وقبيلة تيغانيمين حتى وفاته سنة 1109 / 1698 ( *الدرة الجليلة*، 86). ورغم ذلك فقد استمرت ذريته من بعده قائمة على الزاوية الناصرية هنالك إلى عهد قريب ( *طلعة المشتري*، 2 : 5) و( *المعسول*، 10 : 34).

محمد المكي الناصري، *الروض الزاهر في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه الأكابر*، مخطوط خ. ع.، الرباط، رقم 2261 ك ؛ م. ع. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 10.

أحمد عمالك

* * وهناك زاوية تيغانيمين المنسوبة للولي الصالح الشيخ إبراهيم بن علي التناني (ت. 989 / 1581) والواقعة بموضع "ايضمين" من قبيلة أيت واعزون التنانية على قمة الجزء الغربي من الأطلس الكبير شرق مدينة أگادير بحوالي مائة كلم. ويقال إن هذه القرية سميت تيغانيمين لأن الشيخ انتقل إليها من تيغانيمين من قبيلة الساحل. هذا ما يقال وإن كان الذي جاء من هناك هو والد الشيخ ( *المعسول*، 15 : 75).

أما عن تاريخ بناء زاوية تيغانيمين فقد ذكر محمد المختار السوسي نقلا عن مضيفه الشيخ الحسن بوناگة : "أن ثلاثة من التنانيين كانوا وقفوا حتى بنيت قبة الشيخ سيدي إبراهيم بن علي ومسجده ومتوضأه وهم : الحاج عبد الكريم الواعزوني، والحاج أحمد أهدار، وهما المعروفان عندهم، ورجل آخر من أهل - أبي الرأيْ - أي صاحب الرأي، كانوا توصلوا بمال فصرفوه بعد ما قسموا ما يُبنى، فبنى على ذلك أهل تانْكَرْتْ القبة وأهل واعزون المسجد وأهل ايفسفاسن المتوضأ، ولا يزال إصلاحها إلى الآن على هذا المنوال، وذكر لي الرئيس بوناگة أن سلطان ذلك العهد، يعنون سيدي محمد بن عبد الله باني الصويرة، كان داخل المذكورين ليتمكنوا من الثائر الطالب صالح فدفع لهم ثلاثمائة من الخناجر والبنادق من النوع الذي ينسب للطالب صالح مع مال كثير، وكان ذلك المال موهوبا منهم لسيدي إبراهيم بن علي، ولعله هو الذي بني به ما تقدم" (*خلال جزولة*، ج 4 : 84).

نالت زاوية تيغانيمين وأولاد الشيخ المقيمون بها من الاحترام والمكانة وسمو المقام ما تتذبذب دونه كل المقامات. واعتاد التنانيون أن يقوموا بحاجة جميع أولاد الشيخ بما يقاسمونهم من محصولات حقولهم، ومستغلات أشجارهم، حتى إنهم فرقوا أولاده على أفخاذهم الثلاثة أهل تانكرت وأيت واعزون وإفسفاسن، فيعرف كل شريف خدامه وخدام آبائه منهم. فيحوز المعتاد من الشعير والذرة والزيت واللوز والغنم. ثم ينزل هؤلاء في أيام مواسم الشيخ على شرفائهم فيقدمون لهم ما يأتون به إليهم خاصة. زيادة على ما تأتي به كل فخذة من الذبائح والبسيس والبيض والزبد. والعادة أن يذبح هناك من القبر والغنم الكثير، فيقتسم الشرفاء الجميع على عادة لهم متوارثة. (*المعسول*، 15 : 73).

ويرى روبير مونطاني أن سيدي إبراهيم أُوعلي وأحفاده هم الذين كانوا ينظمون قبيلة إيداوتنان سياسياً إلى بداية عهد الحماية (*التنظيم الاجتماعي والسياسي للقبائل الأمازيغية* - نموذج إيداوتنان - (مونطاني، *مجلة الدراسات الاسلامية*، 244).

وقد أشاد الفقيه الحاج أحمد بن علي التناني (الكاشطي) المتوفى عام 1374 / 1954 بمناقب الشيخ التيغانيميني وفضائل أولاده المشهورين بالعمل والصلاح حيث قال : "وقد اشتهر أولاد أبي سيدي إبراهيم بن علي في كل جبل بالعلم، وفيهم فحول أذعنت لهم رقاب الملوك في نواحي سوس وحاحة. ومن كراماته رضي الله عنه أن مدرسته ومحل ضريحه الأنور من قديم الزمان عامر بتدريس جميع فنون العلم من الحديث والتفسير والأصول وغير ذلك، ويتنافس الناس بالقراءة في ذلك المحل الشريف لما يحصل من النجابة في أقرب مدة للقارئ فيها، ولا يخفى ما يصيب المحل وأهله من الخيرات والرحمات" (الكاشطي، *التعريف*، ص. 97).

وفي يوم الثلاثاء 26 ربيع الأول عام 1379 / 29 شتنبر سنة 1959 قام الوزير محمد المختار السوسي بزيارة زاوية تيغانيمين فوصف مشاهداته بقوله : "رأيت الزاوية في شعبة بين جبلين شامخين والماء قليل. وليس هناك إلا منابع من آبار وعوينة تحت مشهد الشيخ بني عليها، ينزل إليها بالمراقي تبض بقليل من ماء، ثم دخلنا القبة الفسيحة، وفيها محراب، وأمامها مبلط، وإزاء هذا المبلط نطفية ماء. قالوا إنها موجودة من عهد الشيخ. ثم نزلنا من درج فدخلنا إلى مسجدين أعلى فوق أسفل، وعليهما معا رونق جميل بالاعتناء بتحسين بنائهما ثم ملنا إلى مدرسة صغيرة قديمة متداعية البناء فيها الأستاذ سيدي الحسين بن موسى الإفراني التانكرتي من المتخرجين بشيخنا سيدي محمد بن الطاهر الإفراني يلقي دروسا على ثلة من الطلبة. كما رأينا هناك صبية يتعلمون القرآن. ثم ضيفنا الشرفاء في نزل

حسن الفراش، بطعام طيب، فاستنهضتهم على الاعتناء بالعلم والدين. فإنه لا شرف إلا بالعلم والدين. ثم لَوَّحْتُ لهم بأن الواجب عليهم أن يربوا الأولاد منذ الآن على مزاولة الأعمال الحرة. لينبذوا التكفف المألوف من الناس، فإن ذلك الاعتقاد الذي كان يسود على الماضي فينتفع به أمثالهم صار اليوم ينقشع شيئاً فشيئاً" ( *المعسول*، ج 5 : 74).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 15 : 72-80 ؛ *خلال جزولة*، 4 : 84 ؛ أحمد بن علي الكشطي التناني، *التعريف بالبلدة التنانية*، مخطوط، ص. 90 ؛ روبير مونطاني، *مجلة الدراسات الإسلامية* سنة 1927، ص. 244 بعنوان *التنظيم الاجتماعي والسياسي للقبائل الأمازيغية، إداوتنان نموذجاً*.

محند أيت الحاج

* * ونجد بسوس موضعاً آخر يدعى تيغانيمين، بقبيلة مسگينة على بعد ثمانية كيلومترات شمال مدينة إنزگان في الطريق الثانوية الممتدة نحو السفوح الجنوبية للأطلس الكبير مخترقة أراضي مسگينة صوب مدرسة إيغيلالن.

يتألف هذا الموضع من أربع قرى تنتظم على ضفتي واد جاف يسار الطريق، قريباً من أيت علاً (بتفخيم اللام) وانتظامها يمتد من الشمال إلى الجنوب كما يلي : أجاريف، وإگيزولن وإيغوشان والزاوية.

ويبدو من الناحية التاريخية أن قرية الزاوية هي النواة الأصلية لموضع تيغانيمين منزل الشرفاء أحفاد سيدي إبراهيم بن علي، واشتهر من الشرفاء هناك المدني بن إبراهيم وإخوته محمد ومحند والحسين، وخلفوا أحفاداً انتقل بعضهم مثل الأخوين الحسن والحسين فسكنا قرية أزرو شرق إنزگان نتيجة مصاهرتهم للعدل سيدي إبراهيم المشهور هناك.

ومن الناحية الاقتصادية يمارس سكان تيغانيمين بصفة أساسية صناعة الحُصُر وقد نقلوا هذه الصناعة عن أصهارهم (أيت علاً) الذين امتهنوا هذه الصناعة منذ بداية القرن الثاني عشر (18 م) عقب تخليهم عن العمل العسكري في العهد الإسماعيلي واستقروا في هذه الجهة شأنهم شأن ابن عيادن، وأهل تاماعيت. كما اشتغل سكان تيغانيمين إلى جانب ذلك بالفلاحة البورية وتربية محدودة للماشية وخاصة الماعز.

ومن الناحية الاجتماعية تتميز وضعية تيغانيمين بنوع من الوجاهة باعتبارها مأوى الشرفاء آل سيدي ابراهيم بن علي. ويوجد بها مسجد لتحفيظ القرآن كما أسست بها مؤخراً مدرسة ابتدائية حديثة بينها وبين أيت علا لتعليم أبناء هذه الجهة.

م. الحضيكي، *الطبقات* ؛ البعقيلي، *تبيين الاشراف* ؛ *رواية شفوية* من أحمد أُوبيهي أُودود بتاباطكوكت.

عمر أفا

* * أما جبل تيغانيمين، فيقع بقبيلة بقِّيوة الريفية (إقليم الحسيمة) حيث يوجد مدشر يحمل نفس الاسم، وعلو الجبل فوق سطح البحر نحو 1.050 متر ؛ وقد أطلق عليه الإسبان اسم مالموسي Malmusi عند احتلالهم له في شهر شتمبر 1925.

*Mision historia*, 273 ; Martinez Campos, *España bélica*.

محمد ابن عزوز حكيم

## تيغْرَمْت ← إغْرَمْ

**تِيغْزَى**، أماكن كثيرة في جنوب المغرب وشماله، مثل تيغزَى بأيت حربيل وأمانوز بسوس. لكن لا بد أن تضاف إلى علم يميزها، ما عدا تيغزى أيت باعمران، فهي علم مفرد. والكلمة أمازيغية تعني المنخفض من فعل إغوز. وهذا ما تبين من مقارنة بين المسميات بذلك.

تقع تيغْزَى الباعمرانية في سهل تاگراگرا، وأقدم سكنى هنَاك هو أگادير - ن - بُوَاغاطْن، وهو كبير وقديم جدا، قيل إنه هُدم غدراً في قصة لا تخلو من حقيقة، وقد يكون الوباء هو الذي قضى على سكانه، ويزعم البعض أن المقبرة الكبيرة الباقية حتى الآن، كان يدفن فيها المسلمون واليهود على السواء. ويُنسب إلى سيدي حسيْن الشرحبيلي صاحب *رسالة الذكرى إلى السوسيين*، أنه لما مر هناك قال : "ينبغي لمن وقف على مقبرة تيغزى أن يخصص بدعائه المسلمين لما فيها من اليهود".

ويضيف البعض إلى أن الإسلام هناك بدأ في عهد المرابطين، لكن القاضي محمد أسلاّم، كان يردد أن الاختلاط موجود فقط بسبب الوباء الجارف سنة 1214 / 1799 - 1800. وفي تيغزى مدرسة أيت بوبكر العتيقة التي نزل فيها سيدي حسين المذكور عندما أعاد إقامة سوق خميس أيت بوبكر، بعد مجاعة مجحفة.

ويرجع وجود كثافة السكان في تيغزى إلى خروج عين غزيرة هناك تسمى عين أَفُولُوسْ "الديك" ولم يبق منها الآن إلا مكان الخطارات، وقد طمست حوالي سنة 1330 / 1912 وشاع أن القائد باقا الذي حاصره أيت باعمران حتى أخرجوه قهرا من هناك لأمور يطول شرحها، هو الذي قام بطمسها.

تعدُّ تيغْزَى أهم مركز مخزني في تلك النواحي، فقد حل بها السلطان مولاي الحسن الأول، عند قائده الرسمي أحمد بن الشيخ همو، وذلك في رحلته سنة 1303 / 1886، فأعجب بتلك العين الغزيرة وبالمكان، فأمر بشراء أرض هناك من مال المخزن، فقامت عائلة القائد بذلك، وشرع في بناء سور محلة السلطان ويعرف بهذا الاسم حتى الآن، وعمرت بالحراسة المخزنية حتى عهد السلطان مولاي عبد العزيز، فطُرد من فيها لتهمة صحيحة، وكان الشيخ الحسن الخلفي وأمغار أحمد بن الأشقر هما اللذان تزعما ذلك الحصار.

تيغْزَى أكبر ثكنة للاستعمار الإسباني بعد بَاطَايُّونْ بمدينة سيدي إفني، وقد اختار الإسبان النزول بها منذ سنة 1934 م بدعوى أنهم ورثة المخزن المغربي هناك، لكنهم لما أحسوا بأيت باعمران يتقولون حول تفويت محلة السلطان، تنحَّوا جانبا، واشتروا أرضاً أخرى من نفس العائلة، وبنوا ثكنة عسكرية لا تقل جيوشها عن خمسمائة فرد، بالإضافة

إلى مرافقها من سوق ومدرسة، ومستشفى وسجن، واستخراج المياه...

أعلنت تيغْزَى نصر السلطان سيدي محمد بن يوسف يوم الخميس (السوق العمومية) سنة 1366 / 1947 وكان ردّ الاسبان قاسياً، إذ قبضوا على أعيان أيت باعمران وصادروا ممتلكاتهم، وزجّوا بهم في السجون بإفني وبالداخلة لمدة سبع سنوات، وفي تيغزى هذه بدأت إسبانيا في تطبيق الجنسية الإسبانية على أيت باعمران، وأمرت بتصوير النساء قصد الحصول على ورقة التعريف، وكادت الثورة العامة أن تشتعل، لولا تراجع حكام إسبانيا. ومنذ حوادث 1947 م صارت العلاقة مع إسبانيا تتأزم، إلى أن قامت ثورة التحرير سنة 1957 م، فحوصر مركز تيغزى من طرف جيش التحرير لمدة ستة عشر يوما، حتى قدمت جيوش جرارة من مدينة سيدي إفني لفك الحصار، ونفس الشيء في ثكنة أَمَلْوُ ومركز تاليوينْ، فحوصر الجميع في إفني حتى سنة 1969 عندما حل الجيش الملكي بصفة رسمية محل الإسبان. هذا وإن جيش التحرير قام بهدم كل ما بنته إسبانيا في تيغزى وهو الكثير، ولم يبق منها محترما إلا السوق العمومية ومحلة السلطان والمدرسة العتيقة.

رجع إلى تيغْزَى شبابُها فأصبحت بعد الاستقلال مركز القيادة والجماعة القروية، وأجريت فيها أول انتخابات مؤقتة منذ سنة 1963 م وكان أول منتخب فيها هو العلامة سيدي محند بن محمد أباراغ، وكان أول قائد مدني مغربي حل بتيغزى هو السيد صَيَاسْ ثم القائد عمر أگوداد الذي صار عاملا على أگلميم حاليا، لكن كل ذلك بشكل مؤقت.

وبعد إرجاع إفني والمراكز التابعة لها حسب اتفاقية فاس عام 1969، بدأ طور البناء والتأسيس، فانتخب مبارك جهادي الخلفي، كما عين أحمد يازين حاكما للجماعة، وكان عدد سكان الجماعة حينذاك واحدا وعشرين ألفا لكنها قسمت فيما بعد إلى جماعات متعددة.

ومازالت تيغْزَى تنمو وتؤدي دورها الاجتماعي على أحسن وجه كما أراد لها مؤسسها السلطان الحسن الأول.

ح. الجهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط.

الحسين جهادي

* * أما تيغْزَى الشمال فهي عبارة عن قرية وزاوية في الجهة الشمالية من قبيلة تمسمان بالريف الشرقي، اشتهرت بالزاوية الوزانية التي أسست فيها وانتشرت في المناطق المجاورة، وتؤكد المعطيات المتوفرة لدينا أن أول انتقال الوزانيين إلى هذه المنطقة يعود إلى أواخر القرن الثاني عشر (18 م) نظرا "للفراغ الصوفي" الموجود آنذاك بهذه القبيلة. فالزاوية الناصرية الموجودة بقبيلة بني توزين لم تجد المنفذ إلى كسب قبيلة تمسمان المجاورة لها لأسباب نجهلها، مما يدل على أن القبيلة كانت إلى غاية أواخر ذلك القرن تعيش في معزل عن الطرق الصوفية المعروفة بالريف آنذاك.

وإذا بحثنا عن سبب مجيئ الوزانيين إلى هذه القبيلة وجدنا أنه يعود إلى الشهرة التي نالتها الزاوية الأم بمدينة وزان، إذ بعد أقل من قرن على تأسيسها اتسع نفوذها الروحي وأقيمت لها فروع في عدد من الجهات بفضل قيام شيوخ الزاوية بإرسال أبنائهم للاستقرار في تلك الجهات.

وتحكي الرواية الشفوية أن التمسمانيين شكلوا وفداً من أعيانهم وذهبوا إلى مدينة وزان للإتيان بأحد الشرفاء للتبرك به أثناء الأزمات وحل مشاكلهم مع المخزن. ورأوا في شخص مولاي عبد الله بن التهامي الوزاني الرجل المناسب لهذه المهمة، وبمجرد وصول هذا الشريف إلى القبيلة اختلف كبراؤها في إيوائه فأراد كل واحد منهم أن يكون له قصب السبق لنيل بركة الشريف. إلا أن عبد الله، تفاديا للنزاعات، اقترح حلا مشابها لما قام به النبي - عليه السلام - أثناء وصوله إلى المدينة المنورة بعد هجرته من مكة. حيث طلب الشريف الوزاني من علية القوم أن يركب فرسه ويترك له العنان إلى أن يتوقف عن المشي، وسيكون مكان توقفه هو موضع إقامته. وحسب الرواية الشفوية دائماً فإن الحصان وقف في مدشر تيغْزَى وتم هناك تأسيس الزاوية الوزانية. وأصبح الشريف يتمتع بنفوذ قوي داخل القبيلة ويتوسط بين الأطراف المتنازعة لفض الخصومات.

أما الرواية الثانية فانها لاتختلف كثيراً عن الأولى، وتشير إلى أن أول مؤسس للزاوية الوزانية بمدشر تيغْزَى هو مولاي عبد الله بن التهامي بن المكي بن إدريس بن الطاهر بن الشيخ مولاي التهامي بن محمد بن محمد عبد الله الشريف الذي كان يقطن آنذاك في قبيلة بني وليد الواقعة على الضفة اليسرى لنهر ورغة. ويرجع سبب قبوله المجيئ إلى مدشر تيغْزَى هو إلحاح التمسمانيين عليه للتبرك بالشرفاء الوزانيين والتوسط لهم في فض نزاعاتهم.

ولعل الرواية الأولى هي الراجحة، فإن وصول السيد عبد الله بن التهامي إلى تيغْزَى كان متزامنا مع انتقال الشيخ إبراهيم بن عبد السلام بن العربي التهامي إلى قصبة اسْنَادَة حوالي سنة 1206 / 1792 م. ومنذ ذلك الوقت بدأ النفوذ الوزاني في الظهور والترسخ بمنطقة الريف.

ويظهر أن مولاي عبد الله بن التهامي الذي تكفل بتسيير زاوية تيغْزَى خلفه بعد موته أبناؤه وأحفاده، منهم الحاج محمد بن العربي الوزاني والسيد محمد بن محمد الوزاني. كما التحق بهم بعض الأقارب من قصبة اسْنَادَة أمثال الحاج العربي بن محمد الوزاني الذي تزوج بإحدى بنات أحمد الريسوني عندما كان هذا الأخير في قبضة الزعيم الريفي محمد بن عبد الكريم الخطابي بقرية تامْسِينْت الورياغلية.

وتجدر الاشارة إلى أن شيخ تيغزى كان شيخ بركة فقط، شأنه شأن شيخ زاوية اسنادة بقبيلة بني يطفت. فالناس كانوا يرون فيه جانب الشرف قبل غيره، ومن أجل ذلك كانوا يحترمونه ويجلونه، وربما برز هذا الاحترام للوزانيين كشرفاء قبل أن يكونوا شيوخ تصوف نتيجة الشهرة التي كانت للزاوية الأم بوزان. كما ان الشيوخ المتعاقبين على

تيغْزَى وحتى على اسنادة كانوا مجرد "مقدمين" يجمعون الهدايا والزيارات ويشرفون على أملاك الزاوية ثم يصرفون جزءاً مما يتوصلون به على زاويتهم والباقي يوجه إلى المقدم الرئيسي المقيم بوزان، بالإضافة إلى أن دورهم الديني في مجال التصوف والإرشاد كان محدوداً بسبب عدم اهتمام شيوخ الزاوية الأم بتحصيل العلوم كما هو الشأن بالنسبة للزاوية الناصرية مثلا، فالشرف والبركة هما العملتان اللتان كانتا وراء شهرة شيوخ اسنادة وتيغزى بالريف، وبفضلهما تمكنوا من اقتحام المجال الاجتماعي والسياسي ومكنهم من كسب الانصار وتوسيع نفوذ الزاوية الوزانية. والملاحظ في زاوية تيغْزَى أن نفوذها لم يتعد المدشر المذكور المجاور لها بعكس ما لاحظناه في زاوية اسنادة ببني يَطَّفْت التي تعدى نفوذها مجال القبيلة المذكورة ليشمل قبائل أخرى كبني بوفراح وبني ورياغل وبقيوة. وما تزال الزاوية الوزانية في مدشر تيغْزَى قائمة إلى اليوم.

رواية شفوية ؛ م. المنصور، *تصوف الشرفاء : الممارسة الدينية والاجتماعية للزاوية الوزانية من خلال مناقبها*، التاريخ وأدب المناقب، الرباط، 1989.

Et-Tabyi, *Retazos de Historica Marroqui*, Tetuán, 1955 ; P. Pascon, *Les Beni Boufrah*, Rabat, 1963.

عبد الرحمان الطيبي

** وبشاطئ تيغْزَى الواقعة بفرقة بني بويدير من قبيلة تمسمان المتحدث عنها آنفاً يوجد نهر ومرسى. ينبع النهر من جبل تيكرياست ويصبّ في البحر المتوسط غرب رأس سيدي شعيب المفتاح الذي سماه الشريف الإدريسي برأس تغلال. ويعرف عند السكان برأس الطرف وعند الإسبانيين برأس كيلاطيس Cabo Quilates ؛ ولعل هذا النهر هو الذي سماه البكري بوادي البقر (ص. 90).

وتقع مرسى تيغزى عند مصب النهر، ولعلها أيضاً المرسى التي سماها البكري مرسى وادي البقر.

البكري، *المغرب*، 91.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografía de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, p. 37, Madrid, 1942.

محمد ابن عزوز حكيم

**تيغَشْت**، أو تيغيغيتْ أو تيغيغَشْتْ، أسماء أمازيغية تطلق على سَيلِيني ڤُولْگاريسْ Silene Vulgaris أو ميليني كَوكَوبالوس Silene Cucubalus سيليني إنْفْلاَتَا Silene Inflata. والأسماء العلمية الثلاثة مرادفة لهذا النوع المنتمي لفصيلة القرنفليات Caryophyllaceae.

إنه نوع نباتي معمر بجذوره التي تعطي في أواخر الشتاء سيقانا مورقة تترعرع في فصل الربيع وتزهر ثم تندثر في أوائل الصيف. تتوزع الأوراق متقابلة وعند مستوى التصاقها بالساق يكون هذا الأخير منتفخا. أهم مميزات الأزهار هي كؤوسها المنتفخة التي يستعملها الأطفال في لعبهم ليفرقعوها على جبهاتهم. تويجات الأزهار بيضاء ضاربة إلى الاصفرار.

كان هذا النبات قبل ظهور الصابون الاصطناعي المصدر الوحيد لغسل الصوف لأنه يحتوي، كأنواع أخرى من نفس الفصيلة، على مواد صابونية موجودة بكثرة في جذوره ذات اللون الأسود على ظاهرها، والأصفر بباطنها. ومن استعمالاته الأخرى أنه إذا طبخت عصارة الجذور حتى تصبح مثل القطران، ودهنت بها السِّهَام صارت هذه الأخيرة مسمومة، إذ أن الجذور تحتوي على سموم قاتلة.

*استطلاع ميداني.*

H.P.J. Renaud et G.S. Colin, *Tuhfat al Ahbab*, Paris, 1934.

عبد المالك بنعبيد

**تيغْلاَلْ** أو تغلال، موقع ورابطة بتمسمان، ينطبق عند الشريف الإدريسي على الكتلة البركانية المشرفة على البحر المتوسط من شمال أراضي قبيلة تمسمان بالريف الشرقي. وهي نفس الكتلة المعروفة في الوقت الحاضر برأس سيدي شعيب المفتاح، نسبة إلى مرابط معروف هناك. ويمتد ساحل كتلة طرف تيغْلاَلْ من مبدئه الغربي بجبل الحديد إلى أولاد أمغار شرقاً، ويميز امتداد الكتلة في البحر رأسان : غربي هو رأس سيدي شعيب المفتاح، وشرقي يدعى رأس الطرف. ولا زال اسم تيغلال اليوم دالا على الساحل الغربي من الكتلة، الرابط بين رأس سيدي شعيب وقرية الحديد. كان ساحل طرف تيغلال، بفضل تعدد قالاته إحدى المحطات البحرية الرابطة بين مرسى المزمة من بلد النكور ومرسى گرط من بلد قلعية.

وبساحل طرف تيغْلاَلْ أسس الشيخ المتصوف أبو داود مزاحم التمسماني، المتوفى عام 578 / 1182 رابطة إثر عودته من رحلته العلمية إلى الأندلس، قبل عام 560 / 1164، بالمكان الذي مازال إلى اليوم يعرف بالرابطة، بين قريتي الساحل والحديد، من ساحل خليج الحسيمة الشرقي، عند نهاية انحدار جبل غدّو (641 م). اختار لها أبو داود مكاناً بأرض جماعة بني ورتدى، وبجوار عين ماء، كانت معروفة لدى رجال البحر من القراصنة الأوروبيين. أسست الرابطة بتعاون بين موسري الجماعة بالآجر والخشب والزواق، كما ذكره عبد الحق البادسي في *المقصد الشريف*.

أصبحت الرابطة منذ عودة أبي داود من تلمسان بعد 560 هـ، واتصاله بشيخه في التربية الصوفية أبي مدين الشافعي، مركزاً للثقافة الدينية، إذ أنه سرعان ما التف حول مؤسسها عدد من طلبة الريف وغيره، أمثال مركاب بن عيسى البلندي التمسماني، ويحيى بن علي الغساسي القلعي ومحمد بن دوناس البطوئي والحاج حسون الأدوزي البقوئي. وبوفاة أبي داود خلفه بالرابطة حفيده إبراهيم بن عيسى بن أبي داود (560 ـ 650 هـ). وفي بداية القرن الثامن كان القائم بشؤونها أبو عقيل عبد الرزاق من أحفاد المؤسس. وتشهد قائمة الطلبة والصلحاء المتخرجين من الرابطة أو الواردين عليها، على أن آثارها كانت حسنة على الثقافة الدينية بالريفين الشرقي والغربي خلال العصر الموحدي خاصة.

ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 533، ميلانو ؛ ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 50 ـ 55 ـ 60 ـ 63، الرباط، 1982.

حسن الفكيكي

* * ومن ثم رأس تيغلال، وهو الاسم الذي أطلقه الشريف الإدريسي (ص. 111) على الرأس الذي يعرف برأس سيدي شعيب المفتاح وبرأس الطرف والذي يقع شرقي خليج النكور بشاطئ قبيلة تمسمان الموالي للبحر المتوسط. والجدير بالذكر أن جميع خرائط الملاحة الأوربية الموضوعة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد أطلقت عليه اسم طرف كيراطو Tarfo Quirato كما سماه هومين Homen سنة 1572 م بطرف گراطو Tarfo Grato وسماه خوان مارطينيث Juan Martinez سنة 1579 بطرف كيرا Tarfaquira.

ومن هذه الأسماء كلها اتخذ الاسبان اسم رأس كيلاطيس Cabo Quilates.

ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 111.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 48 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 62 ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos, protectorados y posesiones de España en Africa*, Madrid, 1936.

محمد ابن عزوز حكيم

**تيغـمَـرْت**، موقع بمحاذاة مدشر أسرير (*معلمة*، 409 ـ 411) على ضفاف وادي نون حيث يتفرع الرافدان وارگ النون ووادي بوكيلة. وهو اسم صنهاجي مرادفه تارمگيست بمعنى الزاوية أو الركن أو المرفق. هذه السمة المميزة للموقع تحدد خصائصه بالنسبة لأسرير المجاور أو تاغاجيجت شرقاً أو تاگاوست غرباً على نفس الوادي. ولكي نعطي هذا التمييز معنى مشخصا علينا أن نرجع إلى ما يسجله الباعقيلي الذي قضى بتيغمرت أربع سنوات خلال القرن العاشر (16 م) حيث لا يفردها باسم نول لمطة دون جارتها أسرير بنفس الموقع (*مناقب*، 28 ـ 29) وهو معطى لن يتوانى عن تأكيده V. Monteil اعتماداً على الرواية الشفوية خلال بداية هذا القرن حين يحدد مركز نول لمطة ببقايا تيشيشت بديار أيت مسعود بتيغمرت (*Les Tekna*, 21).

هذا ما تكشف عنه في غياب الحفريات، الدراسات والتحريات الميدانية حيث تتضح بحي السوق القديم (تامسّوقت) آثار ومعالم حي تجاري وصناعي بحجم مهم يتوسطه مسجد كبير ويحده موقع السوق الأسبوعي يوم الخميس. وبذلك فإن تعدد الاحتمالات يعكس تصوراً متعدد الجوانب لاتزيد من غناه إلا مقولة أهل أسرير المجاورين. فهم يؤكدون بأن نول لمطة كانت سابع مدينة بعد سجلماسة وفاس وتلمسان وأغمات وقرطبة وغرناطة. وهو بالضبط ما يؤكده حجم المسكوكات من الدينار المرابطي بنول المتبقي بمتاحف باريس ولندن والرباط والجزائر، فنجد أنفسنا إزاء تداخل مجالي لايتنافى مع أهمية نول لمطة كعاصمة كبيرة تشمل تيغمرت وأسرير على حد سواء.

لقد أكد البكري بأن حجم رواج المسكوكات لم يكن كبيراً قبل المرابطين. وهي مرحلة تؤكد أقدم مصادرها العربية وجود نول لمطة كعاصمة للتاجرة المنتظمة بين ضفتي الصحراء. من هنا فإن سك الدينار يؤكد النمو المتواصل خلال القرن الخامس (11 م) محدداً بذلك الصورة المتطورة لمستوى نمو القوى التجارية والإنتاجية كما أورد ذلك الإدريسي. أما دور المرابطين كأداة فاعلة في الربط بين ذهب جنوب الصحراء ومعامل سك الدينار بنول، فيعبر بقوة عن تكامل لمطة (إيليميضن) وواد نون بلمتونة (إيويليميضن) ذلك أنه حتى إذا كان تداول هذه العملة قد اقتصر على شمال الصحراء وعلى بلاد الأندلس (J. Devisse, *Commerce et routes*, 416) فإنه يكشف عن درجة نمو الإنتاج ونوعية المنتجات التي تتطلب مراقبة المجال ودمج فعالياته ومردوديته. بذلك يجوز الاعتماد على تكامل تيغمرت وأسرير في الانتقال بأهل وادي نون إيليميضن إلى المقام الأول في تحديد الإثنية بنول لمطة. وهو ما يتأكد أكثر إذا تتبعنا الاندفاعة التي ميزت نول خلال القرن السادس (12 م) كنتيجة لتحالف لمطة مع لمتونة.

هناك ملاحظة أساسية تتعلق بمكانة هذا التحالف داخل التصنيفات التي وضعتها المصادر العربية لقبائل صنهاجة (إزناگن). فالتحديد إما غائب تماماً أو أنه يقتصر على شغل حيز ثانوي كمساعد على الوصف. يتضح ذلك من القراءة الأولى حيث لايخرج التصنيف عن الخط التقليدي الاعتيادي الذي يحشر نسابة العرب ضمن الاتجاه العبراني الأقدم كما هو واضح لدى ابن حزم وناسخه ابن خلدون. وهكذا نجد لمطة يرتبطون بصنهاجة الصحراء مما يضفي عليهم طابعاً محدداً يستند إلى أسس إثنية توثق التداخل بينهم وبين جزولة (إيگزولن) الأطلس الصغير. ومن فحص المواقع التي تستند إليها هذه الأسس لايعمل النسابة العرب على إدخال التصنيف مجال الشرعية إلا انطلاقا من مراقبة المجال. تتضح من هنا عدم عناية هؤلاء النسابين بتدقيق المشجرات مما يدعو إلى ضرورة تجاوزها. ولتوضيح هذا الجانب، فإن الأولى هو الانطلاق من منطلقات التحالف القبلي ومن طبيعة التفاعلات المصلحية التي قامت بين إيليميضن نول وبعض الفصائل الصنهاجية المقيمة بسوس خلال القرن السادس (12 م). نسجل هنا أن الأحداث الواردة بكتاب *أخبار المهدي ابن تومرت* لأبي بكر البيذق تكشف، شأنها في ذلك شأن رسالة يهودية مؤرخة بـ 542 / 1148 (A. Chouraqui, *Histoire*, 120)، عن حجم المجابهة بين عبد المومن الموحدي والتجليات المتنوعة لتماسك إزناگن إيليميضن بوادي نون. أما إيگزولن، فإن كتاب *البيان المغرب* يساهم في رصد التراكيب القبلية التي لا تسمح بكشف نوعية ولا حقيقة تلاحمهم بإيليميضن. فتيغمرت وأسرير تبرزان كقاعدة مركزية للمطة بملك لمتوني. وتتجلى أهمية هذا التحالف في القدرة التامة على مجابهة جيوش عبد المومن إلى حدود 550 / 1155. يومها فقط عمد عبد

المومن وقائده الأعلى أبو حفص إلى غزو أمهات القرى بوادي نون مستعملا في ذلك ثلاثة جيوش دفعة واحدة. وإذا كان أحد هذه الجيوش قد دخل تاغاجيجت سنة 548 / 1153 (البيذق، *أخبار*، 77 ـ 87) فإن أهگار اللمتوني سلطان تيغمرت وأسرير وربما تاگاوست أيضا، قد توجه بطلب المساعدة إلى اللمتوني المكنى الصحراوي. لم يلبث هذا القائد أن عاد لتوه من الصحراء ملبيا النداء. فلم تكتف فصائل قبيلة لمطة بالمجابهة، بل قامت بغزو المنطقة الواقعة بين سوس الأعلى ووادي درعة حادة بذلك من المد الموحدي. بهذه الكيفية، نستطيع أن نفهم حركة التوجه من الصحراء نحو وادي نون ثم العودة إليها على نحوما يمكن أن نشبهه بالمد والجزر في مواجهه الخطر الخارجي. وتصبح بذلك قدرة لمطة ولمتونه على مراقبة المجال أكثر وضوحاً. بعبارة أخرى، فإن هذه المجابهة المستمرة للموحدين التي لم يقف عندها أبو بكر البيذق بما يكفي من التأني، قد ساهمت في تحديد هوية أهل تيغمرت حيث ظهرت قبيلة أزوافيط منذ نهاية المرابطين.

يكشف مخطوط *البحر المحيط في نسب تكنا وأزوافيط* عن دور أبي الوليد ابن رشد قاضي علي بن يوسف بن تاشفين خلال القرن السادس (12 م) في توظيف المقدرة الحربية لبعض فصائل أزوافيط في مرافقة القوافل العابرة للصحراء، وهو ما تؤكده الصياغة الصنهاجية لفعل إسفد الذي يشتق من إسافادن. تاريخ هذه القبيلة كما أوردناه (*معلمة*، *أزوافيط*، 364 ـ 367)، لا ينصب من جهته إلا على مفاهيم هي حصيلة الصياغات المصلحية منذ المرابطين (م. ناعمي، *تشكل*، 244 ـ 245) وحتى نتمكن من إبراز أهمية هذه المفاهيم، يكون لزاما أن نتخطى سياج النظرية التقليدية حول البنية القبلية الالتفافية حول مراقبة المجال سواء في تصنيفها لنظام التحالفات أو نقدها له. وهنا نصل إلى دور أزوافيط في تحديد سيرورة لف أيت عثمان بالنسبة للف أيت الجمل الساحلي. ذلك أن مفهوم التحالف الذي يكمن وراء الاصطلاح اللغوي يرجع بأزوافيط إلى عثمان بن مندى كجد لمجمل اتحادية تكنة التي تراقب وادي نون والساقية الحمراء وباني الغربية. فإذا كان عثمان بن مندى هو عامل ابن ياسين وأبي بكر بن عمر اللمتوني على نول لمطة، فإن حلقات تماسك لفي الاتحادية يكشفان بما لا يدع مجالا للشك عن بنية سلالية قرابية تبرر الوحدة الداخلية. ذلك أن كلا اللفين يتحرك داخل منظومة تستقي مبادئها التحالفية ومنطلقاتها من سياق التطور الذي يجعل فصائل أيت لحسن (لف أيت الجمل) ترث في ماء وساقية ونخيل أسرير وتيغمرت (لف أيت عثمان). وهو ما يؤكد أن تعميم اسم أيت الجمل على قبائل الشريط التكني الساحلي الممتد من حدود أيت باعمران إلى ما وراء منطقة زمور جنوب الساقية الحمراء، انما مرده إلى سيطرة الترحال الرعوي وتربية الإبل بفعل المعطيات المناخية والجيومرفلوجية.

إذا كانت تيغمرت تحمل اسم المرفق فذلك لأنها ترسم شكلا محدداً يبرز بوضوح معالم موقع مائي رئيسي ببسيط وادي نون. على أن تحديد مظاهر التشكيل على هذا الموقع وضبط الآليات والعوامل التي تتحكم فيه لاتتم إلا بتحديد مجموعة العوامل المسؤولة عن ذلك. فنوعية التربة تسمح بتنوع وكثافة الغطاء النباتي الذي يقلل نسبياً من تركز الرياح. وإذا كان تركز الرياح لايستطيع زعزعة حجم وكثافة النخيل وأشجار الرمان والزيتون والإجاص والحناء، فإن لشبكة الري المحلية دورها في ترطيب المناخ بما تهيئه من غطاء نباتي. فنلاحظ بذلك أهمية عامل الري في نشاط المساحات المسقية حيث تحد نباتات الرطم المتناثرة من فعالية التشكل الريحي. أما دور التدخل البشري، فإنه يكتسي أهمية بالغة بتدخلاته المختلفة سواء عندما يؤدي إلى اختلاف التوازنات البيئية أو عندما يعيدها ويدرأ خطر التعرية أو يقلل من أهميتها بواسطة إعادة التشجير أو إقامة المشاريع السقوية. عموما فإن هذه العوامل مجتمعة، تساهم منذ القرن الخامس (11 م) على الأقل في تشكيل المساحات المسقية الممتدة بجوار القرى والمداشر.

لقد لعب سيدي محمد بن عمرو اللمطي دفين أسرير قطب وادي نون خلال القرن السادس (12 م) دوراً هاماً في تقسيم الماء المار من تيغمرت نحو أسرير. إذا كان اشتغاله بهذا التقسيم يعد بمثابة عامل تأكيد لدوره الكبير كسلطة فعلية خلال هذه الفترة، فإنه ينبغي أن نؤكد على أن تصوفه ظل بعيداً في غالب الأحيان عن كل نزعة باطنية، شأنه في ذلك شأن التصوف الجهوي بشكل عام (ابن خلدون، *شفاء السائل*، 59 ؛ *المقدمة*، 323). وفي هذه المقاربة علاقة جوهرية بين سيدي امحمد بن عمرو وأهل تيغمرت والبنية العقائدية والثقافية المحلية. ولعل مما يساعد خلال هذه الفترة على تحديد تصور دقيق للنشاط الفكري اضطلاع أبي سليمان داوود بن علي الحيحائي بتدريس مادتي الحساب والفرائض بطريقة موسعة. فنجد بين يديه سنة 663 / 1264 ـ 1265 تلميذه عبد الله بن أبي بكر بن يحيى الجدميوي الصودي، يأخذ عنه الحساب وكتاب *الكافي في الفرائض* ويتقن عليه المادتين. أما الصودي فهو واضع ثلاثة مؤلفات في الفرائض يحمل أكبرها اسم نهاية *الرائض في خلاصة الفرائض* وثانيها *كفاية المرتاض في تعاليل الفراض* وثالثها *مفتاح الغوامض في أصول الفرائض*. والمؤلفات الثلاثة يضمها مجموع مخطوط بدار الكتب الناصرية بتامگروت تحت رقم 1647. وبذلك يتضح أن تيغمرت كانت مسرحاً لنشاط تعليمي تتعدى أبعاده نطاق وادي نون بما يوفره لأهل الصحراء وسوس من أساتذة وطلبة. فندرك من هنا أن الحركية المحلية لم تنمح بما ذهب عن لمطة من الشوكة خلال زمن الموحدين. بل الأكثر من هذا أن ازدهار التجارة خلال القرن السادس (12 م) ساعد على إيجاد متنفس لليهود الفارين بدينهم من القمع الموحدي، وهو متنفس مرده إلى التكافل الاجتماعي الذي ميز دائماً العلاقة بين نول

لمطة ويهود إفران القريبة .Chouraqui, *Histoire*, 119 ; V) (4 - Monteil, *Gens*, 394). على أن مستوى العيش سيعرف نوعاً من الركود حاداً بذلك من تطور الوسائل والقوى الإنتاجية بعد نهاية القرن. ذلك أن اضمحلال تجارة المحاور الغربية للصحراء بظهور امبراطورية مالي شرقاً سيسبب بعض الركود الاجتماعي والاقتصادي. فقد أخذت تامدولت في الاندثار لتحل محلها تدريجياً أقا. وإذا كان علي بن يدر المنشق عن الموحدين بسوس قد ساهم في دخول الشبانات وذوي حسان وأولاد جرار إلى المنطقة ( *البيان*، الموحدون ، 457 . 461 . 3 / 124)، فإن تمايزاً سياسياً واجتماعياً سوف يميز مواقف لمطه بوادي نون عن كل من لمتونة بالصحراء وجزولة بسوس. لقد أصبحت المنطقة مسرحاً لتبدلات عامة نتيجة لعاملين : الركود الاقتصادي والتجاري ثم الخراب العمراني الذي عمل على تفتيت البنية المجالية المتناسقة الأبعاد. بذلك يتحول تاريخ تيغمرت تدريجيا إلى سيرة ذاتية يمكن تسجيل مراحلها من خلال الإشارات المتفرقة.

إن الجهد الذي بذله أهل تيغمرت يومها من أجل بلورة عادات وتقاليد سياسة متوارثة تقتضي الاحتفاظ بمهامهم السلطوية الاقتصادية والاجتماعية، يحيلنا على عصبية محلية تكاد اليوم تكون مجهولة. فمخطوط *البحر المحيط* يعد أداتنا الوحيدة لتسجيل طروحات تتداخل من خلالها الإشارات حول السطور العريضة لتاريخ أهل تيغمرت. لقد وصل بـلّة، الجد الاسمي لأيت بلة، ومن معه إلى تامدولت أقا قادماً إليها من توات. ومن خلال الاستقبال الذي حظي به من لدن صاگ، جد القائد الجزولي التامانارتي، تتضح أهمية دوره في توظيف المقدرة الحربية للقضاء على تامدولت. هذه العملية التي نراها تواكب انحطاط عاصمة ايگزولن خلال القرن السابع (13 م) تكشف عن عصبية بلة ومن معه وتستعرض الشروط التي تخصهم كرحل وكقوات مساعدة. فيبقى بذلك السؤال مطروحاً حول علاقتهم الفعلية بأزوافيط الذين رأيناهم يحمون قوافل الصحراء منذ القرن الخامس (11 م). يجيبنا المخطوط بانتقال بلة ومن معه إلى تاگجگالت أيت تيكني حيث ينتهي بهم الترحال بعد ذلك إلى مزاحمة أمازيغ القاطنين بتاغاجيجت. غير أن الصراع حول مراقبة المجال ينتهي ببلة ومن معه إلى حط الرحال قرب جبل تايَرْت على مقربة من تيغمرت حيث كان يقيم إذا أُوعفان وأسرير حيث يوجد يومها ادا اوبوزيا. فما موقع ازوافيط من الصراع الذي سينشب بين الرحل الوافدين وإذا وعفان واذا أُوبوزيا ؟ المخطوط الذي لايدقق موقفه من هذا السؤال يعتبر القوة القبلية هي وحدها القادرة على تغيير البنية التحالفية المتآكلة. لقد ابتدأ التدخل الذي اعتبره صاحب المخطوط معاينة فعلية لاندماج بلة ومن معه بالغور السكاني الأقدم باستغلال التناقضات المصلحية. وإذا كان اهتمام بلة يومها بأسرير وتيغمرت مرده إلى غياب قوة متماسكة تستظل بظل التماسك والتحالف فذلك لأن عدم اصطدامه بعصبيات قوية يعد المحدد الوحيد لوظيفته الجديدة بعين المكان. من هنا فأولية تطور سلطة بلة راجعة إلى عدم دقة المصطلحات التي استعملها المخطوط لتوضيح الترتيب القبلي وراجع أيضاً إلى غياب وصف لتطور السلطة في مختلف مستوياتها.

إن نظرة علي مستويات السلطة تكشف بسهولة عن تباين مواقف الواردين على المنطقة والغور السكاني الأقدم حيث يعتبر الامازيغ أنفسهم خارجين عن الانتماءات القبلية بوادي نون وباني (La Ruelle, *Id Brahim*, 11). كما أن من الشواهد التي يمكن أن نعرض لها دور أيت بلة في طرد اذا عفان من تيغمرت إلى حيث مواقعهم الحالية بتارگامايت بجوار تاغاجيجت. ولعل لهيمنة أيت بلة ما يدعو إلى تكريس نظرية تغلب الرحَّل على المستقرين وإيرادها كتبرير للمقولة الخلدونية. إلا أن تاريخ وتطور تيغمرت لاينبغي مطلقا أن يتجاوز مستوى التأويل الذي يفترضه تعدد الروايات وتشابكها. فما أكثر ما نصادف في الوثائق العائلية القديمة إشارات إلى اعتداء الرحل الواردين على الساقية والأرض واغتصابها بشكل لايقدم لنا تاريخاً مفصلاً بقدر ما يلتزم بتعميق معرفتنا بحدة الصراع من أجل مراقبة المجال واستغلال الأرض، ونشير في هذا الباب إلى أن النعوت التي كان يطلقها ابن خلدون علي وادي نون يومها تجعل من نول لمطة عاصمة سوس والمناطق المجاورة (H.B., I : 155 - 156 - II : 280). وباتكائنا أيضاً على وطواط نسجل وفرة السدود الصغرى التي كانت تعود إلى زمن المرابطين. أما الأرحاء التي كانت تحركها مياه الأودية فقد كانت تتكفل بطحن الأقوات وتكشف عن وفرة القرى والمداشر المحصنة والخصبة على ضفاف الأنهار. وحتى بعد انتصار المرينيين على ذوي حسان والشبانات فإن غنى الأسواق المحلية كان ما يزال يجذب نحوها التجار من الأصقاع البعيدة. على أن حفريات الضفة الجنوبية للصحراء بأودغست قد كشفت عن تطور ظاهرة القحولة خلال القرنين السادس والسابع (12 . 13 م) : J. Devisse, *Tegdaoust*, I) (23. ومع ذلك، فإن شهادة ابن خلدون تتيح لنا مادة هامة عبر تعدد الإشارات عن وفرة المياه واستغلالها من طرف الغور السكاني الأقدم. كانت المنطقة أيضاً مجالا لتسرب الأوبئة وازدياد الضغط المعقلي. فبينما نلاحظ اصطياف ذوي حسان والشبانات بحوض وادي نون ومرتفعاته، كانت سياستهم تقتضي التركيز على حدة الصراعات بين الفصائل المحلية القديمة.

هذه الصراعات تنقلنا مباشرة إلى دور استراتيجيات تسرب الواردين على المنطقة أعرابا كانوا أم أمازيغا إلى فصائل الفرقاء المحليين. فتفاقم الصراعات المحلية يتجلى في ظاهرات استيطان الواردين نتيجة لتلاشي العصبية المحلية وعجز فئاتها عن ممارسة أدوار دفاعية. ولعله يحسن أن نعود إلى مخطوط *البحر المحيط* لنجده يتحدث عن كيفية استقرار بعض فصائل قبيلة أزوافيط في أسلوب

تقليدي لايخرج عن الموروث. فهو يعتبر أسعيد أُواحماد الجد الإسمي لإحدى فصائل أزوافيط من فصيلة أيت بومكَوت التي تنتمي إلى قبيلة أيت لحسن التكنية. كما يرى بأن سعيد أُواحماد قد دخل ومن معه الصراع في صف إدا أُوعفان بتيغمرت ضد إذا أُو بوزيا بأسرير. فما كان من هؤلاء إلا أن احتجوا لدى مجمع تكنة ضد هذا التدخل الذي يخل بالحياد المعمول به من طرف الجميع. فكانت النتيجة أن أحرقت خيمة سعيد أُواحماد حسب مقتضيات الاتفاق المعمول به في هذا الشأن. فيضطر بذلك أهل تيغمرت، إضفاء للشرعية على تحالفهم مع سعيد أُواحماد إلى إعطائه ما قدره يوم وليلة من ماء الساقية ما يزال يحمل اسم تاصدرت أهل اسعيد أُواحماد ومائه حلقة بستان وربوة السوق القديم (تامسوقت). لن يلبث بواغارون الذي كان ينتمي أيضاً لنفس أيت بومكَوت من قبيلة أيت لحسن أن يخطو ومن معه نفس الخطوة عندما تدخل إلى جانب إدا أوبوزيا بأسرير. وسينتهي الأمر بهؤلاء إلى تسليمه القصبة التي أصبحت تعرف حالياً بالخربة غير بعيد عن مدخل المدشر من الجهة الساحلية وجزءاً من الطريق الواصلة إلى ربوة سوق الأحد القديم الذي سبق سوق كَلميم. ويتكرر نفس الإخلال بالحياد مع الجد الإسمي لأيت ياسين المقيمين حالياً بالربوة المعروفة بربوة أيت ياسين ومع أحد أولاد مبارك اسمه محمد، حصل بدوره على جزء من الوادي قرب سوق خميس تيغمرت وأردوم القريبة من الساقية. يتضح بذلك انقباض أيدي الغور السكاني الأقدم من أمازيغ وأيت بلقاسم وأهل حايين وإدا أوعفان وإدا اوبوزيا واذا اولكَان وأيت بكو عن صد الهجرة والتسرب إلى الأراضي والساقية. عملية الاستقرار التدريجي تكشف هنا عن استغلال التناقضات الداخلية كاستراتيجية للتدخل السريع المباشر. لقد ابتدأ المتدخلون كما رأينا بتبني الاتفاق الجماعي الذي يقوم على أسس الحياد كقاعدة تسمح للمخلين بتكوين ارستقراطية حربية إقطاعية. يضفي التصنيف المحلي على هذه الوحدات شرعية محددة ستكون المسبب الحقيقي في طرد إدا اوعفان وادا اوبوزيا إلى مواقعهم الحالية. فالتناقضات والصراعات المحلية تتيح للعصبيات الجديدة امكانية الاستيلاء على المجال وإعادة الدورة التاريخية الخلدونية المعهودة. نرى إذن أن المخطوط الذي ينحى منحى السرد يتميز بغياب التواريخ فيضطرنا إلى اعتباره عملا تركيبيا لفترة تظل مراحلها الأساسية غامضة لاتشمل إلا بعض النتف عن التفاصيل الضرورية. وإذا كنا وقفنا عند هذا المخطوط فذلك لنبرز خاصية الروابط بين الفصائل وتنوع انتمائها إلى تكنة.

عندما حاولنا فحص الروابط بين فصائل تيغمرت خلال القرن التاسع (15 م)، فإننا لم نعثر باستثناء وثيقة 904 / 1499 على ما من شأنه أن يساهم في الحد من غياب المعطيات الأولية (Naïmi, *Le Pays de Takna, Commerce*) يشغل التاريخ الفعلي لتيغمرت بهذه الوثيقة حيزاً معيناً ينضاف إلى ما نعرفه عن تطور نول لمطة منذ اضمحلال تجارة المسالك الساحلية وتسرب المد المعقلي وتكالب المضاعفات السياسية لهذا المد والكوارث الطبيعية. والجديد مع هذه الوثيقة الهامة أنها تكشف عن دور الاقتراب من الساحل الأطلسي حيث بدأ التسرب الإيبيري، في تمييز تاكَاوست عن تيغمرت. يتضح أن قبيلة أولاد عامر الهلالية كانت تهيمن يومها على قرى ومداشر إيفني وإفران وتامنارت وبعض قرى ومداشر وادي نون كتاكَاوست وأكَاوس وتيسكَنان.

رغم حملات أهل كناريا المكثفة وغزو قرى وقصبات وادي نون خلال نهاية القرن التاسع (15 م) فإن بعض الوثائق الكنارية تدل على بداية التعامل التجاري المنتظم بين الطرفين (P. de Cenival et La Chappelle, *Possessions*) فهل تعامل تجار تيغمرت مباشرة مع الجزر الكنارية القريبة أم اقتصروا على تجارة القوافل عبر المواسم الأسبوعية والموسمية ؟ عن الكيفيات الفاعلة الأولى التي ميزت علاقة أهل تيغمرت بمحيطهم التجاري والسياسي نسجل لجوءهم إلى الأساليب الاحتياطية السائدة. فبعض الوثائق العائلية تدل على مدى حرصهم على تطوير نظام المراقبة والاستعداد الدائم لإغلاق بوابات القصبة تحسبا لكل الهجومات. كانت كَويرة السوكَ يومها هي مقر السوق الموسمي الأكبر بوادي نون ولم يكن لهذا الموسم من منافس حقيقي سوى موسم مغيميمة القريب من طاطا الذي أشار إلى أهميته الحسن الوزان الإفريقي. ندرك من هنا أن احتكار السوق الموسمي يعد من بين الأولويات التي كان يتنافس حولها أهل تيغمرت وأعراب تاكَاوست. وهي إشارة تؤكد ما توردہ المصادر عن التداخل النسبي بين الأعراب والغور السكاني خلال نهاية هذا القرن. إلا أن الإشارات إلى تطور العلوم الدينية داخل القصبة تؤكد بأن المعارف والنشاط التجاري كانا يومها مايزالان محورين لتفهم أهمية وحجم تيغمرت (الديماني، *روضة التحقيق*).

إن يسير ما أوردناه فيه دلالة كافية على أن تيغمرت قد ورثت عن الحقب المتلاحقة هيكلا عمرانيا أغنته التجارب وهدته التقلبات. فإذا كان ادا اولكَان قد حموا وحرسوا بودميعة، فإنهم لم يتوانوا عن صده عندما أمعنوا الملاحظة وتأملوا فيما دعاهم إليه من خلاف مع لف أيت الجمل. وإذا كان ماضي أيت مسعود قد أورثهم إمعان الروية عند التعرض لخلافاتهم مع جيرانهم، فإنما ذلك مرده إلى دور تيغمرت كهيكل منظم مرتب ومنسق تحتل فيه كل فصيلة مكانة محترمة في سلم التدرج. وإذا كان أيت امحند لاينفصمون عن سياستهم التوفيقية بين الفرقاء فذلك لأنهم ورثوا عن أسلافهم حكمتهم وقناعتهم. إنا نعلم أن أيت الخنوس قد جسدوا أمجاد تيغمرت خلال القرن الثاني عشر (18 م)، لذلك فإن تيغمرت تدخل القرن اللاحق صحبتهم بهمة لاتلين وشهرة لاتنقص كما رأينا. لقد ظهر بوحلايس بأيت باعمران ووادي نون مباشرة بعد مقتل المولى

اليزيد سنة 1206 / 1792. وإذا كانت حركته قد لقيت إقبالا كبيراً في بدايتها، فإن قتله لمجموعة من مرابطي أسرير وشريفين بتغيمرت يكشف عن حدة الصراع بينه وبين أهالي نول لمطة. هذه النزعة التحريرية تصور دور العصبية الحاسم في التعليلات السياسية. لقد تدرع اعبيد الله أو سالم والد بيروك بوجود ابن المولى عبد الرحمن معه قبل أن يخلف المولى سليمان، لينتزع من أهل تيغمرت حق إنشاء موسم جديد بگلميم، لكنهم أفهموه أن التجارة والعمران توأمان لا ينفك أحدهما عن الآخر. ارتبط هروب اعبيد الله أو سالم بعد ذلك من وادي نون بفشله أمام بوحلايس، وبالمقابل نقرأ حماية علي ولد الكوري لمسالك أگاوس (وعرون) وأمن گويرة السوق وتمتين نظام التحالف. حاول الحسين أوهاشم حفيد بودميعة بعد ذلك تحطيم هذه الخطة مضيفاً إلى تحديه لسلطة بيروك التجارية. غير أن تحالف تاكنة الاعتيادي ضد الأخطار الخارجية حد من تطلعات دار إليغ. لقد ابتدأ أيت إبراهيم بطرد الحسين أوهاشم من إيفران فلم يلبث أهل تيغمرت أن حدوا نهائياً بينه وبين وادي نون (La Ruelle, *Id Brahim*, 8) هناك إذن فارق هائل بين ما يهدف إليه منافسو تكنة وما يمكنه أن يحصل بين اللفين وداخل كل لف من تفاعلات وتناقضات. تدور مراقبة المجال في نطاق گويرة السوق حول المرونة والخبرة الحربية لأزوافيط المتأصلة. وهي استمرارية لن تنعدم إلا حين سيؤثر تفاقم الصراع بين اللفين خلال نهاية القرن التاسع عشر في الإطار العام الذي يتحكم في ديناميكية گويرة السوق. نقرأ في بعض الوثائق أن تحالف أيت الخمس الباعمرانيين بلف أيت الجمل وتجار إليغ قد أدى إلى إحداث سوق الأحد بگليميم لتبقى أسواق أيت بلة محصورة في نطاق محلي محض. إذا انزلق موسم گويرة السوق إلى مكانه الحالي قرب زاوية سيدي امحمد بن اعمرو، فذلك بسبب وطأة الصراعات المحلية التي قضت على حيوية وعرون والمداشر القريبة منها. نصل بذلك إلى استقراء عام تدخل على إثره تيغمرت إلى القرن العشرين الذي تستبد خلاله المقاييس الفرنسية والإسبانية بالتطور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للمنطقة. وبانتصاف هذا القرن تظهر الهجرة نحو أوربا من أجل العمل كضرورة مرحلية أدت بأهل تيغمرت، شأنهم في ذلك شأن باقي أهالي وادي نون، إلى التغاضي عن مشكلاتهم البنيوية العالقة. وهي وضعية ستعكسها بشكل متزايد التجربة المحلية بمغرب ما بعد سنة 1956. إن الخطوة التي ميزت سيرورة أهل تيغمرت داخل بيئتها ومجتمعها وبالتالي قادتها إلى رفض مبدئي للتيارات المستحدثة، تكمن في كونهم لم يكتشفوا بديلاً أو ميداناً جديداً للبحث عن نشاط ميداني يغنيهم عن الهجرة نحو أوربا كيد عاملة رخيصة وإلى گليميم التي أصبحت تعكس أحوال مجتمع مشرد.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 10 : 166 - 211 ؛ م. ناعمي، *إيعزى ويهدى*، *معلمة المغرب*، 517. 518 ؛ *أيت إبراهيم*، *معلمة*، 1127. 1130.

E. Lévi-Provençal, *L'Histoire des Almohades*, in *Documents inédites d'histoire Almohade*, Fragments manuscrits du "Legajo" 1919 du Fonds Arabe de l'Escurial, Paris, 1928, 194 ; V. Monteil, *Gens et choses du Bani*, *Hesp*., 1946, 3 - 4, 393 - 394 ; Id., *Chronique de la zaouia d'Asa, in Mélanges Mohamed El Fassi*, publiés à l'occcasion du dixième anniversaire de l'Université Mohammed V, 1957 - 1967, Rabat, 8 1 -90 ; Cl. La Ruelle, *Id Brahim*, CHEAM ; A. Chouraqui, *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1985, 119 - 120.

مصطفى ناعمي

**تيغْمي**، مجموعة من القرى الواقعة إلى الجنوب الشرقي من مدينة تيزنيت على الطريق الرابطة بين المدينة وتافراوت يحدها أنزي شمالاً، وزاوية أحمد بن موسى جنوباً وتيزغارن وثلاثاء ايذگگمار شرقاً وسبت ويجان غرباً.

تتضارب الآراء حول تسمية تيغْمي، بيد أن ما هو متداول في الرواية الشفوية يرجع اللفظةَ إلى التربة الحمراء التي تكسو أرضية المنطقة فيقال تْغْمَى بمعنى ملونة ومصبوغة. أما من حيث أصول السكان، فأغلبية الأسر ترجع أصولها إلى تامدُولْت أُوُقّا بعد تخريبها، ويبدو أن صدى هذه الرواية كثيراً ما يتردد أثناء استقصاء أصول بعض الأسر الولتيتية (نسبة إلى قبائل إيداولتيت) المستوطنة لجزء كبير من الأطلس الصغير.

ومن الناحية التاريخية اضطلعت منطقة تيغْمي بدور علمي كبير لاسيما مدرسة "موزايت" التي تعتبر الآن من المزارات الكبرى بالمنطقة. وإلى عهد قريب كانت المدرسة منبعاً لتخريج الطلبة ومركزاً صوفياً متميزاً. وقد اندرست أخبار مَن درسوا بها أو سكنوها للتعبد باستثناء موسى بن أحمد المعروف بسيدي عمرو وهو من أصحاب الشيخ أحمد بن موسى.

واعتباراً لموقع حوض تيغمي، فإن مجاله الترابي غالباً ما كان في الماضي مسرحاً لصراعات دامية خاصة بين إيليغ وقبيلة إداوبْعْقيل كما هو الشأن في معركة تيغمي في بداية القرن الماضي. ويترتب عن ذلك أثر سلبي على الحياة الاجتماعية لأهل تيغمي (الاحتماء المستمر بالقبائل المجاورة، والهجرة الاجبارية إلى مناطق مانعة كجهة أفا أو زُورْ ...).

م. المختار السوسي، *إيليغ قديماً وحديثاً*، ص. 246 ؛ *تحريات ميدانية*.

**تيفَاوْتْ** (أيت ـ)، فرع من أيت مليل ضمن قبائل إيلالن. تكتب في الرسوم القديمة معربة بصيغة "أهل الضياء"، والنسبة إليها الضيائي.

يرفع سكان تيفاوْتْ نسبهم إلى جدهم الأعلى تفاوت بن مليل بن ميمون بن تگتت بن ألوى... ذكرهم صاحب *ديوان قبائل سوس* ضمن المساهمات الجبائية لقبائل إيلالن بثلاثمائة سرحة. من علماء أيت تيفاوت أحمد بن علي الهشتوكي المدفون بفاس (ت. 1046 هـ) وإبراهيم بن علي التوزگني (كان حيا سنة 1221)، وعبد الله بن محمد الاگتلي (كان حيا سنة 1290).

القدوري، *إتحاف أهل البدو والقرى*، ص. 132.

أحمد بومزگو

**تيفَـرْ**، إحدى قرى أهل سريف الهبطية، واقعة بأقصى جنوب الكتلة الجبلية، مشرفة من علو مائتي متر على الضفة اليمنى من مجرى واد اللكوس، عند نقطة التقائه برافده واد أزْلاَ، اختير لها موضع مقتطع من الغابة، وهي اليوم أهم قرى فرقة مرق الدبان.

ولهذه القرية تاريخ خلال فترة الحماية الإسبانية بشمال المغرب، إذ أن الإسبان الذين احتلوا مدينتي العرائش والقصر الكبير منذ 1911، سرعان ما جلب موقع القرية أنظارهم، فبادروا إلى اتخاذه مركزاً حربياً لعملياتهم العسكرية بحوض اللكوس، ضد قبائل أهل سريف وسماتة وبني يسف وبني زكار، وذلك منذ 14 ديسمبر 1918، تاريخ احتلال القرية. ومن هذا المركز تشوفت قيادة العرائش على يد الجنرال بَـرِّيرَا Barrera لفتح الطريق تجاه مدينة شفشاون مساهمة في مخطط عسكري عام.

ولذلك أمرت إدارة العرائش بتعزيز مكانتها الحربية بالحامية والذخائر والمعدات والأقوات، وشق إليها الطريق من القصر الكبير عبر تَاطُوفْت وبُرْخا، بجوار زهجوكة.

خطط المسؤولون العسكريون للتوسع العسكري انطلاقاً من تيفَّر منذ يوم 14 شتمبر 1919، فتقرر تمهيداً للوصول إلى مدنية شفشاون، البدء باحتلال قرى تاريا والحمة والقلة، من بني يسف في اتجاه زاوية سيدي يَسَّفْ التليدي. كما اتفق على السير نحو قرية الناسل فتاوجّاخت شمال بني زكار.

اصطدمت تلك المشاريع التوسعية بمقاومة أهل الناحية تحت إشراف مولاي أحمد الريسوني المستقر آنذاك بتازروت بني عروس وخليفته ولد احميدو السكّان. هذا هو ما حدث أثناء زحف الإسبان نحو قرى تاريا والحمة وعزيب المريني من قبيلة أهل سريف خلال النصف الثاني من ديسمبر 1919، وأثناء الاتجاه نحو سوق أربعاء القلة، من بني يسف خلال ربيع السنة الموالية.

وتحسباً للصعوبات الناتجة عن المقاومة ووعورة التضاريس، أمرت الإقامة العامة من تطوان بتوقيف مشروع الزحف نحو شفشاون، حسب أمر 6 أكتوبر 1920. إلا أن قرية تيفر لم تفقد مكانتها العسكرية بذلك. وقد عاد إليها أهلها الذين كانوا قد غادروا دورهم تدريجياً بعد استقرار الوضع العسكري بالشمال وبذلك بلغ عدد الأسر قبل سنة 1940 نحو ست عشرة أسرة.

*خريطة طبوغرافية* 1935.

D. Berenguer, *Campañas en el Rif y Yebala*, Madrid, 1948 ; *Geografia de Marruecos*, comisión Histórica, 2 : 193 ; *Vademecum*, Tanger, 1951.

حسن الفكيكي

**تيفَـرْمِـين**، جبال يعدّها الجغرافيون من جبال الأطلس الصغير تارة، وتارة يطلقون هذا الاسم على أحد هذه الجبال، وهو أضخمها وأعلاها، يبلغ ارتفاعه 1430 مترا.

أهم ما يميز هذه المنطقة من جهة التضاريس، أنها تحتوي على عدد من الأودية العميقة ذات المنعرجات، وتحتفظ بالثلوج أكثر من خمسة أشهر في السنة. وتقع في الجهة الشرقية من الأطلس الصغير، الأمر الذي جعل الخبراء في علوم الأرض يحيرون في ترتيبها وتصنيفها جغرافيا إذ أن طائفة منهم تذهب إلى أن تيفرمين وما جاوره من الجبال والربى يعدّ من الأطلس الصغير، بينما يقول آخرون عكس ذلك، اعتباراً لمجاورة الصحراء لهذا الجانب من السلسلة الأطلسية. لذلك، اتفق هؤلاء وأولئك على تسميته تيفرمين بجبل أگذز نظراً لكونه يشرف على هذا المركز من الشمال، كما يسمونه بجبل أيت ساون وهي القبيلة الكبيرة التي تستوطن هذه الجهة.

يحد تيفَرْمِين شرقاً جبل ساغو، وغرباً جبل تَازناخت، أو بعبارةَ أخرى، يتاخم من الشرق قبائل أيت عطّا الصحراوية بما فيها أيت سدرات وغيرها، ويتاخم من الغرب المجموعة القبلية واوزگيت.

تيفرمين هو الجزء الشمالي للمنطقة من الأطلس الصغير يخترقه واد درعة في طريقه من ورزازات إلى زاگورة وأهم مركز إداري فيه هو أيت ساون (انظر الخريطة).

تيفرمين غني بالمعادن المختلفة وأهم منجم يستغل يقع قرب مركز تاسگّالت.

أحمد بنجلون

**تيفسور**، مرسى بشاطئ قبيلة بني بوگافر الموالي للبحر المتوسط غرب رأس ورك بإقليم الناظور، وتعرف أيضاً بمرسى إيفري أو مرسى غساسة.

وتيفسور هو اسم قرية تقع بفرقة امهياتن من القبيلة المذكورة. وقد أبلى سكان القرية البلاء الحسن في الدفاع عن حوزة الوطن لأنهم كانوا يتعرضون لهجومات إسبانية برية وبحرية في آن واحد. وهكذا جرت بالقرية خلال عهد الحماية خمس معارك، معركة يوم 24 ديسمبر 1911 انتهت باحتلال الإسبان للقرية، ومعركة 10 مارس 1912 مكنت المجاهدين من استرجاع القرية، ومعركة 19 من نفس الشهر أسفرت عن احتلال القرية للمرة الثانية، ومعركة 25 يوليوز 1921 كانت نتائجها استرداد القرية، ومعركة 11 نوفمبر من نفس السنة مكنت الإسبان من احتلالها للمرة الثالثة.

*Comision historica*, 416, 428 ; Martinez Campos, *España belica*.

محمد ابن عزوز حكيم

**تيفَـلْـت** أو تـفَـلْـت، مدينة على الطريق الرئيسية الرابطة بين الرباط ـ سلا ومكناس ـ فاس. كانت بلاد زمور، التي تتوسط تيفلت مجالها، تعيش قُبيل الاحتلال الاستعماري، أوضاعاً في أشد الاضطراب حالت دون استقرار السكان، وظهور السكَن الثابت، متفرقاً كان أم مُتجمعاً.

فَلا وُجودَ آنذاك على الإطلاق لآثار مَا كان يُدعى منذ القرن العاشر (16 م) بـ"تفَلْفَلْتْ"، التي وصَفَها الحسن الوزان (ليون الافريقي) بأنّها "حاضرة صغيرة شُيّدت على سهل رملي على بُعد ثمانية عشر ميلا من المعمورة ...".

وبأنها استمدت اسمها من كلمة "الفُلفُل" (تفلفلت الامازيغية)، وهو إنتاج ربما كان مُتوفراً على ضفاف واد تفلت المُجاور، كَمَا وُصِفت أيضاً بكونها كانت تقوم بدور "مَأوى المُسافرين" - أي بدور نزالة - ما بين حاضرتي مكناس وسلا، وذلك حسَب ما أوردَه لوي مسينيون (Massignon, 1908) ورونو (E. Renou).

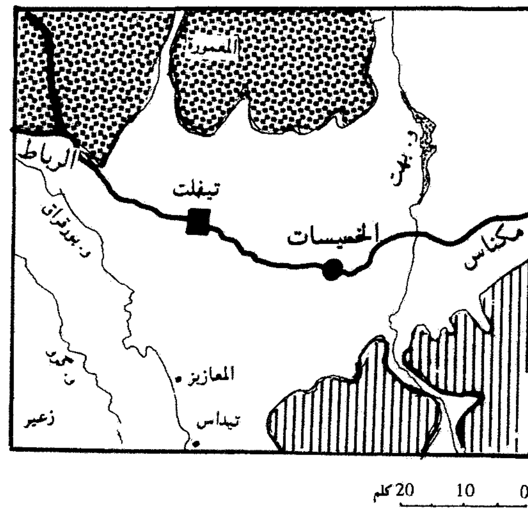


وتيفلت مدينة مُستحدثة، بل مخططة التشييد، أنشأتها الإدارة الاستعمارية سنة 1912، لهدف استراتيجي واضح، يتجلّى أساساً في كونها ظهرت أصلا كمجرد ثكنة عسكرية - "قشلة" لدى الأهالي - تنحصر مُهمتها في مراقبة وتأطير القبائل المجاورة (شكل 1)، هذه القبائل التي تمت "تهدئتها" بعد تدخل عسكري عنيف سنة 1911، لوضع حد لما كان ينعتُ بالسيبة ولتوقيف التحركات المجالية التقليدية التي كانت أساس نمط العيش النصف ترحالي، الرعي زراعي لسكان المنطقة (H. Lesne, 1959).

لقد اختارت إدارة الاحتلال لمركز تيفلت موضعاً وموقعاً مُتميزين :

شُيِّدت المدينة علي هضبة شبه متموجة علوها 350 م، في موضع تلي يشرف على واد متعمق نسبيا في الجهة الشرقية، وهو موضع ملائم بطغرافيته للأهداف الاستراتيجية ولاستغلال مياه الواد. ومما يزيد هضبة تيفّلْتْ فائدة، كونها أقل قاريّة لقربها من المحيط (56كلم) وبالتالي لاعتدال مناخها : متوسط الحرارة السنوي يستقر في 18° وتبلغ التساقطات السنوية : 500 ملم، والأيام المطيرة في السنة : 60 إلى 70 يوماً. كل هذه الظروف الطبيعية جذبت الاستيطان الاستعماري بصورة أقوى في هذا الجزء من المنطقة، خاصة وأن الموقع الجغرافي ملائم جداً.

تحظى تيفّلْتْ بموقع مزدوج الفائدة : - من جهة أولى : موقع يتوسط الجزء الغربي من "بلاد" زمور، مما دفع الإدارة إلى الاهتمام بهذا المركز الذي كان يلعب دور "عاصمة" زمور، بوصفه المركز الرئيسي لدائرة زمور، التي تتوسط المنطقة كلها - لتقوم بهذا الدور الإداري، إلى أن ارتقت إلى مرتبة عاصمة الإقليم سنة 1973.

- من جهة ثانية موقع حيوي على المحور الطريقي الوحيد مكناس - الرباط - سلا، الذي يمتاز بكثافة كبيرة للسير الطرقي، مما يترتب عنه رواج تجاري هام.

تبعد المدينة عن الرباط بستة وخمسين كلم، وعن مكناس باثنين وثمانين كلم، ولا يفصلها عن الخميسات سوى مسافة خمسة وعشرين كلم، وهي مسافة ليست حقا في صالح تيفّلْت، الناقصة التجهيز والمرتبة الإدارية بالقياس إلى الخميسات.

| السنة | 1936 | 1952 | 1960 | 1971 | 1982 | 1983 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| العدد | 1.079 | 3.735 | 7.233 | 14.142 | 29.658 | 31.164 |
| التزايد السنوي | 8٪ | 8،6٪ | 6،3٪ | 7٪ | | |

المصدر : المنشورات الإحصائية الرسمية، Enquête - menage, 1983

من خلال هذه المعطيات الإحصائية، يتبين أن مدينة تيفّلْت تعتبر من بين المدن المغربية الأسرع نمواً ديموغرافياً، حيث إن نسبة هذا النمو تفوق متوسط معدل النمو العام الحضري (4،3 ٪ مابين 1960 - 1971 ؛ و4،5٪ مابين 71 - 1982)؛ وأن حجم المدينة البشري يتضاعف مرتين، تقريبا، كل عشر سنوات. وبهذه الوتيرة يمكن توقع بلوغ عدد السكان، سنة 1993، ما يقدر بحوالي 51.000 ن كحد أدنى و61.000 ن كحد أقصى، حسب توقعات الإسقاطات الديموغرافية (M. H. A. T. 1983).

يتضح من المعطيات الإحصائية ومن نتائج الدراسات الميدانية الرسمية (M. H. H. T. 1983) أن نسبة التزايد السكاني عن طريق الهجرة تعادل أزيد من 50٪ من معدل النمو (4٪ على مجموع 7٪ في الفترة 1971 - 1982).

وتساهم الأرياف بنصيب وافر جداً (76٪ من المهاجرين) معظمهم نازحون من قبائل زمور المجاورة والذين يشكلون اليوم غالبية سكان المدينة، وبالأخص منذ الاستقلال، وبصورة مدهشة ابتداء من الستينات. أما في الفترة الاستعمارية، فكان معظم المتوافدين "البرانيين" ينتمون إلى مناطق دكالة والشاوية والحوز وتافيلالت، أي عموماً إلى المناطق شبه الجافة أو الجافة من البلاد ؛ في حين كانت الحواضر ممثلة تمثيلا ضئيلا جداً (سلا، الرباط، مكناس، فاس).

وتجدر الإشارة إلى أن الاستقطاب المتزايد لمهاجرى أرياف زمور يعود أساساً إلى تعدد أوجه النقص المفرط لمختلف التجهيزات والخدمات في المنطقة، زيارة على المشاكل البنيوية التي تعيشها هذه البوادي، ومنها الأوضاع العقارية العتيقة وبعض التقاليد العرفية الموروثة (H. Lesne, 1959).

لكن أمام الضغط الديموغرافي الهائل ظلت تيفّلْت، بالنظر إلى إمكانياتها، عاجزة عن توفير بنيات الاستقبال

الضرورية. فكانت النتيجة الحتمية : انتشار القطاع اللاشكلي لقلة التشغيل، والتوسع العشوائي للمجال الحضري.

تعد تيفلت، حالياً، أحد مقرات الدوائر الأربع لإقليم الخميسات منذ سنة 1973، تشرف إدارياً على تسيير ثلاث قيادات تشمل ست جماعات قروية أصغرها جماعة تيفلت نفسها. وهذا الدور الإداري - الذي حرمت منه منذ 1923 - كان من العوامل الرئيسية المساهمة في تنشيط الأدوار الأخرى وأهمها الدور التجاري.

فالجهاز التجاري يتضخم باستمرار (476 محلاً تجارياً سنة 1971 ؛ 773 في سنة 1982 ؛ ثم 954 في سنة 1992)، وذلك لتلبيته حاجيات السكان المحليين والمجاورين والمسافرين العابرين وسكان الأرياف عن طريق الأسواق الأسبوعية.

تقوم المدينة بدور نشيط كموصل طريقي تجاري على المحور الطريقي الرباط - مكناس حيث يشكل مركز قلب المدينة شريطاً متواصلا تتمركز فيه محلات تجارية وخدماتية متنوعة، كما هو الحال بالنسبة للخميسات بالدرجة الأولى.

تلعب المدينة أيضاً دور قطب سوقي أسبوعي جهوي يأتي في المرتبة الثانية بعد الخميسات كقطب جهوي رئيسي (Troin, 1974) ؛ فهو يشرف على شبكة كثيفة مكونة من أربعة عشر سوقا يشملها نفوذ المدينة التجاري غير المباشر، حيث ينطلق منها كل أسبوع حوالي 1080 من التجار المتجولين أو "السواقة".

ويعتبر سوق أربعاء تيفلت، وحيداً في منطقة نفوذها، من بين القلة النادرة من الأسواق المتخصصة في تجارة الأبقار، حيث يعد قطاع المواشي المحرك الأساسي للرواج التجاري، وذلك تلبية لطلبات الحواضر الكبرى المجاورة (الرباط - سلا ...) التي تعتمد عليها هذه المدينة الناشئة في التزود بالمواد الحضرية.

ويتشكل النسيج الحضري لتيفلت من عشرة أحياء تحتل حالياً حوالي ثلاثمائة هكتار، منها 205 - أي ما يعادل 68٪ من المجال، ينتشر فيها السكن الهزيل في شكل "دواوير" هامشية شبه قروية، مرتفعة الكثافات، (123 إلى 263 من / هكـ)، تختلط فيها مواد البناء وأنواع من المساكن (براريك، نوالات، دور صغيرة ...).

تحمل هذه التجمعات السكنية أسماء قبائل أو أشخاص أو أماكن : القطبيين، سكويلة (المدرسة)، لكاف، دوار الجديد، أولاد شريفة العيسي ... ورغم تغيير أسماء بعضها، فإن الواقع لم يتغير.

أما الأحياء المندمجة نسبيا، القديمة (الحي الإداري، موكا) والجديدة (الدير، أمل، بلوك، الأندلس) التي هي تجزءات الدولة، فإنها تامة التجهيز بصورة متفاوتة.

فعلى العموم تطور مجال المدينة بشكل عشوائي، وذلك لأسباب متكاملة المفعول : ضعف القاعدة الاقتصادية، عدم مسايرة التجهيزات الأساسية للضغط السكاني، هزالة مداخيل غالبية السكان، حداثة استقرار معظم المهاجرين من أصل ريفي وذوي تقاليد رعوية قديمة لا تساعد على الاندماج بسرعة في الوسط الحضري.

والدراسات جارية في الوقت الحاضر لمحاولة إنقاذ المدينة من سرطان "السكن غير اللائق" وذلك بالاهتمام، قبل كل شيء بإعادة هيكلة المدينة.


محمد حنيني، *دراسة في الجغرافية الحضرية : الخميسات*، د. د. ع، كلية الآداب - الرباط، 1980.

Léon l'Africain, L. Massignon, E. Renou cités par M. Lesne, *Evolution d'un groupement berbère, les Zemmours*, Rabat, 1959, p. 401 ; J.F., Troin, *Les Souks Marocains*, Aix-En-Provence, 1974, 495 p ; Ministère de l'Habitat et de l'Aménagement du Territoire, *Etude urbaine de Tiflet*, 1983.


محمد حنيني

ابن **تيفلويت**، أبو بكر بن إبراهيم المسوفي، أحد كبار رجال الدولة المرابطية، وصف بكونه - وهو في صحراء مسوفة - "رئيسا على بعض قبيله"، كان خروجه من الصحراء فيما يبدو وتجاه سجلماسة في بداية عهد الأمير المرابطي علي بن يوسف، ومنها اتجه نحو مراكش، وعرف له الأمير حق قدره "وعقد له على أخته" واستعان به في العمل الإداري بالأندلس. ولعل أولى ولاياته بها كانت هي غرناطة، وهذه المهمة هي التي جعلت ابن الخطيب يذكره ضمن تراجم الإحاطة.

كانت ولايته لغرناطة - حسب ابن الخطيب - سنة 500، وهي أولى سنوات حكم الأمير علي بن يوسف (500 - 537 / 1106 - 1143)، وذكر رواية شك في صحتها تتحدث عن تمرده بغرناطة أو عن صراع بينه وبين الهيأة المرابطية بالمدينة، ثم عفو الأمير عنه وتكليفه بولاية أخرى ( *الإحاطة*، ج 1، 408).

وقد وردت إشارة في أحد هوامش *كتاب المغرب* لابن سعيد (تحقيق د. شوقي ضيف، ج 1، ص. 260/ هـ 1) إلى ولاية ابن تيفلويت على المرية، وهي إشارة لم تتأكد صحتها من خلال المصادر المذكورة أسفله.

كما أنه تولى على مرسية التي كانت درعاً لولاية سرقسطة في الثغر الأعلى خلال مدة أميرها محمد بن الحاج المرابطي الذي فتحها في أواخر سنة 502 أو أوائل سنة 503 / 1109 من يد ملكها عماد الدولة ابن هود آخر ملوك الطوائف، فالتجأ إلى بعض حصونه غرب سرقسطة وتحصن بها في حماية ملك أراگون.

وبعد استشهاد ابن الحاج المذكور سنة 508 أو 509، عين الأمير علي بن يوسف صهره أبا بكر ابن تيفلويت (أو ابن تافلويت كما وردت في *القرطاس*) صاحب مرسية والياً على سرقسطة عاصمة الثغر الأعلى وعلى مدينة بلنسية وما حولها من جهات الشرق (وهي نفس الولاية التي كانت لابن الحاج قبله). وقد جمع أبو بكر في سرقسطة بين مجالس العلم والطرب والمظاهر الملوكية وبين الحزم والشجاعة في مواجهة العدو الأراگوني وحليفه ابن هود،

وإن كان هذا لم يمنع من محاولة تفاهم مع ابن هود انتهت بالفشل كما ذكر ذلك صاحب *القلائد*. ويمكن القول إن أبا بكر خلال سنتي حكمه كان يتعرض لضغوط متتالية من طرف قوات ملك أراگون من أجل إضعافه إلى وفاته سنة 510 بعد أن ضاق ذرعاً بطاغية الروم الذي أناخ عليه بكلكله ( *الإحاطة*، 1 : 408). وينحي صاحب *القلائد* باللائمة على خصمه الفيلسوف الوزير ابن باجة لكونه كان سيئ التدبير، وأنه جرّ الأراگونيين ـ بكيفية غير مباشرة ـ للضغط على سرقسطة.

والواقع أن المرابطين منذ هذه الفترة أخذوا يتعرضون لهزائم متتالية في الأندلس خصوصاً في الشمال الشرقي لمواجهة الأراگونيين ومن يدعمهم من أهل قشتالة ونڤارة والمتطوعين ورجال الدين القادمين من وراء جبال البرانيس، مما سيؤدي سنة 512 هـ إلى سقوط سرقسطة بيد أراگون وبكيفية نهائية خاصة بعد موت أميرها ابن مزدلي الذي لم يكن أقل شجاعة من الولاة السابقين. فقد أصبحت الظروف في غير صالح المرابطين بالأندلس أولا ثم في المغرب بعد سنوات قليلة بظهور الحركة الموحدية، وظلت منطقة شرق الأندلس تمثل نقطة ضعف عسكري للمرابطين طيلة الفترة المتبقية من حكمهم سبب التفكك الداخلي والروح الصليبية المتأججة في أوربا.

ابن الخطيب، *الإحاطة*، القاهرة 1973، ج 1، ص. 404 ـ 409 ؛ ابن خاقان، *قلائد العقيان*، ص. 301 ـ 306، ط بولاق 1283 هـ ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 161 ـ 162، ط الرباط، 1973 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، ص. 98 ـ 99، البيضاء، 1979 ؛ المقري، *نفح الطيب*، 1 : 682 وج 7 : 20 ـ 23، بيروت، 1968 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، 4 : 53 ـ 55 و61، بيروت، 1967 ؛ محمد عثمان، *عصر المرابطين والموحدين*، ق. 1 : 73 وما بعدها، ط القاهرة، 1964.

أحمد عزاوي

**تيفنّاغ**، جمع مؤنث لمفردة "تافينق" ومعناها الخط أو العلامة أو الحرف. وهي منظومة الحروف والعلامات التي تمثل أقدم كتابة عرفها التوارگ بكل من جنوبي وشمال وساحل إفريقيا (حاليا، حوض نهر النيجر والتخوم الجزائرية الليبية وصحراء الهگار وشمالي نيجيريا وفولتا العليا والنيجر ومالي...)، وذلك منذ ما يناهز 3000 سنة قبل الميلاد، على الأقل. وكثيرا ما تنسب إلى الخط الليبي ـ البونيقي الذي تم فك بعض رموزه بفضل النقوش الصخرية التي عثر عليها بنوميديا القديمة. وتوجد أقدم شواهد حروف تيفيناغ على بعض النقوش الحجرية في الصحراء وجنوبي الصحراء، كما أنها متداولة حاليا في بعض البلدان الإفريقية وخاصة في النيجر حيث تستعمل في برامج محو الأمية بعد تبني اللغة الأمازيغية المحلية (التوارگية) كإحدى اللغات الرسمية الوطنية.

أما عن اشتقاق مصطلح "تيفناغ"، فيرى اللسانيون أن له قرابة مع جذر ف ـ ن ـ غ المماثل لجذر ف ـ ن ـ قـ وكلاهما ذو صلة محتملة مع الكلمة اللاتينية پونيكا (Punica) وكذا مع الاصطلاح الروماني "پونيقي" (Punique) الدال على كل ما ينتسب إلى منطقة نوميديا.

وفي الوقت الراهن لا وجود في اللغات الأمازيغية لكلمات حاملة للجذر الذي اشتقت منه كلمة "تيفناغ" إلا أن من المرجح ربطه بكلمة أسفيناغ "asfinagh" التي تعني من الأصل "التفسير"، حيث يمكن إعطاء الكلمة مدلولا يفيد "شرح الكلام والإفصاح عنه".

ـ خصائص ألفباء تيفنّاغ : حروف تيفناغ في مجملها صامتية، إذ لا يشتمل نظامها سوى على حرف صائتي واحد هو (.) المقابل لحركة الفتح في العربية (ـَ) ولا يكون إلا في آخر الكلمة.

أما حركتا الرفع (u) والجر (i) فيرمز إليهما، في غير انتظام، على التوالي بكل من شبه الصامت (:) ( = و ، w) وشبه الصامت (٤) (= ي، y) وذلك أيضا في آخر الكلمة، إذ تكون لهما قيمة صامتية وسط الكلمات.

وتتميز هذه الكتابة بنوعين من القصر أو الاختلاس :

أ) انعدام تشديد الحروف الصامتية، لا بتضعيفها ولا بإضافة علامات إعجام ؛ ب) في بعض الحالات، يمكن تمثيل صامتين مختلفين بحرف خطي واحد ذي قيمة صامتية مزدوجة.

تعدد وتنوع ألفباء تيفناغ : كشفت الأبحاث (انظر على الخصوص أغالي زاكارا ودرووان 1977) أن هناك على الأقل عشر منظومات الفبائية لتيفنّاغ، تتوزع على مناطق مختلفة من البلاد الإفريقية، وهي إذ تشترك في جوهر الكتابة الأصلية، تتنوع من حيث عدد الصوامت (من 20 إلى 27) وعدد الصوامت المزدوجة المشكّلة من الصوامت الفردية ( من 20 إلى 26)، وعموما، فالعدد الإجمالي للحروف الخطية المستعملة من قبل المعنيين يتراوح، حسب المناطق، مابين 29 و42 حرفا. وفي كل المتغيرات الجهوية لألفباء تيفنّاغ، لايعتمد ترتيب قار في سرد الحروف وتعلمها. ويرجع المتداولون لهذا النظام هذا الأمر إلى التكافؤ بين الحروف وانعدام التراتبية بينها، حيث تبقى للمستعمل حرية سردها في أي ترتيب شاء.

وما يميز بين حروف تيفناغ هو شكلها، فهي مكونة من نقط (تَاتْبَبْقَت، ج تَاتْبْقَا) وسطور (أَلاوگ، ج : إيلُوگـوَان) وهي عناصر تنتظم إما منعزلة أو مجتمعة، مما يعطي نوعين من الحروف : حروف منبطحة (تْنسَا) أو حروف قائمة (تْبْدَاد).

تقنيات التدوين :

ـ اتجاه الكتابة : يمكن للكتابة أن تتخذ عدة اتجاهات، إذ ليس هناك من أعراف أو قيود (أسْشُرُوض) في هذا المجال أيضا، كما هو الحال بالنسبة لعدد وترتيب الحروف. إلا أن العنصر الأساسي المعتمد في اختيار أحد الاتجاهات الممكنة هو الحيز المتوفر الذي يتأتى معه التدوين في ارتياح كامل (أسنْـفْلاَيْ)، حيث يكتب المرء في الاتجاه الذي تتحرك فيه يده بحرية. وهكذا يمكن للكتابة أن تتخذ اتجاها

عموديا، من أسفل إلى أعلى ومن أعلى إلى أسفل، أو اتجاها أفقيا، من اليمين إلى اليسار أو العكس، أو اتجاها دائريا أو لولبيا أو قلبيا (يمكن من قراءة السطور عكسا وطردا).

وقد جرت العادة أن تكون الكتابة العمودية، من أسفل إلى أعلى أكثر شيوعا باعتبارها النموذج التقليدي العريق والمتداول لدى الشيوخ والنساء. ويقال عن هذه الطريقة بأنها الكتابة الطبيعية "أمام الجسد" أي أن العلامات تُنضّد انطلاقا من الجسم مبتعدة عنه تدريجيا، وخاصة حين تتم الكتابة على التراب حين يكون صاحبها جالسا القرفصاء أو منبطحا على جنبه ومتكئا على ذراعه (أسْغْمْرْ / من تَاغْمْرْت: المرفق) إذ يكون حدّ تمدّد الذراع هو حدّ تسلسل الحروف على نحو أعمدة، وتكرر العملية بإضافة أعمدة موازية إلى العمود الأول، يمينا أويسارا إلى النهاية:

↑ ↑ ↑ ↑ ↑

3 2 ← 1 → 2 3

أما الكتابة الأفقية فيظهر أنها نتجت عن تأثير الكتابة اللاتينية، وخاصة في الاتجاه من اليسار إلى اليمين. وبالكتابة العربية بالنسبة للاتجاه من اليمين إلى اليسار. ولا يعتبر المعنيون هذا النمط أسلوبا قديما، إذ لم يتبين وجوده في العصور القديمة. وللتعبير عن هذين الاتجاهين الأفقيين، يشار إلى المجال الحر الذي تتجه نحوه الكتابة وإلى موقع هذا المجال من مكان يد الكاتب، أي بالنسبة لراحة الكف أو ظهرها: ـ فالكتابة من اليسار إلى اليمين تكون خلف اليد (دفّر أفوس)

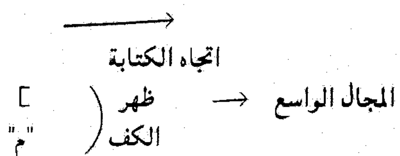


ـ أما الكتابة من اليمين إلى اليسار فتكون أمام اليد (داتْ أفُوس)

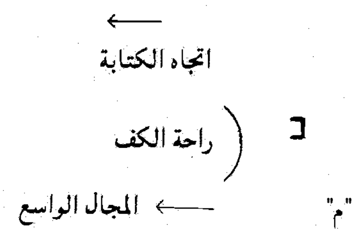


ـ أما الأنماط الكتابية الأخرى، فهي كاللولبية أو الدائرية (أكَاتَابْ إغْلاَين، أكَاتَابْ وَان ـ تْكَلْلْتْ) فهي ذات استعمال جد هامشي بالمقارنة مع الكتابتين الأفقية والعمودية، وهي مخصصة أساسا للممارسات الترفيهية والإبداعية والزخرفية كما هو الحال بالنسبة لبعض الاستعمالات الفنية للخط العربي.

وبصفة عامة، فالنساء والشيوخ قد درجوا على تداول النمط التقليدي، أي الكتابة العمودية من أسفل إلى أعلى، بينما الشباب المتمدرس بالعربية أو الفرنسية يعتمد الكتابة الأفقية.

ومن الملاحظ أن هناك نقطة انطلاق قارة في الكتابة أو القراءة تتخذ شكل صيغة كتابية أو شفوية غايتها تقديم الكاتب والترميز إلى هويته، وتتخذ شكل الحروف الثلاثة:

∴ | :

"و" "ن" "كـ" = أي أوَانْـكْ = هـذا أنـا (فلان)، وذلك على النحو العمودي من أسفل إلى أعلى.

∴ "ك"

— "ن"

•• "و"

أو على النحو الأفقي باتجاهيه:

← أو →

"گ" "ن" "و" "گ" "ن" "و"

وتعرف هذه الصيغة بالحرف الأول "و" (إيوّي) حيث يقال إن على الكاتب اتباع الـ "إيوّي" الخاص به والاحتفاظ به.

ـ أشكال الحروف: تتكون رموز تيفنّاغ من سطور ونقط ودوائر، تكون إما منفردة أو مركبة، وحسب أشكالها، فهي قد تشير كليا أو جزئيا إلى اتجاه الكتابة وعليه، يمكن تصنيفها من هذا المنظور كما يلي:

أ ـ حروف لا تتضمن علامة توجيهية، وهي في الغالب ذات طابع تماثلي:

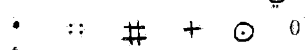

أ ق ج ت. س ر

ب ـ حروف تقابل بين الاتجاهين الأفقي والعمودي:

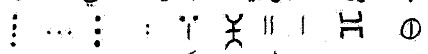

ب ف ن ل ز گ و غ خ هـ

ج ـ حروف مفتوحة أو غير متماثلة، تقابل بين العمودي والأفقي وبين اليمين واليسار:

ك ش ز د "م"

وهناك حروف مركبة تجمع بين علامتين خطيتين، وتعرف بالحروف الثنائية أو المزدوجة ومنها خيارات متعددة:

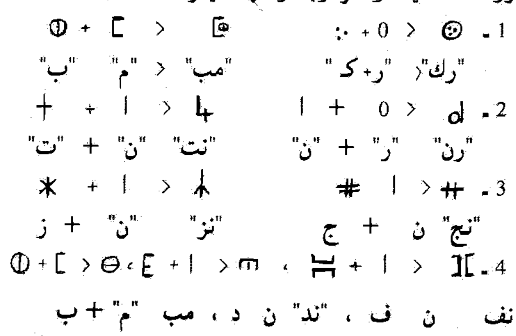


وتتسم هذه الحروف الثنائية بالتعقيد لصعوبة فكها وإعطائها قيمتها الأصلية، خاصة وأن استعمالاتها تختلف

من منطقة إلى أخرى.

- ومن صعوبات قراءة نصوص تيفناغ التقليدية كونها عبارة عن حروف متسلسلة من غير فاصل بينها، تفترض في القارئ معرفة بالعلامات وقيمتها وقدرة على تجميعها في وحدات معجمية وتركيبية. إلا أنه في الوقت الراهن، قد درج الكتاب المتمدرسون بالعربية والفرنسية على استعمال علامات الحصر والترقيم Ponctuation للفصل بين عناصر النص، وذلك باستعمال العلامات السائدة في الكتابة العربية أو الفرنسية :

- الفسحة بين الكلمات (تيفاوْت / تيفاوين) والنقطة (.) رغم استعمالها كصائت (فتحة) في آخر النص.

- مجالات الكتابة وأدواتها :

- العناصر المادية : وهي التراب والأشجار والصخور. فالكتابة على الرمل شائعة لدى الطوارق، خاصة في التواصل الظرفي السريع وفي تعلم الكتابة والممارسات الترفيهية، وتستعمل السّبابة كأداة عملية. أما الكتابة على الأشجار فهي قديمة جدا، ومنها ما يرجع إلى قرنين فأكثر. ونفس الشيء بالنسبة للكتابة نقشا على الصخور، ومنها ما يرجع إلى عهود غابرة، ولم يتمكن الدارسون من فك رموزها لحد الآن.

ومن الدعائم المادية المتحركة الخشب بأنواعه المختلفة وخاصة الأواني المنزلية والمعادن الممثلة في الأسلحة والحلي والأدوات المختلفة ثم الورق والقماش.

- وتتم عملية النقش على الخشب والمعادن بواسطة منقش (جَاجْوُول).

وتقتصر الكتابة على الورق والقماش على نصوص نفعية كالمعلومات الخاصة بالضرائب والمذكرات الإخوانية. ويستعمل في ذلك مداد تقليدي من صنع محلي (تادّاوتْ) أو صباغة ملونة (تَينْغَميتْ) من أصل نباتي (ألْمَوزْ). وبالطبع فإن هذه التقنيات التقليدية قد عوضت باستعمال الأدوات الحديثة كالأقلام الحبرية وغيرها.

- عراقة تيفناغ ووضعيتها الراهنة :

هذه الكتابة التي يرجع عهدها إلى ما قبل آلاف السنين مازالت حية ومتداولة في المجتمعات التقليدية بالبلدان الإفريقية التي نشأت فيها أصلا. وفي الوقت الراهن قد تم إحياؤها وتجديدها لأسباب مختلفة، يكتسي بعضها دلالة ثقافية ورمزية لاقترانها بالهوية الثقافية الأصلية للأمازيغ بهذه البلدان.

ففي النيجر هناك العديد من المنشورات المحلية (أزاواغ أيير) تصدرها هيئات حكومية، تهدف إلى الإخبار وتعميم المعارف المبسطة في مجالات التربية الصحية ومحاربة الأمية لدى الكبار. كما أن بعض الجمعيات القبائلية (من أصل جزائري) المتواجدة بأوربا تستعمل نموذج تيفناغ الهوغاري الأصل مجددة إياه في بعض منشوراتها الثقافية والإيديولوجية، ونفس الشيء بالنسبة لبعض الهيئات الثقافية المغربية المهتمة باللغة والثقافة الأمازيغيتين، والتي تتبنى نموذجا متطورا، مقتبسا من عدة أشكال أصلية (انظر مجلة أمازيغ، ومجلة تيفناغ على سبيل المثال لا الحصر).

| عربي | لاتيني | القديم | المحدث | نموذج مغربي |
|---|---|---|---|---|
| ب | b | ⊡ ⊘ | ▥ ⴱ | ⴱ |
| م | m | ◡ ⊔ | ⊏ ⊐ | ⵎ |
| ف | f | ⊢⊣ | ⊐⊏ ⵯ | ⴼ |
| ت | t | + × | + | ⵜ |
| ث | ṯ | ≻≺ | | ⵝ |
| د | d | ⊏ ⊐ | Λ ⊓ | ⴷ |
| ذ | ḏ | - | - | - |
| ط | ṭ | ≻— | ⴺ ⴹ | ⵟ |
| ض | ḍ | - | Ɛ Ǝ | ⴹ |
| ن | n | - | ǀ | ⵏ |
| ني | ñ | - | ╤ | - |
| ل | l | ═ | ǁ | ⵍ |
| ر | r | □ o | ■ o | ⵔ |
| س | s | ƅ ϟ ʒ ⵯ | ⊡ ⊙ | ⵙ |
| ز | z | ⊔ | ⵣ | ⵣ |
| ز | ẓ | ⊓ ⊔ | # | ⵥ |
| ص | ṣ | ♈ Ɣ | - | ⵚ |
| ش | š | W M | ɕ ɷ ɜ | ⵛ |
| ي | y | ϟ ϑ Z | ≺ ʒ | ⵢ |
| ك | k | ⫛ ↿↾ | ∴ ∵ | ⴽ |
| گ | g | V Λ Γ ⫛ | ⵅ ⵖ Ɣ | ⴳ |
| ج | ǧ | ·|· ÷ | ⊤ ⊥ | ⴵ |
| و | w | ǁ | : | ⵡ |
| غ | ġ | ǀǀǀ ≡ | ⁝ | ⵖ |
| ح | ḥ | - | ∷ | ⵃ |
| خ | ḫ | - | ∷ | ⵅ |
| هـ | h | ǀǀǀǀ | ⁞ | ⵀ |
| ق | q | ≻ Ɣ | .... | ⵇ |
| ع | ʿ | - | - | - |
| ء | ' | ǀ | • | o |

جدول تيفناغ (انظر باسي (1959) بالنسبة لجزء من الجدول)


م. الشامي، *إشكالية الكتابة الأمازيغية*، أعمال الدورة الأولى لجمعية الجامعة الصيفية بأكادير، ص. 155 ـ 174، 1980.

M. Aghali-Zakara et J. Drouin, *Recherches sur les Tifinagh*, *GLECS*, 1978 ; A. Basset, *Ecritures libyques et touarègues : articles de dialectologie berbère*, Paris, p. 167-177, 1959 ; E. Littman, *L'origine de l'alphabet Libyen*, *J.A.*, 10, série 4, p. 428-440, 1904 ; G. Marcy, *Introduction à un déchiffrement méthodique des inscriptions Tifinagh du Sahara Central*, *Hesp.*, 1er, 2è trim. 1937, p. 89 -118, 1937 ; M. Reygasse, *Contribution à l'étude des gravures rupestres et inscriptions tifinar du Sahara Central*, Alger, 1932.


الحسين المجاهد

**تيفنوت**، اسم واد كبير بالمنحدرات الجنوبية للأطلس الكبير المركزي، أهم روافده واد سوس، طوله حوالي خمسين كلم، يتلقى روافده من القمم العليا، توبكال وإفروان... ومن بحيرة إفني الموجودة بواد ضيق جنوب قمة توبكال. وله حوض واسع يقدر بحوالي ثمانمائة كلم2. اختلف في مدلول التسمية. يرى البعض أنها مشتقة من إفني، وهو مكان تجمع الماء على عمق كبير. إفني، أي العمق الذي لا قرار له، وتيفنوت تصغير إفني لأن البحيرة تزوده بمورد دائم، إذ ينبع من حاجزها الانهدامي عين غزيرة تنعش

الزراعة بوادي إسلاني أحد روافد تيفنوت الأعلى. ويفسر البعض الآخر بأن تيفنوت تعني الباب، لأن سكان الأودية العليا يجدون في طريقهم إلى حوز مراكش فجاجا عالية كأنها أبواب مقفلة تحول دون تنقلهم شمالا إلى حوز مراكش.

يتكون حوز تيفنوت من صخور گرانيتية هشة تتحلل بسهولة تمتد من القمم العليا إلى جبل سيروا، ترجع إلى الزمن الأركي وما قبل الكامبري تظهر في بعض جوانبه صخور اندفاعية وسطوح تعرية وبنيوية تحتفظ برقع من أغطية رسوبية للكريتاسي والأيوسين تتكون من رصيص وطفل وكلس غالباً ما تكون إفريزات تقطعها مسيلات. ويقطع مجرى الواد نحو الجنوب بشكل مستعرض سلسلة فوالق متدرجة ذات اتجاه شمالي غربي مما يجعله يتدرج في الانخفاض نحو الجنوب إلى أن يتصل بهضبة أيت إديكل. ويحيط بالوادي كتل مرتفعة بلورية خاصة بالضفة اليمنى تفصله عن الأودية المجاورة تتصل بسيول ووديان عديدة خاصة بضفته اليمنى أهمها : أُومومن وتافوگت.

تشتد البرودة بهذا الحوض المنعزل شتاء والحرارة صيفاً إذ يتعرض كثيراً لرياح الشرگي وتتساقط الثلوج وتبقى عدة أشهر بالقمم العليا، لكن التساقطات ضعيفة، عموما حوالي ثلاثمائة ملم، تتذبذب من سنة لأخرى مما جعل الغطاء النباتي ضعيفا، ينحصر في رقع من البلوط الأخضر والعرعر الأحمر خاصة بمنحدرات الضفة اليمنى. وتنتشر غابة واسعة خفيفة لأشجار أرگان بالمجرى الأسفل. وتغطي معظم الحوض أعشاب برية وشوكية حيث ما وجدت تربة مستقرة على المنحدرات.

وتنتشر على طول الوادي وروافده قرى تقليدية كبيرة وصغيرة لازال بعضها يحتفظ بمخازنه المتهدمة، (إغرمان، ج. إغرم)، أهمها : تاسا وايگيد وأساراگ وآگرد ونوگادير... يسكنها مجموعات من قبيلة أيت واوزگيت الصنهاجية التي يمتد مجالها إلى ورزازات.

تمارس زراعة مروية خاصة بالأودية العليا حيث تغزر المياه وتكثر أشجار الجوز ويظهر في المجرى الأوسط والأسفل الزيتون واللوز والتين، ويهتم السكان بزراعة الشعير والذرة والعلف للأبقار وبعض الخضر للاستهلاك الذاتي والملكية ضيقة ومفتتة. وهناك بقع متناثرة لزراعة يناصيبية للشعير على المتون والمنحدرات التي تتوفر على تربة. ويوفر الحوض مساحات واسعة للرعي مما يجعل السكان يولون أهمية خاصة لتربية المواشي يقومون بتنقلات واسعة إلى حوض تازناخت والمنحدرات الجنوبية الشرقية للأطلس الكبير وحواشي سهل سوس شتاء ونجعة صيفية إلى الهضاب والأودية العليا حيث يمتلكون مراعي من بينها مراعي أودية توبكال. وتتوزع مساحات الحوض على ثلاث جماعات قروية تابعة لدائرة أولوز إقليم تارودانت هي جماعة أهل تيفنوت وجماعة إوْزيوْنْ وجماعة ثالثة تنتشر بالوادي الأسفل والمنحدرات الشمالية لسيروًا هي أسكاون.

يبلغ عدد السكان حوالي أربعة وثلاثين ألف نسمة والكثافة العامة ضعيفة (20.30 ن / كلم2) تساوي نصف مثيلاتها بالمنحدرات الشمالية، فالنمو الديموغرافي ضعيف بسبب انخفاض مستوى العيش وارتفاع نسبة وفيات الأطفال. وتصعد القرى مع روافد الواد إلى ارتفاع 23.000 م ونظراً لتكرار سنوات الجفاف وشح الموارد يهاجر السكان منذ القديم أفراداً وجماعات إلى أودية السفوح الشمالية، فهم الذين يكونون قبيلة أُوزگيتة بهضبة كيك، ومنحدراتها الشمالية، كما يهاجرون اليوم إلى سوس للعمل الفلاحي وإلى المدن الكبرى خاصة أگادير.

لاتزال تسود في هذا الحوض تقاليد أصيلة تظهر في البناء والنسيج والرسوم وأدوات العمل وأساليبه وذلك لانزواء الوادي وقلة اتصال سكانه بالخارج، وكان اليهود موزعين بمختلف القرى لا يجمعهم حي خاص، يمارسون مختلف الحرف والتجارة كما يلاحظ أن الوادي قليل الأضرحة والزوايا. وتعتبر البغال أهم وسيلة للتنقل، أما المواصلات الحديثة فمازالت ضعيفة لصعوبة المسالك إذ لا يصل الوادي أي طريق مرصف ويعتمد في النقل إلى خارج المنطقة على شاحنات تنزل مع الوادي إلى سوس أو تنحرف في وسطه لقطع سلاسل الجبال عبر مسالك وعرة إلى أگويم على طريق ورزازات، لكن حركتها تتوقف عندما تسقط الأمطار. وينعقد بوادي تيفنوت سوقان أسبوعيان الأول بقرية أساراگ بالمجرى الأوسط للواد يوم السبت، والآخر بالمجرى الأسفل بقرية إيگلي يوم الاثنين. على أن أهم الأسواق المزودة للمنطقة بحاجياتها الأساسية وحيث يباع فائض المواشي والجوز واللوز تقع خارج الوادي بأسكاون وإيوْزيوْنْ (أوزيوة).

*بحث ميداني ؛ معلومات مأخوذة عن مهندس سد أولوز مصطفى الصبار ؛ كتب عامة لجغرافية المغرب.*

J. Dresch et J. Lepiney, *Le Massif du Toubkal, Guide Alpin*, Rabat, 1938 ; J. Dresch, *Recherches sur l'évolution du relief dans le massif central du Grand Atlas de Marrakech, le Haouz et Souss*, Tours, 1941.

أحمد هوزالي

**التّيفْنوتي**، أبو القاسم بن عمرو السوسي الدرعي، ولد في قرية بتيفنوت تدعى إغْرمْ نِ قْدّرْن. صوفي مشهور من أهل سوس الذين استوطنوا درعة. ترجم له صاحب *الفوائد الجمة* فقال : "ومنهم الشيخ الصالح الفقيه المحصل المفيد الزاهد الورع المتجرد، سيدي أبو القاسم بن عمرو التيفنوتي، المعروف بالشيخ، ويعرف عند أهل فاس بالكوش". ودعي بالكوش لأنه كان أسمر اللون.

تعلم بفاس حيث ظهرت نجابته مبكراً، وبرع في فنون مختلفة مثل الفقه والعربية والحساب والقراءات والفرائض. وهو أول من وقف كرسي كتاب *حرز الأماني* للإمام الشاطبي. وجاء في *الحركة الفكرية* عن كراسي فاس العلمية : "وكرسي *حرز الأماني* في تجويد القرآن الكريم بمسجد الشرفاء، من إنشاء ووقف أبي القاسم الشيخ

الكوش الدرعي" (1 : 119). فقد أوقف مبلغا من محصول شرطه الزهيد ليشتري به عقاراً بفاس، أوقفه ليصرف ريعه على نشر فن التجويد في فاس، احتسابا لله تعالى (نفس المصدر، 2 : 543).

من أشهر شيوخه أحمد الونشريسي ومحمد ابن غازي. وبعدما تخرج عالما في فاس وتكون تكويناً رصيناً رجع إلى زاوية سيد الناس بدرعة، فتصدر لتدريس العلم في تلك القرية التي صارت فيها سوق العلم نافقة في عهده. يذكر صاحب *الدرر المرصعة* أن : "موضع درسه باق إلى الآن بضريح ولي الله سيدي الحاج إبراهيم المتقدم الذكر بزاوية سيد الناس" (*الدرر المرصعة*، 142).

وعرف التيفنوتي بالشيخ لأنه تخرج على يديه جماعة وافرة من الفقهاء، منهم سعيد بن علي الهوزالي، أحد أشهر قضاة مدينة تارودانت، وأحمد البوسعيدي المعروف بأگجيل، ومحمد بن عبد الله الوحلاني، ومحمد بن أحمد الدادسي المعروف بالكبير، ومحمد بن محمد العشاب وغيرهم. وكان يحض طلبته على تعلم الصنائع والاحتراف لكسب عيشهم إلى جانب طلب العلم (*الدرر المرصعة*، 139) ؛ لأنه كان بدوره عالماً محترفاً، لا ينتهي من الدروس حتى يقوم لأشغاله اليدوية ؛ وكان يتقن حرفا كثيرة تعلمها في فاس زمن اشتغاله بالطلب (*الحركة الفكرية*، 1 : 122).

توفي أبو القاسم التيفنوتي بدرعة سنة 953 / 1546 ودفن غربي تامگروت غير بعيد عنها.

أ. المنجور، *فهرس*، 75 ؛ ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة* ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ م. المختار السوسي، *إيليغ* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*.

أحمد عمالك

## تيفنيت ← إفني

**تيقّي** أو تـقّ، لفظة تفيد بمبناها أنها أمازيغية. وهي نوع من الشجر تشمل ثلاثة أنواع مشهورة.

أولها : العرعر ويدعوها العامة تَـايْدَةْ. وينتشر شجره كثيرا في جبال الأطلس المتوسطة الارتفاع (حوالي 1800م). ويتعدى ارتفاعه عشرين متراً. يستخرج منه اللصاق والقطران. واستعملت قشرته ـ وما تزال ـ في دباغة الأدم. أما أوراقه فقد اعتاد المصابون بمرض البواسير التداوي بها. واستعملته النساء للإجهاض.

ـ ثانيها تَـافْغَـه، حسب تسمية سكان دير الأطلس المتوسط. وهي شجرة شوكية، تنتشر في الهضبة الوسطى، وفي السفوح الدنيا الشمالية لجبال الأطلس الكبير المتوسط. يستعمل ورقه كدواء تقليدي للجروح، وخاصة في أثناء الختان ؛ إذ يدق ويخلط بزيت الزيتون، فيعوض الحناء.

وتنبت هذه الشجرة فاكهة، في شكل عناقيد لا تتجاوز حباتها حبات الجلبان، ولا يقبل الناس على أكلها إلا عند الضرورة القصوى، مثل المجاعة.

وهذه الشجرة قصيرة لا يتجاوز ارتفاعها خمسة أمتار، وتتميز بشدة تكاثف أغصانها وتعددها. وفي هذا السياق يتردد بيت شعري على ألسنة سكان الأطلس المتوسط، في مدح هذه الشجرة :

تُوفْ تِقّ الزِّيْتُونَ يُـوفْ أُدْرَارْ أزْغَـارْ

ومعناه :

تفضل تقّ الزيتـون كما يفضُل الجبلُ السهل

نسب هذا البيت لحمامة كان طائر الباز الجارح قد طاردها في السهل، حيث تنتشر أشجار الزيتون، فعانت كثيرا من مطاردته، لكنها حين بلغت الجبل استطاعت الإفلات منه لما لجأت إلى شجرة تق ذات الأغصان الملتفة.

ـ ثالثها : لا يعرف إلا بتـقّ، وهي شجرة لها أوراق كبيرة تتجاوز أوراق الجوز. قد يبلغ ارتفاعها ثلاثين متراً، وتنتشر في الدير، وخاصة فيما بين واوزغت وصفرو. كما ينتشر في المناطق الجبلية الرطبة. خشبها كبير الجودة، ويستخرج منها نوع من اللصاف ويدبغ بقشورها الأدم. تنتج تيقي فاكهة بمقدار حبات النبق لونها أصفر، شديدة الحلاوة.

وقد ذكرت في بعض مصادر التاريخ من بين الأغذية التي يتناولها الناس في زمن المجاعات. أورد عبد الله بن عمر العياشي في كتابه *الإحياء والانتعاش في تراجم سادات أيت عياش* مقطعة عدد فيها بعد المواد الغذائية البرية التي صار الإقبال عليها كبيراً من طرف الناس، أثناء مجاعة عام 1071 ـ 1072 / 1660 ـ 1661 (مصورة خ. ع، رقم 1433 د. ص 263) ؛ ولم يفته التنبيه على مضار بعضها بصحة الإنسان.

يتبين من خلال البيت الخامس من هذه المقطعة أن تيقي أكثر جاذبية وإثارة ـ من بين مختلف المواد المذكورة ـ بسبب حسن منظرها ولونها الأصفر الفاقع، حتى شبهها الناظم بغادة الحي. لذلك يقبل الجياع كثيراً على تناولها. وعلى الرغم من أن مذاقها شديد الحلاوة يكثر الإقبال عليها، فإنها لا تدفع الجوع ؛ بل قد يقـوّي تناولها الرغبة في الأكل، كأنما تساعد في تقوية الشهية بسبب طعمها اللذيذ.

وعلى الرغم من أهمية هذا النوع من الشجر فإنه في تراجع مستمر.

عبد الله بن عمر العياشي، *الإحياء والانتعاش* ؛ *التحري الميداني*.

E. Laoust, *Contribution à la toponymie du Haut Atlas*, Paris, 1942 ; M. Charnot, *La toxicologie au Maroc*, Rabat, 1943, p. 191.

أحمد عمالك

## تيقّي ← تاقّا

**تيقِّيت**، تگّيت، تغِّيت، قرية في شمال المغرب مندرجة اليوم ضمن قبيلة بقوية، فرقة أزغار، إلى جانب سمّار وعين ماية في جنوب أراضي الفرقة. وهذا الموقع الحالي مخالف لما استعرضه عبد الحق البادسي في *المقصد*، إذ أن القرية كانت بأرض إزَمُّـورَنْ، وجماعة بني وروجن، بجوار مرسى بُوسَكُّورْ (بوزكور)، عاش بها آنذاك كل من أولاد منصور وبني يفراسن.

وإلى قرية تيقِّيت ينتمي عدد من رجال التصوف ببقوية، أمثال عبدون بن علي اليفراسني التيقيتي وزكرياء ابن يحيى التيقيتي، درسا بمسجدها القديم المشرف على جبل الرابطة المنسوبة إلى أمّ أيْمن. ودرس بنفس المسجد المدعو أبو العباس أحمد الگميلي، القائم بحوز بادس حوالي سنة 685 / 1286.

وخلال القرن الماضي كانت قرية تيقيت لاتزال بالموطن الأصلي المعين لها من طرف البادسي، لها مرسى، عد من المراسي المشتغلة بتهريب الأسلحة (الكنطربانض) والبضائع الممنوعة، مثل زيت الگاز الواصلة إليه من الساحل الأندلسي ومن الجزر المحتلة.

ونجهل الظرف الذي أرغم أهل تيقيت على التخلي عن موطنهم الساحلي القديم وانتقالهم إلى موقع داخلي بفرقة أزغار. وربما كان لتدخل المخزن العزيزي يد في ذلك، خاصة أثناء الحملة التي قادها بوشتى البغدادي ضد بَقُّوية، في محاولة لمنع رجالها القرصان من التعرض للسفن الأوربية، وذلك سنة 1315 / 97 ـ 1898.

البادسي، *المقصد*، 115ـ120 ـ 128 ؛ *تقييد قبائل الريف*، كناش خ. ج. بالرباط، 192 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف*، 248 ـ 251 ؛ ع. الطيبي، *قبائل الريف الأوسط*، د. د. ع، 114 ـ 245.

S. Ghirelli, *Monografia de la Cabila de Bocoia* ; Comisión histórica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*.

حسن الفكيكي

**تيگـّا**، مصطلح عند سكان جبل درن يُعتمد عند من يشتغَلون بالتدريس. والتدريس عندهم ـ قديماً ـ يباشَر في المسجد (تيمزگدة) ومن مؤسسات المسجد بناية خاصة بالتدريس تدعى "لَحْضَرْ" وأيضاً من تتمة بناية "تيمزگدة" في الدواوير الكبيرة مساكن للطلبة الوافدين على الدوار من جهات مختلفة، قد يقلون أو يكثرون، حسب قدرة أهل الدوار على التموين وحسب شهرة الأستاذ "الطالب". والطلبة الوافدون على الدوار يسمون "المسافْرين" وغالباً ما يكونون كبار السن، وقبل الطلبة الوافدين يغشى "لَحْضَرْ" أطفال الدوار ويسمون "إمْحضَارْنْ" والعناية بهم جزء من مهمة "الطالب" التي تدخل في "الشرط" ولكون كلمة "إمحضارن" مهذبة ولطيفة جعل الناس يطلقونها على "المسافرين" أيضاً احتراماً وتلطفاً ..

وهكذا فكما أن "الطالب" مطالب بإقامة الصلوات الخمس يومياً فكذلك مطالب بأن يقوم بتعليم "إمحضارن" يومياً وهذا داخل في "الشرط" كما قلنا. غير أن عملية الصلوات تتم في "المقصورة" بينما عملية التعليم تتم في "لحضر" وبما أن عملية التعليم يصعب أن تستمر يوماً بعد يوم للظروف الاجتماعية والإنسانية، لذلك حُددت أيام ومواسم تتوقف فيها الدراسة.

وأيام التوقف هي : الأربعاء مساء، والخميس صباحاً ومساء والجمعة صباحاً. وهذا التوقف يسمى "سُنْتْ".

وقد يدخل على "الطالب" عزيز من أصدقائه الطلبة أو أحد شيوخه فيعلن تلك الحصة "سُنْتْ" أي عطلة، بحيث يبلغهم ذلك بقوله "أگلـْـتْـنْـتْ" يعني علقوا الألواح. أما المواسم التي تتوقف فيها الدراسة فهي مواسم الأعياد بحيث تتوقف الدراسة عشرة أيام قبل العيد وعشرة أيام بعده. وهذا التوقف هو أحد مدلولي كلمة "تيگا". وهكذا فكلمة "تيگا" تطلق على هذا التوقف للدراسة بمناسبة العيد، وذلك قصد فسح المجال للطلبة "المسافْرين" ليقضوا أيام العيد مع أهليهم وأصدقائهم، وليأخذوا قسطاً من الراحة وليعدوا العدة لاستئناف العمل الجاد والشاق من جديد. وكذلك يستفيد من هذه العطلة "إمحضارن" أطفال الدوار حيث يقضون أيام العطلة في تحرر من واجبات "لحضر" يمرحون ويسرحون.

غير أن أبناء الدوار قبل أن يغادروا أو على الأصح قبل أن ينقطعوا لا بد أن يؤدوا مبالغ مالية تقدر من طرف "الطالب" حسب ظروف التلميذ ومكانة وليه الاجتماعية. هذا المبلغ المالي هو ما يسمى أيضاً "تيگا" ويسميه أهل بعض المناطق "لعواشر". و"تيگا" بهذا المفهوم يحددها "الطالب" وقد تكون عبارة عن مبلغ مالي، وقد تكون عبارة عن عدد من البيض أو آنية سمن أو.. على حسب أريحية أولياء التلاميذ، لكن المتعارف عليه أن "أمحضار" لا ينقطع عن الحضور إلى "لحضر" حتى يؤدي ما التزم به أو ما أوجب عليه "الطالب" ولو كانت الدراسة متوقفة.

و"تيگا" بمعنى العطلة يعلن عنها في حفل مؤثر، حيث يجتمع "المسافْرين" و"إمحضارن" ويلتفون "بالطالب" الذي عادة ما يلمسون فيه ليونة ولطفا قلما يجود بهما في أيام العمل. وتعلق الألواح بكيفية جماعية وترفع الأكف بالدعاء، الطالب يدعو، وإمحضارن يؤمنون.

وبعد الدعاء يعلن الطالب عن بداية "تيگا" ونهايتها ويحدد للمسافْرين التاريخ الذي يجب أن يحضروا فيه وأحياناً يحتفظ ببعض الأفراد من المسافْرين إن اقتضت الظروف ذلك وهم من يخاف أن ينسوا ما حفظوا. وبالنسبة للمنصرفين يحملهم تحايا لآبائهم ويوصيهم بالاجتهاد وبكثرة التلاوة حتى لا ينسوا ما حفظوا، في حين يُعيّن "الطالب" لأبناء الدوار مقادير "تيگا" التي يجب أن يأتوا بها ومنهم من يلزمه بالتوارد على "لحضر" ليستمر على تلاوة "الأسوار" وهو ما يعرف "بالعرض". وإذن فكلمة "تيگا" لفظ مشترك يطلق على المدة التي تتوقف فيها الدراسة بمناسبة الأعياد، وهو ما عرف مؤخراً بـ"العطلة" ؛ وتطلق على مساعدة مادية يقدمها التلميذ المقيم للأستاذ الذي هو "الطالب" بمناسبة إعلان العطلة.

*بحث ميداني.*

الحسين ألواح

**تيكات**، (Thicath) مدينة مغربية قديمة. يعد الجغرافي بطليموس Ptolémée (القرن 2 م) الوحيد الذي أشار إليها واعتبرها من المدن الداخلية لموريطانيا الطنجية *(المغرب على عهد الرومان)*. وحددها بين خطي 30' 8° و30' 32°.

والجدير بالذكر أن جرد بطليموس تضمن أسماء اثنتين وعشرين مدينة وعدّد من خلاله أسماء مدن مهمة كوليلي وليكسوس وبناصة مع أخرى أقل مكانة. كما أن بعضها الآخر شكل بالأساس معسكرات في حين ليس من السهل معرفة موقع أو وظيفة مراكز أخرى. ومعلوم أن مدينة "تيكات" (إذا صح أن نعتبرها مدينة) احتلت المرتبة التاسعة عشرة في قائمته.

يعاب على بطليموس إهماله الكبير للمناطق والمراكز الموجودة بليبيا الداخلية (المناطق الداخلية لشمال إفريقيا). فكثيراً ما أورد تحديدات خاطئة. وعكس الاتجاهات بشكل خطير. فهل يسهل تحديد موقع تيكات استنادا إلى الشذرات البسيطة التي قدمها بطليموس ؟ وماذا توافق حالياً ؟

يجمع الباحثون المعاصرون على توطين تيكات بشمال المغرب، وكان مولار Muller (القرن 19 م) أول باحث حاول موافقتها من جهة بمعسكر دوگة Duga الوارد ذكره ضمن لائحة الاعيان *La Notice des dignités* (تعود للقرن 7 م)؛ ومن جهة ثانية طابق معسكر دوگة بضاية الروم Dayat er-Roum عند المجرى الأعلى لوادي سبو. وعلى عكسه موضع تيسو Tissot معسكر دوگة عند البنيان El Benian وهي أطلال مهمة تقع بين مدينتي تطوان وطنجة وكانت ماثلة بشكل واضح إلى حدود القرن الماضي. وقد تعارف سكان المنطقة على تسميتها بالبنيان أي المباني، بمعنى أنهم كانوا يجهلون تسميتها الأصلية.

ويظهر من خلال وصف تيسو بأن البنيان اتخذت شكلاً متوازي الاضلاع Parallélogramme طوله 183 م وعرضه 140 م. وكانت مسورة بجدار استعملت فيه حجارة كبيرة. وازدانت بأبراج مربعة الشكل قائمة بزواياه الأربع وبأبراج واصلة، اثنان عند الواجهة الشمالية والأبراج الأخرى بباقي الجهات. (انظر التصميم الخاص بالمنطقة التي تمت بها الاستبارات).

ذهب تيسو إلى اعتقاد أن البنيان شكل معسكراً، وكانت تربط تامودة Tamuda بمركز السويير المنيع. وبذلك فصلت السكان الخاضعين للإدارة الرومانية عن باقي سكان الريف.

مَوْضَعَ الباحث الاسپاني طراديل Tarradell كلا من دوگة وپكاتيانا Pecatiana بالبنيان، في حين ذكر تيسو قبله بأن لاشئ يساعد على ضبط موقع پكاتيانا. وخلص كركوپينو Carcopino بعد استحضاره لرأيي المولفين إلى قول بأن لاشئ يؤكد بأن البنيان كانت تعرف تحت اسم دوگة بدل پكاتيانا، وهو نفس الاستنتاج الذي انتهى إليه پونشيش Ponsich وقد اكتفى كركوپينو بقول إن دوگة وپكاتيانا من المراكز الدفاعية الموجودة شمال نهر اللكوس.

ومعلوم بأن بطليموس لايورد اسم دوگة ضمن جرده لمدن موريطانيا الطنجية. ويحدد پكاتيانا (وهي من خلال نسخة مولار پِّسيانا Pisciana بين خطي 9° و20' 34°.

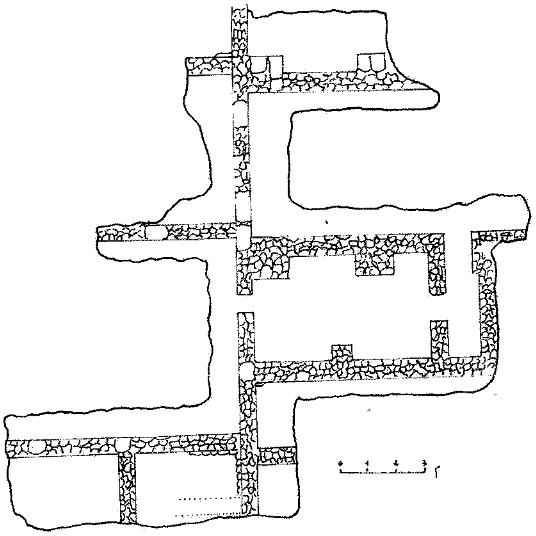

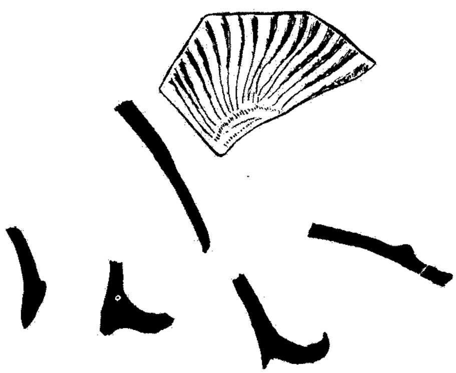

وفي حالة ما إذا استبعدها پكاتيانا وافترضنا بأن تيكات ودوگة تسميتان لنفس الموقع - كما اقترح ذلك بوزيني - فهل ينطبقان معاً على المعسكر المعروف تحت اسم البنيان ؟

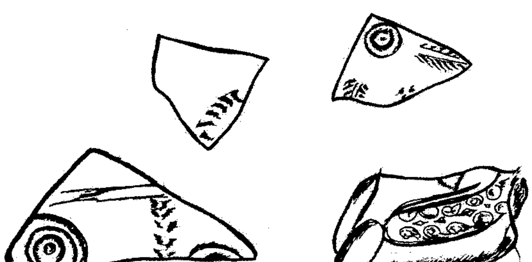

يتبين من خلال الحفريات التي أجراها طرّاديل بهذا الموقع بأن معسكر البنيان يعود إلى القرن الثالث الميلادي، وبأنه استمر مأهولاً طيلة القرن الرابع الميلادي. وقد اعتمد الباحث في تأريخه على قطع الفخار (انظر اللوحة) وشظية قنديل مسيحي من القرن الرابع الميلادي وعلى قطع نقود برونزية لأباطرة حكموا خلال الفترة الممتدة من نهاية القرن الثالث إلى نهاية القرن الرابع.

وعليه، فموقع البنيان يندرج ضمن سلسلة مراكز دفاعية أنشئت بقرار الأمبراطور الروماني ديوكليتيان.

Dioclétien (284 ـ 305 م) القاضي بتقليص امتداد الأمبراطورية الرومانية، وانسحاب إدارته بالنسبة لموريطانيا الطنجية شمال وادي اللكوس.

وتدفعنا هذه المعطيات إلى القول بأن آثار البنيان هي لموقع يتفق تاريخ بنائه مع منشآت العصر المتأخر الروماني، ومنها معسكر الگندوري القريب منه والمعاصر له كما يدل على ذلك تشابه موادهما. بمعنى آخر لم يكن لموقع البنيان وجود خلال القرن الثاني الميلادي الذي يوافق عصر الجغرافي بطليموس.

وعلى كل لا تساعدنا المصادر المتداولة حالياً في فك إشكالية تيكات، دوگة والبنيان، واعتبرنا بأن تسمية دوگة السابقة هي تيكات. فتاريخ هذا الموقع الأخير لاينطبق مع آثار البنيان.

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc, Maurétanie Tingitane*, *A. M.* I, 1904, pp. 301 - 365 ; J. Carcopino, *Le Maroc Antique*, Paris, 1947 ; M. Ponsich, *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; M. Tarradell, *El Benian, Castellum Romano entre Tetuan y Tanger*, *Tamuda* I, 1953, pp. 302 - 309 ; Tissot, *Géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, IX, 1878.

البيضاوية بلكامل

**تيگذّيت**، إحدى الفرق الهامة المكونة لقبيلة بقوية، سواءً بالنَظر إلى عدد مداشرها البالغ خمسة عشر مدشراً، إلى جانب أزغار وإزمورن، أو بالنسبة لمساحتها. فمجالها الطبيعي المشرف على ساحل البحر المتوسط يمثل القسم الأوسط من القبيلة، ابتداء من ساحل الأجراف المتوسطي (173 ـ 247 م) إلى الجزء الجبلي المتصل به (جبل مولاي رشيد، جبل بويا أحمد، جبل تغْزا). وتنتهي الفرقة جنوبا بقسم سهلي يشرف عليه جبل النّاظور بعلو 547 م.

تنتمي الفرقة في الوقت الراهن إلى دائرة بني بوعياش، جماعة الرواضي، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة آلاف وثمانمائة نسمة، حسب إحصاء 1982. ويظهر بالفرقة تجمعان :

ـ شمالي : تتوزع مداشره بالقسم الجبلي، حول مدشر أدوز، مقر الزاوية الأدوزية الحسونية ( *المعلمة*، 1 : 286). فإلى جانبه تظهر المداشر : أيت حَرشن وأيت بُيْدير والمرابط وإخَنْتُورَنْ.

ـ وجنوبي : يلتف حول تجمع الرَّواضي، المحتضن لسوق الأحد. ظهرت أهميته خلال القرن الرابع عشر (19 م). ونجد في غرب الرّواضي المحتضن لسوق الأحد. تغْزا وتيزي علي وتگراگرا الحصن القديم، وبوغَمْبُوبْ وَتُونيل. أما جنوب الرواضي فتستقر به مداشر : تيگديت الذي استعير منه اسم الفرقة، وتُذكُونْت وتَجُوط وإسْروتَن. ويشكل هذا القسم الحدود مع قبيلة بني يطوفت بمقابلته لمدشري العرص والعماير.

نعرف من أبناء الفرقة فقهاء ورجال تصوف ريفيين نشأوا بقرية أدوز، قيدومهم الحاج حسون الأدوزي البقوبي، المتوفى أواخر القرن السادس (12 م). ونشأ بقرية تذكونت الواقعة بالقرب من منبع إغزار كركر على الطريق الذاهب من بادس إلى سوق حد الرواضي في الشمال، الحاج علي التذكونتي، المعاصر للحاج حسون الأدوزي. أسس بها مسجده المشهور باسمه. ومن رجال الفرقة كذلك عمران أمصول التغزي، من أحياء النصف الثاني من القرن السابع (13 م) ( *المعلمة*، 3 : 780).

البادسي، *المقصد*، 91 ـ 92 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف*، 1 : 246 ـ 251 ؛ ع. الطيبي، *المجتمع الريفي*، 1 : 166 ـ 168 ؛ *معلمة المغرب*، 1 ؛ *خريطة طبوغرافية* 1921 و1935.

A. Ghirelli, *Monografia de la Cabila de Bokoia*, Madrid, 1955 ; R. Doroso, *Estudio geografico-politico militar*, Madrid 1913.

عبد الرحمن الطيبي

**تيگري**، (شط ـ) منخفض مغلق مستطيل الشكل يمتد بإقليم فگيگ في القسم الجنوبي الشرقي من الهضاب العليا الشرقية المغربية، ويبلغ طوله حوالي ستين كلم بين التخوم المغربية الجزائرية شرقاً والطريق الرئيسية رقم 19 غرباً، وعرضه حوالي ثلاثين كلم. وتعد هذه المنطقة ذات كثافة سكانية ضعيفة جداً إذ تتجول فيها وحولها قبائل بني وكيل المعروفة بنشاطها الرعوي عبر غطاءات نباتية تضم الحلفاء والشيح أساسا في هذا الوسط القاري ذي القحولة الواضحة، وتعتبر ضمنها مراعي شط تيگري هزيلة بسبب ملوحة التربة والنبات.

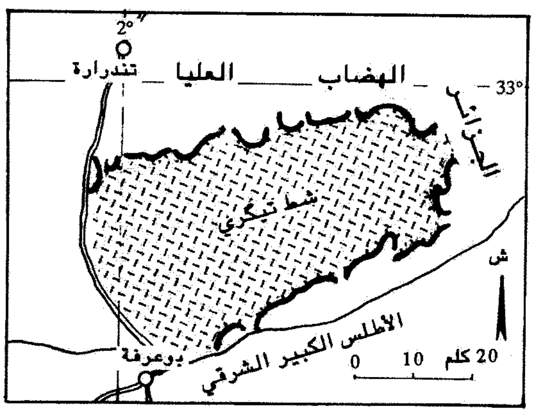


ينحصر شط تيگري بين مرتفعات تندرارة في الشمال الغربي وتجاعيد الأطلس الكبير الشرقي في الجنوب والأطلس الصحراوي في الجنوب الشرقي. وتكمن أهميته في خاصياته الجيولوجية والجيومرفلوجية ؛ ويتكون مثل سائر المنخفضات المائية الريحية من مجموعة من الضايات الموسمية الضحلة ذات القعر المنبسط، تنتشر فيها المواد الدقيقة من رمال وطمي وصلصال وأملاح مرتبطة بالتصريف الداخلي وشدة التبخر.

وتشرف على هذه القعور أجراف وآكام (گور ـ گارة) يؤرخ تباين مكوناتها ومستوياتها لمراحل التطور الجيومرفلوجي الذي عرفه هذا المنخفض المغلق منذ الزمن الجيولوجي الثالث. فالتكوين الجيولوجي مرتبط بالعصر الكريتاسي الأعلى (مستويات رسوبية من الحث والرمل والصلصال والكلس والرصيص) وبنهاية عصر النيوجين

(طفل وصخور بركانية). أما التطور الجيومرفلوجي فيرتبط بالإزالة بواسطة المياه والرياح فوق حدود يتكون أساسه من طبقات ضعيفة التماسك وقليلة الميل نحو الشمال ويمتد في قدم السفح الشمالي لجبل الكلخ (الأطلس الكبير الشرقي)، ويؤكد هذا وجود المواد والكثبان الرملية القديمة والحديثة والحالية المنتشرة في مختلف أجزاء الشط. ويحتوي الأساس الجيولوجي لشط تيگري على سديمة مائية مهمة قد تستغل قريبا في تزويد مدينة بوعرفة بالماء الشروب.

E.F. Gautier, *Le Chott Tigri*, *Annales de Géographie*, Paris, 25ème année, n° 135 et n° 136, pp. 181 - 189 et 291 - 302, 1916 ; R. du Dresnay, *Carte géologique du Haut-Atlas Oriental au 1/200.000, feuilles topographiques de Bouarfa, Ich, Talzaza et Figuig, Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, n° 158, 1964 ; R. Medioni, *Contribution à l'étude géologique des Hauts-Plateaux méridionaux marocains, Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, Tome 19, n° 149, pp. 7 - 53, 1960; *Le Chott Tigri, Hauts-Plateaux du Maroc Oriental, stratigraphie, tectonique et évolution morphologique à la lumière d'observations nouvelles, Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, Tome 10, n° 225, pp. 11 - 20, 1970 ; Ph. Russo, *Recherches géologiques sur le territoire des Hauts-Plateaux Maroc Oriental, A. Univ. Lyon*, nouv. sér., fasc. 46, 195 p., 1926 ; B. Tag, *Des mutations agro-pastorales à l'urbanisation dans le Maroc Oriental*, thèse de Doct. Let. Sc. Hum., Univ. Toulouse, 2 T, 698 p., 1987.

عبد الرحمان الحرادجي

**تيگريگرة** أو تگرگرة (سهل .) يمثل حوض اتصال بين الأطلس المتوسط الهضبي الغربي وشمال شرق الهضبة الوسطى العليا، مما يجعل المنطقة تحظى بطبيعة خلابة المشاهد ومتكاملة الموارد طبعت الحياة الاقتصادية والاجتماعية بشكل متميز، مما يجعل منها أرض عبور على مر العصور، وذلك عبر طريقين يربطان فاس بمراكش ومكناس بالرشيدية ويلتقيان عند مدينة أزرو التي تعدّ أهم مركز حضري محلياً.

يمتد هذا السهل على قدم هضبة أزرو الكلسية التي يتراوح ارتفاعاتها بين 1500 م و2000 م تغطيها تدفقات بركانية من البزالت الأسود ؛ وتشرف الهضبة على تيگريگرة بواسطة حادث طبغرافي متقطع يضفي على المنطقة طابعاً جبلياً بارزاً. يبدأ السهل من منطقة أگماس شرقاً (1400 م) وينتهي غرباً عند أمغاس (1000 م)، وتتخلله هنا وهناك تلال متوسطة الارتفاع. تغطي السهل تربات غنية مكوّنة أساساً من التيرس الأسود والدّهس، كما يزخر بموارد مائية وافرة تتمثل في عيون شاعت شهرتها، ونذكر منها على الخصوص عيون بن صميم ورأس الما وتيط احْسن وأغبال. فخضرتها الباهية ومياهها العذبة جعلت منها أماكن فسيحة للفلاحة والاستجمام وتربية أسماك ممتازة من نوع التروتة.

تغذّي هذه العيون واد تيگريگرة الذي يحمل اسم واد ابن صميم في الأعالي وواد بهت (أحد روافد سبو) في اتجاهه نحو الغرب. ويشكل هذا المجرى أهم مصدر مائي في السهل بصبيب يتراوح بين 400 و3000 ل / د، إلا أن الامتداد المتزايد للزراعة الشجرية المسقية وكذا التقلبات المناخية الأخيرة جعلت مياه واد گير كافية لتغطية

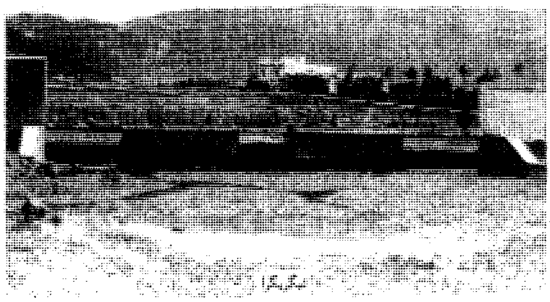

الحاجيات المائية المتضخمة للفلاحة. فبدأ التهافت على مياه الفرشة الباطنية يتزايد، الأمر الذي جعلها تتعرّض لضخ آلي مكثف وغير مراقب، هذا في الوقت الذي عانت فيه المنطقة كسائر المناطق المغربية من وطأة جفاف كبير أصبح يشكل معطاة أساسية مميّزة لمناخ المغرب.

تخضع المنطقة في الفترات المناخية العارية لمناخ متوسطي جبلي يتميز برطوبة الشتاء وبرودته، حيث يتعدى متوسط الحرارة 7°، غير أن فترات البرد القارس متعدّدة، فتنزل إذ ذاك الحرارة إلى 10° وحتى 15° تحت الصفر. ويصل الحجم السنوي للتساقطات إلى 700 - 800 ملم، على أن الثلوج تسقط مع اشتداد البرد مرتين أو ثلاثاً في السنة. كما يتميّز فصل الصيف بارتفاع الحرارة التي قد يفوق أقصاها 40°، مع هبوب رياح الشرقي الساخنة، فيعمّ الجفاف خلال هذه الفترة، اللهم إذا استثنينا بعض العواصف الرعدية التي تسقط على شكل أمطار عنيفة وبَرَد فتبلل الحقول وتفلس المحاصيل الشجيرية، ولذا يقاومها كبار المزارعين بآلات متطورة.

شكل حوض تيگريگرة في بداية القرن العشرين ممراً تسلكه الأسر والقطعان المتنقلة في صعودها نحو الجبل أو هبوطها إلى الأزغار. لقد استطاعت قبائل إركلاون وأيت عرفة وأيت عبدي المنتمية إلى بني مگيلد البرابر، بعد قدومها من منطقة ملوية العليا، أن تغزو في منتصف القرن الثالث عشر (19 م) هذه المنطقة، طاردت بذلك قبائل گروان نحو ضواحي مدينة مكناس حتى إن تسمية السهل جاءت حسب الرواية الشفوية انطلاقاً من الطرد العنيف الذي لحق قبائل گروان "يْرَانْ أيْرَا" وهي تعني بالأمازيغية "ارموهم رمياً".

لقد فرضت الظروف الطبيعية على القبائل الغازية تكييف نمط عيشهم مع بيئة هذا الوسط الجديد، فأصبحت تنقلاتهم تخضع لحركات عمودية بين قمم المرتفعات الغابوية الرعوية والمنخفضات التي كانت تستغلّ في زراعة الحبوب والرعي في المسارح. كثيراً ما كان يبدأ الصعود في أواخر أبريل بعد إنهاء الأشغال الزراعية من حرث وزرع، وفي يوليوز يعود الرجال لجمع المحاصيل التي يحتفظ بها في بيوت مشيدة بالطين (الركز) ومغطاة بسطوح أفقية من

الشيست (آسگيي) تدعى "إغرم" (أي الخزين). أما العودة في اتجاه أزغار فتبدأ تدريجيا في أوائل الخريف، حيث تنزل القطعان المكوّنة أساساً من الأغنام بمعية الأسر والبغال والحمير المحمّلة بالأمتعة والخيام التي تنصب فوق الأراضي الزراعية بمجرّد الوصول إلى إغرم : إغرم أقديم بأزرو، إغرم أيت يحيى وعلا، إغرم حشارة، إغرم أيت بن عتّو. إلاّ أن أسس نظام هذا النوع من نصف الترحال قد تعرّضت إلى تغييرات منذ دخول الاستعمار الفرنسي.

وبعد أن أقام الاستعمار مراكز إدارية للتسيير والمراقبة بأزرو وعين اللوح سنة 1914 بدأ الأوربيون يستوطنون بالمنطقة ويتهافتون على شراء الأراضي الفلاحية من الأهالي، حتى إنهم سيطروا منذ بداية الحماية إلى الخمسينات على ما يقرب من 6000 هـ في هذا السهل الصغير معظمها (3260 هـ) كانت مستغلة بصفة بورية بزراعات سنوية تسويقية من قمح طري وصلب وزراعات علفية قصد القيام بتربية الماشية داخل الاصطبلات. أما باقي الأراضي (380 هـ) فكانت تمارس فيها زراعات متخصّصة من أشجار التفاح والخوخ والإجاص والكرز، تعتمد زراعتها علي الري وعلى أساليب وتقنيات متطورة، مع انفتاحها على السوق لتلبية حاجياتها وتصريف منتجاتها.

أدخل قطاع فلاحة المعمرين علاقات إنتاج جديدة تعتمد على التأجير، واستطاع بذلك فسخ البنيات الإنتاجية المحلية، حيث بدأت التنقلات الفصلية للقبائل تتراجع وأصبح الاستقرار ينتشر في صفوف نصف الرحل وفي ظروف عيش متدهورة صار النشاط الرعوي الفصلي محاصراً ليس فقط بسبب التملك واستحواذ المعمرين على آلاف الهكتارات في الأراضي الزراعية والرعوية بالسهل، ولكن كذلك بسبب حرمان القبائل الرعوية من استغلال الغابة التي تبلغ مساحتها 22000 هـ في جماعة إركلاون فقط والتي تمّ ضمها إلي ملكية الدولة. وبدأت حركة الانتجاع تأخذ مكان التنقلات نصف الترحالية، خاصة عند فئة المربين المتوسطين والكبار الذين يقدرون على تحمّل التكاليف التي تستلزمها الظروف الجديدة لتربية الماشية كبناء الاصطبلات وتوفير المواد العلفية والتطبيب وأجور الرعاة.

على العكس من ذلك، سجلت الزراعة منذ بداية الاستقلال توسعاً متواصلا يرجع أصله جزئياً إلي تعاطي فئات حضرية واسعة للزراعة غير المباشرة. فانتقلت مساحتها من 7.500 هـ إلى أزيد من 22.800 هـ. كما أن استعمال الري واتخاذ أسلوب إنتاجي عصري أدخلا تغييرات على المشاهد الريفية التي أصبحت توحي بالتطور والرخاء نظراً لجمال البساتين. وتغطي المساحة الشجرية في بداية التسعينات ما يقرب 2.220 هـ في الوقت الذي كانت لاتصل فيه إلى 400 هـ في نهاية عهد الحماية، ذلك أن سهل تيگريگرة يعد الآن من أكبر المناطق المغربية المنتجة لفواكه التفاح والإجاص والخوخ والكرز، وتبقى الزراعات الحولية مع ذلك سائدة في اتجاه الغرب، وتتكون من الحبوب والقطاني والخضر والزراعات العلفية.

لم تنحصر التحوّلات التي شهدها سهل تيگريگرة على الأنشطة الفلاحية، بل سجّل تحولات أخرى شملت السكن القروي الذي عرف تطوراً كبيراً جعله يميل إلى التفرق بسبب تفكك البنيات الاقتصادية والاجتماعية القديمة وتعاطي زراعة متخصصة تستلزم العناية والاهتمام طيلة السنة وأصبح ينتشر في مختلف أجزاء السهل ويبتعد عن الخلايا الأصلية وهي الحصون"الإغرمات"، كما أن نمط السّكن القديم الذي يعتمد علي تقنية "الركز" المستوردة من الأقاليم الجنوبية بدأ يتراجع بسبب إدخال نمط جديد للبناء يستعمل المواد المصنّعة، وبدأ يظهر بجلاء تفسّخ للوظائف المجالية داخل المنزل لصالح تخصّص البيوت.

*دراسة ميدانية.*

عائشة البلغيثي العلوي

**تيگـزيرين**، قرية بخمس أيت يوسف من قبيلة أيت أمْرْ الحاحية، اشتهرت برؤسائها التيگزيريين الذين سنعرف بمشاهيرهم. وتيگـزيرين جمع مؤنث لتيگـزيرْتْ التي يبدو أنه مأخوذة منا كلمَة (جزيرة) العربية، مُزّغَت بإبدال الجيم گافا وزيادة تاء التأنيث في الأول والأخير فحلت محل تاكامُومْت المندثرة في الشلحة المحلية. وسُميت قرية أيت أمر هذه بتيگزيرين لأنها محصورة بين واديين التقيا أسفلها ليكوّنا نهر أيت أمر الذي يصب قرب سوق الإثنين في المحيط الأطلسي كأنها جزر. لذلك اشتهرت القرية ببساتينها الغنية بأنواع الخضر وأشجار الفواكه كالموز والرمان اللذين تنتج منهما عرصات القائد المسماة "الدوملت" نوعا خاص يتميز بالجودة وحلاوة المذاق.

وقد شيد رؤساء تيگـزيرين أبنية رفيعة على الطريقة المخزنية المغربية، فيها أبراج تستعمل للمراقبة والدفاع أيام السيبة، خاصة وأنها على حدود قبيلة إداوتَنَانْ السائبة في عهود ما قبل الحماية. ولا تزال تلك الأبنية والأبراج قائمة إلى اليوم يستعملها ورثة الرؤساء التگزيريين. وقد ذكر المختار السوسي في *المعسول* (10 : 274 . 278) أن أول من وفد منهم على حاحة قادما من سوس هو جدهم الأعلى :

**الـتيگزيريني، أحمد** بن **سعيد** الذي ينتهي نسبه إلى الشريف سليمان بن الحسن دفين أبايْنُو قرب مدينة گلميم. كان قدومه إلى قرية تيگزيرين في أوائل القرن الثالث عشر (19 م)، حيث اشترى أملاكا وقام بغرسها بمختلف أنواع الأشجار، وأدار بها سياجا حجريا منيعا مازال قائما إلى الآن، ثم إنه لحسن سيرته وعلو همته وشدة اعتنائه بأمور الدين والعلم، زيادة على شرف نسبه، اختارته القبيلة شيخاً (أمغار) عليها في عهد القائد عبد الملك بن بيهي أ مُولود الحاحي (1190 . 1256 هـ) وقام بتسيير شؤون القبيلة خير قيام، مما جعل السكان يتمسكون

بأولاده رؤساء عليهم من بعده وأشهرهم :

**التيكزيريني، أحمد** بن **علي** بن أحمد بن سعيد. تولى بدوره مشيخة القبيلة في عهد القائد الكبير الحاج عبد الله أُوبيهي (ت. 1284 . 1867) وامتد نفوذ هذا الشيخ ليشمل أيت أمْرْ ومدينة أگادير، فهو مشهود له بالعلم والتقوى والصلاح وشرف النسب عند أهل عصره، كما جاء في إشهاد عدلي أورده المختار السوسي (*المعسول*، 10 : 278) ويبدو أنه اتُّهم بخيانة من دار المخزن فحاول أن يبرئ ذمته بهذا الإشهاد، خاصة إذا عرفنا أنه اعتقل في نهاية عهده بإذن من السلطان محمد بن عبد الرحمن عام 1280 / 1863 (م. السوسي، *رحلة من الحمراء إلى إيليغ*، مخطوط، ورقة 32).

**التيكزيريني، الحسن** بن أحمد بن علي. لما بويع الحسن الأول عام 1290 / 1873، توجهت جماعة من أعيان قبيلة حاحة بالبيعة والهدية على العادة، وفي ذلك الحين ولى عليهم السلطان ثلاثة قواد : القائد مبارك أنفلوس والقائد الحسن أُوتگزيرين (التيگزيريني) والقائد عبد الرحمن بوعشرة. (*إيقاظ السريرة*، 1 : 108). وبتقسيم قبائل حاحة على عدة قواد أُضرمت نار الحرب الأهلية التي قادها أولئك القواد المخزنيون أنفسهم رغبة في التوسع على حساب بعضهم البعض، مما أدى إلى انتصار القائد مبارك أنفلوس على القائد الحسن التيگزيريني فأجلاه وخرب داره بتيگزيرين، فذهبت الحكومة بالقائد الحسن التيگزيريني إلى ناحية مكناس حيث عينته قائداً على القصابي، لتنتفع به هناك (*المعسول*، 15 : 197). وقد خلف بحاحة أولاداً ساروا على نهج آبائهم في طلب العلا ومجد الرئاسة، هم : محمد وعمر وسعيد وعائدة التي تزوجها القائد المحجوب الگيلولي عام 1308 / 1890. وبنت أخرى تزوج بها بوناگة شيخ تانكرت.

**التيكزيريني، سعيد** بن الحسن بن أحمد. ظهر مع بداية عهد الحماية سنة 1330 / 1912 كشيخ على قبيلته أيت أمْرْ، فانتهز فرصة إلقاء القبض على القائد عبد الرحمن الگيلولي من طرف إدارة الحماية في نفس السنة، ليستبد بمداخيل محطات النزالات في الطريق التجارية الرابطة بين أگادير والصويرة عبر أيت أمر إداگيلُول. ولما امتدت سلطات الاحتلال جنوبا إلى أگادير خاف الشيخ سعيد التيگزيريني من الوقوع في يدها، فقدم الفقيه الحسن بن إبراهيم التامري الذي كان مشارطا في مسجد إيمي - وأسِّيف ليكون بينه وبين الحكومة، فصار الحسن أُبراهيم من كبار قواد الحكومة، ثم ارتقى باشا على مدينة أگادير، فبدأ القائد سعيد التيگزيريني يتقرب إليه (*خلال جزولة*، 1 : 39). وفي سنة 1343 / 1924 انتهز فرصة تطلع إدارة الحماية إلى إخضاع إداوتَنَان المتحصنين بجبالهم المنيعة، فساعدها على ذلك بكل ما في وسعه حتى استمال رؤساءهم وأعيانهم أمثال ابن اخته الشيخ الحسن بوناگة، فقدموا الطاعة بدون محاربة، ودفعوا ما بأيديهم من أسلحة عام 1346 / 1927. فعلا بذلك مثل الشيخ سعيد التيگزيريني لدى الحكومة الفرنسية، فأسندت إليه القيادة على قبيلته أيت أمر، ثم أُضيفت إليه إيالة القائد الحاج الحسن الگيلولي بعد وفاته عام 1351 / 1932. فاتخذ القائد سعيد التيگزيريني تامنار مقراً إدارياً لقيادته، فاتسع نفوذه وكثرت أمواله فاعتنى بالفلاحة والعمران في قصبته الأصلية التي تدعى الدُّومْلْت بقرية تيگزيرين، حتى أصبحت جنة فوق الأرض يضرب بها المثل على كل لسان. وقد ظل قائداً على كل قبائل حاحة الجنوبية إلى نهاية عهد الحماية، فعزل عن الحكم على أيدي جيش التحرير سنة 1375 / 1955، واستقر بالصويرة إلى أن توفي إثر مرض ألم به، يوم 9 محرم الحرام عام 1377 / 6 غشت 1957، عن عمر يناهز المائة سنة.

م. الصديقي، *إيقاظ السريرة لتاريخ السويرة*، 1 : 108 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 15 : 197، ج 10 : 274 . 278 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 39، 4 : 87 ؛ *تحريات ميدانية وتقاييد خاصة*.

محند أيت الحاج

**تيگسَاسْ**، قرية قديمة واقعة بقبيلة بني زيات ببلاد غمارة على شاطئ البحر المتوسط، تبعد عن مدينة تطوان بنحو سبعين كلم إلى الشرق منها. يروي الزياني من باب الأسطورة أن تأسيسها كان نتيجة حفر الخليج الموصل بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي بأمر من الإسكندر حتى لا يبقى للبربر أي منفذ للدخول إلى الأندلس (*الترجمانة الكبرى*، ص. 77)، ويروي أن سبب التسمية آت من قبل مؤسسها (تجساس الغماري) الذي كان أميراً عليها (المصدر نفسه). ولما وصلها الفتح الإسلامي أصبحت قاعدة لعمر بن إدريس الذي مدنها وبنى بها القلاع والحصون ومختلف مرافق الحياة، حتى جعلها تتحكم في منطقة الريف الغربي من سبتة غرباً إلى مدينة النكور شرقاً. وبقيت آهلة بسكانها، عامرة بمرافقها إلى حدود سنة 800 / 1398 حيث جلا عنها سكانها بسبب ما لحقهم من جور فارح بن مهدي عاملها من قبل المرينيين.

زارها محمد العربي الفاسي في القرن الحادي عشر (17 م) ووصفها بأنها "تقعَ في موضع كثير الحجارة والصخر في سفح جبل في غربيها، تحتها في شمالها جرف كثير الصخر عظيمه، على مكسر موج البحر، لها نهر نبّاع يجلب إليها منه جدول، ولها بسيط تركبه الجداول من كل جهة، فيسقي الزرع والكتان والثمار، فأهلها في أمن من القحط وهي مدينة قديمة العمران" (*مرآة*، ص. 165).

ويضيف أبو حامد الفاسي أن سورها كان ما يزال ماثلا عند زيارته لها. ووصفها موليراس Mouliéras بأنها "مدينة جميلة ومرسى بحري محاطة بالحدائق الغناء" (*Le Maroc inconnu*, T.2, p. 256).

سقطت مدينة تيگساس في أيدي الإسبان كغيرها من الثغور المغربية، فشيدوا فيها المعاقل الحربية وإدارة المراقبة حتى غدت من أحصن القواعد العسكرية في تلك الجهات، ولما داهمتهم قوات الأمير عبد الكريم الخطابي قصفوها بالطائرات والمدافع الحربية فدمروها مع كثير غيرها من القرى المجاورة لها، وقد امتدت إليها أخيراً يد الإصلاح فجهزت بالماء والكهرباء، وانتشر بها العمران فغدت مصطافاً جميلا يقصده السياح مغاربة وأجانب خصوصاً في فصل الاصطياف، وأصبحت الآن تعرف بقرية "سطيحات". زارتها في الخمسينات من هذا القرن بعثة أثرية بقصد التعرف على مآثرها فلم تأت بنتائج تذكر، لكن عندما شقت الطريق الرابطة بين تطوان والجبهة في الستينات من هذا القرن عثر فيها العمال على صومعة بكاملها مدفونة تحت الأنقاض مزينة جدرانها بقطع من المرمر الأخضر وعلى بقايا من الأدوات تعود إلى عصر قديم.

وكنت سمعت من شيخنا المرحوم التهامي الوزاني أنه عثر على كتاب لمؤرخ أجنبي أثبت فيه أنه كانت توجد في هذه المدينة جامعة تدرس فيها المرأة الغمارية الرياضيات إلى جانب أخيها الرجل، ويؤيد ما يشبه هذا الكاتب الفرنسي (موليبراس) في كتابه *المغرب المجهول*.

م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ص. 165، ط الحجرية بفاس ؛ أ. الزياني، *الترجمانة الكبرى*، ص. 77.

Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, T.2, p. 256.

عمر الجيدي

* * واسم تيگساس على الأرجح صيغة جمع أمازيغية تدل على تضاريس وقد تدل على جرح أو انكسار في معركة، وقد يكون معناها العالية (Chaker, *La langue*).

اشتهرت جهة تيگساس بنتاج خيل بني حميد التي كانت تصدر إلى الأندلس (البكري، *كتاب المسالك*، 2 : 78، تونس 1992). أما الإدريسي فقد ذكر أن تيگساس حصن وكتب اسمها بالقاف بدل الكاف، وجعل موقعها قرب مرسى أنزالن.

ومما ورد بشأن تيگساس أن حميد يسلي عاملها بعد احتلال بني أمية سبتة عام 334 / 931، قد عُهد إليه بتخريب تطوان. ويبدو أن تيگساس وهي بأرض بني زيات الغماريين كانت في صراع دائم مع جيرانها (البادسي، *المقصد الشريف*، ص. 111، الرباط، 1982).

وفي القرن السابع (13 م) عدَّ العمري تيگساس من كبريات مدن المغرب (*المسالك*، الترجمة، ص. 162، هامش 16 وص. 168 هامش 1).

ولم تلبث المحنة أن حلت بتيگساس حيث إن الثائر عثمان بن أبي العلاء قد استولى عليها قبل أن يزحف على القصر الكبير. وينسب المؤرخون خراب تيگساس لسوء تدبير شؤونها على يد عاملها الجبار من لدن المرينيين فارح ابن المهدي، فقد ترتب عن تعسفه هجرة السكان من المدينة إلى الجهات المجاورة ولا سيما عند بني زيات المحيطين بها في نهاية القرن الثامن (ابن خلدون، *العبر*، 2 : 146 - 354). وقد اندثرت مدينة تيگساس في نهاية القرن الثامن (14 م) وحلت محلها ترغة. ومع ذلك نجد الحسن الوزان يذكر تيگساس مدينة صغيرة مزدهرة وعامرة (*وصف افريقيا*، ص 225).

م. داود، *تاريخ تطوان*.

S. Chaker, *La langue berbère à travers l'onomastique médiévale Al Bakri, ROMM*, I, 135, 1983 ; Moulièras, *Le Maroc inconnu*, Paris, 1899 ; P. Cressier, *Première prospection d'archéologie médiévale et musulmane dans le Nord du Maroc, BAM*, T. IV, 1983.

حليمة فرحات

* * ورد ذكر تيگساس عند الجغرافيين العرب القدماء، فقد وصفها البكري بـ"مدينة تيقيساس" (ص. 108) والإدريسي بـ"حصن تيقساس" (ص. 110) وسماها ابن أبي زرع بـ"مدينة تيگساس" (ص. 51).

ويتعلق الأمر بالمدينة التي أطلق عليها الفينيقيون اسم Thigisitanus وسماها الرومان بـ Taenialouga، وبعد تخريب تيگساس في عهد المرينيين أمر أمير شفشاون مولاي علي ابن راشد سنة 877 / 1472 بإعادة بنائها وجعل منها قاعدة بحرية للجهاد. وفي عهد الحماية تمكن الجيش الإسباني من احتلالها يوم 19 أبريل 1921 غير أنه اضطر إلى مغادرتها يوم فاتح سبتمبر 1924.

وهناك نهر تايگساس الذي يعرف بوادي بوهيا عند منبعه بجبل أگرود بقبيلة بني سلمان الغمارية، ثم تنضاف إليه مياه الأنهار التالية : الشرفة وتامشيش وتاسيفت والأحد ؛ وعندئذ يتخذ النهر اسم وادي تيگساس لأنه يصب مياهه بالمرسى التي تحمل اسم مدينة تيگساس. وعند مصب النهر تقع مرسى تيگساس بشاطئ قبيلة بني بوزرة الغمارية (إقليم شفشاون) الموالي للبحر المتوسط، وتعرف هذه المرسى عند الإسبان بخليج أشجار الحور Suremada de los Alamos.

أ. البكري، *المغرب*، 108 ؛ ش. الادريسي، *نزهة المشتاق*، 110 ؛ البادسي، *المقصد*، 111 ؛ ع. بنبعد الله، *الموسوعة*، 110، 157.

*Comisión histórica*, 41 - 54 - 59 - 179 ; Martinez Campos, *España bélica*; Domenech [illegible] *Norte*, 39 - 49 ; Cabello, *Geog.*

**تيكني** (أيت ـ) بسيط أقا في سوس، إحدى التقسيمات الكبرى لقبيلة أيت أُمريبط. يمثل هذا البسيط شريطا يضم ما يقرب من ثلاثين قرية وواحة منفصلة بعضها عن بعض. يعد أگجگال أيت تيكني مع مدشري أگادير الهنا وأديس أكبر هذه القرى. ما يميز أيت تيكني عن باقي أيت امريبط أن مجالها يقع على الحدود الفعلية لتراب اتحادية تكنة (انظر مادة *تگجگالت* أيت تيكني، *معلمة*، 2089 - 2090).

ولاشك أن أول سؤال يتبادر إلى الذهن هو عن حقيقة العلاقة بين أيت تيكني وتكنة. هنا نسجل بأن جل الاحتمالات تجعل من أيت امريبط جزءاً من لمتونة القادمين

خلال حكم المرابطين من الصحراء ليستقروا حول تحصينات أسرير وتغاجيجت (انظر *أسرير ـ أيت إبراهيم ـ تغاجيجت بالمعلمة*). لقد قامت عملية اندماج أيت امريبط بالمنطقة على أنقاض التقسيمات القبلية الكبرى قبل القرن الثامن (14 م). وإذا كانت تسمية تكنة قد سعت إلى استحداث كتلة تحالفية تلغي أسماء التقسيمات الأقدم بباني الغربية ووادي نون والساقية الحمراء، فإن تقسيمات أيت امريبط حافظت من الأسماء على ما يجسم الحقائق التاريخية كأقا إزناكن (*المعسول*، 18 : 228).

إن ما يبدو مجسما للحقيقة التاريخية هو كون تنظيم التعايش لم يصل إلى حد الاندماج الكلي بين فصائل تكنة كامتداد محلي للغور اللمطي الجزولي الأقدم وأيت امريبط القادمين عليهم منذ القرن الخامس (11 م). فتكنة الذين ينتمون إلى لف إيكزولن يضفون على أيت امريبط صفة الانتماء إلى لف تاحكات. مثل هذا الحد الأدنى من الاستيعاب المجالي ظل من اختصاص الأعراف والقيادات المحلية مما أعطى لتحالف أيت أُمريبط وأيت حربيل حق تنظيم العلاقات بينهما (*المعسول*، 9 : 117). ونسجل من جهة أخرى أن احتفاظ أيت امريبط بالانتماء إلى أبي بكر بن عمر اللمتوني يجعل منها ذاكرة مليئة بالإشارات إلى باقي التجزئات القبلية المحملة بنفس الاعتقاد على امتداد التراب الموريتاني الحالي.

يمكن أن نتساءل ماهو دور أيت امريبط في تطوير الأحداث التي تسببت في انهيار تامدولت وتعويضها خلال القرن السابع (13 م) بأقا؟ نسجل هنا بأن مراقبة أيت امريبط لبسيط أقا يعد في حد ذاته مؤشرا على قدرتها الفعلية على التحكم في المجال. بل كثيراً ما تكشف الإشارات التاريخية عن عدم اكتفائها بالمعاينة الميدانية وصدها للهجومات اللمطية الجزولية (V. Monteil, *Gens*, 393). كانت تاكونيت القريبة من أقا تمثل مركزاً تجارياً لتبادل السلع يكمل حركية ورواج البسيط، وكانت الهياكل التجارية تندمج بشبكة القوافل العابرة للصحراء مما يفترض التنظيم المستمر لأحوال السوق ونظام التحالفات (V. Monteil, *Les Tekna*, 20). وسوف يلعب محمد بن إبراهيم الشيخ قطب تامنارت خلال القرن العاشر (16 م) دوراً أساسياً في هذا المضمار (*المعسول*، 7 : 10). فقد اجتمعت واجهة أيت امريبط على يديه لترسخ علاقاتها بجيرانها التكنيين. وهو ما حد لزمن من الصراعات وزكى مفهوم الارتباطات الميدانية التي لاتتسم دائماً بنفس الصيغة التوفيقية.

أنظر مادة *تكجكالت أيت تيكني بالمعلمة.*

V. Monteil, *Notes sur les Tekna* ; *Gens et choses du Bani, Hesp.*

مصطفى ناعمي

**تيكُودرين**، عبارة عن تل منعزل قرب مركز بُولْغْمَانْ، إلى الجنوب الغربي من مدينة تيزنيت. وهو من المزارات المشهورة التي يرتادها سكان أيت برايبم. توجد به آثار قديمة، مما يوحي بكونه قد استعمل كحصن طبيعي للتخزين، وفي مراقبة الطريق التجارية الآتية من أيت باعمران عبر ممر تيزي نحو تيزنيت. ونظراً لمناعته الطبوغرافية، استعمل كملجأ يتحصن فيه سكان دواوير بونعمان، وذلك في خضم الاحتواء الذي تمارسه القبائل المجاورة (الاخصاص، أولاد جرار، تيزنيت...) لمجال قبيلة أيت برايبم.

*شهادات محلية.*

أحمد بومزكو

**تيكيلاتْ** أو تكلاَّت أو تجلات، موقع في جهة نفيس بضاحية مراكش، والكلمة أمازيغية جاءت فيما يبدو من : أكَّلْ بمعنى البحيرة، ومنها تكَّلاَّتن وهي : مجموعة بحيرات (أكوكن)، وكذلك تكُلاَّتن، وتطلق أيضاً على اللفت الأبيض. ومنه في اللسان العربي الدارج الكَلْتَة أي بركة الماء.

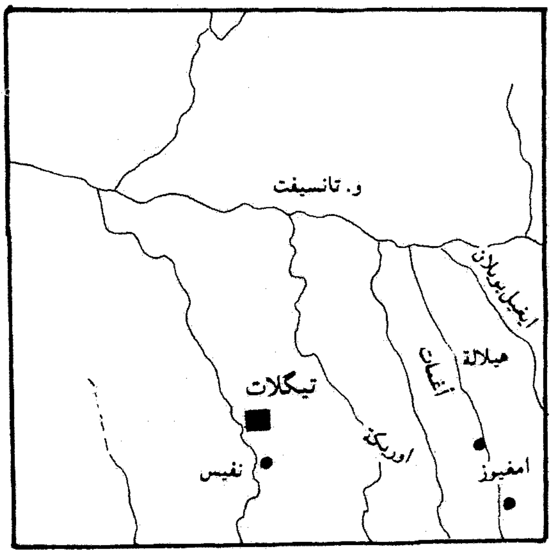


فالكلمة لها علاقة مباشرة بالماء. وهو عامل طبيعي، كانت جهة نفيس تتوفر على كميات هامة منه، الشيء الذي ساهم في شهرتها الفلاحية خاصة مردودية الإنتاج وجودته، وتنوع الغلة. كما أشارت إلى ذلك كتب الجغرافيين والرحالين المسلمين كالبكري والشريف الإدريسي. وإذا كان الموقع الجغرافي لتيكيلات يوجد في منطقة نفيس، فإني لم أقف على ما ينير السبيل إلى تحديد موقعه بشكل دقيق. وقد أشار إليه ابن تيكيلات أثناء استعراضه لإحدى كرامات شيخ الطائفة الأغماتية أبي عبد الله الهزميري (ابن تيكيلات، *إثمد العينين*، 1 : 205).

ولعله الأصل الجغرافي لعدد من مريدي وأتباع طائفة الأغماتيين كابن تيكيلات صاحب كتاب *إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين الهزميريين*...، وابن تيكيلات أبي عبد الله الشيخ الصوفي نزيل الجانب الشرقي من مراكش خلال النصف الثاني من القرن السابع (13 م).

ومن غير المستبعد أن تيگيلات كانت تدخل في نطاق المجال الجغرافي الذي تميز بإشعاع ملحوظ للطائفة الأغماتية خاصة في زمن مشيخة أبي عبد الله الهزميري.

أ. البكري، *المغرب*، ط. الجزائر، 1857 ؛ الشريف الادريسي، *نزهة المشتاق*، ط. الجزائر، 1857 ؛ أبو عبد الله ابن تيگيلات، *إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الاخوين*، د.د.ع. التاريخ، تح. م. رابطة الدين، كلية الآداب ـ الرباط 1986.

**ابن تيگيلات**، مؤلف كتاب *إثمد العينين*، ويكتب في المصادر القديمة بالجيم وبدون مد، لم نعثر له على ترجمة خاصة في كتب الطبقات والتراجم القديمة التي عرفت بأعلام من عاصروه أو سبقوه أو جاؤوا بعده، وإنما يرد اسمه عرضاً أثناء حديث المترجمين عن أبي عبد الله وأخيه أبي زيد الهزميريين. لا باعتباره مصدر ترجمتهما وإنما لكون مؤلفه خاصاً بهما. فابن قنفذ الذي يحتمل أن يكون قد عاصر صاحب *إثمد العينين* لم يتحدث عنه وإنما أشار إلى أنه فقيه مقرئ من مراكش وله تأليف في مناقب شيخي الطائفة الغماتية. بينما لم يشر إليه ابن مرزوق في *المسند* رغم تلميحه إلى الشيخين معا. ونقل أحمد بَابَ السوداني ما جاء في *أنس الفقير* مع اختلاف طفيف في العبارة. والكتاني في *سلوة الأنفاس* حافظ هو الآخر على النص دون إضافة.

أما الكتابات الحديثة فتأتي في طليعتها على مستوى حجم المعلومات ونوعها، كتاب *الإعلام* لابن إبراهيم المراكشي الذي خصص لابن تيگيلات ترجمة محدودة، من خلال تقديمه لبعض المصادر التي أشارت إلى أخباره. وتضمنت تحديد الاسم. وبعض الشيوخ الذين أخذ عنهم، وتأليفه لكتاب *إثمد العينين*. وعكس ما قام به ابن إبراهيم، فإن ابن الموقت في *السعادة الأبدية* تجاهل ابن تيگيلات، رغم إشارته لإثمد العينين في كتابه أكثر من مرة. أما ابن سودة في *دليل مؤرخ المغرب* فاكتفى بتقديم ملاحظتين : أولاهما تفيد وجود ابن تجلات في عشرينيات القرن الثامن (14 م). وثانيتهما تتعلق باستقراره في مراكش، لكن دون إشارة لمصادره في ذلك. وقد أدرجه ليڤي برفنسال في كتابه *مؤرخو الشرفاء* بشكل سريع ومختصر دون إضافة أي جديد.

أما *إثمد العينين* فلم يقدم معلومات شافية حول مؤلفه. وإنما وردت من خلال النص بشكل عرضي عناصر من شأنها أن تسهم في إغناء المعرفة حوله مثل كشفه عن بعض الشيوخ الذين أخذ عنهم والمهنة التي أشتغل بها، وتلميحات قد تعكس حالته المادية ثم الإطار الاجتماعي الذي تعامل معه.

فمن هو ابن تيگيلات ؟ هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن تيگيلات الأغماتي المراكشي. لم نتمكن من تحديد تاريخ ولادته ووفاته. وقد سبقت الإشارة إلى أنه كان حياً بعد العشرين وسبعمائة / 1320م، وربما استنتج ابن سودة ذلك من كون ابن تيگيلات كان معاصراً لأبي العباس بن البناء (ت. 721). على أن بعض الإشارات التي أمكن تجميعها من *إثمد العينين* تفيد أن الرجل كان على قيد الحياة في فترة حكم السلطان أبي الحسن المريني (731 ـ 753). ودليل ذلك معاصرته لكاتبين من كتاب هذا السلطان هما : محمد بن محمد بن أبي طلاق المراكشي، وأخوه أبو القاسم بن أبي طلاق.

فمعاصرته للأول تؤكدها روايته المباشرة عنه حيث يقول : "وحدثني الشيخ الأجل الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي طلاق" (*إثمد*، ص. 187). أما الثاني فتعليق لابن تيگيلات على رواية مرتبطة به، ويقول عنه "وهو الآن من كتاب الخلافة العلية" (*إثمد*، ص. 243).

ويبدو أن أصل المترجم من منطقة تيگيلات، الواقعة جهة نفيس بدليل انتسابه إليها، إلا أنه عاش بمراكش، وبها تلقى تكوينه، وامتهن التعليم وتأديب الأطفال. وهذا الإطار الجغرافي الضيق كان يمثل خلال النصف الأخير من القرن السابع وبداية الثامن مركز ثقل الطائفة الأغماتية، وفي نفس الوقت نقطة إشعاع ثقافي بالحوز. تعكس ذلك على سبيل المثال ثقافة ابن البناء، ودروس البقوري وتنقلات طلبة العلم بين مراكش وأغمات لأغراض التحصيل.

وقد كان لخصوصيات هذا المجال أثرها في تشبع ابن تيگيلات بما كان يروج من معطيات تراثية أو معاصرة له في التصوف وبالتالي استهلاكه لما كان عاماً في ثقافة الوقت من علوم الدين والأدب ومستلزماته.

فمن خلال قراءة *إثمد العينين* يتضح أن المؤلف يتوفر على تكوين ثقافي متوسط في اللغة التي كتب بها إذ تسمح لنا بأن نستنتج أن ابن تيگيلات كان متمرساً باللغة العربية وعلومها. كما يبرز نفس التكوين حضور علوم كانت تعرف إقبالاً ملحوظاً من طرف مثقفي الوقت. فإلى جانب القرآن والحديث كان التصوف والأدب. ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم : أبو عمرو ميمون المدعو بعياد والملياني، وأبو درهم.

ويبدو أن ابن تيگيلات تربى في إطار جغرافي عرف وجود تقاليد للسلوك الصوفي، قريب من نفيس الذي كان يَختزن تراكماً لتراث صوفي سابق، يضاف إلى ذلك تردده عليها في سياحاته (*إثمد*، ص. 202). ومن العناصر المشجعة على ذلك وجود ممارسات صوفية داخل العائلة يغلب عليها التوجه الأغماتي، وتعكس ذلك أهمية وزن ابن تيگيلات الشيخ صاحب الرسالة مع أبي عبد الله عند الأغماتيين، وزيارة والد المؤلف لأبي زيد الهزميري وبمعيته الكاتب وهو "شاب حدث" ( *الإثمد*، ص. 222).

وبناء على هذه المعطيات الاجتماعية والتكوينية المتميزة بالخصوصيات الدينية والثقافية السابقة، يمكن استنتاج دوافع تبنِّي المؤلف للمسلك الأغماتي. فانتماؤه للطائفة واضح، ومن دلائله : *الإثمد* نفسه باعتباره خطاباً

للدعوة والتوجيه، وورود صيغ النسب الطائفي إلى الشيخ أبي عبد الله مثل "قال شيخنا" ( *الإثمد*، 330) ؛ والتعظيم المبالغ فيه للشيخين والطريقة.

أما الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه ابن تيكيلات فيبدو أنه كان متواضعاً، بدليل أنه كان متزوجاً وله عشرة من الأولاد ويسكن في غرفة ضمن دار مشتركة ؛ وهو يحكي عن حاله قائلا : "فمرضت مرضاً شديداً وأخرجت من البيت إلى فناء الدار وكان ذلك زمن القيظ، فرأيت ناراً قد علت وهي تخرج من غرفة توالي غرفتنا ( *الإثمد*، ص. 408) .

بعد هذا نتساءل عن البيئة الاجتماعية التي تعامل معها ابن تيكيلات. تسمح قراءة *الإثمد* بأن نستنتج أن العناصر التي تعامل معها المؤلف تعكس بيئات اجتماعية وثقافية متباينة على مستويين كبيرين هما :

- مستوى البادية : حيث لانجد في *الإثمد* معطيات تفيد استقرار ابن تيكيلات بالبادية في فترة نضجه، إلا أن كتابته لمؤلفه من الممكن أن تفرض عليه الذهاب إليها قصد جمع الأخبار، خاصة وأن بعض رواياته تفيد تنقله من أجل هذا الغرض. وباعتبار أن مجال نشاط أبي عبد الله وتحركه تركز أساساً على البادية، وفي هذا الاطار تعكس أسماء المخبرين الانتساب القبلي أكثر مما تحمل من دلالات اقتصادية واجتماعية لهم مثل : اللمطي والدغوغي والغماري والصنهاجي. والخلاصة التي يمكن الوصول إليها في هذا المستوى هي أن الرجل كان له انفتاح على المجال القروي بما يضمه من تكوينات اجتماعية خاصة به. إلا أنه يظهر بشكل أقل من المدينة، وربما يمكن تفسير ذلك بأن البادية بالنسبة له وسيلة فقط لجمع المعلومات على أساس أنها أصل الطائفة بينما المدينة هي المجال المستهدف للتحرك.

- ومستوى المدينة : يبدو أن ابن تيكيلات عاش معظم أيامه بمراكش. وهذا ما مكنه من جمع معلومات وفيرة خاصة عن أبي زيد الهزميري باعتبار أن هذا الأخير كان كثير الزيارة لها. وإذا اعتبرنا أن الرجل كان تابعاً للطائفة، وكتابه موضوع للدعوة والتوجيه، فإن هذه العناصر تفرض عليه الانفتاح على مختلف فئات المجتمع المحيط به. تتضح بعض ملامح ذلك في الملاحظات التالية :

- الانفتاح على وسط شعبي يمثله المؤدبون والحرفيون.
- الانفتاح على وسط المثقفين ويمثله العلماء كابن البناء والفقهاء كالبقوري.
- الانفتاح على وسط رجال الدولة، ويمثله أبو عبد الله ابن أبي طلاق وأخوه أبو القاسم.

والخلاصة التي يمكن الخروج بها هي أن ابن تيكيـ .ت تحرك في إطار اجتماعي حضري متنوع العناصر. ومن هنا نتساءل ما هي حدود إشعاعه في هذا المجال ؟ وأهمية السؤال نابعة من ظرفية التأليف ومن كون الرجل كما يبدو لم يكن يعيش في عزلة عن محيطه. وصعوبة الجواب راجعة إلى عدم تمكننا من الجزم بكونه اتخذ تلاميذ تكونوا على يديه في نطاق التصوف، وهل كان له تأثير في توجيه طائفته ؛ علما بأنه من خلال *الإثمد* تظهر إشارات يمكن أن تعكس مواقف تَحَفُّظ ابن تيكيلات من ممارسة السلوك الصوفي من طرف بعض المريدين، ثم إمكانية الشعور بتراجع للنشاط الصوفي نفسه داخل الطائفة الأغماتية على عهده.


ى. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق. البيضاء، 1984 ؛ أبو عبد الله ابن تيكيلات، *إثمد العينين*، تح. م. رابطة الدين، رسالة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، 85 / 1986 ؛ أ. ابن قنفد، *أنس الفقير*، نشر محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1965 ؛ م. ابن مرزوق التلمساني، *المسند الصحيح الحسن*، نشر ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر 1981 ؛ أ. بَابَ السوداني، *نيل الابتهاج*، مصر، 1351 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، ج : 8، الرباط، 1977 ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الايدية*، طبعة فاسية، 1936 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب*، ط. ثانية، البيضاء، 1960 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط 1979.

E. Lévi-Provençal, *Les Historiens des Chorfa*, Paris, 1922 ; G. Deverdun, *Marrakech, des origines à 1912*, T. 1, Rabat. 1959


ابن **تيكيلات**، أبو عبد الله المتصوف غير مؤلف كتاب *إثمد العينين* ورد ذكره في الباب التاسع عشر من هذا الكتاب (ص. 263) بمناسبة رسالة بعث بها إليه الشيخ أبو عبد الله الهزميري بواسطة أبي الحسن علي القصداري.

وما هو مثير للانتباه في هذه الرواية هو تطابق اسم مؤلف *الإثمد* مع اسم المرسل إليه وليس إياه قطعاً، بدليل أن الصياغة التي جاء بها النص تجعل المؤلف مخاطبا جاهلا بأحداث شارك في صنعها لو كان هو صاحب الرسالة، وهو أمر مخالف لما جرت عليه طبيعة الأشياء. وأن المخبر، وهو المبعوث في نفس الوقت، ينعت المرسل إليه بالشيخ علماً بأن المؤلف يشير إلى أنه زار الشيخ أبا زيد الهزميري وهو "شاب حدث". وأبو زيد أصغر سنا من أبي عبد الله، الشيء الذي يستحيل معه أن يكون ابن تيكيلات المؤلف شيخا في مستوى أبي عبد الله، سواء من جانب السن، أو درجة التصوف، بل أكثر من ذلك فإن صاحب *الإثمد* بقي على قيد الحياة حتى بعد منتصف القرن الثامن الهجري.

وقد أشار ابن تيكيلات إلى أنه زار، وهو شاب حدث صحبة أبيه، الشيخ أبا زيد الهزميري في أغمات. وهذا يفيد من جهة وفاة أبي عبد الله، وخلافة أخيه له من جهة ثانية. وهو حدث يبطل بشكل قطعي أن يكون أبو عبد الله بن تيكيلات المؤلف هو صاحب الرسالة.

ومن بين خصوصيات العمل الصوفي لدى الهزميريين القول بالمصافحة، وفي هذا الإطار أورد ابن تيكيلات الخبر التالي : يقول : "دخلت يوماً على الشيخ أبي عبد الله الصدفي فوجدته يأكل خبزاً فسلمت عليه فرد علي السلام،

وأعطاني قشرة وقال لي : كلها وأبشرك ببشارة، فأخذت شيئاً منها وأكلته، ثم قال لي : هات يدك أصافحك ! فصافحته، فقال لي : صافحت سيدي أبا عبد الله وصافح سيدي أبو عبد الله الخضر وصافح الخضر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يدان : يد الشيخ ويد الخضر، ويكون أنت بينك وبينه صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيد. ففرحت والله بذلك فرحاً شديداً (*الإثمد*، ص. 215).

ومن بين ما يمكن أن نستفيده من هذا الخبر، أن الالتقاء المباشر بين ابن تيكيلات المؤلف والشيخ أبي عبد الله الهزميري لم يقع وإنما أخذ عنه بواسطة. وما يزيد في تأكيد ذلك ما ذكرته من كون المؤلف بقي حياً بعد منتصف القرن الثامن الهجري. بل إن الخبر يثبت ضمنيا عدم المعاصرة.

يمكن أن نستنتج على ضوء الملاحظات السابقة أن اسم أبي عبد الله بن تيكيلات علم لشخصين من طريقة صوفية واحدة. وربما قبيلة واحدة. المؤلف أصغر سنا من صاحب الرسالة. وللتمييز نقترح نعت صاحب "*الإثمد*" بأبي عبد الله بن تيكيلات المؤلف.

ويبدو أن ابن تيكيلات المتصوف هذا كان من أهل الجانب الشرقي من مراكش. ولعله كان إماماً راتباً بأحد المساجد القديمة آنذاك من باب الدباغين. ومن غير المستبعد أن يكون مكلفاً من طرف أبي عبد الله الهزميري بتنظيم أتباع الطائفة الأغماتية في مراكش.

م. ابن تيكيلات، *إثمد العينين* ؛ أ. بَابَ السوداني، *نيل الابتهاج*.

محمد رابطة الدين

**تيلزّارْتْ**، يحمل هذا الاسم قريتان : الأولى بقبيلة قلعية معروفة بمرابطي تيلزارت، والثانية ببني وريمش من بني إزناسن. واللفظ من أصل أمازيغي مرتبط بالكدية بالنسبة للقرية الأولى وبالجبل بالنسبة للثانية. لسنا متأكدين من معناه الأصلي.

فتيلزّارت المرابطين (إمْرَبْضَنْ) قرية معروفة بقبيلة قلعية، يختص بسكناها شرفاء من أصل إدريسي منذ أواخر القرن الحادي عشر (17 م)، تابعة من الوجهة الإدارية إلى خمس الكعدة، حسب التقسيم القديم، وإلى بني سيدال حسب التنظيم الحالي، مندرجة في جماعة إلَحْيانَن (اللحانية) المنتمية إلى فرقة إعَدُّوين (عدوية) الوطا. تبعد القرية عن مدينة أزْغَنْغَان بنحو سبعة كيلومترات، وتنتشر دورها يمين الطريق المؤدي إلى واد كرط، السائر في اتجاه دار الكبداني ببني سعيد.

تشغل أرض تيلزّارْتْ كدية مساحتها شبه مستطيلة الشكل، قسمها الغربي واقع عند منبع واد تيلزّارْتْ الجنوبي، رافد إغْزَرْ أُماسينْ، وقسمها الشرقي ممتد جنوب كدية ابن الوزير (نسبة إلى الوزير الوطاسي الداخل مع عبد الحق المريني إلى ربوع الريف الشرقي عام 610 هـ)، بجانب منبع شرقي يصب بواد تيلزّارْتْ. ويقابل القرية هناك من المداشر : سيدي بوصْبار، وإبُكّرونْ، وأيت غانم. ويقرب منها كل من مدشر إدْراياً وإشْوطاراً وأيت غانم من جهة الشرق، ومدشر إلحيانا الوطا من جهة الغرب. ومن القطاعات المعروفة بتيلزّارْتْ : الحمّام، وهو القطاع الواقع حول المنبع الجنوبي، ثم الدَّمْنَتْ (الدّمنة) وإنْدْرَارَن (النوادر) وتخَرْبين (الخرائب) وتسَهْبيتْ (السهب الصغير)، وكلها غراسات لشرفاء تيلزّارْتْ.

تلك هي المساحة التي استوطنها مرابطو تيلزّارْتْ أول مرة في تاريخ معلوم لدينا، وعقبوا فيها في ظروف بعضها معروف بفضل الرسوم والوثائق التي وجدناها محفوظة لدى صاحبها الأستاذ المرابط الطاهر بن عمر التّيلزّارتي، قاض بمحكمة الاستئناف بوجدة. ونعرف بداية استيطان التيلزّارتيّين من رسم تقسيم تركة جد الأسرة الحاج عزوز. يعود تاريخ الرسم إلى أوائل محرم عام 1074 / غشت 1663. ثم جددت كتابته مرتين، في أول رمضان 1089 / 17 أكتوبر 1678، وفي أواسط ذي القعدة عام 1292 / دجنبر 1875.

وجد الأسرة هو عزوز (عبد العزيز) بن علي بن يعلا الدّراجني القلعي، أحد رجال التصوف والبركة المعروفين بقلعية خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م). والظاهر أنه أول من التجأ إلى القبيلة من الأسرة، لدواع وظروف نجهلها، وذلك خلال سنوات النصف الأول من القرن السالف الذكر. اختار الاستقرار بجماعة ثْلاثْ الكعدة (بني سيدال الحالية) في ظل حماية مدشر إدْرَاجَنْ (إدْرايَن أيضاً)، بجوار من هناك من التجمعات الإدريسية السابقة مثل أولاد داود ببني وغْمرَنْ تازوطا، وإلَحْيانَنْ الجبل، وأولاد عمر بن عيسى القيطونيين بالكعدة. ففي سنة 1069 / 1657 كان الحاج عزوز لايزال على قيد الحياة، وربما كان تقدم سنه هو الذي حتم عليه الإسراع إلى توزيع ملكه الكائن بعزيب تيلزّارْتْ على أبنائه الأربعة. غير أنه كان في عام 1074 / 1663 قد توفي، تاركاً وراءه مقاماً مشهوراً. وإليه تنسب الرواية الشفوية مواقف جهادية تتلخص في تقديم حصة مجاهدي خمس الكعدة، تحت إمرة قائد تازوطا آنذاك من أفراد أسرة أولاد عمر بن عيسى القيطونيين (الفكيكي، *قلعية*، 1 : 134 - 142). وتوجد قبة جد التيلزّارْتيين على الضفة اليسرى من واد تازوطا، عند مخرجه من الخانق إلى مدشر إدراجَن، من أربعاء ثْلاثْ بني سيدال.

انتقل أبناء الحاج عزوز من مقر أبيهم إلى موطنهم الجديد تيلزّارْتْ، على بعد ما يقرب من خمسة كيلومترات من ثْلاثْ، مما يلي الجنوب الغربي، وهم أربعة ذكور، رتبهم التقسيم الذي تم حسب رغبته ومشورة أخيه أحمد بن علي، المعروف بابن "تايَزْيات" إلى فريقين :

- عبد الله وأحمد، وهما شقيقان من أم واحدة، كان من نصيبهما القسم الشرقي من ملك تيلزّارْتْ.
- عبد الدايم وأخوه المسمى "الحاج"، وهما من أم واحدة أيضاً، أسند إليهما أمر التصرف في القسم الغربي من نفس

الملك.

وليس ببعيد أن تكون القطعة الأرضية التي ملكها الحاج عزوز بعزيب تيلزْاَرتْ، ناتجة عن هبة تسلمها من مدشر إدراجن أو من جماعة عدّوية التي كانت لها عزائبها بتلك الجهة، أثناء نزوح أهلها عن الجبل لسكنى "الوطا"، فهذا مما جرت به العادة تكريماً للصلحاء، وفي حالة الحاجة إلى ممثل للبركة، التي كانت تعنى من جملة ما تعنيه توفير أكبر قدر من المتطلبات الدينية للأفراد، وتيسير خدماتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، فهذا كان دائما من مشاغل بال الجماعات بالقرى المغربية.

ومن أعضاء الفريقين السالفين انحدر مرابطو تيلزْاَرتْ قلعية. وبتتبع وثائقهم الصادرة بين 1069 و1314 / 1657 - 1896 نستطيع تصور تعمير القرية الجديدة، من جهة، واستحضار التسلسل النسبي وبيان دور التيلزارتيين بقبيلة قلعية خلال تلك الفترة من جهة أخرى. ففي الوقت الذي تقف فيه معلوماتنا عند مجرد أبي الأسرة أحمد بن عزوز، تقل معرفتنا بعقب أخيه عبد الله، إذ لا تصل بنا الرسوم إلى أبعد من سنة 1213 / 1798. وتزداد الأخبار بالنسبة لخلف عبد الدايم بن عزوز، بامتداد فترتها إلى غاية سنة 1300 / 1882. على أن أوفر المعطيات هي التي قدمتها لنا الوثائق الخاصة برابع أبناء عزوز الدراجني المسمى الحاج، فيمكن تتبع أخبار عقبه إلى غاية 1314 / 1896.

حرص موابطو تيلزْاَرتْ على مواصلة خطة جدهم القائمة على الاشتغال بالقراءة وتحصيل العلوم الدينية والتدريس، والظهور بمظهر الصلاح. فمنذ بداية استقرارهم بالقرية بنوا مسجداً، لايزال رسمه قائما، وقد تغيرت بعض معالمه الأصلية بعد التجديدات التي أدخلت عليه، تميزه الصومعة العالية، كان بمثابة بداية مدرسة لتخريج التيلزارتيين خاصة. فهذا هو ما تعبر عنه الوثائق التي بأيدينا. فهي تبين حضورهم ومشاركتهم في مجال الفقه والخدمة بالقضاء والعدالة.

ويمكن الإشارة إلى عدد من العدول أمثال : أحمد بن المختار بن علي التيلزارتي الذي كان حيا سنة 1127 / 1715، ومحمد بن الجلاني التيلزارتي، من أحياء ما بين سنة 1234 و1299 / 1867 - 1889. ظهر اسمه على رسوم تيلزْاَرتْ ورسوم أولاد داود التازوطيين وأولاد عسو البوگافريين. ونعرف من فقهاء تيلزْاَرت :

**التيلزْاَرْتي، محمد بن الحاج أحمد** بن المختار بن عمر بن محمد، الذي ضرب الرقم القياسي في العدالة ثم القضاء، ليس فقط من عدد الرسوم التي تحمّل مسؤولية توقيعها، وعددها أربعة عشر رسماً، بل من المدة التي قضاها في المهمتين، وهي تصل إلى نحو عشرين سنة. فتواريخ الرسوم ممتدة بين سنوات 1282 و1302 / 1865 و1884. سجل أثناءها ووقع عقود البيوع والمنازعات الخاصة بأهل تيلزْاَرتْ وأولاد داود وأولاد عسو التابعين لخمس الگعدة.

وهناك ما يشهد للفقيه محمد بن الحاج أحمد بزعامة الدفاع عن مصالح التيلزْاَرْتيين. ففي سنة 1283 / 1871 كان نقيب المرابطين، شكل وفداً مؤلفاً خاصة من شقيقه محمد الصغير، وابن عمه الطالب أحمد بن علي بن المختار التيلزْاَرْتي، توجه به إلى السلطان محمد بن عبد الرحمن، وبيده شكوى ضد قائد قلعية آنذاك المعروف المختار بـ"ألْغَم" بعد أن خرق عليه عادة احترام الشرفاء وطالبه بأداء الواجبات المخزنية المعتادة. وقد عاد التيلزْاَرتي بتوصية موجهة إلى حاكم الريف عبد الصادق الريفي، مؤرخة في 12 جمادى الثانية عام 1288، مفادها إقرار التيلزْاَرْتيين على احترامهم واتباع عادتهم المعهودة.

**التيلزْاَرْتي، محمد بن الحاج الكبير** بن محمد بن الحاج بن عزوز، كان له نفوذ روحي بالقبيلة، إذ كان مرجعها وسندها لحل مشاكلها. ثبتت حياته سنة 1127 / 1715، على عهد قائد مولاي إسماعيل بقلعية المدعو الطاهر بن عمر القيطوني، حاكم تيمزار. ونشير كذلك إلى الفقيه التيلزارتي الشيخ علي، نقيب مرابطي تيلزارت على عهده، كان حياً في بداية القرن الثالث عشر (12 م).

ولما كان تحرير الشرفاء من التكاليف المخزنية، من المشاكل المثيرة لحكام القبائل، بما كان يترتب عن التحرير من اختلال التزامات القواد المالية تجاه المخزن، فإن مطالبة الشرفاء بأداء قسطهم من تلك الواجبات، وإنكار نسبة شرفهم تكررت من حين لآخر. فحينما تكرر خرق العادة على شرفاء تيلزارت من طرف قائد الگعدة حمُّ بن الهادي القلعي، قصد أعيان تيلزارت أمين قلعية آنذاك ميمون بن المختار الفرخاني المزوجي. وكان على الأمين إخبار السلطان بشكايتهم بتاريخ 16 محرم عام 1307 / 1889، وبما أبداه الوفد من زيارة السلطان. ولم يلبث التيلزْاَرْتيون أن توصلوا بإذن تلك الزيارة بتاريخ 8 صفر 1307، فعادوا بعدها برسالة ملكية إلى قائد الگعدة بوجوب احترام شرفاء تيلزارت وإعفائهم من الكلف المخزنية.

وإلى غاية نهاية القرن الثاني عشر (19 م) لم تشعرنا الوثائق التيلزارتية بانفصال عدد من أهل القرية عن موطنهم الأصلي. ولكننا تأكدنا بعد ذلك من هجرة بعض الأسر نحو الجنوب الشرقي، حسبما دلت عليه الرواية الشفوية وتفقد مواقع الاستيطان الجديدة. ويمكن تفسير أسباب تلك الهجرة بضيق المجال الحيوي الذي يقابله التكاثر السكاني. ونضيف إلى ذلك الصعوبة التي وجدها التيلزارتيون في التفاهم مع قواد جماعتهم ومراعاة حقوق نسبهم، مما جعل بعضهم ينتقل من قيادة الگعدة إلى قيادة بني بويفرور.

وكنتيجة لذلك الانفصال نشير إلى ظهور تجمعين جديدين، يحملان اسم مرابطي تيلزارت، وبأيديهما بعض الوثائق التي تثبت ذلك الانتماء :

- فضل الأول منهما الاستقرار بمحاذاة قمة بجبل

وكْسان، مندرجاً في الجماعة التي تحمل نفس الاسم، واضعاً نفسه تحت قيادة بني بويفرور. وهذا التجمع هو السبّاق إلى الانفصال، ربما كان ذلك أثناء ثورة الروگي بوحمارة ووجوده بقلعية، وقبيل الحماية الإسْبانية. ولهذا الانفصال علاقة بفتح أشغال منجم حديد وكسان.

ـ استقر التجمع الثاني بعد ذلك، أثناء فترة الحماية، بآخر منحدرات جبل وكسان الجنوبية، بالقرب من منبع واد تْياوْتْ (واد سلوان) بالموضع المعروف ببوجدّارْ، حيث لايزال إلى اليوم، ملحقاً بجماعة أغْميرْ.

والملاحظ أن هجرة أهل تيلزارت قد توالت، سيما بعد استقلال البلاد ووحدة طرفيه الشمالي والجنوبي. وتفرقت سكناهم بين مدن الناظور ووجدة ومكناس. ولم يبق بتيلـزّارت أسر قليلة العدد، حسب علمي. ويعد تتبع تنقلات التيلـزّارتيين مثالا من أمثلة نزوح الجبليين من الجهات السهلية في تاريخنا المعاصر.

وهناك تيلزّارت أيضاً، القرية الداخلة في إطار قبيلة بني وريمّش، أحد أقسام اتحادية بني إزناسن، وهي تابعة في الوقت الراهن من الوجهة الإدارية إلى فرقة أولاد علي الشباب. تحتل أراضيها مساحة مقتطعة من الغطاء الغابوي الشمالي، وموقعاً مشرفاً على عدة منابع، أهمها مجرى واد بوربّع، المنحدر إلى واد ثْلاثْ تَلْغَمْت، أحد روافد واد ملوية في تلك الجهة.

*وثائق تيلزارت* ؛ ح. الفكيگي، *قلعية*، 1 : 134 ـ 142 ؛ برحاب عكاشة، *المغرب الشرقي خلال القرن التاسع عشر*، 1 : 52 ؛ *خريطة طبوغرافية*، 1935 ؛ *رواية شفوية*.

حسن الفكيگي

**تيلُوتَانْ** ابن تلاگاگين، أحد زعماء صنهاجة الرمال قبل ظهور حركة المرابطين. عرف في المصادر التاريخية بأسماء مختلفة منها تين يروتان بن ويسنو بن نزار (*المغرب*، 159) وتيلوتان بن تلاگاگين الصنهاجي اللمتوني (*القرطاس*، 120) وبرويان بن واشنق بن يزار (*العبر*، 6 : 242).

ورغم الاختلاف في اسم هذا الشخص في روايات مختلفة المصادر فإنها اتفقت حول أخباره وآثاره ببلاد الصحراء والمناطق الواقعة جنوبها أي بلاد السودان الغربي. ويستخلص من معلومات هذه الروايات أنه ينحدر من أسرة اختصت بالزعامة في صنهاجة، كان أبوه تلاكاگين ملكاً على الصنهاجيين قبل أن ينتقل الملك إلى ولده في تاريخ غير معروف، واستمرت الزعامة في أعقابهما حتى سنة 306 / 918 (*القرطاس*، 120 ـ 121)، بل إن زعماء المرابطين بالغور الصحراوي وحتى بعد سيطرتهم على المغرب الأقصى والأندلس ينتسبون لبني تلاكاگين أو تلاجاجين الذين هم من بني وتنطاق (*المغرب*، 165 ؛ *العبر*، 6 : 241 ـ 242 ؛ *الاستقصا*، 2 : 5).

اتخذ تيلوتان من أوداغست عاصمة له في مدة حكمه التي شملت أواخر القرن الثاني الهجري والعقدين الأولين من القرن الثالث (9 م). وبلغ نفوذ صنهاجة على عهده درجة كبيرة من القوة في بلاد الصحراء وبلاد السودان لم تعرف هذه القبائل مثيلا له بهذه المناطق حتى بعد قيام دولة المرابطين. فقد دان لهذا الزعيم أكثر من عشرين ملكاً من ملوك السودان كانوا يؤدون له الجزية (*المغرب*، 159 ؛ *القرطاس*، 120). واستطاع بفضل الجيوش التي جهزها وقوامها مائة ألف فارس أن يبسط نفوذه على مجال امتد في الصحراء مسيرة شهرين من الشمال إلى الجنوب ومثلها من الشرق إلى الغرب (*المغرب*، 159)، وقيل مسيرة ثلاثة أشهر في مثلها (*القرطاس*، 121).

توفي تيلوتان سنة 222 / 837 بعد أن تجاوز الثمانين سنة، وكانت مدة حكمه خمسا وستين سنة، فيكون بذلك قد تولى الزعامة شاباً يافعاً لم يبلغ بعد العشرين من عمره (*القرطاس*، 121).

أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، باريس، 1965 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 197، الرباط ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، دار الفكر، بيروت، 1988 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 2، الدار البيضاء، 1954.

حسن حافظي علوي

**تيلوگيت**، موقع تاريخي في قلب الأطلس الكبير الأوسط ينتمي من الناحية الإدارية إلى إقليم أزيلال، ويرجع الأصل في تسميته إلى وجود قنطرة صغيرة على وادي أقا نوقريال يرجع تاريخ بنائها إلى فترة زمنية طويلة. وكلمة تيلوگيت تعني باللهجة الأمازيغية المحلية "قنطرة". لذلك سميت الجماعة القروية هناك بجماعة تيلوگيت.

يحد هذه الجماعة من الشمال جماعتا تاگلفت وواويزغت، ومن الجنوب جماعتا زاوية أحنصال وأيت امحمد وشرقاً جماعة أنرگي. أما من الجهة الغربية فتحدها جماعة بين الويدان وأزيلال (انظر الخريطة).

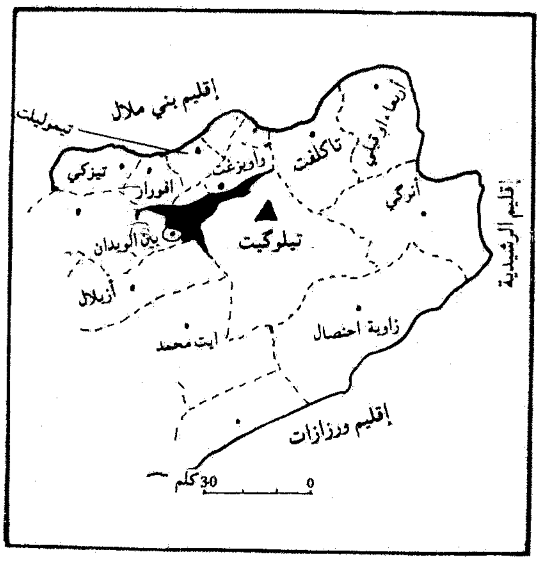


تتميز تضاريس هذه المنطقة بطابعها الجبلي المتميز بأعراف ذات اتجاه أطلسي، (شمالي شرقي، جنوبي غربي)

حادة ومتصلة فيما بينها، تنتهي بسفوح وعرة وشديدة الانحدار، تكسوها غابات كثيفة ذات أصناف نباتية مختلفة (العرعر الأحمر والبلوط الأخضر وصنوبر حلب). أعلىْ قمة بالمنطقة هي جبل الكرون حوالي 2.600 م.

تتخلل هذه الأعراف الجبلية أحواض ضيقة تمتد غالباً على طول المجاري المائية التي تخترقها من الوسط. وتعتبر هذه الأحواض المجال الرئيسي الذي يقام فيه النشاط الزراعي. وتتوافق هذه المعطيات الطبوغرافية مع بنية التوائية تتكون من محدبات تتوافق مع صخور كلس دولوميتية ترجع إلى اللياس الأسفل والأوسط ومقعرات تتكون من صلصال بني اللون يرجع للّياس الأعلى يعلوه حت وطين أحمر من الجوراسي الأوسط القاري، وتنفرد هذه المقعرات بتربات خصبة ومتنوعة لعبت دوراً أساسياً في النشاط الفلاحي بالمنطقة.

تتميز المنطقة من الناحية المناخية بخصائص المناخ القاري الجبلي، فهو حار وجاف صيفاً وشديد البرودة وممطر شتاءً، تتراوح الحرارة في فصل الصيف ما بين 20 و36 درجة وفي فصل الشتاء ما بين 11 و0 درجة. أما المعدل السنوي للتساقطات المطرية فهو 260 ملم فقط، غير أن القمم العليا تستأثر بتساقطات ثلجية هامة ابتداءاً من نونبر إلى شهر أبريل من كل سنة.

يقدر سكان جماعة تيلوگيت حسب إحصاء سنة 1982 بحوالي 12.452 نسمة بكثافة سكانية تناهز 19.15 ن / كم2 وتطغى على هذه الساكنة بنية شابة لا تتجاوز أعمارها 35 سنة.

يعيش هؤلاء السكان على نمط ريفي جبلي تسود فيه الحياة الرعوية إلى جانب النشاط الزراعي، وتقدر المساحة الإجمالية للنشاط الفلاحي بحوالي 22.000 هكتار، موزعة ما بين 1.000 هكتار مسقية من بعض العيون الكارستية ومياه واد أحنصال وأسيف ملول و9.700 هكتار بورية و11.300 هكتار عبارة عن أراض رعوية غير صالحة للزراعة، وبما أن قطعان الماشية تفوق بكثير المساحة المخصصة للرعي، فإن الرعي الجائر في المجال الغابوي الذي يغطي في هذه الجماعة حوالي 30.471.66 هكتار هو السائد لدى السكان، فعدد الرؤوس الموجودة ينحصر في الماعز بالدرجة الأولى حيث يمثل 42.160 رأساً يليه عدد الأغنام وهو 37.840 رأساً والأبقار حوالي 1.470 رأساً.

غير أن المنتجات السائدة بهذه الجماعة هي الشعير والقمح ونسبة قليلة من الخضروات والقطنيات، أما الأشجار المثمرة فهي الزيتون واللوز والجوز والكروم.

يعتبر سوق تيلوگيت الذي ينعقد كل يوم سبت وسوق أيت مازيغ وتباروشت المراكز التجارية التي تعرض فيها هذه المنتجات إلى جانب مدينتي بني ملال وأزيلال. وأهم ما يلاحظ هو أن هذه الجماعة تعاني من قلة طرق المواصلات لفك عزلتها من جهة، ومن جهة ثانية تعتبر الغابة أفضل مجال يوفر إمكانيات متعددة للاتجار فيها من الناحية الاقتصادية تجلب خشب الصناعة من صنوبر صلب وإنتاج الفحم من شجر العرعر والكرُوش وجلب خشب التدفئة. كما توفر إمكانية الصيد البري خصوصاً وأنها تزخر بثروة حيوانية كثيرة إضافة إلى ظاهرة الرعي السالفة الذكر.

تتميز هذه الجماعة بوجود بعض أنواع المعادن كالزنك والرصاص والمنغنيز، حيث تستخرج منهما سنوياً كمية تقدر بحوالي 36.000 م3 ويتم تصدير هذه العناصر إلى بلجيكا.

توجد في تيلوگيت عدة مآثر تاريخية تستهوي السياح الأجانب الذين يتوافدون عليها (حوالي 2.000 سائح أجنبي كل سنة). وتتجلى هذه المآثر في منازل قديمة تم بناؤها بالتابوت يطلق عليها اسم "إغرمان"، كما توجد صخرة "تامگة" الشاهقة وعدة مناظر خلابة ومخيمات طبيعية على ضفاف واد أحنصال.

*تحريات ميدانية.*

عبد الرحيم بنعلي

**تِيلْوِينْ** أو "تِيلوين - نْ - وَاعْـرابن" أي قصر العرب وهو عبارة عن تجمع سكاني ضخم يقع بين واحة غريس وواحة فركلة بإقليم الرشيدية. وترجع الأهمية التاريخية لهذا القصر إلى الاصطدام المسلح الذي حدث حوله بين أيت عَطَا وأيت يَاقَـلْـمَـانْ حيث عارض أيت ياقَـلْـمَـان خاصة أيت مَرْغَـادْ سيطرة أيت عطا على هذا القصر، ووقعت معركة تيلوين المشهورة سنة 1301 / 1883.

كان لهذة المعركة نتائج علي المستوى التنظيري حيث بنى عليها مخططو السياسة الاستعمارية الفرنسية لوضع خطاطة عن واقع الحال في مغرب القرن التاسع عشر. وهذا الواقع هو الذي نجده في *مذكرات* الراهب شارل دوفوكو Charles de Foucauld الذي قام مابين 1883 و1884 برحلة استكشافية اخترق فيها مغرب الجبال : جبال الريف وجبال الأطلس ذهابا من طنجة بالشمال الغربي إلى وادي درعة على تخوم الصحراء جنوباً - وإياباً من أگادير إلى وجدة على الشمال الشرقي. وقد قدم مذكراته إلى الجمعية الجغرافية الفرنسية بالجزائر التي كانت تتولى مهمة القيام بالاستكشافات الاستعمارية فتولت الجمعية المذكورة طبعها كما اعتمدتها مرجعا أساسياً آنذاك. فماذا يقول دوفوكو عن معركة تيلوين ؟

"... وقعت خلال السنة الفارطة معركة بين أيت عطا وأيت مرغاد في تيلوين وهي واحة صغيرة معزولة في شرق فركلة - وكان أيت عطا مكونين من جميع أخماسهم وقدر عدد المقاتلين العطاويين بحوالي 8.000 راجل و6.000 فارس. وأما قوات أيت مرغاد فقدر عددها بحوالي 12.000 راجل و7.000 فارس، وانتهت المعركة بانهزام أيت عطا وتم إجلاؤهم عن تيلوين، وقدر عدد القتلى بحوالي 1.600 منهم، 400 من أيت مرغاد والباقي من أيت عطا. ورغم أنني أجد صعوبات في تصديق هذه الاحصائيات إلا أنه تم تأكيدها لي في أربع مناطق مختلفة وهي : تدغة وفركلة وغريس وقصر السوق".

هكذا نلاحظ كيف حاول دوفوكو فرض هذه المعركة ووصف ضخامتها مبدياً تحفظه وتشككه لإبراز اعتماده على البحث والتمحيص ليفرض في النهاية تلك الاحصائيات الضخمة كواقع. والهدف من ذلك هو إبراز استقلال بلاد البربر في المغرب عن السلطة المركزية وعدم تقيد أهلها بأية سلطة ـ مع التأكيد على التناحرات والفوضى القبلية، وهو بذلك يؤكد على أهمية الاستعمار لإحلال التهدئة والتحكيم وفرض السلطة (سلطة الحماية). وهكذا فإن الإسهاب في وصف معركة تيلوين، وغيرها من المعارك كان يهدف إلى التمهيد النظري لمعاهدة الحماية كأن المغرب في حاجة إلى قوة فرنسا لتوحيده وإحلال النظام فيه!

والواقع أن معركة "تيلوين" تدخل ضمن المعارك التي تقع بين القبائل في المغرب من أجل المراعي والأراضي الزراعية والمياه وخاصة في المناطق شبه الصحراوية ذات الإمكانيات المحدودة. وغالباً ما يتم الحسم في هذه النزاعات الظرفية إما بتدخل المخزن أو الزوايا أو الجماعات المسيرة للقبائل. وفي غالب الأحيان فان الصلحاء أو إگرامن ينجحون في فض النزاعات وإصلاح ذات البين بين مختلف العشائر والقبائل من خلال الضغط المعنوي الممارس على الأطراف المتنازعة.

وقد كاد محمد بلعربي شيخ الزاوية الدرقاوية في قصر رحمة الله أن ينجح في الحيلولة دون حدوث معركة تيلوين لولا ماظهر منه للطرف الآخر وهم أيت مرغاد من ميل لصالح أيت عطا.

والجدير بالذكر أن تموقع الصلحاء على نقط الحدود من شأنه أن يساعد على إرساء المعاهدات الفصلية التي تحدد قواعد الانتجاع بين المراعي الجبلية والمناطق الصحراوية ويسهل كذلك المبادلات التجارية. وإلى جانب فشل الزاوية الدرقاوية في الحيلولة دون وقوع معركة تيلوين، فإن حدوث المعركة تم أيضاً بفعل تحرشات الأعيان من كلا الطرفين، لأن مثل هذه النزاعات الظرفية من شأنها تقوية سلطة هؤلاء، ذلك لأن توفر بعضهم على الخصال الحربية أو حصافة الرأي يزيد من نفوذهم أثناء الحرب أو خلال عقد الصلح.

وقد وجد منظرو الجهاز الاستعماري في معركة تيلوين دعامة للترويج لنظرية المغربَين، بلاد المخزن وبلاد السيبة التي تمتد في الهوامش، خاصة الجبال حيث تتميز القبائل باستقلالية عن بلاد المخزن وهي في نظرهم بلاد الحروب المتواصلة لأتفه الأسباب.

والواقع أن مخططي السياسة الفرنسية الاستعمارية كانوا أقل إدراكاً لواقع المجتمع، كانوا يرون في هذا الطرح المغرض أسهل السبل لاحتلال المغرب. لهذا لما حلوا بالمناطق التي أطلقوا عليها بلاد السيبة وجدوا أمامهم مقاومة شديدة مما يعد دحضاً نهائياً لنظرياتهم حول بلاد السيبة، وإلا فكيف أمكن لهذا المجتمع القبلي الغارق في الفوضى والحروب الأهلية منذ قرون كما يزعم المؤرخون الاستعماريون ـ أن يتحول في لمحة عين بعد دخول الجيوش الاستعمارية إلى قدوة يقتدى بها في غاية التنظيم والانسجام والشجاعة والبأس؟! حين كونت قبائل أيت عطا وأيت يافلْمَانْ جبهة موحدة ضد الجيوش الاستعمارية متناسية خلافاتها الظرفية.

عبد القادر بوراس، *أعمال ندوة المقاومة المسلحة المغربية 1900-1934*، (كلية الآداب ـ مراكش، 28-30 نونبر 1990) ص. 187-205.

C. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc*, Paris, 1988 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc*, Paris, 1930 ; G. Ayache, *Etudes d'histoire marocaine*, Rabat, 1979.

عبد القادر بوراس

**تِيلِيت**، أحد مداشر أيت سدرات الواقعة بضواحي وادي دادس جنوبي الأطلس الكبير، وإليه ينسب بعض الفقهاء والصلحاء المتصوفين، مثل:

**التِّيلِيتي، أحمد** بن عبد القادر، اشتهر هذا الرجل بانتسابه إلى الطريقة الناصرية، حيث تتلمذ لأحمد بن محمد ابن ناصر، وكان من أجلِّ تلامذته، "مشتغلا بما يعنيه، عليه سمة حسنة" (*الدرة الجليلة*، 227). وكانت وفاته بالوباء الواقع في سنة 1155 / 1742.

**التِّيلِيتي، محمد** الصغير. كان فقيها مشاركاً، تولى القضاء مدة بدادس وأحوازها. وحسنت سيرته في هذه الخطة. وهو أيضاً من أكابر تلاميذ الشيخ أحمد بن مَحمد ابن ناصر. اشتهر في تلك المنطقة بتصوفه وسخائه. وكانت وفاته بعد سنة 1129 / 1717.

مَحمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*، تح. أ. عمالك د. د. ع. كلية الاداب، الرباط، 1986.

أحمد عمالك

**تِيلُّو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Tello، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان على إثر الوباء الذي قضى على جل سكان المدينة سنة 1088 / 1677، وهذه الأسرة غير أسرة تلُّو.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán*, 1921 (T) ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuaníes de abolengo*, 1929 (T) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932 (T) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuaníes de orígen español*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

**تيليوين** بالسوس الأقصى، إذا ما أخذ بعين الاعتبار الوضع المجتمعي بهذه القرية كنتاج لتفاعل سلسلة جبال أيت باعمران (انظر مادة *تاسريرت بالمعلمة*) وبسيط وادي نون (انظر مواد *اسرير وأيت بلة وأزوافيط بالمعلمة*) اتضح دور تيليوين كتعبير مجسد عن التقاء سكان البسيط والجبل. لهذا المعطى أهمية قصوى تتحدد في دور تيليوين

كواقع مجالي وبشري يجسد المخزون المجتمعي للأدلة المتوفرة حالياً على تداخل الغور السكاني الأقدم لأيت باعمران وتكنة. فعلى امتداد قرى تيليوين وتسكّنان وعبودة ووعرون والقصابي وكَلميم وأسرير وتيغمرت تعكس علاقات القرابة بين وحدات الغور الأمازيغي الأقدم حقيقة العلاقات المجتمعية والتحالفية التي كانت قائمة بالبسيط والجبل قبل تشكل اتحاديتي تكنة وأيت باعمران. وحقيقة إثنية كهذه تفصح عن جوهر البنية المتداخلة لنظام القرابة الذي يجد مكذباً كل المقولات المتعددة حول الفصل بين مكونات الاتحاديتين الأساسية. يمكننا أن نؤكد مثلا بأن أيت مسعود المقيمين حالياً بتالوست أيت باعمران رغم احتفاظهم بوثائق تملكهم لجزء من تيليوين هم أنفسهم الذين مايزال قسم منهم يقيم على أرضه وممتلكاته بجوار أزوافيط بكل من أسرير وتيغمرت (انظر مادتي *أزوافيط وأيت بلة بالمعلمة*). كما أن إيدحماد أُو بوجمعة وإيدبوهوش الذين مايزالون يتوفرون على وثائق تملكهم لقسم من مدشر تيليوين بعد استقرارهم بالجبل هم أنفسهم الذين اندمجت بعض فصائلهم بأزوافيط تيغمرت وبعض أيت أوسا. وعلى هذا الأساس فإن دور تيليوين التاريخي يتأكد من خلال تأطير التداخلات الإثنية والهجرات اللاحقة.

لقد توالت هجومات يوتلان وإيزيكَيتن على أمازيغ تيليوين حتى بعد التحاقهم بأعلى أكَادير القرية. وهي حقيقة لن تحول دوننا والقيام بفصل مبدئي بين هذه الفصائل ومرابطي بوكَرفة وأهالي تالوست وأيت إيشيمور وإيدحمّو رغم تحالف الجميع الإسمي مع أيت إيّوي، فمادامت الصيغة التنافسية من أجل احتكار المجال تكتسي قيمة مرجعية في تحديد علاقات التحالف، ندرك أن السياق العام يسير في اتجاه الصراع. مايزكي هذا الاتجاه هو أن مدونة أسا (انظر مادة *أسا بالمعلمة*) تسمّي وادي نون بوادي الحرب. وهي خاصية أولى موجهة نحو تعيين عناصر الخطاب بين الفصائل القديمة والدخيلة. ذلك أن بناء نظام من الصيغ الخاضعة لمعيار التنافس والصراع من أجل احتكار المجال يشكل مرحلة ضرورية وأساسية في سيرورة فك رموز نظام التحالفات. لقد زار الإسباني كَاتيل Gatell هذه المنطقة سنة 12 . 1313 / 1865 حيث سجل قصة السلطانة النصرانية المسماة نونة. بعد أن تمكنت من السيطرة الفعلية على المنطقة، أقامت عاصمتها بأكَادير نونة المجاور لتيليوين حيث كانت مرتبطة بسلطان محلي كانت عاصمته تكَاوست المجاورة (F.C. de la Chappelle, *Les Tekna*, 29) بهذه الكيفية تؤكد الرواية المحلية دور الموقع المتميز في تحديد كل القضايا المتعلقة بمراقبة المجال وتداخل علاقات القرابة القديمة. يمكن للأفق الذي يتجسد فيه اسم تيليوين - ن - تاروميت (عنق الرومية) أن يتسع لمجموعة من الاحتمالات الممكنة. غير أن هذه الاحتمالات تصب كلها في اتجاه أهمية الموقع المحصن للمراقبة واحتكار المجال. من هنا فإنه لايصعب تقبل الاحتمال الذي جاء به H.T. Norris حين قارب بين تيليوين والمواضع الذي كان يصيّف به إيويليميض (لمتونة) حسب ما أورده أبو عبيد الله الكبري (*المغرب*، 168). الأفق الذي كان يتجسد فيه قانون المعاملات بين كبار الرحل اتسع ليشمل مجمل قبائل "صنهاجة" بما فيهم "لمطة". كان النشاط الرعوي الموسمي محور تحالف خلال الصيف يصبغ أنشطة مكثفة على امتداد المحور الرابط بين وادي نون والضفة الجنوبية للصحراء الأطلسية. هذا ما أثبته ابن سعيد والإدريسي خلال القرن السادس (12 م) نقلا عن ابن حوقل خلال القرن الرابع (10 م). وقد فصلنا هذا الجانب الحيوي من النشاط الاقتصادي في سياق دراسة الروابط المجالية والقرابية التي كانت تحتم المقارنة الوثيقة يومها بين لمطة ولمتونة *Histoire et structures* ; *Les Pays Tekna* ; *Commerce*.

لقد جسد لمطة مع الكوشيين وبعض الفصائل الجزولية أقدم سكان وادي نون وتاسريرت فلم يخطئ H. T. Norris حين ركز علي دور تيليوين التي وردت لدى البكري علي صيغة تاليوين، كمستقر صيفي يمتاز بوفرة المياه والخضرة وكل مامن شأنه أن يجلب كبار الرحل (*The Arab conquest*, 139). ولم يستبعد جوستينار Justinard بدوره أن يكون باها أُويحيى جد إيد باها أو يحيى المتكونين حالياً من أيت الخمس واصبويا وأيت ايعزى وأيت عبد الله هو نفسه إبراهيم بن يحيى الكَدالي صاحب وكَاك بن زلو اللمطي الذي ولد ودرس بالركن في منطقة تاسريرت (*Les Aït Ba Amran*, 76). كانت علاقة إيكَدالن (كَدالة) يومها بمنطقة تاسريرت وماسة وتيط وثيقة مما يزكي فرضيته.

ويؤكد طبيعة التفاعل بين الفصائل الساحلية المتحكمة بصورة اعتيادية في الحياة اليومية (انظر مادة *تكَجكَالت أيت تيكني بالمعلمة*) لذلك لن يستحيل على الباحث أن يضع على هذا المستوى من الارتباط المجالي كل الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والدينية التي تتوهج وتخبو حسب متغيرات مراحل التطور.

في تيليوين ينصاع أيت أيوب نحو الأنشطة التجارية أولا ثم الفلاحية. وهم يشكلون بحق النواة المركزية الصلبة والدائمة التي استقرت جيداً بمجتمعي البسيط والجبل. ومن المناسب أن نتبين في هذا الإطار إلى أي حد يكون إدراك أيت أيوب المحلي لخطاب غير متمايز. فتسرب الحسانية إلي تكَاوست ووعرون وتسكّنان وأسرير وكَلميم لم يزد أهل تيليوين إلاّ تمسكا بلغتهم الأصلية شأنهم في ذلك شأن سكان الجبل. كما أن حدة الصراع التي دهمت الوجود التكني علي أبواب الجبل أهلت أهل تيليوين للتحصن السريع عبر اقتطاع أماكن بالجبل يمكن اللجوء إليها بسرعة عند الاقتضاء. فموقع أيت أيوب بالجبل يتوسط الطريق الرابطة بين وادي نون وخميس أيت بوبكر شأنهم في ذلك شأن اصبويا. فعبر أوخريب وزاوية سيدي سليمان بوتوميت التي نشأ وترعرع بها وكَاك بن زلو اللمطي تنعرج الطريق في اتجاه املو واسيف ند العروسي لتصل قصبة أيت أيوب

في أعلى أسيف أگجگال. هذا الكشف عن نمط التوزيع المكاني والتركيب الوظيفي لمركزي الاستيطان بالسفح والجبل يساعدان على تحليل العوامل الطبيعية التي تأخذ نصيبا أكبر من اهتمامات أيت أيوب وباقي أهل تيليوين. فالاقتراب المكاني بالسفح والجبل على حد سواء يكشف عن صلة الجوار مع تكنة وأيت باعمران كأدق مقياس للمقارنة بين أنماط العيش القروي أو الترحالي. فصلة الجوار لا تتحدد عملياً من خلال المسافات الحقيقية الفاصلة بين مركزي أيت أيوب وأقرب النقط البشرية المجاورة لها عبر مختلف المراحل السابقة. فإذا سجلنا خلال القرن العاشر (16 م) تحالف أيت أيوب بإيدا أ ُوبلال المسيطيرين يومها على جل مداشر وادي نون الساحلية أمكننا الاستدلال على مرونة الاتجاه الذي سلكه أيت أيوب في التعامل مع الجار. وعندما انتقل أيت بومگوت من أسرير إلى تادرگيت مطرودين من طَرف أزوافيط (انظر مادة *تادرگيت بالعلمة*) نجد أيت أيوب يحافظون على صلة الجوار التي ميزت علاقتهم بإزرگيين المقيمين يومها بأوريورة. لاقت هذه المرونة التحالفية اعتماماً كبيراً من قبل الوحدات والفصائل والقبائل المحلية مما جعلهم يعجزون عن تصنيفها في خانة أيت باعمران أو تكنة خلال القرن الحادي عشر (17 م) غير أن تحليل نمط التوزيع المكاني لمستوطنات أيت أيوب بالسفح والجبل يجعل منهم حلفاء دائمين لقبائل المحور الساحلي. هذا مايمكن أن نتبينه من أحكام أحمد بن علي المصلوحي قاضي وادي نون المتوفي عام 1062 / 1651 . 1652 (الحضيگي، *طبقات*، 1 : 67). لقد تمكن اصبويا جيران أيت أيوب بالجبل من شراء بوسمارة من إدا أوبلال كما أثبتت ذلك وثيقة 1579 (V. Monteil, *Les Tekna*, 17). وقد جاء كنتيجة لهذا التوسع الذي عرفه اصبويا أن أصبح لمفهوم التنافس مع أيت أيوب مدلول كبير. فتوثقت علاقات التحالفات بين أيت أيوب مع أيت لحسن الذين تمكنوا من طرد أولاد إدريس من القصابي خلال القرن الثاني عشر (18 م) بينما ترسخت تحالفات اصبويا بأزوافيط التكنيين.

لقد أثر جفاف بسيط وادي نون المتزايد خلال القرن الثالث عشر (19 م) على البيئة المحلية بتيليوين تسبب في النقص العام في مياهها الجوفية السطحية وطبيعة سطحها الحوضي. وقد كان للطريقة المتبعة قبل ذلك لاستعمال مياه السواقي التي كانت قاصرة على كميات محدودة للري وللشرب، أثرها الواضح في سيادة القصبات مع كثرة عددها وتقاربها مع بعضها البعض، بل وتزاحمها أسفل الجبل. فدراسة نمط توزيع القصبات والمداشر يكشف عن خصائص وصفات الأهالي الذين تتفاوت أهميتهم بتفاوت أحجام قصباتهم. ولما كانت تيليوين تجسد تعايش إمازيغن والمرابطين وأيت أيوب، فقد كانت تمثل نموذجا يمثل حداً دقيقاً متعدد الظواهر بين السفح والجبل. تشابهها في البيئة الطبيعية وفي الأساس الاقتصادي والاجتماعي مع مداشر وقصبات وادي نون يجعل أهلها قادرين علي فرض وجودهم ومراقبة مجالهم القروي وساقيتهم. أما بعدهم التاريخي الذي يجعل منهم امتداداً لأهل الجبل فيتفق مع محاور شبكة الطرق الجبلية التي تتجه من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي أو العكس. هذا ما يمكن أن نستشفه من الصيغ الشفوية المستخدمة محلياً لوصف علاقة أيت أيوب بالبسيط والجبل. بعبارة أخرى فهذه الصيغ تعد في حد ذاتها مصطلحات محلية ترد في سياق الكلام بغرض تحديد الأنماط التوزيعية التاريخية المختلفة لعمليات التنقل. لذلك فالحاجة تدعو إلى زيادة الاهتمام بالمصطلحات الوصفية وتحديد مفاهيمها تحديداً دقيقاً واستخدامها كوسيلة في التحليل والمقارنة.

يسجل جوستينار Justinard سنة 1930 أنه بينما يمثل أيت إيسيمور الموزعون بدورهم بين وعرون (M. Naïmi, *Cinétique des leffs, flexibilité et mobilité sociale*) حوالي 500 عائلة، لايمثل أيت أيوب سوى 200 عائلة. والفصيلتان تمثلان خمساً واحداً من بين مجمل فصيلة أيت الخمس (1.800 عائلة). ولا يعادل حجم أيت أيوب إلا إيدموسّاكنة بينما يعادل أيت اعلي أوگوگ أيت إيسيمور. أما إيد أوسگوم فيبلغون 400 عائلة، ليستقر الجميع فيما يمثل أكبر قسم من حوض وادي إيفني وروافده الممتد على السفح الغربي للأطلس الصغير (*Aït Ba Amran*, 72).

ولما كانت هذه المنطقة تعرف انعكاساً سريعاً بسبب متغيرات السفح وبسيط وادي نون وقراه ومداشره، فإنها كانت تشهد تغييراً في التوزيع المكاني للسكان بحسب الهجرة من وإلى الجبل. فهناك مثلا وباء سنة 1798 . 1800 الذي ساهم في هجرة السكان من الجبل وأرباض وادي نون وأفراگه. كما أن سنوات الجفاف قد انعكست على الجبل بسرعة الهجرة إليه من البسيط وعلى تغيير أحجام قراه وتوسعها المساحي وعلى تركيبها الوظيفي وبالتالي على نمط التوزيع ذاته.

يفيدنا الشاعر المغني الحاج بلعيد خلال نهاية القرن الثالث عشر (19 م) وبداية هذا القرن أن شيخ تيليوين كان هو محماد أو يحيا الذي عانى من منافسة إمازيغن وعدم خضوع المرابطين لسلطته. وبالرغم من أنه كان يمثل أيت أيوب بتيليوين، فإنه كان يحاول جاهداً تثبيت سلطته المحلية حتى بقصبة أيت أيوب بالجبل. ولاشك في أن عدم التناسق السياسي بين مواقف أهل وفئات تيليوين المذكورة قد ألغى تماسك موقفها في مواجهة شيخ لقصابي محمد المختار.

1901


أ. البكري، *المغرب في وصف افريقية* ؛ م. الحضيگي، *طبقات* ؛ م. ناعمي، *تشكل اتحادية تكنة*.

F.C. de la Chappelle, *Les Tekna* ; V. et J. Guamer, *El Sahara y Sur Maroqui Espagnoles, Colleccion Bibliografia Militar*, TXL. Tolède, decembre 1931 ; Cl. Justinard, *Villes et Tribus du Maroc, Tribus Berbères*, T. I, *Les Aït Ba Amran*, Paris, 1930 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna* ; H. T. Norris, *The Arab Conquest of The Western Sahara*, chap. 9, *The Arabisation of the Sahara, The Wadi Dar'ah and the Sus*.


مصطفى ناعمي

**تيمْتيك**، قصور تقع وسط واحة فزواطة بدرعة الوسطى على الضفة اليسرى لواد درعة. تبعد عن مدينة زاگورة بعشرة كلم من جهة الشرق وتتكون من خمسة قصور هي : قصر تيمتيك الحذب والقصبة الوسطانية وقصيبة أيت بوخلاط وأيت بلّوليد وأيت مولاي الكبير.

اشتق اسم تيمتيك حسب الرواية الشفوية من كلمة "تيمتيْوين" أو "تينومتين" (أي ركام الحصى الذي يجمعه الشخص أمامه وهو يحاور أو يتسامر مع الآخرين)، أطلق على قرية قديمة تقع في الموضع الحالي لتيمْتيك الحذب ويجهل كل شيء سواء عن نشأتها أو عن ظروف تخريبها على عهد يعقوب المنصور. بنيت القرية شرق قصر تيمْتيك الحذب كانت تستعمل لانطلاق الجيوش نحو السودان، وهي ما يُعرف بدار المجاهدين. لم يبق منها حالياً سوى بقايا أسوار تحيط بمساحة أحد عشر هكتاراً ومقبرة تمتد على حوالي أربعة هكتارات ونصف.

يعتقد أن السكن كان مشتتاً داخل المحيط الزراعي، ونظراً لعدم توفر الأمن اضطر السكان إلى التجمع داخل سكن مجموع ونظام جماعي للدفاع عن أنفسهم في إطار ما يعرف بالقصر. وقد اتخذ مكان دار المجاهدين كموقع لهذا السكن الجماعي، ثم غيروا معظمهم إلى حقول الرحبات. لكن تكرار عمليات النهب التي كانوا يتعرضون لها دفعهم لنقل القصر إلى الموضع الحالي لقصر تيمتيك الحذب حيث يحمل كل درب اسم الفخذة التي سكنته أثناء نشأة القصر. وهذا الموضع عبارة عن جرف يطل مباشرة على الحقول ويسهل مراقبة أي هجوم مباغت.

ونظراً لتوسع محيط القصر نتيجة النمو الديموغرافي ظهرت عدة صراعات ونزاعات بين مختلف المجموعات السوسيو - اجتماعية، بل وبين أفراد المجموعة الواحدة نفسها، مما دفع ببعض الأفراد والعائلات إلى مغادرة القصر وبناء سكن لها خارجه، وهذا ما أدى إلى بناء قصيبة أيت بوخلاط. وأدت نفس الظروف إلى نشأة قصيبة أيت مولاي الكبير في بداية العشرينات. أما قصيبة أيت بَلّوليد فقد بنيت - على ما يبدو - باختيار جدهم.

أما تيمتيك الوسطانية، فتعد من أقدم القصور التيمتيكية التي حافظت على موضعها. توجد بها زاوية هي فرع للزاوية الوزانية، ويقام بها موسم يعرف بـ"اللأمّة" في اليوم العشرين من شهر ذي الحجة من كل سنة يؤمه زوار من مختلف قصور المنطقة.

إلى جانب هذا السكن، هناك سكن مشتت داخل المحاط، تسكنه عائلات أيت عطا الذين يراقبون باستمرار مزروعات التيمتيكيين مقابل دفع عيني.

تجدر الإشارة إلى أن سكان تيمتيك وزعوا فيما بينهم الأراضي الموجودة حول قصر تيمتيك الحذب. ومرة أخرى نلاحظ أن جميع سكان قصور تيمتيك يسكنون متجاورين في موضع واحد.

قبل القرن الحادي عشر (17 م) كان يقطن بتيمتيك عدد من المجموعات البشرية من ادراوة : أهل إيماولان وأهل إيكرفصة وأهل إقلمون. إضافة إلى مجموعات أخرى كارعاجنة وأهل تاوزينت. ومن المرابطين أو الأحرار : أولاد تابت وأولاد مهرة. من العرب : أولاد سلطان وأولاد عرفة إضافة إلى بعض عائلات أيت عطّا.

وبعد ذلك أتى إلى تيمتيك شخص يدعى مولاي أحمد ابن العربي الذي تنحدر منه عائلات الشرفاء التي انضافت إلى عائلات أخرى من أيت عطّا وادراوة وتكوِّن ما يسمى حالياً بأهل تيمتيك أو قبيلة تيمتيك

تتكون ساكنة قصور تيمتيك من عناصر اجتماعية مختلفة : ادراوة أو الملونين والشرفاء العرب والمرابطين وأيت عطّا والمعتوقين... كان عدد سكان تيمتيك أربعمائة وثمانين عائلة في أواسط العشرينات، وانخفض هذا العدد إلى مائتين وخمس وخمسين عائلة سنة 1971 ليصل إلى 2.124 نسمة سنة 1986. يتوزع هذا الرقم الأخير بين العناصر السوسيو اجتماعية كما يلي :

| العناصر السوسيو اجتماعية | ادراوة | الشرفاء | أيت عطّا | المرابطون | العرب | المعتوقون | آخرون | المجمو |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| العائلات (٪) | 48 | 35,3 | 7,3 | 2,2 | 5,1 | 1,4 | 0,7 | 100 |

والملاحظ أن مناخ درعة شبه الصحراوي المعروف بتكرار فترات الجفاف الطويلة قد أدى إلى إفراغ وادي درعة من سكانه، نذكر على سبيل المثال جفاف الثلاثينات وأواخر الأربعينات المعروف محليا بعام "الروز" أو عام "الجوع". وهكذا فقد غادر قصور تيمتيك ما بين العشرينات وسنة 1986 نحو مائتين وستين عائلة واستقرت بمختلف مدن درعة وغيرها كالدار البيضاء والقنيطرة والمحمدية.

ع. الكبير باهني، *قصر تيمتيك، واحة فزواطة ؛ دراسة بشرية ؛ البنيات الزراعية ونظام السقي بواحة فزواطة*، د. ج. روان، فرنسا 1990.

عبد الكبير باهني

**تيمزْوركة**، رأس يقع بشاطئ قبيلة بني سعيد الغمارية الموالي للبحر المتوسط بالقرب من مصب وادي أمسا، وهو من المواقع الجغرافية القليلة التي احتفظ الاسبان بأسمائها الأصلية.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografía de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 29 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografía de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 69.

محمد ابن عزوز حكيم

**تيمَزْگدَوين**، موقع معدني بالسوس الأقصى، والكلمة تعني المساجد، وربما أطلقت على الأطلال الواقفة إلى جنوب المنجم بحوالي ثلاثمائة متر، ويبعد الموقع بثلاثة وعشرين كلم مستقيمة إلى الشمال الغربي من مدينة تامدولت المندثرة (انظر الخريطة الطبغرافية لتافراوت 100.000/1). ولاحظ شازان عند زيارته للمنطقة سنة 1951، أن جل سكان المناطق المحيطة يعرفون المنجم، مع العلم أن

قلة منهم زارت الموقع، ويستنتج أن تيمزگدوين ترك بصمات في الذاكرة الشعبية المحلية.

تغطي الترسبات المعدنية مساحة 50.000 م$^2$ (100 x 500 م) واستغل المنجميون القدامى عروقا معدنية تحتوي على الكالامين ($Sio_2Zn\ OH_2O$) والهيدروزنكيت (ZnO) وهي ما كانت تعرف في المصادر التاريخية بالتوتيا، واستُغلت كل العروق المعدنية البارزة على مسافة خمسمائة متر بواسطة خندق يتراوح اتساعه مابين متر واحد وثلاثة أمتار وعمقه متران، بالإضافة إلي بئرين بوجدان إلى الشرق من الخندق. كما استغلت ترسبات معدنية أخرى تمتد على طول مائة متر بواسطة دهليز من 8 م x 1 م x 5 م، وينتهي في شرقه برواق من خمسة أمتار إلى ستة أمتار طولا.

ولاشك أن المنجميين القدماء استغلوا زنك هذا الموقع في عملية خلطه مع النحاس لتبييضه، وهو ما اشتهر به المغرب وخاصة منطقة سوس ما بين القرن الرابع والثامن (10 ـ 14 م)، وشكل مادة أساسية في التجارة مع السودان، وهو ما ردده المؤرخون والجغرافيون كالبكري وصاحب كتاب *الاستبصار* والإدريسي والزهري وغيرهم.

رغم الحديث عن النحاس الأصفر والأبيض أو النحاس السوسي أو الصيني، فإن أي مصدر لم يتعرض لمنجم الزنك أو التوتيا عدا عبد الواحد المراكشي في القرن السابع (13 م)، الذي يشير في كتابه *المعجب في تلخيص أخبار المغرب* إلى التوتيا قائلا : "وبسوس أيضاً معدنان للنحاس ومعدن توتيا وهي التوتيا التي يصبغ بها النحاس الأحمر فيصير أصفر" (*المعجب*، ص. 510).

وعند دراستنا الميدانية للمناجم القديمة بالمنطقة، لم نعثر إلا على موقع تيمزگدوين الذي توجد به آثار لاستغلال نوع الزنك المعروف قديماً بالتوتيا. ونعتقد أن المنجم المشار إليه في كتاب عبد الواحد المراكشي هو تيمْزگـدوين، ويعتبر النص الوحيد الذي يشير إلى منجم التوتيا رغم ورود هذا المصطلح في كتب دار السكة ومعالجة المعادن، والتي استعملت بالأساس في تبييض النحاس والصياغة وصناعة الخزف (انظر مادة *توتيا*).

عبد الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، الدار البيضاء، 1978 ؛ الخريطة الطبغرافية، تافراوت 1 / 100.000.
W. Chazan, *Rapport B.R.P.M.*, Juin 1951.

الموساوي العجلاوي

**تيمْسُوريِّين**، اسم خاص في حاحة بقصبة رؤساء إنْفْلاَسْ، ترتعد لذكره الفرائص في عهد حكمهم ما بين عام 1288 / 1874 وعام 1331 / 1912، لأن موقعها الإستراتيجي هو مصدر قوتهم وعظمتهم الذي أثار مخاوف جيرانهم المتوگيين والگيگْوليين، وأقلق الدوائر المخزنية العليا وأوقف مَدَّ قوات الاحتلال في زحفها نحو أگادير والجنوب عامة زمناً غير يسير. ونكاد نجْزم في القول بأن موقع قصبة أنفلوس الحالية تيمسُوريِّين هو نفسه موقع قليعة المريدين التي ذكرها الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* (ص. 107)، دليلنا على ذلك :

ـ مطابقة وصف الكاتب لموقع قليعة المريدين في القرن العاشر الهجري لما نشاهده اليوم من تضاريس في المنطقة التي تتبوأها قصبة تيمْسُوريِّين النفلوسية، فهي واقعة على قمة جبل شاهق بين جبلَين عاليين كذلك. وفي هذه الجبال كلها صخور عظيمة تحيط بها غابات كثيفة. ولا يمكن الصعود إلى هذه القلعة إلا من ممر ضيق منحوت في حجر الجبل، إذ تقع هذه الصخور على جهة، وجبل تاسگدالت (أگامُوضْ حالياً) القريب بنحو ميل ونصف على جهة أخرى. وتبعد أيت داود (مقر جماعة إداوبُوزيا حاليا) عن القليعة بثمانية عشر ميلا (الوزان، *وصف إفريقيا*، ص. 107).

ـ وجود ضريح ومدرسة محمد بن سليمان الجزولي (ت. 870 / 1465) الذي حمله مؤسس قليعة المريدين عمرو السياف في تابوت وهو يحارب قبائل حاحة مطالباً بثأر شيخه حتى قتلته بنته في المكان المسمى بحاحة إيمي ن تقاندوت فوق جرف هناك، فدفن الشيخ الجزولي هناك أيضاً، وبني عليه مشهد لايزال معروفاً مزاراً إلى الآن. وهناك مدرسة علمية قديمة، ثم نقل شلو الشيخ في زمن السعديين إلى مراكش (*خلال جزولة*، 4 : 89). وذكر الحسن الوزان بأن قليعة المريدين من تأسيس عمرو السياف الثائر والمقتول فيها، وحدد المختار السوسي موقعها الحالي بمعلمتين مشهورتين بجوار تيمْسوريِّين هما مشهد الشيخ الجزولي وكهف إيمي ـ ن ـ تقانْدُوت المسكون بالجن، في نظر العامة. وقد شاع عند الجميع في مطلع القرن العشرين بأن رؤساء إنفلاس الحاحيين يستمدون قوتهم الخارقة التي لا تهزم من بركة الولي الصالح الشيخ ابن سليمان الجزولي المعروف في التاريخ بنصرة من استنصره، وخدامه من الجن الموجودين بكهف للاتقاندوت !

فهذا الرحالة الفرنسي إدمُون دوتي زار قصبة أنفلوس بتيمْسوريِّين وما حولها سنة 1904 م، وهو يحدثنا عن القوة السحرية لأنفلوس مستشهداً بقول صديقه علال عدي نائب المستشار بالقنصلية الفرنسية بالصويرة في مقال صحفي له : "يوجد على مسافة قليلة من الصويرة، في بلاد تسمى "نكنافة" والتي يحكمها القائد أحمد أنفلوس، كهف تسكنه كتيبة من الجن، نعم الجن الحقيقي، وهو محكم بشكل يخالف الشكل المعروف عند روحانيينا العاديين... إن القائد أحمد أنفلوس الذي لست في حاجة إلى أن أقدمه لكم، والذي له قصبة قريبة من هنا، والذي نما وترعرع ووصل إلى الحكم بفضل الجن، جيرانه الطيبين، يستخدم إيمي ـ ن ـ تقانْدُوت، وهل يؤمن بها حقا ؟ قد لا أستطيع الجواب عن هذا السؤال، أولا ـ لأسباب سبق عرضها. ثم من يستطيع أن يقرأ ما في قلب رجل مثل أحمد أنفلوس ؟ لا أحد سوى الله. على أي حال، فإن الأحداث على ما يظهر تجيب عن نفسها، وتُظهر أن أنفلوس كان يظن بأن تسليح جيوشه ببنادق جيدة والرصاص الضروري يسهل على الجن

أن تقدم له يد المساعدة، ولهذا الهدف يعمل أحمد أنفلوس دائما على توطيد علاقته مع الناس القادرين على أن يزودوه ببنادق (أوربية) جيدة والرصاص الضروري، أما الجن فلاحاجة إلى القول بأنها تُسلّح نفسها وتتجهز على نفقتها. وقد وقع هجوم على أحمد أنفلوس في السنوات الأخيرة من طرف عشرات من القواد أو الباشاوات. كما يدعون. فتوجه أنفلوس إلى جيرانه الذين نصحوه ليلاً بما يلي : "كلما عزمت على حمل السلاح، اذبح ثورا أسود على باب الكهف الذي هو مسكننا، أو بعبارة أخرى مركز تجمعنا، ويجب أن يكون الذبح عند الغروب، وإذا أُكلت الذبيحة من طرفنا فلأننا سنساعدك وسيكون انتصارك مضمونا" (ادمون دوتي، *في القبيلة*، ص. 282).

ويضيف في الصفحة 285 : "الكل هنا يؤمن بعظمة هذا الكهف، ومع ذلك فإن المتعلمين منهم يربطون ذلك الاعتقاد بالدين، دون أن يتركوا الجن جانباً، وفي نظريتهم أن سر عدم انهزام النكنافيين يأتي من الولي الصالح سيدي محمد أوسليمان الجزولي المدفون قرب إيمي ـ ن ـ تقاندوت، وما الجن إلا خدامه المتواضعون الأوفياء. وأحمد أنفلوس الذي يتأرجح قلبه بين مصدري القوة المذكورين يساوي بينهما، حيث إنه لا يقدم ذبيحة للواحد دون أن يقدمها للآخر. ونستطيع القول بأن هناك عدة عوامل موضوعية اجتمعت لتضفي على أنفلوس وقصبته تيمْسُوريِّين هذه الهالة والعظمة الخارقة للعادة منها :

- الظرفية السياسية آنذاك في المغرب المتسمة بالاضطرابات نتيجة ضعف المخزن المركزي أمام التغلغل الأجنبي المتمثل في تسرب الأسلحة إلى أيدي الأهالي عن طريق الأوربيين الذين يتاجرون في السوق السوداء. ويعد أنفلوس من كبار زبنائهم في ميناء الصويرة العظيم الشأن حينئذ.

- ما يتمتع به رؤساء إنفلاس من قوة وشجاعة وفروسية نادرة، ويدربون عليها أبناء قبيلتهم بطريقة منظمة.

- الموقع الاستراتيجي المحصن بالجبال لقصبتهم تيمسوريين يدل على موقفهم المسبق من المخزن.

- يشهد العارفون بأن تيمْسوريِّين كانت أكبر مخزن للأسلحة الأوربية الخفيفة في المنطقة بفضل ما عاد به أحمد أنفلوس من مال وسلاح من سوس واشترى أضعاف ذلك من الصويرة، وأمده السلطان المولى عبد العزيز من طنجة بسفينة محملة بثلاثمائة جندي وأربعمائة جندي من الرباط مع ما يلزمهم من سلاح وعتاد، فواجه بها قوات سلطان الجنوب المولى عبد الحفيظ المقدرة بألفي رجل محارب يقودها عشرات الباشاوات (*Bulletin du Comité de l'Afrique française*, 1906).

- وأخيراً يأتي دور القوة السحرية المستمدة من جني كهف تقاندوت كعامل نفسي يرفع من معنوية رجال أنفلوس البدويين السذج.

وبقي أن نلقي نظرة على قصبة تيمسوريِّين من الداخل بعين أحد زوارها الملاحظين ألا وهو الدكتور ليريس دو كامبريدون الذي رافق تاجراً فرنسياً ذهب لزيارة أحمد أنفلوس، فقال في مذكراته : "في أواخر سنة 1905 أخبرني السيد بيرنارد ذات يوم بأنه يعتزم القيام بزيارة لأنفلوس من أجل تصفية بعض القضايا التجارية بينهما، واقترح علي أن أرافقه فوافقت على اقتراحه بسرور.

كان أنفلوس في ذلك العهد قائداً مستبداً على قبيلة حاحة البربرية، وكانت قصبته توجد على نحو خمسين كيلومتراً جنوب الصويرة، وكانت هذه القصبة بمثابة عُشّ غُراب، وصلنا إليها بالمرور عبر طرق ملتوية ووعرة مما جعل منها حصناً حصيناً في زمنها، وتحت حماية جدرانها كان سيدها يجلس بكل ارتياح وأمن من أعدائه الذين ليسوا بقليلين".

"لقد خرجنا من الصويرة باكراً ثم وصلنا قبالة القصبة العظيمة حوالي الساعة العاشرة، ولما كان حضورنا منتظرا فالأوامر قد أُعطيت فدخلنا إلى القصبة بدون صعوبة، ومازلت أتذكر هذه الأماكن كما لو كانت الزيارة بالأمس، بعد ما اجتزنا بابا كبيرا محروسا بجماعة من المسلحين، وفي عمق القصبة توجد البناية الخاصة بالقائد، واستقبلنا هذا الأخير في غرفة واسعة مستطيلة، وكان بها شيوخ القبيلة المؤطرون، وكانت جدران هذه القاعة مغلفة بثوب حيطي مزركش، والأرض مفروشة بالزرابي البربرية السميكة.

كان الاستقبال حبيا كما كنا نتمناه، وكانت هذه المأدبة من المآدب الأولى التي تناولت فيها الكسكوس والمشوي وكعب غزال والشاي المنعنع. يقدم لنا كل ذلك من طرف عبيد تحت أصوات المزامير والدفوف، كان أنفلوس رجل الأربعين أحول العينين خلاسيا، وإصابته بالحول كانت بارزة. كانت له هيئة كبار قطاع الطرق، أما ما تبقى من شخصيته فقد كانت خرافية في جميع هذه المنطقة الجنوبية من المغرب فيما يخص تعصبه في الحرب وغدره وخيانته ورغبته الأكيدة في سفك الدماء".

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 5 : 40 ـ 103 ؛ *روايات شفوية*.

E. Douté, *En tribu*, p. 282 ; D. Leyris de Campredon, *Quarante cinq ans de souvenirs marocains, 1904 - 1948*, p. 34, 1949 ; H. Alis, *Bulletin du Comité de l'Afrique française*, 1906.

محند أيت الحاج

**تيمْكيدْشْت**، قرية في جبال جزولة قامت شهرتها على زاوية ومدرسة ارتبطتا بها. تقع جنوب مركز تافراوت وتبعد عنه بما يقارب خمسين كيلومتراً في قبيلة إيسي، مدفن الشيخ محمد بن أحمد الحضيكي مؤلف *المناقب*. موقعها على واد خصيب، به عيون جارية وأشجار مثمرة باسقة وأرض طيبة قادرة على إعالة سكان القرية بما يحتاجون من زرع وخضر مما ساعد على الاستقرار وتعميرها وأغرى العلماء والطلبة بالالتجاء إليها والإقامة بها.

قامت زاوية تيمكيدْشت بالجمع بين نشر العلم والتصوف عن طريق التدريس والإرشاد، أجيالاً متلاحقة

منذ العقد الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) إلى اليوم، وكانت الزاوية قد تأسست في بداية أمرها على التصوف وحده، ولكن الشيخ أحمد بن محمد الميموني، وابنه الحسن من بعده، جعلا منها مركز إشعاع علمي استقطب الطلبة من كل أنحاء الجنوب ليرتووا من منابعها العلمية الصافية، ثم يتوزعوا في مناطق مختلفة في سوس وأحواز مراكش يؤسسون المدارس وينشرون العلوم التي تلقوها في تيمگيدشت حفظا وتدريسا، أو نقلوها من مصنفات شيوخ هذه المدرسة.

كانت الزاوية في عهد الشيخ أحمد وابنه كما قال المختار السوسي : "قد عُبدت إليها السبل، ووُطئت لها الشهرة، ورفرفت فوقها ألوية المعارف، لما للشيخ من شهرة علمية واسعة، قصده الأساتذة الكبار من كل ناحية، والطلبة المتعطشون للعلم من كل جهة وإقليم، فتسارع فيها البنيان وانتشر فيها العمران، وتعوَّد السكان على استقبال الضيوف وإكرامهم، فتسابق السكان في الاهتمام بزوار الزاوية وإنزالهم منازلهم اللائقة لرفعة مكانتهم الاجتماعية والعلمية، فاهتم السكان بذلك فوفروا ما تحتاج إليه المدرسة والزاوية على مدار السنة من دقيق وإدم ولحم وتوابل، واجتهدوا في ذلك أيما اجتهاد، فصار ذلك علامة مميزة لهم إلى اليوم".

ولم تؤسس الدراسة العلمية في تيمگيديشت إلا على يد الشيخ أحمد الميموني، نسبة إلى سيدي ميمون، صاحب الضريح والمدرسة التي بمدشر المزار قرب أيت ملول بضواحي أگادير گسيمة، أما قبل ذلك فلم تكن القرية إلا كما وصفها ابن الشيخ الحسن بن أحمد التيمگيدشتي بقوله : "على أن هذه القرية قبل ظهور الوالد المقدس فيها (...) لم تكن فيها مدرسة تقوم بتدريس العلوم، وإنما بنى فيها المدرسة وعمرها بالعلم وأحيى فيها السنة الوالد رضي الله عنه... فسبقت السعادة لذلك المحل واشتهرت، وبه ذكرت" (*المعسول*، 2 : 270).

ونظراً لمكانة هذه المدرسة العلمية، واتساع إشعاعها الروحي والعلمي، أصبحت تصرف إليها أعشار معظم القبائل في سوس من إرزان على ضفاف نهر سوس بضواحي تارودانت وتزالاغت بجبال الأطلس الصغير وبلاد أيت باعمران والأخصاص وغيرها من القبائل السوسية الأخرى. وقد أمر السلطان العلوي مولاي عبد الرحمان آل إيرز أن يصرفوا أعشارهم إلى تيمگيدّشت لإعالة المدرسة وطلبتها، على إثر خلاف وقع بين القائد بومهدي، قائد تارودانت، وبين آل إرزان، الذين يكنون للشيخ التيمگيدّشتي تقديراً وإجلالاً كبيرين، مما دفع بالقائد بومهدي إلى اعتقال الشيخ أحمد التيمگيدشتي وابنه بدعوى أنهما ضد المخزن وبعث بهما إلى السلطان بمراكش، لكن المولى عبد الرحمان لما استمع إلى الحسن الذي تحدث باسم أبيه أمام السلطان، أعلى قدر الشيخ، وأمر الإرزانيين بدفع أعشارهم إلى تيمگيدّشت، وفوض للشيخ البت في كثير من الأمور في سوس.

قضى الشيخ في المدرسة ما يناهز خمسين عاما وهو متصدر للتدريس والإفتاء والإرشاد، فأصبحت في عهده حاضرة عامرة يلتقي فيها البادي والحاضر، وتعج بالوفود التي ترد عليها يوميا من كل ناحية. ولما توفي أمر وزير الدفاع - العَلاَّف - بأمر من السلطان المولى عبد الرحمان ببناء قبة على ضريح الشيخ.

وقد خلفه بعد وفاته ابنه الحسن بن أحمد وسار على الدرب الذي سار فيه أبوه، ورفع من قدر المدرسة والزاوية واتسعت شهرتهما العلمية والصوفية. وكان يرسل التلاميذ الذين يتخرجون على يده إلى القبائل للتدريس، وتأسيس المدارس.

تضم الزاوية خزانة عامرة بالمصنفات في مختلف الفنون والعلوم، ونفائس الكتب، ولم يبق منها اليوم إلا القليل النادر، ومازالت مدرستها تؤدي دورها العلمي إلى اليوم، وعدد طلبتها يفوق الخمسين، جلهم من الغرباء عن المنطقة.

وقد حملت الزاوية التيمگيدّشتيّة نبراساً وهاجاً من العلوم والمعارف في سوس منذ تأسيسها على يد الشيخ سيدي أحمد الميموني التيمگيدّشتي إلى اليوم بواسطة التلاميذ الذين أخذوا عن شيوخها أو عن طريق مؤلفاتهم التي تعتمد في انصبة الدروس على المدارس العلمية العتيقة في مختلف جهات سوس.

وقد ألف العربي المشرفي الفاسي كتاباً عن تيمگيدّشت وشيخيها أحمد والحسن، حين وفد عليهما بإيعاز من الوزير عبد الله بن أحمد أيام سيدي محمد بن عبد الرحمان العلوي، سماه *نزهة الابصار لذوي المعرفة والاستبصار*. جاء فيه وصف موقعها : "هي مدشر فسيح، في بسيط مليح، طيب التربة، ملم شعث الغربة، منور البراح، للقلب فيه انشراح، وإن اعتراك قبض في الصباح، تنشط ثمة بدون اقتراح، وإن أصابتك من هموم الدنيا جراح، برئت في الحين بجلوسك في عرض البطاح، وما أجل المشي والتردد في ذلك المراح، وأحزانك الطارئة، تذهبها عينه الجارية، وبها نخل وبساتين، ومن أشجار الزيتون والتين، وما أفسده حر هاجرة، تصلحه في العصر الرياح العاطرة. دارت بها الجبال الرواسي، فلا ينالها مكروه من الأناسي، حصنها بالشوامخ ملك الملوك، وأتقنها بحكمته التي لا يقدر عليها غني ولا صعلوك".

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 162 ؛ المعسول، 2 : 270 ؛ ع. المشرفي، *نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار*، مخطوط خ. ع. رقم 579 ك.

الحسين أفا

**التِّيمْگيدّشْتي، أحمد** بن محمد بن إبراهيم الميموني الإيسّي، أول من أسس الزاوية في تيمگيدشت بل هو أول من نزل هنالك من أهله، فهم أجانب عنها، وينتسبون إلى سيدي ميمون بگسيمة الذي ينتسب إلى الشرف. وكان الشيخ أحمد من أتباع الطريقة الناصرية ومن

شيوخها. تلقى تعليمه على يد والده محمد بن إبراهيم الميموني، والفقيه الصوفي محمد بن الحسن الطويلي ويوسف بن محمد الناصري وآخرين. وقد أرشده إلى تأسيس الزاوية بتيمگيدُشت شيخه الحاج محمد بن عبد الكريم الوايغدي الحاحي الأصل، وعُرف الشيخ أحمد بكراماته ومكاشفاته.

ذكر الشيخ أحمد التيمگيدُشتي المؤرخ الإيكراري، وصاحب *فهرس الفهارس*، وخصص له ولده الحسن ترجمة مفصلة في كراسة سماها *رسالة الأنوار*. وكانت للشيخ مكانة لدى السلطان المولى عبد الرحمان خاصة بعد حادثته مع القائد بومهدي، وتبادل الرسائل معه ومع الوزير محمد ابن إدريس.

أما تلامذته فبلغ عددهم مائة وتسعة وعشرين تلميذاً على رأسهم ولده الحسن والعربي الأدوزي، وقد رثاه كلاهما بعد وفاته بقصيدة مؤثرة.

توفي أحمد التيمگدشتي عام 1274 / 1858 وبنى عبد الله بن أحمد باشا فاس قبة على قبره.

**التِّيمْگِيدُشْتي، الحسن** بن أحمد بن محمد الميموني الايسي ولد سنة 1233 (1817 م) وتربّى في كنف والده وأخذ عنه معظم العلوم، تولى أمورَ التدريس بالزاوية بعد وفاة والده وبلغت الزاوية في عهده مكانة هامة واتسع نطاقها، وقد وفد الشيخ عدة مرات على السلطان المولى عبد الرحمان وخلفه المولى محمد بن عبد الرحمان فكان يقابل بكل احترام خاصة من طرف الباشا عبد الله بن أحمد، وهو الذي أمر العربي المشرفي بتأليف كتاب في مناقب آل تيمگيدشت، ومما يدل على مقدار الحسن التيمگيدشتي في الدوائر المخزنية إذ ذاك أنه هو الذي وُجهت إليه رسالة عامة ليبلغها إلى علماء المنطقة وقبائلها ويحثهم على الدفاع عن البلاد أثناء حرب تطوان. وزار السلطان الحسن الأول سنة 1293 / 1876. وكان الشيخ دائم التحرك، يتفقد فروع المدرسة التيمگيدشتية في الحوز خاصة مزوضة. كما كان كثير المراسلة مع القبائل في سوس من أجل الوعظ والإرشاد. ومن مؤلفاته: *رسالة الأنوار* في أخبار والده و*المواهب القدسية في الفتوحات السوسية* و*تحفة الحبيب* وهي منظومة.

وأما تلاميذه فذكر منهم صاحب *المعسول* ستة وأربعين تلميذاً.

توفي الشيخ الحسن التيمگيدُشتي في رجب عام 1297 / يونيه - يوليوز 1880.

العربي المشرفي، *نزهة الابصار لذوي المعرفة والاستبصار*، مخطوط، خ.ع.ك. 579 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الجزء 2 و3 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 6 : 262 ؛ *سوس العالمة*، ص. 201 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، رقم 906 و1531 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، 2 : 101 ؛ *تحريات ميدانية*.

علي أنشاد

**تيمُولاَيْ**، مدشر قديم في الأطلس الصغير. قد يكون معنى الكلمة مرادفاً لتگاوست أو أكاس وهما يفيدان مرتفعا أو كدية (انظر مادتي *أكاوس وتگاوست بالمعلمة*). وإذا لم يكن هذا المدشر القديم قد لاقى اهتماماً كبيراً من طرف الجغرافيين والمؤرخين فذلك راجع لموقعه الذي يبعد عن شرق بويزكارن بمدخل فايجة وادي نون بأربعة عشر كيلومتراً وعن شمال قرية إفران التاريخية بعشرة كيلومترات. أما تغاجيجت مقر قبيلة أيت إبراهيم التكنية فتبعد عنه بحوالي ستة وعشرين كيلومتراً إلى جهة الشرق.

يرتبط هذا الموقع الجبلي البعيد عن رطوبة السواحل الأطلسية بهبوب الرياح الشرقية الحارة وبصفاء الجو وبسقوط أشعة الشمس بصورة شبه عمودية، فيتحدد نوع المناخ السائد في منطقة وعرة تقل فيها التساقطات المطرية وتنحصر لذلك أهمية الأراضي المستصلحة. من هنا فإنه لايمكن أن نحلل نمط العلاقات الاجتماعية القائمة بتيمُولاَيْ إذا لم نشر إلى ارتباطها العضوي بقصور ومداشر تيسلات وأغرغار وأيت جرار المجاورة. فعلاوة على كون التوزيع السكاني يتجه نحو النمط المتباعد نظراً لعدم استواء السطح وبسبب نظام الملكية الزراعية المستقلة وشبكة الطرق الجبلية، فإن التنافس الشديد من أجل احتكار الساقية والمراعي والأغراس يزيد من الترتيب التصاعدي لقيمة الأراضي المستصلحة.

تجعل تيمولاي التي تنقسم إلى عليا (أفلاً) وسفلى (أزدار) من قسميها تجسيداً لعلاقات نظامية تربط بين صيغتين للعلاقات مع المداشر المجاورة. فمعدل المسافة الفاصلة بين كل قسم والمداشر الأخرى يجعل من الأراضي المستصلحة الفاصلة مقياساً مجالياً كميا يمكن على ضوئه تحديد نمط العلاقات التحالفية. تعتبر الرواية المحلية إدْهيَط سكان القسم الأعلى أقدم من سكان القسم الأسفل الوافدين عليهم. وإذا كان الكل ينتمي إلى أيتْ ارْخَا، فجفاف البيئة المحلية والنقص العام في مياهها الجوفية والسطحية وطبيعة السطح المعقد قد أثر إلى حد كبير في نمط الاستقرار، شكله واتجاهاته. وكان لطريقة تخزين مياه التساقطات أثرها الواضح في سيادة نمط العيش الجبلي. فأفضل طريقة لصياغة العلاقة المتبادلة بين الجبليين وسكان السفح هو تحديد مستويات التبادل الذي يصلح لقياس النشاط الفلاحي والتجاري. هنا نستدل على ما قلناه بحرص أهل تيمولاي على حيازة ماء وُوشان من أهل مسجد الناجمة الموروث عن أبي حسون السملالي المكنى بودميعة (*المعسول*، 12 : 218). فقد ساهمت هذه العملية في تحديد نفسية التراضي من أجل اقتسام المجال والأراضي الرعوية. يتوقع عموماً عند التطبيق العملي لصلة الجوار أن يكون هناك تشابه في نمط العيش وفي الأساس الاقتصادي والاجتماعي والبعد التاريخي. ولعل أهم وثيقة تحدد الملامح التاريخية للتطورات السياسية والاقتصادية المحلية يمثلها ديوان سنة 1287 / 70 . 1871 الذي

لخص ملابسات تحالف أيت النص التكنيين بأيت بلة (انظر مواد *أيت بلة وتغاجيجت وأيت إبراهيم بالمعلمة*).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 : 207 ـ 218.

Cl. La Ruelle, *Les Id Brahim.*

مصطفى ناعمي

**تِيمُونَاي**، ميمون. مقاوم ولد سنة 1337 / 1919 بأيت يوسي كيو إِمُوزَار مرموشة (بولمان). وصرّح أحد مسؤوليه في العمل الكفاحي أنه كان "مخزنيّاً" وأن سلطات الاستعمار اتهمته بالتعاون مع جيش التحرير المغربي، وأنه أبان عن غيرة وطنية صادقة حيث ظل يكافح إلى جانب إخوانه في جيش التحرير إلى أن استشهد بتاريخ 18 صفر عام 1375 / 6 أكتوبر 1955 بإموزار مرموشة.

*وثائق المندوبية السامية للمقاومة : كتاب الشهداء*، ج 3.

عز الدين العلام

**تيمْياتيريُون** Thymiaterion، موقع مغربي ورد ذكره في نص *رحلة حانون* (القرن الخامس ق. م). يقول النص : "بعد أن اجتزنا الأعمدة وأبحرنا لمدة يومين، أسسنا المستعمرة الأولى التي أخذت اسم تيمْيَاتيريُون وكانت محاطة بسهل كبير". إن أغلب الدارسين للرحلة يرون أن المدينة توجد على مصب نهر سبو حيث توجد المهدية الحالية بينما يرى آخرون ومن بينهم الباحث روسو Rousseau, (*R. Af.*, 1949) أنه يجب البحث عن هذه المدينة حول المضيق حيث مدينة طنجة.

إذن، فالمعنى الذي سيعطى للأعمدة هو الذي سيحدد موقع المدينة، فإذا كانت الأعمدة تعني مدينة قادس فإن موقع تيمْيَاتيريُون سيكون على الشاطئ الأطلسي بعد مسافة تقدر بيومين من الإبحار ابتداء من الجنوب الغربي الإسباني إلى مصب نهر سبو. أما إذا كانت الأعمدة واقعة بمدخل المضيق فإن المدينة يمكن أن تطابق موقع طنجس الحالي اعتباراً لقدم الناحية ومعاصرتها للفترة القرطاجية.

إلا أننا لا نتوفر على معلومات تفيدنا معرفة اتجاه وقوة الرياح، فقد تكون الرحلة القرطاجية قد قطعت مسافة خمسين كلم الرابطة بين سبتة وطنجة في ظرف يومين نظراً لصعوبة الملاحة وقد تكون أيضا قد قطعت مسافة مائتين وثلاثين كلم الرابطة بين مدخل المضيق ومصب سبو في نفس المدة.

من المستبعد أن تكون مدينة طنجة هي المقصودة نظراً لقدمها فهي سابقة لحانون ولا يمكن أن تكون قد أسست من طرفه، فكثير من الروايات تشير إلى أسطورة تأسيس المدينة من طرف سوفاكس ابن هرقل.

إذا كان مصطلح تيمْياتيريُون لم يرد سوى في الرحلة القرطاجية، فإن اسم "تيمْياتيريّا" ورد ذكره في *رحلة* سكيلاكس الزائف، يقول النص : "وبعد الأنيدس Anides (وادي غرينة حسب دوزانج) يوجد نهر آخر كبير هو لكسوس، والمدينة الفينيقية الحاملة لنفس الاسم. وبعد لكسوس نجد نهر كرابيس وميناء والمدينة الفينيقية تيمياتيريا".

ويقول المؤرخ إتيان البيزنطي : "إنها مدينة اللوبيين ويتفق مع الرحالة حول الشكل، أي تيمياتيريا".

من خلال هذه الشهادات يتضح أن المقصود هنا، مدينة توجد على مصب النهر كما ورد في رحلة سكيلاكس وكما تشهد على ذلك أيضا الإتيمولوجيا. فحسب مارسي Marcy، كانت تيمياتيريا مؤلفة من شطرين : توميا Tumia، وتعني مصب، وTaria (الوادي) ـ أي مصب الوادي ـ وبالتالي فهي من المحتمل أن تدل على مصب سبو. وتكون إذن تيمياتيريون أو تيمياتيريا هي المهدية، ويكون للباحث شارل تيسو السبق في الإشارة إلى كون موقع المهدية هو الوحيد الذي بإمكانه موافقة الوصف الذي قدمته الرحلة (رحلة حانون) لتيمياتيريون.

J. Ramin, *Le periple d'Hannon* ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens* ; L. Chatelain, *BSAF*, 1942, p. 102 - 103.

عبد العزيز بل الفايدة

**تيمِيزَار**، إحدى محطات القوة المخزنية بقلعية في العهد الإسماعيلي. والاسم مشتق من لفظ "تَمَزِيرْتْ" الأمازيغي، الذي يعني الأرض وما في معناها كالموطن والبلدة. وهو في صيغة الجمع. ظهر هذا المركز خلفا لقلعة تازوطا التي انتهى دورها الجهادي بتسلم الأسرة الإدريسية القيطونية زمام القيادة الجهادية بقلعية، واحتفظ بتلك المكانة إلى أن حلت مكانه قصبة فرخانة على عهد الحسن الأول في أواخر القرن التاسع عشر.

تأسست تيميزار دار المخزن عام 1095 / 1684 على يد قائد قبيلة قلعية ورئيس المجاهدين بها عمر بن محمد بن مسعود الكعداوي القيطوني. أسسها بالكعدة، إحدى جماعات قبيلة بني سيدال القلعية بالموضع المعروف بكعدة "بُويْخْفَاوِنْ"، بجوار المزارة المعروفة بمسجد الأرض. وقد نما عمران المركز بما أضافه أبناؤه الثلاثة : الطاهر وعبد الكريم وعمر الصغير. لكن ظهور تيميزار بمظهر القوة تم على عهد حفيده القائد عمر بن عمر، قائد سيدي محمد بن عبد الله على القبيلة، ورئيس المجاهدين أثناء حصار مليلة، وآنذاك كانت تيميزار شبيهة بالمدينة بمرافقها واتساع عمرانها، يدل على ذلك مجموع الخرائب التي مازالت إلى اليوم ماثلة للعيان إلى أن تم هدمها على يد القبائل القلعية، أثناء التمرد على قائدها البخاري في أواخر القرن التاسع عشر.

أحمد بن حمد بن القاضي الكعداوي، *تقييد*، مخطوطة خاصة ؛ حسن الفكيكي، *قلعية ومشكل الوجود الإسباني بمليلة*، 1 : 232، 2 : 324 ـ 325 ـ 332 ـ 336.

حسن الفكيكي

**تِيمِيشْ** ← **الصوان** (حجر.)

**تِيمِيشْ**، قصر يقع على الضفة اليسرى لواد دادس بمنطقة أيت إحيا فرقة أيت سدرات الوادي (أيت واسيف)، يقطنه شرفاء من أصل إدريسي، كان له أهمية كبرى إذ منه

وإليه كانت تصل الطريق التي تربط بين هذه المنطقة ووادي درعة. ومن الجدير بالذكر أن الراهب شارل دوفوكو حينما أتى قادماً من وادي درعة في اتجاه وادي دادس مروراً بجبل صغرو، سلك هذا الطريق وتوقف في قصر تيميشْ، وقضى به ليلة 22. 23 أبريل من سنة 1884 قبل أن يستأنف استطلاعه بوادي دادس.

*تحريات ميدانية.*

C. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc, 1883 - 1884*, Paris, 1888, p. 215.

محمد حمام

**التين**، أو الكـرْمُـوس بالعربية الدارجة أو تازارت بالأمازيغية، كلمات تطلق على ثمرة شجرة تسمى بالعامية المغربية "كَرْمَـة"، وقد تعمّم في بعض مناطق المغرب فتصبح مرادفة لشجرة كيف ما كان نوعها. أما الاسم العلمي لشجرة التين فهو فيكُوسْ كاريكَا Ficus Carica وهو من فصلية التوتيات Moraceae.

والتين هو النوع الوحيد الذي يمثل جنس فيكُوسْ Ficus في المنطقة المتوسطية. ومن المعروف أن هذا الجنس يحوي 650 نوعاً تُصادَفُ كلها طبيعيا ما بين المدارين، ومنها تلك التي نراها مستعملة للزينة في المنازل أو في الحدائق أو على جوانب الطرق أو الشوارع الكبيرة مثل شارع النصر أو شطر من شارع محمد الخامس بالرباط. ومن أنواع هذا الجنس تلك التي تعطي المطاط الطبيعي.

وُجد التين بالمنطقة المتوسطية منذ الحقبة الثلاثية. وقد زرع منذ قديم الزمان. ويعتقد أن زراعته نشأت وتطورت في جنوب شبه الجزيرة العربية ومنها انتشرت إلى كل مناطق البحر المتوسط. وقد ذكر التين في الإنجيل وفي القرآن. وذكر الفيلسوف سُقْراط عدة أصناف منه.

التين شجيرة أو شجرة قصيرة القامة. لها جذع قصير وقشرة ملساء وشهباء. تاجها غير كثيف. تحتوي على عصارة لبنية. أغصانها متدلية. أوراقها معنقة ومفصصة بشكل يميزها وعدد فصصها من ثلاث إلى سبع أوراق نفضية، يصل طولها إلى خمسة عشر سم وعرضها إلى عشرة سم، وجهها العلوي أحرش ذو لون أخضر غامق، ووجهها السفلي زغب ذو لون أخضر فاتح. أزهارها مجتمعة داخل حامل لحمي وأجوف في شكل إجّاصة يمثل في الحقيقة محاور للازْهرار، يظهر في إبط الأوراق أزهار صغيرة جداً ثنائية المسكَن ومعنقة. ثمارها الحقيقية فقيرة صغيره ووحيدة النواة تُحْمَل على أعناق قصيرة ومجتمعة داخل التينة.

تنتج شجرة التين نظرياً ثلاث مرات في العام الواحد : ينضج المحصول الأول في فصل الربيع إلى بداية الصيف، والثاني في آخر الصيف، والثالث في الخريف وبداية الشتاء. وتظهر ثمار هذا المحصول في إبط الأوراق التي تساقطت في الشتاء السابق، وتسمى بالبَاكُور أو البَكُور. وتنشأ ثمار المحصولين الآخرين على براعم تلك السنة وهي الكَرْمُوس أو التين العادي. لكن غالباً ما يقتصر إنتاج التين على مرتين في العام.

يعتبر النظام الزهري للتين وعلاقته مع التلقيح الحَشَري من الظواهر العجيبة في بيولوجية الأزهار. لا يمكن للتين إنتاج البذور إلا بمساعدة زنبور وهو حشرة صغيرة تشبه الذبابة وتسمى علميا بْـلاَسْتُوفَاگَاپْسينيسْ Blastophagapsenes وبالعربية آبرة التين (نوع من حشرات تنتمي إلى فصيلة الآبرات تخصب التين). تلاءم هذا الزنبور مع الأزهار الأنثوية التي لها مبايض ذات أقلام قصيرة والتي ينحصر دورها في صيانة بيض الحشرة وتغذية يرقاتها مما يجعلها لاتعطي بذوراً. يفقس الجيل الجديد من الحشرة بعد شهرين ويتطور داخل الثمرة. وأثناء خروجه من فتحتها القمية التي توجد بها أزهار ذكرية، تُغَطي حبوب اللقاح أجسامه ثم يطير إلى أزهار أنثوية لتينات أخرى. ولا يمكنه أن يضع بيضه إلا في الأزهار قصيرة الأقلام. كل زهرة من هذه تأوي ببيضة واحدة، ونتيجة لنمو الحشرة تصبح الزهرة عفصية. يحدث التناسل للحشرة داخل التينة، فتخرج الحشرات الأنثوية المجنحة والمخصبة مغطاة باللقاح للبحث عن الأزهار العفصية. ويحدث إخصاب الأزهار الأنثوية طويلة الأقلام بواسطة الحشرات أثناء بحثها عن الأزهار العفصية فتنتج البذور.

لكن نوع أشجار التين المغروسة بالمغرب أو ببلدان أخرى لا تعطي إلا الأزهار طويلة الأقلام. أما الأزهار الذكرية فنادرة جداً أو غير موجودة تماماً. والإنتاج عديم بالنسبة للأزهار العفصية.

زهرة أنثوية

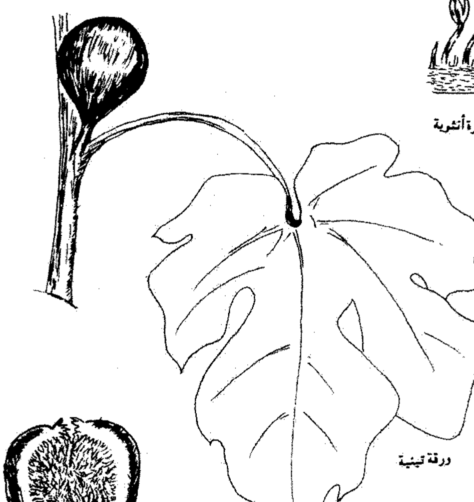

ورقة تينية

مقطع لثمرة التين

لكن هذا النوع من الأزهار غير الموجود عند الصنف المغروس، تصادف مع أزهار أنثوية خصبته على أشجار التين التي تنمو طبيعيا والمعروفة بالذُّكّار. وتسمى

التين (فيكوس ريتوزا Fucus retusa)

بالفرنسية تين كابري Caprifiguier. ويرى الفلاح المغربي كل المنفعة في وجود الذُكَّار بقربة من أشجار التين. ولكي يكثر من كمية المحصول نراه يقوم بتَأبير التين (عملية تخصيب التين) فيعلق في تيجان أشجاره بعض ثمار الذكار التي تأوي الزنبور الذي يقوم بعملية التخصيب.

يعتبر بعض الباحثين أن الذكار يعطي ثماراً لا تؤكل والذي يعيش في منطقة البحر المتوسط هو الطراز البدائي ومصدر الضروب الحالية المزروعة. لكن هذا النوع البري لاينتج بصفة منتظمة ثلاث مرات في العام. وعندما يحدث هذا، تعطي الشجرة في المرة الأولى تيناً يشمل أزهاراً ذكرية وأزهاراً عفصية ثم أزهاراً ذكرية مع عدد قليل جداً من الأزهار الأنثوية الخصبة، وأخيراً عدداً قليلا من الأزهار الذكرية وأزهاراً عفصية.

من الممكن إذا كان هذا التعاقب منتظماً أن يُؤَمِّن خلق هذا النوع. لكن الجيلين الثاني والثالث قد ينعدمان في بعض الأحيان فيستحيل الإخصاب في هذه الحالة وينعدم إنتاج البذور.

ويوجد صنف آخر اكتشف بإيطاليا سمي بالصنف الأصلي. يعتقد أنه المصدر للأصناف المزروعة حالياً، لكونه ينتج بصفة منتظمة ثلاثة محاصيل في العام. يشمل المحصول الأول ثماراً لا تؤكل وهي محتوية على أزهار ذكرية وأخرى عفصية كما هو الشأن عند الذكار. أما الإنتاج الثاني فهو يعطي ثماراً تؤكل، وهي ذات بذور لأنها مكونة من أزهار أنثوية طويلة الأقلام ومخصبة بواسطة أنثيات الزنبور أثناء بحثها عن الأزهار العفصية. وأخيراً يتكون المحصول الثالث بثمار لا تؤكل لأنها لاتحتوي على أزهار عفصية.

يتبين مما سبق أن الأزهار الذكرية تسود عند الذكار، ويلاحظ عكس ذلك عند الأصناف المغروسة التي تنتج في الغالب أزهاراً أنثوية. تقتصر الأصناف المغروسة بالمغرب على إنتاج محصولين اثنين أو محصول واحد في العام. يشمل الأول ثمار البَاكُور التي هي أكبر حجماً ولا تحتوي على بذور لأن أزهارها طويلة الأقلام عقيمة. تؤكل عادة طازجة ولاتجفف وهي تحمل على الأفرع الكبيرة السن. أما الجيل الثاني فهو يتكون من التين الذي يحمل بذوراً لكن التكاثر يتم بسهولة بالعُقَل.

عدد الطرز المغروسة بالمغرب ربما يفوق العشرين. أشهرها من ناحية الانتشار والقيمة التجارية ثلاثة أو أربعة من هذه الضروب التالية :

- الغُدَّاني أو الغُدَّانْ : تين أسود طويل الشكل. معروف في كل مناطق المغرب. لا يتطلب تأبيراً، من الممكن أن تجفف ثمار الجيل الثاني لكن قيمتها التجارية منخفضة.
- بيَاضَا : طرز تين "أبيض" وفي الحقيقة أخضر. إذا لم يتم تلقيح أزهار الجيل الثاني فإنها تتساقط دون أن تنضج. يعرف هذا الطرز في جميع أنحاء المغرب من جْبَالَة بالشمال إلى واحات الصحراء بالجنوب يُعْرَف الباكور الكُرَوي الشكل وكبير الحجم ولذيذ الطعم في جميع الأسواق المغربية في موسمه. يعد هذا الطرز من أهم الأصناف التجارية من حيث الكمية التي توجد بالأسواق والتي تجفف. من الممكن أن نقول إنه أهم المصادر إن لم نقل الوحيد للإنتاج المحلي من التين المجفف (الشريحة) بالمغرب.
- الرُّومي : تين أحمر ضارب إلى السواد، طويل الشكل، وشجرته قصيرة القامة. يقتصر انتشاره على المناطق الشرقية.
- بُونَاصرْ : تين أخضر داكن.
- حُوَاضْ : تين أخضر فاتح يميل إلى الاصفرار.
- النَّابوت : تين أخضر ضارب إلى الرمادي مذاقه قليل الملوحة.
- الأزرق : تين أزرق ضارب إلى السواد. مالح.
- الوَجْدي : تين أزرق مالح.
- مَزَّاكَّا : تين أخضر يميل إلى الاصفرار وهو مالح المذاق.

باستثناء الطرزين الأولين، لاتصادف الطرز الأخرى إلا بالمنطقة الشرقية من المغرب التي عرفت حكم العثمانيين الذين أدخلوا العدد الكبير من النباتات المغروسة من المشرق إلى شمال إفريقيا التي كانت خاضعة لهم.

وهكذا نجد أن أشهر وألَذَّ التين وأغلاه في المغرب هو الشَّتْوي الذي بدأت تنتشر زراعته من الشرق إلى الغرب. فإذا كانت الأصناف المذكورة أعلاه تنتج الباكور في يونيو، والتين في يوليوز وبداية غشت، فإن الشتوي الذي لاينتج إلا مرة واحدة في العام، لا تبدأ ثماره في النضج إلا في أواخر غشت ليستمر موسمه إلى نهاية أكتوبر أو نونبر ويبقى قسط منها حتى بداية دجنبر بعد تساقط الأوراق.

ثمار الشتوي كروية الشكل ذات لون أخضر ضارب إلى الرمادي أو الأحمر، وذات مذاق جد لذيذ. ولهذا يؤكل ويباع كل إنتاجه طازجا ولاتبقى أي كمية لتجفف. لكن القسط الكبير من التين المجفف المستورد من بلدان الشرق الأوسط وخاصة تركيا، مصدره الشُّتْوي.

وأكبر سن لأشجار التين الشتوي المغربية هي التي توجد بمشيش بالقرب من أحفير، وقد غرست في أوائل النصف الأخير من القرن التاسع عشر أُتي بها من الجزائر.

يزرع التين في أغلب الدول شبه الحارة. انتشرت زراعته في المغرب لكن مازالت تقليدية في جميع السهول وعلى سفوح الجبال إلى ارتفاع 1000 م في الشمال و1600 م في الجنوب، أي أنه يعيش في الطابقين المتوسطي الدافئ وتحت المتوسطي الدافئ. أما من حيث البيومناخ فهو يتطلب المناطق شبه الرطبة وشبه الجافة واستثنائيا الجافة منها. لا يمكن زراعة التين في هذه الأخيرة وفي الصحراء إلا بالسقي كما نرى ذلك في الواحات.

تستعمل ثمار التين كما رأينا طازجة أو مجففة أو معلبة أو في صناعة المربيات. والمعروف أن له قيمة غذائية كبيرة وأهمية في الطب، كما تستعمل عصارته اللبنية في ترويب الحليب أو صناعة الجبن.

*استطلاعات ميدانية* ؛ البرت هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. عبد المجيد زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Métro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

**تين وَاوَزْ**، إمارة بأيت واوزگيت في وادي درعة، قامت في نهاية القرن التاسع وبداية العاشر (15 ـ 16 م) عندما تراجع نفوذ الدولة الوطاسية بالمناطق الممتدة جنوب الأطلس الكبير وأضحى الحكم الفعلي بيد كبار شيوخ القبائل. ويعرف هؤلاء الشيوخ آنذاك على الصعيد المحلي بإمَزْوَارَنْ (مفرده أ مَزْوَارْ أو المزوار وهو كبير القوم ومقدمهم). وقد استطاع هؤلاء المزواريون تأسيس مشيخات كبرى، تحول بعضها إلى إمارات محلية، لها جيش قوي ونفوذ واسع على عدد كبير من المشيخات الصغرى، ومن هذه المشيخات إمارة تين وَاوَزْ التي كان مزوارها يستمد شرعيته من الولاء الشكلي للسلطان الوطاسي بفاس، ويحرص على تجديد مراسيم البيعة، وإرسال الهدايا السنية إلى العاصمة إبان الأعياد والمواسيم الدينية (*وصف افريقيا*، 1 : 134).

لم يتفق الباحثون على موقع إمارة تين وَاوَزْ، فماسنْيونْ يرى أن موقعها قد يكون بقصبة تلوات الحالية بقلب الأطلس الكبير، حيث جبل الأگلاوي الشهير المجاور لجبل گدروز (*Le Maroc*, 206). ولا شك أن ماسنْيون، استند في طرحه هذا إلى لقب المزواريين الذي تتحلى به عائلة الأگلاوي ذات النفوذ الواسع بالمناطق الجنوبية في عهد الحماية.

ويرى سَبّلْمَان أن موقع إمارة تين وَاوَزْ قد يكون في مكان قصبة تَامْنُوگالَتْ بواحة مزگيطة في عالية وادي درعة الأوسط (*Districts et tribus*, 42).

أما الباحثة جاك مونْيي، فترى ـ تبعاً للحسن الوزان ـ أن موقع إمارة تين وَاوَزْ قد يكون بجبل سيرْوَا بقلب مجال قبائل أيت واوزگيت (*Le Maroc Saharien*, 1 : 326) ونرجح هذا الرأي لأن الوزان أول من أشار في كتاباته إلى هذه الإمارة، ذكر أن جبل أيت واوزگيت يقابل ناحية هسكورة على منحدر الأطلس المتجه إلى الجنوب (*وصف افريقيا*، 1 : 134). وتنطبق هذه المواصفات على جبل سيرْوَا الذي كان خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16 م) القلب النابض لتجمعات قبائل أيت واوزگيت ومن انحاش إليها من الهساكرة. بل إن الحسن الوزان عندما يتحدث عن جبل تانسيطة يؤكد بأنه يبتدئ غرباً عند نهاية جبل أيت واوزگيت ويمتد جبل تنسيطة شرقاً إلى جبل دادس. وهذه المعطيات الواردة عند الحسن الوزان يؤكدها الواقع الجغرافي، حيث إن جبل بوزروال القائم بواحة تينزولين، مجال إمارة تانسيطة التاريخية، يحد شرقاً بجبل دادس وغرباً بجبل سيرْوَا.

أما مارمول كاربخال فبعدما تحدث عن جبل أيت واوزگيت، مستعرضا نفس المواصفات التي ساقها الحسن الوزان، أضاف بأن الجبل يجلله الثلج طيلة فصول السنة (*افريقيا*، 2 : 112). ومازلنا اليوم نشاهد الثلج في قمة جبل سيروا طيلة فصول السنة. وهكذا يمكن القول وبشكل تأكيدي إن موقع إمارة تين واوز المزوارية كان في نقطة ما من السفوح الشرقية بجبل سيروا، حيث كان هذا الجبل يمثل معقلا من المعاقل المحصنة لتجمعات قبائل أيت واوزگيت منذ العصور الوسطى. إذن فما هو المجال الذي كانت تتصرف فيه إمارة تين واوز ؟ وما هي قوتها وما علاقاتها بالدولة السعدية بعد قيامها ؟

يمكن أن نستخلص من هذه المعطيات التي سمحت لنا بتحديد موقع إمارة تين وَاوَزْ المزوارية أن هذه الإمارة ـ المشيخة كانت تبسط نفوذها على قبائل أيت واوزگيت الجنوبية، وهي القبائل التي كانت منذ العصور الوسطى وإلى اليوم تنتشر بالأطلس الصغير الأوسط وهضاب لگرارة التي تربط وادي درعة في عرض تينزولين ببلاد سوس، ويعتبر جبل سيرْوَا القلب النابض في هذا المجال والحصن المنيع لأيت واوزگيت إذا ماداهمها أي خطر خارجي.

وتستمد إمارة تين واوز قوتها من سيطرتها على الطريق التجاري الهام الذي يربط واحات درعة الوسطى ببلاد سوس عبر تارودانت، كما كانت تستغل لصالحها مناجم الفضة بزگندر بجبل سيروا.

أما علاقة هذه الإمارة بالدولة السعدية، فلا نكاد نعرف عنها أي شئ خلال العقد الثاني من القرن العاشر (16 م)، ولكن لانستبعد أن يكون مزواريو تين واوز قد عارضوا السعديين في بداية الأمر شأنهم في ذلك شأن مزواريي تانسيطة (*L'Afrique*, 3 : 115). ويستشف من

إشارات مارمول أن إمارة تين واوز خضعت لنفوذ الأشراف بعد استتباب الأمر لهم، إلا أن السعديين كانوا حذرين في تعاملهم مع المزواريين الذين لايترددون في إعلان ثورتهم كلما أمكنهم ذلك.

ح. الـوزان، *وصف افريقيا*، تر. م. حجي ومن معه ؛ مارمول كاربخال، *افريقيا*، تر. م. حجي ومن معه، 1982.
D.J. Meunier, *Le Maroc Saharien*, Paris, 1982 ; G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draa*, Paris, 1931.

أحمد البوزيدي

**تينْتْغَـالّين**، قلعة في الأطلس المتوسط. والكلمة أمازيغية مركبة من جزءين، تِينْ وهي للإضافة ومعناها "لَ" وتغالين جمع تغالت وتعني أنثى الفرس. ولعل في هذا دلالة على أن المنطقة كانت مرعى أو مكاناً لإناث الخيول.

وقيل حول هذه التسمية إن المنطقة عرفت سرقات متكررة للخيول، وقيل أيضاً إن حية لدغت تلك الدواب، فقتلت عددا كبيرا منها، وظل سبب قتلها غامضا مدة طويلة. وحين تبين السكان السبب سموا المنطقة تينتغالّين، أي لإناث الخيول.

كما تجدر الإشارة إلى أن الناصري يدعوها تَغالّين. يقول بصدد ذلك : "وكتب في الديوان من أيت يمور ألف فارس، وأنزلهم مع علي بن بركات بقلعة تغالّين" (*الاستقصا*، 7 : 81). أي بقلعة إناث الخيول. لعل في ذلك إشارة إلى أن تلك القلعة كان من نصيب حاميتها إناث الخيول فقط، الشيء الذي يمكن أن يثير انتباه السكان فدعوها قلعة إناث الخيول.

تقع قلعة تينتغالّين بين مدينتي أيت إسحاق والقباب، على بعد بضعة أميال غربي المدينة الأخيرة. وينتمي سكانها إلى فخذة أيت محمد أُيعقوب من قبيلة أيت يعقوب أُعيسى، ضمن اتحادية أيت إشْقيرْنْ الصنهاجية، بالأطلس المتوسط الغربي (*Répertoire*, 478).

لم ترد الإشارة إلى تينْتْغَالّين إلا في القرن الحادي عشر (17 م). ففي أثناء حركته الثانية إلى جبل فازاز سنة 1090 / 1679 أنزل السلطان إسماعيل حامية عسكرية بقلعة تينْتْغَالّين، وأسند شؤونها إلى نظر علي أُبَرْكة الذي عينه قائدا على أيت يَمُور (Drague, 146). ويتفق جل المؤرخين المغاربة على أن تاريخ الحركة الكبرى التي وجهها السلطان المذكور إلى "جبل فازاز" كان سنة 1104 / 1693، وفي أثنائها تم إنزال علي أُبَرْكة ومعيته أيت يَمُور بقلعة تينْتْغَالّين ( *الروضة السليمانية*، 66 ظ ؛ *البستان الظريف*، 40 . 41 ؛ *الترجمان المغرب*، 24 ؛ *الجيش العرمرم*، 77 . 78 ؛ *الاستقصا*، 7 : 80 . 81).

فهل معنى ذلك أن بناء قلعة تينْتْغَالّين تم مباشرة بعد القضاء على ثورة أحمد بن عبد الله الدلائي ؟ هذا أمر غير مستبعد، لأن السلطان كان قد شرع في بناء القلاع بالأطلس المتوسط منذ سنة 1095 / 1684 ( *الاستقصا*، 7 : 66). إلا أن الزياني، العارف بالمنطقة، لم يشر إلى تينْتْغَالّين إلا ضمن أحداث سنة 1104 / 1693، حيث قال : "وأمر السلطان علي بن بركة أن يبني داره بتينْتْغَالّين وينزل معه إخوانه أيت يمور.." ( *الترجمان العرب*، 24). معنى ذلك أن القلعة كانت موجودة. واقتفى أثرَه كل من أكنسوس والناصري. قال الأول : "فنزلوا بتينْتْغَالّين" ( *الجيش العرمرم*، 77). وقال الثاني : "وأنزلهم... بقلعة تغالين" ( *الاستقصا*، 7 : 81). فلا يمكن أن يكون النزول في مكان غير مبني.

نستنتج من هذه المعطيات أن قلعة تينتغالّين كانت مبنية جاهزة لاستقبال حامية مكونة من ألف فارس في السنة المذكورة، ومن ثم اتخذها القائد علي بن بركة منطلقا لتطويع القبائل المنتفضة ضد المخزن، كما كان الحال لما توجه ذلك القائد على رأس أيت يمُور، وانطلاقا من تينتغالّين للمشاركة في الحصار الذي نظمه السلطان أثناء حركته الكبرى التي أوقع خلالها "ببرابرة فازاز" ( *الاستقصا*، 7 : 79). فصارت إحدى القواعد العسكرية، تتوغل عبرها الجيوش السلطانية في مجال أيت أومالو واستطاع المخزن بفضلها إيقاف زحف عدد من تلك القبائل على البسائط المجاورة وخاصة سهل تادلا. وفعلا استطاعت الحامية المقيمة بتينْتْغَالّين أن تقطع الصلة بين إشْقيرْنْ وجيرانهم أيت سْري (De La Chapelle, 49 note 3).

ولعل الناصري قد أدرك جيدا هدف المولى إسماعيل من اختطاط تلك القلعة، حيث قال : "وكتب في الديوان من أيت يَمُور ألف فارس أنزلهم مع علي بن بركات بقلعة تغالين، وأنزل محلتهم على رأس أيت أُومَالو..." (*الاستقصا*، 7 : 81). وقد أتت تلك الخطة أُكلها، إذ استقرت الأوضاع بعد ذلك في الأطلس المتوسط، طيلة بقية عهد السلطان المولى إسماعيل، بل إن أيت أمهاوش الذين كانوا يتخذون من ضواحي تينتغالّين مركزا لهم، اضطروا للانتقال إلى أغبالة ليبتعدوا عن القلعة العسكرية (Drague, 152).

وكانت تينْتْغَالّين مقر أتباع للناصريين، يذكر الخليفتي أن الشيخ موسى الناصري عرج عليها سنة 1142 / 1730 قبل أن يتوجه إلى زاوية الشيخ ( *الدرر الجليلة*، 134). وكان أيت أمهاوش في بداية أمرهم ناصريين أيضاً، حيث أسس شيخهم علي أمهاوش زاوية هنالك ؛ بعدما تلقن الورد على يد الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي ؛ وتصدر بها لتلقين الأوراد وإطعام الطعام ( *الدرة الجليلة*، 367). لكن أخلافه انخرطوا في سلك الطائفة الدرقاوية. ولعل تغيير الانتماء الصوفي جاء مواكبا للانتقال من ضواحي تينتغالّين إلى أغبالة، كما ألمحنا إلى ذلك أعلاه.

وبعد ذلك اختفى ذكر تينْتْغَالّين من المصادر المغربية حتى نهاية القرن الثالث عشر (19 م). فعلى إثر مقتل الأمير سرور صنو السلطان مولاي الحسن سنة 1305 / 1888، وجه هذا الأخير حركة ضد أيت شخمان، وأنزل بتينْتْغَالّين

مجدداً حامية عسكرية. غير أن تلك الحامية لم تستطع الاستمرار لأن المخزن لم يتعهدها بالرعاية، مما اضطر الجنود إلى مغادرة قلعة تينتْغَالِين بعد حوالي سنة تقريبا (Drague, 152). وصنفت تينتْغَالِين كقصر بلغ عدد سكانه 131 نسمة حسب إحصاء 1936 (*Répertoire*, 478).

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ. الزياني، *الروضة السليمانية* ؛ *البستان الظريف* ؛ *الترجمان المغرب* ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*.

F. De La Chappelle, *Le Sultan Moulay Ismaïl et les berbères sanhaja...*, *A.M.*, n° 27, 1927 ; *Répertoire alphabétique* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*.

أحمد عمالك

**تِينْرَت**، موقع أثري وبرج، هكذا سماه أحمد بن القاضي القلعي في *تقاييده*، خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م)، وهو تل مستدير الشكل، واقع على الضفة اليمنى من مصب واد المدور (واد الذهب Rio de Oro، حسب الإسبان) داخل المساحة المحتلة من طرف إسبان مليلة، يبعد عن المدينة بنحو ستمائة متر، ارتفاعه سبعة وعشرون متراً فوق سطح البحر، تشرف قمته على فحص المدينة، وعلى ساحل البحر من مسافة مائة متر. ولا وجود لهذا التل اليوم، كان اختفاؤه نتيجة للحاجة إلى المساحة المبنية.

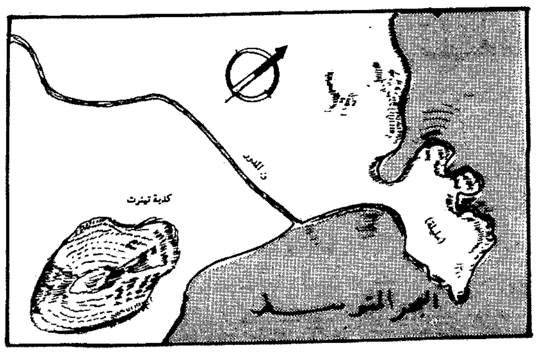


تعود أهمية الكدية أولا إلى ما أسفرت عنه الحفريات التي أجريت على سطحها بين سنة 1904 و1940، وإلى مكانتها في سجل المقاومة المغربية المنظمة ضد مليلة المحتلة، على عهد السلطانين المولى إسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله.

دلت نتائج الحفريات على أن كدية تينرت كانت نواة مدينة مليلة، إذ أنها كانت مركزاً تجارياً فينيقياً وقرطاجياً ثم محطة رومانية، ساعد على ذلك موقعها الملائم على واد المدور لوصول الزوارق الصغرى إليها، بعد إرساء السفن بالجون الذي تحميه مياه الصخرة الكلسية التي ستحمل مباني مدينة "رس در" (مليلة الفترة الإسلامية). بدأ الإسبان الحفر في المكان الذي يحتله اليوم مبنى "مجزرة البلدية" Matadero Municipal فتم اكتشاف هياكل بشرية إلى جانب جابيتين كبيرتين، دلت الدراسة على أنهما تعودان إلى فترة ما قبل العهد الروماني، وبالضبط إلى القرن الثالث قبل الميلاد. وفي سنة 1908 اكتشف مبنى مخزن الحبوب Casa de los Silos على السفح الشرقي من الكدية وعدد من قطع فخارية جد قديمة، وعدد من الجابيات الكبرى من أصل بونيقي.

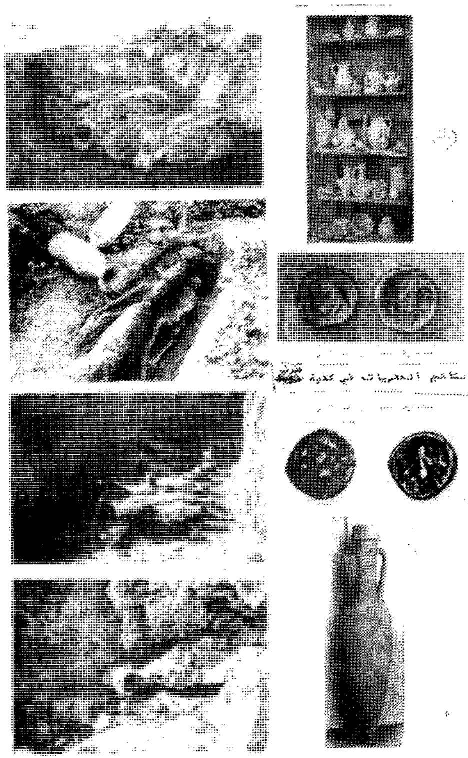

وأظهرت عمليات الحفر بالقسم الأعلى من الكدية وجود عدة مقابر على عمق بضع سنتيمترات فقط من سطح الأرض، نتيجة تأثر السطح بعمليات التعرية، تمتاز جثثها بالقامة الطويلة، ولوحظ من جهة وجود مجموعات متناثرة من شظايا المفرقعات والكرات المدفعية وقطع الأسلحة النارية الأخرى. يعتقد أن آثار تلك المقابر عائدة إلى فترة الحصار المغربي لبرج تينرت على العهد الإسماعيلي، وحصار مليلة على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

توصلت الأشغال الأركيولوجية إلى إزاحة الستار عن المقابر البونيقية الموضوعة تحت مستوى قبور العهد العلوي السابق الذكر، وجدت على عمق متراوح بين متر ونصف وثلاثة أمتار. لوحظ كذلك وجود عدد فردي دائماً من الأواني الفخارية، متناسب مع مساحة القبر. فالقبور الصغرى كانت بها ثلاث أوان، بينما وصل عددها إلى تسع أواني بالنسبة للقبور الكبرى. وأبرزت إلى جانب القبور البونيقية سلسلة من القبور يعتقد أنها منتمية إلى العصر الروماني، بناء على شهادات من زارها، كان من زوارها مدير متحف تلمسان سنة 1916.

وانتهت التحريات الأثرية سنة 1940 بالعثور على أساس البرج الإسباني المعروف ببرج "سانْ لُورَنْثُو" Fuerte de San Lorenzo المشيد سنة 1583 من طرف حاكم مليلة،

على القسم الشمالي من الكدية، لمراقبة تحركات مجاهدي قلعية برباط مليلة. وهو مربع الشكل يسع عشرين جنديا، وسطحه لا يصلح لوضع المدفعية بني داخل أراضي قبيلة مزوجة القلعية، ولذلك سماه ابن القاضي ببرج كدية مزوجة.

لم تبرز أهمية برج تينرت إلا في العصر الحديث، حينما وجه مجاهدو قلعية عنايتهم لهدمه. وقد تعرض البرج لحصارين اثنين. حدثنا عن أولهما الاخباري الاسباني أنطونيو دي اصطرادا J. Antonio de Estrada في كتابه Población general de España. بدأ الحصار في أوائل جمادى الثانية عام 1088 / أوائل غشت سنة 1677 واستمر إلى غاية شعبان / أكتوبر نفس السنة، حيث سقط في أيدي ثمانمائة من رجال قلعية. وحينما أعاد حاكم مليلة بناء البرج عاد إليه المجاهدون في ربيع الأول 1091 / أبريل 1680، حسبما سجله أحمد بن القاضي في *تقاييده*، وتوصلوا إلى هدمه بواسطة حفر نفق يمتد إلى أساسه وتفجيره بالبارود، ليتسنى تنظيم هجوم عام على المتحصنين به. فعنه يقول ابن القاضي :

"خرج القائد محمد بن مسعود القيطوني في ربيع الأول عام 1091 بعساكره، وبدأوا بالحفر من جهة الحصن للبرج، وقهروا الكفار من حينهم عن البرج، وحال المسلمون بين أهل الحصن والبرج. وبعد خمسة عشر يوماً بلغوا أساس البرج، وكان الغازي محمد بن مسعود خرج بمائتين رامياً شجاعاً وحال بين الكفار وبين الحصن الكبير والبحر، فلم تبق لهم الاستغاثة بإخوانهم أهل الحصن. واشتد الكرب والخوف والوجل بهم وانقطع كل تدبيرهم، تركوا المسلمين إلى أن ذهبوا ليعلفوا خيولهم ففروا من البرج إلى حصنهم هاربين. وغنم المسلمون كل ما وجدوه في البرج وهدموه".

وحينما حاصر السلطان سيدي محمد بن عبد الله مليلة ما بين 5 شوال عام 1188 و 13 محرم 1189 / 9 دجنبر 1774 و16 مارس 1775، اتخذت القوات المخزنية كدية تينرت إحدى المواقع الهامة لنصب قطع المدفعية، مؤلفة من ست قطع، أشير إليها في رسم معاصر ببطارية J (خ) لضرب جنوب المدينة، والحيلولة دون دخول السفن إلى المرسى.

أحمد بن القاضي، *تقاييد*، مخطوطة خاصة ؛ حسن الفكيكي، *قلعية ومشكل الوجود الاسباني بمليلة*، 221 - 225.

J. Antonio de Estrada, *Población general de España*, T. 3, p. 510 - 511 ; R. Fernando de Castro, *Melilla prehispanica*, p. 221 - 225.

حسن الفكيكي

**التينْزَرْتي**، أحمد بن يحيى السوسي، من قرية تينْزَرْتْ برأس الواد شمال تارودانت. أستاذ مقرئ مدرس نَفاع أخذ عن الشيخ مسعود بن علي الهشتوكي. انتقل إلى المحمدية (تارودانت) حاضرة السعديين الكبرى في سوس، يقرئ علوم القرآن في الجامع الجديد، وكان مجتهداً في ذلك غاية الاجتهاد، حسب تعبير تلميذه عبد الرحمن التامنارتي الذي ذكره في *الفوائد الجمة* في عداد شيوخه وأثنى عليه قائلا : "قرأت عليه ختمتين، وبدأت عليه السبع باللوح إلى *واذكروا الله*، فذهب للمشرق".

وكان التينزرتي يصلي الأشفاع في رمضان بالجامع الكبير بتارودانت، "فيحضر لذلك جميع أهل حومته لترتيل قراءته وحسن صوته وكثرة خشوعه وبكائه فيخشعون ويبكون. فلما ذهب للحج تأسف الناس عليه ولم يجدوا من يقوم مقامه" ( *الفوائد*، ص. 48).

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 48 ؛ م. الافراني، *صفوة*، 40 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، الترجمة 49 والهامش 285 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 51.

محمد حجي

**تينزولين** أو تانْزُولِين، - جغرافيا - واحة في وسطها مركز يحمل هذا الاسم ويقع على الضفة الغربية لنهر درعة، يعد ضمن المجال الإداري لدائرة زاگورة، وتوجد على بعد مائة وعشرين كيلومتراً إلى الجنوب من مدينة ورزازات. كانت من المحطات التي تنزل بها قوافل التجارة الصحراوية - السودانية.

يقع مركز تينْزُولِين في قلب واحة تمتد مساحتها على أزيد من 4.000 هكتار، ويتميز الاستغلال الفلاحي بارتكازه أساساً على إنتاج الحبوب والكلأ والتمر. وتتم عملية السقي بواسطة مياه نهر درعة التي تحول إلى الواحة بواسطة السواقي التقليدية والعصرية. وتتحكم الظروف المناخية بشكل قوي في المساحة المزروعة بحيث تتراوح بين 2.400 هكتار كمعدل أقصى.

وقد ارتفع عدد سكان مركز تينْزُولِين من 658 نسمة سنة 1961 إلى 1.031 نسمة سنة 1971. ومكن التوسع العمراني من إدماج مجموعة من القرى المجاورة في حظيرة المركز، أهمها قصبة المخزن وزاوية أمداغ وقصر الحدان وقصر أيت الحاج احساين وقصر أيت رحُّو وقصر أمردول.

*دراسة ميدانية*.

أحمد التوفيق الزينبي

* * وعن تاريخ واحة تينْزُولِينْ في وسط درعة. يذكرون أن صيغة تينزولين أمازيغية للفظ العربي "النُّزالة" وهو الطعام الذي يقدم لضيافة الناس، أو يقدم للضيوف (*لسان العرب*، 11 : 658). وقد تطور معنى اللفظ فأصبح يطلق في المناطق الجنوبية على المكان الذي تنزل فيه القوافل. ويذكر الوزان أن أهل درعة كانوا يطعمون أصحاب القوافل مدة إقامتهم بين ظهرانيهم ولا يأخذون منهم أي مقابل إلا ما يتركونه لهم عن طيب خاطر (*وصف افريقيا*، 2 : 120) ولاتزال عدة مواقع بالمغرب على طول شبكة الطرق التجارية تعرف إلى اليوم بالنزالة. من ذلك على سبيل المثال نزالة بني عمّار بولاية مكناس ونزالة العظم بإقليم قلعة السراغنة.

ومنذ العصر السعدي، أصبحت كلمة تينْزُولِينْ، تطلق على الواحة التي تمتد من إخْف نُوزْرُو (رأس الحجر) بالمدخل الجنوبي لواحة مزگيطة، إلى إيمي نَزْلاگْ بالمدخل الشمالي لواحة ترناتة، على طول درعة الوسطى. وتتشكل واحة تينْزُولِين من الشريط الأخضر الذي تكوّن حول نهر

درعة، ومن هَضاب لگَرارة وكدية أولاد يحيى ويجاورها من الناحية الشرقية جبل بُوزَرْوال وهو جزء من الذراع الشرقي لجبل باني، وتتخلل جبل بُوزَرْوال عدة منافذ أهمها "فم وَرْتي" الذي يعتبر الممر التاريخي للهجرات القبلية من بلاد تازرين ودادس إلى وادي درعة.

أما قصور واحة تينْزُولين فيتجاوز عددها خمسين قصراً، تتقاسمها قبائل أيت سدرات في شمال الواحة وقبائل أولاد يحيى بمنطقة أولاد جرى بالضفة الغربية وقبائل أهل تينْزُولين، وقبائل الروحة الفوقانيين بالإضافة إلى بعض قبائل أيت أُونير التي استولت على بعض القصور في نهاية القرن الماضي ومطلع القرن الحالي إبان الغليان الاجتماعي الذي عرفته المنطقة.

يتضح من خلال المعطيات التاريخية، أن سكان واحة تينْزُولين في القرن التاسع (15 م) كانوا خليطاً من قبائل أيت واوزگيت وبعض العناصر الجزولية الوافدة إلى وادي درعة بالإضافة إلى بقايا الهساكرة، وقد تكتلت هذه المجموعات البشرية فيما يعرف محلياً بقبائل القصور، أو أهل تينْزُولين تمييزاً لها عن القبائل الأخرى من أيت عطا والروحة وأولاد يحيى، التي نزلت بواحة تينْزُولين في القرنين الأخيرين. وبعد انحسار السلطة الذي عرفته بلاد درعة خلال النصف الثاني من القرن التاسع (15 م) بسبب انشغال الوطاسيين بمشاكل المغرب الشمالي، بادرت قبائل القصور بواحة تينْزُولين إلى تشكيل تحالف قوي بقيادة العائلة المزوارية الواوزگيتية، وقد بات المزواريون يتحكمون في واحة تينْزُولين بقوة العصبية العددية للعنصر الواوزگيتي ومن انحاش إليه من بقايا الهساكرة (*وصف افريقيا*، 1 : 136، 137).

ونستشف من إشارات الوزان الذي زار بلاد درعة في مطلع القرن العاشر (16 م) أن مشيخة المزواريين لتينْزُولين بلغت حداً من القوة، جعل شيوخها، آنذاك، يتحولون إلى أمراء حقيقيين لإمارة تنسيطة، ومقر هذه الإمارة بقصبة المخزن على الضفة الغربية لنهر درعة بوسط تينْزُولين. ومن الراجح أن نفوذ تنسيطة كان يشمل كلاً من واحة تينْزُولين وواحة ترناتة.

وقد ظلت العائلة المزوارية تمارس الحكم على تينْزُولين سواء في ارتباطها بالحكم المركزي، أو في إطار المشيخة المحلية، منذ العقود الأخيرة من القرن التاسع (15 م) إلى نهاية عهد الحماية في أواخر القرن الرابع عشر (20 م) وبعد ظهور السعديين بسوس. ونظراً لأصلها الدرعي، فقد شعرت المشيخة المزوارية بنوع من التشويش على وضعها السياسي والاجتماعي بالمنطقة، فحاول أمَزْوَارْ بن عمر شيخ تينْزُولين في وقته، التصدي لنفوذ السعديين بدرعة، وبلغ به الأمر إلى حد التحالف مع البرتغاليين المسيطرين على أگادير ضد محمد الشيخ السعدي (*افريقيا*، 2 : 113). إلا أن عزم محمد الشيخ السعدي على إخضاع بلاد درعة لنفوذ الدولة السعدية جعل أمَزْوَارْ بن عمر يراجع موقفه من السعديين وينضم إلى صفوفهم، وبالمقابل ترك السعديون للمزواريين كل ما كانوا يتمتعون به من امتيازات اجتماعية وسياسية بواحة تينْزُولين، بل عملوا على توطيد علاقاتهم بالمزواريين والاستفادة من خبرتهم السياسية، وحنكتهم في الميدان الحربي والتنظيمي (*Le Maroc Saharien*, 1 : 329).

وفي هذا الإطار عين السلطان عبد الله الغالب المزوار حَمُّو ابن علي حاكماً على تَرگَالَتْ بواحة محاميد الغزلان، لأهمية هذه الواحة على أبواب الصحراء، لمراقبة حركة القوافل التجارية وضبط مداخيل هذه التجارة (*افريقيا*، 3 : 150). ونستفيد من إشارة مارمول الذي زار بلاد درعة خلال العقد الثامن من القرن العاشر (16 م) أن السعديين أعادوا تنظيم واحة تينْزُولين، وأحدثوا بها قصبة أفْرَ أولاد سلطان إلى جانب قصبة المخزن، وكان الهدف من إحداث هذه القصبة الثانية بتينْزُولين، هو حماية الواحة من هجومات قبائل الأعراب، خاصة أولاد منصور وأولاد عمران من جهة، وحماية الطرق التجارية التي كانت تخترق واحة تينْزُولين لسهولة مسالكها من جهة أخرى (*افريقيا*، 3 : 146).

وقد اضطربت أوضاع تينْزُولين، مباشرة بعد وفاة عبد الله الغالب سنة 982 / 1574، ذلك أن المتوكل التجأ إلى قصبة المخزن بعد أن داهمه عمه عبد الملك محاولا التحصن بها في تينْزُولين، إلا أن قوات عبد الملك فاجأته من ناحية سوس فغادر المنطقة وانسحب نحو الشمال.

ولما استتب الأمر للسلطان أحمد المنصور، بعد معركة وادي المخازن، أعاد تنظيم أمور وادي درعة في إطار التهيئ لفتح السودان، فاسترجعت قصبة المخزن ما كان لها من نفوذ على واحة تينْزُولين، كما استرجعت أسرة المزواريين نفوذها بين قبائل قصور تينْزُولين. ذلك ان أحمد المنصور كان بحاجة إلى خبرة المزواريين ونفوذهم لتوفير ظروف الأمن والاستقرار. ليس بواحة تينْزُولين فحسب، وإنما في كل واحات درعة لأهمية هذا الوادي في المشروع الإفريقي للمنصور السعدي، وقد استفادت واحة تينْزُولين من هذا الاهتمام المخزني، فساد الأمن والاستقرار، وأقبل الناس على ممارسة التجارة والزراعة وباتت خزينة الدولة تجبى من وادي درعة حوالي 150.000 مثقال ذهبا (*Districts*, 51).

وبعد وفاة أحمد المنصور السعدي سنة 1012 / 1603 تعرضت واحة تينْزُولين لتطورات خطيرة، ذلك أن الصراع على السلطة بين أبناء المنصور وما نتج عنه من انهيار لهيبة الدولة، أتاح الفرصة لبعض أدعياء التصوف ليجربوا حظهم في ممارسة السلطة، وهكذا بزغ نجم ابن أبي محلي بتافيلالت، فزحف إلى درعة وهزم جيش السعديين بها. وبعد مقتل ابن أبي محلي بمراكش سنة 1022 / 1613 على يد شيخ زداغة أبي زكريا الحاحي، حاول هذا الأخير الاستيلاء على قصبة تينْزُولين، إلا أنه فشل في تحقيق غايته، لصمود حامية القصبة ولرفض سكان تينْزُولين التجاوب

مع حركته، خاصة أنه كان يسلك سياسة انتقامية مع الرافضين لحركته وهم عموم سكان تينزُولين.

ما كادت تينزُولين تتنفس الصعداء بوفاة يحيى الحاحي سنة 1625/1035 حتى فوجئت بقوات أبي حسون السملالي، بقيادة عبد الله بن سعيد المراكشي، تحاول اقتحام قصبة المخزن فيها، وقد جند السلطان زيدان السعدي كل إمكاناته للحفاظ على درعة ككل، وعلى واحة تينزُولين بشكل خاص لأهميتها الاستراتيجية. وفي هذا الإطار عجل زيدان بإرسال أربعمائة مقاتل من الأندلسيين لقصبة تينزُولين للتصدي لهجومات أبي حسون السملالي، وبالرغم من التفوق الكبير الذي كانت تتمتع به قوات السملاليين، ووفاة زيدان السعدي المفاجئة عام 1037 / 1627، فإن الحامية العسكرية بقصبة تينزُولين استماتت في الدفاع عنها ولم تسقط بيد السملاليين إلا سنة 1039 / 1629 بعد سلسلة من المعارك هلك خلالها الكثير من الجانبين (*إيليغ*، 59). فما هي الأسباب التي جعلت السملالي يركز كل طاقاته العسكرية بدرعة للاستيلاء على واحة تينزُولين ؟ لاشك أن هذا التركيز يجد مبرراته في الاعتبارات الآتية :

- إن المتحكم في قصبة المخزن تينزُولين بإمكانه مراقبة الطرق التجارية التي تربط بين شمال الوادي وجنوبه، وبالتالي السيطرة على الحركة التجارية الصحراوية.

- إن تفتح واحة تينزُولين على بلاد سوس عبر لَكْرارَة وكدية أولاد يحيى ومنافذ الأطلس الصغير الأوسط تسهل على القوات السوسية الاتصال السريع والفعال بمركز انطلاقها بتارودانت. كما أن السيطرة على هذه الواحة معناه مراقبة كل حركة عسكرية قد تطرأ على وادي درعة من المنافذ الشرقية عبر تيزي نْ تافيلالت وفم ورتي، وهي المنافذ التقليدية للقوات المخزنية المركزية.

- وجود عناصر سوسية، جزولية على الخصوص، قد تمركزت بواحة تينزُولين منذ القرت التاسع (15 م) ومن السهل على السملاليين إقناع هذه العناصر بالانضمام إلى صفوفهم.

لم يكد أبو حسون السملالي ينتهي من معاركة مع أهل تينزُولين وأهل مزكيطة حتى فوجئ بريح مولاي محمد ابن الشريف العلوي تهب عليه من تافيلالت.

وبالرغم من أن محمد بن الشريف تجنب المواجهة المباشرة مع قوة السملاليين، فإنه نجح في إثارة القلاقل في وجه أبي حسون بدرعة عامة وبواحتي تينزُولين ومزكيطة بشكل خاص حتى اضطر السملالي في نهاية المطاف إلى التخلي نهائياً عن درعة سنة 1051 / 1641 بعد سلسلة من الهزائم ببُودْهير وزاكورة ومزكيطة وخاصة معركة تركَانْلْمَالْ الذي فقد فيها السملاليون ما يزيد على ثلاثة آلاف قتيل (*إيليغ*، 118). وقد أثرت هذه الاضطرابات تأثيراً سيئاً على واحة تينزُولين فهاجر السكان إلى جهات أخرى من درعة، وتراجع الإنتاج الزراعي، وتوقفت الحركة التجارية حيث تحولت الطرق إلى جهات أخرى أكثر أمناً واستقراراً.

ومع بداية العهد الإسماعيلي، عادت واحة تينزُولين إلى بؤرة الأحداث من جديد، ذلك أن أحمد بن محرز بعد انهزامه أمام عمه بالمناطق الشمالية التجأ إلى الجنوب، وكان مجال تحركه ينحصر بين تارودانت غربا وقصبة تينزُولين شرقا، حيث كان يجد العون من بعض القبائل الصحراوية، خاصة قبائل بني محمد (*إلى ولدي المامون*، 24). وتكشف بعض الوثائق المحلية، أن أحمد بن محرز كان يفضل الاستقرار بتينزُولين حيث كان يشرف مباشرة على تسيير أمور القبائل.

وظهرت من جديد أسرة المزوارين على مسرح الأحداث بعد غياب طويل. وقد تفرعت هذه الأسرة في نهاية القرن الحادي عشر وبداية الثاني عشر (17 ـ 18 م) إلى فرعين كبيرين : فرع ابًّا الحسين، ويقيم برباط تينزُولين، وفرع ابًّا علي، ويقيم بقصبة المخزن التاريخية وكانا يتنافسان على الرياسة بواحة تينزُولين. وإذا كانت أسرة ابًّا الحسين الرباطية تعتبر نفسها الوريث الشرعي للأسرة المزوارية التاريخية، فإن أسرة ابًّا علي، وانطلاقاً من قصبة المخزن، تعتبر نفسها المعنية بقيادة تينزُولين على اعتبار أنها حامية قصبة المخزن، الرمز التاريخي لأسرة المزوارين وسائر قبائل تينزُولين.

ورغم المحاولات التي بذلتها الأسرة القصبوية لبسط نفوذها على واحة تينزُولين فإن نتائج هذه المحاولات بقيت محدودة جداً، ذلك أن الأسرة الرباطية نجحت في الاحتفاظ لنفسها بمنصب "الشيخ الفوقاني" أي الشيخ الأعلى لكل قبائل القصور تينزُولين، الأمر الذي يسمح لها أن تحضر في كل التحركات الاجتماعية والسياسية لقبائل القصور تينزُولين، من انتخاب جماعة القبيلة وشيخها إلى أبسط قرار تتخذه الجماعة.

ونلاحظ من خلال جملة من الاتفاقيات التي كانت تعقدها قبائل القصور في حالة ضعف السلطة المركزية، أن أسرة ابًّا الحسين الرباطية كانت تلقي بظلالها على هذه الاتفاقيات في شخص "الشيخ الفوقاني" بشكل يضمن لها هيمنتها على الأوضاع الاجتماعية والسياسية بواحة تينزُولين ويحمي مصالحها ومصالح أنصارها. وتفاقم النزاع بين مزوار الرباط ومزوار القصبة في أواخر القرن الثالث عشر (19 م)، الأمر الذي جعل الحسن الأول يتدخل بنفسه في محاولة لفض هذا النزاع حسبما جاء في رسالة سلطانية يرجع تاريخها إلى عام 1293 / 1876.

ويبدو أن هوة النزاع بين الأسرتين قد تعمقت بشكل خطير، يتجلى ذلك في انقسام قبائل قصور واحة تينزُولين إلى فرقتين متناحرتين، وباتت كل فرقة من المزوارين تبحث لها عن حليف قوي من خارج واحة تينزُولين وبين قبائل أيت عطا الرحل في هوامش وادي درعة. ونستفيد من إشارات محمد بن لحبيب التامنوكَالي، أن بعض أعيان

درعة انتدبوا أهل تينزُولين للصلح، لتجنيب الواحة المزيد من النزاعات وإراقة الدماء وتخريب السواقي واغتصاب القصور ( *العقود الجوهرية*، 70). إلا أن هذا الصلح لم يعمر طويلا، ذلك أن شيخ قصبة المخزن في وقته علي أحمد المزواري، وبطريقة جد تقليدية، استضاف إلى منزله، الشيخ عبد الرحمن المزواري رئيس العائلة الرباطية فاغتاله بطريقة بشعة، وذلك سنة 1330 / 1911.

نصبت العائلة الرباطية الشيخ محمد بن القاطمي مكان الشيخ عبد الرحمان، وقد جدّ منذ بداية أمره في الانتقام من علي أحمد القصبي الذي اختفى عن الأنظار لعدة شهور، فغلب على سكان واحة تينزُولين طابع التناحر بكل ما يصحبه من دمار للسواقي وأشجار النخيل واغتصاب للقصور. ولم تنته هذه الحالة من الفتنة إلا بتدخل شيخ أيت واحليم في وقته حمُّو بن الحسن بن مُرغي سنة 1335 / 1916، فانتدب أهل تينزُولين للصلح (*Districts*, 78). وقد وجد هذا الصلح الهش ما يدعمه في ظهور عائلة الأكلاوي مدعمة بفرنسا على مسرح الأحداث بوادي درعة.

ونستشف من بعض وثائق العائلة المزوارية الرباطية، أن الشيخ محمد بن القاطمي مدعوماً بالتهامي الأكلاوي، نجح في الحصول على منصب خليفة الباشا بواحة تينزُولين، وهذا يعني استعادة العائلة الرباطية لنفوذها كاملا على واحة تينزُولين بما في ذلك قصبة المخزن.

وفي عهد الاستقلال فقدت العائلة المزوارية كل ما كانت تتمتع به من امتيازات ونفوذ قبائل تينزُولين، ولم يعد للمزواريين الأحفاد ما يميزهم عن باقي سكان تينزُولين.

ومن التحولات التي عرفتها تينزُولين في العقدين الأخيرين استحداث جماعة قروية، ثم قيادة لتظهر بعد ذلك البنايات الحديثة ومايصحبها من كهرباء وتيلفون وغير ذلك. وقد اعتُمد قصر الرباط، مقر عائلة ابّا الحسين المزوارية، مركزاً للقيادة المستحدثة ومقراً للجماعة على جانبي الطريق الرئيسي رقم 31 الرابط بين مراكش وزاگورة عبر ورزازات.


*وثائق قصبة المخزن، ورباط تينزُولين* بحوزة الكاتب ؛ محمد بن لحبيب التامنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ محمد بن الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، تر. د. حجي ومن معه ؛ مارمول كاربخال، *افريقيا*، تر. د. حجي ومن معه، ج 2 ؛ المزريوي، *مذكرة خطية* في حوزة الكاتب ؛ م. المختار السوسي، *إيليغ* ؛ *مجلة الوثائق* التي تصدرها مديرية الوثائق الملكية ـ مجموعة رقم 1 ؛ ابن منظور، *لسان العرب* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ، ج. 6.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draa*, Paris, 1931 ; *Les Aït Atta du Sahara*, Rabat, 1936 ; Dj. J. Meunié, *Le Maroc Saharien*, T. 1, Paris, 1982.


أحمد البوزيدي

**تينغير**، ـ جغرافيا ـ وحدات مجالية مختلفة فوق نتوء تضاريس تغرمت ـ ن ـ إغير داخل المنخفض التكتوني لجنوب الأطلس الكبير، عند مخرج واد تدغة. تقع تينغير على الطريق الرئيسي رقم 32 الرابط بين الرشيدية وورزازات. وتبعد عن عاصمة تافيلالت (الرشيدية) بـ137 كلم وعن مدينة ورزازات بـ169 كلم.

كلمة تينغير أمازيغية تشير إلى وحدات مجالية وإدارية مختلفة. وهي مركبة من : تي ـ ن ـ إغيرْ. فالجذع هو إغيرْ ويعني الكتف أو ما يشابهه من الأشكال الطبوغرافية (نتوء ـ جبل) والتاء (تي) للنسبة، والنون للاشباع، فأُدغم الكل ليعطي : تينغير.

تنتمي تينغير إدارياً إلى دائرة بومالن دادس وهي إحدى الدوائر الثلاث المكونة لإقليم ورزازات (ورزازات وزاگورة وبومالن دادس).

وتطلق الكلمة على وحدات مجالية مختلفة : المقاطعة الإدارية تينغير (قيادة) وجماعة تينغير وبلدية تينغير وأخيراً قصر تينغير.

تطرح معرفة المحتوى المجالي والبشري لمختلف هذه الوحدات إشكالات عديدة منها إشكال تينغير وتطور الاسماء والنعوت والمفاهيم المستعملة إدارياً، إضافة إلى تعدد وتنوع التقسيمات التي عرفتها المنطقة.

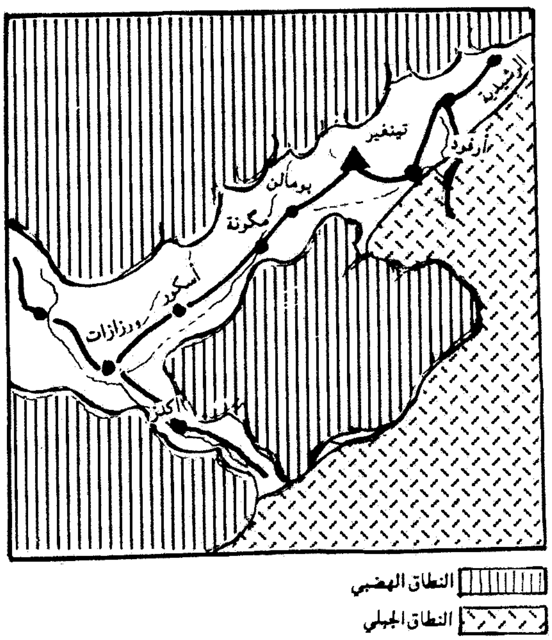


نشأت المقاطعة الإدارية لتينغير بعد المعارك التي خاضها الأكلاوي لبسط نفوذه على المنطقة (1919)، حيث أحدث مكتب الشؤون الأهلية خلال العشرينات وضم آنذاك حسب ما يبينه إحصاء 1936 حوالي 24.337 نسمة. وتتقاسم هذا العدد ثلاث قبائل هي : أهل تدغة (أيت تدغت) 12.256 نسمة، وأيت عطّا تدغة السفلى 6.595 نسمة، وأيت عطّا بصاغرو وإميضر 3.812 نسمة. إضافة إلى جزء من قبيلة أيت مرغاد (تمتوشت) 1.023 نسمة. كما يشير الإحصاء إلى وجود جالية يهودية تسكن تدغة يبلغ عدد أفرادها 477 نسمة وجالية أجنبية بالمركز قوامها 174 فرداً.

بعد إحداث المقاطعة الإدارية لإكْنيونْ قصد تأطير أيت عطا بصاغرو ومقاطعة أيت هاني قصد تأطير أيت مرغاد، تقلصت مساحة تينغير وعدد سكانها. فحسب التقطيع الإحصائي لسنة 1960 أصبح مفهوم قيادة تينغير يطلق على ثلاث جماعات قروية ومركز : جماعة تاغزوت (3.357 نسمة) وتضم قصور أيت عطا بتدغة السفلى، وجماعة تينغير (21.081 نسمة) وتتكون أساساً من عناصر قبيلة أيت تدغت، ويتوسطها مركز تينغير بـ 2.664 نسمة بالإضافة إلى جماعة إميضر. ونفس التقسيم احتفظ به خلال إحصاء سنتي 1571 و1982.

| | المركز | أيت تدغة | أيت عطا تدغة السفلى واميضر | أيت عطا صاغرو | أيت مرغاد |
|---|---|---|---|---|---|
| 1936 | | 12.907 | 6.595 | 3.810 | 1.023 |
| 1960 | 2.664 | تينغير 21.081 | تاغزوت 3.357 | إميضر 5.508 | |
| 1971 | 3.361 | 21.938 | 4.568 | 7.143 | |
| 1982 | 10.527 | 25.100 | 6.516 | 9.893 | |
| 1994 | بلدية | تدغة العليا تدغة السفلى | تاغزوت | ج. إميضر | ج. وَكليم |

مكونات مقاطعة تينغير

أما التقسيم الإداري الأخير فقد أحدث محل جماعة تينغير جماعتي تدغة العليا وتدغة السفلى وبلدية تينغير واحتفظ بجماعة تاغزوت وأضاف جماعتي إميضر وواكليم.

تتكون بلدية تينغير المستحدثة من المركز الإداري وما ينيف عن اثني عشر قصراً موزعاً على ضفتي وادي تدغة.

ترجع هذه الدينامية وهذا التوسع إلى عوامل نذكر منها :

- الموقع الاستراتيجي على الطريق الرابط بين واحتي تافيلالت ودرعة والذي يغذي مجالات الواجهة الجنوبية بحاجياتها من المواد المصنعة انطلاقاً من مراكش عبر ورزازات أو من مكناس وفاس عبر الرشيدية. وتعتبر تينغير المحطة النهائية لعدد من الخطوط البرية التي تنطلق من الرشيدية - مراكش - ورزازات بل ومن الرباط.

- تشتهر تينغير ضمن ما يسمى بـ"طريق القصبات" بجمالية معمارها وبغنى مناظرها الطبيعية (واحة تدغة، عين السمك المقدس، مضاييق تدغة ...) وتعد بذلك إحدى العواصم السياحية الجنوبية. وتوفر المدينة لتلبية الطلبات المتزايدة أزيد من ثلاثمائة سرير موزعة على عدة مؤسسات أشهرها فندق صاغرو (120 سريراً) إضافة إلى تجهيزات أخرى كالمطاعم والمخيمات.

- تركت الجالية اليهودية بعد رحيلها بالمنطقة تقاليد صناعة تقليدية قوامها صناعة الأحذية وصناعة المنافخ وصناعة أدوات الحلج والنسيج والدباغة إضافة إلى الصناعات الحديدية. وتشغل هذه القطاعات أزيد من 16٪ من سكان المركز الحضري مكونة بذلك إحدى القطاعات المندمجة حيث تلبي الحاجيات المحلية وحاجيات القطاع السياحي المتنامي.

- تعد الهجرة أحد العوامل الهامة في خلق دينامية مجالية، وفعلا فالتينغيريون اتجهوا منذ القدم نحو الجزائر وبعد الاستقلال نحو أوربا (89٪ نحو فرنسا) ثم بعض الدول العربية كليبيا والسعودية والإمارات (4.7٪) ويبلغ عدد المهاجرين حوالي 2.631 عاملا.

وقد أدت الاستثمارات التي يقوم بها هؤلاء داخل المدار الحضري إلى هجرة داخلية (من القصور نحو المركز)، وتعزز هذا التيار مؤخراً تحت وطأة الجفاف (هبوط سكان الجبال نحو المدينة) واتجهت استثمارات المهاجرين أساساً نحو البناء والتجهيزات المنزلية (75٪) ونحو الفلاحة (14،5 ٪) ثم التجارة (10،5٪) إضافة إلى الاستثمارات الاجتماعية التي لم يتم تعميمها بعد.

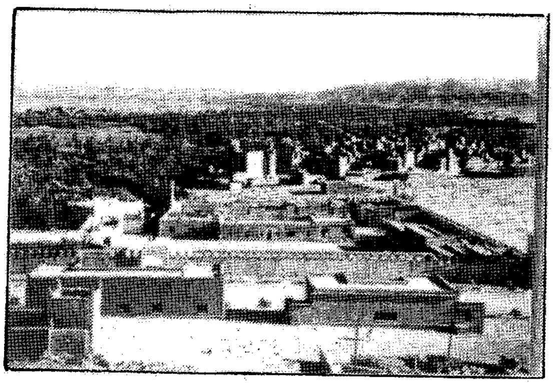

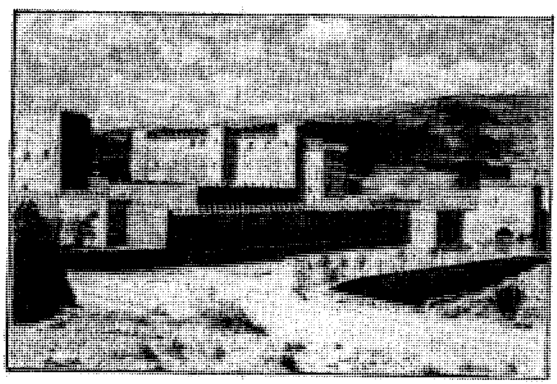

كانت لهذا التوجه تأثيرات سواء على توسع حركة البناء حيث ظهرت تجزئات كتجزئة بوكافر - تشكا وتجزئة المؤسسة الجهوية للتجهيز والبناء (ERAC). وقد بلغت نسبة المنازل الفارغة داخل المدار الحضري 18،5٪ مما يبين أهمية الجانب الاجتماعي والنفسي لهذا القطاع.

- استفادت مدينة تينغير أيضاً من إعادة فتح منجم الفضة بإميضر (توزاگت) حيث أقامت شركة مناجم إميضر مركب سكني للعمال والأطر بتينغير قوامه حوالي أربعمائة مسكن وملحقات اجتماعية.

أدى هذا التطور الحديث للمدينة إلى ظهور عدة خدمات

كأبناك ومؤسسة تأمين، وأطباء القطاع الخاص، وصيدلية، إضافة إلى التجهيزات العمومية (إعدادية - ثانوية، مصالح وزارة الفلاحة، الدرك، الشرطة ...). غير أن توسيع المدار الحضري وضم عدد من القصور القروية أخلأ بالتوازن العمراني للمركز. فالقصور المدمجة داخل مدار البلدية تفتقر إلى عدد من مقومات المدينة (شبكة التطهير - شبكة الطرق، شبكة الماء الصالح للشرب...) كما أن هذا التوسع جعل المدينة تحيط بعقارات قد تترتب عنها مشاكل مثل المطار والثكنة العسكرية ومجالات تستدعي الحماية والاهتمام كالقصور التي تكون معماراً أصيلا وتراثاً ثقافياًيستوجب عناية خاصة، ومجال الواحة الذي يخشى أن تطفو عليه البنايات والإسمنت المسلح.

حسن أخبار، *دراسة النمو الحضري لمركز تينغير*، بحث لنيل الاجازة في الجغرافية. كلية الآداب بفاس، 1989 ؛ لحسن الحمداوي، *واحة تينغير* : دراسة في الجغرافية البشرية، بحث لنيل الاجازة في الجغرافية، كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط، 1977 ؛ سعيد ورشيد، *الهجرة وأثرها على العلاقات الاجتماعية بدوار حارة المرابطين، منطقة تينغير*، بحث لنيل الاجازة في علم الاجتماع كلية الآداب بالرباط، 1989 ؛ مصطفى عبد شافق، *التوسع العمراني بمركز تينغير* بحث لنيل الاجازة في الجغرافية، كلية الآداب بأگادير، 1993.

Beaupère, *Sur les vallées du Todgha, de l'Imider et du Saghro oriental, villes et tribus du Maroc*, Vol. IX, Paris, 1931 ; H.J. Bücner, *Types récents d'habitat oasien en remplacement du qsar : Observations sur les modalités de constitution spontanée des nouveaux villages chez les Ahl Todgha*, in *Le Maroc : espace et société*. Acte du colloque maroco-allemand du Passau 1989, pp. 23 - 36, 1980 ; *Le village "post qsourien", des Aït Atta du bas Todgha et l'impact du droit coutumier*, in *Le nomade, l'oasis et la ville*. URBAMA, fasc. n° 20, Tours, pp. 187 - 203, 1989 ; *L'habitat post qsourien au Maroc présaharien. Reflexion sur une approche géographique du remodelage récent de l'habitat villageois oasien*, in *Espace et Société dans les oasis marocaines*, Meknès, Fac. des Lettres, pp. 105 - 115, 1993 ; Direction de la Statistique, *Recensements de la population (1936 - 1960 - 1971 et 1982)*.

محمد أيت حمزة

** من الناحية التاريخية، تم تأسيس مركز الشؤون الأهلية بتينغير إثر احتلال واحة تدغة من طرف الجيوش الاستعمارية خلال شهر نونبر 1931، لم تكن تينغير تكتسي أهمية كبرى بالنسبة لسكان الواحة. إذ كانت توجد بها مجموعة من القصور يطلق عليها قصور أهل تينغير، تأسست بها الزاوية الناصرية حين أقبل إليها "سيدي إسماعيل" من تامگروت حوالي عام 1165 / 1751.

وعلى عكس واحة تدغة التي ورد ذكرها عند الحسن الوزان Léon l'Africain ومرمول Marmol والرحالة الألماني جيرارد رولف Gérard Rholfs والرحالة الراهب شارل دو فوكو Charles de Foucauld والماركي دوسيگونزاك Le Marquis de Segonzac، تحدث هؤلاء عن تدغة وبعض قصورها في حين لم يرد ذكر تينغير في مؤلفاتهم.

وتجدر الإشارة إلى أن واحة تدغة عرفت مرور بعض السلاطين بها في إطار جهودهم الرامية إلى توحيد البلاد تحت إمرتهم، وذلك منذ عهد المرابطين، في حين كانت تدغة على عهد الأدارسة عبارة عن إمارة مستقلة تضرب بها السكة بسبب وجود منجم للفضة بها، ولم تخضع للحكم الإدريسي إلا في عهد يحيى بن إدريس حوالي عام 223 / 838.

وانطلاقا من مطلع القرن الثالث عشر (19 م) حل المولى سليمان بتدغة ونزلت حركته بالمكان الذي شيدت فيه تينغير إذ ثبت أن هذه الحركة عسكرت "بإغير" الذي أطلق عليه منذ ذلك الحين "إغير المحلة" أي محلة السلطان واتخذته جيوش المخزن قاعدة لإخضاع قبائل أيت عطا بجبل صاغرو والمناطق المجاورة له.

وكما ورد في تقرير والتير هارس Walter Harris الذي تعقب أثر حركة السلطان المولى الحسن من تافيلالت إلى مراكش، أن محلة السلطان عسكرت بدورها وخيمت في إغير المحلة أثناء مرورها بتدغة وهي في اتجاه مراكش سنة 1311 / 1893.

وتتجلى أيضاً الأهمية التاريخية لتينغير أو إغير المحلة في كونه يحتضن الاجتماعات الدورية التي نظمها "المجلس الأعلى" لقبائل تدغة أو ما أطلق عليه "الجماعة العليا" أي "الجميعت نوفلا" أو أهل الأربعين "أيت أربعين"، وذلك للبت في النزاعات الظرفية التي تحدث بسبب مشكل توزيع مياه نهر تدغة على مختلف أجزاء الواحة وكذلك تنظيم المجال الزراعي والدفاع عن الواحة والتحكيم في بعض القضايا.

ونظراً للأهمية التاريخية لهذا الموقع، فقد اختاره باشا مراكش التهامي الاگلاوي سنة 1337 / 1919 لتشييد قصبة لخليفته في تينغير.

وتحتل قصبة الأگلاوي فوق إغير مكاناً استراتيجياً شديد التحصين، كما أنه بالإمكان مراقبة تحركات قبائل تدغة انطلاقاً من القصبة. ولازالت الذاكرة الشعبية تحفل بالكثير من الحكايات عما رافق بناء هذه القصبة من تعسفات. وكان لتعسفات الأگلاويين وجيوشهم دور كبير في تزايد نقمة السكان، إضافة لكون حركة الأگلاوي إلى تدغة جاءت لإضعاف مقاومة أهالي تافيلالت التي قادها مبارك ابن الحسين التوزنيني وخليفته بلقاسم النگادي. كما أن استقرار نفوذ الأگلاوي في تينغير تدغة أدى إلى قيام حرب أهلية بين مناصريه ومعارضيه وتسبب ذلك أيضاً في إرسال قائد تافيلالت لحملات تأديبية ضد بعض قصور تدغة الموالية للأگلاوي وهي مغلوبة على أمرها. ونستشف ذلك كله من خلال المراسلات المتبادلة بين شيخ الزاوية الناصرية بتينغير الذي تحالف مع الأگلاوي ومبارك بن الحسين التوزنيني الذي تزعم المقاومة بتافيلالت، وجاء في إحدى هذه الرسائل : "إلى المهدي بتينغير... تزعم أنك أعلم أهل زمانك، وأنك إمام أوانك، على أنك لم تعمل بعلمك، بل اشتغلت بالبنيان، وتحسين الملابس، وواليت الأگلاوي والفرنسيس، ولم تبال بأمور الجهاد، وستعاين إن ظفرنا بك ما يسوؤك بحيث لا يخلصك أحد من أيدينا

والسلام".

أدرك سكان تدغة النوايا العدوانية للأگلاوي وحلفائه، وعملوا على محاصرة القصبة حتى أصبح نفوذه منحصراً في الرقعة الجغرافية التي تشغلها القصبة. وهذا ما جعل الجيوش الفرنسية تهب لنجدة حليفها الذي مهد لها الطريق بإضعاف السكان وإشغالهم في معارك هامشية عوض الاستمرار في مساندة المقاومة في تافيلالت. واستعملت الجيوش الفرنسية الطائرات حيث كانت تهاجم تجمعات السكان مثل سوق أيت أجانا، إذ ألقت الطائرات على المحتشد القنابل فكانت الخسارات في الأرواح مهمة، كما تم إحراق الغلات الزراعية في البيادر، وتم خنق عشرات السكان داخل الملاجئ بواسطة قنابل خانقة. وبذلك مهد الطيران الحربي لتقدم الجيوش الاستعمارية التي حلت بتدغة يوم 7 رجب عام 1350 / 18 نونبر 1931. وأرغموا الأعيان على استقبال هذه الجيوش التي يتقدمها العقيد شاردو Le Colonel Chardon. وإمعانا في الإذلال والإهانة فرضوا عليهم ذبح ثور على نمط "التعرگيبة" لطلب الأمان وعفو المخزن !!

وتم إنشاء مركز الشؤون الأهلية بتينغير سنة 1931 وعين على رأسه القبطان پولان Le capitaine Paulin. ولم يقتصر دور مركز تينغير على الوجود العسكري، إذ سرعان ما تحول إلى مركز لاستقطاب القبائل، وجمع المعلومات حول قبائل أيت عطا وأيت يافْلْمَانْ التي تعتزم تنظيم المقاومة ضد الاستعمار. وتم تنظيم شبكة محكمة للتجسس يسهر عليها ضابط للشؤون الأهلية، إذ كان لا بد من شراء ضمائر العملاء من الأعيان بواسطة الإغراءات والمكافآت المادية. كما تم بناء سوق تينغير سنة 1353 / 1934 وكان قبل ذلك عبارة عن "نوالات"، ولعب هذا السوق دوراً في جلب السكان وربطهم بالاقتصاد السلعي، كما تم تشييد مجموعة من الدكاكين وزعت على التجار اليهود والمسلمين على السواء. ومنح هؤلاء امتياز احتكار المواد الغذائية مثل السكر والشاي والزيت والدقيق، ودفع السكان للخدمة في شق الطرق مقابل أجور زهيدة قصد الحصول على النقد الضروري لشراء المواد التي أغرق بها الاستعمار السوق. وهكذا أصبح دور مركز تينغير يتعاظم بتزايد وظائفه الاقتصادية والسياسية في المنطقة.

وتوزعت السلط في تينغير بين قطبين أساسيين :

- ضابط الشؤون الأهلية المكلف بالمهمة العسكرية وإخماد المقاومة وجمع المعلومات عن قبائل تدغة وأيت عطا ووضع بطاقات القبائل Les fiches de tribus بحيث يقوم الضابط بإحصاء عدد السكان ومختلف موارد عيشهم ورصد تحركات السكان بواسطة منح رخص السفر. كما يشرف ضابط الشؤون الأهلية على الأشغال العمومية كبناء مكتب الشؤون الأهلية بتينغير والدكاكين وبعض المرافق الإدارية بواسطة العملة التي فرضت مناوبة على سكان تدغة.

- خليفة الأگلاوي، وقد كان سعيد التيفنوتي أول خليفة للأگلاوي بعد احتلال تدغة من طرف الفرنسيين وأنيطت بالخليفة مهمة تنظيم الأحكام الشرعية وتعيين القضاة. وكذلك الفصل في بعض النزاعات المتعلقة بالإرث والعقار الخ... كما أطلق يد الخليفة في القبائل التي مارس عليها مختلف أنواع الضغط الجبائي والابتزاز بالإضافة إلى أعمال السخرة. هذا زيادة على تعبئة الحرفيين من قصورهم، خاصة المعلمين المهرة، واستخدامهم في حفر الخطارات وصيانتها، إذ كان يبعث بهم دورياً للعمل في أراضي الأگلاوي بالحوز. يُضاف إلى ما ذُكر إجبار السكان للمساهمة في الهدايا التي يبعثها الخليفة إلى ولي نعمته باشا مراكش التهامي الأگلاوي في مختلف المناسبات وفي الأعياد الدينية. وقد تضايق ضابط الشؤون الأهلية من تجاوزات خليفة الأگلاوي ومن تحديه لسلطته، فحدث شنآن بين السلطتين، وكان ذلك سبباً في عزل الخليفة سعيد من طرف التهامي الأگلاوي سنة 1936.

ولعب مركز تينغير دوراً في تنظيم التنقلات الموسمية للرحل من قبائل أيت عطا نحو منطقة الدير (أزيلال الحالية) وذلك بالتنسيق مع مختلف ضباط الشؤون الأهلية لعدد من المراكز. كما تشهد على ذلك مئات التقارير والمراسلات التي عالجت الرحلات الموسمية لقبائل أيت عطا وما أثارتها من نزاعات حول المراعي بين أيت عطا الصحراء وأيت عطا الدير.

وفي مطلع الخمسينات نضجت في تينغير نواة للحركة الوطنية، ففي أوائل سنة 1370 / 1951 امتدت الأفكار التحررية إلى منطقة تينغير، وأول ما قام به الوطنيون هو الاتصال بالمغفور له محمد الخامس بمدينة إفران، ومن بين الوطنيين الذين قابلوا السلطان السيد عيدي علي بن الحسين والهاشمي محمد بن عمر من تجماصت بتينغير والسيد البشير والفقيه سيدي امحمد بن داود من تاسكا بتينغير. وهؤلاء جميعاً هم الأوائل الذين قاموا بتأسيس الخلايا الأولى للحركة الوطنية بتينغير وربطوا الاتصال بالسيد عبد القادر بن يوسف النجار، فأخذ عدد الخلايا يتزايد ليشمل كل دواوير واحة تدغة. وأصيبت السلطات الاستعمارية بالذهول، لكونها اعتبرت تينغير منطقة محصنة من المد الوطني. لهذا أسرعت الإدارة الاستعمارية إلى الزج بالوطنيين في السجون، كما نفت العديد منهم، ولم يطلق سراحهم إلا بعدما أشرف المغرب على انتزاع استقلاله.

أصبحت تينغير بعد الاستقلال مركزاً للقيادة التابعة لدائرة بومالن دادس. كما تحولت أيضا إلى جماعة قروية في كل الانتخابات المتتالية إلى حدود عام 1412 / 1992 حيث أصبحت جماعة حضرية، تحتضن المجلس البلدي.

وقد تضاعف عدد سكان تينغير بشكل سريع وساهمت عائدات أبناء المنطقة المهاجرين إلى دول أوربا الغربية في تنشيط التجارة وبعض الحرف الخاصة، كل الحرف التي لها

علاقة بقطاع البناء والاستهلاك المنزلي. وساهمت الشركة المعدنية لمناجم إيمطر في توسيع المدار الحضري لتينغير وذلك بإقامة حي سكني مكون من ثلاثمائة مسكن.

وهكذا عرفت تينغير على امتداد تاريخها مجموعة من التحولات حيث انتقلت أولا من قصر يحتضن الزاوية الناصرية التي قامت بدور التعليم إلى جانب دورها الديني والسياسي، ثم أصبحت تينغير مركزاً للشؤون الأهلية يقوم بوظائف اقتصادية وإدارية لتدعيم الاستعمار. أصبحت تينغير مركزاً يحتوي على جماعة حضرية، وتحولت إلى مدينة متوسطة الحجم، إلا أنها عرفت تضخماً سكانياً اصطناعياً يفتقر إلى البنيات التحتية الضرورية من مجاري المياه ومساحات خضراء ومرافق عمومية مثل مستشفى الاختصاصات. وعلى العموم فهي مدينة بحاجة إلى التهيئة للمجال الحضري، إذ نما فيها السكن وتضخم عدد سكانها بشكل مصطنع الشيء الذي جعل عدداً من الجغرافيين ينبهون إلى مخاطر هذه الوضعية على البيئة وعلى السكان.

*مونوغرافية عمالة ورزازات*، سنة 1986 ؛ المهدي الناصري، *نعت الغطريس الفسيس هيان بن بيان المنتمي إلى السوس*، مخطوط ؛ مرواني الحسن، *البنية الزراعية في تدغة*، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1979 ؛ عبد القادر بوراس، *المقاومة في الناحية الوسطى للأطلس الكبير وصاغرو*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1973 ؛ افليين الحسين، موجز عن *تاريخ المقاومة بإقليم ورزازات*، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، 9 دجنبر 1988، ص. 48 ـ 56.

Chardon, *La préparation des opérations du Todra*, Rapport d'occupations du Gl. Commandant Tinerhir (A.S.H.A), 1931 ; Lt. Beaurpère, *La vallée du Todra*, in *Villes et tribus du Maroc*, T. II, Paris, 1931, pp. 205 - 227 ; G. Raclot, *La vallée du Todra*, *R.G.M.*, N° 20, 1936, pp. 89 - 109 ; G. Spillman, *Note provisoire sur le Todra*, Telouet, 27 Janvier 1928, (A.S.H.A° ; *Le Tafilalet d'après M. Walter B. Harris A.F : R.C.*, N° 1, 1909 ; H. Buchemer Joachim, *Thèse sur l'émigration dans le Todra*, Université de Mainz 1986.

عبد القادر بوراس

**تِينْفُو**، مجموعة من القصور والقصبات بدرعة ومنها القصر الكبير والحارة والقصبة اليمنى والقصبة الفوقانية وزاوية أيت بويحيى. تبعد تينْفُو عن مدينة زاكورة بحوالي اثنين وعشرين كلم إلى الشرق، وسط واحة فزواطة بوادي درعة الأوسط. قدرت ساكنة تينْفُو بأربعمائة كانون في أواخر العشرينات وقد انخفض هذا الرقم إلى 201 عائلة أي 1.733 نسمة حسب إحصاء 1982.

تتكون ساكنة تينفو من مزيج سكاني متنوع يغلب عليه اذْرَاوَة (حوالي 59٪ من العائلات) الذين يسكنون بالأساس بالقصر الكبير والحارة. والمرابطون (حوالي 27٪) الذين يستقرون بزاوية أيت بويحيى وقصبة اليمنى.

يعرف محيط تينْفُو المزروع تقلصاً مستمراً بسبب التصحر وزحف الرمال التي احتلت منه حوالي ثلثي المساحة وقد قامت المنظمة العالمية للتغذية FAO بمشروع لمحاربة

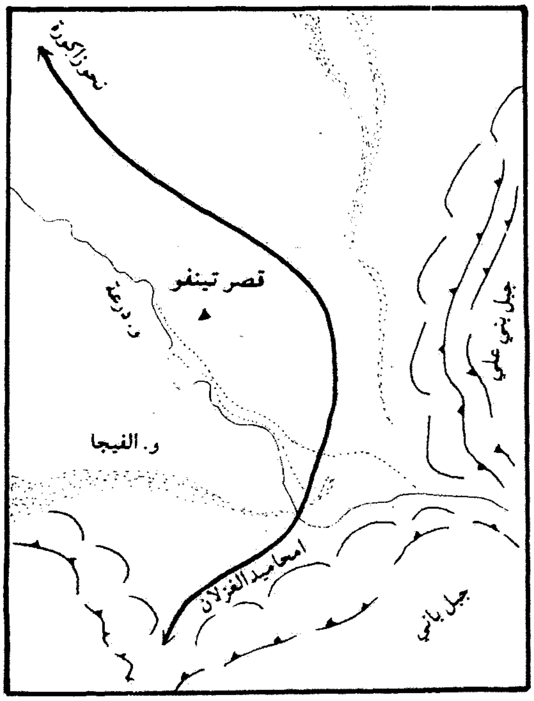


زحف الرمال وذلك بزرع أشجار Acacia aphyla داخل مربعات محاطة بجريد النخيل، ويرعى المشروع مصلحة المياه والغابات.

*دراسة ميدانية*.

عبد الكبير باهني

**التِّينْفُوِي**، عبد الكبير بن أحمد ولد بقصر تِينْفُو، بمنطقة بني علي جنوب تامگروت بواحة فزواطة، في وقت غير معروف من القرن الحادي عشر (17 م).

وبالرغم من كوننا لانعرف شيئاً عن بداية تعليمه ومكان هذه البداية، فإن عبد الكبير قد يكون أخذ مبادئ القراءة وحفظ القرآن الكريم بقصور بني علي نفسها، وكانت لهذه المنطقة منذ القديم عناية بالتعليم وتحفيظ القرآن الكريم (*العقود الجوهرية*، 14). وبعد ذلك شد الرحال إلى مراكش لطلب العلم، فأخذ عن صالح علماء المدينة أبي العباس العطار (*الإعلام*، 2 : 329) ثم توجه إلى فاس فأخذ عن محمد بن عبد القادر الفاسي، وأثناء عودته من فاس توقف بسجلماسة فأخذ عن عالمها في زمانه عبد الملك التاجموعتي، وكانت خاتمة هذه الرحلة العلمية زاوية تامگروت القريبة من مسقط رأسه، فأخذ عن إبراهيم بن علي السباعي والشيخ أحمد بن ناصر. ويذكر صاحب *الدرر* أن هذه الثلة من العلماء أجازوا عبد الكبير إجازة عامة مما يدل على تحصيله في الفقهيات. وكانت له جولات في النوازل والأحكام الشرعية إذ لانزال اليوم نصادف تعقيباته وتوقيعاته على الرسوم بمختلف واحات درعة.

استقر عبد الكبير بن أحمد في مسقط رأسه بقصر تينْفُو، ثم عين قاضياً بوادي درعة بأمر إسماعيلي سنة 1101 / 1689. وكان قوالا للحق لا يخشى لومة لائم فيما

يصدره من أحكام، وعلى عكس عدد من قضاة درعة فإننا لم نتمكن من العثور ولو على تعقيب واحد على أحكامه، بل إنه كان يعتمد كمرجع وحجة في بعض القضايا التي لها علاقة بالحياة اليومية لسكان واحات درعة، وقد اعترف له معاصروه من علماء درعة بالفضل وسعة الاطلاع، الأمر الذي أهله بعد ذلك ليتولى منصب قاضي القضاة بالوادي ( *العقود الجوهرية*، 15 ).

وظف عبد الكبير علمه وأدبه في تقربه إلى ولاة المخزن على وادي درعة إبان العهد الإسماعيلي، وقد سجل لنا صاحب *الدرر* جملة من القصائد كان التينغُوي يمدح بها أبناء مولاي إسماعيل أثناء عملهم كولاة على درعة، وبشكل خاص الشريف ابن إسماعيل، وقد توطدت العلاقة بينهما. ولما عُزل الشريف عن ولايته سنة 1114 /1702 ورحل إلى قصبته بواد الرتب بتافيلالت، رحل إلى زيارته عبد الكبير وأنشده قصيدة يمدحه فيها ويندب فيها حظه وما لحقه من عثرات الدهر بعد غياب الأمير.

وبعد حوالي عشر سنوات عاد مولاي الشريف والياً على وادي درعة سنة 1124 /1712، فتعززت مكانة عبد الكبير بين أنداده واعترف له الأمير بجميل وفائه له، فقر به إليه وأصبح لا يفارق مجالسه. وقد أفاض عبدالكبير في مدح الشريف مخلداً أعماله في ضبط الأمن والاستقرار بالوادي طيلة ولايته الثانية التي استمرت إلى عام 1136 / 1723. ومما يدل على ما بلغه من مكانة عند الأمير، أن هذا الأخير كان يعهد إليه للفصل في بعض القضايا ذات الطابع السياسي والاجتماعي. وهكذا تولى الفصل في مسألة مشيخة زاوية تامگروت، بعد وفاة الشيخ أحمد بن ناصر، ذلك أن التقليد المتبع منذ تأسيس الزاوية أن الشيخ يختار قبل وفاته من توفرت فيه الكفاية بقطع النظر عن قرابته، وعلى هذا الأساس عهد أحمد بن ناصر بالمشيخة إلى أحد أكبر أتباعه وهو الحسين الشرحيبيلي، إلا أن الناصريين تحزبوا ضده لأهمية الموارد الاقتصادية لزاوية تامگروت ورفعوا أمره إلى الشريف بقصبة إغلان شمال تامگروت، فأمر قاضي القضاة بالفصل في المسألة، فلما حضر الشرحيبيلي مجلس الأمير بحضور القاضي عبد الكبير، منعه هذا الأخير من العودة إلى تامگروت وهدده بالضرب بالمنشار وهي أقسى عقوبة تتخذ في حق من يعترض تنفيذ أوامر الأمير. وقد اضطر الشرحيبيلي إلى الانتقال من وادي درعة إلى بلاد صنهاجة حيث أسس زاوية أمان مَلُّولَن على الطريق الرابط بين وادي درعة وسوس ( *المعسول*، 18 : 239 . 243).

توفي عبد الكبير التينغُوي بمسقط رأسه قصر تينغُو سنة 1146 /1733.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ محمد بن لحبيب التامنوگالي، *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 2 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 18.

أحمد البوزيدي

**تينگمرْت** أو تينغمرت، هضبة بقبيلة بني شيكار (إقليم الناظور) حرّفه الاسبان إلى تانيغما Tanigma ثم إلى تانيما Tanima وأخيراً إلى تاويما Tauima وذلك على إثر احتلال الهضبة من طرف الجيش الإسباني يوم 25 شتنبر 1909 حيث بنوا ثكنة خاصة باللفيف الأجنبي وأنشأوا أول مطار للطيران العسكري بشمال المغرب.

وعند اندلاع الثورة الريفية، تمكن المجاهدون من استرجاع المركز يوم 25 يوليوز 1921، غير أنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ به سوى شهرين.

وعندما قام الجنرال فرانكو بالانقلاب العسكري الذي أطاح بالجمهورية الإسبانية، كانت حامية تينگمرت هي الحامية الأولى التي انضمت إلى الثورة يوم 17 يوليوز 1936.

ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*.

*Nomenclator cabilas*, 1953 ; Martinez Campos, *España bélica*.

محمد ابن عزوز حكيم

**التّينَمْسْلاوي**، إبراهيم بن علي، نسبة إلى تينَمْسْلاَ أحد مداشر وادي درعة، يقع على ضفته اليسرى، على بعد حوالي خمسة وثلاثين كلم جنوبي أگدز، في مجال قبيلة أيت زيري.

والتينمسلاوي المترجم هو أحد تلامذة الشيخ أحمد بن مَحمد ابن ناصر الدرعي، اشتهر في تلك المنطقة بعلمه ومتابعته للطريقة الناصرية، ويتضح من ترجمته أنه كان كثير التنقل لمواصلة إخوانه في الطريقة ( *الدرة الجليلة*، 223 . 224).

لم يستطع الخليفتي تحديد تاريخ وفاته، ويبدو وأنه توفي بعد سنة 1182 / 1769.

مَحمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*، تح. أ. عمالك، 1986.

أحمد عمالك

**تينمْلْ**، قرية صغيرة تقع وسط المجرى الجبلي لنهر نفيس، أحد روافد نهر تانسيفت. وهي على بعد حوالي مائة كلم جنوب غرب مراكش، على الطريق التي تربطها بتارودانت عبر الممر الجبلي تيزى ـ نْ ـ تاسْتْ. وتبعد بضعة كيلومترات فقط من المركز الإداري الحالي : تالاتْ ـ نْ ـ يعقوب، ومن زاوية تاسافت ومن قلاع القائد الگونتافي ومنازله. وبها بقايا مسجد تينملّ الموحدي الذي اهتمت بعض الشركات بترميمه في السنوات الأخيرة.

ارتبطت شهرة "تينملّ" بظهور زعيم الموحدين محمد بن تومرت وتكوين الدولة الموحدية، إذ كانت مركز انطلاق حركتهم ضد المرابطين، وأصبحت بعد تأسيس دولتهم ونزوحهم إلى عاصمتهم مراكش مدينتهم المقدسة التي يحج إليها ملوكهم وأنصارهم باعتبارها رمز التأسيس وموطن أضرحة المؤسسين.

ورغم شهرة تينملّ وكثرة ورودها في كتب التاريخ

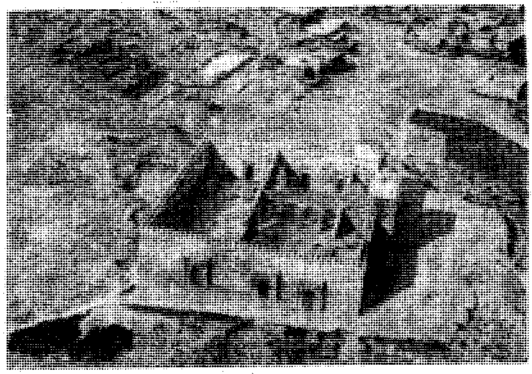

تينملل

اختلف المؤرخون في شكل كتابتها، فقد كتبها البيذق :"تينملل" وكذا ابن القطان وابن خلدون، وكتبها الإدريسي تاغللت، ويبدو أنه انفرد بكتابتها بهذا الشكل. وكتبها صاحب *الحلل الموشية* "تينمال" وكتبها مؤلف كتاب *الروض المعطار* "تاماللت".

أما ابن صاحب الصلاة، فقد كتبها مرة متصلة ومرة منفصلة على الشكل التالي : "تنملل" أو "تين - ملل". وكتابتها على هذا النحو الأخير جعل البعض يميل إلى الاعتقاد بأن الكلمة مركبة من "تين" و"إيميلال"، ومعناها : ذات المدارج. لأن كلمة "اماليل" وجمعها "إيميلال" تعني الجوانب المبنية من المدرجات الزراعية المعروفة في المناطق الجبلية.

أما ابن عذاري، فقد كتبها هكذا : "تينمل" والنسبة إليها : التينملّي:، ونسب إليها صاحب *التشوف* بنفس الشكل، وكتبها مؤلف كتاب *الاستبصار* "تينمل، وكتبها حسن الوزان "تينملّ" بلام مشددة، وعلى هذا المنوال كتبها صاحب *رحلة الوافد*، وكذلك ينطقها سكان المنطقة حالياً.

وأعتقد أن النطق الصحيح للكلمة هو "تينْمِيلاَّلْ" وأنها ليست مركبة، بل هي كلمة واحدة وأن معناها هو المزار أو المحج والحَرَم والحُرمَـة، وأن هذا المعنى لم تكتسبه بمجيئ ابن تومرت إليها، لأن تنميلال كانت موجودة قبل الحركة الموحدية. فدورها كمكان مقدس تعقد فيه العقود والعهود بين القبائل المجاورة ربما كان بارزاً قبل القرن السادس (12 م) ولايستبعد أن يكون دورها هذا من أهم الدوافع التي جعلت ابن تومرت يختارها لتكون نقطة انطلاق سعيه لتوحيد مصامدة جبل دَرَنْ.

كانت تينْمِيلاَّل في وسط بلاد إيزْمِيرَنْ أو هزميرة الذين كانوا منتشرين في حوض نهر نفيس جبلا وسهلا. ويبدو أن هؤلاء هم الذين استقدموا ابن تومرت إلى تينْمِيلاَّل في بداية أمره. وقد روى ابن القطان قصة هزميرة مع ابن ترمرت هكذا : "وقال اليسع في استيطان الإمام المهدي رضي الله عنه لتنْمَـلَّلْ : أن أهل مدينة تينْمَـلَّلْ بعثوا رسلهم إلى الإمام المهدي رضي الله عنه يعلمونه بطاعة هزميرة الجبل وان مجيئه وسكناه عندهم أصلح له، وأقرب من تسامع الناس به، فرحل إليهم رضي الله عنه بجميع من أطاعه، وحصل بتنْمَـلَّلْ وأكرمه أهلها، وأنزلوه في المدينة وأضافوه وأطاعوه وبايعوه، فرأى من كثرتهم ومنعة موضعهم وحسن بلدهم ما راقه. فكان يخرج إلى الشريعة خارجها ويجلس على حجر مربع أمام محراب الشريعة، فيعظ الناس. وكانت هزميرة يمسكون العدة. فقال لهم الإمام يوما : ما لكم تمسكون العدة وأصحابنا إخوانكم الموحدون أعزهم الله تعالى لا يمسكونها ؟ فأقاموا على ترك عدتهم زمانا، وقد كان الإمام - رضي الله عنه - خاف من جهتهم لكثرتهم ومنعتهم، وكوشف من حالهم بما اقتضى له تدقيق النظر في أمرهم، فوصلوا في بعض الأيام إلى الوعظ دون عدة ؛ فما شعروا إلا وأصحابه الموحدون أعزهم الله تعالى ورضي عنهم معهم العدة قد أحاطوا بهم فقتل منهم في ذلك اليوم نحواً من خمسة عشر ألفا. وقتل من ذلك القبيل كل من حضر في ذلك اليوم بتنْمَلَّل، وسبى حرمهم وغنمت أصولهم فقسم أرضهم وكرومهم بين الموحدين من أصحابه، وأصفى ديارها جوائز جوائز، لكل قبيلة جائزة، ثم أدار على المدينة سوراً أحاط بوهدتها، وبنى على رأس الجبل سوراً، وأفرد في قنته حصناً يكشف ما وراء الجبل".

ومنذ هذه الحادثة التي يصعب الشك في وقوعها رغم الغلو المحتمل في عدد قتلى هزميرة، أصبح سكان وادي نفيس خليطاً من قبائل سوس التي ناصرت ابن تومرت منذ بداية أمره.

بقيت تينْمِيلاَّلْ مدينة عامرة طيلة عهد الدولة الموحدية، متوفرة على مسجد فريد من نوعه في المنطقة الجبلية، ذلك الذي بناه عبد المومن بن علي بعد انتصار الموحدين على المرابطين. غير أنها تراجعت بعد تخريبها من قبل المرينيين في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق عام 674 / 1275.

وقد أفادنا كتاب *رحلة الوافد* بجملة من المعلومات النادرة عن آثار مدينة تينْمِيلاَّلْ في القرن الثاني عشر (18م) من ذلك أن مسجد تينْمِيلاَّلْ كان لا يزال مسجداً جامعاً وكانت به خزانة من الكتب يرجع عهدها إلى العهد الموحدي الأول (ص. 60) وأن سور المدينة كان يمتد جهة الشرق إلى فحص تاسافت أي على الضفة اليمنى لنهر نفيس (ص. 63). وهذه مقتبسات مما كتب عن المدينة : "وكانت الدور متصلة البناء من ناحية المغرب إلى بلدة بني عثمان، وإلى وادي أگُدْمْتْ، ومن ناحية الجوف إلى مشرق الاعتدال، إلى بلدة إكْرْسَافْنْ فما فوق، وإلى تاسافت وبحيرة السلطان. ومازال الناس الآن يجدون أثر ذلك في البناء الدائر وقبور منسية دون المقبرة العظمى التي بإزاء السور هناك، ودراهم سكّتهم (الموحدين) عند نزول الصب والمطر الوابل يجدونها مربعة (...)، وهي مكتوب فيها : الله ربنا ومحمد رسولنا والمهدي إمامنا، والوجه الثاني : لا إله إلا الله الأمر كله لله، بخط مرقوم حسن، قد شاهدناه، وتتبرك الناس به وبعلاقته للأكابر والصبيان، ويجعلونه في

الأمتعة وأوعيتهم وأكياسهم (ص. 155).

وتعجبت من ذلك البناء الذي بسورها (تينْميلالْ) من ناحية باب الرواح، كأنه مبني هناك، وما بقي في المسجد بالأمس : بنيان مرصرص متقون لم أقف على مثله بفاس ومراكش والقاهرة المصرية (...) ولم يبق الآن من الديار بتينملّ إلا نحو من ستين كانونا (ص. 156).

"... وكان مسجد هناك بباب الرواح عند سور تينملّ بخارج بابه مقبرة، مازال الناس إلى الآن يتبركون فيه..." (ص. 158).

"... وأما دار الملك هناك، لم يظهر أثرها، لأن عدوهم حين سلطه الله عليهم، من ملوك بني مرين، بعد انصرام دولة الموحدين، خرب وادي نفيس كله. وهدم الديار على أربابها هناك بتينملّ. قد ذكر لي بعض من لقيته من أهل مدينة تينملّ أنهم وجدوا في مدة الشيخ يحيى واكْريم، في دار فوق البلد دائرة عظام امرأة بإزاء رحى وبيدها سوار من النحاس الأصفر باق من ذلك الوقت إلى الآن..." (ص. 159).

"... وأول زيارتي لصالحي مدينة تينملّ والورود على بابهم المنيف، كان عام أحد عشر بعد المائة والألف (1700 م)..." (ص. 173).

"... ولما أشرفنا على المدينة (أرسل معه أبوه أحد أتباع زاويته) من ناحية ثنية موضع يقال له أسْقمُ، فيه هناك مقبرة قديمة، وزرنا من بها من الصالحين، واستقبلنا حينئذ المقبرة الكبرى بعدوة وادي نفيس، التي الآن بقرب سور المدينة عند الطريق، وتوسلنا بصالحيها ومن فيها من العلماء العاملين وساداتنا الأشراف، وأراني موضعهم ومقبرتهم في أعلى المقبرة العظمى، وقبور الموحدين على يمين مصلى من ناحية الجبل، وفي وسطها بيت المرابطة يقال لها تَعْزّى بنت ناصر (...) وأراني مسجد الإمام ومناره وبقية ديار تينملّ وأجنتها الحسناء..."

"... ودخلت المسجد وتعجبت من حسنه ورونق صنعته، وله ستة أبواب، ثلاثة مفتوحة لشرق البلد ولناحية السور، وثلاثة أخرى مفتوحة لناحية غربها مما يلي ربوة البهوميين، وفيها أربع قبب في زواياها كلها، في غاية الحسن والصنعة المتقفة (...) ولم يبق إلا (الصف) الأول صالحاً مع قبتين الغربية والشرقية، واندرس غيرهما..." (174).

وفي عصر مؤلف *الرحلة* أشاع بعض الناس خبر انحراف قبلة مسجد تينملّ، فهجره المصلون، مما ساعد بدون شك على تدهور بنيانه منذ ذلك الوقت..

تحدثت كل كتب التاريخ التي تضم أخبار الموحدين بشكل أو بآخر عن تينملّ. وقد انفردت *رحلة الوافد* لعبد الله التاسافتي بإعطاء وصف مفصل عن المدينة ومسجدها في القرن الثاني عشر (18 م). وقد كتب عنها كذلك دارسون أوربيون مثل هانري طيراس في مجلة *هسبيريس*، ولاووست في كتابه عن *الطوبونيميا في الأطلس الكبير*.

علي صدقي أزايكو

**تِينُودادْنْ**، معدن نحاس كان موقعه على الطريق التجاري الرابط بين سجلماسة ومدينة تيومتين حاضرة درعة (انظر مادة *تيومتين بالمعلمة*) ويبعد عن هذه الأخيرة بثلاث مراحل وعن سجلماسة بمثل ذلك، فهو يتوسط المسافة بينهما، فمن تيومتين إلى تامجاثت مرحلة، ومنه إلى أمان تيسن (ومعناه الماء المالح) مرحلة، ومنه إلى تينودادن (أي ذات الأيايل) مرحلة ومنه إلى أجروا مرحلة، ومنه إلى تونين ن وگلّيد (أي آبار الأمير) مرحلة، ومنه إلى أمان يسيدان (أي ماء النعام) ومنه إلى إجران وُوشان (أي فدان الذئب) إلى أمرغاد مرحلة. وأمرغاد آخر بساتين سجلماسة ومنهاإلى سجلماسة ستة أميال (البكري، *المغرب*، 156).

حاولنا توطين معدن تينُودادْنْ حسب وصف البكري وما توفره الخرائط الحديثة من معلومات، وخلصنا إلى أن منجم النحاس الذي تم استغلاله في القرن الخامس (11 م) واشتهر باسم تينودادن وهو منجم النحاس الذي مازال يستغل حتى يومنا هذا ويعرف باسم أم الجران ويقع في مجالات أيت واحليم حسب الخريطة الإدارية لإقليم الرشيدية 500.000 /1 عند خط طول خمس درجات وست دقائق (5 و6) غرب غرينيتش وخط عرض ثلاثين درجة وثلاث عشرة دقيقة واثنتي عشرة ثانية (30 و13 و12) شمال خط الاستواء (خريطة إقليم الرشيدية 500.000 /1).

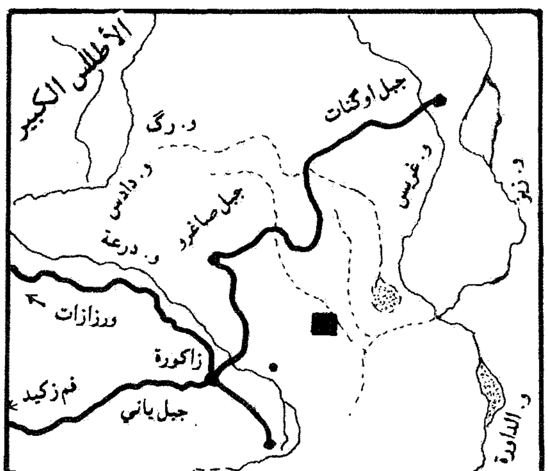


تينودادن (معدن النحاس)

إن الذي دفعنا إلى تحديد موقع تينُودادْنْ في أم الجران الحالية هو تطابق المسافة التي ذكرها البكري بين سجلماسة وهذا المنجم مع المسافة الحالية الفاصلة بين أم الجران والريصاني. فالرحلة بين سجلماسة وتينودادن كانت تتطلب مسيرة ثلاث مراحل وستة أميال أي حوالي مائة وخمسة كلم وهي نفس المسافة التي تفصل أم الجران عن الريصاني عبر مصيصي وادي رگ ووادي حصية. وهذه المسافة، كما هو معلوم، تقل بخمسة وثلاثين كلم عن مسافة الطريق الحالي الرابط بين الريصاني وأم الجران عبر مصيصي، أشبارو ألنيِّف، أيت سعدان والحزيان ثم أم الجران (انظر الخريطة). ومرد ذلك إلى كون هذا الطريق لايمر بمجاري

الأودية الصحراوية كما كان الأمر في العصر الوسيط لما كانت القوافل تسير عبر هذه المجاري لما توفره من أعشاب ومصادر ماء بل يحاذيها بفرض المرور بجميع المراكز القروية الحالية كأشبارو والنيف وأيت سعدان ومنها إلى تَزَارين فتيزي ـ نْ ـ تافيلالت فزاگورة أي أنه يخترق حمادة گم گم ويتبع السفوح الجنوبية لجبال أوگنات وجبل صغرو (*خريطة المغرب الطريقية* 1.400.000 /1).

وتبعد أم الجران عن زاگورة بحوالي أربعة وثمانين كلم عبر تيزي نْ تافيلالت وتيسيمونين. وتصل هذه المسافة إلى مائة وستة وعشرين كلم عبر الطريق الرابط بين زاگورة والريصاني عبر تيزي ن تافيلالت، علي وحسو، تازارين، أيت سعدان، الحزيان فأم الجران. (*خريطة المغرب الطريقية* 1/ 1.400.000).

أ. البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ *الخريطة الإدارية لإقليم الرشيدية* 1/ 500.000، 1977 ؛ *خريطة المغرب الطريقية* 1/ 1.400.000، 1980.

حسن حافظي علوي

**تينْيا لونگا** Taenia Lounga، من المواقع القديمة بالشاطئ المتوسطي لموريطانيا الطنجية، وطنها الجغرافي بطليموس بإحداثيات 9°30'. 35°45'. لكن، تُلاحظ المبالغة في توطينها، حيث جُعل خط عرضها يفوق خط عرض أبيلا Abyla أو سبتة 35°40'. وتوجد ما بين موقع رأس Cap 9° 34°55', وموقع راس سيستياريا Cap Sestiaria ,35° 10°. كما أنها تشكل النصف الغربي من الشاطئ المتوسطي لموريطانيا الطنجية.

*المصطفى م. رشيد، موروزيا، أبحاث في الجغرافيا التاريخية* للمغرب الأقصى القديم، بوزاشان (فرنسا) 1987 ؛ *والمغرب الأقصى عند الاغريق واللاتين*، الدار البيضاء، 1992.

المصطفى م. رشيد

**التيهرتي، أحمد** بن فتح ابن الخزاز، أصله من تيهرت بالمغرب الأوسط، وولي قضاءها. وكان شاعراً راوياً للأخبار، هاجر إلى المغرب الأقصى فتنقل بين مدنه، ودخل مدينة فاس، ولا ندري ما هي الأسباب التي دفعته إلى أن يهجو أهلها هجاءً مقذعاً.

ثم انتقل إلى مدينة البصرة، واتصل بأميرها ابن أبي العيش عيسى بن إبراهيم ابن إدريس الثاني، ومدحه في قصيدة مطلعها :

ما حاز كل الحسن إلا قينة     بصرية في حمرة وبياض

وولي بعد ذلك قضاء مدينة مليلة، ثم دخل الأندلس سنة 325 / 937 لما زحف عسكر بني عبيد إلى المغرب، وقدم على عبد الرحمن الناصر الأموي بقرطبة مستجيرا فأجاره، وأعاده إلى قضاء مليلة وبها توفي عام 332 / 3 ـ 944.

ابن الفرضي، *تاريخ العلماء والرواة بالأندلس*، القاهرة، 1966، ص. 61 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، بيروت 1984، 1 : 103 ؛ أبو عبيد البكري، *المغرب*، طبعة باريس 1965، 110 ـ 117 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، بيروت، 1 : 440 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، الرباط، 1979، 2 : 287.

محمد المغراوي

**التيهرتي** (الثائر بسوس) ← **التاهرتي**

**تيولْي** أو تولْ، مكان يوجد جنوبي مركز تامصلوحت (جنوب غرب مراكش) في اتجاه جبال سكتانة، وحسب المعلومات التي تقدمها الوثائق المحلية، كانت هذه المنطقة صغيرة المساحة لكنها تتوفر على خصائص طبيعية متنوعة، منها انبساط أرضها وجودة مياهها وموقعها الوسطي بين منخفض تامصلوحت وجبال سكتانة. ظهرت أهميتها حين امتد نفوذ الزاوية المصلوحية إلى أراضي القبائل السكتانية.

وتعتبر النفرة التي وقعت في منتصف القرن العاشر (16 م) بين ولي من أولياء سكتانة وشيخ زاوية تامصلوحت من الأسباب التي جعلت ذكر هذه المنطقة يتكرر في الوثائق المحلية.

ومبعث هذه النفرة أن الولي السكتاني عارض بشدة مد نفوذ الزاوية إلى منطقة تيولي التي اعتبرها جزءاً من أراضي قبيلة ام احجارن السكتانية. والظاهر أن تلك المنطقة لم تكن مستغلة زمن ضمها إلى عقارات الزاوية المنافسة، بدليل أن شيخ هذه الزاوية آنذاك (عبد الله بن حسين الأمغاري الولي الشهير) اعتمد على حالة أرضها المتعطشة ورغبته في إنعاشها، كحجج لإسقاط مطالب الولي السكتاني، إضافة إلى كون الزاوية كانت متمسكة بعقد شراء أرض تيولْي من أصحابها الأصليين. وقد أثبتت بعض القرائن أنهم ربما كانوا من إحدى القبيلتين المساندتين للزاوية المصلوحية، وهما قبيلة بني مداس المصمودية وقبيلة لعكاكرة المجهولة الموقع.

إن استغلال قطاع تيولْي بصورة منتظمة منذ منتصف القرن العاشر (16 م) يبيّن مدى التنامي المبكر لنفوذ الزاوية المصلوحية ـ الحديثة التأسيس ـ في منطقة لم تكن لها بها صلة فيما سبق، لأن نفوذ الامغاريين أسياد تامصلوحت الجدد ظل محصوراً في منطقة الجنوب الشرقي المغربي. كما أن التمسك بنفس القطاع سيعزز مكانة الزاوية أمام مضايقات القبائل السكتانية وحرصها على حصر نفوذ الزاوية ضمن محيط تامصلوحت الضيق.

لقد خرجت الزاوية المصلوحية من صراعها هذا منتصرة، بل تمكنت في ظرف وجيز أن تفرض نفسها كزاوية مهيمنة على سائر القبائل المجاورة لها، ومن ضمنها قبائل سكتانة، التي أسست بأراضيها، السهلية منها والجبلية، فروعاً لها، كانت أكثرها نفوذاً زاوية كيك التي شيدها المولى إبراهيم ابن أحمد الأمغاري، حفيد مؤسس زاوية تامصلوحت.

*وثائق الزاوية المصلوحية* ؛ *خريطة تامصلوحت الطبغرافية*، مقياس 1 / 50.000.

محمد المازوني

**تيومْتين**، حاضرة درعة وقاعدتها في القرن الخامس (11 م). كانت مبنية على مشرف من الأرض حتى لا تأتي عليها فيضانات وادي درعة في فصلي الشتاء والربيع. وهي عاصمة إدريسية حكمها علي بن أحمد بن إدريس بن يحيى بن إدريس الأزهر، وبها مسجد جامع وأسواق ومتاجر (البكري، *المغرب*، 155).

لا نعرف المكان الذي وجدت به هذه المدينة بنوع من التدقيق، غير أن إشارة البكري إلى أن وادي درعة يقع بقبليها وأن جريانه بمجالاتها من الشرق إلى الغرب جعل لوسار J.M. Lessard يحدد موقعها إلى الجنوب من منعرج وادي درعة ما بين زاگورة وتاگونيت.

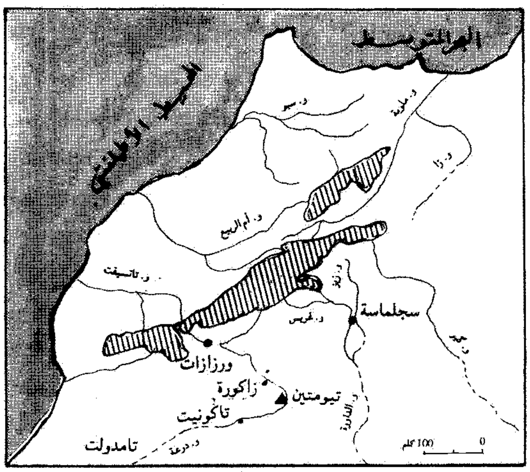


تتطابق الأوصاف التي خص بها البكري تيومْتين مع الأوصاف التي وردت في المصادر الجغرافية اللاحقة عن مدينة بنفس المنطقة عرفت بأسماء مختلفة كاسم درعة وتافرسيت التي خربت في القرن السادس (12م) (*الاستبصار*، 206 ؛ الحميري، 235 ؛ الزهري، 117) وقرى بني صبيح التي آل إليها النشاط التجاري في تلك الجهات في القرن العاشر (16 م) *وصف افريقيا* (2 : 119) وانظر تعليق المحقق هامش رقم : 8 من نفس الصفحة). وتجب الإشارة هنا إلى أن الإدريسي الذي نفى وجود أية حاضرة بوادي درعة أشار في معرض حديثه عن مدن السوس الأقصى إلى مدينة يشبه رسم حروفها رسم كلمة تيومتين. ويتعلق الأمر بمدينة تيويوين ثاني أهم مدينة بالسوس الأقصى بعد تارودانت (الإدريسي، 40). ولاندري إن كانت هذه الإشارة تخص مدينة تيومتين أو مدينة أخرى غيرها نجهل كل شئ عنها.

إن تعدد أسماء حاضرة درعة يدفع إلى القول بأن مركز الثقل الاقتصادي بمجالات وادي درعة عرف تغيرات مهمة مع الزمن تبعاً للنفوذ السياسي المحلي واتجاه الطرق التجارية الرابطة بين سجلماسة وتامدولت من جهة، وبين سجلماسة وأغمات ثم مراكش من جهة ثانية، وهذا ما يبرره الاختلاف في التسمية الذي نجده في المصادر الجغرافية بين زمان البكري وزمان الوزان.

تبعد مدينة تيومتين عن سجلماسة بحوالي ست مراحل دكرها البكري على الشكل التالي : من تيومتين إلي تامجاثت ومنها إلي أمان تيسن ومنه إلي تنودادن ومنه إلى أجروا ثم تونين ان وگليد فأمان يسيدان ثم إجران ووشان ثم إمرغاد ومنه إلى سجلماسة ستة أميال ( *المغرب*، 156). كما تبعد عن تامدولت أيضاً بنفس المسافة ( *المغرب*، 167) وهي بذلك تتوسط الطريق الرابط بين المدينتين الذي كان يستعمل من قبل التجار المتجهين إلى غانا.

أ. البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ ش. الإدريسي، *وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية*، الجزائر، 1957 ؛ مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، تح. سعد زعلول، عبد المجيد، الدار البيضاء، 1985 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1984 ؛ الزهري، *كتاب الجغرافية*، محمد حاج صادق، بورسعيد، بدون تاريخ ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الترجمة العربية، الجزء الثاني، بيروت، 1982.

حسن حافظي علوي

**تيوي**، فاطمة بنت أحمد، مقاومة من مدينة تازا. ولدت سنة 1339 / 1921 بدوار أخندوت (إقليم تازا). انضمت لصفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالشمال. قامت تيوي فاطمة بكل الأعمال التي من شأنها أن تخفف آلام جرحى جيش التحرير، كما كانت تهيئ الطعام للمجاهدين. استشهدت هذه المناضلة بتاريخ 2 ربيع الأول عام 1375 / 12 أكتوبر 1955 نتيجة القصف الجوي الذي قامت به الطائرات الاستعمارية ضد مراكز تجمع المجاهدين.

*وثائق المندوبية الاسلامية للمقاومة كتاب الشهداء*.

عز الدين العلام

**تيويزي** ← **التويزة**

**تيويوين**، بمعنى الإماء. مفرده تاوايا أي الأمة. وهي حاضرة قديمة بسوس، ذكرها الإدريسي عند حديثه عن الصراع المذهبي في سوس حيث ذكر أن أهل تارودانت مالكيون وأهل تيويوين شيعيون. (*نزهة المشتاق*، ص. 79). أما مكانها فبالقرب من تارودانت دون تحديد. ولربما انتقل الشيعيون الذين كانوا بتارودانت إلى تيويوين بعد حصار عبد الله بن ياسين لتارودانت. وفي فترة الصراع بين المرابطين والموحدين، نجد المرابطين بتيويوين إلى أن انتصر عليهم الموحدون.

ولما ثار علي ابن يدر على الموحدين كان ينزل في مركزه بتانصّاصْت وفي تيويوين. ولا ندري متى اختفت تيويوين، حيث إن صاحب *وصف إفريقيا* لم يذكرها.

ش. الادريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*.

محمد حنداين

**التيّارات البحرية**. تتميز المحيطات بشكلين من التحركات : التحرك الأول لايمثل تنقلاً لحجم الماء ولكن فقط حركات منتظمة ودائرية، يندرج ضمن هذا الصنف الأمواج وتيارات المد والجزر. يتجسد التحرك الثاني على

شكل تنقل لأحجام مائية، ويمثل هذا الصنف التيارات البحرية.

والتيارات البحرية أشكال، منها تلك التي تنقل المياه الباطنية ببطء مساهمة في إعادة توازن الحرارة والكثافة بين المحيطات، ومنها التيارات السطحية المتميزة بسرعة عالية والتي تحدد اختلاف الحرارة والملوحة. لهذه التيارات الأخيرة تأثيرات واضحة على مناخ القارات وعلى توزيع الحياة البحرية.

تصنف التيارات البحرية، حسب أصل نشأتها إلى أنواع أهمها :

- تيارات الدفع Courants d'impulsion : تنشأ بفعل قوة الرياح.

- تيارات التوازن Courants de compensation : تنشأ بالضبط في حالة وجود تيارات الدفع : تُعَوِّضُ المياه المدفوعة بقوة الرياح كي تملأ الفراغ المائي في المجال الذي تهب منه الرياح. ويمكن أن ندرج، ضمن هذا الصنف، التيارات البحرية المتحركة بفعل الاختلافات في الحرارة والكثافة.

- تيارات التصريف Courants de décharge : تنشأ بفعل الاختلاف في مستويات البحار والمحيطات.

يقدر طول السواحل المغربية الشمالية والغربية بـ3000 كلم. وتشهد هذه السواحل تيارات بحرية يرصد أهمها بمياه المحيط الأطلنتي.

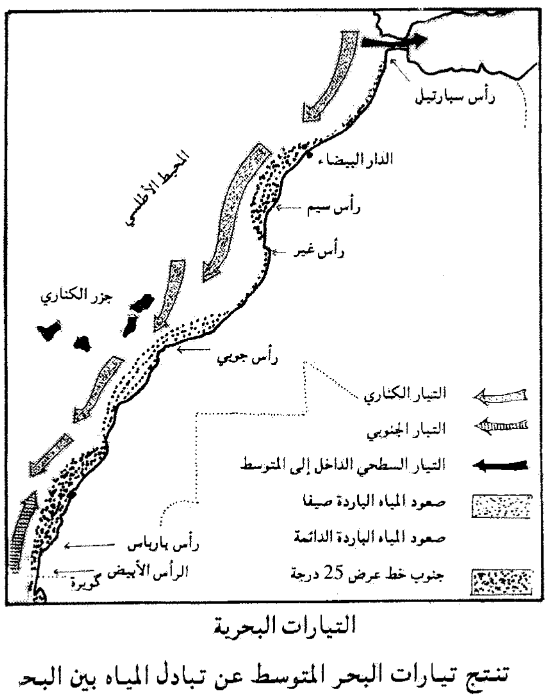


التيارات البحرية

تنتج تيارات البحر المتوسط عن تبادل المياه بين البحر المتوسط والمحيط. هذا التبادل وليد الاختلاف بين مياه الحوضين من حيث الكثافة والمستوى : يفتقد البحر المتوسط على شكل تبخر مياهاً تفوق تلك التي يتوصل بها عن طريق الأنهار. وينتج عن نقص مستوى مياهه، عند ممرّ جبل طارق، امتصاص للمياه، يُعوّض هذا الامتصاص جزئياً، بتيار باطني من المتوسط نحو المحيط. يتحقق هذا التبادل عموماً على الشكل التالي :

- تدخل إلى البحر المتوسط، وبسرعة تتجاوز 150سم / ث، كمية من مياه المحيط السطحية (سكمها حوالي 100 م) الدافئة والأقل ملوحة.

- ترجع إلى المحيط وبسرعة متوسطها 5 سم / ث، مياه متوسطية عميقة، باردة، مالحة ومرتفعة الكثافة.

- توجد بين كتلتي المياه الداخلة والخارجة من البحر المتوسط طبقة تختلط فيها المياه جزئياً وحيث تسجل حرارة وملوحة انتقاليتان. تبقى طبقات المياه الثلاث هذه متميزة حتى داخل بحر البوران.

تنقسم المياه المتوسطية بعد وصولها إلى المحيط إلى فرعين : الأول يتوجه إلى جنوب السواحل البرتغالية والثاني يسير بمحاذاة شمال السواحل المغربية.

تيارات المحيط : يمكن التمييز بين ثلاثة تيارات داخل هذا المحيط : الشمالية والجنوبية وتيارات المياه الصاعدة (انظر الخريطة).

1 - تنقسم المياه القادمة من وسط شمال الأطلنتي (تيار الخليج) والمتجهة نحو الجنوب الشرقي إلى مجموعة فروع من بينها تيار الكناري الذي يهم السواحل المغربية سرعة هذا التيار هي 0.2 م / ث.

2 - على طول السواحل الموريطانية والسينغالية، تصعد مياه وسط جنوب الأطلنتي (تيار غينيا المعاكس) الدافئة والقليلة الملوحة، لتلتقي مع مياه وسط شمال الأطلنتي في منطقة الگويرة. وينشأ عن هذا اللقاء تيار عكسي شبه سطحي يسمح بصعود هذه المياه حتى حوالي خط عرض 25 درجة شمالاً.

3 - تحت تأثير رياح الصابيات ودوران الأرض، تتأثر مجموعة من الشواطئ المغربية بصعود المياه العميقة والباردة. حرارة هذه المياه الصاعدة من أعماق تتراوح بين 100 و300 م، وهي منخفضة مقارنة بحرارة المياه السطحية، الشيء الذي يؤدي إلى رصد شذوذ حراري أينما صعدت. ويلاحظ صعود هذه المياه على طول الساحل الإفريقي الممتد بين خطي عرض 12° و35° شمالاً.

تصعد المياه الباردة بالنسبة للمغرب، قرب رأس سبارتيل، في عرض المياه المقابلة لسهل الغرب وخصوصاً بين أسفي والگويرة. صعود هذه المياه متأثر بمرفلوجية الساحل، وبطغرافية الرّصيف القاري وبتنقلات المرتفع الأصوري. ونظراً لهذه المؤثرات الجغرافية، لاتصعد المياه الباردة في كل المناطق وفي نفس الوقت، ترصد على طول السنة بين خطي عرض 20° و25° درجة شمالاً، بينما لاتصعد صيفاً إلا شمال خط عرض 25° درجة.

تتميز التيارات البحرية، وخصوصاً منها صعود المياه الباردة، بغناها من حيث علق البحر النباتي والحيواني. هذا العنصر يفسر كون المنطقة المغربية المنحصرة بين الرأس الأبيض ورأس بوجدور، مجال الصعود الدائم للمياه

الباردة، متميزة من حيث ثروتها السمكية والرخويات والقشريات.

A. Bayed, *Le milieu marin, G.E.M., Géographie physique*, pp. 46 - 50, 1987 ; A. Guilcher, *Précis d'hydrologie marine et continentale*, Paris, 1965.

عبد المالك السلوي

**التّيال**، أسرتان تطوانية وسلوية. أما التطوانية فأصلها من فرقة بني تليل بقبيلة الأخماس، كانت بتطوان إلى حدود سنة 1219 / 1804 حيث انقرضت، وكان من بين أفرادها الفقيه أحمد بن عبد المومن التيال الذي كان يتعاطى العدالة من سنة 1214 / 1801 إلى سنة 1216 / 1802، والفقيه عبد الرزاق بن عبد الله التيال الذي كان مفتيا سنة 1257 / 1840، غير أن أشهر رجل من هذه الأسرة هو الولي الصالح سيدي يوسف بن يامون التيال الملقب بالتليدي والمتوفى بتطوان سنة 1024 / 1615، وقبره يوجد بضريح سيدي السعيدي، ولا علاقة له بالولي الصالح سيدي يَسُّف ابن الحسين التليدي صاحب الزاوية المنسوبة إليه بفرقة بني تليد من قبيلة الأخماس.

أما أسرة التيال السلوية فهي عريقة في هذه المدينة أنجبت كثيراً من الفقهاء والمدرسين والعدول والمجاهدين خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر (19 . 20 م) وكان بعض أفراد هذه الأسرة ضمن الطلبة الذين بعثهم الحسن الأول إلى إيطاليا أواخر القرن الماضي قصد التكوين.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 33 ؛ داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 329.
Cagigas, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

**التيال، أحمد** بن عبد الله السلوي. قرأ القرآن الكريم وبعض المتون على شيخه الأستاذ عبد الله بن سعيد، وكان سنة 1278 / 1861 من عدول سلا وفقهائها، علّم في كتّاب الفقيه التيال بدرب ابن شعبان بحي الطالعة بسلا. وعليه تخرج عدد من أهل سلا وأعيانها. ولم أقف على تاريخ وفاته.

**التيال، الطيب** بن محمد، كان فقيهاً مؤدباً تعلم عليه جماعة من أهل سلا، منهم مؤرخ سلا محمد بن علي الدكالي. ولم أقف على تاريخ وفاته، إلا أنه كان حياً في أواخر القرن الثالث عشر (19 م).

**التيال، عبد الله**. طالب سلاوي تعلم اللغة الأجنبية والمبادئ العلمية بطنجة قبل توجهه إلى إيطاليا لإتمام تعليمه هناك سنة 1306 / 1888. وقد درس العلوم العسكرية بالمعهد الدولي الإيطالي بمدينة طورينو، ثم التحق بمدرسة المشاة بمودينا. ولما أتم دراسته سنة 1315 / 1897 وعوّل على الرجوع إلى وطنه وافته المنية هناك بعد مرض قصير. كان عبد الله التيال من أنجب الطلاب كما رواه زميله في الدراسة الحسين بن محمد الزعري السلاوي.

**التيال، محمد** المعروف بالتيال **الكبير** ولعله صاحب الكتّاب المعروف بمسيد *الفقيه التيال* برأس درب ابن شعبان، تعلّم عليه جماعة من أهل سلا، مثل الحاج محمد ابن الحاج محمد السدراتي قاضي سلا المتوفى سنة 1330 / 1912، ولم أقف على تاريخ وفاته.

**التيال، محمد** بن مَحمد السلوي. فقيه ملازم للتدريس كان عدلا بمرسى الدار البيضاء سنة 1276 / 1859، ثم صار عدلا بمرسى العدوتين. وكان بقيد الحياة سنة 1292 / 1875.

عبد الهادي العسري، *كناشة في شؤون بحارة العدوتين*، ميكروفيلم، خ. ع. رقم 1409 ص. 77 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث* ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 1 : 30 . 41 ؛ 2 : 54، 57 و150 و185 و30 و40 و58 ؛ *ذيل الاتحاف الوجيز*، ص. 155 . 188 ؛ *الاستيطان والحماية*، 4 : 1336 و1378 و1360 ؛ م. الطيب العلوي، *دعوة الحق*، ماي 1978.

مصطفى بوشعراء

**تيِيُوتْ**، مدينة واقعة بالجنوب الشرقي من تارودانت تبعد عنها بحوالي ثلاثة عشر كلم على ضفة أحد روافد واد سوس، وكائنة كذلك شمال مناجم نحاس تاتاوت على بعد حوالي ثمانية كلم (*الخريطة الطبوغرافية : تارودانت*) وهي منفذ نحو إغرم وتازلاغت، وتشكل بذلك محطة لولوج جبال الأطلس الصغير. كما أن موقعها الجغرافي بين مناجم النحاس وعاصمتي سوس القديمتين إيكلي وتارودانت، أعطاها دوراً أساسياً لتصنيع وتصريف نحاس الأطلس الصغير، وعلى الخصوص مناجم تاتاوت وتالاتْ نْ وَمَانْ.

لم يرد ذكر تيِيُوت في المصادر الجغرافية العربية القديمة، ولأسباب متعددة برز دور تيِيُوت بالأساس في القرن العاشر (16 م)، الشيء الذي جعل الحسن الوزان يوليها أهمية في كتابه *وصف افريقيا*، وجاءت مكتوبة في طبعة الرباط بشكل تيِيّوت. يذكر الوزان أنها مدينة سهلية متكونة من ثلاثة أقسام يبعد كل قسم منها عن الآخر بحوالي ميل وتكون شكلاً مثلثاً، وبها ساكنة مهمة يحددها الوزان في ألف كانون، وأنها قريبة من نهر سوس، وتعرف زراعات القمح والشعير والخضر وقصب السكر الذي كان ينتج بكثرة في هذه المدينة، وحسب الحسن الوزان، فإن تجار فاس ومراكش وبلاد النيجر كانوا يقصدون تيبوت لشراء السكر، وأن وسيلة الأداء كانت هي التبر، مما يدل على وجود كمية معدنية عامة من الذهب الخام، لذلك علاقة بوجود تجار النيجر بالمدينة. كما استعملت في تيبوت بضائع أخرى كقطع القماش الصغيرة والتي يقول عنها الوزان إن قيمة الواحدة تعادل مثقالاً بالإضافة إلى قطع حديدية صغيرة تزن الواحدة منها أوقية وكانت تعوض القطع النقدية النحاسية.

كل هذه المعلومات عن طرق الأداء بتييوت، توضح أن سوق هذه المدينة كان يعرف ما يسمى بتسعير البضائع والأداء بها، فالتبر من المواد المجلوبة من السودان. أما القماش، كما جاء في إحالة المترجمين لكتاب الوزان، فكان يستورد بواسطة التجار الأوربيين، ويصعب وضع نقود صغيرة من النحاس لوجود تييّوت في قلب مناجم النحاس وربما لهذا السبب تم تعويضها بقطع حديدية. كما أن الوزان يؤكد قلة الفضة، ولذلك نلاحظ أن القطع الذهبية المسكوكة حل محلها الذهب الخام (التبر).

وكانت الفضة تعوض بالقماش وحل الحديد محل النحاس. ويذكر الوزان أن الفواكه كانت قليلة بهذه المدينة عدا التين والعنب والخوخ، ويستورد الزيت ويُصنع بالبلدة الجلد القرطبي المعروف في إيطاليا بالمغربي، ويعطينا الوزان بعض أثمنة المواد المباعة بتييوت.

ونظراً لقرب تييُوت من السفوح الشمالية للأطلس الصغير، فإن الوزان يخبرنا بأن القسم الجنوبي، أي القريب من جبال الأطلس، كان أكثر ساكنة من القسم الشمالي "لأنه عبارة عن سهل بيد العرب". وبالمدينة جامع عُرف باسم الجامع الكبير، تخترقه ساقية من النهر، وأن الحكم بها يعود إلى مجلس متكون من ثلاثة رؤساء ينتخبون لمدة ثلاثة أشهر.

وكان بالمدينة فقهاء وقضاة يرجع إليهم في الأمور الدينية، ويشير الوزان إلى وجود عدد كبير من الصناع اليهود، غير أنهم يؤدون الجزية. ولباس أهل تييّوت حسب الوزان يتكون من قميص وعمامة من الكتان الأبيض.

ونجد كذلك ذكْراً لمدينة تييوت في القرن الثاني عشر (18 م) في كتاب الزرهوني، *رحلة الوافد*، عندما يعرض للباشا عبد الكريم ومولاي الشريف ابن السلطان مولاي إسماعيل عندما توقفا بتييوت في سنة 1127 / 1716.

وتذكر تييّوت أيضاً في أحد السجلات المخزنية في القرن الثالث عشر الهجري (19 م) والتي سلمت مستحقاتها للمخزن، وهي عبارة عن 503 رطل من النحاس برسم سنة 1251 / 1835.

ونعتقد أن تييُوت ارتبطت في بداياتها الأولى بالأنشطة التجارية والصناعية لإيگلي وتارودانت ومناجم تاتاوت وتالاتْ ـ نْ ـ وامان وأنها شكلت محطة طرقية مهمة من تارودانت نحو الجبال المجاورة.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج 1، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980 ؛ م. الزرهوني، *رحلة الوافد في أخبار الشيخ الوالد*، خ. ح بالرباط، كناش رقم 15 ؛ *الخريطة الطبغرافية*. تارودانت 1 / 250.000.

الموساوي العجلاوي

**تييُومْليلين** أو تومْليلين، مكان بالقرب من مدينة أزرو في الأطلس المتوسط. كان من بين الأجانب المقيمين في المغرب إبان الحماية فئة من المسيحيين تتمنى الاعتزال في مكان خاص بالعبادة والتأمل، فاتصلوا برئيس دير "انكالكات" قرب مدينة تولوز بفرنسا وطلبوا منه تأسيس دير في المغرب. فأدت محاولتهم بتزكية مونْسينْيور لوفيفر أُسقف الرباط إلى تأسيس دير للرهبان البينيديكتيين في تِييُومْليلين على مقربة من أزرو في الأطلس المتوسط.

وقد وصل إليه أول فوج من الرهبان في شهر أكتوبر من سنة 1952. وسرعان ما عرف الدير إشعاعاً كبيراً في إطار تلك السنوات ذات الهيجان الفكري الكبير التي سبقت استقلال المغرب ولحقته. وإذ أظهر دير تييومليلين منذ أول عهده ابتعاده القاطع عن مؤيدي الاستعمار، فسرعان ما أصبح مكاناً ممتازاً للقاء والتذاكر بين المغاربة والأجانب وبين المسلمين والمسيحيين.

وإن حسن الاستقبال والإطار والمكتبة وكذلك كفاءة المحاضرين الذين كانوا يستدعون للمشاركة ومستواهم الرفيع، كل هذا كان من شأنه أن يجلب باستمرار، وخاصة بمناسبة الدروس الصيفية، شخصيات بارزة وبالخصوص من الطلاب والمثقفين الشباب، سواء من المسيحيين أو من المسلمين. وأتيح لهم أن يعيشوا في تييومليلين تجربة من اللقاء والمشاركة والبحث أثرت على كثيرين منهم تأثيراً عميقاً.

ابتداء من سنة 1953 أصبح كثير من الطلاب من فاس ومكناس وما وراءهما يؤمون الدير تلقائيا. وفي صيف 1955 بلغ عددهم حوالي الأربعين، فبادر إذ ذلك الرهبان إلى تنظيم محاضرات من أجلهم في الآداب والتاريخ والموسيقى وعلم الفلك. ثم إن نجاح هذه الدروس والطلب الذي وجهه المهدي بنبركة إلى رئيس الدير بقوله : "وفروا لنا اتصالات" أديا إلى انتشار "الدروس الدولية الصيفية" التي دشنت في السنة التالية.

وهكذا ففي شهر غشت من سنة 1956 اجتمع خلال ثلاثة أسابيع مائة وعشرون مشاركاً ينتسبون إلى اثنتي عشرة جنسية من بينهم ثلاثة وخمسون مغربياً حول موضوع "المدينة" وهو موضوع جد مناسب في تلك السنة التي شاهدت استرجاع المغرب استقلاله الوطني.

وفي شهر غشت من سنة 1957 اجتمع مائتان وخمسون مشاركاً من ست وعشرين جنسية حول موضوع "التربية" الذي اقترحه الأمير ولي العهد إذ ذاك مولاي الحسن، كما شاركت في هذه الندوة شقيقته الأميرة للا عائشة وستة وزراء من الحكومة المغربية.

ثم في الصيف التالي وقع تغيير في أسلوب العمل، إذ خوفاً من تكاثر بالغ من الوافدين تقرر عن قصد تخفيض عدد المشاركين، وذلك بأن يجتمع في كل أسبوع فريق من ذوي الكفاءات العالية لدرس موضوع معين مثل "مشكلة الجماعات" و"قانون الأحوال الشخصية في بلد مسلم وتطوره" و"التعليم الأصلي والتعليم العصري" و"تعايش الحضارات".

وفي سنة 1959 نظمت حلقتان دراسيتان حول "سبل التنمية الاقتصادية" و"التنمية الاقتصادية والإنسية". ومن الملاحظ أن نسبة المشاركين المسلمين إذ ذاك قد تقلصت، ومع تتابع السنين أصبحت هذه الحلقات الدراسية أقل إشهاراً، فكان في سنة 1964 تنظيم آخر حلقة حول موضوع "التعاون الدولي".

هذا وإن الدير نفسه نشر بيانات مفصلة عن الحلقات الدراسية للسنتين الأولين في كتيبات عنوانها "تيبوملين 1" و"تيبوملين 2" و"تيبوملين 3". ثم ابتداء من سنة 1958 بشكل أوجز في مجلة "صور من تيبوملين". ويمكن أن نذكر من بين المشاركين في تلك الحلقات الدراسية أسماء : لويس ماسينيون وعثمان يحيى وهنري لاوست ومحمد حميد الله وإيمانويل ليفيناس ويواكيم مبارك ولويس گاردي.

ومن بين المجلات التي كانت تنشر بانتظام بيانات حول الحياة في الدير نخص بالذكر مجلتي "كونفلوان" (الملتقى) و"أعمال وأفكار".

وكانت إلى جانب كل ذلك تنظم في تيبوملين عدة أنشطة خاصة بالمسيحيين كحلقات دراسية ورياضات روحية وزيارات دينية، وكل هذه الأنشطة قد ارتسمت دائما بطابع الاحترام التام للتقاليد الدينية والثقافة المغربية.

ولكن تجربة تيبوملين لم تكن لها جذور عميقة فكان مصيرها التدرج إلى النهاية. إذ أن إنشاء ديرين في إفريقيا السمراء حرم الدير من جزء مهم من حيويته. فبعد توقف الدروس الصيفية بدأت بقية النشاطات تتوقف الواحدة تلو الأخرى إلى أن غادر الدير نهائيا من بقي من الرهبان في شهر يوليوز من سنة 1968.

E. des Allues, *Toumliline, à la recherche de Dieu au service de l'Afrique*, Paris, 1961 ; P. Beach and W. Dunphy, *Benedictine and Moor, and christian adventure in moslem Morocco*, New-York, 1960 ; J. Levrat, *Une expérience de dialogue, les centres d'étude chrétiens en monde musulman*, Altenberge, Christlich-Islamisches Schrifttum, 1987, particulièrement pp. 337 à 340 ; M-R. Mayeux, *Cours internationaux d'été de Toumliline*, 1956, 1957, 1958, 1959, *Archives de Sociologie des Religions*, n° 9, 1960, pp. 81 à 94.

جاك لوفرا

ث

أبو **ثابت، عامر** بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب من سلاطين بني مرين. اشتهر بكنيته، وتمثل فترة حكمه بداية مرحلة من الانكماش السياسي امتدت ما بين وفاة السلطان يوسف سنة 706 / 1307 وبداية عهد أبي الحسن 731 / 1331.

بويع أبو ثابت بالحي المريني خارج تلمسان المسمى بالمنصورة أو تلمسان الجديدة، وذلك بعد مقتل جده يوسف خلال حصاره لمدينة تلمسان، وهو الحصار الطويل الذي امتد منذ سنة 697 / 1298 وكانت هذه المدينة آخر ما تبقى من مملكة بني عبد الواد خارج طاعة المرينيين. وتذكر بعض المصادر المرينية وقوع الإجماع على بيعة أبي ثابت، بينما تذكر مصادر أخرى خلاف ذلك ( *اللمحة*، 65 ؛ *البغية*، 211)، يقول ابن خلدون : "وكاد أمر بني مرين أن يفترق وكلمتهم أن تفسد" ( *العبر*، 7 : 486)، حيث انقسم المرينيون خارج تلمسان بين اتجاهين : اتجاه الحاشية والوزراء المؤيدين لأبي سالم ابن السلطان يوسف (ولم يكن ولياً للعهد)، واتجاه أغلبية بني مرين وأهل الحل والعقد المؤيدين لأبي ثابت حفيد السلطان الذي تقوّى مركزه أيضاً بأخواله بني ورتاجن الزناتيين (من زناتة المغرب الأوسط) وباتصاله مع أمير بني عبد الواد والتواعد معه على فك الحصار في حالة انتقال الحكم إليه.

ولما انتقل الحكم إلى أبي ثابت وفّى بعهده وصالح بني زيان، ورحل إلى فاس. كانت تلك المصالحة لفائدة الطرفين : لبني زيان لاستعادة حكمهم على قبائل ومدن المغرب الأوسط خاصة قبائل توجين ومغراوة، وستصل الحملات الزيّانية إلى بجاية وقسنطينة الحفصيتين انتقاماً من موقف الحفصيين المؤيد لبني مرين ضد تلمسان ( *البغية*، 212-214 ؛ *العبر*، 7 : 201-203) كما أن المصالحة كانت ضرورية بالنسبة للمغرب الأقصى الذي كان يعاني من ضغوط المنافسين على السلطة المدعَّمين بالخصوص من سلطات غرناطة لتخفيف ضغط الحصار على تلمسان، حيث ساعدت غرناطة شيخ "الغزاة" المرينيين بالأندلس عثمان بن أبي العلاء على الانتقال إلى غمارة والدعوة لنفسه. وقد سبق للسلطان يوسف المحاصر لتلمسان أن وجّه إليه ابنه أبا سالم فانهزم هذا أمامه، وأخذ يمدّ نفوذه إلى الجهات المجاورة كأصيلا وقصر كتامة (القصر الكبير) خصوصاً بعد أن استولى بنو الأحمر على مدينة سبتة خلال سنة 705 / 1306. ويبدو أن هذه الوضعية كانت عاملا أساسياً في فك الحصار عن تلمسان.

كان على السلطان الجديد أبي ثابت علاج الثورات في جنوب المغرب وشماله : فقبل الإقلاع من تلمسان أرسل عنه يوسف بن محمد بن أبي عياد قائداً على مراكش، غير أنه قتل واليها واتخذ المظاهر الملوكية داعياً لنفسه ( *العبر*، 7 : 489). فاضطر أبو ثابت ليقود حملة عسكرية انتهت بالقضاء على تمرد ابن أبي عياد. كما أن هذه الحملة جعلت عبد الله السكسيوي، أحد شيوخ المصامدة، يقدّم طاعته للسلطان. وكان مريضاً في طاعته للسلاطين، ويصفه ابن خلدون "بشيخ الفتنة المستعصي منذ أول الدولة (أي المرينية)" ( *العبر*، 6 : 569-570). وبعث السلطان فرقة عسكرية لمطاردة قبائل زكنة بأرض السوس ففرت في اتجاه الصحراء.

وخلال حركة السلطان من مراكش نحو فاس عبر تامسنا قتل جماعة من شيوخ سفيان والخلط بتهمة قطع الطرق، وفعل نفس الشيء بعرب منطقة الغرب وهم بنو رياح. ويعلّل ابن خلدون هذا العمل "بالإحَن القديمة" أي الانتقام من هؤلاء العرب الذين كانوا يعاكسون استقرار النفوذ المريني بمنطقة الغرب منذ أواخر الموحدين. ولكن يبدو أن السبب الحقيقي هو دعم عرب رياح لحركة الثائر عثمان بن أبي العلاء الذي وصل نفوذه إلى قصْر عبد الكريم (القصر الكبير) كخطوة نحو فاس.

وبعد استراحة السلطان بفاس تحرك نحو الشمال لإنهاء

تمرّد ابن أبي العلاء وتحرير سبتة من يد بني الأحمر، وجعل طريقه على قصر كتامة فأكّد نفوذه بمنطقته، وتحرك إلى طنجة، بينما تراجع ابن أبي العلاء إلى جبال غمارة وسينتقل إلى سبتة ثم إلى الأندلس. ولكي يواجه السلطان مشكلة سبتة اتخذ أسلوبين : أسلوباً دبلماسياً بتوجيه مبعوث عنه إلى سلطان غرناطة للتخلّي عن سبتة سلماً، وأسلوباً عسكرياً يتمثل في الاستعداد للحملة على المدينة من جهتين : من جهة طنجة غرباً، ومن الجهة الجنوبية لسبتة انطلاقاً من حصن تطاون الذي شرع في بنائه. ولعله استفاد في هذا من تجربة جده يوسف في بناء منصورة تلمسان لمداومة الحصار على المدينة، غير أن أبا ثابث مات بطنجة خلال هذا الاستعداد، وقبل أن يصله جواب غرناطة. وستكون مهمة تحرير سبتة على عاتق أخيه وخلفه في السلطنة أبي الربيع سليمان.

هكذا لم ينعم السلطان أبو ثابت بالراحة خلال مدة حكمه التي قضاها في مواجهة المتمردين حيث مات في شهر صفر عام 708 / يوليوز - غشت 1309.


ابن أبي زرع، *القرطاس*، 389 - 392، الرباط، 1973 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 201 - 202 و484 ؛ ي. ابن خلدون، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، 211 - 214، الجزائر، 1980 ؛ ل. ابن الخطيب، *اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية*، بيروت، 1978، 65 - 66 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين في دولة بني مرين*، الرباط، 1962، ص. 22 ؛ م. عبدالله عنان، *نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين*، القاهرة، 1966، 113 - 114.


أحمد عزاوي

أبو **ثابت عامر** بن محمد ← **الهنتاتي**

ابن **ثابت، عبد الكريم** بن الحسين. شاعر كاتب ولد في مدينة فاس (حي درب الطويل) قلب المدينة القديمة حوالي سنة 1915 من عائلة متوسطة، وبورجوازية في منظور الفترة من حياة فاس، والده السيد الحسين وجده السيد محمد ابن ثابت.

عمل والده في التجارة كجده. وكان كبعض التجار الموسرين، يملك ضيعات فلاحية. غير أنه لا يشتغل بها، وإنما كان يتركها للفلاحين يخدمونها بالمساهمة في الإنتاج. عمل السيد الحسين والد الشاعر موظفاً في بداية الثلاثينات كناظر لأوقاف القرويين. وبذلك تخلى عن التجارة إلا ما كان له من مساهمات تجارية مع بعض الشركاء في القنيطرة. وكانت يومئذ ما تزال مدينة صغيرة يتاجر فيها بعض التجار من فاس ويبنون فيها متاجر وبيوتا، كما يشارك بعضهم في استثمار صيد السمك (الشابل) في نهر سبو. وكان السيد الحسين يشارك بعض هؤلاء التجار في التجارة والعقار.

عائلة ابن ثابت محدودة العدد لا نعرف غيرها في مدينة فاس. وهي من العائلات الشريفة. لا أدري إذا كانت حسنية أو حسينية فقليل من العائلات المعروفة بالشرف من يعرف الناس هل هي حسنية أم حسينية. والذي أعرف - معرفة سماع لا معرفة موثقة - أنها قدمت إلى فاس من الجزائر (تلمسان) وكثيرة هي العائلات بفاس التي كانت تنسب إلى أصل جزائري تلمساني على الأخص. وإذا كانت الصلة بين المدينتين قديمة منذ كانت تلمسان جزءاً من المملكة المغربية، فأغلب الظن أن كثيراً من هذه العائلات نزحت إلى المدينة على أثر الاحتلال الفرنسي بالإضافة إلى الهجرة المتبادلة بين المدن المغربية والجزائرية - وخاصة مدينتي فاس وتلمسان - بعد الفرار من الأندلس في وجه المد الصليبي.

كان عبدالكريم أوسط ثلاثة إخوة بالإضافة إلى أخوات يكبرنه ويصغرنه. وهم وهن من أمهات مختلفات. توفيت والدته وهو صغير السن. فلم يكن يتحدث عن أمه، ولا له ذكريات عنها، ولا انطباع لها في شعره وفيما كتب. ولعله لهذا كان أحب إخوته إلى والده، فكان يعامله معاملة متميزة.

بدأ تعليمه في مدرسة عربية وطنية من تلك المدارس التي أنشئت في فاس على عهد الحماية، وكانت تطويراً للمدارس القرآنية، أنشئت في بداية العشرينات كرد فعل للمدارس المفرنسية. وكانت تعلم العربية إلى جانب الحساب ودروس الفقه والدين. ولم يطل به المقام في هذه المدرسة فقد انتقل إلى إحدى مدرستين أو ثلاث كانت إدارة الحماية قد أنشأتها بنظامها التربوي المفرنس. ولم يطل به المقام أيضاً في هذه المدرسة. فقد تخلى عنها بعد أن تعلم قليلاً من الفرنسية. وكان مصير معظم تلاميذ هذه المدارس لا يختلف عن مصيره، غير أن تعلقه بالعربية وآدابها فتح أمامه طريقين :

طريق استكمال الدروس العربية على يد الأساتذة الوطنيين الذين كانت الدراسة عنهم امتداداً للمدارس الوطنية العربية. وأصل دراسته على هؤلاء الأساتذة وفي مقدمتهم : علال الفاسي وبوشته الجامعي وعبد العزيز بن

إدريس العمراوي. كانوا يدرسون مختلف العلوم من اللغة العربية وأدواتها وآدابها حتى المنطق والتاريخ والجغرافيا. ودراسة النصوص الشعرية والنثرية العربية.

الطريق الثاني : قراءة دواوين الشعراء المحدثين، وكان أشهرهم آنذاك البارودي وشوقي وحافظ ثم العقاد. وكان من بين التلاميذ القلائل الذين ينغمرون في قراءة دواوين هؤلاء الشعراء إلى جانب الأقدمين من أمثال المتنبي وأبي تمام والبحتري. ولم يكد يلتحق بالقرويين بعد تنظيم الدراسة في أوائل الثلاثينات حتى أخذ يقلد الشعراء ويكتب الشعر. كان يقرأ شعره على زملائه، ولو أنه كان شعراً بدائياً. ولعل أول محاولة رأت النور من شعره هي التي نشرتها مجلة "المغرب" التي كانت تصدر بالرباط في الثلاثينات، فقد بعث للمجلة رسالة بمناسبة ما، وبها بضعة أبيات نشرتها كنموذج لمحاولات شبابية.

كانت دراسته في القرويين متقطعة، ولكنه كان دؤوبا على القراءة وخاصة ما يتعلق بالأدب والشعر وكان يواصل تعلمه اللغة الفرنسية على يد أساتذة خصوصيين.

التحق في الفترة الأولى من الثلاثينات مع زملائه الذين تعلموا في المدارس العربية بالخلايا الوطنية. وبدأ تكوينهم السياسي من خلال الدرس والخلية على يد الأساتذة الذين ذكرناهم وبدأ حماسه للعمل الوطني يوازي حماسه في القراءة الجادة في الكتب والمجلات الأدبية. كانت مدرسة هؤلاء الأساتذة تدفع بتلاميذها إلى الكتابة وقول الشعر. وكان علال الفاسي بالأخص يرعى كتابة هؤلاء وشعرهم. وبرز ثلاثة من تلاميذ خليته في كتابة الشعر، إلى جانب الذين برزوا في كتابة النثر، هم : عبدالكريم بن ثابت وعبد المجيد بن جلون ومَحمد الجندي، وكان علال يصحح خطأهم ويرشدهم ويقترح عليهم بعض الموضوعات لقصائدهم ومقالاتهم.

بدت عليه مخايل الشاعر في سن مبكرة فكان يرتاد الحدائق في ضواحي المدينة القديمة، ويسعى إلى نهر "واد فاس" ويحلو له في ليالي الربيع والصيف أن يسهر مع النجوم والقمر وحفيف الأشجار وهدوء الليل.

وأتاحت له الضيعة التي كان يملكها والده أن يقضي فترة من فصل الربيع في البادية مع بعض زملائه في "نزهة ربيعية"، ينعم بمتعة الحياة في الأحراش والمزارع والسهول والمرتفعات، ينغمر في الطبيعة ويهيم بجمال الريف ويحيى مع الفلاحين والأبقار والأغنام ويتطلع إلى ضوء القمر ولألأة النجوم في صفائها واتساع آفاق ضيائها حيث لا تقف في وجهه حدود المدينة وقيودها. كان يشعر بالحرية ويعب منها حتى الثمالة. يقرأ عن الحرية فيما يقرأ من كتب الأدب ودواوين الشعر ويتملى إحساسه بها فيما يعيشه في البادية المتفتحة على جمال الطبيعة وصباح الوجوه من بنات القرية، ويقرأ في عيونها السوداء وخدودها المتوردة آيات الجمال. ويهفو من خلال الحرية الى الحب، حب بلاده ونساء بلاده.

عرف طعم الحرية في أبسط صورها، الحرية التي تتيحها حياة الريف، حرية من قيود المجتمع الضيق في المدينة، ومن قيود الرقابة التي تحصى الأنفاس في دروب فاس ومنعرجات زقاقاتها. وكان أحب شيء إليه وهو في فاس الابتعاد عن صخب الحياة والالتجاء إلى ركن قصي من مقهى متواضعة أمام جدول رقراق يمر وسط المنتزه العمومي للمدينة. في هذا الركن القصي كان يخلو إلى الشعر يقرأه، ويخلو إلى الورق يكتب شعراً أو مقالاً (من مقدمة *ديوان الحرية*).

تزامن تكوينه الوطني مع تكوينه الثقافي. وما كادت الأزمة بين الحزب الوطني والإقامة العامة تشتد في شتاء عام 1355 / 1936 على إثر تقديم المطالب المستعجلة فيعتقل الزعماء وتعلن المدن المغربية مظاهرات الاحتجاج، حتى كان مع خليته الوطنية يقرر المشاركة في المظاهرات. فاعتقل مع زملائه في معركة "جامع الرصيف"، لكن السلطة لم تبعث به إلى السجن مراعاة لمركز والده ووظيفته.

فكر في السنة التي بعدها أن يرحل مع زملائه إلى مصر لاستكمال دراستهم. وفي القاهرة التحق بكلية الآداب من جامعة القاهرة "قسم اللغة العربية وآدابها" وهناك اتسعت مداركه الثقافية والأدبية وأدرك من الحرية في القراءة والدراسة، وفي الحياة جميعها ما لم يكن يجد له مثيلاً في المغرب. وقد كانت ظروف الحرب العظمى الثانية من أقسى الظروف التي عرفها الطلاب المغاربة، وابن ثابت منهم، ولكن الحرب رغم قوتها كانت درساً وغذاء لحب الحرية والشوق إليها. فقد كانت الحرية الشعار الذي ترفعه الحرب نفسها وكانت جماعة الطلبة المغاربة الذين يعشيون في القاهرة يفكرون في مستقبل بلادهم مابعد الحرب.

فكروا في قلب المعركة في إنشاء "رابطة الدفاع عن مراكش" للدفاع عن حقوق الوطن في الحرية والاستقلال. وقد كان عبد الكريم بن ثابت من بين الذين فكروا في إنشاء الرابطة ومن بين أعضاء مكتبها العاملين النشطين. في مكتبها كان يعمل باستمرار، يكتب النشرة الخبرية أحياناً ويطبعها أحياناً بنفسه ويوزعها على الصحف أو يشارك في ذلك. العمل كان جمعويا بين أعضاء الرابطة وكان منهم : أحمد بن المليح وعبد المجيد بن جلون وعبد الكريم ابن ثابت وعبد الكريم غلاب.

وجاءت فترة المطالبة بالاستقلال أواخر سنة 1943 وفكر مع زملائه - دون سابق اتصال بالمغرب، لأن الاتصالات كانت منقطعة تماماً - في تقديم عريضة للمطالبة بالاستقلال إلى "مكتب فرنسا الحرة" الذي كان ينوب عن السفارة التي أقفلت بعد أن قطعت مصر علاقاتها مع فرنسا التي استسلمت للاحتلال الألماني. كما قدمت العريضة إلى سفارات الحلفاء : انجلترا وأمريكا والاتحاد السوفياتي وإلى الحكومة المصرية. تزامن هذا العمل مع العريضة التي قدمها حزب الاستقلال إلى جلالة محمد الخامس والسلطات الفرنسية وتمثيليات الحلفاء في الرباط يوم 11 يناير 1944.

ومما يذكر أن صحف القاهرة نشرت خبر عريضة رابطة

الدفاع عن مراكش يوم 13 يناير، الشيء الذي دهشت له السلطات الفرنسية، واعتقدت أن هناك اتصالا سرياً بين حزب الاستقلال ورابطة الدفاع عن مراكش في القاهرة. ومما يذكر أن بعض قادة حزب الاستقلال : أحمد مكوار، عبد العزيز ابن إدريس، الهاشمي الفيلالي عذبوا في استنطاق الشرطة عذاباً شديداً حتى يعترفوا بالعلاقة التي تربط الحركة برابطة الدفاع عن مراكش، وكيف تمت المراسلة بينهما لتقديم العريضتين في نفس التاريخ.

موقف آخر وقفه عبد الكريم ابن ثابت أمام السفير الفرنسي رئيس فرنسا الحرة (لا أذكر ما إذا كان ذلك قبل تقديم عريضة الاستقلال أو بعدها) فقد أقام السفير حفلة شاي تكريماً للطلبة المغاربة والجزائريين في يوم عيد الفطر. ولم يكد السفير يرحب بضيوفه حتى وقف عبد الكريم ابن ثابت خطيباً دون أن يتفق مع زملائه. وقال مخاطباً السفير : إننا يا سيدي السفير، لا نحتفل بعيد. عيدنا لم يحن بعد. عيدنا هو اليوم الذي نحقق فيه استقلال بلادنا وحريتها ... فما كان من السفير إلا أن انسحب بهدوء غاضباً وترك كاتباً في السفارة - لعله كان جزائرياً - ينهي مع الضيوف حفلة الاستقبال.

وفي القاهرة نمت مواهب ابن ثابت في الشعر، وقد أتيح له من ظروف الحياة الشعرية ما لم يتح له من قبل : أحب وهام في الحب العذري الرفيع. وما كان يسلو - شفاء أو يأسا - من حب حتى يقع في حب آخر يكون زاداً لروحه ووقوداً لشعره الغزلي الرومانسي الرائق ... وفي القاهرة اتسع الجدول الرقراق الذي كان يلجأ إلى كنفه في الحديقة العمومية بفاس فأصبح نهراً (أو هو بحر كما يطلق عليه المصريون) النيل طال بقدر ما اتسع. وفي القاهرة وجد القمر الذي يسطع في أغلب فصول السنة فيعكس ضياءه الباهر على النيل، وتتلألأ لتملأ نفس الشاعر فتنة وسحراً، ولتسلبه كل حبه، فيهيم في حب الصديق الذي اختاره وائتنس به وأنس إلى جواره. وعلى أمواج النيل تنعكس مصابيح النجوم فيتطلع إليها الشاعر في صفحة الماء لا في صفحة السماء (من مقدمة الديوان).

أغلب قصائده الغزلية والرومانسية التي تغنى فيها بالحرية كتبها في القاهرة. وقد وجد شعره صدى تقدير وإعجاب في كثير من المحافل الأدبية ونشرت بعض قصائده مجلات مهمة كمجلة *"الكاتب المصري"* التي كان يرأس تحريرها الدكتور طه حسين. وترجمت إحدى قصائده إلى الفرنسية (عزاء) توجد بالديوان ص. 20 نشرت في إحدى المجلات الفرنسية (لوكليما) ونقلتها بالعربية والفرنسية مجلة *"البشير"* المصرية غير أن معظم شعره هذا قد ضاع مع كامل الأسف في تنقلاته بعد ذلك بين القاهرة والرباط وفاس وتونس.

شارك عبد الكريم ابن ثابت في مؤتمر المغرب العربي وتكوين "مكتب المغرب العربي" الذي أنشأه المؤتمر في أبريل 1947 خلفا لرابطة الدفاع عن مراكش ومكتب حزب الدستور التونسي ومكتب حزب الشعب الجزائري فقد ضم مكتب المغرب العربي الهيئات الثلاث وكان عضواً بارزاً في المكتب. وأسهم مع أعضاء المكتب في تحرير الزعيم محمد ابن عبد الكريم الخطابي في المغامرة الوطنية الكبرى التي قام بها المكتب حينما مرّ الزعيم الأسير بقناة السويس وهو في طريقه من منفى إلى منفى في أبريل 1947. وكان ذلك من الصفحات الوطنية التي تكتب في تاريخ المناضلين المغربيين الذين عملوا في القاهرة تحت اسم رابطة الدفاع عن مراكش ثم تحت اسم مكتب المغرب العربي.

عاد عبد الكريم ابن ثابت إلى المغرب في ديسمبر 1948 بعد إحدى عشرة سنة قضاها في مصر دارساً ومناضلاً. وعمل في الصحافة كمحرر في جريدة *العلم* بالرباط ثم انتقل إلى مدينة فاس مبعوثاً *للعلم*.

عاش في فاس حياة الشظف والفاقة في كنف والده الذي كان قد تقاعد عن العمل في الوظيفة وعجز عن مواصلة تجارته أو استثمار أرضه الفلاحية. ولكنه عاش بكرامته فلم يلتجىء إلى طلب وظيفة ما، بل إنه كان في مدينة فاس مراقَبا من سلطات الإدارة الفرنسية التي كانت تحسب حساب عمله النضالي وكتاباته في جريدة *العلم* ومجلة *رسالة المغرب*. وكان ملفه لدى الإدارة يحمل ولاشك المراسلة الساخرة التي كتبها عن زيارة الجنرال گيوم إلى مدينة فاس بعد أن خلف المرشال جوان على رأس الإقامة العامة سنة 1951. وعَهدُ هذا الجنرال اتسم بالعنف والقمع. ودشن مرحلة دموية في المغرب انتهت بعدوانه على السيادة المغربية والإقدام على نفي محمد الخامس رحمه الله وعائلته الكريمة.

وبعد الاستقلال التحق عبد الكريم ابن ثابت بوزارة الخارجية عند تأسيسها في مايو 1956 وعمل مستشاراً في سفارة المغرب بتونس عند إنشائها في نفس السنة. وفي تونس نشط في الاتجاهين معا : الاتجاه الدبلوماسي وكانت صداقته مع الرئيس الحبيب بورقيبة - من أيام إقامة الزعيم التونسي في مصر كعضو في مكتب المغرب العربي - مفتاح عمله الدبلوماسي، سواء في العلاقات السياسية أو الثقافية. أما الاتجاه الثاني فهو العلاقات الشخصية الأدبية التي ربطها مع كثير من المثقفين والأدباء الذين كانوا يقدرون شعره وكتاباته. وفي تونس نشر كتابه *حديث مصباح* الذي نشره قبل ذلك تباعاً في مجلة *رسالة المغرب* (في مرحلتها الأسبوعية) قضى في عمله بتونس حوالي خمس سنوات عاد بعدها إلى الرباط. لم يلبث إلا شهوراً معدودة حتى داهمه مرض مفاجئ - التهاب في الرئة - وكان يسكن وحيداً في أحد فنادق الرباط نقل على إثره إلى المستشفى حيث لفظ نفسه الأخير بعد أيام معدودات وحيداً دون أن يدري به أحد حتى أخبرت إدارة المستشفى بوفاته رحمه الله يوم 12 رجب عام 1381 / 20 ديسمبر 1961 ونقل إلى مدينة فاس حيث ووري جثمانه الطاهر في محفل حضرته عائلته وبعض أصدقائه.

بقدر ما كان عبد الكريم ابن ثابت حفيا بشعره مقدرا لإنتاجه يكون سعيداً وهو يقرأه على أصدقائه، وسعيداً وهو يجده منشوراً في الصحف والمجلات يتغنى به، وهو يسير وحيداً في الليالي المقمرة على شاطئ النيل، ويناجي القمر والنجوم بصوت هامس عيناه معلقتان بين السماء والماء، بقدر ذلك كان مهملا جمع قصائده وترتيبها فأحرى طبعها في ديوان.

يعود ذلك إلى نوعية حياته كشاعر بوهيمي يعيش للشعر والحب، قد لا يحفل بحياته الخاصة ولا بما يكسب أو ينفق. ولذلك عاش أعزب فقيراً، رغم أن والده كان ينفق عليه وهو طالب ككثير من زملائه الطلبة الذين هاجروا للدراسة على حسابهم دون أن يكونوا بعثة حكومية، وكان فقيراً وهو موظف في السفارة المغربية بتونس، قد ينفق مرتبه في أيام معدودات لا يقيم وزنا لغيرها. لم يكن يقيم وزنا للمال بقدرما كان يقيم الوزن الكبير للأصدقاء وللأدب والفن.

مات وشعره موزع في الأوراق وقليل منه في الصحف والمجلات. وقد وجدت صعوبة وأنا أحاول أن أجمع ديوانه. بحثت في المغرب، وتونس، والقاهرة فلم أعثر إلا على مجموعة محدودة هي التي نشرتها بمقدمة تحت عنوان *ديوان الحرية* في سلسلة *"كتاب العلم"* سنة 1968. قليل من هذه القصائد مؤرخ بما بين سنتي 1948 و1951. (اعتماداً على تاريخ النشر أو التاريخ الذي قد يكون سجله على القصيدة) وهي السنوات التي عاشها في المغرب بين رحلتي القاهرة وتونس. ولكنه - كما سبق القول - كتب عدة قصائد قبل الهجرة المصرية وفي مصر وفي تونس. هذا الشعر قد ضاع، ولعل بعضه مما بقى لهذا الديوان، وكان قد قرأ علي الكثير مما كتبه في القاهرة على الأخص. وكنت أطرب لشعره أذكره ولاأحفظه. وتلك إحدى مآسي الشعراء والكتاب، وخاصة الذين وجدوا في بيئة ثقافية كالمغرب لم يكن يتاح فيها النشر إلا لماما.

أطلقت على هذه المجموعة *ديوان الحرية* لأنه كان دائم التغني بها يحاول أن يتحرر من القيد، قيد الروح والجسد والفكر، لا يحسبه في الاستعمار، ولا في القيد المادي، ولكنه، بنظرته الوجودية، يحسبه في الوجود والكون، في مآسي الكون، في العالم وكأنه يسمع نحيبه، في ظلام الحياة وهو "يستر النور ويخفي كل جمال وفنون"، في الفكر "قبل أن يوجد إنس على الأرض وجان" "قبل أن نعرف من نحن وفي أي مكان". "في الروح التي لم تعرف السكينة قط قبل أن توضع في الجسم سجينة". "قيد لاتراه عين ولايعرف أين"، "خفي مُبْهم غرق في صمته" لايسمع أنيننا ولا يرد جواب سائل. صيحة للحرية رددها شاعر في قصيدة جميلة رائعة مؤثرة هي التي أوحت بعنوان الديوان.

شعره يكشف عن نفس حزينة كئيبة غمرها الأسى حتى الثمالة. هل هي حياته التي كانت "كهفاً تمخر فيه أفاعي الأسى"، وفي "السآمة قد أينعت". "كما أثمرت شجرات الشجون". الذي عرف عبد الكريم ابن ثابت دائم الابتسامة فياضا بروح الدعابة، يطرد عنه الحزن ولو تمكن منه أسى ولوعة وشقاء، من عايش عبد الكريم يدرك أي تناقض كان يعيشه بين ظاهره وباطنه ؟ أي روح معذبة سكنت جسمه الطافح بالبشر والابتسام والضحكة العارمة حتى لتفيض عيناه دموعاً وهو يضحك ثم ينشد في قصيدة آسية بعنوان "ليل وصباح".

وناديت يا نفس هل تعلمين
لماذا ؟ وكيف أقضي السنين ؟
فباءت بصمت عميق رهيب
وفاضت دموعي ... وهل تنفع ؟

كان يلجأ إلى الطبيعة : ليسهر مع شعاع القمر، يتطلع إلى نور السماء وسحر النجوم يملأه السناء روحا وسلاماً. ثم ينادي : لماذا ؟ وكيف أقضي السنين. يطوف بنفسه وروحه وفكره وعاطفته وقلبه جميعاً أرجاء السموات والأرض يسأل : لماذا ؟ وكيف أقضي السنين ؟ حتى يظفر أخيراً بجواب من الأعماق :

فقالت لأجل الخلود الحبيب ... تعيش وتخلق ما ينفع
ينير ديباجي هذا الأجل
جهاد وحب وصدق الأمل

المجموعة التي بين أيدينا تضم شعراً رومانسياغزلا أو تأملات في الحياة والطبيعة والتجارب الذاتية في الحب حتى الوله والهجران والسأم من الحياة. ولكنه يطفح بنظرات وجودية أو فلسفية على العموم. ويتراوح بين النظرة التشاؤمية من الحياة والأرض والنعيم :

| | |
|---|---|
| لا تسلنا عن أمانينا ولا | أين نسرى لا وما ينفعنا |
| قد مللنا الأرض والناس وما | ثم فوق الأرض ما ينفعنا |
| لا تدعنا نهبط الأرض فما | أرضنا إلا مكان الاشقياء |
| تلكم الأرض وما أشأمها | نحن فيها في قيود وسجون |
| كلما طافت بنا صورتها | رعبتنا، وكأنا في جنون |

.............

| | |
|---|---|
| كلنا يرثي لأرواح لنا | هبطت للحزن والدمع الهتون |
| ما أثمنا قبل هذا ربنا | فلماذا قد هبطنا لنهُون |

شعر راقص لغته جميلة أوزانه حية تتفق مع مضمونه الحي، تجد كلمة قد لاتكون في مكانها من البيت، ولكنها في مكانها من الأداء، والنظرة الطافحة بالأمل والحب واستقامة الحياة ينزع فيه إلى القص واستذكار الماضي والحوار الداخلي، وحوار المخاطب : إنساناً، حبيباً صديقاً، طيفاً، روحاً ... يعيش فيه أحيانا مع الواقع مع الأحلام، يتمثل حبيبته وقد وصلته بعد هجران، أو هجرته بعد وصال. شعره على قلته يطفح بالحيوية، يطفح بالوفاء للحب، للصديق، للوطن، للمدينة.

ويحسن أن نورد هنا بعض ما كتبته "جريدة *لوكليما*" عند ترجمة قصيدة "عزاء" في عددها المؤرخ في 23/1/1947 فقد خصصت للقصيدة مقالا بعنوان : "شاعر مغربي شاب يكتشف الوجودية". وبعد أن ترجمت للشاعر بضعة

أسطر قالت : درس بجامعة القرويين، ثم بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة، ويعيش في هذه المدينة الأخيرة، حيث ظل يكاتب منها جريدة *العلم* المغربية بانتظام، وأثبت من خلالها أنه شاعر عربي شاب يعد بمستقبل كبير.

إن النص الذي يحمل عنوان "عزاء" من القصائد الأخيرة التي ظهرت بجريدة *العلم* يوم 13 دجنبر 1946. وإذا كانت الترجمة إلى الفرنسية لم تتمكن من نقل إيقاع ونغمة النص الأصلي، فإننا ارتأينا، مع ذلك، أن من شأن هذه القطعة أن تفيد القارئ لأنها تجسد حقيقة مرحلة حاسمة من الأدب المغربي الشاب.

وإذا كنا في هذه القصيدة نجد صدى خفيا للشاعر الكبير عمر الخيام، فإننا نكشف أيضاً آثاراً للقصيدة العربية الحديثة - وهي غير معروفة بما فيه الكفاية بفرنسا - التي يتميز فيها شعراء من أصل سوري ولبناني يعيشون في المهجر (أمريكا) وفي مقدمتهم ميخائيل نعيمة.

إن الأمر يتعلق هنا بشعر جديد كلية سواء من حيث مضمونه أو شكله. ولم تعد القصيدة تلك السلسلة من الحلقات المستقلة، أو ذلك العقد حيث يمكن عزل أي جزء منه بدون التأثير على جمالية وبناء الكل. إننا نجد هنا عاطفة جياشة وفكراً متوجهاً يسريان عبر هذا "العزاء".

لكن هناك ما هو أغرب، حيث يظهر أن عبد الكريم بن ثابت يأخذ بفكر سارتر، حيث قدم الشاعر بعض جوانب هذا الفكر لقراء *"العلم"*.

والمثير هنا أن نلاحظ كيف أنه في هذا "العزاء" نجد بعض أغراض الشعر العربي القديم (التغني بالليل مثلاً) تجمع بين الجانب المظلم من الثورة الكونية وماهية ذلك المبدإ الانثوي عند التاويين، وعلى الخصوص في الأبيات الأخيرة، حيث تأخذ تلك الأغراض معنى إضافياً يتمثل في الوضع المأسوي للعالم الذي نوجد ونبرز ويتجسد وجودنا فيه بالكفاح والكرم الذي يأخذ هنا معنى الشهامة.

كان اهتمام عبد الكريم بن ثابت بالنثر كاهتمامه بالشعر فقد كتب عدة مقالات وقصص نشر معظمها في جريدة *العلم*، ومجلة *رسالة المغرب*. وكان له في الرسالة ركن أسبوعي كتبه تحت عنوان *"حديث مصباح"* ابتدأ في العدد الثالث من السلسلة الأسبوعية بتاريخ 14 مارس 1949. وقد جمعت هذه الأحاديث بعد ذلك عندما كان في تونس في أواخر الخمسينات ونشر في كتاب من سلسلة *"البعث"* التي كان يصدرها الأستاذ أبو القاسم محمد كرو.

كان استهلال هذه الأحاديث القيمة : "إنه مصباح يتحدث إليّ في بطء ويملي عليّ في تؤدة وأأكد لك أني كنت أسمع خلال ضوئه الشاحب صوت الحياة، بما في الحياة من قوة وعنف، وما فيها من وداعة وظرف، وسذاجة وبساطة ... لقد كانت ليلة ليلاء، تلك التي ابتدأ حديثه فيها. كان الجو بارداً كالجحود قائماً كأفكار الحائرين، متقلباً كضمير المنافقين".

تحدث *حديث مصباح* في أسلوب جديد طريف قصصي عن قضايا أساسية : الفن "الفن لغزلا يحله إلاّ العبقري فإذا لم يستطع حله افترسه" وتحدث عن الجمال : "يخيل إلى الناس أن الجمال موضوعي لاذاتي ... والحق أن الجمال - يقول المصباح - في أذهانكم أنتم البشر، وفي بصيرتكم، فلو فقدتم الإحساس بالجمال لما كان هناك جمال مطلقاً ... "ويتحدث عن العلاقة بين الفنان والحب : "لابد للفنان المبدع من الحب. الحب أساس الإحساس بالجمال ... سرٌّ ارتباطكم بالأرض والطبيعة هو الحب" ويتحدث عن الحرية وعلاقتها بالفن : "الحرية من المقدسات بالنسبة للإنسان العادي، لكنها بالنسبة للفنان أقدس المقدسات، وأولاها بالحب والإجلال وأجدرها بالتضحية". الفنان الحر رسول يحمل رسالة سماوية بطريق الموهبة والالهام ... أكثر العيوب تأثيراً في الفن وتشويها له ومسخاً لحقيقته ونزولاً به عن مستواه هو القيد".

تناول *حديث مصباح* الفن والأدب وعرض لبعض الفنانين، موسيقيين وشعراء : شوبان، جوته، وعلي محمود طه. بعض أحاديث مصباح شوهتها الرقابة بحذف بعض فقراتها أو حذفها جميعها ولكنها لم تستطع أن تنال منها جميعاً.

وكان لهذه الأحاديث صدى عند القراء جميعاً، واحتفل لها الكتاب كما احتفلوا لشعره، لأنها كانت تنبض بأفكار جديدة وموحية ولافتة للنظر. وقد كتب الأستاذ عبد الكبير ابن المهدي الفاسي بحثاً في ثلاث حلقات عن *"وجودية حديث مصباح"* في الأعداد 15 . 16 . 17 بتاريخ 30 مايو و6 و13 يونيو 1949 من *رسالة المغرب* تحدث فيها عن الذاتي والعرضي في القيم والأشياء بعقل رياضي فلسفي، وعن الفلسفة الوجودية عموماً. وكانت مناقشة علمية جادة لحديث أدبي انطباعي ذاتي أكثر منه بحثاً فلسفياً عميقاً.

ترك عبد الكريم ابن ثابت عدة آثار أدبية، من الظلم له وللتاريخ الأدبي بالمغرب أن تضيع مع أوراقه التي ضاعت، أو تبقى في الصحف والمجلات مبعثرة دون أن تجمع في كتاب يجمع شتات فكره وأدبه وإبداعاته.

رحمه الله لم يتمتع بالحياة التي كان يعشقها ويغني لها في ألوانها الزاهية والمظلمة على السواء. ومع ذلك فقد اختصر حياته وعاشها بالعرض لا بالطول كما قال زميله الشاعر المرحوم عبد المجيد بن جلون في رثائه.

عبد الكريم ابن ثابت، *ديوان الحرية*، الرباط، 1968؛ *حديث مصباح*، تونس ؛ عبد الكبير الفاسي، *وجودية حديث مصباح* ؛ *رسالة المغرب*، الأعداد 15 . 16 . 17 / مايو - يونيه 1949.

عبد الكريم غلاب

ابن **ثابت علي** بن سعيد ← **التلمساني علي**

**ثابت، محمد** بن الجيلالي مقاوم من مدينة الدار البيضاء وُلد سنة 1937. انضم إلى صفوف المقاومة السرّية المسلحة بعد نفي الملك محمد الخامس، وظل يعمل ويقاوم من أجل الاستقلال إلى ان استشهد في الحادثة المعروفة

باسم حادثة سيدي معروف بالدار البيضاء وذلك بتاريخ 29 شتنبر 1955.

*وثائق المندوبية السامية للمقاومة.*

عز الدين العلام

**ثرثارة**، طائر يسمى هكذا في المناطق الصحراوية وكما هو في المعاجم أيضاً، من جنس رتبة الجواثم پاصِّيريفورمْ Passeriformes ومن فصيلة تيماليدي Timaliidae التي تتكون من مائتين وستين نوعاً تعيش في إفريقيا وآسيا وأستراليا، منها نوع واحد يدعى علمياً ترولواد پولريز Turdoïdes fulvus مهده المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية الافريقية ويوجد بكثرة في المناطق المجاورة للأطلس الصغير وجنوب المغرب الشرقي وسهول سوس.

يسمى بالفرنسية Craterope fauve وبالإنجليزية Fulvus babbler يبلغ طوله خمساً وعشرين سم، الجناحان دائريان وقصيران، الذيل طويل، المنقار مقوس وقوي، الريش بُنِّي مصفر فاتح جهة البطن وداكن جهة الظهر.

يعيش وسط مجموعات صغيرة في الأدغال المكونة من أشجار أقاقيا Acacia والعُنَّاب (السدرة، Jujubier) وهو كثير الصياح مما أدى إلى تسميته بالثرثارة. يتوالد ابتداء من شهر نونبر إلى شهر يوليوز وذلك حسب المناطق وحسب وفرة الأكل الذي يتكون من الحشرات ومن الثمار العنبية (Baies).

يبني الزوجان العش فوق أشجار الأقاقيا والعُنَّاب ويتراوح بعده عن الأرض ما بين متر ومترين. يتكون العش من قطع الحشائش ويُفَرَّش بقطع الصوف وبالزغب النباتية. تضع الأنثى فيه من ثلاث إلى ست بيضات ملساء زرقاء ناصعة. يبلغ قطرها الكبير 24,5 ملم وقطرها هلال صغير طوله 17,5 ملم. تدوم مدة الحضانة ثلاثة أسابيع على الأكثر وتغادر الصغار العش قبل أن تتعلم الطيران وتبقى مجموعة فوق أغصان الأشجار تنتظر الأكل الذي يقدمه لها الأبوان.

من بين المناطق الذي يوجد فيها هذا الطائر نذكر جهات بوعرفة وفگيگ والريصاني والرشيدية ووادي زيز ووادي درعة وتارودانت وتافيلالت وگلميمة وضواحي طرفاية والعيون.


C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins*, Paris, 1977, 429 p ; M. Thevenot, P. Bergier et P. Beaubrun, *Compte-rendu d'ornithologie marocaine*, Document de l'Institut Scientifique, 1981, n° 6 : 78 - 79 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The Birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle east*, London, 1979, 320 p.


محمد رمضاني

**الثريد**، كلمة عربية وتعني المكسور من المواد الغذائية، لحماً أو خبزاً وعليه مرق. فأصل الكلمة ثرد أي هشم ومن الفعل نحتت أسماء وأفعال أخرى كالثريد والثريدة وأثرد ومثرود ومثرد إلى غير ذلك مما نجده مفصلاً في المعاجم (*لسان العرب المحيط*. مادة ثرد).

لم يعرف الثريد كأكلة في المغرب إلا من خلال المصادر العربية، وأُولى الإشارات عنه وردت في *كتاب التشوف* (ص. 80، 354 ـ 372) وهو كتاب يتحدث عن العهد الموحدي الأخير، ومعنى ذلك أن الثريد حديث العهد بالمغرب وقد ارتبط بدخول العرب الهلاليين في العهد الموحدي. إلا أن ذلك لاينفي وجود أنواع مشابهة لهذه الأكلة عرفتها القبائل البربرية من قبل، كأكلة المصامدة المعروفة بالأمازيغية بـ"أسماس" (*أخبار المهدي بن تومرت*... 33) أو العصيدة (تاگلا) أو البيصار (تارخشا) وكلها أسماء أمازيغية تعني أكلات مشابهة للثريد إلا أنها ليست الثريد نفسه كما حددناه لغوياً، فهو لا يعني الحساء ولا العصيدة.

وردت عند صاحب *التشوف* عدة أنواع من الثريد : فقد تحدث عن "ثردة الفول بالسمن" (*التشوف*، 80) وهي غير ما يعرف عندنا بالبيصارة لأن هذه كالحساء أو العصيدة الغليظة المزاج. هذا النوع "ثردة الفول بالسمن" لم تعد مستعملة اليوم في المغرب وتتمثل في طبخ الفول مقشوراً ووضعه في الصحفة قبل أن يتحلل وصب السمن ذائباً ـ أو وضع مقدار غير ذائب منه ـ عليه. هذا النوع من الثريد كان شعبياً جداً شائعاً لدى الفقراء وعامة الناس وخاصة العمال والفلاحين، وقد أورده صاحب *التشوف* كأكلة خاصة بالحصادة أخرجها لهم صاحب الفدان المشتغلين عنده في ضواحي فاس ؛ ثم الثريد الخاص بالأغنياء والأعيان ويتخذ من الدقيق الممتاز الذي عرف آنذاك بالدرمك أو الحواري (*التشوف*، 354) هذا الثريد غالباً ما كان يصنع بلحم الدجاج أو الوحوش المصطادة (أرانب، حجل ...) ولا يصنع الأغنياء هذا الثريد إلا ومعه اللحم والإدام، فالسلطان المريني أبو عنان وهو عائد من حملته إلى المغارب أصابت محتله عاصفة تعذر معها وصول "... الأثقال بأحمال الأموال، فضلا عن الأطعمة المتروكة الإيصال، وكان السلطان بخير إلا أنه ما تعشى تلك الليلة إلا بقليل ثريد مادوم بشيء من سمن وطرف قديد ..." فالثريد لابد له من إدام (سمن ولحم) (*فيض العباب*، 282) وما بين النوعين نوع وسط عادي خاص بالفئات المتوسطة من المجتمع المغربي، غير أن عامة الناس وهذه الفئة لا تأكل النوع الممتاز من الثريد إلا في المناسبات.

أشار صاحب *التشوف* إلى نوع آخر سماه ثريدة اللبن، لا نعرف بالضبط ماذا تعني إلا أنها لا تعني ما يعرف عندنا اليوم في المغرب بسيكُوكْ. وأقرب الأنواع الموجودة عندنا اليوم لإشارة التادلي هو بَركُوكَشْ فهو شبيه بالكُسكُس إلا أن حباته كبيرة الحجم ولابد له من الحليب والزبد الطري يسقى به إلى أن يطفو على سطح الإناء.

والثريد أنواع كما أشار إليه صاحب *التشوف* وهي إشارات عابرة فمنه أنواع للضعفاء وعامة الناس، وأنواع للخاصة والأعيان والمناسبات. وقد انتشرت هذه الأكلة في المغرب بشكل كبير منذ العهد الموحدي ووجدنا بعد *التشوف* إشارات وحديثاً عنها في عديد من المصادر منها *فضالة الخوان* (ص. 10) *مسالك الأبصار* (ص. 306) *ونفاضة*

*الجراب* (ص. 46) ويمكن أن نميز اليوم بين ثلاثة أنواع من الثريد : 1) الثريد المحضر انطلاقاً من الدقيق الخالص الذي يصنع منه رغائف (مسمن) ؛ 2) والثريد المحضر انطلاقاً من السميد الذي يصنع منه خبز صلب (المحراش والحرشة) والنوعان يحتاجان إلى الإدام واللحم ؛ 3) النوع الذي يصنع انطلاقاً من الخبز العادي أو من بقايا الخبز وليس فيه لحم وهو نوع شائع عند الفقراء.

للأنواع الثلاثة أسماء خاصة بها، فالنوع الأول احتفظ بالاسم الأصلي الثريد ولعله هو الأصل في هذا النوع من الأكلات. أما النوع الثاني فشائع أكثر بين القبائل العربية ويعرف بالرفيسة. والنوع الثالث يعرف بالرفيسة الحافية أو تامحَلَّبت نسبة إلى الحلباء لأنه يحضر بها. أشهر المناسبات التي يؤكل فيها الثريد والرفيسة، النفاس، حاگوزة خلال فصل الربيع (موسم توفر اللبن والزبد الطري).

ونظراً لقيمة الثريد في النظام الغذائي العربي والإسلامي وأهميته في حضارتنا فقد ضرب به المثل رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" حديث شريف أورده *لسان العرب المحيط* ولأهمية الرفيسة وقيمتها الغذائية ومكانتها في المجتمع المغربي ضرب بها المثل التالي : "قالُو كْليتْ الرْفيسة، قالو في حَنْكَكْ ثْبَانْ".

أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت*، 1971 ؛ يـ. التادلي ابن الزيات، *التشوف*، 1958 و1984 ؛ ابن رزين التجيبي، *فضالة الخوان وطيبات الطعام والألوان*، 1981 ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار*: مقتطفات منه في Fagnan, *Extraits inédits* (1 (2 م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية*... ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، القاهرة بدون تاريخ ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، بيروت بدون تاريخ.

محمد حجاج الطويل

**ثرينكي**، Thrinké مدينة من المغرب القديم، انفرد بذكرها الكاتب الاغريقي هيكاتي الميلتي Hecatée de Milet الذي عاش بين أواخر القرن السادس والقرن الخامس قبل الميلاد. لقد أوضح الكاتب أن مدينة ثرينكي تقع بالقرب من أعمدة هرقل، وهو مضيق جبل طارق عند القدماء.

وصلتنا معلومات مقتضبة لهيكاتي الميلتي حول مواقع المغرب القديم بواسطة إتيان البيزنطي Etienne de Byzance تتخلص هذه المعلومات في ذكر ثلاث مدن هي : ثرينكي، ثِينكي Thingé ومليسَّة Melissa.

فقد أجمع الباحثون بخصوص ثينكي على أن مدينة طنجة تغطي آثار هذه المدينة، والاسم الحالي للمدينة لا يختلف عن الاسم القديم الذي ورد في عدة مصادر. أما مدينة مليسَّة، فهناك من يرى تطابقاً بينها وبين مليته Melitta التي يعتبرها حَنُّون في *رحلته* إحدى المستوطنات التي أقامها على ساحل المحيط الأطلنتي، بين رأس صوليس Soloeis ونهر لكسوس. وهناك من يظن أنها تطابق مدينة ليسَّة Lissa التي أشار إليها بلينيوس القديم مع مدينة كوطَة Cottae على أنهما مدينتان مندثرتان لم يبق لهما أثر في عهد الكاتب (Pline L'Ancien, 5, 2).

أما مدينة ثرينْكي، فلم يشر إليها أي مصدر بعد هيكاتي، ولم تحظ باهتمام الدارسين المحدثين لمحاولة التأكد من موقعها. فبينما سكت عنها تيسو Tissot، فإن گسيل Gsell يظن أن ثرينكي توجد بموقع رأس أشقار، حيث عُثر على آثار تعود لفترة ما قبل التاريخ. وقد ردد كامبس Camps هذا الرأي دون تعليق. أما كاركوبينو Carcopino فيعتبر أن ثرينكي وليسة مدينتان فنيقيتان، جاعلاً موقعهما بين رأس سبرطيل ونهر اللوكوس أي لكوس القديم.

G. Camps, *Aux origines de la Berbérie, Massinissa ou les débuts de l'histoire*, *Libyca*, 8, 1960 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1948 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.

محمد مجدوب

**الثريا**، مصابيح شبهت بكوكب الثريا لكثرة ضوئها، لا يعرف أصل صناعة الثريات بالضبط، وإن كان الرأي الغالب من خلال استقراء مختلف المصادر، أنها صناعة تطورت عن القناديل والمصابيح الزيتية القديمة التي عرفها الإنسان منذ القديم وتفنن في صنعها وعلقها في المعابد والقصور (عند الاغريق والرومان) وتطورت صناعتها من الخزف إلى البرونز والمعادن الأخرى.

عرفت في المغرب أشكال القناديل والمصابيح المذكورة، وعرفت الثريات منذ تاريخه الوسيط (العهد الموحدي)، فقد وفرت نواقيس الكنائس في الأندلس بعد الفتح الإسلامي وخاصة في العهد الأموي والموحدي، الأرضية التي اعتمدت عليها صناعة الثريات (*وصف إفريقيا*، 1 : 177 ؛ *جنى زهرة الآس*، 75)، فأصبحت تقليداً اتبعه ملوك المغرب وقادة جيشه استمر إلى عهد الجزنائي صاحب *جنى زهرة الآس* والحسن الوزان صاحب *وصف افريقيا*. وبرع فيه الصناع المغاربة وأبدعوا وكان ذلك بأمر من السلاطين وتحت إشرافهم أو من ينوب عنهم.

ذكرت المصادر الوسيطة ثلاثة مساجد كانت بها ثريات متفاوتة الحجم والصنعة. هي مسجد القرويين، ومسجد الأندلس بفاس، ثم المسجد الأعظم بتازا. وأول مصدر قدم لنا تفاصيل جد مدققة عن الثريات وكيفية صناعتها وتحويلها من نواقيس إلى فوانيس تضيئ بيوت الله هو الجزنائي (انظر وصفه في *جنى زهرة الآس*، ص. 75) وأولى هذه الثريات يبدو أنها موروثة عن العهد الموحدي هي الثريا الكبرى الموجودة بجامع القرويين بفاس. فقد ذكر صاحب *القرطاس* (ص. 66 ـ 67) "... انها تخلقت بطول الدهر فتكسرت ..." فأمر السلطان المريني يوسف بن يعقوب بإنزالها وإعادة تصنيعها، فسبكت وزيد عليها مقدار وزنها من النحاس، واشتغل فيها عدد من الصناع. وبلغت

تكاليف صناعتها سبعمائة وسبعة عشر ديناراً ودرهمين ونصفاً، وزنها سبعة عشر قنطاراً ونصف وثلاثة عشر رطلاً تحمل من الزيت قنطاراً وسبع قلل، عدد قناديلها خمسمائة وتسعة قناديل.

أعطى ابن أبي زرع نبذة عن تاريخها إضافة إلى ما ذكر فقال إنها كانت تستعمل (تسرج) ليلة 27 رمضان، واستمر العمل بهذا التقليد الذي بدأ مع الموحدين إلى أن ولي جامع القرويين القاضي الحيوني فقام بوقف إشعالها. ولم تعد للاشتعال إلا في سنة 687 / 1283 ـ 1284 بأمر من السلطان المريني السالف الذكر واستمر العمل بذلك إلى المؤلف الذي كان حياً إلى سنة 710 / 1307 وإلى عهد الجزنائي الذي كان حياً سنة 766 / 1365 ـ 66.

استمر العمل بالثريات بعد ذلك في القرويين وفي غيرها من مساجد فاس بل انتقل إلى خارج فاس ليصبح من تحف المساجد وجزءاً من الحضارة المغربية الأندلسية. ولم تكن هذه الثريا التي أطنب في الحديث عنها ابن أبي زرع إلا واحدة من عدة ثريات تزين جامع القرويين وتضيئه إلا أنها أكبرها، لذلك كان استعمالها في المناسبات فقط. لم يكن جامع القرويين ينفرد بالثريات والثريا الكبرى بل إن مساجد أخرى في فاس كالجامع الجديد توفرت على ثريا كبرى وزنها سبعة قناطير وخمسة عشر رطلاً وعدد كؤوسها مائة وسبعة وثمانون كاسا (قناديلها) (*القرطاس*، 405). وفي إطار اهتمام السلاطين المرينيين الأولين بمدينة تازا واعتبارها عاصمة ثانية لهم ومدينتهم التاريخية والإستراتيجية جددوا العديد من بناياتها ووسعوا مسجدها الأعظم وزودوه بثريا كبرى تفوق ثريا جامع القرويين حجماً ووزناً وجمالاً، وذلك سنة 699 / 89 ـ 1290 وزنها اثنان وثلاثون قنطاراً من النحاس وعدد كؤوسها (قناديلها) خمسمائة وأربعة عشر كأساً وتكاليف صناعتها ثمانية آلاف دينار ذهب.

وفي عهد أبي الحسن المريني جلب ناقوس كبير من جبل الفتح (جبل طارق) على يد أحد الأمراء المرينيين وتم تصنيعه بطريقة فنية، حتى أصبح ثريا جميلة حسب وصف جنى *زهرة الآس* (ص. 75) علقت في "البلاط الأوسط المقابل لباب الكتبيين" من جامع القرويين في منتصف شوال سنة 737 / 1337 ـ 1338 : وزنها قبل إدخال الزوائد عليها عشرة قناطير، بلغت تكلفة صناعتها سبعين ديناراً ذهباً.

وما يمكن استنتاجه من مختلف الأوصاف التي وردت في المصادر :

ـ ان صناعة الثريات دخلت المغرب من الأندلس إلا أن المغاربة برعوا فيها وأبدعوا.

1 ـ انتشر استعمال الثريات في المساجد ثم باقي البنايات العمومية والخصوصية الكبرى، مدارس، زوايا، قصور، أضرحة وغيرها.

2 ـ تشغيل الثريات الكبرى تطلب كمية كبيرة من الزيت وتوفره غير مضمون باستمرار لغلائه خاصة أوقات الشدة وبخل المحسنين عن التبرع به أحياناً.

3 ـ زمن الاضطراب وانعدام الأمن والحروب لايقضي على إمكانية الحصول على الزيت فقط لعرقلة العمل الفلاحي، ولكنه يؤدي إلى انتزاع الثريات لاستعمالها في أغراض أخرى صناعية، خاصة عند فقدان الحديد والنحاس والمعادن الأخرى.

4 ـ عادة استعمال الثريات وتزيين المباني الكبرى بها عريقة في المغرب فلا غرابة أن وجدناها اليوم تنتقل إلى مختلف الفئات الاجتماعية، خاصة وأن الصناعة الحديثة توفر لها ما تتطلبه حسب مستواها.

ابن أبي زرع الفاسي، *القرطاس*، الرباط 1972 ؛ ع. الجزنائي، جنى *زهرة الآس*، 1967 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1980.

محمد حجاج الطويل

## ثريا بنت عبد الواحد الشاوي ← الشاوي ثريّا

**الثعبان**، جنس حيوان وحشي من الفقريات Vertébrés ومن الزواحف Reptiles ومن رتبة الثعبانيات أو الحيات Ophidiens التي تضم ألفي وسبعمائة نوعاً في العالم منها أربعة وخمسون نوعاً ساماً يلسع ويطعم السم القاتل أحياناً بواسطة أسنان خاصة. يتراوح طول الثعبان ما بين بضع سنتميترات لدى البُرَيْميّات وعدة أمتار لدى أنواع أخرى كالأصلة والبُواء. تسميها العامة أفاعي وأحناشاً وثعابين وحيات، وباللغة المِصْرية القديمة أف وأفو وحفي، وبالعبرانية أفعي.

والثعابين حيوانات لا تتوفر على قوائم، طويلة الجسم والذنب، العينان صغيرتان وبدون جفون تبقى مفتوحة في كل وقت. الجسم مغطى بقشور مقرنة عديدة ومختلفة الحجم والشكل : عريضة وضيقة جهة البطن مرتبة على صف واحد، طويلة دائرية الجوانب جهة الظهر والجوانب ومرتبة على صفوفه، يتراوح عددها ما بين سبعة عشر وواحد وأربعين حسب الأنواع. تكسو الرأس صفيحات عريضة ومنتظمة يُعتمد عليها في تصنيف الفصيلات والأجناس والأنواع.

تتوفر الأنواع السامة على سنَّيْن سامتين مقنيتين من الداخل على غرار إبرة الحقَن الطبية، مما يجعل السم يسري بداخلها بعد إفرازه بواسطة الغدد السامة التي تضغط عليها العضلات الحازّة بواسطة الفك الأعلى أثناء الدفاع عن النفس أو اصطياد الفريسة. بعض هذه الأسنان متحركة، تكون منثنية إلى الوراء إزاء الحنك وتنتصب عند الحاجة بواسطة عضلات صغيرة. يوجد بداخل الفم لسان طويل، رهيف ومفلوق قابل الانكماش والتقلص. في حالة السكون يبقى منكمشاً داخل غمد يقع تحت الجهاز التنفسي ويستعمل للذوق واللمس واستكشاف الوسط الذي يحيط بالحيوان.

تعرف الثعابين بالتبدل الفزيولوجي لغشائها الذي يحصل مرتين إلى أربع مرات في السنة. ينسلخ الغشاء

قطعة واحدة بعد أن يحتك الثعبان بالأحجار أو بجذوع الأشجار. تحتفظ قطعة الانسلاخ بجميع الأوصاف التي يعتمد عليها في تصنيف النوع.

يتم التناسل والتوالد في فصل الربيع وفي فصل الخريف وذلك عبر عدة أساليب مختلفة حسب الأنواع. بعض الأنواع سَرْلودة تضع حوالي أربعين بيضة وبعضها سَروءة (بيوضة) تبيض أكثر من مائة بيضة. وهناك أنواع ولودة تتناسل فيما بينها لتلد ما بين فردين أو أكثر دفعة واحدة.

يعمر الثعبان أربعين سنة على الأكثر، وقد عرفه الإنسان منذ القدم سواء لترويضه وتربيته المعروفة عند الحواة "Charmeurs" أو لاستخراج سمومه التي تستعمل في صنع الأدوية.

تعرف أنواع الثعابين توزيعاً جغرافياً واسعاً حيث توجد في كل من المناطق المعتدلة والصحراوية والباردة وفي الأوساط الهضابية والجبلية إلى غاية ارتفاع يتعدى أحياناً 3.000 متر.

تتميز الحيات السامة عن باقي الأنواع غير السامة بجسم سمين وذنب قصير ورأس مثلث مفصول عن الجسم بعنق رقيق. تمتاز هذه الأنواع بقدرة فائقة على التّستّر تساعدها على اصطياد فرائسها بسهولة وتقْتات بالأساس من الفيران والعظايات وغيرها من الحيوانات الصغيرة. تكون نشيطة على العموم خلال الليل بينما ترتاح أثناء النهار مختفية في الجحور وتحت الأحجار أو بين جذوع الأشجار.

يُوجد في أوربا سبعة وعشرون نوعاً من الثعابين ويحتضن المغرب وحده ستة وعشرين نوعا تنتسب إلى خمس فصيلات : الأفاعي أنبوبيات الأخاديد منها الأفاعي Vipèridés، والحيات Elapidés وعديمات الأخاديد منها الأصلال أو الأصليات Boïdes والثعبانيات أو الحفافيث Colubridés والحيات الرقيقة العمياء Leptotyphlopidae.

تتكون الأفاعي أنبونيات الأخاديد من سبعة أنواع كلها سامة وخبيثة تؤدي لدغاتها إلى القتل. الرأس عريض ومثلث تكسوه حراشف صغيرة والصفيحات غير موجودة. يحمل الفك العلوي أنياباً كبيرة ورقيقة أنابيبها مرتبطة مباشرة بالغدد الرأسية التي تفرز السموم.

الأفعى الحرة أو أفعى الأهرام تدعى علمياً Echis carinatus وبالفرنسية Vipère des pyramides وبالأنجليزية Saw viper أو Carpet viper وبالأمازيغية ايفيغَرْ وأبَنْكال وأزْرم وتطلق هذه الأسماء على كل أنواع الثعابين في المغرب.

إنها حية خبيثة جداً تسميها العامة أفعى في الدول العربية وتسمى في مصر الأفعى الغريبة. على ظهرها خطان أسودان متعرجان كالطفيتين. ومنه الحديث النبوي الشريف "اقتلوا من الحيات ذات الطفيتين والأبتر". ويفهم من الحديث أن ذات الطفيتين من أخبث الحيات. ظهرها ضارب إلى الحمرة أوالصحمة، تمشي مثنية بثنيتين أو ثلاث أثناء يحُكُّ بعضها بعضا، إنه حيوان ولود يضع من ثلاثة إلى اثني عشر صغيراً. يعيش في المناطق الجافة المجاورة بالأماكن الصحراوية يبلغ طوله ما بين 65 و83 سم. كثيراً ما يرتمي على فرسيته ليلدغها.

نادر في الصحراء المغربية وموطنه الأصلي شمال أفريقيا وأوغندا وغانا والكامرون وكينيا والجزيرة العربية والعراق وإيران وباكستان وأفغانستان وروسيا الشرقية.

الأفعى الصامدة تدعى علميا Bitis arietans وبالفرنسية Vipère heurtante، تعيش في المناطق شبه الصحراوية الممتدة من المغرب إلى شبه الجزيرة العربية شرقاً وإلى جنوب افريقيا. يتراوح طولها ما بين متر ومتر وعشرين سنتيمتراً. تتميز بأنياب كبيرة وقوية وتحمل في غددها كمية هامة من السم في استطاعتها أن تقتل به من أربعة إلى خمسة أشخاص. تعد من أخطر الحيات، تتغذى من الضفادع والفيران وهي ليلية النشاط، بطيئة المشي. تنتفخ أثناء الإزعاج وتحدث صفيراً قوياً ثم تصطدم بعدوها لتلدغه. ظهرها مخطط بخطوط متعرجة ضاربة إلى السواد والحمرة ويُعد هذا النوع أيضا من ذي الطفيتين المذكور في الحديث النبوي. شائع في ضواحي طرفاية وفي جبال الأطلس الكبير الغربي. شائع أيضا عند رواد الثعابين في ساحة جامع لفنا بمراكش، تعصر غدد سمومها المطلوبة لصنع الأدوية وتحذف أنيابها.

تضع الأنثى في فصل الربيع من ثمانية إلى أربعين صغيراً داخل الجحور. تتوفر على السموم منذ الصغر وكثيراً ما تخلف الكبار خسائر في الماشية حيث تلدغها وتقتلها.

أفعى "الليبيتي" تدعى علمياً Vipera lebetine mauritanica وبالفرنسية Vipère lébétine وتعد من أطول الأفاعي السامة وأكبرها، تسكن افريقيا الشمالية وبعض الجزر اليونانية وآسيا الوسطى. يبلغ طول الإناث متراً ونصفاً. إنه حيوان بيوض ولود يتكاثر نشاطه ليلا وفي الغروب أثناء فصل الصيف ويخرج نهاراً في الشتاء والخريف. يتغذى من الفيران والطيور. الظهر مبرقع بخطوط بنية سوداء ضاربة إلى الحمرة وأنيابها طويلة وحادة مملوءة بالسموم القاتلة.

تعد الأفعى الوحيدة التي تعيش في المناطق الرطبة في المغرب ومعروف عند البدو أنها تخرج نهاراً أيام فصل الربيع وليلا أثناء فصل الصيف. تسكن داخل الأحجار والصخور وتغزو أحيانا الحدائق المنزلية للبحث عن الفيران. شائعة في الأطلسين المتوسط والكبير وضواحي أُولماس وسهول الغرب ونواحي بن سليمان وسيدي بطاش وفي جبال الريف.

الأفاعي القرناء تتكون من أربعة أنواع في المغرب أطولها هي أفعى لطاست Vipera latastei تسمى بالفرنسية Vipère de lataste تعيش في المناطق الجافة الباردة وخاصة

منها المناطق الجبلية التي تفوق ألف متر من الارتفاع. لا يتعدى طولها خمسا وسبعين سم عند الذكور وستين سم عند الإناث. يحمل الرأس قرناً صغيراً في مقدمته، الظهر مبرقع بخطوط منعرجة عريضة بنية سوداء مائلة إلى الحمرة، البطن رمادي مسود.

يعيش ضرب من هذا النوع Vipera latastei monticola في المناطق المرتفعة من الأطلس الكبير (ما بين 2.000 و4.000 متر) ولا يتعدى طولها أربعين سنتيمتراً تخرج نهاراً لتبحث عن الضفادع والفيران ولدغاتها قاتلة.

الأفاعي القرناء Cerastes vipera وCerastes cerastes تتميز بقرنين اثنين فوق رأسها، ويعيش هذان النوعان في المناطق الصحراوية يختفيان نهاراً وسط الرمال ويبحثان ليلا عن الفيران والزواحف الصغيرة. وتقطعان مسافات طوالا بسرعة للبحث عن الفريسة، لونها شبيه بلون الرمال مما يجعل اكتشافها صعباً.

يتكون قرناها الصغيران بامتداد الحراشف فوق العينين. الذنب قصير. تمشي جانبياً مثنية بثنيتين. الإناث بيوضة تضع من عشر إلى عشرين بيضة تعطى الصغار بعد ثمان وأربعين ساعة تحت حرارة قريبة من 28 درجة. لا يتعدى طولها أربعين سنتيمتراً ولذغاتها قاتلة، شائعة في المناطق الصحراوية المغربية وتعيش أيضا في سائر افريقيا الشمالية وفي الجزيرة العربية وآسيا الوسطى. سمي هذا النوعان بالأبتر في الحديث النبوي وذلك لأنهما أقصر الأفاعي وأصغرها طولا وأخبثها.

تُعد عشيرة الحيات Elapidae من أخبث الأفاعي وأطولها. تفرز سموماً قاتلة للأعصاب ويقتصر التوزيع الجغرافي لأنواعها التي تفوق ثلاثين نوعاً في العالم على المناطق الحارة لكل من افريقيا واستراليا وآسيا الجنوبية.

يمثل هذه العشيرة في المغرب نوع واحد يدعى Naja haje haje وبالفرنسية Cobra égyptien أو Cracheur وبالأنجليزية Egyptien cobra وبالبرتغالية Cuspideira. تسميه العامة في شمال افريقيا "بوسَكَّة" و"بومْرَيَات" و"بودرگة" وذلك لأنه يرفع مقدمته من الأرض مقدار ذراع أثناء الإزعاج ثم ينفخ رأسه فيصير العنق عريضا ومسطحا ويبقى الرأس أفقيا ليُخيف العدو. يطلق عليه في مصر وفي الشام الناشر المصرية والصّل المصري، وحية ناشر، وثعبان ناشر وبزّاقة.

إنه حيوان شائع عند الحواة المغاربة حيث يعتبر أنيسهم المفضل وذلك لسهولة تدجينه وتجاوبه مع الموسيقى. يقول المعلوف في شأن هذا النوع "قد أجمع المحققون على أن الناشر المصرية هي الصلّ المصري المعروف عند الإغريق باسم Aspis وكانت مقدسة عند قدماء المصريين وهي الحية التي قتلت بها كليوباطرة نفسها. وسماها ابن سينا البزاقة لأنها تنفث السم عن بعد فتقتل من يقع عليه بصاقها".

يتعدى طول هذا النوع المترين أحياناً، لونه رمادي داكن يميل إلى البنّي المسودّ وهو كثير الشبه بالثعابين غير السامة "الثعبَانيات Colubridae" نظراً لوجود الصّفيحات العريضة فوق الرأس. يكثر نشاطه في فصل الصيف سواء بالنهار أو بالليل وهو بيوض. إنه أشد سموما من الناشر الهندية Naja naja وشائع في المناطق الجنوبية المغربية وخاصة منها التي تحيط بالأطلس الكبير وبالأطلس الصغير.

إنه حيوان مرغوب فيه من لدن المختبرات بمعهد باستور لاستخراج سمومه واستعمالها في الأدوية.

يمثل فصيلة الأصليات أو الأصلال Boïdés في شمال إفريقيا نوعاً واحداً تسميه العامة الدّسّاس أو الدسيس. ويدعى علميا Eryx jaculus وبالفرنسية Boa des sables أو Eryx javelot وبالأنجليزية Sand Boa. اسمه في الشرق وفي مصر الدسّاس لكثرة اختفائه في الرمال، وأُعيرج ونكّاز.

موطنه شمال إفريقيا وشبه الجزيرة العربية وآسيا الجنوبية والجنوب الشرقي لأوربا. إنه ثعبان خال من السموم، قصير يتراوح طوله ما بين أربعين وثمانين سنتيمتراً، محدد الطرفين، ذنبه قصير ودائري في مؤخرته. الجسم ضخم ودكين، لونه رمادي مصفر، وبُنّي أحمر جهة الظهر، وأصفر يميل إلى البيضا جهة البطن. العينان صغيرتان وأفقية الحدقات. القشرات الظهرية والبطنية صغيرة ودقيقة. تتخلل الظهر عدة بقع رمادية غير منتظمة تختلف أشكالها حسب الأفراد.

إنه ثعبان ولود بيوض يضع صغاره نشيطة منذ الولادة ويتراح عددها ما بين خمسة واثني عشر فردا. ويعيش في المناطق الغنية بالرمال حيث يختفى فيها طول النهار ويخرج أثناء الغروب وفي الليل ليصطاد فريسته المتكونة من الفيران والزواحف الصغيرة التي يخنقها بين طيات جسمه ثم يبتلعها. كثيرا ما يتخذ جحور الفيران مسكناً له ويقتصر توزيعه الجغرافي في المغرب على المناطق الشرقية ويعد من الحيوانات النادرة في البلاد.

يعد نوع ليبتوتيفلوبس ماكرورانكوس Leptotyphlops macrorhyncus الممثل الوحيد في المغرب لفصيلة الحيّات العمياء الرقيقة Leptotyphlopidae وهو ثعبان صغير لا يتعدى طوله عشرين سنتيمتراً وعطره سنتيمتر واحد وعشرون مليمتراً. يسمى بالفرنسية Serpent minute وSerpent fouisseur ولقلة انتشاره في المغرب لا يوجد له اسم خاص به.

يعيش هذا النوع في شمال وجنوب الصحراء، يختفي نهاراً وسط الرمال والجحور ويخرج ليلا ليقتات من يرقات الحشرات والنمل. فمه صغير وقريب من الجهة البطنية وخال من الأسنان والسموم مما يجعله لا يُؤذي الإنسان. لا يرى بعينيه ويعتمد على السمع. موطنه المناطق الحارة الإفريقية والأمريكية وشائع في بعض الوديان الصحراوية الجنوبية بالمغرب.

يعيش في المغرب ستة عشر نوعاً من فصيلة الأحناش

أو الثعبانيات العديمة الأخاديد Colubridae وكلها غير سامة بالنسبة للإنسان إلا أن لذغاتها قد تسبب ضرراً طفيفاً في بعض الأحيان. تسمى في المغرب أحناش وهي شائعة عند الحواة ويطلق عليها في مصر حفث وحفاث وحنْفش وحنفيش. كل هذه الثعابين بيوضةَ وتتميز عن باقي الحيات السامة الخبيثة بقشور كبيرة ومصفحة فوق الرأس يعتمد عليها في التصنيف وبذيل طويل ورقيق. الأنياب موجودة بداخل الفك العلوي تستعملها لتبنيج الفريسة قبل ابتلاعها.

من بين الأنواع الأكثر انتشارا في المغرب Coluber hippocrepis الذي يدعى بالفرنسية - Couleuvre fer - à - cheval أي حنش حدوة الجواد. يبلغ طوله أحياناً مائة وخمسين سنتيماً وتتخلل ظهره عدة بقع بنية داكنة وسوداء، لونه أسود مخضر جهة الظهر وأصفر برتقالي جهة البطن.

نشيط بالنهار وشائع في المنازل المهجورة والجدران القديمة وذلك لوجود الفيران والزواحف الصغيرة هناك. يتسلق بسهولة الأشجار بحثا عن فراخ العصافير وسط الأعشاش مما أدى إلى تسميته في بعض المناطق المغربية بالحنش الصياد ويسميه بعضهم بوفيران وبالأمازيغية بُويْغَرْضاين.

وهو شائع شمال المغرب من الأطلس الصغير إلى الريف، ويوجد في الجنوب نظيره Coluber algirus الذي يعيش بين الأحجار والصخور بالمناطق الجافة وشبه الجافة.


أمين المعلوف، *معجم الحيوان*.

J. Bon et B. Girot, *Clé illustrée des reptiles du Maroc*, Trav. Inst. Sci. Chérif., Rabat, n° 26, 1962, 62 p ; A. Villiers, *Les serpents de l'ouest africain*, Dakar, 1963, 190 p ; E. N. Arnold et J. A. Burton, *Tous les reptiles et amphibiens d'Europe*, Elsevier, Paris, 1978, 266 p ; H. Saint Girons, *Les serpents du Maroc*, *Soc. Sci. Nat. et Phys. Maroc*, Rabat, n° 8, 1956, 29 p ; G. Pasteur et J. Bons, *Catalogue des reptiles actuels du Maroc, Révision des formes d'Afrique, d'Europe et d'Asie, Trav. Inst. Sci. Chérif. Zoologie* n° 21, 1960, 132 p.


محمد رمضاني

**الثعلب**، جنس حيوان وحشي من الفقريات الثديية Vertebres, Mammifères. شائع وسط العامة يضرب المثل به في الخدعة والاحتيال والمكر والروغان. ينتمي إلى رتبة اللواحم Carnivores وإلى عشيرة الثعلبيات Vulpidae التي تتكون من اثني عشر نوعاً في العالم. وهو أصغر حجماً من ابن آوى ويميز بينهما في الحدقة فهي إهليلجية عند الثعلب ومستديرة عند ابن آوى. وتسمى الأنثى ثعلبة وزوجها الثعلبان.

تعيش في المغرب ثلاثة أنواع من الثعلبيات :

- الثعلب الأحمر يدعى علميا Vulpes vulpes Lin وبالفرنسية Renard Fauve و Renard roux وبالإنجليزية Common red fox وبالاسبانية Zorro وبالأمازيغية أباغوغ وأكعب. متكه طويل وحاد، وأذناه طويلتان، وذنبه كثيف الشعر وطويل ينتمي بخملة كبيرة من الشعر الأبيض ترى من بعيد وينعت إليه بسببها بونوارة. يكسو جسمه شعر أحمر مصفر داكن جهة الظهر والقوائم وفاتح جهة الصدر والبطن. يتراوح طوله ما بين 50 و55 سم جمعا بين الرأس والجسم، وطول ذيله 33. 40 سم وطول رأسه 12،5. 15 سم وطول الجمجمة بين 9،3 و11،3 سم. علوه عند الغارب 30 سم وطول القدم الخلفية 12. 13 سم. يتراوح وزنه ما بين 6 و10 كلغ.

صيغة أسنانه كالتالي : 3 / 3 قواضم، 1 / 1 أنياب، 4 / 4 أضراس أمامية، 2 / 3 أضراس = 42 سنا كلها قوية وحادة.

يعيش وسط الغابات والأدغال والجبال في جميع المناطق المغربية ما عدا الصحراوية منها وشبه الصحراوية، حيث يحد الأطلس الصغير توزيعه الجغرافي جنوباً، ويعيش أيضاً في إفريقيا الشمالية وأوروبا وأمريكا الشمالية وآسيا.

الثعلب حيوان ليلي النشاط طول السنة إلا أنه يستانف نشاطه أحياناً في النهار خلال فصل الشتاء. يعيش الزوجان مع أبنائهما داخل جحور يحفرانها أو يتخذان جحور الأرانب مسكناً لهما بعد تنظيمه وتوسيعه. كما أن هذا الحيوان يستعمل المغاور وشقوق الصخور مسكناً له. يتكون غذاؤه من الحيوانات اللبونة الصغرى وخاصة منها الفيران والجرد والأرانب كما أنه يتسلل ليلاً إلى المنازل بالبوادي ليختطف الدجاج.

يتوالد في فصل الربيع وتضع الأنثى من ثلاثة إلى سبعة ونادرا اثني عشر صغيراً بعد حضانة تدوم بين واحد وخمسين وثلاثة وخمسين يوماً. تولد الصغار مغمضة العينين ولا تفتحهما إلا بعد اثني عشر أو خمسة عشر يوماً. تصير بالغة بعد عشرة أو اثني شهراً وتعمر إحدى وعشرين سنة.

يصاد الثعلب ويقتل لفروه المطلوب في أسواق الملابس ويضايق من طرف رعاة الغنم خوفاً على صغار الأغنام والدواجن التي تربى في البوادي.

يدعى ثعلب الصحراء علمياً Vulpes rueppelli (Sch.) وبالفرنسية Renard famelique وبالإنجليزية Sand fox وبالإسبانية Zorro famelico وبالأمازيغية أكعب وأباغوغ. وهو أصغر حجماً من الثعلب الأحمر حيث لايتعدى طوله عند الغارب 25 سم وطوله 40. 48 سم جمعا بين الرأس والجسم وطول ذيله 30. 39 سم. يتراوح وزن الكبار ما بين 3 و4 كلغ. القوائم قصيرة، الأذنان طويلتان وعريضتان، الذيل كثيف الشعر أبيضه في المؤخرة، شعره أصفر فضي ملطخ، داكن على ظهره وفاتح على البطن والجوانب. شعر الذيل بُنيّ مصفر ممزوج بالشعر الأسود.

يعيش في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية الجنوبية الممتدة من الأطلس الصغير إلى الحدود الموريطانية. يمتد توزيعه الجغرافي العالمي من المناطق الصحراوية المغربية إلى إيران وأفغانستان.

والثعلب قوي البصر يتمتع بسمع حاد ودقيق. يعيش غالباً وسط مجموعات تتكون من أفراد الأسرة يشبه الثعلب الأحمر في الولادة ويعمر عشر سنوات.

ـ ثعلب الرمال او الفنك يدعى علمياً Fennecus Zerda وبالفرنسية وبالانجليزية Fennec وبالاسبانية Fenek. يعد من أصغر أنواع الثعلبيات حجماً حيث لا يتعدى طوله عند الغارب 21 سم وطوله 35 . 41 سم جمعاً بين الرأس والجسم. وطول ذيله 18 . 30 سم. يتراوح وزنه ما بين 1.2 و1.5 كلغ. ويعرف بأذنيه الكبيرتين اللتين تتعديان عشر سم من الطول وبعينيه الواسعتين والكبيرتين، متكه ضيق، طويل وحاد، لون شعره شبيه بلون الرمال، مؤخرة ذيله كثيفة الشعر وسوداء.

يتوالد في فصل الربيع وتضع الأنثى من اثنين إلى خمسة صغار بعد حمل يدوم حوالي خمسين يوماً. يعيش وسط مجموعات تتكون من ثلاثة إلى أفراد.

وهذا الثعلب شائع في ضواحي وادي درعة وتافيلالت وطرفاية والساقية الحمراء ولگويرة واسمارة، ويمتد توزيعه الجغرافي من المغرب إلى شبه الجزيرة العربية.


أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

J. Dorst et P. Dandelot, *Guide des grands mamifères d'Afrique*, Lausanne, 1976, 286 p.


**ثعلب الماء**، أو كلب الماء كما هو شائع عند العامة في شمال إفريقيا، أو قضاعة كما هو في المعاجم. حيوان وحشي في حجم القط، من الثدييات Mammifères ومن رتبة اللواحم Carnivores وفصيلة السرعوبيات أو السراعيب Mustelidae. يدعى علمياً Lutra lutra angustifrons وبالفرنسية Loutre وبالإنجليزية Otter وبالإسبانية Nutria وبالأمازيغية بأغوغ نْ وَامان. ويعرف في لبنان باسم القندس.

إنه حيوان بَرْمَائِيّ يحسن السباحة بواسطة الغشاء الموجود بين أصابعه. يبلغ طوله بين 60 . 70 سم جمعا بين الرأس والجسم، ويبلغ طول ذنبه 35 . 50 سم وعلوه عند الغارب 30 سم. يتراوح وزن الكبار مابين 6 . 14 كلغ والإناث أقل حجماً وَوَزْناً من الذكور. القوائم قصيرة جداً ومتينة، الرأس طويل ومفلطح، الأذنان والعينان صغيرتان. صيغة أسنانه كالتالي :

3/3 قواضم، 1/1 أنياب، 4/3 أضراس أمامية، 1/2 أضراس = 36 سنا قوية وحادة. يكسو جسمه شعر كثيف، أحمر بُنّي داكن جهة الظهر وفاتح جهة الصدر والبطن.

يتوالد في فصل الربيع وتضع الأنثى، بعد حضانة تدوم ثلاثة وستين يوماً، بين اثنين وأربعة صغار داخل الجحر، تُفَتِّح أعينها بعد أربعة أو خمسة أسابيع. تدوم مدة الرضاعة ستة أو سبعة أسابيع وتصير الصغار بالغة ما بين سنتين وثلاث سنوات وتعمر ثمانية عشر عاماً.

وهو حيوان ليلي النشاط لا يظهر بالنهار. يعيش بجانب الأنهار والبحيرات الغنية بالأسماك حيث يتكون قوته اليومي مما يقرب من 75٪ من الأسماك ومن 20٪ من الضفادع والاربيان (Ecrevisse) ومن 5٪ من الطيور والزواحف. يسكن الجحور التي يبنيها غير بعيدة عن الضفاف ويعرف وجوده بواسطة آثار أقدامه وبرفثه (excrément) الغنى بقشور وحراشف الأسماك وخاصة منها سمك التروتة والزنجور والشبوط والبوري.

يعد هذا الحيوان من أكبر أعداء مربي الأسماك بالأطلس المتوسط إذْ يخلّف خسائر كبيرة في الأسماك بالبحيرات، وقد عرف تقلصاً كبيراً في المناطق الفلاحية بسهول الغرب، وهو شائع في الأطلس المتوسط والكبير وفي جبال الريف.

يقتصر توزيعه الجغرافي على أوروبا وشمال إفريقيا والشرق الأوسط.


أمين معلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1934.

S. Aulanier, et M. Hevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, 1986, 163 p ; J. Dorst et P. Dandelot, *Guide des grandes mammifères d'Afrique*, Paris, 1976, 286 p.


محمد رمضاني

تامدة
انظر صفحة 2172

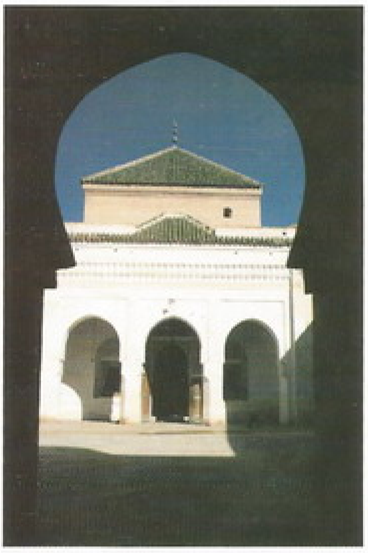

تامگروت
انظر صفحة 2189

التامول
انظر صفحة 2209

تَاوَرا
انظر صفحة 2237

تاوْريرْت
انظر صفحة 2239

تُراث إنساني
انظر صفحة 2310

التَّــرْق

انظر صفحة 2330

تـْـرُوتَــة

انظر صفحة 2341

تشجيـر في الريـف

انظر صفحة 2376

تشجيـر بشاطـئ وادْ لأوْ

انظر صفحة 2377

التـغْــزَاز

انظر صفحة 2441

التفـاح : أغصان مثـمرة

انظر صفحة 2491

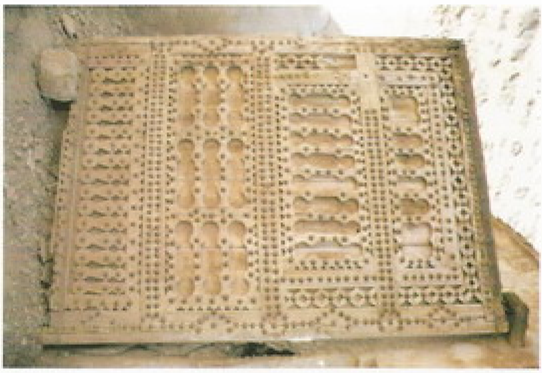

تَلْـوات
انظر صفحة 2530

تـمّ
انظر صَفحة 2561

التنقيب عن الآثـار
انظر صفحة 2590

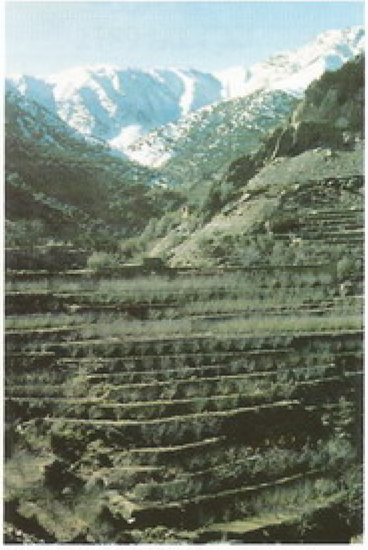

تـويكـال ـ جبل
انظر صفحة 2611

تـويكـال ـ مُنتَزَه
انظر صفحة 2613

تـوت الأرض
انظر صفحة 2614

توت العُلّيق
انظر صفحة 2615

تيزْغَة
انظرَ صفحة 2673

تيزْنْتاسَتْ
انظرها (ملحقة)

تيسْكاوين
أنظر صفحة 2699

التّين
انظر صفحة 2753

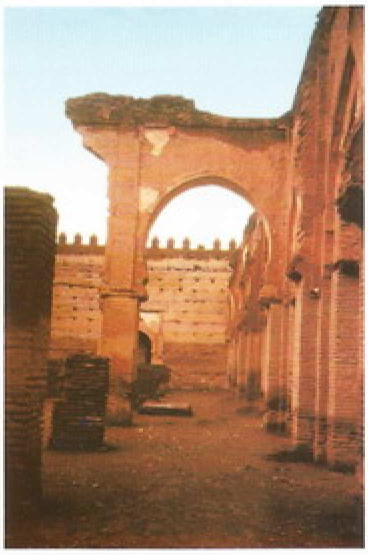

تينْمَلْ
انظر صفحة 2765

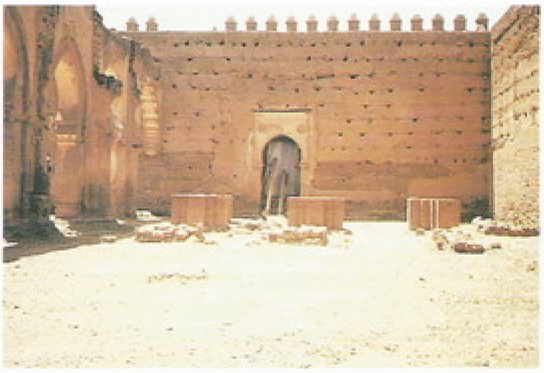

تِـيـنْـمَـلْ
انظر صفحة 2766

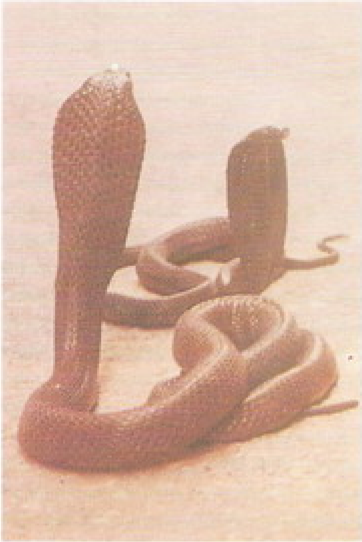

ثعـبـان . بُـودَرگـة
انظر صفحة 2787

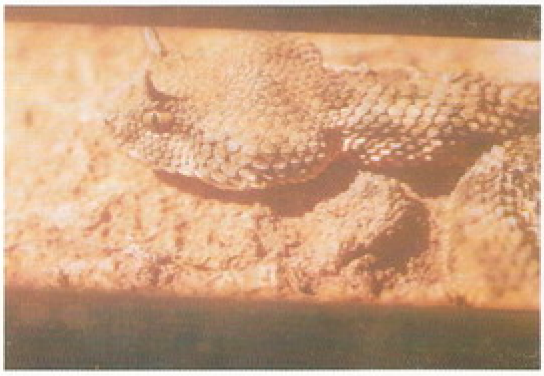

ثعـبـان
الأفـعـى الـقَـرْنـاء
انظر صفحة 2787

ثعـبـان . بـوصْـفـيـحَـة
انظر صفحة 2787

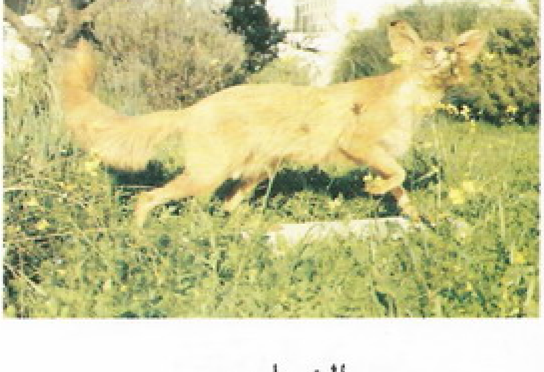

الـثـعـلـب
انظر صفحة 2788

ثـعـلـب الـمـاء
انظر صفحة 2789

Editée par

DAR AL AMAN

**Dar Al Aman - Rabat**

Kingdom of Maroc - 4, Zanaka Mamouniat - Rabat
Tel.:+212 5 37 72 32 76 / +212 5 37 26 37 87
Fax.:+212 5 37 20 00 55
e-mail: libdarelamane@yahoo.fr

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

8

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

DAR AL AMAN

Dar Al Aman - Rabat

1ere Edition 1989 / 1410
2eme Edition 2014 / 1435

# Encyclopédie du Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

9


من إنتاج

الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر

مطابع سلا

1998 - 1419

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 629


ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN ( Tome IX ) 9981 - 03 - 009 - 0

بسم الله الرحمن الرحيم

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ . | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في تحرير هذا الجزء

محمد **أخريف**، وزارة التربية الوطنية - القصر الكبير.
محمد **الأخصاصي**، باحث - الرباط.
أحمد **أشعبان**، باحث - تطوان.
سعيد **أعراب**، باحث - تطوان
مصطفي **أعشي**، معهد الدراسات الإفريقية - الرباط.
عمر **أفا**، كلية الآداب - الرباط.
إبراهيم **ألوزاد**، كلية الآداب - فاس ظهر المهراز.
حسن **اميلي** - كلية الآداب - المحمدية.
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء.
عبد الكبير **باهني**، وزارة السكنى والتعمير - الرباط.
الهادي **بجيبجو**، وزارة التربية الوطنية - الرباط.
محمد **البدراوي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط.
ثريا **برادة**، كلية الآداب - القنطيرة.
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب - المحمدية.
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب - الرباط.
الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية - العرائش.
محمد **بكراوي**، كلية الآداب - فاس.
عبد الرحمان **البكريوى**، كلية الحقوق - الرباط.
محمد **بلعربي**، باحث - الرباط.
المختار **بلعربي**، كلية الآداب - القنيطرة.
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب - الرباط.
عبد العزيز **بلفايدة**، كلية الآداب - القنيطرة.
البضاوية **بلكامل**، كلية الآداب - الرباط.
رقية **بلمقدم**، وزارة التربية الوطنية - مكناس.
عبد الإله **بلمليح**، كلية الآداب - وجدة.
علي **البليشي**، كلية الآداب - الرباط.
أحمد **بنجلون**، باحث - الرباط.
عبد العزيز بن عبد الوهاب **بنجلون**، باحث.
لطيفة **بنجلون العروي**، باحثة - الرباط.
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب - المحمدية.
محمد **بنشريفة**، كلية الآداب - الرباط.
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الوطنية الغابوية - سلا.
عثمان **بناني**، كلية الآداب - الرباط.
محمد **بوخبزة**، باحث - تطوان.
عبد القادر **بوراس**، وزارة التربية الوطنية - القنيطرة.

أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب - فاس ظهر المهراز.
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية - الرباط.
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب - الدار البيضاء عين الشق.
مصطفى **بوشعراء**، باحث - سلا.
عبد الله **بوصحابة**، كلية العلوم - فاس.
إبراهيم، **بوطالب**، كلية الآداب - الرباط.
أحمد **بوعزيز**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط.
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب - مكناس.
أحمد **بومزگو**، كلية الآداب - أگادير.
جامع **بيضا**، كلية الآداب - الرباط.
محمد **ابن تاويت التطواني**، باحث - تطوان.
عبد العزيز **توري**، وزارة الثقافة.
أحمد **التوفيق**، كلية الآداب - الرباط.
عبد العزيز **تيلاني**، كلية اللغة العربية - مراكش.
خليل بن أحمد **جزوليت**، باحث - الرباط.
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية - مراكش.
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء.
أحمد **جوماني**، باحث - الرباط.
محمد **جوماني**، باحث - الرباط.
جعفر ابن **الحاج السلمي**، كلية الآداب - تطوان.
حسن **حافظي علوي**، كلية الآداب - مراكش.
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب - الدار البيضاء بن مسيك.
ميمون **حجوظ**، المندوبية السامية لقدماء المقاومين - الرباط.
محمد **حجي**، كلية الآداب - الرباط.
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب - وجدة.
فاطمة **الحراق**، معهد الدراسات الافريقية - الرباط.
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب - الرباط.
عبد الرحمان **الحريشي**، باحث - الرباط.
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب - فاس ظهر المهراز.
علال **الخديمي**، كلية الآداب - الرباط.
محمد **خربوعة**، المعهد العلمي - الرباط.
إسماعيل **خياطي**، كلية الآداب - الجديدة.
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم - الرباط.
مارية **دادي**، كلية الآداب - وجدة.
محمد بن عبد العزيز **الدباغ**، وزارة الثقافة - فاس.

المهدي **الدليرو**، وزارة الثقافة ـ الرباط.
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب ـ مراكش.
شفيق **الرفاگ**، كلية الآداب ـ أگادير.
علال **ركوك**، كلية الآداب ـ بني ملال.
محمد **رمضاني**، كلية العلوم ـ الرباط.
بوجمعة **رويان**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
محمد **زروال**، باحث.
محمد **زنيبر**، كلية الآداب ـ الرباط.
قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط.
عبد الفتاح **الزين**، البحث العلمي ـ الرباط.
محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا.
عبد السلام **السعيدي**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش.
رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش.
مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **الشرقاوي إقبال**، باحث ـ مراكش.
صالح **شكاك**، وزارة التربية الوطنية ـ تمارة.
المصطفى **شويكي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء عين الشق.
محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط.
منير **صالح**، باحث.
أبو بكر **الصبيحي**، باحث ـ سلا.
محمد **الصوفي**، باحث.
عبد الرحمان **الطيبي**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا.
عبد العزيز بن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة ـ مكناس.
توفيق **العبقري**، باحث ـ الرباط.
زكية **عراقي سيناصر**، وزارة الثقافة ـ الرباط.
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان.
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش.
عبد الله **العمراني**، باحث ـ تطوان.
محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
الحاج موسى **عوني**، كلية الآداب ـ فاس.
مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الخالق **غازي**، باحث.
حياة **الغراس**، باحثة ـ مراكش.
إدريس **الفاسي**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
حسن **الفكيكي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
بوشتى **الفلاح**، باحث.
المصطفى **فنيتر**، كلية الآداب ـ مراكش.
عبد الإله **فونتير**، كلية الحقوق ـ الرباط.
عبد القادر **القادري**، كلية الحقوق ـ الرباط.
محمد مصطفى **القباج**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
محمد، **القبلي**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **قدور**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **كربوط**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **كلاد**، وزارة التربية الوطنية ـ أسفي.
محمد **اللبار**، كلية الآداب ـ ـ وجدة.
سيمون **ليڤي**، كلية الآداب ـ الرباط.
حسن **ليمان**، وزارة الثقافة ـ وليلي ـ مكناس.
محمد **ماگامان**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش.
أحمد **متفكر**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش.
محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمدية.
المكي **مربي**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش.
محمد **مرزاق**، وزارة التربية الوطنية ـ وجدة.
نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **مزيان**، كلية الآداب ـ فاس.
الرشيد **المصلوت**، باحث ـ تارودانت.
عز المغرب **معنينو**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط.
محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **المكاوي**، باحث.
عبد الرحمان **الملحوني**، باحث ـ مراكش.
محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **منيوي**، المعهد العلمي ـ الرباط.
عبد الحي **مودن**.
شاكر **الميلود**، باحث.
محمد **الناصري**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط.
مططفى **ناعمي**، البحث العلمي ـ الرباط.
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب ـ الرباط.
زهرة، **النظام**، كلية الآداب ـ المحمدية.
محمد **هشمي**، المدرسة الوطنية الغابوية ـ سلا.
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش.
أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة.
مصطفى **يعرف**، باحث ـ وجدة.

# ببيليوغرافيا إضافية
# إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة

ع. ابن **إبراهيم**،

*إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش السبعة رجال*، مخ. خ. ح. رقم 232.

م. **أخريف**،

*إطلالة على أولياء مدينة القصر الكبير*، مارس 1989.

إ. **الإدريسي**،

*إعلان الصناعة الفاسية بنهضتها السامية*، فاس، 1938.

ع. **الإدريسي**،

*كشف الغطا عن سر الموسيقى ونتائج الغناء*، الرباط، 1935.

س. **أدي شير**،

*معجم الألفاظ الفارسية المعربة*، بيروت، 1980.

م. **الأسدي**،

*التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار*، تح. ع. طليمات، القاهرة، 1968.

ي. **أشباخ**،

*إسبانيا والبرتغال في عهد سيادة المرابطين والموحدين*، تطوان، 1939.

س. **أعراب**،

*جامع البيضاء*، معلمة المغرب.

*تاكطشت*، معلمة المغرب.

م. **أعشي**،

*العلاقات السياسية والعسكرية في موريتانيا الطنجية بين المور والرمان من 140 إلى 285 م*، د. د. ع، الرباط، 1980.

م. **أعفيف**،

*الحركات الحسنية من خلال مؤلفات ابن زيدان*، مجلة كلية الآداب الرباط، ع 7، 1980.

ع. **أقضاض**،

*تأسيس جيش التحرير المغربي في الشمال*، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 12.

ح. **أميلي**،

*الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن 17*، د. د. ع، الرباط، 1989.

ح. **أنوش**،

بورحيم، معلمة المغرب، ج 5.

أ. **باكار**،

*المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة*، [د. م] : [د. ت]، 2 ج.

**باه النعمة،**

*الشعر الحساني المجال النقدي والمرجع*، الدار البيضاء، 1992.

**البخاري،**

*الجامع الصحيح*، بيروت، [د. ت].

ع. **بدوي،**

*أفلاطون في الإسلام*، تهران، 1974.

م. **برادة غزيول،**

*مدونة وتنظيمات الجمارك والضرائب غير المباشرة*، 1995.

ع. **بردلة،**

*رسالة إلى مولاي إسماعيل*، مخ. خ. ع رقم د163.

م. **برگاش،**

**مراسلات مخزنية**، مخ. خ. ع الرباط، ميكروفيلم.

ع. **البكريوي،**

*الوجيز في القانون الإداري المغربي*، الرباط، 1990.

ع. **البلغيثي،**

*المنار*، مخطوط.

ر. **بلمقدم،**

*أرقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل*، الرباط، 2 ج.

ع. **بنعبدالله،**

*الأثر الاسلامي في الفن المغربي*، *البينة*، ع 10، فبراير 1963.

ع. **بنعبيد،**

*التوت*، *معلمة المغرب*، ج 8.

م. **بنعلي،**

*جوانب من نشاطات جيش التحرير بمنطقة فگيگ*، مجلة *المقاومة وجيش التحرير*، ع 2.

م. **بناني،**

*فهرسة أحمد بن العربي ابن الحاج*، مخ. خ. ح.

م. **بنميرة،**

*الجماعات المحلية والممارسة المالية بالمغرب*، مراكش، 1994.

م. **بوجندار،**

*ترجمة صاحب الفضيلة والمعالي محمد بن الحسن الحجوي*، *السعادة*، ع. 6054، 19 يناير 1944.

م. **بوخلفة،**

*الطريق لمعرفة القصر الكبير*، 1972.

ر. **بورقية،**

*حول القبيلة في المجتمع المغربي في القرن 19 م*، *مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية*، الرباط، ع 14، 1988.

إ. ابن **بوزيد السلاوي،**

*الكناشة العلمية*، مخطوط.

ح. **البوسليماني**،
*روضة الأزهار ونزهة الأبصار*، مخطوط.
أ. **بوشرب**،
*المغاربة والبحر*، مجلة بحوث، ع 4، 1991.
*وثيقة برتغالية جديدة تتعلق بواقعة المليحة*، *مجلة كلية الآداب فاس*، ع 2 ـ 3، 1979 ـ 1980.
إ. **بوطالب**،
*الإدارة*، *معلمة المغرب*، ج 1.
ب. **بوعسرية**،
*مكناس المدينة الجديدة : التأسيس، البنيات الإدارية، التناقضات، 1911 ـ 1939*، د. التاريخ، الرباط، 1995.
ح. **بوعياد**،
*الحركة الوطنية : الظهير البربري 1348 / 1930*، الدار البيضاء، 1979.
ي. **بوغانم**،
سوسيولوجيا الأغنية : *أغنية جيل جيلالة نموذجاً*، الدار البيضاء، 1990.
م. **البومسهولي**،
*من المسؤول عن إفلاس تعاونية الدباغين في مراكش*، *الاتحاد الاشتراكي*، ع 3621، 9 يوليوز 1993.
إ. **التادلي**،
*أغاني السيقا ومعاني الموسيقى*، مخطوط.
ع. **التازي**،
*دور الطرق الصوفية في المحافظة على التراث الموسيقي العربي*، المناهل، 1986.
ع. **التاغرغارتي**،
*تراجم بعض علماء وفقهاء سوس*، مخطوط.
إ. **التامري**،
*المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة*، الدار البيضاء، 1995.
ص. **التجيبي** بن إدريس،
*زاد المسافر*، بيروت، 1970.
ح. **التريكي**،
*المساجد ووظائفها بمراكش زمن المرابطين والموحدين*، ضمن *أشغال الملتقى الأول حول مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي*، الدار البيضاء 1989.
أ. **التستاوتي**،
*ذيل ممتع الاسماع*، مخطوط.
ج. **التستاوتي**،
مجموع، مخ. خ. ع. رقم ك 309.
أ. **التغاتيني**،
*فتاوى فقهاء جزولة*، مخطوط.
**التقي العلوي**،
*أصول المغاربة : الاتحاديات الأطلسية، أيت عطا*، *البحث العلمي*، ع 23، 1974.

ع. **التليدي**،

*المطرب في مشاهير أولياء المغرب*، طنجة، 1987.

ح. **التمنوگالي**،

*العقود الجوهرية*، مخ.

م. **التنسي**،

*تاريخ بني زيان ملوك تلمسان*، تح. م. بوعياد، الجزائر، 1985.

**الثعالبي**،

*تحفة الوزراء*، تح. ح. الراوي وأ. م. الصفار، بغداد، 1977.

م. **ابن جابر**،

*منية العابر*، تح. ع. العمراني.

ع. **الجادري**،

*اقتطاف الأنوار من روضة الأزهار*، ضمن كتاب *علم المواقيت أصوله ومناهجه*، تح. م. ع. الخطابي، المحمدية، 1986.

م. **الجائي**،

*مقمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام*، مخ. خ. ح.

خ. ع. **الجباري**،

*تيسير الباري في ثبوت النسبة النبوية الشريفة لأولاد الجباري*، الدار البيضاء، 1989.

ع. **الجراري**،

*الخصيب في آثار الحبيب*، مخطوط.

*مدخل لرحلة الحضيكي*، المناهل، ع 10.

م. **ابن الجزري**،

*غاية النهاية في طبقات القراء*.

م. **الجزري**،

*النشر في القراءات العشر*، تح. م. علي الضباع.

م. **الجزولي**،

*ذكريات من ربيع الحياة*، الرباط، 1971.

*المواهب القدسية*، مخ. خ. ع رقم ج 97.

خ. **جزوليت**،

*المختار جزوليت شهيد انتفاضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944*، مخطوط.

ع. **الجشتيمي**،

*الحضيكيون*، مخطوط.

ح. **جلاب**،

*معجم عراصي مراكش*، *مجلة التراث الشعبي*، ع 5، 1981.

إ. **ابن جلون**،

*التراث العربي المغربي في الموسيقى*، 1981.

*الدروس الأولية للموسيقى الأندلسية*.

*الجهة، الجهوية والتنمية المحلية*، *المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية*، ع 8، 1996.

ع. **الجيلالي**،
*تاريخ الجزائر العام*، بيروت، 1965.

ابن **الحاج**،
*الدر المنتخب المستحسن*، مخ. خ. ح، رقم 1920.

م. أيت **الحاج**،
*مظاهر الحياة الثقافية بحاحة وإيداوتنان*، د. د. ع.

ج. ابن **الحاج السلمي**،
*وثائق بيت شيخ الجماعة أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي بتطوان*، ضمن كتاب *تطوان خلال القرن 18*، 1727 - 1822، تطوان، 1993.

ط. ابن **الحاج السلمي**،
*الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف*، مخ.
*رياض الورد*، تح. ج. ابن الحاج السلمي، دمشق، 1993.

م. ابن **الحاج السلمي**،
*إسعاف الإخوان*، الدار البيضاء، 1992.

م. ابن **الحاج العبدري**،
*المدخل*، بيروت، 1977.

ط. **الحبيب** بن **الملولي**،
*تاريخ درعة*، مخطوط.

م. **حجاج الطويل**،
*الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، د. د. ع، الرباط، 1988.

أ. **حجي**،
الفتوحات الالهية.
*مواهب الملك الحق المعبود*، مخطوط.

م. **حجي**،
*موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996 - 10 ج.

ع. **الحجرتي**،
*الروض الطيب العرف*، مخطوط.

م. **الحجوي**،
*الأحداث السياسية على عهد مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ*، مخ. خ. ع.

إ. **حركات**،
*النشاط الاقتصادي الاسلامي في العصر الوسيط*، الدار البيضاء، 1996.
*النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين*، الدار البيضاء.

م. **حركات**،
*الاقتصاد السياسي : مراحل تكوين المعرفة الاقتصادية*، الرباط، 1996.

**حزب الاستقلال**،
*قائمة الشرف*، الرباط، 1988.

**الحسن الثاني**،
*التحدي*، الرباط، 1983.

ع. **الحسني**،
*الإلمام ببعض من لقيت من علماء الإسلام*، مخطوط.

ع. **الحسيني**،
*أضواء حول مشاركة قبيلة أولاد جرير في صفوف جيش التحرير بالمنطقة الشرقية*، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع 9.

م. **الحضيكي**،
*الرحلة الحجازية*، مخ. خ. ح رقم 405.
*فهرست*، مخطوط.

ق. **الحلفاوي**،
*شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة*، مخ. خ. ابن يوسف مراكش، رقم 171.

ب. **الحمومي**،
*رسالة فيما اشتمل عليه الاتاي من المنافع وبيان طبخه وطريق استعماله وسبب ظهوره*، فاس، ط. حجرية، 1908.

ت. **الحمومي**،
*المقصد في التعريف بالشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن الحمومي وشيخه المولى التهامي*، مخ. المسجد الأعظم، وزان.

س. **الحوات**،
*ثمرة أنسي في التعريف بنفسي*، مخ. خ. ع. رقم ك 1264.
*السر الظاهر فيمن أحرز بفاس النسب الطاهر*، فاس، ط. حجرية.

م. ع. **الخطابي**،
*الطب والأطباء بالأندلس الإسلامية*.

أ. **خطوري**،
*أضواء على انطلاقة عمليات جيش التحرير بإيموزار مرموشة*، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع 14.

م. **خليل**،
*محمد المختار السوسي : دراسة لشخصيته وشعره*، الدار البيضاء، 1985.

ع. **الخيازي**،
*الرأسمالية والصناعة التقليدية*، د. اقتصاد، الدار البيضاء، 1983.

م. **الخياطي**،
*جواهر السماط في ذكر مناقب سيدي عبد الله الخياط*، مخطوط.
*الخوجة*، *ترتيب العسكر*، مخ. خ. ع رقم د 2733.

م. **الداودي**،
*طبقات المفسرين*، بيروت، 1983.

م. **الدباغ**،
*من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني*، الدار البيضاء، 1992.

م. أ. **دعمان**،

*معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي*، دمشق، 1990.

ع. **الدوماني**،

*روضة التحقيق في فضائل آل الصديق*، مخطوط.

ح. **الذهبي**،

*المشتبه في الرجال*، تح. م. البجاوي.

ت. ابن **رحمون**،

*شذور الذهب في خير نسب*، مخ. خ. ع رقم د 1484.

*مناقب الشيخ الكامل والقطب الجامع سيدي عبد السلام بن مشيش*، مجموع مخطوط، خ ع. رقم 1484.

هـ. هـ. **رشيد**،

*ما يجب أن تعرف عن جامعة الدول العربية*، تونس 1980.

ع. **ركوك**،

*بعض الدلالات التاريخية من خلال العيطة*، *بيان اليوم*، 10 فبراير 1992.

*التصوف الغنائي في منطقة الصويرة والشياظمة*، *بيان اليوم الثقافي*، 12 / 3 / 1992.

أ. **الرهوني**،

*مختصر عمدة الراوين*، مخطوط.

*حاشية على شرح عبد الباقي الزرقاني*، القاهرة.

أ. **الريفي**،

*تقييد في أسرة الجيديين*، مخطوط.

ع. **الرياحي**،

*تعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي*، تونس، 1320 هـ.

م. ابن **زاكور**،

*الاستشفاء من الألم في التلذذ بذكر صاحب العلم*، مخ. خ. ح. الرباط.

م. ابن **زكري الفاسي**،

*حاشية على صحيح البخاري*، مخ. خ. ح. رقم 11149.

ع. **زمامة**،

*ابن حسون الوزاني*، *البحث العلمي*، ع 17، 1971.

م. **الزميلي**،

*لباس المرأة وزينتها في الفقه الإسلامي*، عمان، 1982.

م. **زنيبر**،

*ابن بطوطة*، *معلمة المغرب*، ج 4.

ز. **زوكاغي**،

*أحكام القانون الدولي الخاص في التشريع المغربي : الجنسية*، الرباط، 1992.

أ. **زوكاغي**،

*وثائق الجنسية المغربية*، الرباط، 1994.

ع. ابن **زيدان**،

*معجم طبقات المؤلفين في عهد الدولة العلوية*، مخ. خ. ح رقم ز 12564.

ع. **الزين**،

*العلاقات بين المدينة والبادية بحوض الرباط*، د. د. ع، علم الاجتماع، الرباط، 1987.

ح. **الزيات**،

*ثياب الوثني*، *مجلة الشرف*، ع 4، يناير - مارس 1947.

أ. **الزياتي**،

عقد *الجمان في شمائل* مولاي عبد الرحمان، مخ. خ. ع. رقم 40.

م. **الزيادي**،

*سلوك الطريق الوارية*، مخطوط.

ع. **سالم**،

*المغرب الكبير*، بيروت، 1981، 2 ج.

ع. **السعود**،

*تطوان في أواخرالقرن 19*، د. د. ع، الرباط، 1992.

أ. **سكيرج**،

*نزهة الاخوان في تاريخ تطوان*، مخطوط.

*كشف الحجاب*، القاهرة.

ع. **سكيرج**،

*مذكرة الزبير سكيرج 1850 - 1932*، مجلة *دار النيابة*، ع 8.

أ. ع. **سلامة**،

*المبسوط في نظام الجنسية*، القاهرة، 1993.

**السلطان مولاي حفيظ**،

*داء العطب* قديم، مخطوط.

**السملالي**،

*مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولانا الحسن*، مخ. خ. ح. رقم 81.

ع. **السوسي السملالي**،

*منتهى النقول ومشتهى العقول*، مخ. خ. ع. الرباط، رقم 633.

م. ع. **سيناصر**،

*مسجد الحسن الثاني*، بنيراك (فرنسا)، [د. ت].

ع. **السيوطي**،

*لب اللباب في تحديد الأنساب*، بغداد.

ع. **الشاذلي**،

*أسفي*، *معلمة المغرب*، ج. 2.

ح. **الشبيهي**،

*الجراوي*، شاعر الموحدين.

م. **الشراط**،

*الروض*، تح. ز. النظام، الرباط، 1997.

م. **شفيق**،

*أمازيغ*، *معلمة المغرب*، ج 2.

أ. **الشقيري**،

*الجامعة العربية : كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية*، تونس، 1979.

م. **شماعو**،

*المجتمع المغربي كما عرفته*، الرباط، 1980.

أ. **شوارق**،

*حقائق تاريخية عن عملية افراغ الباخرة دينا*، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 18.

ح. **شوقي**،

*قبيلة السراغنة خلال القرن 19*، د. د. ع، الرباط، 1990.

م. **شويكي**،

*إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء*، د. الرباط، 1985.

م. **صالح**،

*من الفقيه بن صالح إلى ميلانو : الهجرة الدولية المغربية إلى إيطاليا وتأثيرها على مناطق الانطلاق*، د.د.ع، الرباط، 1996.

أ. **الصبيحي**،

*الرحلة الحجازية*، مخ. خ. ص.

م. **صلك**،

*من معارك إقليم وادي الذهب سنتي 1957 ـ 1958*، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 33.

ع. **الصنهاجي**،

*مذكرات من تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من 1947 إلى 1956*، المحمدية، 1987.

م. **الصوفي**،

*ديبلوماسية مؤتمرات القمة في العلاقات العربية*، د. د. ع، القانون العام، الرباط، 1982.

م. **الصومعي**،

*التشوف الصغير*، مخ. خ. ع رقم د 1103.

أ. **طربين**،

*انجازات جامعة الدول العربية في دعم الاستقلال السياسي للأقطار العربية*، مارس 1912.

ط. **الطويل**،

*حوار مع الحاج الحسين التولالي*، جريدة كل الفنون، 9 أبريل 1994.

ع. **العافية**،

*الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها*، المحمدية، 1982.

م. ابن **عبود**،

*مراكز الأجانب في المغرب*، الرباط، 1988.

إ. **عبد الباقي**،

*الجنسية في قوانين دول المغرب العربي الكبير*، تونس، 1971.

ع. ابن **عبد الجليل**،

*معجم مصطلحات الملحون*.

*طرب الملحون المغربي*، مجلة التراث الشعبي، ع 10، 1980.

*الموسيقى الأندلسية المغربية*، عالم المعرفية، ع 129، 1989.

ص. ابن **عبد الحليم**،

*كتاب الانساب*، مخ. خ. ع الرباط، رقم ك 1275.

ف. **عبد الرزاق**،

*المطبوعات الحجرية في المغرب*، الرباط، 1989.

ح. ح. **عبد الوهاب**،

*شهيرات النساء التونسيات*، تونس، 1353 هـ.

م. ابن **عثمان المراكشي**،

*الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة*، 1937.

م. **العجلان**،

*تأليف في الأشربة والمعاجين والأدهان والسفوفات والمراهيم والأكحال والمربيات واللطوخات*، مخ. خ. ع رقم د 761.

ح. **العرائشي**،

*انطلاق المقاومة المغربية وتطورها*، الرباط، 1982.

**العروسي**،

*السلطنة الحفصية* ـ بيروت.

أ. **عزاوي**،

*رسائل موحدية جديدة*، د. د. ع، الرباط، 1986.

م. ابن **عزوز حكيم**،

*باب التوت*، معلمة المغرب، ج 8.

*التطور الطبوغرافي لمدينة تطوان*، *مجلة تطوان*، ع 4 ـ 5، مارس 1993.

حاكمة *تطوان*، الرباط، 1983.

م. ابن أبي **عسرية الفاسي**،

*رحلة*، مخطوطة.

أ. ابن **عطية**،

*سلسلة الأنوار*، مخ. خ. ع، رقم ك 2458.

ع. **عفيفي**،

*الملامتية والصوفية وأهل الفتوة*، القاهرة، 1956.

ع. **العكاري**،

*البدور الضاوية في ذكر الشيخ وتلاميذه وبناء الزاوية*، مخطوط، خ. ع رقم د 88.

إ. **العلوي**،

*بني مالك*، *معلمة المغرب*.

ع. **العلوي**،

*صناعة النسيج في المغرب الوسيط : الانتاج والمبادلات*، *مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية* فاس، ع 2، 1985.

م. ابن **علي الدكالي**،

*السفينة المنجية في أخبار أهل الزاوية الحجية*، مخطوط.

ك. **علي**،

*جامعة الدول العربية والمنازعات الاقليمية العربية*، د.د. ع، الرباط، 1980.

ع. **عمرو**،
*اللباس والزينة في الشريعة الاسلامية*، عمان، 1985.

أ. **العماري**،
*مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر*، د. كلية الآداب الرباط، 1981.

ف. **العيساوي**،
*جوانب من علاقة المخزن بالحرف*، د. د. ع، الرباط، 1989.

م. **عياد** ،
*الشريف الإدريسي، معلمة المغرب.*

ح. **الغراس**،
*هدة البارود بجامع الفنا على لسان شاهد عيان*، **مجلة أطلس مراكش**، ع 2، 1994.

أ. **غرسياخايين**،
*الفن والفنانون المسلمون*، مدريد، 1951.

ع. **غلاب**،
*تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، الرباط، 1987، 2 ج.

ط. **الغنيمي**،
*جامعة الدول العربية*، الاسكندرية، 1974.

ر. م. **غورضو**،
*تعقيب وتوضيح حول مقال دور مركز كارمة إبان المقاومة وتأسيس جيش التحرير*، **مجلة المقاومة وجيش التحرير**، ع 31.

ع. الله **الفاسي**،
*الإعلام*، تح. ف. نافع د. د. ع. الرباط.

علال **الفاسي**،
*الشاعر عبد الرحمن حجي*، *العلم*، 21 يونيو 1965.

م. **الفاسي**،
*شاعر الخلافة الموحدية أبو العباس الجراوي*، الرباط.
*شعراء الملحون السلاويون*، *المناهل*، ع 33.

م. المهدي **الفاسي**،
*تحفة أهل الصديقية*. خ. خ. ع. رقم : ج 79.

س. **الفشتالي**،
*تقييد*. مخ، خ، ع، د 283.

س. **فنيش**،
*الفقيه عبد السلام حركات*. د. د. ع، التاريخ، الرباط، 1994.

أ. **القادري**،
- *العلامة المفتي أحمد الجريري : شيخ الجماعة بسلا 1277 ـ 1353* هـ الرباط، 1985.
- محمد حصار.
- *مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 إلى 1940*، الدار البيضاء، 1992، ج 1.

م. **القصار**،

*فهرس*، مخ، خ. ع. رقم : ك 1427.

ع. **الكاديكي**،

*الامراض المعدية.*

*كتاب القوانين الداخلية المتعلقة بمشاة العسكر الجهادية في سبيل الله*. مخ. خ. ع. رقـم : 1258.

ع. الحي **الكتاني**،

*الآيات النفاعات فيما يتعلق بالحمامات*. مخ. خ. ع. رقم : ك 2942.

*أشرف بقعة*، *مجلة المغرب*، يونيو 1936.

*إعلام الأئمة*، فاس : ط. حجرية.

*تبليغ الأمانة في مضار الاسراف والتبرج والكهانة*. مخ. خ. ع. رقم : ك 2729.

*توفير المنة*. مخ، خ. ع. رقم : ك 2404.

*زهر الآس في بيوتات فاس*. مخ. خ. ع. رقم : ك 1281.

*كتاب في الخطاب*. مخ. خ. ع. الرباط، رقم : ك 3208.

م. **الكتاني**،

*الاعلام ببعض ما يتعلق بالمكانات المجلاة من الأحكام*. مخ. خ. ع. رقم : ك 1180.

*رفع الألباس وكشف الضر والباس ببيان ما للعلماء النحارير الاكياس في مسألة الجرير التي وقع فيها الخوض بين الناس*. مخ. خ. ع. رقم : ك 1180.

ع. **كنون**،

*أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي*، بيروت [د. ت].

*ابن عبدون، أحمد بن شعيب الجزنائي*، تطوان [د. ت].

*جني زهر الآس في شرح نظم عمل فاس* ، القاهرة [د. ت].

م. **كنون**،

*كفاية المحتاج في استعمال المحلي والديباج*. مخ. خ. ع. رقم : د 1231.

م. **لشكر**،

*ملحمة جيش التحرير بالصحراء المغربي*، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*. ع 19.

ح. **المباركي**،

*الري وندرة الماء : مشكل الفلاحة العصرية بحوز مراكش*. د.د. ع. الرباط، 1987.

م. **المجاطي**،

*شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ نافع.*

م. **مجدوب**،

*مملكة الموريين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*. د. د. ع. فاس، 1990.

مجهول،

*تمسك الفقير الحقير بطريقة الولي الشهير الخطير سيدي محمد بن عيسى الكبير*. مخ.

*ورقات في أسرار بعض الصنائع*. مخ. خ. كلية الآداب الرباط، رقم : 216 مكل.

**محمد الخامس**،

*خطاب بمناسبة استقبال جيش التحرير سنة 1956*، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع 2.

أ. **المداني**،
*مراحل الكفاح الوطني بالجنوب المغربي وانطلاقة جيش التحرير ومقاومة قبائل ايت أوسا نموذجا مجلة المقاومة وجيش التحرير*. ع 35.

أ. ت. **المدني**،
*حرب لثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا*، الجزائر، [د. ت].
*كتاب الجزائر*، الجزائر، 1350 هـ.

أ. **المرابي**،
*تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان*. مخ. خ. ع. رقم : ك 154.

**المرأة المغربية والحلي**، *العلم*، ع. 870، 28 أبريل 1974.

م. **المرغيتي**،
*العوائد*، مخطوط.

ع. **المريني**،
*النضال الجبلي : الأنظمة الاجتماعية الجبلية*، طنجة 1988.

ع. **المزريوي**،
*مذكرات*. مخ.

م. ع. **المشرفي**،
*مشموم عرار النجد*.

ج. **مطر**، ع. **هلال**،
*النظام الاقليمي العربي : دراسة في العلاقات السياسية العربية*، بيروت، 1983.

أ. **معنينو**،
تكوين *جيش التحرير بقبيلة الحزناية باقليم تازة مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع 20.

ش. **مفيد**،
*جامعة الدولة العربية ميثاقها وإنجازاتها*، القاهرة، 1978.

أ. **المقري**،
*أزهار الكمامة في أخبار العمامة ونبذة من ملابس المخصوص بأسرار الإمامة*. مخ. خ. ع. رقم : د 984.

ع. ابن **المقفع**،
*الأدب الصغير تم الأدب الكبير في رسائل البلغاء*. تح. م. كرد علي، القاهرة 1954.

م. **المكودي التازي**،
*الإرشاد والتبيان لرد ما أحدثه الروساء من أهل تطوان*، مخطوط.

م. ابن **الميك**،
*بادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال*. مخ. خ. ع. الرباط.

ع. **المنتوري**،
*الفهرسة*. مخ. خ. ع. رقم : 1578.

ابن **منظور**،
*لسان العرب*، بيروت، [د. ت]..

ح. **المنفلوطي**،

*تحفة الكرام في بعض مناقب غوث الانام قطب جزولة*. مخ. خ. ع. رقم : 925.

م. **المنوني**،

*التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور* - **مجلة *الثقافة المغربية***، ع 7، 1972.

حل مشكلة تتصل باسم وعصر مؤلف *الروض المعطار*، **المناهل**، ع 10، نونبر 1977.

ح. **مهديوي**،

*الزي التقليدي لقبائل الأطلس*، جريدة *الأنوار*، ع 122، 31 دجنبر 1996.

م. **مولاي رشيد**،

*المغرب الأقصى عند الاغريق واللاتين*، الدار البيضاء، 1993.

م. **ميارة**،

*الدر الثمين، شرح المرشد المعين*، القاهرة، 1306 هـ.

ج. **الناصري**،

قضاة سلا. مخطوط، خ. ص.

م. **ناعمي**،

*ازوافيط* - **معلمة المغرب**، ج 2.

ع. **نجمي**،

عكاكزة. د. د. ع. الرباط.

أ. **الهشتوكي** بن **داود**،

*هداية الملك العلام*. مخ. خ. ع. رقم : ق 147.

ن. **همزان**،

*تدوين تاريخ جيش التحرير بالجنوب المغربي* - **مجلة *المقاومة وجيش التحرير***، ع. 12.

أ. **همشي**،

*انطلاقة جيش التحرير بتازة عجلت بارجاع الملك واعلان الاستقلال*، **مجلة المقاومة وجيش التحرير**، ع 38.

ع. **الهلالي**،

*وفيات الهلالي*، مخطوط.

أ. **هوزالي**،

*التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي*. د. د. ع، الرباط، 1987.

ف. م. **الهوني**،

*تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية*.

أ. **هيل**،

*النبات الاقتصادي*، تر. عبد المجيد زاهر [وآخران] - القاهرة، 1962.

## Supplément
## à la bibliographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie avec leurs abréviations


ABDEL JALIL, J.M. - *Le Maroc*, Paris, 1942.

ABOU EL KARAM, F. - *Répertoire des gouvernements du Royaume du Maroc, 1955 - 1988*, Casablanca, 1988.

ADAM, A. - *Le Costume de quelques tribus de l'Anti - Atlas, Hesp.*, 3ème - 4ème trim., 1952.

ADMINISTRATION DES EAUX ET FORETS ET CONSERVATION DES SOLS. - *Quantification de la consommation de bois de feu au Maroc*, Casablanca, 1994.

AHERDANE, M. - *Signes symboliques et peintures corporelles, Amazigh, n° 6, 1981.*

AIT HAMOU, H. - *Mutation de l'espace péri-urbain casablancais : le cas des communes des Aït Harrouda et Tit Mellil*, Th. 3ème cycle, Géo., Tours, 1988, 2 vol.

ALAOUI, Y. A. - *Guide du chasseur au Maroc*, Rabat, 1992.

ALARCON. - *Melilla*, Madrid, 1909.

ALBERT, Lt. - *Les Ida Ubaqil*, Arch. S.H.A., 1915.

ALBERT, Lt. - *Renseignements sur la tribu des Ilalen, Sous, Anti - Atlas*, Arch. S.A.H., 1914.

ALBERT, P. - *Les Tribus du Sahel atlantique, Sous, Tazeroualt, Dra, Oued Noun, Seguiet et Hamra*, Paris, 1960.

ALDECOA, M. De. - *Cours d'arabe marocain*, Paris, 1942.

ALMAGRO CORREA, A. *Las Torres bereberes de la Marca Media, Cuadernos de la Alhambra*, 12, 1976.

AL-MAKARI, A. - *Focus et topique en Hassaniyya*, Th. 3ème cycle, Rabat, 1987.

APPIEN. - *Bellorum civilium liber, Libya, Punica* in *Historia Romana*, Teunber, 1906.

ARSALANE, K. - *Le Foot-ball marocain*, Casablanca, 1990.

ASEBRIY, L. - *Evolution tectonique et métamorphique du Rif central, définition du domaine subrifain*, Th. Doc. d'Etat, Rabat, 1994.

AUBERT, Cap. - *Les Harratine de l'annexe de Tafingout*, Arch., S.H.A. 1913.

AYMARD, A. - *Aspects de la défense romaine en Afrique, I.H.*, 1952.

AZAN, P. - *L'Emir Abd el-Kader, 1808 - 1883 : du fanatisme musulman au patriotisme français*, Paris, 1925.

BADUEL, R. - *La Production de l'espace national en Maghreb, A.A.N.*, XXIII, 1983.

BAIDA, J. - *La Presse marocaine d'expression française, des origines à 1956*, Rabat, 1996.

BALDOUI, J. - *L'Artisanat marocain à la croisée des chemins*, Alger, [s.d.].

BALLETTO, L. - *Da Genova al Maghreb, 1222 - 1226, Archivo Storia Sardo di Sassari*, 1982.

BELLOUCHE - DAMBLON. - *Nouvelles données palynologiques sur la végétation holocène du Maroc, Trav. Sct. Sc., Tech.* XXV.

BARDON, H. - *Contribution à l'étude épidémiologique et chimique de la rougeole au Maroc, Bull. Inst. Maroc*, n° 3-4, 1951.

BASRI, D. - *La Décentralisation au Maroc : de la commune à la région*, Paris, 1994.

BASRI, D. / Dir. - *Précis de fiscalité des collectivités locales et de leurs équipements*, Rabat, 1993.

BASSET, H. - *La Fête de Lalla Ksaba, F.M.*, n° 6, 1917.

BASSET, H. - *Les Rites du travail de la laine à Rabat, Hesp.*, 1er - 2ème trim., 1922.

BASSET, R. - *Hadjar al - Nasr, E.I.*, T. 2.

BAUDY, P. - *Economie forestière nord - africaine : description forestière du Maroc*, Paris, 1958.

BAUMONT, G. - *L'Avenir des corporations artisanales au Maroc*, [s.l.], 1949.

BEAUDET, G. - MAURER, G. - MARTIN, J. - *Remarques sur quelques facteurs de l'érosion des sols, R.G.M.*, n° 6, 1964.

BEAUDET, G. - *Types d'implantation humaine en pays Zaïan, R.G.M.*, n° 8, 1965.

BELLAOUI, A. - *La Place de Jamaa El Fna entre le visiteur et l'usager : premier bilan d'un sondage d'opinin, Atlas*, n° 2, 1994.

BENABID, A. - *Etudes phytosociologique et phytodynamique et leur utilité, Ann. Rech. Forest. du Maroc*, n° 24, 1984.

BENCHEHIDA - SBIHI. - *Proverbes de vieilles femmes marocaines*, Fès, 1930.

BENCHEKROUN, M. - *La Vie intellectuelle marocaine sous les mérinides et les wattasides*, Rabat, 1974.

BEN CHENEB, M. - *Proverbes arabes de l'Algérie et du Maghreb*, Paris, 1907.

BENHALIMA, H. - *L'Artisanat traditionnel Sefrioui, R.G.M.*, n° 1, 1977.

BENKHALIFA, S. - *Le Costume dans la tradition, Echanges*, vol. 1, n° 3, 1979.

BENSLIMAN - HASSAR, J. - *Aïn Karouach : un nouveau site archéologique dans le Gharb, B.A.M.*, 12, 1980.

BENTOLILA, F. / Dir. - *Proverbes berbères*, Paris, 1993.

BERGIER, P. - *Les Falconiformes marocains, statut, répartition et écologie, Annales C.E.E.P.*, n° 3, 1987.

BERNES, J.P. - ALAIN, J. - *Arts et objets du Maroc : céramique, bijoux, armes, ABC Décor*, mars 1974.

BERQUE, J. - *La criée publique à Fès, Rev. d'Econ. publique*, mai 1940.

BERRADA, T. - *Aspects de la question militaire au 19ème S., Maroc Europe*, n° 7, 1994.

BERTRAND, A. - *Tribus berbères*, Lausanne, 1977.

BESANCENOT, J. - *Bijoux arabes et berbères du Maroc*, Casablanca, 1953.

*Bijoux, E.B.*, 10.

BIREBENT, J. - *Aquae Romanae : recherche d'hydraulique romaine dans l'Est algérien*, Alger, 1962.

BLACHERE, R. - *Contribution à l'étude de la littérature proverbiale des arabes à l'époque archaïque, Arabica*, I, 1954.

BLANFORD, H.F. - *On the connection of the Himalaya Snowfall and seasons of drought in India, Proceedings Royal Society - London*, 37, 3, 1884.

BLOCK, D.P. - *Histoire et toponymie, A.E.S.C.*, Juil.-Août 1969.

BOIX, C. - *Années de disette, années d'abondance : sécheresse et pluies au Maroc, B.S.G.* (Paris), mars 1872.

BON, G. - *Tatouages berbères, Public mondial*, n° 25, 1950.

BONJEAN, P. - *Esquisse d'un portrait de la marocaine*, Casablanca, [s.d.].

BORELY, J. - *Mon plaisir au Maroc*, Paris, 1927.

BOUCHARB, A. - *Les Crypto - musulmans d'origine marocaine et la société portugaise au 16ème S.*, Th.

BOUGIS, P. - *Les Poissons marins.*

BOULARD, M. - *Les Orthoptères - Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et des Techniques, Zoologie*, Paris, 1984.

BOULNOIS, L. - *La Route de la soie*, Paris, 1963.

BOURGUIGNON, Lt. - *Reconnaissance aux Ida ou Zekri*, Arch., S.H.A., 1917.

BOURNON, J.Y. - *Le Dictionnaire des proverbes et dictons de France*, Paris, 1986.

BRADINET, P. - *Le Régime douanier du Maroc*, Th. Doct., Bordeaux, 1932.

BROSSARD, L. - *Les Fils et les tissus*, Paris, 1977.

BRUNOT, L. - *Au seuil de la vie marocaine*, Casablanca, 1950.

BRUNOT, L. - *Proverbes et dictons arabes de Rabat, Hesp.*, 8, 1928.

BRUNOT, L. - MALKA, E. - *Proverbes judéo-arabes de Fès, Hesp.*, 3ème trim., 1937.

BUFFE, Cap. - *Les Ahl Tata*, Arch. S.H.A., 1938.

BUFFE, Cap. - *Les Id ou Blal*, Arch. S.H.A., 1938.

BURCKHARDT, J.L., *Arabic proberbs*, London, 1875.

BURLET, J. - *La Laine et l'industrie lainière*, Paris, 1972.

BUTTIN, J. - *Les Poignards et les sabres marocains, Hesp.*, 26, 1936.

CABRERA, A. - *Al-Maghreb Al-Aksa*, Madrid, 1924.

CAMPS, G. - *Acridophages - E. B.*, I, 1984.

CAMPS, G. - *Recherches sur les origines des agriculteurs noirs du Sahara, R.O.M.M.*, n° 7, 1970.

CAMPS - FABER, H. - *L'Origine des fibules en Afrique du Nord, R.O.M.M.*, n° 13 - 14, 1973.

CAMPS - FABER, H. - *Problèmes posés par l'origine de l'orfèvrerie émaillée en Afrique du Nord, R.O.M.M.*, 1970.

CANGARDEL, H. - *Essais anti-acridiens, campagnes 1957 - 1958 et 1958 - 1959, Cah. Rech. Agron.*, 10, 1960.

CAPPERON, L. - *Au secours de Fès*, Paris, 1912.

CARRE, O. - *La Ligue des Etats Arabes, Revue Française des Sc. Pol.*, vol. XXI, n° 2, avril 1971.

CASTRO, R.F. De. - *El Rif : territorios de Guelaia y Quebdana*, Madrid, 1911.

CENIVAL, P. de. - *La Zaouia dite de Berada'a, Hesp.*, XV, fasc. 1, 1932.

CESAR MORAN, A. - *Visita de Marruecos, Mauritania*, 1942.

CHABERT, M. - *Situation et défense de la soirie lyonnaise, B.E.M.*, I, 1933 - 34.

CHAJAI, L. - *Langage d'artisans à Marrakech*, Doct. nouveau régime, Paris IV, 1986.

CHAMPAULT, D. - *La Main : ses figurations au Maghreb et au Levant*, Paris, 1965.

CHAMPION, M. - *La Situation des métiers et des arts indigènes*, Rabat, 1917.

CHANTREAUX, G. - *Les Tissages décorés chez les Beni Mguild, Hesp.*, 1945.

CHATELAIN, L. - *L'Histoire militaire du Maroc antique, Rev. int. hist. mil.*, 1950.

CHATIN, B. - *Les Tanneries traditionnelles de Fès*, Th. 3ème cycle, Bordeaux I, 1985.

CHAUMEIL, J. - *Histoire d'une tribu maraboutique de l'Anti-Atlas : Les Aït Abdellah ou Saïd, Hesp.*, 1er trim., 1952.

CHAUVEAU, A. - *L'Industrie du cuir au Maroc, Chimie et industrie*, 2ème trim., 1920.

CHAVAGNAC, M. - *De Fès à Oujda*, [s.l.], 1887.

CHEBEL, M. - *Le Corps dans la tradition au Maghreb*, Paris, 1984.

CHEESMAN, T.L., - *The Auxilia of the Roman Imperial Army*, Oxford, 1914.

CHENAIL, A. - *Dessins d'art marocain*, Rabat, 1930.

CHERKAOUI, T.E. - HATZFELD, D. - *Evaluation de l'aléa sismique au Maroc, 7ème congrés int. de l'AIGI*, Lisboa, 1994.

CHOTTI, Cap. - *Aït Oumribete*, Arch. S.H.A., 1950.

CHOUBERT, G. - *Histoire géologique du précambrien de l'Anti-Atlas, Notes du service géologique*, n° 162.

CHOUIKI, M. - *Settat et son rôle régional*, Th. 3ème cycle, Géo., Tours, 1989.

CHRAIBI, D. - *La Civilisation ma mère*, Paris, 1980.

CHURCHILL, C.H., - *Vie d'Abd el-Kader*, Alger, 1974.

CIASCA, R. - *Un centro marocchino del traffico genovese nel medio evo - Revista internazionale di scienze sociali*, T. XLIII, fasc. 4, 1935.

CLEMENTE, G. - *La Notitia Dignitatum*, 1968.

CLOUZOT, H. - *Les Arts du métal*, Paris, 1934.

CLOUZOT, H. - *Les Métiers manuels à Fès, Hesp.*, 1er trim., 1924.

COHEN, D. - *Le Dialecte arabe Hassaniyya*, Paris, 1963.

COLIN, G.S., *Chrestomatie marocaine*, Paris, 1955.

COLIN, G.S. - *Noms d'artisans et de commerçants à Marrakech, Hesp.*, 12, fasc. unique, 1952.

CORRIENTE, F. - BOUZINEB, H. - *Recopilacion de refranes andalusies de Alfanso Del Castillo*, Zaragoza, 1994.

CRESSIER, P. - *Prospection géophysique sur le site médiéval d'Aïn Karouach, B.A.M.*, 14, 1981.

DAKKI, M. - ARAHOU, M. - MOUNA, M. - *Les Insectes, G.E.M. Faune*, Rabat, 1987.

DAOUD Z. - *Interview avec Aherdan, Lamalif*, n° 175, mars 1986.

DARMON, J.P. - *Nympharum Domus : les pavements de la maison des nymphes à Néapolis et leur lecture*, Leiden, 1980.

DAVIES. - *Cohortes quitate, Historia*, 20, 1975.

DAVIS, S.J. - *Osmanli proverbs*, London, 1898.

DECAMPS, M. - *Contribution à la faune du Maroc - 3 : Acridoïder du Maroc saharien, Bull. Soc. Ent. France*, 75, 1970.

*Décentralisation - déconcentration, R.M.F.P.E.*, n° 8, 1992.

DELANNOY, H. - *Aspects du climat de Marrakech et de sa région, R.G.M.*, n° 20, 1971.

DELERIS, Lt. - *Les Ahl Tissint*, Arch., S.H.A., 1915.

DELPY, A. - *Notes sur le tissage dans les Zemmours, C.A.T.A.N.*, n° 3, 1954.

DERENBOURG, J et H. - *Opuscules et traités d'Abul - Walid Marwan Ibn Janah de Cordoue*, Paris, 1880.

DERINY, S.M. de. - *Marrakech et les ports du Sud*, Paris, 1918.

DESANGES, J. - *Les Territoires gétules du Juba II, R.E.A.*, 66, 1964.

DESANGES, J. - *Un Curateur de la sauterelle sur la portica de Carthage en 48 - 49 de notre ère, E.O.S.*, LXV, 1976.

DESPUJOLS, P. - *Historique des recherches géologiques au Maroc : des origines à 1930, Notes et mémoires*, n° 25, n° 37.

DEVILLETTE, J. - *La Collection de bijoux de la région de Taza au Musée de l'Homme, H.T.*, fasc. 2, 1960.

DEZ, G. - *La Grèce et l'Orient*, Paris, 1964.

DOLLFUS, H.-P. - *L'Etablissement d'un fichier ichtyologique du Maroc Atlantique de Tanger à l'embouchure de l'Oued Dra*, Rabat, 1955.

DOMENECH LA FUENTE, A. - *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942.

DRESCH, J. - *Recherches sur l'évolution du relief dans le Massif Central du Grand Atlas, le Haouz et le Sous*, Tours, 1941.

DRESCH, J. - *Systèmes d'érosion en Afrique du Nord, R.G.L.*, vol. 28, n° 3, 1953.

DUBOIS, A.L. - *A travers trois républiques*, Paris, 1972.

DUBOIS, P. - *Tableaux économiques du Maroc*, 1915 - 1959.

DUFOURCQ, Ch. - *Aperçu sur le commerce entre Gênes et le Maghrib au 13ème S.*, in *Mélanges offerts à E. Perroy*, Paris, 1973.

DUMEZIL, G. - *Encore Genius*, in *Hommages à R. Shilling*, Paris, 1938.

EANEZ DE ZURARA, G. - *Cronica da tomada de Ceuta por el Rei D. Joao I*, Lisboa, [s.d.].

ECHIGUER, M.H. - *Les Aït Yadine*, Doct. Sorbonne, Paris, 1978.

EDDIANI, A. [et al...]. - *Evaluation économique à postériori des petits barrages réalisés entre 1984 et 1986*, Rabat, 1988.

EL ALAOUI, Myl. - *Le Droit douanier au Maroc*, Casablanca, 1997.

EL- ATTAR, B. - *Les Proverbes marocains*, Casablanca, 1992.

EL- FASSI, M. - *Lettres inédites de Moulay Ismaïl, H.T.*, 1962.

ELMASTOUR, A. - *Contribution à l'étude de la biologie et du mode de vie du sanglier (Sus scrofa barbarus)*, Mém. 3ème cycle, I.A.V., Rabat, 1982.

EL MOUDDEN, A. - *Etat et société rurale à travers la harka au Maroc du 19ème S., The Maghreb Review*, 8, n° 5-6, 1983.

*Etude sur les populations habitants dans les cités construites par la Compagnie Immobilière Franco-Marocaine*, Casablanca, 1955.

EUDEL, P. - *Dictionnaire des bijoux de l'Afrique du Nord*, Paris, 1906.

EVANS - PRITCHARD, E. - *La Femme dans les sociétés primitives*, Paris, 1971.

FASSI, D. - *Les Formations superficielles du Saïs de Fès et de Meknès : du temps géologique à l'utilisation actuelle des sols*, Th. Paris I, Sorbonne, 1993.

FAUR, J. - *Caligula et la Maurétanie à la fin de Ptolomée - Klio*, 55, 1973.

FEGHALI, M. - *Proverbes et dictons syro-libanais*, Paris, 1938.

FELZ, J. - *Au Maroc inconnu*, Grenoble, 1935.

FERREY, E. - *La Réorganisation marocaine*, Paris, 1905.

FONTANES, J. - *Histoire des métiers d'art*, Paris, 1950.

FOSSET, R. - *Pression démographique et système de culture dans les plaines atlantiques*, in *G.E.M. : géographie humaine*, Rabat, 1987.

FOSSET, R. - *Quelques aspects de la vie rurale dans l'arrière pays de Mohammédia, R.G.M.*, n° 13, 1968.

FOUCHER, L. - *Inventaire des mosaïques, feuille 57,* in *Atlas archéologique de Sousse.*

FOWLER, H.W. - *The Marine fisher of West Africa, Bull. Am. Mus. Hist.*, vol. LXX, fasc. 1, 1936.

FRANCESCI, A. - *Costumes et bijoux au Maroc, L'Oeil*, n° 294-295, Janv. - Fév. 1980.

FROMENTIN, E. - *Un été dans le Sahara*, Paris, 1952.

GABUS, J. - *Sahara : bijoux et techniques,* Neuchâtel, 1982.

GALLOTI, J. - *Le Lanternon du Minaret de la Koutobia de Marrakech, Hesp.*, II, 1er trim., 1923.

GALLOTI, J. - *Les Métiers d'art au Maroc, F.M.*, n° 4.

GARCIA DE RESENDE. - *Cronica de Dom Joao II e Miscelania*, Lisboa, 1973.

GARCIA PEREZ, A. - *Isla del Perejil*, Madrid, 1906.

GASCON, Cap. - *Les Aït Ouadrim*, Arch. S.H.A., 1916.

GASCON, Cap. - *Etude sur les leffs Tahouggat et Igouzoulen dans les tribus de l'annexe des Aït Baha*, Arch. S.H.A., 1946.

GASCOU, J. - *Marius et les Gétules, M.E.F.R.*, 61, 1969.

GAUD - HENDLER. - *La Rougeole au Maroc, B.I.H.M.*, n° 3-4, 1950.

GAYOT, H. - *La Broderie de Fès*, Rabat, 1959.

GAYOT, H. - *Le Décor floral dans l'art de l'Islam occidental*, Rabat, 1955.

GAYOT, R. [et al...]. - *Les Cordonniers de Fès, Hesp.*, 23, 1936.

GENDRE, F. - *Voyageurs et géographe, pionniers inconnus ou oubliés de la France au Maroc, R.G.M.*, 1946.

GHALI, B.B. - *La Crise de la Ligue Arabe, Ann. Fr. Dr. Int.*, 1968.

GIRAUD, J.B. - *Les Origines de la soie*, Lyon, 1989.

GODBARGE, H. - *Deux corporations berbères à Fès, B.E.S.M.*, 10, 1948.

GOLVIN, L. - *Aspects de l'artisanat en Afrique du Nord*, Paris, 1957.

GOLVIN, L. - *Le Métier à la tire des fabricants de brocart de Fès, Hesp.*, 37, 1er - 2ème trim., 1950.

GOMAA AHMED. - *The Foundation of the League of Arab States*, London, 1977.

GONTHIER, J. - *La Soierie de Lyon*, Paris, 1978.

GOUDARD, J. - *Bijoux d'argent de la tâche de Taza, Hesp.*, 8, 1928.

GRAND, R. - *L'Agriculture à travers les âges*, Paris, 1950.

GROHMAN, A. - *Tiraz, E.I.*, T. 4.

GSELL, S. - *Vieilles exploitations minières dans l'Afrique du Nord, Hesp.*, 1928.

GUENNOUN, S. - *La Montagne berbère : les Aït Oumalou et le pays Zaïan*, Paris, 1929.

GUIZOT, F. - *Mémoire pour servir à l'histoire de mon temps*, Paris, 1858 - 1867, 8 vol.

HAJJI, M. - *Les Droits de douane au Maroc*, Thèse, Paris, 1981.

HAKIMI, R. - *La Ville de Berrechid dans l'espace casablancais*, Th. 3ème cycle, Géo, Tours, 1984.

HARAKAT, M. - *L'Audit dans le secteur public au Maroc*, Rabat, 1994.

HARAKAT, M. - *Le Droit de contrôle supérieur des finances publiques au Maroc*, Rabat, 1992.

HARDY, A. - *Les Babouchiers de Salé, B.E.M.*, 5, 1938.

*Harir, E.I.*, T. 3.

HART, D.M. - *Les Institutions des Aït Morhrad et Aït Haddidou, B.E.S.M.*, 1978.

HASTENRATH, S. - HELLER, L. - *Dynamics of climatic hazards on North Est Brazil, Quaterly Journal of the Royal Meteorological Society*, 103, 1977.

HERBER, J. - *La Boucle d'oreille et les lobes percés chez les marocaines, Hesp.*, 32, 1945.

HERBER, J. - *Influence de la bijouterie soudanaise sur la bijouterie marocaine, Hesp.*, 37, 2ème trim., 1950.

HERBER, J. - *La Main de Fathma, Hesp.*, 1927.

HEUSCH, B. - *L'Economie dans le Prérif : une étude quantitative de l'érosion hydrique dans les collines marneuse du Prérif occidental, Ann. Rech. Forest., Maroc*, n° 12, 1970.

HEUSCH, B. - *L'Erosion hydraulique au Maroc : son calcul et son contrôle, Al Awamia*, n° 36, 1970.

HOSNI, M. - *La Répression des fraudes commerciales en droit marocain*, Thèse, Paris X, 1985.

HUMBERTO, F. - *Cornacero Henares, Alcazarquivir, 1950*, Tetuan, 1953.

HUVELIN, P. - *Mouvements pré-atlasiques et récents dans les Jbilets et sur leur pourtour, Notes et Mémoires du Service Géol.*, Maroc, 249, 1973.

*L'Industrie marocaine des peaux, B.I.D.M.*, Juil. 1942.

JACOB, A. - *Arts et objets du Maroc, A.B.C. Décor*, 1974.

JACQUET, P. - *Le Maroc de notre jeunesse*, Montpellier, 1987.

JEHEL, G. - *Gênes et le Maghreb au Moyen Age, Studi Maghrebini*, XXII, 1990.

JEHEL, G. - *Les Génois en Méditerranée occidentale, fin 11ème - début 14ème siècle*, Paris, 1993.

JOHNSTON, R.L.K.N. - *The Songs of Sidi Hammou*, London, 1907.

JOLY, A. - *L'Industrie à Tétouan, A.M.*, 15, 1909.

JOUDAMY, K. - *Périphérie Nord -Est de Casablanca : étude géographique*, Th. 3ème cycle, Géogr., Bordeaux III, 2vol.

JULIEN, C.A. - *Histoire de l'Afrique blanche*, Paris, 1966.

JULIEN, C.A. - *Histoire de l'expansion et de la colonisation française : les voyages de découverte et les premiers établissements XV - XVIème S*, Paris, 1948.

JULIEN, C.A. - *Histoire de l'Océanie*, Paris, 1942.

JULIENNE, M. - *En dissidence*, Paris, 1933.

JUSTINARD, L. - *Poèmes chleuhs recueillis au Sous, R.M.M.*, 2ème trim. 1925.

KADDACHE, M. - *L'Algérie dans l'antiquité*, Alger, 1972.

KENBIB, M. - *Protection, protectorat et nationalisme, 1904 - 1938, H.T.*, 1978 - 1979.

KERR MALCOM, H. - *The Arab Gold War : Gamal Abd Al-Nasir and his rivals, 1958 - 1970*, London, 1971.

KHALLOUK TEMSAMANI, A. - *Pays Jbala : Makhzen, Espagne et Ahmed Raissouni*, Tanger, 1996.

KHATIB BOUJIBAR, N. - *Bijoux et parure du Maroc*, Casablanca, 1974.

KILITO, A. - *Architecture et sacré : une saison au hamam*, in *Le Maroc : espace et société*, Passau, 1990.

KOCHER, L. - *Présentation d'un ver luisant recemment découvert au Maroc, C.R. Soc. Sc. Nat. Maroc*, 31.

KRUEGER, H.C. - *Genove trade with North Africa, Speculum*, VIII, 1933.

LABRUSSE, C. - *Mariage, Encyclopoedia Universalis*, vol. 10, 1962.

LACROIX, F. - *Procédés agricoles, R.A.*, 1870.

LACROIX, M. - *Notes sur les produits tinctoriaux, C.A.T.A.N.*, n° 5, 1959.

LAJUGIE, J. [et al...]. - *Espace régional et aménagement du territoire*, Paris, 1985.

LAKHLIFI, N. - *L'Artisanat de production à Meknès*, Th. 3ème cycle, Toulouse, 1985.

LAMAZIERE, A. - *Le Maroc secret*, Paris, 1952.

LAMB, P.J. - PEPPLER, R.A. - *North Atlantic oscillation, concept and an application, Bull. Am. Meteo. Society*, 68, n° 10, 1987.

LAMDOUAR BOUAZZAOUI, N. - *Maladies infectieuses du nouveau né, du nourrisson et de l'enfant*, Rabat, 1989.

LAMOUROUX, M. - *Etude de sols formés sur roches calcaires : pédogenèse fersiallitique au Liban*, Th. Strasbourg, 1972.

LANDAU, R. - *The Beauty of Morocco*, London, 1951.

LAPANNE - JOINVILLE, J. - *Les Métiers à tisser de Fès, Hesp.*, T. 27, 1940.

LA PORTE DE VAUX, A. de. - *Notes sur le peuplement juif du Sous, BESM*, XV, n° 54, 1952.

LA PUENTE, C. de. - *La Familia de Abu Ishaq Ibn Al-Hajj De Velefique : estudios onomastico - biograficos de Al-Andalus*, Madrid, 1992.

LAUREL, A. M. - MARÇAIS, P. - *Les Coiffures à Tindouf, Travaux de l'Inst. Rech. Sah.*, n° 12, 1954.

LEGLAY, M. - *Le Culte du serpent dans les cultes africains*, in *Hommages à W. Deonna*, Paris, 1957.

LEMOINE, P. - *Mission dans le Maroc occidental*, Paris, 1905.

LENS, A.R. De. - *Pratiques des harems marocains*, Paris, 1925.

LEVI-PROVENÇAL, E. - *Conférences sur l'Espagne musulmane*, Le Caire, 1951.

LEWICKI, T. - *Banu Ifren, E.I.*, Nlle éd., T. 3, 1971.

L'HERITIER, G. - *Observation sur le comportement de Pelania mauritanica L. (Col. Lampyridae), Bull. Soc. Sc. Nat: Phys. Maroc*, 35, 3.

*Livre d'or du Maroc*, Paris, 1934.

LOMBARD, M. - *Les Textiles dans le monde musulman*, Paris, 1978.

LOPES, D. - *Os Portugueses en Marrocos*, in *Historia de Portugal* / Dir. D. Pires, Parcelos, 1931.

LOPES, F. - *Cronica del Rei Dom Joao I da boa memoria*, Lisboa, 1973.

LOPEZ, E. - *Yabala*, Madrid, 1947.

LOPEZ, R. - *Studi sull economia genovese nel medio evo - I Genevesi in Africa occidentale*, Turin, 1936.

LOUIS, A. - *Le Hamam au Maghreb, E.I.*, Tome 3.

LYNEBORG, L. - *Mammifères d'Europe*, Paris, 1972.

MADRAS, D. - *Au Sud de l'Atlas*, Casablanca, 1950.

MANNEVILLE, R. - *L'Expérience Castor aux carrières centrales de Casablanca, Notes marocaines*, n° 7, 1956.

MANZANO RODRIGUEZ, M.A. - *La Intervencion de los Benimerines en la Peninsula Ibérica*, Madrid, 1992.

MARÇAIS, G. - *Le Costume musulman d'Alger*, Alger, 1930.

MARÇAIS, W. - *Djellab, E.I.*, 1ère éd., Tome 1, 1913.

MASCARELLO, A. - *Quelques aspects des activités italiennes dans le Maghreb médiéval, R.H.C.M.*, n° 5, 1968.

MASSONNAUD, A. - *L'Evolution des corporations depuis notre installation au Maroc, B.E.S.M.*, 4, 1937.

MAUSS, M. - *Manuel d'ethnographie*, Paris, 1967.

MAZUDE, C. - *La Guerre du Maroc, R.D.M.*, 1860.

MENSIA, M. - *Essai sur la bijouterie arabe*, Th. 3ème cycle, Paris, 1976.

MERCIER, H. - *L'Arabe par l'image : textes ethnographiques*, Rabat, 1946.

MESSAOUDI, L. et M. - *L'Art de vivre marocain*, Paris, 1981.

MICHAUX - BELLAIRE, E. - *Le Gza et la Guelsa, R.M.M.*, 1911.

MICHAUX - BELLAIRE, E. - *L'Impôt de la naïba et la loi musulmane au Maroc, R.M.M.*, VII - VIII, 1910.

MICHAUX - BELLAIRE, E. - SALMON, G. - *El-Qçar El-Kebir : une ville de province au Maroc septentional, A.M.*, 1904.

MILLES - LACROIS, A. - *La Lutte contre l'érosion dans le domaine rifain, Mines et Géologie*, n° 23, 1965.

MILLOT, G. [et al...]. - *L'Epigénie calcaire des roches silicatées dans les encroutements carbonatés en pays subaride, Anti Atlas, Maroc, Sc. Géol. Bull*, 30, 3.

MINISTERE DE LA SANTE PUBLIQUE. Direction de l'Epidémiologie et.des programmes sanitaires. - *Guide Lepre*, Rabat, 1993.

*Monographie de la ville d'El Hajeb, Bull. Econ. Soc. Province d'El Hajeb*, 1994.

*Monographie de la Province de Figuig*, Figuig, 1993.

MONTAGNE, R. - *Où en est l'évolution sociale du Maroc, A.A*, n° 9, 1er trim., 1950.

MONTAGNE, R. - *Un essai de régionalisation au Maroc*, C.H.E.A.M.

MONTALEMBERT, A. de. - *En colonne chez les Zaers, A.F.*, 1911.

MONTLAHUC, Y. - *Les Oudaïas bastion des corsaires de Salé*, Casablanca, 1980.

MONTMARIN, A. de. - *Les Nouvelles solutions en matière d'habitat, leur application au Derb Jdid, BESM*, n° 80.

MOUREAU, Cap. - *Les Sociétés des Oasis : une race, les Harratin*, Arch. S.H.A., 1955.

MOZERE, L. - *Le Printemps des crêches : histoire et analyse d'un mouvement*, Paris, 1992.

MUZI, J. - *Le Corps orné, le corps masqué*, Paris, 1978.

NAVARRO AL BARRACIN. - *El Hayk en la zona atlantia del Marruecos español, Tamuda*, 2, 1954.

NOGUES, G. - *Artisan et métiers marocains*, Casablanca, 1941.

NORMAN, C. - *Une lettre inédite de Moulay Ismaïl aux gens de Fès, H.T.*, XV, 1974.

OLIVEIRA MARQUES, A. H. - *Joao I*, in *Dicionario da Historia de Portugal*, vol. 3, Porto.

OSSENDOWSKI, F.A. - *Le Maroc en flamme*, Paris, 1927.

OTHMANI, M. [et al...]. - *Tizerzaï : la fibule au Maroc*, Milan, 1987.

OUACHI, M. - *La Maurétanie Tingitane, Mémorial du Maroc*, I, 1983.

OUACHI, M. - *Les Rapports militaires, Memorial du Maroc*, III, 1983.

OWODENKO, B. - *Le Bassin houiller du Jerada, Notes et Mém. Serv. Geol. Maroc*, n° 207, 1976.

PARENT, Cap. - *Confédération des Ammeln*, Arch. S.H.A., 1953.

PASCON, P. - *Segmentation, stratification dans la société rurale marocaine, B.E.S.M.*, n° 138 - 139, 1979.

PAUSSET, E. - *Histoire de la soie*, Paris, 1985.

PAUTY, E. - *Les Hamams de Rabat-Salé, R.A.*, 1944.

PEGOLOTTI, B. - *La Pratia della meratura, Cambridge* (Mass.), 1936.

PEGURIER, J. - *Espaces urbains en formation dans le Tensift*, Rabat, 1981.

PEGURIER, J. - *L'Intégration urbaine dans le Sud-Ouest marocain, BESM*, n° 131 - 132, 1976.

PERIGNY, M. de. - *Fès, capitale du nord*, Paris, 1917.

PFISTER, R. - *Les Premières soies sassanides, Etudes d'orientalisme*, vol. 2, 1932.

PHILIPPONEAU, M. - *Décentralisation et régionalisation*, Paris, 1981.

PICARD, G.C. - *Authenticité du périple d'Hannon, C.T.*, 25ème année.

PILLANT, M. - *Notes contributives à l'étude de la confédération Zaïan, A.B.*, T. V, 1919- 1920.

PIQUE, A. - *Géologie du Maroc : les domaines régionaux et leur évolution structurale*, Rabat, 1994.

PLAISANCE, E. - *L'Ecole maternelle aujourd'hui*, Paris, 1977.

*Les Psychologues et la psychologie dans les institutions de l'enfance, Psychologie scolaire*, 12, n° 12, 1982.

RABATE, M. R. - *Les Bijoux de l'Atlas et du sud marocain*, Th. 3ème cycle, Paris 5, 1972.

RAGOUG, A. - *Quelque réflexion au sujet de la sita, Al-Bayan*, 10 - 2 -1992.

RAMDANI, M. - TOURENQ, J.N. - *Notes sur les chironomides de la merja Sidi Boughaba, Bull. Inst. Sc.*, 6, 1982.

RENOU, A. - *Le Mouton*, Paris, [s.d.].

*Les Ressources naturelles et la mise en valeur actuelle de la plaine du Haouz, R.G.M.*, n° 17, 1970.

REURE, Cap. de. - *Les Ahl Aglou*, Arch. S.H.A., 1938.

REVAULT, J. - *Le Tissage et le tatouage dans le Moyen Atlas*, Fès, 1933.

RICARD, P. - *Arts et industries indigènes du Nord de l'Afrique*, Fès, 1918.

RICARD, P. - *Les Arts marocains et leurs rénovations*, Bordeaux, 1930.

RICARD, P. - *Le Batik berbère, Hesp.*, 5, 4ème trim., 1925.

RICARD, P. - *L'Industrie indigène au Maroc, B.E.M.*, 1933.

RICARD, P. - *Recherche sur le vocabulaire du vêtement hispano-mauresque, Bull. Hispanique*, 1951.

RICARD, P. - *Une lignée d'artisans : les Ben Chérif de Fès, Hesp.*, T. 37, 1950.

RICARD, R. - *Notes sur la tactique militaire dans les places portugaises du Maroc, Bulletin Hispanique*, XXXV, 1933.

RICARD, R. - *Le Problème de l'occupation restreinte dans l'Afrique du Nord, A.E.S.*, 1936.

RIERA, A. - *España en Marruecos : cronica de la campaña de 1909*, Buenos Aires, 1910.

*Rif et Jbala, B.E.P.M.*, n° 71, 1926.

ROGERS, J.L. - *The Association between the North Atlantic oscillation and the Southern oscillation on the Northern. Hemisphere, Month Wea. Rev.*, 112, 1982.

ROMAN, J. - *Fragmentos sobre Al-Hocemas*, Melilla, 1994.

ROMANELLI, P. - *Topographia e archeologia dell' Africa Romana*, 1970.

ROSENDE - CASAS, J. - *El cultivo del gusano de seda en Marruecos, Mauritania*, n° 198, 1 mayo 1944.

ROUACH, D. - *Bijoux berbères au Maroc*, Paris, 1989.

ROUSSET, M. - *Politique administrative et contrôle social*, in *Le Maroc actuel*, Paris, 1992.

ROUX, A. - *Quelques documents manuscrits sur les campagnes de Moulay El Hassan, Hesp.*, fasc. 1, 1936.

ROXAN, M.M. - *The Auxilia or Mauretania Tingitane, Latomus*, XXXIII, 1973.

RUHLMAN, A. - *A propos d'une plaquette de caractère militaire trouvée à Thamuda, PSAM*, I, 1935.

RUHL MANN, A. - *Moules à bijoux d'origine musulmane, Hesp.*, 21, 1935.

RUI DE PINA. - *Chronica del Rey Don Joao II*, in *Cronicas de Rui de Pina*, Porto, 1977.

SABA, K.S., [et al...]. - *Malafies et ravageurs des plantes cultivées au Maroc*, Rabat, 1976.

*Safi et sa région*, Casablanca, 1951.

SALMON, G. - *Le Droit d'asile des canons, A.M.*, vol. 3, 1905.

SAUMAGNE, C. - *Les Piscines romaines de Capsa, R.T.*, 15, 16, 1933.

SAVAIN, Capit. - *Tribu des Beni M'tir*, Serv. Hist. Arm. Terre, Février 1928.

SAVINE, A. - *Le Maroc il y a cent ans*, Paris, [s.d.].

SECRET, E. - *Les Hamams de Fès, B.I.H.M.*, 2, 1942.

SEFRIOUI, A. - *Le Costume citadin, G.E.M.*, vol. 2, 1987.

SEFRIOUI, A. - *Le Cuir, G.E.M.*, vol. 2.

SEFRIOUI, A. - *La Sellerie, G.E.M.*, 2, 1987.

SEGUY, R. - *Quelques experts de Fès*, in *La Renaissance du Maroc : dix ans de protectorat*, Rabat, 1922.

SERRAO, J.V. - *Joao II*, in *Dicionario da Historia de Portugal*, vol. 3.

SETHOM, S. - *Une paire de fibule marocaine. Cahiers des Arts et Traditions Populaire*, n° 4, 1971.

SICAULT, G. - *Epidémiologie de la variole au Maroc, Bull. Inst. Hyg. Maroc*, Nelle série, T. II, 1942.

SIERRA ARTES, A. - *Recuerdos de la guerra del Rif, 1911 - 1912*, Barcelona, 1914.

SIMONPOLI, J.F. - *La Conversation enfantine*, Paris, 1991.

SOUVILLE, G. - *Petits bronzes de Jupiter et de Vénus trouvés en Maurétanie Tingitane, Hesp.*, 1957.

SPILMANN, G. - *Les Pays inaccessibles du Haut Draa, R.G.M.*, n° 2, 1929.

STUMME, H. - *Dichtkinnst und Gedichte der Shluch*, Leipzig, 1895.

SUETONE, *Vie des douze Césars*, Paris, 1922, 3 vol.

SUTER, G. - *Carte géologique du Rif au 1/500.000, Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, 1965.

TACITE. - *Annales*, Paris, 1965.

*Tanger 1800 - 1956 : contribution à l'histoire récente du Maroc*, Rabat, 1991.

TAUXIER. - *Les Deux rédacteurs du périple d'Hannon, R.A.*, 1882.

TENESE, M.L. - *Introduction à l'étude de la littérature orale, A.E.S.C.*, n° 5, Sept. - Oct. 1969.

TERRASSE, H. - *Notes sur l'origine des bijoux du sud marocain, Hesp.*, 11, 1930.

THARAUD, J. et J. - *Les Seigneurs de l'Atlas*, Paris, 1918.

THAUVIN, J.P. - *Ressources en eau du Maroc : domaine du Rif et du Maroc oriental*, Rabat, 1971.

THEWYS, G. - *Essais d'utilisation du DDVPC 2 : 2 (Dichlorovinyl - phosphate) en lutte antiacridrenne, campagne 1968 - 1969, Al Awamia*, 1970.

THODEN, R. - *Abû l-Hassan 'Ali : merinidenpolitik zwischen Nord-afrika und Spanien in den Jahren 710 - 752 H - 1310 - 1351*, Freiburg, 1973.

TRABUT, L. - *Etude de l'halfa*, Paris, 1889.

TREMEAU, H. - *Le Droit douanier*, Paris, 1988.

TRIKI, H. - *Abdelmalek As-Saadi*, in *Le Mémorial du Maroc*, vol. 3.

TRIKI, H. - DOVIFAT, A. - *Médersa de Marrakech*, Paris, 1990.

TROIN, J.F. - *Montagnes et ville dans le Nord - ouest du Maroc, R.O.M.M.*, n° 41 - 42, 1986.

TROTTES, P. - *Our mission to the Court of Morocco in 1880*, Edinburg, 1881.

TUCCI, R. Di. - *Documenti inediti sulla spedizione e sulta Mahona der Genovesi a Ceuta*, Gênes, 1935.

VANACHER, C. - *Géographie économique de l'Afrique du Nord, Annales*, Mai-Juin 1973.

VATTIER, J. - *Au Maroc utile, B.G.M.*, 3, 1923.

VIGEL, L. - *Soieries marocaines : les ceinture de Fès*, Paris, 1913.

VIGY, P. de. - *Notes sur quelques armes du musée de Dar Batha à Fès, Hesp.*, 2ème trim., 1923.

VIGY, P. de. - *Les Sabres marocains, Hesp.*, 1er trim. 1924.

VIGNET - ZUNZ, J. - *Djebala, E. B.*, XVI, 1995.

VINOGRADOV, A.R. - *The Aït Madir of Morocco : A Study of the social transformation of a Berber tribe*, Ann.-Arbor, 1974.

WALKER, G.I. - *World weather, Quaterly Journal of the Roy, Meteo. Society*, 1928.

WALKER, G. T. [et al...]. - *World Weather, Mem. Roy. Meteo. Soc.*, 1932.

WEYRE, G. - *Au Maroc : dans l'intimité du Sultan*, 1950.

WILDI, W. - *La Chaîne tello - rifaine : structure, stratégie et évolution du trias au miocene, Rev. Géol. Dyn. Géogr. Phys.*, vol. 24, n° 3, 1983.

WITTE, C.M. - *Une lettre inédite du Roi Jean II au Pape Innocent VIII sur l'affaire de Graciosa, Studia*, 1958.

XIN, J. - *Notes sur le souk el Attarine, La vie tunisienne illustrée*, n° 17, 1924.

XIN, J. - *Notes sur les parfums orientaux, La vie tunisienne illustrée*, n° 16, 1924.

YVER, G. - *Correspondance du Capitaine Daumas, consul à Mascara*, Alger, 1912.

YVERT, B. - *Dictionnaire des Ministres, 1789 - 1989*, Paris, 1990.

ZEIGLER, D.J. - FASSI, D. - *Rediscovering : the roots of moroccan geography in era of interdependence. The Geographical Bulletin*, 1966.

# Liste des principales abréviations des périodiques

**A.A :** *L'Afrique et l'Asie.*
**A.A.N :** *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
**Acad. Sc. Col. :** *Académie des Sciences Coloniales.*
**A.E.S.C :** *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
**A.F :** *Afrique Française.*
**A.F : R.C :** *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
**A.I.E.A :** *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
**A.I.E.O :** *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
**A.M :** *Archives Marocaines.*
**A.M.S :** *Archives Marocaines de Sociologie.*
**And. :** *Al-Andalus*
**Ann. Rech. Forest. Maroc :** *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
**Ant. Afr. :** *Antiquités Africaines.*
**B.A.M :** *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
**B.A.R :** *British Archeological Reports.*
**B.C.T.H :** *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
**B.E.P.M :** *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
**B.E.S.M :** *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
**B.G.M :** *Bulletin de Géographie du Maroc.*
**B.I.D.M :** *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*
**B.I.F.A.N :** *Bulletin de L'Institut Français d'Afrique Noire.*
**B.M.S.A.P :** *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
**B.L.O.A.B :** *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
**B.L.S :** *Bulletin de Liaison Saharienne.*
**B.S.G :** *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
**B.S.G.A :** *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
**B.S.G.A.O :** *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
**B.S.H.M :** *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
**B.S.O.A.S :** *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
**B.S.P.M :** *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
**Bull. Archéol. :** *Bulletin Archéologique.*
**C.A.A :** *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
**Cah. Rech. Agron. :** *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
**C.A.T.A.N :** *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
**C.B.E.T :** *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
**C.C.E.J :** *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
**C.E.A :** *Cuadernos de Estudios Africanos.*
**C.H.I :** *Cuadernos de Historia del Islam.*
**C. Méd. :** *Cahiers de la Méditerranée.*
**C.R.A.I.B.L :** *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**C.R.A.S :** *Comptes Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
**C.T :** *Cahiers de Tunisie.*
**E.B :** *Encyclopédie Berbère.*

**E.I.1 :** *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
**E.I.2 :** *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
**E.T.A.M :** *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
**Et. Medit. :** *Etudes Méditerranéennes.*
**F.M :** *France - Maroc.*
**F.S.S.A.N :** *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
**G.E.M :** *Grande Encyclopédie du Maroc.*
**Hesp :** *Hespéris.*
**H-T :** *Hespéris-Tamuda.*
**H.T.E :** *Hommes, Terre et Eaux.*
**I.G :** *Information Géographique.*
**I.H.E.M :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**I.H.E.M : N-D :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. :** *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
**I.S.C :** *Institut Scientifique Chérifien.*
**Isl. Cult. :** *Islamic Culture.*
**I.S.P.M :** *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
**J.H.S.N :** *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
**M.A.I.B.L :** *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**Medit :** *Méditerranée.*
**M.E.F.R :** *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
**N.A.M.S.L :** *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
**P.I.H.E.M :** *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**P.S.A.M :** *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
**P.S.H.M :** *Publications de la Section Historique du Maroc.*
**R.A :** *Revue Africaine.*
**R.A.P :** *Revue de l'Action Populaire.*
**R.C.C :** *Revue de la Chambre de Commerce.*
**R.D.M :** *Revue des Deux Mondes.*
**R.E.A :** *Revue des Etudes Anciennes.*
**R.E.I :** *Revue des Etudes Islamiques.*
**R.E.L :** *Revue des Etudes Latines.*
**R.G.L :** *Revue de Géographie de Lyon.*
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. :** *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
**R.G.M :** *Revue de Géographie du Maroc.*
**R.H.C.M :** *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
**R.H.E :** *Revue d'Histoire Economique.*
**R.H.M.C :** *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
**R.M.D.E.D :** *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
**R.M.E :** *Revue Maroc-Europe.*
**R.M.F :** *Revue Militaire Française.*
**R.M.F.P.E :** *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
**R.M.M :** *Revue du Monde Musulman.*
**R.P.P :** *Revue Politique et Parlementaire.*
**Rev. Inst. Hist. Mil. :** *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
**S.G.L :** *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
**S.I :** *Studia Islamica.*
**S.I.H.M :** *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. :** *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

**الثغراوي**، عليّ بن الفقيه الحسناوي السلاوي، وأكثر ما كان يدعى بعلال. ينتسب إلى الثّواغر، أكبر فصائل أولاد سگير، الذين يُكوِّنون أحد شقي قبيلة بني حسن العربية القاطنة في سهول الغرب بين مدينتي سلا والقصر الكبير.

اشتهر والد علال بين قومه بلقب الفقيه حتى عفّى على اسمه، وكانت والدته أيضاً فقيهة. أخبر الشيخ علال الثغراوي والدي - رحمهما الله - أنه قرأ *الأجرومية* و*المرشد المعين* على والدته. ولا يُعرف من شيوخه غير والديه، لكنه قرأ - ولاشك - على علماء عصره في فاس والعدوتين وهم متوافرون آنذاك. وقد أصهر علال الثغراوي إلى آل الكدّاري الحسناويين الذين توارثوا القيادة والثروة والجاه في قبيلتهم. وكانت لهم عقارات كثيرة بمدينة سلا، سكن الشيخ علال الثغراوي في دار منها بحي رأس الشجرة. وكان ملحوظاً من طرف سكان المدينة وعاملها العالم الحاج محمد الصبيحي، وأديا معاً فريضة الحج عام 1334 / 1916 في جماعة وافرة من أعيان السلويين وغيرهم.

كان علال الثغراوي موسراً منقطعاً للتدريس والإفتاء، يلقي دروساً متنوعة بمختلف مساجد مدينة سلا، وبخاصة الزاوية التجانية التي يعدّ من أعيانها وفضلائها، وأكثر دروسه في الفقه، ومختصر الشيخ خليل بصفة خاصة. كان يحفظ هذا *المختصر* ويستظهر ما قاله شراحه ومُحشُّوه، ويضرب - كما يقولون - أوّله بآخره وآخره بأوّله. وكان يحضر المجالس العلمية التي تعقد بحضرة السلطان المولى يوسف إلى جانب صديقه الشيخ شعيب الدكالي. فكان لهما - نظراً لرسوخ معلوماتهما وقوة استحضارهما - الظهور البيِّن في هذه المجالس التي تضمّ علية المحدّثين والفقهاء.

كانت فتاوى الشيخ علال الثغراوي في غاية الضبط والتحرير إلا أن معظمها ضاع، والفتوى التي ننشرها هنا بخطه في موضوع نزاع حول غبن في قسمة إراثة بين بعض أعيان الرباط وإن كانت غير مؤرخة فإنها تحيل على رسم مثبت حولها مؤرخ في سابع عشر حجة الحرام متم عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف.

تولى علال الثغراوي قضاء مدينة سلا بعد أن أخر عنه الحاج علي عواد عام 1333 / 1915 واستمر في هذه الخطة إلى أن استعفى منها في 29 جمادى الثانية عام 1335 / 22 أبريل 1917 فخلفه القاضي عبد القادر التهامي سابق الترجمة.

ذكر لي سيدي الوالد - وكان من أخلص أصحاب الشيخ الثغراوي وأحبائه وجلسائه - أن الإقبال على دروس الشيخ الثغراوي الفقهية فيَ الزاوية التجانية كان عظيماً لبساطة أسلوبه ووضوح تفسيره ومزجه بين الفصحى ولهجته العامية البدوية، ولحسن تمثيله واستطراده الذي يُضفي على المجلس البهجة والانشراح. وأن أحكامه - يوم كان قاضياً - سريعة ومنصفة، فكان مجلسه في المحكمة خالياً من المتقاضين في أغلب الأحيان، وله في مخاطبة المُلدِّين في الخصام من الرجال والنساء حكايات طريفة بلسانه البدوي المليح.

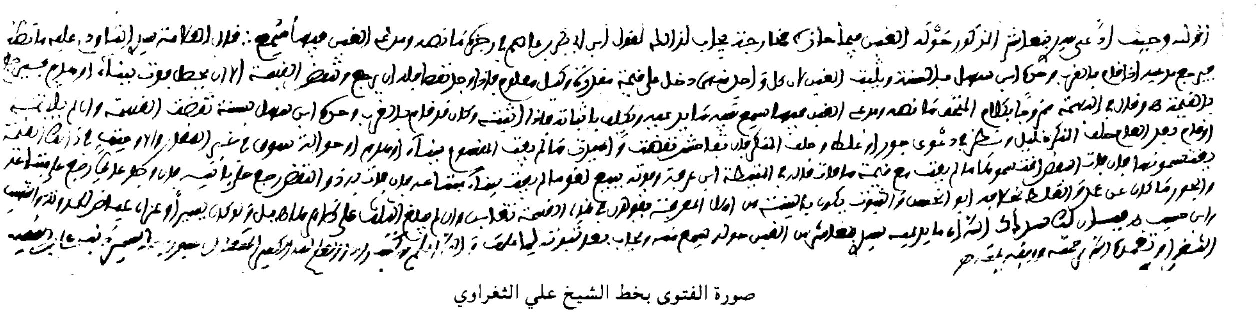

صورة الفتوى بخط الشيخ علي الثغراوي

توفي بسلا ليلة الثلاثاء 28 شوال عام 1344 / 11 ماي 1926 وكانت جنازته حافلة شارك فيها علماء العدوتين وعامة سكان المدينة وخاصتها. ومما قاله الشيخ شعيب الدكالي في كلمة تأبينه : "إننا لا ندفن اليوم الفقيه علال الثغراوي ولكننا ندفن الشيخ خليل ومختصره".

جعفر الناصري، *قضاة سلا*، مخطوط خ. ص ؛ أ. الصبيحي، *الرحلة الحجازية*، مخطوط خ. ص ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 258 ـ 559 ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 275 ؛ *قبيلة بني حسن، مخطوط* ؛ *رواية شفوية*.

محمد حجي

**الثغور المحتلة**، استطاع الإسبان والبرتغاليون، خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16 م) أن يحتلوا عدداً من الثغور المغربية. ولم تتداخل مكتسباتهم لخضوع الغزو لاتفاق مسبق بين الطرفين تمخض عن عدة معاهدات تمت تحت إشراف البابوية بعد مفاوضات حادة وتنافس كبير. وهكذا عاد للإسبان، الذين كان اهتمامهم بالمغربين الأوسط والأدنى أكبر نصيب من المراكز الموجودة شرق مدينة بادس، وعاد للبرتغال الذي كان منهمكاً في عملياته الاستكشافية وفي البحث عن طريق بحري إلى الهند، ما بغربها.

وخضع الغزو المذكور لاعتبارات ثلاثة : موقع المدينة المهاجمة، وتاريخ الهجوم، والفئات الاجتماعية المشرفة عليه والمخططة له.

وعموماً كانت الدوافع الإستراتيجية المرتبطة بالرغبة في القضاء على الجهاد البحري الذي تقوّى بوصول الأندلسيين والأتراك إلى سواحل المغرب العربي، عاملاً حاسماً في اختيار الإسبان للمواقع المهاجَمة وفي التمسك بها. وهكذا احتلوا مليلة سنة 903 / 1497، ثم غساسة سنة 912 / 1506، وحجرة بادس سنة 915 / 1508. واقتصرت مكتسبات الإسبان بالمغرب على الثغور المذكورة دون أن يتمكنوا من التوسع داخل التراب المغربي، كما لم تتحقق رغبتهم في احتلال تطوان التي ضايقهم جهادها البحري، لمعارضة البرتغال لذلك.

مر الغزو البرتغالي بمرحلتين مختلفتين في الزمان والمكان، وفي الوسائل المسخرة له، وكذا في الغايات المتوخاة منهما. وقد طغت الاعتبارات الإستراتيجية (الرغبة في القضاء على الجهاد البحري ومنع سقوط الثغور المغربية في أيدي العثمانيين) على المرحلة الشمالية التي همت سبتة عام 818 / 1415 والقصر الصغير عام 862 / 1458 وأصيلا وطنجة عام 875 / 1471. وسيطرت العوامل التجارية (المرتبطة بتجارة غرب أفريقيا وبحاجة البرتغال إلى المواد الفلاحية المغربية) على تعامل البرتغاليين مع السهول الغربية. (راجع مادة البرتغال *بالمعلمة*).

ونتج عن احتلال الثغور المغربية إخلاؤها من لدن سكانها الأصليين، واقتصار ساكنتها على البرتغاليين وبعض المرتزقة الإسبان، وعلى جالية يهودية كانت مهمة وذات نفوذ سياسي ومالي في بعض الثغور كأسفي وأزمور. فقد غادر كل سكان أزمور المدينة قبل دخول البرتغاليين إليها، واستقر بعضهم بسلا أو بفاس. وهكذا كان بالمدينة خلال ربيع 920 / 1514 حوالي أربعة آلاف شخص كانوا كلهم جنوداً برتغاليين. ولاشك أن هذا العدد المرتفع مرتبط بكون الاحتلال تم في خريف 912 / 1513، وبكون المدينة كانت تستعد لمواجهة تحرك الجيش الوطاسي في اتجاه الثغور الدكالية. وسرعان ما تراجع عدد السكان. فقد أصبحوا خلال صيف 937 / 1530 لا يتعدون ستمائة وثمانين شخصاً يعيشون على جرايات الدولة، كان ضمنهم اثنا عشر قسيسا، وثمانية بحارة، وأربعة عشر مجرما في حالة نفي.

وعرفت الثغور المحتلة تغييرات واضحة في معالمها. فقد اضطر الغزاة إلى التقليص من رقعة المدينة ليتمكنوا من الدفاع عنها بسهولة. ففي أزمور مثلاً، بدأ التفكير مبكراً في التخلي عن المدينة كلها والاقتصار على قصبتها. لذا توقف حفر الخندق حول السور المغربي الذي شرع فيه بعد ثلاثة أشهر من احتلال المدينة. وبعد تردد كبير، تقرر تحصين القسم المشرف على النهر، واحتفظ بالسور المغربي لحماية البساتين التي عوضت الدور.

وتم تشييد الأسوار والأبراج والأبواب والمرافق الدينية حسب الطريقة المعتمدة بالبرتغال، أي اعتماداً على النموذج الإمنويلي الذي كان يمثل أرقى ما وصل إليه المعمار البرتغالي. وأنجزت تلك المنشئات على يد معماريين كانوا يعتبرون من أحسن ممثلي تلك المدرسة. وكانت التحصينات المستحدثة بالثغور تختلف عما كان معمولاً به في المغرب. فقد اقتصرت على الحجر المقصوص الذي كانت بعض أجزائه المنحوتة الحاملة لشارات معينة تجلب من البرتغال. كما جلبت مواد البناء الأخرى من البرتغال : الخشب والركائز والقرميد، وحتى الجير بعد أن تبين للمشرفين على البناء سوء نوعية ما صنع منه بأسفي وأزمور. وأولى المشرفون على البناء أهمية قصوى لثلاثة اعتبارات :

ـ السرعة في البناء نظراً للحصار المفروض باستمرار على الثغور.

ـ تفادي التبذير والتقليل قدر الإمكان من المصاريف. لذا جاءت البنايات بسيطة، لا تحتوي إلا على القليل من الزخرفة.

ـ اعتبار ما جد في ميدان الأسلحة وإنشاء تحصينات تستطيع تحمل طلقات المدفعية التي تزايد اعتماد المغاربة عليها بعد العقد الثالث من القرن السادس عشر.

ويلاحظ اختلاف بين التحصينات المشيدة بالشمال عن تلك التي عرفتها الثغور الدكالية. فبخلاف السجوف الطويلة والعالية، والأبراج المربعة والكبيرة، التي يمكن

مشاهدتها بأصيلا، احتوت أسوار أزمور وأسفي، وخصوصاً مازيغن (البريجة)، على الخصائص الجديدة التالية :

- أصبحت البِسْتْيونات والسجوف أقل ارتفاعاً لتسمح للمدفعية بتسديد طلقات منحدرة.

- أصبح التدعيم الجانبي خاضعاً بدوره لهذه الغاية الهجومية.

- ظهر بأسفي البستيون "المستدير ليوضع عليه عدد أكبر من قطع المدفعية.

- شيدت أسوار سميكة سمحت بإحداث ممرات للحراس فوقها، كما يلاحظ اليوم بالجديدة. ولكي تصمد أكثر، عزز أسفلها بمنحدر سميك مبني من الحجارة.

- أحاط البرتغاليون بعض تلك التحصينات بخنادق مائية لمنع المهاجمين من الاقتراب منها.

وبذلك يكون البرتغاليون "قد كدسوا بمساحات ضيقة كل ما كان يسمح به المعمار العسكري المعروف في زمنهم، وذلك من أجل استعمال مدفعيتهم أحسن ما يمكن، وللحصول على أحسن مردود من حاميتهم القليلة العدد".

عرفت الثغور المحتلة تنظيمات إدارية وعسكرية وتجارية. فقد كان القبطان المسؤول الأول بالثغر، وكانت بيده سلط إدارية وسياسية وعسكرية وقضائية بصفته ممثل الملك البرتغالي. وكان القباطنة يختارون من النبلاء وممن أسهموا في الغزو البرتغالي وفي الدفاع عن مكتسباته. وخص القباطنة برواتب مغرية وبامتيازات مالية مهمة، كخمس الغنائم والأسرى، واحتكار بيع بعض السلع. وكان يساعد القبطان عدد من الموظفين المدنيين والعسكريين. فمن الفئة الأولى كان المحاسب (Contador) مسؤولاً عن أموال ومصالح الملك بالثغر، وكان إلى جانب هذا أهم موظف بعد القبطان، إذ كان ينوب عنه في حالة الوفاة أو الغياب. ومن مهامه كذلك أداء رواتب الجنود وتحديد قيمة الضرائبَ التي تدفعها القبائل الخاضعة، والإشراف على استخلاص الضرائب الجمركية والمكوس. وأشارت وثائق إلى إشرافه على عمليات الترميم والبناء. وكان الوكيل التجاري (Feitor) يشرف على المتجر الملكي، ويهتم بكل ما يتعلق بالتجارة : بيع السلع التي أرسلتها المصالح المختصة بلشبونة، واقتناء ما يرغب الملك في شرائه. وكان يساعده قابض الفيطورية وكاتبها. وتنحصر مهمة المشرف (almoxarife) في ما يتعلق بتموين الثغر، وبشراء كميات الحبوب التي كان الملك البرتغالي يأمر بها.

ومثَّل "الدليل" (adail) الساعد الأيمن للقبطان ونائبه في الشؤون العسكرية. فهو الذي كان يقود الجنود في حالة غياب المسؤول الأول عن الثغر. وكانت مهمة "المقدم" (almocadem) هي الاطلاع على أوضاع المنطقة التي سيمر منها الجنود وتحديد الطريق الأكثر سلامة. وكان يساعده في ذلك عدد من الجواسيس التابعين. وكان : القائد" (alcaide) مسؤولاً عن القصبة، بينما كان الإشراف على الميناء موكولا إلى "قائد البحر" (alcaide do mar).

واعتمد القباطنة على تلك القوات والأسلحة لخوض حروب ضد القبائل المجاورة، وتعريضها لهجمات مفاجئة قصد الحصول على الأسرى والغنائم وإكراهها على دفع الضرائب والإقبال على أسواق الثغور. وكانت حامية أصيلا أنشط حاميات الشمال، وإن اعتمدت في عدة مناسبات على مساعدة عسكريي طنجة. فقد وصلت غارات تلك الحامية إلى القصر الكبير وجبل حبيب. وقَدّرَ بَاحثٌ عدد الأسرى الذين أسرهم البرتغاليون من منطقة بني گرفط وحدها بخمسة آلاف شخص. واستغلت حاميتا أسفي وأزمور الفراغ السياسي الذي كانت تعاني منه المنطقة، وكذا تناحر الشيوخ، ووجود عملاء كبار سخروا قبائلهم لفائدة التوسع البرتغالي للهجوم على مناطق بعيدة. فقد وصل مدى الغارات المنظمة انطلاقاً من أزمور مدينة الرباط. ووصلت غارات برتغاليي أسفي منطقة زمران الحالية، ومنابع تانسيت ومنطقة حاحة. وبالطبع مكنتهم تلك السطوة من غنائم هائلة ومن مآت الأسرى. فقد استطاع برتغاليو أزمور أسر ما لا يقل عن ألفي شخص من الشاوية وحدها فيما بين 1518 - 1519. وأحصينا الإشارات الواردة بمصدرين برتغاليين، فألفينا أن عدد الأسرى المحصل عليهم خلال تلك الغارات بلغ 9287 شخصاً مع العلم أن المؤلفين لم يحددا عدد الأسرى إلا بالنسبة لعدد قليل من الغارات التي ذكراها. ولم تطل سطوة البرتغاليين، إذ سرعان ما جعلت التحركات الوطاسية على عهد محمد البرتغالي، والعمليات التي قادها قواد الهبط بالشمال، (إبراهيم ابن راشد، المنظري)، وتلك التي أطرها السعديون بالجنوب، حدا لتلك الوضعية.

واشتكى القباطنة باستمرار من قلة أعداد المحاربين بالثغور المحتلة، وكانوا يطالبون بتعزيزها. وللتغلب على هذا النقص، اعتاد برتغاليو أصيلا وطنجة ضم قوات الثغرين لعملياتهم ضد القبائل، في حين اعتمد قباطنة دكالة والسوس على القبائل الحليفة المؤطرة من لدن قواد كبار، كيحيى بن تاعفوفت ومالك بن داود. كما غطى التفوق البرتغالي في ميدان الأسلحة النارية (المدفعية والبنادق) والتحصينات والتكتيك، النقص المذكور. واتقى برتغاليو الثغور هجمات المغاربة المفاجئة بعدد من التدابير، كإرسال عدد من الفرسان، يسمون "الطليعة" (atalaia) لمراقبة البادية، أو تكليف آخرين بتفتيش الأماكن القابلة لنصب الكمائن (cortadores). وهناك مراقب يشرف على البادية من أعلى الأبراج (ribate) يتلقى إشارات الطليعة ليخبر من كان من السكان خارج الأسوار بإشارات معينة.

وانعكست هذه الوضعية على عيش سكان الثغور المحتلة، إذ جعلهم الجهاد والمقاومة المؤطرة من لدن الفقهاء والمتصوفة وبعض القواد والأنظمة القائمة آنذاك بالمغرب، (انظر مادة *الجهاد*) يعيشون في حالة حصار مستمر،

خصوصاً بعد اندحار حامية المعمورة (1515)، وقتل أكبر قباطنة أسفي (N.F. de Ataide) سنة 1516 واغتيال يحيى ابن تاعفوفت سنة 1518. وبذلك تغير ميزان القوة لصالح الشرفاء السعديين.

ولم يستطع البرتغال إرجاع الأمور إلى ما كانت عليه لمرور امبراطوريته بعد 1520 بظرفية اقتصادية سيئة، تميزت بالركود التجاري وبتزايد التهريب والقرصنة في كل أطراف تلك الإمبراطورية. وفي هذا الوقت بالذات، ارتفعت مصاريف إدارة وحماية الثغور الثمانية. فإذا كانت تلك المصاريف قد بلغت سنة 1515 خمسين مليون ريال، فإنها تضاعفت بعد خمس عشرة سنة. ووصل ما دفع كرواتب للحمايات خلال سنة 1534 وحدها عشرة ملايين. وتطلب العون الذي توصلت به أسفي خلال حصارها من لدن السلطان أحمد الأعرج أربعة ملايين. هذا مع العلم بأن البرتغال كان مطالباً بالهند بمجهود أكبر نظراً للمقاومة الإسلامية العنيفة التي واجهته.

وبسبب الحصار المضروب على الثغور، وتعذر القيام بأي نشاط زراعي، كان على البرتغال تزويدها بانتظام بالحبوب والأقوات. فقد توصلت الثغور الثمانية سنة 1436 بـ 5420 مد برتغالي من القمح. وأصبحت الثغور التي كانت تصدر الحبوب، كأسفي وأزمور ومازيغن، مستوردة لها. بل أكثر من هذا، توصلت أسفي مرة بسفينة محملة بالماء الصالح للشرب !

واشتكى القباطنة باستمرار من قلة الأقوات بالثغور، ومن تجاهل المسؤولين لأوضاع سكانها السيئة، خصوصاً وأن الرواتب كانت تتأخر لشهور، ولم تكن تصل أحياناً إلا بعد سنة، كما أن الاستفادة من الغنائم والأسرى قلت كثيراً بعد انحصار الغزاة داخل قلاعهم. ومما أزم وضعية السكان أكثر، الطريقة المعتمدة في أداء الرواتب والجرايات، والتي كانت تتم اعتماداً على سلع معينة، يدفعها احتكاريون متعاقدون مع الملك، الأمر الذي كان يعرض العسكريين لابتزاز كبير، إذ كان عليهم قبضها بثمن مرتفع وإعادتها لنفس المحتكرين - لحاجتهم للأموال - بثمن زهيد. وتعطينا رسالة موجهة إلى الملك البرتغالي سنة 1530 فكرة عن تلك المعاناة : "إن هذه المدينة في طريق الموت من جراء المجاعة الكبرى التي احتدت منذ أربعة أشهر ( ... ) فالقباطنة الذين يريدون اكتناز الأموال يغتنون على حساب اليهود والمسلمين، واليهود على حساب النصارى الذين يضطرون إلى رهن رواتبهم وبيع جراياتهم بعشرة أو خمسة عشر ريالاً للكيل، لأن المسؤولين عن الأداء لا يؤدون ما عليهم. لقد توقفوا عن أداء أي شيء منذ سبعة أشهر، وذلك باتفاق مع القبطان، الشيء الذي نتج عنه انعدام الأموال والحبوب. لذلك أصبح فرساننا وباقي السكان في بؤس كبير. يساعد المسؤول عن الأداءات يهوديان أو ثلاثة، يشترون من السكان رواتبهم بالثمن الذي يريدونه لأنهم محاطون بالبحر ويتضورون جوعاً، ولأنهم محاصرون من لدن المسلمين. فهم لذلك يخسرون خمسمائة ريال في كل ألف، وذلك إذا أرادوا أخذ الأموال مقابل الأثواب، الشيء الذي منعه سموكم في عقدته. كما أنهم يشترون منهم بـ"كروزادو" واحد - أي أربعمائة ريال - ما قيمته مائة وعشرون ريالاً بقشتالة، أما الثوب المصنوع من القنب، والذي يساوي ثلاثين ريالاً فيبيعونه بمازيغن بمائة وعشرين ريالاً".

لذا اضطر السكان عدة مرات إلى بيع متاعهم لشراء ما يسدون به رمقهم، ومات بعضهم بالجوع، واضطر آخرون للخروج إلى البادية والعيش من القطف، والتجأ القباطنة عدة مرات إلى مصادرة ما كان داخل البيوت من حبوب. ونظراً لما كان الجنود يعانونه من ابتزاز، احترفوا السرقة ليلاً وبواضحة النهار أحياناً. فقد تعددت الدور التي تعرضت للسرقة ليلاً بكل من أسفي وأزمور، وأضحت الأيدي تمتد إلى متاع وأموال اليهود في واضحة النهار. وبرر قبطان أزمور تلك الوضعية بتأخر أداء الرواتب وفاقة السكان، بينما أرجعها طبيب المدينة إلى السببين المذكورين وإلى مبالغة التجار في ابتزاز السكان. وأضاف أن السراق يعتبرون أن عملهم شرعي، يهدف إلى استرجاع ما ابتز منهم بدون حق. واعتادت الثغور المحتلة على أجواء الحرب الأهلية، وقلت هبة الحكام، خصوصاً بعد تأكد تورطهم في سرقة ما كان يرسل من حبوب وبسكويت، وتواطئهم مع كبار التجار والمسؤولين عن الأداءات. فقد تعددت الشكايات المرفوعة إلى البلاط ضد تصرفات القباطنة والاحتكاريين المتحالفين معهم. إلا أن تلك الشكايات لم تجد آذاناً صاغية نظراً للعجز المالي الذي كانت تتخبط فيه الخزينة البرتغالية، ولكثرة مشاكل الدولة البرتغالية. وامتناع الناس عن الخدمة بتلك الثغور، مما حتم الاعتماد على المرتزقة الذين زادوا من حدة الفتن التي كانت تعرفها بعض المدن.

وأمام هذه الأوضاع، فكر الملك البرتغالي يوحنا الثالث في إخلاء بعض الثغور. وهكذا أرسل سنة 1529 شخصاً لدراسة إمكانية إخلاء أگادير وربما أسفي، إلا أن النبلاء والعسكريين عارضوا ذلك بشدة. وبعد الحصار الذي ضربه أحمد الأعرج على أسفي سنة 1534، كاتب الملك أعيان دولته واستشارهم في إخلاء آسفي وأزمور، وأطلعهم على أوضاع البلاد المالية، إلا أنه خاب في مسعاه مرة أخرى. وبعد اندحار البرتغاليين بأگادير في ربيع سنة 1541، اضطر الملك البرتغالي إلى إخلاء أسفي وأزمور بدون حرب في أكتوبر سنة 1541. كما اضطر إلى إخلاء القصر الصغير وأصيلا سنة 1550 إثر دخول محمد الشيخ السعدي إلى فاس سنة قبل ذلك. وبذلك لم يبق في أيدي البرتغاليين إلا مازيغن (البريجة) التي لم تحرر إلا في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1769)، وطنجة التي حررها المولى إسماعيل سنة 1684. واحتفظت إسبانيا بسبتة رغم استعادة البرتغال لاستقلاله سنة 1640. ولاتزال هذه الثغور التي اغتصبها الإسبان تعاني من الاحتلال.


أ. بوشرب، دكالة، الدار البيضاء، 1984.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila, cronica do século XVI*,

Publ. D. Lopes, Coimbra, t. 1, (1508 - 1525), 1915, LII + 498 p, t. 2, (1525 - 1535, supplemento : 1536 - 1550), 1919, XIX + 536 p ; R. Ricard, *Les Portugais au Maroc de D. de Gois, extraits de la chronique du Roi D. Manuel de Portugal*, Rabat, 1937, 268 p ; *Les Portugais et l'Afrique du Nord, extraits des Annales de Jaen II de Luis de Sousa*, Paris, 1940, 208 p ; *Mazagan et le Maroc sous le règne du Sultan Moulay Zidane, (1608 - 1627) d'après le Discurso de Gonçalo Coutinho, gouverneur de Mazagan (1629)*, Paris, 1956, 188 p ; *Un document portugais sur la place de Mazagan au début du XVIIème siècle*, Paris, 1932, 72 p ; *Notes sur la tactique militaire dans les places portugaises du Maroc*, *Bulletin Hispanique*, XXXV, 1933, pp. 448 - 483, repris in : *Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc*, Coimbra, 1955, pp. 345 - 355 ; *Le problème de l'occupation restreinte dans l'Afrique du Nord*, *Annales. Economie, Société*, 1936 ; D. Lopes, *Os Portugueses em Marrocos*, in: *Historia de Portugal*, direct. D. Pires, Barcelos, 1931, t. 3, pp. 385 - 544, t. 4, pp. 78 - 121 ; P. de Cénival, *Chronique de Santa Cruz du Cap de Gué, (Agadir), texte portugais du XVIème siècle*, Paris, 1954, 170 p ; J. Figanier, *Historia de Santa Cruz do Cabo de Gué, (Agadir), 1505 - 1541*, Lisboa, 1945, 403 p.

أحمد بوشرب

**الثقافة المغربية،** (مجلة -) هناك سلسلات من مجلات تحمل كل منها اسم *الثقافة المغربية*، أولاها مجلتان حرتان صدرتا في فترات متقطعة بمدينة سلا في الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن بإدارة سعيد حجي، والثانية مجلات حكومية أنشأتها الوزارات المكلفة بالشؤون الثقافية بعد الاستقلال.

بدأت المجلة السلوية تصدر أسبوعية تحت عنوان ملحق جريدة المغرب *للثقافة المغربية* في حجم كبير (35 x 28 سم) في حلة قشيبة وغلاف أزرق زاه على بساطته. صدر أول عدد منها في 6 صفر عام 1357 / 7 أبريل 1938. وكان يشارك في تحريرها ثلة من المثقفين الوطنيين الرواد في ميدان الصحافة وكتابة المقالة والقصة والشعر والأبحاث الاجتماعية والأدبية والتاريخية وغيرها. أمثال محمد الفاسي وعبد الله گنون وعبد الكبير الفاسي وعبد الله إبراهيم وأبي بكر زنيبر، وباحثة الحاضرة (مليكة الفاسي) وأحمد باحنيني، وعبد الرحمان الفاسي وعبد القادر حسن وعبد الرحمن حجي والحسن البونعماني، وعبد الكريم بن الحسني ومحمد العبدي الكانوني وغيرهم.

كان كل عدد من هذه المجلة يتصدره مقال افتتاحي بقلم مديرها سعيد حجي لا يكاد يتخلف في موضوعات قومية متنوعة. وتثير مقالات المجلة في كثير من الأحيان نقاشاً ونقداً بناءً يزيد المسائل المطروحة توضيحاً وتقويماً، ويخلق في نفس الوقت جواً جديداً من الحوار والشجاعة الأدبية وحرية التفكير.

لم أتمكن من ضبط كل الأعداد الصادرة من هذه السلسلة الأولى، وآخر ما وقفت عليه منها العدد 18 بتاريخ 13 أكتوبر 1938 وتحمل صفحاته أرقام 327 إلى 345.

ملحق جريدة المغرب

للثقافة المغربية

العدد ٢

الخميس

١٣ صفر عام ١٣٥٧

الموافق

١٤ ابريل سنة ١٩٣٨

موضوعات العدد:



ملحق (المغرب)

مستقل فى

خطته

تحريره

إدارته

ـ ثمن العدد : فرنك واحد ـ

استقلت *الثقافة المغربية* بعد ذلك عن جريدة *المغرب*. وأصبحت مجلة فكرية شهرية، صدر أول عدد منها في غشت 1941 في حجم عادي (23 x 16 سم) بنفس الغلاف الأزرق الأنيق البسيط، وقد انضم إلى الكتّاب الرواد المذكورين، طائفة من الشباب الحي الطموح أمثال قاسم الزهيري وأحمد بناني والصديق بن العربي والطاهر زنيبر وعبد السلام العلوي وعبد الكريم سكيرج وعبد القادر الهاشمي، وإدريس الكتاني، وحماد العراقي، وبعض العلماء الشيوخ كالقاضيين عبد الحفيظ الفاسي ومحمد السايح.

كانت مجلة *الثقافة المغربية* السلوية في حلتيها القديمة والجديدة تُعنَى بالموضوعات الاجتماعية والأدبية والتاريخية والسياسية والاقتصادية المتعلقة بماضي المغرب وحاضره وتطلعاته المستقبلية، بالإضافة إلى المعلومات

العامة والمقالات المترجمة والإفادات والإنشادات. صدر العدد السابع والأخير منها في يبراير - مارس 1942 ينعي مديرها الماسوف على شبابه سعيد حجي.

لم تمض ستة أشهر حتى استأنفت مجلة *الثقافة المغربية* الصدور في سلسلة جديدة تحمل عنوان : *مجلة الثقافة المغربية للآداب والعلوم والفنون*، في حجم كبير (26,5 x 20 سم) وبإدارة أحمد بنغبريط. صدر العدد الأول من هذه السلسلة يوم الثلاثاء 19 شعبان عام 1361 / 1 - 9 - 1942 كبداية لسنة ثانية للمجلة اعتباراً للأعداد الصادرة في حياة سعيد حجي سنة أولى. وتوالت أعداد هذه السلسلة بصفة منتظمة حتى العدد العاشر في ماي - جوان 1943، بنفس المستوى وبأقلام معظم الكتاب السابقين. ثم توقفت المجلة في فترة المطالبة بالاستقلال، واعتبرها المسؤولون عنها سنة ثالثة بيضاء لتسانف الصدور في سنتها الرابعة بعدد يوليوز 1944 لكنها كانت قد فقدت معظم كتابها المقتدرين القدامى وبدا عليها الهزال والضحالة، ولم تنته هذه السنة بالعدد المزدوج 9 - 10 بتاريخ رجب - شعبان عام 1364 / جوان جويي 1945 حتى توقفت بصفة نهائية.

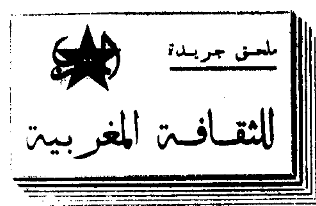


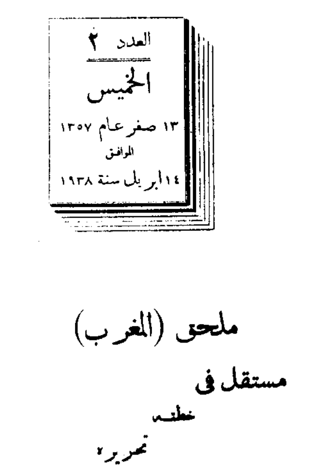
العدد ٢
الخميس
١٣ صفر عام ١٣٥٧
الموافق
١٤ ابريل سنة ١٩٣٨

ملحق (المغرب)
مستقل في
خطته
تحريره
إدارته

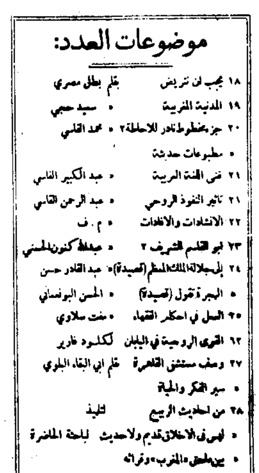
موضوعات العدد:

١٨ يجب ان نتريض — بقلم بطل مصري
١٩ المدنية المغربية — « سعيد حجي
٢٠ جزء مخطوط نادر للاحاطة ٢ — « محمد القلبي
« مطبوعات حديثة
٢١ غنى اللغة العربية — « عبد الكبير الفاسي
٢١ تاثير النفوذ الروحي — « عبد الرحمن الفاسي
٢٢ الانشادات والافادات — « م . ف
٢٣ ابو القاسم الشريف ٢ — « عبد الله كنون الحسني
٢٤ إلى جلالة الملك المعظم (قصيدة) — « عبد القادر حسن
« البحيرة تقول (قصيدة) — « الحسن البونعماني
٢٥ السل في احتكار الفقهاء — « مفت سلاوي
٢٦ القوى الروحية في اليابان — لكلود فارير
٢٧ وصف مستشفى القاهرة — بقلم ابي البقاء البلوي
« سير الفكر والحياة
٢٨ من احاديث الربيع — تلميذ
« ليس في الاخلاق قديم ولا حديث — للجنة المناظرة
« بين ملحق «المغرب» وقرائه
٢٩ في افق السياسة الدولية: تسابق الدول في التسليح
« من أنباء الشرق العربي
٣٠ اليوميات
٣١ التسلية

أما مجلة *الثقافة المغربية* الحكومية، فصدر أول عدد منها بالرباط في يناير - فبراير سنة 1970 (حجم 23 x 15,5 سم) عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، وهي أول وزارة أسندت إليها مهمة الثقافة بعد الاستقلال. وجاء في تقديم هذا العدد بقلم الوزير محمد الفاسي : "أن هذه المجلة ستهتم بكل ما يرجع لتاريخ المغرب العربي وإسبانيا وصقلية الإسلاميتين وجغرافيتها وآدابها ولغاتها وعوائدها وفنونها الشعبية في الماضي والحاضر". وقد اشتمل هذا العدد فعلاً على مقالات تتحدث عن دور المغرب الأقصى في توحيد الثقافة بين دول المغرب العربي، وعصر النهضة في هذه المنطقة. وحضارة العرب في الأندلس، ومؤلفات ابن حزم ورسائله وابن عربي. كما اشتمل العدد المزدوج الثاني والثالث والعدد الرابع على مقالات متعددة تعني بشؤون المغرب الكبير والأندلس.

وابتداء من العدد الخامس الصادر في ذي القعدة عام 1391 / دجنبر 1971 أصبحت مجلة *الثقافة المغربية* تابعة لوزارة الثقافة والتعليم العالي والأصلي وتكوين الأطر وظهر بعد ذلك عددان يحملان رقم 6 و7، فلم يقع كبير تغيير في مضمون المجلة إلاّ أن مجال موضوعاتها تقلص حتى كاد يقتصر على المغرب الأقصى.

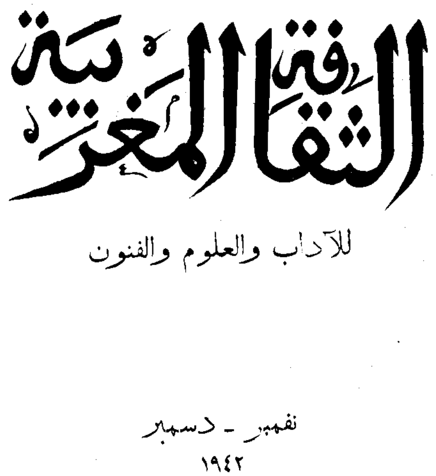
الثقافة المغربية
للآداب والعلوم والفنون

نفمبر - دسمبر
١٩٤٢

لاثقة بمتخلق لادين له فان الخلق يصله بحظ نفسه اكثر مما يصله بواجبات الناس؛ ولا بفيلسوف ملحد لأن الفلسفة تمزجه بالمادة اكثر مما تمزجه بالانسانية، ولا بمصلح يتسلخ من الدين لأن إصلاحه صور من غروره، ولا بعالم جاحد لأن علمه كهندسة الشوكة كلها من اجل آخرها.

وفي سنة 1393 / 1973 انتقلت مجلة *الثقافة المغربية* إلى أحضان وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة. وتحدثت افتتاحية العدد الثامن عن رغبة المسؤولين عن المجلة في التجديد والتغيير فقالت : "لماذا هذا التمسك بإطار جغرافي في ميدان لايعرف حدوداً ولا أقطاراً وهو ميدان الفكر والثقافة ؟ إنه في الواقع مجرد اصطلاح بين المجلة وقرائها على أن ما يكتب لهم هو مرآة حقيقية لمجموع الثقافة الإنسانية التي يساهم فيها المغربي بالنصيب الأوفى والأوفر. وليس من رأينا أن تكون هذه المجلة مجرد ملف أبحاث رصينة يكتب فيها رجالات من

عركتهم التجربة وبلغوا من أفق المعرفة درجة تدخلهم في عداد الباحثين. فليس في المغرب الصغير ولا الكبير بحاثون فقط، وليس في الثقافة تراث ينقب ويصان فحسب، بل فيها خلق وفيها فكر شاب ينظر إلى الأشياء نظرة جديدة ...".

هذا الطموح في أن ترتفع المجلة عن محيط الغرب الإسلامي (الضيق) إلى الصعيد الانساني (الفسيح)، وإشراك المبدعين والفنانين الشباب لم يكتب له التحقيق إلا بكيفية جزئية ومحدودة إذ لم تلبث المجلة أن توقفت بعد صدور العدد التاسع سنة 1973.

وبعد نحو عشرين سنة عادت مجلة *الثقافة المغربية* إلى الصدور في سلسلة جديدة بحجم كبير (31 x 23 سم) وشعار: مجلة ثقافية جامعة تصدرها وزارة الثقافة كل شهرين. صدر العدد الأول في ماي - يونيه 1991. ولأول مرة أصبح لمجلة *الثقافة المغربية* هيئة تحرير من أساتذة جامعيين وصحافيين مقتدرين بينما كان المشرفون على السلسلات القديمة موظفين إداريين يعملون في مصالح الوزارة الوصية. وتنوعت محاور الموضوعات في هذه المجلة من دراسات وشعر وقصة وحوار وقضايا وآراء إلى تشكيل وعمارة وفنون شعبية وسينيما وقراءات في كتب ومتابعات. غير أن عمرها لم يكن أطول من سابقاتها فكان آخر عدد صدر منها هو السابع في ماي - يونيه 1992.

*مجموعات المجلات المذكورة في صلب النص.*

محمد حجي

**الثقافة** (وزارة -)، تسمى اليوم وزارة الشؤون الثقافية. في إبان عهد الحماية وفي السنوات الأولى من عهد الاستقلال كانت شؤون الثقافة والفنون في المغرب موزعة على وزارة التربية الوطنية ومن اختصاص إدارة الفنون الجميلة، وقطاع الشبيبة والرياضة الذي كان يشرف على المسرح والجمعيات الثقافية والفنية والثقافة الشعبية. وغداة الاستقلال وضع محمد الخامس حماية الثقافة الوطنية وتطويرها ضمن أولويات اهتمامه فخصص الثقافة الشعبية بمجلس أعلى بموجب ظهير 24 ذي القعدة عام 1378 / 1 - 6 - 59.

وفي سنة 1968 عين محمد الفاسي وزيراً مكلفاً بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي ؛ من ذلك الحين تعاقب على الشؤون الثقافية الوزراء السادة :

- محمد العسكري الذي عين وزيراً للثقافة والتعليم العالي والثانوي والأصلي وتكوين الأطر سنة 1971 وعهد بالشؤون الثقافية إلى مديرية تابعة لوزارته.
- محمد المكي الناصري الذي عين وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة سنة 1972.
- الحاج محمد أبا حنيني الذي عين وزيراً للدولة مكلفاً بالشؤون الثقافية سنة 1974.
- سعيد بن البشير الذي عين وزيراً للشؤون الثقافية سنة 1982.
- محمد بن عيسى الذي عين وزيراً للشؤون الثقافية سنة 1985.
- محمد علال سيناصر الذي عين وزيراً للشؤون الثقافية سنة 1992.
- عبد الله أزماني الذي عين وزيراً للشؤون الثقافية سنة 1995.
- عزيزة بناني كاتبة الدولة في الثقافة عينت سنة 1997.

عرفت وزارة الشؤون الثقافية تطوراً متصاعداً في اختصاصاتها وهيكلتها، واستقرت هذه الاختصاصات والهيكلة في صيغتها النهائية بمقتضى مرسوم رقم 2.94.222 (1994) نص على أن مهمة الوزارة هي : "إعداد وتنفيذ سياسة الحكومة المتعلقة بالتراث والتنمية الثقافية والفنية" وتتولى الوزارة القيام بما يلي :

- توحيد التوجهات وتنسيق الأعمال الهادفة إلى تقوية النسيج الثقافي الوطني.
- المساهمة، باتصال مع الوزارات والمصالح المعنية، في النهوض بالثقافة الوطنية والحفاظ على خاصياتها.
- استخدام جميع الوسائل الكفيلة بضمان ازدهارها واشعاعها.
- استخدام جميع الوسائل الملائمة لمتابعة ودعم كل عمل أو مبادرة ترمي إلى الحفاظ على التراث الثقافي وصيانته واستثماره.
- ابتكار وإعداد استراتيجية محكمة للتنمية الثقافية على المستوى الجهوي والمحلي قصد الرفع من المستوى الثقافي والفني.
- المساهمة في تنشيط أعمال الإبداع والبحث في مجالات الثقافة والفن والأدب.
- إعداد مشاريع القوانين والأنظمة المطبقة في المجالين الثقافي والفني، وكذا المهن المرتبطة بهما والسهر على تطبيقها.
- إقامة علاقة تعاون مع الهيآت والمؤسسات والجمعيات الثقافية والفنية داخل المغرب وخارجه.
- المساهمة باتصال مع الوزارات المعنية في حماية البيئة ولاسيما البيئة الثقافية.
- القيام بدراسات تعريفية واستطلاعية في الميدانين الثقافي والفني على المستوى المحلي والجهوي وإعداد البرامج المتعلقة بها.

وبمقتضى نفس المرسوم (في مادته الثالثة) تتكون الإدارة المركزية من : كتابة عامة ، ومفتشية عامة، ومديرية مركزية للتراث، ومديرية مركزية للتنمية الثقافية، ومديرية للكتاب والخزانات والمحفوظات، ومديرية مركزية للفنون، وقسم للموارد البشرية والشؤون العامة.

استعانت وزارة الشؤون الثقافية بلجان وهيآت استشارية عقدت سلسلة من الدورات، وهي التالية :

- اللجنة الوطنية للثقافة التي أحدثت بالمرسوم رقم 549 .74 .2 (1975)، عدل وتمم بمرسوم آخر رقم 558.81 .2 (1982) اجتمعت أول لجنة وطنية للثقافة يوم الثلاثاء 27 شعبان 1401 يونيه 1581 برئاسة الحاج مَحمد أبا حنيني.

- المجلس الوطني للثقافة الذي انعقدت دورته تحت الرئاسة الشرفية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، الرئاسة الفعلية لصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد بالرباط يومي 24 و25 رجب 1413 / 18 و19 يناير 1993.

- المجلس الأعلى للثقافة والمجالس الجهوية للثقافة بالمرسوم رقم 288.94 .2 ؛ الذي تنص مادته الثالثة من الجزء الأول على أن المجلس الأعلى والمجالس الجهوية "هيئة استشارية تهدف إلى مناقشة السياسة الثقافية ومحتواها، واقتراح التوجهات والمواضيع ذات الأولوية للعمل الثقافي، كما سيكون عليه تحديد الوسائل التي يتعين تسخيرها من أجل تسيير الحياة الثقافية ولاسيما في الوسط القروي وتوطيد الروابط بين الإدارة المكلفة بالشؤون الثقافية ومختلف شركائها. وفي هذا الصدد يخول إلى المجلس (الأعلى والمجالس الجهوية) تقديم اقتراحات من شأنها تنمية الثقافة الوطنية وأشكال التعبير التي تقوي هويتها وتدعم أصالتها الخاصة، والمساهمة باقتراحات دقيقة وملائمة في إعداد اختيارات ذات أولوية في شأن السياسة الثقافية والهادفة إلى تقوية البنيات وتنشيط الإنتاج الثقافي، والإخبار بالتجارب الجديدة التي من شأنها تحسين فعالية العمل الحكومي في المجال الثقافي، وتنمية التشاور بين مختلف الأطراف المعنية ولاسيما الوزارات والجماعات المحلية والجمعيات والمؤسسات العمومية وشبه العمومية والخاصة ...".

عقد هذا المجلس دورته تحت الرئاسة الشرفية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني والرئاسة الفعْلية لصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد بالرباط يومي 16 و17 رجب 1415 / 19 و20 دجنبر 1994 وتوزعت أعماله على ست لجان :

- الاستراتيجية الثقافية
- واقع الثقافة وآفاقها
- الحفاظ على التراث
- تركيز الثقافة في جميع الجهات
- قضايا التكوين
- التدبير والتمويل

بالإضافة إلى هذه الهيآت الاستشارية أشرفت الوزارة على سلسلة من المناظرات والندوات الوطنية التي تحاورت حول القضايا الثقافية والفنية انطلاقاً من رسائل ملكية سامية تضمنت توجيهات عامة. نذكر من هذه المناظرات والندوات على الخصوص :

- المناظرة الوطنية الأولى حول الثقافة المغربية بتارودانت أيام 13 - 14 - 15 يونيو سنة 1986.
- الملتقى الأول للكتاب وقضاياه في المغرب أيام 29 - 30 - 31 يناير سنة 1988 بمدينة العيون، والثاني بالدار البيضاء سنة 1990.
- المناظرة الوطنية الثانية حول الثقافة المغربية يوم 30 نوفمبر سنة 1990 بمدينة فاس.
- المناظرة الأولى حول المسرح الاحتفالي يوم 14 ماي سنة 1992 بمدينة الدار البيضاء.
- الندوة الوطنية حول مسرح الهواة يوم 17 نوفمبر سنة 1992 بمدينة الرباط.
- الثقافة واللامركزية بتطوان يومي 25 و26 ماي سنة 1993 (بتعاون مع وزارة الداخلية والإعلام).
- اليوم الدراسي حول المقاولة والثقافة يوم 3 يوليوز سنة 1993.
- اليوم الدراسي حول الثقافة والسياحة يوم 29 يوليوز سنة 1993.
- مؤتمر المجمع العربي للموسيقى الذي احتضنه المغرب سنة 1994 بمدينة الرباط.

وتشرف الوزارة على مؤسسات ومراكز للدراسات والأبحاث والتكوين وفعاليات موسمية أهمها :

- المعهد العالي لعلوم الآثار
- المعهد الوطني للمسرح
- المعهد الوطني للرقص والموسيقى
- دار المناهل للطباعة والمسرح
- الصندوق الوطني للعمل الثقافي
- المعهد الوطني للفنون الجميلة
- جامعة الشريف الإدريسي المفتوحة بالحسيمة
- جامعة مولاي علي الشريف الخريفية بالرشيدية
- مركز الدراسات والأبحاث العلوية بالريصاني
- مركز الدراسات والأبحاث الأندلسية بشفشاون
- مركز الأبحاث والدراسات الغرناطية بوجدة
- مهرجان الأندلسيات بشفشاون
- مهرجان الأغنية المغربية
- مهرجان فنون الشاوية بسطات
- مهرجان ربيع المسرح العربي
- المعرض الدولي للكتاب بالدار البيضاء
- المعارض الجهوية للكتاب
- مساهمة المغرب في عديد من المعارض الدولية على الصعيد المغاربي والعربي والأوروبي.
- الأسابيع الثقافية المغربية في الخارج.

كما تشرف الوزارة أيضاً على عدد هام من المتاحف الأركيولوجية والإتنوغرافية وهي : متحف البطحاء بفاس

(أسس سنة 1915)، متحف الآثار بالرباط (أسس سنة 1920)، متحف دار الجامعي بمكناس (أسس سنة 1920)، متحف القصبة بطنجة (أسس سنة 1920)، متحف الأوداية بالرباط (أسس سنة 1925)، متحف باب العقلة بتطوان (أسس سنة 1929)، متحف دار السي سعيد بمراكش (أسس سنة 1932)، متحف تطوان الأثري (أسس سنة 1939)، متحف البرج الشمالي بفاس (أسس سنة 1963)، المتحف الأركيولوجي بالعرائش (أسس سنة 1979)، متحف سيدي محمد بالصويرة (أسس سنة 1980)، المتحف الوطني للخزف بآسفي (أسس سنة 1990)، متحف الفن المعاصر بطنجة (أسس سنة 1990). وهناك مشاريع لإنشاء المتحف للفنون بالرباط، والمتحف الوطني للفنون الصحراوية، ومتحف قصر الفايضة بالريصاني، ومتحف موقع شالة بالرباط، والمتحف الجهوي بورزازات.

ومن المؤسسات الهامة التي تشرف عليها الوزارة في مجال الكتاب : الخزانة العامة بالرباط والخزانة العامة بتطوان بالإضافة إلى ست وتسعين مكتبة عامة وخزانة بلدية بمختلف أقاليم المملكة، ومركز للوثائق والمخطوطات بالرباط، ومركز وطني لترميم المخطوطات بالرباط (أسس سنة 1594)، وتقوم الوزارة حالياً بدراسات تقنية لإنشاء مكتبة وطنية بالرباط.

وفي ميدان الفنون التشكيلية تشرف الوزارة على قاعات للعروض في مختلف أنحاء المملكة نذكر منها في الرباط قاعة باب الرواح وقاعة الشرقاوي وقاعة الأوداية وقاعة محمد الفاسي.

تصدر الوزارة سلسلة من المنشورات والدوريات في مجالات التراث والأدب والتاريخ والثقافة المغربية والفنون وآداب الأطفال، وتحتل مجلة الوزارة *المناهل* (ظهر منها لحد الآن 44 عدد) مكانة وطنية وعربية ودولية مرموقة، كما تصدر مسلسلاً معجم اللسان الدارج لكولان، ومعلمة الأعراف والعادات وروائع النصوص المسرحية المغربية.

للوزارة سياسة للجوائز لتشجيع الإنتاج والنشر، ويدخل في هذا الإطار منح جائزة سنوية للكتاب في مجالات الإبداع الأدبي، والنقد الأدبي والفني والعلوم الإنسانية والاجتماعية، والعلوم الدقيقة والتكنولوجيا، والترجمة، ومنح جائزة الاستحقاق منذ سنة 1987 لتكريم رجالات الثقافة المغاربة الذين أكدوا حضورهم العلمي والإبداعي من خلال عطاءاتهم، ومنح جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق.

للوزارة اتفاقيات وطنية ودولية أهمها :

- بروتوكول للتنسيق والتعاون الثقافي والسياحي مع وزارة السياحة.
- اتفاقية للتعاون مع وزارة التربية الوطنية
- اتفاقية للتعاون مع وزارة الشبيبة والرياضة
- اتفاقية تعاون مع جمعية أنجاد.
- بروتوكول اتفاق مع القرض العقاري والفندقي.
- اتفاقية تعاون مع وزارة الثقافة في جمهورية مصر العربية.
- وقيد التوقيع اتفاقية تعاون مع مديرية الجماعات المحلية بوزارة الدولة في الداخلية.

أحدثت الوزارة مندوبيات إقليمية بمقتضى قرار وزاري رقم 87. 546، وتمّ لحد الآن تعيين أكثر من ثلاثين مندوباً موزعين على مختلف أنحاء المغرب. مفيد أن يشار إلى أن وزارة الشؤون الثقافية لا تحظى في ميزانية الدولة إلا بنسبة ضئيلة منذ تأسيسها، على سبيل المثال لم تتجاوز هذه النّسبة سنة 1995 : 0،19٪ ولمواجهة ضعف الموارد المالية المخصصة للثقافة يُفكَّر في إحداث مجلس وطني للرعاية الثقافية (الميصينا). يبلغ عدد موظفي الوزارة وطنياً وجهوياً : حوالي ثلاثة آلاف موظف.

*ظهير شريف* بتاريخ 24 ذي القعدة 1378 / فاتح يونيه 1959 ؛ *الجريدة الرسمية*، عدد 4277 . 13 جمادى الأولى 1415 / 19 أكتوبر 1994 ؛ مرسوم رقم 222. 94. 2 صادر في 13 من ذي الحجة 1414 / 24 ماي 1954 بتحديد اختصاصات وتنظيم وزارة الشؤون الثقافية؛ مرسوم رقم 549. 74. 2 بتاريخ 22 جمادى الثانية 1395 / 3 يوليوز 1975 ؛ مرسوم رقم 558. 81. 2 بتاريخ جمادى الأولى 1402 / 22 مارس 1982 ؛ *وثائق مركز التوثيق* بمديرية الكتاب والخزانات والمحفوظات بالوزارة.

محمد مصطفى القباج

**الثلاثي**، بحر من بحور القصيدة الزجلية، من أنواع "المبيِّت" ويتركب البيت الواحد منه من ثلاثة أشطار ويسميه أهل الملحون، "لَمْثَلَّث" نحو قصيدة "مينة" لشيخ أشياخ مراكش الحاج محمد بن علي الملحوني : نَصْرو مينة أَلْمَالكني مَنْ صَالَتْ بَالْبْهَا وْزينْ * لَغزَالا للأَمِّينْ * مِينَة، مِينَة اضياعْياني سوْدْ النجَلات يَامْنَة.

وكقول النجار ربيب الجيلالي امثيرد وشيخ أشياخ فاس :

ثلاث زَهْوا وَامْراحَا * يَهْواهُمْ مَانَاسَاحِي * اركوبْ الخَيْلْ والبَنَاتْ كيسَانْ الراحْ.

مرويات شفوية عن رجال الملحون (ب) *وثائق مؤتمر رجال الملحون* المنظم بمراكش في ربيع سنة 1970 ؛ م. الفاسي، *معلمة الملحون*، ج 1 ق ؛ ع. الجراري، *القصيدة* ؛ *معجم مصطلحات الملحون*.

عبد الرحمن الملحوني

**ثلاثاء إداوگمار ← تيزنيت** (إقليم)

**ثلاثاء أزلاف ← الناظور** (إقليم)

**ثلاثاء أسيفانّ ← شفشاون** (إقليم)

**ثلاثاء أولاد دليم ← مراكش** (إقليم)

ثلاثاء أولاد الصغير ← سطات (إقليم)

ثلاثاء أولاد فارس ← سطات (إقليم)

ثلاثاء إيغود ← أسفي (إقليم)

ثلاثاء بني زرانتل ← خريبكة (إقليم)

ثلاثاء تاسريرت ← تيزنيت (إقليم)

ثلاثاء تاگموت ← تاگموت

ثلاثاء الجبل ← الناظور (إقليم)

ثلاثاء جبل الحبيب ← تطوان (إقليم)

ثلاثاء الحنشانْ ← الصويرة (إقليم)

ثلاثاء الخصاص ← تيزنيت (إقليم)

ثلاثاء ريسانة ← تطوان (إقليم)

ثلاثاء سيدي بوگدره ← بوگدرة (سيدي.)

ثلاثاء شگران ← خريبكة (إقليم)

ثلاثاء الگناديز ← خريبكة (أقليم)

ثلاثاء مْزَم ← السراغنة (إقليم)

ثلاثاء الوْطا ← الناظور (إقليم)

**الثلج** بالمغرب - تاريخ .. لم تهتمّ المصادر العربية بالثلج إلا عرضاً، وحتى التي تناولته بهذا الشكل قليلة. إلا أن ذلك لايعني أن الثلج لم يكن بصفة ملحوظة في جهات المغرب، بل قد يعود صمت هذه المصادر (كتب التاريخ)، إلى اعتبار الظاهرة عادية لا تستحق الوقوف عندها، وهذا ما لاحظناه عند كتاب الحوليات الذين يختمون مؤلفاتهم عادة بجرد لأهم الأحداث التاريخية والطبيعية مرتبة حسب السنوات ويركزون في الأحداث الطبيعية على الظواهر غير العادية. كما كان اهتمام الجغرافيين العرب بالظاهرة مقتضباً، ويتميز عنهم الحسن الوزان في الجزء الأول من *وصف إفريقيا*، بتقديم شبه جرد للمناطق الدائمة الثلج والجبال الباردة التي تتلقى الثلوج خلال فترة معينة من السنة.

أول إشارات المصادر كانت عن جبال الريف، فقد جاء في رسالة موحدية رسمية وبأسلوب بديع أن جبال الريف دائمة الثلج "... زاحم (جبل الكواكب من جبال الريف) بمنكبه وتطاول بأنفه، فلمنكبه العَمَمُ الذي لايفرع، ولأنفه الشمم الذي لا يقرع ولا يقدع ..." (*رسائل موحدية* مرقونة) هذه إشارة مباشرة. وأما الإشارات غير المباشرة التي تتحدث عن فيضان الأنهار بسبب ذوبان الثلج فترجع إلى أبعد من العهد الموحدي، إلى بداية العصر الوسيط،

وعن جبال الأطلس المتوسط قالت المصادر إن كثرة الثلج المتساقط على الجبل تطرد سكانه إلى المناطق الدافئة، إلى السهول الأطلنتيكية (*الاستبصار*، 187) (*الروض المعطار*، 221) جبل درن (الأطلس الكبير) لايقل برودة عن الأطلس المتوسط (جبل فازاز)، فالثلج في بعض قممه يدوم طول السنة لشدة ارتفاعها. ومع ذلك فالمصامدة يسكنون ولا يغادرون "... وفي الجبل من المصامدة أمم لا تحصى وأكثر عيشهم من العنب والزبيب والرُّب وهم لا يستغنون عن شربه لشدة برد الجبل وثلجه..." (*الروض المعطار*، 235) وحسب أوصاف المؤرخين الجغرافيين فإن جبل درن يشمل جزءاً كبيراً من الأطلس الكبير والأطلس الصغير، ولذلك كانت الأوصاف المقدمة في المصادر عن درن تشمل ما بيّناه، ويمكن أن نقول إن الجبال المغربية كانت المكان الطبيعي والعادي لتساقط الثلوج، إلا أن ما يلاحظ من استقرائنا لمصادر عديدة وعن فترات مختلفة، أن الثلوج كانت تتجاوز بكثير الأماكن التي تعرفها اليوم، أو بعبارة مناخية أن خط الثلج الدائم وغير الدائم كان أوسع مما هو عليه الآن (*القرطاس*، 409) (*وصف إفريقيا*، 1 : 90 - 108 وما بعدها) كما أن كمياته المتساقطة كانت كبيرة، أكبر مما هي عليه الآن. بل إن مناطق جبلية كانت تعرف عواصف ثلجية شبيهة بعواصف المناطق الباردة من الكرة الأرضية (*وصف إفريقيا*، 1 : 285) مما كان يعوق حركة التنقل بين شطري المغرب الذي تفصل بينهما جبال درن وفازاز وتحول دون التنقل ما بين ساحل البحر الرومي (المتوسط) والداخل، لأن الممرات القليلة الموجودة فيها تقع على ارتفاع كبير فتتراكم فوقها الثلوج وتتعرض للعواصف، ذكر الحسن الوزان أحدها وسماه ممر بوريش وقال سمي بذلك لكثرة ثلوجه، ونفس الاسم أطلق على ممر آخر يربط ما بين الصحراء الشرقية والداخل خنگ الغربان (الذي سمي الريش) لكثرة ثلجه. أكبر مثال على هذه العراقيل يقدمه لنا *التشوف* (ص. 89) فقد استغرقت عودة وفد من المصامدة ذهب لزيارة أحد الأولياء في رباط ماسة أزيد من ستة شهور (بسبب الأمطار والثلوج).

فتنقل القوافل التجارية من السودان وإليه كان مرتبطاً بزوال الثلج من الممرات الجبلية، أو على الأقل توقف تساقطه، ومع ذلك كانت العواصف الثلجية تفاجئ أحياناً هؤلاء المسافرين وغيرهم فتقبرهم تحت أكوامها ؛ والحسن الوزان نفسه شهد أهوال إحدى هذه العواصف (*وصف إفريقيا*، 1 : 285).

شلّت الثلوج والأمطار التي تهاطلت على شمال المغرب وبالذات شمال جبال فازار شتاء عام 537 / 41 - 1142 حركة الجيوش الموحدية والمرابطية أزيد من خمسة عشر يوماً عانى فيها الفريقان الكثير من الأهوال. كما أن الأنهار المنحدرة من هذه الجبال أو القريبة منها كانت عائقاً آخر في وجه التنقلات خاصة في فترة تساقط الأمطار والثلوج وذوبانها.

إلى جانب هذه العوائق فإن التساقطات الثلجية تعتبر خيراً وبركة. فالأنهار والينابيع والآبار تتزود منها كما أن أساس الخصب الفلاحي الذي تحدثت عنه المصادر وأعجب به البكري وابن حوقل في سجلماسة وتامدولت ـ وهي مدن واقعة على نهر زيز ودرعة ـ ( *المغرب*، 163 ؛ *صورة الأرض*، 91) كان سببه فيضان تلك الأنهار بفعل ذوبان الثلوج المتراكمة على جبل درن، وعدم سقوطها أو قلة الكميات المتساقطة منها يحكم على تلك المناطق بالقحط والمجاعة، ويرجع خراب المدينتين الكبيرتين إلى عدة عوامل أهمها الجفاف وقلة المياه في النهرين لقلة تساقط الثلج الذي عرفه المغرب دوريا ابتداء من العهد المريني وأواخر العهد الموحدي.

فالثلج إذن تغيرت وتيرة تساقطه وإيقاعه الموسمي منذ العصر الوسيط الأدنى والأوسط، بل إننا وجدنا ـ حسب المصادر ـ اختلافات ما بين فترة وأخرى بل وما بين سنة وأخرى. تتبع الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* بدقة مناطق التساقطات الثلجية والمناطق الشديدة البرودة في الجبال المغربية فكانت في معظمها مطابقة لأوصاف من سبقه من الكتاب، لكن خط الثلج الذي نستخلصه من *وصف إفريقيا* قد تراجع اليوم كثيراً، وهو تراجع حصل بعد تذبذب عرفه خلال التاريخ الحديث والمعاصر، فمدينة فاس كان نزول الثلج بها أمراً عادياً في فترات من العصر الوسيط، يغطي سطوح المنازل لفترة طويلة حتى إن أصحاب الدور كانوا مزودين بمجارف (مدرات) لإزاحته من أعلى المنازل ومن الأزقة، بل إن صلاة الجمعة كانت لا تقام في المساجد في حالة نزول الثلج وتعذر زواله ( *المعيار*، 1 : 163) إلا أنه في التاريخ المعاصر سجل الضعيف نزول الثلج باندهاش في مدينة فاس والرباط رغم أنه وصف طريق إزاحته من أعلى البيوت والأزقة بنفس الطريقة القديمة :

ـ 12 جمادي الثانية 1107 / 12 يناير 1695 نزل ثلج عظيم وألهى الناس عن معاشهم أياماً (*تاريخ الضعيف* (مرقون)، 1 : 145).

ـ 9 ربيع الثاني 1167 / 3 فبراير 1754 نزل في الرباط ثلج عظيم ما رآه قطّ ولا ذكره أحد من المُسنين. ونزل بفاس ثلج عظيم ودام من الغداة إلى الليل واستمر إلى الصباح والزوال وملأ السطوح بارتفاع ذراع، ثم انقطع لكنه بقي ينزل بالمرات.

هذا الاندهاش من الضعيف الرباطي لم يكن من قبلُ خاصة في العهد المريني الأول، إذ كانت المناطق المجاورة للجبال والهضبة الوسطى التي تقع فيها الرباط وسط مناطق تدخل ضمن خط الثلج العادي. وما يمكن استنتاجه من هذه الإشارات القليلة والمتفرقة في الزمان والمكان عن الثلج، ومن الجرد الذي قدمه لنا الوزان، أن خط الثلج والثلج الدائم عرف تمدداً وتقلصاً خلال العصر الوسيط والحديث والمعاصر، إلا أن الغالب عليه هو التراجع الأفقي والعمودي الذي ازداد حدة منذ الستينات من هذا القرن. أسباب هذا التراجع مدروسة علمياً اليوم لكنها في حاجة إلى دراسة تاريخية أعمق.

أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، 1911 ـ 1965 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، 1938 ؛ أ. عزاوي، *رسائل موحدية جديدة*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا قدمت لكلية الآداب بالرباط (مرقون) 1986 ؛ مراكشي مجهول، *الاستبصار في عجائب الامصار*، 1958 و1985 ؛ التادلي ابن الزيات، *التشوف*، 1985 ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار*، 1957 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1980 ؛ الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا قدمت لكلية الآداب بالرباط، 84 / 85 (مرقون).

محمد حجاج الطويل

## الثلج ـ جغرافيا ـ ← التساقطات الثلجية

**الثُّلَيجَة**، (عام ـ) حدث مناخي استثنائي شهده المغرب سنة 1167 / 1754 ؛ إذ عرفت العدوتان سلا والرباط وفاس برداً قارساً مع هطول ثلج عظيم ليلة السبت 9 ربيع الثاني / 3 فبراير، لم تعرف مثله قط، واستمر التهاطل إلى يوم الإثنين الموالي، وبلغ ارتفاع الثلج أكثر من ذراع.

ولاستثنائية وقوع هذا الحدث المناخي، أطلق المغاربة على ذلك العام، اسم "عام الثليجة".

م. القادري، *نشر المثاني*، 4 : 98 ـ 99 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ص 156.

حسن أميلي

## ثنية الأكلاوي ← تيزي ـ نْ ـ تَلْوَات

**ثَنِيَّة الساسي**، إحدى معالم الحدود بين المغرب والجزائر بموجب اتفاقية مغنية الموقّعة بين المغرب وفرنسا سنة 1845. وهي عبارة عن منخفض طويل بين جبليْن، مما أضفى عليها طابعاً مميّزاً إلى حد اعتبارها إحدى معالم الحدود بين البلديْن، ويشكّل الموقع المذكور نهاية القسم الأول من الحدود المتفق عليها بين الطرفيْن. حيث كانت الاتفاقية المذكورة قد قسمت الحدود إلى ثلاثة أقسام، يمتد القسم الأول من مصب واد كيس في البحر المتوسط إلى ثَنِيَّة السَّاسي الواقعة على بعد 150 كلم إلى الجنوب، وتَمَيَّز هذا القِسم من الحدود بتعيين معالمه بدقة نسبية.

علي السوسي السملالي، *منتهى النقول ومشتهى العقول*، مخطوط. خ. ع رقم 633 الرباط ؛ أحمد العماري، *مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر*، رسالة جامعية كلية الآداب ـ الرباط 1981 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 5 ؛ *الوثائق*، مديرية الوثائق

الملكيـة - الرباط، العددان الأول والثـاني 1976 ؛ عكاشـة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي*.

La Martinière et Lacroix, *Documents*, T. I ; L. Voinot, *Oujda*.

عكاشة برحاب

**ثـــور** (بنو -)، فريق كبير من الصفافعة قبيلة بني حسن إقليم القنيطرة. موطنهم بالشمال الغربي من هذا الإقليم قرب لا لأيطو. وقُدر عدد خيامه (أسره) في مطلع القرن العشرين بأزيد من ستمائة 600 خيمة. وبنو ثور اليوم قسمان، قسم يمثل الجزء الشمالي الغربي من جماعة الصفافعة، بينما يمثل القسم الثاني الجزء الشرقي من الصفافعة ويحمل اسم جماعة "القصيبية".

نبغ من الثوريين عدد من الولاة والأمناء والشخصيات المهمة في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وبداية القرن الحالي، منهم من عرفوا بأسماء أخرى كآل بنخدة وآل ابن الشليح، ومنهم من احتفظ باسم الثوري.

مصطفى بوشعراء

**الـثّـور** (جبل -)، رأس يقع بشاطئ قبيلة أنجرة الموالي لبوغاز جبل طارق، ويعتبر جبل الثور بداية سلسلة جبال الريف. تقول الاسطورة اليونانية إن هذا الجبل هو الملك الموريطاني "أطلس" Atlas ابن نبتونو Neptuno أو جوبتير Jupiter وقد تحوّل إلى جبل وحُكم عليه بأن يحمل الأرض على ظهره إلى الأبد.

ولاشك أن اسم مرسى الثُّورة الموالي لهذا الرأس وكذلك اسم جزيرة ثُورة القريبة منه مأخوذ من اسم الرأس الذي حرفه الإسبان فأطلقوا عليه اسم رأس ثيريس Punta Cires.

أبو عبيد البكري، *المغرب*، 106.

Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos-historicos de Marruecos*, Madrid, 1913 *(La Odisea de Homero)* ; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 50 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 64 ; Comision histórica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos : protectorados y posesiones de España en Africa*, Madrid, 1936.

**ثُـورة** أو طورة (جزيرة -) تقع جزيرة ثُورَة بمياه بوغاز جبل طارق على الشاطئ المغربي بعيدة بثلاثمائة متر من ساحل قبيلة أنجرة شرقي رأس الثور ؛ وتُقدّر مساحتها بسبعين ألف متر مربع وعلوُّها فوق سطح البحر يصل إلى أربعة وسبعين متراً.

وقد ذكرها البكري (ص. 105) باسم ثُورة وتُورة، وقال إن الجغرافي محمد بن يوسف سماها "المبخة"، في حين أنها تعرف اليوم عند سكان القبيلة بجزيرة "الطُّورة" وقد أطلق عليها الأجانب عدة أسماء نذكر منها : جزيرة الاوبيسبّو Isla del Obispo (جزيرة الأسقف) وجزيرة الكورال Isla del Coral (جزيرة المرجان) وجزيرة البيرجيل Isla del Perejil (جزيرة المعدنوس) وهذا الاسم الأخير هو الذي تبناه جميع الكتّاب المغاربة وكأن الجزيرة ليس لها اسم مغربي تعرف به من قديم الزمن إلى يومنا هذا وهو اسم مأخوذ ولاشك من اسم الثّور الذي يوجد بالقرب منها.

والاخصاصيون في الأساطير اليونانية يؤكدون أن جزيرة ثورة هي الجزيرة التي أشار إليها هوميرو Homero في ملحمته *أوديسيا* Odisea وسماها بجزيرة أُوخيخْيَا Ogigia حيث كانت توجد الملكة كاليبّسو Calipso بنت ملك موريطانيا الملك أطلس Atlas، والملكة المذكورة هي التي حجزت البطل اليوناني أوليسيس Ulises بالجزيرة المذكورة.

رأس الثور

والجزيرة ثورة تاريخ حافل بالأحداث يتنافى مع ما جاء بخصوصه في *معلمة المدن والقبائل*.

أ. البكري، *المغرب*، 105 ؛ ع. بنعبد الله، *معلمة المدن والقبائل*، 174.

Berard, *Les phéniciens et l'Odyssée*, Paris, 1902, t. I, p. 241, 302 ; A. Garcia Perez, *Isla del Perejil*, Madrid, 1906 ; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 50 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 64

محمد ابن عزوز حكيم

**ثورة الدباغين** بفاس ← **بنيس محمد** بن المدني

**ثورة الملك والشعب**، هو الاسم الذي أطلق جلالة الملك الراحل محمد الخامس على ذكرى يوم 20 غشت 1953

وهو التاريخ الذي خلعت فيه السلطات الفرنسية جلالته ونفته إلى جزيرتي كورسيكا أولاً ومدغشقر ثانياً. فلما عاد من منفاه وتبوأ العرش من جديد أعلن في الذكرى الثالثة لهذا الحدث يوم 20 غشت 1956 : "ها نحن نستقبل هذه الذكرى التي أطلقنا عليها اسم ثورة الملك والشعب والتي تقرر إحياؤها كل سنة". وفعلاً لم ينقطع الاحتفال بها منذ ذلك الوقت حتى الآن. وهي مناسبة للتذكير بالنضال الذي خاضه العرش والشعب في سبيل الاستقلال والتنبيه إلى ما ينبغي القيام به للدفاع عن حوزة الوطن والنهوض به. وبهذه المناسبة يلقي العاهل المغربي خطاباً في موضوع من مواضيع الساعة.

لنذكر باختصار وقائع حادث 20 غشت 1953 في الأزمة التي شهدتها العلاقات المغربية ـ الفرنسية منذ المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944، وامتناع فرنسا بإصرار من تلبية هذا المطلب. اشتد النزاع بين جلالة محمد الخامس والحركة الوطنية من جهة، وسلطات الحماية المدعومة من الحكومة الفرنسية من جهة أخرى. واستفحلت الأزمة بالخصوص في عهد المقيمين العامين المريشال جوان وخلفه الجنرال گيوم إلى أن أفضت إلى قمع الحركة الاستقلالية واعتقال ونفي قادتها ومصادرة جميع الحريات العامة يوم 8 ديسمبر 1952 تمهيداً لخلع جلالة محمد الخامس.

حاولت سلطات الحماية بعد ذلك أن تُرهب العاهل المغربي لتثنيه عن موقفه من المطالبة باستقلال بلاده. فما أفلحت بالرغم عن جميع أنواع التهديد والوعيد. فقررت ـ بعد الحصول على تصديق الحكومة الفرنسية ـ أن تخلع محمداً الخامس.

في 20 غشت 1953 طوقت القوات الفرنسية كل الأحياء المحيطة بالقصر الملكي وأقفلت الأبواب وقطعت الطرق المؤدية إليه، كما وضعت المطار العسكري بسلا في حالة تأهب. وفي الساعة الثانية بعد الزوال توجه الجنرال گيوم مقيم فرنسا العامّ إلى القصر الملكي تحيط به جماعة من كبار الموظفين الفرنسيين يتقدمهم مدير الأمن الفرنسي بعد ما طلب مقابلة مستعجلة من محمد الخامس. خرج العاهل بلباس خفيف لمقابلته محاطاً بنجليه صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي عبد الله. لم يؤد الجنرال گيوم التحية المعتادة لرمز السيادة المغربية، وإنما وجه له الخطاب في نبرة متجهّمة ووجه عبوس طالباً منه أن يتنازل عن سلطاته للصدر الأعظم. فرفض محمد الخامس عرض فرنسا. فما كان من هذا الأخير إلا أن أومأ برأسه لمدير الأمن فتقدم ووضع يده على كتف العاهل. ثم أشار الجنرال گيوم إلى ضابط من ضباط حرسه فجذب محمداً الخامس وجذب ابنيه من ورائه شاهراً رشاشة في ظهرهما. ولم يسمح الجنرال گيوم للعاهل ونجليه بتوديع أهل بيتهم وساقهم ضباط الدرك تحت تهديد المسدسات والرشاشات. أقلتهم سيارة عسكرية مغطاة إلى المطار العسكري حيث وُضعوا في طائرة صغيرة كانت تنتظرهم، وحطّت بهم في مطار أجاكسيو بجزيرة كورسيكا. واختارت الحكومة الفرنسية قرية زونزا مقراً لنفيهم.

خلعت السلطات الفرنسية محمداً الخامس ونصبت مكانه دميةً لها اسمه ابن عرفة بتآمر مع جماعة من كبار المتآمرين أمثال باشا مراكش الحاج التهامي الأگلاوي وأحد كبار العلماء عبد الحي الكتاني. وأراد أصحاب هذه المؤامرة أن تكون قضاء مبرماً على كل أمل في حرية المغرب واستقلاله، فكانت بداية معلمة بطولية أدى أدوارها محمد الخامس وشعبه وعُرفت بثورة الملك الشعب.

في نفس اليوم الذي خُلع فيه محمد الخامس ـ 20 غشت 1953 ـ وجه الزعيم علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال نداء من إذاعة القاهرة ندد فيه بالمؤامرة ضد المشروعية المتمثلة في العاهل المخلوع معلنا : "إن الملك الشرعي كان وسيظل هو محمداً الخامس" وأهاب بالشعب في الختام "أن يواصل كفاحه من أجل استقلال البلاد وأن يبذل كل ما يستطيع للذب عن كرامة ملكنا الشرعي وإعادته إلى عرشه عالي الرأس موفور الكرامة". كما أكد الزعيم باسم الشعب المغربي"إننا لن نتقهقر عن موقفنا أو نحيد عن خطتنا إلى أن نحقق آمال الأمة في الحرية والاستقلال".

لقد مُس الشعب المغربي بإبعاد محمد الخامس رمز السيادة الوطنية في شرفه وأقدس ما يملك. فانتفض للثأر والدفاع. "في نفس اليوم الذي خلع فيه محمد الخامس انتظمت جماعة لمدينة القنيطرة تتألف من ثلاثة أشخاص وصمموا على الكفاح بالوسائل المباشرة. وسرعان ما انتشر "الارهاب" ضارباً لا الأشخاص وحدهم بل الممتلكات بتحطيم العمارات وإحراق المحاصيل الزارعية كذلك" على حد قول أحد المؤرخين. وقد انتشر العنف في كثير من الجهات، في المدن وفي القرى، وحفلت الصحف الاستعمارية بالتقارير والتعليقات عن تلك الأحداث.

بعد ثلاثة أسابيع من خلع محمد الخامس، وقعت أول عملية فدائية ضد ابن عرفة "رمز الخيانة" حين خرج يوم الجمعة 11 شتنبر وسط الهيئة المخزنية وتحت حراسة مشددة لأداء صلاة الجمعة في مسجد "المشور" بالساحة المجاورة للقصر الملكي بالرباط. كانت أول مرة يبدو فيها ابن عرفة لعموم السكان. اقترب الموكب الرسمي من المسجد، حين اخترق رجل الصفوف في سيارة قديمة وصدم فرس الدعي ابن عرفة الذي سقط على الأرض، فهوى عليه الرجل بسكين يريد قتله لولا أن الضابط الفرنسي المكلف بحراسة ابن عرفة أطلق النار على الفدائي فأرداه قتيلاً. كان هذا الرجل واسمه علال بن عبد الله أول شهيد آذن بتفجير الثورة العارمة التي استمرت مدة سنتين "ولم تهدأ حتى رجع محمد الخامس".

وقع تخريب خط السكة الحديدية الدار البيضاء ـ الجزائر

مرتين قتل أثناءهما وجرح العشرات. ألقيت القنابل في الرباط على موظفي الإقامة العامة. صرع الكثير من أعوان الباشا الأگلاوي. بمناسبة رأس السنة الميلادية سنة 1953. وضعت قنبلة في السوق المركزي بالدار البيضاء أسفرت عن عشرين قتيلا وعشرات الجرحى. وبالرغم عن اعتقال المآت وصدور الأحكام بالإعدام والأشغال الشاقة مدى الحياة أو لفترات طويلة، لم تهدأ عمليات الفداء.

في 20 فبراير 1954 ألقى الفدائيون بمراكش على التهامي الأگلاوي قنبلة أخطأته وأصابت مقتل بعض حراسه. وفي يوم 5 مارس قام ابن عرفة بزيارة رسمية لمراكش واستُقبل بحفاوة بالغة من لدن المقيم العام الجنرال گيوم والباشا الأگلاوي. وفي المسجد الذي ذهب لأداء صلاة الجمعة فيه ألقيت قنبلة على ابن عرفة أصابته بجروح في وجهه. وفي أبريل من نفس السنة قَتَل فدائيٌ الدكتورَ إيرو مدير جديدة "لافيجي ماروكان" وأحد الاستعماريين المتطرفين. لكن أكبر عملية فدائية قامت بها جماعة في مراكش بمناسبة زيارة وداع المقيم العام الجنرال گيوم في 24 مايو 1954 ألقيت قنبلة على الموكب الرسمي مستهدفة بذلك رأس المؤامرة ورمز الجيش الفرنسي.

هذه أمثلة فقط عن الأعمال الفدائية التي فجرتها ثورة الملك والشعب والتي لم تتح بعد فرصة تسجيلها تسجيلاً دقيقاً محكماً هي والامتحانات العسيرة والاستشهادات الرائعة التي استهدف لها مئات، بل آلاف الفدائيين من المقاومين وجيش التحرير بعد ذلك. فمسحوا العار، وأسهموا بأوفى نصيب مع التضحية الكبرى التي أقدم عليها جلالة محمد الخامس وأسرته ومن حوله الحركة الوطنية في إعادة المشروعية برجوع العاهل الكريم ومعه الحرية والاستقلال.

قد يطول ذكر جميع الفدائيين الذين استرخصوا أرواحهم أو استبسلوا وضحّوا بسنوات عديدة من أعمارهم دفاعاً عن المشروعية والاستقلال. فلنقتصر على بعض الأعلام البارزين منهم : علال بن عبد الله، محمد الزرقطوني، أحمد الراشدي، حمان الفطواكي، محمد السلاوي، عباس المسعدي، إبرَاهيم الروداني، الحسن بن حموش الزكرتي، محمد الحنصالي، الحاج عمرو الريفي، فاطمة الزهراء، عبد الله الشفشاوني وغيرهم كثير ممن لايتسع المقام لذكرهم جميعاً.

ذكرنا أن جلالة محمد الخامس قرر بعد عودته من المنفى إحياء ذكرى 20 غشت كل سنة. ولم ينقطع الاحتفال بهذه السُّنة إلى اليوم حيث يلقى العاهل بهذه المناسبة خطاباً في موضوع من مواضيع الساعة. لقد ذكر محمد الخامس في الخطب التي ألقاها بهذه المناسبة قبل وفاته : "إن يوم 20 غشت الذي أريد أن يكون نهاية كفاح كان يوم يقظة وانتباه". وقال أيضاً : "لكن كانت ثورة 20 غشت لتحطيم سيطرة الأجنبي، فمعركة اليوم للمحافظة على ما جنيناه وتربية الجماهير تربية سياسية قومية ولاستئصال آثار التفرقة والتخاذل والتباغض" وفي ذكرى أخرى قال جلالة المرحوم : "علينا أن نتذكر ما لقينا من شدة، وقاسينا من بلاء لنواصل العمل ونضاعف الجهود لبناء استقلالنا والمحافظة على حريتنا".

وقد سار جلالة الحسن الثاني على سنن والده، فركز في بداية عهده على عدة قضايا وقتية بمناسبة ذكريات 20 غشت. من جملتها الجلاء وتوحيد البلاد، وتحديد الاختيارات في الميادين العامة، واسترجاع أراضي الاستعمار وتنظيم الحكم على أساس ملكية دستورية. وفي ذكرى 1969 نبه إلى وجوب الاهتمام بالمشاكل الوطنية الكبرى لاسيما القوات المسلحة والسيادة الخارجية وعدم النظر إليها بنظرة ضيقة بل بشمولية تتسع إلى القرن الحادي والعشرين.

أكد العاهل بمناسبة الانتخابات التشريعية في خطاب غشت 1970 على الحرية ومفاهيمها وقيمتها الخلقية وأوصى الشعب بقوله : "أنت مقبل على الانتخابات. فاستفت قلبك وضميرك. كل واحد إذا انتخب فسيقوم بواجب وطني وواجب تفرضه عليه المواطنة". وحين وقعت أحداث الصخيرات والاعتداء على الطائرة الملكية استخلص جلالة الحسن الثاني النتائج وندد بالانشقاق في صفوف المؤسسات الوطنية.

في غشت 1975 حين صح عزم جلالة الملك على تحرير الصحراء وقبيل المسيرة الخضراء، ذكر في خطابه بتلك المناسبة : "صرحت أمام الملإ أجمع وأمام الضمير العالمي : نحن نريد تحرير صحرائنا بالوسائل السلمية وبالطرق القانونية. إن الحرب هي المعركة الأخيرة التي يمكن أن يركبها الإنسان إذا فشلت المعارك الدبلوماسية كلها". وفي 1981 حين قرر جلالة الملك لاستفتاء في الصحراء قال في خطابه : "سنقوم باستفتاء ولكن في ذهننا هذا الاستفتاء هو استفتاء تأكيدي". كما عاد جلالته إلى الموضوع مرات عديدة في مناسبات 20 غشت مؤكداً على وجوب وضع حد لخرافة البوليساريو والجمهورية الصحراوية.

هذا، وقد تطرق جلالة الحسن الثاني بمناسبة ذكريات ثورة الملك والشعب إلى قضايا وطنية عامة في الاقتصاد والاجتماع وخاصة التعليم. وفي الذكرى الأخيرة تعرض جلالته إلى الحكم معلناً أنه سيختار رئيس الحكومة في نهاية سنة 1994 من المعارضة وأكد ذلك في افتتاح السنة التشريعية الثانية بمجلس النواب إذ أعلن جلالته أنه سيُعيّن الوزير الأول من صفوف المعارضة تدشيناً لمبدإ التناوب، ولأحزاب المعارضة أن تتحالف مع من تشاء من الأحزاب الأخرى في البرلمان لضمان أغلبية قارة.

هذه عجالة عن "ثورة الملك والشعب". والأمل أن يتوفر الباحثون على تحرير قصة تلك الملحمة الرائعة التي قام بها ملك بطل وشعب أبيّ حتى حقق الحرية والاستقلال.

*الخطب الملكية السامية بمناسبة ذكرى 20 غشت المجيدة، الذكرى الأربعون لثورة الملك والشعب (1953 . 1993)*، (نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير) ؛ الحسن العرائشي، *انطلاق المقاومة المغربية وتطورها*، الرباط، 1982 ؛ قاسم الزهيري، *محمد الخامس الملك البطل*، الرباط.

S. Bernard, *Le conflit franco-marocain, 1943 - 1956* ; C-A Julien, *Le Maroc face aux impérialismes, 1415 - 1956*, Paris, 1978.

قاسم الزهيري

**الثوري، بوشعيب** بن الجيلالي بن قاسم من بني ثور الحسنويين. كان سنة 1311 / 1894 ضمن قواد الصفافعة متوليا على فخذات المكاثرة والشراوطة وبني گمرة والغراريين وسواهم. والمظنون أنه عزل بعد ذلك إلى أن كانت سنة 1326 / 1908 فعين قائداً على الدواغر أيضاً ثم على العبابدة. ومكث كذلك إلى سنة 1330 / 1911. ولما عين قائداً على العبابدة الذين كان لهم قائدهم منذ سنة 1322 / 1105 وهو الجيلالي بن الحسن العبادي الملقب بوخريص، كتب بوشعيب إلى السلطان أن خصمه الجيلالي المذكور وصل إلى السلطة بطريقة غير مشروعة على يد الفرنسيين.

**الثوري، عبد الكبير** بن أحمد أكبر وأشهر عمال الصفافعة خلال العهد الحسني. ولي على بني ثور حوالي سنة 1295 / 1878، وامتدت ولايته على كافة الفرقة. وقد أصبح ذلك ميسراً له لما عزل القائد الراضي بن الطاهر بن الراضي الخدلاوي الداغري للمرة الثانية سنة 1296 / 1879، وتوفي الحاج يحيى الحنوني قائد أولاد حنون سنة 1302 / 1885 وسجن قائد العبابدة مسعود بن عبد الرحمان العبادي سنة 1297 / 1880 حتى توفي هو وولده حمو بحبس سلا سنة 1301 / 1884، وسجن قائد أولاد عبد الله والرسوم عبد السلام بن تَهُّوم العبدلاوي سنة 1302 / 1885. وهكذا أصبح عبد الكبير قائداً على جميع الصفافعة.

وكان حازماً ضابطاً ناصحاً قوي الشكيمة، فكان السلطان مولاي الحسن يعهد إليه بمهمات كبيرة مثل شد عضد عمال بني حسن على إخوانهم أو نصرتهم على عدوان جيرانهم زمور.

ومع أن سيرته كانت محمودة فقد سعى به بعض الأمناء الذين عينهم السلطان بالقبائل لإطلاعه على ما يجري ذاكرين أنه أهمل وظيفته بغيابه عن إيالته. فكتب إلى السلطان مبينا سبب ذهابه إلى سلا لصلة الرحم مع ولد له يقرأ بأحد كتاتيب المدينة، وعودته إلى بني ثور بعد ثلاثة أيام فقط.

وكانت له مكانة رفيعة عند السلطان لأنه كان يباشر أعماله بنفسه : "والعز كل العز بمباشرتنا لأمور المخزانية بنفسنا، ولا نتكل فيها على أحد غيرنا ... وأما ما جاد عليَّ به مولانا وأنعم علينا به من العلو في الرتبة والزيادة فيها لا يقاس فضل مولانا ولا يخفى حسبما برسالته إلى السلطان سنة 1302 / 1885 لما أصبح قائداً وحيداً للصفافعة. واستمر في منصبه إلى وفاته سنة 1310 / 1893. ولما أُحصي متروكه وجد فيه 4.000 ريال و6 من الخيل، بحيث لم تجاوز جميع ثروته 7،807 ريالات.

**الثوري، محمد** بن عبد الكبير بن أحمد ولي بعد وفاة أبيه مباشرة، واستمر عاملا نحو السنتين حتى أمر المخزن بتثقيف أملاكه التي كانت بحوزته ومنها داران. ولاشك أن عزله ووضع الحجر على أمواله كانا بسبب شططه، إذ نسب إليه تسلطه على أمة على وجه الظلم والتعدي سنة 1312 / 1895. ولم يلبث أن مات في السنة الموالية.

م. بوشعراء، *"علاقة المخزن بأحواز سلا"*، قبيلة بني حْسَن، 1860 . 1912، ص. 99 . 107 . 113 . 114 . 115 و117 ؛ *التعريف ببني سعيد*، ج 2 ص. 170.

مصطفى بوشعراء

**الثُّوم**، بالعربية وتيشْرْتْ أو تيسكرت بالأمازيغية، نبات يسمى علمياً آلْيُوم سَاتِيڤُومْ Allium Sativum وهو من نفس جنس وفصيلة البَصل وهي الزنبقيات : Liliaceae.

الثُّوم نبات من وحيدات الفلقة، معمر ببصلته التي تحتوي على فصوص بيضاوية أو هلالية الشكل ومغطاة بغشاء أبيض. أوراقه مبططة ضيقة، وأزهاره ذات لون أبيض ومجتمعة على رُوَيس يكون مغطى بغشاء قبل تفتح النورات.

يُزرع الثوم بالمغرب في الأراضي السقوية والبورية من المناطق شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة، وينتج درنات وفصوصاً عرفت منذ القدم، وخاصة في تتبيل الأطعمة المطبوخة أو الطازجة مثل السلاطات.

يستهلك الثوم كثيراً بالمغرب، وخاصة في المناطق الساحلية، ويدخر في باقات معلقة تحفظه لمدة طويلة، وللثوم أهمية غذائية وطبية معروفة في التطبيب التقليدي والعصري، نظراً لكونه يحتوي على مواد مطهرة ومضادة للباكتيريا.

ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. عبد المجيد زاهر وآخرين، القاهرة، 1962 ؛ *دراسة ميدانية*.

عبد المالك بنعبيد

# ج

**الجَابَاضُول** - بالضاد واللام وليس بالدال والراء كما شاع بين الناس - رداء خارجي حضري يوضع فوق الملابس الداخلية عند رغبة الرجل في التزين أو الخروج من منزله لقضاء مآربه الخاصة. وهو شبيه بالجلباب لكنه يختلف عنه في أنه مفتوح من الأمام ولاقُبٌ له وتنتهي أكمامه وحواشيه كلها بالسفيفة والأشرطة المظفورة.

نقل رداء الجاباضول إلى المغرب من الشرق مع الأتراك العثمانيين حين بسطوا نفوذهم على معظم بلاد المشرق وشمالي إفريقيا. وإن لم يتمكن الاتراك من إدراج المغرب ضمن المناطق التي كانوا يحكمونها، فان تأثيرهم لم توقفه الحدود بين الجزائر والمغرب ابتداء من القرن العاشر (16م)، خاصة على مستوى الغذاء واللباس وبعض العادات الاجتماعية الأخرى، لاسيما في الحواضر وعند الأوساط الاجتماعية العليا حيث كانت عادات السلوك في أمور الحياة لدى الأتراك نموذجا يقتدى به ويقتبس منه.

كان الجاباضول يلبس في تركيا كرداء خارجي فوق الملابس. استعمل في بادئ الأمر للحفاظ على دفء الجسم في المناطق الباردة من تركيا من جبال الأناضول، ثم تطور شكله وارتقى، وأصبح لباساً خارجياً يرتديه معظم سكان تركيا في جميع المناطق والفصول والمناسبات. لقد كان هذا

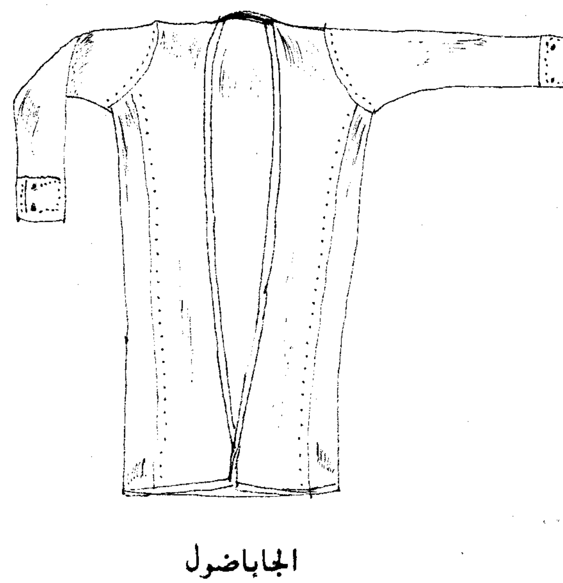

الجاباضول

الرداء بتعبير آخر جلباب الأتراك ثم انتشر استعماله في سائر أرجاء المشرق والمغرب كما وقع للقفطان نفسه، فانتقل من بلاد فارس إلى باقي بلدان المشرق والمغرب على يد الأتراك أيضاً.

تتكون لفظة الجاباضول في الأصل من كلمتين عربيتين هما جلباب الأناضول أدغمت الأولى في الثانية ثم خفف نطقها. حرف السواد الأعظم من الناس هذه الكلمة، مسلمين ويهوداً على السواء، من جاباضول إلى جاباضولي ثم زابادول وزابادولي وجابادور.

مازال عدد من الناس يطلقون اسم الجاباضول خطأ على كسوة المحصور التي كانت تتألف من أربع قطع يوضع الجاباضول فوقها، فسماها العامة باسمه على التغليب. وكان الكثير من أهل الحواضر المغربية يسمي كسوة المحصور بالكسوة الرباعية لأنها تتكون من أربع قطع. وإذا أضيفت إليها قطعة خامسة هي رداء الجاباضول تكون عادة من نفس لون القطع الأخرى، دعوها الكسوة الخماسية أو الخماسية مجردة لأنها تتكون من خمس قطع هي السراويل الفضفاضة وبدعيتان (صدريتان)، واحدة سفلى وثانية عليا، ومعطف لايتعدى الخصر يسمى المنتال أو الكبوط ثم الجاباضول وهو الرداء الخارجي.

وكانت الكسوة الخماسية هي اللباس المفضل بالنسبة للتجار والحرفيين الميسورين ورؤساء البحر والعديد من الطلبة والفقهاء في عدة مدن مغربية. وكان يوصف من يرتديها بالأناقة والذوق الدقيق. لكن ارتداء الجاباضول فوق القطع الأربع المذكورة بدأ يختفي بالتدريج منذ أواخر القرن الثالث عشر (19م) فظلت الكسوة الرباعية وحدها تحافظ على الاستمرار. إلا أنه في الوقت الذي تراجع فيه الجاباضول حلّ محله الجلباب القديم وخاصة عند المغاربة المسلمين. أما المغاربة اليهود فظلوا يحافظون على ارتدائه لمدة طويلة تحت نفس الاسم أو باسم اليلكة. ومازال الجاباضول يشاهد دالا على ماض تليد في الزي الرسمي الذي تلبسه فرقة الخمسة والخمسين الموسيقية النحاسية التابعة للحرس الملكي حتى اليوم، لكنه يتحول بشكل واضح إلى قطعة متحفية.

P. Jacquet, *Au Maroc de notre jeunesse*, Montpellier,

1987 ; A. Laroui, *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain. 1912 - 1956*. Paris. 1977 ; J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, rééd.. Rabat. 1988 ; J. Erckmann, *Le Maroc moderne*. Paris. 1885 ; O. Lenz : *Tinbouctou : Voyage au Maroc et au Soudan*. Paris. 1886 ; R. Letourneau, *Fès avant le Protectorat*. Casablanca, 1949 ; S. Benkhalifa, *Le costume dans la tradition*. *Echanges*. n° 3. vol. 1. 1979.

محمد بوسلام

**جابر**، بيت قديم بفاس، لم يتحقق صاحب جنى زهر الآس هل هم بربر من أيت جابر من بني سادن، أم عرب من بني جابر من جُذام القحطانيين، والنسبة إليه "جابر". ولم يبق منهم بفاس في وقت تأليف الكتاب - منتصف القرن الرابع عشر (20 م) - سوى علال بن مَحمد بن الحاج عبد النبي جابر، وابن عمه إدريس بن محمد بن الحاج التاودي جابر، وكلاهما مؤذنٌ بضريح المولى إدريس، ولكل منهما أولاد ذكر المؤلف أسماءهم.

ابن **جابر، محمد** بن يحيى بن محمد بن يحيى بن جابر الغسانيّ النِّجار، المكناسي الدار، لاتُمدُّنا المصادر التي بين أيدينا بتاريخ ولادته. يذكره ابن غازي في جملة شيوخه قائلاً : "ومنهم الأستاذ المقرئ الشاعر المجيد المحسن شيخ شيوخنا أبو عبد الله محمد ... ابن جابر ذو التصانيف الحسان، والقصائد العجيبة ..."

عاش ابن جابر في العصر المريني، وتوفي في عهد آخر ملوك هذه الأسرة أي عبد الحق بن أبي سعيد عثمان المريني (824 - 869) : وعاصر فطاحل علماء المغرب والأندلس وأدبائهما، أمثال لسان الدين ابن الخطيب وابن خلدون.

نال ابن جابر من التعليم والعلم ما كان يناله طالب مغربي مجد في هذه الفترة من التاريخ، فقد حفظ القرآن الكريم وقرأه بروايات القراء السبعة، ودرس العلوم المختلفة الرائجة في عصره. وأسهم في تكوينه وتربيته جمٌّ غفير من أساتذته الذين ذكر بعضهم في كتبه، معترفا بفضلهم، ومشيداً بكفاءتهم العلمية ومنهم : الإمام محمد بن علي المصمودي المراكشي الشهير بابن عليوات. ومحمد بن علي الذكواني الأندلسي. وأبو القاسم بن داود السلوي، وعبد الله بن الحسن اللخمي المعروف بابن الأصفر. والعالم العددي الفرضي علي بن يوسف التلاجدوتي المعروف بسيدي علي بن يشّو، وهو من شيوخ مكناسة المرموقين. والقاضي محمد بن قاضي الجماعة أحمد الغمّاز، فقد أخذ عنه *صحيح البخاري* بسنده المتصل بالإمام مؤلفه، وأحمد ابن محمد المصمودي الماجري التلمساني الذي روى بالمدينة المنورة عن الإمام جمال الدين الكازروني، وأحمد بن يحيى ابن عبد المنّان.

ومن تلاميذ ابن جابر الغساني ابنه محمد الذي يصفه ابن غازي بالشيخ المعمَّر، ويروي عنه بعض ما يتعلق بوالده، ويحلّيه في كتابه *الروض الهتون* قائلاً : شيخنا الزكيّ الواعية، أبو عبد الله ابن الشيخ الاستاذ الحافظ، استفدت منه كثيراً. ومن أغبط ما أخذت منه المصافحة المروية عن طريق أبي العباس الخضر. ومحمد بن قاسم القوري اللخمي المكناسي (804 - 872)، أستاذ ابن غازي والشيخ عبد الله الزموري شارح كتاب *الشفا* للقاضي عياض. وعلي بن محمد الزقّاق التجيبي خطيب جامع الأندلس بفاس وناظم *المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب*، أي مذهب الإمام مالك. والمفتي وخطيب القرويين أبو مهدي عيسى بن أحمد الماواسي. ومحمد بن عبد العزيز - المعروف بالحاج عزوز - الصنهاجي المكناسي الذي يصفه مؤلف *الروض الهتون* بالشيخ الذكي المتفنّن الحجّة.

ومن شعره :

نَظرتُ إلى الوجود بعَيْنِ قَلبِي ... فلَمْ أرَ فيه غيْرَ اللّه وحْـدَهْ

فكُنْ باللّه، وارْجُ اللّهَ، واعْمَلْ ... لِلُقْيَا اللّه، تَأمَنْ كلَّ شدَّهْ

لابن جابر مؤلفات يعتبر بعضها مفقوداً أو شبه مفقود ؛ وهذه أهمها :

*تأليف في رسم القرآن الكريم* ؛ و*شرح التلمسانية في الفرائض*، ومؤلفها هو التلمساني أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري التلمساني الغرناطي المالقي السبتي (609 - 690 هـ) وقد وصف لسان الدين ابن الخطيب هذه المنظومة "بالشهيرة في الفرائض، وأنها لم يصنّف في فنّها أحسن منها"، و*تسميط البردة* للإمام البوصيري ؛ و*نظم رجال الحلية* للأصبهاني ؛ و*تقييد إصلاحات على مورد الظمآن* للشريشي. و*نزهة الناظر في التعريف ببلده مكناسة الزيتون* ؛ و*منية العابر* وهي أرجوزة في تعبير الرؤى. تحتوي على ثمانية وعشرين وخمسة آلاف بيت.

م. ابن جابر، *منية العابر*، تح. ع. العمراني ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، مجلد أول، تح. ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، جزء 3 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون* (طبعة فاس الحجرية) ؛ أ. ابن القاضي، *درّة الحجال*. الترجمة رقم 772. 1 : 289 - 290.

عبد الله العمراني

بنو **جابر** ← **جُشم**

**الجابري**، أسرة فاسية عريقة من عرب جذام القحطانيين، "كان منهم بفاس العدول والأخيار والصالحون" منهم محمد بن أحمد الجابري الذي كان منتصباً للشهادة بسماط العدول عام 1114، وابن عمه الفقيه العدل محمد بن محمد الجابري عام 1130، وبقيا على العدالة إلى وفاتهما. وذكر مؤلف *جنى زهر الآس* بعد ذلك أن أولاد الجابري مازالوا بفاس حتى ذلك الوقت (منتصف القرن الرابع عشر (20 م) وعدَّ جملة وافرة منهم.

**الجابري، أحمد حمدون** بن عثمان الفاسي، كان صالحاً بهلولاً متجرداً ملامتياً لا يُعرف له شيخ ويدعى "عَيْشَه اختي". يذكر الناس له كرامات كثيرة ويعتقدونه ويجلونه. وكان ينتقد سلوك قومه على طريقة البهاليل : حضر يوم عيد بالمصلى، فلما نزل الخطيب صعد المنبر وجعل يأمر الناس بعكس ما أمرهم به الإمام، إشارة إلى أنهم لا يسمعون ولا يطيعون ولا يتأثرون بالمواعظ.

توفي مطعوناً سنة 1056 / 1646، ودفن وراء روضة الصالح محمد بن الحسن خارج باب عجيسة.

م. الإفراني، *صفوة*، 82 ؛ م. القادري، *نشر*، *موسوعة أعلام المغرب*، 4 : 1425 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 130 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، مخطوط ؛ ع. الكبير الكتاني ، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

**الجابري، أحمد** بن **المجذوب** (الحاج -) بن عبد الرحمان بن عبد الكريم اللمطي، من أولاد الجابري المعروفين بفاس. عالم مشارك مطلع ذكر ابن سودة في *إتحاف المطالع* أنه كان ولوعاً باقتناء الكتب على اختلاف فنونها، ويعرف خطوط جل علماء فاس المتأخرين، وخطوط النساخ المحترفين بفاس، وجمع خزانة مهمة "كانت تعدّ بفاس من أغلى الخزائن" وحبّسها على أحفاده في آخر عمره.

توفي بعد غروب يوم عيد الأضحى من عام 1359 / 9 يناير 1941 ودفن بزاوية سيدي المحجوب التي صارت تدعى زاوية الشيخ محمد بن علال الوزاني بحومة الزنجفور بفاس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 3080.

**الجابري، طاهر** القصري يكنى أبا البقاء، قال في حقه في *نشر المثاني* "الفقيه الأديب خطيب الجامع السعيد من القصر".

توفي عام 1126 / 1714.

م. القادري، *نشر*، *موسوعة أعلام المغرب*، 5 : 1948.

**الجابري، عبد الحق** الفاسي، تعلم الموسيقى الأندلسية على يد المطرب الشهير ابن نصيحة الذي كان لدى السلطان محمد بن عبد الله كالموصلي لدى الرشيد العباسي، وقد تفوق الجابري حتى أصبح آية في عزف الرباب خاصة، وإلى ذلك كان حسن الصوت في السماع وفي تقطيع نغمات الأطباع. وقد أشاد بغنائه الشيخ حمدون ابن الحاج (ت. 1232) قائلاً :

إن السماع لَمُقْلَةٌ إنسانُها في الجابري

وكان مقربًا إلى السلطان عبد الرحمان بن هشام (1238-1276 هـ) إلاّ أنه لا يعرف تاريخ وفاته.

أ. سكيرج، *كشف الحجاب*. الطبعة المصرية. ص. 274 - 277.

**الجابري، عبد السلام** الفاسي، موسيقي آخر، عاصره المؤرخ محمد الضعيف، وأتى على ذكره من بين الموسيقيين الفاسيين الذين ضمهم مجلس سمر انعقد بمدينة وزان عام ستة ومائتين وألف على العهد السليماني، وكان عازفا على العود.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، ص 258.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الجابري، عبد الله** الرهوني، نسبة إلى قبيلة رهونة الغمارية وأحد مشاهير الصوفية في المغرب خلال القرن العاشر (16م). وإذا كان كتّاب التراجم والمناقب لم يهتموا بتفاصيل حياته الشخصية أو العلمية، فإنهم ذكروا أهم ماميّز نشاطه الصوفي.

وهكذا يصنف عبد الله الجابري، ضمن مريدي الشيخ الشهير عبد الله الغزواني (*دوحة*، 36 ؛ *ممتع*، 72)، أكبر مريدي الشيخ عبد العزيز التباع، خليفة الشيخ الأكبر مَحمد بن سليمان الجزولي مؤسس الطريقة الجزولية الشاذلية. وهذا يعني أن عبد الله الجابري ينتمي إلى الطبقة الثالثة في الطائفة الجزولية، أخذ عن مؤسسها بواسطتين.

ويلاحظ أيضاً أن عبد الله الجابري امتاز في "جزوليته" بسلوكات وصفات وشارات خاصة أهمها :

- التقشف والزهد وما شاكلهما من ورع ومسكنة وتواضع، حتى إنه اشتهر بلباس خاص مكون من "كساء صوف لايلبس معها غيرها" (*دوحة*، 36) عكس كثير ممن انتسبوا إلى الجزولية واشتهروا بلباسهم الرفيع الأنيق، مثل الشيخ بوعبيد الشرقي دفين أبي الجعد.

- التبري من الدعاوي (*دوحة*، 36) ومن ثم وبالنظر إلى سنده العالي في الطريقة الجزولية وسلوكه الصوفي المتميز، بلغ عبد الله الجابري مقاماً عالياً في هذه الطريقة على غرار شيخه، كما يبدو من الصفات التي وُصف بها في كتب التراجم، والتي يُلَخّصها صاحب *الدوحة* بقوله : "كان إذا توجه إلى أمر انفعل بقدرة الله تعالى، وكراماته منقولة بالتواتر، وكان رحمه الله إذا هاجت الفتن بين القبائل يخرج فيدعو الناس إلى العافية ( = السلم) فمن تأبّى عنها أظهر الله فيه الاعتبار بقدرته في الحال ولم تقم له قائمة... وكانت إجابة دعوته كفلق الصبح ... نادرة من نوادر الزمان، حدثني عنه غير واحد من الفقهاء والفقراء بعجائب وغرائب كثيرة لاتحصى رحمه الله" (*دوحة*، 36).

توفي عبد الله الجابري الرهوني، حوالي عام 939 / 1532، ودفن بزاويته بقبيلة رهونة في بلاد غمارة الجبلية.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1396 - 1976 ؛

م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية بفاس 1313 - 1996 ؛

أ. الوارث، *الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب*

*خلال القرن السادس عشر*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، مرقونة بكلية الآداب بفاس، 1988م.

أحمد الوارث

**الجابري، محمد** بن عبد الرحمان الساهل، فقيه عدل، كان يعلّم الصبيان بكتّاب في سويقة ابن صافي بفاس. توفي في رمضان عام 1072 / 1661.

ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، *موسوعة أعلام المغرب*، 4 : 1510.

**الجابري، يوسف** بن العز من أهل بادية سلا، ومنها انتقل إلى فاس، حلاه في *جنى زهر الآس* بـ "الولي الصالح، الشيخ المجتهد الناصح، المنور الباطن والظاهر، المتحلي بحلية الأخيار والأكابر، أبي يعقوب وأبي الحجاج ...". كانت له خاصية إبراء عدد من العاهات المزمنة، وفراسة قوية للتمييز بين الأبرار والأشرار وكأنه ينظر إلى قلوبهم وبواطنهم.

توفي بفاس عام 773 / 1371.

م. الحضرمي، *السلسل العذب* ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 319 ؛ ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

**الجادري، عبد الرحمان** بن محمد المديوني، ولد بمكناسة الزيتون سنة 777 / 1376 م واستوطن مدينة فاس. كان فقيهاً محدثاً وعدلاً مبرزاً ونحوياً حيسوبياً. تولى خطة التوقيت بجامع القرويين إلى جانب تصدره للإفتاء حيث أورد له الونشريسي في *المعيار* مجموعة من فتاويه.

تتلمذ الجادري على كثير من علماء عصره في المغرب وخارجه، فأخذ الفقه والحديث والنحو والقراءات عن كل من الفقيه محمد الفخار ومحمد القيسي وعبد الرحمان المكّودي وإسماعيل ابن الأحمر وعلي ابن الإمام وعثمان الزرويلي وأضرابهم. ودرس علم التوقيت على شيخ الفلكيين في عصره محمد ابن عمر الموقت المشهور. وأخذ عنه كثير من طلبة مكناس وفاس، منهم علي بن هارون المكناسي وعلي بن منُّون المكناسي وعبد الله ابن العريف وغيرهم.

ترك الجادري مؤلفات كثيرة أدبية وعلمية وفقهية وفلكية ذكر ابن القاضي بعضها في *الجذوة*، منها في الفلك شرح رجز *أبي مقرع*، استطرد فيه بعض ما يقع في المغرب من العادات في بعض أيام السنة، و*روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار*، هو رجز من ثلاثمائة وستة وثلاثين بيتاً وشرحه بنفسه بكتاب *اقتطاف الأنوار من روضة الأزهار*، فلقي إقبالاً من الدارسين من عهد المؤلف إلى أيامنا هذه، ووضعت عليه شروح كثيرة أخرى لمغاربة وغيرهم.

وله كتاب *في الفلك* جمع فيه بين العمل بآلة الأسطرلاب وبالصحيفة الشكازية وبربع الدائرة والعمل بالحساب والجدول وهو في اثنين وأربعين بابا ؛ و*تنبيه الأنام على ما يحدث في أيام العام*، عارض به تقييد ابن البناء العددي المراكشي الذي تكلم فيه عن تحديد الساعات وبداية كل فصل من الفصول الأربعة بمراكش، فحاول الجادري أن يجاري ابن البناء ويقوم بنفس العمل حول مدينة فاس. وله في القراءات رجز سماه *النافع في أصول (أو أصل) حروف نافع* ؛ وشرح *الدرر اللوامع في مقروء الإمام نافع* لعلي بن محمد التسولي اللمطي المعروف بابن بري ؛ وشرح *أرجوزة* شيخه القيسي في الضبط ؛ ومختصر شرح *الخاقانية* للداني. وله في النحو كتاب *المذكر والمؤنث* ؛ و*فهرس* عدّ فيها مشيخته، كما شرح *بردة البوصيري* التي رواها عن عدد من الشيوخ، أمثال إسماعيل ابن الأحمر، ومحمد بن أبي الفضل بن عبد الله بن أبي مدين العثماني وأحمد بن محمد التينملي المراكشي والشيخ محمد بن جابر الوادي آشي. وتجدر الإشارة إلى أن شرح الجادري للبردة ماهو في الحقيقة إلا مختصر من شرح شيخه ابن الأحمر المذكور. ولايزال هذا الشرح مخطوطاً في نسختين، توجد الأولى بخزانة القرويين تحت رقم 643 والثانية بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم 368 ضمن مجموع.

توفي الجادري سنة 818 / 1415 م ودفن داخل باب الفتوح بفاس وقيل في وفاته غير هذا.

ع. الجادري، *اقتطاف الأنوار من روضة الأزهار*، وهو منشور ضمن كتاب *علم المواقيت أصوله ومناهجه*، تح. م. العربي الخطابي، المحمدية، 1986 ؛ م. ابن غازي، *التعلل برسوم الإسناد*، تح. محمد الزاهي، الدار البيضاء، 1979، ص. 85 ؛ *الروض الهتون*، الرباط، 1952، ص.26 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1982، الاجزاء 3 و 4 و 6 و 7 و 12 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 237 ـ 404 ـ 491 ؛ *درة الحجال*، تح. م الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1979، ج 3 : 250 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، بيروت د. ت. ص. 171 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : 502 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، 1982، 1 : 295 ـ 296؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الرباط، 1983، ج 1 : 116 ؛ *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1979، ص. 277 ـ 278 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب*، المحمدية، 1976، ج 1 : 158 ؛ *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 138 ؛ م. الدباغ، *من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني*، الدار البيضاء 1992، ص. 116 ـ 146.

M. Benchekroun, *La vie intellectuelle marocaine sous les mérinides et les wattasides*, Rabat, 1974, pp. 247 - 250.

رشيد السلامي

**الجاري**، أحمد. مقاوم ولد سنة 1338 / 1919 بدوار أيت العيز قبيلة أيت مساعد بايموزار مرموشة. انخرط في صفوف جيش التحرير أثناء ثورة ثاني أكتوبر 1955 ضمن

تشكيلة السيد ميمون أُعقى. شارك في الهجوم على مستودع للسلاح الفرنسي حيث سقط شهيداً إثر انفجار قنبلة أثناء وجوده داخل المستودع، وكان ذلك في 1375 / أكتوبر 1955.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 2 : 31.

**الجاسوس**، متصوف مجهول الهوية، عاش بمدينة تطوان زمن حكم السيدة الحرّة في أواسط القرن العاشر (16م)، أشار ابن عسكر في *دوحة الناشر* إلى أن إطلاق لقب الجاسوس عليه يعود إلى كون هذا الرجل صادفته سريةٌ من المسلمين متوجهة للإغارة على نصارى سبتة، وهو على ساحل البحر بمقربة من المدينة المحتلة، فظنوه من الجواسيس وقبضوا عليه وقدموا به إلى تطوان حيث تم اعتقاله بها مدة طويلة.

ولما أطلق سراحه، أصبح يأوي مع طلبة العلم في مصرية على ميضأة الجامع محبسة لذلك الغرض، منعزلاً عن غيره، لايتكلم مع أحد، باستثناء الصبيان الصغار الذين كان يحدثهم بكلام تغلب عليه رطانة البربر. وكان لايقبل من أحد شيئاً إلا من رجل أو رجلين لايأخذ منهما إلا الطعام دون أن يكلمهما. وأما القطع النقدية فكان لا يقبلها، ولا يمسها بيديه البتة. كما كان يظهر التخليط في صلاته وركعاته.

وأما لباسه، فكان يشتريه له الرجل الصالح محمد البهجة الأندلسي من أصحاب الشيخ أبي الحسن علي الفحل التطواني، يشتري له على رأس كل سنة برنسا وجلبابا وشاشية، يحملها ويترصده بالمسجد حتى يمر به، فيُلبسه إيّاها ويتصدق بالثياب البالية وهو لا ينكر من فعله شيئاً.

وقد أورد ابن عسكر عن بعض طلبة العلم، ان مكوث هذا الرجل معهم بالمصرية المذكورة كان في زاوية منها لايزاحمه فيها أحد منهم، ويبقى في موضعه حت ينام الجميع، فيقوم ويشد حزامه، ويجعل رمحه في يده، ويتقلد سيفاً كان عنده، ثم يبارح المصرية والأبوابُ مغلقة، ولايدرون أين ذهب. حتى إذا أصبح الصبح، وجاء البوابون لفتح الأبواب، وجدوه في الخارج وعليه أثر السفر، وبلل الندى على رجليه وثيابه، وكان هذا شأنه على الدوام.

ولما اشتهر عنه ظهور الكرامات، ازدحم الناس عليه وهو يفر منهم، إلى أن كانت وفاته في العشرة السابعة من القرن العاشر.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 42 ـ 44.

حسن أميلي

**جاكسن جيمز گري**، James Grey Jackson رحالة إنجليزي قدم إلى المغرب صدر القرن الثالث عشر (19م)، وتجول في ربوعه، وكتب عن رحلته تأليفاً عنوانه : *عرض عن إيالة مراكش* : *An Account of The Empire of Morocco*، طبع الكتاب بلندن سنة 1814.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 4 : 1508.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. I, p. 79.

مصطفى بوشعراء

**جالفة**، Galapha مدينة من المغرب القديم، انفرد بذكرها الجغرافي بطوليمايوس Ptolémaeus الذي عاش خلال القرن الثاني للميلاد، وهو ينتمي لمدينة الإسكندرية في مصر.

حدد الكاتب موقع هذه المدينة على خريطة موريطانية الطنجية شرق نهر ملوية Molochath والمدينة التي تحمل نفس الاسم. وذلك حسب الإحداثيات التالية : الطول 11 درجة، العرض 32 درجة و40 (Ptolémée, IV, 1, 7).

اعتبر بعض الدارسين المحدثين أن هذه المدينة تقع في أقصى نقطة شرق موريطانية الطنجية، على الطريق الداخلية التي تربطها مع موريطانية القيصرية عبرممر تازا الحالية، انطلاقاً من مدينة تريسديس Trisides مروراً بمدينة بينته.

وعلى هذا الأساس اقترح توڤنو Thouvenot أن مدينة جالفة تقع في المغرب الشرقي بناحية العيون ووجدة، بينما جعلها شميت Schmitt في نواحي عين گتارة بشمال بلاد الگعدة في المغرب الشرقي كذلك.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; *Index de topographie antique du Maroc, P.S.A.M.*, 7, Rabat, 1938 ; P. Schmitt, *Le Maroc d'après la géographie de Claude Ptolémée*, Th. 3ème cycle, Tours, 1973 ; R. Thouvenot, *Le géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Maurétanies*, *R.E.A.*, 64, 1962, p. 82 - 88.

محمد مجدوب

**الجالية المغربية بالخارج**، تجمع معظم الأدبيات التي اهتمت بالهجرة الدولية المغربية، على أن هاته الأخيرة عرفت انطلاقتها الحقيقية ـ كهجرة للعمل ـ من بداية القرن العشرين وبشكل خاص مع التغلغل الفرنسي بالجزائر، حيث كان المغاربة يعملون داخل ضيعات المعمرين. لقد تم توطيد أولى أسس الهجرة الدولية المغربية أثناء الحماية، هاته الأسس التي تنامت لتأخذ أبعاداً أكثر أهمية عبر الزمان. ارتبطت هاته الهجرة في بدايتها بمنطقتي الريف الشرقي وسوس كمناطق انطلاق من جهة، وبفرنسا كدولة وصول من جهة ثانية. غير أن مناطق الإنطلاق ستتوسع كما ستتوسع مناطق الوصول أيضاً.

أخذت فرنسا تستقطب معظم تيارات الهجرة الدولية قبل الستينات. فكان المغرب يشكل خزانا لليد العاملة

التي تحتاجها فرنسا غداة فترة الحماية وأثناء الاستقلال، وهكذا عرفت الهجرة الدولية المغربية إلى فرنسا باعتبارها بلد الاستقبال الوحيد آنذاك - تطوراً غير منتظم حسب حاجياتها. فعلى سبيل المثال جلبت فرنسا حوالي 3500 مغربي خلال الفترة 1914 - 1918، إضافة إلى حوالي 3700 مغربي آخر تم إقحامهم ضمن الجبهات الحربية، بعد أن كان عدد المهاجرين المغاربة بفرنسا لا يتعدى 7000 مهاجر سنة 1915. بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تقلص عدد المهاجرين المغاربة المقيمين بفرنسا بشكل قانوني إلى 3000 مهاجر فقط سنة 1919 ليصبح حوالي 21000 مهاجر سنة 1930. غير أن عدد المغاربة بفرنسا تطور من جديد أثناء الحرب العالمية الثانية حيث بلغ حوالي 44.000 سنة 1945.

وتدخلت الدولة الفرنسية في أكثر من مرة من خلال مجموعة من الظهائر قصد تقنين هاته الهجرة كظهائر 1924 و1925 و1931. وقد استقر المعدل السنوي للهجرة الدولية المغربية إلى فرنسا في 3000 مهاجر خلال الفترة 1956 - 1960. وتم التركيز على فرنسا باعتبارها بلد الاستقبال الأول للهجرة المغربية إن لم نقل الوحيد قبل الستينات.

بعد مرحلة الستينات عرفت الهجرة الدولية المغربية مناحي أخرى عديدة، فرغم أن فرنسا ظلت تستقطب أعلى نسبة من تيارات الهجرة الدولية المغربية حيث تراوحت بين 78٪ سنة 1972 و98٪ سنة 1974، بدأت هاته النسبة في التراجع بعد الستينات نتيجة توقيع المغرب لمجموعة من الاتفاقيات بشأن الهجرة الدولية. وهكذا ظهرت أسواق عمل جديدة تمثلت في البداية في هولاندا وألمانيا وبلجيكا. ونظراً لهذا الوضع الجديد فإن فرنسا لم تستقطب خلال الفترة 1960 - 1972 أكثر من 73٪ من التيارات الهجرية المغربية متبوعة بهولاند بنسبة 11,43٪ مقابل 7,38٪ بالنسبة لألمانيا و7,38 بالنسبة لبلجيكا خلال نفس الفترة.

وعموماً فإن المعدل السنوي للهجرة الدولية المغربية بشكل عام عرف تطوراً متلاحقاً إلى حدود منتصف السبعينات، ويبرز ذلك على سبيل المثال من خلال المعدل السنوي للمهاجرين المغاربة المتوافدين على دول المجموعة الأوربية (الشكل رقم 1). فإذا ما استثنينا سنوات 1965 و1967 و1971 و1972 فإننا نلاحظ أنّ منحنى التطور ظل في تصاعد مستمر إلى حدود 1974. وقد جاء هذا التطور نتيجة ضغوط أرباب العمل على حكوماتهم من أجل إفساح المجال بشكل أكبر لليد العاملة إثر الثورة الصناعية التي عرفتها أوربا الجنوبية خلال الستينات وبعدها.

غير أن هذا المعدل السنوي للهجرة الدولية المغربية سيتناقص من 30578 مهاجر سنة 1974 إلى 9922 مهاجر 1975، ليتراوح بين 11869 و13122 مهاجر خلال الفترة 1976 و1982، بيد أنه لم يتعد 3775 مهاجر سنة 1987 (الشكل رقم 1). إن هذا التراجع للمعدل السنوي جاء إثر أزمة البترول حيث عملت الدول الأوربية على التقليص من اليد العاملة.

شكل رقم 1 : مناطق انطلاق الهجرة الدولية المغربية 1969 - 1972

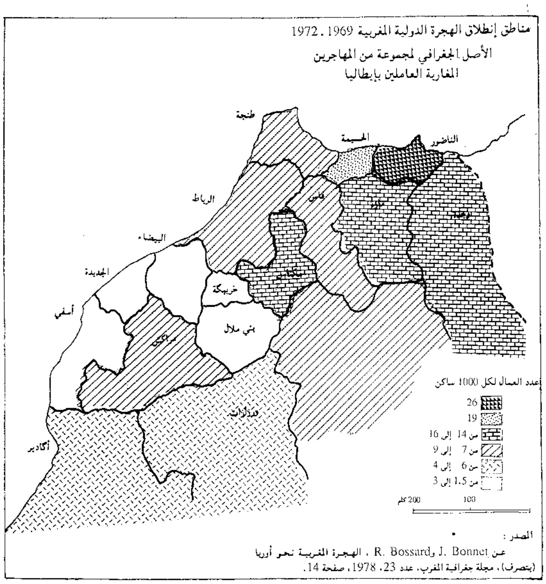


إن تراجع المعدل السنوي لم يعن بأي حال من الأحوال تراجع الهجرة الدولية المغربية بشكل عام، ونلمس ذلك بوضوح من خلال المنحنى العام لتطور الجالية المغربية بالخارج. ويعزى هذا التطور بالأساس إلى انفتاح تيارات الهجرة الدولية على أسواق عمل جديدة بشكل لافت للنظر خاصة في منتصف الثمانينات وبداية التسعينات، الشيء الذي أعطى نفسا جديداً للهجرة الدولية المغربية. ونخص بالذكر هنا إيطاليا كدولة اسقبال جديدة. فعدد المهاجرين المغاربة المقيمين بايطاليا بشكل قانوني لم يكن يتعدى 1.188 مهاجر سنة 1981 تم أصبح 17.107 سنة 1987، غير أن هذا العدد انتقل إلى 100.752 مهاجر سنة 1993. وتجدر الإشارة إلى أن نسبة المهاجرين المغاربة المقيمين بايطاليا بشكل غير قانوني كانت تتعدى 30٪ في بداية التسعينات. وتحتل إيطاليا المرتبة الرابعة حالياً كدولة استقبال للهجرة الدولية المغربية بعد فرنسا وبلجيكا وهولاندا.

شكل رقم 2 : الأصل الجغرافي لمجموعة من المهاجرين المغاربة العاملين في إيطاليا

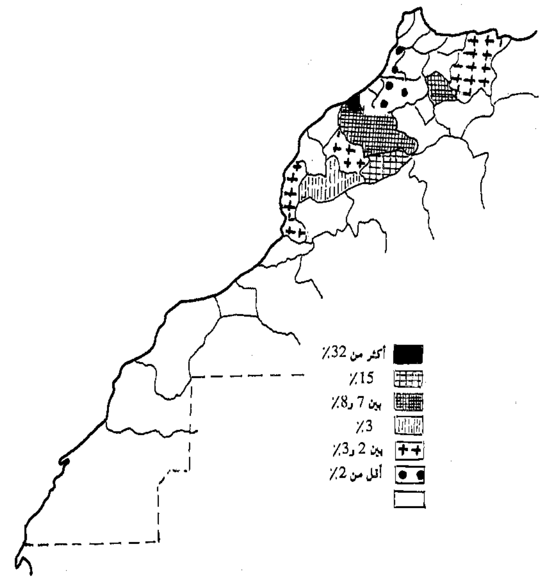


ما يمكن استخلاصه إذن هو تراجع الهيمنة الفرنسية من حيث استقطابها الكلي لتيارات الهجرة الدولية المغربية وذلك نتيجة ظهور دول استقبال جديدة سواء داخل أوربا أو خارجها.

فعلى سبيل المثال تقلصت نسبة استقطاب فرنسا لتيارات الهجرة الدولية المغربية من 59،4 ٪ سنة 1984 إلى 52،43 ٪ سنة 1992، بينما ارتفعت نسبة استقطاب إيطاليا للجالية المغربية من 1،8٪ نسة 1984 إلى 9،67٪ سنة 1992، وبذلك انتقلت من الرتبة الثامنة من حيث استقطابها للجالية المغربية سنة 1984 إلى المرتبة الرابعة سنة 1992 (الشكل 2 والجدول رقم 1).

جدول رقم 1 : التوزيع الجغرافي الراهن للجالية المغربية المقيمة بالخارج

| الدول | عدد المهاجرين | الدول | عدد المهاجرين |
|---|---|---|---|
| فرنسا | 703.000 | العربية السعودية | 11.000 |
| هولاندا | 180.000 | الإمارات العربية | 03.000 |
| بلجيكا | 160.000 | الكويت | 700 |
| إيطاليا | 130.000 | عمان | 110 |
| إسبانيا | 80.000 | اليمن | 180 |
| ألمانيا | 65.000 | مجموع د. الخليج العربي | 14.990 |
| بريطانيا | 18.000 | السنغال | 2.000 |
| دول أوربية أخرى | 17.300 | ساحل العاج | 1.500 |
| مجموع د. أوربا | 1.353.300 | بلدان اخرى | 1.500 |
| ليبيا | 90.000 | المجموع | 5.000 |
| الجزائر | 100.000 | كندا أمريكا | 65.000 |
| تونس | 15.000 | بلدان أسيوية | 200 |
| موريتانيا | 300 | استراليا | 800 |
| مجموع المغرب العربي | 205.300 | م. دول امريكا واسيا | 66.000 |
| المجموع العام | | 1.644.590 | |

المصدر : وزارة الجالية المغربية

كانت مناطق انطلاق الهجرة الدولية بالمغرب ضيقة تنحصر أساساً في المناطق الريفية ومنطقة سوس. وظل الوضع كذلك إلى غاية فترة الستينات، حيث ساهمت الأقاليم الشمالية ضمن تيارات الهجرة الدولية المغربية سنة 1965 بنسبة 33،5٪ مقابل 23٪ بالنسبة لمنطقة سوس. وتم تقسيم مناطق انطلاق الهجرة الدولية المغربية في بداية السبعينات إلى أربع مناطق تبعاً لأهمية التيارات الهجرية المنطلقة منها حيث سجلت نفس الملاحظة السابقة (الجدول رقم 2).

جدول رقم 2 : توزيع الهجرة الدولية المغربية حسب جهات الانطلاق (1969 ـ 1972)

| | | |
|---|---|---|
| الأقاليم الشمالية | 41.700 | 37،79 |
| محور القنيطرة ـ البيضاء | 23.000 | 20،86 |
| الجنوب | 22.000 | 19،95 |
| فاس ـ سايس ـ مكناس | 16.000 | 14،51 |
| باقي الجهات الأخرى | 7.600 | 6،89 |
| المجموع | 110.300 | 100،00 |

يبدو من خلال الجدول أعلاه أن نسبة تيارات الهجرة الدولية غير متجانسة جهويا. فالأقاليم الشمالية ومحور القنيطرة ـ البيضاء يساهمان بأكثر من 58٪ ضمن تيارات الهجرة الدولية. بينما لم تساهم باقي الجهات الأخرى (الجهات غير المحددة) والمتمثلة في السهول الأطلنتية والداخلية وهضبة الفوسفاط بأكثر من 6،89٪ (الجدول رقم 2).

ويبرز عدم تجانس مناطق انطلاق الهجرة الدولية من حيث مساهمتها ضمن تيارات الهجرة الدولية أيضاً، من خلال الخريطة رقم 1. وتعتبر أقاليم بني ملال وخريبكة والبيضاء والجديدة وآسفي أضعف المناطق مساهمة في مسلسل الهجرة الدولية، فهاته المناطق لم تندمج بعد بشكل واضح ضمن مسلسل الهجرة الدولية. إلا أن عدم الاندماج هذا لن يطول كثيراً. فالهجرة الدولية لم تعد حكراً على المناطق الأولى التقليدية، كمنطقتي الريف وسوس، بل أصبحت تهم مجموع الجهات المغربية سواء كانت فقيرة أو غنية، ونخص بالذكر منطقة تادلا باعتبارها من أهم المناطق الفلاحية المسقية بالمغرب. إلا أنها أصبحت الآن من أهم مناطق انطلاق الهجرة الدولية الحديثة والمتجهة أساساً إلى إيطاليا. وتنطبق نفس الملاحظة على منطقة خريبكة والبيضاء ومنطقة بني مسكين. والجدير بالملاحظة هو أن التيارات الهجرية الحديثة انطلقت أساساً من المناطق التي كانت تبدو ضعيفة من حيث مساهمتها في تيارات الهجرة الدولية المنطلقة قبل نهاية السبعينات وبداية الثمانينات،

ونلمس ذلك بوضوح من خلال مقارنتنا للخريطتين 1 و2، فالخريطة رقم 2 توضح اندماج جهات متعددة ضمن مسلسل الهجرة الدولية الحديث، وخاصة المتجهة منها إلى إيطاليا.

إن واقع الهجرة الدولية المغربية تطور بشكل جلي في الوقت الراهن، إن على مستوى دول الوصول، حيث ظهرت أسواق عمل جديدة من بينها إيطاليا واسبانيا، أو على مستوى الانطلاق، حيث اندمجت جهات جديدة بكل ثقلها ضمن مسلسل الهجرة الدولية كأقاليم سطات والبيضاء وخريبكة وبني ملال. يعزى انتشار الهجرة الدولية ضمن مجموع التراب المغربي إلى أسباب متداخلة بعضها مرتبط بالمغرب كبلد انطلاق وبعضها الآخر مرتبط بدول الاستقبال.

منير صالح، *من الفقيه بن صالح إلى ميلانو، الهجرة الدولية المغربية إلى ايطاليا وتأثيرها على مناطق الانطلاق*. رسالة لنيل د.د.ع، كلية الآداب بالرباط 1996 ؛ والمصادر المذكورة في آخر هذه الرسالة.

A. Belguendouz. *Le cadre général de l'émigration marocaine en liason avec la problématique de l'immobilier au Maroc pour la communauté marocaine à l'étranger*. 1991 ; M. Berriane. *Etude des mouvements migratoires du Maroc vers la communauté européenne*. 1992 (Rapport préliminaire 1992) ; M. Refass. *Un siècle d'émigration marocaine vers l'étranger*. vol. 15. nouvelle série, n° 1 et 2. 1993.

منير صالح

**الجامع**، مسجد كبير تقام فيه صلاة الجمعة. ولم يرد الجامع بهذا المعنى في القرآن، وإنما ورد فيه المسجد، فكان يقال مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد قُباء والمسجد الاقصى. نعم جاء الجامع في الحديث وصفاً للمسجد إذ ترجم البخاري في *الصحيح* : باب الاستسقاء في المسجد الجامع.

وقد وُجد في المغرب المسجد والجامع، واستُعمل فيه الاسمان معاً دون أن يكون بينهما حد فاصل، إلا أن الجامع أخذ اهتماماً أكبر في كتب التاريخ والحوليات والحوالات الوقفية لأهميته وسعته وتعدد مرافقه وزخارفه ووفرة ريع أوقافه في أغلب الأحيان.

عرف المغرب الجامع ـ كالمسجد ـ مع دخول الإسلام في منتصف القرن الهجري الأول، وإذا كان أول جامع أسس في منطقة المغرب الكبير هو جامع عقبة الذي بناه في ولايته الأولى على افريقية وسط مدينة القيروان عام 50 / 670، فإن هذا الفاتح العربي في ولايته الثانية عام 62 / 682 توغل حتى وصل إلى المحيط، فكان من آثاره الباقية في جنوب المغرب الأقصى المسجد الجامع المنسوب إليه : مسجد عقبة أو رباط عقبة على ضفة نفيس أحد الأنهار المتفرعة عن وادي تانسيفت بضاحية مراكش. ووردت نسبته إليه عند أبي عبيد البكري في *المسالك والممالك*، وكذلك المسجد الجامع المنسوب لأحد أصحابه شاكر : مسجد شاكر أو رباط شاكر على ضفاف وادي تانسيفت الذي قال عنه ابن الزيات في *التشوف* : "إن الصالحين كانوا يسافرون إليه في كل رمضان" يجتمعون فيه لقراءة القرآن وختمه ليلة السابع والعشرين. ثم صار رباط شاكر ـ في جملة رباطات أخرى ـ دار جهاد لمقاومة نحلة البرغواطيين المنشرة في بلاد تامسنا. وكان موسى بن نصير اللخمي والياً على افريقية عام 85 / 704 وفتح سبتة من يد يوليان حاكمها من قبل البيزنطيين أو القوط، حوّل كنيستها إلى جامع أدخلت عليه تغييرات مهمة في مطلع القرن الخامس (9 م) وظل يعد الجامع العتيق بسبتة (*اختصار الأخبار*، ص 10) كما أسس جامعاً آخر نسب إليه : جامع موسى بن نصير على ربوة عالية في قبيلة بني حسان جنوبي مدينة تطوان على نحو خمسة وثلاثين كلم منها، ويسمى أيضاً جامع البيضاء وجامع الملائكة، يحيط به حتى اليوم ثلاث عيون جارية من جهات الشرق والغرب والجنوب، وكانت تقام فيه الجمعة والصلوات الخمس، ثم أصابه تلاش فجُدد مراراً وصُغر حتى أصبح اليوم مربع الشكل لايتعدى طوله خمسة أمتار (*معلمة المغرب*، ص 1950). ويوجد جامع آخر شبيه بجامع موسى في شكله ومادة بنائه يسمى جامع تكطشت في قمة جبل مطل على شاطئ البحر المتوسط الممتد بين ترغة وتيجساس بقبيلة بني زيات الغمارية، وجامع ثالث ينسب إلى فاتح الأندلس طارق بن زياد باشرافات على مقربة من شفشاون (*معلمة المغرب*، ص 2509).

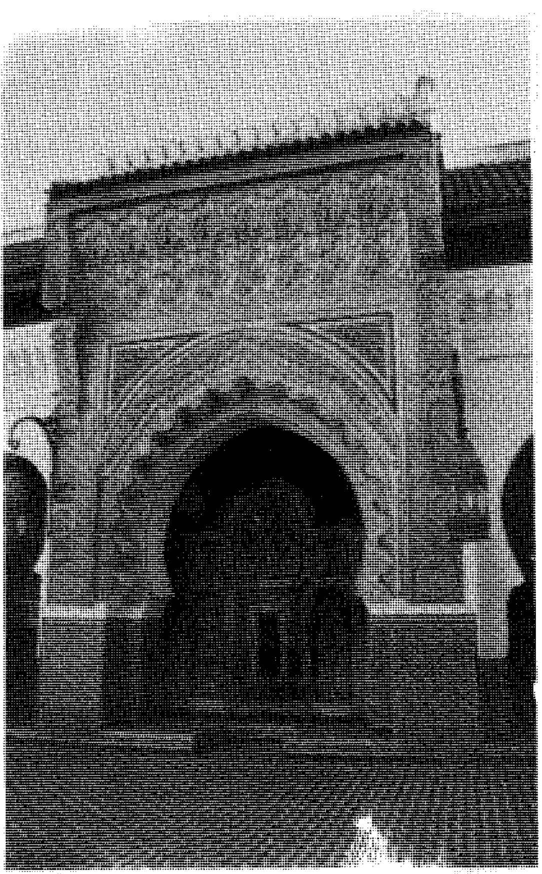

جامع القرويين

ثم تكاثرت الجوامع في المغرب بعد عهد الفاتحين الأولين وطوال العصر الإسلامي بحيث يصعب إن لم أقل يتعذر إحصاء ما اندثر منها ومابقي، وسأجتزئ في هذه العجالة باستعراض خاطف لأشهر الجوامع المشيدة في مختلف الجهات منذ نشأة الدولة المغربية إلى اليوم، وألمّ في النهاية إلماماً خفيفاً بالدور التعليمي للجامع.

عندما أسس إدريس الأزهر مدينة فاس شرع في بناء عدوة الأندلس يوم الخميس مهل ربيع الأول عام 192 / 4 يناير 808 حتى إذا أكمل سورها بنى بها جامعاً للخطبة سمي جامع الأشياخ فكان الجامع العتيق لمدينة فاس وهو المعروف اليوم بجامع النوار في أعلى عقبة الصفاح من حومة جرواوة. ثم أخذ في بناء عدوة القرويين في مهل ربيع الأول من العام التالي 193 / 23 دجنبر 808 فلما أكمل سورها بنى بها جامعاً للخطبة سمي جامع الأشراف حيث ضريح المولى إدريس ( *الدر الثمين*، 203) وفي عهد حافده يحيى الأول أسست أم البنين فاطمة الفهرية جامع القرويين وأختها مريم الفهرية جامع الأندلس في عام 245 / 860 م. ورغم كبر هذين الجامعين فإن صلاة الجمعة ظلت تقام بفاس طيلة عهد الأدارسة في كل من جامع الأشياخ وجامع الأشراف باعتبارهما الجامعين العتيقين، ولم تُنقل الخطبة إلى جامع القرويين وجامع الأندلس إلا في سنة 321 / 933 م عندما دخلت مدينة فاس تحت حكم الزناتيين ( *المصدر الأخير*، ص 304). فقامت ضجة بين الفقهاء، من مؤيد ومعارض، دامت زهاء خمسة قرون وكان أحمد الونشريسي مؤلف *المعيار* من آخر مَن أفتى وألّف فيها.

ولما أسس المرابطون مدينة مراكش شيدوا فيها مساجد عديدة أيام يوسف بن تاشفين، ثم بنى فيها ولده علي بن يوسف في مطلع القرن السادس (12 م) الجامع العظيم المنسوب إليه : جامع ابن يوسف فكان آية في السعة والمتانة والدقة في اتجاه القبلة، ثم نافسهم الموحدون عند ما آلت إليهم الدولة، فشيد عبد المومن بن علي جامع الكتبيين الشهير، وبنى جامع تينمل بجوار ضريح المهدي ابن تومرت في الممر الجبلي الرابط بين مراكش وتارودانت، بعد انتصاره على المرابطين عام 541 / 1146.

وبلغ حافده يعقوب المنصور الغاية في إقامة الجوامع حيث بني في مراكش جامع المنصور وأنشأ به المقصورة الهندسية العجيبة التي كانت تظهر إذا استقر هو ووزراؤه بمصلاه منها وتختفي إذا غادروا الجامع. ولما عزم المنصور على الجواز إلى الأندلس بقصد الجهاد عام 591 / 1195 أمر ببناء صومعة جامع الكتبيين بمراكش. وتأسيس رباط الفتح وجامعه الكبير وبناء جامع حسان وصومعته، وأشرف في الأندلس على بناء جامع اشبيلية وصومعته، فكانت هذه الجوامع والصوامع الثلاث آية في الضخامة والفخامة وضرب بها المثل في العلو والأناقة والإتقان. وبعد رجوع المنصور إلى المغرب أمر بتشييد الجامع الأعظم بسلا في حي الطالعة "كان يعمل في بنائه ونقل حجارته وترابه سبعمائة أسير من أسارى الإفرنج في قيودها" ( *الاستقصا*، 2 : 174).

وقد اتجهت سياسة المرينيين إلى تشييد المدارس بالدرجة الأولى بإزاء الجوامع الكبرى في مختلف الحواضر، ومع ذلك لم يخل عهدهم من إقامة جوامع كان لها ذكر في التاريخ، منها : جامع المدينة البيضاء (فاس الجديد) التي اختطها إلى جانب فاس الإدريسية، السلطان يعقوب بن عبد الحق، عام 677 / 1278، والجامع الأعظم بتازا الذي شيده يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق عام 689 / 1290 م. ولما جدد الأندلسيون المهاجرون مدينة تطاون في أواخر القرن التاسع (15 م) أنشأوا بها الجامع الكبير "وهو جامع القصبة الذي مازال معروفاً بهذا الاسم إلى الآن وقد جُدد بناؤه في أوائل هذا القرن" (*تطوان*، 1 : 93).

ثم عرفت حركة تشييد الجوامع انطلاقة جديدة مع دولتي الشرفاء، فأسس محمد المهدي الشيخ السعدي بحاضرته الأولى المحمدية (تارودانت) في أوائل العقد الرابع من القرن العاشر (16 م) ثلاثة جوامع، هي الجامع الكبير بوسط المدينة، وجامع القصبة السلطانية، وجامع سيدي أُسيدي (*خلال جزولة*، 4 : 148 ـ 149). ونالت مدينة مراكش في عهد السعديين الحظ الأوفر من هذه المؤسسات الدينية حين جددوا معالمها بعدما أصابها في القرون الخالية من إهمال وخراب، فأحيوا جوامعها العتيقة، وأنشأ عبد الله الغالب حوالي عام 965 / 1558 جامع الشرفاء بحي المواسين وسط المدينة، وبنى أبو فارس عبد لله الواثق الجامع الكبير بجوار ضريح أبي العباس السبتي. وشيدت مسعودة الوزكيتية والدة السلطان أحمد المنصور الذهبي عام 995 / 1587 جامع الحرة بباب دكالة.

وفي الفترة الأخيرة من عهد الدولة السعدية، أسس الشيخ أبو بكر الدلائي (ت 1021 / 1612) في زاويته القديمة بالأطلس المتوسط الجامع الكبير الذي أصبح مركزاً علمياً مقصوداً كما سنرى، وشيد حفيده السلطان محمد الحاج الدلائي في مدينة الدلاء أو الزاوية الدلائية الحديثة عام 1048 / 1638 جوامع متعددة، من بينها الجامع الكبير بجوار القصر.

وعند قيام دولة الشرفاء العلويين حرص المولى إسماعيل على إقامة جامع في كل ثغر تم تحريره من الاحتلال الأجنبي : في طنجة سنة 1095 / 1684 والعرائش سنة 1100 / 1689 وأصيلا سنة 1102 / 1691. ثم انصرفت عنايته أكثر إلى حاضرة مكناس، فجدد عام 1107 / 1696 جامعها العتيق الذي يرجع تأسيسه وتوسيعه إلى عهد الموحدين والمرينيين، وأنشأ بها عدداً من الجوامع، مثل الجامع الكبير داخل القصبة السلطانية المجاور لقصر النصر الذي بناه عندما كان خليفة لأخيه الرشيد والجامع الأخضر، وهو أعظم من السابق جعل له بابين باباً إلى القصبة وباباً

إلى المدينة، وجامع للاعودة ذي المنار الشامخ ومستودع آلات التوقيت وغير ذلك من المرافق، وجامع الأنوار الذي تقارب سواريه الرخامية المائتين.

ولما أسس سيدي محمد بن عبد الله مدينة الصويرة عام 1178 / 1760 شيد بها أربعة جوامع : الجامع الأعظم بالقصبة وهو العتيق الذي تقام فيه الجمعة الأولى، وجامع سيدي يوسف بسوق الحدادين، وتقام فيه الجمعة بعد العتيق، وجامع سيدي أحمد بن محمد بسوق الحدادين كذلك، وجامع البَّاخَر، نسبته إلى جيش البخاري، وكان يدعى في البداية جامع قاسم، وأنشأ في رباط الفتح جامع السنة، وفي الدار البيضاء الجامع العتيق المجاور لدار المخزن بالمدينة القديمة، وذلك عام 1201 / 1786. وكان قد جدد وهو يومئذ مايزال خليفة لوالده بمراكش جامع المنصور بالقصبة واستصلح في سائر أنحاء المغرب عدداً لايحصى من الجوامع.

ولم تقلّ عناية السلطان المولى سليمان ببيوت الله عن سلفه فأحيى جامع ابن يوسف وصومعته بمراكش حتى كأنه أنشأهما إنشاء على الحالة التي هما عليها اليوم، وشيد جوامع الخطبة في كل من وزان وبوجعد، والجامع الكبير المنسوب إليه بحي السويقة بالرباط : جامع مولاي سليمان، وأنشأ سلسلة من الجوامع والمساجد في وجدة وسلا وتطاون وغيرها. وسلك نفس المنهج خلفه السلطان عبد الرحمان بن هشام في مدينة مراكش حيث أسس جامع أبي حسون، وجامع القنارية، وابنه محمد بن عبد الرحمان جدد في دار مقامه بالرباط جامع أهل فاس داخل المشور، وجامع السنة خارجه وبنى جامع السوق بالدار البيضاء.

جامع الحسن الثاني بالدار البيضاء

على أن مدينة الدار البيضاء التي عرفت أخيراً نمواً ديموغرافياً هائلاً تكاثرت فيها الجوامع، وفي طليعتها الجامع اليوسفي في حي الأحباس نسبة للسلطان يوسف بن الحسن، والجامع المحمدي نسبة لمحمد الخامس، وتُوج ذلك عام 1414 / 1993 بجامع الحسن الثاني، المعلمة الإسلامية الفنية الكبرى، المقام على مياه البحر، الذي تبلغ مساحته بمرافقه وأفنيته تسعة هكتارات، وتتسع قاعة الصلاة لخمسة وعشرين ألفاً من المصلين، علاوة على ثمانين ألفاً آخرين يصلون في الصحن، ويعد بذلك اليوم أكبر وأفخم جامع بالمغرب على الإطلاق.

* * *

لم تقتصر مهمة الجامع في المغرب - كما هو الشأن في سائر البلاد الإسلامية ومنذ عهد النبوة - على إقامة الشعائر الدينية من صلاة وأذان وطهارة، وإنما اضطلع إلى جانب ذلك بتعليم المسلمين أمور دينهم وإرشادهم إلى مايفيدهم في معاشهم ومعادهم، وغلب الجانب التعليمي في بعض الجوامع فأصبح يشغل حيزاً زمنياً مهمّاً يفوق فترات إقامة الصلوات. وبالإجمال كان تعليم الصغار في المسجد المحرف في لسان العامة إلى "المْسِيدْ" وتعليم الكبار في الجامع. وإذا كانت المصادر لم تسعفَ بتسجيل الأطوار التي تقلب فيها التعليم بالجامع في المغرب، فهناك إشارات متفرقة سبقت الإشارة إلى بعضها تدل على الدور التعليمي الذي قام به الجامع في المراحل الإسلامية الأولى بهذه البلاد، كاجتماع الصالحين برباط شاكر في رمضان من كل سنة، ولاشك أن مثل ذلك ما كان يجري أيضاً في جامع عقبة القريب منه جغرافياً وتاريخياً، حيث يتم الاتصال بأكبر عدد ممكن من سكان المنطقة المصامدة الذين كانوا بحاجة إلى مزيد من التعرف على قواعد الإسلام وتعاليمه والتمرن على إقامة شعائره وحفظ سور من القرآن الكريم.

أما التعليم المتنوع المنظّم في حلقات بالجوامع على غرار ما عرف بالمشرق في الحجاز والشام والعراق فإنه عُرف في المغرب أولَ ما عُرف بمدينة فاس في جامعي القرويين والأندلس، لكن لايوجد نص يُحدد تاريخ بداية هذا الصنف من التعليم فيهما. ولو أن بعض الباحثين يفترض اقتران ذلك بتاريخ تأسيسهما في منتصف القرن الثالث (9 م) أو بداية الذي يليه. يزكي ذلك وفود أسر عالمة هاجرت في فترات متلاحقة إلى فاس من القيروان والأندلس واستوطنتها وأصبحت تعد من أهلها، ونبوغ الفقيه درّاس بن إسماعيل الفاسي (ت. عام 357) الذي قرأ على شيوخ بلده وشيوخ افريقية وقضى حياته يدرس في فاس وله جامع منسوب إليه فيها مازال يعرف حتى اليوم يقال إنه كان يدرِّس فيه علاوة على جامع القرويين. والفقيه أبي عمران الفاسي موسى بن عيسى ابن أبي حاج الذي ينسب إليه درب بوحاج بطالعة فاس (ت. عام 430) الذي انتقل

لأسباب سياسية إلى القيروان فكان شيخ الجماعة بها يأخذ عنه التونسيون والمغاربة الوافدون عليه. وقصته مع يحيى الگدالي ودوره في إقامة الدولة المرابطية بواسطة تلميذه وجّاج بن زلُّو وعبد الله بن ياسين مشهورة. وفي *جذوة الاقتباس* لأحمد ابن القاضي مآت التراجم لعلماء فاسيين وطارئين عليها منذ القرن الخامس (11 م). وزاحمت سبتة مدينة فاس في الريادة التعليمية في جامعها العتيق المشار إليه آنفاً ذي الخزانتين العلميتين العامرتين في شرقي صحنه وبإزاء باب الشواشين أحد أبوابه. وكانت كتبهما من الكثرة "بحيث لم يشذّ منها فن من الفنون ولا نوع من المعارف أصلا مع تعدد مصنفات ذلك الفن وكثرة دواوينه" (*اختصار الأخبار*، ص 10) ومن أشهر الأسر العلمية في سبتة في القرنين الرابع والخامس (10 ـ 11 م) بنو العجوز، والتميميون والأمويون الذين عرف منهم محمد بن عيسى التميمي ومحمد بن عبد الله الأموي من شيوخ القاضي عياض (*الغنية*) وكفى بالقاضي عياض علماً شامخاً من علماء سبتة حتى قيل فيه : "لولا القاضي عياض لما ذكر المغرب".

وفي القرن السادس (12 م) احتلت مراكش مكانتها التعليمية في جامع ابن يوسف ثم جامع الكتبيين وجامع المنصور، ولم تلبث أن غبّرت في وجه فاس وسبتة واحتلت الزعامة التعليمية بفضل ما استقطبت من شخصيات علمية بارزة مرموقة انتقلت إليها من فاس وسبتة وبخاصة من الأندلس على عهد الموحدين مثل ابن طفيل وابن زهر وابن رشد الحفيد والإمام السهيلي وغيرهم من أئمة المعقول والمنقول.

ولا يتسع المقام لتتبع المراحل التي قطعها تعليم الجامع في المغرب سواء في هذه الحواضر الثلاث أو في غيرها من المدن والقرى. وإنما نشير إلى أن الاهتمام بتنظيم التعليم في القرويين بدأ مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي أصدر منشوراً عام 1203 / 1789 إلى شيخ القرويين ينهاه عن تدريس الكتب المختصرة ويأمره بالرجوع إلى الأمهات، ويذكر أسماء الكتب التي ينبغي تدريسها، والقائمة طويلة، ويحث في الأخير على تشجيع تعليم الحساب والأسطرلاب وتخصيص مكافآت لمن يدرسهما من ريع الأوقاف. وسلك نفس النهج السلطان عبد الرحمان بن هشام فكتب إلى شيخ القرويين خطاباً في 12 محرم عام 1261 / 21 يناير 1845 يستنكر جمود بعض المدرسين مع طرق عقيمة تضيع عمر الطلبة سدى، ويقول له : "فبوصول كتابنا هذا اجمع المدرسين وأرشدهم لما فيه المنفعة العامة والفائدة التامة وهو الاقتصار في التقرير على حل كلام المؤلفين وإفهامه للسامعين المتعلمين ... إذ المقصود هو حصول الفهم والإفادة". كما نشير إلى أن جامعي القرويين وابن يوسف أصبحا أخيراً بدعيان جامعتي القرويين وابن يوسف، وربما كان ذلك بتأثير من الأزهر الذي أدخلت إليه تنظيمات جامعية حديثة منذ بداية عصر النهضة العربية أيام محمد علي، لاسيما في عهد شيخي الأزهر المصلحين محمد المهدي العباسي وحسونة النواوي.

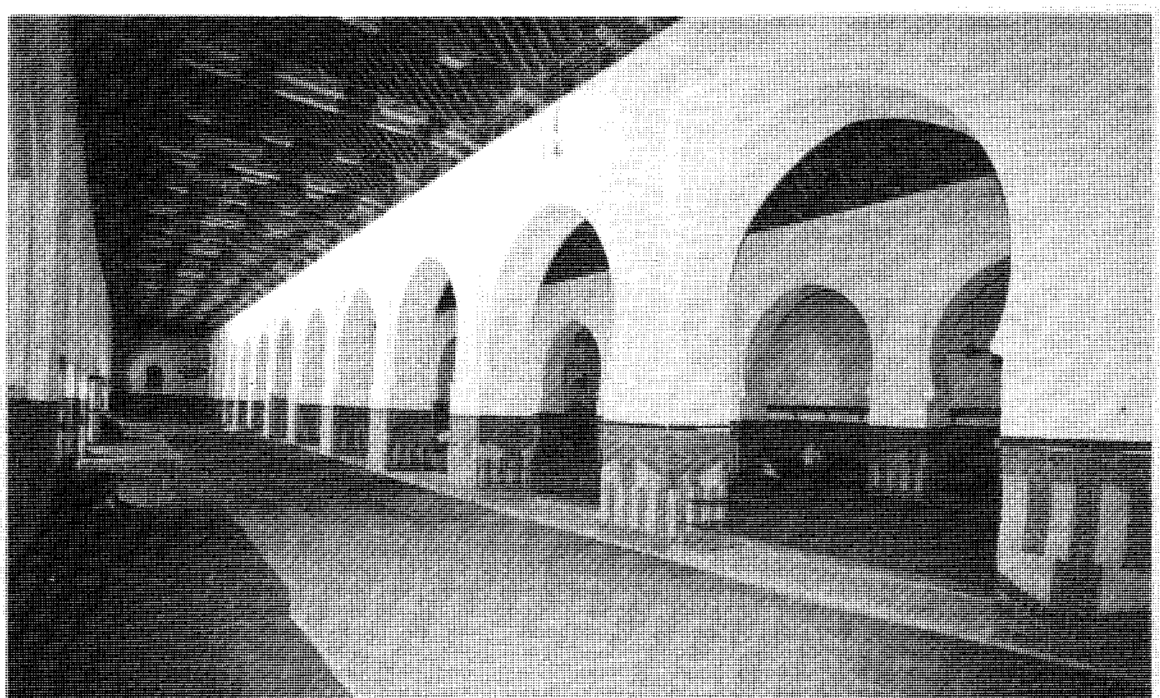

جامع ابن يوسف بمراكش

وكان لآراء جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده الإصلاحية صداها القوي في القرويين، لاسيما بعد أن رجع من الشرق العالمان السلفيان الشيخ عبد الله السنوسي في عهد الحسن الأول والشيخ أبو شعيب الدكالي في عهد السلطان عبد الحفيظ فكانت دروسهما في القرويين فتحاً جديداً فكراً وأسلوباً. ثم صدر الأمر في أوائل الحماية سنة 1332 / 1914 بإدخال النظام إلى القرويين، وكان المشرف عليه الفقيه محمد الحجوي نائب الصدر الأعظم في المعارف والتعليم فأسس "مجلس العلماء التحسيني للقرويين" وبعد صعوبات عديدة تحدث عن بعضها الحجوي في كتابه *الفكر السامي* (4 : 30 - 34) تم تنظيم الدراسة في القرويين في ثلاث مراحل تنتهي بشهادة العالمية. وفي عام 1380 / 1960 أقيم في فاس مهرجان دولي للاحتفال بالذكرى المائة بعد الألف "لجامعة القرويين" دشنه محمد الخامس وحضره عدد وافر من رؤساء الجامعات العربية والأجنبية وكبار الأساتذة. وأصدرت وزارة التربية الوطنية كتاباً ذهبياً بهذه المناسبة.

وكأنّ علماء مراكش نفسوا على إخوانهم في فاس إضفاء صفة الجامعة على القرويين وحدها فسموا جامعهم العتيق "جامعة ابن يوسف" وألّف في ذلك محمد بن عثمان المراكشي سنة 1365 / 1937 كتابه : *الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة*، أرّخ فيه لنشأة الدراسة في هذا الجامع منذ تأسيسه في مطلع القرن السادس (12 م) وبعد الاستقلال ازداد إشعاع جامعي القرويين وابن يوسف، وأنشئ نظام التعليم الأصيل على رأسه جامعة القرويين بفاس، وكليات متخصصة تابعة لها منها كلية اللغة العربية بمراكش في بنايات مستقلة عن جامعي القرويين وابن يوسف.

م. البخاري، *الجامع الصحيح*، بيروت، د. ت. ج 1 ؛ أ. البكري، *المسالك والممالك* ؛ عياض السبتي، *الغنية*، تح. ماهر زهير جرار، بيروت، 1982 ؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، 1404 / 1984، ص. 51. 52. 314. 315، هامش 34 و836 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، تح. محمد الفاسي، سلا، 1938 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، تح. كولان وليفي بروفنسال، بيروت، د. ت. ج 1 ؛ قسم الموحدين، تح. م. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، الدار البيضاء، 1985 ؛ صالح ابن عبد الحليم، *كتاب الأنساب*، مخطوط، خ. ع 1275 ك ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط ، مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، الجزائر، 1920 ؛ ع. الجزنائي، *زهرة الآس*، الجزائر، 1922 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت ؛ م. الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1975 ؛ م. بن قاسم الأنصاري، *اختصار الأخبار*، مجلة *تطوان*، ع 3 : 1 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1964 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1991 الجزء الأول ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، الجزء الأول ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الله كنون، تطوان ؛ م. ميارة، *الدر الثمين*، شرح *المرشد المعين*، مصر، 1306 هـ ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجرية بفاس، أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 9 أجزاء ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، ط. الأولى، الجزء الرابع ؛ م. ابن علي الدكالي السلوي، *الإتحاف الوجيز*، الرباط، 1986 ؛ محمد بن عثمان المراكشي، *الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة*، 1937 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف...*، ج 1 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ج 1 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4 ؛ ع. الكتاني، *أشرف بقعة*، *مجلة المغرب*، يونيه 1936؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج 1 ؛ وزارة التربية الوطنية *الكتاب الذهبي*، *جامعة القرويين*، د. ت ؛ سعيد أعراب، *معلمة المغرب*، مادة *البيضاء وتاكطشت* ؛ م. علال سي ناصر، *مسجد الحسن الثاني*، د. ت.

محمد حجي

**الجامع** (أدغار -)، منطقة بورية خارج الشريط السكني لمدشر أسرير بوادي نون. وأدغار هو الموضع أو القرية. يؤكد الموقع على أهمية الامتداد المجالي لنول لمطة إذا اعتبرنا أن المقاييس الحالية تبين أن الجامع (المسجد) المقصود هو "تمزگيدة" القديمة التي ترجعها الرواية الشفوية إلى مخلفات نول عاصمة وادي نون في القرن الخامس (11 م)، والتي كانت التجمعات العمرانية تمتد بها غرباً حتى مشارف وعرون (أگاوس) كما تشهد على ذلك التوزعات الطوبونمية والمخلفات الأثرية، وكذا الملكيات الكبيرة للجامع والتي يجهل فعلاً حقيقة انتقال جانب منها إلى الجامع الحالي بأسرير كما ترى الروايات الشفوية، ولكن إذا كان نصيب أدغار الجامع حبسا فكيف تم تمليكه ؟ ولماذا لم ينتقل كغيره من الأملاك ؟ وهل يؤرخ ذلك بالعكس إلى ظرفية القطيعة خلال القرنين الثامن والتاسع (14. 15 م) أم إلى مظاهر الاستحواذ على الأراضي خاصة وأن أهل حابين (انظر *المعلمة*) يملكون أكبر نصيب من الأراضي بأدغار الجامع.

وعلى العموم فهذا الأخير يبيّن التطور الداخلي للمدشر وتحول الاستغلاليات ونمط الملكية، كما أنه إلى جانب مواقع طوبونيمية عديدة يسمح لنا بمقاربة ومحاولة استكشاف تاريخ المنطقة عبر التاريخ الداخلي للمداشر والبوادي الوسيطية (Block, 946).

D.P. Block, *Histoire et toponymie*, *A.E.S.C.*, juil.-août 1969.

أحمد جوماني

**جامع** (أولاد -)، قبيلة عربية يقال للواحد منهم "ابن جامع" لا "جامعي"، وقد ذكر ابن خلدون أن أصلها من دَهْمان من بني علي أحد بطون رياح الهلالية العربية ؛ وأنهم لما دخلت العرب إلى افريقية تمكن كبيرُهم بكر ابن كامل ابن جامع من الوصول إلى الولاية على قابس،

واستبد على صنهاجة ولم يزل كذلك إلى أن هلك وقام بأمره بَعْدَهُ رافع ثم رشيد بن كامل ابن جامع فمحمد بن رشيد ابن كامل ابن جامع، وكان آخر من مَلَكها منهم مُدافع بن رشيد بن كامل ابن جامع الذي لحق بعبد المومن بن علي فأكرمه ورضي عنه.

هكذا، كان يدعى الواحد من أولاد جامع "ابن جامع" خلال العصر الوسيط، ولا شك أنهم لعبوا أدواراً مُهمةً في الحياة السياسية والعسكرية ونالوا المراتب السامية في الدولة أيام الموحدين هُمْ مِنْ هذه الأصول أمثال : إبراهيم ابن جامع وابنه أبي العلاء إدريس ابن جامع وعبد الله بن إسحاق ابن جامع وغيرهم.

يُوجَدُ ببني زروال حالياً عائلة من عائلات ابن جامع يَنْتسبُ أفرادُها إلى أحد أجدادهم المتأخرين وهو العباس أحمد بن موسى ابن جامع دفين داره بمدشر بني خالد من قبيلة غمارة المتوفى سنة 1612/1021، وهي من أشهر العائلات الزروالية، تسكن مدشر أولاد جامع بفرقة بني ملول، أنجبت العديد من الصلحاء والعلماء المشتغلين بالتدريس كجدهم أحمد بن موسى ابن جامع والذي قال عنه الإفراني في *الصفوة* إنه كان من أهل الجدّ والاجتهاد في العبادة، زاهداً في الدنيا، أخذ عنه قاضيَ فاس أبو محمد عبد الواحد الحُميدي *وظيفة* الشيخ زروق، وقال عنه "ما رأيت أحداً أتقن لعبادة ربه من سيدي أحمد ابن جامع وسيدي رضوان الجنوي".

ترجم له كذلك القادري نقلاً عن صاحب *التحفة* وأثنى عليه كثيراً.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 196 ـ 198 ـ 273 ـ 282 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 :174 ـ 285 ـ 287 ـ 294 ـ 296 ـ 297 ؛ بـ. الفاسي، *قبيلة بني زروال*، 73 ـ 89.

محمدَ مرزاق

**ابن جامع، إبراهيم**، يكنّى أبا إسحاق، وهو جد أسرة كان لها سطوة ونفوذ في ظل الدولة الموحدية، من رجالها إدريس ابن جامع الذي كان وزيراً لأبي يعقوب يوسف بن عبد المومن، وأبو سعيد ابن جامع الذي كان وزيراً للناصر ثم المستنصر، وأبو يحيى ابن جامع الذي كان أيضاً وزيراً ؛ وقد نوه صاحب *المعجب* بالأسرة ومركزها في الدولة المومنية.

وقد أمدنا عبد الواحد المراكشي ببعض المعلومات عن أصل إبراهيم، فذكر أنه من الأندلس وأن آباءه من مدينة طليطلة. ولعل الأسرة هاجرت منها بعدما سقطت في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة. فهو يذكر أن إبراهيم نشأ بساحل مدينة شريش على البحر الأعظم بضيعة تسمى روطة. وبعد ذلك انتقل إلى عدوة المغرب ليشتغل بصنعة النحاس. وفي تلك الأثناء، التقى بابن تومرت وصار من أصحابه.

ولا شك أن صعود نجم الأسرة يرجع في الأساس إلى العلاقة الوثيقة التي كانت بين إبرهيم والمهدي بن تومرت، إذ يذكره البيذق في قائمة أهل دار الإمام، وفي ذلك برهان واضح على مبلغ الثقة التي حظي بها لدى مؤسس المذهب الموحدي، فكان باب الطموح والتشوف إلى أعلى المناصب مفتوحاً أمامه بعد وفاة المهدي، فنجده في ركاب عبد المومن حينما انطلق في غزوته الطويلة التي طارد فيها تاشفين بن علي اللمتوني إلى وهران. ولما عزم عبد المومن على العودة إلى المغرب، بعد أن كان قائماً على محاصرة تلمسان لملاحقة يحيى الصحراوي الذي قصد فاساً بقسم من جيش تاشفين، أسند رياسة الجيش لإبراهيم ابن جامع لمواصلة الحصار. هذا ما ورد في رواية ابن خلدون، وإن كانت روايات أخرى تختلف معه. والاختلاف راجع، في الحقيقة، إلى كون الحرب لم تنته بين الطرفين وإلى كون الأوضاع لم تتضح في الجهتين.

على أن عبد المومن ما لبث أن استقدم إبراهيم بن جامع بعد أن طرد الصحراوي من فاس وفتحها. ويذكر ابن عذاري أن عبد المومن حاصرها سبعة أشهر وتم له الاستيلاء عليها في ذي القعدة من سنة 540 / أبريل ـ ماي 1146، فأقام بها أربعة أيام ثم رحل عنها وترك والياً عليها أبا إسحاق بن جامع. هاته الإشارات الأولى المتناثرة في المصادر التاريخية تقدم لنا رجلاً يجمع بين مزايا القائد العسكري والإداري الحازم الذي يمكن أن توضع فيه الثقة وتسند إليه مسؤولياتٍ كبيرة. لكنه برهن، أيضاً، على أنه رجل اتصالات وعلاقات ذات صبغة بروتوكولية ودبلوماسية. وكان من أدق القضايا وأصعبها بالنسبة لعبد المومن، بسط نفوذ الموحدين بالأندلس التي كانت الأوضاع بها تعاني كثيراً من التعقيد والغموض، فارتأى أن يسلك خطة الاتصال بكبار العلماء والأعيان بالأندلس عساه أن يستميلهم إلى الدولة الموحدية ويتخذ منهم سبباً لبسط سيطرتها في شبه الجزيرة. ومن أهم وفود الأندلس التي جاءت لتقديم البيعة لعبد المومن وفد إشبيلية الذي كان يضم من بين رجاله القاضي أبا بكر بن العربي والخطيب أبا عمرو ابن الحجاج، وأبا بكر ابن الجد وغيرهم. وكان لقاؤهم بعبد المومن مشجعاً إذ قدَّموا بيعة إشبيلية للخليفة وخطبوا بين يديه ونالوا من جزائه وإكرامه.

ولكن، سرعان ما راجت الإشاعة بأن أهل إشبيلية ارتدوا في جملة من ارتد عن بيعة الموحدين من مدن وقبائل. وهكذا ما لبث الوفد الذي حل بدار في مراكش أن شاهد الموحدين يحيطون بتلك الدار وهم شاهرون لأسلحتهم. ويصف ابن عذاري حالة أعضائه بقوله : "فمنهم من غُشي عليه، ومنهم من بُعت وظهر الموت لديه، ورقب عليهم الرقباء ليلاً ونهاراً، ورأوا الموتَ عياناً وجهاراً. ودام ذلك ثلاثة أيام إلى أن وصل الحق ببراءة أهل إشبيلية بكتاب الشيخ أبي يعقوب بن سليمان من إشبيلية فاستدرك الأمير

أرواحهم، وعجل سراحهم. فوجه إليهم أبا إسحاق ابن جامع وعبد الله ابن سليمان معتذرين لهم. فقالا لهم : إنما وجه لكم الرجال إشفاقا عليكم ونظراً حسناً إليكم، لأن الأمير رضي الله عنه قال : إن وصلهم خبر ارتدادهم، يفرون على وجوههم، فتأكلهم الطرق بمن فيها من الثائرين. فتابت إليهم نفوسهم" ص. 34.

ولسنا ندري متى حدثت وفاة إبراهيم ابن جامع بالضبط. وأغلب الظن أنها جرت في عهد عبد المومن، إذ يذكر ابن عذاري أن ولده إسحاق هو الذي كان من جملة الشخصيات الكبرى في الدولة التي رافقت السيد أبا حفص سنة 560 هـ لتلقي أخيه السيد أبي سعيد في جبل "الفتح". وما كان الابن ليقوم بهاته المهمة لو كان الأب مازال على قيد الحياة، اللهم إلا إذا افترضنا أنه توقف عن كل نشاط بسبب الشيخوخة والهرم.

لإبراهيم ابن جامع حفيد يحمل نفس اسمه، إذ هو إبراهيم بن إدريس بن إبرهيم ابن جامع وكان والياً على سبتة حوالي سنة 621 هـ / 1221 م وقد ورد ذكره في *الحلة السيراء* لابن الأبار، ج. 2 ص. 293 (ط. القاهرة 1963).

أ. البيذق، *الأنساب* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن سعيد المغربي، *المغرب* ؛ ع. ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 6 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، ج 3 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

**ابن جامع، إدريس** بن إبراهيم، يكنى أبا العلاء وأبا علي وأبا العلي. استوزره الخليفة عبد المومن بن علي الكومي ثم اشتغل بعد ذلك وزيراً لابنه أبي يعقوب يوسف. كان أبو العلاء إدريس بن إبراهيم ابن جامع يقعد بين يدي السيد أبي حفص عمر الهنتاتي في عهد عبد المومن، (*القرطاس*، 205 ـ 206) ومعنى ذلك أنه كان وزيراً للأمير أبي حفص، ولما تولى أبو يعقوب يوسف خلافة الموحدين أصبح أبو العلاء وزيراً له سنة 560 / 1165 بعد أن وَزَر لهذا الخليفة أخوه أبو حفص عمر أياماً يسيرة ثم ارتفع قدره عن الوزارة إذ رآها دونه (*المعجب*، 355) فاختص بالحجابة.

نشأ أبو العلاء إدريس نشأة الأمراء، شأنه شأن "السادة" من بني عبد المؤمن فاكتسب بذلك الكفاءة اللازمة للقيام بمهام الإدارة وشؤون التسيير، وقام بأمر الوزارة أحسن قيام، "لا يصدر شيء إلا عن رأيه، ولا تنتجز عدة من أمر الخليفة إلا عن شفاعته وسعيه" (*المن بالإمامة*، 342) مع عفاف في طبعه، وكفاف في إذاية الناس في رفعه، إذا وفد عليه الوافد رحّب وأرجاه في طلبه وأنزله وأسكنه وأنساه أهله ووطنه وسعى له في خير ووصله بكل خير (*المن بالإمامة*، 169). وقد ذكر ابن صاحب الصلاة أنه خصص له ولإخوته فصلاً في كتابه *المن بالإمامة*، وقد يكون ذلك في القسم الثالث الذي يعد في حكم المفقود كما هو الحال بالنسبة للقسم الأول.

كان أبو العلاء إدريس ابن جامع يستعين بأخيه أبي محمد عبد الله في أمور التسيير، وكذلك الشأن بالنسبة لابنه يحيى الذي ساعده في الإشراف على غرس ثمار بحيرة إشبيلية سنة 567 / 1171 وقصر الخليفة أبي يعقوب يوسف بها الذي بناه أحمد بن باسه عريف البنائين بالأندلس خارج باب جهور من إشبيلية في الموضع المعروف عند الناس قديماً بلقم فرعون (*المن بالإمامة*، 372 ـ 375). كما شاركه في التسيير أيضاً الفقيه أبو محمد المالقي شيخ طلبة الموحدين في عهد الخليفة يوسف والذي كان من المقربين للخليفة أيضاً (*المن بالإمامة*، 434).

نال أبو العلاء إدريس بن إبرهيم ابن جامع حظوة سامية ومكانة بارزة في البلاط الموحدي حتى نكبه الخليفة أبو يعقوب يوسف وأبعده رفقة أبنائه وإخوته عن الخدمة وغربهم إلى ماردة Merida بالأندلس لأسباب غير معروفة. وتتضارب المصادر حول التاريخ الذي تم فيه ذلك بين سنة 573 هـ / 1177 م (*البيان*، 139 ؛ *والاستقصا*، 2 : 152) وسنة 575 هـ / 1179 م (*العبر*، 6 :323) وسنة 577 هـ / 1181 م (*المعجب*، 355). وقد ذكر ابن عذاري أن نكبة ابن جامع كانت بعد اشتغاله بالوزارة خمس عشرة سنة وأن تغريبه بماردة دام ستة أعوام فيكون تاريخ نكبته على ذلك هو عام 575 هـ / 1179 م لأنه شرع في ممارسة مهامه كوزير سنة 560 / 1165. وقد طلب أبو العلاء إدريس من الخليفة أبي يعقوب يوسف أن يأذن له ولبنيه في مرافقته في غزوة شنترين سنة 580 هـ / 1184 م فأذن لهم في الحين ومشوا في جملة المجاهدين (*البيان*، 16). ولما مات أبو يعقوب يوسف في نفس سنة غزوة شنترين عفا خلفه أبو يوسف يعقوب المنصور عن ابن جامع فاختفت بعد ذلك أخبار أبي العلاء إدريس ابن جامع من مصادر التاريخ ولم نعرف في النتيجة تاريخ وفاته، في حين أن أخاه أبا محمد عبد الله اشتغل والياً ليعقوب المنصور على مدينة سبتة تم قائداً للأسطول الموحدي في الحروب مع بني غانية.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، بيروت، 1987 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، بيروت، 1990 ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب*، الدار البيضاء، 1978 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان*، قسم الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 6، بيروت، 1988 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 2، الدار البيضاء، 1954.

حسن حافظي علوي

**ابن جامع، الحسن** بن سعيد، مقاوم، ولد سنة 1918 بأيت باعمران إقليم تيزنيت. كان يعمل في صفوف الجيش

الإسباني، وبعد تأسيس جيش التحرير بالصحراء المغربية، بادر إلى مساعدته وذلك بإمداده بالسلاح والمعلومات التي مكنت جيش التحرير من نصب عدة مكامن للعدو الإسباني، وحين علمت إدارة الاستعمار بغيرته الوطنية قامت بمحاكمته ونُفذ فيه حكم الإعدام سنة 1956.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 4 : 122.

ابن **جامع، سَلْم** بن السيد مقاوم من مواليد 1944 بالساقية الحمراء. انضم إلى صفوف جيش التحرير وعمل بالمقاطعة الثامنة، مركز الساقية الحمراء تحت مسؤولية

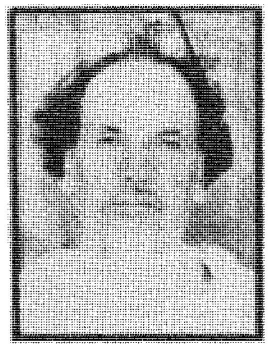

أعلي بويا ميارة منذ سنة 1956، كان مثالاً للرجل المجاهد، شارك في عدة معارك بالساقية الحمراء إلى أن استشهد بها رحمهُ الله سنة 1957.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 2 : 30.

ابن **جامع، عبد الله** بن إبراهيم، عيّنه الخليفة يوسف الموحدي على ولاية سبتة وجهاتها وأسطولها سنة 576 إثر هزيمة ابن مردنيش أمام البحرية البرتغالية، فحقق عبد الله ابن جامع ـ بتعاون مع أسطول إشبيلية ـ انتصاراً هاماً على الأسطول البرتغالي في مياه شلب في مطلع سنة 577. ويبدو أن ولايته لم تطل حيث يرجّح صاحب *المعجب* قتله بأمر من الخليفة يوسف، وهذا لايتجاوز سنة 580 التي هي سنة وفاة هذا الخليفة.

ابن **جامع، عثمان** بن عبد الله بن إبراهيم، عيّنه الناصر الموحدي في الوزارة، فتمكن من إبعاد أهم الأشياخ الموحدين عن الناصر واستبدّ بمشورته، حتى قيل إنه كان أحد أسباب هزيمة الجيش الموحدي في معركة العقاب سنة 609 بسبب إغفال المشورة خاصة مشورة القادة الأندلسيين (*القرطاس*، 236 ـ 238).

كان لعثمان ابن جامع أيضاً الدور الأساسي في بيعة يوسف المستنصر بن الناصر الصغير السن حتى يتمكن من الاستبداد عليه وجعله تحت وصايته، وقد تدهورت أحوال الأمن في عهد وزارته حتى في ضواحي العاصمة مراكش، بل هناك من وجّه التهمة لابن جامع بتفريطه في مصالح الرعية وتشجيعه ـ بشكل ما، على النهب في الطرق الموصلة إلى العاصمة (*الذيل*، 8 : 176 ـ 177). وحاول المستنصر أن يسترجع نفوذه سنة 615، فعزل ابن جامع عن الوزارة بسعاية من ابن برجان، إلا أنه أعاده إليها حتى سنة 617 فيما يبدو، فعزله ثانية ثم توفي بين هذه السنة وسنة 620 التي هي سنة موت المستنصر، ولم نسمع بعد هذا عن دور آل ابن جامع فيما تبقّى من عهد الموحدين.

مجهول، *المقتبس من كتاب الأنساب*، ص 25 ط. الرباط 1971 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، 310 ـ 311 ـ 324 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، 3 : 20، 116 ـ 118 ـ 140 ـ 230، ط. تطوان ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 205 ـ 236 ـ 239 ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار*، مادة : جنجالة ؛ ابن خلدون، *العبر*، 6 : 507 ـ 523 ـ 524.

أحمد عزاوي

ابن **جامع، عمر**، أبو علي، من أسرة ابن جامع أهل الإدارة والوزارة في خدمة الموحدين من أيام المهدي إلى أيام العادل الموحدي. وأصلهم القديم من الأندلس، من مدينة طليطلة. وعمر هذا هو ابن أخي الوزير إدريس بن أبي إسحاق ابن جامع، كان بافريقية فطال مكثه بها، وحنّ إلى بنيه فاستدعاهم من مراكش، وقال في ذلك شعراً خطّه في رقعة، ثم نشأت له قبل وصولهم غزاة إلى سُلَيْم من العرب فقتل فيها، ووُجدت الرقعة في جيبه. ومن أبياتها :

سقتنا بعدكم أيدى الفراق كؤوساً طعمها مرُّ المذاق

فأضرمت الحشا ناراً وأجرَتْ دموعاً تستهلُّ من المآقي

عاش بمراكش آخر القرن السادس (12 م).

*الحلة السيراء*، 2 : 275 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية*، 1 : 58.

أحمد متفكر

**جامع الفنا**، أشهر ساحة بمدينة مراكش، تعدت شهرتها المدينة والمغرب، لتصبح من الساحات العالمية المشهورة.

إن ترك ساحات واسعة في وسط المدينة، وأمام المسجد الجامع الكبير بها، خاصية من خصائص العمارة الإسلامية. وبمدينة مراكش، حيث تعدُّ الحومة وحدة متكاملة تتوفر فيها إلى جانب المنازل السكنية : باب كبير يغلق ليلاً، وفوقه غرفة الحارس الليلي، والمطحنة والفرن والمسجد، توجد ساحة متوسطة أمام المسجد تسمى "رگ الجامع" وتنهض على مستوى الحومة، بنفس الوظائف التي تنهض بها الساحة الكبرى على مستوى المدينة.

وقد اختلفت الآراء في تفسير مدلول كلمة جامع الفنا، وقد يعني "الفناء" الساحة أو الساحة الوسطى وقيل أيضا وهذا مستبعد، إنها سميت كذلك لما كان يُقطع ويعلق بها

من رؤوس الثوار والخارجين عن الدولة عبد العصور.

وقيل كذلك بأن السلطان أحمد المنصور السعدي أنشأ بهذه الساحة جامعا، ووضعه وضعاً عجيباً، فسمي بذلك جامع الفناء، ثم شغل عنه بترادف المحن، ولم يكمله حتى توفي فسمي جامع الفناء (*تاريخ السودان*).

وقد شهد جامع الفنا بعض الأحداث المهمة، مثل هدة البارود التي حدثت يوم السبت 14 شعبان سنة، 1280، فقد كان بجامع الفنا فندق في بعض بيوته نحو 400 قنطار من البارود، وشيء من فحم الريش، وقعت فيه نار ومرت منه إلى البارود فنفض وقت الغروب، والناس كثيرون حول الفندق. فطار الفندق بما فيه وطار من كان حوله من الناس، قيل نحو ثلاثمائة، منهم من لم يوجد أصلا، ومنهم من وجد بعضه من يد أو رجل. وتهدمت كل دار كانت متلاشية بمراكش، وانخلعت الأقفال من الأبواب وصرصرت السقوف (*الاستقصا*، 9 : 112 ؛ *السعادة الأبدية*، 106).

وشهدت ساحة جامع الفنا أحداثاً عند دخول أحمد الهيبة لمدينة مراكش ومبايعة أهلها له بعد إعلان الحماية الفرنسية للمغرب سنة 1330 / 1912. وقد صور صاحب *الإعلام* (2 : 477) ذلك قائلاً : " ... فلما دخلوا قامت غوغاء الرعاع، وأوباش الناس؛ وهاجوا في المدينة وماجوا، وطفق العسكر الذي في قشلة جامع الفنا النظامي يخرج بعدته، فقصدوا فنادق الأجانب ونهبوا ما فيها وضاعت في ذلك أموال ودماء ... وهدمت قشلة العسكر وبعض بناء الأجانب ودام ذلك نحو ثلاثة أيام".

وقد نهضت هذه الساحة بوظائف وأدوار مختلفة خلال التاريخ : كانت تجتمع بها الجيوش السلطانية عند دخولها من حرب أو خروجها إليها (*تاريخ الضعيف*، 1 : 424)، كما كانت فضاء لعقاب الثوار والخارجين على المخزن، فقد قَتَل بها الباشا عبدُ الكريم ابن منصور - باشا مولاي إسماعيل والثائر بودربالة سنة، 1127 / 1715 (*الإعلام*، 8 : 319). وأمر المولى اليزيد بقطع رأس أحد الثوار بساحة جامع الفنا، فلما همّوا بتطبيق الحكم، طلب منهم أن يقتلوه بالرصاص. (*تاريخ الضعيف*، 1 : 391).

وقد حلت ساحة جامع الفنا بذلك محل باب الشريعة من مراكش حيث كانت تضرب الأعناق، وتصلب الأشلاء وتعلق الرؤوس حتى أواخر العصر الموحدي (*الاستقصا*، 3 : 43) وفي العهود القريبة علق بجامع الفنا رأس الجيلالي الروگي ويده أواسط شعبان سنة 1278 / 1861 (*الاستقصا*، 9 : 109). كانت أيضاً مكاناً لرمي القتلى وحرق جثتهم : ففي حديث الضعيف (1 : 418) عما فعله جيش مولاي اليزيد بأهل مراكش قال : (دخل البعض على جامع بريمة فوجدوه مملوءاً بالرجال بأهل مراكش. فأخذوا في قتلهم حتى كانوا يخرجونهم على البغال يرمون القتلى بجامع الفنا.

أوقع مولاي اليزيد بأولاد ابن عمران فأخرج العباس بن عمران من قبره بضريح عبد الله الغزواني وأمر بحرقه بجامع الفنا (*الضعيف*، 1 : 419).

وإلى جانب هذه الوظائف، كانت الساحة معروفة بطابعها الترفيهي، فقد سجل الحسن اليوسي ذلك منذ

ساحة جامع الفنا بمراكش

أواسط القرن الحادي عشر (17 م) خلال زيارته لها في صباه، قال (دخلتُ في أعوام الستين وألف مدينة مراكش عند رحلتي في طلب العلم وأنا إذ ذاك صغير السن، فخرجت يوماً إلى الرحبة، أنظر إلى المدّاحين فوقفت على رجل مسن، عليه حلقة عظيمة، وإذا هو مشتغل بحكاية الأمور المضحكة للناس ( *المحاضرات*، 1 : 202).

واستمرت هذه الوظيفة إلى اليوم : فلا يكاد يخلو كتاب من كتب الرحالين والسياح الأجانب الذين وصفوا مشاهداتهم بمراكش من حديث مفصل عما تزخر به الساحة من أنواع الموسيقى البربرية والگناوية، والفرجة والقصاصين والبهلوانيين ومروّضي الأفاعي.

واشتهر من أعلام الفرجة والضحك بساحة جامع الفنا أبطال كوميديون أمثال : باقشيش العربي، وباقشيش البربري، وبرغوث، وفْليفْلَة، والمَلك جَالُوق. ورواة القصص الشعبية والحكايات كسيرة عنترَة وسيرة سيف بن ذي يزن. ومن أشهر هؤلاء الرواة شخص اسمه التّمعيشة، وآخر اسمه الكبيري، ومولاي أحمد النّويگة.

ومن شعراء الملحون الذين مروا بها السكوري، وكثير من المغنين والموسيقيين الذين اشتهروا على الصعيد الوطني فيما بعد، كانت بداياتهم من ساحة جامع الفنا.

ومن أشهر حلقات الساحة : هدّاوة أتباع سيدي هدّي، بآلاتهم الصاخبة وألغازهم وحكاياتهم، وجماعة "بن حمامة" المشهورة بطربها الحوزي، وفقهاء الوعظ والإرشاد باللغة العربية أو اللغة الأمازيغية، أو في مشاهد الناس تعلموا الكثير من أمور دينهم هناك.

ومن فرق الألعاب البهلوانية بها : أولاد سيدي احماد وموسى، والمتفننون في ألعاب على الدراجة العادية، وفرقة للملاكمة ...

وممن يجلسون بالساحة أفراد يفسرون الأحلام، ويذكرون الطالع بقراءة الورق (الكارطا) وخط الرمل، أو النظر في البيض.

ومن وظائف الساحة عرض مواد الاستشفاء بواسطة الأعشاب والعقاقير الطبية، يعرضها باعتها طول النهار، ومعظمهم صحراويون. ويغلب على الساحة حالياً الطابع التجاري إذ أصبحت فضاء لبيع أنواع السلع والبضائع، وأصناف من المأكولات والمشروبات. وبذلك تقلصت المساحات المعدة من قبل للفرجة والتنشيط، لحساب العربات وحلقات التجارة، مما جعل المسؤولين عن المدينة يفكرون في إعادة هيكلتها بشكل يحفظ لها طابعها التاريخي والسياحي، دون ان يفقدها مكانتها كمكان للتعامل، باعتبارها مركزاً تصب فيه كل أحياء المدينة القديمة، وقد قدمت أبحاث ودراسات في الموضوع لمتخصصين قصد تهييئ الهيكلة السابقة الذكر (انظر الإشارة إلى استطلاع الرأي المذكور باشراف الدكتور أحمد بلاوي، *أطلس مراكش* 2 : 1994).

م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. م. البوزيدي الشيخي، ط 1، 1988 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. الدار البيضاء ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، ط. حجرية فاسية 1335 ؛ حياة الغراس، *هدة البارود بجامع الفنا على لسان شاهد عيان*، مجلة *أطلس مراكش*، العدد 2 : 1994.

J. et J. Tharaud, *Les Seigneurs de l'Atlas*, Paris, 1918 ; *Jama' Elfna de Marrakech*, *Hespéris*, T. X, 1930 fasc. 1, p. 122 - 123 ; A. Bellaoui, *La place de Jamaâ El fna entre le visiteur et l'usager : premier bilan d'un sondage d'opinion*, *Atlas* (Marrakech), n° 2 / 1994.

حسن جلاب

**جامعة الأخوين** بإفران. بيّن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في خطاب وضع حجر الأساس لجامعة الأخوين بإفران يوم 29 غشت 1993 أن "إنشاء جامعة عالمية تكون رأس الرمح العلمي والثقافي والتثقيفي لجميع اللغات وجميع الأجناس وبالأخص اللغة العربية" حلم طالما عانق جلالته. ويبين نفس الخطاب أن المال الموظف في بناء هذه الجامعة بإفران من أصل 50 مليون دولار قدمها الملك فهد بن عبد العزيز لإعانة المغرب على كارثة بيئية كان يتوقعها المغرب بتسرب الزيت من سفينة أجنبية قرب سواحل المغرب الأطلسية. ولما صرف الله تلك الكارثة عن البلاد صُرف المبلغ المذكور بأمر من جلالته لبناء جامعة سماها جامعة الأخوين أي فهد بن عبد العزيز والحسن الثاني.

وفي مذكرة قدمها إلى جلالته مستشاره أندري أزولاي بنفس تاريخ التدشين تحددت لجامعة الأخوين هذه الأسبقيات :

1 ـ الانسجام والإبداع والعقلانية في نظام التسيير ؛

2 ـ التواصل داخل الجامعة ؛

3 ـ التواصل مع الخارج وطنيا ودوليا ؛

4 ـ الانفتاح على المجتمع المدني بمكوناته في ميادين الأعمال والتربية والعلم.

وتبعا لمناقشات مجلس للوزراء بتاريخ 3 غشت 1993، صيغ ظهير بمثابة قانون بإنشاء "جامعة الأخوين بإفران" ومن جملة مقتضياته :

ـ تأسيس جامعة الأخوين بإفران تحت الرئاسة الشرفية لجلالة الملك، وبصفتها مؤسسة غير تجارية للتعليم والبحث العلمي تتمتع بشخصية معنوية واستقلال مالي، مقرها إفران مع إمكانية فتح ملحقات في جهات أخرى.

تعطي الجامعة عناية خاصة للحضارة العربية الإسلامية وتتخذ اللغة الأنجليزية الوسيلة الغالبة في التلقين والتواصل.

ـ وضعت الجامعة تحت المراقبة الإدارية للجنة تتألف من وزير الأوقاف ووزير التربية الوطنية وأمين السر الدائم لأكاديمية المملكة وأمين السر الدائم لأكاديمية الحسن الثاني للعلوم والتكنولوجيا.

ـ حُددت للجامعة أهدافُ القصدُ منها أن تكون رائدة في مجال التعليم والبحث والتطبيق العلمي ونشر المعارف والموافقة بين محتوى التعليم ومتطلبات النمو.

ينص الظهير المؤسس لجامعة الأخوين على :

ـ تكوين مجلس لأمناء الجامعة يتكون من ستة وعشرين عضواً على الأقل، يكون له رئيس ونائب وكاتب عام، يجتمع مرتين على الأقل في السنة. .

ـ قيام النظام الأكاديمي على تعيين رئيس للجامعة ويكون له نائب في الشئون الأكاديمية ونائب في الشئون الطلابية ونائب في التنمية والبحث. ولكل كلية عميد ولكل مركز بحث مدير.

ـ تحدثت موارد الجامعة على أنها أساسا من :

ـ مقابل خدمات الجامعة وأنشطتها.

ـ مداخيل ممتلكات الجامعة.

ـ رسوم الدراسة والتسجيل.

ـ منح عمومية وخصوصية وهبات وطنية ودولية.

وقد نص الظهير على مقتضيات تجعل جامعة إفران لا تجرى عليها مقتضيات ظهير 1975 المنظم للجامعات المغربية وظهير 1991 المنظم للتعليم الحر وظهير 1960 المنظم لمراقبة الدولة على مالية المؤسسات وظهير 1934 المقنن للهجرة.

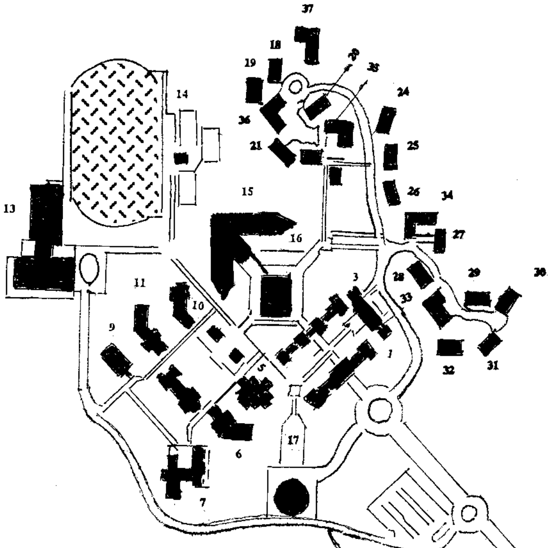

تصميم عام لجامعة الأخوين

| | |
|---|---|
| 1 ـ إدارة | 2 ـ مأوى الطلاب |
| 3 ـ مطعم جامعي | 4 ـ تعليم عام |
| 5 ـ علوم 1 بيولوجيا | 6 ـ علوم 2 كيمياء |
| 7 ـ هندسة 1 | 8 ـ علوم إنسانية |
| 9 ـ هندسة 2 | 10 ـ علوم اجتماعية |
| 11 ـ تسيير | 12 ـ محلات تقنية |
| 13 ـ مسبح | 14 ـ مركب رياضي |
| 15 ـ مكتبة | 16 ـ مسجد |
| 17 ـ قائمة للوسائل السمعية البصرية | 18 إلى 37 ـ إقامة |

فتحت جامعة الأخوين أبوابها في خريف 1994 بثلاث كليات هي كلية الهندسة وكلية تدبير الأعمال وكلية الإنسانيات.

التحق بها عدد من المدرسين من الجامعات المغربية كمؤطرين وكمعلمين وباحثين، ووظفت عددا من الأطر من الجامعات الأجنبية ولا سيما الأمريكية.

استمرت شركة تربوية تسمى مجموعة تكساس في إعطاء المشورة للجامعة بعد أن شاركت في وضع وثائقها الأساسية وخطتها التوجيهية.

وللجامعة إفران طموح تسعى لتحقيقه في سنواتها الأولى في ميدان ضمان الشغل لكل متخرج منها وفي جلب الاعتراف الأكاديمي الدولي وفي تكوين مكتبة غنية واستقطاب كفايتها من الطلبة تكون نسبة مهمة منهم من الأجانب وفي تحقيق الاستقلال المالي وتحصيل رأس مال يجلب لها الفوائد الضرورية وفي التمكن من سد جزء مناسب من حاجاتها من مداخيل الرسوم، وفي إعطاء البرهان على استحقاق إعطاء الخبرة والخدمات المهنية، وفي الإسهام في تنمية منطقتها، وفي الارتباط بالخبرة الدولية عن طريق تأطير أجنبي بنسبة مهمة، وكل هذا من أجل أن تكون رائدة في ميادين المعلومات والتكنولوجيا والاتصال.

*خطاب جلالة الملك بمناسبة تدشين الجامعة ؛ ظهير تأسيس الجامعة؛ تصريحات بعض مسئولي الجامعة.*

**الجامعات التعليمية** بالمغرب، بلغ عدد الجامعات بالمغرب إلى غاية نهاية الموسم الجامعي 1996 ثلاث عشرة جامعة. أقدم هذه الجامعات جامعة القرويين التي تأسست جامعا بفاس في منتصف القرن الثالث (9 م)، وكان جامعها مكانا لكراسي المستويات المتقدمة من العلوم العربية الإسلامية عبر قرون تاريخ المغرب الإسلامي، وكان لهذا الجامع ما يماثله في هذه المهمة في مدن أخرى أو مراكز بدوية كجامع ابن يوسف بمراكش أو مدارس سوس أو الريف. وقد كان هذا النظام التعليمي الأصيل الذي يمثله جامع القرويين محل عناية أمير المومنين محمد بن يوسف الذي أصدر ظهير إصلاح التعليم به عام 1933، وكان لهذا "النظام" معنى رمزي في الضمير الوطني الذي بدأ يقظته وعمله الطامح إلى التحرير آنذاك. وبعد استقلال المغرب عام 1955 تكاثر الوافدون على القرويين وابن يوسف من مدارس البوادي، وظهر مشكل ذمج هذا التعليم في إطار النهضة الجامعية الجديدة مع المحافظة على طابعه المتميز بالتركيز على تدريس العلوم الشرعية واللغوية ومكملاتها من المعارف، وهكذا تأسست جامعة القرويين بظهير فبراير 1963 لتتكون من كليات أربع وريثة مراكز محلية عريقة هي كلية الشريعة بفاس وكلية أصول الدين بتطوان وكلية اللغة العربية بمراكش وكلها تأسست في نفس سنة 1963، بينما تأسست كلية الشريعة بأيت ملول قرب أگادير عام 1979، بيد أن عمادة جامعة القرويين ظل مقرها بفاس.

والتأسيس الرسمي لجامعة القرويين في حلتها الجديدة سنة 1963 يجعلها ثانية جامعة مغربية، حيث إن جامعة محمد الخامس هي الجامعة المغربية الأولى بعد الاستقلال، تأسست عام 1957 تحت اسم جامعة الرباط وورثت مؤسسات للتعليم العالي كانت من إنشاء نظام الحماية. بدأت جامعة محمد الخامس نشاطها الفعلي في الرباط بثلاث مؤسسات هي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وصدر ظهير تنظيمها يوم 21 يوليوز 1959، وكلية العلوم وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية. وتعززت هذه المؤسسات بالرباط بمؤسسات جديدة، وكانت لها فروع بالدار البيضاء وفاس والقنيطرة، ثم تكونت من هذه الفروع وما أضيف إليها جامعات جديدة عام 1975 وعام 1989.

قامت جامعة محمد الخامس بدور رائد في التعليم الجامعي بالمغرب بعد الاستقلال، سواء من حيث تكوين الأطر أو من حيث النوعية العلمية والثقافية وتطوير التجربة الجامعية على أيدي النخبة الأولى من أساتذتها. ولقد انقسمت هذه الجامعة ابتداء من العام الجامعي 1992 - 1993 إلى جامعتين : جامعة محمد الخامس بأگدال وجامعة محمد الخامس بالسويسي.

تضم جامعة محمد الخامس بأگدال كلية الآداب والعلوم الإنسانية وكلية العلوم وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بأگدال والمدرسة المحمدية للمهندسين والمدرسة العليا للتكنولوجيا بسلا والمعهد الجامعي للبحث العلمي.

أما جامعة محمد الخامس السويسي فتضم كلية الطب والصيدلة وكلية طب الأسنان وكلية علوم التربية وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالسويسي والمدرسة الوطنية العليا للمعلوميات وتحليل النظم والمعهد الجامعي للبحث العلمي ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب ومعهد الدراسات الإفريقية.

أما جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء فقد تأسست رسمياً عام 1975 من مؤسسات كانت تابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط ومن مؤسسات جديدة، وكان لها فرع في المحمدية إلى عام 1989. وفي هذا التاريخ انقسمت جامعة الحسن الثاني إلى فرع عين الشق وفرع المحمدية وهي تضم مؤسسات بالبيضاء وأخرى بالمحمدية.

ومؤسسات فرع عين الشق هي كلية الآداب (عين الشق) وكلية العلوم (عين الشق) وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية وكلية الطب والصيدلة وكلية طب الأسنان والمدرسة العليا للكهرباء والميكانيك والمدرسة العليا للتكنولوجيا.

أما جامعة الحسن الثاني - المحمدية فمؤسساتها هي كلية الآداب (ابن مسيك) وكلية الآداب (المحمدية) وكلية العلوم (ابن مسيك) وكلية العلوم القانونية والاقتصادية

والاجتماعية (المحمدية) وكلية العلوم والتقنيات (المحمدية).

أما الجامعة العصرية التي تأسست بفاس فقد أحدثت عام 1975 وتحمل اسم واحد من أشهر ملوك الدولة العلوية وهو سيدي محمد بن عبد الله (1721 - 1790). وقد ضمت في بدايتها فروعا كانت تابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط ثم توسعت لتشمل كليتين للآداب (ظهر المهراز وسايس) وكلية للعلوم وكلية العلوم والتقنيات وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية والمدرسة العليا للتكنولوجيا.

وتأسست بمدينة وجدة عام 1978 جامعة كانت نواتها الأولى تابعة لجامعة فاس، وهي تحمل اسم جامعة محمد الأول المتوفى عام 1664، وتضم كلية الآداب وكلية العلوم وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية والمدرسة العليا للتكنولوجيا.

أما جامعة مدينة مراكش فتحمل اسم القاضي عياض أحد أعلام المالكية الفقهاء المتوفى عام 544 / 1149. تأسست هذه الجامعة عام 1978 وهي تضم اليوم كلية للآداب بمراكش وكلية للآداب ببني ملال وكلية للعلوم وكلية للعلوم والتقنيات بمراكش وكلية للعلوم والتقنيات ببني ملال والمدرسة العليا للتكنولوجيا بأسفي.

وفي مدينة مكناس تأسست جامعة المولى إسماعيل (1645 - 1727). من نواة كانت تابعة لجامعة فاس منذ سنة 1982 وهما كلية الآداب وكلية العلوم، ولما قامت بنفسها عام 1989 صارت هذه الجامعة تضم إلى جانب الكليتين المذكورتين كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية والمدرسة العليا للتكنولوجيا وكلية العلوم والتقنيات بالرشيدية.

وتأسست بمدينة تطوان جامعة عبد الملك السعدي (ت 986 / 1578) من نواة أولى كانت تابعة لجامعة فاس منذ سنة 1982، ثم قامت الجامعة بنفسها عام 1989، وهي تضم كلية الآداب وكلية العلوم وهما بتطوان، ومدرسة الملك فهد العليا للترجمة والمدرسة الوطنية للتجارة والتسيير وكلية لعلوم والتقنيات، وهذه المؤسسات الثلاث بمدينة طنجة.

وفي مدينة الجديدة تأسست جامعة شعيب الدكالي (1878 - 1938) وهو من كبار سلفية المغرب المتأخرين. وكانت كلية الآداب وكلية العلوم تابعتين بهذه المدينة لجامعة الدار البيضاء منذ سنة 1986. وقامت بنفسها هذه الجامعة عام 1989. وتأسست بها كلية العلوم والتقنيات والمدرسة الوطنية للتجارة والتسيير وكلاهما بمدينة سطات منذ سنة 1991.

وفي مدينة القنيطرة تأسست جامعة ابن طفيل من كليتي الآداب والعلوم، وكانتا تابعتين لجامعة محمد الخامس إلى أن قامت الجامعة المذكورة مستقلة عام 1989.

وفي مدينة أگادير قامت جامعة ابن زهر عام 1986. وتضم كلية الآداب وكلية العلوم والمدرسة الوطنية للتجارة والتسيير والمدرسة العليا للتكنولوجيا.

فمراحل تأسيس الجامعات هي 1959 و1975 و1978 و1989، وتعتبر النصوص التشريعية الصادرة عام 1975 إطار الهيكلة والتسيير، مع تعديلات لبعض جوانبها صدرت في مابعد.

لكل جامعة عميد هو رئيسها يساعده كاتب عام ولكل مؤسسة قيدوم إن كانت كلية أو مدير إن كانت مدرسة أو معهداً. ويساعد رئيس المؤسسة نائب، ولها كاتب عام.

مجلس الجامعة هو مؤسسة التسيير التربوي للجامعة بحكم القانون، يضم رئيس الجامعة (العميد) ورؤساء المؤسسات ونوابهم وممثلي الأساتذة الباحثين وهم منتخبون، ويضم ممثلي الطلبة المنتخبين، وأعضاء معينين يمثلون قطاعات عمومية وخصوصية لها صلة بالإنتاج والصناعة. والهيكلة التربوية داخل المؤسسات الجامعية هي على شكل شعب تخصصات لها رئيس منتخب لسنتين ولها مجلس. كما للمؤسسة مجلس ولجنة علمية.

وقد استجاب توسع الجامعات لتزايد أعداد الطلبة ولتنفيذ سياسة اللامركزية الجامعية. ومعظم الطلبة يتلقون منحا ويستفيدون من المطاعم الجامعية ومن خدمات طبية محدودة، كما أن نسبة منهم تستفيد من السكن الجامعي.

شهدت الجامعات تضخما في أعداد الطلبة في كليات الآداب والحقوق والعلوم التي يلجها كل من شاء بدون مباراة، بخلاف الكليات الأخرى التي تقبل على أساس معدلات عالية في الدراسة الثانوية.

وفي معظم كليات الآداب والحقوق والعلوم أسلاك للدراسات العليا والدكتوراه، وقد صارت تحاول تطبيق معايير الامتياز في التسجيل بهذه الأسلاك للحد من تضخم أعداد لا سبيل إلى تأطيرها بشروط الجودة المطلوبة.

وقد صارت أزمة تشغيل المتخرجين تضغط على الكليات لإعادة النظر في البرامج، ومن نتائج هذا التوجه إنشاء "إجازات مطبقة" وإنشاء جيل من كليات العلوم والتقنيات والمدارس العليا للتكنولوجيا ومدارس التجارة والتسيير. وقد سيطر شعار الإصلاح الجامعي علي الجو في المؤسسات الجامعية وفي الوزارة الوصية عليها وفي العلاقات التربوية والنقابية بين الطرفين، وكان هذا الإصلاح موضوع تحليلات ودراسات ومشاريع ينتظر صدور نصوص تضعها في صياغة معينة، ونقطها الرئيسية تدور حول رواتب الأساتذة الباحثين ونظام الدكتوراة وتفعيل الدواليب الديمقراطية لنصوص 1975 وتحسين المردودية العلمية.

أقل الجامعات من حيث عدد الطلبة هي جامعة ابن طفيل التي بلغ طلابها عام 1994 من الذكور 5879 ومن الإناث 4412. وأكثرها جامعة محمد الخامس أگدال التي بها من الذكور 14383 ومن الإناث 15513 ومجموع طلبة

الجامعات يتعدى 120.000 في العام المذكور بينما يؤطرهم 7566 من المدرسين والباحثين و9776 من الإداريين، وقد بلغت ميزانية التعليم العالي الجامعي 2.673.300.000 درهماً عام 1994، بينما مجموع ميزانية الدولة في نفس العام هو 66.208.300.000 درهماً.

وزارة التعليم العالي، *دليل الجامعات المغربية*، الرباط 1995.

أحمد التوفيق

**الجامعات الرياضية** بالمغرب، كانت الألعاب الرياضية الشعبية بالمغرب تمارس في فترات المواسم والأعياد والأعراس بالأحياء وفي الساحات العمومية والمداشر والقرى بدون أي تأطير قانوني. ومن أهم الألعاب التي كانت سائدة بالمغرب الفروسية والرماية والقنص والألعاب البهلوانية ولعبة "الشيرة" وكلها رياضات تهمّ سكان البوادي والجبال، أما ساكنة الحواضر فقد كانت تمارس رياضة "مبارزة الغَرْس" وهي لعبة كانت شائعة بين أوساط الدباغين وخاصة في مكناس وفاس ومراكش وسلا والقصر الكبير وتطوان والشاون وتارودانت. وابتداءً من فترة الحماية أخذت الجاليات الأوربية بالمغرب، وخاصة الفرنسيين والإسبان، تمارس أنشطتها الرياضية المتنوعة والغريبة عن أهالي البلاد. مما جعل بعض المغاربة يمارسون هذه الألعاب بين صفوف الفرنسيين ويحتكون بهم، وربما أثار بعضهم إعجاب الأجانب بمهاراتهم ولياقتهم البدنية، فأخذت السلطات الفرنسية تنظم مباريات في رياضات متنوعة يشارك فيها المغاربة، وظهرت بعض العصب الرياضية الحرة التابعة للجامعة الفرنسية لألعاب كرة القدم والريكبي وسباق الدراجات والتنيس والملاكمة والكولف. أما في المنطقة الخليفية فقد عملت السلطات الاسبانية على دمج الفرق المغربية بالشمال داخل البطولة الإسبانية كما كان الشأن بالنسبة "لأتلتيكو تطوان" المغرب التطواني حالياً. وفرق طنجة والعرائش وسبتة ومليلية.

وبعد الاستقلال اتجه نظر المهتمين بشؤون الرياضة إلى إنشاء جامعات رياضية وطنية منضوية تحت لواء الجامعات الرياضية الدولية، وهكذا تم إنشاء أول جامعة رياضية مغربية باسم : الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم. انبثقت عن العصبة الحرة لكرة القدم التي كانت تابعة أيام الحماية للجامعة الفرنسية. وقد تأسست يوم 7 غشت سنة 1955 على إثر الجمع العام الذي انعقد في بورصة الشغل. هذا الجمع العام منح للجنة مؤقتة مهمة وضع روزنامة للمنافسات الرسمية للموسم الرياضي وكذا الدعوة لعقد اجتماع للمجلس الوطني للجامعة، ثم تحرير القوانين العامة والداخلية وتعيين أعضاء اللجن المركزية. كما سهرت هذه اللجنة على تهييئ مقابلات تمهيدية إقصائية لمعرفة الفرق التي ستشكل القسم الوطني الأول (16 فريق) والفرق الأخرى التي ستلعب في الأقسام الصغرى. وهكذا تم الإعلان عن انطلاق أول بطولة للمغرب تحت إشراف الجامعة يوم 5 شتنبر 1955، وهذا مادفع بالجامعة إلى تكوين المجلس الوطني مكان اللجنة المؤقتة، هذا المجلس الذي ضم عدداً من الفعاليات والمسؤولين الرياضيين (كالأب جيكو)، وقد صدرت عن المجلس عدد من القرارات منها :

- تكوين اللجن المركزية ؛
- تأسيس العصب الجهوية التي وضعت برنامجا للمنافسات التي تهمها ؛
- تأسيس اللجنة المركزية المهنية ؛

وفي سنة 1960 انخرطت الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم بصفة رسمية في الاتحاد الدولي (F.I.F.A) وارتبطت بجامعات أجنبية، وقد حظيت بالرعاية السامية لجلالة المغفور له محمد الخامس وبالرئاسة الفعلية لولي عهده آنذاك الأمير مولاي الحسن.

وخلال الموسم الأول توصلت الجامعة بعدد من الانخراطات وتم توزيع الفرق إلى سبع عصب : سوس، الجنوب، الشاوية، الغرب، الشمال، الشمال الشرقي، الشرق (+ عصبة تادلة)، كما تم خلق عدد من المنافسات : بطولة العصب، بطولة الشبان، بطولة الفتيان، البطولة الوطنية، كأس العرش، كأس محمد الخامس.

*الجامعة الملكية المغربية للريكبي*. تعتبر رياضة الريكبي من أقدم الرياضيات التي مورست بالمغرب في فترة الحماية حيث تم إنشاء العصبة التابعة للجامعة الفرنسية في سنة 1918. وفي سنة 1956 تأسست الجامعة الملكية المغربية للريكبي، وتعتبر هذه الجامعة من أقدم الجامعات على الصعيد الافريقي والعالم العربي والإسلامي.

تضم الجامعة أحد عشر ناديا، وبلغ عدد المنخرطين بها حوالي 13.250 لاعب.

*الجامعة الملكية المغربية للكرة الحديدية* (la longue)، تأسست سنة 1956 ثم توقفت أنشطتها لقلة الممارسين لهذه اللعبة لكن استرجعت مكانتها كجامعة، وتعتبر مدينة الدار البيضاء المجال الوحيد لممارسة هذه اللعبة.

*الجامعة الملكية المغربية للكرات الحديدية* (la pétanque) وهي تختلف عن السابقة سواء في شروط اللعبة أو في قوانينها. فبينهما تُلعب الأولى في ملعب يتوفر على أبعاد معينَة فإن الكرات الحديدية تلعب في كل المجالات وفي الهواء الطلق، ويعتبر المغرب من أكثر الدول ممارسة لهذه اللعبة وبطل العالم فيها.

*الجامعة الملكية المغربية للزوارق الشراعية*. تأسست سنة 1956 إلاّ أن نشاط هذه الجامعة مازال يقتصر على الشريط الساحلي الأطلسي : القنيطرة - الرباط - المحمدية.

*الجامعة الملكية المغربية لرفع الأثقال*. تأسست في أواخر سنة 1956 وعرفت في بدايتها انتعاشا كبيراً، إلا أن الفتور أصابها خلال السبعينات، وبرسم موسم 94 - 95 بلغ عدد

الأندية التابعة لها 155 ناديا فيما بلغ عدد المنتخرطين 7.867 منخرطاً.

*الجامعة الملكية المغربية للسباحة*. تأسست سنة 1956، وبقي نشاطها محصوراً في المدن التي تتوفر على مسابح كمكناس والدار البيضاء والرباط، ومازالت تفتقر إلى الأطر الكفأه والمسابح المغطاة.

*الجامعة الملكية المغربية للجمباز*. كانت مدينة الرباط سباقة في إنشاء جامعة الجمباز بمبادرة من آل جوريو والعوفير الذين كانوا يمارسون هذه اللعبة منذ فترة الحماية. ففي سنة 1956 قامت هذه الجامعة بالرباط وبدأت تعرف انتشاراً واسعاً في سائر المدن. وتعتبر مدينة اليوسفية أكثر تعاطيا لرياضة الجمباز في الفترة الأخيرة.

*الجامعة الملكية المغربية لكرة السلة*. قامت هذه الجامعة خلال سنة 1956 على أنقاض العصبة الحرة التابعة للجامعة الفرنسية على يد الأستاذ بناني سميرس الرئيس الأول لهذه الجامعة.

*الجامعة الملكية المغربية لكرة الطاولة*. لم تعرف هذه الجامعة نشاطا مكثفا إلا في الفترة المتأخرة رغم أن تاريخ تأسيسها يرجع إلى سنة 1956، وكان نشاطها مقتصراً على بعض الأندية في الرباط والدار البيضاء لكنها سرعان ما تقاطرت عليها انخراطات متعددة من كل أرجاء البلاد، وتعتبر مدينة الخميسات حاليا المدينة الأكثر تعاطيا لهذه اللعبة.

*الجامعة الملكية المغربية للكولف*. تأسست سنة 1956 كذلك، مع أن هذه الرياضة معروفة بالمغرب منذ سنة 1920، وتعتبر مسالك كولف مدينة طنجة أول ملعب في المغرب، وكان يستهوي كبار رجالات السياسة في العالم آنذاك.

*الجامعة الملكية المغربية لألعاب القوى*. تأسست سنة 1957، وإنجازات هذه الجامعة أكثر إيجابية حيث انتعشت رياضة العاب القوى وأصبح المغرب حاضراً في كل المحافل الدولية لهذه الرياضة، بل حمل أبطاله غير مامرة أرقاما قياسية لازالت في حوزتهم إلى الآن.

*الجامعة الملكية المغربية للتنيس*. تأسست سنة 1957 واقتصر نشاطها على ممارسة بعض الأندية التي تضم منخرطين أجانب وبعض الميسورين المغاربة، لكن في منتصف الثمانينات عرفت بعض الانفراج وأصبح العديد من الشباب يمارس هذه الرياضة، كما انتشرت في عدد من المدن والمراكز الصغرى.

*الجامعة الملكية المغربية للدراجات*. تأسست سنة 1957 وكانت من أنشط الجامعات الرياضية إبان الاستقلال، إلا أنها عرفت فتوراً في السنين الأخيرة وتراكمت عليها مشاكل التسيير مما جمد نشاطها حالياً.

*الجامعة الملكية المغربية للكرة الطائرة*. تأسست كذلك سنة 1957.

*الجامعة الملكية المغربيةللمصارعة*. تأسست أيضاً سنة 1957.

*الجامعة الملكية المغربية للملاكمة*. تأسست 1957، وتعتبر رياضة الملاكمة شعبية لدي الشباب، وقد أنجبت هذه الرياضة الكثير من الأبطال الدين تجاوز صيتهم حدود الوطن.

*الجامعة الملكية المغربية للمسايفة*. وتعتبر الجامعة الوحيدة التي تأسست خلال سنة 1958.

*الجامعة الملكية المغربية لكرة اليد*. تأسست سنة 1959.

*الجامعة الملكية المغربية للجيدو*. تأسست سنة 1959.

*الجامعة الملكية المغربية للشطرنج*. تأسست سنة 1963 وإلى حدود موسم سنة 94 ـ 95 بلغ عدد الأندية المنضوية تحتها 67 ناديا بينما بلغ عدد المنخرطين بها 1299 منخرطا.

*الجامعة الملكية المغربية للطيران الخفيف والرياضي*. تأسست بتاريخ 3 فبراير 1981 وهي جامعة منضوية تحت لواء الجامعة الدولية للرياضيات الجوية (F. A. I) وكذا الاتحاد العربي للقفز بالمظلات وألعاب الهواء (F. A. A) ومن أهم انجازات هذه الجامعة توثيق عرى الصداقة بين مختلف المنظمات الدولية ذات الاهتمام الرياضي وكذا تحقيق إنجاز المشغل الوطني لصيانة الطائرات بمساعدة المكتب الوطني للمطارات ومديرية الطيران والنادي الملكي لتيط مليل بالدار البيضاء.

*الجامعة الملكية المغربية للتكواندو*. تأسست هذه الجامعة سنة 1981.

*الجامعة الملكية المغربية لرياضة الأشخاص المعاقين*. كانت دورة لوس أنجلس الأولمبية الحافز الأول لإنشاء جامعات خاصة برياضة المعاقين بدنيا. وقد أقيمت دورة أولمبية لهؤلاء الأشخاص سنة 1984 وهي نفس السنة التي تأسست فيها الجامعة الملكية المغربية للأشخاص المعاقين في مختلف الأنواع الرياضية.

*الجامعة الملكية المغربية لقوارب الكياك*. تأسست سنة 1989، ويقتصر نشاطها على الفترات الطقسية الملائمة لأنها لاتمارس إلا في الأودية والأنهار ذات الجريان المهم والدائم.

*الجامعة الملكية المغربية للفول كونتاك*. من الجامعات الحديثة العهد التي تهتم بفنون الحرب، وقد تأسست سنة 1990.

*الجامعة الملكية المغربية للرماية بسلاح الصيد*. بلغ عدد الأندية المنضوية تحت لواء هذه الجامعة سبعة أندية بينما وصل عدد المنخرطين بها إلى 200 منخرط. وقد تأسست سنة 1994.

*الجامعة الملكية المغربية للكراطي*. تأسست سنة 1994.

| اسم الجامعة | سنة التأسيس |
|---|---|
| الجامعة الملكية المغربية لألعاب القوى | 1957 |
| الجامعة الملكية المغربية للتكواندو | 1981 |
| الجامعة الملكية المغربية للتينس | 1957 |
| الجامعة الملكية المغربية للجمناز | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية للجيدو | 1959 |
| الجامعة الملكية المغربية للدراجات | 1957 |
| الجامعة الملكية المغربية لرفع الأثقال | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية للرماية بسلاح الصيد | 1994 |
| الجامعة الملكية المغربية لرياضة الأشخاص المعاقين | 1984 |
| الجامعة الملكية المغربية للريكبي | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية للزوارق | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية للسباحة | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية للشطرنج | 1963 |
| الجامعة الملكية المغربية للطيران الخفيف والرياضي | 1981 |
| الجامعة الملكية المغربية للفول كونتاكت | 1990 |
| الجامعة الملكية المغربية لقوارب الكياك | 1989 |
| الجامعة الملكية المغربية للكرات الحديدية | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية للكراطي | 1994 |
| الجامعة الملكية المغربية للكرة الحديدية | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية لكرة السلة | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية للكرة الطائرة | 1957 |
| الجامعة الملكية المغربية لكرة الطاولة | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم | 1955 |
| الجامعة الملكية المغربية لكرة اليد | 1959 |
| الجامعة الملكية المغربية للكولف | 1956 |
| الجامعة الملكية المغربية للمسايفة | 1958 |
| الجامعة الملكية المغربية للمصارعة | 1957 |
| الجامعة الملكية المغربية للملاكمة | 1957 |

رغم توفر الجهاز الرياضي بالبلاد على العديد من الجامعات في مختلف الأنواع الرياضية إلا أن الاهتمام يبقى منصبا بالأساس على بعض الأنواع الرياضية دون غيرها، فكرة القدم تعدّ الرياضة الأكثر شعبية، تليها ألعاب القوى ثم الملاكمة، وأخيراً الكرات الحديدية، لكن الاهتمام المادي والتقني الذي تحظى به رياضتا الگولف والتنيس يجعلهما في تقدم مستمر وينتظر أن تلقى سائر الأنشطة الرياضية مزيداً من الإقبال والتوسع في السنوات القادمة.


الجامعة الملكية لكرة القدم، *مجلة كرة القدم*، سنة 1988 ؛ وزارة الشبيبة والرياضة، *وثائق مديرية الرياضة* ؛ *وثائق خاصة*.

K. Arsalane, *Le foot-ball marocain*, Casablanca, 1990.


محمد بلعربي وعبد العزيز بل الفايدة

**جامعة الدول العربية** والمغرب، تعتبر جامعة الدول العربية من أقدم المنظمات الإقليمية، إذ أُنْشئت عقب الحرب العالمية الثانية، تعبيراً عن رغبة العرب في تجميع صفوفهم، وتوحيد كلمتهم، وتحقيق آمالهم في الاستقلال والسيادة والوحدة، خاصة وأن الأطماع الاستعمارية كانت قد تنبهت إلى ما تمثله المنطقة العربية من أهمية استراتيجية واقتصادية.

وتشير الدراسات المتعلقة بنشأة "الجامعة" إلى وجود سببين رئيسيين أديا لذلك : أولهما : وجود تيارات وحدوية قومية تسعى إلى توحيد البلدان العربية في إطار قومي واحد. وثانيهما : إيعاز بريطانيا إلى بعض الحكام العرب خلال الحرب العالمية الثانية، بالمبادرة إلى إنشاء كيان ضعيف، يدعى التمهيد للوحدة العربية، في الوقت الذي يعمل فيه على تكريس سيادات الدول الاعضاء، وحفظ مصالحها الضيقة وترسيخ حدودها المصطنعة. عملاً بسياسة "اجمع واحكم". وبغض النظر عن أي السببين أقرب إلى الواقع، فقد تم إنشاء الجامعة العربية قبل منظمة الأمم المتحدة بثلاثة أشهر، وهي المنظمة الاقليمية الوحيدة التي يطغى عليها الطابع القومي، وتجمع أبناء أمة واحدة، وتستخدم دولها نفس اللغة.

بدأت الاتصالات والمشاورات بين الدول العربية المستقلة آنذاك، وهي مصر ولبنان واليمن والأردن والعراق والسعودية وسوريا، قصد إنشاء منظمة إقليمية تجمعهم. وأسفرت هذه المشاورات التي عُرفت باسم مشاورات الوحدة العربية عن إصدار بروتوكول الأسكندرية يوم 7 أكتوبر 1944. وهو يتضمن المبادئ العامة للجامعة. ثم انعقد المؤتمر العربي العام بمدينة القاهرة حضرته الدول السالفة الذكر، التي وقعت على ميثاق جامعة الدول العربية يوم 22 مارس 1945، باستثناء اليمن التي لم توقع عليه إلا يوم 5 ماي 1945 في صنعاء. وقد دخل ميثاق الجامعة حيز التنفيذ يوم 10 ماي 1945.

وفيما يخص أهداف "جامعة الدول العربية"، فقد نصت المادة الثانية من الميثاق على أن "الغرض من الجامعة هو توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية، تحقيقاً للتعاون بينها. وصيانة لاستقلالها وسيادتها، والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها". وتهدف الجامعة إلى تحقيق التعاون الوثيق بين دولها في الشؤون التالية :

أ ـ الشؤون الاقتصادية والمالية، ويندرج ضمن ذلك التبادل التجاري والجمارك والعملة وأمور الزراعة والصناعة.

ب ـ شؤون المواصلات بما في ذلك السكك الحديدية، والطرق والطيران، والملاحة والبرق والبريد.

جـ ـ شؤون الثقافة.

د ـ شؤون الجنسية والجوازات والتأشيرات، وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين.

هـ ـ الشؤون الاجتماعية.

و ـ الشؤون الصحية.

ومن أهداف الجامعة كذلك صيانة استقلال الدول الأعضاء وسيادتها، وحل المنازعات بالطرق الودية. حيث تفرض المادتان الخامسة والسادسة من الميثاق، على الدول الأعضاء ضرورة اللجوء إلى مجلس الجامعة لعرض المنازعات وفض الخلافات القائمة فيما بينها، إما بالتحكيم أو التوفيق وعدم اللجوء إلى القوة لحل تلك المنازعات، رغبة في الحفاظ على السلم والأمن العربيين، وضمان استقرار المنطقة العربية.

كما تهدف الجامعة إلى النظر في مصالح الدول العربية بصفة عامة، وكان المقصود بهذا النظر، رعاية مصالح الدول العربية التي لم تكن قد استقلت بعد وقت انشاء الجامعة. وتتوخى الجامعة أخيراً إقامة علاقات وطيدة مع دول العالم والمنظمات الدولية القائمة أو التي قد تنشأ في المستقبل.

أجهزة الجامعة : ينص ميثاق جامعة الدول العربية على أن أجهزتها تتكون من ثلاث هيئات هي : مجلس الجامعة، اللجان الفنية الدائمة، الأمانة العامة.

1 ـ مجلس الجامعة : هو الهيئة العليا في الجامعة، ويتكون من ممثلي الدول الأعضاء. ويكون لكل منها صوت واحد، وبما أنه لم يتم التنصيص على مستوى التمثيل فللدول إعلان من يمثلها من الوزراء أو السفراء أو غيرهم، والأمين العام هو الذي يتسلم وثائق الاعتماد والتفويض.

ويختص مجلس الجامعة بتحقيق أغراضها، ومراعاة تنفيذ ما تبرمه الدول الأعضاء فيها من اتفاقات. ودعم التعاون بين الدول العربية، والهيئات الدولية المعنية بحفظ السلم والأمن الدوليين، وتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الدول الأعضاء، وفض ما قد ينشأ بينها من منازعات، وتعيين أمين عام الجامعة، والموافقة على ميزانيتها، وتحديد نصيب كل عضو في نفقاتها. ووضع النظام الداخلي للمجلس واللجان الدائمة والأمانة العامة.

كما يختص باتخاذ التدابير اللازمة لدفع العدوان الذي قد يقع على إحدى الدول الأعضاء، والقيام بحفظ الأمن والسلم عن طريق التعاون بين الدول الأعضاء بمختلف صوره.

وينعقد المجلس في دورات عادية خلال فصلي الربيع (شهر مارس) والخريف (شهر أكتوبر) من كل عام. ويمكن أن ينعقد في دورات استثنائية كلما دعت الضرورة إلى ذلك، بناء على طلب دولتين أو أكثر من دول الجامعة، أو بناء على طلب عضو معتدى عليه. ويتولى الأمين العام تحديد موعد الانعقاد الذي يكون بمقر الجامعة أو مكان آخر يعينه المجلس.

وتكون اجتماعات المجلس صحيحة إذا حضرها أغلبية الأعضاء، وتُمَارسُ رئاسة المجلس بالتناوب بين الدول الأعضاء، حسب الترتيب الأبجدي لأسمائها، ويتولى الأمين العام توجيه الدعوة إلى المجلس للانعقاد، وذلك قبل موعد الانعقاد بشهر على الأقل.

ويأخذ نظام التصويت في المجلس بمبدإ الإجماع حتى يكون القرار ملزماً لجمع الدول الأعضاء، أما ما يقرره المجلس بالأغلبية فيكون ملزماً لمن يقبله. ولا يدخل في حساب الإجماع رأي الدولة المعتدية إذا كان المجلس بصدد اقرار التدابير اللازمة لدفع الاعتداء. أما القرارت التي يصدرها المجلس من إطار التحكيم، وكذلك القرارات الخاصة بالتوسط، فهي تصدر بأغلبية الأراء.

2 ـ اللجان الفنية : تنص المادة الرابعة من الميثاق على أن "تؤلف لكل من الشؤون المبينة في المادة، لجنة خاصة تمثل فيها الدول المشتركة في الجامعة، وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون ومداه، وصياغتها في شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها تمهيداً لعرضها على الدول المذكورة. ويجوز أن يشترك في اللجان المتقدم ذكرها أعضاء يمثلون البلاد العربية الأخرى (المقصود البلاد العربية غير المستقلة آنذاك) ويحدد المجلس الأحوال التي يجوز فيها اشتراك أولئك الممثلين، وقواعد التمثيل".

وقد تم تشكيل اللجان الدائمة وعددها اثنتا عشر لجنة على الوجه التالي : اللجنة السياسية، اللجنة الثقافية الدائمة، اللجنة الدائمة للمواصلات، اللجنة الاجتماعية الدائمة، اللجنة القانونية الدائمة، لجنة خبراء البترول العربي، اللجنة العسكرية الدائمة، اللجنة الدائمة للاعلام العربي، اللجنة الصحية الدائمة، اللجنة الدائمة لحقوق الإنسان، اللجنة الدائمة للشؤون الإدارية المالية، اللجنة الدائمة للأرصاد الجوية.

3 ـ الأمانة العامة : أنْشَأَ ميثاق الجامعة، أمانة عامة تتولى تصريف الأمور الإدارية والمالية والسياسية للجامعة، وتشكل الأمانة العامة الجهاز الإداري للجامعة، وهي تتكون من الأمين العام للجامعة والأمناء المساعدين ومجموعة من الموظفين والمستشارين ويتم تعيين الأمين العام بقرار من مجلس الجامعة يتخذ باغلبية ثلثي الأعضاء، وينتخب الأمين العام لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد. ولايمثل الأمين العام الدولة التي ينتمي إليها، ولا يتلقى تعليمات من أية دولة أخرى. وتتمثل مهمة الأمين العام في العمل على تنفيذ الميثاق وقرارات مجلس الجامعة من جهة، والاشراف على أعمال الامانة العامة الفنية والإدارية من جهة ثانية.

دور جامعة الدول العربية في استقلال المملكة المغربية : فُرضت الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912، وأخضعت

البلاد للحكم الفرنسي الغاشم سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وقد كافح الشعب المغربي ضد هذا الاحتلال منذ بدايته، فحمل أبناؤه السلاح في ثورات عارمة ضد جيوش الحكم الاستعماري الفرنسي والإسباني، وكانت أشهر هذه الثورات ثورة عبد الكريم الخطابي بطل حرب الريف. غير أن الاستعماريين تعاونا على إخماد هذه الثورة. كما تمكنا من إخماد ثورات أخرى في مختلف ربوع المملكة، وخلال عقد الثلاثينات من هذا القرن بدأت تتبلور معالم الحركة الوطنية المغربية، التي قادت الكفاح السياسي ضد الاستعمار، وتمكنت من تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944، بدعم وتوجيه من الملك محمد الخامس. غير أن فرنسا واجهت هذا التحرك النضالي بالقمع والإرهاب، فكان من الضروري أن يلجأ مجلس جامعة الدول العربية إلى ممارسة دوره في الدفاع عن القضية الوطنية المغربية، التي أصبحت تعرف في نطاق عمل الجامعة بالقضية المراكشية".

بادر مجلس الجامعة إلى تمثيل المغرب في لجان الجامعة العربية، وبذل الكثير من الجهود والمساعي لتحرير الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي قامت فرنسا بنفيه سنة 1946. وقد تمكنت الجامعة العربية من استقباله سنة 1947 في بورسعيد. وأُسنِدَت إليه رئاسة تحرير لجنة المغرب العربي.

وواصلت الجامعة العربية سعيها لتحرير المغرب، فأصدر مجلسها في دورته الخامسة عشرة، المنعقدة بتاريخ 10 أكتوبر 1951 قراراً يؤكد قراره السابق بشأن قضية المغرب، الذي يقضي باتخاذ إجراءات معينة لمساندة الشعب المغربي في كفاحه ضد الاستعمار ومن هذه الاجراءات :

1 - "تقديم مذكرة إلى الحكومة الفرنسية بصيغة موحدة من دول الجامعة العربية كافة، يطلب فيها إلى الحكومة الفرنسية تسوية الأمر في مراكش بما يكفل إزالة الشكوى ويظمئن الرأى العام العربي والإسلامي".

2 - "الاتصال ببعض الدول للتوسط لدى الحكومة الفرنسية لحل المسألة المراكشية حلا عادلاً.

3 - "إذا لم تكلل هذه المساعي بالنجاح تعرض القضية المراكشية على الأمم المتحدة في دورتها السادسة عشرة".

كما قرر المجلس بأن تتقدم دول الجامعة العربية الأعضاء في الأمم المتحدة بالطلب القانوني إلى السكرتير العام للأمم المتحدة، بادراج القضية المراكشية في جدول أعمال الأمم المتحدة في دورتها السادسة التي تعقدها يوم 6 نوفمبر 1951. وقد لبت المجموعة الأسيوأفريقية دعوة مجلس الجامعة، فتقدمت بالطلب، وأدرجت المسألة المغربية في الدورة السابعة للأمم المتحدة سنة 1952.

وعندما قامت السلطات الفرنسية الاستعمارية بنفي الملك محمد الخامس لمطالبته باستقلال بلاده، وتعاونه مع الحركة الوطنية في سبيل تحقيق السيادة المغربية، تمت دعوة مجلس الجامعة إلى اجتماع عاجل لتدارس الموقف من شتى نواحيه. وقرر المجلس في جلسته الأولى من الدورة التاسعة عشرة التي عقدت في 7 سبتمبر 1953 بأن جامعة الدول العربية : "تعتبر القضية المراكشية قضية عربية تهدف إلى الحرية والاستقلال. وأن الجامعة العربية تستنكر العدوان على السيادة المراكشية" وأكدت الجامعة على أن ما تقوم به فرنسا في المغرب، مناف لميثاق الأمم المتحدة. وينتهك صراحة المعاهدات الدولية الخاصة بالمغرب، والجامعة العربية حرصاً منها على رعاية الأماني الوطنية للشعب المغربي لا تعترف بتاتاً بالأوضاع غير الشرعية التي تفرضها فرنسا على المغرب.

وعاد مجلس الجامعة العربية إلى بحث القضية المغربية في 27 يناير 1954، ورأى ضرورة دعم الجبهة الوطنية المغربية في نضالها من أجل الاستقلال ورد سلطان البلاد الشرعي إلى عرشه. وقرر المجلس إحداث صندوق تموّله الدول الأعضاء للإنفاق على القضية المغربية.

وظلت الجامعة العربية قائمة بهذه المهمة، باثارتها للمشكلة في المجال الدولي حيث عاودت عرضها على هيئة الأمم المتحدة من جديد، وكانت النتيجة في صالح المغرب عندما أيدت الجمعية العامة للأمم المتحدة الأماني القومية والوطنية للشعب المغربي وطالبت بتسوية مرضية لقضيته. وقد ترافقت هذه المساعي مع الانتفاضة الشعبية المغربية الصارمة المطالبة بالاستقلال، وبعودة الملك الشرعي إلى بلاده وعرشه. ورضخت فرنسا مجبرة بعد فشلها في قمع الانتفاضة المفاوضة الحركة الوطنية، وأعادت السلطان محمد الخامس من منفاه من نوفمبر 1955 ليفاوض بنفسه رئيس الجمهورية الفرنسية حول استقلال المغرب، وشهد المغرب استقلاله سنة 1956 بعد إعادة دمج المنطقة الشمالية التي كانت خاضعة للحماية الإسبانية، وعودة طنجة إلى السيادة المغربية وإلغاء إدارتها الدولية.

وفي شهر يونيو 1956 زار القاهرة وفد رفيع المستوى من المغرب برئاسة ولي العهد آنذاك الأمير مولاي الحسن (صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني اليوم). فقابل الأمين العام لجامعة الدول العربية، وأعرب له عن امتنان المغرب للجامعة واعترافها بجهودها في دعم مساعيه من أجل تحقيق استقلاله. وقد كانت مهام بناء الدولة الجديدة، وإقامة الإدارة المغربية على أنقاض الإدارة الاستعمارية، سبباً في تأخير انضمام المغرب إلى الجامعة العربية زهاء سنتين من الزمن حيث انضم المغرب إلى الجامعة يوم فاتح أكتوبر 1958.

دور المغرب في العمل العربي المشترك ومؤتمرات القمة العربية : أبدى المغرب منذ انضمامه إلى جامعة الدول العربية استعداد نشيطاً في دعم العمل العربي المشترك، وكان من الدول السباقة إلى المطالبة بتعديل ميثاق الجامعة، فقد أشار الملك محمد الخامس في خطابه الافتتاحي للدورة الثانية والثلاثين لمجلس الجامعة في الدار

البيضاء، بتاريخ أول سبتمر 1959، إلى أن "الوقت قد حان للسعي في جعل الجامعة العربية متلائمة مع مقتضيات الوقت، ومشاكل الساعة الراهنة، نظراً لتغير الآفاق الدولية واستقلال الكثير من الأقطار العربية بالإضافة إلى التطورات الجوهرية في العالم". وكان هدف المغرب من هذه الدعوة دعم التضامن العربي، ووضع حد للحرب الباردة العربية التي كانت تخيم على العالم العربي خلال عقدي الخمسينات والستينات. وقد واصل المغرب اهتمامه بمسألة تعديل الميثاق بعد ذلك، فأصبح مندوبه الدائم في الجامعة رئيساً للجنة تعديل الميثاق هذه اللجنة التي استفرت أشغالها عن تهييئ ميثاق جديد لجامعة الدول العربية، وقد وضع الميثاق الجديد على جدول أعمال القمة الثانية عشرة في فاس (نوفمبر 1981)، ولازال ينتظر موافقة الدول العربية عليه منذ ذلك التاريخ.

وعندما بدأت جامعة الدول العربية تدعو إلى عقد مؤتمرات قمة دورية، ابتداء من مؤتمر القاهرة الأول سنة 1964، حرص المغرب على حضور جميع هذه المؤتمرات، والاسهام في أشغالها بفاعلية وكفاءة على أعلى المستويات. وقد مكنه من لعب هذا الدور، الخط المعتدل لسياسته الخارجية، واحجامه عن الانخراط في صراعات ومحاور الأنظمة العربية، وقد بلغ عدد مؤتمرات القمة الدورية من يناير 1964 إلى غاية نوفمبر 1982، اثنى عشر مؤتمراً للقمة، احتضن المغرب ثلثها. أي أربع مؤتمرات للقمة هي : مؤتمر القمة العربي الثالث بالدار البيضاء في سبتمبر 1965 الذي خصص لدعم منظمة التحرير الفلسطينية وتوقيع ميثاق التضامن العربي. ومؤتمر القمة العربي الخامس بالرباط في يناير 1969 الذي كان يهدف إلى تقديم الدعم المادي لدول المواجهة، ومؤتمر القمة العربي السابع بالرباط في أكتوبر 1974، الذي خصص لبحث تمثيل الشعب الفلسطيني والاعتراف بمنظمة التحرير كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، بعد تنازل الاردن عن تمثيله. وأخيراً مؤتمر القمة الثاني عشر في مدينة فاس في نوفمبر 1981، والذي خصص لبحث الأزمة اللبنانية ومبادرة السلام السعودية. لكن المؤتمر أجل بعد جلسته الأولى ليجتمع مرة ثانية بعد مرور حوالي سنة على دورته الأولى. فكان أول مؤتمر للقمة يعقد على دورتين، وأسفر عن الاتفاق على مبادرة السلام السعودية التي تقدم بها الملك فهد ولي عهد آنذاك. وعن حل الأزمة اللبنانية بالسماح للقوات السورية بالفصل بين الأطراف المتناحرة في لبنان.

وخلال عقد الثمانينات عقدت ست مؤتمرات للقمة تميزت بكونها قمم غير عادية أو استثناذية. أو ما اصطلح عليه بالقمم الطارئة. وقد استطاع المغرب خلال هذه الفترة أن يحتضن اثنين منها هما : مؤتمر قمة الدار البيضاء في شهر غشت 1985 الذي أعلن تضامن الدول العربية مع العراق في حربها ضد إيران، ومؤتمر القمة الاستثنائي بالدار البيضاء في ماي 1989، وهو المؤتمر الذي لعب فيه المغرب دوراً أساسياً في عودة مصر إلى حظيرة الجامعة العربي بعد قطيعة دامت عشر سنوات كاملة، نُقل فيها مقر الجامعة من القاهرة إلى تونس وعلقت خلالها عضوية مصر من الجامعة. كما مهدت هذه القمة الطريق أمام عودة الجامعة العربية إلى مقرها الأول بالقاهرة.

وهكذا طبع المغرب الديبلوماسية العربية بحضوره الفاعل واسهامه النشيط في دعم قضايا العمل العربي المشترك، وحل النزاعات العربية. وتيسير السبل أمام جامعة الدول العربية للقيام بدورها على أحسن وجه.


هارون هاشم رشيد، *ما يجب أن تعرف عن جامعة الدول العربية*، تونس 1980 ؛ أ. الشقيري، *الجامعة العربية، كيف تكون جامعة، وكيف تصبح عربية*، تونس 1979 ؛ ش. مفيد، *جامعة الدول العربية، ميثاقها وانجزاتها*، القاهرة 1978 ؛ م. طلعت الغنيمي، *جامعة الدول العربية، دراسات قانونية سياسية*، الأسكندرية 1974؛ ج. مطر، ع. الدين هلال، *النظام الإقليمي العربي، دراسة في العلاقات السياسية العربية*، الطبعة الثانية، بيروت 1983 ؛ ك. علي، *جامعة الدول العربية والمنازعات الاقليمية العربية*، لنيل د. د. ع في القانون العام كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية ، الرباط 1980 ؛ م. الصوفي، *ديبلوماسية مؤتمرات القمة في العلاقات العربية*، رسالة لنيل د. د. ع القانون العام كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط 1982 ؛ أ. طربين، *انجازات جامعة الدول العربية في دعم الاستقلال السياسي للاقطار العربية*، مارس 1982، ص 350 ـ 365.

Gomaa Ahmed, *The foundation of the League of Arab States : Wartime diplomacy and inter-arab politics, 1941 to 1945* London, 1977 ; H. Kerr Malcolm, *The Arab Gold War : Gamal Abd-Al Nasir and his Rivals, 1958 - 1970.*, London.' Third edition 1971.; Olivier Carré, *La Ligue des Etats Arabes*, *Revue Française des Sciences Politiques*, Vol. XXI, n° 2, Avril 1971, p. 362'; Boutros Boutros Ghali, *La crise de la ligue arabe*, *Annuaire français du droit international*, vol. 1968, p. 96.


محمد الصوفي

**الجامعي**، أسرة فاسية عريقة تنتسب إلى قبيلة أولاد جامع المذكورين آنفاً، وأصبحوا ينتسبون هكذا : "الجامعي" بدل "ابن جامع" منذ أن استوطنوا الجهة الشرقية الشمالية لمدينة فاس، وربما كان ذلك في عهد الدولة السعدية. وأصبحت تتكون من عشائر حمود الحجر الشريفة والويدان وسوق الأربعاء وسوق السبت كما ذكر عبد الرحمان بن زيدان في كتابه *العز والصولة* (ج. 1، ص. 152)، وانضمت هذه القبيلة سنة 1849 إلى الجيش المخزني الذي نظمه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام (1822 ـ 1859) على إثر هزيمة القوات المخزنية في معركة إيسلي ـ غشت 1844 ـ.

وارتقى أفراد من الجامعيين إلى مستوى كاتب ـ وزير ـ خلال حكم السلطان المذكور، والمقصود هو العربي بن

المختار الجامعي، واحتل ابنه محمد نفس المنصب في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859 ـ 1873) الذي كانت تربطه علاقة مصاهرة مع آل الجامعي لأن زوجته للا الطام تنتمي لقبيلة أولاد جامع وهي أم السلطان مولاي الحسن (1873 ـ 1894).

ونظراً لهذه القرابة فقد أصدر سيدي محمد بن عبد الرحمان ظهيراً بتاريخ 2 غشت 1866 أسدل به أردية التوقير والاحترام على أصهاره وخاصة منهم محمد بن العربي بن المختار الجامعي، كاتبه ـ أي وزيره ـ في حين أسند له ابنه مولاى الحسن منصب الصدارة العظمى أي أمور المخزن الخارجة عن القصر سنة 1878 بعد وفاة الحاجب الوزير موسى بن أحمد البخاري وتقسيم الأعمال التي كان يزاولها بين ابنه أحمد (احماد) الذي كلف بالحجابة، وبين محمد بن العربي المذكور خال السلطان، وبقي في هذا المنصب إلى سنة 1891، حيث تولى مكانه أخوه المعطي بن العربي (1891 ـ 1894) مدة ثلاثة وثلاثين شهراً إلى نهاية حكم المولى الحسن.

وبلغ نفوذ الجامعيين القمة على عهد السلطانين سيدي محمد بن عبد الرحمان وابنه مولاي الحسن، فسيطروا على مقاليد المخزن ودواليبه، إذ كان منهم الصدر الأعظم أو صدر الوزراء وهو منصب أحدثه لأول مرة في تاريخ المغرب السلطان مولاي الحسن، كما أسند المعطي بن العربي الجامعي منصب وزارة الحربية لأخيه محمد الصغير، وقرب له العناصر الموالية للأسرة، في حين تم إبعاد كل من حامت حوله الظنون تجاه هذه الأسرة ومناهضتها، مما خلف كرهاً شديداً لها من قبل بعض أعضاء المخزن الحسني، وفي مقدمتهم الحاجب احماد ابن موسى.

ولم يدم جاه أسرة الجامعي طويلاً، فمباشرة بعد وفاة السلطان م. الحسن، بدأ العد التنازلي لسلطتها، ونكب أفرادها في ممتلكاتهم على يد الحاجب المذكور الذي كان له من العز والقوة داخل جيش البخاري، فتمكن من إسقاط الوزراء الجامعيين وأنصارهم، وزج بهم في السجون بعدما اتهمهم بالإيقاع بينه وبين السلطان، وكان ذلك أوائل عهد مولاي عبد العزيز، لما صار أحمد بن موسى صدراً أعظم، وكانت بداية هذه النكبة في مكناس حينما دخل الحاج المعطي الجامعي على السلطان في قصره بهذه المدينة يحمل معه صكوك الأوامر والظهائر السلطانية كما جرت العادة، للتوقيع عليها، فأمره بتقديمها إلى ابّا احماد ابن موسى، فامتنع عن القيام بهذه المهمة التي اعتبرها إهانة له، فلم يسع السلطان إلا إعطاء تعليماته ـ بإيعاز من حاجبه ـ لقائد المشور إدريس بن العلام البخاري، ليبلغ الصدر الأعظم السابق إعفاءه من وظيفه ولزوم داره صحبة أخيه، لأنهما في نظره طغيا في البلاد وشقا عصا الطاعة، في الأمر الذي وجهه ابن العلام لباشا مكناس حم بن الجيلالي البخاري لإلقاء القبض على أولاد الجامعي المعطي وأخيه محمد الصغير وصهرهما العربي الزبدي ـ الذي كان السلطان قد أرسله سنة 1876 سفيراً لبعض الدول الأوربية لمناقشتها في مشكل الحمايات القنصلية في المغرب ـ واستئصال أموالهم ومخلفاتهم من الأثاث ولكل تركاتهم، وبيعها في العواصم المغربية، فأرسلا مقيدين ـ بأمر من ابا احماد ـ إلى ثغر تطوان ـ فيما أرسل الزبدي إلى سجن أسفي ـ فتوفي المعطي بمعتقله بعد أن قضى فيه 33 شهراً، وبقي محمد الصغير في سجنه إلى أن أطلق سراحه أواخر الدولة العزيزية فنقل إلى طنجة التي عاش بها أحلك أيامه إلى أن توفي بها، وبذلك أفل نجم الأسرة الجامعية ونكب وزراؤها بعدما تحكموا في مقاليد الشؤون المخزنية طيلة النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م).

ع. ابن زيدان، *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، ج. 1، الرباط 1961؛ *الوثائق*، 1976، ع. 2، 3.

بوشتى بوعسرية

**الجامعي، أحمد** بن إدريس الفاسي، كان عدلاً مبرزاً بمحكمة أحواز الدار البيضاء، وتعاطى الإفتاء بها ثم انتقل إلى القضاء بطنجة.

ألّف كتاب *زجر الطغاة وقمع البغاة*، ردّ فيه على قاضي أحواز الدار البيضاء أحمد بن العباس التازي الفاسي. طبعته المطبعة الجديدة بفاس عام 1351 في 68 صفحة وبآخره واحد وعشرون تقريظاً لفقهاء العصر.

إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، ص 80.

**الجامعي، إدريس** بن محمد بن المختار، أمُّه السيدة راضية بنت الحاج المعطي صفيرة الأندلسي، ناظر الأحباس بمدينة فاس، في حدود العقدين الأولين من القرن الثالث عشر (19 م). والمترجم هو أيضاً من أبناء عمومة الوزير الصدر الفقيه محمد بن العربي بن المختار الجامعي وأخويه الوزيرين المعطي بن العربي ومحمد الصغير، وثلاثتهم شغلوا منصب الوزارة على عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان وخلفه السلطان المولى الحسن.

وقد حلاّه صاحب *زهر الآس في بيوتات فاس*، بوصف "الطالب"، حين تعرض لذكر أسرته (ص. 510). وهذا يعني أن الرجل تعلم على يد بعض مشايخ القرويين، وإن لم يكن قد ارتقى إلى درجة "العالم"... وقد عثر على اسمه في قائمة "الفقهاء" الموزع عليهم خيام جديدة في شهر شوال من سنة 1310 هـ (*العز والصولة*، 1 : 225). وتوحي هذه الإشارة إلى أنه كان من كتاب الحاشية السلطانية وممّن كان مقرّراً أن يُرافقوا السلطان في رحلته المقبلة إلى ناحية تافيلالت، في نفس التاريخ.

وكانت سكناه بسبع لُويَاتْ، من عدوة القرويين بفاس، كما كان حيّا في حدود 1340 / 1921 ـ 1922.

م. عبد الكبير بن هاشم الكتاني، *زهر الآس في بيوتات فاس*، ص 510 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 1 : 225.

مصطفى الشابي

**الجامعي، بوشتى**. وطني مكافح ينتمي إلى قبيلة الجامعيين (أولاد جامع) المجاورة لمدينة فاس. ولد سنة 1323 / 1905 في هذه المدينة، ودرس بها، وانضم في سن مبكرة إلى الخلايا الوطنية الأولى التي أسسها الرعيل الأول للحركة الوطنية من الشباب خريجي جامع القرويين المتشبعين بالفكر السلفي، أو ممن درس في المدارس الفرنسية ومعاهدها في الداخل والخارج. ونظراً لنشاط بوشتى الجامعي المعارض لسياسة فرنسا في المغرب وممارسات حكامها الإقليميين في فاس وفي غيرها من المدن والبوادي ـ فقد تعرض للاعتقال والسجن سنتي 1928 و1929، والنفي من مدينته إلى منطقة الحياينة. وبعد عودته سنة 1930 إلى فاس مسقط رأسه عمل على تكوين تنظيم خلية تضم طلاب القرويين وخريجيها لمقاومة الظهير البربري الصادر يوم 16 ماي من نفس العام، كما كان من بين متزعمي حركة إصلاح التعليم داخل جامع القرويين، وأسفرت هذه الحركة عن صدور ظهير 31 مارس 1933 المتعلق بتنظيم هذا التعليم وإصلاحه بمختلف أسلاكه ـ الابتدائي والثانوي والعالي ـ سواء تعلق الأمر بالمواد المقررة أو سير الدروس والامتحانات.

انضمّ بوشتى الجامعي في بداية الثلاثينات من هذا القرن إلى الخلايا السياسية السرية الأولى التي كان يشرف عليها التنظيم المعروف بالزاوية، وهو ـ التنظيم الذي كان النواة الأولى لنشأة أول حزب سياسي مغربي منظم وعلني ومعترف به، تحت اسم : كتلة العمل الوطني سنة 1934 بقيادة أبناء النخبة الحضرية بأهم المدن المغربية ـ فاس والرباط وسلا ومراكش ومكناس ... ـ وقدمت الكتلة المذكورة *مطالب الشعب المغربي* للمسؤولين وذلك في شهر نونبر سنة 1934.

ولم تمنع التزامات بوشتى الجامعي السياسية من مواصلة اهتماماته التعليمية. سواء في فاس أو في وجدة، ورغم النفي والمتابعة والمراقبة المستمرة لتحركاته، فقد تمكن من إلقاء عدة دروس توجيهية وتعليمية على الطلاب في أماكن متعددة وخاصة في منزل رفيقه وصديقه الهاشمي الفيلالي بفاس.

كما أسس أول نقابة للسائقين، ومدرسة حرة في مدينة القنيطرة سنة 1937، هذه المدينة التي كانت بها الحركة الوطنية متألقة بقيادة نخبة من الرواد الأوائل أمثال محمد الديوري. وخلال هذه السنة بالذات كان الوضع السياسي في المغرب متأزما لدرجة الاصطدام الدموي في بعض المدن بين السكان وقوات الأمن، وفي مقدمة تلك المدن مكناس حيث جرت أحداث بوفكران ـ وأسفرت هذه الحالة عن عدة اعتقالات في صفوف زعماء الحركة الوطنية كعلال الفاسي ومحمد حسن الوزاني وغيرهما، وكان من بين المعتقلين بوشتى الجامعي الذي كان مصيره السجن في كل من سطات والريش وعين مومن وغبيلة، إلا أن سنوات الحبس لم تؤثر في مبادئه إن على المستوى السياسي والتعليمي، فلم يلبث أن واصل نشاطه في الاتجاهين معا، فكان من الموقعين على وثيقة الاستقلال بتاريخ 11 يناير 1944.

توفي بالدار البيضاء يوم تاسع جمادى الثانية عام 1410 / 7 يناير 1990.

بوشتى بوعسرية

**الجامعي، العربي** بن المختار، كان من جملة كتاب السلطان عبد الرحمان بن هشام، وعند وفاة الوزير الصدر محمد بن إدريس عيّن السلطان محمد بن علي الحاحي النكنافي وزيراً ليشغل هذا المنصب حتى يظهر له من هو جدير به، فعيّن بعد ذلك العربي الجامعي سنة 1264 / 1847. وكان الجامعي قد صاهر بأخته الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبد الرحمان.

وقد عرفت فترة وزارته بعض المصاعب بالنسبة للسياسة الخارجية للمغرب، ففي سنة 1263 / 1848 كان لكل من إسبانيا وفرنسا مطامع توسعية في مصب نهر ملوية، كما أصبحت بريطانيا من جانبها تضغط على المغرب لإلغاء سياسة الاحتكارات (الكنطردات) التي يستفيد منها التجار المغاربة وتطالب المغرب أيضاً بأن يعمل على تخفيض الرسوم الجمركية على السلع في المرسى. كان الوزير الجامعي يعارض إلغاء سياسة الاحتكارات لأسباب عامة وخاصة منها أنه كان يستفيد منها، وقد قدر قنصل فرنسا مداخيل الجامعي السنوية من تجارة الاحتكار بمائة ألف بسيطة (90 فرنك لكل قنطار من الجلد يخرج من مدينة فاس).

وفي آخر سنة 1270 / 1853 عُزل العربي الجامعي من منصبه، وقد تضاربت الآراء حول أسباب عزله، فابن زيدان

يشير إلى أن عزله كان بطلب من الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبد الرحمان لأن الوزير صار لا يبالي به، بينما أشالبعض القضايا على السلطان ويذكر أكنسوس مصير الجامعي بعد عزله فيقول : "... ومع ذلك فإن سيدنا ما نقص له من حاله شيئاً ماعدا التأخير عن الحجابة، فلم يزل ملازماً حضرته وبابه وخطته التي هي الكتابة، وقيل إنه أعطى ما تيسر عليه من المال عن غير تكليف ولا إلزام..."

ويمكننا تزكية شهادة أكنسوس حول سبب عزله باعتباره كان معاصراً للأحداث وتربطه في نفس الوقت علاقات مع الوزير، وإذا كان سبب عزله غير واضح فإنه من المؤكد في جميع المصادر أن الجامعي تولى بعد ذلك القيادة العسكرية لقبيلة شراكة التي أبلى فيها البلاء الحسن بإخماد فتنة المولى عبد الرحمان بن سليمان الذي ظهر في صدر دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1276 / 1859 مطالباً بالملك، فحمل الجامعي الناس على الثبات والتمسك بطاعة السلطان.

توفي الجامعي على إثر خمود تلك الفتنة بعد إغماء شديد وذلك سنة 1276 / 1859. وقد أبقى السلطان على أولاده وظيفته وجميع أملاكه وأصوله وبلاده.

م. أكنسوس، *الجيش العرمرم الخماسي*، ج. 1 ؛ م. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 9 ؛ خالد بن الصغير، *المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر*، المحمدية 1990.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. II.

**جامعي، محمد** مقاوم ولد سنة 1917 بآيت عمّار من بني خيران، انخرط في صفوف المقاومة السرية بمنطقة وادي زم ضمن فرقة صوت الاتحاد التي كان يرأسها ممدوح محمد، وقد شارك في الأحداث الدامية التي عرفتها مدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955 أثناء الانتفاضة الشعبية العارمة التي نظمت تخليداً للذكرى الثانية لنفي ملك البلاد. وقد استمر في النضال إلى فجر الاستقلال وتوفي بمسقط رأسه بتاريخ 14 / 1 / 1995.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير.*

**الجامعي، محمد بن إدريس** بن مُحمد بن المختار، من أبناء عمومة الوزير الصدر الفقيه محمد بن العربي الجامعي وأخَوَيْه الوزيرين المعطي بن العربي الجامعي ومحمد الصغير في عهد السلطان المولى الحسن. وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن هذا الجد هو أحد إخوة السيدة فاطمة بنت المختار الجامعي، والدة السلطان المولى الحسن، أمكننا وضع المُترجَم في المكانة الرفيعة الخاصة به.

وُلد بفاس حوالي عام 1290 وأخذ عن أحمد بن الخياط والفاطمي الشرادي وأضرابهما من الشيوخ، وانخرط بعد ذلك في سلك الكتاب بالدواوين المخزنية، واحتفظ بمنصبه سنوات عديدة. بعد ذلك، أسندت إليه مهام باشوية مدينة تارودانت لمدة عشر سنوات تقريبا، وبقي بها إلى أن عزلته سلطات الحماية من وظيفه سنة نفي محمد الخامس (1372 / 1953).

وقد ذكر ابن سودة في *إتحاف المطالع* جامعياً بنفس الاسم (محمد بن إدريس) ولم ينسب إليه باشوية تارودانت، وإنما ذكر أنه تولى الكتابة بالصدارة العظمى مدة، ثم قضاء زعير والحياينة، وأخيراً رجع إلى فاس وتوفي بها صبيحة تاسع وعشري شعبان عام 1376 / 31 مارس 1957.

ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 2 : 175 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3325.

**الجامعي، محمد** بن **العربي** (الصغير)، تمييزاً له عن أخيه الأكبر محمد الكبير، الوزير الصدر في عهد السلطان المولى الحسن.

وقد تمكّن نفوذ الجامعيين في الأوساط المخزنية والحاشية السلطانية بالقرابة التي حظيت بها أسرتهم، حين صارت بنتان من بنات السيد المختار جد المترجم، إحداهما وهي السيدة فاطمة الجامعية زوجاً لولي العهد آنذاك السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، والأخرى وتُدعى السيدة خيرة، زوجا للأمير مولاي عبد السلام بن عبد الرحمان. ومعلوم أنّ السيدة فاطمة هي أم السلطان المولى الحسن وبالتّالي عمة مُترجمنا محمد الصغير. وهكذا، اجتمعت جميع أسباب الحُظوة والتألق في أيدي الأسرة الجامعية، حين اعتلى عرش المغرب السلطان المولى الحسن سنة 1290 / 1873، وبعدها صار هذا النفوذ وهذه الوجاهة شركةً بين عائلتي آل موسى بن احماد بن مبارك، ويمثلون فئة الخُدّام المنحدرين من عبيد البُخاري وآل الجامعيين الّذين يُعتَبرون نمُوذج الأسرة المخزنية "الأرستقراطية"، علاوة على انتسابهم إلى فرقة گيش شراگة (W.B. Harris, *Le Maroc disparu*, p. 18).

عند وفاة الفقيه الحاجب موسى بن احماد في محرم عام 1296 / يناير 1878 وبعد الانتهاء مباشرة من مراسيم تشييع الجنازة بمدينة مراكش، عيّن السلطان السيد محمد ابن العربي بن المختار الجامعي في منصب الوزير الصدر وأخاه الأصغر، مُترجمنا، وزيراً للحربية، بينما عُهد إلى ابن الحاجب الراحل، احماد بن موسى (ابّا احماد) بمهام الحجابة.

وقد احتفظ هؤلاء الثلاثة بمناصبهم على عهد السلطان المولى الحسن بأكمله. ونلمس من خلال كتابات الإخباريين المغاربة الذين تحدثوا عن مغرب القرن الماضي، بدءاً من أعمال محمد بن إبراهيم السباعي المراكشي وأحمد بن خالد الناصري السلوي، وانتهاءً بمؤلفات عبد الرحمان ابن زيدان وعبد الكبير بن هاشم الكتاني، بأنّ كفة الجامعيين قد

رَجحَت في هذا العهد، حيث أضحت كلمتهم مسموعة وأوامرهم نافذة. وقد تحدث صاحب *زهر الآس* عن هذا الجانب وقال بأنهم أدركوا "الجاه والكلمة والثروة أيام السلطان الأعظم المولى الحسن ..." ويبدو أنّ الصراع بين الأسرتين كان على أشده، دون أن تطفح على السطح مظاهره، وكان كل من العائلتين يتفانى في النيل من الطرف الآخر والكيد إليه وتشويه سمعته وتصرفاته في أعين السلطان وحاشيته.

كان محمد الصغير الجامعي، بصفته علافا كبيراً ومن أصهار السلطان المولى الحسن، مُلازماً لهذا الأخير باستمرار يُرافقه في تنقلاته وتطوافه عبر أرجاء البلاد. ولاشك أن الرجل كان معتزاً بنفسه وبهذه القرابة العائلية، ولا يأبه بوجود الحاجب ابَّا احماد. ولربّما صدر عن المترجم له ما أغاظ البعض من رجالات المخزن، أو من النخبة العلمية والتجارية، أو عارض مصالحهم. ومهما يكن، فإنّنا نجد أثراً لهذا الانطباع عند صاحب *البُستان الجامع لكل نوع حسن، وفَنّ مُستحسن في عَدِّ بعض مآثر السلطان مولانا الحسن*، حيث يقول : "وكان قُرب نهوضه هذا لمكناسة أيّده الله [السلطان مولاي الحسن الذي كان مقيماً بمدينة فاس في سنة 1303 هـ]، ووجّه ولَدَ خاله كبير العسكر أخا الوزير [الفقيه الصدر محمد بن العربي الجامعي] وهو المُسَمّى محمد الصغير، لجمع العسكر بدُكالة والشاوية، وهو وإن جُعل من كُبراء الجيش، ففيه خفّة عقل وطيش ..." (ص. 120).

وأمَّا عبد الكبير بن هاشم الكتّاني، فيقول في هذا الصدد : "وكانت أحوالُه [مُحمد الصغير] لا تنضبط وعقلاء المخزن تُلاطفُه ظاهراً وتخشى عواقبَه باطنا ..." [*زهر الآس* ... ص. 152].

وقد ازداد الحاجب احماد بن موسى اغتياظاً حين سَمَّى السلطان المولى الحسن شقيق مترجمنا، وهو المعطي بن العربي الجامعي، في منصب الوزير الصدر، بعد وفاة الفقيه الوزير بالنّيابة، محمد بن أحمد الصنهاجي الفاسي سنة 1309 / 1891، لأن الحاجب أبّا احماد يقدر أن هذا المتولى الجديد لم يكن أهلاً للمنصب الذي أسند إليه، حيث كان يَرى أنه أحق منه به، ممّا جعل الصراع الخفي بين الفريقين المُتنافسين يستحكم ويشتد (*إتحاف*، ج 1، ص. 373 وما بعدها). بَيْدَ أنه لم يحدث ما يشعر بأن السلطان كان ميّالا لأيّ من الطرفين أو كان يرغب في إنهاء هذا التنافس الذي كان، في واقع الأمر، يضمن التوازن بين أسرتين ممتازتين ومُتميزتين في الأوساط المخزنية. ولَعَلّ هذا لا ينفي العطف السلطاني على الجامعيين وهم أقاربه بالمُصاهرة، وهو أمر طبيعي لايُستبعد أن يكون عاملاً من عوامل تأجيج نار الحزازات بين الجامعيين وبين عائلة ابَّا احماد. وقد كان هذا الأخير لايَشُكُّ في أنّ آل الجامعي ذوو حُظوة وسوف يظلون كذلك ما حيي السلطان مولاي الحسن، ولامناص بالتالي، من مُداهنتهم ومسايرة رغباتهم، في حين كان يترقب فيهم الفرصة ويُهيئ الخُطة التي يمكن تنفيذها في الظرف المناسب. وظَلّ ابَّا احماد يَعْمل بلا توان من أجل توطيد أركان سلطته في أوساط المخزن ومن أجل تكوين شبكة واسعة من الأبناء والأتباع، لاسيما في أوساط العُمّال وقواد القبائل والأمناء والعلماء ...، في كبريات الحواضر ممَّن قد يستند إلى تأييدهم إذا آن الأوان. وكان موت السلطان مولاي الحسن، وهو في طريق رجوعه من حركة تافيلالت، الفرصة السانحة لميل كفّة آل موسى بن احماد على تلك التي لآل الجامعي. فقد كان ابَّا احماد حاضراً إلى جانب السلطان حين وفاته بدار ولد زيدوح بتادلا، فَتَمَكّن من زمام المُبادرة واتخذ الإجراءات الأمنية اللازمة لتتمكن المحلة السلطانية من بلوغ المناطق الآمنة، قبل أن يشيع خبر موت السلطان، وسهر من جهة أخرى على تدبير مُبايعة المولى عبد العزيز سلطانا على البلاد وهو دون البلوغ. وقد تمت هذه المُبايعة بالرغم من مُعارضة محمد الصغير وشقيقه المعطي الجامعي ومؤيديهم، وخاصة الأمين العربي الزبدي الرباطي الذي كانت تربطه بالجامعيين علاقة مُصاهرة.

لقد عزم ابَّا احماد على تنفيذ خُطته ضد الجامعيين، فوجّه المحلة السلطانية إلى مدينة مكناس، فاضطر الجامعيّان إلى العدول عن الذهاب إلى معقل أسرتهما فاس ومصاحبة الركب السلطاني إلى العاصمة الإسماعيلية مقر الجيش البُخاري واتباع الحاجب وأنصاره، وفي مقدمتهم عامل المدينة الباشا الشهير حم بن الجيلالي البُخاري. وما أن بلغت المحلة إلى مكناس حتى أمر ابَّا احماد باعتقال الوزير الصدر المعطي بن العربي الجامعي وأخيه محمد الصغير وزير الحربية، وواراهما في غياهب سجن تطوان، في حين اعتقل الأمين العربي الزبدي لأنه من حزبهما وتربطه وآل الجامعي علاقة مصاهرة، ووُجِّه إلى سجن أسفي. وكان هذا الأخير هُوَ أيضاً مُتّهما بالتآمر ضد السلطان المولى عبد العزيز وموالاة أخيه مولاي مَحمد بن الحسن. وقد صودرت أملاك محمد الصغير ورفيقيه في المحنة وبيعت في الأسواق (*إتحاف*، ج 1، ص. 373 وما بعدها).

وبإزاحة آل الجامعي وأنصارهم عن الحكم، صفا الجو لأبَّا احماد ليَسْتَبِدَّ بأمور البلاد حتى وفاته سنة 1318 / 1900.

ظل محمد الصغير في السجن أربع عشرة سنة ولم يُفرج عنه إلاّ أواخر العهد العزيزي، بعد أن ذاق أنواع العذاب والحرمان. وأمَّا شقيقه المعطي، فقد تُوفيَ في مُعتقله سنة 1315 / 1898، بعد مُضي ثلاثة وثلاثين شهراً من الاعتقال الرهيب. وهذه ارتسامات الصحفي والمخبر الأنجليزي الخطير لويس هاريس الذي كان يزور محمد الصغير، من حين لآخر، بمدينة طنجة :

"لقد أفرج عن رجل مُحطم ماديّاً ومعنوياً، فقد كل شيء، حيث صودرت ممتلكاته وبيعت عقاراته. وأمّا أهله، فقد ماتوا حُزناً وآلاماً. لقد خرج من السجن وهو أعمى تقريباً مُدْمَى اليدين والرجلين، بسبب آثار القُيود الحديدية التي كانت تُثقله ولا تبرحه أبداً، صباح مَساءً. قد يكون محمد الصغير ارتكب بعض الأخطاء وطال ظلمُه وحيفُه أشخاصاً أيّام عزه وصولته، غير أنّ الثمن المُؤدّى كان فادحاً بالمُقارنَة مع هفواته وأخطائه ..." (ص. 21 وما بعدها).

لم يُسمح لمحمد الصغير بالعودة إلى مسقط رأسه فاس للعيش بين أهله وذويه بقية عمره، بل أجبر على العيش بمدينة طنجة، غريباً مُشرداً، يُعاني من ضيق العيش ووَيلات الدهر ونوائبه، إلى أن تُوفي سنة 1325 / 1908، عن غير عقب، وأقبر بضريح الشيخ محمد صالح بنفس المدينة.

م. الكتاني، *زهر الآس*، 152 ؛ م. ع. المشرفي، *مشموم عرار النجد*، ص 284 ؛ السباعي، *البستان الجامع*، ص 120 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 1 : 373.

**الجامعي، محمد** بن **العربي** (الكبير) ولد في عقد الخمسينات من القرن الثالث عشر (19 م)، وهو ابن الوزير العربي الجامعي وحفيد الوزير المختار الجامعي، قرأ العلم على يد الفقيه ابن عبد الرحمان والحاج محمد گنون، ثم أصبح كاتباً بالبنيقة الكبرى مدة قليلة ثم ترقى فصار وزيراً للحربية في دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859 ـ 1873)، وقد أقره خلفه أيضاً في هذا المنصب، وكانت له منزلة خاصة لدى السلطان المولى الحسن نظراً لصلة القرابة التي تجمعهما، وقد تولى محمد الجامعي منصب وزارة الصدارة عام 1296 / 1878، وذلك عقب وفاة الحاجب الوزير موسى ابن احماد البخاري. وبقي الجامعي يباشر أعماله إلى حدود عام 1303 / 1886 حيث أصيب بداء الشلل. وبالرغم على ذلك احتفظ بالوزارة وكلف محمد ابن أحمد الصنهاجي بالنيابة عنه. ولما طال مرضه نحو الخمس سنين أصبح الصنهاجي وزيراً بدلاً منه.

وقد عُرف محمد الجامعي باهتمامه بأهل العلم والأدب حيث كان يكرمهم ويحسن إليهم، فكان يخصص يوم الجمعة لإكرام العلماء، ويوم الخميس للكتاب. كما قام بتحبيس جنان له يعرف بعرصة ملينة على الحرم النبوي الشريف. توفي سنة 1333 / 1915.

م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 7 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 2، الوثائق، ج. 3 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية*، ج. 2.

**الجامعي، المختار** بن عبد المالك، من الجامعيين القاطنين في ضواحي مدينة فاس. انخرط المختار الجامعي في الخدمة المخزنية منذ عهد السلطان المولى سليمان (1792. 1822) الذي كلفه ببعض المهمات. إنّ ما تقدمه المصادر من معلومات لاتسمح لنا بمعرفة مستوى تكوينه الثقافي، إلا أنه من المرجح أن يكون ذا مستوى جيد يسمح له بشغل منصب الصدارة الذي أسند له من طرف السلطان عبد الرحمان بن هشام بمراكش سنة 1247 / 1831، وكان ذلك باقتراح من رؤساء جيش الأوداية إثر انتهاء تمردهم على السلطان بالصلح في نفس السنة. وحل المختار الجامعي في الوزارة مكان محمد ابن إدريس الذي عزل منها في التاريخ المذكور.

ظل المختار الجامعي على رأس الوزارة إلى أن توفي بمراكش في فاتح محرم عام 1251 / 29 أبريل 1835.

م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 9 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 7 ؛ م. مزين، *فاس وباديتها*، ج. 1.

**الجامعي، المعطي**، أخو الوزير محمد بن العربي الجامعي سالف الترجمة. تولى الصدارة بعد وفاة الكاتب محمد بن أحمد الصنهاجي عام 1309 / 1891، وقد عرف بالصرامة والجفاء في تعامله مع العمال والكتاب، كما كانت له منافسة شديدة مع الحاجب احماد بن موسى الذي انتهز فرصة وفاة السلطان المولى الحسن عام 1311 / 1894 فأخذ البيعة للمولى عبد العزيز مع صغر سنه وصار يدبر الأمور بنفسه فعمل على إبعاد الوزير المعطي وأخيه محمد الصغير الجامعي الذي كان وزيراً للحربية وألقي القبض عليهما بواسطة باشا مكناس حمُّ بن الجيلالي البخاري، وتمت مصادرة أملاكهما وبيعت ممتلكاتهما في المدن، وزُجَّ بهما في سجن تطوان، وهناك توفي المعطي الجامعي بعد حوالي ثلاث سنوات من سجنه.

م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 1.

مصطفى الشابي

**الجامعي** (دار ـ) بمكناس، توجد هذه الدار محادية لساحة "الهديم" الشهيرة، تقابل واجهتها الجنوبية باب منصور العلج التي يعود تاريخ بداية تشييده إلى عهد السلطان المولى إسماعيل ابن الشريف. وتتوسط دار الجامعي مجموعة من الأزقة هي : "درب تيبربارين" شمالا، و"درب الصباغين" غربا، و "درب الجامعي" شرقا. وتفيد لوحة جبسية حاملة لتاريخ 1299 / 1882 نقشت ببقية الدار أن البناء يعود إلى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (19 م) حيث إن تاريخ 1299 هـ قد يكون إما تاريخ الانتهاء من بناء الدار وإما تاريخ تشييد القبة التي تحمله. ومهما يكن من أمر فهذه الإشارة تحدد فترة تصادف عهد

الوزير محمد بن العربي الجامعي الكبير، الذي استوزره السلطان المولى الحسن الأول عند وفاة وزيره موسى بن أحماد سنة 1296 / 1878 ويبدو أن محمد بن العربي الجامعي الكبير الذي سكن هذا القصر إلى أن أصابه مرض اضطر معه إلى مغادرة مكناس والانتقال إلى فاس حيث بنى بها قصراً آخر أصبح جانب منه فيما بعد فندقا مشهوراً.

وبعد وفاة السلطان المولى الحسن واعتلاء ابنه مولاي عبد العزيز عرش البلاد، بدأت كما هو معروف محنة آل الجامعي ونكبتهم على يد الوزير احماد بن موسى "بّاحماد" الذي أمر باستصفاء أموالهم وممتلكاتهم وسجن كبارهم وتتريكهم. وكان يسكن دار الجامعي بمكناس آنذاك الحاج المعطي الجامعي الذي ألقي عليه القبض وأرسل سجينا إلى طنجة حيث بقي إلى وفاته سنة 1322 / 1904 م.

وعند بيع تركة آل الجامعي، آلت دار مكناس إلى الباشا المدني الأگلاوي الذي اشتراها كما يوجد في أحد تقارير مفتش مصالح الفنون والحرف المغربية بمائة ألف فرنك (100.000) إلا أن الأگلاوي لم يسكن على ما يبدو هذه الدار إلى ان اشترتها منه مصالح الحماية الفرنسية سنة 1912 م لتجعل من قسمها الأوسط مستشفى عسكريا أطلق عليه اسم "مستشفى لويس"، ومن جناحها الأيمن محكمة عسكرية قبل ان يصبح هذا الجناح سنة 1916 "مقراً لمصلحة الفنون الجميلة"، ويحتضن الباقي مصالح إدارية مختلفة.

وفي سنة 1920 تقرر وضع مجموع البناية رهن إشارة المفتشية الجهوية للفنون الجميلة التي أحدثت بها النواة الأولى لمتحف إثنوغرافي إلى جانب دار للصناعة التقليدية. وفي نفس السنة تم ترتيب البناية ضمن المآثر العمرانية المحمية ينص ظهير شريف مؤرخ بـ 19 نونبر 1920، وفي سنة 1926 عينت أول إدارة قارة للمحتف الذي أصبح قائم الذات تحت اسم "متحف الفنون الأهلية بمكناس". وفي سنة 1958 انفصلت الصناعة التقليدية عن البناية لتحوي هذه الأخيرة مختلف مرافق المتحف.

ولعل تعاقب المصالح المختلفة السالفة الذكر على دار الجامعي كان له أثر في تغيير جوانب منها، وإحداث تقسيمات أو توسيعات ببعض غرفها وذلك حسب ما تتطلبه حاجات وأغراض كل مصلحة على حدة. لكن إن كان كل هذا قد أثر فعلا على التصميم العام في بعض جزئياته، فإنه لم يُفقد الدار رونقها ولا طابعها المتميز الشاهد على عمارة القرن الماضي تصميما وزخرفة.

تمتد دار الجامعي بمكناس فوق مساحة تعادل 4410 متر$^2$، وكانت في بداية أمرها تضم مرافق متعددة منها ما هو خصوصي (القصر ومكوناته) ومنها ما هو عمومي كبعض الدكاكين وحمام وفرن وفندق ومجزرة ؛ ولم يبق الآن قائما من كل هذا سوى القصر أو ما تبقى منه.

تتوزع مرفق القصر حالياً على ثلاث مجموعات :

ـ المنزل أو المسكن الرئيسي، ويمتد في النصف الشمالي على مساحة تقدر بـ 816 متر$^2$ ويجمع هذا المسكن عدداً

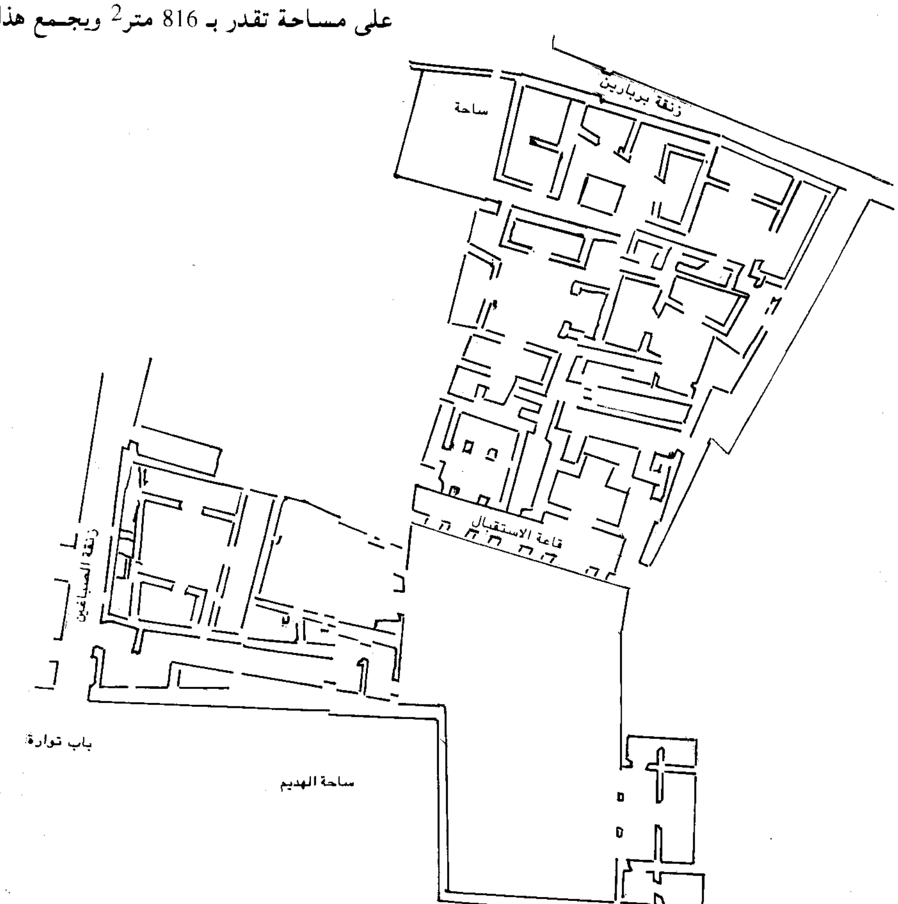

كبيراً من الغرف موزعة على طابقين ارضي وعلوي. أما الطابق الأرضي ففيه 18 غرفة تقوم حول أربعة أفنية أو "وسط الدار" كما تعرف عند العامة، وبه حمام من غرفتين. كما أن فناء آخر يوجد بالزاوية الشمالية الغربية، له باب يفتح مباشرة على "درب تيبربارين" وإليه تستند إلى الشرق غرف الحمام السالف الذكر ؛ أما الطابق العلوي فأهم ما به القبة الفخمة التي كان صاحب الدار يستقبل فيها ضيوفه، وهي قبة مزخرفة بالجبس المنقوش الملون، وبالخشب المخروط والمنقوش والمصبوغ، والزليج المختلف الألوان على الطريقة التقليدية المعروفة.

- الرياض : يحتل النصف الثاني من المساحة إلى الجنوب الشرقي على طول 26 متراً وعرض 24 متراً أي ما يعادل 624 متر$^2$، ويعد هذا الرياض من أكبر الرياضات المعروفة بمكناس، به مختلف النباتات والأزهار، وبه منزه جميل متكئ على الجدار الجنوبي، وإلى الزاوية الشرقية غرفة مستطيلة الشكل (7,90 متر x 2,83 متر) أمامها رواق مفتوح على الرياض بأقواس ثلاثة، كما يحد الغرفة من جانبها الجنوبي غرفتان صغيرتان متداخلتان (5,40 متر x 2,40 متر)، ومن جانبها الشمالي أحد الادرج المؤدية إلى الطابق العلوي.

- المسجد ومرافقه وخاصة المدرسة القرآنية، وتحتل الجانب الجنوبي الغربي فوق مساحة 176 متر$^2$ تقريبا. وقد تغيرت هذه الجهة من الدار تغيراً جدرياً لتصبح قاعة عرض كبيرة مفتوحة أمام معارض مؤقته.

ومن أهم عناصر دار الجامعي المعمارية مدخلها الرئيسي الذي حُول إلى جهة ساحة الهديم سنة 1967 (إذ قبل هذا التاريخ كان مفتوحا على درب الصباغين) حيث فتح بابه على بهو و"أسطوان" طوله 17,30 متر، على طول جدراه الجنوبي مقعد (دكانة) كان يجلس عليه الحراس والبوابون.

**الجامعي** (قصر -) بفاس بني هذا القصر على مقربة من باب الجيسة (الگيسة أو عجيسة) شمال عدوة القرويين وسط مساحة تقدر بـ 6800 متر$^2$، احتلت البنايات منها 610 متر$^2$ وترك الباقي رياضا مخضرا فسيحا تم تنظيمه على طريقه المدرجات، وهو يطل على مباني المدينة العتيقة. إلا أن تغييرات جذرية دخلت على هذا القصر ومرافقه أضاعت على فاس إحدى منجزاتها العمرانية الفخمة الشاهدة على عمارة القرن الماضي في ثلثه الأخير.

ذلك أن قصر الجامعي الذي يظهر حسب الرواية الشفوية أن بناءه ابتدأ سنة 1297 / 1879 م على يد الوزير محمد بن العربي الجامعي الكبير تحول إلى فندق عصري منذ الثلاثينيات من هذا القرن. فكان من نتيجة التحول أن أُضيفت مبان جديدة هي عبارة عن غرف نوم ولوازمها، ألصقت بالدار الرئيسية التي احتفظت مع ذلك ببعض مكوناتها الأصلية.

تحتل المباني الأصلية لقصر الجامعي التي تعود إلى نهاية القرن الماضي الزاوية الشمالية الغربية من الفندق وتتكون أساسا من قسمين كبيرين يجمع بينهما أسطوان طويل. يمتد القسم الأول شمالا على مساحة 350 م$^2$ ويتكون من ثلاث مستويات :

الطابق الأرضي وكان مخصصا لاستقبال الضيوف وإقامتهم، ويضم ثلاث غرف متوسطة المساحة وقاعة كبرى يغطيها سقف جميل على شكل قبة من خشب الأرز المنحوث والمزين بزخارف مصبوغة بطريقة "الزواق" المعروفة، وطابقان علويان كانا مخصصين لأفراد العائلة ولخدامها، ويتكونان من مجموعة غرف سكنية عادية وأخرى لخزن المؤن والمواد المختلفة.

ويمتد القسم الثاني غرب الأول على مساحة 260 متر$^2$ ويتكون من طابق أرضي وآخر علوي. يتميز الارضي بقاعة كبيرة مغطاة بقبة خشبية، وبغرفتين تنتظمان على جانبي قاعة ثانية مغطاة كذلك بقبة خشبية. أما العلوي فأهم ما يميزه وجود منزه جميل وغرفة وسطح شاسع يطل على مجموع المدينة العتيقة، لكنه اليوم يحمل في جزء كبير منه بنايات مختلفة أقيمت حسب أغراض الفندق.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 165 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 373 ؛ م. غريط، *فواصل الجمان*، 60.

L. Arnaud, *Au temps des Mehallas* ; H. Terrasse, *Villes impériales*, p. 161 ; A. Laroui, *Origines sociales*, p. 86 ; *La Vigie Marocaine*, 24 avril 1927.

عبد العزيز توري

**الجامكية**، أجرة الجنود أيام الموحدين. وهو تعريب للفظ الفارسي "جامگي" المشتق من "جامه" بمعنى اللباس، ويرى دوزي أن معناه اللغوي هو "مصروفات دولاب الملابس"، وتستعمل الكلمة بمعنى الأجر أو الراتب أو المنحة الشهرية. والجامكية من الكلمات التي انتشرت في سائر البلاد العربية واستعملت بمعان قريبة من المعنى المشار إليه.

لا نجد إشارات إلى هذا المصطلح في المصادر المغربية الوسيطية، باستثناء عبد الواحد المراكشي، فهو الذي أشار إلى الجامكية كاسم للرواتب التي كانت تُعطى لفرقة الغز، وهي فرقة من الجنود الأتراك الذين كانوا في جيش الأيوبيين ثم قادهم القائد قراقوش الغزي في حملته المغربية إلى افريقية قبْل سنة 569 / 1173، وعلى إثر انهزامهم أمام الجيش الموحدي في الحملة التي قادها الخليفة المنصور بنفسه وأدخل بعض فرقهم إلى المغرب منذ سنة 584 / 1188، فانخرطوا في الجيش الموحدي، ثم جاءت دفعة أخرى منهم بعد ذلك، وبذلك، أصبحوا يشكلون فرقة لها أهميتها، خاصة وأنهم كانوا من الجند النظامين، وهذا ما يدل على أن مصطلح جامكية قد دخل المغرب مع هؤلاء. وأصبحت الجامكية تقدم لهم كل شهر ( *المعجب*، 289)،

في الوقت الذي كان فيه الأجناد المغاربة يحصلون على "البركة" في أوقات معينة يحددها المراكشي بثلاث مرات في السنة، أي مرة كل أربعة أشهر ( *المعجب*، 220)، وأحياناً كل شهر في زمن الحروب ( *المن بالإمامة*، 286). ويظهر أن هذا الامتياز الذي حصل عليه الغُز كان بسبب انقطاعهم عن وطنهم، وتعويضا عن الامتيازات التي كانت فئات من الجند المغاربة تحصل عليها إضافة إلى البركة كالإقطاعات والإحسانات وغيرها.

لا توفر لنا المصادر أرقاما محدودة لقيمة الجامكية، ولكن للتقريب فقط يمكن الاستئناس بمبالغ "البركة" التي كان الجند المغاربة يحصلون عليها، فمثلاً أثناء استعداد الخليفة يوسف بن عبد المومن للجواز إلى الأندلس في ربيع الأول سنة 566 / نونبر - دجنبر 1170. وزعت البركة على الجنود كالآتي :

- الفارس الكامل : 10 دنانير
- الفارس غير الكامل : 8 دنانير
- الراجل الكامل : 5 دنانير
- الراجل غير الكامل : 3 دنانير

بينما حصل العرب على مبالغ أكبر من ذلك وهي كالآتي :

- الفارس الكامل : 25 ديناراً
- الفارس غير الكامل : 15 ديناراً
- الراجل : 7 دنانير

لاشك أن قيمة الجامكية كانت تتجاوز ما كان الجنود المغاربة يتقاضونه إضافة إلى انتظامها الشهري. ويظهر أن هذا المصطلح قد انقطع من الإدارة العسكرية المغربية فيما بعد العصر الموحدي، رغم أن الغز بقيت منهم فرق في الجيش المريني، وبلغ عددهم في عهد أبي الحسن المريني حوالي 1500 رجل ( *مسالك الأبصار*، 100)، ومع ذلك فقد بقيت كلمة الجامْكية (بسكون الميم) مستعملة إلى الآن في اللسان المغربي الدارج ببعض المناطق للدلالة على الذعيرة أو الضريبة الثقيلة.


ع. الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، الدار البيضاء، 1978 ؛ ابن صاحب الصلاة، *تاريخ المن بالأمامة*، بيروت، 1964 ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، تح. مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء، 1988 ؛ م. الاسدي، *التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار*، تح. عبد القادر طليمات، القاهرة، 1968 ؛ ع. بن غيث بلادي، *معجم الكلمات الأعجمية والقريبة في التاريخ الإسلامي*، مكة المكرمة، 1990 ؛ أ. السعيد سليمان، *تأصيل ما ورد في الجبرتي من الدخيل*، القاهرة، 1979 ؛ م. أحمد دهمان، *معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي*، دمشق، 1990 ؛ السيد أدي شير، *معجم الألفاظ الفارسية المعربة*، بيروت، 1980.

R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, Beyrouth, 1981


محمد المغراوي

**الجامور**، عمود تتوسطه أربع تفافيح مصنوعة من النحاس، يقل حجمها من الأسفل إلى الأعلى، ويُعتبر أعلى عنصر في مكوِّنات الصومعة، إذ تشكل قبة الصومعة قاعدته التي يرتكز عليها، ويعرف عند البنائين "بالعَزْري" (J. Gallotti, *Le lanternon du minaret de la Koutobia de Marrakech*, *Hespéris*, Tome III, 1er trim. 1923, p. 37 - 68). ينعت الجامور عند أهل الأندلس أحياناً بالتفاحات ( *المن بالإمامة*، ص. 392 - 393). وأحياناً بالرمانات، ( *البيان المعرب*، ج. 2، ص. 228). ومن أقدم الإشارات إلى اسم الجامور تلك التي وردت في المصادرالمغربية المتداولة، جاءت في *رحلة العبدري* (ص. 92).

والجامور ليس بعنصر جديد في معمار الصومعة بالغرب الإسلامي، لكن الجديد فيه حصل خلال القرن السادس (12 م) وهو أساساً حجم الجامور وقيمته ووظائفه، يتضح ذلك من خلال جامور منارة أشبيلية - الخيرالْدا - إذ بلغت قيمة الذهب الذي طُليت به تفافيحه سبعة آلاف مثقال يعقوبي كبير. ( *المن بالامامة*، 393)، والوُسطى من هذه التفافيح لم تدخل من باب الصومعة إلا بصعوبة ( *القرطاس*، ص. 229)، وتم وضعها في مكانها من أعلى الصومعة في إطار احتفال مخزني ترأسه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور ( *المن بالإمامة*، 393). فهل كانت للجامور وظيفة داخل الصومعة ؟

الجامور

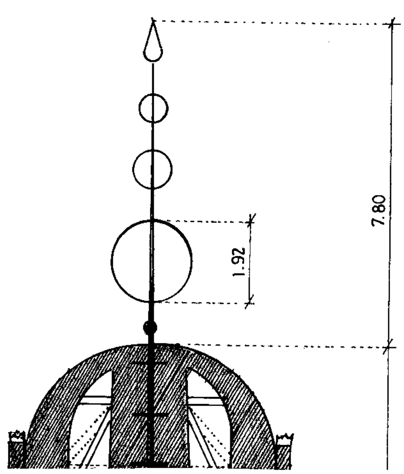


مما لاشك فيه أن الجامور عنصر جمالي على مستوى الشكل واللون والموقع في الصومعة، غير أن هذه الجمالية التي تبقى متفردة طول النهار تجمع إليها دون شك جانباً وظيفياً بالليل. ولعل في تتبع المعنى اللغوي والاصطلاحي للجامور، ومعرفة تركيبه المعدني، وتفاعلاته الفزيائية والكيماوية خاصة مع النار ما من شأنه أن يسهم في فهم هذا الجانب. فهو يطلق على الرأس (*تاج العروس*، 10 : 470) وعلى "شحم النخلة التي في قمة رأسها" (نفس

المصدر، ص. 465)، ويقال : "أجمرت الليلة، أي استمر فيها الهلال" (*الوسيط*، ج.1 : 133).

يمكن اعتبار القاسم المشترك بين هذه الدلالات الثلاث هو : العلو، ووضوح الرؤية. فالعلو ثابت باعتبار الجامور يُشكل أعلى عنصر في مكونات الصومعة. أما وضوح رؤيته للناظر فتهم اساسا الليل، ذلك أن الجامور في تركيبه المعدني يتكون من معدن النحاس بصفة خاصة. ومن مميزات هذا المعدن قابليته لامتصاص الحرارة وعكس الضوء، خاصة وأن اللون الأصفر يساعد في تسهيل هذه العملية، علماً بأن جامور كل من صومعة جامع الكتبيين، وجامع المنصور بمراكش كان قد وضع فوقهما طلاء من الذهب (Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Tome 1, p. 192, 240, 241) وهو ما يفيد أن الجامورين معاً قد توفرت لهما أسباب تقوية عملية عكس الضوء والأشعة. ومن المعلوم أن رفع النار فوق أعلى الصوامع بالليل كان العمل به جارياً في المغرب والأندلس، واعتبر من البدع المستحسنة.

فما هي إذاً العلاقة بين النار والجامور ؟ لعل هذه العلاقة تبدو في كون الجامور يضاعف من قوة الضوء الذي يُرفع ليلاً فوق أعلى المنارات، وبذلك يسهم في القيام بعمليات ثلاث هي : التوجيه في المجال، والإعلان عن حلول أوقات الصلوات الليلية، خاصة للبعيد والمسافر، والإخبار والإعلام خاصة في أمور الأمن، بواسطة إشارات ضوئيّة متعارف عليها بين المكلفين بذلك.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، تح. ع. التازي. بيروت، 1987 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، ج. 2. تح. جورج كولان، وليڤي بروڤنسال، بيروت ؛ العبدري، *رحلة العبدري*، تح. م. محمد الفاسي، الرباط، 1968 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ الزبيدي، *تاج العروس*، تح. إبراهيم الترتري، ج. 10، الكويت. 1972 ؛ مجمع اللغة العربية، *المعجم الوسيط*، ج. 1. مصر. 1972.

J. Gallotti, *Le lanternon du minaret de la Koutobia de Marrakech*, *Hesp.*, T. II, 1 ère trim. 1923, p. 37 - 68; Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, T. 1, Rabat, 1959.

محمد رابطة الدين

**الجاناتي**، أو الجناتي، أسرة تنتسب إلى قبيلة جاناتة أو جناتة إحدى القبائل الزناتية التي كانت تستقر بجبال فازاز (الأطلس المتوسط). يذكر ابن خلدون أن النسبة تعود إلى جانا بن يحيى والد زناتة وصيغته هذه هي أصل زناتة.

لما ضعفت دولة الموحدين وتقلص نفوذها في مناطق متعددة من المغرب الأقصى كثرت الفتن وتمردت القبائل على السلطة المركزية، فكانت جاناتة وغيرها من القبائل البربرية والعربية "يقطعون الطرقات ويغيرون على القرى والمجاشر مع الأحيان والأوقات" (*القرطاس*، 288). وفي سنة 620 / 1224 قام الأمير أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المريني بغزو جاناتة وأخضعها لنفوذه، فتحولت بذلك إلى حليف رئيسي ومساند قوي لبني مرين في حربهم ضد الموحدين.

وقد برز في هذه القبيلة بعض الأسر التي ظلت تحمل اسم جاناتة حتى عندما انتقلت إلى فاس لما اتخذها بنو مرين عاصمة لهم. فكان من هذه الأسر من تدرج في تسلق مناصب كبيرة في الدولة، أو اتخذ من العلم والفكر وسيلة أخرى للحظوة الاجتماعية. ومنها أسرة ابن عطّو الجناتي التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ الدولة المرينية وحظيت برعاية ملوكها، فتقلب أفرادها في دواليب الحكم وخاصة الوزارة في بداية الدولة المرينية.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، 7 : 14، 350، 351 ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962.

Khanboubi, *Les premiers sultans mérinides*, Paris, 1987, p. 104 - 105.

**الجاناتي، أحمد** بن عبد الله بن عطو، أحد أفراد أسرة ابن عطو، كان وزيراً للسلطان المريني أبي سعيد عثمان بن يعقوب (710 ـ 731 / 1311 ـ 1331).

**الجاناتي، إسحاق**، أبو إبراهيم، قاضي مدينة تكدا شمال بلاد السودان. ذكر ابن بطوطة أنه في عودته من رحلته إلى بلاد الزنوج سنة 754 / 1354 وصل إلى مدينة تكدا وقد اشتد به المرض بسبب شدة الحر، فقرر النزول بها عند شيخ المغاربة سعيد بن علي الجزولي. ثم بعد ذلك استضافه قاضي المدينة إسحاق الجاناتي. وكانت لهذا القاضي مواقف حسنة مع ابن بطوطة جعلت هذا الأخير يثني عليه ويصفه بالقاضي الفاضل. من ذلك أن الرحالة عندما دخل تكدا رغب في شراء خادم فلم يجدها، فلما علم القاضي الجاناتي بذلك بعث إليه بخادم لبعض أصحابه واشتراها بخمسة وعشرين دينارا ذهبيا. كما يلاحظ من كلام ابن بطوطة أن القاضي الجاناتي كان محبوبا في مدينته محترما موثوقا به عند الخاص والعام من أهلها ومن أهل المناطق المجاورة. فقد حدث، في أيام إقامة ابن بطوطة بالمدينة، أن نشب نزاع بين أميرها ويسمى أزار وأمير آخر يسمى التكركري (ربما التكروري ؟)، فتدخل القاضي الجاناتي وبعض كبار البلد كالشيخ سعيد بن علي الجزولي والخطيب محمد والمدرس أبي حفص لحسم النزاع بين الطرفين، وتم الصلح بين الخصمين.

ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، القاهرة، د. ت.، ص. 453-454.

**الجاناتي، أبو بكر** بن عبد الودود، فقيه كبير من حفاظ *المدونة* وأحد القائمين عليها. توفي بعد سنة 700 / 1301.

أ. ابن القاضي، درة *الحجال*، تح. م. الاحمدي أبو النور، القاهرة، 1970، ج. 1 : 220.

**الجاناتي، عبد المؤمن** بن محمد بن موسى، أبو محمد، ذكر الونشريسي وابن القاضي وغيرهما أنه وُلد في حدود سنة 675 / 1277. أما أحمد بابَ التنبكتي فقد أشار إلى أن مولده كان سنة 695 / 1296، ويؤكد هذا الفارق الكبير بين التاريخين المقدر بعشرين سنة على وجود خطإ مًا، مما يجعلنا نعتقد بصحة الرقم الأول وبأن الرقم الأخير هفوة من الناسخ الذي لم يتبين الفرق بين كتابة رقم سبعة وتسعة وهو خطأ شائع بين نساخ المخطوطات.

عبد المؤمن هذا أحد فقهاء مدينة فاس وأعلامها المشهورين بمعرفة مسائل *التهذيب والمدونة*، وقد وصفه ابن مرزوق بالفقيه المفتي، الصالح الزاهد، وأضاف أنه لبس المرقعة. أخذ الفقه وعلومه عن عدد من أبرز فقهاء عصره وعلى رأسهم شيخه النوازلي علي بن عبد الحق الزرويلي الشهير بأبي الحسن الصُغَير، وجلس مجلسه في الإفتاء بعد وفاته. كما تتلمذ على الجاناتي كثير من الفقهاء المعروفين كخالد بن عيسى البلوي صاحب الرحلة *تاج المفرق في تحلية علماء المشرق*، وقرأ عليه الفقه محمد بن عبد الرحمان بن سعد التميمي التَّسلي الكرْسُوطي، كما كان له اتصال بالإمام القاضي محمد بن محمد المقري التلمساني جد أحمد المقري صاحب *نفح الطيب وأزهار الرياض*.

ومما يروى عن عبد المومن أنه كان يحسن إلقاء مسائل *التهذيب* في طلبته بفاس، إلا أنه كان ضعيفاً في العربية فنسبت إليه حكاية أوردتها جملة من المصادر مفادها أنه قرأ في أحد مجالسه العلمية قول أبي سعيد في التهذيب : "والدجاج والإوز المُخلات وغيرها". فقسم تقسيماً حسناً وتكلم على مسائل المياه كلاماً حسناً وذكر أقوال العلماء والفقهاء في ذلك. فلما انتهى الجاناتي من ذلك وكأنه أعجب بنفسه قال مخاطباً طلبته : انظر هل يقال الدجاج أو الجداد، والجداد أفصح لأنها لغة القرآن، ثم أضاف، قال تعالى : *(ومن الجبال جُدَدٌ بيض، وحمرٌ مختلفٌ ألوانها، وغرابيب سود)* الآية، فضحك كل من حضر المجلس، وكانوا أزيد من أربعمائة طالب، فطارت سقطته في البلاد وعزل بعدها من منصبه.

ومما يحكى عنه أيضاً ما أورده ابن مرزوق في مسنده خلال حديثه عن مناقب السلطان المريني أبي الحسن وتحمله لما يصدر عن بعض الفقهاء والصلحاء من إغلاظ القول وشديد العبارة وحمله ذلك منهم على أجمل المذاهب وأحسن المقاصد، حيث ذكر أن السلطان في بعض مجالسه بقصبة فاس قال للحاضرين من فقهاء وأعلام المدينة : "تعلمون أني طُوقت من هذا الأمر عظيماً وتحملت منه صعباً، وحق عليكم أن تشاركوني". وكان كلامه موجها إلى الشيخ أبي محمد عبد العزيز القوري الجالس على يمينه، وبعد أن اشتدت وتيرة الحديث الذي كان موضوعه يدور حول تجاوزات بعض القضاة والفقهاء الذين يتولون قبض الزكوات، وتأكيد الحاضرين على مسؤولية السلطان في ذلك، غضب هذا الأخير وانسحب من المجلس، فتبعه الشيخ أبو محمد عبد المؤمن الجاناتي ليطلب منه المغفرة والاعتذار له قائلاً : "إلى أين ياسلطان تقوم عنا غاضباً، من ذا الذي يحمل جهلنا إن لم تحمله، ومن ذا الذي يستر عوارنا إن لم تستره ؟" ( *المسند*، 160)، وتدل هذه الجرأة والشجاعة من الجاناتي على حسن منزلته عند أبي الحسن، إذ كان يقربه إليه ويجلسه بجانبه ويستدل بمحافظته على خصال الفطرة واستعماله النظافة سلوكا له على الرغم مما قيل عنه من إيثاره الزهد ولبس المرقعة والثياب الخشنة ( *المسند*، 280).

توفي عبد المؤمن الجاناتي سنة 746 الموافق لعام 1346م.

م. ابن مرزوق، *المسند*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. ع. عنان، القاهرة، 1975، ج 3، ص. 131 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962 : ص، 18 ـ 21 ـ 24 ؛ أ. الونشريسي، *وفيات*، الرباط، 1976، ص. 115 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص 186، 147 ـ 448 ؛ *درة الحجال*، 3 : 172 ـ 173 ؛ أ. بَابَ التنبكتي، *نيل الابتهاج*، مصر، 1351 هـ، ص 179 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب، المحمدية، 1980، ج 5، ص 37؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 305 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، 220.

**الجاناتي، عمران** بن موسى المكْناسي، يكنى أبا موسى، فقيه حافظ وشيخ من شيوخ مكناسة الزيتون. تتلمذ على بعض كبار علماء المغرب في عصره كالإمام الحافظ موسى العبدوسي الذي يعتبر عمدته في *المدونة*. وأخذ عن الجاناتي علومَ الفقه وغيرها جملةٌ من الفقهاء من أمثال الشيخ ابن غازي والفقيه محمد بن قاسم القوري والفقيه أحمد بن سعيد القيجميسي.

اشتهر أبو موسى الجاناتي بتقييده البديع الذي وضعه على *المدونة* في عشرة أسفار، وقف على بعضه ابن غازي وأشار إلى أنه يوجد بجامع الأندلس بفاس. كما ذكر التنبكتي على لسان الفقيه القوري أن لأبي موسى *تقييداً* آخر على *رسالة* ابن أبي زيد القيرواني حيث أكد الونشريسي في *معياره* أنه رآه واطلع عليه.

توفي أبو موسى الجاناتي سنة 830 / 1426 بمكناسة الزيتون ودفن خارج باب عيسى، وهو صاحب الضريح المجاور من الجهة الشرقية لضريح عبد الرحمان المجذوب.

أ. الونشريسي، *المعيار المعرب...*، بيروت، 1982، ج. 3 : 376 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1952، ص. 22 ؛ *التعلل*

برسوم الإسناد، تح. م. الزاهي، الدار البيضاء، 1979، ص. 71 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 498 ؛ درة الحجال، تح. م. الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1970، ج. 3 : 6 - 7، 185 ؛ أ. باب التنبكتي، نيل الابتهاج، مصر، 1351، ص. 217، 343 ؛ ع. ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج. 1 : 314 ؛ ج. 3 : 595 ؛ ج. 5 : 503 ؛ م. حجي (محقق)، ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1976، ص. 140، 244.

**الجاناتي محمد**، فقيه صوفي زاهد ذكره ابن قنفذ في كتابه *أنس الفقير* كأحد كبار صلحاء المغرب الأقصى. وقد عرف بالعلم والصلاح والزهد والورع والفلاح. وعند زيارة ابن قنفذ لمدن المغرب وبواديه فيما بين عام 759 وعام 776 لقي محمداً الجاناتي بمدينة فاس واتصل به ورافقه في رحلته طوال ثمانية عشر عاماً يزور خلالها الصلحاء ويتنقل بين الأضرحة والأولياء.

كان محمد الجاناتي محبا للقراءة كثير المطالعة لكتب الإمام أبي حامد الغزالي خاصة *إحياء علوم الدين*، متقشفاً في كل شيء، لم يتجاوز في لباسه عباءة من تليس أو جبة من صوف، وكان لا يغطي رأسه إلا في زمن البرد. كما أنه لم يكن يأكل إلا ما يظفر به أو ما يطعمه به الصلحاء.

وحسب ابن قنفذ فإن الجاناتي لم يحدث أن ضحك يوما أو رفع بصره في طريق أو قَبِل من أحد شيئا من غير العلماء والصلحاء. واشتهر بتفانيه في خدمة الغريب والمريض، فكان بذلك يبره الفقهاء وترمقه العامة وتشير إليه بالولاية والصلاح.

توفي محمد الجاناتي سنة 780 / 1379.

أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، تح. محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1965، ص. 76.

**الجاناتي، محمد** بن **أيوب** بن يكنول اليفسحي، يكنى أبا يحيى، ويضيف الجزنائي أنه من بني سدرا. تقلد عدة مهام دينية في بداية الدولة المرينية. ففي سنة 686 / 1287 عين ناظراً على أحباس القرويين، وفي السنة التالية تولى قضاء مدينة فاس خلفا للقاضي أبي حامد ابن البقال. وفي سنة 689 / 1290 أصدر السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني ظهيرا عين بموجبه الفقيه الجاناتي إماما وخطيبا بجامع القرويين بعد أن عزل كلا من الشيخين الفقيهين عبد الرحمان ابن مسونة عن الخطبة وأحمد ابن أبي زرع عن الإمامة، ولم تتجاوز مدة توليتهما سبعين يوما. هكذا تولى الجاناتي تسيير شؤون جامع القرويين من إمامة وخطبة ونظارة أحباس، إضافة إلى القضاء. وقد ساهم هذا الموقع الديني في ارتباط اسم الجاناتي بالإصلاحات التي أدخلها على الجامع والزيادات التي زيدت فيه خلال مدة تحمله المسؤولية. ومن بين هذه الاصلاحات تشير المصادر إلى أن الفقيه المعدل محمد بن الحباك قام أيام الجاناتي سنة 686 بإصلاح قبة منار جامع القرويين العليا وذلك بأن جعل بدنا من فخار في القبة العليا فيه ماء وجعل على الماء طستا نحاسيا فيه خطوط وأثقاب. والهدف من ذلك خروج الماء من الأثقاب بقدر محدود إلى أن يصل للخطوط، فيتم بهذه العملية معرفة أوقات الليل والنهار في الأيام والليالي الغائمة. لكن تم التخلي عن هذه الطريقة فيما بعد.

وفي سنة 689 هـ عاين الجاناتي ما آلت إليه صومعة جامع القرويين من إهمال وما لحقها من أضرار وتلاشٍ منذ أن بناها الأمير الزناتي أحمد بن أبي بكر سنة 345 / 956 مما جعل الطير يعشش بالأثقاب والفجوات والفتحات المنتشرة بجدرانها، فاستشار السلطان أبا يعقوب يوسف المريني في إصلاح وتبييض ما فسد. فكان له ما أراد وخصص لذلك قسطا هاما من أموال الأحباس وشرع في إصلاح الصومعة وتبييضها بالجبص والجير، كما سمر فيها من الخارج أكثر من ثلاثة قناطير من المسامير الكبيرة بين أحجارها ليثبت التلبيس والبناء. بعد ذلك قام ببناء غرفة تطل على باب الصومعة ليستقر فيها المؤذنون والمؤقتون.

كما نشير إلى مساهمته في إصلاح المجال الفاصل بين باب الحفاة، أحد أكبر أبواب جامع القرويين في الجانب الشمالي، والصحن الذي كان مفروشا بالآجر لاتساعه حيث جدد هذا الفرش بأن وضع الرخام الأبيض والأسود مكان الآجر فجاء آية في الجمال والرونق. إضافة إلى ذلك كان القاضي الجاناتي قد أمر والي فاس محمد الحدودي بإعادة بناء الفندق الكبير الذي بسوق الشماعين بعد أن خُرب وأهمل، وقد كان هذا الفندق من جملة ما أوقفه السلطان المريني يوسف على جامع القرويين.

أما فيما يتعلق بالزيادات فقد ذكرت المصادر أن العنزة التي بجامع القرويين صنعت أيام ولاية الفقيه الجاناتي على الجامع، وأنفق عليها من أموال الأحباس. وقد بدأ العمل في صنع العنزة في أول شهر ذي القعدة من عام سبعة وثمانين وستمائة وانتهى من ذلك وتم تركيبها في موضعها يوم السبت الخامس من شهر ربيع الأول عام تسعة وثمانين وستمائة. ومن المعروف أيضا أن الثريا الكبرى بجامع القرويين التي صنعت في أيام الفقيه الخطيب عبد الله بن محمد ابن المعلم، كانت قناديلها الخمسمائة والعشرون تارة تسرج وتارة لا تسرج كلها في ليالي رمضان إلى أن عمل الفقيه الجاناتي عند توليته أمور هذا الجامع على إسراجها كلها في ليلة القدر من كل رمضان. وسار العمل على هذا النحو بعد ذلك مدة طويلة.

وباستثناء ما أشار إليه ابن أبي زرع من حدوث أزمة في العلاقات بين السلطان المريني يوسف وبعض خدامه أدت سنة 697 / 1298 إلى نكب مشهورين على رأسهم الفقيه المترجم له والشاعر الكبير عبد العزيز الملزوزي

ومحمد الكناني. باستثناء ذلك نلاحظ أن الفقيه الجاناتي ظل يحتفظ بموقعه المتميز لدى ملوك بني مرين. فبالإضافة إلى المهام السابقة عينه السلطان يوسف نائبا عنه في الإشراف على إقامة الاحتفالات في فاس بمناسبة ليلة المولد النبوي، وقد حدث ذلك لأول مرة سنة 691 / 1292 في إطار اهتمام السلطان بتعميم هذه الاحتفالات في جميع أنحاء المغرب بعد أن كانت تنفرد بها مدينة فاس أيام يعقوب، وقبل ذلك سبتة في عهد بني العزفي. ويستفاد من كلام ابن أبي زرع أن هذا التعميم كان بإشارة من الفقيه عبد الله بن أبي القاسم العزفي الذي كان أميرا بسبتة في هذا التاريخ، أي في سنة 691 هـ، والذي تصادف مع وجود السلطان يوسف خارج العاصمة في قلعة صبرة من بلاد ملوية.

لم تقتصر أدوار الجاناتي على هذا الجانب الديني والثقافي فقط بل تجاوزته إلى الجانب السياسي والمساهمة في حل بعض المشاكل. فقد ذكرت المصادر أن السلطان أبا ثابت عامر المريني أوفد الفقيه الجاناتي إلى غرناطة بالأندلس سنة 708 / 1309 للتفاوض مع أميرها ابن الأحمر في شأن التخلي له عن سبتة التي كان قد احتلها مند سنة 705 / 1306 بعد دعمه للثائرين بها بزعامة عثمان بن أبي العلاء، وفي أثناء ذلك توفي السلطان المريني في حين استمر الفقيه في التفاوض مع صاحب غرناطة إلى أن نجح في عقد الصلح معه وانسحاب الثوار من سبتة واسترجاعها إلى السلطة المرينية.

اختلف المترجمون لمحمد بن أيوب حول تاريخ وفاته. فذكر الجزنائي وابن القاضي في *الجذوة* أنه توفي في سابع ذي القعدة من عام ثلاث وتسعين وستمائة، ثم أشار في *لقط الفرائد* إلى أنه توفي سنة 706 / 1307. وأورد ابن أبي زرع تاريخاً آخر هو 694 مع أنه ذكر الجاناتي في أحداث سنة 697 وسنة 708. كما ذكره ابن خلدون أيضا في أحداث سنة 708. لذلك يبدو من تضارب هذه التواريخ أن وفاة محمد بن أيوب الجاناتي كانت سنة 708 أو بعدها اعتباراً لكونه حضر وفاة السلطان المريني أبي ثابت عامر في نفس السنة.

ابن أبي زرع، *القرطاس*...، الرباط، 1973 ص. 57، 65، 67، 71، 76، 375، 383، 385، 392، 409؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، ص. 63، 138 ؛ أ. الجزنائي، جنى *زهرة الآس*، الرباط، 1991، ص. 50 ـ 51، 60، 61، 69، 72 ـ 73، 79 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، ج. 7 : 494 ـ 495 ؛ إ. ابن الاحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 21 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1982، 7 : 487 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 1974، ص. 54، 61، 69، 72، 548 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1979، ص. 194 ؛ م. حجي (محقق)، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 165.

**الجاناتي، محمد** بن **عبد الله** بن **عبد الواحد** بن محمد بن أيوب، يكنى أبا يحيى، حفيد السابق، من فقهاء فاس وخطبائها وعدولها. كان له حانوت بسماط شهود فاس يمارس فيها مهنة الشهادة، ويجالسه بها بعض فقهاء وعلماء عصره للمذاكرة والمناقشة. من هؤلاء الشيخ الفقيه العدل محمد بن أحمد بن إبراهيم بن موسى الگومي والشيخ الرئيس ابن الأحمر الذي كان يحضر إلى حانوت الجاناتي ويذاكره في بعض الأمور الفقهية والأدبية ويستفيد من علمه الواسع. كما كان يجالسه أيضا الفقيه العدل أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن بلال الأشعري.

عاش أبو يحيى الجاناتي في آخر القرن الثامن (14 م) معاصراً وصديقاً للأديب إسماعيل بن الأحمر المتوفى سنة 807 / 1405.

إ. ابن الأحمر، *نثير الجمان*، تح. م. رضوان الداية، بيروت، 1976، ص. 434 ـ 435.

**الجاناتي، محمد** بن **عبد الله** بن **عطو**، وسقط أحياناً اسم والده عبد الله فدعي محمد ابن عطو، ذكر ابن خلدون أنه كان "من موالي دولتهم ولاء الحلف" (*العبر*، 7 : 439). ويعتبر هذا الموقف السياسي لقبيلة جاناتة عامة ولأسرة ابن عطو خاصة من العوامل الأساسية التي ساعدت محمدا على تسلق مناصب هامة في الدولة المرينية، إذ عُين وزيراً لدى السلطان يعقوب بن عبد الحق، وشارك إلى جانبه في حملاته الجهادية بالأندلس سنة 684 / 1285. وإذا كان ابن الاحمر قد أكد على تولية ابن عطو للوزارة في عهد يعقوب وكذلك في عهد خليفته يوسف فإن مؤرخين آخرين لم يذكروا ذلك؛ بل حتى ابن أبي زرع الذي تعوَّد ذكر أسماء موظفي ملوك بني مرين لم يشر إلى اسم ابن عطو ضمن وزراء السلطانين المذكورين. وعلى العكس من ذلك أجمعت المصادر على أن الجاناتي هذا عُين واليا على مراكش وأعمالها في أيام دولة السلطان يوسف بن يعقوب وأنه بقي في منصبه إلى حين ثورته على مخدومه وفراره نحو تلمسان. وحاولت نفس المصادر تقديم تفاصيل هامة عن هذه الأحداث وطبيعة مساهمة الجاناتي في تطوراتها.

ففي سنة 686 / 1287 شهدت منطقة درعة اضطرابات عنيفة تزعمها عرب المعقل مما دفع بالسلطان يوسف إلى تنظيم حملة عسكرية في شهر رمضان لتهدئة الأوضاع وكسر شوكة المتمردين، فانتهى الأمر بقتل وسبي عدد كبير منهم، وعلقت رؤوس القتلى بشرفات أسوار مراكش وفاس وسجلماسة ليكونوا عبرة للمعتبرين. وبعد استقرار بلاد درعة عاد يوسف إلى حضرة مراكش في أواخر شهر شوال من نفس العام وقام بخلع محمد بن علي بن محلى الذي كان أول عامل لبني مرين على المدينة منذ استيلاء يعقوب ابن عبد الحق عليها من يد الموحدين سنة 668 / 1269.

ويعود سبب هذا الخلع إلى ارتياب السلطان في علاقة عامله بالأحداث التي عرفتها درعة، فلم يكتف بعزله بل اعتقله وحبسه إلى أن توفي في شهر صفر من عام 687 / 1288. على إثر ذلك عقد يوسف لوزيره محمد ابن عطو على ولاية مراكش وأعمالها خلفاً لابن محلي وترك معه ولي عهده الأمير أبا عامر عبد الله ثم ارتحل إلى عاصمة ملكه فاس. وفي أواخر شهر شوال من عام 687 / 1288 قام الأمير أبو عامر بالثورة على والده بمراكش بمساعدة وتحريض واليها الجاناتي، الأمر الذي غضب له السلطان ودفعه إلى توجيه حملة بقيادته إلى مراكش فنزل بضواحيها وحاصر المتمردين بها. وأمام هذا الضغط العسكري خرج الأمير والوالي لمدافعة السلطان، وبعد مواجهات عنيفة اضطر الثائران إلى التراجع إلى داخل المدينة وغلقها في وجه يوسف. وعندما انتصف الليل قام الأمير بقتل مشرف المدينة ابن أبي البركات وحمل كل ما يوجد في بيت مالها ثم فر مع شريكه ابن عطو إلى جبل المصامدة. وقد مكث الثائران بين أهل الجبل حوالي ستة أشهر لجآ بعدها إلى تلمسان سنة 688 / 1289 واحتميا بسلطانها أبي سعيد عثمان بن يغمراسن.

إن تسلسل هذه الأحداث وتطورها بدءاً باضطرابات عرب المعقل بدرعة والتمردات التي شهدتها مراكش ومنطقة سوس، وانتهاءً بلجوء أبي عامر والجاناتي إلى تلمسان لتؤكد بدون شك تورط بني عبد الواد في تحريك هذه الأحداث والمساهمة في تدعيمها لزعزعة الاستقرار بالمغرب الأقصى، وهي سياسة لم تكن وليدة هذه الظروف فقط بل ظهرت منذ انهيار الأمبراطورية الموحدية واحتدام الصراع بين الحفصيين والزيانيين (بني عبد الواد) والمرينيين حول وراثة الأمبراطورية الموحدية واستمرت فترات طويلة.

وبما أن يوسف بن يعقوب كان يعي جيدا خلفيات وأبعاد المحاولات الزيانية فقد عمل على حل مشكلة لجوء ابنه وعامله بالأسلوب الدبلماسي، فبعث مبعوثين عنه إلى صاحب تلمسان من أجل عودة الفارين إليه ونجح فعلا في استعادة ولده الأمير أبي عامر، في حين فشلت مساعيه في تليين موقف عثمان بن يغمراسن من قضية تسليم ابن عطو الجاناتي. وقد أشارت المصادر إلى أن أمير تلمسان امتنع عن الاستجابة لمكاتبات السلطان المريني ورفض رفضا قاطعا التخلي عن الجاناتي، بل وتجاوز حدود اللياقة بأن اعتقل الرسول المريني وأمعن في إذلاله، الشيء الذي أثار غضب يوسف ودفعه إلى إعلان الحرب على بني زيان. وقد اعتبر بعض المؤرخين كابن أبي زرع وابن خلدون أن هذه الواقعة كانت سببا مباشرا في توتر العلاقات بين تلمسان وفاس والفتيل الذي أشعل نار الحرب بين الطرفين. في إطار هذا الجو المشحون غادر السلطان يوسف مدينة مراكش في صفر من عام 689 / 1290 بعد أن عين عليها واليا جديدا من بين أولاده هو الأمير أبو عبد الرحمان. وعند وصوله إلى فاس استنفر جنوده وشرع في حملته، وهي الأولى خلال فترة حكمه، صوب عاصمة بني عبد الواد فحاصرها حوالي أربعين يوما ثم ارتحل عنها عائدا إلى فاس دون أن يفلح في تحقيق هدفه المتمثل في الضغط العسكري على عثمان بن يغمراسن لتسليمه محمد ابن عطو الجاناتي. استمر الوضع على هذا الحال من التوتر وتعددت حملات يوسف على تلمسان دون معرفة ما انتهى إليه مصير الجاناتي، ولم تعد المصادر تتحدث عنه أو تشير إلى أخباره بعد سنة 689 / 1290. وقد ذكر ابن الأحمر في *روضة النسرين* (ص. 24) أن عمر بن محمد بن عبد الله ابن عطّو تولى الوزارة في عهد السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن يعقوب.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972، ص. 342، 378. 379، 386 ؛ ي. ابن خلدون، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، الجزائر، 1903، 1 : 118. 119 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، ج. 7 : 428، 439، 441، 445 ؛ إ. ابن الاحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 18، 21، 24.

Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1959, p. 310 ; Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986 ; Khanboubi, *Les premiers sultans mérinides*, Paris, 1987, p. 80, 104 - 105.

**الجاناتي، محمد بن عبد المؤمن**، أحد فقهاء فاس ومفتيها، ينتسب إلى طبقة الفقيه المفتي أبي عمران موسى العبدوسي المتوفى سنة 776 / 1375. نقل عنه الونشريسي في *المعيار* كثيرا من الفتاوى في قضايا ونوازل مختلفة تهم على الخصوص مسائل الطلاق والحيازة والميراث وبعض الطوائف الصوفية المنحرفة كطائفة جزنائية شيعة المهدي بن تومرت وطائفة العكاكزة. وقد وصفه الونشريسي بالفقيه والقاضي والمدرس والمفتي والمشاور القدوة، وهي أوصاف تؤكد على مكانة الرجل العلمية والفكرية بين شخصيات عصره. كما أشارت بعض المصادر إلى أن الونشريسي لم يكن الوحيد الذي نقل عن الجاناتي بل اعتمده غيره من الفقهاء دون أن يحدد هويتهم.

لم نقف على ترجمة وافية لمحمد بن عبد المومن الجاناتي وهو ما خلص إليه أحمد باب التنبكتي نفسه، الأمر الذي يجعلنا نجهل تماما تاريخ وفاته وإن كان كلام المصادر يفيد بأنه عاش في القرن الثامن (14 م) فتكون وفاته غير بعيدة عن وفاة العبدوسي المذكورة آنفا.

أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1982، الأجزاء 1 و2 و 3 و4 و5 و6 و 10؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 238 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت.، ص. 270.

رشيد السلامي

**جاناطيلي، أ. جانتيلي** Gianatelli A. Gentele من مواليد مدينة جنوة سنة 1857، عين ترجماناً بمفوضية إيطاليا بتونس، وفيها بلا شك تعلم العربية. وفي أكتوبر

سنة 1878 التحق بطنجة ليكون الترجمان الأول للوزير المفوض ستيفانو سكوڤاصو S. Scovasso وخلفه روميو كانطاغالي R. Cantagalli وحوالي سنة 1912 عين قنصلاً عاماً بالدار البيضاء مكلفاً بجميع المناطق جنوب هاته المدينة.

كان جاناطيلي معروفاً لدى الأوساط الأروبية وتصاهر مع آيون بيرديكاريس Ion Perdicaris اليوناني الأصل، الأمريكي الجنسية الذي استوطن طنجة عقوداً طويلة. وكانت له اتصالات وطيدة مع القصر والحاشية السلطانية ومختلف السلطات، وهو الذي تولى الإشراف على تعليم الطلبة المغاربة اللغة الايطالية بطنجة قبل سفرهم إلى إيطاليا في بعثات طلابية.

كما أن الأمناء كانوا يعرفونه جيداً، فكان لبقاً ومحنكاً إلى حد أن وصفوه هو ومنصور ملحمة اللبناني الذي كان ترجماناً للمفوضية الألمانية بأنهما كانا "قطعة سم". أما عامل فاس إدريس ابن العلام فقد نعته بكثرة الجدال في رسالة وجهها إلى الحاجب احماد ابن موسى سنة 1314 / 1897 : "لأنه لاتخفاك دسائسه، وأنه إنما يبحث عن السبب الذي يتوصل به إلى كثرة الهرج".

عاش جانتيلي (وهو اسمه) جاناطيلي (وهو نسبهُ) أزيد من ثلاثين سنة بالمغرب تعرف خلالها جيداً على مشاعر المغاربة. وكان في رسائله المكتوبة إلى السلطات المغربية يستلطف بطابعه المستدير : "جنطيلي، لطف الله به".

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج.2 ص. 579 و ج. 4، ص. 1360 ؛ *الوثائق الملكية*.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. IV, p. 98.

مصطفى بوشعراء

**لوي جانتي** Louis Gentil، فرنسي ولد بالعاصمة الجزائرية سنة 1868، وتابع دراساته العليا بباريس في العلوم الطبيعية وتخصص في علوم الأرض وهيأ أطروحة الدولة عام 1902 بدراسة المنطقة البركانية الممتدّة من وهران إلى الحدود المغربية، فنال دكتوراة الدولة في الجيولوجيا. وكان ملما باللغة العربية المنطوقة والمكتوبة، ويحسن اللهجتين الجزائرية والمغربية بما فيها الريفية.

وفي الوقت الذي كانت العلاقات الدولية في أقصى درجة التوتّر بسبب النزعة الاستعمارية عامة، وتزاحم الدول الأوربية على أبواب المغرب خاصّة، كان لوي جانتي يمارس التعليم العالي بالسوربون بباريس، وربط علاقات قوية مع أوساط البحث العلمي ومع الحزب الاستعماري الذي أسسه بعض الأساتذة الجامعيين، كان على رأسهم رئيس ما كان يسمى "بلجنة المغرب"، أوجين إيتين Eugène Etienne وصحبه.

أخذ لوي جانتي يتسلل إلى المغرب كما كان يفعل في ريعان شبابه، ويتأجّج رغبة في القيام بعمل مّا لصالح البحث العلمي. وخطط مشروعاً للدخول إلى المغرب. فإذا بالظروف المغربية والدولية تصبح مواتية لمثل هذه المغامرات، إذ أبرمت فرنسا وانگلترا اتفاقاً بتاريخ 8 أبريل سنة 1904، ينصّ على إطلاق يد فرنسا بالمغرب مقابل إطلاق يد انگلترا بمصر، وأمسى هذا الاتفاق ساري المفعول لحينه، كما بات مشفوعاً باتفاق سرّي أبرم بتاريخ 3 أكتوبر 1904 بين فرنسا واسبانيا يحمل وعداً للاعتراف لمدريد ببسط نفوذها على منطقة شمالية من المغرب سيتم تحديدها فيما بعد، عندما ينتهي خبراء البلدين من تحديد مساحتها ومعرفة قبائلها.

وفي هذا الإطار أخذت البعثات العلمية الاستكشافية الأوربية تصل إلى المغرب وتتجوّل في أمن عبر المناطق التي لم تكن القبائل فيها تنازع في سلطة المخزن. أما في غيرها، فإن المخزن لم يكن مسؤولاً عن أموال وحياة الأجانب الذين يتوغلون فيها. من بين هذه البعثات، بعثة يرأسها الماركي ريمون دوسيگونزاك وبمعيته لوي جانتي حظيا بالمساندة المعنوية والمادية من عدة جهات علمية فرنسية ودوائر مسؤولة، قدمت إلى المغرب في أواخر شتنبرسنة 1904، وحدّدت لكل منهما الجهة التي سيتوجّه إليها. وفي هذا السياق اختار لوي جانتي ناحيتي طنجة وتطوان ثم الحوز المجاور لها، ثم غرب الأطلس الكبير وسروة وسوس، ومناطق أخرى سيستكشفها في مناسبة أخرى.

استغرقت الرحلة الأولى للوي جانتي زهاء سبعة أشهر وتنقسم إلى شطرين، شطر خصصه لاستكشاف غرب شمال المملكة، وشطر خصصه لاستكشاف مناطق من جنوبها.

شمل الشطر الأول : أنجرة وإقليم تطوان حتى مشارف الشاون في الذهاب، والحوز في الإياب إلى طنجة. استغرقت هذه الجولة الاستكشافية قرابة أسبوع، قام بها لوي جانتي وهو متنكر في زي مغربي. تميزّت هذه الجولة بدراسة ميدانية شملت الجوانب الطوبوغرافية والجيولوجية والمناخ، ومواقع اليحفوريات الحيوانية مما يتعلق بالبيئة البشرية وغيرها.

الشطر الثاني : ويشمل الجولة الاستكشافية الجنوبية في المناطق التالية : الشياظمة (ناحية الصويرة) : رحل لوي جانتي إلى الصويرة على متن إحدى سفن شركة "پاكي" التي كانت تربط المغرب بفرنسا يوم 11 أكتوبر 1904 فوصل إلى الصويرة بعد أسبوع فوجد هناك استقبالاً وديّا من طرف السلطات المخزنية التي كانت على علم مسبق بقدومه، ثم حصل على مساعدات أساسية مثل الدواب التي ستحمل بضائعه ومرافقين التزما بمصاحبته عدة أسابيع. وتلقى أيضاً معلومات إضافية ودروساً نظرية تتعلّق بتحركاته وحركاته أمام المغاربة، وحلق رأسه على الطريقة المحلية وارتدى ملابس مغربية، واتخذ لنفسه اسم

"السي علال"، هذا زيادة على رسائل تزكية وتوصية موجهّة إلى بعض الشيوخ والأعيان.

قام لوي جانتي بجولة بإقليم الصويرة استغرقت عدة أيام، أسفرت عن بعض الفوائد العلمية.

استكشاف سوس : بدأ لوي جانتي رحلته الاستكشافية إلى سوس يوم 20 دجنبر 1904، انطلاقاً من الصويرة ومروراً بإمي نْ تانوت. ووصل إلى ضواحي تارودانت بعد عشرة أيام، ثم واصل رحلته إلى مراكش التي حلّ بها يوم 10 يناير 1905. استنتاجاته العلمية لاتفيدنا كثيراً باستثناء ما يتعلق بوجود مناطق تحتوي على يحفوريات نباتية ترجع إلى عصور جيولوجية قديمة. إلا أن ملاحظاته حول شجر أرگان كانت مفيدة في وقتها.

كاد أمر لوي ـ جانتي ينكشف خلال هذه الجولة، اذ شك فيه بعض القوم، من هذه القبيلة أو تلك، لأنهم لم يروا في حياتهم أهليا من طراز "السي علال"، يلاحظ ويكتب، ويرتب الأوراق. فكان يقول عن نفسه إنه من تطوان ومن أصل ريفي، يحدث بالعربية والفرنسية والإسبانية والانجليزية ويتقن اللهجة الريفية. وكم من مرّة وقع في موقف حرج، أمام آخرين، في هذه المحطة أو تلك، وهو ينظر إلى البارومتر الذي أخفاه تحت جلبابه، فيُفاجَأ، وعندما يُسأل، يجيب أحد رفاقه إنه يقتل قمله. وكم من مرّات كذلك، كاد يعتقل، فيقول إنه طبيب، فيتهافت عليه بعضهم ملتمسين أدوية، فيمدّهم ببعض الأقراص ... وينجو بنفسه. وكان يوهم الناس أنه يتهجد في الليل، فيزداد "السي علال" تقديراً في أنفسهم وإعجاباً بثقافته الواسعة عندما يحدثهم عن بعض صفحات تاريخ المغرب أو تاريخ العرب.

استكشاف حاحة : بعد إقامة يومين بمراكش، ولّى أعقابه إلى الصويرة، ومنها قصد حاحة، فجال بين قراها وجبالها وسهولها، متخذاً كثيراً من الاحتياط، مثل رسائل التزكية الموجّهة لبعض الشيوخ، والحيلولة دون الوقوع في قبضة القائد أنفلوس، بين الشياظمة وحاحة لأنه سبق أن منعه من الظهور بالمنطقة. وتمت جولته عند مشارف أگادير، مروراً بأودية وأماكن لايتحدّث عنها المؤرخون، وقلما يصفها الجغرافيون، وشاهد من الطبيعة ما لم يهتمّ به غيره.

وبعدما أنهى هذه المهمّة، عاد لوي جانتي مرّة أخرى إلى الصويرة، فرتّب أموره، وأخذ من السلطات رسائل أخرى، ثم رحل إلى مراكش.

استكشاف كتلة السروة : لم تكن الرحلة عبر الأطلس خالية من الأخطار، سواء بين مراكش وكتلة السروة، أو بين السروة وورزازات، وبين هذه المدينة وتلوات ودمنات تظهر المخاطر عند كل جبل وعند كل واد، وتشتد الحراسة من طرف القبائل على القوافل ضدّ تسرّبات "الأروام"، لأن الحكم يومئذ كان للقياد والشيوخ.

وتنكر "السي علال" في هيئة ابن سبيل فقير، عليه جلباب رث تحته معدّات علمية صغيرة لقياس الحرارة والارتفاع والضغط والمسافات وآلة تصوير، ليست له خيمة ولا حمار ولا ملابس، يمشي على القدمين، ويقوم بمهمته الاستكشافية ويطلب لدى المداشر ما يسدّ به رمقه ورمق مرافقيْه الاثنين. لكنه كان يلقى الترحاب لدى الشيوخ الذين يعطيهم رسائل "المجاملات"، فمنهم من كان يمنحه المأوى، مبيت ليلة، ومنهم من كان يكرمه، ومنهم من كان لا يهتم به. وغادر المغرب في أواخر مارس سنة 1905، على أمل العودة مرّة أخرى لاستكمال استكشافاته، وللوقوف على أسرار كتلة السروة بالخصوص. وفي باريس أخذ ينشر مقالات عن المغرب، يعرّف به من جميع الواجهات، ثم ألف سنة 1906، كتاباً عن المغرب، عنونه : *في ربوع بلاد السيبة*.

عاد لوي جانتي إلى المغرب خلال سنة 1907، موفداً من قبل وزارة الخارجية الفرنسية ووزارة الأشغال العمومية قصد استكشاف إقليم مراكش، إلا أن الحوادث التي كانت مراكش مسرحاً لها والتي أدّت إلى مقتل الدكتور موشان، أرغمته على تحويل اتجاهه إلى الشاوية ثم عمالة وجدة.

وأعاد الكرّة خلال سنة 1908، بهدف استكمال أبحاثه في المغرب الشرقي، وخاصة بمنطقة بني إزناسن مع العودة إلى الشاوية. وقام بسفر آخر إلى المغرب لدراسة المنطقة الساحلية الممتدّة من الصويرة إلى أگادير على طول الشاطئ وذلك عام 1909.

ثم سافر مرة أخرى إلى المغرب، عام 1910 لاستكشاف ملوية السفلى. وأخيراً في عام 1911، خصص سفره السادس لدراسة الأطلس الصغير وجنوب الأطلس الكبير. إلا أنه لما نزل بأگادير، منعه الاخوان الألمانيون المدعوون مانسْمَانْ Manessman من التوغل في سوس وما وراءه، فعاد على أعقابه نحو الصويرة، ومنها ذهب لدراسة المنطقة الممتدة من ناحية فاس إلى الشاطئ الأطلسي.

وبعدما عاد لوي جانتي إلى بلده وهو يحمل في حقائبه ثروة من العينات الحجرية التي التقطها، ومعها المعلومات التي اكتسبها خلال جولاته في المغرب، أخذ يحلل ويفحص ما جمع واجتمع لديه، وشرع ينشر في عدة مجلات مختصّة ارتساماته وبعض نتائج أبحاثه.

وألّف كتاباً فريداً من نوعه في وقته، عنونه *المغرب الطبيعي* *Le Maroc physique*، صدر له سنة 1912. فقررت سلطات الحماية إنشاء "مصلحة للجيولوجيا والمعادن" بالمغرب، تابعة لمديرية الأشغال العمومية، وذلك في غضون دجنبر سنة 1912. وقد سبق نشر هذا الكتاب بقليل، طبع أول خريطة جيولوجية للمغرب بسلم 2.500.000 / 1، من وضع لوي جانتي نفسه.

وحالت الحرب العالمية الأولى دون مواصلة استكشافات المغرب، فاتخذها لوي جانتي فرصة للانكباب على تحليلات أخرى لأعماله وإعادة تقييمها. فوضع خريطة جيولوجية أخرى أرقى من الأولى وأكثر إتقانا بسلم 1.500.000 / 1،

في عام 1922، لم يدخل عليها الباحثون من بعده، وعلى إثر أبحاث متقدمة، إلا تغييرات جزئية، وبقيت خريطة لوي جانتي هي الأم والمرجع الأساس.

تشكل الرحلة الأخيرة السفر السادس الذي قام به لوي جانتي إلى المغرب، وذلك في ربيع عام 1923، بهدف استكشاف جبل سيروة وجبل باني اللذين ظلا إلى ذلك الحين منطقة تعد من مجاهل الكون بالنسبة للأوربيين. ولم يعد لوي جانتي في حاجة إلى التنكر ليتوغل في "المجهول"، فأنجز هذه المهمّة الكبرى في ثلاثة أشواط :

غادر لوي جانتي مراكش يوم 31 مارس، واتبع نفس الطريق الذي سلكه خلال رحلته الأولى عام 1905، فقطع الأطلس الكبير عبر فجّ تيزي - ن - تاست ومرّ بجبل تيديلي ونهر تفنوت ليصل إلى سيروة. إلا أن سقوط الثلوج بغزارة في الوقت ذاته حال دون تحقيق هدفه، رغم محاولته تحدي الطبيعة، فأرغم على تغيير اتجاهه واللجوء إلى تارودانت. وعندما تحسنت أحوال الجو، رجع إلى مراكش بعد أن قام بجولة في منطقة تيُّوتْ وكندافة وأسني.

يعد الشوط الثالث من هذه المرحلة الثانية أهم هذه الأشواط، فقد وضعت الحامية العسكرية الفرنسية بتزنيت، لفائدته وخدمته، فرقة تتألف من أكثر من مائة شخص، من بينهم جنود مغاربة وزودتهم بالمؤونة الضرورية والأدوية وغير ذلك مما تحتاجه قافلة علمية ستتوغّل بهذا الكمّ لأول مرّة، في مناطق لم يدخلها أجنبي مكشوف الهوية من قبل.

وفي هذه الظروف انطلقت بعثة لوي جانتي من تارودانت يوم 10 شتنبر 1923، فمرّت بإغرم، ثم تاكموت وطاطا. وعندما بلغت القافلة إلى واحة توجد على مشارف تيسنت، انفصل عنها لوي جانتي ولم يبق معه إلا ثلاثة من المرافقين تطوعوا لمصاحبته.

بعد ذلك مضى يستكشف بعض الجهات من جبل باني، وقد أطل على نهر درعة، فكان أول أجنبي يقف في هذه الأمكنة التي باتت حينا من الدهر محرّمة حتى على بعض القبائل، إذ كان أهل قبائل تكنة يهيمنون عليها بصورة مطلقة.

ثم انطلق نحو سيروة من الجنوب ؛ مروراً بعدة مواقع استلزمه عبورها مع ذلك أن يدلي بهويته وبهدف مقامه وتجواله. وقال له أحد شيوخ قرية : "أتذكر أن رجلاً اسمه السي علال، فقيه وعالم مر من هنا منذ عشرين سنة، وأعطاني أدوية". فأجابه لوي جانتي : أنا هو السي علال، في ذلك الوقت ابتسم الشيخ وأضاف : "إنك نجوت من الموت".

فالصعود إلى سيروة، هذا الجبل البركاني الميت الضخم، شاقّ ومتعب، لكثرة الالتواءات الوعرة، والانكسارات الخطيرة، ولأرضه المغطاة بالصخور والأحجار المسننة على السفوح، وما سيروة الاكتلة متعددّة القمم والفوهات، كانت المقذوفات البركانية تكسوها من كل جهة.

اضطر لوي جانتي إلى الإقامة يومين وهو عرضة للأخطار، وسط مناخ جاف من جهة الشرق، رطب من جهة الغرب. المكان موحش، حتى الطيور لا تقترب منه، ليس فيه حشرات ولا ما تقتات به الزواحف الصغيرة التي عادة ما تتساكن بين الأحجار.

وتغلّب هذا العالم في النهاية على المعاناة وعلى الطبيعة القاسية أرضاً وجواً، فكان أول شخص بلغ أعلى قمّة سيروة، فوجدها فوهة تكاد تكون منغلقة بمواد تحجّرت منذ ملايين السنين بجانبها وحولها أحجار صوانية وأخرى تتضمّن أكسيدات حديدية مختلفة. ولما قام بقياس ارتفاع القمّة عن مستوى البحر، وجد أنها تبلغ 3034 م.

كان هذا العمل ختام الرحلة الثانية التي لم تستغرق أكثر من شهر، ولم ير المغرب لوي جانتي من بعدها، لأنه توفي بباريس سنة 1925، وعمره ستون سنة.

ونشير في الختام إلى أن سلطات الحماية أطلقت اسم "لوي جانتي" على القرية العمّالية التي تأسست خلال الفترة الممتدّة من 1931 إلى 1933، بمنطقة گنتور (بين عبدة والرحامنة) لاستغلال الفوسفاط الذي عثر عليه في هذه الجهة. وتقع قرية "لوي جانتي" على خط السكة الحديدية الرابط بين بنگرير وأسفي. وفي عام 1936، خرج أول قطار فوسفاطي منها نحو ميناء أسفي. ولما استقلّ المغرب، ازدادت "لوي جانتي" تطوراً وتنمية، ولم تمض إلا أشهر حتى تقرّر تغيير اسم البلدة لتصبح هي مدينة اليوسفية، تخليداً لذكرى السلطان مولاي يوسف.

أحمد بنجلون، من *تاريخ أسفي* (مخطوط).

P. Despujols, *Historique des recherches géologiques au Maroc* ; L. Gentil, *Dans le bled es-Siba* ; *Explorations dans l'Atlas marocain* ; G. Choubert, *Histoire géologique du précambrien de l'Anti-Atlas* (*notes du service géologique*, n° 162) ; Ministère de l'Energie et des Mines, *Panorama de l'industrie minière*, tomes 1 et 2 ; *Bibliographie analytique des sciences de la terre* ; F. Gendre, *Voyageurs et géographes, pionniers inconnus ou oubliés, de la France au Maroc*, *R. G. M.*, t. 1, 2, 3, 4, année 1946.

أحمد بنجلون

**جّاوْش** أو زّاوْش أو جّاوْجْ. حسب اختلاف النطق الدارج في المغرب - طائر يسمى في المعاجم وفي بلدان المشرق العربي "عصفور دُوري" أو "عصفور بُيُوتي" - وهو جنس طيور بريّة من رتبة الجواثم Passeriformes ومن فصيلة Ploceidés يضم عدة أنواع، أربعة منها تعيش في المغرب، كثيراً ما يصعب على غير المختصين التفريق بينها نظراً لكثرة التشابه، مما جعل كلمة "جّاوْش" تطلق على الأنواع الأربعة الموجودة في المغرب العربي.

من بين الأنواع المستقرة الشائعة في بلادنا نوع أهلي يسمى علمياً Passer domesticus ويدعى بالفرنسية Moineau domestique وبالأنجليزية House sparrow وبالإسبانية Gorrión comun. وهو طائر يألف المدن

والبوادي والجبال والسهول. يبلغ طوله 14،5 سم وبسطة جناحيه 25 سم. المنقار مخروطي الشكل وقوي متخصص في أكل الحبوب. ريش الإناث بُنِّي محمر تختلف عنها الذكور ببقع سوداء على صدرها. يتراوح الوزن ما بين 25 و35 غ، ويعمِّر هذا الطائر عدة سنوات.

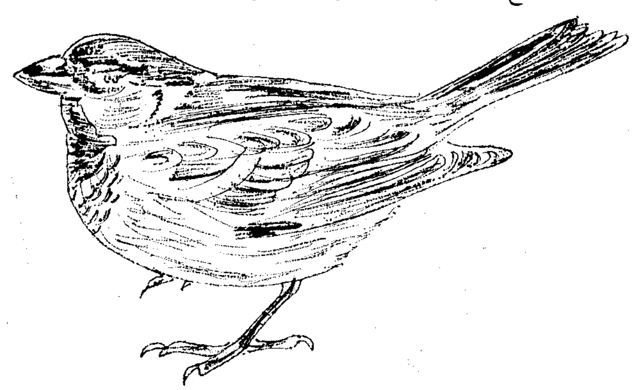

## الجاوش

تأقلم هذا الطائر مع حياة الإنسان حيث يعيش غير بعيد عن المنازل ويتكون غذاؤه من الحبوب (القمح والشعير) وكثيراً ما يتوارد على الحقول ويخلف أضراراً في المحصولات الزراعية، مما يجعل منه طائراً غير مرغوب فيه. وقد حاول الإنسان محاربته بعدة وسائل لكنه يقاوم الانقراض بشدة ذكائه.

يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد ويكثر صياحه في الصباح والمساء وسط الغابات وفوق الأشجار، وكثيراً ما تنضم الصغار إلى الكبار، وأحياناً تنضم عدة مجموعات مع بعضها لتكون أسراباً يفوق عددها الألف.

يتوالد ما بين مارس وشتنبر، ويتعاون الزوجان على بناء عش ضخم كروي الشكل بواسطة الأعشاب اليابسة ويفرشانه بالريش وبقطع من الصوف أو القطن. تلد الانثى البيض مرتين إلى ثلاث مرات في السنة وتضع في عشها من ثلاث إلى خمس، ونادراً ما تضع ثمان بيضات، لونها أبيض مخضر وهي منقطة بالرمادي والبني والأسود. تزن كل منها 2،1 ـ 3،3 غرام ويبلغ طولها 15،7 × 22،5 ملم. توضع الأعشاش بين الجدران والسقوف وفوق الأشجار العالية وخاصة منها أشجار الصنوبر Eucalyptus. تحضن الأنثى بيضها مدة أسبوعين (11 ـ 14 يوماً)، ويقدم الأبوان الغذاء لصغارهما مدة أسبوعين وتتكون غالباً من الديدان والحشرات الصغيرة. يعيش الجاوش في كل من آسيا وأوروبا وافريقيا الشمالية، وقد تم إدخاله أخيراً إلى أمريكا.

يسمى الجَّاوْش الإسباني علمياً Passer hispaniolensis وبالأنجليزية Spanish sparrow وبالفرنسية Moineau espagnol وبالإسبانية Gorrion moruno وهو كثير الشبه في الشكل والحجم بالجاوش الدُّوري، ويوجد الاختلاف عند الذكور فقط حيث تتميز بريش بُنِّي فوق الرأس وببقعة كبيرة على العنق والصدر ممتدة جانبيا إلى الجناحين. باقي الجسد بني ورمادي. لايتعدى طوله 15 سم، وطريقة عيشه وتوالده شبيهة بالجاوش الأهلي، إلاَّ أنه غالباً ما يهاجر وسط البلدان المغاربية ويقوم بتنقلات وسْط مجموعات تعد بمئات وآلاف الأفراد يقطع خلالها مسافات طوالاً للبحث عن المزارع والحقول الزراعية ويُخلِّف أضراراً في محصولات الحبوب مما يجعل الفلاح يتصدى له بعدة وسائل لإبعاده من الضيعات. كثيراً ما يتطلب من الفلاحين حراسة متشددة ومتواصلة لمقاومة هذا الطائر.

يسمى جَّاوش الصخور علمياً Petronia petronia وبالفرنسية Moineau soulcié والانجليزية Rock sparrow وبالاسبانية Gorrión chillón وبالايطالية Passera lagia. لايتعدى طوله 13،8 سم، ويتميز عن السابقين بعدم وجود البقعة السوداء على العنق والصدر وبخطين أسودين على الرأس. تتخلل الصدر بقعة صغيرة من الريش الأصفر وباقي الجسد بنيٌّ رمادي. إنه طائر جبلي شائع في جبال الأطلس وجبال الريف ويقتصر توزيعه الجغرافي على المناطق المجاورة للبحر المتوسط.

يتوالد في المناطق الجبلية وسط الغابات والصخور، وكثيراً مايتخذ شقوق الصخور وجذوع الأشجار مكانا لوضع عشه. يتوالد في فصل الربيع ابتداء من شهر أبريل، ونادرا مايضع البيض مرتين في السنة. تغادر الصغار الأوكار بعد ثلاثة أسابيع وتلتحق بالكبار لتكوِّن مجموعات صغيرة. يقتات من الحشرات ومن الحبوب، ولا يقترب كثيراً من الإنسان. هناك بعض المجموعات تتخذ الصخور الشاطئية مسكنا لها نذكر منها منطقة قرية أركمان ورأس كبدانة بالبحر المتوسط وتتكون المجموعة من أزيد من ستين زوجا.

الجَّاوْش الأبيض Passer simplex، يسمى بالفرنسية Moineau blanc وبالانجليزية White sparrow أو Desert sparrow، وذلك لأنه يعيش في المناطق الصحراوية فقط، منها الصحراء الكبرى وصحراء الخليج العربي. تعيش بعض مجموعاته جنوب جبال الأطلسي الكبير والصغير. يتميز الطائر بريش رمادي أبيض على رأسه وظهره وبطنه، وتتخلل صدره وجناحيه بقع من الريش البني المسود. يبني عشه بين أوراق النخيل وفوق الشجيرات وأحيانا في الثقب الموجودة بجدران المباني. يتوالد مرتين في السنة ما بين مارس وأبريل وتضع الأنثى ما بين بيضتين و6 بيضات تحضنها مدة أسبوعين.

يلاحظ خلال فترة هجرة الطيور القادمة من أوروبا إلى المغرب في فصل الشتاء أن بعض المجموعات من نوع Passer montanus المسمى بالفرنسية Moineau friquet وبالأنجليزية Tree sparrow، تأتي أحيانا إلى المناطق المجاورة لطنجة وتطوان والعرائش لتقضي شهري دجنبر ويناير هناك ثم تعود لتتوالد في أوروبا.

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

J. Pineau et M. Giraud-Audine, *Les oiseaux de la Peninsule tingitane*, Rabat, 1979, *Trav. Ist. Sci.. Zoologie* n° 38 ; P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux au Maroc, janvier 1986 - 87 et 88*, Rabat, 1988, *Doc. Inst. Sci. 11* ; W. Read et Hosking, *Les oiseaux, leurs nids et leurs œufs, Reproduction - Oeufs et jeunes*, Paris, 1968, p. 281 - 282 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984, p. 298 - 301.

محمد رمضاني

**الجاوي**، (بخور) - ينطق به في المغرب بتشديد الجيم - من عادة المغاربة تعطير أجسامهم وملابسهم ومساكنهم وأماكن إقامتهم أو مساجدهم وأضرحتهم وزواياهم وخاصة في الأعياد الدينية والمناسبات الاجتماعية. وقد كان تبخير الأماكن، شأنه شأن تعطير الملابس، لازماً من لوازم الحياة الدينية والاجتماعية في المغرب، ولايمكن مطلقاً تصور حياة الناس وخاصة في الحواضر بدونهما. وكان أبرز أنواع البخور المستعملة في هذه الحواضر بخور الجاوي (جّاوي).

وهو مادة صلبة متحجرة ذات لون أشقر يشبه اللُّبَان في شكله ومظهره. لذلك كان من سكان الحواضر من يسميه أيضاً لُبَان جاوة. وهو يستمد اسمه من جزيرة جاوة إحدى كبريات جزر أندونيسيا الإسلامية في الشرق الأقصى. كان المسلمون يستوردونه منها إلى المشرق العربي حيث تتم معالجته في بعض بلدان شبه الجزيرة العربية وبعض بلاد الرافدين ليوزع على سائر البلدان الإسلامية الأخرى في الشرق والغرب ومن ضمنها المغرب الأقصى.

والجاوي في الأصل صمغٌ يستخرج من أنواع خاصة من الأشجار يتصلب ويتحجر ويجمع في أوقات معلومة ويستعمل بالشرق الأقصى في الصيدلة والتعطير أيضاً. ومن بلدان الشرق الأقصى انتقلت استعمالاته إلى المشرق العربي. وكان العديد من الناس يدعوه "الجاوي المكاوي" ويقصد به البخور المشترى من مكة أو المعالج بها. إلا أن صفة المكاوي كانت تضفي على هذا البخور نفحات قدسية من نوع خاص.

كان الجاوي يُدرج في عدة وصفات طبية لمعالجة بعض الأمراض البدنية والنفسية. فقد كان دهانه المنقع في ماء الورد والزهر والريحان والقرنفل وغيره من العطور يستعمل لدلك المفاصل ومعالجة التوعكات والتورمات ومسد بعض الأنواع من مغص الأطراف والأمعاء وآلام الظهر والعمود الفقري. وكان المصابون ببعض الأمراض العصبية وبحالات فجائية من الاكتئابات يستنشقون دخانه للتخفيف من الآلام التي تنتابهم. كما كان يستعمل من قبل الأمهات والمولدات والمشاطات (النكافات) لجلب السعد للعوانس وتسهيل الولادة وتبديد الأمزجة غير الملائمة التي قد تتخلل العلاقات بين العروسين ليلة الزفاف. وكان اللواتي يتعاطين السحر والشعوذة يستعملنه لإضفاء أجواء خاصة على الحلقات التي كنّ يخصصنها لزبنائهن.

أ. المقري، *فتح المتعال*، مخطوط خ. ع العامة 1463ك ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1972 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط 1974.

*Archives berbères*, vol. 2 fasc. 3, 1917 ; *B.E.P.M.* n° 63, janvier 1925 ; H. De Lamartinière, *Souvenirs du Maroc, 1822 - 1918*, Paris, 1919 ; A.R. De Lens, *Pratiques des harems marocains*, Paris 1925 ; L. Bolens, *Les parfums et la beauté en andalousie médievale*, Genève [s.d.].

محمد بوسلام

**جاي**، Jay منصِّرة إنجليزية من هيئة نورث أفريكا ميشن North Africa Mission وصلت إلى مدينة طنجة سنة 1886 ومكثت بها إلى غاية 1898. ولكنها أقامت بين هاتين المدتين بمدن أخرى مثل فاس سنة 1890، والدار البيضاء سنتي 1891 و1892، وبعد ذلك رجعت للإقامة بطنجة التي اتخذت فيها مدرسة لتعليم البنات استمرت مفتوحة حتى بعد رحيلها. لها مقالات عن المغرب نشرت بجريدة الهيئة المنتمية إليها.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج. 4 : 1402.

J.-L. Miège, *Les missions protestantes au Maroc*, p. 158 ; *Le Maroc et l'Europe*, T. I, p. 124.

مصطفى بوشعراء

**الجّايْ**، أسرة فاسية عريقة، أصلها من بلاد الجّاية في جبال غمارة، وتكتب أحياناً بالهمزة أو بالياء قبل ياء النسبة : "الجائي" أو "الجايي" ويضاف اللاّم إلى أولها في الغالب : اللجائي. انظر مادة (اللجائي).

**الجاي، أحمد** مقاوم، ولد بفاس سنة 1332 / 1913. انضم إلى صفوف المقاومة المسلحة بمنظمة الهلال الأسود بالقنيطرة تحت مسؤولية تويرتو عبد السلام. كان يزود أعضاء المنظمة بالأسلحة والدخيرة التي كان يجلبها بوسائله الخاصة من المعسكرات الفرنسية وساهم أيضاً في تهريب بعض المقاومين عن عيون السلطة الفرنسية. تعرض في حياته الفدائية إلى عمليات اعتقال من طرف الفرنسيين وحكم عليه بثلاثة عشر شهراً حيث زج به في سجن القنيطرة قبل أن يتم تهريبه من السجن بواسطة خطة محكمة لأصدقائه.

توفي يوم الأحد 25 رمضان عام 1375 / 6 ماي 1956.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 4 : 146.

**الجاي، أحمد بن عبد السلام** وزير، ولد بمدينة فاس سنة 1276 / 1860، وبها بدأ تعليمه الأولي وأكمل دراسته في جامع القرويين، لكنه ما لبث أن تعاطى التجارة بمسقط رأسه في مستهل حياته العملية، ثم انتقل فيما بعد إلى أرض الكنانة واستقر بالقاهرة لمزاولة أعماله التجارية، وقضى هناك عشر سنوات، عاد بعدها إلى المغرب لا ليتابع عملية البيع والشراء ولكن ليدخل في سلك الخدمة المخزنية في عهد السلطان المولى عبد العزيز (1894 ـ 1907) حيث اسندت إليه مهمة أمين نظراً لخبرته بشؤون المال ثم مهمة كاتب أول بوزارة المالية، وما لبث أن ابتعد عن مزاولة هذه المهام أثناء المرحلة الانتقالية لحكم السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ (1908 ـ 1912) لمدة أربعة أعوام عاد خلالها لمزاولة مهنته الأصلية ـ أي التجارة ـ، ثم عاد ثانية للعمل في دائرة المخزن الحفيظي، فعينه السلطان محتسبا لمدينة فاس ثم أمينا لأملاكها المخزنية وأخيراً وزيراً للشكايات. وفي عهد السلطان مولاي يوسف عيّن أحمد الجائي رئيساً لإدارة عموم الأحباس أو بنيقة الأحباس بدار المخزن الشريف كما كانت تسمى، كما هو مثبت في ظهير 20 قعدة عام 1330 / 31 أكتوبر 1912، وذلك لمراقبة الأحباس العمومية في المغرب وضبط تصرفات النظار وتنظيم حساباتهم الشهرية والسنوية، وإحصاء الأملاك الحبسية داخل المدن وخارجها، والتأكد من مداخيلها والقيام بإصلاحها وصيانتها من التلف، ووضع تقارير سنوية عن كل نظارة، وبالفعل سهر أحمد الجاي على القيام بهذه المهمة التي أسندت إليه كما أُمر تحت نظر مراقبة الأحباس، مما خوله عضوية المجلس الأعلى للأحباس المؤسس بظهير 12 ماي 1914. ونظراً لكفاءته ـ في نظر المخزن اليوسفي ـ في تدبير شؤون المديرية المذكورة التي تحسنت أحوال مداخيلها بعد ترتيبها على أسس عصرية وتنمية أموالها وحراستها من مطامع المعتدين عليها، اقتضى نظر المسؤولين ترقية الجاي إلى رتبة وزير كما جاء في ظهير 10 شوال عام 21/1333 غشت 1915، كما استحق وسام جوقة الشرف الذي كانت حكومة الحماية تمنحه للموظفين السامين.

توفي أحمد الجاي صباح يوم الخميس ثامن شوال عام 1346 / 29 مارس 1928. ودفن بزاوية الشيخ ابن رحمون من حومة النجارين.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2971 ؛ *الجريدة الرسمية*.

بوشتى بوعسرية

**الجَايْ، إدريس** شاعر مغربي وُلد بفاس يوم السبت عاشر ذي القعدة عام 1339 / 16 يوليو 1921. أصله من قبيلة لجاية الجبلية، استقر والده بالعاصمة العلمية فاس، وكان من الفقهاء المقرئين الصالحين يعلم القرآن بأحد الكتاتيب حيث تلقى إدريس الجاي تعليمه الابتدائي. قبل أن يلتحق بجامعة القرويين.

ظهرت عليه منذ نعومة أظفاره مخايل الموهبة الشعرية والفنية حيث أخذ ينظم القصائد ويرسم الألواح التي كانت تنال استحسان المنصتين والمشاهدين. أودعته سلطات الحماية السجن وهو مراهق بسبب قصائده المناهضة للاستعمار الفرنسي خاصة سنة 1356 / 1937 حين قام إدريس الجاي خطيباً في جموع طلبة القرويين المضربين الذين كانوا يطالبون بإصلاح نظام التعليم بهذه الجامعة العتيقة.

توجه إدريس الجاي بعد ذلك إلى تطوان، وكانت كما هو معلوم تحت السيطرة الإسبانية، فأحسن خليفة السلطان مثواه وبعثه إلى إسبانيا لدراسة الأدب الإسباني. وعاد إلى تطوان بعد سنتين. ثم إلى الرباط حيث اشتغل بالإذاعة التي كانت تحت الإدارة الفرنسية، وبعد ذلك أوفده مديرها إلى إذاعة باريس لما لاحظ من تفوقه، فاشتغل هناك من سنة 1944 إلى سنة 1956 في القسم الأدبي حيث اشتهر بإنتاجه وإبداعه. وحين أبدى رغبته في العودة إلى بلاده بعد استقلالها، استقدمه مدير الإذاعة الوطنية وأسند إليه القسم الأدبي الذي عرف في وقته تقدماً باهراً، وبقي على رأسه أزيد من عشرين سنة. وكان له حضور في جل النشاطات الأدبية والفنية.

صدر له ديوان تحت عنوان *السوانح*، من مطبوعات القصر الملكي، تقديراً لإنتاجه الأدبي، وذلك سنة 1971. قدم الديوان العلامة الكبير الاستاذ عبد الله گنون فحلله وبوّأ صاحبه مقاماً بارزاً بين أقرانه من أمثال الشاعر المطبوع عبد الله القباج وشاعر الحمراء محمد بن إبراهيم فكتب ما يلي :

"ضرب إدريس الجاي بسهم في كل باب من أبواب الشعر : فمن مدح ورثاء إلى وصف وغزل، ومن هذه إلى شعر وطني واجتماعي يذكي الحماس في النفوس ويدعو إلى إصلاح الأوضاع، ومن هذا إلى شعر الخواطر والتأملات الفلسفية وغير ذلك من الأغراض والمقاصد. فهو يمدنا بثروة شعرية طائلة هي حصيلة ما نظمه في شبابه الناعم منذ تفتقت براعم شاعريته".

ينقسم ديوان إدريس الجاي كما أشار إلى ذلك صاحب *النبوغ المغربي في الأدب العربي* إلى حماسيات ووجدانيات وتأملات وهواجس وإخوانيات تجمع بين "روعة البيان وعمق الفكرة وجيشان العاطفة" مما يجعل قصائد الشاعر إدريس الجاي من مختار الشعر الإنساني الجيد.

توفي إدريس الجاي بالرباط يوم عاشر رمضان عام 1398 / 26 غشت 1977.

ع. گنون، *تقديم السوانح*، الرباط، 1971 ؛ *معرفة شخصية*.

قاسم الزهيري

**بني جْبَارة**، فرقة من قبيلة الأخماس السفلى، واسم لمدشر يقع بجبال بني جبارة، وهي المرتفعات التي تقع جنوب غرب مدينة شفشاون وتظهر منها، وبها بعض القمم المرتفعة التي يزيد ارتفاعها عن 1500 متر عن سطح البحر، مثل جبل المنصورة (1523 متر)، وجبل السكان (1603 متر).

ونشطت بهذه المنطقة دروس العلم في القرنين العاشر والحادي عشر (16 - 17 م)، كما كان عليه الأمر في بعض مناطق جبال غمارة والهبط. ونجد ذكر بني جبارة كثيراً في كتب الأنساب من خلال المناقشات التي كانت تدور بين النسابين حول شرف أهلها، أو بعض أسرها منذ قرون، وربما يعود الأمر إلى كثرة من استقر من الشرفاء الأدارسة بهذه المناطق الجبلية منذ فتنة ابن أبي العافية.

ع. العافية، *الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية، بشفشاون وأحوازها*، المحمدية، 1982 ؛ المريني العياشي، *النضال الجبلي، الأنظمة الاجتماعية الجبلية*، طنجة، 1988 ؛ العمود في نسب الأدارسة، طنجة.

**الجْبَاري**، أسرة قصرية تنحدر من مدشر بني جبارة بقبيلة الأخماس الجبلية، انتقل بعض أفرادها إلى مدينة القصر الكبير في صدور القرن العاشر (16 م)، وأصبحت من الأسر النبيهة لظهور أبنائها من بين العلماء الأفذاذ.

وقد أشارت بعض المصادر إلى النقاش الموجود بين النسّابين حول شرف بني جبارة، فالشريف العلمي يشكك في *نوازله* في شرف بني جبارة وبني جرير وبني حسان وبني زيات وغيرهم من أهل الجبل، وكذلك ابن رحمون التطواني في كتابه *النجوم الزاهرة في الذرية الطاهرة*، ومنه انطلق الباحث ميشوبلير فيما كتب عنهم في مؤلفه عن القصر الكبير.

في حين كتب بعض أبناء هذه الأسرة في إثبات نسبها الشريف، فألف الحسين بن عمران الجباري (ق 11 هـ) كتاب *الأدلة المختارة في إثبات شرف بني جبارة* (مخطوط)، وألف السيد الخضر بن عبد السلام الجباري كتابا نشره سنة 1989 بعنوان *"تيسير الباري في ثبوت النسبة النبوية الشريفة لأولاد الجباري"* حقق فيه نسبة أسرته من خلال مناقشة شجرة نسبها في كتب الأنساب، واعتمد مجموعة من الوثائق والشهادات العدلية يعود أقدمها إلى سنة 888 هـ، وعزز ذلك بمجموعة من الظهائر للسلاطين : مولاي إسماعيل (بتاريخ 16 ربيع الأول 1126)، ومولاي سليمان (مؤرخ بـ 24 جمادى الأولى 1238) ومولاي عبد الرحمان ابن هشام (مؤرخ بـ 15 رمضان 1238)، وسيدي محمد بن عبد الرحمان (بتاريخ 27 رجب 1277)، ومولاي الحسن الأول (مؤرخ بـ 24 ذي القعدة 1296) ومولاي عبد العزيز (مؤرخ بـ 28 ربيع الأول 1312). وكلها ظهائر توقير واحترام وإعفاء من الوظائف المخزنية وجهت لنبهاء الأسرة الجبارية من العلماء.

**الجْبَاري، أحمد** بن **الحسين** القصري تصفه إحدى الوثائق العدلية الأسرية "بالفقيه العالم العلامة الدراكة الفهامة المدرس النحرير المدعو الحافظ سيدي أحمد" (*تيسير الباري*، 25). ولا تذكر تاريخ وفاته.

**الجْبَاري، أحمد** بن **محمد** بن الطاهر القصري، شقيق السابق. عالم أديب مصلح، ولد عام 1321 / 1903 ودرس بمسقط رأسه قبل أن يلتحق بفاس حيث مكث ثلاث سنين يأخذ عن أعلام القرويين. كان ناظراً للأوقاف بالقصر الكبير، وساهم مساهمة فعالة في التعليم الحر بها حيث كان يدرس ويدير في نفس الوقت " المدرسة الأهلية" التي لعبت دوراً متميزاً في الحفاظ على التعليم العربي الإسلامي والهوية الوطنية إبان مرحلة الاستعمار الإسباني بشمال المغرب. وكان أغلب أطر هذه المدرسة على ارتباط بالحركة الوطنية في الشمال، وقد أوذي السيد أحمد الجباري بسبب نشاطه الوطني وعزل من منصب نظارة الأوقاف. وتوفي يوم الأربعاء عاشر شعبان عام 1386 / 24 نونبر 1966.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3394.

**الجْبَاري، الحسين** بن عمران القصري : عالم صوفي زاهد، عاش في القرن العاشر، وتوفي أوائل القرن الحادي عشر (17 م)، يعتبر جد الأسرة الجبارية بالقصر. وقد نقل عنه الشريف العلمي في *نوازله* وسماه خطأ الحسن. ألف عدة كتب منها :

- *الأدلة المختارة في إثبات شرف بني جبارة* (مخطوط بزاوية سيدي حمزة بإقليم الراشدية، في أوراق).
- كتاب جمع فيه *فتاوى العلماء المتأخرين* (مفقود).
- *قصائد ومنظومات* في الأمداح النبوية الشريفة (كانت بحوزة أحد فقهاء مدينة القصر الكبير ممن توفي قبل سنوات).

**الجْبَاري، الخضر** بن عبد السلام، شغل منصب العدالة بإدارة الأحباس بالقصر، كما ولي خطبة مسجد السويقة، وكان فاضلاً خيراً، توفي سنة 1368 / 1948.

**الجْبَاري، عبد السلام بن الخضر**، ولد بمدينة القصر الكبير حوالي عام 1323، وبها حفظ القرآن الكريم وتعلم التجويد على الفقيه سيدي عبد الله الصرصري، ثم حفظ من المتون *صغرى* الإمام السنوسي *والمرشد المعين والألفية والعاصمية والزقاقية ومختصر* الشيخ خليل وغيرها. وأخذ العلم عن بعض علماء القصر مثل الفقيه أحمد مومن، وعلي المجول وأحمد السوسي البعقيلي، والقاضي علي نخشى ومحمد المري التطواني حين كان قاضياً بالقصر.

ثم قصد مدينة فاس وانتسب لجامعة القرويين في صفر 1342. وبها درس على العلامة أحمد بن المامون العلوي البلغيثي، وعبد السلام العلوي، وإدريس المراكشي وعبد الله الفضيلي، والراضي السناني ومحمد الطايع بن الحاج السلمي، ومحمد ابن إبراهيم ومحمد أقصبي، والشريف النگناوتي والعباس المزكاري المكناسي، ومَحمد العلمي الميقاتي، ومحمد البكراوي، والحسين العراقي وأبي الشتاء الصنهاجي، وأخيه محمد الصنهاجي.

وحضر دروساً على المحدث محمد بن جعفر الكتاني، والشيخ أبي شعيب الدكالي والشيخ الفاطمي الشرادي، والقاضي إدريس بناني والقاضي ابن أحمد الزرهوني وغيرهم.

وأجازه من أساتذته كتابة عبد الله القصلي وأحمد العلمي الميقاتي ومن ذكر بينهما.

وأجازه الشيخ إدريس المراكشي مشافهة، وتواريخ هذه الشهادات كلها عام 1350 هـ وهو العام الذي رجع فيه إلى القصر الكبير حيث تعاطى الإفتاء ابتداء من سنة 1936، والعدالة من الدرجة الأولى ابتداء من سنة 1937. ثم انخرط في سلك التعليم بالطور الثاني الثانوي بالمعهد الديني بالقصر ابتداء من نفس السنة، ثم عين عضواً مستشاراً لمجلس الأحباس الذي كان قد أسس بمدينة تطوان سنة 1939م.

كان فقيهاً أصولياً وفرضياً ونوازلياً، شغل منصب الإمامة بالجامع السعيد ثاني أكبر مساجد القصر الكبير مدة خمسين عاماً حتى أقعده المرض، وكان عضوا نشيطا برابطة علماء المغرب وعضوا بلجنة التشريع المنبثقة عنها. وعين في فترة مرضه رئيسا شرفيا لفرع الرابطة بمدينة القصر الكبير.

ترك العديد من *الرسائل والفتاوى* الفقهية مخطوطة، ومجموعة من *الأشعار* في أغراض مختلفة.

وتوفي في شهر شتنبر 1982.

**الجْبَاري، عبد السلام بن الطيب** الأصيلي، درس بفاس على علماء العصر، ورجع إلى مسقط رأسه يدرس ويربّي "ويبث النهضة فيها على هدي السلف الصالح وينشر دعوة الإسلام الصحيح. وقد كابد الاستعمار الاسباني وعذب وسجن... وتخرج على يده عدة علماء".

توفي ولده عبد الجبار في حادثة طائرة سقطت قرب طنجة بعدما حصل على الدكتوراة بفرنسا، فكان ذلك سبب غمه وموته في أواسط محرم عام 1394 / أوائل فبراير 1974.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3451.

**الجباري، فاطمة** بنت أحمد القصرية ولية صالحة، كان والدها من علماء المدينة، وهو المترجم قبل. اشتهرت بتنظيم حلقات الذكر بمنزلها، وكانت ظاهرة البركات. توفيت بمدينة القصر الكبير في أواخر القرن الحادي عشر (17 م). ودفنت بدار سكناها بحي باب الواد، ثم أقيمت عليها قبة، وبني بازاء ضريحها مسجد تقام فيه الصلوات الخمس. ومازال أبناء الأسرة الجبارية بالقصر الكبير ينظمون سنويا بضريحها حفلا لإحياء ليلة المولد النبوي الشريف.

**الجباري، محمد** بن محمد بن الطاهر القصري. كان رجلا صالحا ورعا منقطعا للعبادة ذا فراسة وهيبة ظاهرة، وقد حظي بمحبة واحترام واسعين لدى سكان المدينة. تفرغ عمره لتلقين القرآن الكريم وتربية الولدان بكتّابه الكائن بحي للاعائشة الخضراء، وتخرّج على يديه المئات من حفظة الذكر الحكيم. وكان له طريقة في تلقين الكتاب العزيز انفرد بها عن غيره من المدررين. توفي رحمه الله سنة 1383 / 1963.

الخضر عبد السلام الجباري، *تيسير الباري في ثبوت النسبة النبوية الشريفة لأولاد الجباري*، الدار البيضاء، 1989 ؛ المريني العياشي، *العمود في نسب الأدارسة*، طنجة (د. ت).

Michaux-Bellaire et Salmon, *El-Qçar El-Kebir une ville de province au Maroc septentrional*, A. M., 1904 ; F. Humberto, Cornacero Henares, *Alcazarquivir 1950*, Tetuan, 1953

محمد المغراوي

**الجْبَاري، المفضل** بن أحمد القصري، كان صوفياً كبيراً وفقيهاً عدلاً موثقاً. أخذ عن الحسين بن محمد الحراق، وتصدر في الطريقة الدرقاوية في القصر الكبير، وكانت داره بمثابة زاوية من الزوايا لاتخلو في غالب الأحيان من الفقراء الواردين عليه (*إطلالة*، 102). تولى خطبة الجامع السعيد مدة طويلة وبقي على ذلك إلى أن توفي سنة 1303 / 1886 بعد رجوعه من زيارة مولاي عبد السلام بن مشيش.

م. أخريف، *إطلالة على أولياء مدينة القصر الكبير*، مارس 1989.

الحسين البعاوي

**جبـالـة**. ـ تاريخ ـ أول مصدر مغربي نبهنا إلى تداول اسم جبـالة هو زهر *الأكم* لصاحبـه الحاج عبـد الكريم بن موسى الريفي، الذي كـان حيّا عـام 1143 / 1730، حينما أخبـرنا بتـعـيين المولى إسـمـاعـيل للقائد عـمـر بن حـدو التمسماني (*معلمة المغرب*، التـمـسـماني) على "ناحيـة جبالة" عام 1084 / 1672. ثم اختفى عنا اللفظ اختفاء كاد أن يكون كليا باستثناء مارده محمد الضعيف الرباطي في تاريخـه، مما يخص أخبـار السلطانين عـبـد الله بن إسماعيل وابنه محمد بن عبد الله. كما أن ظهور اسم جبالة في الوثائق المخزنية نادر جداً فيما أمكننا العثور عليه. لذا كان من الضروري الالتفات إلى المصادر الأجنبيـة المعروفة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، أمثـال "موليـيراس" A. Mouliéras، صـاحب *المغرب المجهول* *Maroc inconnu* المصادر الاسبانية المعروفة قبل الحماية وأثناءها.

إلا أن هناك ما يساند قولنا بقدم تداول لفظ جبالة قبل الإبان الـذي أعلن عنـه زهر *الأكم* استناداً إلى التـبـاين الطبيـعي الموجـود بين مـجـالي الهـبط الأصلي والسلسلة المشرفة عليه من جهة الغرب.

نحن على علم من أن المجال الجغرافي لغمارة الأصليـة يشمل القسم الجبلي الشرقي من مجموع مـحيط الشـمـال الغربي بحدوده الساحلية من مصب واد تطوان أو من واد لَاوْ إلى مـصب واد أرينكا عند رأس الجبـهـة من مـتـيـوة الساحلية، بينما تتوغل حدوده الداخلية لتشمل أعـالي السفوح المتجهة نحو البحر المتوسط. فاسم غمارة مرتبط بهذا المجال ارتباطاً تاريخيا معروفاً، لم يفارقه في وقت من الأوقات إلى يومنا.

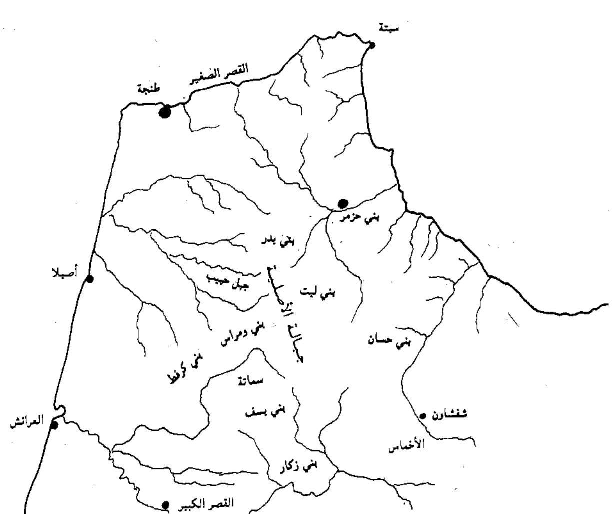


جبـــالـــة

يتبين لنا من بحث مواطن كل من غمارة الأصليـة وفق المجالين المعروفين لدينا تاريخيـا أن هناك منطقة جبليـة فاصلة بين المجالين السابقين ممتدة طوليا وبشكل مواز لهما تتـشكل من المرتفـعـات المشـرفـة على تطوان من الزاوية الشمالية الشرقية وعلى طنجة من الناحية الغربية، ليستمر توزيعـهـا على مـحـورين : يضم الأول هضـبـة بني حـسـان والأخماس بقسميها العليا والسفلى، بينما يساير المحور الثاني موقع كل من جبل حبيب وبني ومراس وبني عروس وسماتة وأهل سريف، ليلتقي المحوران أخيراً بمجرى واد اللكوس عند كتلة بني زكار.

لا شيء يميز هذا المجال من الوجهة الطبيعية عن غمارة الأصلية وكثيراً ما ألحق بها، باستثناء ميزة واحدة فقط : ارتبـاطه بالهـبط الأصلي من الوجـهـتين الطبـيـعـيـة والاقتـصادية. ونعني بالوجهة الاقتصادية علاقة الجبال بالمدن والمراكز الإدريسية المنبثة على الساحل والسهل معا.

وهذا التجاوز الجغرافي والارتباط الاقتصادي هو الذي جعلنا نعـتـقـد جـازمين أن هذه المنطقـة الوسطى هي التي استحقت حمل اسم جبالة في فترة موازية لظهور لفظ الهبط الأصلي في القرن الثـالث (9 م). فـإذا كـان أهل الهـبط يدعون بالهبطيين أو الوطويين في القرن الثالث للإشارة إلى سكان السـهـل، مما هو ثابت تاريخـيـا لدينا، لزم علينا التوصل إلى أن أهل الجبال المجاورة وسكانها كانوا ينعتون هم بدورهم في نفس الفترة بجبالة وبالجبليين.

والسؤال المطروح متعلق بظاهرة اختـفـاء وظهـور لفظ جبالة رغم ما علمناه من قدم تداوله. وقبل كل شيء ينبغي الاعـتـراف بأن الاخـتـفـاء المقـصـود هو مـايخص الكتـابة التاريخية لاغير، أما تداوله الشفاهي العادي فـقد ظل مستمراً ثابتاً في عرف أهل المنطقة وغيرها.

يخضع ظهور واختفاء لفظ جبالة من كتاباتنا التاريخية حسب نظرنا لاعتبارات مرتبطة بالأحداث الهامة التي تجلب عادة أنظار كـتـاب أحداث التـاريخ وهم يتـابعـون خطوات الحركات السلطانيـة، واعتبـارات أخرى متـعلقـة بالطوارئ الداخلة على التنظيـمات الإدارية التي يقوم بها المخزن من وقت لآخر.

1) فـاحـتـجـاب لفظ جـبـالة واخـتـفـاؤه من الكتـابات التـاريخـيـة إلى غـاية منتصف القرن الثـاني عـشـر (18 م) عائد إلى سيادة وغلبة كل من لفظي غمارة وإقليم الهبط.

2) ولا يفـسـر ظهوره في آخر القرن الحادي عشر سوى القرار الإسماعيلي بخلق قيـادة جامعة بين جبالة الأصلية والهبط الأصلي أول الأمر لتضاف إليـهـما غـمارة الأصلية أيضاً، تحت إشراف الأسرة الحمامية التمسمانية، قاعدتها الأولى مدينة القصر الكبير والثانية بعدها مدينة تطوان.

3) وسيـترتب عن تفكك وحدة السلطة الإدارية بالشمال الغربي وتقسيمـها إلى عدة قيـادات عودة لفظ جبالة إلى الاحتـجاب، فهـذا هـو ما حدث خلال القرن الثالث عـشـر (19 م) ابتداء من عـهـد السلطان عبد الرحمان بن هشـام. وآنذاك وجدنا الشمال الغربي موزعا إلى ثلاث عمالات :

عمالة تطوان التي كانت متحكمة في الجزء الجبلي الشرقي الممتد بين تطوان والجبهة، أي غمارة الأصلية وقسم من جبالة الأصلية، ثم عمالة طنجة التي ضمت المنطقة المشرفة على ساحل المضيق مع التعمق جهة الجنوب نحو جبل حبيب، أي الجزء الشمالي من جبالة الأصلية. وعمالة الغرب التي كانت متركزة بمدينة العرائش.

4) وهناك سبب آخر دفع لفظ جبالة للعودة إلى الظهور على صفحات الكتابات الأجنبية الآخذة بنظرة وحدة الشمال الغربي الجغرافية، دون اعتبار للتقسيم الإداري القائم آنذاك على عهد سلاطين المغرب، بدءاً من الحسن الأول. ويمكن تأريخ ذلك بأواخر القرن الثاني عشر وبداية الذي يليه. ونجد المثال الحي في الحيز الهام الذي خصه أو غسط موليراس في كتابه *المغرب المجهول*. ولابد أيضاً من تصفح المصادر الإسبانية لأخذ نفس الفكرة عن المجال الجغرافي الذي يطلق عليه لفظ جبالة خلال هذه الفترة.

ومن الملاحظ اليوم عودة لفظ جبالة إلى الاحتجاب من مصنفاتنا ومن القاموس الإداري بعد دخول المغرب في مرحلة الاستقلال. وربما كان ماسبقت إليه من احتجاب لفظ جبالة مشابها لما نراه نحن اليوم.

عبدالكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، ص. 143، تح. أ. بنعدادة ؛ محمد الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، ص. 106 ـ 144 ـ 145 ـ 160 ؛ كناش خ. ح. بالرباط رقم 126 ص. 55 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري*، 1 : 36 ؛ *القصر الكبير قاعدة بلاد الهبط*، نشرة مجموعة البحث حول جبالة ؛ *وثيقة خاصة* بتاريخ 29 رجب عام 1260 هـ ؛ *وثيقة أخرى* بتاريخ 4 جمادى الثانية عام 1316 ؛ *خرائط المغرب القديمة. خريطة 1848*، القسم الخرائطي بالرباط ؛ *خريطة منطقة الحماية الإسبانية، 1936*.
Mouliéras, *Maroc inconnu*, 2 : 769 ; *Nuestro protectorado El Rif Yebala*, p. 201 - 224 ; D. Berenguer, *Campañas en el Rif y Yebala* ; A. Riera, *España en Marruecos* ; Alta Comisaria de la Republica espanola, *Vademecum*, Ceuta 1931 ; Comision Historica de las Campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos* 2, Madrid, 1936 ; A. Cabrera, *Al-Maghreb Al Aksa*, Madrid, 1924.

حسن الفكيكي

**جبالة**. ـ جغرافيا ـ يعود تحديد جبالة لأصول تاريخية وإدارية، إذ كانت تسمى عمالة الهبط في أيام الوطاسيين (حسن الوزان).

وبعدما كانت منطقة جبالة محسوبة على قبيلة واحدة هي غمارة، أصبحت تتألف حالياً من أكثر من أربعين قبيلة تفرعت عن مصمودة وصنهاجة والبرانس والقبائل العربية، تستوطن الريف الأوسط والغربي ومقدمة الريف ؛ بعضها استقر بإيعاز من المخزن لضمان سلامة الطريق بين فاس وطنجة (Khallouk Temsamani, 1996 ; Vignet Zunz, 1995) وهي منطقة محاطة بمجموعة من الحواضر التي تدل على تعمير قديم يعود إلى عهود ما قبل الميلاد : (لكسوس، طنجيس، تمودة ...) تجدد في العصر المرابطي والموحدي أيام أوج المد الاسلامي الأندلسي (بادس، نكور) ليشهد بداية التراجع والانغلاق أيام السعديين (Troin, 1986 ; Michaux-Bellaire et Salmon, 1905).

تعني "جبالة" سكان المناطق الجبلية الواقعة بالجزء الغربي من سلسلة جبال الريف بدءاً من خط طولي يربط حجرة بادس على البحر المتوسط شمالاً ومدينة تازا في الجنوب وحتى شبه جزيرة طنجة. وهو تحديد يميز هذه الجهة عما يمكن نعته ب "ريافة" أي ساكنة الجزء الشرقي من السلسلة الممتد حتى مجرى نهر ملوية (Martin, 1964).

ذهب العديد من الجغرافيين (Maurer, 1968) إلى التمييز بين "جبالة"، وتوافق الريف الرطب المخضر، وبين "الريف" أي الجزء الشرقي من السلسلة وهو ميدان شبه جاف وقاحل ؛ أو بين جبالة الشرقية وجبالة الغربية والشاطئ الاطلنتي (Joly, 1960). كما أن شبه جزيرة طنجة تمثل الجزء الغربي فقط من جبالة (El Gharbaoui, 1981)...

إذن يقتضي تحديد منطقة جبالة جغرافيا مرونة تتفادى الاعتبارات القبلية الموروثة (غمارة، بني حسان، بني عروس، الخلط، الجيش ...) أو المرتبطة بوحدات جغرافية متعارف عليها (الريف الأوسط، الريف الغربي، الهبط، شبه جزيرة طنجة ...) أو ذات بعد سلالي يعتمد التمييز بين الأصل والفصل على مستوى الأنساب والأسبقية اللغوية ؛ أو ذات مرجعية تاريخية بحكم أنها شهدت فترات مد وجزر الحضارة الإسلامية المغربية ـ الأندلسية. فمن شأن محاولة تدقيق المقصود أصلا بجبالة الدخول في متاهات لم يحصل أي توافق بشأنها من لدن الباحثين، لذلك يجدر اعتبار جبالة هي الشطر الغربي من جبال الريف بما في ذلك غمارة على الواجهة المتوسطية وشبه جزيرة طنجة ثم مقدمة الريف.

جبالة شكل 1

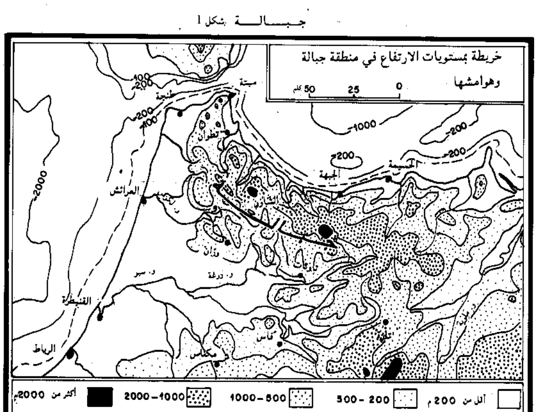

يتمحور الاتجاه العام للتضاريس من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي (شكل 1) وهو يغاير الاتجاه المعهود في باقي الجبال المغربية لأسباب بنيوية وبنائية، مرتبطة بنشأة السلاسل الألبية، وهو اتجاه يضفي عليها أشكالاً تضاريسية طولية.

تشرف جبالة على ثلاث واجهات بحرية هي المتوسط، والبوغاز والأطلنتي، وهذا يكسبها موقعا متقدماً باتجاه أوربا وميزة مناخية تتمثل في مقادير أمطار وفيرة ومصادر مياه تؤمن لها شبكة هدرلوجية كثيفة.

تمتاز جبالة بتضاريس ممزقة ذات أودية شديدة التعمق تفصل بينها أعراف وقمم تارة كوارتزيتية وتارة كلسية وتارة أخرى حثية. وهي مجزأة بفعل شبكة كثيفة من المجاري المائية التي تأخذ وجهات متغايرة صوب البحر المتوسط (بحر البرهان) أو بحر البوغاز أو المحيط الاطلنتي. ارتفاعاتها لا تتجاوز 1500م إلا في بعض القمم، ونادرا ما تفوق 1000م في الجهات الغربية حيث تتحول التضاريس من حالتها الجبلية إلى مجال متنوع تسوده التلال والمنخفضات وسهول تناسب سفوح الهبط أو بمحاذاة أودية لمحرحر، لكوس، .ردات أو ورغة.

إشراف جبالة على البحر المتوسط شمالاً يكسبها موقعا ذا بعد متوسطي وتقابلا مع القارة الأوربية ومراقبة لأحد أكبر الممرات المائية بالعالم (ممر جبل طارق).

تنتظم سواحل جبالة كما يلي :

- يمتد الجزء المحاذي للبوغاز ما بين سبتة ورأس سبارتل على مسافة 50 كلم قاطعا بكيفية متعامدة عدداً من الوحدات الطولية إما على شكل جبال أو خلجان.

- يمتد الساحل المتوسطي ما بين سبتة ورأس الصيادين (الجبهة) على مسافة 130 كلم وهو في جزئه الجنوبي (جنوب واد مرتيل) ساحل صخري شديد التمزق يمتاز بالوعورة والانحدارات (25° ـ 45°) ضمن تكوينات بني بوزرع التي تشرف مباشرة على البحر بمئات الأمتار (600م إلى 400م). ولا ينفتح هذا الشاطئ إلا على مخارج بعض الأودية (أمسة، لاو، تجيساس، متر، تاغزوت، ورينجة).

- بين رأس سبارتيل ومصب نهر اللكوس حيث تقوم مدن أصيلة والعرائش، يمتد الشاطئ الأطلنتي على مسافة 80 كلم ضمن إرسابات البحار الرباعية أو التراكمات القارية الحمراء الممتدة شمالاً وجنوباً حتى مشارف سهل الغرب.

تنتشر جبالة على وحدات جيلوجية متباينة في أصولها البنيوية والتكتونية (شكل 2) منها ما ينتسب إلى الريف الداخلي والظهر الكلسي، كما أن بعضها محسوب على الريف الخارجي (Piqué, 1994) بما في ذلك الريف الأوسط والريف الغربي المتكونان من وحدات غمارة، كتامة، طنجة، لكوس، وزان، وفرشات متعددة منها فرشة تزيغن والفرشة النوميدية ...، وقد دأب الباحثون على التمييز بين أربعة نطاقات هلالية هي كما يلي :

1 ـ الريف الداخلي Rif interne، ينتمي هذا النطاق إلى صفيحة البرهان التي انفردت خلال الزمن الثاني بين إفريقيا وأوربا ؛ ويتألف من عدة وحدات بلورية ورسوبية :

- البلورية أو السبتية (نسبة إلى سبتة) تتشكل من بريدوتيت وغنس وميكاشست وشست متحول.

- الرسوبية تناسب وحدة غمارة والصخور الأولية وغطاء الزمن الثاني المحيط بها .. بالإضافة إلى فرشات الفليش التي تناسب إرسابات فتاتية توضعت في منخفض عميق على هامش صفيحة البرهان، وذلك على امتداد الكريتاسي والاليجوسين والميوسين.

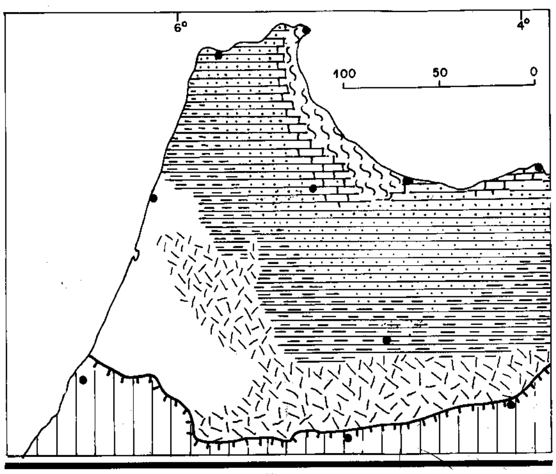


جبالة
الوحدات الجيلوجية شكل 2

2 ـ الظهر الكلسي Dorsale calcaire، يتألف من مجموعة من الكتل : الحوز بالشمال الغربي، وصنهاجة السراير في الوسط وكتلة بقّويه شرق بني بويفراح. ومن أهم جبال هذه الوحدة : موسى، الحوز، غرغيز، كلتي، لقرع، تيسوكا ...، وهي عادة ما تشكل خط مفترق المياه بين الأحواض المتوسطية والأطلنتية.

يمتاز هذا الحزام الكاربوناتي بارتفاعات تقارب 2000 م وباستقرار كثيف للمداشر على جوانبه (حوالي العيون). واعتباراً لميل طبقات الكلس وأوضاعها الشبه عمودية إضافة إلى شروط مناخية مناسبة، تفرز هذه الجبال نماذج كارستية سطحية وباطنية نتيجة تحلل الصخور الكلسية. فلا غرابة إذن من وجود أحد أعمق الهوات الكارستية في العالم (هوة تغوبيت) جنوب جبل بوحلا، على بعد بضع كلمترات شمال غربي الشرافات (خريطة باب تازا 1/ 50.000) بعمق يناهز 400 م وطول مسالك تزيد عن الكلمتر مع تعدد القاعات الفسيحة (Thauvin, 1971).

3 ـ الريف الخارجي Rif externe يستقطب هذا النطاق كل المجالات التي تلي الظهر الكلسي إلى الغرب والجنوب،

يمتد على مسافة 200 كلم من طنجة إلى شرق تاونات بعرض لا يقل عن 40 كلم. وهو من منظور الجغرافيا القديمة يناسب أخدودا تمركز على الهامش شمال الافريقي، امتلأ بتوضعات سميكة من الزمنين الثاني والثالث ؛ وهو يتميز عن باقي المجالات الريفية بتكويناته وصخوره الصلصالية والفريشية.

تتشكل أعلى مستويات هذا الجزء في الغرب ؛ صخوره حثية سليسية قد يصل سمكها مئات الأمتار ضمن طبقات تفرق بينها مستويات طينية. هذه السحنات تعرف بالسحنات النوميدية التي يرجعها البعض إلي مخلفات فرشة كبيرة كانت تغلف السواحل المغاربية والأندلسية، لم يتبق منها حاليا إلا أحجام منعزلة ذات اتجاه شمالي غربي - جنوبي شرقي. وهي تشرف بانحدارات قوية ضمن صلصال الاكيتاني على فرشة طنجة وأحيانا ترتبط بها بواسطة تغليفات وتراكمات سفحية من الرباعي القديم تستقر فوقها أشجار البلوط الفليني (جبل خزانة، جبل سكنى، جبل بوهاشم ، جبل حبيب ...). وأفضل نموذج لهذه الأعراف النوميدية جبل العلم (1338 م) الذي يستقر فوقه مقام مولاي عبد السلام بن مشيش.

بيّن عدد من الدارسين (Asebriy, 1994 ; Michard, 1976 ; Suter, 1965 ; El Gharbaoui, 1981 ; Piqué, 1994). أن الريف الداخلي يوجد في وضع زاحف نحو الجنوب الغربي والجنوب أي فوق وحدات الفليش التي بدورها تتوضع فوق الوحدات الخارجية، وقد ساهم حادثا "تكور" و "الجبهة - الشرفات" بكيفية فعالة في بناء هذه السلسلة بدليل اختراقهما شبه الأفقي الممتد لكل من الريف الشرقي والأوسط، وهي طبعا معطيات تكتونية مغايرة لبنائية الأطلس نظراً لانتشار الوحدات الرسوبية أو النقلية المصاحبة للأرساب.

مقدمة الريف Prérif : هي الهامش الجنوبي الأقل ارتفاعا والأنسب للأنشطة الزراعية من مجالات جبالة الأخرى. وهو الأحدث نشأة لا على المستوى الرسوبي فحسب (توضعات سميكة لمواد صلصالية ميوسينية) وإنما على المستوى التكتوني حيث شهد تنقل كتل متغايرة الأحجام والأعمار من الشمال إلي الجنوب نتيجة انزلاقها وتراكبها في قعر بحر الميوسين. لذلك يعمل الجيلوجيون على التمييز بكثير من التعميم بين :

- أراضي نقلية على شكل قدات (ملح، جبس، كلس، حث، صلصال ...) عادة ما تنتمي إلى الترياس والكريتاسي والإيوسين والاليجوسين ؛
- قاعدة صلصالية محلية (ميوسين).

وينتهي هذا النطاق النصف دائري الزاحف فوق الأقاليم الجيلوجية المجاورة كالأطلس المتوسط، وسايس، والهضبة الوسطى.

عرفت صفيحتا أوربا وإفريقيا وبينهما صفيحة البرهان خلال الزمن الثالث فترة تحدد خلالها تطور التضاريس بمنطقة جبالة كما في باقي المجال الريفي، بحيث نشطت الحوادث العميقة وتجدد نشاط الانكسارات السابقة وتوالى التشويه التكتوني في جنوب الريف مما أدى إلى تراكب الوحدات النقلية.

تتعدد القمم الطولية لأسباب بنيوية أو لتقطيع الأودية التي تتألف لتشكيل أحواض ورغة ولكوس وتاحضارت ومارتيل ولاو.. كما تكثر المنخفضات والسهول في شبه جزيرة طنجة بأحجام متباينة إلى حد يوحي بغلبتها خاصة على طول الأودية أو عند مصبها أو في قدم السفوح الممتدة في الأجزاء الغربية المحاذية للشاطئ الأطلنتي (منخفض الفحص، دار الشاوي، بني عروس). وهذا يفيد بتطور متسارع وعنيف لتشكيلات الزمن الرابع المرتبطة بالتفسخ والتعرية المتغايرة وتراكم المواد المفرغة من الأعالي الجبلية ونشرها في الهوامش (هضاب الرمل وخميس الساحل وأصيلة) ثم ما يتبع ذلك من إنشاء الأتربة السميكة وتطورها (El Gharbaoui, 1981) وفق الشروط المناخية والنباتية السائدة (Benabid, 1984).

وتعتبر الصفوف ظاهرة تضاريسية بارزة من حيث إنها تفصل الريف الأوسط عن مقدمة الريف بين وزان وحتى منطقة كهف الغار وتايناست شمال تازا.

كذلك نجد القمم المعزولة والممتدة حسب الاتجاه السائد محاطة بسفوح وحادورات متوسطة إلى ضعيفة الانحدار تنتهي عند مجرى الماء ليبدأ في الواجهة لمقابلة نفس الشكل السفحي مما يجعل التضاريس مهواة ومفتوحة أكثر من حالتها في الريف الأوسط والشرقي.

أما تضاريس الساحل فغلبة الحافات والأجراف البحرية يقابلها قلة الشواطئ الرملية (مرتيل، خليج طنجة، أصيلة) وهي خاصية طبيعية ساهمت في بقاء المنطقة والمغرب عامة مجالا منيعا عن كل غزو.

مناخ منطقة جبالة من النوع المتوسطي، شتاؤه معتدل ورطب، وصيفه جاف وحار ؛ تساقطاته تتوزع بين الخريف (25٪) والشتاء (50٪) والربيع (25٪). أما المعدل السنوي للأمطار فهو يتجاوز 500 مم / سنة بمقدمة الريف لتتساوى التساقطات الملمترية بمقدار الارتفاع فوق الجبال. بحيث تزيد في كثير من الحالات عن 1500 مم / سنة (جدول 1).

ويضفي موقع المنطقة على المجال الحدودي بين الواجهة الأطلنتية وإقليم البحر المتوسط الغربي خاصية التنوع. فالواجهة الأطلنتية تخضع لدينامية المرتفع الاسوري التي تفسر بأسباب فزيائية كونية ؛ أما ضغوط غرب المتوسط فهي مرتبطة بمنخفض البليار، وتأثيره ضعيف على السواحل الشمالية.

تتعرض جبالة أحيانا إلى تسلل ما يعرف بالنقط الباردة خلال ضعف التيار النفاث (Jet Stream) ؛ فتحول دون تصاعد الهواء الرطب متسببة في أمطار عاصفية وطوفانية فوق المرتفعات. وفي الظروف العادية تسجل

التساقطات تزايداً ملحوظاً من الغرب نحو الشرق إضافة إلى تزايدها مع الارتفاع.

ويتميز مناخ هذه المنطقة كذلك بما تسببه رياح الشرقي من نقص في الرطوبة خلال فصل الصيف عكس ما يحصل خلال فصل الشتاء حيث ترتفع الرطوبة بفعل تأثير التيارات البحرية المتصاعدة (upwelling) من الرصيف القاري في عرض الساحل بين رأس سبارتيل ومولاي بوسلهام فيعم الضباب المنخفضات والأودية.

تتناسب التشكيلات النباتية مع الأوضاع الطبغوافية والبيئة المناخية الرطبة وشبه الرطبة (الأرز، البلوط بأنواعه، العرعر، الضرو، الزبوج، الخروب...) غير أن الغطاء النباتي تعرض لعملية اجتثات متوالية بوتيرة تصاعدية خلال الربع الأخير من القرن العشرين (حرائق مفتعلة، إزالة مقصودة للغابة، تحايل من أجل تملك الأرض..) فبعد أن كانت غابات جبالة تغطي أكثر من 50٪ من الأراضي في حدود منتصف القرن (بشهادة السكان والدراسات المتخصصة) أصبح هذا المجال أرضاً عراءً بنسب مهولة (90٪)، يفتقد إلى الغابة حالياً وإلى الأتربة مستقبلاً.

وبالنظر إلى الفراغ النباتي المتزايد وسيادة الصخور غير النافذة بهذه المنطقة فإن الجريان يكون آنيا يؤدي إلى امتلاء الأودية عن آخرها وقت التهاطل (أكتوبر - أبريل) لتجف طوال الأشهر الجافة (ماي - شتنبر) وتعتبر التساقطات ونوع الركيزة الصخرية والانحدار مصدر دينامية التعرية التي تزيل ما تبقى للسفوح من أتربة. وحين يستقر الجفاف المستديم بأضراره، أو تصيب الرخات والعواصف المطرية والرعدية (خاصة الخريفية) فإن الأتربة المفككة تتعرض للزوال، وهذا يعني تعاقب التعرية المائية والريحية. وما فيضانات 4 شتنبر 1995 وما أسفرت عنه من إتلاف شبه كلي للأتربة فوق سفوح مقدمة الريف (بما في ذلك أولاد زباير، عين كدح، وطابوعبان، تيسة، القرية) إلا مثال لمخاطر التعرية ومخلفاتها الكارثية التي تتهدد المنطقة.

جدول 1 : الحرارة والتساقطات ببعض محطات منطقة جبالة

| المحطة | خط طول | خط عرض | ارتفاع (م) | معدل حرارة دنيا | معدل حرارة عليا | الأمطار (مم/سنة) |
|---|---|---|---|---|---|---|
| العرائش | 6°09' | 35°11' | 10 | 6 | 26,9 | 756 |
| أصيلة | 6°02' | 35°28' | 12 | 7 | 28,5 | 758 |
| طنجة | 5°49' | 35°47' | 75 | 8,5 | 28,6 | 745 |
| تطوان | 5°22' | 35°34' | 5 | 8,6 | 30,2 | 770 |
| واد لاو | 5°04' | 35°26' | 3 | 8,1 | 32,7 | 485 |
| الجبهة | 4°40' | 35°14' | 2 | -- | -- | 358 |
| الشاون | 5°15' | 35°10' | 280 | 5,9 | 33,9 | 893 |
| وزان | 5°38' | 34°47' | 164 | 5,3 | 35,1 | 885 |
| تاونات | 4°37' | 34°32' | 668 | 4,9 | 36,5 | 761 |
| تايناست | 4°08' | 34°33' | 1250 | 1,6 | 35 | 1058 |

تعتبر قياسات الحمولة الصلبة (جدول 2) في هذه المنطقة استثنائية ومهولة بحيث بلغت بمحطة لمجعرة حوالي 15 مليون طن بين 1960 و1990. وقد سجلت نفس المحطة سنة 1963 ما مجموعة 2760 مليون م$^3$ خلال 20 يوما (أي ما يعادل حجم تخزين سد الوحدة خلال سنة). ولاشك أن ما سجل خلال الموسم الأخير (1995 - 1996) قد تجاوز ذلك بكثير.

جدول 2 : حمولة المجاري المائية مؤشر على عنف التعرية (عن Heusch, 1970 a et b، بتصرف)

| الــواد | محطة القياس | مساحة الحوض كم2 | التعرية ط/كم2 / سنة |
|---|---|---|---|
| السرى | قنطرة سكير | 486 | 3500 |
| أولاي | غفساي | 776 | 2960 |
| أودور | تافرانت | 1039 | 3850 |
| ورغة | المجعرة | 6183 | 2250 |

تعبر كميات التعرية بمختلف الأحواض عن إزالة مهولة للاتربة تتحمل حقينات السدود تبعاتها.

مظاهر حركية السفوح : تتميز السفوح النشيطة بشكل عام مقعر، تفصل بينها تضاريس المتون والتلال. وتتجلى مظاهر ديناميتها في توالي أشكال مقببة منتفخة ذات قطاع محدب وأخرى منخفضة تحتقن بها المياه لأسابيع وشهور. وهي مظاهر تتجدد خلال السنوات المطيرة كسنوات 62 - 1963 و69 - 1970 و95 - 1996. وقد تختفي معالم الانزلاقات بسبب استصلاح الأراضي وعمليات الحرث والغرس وبناء الأسوار...

كما أن كثرة الشعاب وتعمقها المتزايد دليل على سيادة دينامية فعالة ومتجددة. تأخذ مظاهر التعرية والتصريف بمختلف أشكالها أهميتها من أغلفة الاستثمارات الهيدروفلاحية الموظفة بمحيط جبالة والتي تتمثل في أكبر حقينة سد مغربي (سد الوحدة) بالإضافة إلى سدود أخرى (واد المخازن، الحاشف، ابن بطوطة، اسمير، تلمبوط، النخلة). فالتعرية القوية تفرغ هذه المشاريع وتحكم عليها بالمحدودية (Jeanette et Millies-La Croix, 1965).

وهكذا تعرف سفوح جبالة دينامية كتلية من حيث الحجم بأبعاده الثلاثة، فهي تتعرض لتغيرات فجائية أو مستمرة في أشكالها من جراء حركات نميز فيها بين :

- الدحب reptation : ظاهرة تعم الصخور الهشة تتمثل في حركة سطحية للفتاتات الدقيقة تؤثر في وضعية التربة التي تنتقل مع مرور المواسم نحو أسفل السفح.
- انهيال éboulement : وهي سقوط أحجام متغايرة من الصخور الصلبة بفعل الجاذبية أو الاهتزاز أو تشبع الحافات بالمياه، فتنفصل الأجزاء وتتراكم في قدم الحافات الكلسية أو الحثية أو الصفوف حسب مقدار الإشراف وحجم المواد :

وهذه حالة تصاحب الاهتزازات الأرضية (الحسيمة، ماي 1994) كما تتأثر بطبيعة الصخور والانحدار.

- انهيار écroulement ؛ يناسب انفصال جزء من واجهة الجرف ونزوله بكيفية فجائية دون انتظام على الأراضي السفلية فيتسبب في أضرار قد تترتب عنها أحداث كارثية إذا اعترض مسارها تجمعات سكنية (الشرافات ـ 1973).

- انسياخ solifluxion ؛ قد تتناسب مع ما تخلفه ممرات القطعان فوق السفوح الصلصالية القوية الانحدار، كما تنشأ بفعل ضغط دكات الثلوج حيث يكون تشققها سبباً في انتشار أشكال الانزلاق بسمك ضعيف لكنه يشوه السطح ويتلف التربة.

- نسف fauchage ؛ يحدث حين تتعرض الصخور للتمدد وللتقلص ولنفاذية الماء، وهي ظاهرة تكثر في المتواليات الشيستية والنضيد والميكاشست القوية الميل ؛ وللانحدار دور فعال في تكرارها على طول ساحل الريف الداخلي بين الجبهة وواد لاو.

- اندكاك tassement ؛ تنفصل أجزاء كاملة من المستويات الصلبة المشرفة فتحصل قطيعة مع الحافة الأصلية ثم يغوص الجزء المنعزل ببطء في القاعدة الهشة أو ضمن الصخور اللزجة. فيحصل انتفاخ وتقبب في أسفل السفوح. وهو مظهر شائع بمجموع مقدمة الريف وبالريف الأوسط.

7 ـ انزلاق دوار glissement rotationnel ؛ يتحقق هذا النوع في أوضاع صخرية هشة ومتجانسة. يبدأ الانزلاق من الأعلى بواسطة شق نصف دائري ثم تتوالى شقوق ثانوية متدرجة في أسفل السفح تفصل بين مستويات منبسطة أو مقعرة تحتقن بها المياه (المرجات) وأخرى مقببة تعمل على إيقاف وفرملة الانزلاق كما قد تنتهي بألسنة لزجة متحركة. وفي العمق يمتد الوجه السفلي للانزلاق وفق أقل المستويات احتكاكا. وتمثل انزلاقات سفوح باب تازا، باب بَرِّد وتاونات وجل السفوح الواقعة تحت إشراف الحث النوميدي مجالات يسود بها هذا النوع من التشكيل.

ومن مخلفات هذه الديناميات كذلك ما تشكله من احتمالات بحدوث خسائر من جراء مخاطر تهدد حياة الإنسان وتتعرض لها المنشآت.

يجمع المختصون على أن ساكنة الريف نجحت في سالف عهودها في استغلال جيد لإمكانات طبيعية تمتاز بوفرة المياه والغابات ؛ في حين أن ما يناهز 2,5 مليون نسمة حاليا (في جبالة فقط) تعاني من صعوبة التوفيق بين متطلبات العيش والمصادر الأولية.

ورغم تعدد الهيئات الوصية (مشروع الريف الغربي، مشروع سبو، مشروع تيسة القرية، المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس ثم وكالة تنمية الأقاليم الشمالية) فإن دراسة التعرية بقيت دون مستوى العلاج الناجع ويغلب عليها الطابع الإحصائي ؛ فالمسألة لا تقتضي فقط إظهار نماذج وأصناف الإزالة الترابية :قطع الغابة، تفكك البنيات الترابية، عدوانية مناخية، سيل غشائي سائح، تخديد عميق أو مركز، أساحل، استقرار مظاهر التصحر... مرفقة بإحصاءات من أجل حث المسؤولين والمستثمرين والفلاحين على معالجتها. بل أكثر من ذلك ما تنتظره منطقة جبالة هو النظرة الشمولية المتكاملة لمشروع تنمية مستديمة ومستمرة تحفظ للطبيعة بالبقية الباقية من عناصرها الحيوية والإحيائية، ولسكانها بمستوى عيش من حجم طموحاتهم.

تشكل جبال الريف 10٪ من مساحة المغرب وتؤوي أزيد من 5 ملايين نسمة (20٪ من السكان) 80٪منهم سكان قرويون. وتظهر ساكنة مجال جبالة كثافات هائلة (150 نسمة / كلم$^2$) تناهز ثلاثة أضعاف المعدل الوطني. أما سكان الحواضر فيتوزعون بين مدن كبرى (طنجة، تطوان، العرائش، القصر الكبير) وأخرى أصغر منها (الشاون، تاونات، قرية بَّا محمد، وزان، أصيلا، واد لاو...) دون احتساب سبتة الخاضعة للاحتلال الإسباني. وقد ساهمت هذه الكثافات في هجرة أعداد مهمة من السكان نحو أوربا بحثا عن ظروف عيش أفضل.

ينتظم سكان جبالة ضمن عشرات القبائل المتفرعة عن مصمودة وصنهاجة والبرانس والعرب... ؛ يحيط بهذه المنطقة شريط ساحلي لا يقل عن 300 كلم تستقر فوقه جل الأنشطة الصناعية والخدماتية المرتبطة بالمدن، وأخرى تختص بالصيد (العرائش، أصيلة، المضيق، واد لاو، بوأحمد، الجبهة) أو بالنقل البحري (محور طنجة ومحور سبتة ـ تطوان) أو إلى أمد قريب جداً بتجارة التهريب والسوق السوداء مع ما تسببه من بوار للقطاعات المنتجة محليا ووطنيا. تستقطب طنجة وتطوان جل الصناعات الحديثة على تنوعها (غذائية، تحويلية، نسيجية، كيماوية، إلكترونية) وتتوزع الخدمات المرتبطة بسياحة المصايف بين واد لاو، مرتيل، رستينكا، خليج طنجة، أصيلة، الشاون...

ومن جهة أخرى ترتبط الأنشطة البشرية الجبلية بزراعة الحبوب والقطاني (تلال مقدمة الريف) ومغارس الزيتون والتين (وزان، تاونات، تازا) وتعتمد في ذلك أساليب تقليدية بعدما تخلت تدريجيا عن الرعي. فيما تتجه الجهود إلى طرح بدائل لوقف انتشار الزراعات الممنوعة (الكيف) التي عرفت تطوراً متسارعاً خلال العشرين سنة الأخيرة من القرن العشرين، بالطبع على حساب المجال الغابوي والفلاحي.

أما في أقدام السفوح والمنخفضات فاتجهت المزروعات منحى جديداً يعتمد السقي بالرش واستغلال كثيف للأرض من أجل تسويق منتجات المضاربة، بعضها لتزويد الأسواق الاروبية. وتعتبر منطقة اللكوس من أهم القطاعات الهيدروفلاحية التي تزود المنطقة بقصب السكر، الشمندر، الفراولة، الفول السوداني، الخضراوات...

غير أن القطاع الفلاحي، على أهميته يعاني حالياً من **تقلص في غنى التربة وتراجع في مردوديتها عن كل هكتار**. من هنا يصبح لانتاجية التربة موقع حيوي بالنسبة للاستقرار البشري ومدى استعداد السكان للبقاء ومقاومة النزوع إلى الهجرة.

إنّ منطقة جبالة جزء من سلسلة جبلية حديثة تمثل النهاية الجنوبية الغربية لحوض البحر المتوسط، وتمتاز ببناء جيلوجي متداخل زاد من تعقيده نشاط بنائي ألبي. أفرز به التطور المرفلوجي مظاهر سطح متنوعة ساهمت في تشكيلات بيومناخية غنية. إلا أن السفوح تخضع بهذا المجال إلى دينامية تعرية عنيفة داخل الأودية وعلى السواحل.

يتخلل مناخ جبالة، رغم ملامحه المتوسطية، استثناءات قاسية وعدوانية تارة يتسبب فيها الجفاف (1995) وتارة تنتج عن العواصف الرعدية والأمطار الطوفانية (1995 / 1996). وباتفاق الجميع تعتبر البنيات الأساسية بالريف وجبالة بنيات هزيلة أو منعدمة أو أصابها التلف كما لا ترقى لتلبية حاجيات السكان المتزايدة. ومن المتناقضات أن قرب هذه المنطقة من أوربا (كمحور اقتصادي عالمي) لا ينعكس على مستوى تجهيزاتها. وما يواجه مجال جبالة لا ينحصر في مجرد توازنات بل يتعداها إلى إشكالية بيئية تزداد تأزما بخطر نفاد المصادر الأولية (غذاء نباتي، مياه، أتربة). والمؤكد هو أن مقاومة انجراف التربة عملية تتطلب تدخلا عاجلا ومتواصلا بوسائل تتعدى قدرات الأفراد والجماعات إلى إمكانات من حجم الدولة.

من ردود فعل الكثافة السكانية وتداعي التوازنات داخل المنظومة الطبيعية في جبالة ترسخ القناعة لدى السكان بالهجرة نحو السواحل والنفور من الجهات الجبلية. غير أن التكدس المتزايد على السواحل أدى إلى بروز ظاهرة تصحر مماثلة هناك أيضاً ؛ وقد بدأنا نشهد معالم ذلك على طول الشريط الساحلي للغرب والمعمورة كما في الريف وجبالة.


م. حسن الوزاني، 1982، *مذكرات حياة وجهاد 2 حرب الريف*، بيروت، ص. 464 ؛ محمد بن تاويت، 1982، *تاريخ سبتة*، الدار البيضاء، ص. 231.

L. Asebriy, *Evolution tectonique et métamorphique du Rif central, définition du domaine subrifain.* Thèse d'Etat, Univ. de Rabat, 1994, 284 p. ; A. Benabid, *Etudes phytosociologique et phytodynamique et leur utilité. Ann. Rech. Forest. du Maroc*, n° 24, 1984, pp. 3-35 ; *Bulletin de l'Enseignement Public du Maroc, Rif et Jbala*, n° 71, 1926, p. 89 ; J. Dresch, *Systèmes d'érosion en Afrique du Nord, RGL*, vol. 28, n° 3, pp. 253-260, 1953 ; *Les changements de climat et les mouvements de sol en Afrique du Nord*, 1960 ; A. El Gharbaoui, *La terre et l'homme dans la péninsule Tingitane, étude sur l'homme et le milieu naturel dans le Rif occidental*, Rabat, 1981, p. 439 ; B. Heusch, *L'érosion dans le Prérif, une étude quantitative de l'érosion hydrique dans les collines marneuses du Prérif occidental. Ann. Rech. Forest. Maroc*, n° 12, 1970 a, pp. 9-176 ; *L'érosion hydraulique au Maroc : son calcul et son contrôle, Al Awamia* n° 36, 1970 b, pp. 39-63 ; A. Jeannette et A. Milles-Lacroix, *La lutte contre l'érosion dans le domaine rifain, Mines et Géologie*, n° 23, 1965 ; F. Joly, *Une carte au 1/1.000.000 de l'utilisation du sol au Maroc, application de la méthode cartographique à la recherche des régions géographiques*, p. 115, annexe de cartes ; A. Khallouk Temsamani, *Pays Jbala, Makhzen, Espagne et Ahmed Raissouni.* Tanger, 1996, p. 121 ; J. Martin (et al.), *Géographie du Maroc*, Paris, 1964, p. 253 ; G. Maurer, *Les montagnes du Rif central, étude géomorphologique.* Rabat 1968 (*Travaux de l'Institut Scientifique, série géologie et géographie physique*, n° 14), p. 499 ; A. Michard, *Eléments de géologie marocaine.* Rabat 1976 (*Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, n° 252) ; Michaux-Bellaire et G. Salmon, *Les tribus arabes de la vallée du Lekkous, A.M.*, 1905, p. 443 ; A. Piqué, *Géologie du Maroc, les domaines régionaux et leur évolution structurale*, Rabat, 1994, p. 284 ; G. Suter, *Carte géologique du Rif au 1/500.000*, Rabat, 1965 (*Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*) ; J.P. Thauvin, *Ressources en eau du Maroc, domaine du Rif et du Maroc oriental.* Rabat, 1971, (*Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, n° 231), T. 1, p. 321 ; J. F. Troin, *Montagnes et villes dans le Nord-ouest du Maroc. R.O.M.M.*, n° 41-42, 1986 ; Université Mohammed V et Université Abdelamalek Es-Saâdi, *Tanger 1800 - 1956. Contribution à l'histoire récente du Maroc*, Rabat, 1991, p. 550 ; J. Vignet-Zunz, *Djebala. E. B.*, XVI, 1995, pp. 2398-2408 ; W. Wildi, *La chaîne tello-rifaine : structure, stratégie et évolution du Trias au Miocène. Rev. de Géol. Dyn. et de Géog. Phys.*, vol. 24, n° 3, (n° spécial), 1983.


بوشتى الفلاح

**جبالي يهودا**، ربّي شهير لدى الطائفة اليهودية بشمال المغرب، يعد من أهم مَن تتبرك بهم الطائفة اليهودية لمدينة القصر الكبير.

توفي الربي جبالي يهودا في سنة 1780 م أي ما يوازي سنة 5540 حسب التقويم العبري، وضريحه مزارة كبرى لليهود بالقصر الكبير.


Laredo, *Les noms des Juifs au Maroc*, Madrid, 1978.


شمعون ليڤي

**الجباية**، بالمغرب. في العصر الوسيط، هي عند ابن خلدون من الوظائف الضرورية للملك وحفظ حقوق الدولة..." (*المقدمة*، 243) وترد الكلمة في المصادر بصيغ مختلفة : المجبى - المجابي مادة المجبى، وتتداخل المعاني والدلالات المالية والسياسية والعسكرية أحياناً مثل قول صاحب *البيان* (3 : 329) : "جبيت القبائل الفازازية والغمارية جباية عظيمة"، فالأمر هنا يتعلق (بحَرْكة) مخزنية أخضعت فيها هذه المناطق للمخزن الموحدي وهو في فترة ضعفه على عهد الرشيد.

وردت الإشارات الأولى عن الجباية في المغرب الوسيط

ضمن حديث المصادر العربية المشرقية عن المغرب الإسلامي، وقد تركزت الإشارات على الخراج : (مقاديره العينية ومبالغه النقدية). أما أهم مصدر يمكن الارتكاز عليه فهو كتاب *صورة الأرض* لابن حوقل الذي زار المغرب في سنوات الثلاثين من القرن الرابع (10 م)، وطاف بمختلف أنحائه، فقد أشار إلى أنواع من الجبايات فرضها الحكام المحليون على رعاياهم وعلى التجار المقيمين والمجتازين بتلك النواحي (*صورة الأرض*، 79 ـ 96 ـ 97 ـ 99)، ولم يفته تتبع تطور المبالغ الجبائية المحصلة من المغرب ومدى تفاوتها ما بين فترة الولاة والدولة الفاطمية ؛ وفيما يخص المغرب الأقصى، فإن السياسة الجبائية منذ فتحه عرفت بعض التعسف والجور وابتعدت عن الشرع، بل إن بعض الولاة وعمال الأمويين والعباسيين تجاوزوا الحدود فقامت ضدهم الثورات البربرية العارمة ( *البيان*، 1 :27 ـ 38 ـ 39 ـ 43 ـ 51 ـ 52 ـ 83).

إذا تتبعنا مراحل التاريخ الوسيط سواء في المغرب أو في سائر البلدان الإسلامية، نلاحظ تشابهاً كبيراً في الأحداث السياسية الكبرى، فكل ثورة كبيرة كانت أم صغيرة نجد من أقوى أسبابها التعسف في فرض الجبايات والجور في تحصيلها، فالثورة المرابطية ـ التي يقال إنها وجدت ترحاباً في المغرب، وعلى الأصح لم تلق مقاومة عنيفة من سكان المناطق المفتوحة ـ كان من بين أسباب قبول السكان لها، رغبتهم في التخلص من الإمارات الزناتية التي لم يعد من مهامها أواخر عهدها سوى فرض الجبايات والتذرع بأوهى الأسباب لابتزاز أموال الرعية والأعيان وكبار التجار، وأكبر أنواع الجبايات وأثقلها على السكان : القبالة وهي الرسوم المفروضة على السلع التي تدخل الأسواق والمدن، ويتم تحصيلها عند الأبواب ويبدو أن القبالة هي الضريبة التي عُرفت فيما بعد بالمكس والصنك، ففي بعض المصادر نجد ما يفيد ذلك ( *القرطاس*، 137 ؛ *نزهة المشتاق*، 3 : 235)، وفي بعضها الآخر وردت بصيغة الجمع "القبالات" فهل القبالات تعني المكوس أي الضرائب المفروضة على مختلف أنواع السلع، أم أنها تعني كل الضرائب غير الشرعية ؟ إن الإدريسي وغيره ممن استعمل المصطلح يقصد ذلك حتى إنه نحت من المصطلح صيغاً أخرى مثل قوله في معرض حديثه عن مدينة مراكش. "..وأكثر الصنع متقبلة .." (*نزهة*، 3 : 235)، وفي المصادر المتأخرة عن الإدريسي ترد القبالات أو المكوس بمعنى الضرائب أو الجبايات، وتتضارب استعمالات هذه المصطلحات في المصادر وأحياناً في المصدر الواحد نفسه، وباستثناء الجبايات الشرعية وهي الزكاة والعشر والخراج والجزية، فإن القبالات والمغارم والمكوس هي جبايات غير ما ذكر.

لم تصبح لائحة الجبايات واضحة نسبياً إلا ابتداءً من أواخر العهد الموحدي، ويرجع ذلك بالأساس إلى اضطرار الخلفاء الموحدين المتأخرين، وسلاطين بني مرين وكذا شيوخ بني وطاس إلي فرض أنواع متعددة من الجبايات متميزة بأسمائها ومقاصدها، ولم يكن من سبقهم في حاجة إلى ذلك :

فالمرابطون قاموا ضد القبالات لكنهم وجدو أنفسهم مرغمين على فرض قبالات وجبايات جديدة شملت حتى أبسط المواد المستهلكة حتى ولو كانت ظرفية مثل الجراد (*نزهة المشتاق*، 3 : 235) وقد استخدموا في استخلاص الجبايات المرتزقة المسيحيين ( *الحلل الموشية*، 84).

اتخذ الموحدون من بدعة المرابطين ذريعة قوية للدعاية ضدهم، وبعد صعودهم حرصوا على تجنب السقوط في التناقض المرابطي، فاكتفوا في بداية أمرهم بالضرائب الشرعية ومنها زكاة الفطر التي كان المخزن الموحدي يجمعها، لكن الموحدين كانوا متشددين في جبايتها حتى إن الممتنع عن أداء الزكوات كان يقتل ؛ (*رسائل موحدية*، 167) ومن تشددهم كذلك أنهم اعتبروا البلاد المفتوحة أو التي تأخرت في الالتحاق بالموحدين ملكاً خالصاً لهم، وأن الرعية ماهم الا متصرفون بأمر منهم، وان الفلاحين مجرد "عمال في الأرض" عليهم أداء مابين نصف المحاصيل الزراعية وثلاثة أرباعها للمخزن الموحدي. كادت هذه السياسة المتشددة أن تقضي على الوجود الموحدي بما أثارته من تمردات وثورات عارمة عمت المغرب من شماله إلى جنوبه، واضطر الموحدون إلى التراجع مكتفين بمشاركة الناس في فلاحتهم وأنشطتهم التجارية والصناعية يأخذون مابين الثلث والنصف في بعض الجهات ومن بعض المحاصيل، وفي جهات أخرى تتم مقاطعتهم على مبلغ مالي معلوم يؤدى سنوياً ( *الروض الهتون*، 24).

كانت السياسة المالية والجبائية الموحدية ـ رغم التشدد ـ واضحة مما جعل الناس ينصرفون إلى العمل والإنتاج، فانتعش اقتصاد البلاد وتطور العديد من القطاعات ( *المن بالامامة*، 347 ؛ *الروض الهتون*، 28) وأمكن الحديث عن وجود اقتصاد حقيقي للسوق. واتباع الموحدين لسياسة جبائية واضحة ومرنة يرجع ولاشك إلى تقاليد المصامدة وتجربتهم في سهولهم وجبالهم المرتكزة أساساً على التنظيم والانضباط وقت السلم والحرب فيما عرف "بإغرم وأگادير" المترجم إلى العربية بكلمة مخزن ؛ تلك التجربة التي طورها الموحدون متأثرين في ذلك بالحضارة الرومانية والإسلامية. من ذلك قيام الخليفة عبد المومن بإحصاء الأراضي الزراعية، وهو ما عرف بالتكسير والذي تحددت على أساسه الجبايات الشرعية من خراج وزكاة وجزية.

قامت الثورة الموحدية كمشروع شامل ومتكامل، استطاع المغرب خلاله تحقيق بعض التقدم على العديد من المستويات، ويتزعم العالم الإسلامي مكوناً أكبر امبراطورية إسلامية وأقواها في ذلك العصر. كل هذه الإنجازات كانت نتيجة تراكم مادي وسياسي استثمره المصامدة خير

استثمار، وقد ارتكز بنيانه على مجموعة من التوازنات ما بين السادة والأشياخ على مستوى القمة، ومابين العصبية الحاكمة (الموحدين) والمحكومين (الرعية) على مستوى القاعدة وعلى سياسة مزدوجة تتراوح مابين المرونة والشدة ؛ وأهم ما ميز الدولة الموحدية في عهد الخلفاء الأوائل هو تحقيق تلك التوازنات وخاصة منها التوازن مابين متطلبات المخزن وحاجيات السكان. ويتبين من السياسة المالية والجبائية للخلفاء الثلاثة الأوائل أنها كانت سياسة مخططة ومدروسة أو على الأقل لها مبرراتها إذ كانت تقدم خدمات اجتماعية : مارستانات، حارات الجذمى وذوي الأمراض المعدية، حفلات الختان العمومي لأبناء الفقراء، رعاية الأيتام، توزيع الصدقات والتبرعات على المعوزين من ذوي البيوت، إضافة إلى توفير الأمن وتنظيم المهام العسكرية والإدارية...

هذه التوازنات والأهداف كانت مراقبة بصرامة من قبل الخلفاء والأجهزة التابعة لهم. لكن بدأت التوازنات الموحدية تختل بعد وفاة الخليفة الموحدي يعقوب المنصور، وباختلالها طفت على السطح الكثير من الأمراض المجتمعية والسياسية والإدارية، فظهر المرابون والسماسرة، واستغلال النفوذ ... فاغتنت فئات جديدة على حساب عامة الناس وعلى حساب المخزن نفسه ( *الروض الهتون*، 24 ؛ *الذيل والتكملة*، 177 ـ 178).

دخل المرينيون المغرب في ظروف ضعفت فيها الدولة الموحدية بعد معركة العقاب وتخريب تلك الفئات الانتهازية للبلاد، فقلّت ساكنة المغرب وهزل اقتصاده، دخل هؤلاء قصد الاستفادة من خيرات البلاد الطبيعية ليس لديهم مشروع سياسي أو دعوى دينية إصلاحية، بل هدفهم الاستيلاء على الأرض وتوزيعها فيما بينهم، ( *القرطاس*، 282) فكل قبيلة وقرية تغلبوا عليها إلا وأخضعوها لإتاوات وجبايات سنوية أو لمغرم مالي يقبضونه فوراً، وبسيطرتهم التدريجية على المغرب وجدوا أنفسهم بعد استتباب سلطتهم مضطرين لتغيير سياستهم ونظرتهم التي دخلوا بها إلى البلاد، فكان هاجس البحث عن الشرعية يقض مضاجعهم، فاندفعوا في اتباع سياسات منسجمة حيناً ومتباينة أحياناً لاستمالة الشرفاء وملاطفة المتصوفة واصطناع الأتباع من الفقهاء والعلماء والدخول في مسلك بناء وتشييد المدارس والمساجد والزوايا والقصور ... إلى جانب بعص الهدايا إلى الخارج وتوفير العطايا والجرايات في الداخل ... كل ذلك كان يتطلب أموالاً أكثر فأكثر لم تكن تجارة القوافل المتعثرة ولا الاحتكار التجاري لبعض المواد كافياً لتوفيرها، فعمد المخزن المريني إلى نهج سياسة جبائية واسعة ـ عمودياً وأفقياً ـ فكان كل سلطان أو شيخ من أشياخ العصبية المتحالفة الحاكمة يجتهد في ابتكارها فتعددت المغارم والمكوس والوظائف والملازم ... وتعددت أساليب تحصيلها والاستفادة منها، فكان الإقطاع الجبائي ونظام الالتزام أشد أساليبها ضرراً بالعامة (*مسالك الأبصار*، 305 ـ 306 ؛ *وصف افريقيا*، 1 : 194 ـ 195 ـ 196 ـ 197).

لم يحرص المرينيون على التمييز مابين الشرعي وغير الشرعي في الميدان الجبائي للأسباب التي أشرنا إليها، فبقيت المسألة موكولة إلى مزاج السلاطين والأشياخ وقوة أو ضعف شخصيتهم، ومرتبطة أيضاً بدرجة التقبل أو الرفض عند الرعية، وهكذا وبمناسبة صعود سلطان جديد إلى الحكم يعمد إلى سياسة "التلميع" بإزالة بعض الجبايات وتوزيع الصدقات ومواساة الفقراء، لكنه سرعان ما يقع في التناقضات فيعمد إلى فرض أنواع جديدة من الضرائب تحت أسماء وعناوين أخرى وهكذا نستطيع بتتبعنا للتاريخ المفصل للمرينيين والوطاسيين ومن الإشارات القليلة المتناثرة في المصادر أن نضع لائحة أولية بأنواع الضرائب (مرتبة ترتيباً هجائياً).

| النوع | قروية | حضرية | المرور | المفروضة عليهم |
|---|---|---|---|---|
| الأعشار | x | x | | بضائع التجار والغنائم |
| الإنزال | x | x | | بعد العائلات |
| (إيزْدَغْنْ) | x | x | | المهاجر من بلده |
| البرنس | x | - | | ؟ |
| التعشير | | x | | على البضائع والتجار |
| الجامكية | x | x | | على جميع المخالفين |
| الجزاء | x | x | | المتأخر في الأداء |
| الجزية | x | x | | أهل الذمة |
| الجمون | x | - | | الفلاحين في الواحات |
| الحبل | x | - | | ؟ |
| الخراج | x | - | | على الفلاحين |
| الخرص | x | - | | في الواحات (البستنة) |
| الخطيئة | x | x | | على الجميع |
| الرتب | | | x | على المسافرين |
| الزكاة | x | x | | على المسلمين |
| الضيافة | x | x | | بعض القبائل |
| الفطر | x | x | | المسلمين |
| القاعة | - | x | | التجار |
| القانون | x | - | | على الرؤوس |
| المطوى | ؟ | ؟ | | ؟ |
| المعونة | x | x | | على الجميع |
| مغارم | x | x | | جميع السكان |
| مغرم الماء | x | - | | عند المخالفة |
| مكوس | - | x | x | البائع والمسافر |
| الوظيف | x | x | | الجميع |

أنواع الضرائب

بقراءة سريعة لهذه اللائحة نستطيع الخروج بالاستنتاجات التالية :

1 ـ أن الضرائب المفروضة على القرى والبوادي أكثر عدداً وأثقل وقعاً.

2 ـ إذا أضفنا إلى اللائحة طرق استخلاص الجبايات وغالباً ما كانت تعطى إقطاعاً لكبار الموظفين مدنيين وعسكريين ولشيوخ بني مرين والأمراء والحاشية ... جاز لنا أن نتصور ما يتعرض له الملزمون أو الضحايا من تعسف (*مسالك الأبصار*، 305 ـ 306 ؛ *وصف افريقيا* (م س) 1 : 194 ـ 194 ـ 196 ـ 197).

3 ـ الغموض والخلط الذي يلجأ إليه بعض الحكام لتضليل الناس، فضريبة الخرص والجمون مثلاً يتم التلاعب بها، فهي حسب بعض الفقهاء خاصة بالأشجار المثمرة في الواحات (*المعيار*، 1 : 295) لكنها ربما فرضت على جميع الفلاحين، وهكذا يتم تمديدها وتقليصها بحسب الحاجة وحسب السنوات والمحاصيل. والخلط والتلاعب نفسه حدث في الزكاة، فقد عمد المرينيون إلى تحديد زكاة الفطر التي كانت في العهد الموحدي من مداخيل المخزن، لكنهم عمدوا إلى تسمية أنواع أخرى من الضرائب غير الشرعية زكاةً (*أنس الفقير*، 23) ولتثبيت السكان في الأرض والحد من الهجرة أو الفرار استحدثت مغارم خاصة عرفت بايبزعدن (ابيزغدن) بالنسبة للمهاجر إذ عليه أن يؤدي ما هو مفروض عليه في بلده وفي المهجر. والقانون وهي ضريبة على الأشخاص القادرين على العمل. أما الضرائب الحضرية فأبرزها وأثقلها على النفوس المكوس، وقد تلاعب فيها الكثير من الحكام، فرغم قول المصادر عن السلطان عند توليه إنه "هدم المروس وأزال المكوس" فالواقع أن حركته لم تكن إلا تمويهاً، أو فاتحة خير ـ عن حسن نية ـ لكنه لن يلبث أن يدرك الواقع ويدخل في التناقضات فيعود إلى سنها والتشدد في جبايتها أكثر ممن سبقه، ونظرة إلى اللائحة تبين أن تلك المكوس قد فصلت فأعطى لكل منها اسم، مثل القاعة والخطيئة، ومغرم كذا وكذا ...

لم يكن للمرينيين ما يبرر سياستهم الجبائية سوى الجهاد في الأندلس في عهد السلاطين الأوائل وتأمين الطرقات والمدن، أما في الفترة التي تلت السلطان أبا عنان فإن الضرائب أصبحت وسيلة من وسائل التسلط أي أن الأموال العمومية (بيت المال) لا تصرف إلا في تثبيت سلطة فلان أو فلان ضد خصومه وإرضاء شهواته ورغبات الأتباع واصطناع المؤيدين ...

أصبح هذا الاتجاه التسلطي أكثر وضوحاً في العهد الوطاسي، فهؤلاء شكلوا الحلقة الضعيفة في التحالف المريني عند دخوله المغرب، ومنذئذ لم يفارق هاجس الانتصار لأنفسهم من خصومهم شيوخَهم، ولما تمكنوا من الوصول إلى السلطة كانت البلاد قد ضعفت ولم يأبه شيوخهم بذلك، بل مارسوا سلطتهم وزادوا في غيهم فعمدوا إلى إقطاع الضرائب وأضافوا إلى اللائحة أعلاه أنواعاً أخرى من الجبايات ووزعوا بينهم أحسن المناطق وأجود الأراضي وأصبحوا في نهاية عهدهم مثل عصابة تبتز الناس وتبقي القبائل والقرى تحت نفوذها، لا لشيء إلا لأداء الضرائب (*وصف افريقيا*، 1 : 120 ـ 121 ـ 122 ـ 126).

ع. ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت د. ت ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء 1979 ؛ ابن عذاري، *البيان*، بيروت 1948 وتطوان 1960 ؛ يـ. ابن الزيات، *التشوف*، الرباط 1958 ـ 1980 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط 1965 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن 1938 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الايطالية نابولي د. ت 5 أجزاء ؛ ل. بروفنصال، *مجموعة رسائل موحدية* ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط 1964 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، بيروت 1964 تونس 1987 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة* ... السفر السادس الجزء الأول ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1972؛ أ. العمري، *مسالك الأبصار* ؛ محمد المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عهد بني مرين* ؛ فانيان، *مقتطفات*، الجزائر 1924 ؛ الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، الرباط 1980 جزآن.

محمد حجاج الطويل

**الجبّاد**، الذي يسرّح الملابس والثياب بعد غسلها. وكان المغاربة إلى ما قبل عقود معدودة من السنين ينظّفون ملابسهم ويمددونها لتزول انكماشاتها بطرق تقليدية متوارثة.

وكان بعض الناس في عدة مدن مغربية قد تخصصوا في تصبين الملابس كما تخصص آخرون في تسريحها. يسمى الشخص المتخصص في إزالة الأوساخ عن الأثواب والأردية والأقمشة الصبّان، ويدعى القائم بتسريحها الجبّاد. ومازالت بعض الأسر المغربية حتى اليوم تحمل أسماء "الصبّان" و"الجبّاد" مما يدل على أن مهنة تنظيف الملابس وتمديدها كانت مهنة معروفة مثل سائر المهن التي لايستغني عنها كل مجتمع وخاصة مجتمع الحواضر.

يقوم الجبّاد بتسريح الملابس حتى تتمدد، وكانت التقنية التي يستعملها الجباد بسيطة تتطلب شد اللباس من جميع جوانبه وجرّ أطرافه وحصرها بواسطة ألواح مهيأة لذلك، منها ما كان يوضع في القب والأكمام وعلى طول اللباس وعرضه حتى يحافظ على التمدد لمدة قد تطول أو تقصر. وبعد نزع ألواح التسريح يعمد الجباد إلى كبرتة الملابس لحماية قماشها من الأرضة التي قد تعلق بالثوب وقد يعرض اللباس مرة ثانية إلى الغسل الكثيف بالماء والصابون المختلط بالحدج قبل مباشرة كبرتته مرة أخرى إذا لاحظ وجود العتة بها (التونيا). وتكون آخر مرحلة من مراحل الاعتناء باللباس هي تطييبه وتعطيره بأنواع عادية من عطر ماء الزهر أو الريحان (الحبق).

وكان الجباد في عدة مدن مغربية يجمع بين تصبين

الملابس وتسريحها. لكن التصبين عادةً عملية منفصلة عن التسريح فكانت الملابس التي تنظف إما في المنازل أو على ضفاف الأنهار أو العيون والسواقي وغيرها تسلم إلى الجباد ليقوم بتسريحها. وكانت الملابس التي تسلم إليه في معظمها خارجية أهمها الجلابيب والسلاهيم ثم بعض الملابس الداخلية كالاكسية والقفاطين. إلا أن عامة الناس كانوا يرتدون ملابسهم مباشرة بعد تصبينها دون الاعتناء بتسريحها على يد الجباد. أما أهل اليسر والثراء عموماً وخاصة منهم الأمراء والفقهاء والقضاة والعلماء والتجار والكتاب والموظفون المخزنيون والقواد والعمال فكانوا لايرتدون ملابسهم إلا نظيفة ممددة منجرة ومعطرة. وكانت حنطة تصبين الملابس وتسريحها والعناية بها وتطييبها وتعطيرها وصيانتها في صناديق ورفوف مصنفة من بين أهم الحنط الداخلية في القصور المخزنية.

م. داود، *تاريخ تطوان*، الجزء السادس، 1978 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء 15، 1960 ؛ عبد الكبير الكتاني، *توفير المنة*، مخطوط خ. ع، 2404 ك ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف اعلام الناس*، الجزء الرابع، 1931 ؛ *العز والصولة*، 1961.

P. Lemoine, *Missions dans le Maroc occidental*, Paris, 1905 ; J. Borely, *Mon plaisir au Maroc*, Paris, 1927 ; A. Lamazière, *Le Maroc secret*, Paris, 1952 ; L. Brunot, *La cordonnerie indigène à Rabat*, *Hesp.*, vol. 33, 1946 ; H. Triki et A. Dovifat, *Medersa de Marrakech*, Paris, 1990 ; H. Triki, *Abdelmalek As Saâdi*, in *le Mémorial du Maroc*, vol. 3.

محمد بوسلام

**الجبّاص**، أو الجبّاصي أسرة فاسية عريقة أصلها من قبيلة سفيان ببلاد الغرب. ذكر طائفة منهم صاحب *جنى زهر الآس* وقف على أسمائهم في رسوم عدلية من القرن الثالث عشر (19 م) تتحدث عن معاملاتهم بفاس بالبيع والشراء والكراء. ومازال هذا القبيل بالمدينة الإدريسية على قلة.

ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

**الجبّاص، مَحمد** السفياني الزرهوني ثم الفاسي، وُلد حوالي سنة 1264 / 1847 بمدينة فاس وكان من النخبة السياسية الجديدة التي تلقت تكوينا عصريا بالمدارس العليا البريطانية، ارتقى في عدة وظائف مخزنية منذ عهد السلطان الحسن الأول إلى أن تقلد منصب الوزير الصدر في عهد المولى يوسف إبان الحماية.

تلقى محمد الجباص تعليمه بجامع القرويين، وهناك أخذ العلم والمعرفة من علمائها ولاشك أنه كان متفوقاً في دراسته، لذلك تم انتقاؤه من بين الطلبة النجباء، وسنه لا يتجاوز الثانية والعشرين، الذين كان السلطان سيدي محمد ابن عبد الرحمان يعتزم توجيههم لتعلم مبادئ العلوم الرياضية العصرية بمصر سنة 1286 / 1869 "... ونفذ لهم

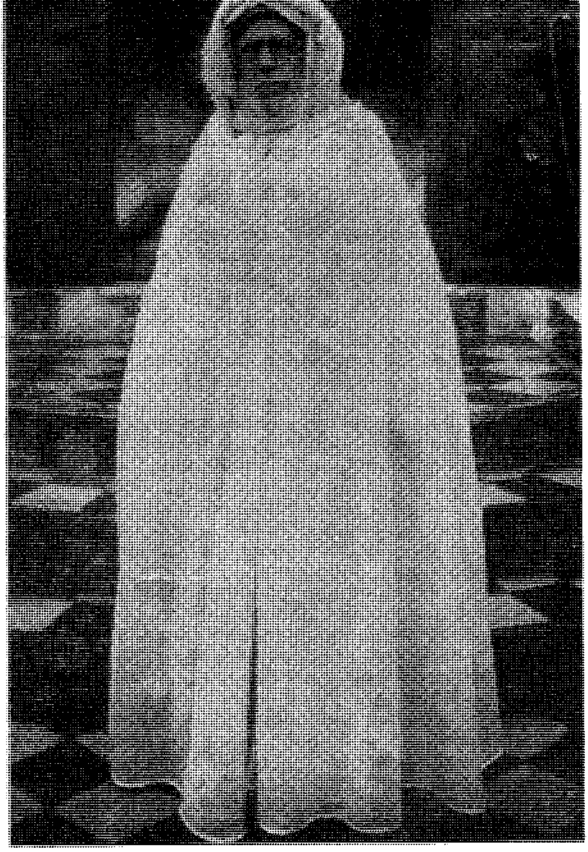

المؤونة، إلا أن ذلك لم يتم لأسباب سياسية، وأقاموا بفاس يقرؤون على شيخ ماهر عينه المخزن لذلك، وهو مولاي إدريس البلغيثي" (وثائق فانسين).

ولعل هذه الحظوة هي التي زادت من صقل مواهبه وتألقه، وأهلته ليكون من بين الطلبة النابغين والمتفوقين الذين تم اختيارهم للبعثة التي قرر السلطان مولاي الحسن ارسالها إلى أوربا وكان سنه آنذاك 28 سنة.

كان الجباص من بين الطلبة الخمسة عشر الذين وقع عليهم الاختيار في إطار بعثة تعليمية إلى دول أوربا لتعلم اللغات والعلوم "... ولما وصلوا مدينة طنجة أقاموا بها يتعلمون مبادئ الألسن، وكان محمد الجباص هو الذي يترأس المجموعة أثناء دراستهم بمدينة طنجة" (*مذكرات سكيرج*، ص. 29) ولما اكتمل تكوينهم "... فرقوا على بلدان أوربا، فتوجه إلى بلاد النجليز محمد الجباص وإدريس بن عبد الواحد، والزبير سكيرج" (*مظاهر*، 1 : 167). وكان دريموندهاي، القنصل البريطاني، قد قام في هذا الصدد بمراسلة حكومته سنة 1875، للسماح لهؤلاء الطلبة بتلقي العلوم في بريطانيا، ويذكر الزبير سكيرج عضو البعثة في *مذكراته* "(1845 - 1932) أنه سافر رفقة زميله إلى بريطانيا لتلقي العلوم المتنوعة بمدينة شاتهام Chatham، وهي مركز حربي لبناء المدرعات، وبها مدرسة ملكية للمهندسين تسمى Royal Engeneers of Chtham.

وقد أكد الجباص خلال مدة الدراسة جدارته ونجابته، وهذا ما تؤكده الرسالة التي بعث بها احماد ابن موسى إلى دريموندهاي، يقول فيها : "... وعرفنا ما أخبرت به عن الطلبة الثلاثة المتعلمين العلوم في بلادكم من ظهور نجابتهم

سيّما الجباص منهم" (ابن الصغير، ص 433).

ونظراً للمكانة التي كان يتبوأها، فقد وقع عليه الاختيار من بين أصدقائه لوضع خريطة مفصلة ومدققة للمغرب، وظف فيها كل المعارف التي اكتسبها في ميدان الرسم الطبوغرافي والهندسي، واعتمد في إنجازها على نماذج من خرائط فرنسية وأنجليزية، وذلك سنة 1879 (ابن الصغير، ص 433 / هامش 357)، وتوجد نسخة وحيدة من هذه الخريطة بقسم الجمعية الملكية للجغرافيا بلندن، وقد أسقط من هذه الخريطة جزء من طرفاية، ولعل ذلك كان بتوجيه من بريطانيا، لأن مشكل طرفاية كان قائماً آنذاك بين المغرب وبريطانيا، فالمخزن المغربي كان قد احتج آنذاك ضد استقرار ماكينزي بطرفاية سنة 1879، والخريطة وضعت في دجنبر 1879. وكانت بريطانيا تسعى من وراء وضع الخريطة إلى استعمالها كحجة ضد المخزن لتؤكد بأن طرفاية لم تكن تدخل ضمن ممتلكات السلطان (*مظاهر*، 1 : 167) وقد دامت مدة دراسة محمد الجباص ببريطانيا خمس سنوات عاد بعدها إلى المغرب سنة 1880 ليتقلّد مناصب مخزنية.

تبين عودة البعثة من أوربا الطريقة التي تعامل بها المخزن مع الأطر المتعلمة في أوربا علوما عصرية، فبعد عودتهم لم يكن بإمكان المخزن ومؤسساته العتيقة أن تستوعب هذه الأطر بمعارفها وعلومها الجديدة، لذلك كان على أعضاء البعثة، ومنهم محمد الجباص أن يكتبوا للمخزن قصد استخدامهم والاستفادة من معارفهم، وهذا ما توضحه الرسالة التالية :

"... ويدعون بخطوط أيديهم أنهم بعد تحصيل اللسان حصلوا جل العلوم الحربية والهندسية، وحيث إنهم مازالوا لم يستخدموا في شيء مما تعلموه، لم يتحقق عندنا صدق ما يدعون وإنما تظهر ثمرة الأعمال بتطبيق القواعد على الأعمال" (*مظاهر*، 1 : 168 ؛ *العز والصولة*، 2 : 150).

وبعد استخدامهم كلف كل منهم بمهمة :

- فالزبير سكيرج : تركيب الموازين بالمراسي
- إدريس بن عبد الواحد : طبجية طنجة
- محمد الجباص : الخدمة الشريفة

وبذلك يكون محمد الجباص قد اندمج في سلك الخدمة المخزنية المركزية وأصبح مفروضا عليه أن يؤكد جدارته. كان سنّ محمد الجباص لما عاد من بريطانيا سنة 1880 لا يتعدى 33 سنة تقريبا، فكان له من الوقت ما يكفي لتأكيد جدارته في الخدمة الشريفة، وأن يتقرب أكثر من أطر المخزن (*الأصول* : 288). فقد وظفه السلطان مولاي الحسن كاتبا بالصدارة، ونفّذ له المؤونة بالوزارة الحربية، ثم صار "يتخابر معه في عدة مسائل وهو يحسن الجواب ويصيب الصواب، فأقبل - رحمه الله - عليه، ووجه اعتناءه إليه، وكثيراً ما كان يسأله عن أحوال أوربا ولما شاهده من عجائب رقيها وتمدنها، ويستفيد منه أموراً لبعد المواصلة إذ ذاك بين المغرب وأوربا، وعدم اطلاع بعضها بعضا على العوالم الوطنية والتنظيمات الإدارية (*وثائق نانت*، 1917) وهذا معناه أن محمد الجباص، أصبح مقربا من السلطان مولاي الحسن يحظي بثقته. ولما توجه السلطان إلى مدينة مراكش "أذن له في إلقاء دروس بالمدرسة المخزنية هنالك على طلبة خصصوا لذلك، رغبة منه - قدّسه الله - في تعميم النفع" (*وثائق نانت* لسنة 1917 + *الكتاب الذهبي*، ص 112) كما رافق السلطان في حركته الأولى إلى سوس سنة 1299 / 1881، لأنه كان خبيراً في شؤون الحرب، ثم انتدبه السلطان لمعالجة مسألة النزاع مع الشركة البريطانية حول رأس جوبي، وكان معززاً بالعامل ولد بيروك، وحصل على نتائج حسنة.

وفي سنة 1300 / 1882 عينه السلطان بجانب أمين المال محمد التازي موخا، وأحدثت لهما بنيقة خاصة لمباشرة مسألة "الترتيب" الذي اعتزم تجربته في إطار محدود داخل قبائل دكالة والشاوية.

وبعد وفاة السلطان مولاي الحسن وتولية ابنه مولاي عبد العزيز عين محمد الجباص كاتبا أول في وزارة الحربية سنة 1882 باقتراح من الوزير الوصي احماد ابن موسى الذي كان يقربه إليه ويطلعه على بعض أسرار السياسة مدة حياته (*وثائق نانت* + *الكتاب الذهبي*، 112).

محمد الجباص في سفارة الجزائر : (1900 - 1903) ولما انتدب السيد عبد الكريم ابن سليمان وزير الخارجية سفيراً لروسيا وألمانيا، كان بمعيته "أبو عبد الله محمد فتحا الجباص ... ومن نتائج سفارة ابن سليمان .. تعديل مسألة الحدود الجزائرية المغربية، وكان الذي رشح للوقوف على تصفيتها محمد الجباص بصفته رئيساً (*إتحاف*، 1 : 98 - 397). وبعدما صادق عبد الكريم ابن سليمان في مارس من سنة 1901 على اتفاقية الحدود المغربية - الجزائرية، ووقع التوقيع عليها في باريس بين Delcassé ديلكاسية من جهة وابن سليمان من جهة أخرى بتاريخ 20 يوليوز 1901، عين محمد الجباص لوضع الاتفاق التطبيقي للمعاهدة مع الجنرال كوشميز Cauchemez بالجزائر في 20 أبريل 1902 وبيريمهولف Peyerimhoff موظف الحكومة الفرنسية بالجزائر في 7 ماي 1902 (C. Alain, Agadir 1911, p. 55).

- وأثناء سفارته للجزائر قام بمبادرة الاطلاع على بعض القوانين العصرية التي كانت تسير عليها إدارة الجزائر، وذلك رغبة منه في عرضها على السلطان عبد العزيز ليختار منها ما يوافق طبيعة البلاد ولا يعارض القواعد السياسية للحكم، وقد أسعفه الحاكم الفرنسي في ذلك، فقدم لمحمد الجباص مجموعة من النصوص وقوانين الإدارة الجزائرية بعد ترجمتها للغة العربية (*مظاهر*، 2 : ص 139) وكان بالفعل قد ابتدئ في البحث عن كيفية دخول أنظمة جديدة إلى المغرب، وكان ذلك كما يقول السليماني

"...دخول هذا النظام وتأسيساته ومبادئه مع الفقيه السياسي الغيور المتفنن السيد محمد الجباص السفياني، حين توجه لمدينة الجزائر معتمداً في بعض الشؤون" (*التهافت*، 142)، ولاشك أن هذا النظام الجديد كان بلاشك هو بداية التفكير في تنظيم مداخيل الدولة بإحداث ما سمي "بالترتيب".

وفي سنة 1321 / 1903 عاد محمد الجباص إلى المغرب ليخلفه في ماموريته آنذاك محمد بن الحسن الحجوي، الذي قال في ترجمته لمحمد الجباص "وقد خلفته في سفارته لما تولى وزارة الحرب" (*مختصر العروة*، ص 17) وكلفه السلطان بوزارة الحرب بعد أن عزل المنبهي عنها، ويذكر بوعشرين في كتابه *التنبيه* إلى أن هذه التولية كانت بإشارة من الوزير عبد الكريم ابن سليمان وزير البحر (الخارجية) "لقرابة بينهما واتصال" (*التنبيه*، ص. 113)، ولأنه في نفس الوقت كان يشغل منصب الكاتب الأول لوزارة الحرب منذ فترة وصاية احماد ابن موسى.

ولعل هذا الاختيار كانت له مبررات اذكر من بينها :

- أن الجباص كمهندس متخرج من المدارس الحربية الانجليزية، كانت له مؤهلات ثقافية وعلمية تؤهله للقيام بمهام عسكرية.
- أنه انخرط في سلك وزارة الحربية مند البداية وتمرس على بعض المهام العسكرية وتعرف علي خباياها.
- أنه كان مسانداً ومدعما من طرف أحد رجالات المخزن وهو عبد الكريم ابن سليمان لقرابته، لهذا تم اقتراحه لتحمل هذه المسؤولية، وعضد السلطان هذا الاقتراح.
- لاشك أنه كان لفرنسا نصيب في تدعيم اختيار مَحمد الجباص كوزير للحرب، خصوصاً وأن الفرنسيين استطاعوا التأثير عليه وكسبه إلى صفهم أثناء مفاوضاته في الجزائر لعقد اتفاقيات الحدود سنة 1902، ولعه سيسعى مستقلاً لتدعيم مركز فرنسا داخل المغرب.

وقد حاول مَحمد الجباص، من موقع مسووليته كوزير للحرب، أن يقوم بمبادرة لإصلاح الجيش "فأنشأ مدرسة لتكوين بعض أطر المخزن بمدينة فاس سنة 1906 واستقدم إليها رشيد أفندي المصري، وأسند إليه تعليم الرياضيات التي كان يدرسها في نفس دار الوزير لأحد عشر تلميذاً على نفقة المخزن" (لوتورنو - *فاس*، ص. 677)

وقام بتعيين قواد طوابير البوليس، وبقي محافظا على الأمن العام ما بين طنجة والعرائش والقصر وتطوان والقبائل الجبلية المحيطة بها إلى أن ظهر مولاي عبد الحفيظ (*نانت*، 1971).

كان مَحمد الجباص قد شارك النائب الحاج محمد الطريس في أمور دار النيابة بطنجة، وذلك بأمر من السلطان عبد العزيز، ثقة بالجباص واعتماداً عليه. وبعد موت الطريس واتمام الأمر للسلطان عبد الحفيظ أقره على دار النيابة وحده وذلك سنة 1326 / 1908 وأنعم عليه بالوسام الحفيظي من الرتبة الأولى، ولكن مع ذلك، فإن طبيعة الصراع التي ميزت هذه المرحلة، وتشابك المصالح والأغراض، جعلت مَحمد الجباص يبقى وفياً لحكومة السلطان مولاي عبد العزيز (R. Daniel, T. 1, p. 93) بل اعتبر من جهة أخري أنه كان أكثر ارتباطاً بالمفوضية الفرنسية والكاي دورساي، وكانت الاشاعات تتحدث عن نقله أو عزله عن دار النيابة بطنجة واستدعائه إلى فاس.

وقد وافق الكاي دورساي على منحه الحماية الفرنسية هو وأسرته (C. Alain, *Agadir*, p. 53) وقد كان محمد الجباص هو آخر نائب سلطاني يتولى هذه المهمة قبل إعلان الحماية على المغرب سنة 1912.

يمثل محمد الجباص بحق نموذجا بارزاً من بين النخبة السياسية المغربية التي تعاملت مع الظرف الجديد بدون تحفظ، والذي قررت فرنسا الاعتماد عليه في تطبيق سياسة الحماية بأطر محلية لها تجربة عريقة في مجال الخدمة المخزنية.

فلما أقر المقيم العام الفرنسي ليوطي عزل محمد المقري من منصبه اختار من بين عدة شخصيات مخزنية محمد الجباص، الذي عينه وزيراً أعظم للسلطان الجديد مولاي يوسف، لأن محمد الجباص كان ميالا للتعامل مع فرنسا من جهة، ولأنه كان ينتمي إلى تلك الشريحة الاجتماعية الجديدة التي أفرزها المجتمع من جهة أخرى وحسب تعبير دانيل "فهو نموذج البورجوازي الفاسي الكبير من أصل أندلسي (! ؟)" (دانيل، ص. 77 - 176).

لقد توج هذا التعيين بظهير سلطاني صدر في متم رجب من عام 1331 / 1912 جاء فيه : "... فقد أعفينا خديمنا الطالب محمد الجباص من التكليف هناكم (ثغر البيضاء) ووظفناه بالوزارة الكبرى، وأسندنا لابن عمنا الأرضى سيدي محمد الأمراني الوظيفتين المذكورتين خليفة الحضرة الشريفة وعامل البلد في ثغر البيضاء" (*الإتحاف*، 4 ص. 293).

لعل المنصب المخزني الذي أُسند لمحمد الجباص كوزير أول لم يعد إلا منصبا شكليا، حيث احتكرت سلطات الحماية كل الصلاحيات وركزتها بيد المقيم العام الذي أصبح يتحكم في خيوط اللعبة السياسية داخل المغرب، ويداهن أطر المخزن المتلاشي. وهكذا قال في حفل أقيم بمدينة الرباط سنة 1914 بعد أن أنهى الوزير الصدر محمد الجباص خطابا باسم المخزن الشريف، فأجابه ليوطي بقوله : "كما كان من حظ الدولة الفرنسوية أن رأت جلالة السلطان معضدا برجل سياسي مثلكم، فإن خبرتكم الكاملة وإتقانكم لأمور السياسة، وما أو تيتم من الفطانة والنباهة التي أظهرتموها في مناصبكم السالفة قد وجدت في وظيفتكم السامية التي تشغلونها اليوم ميدانا فسيحا تجلت فيه وتوطدت بالثقة التي جعلها فيكم جلالة السلطان ولقد برهنتم على ذلك كله براهين ساطعة" (*سمط اللئالي*، ص.35 و34).

فهل أدرك محمد الجباص، وهو يمارس وظيفة الوزير الصدر، ما آل إليه المخزن المغربي الذي أصبح مجرد واجهة شكلية، فقرر نتيجة لذلك طلب الإعفاء من منصبه ؟ أم أن ظروفه الصحية وكبر سنه هما اللذان كانا وراء تقديم استقالته من منصب الوزير كما ذكر دانيل (3 : 119). لقد كان عمره آنذاك سبعين سنة حينما استقال من الوزارة سنة 1917، ومع ذلك احتفظت له الحماية الفرنسية بلقب الوزير الصدر، كما أقره السلطان مولاي يوسف على "رئاسة المجلس العلمي الأعلى لتعليم المعارف الإسلامية حتى لا تضيع نصائحه وسوابقه ولا تتقطع مع المخزن الشريف علائقه، وسدل عليه وعلى ذريته وأصهاره وقرابته أردية العز والوقار ومكنه من ظهير شريف بذلك" (*وثائق نانت*، 1917).

وانسجب محمد الجباص إلى مدينة الجديدة التي استقر بها زهاء سبع عشرة سنة من سنة 1917 إلى سنة 1934) ورحل إلى الشرق لأداء فريضة الحج سنة 1352 / 1934، وعمره آنذاك يناهز 87 سنة، وعندما أتم مناسكه وولى وجهه نحو المدينة المنورة وافاه الأجل المحتوم أثناء الطريق ودفن برابغ، "وكان له شغف عظيم بالوصول إلى المدينة والإقبار بها رحمه الله" ( *العز والصولة*، 2 : 150).

وهو ما يؤكده كل من محمد الحجوي في *العروة الوثقى* وصاحب *الكتاب الذهبي* بخلاف ما ذكره المنوني الذي قال بأن وفاته كانت بالجديدة عام 1352 (*مظاهر*، 2 : 7 هامش 12 ؛ *الأصول*، ص. 268 هامش 69).

ترجمة محمد الجباص، *وثائق نانت*، DACHCAO, Nantes, Carton 26 sept. 1997 ؛ م. الحجوي، *مختصر العروة الوثقى*، سلا، 1938 ؛ السليماني، *اللسان المعرب*، الرباط، 1971 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، ج 2، 1986 ؛ الحسن بوعشرين، *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، تح. محمد المنوني، 1994 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1933 ؛ *العز والصولة*، ج.2 الرباط، 1962 ؛ علي الطرابلسي، *مسقط اللئالي من سياسة المشير ليوطي نحو الأهالي*، 1926 ؛ خالد بن الصغير، *المغرب وبريطانيا العظمى في (19 م)*، الدار البيضاء 1990، *مذكرة سكيرج* ؛ روجي لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت.

Daniel Rivet, *Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc, 1912 - 1925*, Paris, 1988, 3 vol. ; *Livre d'or du Maroc*, Paris, 1934 - 1935 ; A. Laroui, *Les origines...*, Paris, 1977 ; J. Claude Allain, *Agadir 1911*, Paris, 1976.

المصطفى فنيتر

**جبّور**، أسرة تطوانية يقال إنها أندلسية. أقدم مَن عرفنا منها السيد العربي جبور من أهل القرن الثاني عشر (18 م) كان متزوجاً السيدة ثاثة بنت محمد الناصر. وله منها ابن يسمى أحمد جبّور كان حياً سنة 1215 هـ.

**جبّور عبد الرحيم** بن عبد الكريم، كان عارفاً باللغة الإسبانية متجنسا بالجنسية الإسبانية ومتزوجاً بإسبانية عمل أيام الحماية ترجمانا بنيابة الأمور الوطنية. وسمي : مؤرخ تطوان الرسمي. له *مقالات في التاريخ* بالإسبانية، و*محاضرة في تاريخ تطوان وعائلاتها*.

عين بعد الاستقلال مديراً لديوان عامل تطوان (بنونة) وتوفي بعد ذلك.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، جزء 3 حرف ج ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، حرف ج نسخة المؤلف بخطه بخزانته بتطوان.

محمد بوخبزة

**الجبُّوري، الجيلالي** المدعو البحر، أحد قواد جيش البخاري في عهد الحسن الأول، يعود إليه - وإلى ابن الحفيان قائد المائة - فضل إنقاذ السلطان وحاجبه موسى بن احماد وإخراجهما - بعد عناء - من شعبة بوقربة المعروفة بالشقة إثر الهزيمة التي ألحقتها قبائل غياثة بجيش المخزن في 26 جمادى الثانية عام 1293 / 19 يوليوز 1876.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 2 : 159.

ابن **الجبر، أبو بكر** الصنهاجي يكنى أبا يحيى وينتمي إلى قبيلة صنهاجة القبلة (ايزناگن) جنوب مراكش، ويصنّفُهُ البيذق من ضمن "أهل الخمسين المستدركين بعد التمييز" ( *المقتبس*، 35).

وقد أصبح ابن الجبر أحد قادة الجيش الموحدي، ولعب أدواراً هامة في الصراع بين الموحدين والمرابطين. فمنذ وصول الموحدين إلى قبيلة بني سعيد بجبال غمارة وتوحيدها، بقي ابن الجبر قائداً لجيش الموحدين بهذه المنطقة الشمالية في "تاغزاوت متاع بني يزيد" (*أخبار المهدي*، 54) بقبيلة بني سعيد.

وعندما غادر الخليفة عبد المومن أگرسيف يريد فاساً نزل بالمقرمدة فجاءه أبو بكر ابن الجبر بعسكر غمارة للمشاركة في فتح مدينة فاس، وقد تطوع لمعرفة خبر وقوة يحي بن غانية بفاس، حيث أخذ معه 500 راجل من صنهاجة ومثلهم من هسكورة، وسار بهم إلى جبل زلاغ المشرف على المدينة وأشعل النار على قمته، فأدرك أهل المدينة أن الموحدين (وكانوا يسمونهم الخوارج) قد اقتربوا منها، فخرج ابن غانية من الغد لقتالهم، وقد قدر ابن الجبر عسكر ابن غانية بألف وخمسمائة رجل ما بين لمتونة وأهل فاس، فقاتلهم أبو بكر بن الجبر بمن معه ثم رجع الصحراوي إلى فاس، وصعد ابن الجبر ثانية إلى قمة الجبل وأشعل النار ليفت في عضد جيش المرابطين وسكان المدينة.

وقد استعصى فتح فاس على المرابطين رغم أن القوة التي كانت بها لم تكن ضخمة، ويعود جزء من ذلك إلى طبيعة الأسوار الجديدة التي أحاط المرابطون بها فاساً، والتي سيأمر الخليفة عبد المومن بتحطيمها بعد فتح المدينة. لذلك فإن عبد المومن لما رأى أن فتح المدينة يتطلب حصاراً طويلاً قسم جيشه إلى قسمين، قسم قاده بنفسه وتوجه به إلى جبل العرض، والقسم الآخر جعله تحت إمرة أبي بكر

ابن الجبر، وكان مكونا من صنهاجة وهسكورة، فتوجه إلى "نوگ" إيگران" على مشارف فاس وحاصرها.

وفي غضون حصار ابن الجبر لفاس، جرت بينه وبين عبد الله ابن خيار الجياني مشرف فاس من قبل المرابطين اتصالات أدت إلى الاتفاق مع الجياني على تسهيل فتح المدينة. وفعلا خرج الجياني إلى الموحدين وفتح لهم أبواب المدينة فدخلوها سنة 540 / 1145 بعد حصار دام تسعة أشهر، ولم يجد ابن غانية خياراً سوى الفرار بجيشه في اتجاه حصن أمرگو، ومنه إلى الأندلس، في حين تحول الجياني إلى خدمة الموحدين فأقروه على إشراف فاس.

طارد ابن الجبر فلول المرابطين إلى حصن أمرگو فقتل مجموعة من قوادهم، منهم يوسف الجياني ومحمد السايبة، وتم أسر القائد عمر بن نيتان اللمتوني، الذي طلب عبد المومن عدم قتله امتثالاً لوصية المهدي بن تومرت بعدم قتل أبناء نيتان لأنه هو الذي أخرجه من سجن علي بن يوسف وساعده على الفرار من مراكش.

وساهم ابن الجبر أيضاً في عملية إخضاع القبائل الغربية للسلطة الموحدية، فقاد عملية إخضاع قبيلة صنهاجة وجراوة، وقتل منهم ألف شخص في موضع يسمى بالعمرى سنة 541 / 1146.

وفي أثناء عملية "الاعتراف" التي تمت سنة 544 / 1149، في شكل مجازر رهيبة عمت كل مناطق المغرب الأقصى لتصفية معارضي السلطة الموحدية، نجد ابن جبر يتدخل ليشفع في نساء أهل "تازرفت نْ يملوان" الذين سيقوا بعد قتل رجالهم إلى تادلا، فقبلت شفاعته فيهن، فلم يبعن في أسواق الرقيق (*أخبار المهدي*، 71). ولا ندري الدافع الأساسي لهذه الشفاعة، الذي لايبعد أن يعود إلى تقاليد القرابة والدم القبلية.

ولا نعلم متى وأين توفي ابن الجبر، لكنه ترك ابنا اسمه يحيى كان مقربا من الأمير أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن وشارك إلى جانبه في مواجهة هجومات ابن مردنيش وابن همشك على إشبيلية سنة 554 / 1159 (*أخبار المهدي*، 80).


أ. البيذق، *المقتبس*، الرباط 1971 ؛ *أخبار المهدي*، الرباط 1971.


محمد المغراوي

**جبران، عبد السلام** بن علي بن عبد الله المسفيوي المراكشي، ولد عام 1333 / 1914 بقرية حاجب أيت سولت بقبيلة مسفيوة على بضعة كيلو مترات من أغمات. حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنوات بقراءة نافع، وابن كثير، و أبي العلاء البصري. ثم انتقل إلى مدرسة تغنبوشت بأيت عبد السلام بمسفيوة التي بقي بها نحو سنتين حتى حفظ جملة من المتون والأمهات أهلته للتوجه إلى مراكش والالتحاق بجامعة ابن يوسف. فانكب على تلقي العلم على يد عدد من الشيوخ منهم : الفقيه ابن الحسن الدباغ وعبد الجليل بلقزيز ومولاي أحمد العلمي وعلي السباعي رافع والمختار السباعي والمختار السوسي وغيرهم.

انقطع جبران عن الدراسة ليشتغل موظفاً بإدارة الأملاك المخزنية. وبعد تأسيس النظام بالجامعة اليوسفية، تقدم لمباراة الأستاذية بها فنجح وعين أستاذاً رسمياً عام 1362 / 1943. فزاول التدريس بالابتدائي مدة، ثم انتقل للثانوي، ثم النهائي في سنة 1371 / 1952، ثم فصل عن العمل بسبب أفكاره الوطنية.

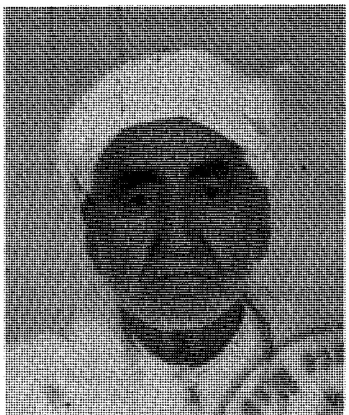

ومع بزوغ فجر الاستقلال رجع جبران إلى عمله في التدريس بالأقسام النهائية في ابن يوسف بالإضافة إلى القيام بمهمة إدارة الطور الأول من التعليم الأصيل، وبقي قائماً بأداء الواجب الملقى على عاتقه إلى أن أنشئت كلية اللغة العربية بمراكش، فعين بها أستاذاً ونائباً للعميد، كما عين عضواً في المجلس العلمي بمراكش، وبعد وفاة الرئيس الرحالي الفاروقي عين مكانه كرئيس للمجلس العلمي. وشارك أكثر من مرة في الدروس الحسنية الرمضانية، وكانت تتخلل دروسه نكث أدبية واستشهادات شعرية لكثرة محفوظه الأدبي نثراً وشعراً.

توفي بمراكش يوم الثلاثاء رابع وعشري ربيع الأول عام 1413 / 22 شتنبر 1992، ودفن بمقبرة باب أغمات.


أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط ؛ *معرفة شخصية وروايات شفوية*.


أحمد متفكر

**جبراني، مبارك** بن صالح مقاوم، ولد سنة 1336 / 1917 بهوارة إقليم أگادير، وعند انتقاله إلى مدينة

الداراليبيضاء دفعته غيرته الوطنية واحتكاكه ببعض الأصدقاء إلى الانضمام إلى المقاومة السرية بالمدينة.

شارك في عدة مواجهات واشتباكات ضد القوات الفرنسية واستمر في نضاله الوطني إلى أن تم اعتقاله من طرف الشرطة الاستعمارية التي مارست عليه التعذيب والتنكيل إلى أن استشهد بتاريخ 7 شتنبر 1955.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 4 : 173.

**الجبرائيلي**، محمد بن حسن المراكشي أديب ملهم وشاعر موهوب ملأ اسمه الساحة الأدبية بمراكش في عصر الظلم والظلام - عصر الاستعمار - وأصبح اسمه مقروناً بقرض الشعر الجيد، فهو أحد رواد الحركة الشعرية في الثلاثينيات. كان يُدعى محمد بن حسن المراكشي، وأصبحت أسرته بعد الاستقلال تحمل لقب (الجبرائيلي). ولد عام 1326 / 1908. كان والده تاجراً بسوق السباط، ومقدم أصحاب *دلائل الخيرات*، أي (الطائفة الجزولية). أدخله والده إلى كتاب الحي فحفظ القرآن الكريم مع بعض المتون المتعارف عليها آنذاك، ثم التحق بالجامعة اليوسفية وجالس شيوخ العلم بها أمثال شيخ الجماعة الحاج العربي الرحماني البربوشي والفقيه ابن القرشي والفقيه علي السباعي (رافع) والفقيه الصوفي محمد بوستة (السي امّان) كما أخذ عن الشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي.

استطاع محمد بن حسن بذكائه وقوة حافظته، أن يلفت إليه الأنظار، ويصبح محط إعجاب شيوخه وزملائه، ويتفوق تفوقا كبيراً على أقرانه، ولم تمر فترة دراسته عادية، بل اكتنفتها طرائف وقصص مع شيوخه الذين لم يكن راضياً عن بعضهم، ولم تقنعه دروسهم لما له من المؤهلات الفكرية والذكاء القوي، والمزاج الحاد، إلى جانب فورة الشباب، وجموح المراهق.

لم تدم دراسته بالجامعة اليوسفية طويلاً، إذ انقطع عن الدراسة لظروف عائلية واجتماعية، لكن علاقته بالثقافة، وقراءة الكتب والمجلات الشرقية بقيت مستمرة لاينفك عن التزود بها.

أنشأ المترجم له قصائد في منتهى الجودة والإتقان، في الخمر والغزل والهجاء والوطنية والوصف والرثاء وغير ذلك من أغراض الشعر العربي، يطلق الشعر على سجيته حانياً رقيقاً، وثائراً ملتهباً، وساخراً هازئاً، لكن ضاع شعره معه، ولم يبق منه إلا النزر القليل. أما أكثره فقد أحرقه بيده، أخبرني بذلك شاهد عيان، وهو صديق حميم للشاعر.

ولعل هذا السلوك اللاواعي ناتج عن أزمة نفسية عنيفة مر بها الشاعر، وصدمة داخلية مكبوتة أثرت على نفسه ومزاجه تأثيراً عميقاً، جعلته يعيش في حالة شذوذ نفسي وفكري، ساخراً من الحياة ومن بالحياة :

| | |
|---|---|
| نفسي دعيني للعلى والسؤدد | نلت المنى إذ كان مني مرشدي |
| ماضاق فهم قضية في مشهد | وتوقفت أنظار من في المشهد |
| إلا وقال الكل يا لمحمد | طربي يقول الكل يا لمحمد |
| لكنني أقضي حياتي لا أرى | إلا خصوماً مظهرين توددي |
| يبدون لي عند اللقاء مودة | وإذا خلوا نالوا منال المبرد |

سبق أن قلت إنه تعرض لأزمات نفسية عنيفة جعلته يعيش حياة لهو واستمتاع بملذات الحياة، غير مكترث بالقيم الأخلاقية والاجتماعية. ولو ساعدت الظروف ببقاء شعره، أو الزمرة التي كانت تعاشره لوصلنا إلى حقيقة أمره، والدواعي التي أدت إلى التمرد والثورة على المجتمع الذي ولد فيه، والذي تكتنفه غيوم مطبقة على الأفق، وجور الحكام واضطهادهم لحقوق أفراد المجتمع.

فرغم هيمنة الأگلاوي وسطوة الاستعمار، انفجرت شاعريته، وعبر بكل صدق وإخلاص عن مشاعر أبناء مراكش، وما تجيش به صدورهم من غضب وحقد تجاه الباشا الذي كان يدعوه الوطنيون سنة 1937 (فرعون) وخليفته البياز (هامان)، وبأسلوب فكه يعرض بنسبهما :

| | |
|---|---|
| في منامي رأيت آدم عينا | معَ حواء في جدال نزيه |
| آدم قال : إن فرعون نجلي | وأخوه هامان لا ارتضيه |
| خبريني : حواء من أين هذا | واصدقني فما أنا بأبيه |
| لست مرتابا في عفافك لكن | حار ذهني في أمر هذا السفيه |
| إن قابيل دونه في عقوقي | أبداً يلحق الأذى بذويه |
| ساءني كيده بني تباعا | أينما كان لعنتي تقتفيه |
| فأجابت حواء في الحال جهراً | ليس هذا مما تفكر فيه |
| قد أتاني الشيطان به يوماً | وادعى أنه اعز بنيه |
| فاستعذت الإله فانفلت الشي | طان جريا وقال : نجلي خذيه |
| فاصطفاه فرعون هذا قرينا | فلعنا فرعون لعن أخيه |

مات في مطلع الشباب عام 1362 / 1943 بعد أن عاش هذا العمر القصير في مكابدة ومصارعة مع رغباته النفسية، ومع المجتمع الذي لم يجد فيه متنفساً لآماله ورغائبه، وشيعت جنازته من محل سكناه بحي سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي إلى مقبرة باب أغمات.

*روايات شفوية* ؛ أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مراكش، مخطوط.

أحمد متفكر

**الجبس**، سلفات الكلسيوم المموه ($CaSO_4 . 2H_2O$)، نظامه البلوري أُحادي الشكل، بلوراته مُصفحة، أو على شكل ألياف أو "جصصة الرمال" إذا ما كان التبخر في الصحراء ؛ كثافته 2.3 إلى 2.4 ؛ صلابته 1.5 إلى 2.0. إن أنواع الجبس الشفاف قليلة جداً، إذ يكون مبدئياً أبيض أو ملوناً بالأشهب، أصفر، وأحياناً أحمر ؛ لمعانُه زجاجي إلى حريري.

من بين أنواع الجبس نذكر الـهَيْصَم ذا حبيبات دقيقة، والسِّلنيت أو جبس القمر، ونَجِدُه على شكل ألياف شفافة، صافية البياض. كثيراً ما نجد الجبس على شكل تلاصف بلوري، أو "حديد الحربة" أو "ذيل الخطاف".

يتكون الجبس بعملية تبخر المياه الغنية بالملح، إذ نجده

مجتمعاً إلى حجر الملح والاينذريت. يستعمل الجبس الطبيعي خاصة في صناعة البناء، حيث يُعَرَّض لحرارة تتراوح ما بين 300° و400°، ويتحول على إثرها إلى جبس صناعي "أكثر صلابة. ويستعمل الجبس كذلك في ميدان الطب والصباغة. أما إذا ما رفعنا حرارته إلى ما فوق 400°، فإنه ينقطع عن امتصاص الماء، ونستعمله بعد ذلك في صناعة الألوان والإسمنت والنحت، وكذلك كحجر نفيس (سلنيت). ونستعمل الجبس أيضاً في صناعة الكبريت وحامض الكبريت.

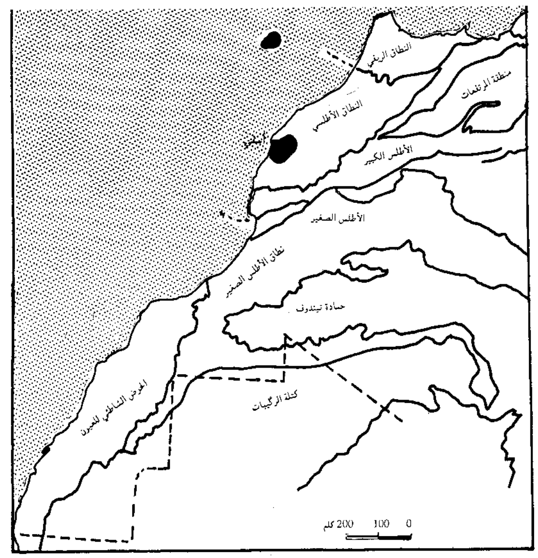


نجد الجبس بالمغرب في مناطق أسفي واليوسفية وسيدي تيجي وعين النقرة بالمغرب الأوسط وجبل معزوز (بناحية تاوريرت)، وكرسيف ووزان وواد نكور بالريف. يوجد الجبس في مناطق أسفي على هيئة طبقات وعدسات شبه أفقية متداخلة في صخور الجوراسي العلوي. وأيضاً نجد الجبس في الثلاثي والطباشيري والميوسين في عدة أماكن من المغرب، نذكر منها ناحية عين النقرة (المغرب الأوسط) وجبل معزوز (قرب تاوريرت) وكرسيف ووزان وواد نَكوْر (الريف).

يستعمل الجبس بالمغرب خاصة في صناعة البناء، والألوان، والإسمنت، والنحت وكذلك في صناعة الكبريت وحامض الكبريت. وتقدر الاحتياطات فيه بما يزيد عن 6 مليارات من الأطنان إلى حدود سنة 1977 م، ويصل إنتاج المغرب السنوي من هذه المادة إلى حوالي 100.000 طن يخصص الجزء الكبير منه للتصدير.

عبد الله بوصحابة

**الجبلي، أحمد** السوسي، أصله من بلاد جبالة بشمال المغرب، وهو من مواليد 1318 / 1900، حصل على نصيب لا بأس به من العلم فكان مجوداً للقرآن ومتمكناً من العربية والنحو، له إلمام بالفقه، إضافة إلى سلوكه القويم ودماثة أخلاقه ورغبته في المزيد من التحصيل، قضى فترات طويلة متنقلا في البوادي مجاهداً وطالباً وداعياً إلى جمع كلمة المسلمين ضد العدو المحتل للبلاد، جاهد تحت قيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي في الريف ولما استسلم هذا الأخير في سنة 1926 صمم أحمد الجبلي على متابعة الجهاد في أماكن أخرى بالمغرب، فالتحق بثورة محمد بن بلقاسم النكادي بتافيلالت واشتغل كذلك بتعليم الصبيان في مسجد مضغرة. ولما تمكنت فرنسا من احتلال هذا الإقليم توجه إلى تامكروت وقضى بها سنة ثم شد الرحال إلى المدرسة الإلغية بسوس وأقام بها سنتين طالبا وداعيا للجهاد، محاولا استنهاض الهمم وإيقاظ الشعور الديني والوطني في صفوف السكان بلسانه ومقالاته داخل المدرسة، وقد أورد له محمد المختار السوسي منشورين، الأول مؤرخ في أواخر عام 1350 / 1932 والثاني يحمل تاريخ 14 محرم 1351 / 20 ماي 1932 يدعو فيهما إلى الجهاد ويحلل فيهما الأوضاع داخل المغرب وفي فرنسا وأطماع الدول فيها. وممّا ورد في الأول قوله :

"ألم يكن في علمكم أن العدو ساع في طلبكم سعيا حثيثا، ويبذل مجهوده ليكون مالكا لرقابكم ولأرضكم وارثا، ولدينكم وأنسابكم مغيرا وعائثا... أرضيتم بالعيش على هذه الصفة بعدما كان أسلافكم ذوي كرم وعفة وأنفة". ويستطرد قائلا : "فإن فرنسا التي تخشون بأسها قد انتقلت من الذكورة إلى أن صارت فتاة عمومية وكل دولة تحاول الاختصاص بها، فعدوتها ألمانيا بما لديها مما اشتهرت به من أوصاف اليهودية تريد المساحقة بها عند اشتداد شبق السيطرة بها. وأميركا تريد الاستمتاع بها تحت ما لها من الديون ووفرة دنانيرها، وإيطاليا تناوشها وروسيا تسعى في إتلافها جزاء ما دسته لها من الدسائس إذ ورطتها في تلك الثورة العارمة وفقدت بذلك مالها ورجالها..."

وأما المنشور الثاني فيضم خمس صفحات ويصف في نفس المحور حيث أفاض في بيان قظائع الاستعمار ومعاينة الأهالي الخاملين أو المستسلمين للواقع، وتطرق فيه كذلك إلى المدعين المخادعين وإلى العلماء والأولياء واعتقاد الناس فيهم فيناشدهم قائلا :

"فما هذا الذهول أيها المسلمون، النوم اعتراكم حتى لم تبالوا بانكشاف سوءاتكم ؛ والدفاع عن أعراضكم لازال في استطاعتكم، ومجال العمل متسع لديكم، والظروف لكم مساعدة..." ويبذل جهده لإقناع مخاطبيه بأنهم بإمكانهم الانتصار على جيوش الاحتلال بشتى الوسائل إذا جمعوا شملهم في انتظام. وفي هذا الشأن يقول لهم : "أما الحروب ففي أثناء العمل يأتيكم من يدبرون شؤونها بمنتهى الدقة ويخوضون غمارها ويقتحمون أخطارها بلاءً وابتلاء إن دعت الضرورة لها..." وإذا أتيح للقارئ أن يطلع على المنشورين المذكورين في نصهما الكامل فسيقف على أن أحمد الجبلي كان سبّاقا لنشر الوعي السياسي الذي عرفته

الحواضر الكبرى ليعم العالم القروي الذي كان في أشد الحاجة إلى التأطير السياسي. فهذا الرجل جمع بين العلم والدعوة إلى الجهاد نظرياً وعملياً والإلمام بالأوضاع الداخلية والعالمية وبكل أسف لم يجد آذاناً صاغية.

ولما تمكنت جيوش الاحتلال من السيطرة على نواحي سوس في ذي القعدة سنة 1352 ؛ خشي الجبلي على نفسه فغادر البلدة متجها نحو أزاغار ثم مدرسة إيغيلالن عند الأستاذ الحاج مسعود الوقفاوي فأخذ عنه ما تيسر من العلوم وبعدها انتقل إلى الحواضر، ويبدو أنه توفي بعد سنة 1382 / 1962.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 331.

**الجبلي، أحمد** بن **محمد** الكنكسي، الأغزاوي الأصل، المكناسي النشأة والدار، فقيه مشارك، ماهر في التوقيت والتعديل وعارف بالنحو والفقه، من تلامذة الشيخ محمد ابن حلام والشيخ حمدون ابن الحاج السلمي، وقد اشتغل بالتوقيت بكل من جامع سعيد المشنزائي بمكناس وجامع مولاي إدريس بزرهون كما ساهم في التأليف وإن كان إنتاجه لا يتجاوز كتابين اثنين هما :

- *النفحات الوردية والمطيبات الطبيعية في تاريخ مكناس الزيتون المولوية* وهو كتاب في التاريخ غير عام.
- *روض الورد والزهَر في مولد المصطفى خير البشر*.

وقد وقف المؤرخ عبد الرحمان ابن زيدان على هذا المؤلف الأخير وتحدث عنه في كتابه *الإتحاف* وأورد فقرة من مقدمته تعكس محبة الجبلي للجناب النبوي الشريف.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 : 364 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 1 : 63.

محمد مازَمان

**الجبلي العيدوني، أحمد** بن محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب العلمي حسبما أورده بنفسه في *مذكراته* التي قال فيها إن أصل أسرته من بني عروس، وأن جده عبد الله انتقل إلى الرباط سنة 1173 / 1759 حيث ولد فيها ابنه محمد والد أحمد المترجم.

كان أحمد الجبلي العيدوني ضمن البعثة الطلابية الموجهة إلى إيطاليا أوائل القرن الرابع عشر (19 م). ولما عاد إلى المغرب سنة 1314 / 1896 انخرط في الأسلاك العسكرية حتى سنة 1320 / 1902 فقدم استقالته.

زودني ابنه الدكتور أحمد الجبلي العيدوني (وهو سمي أبيه) بصورة من المذكرة المشتملة على تفاصيل حياته وتعلمه بالخارج. قال فيها إنه ولد بالرباط يوم 13 صفر عام 1283 / 27 يونيو 1866، وأنه خرج من طنجة يوم 8 ربيع الأول عام 1305 / 24 نونبر 1887 على متن الجوالة الإيطالية "گاريبالدي" فوصلت إلى جنوة يوم 27 منه. ثم التحق بالمعهد الدولي الإيطالي بمدينة طورينو حيث تلقى تعليماً أساسياً هو وجماعة من المغاربة. وفي أكتوبر سنة 1891 التحق بمدرسة تكوين ضباط المشاة بمدينة مودينا. وفي أكتوبر من السنة التالية 1892 نجح في مباراة الدخول إلى الأكاديمية العسكرية لضباط المدفعية بمدينة طورينو. وفي 22 محرم عام 1313 / 15 يوليوز 1895 تخرج منها ضابطاً ثم أكمل تدريبه العسكري بمراكز بإيطاليا.

ولما عاد إلى المغرب بعد غيبة دامت نحواً من تسع سنوات وُظف في الجهاز العسكري وشارك في الحملات المخزنية بالشاوية وتادلة (1897)، وأنجز مهمتين طوبوغرافيتين، وخريطة للمغرب. وفي سنة 1900 توجه إلى ألمانيا بوصفه رئيساً لوفد عسكري زار معامل كروب ومعه أمين الصائر أحمد مدينة وثلاثة من رفقائه السابقين بإيطاليا وهم محمد بن عمر العبَّاري الحريزي الرباطي ومحمد التدلاوي الرباطي ومحمد بن الوزاع الرباطي. وفي سنة 1901 كان عضواً في اللجنة المغربية الفرنسية لتخطيط الحدود بين الجزائر والمغرب برئاسة مَحمد الجباص. لكنه في سنة 1902 قدم استقالته من الجيش، ووصله السلطان بجراية صغيرة وزوده برسالة تسمح له بأن يفتح بالرباط مدرسة لتعليم الرياضيات واللغات الأجنبية لأولاد المدينة، غير أنه وجد معارضة من لدن قاضي البلد، بسبب التعصب كما قال.

كان أحمد الجبلي العيدوني متزوجاً بامرأة نبيلة من روسيا أنجبت له ثلاثة أطفال : محمد الذي سيصبح محامياً بمراكش ثم سيموت، والآخران أحدهما هو الدكتور أحمد الذي أفادني بأن أباه لما استقال من الجيش أخذ يشتغل في الحقل الزراعي، وأنه كان من مثقفي عصره ومن الواعين. ولذلك قُبض عليه وسجن في قضية الظهير البربري سنة 1930. وكانت له مواقف ضد غلاة الاستعمار، فكان يحاول التعبير عنها.

توفي بالرباط يوم 21 شعبان عام 1355 / 6 نونبر 1936.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 4 : 1357 ؛ *مذاكرة مع ولده الدكتور أحمد الجبلي* ؛ *الوثائق الملكية*.

*Les mémoires d'Ahmed Jebli*, texte intégral in Bouchaara, *"Al-Istitan"*, Tome IV.

مصطفى بوشعراء

**الجبلي، محمد بن الهاشمي** الحمري "الفقيه العلامة المشارك المدرس الخيِّر الدِّين"، من أشياخ السلطان الحسن الأول. وجهه هذا الأخير إلى بلد احْمَر من قبيلة عبدة للتدريس به، فقام بما طُلب منه إلى أن أدركته المنية هناك عام 1300 / 1882.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2678.

محمد حجي

**الجبهة**، مدينة شاطئية صغيرة تابعة لإقليم الشاون تتوسط الساحل الريفي المطل على البحر المتوسط عند تلاقي الاحداثيات الجغرافية '40°4 طولا و'13°35 عرضا، كما توجد في مقدمة منطقة غمارة غرب رأس الصيادين ؛ ورغم كونها تتوسط المسافة بين تطوان والحسيمة فقد ظل سبيل الوصول إلي الجبهة، حتى منتصف الثمانينات، مقتصراً إما على الطريق الثلاثية رقم 8500 التي تصلها بالطريق رقم 39 على مسافة 60 كلم، أو على البحر.

انفتحت الجبهة إلى جانب بادس وقلعة طريس والنكور وسبتة ومليلية على البحر المتوسط لتمارس التجارة وتراقب مجالا بحريا ظل، لقرون عديدة، مصدر تهديد للأساطيل الرومانية وبعدها الصليبية الإسبانية، فتوفقت لذلك مرات وفشلت مرات أخرى.

يرتبط موقع مدينة الجبهة بمجموعة من القبائل الغمارية تحيط بها (بني جميل، مسطاسة، متيوة، بني رزين، بني سميح، بني جرير، بني منصور، بني خالد ...) ؛ وبعنف الاتصال بين القارة والبحر وبتغير السحنات الجيولوجية وقوة مفعول البناء الصخري ونوعية الاشكال المرفلوجية، وتعدد مظاهر الإثارة لدى زائرها من خلال عدة معطيات إضافية (شكل 1) :

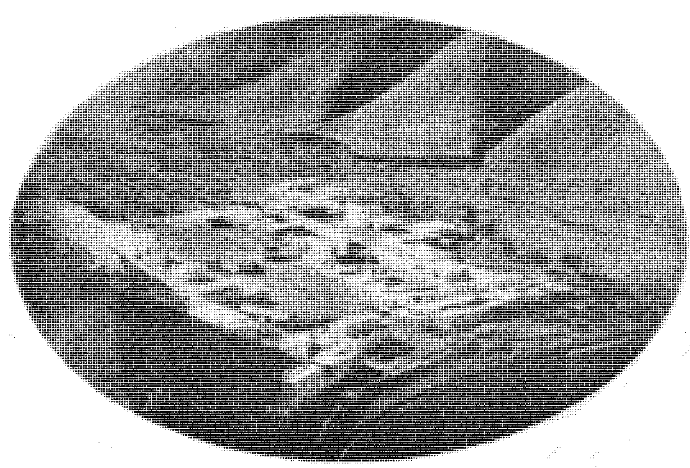

**الجبهة سنة 1939**

1 - تزايد الارتفاعات نحو الداخل بشكل سريع ولافت للنظر بحيث تنتقل من 400 م فوق السفوح المشرفة على البحر إلى أزيد من 1000 م على بعد بضع كلمترات من الشاطئ (جبل حمدون 1003 م، إقروشن 1069 م).

2 - موضعها عند قدم جرف كبير يمتد من الشرق نحو الغرب بهيأة حرف "س" يشرف عليها وعلى البحر بعشرات الامتار (رأس الصيادين).

3 - وجود مدرج دائري الشكل، فريد النوع، شرق رأس الصيادين، يدير ظهره إلى الجبهة، يشبه فوهة بركان مفتوحة نحو الشمال، محاطة بسفوح شبه عمودية، تملؤها مياه البحر.

4 - يظهر الشريط الساحلي شكلا خطيا منتظما (فيما عدا رأس الصيادين) وهو صخري في مجمله، يمتاز بالوعورة والانحدارات القوية (<35°) كما يفسح المجال لشواطئ ممتدة رملية وحصوية في الشرق وفي الغرب.

5 - اقترن اسمها بحادث تكتوني كبير، ساير التطور الجيودينامي للبحر المتوسط الغربي منذ نشأته :

يوجد ساحل الجبهة ضمن تكوينات الوحدة الموريتانية أو الماسلية (كريتاسي) أي بين هضبة بقوية الكلسية والريف الداخلي الذي يناسب كتلة بني بوزرع المؤلفة من بريدوتيت وصخور أولية يغلفها ويحيط بها غطاء رسوبي من الزمن الثاني (غمارة). وهي عبارة عن فرشات الفريش أو الفليش التي تناسب إرسابات فتاتية توضعت في منخفض عميق على هامش صفيحة البرهان وذلك على امتداد الكريتاسي، والزمن الثالث (Wildi, 1983). وقد ساهم حادث "الجبهة - الشرافات" إلى جانب حادث "نكور" الذي يمر شرق الحسيمة بكيفية فعالة في بناء السلسلة الريفية (Piqué, 1995). فقد أدى حادث الجبهة المياسر إلى انزلاق الجزء الريفي - البيتيقي لصفيحة البرهان في اتجاه الجنوب الغربي وذلك على امتداد الزمن الثاني والزمن الثالث ؛ وكان من نتائج ذلك زحف وحدات النطاق الداخلي فوق فرشة تزيرن. ولازال دور هذا الحادث محوريا في أغلب الحركات الزلزالية التي يتعرض لها النطاق الريفي (Asebriy, 1994 ; Cherkaoui, 1991 ; Asebriy, 1994 ; Michard, 1976).

يخترق الشريط الساحلي تكوينات جيولوجية، تشرف مباشرة على البحر، أحيانا بمئات الأمتار (600 م إلى 400م)، فيما تنعدم مخلفات الزمن الرابع القارية والبحرية نتيجة استمرار مفعول الانتهاض الذي عرفته جبال الريف ؛ ويقتصر الإرساب الحديث على قعر واد ورينجة والشاطئ الذي يقترن بتوضعات رملية وحصوية. فالساحل الرملي عند مصب واد ورينجة يستمر شرقا بمحاذاة الطريق الساحلي على مسافة 4 كلم حتى الجبهة، بينما تشرف عليه من الجهتين اليمنى واليسرى سفوح بمئات الامتار : (زمانة 500 م وتاوسات 800 م). وهي شواطئ تمثل مجال استقبال ورصيداً سياحياً كبيرين.

يمتاز مناخ الجبهة بكونه متوسطياً تقل فيه التساقطات (350 مم كمعدل سنوي) ويغلب عليه الفصل الجاف لأسباب عدة منها :

- اعتراض الظهر الكلسي والسلسلة البتيقية لجل الاضطرابات المحيطية الغربية.
- انعدام العلو بحكم موقع المدينة على البحر.

- تأثير ضعيف لضغوط غرب المتوسط المرتبطة بمنخفض البليار على السواحل الريفية.

وانضاف لهذه السلبيات المناخية ما تعرض له الغطاء النباتي خلف الجبهة من اجتثاث ممنهج خلال القرن العشرين (سياسة الأرض المحروقة من طرف الإسبان أثناء حرب الريف، حرائق مفتعلة لتفادي العمليات الفدائية في الخمسينات، تحايل السكان من أجل تملك الأرض في الربع الأخير من القرن العشرين). وبذلك تحولت كل السفوح إلى أراض عراء، وهو ما يشكل خطورة قصوى على استقرار الأتربة والأنشطة الحيوية. وبالنظر إلى الفراغ النباتي المتزايد نتيجة أوضاع طبغرافية وبيئية متدهورة، يعرف الجريان المائي تصريفا آنيا يؤدي أحيانا إلى احتمال وقوع مخاطر طبيعية ذات مخلفات كارثية من جراء قوة انحدار السفوح وعدم نفاذية الصخور وعنف التعرية التي تهدد الطرق والمنشآت.

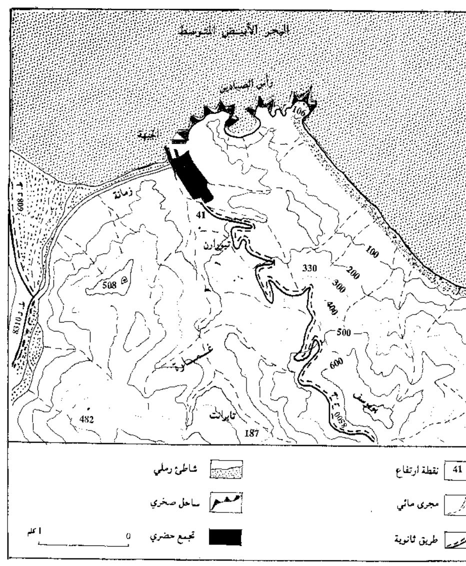


الجبهة

مستقبل الجبهة في فك عزلتها : تسجل الكثافة السكانية حوالي الجبهة أدنى مستوياتها في جبال الريف، ومرد ذلك لأسباب منها :

- سيادة المناخ شبه الجاف
- قلة موارد المياه السطحية والباطنية (Thauvin, 1971)
- قوة انحدار السفوح، اجتثاث الغابة والافتقار للتربة
- هجرة السكان إلى خارج المنطقة بحثا عن مصادر العيش
- انعدام الطرق ووسائل النقل

والواقع أن ارتباط الجبهة بتطوان (80 كلم) بواسطة الطريق الساحلي رقم 608 يعود إلى منتصف الثمانينات فقط، وبالطريق رقم 8310 التي تربطها بالطريق رقم 39 بين كتامة وباب بَرِّد إلى أوائل التسعينات ؛ في حين يشهد الطريق المتقادم 8500 الذي ينزل رأسا من كتامة إهمالاً ملحوظاً استمر عشرات السنين.

ومن شأن إكمال جزء من الطريق الساحلية الذي يفصل الجبهة عن بني جميل غرب بني بوفراح (حوالي 30 كلم) وربطه بالطريق رقم 610، تحقيق أحد أهم الإنجازات في الريف بعد طريق الوحدة. والنتيجة المنتظرة هي فك عزلة طالما عانى منها اقتصاد الساحل المتوسطي وساكنة الجبهة وجبال الريف بل واقتصاد المغرب كله.

ظلت الجبهة على امتداد القرن العشرين عبارة عن تجمع سكاني متواضع وهي حالياً مدينة صغيرة بها عدة مقومات حضرية خاصة بعد ربطها بالطريق الساحلية القادمة من واد لاو. يتمثل نشاطها فيما تقوم به جماعة الجبهة وجماعة بني سميح من مشاريع وهي قليلة، وفي الخدمات المرتبطة ببعض المصالح الإدارية ؛ بينما يختزل الميناء أهم نشاط اقتصادي منتج إذ يجمع إنتاج الصيد البحري ويسوقه في المناطق المجاورة. ويبقى ساحل الجبهة مجالاً خصباً قابلاً للاستثمار وتوظيف الجهود واستقبال عناصر التهيئة والتعمير شريطة إعداد محكم.

ونشير أخيراً إلى أن موقع الجبهة على ساحل يمتاز بالوعورة حال دونها وطرق المواصلات أواسط القرن العشرين، وقد اكتسبت مؤخراً أهمية متنامية من تحسن البنيات الأساسية على امتداد الواجهة البحرية للريف الأوسط خاصة الطرقية ومن انفتاحها على البحر المتوسط. وهي تتطلب عناية حقيقية بالجوانب البيئية للسفوح المطلة على المدينة. بالمياه الإقليمية المتوسطية درءاً لكل تلوث. وبمنطقة رأس الصيادين باعتبار أهمية الموقع الجيولوجية وأصالة الأنواع الإحيائية القارية والبحرية.


L. Asebriy, *Evolution tectonique et métamorphique du Rif central : définition du domaine subrifain*. Th. d'Etat. Univ. de Rabat, 1994, 284 p. ; T.E. Cherkaoui - D. Hatzfeld, *Evaluation de l'aléa sismique au Maroc*. 7ème Cong. Intern. de l'AIGI, Lisboa, pp. 2065 - 2073, 1994 ; G. Maurer, *Les montagnes du Rif central, étude géomorphologique*. Rabat, 1968, (*Travaux de l'Institut Scientifique, série géologie et géographie physique*, n° 14), p. 499 ; A. Michard, *Eléments de géologie marocaine*, Rabat 1976, *Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, n° 252) ; A. Piqué, *Géologie du Maroc : les domaines régionaux et leur évolution structurale*. Rabat, 1994, p. 284 ; J.P. Thauvin, *Ressources en eau du Maroc: domaine du Rif et du Maroc central.*; Rabat 1971, (*Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, n° 231), T. 1, p. 321 ; W. Wildi. *La chaîne tello-rifaine : structure, stratigraphie et évolution du trias au miocène. Rev. de Géol. Dyn. et de Géog. Phys.*, vol. 24, n° 3 (n° spécial), 1983


بوشتى الفلاح

**الجبيلات** ، سلسلة جبلية تمتد وسط البلاد من الغرب نحو الشرق، بكيفية مستطيلة ومُوازية لأطلس مراكش. وهي وحدة تضاريسية متوسطة الإمتداد. طولها حوالي 170 كلم. ويتراوح عرضها بين 7 و40 كلم. تقارب مساحتها 3800 كلم. يحدها شمالاً منخفض البحيرة - السراغنة السهلي وهضبة الكنتور، وجنوباً سهل الحوز الممتد عند قدم

الأطلس المراكشي. تحدها غرباً هضبة المويسات الكلسية وشرقاً النهاية الغربية لأطلس بني ملال. وعموماً فالجبيلات مجموعة من التلال الخطية أو المنعزلة المتواضعة الارتفاعات. تتخلل هذه التلال سهول وأحواض صخرية. والمجموع معرض للالتواء العنيف. وهي تضاريس غير متماثلة، بحيث توجد أعلى التلال شمالاً والتي تشرف على منخفض البحيرة - السراغنة بكيفية عنيفة، في حين تمتد الحادورات الطويلة التي تغوص تحت المواد الفتاتية لسهل الحوز جنوباً.

1 - التضاريس :

يسمح كل من الانتظام التضاريسي والامتداد الطولي والتكوين البنيوي بتقسيمها إلى ثلاث مناطق هي من الغرب نحو الشرق.

1.1 - الجبيلات الغربية : تتكون كليا من رواسب النظام الكمبري، لكن في اتجاه الشرق تبرز مواد الأردوفيسي. وهي مواد سميكة جداً ومتناقضة صخاريا. وقد تطورت فيها تضاريس متواضعة جداً، إذ لاترتفع إلا قليلاً عن سهل الحوز الغربي. وتتكون من أعراف خطية متوازية شمالية - جنوبية أهمها من الغرب نحو الشرق : جبل إغود، جبل علاب (334 م)، جبل مويتكور (713 م)، جبل بوگادر (783 م)، ثم جبل سغليف (944 م). معظم هذه الأعراف عبارة عن عوارض من الصخور المقاومة (الحث، المروة، الكلس) قوية الميل. وتفصل بينها منخفضات مشكلة في صخور هشة ترياسية (منخفض سيدي شيكر + منخفض زيما) أو أولية شيستية خضراء عبارة عن سهول صخرية واسعة. وتصير هذه المنخفضات أكثر وضوحاً نحو الشرق. والطابع الأساسي للتضاريس هو التغاير والتقطع الشديد وكونها أبلاشية أولية مختلفة. تغوص غرباً تحت الغطاء الثانوي الجوراسوكريتاسي في حين تزداد ارتفاعاً وتعقيداً في اتجاه الشرق.

2.1 - الجبيلات الوسطى : مجال تتطور فيه ظاهرة الأعبلة والتحول الذي أصاب صخور الفليش النيوفيزي الخضراء السميكة جداً. وهكذا تلاحظ عند توجهك إلى مراكش على عين الطريق الرئيسية رقم 7 الرابطة بينها والدار البيضاء النهاية الغربية لجلس أولاد واسلام الگرانيتي الذي يخترق صخور الفيزي الحاضنة التي تعرضت للالتواء العنيف والمعقد.

والتضاريس عبارة عن أعراف عالية وثقيلة تتخذ الاتجاه العام للسلسلة خاصة شرق الطريق. أهمها من الغرب نحو الشرق : جبل زق الطير (836 م)، جبل تكزيم

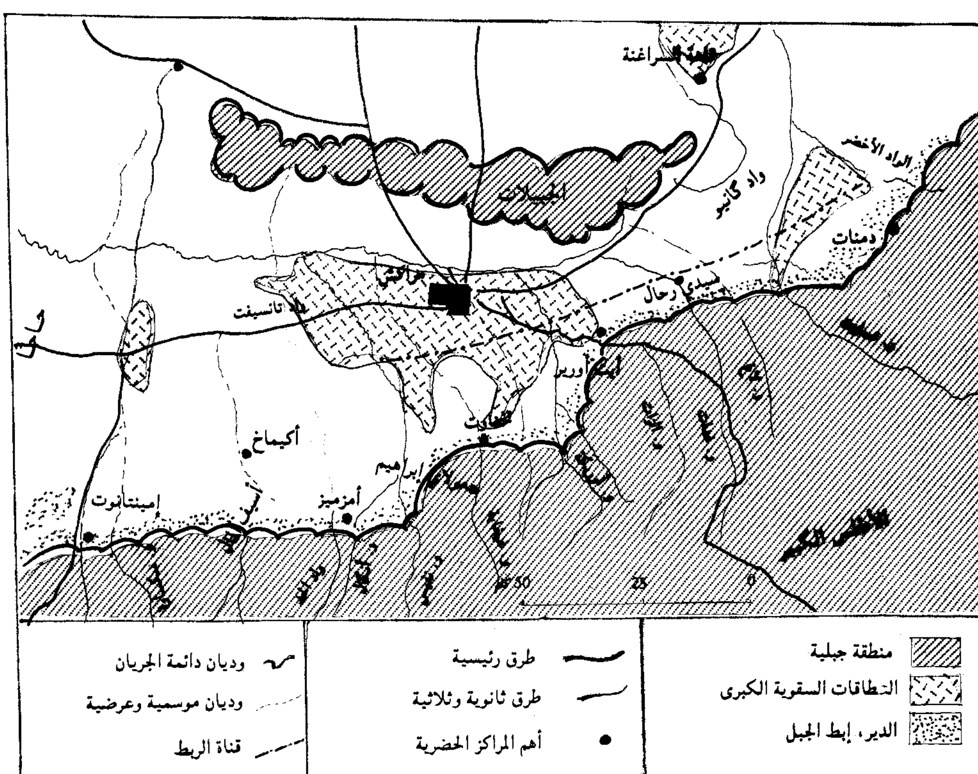


الجبيلات

(1061م)، جبل خروبة (1022 م)، جبل سماحة (907 م). أهم ما يميز هذه الأعراف التحدب والانسطاح التي لقممها. كما تفصل فيما بينها منخفضات مختلفة الاتساع : شرق سيدي بوعثمان : المنخفضات واسعة والتضاريس مهواة، في حين نجدها شرق جبل تكزيم تصبح ضيقة، عميقة وشبه مغلقة إذ لا تنفتح عن المنخفضات المجاورة للجبيلات سوى بأقدام ضيقة. وهكذا تتخذ جبيلات هذا الجزء مظهر تضاريس جبلية حقيقية.

3.1 ـ الجبيلات الشرقية : تتكون أساساً من صخور الفليش الثيزي التي تغطيها فرشة أولية (كمبروأردوفيسية) نقيلة. وانطلاقاً من كديتي مولاي علي (747 م) والمنجل (693 م)، وبالضبط شرق ثغرة واد گانيو الذي يحفر مجراه بمحاذاة مدينة قلعة السراغنة، تتخذ التضاريس تنظيماً مشابها لما نجده بالجبيلات الغربية : أعراف خطية موازية شمالية ـ جنوبية. وتتكون من صخور مقاومة (حث، مروة). تفصل بينها منخفضات مالحة أحياناً وتتخللها عروق صخرية تدعى صخيرات متواضعة الارتفاع. ويستمر هذا التنظيم حتى ثغرة وادي تساوت، حيث تقل الارتفاعات وتغوص الأعراف تحت الغطاء البرموترياسي. وهكذا نجد مرة أخرى تضاريس أپلاشية بالطرف الشرقي للجبيلات.

2 ـ البيومناخ والثروات المائية :

1.2 ـ البيومناخ : تبدو الجبيلات كمجال جاف إلى شبه جاف. وتجدر الإشارة إلى أنه لاتوجد محطات مناخية بالسلسلة، بينما نجدها بأطرافها. بالحاشية الشمالية تتناقص الأمطار نحو الشرق : الشماعية (241 ملم) بن جرير (222 ملم)، قلعة السراغنة (249 ملم). وترجع هذه الزيادة لعامل الارتفاع الذي يتمثل في الجبيلات الشرقية. بالحاشية ـ الجنوبية : شيشاوة (175 ملم) مراكش (242 ملم).

ورغم تواضع التضاريس، فإن الجبيلات تشكل حاجزاً يسمح بالزيادة سواء في الكمية العامة للأمطار أو في مدة التهاطل بالمقارنة مع المناطق المجاورة مباشرة. مثلاً الأمطار المرتبطة بالاضطرابات الشمالية تصل بن جرير 80 ملم، وبسد المجنون بقعر سهل البحيرة 60 ملم لترتفع، بالسفوح الشمالية للجبيلات إلى 150 ملم على الأقل بالأعراف العليا. وبعد اجتياز القمم تتناقص في اتجاه تانسيفت إذ تصل إلى 490 ملم بمراكش، ويُضاف إلى ذلك التساقطات الضبابية وأهمية السحب الطبقية التي تتسلق الأعراف. ويلاحظ تزايد في الأمطار كذلك من الغرب نحو الشرق. وترجع هذه الظاهرة المعاكسة للوضع العادي لعامل تزايد الارتفاع. وهكذا تنقسم الجبيلات إلى منطقتين مطريتين مختلفتين حسب مخطط H. Delannoy المناخي : الجبيلات الغربية من جهة والجبيلات الوسطى والشرقية من جهة ثانية. في الأولى تتراوح الأمطار بين 200 و300 ملم، في حين تفوق التهاطلات 300 ملم في الثانية، لكن دون أن تتعدى 400 ملم. ذلك أن الجبيلات لا تشكل حاجزاً مسترسلاً ومتعامداً مع التيارات الشمالية سوى شمال وشمال شرق مراكش، في حين تتجزأ غرباً إلى أعراف خطية موازية لها. والخاصية العامة هي ضعف الأمطار وعدم انتظامها زمانياً ومجالياً.

ويقوي هذه النزعة نحو الجفاف الحرارة المفرطة خلال الفصل الساخن والتناقضات الحرارية اليومية والفصلية القوية، أضف إلى ذلك ارتفاع نسبة التبخر وتعرض المنطقة لهبوب رياح الشرگي خلال الصيف بالخصوص. ومن خلال رسم H. Delannoy، يظهر أن متوسط الحرارة الدنيا بالجبيلات الغربية أقل من ثلاث درجات (3°)، في حين يتراوح متوسط الحرارة العليا بين 36° و38°. أما بالجبيلات الوسطى والشرقية يتراوح متوسط الحرارة الدنيا بين 3° و6°. ومتوسط الحرارة العليا بين 38° و40°. وقد تتعدى الحرارة العليا القصوى 45°، والدنيا القصوى ـ 3° كما هو الحال بمحطة قلعة السراغنة الموجودة بأحضان الجبيلات الشرقية.

وتتجلى القحولة كذلك في نوع ومظهر الغطاء النباتي، بحيث يتكون من أصناف متدهوة متخلفة عن التشكيلة الذروية. وحسب R. Negre، يجب أن تسود غابة مفتوحة من العناصر التالية :

الأقاقيا أو السنط Accacia gummifera، العصفية Tetraclinis articulata مصحوبين بالزيتون البري أو العُتْم Olea europea (الزبوج)، والدوم Chamaerops humilis. وحسب Emberger تسود بالمنطقة سهوب مفتوحة مكونة من السدر أو العناب Ziziphus lotus، والبطم Pistacia atlantica اللذين يميزان المستوى الجاف. كما نجد بعض العناصر النادرة جداً من نبات الخروب Ceratonia siliqua كما هو الحال بجبل خروبة. كل هذه الأصناف تعرضت للتدهور، مما أدى إلى اختفائها (الدوم، العصفية، البطم) أو ندرتها الكبيرة (الزيتون البري، الخروب) أو الإفقار بفعل التدخل البشري (العناب السنط). وقد تسبب ذلك في إفقار وتدهور التربة وتعرية السطح على مجالات واسعة.

من الناحية الترابية، نجد أساساً أتربة هيكلية ضعيفة التطور بقعور الأودية وبالسفوح الخفيفة. أما السفوح الوعرة فتبدو مغسولة أو بها أتربة حجرية فوق الصخور المقاومة أو تربة فوق الصخور الرخوة. كما نجد أتربة ملحية خاصة بالجبيلات الشرقية.

2.2 ـ الثروات المائية :

1.2.2 ـ المياه السطحية : رغم كثافة الشبكة المائية وأهميتها، فإن الجريان السطحي محدود. وهو عبارة عن وديان موسمية أثناء حدوث التهاطلات ولفترة وجيزة جداً على شكل امتطاحات عنيفة. وتتجه إما نحو حوض

تانسيفت جنوباً أو نحو منخفض البحيرة ـ السراغنة المغلق شمالاً. والمحور المائي الرئيسي الذي يعبر الجبيلات شرقاً هو واد تساوت، لكنه ينبع من الأطلس الكبير الأوسط.

2.2.2 ـ المياه الباطنية : بما أن الجبيلات مكونة من صخور أولية ضعيفة النفاذية، فإنها لا تحتوي على فرشات مائية عميقة أو سديمات مهمة. ومع ذلك هناك جريان باطني يستغل شبكة الشقوق والتصدعات ومناطق التفسخ والتكونات السطحية، وبذلك تخضع المذخرات المائية لكمية وأهمية تلك المكامن. ورغم الإمكانيات المحدودة للمخزون المائي، فإنه ذو أهمية كبيرة لتزويد السكان والقطيع بالماء، وإقامة زراعة سقوية محدودة.

3 ـ الاستيطان ومراحل التعمير :

تستوطن الجبيلات قبائل عربية متنوعة من بني معقل أساساً. وقد عمرت المنطقة منذ عدة قرون.

1.3 ـ الجبيلات الغربية : تعمرها قبائل إداوبلال جنوباً وأولاد دليم شمالاً، وأولاد يوسف وجزء من احمر غرباً. وهي صحراوية الأصل تنتمي إلى مجموعات أهل سوس. وقد استوطنت المنطقة في أواخر القرن العاشر (16 م)، حيث كانت تشكل گيش السعديين.

2.3 ـ الجبيلات الوسطى : عمرتها قبائل عربية كذلك من أصل صحراوي من مجموعات أهل سوس. غرباً نجد جزءاً من أولاد دليم وحربيل. شرقاً يُعمرها جزء من قبائل الرحامنة الجنوبية المعقدة التركيب : عريب عطاية، أولاد عبد الله، سلام، أولاد عقيل على طول الحاشية الجنوبية، البرابيش وجزء من بني حسان شرقاً. وهذه القبائل مجموعة قوية أتت أولاً إلى سهل الحوز مقتفية أثر السعديين منذ بداية القرن العاشر (16 م) بعد ما طردت هسكورة البربرية. ولقد تم طرد الرحامنة من الحوز وإجلاؤهم شمال تانسيفت من طرف الگيش في العهد العلوي الذي منعهم من مراعي دير الأطلس. واستمرت مقاومتهم لهذا الطرد قرنين ظلوا خلالهما رعاة مسلحين. وابتداء من سنة 1897 بدأ عهد جديد ونزوع نحو الاستقرار.

3.3 ـ الجبيلات الشرقية : يعمرها جزء من قبيلة أولاد سيدي رحال من جبل خروبة غرباً إلى ثغرة واد گاينو شرقاً. وانطلاقاً من هذه الثغرة نجد قبائل سرغينية هي ادزور جنوباً وأولاد يعقوب وجزء من أهل الغابة الجنوبية شمالاً. وقد عمرت هذه القبائل المتعددة والمتباينة المنطقة في فترات مختلفة منذ بداية العصر الموحدي مكان قبائل مصمودية وبعد صراعات مريرة معها.

4 ـ النظام الرعيُزراعي بالجبيلات :

الجبيلات مجال طابعه المميز هو الفلاحة، حيث يتنازع الرعي والزراعة، الخاضعان للظروف المناخية المكانة الأولى في الحياة الاقتصادية.

1.4 ـ النشاط الرعوي أو "الكسب" : يُمارس هذا النشاط في معظمه بطريقة تقليدية وبكيفية واسعة. ورغم أهمية الكسب، فإن القطيع يبقى متواضعاً ومعرضاً لأخطار الجفاف والأمراض وتقلص المراعي نتيجة امتداد المساحات المزروعة. ولعل للإرث التاريخي وزنه في ذلك :

بالنسبة لقبائل الجبيلات الغربية، الوسطى فقد أتت إلى المنطقة بنمط عيشها الذي كان يعتمد على الرعي (جمال، أغنام، خيول). لذا منذ مجيئهم لم يحتلوا المجال باستمرار ولابكيفية دائمة، بل كانوا ينتقلون بين دير الأطلس ونهر أم الربيع بحثاً عن المراعي. ولم يساعد هذا النمط من العيش هذه القبائل على تطوير علاقتهم بالمجال. ومع بداية القرن العشرين وتطور الفلاحة تدريجيا، تقلصت المراعي، مما غير طريقة التعامل مع المجال وأدى إلى الاستقرار وممارسة الزراعة إلى جانب الرعي.

2.4 ـ النشاط الزراعي : الزراعة بالجبيلات زراعة احتمالية تعتمد أساساً على الأمطار، إذ معظم المجال عبارة عن أراضي بور. وهي كذلك زراعة معاشية تقليدية ترتكز أساساً على إنتاج الحبوب (الشعير، القمح الرطب، القمح الصلب) خاصة الشعير لأنه يتحمل الجفاف. وقد بدأ بعض الفلاحين حديثاً يزرعون الكمون. المردودية ضعيفة (5 قناطر في الهكتار)، يزيد من رداءتها ضعف التربة وذبذبة التهاطلات وعدم انتظامها، والبنية العقارية (باستثناء مجال الرحامنة، معظم باقي الأراضي جماعية).

يمارس السكان كذلك الزراعة المسقية، لكنها محدودة جداً. ونجدها ببطون الأودية، حيث إمكانيات وجود عيون ضعيفة الصبيب أو فرشة مائية محدودة تغذي الآبار. كما نجدها على طول ثغرتي گاينو وواد تساوت بالجبيلات الشرقية حيث إمكانيات السقي أهم. فواد گاينو يصرف جزءاً من مياه الحوز الشرقي. أما واد تساوت فيصرف جزءاً من مياه الأطلس التي ساعدت إلى تطوير ولجة على طول الثغرة. لكن أساليب الري تقليدية تعتمد على استعمال "أغرور" وجمع المياه في صهاريج لاستعمالها في ري بقع صغيرة عبارة عن أشرطة خضراء متقطعة. كذلك استعمال أسلوب الساقية بثغرة گاينو وولجة تساوت. وحديثاً بدأ بعض الفلاحين يستعملون محركات لضخ مياه الآبار، مما ساعد على ظهور مساحات خضراء خارج بطون الأودية وحيث يبدو الري ضرورة ملحة. وتهتم الزراعة المسقية بالمزروعات التالية : الحناء، الفصة، البصل، البقول، بعض الخضروات وبعض الأشجار المثمرة في مقدمتها الزياتين.

5 ـ الثروات والصناعات المعدنية :

تعتبر الجبيلات منطقة متعددة المعادن، إذ تضم رواسبها ثروات معدنية متنوعة، لكنها عبارة عن مكامن على شكل عدسات طويلة أو ركازات أو تركزات محلية.

1.5 ـ الجبيلات الغربية : نجد من الغرب نحو الشرق :

ـ مكامن عدسية ممتدة بقاعدة الجوراسي الأعلى من الرصاص والنحاس.

ـ الكلس المتعدن (الباريتين) بجبل إغود.

ـ ركازات متعددة من الباريتين بالرواسب الكمبروأردوڤيسية، من سلفور النحاس والحديد برواسب الأردوڤيسي (الدراع لكحل)، ركازات أوكدسات من البيريت Pyrite والمانينيتيت Magnetite (أولاد احميدة)، ثم ركازات متعددة من الرصاص، الزنك، النحاس، الكوبالت، النيكل بمنطقة بوگادر.

ـ عدسات سلفورية نحاسية حديدية كثيلة بقطارة.

2.5 ـ الجبيلات الوسطى : نجد من الغرب نحو الشرق :

ـ ركازات متعددة من الرصاص والزنك بجبل سغليف برواسب الڤيزي الأعلى.

ـ مكامن متعددة مرتبطة بالجلس الگرانيتي بأولاد واسلام وهي :

ـ ركازات قصديرية (بتابوشانت). فضية (بالكدية الحمراء، وبروك بلان) نحاسية (بالجبل الحيمر)، أُعبلية غليظة (سيدي بوعثمان).

ـ الگرافيت أو الاسْرُب بالكلس المتحول (فراگ الماء جنوب سيدي بوعثمان).

ـ مكامن حديدية بالمنطقة المنحدرة (بجبل تكزيم).

3.5 ـ الجبيلات الشرقية : ركازات نحاسية جنوب جبل سماحة وبجبل ادزور

وتدل هذه الثروة المعدنية على أن الجبيلات عرفت نشاطاً منجمياً مكثفاً في السنوات الماضية القريبة خاصة بناحية سيدي بوعثمان وقطارة. لكن كل هذه المناجم مغلقة ومتوقفة ماعدا منجم الميكابسيدي بوعثمان لأنها غير منتجة اقتصاديا (تكلفة أكبر من سعر السوق العالمي).

6 ـ آفاق التنمية : بالتفكير في مشاريع هيدروفلاحية واستغلال الثروات الطبيعية، يمكن تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالجبيلات التي تمثل حالياً مجال طرد بشري.

من الناحية الهيدروفلاحية تم انجاز سدين صغيرين (تلين) لأهداف زراعية أو لتوفير مياه الشرب للقطيع وهما : سد نزالة العزري بالجبيلات الغربية، وسد الرويش بالجبيلات الشرقية. لكن مثل هذه المشاريع لازالت محدودة جداً نظراً لصعوبة المسالك ووعورة التضاريس. لذا تم التفكير في نهج أسلوب بناء سلسلة من السدود المتواضعة على طول المجرى الواحد بهدف الدفع من مخزون السديمة (مشروع قدر بـ 150 مليون درهم). وبما أن المنطقة فلاحية، يمكن التفكير في مشاريع لتصنيع الإنتاج الحيواني وتحسين المراعي عن طريق تعويض زراعة الحبوب بزراعة الكلأ والشجيرات الرعوية على غرار مشروع التنمية واستطلاح الأراضي الرعوية بالرحامنة الشمالية.

من الناحية المنجمية، هناك تشجيعات لرخص البحث والتنقيب عن المعادن والرفع من الإنتاجية. وبما أن الجبيلات تضم أحجاراً رخامية ومواد بناء متنوعة، يجب كذلك تشجيع البحث وتعدد الحملات الاستكشافية لمكامن هذه المواد.

G. Beaudet, G. Maurer et J. Martin, *Remarques sur quelques facteurs de l'érosion des sols. R.G.M.*, N° 6, 1964 ; P. Baudy, *Economie forestière Nord-Africaine : Description forestière du Maroc*, Paris, 1958 ; H. Delannoy, *Aspects du climat de Marrakech et de sa région*, *R.G.M.*, N° 20, Rabat, 1971 ; J. Dresch, *Recherches sur l'évolution du relief dans le massif central du Grand Atlas, le Haouz et le Sous*, Tours 1941 ; P. Huvelin, *Mouvements pré-atlasiques et récents dans les Jbilets et sur leur pourtour*, Rabat 1973, (*Notes et Mémoires du Service Géologique, Maroc*, T. 33, N° 249); *Carte géologique et gitologique des Jbilets au 1 : 200.000* ; *Etude géologique et gitologique du massif hercynien des Jbilets (Maroc central)*, , Rabat 1977 (*Notes et Mémoires du Service Géologique*, N° 232 bis) ; J. Martin (et al...) *Géographie du Maroc*, Paris ; A. Michard, *Eléments de géologie marocaine*, Rabat 1972, (*Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, N° 252).

محمد زروال

**الجُحْرَة**، أسرة تطوانية قديمة مازالت موجودة أواخر القرن الهجري الثالث عشر. كانت تعرف بابن عَبُّو ثم غلب عليها لقب الجُحْرَة ـ بضم الجيم وسكون الحاء وفتح الراء ـ وتطلق الجُحْرَة في الدارجة على وعاء خزفي مخطط الداخل بخطوط محفورة تُحك فيها أوراق التبغ ثم يغربل مسحوقها ويضاف رماد فيطلع منه (طابا) التي تستنشق.

عرف من المتأخرين من هذه العائلة المعلم الحاج أحمد الجُحْرَة الدباغ حرفة توفي عن ولده المعلم عبد القادر الجُحْرَة الخراز حرفة، وهو والد الأستاذ الصحفي السيد مَحمد الجُحْرَة مدير مجلة *الأنيس* الثقافية الفنية التي صدرت بتطوان خلال عقود من السنين.

م. داود، *عائلات تطوان*، حرف ج، نسخة المؤلف بخطه بمكتبته بتطوان.

محمد بوخبزة

**الجَحْموم** ـ حسب النطق الدارج في المغرب ـ أو الشّحرور في اللسان العربي الفصيح، جنس طير من رتبة الجواثيم Passeri formes ومن فصيلة الدّج Turdidae. يسمى علمياً توردوس مرُولا Turdus merula ويدعى بالفرنسية Merle noir وبالأنجليزية Blackbird وبالإسبانية وبالإيطالية Merlo.

وهو طائر أسود اللون، حسن الصوت يسمى بالشحرور لسواد لونه. ومادة شحر تعني السواد، وتدل مادة جحموم أيضاً على اللون الشديد السواد.

يبلغ طول الكبار خمسة وعشرين سم، وبسطة الجناحين 38 سم. يتراوح وزنه ما بين سبعين ومائة وعشرين غرام. تتميز الذكور بريش شديد السواد وبمنقار أصفر قوي وبعينين محاطتين بالأصفر. وريشُ الإناث بني داكن قليل السواد، أما المنقار فهو بني.

يحب الجحموم الانعزال وكثيراً ما يعيش مزدوجاً في الأدغال والغابات والوديان الكثيرة الأشجار، ومع مرور الزمن تأقلم مع الإنسان وأخذ يعيش في البساتين والحدائق المنزلية سواء في المدن أو في القرى وهو طائر كثير الانتشار في المغرب.

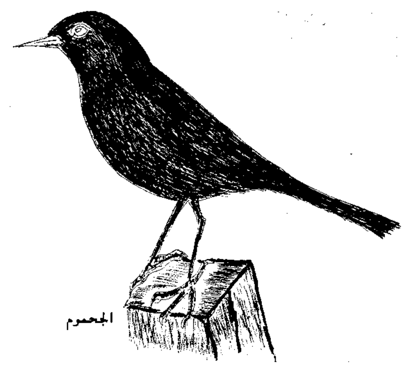

الجحموم

تمتد مرحلة التوالد من شهر مارس إلى شهر يوليوز وغالباً ما تضع الأنثى البيض مرتين ونادراً أربع مرات في السنة. تلد من 3 إلى 5 بيضات و9 بيضات نادراً، لونها أخضر يميل إلى الأزرق منقطة بالأسود والأحمر. تزن كل بيضة من 6 إلى 9 غرام ويبلغ طولها 29،4 × 21،7 ملم.

إنه طائر شديد التستر يبني عشه في أماكن خفية يصعب العثور عليها وسط الأدغال والغابات الكثيفة الأشجار. توضع الأعشاش على الأشجار وتصنع من الأعشاب اليابسة وقطع الأغصان المخلوطة بالتراب المُبلل. يفرش الوكر من الداخل بأوراق الأشجار اليابسة وبقليل من رئيس الطيور. تلد الأنثى بيضة كل 48 ساعة وتدوم مدة الحضانة من 11 إلى 17 يوماً يقوم الزوج خلالها بالحراسة وبعد تفقيس البيض يقدم الزوجان الطعام إلى الصغار مدة أسبوعين أو ثلاثة ريثما تصبح الفراخ قادرة على الطيران.

يتغدى الشحرور من الديدان والحبوب والفواكه كالتين والعنب، وكثيراً ما يصاد في البوادي من طرف الأطفال.

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement d'oiseaux d'eau au Maroc. 1986, 1987 et 1988.*, Rabat, 1988, (*Doc. Inst. Sci. 11*) ; W. Reade et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids : Reproduction, œufs et jeunes*, Paris 1968, p. 260 - 261 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris 1977, 430 p. ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The Birds of Britain and Europe With North Africa and Middle East*, London, 1984, p. 256 - 257.

محمد رمضاني

**الجدرتي، الهاشمي** بن قدور المراكشي. كاتب فاضل صدوق خيّر دين، من كبار ولاة المخزن بالجنوب، كان له الإشراف على أمناء بلاد حاحة.

توفي ليلة الأحد 29 قعدة عام 1303 / 29 غشت 1889.

م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 125 ؛ ع. ابن سودة *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2766.

محمد حجي

**الجُدَري**، مرضٌ مُعد وفتاك، عرفته الإنسانية منذ القديم، يصيب جميع الأعمار لكنه أكثر ما يصيب الأطفال. يتميز هذا الوباء على الخصوص بظهور الطفح الجلدي على شكل حبيبات صغيرة، تكبر وتتحول إلى فقاقيع قيحية. وهناك وصف قيم عنه للطبيب العربي أبي بكر الرازي (865 - 925 م) وهو أول من ميز بينه وبين الحصبة. انتشر هذا المرض تدريجيا من مصر في مجموع حوض البحر المتوسط، وغالباً ما كان ضمن الأوبئة التي اجتاحت بلدان المغرب الكبير والتي نعتها المؤرخون عادة بالطاعون. بيد أننا نجد الإشارة إليه عند المؤرخين المغاربة، كابن عذاري وابن خلدون، وعند ليون الافريقي، وهم يذكرون بالخصوص الأوبئة التي اجتاحت افريقية في السنوات : 830 ؛ 843 ؛ 881 ؛ 915 ؛ 923 ؛ 929 ؛ 1004؛ 1076.

ظل الجدري يندلع في المغرب في السنوات اللاحقة في دورات، تختلف المدة الفاصلة بين كل منها بين أربع وتسع سنوات. وفي القرن الثاني عشر (18 م) ألف الطبيب والشاعر المغربي عبد الوهاب أدراق منظومة عنه بعنوان : *هز السمهري فيمن نفى عيب الجدري*. إلا أن الأدبيات المغربية لم تزودنا عنه، عموماً سوى بإشارات مقتضبة لاتساعد على تتبع زحفه أو تحديد خسائره البشرية. ولزم علينا انتظار حلول النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) لنجد تفاصيل من هذا النوع في التقارير التي تركها الأطباء الأجانب المستقرون في المراسي المغربية التجارية. ففي سنة 1284 / 1867 اتخذ الجدري شكلاً كاسحاً في مراكش إلى حد أنه لم يسلم من ضرره سوى العدد القليل. وتزامن ظهوره في عام 1294 / 1878 مع أزمة غذائية حادة وتفشي أوبئة فتاكة أخرى، كالكوليرا والتيفوئيد ؛ ومن 7 شتنبر إلى 16 أكتوبر فتك في الدار البيضاء بـ 987 شخصاً (منهم سبعة وستون يهودياً) جلهم من الأطفال (60٪) وخلف في الصويرة مائتي ضحية (يوليوز - غشت) وفي آسفي 500 ضحية (يوليوز - شتنبر) وفي الأشهر الأخيرة من عام 1298 / 1882 اكتسح جل المدن، وفتك في الرباط خلال شهر واحد (دجنبر) بـ 250 شخصاً، وخلف خسائر كبيرة في مراكش ومكناس، قُدرت في المدينة الأولى بنحو 300 ضحية في اليوم. ولم تمض سوى سنوات معدودات حتى عاد إلى الظهور في العام 1305 / 1888، وبقي متفشيا في الدار البيضاء خمسة أشهر، مخلفا بها 20 ضحية في اليوم جلهم من الأطفال. وتفشى من جديد في السنوات 1891 - 1893 بدءاً من

الصويرة حيث فتك خلال صولته بها بما تراوح بين 20 و30 ضحية في اليوم، ليبلغ مجموع ضحاياه بها في أبريل 1892 حوالي ألف وخمسمائة ضحية، أي ما يعادل 12٪ من سكان المدينة (10.000 - 12.000 نسمة)؛ من الصويرة انتشر الوباء جنوباً في مراكش وسوس، وشمالاً في الدار البيضاء وطنجة؛ وفي نهاية 1892 وبداية 1893 كان مايزال يخلف يومياً 6 ضحايا في أسفي و50 ضحية في تطوان. وقبل أن ينتهي القرن الثالث عشر (19 م) أحدث خسائر كبيرة في مراكش إلى حد أنه فتك فيها بـ 2.500 طفل (صيف 1899).

ورغم الجهود التي بذلت في عهد الحماية الفرنسية لمحاربة هذا الوباء، فإنه ظل متركزاً في المدن بشكل مستمر، ففتك في ربيع 1913 بأبي الجعد (7 إلى 10 ضحايا في اليوم)، خلال سنة 1914 تجاوز عدد الحالات المسجلة 2.500 حالة بالنسبة لمجموع المنطقة الخاضعة للنفوذ الفرنسي، وسجلت حالات أخرى في السنوات 1916، 1919، 1923، 1927 قبل أن يضرب الوباء بقوة من جديد في السنوات 1932 و1941 - 1942. مع ذلك، كان عدد الموتى به يقل من وباء إلى آخر. فخلال 1932، أحصي 381 مريضاً في المستشفيات الرئيسية، توفي منهم ما يعادل نسبة 31٪؛ ومن يناير إلى شتنبر، أحصي 1354 مريضاً لم يهلك منهم سوى خمسين، أي ما يعادل 3،6٪ فقط.

أمّا التلقيح ضد المرض، فقد مارسه السكان بوسائلهم التقليدية منذ عهد بعيد. والتلقيح الحديث بدأ استعماله في المغرب منذ الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (19 م) بفضل الأطباء الأجانب. وخلال وباء سنة 1882 قام الطبيب الفرنسي لينارس (F. Linares) بتلقيح عدد من السكان المسلمين، خاصة من عائلة النائب السلطاني محمد بركاش. إلا أن الحملة لم تتعمم إلا في عهد الحماية. وكان معهد التلقيح بالرباط هو الذي يتولى في البداية مهمة توفير الحقن اللازمة، قبل أن يضطلع بها فيما بعد معهد باستور بالدار البيضاء. ومن 1914 إلى 1942 أجريت العديد من التلقيحات (17 مليونا في ظرف 28 سنة).

وابتداء من الأربعينيات من القرن العشرين شرع في إنجاز برنامج موسع يستهدف الحقن الجماعي للسكان في كل سنة، كما شرع في التاريخ نفسه في تلقيح المولودين الجدد. وقد توبعت هذه الجهود في عهد الاستقلال مما لعب دوراً حاسماً في السيطرة على المرض، بحيث إنه لم يعد مشكلة صحية تذكر.


م. الأمين البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب*، الدار البيضاء، 1992.

G. Sicault, *Epidémiologie de la variole au Maroc*, *Bull. de l'Inst. Hyg. du Maroc*, Nouvelle série, T. II, 1942, Rabat, 1943.


محمد الأمين البزاز

**الجديدة** - تاريخ - مدينة شهيرة جنوبي الدار البيضاء، كانت تدعى مازغان ثم البريجة، ولما تحررت من الاستعمار البرتغالي على يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1183 / 1769، بعد احتلال دام 267 سنة؛ قام البرتغاليون قبل ركوب البحر، بإحراق جميع الأثاث الذي لم يقدروا على حمله معهم وبإتلاف الأسلحة الخفيفة والمدافع والوثائق كما زرعوا الألغام في الحصون وداخل الأبواب الرئيسية كل واحد منها ما بين 40 و50 برميلا من البارود، فانفجرت تلك الالغام أثناء دخول المغاربة إلى البريجة، وتهدمت الأسوار والأبراج، وأسفر الانفجار عن قتل أزيد من خمسة آلاف مغربي، هذا بالإضافة إلى البيوت والمخازن التي كانت المدافع المغربية قد خربتها أثناء الحصار، فخلفت تلك الانفجارات وذلك العدد الهائل من الضحايا اثراً سيئاً ورعباً كبيراً في نفوس سكان الناحية جعلهم يسمون البريجة بالمهدومة، مرددين هذه المقولة المنسوبة لسيدي عبد الرحمان المجذوب: "بَاتْ حْذا دُومَة، لاتْبَاتْ في المهدومة!"

وظلت البريجة مخربة مهجورة، طيلة خمس وخمسين سنة، لايجسر على دخولها إلا بعض المغامرين للبحث عن بعض الأثاث أو لنقل بعض الأبواب والنوافذ. ويقول شينيي Chenier الذي زار البريجة سنة 1195 / 1781، أي بعد تخريبها باثنتي عشرة سنة: "توجد مدينة البريجة اليوم في حالة خراب تام، وهي خالية تقريباً من السكان، ولقد عمد الأهالي إلى انتزاع ألواح البيوت وجوائزها، فأصبحت الجدْران لاتتماسك إلا بأعجوبة. ولقد شاهدت بها في سنة 1781 اسقالة ألحقت بها القبائل بعض الأضرار، وهي جديرة بإثارة إعجاب السواح من حيث أناقة بنائها، ويتم النزول إليها بواسطة دَرَج، وهي مُضاءة إضاءة رائعة وقبتها محمولة على 25 عموداً في غاية التنسيق".

ولاشك ان من بين أسباب الإهمال الذي ظلت تعاني منه البريجة تلك المدة الطويلة، المجاعة العظمى التي اجتاحت المغرب من سنة 1190 إلى 1196 / 1776 - 1782 والتي اضطر الناس أثناها إلى أكل الجيفة وحتى لحم بني آدم، ثم الثورات التي كان مولاي هشام يقوم بها بمعونة أهل دكالة على السلطان سيدي محمد بن عبد الله والتي ظلت قائمة إلى عهد السلطان مولاي سليمان. غير أن هذا الأخير لم يعر هو الآخر أي اهتمام لإعادة بناء البريجة لأسباب يطول شرحها، فبقيت مهدومة تنتظر الإصلاح إلى عهد السلطان مولاي عبد الرحمان (1238 - 1276) الذي عين ابن عمه محمد بن الطيب العلوي عاملا على تامسنا ودكالة، فقام هذا الأخير بإصلاح ما تهدم من البريجة، وحسب قول الناصري السلاوي فإن ذلك كان عام 1239 / 1824 م، وسماها بالجديدة وهدّد كل من يسميها بالمهدومة بالعقاب الشديد.

ولابد من التذكير هنا بأن اسوار البريجة كانت أيام

الاحتلال البرتغالي تدعمها خمسة حصون سموها : حصن القديس سيباستيان St. Sébastien من الشمال وحصن القديس مَلَك St. Ange من الشرق وحصن روح القُدُس St. Esprit من الجنوب وحصن الوالي Le Gouverneur من الجنوب الغربي وأخيراً حصن القديس انطوان St. Antoine من الغرب.

لم تُرمَّم هذه الحصون كلها باستثناء حصن الوالي الذي كان البرتغاليون قد عمدوا إلى هدمه بالمرة اثناء إخلائهم المدينة. أما الأسوار فإنها كانت ماتزال محتفظة بشكلها العتيق باستثناء السور الغربي المقابل لسوق المدينة والذي أعيد بناؤه ففقد كثيراً من أصالته. ومن أحسن الآثار التي خلفها البرتغاليون نذكر اسقالة الشهيرة التي لازالت قائمة إلى الآن.

وبعد أن تم ترميم أسوار المدينة وإصلاح بيوتها، انتدب السلطان مولاي عبد الرحمان لعمارتها عدداً من سكان دكالة من مسلمين ويهود، بل وحتى من سكان سوس، فسكن بعضهم في المدينة العتيقة، وأنشأ الآخرون قرية من النوايْل لإيوائهم.

ثم قام السلطان مولاي عبد الرحمان بانتداب عدد من العلماء والفقهاء لتأطير هؤلاء النزلاء البدو الذين لم يكن لهم إلمام كبير بشؤون الدين والذين لم يعتادوا حياة المدن، فكان من أول من انتدب لهذه الغاية الفقيه الحاج أحمد بن صالح هو وبنوه، وكان أستاذاً عالما مجداً في نشر القرآن والدين، فأخذ يطوف على الناس ويحبب إليهم الدين والصلاة ويبالغ في تأليفهم بالإطعام تارة وبالدراهم أخرى حتى انتشرت تعاليم القرآن بين أولئك بين النزلاء. توفي هذا العالم حوالي سنة 1830 ودفن بمقبرة من نخل أصبح يدعى بمقبرة سيدي أحمد مولى النخل".

ثم وفد على الجديدة سنة 1264 / 1848 أحمد بن إدريس التطواني فاستقر بها وصحب الفقيه الصوفي الكبير الحاج محمد بن دَحّ. وكان ابن إدريس تاجراً مقتدراً، لكنه خسر في تجارته فاستخدم أمينا بديوانة مرسى الجديدة، وكان دينا فاضلا كثير الجود والكرم فجعل داره مأوى لأهل العلم يُدرِّس بها البخاري ويرتل بها الطلبة القرآن الكريم بكرة وعشيا، زيادة عن اعتنائه بالزاوية المختارية بأزمور وبمدرستها وساهم في نشر موسيقى الآلة التي كان مولعاً بها، وكان له جوار يضربن العود في أوقات معلومة إلى أن توفي عام 1307 / 1890، ومازال أحد الاحياء العتيقة بالجديدة يعرف باسمه حتى الآن.

لم تلبث الطوائف الدينية أن بدأت تنتشر بالجديدة، وكانت أول زاوية بنيت بها هي الزاوية الدرقاوية التي قام بإنشائها من ماله الخاص السيد محمد الزوين العبدي سنة 1281 / 1864 م والتي كان أول مقدم لها الحاج محمد بن الحاج يَسَّف الدكالي الفرجي، ثم خلفه بعد وفاته سنة 1293 / 1876 الفقيه السيد محمد الشياظمي. وفي سنة 1316 / 1898، قام هذا الأخير ببناء زاوية درقاوية ثانية من ماله الخاص كان يتولى فيها تفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية و*رسائل* الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وحكم ابن عطاء الله، ويقدم للفقراء طعام العشاء كل يوم.

وتوالى تأسيس الزوايا بالجديدة وأصبحت جل الطوائف الدينية ممثلة بها. وعرف الربع الأخير من القرن الثالث عشر (19 م) علماء أجلاء نذكر منهم على سبيل المثال الفقيه

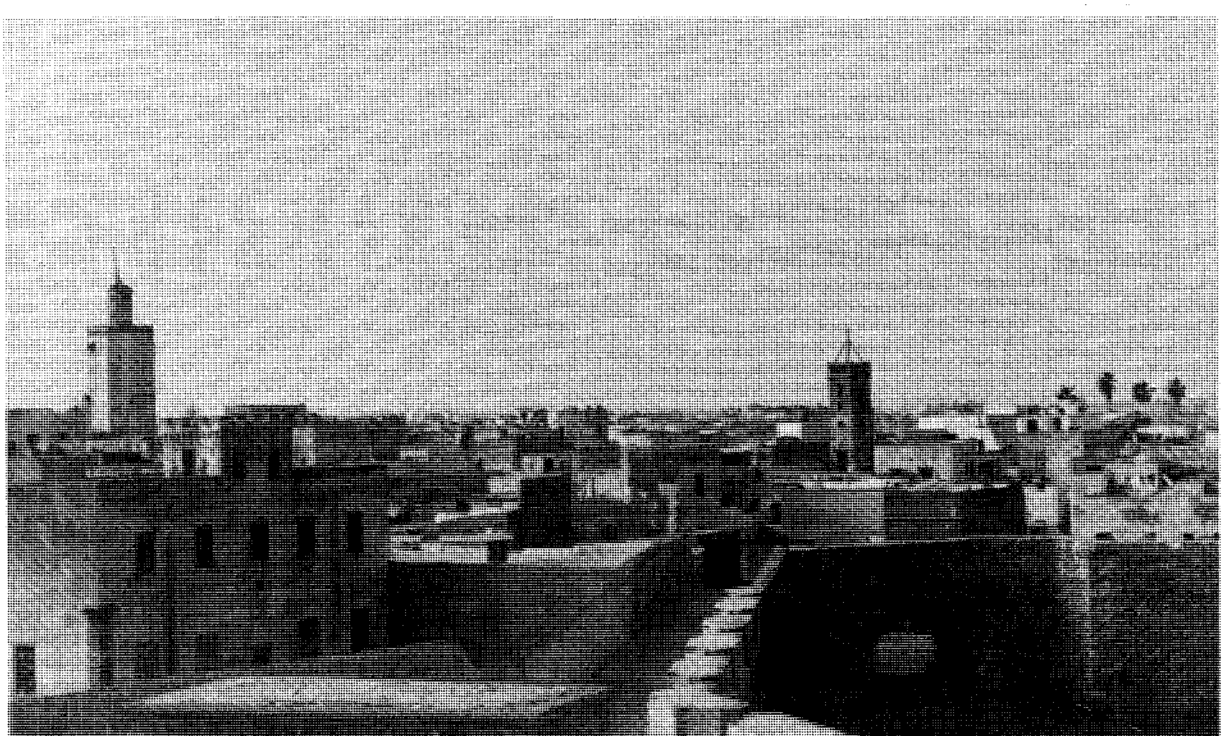

المفتي مُحمد ابن الهيبة التريعي الذي أنشأ مدرسة علمية ظل يدرس بها ويطعم طلبتها نحوا من ثمانَ عشرة سنة، ثم خلفه واقتفى أثره ولده القاضي سعيد بن محمد بن الهيبة التريعي، والعلامة مَحمد الرافعي، والفقيه الحاج أحمد بن الحاج العربي المديلي العُمري، العالم المشارك الذي كان يرجع إليه في النوازل الفقهية، والقاضي أبو شعيب المبخوت والخطيب القاضي محمد الريفي والفقيه القاضي السيد عمور بن الحاج الجيلالي الكميتي الأزموري والفقيه إدريس ابن المختار والخطيب السيد محمد الحطاب والفقيه السيد أحمد الازموري والفقيه القاضي البحبوحي وغيرهم.

وموازاة مع الانبعاث العمراني والديني والفكري بالجديدة، انتعشت الحركة الاقتصادية وأخذ ميناء الجديدة يستقطب تجارة إقليمي دكالة وعبدة، كما أنه أصبح أهم ميناء بالنسبة لمراكش، إذ أن هذه المدينة كانت تتلقى منه تقريبا جميع ما تستورده من السلع. أما مصدرات مراكش فكان يتقاسمها ميناء الصويرة وميناء الجديدة، فكان الأول يتولى ما تصدره من جلود الماعز والبقر والغنم بينما كان ميناء الجديدة يتولى تصدير اللوز وشمع العسل والجوز والزيوت، إضافة إلى تصدير ما تنتجه دكالة وعبدة من ذرة وفول وحمص وزريعة الكتان وبشنة وكامون وحلبة وكزبرة، وأصواف وبيض إلى فرنسا وألمانيا وأنجلترا وإسبانيا.

وكانت دكالة مشهورة بكثرة إنتاج البيض، فأصبح ميناء الجديدة في أوائل القرن العشرين أكبر مصدر للبيض، فكانت تصدر منه كميات كبيرة إلى فرنسا (2.465.728 فرنك سنة 1915) و7.153.696 فرنك سنة 1916) وإلى انجلترا (981.689 فرنك سنة 1915) و(456.032 فرنك سنة 1916) وإلى اسبانيا (138.827 فرنك سنة 1915). ثم أصبحت فرنسا تحتكر خلال الحرب العالمية الأولى بيض دكالة بكامله، بحيث صار البيض يأتي في الدرجة الأولى من بين المواد المصدرة من ميناء الجديدة، وكان تجار البيض تقريبا كلهم من اليهود، فكانوا عندما يشترون البيض من أسواق دكالة يقومون بفرز الطري من المَذِر ويسهرون على تلفيفه ووضعه في صناديق من الخشب يسع كل واحد منها 1440 بيضة، وكان التلفيف يتم في نشارة الخشب المستوردة من تريستا Trieste ومن بلاد السويد، حتى يصل البيض في حالة جيدة إلى أوربّا. وكانت تساعدهم على ذلك فرضة الميناء الهادئة التي كانت تمكن من شحن هذه السلعة على ظهر البواخر بالسرعة المطلوبة حتى لايتبلل البيض فتتلفه الرطوبة. وهكذا ازدادت كمية البيض المصدرة من الجديدة أثناء الحرب فأصبحت تبلغ 55 مليون بيضة في السنة. واستمرت هذه التجارة مزدهرة سنوات عديدة إلى أن اختفت بعد الحرب العالمية الثانية.

كانت تحتكر تجارة الميناء شركات كبرى منها ست شركات انجليزية وأربع شركات اسبانية وشركتان فرنسيتان وشركتان ألمانيتان وواحدة إيطالية بالإضافة إلى بعض التجار اليهود المغاربة أو الذين قدموا من الجزائر. وكان لكل واحدة من هذه الشركات وكلاء قاطنون بمدينة مراكش، كما كان لها سماسرة وأعوان بمختلف قبائل دكالة واسواقها لشراء الحبوب والأصواف والبيض لحساب تلك الشركات.

ومما يدل على أهمية الحركة التجارية بالجديدة في ذلك العصر الرسالة التي بعثها السلطان مولاي الحسن سنة 1873 إلى أمين الأمناء الحاج محمد بن المدني بنيس يخبره فيها بوصول وَفْر ميناء الجديدة، إذ أن هذا الميناء كان بالإضافة إلى ما يصدره من السلع، يستورد من أوربا الأثواب ومواد البناء والسكر والشمع والصابون والادوية وغيرها.

وانتشرت في تلك الأثناء حركة البناء خارج أسوار المدينة العتيقة التي أصبحت تعرف بالملاّح نظراً لإقامة ضعاف اليهود بها، فشيدت قيساريتان هما قيسارية التازي وقيسارية ولد ناهون، كما شيد كثير من الدور والمتاجر والمستودعات، وتوافدت على المدينة عائلات من فاس والرباط كعائلة المسفّر والقادري والحلو والتازي والأوراوي والطاهري وغيرهم، بقصد تعاطى التجارة بالجديدة.

كان عدد سكان الجديدة سنة 1902 قد بلغ 15.000 نسمة منهم 3.500 يهودي و400 أجنبي جلهم إسبانيون أو منحدرون من جبل طارق غالبيتهم من الصناع. أما الفرنسيون فلم يكن عددهم يتعدى اثني عشر شخصاً، أكثرهم من اليهود الواردين من الجزائر، فقام أحدهم بمعونة زوجته بفتح أول مدرسة فرنسية مختلطة بالجديدة، أصبح يتردد عليها أبناء بعض تجار اليهود وأبناء الجالية الأوربية، كما أنشأت بعثة كاثوليكية إسبانية مؤسسة صغيرة لتعليم ابنائها.

وفي تلك الأثناء كانت المدينة تتوفر على طبيبين أحدهما إسباني والآخر سويسري وعلى صيدلي واحد، كما أنشئ نادي أطلق عليه اسم "النادي الدولي" كانت تتردد عليه الجالية الأوربية.

وكانت تربط ميناء الجديدة عدة خطوط بحرية بأوربا منها اثنان مع فرنسا والجزائر وتونس، وثلاثة مع انجلترا وواحد مع بلجيكا وواحد مع ألمانيا وواحد مع النمسا وواحد مع هولاندا وآخر مع اسبانيا.

وكانت كل البلدان التي تتعامل معها الجديدة ممثلة تقريباً بها على مستوى القنصليات.

وكانت توجد ثلاثة مراكز بريدية : فرنسي وألماني وإسباني ومن العمال الذين توالوا على مدينة الجديدة منذ عهد مولاي الحسن الأول فأشهرهم علال بن إبراهيم بن اضْوَيْو القاسمي والحاج محمد بن يحيى والحاج محمد بن الحمدونية مؤسس الجامع الكبير المسمى بالجامع البرّاني ؛ وبعد فرض الحماية كان على رأس الجديدة سنة 1933 الباشا العربي بن محمد الجرّاري الذي تولى هذا المنصب بمقتضى

* *ظهير مؤرخ في 29 يوليوز 1933، بينما ظل يساعده كخليفة له السيد عبد الله التباري الذي كان يشغل هذا المنصب منذ سنة 1904. ومن أشهر قضاة الجديدة في عهد الحماية أحمد سكيرج والعابد بن أحمد ابن سودة، ومحمد ابن عبد السلام السائح والبشير بن عبد الله الفاسي.

*مدن وقبائل المغرب*، ج 10، دكالة. تر. الشياظمي (مخطوط) ؛ م. الشياظمي، *حياة الفقيه المقدم سيدي محمد الشياظمي* (مخطوط)؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال* ؛ *أبحاث ميدانية*.

J. Goulven, *Le cercle des Doukkala.*

محمد الشياظمي

* * الجديدة ـ جغرافيا ـ شبه جزيرة متوغلة في المحيط الأطلسي. بعد تحريرها من الاحتلال البرتغالي أخذت تعرف حركة تنموية وواكبها توسع حضري ارتبط بمجموعة من المشاريع المختلفة والمتنوعة. تقع على أحد أهمّ الطرق المغربية الرئيسية (رقم 28) وهي الطريق الساحلية الرابطة بين الدار البيضاء وأگادير التي تتفرع عنها جنوب المدينة (في مستوى مدينة سيدي بنور ـ سيدي إسماعيل) الطريق الرئيسية رقم (9) المؤدية إلى مراكش.

استمر الاهتمام بالجديدة لا سيما في عهد السلطان مولاي الحسن الأول الذي أمر بإدخال تعديلات عليها أخذت الجديدة تعرف أهمية اقتصادية، حيث ازدهرت بها التجارة بفعل نشاط الميناء ابتداء من سنة 1844 حتى بداية القرن العشرين جعل من المدينة الغاصمة الجهوية والمركز التجاري الرئيسي لمناطق دكالة والرحامنة، وانتقل عدد السكان من 2.500 إلى 20.000 ما بين 1875 و1900 فازدهرت التجارة بالمدينة وأخذت تتسع خارج أسوار القلعة البرتغالية على شكل محلات ومراكز تجارية في عهد الاستعمار الفرنسي ؛ بالإضافة إلى بعض المراكز الإدارية. إلا أن هذا التطور أخذ يعرف تراجع نشاط الميناء منذ الثلاثينات وذلك بسبب العوائق الطبيعية للميناء والمتمثلة في ضعف عمقه وتقلص أحواضه وهو الأمر الذي لم يسمح بتلبية الحاجيات الجديدة للبواخر، كما أن اختيار الدار البيضاء كأول ميناء بالمملكة، ساهم بشكل كبير في ركود مدينة الجديدة الأمر الذي جعلها تتخلف عن مواكبة التطور الحضري إلى جانب مدن مغربية أخرى. في السنوات الأخيرة أخذت مدينة الجديدة تعرف نمواً مكثفاً لم يتوقف عن دفع حركة التطور العمراني الذي ساهم بشكل كبير في توسع المجال الحضري على شكل تصميم شعاعي نصف دائري حيث أصبح النسيج الحضري القديم (الحي البرتغالي، الرجيلة، حي القلعة ...) يدفع بفئات سوسيولوجية مهنية إلى الخارج نحو النسيج الحضري الحديث ويستقبل فئات أخرى قادمة من المناطق الريفية لدكالة وعبدة والرحامنة وغيرها. لقد ساهمت هياكل استقبال رئيسية في هذا التطور الحضري السريع، وتتجسد في بنياته الأساسية التي كشفت في الهجرة الحضرية لفئات سوسيومهنية ذات تكوين يتجاوب ومتطلبات هذه الهياكل وتتمثل هذه البنيات في مشاريع الاستثمار الصناعية الكبرى، بالإضافة إلى ما تستمده المدينة من ظهيرها الغني بفعل التجهيزات الهيدروفلاحية وماتلعبه من دور في تنظيم المجال المحيط بها، إذ أخذت تقطع العلاقات التي كانت تربط المراكز المجاورة لها بمدينة الدار البيضاء، كسيدي بنور وخميس الزمامرة.

يضاف إلى هذا عامل رئيسي آخر ساهم بدوره في تطوير وتحسين المشهد الحضري للمدينة الذي أصبح يقدم الخدمات الإدارية. لقد أخذ التوسع الحضري الأفقي يمتد على مساحات عريضة تم تقسيمها وإعدادها في تجزئات تستجيب لضابطة تقسيم التهيئة وتتكامل مع إبراز انتاج معماري أخذ يخرج من الهشاشة ويعتمد اطارات مرجعية للخصوصيات المحلية انطلاقاً من الشرايين المتجهة نحو تحول الإطار المبني الذي يخلف فيه الحديث القديم إذ أخذت

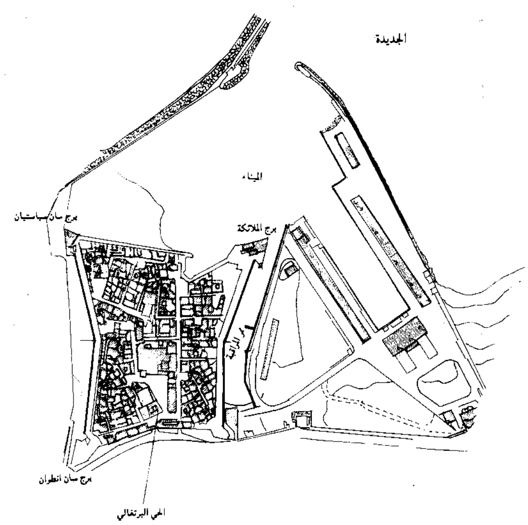


تتزاوج أشكال المعمار ذات الطابع المتميز كالحي البرتغالي والبنايات الاروبية والبناء العصري المستمد من المحيط البيئي، الأمر الذي يشكل ثلاثية معمارية تعبر بوضوح عن بنيات حضرية مستقلة في التاريخ ومتراتبة في نفس الوقت. عرفت عاصمة إقليم دكالة استقطاب بنيات أساسية ساهمت في جلب استثمارات مهمة تعمل على تنمية معطيات الإقليم المتوفرة، وتلعب دوراً رئيسياً في هيكلة المجال الحضري وتوسيعه ليشمل تجمعات سكنية أخرى تنضم إلى المدينة. ومن هنا كان تصور التصميم التوجيهي للتهيئة الذي رسم "الجديدة الكبرى" انطلاقاً من مدينة أزمور إلى الجرف الأصفر على طول الساحل، وبعمق ستة كلومترات انطلاقاً من الشاطئ البحري بتوفر هذا المجال الذي جدده التصميم المديري (دراسة 1983 التقرير النهائي) على مؤهلات اقتصادية ضخمة أخذت تبوؤه المرتبة الصناعية الثانية على الصعيد الوطني بعد الدار البيضاء تمتد المنطقة الصناعية بالجديدة على مساحة 117 هكتاراً

(بها حالياً 61 وحدة صناعية نشيطة و58 وحدة في طور البناء) وتمتد منطقة الصناعات المرتبطة بالجرف الأصفر المرتقبة على مساحة 160 هكتار ستسخر لتوظيف استثمارات صناعية لها صلة بحركة الرواج الميناني. إضافة إلى ذلك فإن الميناء المفتوح في وجه التجارة العالمية يعتبر الركيزة الأساسية على المستوى الوطني من حيث تجهيز الموانئ. وبجانب هذا الأخير ستساهم المحطة الحرارية في تدعيم وسائل إنتاج الطاقة الكهربائية كما سيساعد خط السكة الحديدية الذي يربط الجديدة والميناء بالنواصر على انفتاح المدينة ومنطقتها أكثر فأكثر على المناطق الأخرى.

هذا وتتمتع الجديدة الكبرى بمحيط ملائم يؤهلها لكي تصبح قطباً هاماً في ميدان السياحة.

*اعلام ومآثر دكالة*، دراسة انجزت بمناسبة المهرجان الثقافي لدكالة، نيابة إقليم الجديدة، أبريل 1981، التصميم التوجيهي للتهيئة الحضرية للجديدة الكبرى، التقرير النهائي، 1983 ؛ *المندوبية الإقليمية للتجارة والصناعة بالجديدة*، شتنبر 1995.

إدريس المرابط

* * يحتل إقليم الجديدة موقعا متميزاً وسط السهول والهضاب الأطلنطية بالمغرب الشمالي. وهو ينتمي إلى المنطقة الاقتصادية الوسطى، تحده الأقاليم التالية : من الشمال سطات، ومن الجنوب الشرقي قلعة السراغنة، ومن الجنوب أسفي ومن الغرب المحيط الأطلنطي. تأسس الإقليم سنة 1967 ومساحته تتجاوز 6000 كلم$^2$ يعني حوالي 0،85٪ من مساحة المغرب بينما وصل عدد سكانه خلال الإحصاء الأخير إلى 970.894 نسمة يعني أكثر من 3٪ من مجموع سكان المغرب.

يطابق إقليم الجديدة جغرافيا، الوحدة السهلية المعروفة بدكالة التي تنتمي إلى السهول والهضاب الأطلنطية الوسطى. وقد دأبت كل الدراسات المونوغرافية على ان تميز داخل منطقة دكالة بين ميدانين مختلفين :

- "الساحل" : ويمتد بين أزمور شمالا وأسفي جنوبا، على مسافة 150 كلم تقريبا، بعرض يتراوح ما بين 20 و50 كلم، وهو مجال كثبان متصلبة تمتد بموازاة ساحل المحيط الاطلنطي، مما يعيق تصريف السهل. ويمكن أن نميز في منطقة "الساحل" بين :

القسم الشمالي الشرقي : بين أم الربيع ومسطحات الجديدة، تكون فيه الغضون الكثبانية متحررة من الدقة، ومورفولوجية الكثبان منتظمة : تتوالى الأعراف على مسافات طويلة، مع الحفاظ على نفس الاتجاه : جنوب غربي جنوبي شمال شرقي شمالي، تفصل بينهما منخفضات بيكثيبية مغمورة بالدقة الرملية.

القسم الأوسط بين الجرف الأصفر ورأس بدوزة، يبدو على شكل تراصف لأعراف الكثبان بشكل مواز للساحل الأطلنطي على عرض 20 كلم تقريبا.

شريط ساحلي ضيق، عرضه بضعة كيلومترات، ونعني به الولجة التي توافق مسطحة بَرْي البحر التي ترجع إلى الزمان الولجي، يحدها من الشرق جرف ميت، ولايحميها من المحيط إلا شريط كثباني يترك مياه البحر تكتسحه، مُشَكِّلة بذلك بحيرات شاطئية : الوليدية، سيدي موسى...

- "السهل الداخلي" : وهو سهل رسوبي ارتبط بعمليات الإغران خلال الرباعي. شبه منبسط ينحني بشكل خفيف من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي، وأهم المجاري المائية بهذا السهل موسمية نميز فيها بين وديان رئيسية : الفارغ وبوشان، وأخرى أقل أهمية : العوجة، السواني، امطل گراندو ... ورسم هذه الأودية معقد، فإلى جانب السلان الحية المرتبطة بوجود انحدار كاف، هناك سلان ميتة تشكل سلسلة من المنخفضات المغلقة تقريبا.

وواد الفارغ هو الوحيد الذي له منفذ، يجري من الجنوب إلى الشمال ثم يميل نحو الشمال الشرقي، ليصب في نهر أم الربيع بسبب الأسر. أما الوديان الأخرى فإنها تتيه وسط السهل، الشيء الذي يؤدي إلى وفرة الضايات في وسط السهل، الذي يشكل بذلك منخفضا مغلقا منحبسا، خصوصا، وأن كثبان الساحل تقف حاجزاً أمام وصول الوديان إلى المحيط.

ذلك أنه بعد تراجع البحر البليوسيني تكونت الكثبان الساحلية، وأصبح السهل يستقبل مواداً قارية عبر محاور هيدروغرافية نازلة من الجنوب، من الرحامنة. وبموازاة

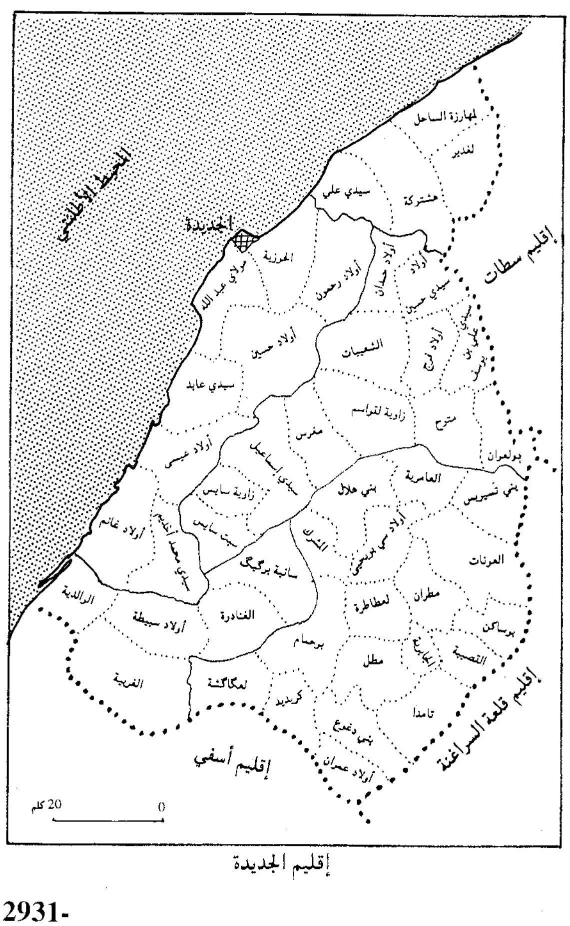


إقليم الجديدة

التهدل الذي شهده السهل، كان "الساحل" يعرف انتهاضا، الشيء الذي أعطانا سهلا حبيسا في الداخل.

ويمتاز السهل الداخلي - عكس "الساحل" - بأتربة متنوعة، مرتبطة بظروف غمر السهل خلال الزمن الرابع. هذا التنوع سمح باستغلال أقصى مساحة ممكنة في الزراعة، وقد تصل نسبة استغلال الأراضي للزراعة إلى 90٪ في بعض المجالات.

غير أنه مقابل هذه التربات المتنوعة والجيدة، تعرف دكالة خصاصا من حيث كميات التساقطات. وعلى قلتها (متوسط 350 ملم / السنة)، تتميز هذه التساقطات بعدم الانتظام من فصل إلى آخر ومن سنة إلى أخرى، الشيء الذي يجعل الإنتاج الفلاحي مرتبطا بكمية التساقطات. ومما يزيد الطين بلة أن المنطقة لاتتوفر على مجاري مائية دائمة باستثناء نهر أم الربيع الذي يحادي المنطقة. غير أن المناطق المحادية لساحل المحيط تستفيد، علاوة على الرطوبة الجوية، من التساقطات الخفية (ضباب، ندى ...) الشيء الذي يفسر تطور المبقلات بالولجة.

وعلى الرغم من هذه الظروف يتميز الإقليم، ومنذ الماضي، بكثافات سكانية مرتفعة، ما فتئت تتطور باضطراد منذ مطلع هذا القرن :

| السنوات | 1917 | 1936 | 1952 | 1960 | 1971 | 1982 | 1994 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الكثافة (ن/كلم2) | 32 | 62 | 64،8 | 81،6 | 89،5 | 127،2 | 161،8 |

تطور هذه الكثافات مرتبط بتزايد السكان، ذلك ان عدد السكان بالإقليم قد مر من حوالي 194 ألف نسمة سنة 1917 إلى حوالي 372 ألف نسمة سنة 1936، يعني تضاعفوا، تقريبا، خلال عشرين سنة. وقد بلغ عددهم خلال الإحصاء الأخير 970.894 نسمة وبذلك يكونون قد تضاعفوا 5 مرات ما بين 1917 و1994، رغم أن المنطقة عرفت نزيفا ديموغرافيا خلال الثلاثينيات والاربعينيات تجلى في حركة هجرة كثيفة، الشيء الذي جعل من دكالة منطقة طرد للسكان وهي سمة مازالت تميزها لحد الآن، ونلاحظ ذلك من خلال مقارنة نسب تزايد سكان الإقليم مع متوسط تزايد مجموع السكان المغاربة.

| السنوات | 1960 | 1971 | ٪ التزايد العام 70.60 | 1982 | ٪ التزايد العام 82.71 | 1994 | ٪ التزايد العام 94.82 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| مجموع سكان الإقليم | 489.637 | 590.923 | ٪17،14 | 766.198 | ٪22،87 | 970.894 | ٪21،08 |
| سكان الأرياف | 430.759 | 498.738 | ٪13،6 | 616.161 | ٪19،06 | 730.826 | ٪15،7 |
| مجموع سكان المغرب | 11.626.470 | 15.379.259 | ٪24،4 | 20.419.555 | ٪24،7 | 26.073.593 | ٪21،68 |

ويلاحظ أن تطور السكان والكثافة السكانية كان عاما وشمل جميع المجالات بما في ذلك الجماعات الموجودة بمنطقة "الساحل" التي لا توفر نفس الإمكانيات التي يوفرها السهل الداخلي، بل نجد كثافة بعض الجماعات القروية القريبة من مدينتي الجديدة وأزمور تفوق 180 نسمة / الكلم2.

| الدائرة | الجماعة | عدد السكان سنة 1994 | الكثافة نسمة / كلم2 |
|---|---|---|---|
| أزمور | شتوكة | 26160 | 167،7 |
| | الحوزية | 23358 | 194،7 |
| | لغديرة | 15301 | 109،3 |
| | لمهارزة الساحل | 15183 | 126،5 |
| | أولاد رحمون | 19415 | 138،7 |
| | سيدي علي بن حمدوش | 24297 | 195،1 |
| الجديدة | مولاي عبد الله | 30926 | 192،4 |
| | أولاد عيسى | 18518 | 118،3 |
| | أولاد غان | 20889 | 122،8 |
| | أولاد حساين | 25090 | 132،9 |
| | سيدي عابد | 16421 | 136،8 |
| | سيدي امحمد اخديم | 8945 | 59،3 |
| سيدي بنور | بني هلال | 16663 | 140،0 |
| | بني تسيريس | 13734 | 124،9 |
| | بوحمان | 23401 | 146،0 |
| | الجابرية | 16159 | 179،5 |
| | خميس القصيبة | 6229 | 45،1 |
| | كدية بني دغوغة | 16603 | 108،5 |
| | كريديد | 11925 | 114،7 |
| | لعگاگشة | 13343 | 149،9 |
| | العامرية | 12622 | 130،1 |
| | العونات | 18143 | 117،8 |
| | العطاطرة | 13105 | 102،4 |
| | المشرك | 13063 | 163،3 |
| | مطران | 11744 | 117،4 |
| | مطل | 10715 | 107،2 |
| | أولاد عمران | 11784 | 86،0 |
| | أولاد بوساكن | 8353 | 59،7 |
| | أولاد سي بويحيى | 17636 | 137،8 |
| | تامدا | 9840 | 120 |
| سيدي اسماعيل | بولعوان | 14154 | 141،5 |
| | الشعيبات | 10173 | 97،8 |
| | متوح | 25102 | 228،2 |
| | مغرس | 12436 | 91،4 |
| | أولاد حمدان | 14552 | 121،3 |
| | أولاد سيدي علي بنيوسف | 10618 | 101،1 |
| | أولاد افرج | 14517 | 145،2 |
| | سبت سايس | 9311 | 97،0 |

| الدائرة | الجماعة | عدد السكان سنة 1994 | الكثافة نسمة / كلم2 |
|---|---|---|---|
| سيدي اسماعيل | سيد حساين بن ع. الرحمان | 6984 | 60,7 |
| | سيدي إسماعيل | 22712 | 162,2 |
| | زاوية سايس | 9349 | 93,5 |
| | زاوية لقواسم | 10878 | 100,7 |
| الزمامرة | الغناردة | 28031 | 210,7 |
| | الغربية | 23121 | 131,3 |
| | الواليدية | 13073 | 109,9 |
| | أولاد سبيطة | 20251 | 125,0 |
| | سانية برگيگ | 29116 | 173,3 |

في حين وصل عدد سكان المراكز الحضرية بالإقليم خلال الاحصاء الأخير إلى 240.068 نسمة، موزعين على 5 بلديات وعدة مراكز أخرى، يتطورون بوتيرة سريعة جدا تفوق نسبتها 50٪، رغم أنه وحتى بداية هذا القرن لم تكن دكالة تتوفر إلا على مدينتين هما الجديدة وأزمور، لم يكن يتعدى سكانهما 36.000 نسمة.

| المدينة / السنة | 1960 | 1971 | 1982 | 1994. |
|---|---|---|---|---|
| البلديات | | | | |
| الجديدة | 40302 | 55501 | 81455 | 119083 |
| سيدي بنور | 5479 | 11140 | 23429 | 34225 |
| أزمور | 12449 | 17182 | 24774 | 32739 |
| بئر الجديد | - | 2982 | 5359 | 10540 |
| الزمامرة | - | 1464 | 4761 | 10310 |
| المراكز الأخرى | | | | |
| أحد أولاد افرج | - | 1267 | 3603 | 7731 |
| الواليدية | 648 | 865 | 2642 | 4414 |
| مولاي عبد الله | - | - | - | 3806 |
| أربعاء العونات | - | 443 | 1857 | 3434 |
| سيدي إسماعيل | - | 1341 | 2157 | 3279 |
| سيدي بوزيد | - | - | - | 483 |

ويعزى هذا التطور السريع للمراكز الحضرية بدكالة إلى مجموعة من العوامل يمكن إجمالها فيما يلي :

- التطور المشهود الذي تعرفه منطقة الجديدة الكبرى (الشريط الذي يربط بين أزمور والجرف) من حيث استقرار الأنشطة الاقتصادية التي تتمحور حول مشاريع المركبات الصناعية الكيماوية المرتبطة بالجرف الأصفر.
- تطور بعض الصناعات المرتبطة بتكرير المنتجات الفلاحية : شمندر سكري، قطن، علف .. بالسهل الداخلي.
- تطور الوظائف ومناصب الشغل المرتبطة بالتسيير الفلاحي لقطاع دكالة المسقي.

ذلك انه بالإضافة إلى الفلاحة البعلية والتدجين الكثيف كنشاطين رئيسيين لمجمل السكان الريفيين بالأقاليم، تتطور الزراعة المسقية، خصوصا، بواسطة الري الكبير في السهل الداخلي. وقد استفادت دكالة من سياسة السدود بتجهيز قطاع سقوي، يمكن أن تصل مساحته على المستوى القريب والمتوسط إلى أكثر من 120 ألف هكتار.

ولاعداد قطاع دكالة المسقي كان لا بد من القيام بعدة تجهيزات أساسية، وهي :

- بناء سد ايمفوت خلال الفترة ما بين 1939 و1944 وكان الهدف منه، آنذاك، هو إنتاج الطاقة الكهربائية، يحفظ 85 مليون م$^3$ من مياه نهر أم الربيع، غير أن ميزاته الأساسية وصعود حباسته، لم يؤخذ فيها بعين الاعتبار حاجيات السقي، وهذا هو السبب الذي جعل سقي دكالة يفرض بناء نفق.
- النفق المدفون Galerie tête morte : نتيجة انعراج مجرى أم الربيع، ونتيجة وعورة الأصواح التي تُقطّعها عدة أخاديد، فإن جلب المياه لسقي سهل دكالة، فرض بناء نفق مدفون، طوله 17 كلم وقطره 5,3 متر. وقد تم تشييده ما بين سنتي 1947 و1953.
- قنوات السقي : انطلاقا من سنة 1950 تم البدء في تشييد قناة رئيسية Canal principal bas service تمدد النفق المدفون طولها 128 كلم وصبيبها 36 مترا مكعبا في الثانية. وقد تم تشييد قناة وسطية Canal intermédiaire لسقي دائرة سيدي بنور التي توجد جنوب القناة الرئيسية، ومن تم في مستوى أعلى منها، والانحناء العام لسهل دكالة هو من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي. ويبلغ طول هذه القناة الوسطية 25 كلم تُزَوَد بالماء من القناة الرئيسية بواسطة محطة ضخ. وتتفرع عن القناتين المذكورتين مجموعة من القنوات الثانوية والثلاثية المحمولة، تتفرع عنها قنوات من التراب تصل حتى الحقول في الدوائر المسقية بالجاذبية.
- تشييد 13 محطة ضخ، منها محطة لضغط المياه لسقي الدوائر المجهزة بطريقة الرش وهي : بولعوان، الزمامرة، الغربية، وتوسيع اخرى : سيدي إسماعيل والفارغ.

وتصل المساحة المسقية، حاليا، بواسطة الري الكبير إلى 61.000 هكتار، وسيمكن انجاز الشطر الثاني من مشروع الاعداد الهيدروفلاحي لدكالة، والذي بدأ تجهيزه فعلا منذ 1992، إلى رفع المساحة المسقية إلى 125.000 هكتار، وهو ما يعني أكثر من 22٪ من المساحة الزراعية

بالاقليم. غيـر أن الثـقل الديموغـرافي والاسـتـقرار المبكر للسكان والتـملك الفـردي للأراضي وتجـزيئـهـا يطرح عـدة عوائق أمام عصرنة الأرياف بدكالة، مما يدفع بالفلاحين إلى النزعة نحو التخصص في التدجين، وخصوصا، الأبقار.

إ. خياطي، *تحول البنيات الفلاحية في القطاعات المسقية، نظام الأكّارة في سهل دكالة المسقي*، د. د. ع. جغرافية، الرباط 1988 ؛ (غير منشور)، مديرية الاحصاء، *السكان القانونيون حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى*، الرباط، 1960 ـ 1971 ـ 1982 ـ 1994.

M. Ayad, *L'organisation de l'espace rural dans le plateau d'El Jadida et le Sahel d'Azemmour : Etude de géographie rurale cartographique.* Th. 3ème cycle, Rabat 1982 ; R. Fosset, *Société rurale et organisation de l'espace : Les bas plateaux atlantiques du Maroc moyen : Chaouia, Doukkala, Abda*, Th. Doctorat, Montpellier III, 1979 ; *Pression démographique et système de culture dans les plaines atlantiques nord-occidentales* in *La Grande Encyclopédie du Maroc : Géographie humaine*, Rabat., 1987.

إسماعيل خياطي

**الجديدة** (المدرسة ـ) بمكناس ثالث مدرسة مـرينيـة بهذه المدينة، تقع بقبـة السـوق (العطارين سابقـا) بجـوار الجامع الكبير، وتشتهر ـ خطأ ـ باسم البوعنانية نسبة إلى السلطان أبي عنان المريني والحال أنها من إنشاء والده أبي الحسن (731 ـ 752 هـ / 1331 ـ 1351 م)، فـقـد ورد اسم مؤسسـهـا وتاريخ تأسيسـهـا منقوشا في خشب (قناطير) صحن المدرسة، وداخل مصلاها على اللوحة الرخامية لأوقافها، وفي القطعة الشعرية التي تطوق محرابها.

وروى محـمـد ابن غـازي عن والده ( *الروض الهتون*، ص. 37) ان أبا الحسن قدّم للنظر علي بنائها قاضيه على مكناس عبد الله بن أبي الغمر، وأنه لما أُخبر بتمام بنائها جاء إليها ليراها، فقعد على كرسي من كراسي الوضوء حول صهريجها، وجيء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها فغرّقها في الصهريج قبل أن يطالع فيها وأنشد :

لابأس بالغالي إذا قيل حسـنْ ليس لما قرّتْ به العينُ ثَمَـنْ

وقد نسب الحسن الوزان (*وصف افريقيا*، ص. 179) هذا البيت غلطاً لأبي عنان المريني وعنه نقل الكثيـرون هذا الخطأ.

ووقف أبو الحـسـن على المدرسـة الجـديدة عـدداً من العقارات المختلفة داخل مدينة مكناس وخارجها للإنفاق على أساتذتها وطلبتها وقومتها، سجلت كلها في رخامة التحبيس التي تعلو الجدار الواقع يمين الداخل لمصلاها. وهي أجمل مدارس مكناس المرينية وأحسنها نقشا، ذات باب مرونق تعلوه قنطرة من خشب بها تزويق وكتابات بخط أنيق، وعن يمين الباب ويساره صورة محرابين من جبس بهما تخريم وتعلوهما نقوش ذات أشكال مختلفة منقوشة في الجبس. وعن يمين الواقف أمام الباب ويساره وخلفه ثلاثة أقواس عظيمة أمام الباب ويساره وخلفه بها نقوش تعلوها قبة جميلة هي قبة السوق وهي من مآثر المولى إسماعيل بناها عام 1109 هـ/ 97 ـ 1698.

وعلى جانبي الباب مصراعان فخمان مصفحان بقطع منقوشة من النحاس الأصفر. ويسلك الباب إلى ممر متسع يبلغ طوله ثلاثة عشر متراً وعرضه 2،4 م يعلوه سقف من الخشب، وفي اتجاه الداخل مدارج تصعد إلى الطابق العلوي من المدرسة.

تتكون المدرسة من قاعة للصلاة والدراسة، وغرف لإيواء الطلبة، موزعة بين طابقين وميضأة.

ففي نهاية الممر المذكور إلى اليمين يواجه الداخل باباً وسط سياج من الخشب المنقوش بأشكال هندسية غاية في الدقة، وفوقه قنطرة من خشب نقش فيها : "العز والتمكين والفتح المبين لمولانا أبي الحسن أمير المسلمين" مكرراً في كل القناطر الكبرى المحيطة بالصحن من ثلاث جهات.

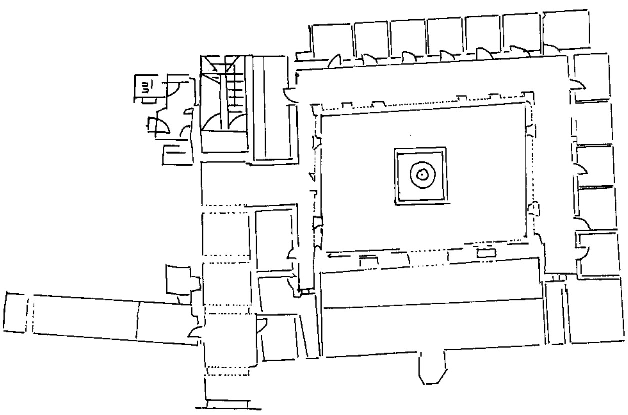

المدرسة الجديدة

يفضي الباب إلى صحن كبير مستطيل الشكل (11،40 م × 7،40 م)، أرضيته مكسوة بالزليج المدوب والمزهري، وفي وسطه بركة ماء دائرية من المرمر الأبيض يبلغ قطرها 1،80 م منتصبة داخل مربع (3 × 3 م) مغطى بالزليج الملون.

وإلى يمين الصحن يوجد بيت الصلاة (قبة المدرسة) وهو مستطيل الشكل (12،15 × 65، 4)، ذو باب كبير يزين أسلفه من الجهتين زليج جميل غاية في التنسيق والتزويق متوج بسورة الإخلاص من الجانبين بالخط الكوفي، وفوق الزليج نقوش في غاية الدقة والجمال فوقها مقربصات تتصل في الأعلى على شكل قوس (2،20 م) تحيط به آيات قرآنية، وعن يمين الباب ويساره بابان صغيران جميلان تعلوهما نقوش دقيقة.

ويتوسط جدار القبلة محراب تزهو جدرانه بنقوش وزخارف جبسية، وعن يمينه ويساره صورة محرابين مكتوب فيهما أبيات شعرية تشير إلى المؤسس وتاريخ التأسيس.

ويغطي بيت الصلاة سقف من الخشب المنقوش تحته حزام من الجبس به نقوش ذات أشكال هندسية، وتحت الحزام صور محاريب من الجبس تحيط بالمصلى من جميع الجهات وتتخللها من ناحية القبلة سبع شمسيات، وتعلو الجدار على اليمين رخامة التحبيس.

وعلى يمين الخارج من بيت الصلاة وأمامه أروقة (ممرات) تنتظم فيها غرف لسكنى الطلبة، وقد توجت حيطانها من أعلى بنقوش جبسّية ذات أشكال هندسية. ويفصل الأروقة عن الصحن سياج (شباك) من الخشب المنقوش نقشا دقيقاً منتظماً، وتتخلل السياج وجدار بيت الصلاة أساطين (سوار) تحمل أقواسا من الخشب المزخرف بنقوش جميلة تعلوها آيات من القرآن الكريم وتزدان هاته الأساطين بالزليج من أسفلها وبالجبس المنقوش من أعلاها. وتتوّج الزليج المحيط بالصحن من أسفل كتابات قرآنية منقوشة بخط مشرقي جميل. ومعلوم أن المدرسة تزخر بالآيات القرآنية التي لايتسع المجال لكتابتها جميعها هنا.

وتشرف على الصحن حلقة من الخشب المنقوش نقشا غاية في الرونق وحسن الصنعة يحيط بها مظل يعلوه قرميد أخضر. أما الطابق العلوي من المدرسة فيشتمل على غرف لسكنى الطلبة ببعضها نوافذ منقوشة تشرف على الصحن.

وبجانب المدارج التي تسلم إلى الطابق العلوي ميضأة على جانب كبير من الاتساع يتوسطها صهريج مستطيل. ولاتتوفر المدرسة ـ كباقي المدارس المرينية بمكناس ـ على صومعة، وذلك لمحاذاتها للجامع الكبير.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ص. 372 ؛ ع، ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ص. 123 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون*، 1988، ص. 37 ؛ الحريف الطيب، *مساجد مكناس والإقليم*، بحث لم ينشر، ص. 18. 21 ؛ م. المنوني، *التخطيط العماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور*، *مجلة الثقافة المغربية*، ع. 7. 1972، ص. 39. 53. 54.

رقية بلمقدم

**جديرة** (أسرة) ← **گديرة**

**الجذام**، مرض مُعد قديم بالمغرب، وتعني كلمة الجذام القطع. وفي كتاب *الطبّ النبوي* يورد ابن قيم الجوزية (القرن التاسع / 13 م) عدداً من الأحاديث النبوية للاحتراز من الجذام مثل "فر من المجذوم كما تفر من الأسد" و "لا تديموا النظر إلى المجذوم" و"كلّم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين". ثم يعطي تعريفا للجذام بقوله "علة رديئة تحدث من انتشار المرة السوداء في البدن كله فيفسد مزاج الأعضاء وهيأتها وشكلها وربما فسد في آخره اتصالها حتى تتآكل الاعضاء وتسقط ويسمى داء الأسد، وفي هذه التسمية ثلاثة أقوال للأطباء : أحدها : أنها لكثرة ما يعتري الأسد. والثاني : لأن هذه العلة تجهم وجه صاحبها وتجعله في سحنة الأسد. والثالث : أنه يفترس من يقربه أو يدنو منه بدائه، افتراس الأسد".

وعرّف جلال الدين السيوطي في الباب التاسع والأربعين بعد المائة من كتاب *الرحمة*، الجذام بقوله : "يحد الصوت مع الغنة ويأكل لحم أطراف الأنف، ونحول لحم الأصابع، وييبس في الطبيعة وظهور الحر الرديء". أما داود الانطاكي في *تذكرة أولي الالباب* فيعرفُه تعريفا أوسع بقوله "الجذام من الجذم بمعنى القطع، سمي بذلك لأنه يقطع الأعضاء أو النسل أو العمر، ويعرف بداء الأسد لجعله سحنة الإنسان كسحنة الأسد أو لأنه يعتريه أو يفترس البدن كافتراسه. وهو علة معدية موروثة ... وعلاماته بريق بياض العين محمراً، وهي أول ما يبدو حتى قيل إنها تتقدمه بنحو سبع سنين. واستدارتها، وكمودة اللون واحمرار البدن والبول ثم اسودادهما، ثم العرق الكثير الملون ثم نتنه، ثم تغير الصوت بالخشونة فالبحوحة فنتن النفس، فتقلص الأنف واستدراة الوجه، فتدرن البدن فتقيحه إن كان الجذام مقرحا، واعوجاج الاطراف ثم سقوطها".

والجذام في التعريفات الحديثة مرض معروف من قديم الزمان يصيب جلد الإنسان وأعصابه وغالبا ما يتسبب في تشويهات وعاهات مستديمة.

سبب هذا المرض مكروب من نوع الباسيل يسمى باسيل هانسن Hansen نسبة إلى النرويجي الذي اكتشف هذا المكروب في بداية السبعينات من القرن التاسع عشر.

مصدر العدوى هو الإنسان المصاب، حيث تخرج الباسيلات مع إفرازات الإصابات الجلدية والمخاطية، فتتسرب تلك الباسيلات المعدية عند الاختلاط بالمجذوم مدة طويلة.

ويتجلى الجذام بظهور بقع حمراء على جسم الإنسان، وتنتشر على الاعضاء أي اليدين والرجلين، وهي بقع منعدمة الحساسية. وقد يظهر المرض على شكل أورام وتجعدات وحبات مختلفة الاحجام وخاصة على الوجه حيث تسبب في بروزات على الجبين وعلى الخدين فيصبح وجه المريض من جراء ذلك اشبه بوجه الأسد.

ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من الجذام هي :

ـ داء الأسد لأنه يجعل وجه الانسان منتفخا كوجه الأسد.

ـ داء الفيل لأن أعضاء الانسان تصبح بفعل تآكل الأصابع شبيهة بأرجل الفيل.

ـ داء السرطان حيث تصبح أعضاء الإنسان شبيهة بسرطان البحر.

وتكمن خطورة الجذام في كون المريض يفقد حساسية الأطراف فتسّاقط إرباً إرباً بالتدريج.

وقد عرف المغرب الجذام منذ عصور قديمة غير أننا

لانملك معلومات مستفيضة عن أصله وبداياته، وإن كانت الدراسات التي أنجزها الفرنسيون عن هذا الداء خلال فترة الحماية تجعل أصوله بالمغرب مرتبطة بما تدفق على هذا البلد من هجرات، حيث يربط أصحاب هذه الدراسات انتشار الجذام وتوطنه بالمغرب بالهجرات الفينيقية والقرطاجنية واليهودية والعربية، مستندين في ذلك على ندرة الجذام لدى البربر، وتوطنه في المناطق التي استقرت بها الموجات البشرية التي أمت منطقة الساحل الشمالي للمغرب وسواحل المحيط الأطلسي.

وقل أن نجد لدى مؤرخينا وأخباريينا حديثا عن الجذام وعشيانه داخل المجتمع إلا ما كلن من بعض الإشارات القليلة المتفرقة. فصاحب روض القرطاس يورد في معرض حديثة عن أبي يوسف يعقوب المريني أنه أجرى الجرايات على الفقراء والمرضى والمجاذيم.

وتحدث الحسن الوزان في وصف افريقيا أثناء وصفه لمدينة فاس وأرباضها، عن "ربض يسكنه المجذومون يحتوي على مائتي دار تقريباً ... يقدّم إلى هؤلاء المرضى كل ما هو ضروري بحيث لايحتاجون إلى شيء، ويقوم رؤساؤهم بتخليص المدينة من كل مجذوم، ولهم السلطة لإخراج كل من رأوه مصابا بهذا الداء من فاس وإسكانه بهذا الربض".

وإذا رجعنا إلى الرحالة والأطباء الذين زاروا المغرب نجد بين ثنايا مؤلفاتهم معلومات أغزر تفيدنا في التعرف على الجذام وحياة الجذمى وتوزيعهم الجغرافي فالدكتور ليارد Leared يذكر في كتابه *Morocco and the Moors* أنه زار حارة الجذمى بمراكش في سنة 1875 ولاحظ أنه لم يكن يسمح لهم بدخول المدينة وأن العلاج الوحيد كان هو الاغتسال بماء سقاية سيدي بنور، وهو ولي يوجد قرب باب الحارة.

وتحدث الدكتور رينو Raynaud الذي قضى مدة بمحجر الصويرة، في كتابه حول الصحة والطب بالمغرب، الذي أصدره في سنة 1902، عن الجذام حيث ذكر بأن هذا الداء معروف منذ القديم بالمغرب، وقدم وصفا مستفيضا لاعراضه وعواقبه، وأعطى بعض المعلومات عن دواوير المجذومين في ضواحي مدينة الجديدة، وأورد بعض طرق علاج الجذام لدى السكان.

ولاحظ بعده الدكتور وينجيربر Weisgerber في سنة 1903، أن الجذام متوطن بالمغرب بينما قدم ماسينيون Massignon في كتابه الصادر سنة 1906 تحت عنوان : *المغرب في السنوات الأولى للقرن السادس عشر* معلومات عن حارة للمجذومين بفاس تضم 200 كانون يطلق عليها المارستان أو ربض المرضى، وقد أصبحت هذه الحارة في بداية القرن العشرين أثرا بعد عين، إلا ما كان من كهف يسمى كهف الغول، وهي تسمية يبدو أنها مرتبطة بما كان يلحق المجاذيم من تشويهات تجعل وجوههم اشبه بالاغوال. وإلى عهد قريب كان بفشتالة شمال فاس، دوار قديم يؤمه الجذمى ويعيشون فيه مع عائلاتهم، يسمى دوار سيدي أحمد الغول.

ومع توافد الأطباء وجيوش الاحتلال الفرنسيين على المغرب، بعد سنة 1912 كان الجذام وما يخلفه من تشويهات وعاهات، من بين الأمراض التي شدت إليها اهتمام الأطباء، فكثرت الدراسات حول الجذام حتى بلغ عدد ما كتب عنه من سنة 1914 إلى سنة 1954، تسعة وثمانين بحثاً، أحرز قصب السبق فيها ثلةٌ من جهابذة أطباء الحماية الفرنسية أمثال Colombani وDescrops وDekester وFlye وSte Marie وRemlinger.

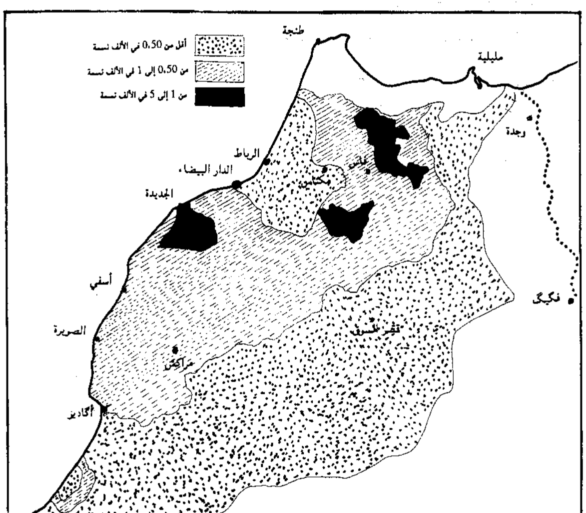


خريطة الجذام بالمغرب سنة 1953

بدأت أولى الدراسات حول الجذام سنة 1914 مستفيدة مما كانت تقدمه المجموعات الصحية المتنقلة في تقاريرها من أوصاف لحالات الجذام، فتمكن الطب الفرنسي بالمغرب من توسيع المعارف حول هذا الداء، والبحث في أعراضه ومواصفاته وتطوراته، واستقامت على أثر ذلك حصيلة مهمة من المعلومات عن هذا المرض المخيف، اجمعت على أن الجذام بالمغرب يتميز بكل مميزات هذا الداء في مناطق أخرى وفي العصور الوسطى الأوربية.

وبسبب خطورة هذا الداء، وما كان يعتري الناس من هلع إزاءه وتخوف من عدواه، فقد كان المصابون به ينتبذون من أهلهم وذويهم مكانا قصيا، ويعيشون منعزلين في أماكن مزريّة، بعيداً عن تجمع السكان، تسمى الحارات، يأتيهم رزقهم من الصدقات يطلبونها في "الكاعات" أثناء فترة درس الحبوب، أو في الأسواق والمواسم. كما كان المجذومون يرتدون لباسا خاصا وطربوشا من الدوم، ويحملون نواقيس يقرعونها حتى يتحاشاهم المارة.

وتفيدنا الرواية الشفوية أن الجذمى كانوا يعزلون أحيانا خارج الدوار، ويتركون تحت خيمة في أسافل مجرى مائي، لايسبب اغتسالهم منه أي خطر على الآخرين، وكانت جماعة الدوار تأتيهم بالأكل، حيث يضعه حامله على بعد بضعة أمتار من الخيمة، فيلتقطه أحد المجاذيم بعد أن

يكون الشخص الذي أتى به قد توارى. وقد بلغ وعي الناس بخطورة الجذام وأثره على حياة المبتلى به إلى حد أنه إذا تشاجر اثنان أو تظلم شخص على شخص آخر دعا المظلوم على ظالمه بقوله : "الله يديك للحارة" أو "الله يعطيك جذام الحارة"، وإن كانت كلمة حارة لاتعني فقط ذلك المكان المزَرَّب الذي ينتبذ فيه المجذومون، بل إنها تشير في بعض مناطق المغرب إلي ما يفيد معنى سَقَر أو جهنم.

وسعيا وراء تخفيف ما يعانيه المصابون من جراء هذا الداء، حيث كانوا بالإضافة إلى ماهم فيه من العزل والنبذ يدفنون في زاوية منعزلة من المقبرة أو في مقبرة خاصة، وتوارى جثثُهم التراب دون غسل، فإنهم دأبوا على ارتياد الأضرحة والأولياء طلبا لكشف الضر، وخاصة ضريح أبي العباس السبتي الذي كانوا يعتبرونه شيخهم وكاشف بلواهم والذي كانوا يرفعون دعواتهم لمن تصدق عليهم باسمه، حتى إن العامة كانوا يطلقون عليهم اسم "أولاد سيدي بلعباس".

وإذا نظرنا إلى التوزيع الجغرافي للجذام بالمغرب خلال فترة الحماية ألفيناه يتوطن في متطقتين أساسيتين يفصل بينهما نهر سبو هما منطقة فاس وضواحيها الشمالية ومنطقة دكالة في قسمها الجنوبي.

بالنسبة للمنطقة الأولى : ترى معظم الدراسات التي أنجزت في هذا الباب وخاصة منها دراسة فلي سانت ماري Flye Ste Marie سنة 1933، أن الجذام وصل إلى مدينة فاس بسبب الوافدين عليها من خدم ومرضى وحمالين وغيرهم، من القبائل المحيطة بها جهة الشمال، مثل بني سادن ولمطة، ولحيانية، وأولاد جامع، وهي قبائل معروفة باحتضانها لعدد كبير من المجذومين.

وكانت مدينة فاس تقدم ظروفا مثالية لجلب المجذومين وذوي العاهات لتوفرها على ماء عذب لايضر بحصف الجذام ولايثير أية آلام في البقع المنتشرة على جلد المريض متى اغتسل به. ثم إن المدينة بضمها لكثير من مزارات الأولياء والأضرحة (مولاي إدريس سيدي علي بوغالب...) كانت محجا لعدد من الجذمى ومقصداً لذوي العاهات حتى يتقربوا من أوليائها زلفى عسى أن يكشف ذلك ما يقض مضاجعهم من أضرار. هذا بالإضافة إلى وجود مدينة فاس على مقربة من حامة مولاي يعقوب، التي كان يؤمها الناس من أرجاء المغرب لعلاج كل الأمراض الجلدية.

وقد اسفرت دراسة فلي Flye المذكورة اعتماداً على عينة من حالة جذام في شمال المغرب عن نتيجة مفادها أن أكبر نسبة من المصابين من العينة تتراوح أعمارهم ما بين 20 و40 سنة، كما يوضح ذلك الجدول التالي :

| الأعمار | نسبة المصابين من العينة |
|---|---|
| من 10 إلى 15 سنة | 11٪ |
| من 15 إلى 20 سنة | 7،5٪ |
| من 20 إلى 30 سنة | 24٪ |
| من 30 إلى 40 سنة | 38٪ |
| من 40 إلى 50 سنة | 15٪ |
| من 50 إلى 60 سنة | 4،5٪ |

أما المنطقة الثانية أي جنوب دكالة، فقد تمكنا من التعرف على عشيان الجذام بها اعتمادا على دراسة أنجزها أحد المراقبين المدنيين هو دومزيير De Mazières سنة 1932، تناول فيها الجذام بجنوب دكالة من خلال الطب العربي والرواية الشفوية. ومن أهم ما أفادته به هذه الدراسة أنها مكنت من التعرف على المجذمات أو حارات الجذمى بهذه المنطقة، وهي ثلاث :

أولاها : تقع في قبيلة أولاد عمرو لغنادرة، على بعد عشرة كيلو مترات من خميس الزمامرة. وهي مزربة بالصبار، على مقربة من مجموعة من الآبار ذات المياه العذبة. تسمى حارة "بخليجة".

كانت هذه الحارة تمور بالنشاط زمن المولى سليمان، حيث كان الجذمى يملكون يومئذ أراضي يزرعونها، ولايؤدون زكاة ولامكوسا، كما لم يكونوا يخضعون لاي نوع من السخرة. وكان عدد الجذمى بها يقارب المائتين معظمهم من دكالة، وبعضهم من عبدة، والرحامنة وحمر والشاوية، غير أن الحارة أصبحت خلاء من أهلها في عهد مولاي عبد العزيز، وأضحت في ثلاثينات هذا القرن عبارة عن رسوم عافيات.

الحارة الثانية وتسمى حارة "بَخْشَنِّي"، تقع على بعد خمسة كيلومترات شرق سيدي بنور قرب ضريح سيدي مَحمد العوني حيث يخصص جزء من المقبرة لدفن الموتى من المجذومين. ازدهرت هذه الحارة في عهد مولاي الحسن، ويبدو من آثارها، حسب دومزيير DE Mazières أنها كانت كبيرة المساحة، محاطة بأحواش من الصبار، وتتوفر على خمسين بئرا من الماء العذب، بالإضافة إلى سوق كان يقام قربها كل سبت. وفي السنوات التي تلت وفاة مولاي الحسن، تدهورت أحوال أهلها بعد أن صودرت أراضيهم، واندثرت الحارة ومعها السوق، بعد أن تشتت من كان بها من الجذمى، وانتهى أمرها مع توقيع الحماية.

الحارة الثالثة هي حارة أولاد عمران : يذكر دومزيير De Mazières في دراسته أنه لاوجود لمعالمها في الوقت الذي قام فيه بتحرياته حولها، أي في بداية الثلاثينيات، غير أن قدماء القبيلة في ذلك الوقت كانوا يعرفون مكانها حيث يذكرون أنها كانت في الأول قرب سوق أربعاء أولاد عمران، ثم انتقلت إلى الضفة الأخرى لنهر بوشان عند بني

دغوغ. كانت هذه الحارة تضم خمسين عائلة من المجاذيم، وكانت تسمى "الحارة" فقط ازدهرت كسابقاتها أيام مولاي الحسن، لكنها خلت من أهلها واندثرت مع اشتباب الحماية.

ويمكن أن نلاحظ مع دومزيير أن الحارات الثلاث في دكالة، كانت توجد قرب ثلاثة أسواق من أهم الأسواق بالمنطقة، الأمر الذي يتمكن معه المجذومون من ممارسة التسول كسبيل لجلب الرزق. كما أن الحارات الثلاث كانت كلها تتوفر على آبار ماؤها عذب فرات في منطقة معروفة بملوحة مياهها. مما يمكن المرضى من الاغتسال دون أن يضر ذلك بجلودهم.

وكا عدد الجذمى في المغرب غير مستقر، فحسب الاحصاءات التي كانت تقدمها أجهزة الصحة في عهد الحماية، فان عدد الجذمى كان يتارجح ما بين 164 و800 مع أخذنا بعين الاعتبار أن عدداً كبيراً من الجذمى وخاصة في مراحل المرض الأولى، لم يكونوا يجسرون على الإعلان عن أنفسهم، مما قد يضخم العدد المذكور أو يزيد عليه قليلا. وهذه بعض الأرقام التي أوردتها بعض التقارير المتعلقة بأنشطة إدارة الصحة العمومية، وهي معطيات لاتعكس في رأينا حقيقة الأمور. إذ أنها لاتخص سوى المسجلين من مجذومي المدن، والواقع أن العدد الكبير من المصابين كان يعيش بالبادية

| السنوات | عدد الجذمى |
|---|---|
| 1925 | 302 |
| 1937 | 458 |
| 1939 | 326 |
| 1940 | 292 |
| 1941 | 268 |
| 1942 | 164 |
| 1943 | 160 |
| 1947 | 183 |
| 1952 | 800 |

كيف كان الجذمى يعالجون ؟ بالإضافة إلى انتباذهم في الحارة أو قرب ولي من الأولياء المعروفين عند الناس بعلاج الجذام، أمثال سيدي بلعباس السبتي بمراكش، وسيدي مبارك بوگدرة شرق أسفي، وبومهدي الغوتي بدكالة، وغيرهم، فان المجذومين كانوا يستعملون بعض الوصفات العلاجية الواردة عند كل من السيوطي في كتاب الرحمة، والانطاكي في تذكرة أولى الألباب، إذ يوصي الأول في الباب التاسع والأربعين والمائة، بطبخ الحرمل وأغصانه وأصله وأوراقه وما يوجد منه، بماء نظيف طاهر، ويجعل على رأس المريض.

ويوصى الثاني بالمبادرة بالفصد، ثم يقول : "فلقدبلونا علاج هذه العلة، فلا نسطر فيها إلا ما جُرب أو طابق القوانين"، وينصح المريض بتلطيف الغذاء، والاقتصار على مرق الفراريج برقيق خبز السميد، وما يليها من صغار الضأن، والدهن والسكر والزبيب بالفستق واللب الحليب لمدة أسبوع، ثم يتحسى مرق الأفاعي ولحمها، وخاصة تلك التي تسلخ جلودها كل سنة.

وشاعت بين الناس وصفات أخرى مثل استعمال دم السحالف، وطبيخ أوراق الدفلة، ونقيع العشبة الرومية Salspareille بالإضافة إلى أكل لحم الضفادع، أول لحم الخمير، والجراد.

أما الطب العصري، الذي دخل مع الوافدين الأوربيين، فإنه يقترح علاجات تنطلق من نشخيص المرض، ومعرفة المكروب المسبب له وان كان عزل المجذوم عن أهله وعشيرته وجيرانه يبقى قاسما مشتركا بين الطب التقليدي والعصري.

وفي هذا الإطار أصدرت الجهات المختصة بالصحة في إدارة الحماية، على لسان أحد كبار الأطباء، هو جول كولمباني J. Colombani مجموعة من الإجراءات الوقائية، قصد تطويق الجذام، والعمل على الحد من انتشاره والقضاء عليه. وتتمثل هذه الاجراءات في :

- اعتبار الجذام من الأمراض التي يجب الاعلان عنها اجباريا، أي أن على المصاب، وعلى أقاربه الاعلان بأنه مصاب بالجذام.
- احصاء الجذمى ومعرفة عدد المصابين. وقد سُخر لهذه المهمة بالإضافة إلى ممرضي المستوصفات والمجموعات الصحية المتنقلة، شيوخ الدواوير ومقدموها.
- عزل المصابين وجمعهم حول ولي من الأولياء، كما هو الشأن في سيدي بلگاسم قرب بن أحمد، وتمكينهم من أسباب العيش من الزراعة والرعي على الخصوص.
- حراسة تجمع الجذمى وفرض الإقامة الاجبارية عليهم في الأماكن المخصصة لهم، وتنقية لباسهم وسكناهم والأواني التي يستعملونها.
- عزل الأطفال عن الكبار، وعزل الجذمى ذوي القروح المفتوحة والظاهرة، وخاصة قروح الأنف التي تنبعث منها المكروبات المسببة للجذام إلى الخارج.
- مباشرة علاج الجذمى.

وقد استعمل الطب الفرنسي في علاج الجذام بعض الأدوية التي كان المغاربة يستعملونها مثل العشبة الرومية التي عالج بها الدكتور Rollier بعض الجذمى، وكان العلاج بهذه العشبة، التي أثبتت فعاليتها، ولونسبيا، في مواجهة باسيل هانسن، يقتضي أن يداوم المريض ما بين 20 و40 يوما، تجرع النقيع المركز منها مع اتباع نظام محدد في التغذية.

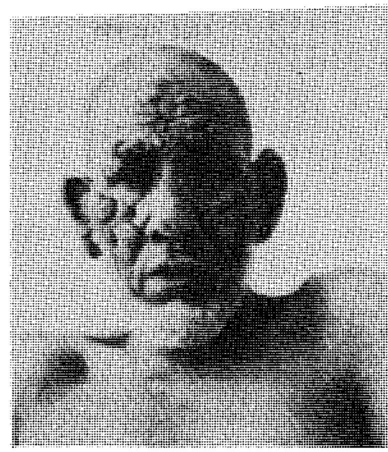

الشخص قبل استعمال العشبة الرومية

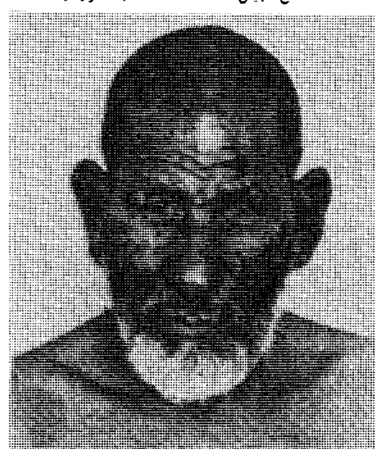

نفس الشخص بعد سبعة أشهر، باستعمال العشبة الرومية

إلى جانب استعمال العشبة الرومية، استفاد الأطباء الفرنسيون في علاج الجذام من مركبات السلفون Les Sulfones التي يرمز إليها ب : .D.D.S. كما استعملت مادة Tb1 بالإضافة إلى حقن زيت Chaulmoogra.

وقد أعطت هذه العلاجات نتائج مهمة.

غير أن الجذام ظل يعيث في المغاربة بسبب محدودية وسائل تطويقه، (لم تكن توجد في سنة 1956 سوى ثلاثة مراكز لعلاج الجذام : في فاس ومراكش والدار البيضاء، ولا تستوعب إلا أعداداً قليلة من الجذمى)، وانخفاض مستوى العيش، وخاصة في البوادي. كما أن ازدياد توغل الطب داخل المجتمع المغربي مكن من الكشف عن حالات كثيرة من الجذام تكاد تبدو ومعها الاحصاءات المقدمة سابقا، ضئيلة وغير ذات شأن، ذلك أنه من بداية الخمسينات وإلى حدود صيف 1956، كثر الحديث في الأوساط الطبية المهتمة بالأمراض الجلدية عن مشكلة الجذام الذي تفاقم أمره وتكاثر عدد المصابين به، حيث قدرت أعداد المبتلين بهذا الداء بـ 10.000 من المغاربة المسلمين، في شهر يونيو 1956، الأمر الذي يدعو إلى كثير من الاستغراب.

ابن منظور، *لسان العرب* ؛ ابن قيم الجوزية، *الطب النبوي* ؛ ج. السيوطي، *الرحمة في الطب والحكمة* ؛ داود الأنطاكي، *تذكرة* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ عثمان الكاديكي، *الأمراض المعدية* ؛ *الرواية الشفوية*.

Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc ; Maroc Médical ; Etude sur l'Hygiène et la médecine au Maroc.

بوجمعة رويان

وفي عام 1960 تأسس المركز الوطني المختص بالجذام (C.N.L.)، وشُرع في السنة نفسها في قبول المجذومين في المستشفيات، خاصة مستشفى عين الشق بالدار البيضاء. ومن يناير 1950 إلى 31 دجنبر 1992 تم تسجيل 8000 مريض تقريباً، جلهم من البادية (76،60٪) يمثل الذكور منهم نسبة (68،60٪)، وتزيد أعمار أغلبيتهم عن 15 سنة (87،19٪).

بفضل الجهود التي بذلت منذ الخمسينات من القرن العشرين لمحاربة الجذام، أخذت دائرة هذا الداء تضيق سنة بعد أخرى إلى حد أن الخبراء يرون أن المغرب سيتخلص نهائياً منه في عام 2000.

Ministère de la Santé Publique, Direction de l'Epidémiologie et des Programmes Sanitaires., *Guide-Lepre*, Rabat, 1993.

محمد الأمين البزاز

**الجذامي**، أسرة فاسية عالمة أصلها من الأندلس من مالقة وسرقسطة والمرية، انتقل بعض أفرادها إلى المغرب منذ قرون واستوطن معظمهم المدينة الإدريسية.

**الجذامي، أحمد** بن محمد بن عبد الملك القرطبي السبتي، عالم طبيب مشارك تلقى علومه بمسقط رأسه، وأقام باشبيلية ردحاً من الزمان، وروى عن أبي محمد بن عبيد الله وغيره قبل أن ينتقل إلى العدوة المغربية.

وإلى جانب مهارة الجذامي في الطب، كان عالما بالحديث النبوي، صاحب ضبط وإتقان، ومشاركة في الأدب. ومع ذلك فمعلوماتنا عنه قليلة، إذ لم يترجم له إلا ابن الأبار في *التكملة*، وقد يكون خصه ابن عبد الملك بترجمة فيما فُقد من كتابه *الذيل والتكملة* لأنه كان معاصراً له.

ابن الابار، *التكملة لكتاب الصلة*، القاهرة، تح. إبراهيم الابياري، 1983 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط (ج 2) 1974 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، المحمدية، (ج 2) 1975 ؛ ع. الوهاب ابن منصور، *اعلام المغرب العربي* (ج 4) الرباط 1986.

محمد المغراوي

**الجذامي، عليّ** بن عبد الله المالقي الفاسي "الشيخ الفقيه الراوية قاضي الجماعة بجزيرة الأندلس والخطيب بها" (*جنى زهر الآس*) تخرج على يد كبار علماء الأندلس كعبد

الله التجيبي وأحمد الطنجالي وأبي القاسم الحميري وأضرابهم، وانتقل إلى فاس أولاً عام سبعة وستين وسبعمائة ثم رجع إليها ثانياً عام ثمانية وثمانين وسبعمائة واستقر بها نهائياً واشتغل بالتدريس وأخذ عنه كبار فقهاء المدينة الإدريسية كيحيى السراج، وولده أبي القاسم.

لا يعرف تاريخ وفاة علي الجذامي، وإنما يظن أنه توفي في آخر القرن الثامن أو أول التاسع (14 ـ 15 م).

ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

**الجذامي، محمد بن حكيم** السرقسطي الفاسي يكني أبا جعفر، سكن غرناطة قبل أن ينتقل إلى فاس ويستوطنها "وكان إماماً نحوياً لغوياً مقرئاً مجوداً عارفاً بعلم الكلام وأصول الفقه محصلاً لهما، متقدماً في النحو واللغة حافظاً للفقه ..." (*جنى زهر الآس*) تولى القضاء والفتوى بفاس، ودرّس بها *كتاب سيبويه* وغيره في قواعد اللغة، وتخرج على يده عدد من النحاة. وألّف شرح *الايضاح* لأبي علي الفارسي، وكان قيماً على تدريسه كذلك، كما ألف كتابين *في الجدل* كبيراً وصغيراً، وعقيدة جيدة.

توفي بفاس، وقيل بتلمسان، عام 533 / 1138. وقيل عام 530 أو 538.

إ. ابن فرحون، *الديباج*، 300 ـ 301 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 265 ؛ ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

**الجذامي، محمد بن شعيب** البلنسي السلوي، انتقل إلى عدوة المغرب ولقي كبار الصالحين بسبتة ومراكش واستقر بسلا فنسب إليها. صوفي صالح خصص له التادلي في *التشوف* ترجمة مطوله ذكر له فيها مقامات عالية وكرامات متواترة.

توفي بالجزيرة الخضراء سنة 604 / 1207.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، 409 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 276.

محمد حجي

**الجراد**، حشرات مضرة بالمنتجات الفلاحية، واحدته جرادة للمذكر والمؤنث. سمي بالجراد لأن أسرابه تجرد وجه الأرض من النبات أثناء تنقلاتها. له عدة أسماء بالأمازيغية حسب المناطق المغربية نذكر منها تاوضيط ـ تامورغيت ـ تاياروت ـ تابيلالت.

الجراد أنواع عديدة، ويضاف إجمالاً إلى طائفة الحشرات المجنحة Insectes Ptérygotes وهو من رتبة مستقيمات الأجنحة Orthoptera ومرتبة Caeliferes التي تتميز بقصر الزّباني Antennes وبقصر الذنب المغرز للبيض عند الإناث. ينحدر الجراد إلى عمارة الجنادب Acridoïdea ولها 7000 نوع في العالم مقسمة إلى ثلاث فصيلات أهمها فصيلة الجراديات Acrididae ممثلة في المغرب بثلاث عشيرات تشمل أنواعاً مضرة جداً بالنباتات : عشيرة Truxalinae يمثلها نوع الجراد المغربي ويسمى علمياً Dociostaurus maroccanus وبالفرنسية Criquet marocain والأنجليزية Moroccan locust. الإناث أكبر من الذكور طولاً ولاتتعدى 4,5 سم، وتزن مابين 2 ـ 3 غرامات. توزيعه الجغرافي ينحصر على المناطق الجافة وشبه الجافة المجاورة للبحر المتوسط. تلد الإناث ما بين 50 و200 بيضة بداخل أنظومة وتضعها بداخل التراب لتعطي صغاراً بعد مرور 7 ـ 9 أشهر. لا تلد الأنثى أكثر من 3 مرات في حياتها التي تدوم مابين خمسة وسبعة أشهر.

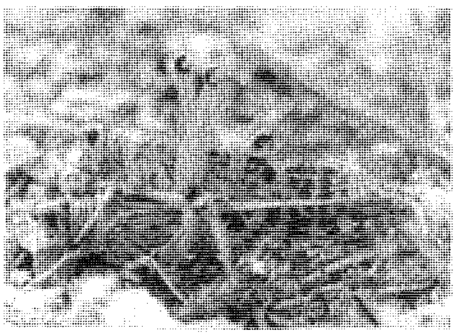

عشيرة الجراديات Acridinae ويمثلها نوع الجراد الرّحّال المسمى علميا Locusta migratoria وبالفرنسية Criquet migrateur وبالأنجليزية Migratory locust. لا يتعدى طوله 5 سنتمترات ويزن 3 غرامات. يعيش في المناطق الصحراوية الأفريقية والأسيوية، وكثيراً ما يقوم بغزو الشمال والجنوب لموطنه الأصلي بحثاً عن الأكل فينتشر في جميع أنحاء إفريقيا الشمالية مخلفا وراءه أضراراً بالغة في المنتجات الزراعية. تعيش الكبار مدة 6 أشهر تقريباً، وتلد الأنثى أكثر من عشر مرات في حياتها وتضع في كل مرة من 200 إلى 250 بيضة بداخل أنظومة تَرْدُمها في التراب وتخرج الصغار بعد 12 يوماً.

عشيرة Cyrtacanthcridinae ويمثلها نوعان في المغرب:

- الجراد الصحراوي المهاجر المُسمَّى علميا Schistocerca gregaria، وبالفرنسية Criquet pélerin، وبالأنجليزية Desert locust وهو أخطر أنواع الجراد أثناء انتشاره.

- الجراد الأحمر المُسمَّى علميا Nomadacris septemfasciata، وبالفرنسية Criquet nomade ou rouge وبالأنجليزية Red locust.

لكل هذه الأنواع رأس يحمل عينين مركبتين تُكونان جهازاً بصريا معقداً يمكنان الجرادة من النظر حوله إلى جميع الجهات. يتكون الفم من فكين علويين وفكين سفليين كلها ماضغة طاحنة وقوية تساعد الحشرة على قضم النباتات وقشر جذور الأشجار. توجد علي المنطقة الجبهية زبانتان

بمثابة مقر الأعضاء الحواسية كالسمع واللمس. تتكون كل منهما من عدد كبير من الفصلات تتحرك فيما بينها بواسطة عضلات باطنية. يلتحم الصدر مع الرأس وينقسم إلى ثلاثة أجزاء يتوفر كل واحد منها على زوج من الأرجل مما يفسر تسمية الحشرات بسداسيات الأرجل. تتكون القوائم من عدة أجزاء متمفصلة فيما بينها. وأرجل الزوج الثالث طويلة الساق ونطاطة تمكن الجراد من القفز. الفخذ محزز ومخطط يحك الجراد جناحيه عليه فتحدث صرصارة متواصلة تسمع من بعيد خلال النهار.

للجرادة زوجان من الأجنحة متفاوتة ومستقيمة تتمفصل كلها على الصدر Thorax وهي آية في الجمال والإبداع، فهي غشائية مكونة من ورقتين صفيحتين تسري بها عروق تعطي للجناح مظهر تشبيك غير منتظم. تندرج في هذه العروق الألياف العصبية وأنابيب التنفس، وهي قنوات مجهرية متفرعة وممتلئة بالهواء مما يجعلها صالحة للطيران.

تتكون القطعة الثالثة من البطن وَيَحْمل في مؤخرته زوائد تلج فيها الأعضاء الحسية وأعضاء التناسل. يتكون البطن من عشر قطع عليها مياسم تعرف بفتحات التنفس تتصل بالخارج عن طريق الأنابيب التي تسري على طول الجسم كله. تتنفس الجرادة الأوكسجين بفضل هذه الأنابيب وتنقله إلى كافة الأنسجة والأجهزة. يقوم الزوج أثناء مرحلة التوالد بتلاطف مع الزوجة ثم يعتضل ويرتهش أي يركب بعضه بعضا وبعد ذلك تُثبت الإناث أذنابها بداخل التراب أو الرمال لتبيض. يشبه البيض في حجمه حبوب الأرُز "Riz" ويوضع عادة بداخل غشاء يحمل ما بين 20 و70 بيضة. يسمى بيض الجراد السرء وبعد تفقيسه يكون سروة وإذا تحرك فهو دبّى. يخرج على وجه الأرض ليمر من عدة مراحل قبل أن يصير جرادة. أول ما يخرج من بيضه يسمى القَمَص وهو دودي الشكل، يتحول إلى اليرقان ثم إلى المُسَيَّح بعد أن تظهر الأرجل. وفي بَدْء طيرانه يسمى الكُتْفان وقبل أن تستوي جناحاه يسمى الخيفان ويتحول بعد ذلك إلى جرادة، وتدوم هذه المراحل ما بين 30 و45 يوماً وذلك حسب الحرارة ونسبة رطوبة الجو ووفرة الأكل.

من المعروف أن الجراد الصحراوي يتوفر على مرحلتين في طريقة عيشه تتجليان من خلال مظهره وترتبطان بالعوامل الطبيعية وخاصة منها وفرة الأكل والحرارة والرطوبة الجوية.

- في حالة الأكل بالموطن الأصلي يتخذ الجراد مرحلة انعزالية ويعيش منفرداً ويصير لونه فاتحاً، يأكل النباتات نهاراً ويستريح ليلاً ولايبتعد عن مكان ولادته.

- في حالة الجفاف وقلة النباتات بمكان الولادة يتخذ الجراد مرحلة سربية Phase grégaire. يسعى الأفراد إلى البحث عن النبات مما يُؤدي إلى تجمعها حول الحشائش النادرة فَتَخْلق فيها غريزة التجمع فيتغير لونها ليصير مصفراً داكناً تَتَخَلله بُقع سوداء على ساقيه وجناحيه. ينتج هذا التغيير المظهري والفزيولوجي عن التكتل والازدحام حول الأعشاب النادرة الشيء الذي يدفع الجراد إلى الهجرة إلى أماكن غنية بالنباتات. يفوق عدد أفراد الأسراب عادةً مئات الآلاف تتنقل نهاراً وتستريحُ ليلاً.

تقف الأسراب على كل وجه مخضر من الأرض لتُجَرده من النبات ثم تستأنف رحلتها، وفي استطاعتها أن تقطع مسافات تتعدى 5000 كلم. وتموت عن سن لا تتعدى 6 أشهر، تبيض الإناث خلالها حوالي 12 مرة تعطي صغاراً تطير بعد شهر وتهاجر بدورها.

يشتد نشاط الجراد صباحاً ويستريحُ في منتصف النهار نظراً لشدة الحرارة، ثم يستأنف نشاطه إلى غروب الشمس لينام ليلاً فوق الأشجار والنباتات الصغيرة. يصل عدد أفراد السرب أحياناً 120 مليارا، وكل مليون من الأفراد يأكل 3 أطنان من الحشائش كل يوم - أي كل فرد يأكل ما يعادل وزنه كل يوم وأحياناً يضاعفه -. تغطي الأسراب أحياناً 500 هكتار وتزن أكثر من 200 طن. يتطلب نمو الجراد حرارة مرتفعة وطقساً جافاً مما يفسر عدم وجوده في المناطق المغربية المرتفعة الرطوبة.

عرف الإنسان انتشار الجراد على منتجاته الفلاحية وتخريبها منذ أقدم العصور، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الأعراف (الآية : 132) *(فأرسلنا عليهم الطوفان والجرادَ والقُمَّل والضفادع والدم آيات مفصلات)* ويرجع من تصفهم إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

يعتبر المغرب من الدول التي عرفت عدة غزوات للجراد خلفت خسائر قوية تقدر بملايين السنتيمات، نذكر أهمها التي وقعت خلال سنة 1929 - 1930 وسنة 1954 وسنة 1987 - 1988 حيث وصل الجراد إلى شواطئ البحر المتوسط شمالاً، وبعضه قطع البحر ليَصل إلى جنوب أوربا.

حاول الإنسان التصدي لظاهرة الجراد التي تعد من الكوارث الطبيعية، وذلك باستخدام عدة وسائل كإحراقه وردمه وتغيير اتجاهاته واستعمال المبيدات بواسطة الطائرة، إلا أن القضاء عليه يبقى مستحيلاً نظراً لكثرة توالده ولتحركاته القوية في كل الاتجاهات.

أجريت عدة بحوث علمية بالمغرب حول معيشة الجراد وبيولوجيته أدت إلى معرفة أماكن التوالد الأصلية التي توجد كلها بالمناطق الصحراوية الممتدة من مالي إلى السودان. وقد تأسس أخيراً بأيت مَلُّول قرب أگادير مركز الأبحاث لمحاربة الجراد، مهمته الأساسية المراقبة المشددة لظهور أسراب الجراد ومقاومته. تأتي الأسراب عادة إلى المغرب من موريطانيا ومن شرق البلاد وتحارب بواسطة مبيدات سامة كثيراً ما تخلف اضراراً بالحيوانات الأخرى.

تصاب صغار الجراد بأمراض ناتجة عن البكتيريا أو الفطريات نذكر منها Bactérioses - Ricketsioses، وأحياناً يتطفل عليها عدة أنواع من مزدوجات الأجنحة كالذباب

مثلاً. من بين الحيوانات التي تأكل الجراد نذكر العضايا والطيور كالوَرْوار والبوم واللقلاق والصقر وكذلك العقارب.

م. الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، بيروت، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

M. Boulard, *Les Orthoptères, Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et des Techniques. Zoologie*, Paris, 1984 : 30 - 41 ; H. Cangardel, *Essais anti-acridiens. Campagnes 1957 - 58 et 1958 - 59. Cah. Rech. Agron.*, 1960, 10 : 111 - 140 ; G. Thewys, *Essais d'utilisation du DDVPC2 : 2(Dichlorovinyl - phosphate) en lutte antiacridienne, Campagne 1968 - 1969. Al Awamia*, 1970, 34 : 1 - 46 p ; M. Decamps, *Contribution à la faune du Maroc, 3. Acridoïdea du Maroc saharien et Dericorythinae (Orthoptera). Bull. Soc. Ent. France*, 1970, 75 : 24 - 36.

محمد رمضاني

* * الجراد بالمغرب في العصر القديم. ترجع أقدم الشهادات الأثرية المتعلقة بهذه الحشرة للفترة النيوليتية (Neolithique)، ففي إحدى الطبقات بمنجم من مناجم التّاسلي (Tassili) عثر على احجار مسطحة موجودة فوق طبقة من الفحم الحجري وبقايا جراد ملتصقة بهذه الأحجار الشيء الذي دفع الباحثين إلى الاعتقاد بوجود ما يمكن تسميته بأماكن حرق هذه الحشرات "Aire de grillage".

إلى جانب الآثار، حملت الكتابات القديمة إشارات إلى الجراد، فالمؤرخ هيرودوت (IV, 172) يتحدث عن شعب النازامون، كشعب يقوم بتجفيف الجراد تحت الشمس وأكله بعد سقيه بالحليب. هذه العملية استمرت في فترات لاحقة. وهناك مؤرخون آخرون تحدثوا عن عملية التغدية بالجراد عند اللوبيين (Dioscoride II, 52) أو عند الايثوبيين.

ولدى المؤرخ ديودور الصقلي (III, 29) نصادف إشارة إلى آكلي الجراد (Acridophages) في صحراء النوبة والذين يتغذون فقط بالجراد بعد تمليحه، وقد استمرت هذه العادة خلال العصر الوسيط وفي الفترة الحديثة، فابن بطوطة (XIV) يتحدث عن "الصيادين" الذين يستيقضون باكراً قبل طلوع الشمس ليشغلون فترة استرخاء وفتور الجراد أما المؤرخ ليون الافريقي من جهته يصرح بأن رحل الصحراء كانوا يعتبرون مجيئ الجراد كحادث سعيد.

أن الجراد كان دائماً يرتحل من السودان ليحل بشمال افريقيا وإذا كان يعتبر كغذاء بالنسبة للأهالي كما جاء على لسان هيردوت وديوسكوريد، فإنه يعتبر أحياناً أخرى بمثابة آفة مرسلة نتيجة غضب الآلهة كما أشار إلى ذلك بلنيوس الشيخ (XI, 104) فقد عرفت منطقة قرطاج سنة 125 ق. م طاعونا كبيراً أتى على قسم من ساكنتها وقد أشار عدد من المؤرخين كتيتوس ليفيوس، والقديس أغسطين (C.D. III, 38) و(*Ad. Pag.* V, 11, 2 - Paul Orose (5 إلى أن أسرابا كبيرة من الجراد هي التي كانت وراء انتشار هذا الطاعون في كل شمال افريقيا حتى إلى حدود قورينائية ويكفينا أن نستدل على ذلك بنص للمؤرخ P. Orose السابق الذكر والذي يصف بشكل دقيق هذه الآفة التي حلت بهذه المنطقة يقول "لم تكتف أسراب الجراد بالإتيان على الحبوب المزروعة والأعشاب وجذورها والأشجار ولحاها بل أتت حتى على اليابس أيضاً إلا أن رياحا حملتها للبحر ثم رمت بها الأمواج نحو الشاطئ وانبعثت رائحة قاتلة من أحشاء هذه الحشرات فَعَمَّ طاعون ضرب الحيوانات والطيور والقطيع".

وفي نوميديا هلك حوالي ثمانين ألف شخص وفي المنطقة الساحلية بين قرطاج وأوتيكا حوالي 200 ألف وبالقرب من أوتيكا، استؤصل حوالي ثلاثين ألف جندي يشكلون جيش افريقيا الروماني، ويضيف القديس اغسطين بأن عشرة آلاف جندي من بين 30.000 نجوا من هذا الوباء الفتاك.

ولا ندري هل لنفس الفترة التاريخية يشير المؤرخ Varron حينما يؤكد شهادة بلينوس (VIII, 104) حيث يقول بأن الجراد أخلى مدينة في افريقيا من سكانها. لا يهمنا إذا كان تعفن (Putréfaction) الجراد هو الذي كان وراء هذا الوباء، فربط العلاقة بين الجراد والطاعون تبدو نقطة مشتركة في القديم، المؤرخ poseidonis اعتماد على سطرابون (XVII, 3, 10) يعتبر ليبيا الداخلية جافة بسبب انتشار الأوبئة وتفريخ أو تكاثر الجراد.

هذه الآفة نجد لها ذكراً بعد ذلك بسبعة قرون فالمؤرخ Corripe (Joh. II, 196 - 203) يشير إلى الخسائر التي أحدثتها هذه الحشرات حيث وصفها بمثابة طاعون مهول "Horrida Pestis". وكان طبيعيا أن تنضم حملات لمحاربة الجراد من طرف السلطات الرومانية، ففي إيطاليا أشار تتيوس ليفيوس إلى إرسال ممثل عن الإدارة سنة 173 ق. م من أجل محاربة الجراد في مقاطعة "Apulie" أما المؤرخ بلنيوس فقد أشار إلى وجود قانون في قورينائية (Lex de Locustis) هذا القانون الذي يلزم القيام بمحاربة الجراد ثلاث مرات في السنة عن طريق إبادة بيض الجراد فصغاره فالجراد الكبير، ومن لم يمتثل للقرار يتابع قضائياً.

ثم أضاف المؤرخ بلنيوس قائلاً بأنه في جزيرة لمنوس كان الموظفون أنفسهم يعملون على إبادة الجراد وفي سوريا كانت تستعمل السلطة العسكرية (Militare imperium) لمحاربته. وبمدينة Dougga (بتونس) عثر على نقيشة مؤرخة بين 48 ـ 49 م (*CIL*VIII, 26517) تشير إلى وجود موظف مكلف بمحاربة الجراد في مجموع تراب قرطاج (Curator Lucustae) ولم تغب هذه الحشرة عن الصورة الفنية في الفترة القديمة فقد مثلث في افريقيا بايحاءات رمزية حيث إنها كانت تدفع الأذى والعين البشرية (Valeur apotro païque) وحملت إحدى الفسيفساء التونسية (سوسة) صورة لأحد الأرواح المجنحة Génie ailé وهو يحاول صيد جرادة، وبمدينة تمگاد عثر على نصب تذكاري للاله ساتورنوس يحمل تمثيلاً لجرادة إلى جانب مقدم الإهداء.

ـ وحسب الباحث Leglay، أن صاحب الإهداء بتصويره للجرادة، يرغب في إبطال ظاهرة الجراد برمتها.

J. Desanges, *Un curateur de la sauterelle sur la portica de Carthage en 48 - 49 de notre ère*, *EOS* LXIV, 1976, 281-286 ; G. Camps, *Acridophages*, E. B. I, 1984, p. 111-112 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord* I, p. 135 ; L. Foucher, *Inventaire des Mosaïques*, Feuille 57 de *l'Atlas Archéologique de Sousse*, p. 107, n° 57234 pl. LV. ; *Priape ithy phallique. Karthago* VI, 1956, 173 - 177 ; Stein, *Locusta*, *Real Encyclopadie*, Col. 1711 ; F. Lacroix, *Procédés agricoles. R. A.*. 1870, p. 119.

بل الفايدة عبد العزيز

* * وفي العصر الوسيط تعرض المغرب، بحكم موقعه على أطراف الصحراء ومناخه شبه الجاف، لموجات الجراد التي اختلفت بين الأسراب المحلية المحدودة وبين الأسراب الجوالة الكاسحة، وتطالعنا مصادر هذا العصر بإشارات عن أسراب الجراد التي اكتسحت كل بلاد المغرب وقطعت البحر المتوسط لتحطّ في أرض الأندلس محدثة نفس الأضرار (*القرطاس*، 96). ومنذئذ والمغاربة يحاربونه مثل بقية الشعوب بالأساليب المتاحة لهم، بعضها له طابع تجريبي وعلمي، وبعضها لايخلو من شعوذة. فلمحاربة اليرقات (مردة) عمد السكان منذ القديم وإلى اليوم إلى حفر أخاديد وخنادق عريضة يتم ملؤها بالنخالة والأعشاب الجافة ويتم اضرام النار فيها بعدما تمتلي بصغار الجراد الزاحفة. أما الأسراب التي تطير فمحاربتها أقل نجاعة. إذ يقوم السكان في الصباح الباكر أو تحت الأضواء في منتصف الليل أي عندما تنخفض درجة الحرارة، فيجمعون الجراد بالمكانس والشطبات بعد إسقاطه من أعلى الأشجار، وتملأ بها الأكياس ليتم بعد ذلك إتلافها أو بيعها (ابن بطوطة، *تحفة النظار*، ص. 680 و681). على أن هذه العملية تتطلب تجنيد عدد كبير من الأفراد ولا تستطيع تغطية كل المساحات التي يحطُّ عليها الجراد.

أصبح الجراد في ظروف غير محددة بالضبط، ولعلها ظروف المجاعات، يباع في الأسواق ويستهلك إما مسلوقاً أو مقلياً ومملحاً (الإدريسي، *نزهة المشتاق*)، وبذلك صار الجراد مادة غذائية تباع في الأسواق في البوادي والمدن.

ومن سكان البوادي وخاصة في المناطق المتاخمة للصحراء من يقوم بتجفيف كميات كبيرة من الجراد عن طريق حرارة الشمس، ويخزنها في مزاود كمادة غذائية احتياطية، ومنهم من كان يطحنه ويحتفظ بدقيقه خالصاً أو مخلوطاً بدقيق النبق أو الشعير المقلو (زمّيتة).

وتلخيصاً لأهم الفترات الوسيطيّة التي تعرض فيها المغرب والأندلس للجراد وضعنا الجدول التالي متضمناً التقديرات الواردة في المصادر.

| المكان | الزمن | التقديرات | المصادر |
|---|---|---|---|
| سوس | ق 5 هـ / 11 م | كثير، يؤكل مقلياً وملحاً | الادريسي، *نزهة المشتاق*، ج ص<br>الحميري، *الروض المعطار*، ص |
| مراكش | عهد علي بن يوسف المرابطي | يباع منه يوميا 30 حملا حوالي (4800 كلج) | الإدريسي، *نزهة المشتاق* |
| اغمات | ق 6 هـ / 12 م | كثير | التادلي، *التشوف* |
| الأندلس | سنة 232 هـ | كثير | ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 96 |
| المغرب | سنة 361 هـ | كثير | ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 101 |
| المغرب | سنة 377 هـ | عم البلاد وفتك بها | ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 101 |
| الأندلس | 381 إلى 384 هـ | الجراد الكبير فوق النهاية | ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 115 |
| المغرب | سنة 617 هـ | | |
| المغرب | 624 هـ | الجراد المنتشر | ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 273 |
| المغرب | 379 هـ | أكل جميع زروع المغرب فلم يترك أخضر | ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 274<br>ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 274 |
| حاحة | سنة 919 هـ | كان الجراد كثيراً ضعف عدد السنابل | الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، I / 83 |

ولاستكمال النظرة التاريخية لموجات الجراد التي عرفها المغرب نورد هذه الكارثة ضمن غيرها من الكوارث التي عرفتها بلادنا طيلة اثني عشر قرناً من الزمن والتي تسببت في المجاعات.

| القرن | القحط | الوباء | | أسباب مختلفة | أسباب غير محددة |
|---|---|---|---|---|---|
| ق 3 هـ / 9 م | x | x | | | |
| ق 4 هـ / 10 م | x | x | | | xx |
| ق 5 هـ / 11 م | x | | | | x |
| ق 6 هـ / 12 م | | x | | | x |
| ق 7 هـ / 13 م | xxxxx | xxxx | | x زحف الرمال | xx |
| ق 8 هـ / 14 م | xx | | | | xx |
| ق 9 هـ / 15 م | | x | | | xx |
| ق 10 هـ / 16 م | xxxx | xx | | | |

ملحوظة : x تعني عدد الكوارث المشار إليها في المصادر خلال القرن.

الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ط. نابولي، د. ت ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1972 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، الرباط 1958 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الترجمة العربية، الرباط ؛ مارمول كربخال، *افريقيا*، الطبعة الفرنسية ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، البيضاء 1954 ؛ ابن بطوطة، *تحفة النظار*... بيروت 1968.

*Revue pour l'étude des calamités*, Genève, 1948.

محمد حجاج الطويل

* * وفي العصر الحديث. استمر الجراد في هجماته على المغرب ولم تبخل المصادر التاريخية بتقديم معلومات عنه ولو متقطعة، ولا تبخل، أحياناً، بوصف الخسائر التي خلفها. ومن خلالها يظهر أنه كان يفد بالخصوص في

السنوات العجاف، مما كان يؤدي إلى مجاعات خطيرة، خاصة في الجنوب.

وتتحدث رواية من سوس عن غزو الجراد في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) فتقول : "في هذه السنة تكالب الجراد على السوس، فلم يبق شجراً ولا حجراً، وصارت الأرض قاعاً صفصفاً، وأقام سبع سنين من عام 1320 إلى 1327 (1902 ـ 1909)، وهو سبب الغلاء المتقدم، ولكن صار (الجراد) جل معيشة أهل البلد، من حيوان آدمي أو بهيمي، والعادة المطردة عند أهل السوس أن الجراد إذا غاب عنهم غاب سبع سنين، وإذا ورد أقام سبع سنين". أما أهم السنوات (الميلادية) التي ظهر فيها، فهي التالية : 846 ؛ 873 ؛ 971 ؛ 987 ؛ 991 ؛ 993 ؛ 1018 ؛ 1020 ؛ 1227 ؛ 1279؛ 1281 ؛ 1348 ؛ 1355 ؛ 1376 ؛ 1435 ؛ 1513 ؛ 1517؛ 1540 ؛ 1541 ؛ 1571 ؛ 1579 ؛ 1605 ؛ 1639 ؛ 1659 ؛ 1710؛ 1726 ؛ 1754 ؛ 1755 ؛ 1761 ؛ 1775 ؛ 1778 ؛ 1780؛ 1799 ؛ 1813 ؛ 1815 ؛ 1820 ؛ 1839 ؛ 1847 ؛ 1860 ؛ 1866؛ 1867 ؛ 1871 ؛ 1878 ؛ 1890 ؛ 1891 ؛ 1897 ؛ 1902؛ 1908 ؛ 1910 ؛ 1948 ؛ 1849 ؛ 1953 ؛ 1955 ؛ 1960 ؛ 1961؛ 1963 ؛ 1986 ؛ 1988.

لم يقف المغرب مكتوف اليدين أمام هذه الغزوات، بل كان يعمل على مكافحتها بوسائله المتاحة مثلما كان يفعل في العصر الوسيط وما قبله. وهكذا فخلال غزوه عام 1308 / 1891، أمر المولى الحسن سكان مراكش ونواحيها بالخروج إلى البادية لمكافحة الجراد لمدة ثلاثة أيام. وقد ذكر دى لامرتنيير (De la Martinière) عند مروره بجبال الأطلس في السنة نفسها، أن السكان كانوا "من أعالي مدرجات جبالهم يكافحون الجراد بقرع الطبول، وطلقات النار وصراخ الجميع". ولم تكن مثل هذه الإجراءات عديمة الجدوى، إذ نقرأ في وثيقة ترجع إلى عام 1263 / 1847 : "انقطع نسل الجراد بالحرق والقتل لاجتماع الأيدي عليه". ولحماية البساتين المجاورة للمدن، كان يتم حفر خندق كبير حول كل مدينة، تزرع حافته بقصب كثيف، مائل في اتجاهه بشكل يجعل الجراد، عند محاذاته لأطراف القصب العليا، يسقط داخل الخندق، فيلتهم هناك بعضه بعضاً. وقد أكد القنصل الفرنسي شنيي (Chenier) أن بساتين الكروم في الرباط ودور المدينة سلمت في سنة 1193 / 1779 بفضل هذا النوع من الدفاع. وابتداء من العام 1315 / 1897 نظم المستوطنون الأوربيون في جل المراسي المغربية التجارية اكتتابات لجمع التبرعات قصد مكافحة الجراد. كما أصدر المخزن في العام نفسه أوامره إلى مختلف العمال وقواد القبائل "بإطلاق النداء لجمعه (الجراد) وحيازة ما يأتيهم منه بسوم ثلاثة ريالات للقنطار، وجعل حفر لديهم منه وردمه ثم ردم التراب فيها أو حرقه".

بيد أن تنظيم عملية الإبادة لم يتخذ طابعاً رسمياً إلا بعد صدور ظهير ثاني رمضان عام 1348 / فاتح فبراير 1930 الذي ألزم أصحاب الأراضي الزراعية ومستغليها بإشعار السلطات بوجود الجراد فور ظهوره في أراضيهم، وتزويدها بكافة المعلومات عنه ؛ ونص الظهير أيضاً على إلزامهم بتنفيذ التدابير التي تتخذها السلطات وتتخلص في جمع الجراد وبيضه واستعمال المبيدات، من سم، وحامض، وجير، وحرق.

وقد تقدمت وسائل مكافحة الجراد في المغرب منذ السبعينيات من القرن العشرين. وفي العام 1394 / 1974 تم تجنيد مستشكفين للبحث عنه، وخصصت طائرات لترصده، وخلال غزوة 1408 / 1988، شاركت في عملية الإبادة خمس وثلاثون طائرة مروحية، ومئات من السيارات المجهزة بوسائل الرش، بالإضافة إلى تعبئة آلاف من التقنيين ؛ واستعملت فرق المحاربة مبيدات متنوعة مثل "الملثيون"، و"الفنيتروثيوم"، و"الكارباريل"، وقدمت عدة دول أوربية والولايات الاميريكية المتحدة والمملكة العربية السعودية مساعداتها المالية وعدة أجهزة للمغرب. غير أن الخطر مازال يهدد البلاد كغيرها من بلدان المنطقة. ويرى المختصون أن مادة "ديبلدرين" هي الكفيلة بإعطاء نتائج فعالة، غير أن هذا النوع من المبيدات محرم الاستعمال، إذ له مفعول يظل قائماً لمدة خمسة إلى ستة أسابيع، ويمكنه بالتالي أن يسرى إلى المنظومة الغذائية.


م. الأمين البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب*، الدار البيضاء، 1992.

Ch. Boix, *Années de disette, années d'abondance : sécheresse et pluies au Maroc*, *B.S.G.* (Paris), mars 1872; B. Rosenberger - H. Triki, *Famines et épidémie au Maroc aux XVIe et XVIIe siècles*, *H.T.*, Vol. V, 1974, pp. 109 - 175 ; Vol. VI, 1975, pp. 5 - 103.


محمد الأمين البزاز

**جراد البحر** (cigales de mer)، يعتبر جراد البحر من القشريات، وهي حيوانات لافقرية تتميز بجسم محاط بقشرة مكونة أساسا من الكلس والدرعة. وتنتمي بين القشريات إلى عشاريات الأرجل أي أنها تتوفر على خمسة أزواج من الزوائد الصدرية، أو الأرجل، تمكنها من المشي والتحرك. ورغم انتماء جراد البحر إلى نفس المجموعة الحيوانية التي ينتمي إليها الاربيان فجراد البحر لا يسبح إلا نادرا عند كبره بينما يقضي الإربيان معظم حياته سابحا في السماء.

وتحت اسم "جراد البحر" هناك من يُصنف في نفس الوقت ما يطلق عليه اسم langousta وما يطلق عليه اسم "cigales de mer"، إلا أن هناك من يخصص هذه التسمية للفئة الثانية فقط التي على كل حال ليس لها أسماء عربية تشتهر بها. أما نحن فنفضل الاختيار الثاني، وسنذكر أسباب ذلك عندما سنتطرق إلى كلمة "قشريات" في الأجزاء المقبلة لهذه المعلمة.

من بين القشريات عشاريات الأرجل والزاحفات reptantia هناك ثلاث مجموعات إحداها تسمى macroures

ينتمي إليها جراد البحر، تتميز بمنطقة بطنية كبيرة نسبيا تنتهي بزوائد على شكل مضرب يتمكن بفضلها جراد البحر من الوثوب إلى الوراء. وحتى داخل هاته المجموعة macroures التي ذكرنا خصائصها، هناك مجموعتان اثنتان : مجموعة تنتمي إليها القشريات التي تتوفر على ملاقط كعقرب البحر Homard أو سلطعون المياه القارية ecrevisse ومجموعة أخرى ليست لها ملاقط كجراد البحر.

يتنفس جراد البحر كمجموع القشريات المائية عن طريق خياشيم توجد على يمين وعلى شمال الصدر تمكنه من امتصاص مادة الأكسجين مباشرة من الماء. كما يتغذى بما يضمه ماء البحر من حيوانات صغيرة. أمّا عن توالده، فجراد البحر كالعديد من القشريات عشاريات الأرجل، يتكون من زوجين اثنين ذكر وأنثى يلتقيان وقت التوالد فيخصب الذكر بويضات الأنثى، وإذا كانت البويضة بعد نقفها تعطي مثلا عند عقرب البحر صغارا يشبهون إلى جد كبير شكل الكبار فإن صغار جراد البحر تخرج من البويضة في شكل لا يمت بأية صلة إلى شكل الكبار وهي بالتالي مضطرة لاستكمال نموها وتطورها بين العوالق خارج جسم الأم قبل أن يصبح شكلها كشكل من أعطاها الحياة.

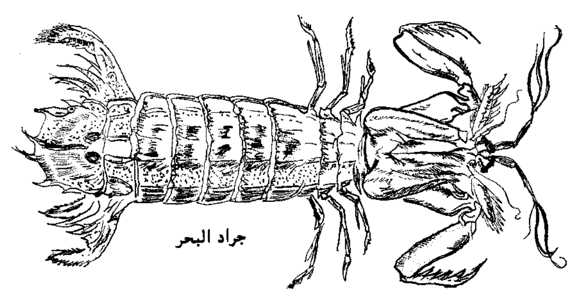

جراد البحر

يوجد في المغرب أربعة أنواع من جراد البحر هي scyllarides ،scyllacus postelli ،scyllarus aretus pygmaens وكذلك Scyllarides latus ولا شك أن من أهم هاته الأنواع النوع الأخير الذي يمكن أن يفوق أربعين سنتمترا طولا والذي له قيمة تجارية كبيرة يعيش كذلك على الصخور في أعماق متوسطة وعلى طول السواحل المتوسطية والأطلسية للمغرب.

محمد المنيوي

**جرادة** (جبال -) تمتد جبال جرادة بالمغرب الشمالي الشرقي، وتُعرف كذلك بجبال النُّتُق (الهورست) وبسلسلة وجدة. تتخذ الكتلة الجبلية شكلاً طولياً حيث تشرف في الغرب على سهل تافرطا بحوض ملوية، يفصلها عن سلسلة بني إزْناسن في الشمال ممر تاوريرت - العيون - وجدة. أما في الجنوب فهي محاذية للهوامش الشمالية للهضاب العليا. إذا كان طولها لا يقل عن 120 كلم داخل التراب المغربي، حيث تستمر بالتراب الجزائري، فإن عرضها لايزيد في أقصى الحالات عن 30 كلم. أعلى قمة تتمثل في جبل أُوسرطان حيث يزيد عن 1700 م (انظر مادة بوخوالي). وعند هوامش الكتلة غالباً ما تكون القمم ضَعيفة الارتفاع حيث يحصل المرور بشكل تدريجي إلى الهضاب والسهول. إذا كانت الواجهة الغربية من السلسلة متكتلة، خاصة بمنطقة مركشوم - بوخوالي، فإنها تنفرج في اتجاه الشرق حيث تتجزأ إلى قسمين يفصلهما منخفض مطروح، مجموعة گافايت - جرادة تمتد بالجنوب، ومجموعة الزكارة بالشمال، في الواجهة الشرقية تتلاشى الجبال إلى مجموعة من المتن لتكتسب من جديد تماسكها ابتداء من رأس عصفور (اسم لجبال جرادة) في الواقع رغم تسميتها بالجبال، فقليلاً ما نجد الأعراف ممتدة بشكل واضح، إذ تغلب السطوح المنبسطة والخفيفة الانحدار، تنتهي بإفريزات صخرية قوية، مما يُكسبها الطابع الهضبي في كثير من جهاتها.

يغالب الانتظام على الهوامش الجنوبية للكتلة، وذلك على خلاف الواجهة الشمالية التي تتعدد بها النتوءات والمنخفضات المتقدمة نحو داخل السلسلة كما هو شأن حوض تنشرفي وحوض تنزات ومطروح.

تتميز جبال جرادة بمناجمها المعدنية حيث شرع في استغلالها بشكل مبكر منذ تطبيق الحماية الفرنسية على المغرب. فرغم الشروع في استخراج المعادن من أغلب المناجم منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجهة الشرقية فإن الدراسات الشمولية للمَنطقة الجبلية وأحواضها المعدنية، لم تبدأ إلا بعد 1940 مع B. Owodenko، وG. Lucas. ومجموعة من الجيولوجيين والجغرافيين المغاربة خلال العقود الأخيرة.

من مميزات جبال جرادة اقتراب القاعدة الهرسينية من السطح، مما يسمح ببروزها في كثير من الجهات مثل حوض جرادة وبهرة تنشرفي وعلى طول بعض الانكسارات وداخل بطون بعض الأودية المتعمقة. تتميز سحناتها بتعاقب الإرسابات البحرية والقارية، وطفوحات بركانية وصعود صخور مندسة على شكل گرانيت وديوريت بحوض تنشرفي).

فعلى خلاف النظامين، السيلوري والديفوني الذين بقيت معالمهما غير واضحة في طبقاتية المنطقة، فان الصخور المنتمية للفيزي الأعلى أصبحت تشكل الركيزة الأساسية للجبال. يتوفر حوض جرادة على غنى طبقاتي قلما يوجد له نظير بالمغرب. امتد الإرساب منذ أواسط الفيزي ليستمر حتى الوستفالي الذي يعتبر أهم مرحلة لامتلاء الحوض الفحمي، وذلك بتعاقب سحنات بحرية، من شست وحث وصلصال وكلس حي فتاتي. مع سحنات قارية، نهر - دلتاوية قادمة من الشمال. تعاقب تلك الأنظمة البحرية والقارية والتهدل المزامن للإرساب اعتبرت ظروفاً مثلى لوجود الفحم الحجري بهذا الجزء من الكتلة القديمة.

تعرضت القاعدة الهرسينية لحركات تكتونية مما أدى إلى حدوث التواءات وانكسارات متعددة بالركيزة التي تقوم عليها الجبال بهذا الإقليم. نتيجة لتراجع البحر بشكل مبكر عن القاعدة القديمة، فإنها تعرضت إلى تعرية نشيطة أدت إلى تفسخها وتحريك موادها. يمكن القول إن الأحواض المتهدلة، الحوض الفحمي لجرادة، لم يكن معرضاً للزوال واحتفظ بذلك على ثرواته المعدنية.

في بداية الزمن الثاني عاد البحر من جديد ليغطي المنطقة، تم بذلك تحريك الفسخات المحمرة خلال الترياس وتوزيعها بشكل متفاوت السمك تبعاً للتفاوت التضاريسي الذي اكتسبته الكتلة قبل الغمر الترياسي.

تميزت إرساباته بطغيان المادة المحمرة الطينية والتي تتوسطها مستويات كلسية وطفوحات بزلتية تتميز بغنى مستوياتها العليا بمعادن مختلفة، خاصة المنغنيز.

على خلاف الترياس الذي غطى مناطق دون أُخرى، فان الطبقات الكلسية اللياسية تعتبر الكساء الرئيسي لكل جبال جرادة حيث تغطي كل البروزات الصخرية السابقة. لكن اشتد التفاوت في سمك الطبقات الجوراسية وفي اختلاف سحناتها وذلك من جهة إلى أخرى، حسب النشاط التكتوني المحلي، إذ تهدلت مناطق دون أخرى، وطغت بذلك السحنات الفتاتية بالواجهة الشرقية والسحنات الصلصالية والكلسية بغربها. تميزت الطبقات الكلسية الدولوميتية باحتوائها لمعادن الرصاص والزنك، خاصة بمناطق توسيت وسيدي بوبكر وسيدي لحسن.

أمام انفتاح واتساع المحيط الأطلنتي تراجع البحر بالتدريج عن الإقليم، حيث توقف به الإرساب البحري من جديد منذ أواخر الكميريدجي. لكن رغم تراجع البحر عن المنطقة فإن الجبال لم تنتهض لتكتسب معالمها الحالية والأساسية إلا نتيجة الحركات التكتونية الأيوسينية الأطلسية مما أدى إلى نشاط التعرية من جديد خلال الزمن الجيولوجي الثالث، إذ لم تغط البحار النيوجينية إلا الهوامش الشمالية المنخفضة المحاذية لكتلة الهورست. أدت التعرية إلى إفراغ الأحواض وتعميق أجراف الانكسارات بالكتلة الجبلية مما أدى إلى نشر المواد على شكل مخاريط واسعة عند أغلب واجهات جبال جرادة.

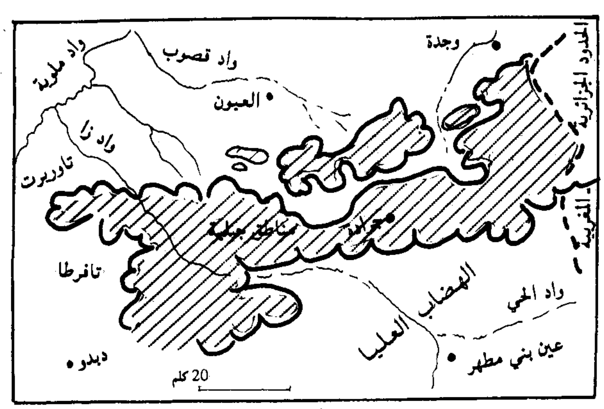


جبال جرادة

تعتبر الكتلة الجبلية أهم خزان للماء بالنسبة لأغلب هوامشها التي تغلب عليها القحولة والجفاف. يعتبر واد الحي (واد زا) المحور الهدرولوجي الرئيسي بالمنطقة، وذلك بكونه يصرف كل مياه الواجهة الجنوبية للسلسلة، ويتميز بدوام جريانه ابتداء من عيون گافايت. لعل أهم خصائصه تكمن في الفيضانات المهولة التي يعرفها واد زا، حيث يرتفع صبيبه بشكل فجائي مباغث للسكان نتيجة اتساع حوضه الذي يمتد على 18.000 كلم2، ونتيجة حدوث أمطار مركزة وعنيفة خلال فصلي الصيف والخريف على الخصوص قد تؤدي في الحالة القصوى إلى ارتفاع الصبيب اللحظي من 3 إلى 900 م مكعب / ثانية. للحد من خطورة هذه الفيضانات التي تقتلع المصاطب وتهدد مافوقها من المنشآت البشرية، ولتوفير المياه للري والشراب. تعرف حالياً جبال جرادة بناء أوّل سد بحوض الغراس حيث يتعمق واد زا على شكل خوانق عميقة. سيؤدي هذا المشروع إلى توفير المياه الصالحة للشرب لمدينة وجدة على الخُصُوص، وفك العزلة عن مجموعة من دواوير الجبل التي ستمر بها الطرق المعبدة. أما الواجهة الشمالية للجبال، فقد تصرف مياهها مجموعة من الأودية الموسمية الجريان، مثل واد إسلي الذي يلتقي بتافنة بالجزائر، ثم واد القصب وواد بوصدان اللذين يصبان بملوية.

نظراً لموقع الجبال فإن الكتل الهوائية الغربية تصل جافة وضعيفة التأثير عليها، إذ أغلب التساقطات تنتج عن اضطرابات جوية شبه محلية تتكون فوق البحر المتوسط. تتوصل القمم المرتفعة بتهاطل معدله 450 مم كما هو شأن جبل بوخوالي، و200 إلى 350 مم عند هوامش الكتلة. تنخفض الحرارة بشدة خلال فصل الشتاء مما قد يؤدي إلى حدوث الصقيع خلال شهرين على الأقل. أما في الصيف فتزيد الحرارة القصوى عن 40 درجة داخل المنخفضات الجبلية والسفوح الجنوبية. تؤدي هذه الظروف الصعبة إلى الحد من الفترة الإنباتية وإفلاس بعض الزراعات التي تزهر بشكل مبكر.

يتمايز الغطاء النباتي حسب الارتفاع والتوجيه، إذ نجد بالقمم المرتفعة غابة حقيقية من البلوط الأخضر، والشجر العفصي والبونيقي والعرعر. أما على السفوح المشمسة فتسود على الخصوص الحلفاء وشجيرات العرعر. يحصل المرور داخل الأحواض وعند هوامش الجبال بشكل سريع إلى التشكيلات النباتية السهوبية المكونة من الحلفاء والعَنّاب وشجيرات رعوية مثل الشيح. لكن تجب الإشارة إلى أن هذه التشكيلات النباتية تتعرض حالياً إلى إتلاف سريع، إما بالرعي الجائر أو بالاجتثاث لصالح ممارسة الزراعة البعلية.

أغلب سكان جبل جرادة أمازيغ انحدروا من قبائل زناتة القادمة إلى المنطقة من السهوب التونسية. فرغم الكثافة الضّعيفة للسكان، إذ لا تتجاوز إلا في أقصى

الحالات 20 نسمة / كلم، فإن تردد سنوات الجفاف أدى إلى اشتداد الضغط على المواد الطبيعية الجبلية، حيث كثيراً ما تصعد القطعان في أوقات الشدة إلى القمم الجبلية مما يؤدي إلى إتلاف الشجيرات والأغصان المفضلة لدى القطعان.

* * جرادة ـ مدينة ومنجم ـ : حسب ذاكرة السكان، كانت جرادة شبه فارغة في بداية القرن، لكن منذ اكتشاف المنجم الفحمي سنة 1927، أخذ الدوار التقليدي المبني بالخيام يتطور بسرعة إلى مركز حضري ليرتقي حالياً إلى مستوى مقر عمالة. التساؤل عن استمرارية النمو والازدهار تبقى من أهم ما يروج في أذهان أغلب سكان جرادة ومختلف المسؤولين بمؤسسات الدولة بالإقليم، إذ من المفيد معرفة ما إذا كان النمو السريع قائماً على أسس متينة تضمن استمرار الدينامية الحالية لمختلف الأنشطة، أم أن التوازن الحالي قائم على أسس هشة مما قد يعرض المدينة إلى أزمات اقتصادية واجتماعية خطيرة. في الواقع، ارتبط تطور المدينة بنشاط منجم الفحم الذي أدى إلى نزوح السكان إليه بشكل مستمر. ففي سنة 1982 كان عدد السكان بجرادة حوالي 43000 نسمة وأصبح سنة 1994 يزيد عن 59000 نسمة. كانت المدينة في بدايتها عبارة عن أحياء للعمال، لكن بسبب ظهور خدمات مختلفة واشتداد الجفاف بالبوادي المجاورة، سرعان ما امتد النسيج الحضري الفوضوي حول أحياء العمال وأوراش المنجم التي أصبحت متداخلة (صورة تداخل اوراش المنجم بالمدينة).

تمتد المدينة حالياً على مساحة 1600 هكتار، منها 1200 هكتار يعتبر بناؤها صعب التجهيز لكونه بني بشكل متستر وفوضوي. أغلب الأزقة ضيقة، غير منفتحة وبالتالي ضعيفة التهوية، مما يؤدي إلى استقرار غبار الفحم بها وتفاحش أمراض "السيليكوز".

يبدو من خلال التقارير الحالية لوزارة الطاقة والمعادن (*Panoramas*) أن الاحتياطي من الفحم أصبح ضعيفاً مما قد يهدد الوظيفة الرئيسية لمدينة جرادة. فرغم امتداد الحوض على طول قدره 25 كلم وعرض يزيد عن 4 كلمترات، فإن الدراسات قللت من التفاؤل الذي ساد إلى حدود 1986، حيث كان يقدر بأكثر من 100 مليون طن، إلا أن التقرير السنوي للوزارة سنة 1992، أصبح يتحدث، حسب المعطيات الجديدة، عن 23 مليون طنا فقط. إذا كان الأمر كذلك، واعتباراً للوتيرة الحالية للإنتاج، فإن مدينة جرادة ستفقد وظيفتها الرئيسية في أقل من 30 سنة !

في الواقع، عاش المنجم فترات صعبة متعددة نتيجة تقلبات أسعار الأنترسيت في العالم، مما أدى إلى التفكير في غلق المنجم، لكن، اعتباراً للعواقب الاقتصادية والاجتماعية التي قد يخلفها ذلك على سكان جرادة، تدخلت الدولة غير ما مرة لمساعدة المنجم على تجاوز الصعاب. لهذه الأهداف، حاولت الدولة، باسم "مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية" (B.R.P.M.)، شراء الأسهم التي كانت تملكها الشركات والأبناك الأوربية. في بداية الأمر كانت الدولة تملك فقط 33٪ من رأسمال "مفاحم شمال

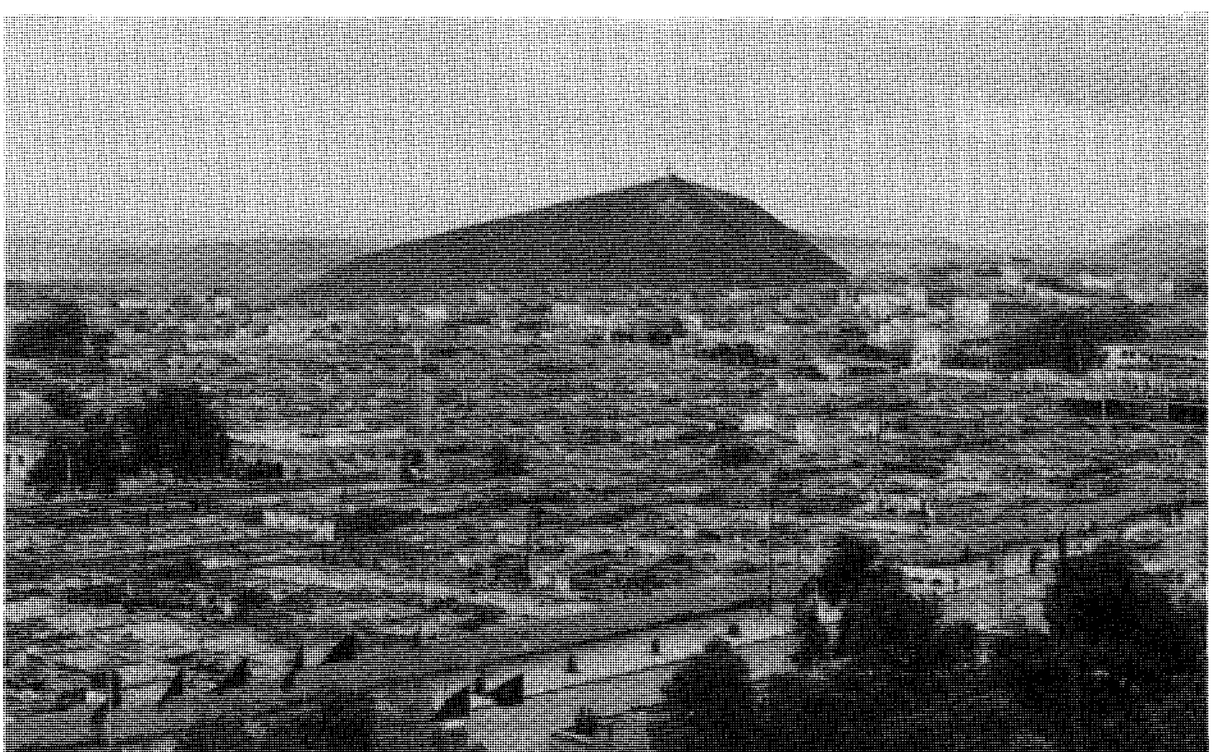

جانب من مدينة جرادة :

(تداخل الأحياء بتلال نفايات الفحم)

إفريقيا" (Charbonnages Nord Africains)، ونفس القدر "بالشركة الشريفة لمفاحم جرادة"، لكن في سنة 1964 أصبحت الدولة تملك نصف رأسمال المنجم، لتصل إلى 98٪ سنة 1972 حيث أطلق على الشركة اسم "مفاحم المغرب" (Charbonnages du Maroc). أصبح إذ ذاك من السهل على الدولة مساعدة إدارة المنجم للتغلب على مختلف الصعاب لضمان الشغل لساكنة جرادة وسد حاجيات المغرب من الأنتراسيت.

تراوح استخراج الفحم ما بين مائة ومائتي ألف طن سنوياً، وذلك ما بين 1936 و1954، ثم ما بين مائتين وأربعمائة ألف طن إلى حدود 1951، ليرتفع الإنتاج إلى عتبة خمسمائة ألف طن سنة 1971، وإلى أكثر من ثمانمائة ألف طن سنة 1982. ابتداء من هذه الفترة أصبحت رغبة المسؤولين، المتفائلين للاحتياط، العمل على توفير كل الشروط اللازمة لرفع استخراج الفحم إلى مليون طن سنة 1988، وليصل ابتداء من سنة 1993 إلى مليوني طن، وذلك لسد حاجيات معمل توليد الطاقة ومختلف الطلبات الوطنية الأخرى.

أمام صعوبة بيع الأنترسيت بالخارج، وأمام حاجة المغرب إلى الطاقة الكهربائية قررت الدولة بناء معمل لتوليد الطاقة الحرارية بجرادة - حاسي بلال، سنة 1971، أدى ذلك إلى جر الماء وبناء مرافق لغسل الفحم للرفع من تركزه حتى يصبح قابلاً للاستعمال بعد خلطه بنسبة من الكوك (Coke) المستورد، وبذلك أصبح المعمل يستهلك سنوياً حوالي سبعمائة ألف طن من الأنترسيت مما يدل على أن الاحتياطي الحالي سيضمن استمرار دوران المعمل خلال ثلاثين سنة فقط، وأصبح بذلك الإنتاج الحالي لايسد حتى حاجيات المعمل، حيث تراوح الإنتاج ما بين 1990 و1995 ما بين أربعمائة وستمائة ألف طن ! أصبح بذلك المنجم لا يسد رغبات المعمل والزبناء التقليديين مثل معامل السكر والإسمنت وبعض المحركات للقطارات والبواخر.

من الصعاب التي تعترض حالياً مناجم جرادة، بالإضافة إلى ضآلة الاحتياطي، عمق الآبار الذي أصبح يتجاوز 400 م وصعوبة استخراج الفحم حيث أصبح معدل حوادث الشغل يتعدى 2000 حادثة / سنة، منها 43٪ ناتجة عن تهدل وسقوط الجلاميد على العمال داخل الأعماق. أدى استفحال هذه الظاهرة إلى الهروب المستمر للعمال، إذ يجب البحث عن 50٪ من عمال العمق سنوياً، حيث يتم إدخال عمال جدد، تنقصهم الخبرة والتجربة مما يؤدي إلى قلة الإنتاج وارتفاع الحوادث.

فرغم أن مدينة جرادة ارتقت بسرعة، من مركز مستقل إلى دائرة وعمالة، فإن التجهيزات المتوفرة لاتكفي حاجيات ومتطلبات السكان الأساسية، إذْ رَغم امتداد شبكة التطهير على 28 كلم، فإن 25٪ من المنازل لاتزال غير مرتبطة بقنوات التطهير (تقرير وزارة الصحة، 1995)، كما لاتزال بعض الأحياء تفتقر إلى الإنارة كما هو الأمر بحاسي بلال.

تتمثل التجهيزات الصحية في وجود مصحتين وصيدليتين وطبيبين. التهجيزات السوسيو - ثقافية تتلخص في وجود مكتبتين وقاعة للسينما وقاعة المسرح ومركز الشباب وثلاثين مسجداً. تتوفر مدينة جرادة على عشر مدارس للتعليم الأساسي، منها ثلاث للتعليم الخاص، وإعداديتين وثانويتين. كما تجدر الإشارة إلى أن مكتب التكوين المهني وإنعاش الشغل، بتعاون مع وزارة الطاقة والمعادن، أحدث مراكز للتكوين المهني، أصبحت تحتوي على شعب متعددة أهمها، الاليكتروميكانيك وميكانيك السيارات والنجارة والمطالة والقصدرة والترصيص وكهرباء البناء والخياطة. استفاد من هذه الشعب خلال موسم 1995 حوالي 430 متدرباً. ينعقد بجرادة سوق أسبوعي مهم خاص لبيع المواد الاستهلاكية مثل الخضر والفواكه واللحوم والحبوب. نتيجة وجود قدرة استهلاكية مهمة نسبياً، وهكذا فإن مركز جرادة يعتبر المنشط الرئيسي للحياة الاقتصادية بالإقليم.

* * إقليم جرادة أنشئ في إطار تعميم سياسة اللامركزية وتقريب الإدارة من المواطن، أحدثت بموجب التقسيم الإداري الجديد عمالة جرادة سنة 1994. يمتد الإقليم على أغلب جبال جرادة والهوامش الشمالية للهضاب العليا (انظر خريطة التقسيم الإداري للإقليم) ويشمل بذلك المناجم الأساسية التي شرع في استغلالها منذ بداية القرن، ومجموعة من أراضي الرعي والزراعة البعلية.

كان عدد سكان المنطقة، حسب إحصاء سنة 1982 بلغ 132.964 نسمة، ليرتفع حالياً إلى 149.886 نسمة (إحصاء 1994). يبدو من خلال هذه الأرقام أن تزايد السكان لايزيد عن 1٪، لكن يجب اعتبار الهجرة إلى خارج الإقليم ونعلم أنها نشيطة في كل جهات المغرب الشرقي. أما إذا اعتبرنا حركة السكان داخل الإقليم نفسه، فنلاحظ أن البادية أصبحت غير مفضلة، تشكل منطقة الطرد للسكان، حيث قل عدد السكان بها حالياً، على ما كان عليه سنة 1982. نكون بذلك أمام إقليم مراكزه الحضرية ينمو سكانها بحوالي 2،6٪، والأرياف يَتناقص سكانها بحوالي (0،7٪ -). اشتد إفراغ البوادي، رغم ضُعْف كثافة سكانها، من جراء تعاقب سنوات الجفاف والفقر، إلى التجهيزات الضرورية مثل الصحة والتعليم والطرق والماء الشروب.

التقسيم الإداري لإقليم جرادة وتوزيع السكان (1994)

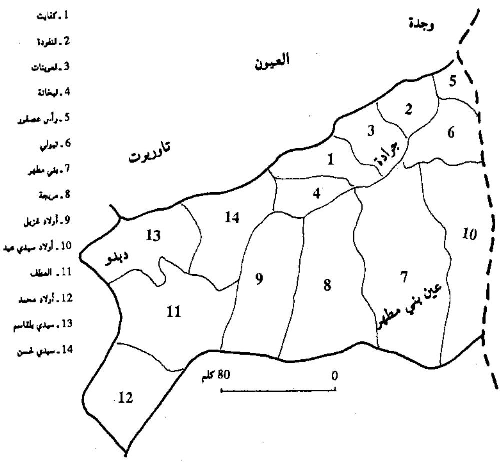


يبدو أن هذا الإقليم الفتي تعترضه صعاب مختلفة، أهمها الفقر إلى التجهيزات الأساسية، إذ أغلب الجماعات القروية بدون مصحة، كما نجد طبيباً واحداً لحوالي 25.000 نسمة، وسيارة إسعاف لأكثر من 70 ألف نسمة (إحصاء لوزارة الصحة 1995). يعاني الإقليم من استنزاف الثروات المعدنية مما أدى إلى غلق أغلب المناجم، كما أن تقارير البحث والتنقيب غير متفائلة. فمناجم تويسيت التي شرع في استغلالها منذ سنة 1930، استنزف ما بها من الرصاص والزنك، حيث كانت تشغل ما معدله ثمانمائة عامل، إلا أن الشركة اضطرت إلى غلق المنجم منذ 1975. حالياً لم يعد بعض العمال يشتغلون إلا في غسل نفايات المنجم داخل التجهيزات المهمة التي لازالت قائمة. وقد حاولت الوزارة تنشيط المركز باستمرار التكوين في "المدرسة التطبيقية للمعادن".

عرفت مناجم سيدي بوبكر نفس المصير، إذ شرع في استغلالها سنة 1926، واستطاعت شركة الزليجة التغلب على مختلف الصعاب التي اعترضتها، حيث تمكنت من استخراج حوالي مليوني طن من الرصاص والزنك المركز قبل غلق المنجم سنة 1968، وذلك بعد التأكد من نفاد الاحتياطي الذي قدر في بداية الأمر بأكثر من 26 مليون طن. ويستمر حالياً بعض العمال في جمع الفضلات وغسلها كما هو الأمر بتويسيت.

في الواجهة الغربية من جبال جرادة تم غلق مناجم تاتورالت ومناجم مرگشوم وسيدي لحسن.

لايزال القطاع المنجمي بإقليم جرادة يشغل حالياً ما يقرب من سبعمائة ألف شخص، لكن أكثر من خمسين ألف، في مناجم جرادة وحدها. وبذلك يكون بذلك النشاط المعدني هو الركيزة الأساسية لأغلب مراكز الإقليم، حيث يستفيد منها، بشكل مباشر أوْ غير مباشر، ما يزيد عن ثلث سكان الإقليم. انطلاقاً من هذه الاعتبارات، تبقى الصعوبة الأساسية للإقليم إيجاد أنشطة موازية، بإمكانها أن تعوض استخراج الفحم عند نفاده، وتضمن بذلك استمرارية النمو للإقليم.

فإذا كانت الموارد المعدنية أشرفت على نهايتها، يبقى من اللازم إعادة الاعتبار للأرياف التي يتم إفراغها واندثار مواردها الطبيعية. لاشك أن الإقليم يتوفر على مؤهلات طبيعية وبشرية لممارسة النشاط الرعوي الذي يمكن أن يصبح مورداً رئيسياً للإقليم (انظر مادة بني مطهر) إذا ما تم توفير الشروط الضرورية مثل فك العزلة عن الجماعات بفتح الطرق والتنقيب على الماء وخاصة استصلاح المراعي وضبط استغلالها. من اللازم الشروع في دراسة أسباب الاختلاف البيئي وهجرة السكان في الأرياف، والحفاظ على الموارد التي من شأنها أن ترفع التحدي وتضمن الرخاء للإقليم، وهي الماء والتربة والغطاء النباتي.

استخرجت من إقليم جرادة خلال نصف قرن موارد أساسية استفادت منها خزينة الدولة، حالياً أخذ يعاني من تراكم مشاكل غلق المناجم، والتي هي مرشحة للتفاقم إن لم يتم التفكير بجد في إعادة هيكلة النسيج الاقتصادي للإقليم.

| دائرة جرادة | | دائرة عين بني مطهر | | دائرة دبدو | |
|---|---|---|---|---|---|
| الجماعة | عدد السكان | الجماعة | عدد السكان | الجماعة | عدد السكان |
| 1 ـ كنايت | 2.395 | 6 ـ تيولي | 7.577 | 11 ـ العطف | 1.186 |
| 2 ـ قنفودة | 5.560 | 7 ـ بني مطهر | 5.207 | 12 ـ أولاد محمد | 3.487 |
| 3 ـ لعوينات | 4.055 | 8 ـ مريجة | 2.198 | 13 ـ سيدي بلقاسم | 11.580 |
| 4 ـ لبخاتة | 2.617 | 9 ـ أولاد غزيل | 5.596 | 14 ـ سيدي لحسن | 10.258 |
| 5 ـ رأس عصفور | 1.446 | 10 ـ أولاد سيدي عبد الحكيم | 3.001 | | |

توسيع سكان إقليم جرادة

شاكر الميلود، *دراسة جيومرفلوجية للهوامش الشمالية الغربية لسلسلة الهورست*، د. د. ع. الرباط، سنة 1985 ؛ مديرية الإحصاء (1982 ـ 1994) ؛ وزارة الصحة (إحصاء التجهيزات الصحية، 1995).

A. Laouina, *Le Maroc nord oriental : reliefs, modelés et dynamique du calcaire*, Oujda, 1987 ; Ministère de l'Energie et des Mines, *Panoramas et rapports annuels sur l'activité minière* ; B. Owodenko, *Le bassin houiller du Jerada, notes et mém. serv. géol., Maroc*, n° 207, 1976.

شاكر الميلود

**الجرَاري**، ـ بكسر الجيم وفتح الراء الأولى مخففة ـ أسرة رباطية عريقة تنتسب إلى أولاد جَرَّار ـ بفتح الجيم

والراء المشددة - القبيلة العربية الشهيرة بسوس (انظر أولاد جرّار). ومن المعلوم أن فرقة مهمة من الجرّاريين، استقرت بقصبة الرباط ضمن جيش الأوداية، فنسبت إليهم وصارت تعرف بقضية الأوداية. ولاندري متى ولاكيف خُففت راء الأسرة الرباطية. ومن أشهر الجِرارِيِّين الرباطيين :

**الجرّاري، عبد الله** بن العباس، الفقيه الأستاذ المقرئ المؤرخ المؤلف المكثر. ولد بمدينة الرباط في 4 شعبان 1322 / 14 أكتوبر 1904. ولم يكد يبلغ الثالثة من عمره حتى أدخله أبوه الكتّاب القرآني فحفظ كتاب الله على يد الأستاذين محمد الشياظمي ومحمد المهدي متجينوش. وبعد ذلك أقبل على الدروس العلمية وحضر مجالس عدد من شيوخ الرباط، أمثال محمد بن العياشي ومحمد بن التهامي الرغاي ومحمد المدني ابن الحسني ومحمد بن عبد السلام السايح وأبي شعيب الدكالي ومحمد ابن العربي العلوي أيام كان رئيساً بمجلس الاستئناف الشرعي بالرباط. وأخذ عن أحمد بن المأمون البلغيشي وعبد الرحمان بن القرشي وغيرهم من كبار علماء فاس الذين أقاموا مدة بحكم وظيفهم في رباط الفتح، كما حضر أيضاً دروس الأديب التهامي الغربي.

لم يكتف عبد الله الجراري بذلك بل كان يخط برنامجاً للمراجعة في بيته مع بعض رفقائه، ويتراسل مع بعض المتضلعين في التوقيت والحساب ليتعلم منهم هذا الفن. ودرس في شبابه الموسيقى لمدة وجيزة. وزاد من تنوع ثقافته كثرة أسفاره واتصاله بمختلف فئات الناس، خصوصاً أهل العلم والثقافة في شتى أنحاء البلاد، كما أنه فتح منزله لرواد العلم والثقافة فأضحى نادياً ثقافياً ابتداء من سنة 1930.

بدأ عبد الله الجراري حياته التعليمية باكراً عند ما أخذ يلقي دروساً في الزاوية المباركية سنة 1920. ثم أسس مدرسة خاصة - وابتداء من سنة 1926 شارك إلى جانب الشباب السلفي في معركة محاربة البدع - وكوّن سنة 1928 فرقة مسرحية سماها جوق.السعي والفضيلة، ضمت تلاميذ مدرسته. وأحرز على جائزة التأليف المسرحي عندما قدم مسرحية للمباراة التي نظمتها إحدى الجمعيات في نفس السنة.

وأثناء حوادث الظهير البربري ألقي عليه القبض يوم 11 يوليوز 1930 إثر إلقائه خطبتين : الأولى في مسجد سيدي الغندور والثانية في الجامع الأعظم، وحكم عليه بالسجن، ثم سرح بعد حين.

وفي سنة 1932 التحق عبد الله الجراري بالتعليم الرسمي كمدرس. وفي سنة 1937 أحرز شهادة العالمية بالقرويين. وفي السنوات الأولى لإنشاء الإذاعة كان يرتل القرآن الكريم ويلقي أحاديث ودروساً في التفسير وعدة محاضرات إذاعية. وابتداء من سنة 1940 انخرط في سلك كتّاب المخزن بالقصر الملكي وكُلّف بتفتيش الكتاتيب القرآنية والتعليم الحرّ وتفتيش مدارس البنات في المغرب، كما أسندت إليه مهمة التدريس بالمعهد المولوي بعد تأسيسه سنة 1942.

وفي سنة 1947 عينه الملك محمد الخامس عضواً في اللجنة الملكية للتأليف، فألف فيها الجزء الأخير من كتابه الذي كان بدأه من قبل وهو *دروس التاريخ المغربي* الذي طبع لأول مرة على نفقة عاهل البلاد.

وبسبب ما كان له من مواقف ضد إدارة الحماية تمّ إبعاده عن التفتيش أثناء أزمة سنة 1953. وبعد الاستقلال رجع إلى مهمة التفتيش، وشارك المترجم في عدة لجان ومؤتمرات داخلية وخارجية وكان عضواً في رابطة العلماء، واتحاد الكتاب، وعضواً في المجلس العلمي للعدوتين الرباط وسلا الذي عين فيه في 12 يوليوز 1981.

ألّف عبد الله الجراري عدة كتب منها المطبوع ومنها المخطوط. فمن المطبوع : *دروس التاريخ المغربي* في خمسة أجزاء *وتقدم العرب في العلوم وأستاذيتهم لأروبا* *وشذرات تاريخية من 1900 إلى 1950* *وصفحة من صفحات الكتلة الوطنية* وتجليها في أحداث المطالبة بالاستقلال عام 1944 *ومن أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين* *وكتابان في الموسيقى* *وورقات في مساجد الرباط وزواياه*. كما أنجز ستة تراجم لعلماء في سلسلة *شخصيات مغربية* ؛ وغير ذلك.

وبعد تقاعده انخرط في هيئة التدريس بدار القرآن التي ساهم في تأسيسها بالرباط حيث درّس فن التجويد والنحو والتاريخ والسيرة والتربية الدينية. وشارك في حلقات التعليم بجامع السنة وهو تعليم نظمته وزارة الأوقاف التي كلفته بالإشراف على التربية الدينية في مديرية الشؤون الإسلامية في 3 يوليوز 1973.

وقد ألقى آخر درس بمسجد السنة يوماً واحداً قبل وفاته. وتوفي يوم الأربعاء حادي عشر ربيع الثاني عام 1403 / 26 يناير 1983 ودفن بمسقط رأسه في مقبرة الشهداء.

عبد الله الجراري، *من أعلام الفكر بالعدوتين*، 1969 ؛ عباس الجراري، *العالم المجاهد عبد الله الجراري*، سلسلة شخصيات

مغربية، الدار البيضاء، 1985 ؛ *عهد الوفاء، تأبين فقيد الدين والعلم والوطنية عبد الله بن العباس الجراري رحمه الله*، الدار البيضاء، 1983.

عبد الإله الفاسي

**الجرامنة** ← أولاد **جرمون**

**جراندة** الجليقي، هكذا تسميه المصادر المغربية، واسمه الإسباني Giraldo Sempavor. كان فارسا مغامرا ذا جرأة في شن الغارات على الحصون الأندلسية، وضايق كثيراً ولاة الموحدين في الأقاليم مما جعل ابن الرنك Alfonso Entiquez ملك البرتغال يستعين به وبرجاله في حربه ضد المسلمين، فقام بعدة غارات استولى فيها على عدة حصون بغرب الأندلس في سنتي 560 - 561 / 1164 - 1165، واستولى على حصن جلمانية Jurimina قرب بطليوس، واتخذه منطلقا لتحركاته لحساب ملك البرتغال. كما استعان به محمد بن سعد ابن مردنيش، وأنزله في بعض حصون شرق الأندلس، وأصبح سنة 563 / 1167 يعيث فسادا بنواحي غرناطة، وهزم جيشا موحديا في احدى غاراته على ناحية رندة. ثم عاد ليشارك مع ابن الرنك في حصار بطليوس في السنة التالية، إلاّ أن الموحدين نظموا حملة عسكرية قوية لرفع الحصار عن بطليوس واستعانوا بفرناندو ملك ليون الذي كان حليفا لهم، فانهزم ملك البرتغال وأسر، ثم أطلق سراحه، وفر جراندة، واستمر يعيث فسادا بمنطقة بطليوس إلى أن أبرم صلح مع ابن الرنك سنة 568 / 1172، فاستسلم جراندة للخليفة يوسف بن عبد المومن بإشبيلية أوائل السنة التالية، ودخل في خدمة الموحدين، وجاز إلى المغرب ونزل مراكش، ثم أرسله الخليفة إلى السوس على رأس فرقتـه من المرتزقة الروم، ومن هناك كان يحاول الاتصال بابن الرنك بأشبونة ليعلمه بمكانه من السوس على ساحل البحر، ويعده بالدخول في خدمته مرة أخرى، لكن رسائله وقعت بأيدي الخليفة يوسف بعد عودته من الأندلس سنة 571 / 1175، فاستقدم جراندة إلى مراكش، وكتب إلى عامله على درعة موسى بن عبد الصمد "إذا وجهنا لكم جرندة وأصحابه فقسموهم على القبائل واقتلوه لأنا أخذنا عليه كتب الدلس" (*أخبار المهدي*، 89).

ثم أمر الخليفة العلج بالتوجه إلى درعة، وقال له : "هي أحسن لك من السوس. فسار مع أصحابه، وكان عددهم ثلاثمائة وخمسين، من ايفرخان (جمع افروخ وهو الفتى أو الشاب بالأمازيغية) فلما وصلوا فعل بهم موسى ما أمره به أمير المؤمنين" (*أخبار المهدي*، 89) وكان ذلك سنة 571 / 1175.


ابن عذاري، *البيان المغرب*، (قسم الموحدين) الدار البيضاء، 1985؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، تح. عبد الهادي التازي، بيروت، 1964 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، (ج. 6) بيروت.


محمد المغراوي

**جـرَاوَة**، مدينة وقصبة مندثرتان بالمغرب الشرقي كانتا تقعان علي الطريق الرئيسية بين مدينتي وجدة والناظور، وبالتحديد بين أحفير وأبركان حيث توجد قرية عين الركادة. ويعرف الناس بالقرب منها من جهة الشرق مكانا يدعى جراوة. وقد كانت بهذه الجهة إلى أوائل الستينيات من هذا القرن بقايا سور قديم من الطوب قد يكون من بقايا مدينة جراوة أو قصبتها. وحسب الجغرافيين القدماء كانت المدينة في بسيط من الأرض تبعد عن البحر بستّة أميال، وقد بُني حصن تابع لها يقع إلى الجنوب منها على بعد أربعة أميال أي بقرب جبال بني إزناسن، فتكون البقايا المشار اليها هي لهذا الحصن أو لمدينة جراوة نفسها.

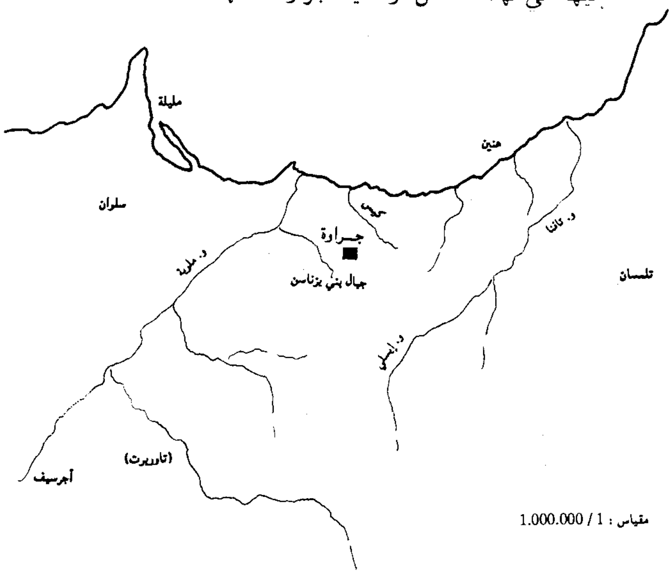


وبالنسبة لهذه المدينة (ويسميها الحميري : جراوة مكناسة) كانت تتوسطها قصبة، ويحيط بها سور مبنيّ بالطوب له بابان شرقيان وثالث شمالي ورابع غربي، وحولها أرباض، وداخلها آبار عذبة، وبها خمسة حمّامات وجامع. ويصفها الإدريسي بأنها كانت مدينة عامرة، ويصفها صاحب *البيان المغرب* بكونها أشرف المدائن (في المنطقة). وحواليها بسائط عريضة للزرع والضّرع (البكري) ويحيط بها من القبائل مطغرة (مدغرة) شمالاً وبنو يفرن شرقا وبنو إزناتن (كذا) جنوباً وزواغة غرباً، إضافة إلى قبائل أخرى حولها مثل ودانة ويغمر الجبل وبني راسين وبني باداسن وبني وريمّش. ويحدَّد بُعدُ مدينة جراوة عن البحر بنحو ستّة أميال، ويسمى مرساها باسم تابحريت أو تافرجنيت، وتسمّى في *البيان* : أكاس، ويبدو أنّ هذا الاسم الأخير تطوّر إلى كيس وهو اسم النهر الصغير الذي يجري من مرتفعات أحفير في اتجاه البحر ليشكل حتّى مصبّه جزءاً من الحدود الحالية بين المغرب والجزائر،

وعلى الجانب الغربي للمصبّ توجد مدينة السعيدية بشاطئها الرملي، وعلى الجانب الشرقي للمصبّ بنحو ثلاثة كلمترات توجد مدينة مرسى بلمهيدي الجزائرية التي يمكن وجود مرسى طبيعية بها قديماً قد تكون هي تابحريت أو أكاس المذكورة. ويحدّد البكري بُعد "مرسى جراوة" عن جزر ملوية (جزر كبدانة حالياً) بثمانية مراحل في البرّ.

أسس مدينة جْراوة سنة 257 (أو 259) الأمير الإدريسي أبو العيش عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان (أخي إدريس الأكبر) بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، واتخذها عاصمة لإمارته التي كانت تمتدّ شرقاً إلى تلمسان وغرباً إلى مليلية وجنوباً إلى نهر صاء (أو صاع) الذي أعطى اسمه للمدينة الواقعة عليه والتي سميّت على الأرجح فيما بعد تاوريرت. هذه الإمارة هي إرث من ولاية إدريسية كانت تحت حكم محمد ابن سليمان، فاستقلّ أبناؤه بها كما حدث في ولايات إدريسية أخرى أيام ضعف أمراء فاس، وانقسم السليمانيون على أنفسهم، وكان أشهرهم أبو العيش المذكور حفيد محمد ابن سليمان. ويبدو أن إمارته نعمت بنوع من الاستقرار في ظل ضعف الحكم المركزي بفاس وضعف جيرانها من جهة الجنوب أمراء سجلماسة المدراريين، ومن جهة الشرق أمراء تاهرت الرستميين وذلك خلال النصف الثاني من القرن الثالث، على عكس ماسيحدث خلال الثلث الأول من القرن اللاحق في ظل حكم ابنه عيسى الذي تولى حكم الإمارة بعد موت أبيه سنة 291 (أو 296). فمع التحرك الفاطمي نحو المغرب وبداية المنافسة الأمويَّة وانحياز القبائل لهذا الطرف أو ذاك أصبحت إمارة ابن أبي العيش تعاني من توالي الضغط عليها خاصّة بعد تحوّل الأمير الزناتي موسى ابن أبي العافية لصالح أمويي الأندلس وتلقيه الدعم البحري منهم منذ سنة 319، وقد كانت مواجهاته متوالية مع الأدارسة عامة بحيث توالت الاصطدامات بينه وبين أمير جراوة الحسن بن أبي العيش، مما جعل هذا يبني حصناً احتياطياً جنوب جراوة أقرب إلى جبال بني إزناسن سمّاه المنصورة. وقد لجأ إليه، كما حدث سنة 319 ( *البيان*، 196). ويذكر صاحب *القرطاس* (ص. 84) أن ابن أبي العيش تحصّن بمدينة مليلة خلال هذه الفترة أو بعدها، وصلها عبر مرسى أكاس ثم جزر ملوية ( *البيان*، 194)، ويبدو أنه استرجع إمارته سنة 323 على الأبعد خلال حملة القائد الفاطمي ميسور الفتى على المغرب الأقصى (البكري، 128). وخلال توجيه الأسطول الأموي إلى سواحل المنطقة سنة 324 أو 325 سقطت جراوة من جديد بيد ابن أبي العافية وتحصّن أميرها بالجبال المجاورة، ثم لم يلبث أن استعاد عاصمته وكذلك مدينة تلمسان. وظلت الأحوال بين أمير جراوة وابن أبي العافية بين مدّ وجزر تتخللها هدنات لا تلبث أن تنتقض، خاصّة وأن معظم أتباع ابن أبي العافية زناتيون رعاة ومعظم أتباع ابن أبي العيش زراع مستقرّون فيما يبدو.

وتتحدّث رواية في *البيان المغرب* (201) عن كيفية نهاية مدينة جراوة: بأن أهلها كاتبوا ابن أبي العافية - ربما تحت ضغطه عليهم بالحصار - وضمنوا له دخول المدينة، فلجأ ابن أبي العيش إلى حصن المنصورة. ولما دخل ابن أبي العافية جراوة دعا أهل المنصورة إلى الأمان، فأجابه بعضهم وتغلّب على سائرهم وقتل جماعة منهم. وأسر أولاد الحسن ابن أبي العيش وغنم خيله وسلاحه وأحرق المدينة بالنار وانصرف إلى محلّته. كان هذا الحادث على الأرجح سنة 338 هـ، وهي فترة انشغال الفاطميين بمشاكلهم في افريقية. ولم تحدثنا المصادر بعد ذلك عن تجديد مدينة جراوة أو إمارتها.

ابن حيان، *المقتبس*، 5: 307، 382، 414 (طبعة 1979)؛ أ. البكري، *وصف افريقية والمغرب*، ص. 89، 142، 143-143، باريس 1265؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ص 248، طبعة القاهرة؛ ابن عبد المنعم الحميري، *الروض المعطار*، 162-163، تح. إحسان عباس؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، 1: 137، 194، 196، 199، 201، 204، 205، ط. بيروت؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 84، الرباط 1973.

أحمد عزاوي

**الجَرْبِي**، نوع من الأقمشة التي كانت متداولة في مغرب القرن الماضي والقرون السالفة، وهو من الصوف الجيد الدقيق النسج الذي يكاد المرء لا يفرق فيه بين السدوة واللحمة (= السدى والطعمة أو القيام). كان المغاربة الموسرون يتخذون منه الجلابيب والسلاهم والأكسية الرفيعة. اشتهرت في إنتاجه جزيرة جربة التونسية فنُسب إليها. وقد كانت الخرقة الجربية تتنافس على مستوى الجودة في المغرب وخارجه داخل البلدان المغاربية مع خرقة السوسدي وخرقة وزان وخرقة بزو.

R. Dozy, *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes*, Amsterdam, 1845 ; A. Pignol (et al.), *Costumes et parures dans le monde arabe*, 1987 ; G. Marçais, *Le costume musulman d'Alger*, Alger, 1930 ; R. Le Tourneau, *Fès avant le Protectorat*, Casablanca, 1949.

محمد بوسلام

**جَرْجِير**، نبات يدعى أيضاً "گرگاز" أو "الحَارَّة" أو "بُوحَمُّو" أو "الخَرْدَل"، إلى غير ذلك من الأسماء العديدة، ويُطلق على عدة أنواع تنتمي إلى أجناس مختلفة من فصيلة الصليبيات cruciferae أو brassicaceae. وهذه الأجناس هي سِينَاپِيسْ sinapis وبْرَاسِيكَا brassica ورَافَانُوسْ raphanus وإيروكا eruca وإيرُوكَاسْتْرُوم erucastrum ودِبْلُوتَاكْسِيس diplotaxis. ومن بين هذه الأنواع نجد بعض الخضر مثل اللّفت والفجل.

وأغلب الأنواع البرية الموجودة طبيعيا بالمغرب من الجرجير حولية أو ثنائية الحول، تكثر في فصل الربيع، لكنها قليلة المنفعة بالنسبة للرعي ماعدا بعض الأنواع التي تستعمل في تحسين المراعي.

تستعمل بذور بعض الأنواع مثل سِينَاپِيسْ نيگرَا sinapis nigra لصناعة مادة الخردل moutarde الذي يزيد من الشهية بتناوله مع الطعام.

*أبحاث شخصية.*

عبد المالك بنعبيد

**الجردة**، قرية تاريخية بقبيلة أنجرة تشرف دورها على منخفض خصب يلتقي فيه واد الروث بواد الرميلة، وهما رافدا واد الخميس. كما تشرف الجردة على مدينة القصر الصغير من جهة الجنوب الغربي. ويُبرز التقسيم الإداري انتماء قرية الجردة إلى فرقة البرقوقيين، وبها يمر الطريق الرابط بين تطوان والقصر الصغير عبر سوق خميس أنجرة.

والجردة هي التي عناها أبو عبيد البكري بقرية عين الشمس، وقال عنها : "قرية نصر بن جدو، عامرة آهلة، بها جامع وبساتين كثيرة ويوم سوقها يوم الخميس". ومما زاد الأمر تأكيداً قوله : "ويتصل بعين الشمس جبل تار مليل"، الذي تحققنا من أنه جبل تطسويرا (طيط سويرا) الحالي المقابل للقرية. وقد حددت لنا *حوليات القصر الصغير* موضع الجامع المشار إليه من جانب البكري، إذ كان موضعه شمال القرية بجوار مغارس فسيحة. فلم يبق علينا سوى التوصل إلى معنى اسم الجردة ومتى عرفت بهذا الاسم. وهذا لابد أن يكون قد حدث قبل القرن التاسع (15م). حسبما أفادتنا به نفس الحوليات التي تعرفنا على مكانة القرية من الوجهة الاقتصادية عام 863 / 1459، فرجالها أغنياء بما كانوا يملكونه من رؤوس الأبقار البالغ عددها آنذاك نحو ألف وخمسمائة رأس بالإضافة إلى عدد وافر من الأغنام. ويعود الرواج التجاري بالقرية إلى أهمية السوق الأسبوعية المنعقدة بالقرية يوم الخميس، إذ أنه كان مقصد تجار النواحي المجاورة. ويبين هذا أن السوق المقصودة من طرف الحوليات هو سوق خميس أنجرة، وأن مكان السوق الحالي محول عن سوق الجردة الأصلي نتيجة الضغوط البرتغالية المتوالية عليها منذ بداية احتلال القصر الصغير عام 861 / 1458.

علم حاكم القصر الصغير ضون ضوارتي دي منيسيس Duarte de Meneses بالدور الحربي الذي اضطلعت به الجردة خلال الحصار المغربي لمدينة القصر الصغير بأعيانها ومجاهديها البالغ عددهم نحو خمسمائة محارب وبوجود عدد من الأسرى البرتغاليين بيد أحد أعيان القرية، فنظم ضدها أربع غارات، تمت أولاها يوم 12 نوفمبر 1459 (25 محرم عام 863) والثانية يوم 21 أكتوبر 1461 (16 محرم عام 866)، غنم البرتغاليون أثناءها نحو 300 رأس من البقر ومجموع ما كان بها من الأغنام، بينما لم تكن للغارتين التاليتين نتائج تذكر.

ولاريب أن الوجود البرتغالي بالقصر الصغير خلال اثنين وتسعين عاما ثم ما جاء إثر ذلك من تخريب المدينة وبقائها خالية قد أثر كثيراً على ساكنة الجردة ودورها الاقتصادي، سيما بعد انتقال محلة السوق نحو الجنوب إلى مقره الحالي. وربما كان لذلك انعكاس طويل المدى على الشكل الذي ظهرت به الجردة خلال الفترة الاستعمارية إلى اليوم. فقد بلغت دور القرية حسب إحصاء ما قبل سنة 1931 سبع عشرة داراً، أي نحو مائة نسمة فقط.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 108 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، ص. 38 ؛ ج. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري*، I.

*Vademecum*, 20 ; *Geografia de Marruecos*, p. 199 ; Zurara, *Cronica de D. Duarte de Meneses*, p. 185 - 186 - 237 - 240 - 271 - 301.

حسن الفگيگي

**جرار**، عبد القادر. مقاوم ولد سنة 1929 بدوار أيت حدو بتالسينت، انضم لصفوف المقاومة وعمل تحت مسؤولية بلعيد حيث شارك في عدة هجومات ومعارك، من أهمها معركة بني ونيف والمنابهة والخوابي وغيرها، واستمر في عمله البطولي إلى بزوغ فجر الاستقلال حيث توفي بتاريخ 18 دجنبر سنة 1995.

*وثائق المندومية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير.*

أولاد **جرار**، قبيلة سوسية يتوزع ترابها في أقصى الهامش الجنوبي لسهل تيزنيت عند قدم الأطلس الصغير الغربي، أي في منطقة اتصال السهل بالجبل. ويعدّ مجالها أغنى المجالات السهلية بأزغار لتوفر الفرشة المائية. يحدها شمالاً تيزنيت، وجنوباً الأخصاص، وشرقاً إيداوبْعْقيل وتازروالت وغرباً أيت بْرَايِيم.

تنتسب القبيلة إلى فرع ذوي حسان من عرب معقل الذي كانت مجالاته تتحدد إلى الجنوب من تراب ذوي منصور، من درعة إلى البحر المحيط. ويبدو أن استفادة قبيلة أولاد جرار من الرقعة الترابية التي تستوطنها مرتبط

بالخدمة العسكرية للحكام، وخاصة بعد أن استصرخ بها علي الزكندري في صراعه مع آخر حكام الدولة الموحدية عام 615 / 1218 بتارودانت. وإذا كانت الوثائق المحلية والمصادر التاريخية تشير إلى هيمنة هذه القبيلة، على غرار القبائل المعقلية الأخرى، على جزء كبير من سهل سوس، فإنه يعتقد أن ذلك ارتبط بالظرفية السياسية التي خلقها الوجود البرتغالي بالسواحل الاطلنتكية، حيث وقع التحالف بين الطرفين. ومن تجليات هذه الهينمة فرضها الإتاوات على القبائل، وتحكمها في المسالك التجارية القادمة من السودان الغربي ودخولها في حروب مع الجزوليين.

كان لظهور الحركة السعدية، كرد فعل القبائل الجزولية على الضغط الذي عانت منه قبائل الأطلس الصغير المحاصرة، أن طادرت المجموعات البشرية المستقرة بأزغار على أراضيها، وتملكت ما كان في ملكيتها في السابق أو زادت في ذلك، مما قلص من مجال استقرار أولاد جرار، وبدأت قوتها في الاضمحلال. وما تبقى منها اندمج مع السكان المحليين.

وعلى الرغم من ذلك فإنها ساهمت بشكل كبير في حملة أحمد المنصور الذهبي على السودان بستين سرجة وتسعمائة من المرافقين صحبة أهل بونعمان. كما أعلنت العصيان على المولى الرشيد في طريقه نحو إيليغ عام 1080 / 1670 نظراً لما لاقاه عربُ الشبانات بأحواز مراكش من طرف السلطان. ولما قام يزيد بن محمد الملقب ببودربالة ثائراً بسوس عام 1127 / 1715 اعتمد على قبيلة أولاد جرار قبل أن يُعدم بمراكش. كما استقطبها بوحلايس أثناء تمرده بالمنطقة سنة 1207 / 1793.

كانت رئاسة أولاد جرار قبل أسرة آل بورحيم، بيد أحمد ابن سلمون الركادي وبيهي النكيضي بقرية أكوراي. ويمثل ظهور آل بورحيم (نسبة إلى عبد الرحمان) بداية مرحلة جديدة في مسار قبيلة أولاد جرّار، وكانت رئاسة علي بن بورحيم بداية فعلية لاستتباب الأمر للأسرة، بعد أن قطع دابر الطرف المنافس (آل النكّيضي). ويبدو من خلال وثائق مخزنية ومحلية ترجع إلى القرن الثالث عشر (19 م) أن قواد أولاد جرار كانوا يضطلعون بوظائف في غاية الأهمية، وكان للقبيلة ضلع كبير في الصراعات المحلية التي تمليها ظاهرة اللّف (تحكّات - تاكّوزولت) بحيث لعبت دوراً مهماً في مواجهة طموحات إيليغ للنزول إلى أزغار تيزنيت. وفي هذا السياق كان موضع إيغير ملّولن الجبلي مثار نزاع تقليدي بين الطرفين، وترتب عنه مجموعة من التحالفات.

بلغت قبيلة أولاد جرّار أوج قوتها وشهرتها مع القائد عياد الجراري الذي أبان عن دهاء وفطنة سياسية في تسيير أمور أولاد جرار. ولما قام الشيخ أحمد الهيبة يدعو إلى الجهاد ضد الفرنسيين، كانت القبيلة من ضمن القبائل السوسية التي ناصرت الشيخ، كما أصبحت أراضيها منطلقاً لعمليات تهدئة القبائل الجبلية حتى حدود سنة 1352 / 1934.

م. الاكراري، *روضة الأفنان* (مقدمة التحقيق) ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، 6 : 77 ـ 87 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 172 ؛ *وثائق دار إيليغ* (المجلد الخاص بقواد أولاد جرار) ؛ حمدي أنوش، *مادة بورحيم*، *المعلمة*، ج 5 ؛ إ. الحساني، *ديوان قبائل سوس* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الأجزاء 3، 4، 16، 18، 19.

L. Justinard, *Un grand chef berbère : le Caïd Goundafi* ; *Un petit royaume berbère : le Tazeroualt*, Paris, 1954 ; *Notes sur l'histoire du Sous au XVIe siècle*, *A-M*, T. 23, 1933, p. 73 - 92 - 99 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1930 ; A. Le Chatelier, *Tribus du sud ouest marocain : bassins côtiers entre Sous et Draa*, Paris, 1891 ; H. Dugard, *La colonne du Sous 1917*, Paris, 1918 ; M. et E. Gouvion, *Kitab A'ayan Al-Maghrib Al Akça*, Alger, 1939.

أحمد بومزكو

**الجراري، أحمد** بن **حسن** ويعرف بابن سيد المالقي. أصل سلفه من سوس المغرب. قال ابن الأبار : (وليس باللص، وانما توافقا في الاسم والكنية والنسبة، ذاك من إشبيلية، وهو كناني النسب، وكلاهما أقرأ الأدب والعربية).

وصاحبنا من كبار النحاة والأدب بالأندلس، وله حظ في قرض الشعر الجيد. درس الحديث واللغة والأدب على أقطاب عصره. فروى عن أبي الحسن يونس بن محمد بن مغيث، وأبي الحسين سليمان بن الطراوة، وأبي عبد الله سليمان بن أخت غانم، وأبي القاسم أحمد بن محمد بن ورد.

وقد نالته وحشة من قبل القاضي أبي محمد بن أحمد الوحيدي لأمور تقولت إليه اضطرته إلى التحول عن مالقة إلى قرطبة فسكنها نحو أربعة أعوام، ثم استمال جانب الوحيدي حتى لان له وخاطبه بالعود إلى وطنه، فرجع مكروماً مبروراً إلى أن ولي خطة القضاء ابن حسون فاختص به وبآله وحظي لديهم).

بعدها انتقل إلى مراكش واستخلصه الخليفة عبد المومن لتأديب أبنائه، فسما قدره، وعظم صيته، وارتقى محله وأقام على ذلك إلى أن توفي بمراكش بعد سنة 560 هـ بقليل 1164 م.

ابن الأبار، *تحفة القادم*، 44 ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 1 : 92 ؛ *الصفدي الوافي بالوفيات*، 6 : 307 ؛ البلفيقي، *المقتضب من تحفة القادم*، 44 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين*، 1 : 465 ؛ ع. بنمنصور، *اعلام المغرب العربي*، 3 : 302.

محمد حجي

**الجراري، أحمد** بن **الطاهر**، ولد بمراكش حوالي عام 1295 / 1878 وترعرع بدرب قايد راسو بحي هيلانة. وحفظ القرآن على يد والده العلامة الفلكي السيد الطاهر الذي كان يعمل في بلاط السلطان الحسن الأول، ثم بلاط

السلطان المولى عبد العزيز.

تمكن من اللغة العربية، وسبر أغوارها منذ حداثة سنه، ونهل من الشعر العربي والملحون وتتلمذ في الملحون على يد خاله شيخ لكريحة في زمانه الشيخ المعطي لحسوك.

عاش الشاعر الجرّاري سنوات من حياته عيشة راضية، ثم انقلبت إلى جحيم تلظى بنارها، ومما زاد في أزماته فراقه مع زوجته، وفقده لبصره.

وقد عاشر مجموعة من شعراء الملحون نذكر منهم عباس بوستة والسيد إسماعيل والسيد الطبال وحسن بنشقرون وغيرهم.

توفي سنة 1359 / 1940 بعد أيام من سقوطه من أعلى سطح داره. ومما يؤسف له أنه رحمه الله لم يعتن بجمع شعره وتدوينه، ولم يبق منه إلا ما هو في ذاكرة حفاظ الملحون وهو قليل.

*روايات شفرية* ؛ أ. متفكر، *أعلام مراكش*، مخطوط.

أحمد متفكر

**الجرّاري الأوديّي، إدريس** بن حمّان الرباطي. من فصيل أولاد جرّار المنتقلين إلى قصبة الأوداية. كان من الوجهاء والأعيان الفضلا والقواد المحنكين، ومن أبرز عمال السلطان مولاي عبد الرحمان، وأعقلهم وأرجحهم وأنصحهم، وحظي لديه بالمكانة العالية والمنزلة السامية.

كان أول ما ولاّه عمالة وجدة، وقد أبدى في واقعة الأوداية الشهيرة مع السلطان المذكور ما دلّ على حسن طويته وصدق خدمته. فولاه القيادة على الأوداية بناحية الرباط، وبقي كذلك إلى أن توفي سنة 1255 / 1839، ودفن بالزاوية القادرية بالرباط.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 227 ـ 228 ؛ م. دنية، *مجالس الانبساط*، 218.

حسن أميلي

**الجرّاري الأوديّي، عثمان** من أعيان الرباط ورجال الدولة في عهد السلطانين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ. تولّى منصب نائب وزير الحربية أثناء نزاع السلطان عبد العزيز مع أخيه في جمادى الأولى عام 1325 / منتصف سنة 1907. وبعد أن عينت الحكومة الفرنسية الجنرال ليوطي مندوباً لمنطقة الحدود (19 مايو 1908)، طالبت السلطان عبد العزيز بتعيين مندوب عنه للتعاون مع نظيره الفرنسي والسهر على تطبيق اتفاقيات الحدود التي وقعت بالجزائر سنة 1902. فعين السلطان عبد العزيز تحت الضغوط الفرنسية عثمان الجرّاري مندوباً سامياً للحدود يوم 22 ربيع الثاني عام 1326 / 29 مايو 1908، رغم أن الاتفاقيات المذكورة لاتنص على المنصب المشار إليه، بل نصت على تعيين مفوضين عن الدولتين لحل مشاكل الحدود في عين المكان. وكان السلطان عبد العزيز قد امتثل لمقررات الاتفاقيات المذكورة، فعيّن محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي مفوضا عنه بوجدة سنة 1904، إلا أنه أعفاه من منصبه سنة 1905، وظل المنصب شاغراً إلى حين دخول الجيش الفرنسي إلى مدينة وجدة في منتصف صفر عام 1325 / نهاية شهر مارس 1907. وبعد الاحتلال تولى أحمد بن كروم، عامل وجدة، مهمة المفوض من طرف المغرب للنظر في مشاكل الحدود إلى جانب مهمته السابقة.

التحق عثمان الجرّاري بمقر عمله بوجدة في أوائل رجب عام 1326 / بداية شهر غشت 1908. فوضعه الجنرال ليوطي أمام الأمر الواقع، بعد أن أحدث مراكز للجمارك بكل من السعيدية وأحفير وعين بني مطهر، بالإضافة إلى مراكز للحراسة بهدف محاربة التهريب، فوافق المندوب السامي المغربي على الإجراءات المتخذة من طرف ليوطي. واستغل ليوطي أيضاً حضور المندوب السامي المغربي بوجدة لإضفاء المشروعية على القرارات المتخذة بشأن الحدود. إلا أن أصداء الهزائم المتتالية التي لحقت بالسلطان عبد العزيز في صيف سنة 1908 أثرت على سلوك المندوب السامي المغربي، فحاول الالتحاق بطنجة خوفاً من سطوة السلطان الجديد. وطلب من ليوطي التدخل لدى السلطان عبد الحفيظ بهدف حماية أهله ومصالحه بالرباط. ووقع عثمان الجراري في حيرة من أمره فيما يتعلق بالمبادرة إلى مبايعة السلطان عبد الحفيظ أو الالتزام ببيعة السلطان عبد العزيز. لكن تحت ضغط السكان وبموافقة السلطات الفرنسية، أعلن عثمان الجراري ولاءه للسلطان الجديد إسوة بكبار موظفي المخزن بدار النيابة بطنجة، وعُقدت البيعة للسلطان عبد الحفيظ في نهاية شهر غشت 1908. وبعد إلحاح شديد من قبل عثمان الجرّاري لأجل العودة إلى الرباط، وبعد ضمانات من السلطات الفرنسية التي حصل على حمايتها، عاد إلى فاس في نهاية شهر أكتوبر 1908، فعينه السلطان عبد الحفيظ على رأس معمل السلاح بفاس سنة 1909، ورفض تعيين خلف له بعد أن تفطن إلى أن السلطات الفرنسية كانت تنوي تسخير المندوب السامي المذكور لاتخاذ عدة قرارات باسم السلطان، لكن أمام الضغوط الفرنسية وبعد توقيع اتفاق 14 يناير 1910 (القسم الخاص بالحدود)، الذي نص على تعيين مندوبين ساميين للحدود من جانب الدولتين، عين السلطان عبد الحفيظ عبد السلام ابن عبد الصادق مندوباً سامياً للمغرب لمنطقة الحدود في شهر أبريل سنة 1910.

وثائق خ. ح *كناش رقم 773*، (بعض الاتفاقيات المغربية الفرنسية. 1319 / 1322) ؛ *كناش رقم 606*، خ. ح (بعض الاتفاقيات المبرمة بين المغرب وفرنسا ما بين 1319 / 1328) ؛ *معلمة المغرب*، مادة أحفير، ص. 155.

A. Bernard, *Les confins algéro-marocains*, Paris, 1911 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912.

عكاشة برحاب

**الجراري الأوديّي، مَحمد** بن إدريس بن حُمّان، قائد محنك تولّى عمالة الدار البيضاء ثم عمالة الجديدة، وكان أبوه سابق الترجمة عاملاً لوجدة أواسط القرن الثالث عشر (19 م).

لا نعرف المناصب التي تقلدها مَحمد الجرّاري قبل أن تسند إليه شؤون الدار البيضاء سنة 1279 / 1862. وكانت توليته هاته قد حدثت يوم كانت المدينة "خالية قفراً ليس بها أكثر من عشرين داراً" حسب تعبير العباس ابن إبراهيم في كتابه *الإعلام* بعد أن كانت سنة 1270 / 1854 لايتعدى المبنيّ فيها بالحجر خمسة منازل، حسبما جاء في تقرير القنصل الفرنسي أو گوست بومييي A. Beaumier. أما سكانها فقد قفز عددهم من 1000 نسمة سنة 1850 إلى 7.000 شخص سنة 1875، يوم غادرها الجرّاري إلى منصبه الجديد بمدينة الجديدة، مع قلة من الساكنة الأوروبية بها.

ومما ينبغي أن نشير إليه هو أن هاته القلة الضعيفة من الأوروبيين أخذت تبحث عن سكن يؤويها بالمدينة، فقرر المخزن أن يبني لها أماكن للسكنى والتجارة معاً على قاعدة 6٪ المعروفة أي أنه يكريها عقاراته بسوم 6٪ في السنة من مجموع ثمن كفلة البناء.

تفشت في الدار البيضاء وغيرها من المدن الشاطئية، ظاهرة الحماية القنصلية والتجارية والخلطة مع الأجانب في الفلاحة وتربية المواشي في البوادي المجاورة. وقد راعت هاته القضية العامل الجراري وأحزنته فكتب سنة 1282 / 1865 رسالة إلى مَحمد بن عبد الرحمان برگاش النائب السلطاني جاء فيها :

"... ورأيتُ - أيها الأخ - تساقط المسلمين اليوم على أهل الحمايات، ونسبة جميع أموالهم إليهم، وبذلهم عريض المال في تحصيل الحماية، ومساعدة التجار والأقناص لهم في ذلك، ولاحد له ولاحصر، بل تعطلت الأوامر المخزنية رأساً. والأمر الآن في غاية الازدياد، ولايكاد يوجد أحد على الإطلاق إلا وله تعلق إما بالتجار أو القُنْصُ، وإما بمن احتمى بهم، وهلم جراً ... وكادت كذلك أن تعطل الأوامر الشرعية لكثرة تعلق المسلمين وتملقهم وضراعتهم للتجار والأقناص، مع بذل جميع أموالهم، ونسبتها كلها أو نصفها لهم. ومَنْ لاشيء له يشهد أن في ذمته كذا وكذا مالاً للتاجر أو من تعلق به، كي يُجْعَل له تمييز وتشريف واكتساب جاه بذلك ...".

في هاته الظروف بالذات كان الجرّاري عاملاً على المدينة، ولايتسع المجال للإفاضة في هذا الموضوع. وإنما أشير إلى جماعة من سكان الدار البيضاء اتهموه في السنة الثالثة من ولايته بالخيانة والتواطؤ، فمن هؤلاء المستنكرين لموقفه محمد بن الحاج قاسم حصار السلاوي الذي كان أميناً بالمدينة، فقال للسلطان سنة 1280 / 1864 إنه سمع أن "القائد مَحمد الجرّاري كان شريكا مع الذميين المشترين كنطردة الدار البيضاء وأسواقها" وأنه كان "يخبرهم بما يكون فيه الخسارة" وأنهم "فرقوا ألفي مثقال رشاوي على من يظن به ذلك ليعينهم على إثبات الخسارة". ومعنى هذا أن العامل كان متواطئاً مع المشترين لمنفعة الدار البيضاء لينال نصيباً عن سكوته. ولعل السلطان وجه من يحقق له هذا فثبت لديه كذب هذا الخبر الزائف.

ومهما يكن فقد ظل الجرّاري مثالاً للموظف المحنك ومكث إلى سنة 1291 / 1875 وهي السنة التي نقل فيها إلى الجديدة المحتاجة إلى رجل في مثل حزمه، بينما عين للولاية على الدار البيضاء الحاج عبد الله حصار السلاوي شقيق الأمين محمد حصار المشار إليه أعلاه.

ولما أسند مولاي الحسن أمر الجديدة إلى الجرّاري قال له "إننا أعفيناك من ولاية الدار البيضاء وليناك على الجديدة. ولم نعزلك عنها سخطاً لسيرتك ولاهضماً لجانب خدمتك، وإنما اقتضت المصلحة تقديم الأهم فالمهم".

وذلك أن الجديدة صارت مثل الدار البيضاء قطباً ومركزاً للاستيطان الأروبي وبدأ العمران يزدهر فيها. فبعد أن كان سكانها المغاربة 2500 نسمة سنة 1872 صاروا 9000 شخص سنة 1892، مع تزايد الوافدين الأوروبيين عليها بالعشرات كل سنة، وخلطتهم للمغاربة المسلمين واليهود من أجل حركتهم التجارية تصديراً واستيراداً. وكان تعيين الجرّاري عليها يقصد به تطبيق الخبرة والحنكة التي اكتسبها بالدار البيضاء على مدينة الجديدة التي أخذت تنال حظاً وافراً من الحركة العمرانية والاقتصادية.

أشير إلى العلاقات الطيبة التي كانت بين العامل الجراري والمؤرخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي صاحب *الاستقصا* الذي كان آنذاك عدلاً بمرسى الجديدة، وفيها تعرف على الجراري فأهداه - كما قال ابناه مَحمد وجعفر - أكياساً مملوءة أوراقاً أعانته على تحرير تاريخ المغرب. وقد توثقت الصداقة بين الرجلين توثقاً شديداً فنوه به الناصري واصفاً إياه بأنه "من أمثل عمال السلطان وأعقلهم وأرجحهم وأنصحهم ... ظهرت كفايته ونصيحته، وحمدت سيرته وولايته ..."

وكما وشي بالعامل الجراري في الدار البيضاء تجددت به الكتابة بالجديدة في الشهور السابقة لوفاته، وذلك أن أناساً نُعتوا بأنهم "خدام أهل الجديدة" بعثوا في 13 ربيع الثاني عام 1307 "للشريف الحضرة شكاية في 28 صفر الفارط، وجددوا، بعد البحث، على ما قبض من إيالة العامل السيد مَحمد الجراري - من عام 1293 إلى تاريخه - على وجه الظلم والتعدي وسجن ضعفائهم وأخذ مالهم باطلاً، وجعل معه ثلاثة خلفاء : ولده وابن عمه ووصيفاً يقال له بوجمعة، واشتغلوا هنا بما لايرضاه الله ورسوله، مع اليهود والنصارى. وقدرُ ما قبض من أهل البلاد وأهل النوايل وفرضة الأعياد من الغربية والاغناضرة والامنادلة يصل سيدَنا بيانُ ذلك داخله".

فما كان من السلطان إلا أن بعث هاته الرسالة إلى القائد الجراري الذي أجاب عنها بعد خمسة أيام بأن هذا من

تخرصات أولاد الشيخ يسَّف الفَرْجي "ومنهم الحاج محمد ابن يسَّف المحتمي بإسبانيا والناظر الحاج مَحمد ولد الحمدونية الجديدي وغيرهم ممن ذكر، وهم في حماية السويد والبرازيل والبردقيز والألمان والطليان والنجليز والدانمارك". وكان الجراري قد قبض على اثنين من أولاد الشيخ يسف القاطنين بأولاد فرج. وختم جوابه بأن ليس له إلا خليفة واحد هو ابنه عمر، ناعتاً إياه بـ"الحزم والضبط والنباهة". ولا نجد مبرراً لشكاية "خدام أهل الجديدة" سوى أنه قبل صدورها ببضعة أشهر كان قد أطلع السلطان على أحوال "أولاد الشيخ يسف السبعة المتلبسين بالحمايات، المتقلبين من دولة لأخرى، آكلي رمضان جهاراً" أنه كان في سنة 1296 / 1879 من خلال رسالة وجهها إلى برگاش اقترح أن يرفع عن المسلمين التأديب بالسوط مثلما فُعل مع اليهود، وشرح كلامه فيها أن اليهود كانوا يعاقبون بالسجن فقط، وأن المسلمين كانوا يُزجرون بالسوط والسجن معاً "ولاسبيل إلى حسم هذا الداء إلابإبطال هذا القانون من أصله، مع أنه لا أصل له، أو يرفع هذا التأديب بالضرب حتى عن المسلمين لتَحصل المساواة". وبالرغم عن هاته الحصافة الفكرية اتهمه اليهود في السنة المذكورة نفسها بأنه كان متعسفاً عليهم، فرفعت المسألة إلى السلطان فأمره بالكف عنهم.

وفي 29 جمادى الأولى عام 1307 / 21 يناير 1890 توفي مَحمد الجراري رحمه الله. ومع ذلك لم يستسلم خصومه المعلومون والمجهولون، فرفعوا بعد موته بيومين كتاباً إلى السلطان طالبين منه الإعفاء من أهل العامل المتوفى وذاكرين أن الجديدة كانت من قبل يتصرف فيها الأمناء، ثم أضيفت إلى أزمور.

ويفهم من عبارة "الإعفاء من أهل العامل المتوفى" أن ابنه عمر كان - هو أو غيره من قرابة العامل الهالك - يطمح إلى الولاية على المدينة. لكن السلطان لم يفعل، إذ عين بعد ذلك عدداً من الأمناء للقيام بشؤون المدينة، كان أولهم محمد بن العربي برادة المتوفى بالجديدة سنة 1894.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، 2 : 804 . 814 . 280 ؛ 3 : 972 . 973 . 998 ؛ 4 : 1417 ؛ *ذيل الإتحاف الوجيز الجديد*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 35 ؛ 9 : 150 ؛ ل. بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، تعريب، ع. الخلادي ص 261 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 222 ؛ *مجلة الوثائق*، 4 : 480 ؛ 5 : 445 . 446 ؛ *الوثائق الملكية*: آل بركاش ؛ *وثائق آل بنسعيد*.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome III, p. 18, 371.

مصطفى بوشعراء

**الجرَّاري، الحبيب** بن علي البوسليماني السگراتي أصلاً، الجراري مسكناً وداراً. فقيه أديب صوفيّ مدرّس نفّاع. اشتغل ككاتب مترسل مع رؤساء أولاد جرّار من إد بورحيم، كالقائد عياد بن مَحمد - فتحاً - وابن عبد الله، إذ كان هؤلاء الرؤساء حريصين على ألاّ تخلو مجالسهم من العلماء والأدباء.

ألّف ابنهُ الأديب عليّ الجراري آتي الترجمة كتاباً سماه *الخصيب في آثار الحبيب*، جمع فيه رسائله وقصائده. وقد اعتمد عليه محمد المختار السوسي في الترجمة التي كتبها لهذا العالم في *المعسول*.

توفي الحبيب الجراري في 11 حجة عام 1352 / 27 مارس 1934.

علي الجراري، *الخصيب في آثار الحبيب*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 244.

**الجرَّاري، عليّ** بن الحبيب بن علي البوسليماني السگراتي، من مؤرخي سوس في النصف الثاني من القرن الرابع عشر (20 م). نشأ في بيت علم وبيئة أدب، فحفظ القرآن وأمهات المتون. وأخذ عن أبيه الفقيه الأديب الصوفي وعن ابن عمه السيد محمد بن الطيب بن علي الجرّاري بعض فنون العلم، كالنحو واللغة والأدب والفقه، ثم ذهب لدى العلامة عبد العزيز بن محمد الأدوزي أو سيدي المحفوظ النسب بمدرسة سيدي بوعبدلي فأقام في الأخذ عنه أعواماً. ثم قفل لدارهم معيناً والده في الكتابة والرسائل لرؤساء أولاد جرّار من إدْ بُورحيم كالقائد عياد بن مَحمد - فتحاً - وابنه عبد الله. ولما توفي والد المترجم خلفه فيما كان قائماً به من ذلك لما لهؤلاء الرؤساء من الولوع بالعلماء والأدباء لاتخلو مجالسهم من أرباب المعارف والقوافي.

له كتاب سماه *الخصيب في آثار الحبيب*، يعنى والده، نقل لبّه في *المعسول* بترجمة الممدوح ؛ وله كتاب *تحلية الطروس في آثار رجالات سوس*، كان صاحب *المعسول* يستمد منه ويعتمد عليه كما صرح به. مازال مخطوطاً مع قلة نسخه، لم يطبع لاهو ولا الخصيب.

ثم مرض المترجم مرضاً مزمناً ألزمه الفراش ما شاء الله إلى أن أسلم الروح لباريها حوالي عام 1370/ 1951.

علي الجراري، *الخصيب في آثار الحبيب*، مخطوط ؛ *تحلية الطروس في آثار رجالات سوس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 261 . 262.

الرشيد المصلوت

**الجرَّاري، عمر** المراكشي. أستاذ مقرئ أخذ القرآن برواياته في بعض مدارس رأس الوادي بسوس، ثم التحق ببلدة تامازت فأخذ بعض المتون على يد الأستاذ محمد بن عبد الملك، ومنها التحق بمدرسة السعادات في قبيلة أبي السباع، فدرس عند السيد العربي السباعي وتاقت نفسه إلى الاستزادة من العلم فشد الرحال إلى مدينة مراكش،

وهناك التقى بالشيخ أبي شعيب الدكالي الذي حفزه للذهاب إلى الأزهر الذي التحق به سنة 1933، فأخذ عن شيوخ الأزهر التفسير والحديث والتجويد والقراءات وبعض الفنون.

وفي سنة 1339 / 1920 رجع إلى المغرب، فمر بالشيخ أبي شعيب الدكالي بالرباط، وهو إذ ذاك وزير العدلية، فكتب له رسالة إلى بعض المراكشيين يوصيه به خيراً. وكان رحمه الله لايزال محافظاً على لباسه المشرقي، مما أثار إعجاب الناس الذين أقبلوا عليه إقبالاً في دروسه التفسيرية والحديثية مناوبة بين العشاءين في مسجد سيدي عبد العزيز. ثم انتقل للزاوية النظيفية بطلب من الشيخ النظيفي، لكن الفقيه الجراري المتشبع بالروح السلفية، لم يرقه ما شاهده في الزاوية من تصرفات تسيء إلى الدين في نظره، فصدرت منه انتقادات وندد يوماً على المنبر بتقديم الورْد على الحزب الراتب بعد المغرب، فكان ذلك أحد الأسباب التي أخرج بها من الزاوية.

فتح دروساً أخرى بالجامعة اليوسفية. وكان يلقيها بلهجة لا هي مغربية ولا هي مصرية، بل مزيج بينهما. لقد أقبل على التدريس والوعظ فترة زمنية أحس بعدها بأنه محتاج إلى مورد للرزق، فاشتغل بالتجارة من غير استنكاف، فقايض في أحد فنادق "ثلاثة فحور" في تجارة السكر، انتقل بعدها إلى اتخاذ سيارة لنقل البضائع والركاب بالأجرة. ثم تولى قضاء أمزميز ما يقرب من سنتين، كان فيها مثال النزاهة والعفة، ثم بدا له أن يتخلى عن مهمة القضاء، فرجع إلى مدينة مراكش، واشترى دارين يتبلّغ من كرائهما بالاقتصاد، واختار الانزواء عن الناس، وقلما يرى في المجتمع، حتى إنه ربما يترك التدريس بين العشاءين في مسجد سيدي بوعمرو القسطلي بروض العروس، الذي صار يدرس فيه منذ سكن هذا الحي بعد رجوعه من أمزميز.

توفي رحمه الله بمراكش عام 1364 / 1944 تاركا *فهرسة* لاتزال مخطوطة.

عمر الجراري نفسه، *فهرسة* ؛ *روايات شفوية* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 8 : 144.

أحمد متفكر

**الجرّاري، مَحمد** بن **مهدي** الدرعي، نسبة إلى قبيلة أولاد جرّار المعقلية بسوس ( *المعسول*، 19 : 148) هاجر والده ضمن جماعة إلى وادي درعة خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع (15 م) ورغم أن المصادر لم تسعفنا بأي إشارة عن مكان مهجر المهدي الجّراري بواحات درعة، وهل كان من العلماء أو من عامة الناس، فإننا نعتقد أنه استوطن واحة فزواطة من درعة الوسطى، ذلك أن هذه الواحة قد استقبلت في نهاية القرن التاسع ومطلع القرن العاشر الهجريين (نهاية ق 15 ومطلع 16م)، عدداً من علماء جزولة، لما كانت تموج به من مدارس علمية بجهات تاگمادارت وتامگروت وتافگروت ببني علي بسافلة فزواطة. وفي نفس الوقت كانت زوايا هذه الواحة تهتز بحلقات الذكر التي كان يعقدها مريدو وأتباع الطريقة الجزولية. ناهيك بأن واحة فزواطة، كانت آنذاك تعيش إرهاص ميلاد الإمارة السعدية، حيث كان محمد بن عبد الرحمان الزيداني (محمد القائم بأمر الله) عالم تاگمادارت وأحد أتباع الطريقة الجزولية البارزين بها، يكثر من ذكر المبشرات بالملك في مجالسه الخاصة، وأنه سيكون من نصيب أبنائه.

في هذا الجو المفعم بمجالس العلم وحلقات الذكر، ولد مَحمد بن مهدي الجرّاري بإحدى زوايا واحة فزواطة في العشر الأواخر من ذي الحجة عام 902 / غشت 1497. لا نكاد نعرف شيئاً عن تعليمه الأوّلي. وعلى يد من تلقى مبادئ القراءة والكتابة.

وبعد هذه المرحلة، نجد مَحمد بن مهدي طالباً للعلم بالزاوية البكرية، فلزم فحل الأسرة البكرية، وأحد علمائها العاملين، مَحمد بن علي البكري، حتى تخرج عليه متبحراً في جل العلوم اللغوية والشرعية.

يبدو أن نباهة مَحمد بن مهدي وجديته في التحصيل هي التي جعلت شيخه البكري ينتدبه مدرساً إلى جانبه. وبعدما ثبتت العائلة السعدية أقدامها في الحكم، انتدب بعض سلاطينها علماء الزاوية البكرية لبعض المهام التعليمية، ومنهم شيخ الجراري (*حضارة وادي درعة*، 138)، فانتقل من الزاوية البكرية بفزواطة إلى واحة ترناتة، حيث أقطعه عبد الله أو عياد، أحد قواد السعديين، جملة من الأراضي بالواد الميت وسط ترناتة، فاستصلح الجراري هذه الأراضي، وأقام بها زاوية علمية لاتزال تعرف إلى اليوم بزاوية ابن مهدي.

كانت شهرة الجرّاري قد تجاوزت حدود بلاد درعة إلى ما جاورها، لذلك ما كاد ينتهي من بناء زاويته بترناتة حتى أضحت كعبة لطلاب العلم من سوس وتافيلالت والصحراء وبلاد السوادان، ناهيك عن طلبة وادي درعة.

تجرد ابن المهدي الجرّاري لنشر العلم بزاويته وكانت له نية خالصة في إفادة المتعلمين، وقابلية عجيبة في التدريس ( *الحركة*، 2 : 534). فانتفع به خلق كثير ممن قرأ عليه لحسن خلقه وسلامة طويته على حد تعبير تلميذه عبد الواحد السجلماسي. كانت الدراسة بهذه الزاوية تنطلق مع التباشير الأولى للفجر وتستمر على ساق الجد إلى مابعد العتمة، وهي عادة كانت سائدة بالمراكز العلمية في الجنوب المغربي من سوس غرباً إلى تافيلالت شرقاً مروراً بوادي درعة (*مدارس سوس*، 14 ـ 15) وكان التلاميذ والطلبة يتلقون دروساً في مختلف العلوم التي تدرس بالزاوية، كل حسب مستواه ومداركه العقلية، تحت نظر الشيخ ابن مهدي

مباشرة، أو تحت نظر من يساعده من كبار الطلبة والعلماء النازلين بالزاوية.

كانت لمَحمد بن مهدي الجراري طريقة خاصة في التدريس، تعتمد على أسس ثلاث لخصها عبد الواحد السجلماسي بقوله "وسيرته في الإقراء تصحيح المتن وحل المشكل وإيضاح المقفل ... وزيادة غيرها ضررها بالمتعلم أكثر من نفعها" ( *الدرر المرصعة*، 254) وهذا الأسلوب التعليمي في إفادة المتعلمين هو الذي جعل بعض الباحثين يرى أن الجراري، قد نظَّر لمدرسة تعليمية هي مدرسة الجنوب ( *الحركة*، 1 : 95). وقد انتشر هذا الأسلوب التعليمي المبسط مع أفواج المتخرجين من زاوية الشيخ الجراري بمدارس درعة وتافيلالت وسوس ومراكش.

يتضح من خلال أسماء الكتب المعتمدة للتدريس بزاوية الشيخ الجراري، والتي سطرها عبد الواحد بن أحمد السجلماسي في *فهرسته* أن العلوم التي كانت تدرس بزاوية الشيخ الجرَّاري، لا تختلف في جوهرها عمّا كان يُلقن بمختلف جهات المغرب وخاصة بمدارس فاس ومراكش وتارودانت. وهكذا كان الشيخ الجرَّاري يلقي دروسا عالية في التفسير بابن عطية وفي الفقه والتوحيد *بمختصر ابن الحاجب ومختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد القيرواني والتهذيب للبرادعي وصغرى السنوسي*، وفي الحديث النبوي *بصحيح البخاري والأربعين النووية*، وفي المواريث *بأرجوزتي* التلمساني والونشريسي، وفي العروض *بقصيدة الخزرجية*، وفي النحو *بالمغنى* لابن هشام *وقوانين* ابن أبي الربيع *والألفية واللامية* لابن مالك.

ونظراً لكون الشيخ الجرَّاري يعتبر من السالكين لطريق القوم فقد كان يهذب نفوس طلبته بإلقاء دروس رفيعة المتسوى في التصوف *بالحكم* لابن عطاء الله وكتاب *التشوف* للتادلي *وكنز الأسرار* للزموري.

وقد تخرج على يد الشيخ ابن مهدي جمٌّ غفير من العلماء الأفذاذ بدرعة منهم أحمد ادفال الأكتاوي، وقد أجازه الشيخ الجرَّاري إجازة عامة ( *الإعلام*، 2 : 294) ورئيس الفقهاء والفضلاء في زمانه عبد الله ابن مسعود التافگروتي ( *الدرر المرصعة*، 194) ومن سجلماسة عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني، وقد أهله علمه لمنصب الفتوى بمراكش والتدريس بجامع الأشراف بنفس المدينة على عهد السلطان أحمد المنصور السعدي ( *الحركة*، 2 : 407) واعترافا منه بفضل شيخه الجرَّاري في تكوينه كتب له ترجمة حافلة في فهرسته التي لاتزال إلى اليوم أهم مصدر عن حياة هذا الشيخ.

وقد تعدد السوسيون المتخرجون عن الشيخ الجرَّاري ومن أبرزهم سعيد بن علي الهوزالي الذي كان في وقت ما الساعد الايمن للشيخ في القيام بمهام التدريس بالزاوية، وتولى قضاء تارودانت في عهد السلطان عبد الله الغالب، ولم يلهه القضاء عن التدريس فكان يلقي دروساً في مختلف العلوم بالمسجد الأعظم بتارودانت إلى أن وافته المنية في مطلع القرن الحادي عشر (17 م).

وبالرغم على أن الشيخ الجرَّاري لم يغادر درعة فإن عدداً من العلماء المعاصرين له أجازوه، فممن أجازه إجازة عامة مطلقة من المغاربة، إمام المحدثين في وقته عبد الرحمان سقين السفياني وإمام المعقول والمنقول أبو عبد الله محمد خروف التونسي دفين مدينة فاس (*فهرس الفهارس*، 1 : 375). وأجازه من المشارقة ناصر الدين بن حسن اللقاني المالكي، وناصر الدين الطبلاوي الشافعي، والعلامة أحمد ابن حمزة الرملي الأنصاري ( *الدرر المرصعة*، 255)، وتتفق جل المصادر التي أرخت لحياة الشيخ ابن مهدي الجرَّاري على القول بأنه أفنى حياته في تعلم العلم وتعليمه وبذله لعباد الله، وكان مواظباً على أوراده وأذكاره مقبلاً على ربه معرضاً عن الدنيا، رافضاً صلات ولاة عصره.

للشيخ ابن مهدي الجرَّاري شرح *لطيف لغريب قطرب*، وقد طبع هذا الكتيب مؤخراً بعناية أحد الباحثين ونشر ضمن سلسلة تراث التأليف اللغوي بالمغرب. وقد أسلم الشيخ الجرَّاري الروح لباريها يوم 22 جمادى الأولى عام 979 / 12 أكتوبر 1571 ودفن بزاويته بالواد الميت شرق مدينة زاگورة الحالية.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ م. التمنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، ج. 2، الرباط 1974 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1982 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، الطبعة 2 ـ البيضاء 1984 ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة*، *دعوة الحق*، 2، 1973 ؛ م. محمد حجي، *الحركة الفكرية*، فضالة، 1977 ـ 1978.

أحمد البوزيدي

**الجَرَّاري، يحيى** بن عبد الله بن مسعود البكري السوسي، سليل بيت علم وتصوف ؛ جدّه مسعود من تلامذة الشيخ مَحمد بن أبي بكر الدلائي. وأما هو فقد قضى حياته في مجالس العلم طالباً وأستاذاً داخل المراكز العلمية بالمغرب لتحصيل المعارف وأسانيد الطرق الصوفية ولقاء المشايخ واستجازتهم. وقد أمد الله في عمره حتى صار يعدّ من المعمّرين، فأخذ وأعطى وانتهى به مطافه العلمي إلى مدينة فاس، وبها أجاز الشيخ محمد التهامي ابن رحمون وولديه برواية فهرسته المسماة *ضوء المصباح في الاسانيد الصحاح*، وأجاز أيضاً الشيخ عبد القادر بن أحمد الكوهن برواية *دلائل الخيرات*. وقد تساءل عبد الحي الكتاني عن سبب اقتصار الكوهن على هذا الكتاب مع ان الجراري له باع طويل في مختلف العلوم. وأما اهتمامه بالمجال الصوفي فيتجلى في أسانيد الطرق الصوفية التي حصل عليها ومنها سند الطريقة القادرية إجازة من الشيخ

المختار الكنتي، وسند الطريقة الوزانية عن الشيخ مولاي أحمد بن مولاي الطيب الوزاني المتوفي سنة 1194.

ورغم أن الشيخ يحيى الجراري عاش فترة طويلة فلم تصلنا من مؤلفاته إلا الفهرسة المذكورة التي تكمن أهميتها في إلقاء الضوء على الحركة العلمية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 . 19 م). أول أسانيده فيها القرآن الكريم ثم السير والمغازي، ثم التوحيد والفقه والنحو والمنطق والبيان والأدب والعروض والتصوف. وقد أورد فيها أسماء شيوخه الخمسة عشر الذين أجازوه إجازة عامة، منهم والده عبد الله والشيخ محمد بن يحي الشبي الأزاريفي الحامدي والمختار الكنتي وأحمد الغربي الرباطي.

توفي عام 1344 / 1925.

ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، المجلد الأول والثاني ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 2 : 305 ؛ *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2570 ؛ خ. الزركلي، *الإعلام*، 9 : 192.

محمد ماگامان

**الجَرَّاوي**، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغفجومي، ينتسب إلى قبيلة جراوة الزناتية، وهو من "بني غفجوم بطن من القبيلة المذكورة، وإن لم يشتهر بالنسبة إلى هذا البطن، وكان محلهم بتادلا".

ولد على ما يرجَّح بتادلا ودرس بها ثم بمراكش وفاس وبالأندلس، حيث أخذ عن بعض علمائها كأبي الفضل بن الأعلم، وأبي العباس ابن سيد المعروف باللص.

اشتهر الجراوي بنظم الشعر وروايته، حلاّه ابن الأبار بقوله : "كان عالماً بالآداب، حافظا، بليغ اللسان، شاعراً مفلقاً، وقد وقفت على ديوان شعره، وألف للسلطان كتاباً في معنى الحماسة لحبيب سماه *صفوة الأدب ونخبة كلام العرب* وكان شيخنا أبو الحسن سهل بن مالك يثني على هذا التأليف".

وقال عنه ابن خلكان في ترجمة السلطان يوسف بن عبد المومن : "وكان هذا الأديب ـ أي الجراوي ـ نهاية في حفظ الأشعار القديمة والمحدثة، وتقدم في هذا الشأن، وجالس به عبد المومن، ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب" وذلك ما أكّده ابن سعيد : "ومن شيوخ أدباء المغرب، رزق طول العمر والجاه، ومجالسة الخلفاء، فأول من جالسه منهم عبد المومن، ثم جالس أبا يعقوب، ثم جالس المنصور، وصنف له كتاب *صفوة الأدب* المشهور بحماسة الگورائي".

حظي الجراوي بمكانة رفيعة لدى الخلفاء الموحدين، فهو شاعر بني عبد المومن، مدحهم في أكثر من مناسبة، وقد بلغت قصائد مدحه لهم سبعاً وثلاثين قصيدة، تنتظم في ثلاثة وخمسمائة بيت، إضافة إلى أشعار هجائية انتظمت في مقطوعات وقصائد، كما أن له مقطوعات في الشكوى تشير إلى محنته في آخر أيامه بعد أن كان مقدماً عند الخليفة عبد المومن، فنقل عنه ابن سعيد قوله : "تعساً لطول العمر الذي أخّرني لمعاشرة هؤلاء الأنذال ! وعهدي بالخليفة عبد المومن يقول لي في جبل الفتح : "يا أبا العباس ! إنّا نباهي بك أهل الأندلس". من غرر شعره في مدح السلطان يعقوب المنصور الموحدي داليته التي مطلعها :

أدركت آمال الشريعة في الفدا وتركت نظم جموعهم متبدّدا

اهتم بجمع شعر الجراوي بعد أن ضاع *ديوانه* الأستاذ محمد الفاسي في كتابه *شاعر الخلافة الموحدية*، ومحمد بن تاويت في كتابه *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى*، وحسن الشبيهي في كتابه *أبو العباس الجراوي شاعر الموحدين*، وأخيراً علي كردي في كتابه *ديوان الجراوي*، وقد اعتمد هؤلاء جميعا على نقول وردت في كتب التاريخ والتراجم والأدب في فترات متقاربة.

وتذكر المصادر أن الجراوي ألف للخليفة يعقوب المنصور الموحدي كتاباً سماه "*صفوة الأدب ونخبة كلام العرب*" وعُرف بالحماسة المغربية، نهج فيه نهج أبي تمام في حماسته، واختصره بأمر من الخليفة وسماه مختصر *صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب*. وصفه ابن خلكان بأنه "مجموع مليح أحسن في اختياره كل الإحسان". ولا يعرف اليوم من هذا الكتاب إلاّ نسخة خطية محفوظة بمكتبة الفاتح بتركيا، وعنها حققه محمد رضوان الداية، وصدر في جزءين.

وقد رتب الجراوي موضوعات كتابه في أبواب المدح والفخر والمراثي والنسيب والأوصاف والأمثال والحكم والملح وذم النقائص والزهد والمواعظ. وصنّف اختياراته في كل باب مرتبة ترتيباً زمنياً، وبدأ في كل باب بشعراء المشرق ثم بشعراء المغرب والأندلس.

ويرى عبد الله گنون، بعد أن اطلع على مقدمة *الصفوة* أن الجراوي "كان ذا عارضة قوية، وملكة متصرفة في أغراض الشعر، جريئاً على النقد، مرصداً للشعراء، يأخذ عليهم الفلتات، ولا يُقيل لهم عثرة، مع أن هذا مختصر الكتاب، فما ظنك بالأصل".

أمّا عن شعره، فيقول الأستاذ گنون : "كان شاعراً مفلقاً، حسن البديهة، بليغ القول، مداحاً هجاء، متصرفاً في غير ذلك من الفنون، وكان كثير المحفوظ من الشعر، بصيراً بجيّده، مستظهراً بذلك على شعراء وقته، كثير الغضّ مما يأتون به، ولو كان في أعلى طبقة، متعرضاً بذلك لهجومهم وتحاملهم عليه، ولكنه لا يبالي بشيء، ولا يخشى من أحد".

أقحم الجراوي في شعره عقيدة الموحدين وتعاليم ابن تومرت، مستعملاً مصطلحاتهم وعباراتهم في مدحياته، فالخليفة الممدوح مهدي، وهو عزّ الدين وإمام الهدى.

لقد شكّلت الواجهة الدينية عنصراً أساسياً في أمداح الجراوي، فاتخذها منطلقاً لمبادئ آمن بها وردّدها في شعره، باعتبار المذهب الموحدي استمراراً للقضائل الإسلامية وامتداداً للرسالة النبوية، ومن ثمّ، فهو من شعراء الدولة

الموحدية المقدمين، المنتصرين لمبادئها، المدافعين عن عقيدتها، وهو كما معته أبو بحر صفوان ابن إدريس : "شاعر الخلافة" دون منازع.

تضاربت الأقوال حول سنة وفاته، فذكر ابن سعيد أنه توفي سنة 603 هـ، وابن خلكان سنة 595 هـ، وابن الأبار سنة 609 هـ، وزاد في *الإعلام* "أن وفاته كانت بإشبيلية يوم 27 صفر سنة 609 هـ، ونُقل إلى مراكش، فدفن خارج باب الدباغين".

ابن سعيد، *الغصون اليانعة*، 98-100 ؛ ابن الأبار، *التكملة*، 1 : 158 ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 7 : 239 ؛ ابن صفوان، *زاد المسافر*، 49 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 115 ؛ ع. گنون، *ذكريات مشاهير المغرب*، عدد 6 ؛ م. الفاسي، *الجراوي شاعر الخلافة الموحدية* ؛ الشبيهي حسني، *الجراوي شاعر الموحدين* ؛ علي كردي، *ديوان الجراوي* ؛ م. ابن تاويت، *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى*، 1 : 116 ؛ كلية آداب بني ملال، *ندوة الجراوي* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ق، تح. الكتاني وابن تاويت ؛ ت. المريني، *ملحوظات حول الحماسة المغربية والبيانية*، نشر في ندوة أعمال تادلا، المجال، التاريخ الثقافة، مجلة كلية آداب بني ملال، 349.

نجاة المريني

**الـجَرَّايْ**، بمناطق الواحات المغربية، هو الذي يسهر على تنظيم عمليات توزيع الماء والإشراف على السواقي وصيانتها. وقد تطور مدلول اللفظ عند قبائل القصور، فبات يطلق على الشخص الذي يتم اختياره، ضمن جماعة القبيلة إلى جانب الشيخ، ليمثل عظمه أو فخذته تبعاً لأعراف وتقاليد القبائل بالواحات. ويأتي هذا التداخل بين وظيفة الجَرَّايْ الأصلية واللاحقة من كونه يتم اختياره وانتخابه في كلتا الحالتين لرجاحة عقله وحرصه على الأمانة والمسؤولية ومراعاة شؤون الجماعة التي اختارته.

ويحمل الجَرَّايْ عند قبائل أيت عطّا اسم المَزْرَاگْ، وعند أولاد يحيى اسم "الزَّازي" *(وثائق محلية)*. وقد يحمل عند بعض القبائل الأخرى اسم الرَّقَّاد أو الضامن إلى غير ذلك من الألفاظ التي تنطوي على معنى التكفل والالتزام بما تقرره الجماعة وشيخ القبيلة.

يتم اختيار الجَرَّايْ، تبعاً لأعراف وتقاليد هذه القبيلة أو تلك على رأس كل سنة أو كل سنتين مع تجديد أعضاء الجماعة والشيخ، حيث تحدد الشروط والضوابط العرفية التي تنظم العلاقات الداخلية بين مختلف "العظام" التي تتشكل منها قبيلة القصر.

تنحصر وظيفة الجَرَّايْ، بعد اختياره ضمن جماعة القبيلة، في السهر مع رفقائه على المصالح العامة لقبيلة القصر (القرية في الواحة) والدفاع عن مصالح عظمه أو فخذته أمام الجماعة والشيخ، وضمان تنفيذ قرارات الجماعة طبقا للضوابط العرفية للقبيلة. وفي عهد الاحتلال، حرصت سلطة الجماعة على التغيير التدريجي للهياكل السياسية عند قبائل القصور، فألغت العمل بالضوابط العرفية، ومنصب الشيخ عند كل قبيلة، وسمحت لكل قبيلة باختيار "أعيانها"، ومن بين هؤلاء الأعيان يتم اختيار الجَرَّايْ بإرادة ضابط الشؤون الأهلية أو القائد. ومن هنا نلاحظ التطور الذي طرأ على وظيفة الجَرَّايْ، فبعد أن كان مسؤولاً أمام عظمه أو فخذته أصبح في عهد الحماية مسؤولاً أمام ضابط الشؤون الأهلية، كما أن مدة تمثيليته لم تعد محدودة في سنة أو سنتين بل قد تمتد طيلة حياته، وقد يتوارث أبناؤه منصبه. وانطلاقاً من موقعه القريب من سلطة الحماية ومن في ركابها من قواد وخلفاء، باتت وظيفة الجَرَّايْ أمْنية بحتة، فهو "عين وأُذن المخزن" في القبيلة، وهو المسؤول عما يقع فيها من أحداث. وأضحى يتمتع بنفوذ واسع يسجن من يشاء ويسرح من يشاء. وبعد الاستقلال، ظل دور الجَرَّايْ على ما هو عليه في عهد الحماية، وقد استبدل اسم الجَرَّايْ في الوثائق الرسمية الحديثة وأصبح يعرف "بالمقدم" أو عون السلطة، وسمح له هذا الاسم الجديد بتوسيع مجال نفوذه وتعزيز مركزه في الأوساط القبلية بالجنوب.

أ. البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي لدرعة*، البيضاء، 1994 ؛ كرزابي مبارك، *الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لدرعة الوسطى*، 1932-1956، بحث لنيل الإجازة من كلية الآداب أگادير، 1990 ؛ *وثائق محلية في صورة الكاتب*.

G. Spillmann, *Les pays inaccessibles du Haut Draa*, *R.G.M.* n° 2, 1929.

أحمد البوزيدي

## الجرسيفي ← الگرسيفي

**الجرف الأخضر**، يطلق هذا الاسم على جبل قليل الارتفاع شمال شرق المغرب، له جانب يمتدّ عمودياً من القمّة إلى القاعدة. وسمّي بالأخضر نظراً لكونه يوجد في منطقة خضراء تحاذيها غابة من الصنوبر، وبأسفله توجد سهول تمتدّ عبر وادي إسلي.

يُطلّ الجرف الأخضر على نهر إسلي، من أجل ذلك يشكل نقطة استراتيجية هامّة لعبت دوراً حاسماً في معركة إسلي يوم 29 رجب عام 1260 / 14 غشت 1844 بين القوات الفرنسية القادمة من الجزائر وبين القوات المغربية التي كان يقودها محمد بن السلطان مولاي عبد الرحمان.

J. Dresch - Joly F., *Géographie du Maroc* ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*.

أحمد بنجلون

**الجرف الأصفر** - تاريخ - كان الأوربيون يسمونه الجرف الأبيض Cap Blanc. يقع على بعد سبعة عشر

كيلومتراً جنوب مدينة الجديدة. وكان هذا الجرف، قبل تحويله إلى ميناء، منتزها من أجمل المنتزهات، يقصده الزوار من كل مكان، لأنه بالإضافة إلى كونه يشرف على البحر، كان كذلك يُطل على غابة ملتفة الأشجار تجري بها عين ماء عذبة تحمل اسم عين السراحنة.

ويظن بعض الكتاب أن القرطاجي حنون توقف في هذا المكان في القرن السادس قبل الميلاد لإقامة معبد به، غير أن هذه الرواية بعيدة الاحتمال حيث إن الوصف الطوبوغرافي الذي أعطاه حنون لا ينطبق على الجرف الأصفر، وإنما على رأس القنط Cap Cantin، هذا بالإضافة إلى أنه لاوجود حالياً لأي أثر للمعبد المذكور بالجرف الأصفر.

وبالرغم على الأعمال الجبارة الحديثة التي غيّرت منظر الجرف الأصفر الجميل وحولته إلى ميناء عظيم وإلى منطقة صناعية لمادة الفوسفاط، فإن قرية صغيرة تحمل اسم "دوار الرّقّاصة" مازالت قائمة فوق هذا الجرف، على الطريق الذاهبة من الجديدة إلى الوليدية. كانت تحف بهذه القرية إلى عهد قريب بعض أشجار أركان، مما يبعث على الظن أن غابة أركان كانت تصل في القديم إلى دكالة وتغطي بعض أجزائها.

ويقول سكان هذه الناحية القدامى إن عين الماء المذكورة كانت تسمى "عين السراحنة" لأنها كانت مورداً لأسراب الخيول التي تتوارد عليها كل يوم. وقد تكون هذه الخيول هي تلك التي كان الرّقاصة من الدوار المذكور ينقلون عليها البريد من مدينة الجديدة، بعد أن أصبحت ميناء مُهمّاً، إلى عاصمتي المغرب فاس ومراكش وإلى طنجة، مَقرّ المفوضيات الأوربيّة.

م. الشياظمي، حسن *الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط.

J. Goulven, *Le Cercle des Doukkala.*

محمد الشياظمي

* * من الناحية الجغرافية، تكون الجرف الأصفر في أواسط الزمن الجيولوجي الرابع نتيجة انتهاض عرفته الطبيعية، ككل، الشيء الذي أدى إلى تعمق التعرية الساحلية وبالتالي إلى نحت الشاطيء فاعطتنا جرفا تعلوه كثبان شاطئية متصلبة متضمنة اصدافا بحرية مختلفة، وتحيط به شواطئ شبه صخرية ونميز فيه بين :

- الجرف الميت في الجنوب من الجرف الاصفر، في اتجاه أسفي

- الجرف الحي في الشمال في اتجاه الجديدة

ميناء الجرف الأصفر حديث النشأة لم يفتتح للملاحة البحرية إلا في سنة 1982، وهو متخصص في الفوسفاط ومشتقاته، مجهز بشكل يجعله مفتوحا في وجه الملاحة البحرية على اختلاف أصنافها، ويمكنه استقبال السفن في أي وقت. وهو أول ميناء وطني من حيث الأعماق المائية المهمة التي تصل إلى 16 متر وتسمح باستقبال السفن العملاقة التي تصل حمولتها إلى 120.000 طن.

ولهذا الجرف الطبيعي مميزات خولت له حماية المنطقة البحرية من الرياح والعواصف من الجنوب الغربي، أضيفت إليها تجهيزات ومنشآت جديدة أصبحت تميز ميناء الجرف الأصفر، يمكن أن نوجزها في العناصر التالية :

- تبلغ مساحة الميناء 340 هكتارا، منها :

200 هكتار عبارة عن حوض مائي محمي، يقيه حاجز رئيسي طوله 3100 م وآخر عرضي بطول 1250 م.

110 هكتار من المسطحات مجهزة بالماء والكهرباء وشبكة التطهير والطرق. 30 هكتار عبارة عن منطقة إضافية.

- يتوفر الميناء على أرصفة بطول 1955 م، مع تفاوت في طول مراكز الرسو، وهي موزعة على :

الرصيف التجاري ويشمل المراكز 13،10 ومركز رو - رو.

رصيف المعادن والفوسفاط ويشمل المراكز من 1 إلى 9.

- يتوفر الميناء على ممر يسع أكثر من 100 طن لمناولة وتفريغ البواخر.

- وهناك ميناء للصيد تصل مساحته إلى 52.000 م$^2$، يتوفر على سوق للسمك مساحته 960 م$^2$، ومصنع للثلج.

- تضاف إلى هذا منطقة مجهزة لاحتضان ورش بحري ذي حجم دولي لبناء واصلاح السفن. وهذه كلها تجهيزات تجعل الطاقة الاستيعابية لميناء الجرف الأصفر تصل إلى 50 مليون طن. لكن الميناء لا يعالج، حالياً، إلا حوالي 5,5 مليون طن، وذلك مرتبط بتخصص الميناء في الفوسفاط. فتزايد الطلب العالمي على هذه المادة ومشتقاتها وتوسيع استغلال الثروات المعدنية الوطنية وعدم مسايرة مينائي الدار البيضاء وأسفي لهذه الحركة، ومن أجل مسايرة الاتجاه العالمي في استعمال السفن العملاقة (للتخفيض من تكاليف النقل)، كان من الضروري إنشاء ميناء جديد يتوفر على أعماق مياه مهمة، ويتميز بموقع وسط بالنسبة لأهم مناجم الفوسفاط بالمغرب وبالقرب من مينائي أسفي والبيضاء، فوقع اختيار موضع الجرف الأصفر.

هكذا، إذن، جاء بناء ميناء الجرف الأصفر كدعامة أساسية للنقل البحري ومتنفس جديد للموانئ المغربية خصوصا البيضاء والمحمدية وأسفي، وما فتيء الحجم الاجمالي للرواج التجاري يتطور منذ افتتاح هذا الميناء أمام الملاحة سنة 1982.

| السنة | 1982 | 1983 | 1984 | 1985 | 1986 | 1987 | 1988 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الرواج (بالطن) | 74263 | 305867 | 493479 | 106241 | 1501481 | 2673931 | 6699865 |

| السنة | 1989 | 1990 | 1991 | 1992 | 1993 | 1994 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الرواج (بالطن) | 4852763 | 5645855 | 4764677 | 5132924 | 5607956 | 5567070 |

غير أن هذا لا يخفي عنا حقيقة كون هذا الميناء ميناء معدنياً بالدرجة الأولى متخصص في تصدير الفوسفاط والحامض الفوسفوري واستيراد المواد الضرورية لتحويل الفوسفاط.

| البضاعة / السنوات | 1990 | 1991 | 1992 | 1993 | 1994 |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 ـ الصادرات : | | | | | |
| الحامض الفوسفوري | 950.106 | 1.042.117 | 1.114.247 | 1.110.598 | 1.418.812 |
| الاسمدة | 1.798.275 | 1.587.473 | 1.383.362 | 1.794.998 | 1.210.034 |
| الفوسفاط | 737.768 | 128.696 | 552.727 | 408.074 | 802.181 |
| 2 ـ الواردات : | | | | | |
| الكبريت | 1.677.168 | 1.322.598 | 1.426.145 | 1.433.998 | 1.450.240 |
| الأمونياك | 405.260 | 384.203 | 312.468 | 456.538 | 290.613 |
| الفحم | - | 57.585 | 18.303 | 34.050 | 297.481 |
| الغاز | 32.263 | 36.066 | 53.795 | 58.095 | 60.217 |
| الحبوب | - | 107.873 | 186.872 | 256.743 | 5.250 |
| مختلفات (صاد + وار) | 45.015 | 98.066 | 85.005 | 54.862 | 32.242 |
| المجموع | 5.645.855 | 4.764.677 | 5.132.924 | 5.607.956 | 5.567.070 |

تطور بنية الرواج التجاري بميناء الجرف الأصفر
ما بين 1990 و1994 (بالطن)

ومن المعلوم أن الموارد الفوسفاطية بالمغرب تشكل 4 / 3 الاحتياطي العالمي. وبفعل الاستغلال المتواصل لهذه الثروة يعتبر المغرب أول مصدر عالمي للفوسفاط وهو يطمح إلى تدعيم دوره المتميز في التجارة العالمية للفوسفاط. وقد وظفت لهذه الغاية استثمارات هائلة من قبل المكتب الشريف للفوسفاط الذي يهدف إلى رفع الإنتاج السنوي من الفوسفاط إلى 60 مليون طن في حدود سنة 2000.

غير أن هناك شقاً آخر من هذه الخطة المرسومة والمتمثل في إقامة وحدات صناعية لتحويل الفوسفاط محليا والرفع من قيمته، وهذا ما يفسر ميلاد قطب للتنمية بالجرف الأصفر يحتوي بالإضافة إلى الميناء الكبير على مؤسسات للصناعة الكيماوية والمعروفة تحت اسم مغرب فوسفور 3 و4.

وهذا الدور المعدني الذي يلعبه الجرف الأصفر تأكد مع مشروع بناء أكبر محطة حرارية بالمغرب ومع مشروع توسيع المركبات الكيماوية المرتبطة بالفوسفاط (والمقصود هو مشروع بناء مركب جديد لتصفية الحامض الفوسفوري في إطار الشراكة المغربية البلجيكية والذي قدرت تكاليف إقامته بـ 50 مليون دولار أمريكي).

غير أن التجهيزات التي يحتضنها الميناء والموقع المهم الذي يحتله وسط المغرب الأطلنطي وقربه من العاصمة الاقتصادية لم يكن لها تأثير فعَّال في تطور هذا القطب وبالتالي فنحن أمام ميناء واستثمارات غير مستغلة بالشكل المطلوب. وهذا ما جعل المسؤولين يفكرون في عدة حلول منها إقامة منطقة دولية حرة، وإقامة وتجهيز منطقة

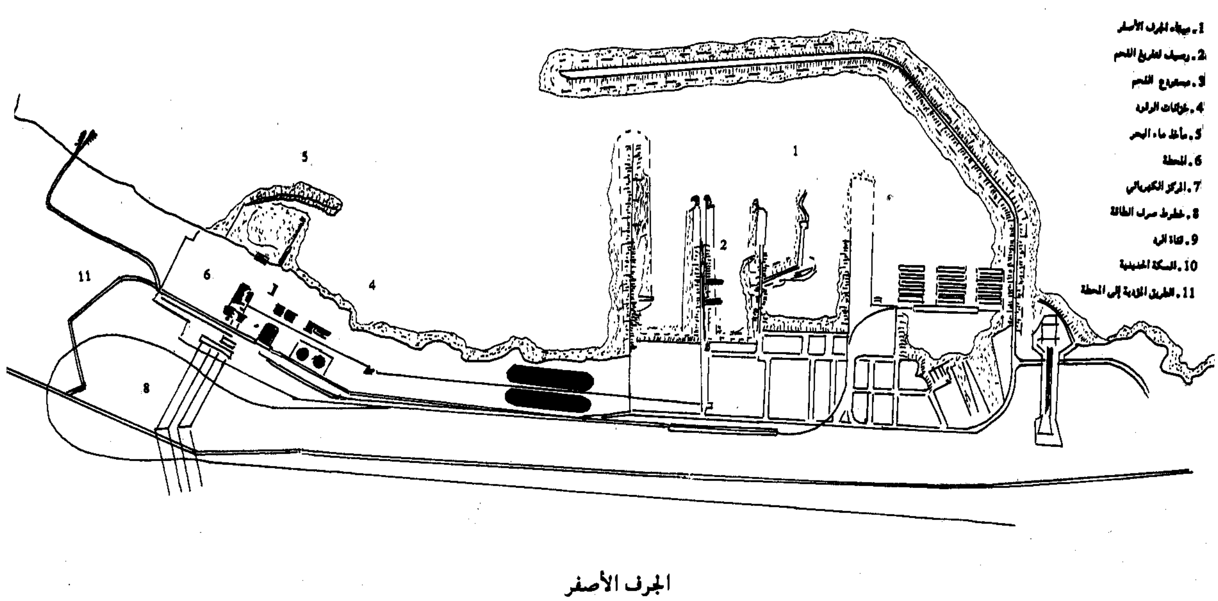


الجرف الأصفر

صناعية لاستقبال الاستثمارات الأجنبية. وتبلغ مساحة المنطقة الصناعية للجرف الأصفر 145 هكتارا سيتم تجهيزها قريبا من طرف الخواص، بعد أن تحسم عملية اقتناء الأراضي التي قام بها مكتب استغلال الموانئ.

*تحريات ميدانية واستطلاعات* ؛ *تقارير غير منشورة* لمكتب استغلال الموانئ ODEP.

إسماعيل خياطي

**جرف الملحة** (اثنين -)، بلدة تقع على الطريق الرابطة بين مدينتي فاس ووزان وتفصلها عن نهر ورغة جنوباً ثلاثة كيلومترات. البلدة تابعة لإقليم سيدي قاسم، بعيدة عن عاصمة الإقليم بنحو مائة كيلومتر. يُقام فيها سوق أسبوعي يوم الاثنين.

*تحريات خاصة*.

المختار بلعربي

أولاد **جرمون**، أسرة عربية نابهة في قبيلة سفيان وجُشم الهلالية، قامت بأدوار سياسية على عهد الموحدين والمرينيين، وكان رؤساؤها الأولون يسمون جرمون، فنسب إليهم أبناؤهم وأحفادهم ودُعوا "أولاد جرمون" أو "الجرامنة"، وتسلسلت الرآسة فيهم طيلة فترة حكم الموحدين والمرينيين (انظر مادة جشم).

ثم تراجع نفوذ الجرامنة أصحاب الزعامة في عرب سفيان في العهد المريني بوفاة مسعود بن كانون. وعلا كعب منافسيهم من بني المهلهل أصهار المرينيين شيوخ عرب الخلط. لكن زعامة قومهم استمرت فيهم حتى بعد تراجع عزتهم لدى السلاطين من بني عبد الحق. ذكر ابن خلدون أنه أدرك شيخا منهم لعهد السلطان أبي عنان فارس هو يعقوب بن علي بن منصور بن عيسى بن يعقوب ابن جرمون بن عيسى بن جرمون ( *العبر*، 6 : 39 وانظر مادة جشم). وعموما فقد ضعف نفوذ الجرامنة بضعف عصبية عرب سفيان ولين شوكتهم بابتعادهم عن البداوة شيئاً فشيئاً وميلهم إلى حياة الترف ورغيد العيش والتمتع بما أنعم عليهم به الخلفاء من أنعام مقابل الخدمة زمان الموحدين. لكن بقي منهم من استمر على حياة البداوة في القرن الثامن (14 م) وكان ينتجع أرض السوس وقفاره كبطني الحرث والكلابية، فبقيت فيهم لذلك شدة بأس. وقد كانت رياسة هؤلاء زمان ابن خلدون في أولاد مطاوع (أولاد مطاع) من الحرث الذين اشتهر منهم منصور بن يعيش شيخ العرب المقرب من الأمير عبد الرحمان بن أبي يفلوسن علي ابن الأمير أبي علي عمر المريني الذي استبد بمراكش سنة 776 / 1374. ومعلوم أن هذا الأخير قد ألقى القبض على شيخ أولاد مطاوع بعد كل ما كان له من المكانة الرفيعة لديه فقتله وأودع كبار قومه سجونه لعيثهم في ضواحي مراكش وإفسادهم للسابلة. فذهبت بذلك ريحهم وحصدت شوكتهم ( *العبر*، 6 : 39 ؛ *الاستقصا*، 2 : 174 وانظر مادة جشم).

مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972 ؛ ابن عذاري، *البيان، قسم الموحدين*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1970 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 6 وج. 7، بيروت، 1958 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 2، 1954 ؛ مصطفى أبو ضيف أحمد، *أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين* (524 ـ 876 / 1130 ـ 1472)، الدار البيضاء، 1982.

**جرمون بن عيسى**، شيخ عرب سفيان في عهد الخليفة الرشيد الموحدي، امتنع من مبايعة عبد الله العادل ابن منصور والوصول إليه. ثم انحاز بعد ذلك إلى جانب يحيى بن الناصر بعد أن بويع سنة 624 / 1227 نكاية في أعدائه من ذوي عصبيته عرب الخلط أنصار الخليفة المامون وبنيه ( *العبر*، 6 : 339 ؛ *الاستقصا*، 2 : 172، 232 و234).

ارتبط الحديث عن مشاركة عيسى بن جرمون في الحياة السياسية في العهد الموحدي بمناصرته ليحيى بن الناصر ودعمه له في صراعه حول الخلافة ضد منافسه المامون وأنصاره من عرب الخلط بزعامة هلال بن حميدان وهسكورة بزعامة عمر بن وقاريط. لكن شيخ عرب سفيان لم يندفع على ما يبدو في مؤازرته ليحيى بن الناصر ولم يسعفه في كل ما يريد، بل تحكمت في علاقته به درجة تقربه من عرب الخلط ودرجة ابتعاده عنهم، يناصره متى خالفوا عليه ويتخلى عنه متى انحاشوا إليه. وهذا ما يفسر تأرجحه في علاقته به بين الطاعة والعصيان. يشهد على ذلك امتناعه عن الخروج معه إلى جبل تينمل في جمادى الآخرة سنة 626 / ماي 1229 لما فر أمام جيوش عمه المامون. وعدم حضوره المواجهة التي دارت بينهما في السنة الموالية، وكانت الدائرة فيها على يحيى بن الناصر وجموعه، ثم مشاركته له في الغارة التي شنها على مراكش سنة 628 / 1231 إلى جانب أبي سعيد عثمان بن وانودين شيخ هنتاتة وهدموا خلالها الكنيسة التي كان قد بناها المامون لجنوده من المرتزقة النصارى. في وقت كان فيه المامون محاصراً لأخيه أبي موسى عمران الثائر عليه بمدينة سبتة ( *العبر*، 6: 342 ؛ *الاستقصا*، 2 : 240).

ولما تولى الرشيد الخلافة بعد مهلك أبيه، وهو في طريقه إلى مراكش عائدا إليها من سبتة في أواخر سنة 629 / 1232 وبداية سنة 630 / 1233، ألحق الهزيمة بيحيى بن الناصر وشيخ عرب سفيان جرمون بن عيسى، وانتُهب لهذا الأخير من الأموال والذخائر ما لا يحيط به حصر ولا حساب. فضعفت بذلك شوكة عرب سفيان وقلت أموالهم ( *البيان*، قسم الموحدين، 300 ؛ *أثر القبائل العربية*، 103 ـ 104).

وحدث أن خالف مسعود بن حميدان الذي تولى مشيخة عرب الخلط بعد أخيه هلال على الرشيد، فاستدرجه الخليفة حتى وفد عليه بمراكش وقتله في جماعة من قومه سنة 632 / 1235 ثم تولى أمر الخلط بعده يحيى بن هلال بن حميدان وفر بقومه إلى يحيى بن الناصر وحاصر معه مراكش حتى استولى عليها وأرغم الرشيد على الفرار منها في اتجاه سجلماسة ( *العبر*، 6 : 40 ؛ *الاستقصا*، 2 : 174) فكان ذلك إيذانا بتحول عرب سفيان وشيخهم جرمون بن عيسى إلى طاعة الرشيد بسبب انحياز أعدائه عرب الخلط ليحيى ابن الناصر.

ولما استكمل الخليفة الرشيد استعداده بمدينة سجلماسة بعد مكوثه بها سنة كاملة استفاد خلالها دون شك من موارد التجارة الصحراوية، خاطب جرمون بن عيسى في شأن مناصرته فاستجاب إليه، وضم قومه إلى جيوشه، وقصد معه مراكش عام 633 / 1236. وتقدم إليهم يحيى بن الناصر مع أنصاره من هسكورة وعرب الخلط، فدارت رحى الحرب بين الطرفين عشرة أيام متتالية اتجه بعدها المرتزقة النصارى الذين كانوا في جيش الرشيد إلى جهة الخلط فأجهزوا عليهم وأرغموهم على الفرار بما خف من أهلهم وأولادهم وتركوا جميع طارفهم وتلادهم. فانهزمت جيوش يحيى بانهزامهم ( *البيان*، قسم الموحدين، 331 - 333).

عمل الرشيد بعد ذلك على إضعاف عرب الخلط فعين خيار عماله وكفاة رجاله على البلاد التي كانوا يستولون عليها وهي صنهاجة تاسفرت ودكالة ورگراگة. ثم عمل بالمقابل على ترتيب منازل عرب سفيان وتحسين أحوالهم، فكثرت جموعهم وقويت شوكتهم بمن انضاف إليهم ممن كان من أتباع أعدائهم الخلط. وجعل شيخهم جرمون بن عيسى من خاصته وأهل المشورة بمجلسه ( *البيان*، قسم الموحدي، 333 - 334).

استغل جرمون بن عيسى صلته الوطيدة بالرشيد فسعى إلى إقصاء منافسيه من شيوخ عرب جشم عن مجلس الخليفة. ومن ذلك إلحاحه عليه في قتل شيخ العاصم حسن ابن زيد العاصمي وشيخ بني جابر فائد بن عامر وأخيه قائد حتى أصدر أمره بذلك من مدينة فاس إلى واليه على مراكش الشيخ أبي علي بن الشيخ أبي محمد عبد العزيز، فضرب أعناقهم، وذلك في آخر سنة 633 / 1236 ( *البيان*، قسم الموحدين، 337). كما لا يستبعد أن يكون شيخ عرب سفيان وراء النكبة التي تعرض لها الخلط بأمر من الخليفة الرشيد سنة 635 / 1238. لما استجلب شيوخهم وسجنهم ثم وجه الأجناد إلى دواويرهم فأتوا على ما فيها، وسيق نساؤهم وذريتهم إلى مراكش فامتلأت منهم الأسواق والسكك حتى تساوت الحرة العربية الصريحة والأمة في العبودية، وأذن لأعدائهم من سفيان وبني جابر في ستر بناتهم، ثم أجلاهم إلى بلاد السوس فاختلت أحوالهم ولاقوا الأهوال ( *البيان*، قسم الموحدين، 346 و358).

استمر جرمون بن عيسى على طاعته للخليفة الرشيد حتى سنة 638 / 1240 فتحول إلى طاعة الأمير المريني أبي معرف محمد بن عبدالحق. ذلك أنه نادمه ذات ليلة حتى سكر وحمل عليه وهو سكران يرقص طربا. ولما أفاق ندم وفر إلى المرينيين حياء مما وقع له مع الرشيد ( *العبر*، 6 : 38 ؛ *الذخيرة السنية*، 60 ؛ *الاستقصا*، 2 : 173).

كانت وفاة جرمون بن عيسى سنة 639 / 1241 قبل وفاة الخليفة الرشيد بسنة، وانتقلت زعامة سفيان من بعده إلى ابنه كانون.

ابن **جرمون، عبد الرحمان** بن يعقوب، قدمه الخليفة المرتضى على قومه بعد سماعه بمقتل أبيه يعقوب ليضمن استمرار عرب سفيان على الطاعة والخدمة، لكنه عجز عن القيام بمهمته على أحسن وجه. فقد اتخذ هذا الشيخ كلاً من يوسف بن أورزج ويعقوب بن علوان وزراء له فلم يحسنا النصيحة إليه وشجعاه على التمادي في الاستخفاف بالأمور واستغلال مكانته لدى الخليفة لتحقيق أغراضه الشخصية والقيام بأعمال النهب ( *البيان*، قسم الموحدين، 426 ؛ *العبر*، 6 : 38 ؛ *الاستقصا*، 2 : 172).

ساءت علاقة عبد الرحمان بالخليفة بعد فترة وجيزة من تعيينه زعيما في قومه ففر إلى المرينيين. ويرجع السبب في ذلك إلى أنه لما نزل في بعض الأيام بوادي تانسيفت بدواره وجموعه، خرج للنزهة فصادف ذلك مرور قافلة تجار، فأمر بنهبها، وكان في حالة سكر. ولما أفاق من سكره ورأى أن الجرأة عظيمة في قطع السبل والمسالك رحل إلى الأمير أبي بكر بن عبد الحق ونكث طاعة الموحدين ( *البيان*، قسم الموحدين، 426).

بقي عبد الرحمان هذا ملازما للمرينيين إلى أن عاد عواج بن هلال بن حميدان أحد أمراء الخلط إلى مراكش معلنا انحياشه من جديد لصف الموحدين وخروجه عن طاعة أعدائهم المرينيين فلقي جزيل الإحسان وغاية الإكرام لدى الخليفة المرتضى. ولما علم بذلك شيخ عرب سفيان كاتب الخليفة في طلب العفو والعودة إلى خدمته فأسعفه في طلبه، حتى إذا وصل مراكش أمر بقتله مع وزيريه يوسف ابن أورزج ويعقوب بن علوان وعواج بن هلال أمير الخلط، وحُزَّت رؤوسهم أجمعين وعلقت على باب دكالة، وذلك سنة 654 / 1256 ( *البيان*، قسم الموحدي، 427). وفي *العبر* أن مقتل عواج بن هلال كان بتدبير من علي بن أبي علي الخلطي شيخ عرب الخلط المقرب من الخليفة الذي أغراه مباشرة بعد عودته لطاعة الموحدين وأرفقه بمن قتله في غزاتة ( *العبر*، 6 : 41).

ابن **جرمون، عبيد الله** هو ابن جرمون بن عيسى، يكنى أبا زمام. كان مقدما في قومه الجرامنة المعروفين

بأولاد مرية لما التحق عبد الرحمان ابن أخيه يعقوب ببني مرين. استدعاه الخليفة المرتضى إلى مراكش وقدمه على عرب سفيان، لكنه عجز عن القيام بالأمر لافتقاره إلى الحنكة والتجربة وسداد الرأي. فأعفاه من مهمته وعين مكانه مسعود بن كانون ابن جرمون سنة 654 / 1256 (*البيان*، قسم الموحدين، 426 ؛ *العبر*، 6 : 39 ؛ *الاستقصا*، 2 : 173).

ابن **جرمون، كانون** هو ابن جرمون بن عيسى سابق الترجمة. يكنى أبا الحديد، وكان يقال له الأحمر لكونه أسمر اللون (*البيان*، قسم الموحدين، 385). علا كعبه عند الخليفة السعيد بن المامون حتى أصبح كبير شيوخ مجلسه بعد أن تقبض هذا الخليفة على جملة من شيوخ الموحدين واستصفى أموالهم، لكن هذه العلاقة الودية بين شيخ عرب سفيان والخليفة السعيد لم تدم طويلا. فقد تغير كانون على الخليفة وأعلن عصيانه له ووقف في صف أعدائه بمجرد سماحه لعرب الخلط بالعودة من بلاد السوس إلى تامسنا وتقربه منهم.

يؤكد ذلك الصحبة والمودة التي جمعته بأبي محمد بن وانودين كبير أشياخ الموحدين وأعدى أعداء الخليفة السعيد، ومساعدته له بعد فراره من سجنه بأزمور وإمداده له بمائة وخمسين فارسا أوصلوه إلى موطنه في جبال درن (*البيان، قسم الموحدين*، 369 ـ 370).

ومن ذلك تحالفه مع الأمير أبي بكر بن عبد الحق المريني ومشاركته إلى جانبه في محاربة الموحدين سنة 643 / 1245 لما التقى الجمعان في تامسنا، واتفاقه معه على خطة كلفت الخليفة السعيد جهدا كبيرا وشغلته عن التحدي بفعالية ضد أعدائه المرينيين. ذلك أنهما اتفقا على أن يكف عرب سفيان عن القتال بعد ساعات من الشروع في المواجهة وأن يتظاهر المرينيون بالهزيمة ويتراجعوا نحو الغرب لاستدراج الخليفة السعيد، في حين يتجه كانون وقومه أثناء ذلك نحو مراكش. لكن الخليفة فطن إلى خطتهم فتخلى عن ملاحقة المرينيين وجد في السير مقتفيا أثر شيخ عرب سفيان خوفا من تمكنه من دخول العاصمة كما دخلها أبوه جرمون بن عيسى قبل ذلك رفقة يحيى بن الناصر في غياب الخليفة المامون أثناء محاصرته لسبتة عام 628 / 1231 (*البيان، قسم الموحدين*، 371 ـ 372 ؛ *العبر*، 6 : 38 ؛ *الاستقصا*، 2: 173).

لكن كانون بن جرمون لم يتجه نحو مراكش بعد سماعه بمطاردة الخليفة له، بل غير الوجهة نحو مدينة أزمور واستولى عليها واستأصل أهلها استئصالا، واستطالت جموعه عليهم بأنواع الظلم والاعتداء وأغرمهم الأموال. حتى إذا علم برجوع الخليفة السعيد إلى جهة دكالة خرج منها إلى جبل الحديد، لكن جيوش الموحدين اعترضت طريقه وهزمته. ففر مع من نجا من أتباعه إلى بني مرين (*البيان*، قسم الموحدين، 372 ؛ *العبر*، 6 : 38 و347 ؛ *الاستقصا*، 2 : 173).

عاد كانون بن جرمون إلى طاعة الخليفة السعيد في تاريخ غير معروف، وربما كان ذلك في نفس سنة عصيانه له أي سنة 643 / 1245، إذ فيها بعث السعيد إلى أبي محمد ابن وانودين بعشرة من وجوه الموحدين ليبلغوه عفوه عنه وزوال ما كان في خاطره عليه. ويدعوه للمجيء إلى العاصمة مراكش. لكن ابن وانودين شكر له ذلك، وطلب منه أن يكون سكناه في بلده تافيوت بجبل درن (*البيان*، قسم الموحدين، 370 ؛ *العبر*، 6 : 346). ولا يستبعد أن يكون عفو الخليفة قد شمل أيضا كانون بن جرمون بالنظر للمودة والصحبة التي كانت تجمعه بابن وانودين المعفوّ عنه، ولما كان له من المكانة والحظوة لدى الخليفة في فترة خدمته له بحيث كان كبير شيوخ العرب بمجلسه (*الاستقصا*، 2 : 247).

غير أن المؤكد في عودة شيخ سفيان إلى طاعة الخليفة السعيد هو أنه حضر معه حركته إلى تلمسان، حركة انطلقت من مراكش في الخامس عشر من شهر ذي الحجة سنة 645 / 1247. وصارت له مكانة متميزة بين الخاصة وأهل المشورة أثناءها إلى حين هلاكه على يد عرب الخلط في الفتنة التي نشبت بينهم وبين قومه في محلة الخليفة بالقرب من تلمسان قبل يوم واحد من تاريخ وفاة الخليفة السعيد. ومعلوم أن مهلك هذا الأخير كان في قلعة تامزردكت على يد بني عبد الواد يوم الثلاثاء منسلخ صفر عام 646 / 23 يونيه 1248. وقام بأمر عرب سفيان من الجرامنة بعده أخوه يعقوب بن جرمون (*البيان، قسم الموحدين*، 385 ؛ *الذخيرة السنية*، 72 ؛ *العبر*، 6 : 38 و347 ؛ 7 : 110 ؛ *الاستقصا*، 2 : 173).

ابن **جرمون، مسعود** بن كانون بن جرمون بن عيسى، يكنى أبا سرحان. قدمه الخليفة المرتضى على قومه بعد أن أخر عمه عبيد الله الذي لم ينجح في مهمته. واستقامت أحوال عرب سفيان في فترة زعامته لهم، وتأرجحت علاقتهم بذوي السلطان بين التبعية للموحدين تارة وللمرينيين تارة أخرى. كما بلغت شوكتهم أوج قوتها معه حتى طمع في الاستبداد وأخذ البيعة ودعا لنفسه بعد انهيار حكم الموحدين.

شارك مسعوداً في زعامة قومه زمان الخليفة المرتضى وأبي دبوس كل من حطوش (أو علوش) وعيسى ابني عمه يعقوب بن جرمون ولم يظهر منهما طمع في الاستئثار بالزعامة دونه ولا الرغبة في إبعاده عنها، بل كانا سندا له إلى أن توفي حطوش سنة 669 / 1270 وبقي عيسى على دعمه ومساندته له طيلة فترة زعامته (*العبر*، 6 : 39).

حضر مسعود بن كانون الحملة الموحدية التي قادها أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن وانودين في اتجاه تامسنا

قصد إبعاد المرينيين عنها بعد أن حلوا بها سنة 659 / 1261 بقيادة أميرهم يعقوب بن عبد الحق بهدف الرعي والكلأ وتوطيد العلاقات الودية مع حلفائهم من عرب جشم. ومعلوم أن الموحدين قد انهزموا في لقائهم بالمرينيين في هذه الحملة في معركة أم الرجلين على وادي أم الربيع بسبب تقاعس بعض بطون جشم عن القتال. وهذا ما يستفاد مما قاله ابن وانودين للخليفة المرتضى لما عاد إليه مهزوما قال : العفو يا أمير المومنين، لما غدر بنو جابر وانكسروا من ناحيتهم انكسر الناس بجملتهم. وكان أول من بادر وفر إلى المرينيين علي بن أبي علي الخلطي ( *البيان*، قسم الموحدين، 427 و428 ؛ *الذخيرة السنية*، 95 و96 ؛ *القرطاس*، 303 ؛ *العبر*، 6 : 350 ؛ *الاستقصا*، 2 : 255). خلا الجو بذلك لشيخ عرب سفيان واستأثر بالحظوة لدى الخليفة.

ولما التجأ أبو دبوس إلى الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني وأعانه بالجيوش والأموال وكتب له مع ذلك إلى عرب جشم ليكونوا معه يدا واحدة ضد المرتضى وبدأت جموعه تتكاثر بمن انحاش إليه من القبائل، اتهم الخليفة الموحدي شيخ عرب سفيان مسعود بن كانون بمحاولة نقض العهد والالتحاق بصف أبي دبوس، فأمر باعتقاله سنة 664 / 1266 إلى جانب شيخ بني جابر إسماعيل بن قيطون، وكان ذلك سببا في انقلاب عرب سفيان عليه وخروجهم عن طاعته وانحيازهم لجانب أبي دبوس بمبادرة من حطوش بن يعقوب بن جرمون ( *البيان*، قسم الموحدي، 435 ـ 436 ؛ *العبر*، 6 : 351).

وحدث أن أمر المرتضى بقتل إسماعيل بن قيطون في سجنه فخاف حطوش بن يعقوب بن جرمون أن يؤول مصير مسعود بن كانون شيخ عرب سفيان إلى مثل ذلك. وكان أبو دبوس في ذلك الوقت يعد العدة لدخول العاصمة مراكش بعدما علم أنها خالية من الأجناد، وندب حطوش ليسبقه إليها ويحارب كل من يخرج إليه من أهلها، فوصلها والناس في صلاة الجمعة وضرب رمحه في باب الشريعة فبات سكانها تلك الليلة خائفين وأودعوا أموالهم بالقيسارية ( *البيان*، قسم الموحدين، 437 ـ 438).

ولما دخل أبو دبوس مراكش يوم السبت الثاني والعشرين من المحرم سنة 665 / 1267 أخرج مسعود بن كانون من سجنه. وفر المرتضى إلى أزمور فألقى عليه القبض بها واليها، وبعث إلى الخليفة أبي دبوس يعلمه بشأنه. ثم أرسل إليه في طلبه كل من أبي موسى عمران وأبي سرحان مسعود بن كانون السفياني وجماعة من عرب سفيان، وأوصاهم بتوصيله إليه وتمثيله بين يديه. ثم بعث إليهم بكتاب يأمرهم فيه بقتله قبل الوصول به إلى العاصمة ففعلوا. وذلك في العشر الأواخر من شهر ربيع الآخر سنة 665 / 1267 ( *البيان*، قسم الموحدين، 443 ـ 444 و449 ؛ *الاستقصا*، 2 : 258).

اعتمد أبو دبوس على عرب سفيان في محاربته لأعدائه اعتمادا كليا، وأصبح شيخهم مسعود بن كانون من أقرب المقربين إليه، في الوقت الذي صار فيه عرب الخلط من خاصة بني مرين، بعد أن أصهر الأمير يعقوب بن عبد الحق لأبي عطية مهلهل بن يحيى الخلطي وتزوج من ابنته عائشة أم السلطان أبي سعيد عثمان الثاني. فقد عين هذا الخليفة شيخ عرب سفيان قائداً على كل العرب في جيوشه، وأوكل إليه أمر حراسة البلاد من فساد الخارجين عن الطاعة من القبائل العربية، كما اعتمد عليه في فتح معاقل سوس ومحاربة بني يدر بها ( *البيان*، قسم الموحدين، 460 ـ 461 ؛ *الاستقصا*، 2 : 175).

ولما جاهر أبو دبوس بالخلاف على الأمير المريني يعقوب ابن عبد الحق ونهض هذا الأخير إليه سنة 666 / 1268 فشغله عن ذلك يغمراسن بن زيان حسب الاتفاق الذي كان بينه وبين الخليفة الموحدي، شارك مسعود بن كانون في تلك الأحداث بفعالية كبيرة مدفوعاً بالرغبة في القضاء على المرينيين حلفاء أعدائه عرب الخلط. وعمل على تحريض الخليفة وتشجيعه على مواجهة المرينيين إلى أن قرر الخروج إليهم، فأظهر الأمير المريني العجز عن اللقاء ليبعد الموحدين عن العاصمة، ثم أغار عليهم وألحق بهم الهزيمة وقتل الخليفة أبا دبوس في أوائل محرم سنة 668 / 1269 معلنا بذلك نهاية الحكم الموحدي.

وفي سنة 677 / 1278 أعلن مسعود بن كانون خروجه عن المرينيين ببلاد نفيس وأخذ البيعة من جميع عرب سفيان. في وقت كان فيه السلطان يعقوب بن عبد الحق يستعد للجواز إلى الأندلس برسم الجهاد، فأسرع بالرجوع إلى مراكش حتى إذا وصلها فر مسعود إلى جبل سكسيوة وتمنع به، فلاحقه السلطان المريني وأقام عليه الحصار به وأقسم أن لا يرحل عنه قبل القضاء عليه أو الموت دون ذلك. ولما طال مقامه هنالك، واشتد بالمقابل الحصار البري والبحري الذي فرضه ملك قشتالة على الجزيرة الخضراء، أرسل ولده الأمير يوسف إلى طنجة وأمره بالعبور إلى الأندلس لإعانة أهل الجزيرة، فتم له ذلك يوم 8 ربيع الأول سنة 678 / 20 يوليوز 1279. ثم كتب إلى أبيه يعلمه بانتصاره على القشتاليين يوم عبد المولد النبوي من السنة المذكورة. فتلقى السلطان يعقوب هذا الخبر وهو على حصاره لشيخ عرب سفيان ( *القرطاس*، 330 ـ 331).

اضطر السلطان المريني إلى رفع الحصار على مسعود ابن كانون أمام الغارات التي كان يشنها يغمراسن بن زيان سلطان بني عبد الواد على المنطقة الشرقية للمغرب الأقصى، فخرج في جموعه إليه وألحق الهزيمة به سنة 679. ثم عاد إلى مراكش في آخر شوال سنة 680 / 10 فبراير 1282 لمواصلة الحصار على مسعود بن كانون، لكن وفاة هذا الأخير في التاريخ المذكور حالت دون ذلك، فتزوج السلطان المريني من زوجة شيخ عرب سفيان في شهر محرم

من سنة 681 / أبريل 1282 لاستمالة هؤلاء الأعراب وضمان ولائهم. فعادوا إلى الطاعة وشاركوه في جوازه الرابع إلى الأندلس برسم الجهاد، باستثناء منصور بن مسعود بن كانون الذي فر إلى هسكورة وبقي بها إلى أن عاد إلى خدمة المرينيين أيام السلطان يوسف بن يعقوب. وفد عليه وهو محاصر لتلمسان سنة 706 / 1306 فتقبله ( *القرطاس*، 334 ـ 337 و353 ـ 356 و406 ؛ *العبر*، 6 : 38 ـ 39).

ابن **جرمون، يعقوب**، ابن آخر لجرمون بن عيسى المتقدم، تولى زعامة قومه بعد مقتل أخيه كانون على يد عرب الخلط في حملة الخليفة السعيد على تلمسان. ولما تولى أبو حفص عمر المرتضى خلافة الموحدين وامتحن شيوخ الخلط بعد أن استقدمهم إلى مراكش وأمر بقتل سبعين منهم، بسبب ما كان من تأخرهم عن القتال في المواجهة ضد بني عبد الواد، ومبادرتهم إلى نهب محلة الخليفة السعيد بمجرد سماعهم بمقتله ( *البيان*، قسم الموحدين، 405). وكان من الطبيعي بعد أن افتتح هذا الخليفة عهده بالانتقام من عرب الخلط أن يتقرب منه أعداؤهم عرب سفيان، فأنعم على شيخهم يعقوب بن جرمون بجزيل الإنعام وأعطاه الأملاك بحوز مراكش وتوطدت العلاقة الودية بينهما.

ثم تغير ما بينهما في سنة 649 / 1251 لأسباب لم تفصح عنها المصادر التاريخية. فقد قدم في هذه السنة موسى بن زيان الونكاسي وأخوه علي على الخليفة المرتضى بعد خلافهما مع الأمير المريني أبي بكر بن عبد الحق. فأغرياه بقتال المرينيين في وقت كان فيه هؤلاء قد استولوا على سلا ورباط الفتح. فنهض إليهم بعد أن استدعى شيخ عرب سفيان يعقوب بن جرمون للخروج معه، وكان اللقاء بين الطرفين في مكان يعرف بأمان إيملولن. ولما تيقن الأمير المريني من قوة جيوش المرتضى حاول الجنوح إلى الصلح، وراسل الخليفة في ذلك لكنه لم يجبه إليه، فعمد إلى التظاهر بالهزيمة والتراجع ليصل بالموحدين إلى الكمائن التي نصبها لهم، لكنهم توقفوا عن مطاردته حيث فطنوا إلى خطته. ثم التجأ بعد ذلك إلى الحيلة للنيل من قوة جموع المرتضى، وكاتب يعقوب بن جرمون في شأن التخلي عن الخليفة فأسعفه إلى غرضه. وتم الاتفاق بينهما على رحيل عرب سفيان عن المحلة بعد إشاعة خبر التوصل إلى اتفاق للصلح بين المرتضى والأمير أبي بكر بن عبد الحق. فسبّب تنفيذ هذه الخطة في رحيل محلة الموحدين عن أمان إيملولن في اتجاه أزمور ومنها إلى مراكش، وتبعتهم جيوش بني مرين واستولت على جملة من أحمال وأثقال الخليفة ( *البيان*، قسم الموحدين، 401 ؛ *العبر*، 6 : 38 ؛ *الاستقصا*، 2 : 173).

ورغم ما كان ليعقوب بن جرمون من دور فعال في هزيمة الموحدين بأمان إيملولن فإن المرتضى عفا عن هذه الفعلة الفادحة وقربه منه مجددا وجعله من خاصة مجلسه ورجال مشورته واستعان به في حروبه ضد أعدائه ووظفه في إضعاف المتمردين على الخلافة الموحدية من شيوخ بطون عرب جشم كما هو الحال بالنسبة لشيخ بني جابر يعقوب بن محمد بن قيطون الذي أعلن عصيانه للمرتضى بعدما كان من ذوي الحظوة والمكانة الرفيعة لديه، فجهز له الخليفة جيشاً سنة 652 أوكل أمر قيادته لأبي الحسن يعلى وأوصاه بالتنسيق مع شيخ عرب سفيان في شأن القبض على شيخ بني جابر، وحمّله ظهيراً عين بموجبه يعقوب بن جرمون شيخا على جميع عرب جشم. وقد تمكن قائد هذه الحملة من تحقيق الأهداف التي خرج من أجلها وألقى القبض على شيخ بني جابر ووزيره ابن مسلم بمساعدة يعقوب بن جرمون وعاد بهما إلى مراكش ( *البيان*، 405 ـ 406 ؛ *العبر*، 6 : 449).

استمر يعقوب بن جرمون على علاقته الودية بالخليفة المرتضى إلى أن قتله ابنا أخيه كانون بن جرمون مسعود وعلي سنة 653 / 1255 انتقاماً لأخيهما محمد الذي تمَّ اغتياله بأمر من الهالك بعدما صار يضاهيه في الجاه والنفوذ وفي الحل والعقد وينافسه على الزعامة ( *البيان*، قسم الموحدين، 387). وقد ورد في *العبر والاستقصا* أن وفاة يعقوب كانت عام 659 / 1261 وهو خطأ بحجة إجماع المصادر التاريخية الأخرى على أن زعامة كل من ابنه عبد الرحمان وأخيه عبيد الله بن جرمون كانت على التوالي بين سنة 653 / 1255 وسنة 654 / 1256 ( *العبر*، 6 : 38 ؛ *الاستقصا*، 2 : 173).

حسن حافظي علوي

**الجرموني** أو الجرني، أبو بكر بن محمد المهدي المراكشي. ولد سنة 1343 / 1924 بمدينة مراكش، من أب يمتهن حرفة الشكايرية (صنع الجرابات) من مريدي الطريقة التجانية المرتبطين بالزاوية الكنسوسية بالمواسين. التحق أبو بكر بكتّاب الفقيه ابن علال وهو ابن خمس سنوات، وبقي فيه إلى أن حفظ القرآن الكريم وبعض المتون التي كان الفقيه يحرص على تحفيظها لتلامذته. بعد ذلك شرع في قراءة العلم على شيوخ مراكش، والحضور في مجالسهم التي كانت تعقد بمساجد هذه المدينة وزواياها، وأول شيخ حضر عنده ولازمه مدة طويلة هو الفقيه الورع عبد السلام السميح، ثم العلامة محمد بن عبد القادر العلوي المعروف بمْسُّو وغيرهما. كان يدعى في صغره وشبابه بالجرموني، ثمّ صار اسمه في الحالة المدينة "الجرني". لكن نسب الجرموني بقي غالباً عليه. ولما أُسس النظام بالجامعة اليوسفية سنة 1338 / 1939 التحق بها كطالب رسمي، يحضر حلقات الدروس على مشايخ العلم إلى أن حصل على شهادة العالمية سنة 1369 / 1949، وأسندت إليه على إثرها إدارة مدرسة الفلاح الحسنية الحرة الكائنة بالقصبة، خلفا للشاعر المدني الحمراوي.

وفي سنة 1372 / 1952 عين أبو بكر الجرموني أستاذاً بالجامعة اليوسفية بعد أن كان ينوب عن السيد إبراهيم الضرير المتوفى بالديار المقدسة. وقد برهن عن مقدرة كبيرة، وموهبة في مهنة التدريس، وشهد له الكل بعطائه الكبير، ونجاحه في امتلاك انتباه طلابه، إلى جانب هذا كان يعطي دروساً اختيارية للراغبين فيها، إما في بيته أو في بعض المساجد.

وفي سنة 1386 / 1966 انتقل للتدريس بثانوية عبد المومن من مؤسسات التعليم العصري بمراكش وبقي فيها إلى أن أحيل على التقاعد.

ورغم فقر الأسرة التي نشأ أبو بكر بين أحضانها، والدراسة الأصلية بالجامعة اليوسفية المشبعة بالروح العربية الإسلامية، استطاع أن يلزم نفسه منذ طفولته بتعلم اللغة الفرنسية التي كان يحضر دروسها بصفة اختيارية بمدرسة القنارية، كما اتجهت همته لمتابعة دروس الترجمة بالمراسلة بمعهد كان خاصاً بذلك، دون أن تعوقه عوائق الحياة ومشاغل المهنة إلى أن حصل على دبلوم الترجمة من معهد الدراسات العليا بالرباط، وتعلم كذلك اللغة الأنجليزية.

وإذا اتسمت تصرفاته في الشطر الأول من حياته بالجدية والنشاط الدؤوب سياسياً وأدبياً، فإن الشطر الثاني من حياته وما أعقبها من أمراض نفسية لم تعطله عن مزاولة نشاطه في ميدان الترجمة من الفرنسية أو الانجليزية إلى العربية. ومن أعماله المترجمة :

*تعاونيات الإنتاج بالاتحاد السوفياتي* ؛ *رسوم حية من الفن الفارسي* ؛ *تاريخ افريقيا* ؛ *مفتاح التقدم الاقتصادي* ؛ *شمال افريقيا* ؛ *الانسان الحر* ؛ *أحاديث علمية* ؛ *الحكمة المادية* ؛ *موجز التربية وعلم النفس*.

شارك أبو بكر الجرموني في كثير من الأنشطة الوطنية قبل الاستقلال وبعده في كلا الحزبين : حزب الاستقلال، وحزب الشورى والاستقلال الذي انتقل إليه بعد انفصاله عن الحزب الأول لأسباب يطول شرحها. كما ساهم في بعض المهرجانات الأدبية التي أقيمت بمختلف المناسبات، وخصوصاً مناسبات عيد العرش، وقد أذيعت له بعض القصائد بإذاعة مراكش عندما سمحت السلطات المحلية بذلك.

وهو شاعر مطبوع لا يتكلف الشعر، لأن ملكة الشعر متأصلة فيه. لكن الذي يؤسف له أنه مرَّ بأزمة نفسية حادة أثرت على مسيرة حياته، اضطرته إلى العزلة والابتعاد عن الناس، إلاَّ من فئة قليلة تعد على الأصابع، وظل في هذه العزلة يعاني الأزمة النفسية إلى أن التحق بالرفيق الأعلى مأسوفاً عليه، وعلى تراثه الشعري الذي أتلفه بيده حرقاً، وحرم عشاق الأدب من الوقوف على عصارة فكره، وخلاصة تجاربه. لقد نظم في جل أغراض الشعر، وعايش أحداث وطنه الصغير المغرب، ووطنه الكبير العربي والإفريقي.

ومن شعره قصيدة نظمها سنة 1367 / 1947 بمناسبة عيد العروبة، يقول فيها :

هذا سنا العيد في أوطاننا انبثقا ... يضفي على الكون من لألائه أنقا
يجلوه ملتمع الرواء رائقه ... فيملأ النفس إشراقاً ومؤتلقا

توفي بمراكش مساء يوم الاثنين 25 رمضان عام 1409 / فاتح ماي 1989 على الساعة الثامنة ليلاً إثر مرض ودفن بمقبرة باب أغمات بعد صلاة العصر في اليوم الموالي.

أحمد متفكر، *ذيل الإعلام عن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، مخطوط.

**الجرناوي**، محمد العياشي بن الحاج إبراهيم بن محمد ابن زيدان. وُلد بمدينة مراكش يحي هيلانة درب اشتوكة حوالي عام 1277 / 1860. ودرس بمسقط رأسه، ثم رحل إلى فاس التي بقي بها مدة ثلاث سنوات. من شيوخه : الحاج عبد السلام بن المعطي وبوشعيب الشاوي ومحمد بن علي الزعراوي ومحمد بن محمد بناني ومحمد بن جعفر الكتاني وأحمد ابن الخياط، وغيرهم.

درَّس بعد رجوعه إلى مراكش في جامعة ابن يوسف مدة إلى أن كُلف بمراقبة الأملاك المخزنية، ثم استقال ليتفرغ للتدريس بمسجد درب مجّاط بهيلانة مع تعاطي الإفتاء. من مؤلفاته التي لازالت مخطوطة عند ولده : *شرح مختصر الشيخ خليل* ؛ *شرح ورقات إمام الحرمين* ؛ *إحياء الميت*.

توفي بمسقط رأسه سنة 1357 هـ / 1938، ودفن بمقبرة باب أغمات.

أ. متفكر، *ذيل الأعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

**الجرنديّ**، بيت شهير بفاس أصله من الأندلس، أنجب عدداً من الفقهاء والأدباء والصالحين، ومازال الجرنديون حتى اليوم بمدينة فاس. وقد أحصاهم مؤلف *جنى زهر الآس* وذكر مساكنهم بعدوة الأندلس من العاصمة الإدريسية.

**الجرنديّ، أحمد** بن علي بن عبد الرحمان الفاسي. عالم عامل وولي صالح. أخذ عن كبار شيوخ فاس أمثال

عبد القادر الفاسي، وأحمد بن عبد الله مَعْنٌ. درّس ونفع، وسلك بالمريدين طريق القوم، ومنهم العارف الشهير عبد العزيز الدباغ كما أشار إلى ذلك في بداية كتاب *الإبريز*.

كان أحمد الجرنديّ إماماً بجامع الشرفاء ومدرساً به، وعُين للقضاء بفاس فاحتال للتخلص منه بإظهار البله والحمق وخسيس الأفعال حتى أقيل منه.

توفي بعد عشاء الجمعة خامس عشر محرم عام 1125 / 19 فبراير 1713 ودفن قرب سيدي بوغالب من حومة صريوة داخل باب الفتوح.

**الجرنديّ، عبد العزيز** بن أحمد الفاسي. كان - كأبيه - عالماً مشاركاً مدرساً. توفي بفاس ضحوة يوم السبت خامس عشر ربيع الأول عام 1177 / 23 شتنبر 1763 ودفن بروضتهم في حومة صَريوَة داخل باب الفتوح.

م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 16 ؛ ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2379.

محمد حجي

**الجرني، أحمد** مبارك من فخدة أولاد ابن الگرن بالرحامنة، فقيه وعالم بالنحو، عينه السلطان المولى عبد الرحمان لتربية أولاده المولى بوعزة والمولى الرشيد والمولى علي والمولى العباس.

كانت وفاته سنة 1304 هـ / 1886 ودفن بمقبرة باب أغمات بمراكش.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 223.

محمد ماگامان

**الجرني**، أبو بكر ← **الجرموني**، أبو بكر

**الجروز، إبراهيم** بن عبد الكريم، فقيه مدرس بمكناس، عاش في القرن السابع الهجري، وامتدّ به العمر حتى بداية القرن الثامن. كان يستظهر *كتاب ابن يونس* (*الروض الهتون*، ص. 44). كما كان يقرر في دروسه الفقهية أقوال الأئمة وكلام الناس والمُختصرين، ويعلم الصبيان ويدرّس *المدونة*.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، ص. 44 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 1 : 263.

أحمد الوارث

**الجريدة الرسمية** بالمغرب *(Bulletin Officiel)*، راودت المخزن فكرة إنشاء جريدة رسمية منذ 1907 على الأقل عندما تعاقد المخزن العزيزي مع الأخوين نمور قصد إصدار دورية تحت عنوان "الدولة الشريفة". ولما باءت هذه المحاولة بالفشل، أعاد المخزن الحفيظي الكرة من جديد وكلف الصدر الأعظم الحاج محمد المقري، سنة 1911، بمباشرة مفاوضات مع شارل روني لوكلير Charles René-Leclerc، صحافي مستعرب ومندوب للجنة المغرب Le Comité du Maroc، من أجل تأسيس مطبعة وطنية وجريدة رسمية. وفعلا تم التوصل بين الطرفين إلى اتفاق يجعل روني لوكلير في خدمة المخزن ابتداء من فاتح يناير 1912 حيث أصبح مديراً عاماً للمطبعة الوطنية وللجريدة الرسمية اللتين اختير لهما مقر مؤقت في بناية "المطبعة المغربية" الكائنة بزنقة تطوان في طنجة. وكان المدير الفرنسي قد لقي التشجيع من لدن وزارة خارجية بلاده ومن ممثليها في المغرب ؛ ذلك أن روني لوكلير قد أكد لمسؤولي بلاده بأن دخوله في خدمة السلطات المغربية لا يمكن إلا أن يخدم مصلحة السياسة الفرنسية في المغرب. وفي هذا الصدد، زودت المفوضية الفرنسية بطنجة شارل روني لوكلير بنسخ من الجريدة الرسمية التونسية للاستئناس بها في القيام بمهمته الجديدة. ولما كانت هذه المهمة تتنافى مع استمرار تقلده لوظيفة المندوب العام للجنة المغرب في طنجة، فإنه قدم لها استقالته بتاريخ 20 يناير 1912، مع التأكيد بأنه يضع نفسه رهن إشارتها بصفة غير رسمية.

لم يتحقق المشروع على الشكل الذي صممه المخزن ؛ ذلك أن المغرب سرعان ما فقد استقلاله بالتوقيع على معاهدة فاس في 30 مارس 1912. وهكذا تم إجهاض المشروع الأول لترى الجريدة الرسمية النور في ظل واقع جديد أصبحت القوى الاستعمارية تتمسك بزمام أمور البلاد.

صدر العدد الأول من "الجريدة الرسمية" في الرباط باللغة الفرنسية، بتاريخ فاتح نونبر 1912. ويتضمن هذا العداد، بالإضافة إلى نص الوثيقة التي نزعت من المغرب بإصدار جريدة رسمية، باللغتين العربية والفرنسية، في البلاد. ومما ينص عليه هذا القرار في مادته الثالثة أن إدارة وتحرير الجريدة الرسمية مهمة موكولة إلى رئيس الديوان المدني للمقيم العام.

وبعد مرور ما يقرب من أربعة أشهر على ظهور الجريدة الرسمية باللغة الفرنسية، صدرت رصيفتها بالعربية في 25 فبراير 1913 الموافق 16 جمادى الأولى 1331، تحت عنوان "الجريدة الرسمية للدولة المغربية الشريفة المحمية". ومبدئياً لم تكن هذه الأخيرة إلا ترجمة لما يصدر في زميلتها باللغة الفرنسية، غير أن القاعدة لم تحترم بصفة صارمة إذ في بعض الحالات يتم الاكتفاء في النسخة العربية بالإحالة على الطبعة الفرنسية. فعلى سبيل المثال، نشر القانون المنظم للصحافة والمطبوعات في "الجريدة الرسمية" باللغة الفرنسية (العدد 79، فاتح مايو 1914) وشغل فيها حيزاً

PREMIÈRE ANNÉE — N° 1. — Le Numéro : 0.20 centimes — 1er Novembre 1912



EMPIRE CHÉRIFIEN

Protectorat de la République Française
AU MAROC

# Bulletin Officiel

EDITION FRANÇAISE

Hebdomadaire



| ABONNEMENTS : | MAROC | FRANCE et Colonies | ETRANGER |
|---|---|---|---|
| 3 Mois | 3,50 | [illegible] | [illegible] |
| 6 Mois | 6 | [illegible] | [illegible] |
| 1 An | 10 | [illegible] | [illegible] |

ON PEUT S'ABONNER :
A la Résidence de France à Rabat
à l'Imprimerie Lapide à Rabat, à Casablanca,
et dans tous les bureaux de postes


SOMMAIRE



LE COMMISSAIRE RÉSIDENT GÉNÉRAL,

ARRÊTE :

*Article 1er. — Il est créé un Bulletin Officiel du Gouvernement Chérifien et du Protectorat de la République Française au Maroc destiné à publier les décrets et décisions du Gouvernement Chérifien, les lois, décrets, arrêtés et décisions du Gouvernement de la République relatifs au Maroc ainsi que les arrêtés et décisions du Commissaire Résident Général.*

*Article II. — Le Bulletin Officiel comporte une édition française et une édition arabe.*

*Article III. — La direction et la rédaction du Bulletin Officiel sont assurées par le Chef du Cabinet Civil du Résident Général.*

Rabat, le 2 Septembre 1912.

LYAUTEY.

A la suite de l'abdication de Sa Majesté MOULAY HAFID, les Chorfas, les Ouléma et les notables de la ville de Rabat, siège actuel du Gouvernement Chérifien, se sont réunis au Dar El Maghzen le 29 Ramadan 1330 (13 Août 1912) et ont procédé à la proclamation de Sa Majesté MOULAY YOUSSEF comme Sultan du Maroc.

Les Chorfas, les Ouléma et les notables des autres villes de l'Empire, ainsi que les caïds des tribus, ont fait acte d'hommage au nouveau Sultan.

**TRAITÉ conclu entre la France et le Maroc le 30 Mars 1912, pour l'Organisation du Protectorat Français dans l'Empire Chérifien.**

*Le Gouvernement de la République Française et le Gouvernement de Sa Majesté Chérifienne, soucieux d'établir au Maroc un régime régulier fondé sur l'ordre intérieur et la sécurité générale qui permettra l'introduction des réformes et assurera le développement économique du pays, sont convenus des dispositions suivantes :*

ARTICLE I. — Le Gouvernement de la République Française et Sa Majesté le Sultan sont d'accord pour instituer au Maroc un nouveau régime comportant les réformes administratives, judiciaires, scolaires, économiques, financières et militaires que le Gouvernement Français jugera utile d'introduire sur le territoire marocain.

Ce régime sauvegardera la situation religieuse, le respect et le prestige traditionnel du Sultan, l'exercice de la religion musulmane et des institutions religieuses, notamment de celles des habous. Il comportera l'organisation d'un Maghzen chérifien réformé.

Le Gouvernement de la République se concertera avec le Gouvernement Espagnol au sujet des intérêts que ce Gouvernement tient de sa position géographique et de ses possessions territoriales sur la côte marocaine.

De même, la ville de Tanger gardera le caractère spécial qui lui a été reconnu et qui déterminera son organisation municipale.

ART. II. — Sa Majesté le Sultan admet dès maintenant que le Gouvernement Français procède, après avoir prévenu le Maghzen, aux occupations militaires du territoire marocain qu'il jugerait nécessaires au maintien de l'ordre et de la sécurité des transactions commerciales et à ce qu'il exerce toute action de police sur terre et dans les eaux marocaines.

ART. III. — Le Gouvernement de la République prend l'engagement de prêter un constant appui à Sa Majesté Chérifienne contre tout danger qui menacerait Sa personne ou Son trône ou qui compromettrait la tranquillité de Ses Etats. Le même appui sera prêté à l'héritier du trône et à ses successeurs.

ART. IV. — Les mesures que nécessitera le nouveau régime de protectorat seront édictées, sur la proposition du Gouvernement Français, par Sa Majesté Chérifienne ou par les autorités auxquelles elle en aura délégué le pouvoir. Il en sera de même des règlements nouveaux et des modifications aux règlements existants.

عدد 1 — ☆☆( ثمن الصحيفة عشرون صانتيم )☆☆ — السنة الاولى



# الجريدة الرسمية للدولة المغربية الشريفة المحمية


قيمة الاشتراك — داخل المملكة الشريفة — خارج المملكة الشريفة
ثلاثة اشهر 3.50 — 4.50
ستة اشهر 6.— — 8.—
سنة 10.— — 15.—

رباط الفتح في 16 جمادى الاولى عام 1331
الموافق 25 فبراير سنة 1913

الاشتراك
يجب على من اراد الاشتراك في هذه الجريدة ان يطلبه من ادارة الجريدة الرسمية للدولة المغربية بالرباط ومن جميع بنيقات البوسطة بالمغرب ومبداء الاشتراك من اول الشهر


فهرسة ما بهذا العدد من الظهائر الشريفة



الحمد لله وحده

* * *

يعلم من كتابنا هذا أعزالله امره انه من المتعين تفقد احوال الموظفين بخدمتنا الشريفة وعدم اهمال من يستحق الترقي منهم واجزاء ما يقتضيه احوال وتاديب من يستحق التاديب بوجه مهدنا لذلك مشروعا يكون التمشي عليه فيما ذكر بحول الله .

الباب الاول فيما يتعلق بالترشيح

الفصل الاول

أن التوظيف بإدارات أيالتنا الشريفة يقع غالبا ترشيحهم بامتحان نعم لاجل ذلك يصدر قرار من وزيرنا الصدر الاعظم في تعيين التاريخ الذي يقع فيه الامتحان المعد لترشيح المنشئين المتطوعين وكذلك المكان الواقع فيه الامتحان والشروط التي يحتوي عليها والقرار المذكور يصدر قبل تاريخ الامتحان بستة اشهر على الاقل كما يعين في هذا القرار عدد جملة الوظائف الواقع في شانها الامتحان من جهة وعدد ما يختص منها بالمتطوعين الذين لا يمكن توليتهم بصورة رسمية في المستقبل الا بعد ان يستظهروا بشهادة اللغة العربية المعطاة من قبل المدرسة العليا بالرباط .

والمنشئون المتطوعون يمكن توليتهم بصورة رسمية بعد مضي سنة واحدة من تاريخ تسميتهم : وذلك مقتصر على نظر رؤساء الادارات أما المنشئون المتطوعون الذين رشحوا بعد امتحان وشرط انهم يثبتوا في المستقبل تحصيلهم على شهادة معرفة اللغة العربية فيجب عليهم ان

# BOLETÍN OFICIAL

DE LA

# ZONA DE INFLUENCIA ESPAÑOLA

EN MARRUECOS

Número 1.—10 de Abril de 1913.



MADRID
IMPRENTA DEL MINISTERIO DE ESTADO
1913

## Convenio hispano-francés de 27 de Noviembre de 1912.

SU MAJESTAD EL REY DE ESPAÑA Y EL PRESIDENTE DE LA REPÚBLICA FRANCESA,

Deseosos de precisar la situación respectiva de España y Francia con relación al Imperio Xerifiano,

Considerando, por otra parte, que el presente Convenio les ofrece ocasión propicia de afirmar sus sentimientos de amistad recíproca y su voluntad de armonizar los intereses de los dos países en Marruecos;

Han nombrado al efecto por sus Plenipotenciarios, á saber:

SU MAJESTAD EL REY DE ESPAÑA,

Al Excelentísimo Señor Don MANUEL GARCÍA PRIETO, MARQUÉS DE ALHUCEMAS, Senador vitalicio, Ministro de Estado, Caballero Gran Cruz de la Orden Civil de Alfonso XII, condecorado con la Medalla de Oro de Alfonso XIII, etc., etc., etc., y

يربو عن خمس صفحات (ص. 296 إلى 301)، في حين اكتفت الطبعة العربية ببضعة سطور أحالت فيها على النص المذكور (العدد 52، فاتح مايو 1914، ص. 185). وهذا ما يفسر كون أعداد الطبعة العربية عادة ما تصدر في سمك أقل من الطبعة الفرنسية.

وفي 13 يونيو 1913، أنشئت بقرار من المقيم العام ليوطي مصلحة خاصة بالجريدة الرسمية وكلت إليها مهمة تدبير وتحرير وإدارة الدورية في منطقة الاحتلال الفرنسي. ويستشف من لائحة الأشخاص المعينين آنذاك لهذه المأمورية أن الإدارة الاستعمارية لم تستعن بمغاربة في عملية الترجمة، وإنما عولت على رعايا من أقطار مجاورة (الباي إبراهيم حميدة).

صدرت الدورية أسبوعياً واختلف عدد صفحاتها حسب وفرة المواد أو قلتها. وكان مضمونها ينقسم إلى قسمين : الأول رسمي والثاني غير رسمي. فأما الأول فهو عبارة عن ظهائر شريفية، وقرارات وزارية ومقيمية، ومراسيم وتعليمات مختلف المصالح الحكومية (صحة، تعليم، فلاحة، أشغال عمومية...). وتتجاور فيها ترقيات الموظفين، المدنيين والعسكريين، فرنسيين ومغاربة، مع الإنتقالات والترسيمات والإقالات وغيرها. كما تتخللها أحياناً مقتبسات من الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية.

وأما القسم غير الرسمي من الدورية فهو عبارة عن أخبار مختلفة ذات صبغة عامة. فمنها ما يتناول الأوضاع السياسية والعسكرية خلال فترة معينة، ومنها ما يتطرق إلى أحوال مرفق من المرافق الحكومية. وتضاف إلى ذلك بعض الإعلانات القضائية والإدارية (أحكام، مزاد علني، تصفيات الشركات...)، وكثيراً ما يحتل الإشهار التجاري المؤدى عنه صفحات من الجريدة.

ظلت الجريدة الرسمية تصدر طيلة فترة "الحماية" تحت إشراف الإقامة العامة. ولما تم إعلان استقلال البلاد، وكلت إدارتها إلى الحكومة المغربية ؛ ودشنت هذه الحقبة الجديدة بالعدد 2263 الحامل لتاريخ 9 مارس 1956.

*وثائق وزارة الخارجية الفرنسية بنانط ؛ بعض أعداد الجريدة الرسمية* باللغتين العربية والفرنسية.

جامع بيضا

* * وبالمنطقة الخليفية بشمال المغرب الخاضعة للحماية الاسبانية أصدرت وزارة الخارجية الإسبانية بمدريد العدد الأول من الجريدة الرسمية بتاريخ 10 أبريل سنة 1913 قبل أن يستقر إصدار الجريدة الرسمية لهذه المنطقة أسبوعياً بمدينة تطوان. وخلال عقود الحماية الزائدة عن أربعة، لم يعرف صدور الطبعة الإسبانية من الجريدة الرسمية أي تعثر، عكس الطبعة العربية التي ظل صدورها صباح كل جمعة غير منتظم، نتيجة بطء عمل المستعمرين الإسبان في إنجاز الترجمة، وعدم اطمئنان الإدارة الاستعمارية إلى الاستعانة بالعنصر المغربي الثنائي اللغة، مكتفية - عند الضرورة - باللجوء إلى بعض الفقهاء الموظفين لديها عدولاً ومستشارين فيما يخص القضايا الشرعية.

وبقضاء الجنرال فرانكو على النظام الجمهوري القصير العمر، وإقامته حكماً عسكرياً بديلاً عنه في إسبانيا، متستراً خلف إعادة صورية للنظام الملكي، قررت الإقامة العامة للحماية بتطوان، إصدار *الجريدة الرسمية* في سلسلة جديدة، بدءاً من 30 يناير سنة 1936، والتي تابعت الصدور حتى آخر أعداد طبعتها العربية بتاريخ 30 مارس 1956، وطبعتها الإسبانية بتاريخ 6 يوليوز 1956. محتفظة في كلتا السلسلتين والطبعتين بمقياس : 21 سم × 15 سم، مع اختلاف في عدد الصفحات، حيث تراوح متوسط العربية بين : 40 و45 صفحة، ومتوسط الإسبانية بين 25 و30 صفحة. وقد تماثلت محتويات أعدادها بلغتيها، باستثناء حالات نادرة أملتها مبررات عارضة.

والجدير بالإشارة إصدار قطاعين متخصصين في جهاز الحكومة الخليفية بتطوان جريدتين رسميتين إضافيتين بالعربية فقط، أصدر أولاهما زعيم الوحدة الأستاذ عبد الخالق الطريس حين توليه وزارة الأحباس، وثانيتهما الفقيه الموسوعي الغزير التأليف الحاج أحمد الرهوني خلال توليه وزارة العدلية، وتابع خلفه في الوزارة الفقيه محمد بن التهامي أفيلال إصدارها بعض الوقت. كما صدرت بالإسبانية فقط، جريدة رسمية تعنى بشؤون البلديات. بيد أن تعثر انتظام صدور جميعها، وعدم توفر الكافي من مواد مجالاتها، أجبرها على التوقف.

*مجموعات الجرائد الرسمية* بالمنطقة الخليفية، بالعربية والإسبانية.

المهدي الدليرو

ابن **جرير** (مدينة شمال مراكش) ← **بن گرير**

أولاد **جرير**، قبيلة عربية تقطن في جنوب شرق المغرب. وتنقسم إلى فرعين : المفالحة والعساسة، وينقسمان بدورهما إلى فرقتين غير متساويتين في عدد الدواوير والخيام. فالمفالحة يتكونون من فرقتين : 1) - أولاد المير 2) وأولاد دادة. وقد بلغ مجموع خيام الفرقتين حسب تقديرات أخذت عام 1893 حوالي 120 خيمة ويضم فرع العساسة فرقتين هما : 1) أولاد قويدر 2) وأولاد بديار ويضمان معا حوالي 184 خيمة.

إنّ أصول قبيلة أولاد جرير كغيرها من قبائل الجنوب الشرقي المغربي، يلفّهاالغموض، فباستثناء الإشارة الواردة عند ابن خلدون من أن أولاد جرير ينتهون بنسبهم إلى عرب الأثبج حسب التسلسل الآتي : أولاد جرير بن علوان بن محمد بن لقمان بن خليفة، وهم بطن من بطون لطيف المنتمية للاثبج، فإنه لم يشر إليهم مصدر آخر سواه.

ونظراً لمحافظتهم على حياة البداوة والترحال كغيرهم في الصحراء، ولطول أمد افتراقهم عن أصولهم الأولى وحرصهم على وصل الفروع بالجذور كغيرهم من القبائل المهتمة بالمحافظة على أنسابها ووقائع أيامها، فإنهم اختلقوا لأنفسهم رواية لشجرة نسب يدعون من خلالها أن فرع المفالحة يشكل نواة قبيلة أولاد جرير وهم في الأصل جزء من قبيلة "حميان" التي كانت تستقر في العهد المريني في منطقة الجنوب الشرقي المغربي. بينما يتشكل فرع العساسة من عناصر مختلطة تنتمي إلى الشعابنة والمهابة، والدخيسة توات وأنگاد وأولاد الحاج وغيرهم.

والجدير بالذكر أن فرقة المطارفة من قبيلة حميان تنتمي إلى بطن لطيف من الأثبج حسب قول ابن خلدون. وأن بطون الأثبج وبني عامر كانت تقطن بصحراء بني يزيد قبل رحيلها واستقرارها بصحراء تلمسان بدعوة من أميرها يغمراسن ابن زيان.

يشكل أولاد جرير اليوم قبيلة صغيرة بالنظر إلى غيرها من القبائل الكبيرة في المنطقة كذوي منيع وبني گيل وحميان وأولاد سيدي الشيخ. ولما كانت مواطنهم تتقاطع مع مواطن ذوي منيع فإنهم دخلوا في حلف حمائي شبه دائم مع ذوي منيع يحاربون ويسالمون سوياً مَنْ ينازعهم المراعي ونقط الماء في المنطقة، كبني گيل والعمور وغيرهم. تمتد مجالات رعي قبيلة أولاد جرير في الجنوب من وادي الناموس "قرب فجيج" شرقاً إلى وادي إگلي غرباً. وتمتد في الشمال على معظم بلاد الظهرة حسبما ادعى قوادهم في رسالتهم إلى الحاكم الفرنسي ببشار بتاريخ 24 ربيع الأول عام 1329 / 15 مارس 1911 بدعوى أن معظم الآبار المحفورة في الظهرة وهوامشها الجنوبية حفرها أسلافهم وأسلاف ذوي منيع كما جاء في الرسالة. وهم يشاركون على هذا الأساس قبيلة بني گيل في رعي مواشيهمَ في الظهرة.

ويملك أولاد جرير كثيراً من النخيل في واحات تابعة لقصور بشار واكدة وفندي وموغل وغيرها. وكانت الزاوية القندوسية تمارس نفوذاً قوياً على القبيلة، لذلك كانت تقوم بدورها التحكيمي في معظم نزاعات أولاد جرير مع القبائل الأخرى. أما علاقتها مع المخزن فيترجمها تبادل الرسائل بين أعيان وقواد القبيلة وبين السلطان وعماله في أقاليم وجدة وفجيج وتافيلالت، وكذلك قيام شيوخ القبيلة أحياناً بتشكيل وفد لزيارة السلطان بفاس في مناسبات تجديد البيعة أو التهنئة بالعيد أو لرفع الشكاوي ضد الغير. وقد تشكل وفد منهم لزيارة السلطان مولاي الحسن عام 1310 / 1893 ضم كبار شيوخ القبيلة آنذاك وهم بالتوالي : الغازي ولد أحمد منصور من فرقة أولاد المير، ومحمد بن مقدم من فرقة أولاد دادة، ومحمد ولد سليمان من فرقة أولاد قويدر، ومومن ولد دحمان من فرقة أولاد بديار، استقبلهم السلطان وعينهم قواداً على فرقهم.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 88 ؛ مصطفى أبوضيف، *أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين*، 1982؛ *مذكرة عن قبيلة أولاد جرير* كتبها الضابط رينو Renault في عين الصفراء بتاريخ 20 شتنبر 1895، أرشيف بلاد ماوراء البحر A.O.M. ،20H23. إكس أن بروڤانس ؛ مذكرة كتبها أودينو Odinot بتاريخ 12 مارس 1912، أرشيف ڤانسين 1H.1062. باريز.
S. Sayagh, *La France et les frontières Maroco-Algériennes, 1873-1902*, Paris, 1986

أحمد مزيان

**الجريري**، أسرة سلوية عريقة في العلم والصلاح، يُعرف أفرادها بابن الفقيه البرهوني نسبة إلى جدهم الأعلى الذي اشتهر بهذه الكنية وجرت علي أبنائه من بعده. أنجب هذا البيت طائفة من الأعلام الذين كان لهم باع طويل في التدريس والإفتاء والقضاء، وكان منهم عدول وفقهاء، عرفوا بالعفة والصدق والفضل، أمثال :

**الجريري، إبراهيم** بن محمد ابن الفقيه السلاوي. أخذ عن أبيه القاضي محمد الجريري آتي الترجمة وعن غيره من العلماء السلاويين. وكان سنة 1282 / 1866 من عدول سلا، واستمر في عمله هذا إلى أن توفي قاضي البلد أبو بكر بن مَحمد - فتحاً - عواد سنة 1296 / 1879 فأسند إليه القضاء ومكث كذلك إلى وفاته.

كان إبراهيم الجريري عالماً محققاً، يختم صحيح *البخاري* بالمسجد الأعظم فتنفذ له صلة يستعين بها من مال الأحباس. وفي سنة 1301 / 1884 نفذت له قطعة أرض للحراثة بولجة سلا. كان قاضياً متحرياً صريح الشرع في أحكامه وفي جميع أموره. توفي بسلا يوم عاشر ربيع الثاني عام 1302 / 27 يناير 1885.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 63 ؛ أبو بكر القادري، *العلامة المفتي أحمد الجريري، شيخ الجماعة بسلا* 1277 - 1353، ص. 12 ؛ مصطفى بوشعراء، *التعريف*، ج. 2 ص. 57 و172 و177.

**الجريري، أحمد** بن **إبراهيم** بن محمد ابن الفقيه السلاوي، ولد عام 1277 / 1861 بمدينة سلا، وأمه بنت الفقيه المدرس الحسن بن أحمد بناصر معنينو، فهو قد أخذ العلم من أطرافه. قرأ على أهل بلده من المؤدبين والفقهاء، فاستظهر القرآن على يد الأساتذة الحاج أحمد خضُّور والحاج محمد بريطل الكبير، ودرس العلم على يد أبيه القاضي الحاج إبراهيم وأحمد بن خالد الناصري وعبد الله بن الهاشمي ابن خضراء والحاج محمد بن عبد السلام ابن الحاج. وفي سنة 1298 / 1881 شد الرحال إلى مدينة فاس فنزل بمدرسة العطارين ومكث بها مدة إلى عام 1302 / 1885، تتلمذ خلالها على كبار شيوخ فاس في ذلك العصر

أمثال محمد ابن المدني گنون وأحمد ابن الخياط ومحمد بن قاسم القادري ومحمد ابن التهامي الوزاني.

ولما رجع إلى مسقط رأسه صار يلقي دروساً بمختلف المساجد، فكان يدرس بين الظهرين الأصول بالمسجد الأعظم، وعلوم العربية والفقه بالزاوية الناصرية، ويقرأ السيرة النبوية بضريح سيدي أحمد حجي حتى عد شيخ الجماعة بدون منازع، إذ تخرج على يده جمهور من أعلام سلا كالقاضيين الهاشمي بن عبد الله ابن خضراء وعبد القادر بن محمد التُّهامي الوزاني، ومحمد العربي وأخيه جعفر ابني أحمد بن خالد الناصري، وأبي بكر بن الطاهر زنيبر وحجي زنيبر والحاج محمد بن أبي بكر التطواني والحاج محمد بن أبي بكر المريني والحاج محمد بن الحاج الطيب الصبيحي وأحمد بن محمد الصبيحي وزين العابدين ابن عبود وأحمد بن بنعاشر ابن عبد النبي الذي كان ملازماً له.

وإلى جانب التدريس المتواصل تصدر أحمد ابن الفقيه للإفتاء، فكانت فتاويه محكمة لا تخرج أبداً عن الراجح والمشهور من مذهب مالك. وكان قاسياً كل القسوة وعنيفاً أشد العنف على كل من سوّلت له نفسه أن يفتي الناس عن جهل أو عن طمع. فكان في أقواله كلها وفتاويه بأكملها مجادلاً بارعاً وأصولياً محققاً ومجتهداً مجدداً. حارب البدع والشعوذة، واتخذ موقفاً مشرفاً من مسألة الظهير البربري.

خلّف ذرية صالحة كما خلف عدداً كبيراً من الفتاوى عني بجمعها تلميذه الوفي أحمد ابن عبد النبي، فقد نسخها بخطه الجميل في كناش كبير. وحملت الشهامة ناظر الخزانة الصبيحية السيد الحاج عبد الله الصبيحي على نشرها بتحقيق الفقيه مصطفى النجار فخرجت في 352 صفحة، ورتبها في خمسة أبواب تتفرع إلى واحد وعشرين فصلاً واثنتين وسبعين ومائة فتوى :

الباب الأول : الأحوال الشخصية (21 فتوى)
الباب الثاني : البنوة والنيابة الشرعية (19 فتوى)
الباب الثالث : الالتزامات والعقود (36 فتوى)
الباب الرابع : الوصية والوقف (30 فتوى)
الباب الخامس : الشهادات والدعاوى (66 فتوى)

كان الفقيه أحمد الجريري رحمه الله شديد الورع، لايقبض شيئاً عن فتاواه العديدة الوفيرة زاهداً منكراً لذاته، بسيطاً في مأكله ومشربه وملبسه وفراشه، مُعرضاً عن جميع الوظائف المخزنية، واهباً نفسه للعلم والتعليم والقراءة والتحصيل والإرشاد، قانعاً بما كانت تدره عليه تجارته الصغيرة ومايُغله عليه بستانه الذي كان أحياناً يرى مشتغلاً فيه بنفسه، مكتفياً بذلك وبما ورثه عن والديه من متاع.

ومن شدة تواضعه أنه كان لا يريد من أحد أن يعوله، بل كان يشتري خبزته من الفران ويأكلها، تاركاً أهله يتزودون بما عجنوه في البيت. ويستنكف من أن يحمل له أحد من الناس حقيبة أو قفة، بل كان يتولى ذلك بنفسه مهما شق عليه. وقد شاهدت مراراً بعيني تلميذه الحاج أحمد بن عبد النبي يحمل قفته بنفسه ويقول لمن تطوع لإعانته : "دعني أحمل وزري ووسخي بنفسي" وهي صفة ورثها عن شيخه المترجم.

كان أحمد الجريري - منذ شبابه - مصاباً بمرض في عينيه، وذهب لأجل العلاج إلى مدينة قادس بإسبانيا سنة 1315 / 1898 فعوفي، لكن قبل وفاته بسنتين عاوده المرض حتى كفّ بصره.

توفي رحمه الله بمسقط رأسه سلا يوم تاسع ربيع الثاني عام 1353 / 22 يوليوز 1934، وشيِّع جنازته جمهور غفير من تلامذته والمعجبين بسيرته الحميدة، ودفن بروضة الزاوية القادرية. وبعد أربعين يوماً أقيمت له حفلة تأبينية حضرها جم غفير من الناس ألقيت خلالها كلمات وقصائد كلها في شمائل هذا الشيخ الجليل القدوة الصالح المصلح.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 35 - 39 ؛ أبو بكر القادري، *العلامة المفتي أحمد الجريري*، الدار البيضاء، 1985، ص. 6 - 30 ؛ م. بوشعراء، *الذيل الجديد للإتحاف الوجيز*، مخطوط؛ *روايات شفوية*.

**الجريري، أحمد** ابن **الفقيه** البرهوني لا نعرف اسم أبيه، وإنما تدل الوثائق على أنه كان من عدول مدينة سلا المنتصبين للشهادة بها. وكان بقيد الحياة سنة عام 1142/ 1729.

**الجريري، بناصر** بن محمد ابن الفقيه السلاوي، الفقيه لعله أخو القاضي إبراهيم سابق الترجمة، كان من الأساتذة المدررين بأحد الكتاتيب بسلا، وكان عام 1278 / 1862 بقيد الحياة، وهو من الذين انتفعوا من الصلة التي صرفت لعدد من المؤدّبين وحمله القرآن بمدينة سلا في هذا التاريخ.

م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 55.

**الجريري، الحسن** بن إبراهيم ابن الفقيه، فقيه مشارك أخذ عن علماء بلدته وفي مقدمتهم المؤرخ أحمد بن خالد الناصري، وعن جماعة من شيوخ علماء القرويين بفاس. ولما رجع لمسقط رأسه انخرط في سلك الموظفين ببعض المراسي، ثم اشتغل بخطه العدالة سائر حياته. توفي بسلا صباح يوم الاثنين 17 جمادى الثانية عام 1335 / 10 أبريل 1917.

ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 290. 291 ؛ *تقاييد خاصة*.

**الجريري، محمد** بن أحمد ابن الفقيه السلاوي، نعته محمد ابن علي الدكالي السلاوي بالأديب الكبير، المشارك الدراكة الشهير، وقال إنه كان مدرساً نفاعاً ومحققاً في العلوم كلها، له اليد الطولى في البلاغة والفقه والتفسير والحديث، أديباً يحفظ *مقامات الحريري*، ذا خط رائق. وقد عُرف بشرحه لمنظومة أحمد ابن الونّان التواتي من أهل القرن الثاني عشر (18 م) المعروفة *بالشمقمقية* التي مدح بها السلطان محمد بن عبد الله والتي مطلعها :

مهلاً على رسْلك حادي الأينُــق    ولا تكلّفها بما لم تُطـــق

ولما أكمل شرحها في مائة كراسة أهداه إلى السلطان مولاي سليمان الذي كتب بخطه في طررها : "من منّ الله على عبده سليمان أن ملّكه هذا الشرح العجيب ..." ووصله بصلة سنية.

لم نعرف شيوخ هذا العالم الجريري، ولعل منهم محمد ابن الطاهر المير السلاوي المتوفى سنة 1180. فقد ترجم له محمد بن علي الدكالي في *الإتحاف الوجيز* بأنه كان شيخاً محدثاً وبحراً عباباً في معرفة الحديث والتفسير، وأنه أخذ عن بعض علماء المشرق. وحيث إن المير مات قبل الجريري بستين سنة فلا يبعد أن يكون المترجم أخذ عنه.

كان الجريري مدرساً نفاعاً يلقي دروساً في التفسير يحضرها الجم الغفير من أهل العدوتين سلا والرباط.

تقلد خطة القضاء بسلا عام 1222 / 1807 فكان فيها محمود السيرة. غير أنه استعفى السلطان مولاي سليمان منها فأعفاه.

توفي محمد الجريري بسلا عام 1240 / 24 . 1825 ودفن خارج باب المعلّقة.

م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ص. 125 و128 و129، نشر الخزانة الصبيحية بسلا ؛ *إتحاف أشراف الملا*، ص. 106، مخطوط ومصور الخزانة الصبيحية بسلا ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 36 و263.

مصطفى بوشعراء

**الجزاء**، مصطلح فقهي جرى به العمل في المغرب، شرحه الفقهاء والنوازليون بأنه كراء على التبقية أو "كراء جرت العادة فيه بين الناس أن يمضي حكمه ويستمر" (*المعيار*، 7 : 52). وأول إشارة للجزاء بهذا المعنى وردت في المصادر التاريخية تتعلق ببناء مدينة فاس، فقد أمر إدريس الناس بالبناء، ولتشجيعهم وحثهم على الإسراع فيه، سمح لمن ابتنى داره قبل اكتمال بناء السور بامتلاكها، ومن بنى بعد ذلك كان ما بيده من حيازة كراء مستديماً، واشتهرت بسبب ذلك عدة جزاءات في مدينة فاس مثل (جزاء ابن برقوقة).

وفي العهد الموحدي توسع الجزاء ليشمل الأراضي الزراعية والمباني، وتجاوز أراضي المخزن ليشمل الأراضي المصادرة. وأبرز مثال لذلك قبيلة هزميرة، فقد تمت تصفيتها في إطار سياسة التمييز التي بدأت في عهد المهدي وصودرت ممتلكاتها "ووزعت جوائز لكل قبيلة جائزة" (*نظم الجمان*، ص. 94) فالجزاء بالمعنى الذي عرضنا له . وتقرأ الكلمة في اللسان العامي : (ݣزا) بجيم معقودة ساكنة . نوع من الحيازة والتصرف في الأملاك المخزنية أو الحبسيّة، لا هي ملكية خالصة ولا هي كراء عادي، بل هي منزلة بينهما، وتوجد اليوم في العديد من المدن العتيقة أحياء سكنية تعرف باسم (الجزا) أشهرها حي (الجزا) بمدينة الرباط الذي يعد اليوم جزءاً من شارع محمد الخامس.

ويبدو من الدراسات الميدانية ومن الروايات الشفوية أن هذا النوع من الحيازة والتصرف استمر إلى أيامنا هذه وشمل أملاكاً غير الأملاك المخزنية واتخذ اسماً ومصطلحاً آخر هو (الزينة)، وانتشارها أوسع من الجزاء وتقتصر على المباني السكنية والتجارية ولا تشمل الضيعات والأراضي الزراعية، وحسب رأي السكان فلاهي ملكية ولاهي كراء محدد بعقد ولا هي رهن أو هبة، وبهذه الصفة تم انتقال أراضي الجزاء . ومازال . من متصرف إلى آخر بالبيع والشراء والتوارث.

تجاوز الجزاء العقارات والأراضي الفلاحية ليشمل الماء. فالحقّ في الماء . وخاصة ماء السقي . كان يباع ويشتري ويكرى، ولعل دخوله في الجزاء كان ظاهرة مستجدة فأثار مشاكل بين الأطراف المعنية عرضت على الفقهاء والمفتين، ومنها قضية تتعلق بماء محبس على مسجد، فكان الجواب: "التحبيس لا يُبطل الجزاء" (*المعيار*، 7 : 52 و53).

ويبدو أن الجزاء الذي كان محصناً من الناحية الشرعية قد تضايق منه ذوو الحقوق أفراداً كانوا أم جماعات، مؤسسات ومخزناً، ففرض على المستفيدين من الجزاء خاصة أواخر العهد المريني ضريبة عرفت بمغرم الجزاء (*نفاضة الجراب*، ص. 324) واعتبرت في نظر المتضررين منها مظلمة كان بعض سلاطين بني مرين عند توليته يسارع إلى إزالتها ضمن بدع أخرى لتلميع صورته وافتتاح عهده باليمن والبركة. وترد في المصادر التاريخية تعابير تقليدية عن ذلك منها : "هدم المروس وازال المكوس" ويتحدث صاحب *"المسند"* ان من عظيم ما فعله أبو الحسن

المريني رفعه للعديد من المظالم والمغارم ومنها مغرم الجزاء.

ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي تطوان، د. ت ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر 1981 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، الجزء الثاني ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت.

محمد حجاج الطويل

**الجزائر والمغرب** عرفا نفس المصير عند الفتح الإسلامي سنة 62 هـ على يد عقبة بن نافع، حيث أصبحا تابعين للولاة المقيمين في القيروان من قبل الخلفاء الأمويين ثم العباسيين في الشرق. ولما ساءت الأحوال الداخلية ببلاد المغرب وانتشر فيه الخوارج انفصل كل من المغرب والجزائر عن نظر ولاة القيروان : تكونت إمارة بني مدرار الصفرية (138 ـ 354 / 755 ـ 965) في سجلماسة وبسطوا نفوذهم على جنوب المغرب الأقصى، وتلتها إمارة بني رستم الإباضية في تاهرت (160 ـ 296 / 776 ـ 908) وخضع لهم معظم المغرب الأدنى. وكان التعاون والتآزر على أشده بين الإمارتين الخارجيتين الجزائرية والمغربية.

تكرس استقلال المغرب الأقصى بقيام الدولة الإدريسية التي كانت حجر الأساس للدولة المغربية المستمرة إلى الوقت الحاضر. ولم تلبث الجزائر أن خلعت ربقة شيعة تونس بعد أن تأسست فيها دولة بني حماد الصنهاجيين (398 ـ 547 / 1007 ـ 1152 م) الذين حكموا المغرب الأوسط من حاضرتهم قلعة بني حماد ثم من بجاية، إلى أن قامت دولة الموحدين بمراكش ووحدت الغرب الإسلامي كله تحت سلطتها، من برقة إلى المحيط ومن الأندلس إلى الصحراء وقد دام عصر الوحدة مع الموحدين أزيد من قرن عرفت بلاد المغرب والأندلس خلاله أزهى عصورها في كل الميادين السياسية والعسكرية والفكرية والعمرانية والحضارية.

وفي غمرة الانقسام الذي عمّ الامبراطورية الموحدية بعد أفول نجمها، قام بنو عبد الواد الزيانيون، عمّال الموحدين سابقاً في تلمسان، بتأسيس دولة في المغرب الأوسط استمرت ثلاثة قرون، ولو أنها ظلّت تُهاجَمُ باستمرار من طرف الحفصيين في تونس الذي استبدوا بدورهم بتلك المنطقة واعتبَروا أنفسهم ورثة الموحدين، ومن طرف المرينيين بفاس الذين حلت دولتهم محل دولة الموحدين. فكان الزيانيون يتبعون تارة هؤلاء وتارة أولئك، إلى أن تدهورت سلطتهم واحتل الإسبانيون بجاية والجزائر ووهران وغيرها واستنجد الأهالي بالمجاهدين التركيين عرّوج وخير الدين (باربروس) لتحرير الثغور المحتلة، فلم تمض سنوات معدودات حتى انتهى أمر بني عبد الواد وأصبحت الجزائر إيالة تركية تابعة للباب العالي (924 / 1518 م).

دخلت العلاقات المغربية الجزائرية لأول مرة مرحلة توتر وصراع عنيف لم يكن ليخف إلا في فترات قصيرة طيلة القرون الثلاثة التي ظلت فيها الجزائر خاضعة للأتراك. ذلك أن هؤلاء كانوا يُمنّون أنفسهم بامتلاك المغرب الأقصى الذي بقي وحده خازجاً عن نفوذهم بعد أن بسطت الخلافة العثمانية حكمها المباشر على سائر البلاد العربية. وتجب الإشارة إلى أن الجزائريين لم يكونوا طرفاً في هذا النزاع، وأن حدوداً اصطناعية أقيمت لأول مرة بين البلدين الشقيقين، لكنها مع ذلك لم تستطع أن تمنع الاتصال بين المغاربة والجزائريين أو أن تصدّ موجة الهجرة التي شملت أسراً علمية من وهران وتلمسان وتجمعات قروية كقبيلة بني عامر الدين التحقوا بالمغرب الأقصى في فترات مختلفة، استنكافاً من عنف الانكشارية.

وقد عمل الفرنسيون، منذ احتلالهم للجزائر سنة 1246/ 1830 م، على تقوية الحدود والسدود بين الجزائر والمغرب، لا سيما إثر الدعم القوي الذي تلقاه الأمير المجاهد عبد القادر الجزائري من المغرب حكومة وشعباً، وتمكّنه من تحرير غربي الجزائر وفصله عن فرنسا لسنوات عديدة. (انظر : الجزائري عبد القادر).

وبالرغم على فرض الحماية الفرنسية على المغرب واستمرار احتلال الجزائر فقد تمكن الوطنيون المغاربة والجزائريون من إعادة ربط صلات الأخوة والتعاون بين حركاتهم التحريرية السياسية والمقاومة المسلحة التي انتهت بانعتاق القطرين الشقيقين واستعادة الحرية والاستقلال.

إبراهيم، ابن الرقيق، *تاريخ افريقية والمغرب*، تح. ع. العلي الزيدان وآخر، بيروت، 1990 ؛ محمد التنسي، *تاريخ بني زيان ملوك تلمسان*، تح. محمود بوعياد، الجزائر، 1985 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء التاسع، الدار البيضاء، 1956 ؛ ع. الجيلالي، *تاريخ الجزائر العام*، بيروت، 1965 ؛ أ. توفيق المدني، *كتاب الجزائر*، الجزائر، 1350 ؛ *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا*، الجزائر د. ت ؛ ع. العزيز سالم، *المغرب الكبير*، الجزء الثاني، بيروت، 1981.

محمد حجي

* * من نافلة القول أن العلاقات بين المغرب والجزائر متعددة المناحي والتخصصات تستدعي بالتالي مقاربة علمية مناسبة. فمن زاوية علم السياسة الخارجية، فإن هذه العلاقات تبدو من خلال التبادل الدبلوماسي وعقد المعاهدات الدولية، وتعليق الأوفاق أي أن معالجتها تتطلب مقاربة تفكيكية Approche déconstructiviste كما أن البراديگم الدولتي "Paradigme étatique" هو النموذج الأمثل في مثل هذه الدراسة نظراً لواقعيته. فهو ينطلق من "محورية الدولة" "Centralité de l'Etat" القائمة على نظرية توازن القوى وهاجس السيادة الوطنية غير القابلة للتصرف أو للاختراق على حساب نظرية القوى العميقة "Forces profondes" التي نادى بها المؤرخ بيير رونوفان Pierre Renouvin.

إذا فحصنا الفترة التي تبدأ مع استقلال الجزائر، إلى اليوم، أي في فترة عقود ثلاثة، فإن النقد التحليلي النزيه

يكشف لنا عن جدلية التعاون والصراع، عن وجود دائرة الانفراج ثم التوتر بين دولتين جارتين تنتميان إلى نفس الأرومة وتنخرطان في مجموعة قيم حضارية Communauté de valeurs وتتقاسمان رصيداً نضالياً وتتطلعان إلى مستقبل مشترك في إطار اتحاد المغرب العربي. هذه العلاقات الأخوية تتجاذ بها إذن جدلية الاستمرارية والقطيعة وتكشف الدورة التاريخية التي فتحتها في حياة البلدين حصولهما على الاستقلال تبلور واقع كل دولة منفصل ومختلف. وهذا الواقع يطبع سلوك كل منهما في أموره الداخلية والخارجية. ولهذه السياسة الخارجية محددات وأولويات ودوائر تتسم بالاختلاف أكثر من التقاطع لديهما. ولعل النهج السياسي والاقتصادي الداخلي كان يفسر لعقود خلت هذا الأختلاف. كما أن استئثار الدولة - الوطنية - وخاصة في الجزائر - بمواقع صنع القرار السياسي تم للتعويض عن غياب الدولة كمفهوم محوري خلال الفترة الاستعمارية.

هذا التباين في المنظور السياسي، وهذا الواقع المنفصل والمختلف لا ينفيان وجود تقاطعات مع ذلك. بل إن هناك مرحلة شهدت فيها هذه العلاقات الثنائية ازدهارا عكسته العديد من الاتفاقيات المبرمة بين البلدين في العديد من المجالات، وكان مع تكون مؤشرة على وجود "وفاق" "Entente" و"تعايش" "Coexistence" بين دولتين جارتين. غير أن هناك متغيرات سرعان ما تعكر صفو هذه العلاقات وتأخذ وتيرة وأشكالا من التوتر والحرب الباردة وقد تذهب إلى حد الحرب الساخنة (كما وقع في حرب أكتوبر 1963 التي تعرف بحرب الرمال) أو بالحرب غير المباشرة عبر جماعات "البوليساريو" منذ عام 1976، التي تقدم لها الجزائر بسخاء دعما مطلقا وغطاء دبلوماسيا ومداً جيوستراتيجيا الخ. وذلك لمعاكسة المغرب في استرجاع صحرائه بالطرق الدولية المشروعة بدءا بحكم محكمة العدل الدولية الشهير يوم 15 أكتوبر 1975 التي أقرت بأن الصحراء ليست أرضا خلاء كما كانت تزعم اسبانيا، وأن ثمّة روابط البيعة التي تجمع السلطان برعاياه في الصحراء الغربية والبيعة لا تقل معنى عن السيادة في مفهوم القانون الدولي، ومروراً بمعاهدة مدريد التي أنهت الوجود الاستعماري في الصحراء، ونهاية بقررات هيئة الأمم المتحدة التي أوكل إليها بتنظيم الاستفتاء المرتقب والمؤجل لمرات عديدة. وإذا كانت الجزائر تؤيد ظاهرياً تطبيق هذا المبدأ فإنها في الواقع تعمد إلى عرقلته كما تكشف عن ذلك أعمال لجنة إثبات الهوية. والواقع أن موقفها ثابت لم يتغير وهو تطبيق مبدأ التوازن Principe d'équilibre أي انتهاج كل سياسية من شأنها أن تحرم المغرب من جذوره الإفريقية وإشعاعة في جنوب القارة، وذلك من منظور الواقعية السياسية الذي يوظف المبادئ لحساب المصالح.

هناك إذن جدلية الثابت والمتغير التي تحكم سلوك ووتيرة هذه العلاقات الثنائية، وهذا ما يفسر كون هذه العلاقات توصف في الغالب بأنها "عادية"، كما تكون بين الدول، أن أنها غير "استثنائية"، أو "متميزة" كما تصح بها قاموس العلاقات بين الدول.

ووصف العلاقات بين الجزائر والمغرب بأنها "عادية" جاء على لسان الوزير الأول الجزائري السيد أويحيى لدى زيارته لتونس يوم 22 / 12 / 1996. وهذا التعبير الدقيق يجسد حالة جوار جغرافي، طبيعته ميتة (راجع *شؤون مغربية*، الاقتصادية، علاقات عادية بين الجزائر والمغرب، العدد الحادي عشر يناير 1997، ص. 3).

وقد اعتاد المغرب والجزائر في الثلاثين سنة ونيف أن تكون بينهما حالة لا علاقات، فإن الحدود المقفلة منذ حادثة فندق أسني بمراكش في غشت 1994 كانت مقفلة أيضا في فترة مضت، وفتح تلك الحدود يعتبر استثناء وإقفالها هو الحالة العادية منذ خمسين سنة تقريبا (نفس المصدر، ص. 3).

هذا المشهد الذي يتأرجح بين فتح الحدود وإقفالها والمتزامن مع فترة إقامة علاقات عادية والدخول في فترة "اللاعلاقات" يؤثر على وتيرة الإنتاج الاتفاقي Production conventionnelle بين الدولتين ويفسر محدوديتها بل وتراجعها.

السؤال المطروح هنا ما هو الإطار القانوني المنظم لهذه العلاقات وما هي مميزاته ؟

إن مختلف الجوانب التي تجسّد علاقات التعاون بين الجزائر والمغرب تنظمها مجموعة من النصوص القانونية المتنوعة التي جاءت نتيجة العديد من اللقاءات والمحادثات على جميع الأصعدة. فتقنين هذه العلاقات جاء متزامناً مع زيارة الملك الحسن الثاني إلى الجزائر لأول مرة خلال الفترة الممتدة ما بين 13 و15 مارس 1963 صدر في أعقابها بيان مشترك يقضي بالشروع في المفاوضات بين المغرب والجزائر. كما تم خلالها التوقيع على مجموعة من المعاهدات المهمة، نذكر منها على سبيل المثال : اتفاقية الاستيطان Convention d'établissement، واتفاقية حول العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، واتفاقية حول المساعدة المتبادلة والتعاون القضائي، واتفاقية حول التعاون الإداري والتقني، إلى جانب اتفاقيات في المجال الثقافي والبريد والبحث الزراعي.

ومباشرة بعد هذا التوقيع عمد الطرفان إلى توقيع سلسلة جديدة من الاتفاقيات تمثلت في الاتفاق حول تكوين أعوان وأطر للصناعة والمعادن والطاقة، وآخر خاص بالنقل الجوي، إضافة إلى اتفاقيتين متعلقتين بالتعاون والمساعدة المتبادلة في ميادين الصناعة وتبادل بعض الرسائل.

ولم تنته هذه الفترة الأولى من وضع الإطار القانوني للعلاقات المغربية الجزائرية إلا في عام 1965 بتوقيع برتكول إضافي للاتفاقية التجارية والتعريفية الموقعة في

نونبر 1965. من المؤكد أن هذه المرحلة زاخرة بالعديد من المعاهدات القطاعية، من أبرزها الاتفاقية الدبلوماسية والقنصلية التي تنص على أن يقوم البلدان بدراسة المشاكل المطروحة أو التي تعترض علاقتهما، ويجتمعان دوريا لاتخاذ مواقف موحدة في ميدان السياسة الخارجية "Positions communes en matière de politique étrangère" على صعيد المنظمات الدولية، وأن يبتعيد كل طرف عن اتباع سياسة أو إبرام اتفاقية تتعارض ومصالح الطرف الآخر؛ وأن يقوم كل بلد بتمثيل مصالح البد الآخر دبلوماسيا أو قنصليا إذا ما طلب منه ذلك، وأن يتشاور الجانبان فيما يتعلق بتوزيع تمثيلهما الدبلوماسي أو القنصلي بالخارج.

وتلت هذه المرحلة التي تعد فترة زاهية في عهد العلاقات الدبلومسية مرحلة ثانية دشنت في عام 1969 بعد أن ظهرت لدى الطرفين الرغبة المشتركة في الرقي بها إلى مستوى أحسن، وذلك بمحاولة تجاوز الخلافات الثنائية الناتجة أساسا عن النزاع الحدودي، وقد انطلقت هذه المرحلة من الناحية الفعلية بزيارة الرئيس هواري بومدين للمغرب في يناير من نفس السنة حيث وقع الجانبان المغربي والجزائري ابتداء من هذه المناسبة، وإلى حدود عام 1973 العديد من الاتفاقيات والبرتكولات دعمت مسيرة البلدين فيما يتعلق بتقنين وتوسيع العلاقات الثنائية. توصل الطرفان خلال عام 1969 إلى توقيع معاهدة الأخوة وحسن الجوار لمدة عشرين سنة، وهي تنص على إرساء سلم دائم وصداقة متينة وحوار مستمر بين البلدين، ودعم العلاقات المشتركة في جميع الميادين قصد تطوير التعاون لمصلحتهما. وبمقتضى الفصل الخامس من هذه الاتفاقية الأساسية "يتعهد الطرفان بعدم الانخراط في أي حلف أو تحالف موجه ضد أحدهما" كما يتعهدان أيضا بحل جميع القضايا المعلقة بواسطة لجان ثنائية أو بوسائل ملائمة.

وقد تم الاحتفال بمرور عشرين سنة على إبرام هذه المعاهدة خلال زيارة الرئيس الجزائري الشادلي بن جديد إلى المغرب في يناير 1989.

إلى جانب هذه الاتفاقية - الأساس تمّ إبرام العديد من الاتفاقيات القطاعية كتلك التي تهم الخزينة العامة المغربية ونظيرتها الجزائرية، وتلك المعاهدة المبرمة في عام 1971 حول المساعدة المتبادلة في الميدان الإداري بهدف زجر المخالفات الجمركية وبرتكول إضافي للاتفاقية التجارية والتعريفية إضافة إلى بعض المحاضر الصادرة عن اللجنة المختلطة المغربية الجزائرية. وخلال عام 1972 وقع البلدان برتكولا إضافيا آخر للاتفاقية التجارية والتعريفية المبرمة عام 1964، واتفاقية لرسم الحدود بين البلدين، وأخرى تتعلق بالاستغلال المشترك لمنجم الحديد الموجود في غارة جبيلات، واتفاقية متعلقة بإنشاء شركة للبناء والاستغلال المشترك لمعمل الاسمنت بمدينة وجدة. وقد اختتمت فترة السبعينات بتوقيع اتفاقية تجارية وتعريفية جديدة في عام 1973.

والملاحظ أن هذه المرحلة الغنية بإبرام معاهدات ثنائية ذات شأن كبير في رسم علاقات الدولتين وحسم خلافهما الحدودي جاءت نتيجة رغبة قائدي البلدين في تصفية المشاكل العالقة بينهما. وهذا يفسر توالي الزيارات الرسمية وتوقيع العديد من الأوفاق في مختلف القطاعات، غير أنه سرعان ما سوف تخبو وتيرة التعاون ويسود الجفاء والقطيعة الدبلوماسية في المرحلة الثالثة التي تزامنت مع موقف الجزائر من استرجاع المغرب لصحرائه المغتصبة. وقد ظهر هذا الموقف العدائي منذ انطلاق المسيرة الخضراء في 6 نونبر 1975 أمام مجلس الأمن الدولي، وتجلى بوضوح من خلال اعتراف الجزائر بالجمهورية الصحراوية ضداً على الشرعية الدولية وتناقضا مع مبدأ الاستفتاء حيث لا يمكن استباق النتائج قبل تنظيم الاستفتاء، ومن العبث إذن الاعتراف بدولة لا تتوفر على مقوماتها الضرورية.

ثم عادت الحدود إلى الإقفال بعد طرد المواطنين المغاربة المقيمين في الجزائر في عام 1977 لخلق أوضاع اقتصادية والانتقام من المغرب. وظلت القطيعة سائدة من عام 1976 إلى مايو 1988 تاريخ استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في أعقاب عقد مؤتمر القمة العربي في الجزائر. وكانت المناسبة سانحة لعقد لقاء بين الملك الحسن الثاني والرئيس السابق بن جديد ومؤشراً على إعطاء ديناميكية للعلاقات الثنائية توجت بتوقيع عدد من الاتفاقيات والبرتكولات وباجتماع اللجان المختلطة لإعادة الروح إلى الاتفاقات السابقة التي تعطلت بتأثير الجمود السياسي الذي طبع علاقات البلدين: من أهم ما تم التوقيع عليه البرتكول الخاص بدراسة وبناء أنبوب الغاز الطبيعي "المغرب العربي - أوربا" في يبراير 1989 واتفاقية في الميدان الإعلامي واتفاقية تجارية وتعريفية وأخرى بإنشاء لجنة مختلطة كبرى واتفاقية حول إلغاء ازدواجية الضرائب.

والملاحظ أن بداية عقد السبعينات عرف إبرام عدد من الاتفاقيات في مجال التعاون الإداري المتبادل لزجر المخالفات الجمركية؛ وفي مجال التعاون التجاري...

ومن جرد سريع لمجمل هذه الارفاق الثنائية التي تمثل الإطار القانوني للعلاقات بين البلدين، نسجل أن عددها يزيد على المائة موزعة بين اتفاقيات وبرتكولات ومحاضر اجتماع للجان المختلطة وبلاغات مشتركة ورسائل تبادل وبرامج تنفيذية. وكلها تعبر عن التزام الدولتين بما تتضمنه من مقتضيات وتخضع للقانون الدولي وفق ما تحكمه معاهدة فيينا للمعاهدات الدولية لعام 1969.

لهذا الإطار العام مميزات نود الإشارة إليها في عجالة.

تكمن هذه المميزات في نوعها وتطبيقها والهدف المنشود منها.

أولا : من حيث النوع، فإن الإطار الذي يحكم هذه العلاقات ينقسم إلى ستة أنواع :

1 ـ ثلاثة وثلاثون اتفاقية أو اتفاق.

2 ـ عشرة برتكولات اتفاق أو ملاحق أو إضافات.

3 ـ أربعة بلاغات مشتركة.

4 ـ ثماني تبادل رسائل.

5 ـ ستة وثلاثون محضر اجتماع اللجن المختلطة الكبرى أو المتخصصة.

6 ـ ثمانية برامج تنفيذية.

إلا أن محاضر الاجتماع 35٪ من العدد الإجمالي والاتفاقيات 32٪ من مجموع النصوص تمثل أغلبية ثلثي النصوص المبرمة بين الطرفين. وإذا كان صنف "محاضر الاجتماع" هو السائد فمردّ ذلك إلى ما شهدته الساحة من محادثات ومفاوضات، فإن وفرة الاتفاقيات يمكن إرجاعها إلى مؤشر على الدفع بالعلاقات الثنائية إلى ما يطمح إليه البلدان من توثيق عرى التعاون والتضامن.

ثانيا : من حيث التطبيق، تنقسم هذه النصوص إلى إلى أصناف ثلاثة يمكن إجمالها كالتالي :

1) صنف من النصوص يدخل حيز التنفيذ بمجرد التوقيع عليه بناء على تنقية الشكل المبسط Accord en forme simple، والتي ليست في حاجة إلى اتباع مسطرة التصديق. ومن بين هذه النصوص نجد محاضر الاجتماعات، والإعلانات المشتركة، والبرامج وبعض الاتفاقيات التي تنص على هذا الشرط. مثال ذلك الفصل الثامن من الاتفاقية الجمركية والتعريفية الموقعة بين المغرب والجزائر بالرباط في نونبر 1963.

2) صنف النصوص التي دخلت إلى حير التطبيق المؤقت Application provisoire، كما هو الشأن بالنسبة للاتفاق المتعلق بإحداث لجنة مختلطة مغربية جزائرية للتعاون الاقتصادي والثقافي والعلمي المبرم بالجزائر يوم 23 أبريل 1963، وهذا النوع من النصوص ينفذ بمجرد التوقيع عنه..

3) صنف النصوص التي لا يمكن تنفيذها إلا بعد تبادل وثائق التصديق Echange des instruments de ratification أو نشرها في الجريدة الرسمية، أو بعد المصادقة عليها حسب المقتضيات الدستورية لكلا البلدين. نذكر منها على سبيل المثال "معاهدة الأخوة وحسن الجوار والتعاون" المبرمة بين البلدين بتاريخ 15 يناير 1969، والمعاهدة المتعلقة برسم الحدود الموقعة بالرباط يوم 15 يونيه 1972. وقد تبادل الطرفان وثائق التصديق عليها بالجزائر يوم 15 يونيه 1989 لتدخل بذلك في حيز التنفيذ واضعة بذلك تسوية لمشكل الحدود. والمصادقة المغربية تأتي – كما قال جلالة الملك في خطاب العرش يوم 3 مارس 1989 – بعد أن زالت كل المعوقات التي كانت تحول دون مبادرة المغرب بالمصادقة على هذه المعاهدة التي سبق للجزائر أن صادقت عليها ونشرتها بالجريدة الرسمية. أما اتفاقية استغلال منجم حديد كارة جبيلات التي تم التوقيع عليها في عام 1972 فإنها لم يتم تبادل وثائق التصديق عليها كما كان مقرراً.

ثالثا : من حيث الهدف الحقيقي من هذه النصوص :

إن الغرض من وضع إطار قانوني لهذه العلاقات الثنائية جاء ليؤكد الرغبة في إظهار حسن النوايا من الطرفين المتعاقدين، غير أن الواقع يكشف أن إبرام هذه المعاهدات ـ إذا استثنينا المرحلة الأولى ـ جاءت لتجاوز أزمة حادة في العلاقات الثنائية. كما أن المصادقة على العديد منها يأتي متأخراً.

ويرى بعض المحللين أن كمّ هذه الاتفاقيات لا يمثل قوة بل بالعكس يشكل ضعفا إلى جانب كونها ذات مضمون عام وغير محدد، الشيء الذي لم تسفر عنه نتائج ملموسة، وسيدفع بالجانبين إلى الاهتداء بأسس تفاهم ذات طبيعة اقتصادية في إطار مغاربي.

إن الدبلوماسية المتعددة الأطراف Diplomatie multilatérale المبنية على أساس إحياء مشروع المغرب العربي تستخدم في فترة الأزمة التي تمر بها العلاقات المغربية الجزائرية كأسلوب بديل للدبلوماسية الثنائية Diplomatie bilatérale. غير أن هذه الصيغة تظل مع ذلك استثنائية أو بعبارة أدق "احتياطية". إذا علمنا أن حصيلة الاتفاقيات المبرمة داخل هذا الإطار المؤسساتي النافدة لا تزيد على خمس من ضمن خمس وثلاثين اتفاقية تختلف موضوعاتها وتتباين إجراءاتها، مما يشكك في قدرة أداء هذه المجموعة الإقليمية لوظيفتها. ومن الجليّ أنها تتأثر سلباً أو إيجاباً بالعلاقات القائمة بين أطرافها وخاصة منها العلاقات المغربية الجزائرية التي تمثل قطب الرحى في هذا التجمع.

*نصوص المعاهدات والاتفاقيات* المشار إليها داخل النص.

عبد القادر القادري

**الجزائري،** أبو **بكر** بن عبد الوهاب العلوي الطنجي، ترجمان مقتدر وصحافي شهير. ولد بقسنطينة بالجزائر حوالي عام 1287 / 1870، وتلقى تعليمه العربي والفرنسي بعاصمة الجزائر، وعُين هناك "بَاشْ عدل". ثم انتقل إلى مدينة طنجة هو وأسرته فاستقرّ بها ثلاثة أعوام قبل أن يتوجه إلى برلين ليشغل منصب أستاذ اللغة العربية بإحدى كلياتها، واستمر في عمله هذا نحو عشرة أعوام. وحضر سنة 1906 مؤتمر الجزيرة الخضراء بصفته ترجمان الوفد المغربي. وعرضت عليه الحكومة المغربية منصباً فقبله ورجع إلى طنجة حيث عين نائب مندوب الجلالة الشريفة في شركة التبغ بطنجة.

وأثناء الحرب العظمى الأولى (1914 ـ 1918) أُلقي عليه القبض هو وزوجته الألمانية وأولاده منها وسيقوا إلى السجن لأفكاره السياسية الوطنية التي اشتهر بها، ثم

أفرج عنهم بعد انتهاء الحرب وأُلزم بالإقامة الجبرية بمدينة سلا، فاستقر بها أعواماً يعيش مع معارفه السلاويين في جو من المحبة والتقدير، وتعرفت إليه في تلك الحقبة من الزمن، إذ كان يزور منزلنا بسلا لصداقته لشقيقي عبد اللطيف الصبيحي ـ رحمهما الله ـ.

وعرفت فيه الرجل المهيب العالم الأديب الغيور على بلاده وعروبته، فكانت الشخصيات المرموقة بسلا تتشوف إلى الاجتماع معه والتمتع بحديثه الشيق المفيد، وهو لايلبي إلا استدعاء مَن يُوافقه في طبعه وميوله ومبادئه.

وعلاوة على ثقافته العربية والألمانية الواسعة وحفظه لغُرر الأدب والشعر النفيس فإنه كان يحسن الضرب على العود ويهوى الموسيقى العربية ـ ذا شمم وعلو همة تكاد تحسبه أميراً إذا أقبل في زيّه العربي وهندامه الأنيق، لا يضيره شئ إلا ما كان عليه من قلة ذات اليد مع كثرة الأولاد.

ثم انتهت مدة إقامته بسلا فأُذن له بالرجوع لطنجة ورُدت إليه دارُه بعد رفع الثقاف عن الأملاك الألمانية أو التي هي على ملك من كان يتمتع بحماية الألمان أو داخلا في معناها، فجاء يودع أخي، وأذكر أنه كتب على ورقة مستطيلة بالرصاص : لا إله إلا الله مُحمد رسول الله. وقسم الورقة شطرين، أمسك الشطر الأول وأعطانا الشطر الثاني، ثم انصرف. وبلغني عن طريق صهره بطنجة أخيراً وهو الفاضل صاحب الطابع التونسي، أنه بعد رجوعه لطنجة فتح مكتب مدافع، ثم أسس صحيفة عربية أسبوعية سماها : *إظهار الحق*، وكان هو محررها.

وتوفي رحمه الله بطنجة يوم الاثنين 22 ذي القعدة عام 1348 / 21 أبريل 1930.

أبو بكر الصبيحي، *مختصر تاريخ سلا*، مخطوط المؤلف في خ. ص.

أبو بكر الصبيحي

**الجزائري، بلقاسم** بن العربي عشاش، أحد التراجمة الجزائريين الذين دخلوا المغرب بعد توقيع معاهدة الحماية وكان في العشرينات ترجماناً في بلدية سلا إلى جانب المراقب المدني جان كوستي مؤلف كتاب *Les grandes familles indigènes de Salé*.

وقد نقل بلقاسم عشاش هذا الكتاب إلى اللغة العربية بدون عنوان، وأهداه باسمه إلى باشا سلا الحاج محمد الصبيحي (الصفحة الأولى من النص المترجم بخط عشاش نفسه) وقد تمت الترجمة بعد نحو سنة من انتهاء مؤلفه الفرنسي من تحريره في 3 يناير 1925. (انتهاء الترجمة في فاتح شعبان عام 1344 / 14 فبراير 1926). وأضاف المترجم باباً رابعاً سماه الخاتمة بعد الأبواب الثلاثة التي بنى عليها المؤلف كوستي كتابه، وفيه يظهر نبل عشاش وغيرته واعتزازه بالحضارة العربية الإسلامية حيث قدم إلى الشبيبة السلوية نصائح قيمة للإقبال على التعليم واتخاذ السلف الصالح قدوة وعدم الاغترار بمظاهر الحضارة الغربية وتقليدها تقليداً أعمى.

وقد حققت الأستاذة نجاة المريني *بيوتات مدينة سلا* ووضعت له تعليقات وملاحظات ونشرته الخزانة العلمية الصبيحية سنة 1989.

توفي بلقاسم عشاش خلال الأربعينات في حدود عام 1360 / 1941.

ب. عشاش نفسه، *بيوتات مدينة سلا* (الاهداء والخاتمة) ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1 : 36 ؛ م. حجي، *فهرس مخطوطات الخزانة العلمية الصبيحية*، ص. 425 ؛ ن. المريني، *بيوتات مدينة سلا*، التقديم، ص. 3ـ17.

محمد حجي

**الجزائري، عبد القادر** (الأمير ـ) بن محيي الدين. مقاوم شهير للاستغمار الفرنسي.

1 ـ تمثل مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري (1248 ـ 1263/ 1832 ـ 1847) لحظة تاريخية هامة في التاريخ المغاربي المعاصر، وذلك من أوجه ثلاثة : فإلى جانب نوعية التحدي الاستعماري الذي فجّر المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير، هناك الرهان المغاربي الذي انطوت عليه، وحيوية الطاقات الجهادية التي استندت إليها.

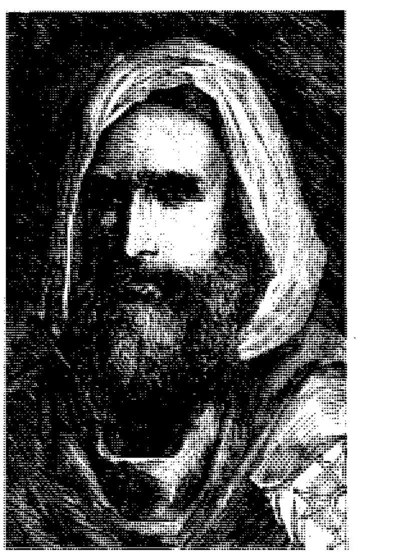

أما نوعية التحدي الاستعماري، فتستمد مقوماتها من طبيعة واتجاه الحملة العسكرية الفرنسية التي بدأت باحتلال الجزائر العاصمة (13 محرم عام 1246 / 4 يوليوز 1830) وتواصلت بغزو متذبذب للبلاد الجزائرية عامة (1246 ـ 1253 / 1830 ـ 1837)، وانتهت بمشروع الاحتلال العسكري الشامل والدائم للجزائر (1254 ـ 1263 / 1838 ـ 1847).

وأمام بسالة الجزائريين في المقاومة وعبقرية الأمير في تدبير القيادة السياسية والعسكرية لها ،وظفت الدولة الغازية كل أسباب القوة العسكرية، رجالاً وعتادا، مما

تتوفر عليه لتدمير الدولة الجزائرية الفتية، في مرحلة أولى (1255 ـ 1257 / 1839 ـ 1841) وتدمير مقومات الصمود بل الوجود للشعب الجزائري، في مرحلة ثانية : سياسة الأرض المحروقة التي انتهجها بيجو Bugeaud سنوات (1255 ـ 1257 / 1841 ـ 1846). كتب أحد ضباط الجنرال بيجو لتبرير أعمال التدمير : "يجب أن نهاجمهم (أي الجزائريين) في صميم الممتلكات المنقولة وفي حصاد زروع القبائل لإرغامهم على الخضوع. إن حضارة أفضل تمنح لهذه البلاد يجب أن تكون تبريراً (لهذه الأفعال) في نظر الإنسانية، كما تكون تبريراً، آمل ذلك، عند الله".

وإزاء هذا التحدي الاستعماري، في بعده الجزائري خصوصاً وفي أبعاده الإقليمية عموماً، وفي مستهدفاته السياسية والدينية والحضارية للأقطار المغاربية بصفة أعم، فقد أمسى التضامن المغاربي لمواجهة الأخطار المحدقة، رهاناً دقيقاً لاستمرار المقاومة الجزائرية، بقيادة الأمير عبد القادر، وشرطاً حيوياً لدعم صمودها.

وتشكل معطيات التضامن المغربي، دولة وشعبا، مع المقاومة الجزائرية على مدى فترة المواجهة العسكرية للاحتلال (1246 ـ 1263 / 1830 ـ 1847)، فصلاً تاريخياً حافلاً، ما يزال مجهولاً في تفاصيله، وفي تقدير مستوياته الكمية (إمدادات السلاح / المئونة / الرجال) وفي تقييم عناصره المعنوية (الدعم السياسي / الإسناد المعنوي / التعبئة الشعبية إلخ..)

وتجمع المصادر الفرنسية التي رصدت بشكل دقيق مسار الدعم المغربي لحركة المقاومة الجزائرية، كما وكيفا، على أن نهوض واستمرار هذه المقاومة ظل متناسباً طردياً مع حركة الدعم المغربي هذه. فقد واصل السلطان عبد الرحمان دعمه للأمير عبد القادر بكيفية مستمرة وكثيفة إلى حدود عام 1259 / 1843، معبئا في ذلك مجهوداً مالياً وعينياً، كانت له انعكاسات عميقة على خزينة الدولة.

وبعد فترة نكوص قصيرة، صادفت لجوء الأمير إلى منطقة الحدود الشرقية للمغرب، على إثر الحملات الهجومية التي قادها بيجو، منذ سنة 1257 / 1841، استؤنفت حركة الدعم، بأشكال مختلفة، طغى عليها الجانب الشعبي، إلى حدود عام 1263 / 1847.

وفي غمرة هذا التضامن المغربي ـ الجزائري في مواجهة الاحتلال الفرنسي، تفجرت مكامن القوة الذاتية وانكشفت حيوية الطاقات الكفاحية التي تزخر بها الشعوب المغاربية، وتجد طريقها إلى الفعل والإنجاز عندما يتعلق الأمر بالدفاع عن العقيدة وحماية الكيان ومواجهة العدوان.

2 ـ وتشكل تجربة الأمير عبد القادر الجزائري (1223 ـ 1300 / 1808 ـ 1883) نموذجا حيا يمكن أن تتمخض عنه لحظة تاريخية حاسمة مثل تلك التي تفاعلت فيها إرادة المقاومة لدى الشعب مع عبقرية رجال أفذاذ في صورة الأمير عبد القادر. فقد استلم الأمير عبد القادر مشعل المقاومة من أبيه محيي الدين، في ظل ظروف عصيبة، اتسمت بثلاث سمات رئيسية :

أُولاها : فشل محاولات السلطان مولاي عبد الرحمان من أجل تأطير وقنونة المقاومة الجزائرية في الإقليم الوهراني بالرغم من المجهودات التي بذلها منذ أن قرر الاستجابة لطلب النجدة الجزائرية والقبول ببيعة أهل تلمسان. ولقد كان لتصرف جيش الأودايا، أثناء حملة تلمسان الأولى، بقيادة الأمير مولاي علي، وفشل الحملة الثانية بقيادة ابن العمري في تقويم الوضع وهيكلة حركة المقاومة ـ أبلغ الأثر في نفوس الجزائريين وفي نفس السلطان على السواء. ولقد اقتنع مولاي عبد الرحمان، على ضوء نتائج هاتين الحملتين، بأن تدخلاً مغربياً مباشراً لمقاومة الغزو الفرنسي للجزائر لم يكن متاحاً بسبب فشل المحاولتين، ولا مناسباً بسبب الضغط الفرنسي على المغرب.

ثانيها : تصاعد القمع والاضطهاد اللذين مارسهما الجنرال بوايبي في الإقليم الوهراني عقب جلاء القوات المغربية عن المنطقة، إذ ما انفك يردد هذا الجنرال : "إن أفضل لغة مع هؤلاء القوم هي إنزال الضربات القاضية التي تفزع وترهب". وبفضل سياسة ومنهجية القتل، بدون محاكمة، التي اتبعها مع المشبوه فيهم من الجزائريين، فقد ساد جو مثقل من الرعب والفزع في وسط الجزائريين.

ثالثها : انعدام عنصر الوحدة والاتساق في مقاومة الجزائريين للغزو والاحتلال، وذلك في غياب قطب سياسي كفيل باستقطاب المقاومات المتفرقة وتعبئة القوات الحية، من جهة، وفي عدم توفر مركز موحد للقرار يتولى اصدار التوجيهات المشتركة، واتخاذ القرارات الموحدة، من جهة أخرى. وفي ظل هذه الشروط المحبطة، حاول محيي الدين، الذي كان يحظى باحترام وتقدير عدد من القبائل الوهرانية وخاصة قبائل جشم وبني عامر، باعتباره مقدما للزاوية القادرية ذات النفوذ الواسع بالجزائر ـ حاول قيادة حركة المقاومة.

بيد أن سن الرجل، من جانب، ومحدودية قدراته العسكرية، من جانب آخر، حالا دون تمكنه من قيادة حركة المقاومة بما يتطلبه الموقف من حركية وحيوية وفعالية.

ويبدو أن فشل محاولاته لاقتحام مدينة وهران، بالرغم من انخراط اثنتين وثلاثين قبيلة جزائرية في حركية جهادية، بلغ تعداد المجندين من صفوفها نحو 12.000 رجلاً، أقنعته بضرورة تسليم مشعل القيادة وترشيح أصغر أبنائه، عبد القادر، لرئاسة حركة المقاومة.

ويبدو أن القبائل الجزائرية الملتفة حول زعامة الشيخ محيي الدين، قد صادقت بكيفية جماعية وحماسية، خلال الاجتماع الذي عقدته في سهل اغريس، يوم 28 جمادى الثانية عام 1248 / 22 نونبر 1832، على تعيين عبد القادر أميراً للجهاد، خلفاً لأبيه. ومما لاشك فيه، أن الخصال

النادرة التي جمعها شخص الأمير الشاب (24 سنة) قد استقطبت إجماع القبائل المجاهدة. فقد كان عبد القادر معروفاً بحزمه في العمل بروح ونص القرآن والحديث، صارما في تطبيق تعاليم الدين. "وكان الأمير يصرح بدون تردد : سوف أحكم والكتاب في يدي، وإذا اقتضى الكتاب بأن أجهز على عنق أخي بذبحه فلسوف أقدم على ذلك بنفسي".

وعلى امتداد حياته الجهادية لم يحد الأمير قيد أنملة على هذا النهج الصارم في الحكم بين الناس وتدبير قضاياهم. وإلى جانب كونه رجل عقيدة ومبدأ، فقد كان الأمير صاحب جرأة في المواجهة وشجاعة في النضال، كان يتصدر المجاهدين في الإجهاز على العدو ويتقدم الصفوف في الاشتباك، غير مبال بمصيره الشخصي ولامكترث بمخاطر الاقتحام. وقد حدث أكثر من مرة أن سقط جواده من تحته، صريعاً تحت وابل الرصاص، فكان الأمير يمتطي، بخفة وجرأة، حصانا آخر ويواصل القتال.

وإلى جانب هذه الشجاعة النادرة في الجهاد التي أكسبته حنكة لا تعادلها حنكة في فن القتال والاقتحام، فقد كانت مواهب الأمير في تخطيط وتدبير المعارك وفي ابتكار أساليب الهجوم والتفنن في أصناف الكر والفر، وإرهاق الخصم وإرباك صفوفه، على كثرة عددها ووفرة عتادها، ما جعله يؤسس لنمط جديد في علوم الحرب، وهو نمط حرب العصابات الذي ستاخذه عنه كافة الحركات التحريرية، ابتداء من محمد بن عبد الكريم إلى حركة التحرير الجزائرية.

ولكن عبقرية الأمير عبد القادر تأخذ أبعادا أخرى، عندما نتأمل حركته الجهادية في ظل المشروع المجتمعي الذي أطر هذه الحركة وأمدها بأبعادها الحقيقية، فقد اتجه الأمير، منذ تقلده إمارة الجهاد، إلى جعل حركة المقاومة ضد الغزو والاحتلال أداة لبناء كيان جزائري متماسك، كما دأب على توظيف مقومات هذا الكيان الناشئ في دعم وتوسيع حركة المقاومة الوطنية. وفي ظل هذه الجدلية الحية بين المقاومة والإنشاء، بين الجهاد وتحديث الدولة، تكمن عبقرية الرجل، ويمتد بعد نظره.

وهكذا، فقد واكب المرحلة الأولى في مسار المقاومة الجزائرية، وهي مرحلة صعود (1247 . 1253 / 1832 . 1837)، جهد إنشائي في مجال بناء كيان وطني جزائري، علي أنقاض الكيان التركي المنهار، فقد وظف الأمير الانتصارات التي حققها ضد الجيش الفرنسي، خلال هذه المرحلة، في توحيد القبائل وقطع دابر الزعامات التقليدية وقمع المتنطعين وصهر فعاليات المجتمع الجزائري، السياسية منها والدينية في إطار وحدة وطنية متماسكة، من بجاية إلى تلمسان، ومن عين مهدى إلى تنس.

كما شهدت المرحلة الثانية في مسار مقاومته (1254 . 1256 / 1838 . 1840)، وهي مرحلة توطيد للمجال الترابي المحرر، إقبال الأمير علي إقامة وتدعيم أسس دولة حديثة. فقد استثمر اتفاقية تافنا (26 صفر عام 1253 / 30 مايه 1837) التي اعترفت بسيادته على نحو ثلثي التراب الجزائري، من أجل تنظيم الإدارة والجيش والجباية والعدل وسك عملة وطنية، وإحكام تقسيم وتنظيم المجال الترابي وإحداث بعض الصناعات الحربية وتنظيم اقتصاد حرب، وهي كلها أسس ومقومات استهدفت بناء دولة جزائرية حديثة، تستلهم روح العصر وتتجه إلى تأصيل مقوماته واستيعاب مستجداته.

ولئن كانت الصعوبات التي عرفتها حركة المقاومة الجزائرية، خلال المرحلة الثالثة من مسارها (1257 . 1260 / 1841 . 1844) قد قلصت، إلى حدّ ما، الهامش المتاح في مجال الإنشاء والتنظيم، فإن حيوية البنيات الدولتية المنشأة وقدرتها على التكيف مع شروط الجهاد والمقاومة، قد مكنتها من الثبات والصمود، لم تتمكن استراتيجية الجنرال بيجو لتدمير الدولة والمجتمع الجزائريين، معا، من اجتثات جذورها الممتدة في أعماق البلاد.

بل سرعان ما تستعيد حركيتها وتجدد وظيفيتها بمجرد مايستعيد الأمير روح المبادرة في القتال. وهذا ما حدث فعلاً، خلال المرحلة الرابعة والأخيرة، في مسار حركة المقاومة (1261 . 1262 / 1845 . 1846) وهي مرحلة تصعيد ومحاولة استعادة الأخذ بزمام المبادأة.

3 . بيد أن إصرار الدولة الغازية على إنهاء وتوطيد احتلال الجزائر وتعبئتها لقوات عسكرية وآليات حربية ضخمة (بلغت علاقة القوى العسكرية بين الطرفين 1 إلى 15) بقيادة بيجو، للقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر . قد أفضى بالأخير إلى الالتجاء بدائرته، مرة أخرى، إلى شرق المغرب (1263 . 1264 نهاية 1846 . نهاية 1847)، كما فعل، سابقاً، في منعطف عام 1259 . 1260 / 1843 . 1844.

ولكن وضع المغرب، خلال هذا الظرف العصيب (1263 . 1264 / 1844 . 1847)، لم يكن يسمح للسلطان مولاي عبد الرحمان، باحتضان الأمير، في المنطقة الشمالية . الشرقية (الريف / المغرب الشرقي) للبلاد، والتغاضي عن مبادراته السياسية والعسكرية بها. فالبلاد كانت ماتزال تحت صدمة هزيمة معركة إيسلي (29 رجب عام 1260 / 14 غشت 1844) التي خاضها المغرب ضد القوات الفرنسية، ثمنا لانخراطه التام في دعم المقاومة الجزائرية. وكانت الضغوط الدبلوماسية الفرنسية، المشفوعة بالتهديدات العسكرية، قد بلغت أوجها لإرغام السلطان على تنفيذ مقتضيات الفصل الرابع من معاهدة السلم (شعبان . رمضان عام 1260 / شتنبر 1844)، بصدد تجميد حركة الأمير أوطرده خارج المغرب.

كما أن نشاط الأمير في الريف والمغرب الشرقي، واتساع دائرة انخراط القبائل الريفية والشرقية (بني

إزناسن، أنگاد، الأحلاف، قلعية، بني توزين، المطالسة إلخ) في تأييد حركته قد أثار شكوك السلطان حول نواياه الحقيقية فضلاً عما يترتب عن ذلك النشاط من انعكاسات سلبية على سلطة الدولة المغربية وهيبتها بالنسبة لجزء كبير من ترابها.

وقد تظافرت هذه العوامل مجتمعة لإحداث شرخ عميق، سياسي ونفسي، في علاقة السلطان بالأمير، أدت في نهاية المطاف إلى سعي مولاي عبد الرحمان إلى إخراج عبد القادر من التراب المغربي ثم اضطراره إلى محاربته وطرده، الأمر الذي أفضى إلى استسلامه للسلطات العسكرية الفرنسية على الحدود المغربية الوهرانية (محرم 1264 / دسمبر 1847).

وفي ظل هذه المفارقة الدرامية التي طالت هذا الفصل المُشرق في حركة التضامن المغربي - الجزائري لمواجهة المد الاستعماري، في منتصف القرن الماضي، يبدو من العسير إصدار حكم تاريخي فاصل لصالح هذا الطرف أو ذاك، في شأن مواجهة متطلبات الظرف القائم آنذاك، والتعامل مع معطياته الموضوعية وحقائقه العنيدة.

فموقف الأمير عبد القادر، من موقعه الجهادي - النضالي، يظل موقفا مشروعا في إصراره على مواصلة الجهاد ومطالبته بتواصل التضامن الإسلامي، عموماً واستمرارية الانخراط المغربي في مجهود المقاومة والتحرير بصفة خاصة. ويستمد هذا الموقف المبدئي مبرراته من ازدواجية المشروعية التي أسست وأطرت مقاومته: المشروعية الجهادية التي أضحت شرعية بحكم الفتاوي الفقهية الصادرة في الموضوع، من المغرب (فتوى الفقيه التسولي عام 1253 - 1837) إلى المشرق (فتوى الشيخ عليش مصر) من جهة، والمشروعية السياسية التي استمدها الأمير من سلطان المغرب، الذي عضد مشروعه الجهادي، وزكى حركته النضالية من جهة أخرى حيث خاطبه: "مَجَّد الله الذي جعل منك درعا للإسلام والمسلمين، وقيضك للجهاد في هذا العصر وأسدل عليك رداء عنايته. كن موقنا بنصر الله وثق بتحقيق وعده ولاتنزعج بالأقاويل الفارغة التي يرددها عدو الله عن طريق شياطينه عن كثرة عدده وعدته (..) فلا تهن ولاتستكن فإنك منتصر ولا محالة ..." (ترجمة النص الفرنسي، لرسالة بعث بها السلطان مولاي عبد الرحمان إلى الأمير بتاريخ 17 محرم عام 1256 / 21 مارس 1840 (وثائق الخارجية الفرنسية). هكذا ظل السلطان يدعم الأمير ويشد في عضده. لكن موقف السلطان، اعتبارا لموقعه السياسي، يظل موقفا مفهوماً ومسؤولاً على ضوء موازين القوى ما بين حركة المقاومة، من جانب، وحركة المد الاستعماري، في اندفاعه وعنفوانه، من جهة أخرى. ذلك أن انحسار حركة المقاومة الجزائرية أمام ضخامة وقوة الحشد العسكري الفرنسي، منذ سنة 1257 / 1841، من جهة، وانهيار قوة الردع المغربي، عقب هزيمة إسلي (رجب - شعبان 1260 / غشت 1844) من جهة أخرى، قد أقنع السلطان بضرورة التزام موقف واقعي يروم معالجة شروط الخاص (الموضع الجزائري) من منظور توفير شروط الحفاظ على مصلحة العام. وهذا هو معنى قول صاحب *الاستقصا* في تبرير تغير موقف السلطان من الأمير: "إلا أن ضرر الحاج عبد القادر للفرنسيين كان مقصوراً على قتل النفوس واستلاب الأموال، وأما الفرنسيس فكان ضرره بالمسلمين عائداً على تملك بلادهم وتنقصها من أطرافها، ودام ذلك مدة من ست عشرة سنة" (ص. 44). وفي منشأ هذه المفارقة الدرامية ما بين الموقف المبدئي المشروع للأمير عبد القادر والموقف السياسي الواقعي للسلطان عبد الرحمان، يكمن التدخل الأجنبي - الفرنسي الذي حاول فصم عرى كل الروابط المغاربية، وفي مقدمتها الروابط السياسية والأواصر التضامنية.

ومهما يكن، فإن شخصية الأمير، المتعددة الأبعاد، ودوره الحاسم في تنظيم وتأطير حركة المقاومة الجزائرية ضد الغزو والاحتلال وإشعاعه المغاربي، السياسي والإنشائي، مما يجعل منه رمزاً مغاربياً - بل إنسانيا - نادر التكرار، في مشاريع التحرير والإنهاض. ولعل أحسن شهادة تبرز رمزية الرجل وتجسد الأبعاد الجزائرية والمغربية والإسلامية لشخصه ودوره، ما صرح به، في حقه، ألد اعدائه، وهو المارشال بيجو - عندما كتب يقول: إننا نرتكب خطأ فادحا عندما نعتقد أننا نحارب مجرد رئيس أنصار متحمسين (Chef de partisans) يقود سبعة أو ثمانية آلاف فارس. إننا ننسى أننا نواجه الأمة العربية برمتها ... إننا نعرف التأثير الكبير الذي يمارسه على العرب، بفعل عبقريته وتدينه الكبير، وبفعل النفوذ الذي اكتسبه خلال عشر سنوات من الحكم. إن نفوذه على الناس لقوي جدا، فليست هناك قبيلة واحدة تستطيع مقاومته. بل إن حضوره نفسه ليس ضرورياً. إن عبد القادر ليس مجرد نصير متحمس (Partisan) بل هو مدّعي مشروع للسيادة، نظراً للخدمات التي قدمها للأمة العربية وللدِّين، وهو بسبب ذلك يستقطب الحب الجامع لكل الرعايا التي حكم".

ولامراء، فإن قوة واستمرارية ذلك "الحب الجامع" الذي ظل يحظى به الأمير عبد القادر هو الذي جعل الحكومة الفرنسية تنقض وعدها بالسماح له بالاستقرار بمكة المكرمة، بمجرد استسلامه. فقد ظلت تتوجس خيفة من نفوذه القوي ومن قدرته الفائقة على تجاوز أحلك الظروف واختراق أقسى الأوضاع.

وهكذا، فقد اقتيد عبد القادر بعد استسلامه (16 محرم عام 1264 / دسمبر 1847) إلى حصن لامالاك قريبا من مدينة تولون، حيث بقي أسيراً نحو ستة عشر شهراً يعاني مرارة الخيانة وآلام الاغتراب. ولئن كان البعد القتالي، في شخصه، قد اختفى في ظل قبضة الأسر، فإن بعده الورعي - التصوفي - الروحي، قد تكشف وتدفق بكل

قـوة : فـقد انقطع الأمـيـر إلى العـبـادة والدراسـة والتـأمل ورعـاية الأهل والأصـحاب الذين ظلوا في رفقتـه (نحو مائة شخص) في الأسر. ومع ذلك، فـإن مقـامـه بفـرنسـا أمـسى جحيـمـا يزداد لهيبه يوماً بعد يوم. كان الأمير يصرخ في وجه مرافقـه الفرنسي دوماً : "نبـقى في فـرنسـا ! إننا لا نتكلم لغتكم وليست لنا عاداتكم ولا قوانينكم ولا دينكم وكل شيء فـينا، حتى لبـاس نسائنا، يثـيـر سـخـريتكم. ألا تفهمون، إذن، إنه الموت".

ومن أجل التـخلص من سـجنه المزدوج، سـجن المنفى، وسجن المقـام الفرنسي، باشر الأمـيـر كفـاحـا مـريراً، قـوامـه الاحـتـجـاج والكتـابة والتـضـرع والإقنـاع والتـهـديد، أمـلا في وفـاء فـرنسـا بوعـدها بالسـمـاح له بالاسـتـقـرار في ديار الإسـلام : "فلو كـانت كل خزائن الدنيـا قـد اجـتـمـعت في تلابيب سلهامي، وطلب مني موازنتـهـا مع حريتي، فـإنني سأختار حريتي"، هكذا يردّ الأمير على بيجو الذي نصحه بالعدول عن فكرة الاستقرار بالمشرق وقبول مسكن فـاخر بفـرنسـا : "إنني لا أطلب سـمـاحـا ولاحظوة ؛ إنني أطلب تنفيذ الالتزامات التي اتُّخذت نحوي . ."

وهكذا، فبعد معاناة حصن لامالاك (ربيع الثاني 1263 ـ محرم 1264 / أبريل 1847 ـ دجنبر 1847) وآلام قصر بو (جمادى الأولى ـ حجة عـام 1264 / نهـاية أبريل ـ بداية نونبر 1848) ومـعـاناة قـصـر أمـبـواز (حجـة 1264 ـ حجـة 1268 / نونبر 1848 ـ أكتـوبر 1852). يتلقى الأمـيـر، في غـمـرة من التـأثر العـمـيق قرار إطلاق سراحـه، مـبـاشـرة من الأمـيـر لوى بونابارت الذي قدم بنفسه إلى مقر أسره قـصـر امبـواز، لتـبليـغـه إياه (2 مـحـرم عـام 1269 / 16 أكتوبر 1852). وفي تحديد مـغـزى هذا الموقف المؤثر، يقـول الأمـيـر عبد القادر : "إن بعضهم (أي الفرنسيين) تمكن من سحقي، وبعـضـهـم الآخر تمكن من تـكـبـيلي، ولكن لوى نابليـون هو الوحـيد الذي هزمني". يغـادر الأمـيـر، في ربيع الأول عـام 1269 / دجنبر 1852)، قصر أمبواز في اتجاه بروس التركية، على متن سفينة فرنسية. وفي هذه المدينة الساحلية الهادئة، ينقطع الأميـر إلى العـبـادة والدراسـة وتربيـة أطفـاله. ولكن مقامـه الجديد، بهذه المدينة، لم يستـحث حمـاسـه، فـقـد وجد نفـســه في عـزلـة شـديدة، بـسـبب ازدراء الموظفين الأتراك لحيثـيـاته السياسية وتبرم الفقهـاء بمكانته العلمية وانشغال السكان الإغريق والأتراك عنه وعدم اهتمامهم به، مما اضطر الأمير إلى طلب تغـيـيـر مـقـر إقـامـتـه، والرحيل إلى مـدينة دمشق. وفي هذه المدينة الـسـورية الحـاشدة، يـسـتـقـر الأمـيـر (سـنة 1271 ـ 1855) يلفـه جـو مـفـعـم بالحـفـاوة وحـسن الاسـتـقـبـال. وفـيـهـا يقـضي عـبـد القـادر مـا تـبـقى من حيـاتـه مدبراً عن السياسة، مبتعداً عن الشؤون العمومية، منقطعاً للعبادة والدراسة وتربية الأطفال والاهتمام بشؤون المغاربيين المقيمين بدمشق.

ولقد أكسبـتـه حيثـيـاته الجـهـادية والـسـيـاسـيـة، ومـواقـفـه الحيادية إزاء الشؤون العمومية مكانة اجتماعية ومعنوية كـبـيـرة، مكنتـه، أحـيـانـاً، من أن يلعب دوراً حـاسـمـاً في تطويق الصراعات الإثنية والدينية والسياسية المتفجرة ما بين المسلمين والمسـيـحـيين، بالشـام، كـمـا حـدث في حجـة 1276 / يوليوز 1860.

ولكن يبدو أن وفـاءه الثـابت للعـهـد الذي قطعـه على نفسه بعدم العودة إلى مناهضة فرنسا بالجزائر (رسالة خطية إلى نابليون الثالث)، وتشبعه العميق بروح التسامح الديني والإثني الذي كـيف سلوكـه منذ تحـريره، لم يكونا دائـمـاً مـوضع تفـهم من قـبـل فـرقـائـه المسلمين، خـاصـة في ذلك الظرف الدقيق الذي كان يتسم بحدة الصراعات السياسية والمشاحنات الدينيـة التي يؤطرها ويشـرط تفـاعـلاتهـا المد الاستعماري خلال القرن الماضي. ومهـمـا يكن، فإن الرجل الذي رفع راية الجهاد والمقاومة وتحدى بقوة الإيمان والسلاح والتنظيم أعتى وأضخم حملة غزو استعمارية ـ قد أدرك منذ اضطراره إلى الاستسلام، أن دوره السياسي ـ الجهادي، قد انتهى وأنه لم يبق له إلاّ أن يسعى، بوسائل التوجيه والموعظة الحسنة، إلى تحصين دينه من وطأة الغازين ودعم معنوية مواطنيه في وجه المحتلين، وذلك في انتظار تبدل الأحوال وتطور موازين القوى. وذلك ما يستفاد من قوله، "عندما أمرني الله بالنهوض فقد نهضت، وأطلقت البـارود ما استطعت، وحينما أمرني الله بوقف القتـال فقد أطعت أوامر العلي سـبـحـانـه. فـعندئذ تخليت عن الحكم وجـئت إليكم..."، مخاطباً لوى نابليون.

وطيلة منفـاه الشـامي (1269 ـ 1300 / 1852 ـ 1883) انخرطت أقواله وأفعاله في هذا المسعى الجهادي ـ المعنوي الذي لم يحد عنه قيد أنملة، إلى أن انطفأت شعلته في فجر يوم 19 رجب عـام 1300 / 26 مايه 1883، مـحـاطا بولده ورفـاقـه. وبوفـاته يخـتـم فـصل حـافل في تـاريخ المقـاومـة الجزائرية والمغاربية، كان له اعمق الأثر في تعميق وتكريس البعد المغاربي لحركة المقاومة الوطنية على الصعيد المغاربي خلال النصف الأول من القرن العشرين.


محمد عبد القادر، *تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر*. جزآن، الأسكندرية 1930 ؛ أ. الناصـري، *الاستقصا*، البيضاء 1959 الجزء التاسع ؛ *الوثائق*، مجموعات دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية ـ المطبعة الملكية، المجوعة الأولى 1396 / 1976.

F. Guizot, *Mémoire pour servir à l'histoire de mon temps*, T. VII, 1865, Paris, 1858 - 1867, 8 vol. ; C.-H. Churchill (colonel), *Vie d'Abd el-Kader*, Alger, 1974, trad. de l'Anglais : *Life of Abdelkader*, London, 1867 ; Paul Azan, *L'Emir Abd el Kader, 1808 - 1883 : du fanatisme musulman au patriotisme français*, Paris, 1925; *Par l'épée et la charrue, Ecrits et discours de Bugeaud*, Paris : Archives du Ministère des Affaires Etrangères. Correspondance politique, Maroc, Vol. 3-19 ; G. Yver, *Correspondance du Capitaine Daumas, consul à Mascara*, Alger, 1912.


محمد الاخصاصي

**الجزائري، عبد المالك** بن محيي الدين بن الأمير عبد القادر الجزائري، شخصية ما يزال الغموض يكتنف الكثير من تفاصيل حياتها، رغم أن صاحبها لعب أدواراً ذات أهمية خاصة في فترتين متميزتين من تاريخ الاستعمار في المغرب ؛ الأولى خلال الحرب العالمية الأولى من جمادى الأولى عام 1333 / مارس 1915 إلى صفر عام 1337 / نوفمبر 1918، والثانية من بداية سنة 1339 / 1921 إلى مقتله في بداية حجة عام 1342 / غشت 1924.

وُلد عبد المالك الجزائري في سوريا وعمل ضابطاً في الجيش التركي (Laroui, 356) قبل أن يأتي للجزائر في نهاية القرن الماضي. وأثناء وجوده في سوريا، كان عبد المالك مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بعمه علي باشا ابن الأمير عبد القادر الجزائري الذي كان من العناصر النشيطة في الجمعية التركية "الاتحاد والترقي"، التي تعرَّض اعضاؤها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني لحملات اعتقال واسعة النطاق أدت إلى هروب كثير من عناصر الجمعية إلى فرنسا وشمال أفريقيا في نهاية القرن الماضي. وعليّ باشا هذا، كان يلعب دوراً أساسياً في تهييج وإثارة بلدان شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الأولى، وقد كان يتردد كثيراً على تونس والجزائر قبل اندلاع الحرب، وكانت السلطات الفرنسية في هذين البلدين تستقبله بحفاوة واهتمام كبيرين (Lyautey, III : 39).

لكن بعض المؤرخين المغاربة يثيرون كثيراً من الشكوك حول نوايا عبد المالك الجزائري، ويرون أن نشاطاته مثيرة للشبهات (Laroui, 356)، وأنه "مغامر خطير وجاسوس دولي شهير عمل مع المخابرات الأنجليزية قبل أن يلتحق بالجزائر وينخرط في جيشها الفرنسي" (ابن منصور، 1 : 320). دخل عبد المالك الجزائري إلى المغرب عن طريق فكيگ في سنة 1320 / 1902 (البوعياشي، 1 : 86)، وانضم للجيلالي الزرهوني (بوحمارة) بواسطة الطيب ابن أبي عمامة (ابن زيدان، 1 : 407)، ثم انحاز للسلطان المولى عبد العزيز وأصبح قائداً لإحدى الفرق المخزنية. وعندما تولى السلطان عبد الحفيظ، أسرت قواته عبد المالك الجزائري، ولكنه أطلق سراحه بطلب من فرنسا بدعوى أنه من رعاياها (ابن منصور، 1 : 320). ودخل عبد المالك في خدمة السلطان المولى عبد الحفيظ وأصبح في عهده مفتشاً لقوات البوليس بالموانئ المغربية، ثم أصبح مفتشاً لقوات البوليس بطنجة بعد معاهده الحماية، وظل في منصبه هذا حتى اختفى فجأة في 25 ربيع الثاني عام 1333 / 13 مارس عام 1915 (*B.C.A.F.*, juin / juillet 1915 : 162).

غادر عبد المالك مدينة طنجة بعد أن رهن بعض ممتلكاته وأرسل عائلته إلى إسبانيا. وفي شهر شوال 1333 / غشت 1915 وصل إلى منطقة تازا واستقر عند قبيلة غياثة (*B.C.A.F.*, septembre 1915 : 228) ومنذ هذا التاريخ، بدأ الوضع يتغير في هذه المنطقة، كما بدأ اسم عبد المالك الجزائري يتردد كثيراً في التقارير التي كان يرسلها المقيم العام الفرنسي الجنرال ليوطي إلى الحكومة الفرنسية، وهو غالباً ما كان يرد ضمن المعلومات الخاصة بالنشاط الألماني العسكري والسياسي في المغرب، وبما تقوم به السلطات الإسبانية في منطقة نفوذها من دعم لهذا النشاط. وقد اعتبرته هذه التقارير من أخطر الزعماء الذين واجهوا فرنسا وهددوا عملها ومشاريعها في المغرب، وذلك بفضل انتمائه لعائلة الأمير عبد القادر الجزائري واستغلاله الذكي لهذه القرابة في عِلاقاته واتصالاته بالقبائل، وكذلك بفضل ثقافته الواسعة ومعرفته بالمغرب والمغاربة ورجال الحمايتين الفرنسية والاسبانية، ثم بفضل تكوينه العسكري واعتماده على دعم ألماني قوي بالدعاية والمال والسلاح والرجال، وعلى ما كان يحصل عليه من تسهيلات في منطقة النفوذ الإسباني، ثم بفضل استقراره في منطقة فاس / تازا، وهي منطقة ذات موقع إستراتيجي في منتهى الأهمية، لأنها تربط بين شرق المغرب وغربه، أي بين الجزائر والمحيط الأطلسي، ولأن بها قبائل تركب الحدود بين منطقتي النفوذ الفرنسية والاسبانية، وهي قبائل لم تكن قد خضعت بعدُ لا لفرنسا ولا لإسبانيا، وتتميز بانتشارها الواسع في مناطق جغرافية منيعة وبعدائها لكل تغلغل أجنبي (Lyautey, III : 33 -37). وحسب تقارير ليوطي، فإنه بفضل مجهودات عبد المالك ونشاطاته، تَعَرض المغرب في الفترة من منتصف سنة 1333 / 1915 إلى منتصف سنة 1334 / 1916 إلى هزات شديدة عَرَّضت الوجود الفرنسي للخطر رغم واجهة النشاط الاقتصادي والمعارض والأشغال العمومية التي كانت فرنسا تريد بها إلهاء الرأي العام الوطني وخداعه وإقناعه برسوخ قواعد وجودها في المغرب. كما أنه نجح في هذه الفترة في استقطاب بعض الشخصيات المؤثرة من قبيلة بني ورياغل وهي أقوى قبائل الريف على الإطلاق. وقد زار عائلة

الخطابي في أجدير، وحصل على دعم ومساندة رب العائلة الفقيه عبد الكريم الخطابي (البوعياشي، 1 : 86 - 90)، كما زار قبيلة بني توزين في شوال - قعدة 1333 / سبتمبر 1915 (Ayache, 232)، وزار مناطق أخرى ليدعو الريفيين لمحاربة فرنسا. ويبدو أن علاقة عبد المالك بالفقيه عبد الكريم وبابنه القاضي بمليلية محمد بن عبد الكريم الخطابي كانت وثيقة جداً في هذه الفترة، فقد كان الفقيه عبد الكريم يقوم بنفسه بتزويد عبد المالك بما يحتاج إليه من مال (محمد عمر، 58)، بل إنه قام برفقة عدة مئات من الريفيين بزيارته في مقر إقامته في نهاية غشت 1916 (Ayache, 236). وفي نفس الوقت اتصل عبد المالك بأحمد الريسوني وارتبط معه بعلاقات وثيقة مما زاد من تأثيره في المنطقة (Lyautey, 3 : 224). ومن أجل وضع حد لكل هذا، نلاحظ أن المجهود العسكري الفرنسي بدأ يتركز في هذه الفترة في منطقة فاس / تازا، مما أرغم عبد المالك على الانسحاب من جنوب تازا والاستقرار على خط الحدود مع منطقة النفوذ الإسباني.

ورغم ذلك فإن منطقة فاس - تازا لم تبق بعيدة عن تأثيرات عبد المالك، إذ أنَّ سنة 1335 / 1917 تميزت بما يقوم به من مجهودات سياسية كبيرة لتعبئة قبائل هذه المنطقة ضد الفرنسيين مما أرغم المقيم العام ليوطي على زيارة مدينة تازا في بداية رمضان عام 1335 / يوليو 1917 لمراقبة الوضع عن قرب، ثم لدعم القوات الفرنسية في المنطقة بمزيد من الرجال والعتاد (Lyautey, III : 245, 246). وقد تحدث ليوطي في أحد تقاريره بتاريخ 28 جمادى الثانية عام 1336 / 10 أبريل 1918 عن وصول عبد المالك إلى قبيلة تمسمان للتفاوض من أجل شراء شاطئ سيدي إدريس لتتم فيه عملية إنزال السلاح الألماني، كما أشار إلى ما قام به من اتصالات ببعض القبائل الريفية من أجل بناء مهابط طائرات على أراضيها. ويُعلق ليوطي على ذلك بأنه "إذا كان صحيحاً ما أشيع عن بناء مهابط طائرات في أراضي بعض القبائل الريفية، فإن الطائرات الألمانية تستطيع عندئذ أن تمر من أجواء الريف الأوسط وأن تهاجم التجمعات العسكرية الفرنسية بل وبعض المدن في منطقتنا ثم تعود من حيث أتت" (Lyautey, III : 298).

وضعت نهاية الحرب العالمية الأولى حدا لنشاطات عبد المالك الجزائري، ونظراً للظروف التي سادت المغرب والعالم بعد الحرب، فقد اضطر إلى الانسحاب خلال شهر صفر عام 1337 / نونبر 1918 إلى داخل منطقة النفوذ الإسباني (Lyautey, III : 321).

ومنذ هذا التاريخ اختفى عبد المالك الجزائري تماماً عن الأنظار، خاصة وأن فرنسا كانت تطالب إسبانيا بتسليمه إليها، ولم يظهر مرة أخرى إلا في بداية سنة 1339 / 1921 بالضفة اليمنى لنهر ورغة في مولاي عين جنان على بعد عشرة كلم من المركز الفرنسي بمديونة (Lyautey, IV : 144).

وسرعان ما استرجع عبد المالك كل ما كان لديه من نفوذ وتأثير في منطقة أعالي ورغة، ويذكر المارشال ليوطي في أحد تقاريره لوزير الحربية الفرنسية بتاريخ 18 قعدة عام 1339 / 25 يوليوز 1921 "أن القبائل المجاورة لورغة والتي كان البعض منها يدور في الفلك الفرنسي انضمت كلها لعبد المالك ... وهذا الأخير يحكم المنطقة التي يسيطر عليها بعدل وحكمة ورزانة مع محافظة على التقاليد والأعراف ... وهو الآن لايظهر أي عداء للفرنسيين، ولكنه لايتحدث عن الاستسلام، وإنما عن هدنة، وهو يرغب في الاتفاق مع فرنسا على استقلال منطقة ورغة وإقامة دولة مستقلة عن المخزن استقلالاً كاملاً وبعيدة عن نفوذ كلتا الدولتين فرنسا وإسبانيا. وعدد قواته تبلغ الآن 6000 بندقية، وسلاحه حديث" (Lyautey, IV : 145). هذه الفترة النشيطة من حياة عبد المالك الجزائري استمرت إلى مقتله في بداية محرم عام 1343 / غشت 1924، وقد تميزت بحدوث تطورات جعلت اهتماماته تتجه نحو منطقة النفوذ الإسباني بعد أن كانت طيلة الفترة السابقة تتجه نحو منطقة النفوذ الفرنسي، وسبب ذلك هو حدوث معركة أنوال في 21 يوليو 1921، وانهزام القوات الإسبانية في منطقة مليلية وظهور محمد بن عبد الكريم الخطابي كزعيم على رأس المقاومة الريفية ضد الاحتلال الإسباني وشروعه في تنظيم قبائل الريف وتعبئتها في المناطق المستقلة ومحاولته ضم القبائل الأخرى بما في ذلك قبائل منطقة ورغة التي كان عبد المالك يسيطر على بعضها.

كان محمد بن عبد الكريم الخطابي ووالده وكثير من أفراد قبيلة بني ورياغل وغيرهم من قبائل الريف الأوسط يعرفون عبد المالك، ويعرفون جيداً ما يفعله في المنطقة التي يسيطر عليها. ولذلك حاول محمد بن عبد الكريم التقويَّ به وإقناعه بالانضمام للثورة الريفية ضد الإسبان. ومن أجل ذلك زاره بمقر إقامته بقبيلة مرنيسة في نهاية عام 1921. لكنه فشل في محاولته، بل اضطر للانسحاب بسرعة من منطقة مرنيسة والعودة إلى أجدير بعد أن بدأ عبد المالك يثير القبائل ضده ويشيع أنه يعمل لمصلحة الفرنسيين. (مخطوطة سانيي، 23). وفي جمادى الأولى عام 1341 / نهاية عام 1922، كان عبد المالك ما يزال يسيطر على منطقة أعالي ورغة ويفرض سيطرته على قبائل گزناية ومرنيسة وبني عمرت المجاورة لقبيلة بني ورياغل من ناحية الجنوب، بل إنه كان قد نجح في إقامة جبهة ضد الثورة الريفية ضمت عبد الرحمان الدرقاوي صاحب النفوذ القوي في قبيلة بني زروال، وعمر بن حميدو المرنيسي زعيم قبيلة مرنيسة، واستطاع بذلك أن يقطع الطريق لمنطقة النفوذ الفرنسية على القبائل الريفية التي كانت تضطر للذهاب إلى هناك للبيع والشراء عندما تتوقف العلاقات التجارية مع إسبانيا. ولكن الأحوال بدأت تتغير عندما أعلن محمد ابن عبد الكريم استقلال الريف

في جمادى عام 1341 / يناير 1923، وبدأ بعض أبناء قبيلتي بني عمرت وگزناية يتركون قوات عبد المالك وينضمون للثورة الريفية في بداية مارس من نفس العام، وبصفة خاصة بعد إعلان زعماء بني زروال تأييدهم لمحمد بن عبد الكريم (S.H.A.T., Carton 3H - 102). وفي منتصف شعبان عام 1341 نهاية مارس 1923 جرت معارك ضارية بين أنصار محمد بن عبد الكريم وقوات عبد المالك، انهزم فيها هذا الأخير وانسحب تماماً من منطقة أعالي ورغة والتجأ إلى تطوان في 4 قعدة عام 1341 / 18 يونيو 1923. ولم يمر بعض الوقت حتى أصبح قائداً على إحدى الفرق الوطنية بالقوات الإسبانية في منطقة مليلية (مخطوط سانيي، 26)، وكانت مهمته الأساسية هي تعبئة القبائل الريفية في المنطقة المحتلة وتجنيد الريفيين ضد محمد بن عبد الكريم (البوعياشي، 2 : 319).

وفي نهاية حجة عام 1342 / يوليوز 1924، قررت قيادة مليلية التوغل في غرب عزيب ميضار في أراضي بني توزين الجارة الشرقية لقبيلة بني ورياغل، وكلفت عبد المالك بالقيام بهذه المهمة بمالديه من قوات وطنية، ودعمته بمدفعية قوية، وهيأت ميدان عملياته العسكرية بقذف جوّي كثيف. وتمت المواجهة بين قوات عبد المالك والقوات الريفية في منطقة عزيب ميضار، وجرت معركة عنيفة بين الطرفين انتهت في نفس اليوم بمقتل عبد المالك وعدد كبير من جنود القوتين. وقد نقل جثمان عبد المالك إلى تطوان ودفن هناك، وكان ذلك بتاريخ 8 محرم عام 1343 / 9 غشت 1924 (S.H.A.T., Carton 3 H - 133).

كان لمقتل عبد المالك الجزائري تأثير كبير على القبائل الريفية من ناحية، وعلى الإسبان من ناحية أخرى، فقد أنهى مقتله بالنسبة للقبائل الريفية جنوب الريف مرحلة لعب فيها عبدالمالك دوراً رئيسياً منذ منتصف عام 1333 / 1915، وهي مرحلة تميزت بصفة خاصة بالعداء للفرنسيين في الجنوب، والتعايش مع الإسبان في الشمالين الشرقي والغربي. أما بالنسبة للإسبان فقد كان مقتل عبد المالك الذي كان مثل أحمد الريسوني ركناً أساسياً من أركان وجودهم بالمنطقة نكسة مؤلمة لم يحسبوا لها حساباً. فقد كانوا يعقدون عليه آمالاً كبيرة في منافسة محمد بن عبد الكريم في المنطقة الشرقية، كالآمال التي كانوا يعقدونها على أحمد الريسوني في المنطقة الغربية. وكانت أول نتيجة لمقتل عبد المالك هي القضاء على كل ما تبقى من تأثيره على قبائل أعالي ورغة، وبدأت بذلك مرحلة جديدة تميزت بتوجه قبائل هذه المنطقة للحرب ضد الإسبان في الشمال بعد أن كانت مهمتها لعدة سنوات التوجه للحرب ضد الفرنسيين في الجنوب. وأصبحت هذه المنطقة منذ هذا الوقت الحقل الذي تتزود منه دولة الريف بما تحتاج إليه من قمح، وهو الطريق الذي يربط المنطقة الريفية بمنطقة النفوذ الفرنسية وتتزود منه الدولة الريفية بما تحتاج إليه من غذاء وذخيرة وسلاح.

ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي* ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية ومراحل النضال* ؛ م. الخطابي، *مذكرات الرينيون*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ م. عمر، *أسد الريف محمد عبد الكريم الخطابي*.

G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif* ; *B.C.A.F.*, juin - juillet 1915, septembre 1915 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain* ; Lyautey l'Africain, *Textes et lettres du Maréchal Lyautey*, III - IV ; Vincennes, S.H.A.T., Cartons 3H - 102 / 3H - 133 Maroc.

عثمان بناني

**الجزائري، علي** (الحاج -) بوطالب الحشمي، من قرابة المجاهد عبد القادر بن محيي الدين الجزائري. ولد الحاج علي بمدينة بسكرة من نواحي مستغانم، وعاش بالمغرب حياة كلها نشاط متنوع وغريب. التجأ إلى المغرب سنة 1295 / 1878 بعد أن كانت حكمت عليه السلطات الفرنسية بالسجن لأنه سب أحد رجال الشرطة الفرنسيين، ثم طردته من الجزائر وحجزت أملاكه. كان الحاج علي رجلا ذكياً ودساساً عميلاً لعدد من الدول الأجنبية.

عمل لفائدة ألمانيا، وسبب ذلك أن تيودور ڤيبير T. Weber لما كان قنصلا لألمانيا بدمشق تعرّف على المجاهد عبد القادر بن محيي الدين الذي كان منفياً هناك. وحيث إن الحاج علي بوطالب من أقارب المجاهد استخدمه لديه لما عين وزيراً لألمانيا بطنجة. قام الدكتور أوسكار لينس O. Lenz الألماني أو النمساوي العالم الجغرافي والرحالة بسفرة إلى السودان ابتداء من المغرب سنة 1228 / 1880 كان الحاج علي بوطالب أحد رفقائه وتقاضى عن أتعابه عمولة أربعة آلاف فرنك. وتذكر المصادر الفرنسية أنه هو الذي عرض على لينس خدماته، وأنه لما عاد من رحلته صار يقول للناس إنه ذهب إلى السودان وتنبكتُ للمذاكرة مع علماء السودان في مسائل الفقه والتفسير.

كما أن دوراً تجارية ألمانية استخدمته عندها. ففي سنة 1308 / 1890 ترافق مع الصحافي الفرنسي ده كيرديك شيني de Kerdec Cheny أي أ. ڤيال A. Vial (صاحب جريدة *دياريو دي طانخير* Diario de Tanger، الناطقة بالإسبانية والصادرة بطنجة) في سفر إلى فاس ليقترح على المخزن اقتناء مدافع كروب. وكان فيما بين 1323 / 1905 و1324 / 1906 في خدمة المخابرات الألمانية إلى أن صار عميلا لدار مانيسمان التجارية.

أما مع العثمانيين فقد كان مرشحاً لشغل منصب قنصلي أو ديبلوماسي لفائدتهم بطنجة. فقد رحل إلى الأستانة لهذا الغرض في جمادى الثانية - رجب 1302 / أبريل 1885. وبعد خمسة عشر شهراً أوفد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مبعوثاً إلى المغرب، وصل إلى طنجة في شوال 1303 / يوليوز 1886، وكان اسم هذا المبعوث علي باي وهو جزائري الأصل أيضاً. وكان الهدف من هاته الزيارة التحقيق في مزاعم بوطالب حول نوايا السلطان في ربط اتصالات مع الأتراك من جهة أولى، وسبر أغوار مولاي الحسن في الموضوع نفسه من جهة أخرى. ولئن لم

يستقبل السلطان هذا المبعوث وإنما خلع عليه ووصله بمبلغ مالي، فقد تبين لعلي باي أن الحاج علي بوطالب لم يكن صادقاً الصدق كله. إذ كان مولاي الحسن لا يريد أن يربط علائق مع العثمانيين اقترحتها ألمانيا وعارضتها فرنسا التي كانت بالمرصاد لمنافستها وجارتها.

وكان مولاي عبد العزيز ينوي ربط علاقات مع الأتراك. فالتحق الحاج علي بوطالب بإسطنبول في ربيع سنة 1320 / 1902 آملا أن يكون هو الفائز بهذا التعيين. غير أن الحكومة التركية أعرضت عنه ورفضت الدخول في مذاكرات معه.

ويقال إن الحاج علي بوطالب كان عميلا لإنجلترا أيضاً. لكن الثابت أنه كان يعمل لفائدة فرنسا، استخدمه كل من أوگوست ده ڤيرنويلي A. de Vernouillet ولاديلاس أورديگة L. Ordéga سفيري فرنسا بطنجة دون أن يعلما أن له يداً ضليعة مع ألمانيا ومخابراتها. ولم يطلع أورديگة على ذلك إلا سنة 1302 / 1884، بعد أن كان بوطالب قد خاض في دسائس هذا المفوض الفرنسي ورهطه.

وفي سنة 1891 لما رفض سكان توات الانصياع إلى ما كان يُدعون إليه من التنصل من بيعة مولاي الحسن، طلبت مفوضية فرنسا من الحاج علي بوطالب وساطته لدى بوعمامة البوشيخي لاستمالته إليها، فكان مآل ذلك هو الفشل، بينما كانت تعلم حكومة فرنسا أنه عميل لفائدة ألمانيا. فغادر الحاج علي بوطالب المغرب وقصد الجزائر للتشغيب على فرنسا هناك، وجمع من ذلك أموالا طائلة واتصل بالألمانيين المقيمين بالجزائر. وكان غرضه العاجل هو الحصول على تأييد العديد من الطوائف الدينية السرية في العالم الإفريقي. ولم تقطع فرنسا علاقتها مع الحاج علي إلا سنة 1314 / 1896، فاتهمته بالتجارة في الأسلحة وتهريبها، وعملت على تفتيش منزله وسجنه لبضعة أشهر. ولم يكن دور المترجم هيناً في الكواليس سواء سنة 1299 / 1882 أو بعد وفاة مولاي الحسن.

هذا ما ورد عنه في بعض المصنفات الأوربية. أما الوثائق المغربية فلم تخل من ذكره والتحدث عن أحواله. ففي سنة 1302 / 1885 جاء في رسالة سلطانية إلى الطريس أنه "انفصل عن الفرانصيص، ولم يبق بينه وبينهم علاقة، وتخالط مع المركان وغيره، وانفصل عنهم". وزادت تقول إن "أهل دار الفرنصيص بطنجة حملوه إليها رغماً عنه، وحتموا عليه الرجوع لخدمتهم، فامتنع من ذلك، ولم يقصروا في إذايته، فتفلّت لعند وصيفنا الحاج سعيد جسوس بجبل طارق".

وفي رسالة أخرى صادرة عن قنصل فرنسا بالصويرة (ولعله أوريليان لاكوسط A. Lacoste) إشارة إلى أن الحاج علي بوطالب كان عميلا لدى قواد سوس سنة 1304 / 1887. فقد ورد فيها أن هذا القنصل كلفه بالدخول في مذاكرات مع محمد بن الحسين أُهاشم واصفا إياه بأنه "رجل عاقل ضابط في الأمور، ويعرف أحكام الأشياء كلها... وبيده مكاتب الدولة المعلومة...".

أما السلطات المغربية فكانت تتأفف منه. فهذا عامل بني مالك بالغرب إدريس الحباسي اشتكى سنة 1312 / 1895 لدى السلطان الذي قال للطريس : "إن واحداً من أهل طنجة يسمى بعلي بوطالب الفرنصيصي قد أفرط في التعرض والخوض في إيالته من غير قانون، كرومي صبنيولي يدعى بالأعرج (،وهو ريكاردو كونصاليث R. Gonzalez) ويهودي بالعرائش في حماية البرازيل... فنامرك أن تكلم نوابهم في شأنهم ليكفوهم ويجسلوهم عن حدهم".

وزيادة على ذلك كان للحاج علي بوطالب شراكة في الفلاحة وعزائب بقبيلة سفيان سنة 1325 / 1907 والخواص كانوا يكيلون له التهم بأكثر من ذلك. فهذا مَحمد صادق العطار الشامي الوكيل المتجول من قبل السلطان عبد الحميد الثاني قد نسب إليه التآمر على حياته، فطلب من المخزن أن يضمن له السلامة من إذاية بوطالب ولئن لم يأت بيان عن نوع الإذاية وأسباب احتمالها بين رجلين كانت لهما اتصالات بالأتراك، فقد يكون ذلك من باب حرب الأشباح المتعاركة في الظلام. ففي رسالة الشامي إلى الطريس سنة 1319 / 1901. جاء أن "رجلا يدعي بحاج علي بوطالب ومعه آخران مسيحيان متحقق بنفسي أن مرادهما قتلي، فأحببت أن أعلمكم بأن تكونوا منه على بال. إن وقع واقع فمنهم، وأنتم الشهود على ذلك. ولذا أطلب ـ زيادة على الخمسة والعشرين ألف فرنك ـ ضامن الروح بحضور عدولهم إن كانوا هم الداعين لي بحضرتكم. وإن كان غيرهم فمنه الدراهم ومنهم الضامن".

ومهما يكن فالرجل كان غامضاً يعمل في الظلام وفي النور معاً. فكان في رسائله الكثيرة اللحن يخبر السلطان بما كانت تكتبه الصحافة الأجنبية حول المغرب سنة 1305 / 1888، وبما كانت فرنسا تحاوله من الهجوم على فجيج.

وهكذا كانت له علاقة بالصحافة فلما نشأت جريدة "المغرب" الأسبوعية بالعربية بطنجة سنة 1307 / 1889 كان مراسلا لها كتب فيها قصيدة في مدح السلطان أوردها محمد ابن العياشي سكيرج في مخطوطه *رياض البهجة في أخبار طنجة* كما كتب في نفس السنة بجريدة *المغرب* مقالا عنوانه *"الدلالة بطنجة"* رداً على مقال صدر ضده من قبل، متحدثاً فيه عن "القنصل المدعي بالباشدورية ... الذي اختاره تاجر الحمايات موضعاً لسره ... وتظاهر بالنصرانية، ودعى نفسه جورج. ولم يلبث حتى عاد فأدعى بالإسلامية، وكان يتزيا ... بزي علماء إسطنبول، فلبس تلك البذلة الخضراء، واعتم بالعمامة البيضاء، لكي يخيل للبسطاء أنه شريف مكاوي".

المقال الذي تعمدت إيراد فقرات منه والقصيدة التي أشرت إليها لا تعنيان أنه كان أديباً ولا شاعراً. فقد وقفت على رسائل كتبها بخطه طافحة بأغلاط نحوية وصرفية وإملائية وبتعابير ركيكة وعامية لا يصلح معها أن ندعوه كاتباً ولا شاعراً، ولا يجوز ذلك إلا إن كان هناك سمي آخر له. فالشاعر والكاتب غيره بدون شك.

هاته نبذة عن رجل حوّلة، غريب الأطوار كانت وفاته بطنجة سنة 1327 / 1909.

م. بوشعراء، *الاستنباط والحماية بالمغرب*، ج. 4 ص. 1478 ـ 1481؛ العدد التاسع من *"المغرب"* الصادر في 9 يوليوز، 1908 ؛ *الوثائق*

*الملكية* ؛ *وثائق تطوان* ؛ *كناش مكاتيب الطابع الشريف*، رقم 1695 خ. ع حرف الدال ؛ محمد بن العياشي سكيرج، *رياض البهجة في أخبار طنجة*، الجزء الأول، الورقة 32، مصور الخزانة الصبيحية.

Pierre Guillen, *L'Allemagne et le Maroc : 1870 - 1904*, pp. 681, 683, 69, 119, 164, 183, 184 ; J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome IV, p. 83 ; Henri de la Martinière, *Souvenirs du Maroc : Voyages et missions : 1882 - 1918*, p. 113.

مصطفى بوشعراء

**الجزائري، محمد الصالح مِّيسة**، أديب صفحي جزائري هاجر إلى المغرب في جملة الجزائرين الذين جاؤوه بعد فرض الحماية الفرنسية. ولا ندري ما إذا كان اشتغل في بداية مقامه بالمغرب بالترجمة في إحدى الإدارات كما هو شأن مواطنيه المزدوجي اللغة، وكل ما نعرف أنه أسس سنة 1932 بالرباط *مجلة المغرب*، وتولى إدارتها ورآسة تحريرها. كان يضع كعنوان فرعي في أعداد السنة الأولى "مجلة شهرية" ثم غيّر فأصبح في السنة الثانية : "أول نشرة عربية حرة صدرت بالمغرب"، ومنذ السنة الثالثة "صار شعار المجلة : تثقيفية عمرانية أدبية".

كانت *مجلة المغرب* تصدر بانتظام، وتعالج بشيء غير قليل من الاعتدال والحذر مواضيع تهم ماضي المغرب وحاضره، ويغلب عليها طابع التجديد والإصلاح والحيوية. يشارك في تحريرها نخبه من شيوخ المغرب وشبابه، كمفتي سلا أبي بكر زنيبر ومندوب المعارف محمد الحجوي والشاعر الفاسي محمد غريّط، إلى جانب محمد الفاسي ومحمد حصار وسعيد حجي وأحمد بلافريج وعبد الكبير الفاسي.

كان محمد الصالح مِّيسة يحرر في كل عدد افتتاحية أو مقالة رئيسية لا يوقعهما باسمه الصريح وإنما بحرف "م". أسلوبه متين سليم خال من الحشو والاستطراد، وأفكاره نيرة قومية لاتشوبها إلا ما تستلتزمه الظروف من مجاملة ومرونة قد تبدو لنا اليوم مبالغاً فيها.

آخر عدد وقفت عليه من *مجلة المغرب* هو الصادر ضمن السنة الخامسة في رجب - شعبان 1355 / شتنبر - أكتوبر 1936. ويبدو أن تطور أزمة 1937 وما أسفرت عنه من اعتقال الوطنين والتضييق على الحريات العامة دفع بمدير المجلة إلى توقيفها إن لم تكن قد أُوقفت بقرار عسكري. وتغيب عنّا أخبار محمد الصالح ميسة بعد ذلك إلى أن توفي بالدار البيضاء حوالي عام 1363 / 1943.

م. الصالح ميسة، *مجلة المغرب*، المجموعة ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3182.

محمد حجي

**الجزر المغربية**. هناك أقاليم أرخبيلية في العالم تتشكل الحياة فيها من تداخل وثيق بين اليابسة والبحر، من أهمها مجمعات في شرق آسيا وبحر الكرايبي والمحيط الهادي والهندي وأقربها منا في شرق البحر الأبيض المتوسط.

لا يوجد المغرب من ضمن هذه البلاد بحال من الأحوال !

بل وإن موضوع الجزر عندنا يمكن أن يبدو من الغرابات، لا يُثار إلا للقول بأنها غير موجودة. والواقع أن اعتبارا من هذا القبيل صحيح إلى حد بعيد، حيث لا شيء يبرر معالجة الموضوع حقيقة إلا كتكملة للدراسات البنيوية حول التراب المغربي، تركز خاصة على سواحله محاولة التبرير العلمي لخلوها من ظروف التجزير. الاستثناءات قليلة جدا، تتمثل في تلك الشذرات المتواضعة التي تظهر محليا على الساحل المتوسطي والصخور المعزولة في عرض الواجهة المحيطية، التي لا تصير أكثر وضوحا إلا في ما اصطلح عليه بأرخبيل الصويرة، ثم المجمع الحقيقي للجزر الخالدات.

أكيد أن باستثناء الجزر الخالدات، فإن الجزيرات العائمة قبالة السواحل المغربية ضعيفة الأهمية من الوجهة الاقتصادية والبشرية، تكاد تنحصر أدوارها في الميدان الاستراتيجي والبيئي. لذا فإن هذا المدخل العام لموضوع الجزر هو أساسا معالجة طبيعية للأساليب البنيوية التي ينفتح بها المغرب على مياهه الإقليمية في واجهتيه البحرية والمحيطية.

1) مناقشة عامة لظروف التجزير في السواحل المغربية.

كلما وُجد ظرف من ظروف التجزير إلا لازمه عامل يخفف من مفعول أو يلغيه بالمرة. فانطلاقا من القاعدة العامة التي تربط الجزر بالمحاولات الفتية والنشيطة بنائيا، صار من المنتظر العثور عليها قبالة الساحل المتوسطي بصفة تفضيلية. لكن عامل الإلغاء هنا هو أن المحاور البنيوية للريف والأعراف الناتجة تمتد بموازاة تامة مع الساحل مسهمة في تنعيمه. الاستثناء الوحيد يخص المضيق الذي تتعارض الأعراف فيه مع الساحل الشيء الذي جعل من اليابسة المغربية عنا عنقا ممتدة في اتجاه البنيات الأندلسية.

العكس صحيح بالنسبة للساحل الأطلنتي الذي يقطع جل البنيات القارية لكنها مع ذلك لم تستطع أن تبرز في عرضه لأنها إما قديمة، ضعيفة الأشكال البنيوية، مثل محاور الهضبة الوسطى والأطلس الصغير، أو أنها تكون قد فقدت من عنفوانها قُبيل الساحل فتغوص تحت البحر دون أثر بارز كما هو الشأن بالنسبة للأطلس الكبير الذي لم يفلح في أن يشكل أكثر من النتوء الساحلي لرأس إغير.

على هذا الأساس، فإن العوامل المورفوبنيوية لم تستطع أن تكون فاعلة. فماذا عن التطور العميق لحركة صفائح القشرة الأرضية وتأثيرها في ظاهرة التجزير ؟

معقول أن يكون الساحل الأطلنتي خاليا من الجزر لأنه ناتج عن عملية فتق للقشرة الأرضية. هذه العملية التي بدأت بالنسبة للمغرب إبان النظام الترياسي. لكن من المنتظر أن يكون نصيب الساحل المتوسطي غير ذلك، حيث يصادف نطاق رتق وتصادم للصفائح المفروض أن تكثر فيه مظاهر الانتهاض والبركنة. وقد ارتبطت هذه العملية بتكوين السلاسل الجبلية جهة الساحل المغربي والأوروبي المقابل على السواء منذ النصف الأول من الحقب الثالث. لكن بعد ذلك انتابت بحر البرهان، وهو الحوض المتوسطي المحصور بين المغرب والأندلس، انهيارات رباعية عنيفة جعلت منه هوة سحيقة تكاد تكون نظيفة من الجزر. ومن المؤشرات على هذا الوضع أن الرصيف القاري، وهو الشريط البحري الضحل الموالي للساحل والذي يقل عمقه عن 200م، يتراوح عرضه جهة المحيط ما بين عشرين ومائة كلم، في حين يمكن أن يقل هذا العرض عن الكيلومتر الواحد جهة البحر المتوسط وهو لا يزيد فيه أبدا على العشرين كلم.

لذا فإن مظاهر التجزير في الساحلين معا هي مجرد فلتات من قبيل الاستثناء، أذنت بها بعض المستويات الرباعية المفصولة مباشرة عن الساحل، وهي قريبة وصغيرة، وبعض الأشكال البركانية.

2) الوضع الخاص بالساحل المتوسطي المغربي.

1.2) عوامل التجزير في الساحل المتوسطي

يطل المغرب الشمالي على جزء يسير من البحر الأبيض المتوسط الغربي، لكنه جزء تام التميز. ذلك أن البحر المتوسط الغربي ينقسم إلى حوضين مختلفي الأصل والتركيب : حوض شمالي اجتمعت فيه أسباب التجزير ويسمى بحوض البروفانس وهو محصور بين سواحل فرنسا وإسبانيا وكورسيكا وساردانيا وجزر الباليار. وحوض جنوبي يوجد بين الحوض الأول وساحل الجزائر والمغرب. الواجهة المغربية منه تهم بحر البرهان، وهو الامتداد الغربي للحوض المغاربي، الذي يغسل سواحل الريف والأندلس (شكل 1).

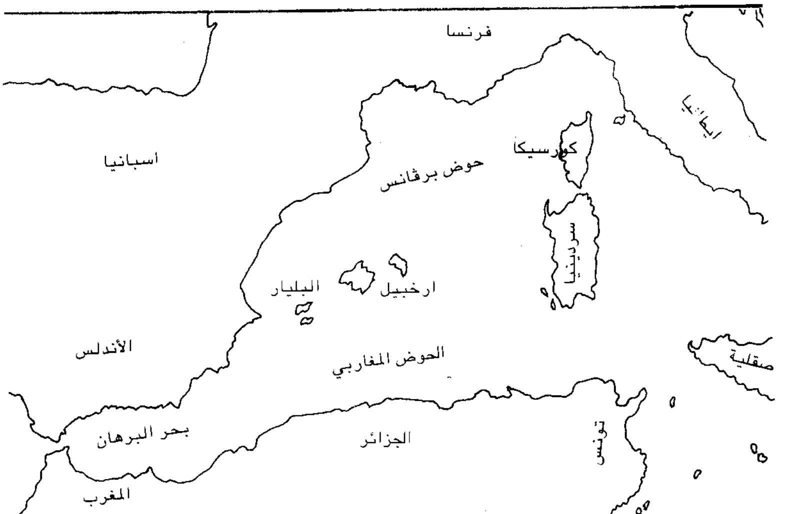


شكل 1: تقسيمات الحوض الغربي من البحر المتوسط

الحوض الشمالي، الغني بالجزر الكبيرة، كان في الماضي جزءا من أوروبا، فصلته بعد ذلك البنائية الأوليگوسينية عن القارة الأم مقطعة إياه إلى جزر أهمها كورسيكا، ساردانيا وأرخبيل الباليار.

أما حوض البرهان فهو متكون من منخفضات واسعة يتوسطها مرتفع جزيرة البرهان ذو الطبيعة البركانية وهو يوافق ما اصطلح عليه بالميدان الداخلي المرتبط بنائيا بالميدان الخارجي المتمثل في جل السلسلتين الجبليتين الريفية بالمغرب والبيتية بالأندلس

انطلق النشاط البنائي ابتداء من الإيوسين، وقد تمثل في انغراز الصفيحة الإفريقية تحت صحيفة البرهان والتضييق التدريجي للحوض البحري. نجم عنه انتهاض السلاسل الجبلية في الهالة الخارجية، وتحويل الميدان الداخلي، هنا حوض البرهان، إلى حوض "داخل قوس" نشط بركانيا على الخصوص خلال الميوسين معطيا البركنة الآنديسيتية في وسط البحر (جزيرة البرهان) وكذلك في العديد من النقاط القارية القريبة من الساحل الإفريقي.

2.2) تصنيف الأشكال بالساحل المتوسطي

على أساس هذه التطورات جاء الساحل الريفي متشكلا من رؤوس وخلجان صغيرة وقدات صخرية داخل البحر ناتجة جزئيا عن البركنة وكذلك على الصدوع البنيوية في القواعد الصخرية المكونة للقشرة.

جرد هذه الأشكال من الغرب إلى الشرق ينطلق من رأس الميناء بشبه جزيرة سبتة ثم رأس الطيفور (الرأس الأسود) وجزيرة بوزرع (جزيرة يگرشميت). فرأس الصيادين، وجزيرتا قوس قزح، وصخرة غمارة، ثم الجزيرات الصغيرة داخل خليج الحسيمة بين الرأس الجديد ورأس الطرف، ثم شبه الجزيرة الكبيرة للناضور - مليلية المنتهي إلى رأس وجزز المذراة وبجواره شبه الجزيرة الرملية التي تغلق سبخة بوعرق المسماة بالبحر الصغير. وأخيراً الجزر الجعفرية قبالة رأس الماء (شكل 2).

يمكن تصنيف هذه الأشكال إلى ثلاث حالات رئيسية :

الأولى في الغرب وهي مرتبطة بالكتلة القديمة، الثانية في الوسط ولها علاقة بكارست الحقب الثاني، والثالثة في الشرق وجلها من أصل بركاني.

1.2.2) القطاع الغربي

يرافق الساحل المتوسطي الغربي شريط من المنكشفات القديمة والمتحولة على طول حوالي 120 كلم، من سبتة إلى رأس الصيادين، وعرض يتراوح بين عشر وعشرين كلم. تشرف عليه من الداخل السلسلة الكلسية الممتدة من حلقة الحوز ألموالية لضفة المضيق إلى القمم المطلة على شفشاون وباب تازة من علو يزيد على 2000 م. بين هذه الأعراف وخط الساحل، أعطت الصخور القديمة والمتحولة جبالا متوسطة وتلالا كثيرا ما تسيطر مباشرة على صفحة البحر.

غالبا ما توافق نتوءات الساحل صخورا من نوع خاص

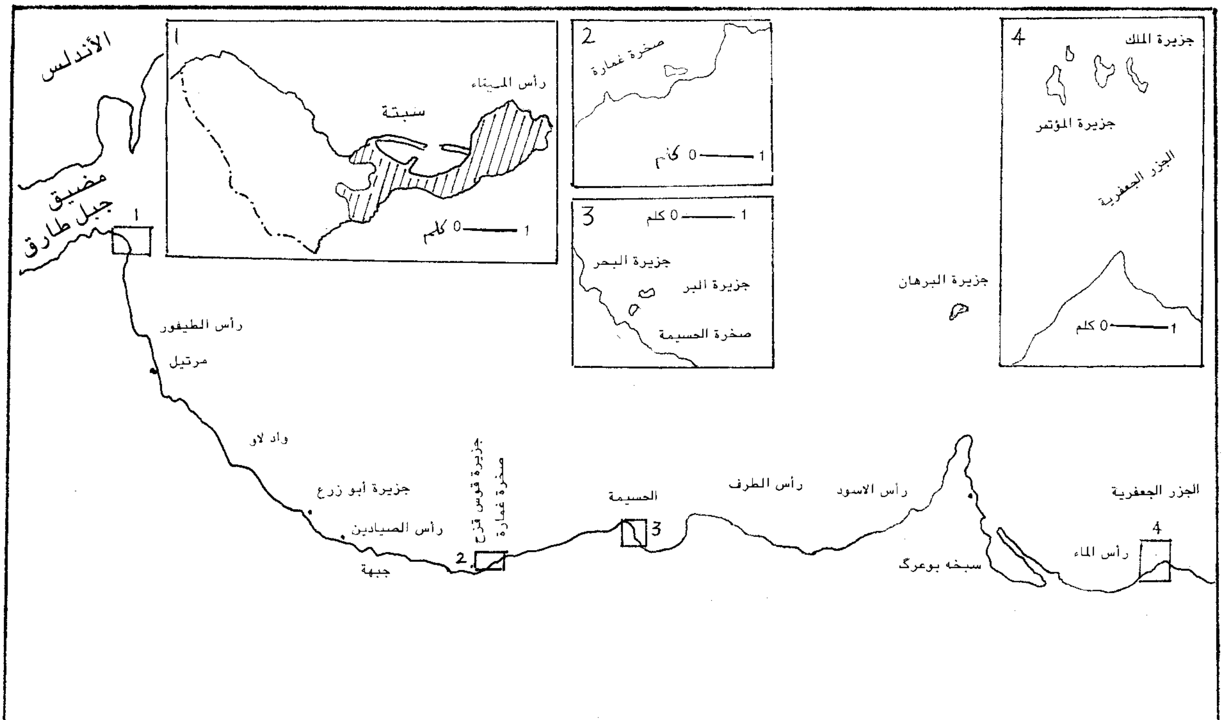


شكل 2: المواقع الساحلية المغربية على البحر المتوسط

تسمح صلابتها أو بنيتها المعزُلة بتقدمها على حساب البحر أو تشظيتها بداخله.

- كذلك الحال بالنسبة لشبه جزيرة سبتة في الزاوية الشرقية من المضيق، والرأس الأسود الذي يوجد بموازاتها على بعد ثلاثين كلم من الجنوب. كلاهما متكون من الغنس، الصخر المتحول ذي الخاصيات الگرانيتية، المدعم بعروق اللبتيت الناتج من أعلى درجات التحول الإقليمي.

يتميز موقع سبتة باختراق الغنس من طرف بروز صغير من البيريدوتيت،، وهو من الصخور النارية النادرية جدا في المغرب حيث لا يكاد يوجد إلا في هذا المجال الشمالي الأقصى مع أكبر منكشف له في بني بوزرع.

أما في الرأس الأسود (كابونيگرو أو رأس الطيفور) خمادة الغنس الصلبة تشكل كتلة دائرية لا يربطها بالقارة إلا منكشف من الميكاشيست القابل للتعرية السهلة.

- رأس بني بوزرع والجزيرة المقابلة هي عبارة عن نتوءات صغيرة مكونة من أكلاس مرجانية صلبة ورصيص ينتميان للحقب الأول، على الهامش الخارجي لمنكشفات البيريدوتيت الواسعة لبني بوزرع.

### 2.2.2) القطاع الأوسط

يمتد القطاع الأوسط من رأس الصيادين في الغرب إلى أجدير وسط خليج الحسيمة.

يتميز هذا القطاع بكونه الوحيد في الساحل المتوسطي المغربي الذي يطغى عليه التشكيل الكلسي. ذلك أن الشريط القديم والمتحول الذي كان يرافق الساحل في الشمال الغربي يختفي نهائيا كمجال متخصص. والسبب أن الصلب الكلسي المتميز الذي كان يشرف عليه من الداخل في مجالات تطوان وشفشاون قد تعرض إلى عملية انخلاع مباشر ذي مضرب ش شـ - ج غ. يربط خط الانخلاع هذا بين باب تازة ورأس الصيادين ويمتد داخل البحر. وقد ترتب عنه انهيار للصلب الكسي وتحول زحزحه عن موقعه الداخلي تجاه الساحل، حيث تسبب في نتوء رأس الصيادين، وكون إلى الشرق منه كتلة بقوية إلى حدود الحسيمة. ثم يغوص في البحر فلا يظهر إلا في إقليم القبائل الجزائري (شكل 3).

شكل 3: البنيات الانخلاعية بشمال المغرب

- رأس الصيادين يبدو كجسم دخيل متقدم في البحر، طبيعته الكلسية الصلبة الشبيهة بمواد الصلب الكلسي الكبير، معزولة هنا بين آخر منكشفات شيست الحقب القديم غربا، والفليش الكريتاسي المنتمي لطية تيزرين الزاحفة شرقا.

- أما مجموعة الجزر الصغيرة المحيطة بكتلة بقوية وهي من الغرب إلى الشرق : صخرتا قوس قزح، وصخرتا غمارة، والجزيرات الصغيرة لخليج الحسيمة، فهي على ما يبدو بروزات لتشكيل كارستي مغمور من طرف البحر. يؤيد ذلك أن بقوية ذاتها هي الجزء المكشوف فقط من كتلة أكبر بكثير قوامها الكلس والدولومي والترياسي واللياسي، يوجد جلها تحت البحر.

يشكل الطرف الشرقي من كتلة بقوية الكاربوناتية الرأس الغربي من خليج الحسيمة (الرأس الجديد)، على أن الرأس الشرقي من الخليج مكون من بروزات بركانية تشير إلى الانتقال إلى القطاع الشرقي (رأس الطرف).

3.2.2) القطاع الشرقي

كل الجهات المتقدمة داخل البحر في هذه الجهة، كانت رؤوسا أو جزرا، لها علاقة بالتظاهرات البركانية الحديثة، الميو - بليو - رباعية. وتدور في فلك مجموعة قلعية البركانية الكبيرة.

ومن أهم مظاهرها : رأس الطرف، في النهاية الشرقية من خليج الحسيمة، وراس المذراة، شمال الناضور، ثم الجزر الجعفرية بالإضافة إلى جزيرة البرهان. هناك علاقة بين نوع الأدفاق البركانية من الوجهة الصخرية والتحقيبية، وبين طبيعة الأشكال الظاهرة على السطح. ذلك أن تدفقات البازلت المائعة المنتمية للبليورباعي قد أعطت مساحات واسعة مسلحة بهذا الصخر الشديد الصلابة. في حين أعطت طفوحات التراكيت والأندسيت الأكثر لزوجة أجهزة بركانية واضحة المعالم.

- رأس الطرف، كتلة بركانية عريضة مرتبطة بحادث النكور وهو ثاني أهم الصدوع التي تفلق القشرة في الشمال المغربي بين انخلاعي رأس الصيادين في الغرب ومليلية في الشرق.

- مجموعة رأس المذراة (رأس المذاري الثلاثة) وتوابعها ومنها الجزر الجعفرية، تنتمي كلها لنفس الوحدة التطويرية. فهي على تشتتها، تنتظم حسب نطاق هائل ج غ - ش ش، يمتد من جهاز گليز شمال گرسيف إلى حدود رأس القطة بجوار مدينة المرية الأندلسية عبر قلعية وجزيرة البرهان في وسط البحر، وذلك على مدى حوالي 500 كلم.

الأصل في هذا النطاق هو الانخلاع المياسر لمليلية (شكل 3) كما أن نفس الترتيب بزيادة ممال التغاير الكيماوي والعداني للصخور البركانية، المعتبرة حسب الجهات، يوحي بوضع شبيه بالأقواس الجزيرية الموجودة حول المحيط الهادي والتي تسبك كل هذه التظاهرات البركانية داخل نموذج رتق بين الصفيحة الإفريقية وصفيحة البرهان، وإن كان هذا النموذج لازال مثار أخذ ورد من حيث التفصيل.

- الأشكال الخارجة عن التصنيف الثلاثي للساحل المتوسطي

أهمها توجد بضفة المضيق بين سبتة وطنجة وهي عبارة عن ثلاثة رؤوس كبرى ناجمة عن التقاطع المتعامد بين رسم الساحل واتجاه المحاور العرفية الرئيسية للريف الغربي. أكثرها توغلا صوب الشمال رأس اللبؤة الذي يمثل نهاية الأعراف الشرقية. هنا ينتهي جبل موسى الكلسي في البحر على هيئة "أعمدة هرقل" البارزة على الضفة الريفية قبالة صخرة جبل طارق في الضفة الأندلسية. أما الرأسان الآخران (رأس ملاباطا ورأس سبرطيل) فإنهما يدينان بعنفوانهما للتسليح الحثي الذي يرصف القواعد الشيستية والصلصالية، وبخاصة الحث النوميدي السليسي المقاوم للتفسخ.

على العموم، ساحل البحر المتوسط وعر متزلف، مرصوف بالجبال والتلال. من ذلك ضعف البنيات التحتية للمواصلات به، إلا ما كان من بعض السهول الضيقة الموجودة عند مصاب السيول الرئيسية المنحدرة من الجبال كوادي مرتيل ووادي لاو، وأكبر منها واديا غيس والنكور.

كما أن الملء بالرواسب ينال الزوايا المجاورة للرؤوس.

فمثلاً، شبه جزيرة بوعرق هي من نفس القبيل محاولة لتلطيف الزاوية الكبيرة المحتلة لإبط رأس الناضور - مليلية (المذاري الثلاثة). لكن التعبئة لازالت غير كافية، منها الشريط الرملي الضيق الذي يمتد على مدى 25 كلم بين عرض البحر وجوف الخليج الذي تحول إلى هور واسع هو سبخة بوعرق (أو البحر الصغيرة).

3) الوضع الخاص بالساحل الأطلنتي المغربي

1.3) عوامل تطور الساحل الاطلنتي

- السبب الأول في تعذر وجود أية جزر في الساحل الاطلنتي مرتبط بأصله الفتقي، حيث إن خط الانفصال عن أمريكا بقي سليما من الشوائب. لكن العديد من الأحداث البنائية والغمرية الرسوبية قد طرأت بعد الترياس، تاريخ الفتق، وقد تركت آثاراً حاسمة داخل القارة لكنها لم تؤثر بصفة واضحة على الساحل. أهم هذه الأحداث التعبئة الجوراسية لحذات صدوع التحويل المتعامدة مع حدّ الفتق الرئيسي وأهمها الحدة الأطلسية، ثم الغمر الواسع الكريتاسي الأوسط فالبنائية الأطلسية التي أسست خلال الحقب الثالث الجبال الالتوائية ورفعت الهضاب والكتل القديمة.

الواضح أن هذه العمليات الانتهاضية لم تحدث في الساحل الأطلنتي إلا خليجين واسعين : الأول بين الريف والميدان الأطلسي، بما فيه المسيطا، وهو خليج الغرب واللكوس، والثاني بين الميدان الأطلسي والدرع الإفريقي وهو خليج سوس.

- السبب الثاني، هو طبيعة التطور الرباعي الذي عمل بانتظام على تنعيم الساحل وتلطيف هوامشه بوسائل خاصة في الترميم والصيانة. وقد تم ذلك على إيقاع تواتر الغمر والانحسار الحاصلين بفعل تضافر عاملي تغير المنسوب العام لمستوى سطح البحر من جهة والبنائية من جهة أخرى.

ففي فترات الانحسار، تعمل التيارات البحرية الغالبة، ويبدو أن غالبتها من الشمال الشرقي، على إقفال المخابيء والخلجان من الخارج بتوفير مغاليق رملية. في حين تساعد العاليات الجبلية المجاورة المناخ المتوسطي المتفاوت الرطوبة، الغالب على الرباعي، على تعبئة دواخل الخلجان بواسطة التغرين النشيط المعهود فيه. وبما أن فترات الانحسار هاته توافق، حسب النموذج التطوري التقليدي بعض الترطيب المناخي، فإن الجهات الداخلية من الأشرطة الرملية تعرف تحجراً بواسطة المياه القارية المشبعة بالكلس، فيتحقق تصلب الحث والكلكارنيت. وبهذا تكون الرسوم الأساسية للسواحل على شكل حمالات قد تهيأت.

أما في فترات الغمر فيحصل تحت الأشرطة الحثية عل شكل أجراف متفاوتة الحدة، وترصيفها بمواد فتاتية متفاوتة الخشونة. يتم ذلك بصفة متوازية مع الرسم الأساسي يدعمه ويؤكده.

تواتر هذه العمليات، يراكم مستويات الرباعي بالتراكب أو يسبكها على شكل مدرج يؤرخ بوضوح لمختلف فترات الرباعي.

يمكن التمثيل لهذا النموذج بجلاء تام على ساحل الدار البيضاء أو ساحل البدوزة شمال آسفي، وغيرهما كثير.

تحققُ آليات من هذا القبيل يوفر الترميم المستمر للسواحل، ويحُول دون تكون الفراغات والانفصامات المهيئة للتجزير. تعبئة الفراغات الممكنة يُساعد عليها كذلك تكوين المتقنات والمعشبات الساحلية التي تعمل على إلغاء الأهوار الساحلية الضحلة، وضمّها إلي القارة كما هو الشأن بين طنجة وأصيلة أو بداخل الولجة بين الجديدة وآسفي. فاعلية دور المعشبات في إطماء الآهوار تزيد عندنا بفعل الإشباع الكلسي الغالب لكل مياه السيلان، الشيء الذي يسرع برصرصة العشب الساحلي أو المصبّي وتحويله إلى أكلاس محشوة بالمواد الفتاتية المتنوعة.

2.3) مبادئ في تصنيف الأشكال بالساحل الأطلنتي

طول الساحل ووفرة البنيات يُعدّدان عناصر التصنيف لكن يمكن إجمالها في فئات كبرى هي : السواحل الرملية على الشاطئ السهول، السواحل الجرفية على هامش الجبال والمرتفعات، والأرصفة الرملية الحثية على طول الهضاب.

1.2.3) السواحل الرملية على شاطئ السهول توجد أساسا على مستوى السهول الفيضية الوظيفية مثل اللكوس والغرب، أو السهول الفيضية الحائلة مثل سوس. الأشرطة الكثيفة الرملية عندها عريضة وسميكة وتعرف حركة مهمة كما هو الشأن في سوس حيث إنها تهدد المنشآت البشرية. المستويات الساحلية حديثة على مدي واسع. حمولة المحور الفيضي (نهر سبو مثلا) دقيقة تشكل مخروطا تحت بحري ممتد الابعاد تتوزع رماله وأطماؤه بانتظام بفعل التيارات.

إمكانيات التجزير منعدمة

2.2.3) السواحل الجرفية على هامش الجبال المرتفعات

وهي أنواع منها :

* ذات الأجراف النشيطة المتقاطعة مع الأعراف الأطلسية من جنوب الصويرة إلى أگادير. ضعف انتهاض البنيات في هذه النهاية الغربية للأطلس الكبير لم يعط أكثر من رؤوس متقدمة إزاء المحيط على مستوى أهم الأعراف الجبلية : رأس الحديد (شمال الصويرة)، رأس تافلني ورأس إغير.

* ذات الأجراف الميتة المتقاطعة مع كتلة الأطلس الصغير في محيط إفني التي لم تعط أية نتوءات بارزة إذ يوافق الساحل قُطر بهرة قديمة مفرغة، هي نصف بهرة إفني.

* ذات الأجراف المتوسطة والصغيرة والمساطح الصخرية الممتدة على ساحل الهضبة الوسطى بين الرباط ـجنوب الدار البيضاء. تُوجد في عرضها قدّات صخرية ينتمي بعضها لمنكشفات الحقب الأول، تتعلق بها محليا بقايا من الحث الرباعي.

3.2.3) الأرصفة الرملية ـ الحثية على طول الهضاب

وهي ممثلة على مدى واسع، تهم جهتين رئيسيتين :

* ساحل المسيطا من جنوب الدار البيضاء إلى آسفي، وهو يخص هنا الشكل النوعي للولجة الذي يتجلى في وضعه النموذجي بين الجرف الأصفر ورأس البدوزة. أضف إلى ذلك سواحل رملية أوسع في الامتداد الجنوبي من آسفي إلى جنوب الصويرة.

* الساحل الصحراوي من فم درعة إلى النواديبو.

على العموم تظهر بجلاء في هذه الأرصفة محاور الكثبان الرملية المتصلبة والموازية للساحل، والتي تنتظم بصفة متفاوتة وحسب نماذج مختلفة عبر البليوسين والرباعي. بَتْرُ هذه المحَاور من طرف البحر وإغراق بعضها والتسرب إلى المنخفضات البيكثيبية استطاع خلق بعض فرص التجزير المتواضعة وخاصة أشباه الجزر والخلجان.

4.2.3) الجزر البركانية : نموذج أرخبيل الخالدات (كناريا)

وهو موافق لوضع الفتق الذي يعرفه الساحل الأطلنتي، وإن كانت له خصوصيات نوعية. كما أنه مرتبط بتوقيت الأحداث البنائية في القارة (شكل 4).

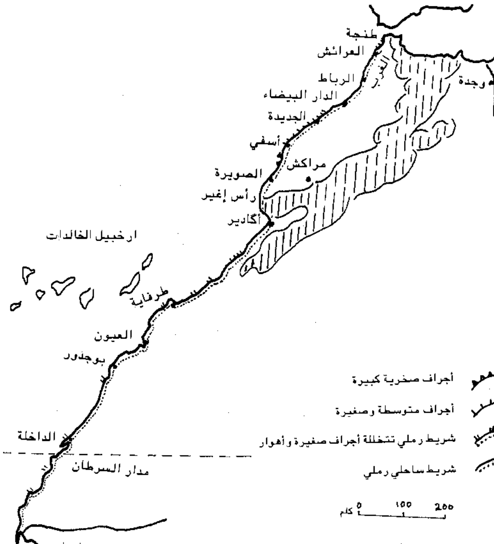


شكل 4: الساحل الاطلنتي المغربي

3.3) نماذج من حالات التجزير وشبه التجزير بالواجهة الأطلنتية

يبدو من تصنيف التشكيل على السواحل أن حظوظ التجزير، الضعيفة عموما، ليست بذات أثر إلا في مجالين : على هامش الهضبة الوسطى، وهي الأضعف، وعلى طول الهضاب الكلسية الحثية، زيادة على أرخبيل كناريا.

1.3.3) فلتات التجزير جلها قدات من الكتلة القديمة معزولة أو ملحومة إلى القارة بالحث الرباعي على شكل أشباه جزر ورؤوس. الأمثلة متعددة وتخص مثلا في مجال الدار البيضاء - المحمدية تضاريس متخلفة منها المنحوت في كوارتزيت وشيست الكمبري.كما هو الشأن بالنسبة لرأس فضالة (المحمدية) رأس العنق، عين الذئاب، سيدي عبد الرحمان، دار بوعزة ... بزيادة شذرات الصخور السوداء، عكاشة.

2.3.3) الأشكال المتخلفة عن بتر الأشرطة الكثيفة المتصلبة هذه الأشكال أكثر وأكبر من السابقة منها الناتج عن غزو البحر للأعراف الكثيبية المتحجرة وفي هذه الحال قطع متخلفة محاطة بالماء مرصوصة على مدى خطي يعطي فكرة عن الرسم الأصلي للمحور الكثيبي. من هذا النموذج أمثلة السلاسل الصخرية في عرض تمارة والصخيرات جنوب الرباط، وخاصة مجمع الأشكال المرتبطة بالصويرة.

هناك أشكال أخرى حافظ فيها المحور الكثيبي الموازي للساحل على نقطة ارتكاز قارية، مشكلا شبه جزيرة تضم خليجا، يتراوح عمقه ما بين 20 و25 كلم، كما هو الأمر بالنسبة لخليج وادي الذهب المحمي بواسطة شبه جزيرة الداخلة، وخليج السلوقيين المحمي بشريط النواديبو - لگويرة.

أهم هذه الإرهاصات التجزيرية على الإطلاق ما اصطلح على تسميته بأرخبيل الصويرة (شكل 5).

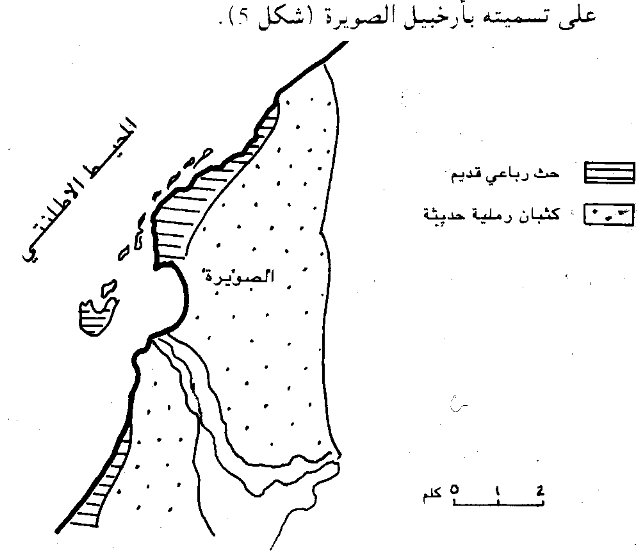


شكل 5: ظروف التجزير بالصويرة

يتكون الأرخبيل من مجموعة صخور، ستة منها ترقى إلى مستوى جزيرات صغيرة. يعتبر الأرخبيل الصغير موقعا بيئيا ذا بال. حيث اختير من بين المواقع المغربية ذات القيمة البيولوجية والإيكولوجية (SIBE) وهو يأوي جالية من الصقور الجزيرية كما يشكل محطة بالنسبة للطيور المهاجرة.

3.3.3) أرخبيل كناريا : عناصره وحدها تستحق كناية الجزر بصفة وافية. عددها سبعة قبالة مدينة مدينة طرفاية. وهي كتل بركانية صرفة الأصل تضم بداخلها مواد رسوبية من النوع الفتاتي القاري المشتق من القواعد البركانية، وكذلك رواسب الغمور البحرية. أهم أزمات البركنة حدثت خلال الميوسين، البليوسين والرباعي. أنواع الصخور البركانية ليست من طبيعة الأدفاق التي تخرج من محور الفتق الرئيسي الذي يوجد في وسط المحيط (بازلت طوليتي) ولكنها من نوع المواد المنبعثة من هوامش القارات (بازلت ألقي، ريوليت ...).

جل فترات البركنة مزامنة للفترات البنائية المعروفة في القارة، وكذلك مضارب خطوط الضعف وحتى أهم فترات الغمر البحري كالفترة الساحلية المسماة بالمغربية التي عمت جل الساحل الأطلنتي المغربي خلال البليوسين الأوسط.

الدراسة البنيوية لظروف التجزير على السواحل المغربية هي في الواقع دراسة التشكيل في هذه السواحل انعدام أو ضعف ظروف التجزير مرتبطة بتوفر الشروط المناقضة التي قضت بترميم وتنعيم السواحل فجاءت جل قطاعاتها مستوية ارتباطا بآليات تطور الحقب الرابع وبالتالي كانت السواحل ضعيفة المخابئ لا توفر المواتية لإنشاء الموانئ وتنشيط حركة صيد بحري تقليدية وانفتاح كبير على البلاد الأجنبية، رغم غنى المياه الاقليمية بالثروات السمكية فلم تنشط هذه الحركة إلا بعد توفر وسائل التجاوز المالية والتقنية.

معلوم كذلك أن عددا من هذه المواقع اللصيقة بالساحل أو الشديدة القرب منه تابع للنفوذ السياسي الأجنبية.

لا شك أن في البنيات الطبيعية للبلدان ما يفسر ولو في منطلقاتها بعض السلوكات الحضارية للشعوب.

J. Andrien, J.M. Fantboté et M. Mattauer, *Sur un modèle explicatif de l'arc de Gibraltar. Earth Plan. Sc. Let.*, 12, 1971 ; J.M. Auzende, J. Bonnin and J.L. Olivet, *The origin of the western Mediterranean basin. J. Geol. Soc.*, London, vol. 129, 1973 ; G. Beaudet, *Le plateau central marocain et ses bordures, étude géomorphologique*, Rabat, 1969 ; Ch. Delarue et R. Brousse, *Volcanisme miocène en subduction au Maroc à l'extrémité orientale de l'Arc de Gibraltar. C.R. Acad. Sci.*, 279 D, 1974 ; M. Durand-Delga, L. Hottinger, J. Marçais, M. Mattauer, Y. Milliard et G. Suter, *Données actuelles sur la structure du Rif, Soc. Géol. Fr.*, 1960 - 62 : A. El Gharbaoui, *La terre et l'homme dans la péninsule tingitane*. Paris, 1981 ; M. Gigout, *Etudes géologiques sur la Méséta marocaine occidentale : arrière-pays de Casablanca, Mazagan et Safi)*. Paris, 1951 ; A. Guilcher et F. Joly, *Recherches sur la morphologie de la Côte atlantique du Maroc*. Paris, 1954 ; E. Jérémine et J. Marçais, *La région volcanique des Beni Bou Yahi. Soc. Géol. Fr.*, hors sér., 1960 - 62 ; D.E. Karig, *Origin and*

*development of marginal basins in the Western Pacific. J. Geophys. Res.*, 76, 1971 ; *Structural history of the Mariana Island or system. Geol. Soc. An. Bull.*, 82, 1971 ; J. Lietz and H.U. Schmincke, *Miocene - Pliocene sea - level changes and volcanic phases on Gran Canaria, Canary Islands in the light of new K-Ar ages. Palaeogeogr., Palaeochimatol., Palaeocol.*, 18, 1975 ; J.C., Vidal, *Structure actuelle et évolution depuis le miocène de la chaîne rifaine partie sud de l'arc de Gibraltar. Bull. Soc. Géol. Fr.*, t. 19, n° 4, p. 789 - 796.

إدريس الفاسي

**الجَزَر** أو "خيزّو" بالعامية المغربية أو جُعدة "بشمال المغرب أو "اسفنارية" بالشرق العربي على دَوكُوس كارُوطا Daucus carota النوع النباتي من الخضر الذي ينتمي إلى فصيلة الخيميات umbelliferae.

والجزر نبات عشبي ذو جذر وتدي، ثنائي الحول في الأصل لكنه ينضج في سنة واحدة قبل البدء في الإزهار. أوراقه مركبة ريشية وأزهاره مجتمعَة على شكل خيمية. وهو أصناف عديدة تختلف في الشكل واللون والمذاق.

زرع الجزر في حوض البحر المتوسط منذ أكثر من ألفي سنة. وعرفه الفينيقيون والإغريق والرومان. ثم انتشرت زراعته بكل أصنافه في جميع أنحاء العالم، كما هو الشأن بالمغرب، حيث يزرع في جميع الأراضي المسقية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب.

وتعطي التربة المكونة من الطمي الرملي أحسن النتائج، وذلك ما نجده في ساحل دكالة مثل منطقة الوليديه على سبيل المثال.

يعتبر الجزر من الخضر المفضلة عند المغاربة الذين يأكلون جذره الوتدي نيئا أو مطهوا في السلاطة أو الطاجين أو كمشروب مع عصير البرتقال. كما يستعمل في شكل مُربّي.

بالإضافة إلى هذا تعتبر أوراق الجزر من الأعشاب المفضلة عند الحيوانات المدجّنة مثل الأرانب والأغنام والأبقار.

*أبحاث شخصية* : ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، *1962*، تر. د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

**الجزار**، عبد الله السلوي ← **حجّي** عبد الله الجزار

**الجزار، عبد الله** المكناسي، صوفي كبير ذو أحوال غريبة، وكرامات عجيبة، عاش خلال القرن الحادي عشر (17 م)، واشتهر في بداية أمره بين ذويه وغيرهم من سكان جبل زرهون وحاضرة مكناس بممارسته لمهنة الجزارة، كما عرف بين الجزارين والزبناء "بورعه في البيع والشراء، فلا يشتري الغنم إلاّ من قوم عرف طيب مَكْسبهم ثم يذبحها فيبيعها بأرجح ميزان، وما فضل له من الربح يذهب به لزاوية الشيخ عبد الله الخياط (بجبل زرهون) ... فيفرقه على الفقراء "(*جواهر*، 77 ب).

وبعد ذلك، انقطع عبد الله الجزار لحياته الصوفية، وتختلف المصادر في تحديد سنده الصوفي، فبعضهم يرى أنه زرّوقي الطريقة، أخذ مبادئها عن الشيخ عبد الله الخياط الرفاعي الزرهوني عن الشيخ أحمد بن يوسف الملياني عن الشيخ أحمد زروق الفاسي، (*جواهر*، 77 ب). بينما اعتبره البعض الثاني جزولياً بحكم أخذه عن الشيخ الحارثي ابن موسى دفين بهت بحوز مكناس عن موسى بن علي دفين بهت أيضاً بسنده إلى الشيخ أحمد الحارثي دفين مكناس وأحد كبار تلامذة مؤسس الطريقة الجزولية الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (نشر، 3 : 59).

ونحن نرجح الرأي الذي يعتبره جزولي الطريقة : لاعتبارين اثنين : الأول كونه لم يدرك الشيخ عبد الله الخياط، لأن التاريخ يأبى ذلك، فالشيخ الخياط توفي سنة 939 هـ / 1533 م، بينما توفي الشيخ عبد الله الجزار المترجم له سنة 1061 / 1651 ( *إتحاف*، 4 : 511)، أي بفارق زمني يصل إلى 122 سنة، ومن جهة أخرى، أن السند المنقوش في لوح خشبي ملصق بجدار ضريح المترجم له يعتبره ينتهي إلى الشيخ الجزولي عبر الشيخ الكامل مَحمد بن عيسى الفهدي دفين مكناس، ( *إتحاف*، 4 : 510).

هذا، ورغم انتساب عبد الله الجزار للطائفة الجزولية وسلوكه طريقتها، فإن ذلك لا يمنع من القول بأنّه صحب شيوخاً من أتباع الطريقة الزروقية على سبيل التبرك، على غرار كثير من صوفية المغرب في عصره الذين كانوا جزوليين - زروقيين، طالما أنهم جميعاً ينضوون تحت لواء الشاذلية. كما لايبعد أن يكون قد تبرك في هذا الصدد ببعض شيوخ أو أتباع الزاوية الخياطية نفسها خلال القرن الحادي عشر (17 م) أي بعد مرور عقود كثيرة من السنين على وفاة مؤسسها الشيخ عبد الله الخياط.

وقد وُصف الشيخ عبد الله الجزار بأنه "كان من كُمّال العارفين المتَبرك بهم ... (وأنه) كان ورعا سنيا (*جواهر*، 77 ب ؛ *إتحاف*، 4 : 509)، بينما انفرد صاحب *نشر المثاني* بالقول" إنه من الصلحاء الملامتية "(نشر، 3 : 59)، ورغم أن القادري لم يوضح طبيعة ملامتيته، فإننا نعتقد أن الشيخ الجزار تبنى في مسلكه هذا - وعلى غرار كثير من ملامتية عصره - الأصول الأولى للتعاليم التي وضعها المؤسسون الأوائل لهذا التيار، والقائمة على أساسين نلخصهما في التعريف المتداول للملامتي وهو "من لام نفسه ولامه الناس على ما يُظهر، وهو مَن أظهر ما لايُبطن"، دون تفريط في التكاليف الدينية، عكس بعض

الملامتيين ممن كانوا ساقطي التكليف في المغرب والمشرق على حد سواء. ومما شجعنا على وصف ملامتية المترجم له بالاعتدال هو تصنيف كتب التراجم له ضمن خانة التصوف السني، كما رأينا. والظاهر أن تأثره بتعاليم ومبادئ التصوف الشاذلي الملتزم الذي مثلته الزرّوقية والجزولية في عصره كان وراء اعتداله في مسلكه الملامتي. وحسبُنَا علماً أن الشيخ عبد الله الجزار، سلك طريق الشاذلية قبل أن يكون ملامتيا، وتَشَبَّعَ بمبادئ التصوف الزروقي - والجزولي قبل أن يتأثر بتعاليم الملامتية.

وهذا كلّه يَسْمَحُ لَنَا بأن نقول إن التعاليم التي تبناها الشيخ عبد الله الجزار السالك الملامتي، سنية سنداً وأصولاً. بل لعل هذا المسلك هو الذي جعل من ترجم له لايهتم بملامتيته. بل إن صاحب *نشر المثاني*، الذي أثار هذه المسألة، لم يشر إليها إلاّ عرضاً في ترجمة تلميذه الشيخ الشهير أبي العباس أحمد حجي دفين سلا، والمتوفى سنة 1103 / 1692 (نشر، 3، 58 - 59).

ولم نقف على زائد يتعلق بترجمة هذا الصالح المكناسي غير ما هو منقوش في الخشب على ضريحه نقلناه من كتاب *إتحاف أعلام الناس* (4 : 510 - 511) ومنه :

هذا ضريح سامي المقادر من ... قد شاع في الآفاق والأقطار
قف ضارعاً متذللاً تلقَ المنى ... تُكفَ النوائب تَحْظَ بالأوطار
إن الوقوف ببابهم أصلُ الغنى ... ما في وقوفك ساعةً من عار
وإذاقصدت لمثل عبد الله ذا ... فاقصد وسل مولاكَ بالجزار

توفي الشيخ عبد الله الجزار أواخر ذي الحجة عام 1061 / دجنبر 1651. وقبره شهير بمدينة مكناس بالقرب من الجامع الأعظم.

م. الخياطي، *جواهر السماط في ذكر مناقب سيدي عبد الله الخياط*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج 3، الرباط، 1407 - 1986 ؛ ع. عفيفي، *الملامتية والصوفية وأهل الفتوة*، القاهرة، 1956.

أحمد الوارث

**جَزْنَايَة** أو زنَاية - بحذف أولها - والنسبة إليها جَزْنَائي. ويُنطق بها اليوم گزنَاية - بتشديد النون - والنسبة إليها أگزنَّاي. وهي قبائل ذات أصل عربي يمني حميري انصهرت في قبائل نفزاوة الزناتية فصارت في عدادها. هذا الأصل العربي ذكره ابن خلدون في معرض حديثه عن نفزاوة وبطونهم وتصاريف أحوالهم.

تشغل قبائل گزناية مجالاً جغرافياً واسعاً في الريف الأوسط الداخلي، يمتدُ على طول حوالي مائة كلم من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب. تُحيط بها مجموعة من القبائل هي بني ورياغل وبني توزين في الشمال والشمال الشرقي والمطالسة في الشرق، وبني عَمَّارتْ والبرانس في الغرب، وهوارة في الجنوب.

تضاريس گزيانة في أغلبها جبلية ذات صخور شسْتية، يتدرج عليها الغطاء النباتي تبعاً لكمية التَساقطات ما بين غابات وأحراش إلى سهوب من الحلفاء والنباتات شبه الصحراوية، علماً أن أغلبية السفوح الرطبة قد تم تشجيرها بأشجار الكروم والتين والزياتين في إطار مشروع تنمية الريف.

لا يخلو بيت من بيوت گزناية الحالية من مهاجر أو أكثر إلى خارج الوطن وخصوصاً إلى هولندا وألمانيا بقصد العمل، أما الباقون فهم في الغالب من العجزة والمتقاعدين العائدين ومن النساء والأطفال، وقلة من الشباب الذين لم يجدوا إلى الهجرة سبيلاً، وهم يتعاطون إما للزراعة المسقية على ضفاف الأودية وعلى المدرجات، وإما للزراعة البورية الضيقة وتربية الماشية من أبقار وماعز في الغالب.

كانت گزنّاية نظراً لموقعها وصعوبة تضاريسها مأوى للكثير من الهاربين والمضطهدين على مَرِّ التاريخ، ومن ذلك مثلاً عددٌ من الشرفاء الأدارسة الفارِّين من بطش موسى بن أبي العافية الذين استوطنوا المنطقة وتناسلوا فيها وانصهروا مع أهلها وأصبحوا في عدادهم، فتكونت من مجموع هؤلاء وأولئك ساكنةٌ تنقسم إلى عدة أقسام هي: بني يونس وأمزدورار وبني عاصم وبني مَحمد وأولاد بنعيسى وأكنول والجبارنة ومغراوة ...

ذكر لي بعض شيوخ المنطقة وأعيانها أن بني يونس فرعان : بني يونس العليا، ومن دواويرهم أزرو وتيزي وسلي وتَاغلاَسْت والحمام وحضرية وأولاد علي وإيحُورثَنَّ ؛ وبني يونس السفلى، ومن دواويرهم : العرقوب وهم شرفاء أدارسة وتاسْنيتْ وبوعنقود وبني حازم وخَبَّابَة وسيدي علي بورقبة وإزُولاَلْ.

ومن دواوير إمزدورار : عين الحمراء وأجدير وإغْنَاجَنْ وتَاسْلُوينْ وأفرْزَازْ. وتامجونت وبورد والماء علي وبوزينب ولعزيب ...

ومن دواوير بني عاصم : هيبل وإخَوَّانن وإيهرُّوشن وبني زروال وإهرسّن وإبقريِّين وإكعبونن وإقروّعن وأبرارْت وإزكريتَن وإيَار وحْدُود وهؤلاء شرفاء أدارسة.

ومن دواوير بني مَحمد : أولاد زيان ودرَّاج وأيْت تاير وبني بوجطُو وأيْت مسعود ...

أمَّا أولاد علي بنعيسى، وكلهم شرفاء، فمن دواويرهم : أولاد عيسى وتيغْزَة ولحْفَايَر والدواوير وتيزي نْرَى، وقد كانت مقراً لجيش التحرير لكثرة كهوفها ومخابئها - وَاوْنْكور وسيدي أحمدُ ومُوسى والدُّواية وشَعْشُو عَن والغُرفات ...

ومن دواوير أكنول : إزمُورن وبويسلي وأولاد عبد الله والناضور وتغَزْرتين - والمرج وتاشربَانْت وغمَّارت وصاغور وتغمبوسين ...

وكذلك الجبارنة من دواويرهم : حمُّو بن عمر والجبارنة، وكانت تعرف بدار القائد المذبوح، والعثامنة وأولاد حدّو وسيوَانْ والسياح، وهم شرفاء أدارسة، وويزغت ومَلاَل وبوحدود ...

عرفت جَزْناية منذ القدم بكثرة مساجدها وتعاطي أهلها لحفظ القرآن وتدارس العلوم الشرعية، ومن مساجدها العتيقة مسجد العرقوب ومسجد تاستيت ومسجد تاغيلاست ومسجد الدواير ...

وقد ذكر لي بعض المسنين أن حوالي ثمانية أعشار من أهل جبل العرقوب كانوا قبل الاستقلال يحفظون القرآن، وأن عدداً كبيراً من إناث نفس الجبل في أولاد علي بنعيسى يحفظنه كذلك، وهذا أمر ينفي الافتراءات التي ادّعاها موليراس Mouliéras في كتابه *المغرب المجهول Le Maroc Inconnu*.

ولعل ما يدعم فكرة انتشار التعليم أن التاريخ يحفظ أسماء عديدة لعلماء أجلاء من أبناء المنطقة نذكر منهم : أبا الحسن علي الجزنائي صاحب كتاب جنى *زهرة الآس*، ومحمد ابن شعيب الجزنائي من العلماء الذين اصطحبهم أبو الحسن المريني معه من تازا في حملته إلى إفريقية (تونس) ؛ وكذلك الشيخ الفقيه المشارك الحيسوبي الناظم الفرضي عمر بن عبد العزيز بن يوسف الجزنائي، ذكره العلمي في *نوازله* وقال عنه مُحققها : "له رجز *في علم الأوفاق* ؛ وشرحه ؛ وله *نوازل فقهية*، أخذ عنه أبو الحسن بن موسى بن هارون المطغري ..."

لا نعرف بالضبط متى استقر بطن من بطون جزناية في جبال بني إزناسن الجنوبية وانصهر مع سكانها وأصبح يُشكل اليوم قسماً مهماً من أقسام قبائل بني ادرار التي تشكل بدورها مع أهل تاغَجِّيرت وأولاد الغازي مجموع قبائل بني خالد اليزناسنية المتاخمة للحدود مع الجزائر ؛ إلا أن الغالب على الظن أن مُكوِّن هذا البطن قد هاجر إلى المنطقة في أواخر القرن الحادي عشر (17 م) وذلك حسب ما تجمع لدي من معلومات خصوصاً تلك التي استقيتها من تقاييد اثنين من حفدته المتأخرين، وهما : الفقيه موساوي محمد بن بنعيسى والشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد القادر الغول رحمهما الله، وفيها يذكران أن هذا الجد المهاجر هو مَحمد أحجار المعروف ببلاد امْسيرْدَة الجزائرية على الحدود مع المغرب لأنه نزل بها أول الأمر قبل أن يستقر ببني إزناسن عندما قدم مهاجراً من العرقوب بگرناية الريف.

وفيما يتعلق بنسبه فإن الراجح عندي حسب المعلومات المشار إليها هو أنه أحد أبناء علي بن عزوز جدُّ الحجَّاريين الذين ما زالوا يقيمون بالعرقوب، وعلي بن عزوز هذا يوجد ضريحه غير بعيد عن العاصمة التونسية، مات هناك ودفن عند رجوعه من الحج، وقبره مزارة إلى اليوم. وهو علي بن عزوز ابن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن يحيى بن مَحمد ابن يوسف بن داود بن عبد الله بن الطالب بن أحمد بن إبراهيم بن خلف الله بن المنير بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن إسحاق بن أحمد بن محمد بن إدريس ابن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبذلك يكون الجزنائيون المستقرون حالياً في بني إزناسن والمعدودون ضمن قبائل بني ادرار من أصل إدريسيّ شريف.

ترك مَحمد أحجَّار ولدين هما عمرو ومُحمد الملقب يَشُّو، ومن هذين الفرعين تنسَّل هؤلاء الجزنائيون اليزناسنيون، علماً أن سلالة يشُّو تجمع كلها تحت اسم أولاد يشو أو بنيشّو، ومنهم الطائفة التي تحمل لقب "يشُّوني".

أما أولاد عمرو فهم طائفتان كبيرتان : أولاد موسى وأولاد سليمان، تفرعت عنهما طوائف صغرى كثيرة وذلك لأن جدهم عمرو ترك خمسة ذكور هم : عبد الله وقدور وسليمان وموسى ومحمد فلم ينجب منهم إلا موسى وسليمان.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 135 ؛ م. العلمي، *النوازل*، 1 : 374 والهامش ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 264 ؛ م. المنوني، *ورقات*، 324 ؛ محمد العباسي، *شجرة الإدريسيين*، 1 ؛ *تقاييد خاصة*.

Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 118 - 121 ; De Lacroix - De Lamartinière, *Documents*, 1 / 338 ; Voinot, *Oujda et l'Amalat*, 195.

محمد مرزاق

**الجزنائي،** بيت قديم في فاس، أصلهم من الريف الأوسط الداخلي، وكان منهم فقهاء وأدباء ومؤلفون.

**الجزنائي، أحمد** بن محمد بن شعيب التازي الدار الفاسي الاستقرار، يكنى أبا العباس ويرجع نسبه إلى قبيلة جزناية المستوطنة ببلاد الريف الغربي، غلبت عليه النسبة إلى جده فعرف بابن شعيب.

وإذا كانت المصادر التي ترجمت للجزنائي لم تذكر تاريخا لولادته فإنها على العكس من ذلك قدمت لنا معلومات كثيرة تخص جوانب هامة من حياته الفكرية والعلمية.

تتلمذ ابن شعيب الجزنائي بفاس على مجموعة من كبار أساتذة عصره أمثال أبي عبد الله محمد بن أجروم في النحو، وأبي عبد الله محمد بن رُشيد في الحديث والفقه، وأخذ علوم الطب والهيئة بتونس عن الشيخ الطبيب يعقوب ابن أحمد راس.

وقد أجمعت نفس المصادر على وصفه بالفقيه الأديب، الكاتب الفيلسوف، الطبيب النباتي، المنجم الميقاتي، إلى غير ذلك من الأوصاف التي تشيد بقدرته الفكرية وبراعته الأدبية ومشاركته في علوم متنوعة عقلية ونقلية، وتؤكد على مكانته العلمية بين علماء وقته.

كان المؤرخ الأندلسي أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر من أشد المعجبين بشخصية ابن شعيب الجزنائي، وعبر عن

اندهاشه من درايته - وهو البربري الأصل - بمدارك الإعراب، وإتيانه من الفصاحة بما يثير الانتباه والإعجاب. وأنه لو كان من الأعراب لشمل في شعرائها، وحمل راية الكلام في أمرائها. كما اعترف ابن خلدون بما كان لابن شعيب الجزنائي من شعر سابق به الفحول من المتقدمين والمتأخرين، وأكد على إمامته في نقد الشعر. وبالفعل برع الجزنائي في قرض الشعر إذ حفظت لنا المصادر بعض قصائده في فنون متعددة كالرثاء والمناجاة والوجدان والشعر الفلسفي. وله أيضاً محاورات شعرية بينه وبين الفقيه العالم أبي جعفر بن صفوان (أو ابن رضوان) حول علم الصناعة (الكيمياء).

ومن الأبيات المأثورة عنه بيتان كان السلطان أبو الحسن المريني يحفظها وينشدهما عند العطاء والبذل وهما (من الرمل) :-

| | |
|---|---|
| يا إلهي يا إلهـــــي | ليس يخفي الحال عنكـــا |
| كلهم يطلب منـــــي | وأنا أطلب منكـــــــا |

إلى جانب ذلك مارس ابن شعيب كتابة العلامة واشتغل بالتطبيب لدى كل من الملكين المرينيّين أبي سعيد عثمان وأبي الحسن علي. وإذا كان هذا يبرهن على منزلة صاحبنا عندهما وخاصة عند أبي الحسن، والعلاقات الطيبة التي كانت تجمع بينهما فإن ابن مرزوق يشير - مع ذلك - إلى أن السلطان كان ينفر من كاتبه الجزنائي لأسباب لم يذكرها صراحة، لكننا نفهم من كلامه أن أبا الحسن كان يمقت أهل التنجيم والناظرين فيه، وابن شعيب - كما نعرف - يعد واحداً منهم بالإضافة إلى اشتغاله بالعلوم الفلسفية، ولعل هذا هو السبب الرئيسي في حدوث تلك النفرة. وقد حاول ابن مرزوق أن ينفي عن صاحبه كل ما يطعن في اعتقاداته كاشتغاله بالعلوم الفلسفية حيث امتحنه بنفسه وذاكره وباحثه أكثر من مرة دون أن يكشف شيئاً يخدش في اعتقاده، فإننا نجهل اليوم كل شيء عن مؤلفاته وكتاباته في الفلسفة والطب وغيرهما. وحتى قصائده الشعرية لا نعرف منها إلا أبياتا معدودة متناثرة في المصادر.

توفي أحمد بن شعيب الجزنائي بعيداً عن بلده بتونس يوم عيد الأضحى من سنة 749 / فاتح مارس 1349 م بسبب الطاعون الأسود الذي جرف بلاد شمال افريقيا وغيرها وأهلك كثيراً من العلماء الذين رافقوا السلطان أبا الحسن المريني في حملته إلى افريقيا في نفس التاريخ.

ل. ابن الخطيب، *ريحانة الكتاب*، تح. م. عنان، القاهرة، 1982، ج 2 ، ص 407 ؛ *أوصاف الناس في التواريخ والصلات*، تح. م. كمال شبانة، المحمدية، د. ت. ص 106 . 107 ؛ *الإحاطة*، تح. م. عنان، الطبعة الثانية، القاهرة، 1973 ، ج 1، ص 272 . 277 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، ص 375، 437 . 439 ؛ إ. ابن الأحمر، *نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان*، تح. م. رضوان الداية، بيروت، 1967، ص 240 . 243 . 335 . 340 ؛ *نثير الجمان في شعر من نظمني وإياهم الزمان*، تح. م. رضوان الداية، بيروت، 1976، ص 254 . 255 ؛ ع. ابن خلدون، *التعريف*، تح. ابن تاويت الطنجي، 1951، ص 48 و49 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص 119 . 121 . 186 . 303 ؛ *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، القاهرة، ط 1، 1970، ص 45 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، مصر، 1351، ص 68 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، تح. ع. الهراس وسعيد أحمد أعراب، المحمدية، 1980، ج 5، ص 67 ؛ ع. گنون، *ابن عبدون، أحمد بن شعيب الجزنائي*، ضمن سلسلة *ذكريات مشاهير رجال المغرب*، العدد 16، تطوان، د. ت.

رشيد السلامي

**الجزنائي، علي**، اشتهر بكنيته أبي الحسن، وبكتابه *جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس*، وعلى الأصح فإنّ كتابه هذا يزيح عن شخصية بعض ظلال النسيان والإهمال الذي تسبب فيه معاصروه رغم كونهم نقلوا عنه، وأجمعوا على أن الكتاب من تأليفه. وقد مكنت إعادة قراءة مصنفه المذكور من العثور على إشارات كانت - على بساطتها - كفيلة بكسر الصمت، واستحضار صورة الرجل.

وأول ما نعرف عنه أنه ينتمي إلى قبيلة جَزْنَاية (أگزنّاية) الريفية المستقرة شماليّ تازا. كما أنه عاش في القرن الثامن (14 م) إذ عاصر الاضطرابات التي عمت المغرب بعد نكبة السلطان أبي الحسن المريني بالقيروان وغرق أسطوله أمام ساحل بجاية (750 / 49 . 1350). ويظهر أن الكتاب ألف في حدود هاته المرحلة، فآخر سنة وردت فيه هي سنة 766 / 64 . 1365. أما معلوماته فيسوقها في إطار منهج لمّح إليه في الخاتمة، وهو أن عمله لا يعدو التقييد لما سمعه من الناس، أو اختصره من المؤلفات التي نلاحظ أنه حَرص على تعيين المعتمد منها ثم أضاف مشاهداته وما وقف على وصفه بنفسه، وبذلك نستطيع أن نضفي عليه صفة المؤرخ إلى جانب صفة الفقيه القادر على مناقشة الفتاوي والأديب المشارك في قرض الشعر.

وعلى الرغم من كونه فقيهاً متوسط الأسلوب، لا تخلو كتابته من أخطاء فإن كفاءته ظهرت أكثر في قوة تعبيره أثناء وصف الأشكال والألوان، وعند تسمية الأشياء الفنية والتقنية حتى ليحسبه الإنسان من أهل الحرفة. والجزنائي حسب مقدمته كان متطلعاً إلى الوظيفة إن لم يكن فعلاً قد شغل منصباً في الدولة، كما أنه عاش قريباً من مجال سيطرة الوزراء، فهو يهدي كتابه إلى الوزير عمر الياباني وينعته في مستهله بأضخم النعوت وأفخم الأوصاف. ويتضح أنه لم يستسغ هذا التمجيد إذ نراه يحذف هاته المقدمة بعد اختفاء هذا الوزير المستبد. ولذلك أصبحت للكتاب نسختان أكثرهما رواجاً هي النسخة المختصرة. أما النسخة المطولة فهي التي اعتمدها عبد الوهاب ابن منصور في تحقيق الكتاب، وفي إعطاء هاته الصورة التي استقينا منها ملخصاً يحل عليٌّ الجزنائي محله بين أعلام وطنه.

ع. ابن منصور، ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، مقدمة هذا الكتاب، الطبعة الثانية، 1411 هـ / 1991 م.

نفيسة الذهبي

**الجزنائي، عمر** بن عبد الرحمان أو بن عبد العزيز بن يوسف الفاسي. ذكره ابن القاضي في *جذوة الاقتباس* في جملة فقهاء فاس، وحلاّه بـ"الفقيه الحيسوبي الناظم الناثر الفرضي". كما ورد في *المعيار* بعض فتاويه. وممن أخذ عن الجزنائي الفقيه علي بن موسى ابن هارون المطغري.

ألف الجزنائي *مسائل فقهية، ونظماً في الأوفاق* وشرحه.

توفي بعد سنة 911 / 1505.

أ. الونشريسي، *المعيار*، 1 : 344 و355 و357 و360. 361 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 2 : 495 ؛ *درة الحجال*، 3 : 204 ؛ أ. بـابا التنبكتي، *نيل*، 197 ؛ م. ابن تاويت، *الوافي بالأدب العربي*، 2 : 613.

محمد حجي

**جزولة**، . بالجنوب . قبيلة تاريخية كبرى، تستوطن وتراقب سلسلة جبال الأطلس الصغير وبعضا من مسالك الصحراء المجاورة. هكذا يورد الجغرافيون العرب هذه الصيغة من حيث هي كتسمية، إلا أنه من اللازم لفهم الإشكال الذي تطرحه هذه التسمية، الانتباه إلى أن الأمر لا يتعلق بقبيلة تاريخية أكثر مما يتعلق بصيغة تحريفيه أسهمت في تعقيد رموز التاريخ المحلي، شأنها في ذلك شأن كلمة جيتول Getules التي أوردتها المصادر القديمة.

إننا إذا أخذنا فصائل شعب لايمتلك إلا لسانه الأصلي، ولايمكن للكلمة أن تكون بالنسبة إليه إلا كلمة ذلك اللسان، وهو بالتالي غير معرض للكلمة الغريبة المطلسمة، سنجد أن فصائل كهذه لايمكنها أبداً الخروج عن قاموسها النابع من نظامها اللسني. من هنا فإن صيغة إيگزولن تعد هي الصيغة الأمازيغية الوحيدة الضرورية لفك رموز التاريخ المحلي، لارتباطها بعدة معان يختلف كل منها باختلاف الاصطلاحات المحلية.

تفيد كلمة إيگزولن الإنتاج وتربية الأغنام (De Foucauld, *Dictionnaire*, II, 543, 787 - 908 ; III, 1065 ; E. Laoust, *Mots*, 474 - 483) أمّا صيغة إيكسّولن فتفيد سكان سلسلة جبال الكست (الأطلس الصغير) التي تستمد بدورها تسميتها من جودة ووفرة أصواف أغنامها. أما صيغة إيگزُّولن فتعني صغار القامة المرتبطين عادة بسكنى الجبل. على أن لهذه الصيغة معنى رابعاً مستمداً من مفهوم توركزة الذي يفيد معنى الشجاعة والرجولة.

نرى إذن أن الصيغة الأصلية تدرك بشكل مغاير تماماً، وبدقة أكثر، فالمسألة لاتتعلق بقبيلة تاريخية أكثر مما تتعلق بتحريف لتسمية أخذتها فصائل وتجزئات محمّلة بكل التصنيفات المقولية الممكنة. وهذا ما يعني في كل الحالات أن معنى التسمية لايفيد معنى إثنيا بقدر ما يكشف عن نمط معيشي. ما يؤكد هذا المعطى هو شروط التداخل والتلاقح بين فصائل بشرية عرفت حسب المؤرخين القدامى تحولات مجتمعية ومجالية حتى في المناطق التي بزغت فيها وحيث اتخذت شكل فصائل متميزة بعضها عن بعض. هذا ما أوضحه بُوليب Polybe الذي ميز "قبائل الأوطولول الجيتوليين" عن "الجيتوليين الدرعيين" وعن "الإثيوبيين الدرعيين". أما پلين Pline الذي يعد أكثر الكتاب القدامى ذكراً للجيتول في كتابه الخامس وبالفقرة 201 من كتابه السادس، فإنه يعتبر الأطولول (إيوالتيتن . إدا أولتيت) وحدهم أقوى "القبائل الجيتولية" مضيفاً أنهم يمثلون دون غيرهم اتحادية قبلية. تكمن أهمية هذه المقولة في كونها تكتسي بعداً أساسياً يكشف عن شمولية الاستعمال اللفظي لصيغة الجيتول التي تتجاوز كما نرى منطقة الأطلس الصغير إلى امتداد الصحراء الأطلسية. وهو طابع دلائلي يدفع بمختلف فصائل واتحاديات إيزناگن (صنهاجة عند الجغرافيين العرب) تحت صيغة الجيتول القدامى. فحتى إذا فصلنا هذه الاتحاديات عن باقي الإيثيوبيين الأحباش، تأكدنا من أن صيغة إيگزولن كانت تهيمن في ميدان الدلالة اللسنية ذات الطبيعة التصنيفية.

هذا ما يؤكده الباحث Vysychil الذي استطاع أن يثبت انطلاقاً من مقاربة لسنية الارتباط الفعلي بين صيغتي إيگزولن وايگدالن (گدالة) مزكيا فكرة انتمائهما إلى نفس الأصل. لم يكن من شأن ممارسة إيگزولن وإيگدالن أن تختلف عن ممارسات القبائل الصنهاجية الأخرى كإيليمضن (لمطة) وإيويليميضن (لمتونة) وإيمسّوفن (مسُّوفة) الخ. وإذا كنا نجهل بالضبط إلى أي مدى يمكن دمج الأحباش الحراطين بهذه التقسيمات الجيتولية، فإن شروط التلاقح والتداخل تتبلور وتتقوى انطلاقاً من إشارات ابن حوقل (*صورة*، 99 . 100) وابن خلدون (*العبر*، *H.B* : II, 3). إن وجود لسان تصاقبي (Onomatopique) بدائي مشترك يعد أمراً واقعياً ومعياراً قاراً لتغليب حقيقة تاريخية مشتركة من الجوار والتداخل:

إننا إذا اعتمدنا مصادر الجغرافيين العرب خلال عهد المرابطين استخلصنا الارتباط العضوي الذي كان يجمع مجالياً بين جزولة ولمطة وهوارة. فالتحالف كقاعدة للتعامل يحيلنا إلى معيار يصلح كأرضية لتحديد النزعة المشتركة. لم تكن هذه النزعة تقتصر على مراقبة الأطلس الصغير وباني ووادي نون، بل كانت تمتد حسب أبي عبيد البكري إلى ملتقى جميع مسالك الصحراء الأطلسية بوانوزمين لغزو القوافل والإبل. إلا أن هذه النزعة لاتكفي وحدها لتلمس واستكشاف المبادئ الأساسية لنظام التحالفات. هذا ما أكده عبد الواحد المراكشي حين أضاف بأن مجال القبيلتين جزولة ولمطة يعد حكراً على أبنائهما. فبينما لم يكن يسمح لغير جزولة بالإقامة طويلاً بالمحمدية وإيگلي، كانت نول لمطة ممنوعة على غير اللمطيين لا يسمح للغرباء بالإقامة بها إلا المدة الكافية لإبرام عمليات تجارية. نرى

من هنا أن مثل هذه المقاييس العملية تفصح عن احتكار تام ومستمر للمجال يبدو يومها المبدأ الأساسي للنزعة الذاتية. على أنه يصعب جداً الوصول من خلال هذه المصادر إلى قوانين اجتماعية مكملة لهذه السمات الرئيسية ولنَسق من الممارسات المشتركة. يجب انتظار الغزو الموحديَ للمنطقة لنكشف عن مواقف مختلفة. فبعدما تمكن الموحدون من غزو حصون جزولة ومدنها بالأطلس الصغير بعد محاولات متكررة، يفيد البيذق وابن عذاري أن توحيد القبيلة قد شق جبهة تحالفها مع لمطة التي واصلت صمودها إلى سنة 547 / 1153. فبعدما كانت القبيلتان قد شكلتا عنصرين هامين اعتمدهما المرابطون في سياستهم الهجومية إلى ما وراء تلمسان، جاء التسلط الموحدي ليضعهما أمام محك الخضوع السياسي والهجرة والتفكك التدريجي.

نصل من هنا إلى صيغة جديدة تكشف أن ما كان مبتدأه المصلحة المشتركة أصبح منتهاه انعدام التطابق في المواقف أمام الغزو الموحدي. إذا حاولنا أن نعرض لخصائص ما بعد هذا الغزو خلال منتصف القرن السادس (12 م)، سنسجل أنه بينما حافظت فصائل إيكزولن على هيكلتها بحكم استسلامها، تسبب التقتيل الجماعي والهجرة إلى الصحراء في تفكيك فصائل إيليميضن المحلية. هذا ما سيؤكده ابن سعيد ابتداء من بداية القرن الموالي ليكشف عن وجود قرائن تثبت عدم انصهار ما تبقى من الفصائل اللمطية في قبيلة جزولة (إيكزولن) وقيام كل فصيلة منها على الذاتية الفردانية. على هذا الأساس سيتبلور المحيط المجتمعي الجديد كتغيير خالص عن بداية استقرار إيكزولن بتاكاوست وتغاجيجت عاصمتي وادي نول بعد نول لمطة.

ومع ابن خلدون سيتحدد السياق الأوسع الذي كونته مجموع شروط الحياة بالأطلس الصغير وباني ووادي نون الساقية الحمراء منذ وصول المعقليين الشبانات وذوي حسان إليها. لقد تكالبت الكوارث الطبيعية والاجتماعية على هذه المناطق خلال القرن الثامن (14 م) لتجعل من صيغة جزولة إيكزولن النواة المركزية للغور السكاني اللمطي - الجزولي - الحرطاني. وإذا كان تبني المشجرات العربية وخاصة منها الشريفة قد بدأت تربط منذ ما قبل هذه الحقبة أشكال التفاعل القبلي بشروط مجتمعية، فإن الوصول المعقلي تسبب بشكل واضح في تقلبات وتموجات المناخ المجتمعي. هكذا تتراكم داخل نفسية إيكزولن تغييرات وانزلاقات لا تكاد تحسُّ والتي تجد تعبيراً لها بعد أمد طويل، في وفرة مشجرات الشرف (م. السوسي، *إيليغ*، 3 - 10). وإذا نحن حاولنا دراسة نفسية جزولة خلال القرنين التاسع والعاشر (15 - 16 م) وجدناها محصورة فيما تتضمنه من أغراض.

أهم هذه الأغراض يعد هو تلك التحولات المجتمعية التي اتخذت ببلاد جزولة منذ نهاية الموحدين شكل صراع مذهبي بين السنيين وبقايا المتشبثين بالمذهبين الشيعي والخارجي. كانت مختلف أشكال هذا الصراع تتفاعل بكيفية محسوسة جداً مع كل تقلبات وتموجات المناخ العام بمدينة تامدولت. هذه المدينة ظلت إلى حدود بداية القرن الثامن (14 م) بمثابة العاصمة الدينية والثقافية التي عرفت ببلاد جزولة تراكمات عقائدية بطيئة دونت منذ المرابطين مراحل انتقالية أكثر قوة من باقي الجهات الأخرى. وإذا كان الصراع العقائدي يبدو السبب الأساسي في تخريب هذه العاصمة، فكل الذين ينسبون أنفسهم اليوم ببلاد إيكزولن لجعفر بن علي بن أبي طالب يرون أن أصلهم من تامدولت (م. السوسي، *المعسول*، 18 : 167). كما أنه إذا لم يتسن لسكان تامدولت المحافظة على خصوصياتهم المذهبية، فإن مالم يقع توضيحه هو الدور الخصوصي للرواية الشفوية في الكشف عن خبايا هذه الفترة الحاسمة. إن خصائص الرواية الشفوية بوصفها دليلاً لاواعياً تجعل منها أكثر الأدوات ملاءمة لتوجيه البحث. لم تصل الأبحاث الميدانية الحالية إلى سر تعدد الاحتمالات بشأن تشكل لفي تاگوزولت وتاحگات على امتداد الأطلس الصغير وباني. فمشكله صراع المذاهب تعدّ من أعقد الأسباب في بلورة هذين اللفين لا توفر إلا صورة منفصلة لاتسمح بأكثر من رؤية ساذجة ومجردة. يبقى دور طاعون عام 749 / 1348 الجارف كأساس لمرحلة من الصراع المفتوح بين الغور السكاني الأقدم والواردين عليه تحت ضغط المد المعقلي من أيت أُمريبط وإدا أُوحربيل وسكتانة. تحتل بذلك الهجرة إلى بلاد إيكزولن حيزاً شاسعاً لايمكنه أن يجيب عن كثير من الأسئلة حول تنوع العلاقات الفردية والجماعية بين فصائل وقبائل اللفين.

لم يكن حمل اللثام والتحلي بالخناجر مقصوراً على صنهاجة الصحراء دون باقي أهالي الأطلس الصغير. فكتابات Polybe وPline تشهد على أن إدا اولتيت (ولتيتة) كانوا يتميزون بنفس المواصفات كرعاة أغنام يراقبون جبل الكست. أما إيمجّاضن (مجاط)، فإن تعدد فصائلهم بالصحراء وبجبال الأطلس الصغير يشهد على مدى حجم انتشارهم. فنحن إذن أمام صيغ قرابية وأشكال متمايزة تكشف للمدقق عن تنوع العلاقات التحالفية داخل كيان شبه متحول يجسد الحراطين الغور السكاني الجزولي الأقدم. لايسعنا في هذه المنظومة إلا أن نتعرض لقضايا ملموسة تحدثنا عن نوعية العلاقات بين مكونات إيكزولن. فنحن إذا توجهنا إلى أگرض القريبة من مكان ولادة عبد الله بن ياسين الجزولي مؤسس دولة المرابطين خلال القرن الخامس (11 م) (انظر مادة تگجگالت ايت تيكني *بالمعلمة*)، وجدنا نظاماً من المعايير المجتمعية يكذب على امتداد القرون كل النماذج السائدة حول سلّم التراتب الاجتماعي بين هؤلاء وأولئك. فقد وصل إلى عين المكان سيدي محند أوبراهيم الشيخ قطب سوس الثاني خلال القرن العاشر (16 م) ليجد أكثر المحليين احتفاءً بمقدمه هم

الحراطين وأشدهم تذمراً هم المرابطين. أدى تناقض المصالح تدريجياً إلى بلورة تحالف دائم بين القطب والحراطين في مواجهة المرابطين. ومن القرائن التي تكشف حقاً مدى عمق التحالف بين الطرفين استئثار الحراطين إلى يومنا هذا بقسم من الذبائح الموجهة إلى ضريح الشيخ (*المعسول*، 18 : 170) إننا إذا ما حاولنا من وجهة نظر موضوعية حقاً تحديد معالم الهوية الجزولية بمنطقة أقا القريبة مثلاً، وجدنا الحراطين يستعملون السلاح الناري إلى مابعد جمادى الثانية عام 1130 / أبريل - ماي 1718 في قتال المرابطين، مسانَدين في ذلك من طرف حفدة القطب محمد بن مبارك الأقاوي (م. السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 65). فهل يمكن اعتبار هذه الخصائص المحلية ذات أهمية نسبية ؟ إن نوعية العلاقات القائمة بمجمل بلاد جزولة بين الغور الحرطاني والغور المتبقي من جزولة ليكمل هذه الصورة بما يحد بشكل حاسم من السائد المعياري حول وضعية الحراطين المتردية. فالمنظور السائد من خلال الدراسات الحديث بهذا الشأن يعد ساذجاً ودون أي أساس في واقع الأحداث.

إن التداخل والتلاقح بوصفهما أداة أمثل للتعبير عن كيان من القبائل والفصائل ليعكسان نظام الصيغ التكاملية بين فصائل جزولة. ومن الملائم أن نوضح هنا دور الأقطاب الصوفيين الجزوليين وغيرهم الذين رأيناهم يتخذون مواقف تحالفية مع الحراطين الذين لم يرد أي تمييز لهم خلال المصادر عن باقي الفصائل المحلية. فإذا كان محمد بن مبارك المصمودي الأقاوي الذي تصفه المصادر المعاصرة بالولاية الكبرى والخصوصية العظمى، قد جعل من التساكن والسلم أداته لتثبيت سلطته الروحية والسياسية على الغور السكاني، فذلك لعلمه بقواعد المعاملات المحلية. لقد كان يدرك أنه مهما كان عمق الاختلافات ذات الطابع السياسي والحربي والتاريخي، فإن من شأن الرئيس أن يثبت السلم ويعيد إلى الأسواق أمانها. لم تكن أقا بعيدة عن تمنارت حيث ولد مؤسس دولة المرابطين الذي كان يمثل رمزاً حياً يومها ونموذجاً يقتدى به. لقد نقل محمد بن مبارك وبلّغ ما فهم من علم واستكشف أو ورث من عادات. وهو بذلك ينهج نهج الإمام الذي يرفض الإمارة ويعين لها ويؤسس أرضيتها السياسية والدينية. لقد نمت وترعرعت دولة جزولة على يديه بعد أن عين لها من يراه أميراً لائقاً. (*مناهل الصفا - الدوحة*). كان من بين أشياخ محمد بن مبارك الأقاوي القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي. ويعد هذا القطب أكبر وجه للجهاد ضد المد المسيحي. فهو الذي وضع تردد وحيرة جزولة في سياقها الجهادي. ويكمن خطابه الأساسي في قدرته على تحريض الجزوليين ضد الإيبيريين وحلفائهم المحليين. كانت أشكال بث الخطاب الجزولي قد اعتمدت الصرامة والنزعة السلطوية التي ميزت الإمام عبد الله بن ياسين. وبهذا يكون الخطاب المباشر للإمام الجزولي في تقديم الأثر الحي المتولد عن إمام المرابطين قد طبع محمد ابن مبارك الأقاوي. ندرك من هنا لماذا استطاع هذا الأخير أن يمثل الرمز الكبير الذي عكس اتجاهات وأشكال التعامل الممكنة مع النموذج المرابطي الأمثل.

مثل الحراطين الوارد ذكرهم *بصورة الأرض* لابن حوقل قسماً من جيش وأمراء المرابطين قبل وبعد ابن ياسين. وهي حقيقة لا يمكنها إلا أن تحدد هوية إيكزولن الشاملة في إطار من التنوع والخصوصيات المتعددة. لقد حددت التيارات الإسلامية لحيوية الوجود الحرطاني تعبيرها المحلي في صيغة تاكوشت. وهي صيغة تقوم عند تخوم القواعد الكلامية حول الهوية الجزولية. فعلى عكس ما يذهب إليه المتعلمون من أبناء المنطقة في رواياتهم المكتوبة، نجد التحدث العفوي عن تاكوشت لايستعصي بسبب فردانية مّا أو أية خصائص مميزة أخرى. بل إن في صيغة تاكوشت نفسها ما يقتضي مقارنتها بصيغة تاگوزولت في تأكيدها على وجود عالم داخلي خاص يتوفر على ما يكفي من الطاقة الحيوية لاستمراريته عبد القرون. فالصيغة تعد وطيدة العلاقة بظروف الاستعمال الشفوي العفوي حيث تبدو كمن يجسد وضعية اجتماعية متماسكة. أية رواية حول تاگوزولت مهما كانت دالة وتامة بذاتها لاتكون سوى جزء من تيار التواصل اللفظي المستمر بصيغة تاكوشت.

هذا ما يمكن أن يتأكد منه أي متفحص للوثائق المحلية بالمنطقة الممتدة من رأس الوادي إلى المحيط الأطلسي مروراً بجبال الأطلس الصغير ووادي درعة. كان الارتباط العضوي بالمكان يعتبر المكمل اللفظي الذي يصوغ المكونة البشرية علي صيغة (أيت المكان الفلاني). وهي صيغة قد تجمع بين عدة وحدات قرابية متفاوتة الارتباط النسبي مما يسلب كل وحدة هويتها الخاصة. كما لم يكن من شأن التقسيمات على الأثلاث أو الأرباع أو الأخماس أن تؤثر بشكل حاسم في تيار التواصل القرابي بين تجزآت الوحدة القرابية الواسعة الانتشار. بل نجد صيغ تاكوشت وتاگوزولت وتحگات تظل وحدها المستوى الأعلى للانقسامات الذاتية. فنجد السلطان أحمد المنصور الذهبي سنة 988 / 1580 وقد حرر إدا اوزدُوت وإدا أوكنسوس من الوظائف المخزنية لأنهم كانوا في "فتنة" مع من كانت تنسبهم الرواية المحلية يومها إلى عبد الله بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب (*ديوان قبائل سوس*، 110). كما نجد في نفس الديوان فصائل ايت موسى اُوداود وأهل تاحگات وغيرها من الفصائل المناهضة للهوية الجزولية ضمن جرد يتعمد الخلط بين هؤلاء وأولئك. وهو بذلك يجبر الخطاب السعدي على التجسد والتحقق في تعبير مخزني محدد يندمج مباشرة في السياق غير المعبر عنه. نسجل هنا بأن أشكال التمايز الإثني لا يمكنها أن تبدو جلية في الحالة الغالبة التي تربط الفصيلة باسم مكان استقرارها. أما حين تتحدد الهوية من خلال جد اسمي، فإنها تعبر عن نواة صلبة ودائمة للتوجه المجتمعي القبلي.

نرى إذن تداخل الأشكال المركبة لفصائل جزولة إيكزولن يتـولد عن طبيـعـة تنظيـمـيـة لأنماط السلوك إزاء الجـار، ونسجل بأن هذه الصيغة غالباً ما تدخل في السياق اللفظي للإفصاح عن قوة الشعور الجماعي في حالة تعرض أي تجزئة للغزو، وكأن هذا الغزو قد شمل مجمل إيكزولن. إلا أنه يصعب انطلاقاً من هذا الشعور الجماعي الوقوف على الفرق بين معاملة إيكزولن لبعضهم البعض ومعاملتهم مع غيرهم كتحكات مثلاً. فثمة منهجية لم تعن بها حتى الآن الدراسات هي البحث في الروابط المتضمنة داخل مختلف الصيغ المنبثقة عن إيكزولن. ذلك لأن من شأن هذا الحوار الداخلي أن يخضع للدرس مجمل الأدوات المقروءة والمسموعة في حدود مقالات وتحدثات معينة. وبناءً على ذلك، فإن كل العلاقات بين مختلف الصيغ تعالج أشكال التكون المفهمي الأولي. بهذه الكيفية يصير تاريخ الصيغ اللسنية تاريخاً للأشكال المنفصلة التي تنمو بالرغم عن كتلة الهياكل المتداخلة في مجموعها.


ع. الأدوزي، *اليعقوبيون*، مخطوط ؛ محمد الإكراري، *روضة الأفنان*، مخطوط ؛ م. البعقيلي، *مناقب البعقيلي*، تح. م. المختار السوسي، 1987 ؛ ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ علي ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب* ؛ إبراهيم الحساني، *ديوان قبائل سوس في عهد السلطان المنصور الذهبي*، تح. عمر أفا، 1989 ؛ عبد العظيم الزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط، خ. ع 1622 ؛ عبد العظيم الزموري الأصغر، *تقييد حول الشرفاء بالمغرب*، مخطوط، خ. ع 1512 ؛ م. المختار السوسي، *الإلغيات* ؛ *إيليغ قديماً وحديثاً* ؛ *الترياق المداوي* ؛ *خلال جزولة* ؛ *رجالات العلم بسوس* ؛ *سوس العالمة* ؛ *مدارس سوس العتيقة* ؛ *المعسول* ؛ *من أفواه الرجال* ؛ محمد العثماني، *ألواح جزولة والتشريع الإسلامي*، مخطوط ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، القاهرة، 3 أجزاء، 1970 . 1974 ؛ م. الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، القاهرة، 1958 ؛ الحبيب البوسليماني، *روضة الأزهار ونزهة الأبصار*، مخطوط ؛ أحمد بن المهدي الغزال العيساوي الجزولي، *النور الكامل في مناقب فحل الرجال الكامل سيدي محمد بن عيسى*، مطبعة مصر، بدون تاريخ؛ محمد سالم ولد لحبيب ولد لحسين ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تح. مصطفى ناعمي، 1992.

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc : Maurétanie tingitane*, *A.M*, 1904, p. 342 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; Id, *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique. VIe av.-IVap J.C.*, Rome, 1978 ; R. Mauny, *Autour d'un texte bien contreversé : le périple de Polybe. 146 av. J.C.*, *Hesp.*, XXXVI, 1949 ; M. Naïmi, *Nul Lamta ou l'éveil du sens étymologique*, in *Le Nom Géographique : Patrimoine et communication*, actes du premier colloque national sur les noms géographiques, Rabat, 1992 ; P. Pedech, *Un texte discuté de Pline : Le voyage de Polybe en Afrique. Histoire Naturelle*, tomes V, IX, X, *R.E.L.*, XXXIII, 1955, 318-332 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; M. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane*, Paris, 1877 ; Albert (Lieutenant), *Renseignements sur la tribu des Ilalen Sous, Anti-Atlas*, Arch. S.A.H., 1914, 13 p. ; Id, *Les Ida Ubaqil*, Arch. S.H.A., 1915, 9 p. ; Aubert (Capitaine), *Les Harratine de l'annexe de Tafingoult*, Arch. S.H.A., 1913 ; Lieutenant Bourguignon, *Tiznit*, Arch. S.H.A., 10 p., 1913 ; Id, *Reconnaissance aux Ida ou Zekri*, Arch. S.H.A., 20 p., 1917 ; Capitaine Buffe, *Les Ahl Tata*, Arch. S.H.A., 15 p., 1938 ; Id, *Les Id ou Blal*, Arch. S.H.A., 15 p., 1938 ; Capitaine Chotti, *Aït Oumribete*, Arch. S.H.A., 1950 ; Lieutenant Deléris, *Les Ahl Tissint*, Arch. S.H.A., 17 p., 1915 ; Capitaine Gascon, *Etude sur les "leffs" Tahouggat et Igouzoulen dans les tribus de l'annexe des Aït Baha*, Arch. S.H.A., 27 p., 1946 ; Id, *Les Aït Ouadrim*, Arch. S.H.A., 7 p., 1916 ; Capitaine Moureau, *Les sociétés des Oasis. Une race : Les Harratin*, Arch. S.H.A., 18 p., 1955; Capitaine Parent, *Confédération des Ammeln*, Arch. S.H.A., 39 p., 1953 ; Capitaine de Reure, *Les Ahl Aglou*, Arch. S.H.A., 1938 ; P. de Cenival et T. Monod, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal* par Valentin Fernandès 1506 - 1507, Paris, 1938 ; G.S. Colin, *Des juifs nomades retrouvés dans le Sahara marocain au XVIe siècle*, *Mélanges Lopez-Cenival*, 53-66, Paris, 1945 ; C. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc, 1883-1884*, 2 vol., 188 ; Jacques Meuniée D., *Greniers-citadelles au Maroc*, 249 p., Paris, 1951, 2 vol. ; Id, *Hiérarchie sociale au Maroc présaharien*, *Hesp.*, 1958, 3-4, 239-269 ; Id, *Sur l'histoire des populations sahariennes*, *ROMM*, n° 11, 1er sem. 1972 ; L. Justinard, *Poèmes chleuhs recueillis au Sous*, *R.M.M.*, 1925, 2ème trim. ; Id, *Notes sur l'histoire du Sous au XIXe s.*, *Hesp.*, 1925, 3 ; 1926, 4 ; Id, *Notes sur l'histoire du Sous au XVIè siècle*, *A.M.*, XXIX, 1933 ; Id, *Notes d'histoire et de littérature berbère*, *Hesp.*, 1949, 3-4 ; A. de La Porte Des Vaux, *Notes sur le peuplement juif du Sous*, *BESM*, XV, 1952, n° 54, n° 55, 629-632 ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVIe s. : Tableau géographique d'après Léon L'Africain*, Alger, 1906 ; R. Montagne, *Les berbères et le makhzen*, Paris, 1930 ; Id, *La limite du Maroc et du Sahara atlantique*, VIIe congrès de l'IHEM, Paris, 1930 ; V. Monteil, *Gens et choses du Bani*, *Hesp.*, 1946, 3-4 ; B. Rosenberger, *Tamdult*, *H.T.*, 1970.


مصطفى ناعمي

**جزولة**. بالشمال. حسبما ورد شكل اللفظ بالوثائق المخزنية. وينطق بها محلياً إكزولن وإيزولن. فرقة تحتل المرتبة الثانية من حيث عدد سكانها ضمن قبيلة بني بويفرور القلعية بعد بني بوغمرن. تشغل المداشر المكونة لها التلال الجنوبية الغربية من كتلة جبل وكسان. موزعة حول مجرى واد سوق خميس جزولة من لدن منبعه بعين بوهرازة إلى مدخله في سهب براقة عند جبل أفرا (العافية).

ليست لدينا معلومات أولية عن سبب إطلاق اسم جزولة على التجمع السكاني الأصلي الوارد على أرض بني بويفرور، وما إذا كانت له علاقة بجزولة الجنوب المغربي. وكل ما أمكن التوصل إليه أن الاسم ذا الدلالة البشرية جد قديم، وربما وجدنا العلة في وصول أولى فيالق جيش

الموحدين إلى قلعية سنة 535 هـ بقيادة عبد الرحمان بن زگو الذي استنزل قائد المرابطين ماكسن بن المغز من قلعة مليلة (ح. الفگيگي، *قلعية*، 1 : 40). وحجتنا على قدم استقرار جماعة جزولة بالمكان تحول الدلالة البشرية إلى مجرد دلالة جغرافية وإدارية قبل سنة 939 / 1533، حسب المستنتج من تقييد نسب قبيلة قلعية.

يبين التقييد إطار التشكيلة السكانية الجديدة المكونة آنذاك لفرقة جزولة نتيجة اندفاع فلول بني مرين وأحلافهم نحو أراضي الشمال الغربي المغربي. هكذا سجلت وثيقة نسب قبيلة قلعية هجرة الأسرة الخرباشية (إخرباشن) وهي من قبيلة سجع الهلالية، استقرت يمين مجرى واد الخميس بمقربة من تل إدمّراونْ. ثم الحمر (إحمرون) الهلاليين الذين حلوا بالمكان خلال القرن السابع (13 م)، استقروا بموضع تحاضيتْ. وإعراصن (أولاد أعراص) الواردين من مدشر العرص الكائن ببني يطوفت مع بداية الدولة الوطاسية. أول من نعرف منهم بقلعية قائدها علي أعراص (*معلمة المغرب*، 2 : 512) استقروا بجوار تل أفرا. وكذلك أولاد يحيى إعلاتن الذين هاجروا من بني توزين قبل القرن العاشر (16م) موطنهم جنوب تل أفرا. ونضيف إليهم أولاد زكري (إزكرياتن) ويوجدون حالياً أيضاً بجوار أفرا. ثم سلطانة (إسلطانن). الذين أشار التقييد المذكور إلى أصلهم الفگيگي، استقروا بإبركانن بموضع تالانيجْضاضْ. ثم بني محمد كانوا مستقرين بجوار تل أفرا. وأولاد يعيشْ (بولعيش) هاجروا إلى فرقة جزولة من بني مسارة.

وقد أشار موليبراس (A. Moulieras) إلى سوق خميس جزولة (*Le Maroc inconnu*, 166) الوارد بالمصادر الاسبانية العائدة إلى بداية القرن الحالي أن فوقة جزولة تكونت آنذاك من ثلاثمائة كانون أي نحو ألف وخمسمائة نسمة. وإلى غاية 1931 لم يطرأ على هذا العدد أي تغيير ملحوظ (*Vademecum*, 53).

وبتتبع الوثائق المخزنية نتعرف على دور الفرقة في سياق أحداث قلعية على عهد السلطان الحسن الأول، ومن خلال ذلك التتبع وجدنا أنها هي التي تزعمت التمرد على قائد قبيلة قلعية المعروف المختار ألغم، وبه انتزعت استقلال خمس بني بويفرور لصالح أحد أعيانها المعروف حميدة بن شلال العلاتي سنة 1298 / 1881 (*معلمة المغرب*، 6 : 1903). ونعلم كذلك أن النزاع الذي احتدم بين ابن شلال والأمين محمد المحرق كان من ورائه بعض أعيان فرقة جرولة، وهي نفس الفرقة التي تولت العصيان على قائدها ابن شلال سنة 1306.

ونعرف منذ سنة 1308 شيخين من شيوخ جزولة هما : عمر بن الكنش الجزولي ومحمد بن الدريوش الجزولي، استدعاهما الحسن الأول للمشاركة، ضمن أعيان الريف كافة لحضور مراسيم تعيين حدود توسعة أراضي مليلة المحتلة، ومراقبة سير عمليات الرسم وفق الاتفاق المبرم بين المخزن المركزي والإسبان في تلك السنة. ومن أعيان جزولة كذلك أولاد خوجة.

مرت تجمعات فرقة جزولة بمرحلة جد خطيرة منذ بداية القرن الحالي، ابتداء من التجاء بوحمارة الزرهوني إلى قلعية عام 1905 أولاً، وخلال الزحف الإسباني على أراضيها سنة 1909 ثانياً، وأثناء الثورة الريفية في المقام الثالث.

لعبت فرقة جزولة البويفرورية دوراً أساسياً خلال ثورة بوحمارة بالشمال الشرقي منذ توصله ببيعة أهل الخمس عام 1903 واستقراره بقصبة سلوان ابتداء من 25 أكتوبر سنة 1905 ومساندة قائده محمد بن حميدة بن شلال العلاتي (*مذكرات التراث المغربي*، 5 : 37).

ولم يطل ولاء الفرقة لقائدها ولبوحمارة، إذ سرعان ما استجابت لنداء المجاهد الشريف أمزيان والالتفاف حوله لمناهضة حركة الثائر بوحمارة. ففي أكتوبر 1908 جمع الشريف جيشا مؤلفا من قبائل ناحية الكرط، زحف به نحو خميس جزولة، وتمت له هناك مبايعة المولى عبد الحفيظ لأول مرة، بعد دخوله إلى مدينة فاس أول يونيه 1908. وبتلك القوات انجلت قوات بوحمارة عن قصبة سلوان وانكشف الخطر عن أراضي جزولة.

خرجت فرقة جزولة من نطاق محنة وجود بوحمارة لتندمج كلية في حركة مقاومة الزحف الإسباني خاصة، إذ أن سوق الخميس كان نقطة تمركز المجاهدين المنضوين تحت لواء الشريف محمد أمزيان، كما أن معدن جبل وكسان الذي ظل مصدر إغراء أساسي للقوات الحربية الإسبانية. يقع بأراضيها.

دق ناقوس الخطر بالنسبة لجزولة منذ مستهل خريف سنة 1909، إذ أن الجيش الإسباني احتل مدينة الناظور يوم 25 شتمبر السنة، وحل بقصبة سلوان بعد سهب بوعرگ، كما أنه بنى قلعة تينگمرت (Tauima) في نفس السنة على تل بارز جنوب جزولة مشرف على بحيرة بوعرگ (*معلمة المغرب*، 7)، وغدت أراضي الفرقة مطوقة من جهاتها الثلاث باستثناء الشمال. ولكن الوقت الحاسم تمثل في الزحف الإسباني بلفيفه الاجنبي نحو سوق الخميس يوم 30 شتمبر 1909، لتتم بساحته معركة كبرى بقيادة الشريف محمد أمزيان، كان من نتائجها مقتل الجنرال دْيِيثْ ڤيكاريو (Diez Vicario) وتأخير وصول الإسبان لأزغنغان إلى يوم 26 نوفمبر 1909 (*مذكرات التراث المغربي*، 6 : 58).

ونسجل خلال هذه المرحلة الأولى من مقاومة جزولة للإسبان، إثر استشهاد الشريف محمد أمزيان (15 ماي 1912) هجرة تجمعات فرقة جزولة وتوزعها على مختلف جهات الريف الشرقي، سيما إلى ناحية گرط وبني بويحيى والمطالسة. وتعرف حركة الهجرة من ميدان القتال محليا بلفظ : "تيرَوْلوينْ".

وسيعود اسم جزولة إلى الظهور مرة أخرى في مستهل الثورة الريفية، ذلك أن الإسبان كانوا قد اتخذوا من سوق الخميس مركزاً لقواتهم لمراقبة تحركات المجاهدين المتمركزين بسوق جمعة قبيلة بني سعيد، بجبل ماورو، فبمجرد الإعلان عن انتصار المجاهدين في معركة أنوال (22 يوليوز 1921)، هب المجاهدون للانقضاض على حاميات الجيش الإسباني. فبالنسبة لفرقة جزولة دبر رجالها الهجوم على ثكنة تينگمرت يوم 25 يوليوز 1921 وعلى مركز سوق الخميس يوم 28 يوليوز من نفس السنة، وتم الاستيلاء عليهما، إلا أن الإسبان عادوا إلى التمكن منهما ثانية في ديسمبر السنة (*معارك الثورة الريفية*، 83 ـ 114).

يؤكد فرار تجمعات جزولة وعودة الإسبان إلى احتلال مدينة أزغنغان تاريخ انتهاء انعقاد سوق خميس جزولة بمكانه المعتاد، إذ أن الإسبان جعلوا من أزغنغان المركز العسكري والإداري الرئيسي لعموم خمس بني بويفرور. وقد ترتب عن هذا الإجراء نقل سوق الخميس إلى المركز المذكور.

احتل موضع سوق خميس جزولة أواسط أراضي الفرقة بطلعة المختار، وهو معروف اليوم بسوق الخميس القديم، قصده آنذاك علاوة على أخماس قبيلة قلعية أهل الگرط من بني وكيل العساري وأولاد شعيب خاصة.

مجهول، *تقييد نسب قبيلة قلعية*، مخطوطة خاصة؛ *وثائق الخزانة الحسنية*، بالرباط؛ *كناش 192*؛ *وثائق مديرية الوثائق الملكية*؛ ح. الفگيگي، *قلعية*؛ *معلمة المغرب*، ج.3 و6؛ العربي الورياشي، *الكشف والبيان*؛ م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*، *ومضات مضيئة عن الحرب الريفية*؛ *ضابط الأمور الوطنية*؛ *خريطة طبوغرافية لسنة 1935*؛ *رواية شفوية وبحث ميداني*؛ *مذكرات التراث المغربي*.

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu* ; E. Maldonado, *El Rogui* ; *Historia de las Campanas de Marruecos* ; *Nomenclator. Cabilas* ; M. Campos, *Espana belica* ; A. Riera, *Espana en Marruecos* ; E.L. Alarcon, *Melilla 1909* ; G. Calvo, *Espana en Marruecos* ; A. S. Orts.

حسن الفگيگي

**جزولة** (سبت ـ)، يقع مركز سبت جزولة على الطريق الرئيسية رقم 8 الرابطة بين الدار البيضاء وأگادير على بعد 27 كلم من أسفي نحو الجنوب. وبحكم موقعه فهو يؤدي عدة وظائف داخل بلاد عبده.

يشكل سبت جزولة مركزاً تجارياً كبيراً باعتبار سوقه الأسبوعي الذي يعدّ أكبر سوق بمنطقة تانسيفت ومن الأسواق المهمة بالمغرب على العموم. فهو يستقطب أكثر من 3000 تاجر من الشاوية إلى سوس. ويتوافد عليه الزوار من عبدة والشياظمة وبلاد احمر. وترجع أهميته كمركز تجاري أيضاً إلى تجارته القارة التي تتكون من ما يزيد عن 500 متجر منها 25 للبيع بالجملة. ولتجار الجملة بسبت جزولة نشاط كبير في بيع المواد الغذائية وعلف الماشية والإسمنت... ويشمل نفوذهم بلاد الشياظمة وعبدة، ويمارسون منافسة قوية بالنسبة لتجار أسفي والصويرة حتى داخل المدن. ولسبت جزولة أيضاً دور كبير في ميدان تجميع المواد الفلاحية من حبوب وخضر وفواكه قصد توجيهها نحو الأسواق الاستهلاكية مثل أگادير وأسفي والدار البيضاء ومراكش أو نحو التصنيع بأسفي وخاصة الزيتون وزهرة الكبر.

يعتبر مركز سبت جزولة أيضاً مركزاً مهماً للحرف الإنتاجية في بلاد عبدة. فهو يضم ما يزيد عن مائة وحدة للإنتاج في ميدان الخشب والحديد والرخام والزيت ومواد البناء والنسيج والبلاستيك والفضة ... ويتم تسويق إنتاج هذه المواد مباشرة في أسواق عبدة والشياظمة أو عبر مدن أگادير وأسفي ومراكش.

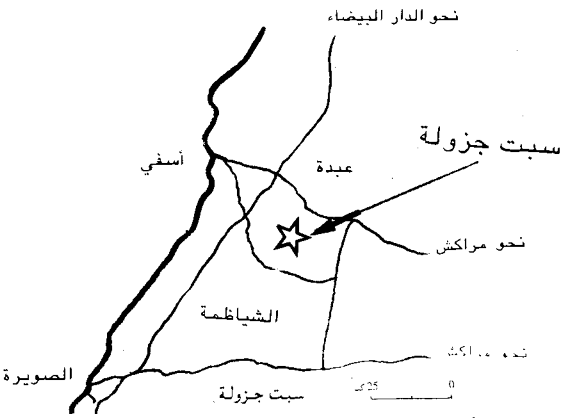


يشكل سبت جزولة كذلك مركزا كبيرا للخدمات. فهو عبارة عن محطة طرقية نشيطة ليل نهار بين البوادي ومدينة أسفي وعلى محور الدار البيضاء ـ أگادير. وبالإضافة إلى التركز الكبير لسيارات الأجرة والحافلات الذي يرتبط بهذا الدور فهو يشكل أيضاً تمركزاً أكبر للخدمات المرتبطة بالطريق من مقاهٍ ومطاعم ومختلف خدمات الصيانة والإصلاح.

يعتبر أيضاً سبت جزولة مركزاً إدارياً لايخلو من أهمية داخل عبدة. فهو مقر دائرة جزولة ومرافق إدارية واجتماعية تشغل 400 موظف. ويتوقع أن تتصاعد مكانتها في ميدان الشغل مع ترقيته سنة 1992 إلى رتبة بلدية، ومع تزايد حجمه الديمغرافي حيث انتقل عدد سكانه من 4555 نسمة سنة 1982 إلى 10363 سنة 1994.

M. Antona, *La région des Abda,* Rabat, 1931, 211p. ; R. Fosset, *Le réseau urbain des bas plateaux atlantiques moyens du Maroc,* Tours, 1977, p. 165 - 175 ; *Société rurale et organisation de l'espace : Les bas plateaux atlantiques du Maroc moyen,* Thèse d'Etat, Montpellier, 1979, 970 p. ; J. Pegurier, *L'intégration urbaine dans le Sud-Ouest marocain, BESM* N° 131 - 132, 1976, p. 133 - 163 ; *Espaces urbains en formation dans le Tensift.* Rabat, 1981, 443 p.

المصطفى شويكي

**جَزوليت**، أو گزوليت أسرة رباطية أندلسية، ورد ذكرها في مراجع منها *تاريخ رباط الفتح* لعبد الله

السويسي، وفي *وثائق* بمكتبة المكي جزوليت وابنه أحمد. يستبعد انتماء آل جزوليت لأصل عربي، كما أن انتماءها إلى أصل أمازيغي غير وارد. ويرجَّحُ أنها موريسكية من المهاجرين من الأندلس بعد سقوط غرناطة. ومعلوم أن عائلات منهم استوطنت مدن الشاون وتطوان والقصر الكبير وفاس وسلا والرباط ؛ ولعل أصل جزوليت من قلعة گاسوليس. وعرف منهم مجاهدون بحريّون أمثال :

**جزوليت، محمد** الرباطي من ريّاس أسطول الجهاد بمصب أبي رقراق خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م). وقد تعرضت سفينته لهجوم مركب حربي هولندي تحت إمرة القبطان بارنت يانسن B. Janssen وكاد العدو يستولى على السفينة وقائدها جزوليت لولا مراوغة هذا الأخير واتجاهه نحو أعالي البحار. كان هذا الحادث موضوع شكاية مغربية إلى الولايات العامة بلاهاي بسبب معاهدة السلم القائمة آنذاك بين البلدين.

H. De Castrie, *S.I.H.M.*, *Pays-Bas*, 1ère série, 4 : 326 - 327.

**جزوليت، المختار** بن المكي بن محمد بن المكي بن الجيلالي الرباطي مقاوم شهير، وهو سبط محمد بن عبد الرحمان فرج من ابنته زهراء. ولد بمدينة الرباط سنة 1914، وهو صغير إخوته وأخواته. وتربّى في وسط أسرة محافظة، كان والده تاجراً مولعاً بقراءة كتب التاريخ، وكانت والدته أما لستة أبناء وثلاث بنات.

تيتم المختار وهو ابن ثمانية أعوام بعد وفاة والده سنة 1922، فحضنته أمه وخاله عمر فرج، وكفله أخوه أحمد الذي أشرف على تربيته ورعايته، فأدخله الكتاب حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن، ثم تابع دراسته بثانوية مولاي يوسف، كما انتهل من الفكر السلفي على يد الشيخ أبي شعيب الدكالي الذي كان يلقي دروسه بالزاوية الناصرية، ثم انكب المختار طوال حياته على المطالعة والتحصيل والتكوين الذاتي المستمر حتى غدا من أبرز الشباب المثقف بمدينته.

نشأ المختار جزوليت وسط جو من المواجهات الداخلية والصراعات الدولية، فقد ولد بعد سنتين من عقد الحماية الفرنسية على المغرب، ومع بداية الحرب العالمية الأولى، ونشأ في فترة كانت فيها حركة المقاومة المسلحة المغربية ضد الوجود الاستعماري الفرنسي والإسباني في عنفوانها، كما عاصر مرحلة المقاومة السياسية انطلاقاً من أحداث صدور الظهير البربري سنة 1930 إلى ظهور التنظيمات السياسية ما بين سنتي 1933 و1937، وما صدر عنها من جرائد ومجلات وطنية أغنى خزانته منها، وشارك وهو شاب يافع في الأحداث التي أدت إلى توقيع وثيقة المطالبة باستقلال المغرب يوم 11 يناير سنة 1944.

تأثر المختار بالمبادئ الوطنية والأفكار التحررية، وانخرط في كتلة العمل الوطني وأصبح عضواً نشيطاً فيها، فكان مسامراً ومرشداً وخطيباً...

وفي سنة 1935 أصبح مدرساً بالمدرسة الغازية الحرة التي تخرجت منها الأفواج الأولى من مدرسي وأساتذة مدينة الرباط.

وفي سنة 1937 عندما أقدمت الإقامة العامة الفرنسية على إغلاق المدارس الحرة وإلقاء القبض على مسيريها، تشجع المختار جزوليت وتحمل مسؤولية المؤسسة التي كان يعمل بها كمدرس، فأصبح انطلاقاً من هذا التاريخ متابعاً من لذن أعوان السلطات الاستعمارية وجواسيسها.

وعلى إثر تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال، وبعد تأطيره ومشاركته في المظاهرات التي أقيمت بمدينة الرباط يوم 29 يناير 1944، ألقي القبض على الشاب جزوليت وأودع في سجن لعلو داخل الزنزانة رقم 12 لينتظر مصيره المحتوم، ألا وهو الحكم بالإعدام الذي صدر في حقه عن المحكمة العسكرية الفرنسية.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء 11 ربيع الأول سنة 1363/ 7 مارس 1944 ليلة عيد المولد النبوي نفذ حكم الإعدام رمياً بالرصاص في الشاب المختار جزوليت بساحة الرماية على شاطئ المحيط الأطلنتي بالقرب من الهرهورة، ودفن في مقبرة يعقوب المنصور.

خليل بن أحمد جزوليت، *المختار جزوليت شهيد انتفاضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944*، مخطوط.

خليل بن أحمد جزوليت

**الجزولي**، أسرة سوسية عريقة تنتسب إلى قبيلة جزولة الكبرى التي تكوّن شطراً مهماً من سكان سوس. ولها فروع في فاس والرباط وغيرهما. ذكر في *جنى زهر الآس* أن بيت الجزولي بفاس بيت علم وثروة وحسب كان منهم شيوخ كثيرون ستاتي تراجم بعضهم، وكذلك بيت الجزولي بالرباط من أعرق بيوت هذه المدينة، وسيذكر كذلك بعض رجالهم.

**الجزوليّ، إبراهيم** (الحاج -) بن محمد الرباطي، من بيت أولاد ميرو الأندلسي. من أعلام الموسيقى والطرب، من مواليد منتصف القرن الثالث عشر (19 م)، كان أديباً فاضلاً إلى جانب تعاطيه للنشاط التجاري، قبل أن تنصرف همته إلى فن الموسيقى، وصنعة الانشاد والتلحين الصوتي، فشغف بذلك وانقطع له حتى برع فيه براعة لم تعرف لغيره، مما بوأه صدر مجالس الأمداح النبوية، فكان لايتقدم عليه غيره عند حضوره ؛ وظل كذلك إلى وفاته سنة 1325 / 1907.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 262 . 263.

حسن أميلي

**الجزوليّ، أبو موسى** النحوي، عيسى بن عبد العزيز بن يَلَّبَخْت بن وماريلي، نسبة إلى جزولة، اليَزْدُكْتَني عزواً إلى اليزدكتن، وهم فخذ من جزولة، من أمه تيلّمان بنت تيفاوت، من موضع يدعى "إيد أ وغردا" من أرض جزولة، وفي هذا النسب كَلم من اللسان البربري تحتاج إلى ضبط وتفسير تولى شأنهما ابن عبد الملك في *الذيل والتكملة*، فنحيل عليه في ذلك تخففا منه واختصاراً فيه. فأما أبو موسى سليل هذا النسب البربري الصميم من طرفيه فقد شاء له قدره أن يكون رئيس النحو العربي في الغرب الإسلامي في القرن السادس الهجري (12 م)، ولم يكن في ذلك خروجا مما عليه الحال، ذلك أن الشأن في النهضات الكبرى أن تكون معالمها متكافئة المستويات، متكاملة العناصر، وعليه فإن العهد الذي يوجد فيه فيلسوف كابن رشد، وطبيب كابن زهر، وجغرافي كالشريف الإدريسي، ومفسر كالحرالّي، وصوفي كأبي العباس السبتي، وما ضاهى ذلك، تقتضي الحال أن يكون كبير النحاة فيه من طراز أبي موسى حتى لايكون من الفلتات أو من الشذوذ.

ولد أبو موسى الجزولي عام 540 / 1145 وشرّق بعد أن شدا بموطنه من أوليات العلوم ما يتأهل به للقاء الأشياخ الكبار، وإنه لمن جزاف الكلام أن نقول عنه إنه ابتدأ رحلته خاوي الوفاض إلا من محبة العلم، فإذا هو في الزمن القليل - يجادل المتمرسين في دقائق النحو بمجلس ابن بري شيخ العربية لوقته في مصر، أو يجادل تارة أخرى في مسائل الأصول بمجلس أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الإشبيلي البجائي الملقب بالأصولي لقوته واقتداره في علم الأصول، اللهم إلا أن يكون الأمر فتحا، وأيا ما كان فإن أبا موسى أخذ عن ثلة من الأشياخ ذاهباً ومقيماً وآيباً، منهم بترتيب الوفيات : مهذب الدين أبو المحاسن مهلب بن الحسن بن بركات المهلبي المصري البهنسي النحوي اللغوي (ت. 572 هـ) ؛ صدر الدين أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلَفي (ت. 576 هـ)، أخذ عنه بالإسكندرية فيمن كان يأخذ عنه من المُشرِّقين والمُغرِّبين ؛ أبو محمد عبد الله بن برّي بن عبد الجبار المصري (ت. 582 هـ)، وهو أجل شيوخه في العربية ؛ أبو محمد الحجري، شيخ في القراءات والحديث، تخرج به جمع من العلماء المغاربة (ت. 591 هـ) ؛ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الإشبيلي أصلاً، البجائي داراً ومنشأ، كان متحققاً بالأصول، واشتهر بذلك فعرف بالأصولي، وكان عنده تهمُّم بعلوم الأوائل فاتجهت إليه التهم من ذلك، فجفاه سلطانه، وارتابت به العامة، وكان عاقبة أمره أن مات مهجوراً ببجاية سنة 612 هـ ؛ أبو الطاهر إسماعيل بن ظافر بن عبد الله العقيلي، من نبلاء العلماء المصريين عارف بالقراءات ماهر بالعربية، إلى دين متين، (ت. 623 هـ) ؛ أبو حفص عمر بن أبي بكر بن إبراهيم التميمي الصقلي، أخذ عنه أبو موسى بالإسكندرية عندما ما قفل من حجه ؛ أبو محمد ابن عبيد الله الذي سمع منه *صحيح البخاري*. وفي الظن أن له شيوخا كثيرين غير من نسيهم التاريخ.

تكاثر تلاميذ أبي موسى لما كان عليه من حسن الإلقاء، وجودة التفهيم، وبركة الإقراء، فأخذ عنه أعلام، منهم - بسياق التاريخ - أبو الحجّاج يوسف بن يحيى بن عبد الرحمان التادلي المعروف بابن الزيات (ت. 627 هـ)، فقيه أديب لغوي، له كتاب *التشوف إلى رجال التصوف* وله *نهاية المقامات في رواية المقامات* وهو شرح على مقامات الحريري، ومنهم زين الدين أبو زكرياء يحيى بن معط بن عبد النور الزواوي (ت. 628 هـ)، وهو من أنبه تلاميذ أبي موسى، وأشدهم تأثراً به، وأحرصهم على نشر آرائه، وهو صاحب الأرجوزة المسماة *بالدرة الألفية، في علم العربية* التي كانت طليعة ألفيه ابن مالك المسماة *بالخلاصة*، وأبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي الحميري، من أعيان الأندلس فصاحة وعلما وتصنيفا، توفي شهيداً في واقعة "أنيشة" وهو يحمل راية المسلمين بيده سنة 634 هـ، وأبو عبد الله محمد بن قاسم بن منداس، المتوفى بالجزائر سنة 643 هـ، كان واسع الاطلاع على النحو، عارفاً بأقوال النحاة، مواظبا على الإقراء، وكان *قانون أبي موسى* في جملة ما يدرسه من المتون النحوية، ومنهم أبو جعفر أحمد ابن محمد الموروري، (ت. 650 هـ) كان متحققا بالنحو، ومعه حظ من اللغة، وكان قد لازم أبا موسى حتى كاد يستنفد ما عنده، وأبو النصر فتح بن حماد الجزيري، فقيه أصولي منطقي نحوي بعد ذلك عروضي، طوف بالآفاق، ودرس بالنظامية، وعمر أوقاته بإقراء النحو، ثم كانت وفاته بمصر سنة 663 هـ، ومنهم آخرون ذكرهم مترجموه، أو الذين ألفوا في طبقات النحاة، فلم نرد أن نأتي بهم على الاستقصاء.

أفاد أبو موسى بمجالسه في حياته، ثم أفاد بعد وفاته بمؤلفاته التي عرفنا منها عن مترجميه ما يأتي :

1 - *القانون*، وهو أعرف مؤلفاته، ويأتي الكلام في التعريف به عن قريب.

2 ـ شرح *أبي موسى عليه*، بسط فيه الكلام عن مسائله، وانتهى فيه إلى باب التوكيد، ومات قبل إتمامه، وهو في حكم المفقود إلا نقولا منه جاءت في بعض شروح القانون الباقية.

3 ـ شرح *إيضاح الفارسي إجمالا*، (مفقود).

4 ـ شرح *شواهده استقلالا*، (مفقود).

5 ـ شرح *أصول ابن السراج*، (ضائع).

6 ـ *أمال في النحو*، ذكرها ابن خلكان في *الوفيات*، وقال بشأنها ما نصه : "سمعت أن له أمالي في النحو، ولكنها لم تشتهر".

7 ـ *تعليقات على كتاب سيبويه*، (ضائع).

8 ـ *تنبيهات على مفصل الزمخشري*، (مفقود).

9 ـ *اختصار شرح ابن جني على ديوان المتنبي المسمى بالفسر*، قال عنه ابن خلكان في وفياته : "ورأيت له اختصار الفسر لابن جني في *شرح ديوان المتنبي*".

10 ـ شرح *قصيدة بانت سعاد* لكعب بن زهير، نشر بعناية المستشرق روني باسيه بالجزائر سنة 1910 م، ثم هَلُمَّ إلى الحديث عن *القانون* :

تعددت أسماء *القانون* في الكتب التي ترجمت أبا موسى، فهو *المقدمة*، وهو *الجزولية*، وهو *المقدمة الجزولية* تارة أخرى، وهو *الكراس*، *والكراسة* بالتأنيث، وهو *الاعتماد*، *والتقييد*، *والتعليقة*، وكل ذلك أسماء لمسمّى واحد ليس إلاّ، والظاهر أن أبا موسى كان يمليه من غير كتاب، فغيّره بالنقص والزيادة وتبديل الشكل اعتباراً بالمستويات ورعيا لمقتضى الأحوال، فاختلفت أسماؤه لذلك عند الآخذين والمدرسين والشارحين.

ضغط أبو موسى في *قانونه* مسائل النحو ضغطاً قلّل كثيرها، ثم زاد على ذلك فأعراهُ من الأمثلة، وأخْلاهُ من الشواهد إمعانا منه في الإيجاز، فأدى ذلك الاكتناز البالغ إلى عسر فهمه حتى على المتخصّصين في النحو، وذلك ما جَرّأ أحدهم على أن يقول فيه : "أناَ ما أعرف هذه المقدمة، ولايلزم من كوني ما أعرفها أني لا أعرف النحو"، فاقتضت الحال أن توضع عليه الشروح التي تيسر منه العسير، وذلك ما انتدبت له طائفة من جلة النحاة، عرفنا منهم زهاء العشرين، منهم ـ بنسق التاريخ ـ : تلميذه زين الدين أبو زكرياء يحيى بن معط الزواوي، وأبو إسحاق العطار، واسم شرحه عليه : *المشكاة والنبراس، في شرح الكراس*، منه مخطوطة بمكتبة القرويين بفاس، ولأبي علي عمر بن محمد ابن عمر الأزدي الإشبيلي النحوي الملقب بـ "الشلوبين" عليه ثلاثة شروح : أحدها سماه *التوطئة* وهو وجيز ميسر، وقد طبع محققا بعناية الدكتور يوسف مطوع من الكويت، والثاني منها يقال فيه *الشرح الصغير*، وقد قام بتحقيقه الشيخ ناصر الطريم من كلية اللغة العربية بالرياض ومنح به درجة جامعية، والثالث يعرف *بالشرح الكبير* ومنه بقية مخطوطة في أوراق وشرحه جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر الكردي المصري المعروف بابن الحاجب، ومنه مخطوطة بمكتبة القرويين بفاس، وشرحه علم الدين أبو محمد القاسم ابن أحمد بن الموفق اللورقي (ت. 661 هـ)، وسمّى شرحه *المباحث الكاملية*، وهو أكمل شروح *القانون* وأوفاها، منه مخطوطة بدار الكتب بخط جمال الدين أبي محمد الحسين ابن بدر المعروف بابن إياز، والشرح هذا حققه وأعده للطبع الدكتور شعبان عبد الوهاب محمد، الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وشرحه محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني صاحب *الألفية*، وسمّى شرحه *المنهاج الجلي، في شرح القانون الجزولي*، وشرحه علي بن محمد الخشني الغرناطي المنسوب بالأُبَّذي، ومن شراحه أبو بكر محمد بن علي الجذامي الأندلسي المعروف بابن الفخار، ومنهم بدر الدين أبو محمد الحسن بن القاسم المرادي المراكشي المعروف بابن أم قاسم نزيل مصر، (ت. 749 هـ) ؛ وتمادى العمل في شرح القانون دواليك حتى مطالع القرن العاشر، فعرفنا عندها شارحا هو السيد علي ابن ميمون المغربي الفاسي (ت. 917 هـ).

وعلى *القانون* أعمال أخرى تشير إلى مزيد من التهمّم به، من ذلك عَقْدُهُ نظماً من قِبَل أبي عمرو بن غياث الشريشي (ت. 619 هـ)، ونظمه أيضاً شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي (ت. 709 هـ)، واختصره أبو منصور الشيعي (ت. 626 هـ)، ولأبي عبد الله محمد بن الحسن بن علي التميمي القلعي عمل عليه سماه : *حدق العيون، في تنقيح القانون*، وكان القلعي هذا فقيهاً نحوياً لغوياً، وكانت وفاته سنة 709 هـ.

رُزق القانون الحظوة عند العلماء، وأُتْبع الثناء الحسن على مدى الأعصار، من ذلك قول ابن خلكان في *الوفيات* بشأنه : "وصنف فيه (يريد النحو) المقدمة التي سماها *بالقانون*، ولقد أتى فيها بالعجائب، وهي في غاية الإيجاز مع الاشتمال على كثير من النحو، ولم يسبق إلى مثلها"، وقال عنه ابن مالك صاحب *الألفية* من مقدمة شرحه عليه مانصه : "إن كتاب *القانون* في النحو لشيخ الإسلام الفاضل عيسى أبي موسى الجزولي وإن كان صغير الحجم، لكنه كثير العلم، مشتمل على لباب الأدب، منطو على سر كلام العرب، متضمن للنكات الغريبة التي خلا منها أكثر شروح النحو ..."، وقرظه مجد الدين ابن الظهير الإربلي شعراً فقال :

مقدمة في النحوذات نتيجة     تناهت فأغنت عن مقدمة أخرى
حبانا بها بحر من العلم زاخر     ولا عجب للبحر أن يقذف الدرا

وقال فيها ابن حوط مادحا :

كراسة في النحو لكنها     تحوي من العلم كراريسا
صغيرة الحجم وقد أسست     قواعد الصنعة تأسيسا
قد مخض الزبد بها نحوه     فاستوجب الشكر أبو موسى

من *القانون* مخطوطة بدار الكتب المصرية، وهي ضمن المكتبة التيمورية، برقم (363 نحو) في 73 صفحة، تمت

كتابتها عام 1318 هـ، وهي منتسخة من مخطوطة باستنبول كان انتساخها سنة 738 هـ.

حُقق *القانون* بعناية الدكتور شعبان عبد الوهاب محمد، واعتمد في تحقيقه مخطوطة المكتبة التيمورية، واستعان فيه بمخطوطة من شرح اللورقي عليه المسمّى *بالمباحث الكاملية على المقدمة الجزولية*، واستعان فيه أيضاً بمخطوطة من الشرح الصغير عليه لأبي عليّ الشلوبين، وطبع هذا التحقيق بالقاهرة سنة 1988 م.

لم يكن النحو علم أبي موسى الذي لايحسن سواه، بل كانت له مشاركة في جملة من العلوم نوّه بها ابن عبد الملك في *الذيل والتكملة*، فقال : "كان كبير النحاة غير مدافع، حافظاً للغة، وافر الحظ من الفقه، بارعاً في أصوله، متعلقاً بطرف من الحديث. "ويضيف ابن خلكان في *الوفيات* إلى ذلك علم القراءات فيقول : "وكان إماما في القراءات"، ثم يتبع ذلك بقوله : ذكر بعض أصحابه أنه حضر عنده ليقرأ عليه قراءة أبي عمرو، فقال له بعض الحاضرين : أتريد أن تقرأ على الشيخ النحو ؟ قال : فقلت : لا، فسألني آخر كذلك فقلت : لا، فأنشد الشيخ وقال : قل لهم :

لست للنحو جئتكــــم ... لا ولا فيه أرغــــب

خل زيداً لشأنـــــــه ... أينما شاء يذهـــب

أنا مالي ولا مــــرئٍ ... أبد الدهر يُضـــرب

ولكن ابن الجزري قال في *غاية النهاية* بعد إيراد هذه الحكاية : قلت "لاأعرف على من قرأ ولا من قرأ عليه"، كأنه يتشكك في علم أبي موسى بالقراءات، وهو كان يشتغل بالمنطق، بآية ما كانت عليه بحوثه من صحة تقسيم، ودقة تبويب، وقوة استدلال، وحسن تعليل، ووجاهة تأويل.

طوّف أبو موسى في الآفاق يتعلم ويعلّم، ثم كانت مراكش خاتمة تطوافه، فانتصب فيها للتدريس، فانثال الطلبة على مجالسه من داخل المغرب ومن خارجه، وكان أبو موسى ما كان من سعة الاطلاع على دقائق النحو وغريبه وشاذه، إلى ما كان عنده من جودة تفهيم وحسن إيراد، وبركة تعليم، فعرف أهل العلم قدره، وكان إلى ذلك متين الديانة شديد الورع، بالغ الأمر في الزهد، يخشوشن في عيشه، ويتبذل في لباسه فأحبته العامة، واعتقدت فيه، والمتوقع من الساسة وقتئذ أن يوجسوا من مثله خيفة، وذلك ما كان من المنصور الذي ارتاب فيه، وخشي أن يكون منطوياً على شر يبتغيه به، فامتحنه، فوجده على سلامة، فأدناه منه، ووالى عليه إنعامه، وأحسن الظن به، وصلّى خلفه، وأوصى في مرض موته أن يتولى أبو موسى غسله، وتولاه ابنه الناصر من بعده فكان يحضره مجالسه، ويستصحبه في أسفاره، ويبعثه في المهمات.

توفي أبو موسى عام 607 / 1210، وهو في سفارة من قبل الناصر الموحدي إلى أزمور في تهدئة نزاع قبلي بين بعض الصنهاجيين، فتفاوض أهل الرأي هناك في تعيين مدفنه، فقال بعضهم يُدفن في تربة الشيخ أبي شعيب السارية عساه يجد بركة أبي شعيب، وكان آخرون منهم على خلاف تلك النية فقالوا : يدفن إزاءه لعل أبا شعيب يجد بركة أبي موسى، فإنهما يتماثلان في الصلاح، ثم يزيد عليه أبو موسى بفضيلة العلم.

ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 9 : 307 ؛ القفطي، *إنباه الرواة*، 2: 378-380 ؛ ابن الأبار، *التكملة*، 2 : 650 ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 3 : 488-450 ؛ ابن عبد الملك، القسم الأول من السفر الثامن من *الذيل والتكملة*، 246-254 ؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، 5 : 633 ؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، 13 : 67 ؛ ابن الجزري، *غاية النهاية*، 1 : 611 ؛ الدلجي، *الفلاكة والمفلوكون*، 91؛ السيوطي، *بغية الوعاة*، 2 : 236 ؛ ابن العماد، *الشذرات*، 5 : 26 ؛ ابن أبي شنب، *دائرة المعارف الإسلامية*، 6 : 445-450 في الترجمة العربية، إسماعيل البابانى، *هدية العارفين*، 2 : 807-808 ؛ بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، 5 : 349-350 من الترجمة العربية ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 9 : 404-412 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 5 : 104 ؛ ع. گنون، *ذكريات* برقم 19 ؛ م. المنوني، *العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين*، 62-63 ؛ الدكتور شعبان عبد الوهاب محمد، الباب الأول من *تحقيق المقدمة الجزولية*، 1 : 83 ؛ أحمد الزواوي، *أبو موسى الجزولي، عرض لحياته العلمية، ومنهجه في البحث، وتأثيره في حقل النحو*، المحمدية (المغرب) 1984 م ؛ ابن المعلم التاورتي، *تقييدات في أبي موسى الجزولي* (مخطوط).

أحمد الشرقاوي إقبال

**الجزولي، بوشعيب** (الحاج -) بن محمد الرباطي أخو إبراهيم الجزولي المتقدم الترجمة وموسيقي مثله. كان شيخاً تقياً صالحاً ذاكراً خاشعاً، أهّلته مكانته الصوفية ليصبح مقدماً للطريقة الحراقية بالرباط، وذاع صيته في مجال المديح النبوي في محافل الأخيار، ومجامع الأذكار، متأثراً بشقيقه إبراهيم، حتى أصبح مقدماً في مجالس الأمداح بعد وفاة هذا الأخير، لايضاهيه أحد إلى حين وفاته سنة 1327 / 1909.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 263.

حسن أميلي

**الجزولي، الحسن** بن عيسى وقيل بن عبد الله الفاسي، صوفي زاهد، لقي عدة مشايخ، منهم ابن عسكر الشفشاوني الذي ذكر أنه انتفع به، ونسبه في الطريق لعبد العزيز التباع، وعلي الهيري الوارثيني دفين داخل باب الفتوح، وعاصر أحمد بن موسى المرابي الذي نعته بإمام أئمة وقته وبأنه كان راعي دواب الشيخ الغزواني ونسبه له في الطريق. وقد استبعد المهدي الفاسي في كتابه *ممتع الأسماع* نسبة الحسن الجزولي للتباع وأكد على صحة نسبته للغزواني. ورجّح ابن عيشون أن يكون قد أخذ عن الشيخين معاً.

توفي عام 992 / 1584 وقد جاوز المائة سنة ودفن خارج باب الفتوح.

م. ابن عسكر، دوحة الناشر ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، ص. 16 ؛ *ممتع الأسماع*، 73 ؛ م. ابن عيشون، *الروض العطر الأنفاس* (مرقون)، ص. 209 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2، 279.

زهرة النظام

**الجزولي، عبد الرحمان** السوسي شيخ جماعة مجاهدي جزولة التي حلت بميدان سبتة المحتلة تلبية لنداء رئيس المجاهدين عبّو بن محمد المجكسي. وصل الجزولي وجماعته في آخر عام 819 - 1416. وعن وصولهم يقول الإخباري البرتغالي "كومس إيانس دي زورارا" (Gomes Eanes de Zurara) : "جاء أولئك المسلمون من جهة جزولة، ولم ياتوا بأكثر من اثني عشر أو ثلاثة عشر فارساً، استجابة لنداء عبّو"، وسمى رئيسهم عبد الرحمان (Auderane). وقد أخبرنا زورارا بعد ذلك أن الشيخ الجزولي عاد إلى موطنه جزولة إثر مأساة الحصار المريني لسبتة المحتلة عامي 1418 - 1419 واستشهاد عدد كبير من رؤوس الجهاد، ليعود إلى الميدان بمعية نحو مائة فارس وألف من المشاة. وكانت الجماعة الجزولية القوّة الجهادية الوحيدة الحاضرة بميدان سبتة خلال سنوات 1420 و1424.

بتتبع العمليات الجهادية التي قادها الشيخ عبد الرحمان الجزولي، وجدنا أن الجماعة كانت تنطلق من جبل ومدشر مرتبطين باسم جزولة، نقدر حسب الأوصاف الطبوغرافية المستخلصة من تحركاتها، أن المكان كان بمقربة من جبل شندر الحالي الذي سماه البرتغاليون Oteyro dos Gazulus أي كدية الجزوليين.

لم تختلف طريقة الجزوليين عما علمناه من خطة عَبّو ابن محمد الحربية المعتمدة على نصب الكمائن. وقد سجل لنا زورارا من الغارات الجزولية مثالين، وتمت الغارة الأخيرة سنة 1424، واستغل الشيخ عبد الرحمان للوصول إلى الميدان طالعي بريش وبرج أويات. وقد كانت العمليات الهامة التي قادها مرتبطة بوصول مجاهدي جبل حبيب بقيادة مقدمه الحسن الأنجري، أحد مساعدي عبّو بن محمد منذ عام 822 / 1419.

اختفت عنا أخبار الشيخ عبد الرحمان ومعه جماعة جزولة بعد سنة 828 / 1424 ولم نعرف عنهم شيئاً بعد ذلك، وربما دلنا هذا الاختفاء على مغادرة الجماعة الجزولية لميدان سبتة بعد ثمان سنوات من وجودها به.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 147.

G.E. de Zurara, *Crónica de don Pedro de Meneses*. T. 1, chap. 47, p. 187-189 ; chap. 82, p. 340 ; T. 2, chap. 2, p. 486-489 ; chap. 7, p. 499-502 ; *Crónica de don Duarte de Menesses*, p. 55 ; *Colleccao de libros inéditos*, p. 539 - 550 - 565 ; J. Mascarenhas, *Historia de Ceuta*, p. 148, Lisboa, 1648.

حسن الفكيكي

**الجزولي، عبد الرحمان بن عفان** الفاسي، ذكر الونشريسي في *وفياته* أنه ولد سنة 650 هـ ووصفه ابن مرزوق في *مسنده* - وهو معاصر له - بشيخ الفقهاء سنا وحفظا، وبشيخ الشيوخ وواحد وقته.

تتلمذ عبد الرحمان على ثلة من كبار علماء زمانه، وأخذ عنهم ما تيسر له من علوم الفقه والحديث وخاصة مايتعلق بمذهب مالك *كالمدونة ورسالة* ابن أبي زيد القيرواني. فقد أخذ المدونة عن عبد الرحمان الرجراجي وأبي الفضل راشد الوليدي وأبي عمران الجورائي، وعبد الصادق الصبان ويوسف بن موسى بن أبي عيسى الغساني السبتي وأبي محمد عبد الصمد. وقرأ عليه الفقه وغيره نخبة من علماء المغرب من أمثال الشيخ الحافظ أبي عمران موسى ابن محمد بن معطي العبدوسي، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعد التميمي التّسلي الكرْسوطي. كما أخذ عنه أبو الحسن الصُّغيِّر الزرويلي، وسعيد بن محمد الهسكوري ثم خالد بن عيسى البلوي صاحب رحلة *تاج المفرق في تحلية علماء المشرق*، سمع عليه كثيراً من *رسالة* ابن أبي زيد ومن *التهذيب* وغيرهما. ومما يؤكد علو كعب عبد الرحمان الجزولي في المذهب المالكي وفروعه أن مجلسه كان يحضره أكثر من ألف فقيه جلُّهم يستظهر *المدونة*.

اقترنت شهرة الجزولي بشروحه على *الرسالة* القيروانية حيث قيدت عنه في مجالس تدريس *الرسالة* بفاس تقاييد عديدة نذكر منها ثلاثة : الأولى في سبعة أسفار وهي المعروفة بالـمُسَبَّع، والثانية في ثلاثة أسفار والثالثة في سفرين. وقد ذاع صيت هذه التقاييد في كل أنحاء المغرب وانتفع الناس بها وحفظها الطلبة. ويذكر المقري في هذا السياق، نقلاً عن القاضي عبد الواحد الونشريسي عن والده الشيخ أحمد بن يحيي الونشريسي مؤلف *المعيار* أن "مَن مَلَكَ الـمُسَبَّع من الجزولي، وتقييد اليحمدي عن أبي الحسن (الصغير)، أو حصلت له عناية بنقلها، فهو عالم العالَم بأسره، وحائز مذهب إمام دار الهجرة على التمام، والقائم بأمره" (*أزهار الرياض*، 3 : 36). وهذا الاهتمام البالغ بشروح الجزولي للرسالة لم يكن مقتصراً على القرن الثامن (14 م) فحسب، بل تعداه إلى فترة الحكم الوطاسي ومابعده، إذ يؤكد أحمد الونشريسي (ت. 914 هـ - 1508 م) أنه شاهد طلبة حضرة فاس يتهافتون على تقاييد الجزولي ويتنافسون في اقتنائها بالأثمان الباهظة (المصدر السابق، 3 : 36).

أجمعت المصادر على أن الجزولي عُمِّر وطعن في السن فلم يحل ذلك دون استمراره في التدريس بجامع القرويين إلى أن وافته المنية. لكن هذه المصادر نفسها اختلفت في أمرين : الأول حول المدة التي عاشها، إذ تشير مرة إلى أنه

عمّر أكثر من مئة وعشرين سنة، وتذكر مرة أخرى أنه مات عن تسعين سنة. أما الأمر الثاني فيتعلق بتاريخ وفاته إذ يلاحظ أن أغلب الروايات لم تحدد سنة معينة لذلك، بل أوردت تواريخ مختلفة ومتباعدة نسبياً مثل سنة 740 هـ و741 هـ و745 هـ و746 هـ. ومن المفيد هنا أن نشير إلى الحادثة التي وقعت للجزولي وكانت سبباً في وفاته لعلنا نصل إلى تاريخ مرجح.

فقد ذكر ابن مرزوق، وهو شاهد عيان، أن الجزولي لما التقى بالسلطان أبي الحسن المريني على وادي سبو حين قدومه من تلمسان بعد فتحها وتردده في أحوازها بين سنتي 737 هـ و738 هـ، اقترب منه وحاول النزول عن دابته التي كان يركبها لكنه سقط، فنزل أبو الحسن بدوره عن فرسه إجلالا له وتعظيماً واحتراماً لشيوخه، فاحتضنه وعانقه ثم تولى بنفسه حمله على دابته. أما ابن القاضي وأحمد بابَ التنبكتي فقد اعتبرا أن هذا اللقاء تم عند رجوع السلطان من وقعة طريف سنة 740 هـ، وأن سقوط عبد الرحمان على الأرض أدى إلى ضعضعة عظام جسمه المنهوك مما تسبب في موته بعد ذلك بسنة واحدة أي عام 741 هـ، وأصح الأقوال أنه توفي لعشر بقين من ذي قعدة عام أربعين وسبعمائة. بل ويشير التنبكتي إلى أن محمد المقري الجد كتب في بعض تقاييده أنه دخل يوماً على عبد الرحمان الجزولي وهو يجود بنفسه ويعاني من الألم فسأله عن السبب فأخبره بتفاصيل لقائه بالسلطان وما وقع له أثناء ذلك. وبهذا يكون قد عاش حوالي تسعين سنة.

م. ابن مرزوق، *المسند*، الجزائر، 1981، ص. 155 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، القاهرة، 1975، 3 : 131 ؛ ابن قنفد، *أنس الفقير*، الرباط، 1965، ص. 24 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 186 . 401 . 402 . 519 . 554 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، مصر، 1351 هـ، ص. 165 . 166 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، المحمدية، 1980، ج 3، ص. 23 . 24 . 29 . 36 ؛ م. حجي (محقق) *ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب*، الرباط، 1976، ص. 80 . 111 . 193.

رشيد السلامي

**الجزولي، عبد الرحمان** أبو **قصبة**. تزعم ثورة قوية ضد الموحدين في السنوات الأولى لخلافة محمد الناصر (595 / 1198) وأتت هذه الثورة في سياق عدد من الثورات والانشقاقات التي عرفتها الدولة الموحدية في أوج قوتها، حيث عبرت كثير من قبائل المغرب الأقصى عن رفضها للحكم الموحدي، لكن الموحدين فضلوا خيار المواجهة الحاسمة لاستئصال كل محاولة للخروج عن سلطتهم أو تهديدها، وتمكنوا بذلك من المحافظة على وحدة البلاد وإفشال حركات التمرد التي قام أغلبها من دون برنامج أو تصور واضح.

أعلن الجزولي ثورته سنة 597 / 1200 . 1201 بمنطقة السوس، وتحديداً بحصن تيونوين الذي يصفه ابن عذاري بأنه "على قديم الزمان مجبول من فيه من أهله على الشقاق والارتداد" ( *البيان*، قسم الموحدين، 348).

نلاحظ أن عبد الواحد المراكشي هو المؤرخ الذي أعار أخبار هذه الثورة أهمية في حين اختزلت باقي المصادر أخبارها أو أهملتها، ومن خلال الإشارات المقتضبة حولها نلمس أنها شكلت تهديداً فعلياً للدولة الموحدية نظرا لاتفاق جموع غفيرة من أهل منطقة السوس والقبائل المجاورة حول الجزولي وتمكنهم من هزم عدة حملات عسكرية موحدية، فلم يزل الموحدون "يجهزون إليه العساكر بعد العساكر، وفي كل ذلك يهزمهم إلى أن بعثوا بعثا من الموحدين والغز وأصناف الجند" ( *المعجب*، 449).

لا ندري هل كانت تلك الهزائم بسبب قوة أتباع الجزولي وإحكام تنظيمهم، أم أن الأمر يعود إلى سوء تقدير الموحدين لقوة هذا التمرد، واكتفائهم بإرسال حملات صغيرة.

لقد جاء قيام هذه الثورة في وقت كان فيه الخليفة محمد الناصر منشغلاً بالحركة إلى بلاد رجراجة ( *البيان*، 239 و348)، مما جعله يكتفي بإرسال حملات ربما كان الهدف منها هو التشويش على هذه الثورة في انتظار حملة قوية، وفعلاً نظمت حملة تطلبت أعداداً ضخمة وتجنيداً لمختلف فرق الجيش الموحدي، ويؤكد ابن عذاري أنه "لم يبق من الموحدين أحد في حال ثورته إلا استقر بهذه البلاد في قتاله" ( *البيان*، 348).

سارت الحملة إلى بلاد السوس وبدأت بإنذار المصامدة وغيرهم من القبائل المجاورة لهم وتحذيرهم من عواقب مساندة الجزولي، وتم ترغيبهم في لزوم الطاعة للمخزن الموحدي. فتحركت كثير من القبائل وانضمت إلى الجيش الموحدي مسهلة عليه نسبيا مهمة القضاء على ما تبقى من قوة. أبي قصبة الجزولي، وقد أثر ذلك سلبا على البناء البشري لحركته، فوقع فيها تصدع أدى إلى انفضاض أغلب الجموع من حوله، ووقع قتل كبير فيمن تبقى من أتباعه، وقبض عليه وقتل واحتز رأسه وحمل إلى مراكش وعلق على باب الشريعة.

لا نعرف شيئا عن المضمون الثوري لهذه الانتفاضة التي لم يظهر لنا من خلال الإشارات القليلة حولها إلا وجهها القبلي، في حين يقدم ابن عذاري إشارة سريعة مفادها أن الجزولي كان مولعا بالسحر، مما يدفعنا إلى التساؤل هل كان للتأثير النفسي والتركيز على الغيبيات دور في إخضاع الجزولي لأتباعه، أم أن الأمر يتعلق بنموذج زعيم قبلي اعتمد على عصبيته القبلية، وربما دمويته، كما بدا على ذلك اللقب الذي كان يطلق عليه باللسان الأمازيغي والذي معناه "ابن الجزارة" ( *المعجب*، 449) ؟

وبالمقابل فإن الموحدين لم يكن أمامهم سوى خيار المواجهة لهذا التحدي الكبير في منطقة كانت حساسة

بالنسبة لدولتهم، باعتبار أن القبائل المصمودية كانت تشكل العمق القبلي للدولة ومصدر قوتها البشرية.

ورغم قصر المدة التي استغرقتها هذه الثورة فإنها شغلت الموحدين وشوشت على بعض مشاريعهم في ضبط الأمن خاصة بالأندلس وإفريقية، ومع ذلك فقد تم فتح جزيرة ميورقة أسبوعا واحداً بعد القضاء على ثورة الجزولي. وكان انهيار ثورة الجزولي ومقتله سنة 598 / 1202.

ع.المراكشي، *المعجب*، الدار البيضاء، 1978 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب (قسم الموحدين)* الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر* (ج 6) بيروت، 1956 ؛ النويري، *تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (نهاية الأرب )* تح. مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء، 1988.

محمد المغراوي

**الجزولي، مَحمد** بن **سليمان** الشيخ الشهير بسيدي ابن سليمان، من أعلام التصوف المغربي الإسلامي، إليه انتهت الطريقة الشاذلية في عصره، وعنه تفرعت جملة من الطرق التي يكثر أتباعها في المغرب بصفة خاصة : كالطريقة التباعية والغزوانية والفلاحية والبكرية والعيساوية والشرقاوية والبوعمرية. اشتهر بالنسبة إلى جده الثاني سليمان. فهو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن سليمان السملالي السوسي.

يرجع المؤرخون نسبه إلى علي بن أبي طالب، وقد اعتمدوا على قوله : "ليس العزيز من تعزز بالقبيلة وحسن الجاه، وإنما العزيز من تعزز بالشرف والنسب. أنا شريف في النسب، جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم (*ممتع الأسماع*، ص. 5 ؛ *إظهار الكمال*، ص. 236). وقد نظم عبد السلام بن الطيب القادري هذا النسب في كتابه *الإشراف على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف* (ص. 31 - 32) وعرض للخلل الحاصل فيه وهو عدم اتفاق النسابين على وجود ابن لعبد الله اسمه جعفر مشيراً إلى سقوط اسم عديّ بينهما.

ويستبعد محمد المهدي الفاسي انتساب الجزولي إلى الأشراف الحسينيين حسب ما ورد في نسخة "معتبرة" - كما قال - من *دلائل الخيرات*، بل يرجّح انتسابه إلى الحسنيين، خاصة وأن المعروف أن سليمان بن عبد الله الكامل بن حسن نزل بتلمسان ودخل أكثر أولاده إلى لمطة وسوس الأقصى، فلا يبعد أن يكون اسمه قد سقط في تسلسل النسب (*ممتع الأسماع*، ص. 3).

يكتنف سيرة الجزولي كثير من الغموض : فالمراحل غير واضحة، والآراء فيها متضاربة. كما يطغى الجانب الأسطوري على الواقع مما يجعل الخروج من هذا كله برسم موضوعي لسيرة الشيخ من الصعوبة بمكان.

رأى الجزولي النور في مدشر تَانْكَرْتْ في سوس ببلاد الساحل على واد يعرف بهذا الاسم. ولا نعرف متى كان ذلك على وجه التحديد (أواخر القرن الثامن). ويصعب التقدير ما دامت المصادر لم تشر إلى عمره عند وفاته، واختلف في تحديد تاريخ وفاته نفسه.

خرج الجزولي من بلاده لقتال وقع بها ( *الاستقصا*، 4 : 122)، فقد عرفت سوس في آخر القرن الثامن وبداية القرن التاسع صراعات داخلية، إذ كانت من أكثر المناطق خروجا على المخزن الوطاسي ورفضا لسلطته من جهة، ومواجهة للاستعمار البرتغالي الذي تسرب إلى المنطقة (R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, 827).

قصد الجزولي مدينة فاس لطلب العلم فنزل بمدرسة الصفارين. وكان يعيش حياة عزلة وتأمل، إذ لم يكن يُدخل أحداً إلى غرفته التي كان يخلو فيها بنفسه بعدما نقش على جدرانها كلمات : الموت - الموت ... وهذا مظهر من مظاهر عدم الاستقرار، والبحث عن شيخ مرب يمكن السلوك على يديه. لذلك اضطر الجزولي للسفر إلى المشرق للاتصال بالعلماء والشيوخ المربين. وتحدد الروايات المدة التي قضاها في سياحته بسبع سنوات، طاف فيها مدن الحجاز ومصر، ومدينة القدس وأخذ بالأزهر على عبد العزيز العجمي (*ممتع الأسماع*، 22).

ويبدو أنه لم يعثر على ضالته، مع طول أمد جولته، وتنوع أماكن زيارته، فعاد إلى المغرب وحل بفاس من جديد، وإن كان الأمر قد اختلط على بعض المصادر، فلم تميز بين رحلته العلمية الأولى، وهذه السفرة الثانية إلى فاس. وفيها ألف كتابه *دلائل الخيرات* معتمداً في مصادره على كتب خزانة القرويين (*إظهار الكمال*، 238) والتقى بالإمام زروق الذي أرشده إلى الشيخ المربي، والمعين على سلوك الطريق ؛ وهو أبو عبد الله محمد أمغار الصغير بتيط (*تحفة الكرام*).

نزل الجزولي عند شيخه أمغار، وأخذ عنه ورد الشاذلية ودخل في فترة خلوة وتأمل وعبادة بإشارة منه - حسبما قيل - إلا أنها طالت حتى بلغت أربع عشرة سنة. فلم يخرج منها إلا وقد أخذت الكرامات تصدر عنه، حسب تعبير صاحب *ممتع الأسماع* (ص. 11).

وكان مشدداً على نفسه بمضي الليل والنهار في تلاوة أوراده، وهي : سلكتان من *دلائل الخيرات*، ومائة ألف من بسم الله الرحمن الرحيم، وسلكة وربع سلكة من *القرآن الكريم* يختمها كل ليلة (*إظهار الكمال*، 270)، وفدية من بسم الله الرحمن الرحيم.

وتختلف الروايات حول توقيت زيارته لمراكش وتعرفه بها إلى مريده عبد العزيز التباع وأسرته بحي القصور. فهناك من يجعلها بعد خلوته وعودته من تيط، وهناك من يجعلها بعد رجوعه مباشرة من فاس. وفي الحالتين يبقى تحديدها الزمني غير ممكن ما دمنا نجهل كذلك تاريخ ميلاد التباع الذي كان طفلاً صغيراً آنذاك.

ويبدو أن فترة الخلوة والتأمل كانت كافية لاكتمال الطريقة وبروزها لدى الجزولي. فشرع في نشرها بين مريديه وتلامذته. وكانت أسفي من المدن الأولى التي ظهر فيها نفوذ الجزولي، ساعد على ذلك استعداد أهلها لتقبل الطريقة : فقد انتشرت فيها من قبل طريقة أبي محمد صالح، وبالقرب منها كان رباط كوز وهرتنانة، هذه الزاوية التي كانت تعرف تعاليم الشاذلية. فشيخها أبو سعيد عثمان الهرتناني هو شيخ أبي عبد الله محمد الصغير أمغار الذي أخذ عنه الجزولي، إضافة إلى وقوعها في منطقة لها تاريخ عريق في التصوف وتقديس الأولياء : وهي رگراگة. فبعض رجالها مدفونون عند مصب تانسيفت بالقرب من المدينة. لهذا بلغ مريدوه بها خمسة وستين ألفا وستمائة واثني عشر، الشئ الذي جعل السلطات المرينية تتضايق منهم، خاصة وأن الفترة كانت فترة ضعف السلطان المركزي بفاس مع ما يترتب على مثل هذه الحالة من ظهور الدويلات الطامعة في الحكم. فأمره الوالي بمغادرة المدينة.

كان مصير الجزولي المضايقة في كل المدن والقرى التي زارها ولنفس الأسباب. وبالمقابل ازداد مريدوه وأنصاره بعد انتشار خطر الاحتلال الأجنبي للشواطئ المغربية، ويأس الناس من قدرة الدولة الحاكمة الضعيفة على مواجهة الأحداث.

ففي ماسة بسوس تم إجبار الجزولي بعد فترة قصيرة من حلوله بها على الخروج، فنزل بأفوغال من بلاد الشياظمة، وتمكن روبير مونتاني، وبيير دوسنيڤال R. Montagne et P. de Cénival من التعرف إلى القرية التي نزل فيها الشيخ وصارت تعرف باسم أحد دْرا *(Les Berbères et le Makhzen)* وفيها اتجه نحو التعليم وتربية المريدين. وقضى زهاء سبع سنوات متنقلا بينها وبين تازروت، فكثر أتباعه وتلامذته بهما. وسمه حاكمها بعدما تضايق منهم.

وقع الاختلاف حول تاريخ مقتله إذ جعلوه بين تسع وستين وثمانمائة وخمس وسبعين وثمانمائة للهجرة. ويرجح الشيخ زروق سنة سبعين وثمانمائة لأن الفقيه أبا عبد الله محمد بن قاسم القوري تلقى سؤالا في شأن عمرو المغيطي الذي قام بعد مقتل الجزولي طالبا بثأره. وبما أن القوري قد توفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة (*فهرس ابن غازي*، ص. 75) فان الشيخ يكون قد توفي قبل هذا التاريخ بالطبع (*ممتع الاسماع*، ص. 11 ـ 12).

ومما يشار عند ذكر وفاة الجزولي مصير التابوت الذي يحوي رُفاته بعد وفاته، والصراع الذي دار بين الشياظمة وحاحة حول امتلاكه، وتقديمهم له أثناء حروبهم يحصل لهم النصر، ثم نقله السعديون إلى مراكش بعدما دفن مدة بأفوغال، وبنوا ضريحه الموجود في الحي الذي يحمل اسمه (سيدي ابن سليمان).

وبالرغم من أن علاقة الجزولي بمدينة مراكش كانت واهية إذ لم يزرها إلا مرة واحدة في حياته، حيث التقى بتلميذه عبد العزيز التباع، فإنه اعتُبر واحداً من رجالاتها السبعة، بعد ما نقل إليها جثمانه، ويعود هذا الاختيار إلى ما أدركته طريقته من شهرة ومكانة في المغرب وخارجه، فحلت محل الطريقة الشاذلية وتفرعت إلى طرق عديدة كما ذكرنا.

آثاره : *دلائل الخيرات*، النسخة السهلية منقولة عن المؤلف مخطوطة الخزانة اليوسفية بمراكش (عدد 377)، وللدلائل عدة طبعات ؛ *عقيدة الجزولي*، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط ضمن مجموع (رقم 7245 من 24 إلى 36) ؛ *رسالة التوحيد*، توجد أوائلها في خزانة ابن يوسف (تحت عدد 587 من ص.41 إلى 43) ؛ *كتاب الزهد* : توجد أوائله في خزانة ابن يوسف بمراكش (رقم 587 من 43 إلى 44) ؛ *أجوبة في الدنيا والدين* : مخطوطة الخزانة العامة بالرباط (رقم 731 ق ص. 15 ـ 16) ؛ *من كلام الشيخ الجزولي* : في *ممتع الأسماع*، ط حجرية وفي *بادرة الاستعجال*. مخطوطة خاصة بالرباط ؛ *حزب الشيخ* أو *الحزب الكبير* مخطوط خ ع بتطوان (رقم 447) ؛ *حزب الفلاح* أو *الحزب الصغير* مخطوط خ ع بتطوان (رقم 447).

وقد جمعت آثار الجزولي في ملحق كتابي *محمد بن سليمان الجزولي : مقاربة تحليلية لكتابته الصوفية* ط. مراكش 1993.

م. ابن غازي، *فهرس ابن غازي*، تح. محمد الزاهي الرباط 1979 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، ط. حجرية 1305 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. الدار البيضاء ؛ ع. القادري، *الإشراف على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف*، مخطوط خ ع رقم 310 ؛ ع. ابن إبراهيم، *إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش السبعة رجال*، مخطوط خ ح رقم 232 ؛ *الإعلام*، ط. الرباط 1974 ـ 82 ؛ حسين بن مصطفى المنفلوطي، *تحفة الكرام في بعض مناقب غوث الأنام قطب جزولة*، مخطوط خ ع، رقم 925.

حسن جلاب

**الجزولـيّ، محمد** بن **العباس** (الحاج ـ) بن الحسن السوسي. درس بمسقط رأسه سوس وبفاس حيث يعد من أبرز تلامذة الشيخ التاودي ابن سودة. كان عالماً مشاركاً ذا نزعة صوفية، وألف فهرساً سماه *المواهب القدوسية في بعض المشايخ الصوفية مع بعض المصنفات البهية والمسلسلات النبوية* ذكر فيه بتفصيل أسانيده في مختلف الطرق الصوفية كالقادرية والخلوتية والزروقية والشاذلية وغيرها، وأثبت فيها نصوص إجازات شيوخه. وقد لخص هذا الفهرس صاحب *الإعلام* في نحو سبع صفحات.

ع. إبن إبراهيم، *الإعلام*، 6 : 163 ـ 170 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2495.

**الجزولي، محمد** بن **عرفة** الفاسي، فقيه صالح من رجال القرن العاشر (16 م) وهو دفين باب الفتوح بحومة الجيزيين عن يمين المار إلى باب الحمراء حيث يجوز لوادي الزيتون.

إ. ابن الأحمر وغيره، *بيوتات فاس*، 42 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 105 ؛ ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

محمد حجي

**الجزولي، محمد** بن **علي** بن عبد الرزاق الفاسي، عرف أيضا بابن الحاج أو ابن أبي حاج وابن عبد الرزاق نسبة إلى جده رأس بيت بني عبد الرزاق أحد بيوتات فاس. اشتهر محمد الجزولي، إلى جانب الجاه المادي، بتصدره في علوم اللغة والأدب والفقه والتصوف. كان جده عبد الرزاق تلميذ أبي مدين الغوث أحد كبار صوفية المغرب في العصر الموحدي ( *التشوف*، 327 ـ 330). كما كان والده علي من أبرز فقهاء فاس وصلحائها ومحدثيها وحفاظها اشتهر بالرحلة إلى الحج والأخذ عن علماء المشرق.

نشأ محمد الجزولي في هذا المناخ العلمي والصوفي وأخذ يقتفي خطوات والده وجده في اعتماد نفس وسائل التكوين الذاتي والقيام بالرحلة إلى مختلف البلاد الإسلامية للاتصال بعلمائها والرواية عنهم. فأخذ عن محمد ابن عمر بن رشيد الفهري السبتي علوم الحديث. وارتحل إلى تونس حيث لقي القاضي أبا اسحاق بن عبد الرفيع وأبا عبد الله النفزاوي ومحمد بن الحسين الزبيدي وابن جماعة وابن سرور وغيرهم من مشايخ عاصمة الدولة الحفصية، فأخذ عنهم. كما أخذ التصوف عن والده ولبس منه الخرقة، وعن شيخ التصوف بتلمسان أبي عبد الله محمد الإمام.

انعكس هذا التكوين العلمي المتين على شخصية الجزولي وثقافته فوصفته المصادر بالعالم الكبير، وركزت على براعته في الترسل وجودته في الأدب وقدرته على الخطابة والإقناع وتفننه في المعارف كالفقه وعلوم الحديث وخاصة علم الأصول الذي كان له فيه التقدم، وكان يعقد له مجلساً بجامع القرويين يحضره الطلاب والأساتذة على السواء.

أخذ عن الجزولي مجموعة من العلماء بفاس، أمثال القاضي أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الهرغي الزقندري والخطيب ابن مرزوق والفقيه محمد بن سعيد بن عثمان الشهير بانقشابو والمؤرخ عبد الرحمان بن خلدون والأديب لسان الدين بن الخطيب وغيرهم كثير.

حظي الجزولي بثقة ملوك بني مرين فقلدوه مناصب غاية في الأهمية كالقضاء والخطبة والإمامة لمدة زمنية تستغرق فترة حكم ثلاثة ملوك هم أبو سعيد وأبو الحسن وأبو عنان. غير أن المصادر اختلفت حول هذا الموضوع، فإذا كان صاحب *بيوتات فاس* قد أشار إلى أن الجزولي تولى الخطبة والقضاء معا بفاس في عهد كل من الملوك الثلاثة المذكورين، فإن ابن مرزوق ذكر أنه كان قاضي الجماعة بحضرة فاس وخطيب جامع القرويين بها أيام السلطان أبي الحسن فقط. أما ابن القاضي فقد أكد أنه تولى الخطتين معا في عهد السلطانين أبي سعيد وأبي الحسن، مقابل ذلك ذكر علي الجزنائي وكذلك ابن القاضي أن الجزولي عُزل عن القضاء بعد وفاة السلطان أبي الحسن واستبدل به الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد المقري فيما استمر يزاول مناصب الخطبة بجامع القروين خلال بداية حكم أبي عنان إلى أن ظهر عجزه الصحي وعوض في هذا المنصب أيضا بالفقيه عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن أبي الصبر في يوم الجمعة الرابع عشر لجمادى الأولى من سنة 758 / 1357. لكن ابن خلدون والقاضي النباهي خالفا هذا الرأي وبينا أن الجزولي عزل من جميع مهامه بعد ثورة أبي عنان على والده أبي الحسن واستبداده بملك المغرب، فلزم بيته مع استمرار عناية السلطان الجديد به وبقاء الجراية عليه إلى حين وفاته.

على أية حال لم يكن هذا الجانب الرسمي في حياة الجزولي طابعا عاما لشخصيته ولعلاقته بالسلطة، فكل المصادر التي ترجمت له أجمعت على أنه كان معظما محبوبا عند السلطانين أبي الحسن وأبي عنان، وكانت له معهما علاقات طيبة واتصالات مباشرة. فقد ذُكر عن السلطان أبي الحسن أنه كان يقربه في مجالسه العلمية التي يعقدها بقصره، ويقرأ بين يديه *الموطأ* ومختصر *ابن الحاجب* وكتاب *التهذيب*. كما كان يشاوره في بعض القضايا المهمة، وعينه مع القاضي المفتي أبي إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى وكبير الشرفاء أبي عبد الله محمد ابن عمران وثلة من الفقهاء للنظر في قضية تهم أحد الأشخاص الذين ادعوا الانتماء إلى النسب الشريف، والإشراف على ضبط وإحصاء الشرفاء بالمغرب في ذلك الوقت. كما يعرف عن الجزولي أنه كان ضمن وفد ضم أيضا إبراهيم بن أبي حاتم العزفي، توجه إلى تونس من طرف السلطان أبي سعيد عثمان المريني سنة 731 / 1331 وكلف بخطبة ابنة السلطان الحفضي أبي يحيى للأمير أبي الحسن المريني. كما لقي الجزولي اهتماما كبيرا من طرف السلطان أبي عنان حيث كان يستدعيه كذلك إلى مجالسه العلمية الخاصة ويأخذ عنه علوم الحديث ويقرأ عليه القرآن برواياته المختلفة.

ومما يؤخذ على المترجم أنه كان له ولد يرتشي من المتقاضين ولا ينهاه حتى قال فيه محمد بن يحيى العزفي أبياتا منها :

فتحت لنجلك باب الفتوح      وأغلقت للناس باب الشريعة

وتختلط ترجمة محمد بن علي الجزولي في بعض كتب التراجم بآخر يماثله اسماً ونسباً وعصراً، ويظن البعض أنهما شخص واحد.

توفي بمدينة فاس عن سن عالية في رابع ذي القعدة عام 758 / 19 أكتوبر 1357.

ي. الجزنائي، جنى زهرة الآس، الرباط، 1967، ص. 64 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، د. ت.، 2 : 63 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 125، 138، 147 - 148، 153، 262 - 263، 368، 486 ؛ النباهي، *المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا*، بيروت، ص. 135 - 136، 170 ؛ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، 7 : 524 ؛ *التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا*، تح. محمد ابن تاويت الطنجي، القاهرة، 1951، ص. 65 - 66 ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 26 ؛ *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 50 - 51 ؛ *نثير الجمان*، تح. محمد رضوان الداية، بيروت، 1976، ص. 355 - 357 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، تح. محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1965، ص. 35 - 36 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، الرباط، 1981، 7 : 172 ؛ 8 : 9 ؛ م. ابن غازي، *التعلل برسوم الإسناد*، تح. محمد الزاهي، الدار البيضاء، 1979، ص. 108 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 64 - 65، 229 - 230، 300، 461 ؛ *درة الحجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، ط. 1، 1971، 2 : 240 - 241، 266 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، مصر، 1351، ص. 249، 271 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب، المحمدية، 1980، ج. 2 : 316 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، المطبعة الحجرية الفاسية، 1316، 3 : 275 - 276 ؛ م. حجي (محقق)، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 82، 122، 209.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986, p. 268.

رشيد السلامي

**الجزولي، محمد بن محمد** بن شيخ المادحين الحاج بوشعيب الرباطي. ولد عام 1306 / 1889 ودرس بمسقط رأسه على والده وعلماء المدينة وفي مقدمتهم الشيخ أبو شعيب الدكالي. كان أديباً شاعراً جزل العبارة فياض الشعور طويل النفس في الشعر. انتقل إلى العرائش واستقر بها فيما بين عام 1332 و1338 / 1913 و1919 لغرض لم يفصح عنه. ولما رجع إلى الرباط انخرط في سلك الوظيف وعين كاتباً بالمحكمة العليا. وبقي يعمل خمس سنين كانت أخصب سني حياته الأدبية، نظم خلالها قصائد طنّانة في انتصار الأتراك على اليونان، ومدح الشيخ شعيب الدكالي وختماته للبخاري، ونظم مولديتين مدح فيهما السلطان المولى يوسف، بالإضافة إلى مساجلات شعرية مع كبار الأدباء أمثال أحمد ابن المواز وأحمد بن المامون البلغيثي، ومحمد بوجندار الذي كانت تربطه به صداقة حمية. وقد شارك الجزولي في الاحتجاج ضد تهجمات المستعمرين وتطاولاتهم على المغاربة، واضطر من أجل ذلك إلى التخلي عن الوظيف ليشتغل في الأعمال الحرة، فنحج وأخفق وكان عاقبة أمره يسراً. كانت له مواقف مشرّفة ضد الظهير البربري، ووقع على عريضة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال، وتعرض خلال أزمة سنة 1953 إلى مداهمات عسكرية وسجن عذب.

نشر الجزولي مقالاً مطولاً بعنوان *لا طرق في الإسلام* رد فيه على كتاب *غاية الانتصار ونهاية الانكسار* لمحمد الشرقي الرباطي الذي دافع عن التصوف والمتصوفة. ونشر ديوانه في كتاب *ذكريات من ربيع الحياة*.

توفي بمسقط رأسه بالرباط في تاسع رمضان عام 1393 / 6 أكتوبر 1973.

محمد الجزولي نفسه، *ذكريات من ربيع الحياة*، الرباط، 1971 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، مجلة كلية الآداب بالرباط، ع. 19، 1994 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة *أعلام المغرب*، 9 : 3449 ؛ حزب الاستقلال، *قائمة الشرف*، الرباط، 1988.

محمد حجي

**الجزولي، الناجم** (الثائر على الموحدين) من المعلوم أن جزولة هي إحدى القبائل الصنهاجية الكبرى التي كانت مواطنها تمتدّ من جنوب سهل سوس إلى الشرق من حوض نهر درعة عبر السفوح الجنوبية للأطلس الصغير الذي يسمّيه ابن سعيد جبل جزولة. هذه القبيلة ظلّت مرتبطة بالحكم المرابطي إلى سنواته الأخيرة (*رسائل موحدية*، عدد 2، 4)، وعندما قامت الثورات ضد الموحدين في جنوب المغرب الأقصى كانت جزولة إحدى القبائل المهمة التي دعّمتها، فكانت من مؤيدي القائد المرابطي الصحراوي وابن هود الماسي (الذي يسمّيه البيذق، فيما يبدو، عمر الخياط ص، 67)، وساهمت في الاضطرابات التي قامت ضدّ الخليفة عبد المومن الموحدي خلال غيابه بالمغرب الأوسط سنتي 547 - 548 هـ (البيذق 77، 84) ... لكنّ أهمّ ثورات الجنوب هي التي أخذت تظهر منذ عهد الخليفة الناصر مثل ثورة عبد الرحمان المكنّى بأبي قصبة (سنة 597)، فقد "دعا لنفسه واشتد خوف الموحدين منه، وهزم لهم بعوثا عدّة، إلى أن وجّهوا إليه قوات عسكرية مهمّة تعاونت معها بعض القبائل المجاورة، فانهزم وقتل، وحمل

رأسه إلى مراكش سنة 597 (*المعجب*). وفي سنة 600 ظهر الثـائر الأندلسي المعـروف بابن الفـرس الذي ادعَّى أنه القحطاني الذي يعيد العدل إلى الأرض، وكثر أتباعه من جزولة ولمطة إلى درعـة ودعوه بالخليفـة، ثم أمكن لجيـوش الناصر التغلّب عليه قبل الحركة إلى إفريقيـة. وهذا الثائر ـ ابن الفـرس ـ لم يذكـره صاحب *المعجب* مما جعل البـعض يعتبره هو أبا قصبة، إلا أن هذا اسمُه عبد الرحمان ومن جزولة، وابن االفرس اسمه عبد الرحيم ومن غرناطة وهو أحد فقهـاء عـصره، ونُقل عن ابن عبد الملك المراكشي صاحب *الذيل* أن رأس أبي قـصبـة المعلق بأحـد أبواب مـراكش هو الذي حفز ابن الفرس لينحو منحاه لطلب الحكم.

وخلال غياب الناصر في حملته إلى إفريقية (601 ـ 603) ظهـرت ثورة جـديدة بالجنوب على يد شـخص ادعَّى أنه عبيدي، ثم تحرك إلى الشمال إلى أن قُضي عليه.

وربما كانت أخطر ثورة ضدّ الموحدين بإقليم السوس هي التي قـادها مَن تسـمّـيـه المصـادر بثـائر جـزولة أو الناجم بجـزولة الذي اسـتـغل هزيمة العقـاب وتمزق الجـيش الموحدي بعدها ثم موت الناصر وتولي ابنه المسـتنصـر وهو صـغيـر السلطة تحت كفالة وزرائه، إذ نجد لهذه الثـورة أصداء في كتاب *المعجب* وفـي بـعـض *الرسـائل الموحـدية* لـكـن بـدون تفـاصيل. ولعلّ ما يبيّـن خطورة هذه الثـورة هو ما اظهـره الموحدون من الأفراح بعد مقتله سنة 612، فعمّت "البشرى في أواسط البلاد وأطرافها" (*رسائل موحدية*، ع 99)، وهو مـا لاحظه المراكـشي الذي كـان بالأندلس آنذاك (*المعجب*، 329). وكـان لثـورة الناجم الجـزولي ذيول طويلة، استـمـرت بالجنوب الغربي في العهد الموحدي بما يسمى بثورة بني يدّر التي وجدت في جزولة وقـبـائل أخرى بالمنطقـة دعـمـا لهـا جعلها تستمر بشكل متقطع إلى أواخر عهد هذه الدولة.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* (315 ـ 317) ؛ ابن سعيد، *المغرب في حلي المغرب*، ق / 2، ص. 111، القاهرة 1964 ؛ *بسط الأرض في الطول والعرض أو كتاب الجغرافيا*، بيروت 1970 (ص. 58) ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ط ـ تطوان، ص. 215، 243 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، ق 3 / ص. 228، تح. الهراس ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 522 ـ 523 ؛ أ. عزاوي، *رسائل موحدية* القسم 1، عدد : 2، 4، 97، 98، 99، 100، 101 (كلية الآداب بالقنيطرة) القسم، 2 د. د. ع، مرقونة) ص. 139 ـ 140 ـ 149 ـ 151.

أحمد عزاوي

**الجزوليّة** (طريقة صوفية) تكاد كل كتب الطبقات والسلسلات تتفق على اتصال الطريقة الجزولية بالشيخ أبي الحسن الشاذلي، فقد أخذ محمد بن سليمان الجزولي عن محمد أمغار (من رباط تيط) عن سعيد الهرتناني (من رباط هرتنانة) عن عبد الرحمان الرجراجي. عن أحمد عنوس البدوي. عن أحمد القرافي. عن محمد المغربي. عن أبي الحسن الشاذلي (*دوحة الناشر*، 3 ـ 4 ؛ *سلسلة الأنوار*، 31 ـ 32 ؛ *المواهب القدسية*، 408 ـ 409) ونظم العلماء هذا السند تسهيلاً لحفظه. (*التشوف الصغير*، ص. 75ب).

وقد بنى الشاذلي طريقته على المواظبة على الذكر والصلاة على النبي، ولم يشترط اتخاذ الشيخ إذ بوسع السالك أن يصل حتى إلى القطبانية بدون وساطة، كما أنه لم يشترط اتخاذ رباط أو زاوية. لكن عرفت الشاذلية تغييراً على أيدي تلامذة أبي الحسن الشاذلي، ولخص ابن الخطيب مبادئ الشاذلية في عبارة (لا إله إلا الله) وجعل سلوك السالكين تسعة أصناف يَبدأ من إفراد كلمة الإخلاص باللسان وتنتهي بمرتبة الفناء أي التوحيد وإسقاط التدبير مع الحق (*روضة التعريف*، 2 : 629). وأحصى جورج دراگ تسع عشرة طريقة متفرعة عن الشاذلية في المغرب العربي (*Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*) أشهرها الطريقة الجزولية والطريقة الزروقية اللتان خصص لهما محمد المهدي الفاسي مؤلفه *تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية*، تحدث فيه عن مبادئهما وطبقاتهما وأتباع كل طبقة.

تقوم الطريقة الجزولية على المبادئ التالية :

ـ الدعوة إلى التوحيد ومعرفة الذات الإلهية : اهتم الجزولي بهذا الموضوع اهتماماً كبيراً فخصص له *رسالة التوحيد*، وعقد فصلاً من عقيدته تحت عنوان : في معرفة الله. وكان محور إحدى مراسلاته : أين الله ؟ وفي هذه الموضوعات يورد الآيات الدالة على التوحيد والتنزيه : ليس كمثله شئ، قل هو الله أحد، الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم.

والتوحيد في نظره يتكون من أربعة أقسام من الصفات هي : الصفات الذاتية، والصفات المعنوية، والصفات السلبية، والصفات الفعلية. وينتهي إلى أن الصفات والذات شيء واحد ـ كما هو مذهب أهل السنة ـ فالله عالم قادر بذاته، متجنبا الوقوع في الجسمية (الصفات الزائدة على الذات) أو في التعدد (الصفات المستقلة عن الذات).

وقد بنى جزءاً من حزبه الكبير على فكرته هذه في التوحيد (*رسالة التوحيد*، 43 ـ 44 ؛ *وعقيدته*، 33 ـ 34).

يختم الجزولي حديثه عن معرفة الخالق بقوله : المعرفة أنوار تلمع في القلوب لأنها ممهدة للإيمان، فمن عرف الله آمن به، والإيمان محله القلب، (*رسالة التوحيد*، 43 ـ 44 ؛ *وعقيدته*، 33 ـ 34). ويجيب على سؤال العامة (أين الله ؟) بقوله تعالى : وهو معكم أينما كنتم. قريب من غير اتصال، وبعيد من غير انفصال وتطرح هذه الأسئلة البسيطة التي يوجهها العامة والمريدون المبتدئون إلى الشيخ بعض المشكلات الكلامية : فالقرب والبعد يتصلان بالمسافة، والمسافة في حقه تعالى محال، والقول بوجوده داخل الأشياء أو خارجها اعتراف بوجوده في جهة معلومة، لهذا يلجأ الجزولي إلى التأويل، فلا هو داخل الأشياء ولا هو

خارجها لقوله تعالى *(ليس كمثله شيء)* والقول بوجوده في السماء يؤوّل بعلوه وجلاله وانفراده بصفة الكمال التي لا تدرك بالعقل والقياس. والقول بوجوده في الأرض يؤول بتعظيمه وذكره وهيبته ومحبته والاستئناس به في قلوب العارفين الذين لايفترون على ذكره. جلَّ الملك الحق عن الحلول في القلوب والاستقرار والتمكين في المكان (*عقيدة الجزولي*، 33 ؛ *أجوبة في الدنيا والدين*، 15) وفي هذا التأويل إقرار بوحدة الخالق وتنزيهه وتعظيمه، وقد دعا شيخ الجزوليّة إلى جعل هذا التعظيم هدفاً مقصوداً بالعبادة قبل أي شيء آخر (لاتشتغلوا بالنفوس ولا بالقلوب، واشتغلوا بتعظيم علام الغيوب ... فمن اشتغل بمخالفة نفسه أوتصفية قلبه فليس بعابد لله تعالى (*ممتع الأسماع*، 23 ـ 24 ؛ *بادرة الاستعجال*، 51 ؛ *إظهار الكمال*، 157) والعناية بالله تسبق ما عداها (ليس العناية مَن تَعنَّى بالأموال والأولاد. وإنما العناية مَنْ تَعنَّى برب الأرباب، وليس العزيز مَن تعزَّز بالقبيلة وبالأموال والأولاد وإنما العزيز من تعزز بالله وصفته) (*ممتع الأسماع*، 5 ؛ *بادرة الاستعجال*، 50 ؛ *إظهار الكمال*، 236).

ولعل المقصود هنا مناهضة ما كان يعرفه عصر الجزولي من تحزّبات قبلية ومنافرات لاسبيل إلى إزالتها إلا بجمع كلمة القبائل على صعيد واحد : عبادة الله والإخلاص له ليتم التدرج بعد ذلك في مدارج السلوك والطريق.

ـ المعرفة الصوفية : لم يخرج شيخ الجزوليّة عن مقولات الصوفية في المعرفة، فهي حدسية بالمقارنة مع المعرفة الفقهية البرهانية، تتميز بقوة اليقين، وكشف الحجاب، ومحو الشكوك والأوهام، الشيء الذي يؤدي إلى الاقتراب من الله، وقد ميز بين علم الأرض ـ وهو علم الفقهاء أو ماسماه بعلم الظاهر وهو المأخوذ من الانبياء وأصله الوحي، وبين علم السماء أو علم الباطن وهو المأخوذ من الله تعالى بواسطة الإلهام وسواطع الأنوار (*أجوبة في الدنيا والدين*، 15) مبينا أن علمه من النوع الأخير (الباطن) : لا تقولوا رحمكم الله إني آخذ العلم من الأرض أو من السماء، بل آخذه من غير أرض ولاسماء. (*ممتع الأسماع*، 6 ؛ *بادرة الاستعجال*، 50)، بمعنى أنه يستمده مباشرة من الخالق. وفي إحدى مناجاته إشارة إلى ذلك : وألهمتك الاستماع مني (*ممتع الاسماع*، 26 ؛ *إظهار الكمال*، 260).

ـ الإسلام والإيمان : أولى الجزولي في *رسالة العقيدة* هذا الموضوع أهمية كبيرة، وحلل فيها تفاصيل قواعد الإسلام والإيمان مما يدل على أنها كانت موجهة لعامة الناس والمبتدئين من المريدين. فهو يسمي غير المسلمين "بالمجانين أعداء الله" *"ومن يَبْتَغ غَيْرَ الاسلام ديناً فلن يُقبل منه"*.

ويوضح الجزولي معنى الإسلام بتفسير مبسط لأركانه الخمسة محللاً معاني وشروط الشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج، ويأتي الإيمان بعد الإسلام ومكملاً له، إذ أن أركان الإسلام تهم الظاهر. فالعامل بها مسلم، إلا أن المسلم الحقيقي هو الذي : "يلبس حلة الإيمان على باطنه وقواعده المألوفة التي بين المومنين معروفة" (*العقيدة*، 25 ـ 28).

وللإيمان دعائم وشروط وحقيقة ومراتب :

ـ دعائمه : النظر إلى الأشياء لقوله تعالى *(أفلا يَنْظُرون إلى الإبل كيف خُلقَت)*.

ـ شروطه : منها التقوى لقوله تعالى *(واتَّقوا اللهَ الذي أنتُم به مُومنون)*. وعلمٌ دون جهل، وإخلاص دون شرك، ويقين دون شك واستواء الظاهر والباطن.

ـ حقيقته : المحبة، لقوله صلى الله عليه وسلم "لا يبلغ أحدكم حقيقةَ الإيمان حتى يُحبَّ لأخيه المؤمن ما يُحبُّ لنفسه".

ـ مراتبه أربعة : لكل واحدة منها قواعد :

الإسلام (بقواعده المعروفة) السلامة ؛ والإيمان (بقواعده المذكورة) ؛ والإحسان، ومعناه أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك حيث لا تراه.

وأصوله أربعة : الصبر والشكر والرضى والتوكل (*العقيدة*، 35).

بعد الشروط التوضيحية لمفهوم الإسلام والإيمان وقواعدهما يلتقي الجزولي مع مضمون حديث جبريل الذي يجعل الدين قائماً على ثلاث مقامات، هي الإسلام والإيمان والاحسان.

أما شيخ التلقين فاعتبره شيخ الجزوليّة ضرورة لابد منها، بل لقد عانى بنفسه في سبيل الاهتداء إلى الشيخ المربي، وزار الشرق والمغرب قبل مصادفة شيخه ومربيه في "تيط"، لذلك ورد في كتاباته : من شرط التائب أن يقتدي بشيخ عالم بالظاهر والباطن (*ممتع الاسماع*، 23 ؛ *إظهار الكمال*، 256). ويعتبر السير إليه واجباً مهما كلف ذلك من متاعب ومشاق (فعليك بالمشي إليه ولو كان في بغداد. المشي إليهم ـ الأقطاب ـ نور ورحمة وسر في القلوب) (*ممتع الأسماع*، 6 ؛ *بادرة الاستعجال*، 49) وهذا السير في حد ذاته بداية فعلية في التربية وجزء منها، فلا يأتي فوقهم إلا النور المحمدي : (أقطاب هذه الأمة أنوارهم مع الصحابة رضي الله عنهم، ليس فوقهم إلا نور المصطفى صلى الله عليه وسلم". (*ممتع الأسماع*، 5 ؛ *بادرة الاستعجال*، 49) ويميز بين نوعين من الشيوخ :

ـ المقطوع : وهو الذي سلك طريق المجاهدة ولم يصل إلى طريق المشاهدة فرجع إلى الخلق يدعوهم إلى الله، فدعاؤه على الحقيقة إنما هو للمجاهدة فقط لأنه لم يصل إلى المشاهدة، ومن تعلق به انقطع.

ـ الواصل : هو الذي وصل إلى مقام المشاهدة وغاب في أنوار الكمال ولم يشغله شيء عن الملك الحق، وهو الذي إن رجع إلى الخلق رجع بأنوار وعلوم وأحكام، من تبعه تعلم وتنوَّر، وفهم مالم يفهمه غيره من أتباع المقطوعين (*ممتع الأسماع*، 24 ؛ *إظهار الكمال*، 258) فالمجاهدة مقام

المبتدئين، أما المشاهدة فمقام المنتهين الواصلين (*أجوبة في الدنيا والدين*، 15) ويصل الشيخ إلى هذه المرتبة بعد التدرج في مقامات الطريق : الإخلاص والتمكن والمشاهدة والفناء والأنس (*ممتع الأسماع*، 26 ؛ *إظهار الكمال*، 260) ويبلغ الذروة عندما يصل إلى ما وصل إليه الجزولي عندما قال في بعض مناجاته الإلهامية : اكتبوا ما سمعتم مني فإني واسطة بينكم وبين الحق. الحق يُلهم، والعبد يَفهم، ومن ألهم إلى الصواب وجب عليه النطق، لأن فيه منفعة الغير. (*ممتع الأسماع*، 25 ؛ *إظهار الكمال*، 258) أي عندما يبلغ درجة المشاهدة وتكشف دونه الحجب آنذاك يعتبر نفسه قطب الأقطاب (من لم يُفتح له على يديك لا يُفتح عليه أبداً) (*ممتع الأسماع*، 27 ؛ *إظهار الكمال*، 261).

ولابد للمريد الراغب في سلوك الطريق - عند الجزوليّة - من البدء بالتوبة، فعلى التائب أن ينتهي عما كان يفعله من شر، ويقوم بأعمال الخير ما استطاع، ويجتهد في ذلك ويهجر الفجار، ويحب الاخيار، ويتبع سنة محمد عليه السلام، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداءه، ويداوم على ذكر الله والصلاة على نبيه، ولايترك الصلاة في وقتها، ولايفسد العمل بالرياء، ولايعجب بنفسه في أعماله وأقواله وأفعاله، ويكون كلامه حكمة، وصمته تفكراً، ونظره اعتباراً، ويتعلم العلم الذي يقربه إلى الله سبحانه (*ممتع الأسماع*، 23 ؛ *بادرة الاستعجال*، 50).

يعتبر الجزوليون التوبة حدثاً مهماً، وخطوة أساسية في سبيل الاهتداء إلى طريق الله، والالتزام بالجادة، لذلك دأب الشيخ وأتباعه من بعده على قص بعض شعر التائب إعلانا لتوبته، وقد انتقد الفقيه الخروبي عند مجيئه إلى المغرب ذلك، ورد عليه أبو عمرو المراكشي وابن أبي محلى. وعلامات التوبة تسع : الحسرة والندامة والإنابة والخشوع والتواضع والابتهال والمداومة على الذكر والرضا بالقضاء وحسن الظن بالمولى.

وهناك سبعة أشياء تفسد التوبة وتحول دون ارتقاء التائب وتحقيق هدفه، وهي الحقد والحسد والعجب والرياء والكبر وحب المَحْمَدَة ولذة الرياسة.

قال الجزولي : واعلم أن من كان في قلبه ثلاثة أمور وهو يدعو إلى الله بالتوبة فهو زنديق. الافتخار بالعلم وسوء الخلق وسوء الظن بالخلق (*ممتع الأسماع*، 24 ؛ *بادرة الاستعجال*، 51).

ويحدد الجزولي العلوم التي يجب على المريد أن يتعلمها وهي قبل كلّ شيء تلك التي تُعرِّفه بخالقه ودينه، وبعد ذلك مايتصل بالتصوف وآدابه، لهذا تناول قواعد الدين بالدراسة والتحليل في *عقيدته* قبل غيرها من الموضوعات الصوفية.

وهو يرى أن العلوم الناجعة العلمُ بالله وصفاته، ثم العلم بأحكام الله وبأمره، ثم العلم بآفات الأرواح والأسرار والنظر، ثم العلم بآداب المجالسة والمراقبة والمشاهدة والمحادثة والمكالمة والاستماع (*ممتع الأسماع*، 23 ؛ *إظهار الكمال*، 257). فيكون البدء بمعرفة الشريعة أو علم الظاهر، وهو العلم بما هو حلال وحرام، ثم معرفة الحقيقة والطريقة أو علم الباطن وهو علم السلوك إلى الله ومعرفة أسراره ومواهبه في مخلوقاته.

ولابد أن تعترض المريد عراقيل وعقبات لايتغلب عليها إلا باتباع إرشادات الشيخ وتعليماته، أخطرها الشك، والوسواس الذي يأيته من مجالسة أهل السوء. وقد وضع الجزولي آداباً تُمكِّن المريد من تجاوز هذه الصعوبات والاستفادة من علوم شيخه المربي.

آداب المريد : تحدد الطريقة الجزوليّة هذه الآداب في علاقة المريد بشيخه وبغيره من المريدين، وبعامة الناس وصدقه في سلوك الطريق والسبل المؤدية إلى التدرج فيها :

أ - آدابه مع شيخه : يجمع الصوفية على ضرورة احترام الشيخ والامتثال لأوامره وخدمته، ولا نكاد نجد قطباً من الأقطاب لم يتفان في خدمة شيخه في انتظار أن يأذن له بالانصراف لفتح زاويته في مكان معين. ويعتبر الجزولي تأدب المريد مع شيخه كتأدبه مع ربه، لأن حرمته كحرمة النبي. قال : من تأدب مع شيخه تأدب مع ربه، وحرمة الشيخ على المريدين كحرمة النبي مع الأصحاب. وقد كان الجزولي أكثر دقة بوضع قانون محدد لهذه العلاقة في مختلف أحوال المريد، بنوده عشرون :

خمسة منها في حال الجلوس وهي : السكينة والوقار والهيبة والحياء والخوف ؛ وخمسة في حالة الغيبة، وهي : المراقبة نحوه والافتقار إليه والتواضع والاستمساك بعنايته والمداومة على ذكر فضائله في قلبه بالتعظيم ؛ وخمسة في حال ذكره، هي : النظر إليه والرجاء فيه والاستنصار ببركته والنظر فيما بينك وبينه من العقيدة ؛ والخمسة التي في حال المحبة، هي : مداومة الحب ومداومة الشوق والحمى نحوه والهيج، والانذهال من الاشتياق إليه (*ممتع الأسماع*، 27 ؛ *إظهار الكمال*، 261).

وهذه الآداب تسهم في تربية المريد وتمكنه من تذوق المعاني الواردة في المنازل ؛ كالإخلاص والاستقامة والصدق والصبر والحب ...

ب - المجالسة والمخاطبة : يحث الجزولي مريديه على اختيار الجليس، فما أفلح من أفلح إلا بمجالسة من أفلح، ولاهلك من هلك إلا بمجالسة من هلك، لذلك فإن في مجالسة الأخيار نجاة وفوزاً، وللجليس تأثير مباشر على التدرج في مقامات التصوف (فمن جلس مع الفجار قسا قلبه، ومن جالس الأبرار استنار قلبه) وينصحهم بتفادي العموم وعدم مخالطتهم في فترة التلقين، لأن هذه المخالطة تذهب بنور القلب وهيبة الوجه، وعلى العكس من ذلك يدعوهم إلى الاجتهاد في مخالطة الخصوص، ففي مخالطتهم فوز بثلاث خصال : اكتساب العلم وصفاء القلب وسلامة الصدر (*ممتع الأسماع*، 27 ؛ *إظهار الكمال*، 261).

وللمجلس في حد ذاته آداب يجب التقيد بها وخاصة عند انتهائه، بأن يتلو القائم هذا الدعاء (سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك) (*ممتع الأسماع*، 28 ؛ *إظهار الكمال*، 262) فيتم ذكر الله وحمده عند الشروع في المجلس وعند الانتهاء منه.

ج ـ الصدق : ولا يمكن لطموح المريد أن يتحقق ولجهوده أن تثمر بدون التزام الصدق في الحال والمآل، والإخلاص في كل عمل وحركة، ويأتيان في المقام الثاني بعد التوبة والاستقامة، وهما المفضيان إلى المراقبة والمشاهدة لدى الصوفية. وعلاوة على ذلك يعتبر الجزولي الصدق نوراً، في لزومه فلاح وفوز، وفي تركه غفلة وخسران، ويقول : عليك بالصدق والرعاية، والصدق مع الله نور، والمعرفة برهان، والالتفات إلى غيره بهتان، وضياع حقوقه حرمان، والغفلة عن ذكره خسران (*ممتع الأسماع*، 28 ؛ *إظهار الكمال*، 263).

د ـ المداومة على ذكر الله والصلاة على رسوله : فبهما تطمئن القلوب وتعرف الطريق إلى الله.

والذكر من أنجع وسائل التطهير وتصفية الفؤاد، به تطمئن القلوب، وترتفع الحجب، ويترقى المريد في مقامات التصوف، وقد عبر الجزولي عن هذه المعاني بقوله : القلوب أجنة والأذكار أشجار ومعرفة معاني الأسماء ماء، ومشاهدة الجلال والجمال والكمال ثمار ... (*ممتع الأسماع*، 28 ؛ *إظهار الكمال*، 261) فثمار الذكر إذن هي بلوغ درجة المعرفة أو المشاهدة، وهي أعلى المقامات. وآداب الذكر ثلاثة : معرفة المذكور : وهو الخالق تعالى، وتكون بالتدبر عند القراءة والذكر بالقلب لا باللسان، والهيجان في الذكر قد يبلغ حد الجذب. والتفكر في الغيب.

ومن صيغ الذكر المعتمدة في الطريقة الجزوليّة : الهَيْلَلَةُ والحَوقلة والاستغفار والصلوات على النبي بصيغها وأنواعها، وهي التي جمعها الشيخ في أحزابه وكتابه *دلائل الخيرات*. وللهيللة مكانة كبيرة بين صيغ الأذكار عند الجزوليّة وسائر الصوفية لذا تحدثوا عن مزاياها وثمراتها ولعل مرد ذلك إلى الحديث الذي روى فيه علي بن أبي طالب تلقين الرسول له ذكر (لا إله إلا الله).

ويتدرج المريد في ذكره من ذكر اللسان مع انشغال القلب وهو البداية، إلى ذكر الجوارح الذي يؤدي إلى الفناء في الصفة أو الاسم، وتسليم الأمر لله إثبات الصفة القديمة لله إلى ذكر القلب الذي يؤدي إلى الفناء والاستغراق في الذات الإلهية، وقلّ من يعرفه، ويصير فيه الصوفي قادراً على المشاهدة ويتم هذا بتدرج المريد : من ذكر مع وجود غفلة الي ذكر مع وجود يقظة وإلى ذكر مع وجود حضور وإلي ذكر مع غيبة عما سوى المذكور فيصير الذاكر مذكوراً، والطالب مطلوباً، والواصل موصولاً، وهو المقام الذي يشير إليه الحديث الذي أوله : "مايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه ...". وهي النتيجة التي وصل إليها عبد الرحمان بن محمد الفاسي في شرحه لأقوال الجزولي السابقة الذكر : فحينئذ يكون ذاكراً ربه من غير شعور بوجوده ولابكسبه، وإنما يجري ذلك عليه (*ممتع الأسماع*، 26 ؛ *إظهار الكمال*، 260). ويقوم على قراءة *البسملة* و*دلائل الخيرات والقرآن الكريم* ليلاً ونهاراً.

أمّا المقامات فهي مراحل يسلكها الصوفي للوصول إلى مرحلة الفناء في الذات الإلهية بموت الروح البشرية من حيث طبيعتها العارضة وانبعاثها في الروح الأصليّة، وتنتهي كلها بما يسمونه المعرفة الصوفية أو المشاهدة، حيث تُزال الحجب وتتجلى الأشياء، ولم يتناول شيخ الجزوليّة موضوع المقامات بتفصيل، لكنها وردت عرضاً في بعض مراسلاته نلخصها كالتالي :

ـ التوبة : فالمريد لابد له أن يبدأ بالتوبة عما بدر منه والكفّ عن الشر ويقدم على فعل الخير ويصاحب الأخيار ويداوم على الذكر.

ـ الزهد : لا تتم التوبة إلا بدفع الدنيا من القلب ولا تدفع الدنيا إلا بالزهد الحقيقي، ولا يقوم الزهد ويرسخ في القلب إلا بالصدق الوافي. والزهد الحقيقي يكون بعد وجود الدنيا، فإذا كان القلب عامراً بربه، واثقاً به، متوكلاً عليه لايلتفت إليها إلا إذا أراد بذلها لله مخلصاً، وكذا الملبس والمسكن. ذلك لأن القلب لايجد شفاءه ولا دواءه في الإسراف في الطعام وبسط الجوارح، وإنما في الجوع (*كتاب الزهد*، 44).

ـ المجاهدة : والزهد هو بداية المجاهدة ومحو الصفات المذمومة، وبالمجاهدة تتم مخالفة النفس والهوى، واكتسابها للصفات المحمودة، وتلونها بها صفة بعد صفة، وترك الراحة وهجران الشهوات، وموافقة السنة، وكثرة البكاء على مافات وهو مقام المبتدئين.

ـ المراقبة : هي حفظ الروح من ارتكاب الإثم، ويسمي الجزولي هذا المقام مقام الحياء والامتنان، وهو مقام المتوسطين، وعنده أن المجاهدة والمراقبة مقامان مكتسبان للعبد، فيعطيهما مرتبة المقام كما ورد عند الصوفية والمتصف بالثبوت والاستقرار لأن المريد يبلغه بجهده.

ـ المشاهدة : عبارة عن وجود الحق من غير ريبة ولا تهمة .. وهي لأرباب التمكين ويعتبرها الجزولي مقام المنتهين، وهي جذب ليس للعبد فيه اكتساب (*أجوبة في الدنيا والدين*، 15).

وهو ما يدعوه الصوفية "بالحال" أي هبة إلهية يهبها الله لعبيده تتخذ أشكالا بوسع السالك وحده إحصاؤها ووصفها. ويُجمل الجزولي مفهوم السعي الصوفي أو السفر من مبنى الكون إلى معناه ومن الظاهر إلى الباطن (الظاهر المجاهدة والباطن المشاهدة). وهو الانتقال من مقام المبتدئين إلى مقام المنتهين بعد معاناة وجهود، ويعطي لهذه المقامات الثلاثة دلالة أخرى، فيسميها :

ـ مقام التوحيد : (أو علم اليقين) وهو تجريد الذات

الإلهية عن كل مايتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام والأذهان.

- مقام التفريد : (أي حق اليقين) وهو الاستدلال بالصانع على المصنوعات، وهو عبارة عن فناء العبد في الحق، والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً، لاعلماً فقط (*أجوبة في الدنيا والدين*، 15).

وقد عبر الجزولي عن قطعه هذه المقامات، وبلوغه الهدف المنشود في كثير من مناجاته، كقوله : تهت ووصلت وصولا لم يصله أحدٌ قط، وقوله : غبت في أنوار كماله ومشاهدة جلاله وجماله. وقوله : كماله قد أفناني عما سواه. (*ممتع الأسماع*، 5 ـ 6 ؛ *بادرة الاستعجال*، 49 ـ 50).

ولعل من أهم ما تميزت به الطريقة الجزوليّة الدعوةُ إلى الجهاد ومواجهة الدخيل الأجنبي خاصة بعدما ظهر عجز السلطة المركزية أواخر العهد المريني وفي العهد الوطاسي عن أخذ زمام الحكم وإخماد الثورات والتمردات الجهوية، فدعا الشيخ الجزولي إلى الجهاد وكان يقول : دولتنا دولة المجتهدين المجاهدين في سبيل الله. (*ممتع الأسماع*، 5 ـ 6) وكان نشاطه مركزاً على شواطئ ماسة بفضل ما توفَّر له من مريدين وأتباع هناك. واتسع عمل الجزوليين في ميدان الجهاد بعد وفاة الشيخ.

وقد قسم محمد المهدي الفاسي أتباع الشيخ الجزولي إلى طبقات تكوِّن أهم فروع الطريقة الجزولية في كتابه *تحفة أهل الصديقية* وهم : طبقة أبي عبد الله محمد السهلي الملقب بالصغير، كان قرب وادي اللبن بفاس وتوفي سنة 918 / 1512 ؛ وطبقة عبد العزيز التباع الحرار ـ توفي بمراكش سنة : 914 هـ / 1508 م ؛ وطبقة أبي العباس أحمد الحارثي السفياني، توفي بمكناس في العشرة الأولى من القرن العاشر الهجري (16 م) ؛ طبقة أبي محمد الحسن بن عمر أجانا ؛ وطبقة أبي عبد الله محمد الأمين ؛ وطبقة سلامة بن أبي سلامة ؛ وطبقة أبي عثمان سعيد بن محمد الدكالي ؛ وطبقة سعيد الراعي. وعن هؤلاء وتلامذتهم تفرعت طرق أخرى هي الغزوانية والبوعمرية والفلاحية وغيرها.


*مؤلفات الجزولي الواردة في ترجمته بهذا الجزء من المعلمة* ؛ ل. ابن الخطيب، *روضة التعريف*، تح. محمد الكتاني الدار البيضاء 1970 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. محمد حجي، الرباط ؛ أ. ابن عطية، *سلسلة الأنوار*، مخطوط خ. ع. 2458 ك ؛ م. الصومعي، *التشوف الصغير*، مخطوط خ. ع. 1103 د ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط خ. ع. 79 ج ؛ *ممتع الأسماع*، ط. حجرية ؛ محمد بن العباس الجزولي، *المواهب القدسية*، مخطوط خ. ع. 97 ج ؛ محمد الغالي بن المكي، *بادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال*، مخطوط خ. ع بالرباط ؛ ع. ابن إبراهيم، *إظهار الكمال*، مخطوط خ ح 232 ؛ ح. جلاب، *محمد بن سليمان الجزولي*، ط مراكش 1993.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.


حسن جلاب

**جزيرة المليحة** (معركة ـ)، في سنة 1489 حاول الملك البرتغالي جواو الثاني، الذي شغلته الكشوف الجغرافية والبحث عن طريق بحري للوصول إلى الهند عن التوسع بالمغرب، تحصين موقع هذه الجزيرة وترك حامية به. ويمكن إرجاع ذلك التحول في السياسة البرتغالية إلى الأوضاع التي كانت الثغور الشمالية الأربعة (سبتة والقصر وطنجة وأصيلا) تعاني منها بسبب حالة الحصار المفروضة عليها، وبسبب فشل المحاولات الرامية إلى خلق مناطق آمنة حولها تزودها بالأقوات وتدفع الضرائب وتقبل على أسواقها، وبذلك مثلت تلك الثغور عبئاً مالياً أرهق ميزانية الدولة، إذ كانت حسب تقديرات البعض تبتلع لوحدها عشر مداخيل الدولة البرتغالية (سنة 1477). كما اعتقد المسؤولون أن التحكم في ذلك الموقع المحمي طبيعيا يقلل من خطورة العمليات الجهادية التي كانت تنطلق من مدينة القصر الكبير، ويمنع الإمدادات الوطاسية من المس بالمكتسبات البرتغالية بمنطقة الهبط. وإذا كانت تلك العوامل المالية والاستراتيجية قد تحكمت في اختيار الموقع، فإن عاملا آخر تحكم في التوقيت. لقد توصل الملك البرتغالي من البابوية ابتداء من إعلان قرارها بتاريخ 18 فبراير 1486 بمساعدة مالية وجبائية سخية مقابل تعهده بإعلان الحرب الصليبية بالمغرب والهجوم عليه خلال الثلاث سنوات اللاحقة. وقد انتهت المدة في فبراير 1489، الأمر الذي حتم على العاهل البرتغالي تنفيذ التزامه ليتسنى له تقديم طلب مساعدة جديدة. وبالفعل أصدر البابا قرارا جديدا في 19 فبراير 1491 بعد أن اقتنع بما ذكره الملك البرتغالي الذي حول هزيمته إلى انتصار، إذ ادعى أن الوطاسي ألح في طلب إمضاء الهدنة وإعلان الصلح، وقدم مقابل ذلك تنازلات ترابية كثيرة.

ويبقى الحسن الوزان المؤلف المغربي الوحيد الذي أورد معلومات تفيد إلى حد ما في معرفة الظروف التي فشلت فيها المحاولة البرتغالية، بينما يطغى الغموض على ما أورده الكراسي عن الواقعة. ومن حسن الحظ أن الرسالة التي بعثها العاهل البرتغالي يوم 21 شتنبر 1489 إلى البابا لتبرير فشله في محاولته تلك تعطي معلومات وتفاصيل عن الموقع وما شيد البرتغاليون به، وكذا عن ردود الفعل التي واجهتهم وظروف انسحابهم منه. كما أن تلك الرسالة لا تترك أدنى شك بشأن توقيت المحاولة التي تمت في شهر يونيو وليس فبراير كما يدعي البعض.

وتجمع المصادر على كون الحصار الذي ضربه محمد الشيخ الوطاسي على البرتغاليين حال دون إتمام تحصين الموقع الذي كان لا يزال بسيطا ومن الخشب. كما حال

إغلاق النهر برمي الحجارة وجذوع الأشجار فيه دون توصل البرتغاليين بما كانوا في حاجة إليه من إمدادات. ومن جهة أخرى، تفشت الحمى بين رجال الحامية البرتغالية بسبب المستنقعات. وبذلك اضطر البرتغاليون إلى التفاوض للتمكن من الانسحاب. ويبدو أنهم دفعوا الثمن غاليا فقد ذكر الوزان أنهم لم ينسحبوا إلا بعد دفع "غرامة حربية ضخمة".

وتشير رسالة جواو السابقة الذكر، إلى أن محلة الوطاسي كانت تضم أربعة آلاف فارس، فضلا عن عدد لا يحصى من المشاة. وأضافت أن السلطان قسم جيشه إلى قسمين، خيم كل واحد منهما على ضفة من ضفتي النهر، وأنه أمر بسد النهر وبتحصين "كل ضفة بحائط متين من الحجارة والخشب، حيث وضعوا على كل جانب آلات موجهة نحو النهر، ومنعوا السفن من الدخول إليه، وحالوا بذلك دون وصول الزاد إلى جنودنا". واعتمدت الحامية المكونة حسب نفس الرسالة من 1500 شخص على المدفعية وعلى التحصينات والخنادق التي حفرت حول الموقع، إلى حد أنه خلال الأربعين يوما التي دامها الحصار، "لم يجرؤ لا ملك فاس، ولا رؤساء جنده على الاقتراب منه أو مهاجمته من أية جهة، ولكنهم بتمديدهم للحصار كانوا يعتقدون أنهم سيرغمون رجالنا على الاستسلام تحت وطأة المرض". وأكدت الرسالة الملكية على الوباء الذي تفشى بين البرتغاليين، والذي "سبب لجلهم الحمى، الأمر الذي كنا نخشاه أكثر بكثير من أي شيء آخر" وأرجع الملك البرتغالي قرار تخريب الحصن والجلاء عنه إلى ذلك الوباء. كما أرجعت الرسالة الملكية ميل الوطاسي إلى السلم وطلب التفاوض إلى علمه باستعداد الملك البرتغالي لعبور البحر في شتنبر.

ولم يحقق محمد الشيخ الذي كان يواجه ثورة الشاوية، والذي كان جيشه يفتقر للمدفعية، أي مكسب عسكري أو سياسي من ذلك الانتصار، بل على العكس من ذلك، بادر إلى تجديد العمل بالهدنة التي كان قد أمضاها لمدة عشرين سنة بعد سقوط أصيلا، مضيفا إليها مدة عشر سنوات أخرى (*معاهدة تشميش*، 27 غشت 1489).

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، ط. 2، ص. 309 ـ 310 ؛ م. الكراسي، *عروسة المسائل*، الرباط، 1963، ص. 15 ـ 17 ؛ أ. بوشرب، *وثيقة برتغالية جديدة تتعلق بواقعة المليحة، مجلة كلية الآداب، فاس*، ع. 2 ـ 3، 1979 ـ 1980، ص. 376 ـ 387.

C. M. Witte, *Une lettre inédite du Roi Jean II au Pape Innocent VIII sur l'affaire de Graciosa*, *Studia*, Lisboa, 1958, p. 91 - 100 ; D. Lopes, *Os Portugues em Marrocos*, in *História de Portugal*, Dir. D. Peres, Barcelos, 1931, Vol. III.

أحمد بوشرب

* * أما موقع جزيرة المليحة والحصن البرتغالي بها Forte Graciosa فإن تحرياتنا أرشدتنا إلى تعيين موقع أخر غير الذي عينه الباحث البرتغالي بيير دي سنفال (Pierre de Cenival)، وسار على نهجه الباحث الإسباني تماس غرثيا فيكيراس (Tomas Garcia Figueras). ومعلوم أن الباحثين المذكورين عينا لحصن گراسيوسا موقعا متوسطا بالمرحلة الفاصلة بين العرائش والقصر الكبير، في الوقت الذي نرى البحث عن الحصن في نقطة غير بعيدة عن مصب واد اللكوس حيث يرسم مجراه ثنيات ثلاثا بارزة على شكل أشباه الجزر.

لقد سرنا في تحقيق الموقع باتباع طرق ثلاث : اعتبار المسافات الفاصلة بين المصب والحصن ؛ تتبع عمليات تزويد الحصن بمواد البناء والعتاد الحربي عن طريق مصب اللكوس ؛ تتبع الوصف المرافق للحصار المغربي لتحديد موقع مرابطة الجيش الوطاسي. وفق ذلك كان علينا ترجيح الموقع الذي حدده الإخباري البرتغالي برناردو رودريگيس (Bernardo Rodrigues)، صاحب *حوليات أصيلا* (*Anais de Arzila*) القريب من سنة الحدث، سيما وأنه وقف عند آثار گراسيوسا خلال إحدى زياراته لمدينة العرائش حوالي سنة 1538 ذاكراً أن قرية جديدة قد تكونت بالمكان تدعى "فونشال" (Funchal).

وأمام كل تلك التحريات لن يسعنا سوى الإشارة إلى موقع حصن الجزيرة في نقطة واقعة من قوس الثنية النهرية الثانية لواد اللكوس مما يقابل مدينة تشمس الأثرية شرقا وقرية الهوتة الواقعة على الضفة اليسرى من نفس الثنية النهرية الثانية غربا، وسوق الخميس الذي كان موضعه آنذاك على الضفة اليمنى من مصب الواد مقابل قرية الركادة.

وبهذه النتيجة نصحح الموقع الي أشار إليه بيير دي سنفال، إذ أنه خص للحصن موقعا قريبا من القصر الكبير عند نقطة ما قبل التقاء واد المخازن بواد اللكوس، وهذا الموقع لا يبعد عن القصر الكبير إلا بنحو أربعة فراسخ (.....). كما أن الآثار المكتشفة المعلن عنها من طرف "تماس گرسيا فگيراس" موضحا بأنها خرائب حصن گرسيوسا البرتغالي هي حتما من الآثار التي لا تمت للجزيرة بصلة.

اتفقت المصادر على أن سنة الغزو البرتغالي لحصن جزيرة اللكوس هي 895 هـ / 1489 م، بدءاً من شهر شعبان / يونيه إلى أن تم الجلاء عنه قبل يوم 25 شوال / 21 شتمبر السنة. ونعلم عن الحصار المغربي أن محمد الشيخ الوطاسي حضر بقوات مكونة من فرسان الشاوية والخلوط بلغ عددها نحو أربعة آلاف ومن عدد من المشاة لم تذكر المصادر تقديراتهم. وكان برفقة السلطان ابنه الأكبر يحيى، وعلي بن راشد من قواد الهبط، ولا يمكن استثناء حضور طلحة العروسي قائد القصر الكبير آنذاك.

تمكن الجيش الوطاسي من إحباط المغامرة البرتغالية بجزيرة اللكوس، بعد أن ضرب الحصار على ممر الإمدادات

البرتغالية بالمصب من موقع سوق الخميس بعد أربعين يوما من الحصار، مما أدى في النهاية إلى استسلام قوات جواو الثاني وتوقيع هدنة الجلاء يوم 25 شوال 895 / 21 شتمبر 1489.

أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد*، 271 ـ 272 ؛ م. الكراسي، *عروسة المسائل*، 15 ـ 17 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 239 ؛ مارمول، *إفريقيا*، 2 : 195 ـ 196 ؛ م. العربي الفاسي، *المرآة*، 145 ـ 146 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، مرقون د. الدولة، الرباط، 1991.

Garcia de Resende, *C. De D. Joao 2 e Mescelanea*, p. 100 - 101 - 103 - 120 - 124 - 127 ; Rui de Pina, *C. De D. Joao 2*. chap. 28, p. 78. Chap. 31, p. 81 - 96 - 97 - 100 - 101 ; *Colleccao de libros ineditos para a Historia de Portugal*, p. 96 - 101 ; Bernardo Rodrigues, *Anais de Arzila*, 2 : 91 - 93 - 94 - 96 - 101 - 105 - 155 - 156 - 204 ; P. Cenival, *S.I.H.M.. Portugal*, T.1, p. 15 ; T. G. Figueras, *Expediction de los portugueses al rio de Larache, y fundacion de la fortaleza Graciosa*.

حسن الفكيكي

**الجزيري**، أو الكزيري أسرة تطوانية هاجرت من الجزائر، وهي على غير قياس، وتطلق على كل مهاجر من الجزائر إلى تطوان بعد الاحتلال الفرنسي عام 1246 هـ. وقديماً كان الجزيري يُطلق على أهل الجزيرة الخضراء بالأندلس بعد سقوطها وهجرتهم منها. وفي عام 1130 هـ ورد ذكر الحاج محمد الجزيري الأندلسي. وقد انقرضت هذه العائلة الآن، أعني الأندلسية.

وممن اشتهر بهذه النسبة من مهاجرة الجزائر الفقيه العلامة الأديب النابغ السيد عيسى الجزيري التطواني وابنه السيد أحمد الجزيري من سكان الربض الأسفل، ورد ذكره عام 1191 هـ.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج 3 حرف ج مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، حرف ج نسخة المؤلف بخطه بخزانته.

محمد بوخبزة

**الجزيري، العربي**، رايس بحري من أصل جزائري، انخرط في صفوف العاملين بالأسطول المغربي على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وكان أحد خمسة رياس معتمدين بمرسى طنجة، مرتبا ضمن طائفة أهل المشرق من رجال البحر. وكان في سنة 1187 / 1773 يقود غليوطة مجهزة بأربعة مدافع، وستة وعشرين مجذافا، ويسير طاقما مكونا من خمسين بحاراً، وهي السنة التي تلقى خلالها من پاطونييه (Pathonier) نائب القنصل الفرسي شينيي (Chenier) جواز مرور لاتقاء الملاحقة الفرنسية.

Chenier, *Journal du Consulat Général de France à Maroc*, p. 142.

حسن أميلي

**الجزيري، علي** بن محمد بن رزين أو محمد بن عبد الله، عالم ثائر أندلسي من أهل الجزيرة الخضراء. أخذ بقسط وافر من العلوم، وكان يعنى بشكل خاص "بحفظ المتشابهات وما يؤول منه إلى الروايات" حسب ابن عذاري.

تُقدم المصادر روايتين مختلفتين عن شخصية الثائر الجزيري، فرواية ابن عذاري التي ينقلها عن مؤرخ رسمي للدولة الموحدية هو ابن صاحب الصلاة، تقدم الجزيري في صورة غامضة. أما رواية ابن سعيد المغربي فتبدو أكثر هدوءاً في التعرض لشخصية هذا الثائر جاعلة منه أحد الناقمين على الموحدين بسبب ما آلت إليه الأوضاع في دولتهم من ظهور الترف ومظاهر الأبهة والانحراف عن تعاليم المهدي ابن تومرت التي كان الجزيري أحد الغيورين عليها ! ومن ثم تعطي هذه الرواية عنه صورة عالم ذي نزعة إصلاحية وطموح إلى أحياء تعاليم المهدي. وتورد بعض الأبيات التي يعلن فيها الجزيري جانبا من طموحه، حيث يقول :

| | |
|---|---|
| في أم رأسي سـرٌّ | يبدو لكم بعد حين |
| لأطلبن مـرادي | إن كان سعدي معيني |
| أولاً فأكتبَ ممن | سعى لإظهار ديني |

حاول الجزيري أن يقوم بمغامرة شجاعة حيث إنه لم يعلن ثورته على الموحدين من مناطق الأطراف كما يفعل الثوار عادة، ولكنه فضل مواجهة السلطة الموحدية في عاصمتها، حيث انتقل إلى مراكش، مستغلاً وجود الخليفة المنصور باشبيلية، وفيها بدأ دعايته. وقد أصدر الخليفة أمرا بطرده من مراكش، فبدأ يتجول في المدن والمناطق المغربية ويبث دعوته سراً لاسيما بين العامة حيث كان يخاطبهم ببراعة وتأثير حتى عظم أمره وتبعه خلق كثير، فأصبح بذلك يشكل خطراً حقيقياً على الدولة، ونشطت حركة البحث عنه وترصدته العيون في كل مكان، لكنه كان ينجح في الإفلات من المطاردة.

ثم ظهر بمراكش ثانية، فأمر والي المدينة السيد أبو حفص بمطاردته والبحث عنه أينما وجد، فغادرها وظهر بمدينة فاس، وأخذ يختلط "بعامتها وأوباشها"، فتبعه منهم أعداد، ورفع خبره إلى واليها ابن ومازير الذي ألقى القبض على عدد من أتباعه وقتلهم. في حين تمكن الجزيري من الفرار مرة أخرى، واختفى ولم يعد يوقف له على أثر.

ونظراً لتحرك هذا الثائر داخل المدن الكبرى في الدولة الموحدية وعلى أعين مسؤوليها، فإنه اتبع طريقة في الدعاية تنطوي على قدر من الحيلة، فأشاع بين الناس أنه ساحر عليم، وأنه يظهر في صور الحيوانات كالحمير والقطط والكلاب وغيرها.

ويظهر أنه بعد قتل مجموعة من أتباع الجزيري بفاس، استشعر الخطر، فتمكن من العبور إلى الأندلس. وكتب المنصور الذي كان موجوداً بها إلى سائر ولاتها وعمالها

بأوصاف وامارات الجزيري لإلقاء القبض عليه. واجتهد المسؤولون في البحث عنه، فشاع أنه أُلقي عليه القبض في مالقة، وقبض على كثير ممن التف حوله بمن فيهم أحد إخوانه، وأُحضروا إلى إشبيلية، لكن الجزيري تمكن من الفرار من جديد عن طريق إرشاء القاضي المكلف به. وفعلاً تم قتل كل أتباعه وكان عددهم تسعة وتسعين شخصاً، وقتل القاضي أيضاً على تفريطه، وتتبع الموحدون بالقتل كل من اشتبهوا بصلته بالثائر الجزيري.

لم تتوقف مطاردة الجزيري بعد ذلك حتى ألقي القبض عليه ببعض قرى مرسية، وأُخذ إلى إشبيلية وحُمل إلى مكان جلوس الموحدين وطيف به على الحاضرين، وهو ينكر مانسب إليه، وانتهى الأمر بتعذيبه وصلبه، وأرسل رأسه إلى مراكش سنة 586 / 1190.

ومما يؤكد أن حركة الجزيري كانت تحديا للدولة الموحدية وهي في أوج قوتها، فقد سارع الشعراء إلى نظم القصائد في امتداح المنصور وتهنئته بالقضاء على "فتنة الجزيري"، فمن ذلك لائية الشاعر أبي العباس الجراوي التي مطلعها :

جد الجزيري في إتلاف مهجته حتى تورط في وِرْدٍ بلا صَدَرِ

لا تقدم لنا المصادر أسماء شخصيات معروفة سواء من العلماء أو زعماء القبائل أو غيرهم ممّن ساندوه، والعالم الوحيد الذي اتهم بمساندته هو أبو الحسين ابن الفخار المالقي، ثبتت براءته من ذلك إلى جانب من ألقي عليه القبض بمالقة.

يلاحظ إذن أن أتباع الجزيري وزعماء حركته كانوا من العامة، إلى حد أن المئات ممن قتل من أتباعه لا نجد ذكرا لأسمائهم في المصادر، مما يترك انطباعا بأن هذه الحركة كانت في الواقع حركة عوام مأخوذين بما كان الجزيري يشيعه عن نفسه من معرفة للغيب، ولانستبعد مع ذلك أن تكون المصادر الرسمية في العصر الموحدي قد ركزت من جهتها على وجهة النظر الرسمية دون سواها.

ابن سعيد المغربي، *المغرب في حلى المغرب*، القاهرة، 1978، 1 : 323 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب (قسم الموحدين)* الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ج 4 - بيروت 1964 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* (ج 6) بيروت، 1956 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* (ج 4) بيروت 1968 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين* (ج 2) القاهرة، 1964.

Ferhat Halima, *Le Maghreb aux XIIème et XIIIème siècles : les siècles de la foi*, Casablanca, 1993.

محمد المغراوي

**الجزيري، عيسى** (مولاي -) التطواني، لعل أصله من الجزيرة الخضراء بالأندلس، ولكن سكيرج وصفه بالحسني، يعني أنه شريف النسب. الفقيه العلامة الأديب المتفنن البارع المقرئ الحكيم صَناع اليد، جميل الخط. ذكر سكيرج من أعماله الفنية أنه كتب المصحف الشريف كله في صفحة واحدة بخطه الرائق. كما كان يكتب بالخط الشرقي، كتب به *سورة طه* في إطار مزخرف غاية في الإبداع والجمال، وتقدّم إلى نساج بنسج لواء لمخدومه الباشا أحمد فعجز، فأخذ المنسج وباشر ذلك بنفسه، فتم اللواء على صورة الإطار المذكور.

كان عيسى الجزيري مختصا بالباشا أحمد بن علي الريفي. وهو الذي كتب له الكتابات والأشعار المنقوشة على جدران قصره (القصر الملكي الآن بالمشور السعيد بتطوان) كما أنه هو الذي كتب الكتابات الموجودة إلى الآن على المآثر التاريخية بتطوان ومازال معظمها موجوداً يشهد ببراعة المترجم له في الأدب والصناعة.

وبعد انتصار الحاج عُمر لُوقَش على خصمه الباشا أحمد طلب المترجَمَ له ليعاقبه ففر منه إلى مخدومه بطنجة. وظل معه إلى أن قُتل ومات لوقش بنارودانت، فعاد الجزيري إلى تطوان واتصل بالقائد الحاج محمد لُوقَش بن الحاج عمر المذكور وخدمه واختص به، ومدحه ببديعية *دالية* من الكامل وشرحها *بشرحين* يوجدان بالخزانة الداودية بخطه، وعلى الشرح الكبير تقاريظ، منها للأديب محمد مفضل الأندلسي، والقاضي محمد ابن طريقة. كما ألف الجزيري *كتاباً عجيباً في القرآات السبع*.

توفي بتطوان أواخر ربيع الثاني عام 1169 / أواخر يناير 1756.

سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ص. 50 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ط. تطوان 3 / 61 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 288.

محمد بوخبزة

**الجزيري، فاتح** بن حمادة القصري، الشاعر الأديب. ولد بالجزيرة الخضراء بالأندلس وانتقل إلى مدينة القصر الكبير، وأخذ عن علمائها وتصدر لتدريس الأدب بها بالمسجد الذي خلد.اسمه بالمدينة وهو مسجد الجزيري الذي مازال موجوداً بحي الشريعة، فانتقل رحمه الله إلى المشرق وتولى القضاء بأسيوط بالقطر المصري وتوفي هناك عام 663 / 64 . 1265. وقد أصبح شافعيّ المذهب وله عدة مؤلفات ومنظومات شعرية، منها *نظم المفصل* للزمخشري، *ونظم سيرة بن هشام*، يوجد المجلد الخامس منه بالخزانة الملكية تحت رقم 1688، ويحتوي على 8185 بيتاً من الشعر، كما أن له نظماً آخر *لكتاب الإشارات* لابن سيناء، *ومنظومة في العروض*.

محمد بوخلفة، *المدارس والتعليم بمدينة القصر الكبير من بداية القرن السادس الهجري وما بعده*، ضمن الملحق التاريخي والثقافي لجمعية البحث التاريخي والاجتماعي، الذكرى 28 لعيد العرش، مارس، 1989.

الحسين البعاوي

ابن **جزي**، بيت شهير بالأندلس والمغرب، وهم عرب قحطانيون من بني كلب من كهلان. سكنوا غرناطة، وانتقل

بعضهم إلى فاس منذ عهد قديم، وكان منهم علماء وكتاب وأدباء، وانقرضوا اليوم من فاس.

ابن جزي، **محمد** بن أبي القاسم محمد بن أحمد الغرناطي ثم الفاسي. أديب كبير شاعر ناثر، ولد بغرناطة في شوال عام 721 / أكتوبر - نونبر 1321. قال عنه إسماعيل ابن الأحمر: "طلع في سماء العلوم بَدْرا مُشرقا، وسارت براعته غربا ومَشرقا، وسما بشعره فوق الفرقدين، كما أربَى بنثره على الشِّعرَى والبُطَيْن، له باع مديد في التاريخ واللغة والحساب والفقه والنحو والبيان والآداب بصيرا بالأصول والفروع والحديث، عارفاً بالماضي من الشعر والحديث ... ومع تَفَنُّنه في العلوم فهو في الشعر قد نَبَغ، وما بلغ أحدُ من شعراء عصره منه ما بلغ؛ بل سَلّموا التقدُّم فيه إليه، وألْقَوْا زمام الاعتراف بذلك في يديه؛ ودخلوا تحت راية الأدب التي حمل، إذ ظهر ساطع براعته ظهور الشمس بالحَمَل".

كتب لبني الأحمر ملوك غرناطة ثم تنكروا له فانتقل إلى فاس، وحظي في بلاط السلطان أبي عنان المريني، وفيه لقي الرحالة ابن بطوطة وأملى عليه رحلته *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، فألفها ابن جزي ورتبها بأمر من أبي عنان.

توفي ابن جزي بداره من المدينة البيضاء (فاس الجديد) قرب المغرب من يوم الثلاثاء 29 شوال عام 757 / 25 أكتوبر 1356 ودفن يوم الأربعاء بعد صلاة العصر وراء الحائط الشرقي بالجامع الأعظم.

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، 2 : 186 - 195 ؛ أ. ابن حجر، *الدرر الكامنة*، 4 : 165 ؛ ابن الأحمر، *نثير الجمان*، تح. م. الداية، 292 - 307 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، 3 : 189 - 203 ؛ *نفح الطيب*، 5 : 526 - 539 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 222 ؛ ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

**جَسُّوس**، أسرة من أقدم وأعرق البيوتات الفاسية التي اشتهر رجالها، عبر الحقب والسنين، في ميادين العلم والتدريس والتجارة والدبلوماسية والأمانة في المراسي. وبالرغم من عدم تمكننا من الوقوف على موطنها الأصلي قبل الاستقرار بمدينة فاس أولا، ثم الرباط وتطوان فيما بعد، وهل هي من هذه الأسر الأندلسية العديدة النازحة من "الفردوس المفقود"، بعد سقوط غرناطة؟ أم هي من هذه المجموعات البشرية التي استوطنت مدينة المولى إدريس، شأنها شأن سائر الأسر الفاسية الأخرى؟ فإننا نجد ذكراً وآثاراً لبعض أفرادها، ابتداء من القرن العاشر (16 م).

على أن هناك احتمالا آخر، يُفيد بأن هذه الأسرة من البلديين الذين اعتنقوا الإسلام. وفي هذا الصدد، أورد الضُّعَيف الرباطي، في سياق حديثه عن الخلاف الحادث بين السلطان المولى إسماعيل وبعض علماء فاس وفقهائها، في مسألة جمع العبيد وتمليك الحراطين، ما يلي: "...وكانت بينه وبينهم مُحاورة، وفي آخر المجلس قام مولانا إسماعيل مُغتاظاً فقبضه السيد عبد السلام جسوس من طرف ثوبه وقال له: اجلس تسمع ما قال جدّك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فنثر ثوبه وخرج، فقال له محمد بن قاسم عليلش: ما فعل بك ذلك إلا لأنه حديث عهد بالإسلام، وذلك منه كراهة فيك وفي جدك؛ فقبضه وأمر بتعذيبه كما تقدم...".

ومهما يكن من أمر، فإن بيت آل جسوس كان يتكون من عدد من الفروع والفرق، نورد فيما يلي بعض مشاهير هذه الفرق بفاس، وفي مقدمتهم، فرقة الفقيه الشيخ عبد السلام بن حمدون جسوس (ت. 1121 / 1709). والفرقة الثانية من آل جسوس يمثلها شيخ الجماعة في وقته مَحمد ابن قاسم جسوس (ت. 1182 / 1767) ابن أخي عبد السلام المذكور آنفاً. والفرقة الثالثة يمثلها الفقيه الصوفي محمد بن عبد اللطيف جسوس (ت. 1273 / 1855). وتعرف الفرقة الرابعة بعائلة ناظر القرويين، التاجر حمّاد بن عبد العزيز جسوس الذي كان يشغل منصب النظارة في أواسط شهر محرم من سنة 1272 هـ / أواخر شتنبر 1855. أما رأس الفرقة الخامسة، وتُدعى عائلة شيخ ركب الحجيج بفاس، فهو عليّ جسوس. ورئيس الفرقة السادسة التاجر مُحمد بن العباس جسوس، وكان حيّا في حدود سنة 1340 / 1921 - 1922، وكان له أولاد ثلاثة هم مُحمد وأبو بكر وعبد الرحمان. ويتكون الفرع السابع من هذه الأسرة التي لم نأت على ذكر كل فروعها من الإخوة التجار مُحمد وأحمد وأبي بكر، أبناء مَحمد جسوس. وكان هذا الفرع من أغنى وأنشط الأسر الفاسية في القرن الثالث عشر (19 م)، وعرفت تجارتهم رواجاً داخل البلاد وخارجها. وقد توفي الابن الأول وهو مُحمد عن غير عقب ذكور. وأمّا الثاني، أحمد، فقد خلف أربعة أبناء ذكوراً، هم عبد السلام وعبد الكريم اللذان تُوفّيا في سنّ الشباب عن غير عقب، وعبد القادر ومحمد العيساوي اللذان كانا على قيد الحياة في حدود سنة 1340 / 1921 - 1922. وأمّا ثالث الأبناء، وهو أبو بكر، فقد أنجب من الأبناء الذكور تسعة وهم في السن على التوالي، مُحمد وإدريس ومَحمد وعبد المجيد وابن سالم وعبد الوهاب وعبد الواحد وعمر وعبد الرحمان. وكان جميعهم على قيد الحياة في حدود سنة 1340 / 1921 - 1922.

ويُعد الحاج حدو جسوس وسعيد بن أحمد جسوس الذي قد يكون ابن الحاج حدو، من أبرز رجالات جسوس. ولعلهما من الفرع الذي استوطن مدينة تطوان أو مدينة الرباط. وقد عرفت تجارة كل من الرجلين، في بداية أمرهما، نجاحاً كبيراً ورواجاً واسعاً، داخل المغرب وخارجه، وأقبلت عليهما الدنيا واستُخدما في وظائف مخزنية عليا.

فالأول عُيّن قُنصلا للمغرب بمدينة جبل طارق سنة 1256 / 1841، ثلاث سنوات بعد أن عزل السلطان المولى عبد الرحمان يهودا ابن عليل من هذا المنصب الذي تولاه بعده الحاج حدّو جسوس إلى غاية سنة 1273 / 1856، وعندها عُين مكانه الأمين التاجر الكبير محمد الرزيني التطواني حتى سنة 1274 / 1857. وفي هذه السنة تقلد مهام القنصلية المغربية بالمدينة الأنجليزية المذكورة الحاج سعيد بن أحمد جسوس إلى غاية سنة 1307 / 1890، حيث وافته منيته وأقبر بمدينة تطوان، كما دفن قبله بنفس المدينة الحاج حدو جسوس.

ومعلوم أن منصب قنصل المغرب بجبل طارق كان يكتسي أهمية بالغة لا يُسند إلا لكبار التجار الذين لهم إلمام ببعض اللغات الأوربية ومكنتهم تجارتهم الرائجة وإقامتهم في مدن أوربا من الاطلاع على عادات وأحوال أهل هذه الدّيار.

هذا وقد ورد كثيراً ذكر العديد من أفراد آل جسوس في الوثائق والسجلات المخزنية، سيما أولئك الذين استخدموا في الأمانة بالمراسي المغربية، طيلة القرن الماضي، من بينهم الأمين مصطفى جسوس في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، والأمين عبد السلام جسوس وولده محمد اللذان كانا من أبرز أمناء المراسي المرموقين في عهدي السلطان المولى الحسن وخلفه المولى عبد العزيز.

خ. ح : *الوثائق الزيدانية*، عدد 12607 ز، المجلدان 19 و25 ؛ *كنانيش* بنفس الخزانة، رقم 46 و370 و404 و*كنانيش بليمني*. م. و. م. ر، مح طنجة ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الجزءان 2 و3 ؛ *معجم طبقات المؤلفين*، مخطوط خ. ح، رقم 12564 ز ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، خ، ح، رقم 10651 ز ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، مخطوط خ. ع. رقم 1287 د ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1959 - 1979، الأجزاء 2 و3 و5 و8 ؛ ع. الكتاني، *زهر الآس في بيوتات فاس*، مخطوط، خ. ع. عدد 1281 ك ؛ أ. الناصري السلوي، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 - 1956، الأجزاء 7 و8 و9 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، الرباط، 1986 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية، الرباط*، 1984، 1 : 83.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Paris, 1963, t. 2 et 3.

**جسوس، أحمد** بن **قاسم** الرباطي، من الفرقة التي هاجرت من فاس إلى مدينة الرباط للاستقرار والعيش بها بعد نكبة ومقتل الشيخ عبد السلام جسوس بفاس، في سنة 1121 / 1709. وقد ترجم له تلميذه، مؤرخ الرباط، محمد بوجندار، في *الاغتباط* ومحمد بن علي دنية، في *مجالس الانبساط*، كما ذكره، عدة مرات، مؤرخ مكناس عبد الرحمان بن زيدان في *إتحاف أعلام الناس*... وحلاه بوجندار بقوله : "شيخنا العلامة الأديب المجيد... فخر الرباط وشاعره وناظم دره ونثره...".

ولد أحمد بن قاسم جسوس بالرباط في حدود سنة 1270 / 1862 - 1863، في أسرة ميسورة، نشط أبناؤها في ميادين العلم والتجارة والخدمة المخزنية. وقد سهر أبوه الذي كان يعمل أميناً في الجهاز المخزني، على تربيته وتكوينه تكويناً أصيلا، ارتكز بالأساس على الدراسات القرآنية والفقهية واللغوية والأدبية. وخلال المرحلة الأولى من تعلمه بمسقط رأسه رباط الفتح، تمكن المترجم من حفظ القرآن الكريم، وحفظ منظومات النحو وماشابهها من المتون التي كان يتسلح بها كل مقبل على الدراسة في عصره ؛ ومن بين كبار الأساتيذ الذين أسعفه الحظ بالتتلمذ عليهم، شيخ الجماعة في وقته بمدينة الرباط إبراهيم بن محمد التادلي (1242 - 1311 / 1827 - 1892)، والشيخ العربي بن السائح (1229 - 1309 / 1813 - 1891 - 1892)، والعلامة الصوفي عمر بن مَحمد عاشور (ت. 1314 / 1896 - 1897).

وفي فترة ثانية شد الرحال إلى مدينة فاس، طالبا المزيد من المعرفة والعلم، فتسنى له حضور دروس بعض مشاهير علماء مدينة فاس، ومن بينهم أحمد بن أحمد بناني كلاّ، ومحمد بن المدني گنون (ت. 1302 / 1885)، ومُحمد بن التهامي الوزاني (ت. 1311 / 1894)، ومَحمد بن قاسم القادري (ت. 1331 / 1913)، والطيب بن أبي بكر ابن كيران (ت. 1314 / 1896).

وبعد قضاء وطره من السماع والحفظ والتحصيل، تاقت نفسه إلى التجوال والترحال، أولا في المغرب، وثانيا خارجه. وهكذا قام برحلة طوف فيها بمراكش وطنجة وتطوان، حيث التقى بعلماء وأدباء هذه الحواضر. ثم بعد ذلك، سافر سنة 1304 / 1887، إلى بلاد الكنانة وأدّى بالمناسبة فريضة الحج. يقول بوجندار عن سفره هذا : "...وتلاقى بعلماء الكل وأخذ وسمع واستجاز واستفاد...".

ولا شك أن فترة التكوين والتحصيل وإشباع نهم وفضول المثقف بلغت منتهاها لدى أحمد بن قاسم أواخر القرن الثالث عشر (19 م)، أي عندما بلغ من العمر حوالي ثلاثين سنة.

وبعد العودة إلى الرباط، اشتغل أول الأمر في الإشهاد والتوثيق مع القاضي علي بن أحمد دنية الرباطي (ت. 1325 / 1907). ثم اشتغل عدلا في أمانة المراسي بالدار البيضاء وطنجة وفي البنيقة المراكشية (أي الجهاز المالي المكلف بالصوائر المخزنية). إلا أن الرجل سرعان ما أنف من العمل في الوظيف المخزني، متعللا بضعف بنيته وبعدم القدرة على الاشتغال باستمرار في المهام المسندة إليه. ولهذا عاد إلى بلده، وتفرغ للتدريس والتأليف. ومما يُنسب إليه من مصنفات وتآليف، نذكر ما يلي : *تعليق على الموطأ* ؛ *الإغراء بمسائل الاستبراء* ؛ *افتتاح البخاري وختمه* ؛ *ختم الشمائل الموسوم بزهر الخمائل أو زهر الخمائل من دوحة الشمائل*". وله كذلك أشعار كثيرة لو جمعت

لجاءت ديوانا. ومما يُؤكد شاعرية الرجل ذوقه الرفيع، وولعه بالموسيقى إلى درجة أنه كان يتقن العزف على بعض آلاتها.

وأما في حقل التدريس، فكان يلقي دروسه في الزاوية التجانية لأنه كان تجاني الطريقة، وله اعتقاد كبير في شيخها، وكذلك بالمسجد الأعظم بمسقط رأسه. وكان موضوع درسه شرح *ألفية ابن مالك*، *والمختصر الخليلي* بشرح الدردير، *وشمائل الترمذي*، *والأربعين النووية*، *وهمزية البوصيري*، *ورسالة ابن أبي زيد القيرواني*، *والموطأ*... ويبدو من شهادة تلميذه المؤرخ بوجندار، أن الفقيه جسوس كان بارعاً في طريقة تبليغ معلوماته، موفقا فيها، حيث يقول في هذا الصدد : "... كان عذب الإلقاء، أنيق التعبير، حسن الإدراك والفهم...".

ومن أوجه النشاط الأدبي والثقافي، السائد في وقت المترجم له، تلكم المحاورات والمساجلات التي كانت تجري بين أدباء الوقت، فيتبادلون التهاني والتحيات، ويتداولون بعضا من القضايا الفكرية والأدبية التي كانت تشغل بالهم وتثير قريحتهم وذلك بواسطة تبادل قصائد شعرية أو نصوص نثرية، وهي طريقة التواصل والتحاور الوحيدة السائدة في وقتهم، بسبب انعدام وسائل التواصل الحديثة التي لم يعرفها المثقف المغربي إلا في حدود الثلاثينات من قرننا الحالي. وعلى هذا النحو كان أحمد بن قاسم جسوس يربط الاتصال ببعض الأدباء والفقهاء المرموقين في وقته، كالقاضي أبي حامد محمد المكي بن محمد البطاوري (ت. 1354 / 1936)، والقاضي أحمد بن المامون البلغيثي (ت. 1325 / 1907)، والأديب عبد القادر بن عبد الله أُبريس (ت. 1332 / 1914)، والقاضي أحمد الزعيمي (ت. 1329 / 1911). ومما قاله المترجم له في إحدى الجلسات الحميمية المنعقدة بمحضر بعض هؤلاء، وخاصة أحمد بن المامون البلغيثي المذكور، والفصل فصل ربيع في بدايته، نونية رائعة جاء فيها :

بواكر الزهر جاءتنا تحيينا — أحْبب بها نفحة بالروح تُحيينا

جاء النسيم بها صُبحا على مهل — وظل يهدي لنا ورداً ونسرينا

كما أورد له مؤرخ مكناس، في *إتحافه*، قصائد من نظمه، قالها بمناسبات شتى، إنسانية وفكرية وسياسية.

ويفيد صاحب *الاغتباط*، من جهته، بأن المترجم له كان ذا "جسم نحيف وجسد نحيل" معلقا على حالته الصحية وما اعتراه من مرض، في آخر حياته، حيث لزم الفراش مدة طويلة.

هكذا كان أحمد بن قاسم جسوس، فقيها معلما، وأديبا شاعرا، بل فنانا، جماعة للكتب والمؤلفات، حتى تكونت لديه خزانة كانت تعد من أغنى الخزانات الخاصة في وقته، ولا شك أنه يُمثل أحسن تمثيل هذ الجيل من المثقفين المغاربة النشطين والفاعلين في الحقل الثقافي بالمغرب، في فترة ما قبل الحماية.

وافاه أجله المحتوم في 13 ذي القعدة 1331 / 14 أكتوبر 1913، ولم يعقب وأُقبر بالزاوية الناصرية برباط الفتح.

م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط، 1987 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929 ـ 1933، الجزءان 1 و2 ؛ *معجم طبقات المؤلفين في عهد الدولة العلوية*، مخطوط خ. ح. رقم 12564 ز، جذاذة رقم 56 ؛ محمد بن علي دنية، *مجالس الانبساط*، الرباط، 1986 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، *تاريخ العدوتين*، تح. مصطفى بوشعراء، الرباط، 1986.

مصطفى الشابي

**جسوس، بنسالم** بن أبي بكر الفاسي (1919 ـ 1991).
نشأ في بيت من بيوتات فاس المرموقة بنشاطها في التجارة، فلقد كانت أسرته من تلك الأسر القليلة التي هاجر بعض أفرادها إلى إنجلترا وإلى مدينة مانشستر بالضبط منذ سنة 1884 لتوطيد أسباب المبادلات التجارية مع ذلك البلد خاصة ومع القارة الأوربية على وجه العموم. وتلقى بنسالم جسوس دراسته الأولى في الكتّاب ثم التحق بثانوية المولى إدريس في فاس وكان من تلامذتها من سنة 1934 إلى سنة 1942 ومنها انتقل إلى مدينة استراسبورك شرقي فرنسا لمتابعة دروسه في كلية الصيدلة فمنها تخرج صيدليا سنة 1947 فعاد لوطنه ومسقط رأسه وفتح أول صيدلية عصرية يشرف عليها صيدلي مغربي في فاس فإنه كان من تلك الثلة المعدودة من المثقفين المغاربة الذين تخرجوا من الجامعات الفرنسية على امتداد حقبة الحماية، وتخرج أمثاله على قلتهم آنذاك كان مما يثلج صدور المغاربة ويخفف من غبن الاحتلال الأجنبي لما كان يثبت من قدرة أبناء المغرب على مجاراة أبناء المعمر في أرقى وأعصى الحلبات.

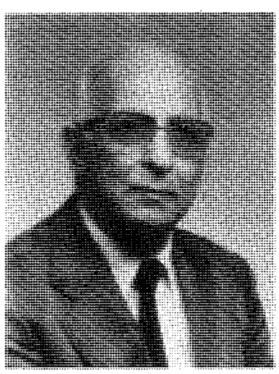

كان بنسالم جسوس على بينة من ذلك واعيا بما كان على جيله من المسؤوليات، فكان نضاله ملموسا في حزب الاستقلال، وما أن صار يمارس مهنته حتى انتخب عضوا في الملجس البلدي في فاس سنة 1948 في تلك الفترة التي أبت فيها الحركة الوطنية إلا أن تجرب مدى استعداد سلطات الحماية للتعامل السليم مع الوطنيين، ولكن التجربة سرعان ما باءت بالفشل لما بدا من خداع أساطنة الاستعمار ومن مكرهم، فإنهم أقدموا على نفي الملك الشرعي للبلاد وكان لا بد أن يؤدي بنسالم جسوس ثمن جبروت الحماية شأنه في ذلك شأن كل الوطنيين، فإن الإقامة العامة التي كان الماسك بزمامها يومئذ الجنرال گيوم أمرت باختطافه في دجنبر 1953 وظلت متكتمة على ذلك

بناء على رواية المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان مدعية أن لا علم لها بمصيره، وكان ذلك من الأعمال الإرهابية شبه الرسمية للانتقام من عمليات الفدائيين المغاربة ولكن إخفاء شخصية من مستوى بن سالم جسوس لم يكن من الأمور الهينة سيما وأنه كان متزوجا من سيدة فرنسية، ولكل ذلك اضطر المختطفون إلى إطلاق سراحه في شهر ماي 1954 بعد أن أعطوا مرة أخرى في شخصه مثالا عن اسخفافهم.

ولما استعاد الوطن كامل سيادته كان بن سالم جسوس من تلك الأطر القليلة التي عليها المعول لبناء الاستقلال فإنه جعل حياته منذ 1956 إلى تاريخ وفاته وقفا على خدمة مصالح بلده تارة في الأجهزة الحكومية العليا وتارة في ميدان المقاومة الخاصة، وهكذا فإنه كان فيما بين 1956 و1960 عضوا في المجلس الوطني الاستشاري ورئيسا للجنة الاقتصادية في تلك المؤسسة، كما كان عضوا في مجلس التخطيط بصفة كونه رئيسا للمجلس الوطني للصيدلة ورئيسا للغرفة التجارية والصناعية في فاس، كما كان في ذات الوقت مندوب الحكومة لدى شركة الطاقة الكهربائية ولدى شركة السكك الحديدية وهما في طور الانتقال من الأيادي الفرنسية إلى الأيادي المغربية. ثم إن المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه عينه عاملا على مدينة فاس سنة 1961 وعينه صاحب الجلالة الحسن الثاني عاملا على مدينة طنجة سنة 1962 ومنها أسند إليه وزارة الأشغال العمومية سنة 1963 فلم يقض فيها إلاّ بضعة أشهر حيث عين سفيراً للمغرب لدى دول البينيلوكس الثلاثة وهي هولاندا وبلجيكا واللوكسانبورك ومعتمداً لدى المجموعة الاقتصادية الأوربية ومارس تلك المسؤوليات من شهر 1963 إلى أكتوبر 1972 فكان ذلك أطول ما أسند إليه من المهام الرسمية العليا، وهو الذي قاد جولات المفاوضات التي انتهت باتفاقية الشراكة الأولى مع المجموعة الاقتصادية الأوربية المبرمة في الرباط يوم 31 مارس 1969 وما عاد من سفارة بروسيل إلا ليتبوأ منصب وزير المالية فتحمل أعباء تلك الحقيبة إلى سنة 1974 ثم عين رئيسا مديراً عاماً للشركة الوطنية للاستثمار فهو الذي أرسى قواعدها وظل يشرف عليها إلى سنة 1978. وكان من آخر ما قام به من المهام الرسمية أو شبه الرسمية رئاسته للصندوق المهني المغربي للمعاشات وذلك من 1977 إلى أن وافاه الأجل المحتوم، وأيضاً رئاسته للكونفدرالية العامة الاقتصادية المغربية وهي نقابة أرباب المعامل والمقاولات في المغرب وذلك فيما بين 1985 و1988.

هكذا كان بنسالم جسوس تشخيصا ناصعا لجيله وهو جيل بناء صرح المغرب الجديد الذي كان عليه أن يفند الدعاية الاستعمارية القاضية بقصر همم المغاربة وبعجزهم عن مسايرة تيارات ومتطلبات المعاصرة، فلم يكن بنسالم جسوس من أول صيادلة المغرب بل كان واضع اللبنات الأساسية لصناعة الصيدلة في المغرب، ولم يكن رجل الدولة ورجل الأعمال والمقاولات بل كان رجل فكر واطلاع ومشاركة ممن لا يغلب لديه النظر على العمل ولا العمل على النظر. وقد شارك في العديد من الملتقيات الدولية في إطار منظمة الأمم العربية كما شارك في مفاوضات "الكاط" وهي الاتفاقية السابقة حول حرية المبادلات التجارية في العالم وكان عضواً في لجنة العشرين المقامة للنظر في إصلاح النظام النقدي العالمي، هذا إلى جانب ما كان يدير من الشركات التجارية والصناعية الخاصة التي كان يترأس مجالس إدارتها، وكان يؤدي تلك الهام كلها بمنتهى الحيوية والمثابرة، وكان يجتذب قلوب جميع من كان يتعامل معه بما حباه الله به من الفطنة واللباقة وخفة الروح، وكانت مجالسته مما يستحيل أن يحصل منها الملل فإنه كان آية في النكتة والفكاهة الطريفة الراقية، ولذلك نال رضى كل من ساقته مهامه الكبرى إلى معاملته من الملوك ورؤساء الدول، فأغدقوا عليه الجوائز والأوسمة، فكان له أوسمة مغربية وبلجيكية وولوكسانبوركية وإيطالية وأردنية وإفوارية وفرنسية.

توفي يوم السبت 25 جمادى الثانية عام 1411 / 12 يناير 1991 مذكوراً في جميع الأوساط بلسان الخير.


Charle-André Julien, *Le Maroc face aux impérialismes. 1415 - 1956*, Paris 1978.


إبراهيم بوطالب

**جسوس، عبد السلام** بن حمدون الفاسي، علامة مشارك في اللغة والفقه والحديث والتفسير والأصول والبيان إلى غير ذلك من العلوم التي كانت تكوّن أساس البرنامج الدراسي والمعرفي لرجال عصره.

وبما أنه كان ينتمي إلى هذه النخبة الحضرية المحظوظة، فإنه تتلمذ على كبار الشيوخ ومشاهير العلماء في وقته، منهم العالم عبد القادر الفاسي، وميارة الأكبر والحسن اليوسي وأحمد ابن الحاج وأبو سالم العياشي... يقول صاحب *زهر الآس في بيوتات فاس* : "إن معاصريه كانوا يستشيرونه في الأمور الدينية والدنيوية"، مما يعني أن الرجل كان عالما مرموقا مشاركا، يحظى بتقدير وثقة معاصريه ولا يتردد في الادلاء برأيه فيما كان يعرض على الجماعة من أمور مستعصية، سياسية واجتماعية، جاهراً ومنددا بما كان يراه منافيا للشريعة الإسلامية أو مُضراً بالجماعة. وهذا ما جعله يتزعم في مدينة فاس، بل في المغرب كله، حركة الاحتجاج والإدانة التي حدثت، حين أمر السلطان المولى إسماعيل، سنة 1120 / 1708 . 1709، بجمع العبيد والحراطين، أينما وجدوا، وتمليكهم للدولة، كيفما كانت وضعيتهم الاجتماعية، ليجعل منهم قوة عسكرية رادعة، تدين له بالولاء وحده، (جيش عبيد البخاري)، يسخر أفرادها كما شاء في تطويع البلاد، وإسكات القوم والعباد، ولكن في نفس الوقت للدفاع والذب عن حوزة الوطن وطرد الإيبيريين من المراكز والثغور التي مازالوا يحتلونها منذ زمن الفوضى وضعف الحكم في القرن التاسع (15 م). فكان الفقيه عبد السلام جسوس أول من عارض علانية مشروع السلطان، وندّد به، معتبراً إيّاه منافيا للشريعة الإسلامية لما تضمنه من قهر وحيف وظلم لجماعة كبيرة من المسلمين، الأمر الذي اغتاظ له السلطان ولم ينفع التهديد والترهيب، ولا اللين والترغيب. في حمل الفقيه

جسوس على الإقلاع والتخلي عن موقفه المتصلب في مسألة العبيد. فسجن وامتُحن، وصودرت أمواله وممتلكاته، وهو مصيرٌ عرفه سائر أفراد عائلته بفاس، وقد تكون هذه الفترة منطلق هجرة عدد من أبناء عمومة الفقيه عبد السلام جسوس، إلى جهات مختلفة من البلاد، وبالخصوص إلى مدينتي الرباط وتطوان.

يقول محمد بوجندار في الاغتباط متحدثا عن أحد أفراد العائلة الجسوسية بالرباط، وهو عبد الله بن الطيب جسوس (ت. 1188 / 1774 - 1775) ما يلي : "... انتقل والده الطيب مع أخيه الفقيه السيد عبد العزيز لما وقعت لابن قاسم جسوس (ابن أخ الفقيه عبد السلام جسوس) القضية الشهيرة في التاريخ...".

وقد كتب عبد السلام جسوس قبل اغتياله بيومين شهادة وجدت بخطه يبين فيها تمسكه بالحق والشريعة في موقفه الثابت اقتداء بأئمة السلف الذين لم يؤثروا أموالهم ولا أبدانهم على دينهم حين أُكرهوا على ما لم يظهر لهم وجهه في الشرع (*نشر المثاني*، 3 : 208) وقد وُجد مقتولا في ليلة 25 ربيع الثاني عام 1121 / 4 يوليو 1709، بسجن القلعة بفاس، وبوفاته انتهت معارضة علماء فاس لمسألة جمع وتمليك العبيد.

**جسوس، عبد الله** بن عبد السلام بن حمدون الفاسي، كان - كأبيه - فقيهاً مشاركاً أديباً، توفي عام 1136 / 23 - 1724. ولم يعقب، فانقرض بموته هذا الفرع من آل جسوس بفاس.

م. القادري، *نشر المثاني*، 3 : 207 - 208 و280 ؛ ع. الكتاني، *زهر الآس في بيوتات فاس*، مخطوط خ. ع ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط 1987، ص. 387.

مصطفى الشابي

**جسوس، محمد** بن **عبد اللطيف** الفاسي، فقيه صوفي مدرس مؤلف، له في التصوف *نصرة الفقير* ؛ وفي الذكر والسماع كتاب *النصح العام لمن قال ربي الله ثم استقام*، فرغ منه في أواخر عام ستين ومائتين وألف. وله أيضاً *كناشة علمية* حافلة.

توفي بفاس في عاشر رجب عام 1273 / 6 مارس 1857. ودفن بروضتهم بالقباب.

ع. ابن سودة، *دليل*، 2 : 466 ؛ *إتحاف المطالع : موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2607 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 194 و3 : 26.

**جسوس، مَحمد** بن **قاسم** بن **عبد السلام** الرباطي الذي تنسب إليه مدرسة جسوس الحرة بالرباط، ولد وتربى مع إخوته في دارهم بحي مولاي إبراهيم بالرباط. وهو واحد من خمسة إخوة هم أحمد الشاعر سابق الترجمة والحاج أبو بكر والحسن والحسين.

أصهر مَحمد جسوس إلى آل والزهرا فتزوج السيدة رحمة بنت مَحمد والزهراء، وكانت امرأة صالحة، يذكر محمد حسن الوزاني في أحد مؤلفاته أن لها أيادي بيضاء في الحركة الوطنية أسدتها لرجالها عندما كانوا يجتمعون مع ابن أخت زوجها أحمد بلافريج بدارها، فكانت تحسن استقبالهم ورعايتهم. وفي سنة 1304 / 1887 حجّ مَحمد جسوس مع أخيه أحمد واصطحب معه إلى الديار المقدسة على نفقته ثلة من أقربائه وأصدقائه مثل خاله الحاج عمر ابن جلون والحاج محمد بن إدريس بوهلال الملقب بالميزان، ومحمد بن يحيى بلامينو .

كانت أسرة جسوس من الأسر الموسرة بالرباط. ومنذ عهد السلطان المولى سليمان اكتسبت غنى وافراً بعدما اشترى منهم المخزن الأراضي التي شيد عليها السلطان الملاّح. ومنذ ذلك الحين نمت ثرواتهم وامتدت أملاكهم العقارية فانتشرت على مساحات كبيرة وخصوصاً بحي الليمون بالرباط. وبفضل غنى مَحمد جسوس وإخوته تمكنوا من القيام بأسفار كثيرة إلى أوربا والشرق، وأصبحت لهم صلات مع مصر والشام وتركيا والحجاز فملكوا بعض العقارات هناك كما جعلتهم أسفارهم ينفتحون على الحضارات الأخرى فكانوا من أوائل المتفتحين التقدميين.

كان مَحمد جسوس مع عدد من أعيان الرباط يساهمون في أعمال اجتماعية خيرية وإحسانية لفائدة العائلات الرباطية المحتاجة، يخصصون صدقة كل خميس سميت "خبز الخميس". ولهم جماعة مشرفة على "بستان الحرمين" بالرباط كانت تُرسل ريع هذا البستان إلى المشرفين على الحرمين الشريفين لتغطية بعض المصاريف كشراء الزرابي اللازمة وتسديد أجور عبيد الحرم (الأغوات).

لم يرزق مَحمد جسوس - مثل أخيه الشاعر أحمد - أولاداً لذلك اعتبر ابن أخته الوطني الشهير أحمد بلافريج ابنه الروحي فاهتم به وأعانه على دراسته سواء بالمغرب أو بالقاهرة أو بفرنسا. ووهب له ثلث ما يملك، ومن جملة ذلك عرصة جسوس التي بنيت عليها المدرسة التي حملت اسم مَحمد جسوس وذلك سنة 1934 وقد بنيت هذه المدرسة بمساهمة عدد من أهل الرباط مثل آل التازي، كالحاج مَحمد والحاج عبد القادر التازي ومحمد بن الحاج أحمد بناني المدعو حميدو بناني وآخرين. أما الذي أشرف على البناء وراعاه بالجهد والحضور فهو الحاج عباس التازي.

لم ير مَحمد جسوس هذه المؤسسة لأنه كان هاجر إلى المشرق وتوفي بالمدينة المنورة ودفن هناك في حدود عام 1354 / 1935.

م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط، 1987، ص. 62 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، 1969 ؛ م. دينيـة، *مجالس الانبساط*، الرباط، 1986، ص. 302 ؛ روايات شـفـوية لمحـمـد الأمين بلگناوي، ومحمد الصباحي مدير مدرسة جسوس.

عبد الإله الفاسي

**جسوس، محمد** بن **قاسم** بن **محمد** الفاسي. الأنزه الفقيـه العـلامـة المحقق المحدث الصوفي الموفق المشـارك الحجة... ولد في سنة 1089 / 1678 ـ 1679 بفاس، وهو ابن أخي الفقيه عبد السلام جسوس، السابق الذكر. وابن قاسم هذا، كان معـاصراً للفقيـه العلامة عبد القادر بوخريص، قاضي فاس الشهير، وله عدة مصنفات في الفقه والتفسير والحديث، منها : شرح *خليل* في تسعة أجزاء ؛ وشرح *رسالة ابن أبي زيد القيـرواني*، في أربعـة أجزاء ؛ وشرحان على *حكم ابن عطاء الله* ؛ وشرح *الشمائل*. وهو من العلمـاء الذين استشارهم السلطان سيدي محمد ابن عبد الله (1171ـ 1204 / 1757 ـ 1790) في مسألة إقرار ضريبة المكس على أسواق مدينة فاس وغيرها من الحواضر المغربية.

أخذ عنه عدد من كبار العلماء والفقهاء في وقته، نذكر منهم إدريس بن مَحمد بن إدريس العراقي ومحمد التاودي ابن سـودة. وقـد خلّف ولدين مُحـمـداً وعـبـد الرحـمـان، وكلاهما كان على قيد الحياة في رجب 1197 / 1782، وتوفي أولهما مُخلفا ولدين من عقبه وهمَا مُحمد وعبد العزيز.

توفي المترجم بفاس في 4 رجب 1182 / 26 نونبر 1767.

م. القـادري، *نشر المثاني*، 4 : 188 ؛ م. الكتـاني، *زهر الآس*، مـخطوط خ. ع ؛ ع. ابن سـودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2393 ـ 2394.

مصطفى الشابي

ابن **جشّـار**، بيت قـديم في فـاس، أصلهم من قـبـيـلة مـغـيـلة، ويقـال لهم في بعض الرسـوم "أجَشّـار". وقـد انقرضت هذه الأسرة اليوم في فاس.

ابن **جشّـار، محمد** بن أبي غـالب المغـيلي الفـاسي. فـقـيـه مـتـمكن من فـروع المذهب المالكي، كـان ينوب عن قاضي مدينة فاس، ويخطب في بعض مساجدها. توفي سنة 898 / 1492 ودفن خارج باب الفتوح.

إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس*، 68 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 243 ـ 244 ؛ *لقط الفرائد* ؛ *ألف سنة من الوفيـات*، 153 و273 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 88 ؛ ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

**جُشَم**، قـبيلة عـربيـة من قيـس غـيلان بن مضـر. أورد كل من ابن حزم وابن خلدون نسب جدهم معرفين باسمه على النحو التالي : جشم بن معاوية بن بكر بن وتزن بن منصور ابن عكرمة بن حصفة بن قيس غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (*جمهرة أنساب العرب*، 269 و482 ؛ *العبر*، 6 : 38).

انضم بنو جشم إلى بني هلال بأفـريقـيـة، واسـتـوطنوا معهم البلاد الغربية منها في الوقت الذي استوطن بنو سليم البلاد الشرقية. ولكون جموعهم كانت وفيرة العدد، مقارنة مع من سواهم، إلى جانب جموع الأثبج من هلال بن عامر، علت أيديهم على الجميع، وتغلبوا على الضواحي والأمصار في أفـريقـيـة، وصـارت لهم عـزة على دولة الزيريين الصنهاجيين (*العبر*، 6 : 28 ؛ *الاستقصا*، 2 : 168).

يعود تاريخ أول اتصال بين العرب الهلاليين والموحدين إلى عـهد عـبد المومن بن علي الگومي. فهـو أول من ألحق عدداً لا يستـهان به منهم بجيوشه سنة (الأخماس) 555 / 1160 في منطقة وهران لما طلبت منه شيوخ عرب بني رياح وبني جُشم وبني عـدي الإذن بالرجـوع إلى أفـريقـيـة فـأذن لهم، ونقل منهم إلى المغرب ألفاً من كل قبيلة بعيـالاتهم وأبنائهم (*القرطاس*، 199 ؛ *المن بالإمامة*، 90). ثم استغل بعد ذلك الخليـفـة أبو يعـقـوب يوسف طبيـعـتـهم الحربيـة ووظفهـا في جهاده بالأندلس، كما استعـان بهم السـيد أبو حفص عمر في حروبه ضد ابن مردنيش بمرسية سنة 560 / 1165 (*المن بالإمامة*، 199).

لكن انتقال الأعداد الوفيرة منهم إلى المغرب الأقصى لم يتم إلا في سنة 584 / 1188 على عهد يعقوب المنصور، الذي أوقـع بجـمـوعـهـم بعـد حـروب عـديدة وشـردهم في صحاري المغرب الأدنى، عقابا لهم على مناصرتهم لعدو الموحدين علي بن غانية منذ حلوله ببجاية قادما إليها من جزر البليار سنة 581 / 1185.

أنزل المنصور قبائل جُشم بعد تغربتهم ببلاد تامسنا، ما بين سلا ومراكش، فلم ينتجعوا بعدها قفرا ولا أبعدو رحلة (*العبر*، 6 : 37 ؛ *الاستقصا*، 2 : 168 ـ 169). في حين أنزل رياح التي رافـقـتـهـم في الرحلة ببلاد الهـبط وأزَغار، أي بمنطقتي جبالة والغرب. وكان قصده من هذا الترحيل كسر شوكة إخوانهم بأفريقية من جهة، وتقوية جيشه بهم من جهة ثانية (*قبائل المغرب*، 1 : 408 ؛ *أثر القبائل العربية*، 67 ـ 84).

استـفـادت دولة الموحدين من هؤلاء الأعراب استـفـادة كبيرة في فترة قوتها. ثم انقلبوا عليها في مرحلة التراجع وكان لهم دور كبير في إضعافها والقضاء عليها بما سببوه من مشاكل للخلفاء المتأخرين. ولما أقام المرينيون دولتهم على أنقاض الحكم الموحدي لم تكن في المغرب الأقصى حامية أكثر نفوذاً وشوكة منهم لوفرة أعدادهم وشدة بأسهم، فاضطروا إلى شن الحرب عليهم تارة ومهادنتهم تارة أخرى إلى أن استكانوا لعزهم وصولتهم (*العبر*، 6 : 37 ـ 38).

غلب اسم جُشم على من انضاف إليها من القبائل من بني هلال التي انتقلت إلى المغرب بانتقالها وانصهرت فيها وصارت في عدادها بعد شغل مجالات تامسنا، وهي قبائل قرة والعاصم ومقدم والأثبج والخلط ( *العبر*، 6 : 37). ثم تميز جمهور هذه القبائل بعد حلولهم بالمغرب الأقصى إلى أربع مجموعات قبلية كبرى هي مقدم والعاصم، وبني جابر، وسفيان، والخلط ( *العبر*، 6 : 37 ؛ *الاستقصا*، 2 : 170 - 171).

تنتسب قبيلة قرة إلى قرة بن عبد مناف بن أبي ربيعة ابن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة ( *الاستقصا*، 2 : 170). لم يرد اسم هذه القبيلة بين أسماء القبائل القوية في جُشم في القرن السابع (13 م)، أي في فترة الاعتزاز على خلفاء بني مرين. وقد يفهم من ذلك أنه لم يكن لها حضور قوي ولا تأثير كبير في مجريات تلك الأحداث. لكن ابن خلدون ذكر في معرض حديثه عن نسب أولاد جرمون، شيوخ عرب سفيان، أن بعض المؤرخين يزعمون بأنهم من بني قرة هؤلاء ( *العبر*، 6 : 38). وبذلك تكون هذه القبيلة قد انصهرت في سفيان حتى صارت منهم، ثم اختصت بعد ذلك بالزعامة فيهم.

أما العاصم ومقدم فهما من أبناء مشرف بن أثبج بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة ( *العبر*، 6 : 33 ؛ *الاستقصا*، 2 : 170). كان لهم عدد وقوة بين الأثابج في افريقية بل كانوا أشرف العرب وأنبههم شأنا (*وصف افريقيا*، 1 : 42). ثم انصهروا في جُشم بعد تغريبتهم، وأسكنهم المنصور دكالة. وصاروا في عداد عساكر الموحدين كباقي إخوانهم من جشم، وأدوا للخلفاء من بني عبد المومن الجبايات قبل أن ينقلبوا عليهم في مرحلة الضعف.

ناصر زعيم العاصم حسن بن يزيد يحيى بن الناصر في صراعه ضد الخليفة المامون وابنه الرشيد. ولما هلك يحيى سنة 633 / 1236 أمر المنصور الرشيد بقتل زعيم العاصم مع شيخي بني جابر قائد وفائد ابني عامر. وصارت زعامتهم بعد ذلك لأبي عياد وبنيه الذين اشتهر منهم عياد بن عياد لما كان له من دور في الجهاد بالأندلس إلى جانب يعقوب بن عبد الحق المريني، وما عرف به من تأرجح بين الطاعة والعصيان لسلاطين بني مرين. ذلك أنه فر إلى أعدائهم بني عبد الواد سنة 690 / 1291، كما فر إلى بلاد السوس سنة 707 / 1307. واستمرت الزعامة في بنيه إلى أن ضعفت شوكة قومه من العاصم ومقدم وانصهروا في غيرهم من جشم ( *العبر*، 6 : 43). وعموما فإن العاصم ومقدم لم يكن لهما تأثير قوي في مجريات الأحداث ولا ظهور متميز على الساحة السياسية بعد مجيئهم إلى المغرب الأقصى، لأن عزتهم تراجعت بمجرد انضمامهم لجشم.

أما عرب الخلط فهم بطن من عقيل - بالتصغير - وهو من بني عوف ومن بني معاوية ابني المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة المذكور في الأنساب المتقدمة لكل من قرة والعاصم ومقدم. فالخلط، إذن، تجتمع مع هذه القبائل الثلاث في عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر. وعليه فإن هذه القبائل إنما نسبت في المغرب إلى جُشم تخليطا في النسب ( *العبر*، 6 : 40 ؛ *وصف افريقيا*، 1 : 42 ؛ *الاستقصا*، 2 : 170).

صار للخلط عزة ونفوذ على الموحدين بعد استقرارهم بتامسنا وساهموا إلى أبعد الحدود في إضعاف نفوذ الخلفاء من بني عبد المؤمن في المائة السابعة للهجرة بفعل تحالفهم مع شيوخ هسكورة وأمراء بني مرين من جهة ثانية. ولا يمكن فهم طبيعة العلاقة التي جمعت بين الخلط والموحدين في القرن السابع (13 م) إلا على ضوء صراعهم مع ذوي عصبيتهم عرب سفيان الذين كانت لهم الغلبة والجاه والسيادة على مجموع القبائل المندرجة في جشم في العصر الموحدي.

كان شيخ الخلط في عهد العادل بن المنصور الموحدي هو هلال بن حميدان بن مقدم بن محمد بن هبيرة بن عواج. فخالف على العادل وألحق الهزيمة بجيوشه، ثم بعث إلى المامون سنة 625 / 1228 واتبعه الموحدون في ذلك. في حين انحاش عرب سفيان إلى يحيى بن الناصر، لأنه لم يحدث أن اجتمعوا مع الخلط على طاعة أمير واحد. وبقي هلال على خدمته للمامون إلى أن هلك هذا الأخير سنة 629 / 1232، فبايع لابنه الرشيد وجاء به إلى مراكش وألحق الهزيمة بيحيى بن الناصر وحلفائه من عرب سفيان ( *العبر*، 6 : 40).

تولى زعامة الخلط بعد هلال بن حميدان أخوه مسعود الذي عرف بصداقته وتحالفه مع عمر بن وقاريط شيخ هسكورة. ولما أعلنت هسكورة خروجها عن طاعة الرشيد أغرى شيخها زعيم الخلط بالخلاف فخالف. ثم استدرجه الرشيد حتى تغير ما بينه وبين الهساكرة من ود فقدم عليه إلى مراكش في جماعة من قومه فقتله سنة 632 / 1235 ( *العبر*، 6 : 40).

خلف مسعوداً على الزعامة يحيى بن هلال بن حميدان فأعلن مناصرته ليحيى بن الناصر انتقاما مما فعله الرشيد بعمه مسعود وأبقى على تحالف قومه مع هسكورة، وشارك في محاصرة مراكش سنة 632 / 1235 حتى خرج الرشيد عنها. ولما تمكن الرشيد من العودة إلى عاصمة ملكه سنه 633 / 1236، بعد أن قضى سنة كاملة في سجلماسة، وفر ابن وقاريط إلى الأندلس خوفا من عادية الخليفة، عاود الخلط طاعتهم للموحدين وقاموا بطرد يحيى بن الناصر حتى يضمنوا بذلك عفو الرشيد عنهم. لكن هذا الأخير ألقى القبض على علي ووشاح ابني هلال بن حميدان وسجنهما بآزمور سنة 635 / 1238، ثم أطلق سراحهما بعد ذلك وعمل على استدراج مشيخة الخلط إلى أن تمكن منهم فقتلهم جميعا ( *العبر*، 6 : 41).

أثرت هذه النكبة على قوة الخلط وأضعفت نفوذهم، لكنها زادت بالمقابل في قوة أعدائهم عرب سفيان. ثم تعرضوا لنكبة أخرى زمان حكم الخليفة المرتضى عقاباً على ما فعلوه بالخليفة السعيد في حملته على تلمسان، لأنهم كانوا السبب في إضعاف صفوف الموحدين نتيجة الحروب التي شنوها على عرب سفيان أثناء الحملة، كما كانوا أول المبادرين إلى نهب المحلة بعد سماعهم بمقتل السعيد على يد يني عبد الواد سنة 646 / 1248 لذلك عمل المرتضى على استدراج شيوخهم حتى قدموا عليه إلى مراكش سنة 652 / 1254 فقتلهم جميعا إلا عواج بن هلال الذي فر إلى بني مرين، ثم عين عليهم علي بن أبي علي الخلطي. أما عواج ابن هلال فعاد إلى الطاعة وقتل فور وصوله إلى مراكش ( *العبر*، 6 : 41 ـ 42).

لم يستمر علي بن أبي علي الخلطي على وفائه للمرتضى وقتا طويلا، ويرجع السبب في ذلك إلى علو كعب مسعود بن كانون شيخ سفيان لدى هذا الخليفة، ففر إلى بني مرين في وقعة أم الرجلين التي دارت رحاها بين الموحدين والمرينيين بوادي أم الربيع سنة 659 / 1261، أو في السنة بعدها. وصارت جموع الخلط منذ ذلك الوقت شيعة لبني مرين ثم تعززت العلاقة بينهما بعد أن أصهر يعقوب ابن عبد الحق المريني لأحد أشياخهم، وهو مهلهل بن يحيى ابن مقدم، في ابنته عائشة أم السلطان أبي سعيد عثمان الثاني. ولم يزل مهلهل زعيما عليهم إلى أن هلك سنة 695 / 1261 فتولى الزعامة بعد ابنه عطية الذي عاصر كل من السلطانين أبي سعيد عثمان وابنه أبي الحسن علي. وبعثه هذا الأخير سفيراً إلى سلطان مصر محمد الناصر بن قلاوون ( *القرطاس*، 302 ؛ *العبر*، 6 : 41 ؛ *الاستقصا*، 2 : 175).

قام بأمرهم من بعده ابنه عيسى بن عطية ثم ابن أخيه زمام بن إبراهيم بن عطية الذي بلغ أعلى المبالغ من العز والترف والدالة على السلطان والقرب من مجلسه إلى أن هلك. فتولى بعده أخوه أحمد بن إبراهيم ثم أخوه سليمان ابن إبراهيم ثم أخوهما مبارك بن إبراهيم ثم ابنه محمد. فتلاشت عصبيتهم ولحق نفوذهم الوهن في أواخر القرن الثامن (14 م) قال ابن خلدون : "إلا أن الخلط اليوم دثرت كأن لم تكن بما أصابهم من الخصب والترف منذ مائتين من السنين ( *العبر*، 6 : 41 ؛ *الاستقصا*، 2 : 175 ـ 176).

ولما انقرضت دولة بني مرين وجاءت دولة الشرفاء السعديين انحاش عرب الخلط إلى أبي عبد الله محمد الشيخ المعروف بالمهدي ثم جرّوا عليه الهزيمة في حربه ضد أبي حسون الوطاسي وأنصاره من الأتراك. ولما استقل محمد الشيخ بالأمر أبعدهم عن الجندية ووظف عليهم الخراج ومحا اسمهم من ديوان الخدمة، ونقل أعيانهم إلى مراكش واتخذهم رهائن عنده. ثم أعاد أحمد المنصور نصفهم إلى الجندية بعد أن رأى قتالهم وإبلاءهم البلاء الحسن يوم وادي المخازن، ونقل النصف الآخر إلى أزَغار (سهل الغرب) فاستوطنوه. لكنهم أكثروا الفساد وكثرت الشكاية بهم فضرب عليهم مغرما سبعين ألفاً فلم يزيدوا إلا شدة. ثم قرر إبعادهم إلى منطقة تگرارين ببلاد الصحراء فامتنعوا من ذلك. فبعث إليهم القائد موسى بن أبي حمادة العمري فانتزع منهم الخيل وأبقاهم رجالة وحكم فيهم السيف. قال الناصري : ثم ختموا أعمالهم بفعلتهم الشنعاء وهي قتلهم ولي الله المجاهد أبا عبد الله سيدي مَحمد العياشي، فما زلنا نسمع أن قبيلة الخلط إنما سُلبوا العز منذ قتلهم للولي المذكور سنة 1051 / 1641 ( *الاستقصا*، 2 : 176 ـ 177).

أما بنو جابر، وهم القبيل الثالث من حيث الأهمية في جمهور جُشم بعد الخلط وسفيان، فيقال إنهم من سدراته، إحدى بطون قبيلة لواتة. وربما كان السبب في نسبتهم إليهم أنهم تحيزوا بعد ضعف شوكتهم، كما هو الحال بالنسبة للعاصم ومقدم، إلى سفح الجبل بتادلا تاركين بسائط تامسنا الفسيحة لغيرهم من البطون القوية في جشم. وصاروا يترددون على السهل تارة ويأوون إلى الجبل تارة أخرى كلما أحسوا بالخطر يداهمهم على عادة جيرانهم الجدد من قبائل صناگة. فاستدل من قال بنسبتهم لسدراته بموطنهم وجوارهم لهؤلاء، وقال بأن ورديغة التي كانت فيها زعامة بني جابر ليسوا من جشم ( *العبر*، 6 : 42 ؛ *قبائل المغرب*، 420).

انحاش بنو جابر إلى يحيى بن الناصر في صراعه ضد المامون وابنه الرشيد، ولما أمر الرشيد بقتل شيخهم قائد بن عامر وأخيه فائد سنة 633 / 1236 رفقة حسن بن يزيد شيخ العاصم ومقدم، كما مر معنا، تولى أمرهم بعدهما يعقوب ابن محمد بن قيطون. ولما تولى المرتضى الخلافة أمر باعتقاله وعين عليهم يعقوب بن كانون بن جرمون من غير عصبيتهم، وهو من سفيان. ثم تولى مشيختهم بعده إسماعيل بن يعقوب بن محمد بن قيطون ( *العبر*، 6 : 38 و42). وعموماً فإنه لم يكن لبني جابر دور مهم في تطور الأحداث بمنطقة تامسنا في القرن السابع (13 م) كما لم يكن لهم تأثير كبير في التوازنات التي تحكمت في طبيعة العلاقة بين بطون جشم والموحدين، لأن قوتهم لم تكن في مستوى قوة غيرهم من القبائل ذات العصائب.

ظهر بنو جابر بفعالية على مسرح الأحداث السياسية في النصف الثاني من القرن الثامن (14 م) مع شيخهم حسين ابن علي الورديغي وابنه الناصر. التجأ إليهم الوزير المريني الحسن بن عمر بعد خروجه عن طاعة السلطان أبي سالم إبراهيم سنة 760 / 1359 فآزروه. ثم نهضت إليهم عساكر السلطان فأمكنوا منه. كما لحق بهم الأمير أبو الفضل بن السلطان أبي سالم بعد فراره من مراكش سنة 768 / 1367، وإعلانه العصيان للسلطان عبد العزيز المريني فلم يجيبوه إلى دعوته، فاضطر إلى اللحاق بجيرانهم برابرة

صناكة. كما لحق بهم في أثناء هذه الفتن الأمير عبد الرحمان بن أبي يفلوسن علي بن أبي علي عمر المريني، فطالب الوزير عمر بن عبد الله شيخ بني جابر بطرده عنهم فطردوه.

مكنت هذه الأحداث الناصر بن حسين بن علي الورديغي من الدربة والمراس على الفتن، وكان ذلك سببا في فساد علاقته بالسلاطين المرينيين والوزراء المستبدين عليهم ودخوله سجن المرينيين ومكوثه به سنتين. ثم تم العفو عنه بعد ذلك، فتوجه إلى المشرق برسم أداء الفريضة. وبعد عودته أودعه الوزير أبو بكر بن غازي السجن مرة ثانية ونقل رياسة بني جابر إلى بني علي هؤلاء ( *العبر*، 6 : 42 ؛ *قبائل المغرب*، 1 : 420).

وتعد سفيان أهم بطون جشم وأقواها على الإطلاق. كانت لهم الرياسة بين جميع هذه القبائل عند مجيئهم إلى المغرب الأقصى، وكان الخلط ينازعونهم تلك الرياسة، واستمروا على ذلك طيلة فترة حكم الموحدين. ولما ضعف أمر بني عبد المومن بعد معركة العقاب سنة 609 / 1212، وأعلنت الكثير من مناطق بلاد المغرب استقلالها عن دار الخلافة بمراكش، اعتمد الخلفاء عليهم في جميع حروبهم ضد أعدائهم فكان لهم عزة ودالة واعتزاز عليهم لكثرتهم وقرب عهدهم من البداوة.

ولا يمكن فهم علاقة عرب سفيان بالموحدين في القرن السابع (13 م) بمعزل عن خلافهم مع عرب الخلط. فقد كانوا يحالفون الخلفاء طالما بعّد هؤلاء أعداءهم الخلط عن الخدمة ثم يخالفون عليهم كلما قربوهم منهم. وهذا ما يفسر تأرجح طاعتهم بين يحيى بن الناصر والرشيد وبين المرتضى وأبي بكر بن عبد الحق المريني ثم يعقوب بن عبد الحق من بعده (انظر مادة ابن جرمون).

كان شيخ سفيان في عهد الخليفة المامون وبنيه، جرمون ابن عيسى، فناصر يحيى بن الناصر ثم انقلب عليه لما تقرب من شيخ الخلط مسعود بن حميدان. كما خلع طاعة الموحدين على عهد الخليفة الرشيد، بعدما كان مقربا لديه، والتجأ إلى بني مرين سنة 638 / 1240. وكانت وفاته سنة 639 / 1241 ( *العبر*، 6 : 38). وسار أبناؤه وحفدته من الذين خلفوه على الزعامة على هذا النهج في تعاملهم مع الخلفاء الموحدين، محكومين في ذلك بطبيعة العلاقة التي كانت تجمع بين كل خليفة وشيوخ عرب الخلط (انظر تطور الزعامة في أولاد جرمون في الرسم أسفله، وانظر مادة ابن جرمون).

ارتبطت فترة قوة عرب سفيان وسيادتهم على جميع عرب جشم بالعصر الموحدي. ومع حلول العصر المريني انتقلت الزعامة في جشم إلى عرب الخلط بعد أن أصهر السلطان يعقوب بن عبد الحق لبني المهلهل منهم وقدمهم على جميع عرب المغرب. وانحازت جموع سفيان منذ ذلك الحين إلى أطراف تامسنا مما يلي أسفي، كما فعل العاصم ومقدم وبنو جابر قبلهم، تاركة مكانها للخلط الذين صارت لهم سورة غلب على كل ذوي عصبيتهم من جشم، بحكم علاقات القربى التي جمعتهم بذوي السلطان في القرن الثامن (14 م).

ولما ضعفت شوكة سفيان في العهد المريني بقي منهم من كان ينتجع أرض سوس وقفاره كبطني الحارث والكلابية، فبقيت فيهم لذلك شدة بأس لاستمرارهم على حياة البداوة. وكانت رياستهم في أولاد مطاوع من الحارث. ومن أشهر شيوخهم منصور بن يعيش الذي قتله عبد الرحمان بن أبي يفلوسن علي بن أبي علي عمر المريني بمراكش سنة 776 / 1374. وذكر الوزان أن الحارث كانوا ينتجعون سهول حاحة مع الشياظمة في القرن العاشر (16 م) وكانوا يتقاضون خراجا من أهل تلك المناطق.

ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، بيروت، 1983 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، بيروت، 1987 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1970 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 6، بيروت، 1988 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج. 1، الرباط، 1982 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 2، البيضاء، 1954 ؛ ع. بنمنصور، *قبائل المغرب*، ج، 1، الرباط 1968 ؛ مصطفى أبو ضيف أحمد، *أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين* (524. 876 / 1130. 1472)، البيضاء، 1982.

حسن حافظي علوي

**الجُشْنة**، جنس من الطيور الصغيرة القد، الحسنة الصوت، تشبه القنابر والذُعَر في الحجم واللون وطريقة المعيشة، ينطق بها في الشرق عُزيْزاء، وكذلك هي في المعاجم، ويسمى الجنس علميا Anthus وبالفرنسية والأنجليزية Pipit وبالإسبانية Bispita، ويضم اثنى عشر نوعاً كلها من القواطع، معظمها يشتو في ضواحي إفريقيا الاستوائية الشمالية ويتوالد في أوربا في بداية فصل الصيف. تتخذ ستة أنواع منها مضيق جبل طارق ممراً لها أثناء الهجرة مما يجعل عدة وحدات منها تتوزع على معظم بقاع المغرب خلال شهور شتنبر وأكتوبر ونونبر، وقبل العودة إلى أوروبا، ابتداء من مارس إلى يونيو. عدم استقرار هذه الطيور في المغرب لم يعط للأنواع أسماء خاصة بها من طرف العامة فمنهم من يشتبه له بالذّعرة أو سيسي" لكثرة اهتزاز ذَيْلها، ومنهم من يسميها القُبَّرة "القُوبَع".

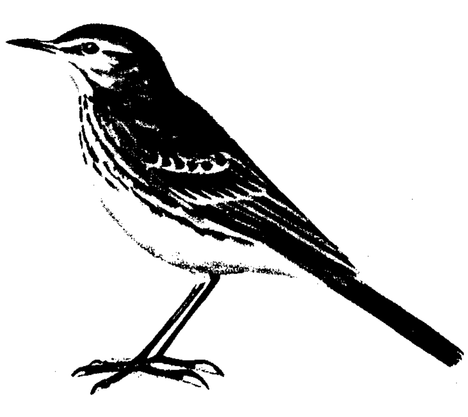

الإناث شبيهة بالذكور، ويتراوح طولها حسب الأنواع ما بين 14،5 و17 سم، ولا يتعدى وزنها 21 غرام. يبلغ طول بسطة الجناحين 26 سم. الذيل والأقدام طويلة. المنقار بُنيّ داكن ورقيق. الصدر والجوانب محززة بخطوط طولية رمادية وسوداء أو صفراء أو بنية حسب الأنواع. تتغذى من الحشرات والعناكب والديدان، تلتقطها عادة وسط الحقول والمزارع، ولا تقترب من الغابات إلا نادرا. تبني عشها على الأرض تحت الأعشاب أو تحت الأحجار. تبتدئ مرحلة التوالد في شهر أبريل، وأحياناً تتوالد مرتين في السنة مابين أبريل ويونيو. تضع الأنثى من 4 إلى 5 بيضات، ونادراً ستة، منقطة بالبُني والرّمادي، يبلغ طولها 21،6 × 15،7 ملم. تدوم مدة الحضانة 13 ـ 14 يوماً ولا تغادر الصغار الأوكار إلا بعد 12 ـ 14 يوماً.

جشنةُ الحقول Pipit Rousseline = Anthus campestris هو النوع الوحيد الذي يتوالد في المغرب بصفة منتظمة في المناطق الجافة وشبه الجافة من البلاد. تتوالد عدة وحدات منه في أوروبا الجنوبية والوسطى، ومجموعات أخرى تتوالد في الجزائر وتونس، وكلها تعود إلى افريقيا لتشتو. من بين الأنواع التي تقضي في المغرب ما بين شهرين وأربعة أشهر : جشنة الأشجار Anthus trivalis وجشنة المراعي Anthus pratensis. يكثر عددهما في معظم المناطق المغربية في شهر شتنبر وفي شهري مارس وأبريل لدى عودتهما إلى أوروبا قصد التوالد وقضاء فصل الصيف في أواسط أوروبا وشمالها.

تعتبر الأنواع الأخرى من الطيور العابرة للمغرب أثناء الهجرة، ولا تقضي فيه إلاّ بضعة أيام، مما يقلل من مشاهدتها ويجعل منها طيوراً نادرة في البلاد. منها جشنة الصخور Anthus spinoletta التي تقضي معظم أوقاتها في أوربا، ومنها بضعة أفراد تشتو في السهول الساحلية الغربية والشمالية من المغرب. جشنة ريشارد Anthus novaeseelandae وجشنة شقراء العنق Anthus cervinus تتوالدان شمال الدول الإسكندنافية وسبيريا، ويشاهد منها عدة مجموعات في المغرب خلال شهري مارس وأبريل، وأحياناً في شهر شتنبر.

تَـمَّت مشاهدة زوجين من نوع Anthus leucophrys بضواحي ورزازات في شهر أبريل من سنة 1981، ويتطلب الأمر من المختصين في علم الطيور المزيد من المشاهدة للتأكد من عبور هذا النوع لبلاد المغرب خلال هجرته.


أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc, janvier 86-87-88*, Doc. Inst. Sci., Rabat, 1988 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The Birds of Britain and Europe With N. Africa and Middle East*, London 1984 : 208 - 211.


محمد رمضاني

**الجعايبية**، حرفيون متخصصون في فتل خيوط القطن والحرير المعروفة بالصابرة، يديرونها حتى تنبرم، فتجمع على جعاب خاصة من قصب من أجل استعمالها في توشية الملابس الأهلية. ويسميهم بعض الناس في عدة حواضر : "الطراينية". إلا أن الطراينية يختلفون عن الجعايبية في اعتمادهم على أداة حديثة لإدارة الخيوط مستوردة من أوربا تدعى الطورنو Torno، وهي كلمة إسبانية الأصل تعني ناعورة الفتل والإدارة الحلزونية.

يقوم الجعايبية بمهمة الفتل بعقد عدة خيوط من حرير في مكان قار، ومباشرة إدارته بواسطة مغزل يشبه مغزل الصوف، وإعادة إدارته كلما توقف إلى أن يصل ذلك إلى حد مطلوب، فتجمع الخيوط ويحكم وثاقها وتلفّ علي الجعاب القصبية وتعوض بغيرها. ومازلنا نرى البعض من هؤلاء الجعايبية إلى يومنا هذا يقومون بنفس العمل في كل حي يتوفر على خياطين للملابس التقليدية، إلا أنهم لايشكلون حرفة كما كانوا، بل غالباً ما يتبعون الخياطين.

وترتبط حرفة الجعايبية ارتباطاً وثيقاً بتفصيل الملابس وخياطتها. وتستعمل الخيوط المحضرة بدقة وإتقان لتوشية ملابس الذكور والإناث وتزيينها، لكن أكثرها تستهلكه الأردية النسوية. وقد يكون الجعايبي هو نفسه خياطاً وجعايبياً، وقد يستعين في الغالب بعدة متعلمين. في هذه الحالة يحدد لهم الخياط المواصفات المطلوبة ويقدّم أدوات العمل ومادته الأولية، وعادة ما يكون هؤلاء المتعلمون أنفسهم مساعدي الخياط وعاملين تحت إمرته.


S. Ben Khalifa, *Le Costume dans la tradition*, *Echanges*, n° 3 vol. 1, année 1979 ; J.P. Bernes, *Arts et objets du Maroc*, *ABC Décor*, n° hors série, 1974 ; P. Champion, *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1931 ; J. Galloti, *Les Métiers d'art au Maroc*, *France - Maroc*, n° 4; N. Lakhlifi, *L'Artisanat de production à Meknès*, thèse de 3ème cycle, Toulouse 1985.


محمد بوسلام

## الجعايدي ← الجعيدي

**جعفر رايس**، من العلوج الأنجليزيِّي الأصل العاملين في الأسطول الجهادي بمصب أبي رقراق خلال القرن الحادي عشر (17 م)، تحت إشراف مراد رايس. اختص جعفر بالعمل الجهادي في بحر المانش والمياه الاقليمية لانجلترا ؛ وقد نجح خلال موسم عام 1039 ـ 1040 / 1630 في الاستيلاء على غنيمة مهمة من القماش ؛ وقد شيعها صوب مرسى أبي رقراق تحت إشراف ثلاثة علوج من طاقمه، لكن سفينتين أنجليزيتين تمكنتا من اعتراض غنيمته والاستحواذ على محتوياتها، بما فيها أسراه الإسبان الستة، وعلوجه الثلاثة وقد دفع هذا التجاوز بديوان سلا إلى الشكاية كتابة لدي العاهل الانجليزي شارل

الأول، لاسيما وأن روح التذمّر أخذت تسود في أوساط الرياس وممولي السفن الذين أصبحوا يطالبون بمصادرة ممتلكات التجار الأنجليز المقيمين بالرباط كرد فعل على الخرق المتكرر لاتفاقية السلم الموقعة سنة 1036 / 1627.

De Castries, *S.I.H.M.*, 1ère série - Angleterre, T. III, p. 91.

حسن أميلي

**الجعفري**، أسرة سلوية قديمة كانت تتعاطى خطة العدالة واشتهر أفرادها بحمل العلم والفقه والخطابة بالمسجد الأعظم. وقد انقرضت اليوم من سلا، ولم أقف إلا على اثنين من رجالها وهما :

**الجعفري، الطاهر** ( الحاج - ) بن عثمان، كان من فقهاء سلا يباشر خطة العدالة بسلا سنة 1180 وبعدها، وكان خطيب جمعة وتوفي سنة 1219 هجرية.

**الجعفري، عثمان** بن الحاج الطاهر بن عثمان، كان فقيهاً كأبيه، منتصباً للعدالة بسلا وكان ما يزال بقيد الحياة سنة 1233 لأنه نسخ في تلك السنة بعض الكتب.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، ص. 337 ؛ م. حجي، *فهرس الخزانة الصبيحية*، ص 215 و460 ؛ *رسوم الخزانة الصبيحية*.

مصطفى بوشعراء

**الجُعَيْدي**، أسرة تطوانية تنتسب للشرف وقد نوزعت فيه. ومنها مَن يُنسب للأندلس كما في رسوم عدلية، ومنها من ينسب لأبي الجعد مركز الزاوية الشرقاوية بتادلا. والجعيدي تكتب هكذا بدون ألف في الوثائق والكتب، وينطق بها ممدوة العين "الجعايدي" وقد تكتب هكذا. استوطنت هذه الأسرة تطوان قديماً، وكان منها عدول وحرفيون وأثرياء ؛ واشتهر منها الشيخ أبو الحسن علي بن مسعود الجعيدي الصوفي الشهير صاحب الضريح المعروف بحي العيون من تطوان. وأقدم منه أبو زكرياء يحيى بن زكرياء الأنصاري الجُعيدي من مدينة (بلنسية) ؛ كان من العلماء الصالحين توفي سنة 619 هـ.

أما الجعيدون السلاويون فينحدرون من الشيخ علي بن مسعود الجعيدي دفين تطوان المتوفى بها عام 1030. ويذكرون في بعض الرسوم أسماء جدود عليّ المذكور متصله بإدريس بن إدريس باني فاس، تتخللها أسماء بربرية مثل تلكال ويجعد ويلمان، وهي إلى ذلك لاتصح من حيث العدد إذا طبقنا قاعدة ابن خلدون في الموضوع. والذين نزحوا إلى سلا من حفدة الشيخ علي بن مسعود الجعيدي جاؤوها في القرن الثاني عشر (18 م). وانتقل بعضهم إلى المقام بالعدوة الأخرى، رباط الفتح.

ومما يذكر أن عبد القادر بن العباس الجعيدي كان أميناً للطبجية والبحرية بمرسى العدوتين وأميناً لديوان الجهاد عام 1203 / 1788، وهو جد الجعيديين السلاويين الحاليين. وكان من الفرع السلاوي بجميع أفراده حرفيون من دباغين وفلاحين وتجار وفقهاء وعدول وبحريون ومجاهدون.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج 3 حرف ج، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، نسخة المؤلف بخطه بخزانته بتطوان ؛ *رسوم عدلية* في خ. ص ؛ م. بوشعراء، *الملحق الثاني لكتاب الإتحاف الوجيز*، مخطوط ؛ *التعريف*، الجزء الثاني.

محمد بوخبزة ومصطفى بوشعراء

**الجعيدي، إبراهيم** (الحاج - ) بحار، كان سنة 1292/ 1875 من بين رجال البحرية بسلا، وكان حتى سنة 1311 / 1894 لايزال حيّاً يشتغل في البحر، وهو غير إبراهيم بن عمر الجعيدي آتي الترجمة.

**الجعيدي، إبراهيم** بن **عمر** بن عبد القادر، ولد بسلا حوالي عام 1297 / 1880، ومات أبوه وهو صغير فكفله جده لأمه الصوفي المقدم الحاج عمر جلزيم، ولم يمكث بالكتّاب القرآني إلا يسيراً وتعلّم صنعة الحصر التي

كان لها نَفاق بسلا آنذاك، وأصبح في النهاية من أكبر صناع الحصر بل وأمين هذه الحنطة لمدة طويلة، واستغنى بها، إذ أصبحت مصنوعاته تسوق إلى خارج سلا ؛ واشتغل إلى جانب ذلك بالفلاحة، وحج مرتين، واقتنى دار المفتي الشيخ أحمد بن الفقيه الجريري بحي رأس الشجرة من طالعة سلا، وعاش فيها إلى أن وافته المنية بعد أن عُمر نيفاً ومائة سنة.

وقبيل وفاته سجلت معه مندوبة جريدة *الميثاق الوطني* حديثاً طويلاً شيقاً حول حياته وذكرياته عن عهد الطفولة وعادات السلاويين في الزواج والعلاقات العائلية، وحياة الصناع والتجار والرقيق وعموم الأسواق وأجواق الطرب.

توفي إبراهيم الجعيدي بسلا صبيحة يوم تاسع شعبان عام اثنين وأربعمائة وألف / 2 يونيه 1982.

*وثائق أبي بكر الجعيدي ؛ تحريات ومعرفة شخصية ؛ جريدة الميثاق الوطني*، 18 ماي 1979.

مصطفى بوشعراء

**الجعيدي، إدريس** بن مَحمد بن إدريس بن عبد القادر بن الخياط بن علي بن عبد الله بن علي بن مسعود (الجد -) ولد بمدينة سلا في أواخر الأربعينات من القرن الثالث عشر (19 م).

نشأ صاحب الترجمة في جو صلاح وعلم وأدب متميز كانت تعيشه مدينة سلا. ومما لاشك فيه أن إدريس الجعيدي لما يوصف به من شغف بالعلم وحب لأهله، قد درس هو الآخر على نفس الأساتذة الذين درس عليهم رفيقه المؤرخ السلاوي أحمد الناصري، غير أن إدريس اهتم بدراسة الرياضيات وعلم الفلك والهندسة، وبرع في ذلك كاختصاص، كما جاء عند ولده عبد القادر في إحدى أوراقه المخطوطة : "أن والده (إدريس الجعيدي المترجم) كان تبرز في هذا الفن وغيره، وتميز تحقيقاً وتدقيقاً وتنظيراً واستخرج الكنوز الغامضة من قعر معادنها، وقد أخذ هذه العلوم عن عدة علماء ... منهم سيدي الجيلالي الرحالي بمكناس ... ثم أخذ والدي أيضاً على الشريف المتفنن سيدي عبد السلام العلمي، وله تآليف عديدة وصنع رخامات ... كما أخذ والدي عن مولاي أحمد الصويري الذي قرأ هذه الفنون بأورية بأمرمولوي، وأخذ عن علماء أربعة قرأُوا بإيطاليا وغيرها، منهم الحاج إدريس الشاوي الذي برز في الهندسة وعلم الرماية بالمدافع وغيرها، وعن السيد المختار الرغاي وعن السيد أحمد بناني الفاسي الذي كلف آخر عمره بمكينة ضرب السكة بفاس، وعن والده. كان يأخذ عنهم ويباشر معهم العمل ؛ كما أخذ عن العلامة أحمد بورقية الذي كان يدرس تأليف اقليدس في الهندسة برباط الفتح. وإذا أصابه عذر كالمرض يستنيب والدي في الدروس بالرباط ... وأخذ عن الحاج محمد التزكي الرباطي وهلم جرا، كما أخذ أيضاً عن الحبابي الكبير الموقت بالقروين عام 1303 هـ ...".

شهد المؤرخ الناصري للمترجم بذلك حيث قال عنه "...الفقيه الأديب فلكي العصر وحاسبه الشريف أبو العلاء إدريس بن محمد الجعيدي السلاوي ..." وبنفس الوصف ذكره العباس بن إبراهيم، وقال عنه أحمد الصبيحي "...وكان رحمه الله بارعاً في الأدب والعلوم الرياضية، إليه المنتهى في الهندسة وأحكام النجوم والتوقيت والتعديل والحساب والفرائض وغير ذلك، مع مشاركة في فنون شتى؛ وجال في بلاد الشرق وحج عام 1277 هـ ..."

مما لاشك فيه أن إدريس الجعيدي استفاد من سفره هذا إلى الشرق العربي الناهض. كما سجل مشاهد رحلته السفارية إلى أوربا صحبة السفير الحاج محمد الزبيدي الذي عينه السلطان الحسن الأول لزيارة أربعة دول أوربية، هي فرنسا وبلجيكا وانجلترا وإيطاليا في صيف سنة 1876م. ويقول صاحب الترجمة إنه بعد تعيينه كاتبا في سفارة الزبيدي : اقترح عليّ المؤرخ الناصري ... أن أجعل رحلة في سفري ... تكون جامعة لكل خبر غريب ولما نراه في الأوطان من كل أمر عجيب ..." وبالفعل سجل الجعيدي في رحلته السفارية هاته التي سماها *إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار* الأشياء التي يفتقدها في مجتمعه الأصلي، وعالج الكثير من الأمور التي كانت تشغل الفكر المغربي في ذلك العصر، وتعامل مع الحضارة الغربية بلهجة إيجابية توحي بالتبني بعيداً عن الانبهار الغيبي. كما يكشف تفاصيل تحركات سفارة الزبيدي ويجعلنا نعيشها من أولها إلى نهايتها. وتعتبر رحلته هذه أكبر وأغزر رحلة مغربية سفارية إلى أوربا بقيت مخطوطة أكثر من قرن من الزمن قابعة داخل خزانة عائلته بسلا مجهولة حتى كشف عنها حفيده مَحمد الجعيدي فزودنا بها مشكوراً، فقمنا بتحقيقها لتهيئ دبلوم الدراسات العليا وهي اليوم مرقونة محققة بخزانة كلية الآداب الرباط.

أما عن باقي مؤلفات الجعيدي فيذكرها الأديب أحمد الصبيحي بقوله "... وله *اختصار بعض مقالات اقليدس في الهندسة*، وكتاب الرحلة المسمى *تحفة الأخيار بغرائب الأخبار* وهي نسختان صغرى وكبرى، اشتملت الصغرى على أخبار سفره من بلاد الغرب إلى بلاد الفرنج ... والكبري على ذلك أيضاً وعلى أخبار الفرنج من لدن الهجرة النبوية إلى عصر مؤلفها، وضم لذلك أخبار الدولة العلوية من أولها إلى أواسط مدة مولاي الحسن رحمه الله ..." مختصر مقالات اقليدس في الهندسة موجود بالخزانة الصبيحية بسلا. أما الرحلة الكبرى فلم أعثر عليها رغم البحث الطويل، كما ترك لنا الجعيدي العديد من القصائد الشعرية نشر المؤرخ الناصري بعضها بعد أن أدخل عليها بعض التلقيح والتهذيب حتى جعلها في مستوى القصائد الموزونة، فالجعيدي لم يكن شاعراً بالمعنى العروضي التقليدي. كما كان الجعيدي يتراسل مع المؤرخ الناصري الذي أشار في فهرسته بالخزانة الناصرية إلى أن الجعيدي وجه له *رسالة حول فن الموسيقى* مازالت مجهولة.

توفي إدريس الجعيدي عصر يوم الأحد 22 صفر عام

1308 / 7 أكتوبر 1890 ودفن بضريح ولي الله تعالى سيدي علي المليح من بلده سلا كما جاء في كناشة أحمد الصبيحي *الفالوذج*.

م. داود، *تاريخ تطوان*، القسم 3 من المجلد الأول، ص. 332 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف اعلام الناس* ...، 3 : 306 ؛ م. القادري، *التقاط الدرر* ...، ج 1 : 140 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 151 و170 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، 2 : 175 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 39 ؛ أ. الصبيحي، *الفالودج*، *كناشة علمية* مخطوطة خ. ع. بسلا رقم 426 ؛ *كشكول* (الصبيحي) ج 3 رقم 428 بالخزانة الصبيحية بسلا.

عز المغرب معنينو

**الجعيدي، إدريس** بن **محمد** بن إدريس (الحفيد) ولد بمدينة سلا عام 1318 / 1900 وكان كجده صاحب الرحلة فقيهاً حيسوبيّاً موثقاً ولوعاً بالرصد والفلك، عمل مدة عدلاً بسلا، ثم انتقل إلى العضوية بمجلس الاستيناف الشرعي بالرباط. له *تأليف في نسب الجعيديين وتراجم أعلامهم*.

توفي في حادثة سير مع جماعة من أعيان مدينة سلا سنة 1360 / 1941.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1360 ؛ *دليل*، 1 : 48 رقم 254 ؛ غ. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 275 ؛ *جريدة السعادة*، عدد 5108.

**الجعيدي، التهامي** بن العباس، لعله كان يشتغل بالجندية قبل أن يصبح مؤذناً بأحد مساجد سلا. له *رسائل* إلى ابن عمته محمد بن عزوز الجعيدي الذي كان يقطن بفاس بحومة العيون، ومنها رسالتان مهمتان كتبهما التهامي إليه سنة 1268 / 1851، يصف فيهما مقاومة أهل سلا لقصف الأسطول الفرنسي في هذه السنة وما خلّف من خسائر في الأرواح والبنايات. وكان حياً سنة 1278 / 1862.

م. بوشعراء، الملحق الثاني لكتاب *"الإتحاف الوجيز"* لمحمد بن علي الدكالي، ص. 200 - 204 ؛ *التعريف*، ج 2 ص. 52 و54 و60 و155 و225.

مصطفى بوشعراء

**الجعيدي، علي** بن مسعود بن تكال الأندلسي الأصل، يُنسب للشرف من ذرية زكرياء بن إدريس ونُوزع فيه، وهناك وثائق متعارضة بين الإثبات والنفي.

الشيخ الصوفي الكبير، المعتقد الشهير، قدم تطوان بعد الألف من الهجرة، وصادف خروج بقية المسلمين من غرناطة ونواحيها، فنزل خارج تطوان بموضع سُمِّي بعدُ بحي العيون، ووجد المكان فارغاً فاشترى أرضاً واسعة تمتد فيما سُمي بعدُ شارع الوطية إلى باب النوادر، وجعله من أوقاف الجامع الذي بناه ثمة (ومازال ماثلا عامراً شهيراً) واجتزى منه وممن بعده من النظار من بنوا هنالك دورهم وأطرزتهم، ويطول الأمد تنوسي الجزاء واستقل الناس بالملك، وكان بدء بناء الجامع عام عشرة وألف، وتم بناؤه عام ثلاثين وألف، وعاش الشيخ علي بعد تمامه عامين. وعُمر مائة وعشرين سنة. وكان سكناه هناك بدرب يسمى باسمه (درب الجعيدي) ومازالت داره موجودة به بالقرب من ضريحه ودار ضيوفه.

كان موضع المسجد مجزرة بها عُشب، ويقال إنّ الموضع كان دار دباغة (ولعل هذا هو الصواب لما هناك من ماء غزير يجري تحت جدران المسجد وبلاطه الأول. اكتشف بعضه في الإصلاح الأخير. ولتساقط ملاط الجدران من جراء الملح وشدة الرطوبة). وسبب بناء الجامع أن الشيخ يوسف الفاسي أمر مريديه أن يبنوا لهم رباطاً (زاوية) هناك فشرعوا في البناء في موضع المسجد، فقدم عليهم المترجم له من قبيلة أنجرة وكان له بها أراض وضياع ومواش (ومازال بعض ذلك في أوقافه) فسألهم عن شيخهم. فقالوا : سيدي يوسف الفاسي، فقال لهم : أنا شيخي سيدي يوسف التليدي، وشاركهم في البناء وقال إني أريده جامعاً للخطبة، فكتبوا لشيخهم الفاسي بذلك، فأمرهم أن يتركوه يتم البناء جامعاً كما أراد، وأن يبنوا زاوية بمكان آخر، فابتعدوا بنحو رمية سهم وبنوا رباطهم قبالة (القنا الكبير). ولما أكمل المترجم بناء الجامع بعث له سيدي يوسف خشب السقوف وبابا. قال الفقيه الرهوني : ومازال الباب موجوداً إلى الآن قبالة ضريح سيدي أحمد بوسلهام.

قلت : وقد أدركت أنا هذا الباب الضخم وآخرَ أقل منه، ثم أزيلا عند ترميم المسجد الأول.

أخذ علي الجعيدي عن الشيخ منصور بن عبد المنعم الصنهاجي وغيره، و أخذ عنه أبو الحسن علي المصيمدي صاحب المسجد المشهور باسمه غير بعيد عن جامع شيخه يسمى الآن : جامع الميندي، وهو تصحيف المصيمدي تصغير المصمودي.

وللمترجم *تائية* طويلة من بحر الطويل في التعبير عن أذواقه ومقاماته وشطحاته، وهي سقيمة الوزن اشتهرت وتداولها الصوفية، وشرحها الشيخ أبو العباس أحمد ابن عجيبة، شرحه موجود بأيدي الناس مخطوط.

توفي الشيخ علي الجعيدي في 18 ربيع الثاني عام اثنين وثلاثين وألف / 19 فبراير 1623، ودفن قرب جامعه، وضريحه مشهور، ورثاه أبو حامد العربي بن أبي المحاسن الفاسي بمرثية طويلة تدل على ماله من الفضائل والمزايا أوردها عبد الرحمان الفاسي في *ابتهاج القلوب* وهي طويلة، كما ذكر الفقيه داود مرثية أخرى فيه جيدة لم يعرف قائلها.

م. الإفراني، *صفوة من انتشر*، ص. 78 ط حجر ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 260، تح. حجي والتوفيق ؛ أ. ابن عجيبة، شرح

*تائية الجعيدي*، مخطوط ؛ ج. سكيرج، *نزهة الإخوان*، ص. 4 مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 / 71 مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 330.

محمد بوخبزة

**الجعيدي، عمر** مقاوم ولد سنة 1331 / 1912 بمدينة طنجة، التحق بصفوف المقاومة المسلحة السرية بمدينة الدار البيضاء عقب نفي ملك البلاد، حيث قام بتنفيذ عدة عمليات فدائية بتأطير من المقاومين السادة البصري وبالنعيلات وحسن الأعرج وغيرهم إلى أن أطل فجر الاستقلال، وقد ظل من الرجال المخلصين لوطنه حتى فاجأته المنية بالدار البيضاء يوم 4 شتنبر 1995.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير.*

**الجعيدي، عمر** بن **العباس** بن المكي .ولد بفاس عام 1290 / 1873، وبها نشأ وتلقى تعليمه الموسيقي على يد جهابذة الفن أمثال عبد السلام البريهي، وعازفي الكمان الشهيرين المعلم سعيد والمعلم منصور. وقد اتخذ من بيته ملتقى مهرة الحفاظ والمنشدين فكان يستمع إليهم ويحفظ عنهم، إلى أن بلغ مكانة مرموقة. وقد شكل إلى جانب معاصريه محمد بن عبد السلام البريهي ومحمد بن إدريس المطيري الثالوث الشهير الذي اجتمع عنده من مستعملات الموسيقى الأندلسية ما افترق عند غيرهم.

وقد عمت شهرة الجعيدي الآفاق، فاستقدمه السلطان مولاي عبد العزيز إلى قصره بالرباط لتدريب جوق الخمسة والخمسين وتلقين الإماء والخدم أصول الموسيقى الأندلسية عزفاً وإنشاداً. ولما أفضى الملك إلى المرحوم محمد الخامس عام 1347 / 1927 عين عمر الجعيدي على رأس الجوق الأندلسي بالقصر الملكي.

كان عمر الجعيدي من بين أعضاء الوفد الذي مثل المغرب في مؤتمر الموسيقى العربية المنعقد بالقاهرة عام 1351 / 1932 بصفته رئيساً فنياً للبعثة.

ومن منجزاته الفنية ترتيب وتنسيق أنغام المشالية الكبرى.

توفي عمر الجعيدي وهو رئيس للجوق الأندلسي بالقصر الملكي بالرباط عام 1372 / 1952.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1372 ؛ *معرفة شخصية ؛ روايات شفوية.*

**الجعيدي، محمد** بن **عمر** بن العباس، ولد بمدينة فاس في بداية العقد الثاني من هذا القرن، ونشأ في أحضان أسرة مفعمة بحب الفن والعلم معاً، فالتحق بالقرويين حيث أخذ عن شيوخها نصيباً من علوم اللغة والدين. وكان في ذات الوقت يحضر مجالس والده الفنية فينهل من مواردها المعارف الموسيقية. ولما انتقلت أسرته إلى الرباط عُين الابن موظفاً بوزارة العدل، ثم لما توفي والده خلفه في منصبه كرئيس للجوق الأندلسي بالقصر الملكي، فتفرغ حينئذ للعمل الموسيقي وأصبح مسؤولاً عن جوق الخمسة والخمسين، فكان محط تقدير الفنانين، يرجعون إليه في ضبط الميازين وتحقيق الصنعات النادرة "والنواعر" المثقلة بالشغل والأنغام. وبذلك عدت طريقته امتداداً للرواية الجعيدية مثلما تعد اليوم طريق الحاج عبد الكريم الرايس امتداداً للرواية البريهية.

وقد أغنى محمد بن عمر الجعيدي الرصيد الموسيقي للإذاعة الوطنية بتسجيلات كثيرة من أروعها تسجيله ميزان قائم ونصف الحجاز المشرقي، وقوامه خمس وعشرون صنعة قدم لها بتوشية. وهو إنجاز هام أحيى من خلاله ذكرى والده عمر الجعيدي، وسد به نقصا ظل يعاني منه *كناش الحايك* الذي يخلو من هذا الميزان.

توفي محمد بن عمر الجعيدي سنة 1399 / 1978 عن عمر يناهز الستة والستين عاماً.

*معرفة شخصية ؛ وروايات شفوية.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الجعيدي، محمد الفاسي** عامل تطوان على عهد السلطان مولاي سليمان. ولاه عمالتها بعد عزل سلفه السيد عبد الكريم اللواجري. كان محمد الجعيدي مستقلاً بهذه العمالة، ولم يكن نائباً عن العامل السيد محمد السلاوي كمن قبله. وجه إليه السلطان مولاي سليمان (1202 ـ 1238 هـ) رسالة غفلاً من التاريخ إليه وإلى أربعة من قواد أيت يوسي بناحية صفرو يقول لهم فيها : "فنأمركم أن تردوا على حملته أولاد عبَّاد متاعهم، وقولوا لأولاد الشيخ سيدي الحسن اليوسي : أبوكم ساد بالورع، وأنتم يهلككم الله بالطمع".

لم يلبث محمد الجعيدي أن عُزل بالعامل السيد أحمد العرايشي لأنه كان ياتي أعمالاً مخالفة للمروءة، وكان ذلك في حدود عام واحد وعشرين ومائتين وألف.

صورة الظهير

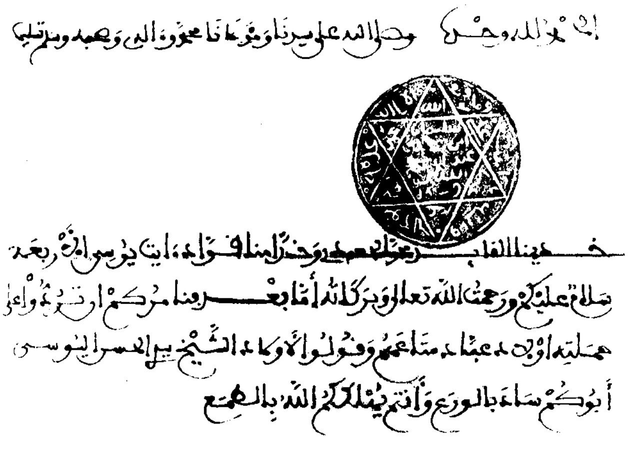

*الوثائق الملكية* ؛ ج. سكيرج، *نزهة الإخوان*، ص. 43 (مخطوط) ؛ أ. الرهوني، *مختصر عمدة الراوين*، ص. 79 مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 242.

محمد بوخبزة ومصطفى بوشعراء

**جعالف**، أسرة سلوية نبيلة أنجبت عدداً من الفقهاء والأمناء وكبار موظفي المخزن، وهي نَزُورٌ أخذت اليوم في الانقراض. وكان منها أفراد يتعاطون خطة العدالة بسلا والأمانة بالمراسي المغربية، كما كان منها تجار كبار يستوردون البضائع الأوروبية في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن.

**جْعالف، أحمد** كان أميناً بمرسى العرائش وغيرها من المراسي المغربية وقبْل أن يتولى هذه المناصب المخزنية كانت له تجارة واسعة بمدينة سلا وبخاصة في المواد المستوردة. واشتهر بقاعته الأنيقة التي كانت تضم جميع أنواع الساعات الحائطية في ذلك الوقت، فكانت قبلة الزوّار من المغاربة والأوربيين.

توفي بسلا حوالي عام 1341 / 1922.

**جْعالف، الطاهر** بن عبد الله كان سنة 1205 أميناً بمرسى العدوتين، وكان مايزال بقيد الحياة عام 1219.

**جْعالف، عبد الله بن أحمد** تاجر ثريّ خلف أباه سابق الترجمة في التجارة لما عين أميناً ابتداء من سنة 1318 / 1900 وتكاثر شركاؤه واتسعت معاملاته حتى عدّ من كبار التجار السلاويين في عصره، وعليه وعليهم قرئ ظهير التحذير من المخاطرة بمتاعهم بالتعامل مع الولاة.

**جْعالف، عبد الله بن أحمد**، فقيه كان سنة 1180 من عدول سلا المنتصبين للشهادة في المعاملات والأحوال الشخصية.

**جْعالف، محمد** بن أحمد، لعله شقيق عبد الله بن أحمد الفقيه المذكور آنفاً، وكان سنة 1214 من عدول سلا المنتصبين للشهادة، ومن أمناء المخزن في المرسى.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، ص 366 و368 ؛ *رسوم عدلية في خ. ص* ؛ م. بوشعراء، *الذيل الجديد من الإتحاف الوجيز*، مخطوط ؛ *التعريف*، 2 : 220 و258 ؛ *وثائق آل بنسعيد* ؛ *إحصاء كتب خزانة المسجد الأعظم بسلا سنة 1219*.

مصطفى بوشعراء

**الجغرافيا بالمغرب**، تطور البحث، تعتبر الجغرافيا مادة حديثة داخل دائرة المعارف الأوروبية. وقد وُصفت بأنها أحدث من ذلك في بلداننا على أساس ظهورها المتأخر في ظل الفترة الاستعمارية. والواقع غير ذلك تماما. إذ أن الجغرافيا الأوربية المرتبطة بالكشوفات والمصاحبة للتوسع الاستعماري هي نوع خاص من الجغرافيا لم يُثْمرْ في الواقع أية منهجية علمية تُذكر، بل ربما أنتج سلوكات معرفية طالما عرقلت تحول المادة إلى علم قائم الذات. ظهرت قبلها بكثير، دراسات جغرافية متنوعة في سياق بدايات تطور العلوم خلال القرون الأولى لانتشار الإسلام بالمغرب. وقد اعتمدت هذه الدراسات مسارا تصاعديا سما بها إلى مراتب منهجية رفيعة. لكنها عرفت انتكاسا واضحا في غمرة الحركة التوسعية الأوروبية التي طبعت العصر الحديث.

1 - عرف تطور الجغرافيا بالمغرب بين القرنين الثالث والثامن (9 و14 م) ثلاث مراحل بدأت بالوصف الغالب للأقوام والأمصار وانتهت إلى محاولة تفسير البيئات المندمجة.

1.1 - تميزت المرحلة الأولى باستكشاف وعرض مظاهر الشمال الإفريقي والمناطق المجاورة بإفريقيا جنوب الصحراء، وأوروبا وباقي العالم مع التركيز على البلاد الإسلامية.

حصل تجميع المعلومات عن طريق الأسفار كما كان الشأن بالنسبة للتاجر الأندلسي إبراهيم بن يعقوب (القرن الرابع / 10 م) الذي خبر شخصيات أوربا الغربية وبلاد الصقالبة وكذلك عن طريق الاطلاع الواسع على المراجع الأصلية والوثائق واستشفاف الأخبار بهاجس التأكد منها باستعمال مناهج المحدثين، وقد اعتمد هذه المعالجة البكري الغرناطي (القرن الخامس / 11 م) في تأليفه *المسالك والممالك* حيث حاول وصف العالم المعروف آنذاك بما في ذلك التنظيمات السياسية والحياة الاقتصادية.

بالإضافة لهذا المجهود في التعرف علي البلدان وتدوين خصائصها، الذي سبق عهد الكشوف الأوروبية الأولى بستة قرون، هناك محاولات لخلق أدوات تربوية تسهل عملية الاطلاع يدل عليها إنشاء البكري لمعجم جغرافي.

2.1 - خلقت المرحلة الثانية الأدوات الحقيقية للمعرفة الجغرافية الحديثة. وذلك على الخصوص من خلال أعمال الشريف الإدريسي السبتي (القرن السادس / 12 م) الذي كرس جهده لإحكام المطابقة بين المعلومات والمجال الجغرافي. وهي نقلة حاسمة من مستوى التركيم الصرف للمعلومات إلى مستوى تنظيم الوقائع وحصرها داخل الحيز المجالي. وقد أتقن الإدريسي تصوير المعلومة الجغرافية كما جاءت في كتاب *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق* وتهييئها للعرض بالاستعمال المكثف للخريطة إلى حد يمكن اعتباره معه كأول عالم أبدع منظومة المعلومات الجغرافية.

بموازاة مع هذا التطور المنهجي، تواصلت تقاليد الاستكشاف المباشر بغرض الإمداد بالمرجعية المعلوماتية المتجددة.

وقد وصل هذا التقليد إلى أوجه مع ابن بطوطة (القرن الثامن / 14 م) الذي أنفق حوالي ثلاثين سنة من عمره لقطع مسافة مائة وعشرين ألف كيلومتر عبر إفريقيا وآسيا وأوروبا، على امتداد العالم المعروف.

1 . 3 ـ عرفت المرحلة الثالثة تنامي الدراسات المندمجة مع إرهاصات تنظير الظواهر الجغرافية، وقد تربع ابن خلدون (القرن الثامن ومستهل (التاسع / 14 . 15 م) وتميز بوصفه قطب التنظير في العلوم الإنسانية عامة حيث حاول فهم تطور المجتمعات البشرية انطلاقا من تفصيل كل العوامل ومن ضمنها العوامل البيئية واضعا بذلك قواعد الدراسات الحديثة. وقد جاءت *المقدمة* بمنهجية ضبط السببية البيئية. اختص الجزء الأول منها مثلاً بدراسة الوسط الطبيعي وتأثيره على التجمعات البشرية وتعرضت الأجزاء الخمسة الأخرى لجغرافيات الأرياف والمدن والجغرافيا الثقافية وأشكال الحكم والاقتصاد السياسي. اعتمدت المعالجة النهج الاستقرائي بصفة منتظمة على أساس الملاحظة الميدانية والوقائع الملموسة، مستبعدة التأمل الفلسفي لحساب التحليل البيئي الطبيعي والنفسي، بما فيه معطيات المناخ وعلوم الإنسان والأجناس والسكان.

خلال القرن الموالي، تزامنت النهضة والمدّ الأوروبيان مع مرحلة اختلال مزمن انتاب العالم العربي، أنهت الفترة الكلاسيكية للجغرافية بالمغرب.

ظهور أعمال من نوع الجغرافيا العامة أو وصف إفريقيا على يد الحسن الوزان (القرن العاشر / 16 م). رغم زخم المعلومات فيها ورصانة التناول وأهمية الشيوع التالي في أوربا. قد برهنت من خلال عزلتها ويُتْمها على نكوص الحركية العلمية في بلداننا.

2 ـ انحرافات البحث الجغرافي في القرن العشرين

قضى السطو الاستعماري بتجاهل التراث المعرفي الوطني، مؤسّساً حركة اكتشاف جديدة للمغرب كامتداد متأخر لعصر الكشوف الذي انطلق منذ (القرن التاسع / 15 م).

اضطلع بهذه المهمة أفراد الجيش ورجال الأعمال والاطلاع من بين الفرنسيين النازحين منتهجين دراسات مُغرقة في الوصفية والانتفاعية. تبدى العمل الجغرافي الناتج إذاك في حُلة عصرية تَدّعي اعتماد المنهج العلمي وإن كانت تتوخى بث أفكار مُسبَقة قوامُها أن التدخل الأوربي في الشمال الإفريقي يهدف إلى إنعاش الإنتاجية الفلاحية وإرجاع الإقليم إلى سابق عهده حين كان خزان الخبز بالنسبة للأمبراطورية الرومانية، وإزالة آثار المغرب الإسلامي باعتباره في زعمهم مسلسل مُطاحَنات قبلية خربت الاقتصاد الوطني.

انتظم مختلف المهتمين الأجانب في إطار مجتمع جغرافي فرنسي مقفل اتخذ له مجلة متخصصة منذ سنة 1916 تحت ريادة الجغرافي العسكري القبطان دي سوگونزاك، الذي أعلن في العدد الأول من المجلة أن "المغرب بلد رائع اكتسبه المعمرون وأعدُّوه لحصاد وشيك".

لكن الأراضي الخصبة، القابلة للاستغلال المكثف، حَظِيتْ وحدها بعناية المعمرين حيث ظهر منذ البداية تقسيم عملي للبلاد" مع مفهوم "المغرب النافع".

استمرت المجلة في الصدور بصيغتها الأولى إلى حدود 1949، عوضتها نشرة *"المذكرات المغربية"* بين 1952 و1961 بأسلوب جديد دالٍّ على الفترة الانتقالية السابقة مباشرة واللاحقة لحدث الاستقلال.

3 ـ الاختيارات المنهجية في جغرافيا المغرب المستقل.

ربما أمكن اعتبار العشر سنوات اللاحقة لتأسيس الجامعة هي الأكثر إيجابية بالنسبة للمادة منذ بداية القرن. ذلك أن الجامعة المغربية العصرية كانت قد تأسست سنة 1958 بالرباط وشرعت في بناء هياكلها. وأصبحت الجغرافيا مادة نشيطة في شعبة متخصصة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية وكذلك بشعبة الخرائطية الجيومرفلوجية "بالمعهد العلمي" المجاور. في هذه الأثناء وفد على المغرب أساتذة فرنسيون لاعلاقة لهم بالماضي الاستعماري، حاولوا ترسيخ التكوين الجغرافي على الأسس المعمول بها في جامعاتهم. فسخروا خبراتهم التربوية والمعرفية في تنشيط التدريس والبحث ورفعوا من مستوى النشرة التي أصبحت *مجلة جغرافية المغرب* ابتداء من سنة 1962.

ورث المغربُ المستقل عن هذه التجربة، بالإضافة إلى أنشطة التربية والبحث بالكلية والمعهد ومجموعة من الأطر المغربية المكوِّنة، والجمعية والمجلة، بنية أساسيةً أخرى هي "اللجنة الوطنية للجغرافيا" التي أنتجت بصفة خاصة عدداً من اللوحات الخريطية المؤلِّفة للأطلس الجغرافي للمغرب والتي تعالج مواضيع شتَّى منها : الاقتصاد المعدني، الصيد البحري، التساقطات المطرية، الغابات، ولوحات مختلفة متعلقة بالنشاط الفلاحي والسكان.

أهم حدث وقع بعد ذلك يَهُمُّ ضبط الهوية التنظيمية للمادة حيث تمَّ تعريب الدراسة الجغرافية ومغربة التأطير سنة 1973. كما أن التأطير الجمعوي السابق الذي كان عبارة عن نادٍ أجنبي غَيَّرَ اسمه بصفة معبرّة إلى "الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة"، ثم بدأ صدور *مجلة جغرافية المغرب* (السلسلة الجديدة) منذ سنة 1977 بإشراف هيئة تسيير وتحرير مغربية وظهور أولى المقالات باللغة العربية إضافة إلى البحوث باللغة الفرنسية التي يشترط أن تتوفر على ملخصات موسعة بالعربية.

شاع تدريس الجغرافيا بصفة ملحوظة بتعدد الجامعات على مدى التراب الوطني إضافة إلى تلقين المادة في العديد من المؤسسات الأخرى كمادة أساسية أو تكميلية، كما هو

الشأن بمعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة والمعهد الوطني للتهيئة ومعهد السياحة وكليات الحقوق والمراكز التربوية الجهوية ...

وقد أنتج الطلبة المتقدمون رُكاما من رسائل السلك الثالث وأطروحات الدولة في مختلف تخصصات الجغرافيا الطبيعية منها والبشرية، غطت مناطق واسعة من المغرب مرفوقة بالتحاليل المختبرية والإحصاءات والاستطلاعات الميدانية والخرائط المتنوعة. حيث بدأت شعب الجغرافيا تتحول تدريجيا إلى قَيِّمٍ على التراب الوطني يَخْبَرُ مختلف جوانبه ويجس أحواله ويتتبع تطوراته.

لكن مع ذلك تَبَيَّنَ أن الجغرافيا الموروثة عن التكوين الأجنبي، حتى في أبهَى مظاهرها، مادة وصفية إخبارية، بقيت متأثرة بوقع الكشوف وطبيعتها الأولى كأداة للتوسع الاستعماري. كما أنها عانت من امتناع أصحابها بالذات، أو بالأحرى عدم قدرتهم، على تأسيس آليات الحتمية الجغرافية الكفيلة وحدها بأن تُحوِّل المادة إلى علم قائم الذات مَبْنيٍّ على السببية العلمية. وسبب هذا التأخر المنهجي المرحلي أن الإرهاصات الأولى لوضع الحتمية الجغرافية كانت من فعل رواد لازالوا لم يمتلكوا التكوين الكافي في قوانين المجال، فجاءت النظريات ضعيفة، لاشك قابلة للتحسن. وجاء الحكم عليها متسرعاً حيث عوض الحث على التمكن من المناهج واكتساب الأدوات العلمية المواتية، كانت إدانة المبدإ ذاته المستعمل للسببية في التحليل الجغرافي. وكان بذلك الحكم على المادة بأن تبقى تقريرية، في موقع مهتز لا هو من الأدب المقبول ولا هو قد تمكن من أسسه العلمية حتى يصبح قابلا للتطبيق النافع.

اكتست الأزمة حدة خاصة لما اكتمل إشباع كل المنافذ في قطاع التعليم. وطُرحت الغاية من التكوين بإلحاح. وبدأت الظروف تُحَتِّمُ اختيار المناهج القابلة للتطبيق مروراً بضبط الأسس العلمية للمادة. من المحاولات الجادة في ابتداع أسلاك تطبيقية لتكوين الإطار النافع.

ظهرت الحلول الحقيقية مع انفتاح الجامعيين على عالم التهييئ والإنتاج والتطبيق. واتضح الدور الذي يمكن أن يلعبه الجغرافي داخل مجموعات متعددة الاختصاصات في مشاريع تهيئة المجال وإحصاء ومراقبة توازنات الثروات.

كما تَبيَّن أن نزعة التخصص المبالغ فيه والفاصل بين ما هو طبيعي وما هو بشري لا يستجيب دائماً للمتطلبات العملية لتهيئة المجال. وأصبح الجغرافيون المتمرسون، من ذوي التكوين المشارك، يلعبون الأدوار الأولى في مجموعات التهيئة المتضمنة للمهندسين الزراعين، والغابويين وأصحاب الاقتصاد والاجتماع.

وقد سارع الجغرافيون إلى تكملة معارفهم ومهاراتهم بالانفتاح المتزايد على مختلف الجامعات الأجنبية. والقيام بمشاريع مشتركة وتنويع لغات العلم والتعامل من عربية وفرنسية وأنجليزية وإسبانية ...

وهكذا وبدون سابق إصرار، يعود البحث الجغرافي المغربي إلى المنظور التقليدي الذي ساد خلال العصور الذهبية من أجل تطويره، مُحاكاةً للإدريسي في التركيز على الجانب التجريبي، ولابن خلدون في التعميم والتنظير.

صحيح أن تحويل الاتجاه المنهجي الذي تعرضت له الجغرافيا بالمغرب خلال القرن الرابع عشر (20 م)، قد تسبب في خلق مشاكل مجانية مرتبطة بتاريخ أوروبا، لكنه مع ذلك أخرج أنظمة التعليم من تقوقعها وأطلعها على ما يروج في العالم. أما الاختيارات الحاسمة فإنها لم تتحقق إلا خلال العشرين سنة الأخيرة، تحت ضغط المشاكل البيئية المطروحة بكل المقاييس والتي توجد في صلب الاهتمام الجغرافي لكونه يُعْنَى بتعريف عوامل المجال من حيث طبيعتُها وتفاعلها في منظومة متفاوتة التوازن هي ذاتها صورة المجتمعات والحضارات.

مصطفى عياد، *الشريف الإدريسي، معلمة المغرب*، صفحة، 279، 1989 ؛ محمد زنيبر، *ابن بطوطة، معلمة المغرب*، الجزء الرابع، ص، 1268، 1991؛ حسن الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، 1983.

D.J. Zeigler and D. Fassi, *Rediscovering the roots of moroccan geography in era of interdependence*, *The Geographical Bulletin*, 1996 ; J. Vattier, *Au Maroc utile. B.G.M.*, 3, 1923, 314 ; Le Comité de Rédaction, *Editorial - Revue de Géographie du Maroc*, 10, 3-5, 1986.

**الجغرافيات القديمة للمغرب**، الاطلاع على الجغرافيات القديمة للتراب المغربي، زيادة على أنه يفيد في معرفة البنيات الرئيسية التي تهيكل المجال وظروف ومظاهر تطورها، فهو كذلك يُعين على فهم جانب مهم من التحولات الشاملة التي شهدها العالم عبر تاريخه الطبيعي نظراً للموقع الأساسي والأدوار الحاسمة التي لعبتها بنياته في تمفصل الصفائح القارية (شكل 1).

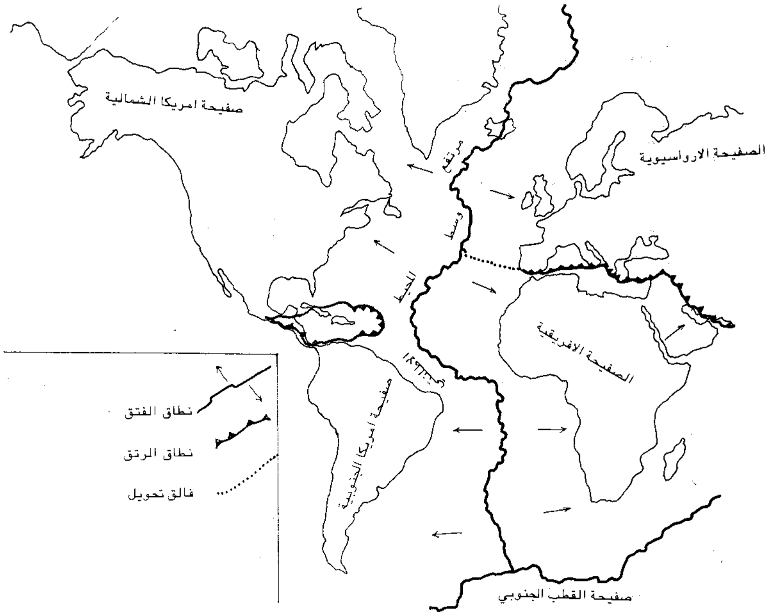


شكل 1 : موقع المغرب من التقسيمات الصفيحية الكبرى للقشرة الأرضية

أهم الأحداث الطبيعية هي أولاً البنائية الهرسينية التي ترجع للحقب الجيولوجي الأول (حقب الحياة القديمة) والتي وإن عفى عنها الزمن كسلسلات جبلية حقيقية حطمتها التعرية، فإنها لازالت تشكل بنيات عميقة مؤثرة.

جاء بعدها تعمقُ واحدٍ من أهم الشروخ التي أصابت قارة گوندوانا الأصلية، تسرّبت إليه المياه في مستهل الحقب الثاني (حقب الحياة الوسطى) ليكون البداية المتواضعة للمحيط الأطلنتي.

تخلل الحقبُ الثالث والرابع (حقب الحياة الحديثة) الأزمات البنائية الكبرى التي أسهمت في تشييد أهم الجبال المغربية، ومعها بعض التقلبات البيومناخية التي أكملت المشهد الطبيعي العام الذي يشكل المجال المغربي الحالي.

لا يمكن التعامل المعقلن مع التراب المغربي، شأنه في ذلك شأن كل المجالات الأخرى، بدون معرفة كافية لجسمه الطبيعي ماضياً وحاضراً.

1 ـ حقب الحياة القديمة والبنائية الهرسينية. لا تتوفر الأزمنة قبل الكمبرية في المغرب إلا على معلومات قليلة هي الأوضح في المغرب الجنوبي : الأطلس الصغير والمناطق الصحراوية التي هي أقدم المناطق المغربية على الإطلاق. حركات بنائية موغلة في القدم بدأت تأسيس شذرات متقطعة لما سيكون عليه المغرب في الهامش الشمالي للراسخ غرب الإفريقي.

من الوجهة المناخية، هناك شواهد تدل على تحقق فترة جليدية على أن أزمنة ما قبل الكمبري قد انتهت في ظروف أكثر حرارة تشهد عليها السلسلة البنفسجية للآدودوني.

1.1 ـ أهم أحداث النصف الأول من حقب الحياة القديمة. آثار البنائية الكاليدونية غير واضحة وصعبة الفصل عن البنائية الهرسينية التي تلتها.

لكن جل المؤشرات تدل على خاصيتين طبعتا النصف الأول من الحقب الأول.

ـ الخاصية الأولى هي نوع من الارتباط بين المغرب (أو شمال غرب إفريقيا) وشرق أمريكا الشمالية وجنوب غرب أوروبا.

ـ الخاصية الثانية هي تغاير واضح في الأوضاع المناخية عرف تطرفات عنيفة.

كان المغرب على العموم، في هذه المرحلة عبارة عن مسطحة تغمرها في الغالب بحارٌ ضحلة لكنها تعرف فترات بروز وانغمار متلاحقة. أهمها في وسط الكمبري على ما يبدو ظهور صلب مسيطي مغربي أدت التعرية النشيطة فيه إلى تركيم مواد سميكة في النطاق الأبلاشي.

انعكست الآية في الأوردوفيسي حيث أصبح النطاق الابلاشي هو الذي يزود غرب المغرب بمواد فتاتية تتشابه سحنهاتُها ومستحثاتها مع وسط إيبيريا والهضبة الأرموريكية الوسطى بفرنسا.

اختُتم الأوردوفيسي في ظل مناخ بارد جمدي. ذلك أن المغرب والأقاليم المحيطة كانت توجد في العروض العليا المحادية للقطب الجنوبي متأثرة بالرواسب والنشاط الجليدي الذي طبع الصفحة الجليدية العظمى التي كانت تغطي آنذاك الصحراء الافريقية.

يُعتبر ذوبان الصفحة الجليدية هو المسؤول عن الغمور البحرية الواسعة التي غطت المغرب بعد ذلك خلال السيلوري.

الدفءُ الذي تحقق خلال الديڤوني سمح بتحول المجال إلى تناثر هائل للحشفات المرجانية، مع تغاير محسوس للسحنات من الغرب إلى الشرق. السبب في هذا التغاير راجع لأهمية البنائية الأكادية التي قضت بالإبراز النهائي للسلسلة الأبلاشية، معطية توضعات أكثر فتاتية في غرب المغرب الموالي مباشرة للسلسلة الجبلية الأمريكية الحديثة الانتصاب آنذاك.

2.1 ـ البنائية الهرسينية ضمن أحداث النصف الثاني من حقب الحياة القديمة. الحدث الرئيسي هو تحول الأسلوب البنائي السائد من الحركات التمددية التي طبعت النصف الأول من حقب الحياة القديمة إلى نظام انضغاطي شامل اتضحت معالمه ابتداء من الديڤوني العلوي. ترتب عن هذا التحول تكون سلاسل التوائية تتخللها أحواض رسوبية ذات أصل انخلاعي في المغرب كما هو الشأن في شرق أمريكا الشمالية، تتفق مضارب الحوادث البنائية في كونها شمالية شرقية جنوبية غربية. كما أن هذه الأحواض الديڤونية الكاربونية اشتغلت كأحواض فتاتية، قارية في أمريكا، بحرية في المغرب.

لكن من خصائص البحار الكاربونية المغربية أنها انسحبت تدريجيا في اتجاه الشرق مُقفلة الأحواض الغربية الواحد تلو الآخر. الشيء الذي يفسر أن كل هذه الأحواض في الريف المسيطا أو الأطلس، غير منتجة للفحم باستثناء الأحواض الشرقية التي بقيت بحرية في جرادة حتى أدركت الفحمي الڤستفالي المنتج.

وقد حصلت نفس التطورات في المناطق الجنوبية حيث ارتفعت الجهات الغربية التي كانت بحرية في الدينانسي، طاردة البحار إلى الشرق في اتجاه حوض بَشّار منذ الناموري وإلى الڤستفالي.

من الملاحظ إذن أن هناك تفاوتا واضحاً في توقيت البنائية الهرسينية. تفاوت آخر ينتاب أساليب التشويه. الاختلاف واضح بين منطقتين كبيرتين :

منطقة الأطلس الصغير الوسطي والشرقي، وهي ضعيفة التشوه، منعدمة التحول ؛

والمنطقة الشمالية (المسيطا والأطلس) التي تعتبر حقيقة ميدان البنائية الجبلية الهرسينية الحقيقية.

يفصل بينهما النطاق الانخلاعي الأولي للأطلس ذو الحركة المياسرة النشيطة في الشق الشمالي الغربي. يعرف هذا المجال النشيط تعقيدات، منها على الخصوص أن المحاور البنيوية في الشمال منقلبة جهة الغرب في حين أنها في الجنوب منقلبة إلى الشرق.

خلال هذه العمليات التي ميَّزت بين جهات المغرب الهرسيني، عرفت مجموع القارة الگوندوانية القديمة حركة شمولية في اتجاه الجنوب جنوب غربي محدثة مع الراسخ الشمال أمريكي انخلاعا مُيامناً.

2 ـ انفتاح الغالق الأطلنتي والتشييد الجبلي الأطلسي خلال حقبي الحياة الوسطى والحديثة.

1.2 ـ بداية الانغلاق الأطلنتي. يكاد الترياس السفلي والوسطي أن يكون منعدم الأثر في مجموع التراب المغربي. جل المواد الترياسية هنا تنتمي للترياس العلوي وهي تُوجد على محورين اثنين :

محور أول يجمع بين الأطلس الكبير الغربي والأطلس المتوسط ؛ ومحور ثان يهم الواجهة الأطلنتية. وقد استمدت موادها أساساً من غمر ضحل متفرع عن بحر التيتس.

هذان المحوران هما سلسلة من الخسفات توضعت بها مواد فتاتية مثل حث الأوكايمدن في الأطلس الكبير، من أصل قاري، تلتها سلسلة بحرية من الأطيان والأطماء والإبخارات تتوسطها في غالب الحالات اندساسات واسعة من الصخور البركانية أهمها البازلت الدوليريتي التوليتي. انتشار المواد البحرية يتعدى بكثير القواعد الفتاتية الأولى، وتغلب الحمرة على كليهما.

تحتل التطورات الترياسية موقعاً متميزاً في انطلاق تكوين الشخصية الحقيقية لجغرافية بنيات المغرب. حيث إن الخسفة الأطلنتية ذات المضرب الشمال شرقي ـ الجنوب غربي كانت هي أول معلمة في انفتاح المجال البحري الأطلنتي. أما الخسفة الثانية فإنها لعبت دوراً حاسماً في هيكلة المغرب بوصفها رسمت مواقع السلسلة الأطلسية.

من خصائص البنائية الترياسية كذلك أن بوادر الانفتاق الذي شق المحيط الأطلنتي قد انطلقت ابتداء من الجنوب في اتجاه الشمال على أساس انكسار أصلي. خطٌ بنائي ثان هو الحادث الجنوب أطلسي (شرق شمال شرق ـ غرب جنوب غرب). يفصل بين ميدان مغربي شمالي يتميز بغناه الإبخاري عن ميدان جنوبي تغلب فيه الفُتاتيات.

أما النطاقات الريفية الداخلية فهي وحدها خالفت بوضوح الوضعية في باقي المغرب حيث تضم ترياساً ذا سحنة "آلبية" بحرية تغلب عليه المواد الكاربوناطية، بالإضافة إلى أدفاق بركانية تنتمي إلى فترات مبكرة (شكل 2).

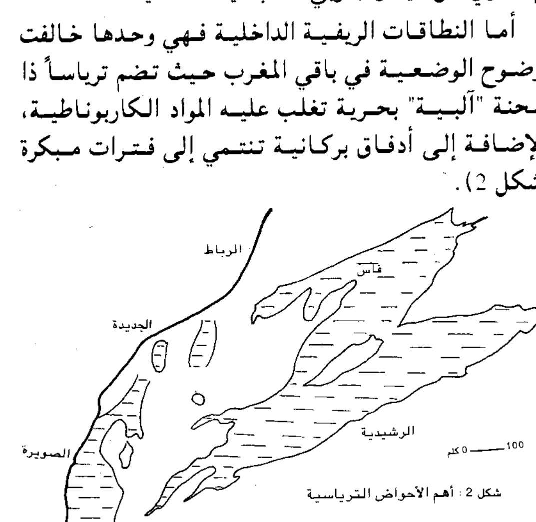

شكل 2 : أهم الأحواض الترياسية

2.2 ـ انزلاق القارة الإفريقية في اتجاه الشرق. من أجلى التكونات في التنظيمات الصخرسوبية المغربية الثنائي المتناقض السحنات : الترياس الفتاتي الأحمر، البركاني الهش والليياس الكاربوناطي الغالب التجانس والصلابة. ومع ذلك، فإن اللياس لا يعتبر غمرا مستقلاً ولكن تعميقاً واضحاً لحجم البحار التي همت الترياس العلوي واتساعاً لمجال انتشارها. حيث لم يسلم من التغطية البحرية إلا الميدان الصحراوي والمسيطا.

تنتمي المجالات البحرية اللياسية إلى إقليمين مختلفين : أطلنتي، لازال ضيقاً، في الجنوب الغربي والغرب، تغلب عليه الأكلاس ؛ متوسطي (من التيتس) يشمل الهضاب العليا، الأطلس المتوسط والأطلس الكبير الوسطي والشرقي، بها تفوق للسحنات الدولومية (شكل 3).

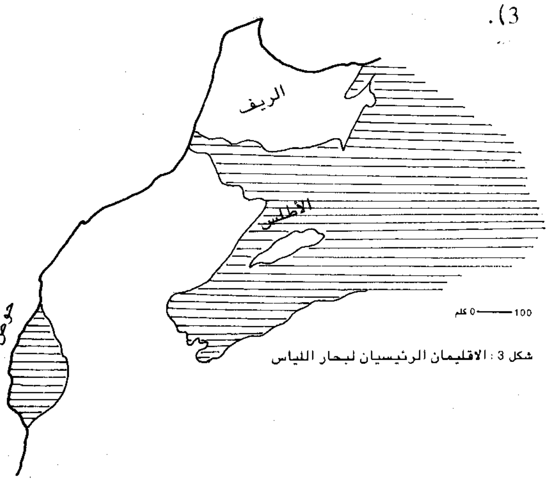

شكل 3 : الاقليمان الرئيسيان لبحار اللياس

عرف الجوراسي الوسيط انحساراً عاماً للبحار، كشف عن مجموع الأراضي باستثناء الريف، حتى في الأخدود الأطلسي، فإن معالم الإطماء قد بدأت تغلب بتزايد سحنات الأوساط الضحلة، عقبتها البحيرات والمستنقعات ثم الأرض اليابسة.

كان التحريك البنائيُ حاسماً في هذه الفترة في المجال الأطلسي عامة، وقد بلغ أوْجَهُ في الأطلس الوسطي حيث تهيكلت المحاور الكبرى للسلسلة مصحوبة بتدفقات بركانية وعمليات تحول واسعة. وقد بقي الوضع على هذه الحال في معظم الحيز الأطلسي حتى الكريطاسي.

3.2 ـ مظاهر التقارب البنائي لإفريقيا وأوروبا بين حقب الحياة الحديثة والوضع الراهن. يشهد الكريطاسي السفلي استمرار توسع المحيط الأطلنتي، فبعد الانفتاح المتتالي للمحيط جهة الشمال، تدشن القارة الإفريقية بحركتها ضد الساعية وانفراج المحيط الأطلنتي الجنوبي، انزلاقها صوب الشمال وارتطامها بالقارة الأوروبية (شكل 1).

نتج عن هذه الحركات القارية الكبرى، بداية بنائية انضغاطية شملت جل التراب المغربي.

يواصل الأطلس الترسيب القاري الذي بدأه في الجوراسي العلوي. تتعمق النطاقات الخارجية في الريف،

ويستقبل حوضُ كتامة البحري مقادير هائلة من المواد الفتاتية.

أكبرُ حدث عرفه الكريطاسي الوسطي هو الغمر البحري الكاسح الذي ربط بين الأطلنتي والبحر المتوسط. لم يبق مكشوفاً من الأراضي المغربية إلا بعض الجزر الموافقة تقريباً لأقاليم السايس، الرحامنة، الجبيلات، والأطلس الصغير.

بحار هذه الفترة ضحلة، استقبلت رواسب دقيقة وغنية بالمواد العضوية، أدَّت في نهاية الكريطاسي إلى توضع نسقين متزامنين : النضيد الحُمَّري (الشيست البتوميني) المعروف حالياً في أطلس متوسط تمحضيت كمناجم محروقات ممكنة ؛ والتراكمات الفوسفاطية الواسعة الانتشار في الهضاب الداخلية.

استغرق التراجع البحري والشخوص التدريجي للمجال القاري جزءاً كبيراً من النصف الأول من الثلاثي مع تسارع ملحوظ خلال الإيوسين الوسطي حيث بدأت سيادةُ التطورات القارية مع حصول فترات متميزة احتلت فيها بحيراتُ المياه العذبة أجزاء من المناطق الداخلية.

تفاقمت مع مرور الزمن، نتائج التلاقي الإفريقي الأوروبي المستمر والمتزايد حيث حصلت بنائية تقصير سَرَتْ في جل الأراضي انطلاقاً من الشمال، وانعكست خلال النيوجين بالرفع الشامل للأطلس.

يمكن اعتبار النظام الميوسيني الفترة التي حصلت فيها الجغرافيا المغربية على أهم عناصر تقسيمها الحالي وإن كانت لازالت خافتة، أما البليوسيني والرباعي فقد أبدعا المعالم النهائية. ذلك أن البليوسيني الذي مَيَّزَ بوضوح بين الوحدات المرفونيوية شهد اكتمال مواصفات المنخفضات البيجبلية مثل تلك التي تتخلل الشمال الشرقي والأخدود جنوب الريفي وتادلا والحوز والبلاد الوطيئة جنوب الأطلس. وقد شهدت هذه المناطق ظاهرة هامة تجلت في تكاثر البحيرات على شكل حمالة واسعة تكاد تكون متصلة في اختراقها البلاد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي. ساعد عليها ولاشك التقلبات المناخية الحاسمة التي عرفها المغرب في هذه الآونة حيث اختلفت السلسلة الطويلة للمناخات المدارية الحارة والتي كان أن ارتفعت في أواخرها وتيرة الفترات الجافة، وعوضتها سلسلة المناخات المتوسطية مبتدئة بفترة قريبة من الاعتدال سهلت ولاشك تجميع المياه العذبة داخل بحيرات واسعة.

منذ أواسط البليوسين وحتى الآن، أصبح الاصطدام بين القارتين أعنف إلى حدّ توقف انزلاق هامشي الصفيحتين وإرتاج الحركة بينهما بصفة نهائية. طاقة الانضغاط التي كانت تتبدد جُزئياً بفعل الانزلاق أصبحت توظف بأكملها في رفع القارة. من ذلك أن البليورباعي هو الذي أكسب المغرب أهم أحجامه الجبلية بعد أن اكتفت الأدوار السابقة بهيكلتها وتشخيصها تشخيصا متواضعا.

تميَّز الرباعي بتناوب العمليات في كل شيء. ذلك أن المناخ المتوسطي الغالب عليه قد عرف ذبذبات مختلفة تعاقبت فيها الرطوبة والجفاف. وهكذا فقد تفاقمت ظاهرة الجفاف في المراحل الأولى من الرباعي القديم (الملوياتي) وأواخر الرباعي الأوسط (التانسفتي) إلى حدٍّ تعميم القشرنة الكلسية في مجموع الأتربة المغربية الموروثة عن هاتين المرحلتين. كما أن الرطوبة قد عرفت تزايداً قياسياً في الدور الأول من الرباعي الأوسط (العميري) والدور الأخير من الرباعي قبل الحالي (السلطاني) مع امتياز خاص للحقبة الأخيرة حيث تميزت، على ما يبدو من الدراسات العدانية على الخصوص، باعتدال حراري واضح إضافة إلى الترطيب الشامل.

كذلك تحققت العمليات البنائية على مراحل متتابعة تخللتها أزمات ضمن الأدوار الملوياتية، والعميرية والسلطانية.

بناءً على هذا الشريط العام من الأحداث، فَبالرّغم من أن المغرب يتوفر على بنيات متنوعة جداً بها منكشفات من كل الحقب ومن جل الأدوار، فإنه يُعتبر من المجالات ذات الأشكال الفتية المطبوعة بالأنشطة الحديثة السريعة التطور.

معرفة التطور الجيولوجي للمغرب الذي يعرض لتواتر الجغرافيات القديمة تُفيد ولاشك في تَمَثُّل الخطوط العريضة لمكامن المعادن والفرشات المائية الجوفية، ولتنوع الأتربة والتشكيلات النَّباتية، ولأنظمة التشكيل على السفوح واستنباط قواعد سلوكات ذوي القرار الاقتصادي والتنموي حتى لا تأتي مُخلَّة بالتوازنات البيئية التي تحكُم استقرار وازدهار الحضارات.


H.M. Salvan, *L'évolution du problème des évaporites et ses conséquences sur l'interprétation des gisements marocains. Mines et Géologie*, Rabat, 27, p. 5 - 30, 1968 ; R. Du Dresnay, *Extension et développement des phénomènes récifaux jurassiques dans le domaine atlasique marocain, particulièrement au Lias moyen. Bull. Soc. Géol. Fr.*, (7), 13, p. 46 - 56, 1971 ; A. Michard, *Eléments de géologie Marocaine, Notes et Mém. Serv. Géol.*, Rabat, 252, 408 p., 1976 ; Tarbuck and F.K. Lutgens, *The Earth, An introduction to physical geology*. C.E. Merrill Pub. Company, 1984 ; A. Pique, *Géologie du Maroc, les domaines régionaux et leur évolution structurale*. Rabat, 284 p., 1994.


إدريس الفاسي

**جغمي، أحمد** مقاوم من مواليد 1340 / 1921 بتافراوت، انخرط في صفوف جيش التحرير بمنطقة أيت باعمران ضمن المقاطعة الثانية عشرة بمركز حانوت بيلا تحت مسؤولية إدريس الحارثي. وقد شارك في عدة معارك وهجومات خاضتها فرق جيش التحرير ضد قوات ومراكز الاستعمار الإسباني بالمنطقة، خصوصاً أثناء اندلاع انتفاضة قبائل أيت باعمران يوم 23 نونبر سنة 11 / 1959 والتي حقق فيها المجاهدون نصراً كبير.

توفي بتاريخ 18 جمادى الثانية عام 1416 / 13 نونبر 1995.


*وثائق المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير.*

**الجفـاف المناخي** هو خصـاص في كـمـيـات التسـاقطات خلال مدة زمنيـة، وهو ظاهرة تهم المناخات الرطبة والشبه الرطبة بالأساس، إذ يجب التمييز هنا ما بين الجفاف والقحولة التي تهم المناطق التي يتميز مناخها بندرة التسـاقطات، فـالجفـاف بعبـارة أخرى ظاهرة اسـتـثنائيـة بالنسبة للمناخات الرطبة بينما القحولة هي خاصية تلازم المناخات الجافة.

التعاريف المناخية لكلمة جفاف تركّز على مدى العجز في التسـاقطات التي يكون لهـا طبعـا وقع على عناصر الميزانيـة المائية، والكلمة غالباً ما يتضمن مدلولها لدى عـامـة الناس خـصـائص تهم في نفس الوقت الأسـبـاب والنتائج.

استـأثرت الظاهرة باهتـمـام الدراسات المناخيـة عقب ظهورها واستفحالها في منطقة الساحل الإفريقي في بداية السبعينات، وازداد هذا الاهتمام غداة تعدد حالات الجفاف خلال الثمانينيات لاسيما وأنه أصبح منذ ذلك الحين يُتوفر على إمكانيات للتتبع والتعرف على عدد من خصائص هذه الظاهرة، فكان من نتـائج ذلك بداية ظهـور دراسـات متخصصة تتناول من خلال مناهج وطرق نوعية الظاهرة في محاولة لفهمها وتفسيرها تشكّل اليوم ما يصطلح على تسميته بعلم مناخ الجفاف.

الخصائص العامة للمناخ المطري المغربي : يتميز المناخ المطري المغربي بتغايرية هامة تجعله يعرف تعاقب فترات رطبة وأخرى أقل رطوبة أو جافة حيث تسجل الكميات عموماً نقصاناً كبيراً بالنسبة للمعدل العام.

فقد شهد هذا المناخ المطري منذ بداية القرن تردد فترات قلت فيها التساقطات السنوية عن المعدل العام أو العادي بنسب متـفاوتة تجعل ما يصطلح عليه بالسنة العـادية لا يتحقق.

فإذا وضعنا المناخ المغربي في إطاره العام أي إنتمائه إلى النوع المتوسطي نجد أن من بين خصائصه العامة عدم الانتظام الكبير لتساقطاته، ولعل أبرز مثال لهذه الخاصية هو أن نمر مثلاً من سنة جافة جداً سنة 94 ـ 1995 إلى سنة رطبة جداً خلال السنة الموالية 95 ـ 1996.

يرتبط المناخ المطري المغربي إلى حد كبير بظروف الحركة الهوائية العامة عند هذا العرض التي تظلّ شديدة التأثر بتزحزح نظام الضغط نحو الشمال ونحو الجنوب تبعاً لحركة الشمس الظاهرية.

هذا التـزحـزح الفـصلي هو الذي يحكم آليـات الدورة الهـوائيـة العـامـة عند عـرض المغرب (رسم رقم 1) الـذي يشكل طبعـاً إحدى الخصوصـيـات المناخيـة لهذه المنطقة باعتبارها منطقة انتقالية أو هامشية بالسنة للمؤثرات المناخية السائدة في العروض المعتدلة، ومن ثمة تميز المناخ المطري لهذه المناطق بخصائص نوعية يلعب فيها هذا التزحزح دوراً أساسياً يعطى لنظام التساقطات إيقاعه الفصلي ويحدد نمط توزيعه.

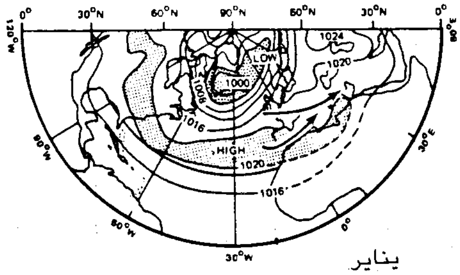


يناير

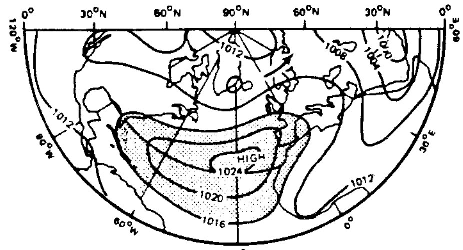


يونيو

الرسم رقم 1 : يظهر الرسم التغيرات التي تحدث على نظام الحركة الهوائية عند السطح وتأثيرها على الحالة الجوية والتساقطات في المغرب خلال شهري يناير ويوليوز تبعا لحركة الشمس الظاهرية (P. Lamb et Alix)

انتـقـال نظام الضـغط خـلال الصـيف نحـو الشـمـال وبالأخص خلية الضغط المرتفع الشبه المداري يسفر عن انتـقـال مسارات الاضطرابات نحو الشمال أيضاً، لذلك تعرف هذه العروض جفافها المميز خلال هذه الفصل الذي يكون إحدى الخصائص الأساسية للمناخ المتوسطي، في حين أن استقرار هذه الخلية خلال الفصول الأخرى عند عرض السـواحل المغربيـة الجنوبيـة يمكّن من فسح المجال أمـام المسـارات المختلفة للاضطرابات لكي تهم هذه العـروض، ومن ثمة تحقيق نظام مطري تتركز فيه التساقطات أساساً خلال الفترة الممتدة من أكتوبر إلى ماي تبرز خلالها نهاية عظمى أولى للتساقطات خلال نهاية الخريف وبداية الشتاء أي في نونبر ودجنبر، ونهاية عظمى ثانية خلال بداية الربيع أي في مارس وأبريل.

الحديث عن ظاهرة الجفاف في المغرب يؤدي بنا إلى الحديث عن الخصائص العامة لهذه التغايرية، فبوجه عام يظهر تتبع التطور البيسنوي للتساقطات في المغرب أن منذ بداية القرن الحالي إلي حوالي الثلاثينيات كان مجمل الكميات المتساقطة إلى حد ما وفي الغالب أقل من المعدل العام بلغ خلاله العجز نسبة مهمة في الجنوب بوجه خاص، تلته فترة شبه رطبة حول الأربعينيات تخللتها فترة جفاف خلال 44 ـ 1945 وتعتبر هذه السنة من بين أجف السنوات التي عرفتها عموماً جل المحطات المغربية (الرسم رقم 2) والتي استمرت نسبياً إلى نهاية الخمسينيات باستثناء بعض السنوات المتفرقة التي كانت نسبياً جد رطبة همت بوجه خاص المناطق الواقعة إلى الجنوب الشرقي من الأطلس الكبير خلال سنوات 1950 و1960.

إنطلاقاً من بداية الستينات إلى حوالي السبعينيات تعاقبت على المغرب سنوات جد رطبة استمرت في بعض المناطق إلى نهاية السبعينيات وخاصة في منطقة السايس.
منذ نهاية السبعينيات والمغرب يعرف استقرار ظروف مناخية تتميز علي وجه الخصوص بسيادة فترات جفاف شبه

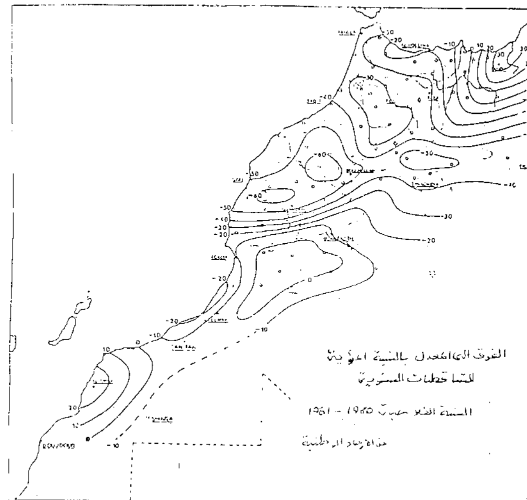

عامة تهم بحدة متفاوتة جميع المناطق المغربية لاسيما وان هذه الحدة تتمثل في امتدادها الزمني على مدى سنوات متتالية استمرت خلال الثمانينيات من 79 ـ 1980 إلى 84 ـ 1985 وبلغت ذروتها خلال 82 ـ 1983 وتكررت مرة أخرى خلال النصف الأول من التسعينيات بلغت أيضاً ذروة أخرى خلال سنة 94 ـ 1995.
حتى تكون لنا فكرة تامة عن حالة الجفاف في المغرب نورد خرائط تظهر نسبة العجز في الكميات السنوية للتساقطات خلال هذه الفترة (الرسم رقم 3).

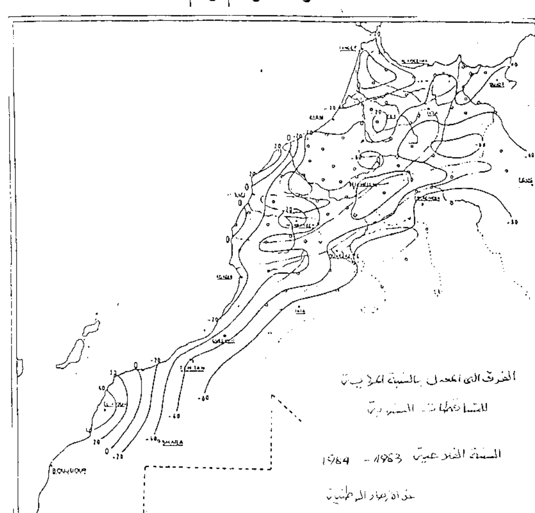

ـ سنة 1980 ـ 1981 عجز في كل المناطق المغربية بنسب متفاوتة باستثناء الشمال الشرقي الذي عرف نسباً تعدت المعدل.
ـ سنة 1981 ـ 1982 عجز في كل المناطق المغربية باستثناء الجنوب الشرقي.

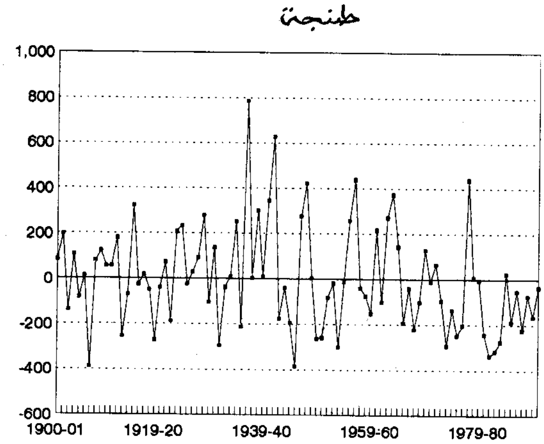


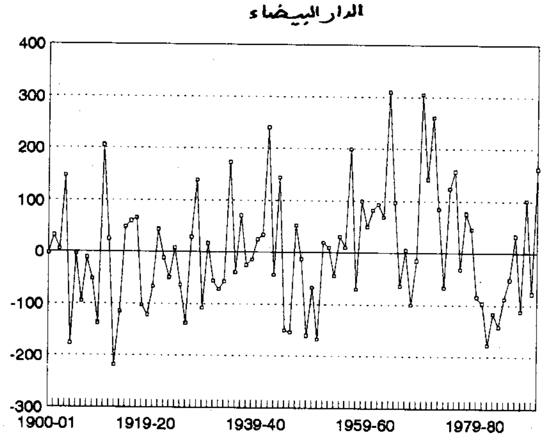


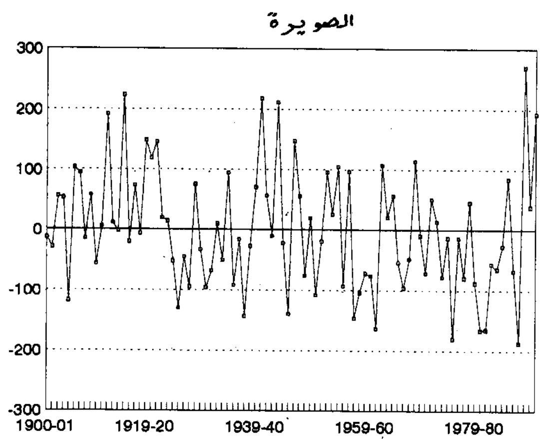


ـ سنة 1982 ـ 1983 جافة في كل المناطق المغربية بدون استثناء.
ـ سنة 1983 ـ 1984 عجز في كل المناطق المغربية باستثناء منطقة ضيقة من الشريط الساحلي الأطلسي.
ـ سنة 1984 ـ 1985 سنة شبه عادية في الجنوب الغربي وجافة في باقي المناطق.
وهكذا وعلى الرغم من حدة سنوات الجفاف فإنها هاته ليست ظاهرة فريدة في المناخ المغربي، فإذا إعتبرنا العجز خلال سنة واحدة مثلاً أو خلال بضعة شهور كفترة يناير ـ أبريل مثلاً فاننا نلاحظ أن هناك حدة مماثلة من حيث العجز خلال سنوات : 1935 ـ 1945 ـ 1950 ، كما إن هناك فترات سنوات متتالية كفترتي 1935 ـ 1938 و1958 ـ 1961

اللتين عرفتا على الأقل ثلاث سنوات متتالية سادت فيها ظروف الجفاف.

أما إذا إعتبرنا السنة الفلاحية أو المناخية من شتنبر إلى غشت فإن جفاف الثمانينيات يبدو من حيث المدة الزمنية التي استغرقها ظاهرة فريدة من نوعها، وعلى الرغم من أن فترة جفاف الثمانينيات بحدتها قد أعقبتها فترة أخرى لها تقريباً نفس الحدة بل فاقتها أحياناً خلال بعض سنوات التسعينيات فإنه ليس هناك ما يؤكد على أن هناك دورات تمر بها هذه التغايرية نستطيع من خلالها أن نتعرف على نظام هذه الدورة.

إنه لمن السهل جداً أن نقول أن تردد فترات الجفاف يخضع لدورة يمكن التكهن بها لكن من الوجهة المنهجية والعلمية فإن كانت هناك دورات فهي ذات فائدة لمعرفة تردد الظاهرة في الماضي لكن ليس لها قيمة تكهنية يقينية ولايمكنها أن تعبر في الواقع إلا على جزء صغير من مدى التغايرية التي تهم التساقطات. فقد طبقت Sh. Nicholson (1984) على معطيات التساقطات السنوية والفصلية لحوالي 20 محطة مغربية تتوفر على مدة ملاحظة تبتدئ من سنة 1931 طريقة التحليل الاحصائي المسماة Analyse Spectrale والجدير بالذكر أن هذه الطريقة هي المعمول بها في الطرق الاحصائية عامة لتحديد الدورات أو Cycles ولم تحصل إلا على نتائج جد متواضعة لها مدلول إحصائي، لكن تؤكد كذلك على أن هذه النتائج تظل ذات قيمة مناخية محدودة مادام ليس لها الامتداد الجغرافي اللازم حتى تكون خاصية أساسية تشترك فيها منطقة معينة.

من ناحية أخرى إذا اعتبرنا الخمسين سنة الأخيرة يبدو أن ليس هناك نزعة لا لارتفاع التساقطات ولا لانخفضها في المغرب، لكن عندما نعتبر مدة أقصر فإن هناك فعلاً تطوراً نحو انخفاض الكميات بالنسبة للسنة الفلاحية منذ سنة 71 - 1972 ويعزى ذلك إلى الرطوبة الغير العادية التي عرفتها السنوات ما بين 68 - 1969 - 70 - 1971.

تبيّن دراسة توزيع التساقطات على مستوى الفصول أن كميات الشتاء (دجنبر - يناير - فبراير) والربيع (مارس - أبريل - ماي) سجلت إلى حدما تزايداً في الكميات المسجلة، لكن بالمقابل كميات الخريف (شتنبر - أكتوبر - نونبر) هي في تناقص مستمر.

وعليه يمكن القول بأنّ ليس هناك مؤشر واضح يظهر أن المناخ المطري المغربي هو في تطور مستمر نحو ظروف قحولة متميزة. فانخفاض تساقطات الخريف يقابلها ارتفاع للكميات خلال فصول الشتاء والربيع، فحدة جفاف الصيف المميزة للمناخ المتوسطي بوجه عام والمناخ المغربي بوجه خاص هي التي ازدادت وازدادت معها استمراريتها النسبية داخل فصل الخريف لكن دون أن يؤدي ذلك إلى التأتير على الكميات السنوية.

ترتبط التساقطات في المغرب بالوضعية التي تكون عليها الحركة الهوائية العامة في عرض المغرب التي تؤدي إلى جعل التيارات الهوائية في الاجواء العليا تأتي من الشمال وتمكّن من جعل الوضعية في السطح ملائمة لتقدم المنخفضات الجوية والاضطرابات المرتبطة بها نحو الجنوب لكي تهم المناطق المغربية. فإذا لم تتحقق هذه الظروف الجوية واستقرت أخرى معاكسة لها تمنع من تقدم مسارات الاضطرابات نحو الجنوب عقب استقرار الضغوط الجوية المرتفعة الشبه المدارية فوق المغرب أو في عرض سواحله الغربية لفترة طويلة خلال الفصل الممطر فاننا نكون في ظروف حالة جفاف.

الأسباب الكامنة وراء استقرار مثل هذه الحالات ولفترة غير عادية في المغرب ليست معروفة لحد الآن، وإن كانت هناك بعض المحاولات لتفسير الظاهرة التي تأخذ بعين الاعتبار نوعية المقاربات المعتمدة في هذا النوع من الدراسة والقائمة على نوعية الترابط الموجودة بين مختلف عناصر النظام المناخي مع التركيز بالأساس على العلاقة الموجودة بين حرارة مياه سطح المحيط والهواء الملامس له وعمليات تحول الطاقة الحرارية إلى طاقة حركية داخل الهواء تكون هي العامل الأساسي داخل دينامية الحركة الهوائية انطلاقاً من كونه يخلق الطاقة الحركية التي تؤثر على بنية الهواء.

وقد ركزت دراسات عديدة في هذا المجال على مفعول حرارة مياه سطح المحيط ودورها داخل التغايرية بوجه عام وعلى ظاهرة الجفاف بوجه خاص. فاعتبار حرارة مياه سطح المحيط كسبب مباشر للتغايرية المناخية يأتي من كون أن طبقات الهواء السفلى الملامسة لهذا السطح تتأثر من خلال التغيرات التي تحدثها هذه الحرارة على طاقة الهواء على حمل الرطوبة التي تسفر بدورها على تعديلات على مستوى البنية العمودية للهواء ومن ثمة على التغيرات الزمانية والمكانية للحركة الهوائية العامة.

وهكذا فإن ظاهرة الجفاف تحدث مثلاً في منطقة الشمال الشرقي البرازيلي حسب S. Hastenrath (1977) كلما تميزت حرارة مياه سطح المحيط بارتفاع نسبي على كل من المحيط الأطلسي الشمالي وشرق المحيط الهادي ومياه باردة بصفة غير عادية عند جنوب المناطق الاستوائية من المحيط الأطلسي.

واعتبار الظروف الحرارية لسطح المحيط من جهة أخرى كنتيجة تتمثل في دور الوسيط الذي يلعبه المحيط ليس فقط في المكان وإنما أيضاً في الزمان، فإيصال الحرارة يحدث من مكان لآخر ومن وقت معين لآخر، فالعلاقة هنا ليست ثابتة في الزمان ولكنها علاقة فيزيائية لنقل الطاقة، تنظم التفاعل الذي يحصل ما بين المحيط المداري والغلاف الجوي، وبالتالي يكون لها دور في التغايرية المناخية الشيء الذي يؤدي إلى سلسلة من الانعكاسات على دينامية الهواء، وهذا النوع من العلاقات يعرف داخل ما

يسمى بعلم مناخ الجفاف بـ Téléconnexion وهو تعبير عن التفاعل الحاصل ما بين حرارة سطح مياه المحيط والغلاف الجوي الذي يُنظر إليه من خلال هذا المنظور على أنه في آن واحد نتيجة لحادث سابق وسبب لأخر لاحق.

البحث في هذا النوع من العلاقات والتركيز خاصة على العلاقات المتداخلة ما بين المحيط المداري والغلاف الجوي واعتباره كسبب رئيسي للتغايرية المناخية والجفاف في مختلف بقاع الأرض أضحى اليوم من المسلمات، وان كان يجب ايجاد هذه العلاقة أولا.

والجدير بالذكر أن الفكرة في حد ذاتها ليست وليدة اليوم بل إنها اعتُمدت كمحاولة للتنبؤ بحدة الموسميات في الهند خلال القرن الماضي حيث اقترح Blanford سنة 1884 أن سبب التغير في الظروف المناخية في السهول الشمالية الغربية للهند إنما يعود إلى تأثير مفعول امتداد وسمك الثلوج على الهيمالايا وذلك أن التزايد في كمية الثلج واستمراره حتى خلال فصل الربيع يؤدي إلى أمطار أقل خلال فصل الصيف.

كما أن الفكرة ذاتها ارتبطت أكثر باسم G. Walker (1928) وخاصة ما يتعلق بما يسمى اليوم بدورة Walker فقد ربط هذا الأخير ما بين تساقطات يونيو - شتنبر في الهند والضغط عند السطح خلال فترة أبريل - ماي التي تسبقها، وذلك عند خط عرض 30 من أمريكا الجنوبية.

علاقة التفاعل هاته أصبحت اليوم أيضاً مرادفة لكلمة ENSO وهي مركبة من الحروف الأولي لكلمة El Niño وظاهرة مرتبطة بدورها بتيار بحري حارّ يهمّ السواحل الشرقية من المحيط الهادي جنوب الإكواتور وشمال البيرو، وهي مناطق في الحالات العادية تكون تحت تأثير مفعول تيارات باردة. وهذه الظاهرة تظهر تقريباً خلال كل سنة بحدة متفاوتة خلال فترة أعياد الميلاد المسحية ومن ثمة تسميتها El Niño (تعني الرضيع بالإسبانية) والظاهرة إذن هي تغيير جذري في حرارة مياه سطح المحيط عند هذه المناطق حيث تصبح حرارة المياه نسبيا مرتفعة بصفة غير عادية، فتحدث انقلابا في بنية الهواء عند هذه المناطق، وبالتالي عكس ظروف الدورة الهوائية ولذلك تقرن بكلمة أخرى Southern Oscillation أي الذبذبات الجنوبية وهي تسمية اقترحها G. Walker (1932) تعبّر عن هذا العكس في ظروف الدورة الهوائية داخل المنطقة الاستوائية، وهي تغييرات شبه منتظمة لنظام الضغط عند هذه العروض، وسميت بالجنوبية لأن هناك مثيلات لها في شمال المحيط الهادي North Pacific Oscillation (NPO) وأخرى في شمال المحيط الأطلسي تسمى North Atlantic Oscillation (NAO) ويمكن القول بأن إيجاد هذا النوع من العلاقة الترابطية ما زال يكتنفه هو الأخر بعض الغموض، حيث إن حدة هذه الظاهرة نفسها متغيرة كثيراً. فخلال المائة سنة الماضية حدثت حوالي خمس حالات جفاف حادة في الهند وذلك خلال سنوات 1877 - 1899 - 1918 - 1972 - 1979 لم تصل خلالها ظاهرة El Niño ذروتها إلا خلال سنة 1979، كما أن خلال سنوات جفاف أخرى كسنوات 1905 و1920 لم يحدث خلالهما وجود ظاهرة El Niño وعلى النقيض من ذلك فقد حدث أن بلغت هذه الظاهرة حدة قصوى خلال سنة 1844 و1937 لكن دون أن يصادف ذلك حدوث جفاف في الهند.

وعليه فان هذا يوحى بأن البحث في هذا النوع من العلاقات الذي هو جد متداول الآن قد أفرز جانبا آخر ألاَ وهو التعقيد الكبير الذي يطبع تغايرية الحركة الهوائية العامة في المناطق الاستوائية والذي يفهم أن الأمر قد حسم فيها مع نظرية "المدخنة الاستوائية"، فكثير هي تفاصيل هذه العلاقات التي هي غير مفهومة إلى حد الآن، لكن الذي يمكن أن يسلّم به هو دور هذه الظاهرة بالنسبة للجفاف في وسط وجنوب أمريكا أي المناطق التي هي تحت التأثير المباشر، فالعلاقة الطبيعية ما بين ارتفاع أو انخفاض حرارة مياه المحيط بشكل غير عادي ونظام الحركة الهوائية المحلية والتساقطات في الأراضي القريبة منها يمكن إثباتها بسهولة.

وفيما يتعلق بالمغرب لا نتوفر في الوقت الراهن إلا على دراسات قليلة جداً البعض منها يكاد يكون عبارة عن حاله إثبات للظاهرة، وعدد قليل منها يعمل على التركيز على محاولة فهمها وتشخيصها.

أهم تصور نظري يحاول تفسير التغايرية العامة للتساقطات وحالات الجفاف الذي يعرفه المغرب يرتبط بظاهرة NAO أو الذبذبات الشمال الاطلنتي قوامها من الناحية المناخية أن هناك حالة تناوب جوية عند السطح ما بين مناطق الضغوط المرتفعة الشبه المدارية والمركزة عند جزر الأسور، والضغوط المنخفضة الشبه القطبية عند جنوب وشرق كرويلاند. والتناوب الذي يحصل في الوضعية الجوية عند هذه المنطقة يتلخص في كونه يتميز بحالة تناسبية عكسية ما بين الخليتين : ارتفاع غير عادي للضغوط الجوية المرتفعة الشبه المدارية للأسور يقابله انخفاض غير عادي للضغوط المنخفضة الشبه القطبية أو العكس.

وحالة ذبذبات الشمال الأطلنتي تحدد حدة اتجاه المجال الضغطي باتجاه القطب، ومن خلاله سرعة واتجاه الرياح الغربية للعروض الوسطى التي تؤثر بالتالي على مسارات الاضطرابات عند هذه العروض وعلى الرغم من أن هذه الذبذبات الشمالية الاطلنتية قد اكتشفت مع مثيلاتها من طرف G. Walker إلا أن الاهتمام العلمي بها لم يبرز إلا في السنين الأخيرة حينما أصبحت اليوم الموضوع الرئيسي لمجموعة من الدراسات المناخية حول الاختلافات الحرارية خلال فصل الشتاء ما بين كرويلاند وشمال أوربا، وقد أدى تطور هذه الدراسات بالنسبة لهذا الموضوع بالذات إلى أن استخرج دليل هو عبارة عن الفرق في معدل الضغط خلال

فصل الشتاء (دجنبر - يناير - فبراير) ما بين محطة Delgadas في جزر الأسور ومحطة Akureyri في إسلندا، ومن ثمة بدأ الاهتمام أيضاً بالاختلافات في مظاهر الضغط في الأجواء العليا وبالأخص عند سطح 500 ملبار.

وضع P. Lamb وR.A. Peppler (1987) اعتمادا على دليل Rogers (1984) ثلاثة دلائل بالنسبة للتساقطات في المغرب تأخذ بعين الاعتبار أهم المحطات المغربية. ومن خلال هذه الدلائل يتبين أن التساقطات في المغرب وخلال ستة أشهر الشتاء هي دات علاقة تناسبية عسكية بحالات الذبذبات الشمال الاطلنتي، فأعلى الكميات المطرية في المغرب تتناسب والقيم السلبية لهذا الدليل، أي في الوقت الذي يكون فيه هذا الأخير في حالة انخفاض غير عادي للضغط المرتفع الشبه المداري للأسور وارتفاع غير عادي للمنخفض الشبه القطبي لإسلندا، وهي نفس الوضعية التي تتميز بضعف في قوة الرياح الغربية، بينما انخفاض كميات التساقطات في المغرب تنزع للارتباط بالحالة المعاكسة.

هذه العلاقة العكسية ما بين التساقطات في المغرب وNAO تكون نسبيا قوية عند المناطق الساحلية الأطلسية وبالأخص في الشمال، وذلك طبعاً لكون هذه المناطق هي التي تكون أكثر مواجهة لمسارات الاضطرابات القادمة في أغلب الأحيان من الغرب والشمال الغربي.

تؤكد هذه النتائج على أن التساقطات في المغرب لاترتبط فقط بالضغط المرتفع الشبه المداري لجزر الأسور، إنما أيضاً بالضغط المنخفض الشبه القطبي لإسلندا. معنى ذلك أنه متى كانت هناك ظروف جوية تعمل على تقوية المجال الضغطي ما بين الخلتين أي في الحالة القصوى لNAO أي ارتفاع غير عادي للضغط المرتفع الشبه المداري وانخفاض غير عادي للضغط المنخفض الشبه القطبي سيسفر ذلك عن مجال ضغطي قوي ما بين الخليتين مما يؤدي إلى تقوية سرعة الرياح الغربية عند المنطقة المعتدلة تكون من نتائجه المباشرة أن تبقى مسالك مسارات الاضطرابات أكثر فأكثر شمالية، وعندها تستقر في المغرب ظروف جفاف تتمثل في سيادة ضغوط جوية مرتفعة لفترة طويلة وغير عادية.


H. F. Blanford, *On the connection of the Himalya Snowfall and seasons of drought in India. Proceedings Royal Society London*, 37 03, 1884 ; S. Hastenrath - L. Heller, *Dynamics of climatic hazards on northest Brazil Quarterly. journal of the royal Meteorological Society* 103, (0) 77 - 92, 1977 ; P.J. Lamb - R.A. Peppler, *North Atlantic Oscillation : Concept and an Application. Bulletin Am. Meteo. Society* Vol. 68. n° 10, 1987 ; S.E. Nicholson - T.M.L. Wigley, *La Sécheresse au Maroc. II Analyse Statistique des années pluviometriques*. Rapport au Conseil Supérieur de l'eau, 1984 ; J.L. Rogers, *The Association between the north Atlantic Oscillation and the Southern Oscillation on the Northern Hemisphere. Month. Wea. Review*, 112, 1984, 1999-2015 ; G.I. Walker, *World weather, Quarterly. Jour. of the Roy. Meteo. Society* 54 pp., 1928 ; G.T. Walker - E.W. Bliss, *World weather. Mem. Roy. Meteo. Soc.* 44. 53. 84, 1932.


علي البليشي

* * لمزيد فهم ظاهرة الجفاف بالمغرب يمكن تحليل العوامل المناخية والأحداث التاريخية على المقابلة بين منهجين مختلفين في تقصي الماضي المناخي : بعض الوثائق التاريخية منها على الخصوص : *نشر المثاني* للقادري *والاستقصا* للناصري *والمجاعات والأوبئة في مغرب القرن 16 و17* للتريكي وروزنبرجي، من جهة، ومن جهة أخرى التحقيب المناخي الذي وضعه ستوكتون على أساس الحلقات السنوية لنمو الأشجار تحت تأثير التساقطات المطرية والذي يشمل القرون العشرة الأخيرة من تاريخ المغرب باستعمال جذوع الشجر المأخوذ من شعاب الزاد وتونفيت.

يشترك جانب من التحليل المناخي والتحليل التاريخي في هاجس تفسير تواتر الأحداث على أساس تطور دوري محتمل، له في علم المناخ أهمية قصوى إذ لو تأكد وجوده لأصبح هو الأساس في التنبؤ بأحوال الطقس على المدى المتوسط والبعيد، ولأعطى للهيئة الهائمة للحالات الجوية عبر السنين منطقا داخليا يُخضعها للتحليل العلمي ويُطوعها للتخطيط الاستراتيجي.

وإن كان لم يكتمل بعد، فإن البحث في هذا المنهج قد قطع أشواطاً بعيدة في بلدان مثل الولايات المتحدة والسويد وانجلترا وفرنسا وألمانيا واليابان. أما في ما يخص المغرب، فإن دراسة ستوكتون في علم مناخ الأشجار قد مكنت من وضع جدول زمني للتساقطات المطرية والجفاف لعدة قرون. وبالطبع، فإن لهذه الطريقة حدودها المنهجية إضافة إلى أن البحث فيها عندنا لازال في بدايته.

تأتي بعد ذلك المسألة الحاسمة في العلاقة بين الظروف الطبيعية وتاريخ المجتمعات. فإذا كانت الحتمية التي يتعلق بها الجغرافيون الكلاسيكيون قد تمّ تجاوزها، فإن التساؤل... حول هامش الحرية التي يتمتع بها الإنسان تجاه ضغوط الطبيعة، يظل مطروحاً. وبعبارة أخرى، هل هناك تزامن تام بين المناخ والمجتمع في تطورهما المطرد ؟ أو هناك عوارض تعوق هذا التطور التزامني ؟ لا يمكننا سوى تقديم بعض عناصر الإجابة بالنسبة لحالة المغرب لأن البحث حول تاريخ المناخ مازال في بدايته، والأرشيفات، وإن وجدت، فهي غير مدروسة كما أنها مفقودة بالنسبة لفترات معينة، ولا تسمح بالجواب القاطع عن الأسئلة المطروحة. وفي الحقيقة إن التأخر في دراسة تاريخ المناخ بالمغرب يشكل عائقا كبيرا للتعرف على ماضي مجتمعاتنا.

1) تتحدث المصادر الموجودة عن ثلاث كوارث في القرن الخامس عشر : وباءان قاتلان في 1441 - 1442 و1468 - 1469. وقد ساهم سقوط غرناطة في عودة الوباء سنة 1493

في فاس، حيث هاجر إلى المغرب عدد كبير من الأندلسيين الذين يحتمل أن يكونوا سببا في وقوع الكارثة.

أما فيما يخص التحولات المناخية فإن المساهمة الهامة لعلم تحقيب الأشجار (Dendrochronologie) تتيح تقديم بعض عناصر التفسير.

بماذا تخبرنا عن القرن الخامس عشر ؟ إنه قرن مبارك من السماء ! في 1415 احتل البرتغاليون مدينة سبتة إلى 1521 ـ 1522 بداية سنوات الكوارث الطبيعية في القرن السادس عشر لم تحدث إلا كارثة جفاف واحدة. فعلم تحقيب الأشجار (Dendrochronologie) يعكس بكل أمانة ما نعرفة من دراسة الوثائق فسنوات 1461 ـ 1469، كانت فعلا سنوات جافة تلتها أوبئة. (انظر الرسم البياني الذي أعده ستوكتون وفريقه) وباستثناء هذه السنة فإن الرسم البياني للتساقطات يظل فوق المتوسط. وهذا أمر مثير حقا، لأنه القرن الوحيد الذي شهد هذه الأحوال المناخية الجيدة.

2) الكوارث الديمغرافية في القرن السادس عشر.

ويتعلق الأمر على الخصوص بالأزمة التي انطلقت مع جفاف 1521 ـ 1522 والتي ميزت التاريخ الديمغرافي خلال ثلاثة قرون.

يقول روزنبرجيه والتريكي بخصوص هذا الجفاف : "سيعرف المغرب مجاعة فظيعة، ستظل ذكراها عالقة بالأذهان لمدة طويلة (...) وسيتحالف الطاعون مع الجفاف في هذه الكارثة القاتلة". (انظر رسم 1).

ما هو ميكانيزم هذا الحدث ؟

ـ عرفت سنة 1520 جفافا قاسيا، لكن المناطق المسقية لم تتضرر كثيراً.

ـ خريف جاف في 1521، المجاعة وارتفاع أسعار المعيشة.

ـ 1522 ـ 1523 كانت سيئة للغاية بحيث تبدو السنة التي قبلها أحسن منها.

ـ توقف الجفاف في 1524، لكنه ترك وراءه الأسى، ماتت الأشجار وجفت المراعي، وتقلص حجم قطعان الماشية.

بين 1524، نهاية الجفاف، والوباء في 1552 ـ 1558 حدث تحسن محسوس في أحوال المناخ، غير أنه ظل تحت المتوسط، مع بعض فترات الجفاف الخفيفة في 1545. ولم ينقلب هذا الاتجاه إلا في 1552، حيث شهدت السهول الأطلسية مجاعات في 1521 ـ 1522، باستثناء سوس.

غير أنه بحدوث إصابات وبائية سنة 1557 ـ 1558، فإن آثار هذا الجفاف المستمر طيلة 35 سنة، وجد أرضية خصبة لاستفحال الطاعون.

وبالمقابل كان النصف الثاني من القرن السادس عشر طيبا، على الرغم من أنه عرف وباءين في 1580 ومن 1597 إلى 1610. وفي الحالتين لم تكن هناك علاقة سببية بين الجفاف والوباء، لأن الرسم البياني للتساقطات يخبرنا أن سنوات 1552 إلى 1600 كانت فوق المتوسط. ولا تخبرنا النصوص إلا عن مجاعة بسبب جفاف 1604 ـ 1608.

في هذه الظروف كيف يمكن الفصل بين آثار الجفاف ووباء الطاعون ؟ إذا كان الجفاف والوباء يفعلان بشكل منفصل، فإن آثارهما تختلف في الاتساع وحدود المجال. ومازال البحث التاريخي غير قادر على تحديد مختلف هذه الأبعاد. تخبرنا المعطيات المأخوذة عن دراسة حلقات الشجر أن النصف الثاني من القرن السادس عشر كانت أحواله المناخية طيبة.

غير أنه من سنة 1550 إلى 1610 شهد المغرب ثلاثة أوبئة متتالية. وسواء كان هناك تزامن في الظاهرتين أو تقارب في التتابع، فإن آثارهما تكاثفت ونتائجهما كانت مريعة، كان الوهن قد اشتد بالناس من جراء المجاعة، فجاء الوباء ليقضي عليهم.

بماذا يخبرنا علم تحقيب الأشجار(Dendrochronologie) ؟ إذا كانت هذه المعطيات مطابقة لما نعرف عن جفاف 1521 و1522 وامتداداته، فإنه ليس هناك ترابط بين الجفاف والأوبئة خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر (انظر رسم 2).

انطلاقا من هذه الاعتبارات، يمكن أن نحدد بعض الاتجاهات أو بعض المؤشرات :

ـ عندما يسود عنصر الوباء تحصل نتيجتان أساسيتان:

ـ الأولى على المستوى الديمغرافي : يؤدي التراجع العنيف للسكان بفعل الأوبئة إلى فوضى شاملة من جراء الوفيات الكثيرة. عدم صمود أية بنية : جهاز الدولة، السلطات المحلية، مختلف الفئات الاجتماعية من الأعلى إلى أسفل السلم الاجتماعي. تآكل المجتمع.

ـ أما على المستوى البسيكولوجي : فإن الوباء يثير هلعا لا مثيل له في وسط السكان. في أحوال الجفاف، يحافظ الناس على ديناميتهم ويحاولون البحث عن مصادر التغذية أو يعوضوها بحركيتهم وهجرتهم عن ندرة المواد ولا يفقدون الأمل. كما يُصَلُّون طلبا لغيث السماء أما في حالة الوباء، فإن الناس يستسلمون للقدر وللموت دون حراك.

ـ بعض النتائج القطاعية :

ـ موت ثلث أو نصف السكان حسب المناطق. كانت الإصابات قليلة في سوس والصحراء والمناطق الجبلية. بينما كانت الخسائر كبيرة في الشاوية ودكالة. والقول بأن 100 ألف شخص قد ماتت، تقدير متواضع. كما نتج عن هذا الوضع فراغ سكاني كبير في بعض المناطق لمدة طويلة. ففي نهاية القرن الخامس عشر لم يكن عدد سكان المغرب يتجاوز 3،5 مليون إلى 4 ملايين نسمة. وفي بداية القرن السادس عشر لم يتجاوز عدد السكان هذا القدر. ولم يزد عدد السكان إلا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

- حدث توزيع جديد للسكان عبر حملات هجرة متعددة وكان الاتجاه السائد هو النزوح القوي من المناطق الصحراوية والجبلية إلى السهول. وكان الفراغ الناتج عن الكوارث الديمغرافية يلعب دور الجذب.

- مع تقلص عدد السكان يلجأ الإنسان لتعويض النقص في الأيدي العاملة إلى الرعي على حساب الزراعة.

هكذا ازدهر الاقتصاد شبه الرعوي في السهول الخصبة.

وجذب هذا الفراغ سكان الصحراء والجبال، فنتج عن ذلك شغب قبلي، واضطرابات وغياب الأمن مما عرقل حركة الناس والمنتجات كما أن الاختلافات الإقليمية احتدت، فقد مست الأزمة أيضا مناطق الريف والسهول القارية كالحوز وتادلا. وارتفعت الأثمان، مما ضاعف الخصاص وهدد تموين المدن، وحدث شبه شلل في نشاطها الاقتصادي، فضعفت الصناعة التقليدية والتجارة الخارجية، ولم تعد المناطق الغنية تقوى على مد يد المساعدة لما حولها.

- تزايد دور الصلحاء والأولياء والزوايا في ظروف الأزمة. فأمام عجز الوطاسيين (1471 - 1554) عن تنظيم تموين الناس استطاعت مؤسسة الزاوية أن تؤطر أعمال الخير والإحسان، وتنظم التضامن بتوزيعها للموارد. وكان هذا أحد أسباب صعود الزوايا منذ القرن الخامس عشر وتعزيز نفوذها في القرن السادس عشر.

فالأتقياء يمكنهم القيام بدور فعال في أحوال الأزمة : دور التحكيم ودور اجتماعي لتعويض ضعف أو انعدام جهاز الدولة. لكنهم عملوا بالأساس على تأجيج مقاومة المحتل البرتغالي. لقد ساعد عملهم الديني وبركتهم على تقوية الصوفية، وانتشار تدين شعبي يتمحور حول المعيش اليومي للناس. فتطور الصوفية كان بلا شك مرتبطا بوضعية الأزمة التي كانت تفسر باعتبارها عقابا إلاهيا.

- النتائج السياسية على البناء الاجتماعي للدولة :

أثبتت أزمة 1521 - 1523 وجود علاقات بين الكوارث وسلطة الدولة. فقد ساعدت على ظهور سلالة حاكمة جديدة وهي سلالة السعديين، في حين انهارت دولة الوطاسيين. لم تتأثر اسبانيا كثيرا بالأزمة، لأن جهاز الدولة بها استطاع المواجهة سواء عن طريق استيراد القمح أو بتنظيم توزيعه على السكان.

بينما لم تصمد البرتغال كثيراً أمام الأزمة لأنها كانت منشغلة باحتلال شواطئ الأطلسي. إن تراجع الدخل الضريبي الذي كانت البرتغال تستخلصه من السهول الأطلسية التي أصابها الجفاف، وضرورة تموين المراكز البرتغالية انطلاقا من البرتغال التي أصبحت عبءا كبيرا كل ذلك حد من الخطر البرتغالي. وكان ضعف البرتغال أيضا ناتجا عن هذا الوضع ولذلك لم يستفد كثيراً من ضعف المغرب زمن الاحتلال.

كانت موازين القوى مختلفة لصالح دول شبه الجزيرة الإيبيرية. وكان ضعف البنى السياسية والإدارية للمغرب لا يسمح له باستيراد القمح من الخارج. بينما استطاعت إسبانيا أن تصل إلى تركيا لمواجهة مصائب الجفاف. أما الوطاسيون، حسب ليون الإفريقي فكانت تعوزهم الإمكانيات المالية، وكان تنظيمهم الإداري ضعيف السيطرة على مجموع البلاد. فلمواجهة كوارث المجاعات لم يكن الوطاسيون يتوفرون لا على السلطة السياسية، ولا على جهاز الدولة القادر على تنظيم التموين.

فقد المغرب احتكاره للتجارة الصحراوية بعدما تحولت الطرق للجزائر وتونس، وحوصرت شواطئه من طرف الإسبان والبرتغال، مما منعه من ممارسة التجارة عبر البحر، وعانى من خسارة ديمغرافية كبيرة. وأدى تظافر هذه العناصر إلى إضعاف السلطة السياسية كما ضعفت السلطات المحلية من جراء المجاعات والأوبئة، وأصبح جهاز الدولة عاجزاً عن الفعل. وهذا ما يفسر انطلاق أعمال العنف. كما أن الصراعات الأهلية، بعد سقوط دولة الوطاسيين وصعود السعديين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، ستكون بداية مرحلة جديدة في تاريخ المغرب، مختلفة عن القرون الوسطى، حيث ستتميز بانهيار الحياة الحضرية وظهور مراكز قروية مرتبطة بالزوايا وازدهار دور الشرفاء. وستمتد مميزات هذا الوضع إلى نهاية القرن التاسع عشر.

3) الدولة كضابط لآثار الجفاف خلال النصف الثاني من القرن XVII

إذا كان القرن السادس عشر قد عرف جفاف 1521 - 1523 ووباءين في 1557 - 1558 و1579 - 1580، فإن القرن السابع عشر لم يفلت من هذه الكوارث الطبيعية : سبع وعشرون فترة جفاف أصابت المغرب في هذا القرن، وإحدى عشرة فترة في القرن السابق ويعكس علم تحقيب الأشجار هذا التفاقم بصورة واضحة.

وبالإضافة إلى الجفاف، فإن سنوات 1597 - 1608 شهدت وباءً فظيعا حل بالبلاد وكانت آثاره متعددة انهيار سلطة السعديين التي عرفت صراعات داخلية للطامعين في الحكم، وظهور أبي محلّي، مهدي آخر ساهم إلى جانب المجاعة والفوضى والعنف في اضطراب النفوس.

وقد تلت هذه الفاجعة، بعد 15 سنة، فترة جفاف قاسية استمرت ست سنوات من 1626 إلى 1631 وستؤدي المجاعة والفوضى إلى تعميق أزمة الدولة. في هذه الظروف ستتشكل شيئا فشيئا، وخلال هذه العقود المضطربة، مباشرة بعد الجفاف في 1660 و1662، دولة جديدة، هي دولة الشرفاء العلويين.

وسواء في مراحل التأسيس في عهد مولاي رشيد أو عند إرساء دعائم الدولة في عهد مولاي إسماعيل، فإن المغرب شهد فترات الجفاف من 1672 إلى 1727.

عرف عهد السلطان الكبير - مولاي إسماعيل - خمس فترات جفاف، الأولى لم تكن طويلة من سنة إلى سنتين 1672 - 1673 و1679 - 1680 و1682 - 1683. بينما كان في

بداية تقوية هياكل الدولة ومحاولة إخراج البلاد من حالة الفوضى والانهيار الاقتصادي. وشهد المغرب بعد ذلك فترتين من الجفاف استمرت الأولى ثلاث سنوات والثانية أربع سنوات، من 1693 إلى 1695 ومن 1714 إلى 1717.

وتدل دراسة حلقات الشجر التي قام بها ستوكتون على هذه الفترات بدقة لا مثيل لها، ومن الطبيعي أن تكون لهذه الكوارث آثار سلبية على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. على أن عهد المولى إسماعيل كان عهدا قويا، فهو عهد الاستقرار والتقدم حيث إن مجهود إعادة بناء الدولة أعطى ثماره المتمثلة في عودة الأمن وضمان المبادلات وتموين الناس بسهولة.

كيف نفسر هذه المفارقة ؟ إنها ترتبط بالدور الذي تلعبه الدولة في مواجهة الكوارث. فدور السلطان في تنظيم السوق ومراقبتها وارتفاع أسعار الحبوب والمواد يكون حاسما. فالسلطان يتدخل للحد من ارتفاع أسعار الحبوب عن طريق إنزال ما تحتويه مخازنه للسوق من أجل تلبية الطلب والحفاظ على سعر مناسب.

يفيدنا جوزي دي ليون بشهادات مهمة بهذا الخصوص حيث يقول : "أمر المولى إسماعيل في إحدى فترات الغلاء التي تسببت في موت الكثير من الناس (ربما كانت 1679 - 1680) كل الذين يمتلكون خزائن من الحبوب أن يخرجوها للسوق. وبدأ بأبنائه، على أساس أن يكون السعر أقل سبع أو ثمان مرات مما هو موجود في السوق، وضعف سعر سنوات الصابة. وقد عزز أمره هذا بتهديد المخلين به، بالإعدام ونزع ممتلكاتهم. وكان لهذا الأمر تأثير مباشر على الأسعار حيث نزلت في السوق إلى قرابة 23 ريال وقاربت الأثمان العادية".

كما تم إعدام أحد الباشوات المحتكرين، ونزعت ممتلكاته لتوزع على الفقراء. هكذا قضى على الاحتكار، وبدا السلطان كضابط حاسم لميكانيزمات السوق بتدخله وتوزيعه للمخازن التي يملكها كبار الشخصيات في فترات أزمة التغذية.

إن أهم خلاصة تتعلق بأهمية البحث العلمي في ميدان التاريخ المناخي فالمعرفة المنهجية لتاريخنا المناخي تمكننا من معرفة أفضل لأنفسنا ولإمكانياتنا ومحدوديتها.

لقد لعب الجفاف في الماضي، بالإضافة إلى الأوبئة، دوراً خطيراً في النزيف الديمغرافي الذي أصاب البلاد مدة أربعة قرون وشكل عائقا في طريق تطورها. ويأتي الجفاف اليوم في البلاد في ظروف مغايرة، إنه لا يهدد التوازن الديمغرافي غير أن النمو الديمغرافي المتزايد يعمق من الآثار السلبية للجفاف ويهدد الناس في طريقة عيشهم، كما يهدد البيئة المغربية والتوازن البيو - مناخي في بلادنا، هذا التوازن قد يصير غير قادر على تلبية الحاجيات الغذائية للأحياء !

محمد الناصري

**الجفريات**، قصائد من شعر الملحون، تعدّ من صور النقد السياسي ومتابعة الأحداث والوقائع بعين أخرى ترتفع عن رؤية العامة لهذه الأحداث، كما تعدّ الجفريات أيضاً مظهراً من مظاهر التنبؤ والإرهاصات التي تجري في محيط شاعر الملحون، ومايعايشه في مجتمعه من قريب أو من بعيد. ويلاحظ المتأمل في "أدب الجفريات" أن الصور الشعرية التي يعدّها شاعر الملحون كانت - هي الأخرى - تخترق الغلاف الضيق عند الجماهير لتنادي أعمق أعماق الوجدان المغربي ومشاعر الغافلين.

وفي عهد الاستعمار لعبت الجفريات دوراً مهماً في إثارة مشاعرالذين بهرهم الوجود الاستعماري بمظاهره الحديثة وما نصبه العدوُّ من أشراك للبسطاء، فكانت كلمات الجفر تخرج من بين الشفاه هديراً يحدث القلق والاضطراب، ويضع حداً للمكايد والأهوال لأن بها تتيقظ مشاعر الجماعة الشعبية.

وبهذا كان فنّ الجفريات في الشعر الملحون، فنّاً أصيلاً، وهو عبارة عن قصائد و"عروبيات" يتأمل فيها شاعر الملحون أحوال مجتمعه ذاكراً فيها عيوب وقته، مشيراً إلى مناكر أهله المنتشرة هنا وهناك، معتمداً في نفس الوقت علي "الرمز" بالحيوان، والتلميح والإشارة، وعلى التشبيه والمقارنة وضروب أخرى من التحايل الذي كان يستخدم فيه إيهام القارئ بكثير من الدلالات والرموز وغير ذلك من وسائل فنّ الخطاب في أشكاله البلاغية المختلفة وما كانت تدعو إليه الحاجة أيضاً من تقية وهروب من المسؤولية. وفي هذه الأشكال الخطابية كان شاعر الملحون متأملاً في أحوال مجتمعه، يتنبأ بما ستفضي إليه هذه الأحوال من وقائع وأحداث. فهو ينظر إليها نظرة استكشافية تتنبأ بما سيحدث وتبسط للجمهور العريض ما صعب عليه فهمه وإدراكه.

كانت نصوص هذه "الجفريات " علي تلقائيتها بمثابة الصاعقة فوق رؤوس الجبابرة وأعداء البلاد، التجأ فيها الشاعر الشعبي إلى الصياغة الرمزية في معالجته لقضاياتهمُّ عامة المواطنين.

من الصعب تحديد الزمان لبعض "الجفريات"، إلا من خلال ما يروى حولها من روايات شفاهية، لتقادم عهدها وتداولها في ساحة الإنشاد عند "الجوالة" في بعض الأسواق، وعند شيوخ الكريحة في محافل أهل الملحون. باستثناء جفريات قليلية يشار فيها إلى تاريخ النظم، وبه يعرف العهد الذي عاش فيه الناظم. ومن أشهر شعراء الجفريات المتأخرين الشيخ محمد النجار الذي عاش في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1171 - 1207)، والشيخان قدور العلمي وولد رزين، والمتصوف عبد الله وعلي دفين الصحراء المعروف بجفريته (فَرعَنْت البُوم) وقد اختلفت الروايات في تحديد الفترة التي عاش فيها، والظاهر من بعض نصوص الملحون أنه توفي في نهاية القرن

الثاني عشر (18 م). ومطلع جفريته :

قَرْعَنْتْ البُومْ علـى البِيـزَانْ تـوَلاَتْ

بَيْـنْـتْ نـيـابْهــا ودَرْكَـتْ الصُّولا

والسبعْ خْشَى مَن الضَّبَعْ بعد الزّهْـرَاتْ

الزَمْ التـحـذيرْ خـافْ مَنْ وَلْدْ الغُـولا

... هذا قَولْ الأجْفَار، يا راوي الأبْيـاتْ

فـيـهْ مْعَـاني، لْمَنْ دْرَاها مقبـولا

مَنْ عَلم الغَيْب، يا السَّامَعْ منقُــولا

ومن روائع الجفريات المتداولة حتى اليوم بين شيوخ الملحون :

أ - جفرية : "عام خْضَاش" ..

ب - جفرية : "الزمانْ الخايَبْ" ..

جـ - جفرية : "كلبْ الرُّوم" ..

د - جفرية : "آشْ يصبَّرْني" ..

هـ - جفرية : "بان حقْ العَيَّار" ..

م. الفاسي، *معلمة الملحون*، الأجزاء الثلاثة الأولى ؛ ع. الملحوني، سلسلة *ديوان الملحون*، العدد الأول، 1990 ؛ زائد الأعداد 2 و3 و4. *كنانيش الملحون* مخطوطة.

عبد الرحمان الملحوني

**جَكَرَانْدَا**، مِيمُوزِيفُولْيَا Jacaranda mimosifolia

نبات شجري من فصيلة البغنونيات Bignoniaceae قد يتجاوز علوه 15 م. تاجه مستدير وقليل الكثافة. قشرة جذعه ذات لون رمادي داكن. أوراقه نفضية متقابلة، مركبة، ريشية. تحتوي كل ورقة على 16 زوجاً من الريشات على الأقل. وكل ريشة مركبة من 14 زوجاً من الوريقات البيضوية الشكل.

جكرندا

تجتمع أزهار جَكَرانْدَا على شكل عثكول هرمي. ذرفية كأس الأزهار ذو خمسة أسنان. وتُويجها أنبوبي أزرق اللون. الثمرة علبية ذات فلقتين خشبية تشبه في شكلها المحار، رمادية اللون، وتحتوي على بذور مجنحة. أصل هذا النوع من البرازيل. أُدخل في بلدان يشبه مناخها المناخ المتوسطي.

أما في المغرب فيستعمل نبات جَكَرانْدَا كشجرة زينة في الحدائق والشوارع بجل مدن السواحل والسهول المغربية. وهكذا نجده مزينا لشوارع گليز في مراكش وابن بطوطة الذي يمر بجانب المعاهد والكليات ووزارة التعليم بالرباط.

يستعمل جَكَرانْدَا للزينة نظراً لجمال أوراقه وأزهاره وثماره. وهو يتحمل التقليم (الزبير).

*أبحاث خاصة.*

Metro et Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora ; La Nature du Maroc, Soc. des Scien. Natur. et physique du Maroc*, 1955.

عبدالمالك بنعبيد

**ابن جلال**، أسرة علمية فاسية أصلها من تلمسان. دخل جدهم محمد بن عبد الرحمان ابن جلال المغراوي التلمساني إلى فاس عام 958 / 1550، في جملة من العلماء الذين هاجروا من الجزائر بعد استحكام الحكم العسكري التركي. فتصدر بها للإمامة والخطابة والإفتاء والتدريس، وكان من جملة الآخذين عنه كبار مشايخ العلم والتصوف الفاسيين أمثال الإمام أحمد المنجور والشيخين رضوان الجنوي وأبي المحاسن يوسف الفاسي. وعقّب الشيخ ابن جلال أبناء وأحفاداً تسلسل فيهم العلم، وكادوا يستبدون بإمامة وخطابة جامع القرويين وجامع الأندلس إلى غاية انتصاف القرن الحادي عشر (17 م)، زيادة على تقلدهم مناصب الإفتاء والنظارة والتدريس والانتصاب للشهادة، وكان بعضهم الواسطة المعتبرة في الأسانيد العلمية للعديد من مشاهير بني الجد الفاسيين. ويمتد هذا الطور النشيط من تاريخ هذه الأسرة من عام 958 إلى عام 1079 / 1550 - 67 - 1668، ويدخل هذا القبيل بعد ذلك في طور الخمول حتى لا نكاد نجد ذكراً في مطلع القرن الثالث عشر (19 م) إلا لإحدى حفيدات الشيخ ابن جلال وابنتها تحبسان مالهما على إمام وطلبة مسجد كائن بحومة العيون بفاس، ولما صنف عبد الكبير الكتاني (ت. 1350 / 1932) كتابه *زهر الآس في بيوتات فاس* كان أولاد ابن جلال قد انقرضوا من الحاضرة الفاسية.

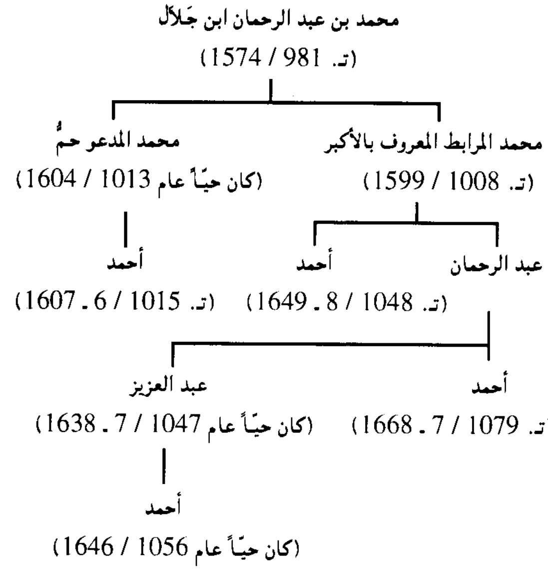


النابهون من أسرة ابن جلال الفاسية

ابن **جلال، أحمد** بن **عبد الرحمان** بن محمد المرابط (ت. 1079 / 7 . 1668)، تتلمذ على علماء أسرته كما أخذ عن الشيخين محمد العربي الفاسي (ت. 1052 / 1642) وعبد القادر الفاسي (ت. 1091 / 1680). فتضلع في النحو والفقه وشارك في غيرهما، وتصدر للتدريس، ومن تلامذته الأعلام المؤلفان الكبيران عبد الرحمان الفاسي (ت. 1096 / 1685) وابن عمه محمد المهدي الفاسي (ت. 1109 / 1698).

ابن **جلال، أحمد** بن **عبد العزيز** بن عبد الرحمان ابن محمد المرابط، كان حيّاً عام 1056 / 1646، معدوداً في جملة العدول المبرزين بسماط فاس.

ابن **جلال، أحمد** بن **محمد** المدعو حمُّ (ت. 1015 / 6 . 1607)، تولى مثل جده ووالده خطة الخطابة بجامع الأندلس بفاس، وربما تكون المنية قد أدركته في حياة أبيه.

ابن **جلال، أحمد** بن **محمد المرابط** (ت. 1048 / 8 . 1649)، فقيه متمكن تولى الخطابة والافتاء والتدريس بفاس، ومن بين تلامذته ابن أخيه أحمد بن عبد الرحمان المترجم آنفاً.

ابن **جلال، عبد العزيز** بن عبد الرحمان بن محمد المرابط، كان حيّاً عام 1047 / 7 . 1638، معدوداً من عدول سماط فاس المبرزين.

ابن **جلال، محمد** بن **عبد الرحمان** المغراوي. أحد أعلام الفقه والتصوف التلمسانيين الوافدين على المغرب على عهد السعديين، وقد دخل إلى فاس في صدر خلافة السلطان محمد الشيخ المهدي عام 958 / 1550، بعد نهوض ماهد دولة الشرفاء الزيدانيين إلى تلمسان واستيلائه عليها وعلى أعمالها إلى وادي شلف عام 957 / 1549. وتتصل وفادته بحركة الهجرة الواسعة التي همت أعيان الحاضرة الزيانية، الذين سيتلاحقون بالحاضرة الإدريسية في هجرتين كبيرتين، تمت أولاهما أيام السلطان المذكور عام 961 / 1554، وحدثت الثانية على عهد نجله وخليفته السلطان عبد الله الغالب عام 968 / 1562؛ وذلك في سياق التنافس حول تلمسان بين الدولة السعدية الناشئة وأتراك الإيالة الجزائرية في ضم المغرب الأقصى إلى الامبراطورية العثمانية، والوصول بحدودها الغربية إلى المحيط الأطلسي.

وكما امتاز الشيخ محمد ابن جلال في دخوله إلى المغرب بالتفرد والسبق عن الجماعتين التلمسانيتين اللتين ستلحقان به، فإن علاقته بالأتراك تختص كذلك عن العلاقة التي نظمت بين هؤلاء وبلدييه : وإذا كان خاصة تلمسان من أهل الفقه والتصوف من شيعة الأتراك، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من فقهاء وفقراء حواضر وبوادي المغرب الأوسط، فإن الشيخ ابن جلال يتصل بالترك من طريق أوسع يفيض عن تاريخ مملكة تلمسان، ويسبق معمعتها التي تجابه فيها العثمانيون والإسبانيون، وانتهت ببيعة أميرها للسلطان سليم؛ كما يغطي نفوذه المنطقة الغربية بأكملها من المغرب الأوسط، ويمتد إلى جهات كثيرة من المغرب الأقصى؛ ونعني بذلك انتسابه إلى الطريقة الراشدية، التي أسسها الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524)، خلال الربع الأول من القرن العاشر (16م)، وتفرعت عنها طوائف وزوايا عديدة في المغربين الأوسط والأقصى. وقد وصل الشيخ أحمد بن يوسف حبله بالأخوين عروج وخير الدين ماهدي دولة الأتراك بالمغرب الأوسط منذ أولية ظهورهما به، وآزرهما في حربهما ضد الزيانيين وحلفائهم الإسبانيين، وخاض معهما معمعة تلمسان، التي أسفرت عن استشهاد عروج (924 / 1518)، وسجن الشيخ أحمد بن يوسف، ولم تزد علاقة أتباعهما من بعدهما إلا وثوقاً ورسوخاً، ودامت حتى تاريخ الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1245 / 1830.

وقد رأى الشيخ ابن جلال النور هو والطريقة الراشدية في وقت متقارب من فجر المائة العاشرة للهجرة، وشب في بيت من البيوتات الراشدية الشهيرة طينا ودينا : فوالده الشيخ عبد الرحمان بن أحمد ابن جلال من أعلام الطبقة الأولى في هذه الطريقة، ومن كبار صحب الراشدي وملازميه، فهرع على أثر أبيه في النسبة إلى الراشدية والمحبة في شيخها، ونيف على العقدين من عمره يوم أهيل الثرى على نعش الشيخ أحمد بن يوسف.

ولما كان لرجال التصوف من أهل المغرب الأوسط يد في زوال ملك الزيانيين، وقيام دولة الأتراك بهذا الصقع، فقد قيل قياساً بضلوع نفس اليد في الدسائس والمؤامرات التي مهد الترك بها لبسط نفوذهم على المغرب الأقصى، وتم تعيين إخوان الطريقة الراشدية بالذات، وجُعلوا معاول هدم وتخريب مسخرة من قبل حكام الإيالة الجزائرية، لتقويض الدولة السعدية الناشئة، والمنافسة لهم على تلمسان وأعمالها.

والواقع أن تاريخ الطريقة الراشدية في المغرب الأقصى حكمته الجرأة الفكرية التي انبنى عليها المذهب الصوفي الذي ابتدعه الشيخ أحمد بن يوسف، ولا أثر لتنافس العثمانيين والسعديين في مجرياته : وإذا كان مشكل الطائفة اليوسفية المتفرعة بالمغرب الأقصى عن الراشدية، سيبلغ ذروته أيام استقرار الشيخ ابن جلال بفاس، وبالضبط خلافة السلطان عبد الله الغالب (965 ـ 982 / 1557 ـ 1574)، حيث شكل أحد أحداث حكمه البارزة، وإحدى القضايا الفكرية التي شغلت بال علماء فاس على هذا العهد، والذي انتهى بامتحان المخزن السعدي لاتباع هذه الطائفة ؛ فإن الأمر لا يزيد على التأريخ لطور من أطوار مكافحة الطريقة الراشدية شيخاً ومذهباً وأتباعاً، من لدن دخولها إلى المغرب الأقصى في حياة الشيخ أحمد بن يوسف إلى هلم جراً، وهذا من قبل كل من الوطاسيين والسعديين ثم العلويين من بعدهم.

وقد حاق مكر الأتراك بالسلطان محمد الشيخ المهدي، وغدر به صالح الكاهية ورهطه من الانكشارية، وفصلوا رأسه عن جسده (29 ذو الحجة 964 / 23 أكتوبر 1557)، وحملوه في مخلاة، وعلقوه بالقسطنطينية إلى أن تلاشى ؛ فما تأثرت سيرة الشيخ ابن جلال بهذا الحادث، ولا نقصت منزلته عند نجله وخليفته السلطان عبد الله الغالب، الذي حفظ له نفس العناية والرعاية اللتين تمتع بهما منذ دخوله المغرب، وأقره على الخطط التي ولاه إياها والده، من فتيا وإمامة وخطابة وتدريس، وهي أرفع المناصب بالحاضرة الفاسية على وجه الخصوص، وفي المغرب السعدي على وجه العموم، والتي تكفل رخاء وتوفر سعة الرزق ؛ بل وأنعم عليه بالإمامة والخطابة بجامع القرويين فقام بهما خير قيام ثلاث عشر سنة، بعد أن خطب بجامع الأندلس ثمان سنين، وفي ذلك رفعة في القدر وزيادة في الأجر ؛ كما استصحبه الغالب معه في رحلته إلى سوس عام 980 / 1572، فأقام معه مدة من سنة، قدمه خلالها للإقراء بالجامع الكبير في المحمدية.

ومن الحق أن العامل السياسي لا يفسر وحده حظوة الشيخ ابن جلال، إذ كان مثله مثل بقية العلماء التلمسانيين المهاجرين إلى المغرب على شيء من التقدم في عدد من العلوم، وقد اختص هو بالامتياز في عمل أُهمل بالمغرب اهمالاً يكاد يكون تاماً، وهو علم الكلام الذي ازدهر بتلمسان على يد كل من الإمامين محمد بن يوسف السنوسي (ت. 895 / 1490) وأحمد ابن زكري (ت. 899 / 1493) ؛ وقد عمل الشيخ ابن جلال وبلديوه على نشر مصنفاتهما بين المغاربة الذين اعتمدوها وراجت بيتهم وكتبوا عليها شروحا وتعاليق عديدة ؛ وسند الشيخ ابن جلال فيها سند عال، إذ أخذ عن الشيخ أبي عثمان سعيد الشهير بالكفيف، الذي صحب الشيخين السنوسي وابن زكري ؛ وظل هذا السند من الأسانيد المعتبرة في كتب الفهارس المغربية إلى هلم جراً.

وأخذ الشيخ ابن جلال كذلك على الشيخ عبد المالك البرجي، خاتمة العلماء التونسيين، الذي ورد على تلمسان واستقر بها إلى أن توفي في صدر العشرة الرابعة من المائة العاشرة للهجرة ؛ كما تتلمذ على شيخ الجماعة بتلمسان محمد ابن موسى المتوفى في أول العشرة الخامسة من نفس المائة، وعلى الشيخ أحمد بن أطاع الله، وعلى الشيخ سعيد المقري.

فتن الشيخ ابن جلال معاصريه المغاربة من مشايخ وطلبة بسمته الحسن وتؤدته وسكينته ووقاره وحفظ مهجته وهمته وسخائه، وإن لم ينظر بعضهم بعين الرضى إلى أناقته في الملبس وركوبه الفرس الذكر، على خلاف عادة فقهاء فاس المعاصرين ومن قبلهم في التقشف وعدم التنعيم والبعد عن الرئاسة، فاتهموه بتبديل السيرة العلمية، ورأوا في اقتداء أبناء جنسه به موت العلم وإهانة من انتسب إليه.

وعندما وفد الشيخ ابن جلال على فاس كان يبلغ من العمر خمسين عاماً، وخلال ما يزيد على العشرين سنة التي قضاها بها، ستعترف له الحاضرة السعدية بالرئاسة العلمية، وبعمادة علمائها، ومشيخة الجماعة بها. وقد تنافس معاصروه في علومه والاقتباس من فهومه، وكان من بين تلامذته الأعلام الشيخ رضوان الجنوي (ت. 991 / 1583)، والإمام أحمد المنجور (ت. 995 / 1587)، والشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي (ت. 1013 / 4 ـ 1605).

توفي محمد ابن جلال بفاس عام 981 / 1574 ودفن بقرب ضريح الشيخ علي أبي غالب من عدوة الأندلس.

ابن **جلال، محمد** المدعو **حَمْ** بن محمد بن عبد الرحمان، كان حيّاً عام 1013 / 1604، خلف أخاه محمداً المرابط على خطابة وإمامة جامع الأندلس، وبه صلّى على الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي بعد وفاته (ت. 18 ربيع الأول 1013 / 14 غشت 1604)، ولعله كان لا يزال على قيد الحياة عام 1020 / 1611، وأن نظارة أحباس فاس قد آلت إليه.

ابن **جلال، محمد المرابط** بن محمد بن عبد الرحمان (ت. 10 محرم 1008 / 2 غشت 1599)، ويدعى كذلك بمحمد

الأكبر تمييزاً له عن أخيه الأصغر محمد حمّ المذكور قبله. تتلمذ على أبيه وعلى أبي القاسم بن محمد ابن إبراهيم الدكالي المشنزائي (تـ. 978 / 70 ـ 1571) وغيرهما. ولي بعد وفاة والده (تـ. 981 / 1574) الخطابة والإمامة بالقرويين، وبقي بها نحواً من ستة أشهر، ثم نقل إلى جامع الأندلس، وبها صلّى على الشيخ رضوان الجنوي بعد وفاته (تـ. 991 / 1583)، وقد دفن محمد المرابط بروضة أبيه.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 117، 120، 123، 129 ـ 130 ؛ أ. المنجور، *فهرس*، 78 ؛ م. ابن مريم، *البستان*، 260 ـ 261 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 324 ـ 325 ؛ *درة*، 2 : 214، رقم 663 ؛ *لقط*، 312 ؛ أ. بابا، *نيل*، تح. ع. ع. الهرامة، طرابلس، 599، رقم 733 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*، ط. حجرية. 9، 10، 20، 72، 175 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج*، تح. ح. الدازي، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 41، 96، 202، 226 ـ 227، 323، 333 ـ 334، 347، 349 ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة*، مخطوط خ. ع. 76 جـ، 68 ؛ *ممتع*، تح. ع. العمراوي وع. مراد، 93 ؛ م. الطيب الفاسي، *أسهل المقاصد*، مخطوط خ. ع. 2843 د، 86 ؛ م. الافراني، صفوة، ط. حجرية، 8، 43، 93، 101 ـ 102، 212 ؛ م . القادري، *نشر*، 1 : 75، 92 ـ 93، 138، 372 ؛ 2 : 179 ـ 180، *التقاط*، 2 : 34 ؛ م. الحفناوي، *تعريف الخلف*، 2 : 413 ـ 415 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 26 ـ 28 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، 185، رقم 1085 ؛ ع. الكتاني، *زهر الآس*، مخطوط خ. ع. 1281 ك، 445 ـ 451، 462 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 890، 982، 999 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 357 ؛ م. المنوي، *ملامح من تطور المغرب العربي*، 83 ؛ م. مزين، *فاس وباديتها*، 1 : 23 ؛ ع. نجمي، عكاكزة، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 233 ـ 239.

A. Cour, *L'établissement des dynasties des chérifs*, 97, 127, 139 ; J. Berque, *Un maître de l'heure renoncé*, in *"L'intérieur du Maghreb"*, 100, N° 1.

عبد الله نجمي

## **الجِلباب** (لباس) ← **الجلاَّبَة**

**الجُلْبَان**، وينطق عامة أهل المغرب (الجَلْبَانَة) ويدعوه المشارقة البازلاء هو بيسُومْ سَاتِيفُوم Pisum sativum وهو نوع نباتي ينتمي إلى فصيلَة الفراشيات Papillonaceae. أصل الجُلْبَان المغروس يرجع إلى أنواع وأصناف عديدة توجد طبيعيا بحوض البحر المتوسط.

إنه نبات حولي أخضر متسلق بالمعاليق أو زاحف. أوراقه مركبة. أزهاره بيضاء أو ملونة فراشية الشكل. ثماره على شكل قرون محتوية بداخلها على بذور مستديرة ملساء أو مجعدة وذات ألوان مختلفة حسب الأصناف.

زرع الجُلْبَان منذ أقدم العصور في حوض البحر المتوسط. وقد عرفه الفراعنة والإغريق والرومان، لكن زراعته لم تتسع على نطاق واسع إلاّ بعد العصر الوسيط.

تزرع في المغرب أصناف عديدة من الجُلْبَان. منها التي تنضج باكراً ومنها التي تتأخر في نضجها. وتنتشر زراعة الجُلْبَان في الأراضي المسقية أو البورية من السهول والهضاب والجبال المتوسطة الارتفاع، أي في الطوابق تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ والمتوسطي، واستثنائياً فوق المتوسطي. أما من حيث البيومناخات بالنسبة للزراعة البورية فإنها تصادف في المناطق الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة واستثنائيا الجافة في السنوات المطرة.

لكن أكثر الكميات من الجُلْبَان تنتج في السهول شبه الرطبة وشبه الجافة حيث يزرع الجُلْبَان مسقياً أو في الأراضي البورية.

يزرع الجُلْبَان من أجل بذوره التي تستخدم للاستهلاك الآدمي أو الحيواني. كما تستعمل أوراقه خضراء أو يابسة في العلف أو التسميد الأخضر.

توكل البذور خضراء طازجة أو معلبة، أو يابسة أو على هيئة دقيق أو مفصصة.

يكثر إنتاج بذور الجُلْبَان الطازجة في المغرب بصفة متواصلة ما بين نهاية فصل الخريف ونهاية فصل الربيع.

تعرف صناعة تعليب الجُلْبَان بالمغرب نموا متواصلاً في السنوات الأخيرة، وذلك نظراً للطلب المتزايد لهذه المادة التي يسهل استعمالها في تهييئ الأطعمة وخاصة في المطاعم العمومية.

*أبحاث خاصة* ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة، د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

**الجُلْجُلاَن**، يدعى السِّمْسم بالمشرق العربي، هو بذور النوع النباتي سِيزَامُومْ إنْدِيكُومْ Sesamum indicum الذي ينتمي إلى فصيلَة الخيميات Umbelliferae..

إنه نوع عشبي وحولي يزرع لبذوره ذات القيمة الغذائية الرفيعة ولكونه يساعد على الشفاء ويعطي الحليب للأم المرضعة. وقد عرف بالهند والصين منذ أقدم العصور ومنها امتد انتشاره إلى مناطق حارة أخرى من العالم. ويزرع اليوم في بلدان عديدة بأسيا وأمريكا اللاتينية وإفريقيا كالمغرب.

تستعمل بذور الجلجلان ذات الحجم الصغير في عدة أشكال من الأطعمة والحلويات والسلاطة والخبز والفطائر. كما يستخلص منها "زيت الجلجلان" أو "زيت السِّمْسم" الذي يستعمل في الطبخ والأغراض الطبية وفي صناعة المارگرين ومنتجات غذائية أخرى، والصابون والعطور.

ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة، د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

عبد المالك بنعبيد

**الجلد**، صناعة من أقدم الصناعات بالمغرب. ومن أسسها وفرة جلود المعز والغنم وحتى البقر. فسكان المغرب

إذا كانوا من الرحل أو أنصاف الرحل كان غالب معاشهم على تربية الحيوانات، وإذا كانوا من المستقرين زاوجو بين الزراعة وتربية الماشية في توازن حكيم بالنسبة للمقتضيات الجهوية. وقد اشتهر المغرب في حوض البحر المتوسط وأوربا وبلاد السودان (إفريقيا جنوبي الصحراء) بصناعة الجلد حتى إن كلمة Maroquin التي تعني جلد الماعز المدبوغ الملون أو أشياء مصنوعة منها قد دخلت في الاستعمال اللغوي الأوربي منذ القرن التاسع (15 م) مقترنه باسم المغرب المشتق من مراكش في هذه اللغات. ومن الشواهد على هذا القدم وهذه الشهرة كثرة دور الدباغة في جميع المدن التاريخية ومواضعها في أقدم الحومات الحضرية.

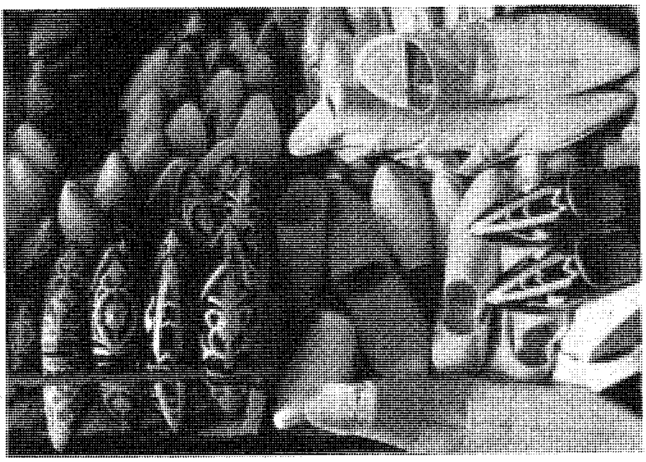

يضاف إلى ذاك إشارات في نصوص التراث تدل على العناية بالجلد ومكانته في صادرات المغرب خاما أو مدبوغا أو مصنوعا. ومن آيات هذه الصناعة التاريخية ما نجده في تسفير بعض الكتب وتغميد بعض السيوف وإبداع بعض الجرابات النفيسة التزويق أو بعض أسرجة الخيل الرائقة التوشية، والأرائك وهذا بالإضافة إلى الأحذية والأحزمة التي يزيِّن النسائي منها بخيوط مذهبة في الغالب، كما يكون بعضها مبطنا بالحرير.

وتعتبر طائفة صناع الجلد من دباغين وخرازين وطرافين وسماطين من أهم الحرف في صناعات المغرب التاريخية، وذلك بكثرة من يشتغلون بها ويعيشون منها، وبالتقاليد المراعاة فيها وقواعد حسبتها والطرائف والعوائد المرتبطة بها.

منذ منافسة المصنوعات البلاستيكية وغيرها لصناعة الجلد في المغرب في هذا القرن وهي تتراجع، ولكن عهد ما بعد الاستقلال عرف عودة النشاط إلى هذا القطاع وتجدد حيويته بل وبروز العاملين فيه في ميدان المنافسة والقدرة على التطور سواء في ميدان المصنوعات التي تستعمل في الحياة اليومية أو في مصنوعات يُحتاج إليها في المناسبات الخاصة أو من مصنوعات فنية وجمالية على أذواق أهل البلد أو أذواق السياح على السواء.

وقد تخطت صناعة الجلد من الوراثة التقليدية بالنسبة لبعض المصنوعات إلى عصر المعامل التي تستخدم الآليات وتشغل أعداداً وافرة من اليد العاملة. ومن الأمثلة على ذلك صناعة الجاكيتات الجلدية العصرية.

ومن أجل مساعدة الصناع على تطوير أساليبهم أحدثت وزارة الصناعة التقليدية مراكز للتكوين المهني في هذا الفن ومركبات للصناعة والعرض والبيع.

ويظل اللون المحلي مرتبطا بصناعة الجلد حيث تشتهر مدن دون غيرها بمصنوعات متميزة على أنماط معروفة. ومن أهم مراكز هذه الصناعة مدن فاس ومراكش وتطوان والدار البيضاء. ولبعض البوادي ميزتها في هذه الصناعة مثل الريف والواحات الصحراوية. وفي كل مكان يحاول الصناع الاستجابة لطلب الزبناء ومراعاة أذواق المستهلكين.

يبلغ عدد وحدات صناعة الجلد بالمغرب حوالي 15.000، تشغّل ما يزيد عن 50.000 صانع (لا يدخل في عددهم الأولاد المتعلمون). أي معدل 3،3 صانع لكل وحدة والعاملون في السكافة 40٪ من هذا العدد وصانعو الأحذية و30٪ وصناع المتبكرات الأخرى حوالي 15٪ ويُصنع بفاس 27٪ من الإنتاج وبمراكش 27٪ وبالدار البيضاء 23٪ واليد العاملة من صناعة الجلد بالدار البيضاء حوالي 20.000 صانع وفي فاس حوالي 14.000.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ ر. لوتورنو، *فاس قبل الحماية* ؛ *وثائق وزارة الصناعة التقليدية والشؤون الاجتماعية* بالرباط.

G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912* ; Ministère de l'Artisanat et des Affaires Sociales, *Les arts du cuir.*

* * كان الجلد في العصر الوسيط، إلى جانب الصوف، من أكثر المنتجات الحيوانية التي اشتهر المغرب بها منذ القدم، وقد استمر المغرب منتجاً ومصدراً لهذه المادة طيلة العصر الوسيط، حتى إن ابن خلدون - وهو من العصر الوسيط الأدنى - اعترف للمغرب بالتفوق في هذا المضمار، بل إنه اعتبر دبغ الجلود ونسج الصوف الصناعة الوحيدة التي برع فيها المغاربة لكثرة موادها الخام ببلادهم، غير أن أسباب هذا الازدهار في اعتقادنا لا يرتبط فقط بكمية المواد الخام بل وبقانون العرض والطلب ووجود يد عاملة ماهرة في الدباغة والصناعة، ووفرة المواد اللازمة للدباغة، بدليل أن الرعي وتربية المواشي قد ازدهر في فترات تاريخية مختلفة وفي جهات كثيرة من المعمور ولم تقم صناعة مزدهرة للجلود إلا في مراكز معينة وجد محدودة ؛ والقصد هنا إلى الدباغة الصناعية الموجهة للسوق والصناعة الجلدية الاستهلاكية، أما الدباغة المحلية والإنتاج العائلي المحدود فهو أكثر انتشاراً في الزمان والمكان.

وردت الإشارات الأولى لكثرة الجلود في المغرب وخاصة جلود الأغنام في بداية العصر الوسيط، حيث كان تعسف بعض العمال سبباً في ثورة السكان. ومن أمثلة تلك التعسفات ذبح الكثير من الأغنام بصفة عشوائية بحثاً عن الجلود العسلية (*الاستقصا*، 106).

وذكر المقدسي في *حسن التقاسيم* (ص 238) ما يفيد أن المغاربة لايهتمون بجلود الأغنام لكثرتها، أما الإشارات الأولى عن الدباغة والجلود المدبوغة فقد جاءت عند صاحب *معجم البلدان* إذ قال عن مدينة أغمات إنها تُصدر الجلود المدبوغة، وقد اشتهرت بجودة صناعتها طيلة العصر الوسيط الأعلى والأوسط، أي إلى نهاية الدولة الموحدية، وقد أكد ذلك صاحب كتاب *التشوف* (ص 238) عن مدينة مراكش التي استطاعت ان تتفوق على مدينة أغمات في هذه الصناعة ؛ وإلى جانب مدينتي أغمات ومراكش وجدت مراكز أخرى ازدهرت فيها صناعة الجلود إمّا بشكل متواصل خلال العصر الوسيط أو في فترة من فتراته، مثل مدن فاس - تازا - سبتة - سلا - نفيس - ماسة - نول إيجلي.

وفي العهد الموحدي ازدهرت هذه الصناعة في العاصمة مراكش ونفقت لدرجة أن إنتاجها لم يعد يفي بحاجياتها فجلبت الجلود والصناع من هسكورة، وفي مدينة فاس ارتفع عدد المدابغ لدرجة أنه أصبح يقلق راحة الناس بروائح الجلود النيئة وتلويث المياه ويضايق المارة في الأزقة بأحمال الجلود الخام والمدبوغة، فتم إخراج المدابغ إلى أرباض المدينة (*القرطاس*، 48 ؛ *جني زهرة الآس*، 44) ؛ فالمسألة هنا خاضعة بالأساس لتزايد الطلب علي الجلود، فازدهار هذه الصناعة أو تدهورها مرتبط بالأساس بقانون السوق، إذ بعد انخفاض الطلب بسبب التخريب الذي تعرضت له المدن في العصر الوسيط الأدنى والتراجع الديموغرافي والفلاحي الذي عرفته الفترة، وتدنّي المستوى المعيشي للسكان الذي عرفته البلاد أواخر العهد المريني، كل ذلك أثر بشكل مباشر على الصناعة الجلدية فلم تبق من المراكز العديدة التي عرضنا لها اعلاه سوى منطقة هسكورة ومدينة فاس، رغم ازدهار الرعي على حساب الزراعة.

وتحدث الحسن الوزان عن هذين المركزين بتفصيل (*وصف افريقيا*، 129 - 132 - 134) ففي مدينة فاس عرفت صناعة الجلود (دباغة وتصنيعاً) تطوراً كبيراً في مطلع القرن العاشر (16 م) حتى إن دور الدباغة تنوعت وتخصصت في دباغة نوع من الجلود (مدابغ جلود الماعز، مدابغ جلود البقر، مدابغ جلود الأغنام) وعن قبيلة هسكورة قال : يكاد كل سكانها يشتغلون بالدباغة ويقصدها تجار فاس وغيرهم لشراء الجلود.

من أشهر أنواع الجلود المدبوغة الجلد الغدامسي والجلد القرطبي، وهي أنواع سميت باسم المناطق التي صنعت فيها أول مرة، لكن المغرب كان منتجاً لها بكميات كبيرة فاقت ماتنتجه تلك المناطق إذ كان مصدراً لها، ومما يستدل به علي جودتها أنها بعثت في الهدايا السلطانية إلى الخارج (البكري، *المغرب*، 152 ؛ *المسند الصحيح*، ص 453 ؛ *وصف افريقيا*، 1 : 32 - 129 - 248).

ارتبطت صناعة الجلود والدباغة إضافة إلي ما سبق بوفرة المواد المساعدة مثل الحناء وتاكّاووت ولحاء بعض

الجلد : الدباغة والصناعة في القرن العاشر (16 م)
حسب الحسن الوزان

| الانتاج | المكان | الزمان والعهد | المصادر والملاحظات |
|---|---|---|---|
| اسكافيون | تدنست | الوطاسي - السعدي | *وصف افريقيا* 1 / 77 |
| نعال من جلد الجمال والبقر | اداوزگواغن | " " | *وصف افريقيا* 1 / 81 |
| اسكافيون يهود | أيت داود | " " | *وصف افريقيا* 1 / 83 |
| الجلد القرطبي | تييوت | " " | *وصف افريقيا* 1 / 92 |
| الجلود المدبوغة | ناحية هسكورة | " " | *وصف افريقيا* 1 / 129 |
| بين الجلود في فاس ومكناسة | تكوداست | " " | *وصف افريقيا* 1 / 132 |
| الدباغون | مدينة الجمعة | " " | *وصف افريقيا* 1 / 133 |
| تصدير الجلود | مدينة بزو | " " | *وصف افريقيا* 1 / 134 |
| جلد اللمط | جبل تنزيته | " " | قيمة الواحد بفاس 8 مثاقيل، *وصف افريقيا* 1 / 137 |
| الجلد القرطبي | مدينة تفزة | " " | تفزة حاضرة تادلا، *وصف افريقيا* 1 / 139 |
| بائعو الأحذية | مدينة فاس | " " | 150 دكانا، *وصف افريقيا* 1 / 184 |
| الخرازون لأحذية الأطفال | مدينة فاس | " " | 50 دكانا، *وصف افريقيا* 1 / 184 |
| صانعو النطق الجلدية والخفاف والأزمة | مدينة فاس | " " | 50 دكانا، *وصف افريقيا* 1 / 184 |
| بائعو اللجم والسروج | مدينة فاس | " " | 80 دكانا، *وصف افريقيا* 1 / 184 |
| صانعو الدلاء الجلدية للأبار | مدينة فاس | " " | *وصف افريقيا* 1 / 188 |
| صناعة الأحذية الخشنة للفلاحين | مدينة فاس | " " | 150 دكانا، *وصف افريقيا* 1 / 188 |
| صناع التروس والدرقات الجلدية | مدينة فاس | " " | 150 دكانا، *وصف افريقيا* 1 / 188 |
| صانعو جلود السروج من جلد الماعز | مدينة فاس | " " | *وصف افريقيا* 1 / 189 |
| الخرازون صانعو أحذية الاعيان | مدينة فاس | " " | *وصف افريقيا* 1 / 189 |
| الدباغون يؤدون عن كل جلد دبغوه | مدينة فاس | " " | يجتمع من هذه الضريبة ألف مثقال، *وصف افريقيا* 1 / 204 |

الأشجار، وقد كان المغرب منتجاً لها بكميات تفوق حاجياته فيصدر الفائض منها مثل الحناء ( *المغرب*، 152 ؛ *نزهة المشتاق*، 1 : 22) ؛ لكن تقلص هذه الصناعة في نهاية العصر الوسيط واستمرارها في مراكز محدودة لايعني أن المواد الخام انعدمت أوقلت، بل يرجع بالدرجة الأولى إلى الاضطرابات السياسية والاجتماعية وتراجع الإنتاج الفلاحي وتدهور المستوى المعيشي وسيادة الرعي والتنقل، فالمراكز القليلة التي احتفظت بالإنتاج استطاعت أن تكون ثروة كبيرة بسبب الأرباح التي تُدرّها عليها دباغة الجلود، وقد لاحظ الحسن الوزان في هذا الشأن أن قبيلة هسكورة قد تفوقت مادياً على دكالة بسبب صناعتها الجلدية (*وصف افريقيا*، 1 : 129)، وأشار بالأرقام إلى "أن جبل بني فنزكار في إقليم الهبط" يغل ستة آلاف مثقال سنوياً لتصديره الشمع وجلود البقر إلى جنوة والبرتغال (*وصف افريقيا*، 1 : 248). وبدخول المغرب تحت النفود الأمبريالي والاستعماري أي منذ الاستعمار البرتغالي والإسباني إلى الامبريالية الأوروبية كانت الجلود الخام والمدبوغة من أبرز صادراته إلى هذه البلدان، وبظهور الآلات والمدابغ العصرية جمع المغرب منذ بداية هذا القرن مابين المدابغ العصرية ودور الدباغة التقليدية، ونتج عن ذلك ازدواجية في المنتجات الناجحة عن النوعين منتجات جلدية تقليدية ومنتجات عصرية.

من المفارقات الطريفة أن لباس الجلد اعتبر قديماً رمزاً ودلالة على مستوى اجتماعي متدن فلم يكن يلبس الجلود الساذجة أو المدبوغة سوى الفقراء، أما اليوم فلباس الجلد يدل على العكس، ولباس الفراء كان وما يزال زمزاً ودلالة على الغنى والمستوى الاجتماعي الراقي.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 1، المقدمة، بيروت ؛ أ. الناصري السلاوي، *الاستقصا*، ج 1 الدار البيضاء، 1954 ؛ المقدسي، *حسن التقاسيم*، 1957 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، مصر، 1906 ؛ ي. التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1972، الجزنائي، *جني زهرة الآس*، الرباط، 1967، ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الرباط 1980 ؛ ابن مرزوق، *المسند*، الجزائر، 1987 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ط. نابولي.

محمد حجاج الطويل

**ابن جلداسن، مسعود**، يكنّى أبا عثمان، أحد أشياخ قبيلة هسكورة بجبل درن في أواخر عهد الموحدين، وقد قويت سلطته على هذه المنطقة في مرحلة ضعف الدولة وفي خضم الصراع بين الموحدين والمرينيين، ويظهر أنه كان ميالاً إلى الاستقلال عن سلطة الخليفة الموحدي المرتضى، حيث سارع إلى دعم إدريس أبي دبوس عند إعلان انفصاله والدعوة إلى نفسه سنة 663 / 1264.

فبعد انصراف أبي دبوس من فاس التي توجه إليها طالبا العون من أمير المسلمين أبي يوسف المريني على حصار مراكش، كاتَب أشياخ الموحدين يدعوهم إلى بيعته فتلقته وفود العرب، ثم بايعه ابن جلداسن وأظهر الحماس لمطالبته، مما جعل أبا دبوس يتوجه من فاس إلى جبل هسكورة وينزل عند ابن جلداسن في صفر سنة 663 / نونبر - دجنبر 1264. وهناك أصبح الناس يفدون إليه فيعدهم بالإحسان والإنعام، فطاعت له قبيلة هزرجة وجميع قبائل هسكورة بتشجيع ابن جلداسن، وتوافدت عليه وفود العرب والموحدين والجند، وكذا فرقة الروم التي كانت في الجيش الموحدي. وكان استقرار إدريس أبي دبوس بجبل هسكورة مدة سنة كاملة استغرقها في اعداد العدة للهجوم على مراكش التي تمكن من دخولها يوم 22 محرم 665 / 23 أكتوبر 1266.

إن سوء تفاهم ما - لا نعرف سببه - قد حصل بين الخليفة الموحدي الجديد إدريس الواثق وبين ابن جلداسن أحدث وحشة بينهما، مما جعل إدريس الواثق يعزم على تنظيم حركة لجبل هسكورة لتاديب ابن جلداسن في شعبان سنة 665 / أبريل - ماي 1267. وأثناء مسيرته أرسل الواثق أبا فارس عبد العزيز بن عطوش رسولا إلى مسعود ابن جلداسن لاختبار أحواله، فعاد الرسول يحمل أخباراً سارة مُطْمَئِنة تؤكد أن ابن جلداسن لايزال على السمع والطاعة، فاكتَفى الواثق بذلك وتركه في جبله، وتنحى عن جهة هسكورة قاصدا السوس.

لكن ابن جلداسن أظهر الطاعة ليحول دون مهاجمة الموحدين له، أما موقفه الحقيقي فقد بقي رافضاً للواثق حيث سنجده يسارع مرة أخرى إلى مساندة عبد العزيز بن السعيد الموحدين في رغبته في الخروج عن طاعة إدريس الواثق، وجرت بين ابن جلداسن والأمير الموحدي مراسلات واتصالات، ومن سوء حظ هذا المتطلع إلى الخلافة، فإن الرسالة التي وجهها إلى ابن جلداسن يعلن فيها نواياه وقعت في يد الواثق الذي لم يتردد في إعطاء أوامره للسيد أبي زيد عبد الرحمان بن أبي عمران عامله على مراكش بقتل عبد العزيز بن السعيد الموحدي، وانكشفت بذلك نوايا ابن جلداسن، فامتنع في منطقته الجبلية متمرداً على سلطة الخليفة الواثق الذي لم تسعفه الظروف، فقتل بعد أقل من سنتين، وانتهت بنهايته دولة الموحدين.

ابن عذاري، *البيان المغرب (قسم الموحدين)* الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972 ؛ ع. عنان، عصر *المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، القاهرة، 1964.

**ابن جلداسن، يلول**، يكنى أبا داود وينتمي إلى إحدى القبائل الأمازيغية التي ناصرت الدعوة الموحدية، ولعلها قبيلة هسكورة. ولاتذكر المصادر شيئاً عن ابن جلداسن في المغرب، وتهتم فقط بنشاطه بالأندلس، حيث كان من الأطر المغربية التي اعتمدت عليها الخلافة الموحدية في القيام بالمسؤوليات الإدارية والعسكرية بالأندلس نظراً لما عرف

عن الموحدين من تحفظ وصراحة في التعامل مع شؤون هذا القطر.

ففي سنة 557 / 1161 أي في أواخر خلافة عبد المومن قام وإلى إشبيلية الأمير أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن بتعيين ابن جلداسن في خطة "أشغال الموحدين" بإشبيلية، أي شؤونها الإدارية والمالية، ومحمد ابن المعلم الأيلاني في "شغل المخزن" بها. وكان ابن جلداسن وابن المعلم يعملان معاً تحت نظر "صاحب أشغال المخزن" أبي إسحاق براز بن محمد المسوفي، ونلاحظ من خلال أسماء هؤلاء المسؤولين الثلاثة انتماءهم إلى القبائل المصمودية والصنهاجية.

كان ابن جلداسن يقوم في مهمته هذه بالتنسيق مع ابن المعلم حيث كانا "يجتمعان كل غدوة على المصالح، ويفترقان إلى النصائح، وأقاما على هذا من تاريخ مشي السيد الأعلى أبي يعقوب إلى الحضرة بالاستدعاء مدة إلى أن كانت وفاة الخليفة (عبد المومن)" (*المن بالإمامة*، 207).

وبعد تولي يوسف للخلافة، أقر ابن جلداسن على نظره في الأشغال، وأضاف إليه "النظر في الأسهام"، بينما أفرد أبا عبد الله ابن المعلم الأيلاني "بإشراف الأعمال" بإشبيلية. وبصفتهما مسؤولين رسميين في إشبيلية نجدهما سنة 561 / 1165 في طليعة مستقبلي الوالي الجديد لإشبيلية أبي عبد الله بن أبي إبراهيم (*المن بالإمامة*، 295) ويبدو أن ابن المعلم قد صدر منه تفريط أوجب إخضاعه للمحاسبة ومراجعة أعماله ثم عزله، وأسندت المهام التي كان يتولاها إلى ابن جلداسن الذي تدل ترقياته المتعددة على أنه كان أقدر على إثبات كفاءته في القيام بما كان يسند إليه من مسؤوليات، وتم هذا التغيير أثناء زيارة الخليفة يوسف بن عبد المومن إلى إشبيلية في شوال سنة 566 / يونيه - يوليوز 1171 (*البيان المغرب*، 121).

هكذا أصبح ابن جلداسن "مشرف إشبيلية وأمين أمير المؤمنين"، مما يدل على مدى الثقة التي كان يحظى بها لدى الخليفة الذي كلفه بالإشراف على مشروع زراعي هام تمثل في غرس مساحات شاسعة من الأراضي بضواحي إشبيلية حول قصور البحيرة بأنواع جيدة من الزيتون وأشجار الفواكه المختلفة، وذلك سنة 567 / 71 - 1172، فكان تحت نظر ابن جلداسن "وعمله تقييد الإنفاق في الاغتراس والبناء في الشهادة على ذلك كل يوم" (*المن بالإمامة*، 467).

وعندما أمر الخليفة يوسف ببناء المسجد الكبير بإشبيلية كلف أيضاً ابن جلداسن نظراً لثقته به حتى وصفه ابن صاحب الصلاة "بخاصة أمير المومنين ومشرفه على الأعمال" (نفس المصدر، 476)، فكان مسؤولا عن تقييد الإنفاق على المشروع، ويظهر أن ثقة الخليفة بابن جلداسن كانت في محلها، إذا عرفنا أن هذا المشروع عرف تقصيراً وخيانة من بعض المساهمين فيه من العلماء والشخصيات الأندلسية مثل أبي بكر ابن زهر وأبي بكر البناقي و"عبد الرحمن بن أبي مروان بن سعيد العنسي الغرناطي، فظهرت على كتابه وأصحابه خيانة فعزل وعزلوا واستبدلوا، ورجع النظر إلى أبي داود (ابن جلداسن) واستبد مع خاصته تحت أمر إبراهيم الدباغ مع مشاركة ابن زهر المذكور" (*المن*، 476).

ولم يزل ابن جلداسن يترقى في سلم الإدارة الموحدية بالأندلس حتى أصبح عاملاً على إشبيلية، وعند عبور الخليفة يوسف إلى الأندلس برسم الحملة على شنترين في صفر عام 580 / ماي - يونيه 1184، نزل إشبيلية، وعند توجهه للجهاد كلف عامله ابن جلداسن بمشروع معماري ضخم تمثل في بناء سور حصين على قصبة إشبيلية، وبناء صومعة للمسجد الكبير تكون في اتصال مع السور المذكور، وبناء دار صنعة للقطائع، فبدأ أبو داود ابن جلداسن في هدم مجموعة من الدور التي تقع في موقع المشروع، وشرع في حفر أساس السور لكن المنية عاجلته بعد شهر ونصف من ذلك سنة 580 / 1184، ثم توفي الخليفة يوسف متأثراً بجراحه في غزوة شنترين بعد مدة قليلة، فلما بويع الخليفة المنصور عين عاملا جديداً على إشبيلية خلفا لابن جلداسن، وتعطل مشروع بناء صومعة جامع إشبيلية إلى أن زارها الخليفة المنصور سنة 584 / 88 - 1189 فأعطى أوامره بإصلاح المسجد الجامع وإتمام بناء صومعته الذي استغرق سنوات من العمل.


ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، تح. ع. التازي، بيروت، 1964 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تح. مجموعة من الأساتذة، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين، عصر الموحدين*، القاهرة، 1964.


محمد المغراوي

**الجلسة**، مصطلح فقهي مغربي، وهي حسب العمل الفاسي : "عقدة خاصة بدكان أو كل مكان في ملك الأوقاف وضع فيه المكتري تجهيزات معينة". ويعرفها ميو (ص 70) بأنها كراء دار أو حمام أو حانوت أو فندق. وعلى المكتري أن يرمم ما تلاشى بالشيء المُكرى أو يزينه. وقد شاعت الجلسة في أملاك الأوقاف بصفة خاصة، ولذلك اعتبرها الفقهاء ضرباً من إجارة الوقف ونوعاً من أنواع الانتفاع بالأعيان الموقوفة واستغلالها والتصرف فيها. ولم تكن خاصة بدور السكنى بل نجدها غالباً في الدكاكين والمطاحن والمعامل والمدابغ والفنادق. وهي كراء لأمد معلوم.

لم تكن كلمة الجلسة معروفة في كل أنحاء المغرب، بل كانت شائعة في مدن فاس ومكناس وسلا والرباط وتطوان وشفشاون والعرائش والقصر الكبير وغيرها من مدن الشمال، في حين يقابلها اسم الحلاوة في مراكش. ومنشأ الجلسة حسب تفسير الفقهاء إنما سببه تجزئة المنفعة، بحيث إن مالك المنفعة إذا شارك غيره فيها، فمن كان منهما

ملازماً للجلوس بها سمي مالك الجلسة، وسمي الآخر مالك المنفعة تمييزاً بينهما، فالأساس المصطلح عليها في ذلك يرجع لجانب المنفعة فقط. فإذا باع ذلك الجالس حصته يسمى بائع الجلسة أو المفتاح، وإذا باع الآخر حصته يسمى بائع المنفعة بالاسم العام أو الزينة باعتبار الاسم الخاص، ولاتقويم للجلسة إلا برضى صاحبي المنفعة والجلسة معاً، فلا يختص أحدهما برأي دون الاخر، ولا يُلزم أحدُهما الآخر بما يراه من الكراء ولا من رفع اليد والأنقاض ولو اندرست العدة التي هي لصاحب الجلسة، إلاَّ أن الكراء الواجب لذي الأصل لازم لذي الجلسة سواء انتفع أم لا (ع. گنون، جنى *زهرة الآس في شرح نظم عمل فاس*، ص 70). وبالرغم من أن الجلسة لاتستند إلى نص شرعي فقد صارت متداولة نتيجة للعادات المتكررة وسكون النفوس إليها.

كذلك الجلسةُ والجــــزاءُ ... جرى على التبقية القضـــــاءُ

وقد أثارت مشروعية الجلسة جدلا بين الفقهاء خاصة فيما بين القرنين العاشر والحادي عشر (16 ـ 17م)، واعتبر البعض أن الأصل في مشروعيتها ـ وغيرها من المنافع الوقفية ـ هي فقط المصلحة ببيع منفعة الوقف المعطل والمتلاشي بثمن مقسط على الشهور أو السنين بيعاً معبراً عنه بالجلسة، وفي هذا يقول عبد القادر الفاسي (ت. 1091) : "إن الأصل فيما ذكر إنما هو المنفعة المتملكة بعقد الكراء ولا فرق في ذلك بين الحوانيت والفدادين وغيرها، إذ كل منها عقد كراء وان كانت المدة والأجل مختلفة" (*حوالة كبرى مكناس*، ص. 140).

إلا أن بعض الفقهاء لم يجيزوا العمل بالجلسة واعتبروها من الباطل المضاد لنصوص الشرع، بدعة لايوجد لها ذكر عند الفقهاء المتقدمين :

والجلسة التي جـرت بفــــاس ... لدى الحوانيت بلا التبـــاس

ليس لها في الشرع أصلٌ يُعلَـمُ ... ولاقياسٌ قاله مَنْ يفهـــمُ

وفي هذا الإطار قال عبد الواحد ابن عاشر (ت. 1040 هـ) ما يفيد أن الجلسة ليست لها زكائز وقواعد شرعية : "إن الجلسات ومن جملتها عدة الأرحى كل ذلك لا أصل له، ولكن جرت عادة أهل فاس باعتبارها والاعتماد عليها" (ع. گنون، شرح *نظم عمل فاس*، ص 70). وقد أجاب الشيخ محمد ميارة (ت. 1072) حينما سئل عن الجلسة التي جرى بها عمل الناس في الحوانيت هل جائزة أم ممنوعة ؟ وما وجه منعها إن كانت ممنوعة ؟ فأجاب : "أما مسألة الجلسة، فلم أقف على نص فيها ولا أظنه يوجد لأنها محض اصطلاح من المتأخرين".

ونفس الشيء ذهب إليه مفتي فاس وقاضيها محمد بن الحسن المجاصي (ت. 1103 هـ) في *نوازله*، من كون الجلسة من الوسائل الرديئة التي أمكن للأشخاص بواسطها التمتع بمنافعها".

وأضاف : "وقد أفتى جماعة من المحققين كابن جلال وابن عاشر والمقري وغيرهم أن الجلسة بدعة باطلة وبلية متى أمكن التنصل منها أزيلت .. فالحزم غلق أبواب الجُلس إن أمكن الوصول إليه" (*حوالة كبرى مكناس* (5) ص 143 ـ 144).

ومع أن هؤلاء العلماء لم يؤكدوا على الجلسة وتحفظوا في قبولها فإنها أصبحت عرفا جاريا العمل به خاصة في ممتلكات الأحباس وبالأخص في الدكاكين، قال الشيخ القاضي بنسودة في جواب بيَّن فيه العرف الجاري وما وقع عليه العمل" الجلسة جارية مجرى الغرس في أراضي الأحباس وهي على التبقية في حوانيت الحبس" (المصدر السابق) ويضيف المجاطي : "والجُلس ... عمت بها البلوى، ودخلت بيد مُلاكها بالثمن الوفار وطال الأمر فيها في الأزمنة الكثيرة" (محمد بنعبد الله، *ناظر الوقف* 12، ص 47).

وعن أصل الجُلس يتحدث القاضي العربي بردلة (ت. 1133 هـ) بقوله : "ليعلم الواقف عليه أن أصل الجُلس ومصلحتها التي روعيت في إحداثها هي أن الذي تُملَّكُ له الجلسة ويمكَّنُ منها، وحاصلها المربوط عليه، ومعناها الذي يرجع إليه حالها هو كون الكراء له على التبقية لايخرج إلا إن رضي بالخروج أو يخل بالمصلحة التي روعيت في إحداثها" (*حوالة أحباس كبرى مكناس*، رقم 5 ص 142).

فللجلسة شروط تتخلص في : "أن يكون مَن تُملَّكُ له الجلسة ويمكَّن منها أن يجعل الأصل بيده على التبقية بكراء المثل، يكون على الحانوت مثلاً بمثابة الناظر عليها، ويقوم بأمورها ويحوطها، ويناضل على حقوقها ومرافقها، ويسعي في عمارتها، ويقف لإصلاحها وقوف المالك على ملكه العزيز عليه، ويكون مع ذلك متكفلاً بوجيبتها للحبس على النصف غير مماطل ولامسوف، عمرت الحانوت أو خلت نفقت أو كسدت، كان مرغوباً فيها أو مرغوباً عنها" (*حوالة كبرى مكناس* (5) ص 142).

إذن يعدّ صاحب الجلسة بمثابة المالك، له حق التصرف التام بالبيع والشراء، والهدم والبناء وجميع تصرفات أرباب الملك، وليس لصاحب الأصل الحق في مراجعته أو إخراجه مادام قائماً بمصلحة الملك مراعياً له محافظاً عليه، فإذا أخل بشرط من شروطها كما إذا تغافل صاحب الجلسة عن الملك وأهمله وتركه عرضة للخراب والتهديم أو إذا لم يلتزم للحبس بالوجيب أو نحو ذلك فلا يبقى له فيه جلسة.

والجلسة كما سبق الذكر كراء لأمد معلوم. وقد جعل القاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي هذه المدة سنة واحدة فقط ـ (خلافاً للجزاء الذي قد يكون كراء لأمد طويل أو على التأبيد) ـ فإذا انقضت المدة التي وقع عليها العقد ووقع التشاح. يقول القاضي ابن سودة : "ألزم ذو الجلسة بكراء وسط على المعروف وقت التشاح، وألزم ذو الأصل قبوله، وان اتفقا علي تقويم الجلسة قومت قيمة عدل لاعلى أنها نقض منفصلة عن الأصل، وان شاء ذو الجلسة رفع أنقاضه التي لاحق لغيره فيها فله ذلك، ولا مقال لرب

الأصل في إلزامه المكث بكراء وسط ولا تقويم عليه ولا قلع لأنها جارية مجرى الأجزية وعقودها. ولايخفى حكمها الجاري في الأحباس ..." (ع. گنون، *العمل الفاسي*، ص 71).

وإذا مات صاحب الجلسة يرثها ورثته ويقومون مقامه على القدر المقرر. فلا يحقّ لناظر الأحباس كان أو غيره أن يحوز المفتاح من الورثة، وللورثة حق التصرف في المفتاح المعبر عنه في العرف بالجلسة بأن يقتسموهُ على فرائضهم أو أن يتخلوا عنه لبعضهم بعضاً أو لغيرهم بعوض أو بغير عوض كما أنه يباع ويوفى منه دينه ويصير إلى بيت المال إذا لم يكن له وارث.

ويشوب الغمُوض تاريخ ظهور الجلسة وكيفية ظهورها، ويمكن التأكيد أن ظهورها مرتبط بضعف سلطة المخزن، فالاضطرابات التي عرفها المغرب أواخر العصر المريني وما تعرضت له الأحباس من نهب وسلب وما ترتب عن ذلك من تضاؤل لمداخيل الأحباس كانت إحدى أسباب ظهور الجلسة، فالراجح إذاً أن هذه الأخيرة، بدأت في الظهور مع نهاية الحكم المريني في القرن التاسع (15 م) خاصة وأن أحمد بن يحيى الونشريسي (ت. 914 هـ) في *المعيار* في القسم المتضمن لنوازل الأحباس لم يتطرق إلى الجلسة، في حين تحدث عن الجزاء والكراء في صفحات عديدة من كتابه.

وحدد ميليو نشوء الجلسة في ظرف ثلاثة قرون بين القرن الثامن والعاشر الهجريين، ففي تلك الحقبة نشأت وتطورت وأخذت شكلها النهائي. إلا أن الفترة التي صارت فيها الجلسة عرفاً معمولاً به شابها الغموض. وبمقارنة بسيطة لمضمون النصوص التي تحدثت عن الجلسة مع العصر الذي عاش فيه مؤلفوها يمكن تحديد هذا التاريخ بالتقريب وأن كانت غير بعيدة من بداية العصر العلوي، ففي الفترة بين القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين ناقشت مدرسة فقهاء فاس بإمعان ودقة شرعية الجلسة وانتهت بالاتفاق على شكلها (القانوني)، وصارت فيما بعد كما يقول محمد بن الحسن المجاصي، بعدد الأملاك الحبسية (مييو، *تجزئة الأحباس*، ص 42).

وفي عهد المولى إسماعيل أثير جدل حول الجلسة، وأعيد النظر فيها لما ثبت لدى قاضي الحضرة المكناسية أبي مدين محمد بن الحسين السوسي (ت. 1120 هـ) ضررُها بالنسبة للأحباس فحكم" بإبطال حكم الشركة بين أصحاب الجُلس المالكة لجميع الأصل في جميع الحوانيت الموقوفة إبطالاً كلياً" (*حوالة أحباس كبرى مكناس* (5) ص 183). إلا أن ذلك لم يحل دون استمرارها وصار الناس في العهود التالية يتنافسون في شرائها، وألحقوها بالأصول، حتى إنها كانت تشتري للأيتام والمحاجر لكونها مأمونة، والراجح أن سبب ذلك يعود إلى ضعف الجهاز المشرف على الأحباس، وتهاون النظار الذين لم يعودوا قادرين على النظر بجد فيما يعترض سير مؤسستهم من مشاكل، واستولى الخواص على الأملاك الحبسية ولم تعد الأحباس تملك سوى الاسم لأن الجلس صارت تباع وتشترى وتورث دون علم النظار أحياناً.

إن نشأة الجلسة وتطورها في الظروف السالفة الذكر أدى إلى تجزئة المنفعة وإخراج بعض الأملاك من يد الأحباس مما كانت له عواقب وخيمة على مداخيل الأوقاف وسير المرافق التي كانت تمون من تلك المداخيل. وقد تمت محاولات لتدارك ذلك في بداية عهد الحماية فصدرت عدة ظهائر ضبطت الجلسة وغيرها من المنافع منها ظهير 27 يبراير 1914، وظهير 2 يونيو 1415 وظهير 8 يوليوز 1916، كما صدر في 31 مارس 1938 ظهير في شأن تصفية الأملاك الحبسية من شوائب الجلسة وغيرها... وتجدر الإشارة أخيراً إلى أن الجلسة تفرعت عنها أنواع أخرى من المناقع كالزينة والمفتاح والاستغراق.

*حوالة أحباس كبرى مكناس*، رقم 5، ص 138 . 144 ؛ *النصوص التشريعية التنظيمية الخاصة بالأوقاف* : 1973 ؛ ع. گنون، "*جنى زهر الآس في شرح نظم عمل فاس*"، القاهرة، د. ت . ص، 70 . 71؛ بلمقدم رقية، *أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل*، الجزء الأول، ص. 108 . 116، الجزء الثاني، ص. 465 . 484.

E. Michaux Bellaire, *Le gza et la guelsa*, *R.M.M.*, 1911, p. 217 - 248 ; L. Millot, *Demembrement des Habous*, Paris, 1918.

رقية بلمقدم

**الجَلْكا** أو الجُلَكَى Lampraie، سمكة تنتمي إلى الفقريات، وهي من أكثرَها بدائية لا من حيث التكوين ولا من حيث طريقة العيش، وقد صنفها العديد من العلماء القدامى من بين الأسماك إلا أن الدراسات الحديثة خلقت لهذا النوع ولأمثاله مجمرعة تصنيفية جديدة أطلق عليها اسم "Agnather" وما يمكننا نحن نسميه "اللاّفكّيات" أي الحيوانات الفقريات التي لها فم مستدير كالمحجم لا يتحكم في تحريكه فَكّان.

للجلكا جسم ثعباني الشكل قد يصل طوله ما بين عشرين سنتمترا وحوالي متر تقريبا مدعوم داخليا بجهاز عظمي عضرفي يمتد من مقدمة الرأس حتى مؤخرة الذنب. تتحرك الجلكا بواسطة أربعة زعانف اثنان منها ظهرية (مؤخرة الظهر) والثالثة ذنبية والرابعة إستية.

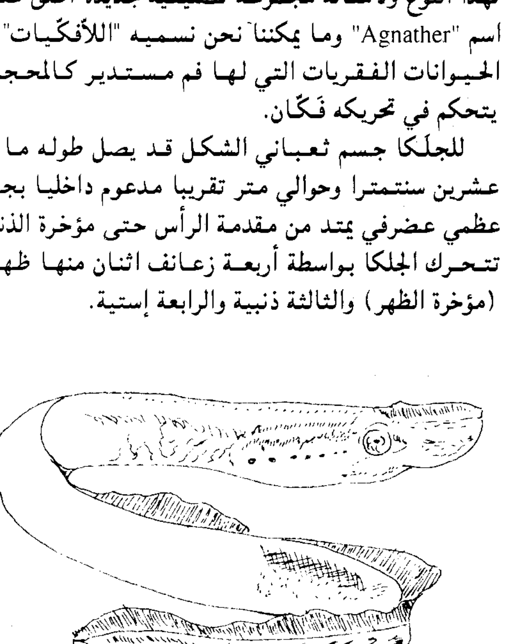

تتغذى الجلكا معظم حياتها كالعلقة على دم ضحاياها من الأسماك وتتنفس بواسطة سبعة جيوب خيشومية تصلها بالوسط الخارجي سبعة فتحات جانبية. ولا تتوالد الجلكات إلا مرة واحدة طوال حياتها حيث أن دُنُو الوقت التي تعطي فيه الحياة يعتبر في نفس الوقت دُنُواً لنهاية حياتها. وبالفعل عندما يقترب وقت التجانس يبدأ الذكور بالهجرة نحو المياه القارية (الوديان والأنهار) حيث تتغير ألوانها وسلوكها، فيبدأ كل واحد منها بالبحث عن كثبان رملية يشق فيها خطوطا يدفن فيها نفسه في انتظار وصول الإناث. بعد حضور هاته الأخيرة مثقلة ببيضها يتم جلبها من طرف الذكور إلى تلك الخطوط لتضع فيها بيضها قبل أن تخصب من طرف هؤلاء ليختفي بعد ذلك الكل إناثا وذكورا وإلى الأبد.

بعد نقْف البيض تخرج الصغار في شكل مغاير بالنسبة للكبار، فتطمر نفسها في الوحل وتتغذى بالحيوانات الدقيقة الحجم، وكذلك بالمواد العضوية الموجودة في الوحل وفي الماء إلى أن تكبر قليلا فتبدأ بالهجرة إلى البحر عبر مصبات الأنهار، فتبحث لنفسها عن أسماك تلتصق بها بواسطة فمها الدائري الشكل والذي يُوظف كمحْجَم يمكنها من امتصاص دم ضحاياها خاصة أن لسانها بخشونة المبْرد يمكنها بحركاته من تمزيق جلد الضحايا وتفتيت لحمها والاستفادة من دمها وفتات لحمها.

يوجد في المغرب نوعان اثنان من الجلكات، ولا شك أن أشهرها هو Petromyzon marinus الذي يبلغ حوالي المتر طولا والذي ينتشر في المنطقة المتوسطية والأطلسية الشمالية.

قد يستفيد الإنسان من لحم الجلكات في عاداته الغذائية كما يستفيد من لحوم الأسماك إلا أن تناولها يفرض طبخها لمدة طويلة تسمح بتطهير دمها من السموم التي تؤدي إلى أمراض الجهاز العصبي عند الإنسان.

H.W. Fowler, *The marine fisher of west Africa. Bull. Am. Mus. Hist.* vol. LXX, fast 1 : 14,1936, 93 p. : P. Bougis, *Les poissons marins*, Tome 1 / 2, p. 201-234 ; A.C. Camprell et Nicholls, *Guide de la faune et de la flore littorales du mers d'Europe*, Genève, 322 p., 1968 ; H. Ph. Dollfus, *Première contribution : l'établissement d'un fichier ichtyologique de Maroc altantique de Tanger à l'embouchure de l'Oued Dra. Trav. Inst. Sci. chérif., Zoologie*, 6 : 226 p., 1955.

محمد منيوي

**الجلابة**، أو الجلاَّب أو الجلاَّبية، لباس معروف محرف على ألسن عامة الناس من أهل المغرب هكذا عن لفظة الجلباب العربية الأصل. وهو عباءة واسعة عريضة تتألف من ثلاثة أجزاء رئيسية يندمج بعضها في بعض بواسطة الخياطة اليدوية. غطاء الرأس ويسمى "القب" وغطاء اليدين يعرف بالأكمام وغطاء البدن ويدعى "الكسدة". وهي لباس خارجي يوضع فوق الملابس الداخلية، يشبه إلى حد كبير العباءة المتداولة في مصر المعروفة بالگلاَّبية (بجيم مقعودة) لكنها تختلف عنها في أنها مخيطة من الأمام من العنق إلى الرجلين ولها قب خاص بتغطية الرأس.

يتخذ الجلاَّب من جميع الأثواب والألوان، ويختلف قماشه وحجم نسيجه وحجم قبه وعرض أكمامه واتساع كسدته باختلاف المناطق والفئات الاجتماعية وفصول السنة. كان في بداية أمره لباساً خاصاً بالذكور ثم انتقل استعماله إلى عالم النساء، وسرعان ما أصبح الجلاَّب النسوي متميزاً عن جلاب الذكور بجودة قماشه ورشاقة أشكاله وتعدد أنواع خياطته وتوشيته وتهذيبه، وكان الجنسان معاً ذكوراً وإناثاً يتخذونه من أقمشة الصوف المتينة الدافئة في الفصول الباردة، ومن ملف خفيف أو قطن أو كتان في الفصول المعتدلة والحارة.

يقتني الشخص، ذكراً أو أنثى، قماشاً يختاره من سوق القيسارية أو يشتريه من عند الدرَّاز "خرقة" واحدة ويأخذه إلى الخياط ليباشر تقطيعه وتفصيله علي مقاس القد والأطراف. وبعد الانتهاء من عملية الخياطة يصبح القماش جلباباً صالحاً للارتداد اشتهر عند الناس بأن له سبع فتحات : فتحة القب والعنق ومدخل اليد اليمنى واليسرى وفتحة في الجانب الأيسر والأيمن وفتحة الأسفل (حاجيتك علي اللي تبدأ بالجيم والجيم صنعوها الفهَّام، وداروا لها سبع فَّامْ، بحال جهنّم).

وقد كان الجلاَّب في بداية أمره واسعاً فضفاضاً ثم أصبح فيما بعد أكثر اقتراباً من الجسم دون أن يحدد ملامح البدن أو يحصرها. وإذا كان "الحسبيّون" و "الزمنيون" لمدة طويلة إلى فترة مابعد الخمسينات لايرتدونه إلا مهوى واسعاً فضفاضاً، فإن شباب الجيل الجديد أصبحوا لايلبسونه إلا مقدوداً ملامساً للأعضاء (sur mesure).

وتذكر كل المصادر التاريخية دون استثناء أن رداء الجلاَّب بشكله المعروف اليوم لم يكن متداولا بين الناس قبل القرن الثالث عشر (19 م) ويؤكد البعض منها بأن انتشاره

بين عموم السكان لم يبدأ إلا في نهاية القرن المذكور. وقد حل ارتداؤه بالتدريج محل "الكسا"، الذي كان يوضع فوق اللباس الداخلي كرداء خارجي، وبدأ يتراجع وحلَّ الجلباب شيئاً فشيئاً محل "الكسا" بعد أن كان أمره لايتعدى أوساط المخزن والأقلبة من ذوي اليسر والثراء. وباستمرار التطور، أُقصي "الكسا" من التداول وعوَّضه "الجلاّب" الذي أصبح يرتدى فوق الملابس الداخلية إمّا مع السلهام أو بدونه.

وما كاد ينتهي النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م) حتى خرج "الكسا" من التداول، إلا في حالات نادرة ولم يحافظ على استمراره كرداء يلبس تحت السلهام إلا في بعض الحفلات الرسمية خاصة لدي أوساط المخزن. وقد أصبح "الكساء" حالياً مجرد قطعة متحفية وعوضه الجلاّب الذي تطورت أشكاله وألوانه وساد استعماله عند جميع طبقات المجتمع.

وفي مغرب عهد الحماية أصبح الجلباب رمزاً أساسياً من رموز الهندام المغربي. لذلك استعملته الحركة الوطنية في معركة معاكسة الاستعمار كوسيلة من وسائل المقاومة وصيانة الهوية الوطنية والدفاع عن الذات بالإضافة إلى رديفه الطربوش.


عبد الله التليدي، *المطرب في مشاهير أولياء المغرب*، طنجة 1987؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء الأول، الدار البيضاء 1960 ؛ م. شماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته*، الرباط 1980 ؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، الجزء الأول، الرباط 1976 ؛ *جريدة الاتحاد الاشتراكي*، عدد 3625 بتاريخ 13 يوليوز 1993.

R. Montagne, *Où en est l'évolution sociale du Maroc*, *L'Afrique et l'Asie*, n° 9, 1er trim. 1950 ; R. Landau, *The beauty of Morocco, London 1951* ; L. Brunot, *Au seuil de la vie marocaine*, Casablanca, 1950 ; A. Sefrioui, *Le costume citadin*, in *La Grande Encyclopédie du Maroc*, vol. 2, Rabat 1987 ; *Archives marocaines*, tome 15, année 1909 ; W. Marcais, *Djellab*, *E.I.*, 1ère éd., tome 1, année 1913.


محمد بوسلام

**جلّول، محمد** مقاوم ولد سنة 1903 بمدينة بركان تاوريرت، وكان من رجال الحركة الوطنية المجاهدين ومن المسؤولين الرئيسين عن ثورة 17 غشت 1953 التي اندلعت بمدينة بركان ومركز تافوغالت حيث انتفضت قبائل بني ازناسن انتفاضة عارمة ضد الاستعمار، الأمر الذي عرضه للاعتقال والحكم عليه بالسجن لمدة سنتين قضاها بسجن العادر، وكان بيته في بركان منتدى لعقد الاجتماعات وتنظيم اللقاءات السرية للوطنيين.

توفي بمسقط رأسه في 8 شعبان عام 1415 / 10 يناير 1995.


*وثائق المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير.*


**ابن جلون** أو ابن جلّول - باللام - أو بنجلون - كلمة واحدة - أسرة كبيرة في المغرب تتألف من عدة فروع، قلما يعرف فرع منها مايربطه بالفروع الأخرى، ويميز بعضها أحياناً بنعوت خاصة، مثل ابن جلون الأندلسي - التويمي - الجبينة - الضخامة، الخ ... ويبقى القاسم المشترك بين هؤلاء وأولئك هو اعتبارهم جميعاً من أصل فاسي وإن كان بعضهم يكوِّنون أسراً كبرى بأسفي وتطوان والرباط وغيرها.

أورد عبد الكبير الكتاني في *زهرة الآس* أن أصول هذه الأسرة بربرية، وجعلها تنتمي إلى قبيلة گومية الموجودة بالمغرب الأوسط، وذكر أن عناصر عديدة من هذه الأسرة رحلت إلى الأندلس في عهد عبد المؤمن الموحدي، وتكاثروا وتفرّعوا ونسوا أصولهم البربرية. ولما كانت النكبة الأندلسية نزحت منهم أفواج هامّة إلى المغرب على الخصوص، بينما استوطنت بعض الأسر منهم الجزائر وتونس وبعض أقطار الشرق العربي.

نعلم بناء علي الواقع الملحوظ وحسب الأخبار المنقولة أنهم اختاروا الإقامة بفاس، وهي يومئذ قبلة الأندلسيين الأولى، وبعضهم نزل بطنجة وآخرون بتطوان، قبل ان يستوطنوا مدناً أخرى بالمغرب، مثل وجدة وأسفي والجديدة والصويرة، إمّا للتجارة وإمّا استجابة لداعي المخزن الذي عيّنهم في وظائف هناك، مثل القضاء أو نظارة الأوقاف أو أمانة المرسى، فأسسوا فروعاً للأسرة الكبرى في هذه المدن.

ومن الملاحظ أن بعضهم يضيف نسبة "الگومي" إلى اسمه العائلي، ومنهم من اتخذ لأبنائه أسماء لها رنّة بربرية كما فعل والد العالم بعلم الحساب والموسيقى الشيخ حدّو بنجلون الذي كان يلقّن فنونه بالقرويين في غضون النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م)، وقد كان يلازمه تلامذة كثيرون نذكر من بينهم السيخ إبراهيم بن محمد التادلي الرباطي المتوفى عام 1311 هـ. وعلى غرار والد الشيخ حدّو، أذكر أحد أجدادي الذي سمى أحد أبنائه حمُّ الذي كان في وقته من أقطاب أسفي.

وفي تطوان، سمّى بعض عناصر هذه الأسرة بناتهم بأسماء تارة ذات رنّة بربرية مثل "رقّوشة" و "فامة" وتارة ذات رنّة إسبانية مثل "رانيا" و "رينة" وغيرهما، علماً أن هذا الاسم الأخير يعني ملكة.

وسألني أكثر من واحد هل اسم الأسرة يكتب في الختام باللام أو بالنون وما هو الأصحّ، وهل اسم الأسرة المسبوق بـ "ابن" و"بن" يكتب في كُلمة واحدة أو في شقين ؟ إن الموجود في كتب التراجم هو ابن جلون" - وأحياناً باللام في الأخير، لكن ادماج الكلمتين في اسم واحد "بنجلون" إنما حدث مع استحداث الحالة المدنية، وهذا ما وقع فعلاً عام 1952 بفاس والدار البيضاء مع الاتفاق الضمني على أن اسم الأسرة يختم بـ "النون" مع الحفاظ باللام لمن ألحّ في ذلك ممّن يعنيهم الأمر. إن اسم هذه الأسرة المختوم باللام

موجود بفاس ووجدة والرباط ومدن أخرى وحتى في البوادي، ذلك أن لفظ جلول كان يستعمل ومايزال، لتسمية الجيلالي الذي ينادي جلول كعبد العزيز الذي ينادى عزّوز وعبد القادر قدّور وخديجة خدّوج وغير ذلك من الأسماء التي تُحرَّف تحريفاً، إما تكريماً لحامليها وإما تحقيراً لهم.

وجاء في *زهرة الآس* كذلك : "بني جلول بيت قديم بفاس ينسب إلى الشيخ الشهير والولي الصالح سيدي عبد الجليل المدعو جلول بن الحاج العيساوي، من أولاد عيسى القبيلة المعروفة بالغرب والحاج الذي ينسب إليه ليس هو والده وأبوه حسّاً، وإنما والده المعنوي وشيخه سيدي الحاج الرامي التواتي دفين خارج باب عجيسة، وقد عاصر السلطان السعدي محمد الشيخ الملقّب بالمهدي". ثم أضاف : "كان صاحب الترجمة مجذوباً هائماً، مولها غائباً في الله لم يهتم بأي شيء من متاع الدنيا ولم يتزوج (...) كان يمشي في الأزقة ويقول : "انصروا جلول، الله ينصر السلطان جلول. ان بن جلول تاگيدة الغرب (يعني عمدته) وتوفي جلول هذا يوم 17 شوال 1037 هـ / 20 يونيه 1628م وضريحه معروف بداره الكائنة بأقصى دربه المشهور به، وقبره مزار متبرك به".

إلى جانب جلول، ذكر مؤلف *زهر الآس* بعض الأسماء من أسرة ابن جلون - بالنون - دون أن يتعرّض لأصولهم ولا إلى إشكالية الخط بخصوص اللام أو النون. ويذهب اليوم مؤيدو كتابة الاسم بالنون إلى قياسه على ابن زيدون وابن خلدون وابن حمدون ... بدعوى أن آل بن جلون نزحوا إلى المغرب قادمين من الأندلس على إثر النكبة التاريخية المعروفة. بقي أن أقول كلمة عامة في حق جميع فروع هذه الأسرة وهي : أن الحياة المغربية تزخر بأسماء لامعة من جميع عناصر آل ابن جلون وأنّ التصور العام لدى الناس هو أن آل بنجلون "أصحاب تجارة أساساً" وهذا غير صحيح مطلقاً، لأن منهم كذلك رجال علم وفكر، ومنهم قضاة ورجال قانون، ومنهم أصحاب حرف وصناعات.

عبد الكبير الكتاني، *زهر الآس*، مخطوط، خ. ع ؛ أ. بنجلون، *بحث خاص، مخطوط*.

ابن **جلون، أحمد** بن **أحمد** بن محمد التطواني ولد عام 1335 / 1917 وتلقى تعليمه بكتّاب كان يحادي المسجد الأعظم، ثم تابع تكوينه بمدرسة حرّة وبمعهد إسباني بتطوان. انخرط في سلك الحركة الوطنية مع أصدقائه الذين أسسوا حزب الاصلاح الوطني، عام 1355 / 1936، بزعامة عبد الخالق الطرّيس. في عام 1383 / 1963، انتخب أحمد ابن جلون عضواً في أول برلمان بعد الاستقلال، وذلك باسم حزب الاستقلال وهو الذي أسس مدرسة "الحياة" الحرة بتطوان.

توفي في شهر ذي الحجة 1412 / يونيه عام 1992 بمرتيل.

ابن **جلون، أحمد** بن **الطاهر** الرباطي، وصفه صاحب *الاغتباط* بالفقيه العلامة النزيه الناسك البركة الأبر، كما حلاّه تلميذه الأديب ابن عمرو في *فهرسته* بعبارات متقاربة. أخذ العلم عن شيخه القاضي أبي العباس الحكمي، ومارس التدريس ونظم الشعر الملحون في الأمداح، حسب ما ورد في تقاييد معاصريه. واشهر قصيدة ملحونة طويلة أنشأها كانت في مدح مكة المكرّمة. وله كذلك شعر موزون في الغزل، تميز برشيق اليراعة وأنيق العبارة، مثل الميمية التي مطلعها :

خليلي، ما بال الفؤاد مكلَّــمُ ... وعقلك حيرانٌ وهو متيــمُ
فان كان من فرط الصبابة والهوى ... فان قتيل الحب لاشك يُرحمُ

توفي يوم الأربعاء 25 جمادى الثانية عام 1234 / 21 أبريل 1819.

ابن **جلون، أحمد** بن **محمد** بن الهاشمي التطواني، حفظ القرآن بمسقط رأسه ثم رحل إلى فاس وتلقى نصيباً من العلم على شيوخ القرويين، ورجع إلى تطوان عام 1322/ 1904 واشتغل بالتدريس في الزاوية الدرقاوية وكان متأثراً بالشيخ الصوفي أحمد ابن عجيبة.

توفي بتطوان عام 1344/ 1925.

ابن **جلّون، إدريس** (الحاج -) ← ابن **جلون التويمي**

ابن **جلون، إدريس** بن محمد بن بناصر، ولد بأسفي عام 1287 / 1871، وبعدما تلقى تكوينه الأساسي بكتّاب مشهور بدرب الصومعة، انخرط في سلك طلبة الشيخ محمد المطاعي الذي كان يلقي دروسه بالمسجد الأعظم. وموازاة مع ذلك، مال إلى ممارسة التجارة، وتعلّم مبادئ الموسيقى كان أديباً محبّاً للشعر الغنائي الأندلسي يحفظ كثيراً من موشحاته.

إلى جانب ذلك كان يجالس أهل العلم وخاصة منهم أصحاب الطريقة الدرقاوية التي كانت زاويتها عامرة بأسفي، هي زاوية النخبة والأسر المرموقة، وكان مشهوراً بكرمه ينفق يومياً على عدد من الأسر الفقيرة.

وافته المنية بالجديدة عام 1353 / 1934.

ابن **جلون، بناصر** بن حمُّ بن الطيب الأسفي. تلقى تعليمه القرآني بأسفي، ثم رحل إلى مراكش طلباً للعلم، ومنها ذهب إلى فاس لنفس الغاية، ولما عاد إلى أسفي انتصب للعدالة وتلقى الشهادات إلى أن تولى أمانة مرسى أسفي عام 1281 / 1864، خلفا لوالده حمّ بن الطيب ابن جلون.

توفي في شهر شعبان 1286 / نونبر 1869.

أحمد بنجلون

ابن **جلون التويمي، إدريس** (الحاج -) ولد بفاس عام 1315 / 1897. وبها تلقى تعليمه الأولى. تفتقت موهبته الفنية وهو مايزال يافعا، فأخذ يتعلم على شيوخ المدينة فنون الإنشاد والعزف، وهكذا تتلمذ على محمد بن العربي ابن جلون، ومحمد البريهي، وعمر الجعيدي، ومحمد المطيري، والمنشد أحمد زويتن. ولما بلغ السابعة عشرة من عمره انتقل إلى مدينة الدار البيضاء حيث تابع تعليمه الثانوي بانتظام، ثم انقطع إلى بعض مشايخ العلم والدين يأخذ عنهم.

وجد الحاج إدريس في مسكنه الجديد ما حفزه على الاهتمام بالموسيقى الأندلسية، فكان من دعاة تأسيس "جمعية هواة الموسيقى الأندلسية" عام 1355 / 1937 وفي عام 1378 / 1958 عمل بتعاون مع ثلة من رجال الفن لعقد مؤتمر وطني للجمعية، حضره ولي عهد المملكة المغربية يومئذ، وشارك فيه هواة من مختلف المدن المغربية. وكان لهذه الجمعية إشعاع فني كبير، تمثل في تأسيس مدرسة لتعلم موسيقى "الآلة"، وإنشاء جوق "أصدقاء زرياب".

أنجز الحاج إدريس ابن جلون أعمالاً جليلة في مجال التعريف بمستعملات الموسيقى الأندلسية وتعليمها، واستكمال ميازينها. وأهم تلك الأعمال : تأليف كتاب *الدروس الأولية للموسيقى الأندلسية* في جزءين تضمنا مجموع الصنعات والميازين التي قررت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية تلقينها بالمعاهد الموسيقية ؛ وتحقيق كناش الحايك وإصداره في كتاب تحت عنوان *التراث العربي المغربي في الموسيقى* - مستعملات نوبات الطرب الأندلسي المغربي : شعر - توشيح - أزجال - براول. وكان ذلك عام 1401 / 1981. وقد مهد له بمقدمة استعرض فيها بعض ما أنجزه المؤتمر الثاني للموسيقى العربية بفاس عام 1388 / 1969 بخصوص ضبط طبوع الموسيقى الأندلسية ؛ *وإعادة تركيب ميزان قائم ونصف الحجاز المشرقي* في تسعة وعشرين صنعة مستعيناً بما تفرق في الكنانيش وصدور الحفاظ ؛ *وإعادة تركيب ميزان قائم ونصف الرصد* من ستة وعشرين صنعة. وقد عمد الحاج إدريس ابن جلون إلى تلحين أغلب صنعات هذين الميزانين، وذلك وفق الأسلوب المتوارث.

شارك المترجم في لجنة تسجيل النوبات الأندلسية التي أحدثتها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية خلال الستينات إلى جانب الحاج عبد الكريم الرايس ومحمد العربي التمسماني والمرحوم مولاي أحمد الوكيلي، وتم بالفعل تسجيل ثمان نوبات.

وبالإضافة إلى ما سبق شارك في أشغال المؤتمر الثاني للموسيقى العربية الذي انعقد بفاس عام 1969 الذي كان موضوعه "وصول الفن الموسيقي العربي إلى المغرب". كما حضر المؤتمر الدولي للموسيقى العربية المنعقد ببغداد سنة 1964، وكان من بين الموقعين على المذكرة التي رفعها المؤتمر إلى جامعة الدول العربية لحثها على إنشاء المجمع العربي للموسيقى. وقد حرص على تمثيل المغرب في مؤتمرات المجمع منذ تأسيسه، فشارك في دوراته الخمس الأوائل : يناير 1971 بطرابلس ؛ يبراير 1972 بالقاهرة ؛ يوليوز 1973 بالجزائر ؛ يبراير 1974 ببغداد ؛ أكتوبر 1977 بالرباط، أغنى هذه المؤتمرات ببحوث ودراسات أنجزها حول الموسيقى الأندلسية خاصة. وقد كرّمه المؤتمر السادس المنعقد بطرابلس في أبريل 1981 عندما قرر قبوله عضواً منتسباً في المجمع، وهي درجة تخول لمن أثبت إسهامه في إثراء المجمع العربي للموسيقى.

وبعد حياة حافلة بالعمل المتواصل أسلم الحاج إدريس ابن جلون روحه إلى بارئه في 29 محرم عام 1403/ 16 نونبر 1982 عن عمر يناهز الخامسة والثمانين.

إ. ابن جلون نفسه، *الدروس الأولية للموسيقى الأندلسية* ؛ *التراث العربي المغربي في الموسيقى* 1981 ؛ *معرفة شخصية* ؛ *وروايات شفوية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **جلون التويمي، عبد الكريم** بن بناصر. ولد بفاس عام 1329 / 1911، وبها تلقى التعليم الابتدائي، والثانوي في ثانوية مولاي إدريس، ثم انتقل إلى الرباط لمتابعة تكوينه في معهد الدراسات العليا المغربية" حيث حصل على بروفي الدراسات القضائية والإدارية المغربية، وواصل تكوينه إلى أن حصل على الإجازة في الحقوق والإجازة في الآداب.

في عام 1934، عيّن قاضياً بالمحكمة العليا الشريفة. وفي 11 يناير 1944، كان من من بين الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال، وشارك في مظاهرة أمام القصر الملكي يوم 29 يناير 1944 وعلى إثر ذلك. تمّ فصله عن الوظيفة العمومية ابتداء من فاتح فبراير 1944.

تم انتخابه عضواً في اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، وأخذ يمارس المحاماة بفاس ابتداء من أبريل 1948 إلى أن أُلقي عليه القبض عام 1950 بسبب نشاطه الوطني فحكم عليه بثلاثة أشهر حبساً بالرباط. وبعد خروجه من السجن مُنع من ممارسة مهنته بفاس. ثم سمح له بذلك ابتداء من يونيو 1952، إلى أن القي عليه القبض مرّة أخرى يوم 10 دجنبر 1952 فحكم عليه بالسجن في أغبالو جنوب المغرب. وأفرج عنه يوم 5 أكتوبر 1954.

بعد استقلال المغرب، عيّن عبد الكريم ابن جلون وزيراً للعدل في أوائل حكومة مغربية، ثم وزيراً للتربية الوطنية والشبيبة والرياضة من عام 1958 إلى عام 1960. وبعد ذلك رجع إلى ممارسة المحاماة بفاس وعين نقيبا للمحامين ثم انتخب رئيساً لمكتب النقباء بالمغرب. رافع في كثير من القضايا سواء بمراكش أو بالدار البيضاء أو بفاس في المحاكمات السياسية التي أعقبت بعض الاضطرانات في المغرب. وخلال هذه الفترة، كان يشارك في الندوات القانونية والثقافية، فتترك تدخلاته أثراً حميداً لدى المتتبعين لهذا النوع من الأنشطة.

توفي بفاس يوم 15 محرم 1397 / 26 دجنبر 1977.

أحمد بنلجون

ابن جلّون الجبينة، **عبد القادر** بن محمد. ولد بفاس يوم 6 ربيع الأول عام 1326 / 11 أبريل 1980. تابع تكوينه الأساسي بالكتّاب وبمدرسة عربية حرة. وبعد نيله شهادة الدروس الابتدائية، درس في ثانوية مولاي إدريس. وعندما حصل على شهادة الدراسات الثانوية الإسلامية وشهادة بروڤي دراسات السلك الأول الذي كان خاصّاً بالتعليم الفرنسي توجّه إلى فرنسا لاتمام دراسة فدخل إلى ليسي جانسون دوساييي حيث نجح في البكالوريا بقسميها

الأول والثاني، شعبة الآداب الكلاسيكية، وفي عام 1929، شرع في الدراسات القانونية وسجل في نفس الوقت في المدرسة الحرة للدراسات السياسية، وتخرج منها في شعبة "المالية الخاصّة".

تميز عبد القادر ابن جلون بنشاط كبير في جمعية طلبة شمال افريقيا، إلى جانب عدد من خيرة شباب المغرب والجزائر وتونس، وكان مقر الجمعية المذكورة بباريس. وفي عام 1931، شارك بمعية محمد حسن الوزاني وأحمد بلافريج ومحمد الفاسي ومحمد الخلطي، في تأليف كتاب بالفرنسية عنوانه : *عاصفة تجتاج المغرب* تطرق إلى السياسة الخرقاء التي تنهجها فرنسا بالمغرب خصوصاً بعد صدور الظهير البربري، وتضمن نقداً لاذعاً لهذه السياسة. وفي نفس الوقت كان ينشر مقالات سياسية تحت اسم مستعار وهو "مسلم بربري" وفي عام 1932، شارك مع محمد حسن الوزاني والاشتراكي الفرنسي روبير جان لونگي R.J. Longuet في انشاء مجلة مغرب وهي دورية فرنسية شهرية، يوقع فيها مقالاته مرّة بالحرفين "ع ـ ب" ومرّة باسم "قدور" وتارة أخرى تحت لقب "الزنبور". وبعد أن أوقفت السلطات الفرنسية هذه المجلة أنشأ عبد القادر ابن جلون وأصدقاؤه المغاربة والفرنسون مجلة *أطلس*.

وفي سنة 1934، حصل على الإجازة في الحقوق من جامعة باريس، فعاد إلى المغرب قصد العمل في المحاماة. وتدرَّب على المهنة تحت اشراف محامين فرنسيين مشهورين وبعد ثلاث سنوات (1937) استقل بعمله في الدار البيضاء.

إلى جانب المحاماة، كان لعبد القادر ابن جلون أنشطة موازية، منها أنه انتخب رئيساً لفريق الوداد البيضاوي لكرة القدم عام 1948، وقد عاش مع هذا الفريق بعض سنوات مجده، إذ هو الذي قاده إلى الجزائر للمشاركة في دوري الفرق البطلة لشمال افريقيا وكان اللقاء تاريخياً بفضل الصبغة الوطنية - في مدلولها السياسي - التي كانت لفريق الوداد.

في عام 1946، انتخب نائب الأمين العام لحزب الشورى والاستقلال وهو المنصب الذي سيحتفظ به مدّة عشر سنوات وفي عام 1947، ساهم بقسط وافر في إنشاء جريدة *الرأي العام* لسان حزب الشورى والاستقلال، فكان أحياناً يحرر الافتتاحيات وانطلق منذ عام 1951، يحضر بعض أعمال هيئة الأمم المتحدة بباريس (قصر شايو) وبنيويورك، وكان يتناول الكلمة بصفته مقرراً لحزب الشورى والاستقلال، مطالباً بحقوق المغرب في السيادة والاستقلال.

أثناء قيامه بالمحاماة وفي عهد الاستعمار ظل مجنّداً للدفاع عن الوطنين والمقاومين المغاربة أمام المحكمة العسكرية بالدار البيضاء. وذاع صيته في هذا المجال، وتميز بفصاحة اللسان وسداد الرأي ومهارة المرافعة، فحظي بتقدير المواطنين وباحترام سلطات الحماية.

لكن بعدما تأزمت العلاقات المغربية الفرنسية على إثر

نفي المغفور له الملك محمد الخامس، لم ينج عبد القادر من شراسة الإرهاب الفرنسي بالمغرب المعروف بـ "الوجود الفرنسي" وهو التنظيم الذي تأسس بالدار البيضاء بعد انفجار قنبلة السوق المركزي. فأخذ يتلقى منه تهديدات بالقتل، ومعاكسات في الطريق واستفزازات من بعض الفرنسيين. وتأكد له أن التهديدات حقيقية يوم ألقيت قنبلة على منزله، لكنه لم يصب منها إلا بخسارات مادية، ويوم قررت الشرطة الفرنسية مراقبة تحركاته ومكالماته الهاتفية. فهاجر إلى سويسرا واستقر بمدينة لوزان. وفي شهر غشت من عام 1955، انتدبه حزب الشورى والاستقلال لعضوية الوفد المغربي الذي تشكل لإجراء محادثات تمهيدية مع السلطات الفرنسية بمدينة إيكس لي بان قصد إيجاد حل للأزمة المغربية الفرنسية.

وبعد رجوع محمد الخامس من المنفى في منتصف نونبر 1955، شارك عبدالقادر ابن جلون في المفاوضات المغربية الفرنسية بباريس لإنهاء عقد الحماية واسترجاع المغرب لسيادته واستقلاله.

وفي مارس 1956، بعد الإعلان عن الاستقلال عُين عبد القادر وزيراً للمالية في أول حكومة مغربية برئاسة مبارك البكاي. وفي أوائل عام 1957، انتخب بالإجماع أول نقيب مغربي للمحامين بالدار البيضاء.

ومن عام 1961 إلى عام 1967، عُين وزيراً للشغل والشؤون الاجتماعية، ثم وزيراً للعدل. وبعد عام 1967. فضّل الابتعاد عن الحقل السياسي ليتفرغ إلى المحاماة، وفتح مكتبه للمتدربين، فاستقبل العديد منهم. وانعكس هذا النشاط في المحاماة على سمعته وخبرته وثقافته. فارتفعت مكانته بين المحامين، في المحافل الوطنية والأجنبية، وصار يمثل المغرب في المناظرات الدولية التي لها علاقة بالمحاماة والحقوق، ثم وقع عليه الاختيار من السلطات المغربية ليكون مستشاراً ومرافعا عن حقوق المغرب في ملفات المنازعات المغربية الفرنسية.

وقد أناط به الملك الحسن الثاني مهمة تقديم الملف المغربي المتعلق بالقضية الموريتانية في جمعية الأمم المتحدة، كما أوفده فيما بعد إلى باريس في إطار قضية الدليمي.

كان عبد القادر بنجلون موازاة مع انشطته السياسية والمهنية عضواً في "النادي الفرنسي المغربي" لكنه انسحب منه احتجاجاً على السياسية الفرنسية القمعية ـ وعضواً "بنادي الحلفاء" في باريس، و "نادي الاسد" بالمغرب، وجمعية قدماء طلبة مدرسة العلوم السياسيةُ (فرنسا) و"جمعية المحامين العرب".

توفي بالدار البيضاء يوم الجمعة سادس ذي القعدة عام 1409 / 8 ماي 1992 ووضع جثمانه في كهف أسرته بمقبرة الشهداء بالدار البيضاء .

*وثائق عائلية خاصة.*

لطيفة بنجلون ـ العروي

تعريب أحمد بنجلون

ابن **جلون الجبينة، محمد** بن **محمد** بن المفضل الفاسي، كان تاجراً كبيراً ـ كأبيه آتي الترجمة ـ إلا أنه بدّد ثروته بالتزلف إلى الحكّام حتى اضطر إلى بيع داره وأصبح خليفة لباشا فاس. ثم عين أميناً لمرسى الدار البيضاء، وظل بها إلى مات يوم الأحد خامس جمادى الثانية عام 1374 / 30 يناير 1955.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3298.

ابن **جلون الجبينة، محمد** بن **المفضل** الفاسي، لعلّه أول من لُقب بالجبينة من أولاد ابن جلون. كان تاجراً كبيراً ومثرياً شهيراً. توفي بفاس يوم الأحد متم قعدة عام 1322 / 5 فبراير 1905.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2836.

ابن **جلون، الحبيب** بن الطالب الفاسي. كان أبوه شيخ ركب الحجاج، واشتغل هو بالتجارة فاستغنى وتأثّل مالاً. قُتل بجامع القرويين أثناء خطبة الجمعة رابع ربيع الأول عام 1282، هجم عليه سوسيّ وطعنه بسكين على حين غرة، فقام أبناء الضحية وقتلوا السوسي في الحين، وقام هرج بالمسجد بحيث لم يسمع الخطبة ذلك اليوم إلا القليل من المصلين. واختلف الناس في سبب الاغتيال، فقيل إن السوسي طلب منه مالاً فمنعه، وقيل غير ذلك.

توفي منتصف ليلة السبت خامس ربيع الأول عام 1282 / 29 يوليوز 1865.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2628.

ابن **جلون، حدُّو** (الحاج –) شيخ جماعة الموسيقيين بفاس في القرن الثالث عشر (19 م). تخرج على يده نخبة من مهرة هذا الفن في مجالات العزف والغناء والتلقين. تلقى تعليمه عن الفنان عبد الحق الجابري. وقد أخذ عنه الموسيقى عالم الرباط إبراهيم التادلي ونعته بقوله : "كان أشيب، لا أحد في وقته يعرف ميزان الموسيقى سواه بصوته ويده، ويجلس مع صغار أرباب الموسيقى فيتميز صوته لحسنه. وكان آية في ضرب العود لاغير، وفي ضرب الطر الذي هو لجام الموسيقى وأساسها" وقد نسب إليه أنه أعاد تلحين أشعار ميزان القائم ونصف من نوبة غريبة الحسين الذي كان قد ضاع من قبل.

إ. التادلي، *أغاني السقا*، آخر الباب السابع.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **جلون، الحسن** (الحاج –) وُلد في 20 محرم عام 1319 / 9 ماي 1901 بفاس، وبها نشأ ودرس دراسة مزدوجة : في القرويين وفي المدارس العصرية، وكان من

مؤسسي جمعية قدماء ثانوية مولاي إدريس التي تعتبر أول جمعية أسست في عهد الحماية وأسهمت في إذكاء الروح الوطنية. شارك في أول بعثة تعليمية إلى الخارج، كما شارك في تأسيس مدرسة مولاي الحسن الحرة بالدار البيضاء، وأسس عدة شركات تجارية وصناعية. وكان من الموقعين على عريضة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال. وبعد نفي محمد الخامس سنة 1953 أبعد المترجم إلى سويسرا هو وعائلته وظل بها إلى أن رجع محمد الخامس إلى عرشه.

توفي بالدار البيضاء ليلة الأحد رابع محرم عام 1418 / 11 ماي 1997 ودفن بها عصر يوم الأحد الموالي، في موكب سار فيه حشد حاشد من الوطنيين والتجار وغيرهم.

حزب الاستقلال، *قائمة الشرف*، الرباط، 1988، ص. 38 ؛ جريدة *العلم*، العدد 17180 يوم الاثنين 5 محرم 1418 / 12 . 5 . 97.

ابن **جلون، الحسن** بن **عبد المجيد** الفاسي ولد عام 1290 / 1873 وبها درس على أعلام فقهاء عصره، فتخرّج مشاركاً في مختلف العلوم اللغوية والشرعية، متخصصاً "في الحساب والفرائض والمحاصاة، تخرج على يده عدة من الطلبة في هذا الفن".

من مؤلفاته شرح على كتاب *القلصادي في الحساب والجبر والمقابلة*. توفي بفاس صباح يوم عيد الفطر فاتح شوال عام 1370 / 6 يوليوز 1951، ودفن بروضة الشاميين بالقباب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3262.

محمد حجي

ابن **جلون، حمّو** بن الطيب الأسفي، كان من أعيان مدينة أسفي ومن أهل الفضل. أتى ذكره في الوثائق العدلية بأنه كان من كبار تجار أسفي ملاكاً للعقارات محباً للفقراء والفقهاء تولى أمانة ميناء أسفي في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان من عام 1260 إلى عام 1267 / 1844 - 1850 حيث انقطع عنها بطلب منه. لكنه أعيد إليها مرّة أخرى بعد عشر سنوات في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان من عام 1277 هـ إلى عام 1281 (1860 - 1864).

يوجد بمدينة أسفي زقاق يحمل اسم ابن جلون لأن حمّو المذكور كان يسكنه، وله به عدة منازل في ملكه، وأبوه الطيب هو الجد المعروف لحدّ الآن لكل أفراد أسرة ابن جلون بأسفي.

توفي بمسقط رأسه عام 1281 / 1864.

*رسوم عدلية خاصة بمدينة أسفي.*

أحمد بنجلون

ابن **جلون، الطالب** الفاسي، اشتهرت كتابته مدمجاً "بنجلون". أحد التجار البارزين بمدينة فاس خلال عهد السلطانين المولى سليمان (1207 - 1238 . 1792 - 1822) والمولى عبد الرحمان بن هشام (1238 - 1276 / 1822 - 1859). استطاع هذا التاجر أن يجمع ثروة هائلة من تجارته مع تنبكتو والسودان، كما كانت له علاقات تجارية مع أوربا وبعض بلدان البحر المتوسط. ويقول عنه صاحب *زهر الآس في بيوتات فاس* إنه أدرك من الأصول مالاحصر له، سواء بالمدينة أو بأحوازها. وكان السلطان المولى سليمان قد عينه أميناً بفاس وأسند إليه مهمة الإشراف على بيت المال بالمدينة. وعلى الرغم من المكانة الخاصة التي كان هذا التاجر يتمتع بها ضمن خدام الدولة فإن ذلك لم يمنعه من المشاركة في "فتنة فاس" (1820 - 1822) التي كادت أن تعصف بحكم المولى سليمان.

ولما وصل المولى عبد الرحمان إلى الحكم في سنة 1238/ 1822 لم يواخذه على مشاركته في تلك الفتنة ولم يعاقبه كما فعل ببعض أعيان فاس الضالعين في التمرد، بل قربه السلطان إليه وجعله وزيراً له ومنحه امتيازات تجارية هامة سمحت له باحتكار تجارة بعض المواد المصدرة. ويقول عنه عبد الكبير ابن هاشم الكتاني إنه كانت له مع المولى عبد الرحمان "اليد الطولى ... والمكانة العظمى والكلمة المسموعة النافذة". ومن المهمات التي كلّفه بها السلطان كذلك رئاسته لركب الحجاج نظراً لمروءته وتوفره على ما يقوم به الركب ذهاباً وإياباً". ويقال عنه إنه كان آخر شيوخ الركب إذ أدّى احتلال الجزائر من طرف الفرنسيين إلى تعطيل الطريق البرية التي كان يسلكها الحجاج المغاربة.

توفي الطالب ابن جلون في حدود سنة 1260 / 1844 - 1845.

ع. الكتاني، *زهر الآس في بيوتات فاس*، مخطوط، خ. ع. رقم 1281ك ؛ *وثائق وزارة الخارجية البريطانية*.

محمد المنصور

ابن **جلون، الطالب** بن **إدريس** بن محمد الأسفي، ولد عام 1326 / 1908، وكان من الرعيل الأول الذي ولج المدرسة الفرنسية المغربية دون الانفصال عن التكوين العربي

الأصيل الذي تلقاه على يد الفقيه المشهور في وقته المعطي العبدي الدكالي. وما كاد يُنهي المرحلة الابتدائية حتى أبدى اهتماماً بأخبار ثورة الريف ومضى يعرب عن سخطه على الاستعمار الفرنسي، ويدعو للتخلص منه، ورفض التوظيف في الإدارة الفرنسية.

لم تكن السلطات الحاكمة تعبأ بما تصفه من تهور في سلوكه، إلا أن الباشا كان يحذر أولياءه من مغبة هذا السلوك الذي بدا غريباً لدى شاب من أسرة معروفة قدمت خدمات للمخزن.

كان ردّ الطالب على هذه التحذيرات أن شكل فرقة موسيقية هاوية، اتخذها وسيلة للتضليل، فتركته السلطات يمارس "هوايته" في حين كان هو وجماعته يتناقشون سبل استرجاع السيادة الوطنية، ويتبادلون الرأي حول أخبار الريف ونشاط المقاومة في الجبال والصحراء، والسعي سرّيا لإيقاظ الوعي المحلي، لاسيما بعدما أخذت ترد إلى أسفي نشرات سرية عن الحركة الوطنية وهي تحمل كلمات الزعيمين محمد حسن الوزاني وعلال الفاسي وشيوخ القرويين.

إلى جانب الاهتمام بالسياسة، كان الطالب ابن جلون مهتماً باستكمال تكوينه. وعزم على الذهاب إلى مصر، لكن سلطات الحماية لم تسمح له بذلك وتضايقت السلطات المحلية منه، لاسيما بعدما أخذ الناس يلقبونه "بالوطني" وهو الذي ما فتئ يتردد على فاس مروراً بالرباط. ونصحه باشا المدينة بالرحيل إلى مدينة أخرى قبل أن يصاب بأذى، فعظم عليه الأمر وأحزنه فراق رفاقه وهم من خيرة شباب المدينة، فذهب إلى أقرب مدينة من أسفي وهي الجديدة حيث كان له أصدقاء "وطنيون" مثل قاسم العراقي والغالي المسفر وغيرهما، فساعدوه على الاستقرار وفتحوا له مكتباً لما يسمى "كاتب عمومي" لتحرير بعض الشهادات والعقود باللغة الفرنسية.

كانت عيون الشرطة تحصي أنفاسه، فكفّ بمضض عن أي نشاط سياسي إلى أن يتعرف على البيئة التي هو فيها. لكن انتفاضة الحركة الوطنية بفاس والرباط وسلا، عام 1937، دفعته إلى التحرك، فقام يبث الروح الوطنية في زبنائه وجيرانه وبين تجار الجديدة، فألقي عليه القبض ورمي به في السجن، بل في خلية تقع تحت الأسوار البرتغالية وتعاني الكثير من الرطوبة والعفن. وبقي بدون محاكمة في هذا الوضع أكثر من شهرين، إلى أن وقعت تدخلات أعيان الجديدة، المسفّرين والعراقيين والقادريين وآل الخطيب والدكالي المعروف في وقته، محمد بوملحة، ومحمد بوجبار الذي كان وزيراً للمالية في حكومة محمد بن عبد الكريم الخطابي والذي صار، بعد نفيه إلى الجديدة، من وجهاء هذه المدينة. أسفر تدخل هؤلاء عن الإفراج عن الطيب ابن جلون بقرار من المراقب المدني، ونفيه إلى مدينة الصويرة، وهي يومئذ بمثابة جزيرة قارية بعيدة عن أي حركة وطنية.

ومن حسن حظ الطالب ابن جلون أن كان له بالصويرة صهر - هو عمر البونجيمي - من كبار تجارها وأحد "هيئة الأربعين" الذين كانت سلطات الحماية تدعوهم من حين لآخر إلى الاجتماع وتستشيرهم في شوون المدينة التي كانت كالعلبة، جوانبها ليست قابلة للتمطيط، "وفيها ما يمكن أن يكون فيها".

وعن طريق صهره، تعرف الطالب على أعيان آخرين تجار وأغنياء، مثل محمد بوضاض ومحمد بن الحاج بوشعيب الشعيبي والحاج بوهلال ومحمد بوإنگال وغيرهم، فمنحوه تقديرهم وعطفهم وأعربوا عن تفهمهم لمقاصده، ولكن بينوا له عدم جدوى أي حركة وطنية بالصويرة لأن موقعها الجغرافي حكم عليها بالانعزال عن باقي مدن المغرب حتى عدت بمثابة سجن لسكانها ومنفى للذين غضب عليهم الاستعمار.

تعرف الطالب ابن جلون هناك أيضاً على القائد حدُّو من جماعة محمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي كان بدوره منفياً بالصويرة. وكانا يلتقيان ويتحدثان في أي موضوع قد يخوض فيه منفيان سياسيان لهما عدو مشترك، هو الاستعمار. وبقدر ما كان الطالب سياسياً في حديثه، بقدر ما كانت "الخبرة" تنقص حدُّو فيطلق العنان للسانه وتصل عباراته إلى آذان السلطات الفرنسية. وتدخل قائد شياظمة الكبير، سعيد خبان، فعرض على الطالب أن يشغله بحظيرة قصره بمسكالة، مع ضمان المأوى وكل الحاجيات، معلما لأبنائه اللغتين العربية والفرنسية. ولئن كانت عائلة خبان من الذين أطاعوا النظام الجديد، فإنها مع ذلك كانت تكن منذ القرن الماضي حبّاً وولاء للوطن والعرش.

وفي أوائل عام 1940، أشعر الطالب في منفاه باسترجاع حرية تنقله، فعاد إلى الجديدة رغم إغراءات القائد خبان. واستأنف عمله المهني بالجديدة بعدما التزم شفوياً بالابتعاد عن السياسية. لكن أحداث عام 1944 التي اهتزت لها كبريات المدن، أغرته "بنقض العهد"، فمضى يحرك المشاعر خفية وواصل نشاطه السياسي الخفي إلى عام 1947، وهو العام الذي تقلد فيه الطاغي الجنرال جوان الولاية الاستعمارية على المغرب، خلفا لإيريك لابون (Erik Laboune) المنفتح شيئاً ما. وأشعره شرطي مغربي من قدماء المحاربين الذين قاتلوا بجانب الجيوش الفرنسية ضد الألمان، أنه مهدّد بالاعتقال. فلم يلبث إلا قليلاً حتى انتقل إلى الرباط حيث ساعده الوطنيون على ضمان عيشه، فكانوا يأتونه بأعمال إدارية ينجزها في بيته ويتقاضى عليها أجراً، مثل حسابات الضرائب ومراجعتها، وضبط مدخولات الأملاك المخزنية. وقد أوصى له بهذه الأعمال، كل من أحمد بلمليح، ومحمد التازي وهما يومئذ بالجديدة، من موظفي المخزن في المالية والأملاك المخزنية.

وفي عام 1949، لبّى الطالب ابن جلون داعي الواجب الوطني فانتقل إلى سطات، عاصمة معمري الشاوية فراح

يعمل على توعية القوم مع فئة قليلة لا تجاوز عدد أصابع اليد.

المناسبة الوطنية الوحيدة التي كان الشعب المغربي يحتفل بها وهو يتطلع إلى الحرية والانعتاق، هي عيد العرش. وعشية كل يوم 18 نونبر، كان الطالب يعتقل ويتعرض للضرب والإهانة في مخفر شرطة سطات قبل أن يقدم إلى الباشا الذي يواخذه بالقذف في فرنسا ومحاولة إثارة الفوضى والشغب، ثم يخلّي سبيله. وكم من مرة كان الباشا يستدعيه وينهاه ويأمره بالكف عن "السياسة"، إلى أن ألقي عليه القبض في أوائل نونبر 1952 بسبب مهرجان خطابي وطني نظمه بسطات على إثر حوادث الدار البيضاء الدامية. فحكم عليه بعام سجنا وبالأشغال الشاقة بسجن "علي مؤمن" في ناحية سطات.

وفي دجنبر 1953، بعدما أنهى مدة الاعتقال، منعه الباشا من الإقامة بسطات، فاستقر بالدار البيضاء، وهناك، نشط مع المقاومة. وكان يقدم إلى سطات متستراً في زي النساء، بتواطئ مع سائق لحافلة نقل، معروف باسم حميدو، وكانت الحافلة في ملك أحد السطاتيين. وكان يتردّد على سطات في مهام لها صلة بالمقاومة.

ومع استرجاع المغرب استقلاله، عاد الطالب ابن جلون إلى سطات وساهم في تنظيم الشبيبة الاستقلالية محلياً، رافضاً كل منصب إداري وكل راتب، قائلاً بأنه خلق للعمل الحرّ، وجهاده كان في سبيل الله والوطن. وبقي يعيش كريماً معزّزاً لم يطالب بمقابل لما قدّمه من خدمات للوطن. وليس له أي ملف لدي "المندوبية السامية لشؤون المقاومين وقدماء جيش التحرير". كان فاضلاً، ذكياً، كريم الأخلاق جميل السيرة، كريم المائدة جواداً مع أهله والغير. وإذا ما نصحه أحد أقاربه بالتوفير، أجابه : "لك الساعة التي أنت فيها". وعندما وافاه الأجل المحتوم يوم الجمعة 24 رجب عام 1398 / متم يونيه 1978 لم يترك لأهله مالاً ولا عقاراً.

أحمد بنجلون

**ابن جلون، الطيب** بن بوجيدة الرباطي، أصله من فاس. "الفقيه العلامة العاكف على عبادة الله البركة المسنّ المحدث المفضال" *(الاغتباط)*. كان معاصراً للعالمين الرباطيين الأديب محمد ابن عمرو الذي ذكره في *فهرسه* وأثنى عليه، والقاضي أحمد الحكمي الذي صحبه إلى آخر حياته وأوصى أن يكون المصلي عليه.

توفي بالرباط عام 1226 / 1811.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 317 ؛ م. ابن عمرو، *فهرس*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2485.

**ابن جلون، عبد القادر** ← ابن **جلون الجبينة**...

**ابن جلون، عبد الكريم** بن بناصر ← **ابن جلون، التويمي**...

**ابن جلون، عبد الكريم** بن محمد بن الهاشمي التطواني، انتقل إلى فاس بعدما تلقى تكوينه الأساسي بمسقط رأسه تطوان لتلقي العلم بالقرويين. ولما رجع إلى تطوان عام 1295 / 1878 اشتغل بالتجارة حتى صار له فيها باع طويل، وقد اشتهر بمهارته وذكائه، الأمر الذي جعل المخزن يكلّفه بمهام لدى ممثلي الدول الأجنبية بطنجة بواسطة مندوب السلطان، ومارس مهمة العدالة بميناء طنجة، ثم ميناء الصويرة وغيرهما، كما أنه كان يتردّد على أسفي في مهمات إدارية أو لزيارة صهره محمد بريشة (التطواني) ناظر الأوقاف.

توفي بتطوان عام 1339 / 1920.

**ابن جلون، عبد المجيد** الفاسي أصلاً. ولد بالدار البيضاء عام 1337 / 1919، ورحل مع أسرته إلى انكلترا وعمره خمسة أشهر، وهناك تلقى جزءاً من دراسته الابتدائية وأتمّها بفاس بعد رجوع أسرته، وعمره يومئذ تسعة أعوام. ثم التحق بالقرويين. وفي عام 1355 / 1936 سافر إلى القاهرة للدراسة فالتحق بالجامعة المصرية وحصل على الإجازة في الآداب ثم حصل على الدبلوم العالي من معهد التحرير والترجمة والصحافة.

شارك عبد المجيد ابن جلون في تأسيس مكتب المغرب العربي في القاهرة، وظل يشغل منصب مدير المكتب من عام 1949 إلى عام 1956. وفي هذا المكتب، قام بنشاط مكثف من أجل التعريف بقضية الشمال الافريقي عامّة والقضية المغربية خاصّة، وذلك إلى جانب عدد من أقطاب الحركة الوطنية المغربية.

وشارك في تدبير استقبال البطل الريفي محمد بن عبد الكريم الخطابي في القاهرة عندما مرّت بقنال السويس الباخرة التي كانت تقله من منفاه بجزيرة لاريينيون إلى فرنسا.

عاد عبد المجيد ابن جلون إلى المغرب في سنة 1956 حيث تولّى رئاسة تحرير جريدة "العلم" لسان حزب الاستقلال. والتحق سنة 1958 بوزارة الخارجية، ليعيّن أول قائم مقام ثم أول سفير للمغرب في باكستان، وبعد ذلك

رجع إلى المغرب حيث سمي سفيراً بالإدارة المذكرة بوزارة الخارجية، وبقي في هذا المنصب إلى أن أدركته الوفاة.

من مؤلفاته : *مارس استقلالك* ؛ *في الطفولة* ؛ *وادي الدماء* ؛ *معركة الوادي* ؛ *المغرب في الأدب الانجليزي* ؛ *جولات في مغرب أمس* ؛ *براعم* ؛ *لولا الإنسان*.

يتجلى من كتاباته، أنه وطني ملتزم، يدعو على طريقته إلى التحرر من الاستعمار. وقد شارك في كثير من الندوات والمؤتمرات الدولية، مثل مؤتمر باندونگ باندونيسيا الذي تمخضت عنه وحدة الشعوب الإفريقية والأسيوية.

توفي بالرباط في شهر شوال عام 1401 / غشت 1981.

ع. ابن جلون نفسه، *مؤلفاته* المذكورة أعلاه ؛ جريدة *العلم*، *وصحف وطنية أخرى*.

محمد حجي

ابن جلون، **عبد الوهاب** بن محمد المراكشي وُلد بمراكش عام 1323 / 1905 وبها حفظ القرآن ودرس العلوم اللغوية والشرعية بجامع ابن يوسف على الشيوخ أحمد بن الحاج المحجوب المراكشي والحسن بن الحفيان السعيدي الشاوي ومحمد بن إسماعيل الدكالي، ثم رحل إلى فاس لإكمال دراسته، عام 1348 / 1929 وقطن بمدرسة الصفارين ودرس بمعهد القرويين دراسة حرة قبل التنظيم ودرس بعده أيضاً على مولاي عبد الله الفضيلي والحسين العراقي والطائع ابن الحاج السلمي محمد بن الحاج السلمي وغيرهم.

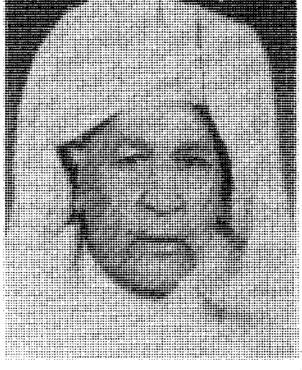

وبعد رجوعه إلى مسقط رأسه صار يتطوع بإلقاء دروس فقهية بجامع ابن يوسف والزاوية الناصرية وعين ضمن لائحة العدول ثم ساهم في مباراة التدريس النظامي بكلية ابن يوسف فنجح وسُمّي أستاذاً بها عام 1365 / 1945 وبقي قائما بمهامه بها إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1370 / 1950 فاستأنف انتحال خطة العدالة بمراكش إلى أن أدركته الوفاة مساء يوم الاثنين 23 شوال عام 1412 / 20 أبريل 1992 عن سن يناهز التسعين ودفن بمقبرة باب دكالة بمراكش.

عبد العزيز بن عبد الوهاب ابن جلون

ابن جلون، **العربي** بن عبد الكريم التطواني، ولد عام 1326 / 1908، وتلقى تعليمه الأولي بتطوان في نفس الكتّاب القرآني الذي تعلّم فيه الأمير مولاي الحسن بن المهدي وعبد الخالق الطريس فنشأت صداقة متينة بين الثلاثة، لاسيما وأنهم متقاربو السن ومن حي واحد. وعندما أتم الأمير تعليمه القرآني استكمل تكوينه داخل القصر وكان العربي ابن جلون من بين الجماعة القلية الذين وقع عليهم الاختيار لمرافقة الأمير الفتى. أما الطريس وآخرون فإنهم آثروا متابعة دراساتهم باسبانيا أو مصر أو غيرهما.

عندما آلت الخلافة السلطانية بتطوان إلى الأمير مولاي الحسن عام 1344 / 1925، خلفا لوالده المهدي المتوفى، قرَّب الخليفة الجديد الفتى زملاءه في الدراسة، وهكذا ظل العربي ابن جلون يتلقى تربية مخزنية ولا يفارق القصر، إذ عينه الخليفة الشاب عضواً في ديوانه مما جعله يحتك برجالات السلطة الإسبانية وبعلماء تطوان من بينهم عبد السلام بنونة ومحمد داود ـ كما كان يلتقي بشخصيات من أقرباء الخليفة.

بعد الأحداث الدامية التي شهدتها تطوان عام 1368 / 1948 على أيدي القوات الإسبانية، عينه مولاي الحسن بن المهدي خليفة للباشا وهو المنصب الذي بقي فيه إلى ان نال المغرب استقلاله وتوحدت المنطقتان الشمالية والجنوبية.

كان العربي ابن جلون ذكياً ذا بصيرة كبرى مستقيماً نزيهاً كريماً فاضلاً، متأثراً بالتربية المخزنية والقومية التي تلقاها إلى جانب الأمير. وعندما غادر المنصب الإداري، بقي منزله قبلة للزوار من علية أهل تطوان ومن طرف كل الذين كانوا يلجؤون إليه لمساعدتهم على قضاء حاجاتهم.

توفي في غضون محرم عام 1412 / يوليوز 1992.

*وثائق عائلية وروايات شفرية.*

ابن جلون، **عزوز** بن الطيب. ولد بأسفي وبه نشأ وحفظ القرآن، ثم تعاطى التجارة في المنتجات المستوردة من أوربا إلى أسفي، وكان له وكلاء بمراكش والصويرة، ممّا جعله يرقى إلى رتبة كبار التجار في النسيج المعروف "اَلمَلْف" و "سارگة" التي تنسب إليه (سارگة ابن جلون) استغنى وامتلك عقارات عديدة. كان سخياً معطاء بغير حساب للفقراء ويلقى ضيوفه بالجود والكرم.

توفي عام 1289 / 1872 حسب ما ورد في عدة الإراثة المتعلقة به.

*رسم تركته العدلي* ؛ *روايات شفوية*.

أحمد بنجلون

ابن جلون، **علال** بن محمد الفاسي، عالم مشارك، ألف في التفسير والحديث. له *تعاليق على تفسير الكشاف*

للزمخشري، *وتعاليق على إكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم* للأبي، *وتقاييد على مصابيح السنة* للبغوي، إلى غير ذلك.

توفي بفاس صبيحة يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأولى عام 1292 / 20 يونيه 1875. ودفن بالروضة المجاورة لزاوية سيدي الخياط بدرب الحرة من حي الطالعة.

**ابن جلون، علي** الفاسي. أديب كاتب اشتغل بالسياسة وألّف كتاباً في ترجمة الأمير اليزيد ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله سماه *طلوع البدر السعيد بوزارة مولانا اليزيد*، مخطوط بالخزانة العامة.

توفي حوالي عام 1230 / 1814.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2496 ؛ *دليل*، 1 : 155 ـ 156.

أحمد بنجلون

**ابن جلون، عمر**، وجه بارز من وجوه المعارضة السياسية الوطنية، وقائد فذ من قادة حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، ازداد صيته السياسي وشهرته الوطنية ذيوعا وانتشارا بعد حادث اغتياله الشنيع قرب منزله بمدينة الدار البيضاء.

ولد الفقيد ببركنت، ناحية وجدة، عام 1934، من أب عامل بالمكتب الوطني للكهرباء، وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية في مسقط رأسه ثم في وجدة، حيث حصل على الباكالوريا. التحق بعد ذلك بباريس حيث تابع دراسته العليا، فحصل على الليسانس في الحقوق ثم دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، وبعدهما دبلوم المدرسة العليا للبريد، حيث نال الدرجة الأولى في فوج المتخرجين سنة 1959 ـ 1960.

ولقد عرفه المغاربة بفرنسا خلال إقامته الدراسية بباريس، شابا مناضلا لا يفتر عن العمل من أجل التبشير بمبادئ التقدم والعدالة ؛ كافح في أوساط الطلاب والعمال بفرنسا، وتحمل مسؤولية الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، كما انتخب رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا التي ظل رئيسا شرفيا لها. وبصفته رئيسا لهذه الجمعية كرس جهدا كبيرا لإسناد ومناصرة الثورة الجزائرية.

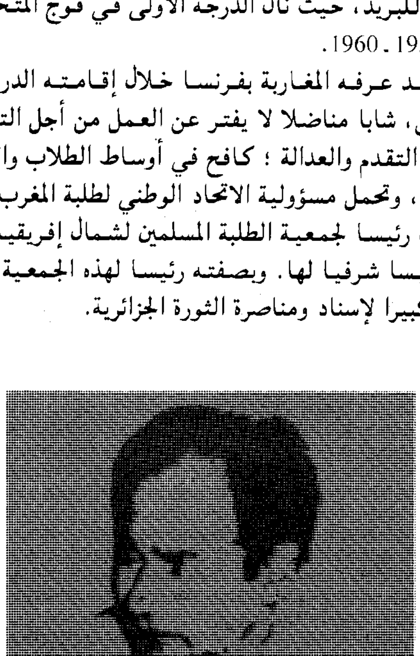

وبعد التحاقه بالمغرب، عين مديرا إقليميا للبريد بالنيابة في الدار البيضاء ثم مديرا إقليميا في الرباط، حيث عرفه عمال وموظفو البريد مناضلا نقابيا بينهم، اضطلع بالنصيب الأكبر في تنظيم وفي قيادة كفاحهم من أجل تحقيق مطالبهم.

ـ يمثل عمر بن جلون، بانخراطه الكامل في الحقل السياسي، وبحيويته الطافحة في ممارسة الكفاح وبالتزامه الدائم بقضايا الفئات الاجتماعية الواسعة المهضومة الحقوق، وبإشعاعه الفكري، تحليلا للإشكالية السياسية ـ الاقتصادية الوطنية، وتأملا في المعضلات النظرية والفكرية واستيعابا ذكيا لانعكاسات وتفاعلات المحيط الجهوي والدولي مع القضايا الوطنية الخاصة ـ يمثل بحكم كل هذه الأبعاد لنشاطه، نموذجا حيا لجيل جديد تتواصل به مسيرة الحركة الوطنية في ظل الاستقلال.

يبد أن الظرف السياسي الدقيق الذي اكتنف عقدي الستينات والسبعينات، والذي أطر نشاط وكفاح هذا الجيل الوطني المتحفز على شاكلة عمر بن جلون، قد أحاط هذا الكفاح الوطني المشروع بشروط صعبة مشحونة بشتى المخاطر والملمات. وقد نال عمر ابن جلون حظه من هذه المخاطر وتحمل فعلا في سبيل مبادئه وأفكاره تضحيات جمة، فقد تعرض عام 1961 لعدد من المضايقات والإيذاءات المختلفة، بسبب نشاطه في صفوف الطبقة العاملة، حيث لعب دورا رئيسيا في التحضير لإضراب الموظفين في يوليوز 1961، ثم في إضراب قطاع البريد في دجنبر من نفس السنة. ثم اعتقل يوم 16 يوليوز 1963، ضمن حملة الاعتقالات الواسعة النطاق التي تعرض لها قادة ومسؤولو ومناضلو الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وحكم عليه بالإعدام يوم 14 مارس 1964 ثم ما لبث أن أطلق سراحه يوم 14 أبريل 1965. وبمجرد استئناف نشاطه السياسي تمّ إيقافه من جديد يوم 16 مارس 1966، وبقي في السجن مدة عام ونصف حيث أفرج عنه يوم 21 شتنبر 1967.

ـ ولقد عرف نشاطه النقابي وكفاحه السياسي وإشعاعه الفكري وصيته الوطني خطا تصاعديا متواصلا خلال الفترة الممتدة من شتنبر 1967 ـ دجنبر 1975. فقد انخرط بقوة وحماس في إعادة تنظيم صفوف الطبقة العاملة، فأشرف على إعادة هيكلة قطاعي البريد والتعليم وذلك في اتجاه إعادة هيكلة كافة القطاعات النقابية الأخرى.

كما احتضن بقوة وحماس قضية الشعب الفلسطيني التي هزت ضمير العرب والعالم كله، على إثر المواجهة العسكرية المباشرة ما بين مقاتلي فتح وجيش الاحتلال الاسرائيلي في بلدة الكرامة بالأردن، في ربيع 1966. فوظف عمر الشهيد كل طاقاته الفكرية والسياسية والنضالية لدعم شعب فلسطين والتعريف بقضيته وكفاحه وبطولاته، عبر جريدة "فلسطين" التي أصدرها حزبه وتولى هو توجيهها وتغذية صفحاتها.

وفي نفس الوقت انقطع عمر إلى جانب ثلة من صحبه، إلى إعادة تنظيم وهيكلة حزبه ـ الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، بما يضمن له مزيدا من التماسك التنظيمي والممارسة الديمقراطية والتطور الفكري والفعالية السياسية، وهو المجهود الذي توج بانعقاد المؤتمر الاستثنائي، في يناير 1975، هذا المؤتمر الذي شكل تحولا سياسيا وفكريا هاما في مسيرة هذه المؤسسة السياسية الوطنية.

وعلى امتداد هذه الحقبة الزاخرة بنشاط وعطاء عمر بن جلون، تحمل الفقيد مخاطر ومعاناة في ذاته، وذات رفاقه وذات حزبه. فقد توصل الفقيد بطرد ملغوم لم ينفجر لحسن الحظ، يوم 13 يناير 1973، ثم اعتقل يوم الجمعة 9 مارس 1973، ضمن العديد من رفاقه الاتحاديين المعتقلين، وأطلق سراحه في 16 غشت 1974.

لكن هذه الاضطهادات والمعاناة لم تفت في عضده، فقد واصل نضاله السياسي بحزم وقوة، وعلى كافة المستويات. فقد استأنف إصدار جريدة *المحرر* التي تولى إدارتها منذ 1972، يوم 23 نونبر 1974، وانخرط بإيمان وتفان في معركة الصحراء المغربية التي رفع لواءها جلالة الملك الحسن الثاني، وقاد معركة سياسية وفكرية، دفاعا عن الأفكار والمبادئ التي يحملها. فقد كان إيمانه راسخا بحتمية التطور والتغيير بالبلاد، كما كان الفكر الاشتراكي والنهج الديمقراطي والمجال المغاربي والتضامن الأممي، تشكل بالنسبة إليه المرتكز الرصين والإطار الضروري لسياسة بديلة، جديرة بإحداث التطور والتحول اللذين تنشدهما البلاد. ولئن كان الإسهام الفكري والاجتهاد النظري لعمر ابن جلون كبيراً ومؤثرا في حظيرة جيل كامل من الشباب والأطر والمناضلين في صفوف حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، فإن حرص الرجل أن يظل ملتصقا بالشعب، ومتقمصا روحه، مستوعبا مشاكله ومشاغله وأحاسيسه لا يعدوه شيء آخر.

عرفتُ الفقيد مؤمنا أعمق الإيمان بربه وبمقدسات شعبه، كريم الأخلاق، خالص الطوية، طافحا بالحماس والتفاؤل والمحبة، لا تعرف الضغينة ولا التعصب إلى فؤاده سبيلا، ولا ينال من تسامحه ودمث أخلاقه أي اعتبار، سواء كان سياسيا أو سلوكيا أو فكريا. فقد كان يمارس النضال كنوع من الصوفية السياسية. فلطالما ردد على مسامع القوم : "إن النضال هو مسألة أخلاق. وكل من انحطت أخلاقه واستسلم لملذاته فلا يحق له أن يكون مناضلا. إن من انحرف أخلاقيا وسياسيا لا يمكنه أن يعيش وراء قضبان السجون....".

ولا مراء فإن يد الإجرام التي أقدمت على اغتياله في الساعة الثالثة والنصف بعد زوال يوم الخميس 14 حجة عام 1395 / 18 دجنبر 1975، إنما رامت بالأساس اغتيال هذه التأليفة العجيبة في كيان مناضل سياسي.. تأليفة الإيمان بالله والشعب وبالتقدم وذلك اعتبارا لما كان لها من وقع على ضمير المواطنين ولما كان يمكن أن يكون لها من تأثير على إيقاع التحول والتبدل بالبلاد.

محمد الاخصاصي

ابن **جلون**، أبو **عياد الفاسي** ولادةً ونشأةً وقراراً وتربيةً، قال في *النشر* : "وهو ورياغلي الأصل، وربّي عند ابن جلون الفاسي فدُعي به. وليس هو في الأصل ابن جلون.

كان في أول أمره مولعاً بالدندنة، وله صوت حسن، ويضرب على العود. لقي الشيخ الصوفي الحاج الخياط وصحبه، فكان يطلب منه أن يعطيه مما أعطاه الله. والحاج الخياط يقول له : إنك لاتطيق !

ولما توفي الحاج الخياطَ تغير حال أبي عياد. وبقي ملازماً لزاوية شيخه بالشرشور، وأكثر الزيارة والانحياش إلى أهل وزان ومن ينتسب إليهم حتى عظم أمره، وغلبت عليه أوصاف الجذب والملامتية وأصبح بهلولاً ساقط التكليف. يفعل أفعالاً ينكرها الشرع. وعامة أهل فاس مطبقون على ولايته، وكثيراً ما يقصدونه في مهماتهم.

كانت لصاحب الترجمة كرامات كثيرة. ذكر بعضها معاصره محمد الزبادي في كتابه *سلوك الطريق الوارية* ...

لزم أبو عياد ـ في آخر عمره ـ داراً بحومة الصاغة من عدوة فاس القرويين، يفد الناس عليه بها لزيارته ويأتونه بالصدقات.

وتوفي في أول رجب في وباء عام 1163 / 6 يونيه ـ 1750 ودفن بدار القباج من حومة الصاغة بعدوة فاس القرويين، وقبره بها مشهور مزخرف بنقوش.

م. القادري، *الإكليل*، تح مارية دادي ؛ *الالتقاط*، ص 410، ع 535، ص 280، ع 726 ؛ *نشر المثاني*، 4 : 67 ـ 68 ؛ م. الزبادي، *سلوك الطريق الوارية*، 276 ـ 281 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 150.

دادي مارية

ابن **جلون، محمد** بن **إدريس** بن محمد الأسفي، ولد عام 1328 / 1910 وكان من الأفواج الأولى التي ولجت المدرسة الفرنسية ـ المغربية، وبعدما حصل على شهادة الدروس الابتدائية، اختارته السلطات المحلية ضمن عدد من

أبناء الأعيان ليلتحقوا بالمدرسة العسكرية بمكناس التي أسست سنة 1916 لاستقطاب نخبة من الشبان المغاربة، يتلقون فيها تربية حسب التقاليد الفرنسية. ولكنه لم يقض فيها إلا بضعة أشهر حتى اتفق مع فريق من زملائه على مقاطعة المدرسة العسكرية ورجع إلى أسفي وجعل يتردّد على الحلقات الدراسية التي كان ينظمها الشيخ عبد الله بن محمد بنهيمة وغيره. ولم يطل به هذا الوضع حتى دفعته الضرورة إلى العمل. فالتحق بمكتب التسجيل والتنبر بأسفي.

سرعان ما تألق في عمله واكتسب من الخبرة والحنكة ما جعل القاضي والعدول وغيرهم يسمونه "الترجمان" ولايشيرون إليه إلا بهذا الاسم. وعدته الإدارة الفرنسية من جملة الأوفياء لها. لكن الشاب محمداً لم يكن يكشف في البداية عن مكنونات نفسه ولا عن آرائه وهو يتأجّج حماساً لما يرد من أخبار عن المقاومة المغربية في الريف والأطلس والصحراء. كانت جماعته تتألّف من شبّان واعين، مثل عبد الرحمان بن عبد الله الشقوري والمهدي الكراوي ومَحمد بلكاهية والتهامي الوزاني محتسب أسفي، كانوا في أواخر العشرينات يتجاوبون مع الاتجاه السلفي الإصلاحي المغربي، كما راحوا يتعاطفون مع الحركة الوطنية الناشئة. ولما شعرت السلطات الاستعمارية بعواطفهم الوطنية فرّقتهم عام 1933 وذلك بنقل محمد بن إدريس ابن جلون إلى الجديدة، والمهدي الكراوي إلى مراكش ومحمد بلكاهية إلى أكادير. غير أن الجماعة بقيت ملتحمة الأوصال رغم تباعد المسافات، فبقي أفرادها يلتقون في كل مناسبة مواتية بدعوى إحياء صلة الرحم بينهم. وكم من تداخل عائلي يربطهم ! وإذا ما اجتمعوا في الجديدة كان العلامة السلفي محمد الرافعي يزيد في تنوير عقولهم الفتية ويذكي حماسهم الوطني.

ساند محمد بن إدريس ابن جلون وأصحابه كتلة العمل الوطني عندما تأسست، وكانوا يواظبون على مطالعة جرائدها ويبدون إعجاباً كبيراً بمحمد حسن الوزاني. وعندما انشقّت الكتلة، أعلنوا انضمامهم إلى "الحركة القومية" فصاروا يُعرَفون "بالقوميين". واستمرّوا طيلة حياتهم أوفياء لمبادئ الشورى. وكان محمد بن إدريس ابن جلون من مؤسسي خلية قومية بالجديدة بعضوية محمد الهلالي وأحمد التباري والفقيه المختار خليل وغيرهم.

في يناير 1944، نقل محمد بن إدريس ابن جلون إلى الصويرة في نفس مهمته الإدارية وبترقية هامة في اختصاصه، وأدرج في رتبة أعيان المدينة. وفي عام 1949، نقل إلى سطات ونشط مع الخلية القومية هناك قبل غشت 1953 وقد كان يشرف عليها العالم المجاهد أحمد أيت البهلولي وظل في نشاطه إلى أن توفي بنفس المدينة يوم 22 رجب عام 1373 / 28 مارس 1954.

ابن **جلون، محمد** بن **بناصر** بن حَمُّو أحد أعيان مدينة أسفي في عصره، كان يجمع بين ماكسبه من معرفة في الدين والشريعة والعقود والالتزامات، وممارسة تجارة رابحة في الحبوب وتصدير المنتجات المحلية إلى أوربا. كان مثالا في النزاهة والاستقامة والفضل، أسندت إليه مهمّة أمانة المرسى، فلم يلبث فيها إلا زهاء سنتين حتى التمس إعفاءه منها، وواصل ممارسة التجارة الحرة إلى أن توفي بعد إصابته بطاعون ضرب أسفي عام 1289 / 1872.

أ. بنجلون، *عائلات أسفي*، مخطوط ؛ *تاريخ أسفي*، مخطوط ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة*.

أحمد بنجلون

ابن **جلون، محمد** بن **الطيب** بن بوجيدة الرباطي، الفاسي أصلاً. حلاه الأديب محمد ابن عمرو في *فهرسه* بقوله : "الفقيه العلامة الأديب الزكي الدراكة الأوحد ذو الشمائل الباهرة الالباب، والنسبة النافعة إذا ما انقطعت الأسباب". تولى الخطابة على التولي في جامع القصبة وجامع مولاي سليمان بالسويقة والجامع الأعظم، ثم صرف عنها واشتغل عدلاً في مرسى الرباط وامتُحن بالسجن في جملة من امتُحن من أمنائها وعدولها إلى أن سُرحوا بعد حين.

توفي يوم الأربعاء سابع قعدة عام 1230 / 11 أكتوبر 1815 ورثاه الأديب ابن عمرو برائية طويلة أثبت نصّها كاملاً في *الاغتباط*.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. م. البوزيدي، 2 : 617 - 619 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 141 - 143 ؛ م. ابن عمرو، *فهرس*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2493.

محمد حجي

ابن **جلون، مَحمد** بن **محمد** الرباطي نشأ وتعلم في مسقط رأسه وأخذ على مشايخ هذه المدينة قبل أن يسافر في طلب العلم إلى فاس ومراكش ووزان، وكان من خواص الأديب ابن عمرو الرباطي الذي ذكره في *فهرسته* وقال إنه من جملة من أخذوا نصيباً من العلم عن القاضي أبي العباس الحكمي ووصفه "بالمحدّث الأديب، الفقيه العلامة السري الأسمي النزيه الأوحد". كان من المستخدمين بمرسى الرباط إلى أن أقاله من هذه المهمة الوزير محمد السلاوي في عهد السلطان مولاي سليمان. وكان خطيباً بالجامع السليماني في عهد الناظر العربي ملين، ومن جملة الذين امتحنوا بسبب تهمة ألصقت بهم في عهد السلطان المذكور، وهم الناظر، وعدول وأمناء المرسي. وغضب السلطان عليهم وعلى أهل الرباط الذين ناهضوا القائد عشعاش، فوبّخهم جميعاً بما فيهم قاضيهم عبد القادر مورينو.

ثم إن السلطان تراجع وأمر باحضار الفقيه مَحمد بن محمد بنجلون وأجلسه عن اليمين وأخذ يلاطفه ويكلّمه بلين. وغداة هذا الحادث، ولاّه السلطان خطة القضاء بالرباط. وكان كثيراً ماينوب عنه في هذه المهمّة الأديب ابن عمرو المتقدّم الذكر. إلى جانب ذلك كان مَحمد ابن جلون يلقي دروساً في الجامع الأعظم بالرباط يحضرها عدد كبير من الناس من بينهم الأمير إبراهيم ابن السلطان. كما كان يجالس الأدباء. وله مساجلة شهيرة مع أدباء العدوتين. قاموا بها في ضريح عبد الله ابن ياسين، وكان ممن حضرها أوب محمد صالح بن الشيخ أحمد الحكمي، والفقيه أحمد ابن خضراء، محمد بن التهامي وغيرهم.

توفي المترجم له يوم الأربعاء 12 شوال 1234 / 4 غشت 1819.

م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*.

أحمد بنجلون

ابن **جلون، محمد المدني** بن علال الفاسي. ولد عام أربعة وستين ومائتين وألف / 1848 ودَرَس في مسقط رأسه على والده وغيره من علماء القرويين، فتخرج "علامة مشاركاً مطلعاً مدرساً محصلاً" اشتغل بالتدريس وبرّز فيه على صغر سنه، وأخذ عنه جمّ غفير من العلماء، منهم محمد بن جعفر الكتاني مؤلف *سلوة الأنفاس* الذي قال عنه : "ما رأيت قراءة أعجب من قراءته ولا أشد تحقيقاً ولا أعظم تلخيصاً وجمعاً". له مؤلفات كثيرة، منها جزء *في الأحاديث المتواترة* ؛ وآخر *فيمن غيّر المصطفى اسمه* ؛ *وانتشاق الفرج بعد الأزمة من حضرة المسمى عين الرحمة* ؛ *والطرفة العتيقة المهداة لخير الخليقة* ؛ *ونزهة ذوي العقل السليم في بعض علوم باسم الله الرحمان الرحيم* ؛ *وحديقة الأزهار المهداة لسيد الأبرار في التحذير من تعاطي علم الكيمياء والكنوز والنار* ؛ *واللآلي اليتيمة فيما يتعلق بالفاتحة العظيمة* ؛ *وسفر الإجازات* فصّل القول فيه صاحب *فهرس الفهارس*، إلى غير ذلك.

توفي بمسقط رأسه في منتصف ليلة الرابع عشر من ربيع الثاني عام 1298 / 16 مارس 1881، ودفن بروضة أولاد ابن جلون بالقباب خارج باب الفتوح.

م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 363 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 1053 ـ 1054 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 36 ـ 37 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2669 ؛ *دليل*، 325 و331.

محمد حجي

ابن **جلون، الهاشمي** (الحاج -) تشير الوثائق العدلية التي بين أيدينا إلى أنه كان على قيد الحياة عام 1265 / 1848 يمارس التجارة بأسفي وتطوان، وأنه كان من كبار التجار. ولدينا كذلك وثيقة أخرى حرّرت بأسفي عام 1325 / 1907 يتبيّن من خلالها أنه توفي قبل هذا التاريخ الأخير لأنها تذكر أسماء ورثته وتجدر الإشارة إلى أن الحاج الهاشمي هذا هو الجدّ المعروف لحدّ الآن لفرقة آل بنجلون بتطوان.

*مراسلات مخزنية* ؛ *وثائق خاصة* ؛ *وأبحاث شخصية* ؛ أ. بنجلون، *عائلات أسفي*، *مخطوط* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، الجزء 5.

أحمد بنجلون

**الجمارك** أو الديوانة المشتقة من كلمة ديوان. وقد كتب ابن خلدون في *المقدمة* ضمن الفصل الرابع والثلاثين في مراتب الملك والسلطان وألقابها أن ديوان الأعمال والجبايات يعدّ من الوظائف الضرورية للمُلْك لأنه يقوم بأعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج وتسطيرها ضمن كتاب شاهد بتفاصيل ذلك، ينبني على الحساب ولا يقوم به إلا المهرة من أهل الأعمال ويسمى هذا الكتاب بالديوان.

ولقد عرفت البشرية النظام الجمركي (الديوانة) مند القدم، كما تحدثنا بذلك الكتب التاريخية، منذ عهد فرعون، مروراً بالقرطاجنيين فاليونان والرومان ثم أوروبا.

أما فيما يتعلق بالتنظيم المالي والجمركي العربي الإسلامي فيجب التأكيد على خصوصية هذا النظام وقوته وأصالته حيث تذكر كتب التاريخ اجراءات عمر بن الخطاب الضريبية في السواد والشام والجزيرة واجراءات الأمويين والعباسيين ومميزات كل التدابير المتخذة في هذا السياق مند الفتح الإسلامي.

يمكن أن تعالج الأسس التنظيمية للجمارك بالمغرب في إطارها التاريخي من خلال رصد ثلاث مراحل رئيسية من تاريخ المغرب : قبل الحماية، خلال الحماية، بعد الاستقلال.

1 ـ الأسس التنظيمية للجمارك قبل الحماية.

كانت المبادرة الأولى للمبادلات التجارية الدولية منذ سنة 585 / 1189 حيث أبرم المغرب مع مدينة بيزا بايطاليا اتفاقية كمبادرة تجارية أولى تخضع للشروط الجمركية.

وابتداء من القرن السادس (12 م) سنّ السلاطين المغاربة الرسوم الجمركية على النصارى الذين يفدون على الموانئ المغربية وذلك بنسبة 10٪ تطبق على الضريبة الدينية أو ما يعرف "بالذمة". وبتاريخ 13 / 9 / 1631 وقّع المغرب اتفاقية مع فرنسا بشأن الواجبات الجمركية، تخضع بمقتضاها البضائع المستوردة لرسم 10٪ من القيمة عن الاستيراد و5٪ عن التصدير. كما عقد في نفس السياق اتفاقية مع اسبانيا سنة 1799 ومع حكومة البلاد المنخفضة بتاريخ 18 / 5 / 1856 ومع بريطانيا العظمى بتاريخ 9 / 12 / 1856 ومع اسبانيا بتاريخ 20 / 11 / 1861 ومع بلجيكا في 4 / 1 / 1862 ومع ألمانيا بتاريخ 1 / 1 /

1890 ومع فرنسا سنة 1767 وبتاريخ 24 / 10 / 1892 تحددت الواجبات المستحقة للتصدير والاستيراد.

ويندرج إصلاح إدارة الجمارك (الديوانة) بالمغرب ضمن الجهود التي بذلها السلاطين في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) للتغلب على الأزمة المالية والاقتصادية التي كانت تعرفها البلاد. ويتجلى هذا الإصلاح في تنظيم جديد لهيئة "أمناء المراسي" كانت له انعكاسات إيجابية على باقي دواليب الدولة، وخلال هذه الفترة كان المغرب يمارس التجارة البحرية الخارجية عبر مراسي الصويرة وآسفي والجديدة والدار البيضاء، والعدوتين والعرائش وتطوان وطنجة بالإضافة إلى المركز البري المفتوح للتجارة الخارجية بمليلية. وكان يعهد لأمناء المراسي بمراقبة هذه التجارة.

وقد عرفت أمانة المراسي تنظيما دقيقا في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1278 / 1872 الذي حاول ضبط مداخيل الجمارك من خلال ضبط أمانتها بعدما ثبت لديه ما يقع بالمراسي من تساهل في الواردات والصادرات حتى ادى ذلك، استناداً إلى ظهير السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى الوزير محمد بركاش بتاريخ 21 مارس 1862 (موافق متم رمضان 1278) إلى ضياع مال بها له قدر وبال.

ومن مميزات مقتضيات إصلاح 1862 الذي ادخله السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان على إدارة الجمارك نذكر :

- تعيين أمينين بكل مرسى يتصفان بالاستقامة، أحدهما ينتسب إلى المرسى والثاني أجنبي عنها.
- استقلال الأمينين في الإشراف على المداخيل الجمركية دون تدخل العمال
- تعيين أمين أعلى يراقب أمناء المرسى ولقد كلف بهذه المهمة الحاج محمد بنيس
- تخصيص راتب شهري للأمناء مقداره تسعون ريالاً للأمين الأجنبي عن المرسي وستون ريالا للأمين الذي ينتمي إليها
- تحريم مزاولة التجارة على الأمناء بالمرسى التي يعملون بها

وفي عهد السلطان المولى الحسن الأول (1873 ـ 1894) تم تعزيز تنظيم الجمارك باتخاد مجموعة من الإجراءات تتمثل في ازدياد عدد الأمناء، حيث تم تعيين أمينين أو ثلاثة أمناء في كل المراسي، كما أصبح جهاز الأمانة يتألف من أمينين أجنبيين عن المرسى في جل الحالات، والثالث هو وحده الذي يكون من أهل المرسى، علاوة على ضبط أماكن وأوقات العمل.

ينص الفصل الأول من قانون تنظيم الديوانة سنة 1862 على أن الديوانة تغلق على الساعة الثالثة بكل الزوال ويعمل الأمناء في مكان خاص بهم يعرف بـ "دار الاعشار" ويطلق عادة على الديوان كل المجمع الجمركي المتكون من دار الأعشار وملحقاتها. وتتكون هذه الملحقات من خزائن لحفظ البضائع المصدرة والمستوردة، ويجري توسيعها كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وأمام استفحال العجز المالي عمل السلطان مولاي الحسن الذي لم يرث خزينة فارغة فحسب بل ورث دينا ثقيلا كان تسديده يكلفه نصف مداخيل الجمارك المغربية لمدة تزيد عن عشر سنوات لفائدة الإسبان علاوة على الدين الذي ظل يسدده للأنجليز إلى غاية سنة 1881. فضلا عن ذلك هناك النفقات التي يجب تخصيصها للفرق العسكرية الحديثة التي أنشأها على النمط الأوربي تكوينا وتدريبا.

أمام هذا الوضع المزري فكر السلطان في حلول تستهدف عقلنة تدبير وترشيد الإدارة الجمركية بالعمل على رفع ايرادات الدولة دون تغيير مقادير الضرائب وتستند هذه الاجراءات إلى العناصر الجوهرية الآتية :

- اختيار الأمناء وتعيينهم بناء على معايير محددة : يتم تعيين الأمناء بظهائر سلطانية مصدرة بطابع كبير. وكان الأمناء ينتمون إلى فئات اجتماعية موسرة ومشهورة. ويبدو أن انتقاء الامناء من بين الاغنياء يشكل ضمانة مادية للدولة التي قد تمد إليهم يدها كلما صدرت عنهم مخالفات أو اختلاسات. كما أن يسر الامناء المادي من شأنه أن يكف أطماعهم في مال الرعبة والدولة.
- تحديد رواتب وهيكل تنظيمي لإدارة الجمارك : تتميز إدارة الجمارك بتسلسلها الإداري حيث تشمل :
- الجمركيين : تضم هذه الفئة الامناء والعدول ومعرب بيانات السفن والناسخ والواقف بالديوانة على الماركة
- والمشرفين على سير المرسى : وهم القبطان أو رئيس الديوانة وخليفته وكاتبه.
- والفنيين : وهم المقيد بالخزين ومسير الرافعة ومصلح القوارب ومقلب الدرهم أي الذي يعير النقود ويقوم بفرز زائفها ورديئها وصاحب الميزان.
- والحراس : تشمل هذه الفئة المخازنية والعساسين.

بلغ الراتب الشهري لأمناء مرسى العدوتين سنة 1893 ـ 1894 أربعة وثمانين ريالا لكل من الأمينين الأجنبيين عن المدينة وأربعين ريالا واثنى عشر بليونا للأمين الذي ينتمي إليها. أما العدلان فكان يتقاضى كل واحد منهما عشرين ريالا بينما كان راتب أمين ديوانة مليلية سنة 1894 لا يتجاوز ثلاثين ريالا للواحد، وراتب العدلين الذين معهما يبلغ عشرة ريال لكل واحد. ولعل تخصيص رواتب منتظمة للأمناء هو للحيلولة دون توليهم بأنفسهم استخلاص هذه الرواتب لما في ذلك من أخطار الابتزار. كما يستهدف تحديد فترة توليهم في المراسي حتى لا يدفعهم طول مقامهم بالمنصب إلى الميل إلى الاستبداد. فضلاً عن ذلك كان المخزن يختار أمناء المستفاد وأمناء المراسي على الخصوص من التجار الذين هم أعرف بالسوق والمبادلات وأكثرهم اتصالا بالأجانب لأن مزاولتهم التجارة تكسبهم حنكة وخبرة

مالية ودربة في المعاملات كان المخزن في حاجة ماسة إليها. بحكم ندرة أطره المتخصصة. وهكذا تمكنت أسر حضرية معروفة من ولوج أمانة المراسي. ففي سنة 1887 عين السلطان بمرسى طنجة السادة :

الطالب عثمان ابن جلون التويمي الفاسي والحاج عبد المجيد برگاش الرباطي والحاج محمد العسال الطنجي. كما عين بمرسى الصويرة الطالب أحمد التازي الفاسي والطالب عبد السلام غرسية التطواني والطالب عبد الرحمان بن الحسن الصويري، وبمرسى أسفي عين الحاج بناصر الحلو الفاسي والحاج محمد عواد السلاوي، وبمرسى الدار البيضاء عين الطالب عبد الوهاب بن الحاج محمد بنيس الفاسي والطالب محمد فرج الرباطي.

ويسجل المؤرخون أن المناصب المخزنية وخاصة منها أمانة المراسي كانت عاملا في اغتناء الأمناء مؤكدين أن هذا الغنى المكتسب كان في الواقع لاحقا لغنى الأسرة التي يرشح أفرادها لهذه المناصب ؛ وربما كان الحصول على هذا المنصب نفسه يقتضي تقديم مقابل مالي لا يستطيع تحمله إلا من اتسعت يده.

- تحديد فترة التدريب ومدة التولي : استطاعت الأستاذة نعيمة هراج التوزاني أن تقدر الفترة التي كان ستغرقها تدريب أمناء المراسي بالمقارنة بين تاريخ إعفاء بعض الأمناء من مهامهم وتاريخ تسليم وثائق ومخزونات إدارتهم للامناء الذين خلفوهم فلا حظت أن مدة التدريب تتراوح ما بين شهرين ونصف وأربعة أشهر وقد يكون سبب اختلاف فترة التدريب ناتجاً عن تفاوت نشاط الديوانة.

أما مدة التوالي فهي تختلف حسب أصناف الامناء، فهي على العموم أقصر بالنسبة لأمناء المراسي والصائر والمستفاد منها بالنسبة لغيرهم.

فمن خلال لائحة بأسماء أمناء مرسى الدار البيضاء وأخرى بأسماء أمناء مرسى العرائش لاحظت الأستاذة التوزاني أنه وقع تغيير الأمناء بالمدينتين سبع مرات في الفترة ما بين 1874 و1880 أي بمعدل سنة لكل تولية. لكن هذه المدة صارت تطول، بل تنتظم ابتداء من سنة 1880 ليصبح تغيير الأمناء يتم كل سنتين. فقد عين أمناء لكل المراسي المغربية في يناير 1887 واستمروا في مناصبهم إلى أواخر سنة 1889، وقائمة أمناء المراسي للعرائش تبرز أن التغيير تم بانتظام سنة 1889 تم سنة 1891 و1893.

- وضع قوانين ومساطير تنظيمية مكتوبة رهن إشارة أمناء المراسي. يمكن أن نسوق مثال كتاب *شروط الخدمة بالمرسى، والتقييد* الذي يشمل كيفية خدمة الأمناء مرتبا على ثمانية وعشرين فصلاً.

* * *

- أهداف ووظائف أمناء المراسي : عمل السلطان مولاي الحسن الأول على تنظيم الجهاز الجمركي وذلك بتشكيل الهيكل التنظيمي لإدارة الجمارك وتعيين مجموعة من أعيان التجار كامناء حيث عهد إليهم بالقيام بعدة مهام تتمثل في العناصر الآتية :

أ - مراقبة الواردات والصادرات : يعهد إلى الأمناء بمراقبة التجارة الخارجية حيث لا يسمحون إلا بتصدير أو استيراد البضائع التي لا تحظر الدولة المتاجرة فيها، كما يخضعون بعضها لشروط تصدير الحبوب وبعض أصناف المواشي لمدة ثلاثة أشهر من كل سنة خلال فترة لا تتجاوز ثلاث سنوات. وكان السلطان يحدد قدر البضاعة الجائز تصديرها والمرسى الذي تصدر منه والهدف الذي تصدر من أجله.

فعلى سبيل المثال عندما أمر السلطان سنة 1883 بتصدير الثيران لصالح الولايات المتحدة أخبر بذلك أمناء مرسى طنجة : "أننا أنعمنا على دولة الماركان بتسريح وسق ستة آلاف رأس من الثيران في كل سنة (...) على شرط أن يكون وسقها من مرسى طنجة، وعلى شرط أنه إذا كملت السنة، وبقي لهم شيء من الستة آلاف، يلغون وسقه ويتركونه أصلا في السنين التي بعدها، وعلى شرط أن يسقوا ذلك لعسكرهم ومراكبهم لا لتجارهم (...) فنأمر خدامنا أمناء مرسى طنجة أن يسرحوا لهم وسق ذلك على الشروط المذكورة".

واحتراماً لهذه الشروط رفض أمناء مرسى الصويرة سنة 1885 تصدير بقرة واحدة، وعندما تغاضى رئيس المرسى عن تهريب البقرة في غيبة الأمناء ليلا كان عقابه العزل والسجن.

أما فيما يتعلق بمراقبة الواردات، فإن الأمناء يمنعون كل البضائع المحظورة على الخواص مثل السلاح الذي لا يستورده إلا المخزن، وهناك سلع أخرى يبيح استيرادها لحساب الأجانب كالتبغ والخمور ولكن وفق تقنينات وشروط خاصة.

ب - فرض وجباية الرسوم الجمركية : تعد الرسوم الجمركية المغربية رسوما اتفاقية. وتسمى الرسوم التي تفرض علي الواردات باسم الأعشار لأنها تساوي عشر ثمن البضاعة. ويعتمد على أسعار السوق المحلية في تقدير قيمة البضاعة قبل فرض رسم يبلغ 10٪ من هذا الثمن، وتدعى رسوم الصادرات الصاكة وهي رسوم نوعية تختلف باختلاف نوع البضاعة.

وعلاوة على تقدير الرسوم على السلع المصدرة والمستوردة يقوم الأمناء بجباية هذه الرسوم مقابل تقديم "توصل" لصاحب البضاعة. وكانت تعفى من كل رسم السلع التي تنقل بحراً من مرسى مغربي إلى آخر. كما تصادر كل بضاعة ضبطت غير خاضعة لهذه الرسوم الجمركية. وتشير الأستاذة التوزاني إلى مجموعة من سجلات مداخيل ديوانة مليلية التي تضبط المقادير المتحصلة من البضائع المهربة التي وقعت مصادرتها.

غير أنه يجب أن نسجل أن تسديد هذه الرسوم الجمركية

لم يكن دائما يتم على الفور بل قد يؤجل بناء على امتياز كان السلطان يمنحه لكبار التجار.

وفضلاً على جباية الرسوم الجمركية على البضائع كان الأمناء يجبون رسوما على السفن التجارية التي ترسو بالميناء تدعى "واجب المخطاف".

ج ـ تسلم أعشار الحبوب العينية من القبائل المجاورة : كانت المراسي تستعمل كذلك مستودعات للأعشار العينية من الحبوب القادمة من القبائل المحادية لهذه المراسي، والقصد من توجيه الخرص إلى هذه المراسي هو لتصديرها من أجل الحصول على العملة اللازمة لتسديد بعض الديون المترتبة على المخزن.

د ـ النيابة عن المخزن في الإشراف على عمليات الاستيراد والتصدير :

تتمثل هذه النيابة في قيام أمناء المرسى باستيراد أو تصدير بعض البضائع لحساب المخزن كاستيراد ثياب لصنع لباس الجيش المغربي أو استيراد بضائع تستلزم تعاقداً خاصاً كالسلاح. أما دورهم في التصدير فيتمثل في تسليم البضائع إلى الطرف الذي تعاقد معه المخزن كتصدير القمح والشعير لبعض الدور التجارية الأجنبية.

هـ ـ الإنفاق على المرسى والمدينة والنواحي المجاورة لها : يقوم أمناء المراسي باداء رواتب موظفي المرسى بكل درجاتهم كما يؤدون كل النفقات المتعلقة بسير المرسى وتجهيز مرافقه الضرورية كالموازين والقوارب وأرصفة الميناء وأسواره وبرجه.

كما كان الأمناء ينفقون على املاك المخزن ومنشآته العمومية وعلى رجاله.

وتشتمل النفقات المنشآت الدفاعية كالابراج، والمدنيّة كالسجون. أما النفقات على رجال المخزن فهي إما نفقات دائمة كالنفقات الخاصة بالجيوش ورواتب بعض الموظفين بالمدينة كالعمال ورواتب الشرفاء من حاشية السلطان، أو نفقات طارئة كجعالات الجيوش التي تقيم مؤقتا بالمرسى وأكسية الجيش وصلات كتاب العمال والشرفاء.

و ـ النفقات على مستوى البلاد : وهي تشمل نفقات مرصودة على نطاق البلاد عامة، كتسديد الديون الخارجية وتمويل بعض المشاريع العامة كسك العملة الفضية وتمويل التجهيزات العسكرية (المعدات، التكوين، البعثات المغربية للخارج).

وأخيراً نذكر أن سلطة الأمناء وإن اتسعت كانت تخضع لرقابة محكمة تتمثل في متابعة تصرفها بواسطة المراسلات وطلب الكشوف الحسابية والتفتيش في عين المكان. وكانت المحاسبة تشمل كل فترة قضاها الامناء في مناصبهم وتمتد إلى فحص الكنانيش واختبار سلامة كل العمليات الحسابية.

وقد ارتبط اصلاح إدارة الجمارك في العهد الحسني بتعيين أمناء المراسي الذين يجمعون الأموال، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، الناتجة عن الرسوم الجمركية وينفقون تلك الأموال جزئيا أو كليا لسد الحاجات المحلية وفق اللامركزية التي طبعت هذا النظام. ويعزى صرف أموال الدولة في المكان الذي جمعت فيه دون أن يرسل إلى بيوت المال المركزية إلى تخلف النظام النقدي الذي لم يعرف إلا القطع المعدنية دون الاوراق أو غيرها من الوسائل العملية التي تسهل نقل القيم.

وتنطوي ملامح هذا الاصلاح على أصالة في المبادرة المغربية طالما أنكرتها الكتابات الغربية الممهدة للاستعمار ككتابات الفرنسي ميشو بلير Michaux Bellaire حول تنظيم المالية بالمغرب، وكتاب المؤلف الامريكي J. Waterby حول "أمير المؤمنين" حيث يخلص المؤلفان إلى أن التنظيم المالي بالمغرب قبل الحماية كانت تطبعه القوة والفوضى والتعسف في جمع الضرائب وعسكرتها من أجل دفع رواتب الجيوش وقمع ثورات القبائل، علاوة على عدم ملاءمة الإدارة في تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية.

غير أنه يجب أن تذكر أن من خصائص النظام المالي المغربي تركيزه على أسس أخلاقية لجهاز الأمانة الحسنية وهو ما تفادت الأبحاث الأجنبية التعرض له واستخراج مميزاته الرائدة.

* * *

2 ـ الأسس التنظيمية للجمارك خلال الحماية :

أما النظام الجمركي إبان الجماعة فقد تشكل كما لا حظنا ذلك نتيجة عدة اتفاقيات أبرمها المغرب مع القوى الأجنبية في وقت كان يعاني من وضعية مالية سيئة بسبب ثقل الديون ونقص المداخيل وإلحاح النفقات وانخفاض قيمة العملة. الشيء الذي جعل هذه الاتفاقيات تمهد للتدخل السياسي بالبلاد. ولقد عمل عقد الجزيرة سنة 1906 على ترسيخ شرط الدولة الأكثر رعاية، لتستفيد منها جميع القُوى العظمى، كما اهتم بهيكلة النظام الجمركي وذلك بتحديد تعرفة الرسوم الجمركية في 10٪ من القيمة إضافة إلى 2،5٪ على البضائع المستوددة كما حدد جزاءات عن المخالفات الجمركية والتهريب، وأخيراً أحدث ما يعرف بلجنة القيمة في الجمرك لتحديد قيمة البضائع وتمكن الاصلاحات العميقة التي عرفها النظام الجمركي المغربي أثناء الحماية نتيجة لهذا التطور في التوفيق بين التصنيف التقليدي لثلاثة أشكال من الضرائب الدينية (الزكاة، العشور، الهدية) ضرائب السيادة (الجزية، الخراج، المؤونة، السخرة، الغرامة) وضرائب تجارية (المكوس والجمارك) وتكييف العادات التقليدية الجبائية مع الجبايات الحديثة بإحداث مجموعة من الضرائب غير المباشرة التي تدخل صمنها حقوق الجمارك.

ويستند النظام الجمركي المغربي إلى عدة مبادئ أهمها :

ـ الحرية التجارية والمساواة الاقتصادية

- الوحدة الجمركية لمجموع تراب الدولة المغربية
- التعرفة الجمركية الموحدة على أساس قيمي

ونتيجة لتراكم الديون على المملكة المغربية إبان الحماية قامت فرنسا بمراقبة إدارة الديون، استناداً إلى عقد الجزيرة الخضراء ابتداء من سنة 1918.

ومن جهة أخرى حدد ظهير 9 يونيو 1917 ومرسوم 16 أبريل 1926 أسس التشريع الفرنسي المتعلق بتنظيم المالية العامة ورقابتها.

وبتاريخ 28 أبريل 1918 ارتبطت مصلحة الجمارك بالإدارة العامة للمالية. وبتاريخ صدر ظهير 16 دسمبر 1918 الذي نظم إدارة الجمارك المغربية. وبتاريخ 9 شتنبر 1939 صدر الظهير الشريف المتعلق بتنظيم قواعد الحماية الاقتصادية وتحديد البضائع التي يمكن استيرادها.

* * *

3 - الأسس التنظيمية للجمارك بعد الاستقلال.

حرص المغرب منذ حصوله على الاستقلال على تبني تنظيم شامل لإدارة الجمارك ينسجم مع وضعيته الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، وهكذا منذ صدور الظهير الشريف بتاريخ 5 يونيو 1957 المتعلق بإحداث التعرفة الجمركية بمقادير مختلفة تبعا للمواد المستوردة وعلى أساس قانون موحد للاستيراد بنسبة 10٪ إضافة إلى رسم خاص بنسبة 2،5٪. وبعد هذه المرحلة توالت النصوص التشريعية والتنظيمية لإدارة الجمارك. ومن أهم المحطات المهمة في هذا الاصلاح نذكر :

- انخراط المغرب سنة 1969 في اتفاقية مجلس التعاون الجمركي المعروف بمصنف بروكسيل 1950 الذي يتم بموجبه تصنيف البضائع على أساس نوع الصنف وأصل البضاعة ومصدرها.
- إصدار سنة 1972 تعرفة جمركية تتضمن وثيقتين منفصلتين : التعرفة والمدونة العامة للمواد.
- اتخاذ مجموعة من الاجراءات لتشجيع الصادرات والاستثمار في إطار مخطط التنمية 1973 - 1977 بمقتضى ظهير 17 أبريل 1973 الذي يسن ما يعرف بالأنظمة الاقتصادية في الجمرك.
- صدور مدونة الجمارك والضرائب غير المباشرة في يونيو 1994، وبذلك اكتمل الصرح التنظيمي والتشريعي لهذه الإدارة الذي يستمد فلسفته من خصوصيات البنيات الاقتصادية والاجتماعية والحاجيات الوطنية وما تستلزمه من تكييف مستمر يساير تطورات التجارة الدولية والعولمة والاتفاقيات والمعاهدات الدولية.

وفي خضم هذا التطور أصبحت إدارة الجمارك تقوم بعدة مهام فهي تعد رافدا من الروافد المهمة للخزينة بفضل المبالغ التي تغذي بها الخزينة والمحصل عليها من الرسوم والمكوس المفروضة على الصادرات والواردات والضرائب غير المباشرة. كما تقوم بمراقبة التبادل الخارجي للدولة قصد توفير الحماية اللازمة للإنتاج الوطني من المنافسة الأجنبية بفرض رسوم جمركية أعلى وتخفيضها بالنسبة لأدوات التجهيز أو المواد الأولية.

وعلى المستوى الوظيفي تسهر إدارة الجمارك على مراقبة البضائع الداخلة والخارجة عبر الحدود الجمركية ومدى مطابقتها وخضوعها للاجراءات القانونية الصحية والأمنية والمالية. واستناداً إلى المدونة يمكن أن نسوق الادوار الآتية :

- تطبيق تعرفة الجمارك على الواردات والصادرات
- مراقبة البضائع والأشخاص
- السهر على التدابير الصحية والأخلاقية بمراقبة تهريب المخدرات وتهريب السلع.
- مراقبة جودة بعض المواد الفلاحية.
- مساعدة رجال الشرطة في إلقاء القبض على الأشخاص المبحوث عنهم عند اجتيازهم الحدود.
- مراقبة التدابير المتعلقة بالصيد في البحار والأنهار.
- مراقبة البواخر بالمياه الاقليمية والتأكد من سلامة وثائق ملكية الباخرة.
- مراقبة الإرساليات بواسطة البريد.
- مراقبة هوية الأشخاص.

ولبلوغ هذه الأهداف نصت مدونة الجمارك في الفصول من 24 إلى 45 على مجموعة من الشروط التي يجب توفيرها في ميدان عمل الإدارة ترتبط بمكاتب ومراكز الجمارك وسلطة أعوانها ووظائفهم وخاصة الحضانة والحماية التي يجب ضمانها لهم أثناء قيامهم بمهامهم.


ع. ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت ؛ إ. حركات، *النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط*، الدار البيضاء، 1996 ؛ د. غيداء خزنة كاتبي، *الخراج*، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994 ؛ م. حركات، *الاقتصاد السياسي*، مراحل تكوين المعرفة الاقتصادية، الرباط، 1996 ؛ نعيمة هراج التوزاني، *الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن*، بالرباط، 1979 ؛ محمد برادة غزيول، *مدونة وتنظيمات الجمارك والضرائب غير المباشرة*، 1995.

Abdellah Laroui, *Histoire du Maghreb*, T. I et T. 2, Paris 1976 ; My Larbi El Alaoui, *Le droit douanier au Maroc*, 1997 ; Mohamed Lahbabi, *Le gouvernement marocain à l'aube du XX siècle*, Casablanca, 1975 ; Kacem Taj, *Dédouanement des marchandises au Maroc* ; J. Bastid et H. Demunieux, *Les douanes*, Paris ; Paul Bradinet, *Le régime douanier du Maroc*. Thèse de Doctorat, Bordeaux 1932 ; *Memorendum sur le régime du commerce extérieur du Maroc réalisé par l'administration des douanes* ; M. Hajji, *Les droits de douane au Maroc*. Thèse, Paris 1981 ; M. Hosni, *La repression des fraudes commerciales en droit marocain*. Thèse. Paris X, 1985 ; J.L. Miège, *Le Maroc d'Algésiras et la souveraineté économique*, Tanger, 3 T, 1957 ; *Le Maroc et l'Europe*, 4 tomes, Rabat 1975 ; Bequet, *Contrebande et contrebandiers*, Paris ; H. Tremeau, *Le droit douanier*. Paris 1988 ; Mohamed Harakat, *Le droit de contrôle supérieur des finances publiques au Maroc*. Rabat 1992 ; *L'audit dans le secteur public au Maroc*, Rabat, 1994.


محمد حركات

**الجماعة الحضرية والقروية**، شخص معنوي عمومي ترابي يتمتع بالشخصية الاعتبارية والاستقلال المالي ويدبر شؤونها مجلس جماعي منتخب مباشرة من سكانها.

والجماعة في المغرب لها جذور تاريخية ضاربة في القدم إذ ترجع إلى "جْماعة" التي كانت تهتم بشؤون سكان القبيلة وتنظم أمورهم المشتركة وينفذ قراراتها زعيم يطلق عليه أمغار أو الشيخ.

ولما جاءت الحماية نظمت المجالس الحضرية بنصوص قانونية على رأسها ظهير 8 أبريل 1917 وكان أعضاء هذه المجالس معينين كما كان على رأسها سلطة مزدوجة : الباشا ورئيس المصالح البلدية في المدن والقائد والمراقب المدني أو العسكري في القيادات.

وقم تم تنظيم المجالس الجماعية الأولى بعد الاستقلال بواسطة ظهير 28 ذي الحجة 1379 (23 ـ 6 ـ 1960) بشأن نظام الجماعات، وكان هذا النص يميز بين المجالس الحضرية والقروية، ولم تكن لها نفس الاختصاصات ولا نفس الموارد المالية. وقد بقي هذا النص مطبقا مدة ست عشرة سنة إلى أن حل محله ظهير 5 شوال 1396 (30 ـ 9 ـ 1976) بمثابة قانون يتعلق بالتنظيم الجماعي. وقد اختفت نظريا التفرقة بين المجالس الحضرية والقروية في هذا النص على الأقل على مستوى الاختصاصات.

ووصل عدد المجالس الحضرية (البلديات) إلى 248 بينما وصل عدد الجماعات القروية إلى 1298 جماعة وهذا حسب التقسيم الجماعي لغشت 1992.

وقصد الإحاطة بهذا الصنف من الجماعات المحلية يجدر استعراض طريقة انتخاب أعضائها والأجهزة التي تتكون منها المجالس الجماعية ثم توضيح اختصاصاتها التي نص عليها القانون، ونتساءل بعد ذلك عن مواردها المالية ونختم بالوصاية التي تمارسها الدولة على المجالس الجماعية.

يتكون المجلس الجماعي من عدد من الأعضاء يتفاوت حسب عدد سكان الجماعة فالحد الأدني 11 عضواً إذا لم يتعد سكان الجماعة 7500 نسمة والحد الأقصى هو 41 في الجماعات التي يزيد سكانها على 300.001 نسمة. ويتم انتخاب هؤلاء الأعضاء بواسطة الاقتراع الفردي بالأغلبية النسبية في دورة واحدة، وتدوم العضوية ست سنوات.

ـ يسير المجلس مكتب يتكون من رئيس المجلس وعدد من المساعدين يتفاوت حسب سكان الجماعة، وأقله مساعدان في الجماعة التي لا يزيد سكانها على 7500 نسمة ويصل إلى سبعة في الجماعات التي يزيد سكانها على 225.000 نسمة.

وينتخب الرئيس ومساعدوه بالاقتراع السري والأغلبية المطلقة في الدورتين الأوليين ويكتفي في الدورة الثالثة بالأغلبية النسبية.

ويضم المكتب كاتبا أو عدة كتاب لتحرير محاضر الجلسات وضبطها، ومقررا للميزانية وأحيانا مقرراً مساعداً مهمته تقديم التقديرات المالية والحسابات الإدارية.

وتنشئ المجالس على الأقل لجنتين دائمتين هما : لجنة المالية والميزانية ولجنة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية، وتنشأ لجن أخرى حسب الحاجة في ميدان التعمير والسكنى، والثقافة، والمحافظة على البيئة إلى آخره ...

يعقد المجلس الجماعي أربع دورات عادية في السنة (فبراير وأبريل وغشت وأكتوبر) ويمكن أن تسترسل كل دورة أسبوعين، وعمليا فإنها لا تستغرق إلا بضع ساعات، ويمكن بمبادرة من الرئيس أو ثلث الأعضاء أو بطلب من السلطة المحلية عقد دورة غير عادية.

ويهيئ الرئيس جدول الأعمال بتعاون مع أعضاء المكتب تم يرسل للسلطة المحلية التي لها أن تضيف إليه نقطاً أخرى داخل أجل 8 أيام. ويهيئ الرئيس بعد ذلك الجدول النهائي الذي يوجهه مع الاستدعاء إلى الأعضاء لحضور الدورة.

لا يمكن أن تفتح الدورة إلا إذا حضر نصف الأعضاء فأكثر بعد الاستدعاء الأول، فإن كان أقل توجه استدعاءات ثانية، وفي هذه الحالة لا تنعقد الدورة إلا إذا حضر ثلث الأعضاء وإن لم يحضر توجه استدعاءات ثالثة ينعقد بعدها المجلس أيا كان عدد الحاضرين.

ويتم التصويت على المداولات بالإقتراع العلني وبالأغلبية المطلقة، وعند تعادل الأصوات يرجح جانب الرئيس. ويمكن أن يكون التصويت سريا إذا طلب ذلك ثلث الأعضاء أو كانت الجلسة مخصصة لانتخاب أو تعيين.

وجلسات المجلس عمومية يمكن أن يحضرها المواطنون إلا إذا قرر الرئيس عقد جلسة سرية إما بمبادرة منه أو بناء على طلب السلطة المحلية أو ثلاثة مستشارين.

يجب التمييز منذ الميثاق الجماعي الصادر في 30 ـ 9 ـ 1976 بين اختصاصات المجلس واختصاصات الرئيس من جهة وبين اختصاصات هذا الأخير ورجل السلطة المحلية من جهة أخرى.

يمارس الملجس الجماعي عدة اختصاصات تدخل في إطار ما يسمى بالشؤون المحلية، وأولى الأمور التي يهتم بها هي الميزانية لأنها ضرورية لممارسة بقية الاختصاصات الأخرى. وتعرف الميزانية بأنها الوثيقة التي يقرر بموجبها في مجموع تحملات وموارد الجماعة، وتنقسم الميزانية إلى جزءين : التسيير والتجهيز فكما أن للتسيير موارده ونفقاته فكذلك الشأن بالنسبة للتجهيز.

وقد تشمل الميزانية العامة ميزانيات ملحقة وحسابات خصوصية. ويجب أن تكون الميزانية متوازنة بين مداخيلها ونفقاتها، وإذا ظهر فائض في الجزء الأول (التسيير) وجب تخصيصه للجزء الثاني (التجهيز أو الاستثمار).

ويمكن تصنيف موارد الميزانية إلى الموارد الخاصة بالتسيير وأخرى خاصة بالتجهيز، فالأولى تشمل ما يلي :

المداخيل الجبائية (الضرائب والرسوم) ومنتوج الخدمات التي تقوم بها الجماعة وكذا مداخيل ممتلكات الجماعة (البنايات الأسواق محطات وقوف السيارات إلى آخره...) ومدخول الامتيازات وحصة الجماعة من الضريبة على القيمة المضافة من أجل توازن ميزانية التسيير.

أما موارد التجهيز فيمكن اجمالها في الآتي : الاعتمادات المحولة وفائض ميزانية السنة المنصرمة ومنتوج المبيعات والقروض المبرمة ومعونات التجهيز المقدمة من الدولة أو المؤسسات العمومية أو الأجنبية ومساهمات تمويل المشاريع أو التجهيزات. وفيما يخص القروض يجب على الجماعات أن تطلب ذلك من صندوق التجهيز الجماعي الذي أصبح منظما على شكل مؤسسة عمومية وهي بمثابة بنك الجماعات المحلية يأخذ نسبة 14٪ من الفوائد على القروض التي منحها للجماعات الحضرية و12٪ بالنسبة للجماعات القروية.

ويمكن اختزال نفقات تسيير الجماعة في الأوجه التالية:

- تعويضات وأتعاب مكتب وأعضاء المجلس الجماعي؛
- مرتبات وأجور وتعويضات موظفي ومستخدمي الجماعة ؛
- تجهيز ونفقات تسيير المصالح الجماعية والمرافق العامة؛
- أداء الحصص السنوية للقروض المبرمة (مع صندوق التجهيز الجماعي) ؛
- معونات الجمعيات الثقافية والرياضية والاجتماعية...
- نفقات مختلفة وطارئة ؛

ويلاحظ أن نفقات الموظفين والمستخدمين وتعويضات المستشارين تهيمن على أكثر من نصف ميزانية التسيير، وفي الجماعات القروية تصل نفقات التسير إلى 80٪ من الميزانية.

وتشمل نفقات ميزانية التجهيز الأمور التالية :

- تغطية عجز السنة السالفة
- اقتناء منقولات (أثاث المكاتب والأدوات اللازمة لها، وكذا الآلات المتنقلة الخ ...)
- إنجاز أشغال التأسيس الأول والإصلاحات الكبرى (الطرق، الماء، الكهرباء، الأسـواق ...)
- اقتناء الأراضي والعقارات
- إنجاز التجهيزات المتكاملة
- استعمال أموال المساهمة

والملاحظ أن كثيراً من الجماعات تعجز عن القيام بتجهيزات جديدة إلا إذا التجأت إلى الاقتراض من صندوق التجهيز الجماعي أو الحصول على مساعدات الدولة وخاصة في إطار حصة الجماعات المحلية من الضريبة على القيمة المضافة.

أما الاختصاصات الأخرى فينص الميثاق الجماعي لسنة 1979 بشأنها على أن المجلس "يفصل ... بمداولاته في قضايا الجماعة ويتخذ لهذه الغاية التدابير اللازمة ليضمن للجماعة كامل نموها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ..."

ولتحقيق ذلك يمكن له أن يهيئ مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للجماعة ويحدد برنامج تجهيز مجالها في إطار الوسائل المتوفرة لديها والوسائل الموضوعة رهن إشارتها. كما يقترح المجلس على الإدارة المركزية أو الاقليمية أو الجهوية الأعمال الواجب القيام بها للنهوض بتنمية الجماعة.

كما يقوم المجلس الجماعي بإحداث وتنظيم المرافق العمومية الجماعية وتدبير شؤونها بواسطة الوكالة المباشرة أو الوكالة المستقلة أو الامتياز. ففيما يخص النقل العمومي يتم تدبيره بواسطة الامتياز عن طريق الحافلات التابعة للشركات الخاصة، كما تقوم بذلك أيضاً الوكالة المستقلة للنقل الحضري. أما المرفق الذي يتم تسييره بواسطة الوكالة المباشرة فهناك الحالة المدنية والتطهير الصلب والسائل وما إلى ذلك.

ويساهم المجلس في إعداد مشاريع وثائق التعمير. وتعرض عليه في هذا الإطار مشاريع المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية وتصميم التنطيق وتصميم التهيئة وكذا تصميم النمو لدراسته وإبداء الملاحظات اللازمة.

ويختص المجلس لتحديد شروط المحافظة على الملك الغابوي واستغلاله واستثماره في حدود ما يسمح به القانون.

ويهيئ الأنظمة العامة التي تهم شؤون طرق المواصلات والبناء والمحافظة على الصحة في نطاق القوانين والأنظمة المعمول بها. ويحدد نوع أساس الضرائب والتعاريف وقواعد استخلاص مختلف الاداءات والوجيبات والحقوق المختلفة التي تقبض لفائدة الجماعة.

يلعب الرئيس دوراً بارزاً في حياة المجلس وتسييره، فهو الذي ينفذ مقررات ومداولات المجلس ويتخذ التدابير لهذا الغرض ويسهر على مراقبة تنفيذها، كما أنه يعتبر ممثل الجماعة في جميع الحياة الإدارية والمدنية كإنجاز أعمال الكراء والبيع والاقتناء وإبرام صفقات الأشغال والأدوات وتقديم الخدمات وكذا قبول الهبات والوصايا، ويتخذ القرارت لأجل تحديدالضرائب والاداءات والوجيبات طبقا للتشريع المعمول به في هذا الميدان : ويقوم بالمحافظة على ممتلكات الجماعة وإدارة شؤونها، كما أنه يمثل الجماعة أمام المحاكم، ويمكن له دون مداولة من المجلس أن يقيم الدعاوي المتعلقة بالحيازة أو بجميع الأعمال التحفيظية أو الموقفة لسقوط الحق ويدافع عن التعرضات المقدمة ضد اللوائح الموضوعة لتحصيل ديون الجماعة، كما يجوز له تقديم كل طلب لدى قاضي المستعجلات وتتبع القضية عند استئنافها.

واختصاصات الرئيس في هذا تستقل عن اختصاصات

المجلس بمعنى أنه لا يحتاج إلى مداولة من المجلس لأنه يصبح عندما يمارسها ممثلا للدولة، فهو الذي يسهر على المحافظة على الأمن فيمكن أن يتولى رئيس المجلس تلقائيا وعلى نفقة المعنيين بالأمر طبق الشروط المحددة بمرسوم 26 مايو 1980 تنفيذ جميع التدابير الرامية إلى استتباب أمن أو ضمان سلامة المرور والصحة والنظافة والمحافظة على الصحة العمومية الداخلة في اختصاصه (ف 46).

كما أنه هو الذي يسير المصالح الجماعية، ويعتبر الرئيس التسلسي للموظفين التابعين لهذه المصالح الجماعية والذين يخضعون في نظامهم الإداري لقانون الوظيفة العمومية مع استثناء المسائل التي ينص عليها مرسوم 27 / 9 / 1977 بمثابة النظام الأساسي لموظفي الجماعات (ج. ر. عدد 3387 ص 1068). وكذلك هو الذي يتولى التعيين في المناصب طبقا لمقتضيات النظام الأساسي الخاص، كما يعين الأعوان المؤقتين والمياومين والعرضيين ويدير شؤونهم، (ف48).

ويعتبر ضابط الحالة المدنية، ويتخذ قرار التخلي في ميدان نزع الملكية للمنفعة العامة، ويمنح رخص البناء.

لقد حدد الفصل 44 من قانون التنظيم الجماعي الاختصاصات التي تمارسها السلطة المحلية بمعزل عن الملجس الجماعي. وينص هذا الفصل في فقرته الثانية على ما يلي :

"أما السلطة المحلية التي تمثل السلطة المركزية في دائرة نفوذ الجماعة فيبقى معهودا إليها بمهمة ضابط الشرطة القضائية وتبقى مختصة بالمحافظة علي النظام والأمن العمومي بتراب الجماعة. وتحتفظ كذلك بالاختصاصات المسندة إليها بموجب النصوص التشريعية والتنظيمية المعمول بها في الميادين الآتية :

الحق في تأسيس الجمعيات العمرمية والصحافة، النقابات المهنية، الانتخابات، تسخير الأشخاص والممتلكات، التنظيم العام للبلاد في حالة الحرب، تنظيم استيراد الأسلحة والذخائر وترويجها وحملها وإيداعها وبيعها ومراقبتها واستعمالها، شرطة الصيد البري، تنظيم استيراد المتفجرات وترويجها وبيعها وإيداعها ومراقبتها واستعمالها، تنظيم استغلال المقاطع، جوازات السفر، تنظيم محاكم الجماعات والمقاطعات، الإكراه البدني، تنظيم الاتجار في المشروبات الكحولية أو المزوجة بالكحول، زجر السكر العلني، مراقبة الاسطوانات وغيرها من التسجيلات الفونوغرافية، الاشهار بواسطة الاعلانات واللوحات والإعلامات والشعارات، مراقبة الأثمان، المهن الحرة، التشريع الخاص بالشغل ولا سيما النزاعات الاجتماعية، هجرة الشغالين، الوقاية من الأمراض العقلية وعلاجها، الخدمة العسكرية الاجبارية والملك العائلي".

ويتضح من هذا النص أن اختصاصات السلطة المحلية قد وردت على سبيل الحصر عكس اختصاصات المجلس الجماعي التي هي عامة. أما المسائل التي نص عليها القانون فهي عبارة عن أمثلة الأمر الذي يؤكد على أن المجلس الجماعي هو الذي يجب أن يلعب الدور الأساسي في ميدان التدبير الجماعي وتحقيق المصالح العامة للسكان.

إن الذي يحول دون اعتبار الجماعات المحلية تتمتع بلامركزية حقيقية هو عدم منحها حق النظر في جميع الشؤون المحلية، ومن جهة أخرى الوصاية والرقابة التي تخضع لها ليس فقط لكي تكون مقرراتها قابلة للتنفيذ، بل تفرض رقابة حتى على الأعضاء وعلى الرئيس، والغاية من هذه الرقابة هي ضمان قيام المجالس بوظائفها وعدم خروجها عن مجال اختصاصاتها، لأن الجماعات لا تتمتع إلا باستقلال إداري.

ويمارس الرقابة السياسية الرأي العام بصفة مستمرة عن طريق الصحافة والنشر وأساليب التأثير المختلفة كما يمارسها عند إجراء الانتخابات لتجديد أعضاء هذه الجماعات.

ولكن الرقابة الدائمة هي الوصاية المفروضة على هذه المجالس وهي تمارس إما على مداولات المجلس أو على أعضائه أو على رئيس المجلس.

ع. الرحمن البكريوي، *الوجيز في القانون الإداري المغربي*، الرباط، 1990.

Saïd Benbachir, *L'administration locale du Maroc*, Casablanca, 1969 ; Driss Basri (sous la direction), *"Précis de fiscalité des collectivités locales et de leurs groupements"*, Rabat, 1993.

عبد الرحمن البكريوي

**الجماعة الموحدية**، تنظيم أحدثه المهدي بن تومرت في بداية دعوته، يعتمد على انتظام أتباعه طبقات حسب الأسبقية في اتّباع هذه الدعوة، بحيث تحتل "الجماعة" المرتبة الأولى، وسمّي أعضاؤها أيت عشرة، وهم ينتمون إلي عصبيات مختلفة جعل منهم المهدي مجلسا استشارياً في الأمور العظام، وكان يحاول أن يتشبّه بما عرف في عهد الرسول عليه السلام (ص) كالأصحاب العشرة والبيعة تحت الشجرة ... فكانت الجماعة أو العشرة أول من بايع المهدي تحت شجرة خرّوب بعد انتقاله من مجال قبيلته هرغة المصمودية إلى تينملل بجبل درن (الأطلس الكبير) جنوب مدينة مراكش إيذانا ببدء العمل المسلّح ضدّ المرابطين خاصّة منذ سنة 518 هـ. أما الطبقة الثانية في تنظيم المهدي فعرفت بـ "أيت خمسين"، هذا إضافة إلى تنظيم قبلي يضع قبيلة هرغة في القمّة. ولتجنّب مشكل العصبيات أحدث المهدي نظام المؤاخاة بين أتباعه الغرباء (المهاجرين) وأتباعه من المصامدة، ومن المعلوم أن لنظام الطبقات هذا امتيازات عامة.

وبالنسبة لأعضاء "الجماعة" يوجد اتفاق حول أغلب الاسماء وهم :

- عبد المومن بن عليّ الگومي الزناتي (من گومية بنواحي تلمسان)، وهو أول خلفاء المهدي ومؤسس الدولة الموحدية ومورّث حكمها في سلالته، غير أنّ صاحب *المعجب* ذكره في الرتبة الثانية ضمن الجماعة بعد المسمّى عبد الواحد الشرقي.

- أبو حفص عمر بن علي اسمه في *المعجب* عبد الله الصنهاجي المعروف بأزناگ. وقاد أول غزوة بعد موت المهدي ضدّ المرابطين (البيذق، 44)، توفي خلال الحركة الطويلة لعبد المومن ببلاد غمارة (البيذق، 54).

- أبو الربيع سليمان بن مخلوف أحضري، وعرف عند أهل أغمات بابن البقال وابن تاعظميت، تولى الكتابة عن المهدي، ويذكر صاحب *المقتبس* وفاته في معركة البحيرة.

- أبو إبراهيم إسماعيل بن يسلاّلي الخزرجي (واسمه في *القرطاس* إبراهيم بن إسماعيل)، تولّى مهمّة القضاء أيام المهدي بتينملل، يذكره البيذق ضمن الخمسة الأوائل السابقين لبيعة عبد المومن وبعد وفاة المهدي (ص 45)، وكان سبب نجاة عبد المومن من محاولة اغتيال بالمغرب الأوسط.

- أبو عمران موسى بن تمارى الگدميوي، وهو أمين الجماعة في عهد المهدي، لم يرد اسمه عند البيذق ولا عند صاحب *الحلل*، ذكر صاحب *المقتبس* أنه استشهد في البحيرة، ولعله غير أبي عمران موسى بن سليمان الضرير صهر عبد المومن الذي كان يستخلفه على مراكش خلال غيابه عنها، وهو من أيت خمسين (*المقتبس*).

- أبو يحيى أبو بكر بن يگيت، وهو عند المراكشي من أهل تينملل، وعند ابن أبي زرع أنه هنتاتي، ولم يرد اسمه عند البيذق. ذكر صاحب *المقتبس* وفاته في معركة البحيرة التي حدثت مع المرابطين خارج مراكش سنة 524 هـ.

- أبو عبد الله محمد بن سليمان من أهل أنسا، كان يؤمّ الناس في الصلاة خلال غياب المهدي، مات في معركة البحيرة.

- عبد الله بن يعلى الزناتي، من أهل تازا، اشتهر بابن ملوية أو ابن ملويات، ارتد عن دعوة المهدي بعد وفاته فقتله رجال گنفيسة.

- أبو محمد عبد الله بن محسن الونشريسي المعروف بالبشير، وقد أورد ابن الأثير نماذج من استعمال المهدي للونشريسي في عمليات "التمييز" بين المصدّقين بدعوته والمتشككين فيها، فكان سبب هلاك الآلاف من الناس، كما قاد ضدّ المرابطين عمليات عسكرية آخرها وأشهرها معركة البحيرة خارج مراكش (*الكامل*، 8 : 297 - 298).

- أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي أحد شيوخ قبيلة هنتاتة، واسمه الأصلي فصكة بن ومزال إينتي. قاد أبو حفص عمليات عسكرية هامّة سواء خلال الحركة الموحدية أو في دولة عبد المومن وابنه يوسف، وكان له دور أساسي في دعم حكمهما إلى أن توفي بمراكش بسبب الطاعون سنة 571، واحتفظ أبناؤه بمكانة متميزة في الدولة إلى أن توفّرت لهم ظروف إنشاء الدولة الحفصية في إفريقية أوائل القرن اللاحق معتبرينها استمراراً للدولة الموحدية التي آلت إلى الضعف ثم السقوط.

هذا الترتيب لأسماء الجماعة وضعه صاحب *المقتبس* وأضاف اسمين آخرين هما أبو موسى عيسى بن موسى الصودي (ورد اسمه عند البيذق أيضاً)، وأبو محمد عبد العزيز الغيغائي. أما صاحب *القرطاس* فسمّى أحد العشرة أبا عثمان بن يخلف، وأورد صاحب *الحلل الموشية* اسمي أبي إبراهيم وإسماعيل بن موسى، وأكد صاحب *المعجب* على أولية المسمّى عبد الواحد الشرقي فجعله قبل اسم عبد المومن، ومن المحتمل أنّ عبد الواحد الشرقي هذا هو الذي سمّاه صاحب *القرطاس* عبد الواحد الحضري. وذكر صاحب *المعجب* عضواً آخر في الجماعة هو أيّوب الجدميوي الذي تولّى قسمة الإقطاع بين الموحدين في أول أمرهم، ثم قال : وانضاف إلى الجماعة خلق من قبائلهم فعُدّوا فيهم ونُسبوا إليهم.

أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت*، ط. الرباط 1971 (ص 34 - 35) ؛ مجهول، *المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب*، الرباط 1971، ص 30 وما بعدها ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب* ط. القاهرة 1950، ص 337 - 339 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ط. الرباط 1973 (ص 176 - 177) ؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، ج 8 (أحداث سنة 514) ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 469 - 470، بيروت؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء 1979، ص 108 - 109 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*، ق 1 (173 - 174) ؛ الفريدبل، *الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي*، تر. ع. الرحمن بدوي، بيروت 1981، ص 253 - 263.

أحمد عزاوي

**الجَمْرَة**، اسم يُطلق على أنواع نباتية برية أو أنواع مزروعة للزينة، تشبه الأقحوان، ولها أزهار ذات لون أحمر أو برتقالي، كگالينْدُولاَ ألْگرْيَانْزِيسْ Calendula algeriensis وكَالِينْدُولاَ أرْفِيتْرِيسْ Calendula arvensis، وهي تنتمي مع أنواع وأجناس أخرى إلى فصيلة المركبات Compositae أو النجميات Asteraceae. يحتوي الجنس على أنواع أخرى لها أزهار ذات لون أصفر يختلف كثيراً عن ألوان الجمرة.

والجمرة نبات حولي بالنسبة للنوعين المذكورين أعلاه أو معمر بالنسبة للأنواع الأخرى. لها أوراق بسيطة أو مفصصة وأزهار مجتمعة على شكل رؤيس ذات ألوان مختلفة تعطي للحقول والهضاب والتلال منظراً جميلاً.

تكثر أنواع الجمرة البرية في البيومناخات الجافة وشبه الجافة وشبه الرطبة من الطوابق النباتية لتحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ والمتوسطي.

أنواع الجمرة لا أهمية لها بالنسبة للرعي لكنها تستعمل للزينة أو في التطبيب الشعبي لتوسيع الأوعية الدموية بتخفيض الضغط الدموي ولتنظيف الوجه ولعلاج الأضرار اللاحقة بالجلد من الحروق ولدغات الحشرات إلى غير ذلك.

*أبحاث شخصية.*

عبد المالك بنعبيد

**الجمعة**، مدينة وسيطية بناحية الغرب، تعرف أيضاً بجمعة القراوش وجمعة الحمام وعين القراوش، وهي من إحداث السلطان يعقوب المنصور المريني في موضع غير بعيد عن موقع تافرطاست، بناها تخليدا لمكان دفن والده الأمير عبد الحق بن محيو المريني وأخيه أبي العلاء إدريس بعد مقتلهما على يد بني رياح الهلاليين في معركة واجرهان يوم 22 جمادى الثانية عام 614 / 26 شتنبر 1217.

تعود أولى الإشارات المتعلقة بظهور هذه المدينة إلى سنة 684 / 1285 بمناسبة صدور أمر يعقوب المنصور لبناء ضريح والده وإحداث مسجد وزاوية بجانبه، وتخصيص أرض زراعية لهما وقفا لجري الضيانة ومختلف الخدمات.

تقع جمعة القراوش عند حد اتصال سهل الغرب بمقدمة جبال الريف على الضفة اليمنى لنهر ورغة، شرق قيادة جرف الملحة بنحو ستة كيلومترات، شمال الطريق المتجه من الجرف إلى مدينة فاس، في مكان هادئ كثير المياه، يغلب على سطحه الانبساط جنوب دوار معارف عين قراوش الخالي من مجاري المياه. أما الواد المشار إليه من طرف مارمول كربخال فالمعتقد أنه هو المسمى واد حمد الله المار من جهة الشرق في اتجاه ورغة، وسماه مترجم الكتاب واد الركيلة. ورغم البعد النسبي لهذا الوادي فقد شكل إلى يومنا المصدر الرئيسي للمجال الفلاحي.

ونظراً للموقع الذي احتلته مدينة الجمعة بالنسبة للطرق التجارية المتصلة بالعاصمة المرينية فإنها لم تلبث أن نالت حظها من الانتعاش الاقتصادي بصفتها إحدى محطات المرور في الاتجاهات الأربع مما زاد في اتساع العمران والسكان. ولاشك أن هناك توسعا أيضاً في المجال الحرفي.

وقد تملكتنا الحيرة والعجب أثناء زيارتنا للمكان لاختفاء جميع معالم المدينة باستثناء المكتشف من آثارها سنة 1980. فلا يظهر اليوم على السطح سوى رسم قاعة مستطيلة طولها 5,35 أمتار وعرضها 4,90 أمتار تتضمن رسم حوض مربع الشكل. كما كشفت الحفريات عن وجود بعض الأعمدة، ونظام للري ينطلق من الشرق إلى الغرب، إلى جانب بقايا من الصناعة الفخارية الوسيطية. إلا أن الحفريات لم تكشف الغطاء الأثري بعد عن الجوانب الرئيسية التي شيدت حولها المدينة.

وبناء على ذلك فليس للضريح والزاوية والمسجد الملحقين به اليوم أي أثر. ولعل تتبع المدينة بما تسمح به المصادر القليلة المتوفرة سيساعدنا على تصور حجمها وأنشطتها.

ونشير إلى أننا لا نتوفر على البيانات الكافية الدالة على تقديرات عدد السكان. ففي الوقت الذي اكتفى مارمول بقوله : "كانت آهلة بالسكان في حياة الأمير (يعقوب المنصور) ومن خلفه "وجدنا الحسن الوزان يقدر العدد بثمانية آلاف كانون أي ما يوافق نحو أربعين ألف ساكن، مما يفهم أن مساحة المدينة امتدت إلى التلال المقابلة لضريح سيدي علي العواج.

ولا شك أن ما زاد في إعلاء مقام مدينة الجمعة أيام أبي الحسن المريني إقدامه على تجديد بناء كل من الضريح والزاوية والمسجد وما أضافه من المرافق الأخرى، بل وبما حرص عليه من رفع مردود وقفها بمضاعفة مساحة الأرض المحبسة من محرث أربعين زوجا المسجلة على عهد يعقوب المنصور إلى محرث ثمانين زوجا وخصصت للوافدين على المزارة والزاوية الأرزاق والفوائد العظيمة كما يذكر ابن مرزوق.

بلغت مدينة الجمعة على عهد أبي عنان أوج ازدهارها، إذ أنه أنفق بدوره بمناسبة زيارته لها سنة 758 / 1259 الأموال على الضريح والزاوية لتجميل بنيانهما وزخرفة جدرانهما. وقد ترك لنا ابن الحاج النميري في *فيض العباب* وصفا حيا لضريح عبد الحق المريني. فمنه نعلم أن بناية الضريح كانت ضخمة تتركب من جامع كبير متصل بالقبة شامخ البنيان تظهر عليه آثار الجلالة ودلائل السعادة.

عمرت مدينة الجمعة بعد ذلك زهاء قرن من الزمن في ظروف لا نعرفها إلا من خلال الفوضى التي عمت البلاد في النصف الثاني من القرن الثامن (14 م) من جراء التنافس الأسري المريني على العرش، مما أدخل المدينة في مرحلة الإهمال وتعرض أوقافها للسطو إلى أن أعلن الحسن الوزان عن التخريب الذي كان سبب نهايتها واندراسها في نطاق المدن المخربة أثناء الجولات الحربية المتعاقبة الجارية بين السلطان أبي سعيد عثمان وأخيه أو قريبه سعيد المريني في مستهل القرن التاسع (15 م).

تظهر درجة الخراب الذي أصاب المدينة من الأوصاف المقدمة من طرف كل من الحسن الوزان ومارمول كربخال، مما يدل على أن الوطاسيين والسعديين بعدهم لم يلتفتوا إليها بتاتا فزادت معالمها بالتدريج اختفاء واندثارا. فالوزان جعل منها مجرد مكان لا توجد به سوى مطامير العرب تحت حراستهم واحتكارهم. ومارمول أضاف إلى ذلك استمرار وجود بعض الطواحين بجوار النهر القريب منها.

ويدلنا المصير الذي آلت إليه مدينة الجمعة بعد تخريبها

أنها أصبحت منتجعا ومجالات لعرب الخلط، وقد اشتهر من شيوخهم القائد قرواش على عهد أحمد الوطاسي وكان بجانبه عام 941 / 1534 في غزوة ضد مدينة أصيلا، ومنذ ذلك ارتبط اسم موضع المدينة بالشيخ الخلطي، إذ أن مارمول كربخال سمى المدينة جمعة قرواش. ومازال المكان إلى اليوم يعرف بعين قرواش، وليس هناك ما يدل على سابق عهدها.

ابن الحاج النميري، *فيض العباب*، الرباط 1990 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1973 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر 1981 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 7، لبنان 1959 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط 1980 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، ج 2، الرباط 1989 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 4، البيضاء 1955 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، مرقون، الرباط 1991 ؛ *التحري الميداني*.

J. Bensliman Hassar, *Ain Karouach un nouveau site archéologique dans le Garb. B.A.M.* 12. 1980 ; M. Kabli, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen âge*. Paris, 1986 ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du 16e siècle*. Alger, 1906 ; Patric Cressier, *Prospection géophysique sur le site mediéval d'Ain Karouach . B.A.M.* 14. 1981.

أحمد قدور

**فم الجُمعة**، مدينة تقع على بعد حوالي 130 كلم من مدينة مراكش، في اتجاه شرقيها، غير بعيد عن الطريق التجارية القديمة الواصلة بين فاس ودمنات. وقد كونت في بعض الأوقات - أكبر تجمع بشري، ضمن قبيلة هنتيفة، المنضوية تحت لواء قبيلة هسكورة المندثرة (Répertoire, 468) وتحتل داخل القبيلة المذكورة موقعاً وسطاً.

أما موضعها فهو شبيه بمواضع مدن دير الأطلس الواقعة عند مخارج الأودية. مثل إ م - نْ - تانوت وفم الحصن وفم العنصر وغيرها ... فهي في مؤخرة دير الأطلس المتوسط الغربي، على ضفتي مخرج شِعب من مرتفعات السلسلة الجبلية المذكورة.

فم الجمعة

يبدو أن بناء فم الجمعة لم يكن وليد إرادة سياسية أو عسكرية، كما أن اختيار موضعها لم يكن عفوياً ؛ لأنه يوفر المنعة اللازمة لحمايتها، ويتخلل المجال المحيط بها انبساط وخصب ؛ ولاسيما في الجهة الشمالية الغربية. ويخترقها جدول ماء. كما لانستبعد أنها قد كونت - بعد بنائها - مرحلة في الطريق الواصلة بين دمنات وبزو لاحتلالها موقعاً وسطاً بين المدينتين. ومن ثم يظهر أن وظيفتها الأولى تجلت في توفير الأمن للقوافل التجارية، التي كانت ترتاد تلك الطريق.

أول من أشار إليها - فيما نعلم - هو الحسن الوزان (*وصف افريقيا*، 1 : 133)، حيث ذكر أن مدينة الجمعة بنيت في أيامه، وقدر عدد سكانها بنحو خمسمائة كانون. ووصفها بالغنى والنماء قائلاً : "وفيها عيون عديدة وحدائق كثيرة مليئة بكل أنواع الأشجار المثمرة، لاسيما بعدد وافر من أشجار الجوز الضخمة. وجميع التلال المحدقة بهذه الجبال مكسوةٌ بحقول الشعير والكثير من أشجار الزيتون.

كان يستوطنها في ذلك العهد كثير من أهل الحرف والصنائع، ولاسيما الدباغين والسراجين والحدادين. واشتهرت على الأخص، بصناعة صفائح الخيل والدروع التي كانت تصدر إلى مختلف جهات البلاد، ولاسيما مدينة فاس ؛ وربما كان تجارها يبادلون سلعهم مع بلاد السودان، إذ يشير الوزان إلى أنهم كانوا : "يستبدلونها بالعبيد والنيلة وجلود بعض الحيوانات التي تعيش في الصحراء". كما كانوا يجلبون الأغطية والملابس وبعض الأدوات من مدينة فاس (م. س).

ولعل بُعد فم الجمعة عن بؤر التوتر - في ذلك الوقت - وقربها من مدينة دمنات هو ما جعلها تشهد تلك الحركة التجارية النشيطة بالرغم عن تنكبها عن الطريق التجارية الرئيسية الرابطة بين الجنوب والشمال.

ويتحدث عنها مارمول - بعد ذلك - بنفس العبارة تقريبا. إلا أنه يشير إلى وجود مصانع بها لمعالجة الحديد الذي يحمل منها ليباع على شكل قضبان. وذكر أنها كانت قرية قديمة "فيها مسجد عتيق شهير" ؛ ورغم أنها ليست مسورة فإنها شديدة المنعة بسبب موقعها "على صخرة وعرة جداً" (*افريقيا*، 2 : 111).

وإذا كنا نجهل كل شيء عن فم الجمعة خلال القرن السابع عشر، فمن المؤكد أن أهميتها قد تزايدت في القرن الموالي، مع دخول الطريقة الناصرية إليها، فقد تأسست بها زاوية ناصرية على يد الشيخ حمزة بن مَحمد الصغير بن مَحمد ابن ناصر الدرعي، دعيت منذئذ زاوية سيدي حمزة (*طلعة المشتري*، 2 : 146 و15 ,L. Voinot). وإذا كنا لا نعرف شيئاً عن بداية زاوية فم الجمعة الناصرية ؛ فإن كتاب *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة* يعطينا بعض الإشارات عن تلامذة ناصريين استقروا بها في تلك الحقبة - القرن الثاني عشر (18 م) - أولهم أحمد بن محمد الهوزالي الذي استوطن بموقع في شمالها الغربي يدعى بُوحَمٌ. كان هذا

الرجل عالماً مشاركاً، برع بصفة خاصة في علم القراءات ؛ وأخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ أحمد الخليفة، الذي أمره باستيطان تلك المنطقة. وهنالك اشتهر بتدريس كتاب الله، وإطعام الطعام ؛ فانتفع به خلق كثير، وتخرج به تلاميذ عديدون، منهم : محمد الدرعي وإبراهيم الدمناتي وأحمد ابن عياد السكتاني، وإبراهيم بن حسين الابزيوي. ولم يزل كذا دأبه في نشر العلم وبثه، ورفع الراية للزائرين حتى وفاته سنة 1134 / 1722 ( *الدرة الجليلة*، 270 ـ 271 ).

وبعده تصدر لتلقين العلم ببوحمُ من فم الجمعة ولده أحمد بن أحمد الهوزالي، الذي كان عالماً بالمنقول والمعقول ؛ ولاسيما علم القراءات والنحو والفقه والحديث والنوازل. يشير الخليفتي إلى أنه صنف تأليفاً في أحكام القراءات، وأن النوازل كانت تترى عليه من مختلف الجهات.

وثالثهم يدعى إبراهيم أُحمد، اشتغل بدوره بالتدريس في بوحمُ، حتى وفاته بالوباء الواقع هنالك، سنة 1155 / 1742.

نستنتج مما سبق أن فم الجمعة أصبحت في ذلك العهد مركز إشعاع يؤمه طلبة العلم ومريد والانخراط في سلك الطريقة الناصرية ؛ لاسيما وقد اشتهر بعض رجالها بالعلم والصلاح ؛ الشيء الذي جعلهم يضطلعون ببعض المهام الاجتماعية ؛ كالتوسط في النزاعات والتحكيم في الخصومات، والفصل فيما قد ينزل بالناس من مستجدات تدعو إليها ضرورات معاشهم ومعادهم، وهي أمور لها بالغ الأهمية خاصة في عهد الفترة، حيث اضطربت الأحوال، وعمت الأوحال ؛ وصارت البوادي متروكة بنفسها يأكل قويها ضعيفها.

ولعل تلاميذ الناصريين وذرية شيخ تامگروت قد استمروا على حالهم فيما بعد، كما يشير إلى ذلك أحمد بن خالد الناصري (*طلعة المشتري*، 2 : 146).

وحين مرَّ شارل دوفوكو بفم الجمعة، فيما بين 4 و5 أكتوبر سنة 1883 ـ في وجهته إلى دمنات ـ لاحظ أن اسم الجمعة لم يعد مطابقاً لها، لأن سوقها الأسبوعي ينعقد يوم الاثنين. ومن ثم دعاها "اثنين نتيفة" (*Reconnaissance*, 76). وذكر أن ذلك التجمع البشري صار ينقسم إلى ثلاث مجموعات سكنية، تتوزع على ضفتي الجدول المائي الذي يخترقها ؛ وتحيط بها البساتين الغناء، وتكثر حواليها أشجار الزيتون. وقدر عدد سكانها بحوالي 1500 نسمة، من بينهم 200 من اليهود الذين كانوا يمارسون تجارة نافقة، مع دمنات وبزو والقبائل المجاورة.

وفي سنة 1923 يشير ڤوانو Voinot إلى أن الشيخ المتولي على زاوية سيدي حمزة بفم الجمعة هو الأمين الناصري ؛ وأن الزائرين ما يزالون يتوافدون إليها من دكالة والشاوية وغيرها ؛ الأمر الذي جعلها تؤثل كثيراً من الممتلكات التي وقفت حبساً عليها (*Zaouias*, 15).

لكل ذلك صنفت فم الجمعة كأكبر تجمع بشري في قبيلة هنتيفة، في إحصاء سنة 1936، إذ بلغ تعداد سكانها 5728 من بينهم 714 من اليهود (*Répertoire*, 468). وهكذا يكون عدد سكانها قد تضاعف أربع مرات تقريباً في غضون نصف قرن : من 1500 سنة 1883 إلى 5728 سنة 1936. وهذا ربما كان راجعاً ـ إضافة إلى العوامل السابقة ـ إلى شق الطريق الثانوية الواصلة بين بزو ودمنات، الشيء الذي جعل المرور عبر فم الجمعة أمراً إجبارياً ؛ مع ما يترتب على ذلك من رواج تجاري وتوسع عمراني ...

وقد تزايد نمو فم الجمعة بعد سنة 1956 وتوسعها العمراني بتأسيس بعض المنشآت الاجتماعية والإدارية، مثلما حدث في ميادين التعليم والصحة والبريد والداخلية...

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الترجمة العربية : م. كاربخال، *افريقيا*، الترجمة العربية ؛ أ. أحمد بن خالد الناصري، *طلعة المشتري* ؛ مَحمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة*، مخطوط.

Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; L. Voinot, *Les Zaouias de Marrakech et région* ; *Répertoire alphabétique*.

أحمد عمالك

## جمعة الحمام ← الجمعة

**جمعة سحيم**، مركز حضري بسهل عبدة يأخذ اسمه عن قبيلة سحيم إحدى أهم فخذات قبيلة ربيعة العربية بعبدة، ويقع على بعد 43 كلم شمال مدينة أسفي على الطريق الوطنية رقم 1 على محور الجديدة ـ آسفي. ومنذ سنة 1992 رقيت جمعة سحيم إلى مرتبة بلدية بعد أن كانت مركزاً مستقلاً منذ سنة 1957.

تصل مساحة المدار الحضري لبلدية جمعة سحيم إلى 106 كلم$^2$، وتحده الجماعات القروية التالية : من الشمال جماعة لَحْضَر، ومن الشمال الشرقي احد البخاتي، ومن الشرق جماعتا الگرعاني والمصابيح، ومن الجنوب ثلاثاء بوگدرة، ومن الغرب جماعة سيدي عيسى.

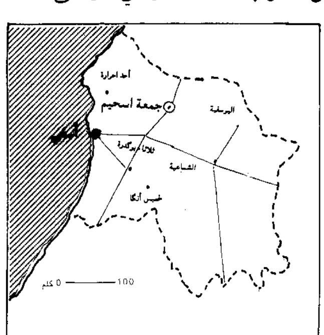

موقع جمعة سحيم

ارتبطت نشأة هذا المركز وتطوره بالسوق الأسبوعي وسط سهل غني وخصب (منطقة التيرس)، حيث يعتبر من أهم الأسواق بالمغرب وأكبر سوق أسبوعي بعبدة.

تقدر عدد الخيام التي تنصب فيه أسبوعيا بـ1300 خيمة، إضافة إلى ما يعرض فيه من الأعداد المهمة من الماشية (1200 رأس من الأبقار و1500 رأس من الأغنام)، وتصل مداخيله إلى أكثر من 3,5 مليون درهم سنوياً.

ورغم أن جمعة سحيم صنفت مركزاً مستقلاً، منذ عقود، فإن جفاف المنطقة وقربها من مدينة أسفي ومراكز أخرى كَسَبْت گزولة وثلاثاء بوگدرة جنوباً وخميس الزمامرة شمالاً، إضافة إلى عدم توفر الظروف لتطور أنشطة اقتصادية أخرى، لم تجعل هذا المركز يعرف تطوراً ملموساً إلا في العقد الأخير. وهكذا فإن عدد السكان تراجع في الستينات لكنه تضاعف خلال السبعينات وتزايد بنسبة تفوق 150٪ خلال الفترة ما بين 1982 و1994 كما يوضح الجدول التالي :

| السنوات | 1960 | 1971 | 1982 | 1994 |
|---|---|---|---|---|
| عدد السكان | 3.265 | 2.482 | 5.157 | 13.548 |

وقد أدى موقع جمعة سحيم على محور مهم للمواصلات بين الشمال والجنوب إلى تحولات مجالية واضحة، ذلك أن المركز يتكون من عدة وحدات مجالية منفصلة على طول الطريق الوطنية رقم 1. فبالإضافة إلى بعض القرى الأصلية التي تحيط بالبلدية هنا وهناك، كدواوير شهدة وأولاد ميمون والعميرات وأولاد عزوز وأولاد التومي والجديان وغيرها، هناك عدة تجزئات مجهزة طبقا لتصميم التهيئة المصادق عليه بتاريخ 17 يونيو 1981 كتجزئة الدولة، وتجزئة وادي المخازن، وتجزئة تعاونية عبدة، وتجزئة باكريم ... ويعتبر الحي الإداري والشارع الرئيسي أهم هذه الوحدات المجالية. فبالإضافة إلى الإدارات المتعددة المتفرقة بالمدينة، هناك محاولة لخلق نواة إدارية محورها البلدية والباشوية في الشمال الشرقي، ثم هناك الشارع الرئيسي الذي تتركز به أهم الأنشطة التجارية (بجمعة سحيم 150 دكانا و15 مقهى شعبي و12 جزاراً ومحطتان للوقود)، الشيء الذي يعني أننا بصدد محطة طريقية لا تتطور بنفس الوتيرة التي تتطور بها مراكز أخرى في موقع مشابه وبنفس الإقليم كَسَبْت گزولة مثلاً.

غير أن مركز جمعة سحيم يتوفر على عدة عوامل يمكن أن تساعد على الزيادة من نموه مستقبلاً، من أهمها توفره على بنيات إدارية قادرة على التطور وعلى استيعاب التغيرات المرتبطة بالتحول الزراعي للمنطقة موازاة مع تجهيز الشطر الثاني من الدائرة السقوية العليا لقطاع عبدة ودكالة قبل نهاية هذا القرن. إلا أنه يظل مركزاً ناقص التجهيز، حيث لم تعمم بعد التجهيزات الجماعية من كهرباء وماء شروب وواد حار، إذ لاتتجاوز نسبة المستفيدين من هذه التجهيزات 50٪، الشيء الذي يفرض على المدينة إعادة هيكلة القرى التي أدمجت في المدار الحضري، وبذل مجهودات جبارة في ميادين متعددة بواسطتها يمكن لها أن تهيكل ظهيرها الغني.

*تحريات ميدانية* ؛ مديرية الإحصاء *نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى*، الرباط 1971 ـ 1982 و1994.

A. Antona, *La région des Abda*, Rabat 1950 ; Chambre Mixte Française d'Agriculture, de Commerce et d'Industrie de Safi et sa région, *Safi et sa région*, Casablanca, 1951.

إسماعيل خياطي

## جمعة القراوش ← الجمعة

**الجمل**، حيوان أهلي من الثدييات العاشبة الكبيرة الأجسام الطويلة الأعناق والصغيرة الرؤوس. ينتمي إلى رتبة المجترات مزدوجات الأصابع الشثنيات الأرجل Ruminants Artiodactyles. تنتهي القوائم بأصبوعين اثنين، لها أظافر ولا حوافر لها كما هو معتاد عند باقي أنواع المجترات الأخرى. ينتمي الجمل إلى فصيلة الإبليات Tylopidae أو الجمليات Camelidae المتكونة من جنس لاما Lama الذي يعيش في القارة الأمريكية وجنس الجمل Camelus. ومنه نموذجان : الجمل ذو سنامين أو الفالج والبختي يسمى علميا Camelus bactrianus وبالفرنسية Chameau وبالأنجليزية Camel ويعيش في القارة الأسوية. والجمل الذي يعيش في الصحراء وفي الجزيرة العربية وفي المغرب وسائر إفريقيا يتوفر على سنام واحد يعلو ظهره يسمى الجمل العربي ويدعى علميا Camelus dromedarius وبالفرنسية Dromadaire وبالأنجليزية Dromedary وبالاسبانية Dromedario وله أسماء كثيرة في اللسان العربي منها الإبل وتطلق على مجموعة من الجمال ذَكَرُها الجمل وأنثاها الناقة وتجمع على نياق ونُوق وأَنْياق وأنوق وأَيْنُق وأَنْوُق. وكلمة الجمل تُجَمع على جمال وأَجْمال وجُمْل وجُمالة وجمائل. يسمى الصغير بعد الولادة جَدَعا ومهْراً وبعد بلوغه سن الخامسة يدعى بَعيراً للذكور والإناث، ويطلق اسم البازل على كل ما تَبُتت نابه من الإبل وذلك بعد بلوغه السنة التاسعة من عمره.

للجمل عدة أسماء بالبربرية حسب المناطق بالمغرب منها أُلْغم ج إِلْغْمان وتالغمت للناقة، أرام وأرعام وأماكور وألْمْ وأميس يُجمع على إمَنسان. ضروبه عديدة منها الجمل المهري Méhari نسبة لقبيلة مَهْرة بن حيدان في اليمن، مشهور بسرعته وبذكائه، يُجْمع على مهارى ومهار ومهاري.

من الأرجح أن الانسان عرف الجمل منذ ما يزيد عن عشرين قرنا قبل المسيح، ودجّنه ليقدم له خدمات عديدة في المناطق الصحراوية كحمل البضائع والأسفار والحرث، وما يزال هذا الحيوان يلعب دورا هاما في حياة الإنسان

الاجتماعية والاقتصادية (التغذية واللباس والصناعة التقليدية بواسطة الجلود والوبر).

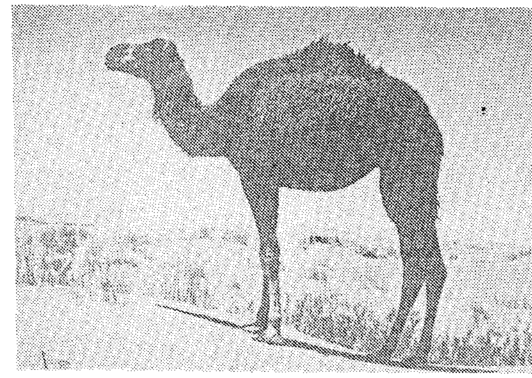

لا يُعرف لهذا النوع أفراد متوحشة في أيامنا هذه. كثيراً ما يُجعل من الفالج ذي السنامين فحلا للنُّوق فتولد منها البخاتي أو البَخْتي وهو نتاج مركب يسمى في خراسان Boghdi وهو فالج ذو سنامين قابل للتوالد كالفحل الأب مما جعل المصنفين في علم الحيوانات يتضاربون في فصل النوعين ذي سنام واحد وذي سنامين، ومنهم من يعتبرها ضروبا تنتمي إلى نوع واحد.

الجمل العربي وحيد السنام شائع عند مربي المواشي في المناطق الجافة وشبه الجافة في المغرب. يفوق علوه عند الغارب مترين ويبلغ علوه إلى قمة الرأس 2،5 أمتار. يتعدى وزنه أحيانا 500 كلغ وشائع بين 350 و400 كلغ. وللمقارنة فإن الجمل ذا السنامين يصل وزنه إلى 700 كلغ وطوله جمعا بين الرأس والجسم ثلاثة أمتار ونصف وعلوه يفوق المترين.

يعلو ظهر الجمل العربي سنام وهو عبارة عن خزانات دهنية وطاقية تمكن الحيوان من البقاء والصبر على ما يزيد عن أربعة أيام بدون أكل وشرب، وهذا نتاج سيرورة تتكيف مع الحياة الصحراوية والسهبية الشاقة. تنتهي قوائمه الطويلة بأظلاف عريضة تساعده على المشي في الأماكن الرملية. يكسو جسمه وبر ناعم متوسط في بعض الأماكن يقي الحيوان من الحرارة اللاسعة في النهار ومن البرد أثناء الليل. تتوفر الجفون على أهداب طويلة، المناخير ذات عضلات بإمكانها الإغلاق بإحكام، وهاتان الخاصيتان من الاحتياطات التي يتمتع بها الجمل لمواجهة الزوابع الرملية في المناطق الصحراوية. النصف الأمامي من الفك العلوي يبدو خاليا من الأسنان حيث لا يحمل إلاّ نابا وقارضة في كل جانب، صيغة أسنانه كالتالي : 1/3 قوارض، 1/1 أنياب، 3/2 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 34 سنا، وتُقرِّبه هذه الصيغة من الغنم والمعز.

تنخفض حرارة الجسم ليلا لتبلغ 33،7 درجة مئوية وترتفع إلى 40،5 درجة مئوية في الأوقات المرتفعة نهاراً وذلك لكي لا يتأثر الجمل بالتفاوت الحراري ما بينه وبين المحيط الخارجي. يحتوي الجلد على كمية قليلة من الغدد العرقية، والعروق الدموية التي تغذي الجلد غليظة تعْترض لتبخر الماء من الدم مما يجعل مكونات الدم قليلة التغيرات ويتماشى هذا مع انقطاع الجمل للأكل والشرب عدة أيام.

في استطاعة الجمل أن يتناول 90 ـ 100 لتراً دفعة واحدة بعد عطش ثلاثة أيام ولا يمكنه أن يتحمل العطش أكثر من خمسة أيام يقوم خلالها بعمل شاق ويمكنه أن يتخلى عن الماء أكثر من أسبوع في حالة الراحة.

يعمر الجمل حوالي أربعين سنة وتكثر حرارته الحيوانية "Rut" خلال فصل الخريف، فيكثر رُغاؤه ويزداد قلقه، وكثيراً ما يخرج من فمه غشاء أحمر كروي الشكل أثناء غضبه. تدوم مدة الحمل 12 ـ 13 شهراً وتضع الناقة عادة صغيرها ما بين شهر يناير ومارس، يقف الصغير على أرجله بعد ثلاث ساعات بعد الولادة ويتعلم المشي بعد خمس ساعات.

تعود الناقة إلى قطيع الإبل لترعى مع صغيرها بعد يومين أو ثلاثة فيتغذى من لبن أمه ريثما تنبت أسنانه فيأكل الأعشاب ويُحْزم ضرع الناقة ليبقى الحليب لمالك الإبل ولا يرضع الصغير الحليب إلا نادراً.

جل المغاربة في الجنوب ينتجون الجمال ومنها معايشهم وهي أكثر مكاسبهم.

يتكون القطيع من الإبل في المناطق الجنوبية المغربية من عشرة إلى مائة فرد وأحياناً أكثر، تأكل الأعشاب ويُقدم لها أحياناً الكلأ وحبوب الشعير ويتراوح عدد رؤوس الجمال في المغرب ما بين 33.000 و46.000 كما يوضح ذلك الجدول الآتي :

| 1981 | 1982 | 1983 | 1984 | 1985 | 1986 |
|---|---|---|---|---|---|
| 46732 | 46881 | 42559 | 41108 | 39951 | 37421 |
| 1987 | 1988 | 1990 | 1991 | 1992 | |
| 40778 | 35797 | 33775 | 32563 | 38845 | |

تشتهر المناطق الجنوبية والشرقية من بلادنا بعدة أسواق مخصصة لبيع الجمال نذكر منها سوق گلميم، ويفضل مربُّو الإبل شراء الأنياق الصغيرة التي لم تُنجب بعد. يعتني الراعي بقطيع إبله فتألفه ويألفها، وكثيرا ما يعود بعض الأفراد إلى صاحبها بعد بيعها رغم المسافات الطوال مما يدل على الارتباط بمكان الولادة.

يتمتع الجمل بحاسة شم قوية حيث يمكنه التعرف والتنبؤ بقطيع الإبل على بعد يتعدى ستة كيلومترات.

يقدم الجمل للإنسان عدة خدمات كاستعماله لحمل البضائع المعروضة في الأسواق ونقلها من سوق لآخر مما أدى إلى تسميتها بالقوافل التجارية المشهورة عند العرب منذ قدم العصور. كما أن الجمل استعمل في حمل السلاح إلى

جانب استعماله في الحرث والسفر وحمل خيام الصحراويين الرحل.

يقطع الجمل مسافات تتعدى 160 كلم في يوم واحد بدون توقف وذلك بسرعة يقدر معدها بستة عشر كلم في الساعة مما يجعل منه حيواناً أسرع من الفرس في المسافات الطوال. تنظم في المناطق الجنوبية مسابقات للجمال وتعطى جوائز تشجيعية هامة لأفضل المربين.

تعيش بداخل أمعاء الإبل عدة أنواع من طفيليات الخيطيات Nematoda يتبادلها مع الغنم والمعز إلى جانب عدة أنواع من البراغيث والقرادة تعيش على جلوده، وكثيراً ما تصاب الجمال المسنة باضطرابات مرضية ناتجة عن يرقات الدودة الوحيدة Echinococcus granulosus التي تسبب مرض Hydatitose.

م. الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، بيروت، 1988.

*Annuaire statistique du Maroc, 1986, 1990, 1994.*

محمد رمضاني

* * وعن تاريخ دخول الجمل إلى إفريقيا واستخدامه ببلاد المغرب لا يعرف ذلك بنوع من الدقة. ذكر R. Mauny أن الصحراء الافريقية عرفت وجود نوع من الجمال يعرف باسم Camelus Thomazi منذ البليوليتي Paléolithique الأوسط. وأضاف أن الجمال دخلت بلاد مصر بواسطة شعوب الهكسوس بعد سنة 1680 ق. م، لأن هيرودوت تحدث عن استخدامها في الجيش من طرف المصريين بعد هذا التاريخ. ثم وُجدت بأعداد قليلة في غرب وادي النيل منذ بداية القرن الثالث ق. م (*Tableau géographique*, 287 - 288). وذهب كل من Gautier وGidinho إلى القول بأنها دخلت بلاد المغرب في القرنين الثالث والرابع الميلاديين (*le passé*, 182 و*l'économie*, 100). في حين ذهب آخرون إلى أن ذلك تم في القرن الثاني الميلادي (*His. générale de l'Afrique*, 384) ومهما يكن من أمر فإن أغلب هذه الآراء تربط بين شيوع استخدام الجمل ببلاد المغرب وسيطرة الرومان على هذه المناطق.

كان لتعاطي عدد كبير من قبائل بلاد المغرب للترحال أثر كبير في تكاثر قطعات الإبل بالصحراء الواقعة بين واحات المغرب الأقصى وحوض وادي السنيغال التي ظلت أهم منطقة لتربية الجمال في الصحراء الافريقية عبر العصور. فقد تعاقبت على شغل هذا المجال جموع صنهاجة الجنوب وزناتة وعرب المعقل، وكلها قبائل اعتمدت الظعن والنجعة ببلاد القفر، وكان الجمل خير معين لها على التأقلم مع هذا الوسط الطبيعي لما يمتاز به من الخصائص مقارنة مع غيره من الحيوانات.

تظل صنهاجة الرمال أكثر هذه القبائل تعاطيا لتربية الإبل. ومرد ذلك إلى قدم عهدها في الاحتكاك بمناطق القفر. على خلاف زناتة التي ولت ظهرها لهذا المجال ابتداءً من القرن السابع (13 م) وكذلك الشأن بالنسبة لذوي عبيد الله وذوي منصور من عرب المعقل الذين نزحت أغلب بطونهم نحو مناطق الشمال ولم تعد حاجتهم ماسة إلى الجمل كما كان عليه الحال ببلاد الصحراء. أما ذوي حسان منهم فلم يعجزوا عن الظعن كباقي بني عمومتهم واستمروا على التنقل بصحراء بلاد المغرب إلى جانب من بقي من بطون صنهاجة بها. فلازموا الجمل واعتنوا بتربيته لما تقتضيه الضرورة وحاجة الإنسان ببلاد القفر. وهذا ما يفسر وجود الجمال بأعداد وفيرة في صحراء بلاد المغرب منذ أقدم العصور وإلى أيامنا هذه.

لا تجود المصادر التاريخية والجغرافية بالكثير من المعلومات عن أعداد قطعان الإبل ببلاد الصحراء. ذكر ابن حوقل في القرن الرابع (10 م) أن سكان صحاري بلاد المغرب الأقصى لهم من الجمال مالا تدانيها في الكثرة إبل العرب (*صورة الأرض*، 95) وذكر ابن أبي زرع في معرض حديثه عن استنجاد أهل سجلماسة بعبد الله بن ياسين، أن هذا الأخير خرج من بلاد الصحراء في الموفي عشرين لصفر سنة 447 / الأحد 21 ماي 1055 م في جيش عظيم من المرابطين. ولمّا وصل بلاد درعة أخرج عنها عامل سجلماسة ووجد في مراعيها خمسين ألف ناقة كانت في ملكية الأمير مسعود بن وانودين المغراوي (*القرطاس*، 128). وذكر ابن عذاري أنه في مفتتح عام 450 / 1058 م خرج الزناتيون من مغراوة عن طاعة المرابطين فنهض إليهم أبو بكر بن عمر من سجلماسة إلى درعة فقاتلهم وغنم إبلهم ومواشيهم (*البيان*، 4 : 15). ووردت في بعض المصادر أيضاً معلومات قليلة عن أعداد الإبل المستخدمة في الحروب من طرف صنهاجة الجنوب التي اشتهرت بالبسالة والجرأة والفروسية على الإبل حتى صار هذا النوع من القتال فنّاً خاصاً بها وأسلوبا ميّزها عن غيرها. فقد كان الأمير تيلوتان بن تكلان أمير صنهاجة المتوفى سنة 222 / 837 يركب في مائة ألف نجيب (البكري، 159) وكان يعتمد في حروبه على الإبل لإضعاف صفوف الخصم، بأن كان ينفرها ويصوبها نحو معسكر الأعداء على حين غفلة فتأتي على جميع من بها دوساً لهم ووطئا عليهم (*صورة الأرض*، 98). وذكر البكري أيضاً أن المرابطين اتجهوا للسيطرة على سجلماسة أول مرة بعد تخطيهم الحافة الشمالية للصحراء في حملة قوامها ثلاثون ألف جمل (ص 167).

تؤكد هذه الإشارات - على قلتها - وجود أعداد كثيرة من الجمال في مناطق واحات المغرب الأقصى والصحراء الواقعة جنوبها. فقد وجد هذا الحيوان في هذا الوسط الطبيعي الظروف الملائمة لنموه وتكاثره بشكل جيد. فالجمل يفضل الأعشاب الشوكية لما فيها من ملوحة، كما أنه لا يوافقه إلا الماء الملح. ومعلوم أن أغلب ما ينبط ببلاد

الصحراء يكون زعاقا لأن أغلب أراضيها سبخة (البكري، 157) لذلك عرف قطاع تربية هذا الحيوان حيوية ونشاطا كبيرين مقارنة مع تربية غيره من الحيوانات، حتى إن ثمن الفرس الواحد من خيول الصحراء كان يصل في بعض الأحيان إلى ألف مثقال أو مائة بعير كما هو الحال في القرن العاشر (16 م) حسب شهادة الوزان (*وصف افريقيا*، 2 : 263).

ولاشك أن انتعاش قطاع التجارة الصحراوية عبر المسالك العربية في القرن الرابع (10 م) قد شجع سكان بلاد الصحراء على التعاطي لتربية الإبل بشكل مكثف. فقد تزايد الطلب على هذا الحيوان لأنه كان وسيلة النقل الوحيدة القادرة على إنجاح الرحلة في اتجاه بلاد السودان عبر الصحراء الكبرى. ذكر الإدريسي في القرن السادس (12 م) أن تجار أغمات الذين كانوا يسافرون إلى بلاد السودان بمختلف أنواع السلع كان منهم في القافلة المائة جمل والسبعون والثمانون جملا كلها موقورة (*وصف إفريقيا الشمالية*، 42). كما وصلت أعداد الإبل في بعض القوافل في العصر الوسيط إلى اثني عشر ألف راحلة (*العبر*، 7 : 70).

كانت سجلماسة في القرن الثامن (14 م) أهم سوق لبيع الجمال ببلاد المغرب حسب شهادة ابن بطوطة (*الرحلة*، 2 : 773) وليس هناك ما ينفي أن هذه المدينة قد لعبت نفس الدور في المراحل السابقة لهذا التاريخ. بالنظر للمكانة التي كانت لها في الإشراف على التجارة الصحراوية طيلة قرون عديدة من التاريخ الوسيط، وبالنظر لتزايد طلب التجار على هذا الحيوان بعد أن أصبحت المسالك التجارية الغربية تخترق وسط الصحراء للمرور بملاحة تاتنتال، التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم تغازى، ابتداء من القرن الخامس (11 م).

هكذا مثّل الجمل وسيلة النقل الأكثر استعمالا بمناطق بلاد الصحراء من قبل المشتغلين بالتجارة الصحراوية، فهذا اليحوان يستطيع حمل ما بين 120 و150 كيلوغرام، ويمكنه قطع ما بين ثلاثين وأربعين كيلومتر في اليوم الواحد، واليوم من المشي يتراوح ما بين عشر وإحدى عشرة ساعة، أي يسير بمعدل 3 إلى 4 كيلومتر في الساعة. علما بأن القوافل كانت تسير الساعات المتأخرة من الليل والساعات الأولى من الصباح ثم تحط الرحال وقت ارتفاع درجة الحرارة لتتابع السير في أول وقت العصر (*Tableau géographique*, 395 و*L'économie*, 113 و*وصف افريقيا الشمالية*، 18).

وبالإضافة إلى قدرة الجمل على حمل الأثقال وتحمله قساوة الظروف الطبيعية ببلاد الصحراء فإن التجار المتجهين إلى بلاد السودان كانوا يعمدون إلى اصطحاب جمال فارغة من الأحمال ويعطشونها قبل ورودها الماء لتتناول منه الكثير ثم يشدون أفواهها حتى لاتجتر. فإذا نشف ما في أسقيتهم واحتاجوا إلى الماء نحروا واحداً منها وترمقوا بما في بطنه (*آثار البلاد*، 19 ؛ *وصف افريقيا*، 1 : 69).

وعموما فإن الجمل ظلّ أهم وسيلة للتنقل ببلاد الصحراء وخير معين على تأقلم الإنسان مع سبل العيش بها. لذلك اعتبر البعض أن استخدامه في ذلك الوسط القاحل في العصور الغابرة أحدث ثورة اقتصادية يمكن مقارنة نتائجها بدون مبالغة مع نتائج ما أحدثه استخدام السكك الحديدية والسيارة والطائرة في العصور الحديثة (*Le passé*, 195).

يوجد اليوم بالمغرب نوعان من الجمال يحمل كل منها اسم القبيلة التي اشتهرت بتربيته. وهما الجمال الشبانية نسبة للشبانات وجمال الركيبات نسبة للقبيلة التي تحمل نفس الاسم وتسمى أيضاً بالمهاري. وهذه الجمال من ذوات السنام الواحد، والاختلاف بينها في كون النوع الأول له قدرة فائقة على تحمل الأثقال رغم صغر حجمه، في حين يمتاز الثاني بضخامته وسرعته في قطع المسافات (*Le Tafilalet*, 102).

ابن حوقل، *صورة الأرض*، بيروت، 1979 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، باريس، 1965 ؛ ش. الإدريسي، *وصف افريقيا الشمالية والصحراوية*، الجزائر، 1957 ؛ ابن عذاري، *البيان*، ج 4، بيروت، 1983 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1970 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 7، بيروت، 1988 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج 2، الرباط، 1982 ؛ مارمول، *افريقيا*، الرباط، 1984.

R. Faure, *Le Tafilalet : étude d'un secteur traditionel d'irrigation*, Paris, 1969 ; R. Mauny, *Tableau géographique de l'ouest africain d'après les sources écrites 'la tradition et l'archéologie*, Dakar, 1961 ; Codinho, *L'économie de l'empire portugais, XV-XVIè*, Paris, 1930 ; *Histoire générale de l'Afrique*, II *Afrique ancienne*, Paris, 1987 ; Gautier, *Le passé de l'Afrique du Nord*, Paris, 1964.

حسن حافظي علوي

**الجمل**، (مغارة -) بجبال بني إزناسن في المغرب الشرقي : تنتشر مغارات عديدة ذات قيمة تاريخية وعلمية وسياحية بجبال بني إزناسن كمغارة - إيفري انتافاغين وإيفري الغولا، ومغارة الحمام ومغارة الجمل، وتعتبر هذه الأخيرة من طرف المتخصصين في ميدان الجيومورفولوجيا انها كارست باطني من الأحجام الكبيرة.

تقع مغارة الجمل عند ملتقى خط طول 778.6 كلم وخط عرض 475 كلم، وارتفاع 55 م. وتوجد على بعد حوالي 72 كلم من مدينة وجدة، و 12 كلم جنوب مدينة بركان على الطريق الثانوية الرابطة بين بركان وقرية تافوغالت عبر خوانق واد زكزل وتغاسروت، وتنفتح مغارة الجمل في السفح الجنوبي لجبل أغيل أعشام، بين خانقي واد

الفروج وواد مولاي إدريس اللّذين يرفدان واد زكزل.

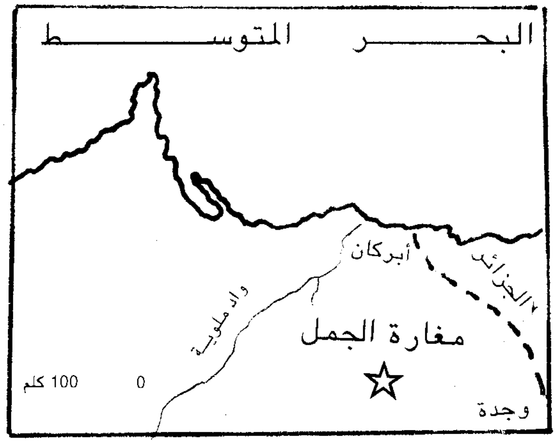


أما من الناحية الجيولوجية فقد تكونت المغارة في الصخور الكلسية ـ الدلوميتية ذات النفاذية العالية التي ترجع إلى الزمن الجيولوجي الثاني : إلى اللياس الأسفل من عصر الجوراسي، وتشكل هذه المواد هوامش جبال بني إزناسن حيث مواد القاعدة القديمة من شست وگرانيت، الجزء الأوسط.

تعرف مغارة الجمل جهويا بتَسْراكوتْ وتعني بالبربرية البئر، أو السرداب الذي يمتص الإنسان فيتيه بداخله، إلاّ أن هذه التسمية في الواقع لاتتطابق مع الاسم الذي جاءت به "مغارة الجمل" لأن اسم أو مصطلح "الجمل" يقابله بالبربرية "ألْغَمْ" وأصلاً أطلق هذا الاسم "مغارة الجمل" لأن بداخل المغارة شكلاً ضخماً على هيئة جمل (الصورة 1) وأهل المنطقة يعرفون هذا جيداً.

والجمل شكل نحت في المغارة لا شكل تساقط، وقد نسجت حوله مجموعة من الأساطير، أهمها أن النساء اللواتي لاينجبن يزرن هذا "الجمل" ويطفن حوله على أمل الإنجاب.

تتكون مغارة الجمل من ثلاثة مستويات أو طوابق : المستوى الأرضي أو الأسفل، المستوى الأوسط ثم المستوى الأعلى ؛ ويمكن الدُّخول إليها عبر مدخلين : مدخل أسفل يوجد على مستوى 5 أمتار من سليل واد الفروج ويعتبر أصل "العين" أو النبع La Résurgence الذي تتدفق منه المياه خلال فترة نشاط المغارة، وهي توافق بالطبع الفصل المطير من السنة.

وهذا المدخل الأسفل يأخذ شكلاً دائرياً يصل قُطره إلى 5.5 م أمّا المدخل الثاني فهو المدخل العلوي الذي ينفتح في سفح جبل أغبل أعشام ويوجد على علو 50 م من مستوى سليل واد الفروج وهو نصف دائري يصل قطره إلى 20 م.

أ ـ المستوى الأرضي : وهو المستوى الذي يرتبط مباشرة بالمدخل الأسفل أو النبع وهو ينقسم إلى رواق رئيسي وأروقة أخرى ثانوية متفرعة عنه. ويأخذ الرواق الرئيسي اتجاه غرب ـــ شرق ويمتد على مسافة 40 م، ثم ينعرج ليأخذ اتجاه شمال ـ جنوب على مسافة 80 م، كما أن جدرانه مغلفة بغطاءات من الكلسيت (les draperies) وبتراكمات كاربوناتية أخرى مختلفة الأحجام.

وينتهي هذا الرواق في قاعة كبرى تصل مساحتها إلى 750 م. وهي ذات الأبعاد التالية : الطول 30 م والعرض 25 م. والعلو 60 م، ومن هذه القاعة الكبري تتفرع شبكة من الأروقة الضيقة ذات الاتجاهات المختلفة.

يوجد المستوى الأوسط أو الانتقالي فوق المستوىٔ السابق ويتم الوصول إليه عبر حافة وعرة جد مائلة يصل مداها إلى حوالي عشرة أمتار انطلاقاً من القاعة الكبرى أو القاعة المركزية التي تميز المستوى الأرضي. ويُميز هذا المستوى مدخل طويل يمتد على مسافة 60 م ويأخذ اتجاه شمال ـ جنوب، ثم رواق ضيق ينتهي بقاعة كبرى تكسو جدرانه غطاءات كاربوناتية ملساء، وأحيانا قد تأخذ هذه التراكمات الكاربوناتية شكل نوازل وصواعد.

المستوى الأعلى : هو آخر مستوى نصل إليه بعد اجتياز حافة صعبة انطلاقاً من المستوى الأوسط. وهذا المستوىٔ الأعلى عبارة عن رواق مستطيل الشكل يمتد على مسافة 65 م إلى غاية المدخل المعلق، وهو يأخذ اتجاه شرق ـ غرب. ويبقى دور تحلل الكلس جد مهم عند هذا المستوى حيث إن التراكمات الكاربوناتية تأخذ أشكالاً مهمة ومتنوعة. من غطاءات وتغليفات لجدران المغارة، وتدفقات في شكل نوازل وصواعد، وأهمها التدفق الذي يأخذ هيئة "جمل". وأحياناً أخرى نجد سراديب كارستية مهمة.

إن هذا التنوع من حيث الأشكال الباطنية : شبكة وسراديب وقاعات، جعل مغارة الجمل تكتسي أهمية بالغة من الناحية الجيومورفولوجية الكارستية ولاسيما لشيخوختها : إذ أن عمر المغارة بالنسبة لجيومورفولوجية السطح، حيث إن مغارة الجمل عبارة عن مجرى مائي باطني يمكن إرجاعه إلى الظروف المناخية السالفة من التاريخ الجيولوجي للمنطقة خاصة خلال الفترات الرطبة التي سمحت بتكوين مثل هذه الشبكة الكارستية الباطنية.

ومن الناحية الليتولوجية (الصخرية) تتميز المغارة بوجود طاقم كبير من الصخور الكاربوناتية. الممثلة في الصخور الكلسية الدلومتية ـ اللياسية / الجوراسية، والكونگلوميرا الميوسيني التي تتميز بالنفاذية العالية.

قد تكون العمليات الميكانيكية لعبت دوراً في إفراغ القاعات، ثم إن المياه العدوانية ساهمت باستغلال الشقوق والانكسارات الموجودة في الصخور محلياً، والتي هيأت وسطاً ملائماً وسمحت بتكوين مختلف الأشكال الباطنية.

تعرف مغارة الجمل حالياً نشاطاً واضحاً خلال الفترات المطرة من السنة حيث يرتفع مستوىٔ المياه ليصل الصبيب عند النبع La Résurgence إلى 80 ل / ث وقد يتعدى إلى 1184 ل / ث كما حدث بتاريخ 7 / 4 / 1972.

أمّا خلال الفترات الجافة فقد يتحول داخل المغارة إلى مجموعة برك محصورة وقد تجف تماماً.

*بحث ميداني.*

عبد الخالق غازي

**الجمل**، أسرة فاسية من ذرية الشيخ الصوفي علي بن عبد الرحمان العمراني الشهير بالجمل المتوفى بفاس عام 1194 هـ / 1780 م. وقد اشتهر من هذه الأسرة علمان بممارستهما لفن الموسيقى الأندلسية أواخر القرن الثالث عشر (19 م) أخذ عنهما بعض مسعملات هذا الفن عالمُ الرباط المشارك إبراهيم التادلي خلال إقامته للدراسة بفاس، وأتى على ذكرهما من بين أساتذته في الموسيقى في كتابه *أغاني السّيقا*. وهما رشيد والغالي.

**الجمل رشيد**، تعلم الموسيقى على يد الحاج حدو ابن جلون الفاسي، وفاق استاذه في جمال الصوت، "فقد كانت له في صوته ترنيمات إذا أرسلها أذهلت الألباب" وإلى ذلك فقد كان آية في ضرب الرباب. كان حياً في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م).

إبراهيم التادلي، *أغاني السيقا ومعاني الموسيقى*، مخطوط، الفصل 5 من الباب 7. ص. 76. 77.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الجمل، علي** بن عبد الرحمان بن محمد الحسني العمراني، صوفي كبير من شرفاء بني عمران، دفين قبيلة بني حسان القريبة من تطوان، ينتهي نسبه إلى عبد الله بن إدريس بن إدريس، اشتهر بلقبه الجمل اسم الحيوان المعروف، لأنه وجد مرة بعيراً راقداً في الطريق فرفعه بقوته ووضعه خارج الطريق. فقال من شاهده : هذا هو الجمل حقيقة، فلقب من يومه الجمل. ومن العجائب قول الشيخ محمد بن جعفر الكتاني : وهو ملقب عند ملائكة الرحمن بالجمال.

استوطن فاسا مدة وأخذ بها عن أبي عبد الله جسوس التصوف، وأولع بعقيدة التوحيد الخاص الذي قد يؤول على مذهب وحْدة الوجود وكُتبها وقوانينها، وألف كتاباً في ذلك، والتحق بخدمة المخزن. ثم تخلى عنها وهرب خائفاً إلى تونس وأخذ عن صوفيتها، ثم رجع إلى المغرب فلقي بمدينة وَزّان عام 1153 هـ الشريف الطيب الوزاني وأخذ عنه. ثم أمَّ فاسا واتصل من عامه بشيخه العربي بن عبد الله معْن الأندلسي ولازمه للخدمة ستة عشر عاماً، انتقل بعدها إلى تطوان فأخذ بها عن شيخ مغمور يسمى عبد الله الشريف، ولازمه عامين وتخرج به. وعاد إلى فاس فانتصب للتربية الصوفية بعد وفاة شيخه العربي معن وأخذ عنه الجم الغفير، وأشهر تلامذته الشيخ العربي الدرقاوي شيخ الطريقة الدرقاوية وفروعها بالمغرب وغيره، وأسس زاويته الشهيرة بحومة الرميلة من عدوة الأندلس بفاس وظل بها إلى أن توفي، له ولمريديه أحوال غريبة انتقدها عليهم الشيخ ابن عبد السلام الناصري في كتاب المزايا فيما أحدث من البدع بام الزوايا، له *رسائل صوفية* مدونة في مجلد مازالت تقرأ إلى الآن بزاويته، سمعتُ بعضها ثمة من مريديها.

كانت وفاته عشية السبت 29 ربيع الأول عام 1194 / فاتح أبريل 1780 هـ ق وقد جاوز المائة من عمره.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، مخطوط، 4 : 53 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 360 طبع حجر بفاس.

محمد بوخبزة

**الجمل، الغالي** شقيق رشيد. سابق الترجمة، وكان جيد العزف على الكمان. وعاش مثله في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م).

إبراهيم التادلي، *أغاني السقا ومعاني الموسيقى*، الفصل الخامس من الباب السابع، ص. 76. 77.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الجمّال، محمد** عامل تطوان من قبل السلطان مولاي سليمان نيابة عن القائد السيد أحمد بن مَحمد فتحا العرائشي، وبقي المترجم عاملاً بالنيابة إلى أن جمع مالاً كثيراً من دار الأعشارو (الصاكة) وغيرها، وسافر به للحضرة السلطانية (فاس) وبقي بها، فولى السلطان بدله القائد الحاج عبد الرحمان اشعاش للمرة الثالثة. كان هذا بعد عام 1220 / 1805.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، 2 : 47 ؛ *مختصر العمدة*، ص 79 مخطوط.

محمد بوخبزة

**الجَمّالية**، زورق ضخم يتميز بجؤجؤه الحاد وكوثله المربع، كان يستعمل بمرسى أبي رقراق كفلك لنقل الركاب والبضائع ما بين السفن الراسية عند مدخل المصب ورصيف المرسى معتمداً فقط على المجاذيف. وقد ظل هذا النوع من الزوارق مستعملا بمصب أبي رقرار حتى منتصف القرن العشرين.

Brunot, *La mer dans les traditions...*, 249.

حسن أميلي

**الجُمّاني**، (أهل -) إذا كان البحث التاريخي والتخصص المونوغرافي يطمح لإنارة المسكوت عنه في تاريخ قبائل وادي نون. فإن الاقتصار على الفخذات بالرغم من أهميته البارزة في حصر النتائج على مستوى أكثر تصغيراً لايتأتي إلا من خلال تفكيك بنية المكونات إلى

أبسط درجات الانشطار التفصيلي وبالتالي ضرورة الحفر في خصوصيات العائلات منفردة من أجل تكوين صورة أكثر موضوعية وقابلة لتغيير التوجهات والاهتمامات، بمعنى المرور من سطح الميكرو قبلي قصد فهم ميكانيزمات الماكرو قبلي.

وإذ يعد أيت حماد أعلي - بالرغم من صعوبة التدقيق فيهم - أضخم وأهم فصيلة مكونة لقبيلة أزوافيط بوادي نون، في وضع تحتفظ فيه أسرة أهل المعطي بوضعية سيادية ونافذة منذ مدة من الزمن (*معلمة*، 2 - 365)، فتطبيق هذا النموذج عليها يمكننا من رصد أو مخالفة أهم المعطيات الكامنة وراء التجربة التاريخية لعائلة أهل الجُمّاني، إحدى الأسر المنتمية لأهل المعطي مع استنطاق الظرفية والمتغيرات المجالية والخصوصيات المرتبطة بأفراد هاته العائلة.

إن انتقال أهل المعطي من أوزرولت إلى أسرير جاء على مايبدو وليدا للتنقلات الجيومجالية التي عرفتها قبيلة أزوافيط والتي كرست هذا المدشر كمركز هام وحيوي للقبيلة تتأطر عبره أهم الوظائف الاقتصادية والسياسية الداخلية والخارجية، لذلك فإن المعطي الذي وفرت له أملاكه الواسعة والمتمثلة في قطعان الإبل ونوبات الماء والمرس بأوزرولت تطلعات متزايدة تفسر انتقاله إلى أسرير، وحتى وإن كانت الرواية الشفوية ترجع ذلك إلى صراعه مع أخواله (أهل مبارك أسعيد) فإنها ترى أن التوسع الاقتصادي للمعطي يفسر هذا الخلاف، ويأتي استقراره أيضاً في الحدود بين أيت بلقاسم وأهل حايين المتمتعين بنفوذ حربي وسياسي متزايد آنذاك ليكرس ضخامة الدور الإستراتيجي الذي سيحظى به أهل المعطي لحفظ التوازنات أو الإخلال بها داخل مدشر أسرير. وفي صلب هذا الوضع ينفرد الجماني ابن المعطي عن أخواله بخصوصيات بارزة تكاد ضمنيا تخالف المعطيات التي جرى عليها باقي أفراد عائلته، فالرواية الشفوية تتحدث عن الجماني كرحالة كبير مع التركيز خاصة على العمل التجاري الذي كان يوصله إلى تنبكتو وتاودني، بينما تقتضي نجعاته الإقامة دوماً في المنطقة الممتدة بين وادي نون والساقية الحمراء.

ونشير هنا إلى أن روايات أخرى لم تغفل التلميح إلى المقدرة الحربية الهائلة التي تمتع بها الجماني في شبابه والتي رسمت له أبعاداً مميزة داخل الذاكرة الجماعية، إلا أن هذا الاختيار بالرغم مما تحاول الرواية إلصاقه وتثبيته هنا قد تغير مع مرور الزمن، إذ لن يتأخر الجماني في استغلال ذلك لصالح ممارسته التجارية، ولعل زواجه من أولاد دليم يدخل في إطار عام لايمكن له أن يكون إلا تمتينا لهذا العمل من حيث اعتبار هؤلاء حملة كباراً للسلاح على طول منطقة انتجاعه في وقت اتضح فيه تفكك الأهمية العسكرية لقبيلة العروسيين، ويعتبر ذلك طبعاً محاولة لتمتين التحالف الاستراتيجي دون أن يبلغ حد الحماية أو الاحتماء، بل إن مصاهرة الجماني أيضاً مع أهل حايين وخاصة فخذ أهل هيبة تعد تزكية لروابطه على المستوى المحلي لأن تطليق هذا البعد سيحكم على تطلعاته وخصوصياته لامحالة بالانهيار أمام عنف الصراعات الداخلية على مستوى قبيلة أزوافيط آنذاك والتي لم تمر دون أن تعصف ببعض أبنائه، وقد نفهم أيضاً من مصاهرته مع أولاد بو السباع رغبة في الجمع على مستوى ذاتي وشخصي بين تراكم تجربة حمل السلاح والشهرة التجارية وبين الاستفادة من النهج الديني الذي كان يضطلع به السباعيون كسلطة ناجعة إذا نحن استحضرنا تجاوز أنشطته إلى ما وراء الساقية الحمراء، هذا فيما يتعلق بالشطر الأول.

أما من جهة ثانية فالتفوق العسكري والسياسي لأيت احماد أعليو إضافة إلى القيمة الاستراتيجية الشهيرة التي حظي بها اسرير فيما يتعلق بالعلميات الاقتصادية (التجارة - الزراعة - الرعي) علاوة على التمركز البارز للمسالك والمحاور الصحراوية الأطلسية في يد اتحادية ومتانة الهياكل الإدارية والعسكرية لهاته الأخيرة على نفس المواقع، من شأنها أن تنجب نوعاً خاصاً من أوجه التحالفات الاجتماعية يبررها توزع الادوار والمعطيات المرتبطة بالأنشطة الاقتصادية المعاشية مع اقتسام هام لميكانيزمات مراقبة المجال في ما اصطلح عليه بالمعاهدات الحمائية المتجسدة في عملية الذبح أو النحر كبروتوكول للمعاملات تنظمه القيمة الخاصة للحامي ومكانته الاجتماعية تخفي تعدداً لانماط السلوكات المصلحية (*جوامع*، 67).

وهكذا تتحدث الرواية الشفوية عن حماية الجماني لعدد من الفصائل تأتي في مقدمتها التهالات والفقرا من قبائل الركيبات (La Chapelle, 76) دون أن يعترضنا في تجربة الجماني نفسه ما يكذب أو ينفي هاته الامكانية نظراً للميزة الكبيرة التي استطاع مراكمتها ضمن مسار من الاختيارات المتنوعة، على أن المحجوب ولد الجماني، الذي تسعفنا وثيقة للتهالات حمايته لتزيد من تأكيدها هذا المعطي، يبدو أنه قد اختار طريق والده مع أن الرواية الشفوية تؤكد على تراجع نسبي في أنشطته التجارية مقارنة مع ماضي والده. غير أن مشاركته الفعلية في العمليات العسكرية ساهمت ولاشك في حفظ هذا الإرث في وقت كان باقي أهل المعطي قد دشنوا إغراق اهتماماتهم في الأعمال السلطوية القائدية على وجه الخصوص، حيث نجد لحبيب وعلي وباهي قد تعاقبوا على هذا التوجه الذي تشهد عليه الرسائل السلطانية للعلويين الأواخر، لدرجة أن الباحث دولاشابيل يرى في شخص أحمد ولد المعطي من بداية القرن زعيما لكل قبيلة أزوافيط (La Chapelle, 94)، فلماذا أيضاً قبل أهل بوعيدة من أيت لحسن (الرويبات) تزويج إحدى بناتهم للمحجوب إذا نحن أكدنا على ضوابطهم الخاصة في هذا الصدد ؟ وكيف كان يحظى

المحجوب ولد الجماني باحترام بالغ يخول له دخول گلميم والرجوع منه في عز الصراع والمواجهة المحلية ؟ في حين نجد محمد سالم ولد الجماني أيضاً يعيد نفس العمل الدائري مع هجرات العمل الحربي والاحتفاظ بطابع سلمي لم يمنعه مع ذلك من ايواء عدد مهم من فصائل قبيلة مختلفة إلى حدود منتصف القرن خاصة أثناء موسم الولي سيدي محمد بن عمرو باسرير بينما اختار إدريس تزكية مكانته الشخصية والزواج من أهل التركيزي.

وفي الختام يحق لنا التساؤل حول دور كل هاته المعطيات التي تمكننا من رصدها في هاته العجالة، في التحكم في الأنشطة التجارية لأبناء محمد سالم بالسينغال (أحمد والمحجوب) بعد انهيار المسالك التقليدية بشكل واضح بعد التحكم الفرنسي. ثم بموريتانيا (مبارك والمحجوب حالياً) إضافة إلى توجهاتهم الخاصة التي ستجيب بشكل واضح لسلفهم الجماني على مستوى القبيلة ؟ في هذا الصدد نستطيع أن نقول إن التاريخ يملك في شكل لايدع مجالا للشك عاملاً حاسماً يتضح معه أنه بمثابة خيط موجه لممارسة دامت أزيد من قرن من الزمن سنرجو من ورائها الالتفات إلى أهميه وأخاف المنهج الذي حددناه في مقدمة هذا العرض.

م. سالم بن لحبيب بن لحسين بن عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تحقيق م. ناعمي، البيضاء، 1992 ؛ *معلمة المغرب*، الجزء الثاني.

F. De La Chapelle, *Les Tekna du S.O. Marocain, étude géographique, historique et sociologique*. Paris, 1934.

أحمد جوماني

**جَمُّوحة**، فخذة كبيرة تنتمي إلى فرقة أولاد امراح، إحدى الفرق المكونة لقبيلة مزاب، وقُدر عدد خيام جموحة سنة 1914 بنحو سبعمائة وثلاث وتسعين خيمة، وكان عدد دواويرها حوالي أحد عشر دوارا، وإلى هذه الفخذة ينتمي دوار أولاد سيدي حجاج الذي توجد به زاوية سيدي حجاج الذي بلغ عدد خيامه في التاريخ أعلاه حوالي مائة وثمانين خيمة. وقد ولى الفرنسيون عبد السلام بن المكي الحجّاجي قائداً على أولاد مراح بعد احتلالهم للشاوية وتنظيمهم لإدارة مزاب والأعشاش.

*Villes et tribus du Maroc. Casablanca et Chaouia*, T. II.

علال الخديمي

**جَمُّوع**، بيت من بيوتات فاس العريقة، كان منهم الفقيه العدل المبرّز عبد الخالق بن أحمد جَمُّوع، من عدول القرن الثاني عشر (18 م) ؛ والحاج الطيب جمّوع مالك فدان الجزّار خارج باب عجيسة عام 1244 / 1828، وكان له ثلاثة أولاد العربي والطيب والحاج أحمد. ومازالت بقيتهم بفاس عن قلة.

ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

**جَمُّوع، مسعود** بن محمد الفاسي داراً، السجلماسي أصلاً، والسلاوي وفاة ومدفنا، يكنّي أبا سرحان، الولي الصالح المحدث الراوية الحافظ الدراكة، كان عالماً بفني المنقول والمعقول من حديث وفقه وتصوف وتفسير وبيان وسير ونحو ولغة، خيراً ديناً ورعاً، لايرى إلا مدرساً أو تالياً أو ناسخاً، جيد الخط. كان من شيوخه عبد القادر الفاسي وولده محمد، وخلّف عدة تآليف في السير والقراءة والرسم والمنطق.

انتقل إلى سلا في أواخر حياته في ربيع الثاني عام 1118 / 1706 م واستقر بزاوية سيدي أحمد حجي، وظل يدرس بها وبالمسجد الأعظم إلى أن توفي في جمادى الأولى عام 1119 هـ / 1707 م ودفن بالزاوية المذكورة، بعدما استفاد من علمه عدد من تلامذته وعلى رأسهم أحمد ابن عاشر الحافي، وأبو مدين حجي.

م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف*، 107 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1119 ؛ *دليل مؤرخ المغرب*.

حسن أميلي

**الجَمُّون**، ضريبة كان سكان سجلماسة وسائر بلاد القبلة يؤدونها للمخزن المريني على النخل والزرع ويجتمع من جبايتها أحمال من الذهب. أسقطها عنهم أبو الحسن المريني واقتصروا بعدها على الزكاة والعشر كباقي أهل البوادي ببلاد المغرب الذين أسقط عنهم جملة من الضرائب غير الشرعية اعتادوا تأديتها لمن سبقه من السلاطين كالخرص والبرنس والضيافة والإنزال والقاعة والخطيئة (*المسند*، 283 ـ 284).

ولا وجود لكلمة الجمُّون في معاجم اللغة العربية، غير أنها مازالت مستعملة في اللسان العامي بمنطقة تافيلالت إلى اليوم وينطقها المحليون بحيم مصرية. أي الكَمّون والجمع الكمامين وتصغيرها الكميمنة بتاء التأنيث. وتعني الفدان بمعنى المزرعة.

يتكون الجمون أو الكمون من مجموعة من الأحواض، ويستعمل في غالب الأحيان للدلالة على الفدان المغروس بمختلف أنواع الأشجار خاصة النخيل الذي يستغل في ذات الآن لزراعة القمح أو الشعير أو الذرة أو الفصّة أو غيرها. في حين يستعمل لفظ الأحواض للدلالة على المساحة المزروعة بالخضر وتسمى أيضاً البحيرة، وهي غالباً ماتكون ضيقة المساحة وخالية من وجود الأشجار.

م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر، 1981 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، بيروت د. ت ؛ حسن حافظي علوي،

*سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن ( 14 م) مساهمة في دراسة مجتمع الواحات في العصر الوسيط*، مرقونة بكلية الآداب بفاس 1989.

حسن حافظي علوي

**الجمني، إدريس** بن عبد الرحمان، صحافي من الرعايا التونسيين الذين استقروا في المغرب إبان الفترة الاستعمارية. أصدر جريدة *العزيمة* بالعربية و*La Volonté* بالفرنسية (1951)، وقد ناصبتا الحركة الوطنية المغربية العداء الكبير، بإيعاز من الإقامة العامة. وعلى عكس ذلك، ناصرتا كلا من التهامي الأكلاوي وعبد الحي الكتاني ومحمد ابن عرفة. وقد تعرضت مكاتب العزيمة لعملية فدائية، يوم 7 دجنبر 1952، أسفرت عن إلحاق أضرار مادية بها نتج عنها احتجاب الجريدة لمدة أربعة أسابيع، ويعتبر الجمني نموذجا لبعض المرتزقة الأجانب الذين سخرتهم الإقامة العامة في إطار سياستها "الأهلية".

J. Baïda, *La presse marocaine*, Rabat, 1996.

جامع بيضا

**ابن جميل، محمد** القصري، كان يعرف بالمعلم لمزاولته التدريس ،على مايبدو، وكان من أصحاب الشيخ أبي مدين الغوث دفين تلمسان، صحبه عندما كان مقيماً بفاس، فأخذ عنه الطريق والعلوم العرفانية. ويروي صاحب *أنس الفقير* قصة طريفة عن ابن جميل القصري تبين عن كرمه ومعاشرته لخيرة القوم. ومن خلال ذكر نفس المرجع لمن عاصرهم ابن جميل من أمثال أبي عبد الله الزياني وأبي زكرياء السائح وأبي عبد الله التاودي وفاطمة الأندلسية يظهر أن ابن جميل عاش في أواخر العصر الموحدي حين بدأت حركة التصوف تتخذ من القصر الكبير مركزاً لها، وأن ابن جميل يعد من أهم من خلف أبا الحسن علي بن خلف بن غالب الأندلسي في القيام بمهمة الدعوة معاصراً في ذلك فاطمة الأندلسية المتصوفة التي أخذت بدورها عن أبي مدين الغوث السلوك والطريق.

دفن ابن جميل القصري في رباط أبي الحسن علي بن خلف بن غالب بالقصر الكبير وشيد عليه ضريح استمر موجوداً إلى أن هدم من قبل المجلس البلدي عندما قام بتحويط المقبرة الكبرى بالمدينة في أواخر الثمانينات من هذا القرن.

م. ابن خليفة، *القصر الكبير، أعلام أدبية، وفكرية وتاريخية*، طنجة، 1994.

الحسين البعاوي

**ابن جميلة**، بيت عريق بفاس، لم يذكر النسابون أصلهم، وإنما اشتهر منهم في العصر المريني فقيه زاهد نادر المثال :

ابن **جميلة، سعيد** بن محمد الفاسي، أبو عثمان، فقيه كبير من طبقة الإمامين عبد العزيز القوري وإبراهيم بن عبد الله اليزناسني. طلبه السلطان أبو الحسن المريني أن يقلّده قضاء مدينة فاس فأبى، وأقسم السلطان إن لم يقبل القضاء ليجعلن القيد على ساقية فازداد إباءً وقال : الكبل عليّ أسهلُ من صعب القضاء، فقيّده بالادهم ولم يزل به على ساقيه إلى أن مات في حدود عام 750 / 1349.

أ. ابن القاضي، *جذوة*، 2 : 519 ؛ *درة الحجال*، 2 : 773 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 317 ؛ ع. الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

محمد حجي

**الجميلي، محمد** بن المعطي الشاوي، من أعيان أولاد سعيد، ينتمي لفخذة مْوالينْ الحضرة، لعب دوراً كبيراً في انتفاضة الشاوية بين 1903 و1907. كان الجميلي من زعماء الانتفاضة الذين يتخذون قرارات الحرب والهدنة. محارباً شديد المراس، اشتهر باتباعه للمرابط محمد بن الطيب البوعزاوي. وقد برز الجميلي كمجاهد صلب وقائد من قواد الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، حيث شارك في معارك الدار البيضاء، سطات 1907 ـ 1908. وبعد فرض الاحتلال على قبيلته أولاد سعيد سنة 1908، استسلم للفرنسيين فولوه القيادة على مْوالينْ الحضرة، وهي فرقة كبيرة كان عدد خيامها سنة 1913 يصل إلى ألف وخمسمائة وخمس وتسعين خيمة.

*تحريات ميدانية*.

*Villes et tribus du Maroc, Casablanca et la Chaouia*, T. I-II.

علال الخديمي

**ابن جناح**، أبو الوليد **مروان**، هذا هو الاسم الذي عرف به عند العرب ويعرفه اليهود بيونه ابن جناح أي "بعل كنفام" وتعني ذا الجناحين، أما النصارى فيعرفونه تحت اسم "يونه مارينوس" Yona Marinus.

اختلف الدارسون حول مكان ولادة ابن جناح، ففي الوقت الذي يرجعه مولاي المامون المريني إلى قرطبة في بحثه لنيل دبلوم الدراسات العليا في موضوع كتاب *اللمع* للنحوي اليهودي الأندلسي أبي الوليد مروان بن جناح نقل النص إلى الحرف العربي تقديم وتعليق (1987 ص. 35). يرجع ابراهام لريدو في كتابه *أسماء يهود المغرب* مكان ولادة ابن جناح إلى فاس، ويوافقه في ذلك يوسف بنايم في كتابه *ملخي غبانان* ص. 55 (ب) الذي ينسب مكان ولادة ابن جناح إلى فاس أو إلى إحدى المدن المغربية الأخرى.

وسواء ولد بقرطبة أو بفاس فلا يعرف شيء عن تاريخ ولادته، وإنما يعرف أنه عاش في أواخر القرن الرابع (10 م) وينحدر من عائلة غنية حرصت على أن يكون تكوينه

مزدوجا عربياً وعبرياً حيث قضى ابن جناح فترة شبابه بليسانة تلقى فيها تعليمه العبري على يد مجموعة من العلماء، منهم ابن جقطلة، وابن حيوج إذ كانت ليسانة معروفة بعلمائها اليهود ودراساتها التلمودية. ورغم تفوقه في دراسة التلمود إلا أنه لم يكن يصنف نفسه ضمن رجال التلمود، وذلك لاحتقار هؤلاء لعلم النحو الذي كان ابن جناح يعتبره من أرقى وأرفع العلوم. ولما أنهى ابن جناح دراسته بليسانة عاد إلى قرطبة لينهل من معارفها العربية، فدرس الفلسفة اليونانية والطب والادب العربية، ثم غادرها بعد سقوط إمارة الحاجب محمد بن أبي عامر واندلاع حرب أهلية ليستقر ابن جناح في سقرسطة التي كانت بالنسبة له منفى حقيقيا إلى أن وافته المنية سنة 442 / 1050 م.

عرفت المرحلة التاريخية التي كان يعيش فيها ابن جناح غليانا على المستوى الثقافي والفكري جاء نتيجة وجود عدة أعلام عرب ويهود، وكذلك نتيجة الجو الديني الذي كان يتسم بالتسامح بين الديانات السماوية الثلاث فضلا عن الحمولة الثقافية التي خلقتها الجدالات الفلسفية والنحوية. وعلى ذكر هذه الأخيرة فقد استفاد ابن جناح من كل من يهودا بان قريش ومناحيم بن سروق ودوناش بن لبراط خاصة يهودا بان داود حيوج حيث يورد تحوم المقدسي في مقدمة معجمه *المرشد الكافي* (S. Munk, J.A. Juillet 1850, p. 32) كيف كانت هذه الاستفادة من أسلافه، وذلك في قوله: "وهكذا كان اللغويون المتقدمون يعتقدون جميعهم الأفعال الثنائية والأفعال الفردية (الأحادية) إلى أن ظهر أبو زكريا حيوج وأقام الدلائل والبراهين على أنه لا يوجد فعل على أقل من ثلاثة حروف وبين سر الأحرف اللينة والأحرف المندغمة والأحرف المنقلبة فثبت الحق وبطل كل ما سواه. ثم جاء بعده الشيخ أبو الوليد مروان بن جناح وزاد ذلك بيانا ووضوحا.

كانت هذه هي القاعدة التي انطلق منها أبو الوليد مروان ابن جناح لينقحها ويصححها، ويعتبر من الأوائل الذين وضعوا القواعد العلمية للنحو العبري.

ألف ابن جناح جميع مؤلفاته باللغة العربية وترجمت للعبرية والفرنسية وغيرها.

أهم مؤلفاته *كتاب التنقيح* يدور موضوعه حول التراث واللغة العبرية قسمه إلى قسمين الجزء الأول منه يعرّف *بكتاب اللمع*، أما الجزء الثاني من هذا المصنّف فيعرّف *بكتاب الأصول*، وقد ترجم هذا الأخير على يد ابن تبون إلى اللغة العبرية تحت عنوان *سفر هاشور راشيم* أي الجذور. ومن مؤلفاته أيضا: *كتاب المستلحق* ويدور موضوعه حول النحو؛ *وكتاب التنبيه* وهو جدال حول أمور نحوية؛ *وكتاب التسوية* وهو عبارة عن جدال في النحو؛ *وكتاب التلخيص* في الطب.

وهناك ترجمة فرنسية لكتاب اللمع وهي لـ:

Metzger, *Livre des parterres fleuris*, Paris, 1899.

نشرت مجموع هذه الأعمال بالعربية والفرنسية على يد:

Joseph et Hartwig Derenbourg

*Opuscules et traités d'Abul-Walid Marwan Ibn Janah de Cordoue*, Paris, 1880.

ربيعة رحيم

**جنادة**، صيغة مشتقة من الجند، تستعمل بمنطقة الريف الشرقي خاصة للدلالة على إدالات القصبات ومحطات حراسة الحدود المشرفة على مراكز الوجود الأجنبي. وهناك عدة جنادات:

**جنادة رباط الكرمة**، هكذا دعيت من خلال الوثائق المخزنية في منتصف القرن الثالث عشر (19م)، ودعي الرباط قبل ذلك برباط مليلة منذ تأسيسه في أوائل القرن العاشر (16م)، وهو واقع على ظهر كدية متوارية عن أنظار جنود مليلة، على الضفة اليسرى من مجرى واد المدور، وهو الذي عناه محمد بن أحمد العشماوي أثناء تعداد أسر ورتدغير النازحة من فكيگ حين ذكر أن فرقة منهم بجنادة تدعى بأولاد ورياش.

بدأ تاريخ رباط الكرمة من توقيع اتفاق 24 غشت 1859 بين السلطان محمد بن عبد الرحمان وإسبان مليلة المحتلة في شأن توسيع حدودها، إذ أن هذا الاتفاق والاتفاقيات التالية له، خاصة اتفاق سنة 1863 نصت على إخلاء جنادة من حماتها وهدم مباني الرباط وما به من شجر، سيما شجرة التين البارزة بساحتها ومسجدها بصفة خاصة، وهو ما تم خلال السنوات التالية. وإلى غاية سنة 1871 كانت جنادة رباط الكرمة وأراضيها ملكاً للإسبان داخلة في حدود التوسعة الممنوحة لهم، وهي السنة التي كثر الجدال فيها بين المخزن والإسبان في شأن تحويل مجرى واد المدور ابتداء من النقطة التي يشرف منها رباط الكرمة. وشيد الإسبان بالمكان برجا سموه "برج يانتياغو" (Fuerte de Santiago) وباختفاء رباط الكرمة أصبح المجال مفتوحا أمام ظهور جنادة قصبة فرخانة.

محمد العشماوي، *التحقيق في النسب الوثيق*، مخطوط خ. ع.؛ ح. الفگيگي، *قلعية ومشكل الوجود الإسباني بمليلة*، ج، 1.

**جنادة قصبة فرخانة**، أو دار المخزن حسبما تعرف به محلياً، واقعة بالحوض الأوسط من واد فرخانة (يدعى محلياً واد أضَرْضُور)، أحد روافد واد المدور على ضفته اليمنى بمدشر إجهرتن المندرج ضمن فرقة فرخانة، إحدى فرق خمس مزوجة، حسب تقسيمات الوقت المؤرخ له. وهي عبارة عن قصبة تحتل مساحة مدرج نهري منبسط، اختير لها موضع في نقطة غير بعيدة عن خط الحدود الداخلة إلي

مليلة من جهة فرخانة، وتشرف عليها من جهة الجنوب قبة ضريح سيدي ورياش. وتدعوها الوثائق المخزنية أيضاً ثغر ومرسى جنادة (ذي القعدة 1304).

تأسست القصبة بمساعدة سكان أخماس قبيلة قلعية عن طريقة توزيع المساهمة والنوبة بين أخماسها، تحت إشراف قائد القبيلة المعروف وهو المختار ألغم على عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان وبأمر منه. ونجد أصل الفكرة فيما استوجبه الفصل الخامس من اتفاق 24 محرم 1.276 / 24 غشت 1859 والاتفاق التالي له في 4 شوال 1276 / 26 أبريل 1860، وبما تم التأكيد عليه في الاتفاقيات الملحقة، إذ أن الاتفاقين الأساسيين نصا على إحداث حراسة مخزنية دائمة مكونة من غير أهل الريف تحت إشراف قائد من رتبة عالية.

وأغلب الظن أن البناء تم في آخر أيام السلطان محمد ابن عبد الرحمان، إذ أننا نعلم أن القصبة كانت قائمة سنة 1291 / 1874 تؤدي وظيفتها التي أوجدت من أجلها، على الرغم من أن الوثائق المخزنية لم تصرح باسمها إلا في 14 حجة 1298 / 1880 (نهليل، *رسائل شريفة* رقم 55). جاء التصريح باسم جنادة إثر طلب السفير الإسباني بطنجة تطبيق البندين الخامس والسادس من الاتفاقين الأساسيين المذكورين وتوجيه قائد مع ما يكفيه من القوة العسكرية. أما بناء القصبة فلم تشر إليه سوى وثيقة واحدة بتاريخ 19 جمادى الثانية عام 1308 / 1890.

تبرز المعالم المتبقاة من القصبة في مساحة قطعة شبه مربعة الشكل، طولها من الشرق إلى الغرب نحو مائة متر وعرضها نحو ثمانين مترا، حسب المقاييس المقدمة لنا في عين المكان، تشغل مساحتها الداخلية اليوم مندوبية الفلاحة بفرخانة. ولم نتمكن من الكشف عن المساحة الداخلية، والمعول على ما أظهرته الوثائق المخزنية. من جملة تلك المرافق :

1) مرافق سكنية، واحد منها خاص بإقامة كبراء الإدالة، تتصل به غرفة الاستقبالات والاجتماعات، وهو المعروف في الوثائق المخزنية بالدار، وبها سميت بدار المخزن. ويوجد إلى جانب الدار بيوت لانستطيع تحديد عددها ولكنها تفوق الأربعة، منها غرفة مخصصة للاحتفاظ بالمسجونين إلى أن يحين نقلهم خارج القصبة. (متم شوال 1310 كناش 679 ص 120). ووجدت كذلك ساحة وراء المسجد خارجة عن القصبة، بنى فيها تاجر من فرخانة بيتا يؤدي كراءه (5 شوال 1308 كناش 468).

وتدل كل القرائن على أن عسكر القصبة كان مستقراً خارج مساحة القصبة، مما يفسر قلة المرافق السكنية. وهناك عدة إشارات دالة على ذلك (19 جمدى الثانية 1308 ك 175). فالمعتقد إذاً أن عسكر إدالة جنادة كانوا موزعين على مختلف دور المحيط الخارجي مقابل الكراء.

2) وبني بجوار القصبة مسجد، كان ملتصقاً ببناء القصبة وله مدخلان، الأول يتصل به من داخل القصبة وهو الباب الخاص بساكنيها، ويرتبط الباب الثاني بالساحة الخارجة عن محيط القصبة، وهو الباب العمومي (10 شوال 1308 ك. 468). كان المسجد في حاجة إلى الإصلاح، فشرع في إصلاحه في ذي الحجة من عام 1304 وانتهي من أشغاله في ربيع الثاني 1304 (4 رمضان 1305 ك. 362 ص 7).

تم التفكير في إحداث مرافق تجارية للقيام بوظائف المسجد وصيانتها، ولتلك الغاية أقيمت بإزاء المسجد حوانيت محبسة عليه تستغل بالكراء، منها حانوتان داخل القصبة وهما بباب المسجد الداخلي (10 شوال 1308 ك. 468. و19 ربيع الثاني 1319).

3) وللقصبة قطعة أرض مخزنية صغيرة المساحة لصالحها، وهي محيطة بمساحة المسجد الخارجة عن القصبة (23 و29 رجب 1330 ك 353 ـ 5 رجب 1308 ك 175). وقد عمد المكتري الفرخاني للقطعة إلى بناء عدة حوانيت بها وقهوة مشرفة على المجسد، وقد تم هدم الأخيرة نتيجة اشتغالها بالتهريب من مليلة. (9 جمادى الأولى 1306 ـ 5 رجب 1308 ك. 175 ـ 24 ربيع الأول 1309 ك. 468 ص. 250. و19 ربيع الثاني 1319 ك. 671). وتحدثت وثيقة عن قطعة أرض ممتدة أمام الباب الرئيسي للقصبة من جهة الجنوب لاتزال إلى اليوم معدودة من الأملاك المخزنية.

استوجبت رداءة الطريقة والمواد التي بنيت بها القصبة اللجوء إلى الإصلاح من حين لآخر. ونعرف عن إصلاح بناء القصبة أن السلطان الحسن الأول كلف به أولا الأمين ميمون ابن المختار الفرخاني عام 1306، خاصة إصلاح دار المخزن (5 قعدة 1307) ثم القائد حم بن الهادي القلعي، فتم ذلك بمساهمات القبيلة، (8 و10 شوال 1309 كناش 193 و23 شوال 1310 كناش 679 ص. 86).

وكان المطلوب إدارة القصبة بالسور، إلا أن المولى الحسن لم ير بعد استشاراته في ذلك فائدة (23 شوال 1310) غير أننا اكتشفنا أثناء زيارتنا الأخيرة 14 أبريل 1996 أن القصبة محاطة بسور كبير، تبين أن بناءه تم خلال عهد المولى عبد العزيز، قبل عام 1321 وهذا التاريخ الأخير هو الذي تعرضت فيه القصبة للتخريب على يد جنود الروگي بوحمارة.

ويظهر داعي إنشاء جنادة قصبة فرخانة ودورها الذي أحدثت من أجله بوضوح في المقروء من تعيين القواد المتعاقبين بها : فقائد الإدالة أو الحدود بتعيينه يصبح الممثل المخزني الوحيد القائم بدور الوساطة بين حاكم مليلة وعمال قلعية. وهو مدعو كذلك إلى بحث وسائل تحسين الجوار بين الطرفين المتنازعين. (21 شوال 1300) 12 حجة 1308 ك. 468 و20 شعبان 1309 و16 رمضان 1312) ومن واجب رئيس الإدالة أيضاً منع الهجومات التي يقوم بها أهل قلعية ضد حدود مليلة. (24 ربيع 2. 1308) وغالباً

ما كان تعيين القواد وتجديد عدد عسكر الإدالة ناتجاً عن الضغط الإسباني.

إذا استثينا الفترة التي عرفتها القصبة تحت نظر قائد قلعية المختار ألغم، (10 قعدة 1290) فإن عدد قواد الإدالة القائمين بها بلغ تسعة قواد وكلهم من القوات المخزنية الأجانب عن قبيلة قلعية. وربما كان لزيارة السلطان الحسن الأول لقلعية عام 1291 / 874 علاقة بتعيين أول قائد مخزني لحراسة الحدود، (*الاستقصا*، 9 : 143).

نعلم أن الحكومة الإسبانية لم تقبل التأكيد على تنفيذ البند الخامس والسادس من الاتفاقيتين إلا بعد أن كانت في حاجة ماسة إلى بناء الأبراج المتاخمة للحدود، سيما بناء برج سيدي ورياش المجاور لقصبة جنادة فرخانة. وإذا كنا نعلم أن طلب بناء تلك الأبراج قد بدأ خلال أواخر سنة 1293 / 1876 وتمت الموافقة المغربية عليه، لم يصعب علينا إدراك طرح الإسبان مسألة تعمير جنادة بالقوات المخزنية (14 حجة عام 1295 / 25 نوفمبر 1878 نهليل، *رسائل شريفة*، رقم 42).

استمدت قصبة فرخانة قوادها من عدة قصبات وجدنا في مقدمتها : قصبة العرائش (نهليل، *رسائل شريفة*، رقم 55. 28 جمادى الأولى 1299 / 12 قعدة 1301) وهذه هي المرة الأولى التي نعلم فيها بوجود القوات المخزنية في جنادة قصبة فرخانة ثم قصبة عيون سيدي ملوك التي كان بها الجيش الشرگي وقصبتي وجدة وفاس : ومن هذه الأخيرة كان يأتي عسكر الشراردة.

ويمكن التعرف على دور إدالة جنادة من خلال تتبع الضغط الإسباني على المخزن الحسني. فالملاحظ أنه استمر منذ بداية القرن الرابع عشر (شوال 1300 ك. 117 ص. 41 و18 ذي القعدة 1300 ك. 117 ص 41. 155). و18 ذي القعدة 1300 و25 محرم 1301) وبلغ جدته إثر الإعلان عن اعتراض قلعية على بناء الأبراج وتمثل الدور أيضاً في اتفاق تعيين حدود مليلة (6 رمضان 08) وإصرار الإسبان على بناء برج سيدي ورياش وانعقاد اتفاق يوم 6 رمضان سنة 1311 (12 و14 و15 و17 ربيع الثاني و5 و18 و19 و20 جمادى الثانية و2 و4 رجب 1311)، الممهد لاتفاق 28 قعدة 1311 / 2 يونيه 1894، وتاليه اتفاق 29 شعبان 1312/ 24 أبريل 1895، 1977 وما ردده اتفاق مدريد بتاريخ 12 محرم 1313. ومن قواد جنادة في مرحلتها الأخيرة القائد الحاج محمد أنفلوس الحاحي (16 رمضان 1312) والبشير بن سناح الشرگي (7 شعبان 1315 و4 ربيع الأول 1316) الذي بقي بجنادة إلى حين تخريب القصبة على يد جنود بوحمارة عام 1321 / 1903 (19 صفر 1 و3 ربيع النبوي 1316 و3 ربيع النبوي 1316 و3 رمضان 1319).

وفي موضوع نهاية جنادة لَمَّح البشير بن سناح بوصول بوحمارة إلى موضع الزبوجة من بني بويحيي، مشيراً إلى ضرورة حماية قصبة جنادة بالمزيد من القوات (فاتح عام 1321) وبالفعل تم حصار جنادة (28 جمادى الأولى 321 ك. 763 ص 258) حين قصدتها قوات بوحمارة يوم فاتح محرم وتم تخريب أهم مرافقها يوم 20 محرم 1321 / 13 أبريل 1903 (كناش 763 ص 168. و16 و17 محرم 1321 ك. 763 ص 167. 168). وهو الوضع الذي مايزال سائداً إلى يومنا هذا.

*وثائق وكناشيش الخزانة الحسنية ومديرية الوثائق بالرباط* المدرجة ضمن النص لسنوات : ما بين 1295 و1321 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 9 : 143 ؛ *مذكرات المغرب*، ج. 5 ؛ ثريا برادة، *الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر*، مرقون، الرباط 1984 ؛ *زيارة ميدانية* في غشت سنة 1975 و14 أبريل 1996.

*Documentos presentados a las Cortes en la legislatura de 1891 por el Ministro* ; A. Moulieras, *Maroc inconnu*, 1 : 164, de Estado, Madrid 1891.

**جنادة كبدانة**، ليست لدينا معلومات كثيرة عنها، إذ أن دورها كان أقل من سابقتها ،فموقعها دال على ذلك. وهي واقعة في أعلى رأس كبدانة المشرف على المرسى وعلى بعد نحو خمسة كيلو مترات عن جزر كبدانة أو الشفارين (Chafarinas) المقابلة لها. وقد وقفنا عند موضع جنادة كبدانة يوم 15 غشت عام 1975 وقمنا باستجواب بعض شيوخ أولاد الحاج، كما تعرفنا على بنيانها ويدعى بالبرج. وبرباط كبدانة (28 رمضان 1307 ك. 166). وتؤكد الوثائق المخزنية أن لا أثر لقصبة هناك مثلما قد يوحي لفظ البرج، وقد سبق للقائد بوصفية الكبداني أن طلب إذن بناء قصبة بالمكان وتعميرها بالجند سنة 1307 ولكن لم يتلق أي جواب عن ذلك.

وجنادة كبدانة خلال القرن الماضي، مطابقة لما هي عليه اليوم : بناء بسيط متكون من مساحة مستطيلة صغيرة مؤلفة حالياً من باحة ومسجد متصل بها وقبة لأحد الصلحاء من الشرفاء الأدارسة المقيمين بالمكان. ويظهر أنهم كانوا القائمين بالشؤون الدينية على الأقل مما نعرفه منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م) على عهد السلطان محمد بن عبد الله، ومن هناك نرى أن جنادة كبدانة كانت مجرد محطة صغيرة لحراسة جزر الشفارين بعد تسرب الاسبان إليها عام 1264 / 1847.

تأسست جنادة كبدانة كالعادة على يد القبيلة وبمساهمتها على عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي على أكبر تقدير، كان المشرفَ على الحراسة مرابط إدريسي تدعوه الوثائق الاسبانية سيدي البشير. وهو المقدم المرابط سيدي البشير بن محمد بن أحمد بن الطاهر. وقفنا على اسمه من المقروء على رخامة ضريح حفيده السيد محمد الهادي بن عبد الرحمان بن محمد بن البشير.

عمل سيدي البشير بالتنسيق مع المجاهد القلعي محمد الرتبي، فقام باعتراض السفن الإسبانية المارة بساحل كبدانة، وقد سماه الإسبان آنذاك بالوحش الرهيب (مليلة

13 فبراير 1786 ملف 4.320 علبة A.H.N. Estado 2) (قلعية : 2./ 347). ،نجد أخباره في مذكرتي كبيرو وميراندا.

وضعت الحراسة بمسجد رباط كبدانة مثلما تسميه الوثيقة. (21 حجة 1300) من الوثيقة نفسها نعرف الغاية من إيجاد الحراسة : منع المسلمين من ركوب البحر إلى جزر "الشفارين" بقصد البيع والشراء مع الإسبان، وكذا منع نزول القوارب الإسبانية. يدعي أحد أئمة المسجد أن ابن البشير رتب له السلطان أجراً 50 مثقالاً (8 رمضان 1307 أيضاً 13 و25 رمضان ك. 166 ص. 93 و9 شوال 1309 ك. 1933).

ونظمت الحراسة على يد جماعات قبيلة كبدانة وذلك بحصة ثلاثة حراس لكل جماعة من الجماعات الست، وبذلك بلغ عدد أفراد الحراسة ثمانية عشر حارساً في وقت واحد. هذا هو المستخلص من اللقاءات مع شيوخ القبيلة ومن مراسلة القائد محمد بوصفية الكبداني على عهد الحسن الأول. (15 رجب 1307 ك. 166).

ولمسجد جنادة أرض محبسة (فاتح صفر 1300) رملية غير صالحة للفلاحة قائمة بجوار الرباط على ظهر الكتلة الصخرية المغطاة بالرمال.

ولجنادة مرسى أيضاً، فتحه القائد عمر هرفوف في وجه التجار اليهود والإسبان لتصدير الحلفا، (21 حجة 1300 و14 رجب 301)، ومن أجل ذلك دعيت جنادة ثغراً، وبنيت بالقرب من جنادة دار المخزن بأرض البرج لسكنى القواد. كانت الدار مخزناً للحبوب أحدث بها أكثر من خمس مطامير جماعية لتلك الغاية.

وإلى غاية 1307 كان بناء جنادة في حاجة إلى إصلاح. هذا هو ما طلبه رجال الحراسة من ميمون بن المختار الفرخاني، حين زيارته التفقدية خلال شهر رجب. وقد قوم الأمين إصلاح بنائها بنحو 330 ريال إن بقيت على حالها الأول بالطين، وبأكثر إن كانت ستصلح بالجير. ويظهر أن السلطان قدم لقبيلة كبدانة أمر المساهمة في الاصلاح على يد قائدها محمد بوصفية (14 ربيع لثاني 1307 ك. 172). (15 رجب ك. 166 و20 شوال و5 ذي القعدة 1307 ك. 172). ولاتزال حال جنادة على الوضع القديم المنحصر في بناء المسجد. وهناك خرائب كثيرة منتشرة على ظهر كدية البرج غارقة في الرمال. أشار إسباني سنة 1911 إلى وجود آثار برج مشرف على جزر الشفارين يعتقد أنه بني على عهد المولى عبد العزيز.

**جنادة جمعة جبل ماورو** الواقعة بقبيلة بني سعيد، في منبسط يحتل الزاوية الجنوبية الغربية من جبل ماورو بقبيلة بني سعيد الريفية وعلى الضفة اليسرى من مجرى واد كرط. وكان الموضع مكانا لانعاقد سوق يوم الجمعة منذ ما قبل القرن الرابع عشر (19 م) إلى أن أصبح مركزاً للمقاومة في بداية القرن الموالي، حينما استولى بوحمارة على قلعية واستقر بقصبة سلوان.

أصبحت جنادة بني سعيد نقطة ارتكاز للشريف محمد أمزيان لتعبئة قبائل الريف الشرقي، ومن ورائها قبائل بني ورياغل التي كانت السند الرئيسي للمجاهد في عملياته الحربية سواء ضد بوحمارة أو الإسبان بعده. ومن نفس جنادة نظم الشريف الزحف نحو قصبة سلوان وطرد بوحمارة من القصبة في عام 1908.

وإلى جنادة جمعة جبل ماورو تراجع الشريف محمد أمزيان حين استيلاء الاسبان على قلعية بانتهاء المرحلة الحربية الأولى المعروفة لديهم بجبل أكركور (Gurugu) سنة 1909 وبداية مرحلة حروب الكرط سنة 1911. وعند نفس الموضع سينتهي المجاهدون الريفيون لقيادة حركاتهم المسجلة ضد الإسبان المتمركزين بسوق خميس جزولة وقصبة سلوان وقشلة تيغمارت المستحدثة. وقد بقيت جنادة الجمعة قائمة إلى أن تم استيلاء الإسبان عليها بعد استشهاد الشريف محمد أمزيان يوم 15 ماي 1912.

5) وهناك أيضاً ماعرف بجنادة بني يطفت بالريف الغربي. غير أن الغالب عليها هو الاسم المحول إلى سنادة وبه اشتهرت. ولهذا السبب سنرجئ الحديث عنها إلى حرف السين من هذه المعلمة.


إلى جانب التحريات الميدانية راجعنا : محمد العشماوي، *التحقيق في النسب الوثيق*، مخطوط، خ. ع ؛ ح. الفگيگي، *قلعية ومشكل الوجود الإسباني بمليلة*. ج 1 : 109. 151. 144. 120. 161. 162. 163. 182 ؛ ج. 2 : 300. 305. 327. 337. 352. 353. 355. 356. 360. 361. 364. 365. 390. 391. 394. 400. 404. 405 ؛ 2 : 345 وثائق وكنانيش خ. ح. ومديرية الوثائق بالرباط المدرجة ضمن النص لسنوات : مابين 1295 و1321 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 143 ؛ *مذكرات المغرب*، ج 5 ؛ ثريا برادة، *الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر*، د. د. ع. مرقون، الرباط 1984 ؛ *زيارة ميدانية* في غشت سنة 1975 و 14 أبريل 1996 ؛ *وثائق الخزانة الحسنية* ومديرية الوثائق الملكية المدرجة بالنص.

A. Riera, *España en Marruecos : Cronica de la Campaña de 1909*, Buenos Aires, 1910 ; D. Berenguer, *Campanas en el Rif y Yebala*, Madrid, 1947 ; Enrique Lopez, *Yabala*, Madrid, 1947 ; Capitan X, *Verdades amargas sobre la campaña de 1909 en el Rif*, Madrid 1910 ; A. Sierra Artes, *Recuerdos de la guerra del Rif, 1911 - 1912*, Barcelona, 1914 ; Alarcon, *Melilla*, Madrid, 1909.


حسن الفگيگي

**جنان الحارثي** بمراكش، كانت أرض هذه المدينة قبل مجيء المرابطين إليها جرداء، قاحلة (يطير الطائر حولها فيسقط من العطش والرمضاء) (*الاستبصار*، 1 : 59).

وبعد تأسيس المدينة بذل المرابطون جهوداً كبيرة في تغيير بيئتها من مفازة قليلة الماء إلى جنات غناء، واستمر ذلك المجهود في العصر الموحدي، حتى صرنا نسمع شاهد

عيان يقول عنها (ومدينة مراكش أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعنابا وفواكه وجميع الثمرات، وأكثر شجرها الزيتون ...) (*الإعلام*، 1 : 59).

وقد تحدث كل من ابن اليسع والحسن الوزان عن نظام الري بالمدينة وما تزخر به من حدائق وبساتين. ومن أشهر حدائق المدينة : أكدال والمنارة والمامونية وعرصة مولاي عبد السلام، وعرصة ابن إدريس وجنان الحارثي الذي يساق إليه الكلام. ومع تكاثر سكان المدينة واتساع حركة البناء بها تقلص هذا الإرث الكبير وبدأ البناء يزحف على الجنات والعراصي ومازال في كثير من الأحياء يَحمل الاسم الأصلي للعرصة : كحومة عرصة إيهري، وعرصة الحامض، وعرصة علي وُصالح، وعرصة المسفيوي، وعرصة با سيدي، وسيدي عباد، والرويضات، ومؤخراً عراصي أمَرْشِيش والمَرسْتَان.

يعتبر جنان الحارثي واحداً من أكبر جنات مدينة مراكش، ولعل اسمه راجع إلى مالكه، كما جرت العادة في تسمية الجنات والعراصي بأسماء مالكيها. يقع خارج الباب الجديد في موقع مهم بوسط المدينة الجديدة. وكانت مساحته واسعة. ارتبط في الذاكرة الشعبية كفضاء للنزهة والاستمتاع بالطبيعة والخضرة والأشجار والمياه.

تقلصت مساحته منذ فترة الحماية بتخصيص جزء منه لملاعب رياضية، منها ملعب الحارثي : لكرة القدم وكرة السلة ... وخصص جانب كبير منه كذلك لإقامة حديقة للحيوانات، كانت مزدهرة خلال الفترة المذكورة، وتضم في بدايات الاستقلال أنواعاً من الحيوانات والطيور يُقبل السكان كباراً وصغاراً على مشاهدتها. وقد تم الاستغناء عنها منذ سنوات ومازالت بيوت القردة والغزلان وأقفاص الوحوش والطيور وربوة أوداد قائمة بسقوفها وأحواضها وأطلالها حتى اليوم.

كما كان ينظَّم بين أغصان جنان الحارثي المعرض الكبير للجنوب، تعرض فيه المنتجات الفلاحية والصناعية للمغرب عامة ولجنوبه خاصة. وقد أعيد تنظيمه منذ بضع سنوات بعد توقف طويل. كما كانت تقام بمنتزه الحارثي وبين أغصانه وسواقيه احتفالات سلطان الطلبة أثناء عطلة فصل الربيع خلال عقدي الثلاثينات والأربعينات يحضرها طلبة ابن يوسف والسلطان، وتتبادل بها الخطب، وتقدم فيها أنواع المأكولات، في جو من المرح والترفيه والاستجمام.

وإلى جانب ذلك شيدت في جنان الحارثي بنايات ومرافق مهمة : كغرفة التجارة والصناعة، والمعهد الموسيقي، وإدارة جمعية الأطلس الكبير، والقاعة الزجاجية الكبرى للمحاضرات والعروض، وغير ذلك من المرافق.

ومع ذلك مازال جنان الحارثي فسيحاً مليئاً بالمنتزهات الجميلة بمراكش، يؤمه عموم سكان مراكش للنزهة والاستجمام في فصل الربيع، وللاحتماء من حرارة الطقس في فصل الصيف، وأكثر أشجاره الزيتون والنخيل والتوت والكالبتوس.

ح. جلاب، *الحركة الصوفية بمراكش*، الجزء 1، مراكش 1995 ؛ الجزء 1 ؛ *معجم عراصي مدينة مراكش*، مجلة التراث الشعبي، عدد 5 : 1981 ؛ مؤلف مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، ط. الاسكندرية 1958 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، ط. الرباط ؛ غ. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط 1974.

حسن جلاب

**جنان** ابن **حليمة** ← **حديقة التجارب** بمكناس

ابن **الجناوي** (أسرة) ← **بلَّكناوي**

**الجندور** ← **الگندوز**

**الجُنْدي**، اسم عائلة تطوانية أندلسية قديمة انقرضت الآن، عرف منها المعلم علي الجندي الأندلسي كان حياً عام 1089 هـ ومحمد بن عبد الرحمان الجندي الأندلسي كان حياً عام 1197 هـ والفقيه الأديب أحمد بن محمد الجندي الأندلسي من عدول تطوان وعلمائها شاهد الاحتلال الإسباني تطوان الأول عام 1279 هـ وقد نيف على الثمانين في عمره، ورثاها بقصيدة شعرية.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، ج 3 حرف ج ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، نسخة المؤلف بخطه في خزانته.

محمد بوخبزة

**الجندي، أحمد** الفاسي أصله من فاس الجديد ثم استوطن الدار البيضاء. تولى وزارة التجارة والصناعة والمعادن والصناعة التقليدية والبحرية التجارية في الحكومة السابعة بعد الاستقلال (من 2 يونيه 1961 إلى 5 يناير 1963). قال عنه في *إتحاف المطالع* : "وقد اكتسب من تلك الوزارة أموالاً وأصولا كثيرة".

توفي بالدار البيضاء عشية يوم الثلاثاء 27 محرم عام 1389 / 16 أبريل 1969، وبها دفن.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3414.

Fatima Abou el Karam, *Répertoire des gouvernements du Royaume du Maroc, 1955 - 1988*, Casablanca, 1988.

محمد حجي

**الجنسية** في الفقه القانوني المعاصر هي تلك الرابطة القانونية والسياسية التي ينتسب بموجبها الفرد إلى شعب دولة معينة. وقد دأبت التشريعات الوطنية في مختلف الدول على وضع إطار قانوني لتحديد طبيعة هذه الرابطة، وبيان عناصرها، وشروط تحققها، وحالات انتفائها. فوضعت أحكاماً ومقتضيات تنظم الحالات التي يكتسب فيها الشخص الجنسية، إما بصفة أصلية، أو بصفة تبعية. كما حددت الشروط التي يتعين أن تتحقق في الشخص

الأجنبي الذي يرغب في الحصول على جنسية بلد معين، وهو ما يعرف بحالة طلب التجنيس.

وقد دأبت مختلف القوانين على تحديد الآثار القانونية التي تترتب على منع الجنسية، وحالات سحبها وفقدانها وزوالها والتجريد منها، وغير ذلك مما يتصل بوسائل إثباتها.

والمؤكد في سائر التشريعات الوضعية المعاصرة، هو أن تمتع الشخص بجنسية دولة معينة، تترتب عنه جملة من النتائج القانونية التي تحدد نظام الحقوق والالتزامات التي يخضع لها. وبذلك لا يقتصر انتسابه لدولة معينة على مجرد الارتباط السياسي والقانوني، بل يصبح كذلك انتسابا نفسيا واجتماعيا. يصبح الشخص بمقتضاه خاضعا للنظام الاجتماعي والثقافي السائد في البلد، ويمارس حقوقه الوطنية كباقي المواطنين الآخرين. وترجع الأصول التاريخية لنظام الجنسية إلى فكرة الانتماء التي كانت قائمة في المجتمعات القديمة على أساس صلة القرابة، إذ كان النظام الاجتماعي قبل ظهور الدولة بالمفهوم الحديث، معتمداً في مكوناته الرئيسية على تشكيلات فرعية تتمثل في الأسرة والقبيلة والعشيرة. وكانت الروابط التي تجمع بين أفراد هذه التشكيلات هي روابط الولادة والسلالة والقرابة والعرف ووحدة الأصل. التي يقوم على أساسها انتماء الفرد للنظام الاجتماعي السائد، وفي ضوئها تتحدد مكانته ووظيفته وامتيازاته داخل هذا النظام.

ولعل مصطلح الجنسية نفسه Nationalité، وهو مصطلح حديث يعكس جزءاً من هذه الحقيقة، فهو مشتق من الأصل اللاتيني Natus الذي يعني الولادة من أصل مشترك. وهي أحد العناصر التي كانت تُمنح الجنسية على أساسها في المدن الإغريقية والرومانية القديمة.

لكن التطور الذي عرفته الحضارات الإنسانية في التاريخ قد انعكس بشكل مباشر على العناصر التي يقوم عليها نظام الجنسية، فبعد قيام الدول والامبراطوريات الكبرى القديمة، كالدول المصرية الفرعونية الموحدة في عهد "مينا" حوالي 3200 قبل الميلاد، ودولة بابل في بلاد ما بين النهرين، والأمبراطورية الرومانية الغربية بقيادة الإسكندر الأكبر، لم يعد أساس انتماء الفرد للدولة أو الامبراطورية التي يعيش في كنفها هو العرق أو القرابة أو السلالة، بقدر ما أصبح الانتماء قائماً على أساس الخضوع للسلطة الحاكمة والولاء السياسي لها، وذلك بسبب تعدد اللغات والأعراف والتقاليد والسلالات التي أصبحت خصائص مشتركة تميز شعوب هذه الدول والامبراطوريات.

أما في العصور الوسطى وبالضبط في الفترات التي انتشر فيها نظام الإقطاع."Régime féodal" اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا فإن فكرة الجنسية أصبحت قائمة إلى جانب الولاء السياسية، على علاقة التبعية القائمة بين صاحب الإقطاعية والرعايا الخاضعة لسلطته وحكمه.

ولكن هذه العلاقة التي شكلت أساس الانتماء والتكتل السياسي خلال فترة سيادة نظام الإقطاع ما فتئت تتلاشى بعد أفول نجم هذا النظام واندحاره. إذ مع بروز عصر النهضة وسيادة الأنظمة السياسية الملكية، أصبحت فكرة الجنسية قائمة على فكرة الخضوع للسلطة الملكية. وبذلك أصبحت الرابطة الجامعة بين أفراد الدولة الواحدة هي رابطة الخضوع لحكم الملك وسلطانه المطلق. ولكن بروز الحركات القومية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقيام جملة من الثورات التي تركت آثارها واضحة في مجرى التاريخ المعاصر، كالثورة الفرنسية سنة 1789، وبروز عدد من النظريات الفلسفية والسياسية، جعلت أنظمة الحكم تقوم على قواعد جديدة، ومبادئ مختلفة لما كان سائداً في الماضي، بحيث أصبحت الدول تقوم على أساس قومي. وأصبح هناك نوع من التطابق بين مفهوم الدولة ككيان سياسي وقانوني، وبين الأمة ككيان اجتماعي. وترتب عن ذلك أن مفهوم الجنسية صار مفهوماً قومياً يستند في قيامه على عناصر اللغة والتاريخ والعرق ... الخ ومن ثم أصبح نظام الجنسية قائما على أساس الانتماء القومي، إذ أن التطابق الذي حدث في لحظات من التاريخ الأوربي على الخصوص بين الأمة والدولة، لم يدم طويلا، بل حدث بعد ذلك انفصال بينهما جعل الدولة تنظيماً سياسياً وقانونياً وإدارياً واسعاً يقوم على استيعاب حساسيات قومية متعددة. وهي واقعة تاريخية أدت إلى تغيير حقيقي في طبيعة العلاقة القائمة بين الفرد والدولة، التي لم تعد علاقة على أساس اللغة أو التاريخ أو العرق. بل أصبحت قائمة على أساس الانتماء السياسي والقانوني الذي تعتبره اليوم التشريعات الوضعية المعاصرة جوهر فكرة الجنسية وقاعدتها العامة، التي دأبت مختلف الدول على تنظيمها عن طريق إقرار قواعد خاصة، تمثل نظاماً قانونياً متميزاً يحدد الأسس التي يمكن للمواطن بناء عليها الحصول بصفة تلقائية على جنسية البلد الذي يقوم فوق أرضه، أو الحالات التي يمكنه فيها المطالبة باكتسابها كالولادة والإقامة والزواج، كما يقر الشروط الواجب توفرها في كل حالة والآثار القانونية المترتبة عنها.

وعلى خلاف هذه الأنظمة القانونية، فإن التشريع الإسلامي من جهته قد وضع جملة من القواعد والمبادئ التي يقوم عليها نظام الجنسية والأساس الشرعي الذي يقوم عليه هذا النظام.

فالبنسبة للشريعة الإسلامية، تقوم فكرة الجنسية على أساس عقدي قوامه الانتماء للملة الإسلامية واتباع شريعة الإسلام. ومن ثم فقد ارتبط نظام العلاقة بين الفرد والدولة في تاريخ المجتمع الإسلامي بالتقسيم الجغرافي الذي أملته ضرورة الواقع من أجل تحديد مجال سيادة الدولة الإسلامية. وهو المجال الذي قام على أساس التمييز بين دار الإسلام ودار الحرب. فدار الإسلام تتمثل في المجال

الجغرافي الذي كانت تطبق فيه أحكام الشريعة الإسلامية، حيث يتكون المجتمع من غالبية مسلمة، وأقلية غير مسلمة.

وإذا كانت الغالبية المسلمة تخضع في معتقداتها وعباداتها ومعاملاتها وسلوكها لشريعة الإسلام، فإن الأقلية من غير المسلمين ومن مختلف الديانات كانت تخضع لنظام تشريعي خاص، يقوم في أساسه على التفريق بين ما يعرف بأهل الذمة من جهة، والمستأمنين من جهة أخرى.

فالأولون من أهل الذمة، تربطهم بدولة الإسلام رابطة تعاقدية يكون لهم بمقتضاها حق التمتع بعدة امتيازات، من بينها حقهم في التوطن الدائم في دار الإسلام، وحقهم في الحماية التي تضمنها لهم الدولة الإسلامية في أموالهم وأنفسهم وحقهم في إقامة شعائر دينهم وعقيدتهم. ومقابل ذلك، يكون من واجبهم الالتزام بعدم موالاة أعداء المسلمين، وعدم الطعن في عقيدة الإسلام، وأداء الجزية في شكل مبالغ مالية أو عينية مقدرة ومحددة لبيت مال المسلمين.

أما الآخرون من المستأمنين، فقد كانوا يدخلون دار الإسلام بموجب عقد أمان، يعفون بمقتضاه من كثير من التكاليف المالية، وتضمن لهم الدولة الحماية فوق أرضها لمدة معينة، كما تكون إقامتهم بها إقامة مؤقتة ولمدة محدودة.

والمستخلص من كل ذلك، أن فكرة الجنسية في المجتمع الإسلامي - على خلاف التشريعات الوضعية - لم تكن قائمة على أساس اللغة والعرق والتاريخ، وإنما كانت مستندة لمبدإ الانتماء للعقيدة الإسلامية، ومبنية على أساس التشبث بأوامرها. كما أن أهل الذمة من غير المسلمين كانوا يُعتبرون من رعايا الدولة الإسلامية بناء على عقد الذمة الذي كان يجمعهم ويربطهم بدولة الإسلام التي يقيمون فوق أرضها ويخضعون لسلطانها، في حين كان المستأمنون يعتبرون في حكم الأجانب، ويتمتعون بحق الإقامة المؤقتة فوق أرض الإسلام، وفق ما تحدده بنود الأمان الذي يربطهم بالدولة، وبذلك كانوا يستفيدون من وضعية خاصة شبيهة بما يعرف اليوم في التشريعات الحديثة بالمركز القانوني للأجانب.

هذا التنظيم المبني على قواعد الشريعة الإسلامية، هو الذي كان سائداً في المغرب إلى حدود فترة ما قبل الحماية الفرنسية والاسبانية التي عرفها المغرب ابتداء من سنة 1912. فخلال أواخر القرن الثالث عشر (19 م)، وهي المرحلة التي عرفت التوقيع من قبل المغرب على مجموعة من المعاهدات والأوفاق الدولية مع دول مختلفة، أصبح نظام الجنسية موضوع تشريعات خاصة، كما أصبح مرتبطاً بما كان يعرف خلال هذه المرحلة بنظام الامتيازات والحمايات التي كانت تستفيد منها مجموعة من الأجانب في المغرب، وفئات واسعة من اليهود المغاربة وبعض المسلمين من التجار والمستخدمين العاملين في القنصليات الأجنبية وأصبحوا بموجبه غير خاضعين للمحاكم المغربية.

وقد عرف هذا النظام توسعا وانتشاراً متزايداً دفع حكومة المغرب إلى الاحتجاج لدى مختلف الدول الأجنبية لما صار يتضمنه من انتهاك سافر لحقوق الدولة المغربية وسيادتها، ولا سيما في مجال القضاء، الذي يمثل أحد أهم مظاهر السيادة. وقد تطورت الأوضاع، مما دفع بالمغرب إلى إبرام عدة اتفاقيات مع عدد من الدول الأوربية. وكانت عبارة "رعايا السلطان" أو "رعايا سلطان المغرب" أو "رعايا سلطان مراكش" التي ترد ضمن مقتضيات المعاهدات والاتفاقيات الدولية التي أبرمها السلطان سيدي محمد بن عبد الله، هي العبارة السياسية والتشريعية التي يشار بها إلى المغاربة، وأصبح يعرف بها حملة الجنسية المغربية منهم، خلال القرن الثالث عشر (19 م).

ومن ثم لم تعد الديانة الإسلامية المعيار الوحيد لتمتع الشخص بالجنسية المغربية أو منحه حق اكتسابها، بل أصبح المعيار الإقليمي (الانتساب والولادة فوق الأرض المغربية) إلى جانب المعيار السياسي (الولاء للسلطة السياسية) هو الأساس الذي أصبحت تستند إليه الدولة المغربية من أجل تمكين الأشخاص من الحصول على الجنسية المغربية أو اكتسابها.

وفي كل الأحوال، كانت القاعدة المطردة والمشهورة في تاريخ المغاربة منذ القديم، والتي بموجبها "يولد المغربي مغربيا ويموت مغربيا" هي القاعدة المطبقة بالنسبة للمغاربة الوطنيين، وهي قاعدة تستمد مرجعيتها من عقد البيعة المستمرة التي اعتبرت أساساً لبناء شرعية الحكم وممارسة السلطة في تاريخ المغرب، بكيفية متواترة تتجدد مع تجدد أنظمة الحكم وقيام الدول.

وقد أكدت هذه القاعدة أولُ مادة تشريعية مكتوبة تتصل بالنظام الحديث للجنسية المغربية، هي المادة (15) من اتفاقية مدريد المبرمة بين المغرب وثلاث عشرة دولة أوربية في أواخر القرن الماضي حوالي سنة 1880 ميلادية والتي جاء في الفقرة الأولى منها :

"كل رعية مغربي تجنس بجنسية أجنبية في الخارج يتعين عليه، بعد قضاء مدة مساوية للمدة اللازمة للحصول على الجنسية الأجنبية، أن يختار بين الخضوع لقوانين المملكة المغربية وبين مغادرة التراب الوطني، مالم يثبت أن التجنيس المذكور قد تم الحصول عليه بعد موافقة السلطان".

وقد أكدت مضامين هذه المادة مقتضيات الفصل (19) من قانون الجنسية المغربي الحالي، واعتمدها المغرب من بين دفوعاته أمام محكمة العدل الدولية بلاهاي إثر عرض قضية الصحراء المغربية عليها سنة 1975.

وخلال فترة الحماية ارتبط نظام الجنسية بنظام الحماية

نفسه، ارتبط به بكل معطياته التاريخية والسياسية والقانونية. فقد نصت معاهدة الحماية الفرنسية الموقعة بفاس يوم 30 مارس 1912 على "أن ممثلي فرنسا الديبلوماسيين والقنصليين مكلفون بتمثيل الرعايا المغاربة وحماية مصالحهم في الخارج".

وقد كرست هذه المقتضيات تقييداً واضحاً على سيادة الدولة المغربية في مجال السياسة الخارجية، فضلاً عما رتبته من نتائج قانونية وسياسية بالنسبة لنظام الجنسية لا سيما بالنسبة للمغاربة الحاملين للجنسية المغربية بصفة أصلية.

فقد أصبح هؤلاء يخضعون لنظامين مختلفين : أحدهما يطبق في الداخل فيعتبرون بموجبه رعايا سلطان المغرب، ويتمتعون في ظله بالجنسية المغربية الأصلية. وثانيهما يطبق عليهم في الخارج ويعاملون بموجبه معاملة الرعايا الفرنسيين بناء على قاعدة تمثيلهم من قبل الممثلين الديبلوماسيين والقناصلة الفرنسيين العاملين بالمصالح الفرنسية لدى الدول الأجنبية. مما أصبح معه المغاربة يحملون جنسيتهم في بلدهم، ويفقدونها إذا خرجوا منه حتى أضحت من المفارقات الغريبة، أن نجد المغاربة والتونسيين مثلاً وغيرهم من رعايا الدول الخاضعة للحماية الفرنسية تطالب فرنسا لدى المحاكم المصرية اعتبارهم رياعا فرنسيين، وذلك بمناسبة قيام بعض النزاعات القضائية. بل أكثر من ذلك لم يبق الأمر في إطار القضاء، بل كرسته اتفاقية وقعت بين فرنسا ومصر في الخامس والعشرين من شهر مارس 1925.

وإلى جانب معاهدة الحماية نجد أن قضايا الجنسية في المغرب خلال هذه الفترة لم تعرف نظاماً قانونياً موحداً ومنسجماً ومضبوطاً، بل صدرت خلال العشريات الأولى لفترة الحماية جملة من النصوص والمقتضيات التي نظمت بعض الجوانب المتعلقة بالجنسية المغربية الأصلية وبإجراءات اكتساب الجنسية الفرنسية في المغرب، حكمها التعارض والتناقض. وكرس المنطق الاستعماري فيها امتياز تطبيق التشريع الفرنسي في المغرب من أجل تقوية وضعية المتجنسين بالجنسية الفرنسية فوق أرض المغرب.

ففي 29 أبريل 1920 أصدر رئيس الجمهورية الفرنسية مرسوما يخص تجنيس الأجانب المقيمين في المغرب بالجنسية الفرنسية، واعتمد هذا النص في منح الجنسية الفرنسية فقط على معيار الإقامة في المغرب دون قيد أو شرط آخر، على خلاف ما كان معمولا به في فرنسا نفسها وفي سائر البلاد الأخرى، وذلك من أجل تقوية الوجود الفرنسي من جهة، وتخفيف وطأة الالتزامات التي تعهدت بها فرنسا للدول المتنازلة عن امتيازاتها من جهة أخرى، متى أصبح رعايا تلك الدول من الفرنسيين. وأكثر من ذلك فإن السلطات الاستعمارية جعلت مدة الإقامة اللازمة بالمغرب من أجل الحصول على الجنسية المغربية ثلاث سنوات في حين قلصت هذه المدة إلى سنة واحدة إذا كان الشخص قد قدم خدمات جليلة لفرنسا". وهي إشارة دالة عن النوايا الاستعمارية الدفينة التي لا تخفى مضامينها وأبعادها.

وفي الثامن من نوفمبر 1921 أصدر رئيس الجمهورية الفرنسية مرسوما آخر خاصا بالجنسية الأصلية الفرنسية في المغرب، واشترط فيه ثلاثة شروط من أجل الحصول عليها. وهي أن يولد المولود في منطقة الحماية الفرنسية، وأن يكون من أبوين أحدهما تابع كأجنبي للمحاكم الفرنسية في المغرب، وأن يكون أحد أبويه مولوداً أيضاً في المغرب.

ويلاحظ أن المشرّع الفرنسي من خلال هذا النص قد أخذ بالأساسين الرئيسيين اللذين يقوم عليهما نظام الجنسية في التشريعات الحديثة، أولهما حق الدم من جهة، وحق الإقليم من جهة أخرى. وقد اعتبر الأجنبي من أجل تطبيق هذا النص هو الشخص التابع لدولة تنازلت عن امتيازاتها في المغرب، وقد كان ذلك من أجل تقوية عدد الجالية الفرنسية بالمغرب في الدرجة الأولى.

وفي نفس تاريخ صدور هذا النص أي الثامن من نوفمبر 1921 صدر ظهير شريف من أجل تنظيم الجنسية المغربية. والناظر في مضمون المادة الفريدة التي يتكون منها هذا الظهير يستنتج أنه ينظم الجنسية الفرنسية بالمغرب أكثر من تنظيمه للجنسية المغربية، فهو يعتبر مغربيا كل من ولد في المغرب من أبوين أجنبين وُلد أحدهما فيه، مستثنيا الفرنسيين الوطنيين والمواطنين والتابعين لفرنسا من غير المغاربة، والحق أن هذا النص لا يقر سوى نوع من الاكتساب الوهمي للجنسية المغربية، كما تم التعليق عليه بحق خلال التحضير لقانون الجنسية الجاري به العمل حاليا في المغرب.

وزيادة على ذلك كانت المحاكم تطبق أحكام المرسوم الفرنسي الصادر في نفس التاريخ وتبعد هذا الظهير عن مجال التطبيق، عملاً بالقاعدة الاستعمارية التي سارت عليها كثير من البلاد آنذاك والقاضية بسريان قانون الدولة الحامية بدل قانون الدولة المحمية في حالة التعارض بين أحكام كل منهما.

وفي سنة 1934 صدر مرسوم فرنسي في الخامس والعشرين من شهر يناير، يستثني رعايا سلطان المغرب من فئة الأشخاص الذين يجوز لهم اكتساب الجنسية الفرنسية بناء على الولادة في فرنسا من أب أجنبي موطنه في المغرب باستثناء منطقة الحماية الإسبانية.

وأخيراً في 2 أكتوبر 1948 صدر مرسوم فرنسي اشترط من أجل اكتساب الجنسية الفرنسية موافقة سلطان المغرب بالنسبة للشخص المولود من أب مغربي وأم فرنسية وذلك انسجاما مع أحكام المادة (19) من القانون الفرنسي للجنسية.

وكانت هذه أهم المقتضيات القانونية التي صدرت خلال فترة الحماية المطبقة في المغرب بالنسبة للمنطقة الخاضعة

للحماية الفرنسية، في حين كانت المنطقة الخاضعة للنفوذ الإسباني لا تتوفر على أي مرجعية تشريعية بها، وإنما كان السائد عوض ذلك هو نظام البطاقة الشخصية التي يتعين على كل فرد أن يحملها سواء كان وطنيا أو أجنبيا، وهي بطاقة تتجدد كل سنة، وإن كانت لا تكفي في تحديد جنسية حاملها، فقد كانت تستعمل وسيلة للإثبات عند حدوث نزاع أو قيام خلاف. في حين كانت منطقة طنجة الدولية تخضع لمقتضيات الظهير الشريف المشار إليه. باعتبار الملك المغربي كان صاحب السيادة والولاية العامة في المنطقة.

وعند استقلال البلاد، عملت السلطات العمومية جاهدة من أجل إصدار قانون موحد ينظم الجنسية المغربية، وهو العمل الذي توج بصدور الظهير الشريف رقم 1.58.250 بتاريخ 21 صفر الخير 1378 (6 سبتمبر 1958) بمثابة قانون الجنسية المغربية متضمنا ستة وأربعين فصلاً مندرجة ضمن سبعة أبواب، تناولت الجوانب التالية :

الباب الأول، ويتضمن جملة من المقتضيات العامة المتصلة بالمصادر القانونية المعتمدة في مسائل الجنسية بما في ذلك المعاهدات والأوفاق الدولية، التي تقع المصادقة عليها ويتم نشرها، كما تهم هذه المقتضيات نطاق تطبيق قانون الجنسية من حيث الزمان، ومن حيث الأشخاص بما في ذلك تحديد سن الرشد القانوني، ثم من حيث المكان من خلال تحديد المقصود قانونا بعبارة "المغرب" باعتباره مجموع التراب المغربي والمياه الاقليمية والسفن والطائرات ذات الجنسية المغربية.

الباب الثاني وتحدد فصوله المقتضيات القانونية المطبقة على الجنسية الأصلية ولا سيما منها الجنسية التي يتمتع بها الشخص بناء على حق الدم، وذلك في حالتين اثنين، أولاهما : حالة الولد المنحدر من أب مغربي، وثانيتهما : حالة الولد المولود من أم مغربية وأب مجهول، ثم بناء على حق الإقليم، وذلك في حالتين : أولاهما : حالة الولد المولود في المغرب من أم مغربية وأب لا جنسية له، وثانيهما : حالة الولد المولود في المغرب من أبوين مجهولين، وهذه الحالة الأخيرة تنطبق على وضعية الأطفال اللقطاء الذين اعتبر المشرع أنهم مولودون في المغرب مالم يثبت خلاف ذلك، تفاديا لحالة انعدام الجنسية. وقد وردت في هذا الباب كذلك أحكام مشتركة تتعلق بعلاقة النسب بالجنسية.

الباب الثالث وقد حدد المشرع فيها المقتضيات المتصلة باكتساب الجنسية المغربية مميزاً بين اكتسابها بقوة القانون عن طريق الولادة أو الإقامة في المغرب وبين اكتسابها عن طريق التجنيس، محدداً لشروطه والاستثناءات الواردة عليه، والاجراءات المتعلقة بوثيقة التجنيس وسحبها، وأخيراً طريقة استرجاع الجنسية المغربية والآثار القانونية المترتبة على اكتسابها والقيود المفروضة على أهمية المتجنس طيلة مدة خمس سنوات، واستفادة الأبناء القاصرين المنحدرين من الأشخاص المكتسبين للجنسية المغربية من نفس الحق.

الباب الرابع وقد تناول فيه المشرع حالات فقدان الجنسية وآثارها القانونية، وحالات التجريد منها، والمسطرة القانونية المتبعة في ذلك.

الباب الخامس خُصص لاستعراض الإجراءات الإدارية المتعلقة بإيداع الطلبات والتصريحات المقدمة لاكتساب الجنسية المغربية، وحالات عدم القبول، والرفض، والتعرض، ومسطرة دراسة التصريح وإشهار الظهائر والمراسيم المتعلقة بالجنسية في الجريدة الرسمية للدولة.

أما الباب السادس فيحدد المقتضيات المتعلقة بإثبات الجنسية سواء كانت أصلية أو مكتسبة، وإثبات فقدانها والتجريد منها، بما في ذلك الإثبات القضائي إلى جانب الأحكام المتعلقة بالمنازعات القضائية المثارة بشأنها سواء تعلق الأمر بالاختصاص أو الدفع بالجنسية قبل البت في نزاع قضائي، وغير ذلك من الأحكام الإجرائية المتعلقة بالدعاوى على اختلاف أنواعها الرئيسية أو القائمة بموجب الإحالة أو العارضة وما يطبق من مسطرة في حالة قيام هذه المنازعات.

وأخيراً الباب السابع الذي يقرر مقتضيات انتقالية استثنائية وتطبيقية تهم فترة صدور قانون الجنسية، من بينها الأحكام الفريدة التي تضمنتها المقتضيات القاضية بأن كل شخص أصله من بلاد تتألف أغلبية سكانها من جماعة لغتها العربية أو دينها الإسلام، وينسب إلى تلك الجماعة يخول له هذا القانون، مع مراعاة حق وزير العدل في المعارضة طبقا لأحكام الفصلين 26 و27 أعلاه، أن يصرح داخل أجل سنة ابتداء من تاريخ نشر هذا القانون باختيار الجنسية المغربية ...." وقد اشترط المشرع لذلك شروطاً منها أن يكون موطن الشخص وإقامته بالمغرب في تاريخ نشر قانون الجنسية، وأن يثبت زيادة على ذلك إقامة اعتيادية في المغرب لمدة (15) سنة على الأقل، أو ممارسة وظيفة عمومية في الإدارة المغربية منذ (10) سنوات على الأقل، أو الزواج من امرأة مغربية بالإضافة إلى السكن في المغرب منذ سنة على الأقل بشرط أن يكون الزواج غير منحل.

وقد أقرت هذه المقتضيات كذلك، حق الشخص بالتصريح في اختياره الجنسية المغربية إذا كان أصله من منطقة مجاورة للحدود المغربية إذا جعل محل سكناه وإقامته فوق التراب المغربي، وذلك خلال سنة من تاريخ نشر المرسوم الذي تعين بموجبه المناطق المجاورة للحدود المغربية.

وقد صدر تطبيقاً للفصل (33) من هذا القانون قرار عن وزير العدل بتاريخ 27 أكتوبر 1958، جعل وكلاء الملك بالمحاكم الابتدائية هم المختصين وحدهم بتسليم شهادات

الجنسية للأشخاص الذين يثبتون أنهم يتمتعون بالجنسية المغربية، كما صدر في تاريخ 11 نونبر 1958 منشور عن وزير العدل يشرح المسطرة القانونية والإدارية الواجب اتباعها، والإجراءات اللازم اتخاذها من أجل تنظيم الوثائق المتعلقة بالجنسية، كما صدرت عدة مناشير مماثلة متصلة بالموضوع موجهة إلى السادة وكلاء الملك خلال سنوات 1975 ـ 1979 و1983 تهم بالخصوص التدابير التي يتعين اتخاذها فيما يتعلق بطلبات اكتساب الجنسية، والمنازعات القضائية المثارة بشأنها.

وتعتبر هذه المناشير إلى جانب قانون الجنسية الصادر لسنة 1958 والمقتضيات المتعلقة بالجنسية والواردة في بعض الاتفاقيات الدولية التي صادقت عليها السلطات العمومية وتم نشرها في الجريدة الرسمية، هي مجموع النصوص والأحكام القانونية المتعلقة بنظام الجنسية المطبقة في المغرب اليوم.

أحمد زوكاغي، *أحكام القانون الدولي الخاص في التشريع المغربي ـ الجنسية*، الرباط، 1992 ؛ *وثائق الجنسية المغربية*، الرباط، 1994 ؛ إبراهيم عبد الباقي، *الجنسية في قوانين دول المغرب العربي الكبير*، تونس، 1971 ؛ أحمد عبد الكريم سلامة، *المبسوط في شرح نظام الجنسية*، الطبعة الأولى، مصر 1993 ؛ مَحمد أحمد بن عبود، *مركز الأجانب في المغرب*، الرباط، الطبعة الثالثة، المغرب 1988 ؛ مصطفى بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، الرباط، أربعة أجزاء، 1989.

عبد الإله فونتير

**الجنّان**، أسرة مكناسية معظمهم من قدماء سكان مكناس وهم يتفرعون إلى ثلاث فرق :

الفريق الأول : فصيلة الأوسيين من الأنصار، ويصعد ذكر أول اسم منهم وهو أبو جعفر أحمد بن محمد الأوسي الجنان إلى أواسط القرن الثامن الهجري (14 م) ينَوّه به لسان الدين ابن الخطيب في *نفاضة الجراب* ويبرزه ضمن الجماعة الذين لقيهم بمكناس، في زيارته لها عام 761 / 1360.

وبعد أبي جعفر هذا تتتابع الإشارة لهذا الفريق حسب الإشارات التالية : أ ـ " *وثيقة النسبة الكتانية الشريفة*، المؤرخة بأواسط شوال عام 930 / أواسط غشت 1524، فياتي بين شهودها اسم أبي سعيد بن الشيخ أبي عبد الله محمد الجنان الأنصاري، مع اسم أبي الحسن علي بن محمد ابن الجنان الأنصاري. ثم ياتي عقد زواج أحمد بن عبد الله الجنّان الأنصاري، بتاريخ 23 جمادى الأولى 1022 / 11 يوليوز 1613، فوثيقة سكان مكناس في العصر الإسماعيلي، بتاريخ أوائل المحرم عام 1121 / أواسط مارس 1709، حيث ترد بها هذه الفقرة : "أولاد الجنان من الأنصار : أوس".

ومن متأخري هذا الفريق فيما يبدو : التاجر المعتمر بقيسارية البز : الحاج الحسين ابن محمد الجنان، المتوفي عن أولاده : الحاج مُحمد وأحمد ومَحمد والعلمي وعبد السلام والمهدي.

الفريق الثاني : بنو الجنّان أخوال الشيخ ابن غازي، فيذكر أنهم الذين اشتهروا بهذه النسبة في زمنه القرن التاسع (15 م) غير أنه لم يوضح مُنتماهم ولم يسم واحداً من رجالهم، وإنما نوّه بالمستوى الثقافي لوالدته رحمة بنت محمد الجنان، فكانت ـ حسب الروض الهتون ـ قد حفظت كثيراً من الأحاديث الصحاح، وكادت أن تحيط حفظاً بالأدعية الواردة في المصنفات الصحاح، وكانت ملازمة لدرس القرآن العزيز في المصحف، وتعلمت كثيراً من تفسير قصصه وأخباره، تلقيا لذلك وغيره من زوجها الأول.

الفريق الثالث : بنو الجنّان الذين أصلهم من فاس، ويرجع الفضيلي بقبيلهم في فاس إلى الفهريين ويضيف أن أوليتهم من جيّان، ثم دخلوا العدوة وسكنوا منها فاسا ومكناسة. ومن ساكني المدينة الأخيرة منهم : الطالب السيد عثمان الجنان الفاسي الأصل، وهو والد الطلبة : محمد والهادي وإدريس، والأخير هو أب الأستاذ العالم عبد النبي الجنان المحتسب الحالي بمكناس.

ونختم بالإشارة إلى عالم رياضي من هذه الأسرة دون أن نتبين فريقه، وفد نزح عن بلدته مكناس للسكنى بمراكش، وبهذه المناسبة كتب له القاضي عباس ابن إبراهيم ترجمة. ولايزال في حي ابن خضرا بمكناس، سكة تحمل اسم "درب الجنان" جوار مسجد الجنان هناك.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، ص 46 ـ 48 و51 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 323 و458 ؛ *المنزع اللطيف*، *وثيقة النسبة الكتانية الشريفة*، الدار البيضاء، ص 214 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 364.

محمد المنوني

**الجنّان، أحمد بن محمد بن إبراهيم** الأوسي المكناسي، فقيه، عدل، إخباري، أديب مشارك. يعود فضل التعريف به إلى لسان الدين ابن الخطيب، فقد كان من جملة العلماء الذين لقيهم عند زيارته لمكناس عام 761 هـ وتحدث عنهم في رحلته المسماة : *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب* (طبعة القاهرة، ص. 376 ـ 377) حيث قال : "ومنهم الشيخ الفقيه العدل الأديب الإخباري المشارك أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي الجنّان، من أهل الظرف والانطباع والفضيلة، وهو كاتب عاقد للشروط، ناظم ناثر مشارك في فنون من العلم، له تصنيف حسن في ثلاثة أسفار اسمه *المنهل المورود في شرح المقصد المحمود* شرح فيه *وثائق ابن القاسم* فأربى على الإجادة، بيانا وإفادة، وناولني إياه، وأذن في حمله عنه، وأنشدني كثيراً من شعره".

وأورد ابن الخطيب بعضا من أشعاره ومحاوراته ومراجعاته له.

وعن ابن الخطيب نقل كل من ابن غازي في *الروض الهتون* وابن القاضي في *جذوة الاقتباس* والمقري في *نفح الطيب* وابن زيدان في *الإتحاف*. ويضيف ابن غازي قائلاً إن هذا الجنان ليس من بني الجنان المشهورين في مكناس ومنهم أخواله. ولم يقف أن ترجم له على تاريخ وفاته.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، ص. 47 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 1 : 152 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 7 : 272. 273 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 : 322. 224.

أحمد الوارث

**الجنّان، أحمد بن محمد بن عبد السلام** المكناسي. رجل إداري وسياسي محنك تقلب في عدة وظائف إدارية بمكناس، فكان أمين المواريث ثم خليفة باشوياً ثم باشا بنفس المدينة إلى أن عزل خلال الأزمة السياسية سنة 1953 لانحياشه إلى جانب الوطنيين ضد الاستعمار. وبعد الاستقلال رقي إلى منصب عامل بمكناس. وبها توفي عام 1392 / 1972.

**الجنّان، رحمة** ← **الجنّان**، أسرة

**الجنّان، محمد** بن أحمد الغرناطي الفاسي، أحد العلماء المذكورين في سلسلة الأسانيد العلمية بمدينة فاس، فهو يروي مباشرة عن ابن مجبر، والقدومي، والمنجور، والسراج وغيرهم. كما أنه تصدر للتدريس، فكانت له مجالس حسنة في علوم اللغة والفرائض والحساب، غير أنه اشتهر كفقيه مالكي متخصص في *إقراء الشيخ خليل*. وله عليه *حاشية* مختصرة تداولها الطلبة بكثرة إلى جانب ملازمتهم لدروسه الحديثية وروايتهم عنه.

عايش الشيخ الجنان الهزة السياسية القوية التي عرفتها فاس في آخر العهد السعدي، ورفض المشاركة في إصدار الفتوى التي طالب بها محمد الشيخ المأمون العلماء استبراء لدينه. ويتضح من سيرته أنه لم ينقطع عن التعليم وقيامه بإمامة ضريح مولاي إدريس رغم طعنه في السن.

توفي آخر ذي الحجة سنة 1050 / أوائل أبريل 1641.

أ. ابن القاضي، درة، ج 2 : 236 ؛ ع. الفاسي، *تحفة الأكابر*، مخطوط، إشارات في ص 51 و 57 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 58 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 379 ؛ *التقاط الدرر*، بيروت 1983، ص. 111 ؛ أ. ابن عجيبة، *ازهار البستان*، مخطوط، 230 ؛ أ. الناصري، *الاستقصاء*، الدار البيضاء، 4 : 19، 6 : 22 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 58 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، 1982، 1 : 301، خ. الزركلي، *الأعلام*.

نفيسة الذهبي

**الجنّان، محمد الطايع** المكناسي ثم المراكشي. عالم فلكي ماهر في التوقيت والربع المجيد والحساب والتعديل، يدرس ذلك بجامع ابن يوسف. وممن أخذه عنه المحجوب بن محمد الحمري، ومحمد بن الحاج عزوز شنطيط الأندلسي المراكشي موقت جامع ابن يوسف بمراكش أواخر عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان وأوائل عهد ابنه الحسن الأول. وصاحب الحصة التوقيتية التي يتداولها المراكشيون ويعتمدونها.

توفي الجنان عام 1299 / 1881.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 46.

**الجنّان، المكي** الفاسي، من شيوخ إبراهيم التادلي الرباطي، ذكره في إجازته لابن خليفة وقال إنه خاتمة علماء الرياضة والفلسفة، وإنه قرأ عليه الكرة السنية لابن الشاطر في التعديل وغيرها، ولازمه سنين أيام دراسته بفاس في عشرة السبعينات من القرن الثالث عشر (19 م).

كان الجنّان مؤقتاً بجامع فاس الجديد وتوفي في حدود 1300 / 1882.

إ. التادلي، *الإجازة*، مخطوطة، خ. ع رقم 1427 ك آخر مجموع ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2680.

محمد حجي

ابن **الجنان، يوسف** بن يحيى ابن الحاج تنقل بين سكنى قصر عبد الكريم ومالقة وسجلماسة، واستوطن في آخر حياته أغمات وريكة.

كان أديباً شاعراً سيال القريحة في النظم والنثر، وإن كان نظمه متوسطاً، وقد أورد صديقه ابن عبد الملك المراكشي في الترجمة التي خصصها له في "*الذيل والتكملة*" نماذج من شعره ونثره.

وكان نساخاً ماهراً، جيد الخط، سريع الكتابة مداوماً عليها، لم يخف مترجمه إعجابه بجودة كتابته وكثرة نسخه إلى درجة أنه "قل كتاب يستعمل مشهور إلا نسخه" (*الذيل*، 8 : 439)، ورأى له "مما نسخ مع اشتغاله بما ذكر أزيد من مائة مجلد في مدة ليست بالمديدة" (نفسه).

واشتغل ابن الجنّان في الكتابة عن الولاة والقضاة، فكتب أيام سكناه بقصر عبد الكريم لقاضيها عبد الكريم ابن عمران، وكتب بمالقة للمتأمّر بها بعد زوال حكم الموحدين عنها عبد الله بن علي ابن زنون. واشتغل إضافة إلى ذلك بعقد الشروط في دكانه، وبكتابة "أزمة المجابي السلطانية"، أي سجلات مداخيل جباية الدولة.

كان ابن عبد الملك على صداقة متينة بابن الجنان، يزوره بأغمات وريكة التي كان استقراره بها للكتابة عن واليها من قبل المرينيين أبي عمر المتوسي المليانى.

توفي ابن الجنان في بداية عصر المرينيين في القرن السابع (13 م) لكن تاريخ وفاته طمس في مخطوطة *الذيل والتكملة*.

م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. م. بنشريفة، الرباط، (ج 8) 1984 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، الرباط، 1991.

محمد المغراوي

## جنّون ← گنّون

**جَنِّينُو**، أسرة تطوانية أندلسية بربرية موفورة العدد، ذكرت عام 1129 هـ نبغ فيها في التجارة والصناعة أفراد منهم المعلم الحاج العربي جنّينو وفي عام 1143 هـ كان السيد علي بن موسى جَنِّينُو الأندلسي ناظراً لأحباس جامع العيون بتطوان.

محمد بوخبزة

**جنوب إفريقيا** والمغرب، بالرغم من أن العلاقات بين المغرب وجنوب إفريقيا لم تبدأ رسمياً إلا سنة 1992، فإن عمرها في الواقع يمتد إلى حوالي أربعة عقود عرفت خلالها ثلاث مراحل تتميز كل منها بمميزات خاصة.

المرحلة الأولى ابتدأت مع استقلال المغرب وإلى حدود سنة 1963، وقد تميزت بتحالف المغرب مع الدول والمنظمات الراديكالية الإفريقية التي كانت تلتقي في معارضتها للاستعمار ولنظام الميز العنصري باعتبارهما امتداداً للنظام الرأسمالي ولسياسات القوى الغربية. وقد شكلت هذه الدول مجموعة الدار البيضاء في المؤتمر الذي احتضنه المغرب في يناير 1961 وحضره الرؤساء الأفارقة الذين تزعموا سياسة المواجهة مع الغرب مثل نكروما وسيكوتوري وموديبوكيتا وعبدالناصر. وبالرغم من أن المغرب ظل دائما يؤيد القرارات المندِّدة بالأبارتايد في المؤتمرات والمنظمات الإقليمية والدولية، إلا أن انتماءه إلى مجموعة الدار البيضاء سينتهي عمليا بالتغيير الذي عرفته الدبلوماسية المغربية بعد إنهاء مهام حكومة عبد الله إبراهيم، وفشل مجموعة الدار البيضاء في الاستمرار بسبب عجزها عن مواجهة الخلافات بين أعضائها. خلال هذه الفترة، ربط المغرب علاقات مع المؤتمر الوطني الإفريقي المحظور وقتها في جنوب افريقيا، واستقبل زعيمه نيلسون مانديلا سنة 1962 وقدّم له مساعدات مالية وعسكرية.

وابتدأت المرحلة الثانية سنة 1963، على إثر حرب الحدود بين المغرب والجزائر، وتميزت بتحالف المغرب مع الأنظمة الإفريقية المحافظة والموالية للغرب ترجم إلى مشاركة المغرب العسكرية في الزايير في أبريل 1977 وفي ماي 1978. وقد شكل هذا التحالف مع الغرب أرضية سياسية مشتركة بين المغرب وجنوب إفريقيا. وبالإضافة إلى ذلك فقد اقتصر الخلاف بين المغرب ونظام جنوب إفريقيا على المطالبة بإلغاء القوانين العنصرية، على عكس البلدان والحركات الإفريقية الراديكالية التي كانت تربط نهاية الميز العنصري بالقضاء على النظام الرأسمالي وتأسيس المجتمع الاشتراكي. وقد تميزت العلاقات بين البلدين خلال هذه المدة بالسرية تعرّض المغرب بسببها لانتقادات الدول الاشتراكية والتيارات اليسارية.

المرحلة الثالثة، بدأت بانتخابات 1990 في جنوب إفريقيا التي أعلنت بداية تصفية نظام الأبارتايد، فقد مهد انتخاب ديكليرك لتحول العلاقات المغربية مع جنوب افريقيا إلى علاقات رسمية بدأت بزيارة هذا الأخير للمغرب سنة 1990، وتبعتها زيارات لمانديلا سنتي 1993 و1994. كما أن هذه المرحلة تميزت ببداية العلاقات الدبلوماسية بين البلدين التي ابتدأت رسميا بفتح مكتب لرعاية مصالح جنوب إفريقيا في الرباط ومقابله في بريتوريا سنة 1992، ثم إلى رفع التمثيلية إلى مستوى السفارة في مارس 1994. وتتميز هذه المرحلة بسعي دبلوماسية البلدين لحل المشاكل السياسية الإفريقية وبالاهتمام بالقضايا الاقتصادية.

بالنسبة للموضوع الأول، سعى البلدان إلى العمل على إيجاد حل للأزمات الإفريقية على رأسها أزمة أنغولا. وتلتقي دبلوماسية البلدين بالنسبة لأنغولا في علاقات المغرب الوطيدة مع جواناس سافيمبي رئيس منظمة اليونيتا، وفي رغبة جنوب إفريقيا في أن تتحول إلى قوة دبلوماسية فعالة على الصعيد القاري. وكان المغرب هيّأ قمة مصغرة حول أنغولا في نهاية نوفمبر 1994 ضمت بالإضافة إلى المغرب كلا من الرئيس مانديلا، وبطرس غالي، السكرتير العام للأمم المتحدة.

أما بالنسبة للقضايا الاقتصادية، فتشكل العلاقات المغربية الجنوب - إفريقية حالة عادية من علاقات بلدان الجنوب، حيث تتميز باللاتكافؤ في إمكانياتهما الاقتصادية وبضعف حجم مبادلاتهما التجارية وصعوبة نموها تتجلى الفوارق الاقتصادية بين البلدين في الناتج القومي الإجمالي الذي وصل سنة 1993 إلى 118.2 مليار دولار في جنوب إفريقيا مقارنة بما يعادل 26.6 مليار دولار بالنسبة للمغرب. كما أن الدخل الفردي لجنوب إفريقيا في نفس السنة بلغ 2.980 دولار وهو ما يشكل حوالي ثلاثة أضعاف مثيله في المغرب. وتميزت العلاقات التجارية بين البلدين في الفترة 1994 - 1995 بضعف حجمها، وفائض ميزان التبادل التجاري لصالح جنوب إفريقيا بالرغم من بوادر تقلص تدريجي لهذا العجز. فحجم المبادلات التجارية بين البلدين بلغ سنة 1994 حوالي 430 مليون درهما، لم تشكل الصادرات المغربية منها إلا 10 ملايين درهما. وتراجعت هذه المبادلات سنة 1995 إلى 255 مليون

درهما، بينما عرفت صادرات المغرب إلى جنوب افريقيا ارتفاعا طفيفا وصل إلى حوالي 13 مليون درهما. وازداد حجم واردات المغرب من جنوب إفريقيا تقلصا خلال الأحد عشر شهرا الأولى من سنة 1996 في الوقت الذي تضاعفت فيه الصادرات المغربية لتصل إلى حوالي 23 مليون درهما.

عبد الحي مودن

**جنوة والمغرب**، شكلت مدينة جنوة الإيطالية جمهورية مستقلة منذ القرن الحادي عشر الميلادي. وتعود الاتصالات الرسمية بين جنوة والمغرب إلى عصر المرابطين لما وقع الطرفان معاهدة سلم وتجارة سنة 1137 عقب أحداث قرصنة متبادلة بينهما. وتشكل هذه المعاهدة إحدى أقدم المعاهدات المعروفة التي أبرمتها جنوة مع بلاد المغرب (Jehel, *Les Gênois*, p. 21 et suiv.). يلف الغموض العلاقات الجنوية المغربية قبل منتصف القرن السادس (12م). غير أن معلوماتنا تتراكم عنها أكثر بعد هذه الفترة، وخاصة في جانبها التجاري، بفضل العقود التي كتبها بعض الموثقين الجنويين. أقدم هذه العقود كتبها جون سكريب John Scribe (1154 . 1191)، ثم تليها عقود غليوم كاسنس Guglielmo Cassinese (1190 . 1192) وعقود جيوڤاني دي غوبيرتو (Giovanni di Guiberto (1200 . 1206) وسنة 1211 (Balletto, p. 6).

وقد استمرت العلميات البحرية المتبادلة بين جنوة والمغرب، مع قيام الدولة الموحدية أبرزها عملية سنة 1154، وذلك لما اعترضت سفن للموحدين Massamutins كما تسميهم المصادر الجنوية ـ سبيل سفينة جنوية كانت عائدة من الإسكندرية (Lopez, *Studi*, p. 11). ويمكن القول إن حضور الجنويين بالمغرب قبل توقيعهم معاهدة 1161 مع عبد المومن بن علي كان ضعيفاً، إذ كانت معظم الرحلات التي تقوم بها السفن الجنوية نحو المغرب تتم بعد رجوعها من المشرق (*Studi*, p. 22).

لقد شكلت معاهدة سنة 1161 منعطفاً في العلاقات الجنوية المغربية إذ وسعت من أفق التجارة الجنوية بالدولة الموحدية وكرست تفوق الجنويين على حساب البيزيين (Mascarello, p. 65). نصت هذه المعاهدة على تخفيض الضرائب الجمركية المفروضة على الجنويين بالموانئ الموحدية من 10٪ إلى 8٪ باستثناء بجاية التي تم الاحتفاظ فيها بها بنسبة 10٪، كما نصت على أن تستفيد كومونة جنوة من خمس الضرائب الجمركية المستخلصة من ميناء بجاية (Krueger, p. 379). امتدت صلاحية معاهدة 1161 لمدة 15 سنة، ثم جدد العمل بها عقب سفارة أو برتودي نيغرو Oberto de Nigro وغليوم زربينو Guglielmo Zerbino اللذين وصلا إلى سبتة في سنة 1191 (Krueger, p. 379).

كان ميناء سبتة أهم ميناء مغربي ترتاده السفن الجنوية، إذ كان يستقطب نصف الاستثمارات التجارية الجنوية ببلاد المغرب في الربع الأخير من القرن السادس (12 م)، وكانت سلا آخر مركز وصلت إليه السفن الجنوية بالمغرب الأقصى خلال هذه الفترة (Schaube, 340 - 339). واستمرت سبتة في الحفاظ على ريادتها ضمن الموانئ التي تعامل معها الجنويون بالدولة الموحدية في الربع الأول من القرن السابع (13 م)، وكان ترتيب هذه الموانئ ضمن الاهتمامات التجارية الجنوية كالتالي : سبتة، تونس ثم بجاية (Balletto, p. 8).

لعل من أهم ما طبع حضور الجنويين بالدولة الموحدية خلال النصف الأول من القرن السابع (13 م) مساهمتهم في بعثات تبشيرية بالمغرب وقيامهم بحملة عسكرية على سبتة.

ففي 10 أكتوبر 1227 قتل سبعة مبشرين فرنسسكانيين بسبتة لاشك في أن بعضهم كان من الجنويين. لقد كان البابا إينوسان الرابع جنوياً من أسرة فيسكي Fieschi، ومن المعلوم أن عدة بابوات أرسلوا رسائل إلى الخلفاء الموحدين تهم الحضور الديني والتجاري للجنويين بالدولة الموحدية. وقد صدرت هذه الرسائل من هنوريوس Honorius III في 1226 وغريغوار التاسع Gregoire IX في 1233 و1237 وإينوسان الرابع Innocent IV في 1246 و1251 (Jehel, *Studi Magrebini*, p. 68) أما عن الحملة الجنوية على سبتة فقد انطلقت مع تدخل الجنويين بها لما دبَّ الصراع بين الخليفة الموحدي الرشيد وأبي العباس اليانشتي الذي بايعه أهل سبتة حاكماً عليهم. وقد وصل السفير الجنوي جاكوبودي مارينو Jacopo de Marino إلى سبتة في 1233. غير أن الحوليات الجنوية لاتفصح عن أهداف ونتائج هذه السفارة. وبدون شك فإنها كانت ذات علاقة مباشرة بوضعية الجنويين بسبتة عقب الصراع الذي تجدد بين الموحدين وأهل المدينة الذين بايعوا اليانشتي (Di Tucci, p. 278).

وبينما كانت سبتة تنعم بالاستقرار والرخاء على عهد اليانشتي، تعرضت لهجوم في أواخر ذي القعدة عام 631 / منتصف غشت 1234 من طرف جنود مسيحيين تسميهم المصادر اللاتينية بكلكيرني Calcurini. وقد فر بعض الجنويين من سبتة باتجاه مالقة حيث جهزوا سفينتين على متنها 600 فارس للهجوم على سبتة، بينما فر البعض الآخر منهم إلى جنوة. وبموازاة مع ذلك طلب اليانشتي مساعدة الجنويين لمواجهة كلكيرني مقابل الالتزام بتغطية نصف تكاليف الحملة (Lopez, *Studi*, p. 13). غير أن كلكيرني انسحبوا من سبتة قبل وصول الأسطول الجنوي الذي كان قد أقلع من جنوة في شتنبر 1234. وبعد هذا الانسحاب اشتط الجنويون في مطالبتهم اليانشتي بالتعويض عن الخسائر التي لحقت بهم من جراء مساهمتهم في إنقاذ المدينة (Di Tucci, p. 282). وقد تشكك اليانشتي في نوايا الجنويين الذين راموا السيطرة على سبتة، فاستنفر القبائل المحلية

التي نهبت وأحرقت فندق الجنويين بها ( ابن عذاري، ص 350). وبعد فشل المفاوضات بين اليانشتي والجنويين بعث هؤلاء أسطولا مؤلفا من 120 قطعة تحت قيادة أو غني ليركاريو Ugone Lercario أواخر مارس 1235. وبحكم عدم تكافؤ القوة العسكرية بين الطرفين قبل البانشتي التفاوض مع الجنويين للانسحاب من المدينة والتوقيع على صلح مقابل 400 ألف دينار ذهبي كتعويض عن خسائر الجنويين (Latrie, p. 151). وهكذا ساهمت حملة الجنويين على سبتة في توطيد حضورهم بها أكثر من أي وقت مضى (Schaube, p. 350).

إن أول إشارة إلى تعامل المرينيين رسمياً مع جنوة بعد أن انفردوا بحكم المغرب الأقصى تتعلق بارسال سفارة إلى أبي يعقوب لما كان بحصن تازوطة، يصف ابن أبي زرع هدية السفير الجنوي بأنها "هدية جليلة فيها شجرة مموهة بالذهب عليها أطيار تصوت بحركات هندسية مثل ما صنع للمتوكل العباسي" ( *القرطاس*، ص 382).

ومن المفيد الإشارة إلى أن هذه السفارة قد جرت في نفس السنة (1291) التي قام خلالها الأخوان الجنويان ڤيڤالدي Vivaldi انطلاقاً من أسفي بمحاولتهما الفاشلة لتجاوز رأس بوجدور. ومن المعلوم أن أسفي كانت آخر نقطة وصل إليها الجنويون على المحيط الأطلسي في القرن السابع (13 م) (Ciasca, p. 450). وفي سياق السفارات المتبادلة بين المغرب وجنوة تتحدث وثيقة ميورقية عن تقديم حاكم جزيرة ميورقة سنة 1346 إذنا بالمرور لسفير مغربي كان عائداً من جنوة باتجاه المغرب (Dufourcq, *Aperçu*, p. 730)، غير أننا لانعلم مرة أخرى الهدف من هذه السفارة.

لقد كان عهد أبي عنان أكثر عهود الدولة المرينية انفتاحاً على الأوربيين، بدليل أن أهم المعاهدات المرينية المبرمة مع الدول والمدن الأوربية تمت خلال فترة حكمه. في هذا الصدد عقد الجنويون معاهدة سلم وتجارة مع أبي عنان حددت نسبة الضرائب الواجب على الجنويين أداؤها بالموانئ المرينية، كما نصت على توقيت عمليات القرصنة التي كان يقوم بها الجنويون على المغرب (فيض العباب، ص. 30).

نظراً لحاجة الجنويين المتزايدة إلى الذهب السوداني المجلوب عبر المغرب. ومع منتصف القرن الثامن (14 م) فإن الحضور الجنوي لم يعد مقتصراً على الموانئ، بل استقر بعض الجنويين بالمناطق الداخلية مثل سجلماسة للتزود بالأخبار المتعلقة بتجارة القوافل (Meunié, T. 1, p. 404).

ورغم الضعف الذي ألم بالمغرب عقب اغتيال أبي عنان، يبدو أن الجنويين استمروا في تأكيد حضورهم به. يذكر الوزان أن التي على الوادي في بني عمير في الطريق إلى فاس "بنيت حسب تصميمات معلم جنوي كان تاجراً مقرباً كثيراً إلى الملك في ذلك العهد" أبو سعيد الثالث (800 - 823 هـ) (ج. 1 ص. 220). حرصت جنوة على ربط علاقات تجارية مع المغرب لحاجتها الماسة إلى بعض المواد، وخاصة منها المواد التي تدخل في الصناعة النسيجية. وتجدر الإشارة هنا إلى نوع جيد من الصوف متميز بليونته يرد بالوثائق الجنوية تحت اسم مرينوس Merinos، وحسب بعض الدارسين فإن هذه التسمية مقترنة باسم المرينيين (Renouard, *Etudes*, T. 1, p. 398). كما استورد الجنويون من المغرب الحبوب والنيلة والزيوت وشمع العسل والتمور والشب والجلود المدبوغة وغير المدبوغة (Pegolotti, p. 273 et suiv.) والمرجان (Schaube, p. 344) والسكر (Ferhat, p. 273) والذهب (Lopez, *Studi*, p. 55). وقد شكلت الحبوب والجلود ثابتا من ثوابت الصادرات المغربية نحو السودان. فبخصوص الجلود يذكر الوزان أنه كان يقام بإحدى جبال الهبط "يوم السبت سوق كبير يؤمه مختلف التجار بمن فيهم الجنويون لشراء السلع وجلود البقر لإرسالها إلى جنوة" (ج 1 ص 248). أما واردات المغرب من جنوة فكانت تتمثل في التوابل المشرقية (Krueger, p. 386) والحرير والقنب والزرابي البغدادية (Schaube, 344) والخمور (Jehel, *Les Gênois*, p. 344). وقد استمرت العلاقات التجارية بين المغرب وجنوة في العصور الحديثة. ففي القرن الحادي عشر (17 م) كانت سفن جنوة تحمل الثياب وغيرها من منتجات أوربا لتشحن بسلا الحبوب والجلود وغيرها من المواد (حركات، 2 : 432).


ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن الحاج النميري، *فيض العباب*، تح. محمد بن شقرون ؛ ابن عذاري، *البيان*، *قسم الموحدين* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج. 1 ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، ج. 2.

L. Balletto, *Da Genova al Maghreb 1222 - 1226, archivo storia Sardo di Sassari*, 1982 ; R. Ciasca, *Un centro marocchino del traffico genovese nel Medio Evo, Rivista internazionale di scienze sociali*, T. XLIII, fasc. 4, 1935 ; R. Di Tucci, *Documenti inediti sulla spedizione e sulla Mahona dei Genovesi a Ceuta*, Gênes, 1935 ; Ch. Dufourcq, *Aperçu sur le commerce entre Gênes et le Maghrib au XIII siècle*, in *Mélanges offerts à E. Perroy*, Paris, 1973 ; G. Jehel, *Les Gênois en Méditerranée Occidentale, fin XI - début XIV siècle* Paris, 1993 ; Ibid, *Gênes et le Maghreb au Moyen Age, Studi Maghrebini*, XXII, Napoli, 1990 ; H.C. Krueger, *Genoeve trade with North Africa, Speculum*, VIII, 1933 ; R. Lopez, *Studi sull' economia genevese nel Medio Evo, I Genevesi in Africa occidentale*, Turin, 1936 ; A. Mascarello, *Quelques aspects des activités italiennes dans le Maghreb médieval, Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb*, Alger, N. 5, 1968 ; B. Pegolotti, *La Pratia della meratura*, éd. Allan Evans, Cambridge (Mss), 1936 ; H. Ferhat, *Sabta des origines au XIV siècle*, Rabat, 1994.


**الجنوي، أحمد**، قائد سلوي تجهل مدى قرابته من القائد الشهير سعيد الجنوي المتوفى سنة 1065 / 1655 ؛ وإن كانت المعطيات تدفعنا إلى الاعتقاد بوجود تلك القرابة، لكونه القائد المتولي أمر مدن مصب أبي رقراق بعد سعد، تحت اشراف الأمير عبد الله الدلائي، والمتولي شؤون القصبة عقب مغادرة هذا الأخير للمنطقة تحت ضغط الخضر

غيلان سنة 1071 / 1661. وقد مكث أحمد الجنوي بالقصبة إلى حين اضطراره لتسليمها إلى غيلان في 24 صفر عام 1073 / 8 أكتوبر 1662.

وقد قام غيلان بترك شؤون القصبة تحت تصرف أحمد الجنوي، بمساعدة الحامية السوسية المستقرة بها منذ سنة 1048 / 1638، إلى أن بدا له اتخاذ إجراءات جديدة لتقوية سلطة أخيه ونائبه عن المنطقة، فقام بطرد الحامية والقائد الجنوي سنة 1076 / 1665.

De Castries, *S.I.H.M.*, 1ère série, Pays Bas, T. VI, p. 625.

حسن أميلي

**الجنوي، رضوان** بن عبد الله، ولد بتطوان أو فاس عام 912 / 1506 ويسلك مؤرخو التصوف المغربي الشيخ رضوان بن عبد الله الجنوي ضمن أعلام الطبقة الثالثة من الجزولية، ومقابل هذا اليسر والوضوح في تعيين رتبته من السلسلة الشاذلية، ودرجته في فرعها الجزولي، باعتبار أخذه عن الشيخ عبد الله الغزواني (ت. 935 / 1529)، هناك حيرة عظيمة وتردد كبير في تقدير مكانته ليس في تاريخ التصوف المغربي فحسب، بل وفي تاريخ التصوف الإسلامي بوجه عام : فهذا تلميذه محمد القصار (ت. 1012 / 1604) يقول إن أبا النعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت. 430 / 1039)، مصنف *حلية الأولياء وطبقة الأصفياء*، لو أدرك الشيخ أبا النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي لجعله في صدر حليته المقصورة على الخلفاء الراشدين وباقي العشرة المبشرين بالجنة ومن داناهم من زهاد الصحابة وأهل الصّفّة، أو مع أويس بن عامر القرني (ت. 37 / 657) سيد الطبقة الأولى من التابعين. ويرى معاصر آخر للشيخ رضوان الجنوي من علماء الوقت أن الزمان لم يسمح بمثله من عهد الشيخ محمد بن عباد الرندي (ت. 792 / 1390) أشهر صوفية المغرب خلال المائة الثامنة للهجرة، وهذا رأي يكسف بدر الشيخين محمد بن سليمان الجزولي (ت. 870 / 1466 ـ5) وأحمد رزوق (ت. 899 / 1493)، اللذين انتشرت الشاذلية من طريقهما، ويعد الشيخ رضوان الجنوي من أتباع أتباعهما. ويشهد معاصره القاضي عبد الواحد الحميدي (ت. 1003 / 1595) أنه لم ير أحسن منه في الصلاح في عصره، كما يقرر الثائر أحمد بن أبي محلي (ت. 1022 / 1613) أنه ليس في الوقت من يُقتدى به غيره. ولا يشذّ عن الإجماع على شهرة دين وصلاح وعلم الشيخ رضوان الجنوي سوى معاصره محمد بن عسكر (ت. 986 / 1578)، الذي يقصيه من *دوحة الناشر* التي صنفها في مشاهير القرن العاشر الهجري، ولا عبرة بهذا الاستثناء المحكوم بظرفه السياسي المحموم، والذي لم يمنع الناس من إفراد المجلدات والأسفار في مناقب وكرامات وأحوال الشيخ رضوان الجنوي.

تمتاز سيرة الشيخ رضوان الجنوي بالأثر القوي لحدث النشأة فيها، وهو أمر قل نظيره في سير أعلام التصوف، التي تظل المراحل المبكرة منها والسابقة للاشتهار بالصلاح هملاً، فما بالك بالنشأة الأولى. وإنها لنشأة عجيبة حقاً : فالأب نصراني من مدينة جنوة الإيطالية، انطلق فرسه ذات ليلة من مربطه وخرج يدور في أزقة المدينة وهو يعدو خلفه، إلى أن دلف إلى كنيسة وجدها مشرعة الأبواب، فدخل باثرة متخوفا أن يشعر به سدنتها فتلحقه منهم اذاية، فأخرجه ورده إلى مربطه كما كان، وهو في ذلك لم يتلاق بأحد ولا أبصره أحد ؛ فلما أصبح النهار وجد جنوة تقوم وتقعد بأهلها والناس في فرح عظيم، فسأل عن ذلك فقيل له إن المسيح جاء البارحة على فرسه إلى الكنيسة المعلومة فراث فرسه فيها، وأن الناس يزدحمون على ذلك الروث حتى بيع قدر الذرة منه بمال جزيل، فعلم أن النصارى على ضلال، فهجر وطنه في حدود عام 890 / 1485، ونزل بثغر تطوان الذي جدد بناءه في تاريخ قريب المهاجرون الأندلسيون الذين نزحوا إلى المغرب قبيل سقوط مملكة غرناطة، فأسلم وتسمى عبد الله، ثم انتقل إلى فاس واتخذها داراً. أما الأم فيهودية أندلسية، هاجرت إلى المغرب إثر انهيار دولة الاسلام بالأندلس، فأسلمت وتزوجها عبد الله الجنوي، فولد له أولاد عدة، منهم صاحب الترجمة الذي ولد عام 912 / 6 ـ 1507. ولا نعلم السن التي كان عليها رضوان يوم خروج والده للحج، وهو خروج لم تعقبه عودة، إذ انقطع خبره ولم يقف أحد على حقيقته، فقيل إن النصارى أسروه فعرفوه وأحرقوه، وقيل حج ومات بالبلاد المشرقية.

وكانت عواقب الانتساب إلى هذا البيت ستكون خفيفة الوطأة، غير بعيدة الأثر، لو لم تختص فاس خلال هذا العصر بظاهرة التعصب ضد حديثي العهد بالإسلام من اليهود والمسيحيين، ولمزهم وتعييرهم بتسميات المهاجرين والإسلاميين والبلديين والعوام والعلوج، ولم يكن الاشتهار بالعلم أو الصلاح ليعلو على النسب، ولبث العلماء الفاسيون الذين عرف أصلهم اليهودي مرهقين تحت ضغطة بني جنسهم المتعصبين الساعين في تأخيرهم وحرمانهم من المناصب الشرعية السامية كالقضاء والفتيا والإمامة والخطابة، ولو تعدد أجدادهم المسلمون، فما بالك بالشيخ رضوان الجنوي الذي لم يسبق الإسلام إلا في والديه فقط، ويتسمى باسم رضوان الشائع في الأعلاج، ويتلقب بالجنوي رغم أنه فاسي الدار والمنشأ والولادة والوفاة. ويعبر الشيخ رضوان الجنوي عن نشأته هاته بقوله "خرجت من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين"، وهو اقتباس من الآية السادسة والستين من سورة النحل "وان لكم في الأنعام لعبرة، نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين"، وفيه تشبيه بين نشأته وخلق اللبن في مكان وسط بين الدم والفرث الذي هو فضالة العلف في الكرش وتفله، وخروجه خالصا صافيا ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث، مع شدة الاتصال والاكتناف.

وكما لم يكن للشيخ رضوان الجنوي خيار في نسبه الطيني، كذلك لم يكن له خيار في نسبه الديني. وإذا كانت سيرته تنحو إلى القول بسبق الولاية والصلاح له في الأزل، وتحتج برؤيا حصلت لوالده وعبرت بأنه يلد ولداً صالحاً، وإذا كان العصر عصر روحانية وتصوف، يوافق أمثاله من ذوي النفوس المرهفة، ويرشحهم للصدارة والزعامة، فإن انتسابه إلى التصوف ورجاله، واهتداءه إلى عمدته في الطريق، ولقاءه بشيخه الذي لم يتشوف لمخلوق سواه حيّاً كان أو ميتاً قبل أن يقضي نحبه عام 935 / 1529، ونعني به الشيخ عبد الله الغزواني، كل ذلك تمّ دون قصد منه ولا سابق تدبير : وقد استقر الغزواني بفاس ما بين عامي 919 و927 / 1513 و1521، وخلال هذه الثماني سنين، التي درج فيها رضوان من طور الطفولة إلى طور المراهقة، تم اللقاء الأول بينهما، في لحظة غير معلومة من هذه المدة، وفي وقت كان الشيخ الغزواني يتوضأ بزاويته الكائنة باب القليعة، فوجد أمامه رضوان الطفل أو المراهق، فرشه بغرفة من ماء وضوئه، فاختصرت هذه الرشيشة ـ التي للشيخ رضوان فيها أمداح ـ أطواراً مديدة من أعمار رجالات التصوف، تنقضي في البحث عن الشيخ العمدة وتصرف في دروب الاهتداء إليه.

واتخذ الشيخ الغزواني داراً مراكش التي ستخضع قريباً من مقامه بها للسعديين في حدود عام 930 / 1524، الذي يؤرخ لاشتعال فتيل الحرب بينهم وبين الوطاسيين، الذين بادروا إلى حصارها دون أن يتمكنوا منها. ورغم ضلوع الشيخ الغزواني في فشل ريح الوطاسيين، الذين لم تعد جيوشهم تتعدى تادلا وأحوازها بعد ذلك، ولم يعد لهم وصول لمراكش ولا بلوغ لأرباضها، فإن رضوان وهو في إبان حداثته سيستخف ببطش حكام فاس، وسيدفعه تشوفه إلى زيارة الشيخ الغزواني وتطلعه إلى صحبته إلى أخذ السمت إلى مراكش في رفقة من زواره، وسيدخلها في غرة شعبان عام 935 / أبريل 1529، وقد نيف على العقدين من عمره.

وكأن رضوان ألهم عندما لم يستطع على لقاء شيخه صبراً، ذلك أن الأجل لم يمتد بالشيخ الغزواني إلى ما بعد الشهر الرابع من تاريخ صحبته له، وقضى نحبه يوم ثامن ذي الحجة عام 935 / 12 غشت 1529. ورغم قصر أمد هذه الصحبة، التي لم تعمر أكثر من الثلث الأخير من العام المذكور، فإن رضوان قد انجمع خلالها بهمته على شيخه، ولازم طاعته وخدمته، واستغرق في مشاهدة طلعته وأحواله، واستغنى بوجوده عن غيره، حتى إنه استعفى من زيارة ضريح الشيخ أبي العباس السبتي كبير صلحاء مراكش. ولم تخف على الشيخ الغزواني مواهبه، فلم يكلفه بشيء مما كان يأمر به أصحابه من أعمال الحراثة والفلاحة والغرس، وتركه على حاله واشتغاله بالقراءة والنسخ، بل قدمه للصلاة به وبأصحابه. ومكث رضوان بمراكش عام 936 / 29 ـ 1530 بتمامه، متسليا عن وفاة شيخه بالقراءة وطلب العلم، على خفوت جذوة الحياة العلمية بهذه الحاضرة على هذا العهد.

وستؤذن أوبة رضوان إلى فاس في مطلع عام 937 / 1530 ببداية طور نشيط من سيرته، انتسب خلاله إلى العديد من الصوفية الأعلام، وتتلمذ أثناءه على جملة من العلماء الأعيان، متنقلا ما بين حلقات العلم بالمدارس والمساجد وحلقات التصوف بالزوايا، وزائراً المعاهد العلمية القريبة من الحاضرة الإدريسية، ومكاتباً من بعد من المشايخ الذين يطلب علمهم الظاهر والباطن ؛ فاتسعت دائرته في الطريقة الشاذلية، وتعدد الأسانيد التي تصله بالامام الشاذلي (ت. 656 / 8 ـ 1259)، من طريق الشيخين الجزولي وزروق معاً، وإن كانت أسانيده في الزروقية أوسع من أسانيده في الجزولية. أما السند الذي يذكره له تلميذه القصار في *فهرسه*، والذي يصله بالشيخين عبد القادر الجيلاني (ت. 561 / 1167) وأبي الحسن الشاذلي، فليس من أسانيد القوم، وإنما هي رواية محضة على العادة في رواية الكتب.

وأول من انتسب إليه الشيخ رضوان بعد عودته إلى فاس الشيخ محمد بن علي الهراوي الزمراني المعروف بالطالب (ت. 964 و965 / 1557 و1558)، المتصدر يومئذ لمشيخة زاوية القليعة الغزوانية ؛ ثم أخذ عن الشيخ محمد ابن علي المعروف بالحاج الشطيبي (ت. 963 / 1556)، المنقطع بمدشر تازغدرة من قبيلة بني زروال، وعن يحيى بن بكار الغمدي (ت. 960 أو 961 / 1552 أو 1553)، الذي هاجر إليه بأهله بجبل وبلان فراراً من الفتنة التي اشتعلت بفاس وقد طرق السعديون أبوابها تمهيداً لدخولها عام 956 / 1549 ؛ وعن الشيخ محمد بن جلال المغراوي التلمساني (ت. 981 / 1574)، الذي استوطن فاساً عام 958 / 1550 ؛ وعن الشيخ محمد بن علي الخروبي الجزائري (ت. 963 / 1556)، الذي دخل المغرب أول مرة عام 959 / 1552.

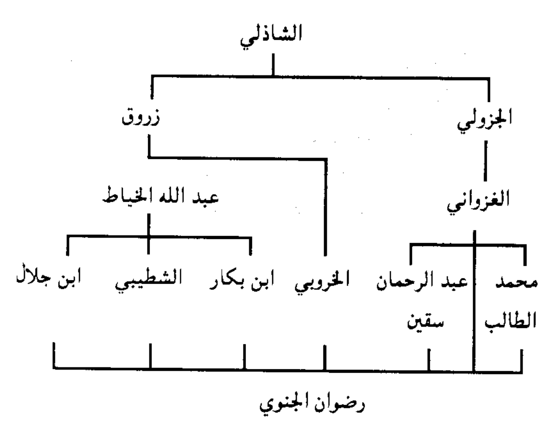


ولا يجحد الشيخ رضوان الجنوي منة أحد من مشايخه، ورغم أنه يتساوى مع محمد الطالب في الأخذ عن الغزواني، فإنه صحبه حين وجد الفقراء بزاوية شيخه الكائنة

بباب القليعة قد اجتمعوا عليه، وأقامه في الصحبة مقام شيخه زمناً طويلاً، وفي ملازمته كانت شدة مجاهدته وخدمته ؛ وكان إذا ذكر شيخه الشطيبي يعظم أمره ويجل قدره ؛ وظل يكاتب شيخه الخروبي ويستفتيه في أمور التصوف وقد بلغ فيه ما بلغ، لكنه مع ذلك يرى أن نفعه إنما حصل من شيخين دون غيرهما، وهما الغزواني وعبد الرحمان سقين (ت. 956 / 1549)، اللذان يقول فيهما : من أعظم النعم معرفتي بالشيخين الغزواني وسقين، فإن الغزواني حرث وغرس وسقين سقى ونقى". وإذا كان نفع الشيخ الغزواني يتصل بالجانب الصوفي من شخصيته، فإن نفع الشيخ سقين يتصل بالجانب العلمي منها، وما كانت رئاسة علم الحديث وإمامة المحدثين لتنتهيا إليه في وقته، ويستجيزه كبراء عصره وعلى رأسهم السلطان أحمد المنصور الذهبي (ت. 1012 / 1603)، لو لا ملازمته لشيخه سقين محدث المغرب وراويته في زمانه، واختصاصه به السنين الطويلة محصلاً ما عنده من علم ورواية وسند متصل بالحافظ أحمد بن حجر (ت. 852 / 1448)، عن إبراهيم القلقشندي (ت. 922 / 1516)، وزكريا الأنصاري (ت. 925 / 1519)، وعبد العزيز بن فهد (ت. 922 / 1516)، ومحمد السخاوي (ت. 902 / 6 . 1497) ؛ وهو أعلى سند في علم الحديث وروايته في المغرب من تاريخه إلى هلم جراً.

ولا يتسع مقام هذه المادة لبسط السيرة الروحية للشيخ رضوان الجنوي، وإبراز أثرها البعيد والمتميز في تاريخ التصوف المغربي خلال القرن العاشر (16 م) وهو أثر لا تنظر إليه المصادر خارج سياق تاريخ الطريقة الشاذلية العام، وترى أنه يؤرخ لطور نهوض بعد كبو وعثار، وإحياء رسوم مندرسة الآثار، واشعاع بعد خبو أنوار. ومن الحق أن السند الصوفي للشيخ رضوان الجنوي شاذلي محض لا يتشعب إلى أية طريقة أخرى غير الطريقة الشاذلية، وأن التأسي بالامام الشاذلي واضح في سيرته كالنهار لا يحتاج إلى دليل، وإنه اختص بزيارة ضريح شيخه عبد السلام بن مشيش (ت. 622 / 1225)، ودأب على التردد إليه شاباً وكهلاً وشيخاً، وتلك آيات على محبته في الشاذلي وشيخه ابن مشيش، وتعلقه بمزار جبل العلم القريب الذي يستحضر فيه نفحات مراز صحراء عيذاب البعيد.

ولما كانت الطريقة الشاذلية تقول بتنوع الطرق إلى الله، وبمبدأ الاستحسان الي يقرُ حق الصوفي في الاختصاص بالطريق الذي يتفق مع قدرته واستعداده الطبيعي، فلا عجب إذا ما اقتربت السيرة الروحية للشيخ رضوان الجنوي من صور الزهد الإسلامي في عهوده الأولى، وشابهت سير كبار "الخائفين" و"البكائين" من أهل القرنين الأول والثاني للهجرة، والذين سلك مسلكهم في شدة الخشية والخشوع وكثرة البكاء. ومناسبة البكاء مسترسلة في يومه لا تكاد تنقطع، لارتباطها بسماع القرآن وانفعاله لمعانيه انفعالاً عظيماً، فيقف في أثناء القراءة يبكي، ولا يرتفع البكاء عنه إلا بعد مدة، سواء كان يستمع إلى بعض طلبته في درس القراءات، أو كان يرتل في الصلاة والناس خلفه قيام، ومن ثم أطلق عليه شيخه سقين تسمية رضوان البكاء، كما كانت تصدر عنه في بعض الأوقات - إذا كان في القراءة أو غيرها - صيحة عظيمة لغلبة الوجد عليه.

وتجسد صورة رضوان البكاء عرامة شخصيته الصوفية، وتلخص أثرها المتميز والبعيد في تاريخ التصوف المغربي خلال القرن العاشر (16 م) ليس لاستلهامها من خصائص الحياة الروحية التي عرفتها العهود الإسلامية الأولى فحسب، بل ومن تعبيرها عن مشاعر وعواطف مغاربة هذا القرن، والتي سمتها الخوف الذي ترتب عن تمثل ذهني وانعكاس نفسي لأحداث العصر الجسيمة، من تفرق أمر المغرب أيادي سبأ، وتمكن حملة الصليب من أكنافه، وتواتر الطواعين والقحوط والمجاعات بأرضه، ودخول أهله القرن العاشر الذي استوى خاصتهم وعامتهم في الاعتقاد بانتهاء عامه الألف بفناء الدنيا وأفول دولة الاسلام. فاستقر في الأذهان والنفوس أن سوء الحال وتسلط الجور من الحكام وظهور أعداء الاسلام ما هو إلا بوء بغضب من الله، لفساد الزمان وأهله من الخاصة والعامة، وللتهاون في أمر العقيدة والدين. واتخذ واقع المغرب الحالك، على المستويين الذهني والنفسي، صورة عقاب الدنيا الذي يسبق ويمهد لعقاب الآخرة الأشد والأنكى، وما أقرب الآخرة من الدنيا في تصور واعتقاد مغاربة القرن العاشر ! فتكون الصورة السائدة التي رسمها القائمون على الرئاسة الروحية لأتباعهم عن أنفسهم هي صورة العبد السوء الذي لا يحق له أن يقف من الخالق إلا موقف الوجل الخائف، والذي لا بد له أن يحقق في معاملته مع الله الخشية من عقاب الدنيا والرهبة من عقاب الآخرة، لبؤس يومه وغده، وكان الخوف الذي رنق على أذهان وأفئدة أهل هذا العصر السمة البارزة للعبادة التي كانوا يعبدون. وإذا كانت مدرسة "الخائفين" و"البكائين" قد أعقبتها مدرسة "المحبين" في تاريخ التصوف الإسلامي، فإن ظهور الشيخ رضوان الجنوي بالخوف والبكاء، قد تم في خضم تيار المحبين الذي عملت الطريقة الراشدية على إحيائه ونشره في المغرب منذ فجر المائة العاشرة للهجرة.

ولما كان الاستحسان أساس الصورة الروحية المتميزة والقوية التي اشتهر بها الشيخ رضوان الجنوي، وهو مبدأ مشروط في الطريقة الشاذلية بالتقيد بالشريعة، فإنه "كان كله شريعة" كما قال الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي (ت. 1013 / 1604)، وما دام قد بنى المعاملة بينه وبين الخالق على الخشية والمراقبة، فمدار العبادة عنده على الطاعة الكاملة والاتباع الشديد لأحكام الشرع وآداب السنة، وقد عبر عن درجة ترسمه بالشريعة بقوله "لو مثلت لي الشريعة بين يدي كأنها دار أو حصن، وقيل لي اختر لنفسك يا رضوان إما أن تهتك هذا الحصن وإما أن يجز

عنقك، لقلت يجز عنقي ولا أسقط منه مقدار ذرة من التراب". فاتسمت أحواله كلها بالصدق قولاً وفعلاً، وما لم يظهر لأصحابه وجهه من ذلك سألوه فأخبرهم لعلمهم أنه لا يتحرك ولا يسكن إلا بوجه صحيح.

ومن ثم أقبل الشيخ رضوان الجنوي على الأعمال عبادات وطاعات، في يقظة وعدم غفلة أو فتور، مع مراعاة الأوقات، وشدة الورع في التصرفات، والابتعاد عن الرخص، والإقبال على الجد. فباع نومه بالسهر، وعمر أوقاته بالصلاة والتلاوة والذكر، وحافظ على استعمال الأوراد والأذكار والأدعية المختلفة باختلاف الأحوال ؛ وأفنى عمره في التدريس، فتأدب على يديه صبيان الحاضرة الفاسية، وقرأ عليه أعيان الدولة السعدية، واختص في علوم الحديث والتصوف والقراءات والفقه وقواعد اللغة ؛ وعكف على المطالعة والتأليف والتقييد والنسخ ؛ وتصدر في نفس الآن لتربية السالكين وتهذيب المريدين وكشف مشكلاتهم وتفصيل أحوالهم ؛ وبادر إلى رد المظالم ؛ وغير ذلك مما لا يمكن حصره من أعمال حياة مليئة الأوقات بمختلف أنواع الطاعات والعبادات، وقد صور الشيخ رضوان الجنوي مقدار استغراقه في هذا الشأن بقوله "أوقاتنا والحمد لله معمورة ولو قيل لي غداً تموت لم أجد مستزاداً".

وظهور الشيخ رضوان الجنوي بالأعمال والطاعات إخلاصاً وصدقاً، لم يمنعه من إسقاط الشهرة بجميع مظاهرها والدعاوي بجميع أنواعها محواً للرياء ومجاهدة للنفس : فاستعفى حين عرض عليه شيخه سقين أرضاً تحرث بخمسة أزواج، قصد تأسيس زاوية يجمع فيها المريدين ويطعم بها الواردين، ولو استجاب لألقى حجرعشرة في طريق بيت بني الجد، وذهب بحظوظ الزاوية الفاسية في الظهور والاشتهار. وتبرأ من دعوى الشيخوخة، ونهى أتباعه عن الاعتقاد في صلاحه، ودأب على مخاطبتهم يا أصحاب ويا إخوان، وجعلهم أنداداً، ورأى أنه إنما يتعاون معهم على الدين وليس لهم بشيخ. ولم يترك أحداً يقبل يده، وكان يقول "ما يمد يده للتقبيل إلا أحد ثلاثة، مأذون أو مجنون أو طرمون، ولست بواحد منهم"، والطرمون في العامية المستهزئ بالناس. ولم يرم ربط الصلات مع كبار الصوفية والعلماء المشارقة الذين سمعوا به وتشوفوا إليه، مثل الشيخ محمد البكري (ت. 994 / 1586)، الذي بعث له بكتب من مصر، وشاركه مكاتبة في إجازة تلميذيه الشهيرين السلطان أحمد المنصور والإمام محمدالقصار. كما لم يوافق نفسه على حظ من الحظوظ الدنيوية من جاه أو مال، فانتحل أسباب معاشه من أجر التدريس ونساخة أمهات كتب الحديث بخطه الذي كان في غاية الجودة والرونق. وتورع عن أخذ المال الذي بيد الحكام سواء كان وقفاً أو هبة، بل تحرى أن يأخذ أجراً من الصبية الذين يترددون على مكتبه للتعلم والذين يعلم أن آباءهم يتولون خططا مخزنية.

وإدبار الشيخ رضوان الجنوي عن الدنيا وأهلها هو الذي يفسر ضمور الدور السياسي في سيرته، فرغم أنه عاش أكثر من نصف عمره في كنف الدولة الوطاسية، فإنه لم تعرف له مشايعة لأمرائها، ولا مشاركة في مجريات الصراع الذي دار بينهم وبين الشرفاء الزيدانيين، بل إنه هرع إلى مراكش وقد خضعت للسعديين، وهو في إبان حداثته، تشوفاً إلى زيارة وصحبة الشيخ الغزواني خصيم الوطاسيين، ولم تمض خمسة شهور على مقامه بها حتى وقعت الهزيمة على الجموع الوطاسية بأنماي، وذلك في شهر ذي القعدة من عام 935 / شتنبر 1529، شهراً واحداً بعد وفاة الشيخ الغزواني. وكذلك خرج الشيخ رضوان الجنوي بأهله إلى جبل وبلان وهاجر فاساً لما حاصرتها الجيوش السعدية عام 956 / 1549، معبراً بذلك عن اعتزاله للفريقين، وعدم اقتفائه لأثر شيخه الغزواني في تشيعه للسعديين.

وإذا كنا نجهل موقف الوطاسيين من الشيخ رضوان الجنوي، فإننا نعلم أن السعديين قابلوا إعراضه وزهده بالإقبال الشديد عليه والرعي الكبير لجانبه. وقد بذل السلطان محمد الشيخ (ت. 964 / 1557) ما في وسعه لاستمالته والتقرب إليه : فمباشرة بعد ظفره بفاس أول مرة عام 956 / 1549، وافق علماءها على تولية الشيخ رضوان على العدول المنتصبين بها للشهادة، وأن لا تصح البينة إلا بموافقته، وأنه هو الذي يقبل من أحب ويترك من أحب، وكتب له بذلك على جهة الجبر، وبعث له بكتابه مع الشيخ محمد اليسيتني (ت. 959 / 1551)، في رهط من أعوانه، فأنف ؛ ووصله بقسط من الهبات التي وزعها على العلماء والطلبة، فامتنع من أخذها ؛ بل إنه تشوف إلى مقابلته ورؤيته، وأرسل له في ذلك مع ابن شيخه محمد بن يحيى ابن بكار الغمدي (ت.975 / 1567)، فلم يجبه إلى طلبه.

ولا نعلم مصدر البراءة الموجهة إلى الذي بيده مال المساكين، والآمرة بصرف منحة شهرية للشيخ رضوان، هل صدرت عن السلطان محمد الشيخ أم عن نجله وخليفته السلطان عبد الله الغالب بالله (965 - 982 / 1557 - 1574). والذي سعى في استصدارها هو محمد بن بكار المذكور بطلب من أحد صحب الشيخ رضوان، وكان مآلها الرفض من قبله. ولم يقتصر تحبب الشرفاء الزيدانيين إلى الشيخ رضوان الجنوي على السلاطين وحدهم دون بقية أفراد البيت السعدي، وقد أهدته أخت السلطان عبد الله الغالب جمالاً محملة قمحاً.

وسار السلطان عبد المالك المعتصم (984 - 986 / 1576 - 1578) على سنن سلفه في وصل الشيخ رضوان الجنوي وإكرامه، وأوفد إليه رسوله بمال وبراءة، فرد متاعه إليه. وأخيراً جاءه الطلب الذي لا يسعه رده، وذلك من السلطان أحمد المنصور (986 - 1012 / 1578 - 1603)، واسطة عقد الدولة السعدية، الذي قصده في قراءة *صحيح البخاري* عليه، فأجابه إلى طلبه، وأجازه فيه، وكتب له بالإجازة

على النسخة الرائقة التي أنشأها هذا السلطان العالم من الكتاب المذكور، كما أخذ عنه أمهات أخرى في علم الحديث. وقبول الشيخ رضوان الجنوي بالسلطان أحمد المنصور تلميذاً لا يعني قبوله بنواله وعطائه، وقد بعث له زرعاً لداره، فأفرغه حملته بها في غيابه، فلما جاء أمرهم بنقله، فرفعوه وكنس موضعه، وتتبع الثقب في الحائط بعود في يده يخرج ما فيها من الحبوب.

وإذا كان السلاطين السعديون يقصدون الشيخ رضوان الجنوي بهباتهم وعطاياهم، فلا يقبلها منهم ويردها تورعاً وزهداً، فإنه كان يقصدهم بدوره، بشخصه تارة وبمكاتباته تارة أخرى، في رد المظالم ورفع المناكر، فيعملون بما يأمر به من معروف، ويتحملون منه، لعلمهم بقيامه لله بحجته في عباده وبلاده، وقصده النصح للشريعة، وعدم خوفه في الله لومة لائم، وشدة شكيمته على الظلمة وعدم اكتراثه بهم. وقد طلب من السلطان مرة عزل حاكم فاس فعزله، لأنه مر به وهو يفصل بين الناس، فتقدم إليه وسأله : أيها الحاكم أتعرف *ابن الحاجب* ؟ فقال له لا، فقال له : أتعرف *خليلا* ؟ فقال لا، فقال له " أتعرف *الرسالة* ؟ فقال له لا إنما أنا حاكم، فقال له : بأي شيء تحكم بين الناس، لا والله لا يحل السكوت عن هذا. وكتب إلى السلطان عبد المالك المعتصم يصف له حال أرباب مخزنه، وما جروه على الرعية من ظلم وطغيان، ونقتصر من كتابه هذا على الفقرة التالية "كثر الفساد وأهله، وضعف الدين وأهله، من طغيان الرماة وخدام جانبكم، لأنهم كالذئاب الضارية والسباع العادية، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، بل ما تأمرهم به الشياطين والنفوس الامارة". وكان يتوجه في بعض المظالم إلى تلميذه السلطان أحمد المنصور مرفوقاً ببعض خواص أصحابه، فيجلس السلطان بين يديه، هو وقاضي الجماعة عبد الواحد الحميدي (ت. 1003 / 1595)، ومفتي فاس وشيخ الجماعة يحيى السراج (ت. 1007 / 1598)، والقواد، ويستمعون في حسن أدب لنصائحه وأمره بالالتفات إلى الرعية. وكان الشيخ رضوان الجنوي قد ابتدر إلى حضور معركة وادي المخازن، وخرج إليها مع أهل فاس وقد نيف على السبعين، رغبا في الأجر وطمعا في الشهادة، وكان من جملة الأعيان الذين حضروا مشهدها العظيم. فلما تحقق النصر، وتمت بيعة السلطان أحمد المنصور، سارع إلى مكاتبته مصرحاً بالرأي الذي اجتمعت عليه الرعية من المبادرة إلى تحرير الثغور المحتلة وانتهاز الفرصة السانحة، وعبّر عن هذا الاتجاه في الفقرة التالية من كتابه "وإلى هذا فالله الله في الحزم وإمضاء العزم، وهو ما ظهر لرعيتكم من انتهاز هذه الفرصة الممكنة في هذا الوقت، من الحركة لمدائن الكفار التي هي طنجة وأصيلا وسبتة، فإنهم في هذه الساعة في دهش وخزي وخذلان". ونبهه في كتاب آخر إلى واجب فداء الأسارى المسيحيين بالمجاهدين المغاربة الذين وقعوا في أسر الإيبريين، وليس بالمال وإهمال افتكاك المسلمين.

وكما كانت للشيخ رضوان الجنوي دالة المشيخة على السلطان أحمد المنصور، كذلك كانت له على العديد من أعيان دولته، من أرباب الخطط الشرعية السامية من قضاء وفتيا وامامة وخطابة، من أعلام الحياة الفكرية على عهد الدولة السعدية، ومنهم : مفتي فاس وخطيب القرويين محمد القصار (ت. 1012 / 1604) الذي انتهت إليه رئاسة الحديث من بعده، وشيخ الجماعة ومفتي حضرة الامامة مراكش عبد الواحد بن أحمد الحسني السجلماسي (ت. 1003 / 1595)، وقاضي شفشاون أحمد بن الحسن بن عرضون الزجلي (ت. 992 / 1584)، ومؤدب أبناء الشرفاء الزيدانيين وسراة دولتهم محمد بن يوسف الترغي (ت. 1009 / 1600 . 1601)، والعالم المعقولي الحسن الهداجي الدرعي المعروف بالدراوي (ت. 1006 / 1598) المتصدر للتدريس بدرعة وفاس وزاوية الدلاء، والعالم أحمد بن محمد الأندلسي المعروف بحُبيب نزيل فاس (ت. 1013 / 1604)، وغيرهم من العلماء الأعيان الذين تتلمذوا على الشيخ رضوان الجنوي وأخذوا عنه.

ويمتاز على عموم تلامذته وأتباعه كل من أبي القاسم ابن عبد الواحد المخلوفي (ت. 1002 / 1594)، وأحمد بن موسى المرابي (ت. 1034 / 4 . 1625)، اللذين سرت فيهما نفحته الصوفية، وعرفا بشدة ملازمتهما له. وقد قدم الشيخ أبو النعيم الأول على سائر أصحابه، وأوصاهم عليه، وقال لهم فيه "حضور سيدي أبي القاسم بهذا المجلس من نعم الله علينا، فهو والله نعم الصاحب"، وقدمه في الصلاة كما فعل معه شيخه الغزواني، وكان في مرض موته إذا سأله أحد يأمره بالجواب. أما المرابي الذي انتسب إلى الشيخ رضوان عام 977 / 69 . 1570، فقد قربه وخصه بتجميع البطائق التي كان يثبت فيها أقواله وأشعاره، ومكنه من مادة *تحفة الاخوان*، التي شرع في تأليفها عام 992 / 1584، وأخرجها في مجلدين.

ولم يكن للشيخ رضوان الجنوي من الأهل سوى زوجته التي لم يخلف منها ولداً ذكراً إلا ابنة واحدة، ومن ثم جاء لقباه أبو النعيم وأبو الرضى المنسوبان إلى اسمه لا إلى عقبه. وقد زوج ابنته الوحيدة هاته لتلميذه أبي القاسم المخلوفي، ولها عقب بفاس يعرفون بأولاد ابن المبارك، أما زوجته التي رضي بها بلاء وأذى له في حياته، فقد تزوجها تلميذه المرابي من بعده، وخلد شرورها في التحفة.

وقد جمع المرابي ما تفرق من نظم الشيخ رضوان الجنوي في ديوان سماه *المسك المختوم فيما للشيخ أبي النعيم من المنظوم*، وجعله مسك ختام *التحفة* ؛ وللشيخ رضوان أيضا شعر حسن في الأمداح النبوية، وأمداح في رشيشة شيخه عبد الله الغزواني، *ونظم رجال حلية الأولياء* لأبي نعيم الأصبهاني، وهي أرجوزة في ألف ونيف من الأبيات، ذكر في آخرها أنه انتهى منها عام 982 / 1574. أما تآليفه المنثورة فهي *فهرسة*، *وتأليف في ذم الغيبة*، جلب فيه أقوال

العلماء فيها، ومناسبته شدة تحرزه من الغيبة، وحفظه للسانه بحيث كان لا يذكر غائباً ولا يسمح بذكر من غاب إلا بما اقتضاه العلم، وله *تخريج أحاديث الشهاب* للقاضي القضاعي، و*تأليف في الفقه* يذكر له دون تحديد موضوعه أو عنوانه، وتقييدات كثيرة.

وحدثت وفاة الشيخ رضوان الجنوي بمنزله في زنقة العنوز من عدوة الأندلس من فاس، وذلك ليلة رابع عشر ربيع الأول عام واحد وتسعين وتسعمائة / 7 أبريل 1583، وصلي عليه من الغد بعد صلاة ظهر يوم الخميس بجامع الأندلس، كأنه لم يخلف موعده الذي دأب عليه في حياته من تخصيص يوم الخميس للإشراف والقيام بنفسه على تنظيف هذا الجامع. وصلى عليه إمام هذا الجامع وخطيبه محمد المرابط نجل شيخه محمد بن جلال المغراوي التلمساني (ت. 1008 / 1599)، ودفن بأعلى مطرح الجنة، وحضر جنازته أهل فاس البالي والقديم، وعلى رأسهم أمير الوقت وولي العهد محمد الشيخ المامون (ت. 1022 / 1613)، ولم يدفن إلا بعد صلاة العصر بعد مشقة عظيمة من الازدحام، ولم يرجع الناس من جنازته إلى أن غاب القرص. وعدّت وفاته من الأحداث الجسام التي عرفها عام 991 / 1583، بل إن كتب التاريخ لا تذكر هذا العام إلا بهذا الحدث الجلل. واتخذ الجنان الذي دفن به الشيخ رضوان الجنوي مقبرة لدفن الأموات، وبني عليه بيت، جدد بناءه بعد خرابه السلطان المولى الحسن (1290 - 1312 / 1873 - 1894).

ولم يترك الشيخ رضوان الجنوي من متخلفه بعد تجهيزه إلا الحصيرة التي كان يصلي عليها والخيط الذي كان يشمر به أكمامه للوضوء، فبيع ذلك بثمن غال، ورفع ثمنه لابنته التي لم يترك معها عاصباً، فامتنعت من قبضه، فاشترى به أصحابه موضعاً بجوار حمام الجياد من حومة البليدة وفندق اليهودي من عدوة فاس القرويين، واتخذوه زاوية يتلون فيها أوراده، واجتمعوا فيها على صاحبه وصهره أبي القاسم المخلوفي، واشتهرت بزاوية سيدي رضوان.

أ. المرابي، *تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان*، مخطوط خ ع، 154 ك ؛ م. القصار، *فهرس*، مخطوط خ ع، 1427 ك، ضمن مجمع : 207 - 214 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 197 ؛ *درة*، 1 : 274 - 275 ؛ *لقط*، 318 - 319 ؛ أ. المقري، *روضة*، 35؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*، ط. حجرية، 69، 72، 138، 164، 209، 214، 233، 234 ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة*، مخطوط خ ع، 76 ج، 40 ؛ *ممتع*، تح. ع. العمراوي وع. مراد، 8، 45، 93 - 94 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، تح. ز. النظام، د.د.ع، كلية الآداب بالرباط، 1 : 210 - 219 ؛ أ. ابن عطية، *سلسلة الأنوار*، مخطوط خ ع، 2458 ك، 114 - 115 ؛ م. الافراني، *نزهة*، نشر هوداس، 130 - 131، 172، 238 ؛ *صفوة*، ط. حجرية، 6 - 8، 9، 14، 16، 17، 42 - 43، 61، 66، 79، 94، 98، 125 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 89 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، د.د.ع، كلية الآداب بالرباط، 34، 45، 65، 143، 149، 185 - 186، 272، 368، 387، 393، 314، 316 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 65، 191 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجرية، 2 : 257 - 262 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 227 - 236 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، تح. إ. عباس، 1 : 233، 235، 245، 248، 265، 285، 353، 434 - 436 ؛ 2 : 257، 628، 764، 765، 775، 965، 966، 981، 987، 988 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، 286، رقم 1092 ؛ ل. بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. ع. الخلادي، 166، 179 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 3 : 27 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1 : 117، 187، 195، 196 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 24، 121، 154، 274، 359.

عبد الله نجمي

**الجنوي، سعيد** السلوي القائد الذي تضيف إليه الوثائق صفة "الأمين"، قائد سلا الشهير خلال فترة تبعيتها للسلطة الدلائية. نصبه محمد الحاج الدلائي سنة 1051 / 1641 على رأس مدينة سلا القديمة، لوثوقه في ولائه أكثر من العنصر والأندلسي، وسرعان ما أصبح أمين سر الحاكم الفعلي لمدن مصب أبي رقراق عبد الله بن محمد الحاج الدلائي الملقب في الوثائق الاوربية "بأمير سلا"، وأسندت له النيابة والإشراف على قواد القصبة، وسلا الجديدة (الرباط) وسلا القديمة منذ سنة 1062 / 1651، متحكماً في إدارة المنطقة بنفوذ متعاظم بسبب الامتياز الذي كان يحظى به من طرف الأمير، بالإضافة إلى إشرافه على الأنشطة التجارية والدبلوماسية، وتسيير المفاوضات مع ممثلي الدول الأوربية وخاصة الأقاليم المتحدة. وقد ظل رجل الإمارة الدلائية القوي إلى أن توفي في ذي الحجة سنة 1065 / أكتوبر 1655.

م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ص 172 - 74.

De Castries, *S.I.H.M.*, 1ère série, Pays Bas, T. V, p.

حسن أميلي

**الجَنَوي، محمد بن الحسن** العمراني الحسني المدعو الكبير، من أئمة وأعلام القرن (18 م) الثاني عشر الهجري وأشياخ كبار العلماء أمثال الفقيه المجتهد محمد الرهوني، الذي خصص حيزاً كبيراً من *حاشيته على الزرقاني* للتعريف به، وأحمد الحضيكي السوسي، ومحمد بن عجيبة التطواني وسليمان الحوات الشفشاوني ومحمد بن عبد السلام الناصري الدرعي وغيرهم. أجمع تلامذته وشيوخه على نعته "بالإمام العلامة" و"الفقيه" و"المفتي" و"خاتمة المدققين والمحققين"، كما وسموه "بالصلاح" و"المروءة التامة" و"الدين المتين" و"الزهد"، ووصفه شيخه وشيخ الجماعة محمد بن قاسم جسوس "بوحيد زمانه وفريد عصره وأوانه علماً وعملاً".

ولد محمد بن الحسن الجَنَوي (بفتح الجيم والنون) بمدشر أسجن قرب وزان في رجب من عام 1135 / أبريل -

مـاي 1723 في بيت علم وشرف، وقد تفرد محمد بن الصادق ابن ريسون، وهو نسابة الشرفاء العلميين على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، بنسبة مترجمنا إلى البيت العمراني الحسني. نشأ محمد الجنوي وحفظ القرآن في قريته ثم انتقل في طلب العلم إلى القصر الكبير ثم إلى الزاوية الريسونية بتازروت ثم إلى تطوان وأخيراً إلى فاس.

تتلمذ محمد الجَنَوي في هذه المراكز العلمية الشمالية حيث لجأ عدد من كبار العلماء أيام الفترة الموالية لوفاة المولى إسماعيل ثم خلال مجاعة 1150 ـ 1151 / 1739 ـ 1737، على كبار أشياخ الوقت من العلماء العاملين المجتهدين أمثال أحمد الورزيزي الكبير ومحمد بن قاسم جسوس وعمر الفاسي ومحمد التاودي ابن سودة. ففي تطوان أخذ عن الشيخ أحمد الورزيزي الكبير الذي عرف بمواجهاته مع سلطان الوقت في إطار قيامه بواجب الحسبة والنصح، وبإشراقاته الصوفية التي دفعت بعض معاصريه إلى اتهامه بالاعتزال. أما بفاس فقد تتلمذ المترجم على شيخ الجماعة محمد بن قاسم جسوس الذي كان يعتبر "بحراً لايجاري في شتى العلوم، معقولها ومنقولها"، ورجلاً ديناً زاهداً" بعيداً عن جميع الأسباب المخلة بالمروءة". وقد رأينا كيف أن هذا العالم الجليل بالغ في مدح محمد الجنوي الذي وصفه "بوحيد عصره علماً وعملاً". كما أخذ المترجم عن عمر الفاسي علم الكلام والعقيدة الأشعرية، هذان المجالان اللذان لم يكن يشارك أبا حفص فيهما أحد من علماء وقته. ومن أشياخ مترجمنا كذلك العالم المسن محمد التاودي ابن سودة الذي خلف محمد بن قاسم جسوس في مشيخة الجماعة والذي كان يكن لمحمد الجنوي محبة وتقديراً كبيرين كانا السبب في لقاء هذا الأخير بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله.

أما شيخ الجَنَوي في التصوف والطريقة فهو، حسب ما أورد ابن عجيبة في *أزهاره*، الولي مولاي أحمد الصقلي. ومعلوم أن هذا الولي الصالح كان يحترف بيع العطور ويتعاطى قراءة كتب القوم وارتياد مجالسهم قبل أن يلتقي خلال رحلاته الحجازية الثلاث بالشيخ محمد بنسالم الحفناوي المصري ويتلقى منه الإذن بنشر الطريقة الخلوتية بالمغرب. وبالفعل، فقد كان مولاي أحمد الصقلي في آخر أيامه شيخ هذه الطريقة بفاس والقائم بالدعوة إليها. ساق الرهوني في ترجمة شيخه إجازة محمد بنسالم الحفناوي للجنوي واستدعاء هذا الأخير له بالإجازة، وهو ما يهمنا في هذا المقام لأن هذه الرسالة تؤكد انتماء مترجمنا للجماعة الخلوتية.

كل من ترجم للشيخ الجَنَوي يشير إلى عظيم اعتنائه بطلب العلم وتلقينه، إلى حد أنه أصبح "إماماً في كل فن" (الرهوني) و"أروع مثال لمدرسي وقته" (الحضيكي). وكانت له طريقة متميزة في التدريس أشاد بها كل تلامذته. فسليمان الحوات تعجب من "حفظه وحسن إملائه بلسان جبلي"، وابن عجيبة أشار إلى "تحريره وتدقيقه للمسائل وعدم رضاه بالتقليد في شيء من علومه" مضيفا أن دروسه كانت كلها ممزوجة بالعبادة". أما الرهوني الذي صاحب المترجم وخدمه مدة طويلة فقد وصف بدقة المنهج الذي كان يتبعه في محاضراته فهو "لم يكن يقتصر في دروسه على شرح معين بل يطالع ما أمكن من الشروح والحواشي ويراجع المسائل في أصولها ويعارض النقول بين المردود والمقبول هكذا في التفسير والحديث والكلام والفقه والأصول والنحو والبيان والمنطق والتصوف".

هذه الطريقة في تحقيق وتدقيق النصوص والإتقان في البحث جعلت الناس تلجأ إليه في حل المشكلات خصوصاً وأن فتاويه لم يكن يردها أو يخالفها قاض أو حاكم.

هذا فيما يخص محمد بن الحسن الجنوي العالم والمدرس والمفتي، أما الجَنَوي الإنسان فقد وصفه معاصروه بالتعفف والزهد في الدنيا "يحب الخمول ويفر من الشهرة ولايرغب في ملاقاة أولي الأمر"، وإذا اشتدت به الحاجة خرج يلازم عند شرفاء وزان للخطبة والصلاة وتدريس العلم"، وفي السراء يعود إلى مجالس العلماء بفاس. كان هذا دأبه، حسب قول أحمد بن عجيبة، "إلى أن أخذته شبكة الأقدار" ودخل الخدمة المخزنية ـ إشارة إلى أنه لم يسع في ذلك لكنه لم يستطع مخالفة أمر الأمير. وكان السبب في ذلك أن الشيخ محمد التاودي ابن سودة أثنى عليه وعلى سعة علمه وحسن خلقه بحضور السلطان سيدي محمد بن عبد الله فأمر هذا الأخير بإحضاره من وزان، وكان ذلك حوالي عام 1184 / 1770. وجيء بالجنوي لمكناس فأكرمه السلطان وكلفه بالتدريس والخطبة والصلاة في جامعها الكبير، ثم نقله بعد ذلك إلى طنجة وإلى تطوان وأخيراً إلى مراكش حيث وافاه الأجل. وكان في تنقله هذا بأمر من السلطان خيرٌ عميم حيث مكن عدداً كبيراً من الطلبة من الانتفاع به والأخذ عنه. وهذه جملة حسنات السلطان سيدي محمد بن عبد الله ومساهماته في نشر العلم وتعميمه.

ولعل بعض معاصري محمد بن الحسن الجنَوي قد عابوا عليه قبوله للخدمة السلطانية وللمال المخزني المشبوه، لذلك فان تلميذه محمد الرهوني قد ارتأى في مقدمة حاشيته أن يرد على هذه الاتهامات ويؤكد على صلاح شيخه وورعه حيث "لم ير منه قط ما يوجب ثلما وما يلحق به وصما" سواء قبل الخدمة المخزنية أو بعدها.

ومما يؤكد صرامة الجنَوي في دينه واستمراره في القيام بواجب الحسبة حتى بعد الخدمة السلطانية ما أورده عدد من مترجميه حول ظروف وفاته. فقد نقل محمد داوود عن أحد تلامذة الجنوي، وهو محمد سكيرج التطواني، أن السلطان طلب من مترجمنا "الموافقة على فتوى في جواز استخلاص بعض الأموال من الرعية فأجابه بأن أموال الناس حرام كعرضهم، فحصل سوء تفاهم مما دفع المترجم إلى

الذهاب لروضة سيدي عبد الله الغزواني وطلب من الله ألا يلاقيه بالسلطان بعدها، فقبضه الله إليه".

أما سليمان الحوات فذكر في أسباب ومواصفات وفاة الجنوي المفاجئة أن السلطان سيدي محمد كان قد استدعاه لحضرته بمراكش "للمباحثة معه والتمذهب بمذهب السلطان المذكور في أمر كان مصمما عليه في حق بعض الأئمة الصالحين" ويشير الحوات هنا إلى تبني السلطان للعقيدة الحنبلية ودعوته علماء وقته لتبني موقفه من بعض أعلام العقيدة الأشعرية أمثال الغزالي وعياض وابن السبكي ... لكن الجنوي رفض أن يجاري السلطان في موقفه" إذ كان شديد الشكيمة في أمره صلبا في دينه، ولما قدم من بين يديه توسل إلى الله أن يقبض روحه قبل أن يلقاه ثانية"، وكان الأمر كذلك فقد مات الجنَوي بعد ثلاثة أيام من لقائه بالسلطان سيدي محمد يوم 13 رمضان 1200 / يوليوز 1786.

إذا كان محمد الجنَوي لم يترك مؤلفات أو كتبا فانه قد خلّف بصماته على الحياة العلمية في القرن الثاني عشر (18 م) من خلال الأشياخ الذين تخرجوا على يديه وخلّدوا سنده وطريقته في البحث على صفحات مؤلفاتهم. وعلى رأس هؤلاء آخر الفقهاء المجتهدين في المغرب بن أحمد الرهوني. فقد أورد صاحب *الفكر السامي* أن هذا الأخير اعتمد في حاشيته على "طرر شيخه أبي عبد الله محمد بن الحسن الجنوي"، التي كانت له على الزرقاني والحطاب والمواق والشيخ مصطفى الرماصي والشيخ بناني، كما اعتمد على طريقته في البحث والتحقيق والتدقيق، حيث "ينقل في حاشيته كلام المتقدمين بلفظه مما يفضح أغلاطا كثيرة وقعت لمن قبله في الاختصارات والملخصات".

م. محمد داود، *تاريخ تطوان*، المجلد الثالث، القسم الأول، ص. 99 - 101 ؛ ع. بن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، 6 : 93 - 108 ؛ س. الحوات، *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي*، مخطوط، رقم ك 1264 ؛ أحمد ابن عجيبة، *أزهار البستان في طبقات الأعيان*، مخطوط رقم ك 286، خ. ع. الرباط ؛ محمد بن الصادق ابن رسيون، *فهرسة*، مخطوطة رقم ج 71، خ. ع. الرباط ؛ م. الحضيكي، *مناقب*، مخطوط رقم د 1124، خ. ع. الرباط ؛ م. الرهوني، *حاشية على شرح عبد الباقي الزرقاني*، مصر، الجزء 1، 16 - 25.

فاطمة الحراق

**الجَنَوي، محمد** بن **محمد** بن الحسن العمراني الحسني التطواني (ابن الفقيه الجنَوي الكبير) الفقيه العلامة النوازلي المفتي المدرس المحصل الفهامة. حاز رئاسة الفقه في زمانه، ودارت عليه الفتوى بتطوان ونواحيها غير مُزَاحَم.

أخذ عن أبيه ومشايخ عصره. وتولى مكان أبيه، وهو في قيد الحياة، الخطابة والتدريس بجامع العيون من تطوان.

قال المؤرخ الرهوني التطواني : حدثني شيخنا الشريف العلامة البركة سيدي محمد بن أحمد البقالي رحمه الله أن هذا الشيخ كان أعلم من أبيه بالنوازل والأحكام.

ومن أقواله المشهورة : "ان (دَرْقاوة) - يعني الطائفة الصوفية المشهورة بالمغرب المنسوبة إلى الشيخ العربي الدرقاوي - قاموا في هذا القطر، والنصارى الفرنسيس قاموا في قطرهم، يعنى الثورة الفرنسية سنة 1203 / 1789، وكلهم ينشأ منهم فسادُ هذا العالم".

حكى عنه هذه القولة المؤرخ سكيرج التطواني. وعلق عليها الفقيه الرهوني المؤرخ بهامش نسخته من تاريخ السكيرج بقوله : انظر إلى هذه المقالة ما أبشعها !

أما سكيرج فعقب عليها بما يفيد الموافقة. وأما الأستاذ محمد داود فأسهب في التعقيب والتنظير بما يحسن الاطلاعُ عليه. والمهم أن خبر الثورة الفرنسية بلغ المغرب مشوها بفعل أعدائها مما جعل المترجم له يتوقع منها - ومن حركة التصوف الدرقاوي - فساد العالم. والجدير بالذكر أن المترجم له كان ضمن جمع العلماء الموشح لمناظرة الفقيه محمد بن محمد المكودي التازي الذي نكب مع الشيخ أحمد ابن عجيبة وأتباعه على يد عامل تطوان حُمان الصريري بالسجن، في حادثة الصوفية التي ألف فيها المكودي المذكور كتابه الإرشاد والتبيان وقد رأى المترجم له ما أحدثه الصوفية من فوضى في البلد بما عرف عنهم مما يسمونه التجريد وسلب الإدارة - وهو تخلي المريد عن العمل إقباله على إصلاح نفسه بمخالفتها بارتكاب مالا يليق مما يخالف العقل والنقل - وهذا ملحظ المترجم له بقولته المذكورة.

توفي بتطوان عام 1214 / 99 - 1800.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 6 : 9 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 6 : 195 ؛ ابن عجيبة، *أزهار البستان*، مخطوط، ص 205 ؛ م. المكودي التازي، *الإرشاد والتبيان لرد ما أحدثه الرؤساء من أهل تطوان*، مخطوط، ص. 23.

**الجَنَوي، محمد** بن **محمد** بن **محمد** بن الحسن العمراني الحسني التطواني (الحفيد) الفقيه العلامة المفتي النوازلي المدرس القاضي، أخذ عن أبيه وأقرانه من علماء بلده.

اشتهر بالتحقيق والفتوى وإتقان خطة القضاء. ولاّه السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام العلوي قضاء مدينة وزان، ثم مسقط رأسه تطوان، ثم أعفاه منه، ثم ولاه مرة ثانية واستمر قاضياً بتطوان بها إلى أن توفي رحمه الله عام 1271 / 54 - 1855.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 6 : 9.

محمد بوخبزة

**الجنوي، مراد** أو جَنْوَة مراد، رايس بحري من العلوج الايطاليين العاملين في أسطول الجهاد بمصب أبي

رقراق خلال فترة حكم ديوان القصبة الأندلسي في منتصف القرن الحادي عشر (17 م). كان من ضمن المجاهدين النشيطين خلال موسم 1047/ 1637، لكن اضطرته الظروف الملاحية آنذاك إلى اللجوء إلى ميناء لاروشيل (La Rochelle) الفرنسي ؛ حيث قامت السلطات الفرنسية بمصادرة سفينته. وقد أثار هذا الحدث حفيظة الديوان، ودفعهم إلى الاحتجاج، والقيام بردود فعل ضد القنصل الفرنسي بسلا الجديدة ومحاصرته والمطالبة بسجنه ومصادرة ممتلكاته، لولا تدخل الحاكم عبد الله القصري، ووعده الأندلسيين باستعادة ماضاع منهم.

De Castrie, *S.I.H.M.*, 1ère série, France, T. III, p. 536 - 37.

حسن أميلي

**جَنْيَارة**، منطقة خصبة بين فاس وطنجة ورد الكلام عنها عند أبي عبيد البكري هكذا : "جنيارة والنسبة إليها جنياري وجنيوري، ومن كرت إلى موضع يقال له جناوة، قال محمد : جنيارة ويعرف بالجبل الأشهب" ( *المغرب*، ص 111)، وجاءت عند صاحب *الاستبصار* (188) : "بلد جنيارة" وفي ( *البيان المغرب*، 1 : 235) "حصن جنيارة في الجبل الأشهب" : أما كتاب *الروض المعطار* (ص. 176) فذكرها هكذا : "جنيارة مدينة بين فاس وطنجة قرى كثيرة جامعة عامرة وزرع وضرع في جبل سهل أبيض مثل الطيلسان يسمى الجبل الأشهب".

الواقع أن الحميري في *الروض المعطار* ومن حذا حذوه، من قدماء المؤلفين ومن الدارسين المحدثين وقعوا في خطأ بيِّن نتج عن قراءة غير متأنية للمصادر التي ورد فيها اسم جنيارة أول مرة ؛ فأساليب كُتَّاب العصر الوسيط ومنها أسلوب أبي عبيد البكري والإدريسي مثلاً تذكر المدن أحياناً باسماء جهاتها أو بما اشتهرت به مثل قولهم عن مدينة البصرة المغربية مدينة الألبان ومدينة الذبان لكثرة البانها، ومثل قولهم مدينة السوس أو مدينة درعة والمقصود عاصمة المنطقة والأمثلة كثيرة، فالمقصود إذن قاعدة المنطقة أو المدينة الرئيسية فيها أو باللغة الإدارية الحالية عاصمة الإقليم، فالبكري مثلاً تحدث عن أكبر مدينة في منطقة درعة بقوله : "وقاعدة درعة "تيوميتين" ( *المغرب*، ص 156) وتحدث غيره عن مدينة درعة ويقصد تيوميتين، على أن آخرين ساروا مع اللفظ فتحدثوا عن مدينة درعة ! وقد تنبه بعض الكتاب الوسيطين لذلك فقال مصححاً "وليست درعة مدينة "وانما قرى وعمائر متصلة ..." وبنفس الأسلوب ذكرت مدينة جنيارة، ويقصد بها قاعدة المنطقة والمدينة الرئيسية فيها، وهي يجاجين أو اجاجن كما ورد عند البكري ( *المغرب*، ص 114 و129).

وتعرف اليوم بـ أسجن أو أزجن، وهي مركز جماعة قروية على كلمترات قليلة شمال غرب مدينة وزان (*خريطة المغرب العامة* مقياس 1.000.000 : 1). لايتعلق الأمر إذن بمدينة اسمها جنيارة لأن الحميري نفسه قد وقع له التباس فهو يقول : "جنيارة مدينة بين فاس وطنجة، قرى كثيرة..."، وجنيارة هي المنطقة التي تقع فيها مدينة وزان وأزجن وقد اشتهرت بخصوبتها الشديدة تارة باسمها وتارة تحت اسم الجبل الأشهب وجبل صرصر، وعرفت منذ القديم نشاطاً فلاحياً مكثفاً نتج عنه انتشار التجمعات السكنية على المرتفعات والسفوح المطلة على الأودية : "... قرى كثيرة جامعة عامرة وزرع وضرع ..." ( *الروض المعطار*، 176)، ولشدة خصوبة أرض جنيارة ضرب بها المثل وشبهت بالدجاجة التي "إن أصابها ديك" أتت بالبيض وان لم يصبها ديك أتت بالبيض، تحتك في الغبار وتلد" ( *الروض المعطار*) وسياق ذلك أن رجلا أراد أن يقتني ضيعة ببلاد المغرب فسأل شيخاً من العارفين فقال له : عليه ببلد جنيارة فإنها مثل الدجاجة ؛ وبلد جنيارة قلّما تخلف لا في خصب ولا في جذب" أي أنها تخرج غلاتها وتعطي خيراتها الفلاحية سواء في السنوات المطرة الخصبة أو في سنوات المحل والجذب ( *الروض المعطار*، 176).

بعد مرور أزيد من خمسة قرون على وصف مصادر العصر الوسيط الأعلى للمنطقة، يأتي الحسن الوزان فيتحدث قائلاً عن أزجن : "مدينة بناها قدماء الأفارقة (المغاربة) على جبل بعيدة عن نهر (لكوس) بنحو عشرة أميال وهذه الأميال العشرة في شهل توجد به الحقول المحروثة، وبساتين هذه البلدة ومعظم الأراضي الفلاحية في الجبل (*وصف افريقيا*، 1 : 237). وتستمر أرض المنطقة تحت أسماء أخرى (اسم جنيارة اختفى منذ العصر الوسيط) في العطاء والخصب تيناً وزيتوناً وغلات أخرى.

أ. البكري، *المغرب*، الجزائر، 1911 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار*، الاسكندرية، 1958 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، الرباط، 1980.

*Carte générale du Maroc*, Echelle 1 : 100.000 ; J. Martin (et al.), *Géographie du Maroc*, Paris, 1967.

محمد حجاج الطويل

**الجنياري**، أسرة فاسية مشهورة بالعلم والفقه والتصوف. يعود أصلها إلى قبيلة أو منطقة جنيارة التي تحدد المصادر الجغرافية موقعها بين فاس وطنجة (انظر جنيارة). انتقل بنو الجنياري إلى مدينة فاس فاستوطنوها خلال فترة غير محددة من العصر الوسيط وتصدوا للعلم والعرفان بجامع القرويين واتصلوا بكبار علمائه وفقهائه. وقد برز في هذه الأسرة مجموعة من العلماء والفقهاء والقضاة والخطباء، منهم القاضي الجنياري، لم تذكر المصادر اسمه كاملا واكتفت فقط بالإشارة إلى أنه تقلد القضاء بمدينة فاس في القرن التاسع وعُزل عن القضاء في نفس اليوم الذي عزل فيه كل من الفقيه أحمد بن سعيد الحباك القيجميسي عن الخطبة والفقيه القوري عن الإفتاء.

وهناك جنياريّان آخران لم يذكر مترجموهما غير كنيتيهما، وهما أبو عمران الجنياري، من شيوخ وأولياء

مدينة فاس الصالحين المباركين. أدرك الشيخ الصوفي أبا مدين الغوث فسمع منه وأخذ عنه. عُمِّر طويلاً ومات عن سن تصل إلى مائة وثلاث. توفي سنة 642 / 1244 أو سنة 649 / 1251 ؛ وأبو مدين الجنياري أحد صلحاء وصوفية المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن السابع وبداية القرن الثامن. كان له اتصال بالفقيه المجتهد جمال الدين عثمان بن عمر ابن الحاجب (ت. 646 / 1248). يُذكر أن أبا مدين الجنياري لقي ابن الحاجب سنة 644 هـ واستشاره في أمر أراد أن يصنعه، وطلب منه أن يدعو له، فدعا له وأنشده هذين البيتين :

فوض الأمر إلى من دبَّرهْ ... فسواه ما له من مقدُرهْ
لا تُؤمِّل غير مولاك وسلْ ... منه في كلِّ الأمور الخِيَرهْ

لا يعرف بالتحديد تاريخ وفاته، إلا أنه كان حيا في بداية القرن الثامن الهجري معاصرا لصاحب *الذخيرة السنية*. وقد انقرضت اليوم أسرة الجنياري بفاس.

أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، نشر دوسلان، باريز، 1965، ص. 111، 114 ؛ مجهول، *الاستبصار في عجائب الامصار*، نشر سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985، ص. 188 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، ط. 1، 1984، ص. 176 ؛ ابن الاحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 69 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 314 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت، ص. 82 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، ص. 63، 74، 80 ؛ ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

**الجنياري، عبد الله** بن محمد، كان شيخاً صالحاً، كثير الصوم وتلاوة القرآن. تقلد الخطبة بجامع القرويين أيام السلطان أبي الحسن المريني منذ سنة 748 / 1348 خلفاً للفقيه المحدث أبي الفضل محمد بن يحيى المزدغي. وبقي في خطته إلى أن توفي يوم الخميس السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة 750 / 12 غشت 1349.

ع. الجزيائي، *جنى زهرة الآس*، ط. 2، الرباط، 1991، ص. 63 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 64.

**الجنياري، محمد** أحد فقهاء فاس وخطيب جامع القرويين بها، ولا نعرف إن كان ابن من قبله وهل خلفه في الخطبة بالقرويين.

توفي سنة 778 / 1377.

إ. ابن الاحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 69 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1971، 2 : 274 ؛ *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 236 ؛ م. حجي (محقق)، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 128.

رشيد السلامي

**الجنيدي، سالم** بن العربي الحمري الأسفي أبو حامد، ولد عام 1231 / 1815 وتكوّن تكويناً فقهياً متيناً، حلاّه الكانوني في *جواهر الكمال* "بالفقيه المعمَّر المقرئ الصالح الناسك. كان من العلماء العاملين، والأئمة المرضيين، دؤوباً على نشر العلم والقراءات السبع، دارت عليه الفتوى ببلده مع الثقة والأمانة والتقوى، غزير الدمعة رقيق القلب لا يرقأ له دمع إذا سمع قراءة القرآن حتى يسكت القارئ مهما طال الحال، وتلك عادته. تولى خطة العدالة ثم تخلّى عنها في آخر عمره".

قرأ في عبدة على أبي الطيب بن أبي مهدي الطواجيني وولده محمد وقد أجازاه في القراءات عن محمد بن عبد السلام الفاسي آخر القراء بالمغرب ومؤلف كتاب *المحادي في علم القراءات* بواسطة الشيخين عبد الله السگياطي الشيظمي، والتهامي الأوبيري الحمري.

رحل إلى فاس عام نيف وخمسين ومائتين وألف فأخذ عن بدر الدين الحمومي ومحمد بن عبد الرحمان الحجرتي، وأحمد المرنيسي ومن في طبقتهم. ورجع من فاس عام واحد وستين ومائتين وألف فدخل مراكش وصحب الشيخ الصوفي أبا بكر الناصري واقتدى به وذهب معه إلى تامگروت، ثم صحب بعده ولده محمداً الناصري.

اشتغل بالتدريس في مسقط رأسه، وأخذ عنه جماعة، منهم ولده فضول الجنيدي آتي الترجمة، والفقهاء أولاد أبي شيخه الطيب الحمري، كما أخذ عنه الشيخ عبد الحي الكتاني حين لقيه ببلاد احمر بعبدة، وأدركته الوفاة ببلده ليلة الثامن عشر من جمادى الأولى عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف / 14 أبريل 1914 وقد نيّف على المائة سنة من غير هرم ولا اختلال عقل.

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، ج 2 مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 10 : 33 . 34 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 849.

**الجنيدي، فضول** بن سالم الحمري الأسفي، قال في حقه الكانوني في *جواهر الكمال* : "الفقيه العلامة العدل البركة المدرس النفاع الناسك، من خيار أهل العلم، كانت له عناية بنشر العلم والقراءات".

درس العلم والقراءات بمسقط رأسه على والده الشيخ سالم الجنيدي سابق الترجمة، وعلى الفقيه أحمد بن أبي الطيب، ثم رحل إلى مراكش فأخذ عن الحاج محمد وزنيط والحاج علي بن سليمان الدمناتي وغيرهما، وأخذ التصوف عن الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني وسلب إليه الإرادة.

تولى في آخر عمره خطة العدالة فكانت فيها محنته وسجن بعين علي مومن لأمر لم يفصح عنه مترجمه. وتوفي في السجن وهو ساجد بعد ظهر يوم الجمعة [25] ذي الحجة عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف / 17 يوليوز 1925.

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، الجزء الثاني، مخطوط، ص 115.

محمد حجي

**جنيُوس** (Genius) عند الرومان عبارة عن قوة أو روح خفية تنشأ مع البشر وتقوم بحمايتهم حسب تعريف المؤرخ سرڤيوس (Servius, *ad georg*, 1, 302). وقد حاول البعض أن يجعل من هذه القوة، قوة مرتبطة بمبدأ الخصوبة، ويبدو أن الباحث G. Dumezil قد وضح بشكل قطعي بأن الأمر يتعلق بتأليه شخصية (Divinisation d'une personnalité) قد تكون شخصية إنسان أو شخصية مكان.

وأقدم شكل لهذه العبادة، هي عبادة جنيوس الفرد : "Genius" بالنسبة للذكور، وجنيو Juno بالنسبة للإناث، وكل شخص له قوة خفية تختلف عن قوة جاره، أما داخل محيط العائلة فالعبادة كانت توجه إلى رب العائلة (Pater Familias) ثم أصبحت بعد توجه إلى "جنيوس المنزل" "Genius Domus" ولم تعرف عبادة هذا الأخير انتشاراً واسعاً في افريقيا، فلا نتوفر إلا على نقائش قليلة عثر عليها في كل من مدن، لمبيز (Lambèse) وتيبيليس Thibilis بولاية نوميديا، ومدينة پورتوس ماكنوس "Portus Magnus" بموريطانيا القيصرية، أما في موريطانيا الطنجية فقد عثر بوليلي على نقيشة موجهة إلى جنيوس المنزل من طرف شخص يدعى (IAM, 2, 351), T. FL (avius) Germanus.

إلى جانب جنيوس الأفراد والعائلات، ارتبطت هذه القوة الخفية بالمدن سواء كانت مستعمرات (Colonies) أو مستلحقات (Municipes) وهذا مايمكن أن نترجمه بـ "رجال البلاد" أن الجنيوسي يمثل المدينة التي يحميها وهو تشخيص لها، ويبدو أن العبادة المخصصة له عرفت انتشاراً في اسبانيا وافريقيا، وكان يشرف عليها في الغالب موظفو المستلحقات أو المستلحقات نفسها وقد عثر في وليلي على نقيشة مهداة إلى جنيوس المستلحقة المقدسي "Genius sanctus municippi" من طرف حاكم الامبراطور (Procurateur) المدعو.يوليوس أكريانوس - *BAM*, 16, 1985) 86, p. 191).

ويمكن لهذا الجنيوس أن يكون محدد الاسم كما هو الشأن بالنسبة لهرقل في مدينة لمطة الكبرى بليبيا (*IRT*, 296) وأبولون بمقاطعة Henchir el Abiod بولاية البروڤنصلية (CIL, VIII, 20207).

لم تقتصر هذه العبادة على الأشخاص فقط بل تتعدّتها إلى الأماكن، والاسم الذي كان يطلق على هذه القوى هو "جنيوس المكان" (Genius Loci) وقليلاً ما كان هذا المكان محدداً. إن أغلب الوثائق التي حملت ذكراً لهذه العبادة نجدها في نوميديا وموريطانيا، وكانت من اختصاص الموظفين والجنود السامين ولعل ما يؤكد ذلة هو الاهداء الذي عثر عليه "بعين الشقور" والمقدم من طرف فلاڤيوس نيون (Flavius Néon)، قائد كتيبة الاستوريين والغاليسيين على شرف "جنيوس المكان" الذي قد يعني المعسكر لأن الأمر يتعلق ببناء مقر القائد (Praetorium) من طرف أفراد جنده. والأمثلة المتعلقة "بجنيوس المعسكرات" عثر عليها في كل من معسكر "Bu Njem" بليبيا ,AE, 1976, 699) 700) ومعسكر Tisavar بولاية "بيزاصينا" ,*CIL*, VIII) 22759) ومعسكر Zoui بنوميديا (CIL, VIII, 17625).

ولاننسى ذكر نقيشة كانت محط نقاش بين الباحثين، وهي التي عثر عليها بمعسكر سيدي موسى بوفري (موريطانيا الطنجية) (*IAM*, 2, 814). هذه النقيشة مكسرة وبالتالي كانت مجالا للتاويلات والفرضيات. هل هو إهداء موجه إلى "جنيوس المكان" (Genio ULPII) على اعتبار أن "اولبيوم" هو الاسم القديم لمعسكر سيدي مرسى بوفري (انظر *المعلمة* 3، ص 914-915) أم أن الأمر يتعلق بجنيوس الامبراطور تراجان "Genio ULPIO".

تبدو الفرضية الثانية أكثر قبولاً نظراً لكون مقدِّم الإهداء فابيوس فلاكوسى هو قائد الكتيبة البارثية التي كانت أكثر التصاقا بالامبراطور تراجان. ومما يوضح ذلك النقيشة التي عثر عليها بسيدي موسى بوفري أو المقدمة إلى ربة مجهولة تحمل لقب أغسطس وتحمل إشارة لهذه الكتيبة البارثية (*BAM*, 16, 1985 - 86, p. 191).

وعثر في وليلي على نقيشة موجهة إلى جنيوس الأماكن إلى جانب الحوريات (Nymphae)، هذا الجنيوس يمكن أن يكون تعبيراً عن الثعبان خاصة وأننا نعرف الدور الذي احتله في المعتقدات الإفريقية. فقد اعتبر كحامي المنزل والمغارات وكذا كروح للأماكن الباردة كالعيون وللحامات ولعل النقيشة التي عثر عليها بحامة "Aquae Flavianae" بنوميديا والمقدمة إلى الحوريات والثعبان "Draco" تشير إلى الخصائص الطبية لهذا الجنيوس ,*CIL*) VIII, 17722).

إن ما يمكن استخلاصه هو كون العبادة الموجهة إلى "الجنيوس" في مختلف مظاهره عرفت انتشاراً من حدود موريطانيا الطنجية إلى ليبيا الحالية، وهذا الانتشار له ارتباط بسياسة الرومنة رغم وجود جوهر محلي ان الأشكال المرتبطة بهذه العبادة كانت مزدهرة قبل مجيء الرومان واستمرت بعد مرحلة الغزو وحتى بعد سقوط الدولة الرومانية. ولعل مايؤكد ذلك هو استمرارية العبادة في اشكال جديدة حيث تم تعويض "جنيوس المنزل" مثلاً بـ "مُولْ الدار" أو جنيوس المياه "Genius Aquae" بـ"مُولْ العين" وعلى مستوى المدينة فان هذه الاستمرارية نجدها في شكل "رجال البلاد" الذين عوضوا "جني" المستعمرات والمستلحقات.

Daremberg - Saglio, *Dictionnaire des antiquités grecques et romaines*, S.V. *Genius* ; G. Dumezil, *Encore Genius. Hommages à R. Shilling*, Paris 1983, p. 84 - 92 ; M. Leglay, *Le culte du serpent dans les cultes africaines, Hommages à W. Deonna*, 1957, p. 338 - 353 ;

Dermenghen, *Le culte des saints dans l'Islam Maghrebin*, Paris, 1954 ; *CIL*, VIII, *Corpus des inscriptions latines* ; *AE*, *Année epigraphique* ; *IAM*, *Inscuptions antiques du Maroc, 2. inscuptions latines*, Paris 1982 ; M. Lenoir, *BAM*, 16, 1985 - 86, p. 191 et suiv.

عبد العزيز بلفايدة

**الجهاد البحري**، من القرن التاسع إلى الثاني عشر (15 ـ 18 م) من المعلوم أن احتلال عدد من الثغور المغربية خلال القرن التاسع (15 م) يعود إلى رغبة الإيبيريين في إبعاد المغاربة عن البحر، والحدّ من الجهاد البحري العثماني الذي نشط بالسواحل المتوسطية، خوفاً من سقوط الموانئ المغربية في أيدي العثمانيين. وقد اعتبر بعض الباحثين الأوربين أن البرتغاليين والإسبان نجحوا في تلك المهمة، وحالوا بالاحتلال المذكور دون قيام المغاربة بأي نشاط بحري يضر بملاحتهم أو بأمن سواحلهم. إلا أن وثائق ومصادر إيبيرية كثيرة تنفي هذا الادعاء، وتؤكد أن المغاربة اعتمدوا، مبكراً، ورغم احتلال أهم وأنشط المرافئ، الجهاد البحري وسيلة من وسائل الصمود والمقاومة والرد على هجمات المسيحيين. وقد اتخذ المجاهدون من العرائش وتطوان وسلا وبادس منطلقاً لمطاردة السفن الإيبيرية وتخريب السواحل الإسبانية والبرتغالية.

نقف في المصادر البرتغالية على إشارات مفيدة إلى العمليات الجهادية التي نظمها المغاربة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر. أشار الإخباري البرتغالي ايانس دي زورارا Eanes de Zurara إلى محاولات البرتغاليين بعد احتلالهم لسبتة القضاء على النشاط البحري المغربي والغرناطي، وإلى المعارك البحرية التي خاضوها ضد السفن الإسلامية بالمضيق والبحر المتوسط، وادعى أن الانتصار حالف فيها المسيحيين. يبدو أن تلك العمليات العسكرية والهجمات التي تعرضت لها بعض المرافئ الجهادية قد أضرت بالملاحة المغربية والغرناطية على السواء. إلا أن النشاط البحري سرعان ما انتعش وتقوى باستقرار الأندلسيين بعدد من الموانئ الشمالية المغربية، وبوصول الأتراك في مطلع القرن العاشر (16 م).

وخصص الإخباري دو گويش (Damião de Gois) أربعة فصول لهجمات ناجحة نظمها مجاهدو العرائش وتطوان فيما بين 1516 و1521 استهدفت سفنا برتغالية. فخلال التاريخ الأول، استولى مجاهدو العرائش على "كرفيلا" برتغالية كانت تتأهب لدخول ميناء أصيلا، وكانت تحمل عدداً من البرتغاليين بعضهم من النبلاء. وفي نفس السنة، تمكن مجاهدو تطوان من أسر سفينة برتغالية أخرى. وذكر نفس المؤلف ضمن أحداث سنة 1520 ما حققه أخوان من تطوان سماهما خاكروس (Xacros)، كان لكل واحد منهما مركب خاص، إذ "ألحقا لمدة أربع سنوات متتالية أضراراً بليغة بالمنطقة الممتدة بين سبتة والعرائش وجبل طارق وBarbaçote". وقد اضطر نفس الإخباري، وهو يسرد تلك المنجزات، إلى الاعتراف بأن "المسلمين كانوا حاذقين في أمور البحر". وذكر دو گويش أن الهجمات التي كانت تنطلق من تطوان دفعت بالملك البرتغالي إلى التفكير في إغلاق مصب نهر مرتيل. وحث العاهل الإسباني من جهته جاره على إنجاز العمل المذكور في رسالة مؤرخة في 5 ماي 1520 أورد المؤلف محتواها : "ألح عليه بأن يشيد حصنا في أقرب الآجال للدفاع عن المسيحية وحماية ممالكها بذلك المصب، لجعل حد للأضرار والخسائر التي يتسبب منها مسلمو تلك الجهة بواسطة مراكبهم وسفنهم فيما بين الساحل (المغربي) والمضيق وغيرهما." وأشار الإخباري المذكور إلى أن الملك الإسباني طلب من العاهل البرتغالي السماح له، في حالة تعذر البناء عليه، بإنجازه وتحمل مصاريفه".

وتعرض الإخباري البرتغالي دو سوزا (de Sousa) لذكر حروب بحرية أخرى دارت بين مجاهدي تطوان والعرائش من جهة، وقطع من الأسطول المذكور بالمضيق حتمته المضايقات التي سببها النشاط الجهادي المغربي والتركي للبرتغاليين. فقد ذكر ضمن أحداث سنة 1529 معركة بحرية وقعت بين مركب تطواني وآخر برتغالي كان متوجها صوب أصيلاً. وتعرض نفس الإخباري إلى معركة أخرى دارت بين ثلاثة مراكب من بادس وقطعة من الأسطول البرتغالي المكلف بحماية المضيق.

ومما لا شك فيه أن الإخباريين المذكورين لم يذكرا كل المعارك البحرية بين المغاربة والإيبيريين، وأنهما، كغيرهما من المسيحيين، اعتمدا التقليل من أهمية تلك الانتصارات المغربية.

ووقفنا بمحاضر محاكم التفتيش الدينية البرتغالية على مايضيف إلى ماسبق ذكره حقيقة بالغة الأهمية، إذ تؤكد بما لايدع مجالاً للشك أن الجهاد البحري لم يقتصر على سكان المدن الساحلية وعلى ذوي العادات والخبرات البحرية، بل شمل كذلك أشخاصاً ينتمون إلى مناطق داخلية كالقصر الكبير ومراكش وتارودانت وفاس. فقد كان من المغاربة الذين مثلوا أمام المحققين أشخاص أسروا بعد هجوم فاشل على السواحل أو السفن البرتغالية ينتمون إلى المدن المذكورة. وبذلك يكون المغاربة، من بدو وحضر، قد أسهموا في ذلك المجهود الوطني الذي صاحب وعزز الجهاد البري الذي كان الرأي العام الوطني، المؤطر من لدن الفقهاء والمتصوفة، يوليه أهمية قصوى (راجع مادة جهاد بري).

وأطّر الجهاد البحري وأشرف عليه قواد المدن التي لم تكن محتلة كتطوان وسلا وبادس قبل احتلالها (1508 ثم 1564). وأسهم قائد القصر الكبير بدوره في هذا النشاط انطلاقاً من ميناء العرائش الذي كان تحت نفوذه. واعتمد القواد المذكورون على بحارين مغاربة وأطر أتراك وعلوج. فقد ذكر دوسوزا de Sousa أن بحارا برتغاليا من أصيلا

التجأ إلى القصر الكبير حيث أسلم. وخصه القائد بمركب يحمل بحارة مغاربة وأتراكا لمهاجمة الجنوب البرتغالي ومنطقة الأندلس الإسبانية، حيث استطاع أن يغنم ويأسر الكثير. فقد هاجم يوماً مدينة "فارو" البرتغالية على رأس أسطول صغير يضم سفينتين جزائريتين وثلاث سفن من بادس وتطوان والعرائش. واستطاع أسر خمسين أو ستين من سكان تلك المدينة. وفي طريق العودة، استولى على سفينة برتغالية كانت راجعة من جزيرة الرأس الأخضر. محملة قطنا وعاجا، وكانت تحمل عشرين بحارا. وهاجم مرة أخرى مدينة "سان لوكار" الإسبانية ودخل الوادي الكبير في اتجاه إشبيلية، الأمر الذي "فرض على الملك يوحنا إرسال أسطول... لحماية "الغرب" [الجنوب البرتغالي] والمضيق وطرد هؤلاء القراصنة وإكراههم على الانسحاب إلى قواعدهم". وأشار نفس الإخباري إلى استيلاء مجاهدي سلا على سفينة برتغالية.

نشير إلى أن محاضر محاكم التفتيش الدينية تؤكد بما لايدع مجالا للشك أن نشاط سلا الجهادي لايعود إلى استقرار الهرناشيين بها في بداية القرن الحادي عشر (17 م)، بل يعود إلى العقود الأولى من القرن السابق. فقد كان في ملكية قائدها عدد من المراكب، كان جل رؤسائها من الأتراك والعلوج. فمن خلال محاكمة البحار الجنوي الأصل المسمى فتشنتي جينوفيس Vicente Genives، الذي أسر سنة 1550 بعد هجوم فاشل على الجنوب البرتغالي، وحوكم بتهمة الردة واعتناق الإسلام ومحاربة المسيحيين، نعلم حقائق هامة وجديدة عن النشاط البحري بالمدينة المذكورة. فقد كان هذا البحّار إيطالي الأصل، أسره الأتراك بالساحل الإسباني في سفينة جنوية وحملوه إلى الجزائر حيث أسلم وعمره آنذاك ثمان عشرة سنة. وقد تمسك بإسلامه وأبلى البلاء الحسن في مطاردة السفن المسيحية ومهاجمة السواحل الإيبيرية، وأسر عشرات المسيحيين. وقد عمل بالجزائر وبادس والعرائش وتطوان وسلا. وكان حين أسره في خدمة قائد المدينة الأخيرة، ولم يكن سنه يتجاوز آنذاك الثلاثين سنة. وذكر أحد شهود عيان أمام المحكمة أنه لما كان أسيرا بسلا، شاهد المتهم عائداً إلى تلك المدينة بسفينتين برتغاليتين محملتين قمحا كان موجها إلى ثغر مازيغن، وكان على متنها ستة عشر فرداً. كما ذكر أن العلج المذكور هاجم مرة قادس و "سان لوكار" وأسر سبع أو ثمان سفن. ومن خلال نفس المحضر، نعلم أن كلا من قائد سلا و "أمير بادس" كان يملك سفنا. وتخبرنا شهادة أخري، بأن المتهم كان في خدمة قائد بادس سنة 1542، وأنه أسر مرة ثلاثة وثلاثين برتغاليا في مركب كان متوجها إلى سبتة.

وبالطبع، لم تكن السفن الجهادية لتهدد، نظراً لعددها ونوعيتها، المكتسبات الإيبيرية بالمغرب العربي، ولم يكن بإمكانها ضرب حصار على الثغور المحتلة والحيلولة دون توصلها بالأقوات والعتاد، كما لم تكن النتائج المحصل عليها في مستوى الضربات الموجعة التي ألحقتها مثلاً القرصنة الفرنسية بالأسطول التجاري البرتغالي. إلا أن تلك العمليات الجهادية شوشت على الإيبيريين وزادت من مشاكلهم العسكرية والمالية.

وتنبه الشرفاء السعديون مبكراً إلى ضرورة إنشاء أسطول لحماية السواحل المغربية، وإفشال المخططات التوسعية الإيبيرية والعثمانية. وحاولت الدولة، كما تؤكد ذلك محاكمة بعض البحارة الذين سقطوا في شباك محاكم التفتيش، الاستفادة من خبرات من كان يُقبل منهم على الموانئ المغربية، وإغراءهم للإقامة بها ولتأطير الجهاد البحري بها. ويبدو أن المحاولات المبذولة من لدن السلاطين الأوائل قد أتت أكلها إذ أصبح الأسطول المغربي يتكون في عهد عبد الله الغالب من ثلاثين قطعة، ومن أربعين في عهد أخيه عبد الملك المعتصم. ومعلوم أن المنصور أولى الأسطول عناية خاصة، إلا أن الأزمة التي عرفها المغرب بعد وفاته سنة 1603 عصفت بكل تلك الجهود.

وإذا كانت نواة الأسطول السعدي قد تلاشت مع اندلاع الحرب الأهلية التي تسبب فيها أبناء المنصور وحفدته، فإن هجرة الحرناشيين إلى القصبة الموحدية على الضفة الجنوبية لأبي رقراق (1017 / 1608)، واستقطابهم لعدد هام من مطرودي الأندلس، واستقرارهم في "سلا الجديدة"، بالجزء الغربي من رباط الفتح، فيما بين سنتي 1018 - 1023 / 1609 - 1612 أعطى المغرب قوة بحرية ضاربة، اتخذت من المبادرة الشعبية أسسا لإقامتها، ومن الجهاد المقدس أسلوباً لعملياتها، ومن مرسى سلا الجديد قاعدة لمواسمها، مما أكسب المنطقة شهرة عالمية ضاهت صيت قاعدة الجزائر، كأنشط مرفأ جهادي وأقصى قاعدة للملاحة الإسلامية.

وما كان لحركة الجهاد البحري السلاوي هذه أن تحقق ذلك النجاح لولا بروز مصب أبي رقراق كأقرب نقطة إلى مضيق جبل طارق المحتل من لدن الإيبيريين، ومتاخمته للخطوط الملاحية الأطلسية النشيطة، واستفادته من الصراع المحتدم بين الدول الأوروبية الذي تعدى مجاله القاري ليشمل المجال الحيوي الأطلسي، الأمر الذي سمح للبحرية السلاوية بلعب دور مؤثر في الملاحة التجارية العالمية في ساحة تمتد من الجزر الخالدات جنوباً إلى إسلنده شمالاً، ومن بحر المانش شرقاً إلى سواحل كندا غرباً، متأثرة بالدوافع الدينية - النفسية العميقة، القائمة على الصراع التقليدي بين العالمين الإسلامي والمسيحي عامة، وعلى الرغبة في الانتقام من إسبانيا خاصة، مع ما كان يوفره ذلك من مردودية اقتصادية ومن تمجيد شعبي، إذ لم يكن "أحد يحظى في أوساط العامة بالتقدير والإعجاب قدر ما كان يحظى به أولئك المجاهدون" (الأب دان : ص 72).

إن ما شجع المستقرين الجدد بالضفة الجنوبية للمصب

على الانخراط في الجهاد البحري، هو التنافر الاجتماعي الحاصل بينهم وبين العناصر الأصلية المحيطة بهم، مما حال دون اندماجهم في وسطهم الجديد، ودفعهم للتحول كليا نحو المجال البحري الذي كان يشهد سنوياً مرور مائتي سفينة تجارية إسبانية، مستغلين نشوء نواة أسطول جهادي على يد اللاجئ الغرناطي الرايس الدغالي، وضعف القبضة السعدية في المنطقة، وثراء الممولين الحرناشيين. وكان لسقوط المعمورة في يد الاسبان (1023 / 1614)، أثر فعال في الانطلاقة الفعلية للجهاد البحري، بلجوء عدد من العلوج والمغامرين إلى سلا لتتحد المجهودات في شن حرب استنزافية ضد مصالح إسبانيا خاصة، ودول أوروبا عامة، انتقل معها مسرح العمليات من المياه الاقليمية المغربية إلى الغزو المتكرر لبحار شمال أوربا، وسيطرة سفن الجهاد على بحر المانش وسواحل انجلترا، تحت رئاسة العلج الهولندي الشهير موراطو رايس، الذي أسندت إليه إمارة البحر منذ سنة 1033 / 1622.

زودت هذه النجاحات العمليات الجهادية بالحوافر المطلوبة، ذلك أن الأعشار المفروضة على مداخيل موسم جهادي واحد في جمرك سلا تضاهي سنة ضريبية في المغرب على عهد أحمد المنصور، دون الآثار الاقتصادية الأخرى المتمثلة في إعادة بيع المغانم للتجار الأروبيين المتوافدين على المنطقة. وبذلك بدا الجهاد البحري بمثابة صناعة حقيقية بكافة مواصفاتها، من تمويل يغذيه الأندلسيون والمداخيل السنوية، وأدوات عمل من سفن وتجهيزات، تساهم الأوراش القائمة عند قدم صومعة حسان في جزء منها، بينما وفرت المغانم الجزء الأعظم بعد إدخال تحسينات عليها تلائم طبيعة العمل، مما جعل الأسطول العامل يتراوح سنوياً بين ثلاثين وأربعين قطعة من مختلف الأنواع فيما بين سنتي 1031 - 1035 / 1622 - 1626.

وسيكون لهذا التحول أثر كبير في دفع رجال الجهاد البحري إلى تأسيس نظام جمهوري خاص بالضفة الجنوبية، معلنين الانفصال التام عن السلطة السعدية المتخاذلة فيما بين سنتي 1036 - 1051 / 1627 - 1641، لإتاحة المزيد من الاستقالية للعمل الجهادي، وتحقيق أزهى فتراته، حيث عززت سفن المجاهدين - التي بلغت خمسين وحدة سنة 1047 / 1637، قبضتها على النواحي الشرقية للمحيط الأطلنطية، ووصلت عملياتها إلى جزيرة إيسلندة، وسواحل "الأرض الجديدة" (Terre Neuve) بشرق كندا، بل قد يكون بعضها بلغ شواطئ أمريكا الجنوبية (J. Montri : P 86). وبلغت مداخيل جمرك مرسى سلا من أعشار المغانم خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1039 - 1049 / 1629 - 1639 سبعة وعشرين مليون دوكا رغم توقف المواسم الجهادية جزئياً أو كلياً بعض السنوات من جراء الحرب الأهلية بين جرناشيي القصبة وبين أندلسيي سلا الجديدة (1033 / 1629)، وكذا فترات حصار العياشي المتكررة للضفة الجنوبية، وخاصة منذ سنة 1048 / 1638، إلى حين مقتله سنة 1051 / 1641، في أعقاب صراعه مع الدلائيين.

وبسيطرة الدلائيين على مراكز سلا الثلاثة، تمتع الجهاد البحري بالاستقرار السياسي والاجتماعي الذي كان في أمس الحاجة إليه، مما فتح الباب أمام الانحراط الفعلي لسكان سلا القديمة فيه إلى جانب الأندلسيين، وأعطى دفعة جديدة للعمليات الجهادية، وانتظاماً متواصلاً للمواسم، أصبح معها لقب "الرايس السلاوي" يثير الرعب في نفوس ربابنة وبحارة مختلف الأساطيل الأوربية وسكان السواحل، وصار معروفاً في أوساطهم باسم "وباء المسيحية"، ولم تتمكن أوربا من تأمين خطوطها الملاحية رغم دوريات الخفر والملاحقة والحصارات المتتالية على مرسى سلا، والضغوط العسكرية والدبلوماسية لإجبار الدلائيين والمجاهدين على توقيع معاهدات السلم وحرية التجارة واحترامها.

وأضرت الاضطرابات السياسية التي عرفتها المنطقة في ما بين سنتي 1071 - 1077 / 1660 - 1666 من جراء الصراع بين الدلائيين والخضر غيلان، والتي استمرت إلى حين سيطرة مولاي الرشيد العلوي على سلا، بالعمليات الجهادية السلاوية التي عرفت توقفا واضحاً. وتبعا لذلك، انتقلت المبادرة من يد السلاويين إلى مجاهدي الجزائر، ولم يعرف الوضع عودة إلى طبيعته الأصلية إلا خلال عهد السلطان المذكور. إلا أن تجريد الجهاد البحري من طابعه الشعبي ووضعه تحت الإشراف المباشر للسلطة المركزية كان مؤشراً على نهاية استقلالية الجهاد السلاوي.

وتعزز هذا التحول في عهد المولى إسماعيل، الذي جعل كافة سفن الجهاد ورجالاته تحت إمرته، وأخضع مردودية العمليات من مغانم وأسرى لمراقبة الدولة، وجعل الجهاد البحري ورقة ضغط في سياسته الخارجية، بتحريك السفن ضد هذه الدولة أو تلك، معتمدا في ذلك على عدد رياس مصب أبي رقراق، وعلى رأسهم المجاهد الشهير عبد الله ابن عائشة الذي تمكن خلال حياته الجهادية (1083 - 1110 / 1672 - 1698)، من تحقيق أكثر من ثلاثين عملية غنيمة في فترة تراجعت خلالها مقومات العمل الجهادي، بسبب إعراض الممولين والبحارة المحنكين عن الانخراط فيه لضعف المردودية الناتج عن احتكار الدولة لأدواته ونتائجه، إلى جانب تنامي قوة الردع الأوربية ومراقبتها الشديدة لتجارة التهريب، مما حرم الأسطول من الإمدادات التقنية المطلوبة، وأدى إلى تناقص كفاءته إلى أقل من عشر سفن سنويا، رغم المجهودات المبذولة من قبل مولاي إسماعيل، الأمر الذي اضطر معه في الأخير إلى الرضوخ للضغوط الأوربية العنيفة، وخاصة ضغوط الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، إذ نقل في سنة 1110 / 1698، أمير بحريته ابن عائشة المذكور من مجال الجهاد إلى مجال الدبلوماسية ليقوم بسفارته الشهيرة إلى باريس، وبذلك انتهت آخر مرحلة ناصعة من تاريخ البحرية المغربية.

إن الشهرة الكبيرة التي حققها المجاهدون السلاويون، وذيوع صيتهم عالميا تحت لقب "قراصنة سلا" تعود بالدرجة الأولى إلى تكتيكاتهم، إذ تجمع أغلب الوثائق والمؤلفات على أن أسطولهم كان دون مستوى أساطيل الجهاد الأخرى في الجزائر وتونس، سواء من الناحية العسكرية أو التقنية. كما أن الأسطول المذكور لم يكن في حجم النتائج المحققة طوال القرن الحادي عشر (17 م) التي تعود في الحقيقة إلى فعالية المجاهدين وحسن تنظيمهم، ومهارة تسييرهم، وحسن استغلالهم للخلافات الأوربية.

لم يكن رياس البحر السلاويون يعترفون - قبل العهد العلوي - بأية سلطة أخرى غير سلطة المولين الأندلسيين، مما فتح أمامهم مجالاً أرحب لتنفيذ الارتجال العسكري والمبادرة الملاحية الحرة وفق ما تقتضيه العمليات الجهادية ومواسمها التي كانت في العادة تدوم من أبريل إلى نهاية شتنبر، منطلقين في مجموعات مكونة من سفينتين إلى ثلاث، تمتاز بالسرعة والقوة العسكرية الضارية، وبسرعة المناورة المظهرية، وبخضوعها لإشراف رياس سلويين أو أندلسيين أو علوج مختارين بعناية فائقة من قبل الساهرين على مؤسسة الجهاد. وخولت لأولئك الرياس صلاحيات واسعة قبل وأثناء المواسم، من اختيار الطاقم والمتطوعين، إلى سلطتهم التامة على متن السفن وفق الأعراف والتقاليد الجاري بها العمل، إلى تحفيز المشاركين لإنجاز العمليات الجسورة التي من شأنها تحقيق مغنم هام يوفر تعويضات مرضية لكل فرد وفق نظام أسهم يراعي المراتب والوظائف.

وقد كان الطاقم العادي للسفينة الجهادية يتراوح بين مائة ومائتي بحار حسب حجمها، يتفرع تنظيمياً إلى أربع وحدات متخصصة، تكلف كل منها بوظيفة معينة، وتتعاون جميعها خلال اللحظات الحاسمة وهي : قيادة السفينة والفريق التقني وطاقم السفينة وفريق الانقضاض.

شكّل العنصر الأندلسي - ومعه المغربي والتركي - رأس هذه القوة، إذ من بين تسعة وأربعين أمدتنا وثائق القرن الحادي عشر (17 م) بمعلومات عنهم، شكل هؤلاء ثمانية وثلاثين رايسا بحريا، في حين كان دور العلوج من أصول مختلفة، وخاصة الأقاليم المتحدة، هاماً، سواء على مستوى القيادة أو في تسيير السفن. وكلف لأسرى المسيحيون، اعتباراً لأشتغالهم سلفا على متن السفن التجارية الأوربية، بنفس المهام. وكان من لاخبرة له منهم يكلف بمهمة التجذيف.

واستمرت السفن الجهادية خلال القرن الثاني عشر (18 م) في القيام ببعض العمليات المتفرقة التي لم ترق إلى مستوى القرن السابق، أعقبها توقف شبه تام خلال فترة الأزمة التي تلت وفاة مولاي إسماعيل (1140 - 1171 - 1727 - 1757)، إلى حين تولية حفيده سيدي محمد بن عبد الله الذي حاول استعادة مجد البحرية المغربية بالاعتماد على رياس مصب أبي رقراق، مدعّما كفاءتهم البشرية باستقطاب رجال البحر من الجزائر وتونس، بغية تنشيط العمليات الجهادية. إلا أن محاولته هذه لم يكتب لها النجاح نظراً للفارق التقني الكبير الذي أصبح يفصل بين البحرية المغربية والبحريات الأوربية، إلى جانب ضعف الإمكانيات الملاحية، وافتقار المغرب إلى مواد وتجهيزات السفانة، وتضاؤل الإمدادات الأوربية بفعل المراقبة الشديدة لتجارة التهريب، والردع الأوربي القوي، مما جعل النتائج لاتتجاوز كثيراً مستوى الخسائر، مما جعل السلطان يكتفي باستغلال ورقة الجهاد لفرض الجزيات على بعض الدول مثل الدنمارك والسويد والبندقية والنمسا، والبرتغال والولايات المتحدة الأمريكية، أو كورقة ضغط في سياسته الخارجية مع الدول الرئيسية مثل فرنسا وإنجلترة وإسبانيا.

وبفشل محاولة سيدي محمد بن عبد الله، دخل الأسطول الجهادي مرحلة نهايته الفعلية، وبداية اندثار الحضور الملاحي المغربي، والذي سيترسخ في عهد ولده مولاي سليمان بإعلانه التخلي النهائي عن الجهاد البحري سنة 1233 / 1817.

أ. بوشرب، *المغاربة والبحر*، مجلة بحوث، كلية الآداب المحمدية، ع. 4، 1991، ص. 53 - 70 ؛ الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة (1415 - 1574)*، أطروحة دكتوراة، كلية الآداب، الرباط ؛ ح. أميلي، *الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن 17 م*، "رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب الرباط، 1989.

R. Ricard, *Les Portugais au Maroc de D. de Gois, extraits de la chronique du Roi Dom Manuel de Portugal*, Rabat, 1937 ; *Les Portugais et l'Afrique du Nord*, extraits des *"Annales de Jean III de Luis de Sousa"*, Paris, 1940, 208 p. ; R. Coindreau, *Les corsaires de Salé*, Paris, 1948 ; A. Timoule, *Le Maroc à travers les chroniques maritimes*, 2ème éd. Casablanca, 1989 ; H. de Castries (et al.), *Sources Inédites de l'histoire du Maroc*, 1ère et 2ème série.

أحمد بوشرب وحسن أميلي

**الجهاد البري** (ضد الاحتلال البرتغالي) لم يكن التعثر الذي عرفه الغزو البرتغالي بالمغرب وليد قلة الإمكانيات البشرية والمالية لدى البرتغاليين فحسب، بل ترتب كذلك عن معاكسة المغاربة العنيفة والمختلفة المظاهر له، كما تجلى ذلك من خلال الفواجع التي مُني بها الغزاة بطنجة والمليحة والمعمورة. واختلفت مظاهر المقاومة المغربية : فزيادة على مقاطعة الثغور ومنع أي شيء من الدخول إليها، عرضها المغاربة لعمليات عسكرية اختلفت خطورتها. وكان من هذه العمليات ما تم على يد القبائل والمجاهدين، ومنها ما تم على يد جيوش الأنظمة القائمة آنذاك بالمغرب : الوطاسيين، والهنتاتين والشرفاء السعديين. لذا سنعرض لمختلف مظاهر المقاومة الشعبية، وماحققته من نتائج قبل الانتقال للمقاومة الرسمية.

الجهاد الشعبي : كان رد فعل المغاربة على سقوط

بعض المدن الساحلية واحتلالها من طرف البرتغاليين عنيفا وفوريا، ذلك أن البرتغاليين عانوا من صمود وهجمات كل القبائل المغربية القريبة من تلك الثغور، كما تؤكد ذلك المصادر المغربية والبرتغالية. فقد وصف المستعرب البرتغالي D. Lopes أوضاع الثغور المحتلة بقوله : "كنا نبقى داخل الثغور كما لو كنا على ظهر سفننا، إلا أن السفن كانت تمخر البحار بحرية، ناشرة نفوذنا وملحقة الهزائم بالأعداء، في حين كانت الثغور في كل مكان جامدة ومعرضة باستمرار لأمواج المغاربة العنيفة".

وشمل رد فعل المغاربة كل المناطق وكل الفئات الاجتماعية. فقد كان المجاهدون المرابطون أو المشاركون في الحركات لاينتمون إلى القبائل المجاورة للثغور وحدها، بل كانت أعداد مهمة منهم تنحدر من مدن داخلية كفاس ومكناس، أو تنتمي إلى مناطق نائية كدرعة وتافلالت. وكان هؤلاء المجاهدون لايكتفون بالمرابطة ومحاربة العدو، بل كانوا يتدخلون لدى الحكام المترددين أو المتقاعسين عن الجهاد لدفعهم إلى تحمل مسؤولياتهم. وهكذا اضطر بعض السلاطين إلى تنظيم "حركات" تحت ضغوط قام بها الفقهاء، وأصبح المغاربة يولون الجهاد أهمية قصوى، ويجعلون منه واجبا ضروريا على كل مغربي، حتى إن من الفقهاء والمتصوفة من امتنع عن الاتصال بالسلاطين الوطاسيين الذين تأكد تقاعسهم عن واجب الجهاد، وتفاوضهم مع النصارى، كما امتنعوا عن مجالستهم وأخذ هباتهم. وكان منهم من لم يُخف عداءه للدولة، وناهضها وحث الناس على عصيانها، وبذل مجهوداً سياسياً ضخماً للدعاية لأسرة الشرفاء السعديين الذين كان الأمل معقوداً عليهم في القيام بمهمة الجهاد. وكان على رأس هؤلاء المعارضين للدولة الوطاسية، المتصوفة المنتمون للطريقة الجزولية، كعبد الله العزواني الذي تعرض من جراء ذلك للسجن، وأبي الرواين، وعلي بن أحمد الدوار الذي كان يصيح بأعلى صوته وسط فاس : "اخرجوا يابني مرين، والله مانترككم ببلادنا ..." ( *الدوحة*، ص 81).

وتشدد بعض المجاهدين وجعلوا من القيام بمهمة الجهاد أحسن مقياس للرجولة، واعتبروا إمامة من تقاعس عنه باطلة. فلقد عاد، إن صحت رواية ابن عسكر، الفقيه محمد بن يحيى البهلولي من إحدى الغارات التي نظمت ضد البرتغاليين بالهبط، فوجد الناس قد انتهوا من الصلاة على زوجته التي وافتها المنية، فأمر مرافقيه والحاضرين بإعادة الصلاة عليها. ولما لامه الناس على ذلك قال : "صلاتكم الأولى عليها فاسدة لكونها بغير إمام، فقالوا كيف ذلك يا سيدي ؟ فقال إن من شروط الإمام الذكورية، وهي مفقودة في صاحبكم، لأن الذي لم يتقلد سيفا قط في سبيل الله ولم يضرب به ولايعرف الحرب ... فكيف يعد إماما ذكرا ؟ بل إمامكم والله من جملة النساء ..." ( *الدوحة*، 60 - 61).

اتخذ الجهاد الشعبي عدة أشكال :

- مقاطعة الثغور المحتلة وتكفير من بقي بها وإباحة دمه، ونعت الخاضعين للغزاة "بعبيد النصارى". فقد كفر المغاربة يحيى أو تعفوفت، ربما بعد صدور فتاوى في حقه، لعمالته مع البرتغاليين. وقد أحرجه هذا الموقف كثيراً إذ اضطر إلى التأكيد في عدة مناسبات على تمسكه بدينه وغيرته عليه. وقد عبر عن هذا الإحراج في رسالة إلى أحد أصدقائه البرتغاليين : "يقول المسلمون : إني نصراني، ويقول النصارى إنني مسلم، أتأرجح هكذا دون أن أعرف أين أضع نفسي". (راجع مادة تعفوفت).

- اختطاف المحتلين والذين يفاجأون خارج أسوار الثغور من مسيحيين ويهود. واستطاع المغاربة نصب كمائن حرمت الغزاة من الراحة ومن إمكانية القيام بنشاط زراعي حول الثغور التي يحتلونها.

- ضرب حصار على الثغور المحتلة، وحرمانها مما كانت في حاجة إليه من مواد وحطب وكلأ ...

ونظراً لضعف السلطة المركزية، عرفت عمليات الجهاد الشعبي نوعين من التأطير :

1 - كان المتصوفة والفقهاء في مقدمة المجاهدين والمشجعين على القيام بذلك الواجب. وقد تبين لهم أن النجاح في تلك المهمة يقتضي القيام بأعمال متكاملة :

- الجهاد والمرابطة والعمل على تحرير الثغور المحتلة والتضييق على حامياتها. وذكر ابن عسكر الشفشاوني أسماء اثني عشر فقيها مجاهدا كان منهم من استشهد أو أسر. وتزخر الوثائق والمصادر البرتغالية بالإشارات إلى الأدوار التي لعبتها هذه الفئة في حث عموم الناس والحكام على الجهاد، وإلى المحاولات التي بذلتها لإبعاد القبائل العملاء عن البرتغاليين.

- نشر التعليم : اعتبر الفقهاء هذا العمل مكملاً للعمل الأول، فلقد ذكر ابن عسكر ان العالم عبد الله الورياغلي الذي كان يقيم بالقصر الكبير "... كان من عادته أن يشتغل بالتدريس في فصل الشتاء والربيع، ويخرج في الصيف والخريف يرابط بثغور القبائل الهبطية ..." (دوحة، 31).

- الوعظ والإرشاد ومحاربة البدع، وحث الناس على التمسك بالدين وعلى الجهاد. وأخذت هذه المهمة وقتاً كبيراً من الفقيه عبد الله الهبطي الذي كان يجوب البوادي الهبطية صحبة عشرات المريدين للاتصال بالسكان ووعظهم وإبعادهم عن البدع التي استحدثوها، كما بعث بعدد كبير من الرسائل إلى القبائل لنفس الغاية. ونظم *ألفية* ذكر فيها كل البدع التي أبعدت الناس عن دينهم وحثهم على التخلي عنها، وعلى العودة إلى تعاليم الكتاب والسنة. كما حث المغاربة على حمل السلاح وتحرير الثغور (دوحة، 7). وألف محمد ابن يجبش التازي *كتابا في الجهاد* ذكّر فيه المغاربة بما تعاني منه سواحل المغرب، ونبه إلى خطورة مايمكن أن يقع إذا لم يجمعوا كلمتهم ويوحدوا صفوفهم. واستعمل في

ذلك النثر والنظم وكل الحجج الممكنة لإقناع المغاربة بضرورة حمل السلاح والرد على التحدي (التذكير بالجنة، وبما حل بالسكان بسبب الأسر والهزائم، التذكير بما حل بالمعاهد الدينية ...)

2 ـ وفضلاً عن الفقهاء والمتصوفة انتصب بعض القواد، وخصوصاً بالهبط لتأطير الجهاد. وقد كان أشهرهم وأكثرهم نفوذاً قائد الشاون. ومعلوم أن شفشاون شُيدت أساساً لتأطير الجهاد والمرابطة بالهبط. وقد تنبه البرتغاليون إلى خطورة المشروع فحرضوا عملاءهم عى قتل المؤسس، قبل أن يتم بناء المدينة. وخلفه أخوه علي بن راشد الذي اشتهر كثيراً بالجهاد، والذي أسر مرة لمدة قصيرة. وبعد وفاته سنة 917 / 1511، خلفه ابنه إبراهيم ابن راشد الذي أعطى للجهاد نفسا جديداً، مما جعل البرتغاليين يعانون من عملياته كثيراً لكونه أصبح قائد كل جيوش الهبط. كما أبلت مدينة تطوان البلاء الحسن تحت قيادة المنظري في الجهاد البري والبحري، فقد لاحظ الوزان أن مطامير المدينة كانت تضم ثلاثة آلاف أسير مسيحي. وساهم قائد القصر الكبير، عبد الواحد بن طلحة العروسي، بدوره في العمليات العسكرية. وما أعطى لعمليات هؤلاء القواد فعّالية كبرى هو أنهم :

ـ كانوا أحراراً في التخطيط لعملياتهم العسكرية وفي اختيار أوقاتها وأهدافها.

ـ لم يكونوا يلتزمون باحترام الهدنة التي كان البرتغاليون يمضونها مع الوطاسيين، الشيء الذي كان يجعل الغزاة يعانون باستمرار من حالة الحرب.

ـ كانت عملياتهم العسكرية تخضع لتنسيق محكم، مما أعطاها خطورة كبرى، وسمح لها بتجنيد أعداد ضخمة من المحاربين.

واستطاع المجاهدون، المؤطرون من لدن المتصوفة ولفقهاء أو القواد، الحصول على نتائج مهمة، ذلك أن أهم سلاح اعتمدوا عليه، تمثل في عامل المفجأة الذي كانت العمليات العسكرية الرسمية تفتقر إليه.

ولهذا سقط عدد من البرتغاليين في الكمائن التي نصبها المجاهدون لهم، وأضحى مجرد ذكر اسم بعض المجاهدين يحدث الرعب في نفوس برتغاليي الثغور. فلقد نتج عن استشهاد أحد هؤلاء المجاهدين إقامة برتغاليي أصيلا لحفلات كبرى لأنهم قالوا : "... كان دائماً في مقدمة الصفوف لمهاجمتهنا، وكان يعرضنا وحده لحروب أكثر مما كانت تعرضنا لها كل المنطقة المجاورة للقصر والشاون..." (L. de Sousa). وتزخر المصادر البرتغالية بالإشارات إلى الكمائن التي نصبها المجاهدون حول الثغور وإلى معاناة الغزاة من ذلك، وانحصارهم بسببها داخل الأسوار. وقد أورد الإخباري R. Rodrigues الذي أقام مدة طويلة بأصيلا، تفاصيل معبرة في هذا الشأن.

كان من نتائج تلك العمليات العسكرية، حرمان البرتغاليين من منطقة مسالمة تؤدي الضرائب وتزود الثغور بالمواد الغذائية، وحماية القبائل القريبة من الثغور والرد على الغارات البرتغالية بما هو أعنف منها (كما تم بالهبط سنتي 1511 ـ 1512)، والإلحاح بالغارات على كل من سولت له نفسه التعامل مع النصارى (1512). ولهذا لم يكن البرتغاليون يتحكمون بالهبط إلا في المدن الساحلية، وكان انعدام هؤلاء القواد بالسوس هو ما دفع بالفقهاء إلى مبايعة الشرفاء السعديين لجعل حد لسطوة برتغالي أگدير، كما تسبب انعدامهم بدكالة في الإشعاع السياسي المؤقت الذي عرفته كل من أسفي وأزمور. وحتى في هذه المنطقة، لم تطل سطوة البرتغاليين. فقد ضيق المجاهدون الخناق على أزمور وحرموا المحتلين من استعمال النهر الذي أحرقت به عدة مراكب، وأسر به عدد من الصيادين، كما حُرم البرتغاليون وحلفاؤهم من إمكانية استغلال البادية بكل اطمئنان. ،كان عدد من أولئك المجاهدين يفدون من منطقة "سلا"، وأصبح بعضهم معروفاً من لدن برتغاليي أزمور لكثرة نشاطهم هناك.

أما الجهاد الرسمي فقد امتاز بمجموعة من الخصائص رغم اختلاف الأنظمة :

ـ لم تكن مقاومة الغزو البرتغالي تحظى بكل اهتمام السلاطين المرينين والوطاسيين والهنتاتيين لقلة إمكانياتهم المالية والعسكرية (كان الوطاسي ينتظر توصله بالزكوات قبل تنظيم بعض الحركات)، ولانشغالهم بالحروب الداخلية ضد الثائرين. وحدٌ افتقار تلك العمليات لعامل المفاجأة من خطورتها، إذ كان خبر الاستعداد يصل إلى مسامع البرتغاليين قبل الغارة بمدة طويلة، مما كان يسمح لهم باتخاذ كل الترتيبات وطلب المساعدة من البرتغال وماديرا أو من الثغور الأخرى. لذلك كانت النتائج التي حصل عليها المسؤولون المغاربة جد هزيلة، ودون مستوى ما تطلبته عملياتهم العسكرية من جهود وضحايا. لقد كانت قوة الإيبيريين تكمن في مناعة تحصيناتهم وكثرة مدافعهم، ولهذا كانوا يتفادون الاصطدام مع جيوش سلاطين المغرب المتفوقة من ناحية الأعداد، وكانوا يكتفون بإغلاق أبواب مدنهم وانتظار مغادرة تلك الجيوش للمنطقة. وبما أن السلاطين كانوا يفتقرون إلى المدافع والأسلحة النارية وإلى وسائل الحصار ومصالح التموين، وبما أن غالبية الجنود كانت من المتطوعين، فإن حصارهم للثغور المحتلة كان يدوم مدة قصيرة.

وكان المغاربة يكتفون في هذه الغارات بنسف محاصيل البرتغاليين وأسر من فوجيء منهم خارج أسوار المدينة. ولهذا كانت العمليات العسكرية عبارة عن حركات مؤقتة لاتدوم طويلاً، ولاتجعل البرتغاليين يعانون باستمرار من حالة الحرب والحصار. وكان افتقار المغاربة إلى أسطول يفقد العمليات البرية مفعولها، إذ كان المحاصرون يتوصلون بكل ماهم في حاجة إليه عن طريق البحر.

وكلفت هذه النتائج الهزيلة السلطان الوطاسي عدداً

كبيراً من الضحايا بسبب طلقات المدفعية البرتغالية المنصوبة على أبراج المدن. فحسب الوزان، وهو شاهد عيان، كانت كل حركة وطاسية بالهبط تفقد الوطاسي ما لايقل عن خمسمائة من المحاربين.

وتعود هذه النتائج السيئة بالإضافة إلى قلة الإمكانيات، إلى انعدام التنسيق بين جيوش الوطاسيين والهنتاتيين والسعديين، إذ لم تتم ولو عملية عسكرية مشتركة ضد البرتغاليين، وذلك رغم الجهود التي بذلها السلطان محمد البرتغالي، والتي كلف بها الحسن الوزان سنتي 1514 و1515. ومما قلل من فعالية الهجمات المنظمة من لدن الوطاسيين والشرفاء السعديين، محاصرة مدينة معينة والانتقال بعد ذلك لمحاصرة أخرى، كما فعل محمد البرتغالي الذي كان يهاجم أصيلا قبل أن ينتقل إلي الهجوم على طنجة أو العكس. وكان أحمد الأعرج يحاصر أسفي دون أزمور أو أگدير، الأمر الذي كان يسمح للبرتغاليين بإرسال مساعدات عسكرية ضخمة للمدينة المحاصرة.

ونظراً لهذه النتائج الهزيلة، ولعجز المسؤولين المغاربة عن تحرير الثغور، أصبح كل ما يهدفون إليه من عملياتهم العسكرية هو الحيلولة دون تحكم البرتغاليين في المناطق الداخلية، وحرمانهم من المنتجات المحلية. ولهذا كانت جل الحركات تتم خلال فصل الصيف، لمنع القبائل الخاضعة من أداء الضرائب ومن بيع الحبوب للبرتغاليين. ولتحقيق هذه الغاية، كانوا يلجأون إلى إفقار القبائل الخاضعة، بالإلحاح عليها بالغارات، كما تم بدكالة خلال سنوات : 1514 ـ 1515 ـ 1517 ـ 1518، وقد ذاقت قبائل المنطقة الأمرين من تلك الحركات التي أسهمت في النقص الخطير في الحبوب الذي عانت منه المنطقة، بعد 1516، وخصوصاً خلال مجاعة 1521 الكبرى.

نتج هذا الموقف الذي اتخذه المسؤولون المغاربة عن تقويم سياسي خاطئ. إذ اعتقدوا أن سطوة البرتغاليين تعود إلى تعامل بعض القبائل معهم. لذا عملوا على إبعادها عنهم، دون توفير وسائل الصمود لها، ودون حمايتها من الغارات البرتغالية. وبما أن ذلك لم يتم لهم، فإنهم ألحوا على تلك القبائل بالغارات، وحالوا دون استفادتها من محاصيلها، مما جعلها بين نارين، تتعرض لهجوم البرتغاليين في حالة عصيانها، وللحركات الوطاسية في حالة الخضوع للنصارى.

وكان هذا التصور للجهاد بالسهول الغربية سبب نفور القبائل من الوطاسيين والتجائها إلى الشرفاء السعديين المستقرين منذ 1513 جنوب نهر تانسيفت.

صادف تأسيس الدولة الوطاسية سقوط مدينتي أصيلا وطنجة في أيدي البرتغاليين، وسقوط غرناطة في أيدي الإسبان، الأمر الذي جعل المغاربة ينظرون لها نظرة شوم، ويحملونها مسؤولية ما حل بالبلاد والعباد من إهانات، خصوصاً وأن محمداً الشيخ الوطاسي (1472 ـ 1505) أعطى الأولوية لتأسيس دولته وإخضاع البلاد لسلطته، وكان تبعا لذلك أميل إلى التفاوض وتقديم تنازلات للغزاة. فبعد احتلال أصيلا، أمضى معهم هدنة لمدة عشرين سنة، وسمح لهم باحتلال ماشاؤوا من الحصون والثغور الهبطية. وقد سمحت لم تلك الهدنة بدخول طنجة بدون حرب، واقتطاع العرائش لأحد النبلاء. ولم يحسن استغلال انتصاره بالجزيرة سنة 1489، واكتفى بتمديد الهدنة لعشر سنوات أخرى. ولم تخبرنا المصادر إلا بحملة واحدة نظمها ضد برتغاليي طنجة وأصيلا سنة 1501. إلا أن ابنه محمد البرتغالي (1505 ـ 1526) كان أكثر اهتماماً بالجهاد، ونظم عمليات هددت المكتسبات البرتغالية بالهبط ودكالة، كان بعضها خطيراً. فقد حاصر طنجة سنة 1511، وكاد أن يحررها، كما استطاعت جيوشه اقتحام أسوار أصيلا ودخولها سنة 1508، وإن لم يحسن استغلال هذا الانتصار وتمكن البرتغاليون الذين احتموا بالقصبة من التوصل بمساعدات من ماديرا والبرتغال. وعرَّض السلطان ضواحي أصيلا وطنجة لغارات خطيرة خلال سنتي 1511 ـ 1512. كما الحقت جيوشه التي كان يقودها أخوه الناصر بالبرتغاليين الذين حصنوا المعمورة (المهدية الحالية) هزيمة كبرى، اعتبرت أكبر هزيمة مُني بها البرتغال إلى ذلك التاريخ، إذ مات منهم أربعة آلاف شخص، وتكبدوا خسائر مادية هامة. ونزولا عند رغبة الدكاليين الذين التجاؤا إليه بعد احتلال أزمور في شتنبر 1513، اهتم السلطان الوطاسي بأوضاع دكالة التي تحركت جيوشه في اتجاهها سنوات 1514 ـ 1515 ـ 1517 ـ 1518. ورغم أن تلك الحركات لم تسمح بتحرير أي من الثغور، فإنها زعزعت المكتسبات البرتغالية، وحدت من سطوة حاميتي أزمور وأسفي اللتين كانتا تعيثان في المنطقة فساداً.

وبخلاف محمد البرتغالي، كان ابنه أحمد (1526 ـ 1548) أميل إلى التقاعس والتواطؤ مع البرتغاليين لخوفه من الشرفاء السعديين الذين سبق لأبيه أن حاصرهم بمراكش سنة 1523، خصوصاً وأن نفوذهم تزايد بالمنطقة، وأن إمكانياتهم العسكرية قد تضاعفت. لقد أصبح السلطان الوطاسي يجعل من القضاء على خصومه أول أولوياته، وللوصول إلى غايته قام بعملين متكاملين، فرضا عليه تناسي الجهاد والتواطؤ مع البرتغاليين.

تجسد العمل الأول في إعلان الحرب على السعديين : حصار مراكش (1527)، واقعة أنماي (1530)، ومعركتا بوعقبة (1536)، ووادي درنة (1545). أما العمل الثاني، فتمثل في محاولاته الرامية إلى الحصول على حلف وطاسي ـ برتغالي للقضاء على الشرفاد السعديين، والهادفة إلى الحصول على مساعدة عسكرية برتغالية لاحتلال ميناء تركوكو بحاحة الذي كان السعديون يتزودون فيه بالأسلحة والذخيرة. ولتحقيق الغايتين المذكورتين، كلف قائد الشأون بالتفاوض مع قبطان أصيلا وقائده على تادلا باتصال مع

قبطان أزمور. إلا أن الملك البرتغالي الذي بدأ منذ 1529 يفكر في إخلاء بعض الثغور، لم يعر عروض الوطاسي أي أهتمام. وبذلك يكون الوطاسيون قد عجزوا عن تحرير الثغور، واقتصر عملهم على تحرير المعمورة وزعزعة المكتسبات البرتغالية بدكالة.

ولم يكن للهنتاتيين بدورهم ما يكفي من الوسائل لمعاكسة التوسع البرتغالي بدكالة، ومنع احتلال ثغورها ومد النفوذ المسيحي في الداخل، رغم التجاء القبائل اليهم، ورغم وعد أمير مراكش لها بالمشاركة في الحصار الكبير الذي ضربته على أسفي في دجنبر 1510. وبعد أن أصبح التوسع البرتغالي بمنطقة دكالة يقترب من منطقة الحوز، اضطر الناصر الهنتاتي إلى التحرك سنة 1512. إلا أنه تكبد هزيمتين على يد البرتغاليين، وأخرى على يد عميلهم يحيى أو تعفوفت. وتفاديا لاصطدام جديد مع برتغاليي أسفي، التزم باتخاذ موقف الحياد خلال الهجوم الذي استهدف أزمور في شتنبر 1513. وأمام تزايد نفوذ البرتغاليين بالمنطقة، يقال إن الناصر ربما فكر في الدخول تحت حماية التاج البرتغالي، والسماح له بإرسال حامية برتغالية إلي مراكش. إلا أن المشروع لم يعرف النور. ولم يعجز الهنتاتيون عن منع نشر النفوذ البرتغالي بدكالة والحوز فحسب، بل عجزوا حتى عن منع الهجوم على عاصمة دولتهم التي تعرضت لهجومين، (1514، 1515). ووعيا منهم بضعفهم احتموا بالسعديين.

ومعلوم أن لمبايعة القائم بأمر الله علاقة بالغزو البرتغالي وبرغبة السوسيين في وضع حد لتعسفات النصارى، خصوصاً وأن الوطاسيين البعيدين عن المنطقة كانوا قليلي الإمكانات، مشغولين بالجهاد في مناطق أخرى. ويمكن تقسيم جهاد الشرفاء السعديين إلى مرحلتين :

- تميزت المرحلة الأولى، التي امتدت من تاريخ المبايعة إلى دخول مراكش، بقيام الشرفاء بهذه المهمة باسم الوطاسيين الذين كانوا يدينون لهم بولاء اسمي. كوّن القائم بأمر الله سنة 1511 نواة جيش رسمي يضم خمسمائة محارب، أصبحوا بعد ثلاث سنوات، ثلاثة آلاف، هذا فضلاً عن المتطوعين من جزولة وباقي بربر وعرب السوس. وبعد مضايقة عملاء البرتغاليين بالمنطقة، ضرب القائم بأمر الله سنة 1511 حصارا على فونتي المحتلة منذ 1505 لكن هذا الحصار لم يهدد البرتغالين لافتقاره لوسائل الحصار وللمدفعية.

لم يطل مقام القائم بأمر الله بالسوس، إذ انتقل سنة 1513 إلى الشياظمة بطلب ملح من سكانها الذين كان برتغاليو أسفي وعميلهم يحيى أو تعفوفت يضايقونهم. واستقر القائم بأمر الله بتدنيست (أفوغال في المصادر المغربية) قرب قبر الإمام الجزولي. وكان قبل ذلك قد تنازل عن السلطة لابنه الأكبر أحمد، وعين ابنه الآخر محمداً خليفة بالسوس. وحاول السعديون الحصول على الأسلحة والذخيرة لمحاربة البرتغاليين بنفس السلاح. لذا فتحوا ميناءين صغيرين بحاحة، تفطنا وتركوكو، في وجه التجار الإسبان والفرنسيين والإيطاليين وحتى البرتغاليين، الذين تقاطروا عليهما لرغبتهم في تكسير الاحتكار الملكي للتجارة بالمغرب، وفي الاستفادة من الإعفاء الضريبي بالمرفأين.

ونجح برتغاليو أسفي، المساندون من لدن يحيى وقبائله، في جعل أحمد الأعرج في حالة دفاع، وذلك بالإلحاح عليه بالغارات خلال 1514 و1515، وطرده من المعاقل التي التجأ إليها (راجع مادتي تدنيست، أكلاگل)، وبخلق عميل هناك لشغله في حروب داخل منطقة الشياظمة، حالت دون نقل عمليات السعديين إلى شمال نهر تانسيفت. ودون اتصاله بقبائل دكالة المرغمة على الرضوخ. وعلى الرغم من المشاكل المذكورة، استطاع أخوه أحمد في بداية العشرينات من القرن تحقيق مكتسبات مهمة. فقد استطاع محمد الشيخ ضرب حصار دائم على أگادير وقطع الطرق المؤدية إليها، ومنع أي شيء من الدخول إليها، واستطاع أخوه أحمد تهديد المكتسبات البرتغالية تهديداً خطيراً بعد 1518، أي بعد قتل أكبر قباطنة أسفي (1516)، واغتيال يحيى أو تعفوفت (1518). وألحق أحمد هزيمة لكراء بحامية أسفي وأسر قبطانها سنة 1522، وضرب حصاراً على الثغر وحال دون وصول أي شيء إليه، الأمر الذي أرغم القبطان الجديد على إمضاء هدنة معه اعتبرت مهينة للبرتغال، لكونه قبل بمقتضاها أن تؤدي ضواحي وأرباض أسفي الضرائب للسعدي. ومعلوم أن هذه الانتصارات كانت سبب استدعاء الهنتاتي لأحمد الأعزج وتخليه له عن السلطة.

أما المرحلة الثانية لجهاد السعديين فقد شغلتهم حروبهم ضد الوطاسيين عن تكريس مجهودهم للجهاد، وكان عليهم، لإفشال مخططات الوطاسين والتفرغ لمحاربتهم، إمضاء هدنة مع المسيحيين. لذا لم ينزل الشرفاء بكل ثقلهم على الثغور إلا مرتين، واحدة بأگدير سنة 1533، والأخرى بأسفي في السنة التالية. وقد تبين للأخوين من الحصارين المذكورين ضرورة الاعتماد بشكل مكثف على المدفعية والأسلحة النارية. وهكذا أعطيا الأولوية لصنع المدافع (اعتماداً على نحاس السوس) واستيرادها، وإغراء الأتراك والعلوج برواتب مرتفعة. ومعلوم أن الانتصار الكبير المحقق بأگدير سنة 1541، الذي نتج عنه قتل أو أسر كل أفراد الحامية البرتغالية، يعود أولا وقبل كل شيء لدور المدفعية الثقيلة في تحطيم أسوار الثغر. وكانت الهزيمة كبرى، أفزعت المسؤولين بلشبونة، وأكرهتهم على إخلاء أسفي وأزمور (1541) بدون حرب. وبعد دخول محمد الشيخ إلى فاس، وتوحيده للمغرب، خاف البرتغاليون من جديد وتخلّوا عن أصيلا والقصر الصغير (1550). إلا أن محمداً

الشيخ وخلفاءه لم يعملوا على تحرير باقي الثغور المحتلة (راجع مادة ثغور) لأسباب كثيرة أهمها ثلاثة :

- الخلاف الذي نشب بين الأخوين محمد الشيخ وأحمد بعد تحرير أگادير حول توزيع الغنائم وحول ولاية العهد بعد أن أصبح الأعرج يفكر في تعيين ابنه. وتسبب الخلاف في معركتين كسبهما محمد الشيخ، وعزل أخاه أحمد.
- انشغال محمد الشيخ بمحاربة الوطاسيين.
- خوف السلاطين السعديين من الأطماع التوسعية العثمانية بالمغرب، الأمر الذي جعلهم يميلون إلى التقرب من الإيبيريين، أو على الأقل جعل الأتراك يعتقدون ذلك.

وهكذا بقيت ثغور محتلة هي، مازيغن وطنجة ومليلية وسبتة وحجرتا بادس.


أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور*، البيضاء، 1984 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب، الرباط.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila, cronica do século XVI*, Publ. D. Lopes, Coimbra, t. 1. (1508 - 1525), 1915, LII + 498 p., t. 2. (1525 - 1535, supplemento : 1536 - 1550), 1919, XIX + 536 p. ; R. Ricard, *Les Portugais au Maroc* de D. de Gois, extraits de *la chronique du Roi D. Manuel de Portugal*, Rabat, 1937, 268 p. ; *Les Portugais et l'Afrique du Nord*, extraits des *Annales de Jan III de Luis de Sousa*, Paris, 1940, 208 p. ; *Mazagan et le Maroc sous le règne du Sultan Moulay Zidane, (1608 - 1627) d'après le "Discurso de Gonçalo Coutinho", gouverneur de Mazagan (1629)*, Paris, 1956, 188 p. ; *Un document portugais sur la place de Mazagan au début du XVIIème siècle*, Paris, 1932, 72 p. : *"Notes sur la tactique militaire dans les places portugaines du Maroc", Bulletin Hispanique*, XXXV, 1933, pp. 448 - 453, repris in : *Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc*, Coimbra, 1955, pp. 345 - 355 ; *"Le problème de l'occupation restreinte dans l'Afrique du Nord", Annales. Economie, Société*, 1936 ; D. Lopes, *"Os Portugueses em Marrocos"*, in : *Historia de Portugal*, dir. D. Pires, Barcelos, 1931, t. 3, pp. 385 - 544, t. 4, pp. 78 - 121 ; P. de Cénival, *Chronique de Santa Cruz do Cabo de Gué. (Agadir)*, texte portugais du XVIe siècle, Paris, 1954, 170 p. ; J. Figanier, *Historia de Santa Cruz do Cabo de Gué (Agadir). 1505 - 1541*, Lisboa, 1945, 430 p.


أحمد بوشرب

**الجهة**، وحدة ترابية دستورية تجسّد سياسة اللامركزية، وتعتبر بهذه الصفة إطاراً إدارياً وتنموياً وكذا حلقة وصل بين السلطة المركزية والمستوى الإقليمي والمحلي. فهي جماعة محلية تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلالية المالية والاختصاصات التي يقررها مجلس منتخب.

لقد نشأت رسمياً، تحت اسم المنطقة الاقتصادية، بمقتضى ظهير 16 يونيو 1971، وفي ظرفية كانت تحتّم فيها البرامج والمخططات الاقتصادية والاجتماعية أخذ البعد الجهوي بالاعتبار. وهكذا تم تقسيم المغرب إلى سبع مناطق اقتصادية، وهي 1 ـ الجنوب (أگادير) 2 ـ تنسيفت (مراكش) 3 ـ الوسط (الدار البيضاء) 4 ـ الشمال الغربي (الرباط) 5 ـ الوسط الشمالي (فاس) 6 ـ الشرق (وجدة) 7 ـ الوسط الجنوبي (مكناس).

تمكّن هذا التقطيع الجهوي من زرع روح الانتماء المجالي إلى وحدات أوسع من الأقاليم والعمالات، ومن خلق تقليد جهوي يتمثل في تكاثر وارتكاز الدراسات والأبحاث على تلك الوحدات الترابية. غير أن التجربة الأولى للجهوية لم تتّسم بالفعالية المرجوة في ما يخصّ التوزيع المجالي للمناطق الاقتصادية، وما يتعلق بالجانب الاقتصادي والاجتماعي، وكذلك الإطار القانوني والتنظيمي. ذلك أنه رغم طابعها التمثيلي والأهداف المسطرة لها والمهام المنوطة بها، كانت مجالس المناطق، المتكوّنة من ممثلي العمالات والأقاليم والغرف المهنية، تفتقد عموماً روح المبادرة ولا تتوفر على الوسائل المادية والمالية الكافية. فظل دورها منحصراً، بقوة القانون أو بفعل الواقع، في الاستشارة والإخبار حول التصورات والمنجزات. أما التوجهات التنموية والاختصاصات التقريرية والتنفيذية فكانت مسندة في غالب الأحيان إلى المصالح المركزية وإلى سلطة الوصاية.

لتصحيح النقص الحاصل في الوضع القانوني للمنطقة الاقتصادية نص الدستوران المراجعان لسنتي 1992 و1996 على ترقية الجهة إلى مستوى الجماعة المحلية، ثم صدر القانون الجديد المنظم للجهات في 2 أبريل 1997، ولحقه في 17 أغسطس 1997 المرسوم المحدد لعدد الجهات وأسمائها ومراكزها ودوائر نفوذها وعدد المستشارين الواجب انتخابهم حسب كل عمالة وإقليم وجماعة محلية وهيأة ناخبة. وقد جاء هذا القانون ليس فقط لتدارك الهفوات والعيوب المتراكمة عبر سيرورة التجربة الجهوية السابقة، ولكن أيضاً قصد إبداع صيغ جديدة لإدارة وتدبير شؤون الجهة وللرفع من مستواها في شتى الميادين.

إن أول ما يسترعي الإنتباه في هذه المستجدات هو تقليص مساحة الجهات، وبالتالي الزيادة في عددها. ومن شأن ذلك مباشرة تكثيف استثمار مختلف الطاقات والوسائل الموجودة داخل الجهة، والتقليل من التباين واختلال التوازن، وأيضاً تعزيز الخصوصيات الجهوية، والتحكم الأفضل في مجموع تراب الجهة من حيث الجوانب التمثيلية والإدارية والتدبيرية والتجهيزية. أما من الناحية القطاعية والتسييرية، فقد أصبحت الجهة تتمتع باختصاصات تقريرية واسعة، كما أصبحت تتوفر على كفاءات حقيقية وإمكانات ذاتية أو نابعة من التعاون المشترك بين الجهات أو علاقات الشراكة مع الجماعات المحلية الأخرى والمؤسسات العمومية والخاصة. زد على ذلك أن الصلاحيات المخولة للجهة أصبحت ترتبط بميادين اقتصادية واجتماعية وثقافية وبيئية أهم من تلك التي تتعلق بالجماعات المحلية الأخرى، وأن قضايا تنمية الجهة أصبحت تعالج في إطار مخططات جهوية للتنمية ولتهييء

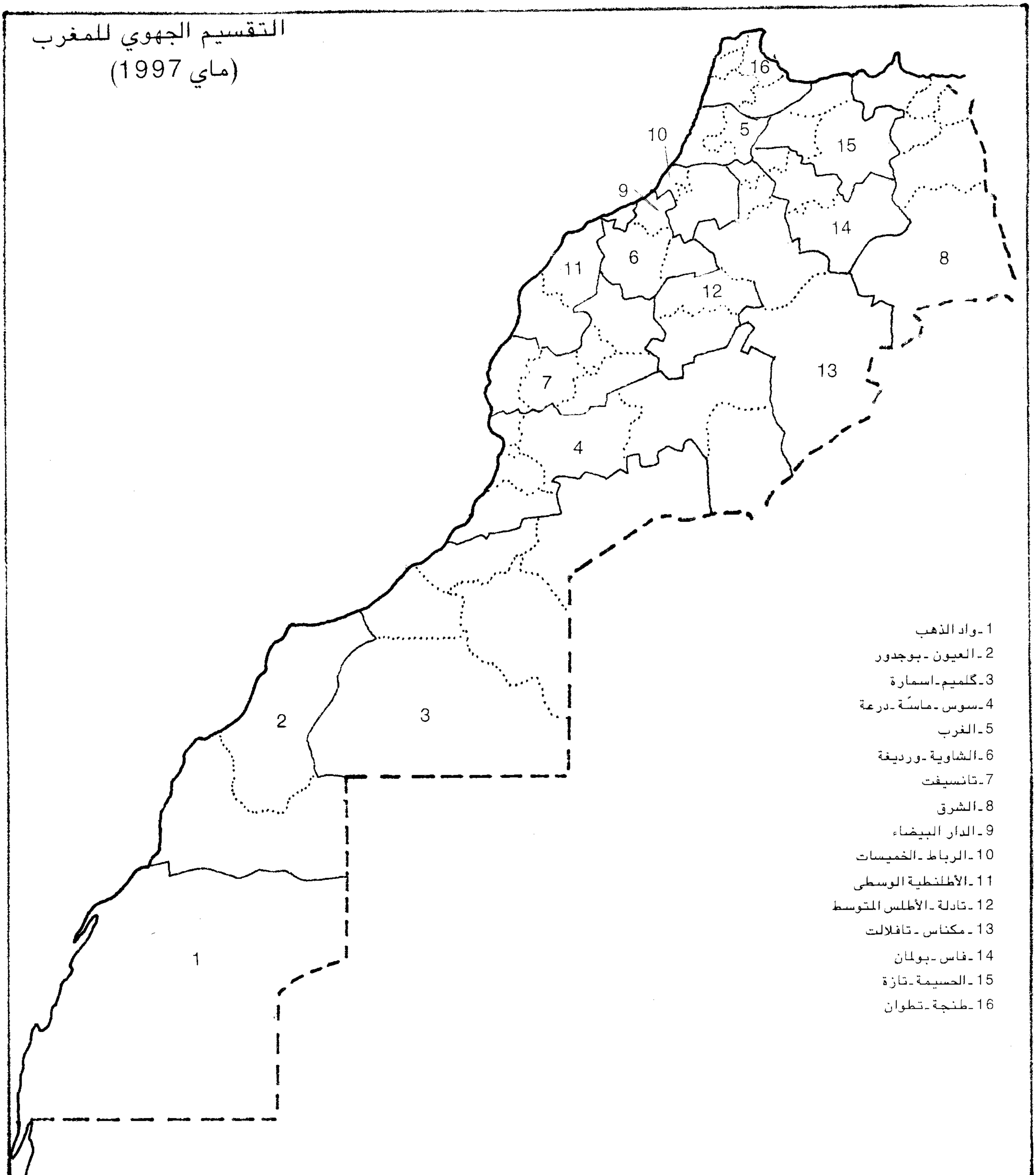
التقسيم الجهوي للمغرب
(ماي 1997)
16
5
10
15
9
14
6
8
11
12
13
7
4
2
3
1
1 ـ واد الذهب
2 ـ العيون ـ بوجدور
3 ـ كلميم ـ اسمارة
4 ـ سوس ـ ماسّة ـ درعة
5 ـ الغرب
6 ـ الشاوية ـ ورديغة
7 ـ تانسيفت
8 ـ الشرق
9 ـ الدار البيضاء
10 ـ الرباط ـ الخميسات
11 ـ الأطلنطية الوسطى
12 ـ تادلة ـ الأطلس المتوسط
13 ـ مكناس ـ تافلالت
14 ـ فاس ـ بولمان
15 ـ الحسيمة ـ تازة
16 ـ طنجة ـ تطوان

التراب وللأحواض المائية (انظر مقال "الجهوية" أسفله).

إن التغييرات والممارسات والتصريحات المتعلقة بالجهة تعبر كلها على أن الجهوية تعد من الآن اختياراً استراتيجيا. حيث يمتاز الوضع القانوني والترابي الجديد عن سابقة بتبنيه مبادئ وغايات تقضي بجعل الجهة إطاراً تنموياً أكثر ملاءمة وأكثر قابلية لإعادة هيكلة المجال الوطني. كما يتميز بإرادة بلورة سياسة اللامركزية بمنح الجهة صفة الجماعة المحلية، وبالتالي الإنتقال بها من إطار اقتصادي استشاري إلى كيان إداري واجتماعي واقتصادي.

من ثمة، إذا كانت الأهداف والمقاييس المترتبة عن المبادئ والغايات المسطرة في تقسيمي 1971 و1997 متشابهة شكلا، فإنها تختلف جوهرياً في ما بينها من حيث إمكانية التطبيق والتنفيذ على أرض الواقع. وهكذا، فإن أهم الدوافع التي روعيت في التقطيع الجهوي الحالي ظلت تتمثل في الحث على استثمار مختلف الإمكانيات والفعاليات في أرجاء البلاد، والتركيز أيضاً على إيجاد التلاؤم بين الجهات وداخل الجهة الواحدة. قد يتحقق هذا التوازن بين الجهات نتيجة تكامل أو تضامن بعضها البعض، وقد يتم ذلك داخل الجهة بالبحث عن التجانس أو التكامل الوظيفي أو كذلك التضامن بين مناطقها الغنية والفقيرة. انطلاقاً من هذه الأهداف، فقد حددت عدة عوامل تعتبر بمثابة الأسس العامة التي ترسم المعالم الكبرى للشبكة الجهوية.

إذا كانت الجهوية تستهدف التنمية الشاملة بناءً على الأوضاع الحالية وكذا المستلزمات المستقبلية، فإن العامل التاريخي يمثل ركيزة كل التقسيمات الإدارية، ويعمل على ترسيخ هوية مختلف الأقاليم والجهات التي شكلتها طبيعة الموارد وبنيات المجموعات البشرية وأساليب العيش. ولتكريس الطابع العصري للدولة، يستوجب العامل السياسي ضرورة إعطاء الأهمية للاندماج الوطني لكل أجزاء البلاد. أما العامل الجيوستراتيجي فيأخذ بالاعتبار الموقع الخاص للمناطق الموجودة على التخوم المغربية، وكذلك مختلف أبعاد المجال الوطني (المتوسطي والأطلنطي والجبلي والصحراوي).

أما المعايير الدقيقة للتقطيع الجهوي فهي تعكس إلى حد كبير تلك الاعتبارات السالفة. فعلاوة على ضرورة توفّر الجهة على الحجم السّكاني الكافي، يقتضي مقياس الاستقطاب الحضري وجود شبكة حضرية متراتبة وذات خصائص مميّزة، وعلى مدينة كبيرة تكون عبارة عن قطب تنموي ووظيفي يبسط نفوذه على مجموع رقعة الجهة. ويتطلب مقياس الموارد الطبيعية مراعاة تنوع وأهمية المؤهلات الطبيعية عموماً، والموارد المعدنية والمائية على وجه الخصوص. كما يتعين على الجهة أن يكون لديها مستوى معين من كثافة التجهيزات الأساسية، ولا سيما فيما يتعلق بالنقل الطرقي والحديدي. وأخيراً، يقتضي المقياس الاجتماعي ـ الاقتصادي نوعاً من التشابه في مستويات المؤشرات المتعلقة بهذه الميادين، مثل نوعية وحجم القيمة الانتاجية، وطبيعة وكثافة النسيج الصناعي والخدمات الحضرية وأهم النسب المرتبطة بالخدمات الاجتماعية.

لقد تم التعامل مع هذه الأسس بنوع من الموازنة في ما بينها، لكي تستجيب للدوافع والأهداف السياسية والإدارية والتنموية المتوخاة من التقسيم الترابي الجديد، وحتى لا يسفر هذا التقطيع الجهوي على عدم التوازن غير المرغوب فيه. من هذا المنطلق، قد تتجمع عدة مقاييس وعوامل بشكل متراتب لتفرز جهة متميزة بوضوح عن جاراتها، وقد تتحكم في ذلك معايير قليلة فقط، ولكنها حاسمة ولها وقع ملموس على جل المؤشرات الأخرى، كما هو الشأن بالنسبة للعامل الصحراوي أو الجبلي والحضري والفلاحي إلخ..

تبعاً لذلك، جاء المشروع الجديد لتقطيع التراب الوطني إلى ستة عشر جهة، يعتمد تحديد كل مجموعة منها على جملة من المقاييس الأساسية. تتصف الجهات الصحراوية الثلاثة بخصوصيات تاريخية وبيئية، وتشترط تنميتها ضرورة اندماجها الوطني. ويرتكز تحديد مجموعة أخرى من الجهات بناءً على تجانسها الحاصل عن الظروف التاريخية والإندماج الاقتصادي والاستقطاب الحضري (سوس ـ ماسة ـ درعة، والغرب ـ الشراردة ـ بني حسن، والشاوية ـ ورديغة، ومراكش ـ تنسيفت ـ الحوز، والجهة الشرقية). كما تم تمييز جهتي الدار البيضاء الكبرى، والرباط ـ سلا ـ زمور ـ زعير وفق معياري التكامل والاستقطاب الحضري. وأخيراً، تم الاعتماد على البعد المتوسطي فيما يتعلق بجهتي تازة ـ الحسيمة، وطنجة ـ تطوان، وعلى البعدين الأطلنطي والجبلي وتكثيف استثمار مواردهما فيما يخص أربع جهات (دكالة ـ عبدة، وتادلة ـ أزلال، ومكناس ـ تافيلالت، وفاس ـ بولمان).

رغم أن الحوار السياسي لم يولِ الهيكلة الجهوية نفس الإهتمام الذي أولاه للقانون المنظم للجهات فإن الاستجابة للمبادئ والأهداف الواردة فيه رهينة بنوعية التقسيم المجالي وبمدى ملاءمته لها. ويرجع هذا الفتور في إعطاء المكانة اللازمة للتقطيع الجهوي إلى كون السلطة التنفيذية هي التي تولت أمره، وإلى صعوبة تقييمه، والتجربة الجديدة لم تنطلق بعد. ذلك أن التقسيم الجهوي يتطلب استقراراً لمدة من الزمن لكي يسمح بتقديم حصيلة حوله، خلافاً للقانون الذي يكون قابلاً للتطوير في كل حين وكلما دعت الضرورة إلى ذلك. ومع ذلك، هناك ملاحظات وأحياناً مؤاخذات من زوايا عديدة حول الشكل والمضمون، يمكن تسجيلها منذ الآن.

في الواقع، لا يختلف تخطيط الجهات الحالي كثيراً عن سابقه. إذ ما عدا جهة دكالة ـ عبدة التي انبثقت عن

منطقتي الوسط وتنسيفت في تجربة 1971، فإن منطقتين ظلتا كما كانتا عليه (الشرق ومكناس ـ تافيلالت)، وكل واحدة مما تبقى من المناطق تجزأت إلى جهتين على الأقل. وهكذا تفرعت عن منطقة الوسط الشمالي جهتان، وعن كل من الشمال الغربي والجنوب ثلاث جهات، وعن الوسط أربع جهات كاملة وجزء من واحدة أخرى. بالتالي وقع تكثيف الشبكة الجهوية، وبصفة خاصة على الواجهة الشمالية الغربية، إلى درجة أن محور القنيطرة ـ الجديدة، الذي كان ينتمي إلى منطقتين اقتصاديتين، أصبح مقتسماً من طرف خمس جهات.

لقد أسفر ذلك أولاً عن خلق تفاوت كبير بين الجهات فيما يتعلق بالحجم المساحي والسكاني. حيث تقلصت كثيراً رقعة بعض الجهات، خصوصاً بالنسبة للدار البيضاء الكبرى والرباط ـ سلا ... وطنجة ـ تطوان، وفي آن واحد تضخمت مساحة الجهات الجنوبية والشرقية. على سبيل المثال، فإن مساحة جهة العيون ـ بوجدور ـ الساقية الحمراء تفوق مساحة لبنان بأكثر من 13 مرة والكويت بحوالي ثمان مرات وبلدان البنيلوكس الثلاث بأكثر من مرتين، وتتعدى مساحة الأردن والبرتغال وهنغاريا والنّمسا واليونان، وتقترب من مساحة تونس. أما من الناحية السكانية، وتبعاً لمبدإ التناسب والموازنة، فالأمر عكس ذلك، إذ على العموم، كلما صغرت المساحة إلا وارتفعت الكثافة السكانية وكذا مختلف المؤشرات الأخرى. لذلك نجد الجهات الصحراوية وأخرى كبيرة تتوفر على أقل عدد من السكان، والجهات الصغرى على أكبر حجم منه، اللهم إذا تدخلت عناصر أخرى، تاريخية واقتصادية بالأساس، لتغيير تلك القاعدة، كما حصل بالنسبة لسوس ـ ماسة ـ درعة ومكناس ـ تافيلالت والشرق، حيث تعد هذه الأخيرة من الجهات الكبرى والآهلة معاً، ولو أن توزيع السكان بها يعرف تبايناً واضحاً بين مناطقها.

تتميز الخريطة الجهوية كذلك بتفاوت عدد الأقاليم والعمالات وبتجزيئها كلما ظهرت الحاجة الإدارية إلى ذلك. ويرجع تاريخ إنشاء بعضها إلى عهد قريب (7 ماي 1997)، أي بين صدور مشروع التقسيم الجهوي في 17

| الجهات | المساحة (1000 كلم2) | الجماعات الحضرية: العدد | الجماعات الحضرية: السكان (1000 نسمة) | الجماعات القروية: العدد | الجماعات القروية: السكان (1000 نسمة) | مجموع عدد الجماعات | مجموع السكان |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| وادي الذهب... | 50،088 | 2 | 35،122 | 11 | 1،629 | 13 | 36751 |
| العيون... | 139،480 | 4 | 164،807 | 10 | 10،862 | 14 | 175669 |
| كلميم... | 133،730 | 11 | 217،954 | 49 | 168،121 | 60 | 386075 |
| سوس... | 70،880 | 27 | 896،140 | 212 | 1739،389 | 239 | 2635529 |
| الغرب... | 8،805 | 12 | 624،145 | 61 | 1000،937 | 73 | 1625082 |
| الشاوية... | 16،760 | 15 | 594،812 | 105 | 946،847 | 120 | 1541659 |
| مراكش... | 31،160 | 18 | 952،072 | 198 | 1772،132 | 216 | 2724204 |
| الشرق | 82،820 | 25 | 975،978 | 91 | 792،713 | 116 | 1768691 |
| البيضاء الكبرى | 1،615 | 29 | 2940،623 | 7 | 153،580 | 36 | 3094203 |
| الرباط... | 9،580 | 17 | 1560،846 | 40 | 424،756 | 57 | 1985602 |
| دكالة... | 13،285 | 12 | 616،106 | 77 | 1177،352 | 89 | 1793458 |
| تادلة... | 17،125 | 9 | 448،478 | 73 | 876،184 | 82 | 1324662 |
| مكناس... | 79،210 | 25 | 965،682 | 111 | 938،108 | 136 | 1903790 |
| فاس... | 19،795 | 14 | 913،888 | 48 | 408،585 | 62 | 1322473 |
| تازة... | 24،155 | 15 | 371،043 | 118 | 1348،794 | 133 | 1719837 |
| طنجة... | 11،570 | 13 | 1137،963 | 87 | 898،069 | 100 | 2036032 |
| المجموع | 710850 | 248 | 13415،659 | 1298 | 12658،058 | 1546 | 26073717 |

بعض الخصائص الجهوية حسب
مشروع التقسيم الجهوي، 17 أكتوبر 1996

أكتوبر 1996 ومرسومه النهائي في 17 غشت 1997.

يتعلق الأمر بإحداث إقليمي زاگورة وتاوريرت وبانشطار إقليم طنجة إلى إقليمي طنجة ـ أصيلة والفحص ـ بني مگادة. يضاف إلى هذا أن التقسيم الجديد يتضمن حالتين خاصتين في هذا الباب. حيث تتكون جهة وادي الذهب ـ الگويرة، وهي أقل الجهات سكاناً ومن أكبرها مساحة، من إقليم واحد فقط (الداخلة)، لاعتبارات بيئية وسكانية وسياسية وجيوستراتيجية، ونظراً لموقعها المتطرف في جنوب الصحراء. أما الدار البيضاء الكبرى التي تعتبر أصغر الجهات مساحة وأكثرها سكاناً، فتتألف من ثمان عمالات، مراعاة للتمركز السكاني والاقتصادي بها، واعتباراً لكونها مدينة عملاقة يقتضي الهاجس الإداري تكثيف تقطيعها للتحكم الأفضل في ضبطها وتدبير شؤونها. ما عدا هذين الاستثنائين فإن تركيبة الجهات الأخرى من حيث عدد الأقاليم لا تخضع ظاهراً لمقاييس السكان والمساحة ومستوى الموارد والقطاعات الاقتصادية، أكثر مما تخضع لعوامل الجوار والتجانس والاستقطاب الحضري والعلاقات التاريخية. مثال ذلك جهة سوس ـ ماسة الواسعة التي تضم سبعة أقاليم، في حين أن جهة العيون المجاورة، والتي تعد أكبر جهة في المغرب، لا تحتوي على سوى إقليمين، مثلها مثل بعض الجهات الصغيرة (الغرب ... ودكالة ... وتادلة ...).

لقد قام التقسيم الجديد بمحاولة تصحيح التوجهات السابقة التي كانت ترجح مبدأ التوازن بين الجهات على التوازن داخل الجهة. فعمل على تقليص مساحتها والتركيز عموماً على أسس الجوار والتجانس والتكامل، حتى يتم الحصول على جهات تنسجم داخلها المكونات الترابية، ولا تكتفي كل واحدة منها، كما حدث في السابق، بالحصول على جزء من الجبال والسهول والهضاب والسواحل. هذا ما أفرز جهات تتسم بنوع من وحدة أوساطها، وعلى الخصوص فيما يتعلق بالجهات الصحراوية والغرب ... والشاوية ... والرباط ... ودكالة ... وتازة ... غير أن اعتماد التجانس يؤدي بالضرورة إلى التمايز بين الجهات من حيث نوعية وحجم المؤشرات الاجتماعية والموارد والتجهيزات والقيمة الانتاجية. وبالتالي، قد نجد جهات غنية وأخرى فقيرة أو ذات أجزاء متفاوتة الأهمية.

لكن رسم الحدود الجهوية يطابق الغلاف الإداري ويشمل الأقاليم برمتها، ولا يحترم دائما وحدة الأوساط الخاصة التي تتطلب تدخلات مناسبة، مثلما يحترمها العديد من المشاريع والبرامج والتنظيمات التنموية. صحيح أن احتمال انتماء أجزاء الإقليم الواحد إلى جهتين أو أكثر قد يطرح عدة مشاكل تسييرية وتقنية، لا سيما وأن الجهوية الحالية تستهدف كذلك ترسيخ الدور الإداري للجهات، ولكن ضم الجهات لأقاليم كاملة يترتب عنه في نصف الحالات تقريباً تباين نوعي وكمي بين المناطق المنتمية لنفس الجهة، والذي يصعب معه تحقيق التكامل المرغوب. ويبلغ اختلال التوازن بين المناطق ذروته بالنسبة لثلاث جهات. وهي جهات مديدة ومتنافرة الأجزاء، تعمل على إدماج مجموعة من الأقاليم وطنياً واقتصادياً، وتتخذ أقطابها الحضرية وأكثر مناطقها حيوية مواقع منحرفة. هكذا تتراكب جهة مكناس ـ تافيلالت على البعدين الجبلي والصحراوي، كما تحتوي على سهل فلاحي غني، ولا تتوفر على منفذ بحري مثل جهتي فاس ـ بولمان وتادلة ـ أزلال. كما تمتد منطقة الشرق على قطاع فلاحي مسقي وعلى الأبعاد الثلاث، المتوسطي والجبلي والصحراوي. وتتوفر جهة سوس ... بدورها على قطاع فلاحي مسقي وعلى ثلاثة أوساط (الصحراوي والجبلي والأطلنتي)، رغم نزع الأقاليم الصحراوية وبعض الأقاليم شبه الصحراوية منها في التقطيع الجديد.

على الرغم من النية المعلنة لخلق تنافس بين المناطق والجهات، وإتاحة إمكانية التضامن والتكامل بينها، فإن فقدان التوازن فيما بينها من شأنه الإنعكاس سلباً على السيرورة التنموية. ذلك أن نقص وسائل الإنعاش الاقتصادي والفرق الشاسع أحياناً بين المؤهلات المجالية يعرقلان التنمية الذاتية، وبالأحرى التنافس الحقيقي والتكافل الفعال. والحالة هذه، يخشى أن يعاد إنتاج نفس الظروف المادية التي كانت سائدة في التجربة السابقة، والتي أفشلتها برمتها، فتتم مركزة المبادرة الحرة والاستثمارات الانتاجية والتجهيزية في المناطق المحظوظة مسبقاً، وتتعمق الهوة بين المدن والأرياف، وبين القطاعات المسقية والمناطق البعلية، وعموماً بين المناطق الفقيرة والغنية. يخشى أيضاً أن يمتد عدم التساوي في وتيرة النمو بين المناطق والجهات، فتتحول الرغبة في التكامل والتعاضد إلى سيطرة منطقة أو مدينة على كافة التراب الجهوي، علماً بأن التبعية والوصاية المجاليتين تتنافيان مع القانون التنظيمي ومع المهام الجديدة المنوطة بالجهة.

من زاوية أخرى، لا يخفى دور المدينة في هيكلة المجال وكذا أهمية الشبكة الحضرية في تشكيل دعامة أساسية لسياسة إعداد التراب ولإقامة التجهيزات والأنشطة التنموية. في هذا الصدد، وباستثناء الدار البيضاء التي تشع على الصعيد الوطني، والداخلة التي تعتبر مدينة صغيرة شبه وحيدة في جهة واسعة جداً، فإن جل الجهات الأخرى تتوفر على أقطاب حضرية رئيسية، ولو أنها متفاوتة الحجم والأهمية، وأنها تتخذ مواقع متطرفة في الغالب عن الوسط، وأن بعضها يعرف تضخماً عمرانياً واحتكاراً وظيفياً يضيقان الحصار على المراكز الصغيرة، وحتى المتوسطة أحياناً. زد على ذلك أن توزيع مختلف أحجام المدن على الجهات لم يتم بنوع من التعادل والتناسب، وهو ما خلف شبكات حضرية غير مكتملة أو ضعيفة التراتب في بعض الحالات، وأنتج أخرى مقتسمة بين جهتين أو أكثر. بالإضافة إلى ذلك، فقد أسفر الهاجس

الإداري، الذي يقضي باعتبار الأقاليم كاملة، عن جهات متعددة أوثنائية النفوذ الحضري، كما هو الشأن بالنسبة لطنجة ـ تطوان وأسفي ـ الجديدة ... بل هناك جهتان تخضع فيهما، من الناحية الإدارية، المدينة الأكبر للمدينة الأصغر (الحسيمة ـ تازة وسطات ـ خريبگة).

أخيراً، تجدر الإشارة إلى أن دور التقطيع الجهوي لا يقتصر فقط على إيجاد وحدات ترابية تتسم ما أمكن بالتوازنات التي تبحث عن الصيغة الملائمة لبناء الجهة وعن الحد من مختلف الفوارق، بل يسعى أيضاً إلى تحويل الجهة من الإطار الاقتصادي المحض، الذي كان سائداً في التجربة الجهوية السالفة، إلى الكيان الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والإداري الذي يعيشه السكان ويلجأون إليه في حياتهم اليومية. ولعل عامل الإحساس بالانتماء، الذي كان مفقوداً في السابق هو الذي خلف عقليات إدارية وسلوكات لدى مختلف الفاعلين المحليين كانت تعرقل بدرجات متفاوتة سيرورة الجهوية. بينما كلما تقلصت مساحة الانتساب المجالي وتم تكثيف الإرتباطات التاريخية والمبادلات والمعاملات والاستقطاب الحضري إلا وتوطد عامل الإحساس بالانتماء.

إن ترسيخ ذلك العامل يتطلب وقتاً كافياً لتكييف الذهنيات والسلوكات المحلية وجعلها تستأنس مع الإطار الجهوي الواسع. بذلك، يكون التقسيم الترابي السابق قد عمل على تمتين الترابطات الموروثة بين المناطق، وعلى نسج علاقات جديدة بينها. لكنه، بعد 26 سنة ولأسباب سيكواجتماعية وأخرى مصلحية ومنفعية، لازالت بعض ردود الفعل تظهر هنا وهناك حول مسألة انضمام بعض المناطق إلى بعضها. كما هو الشأن بالنسبة لتفضيل انتماء إقليم الحسيمة إلى وحدة تشمل إقليم الناظور (شريطة أن ينزع هذا الأخير من الجهة الشرقية)، عن انتسابه إلى جهة تشمل إقليم تازة. كذلك، ظل إقليم تافيلالت إلى الآن منتميا إلى جهة مكناس، رغم الحجم الكبير والشكل المديد لهذه الجهة، ورغم التشابه والارتباطات القائمة بينه وبين إقليم ورزازات، الذي ظل منتسباً إلى جهة أگادير.. بدل انتمائه إلى جهة مراكش... وقد تمكن التقسيم الجديد من تكريس بعض العلاقات السابقة (فاس مع شمال الأطلس المتوسط، والصويرة مع مراكش رغم انفتاحها المطرد على إقليمي أسفي وأگادير...). إلا أن عدم إعارة الاهتمام اللازم لبعض العوامل الجديدة ولبعض الأوساط الخاصة أدى إلى خلق كيانات ذات هيئة اصطناعية جزئياً أو كلياً، مثال ذلك عزل العاصمة الاقتصادية عن العاصمة السياسية بواسطة إقليم بنسليمان الذي أصبح ينتمي إلى جهة الشاوية... عوض انضمامه إلى جهة الدار البيضاء الكبرى أو جهة الرباط...

ظهير 16 يونيو 1971 المتعلق بإحداث المناطق الاقتصادية، مشروع التقسيم الجهوي، وزارة الداخلية، 17 أكتوبر 1996 ؛ القانون 47.96 المنظم للجهات (ظهير 2 أبريل 1997) ؛ مرسوم 2.97.246 المحدد لعدد الجهات وأسمائها ودوائر نفوذها وعدد المستشارين... (17 غشت 1997) ؛ الصحف الوطنية (1996 ـ 1997).

J. Lajugie, P. Delfaud, C. Lacour, *Espace régional et aménagement du territoire*, Paris, 1985 ; G. Vedel/Dir, *Edification d'un Etat moderne : le Maroc de Hassan II*, Paris, 1986 ; D. Basri, *L'administration territoriale : l'expérience marocaine*, Paris, 1990 ; *La décentralisation au Maroc : de la commune à la région*, Paris, 1994 ; *Revue Marocaine d'Administration Locale et de Développement*, *Région, Régionalisation et Développement régional*, Rabat, 1996, N° 8, Série "Thèmes actuels".

**الجهوية بالمغرب**، مفهوم تنظيمي وتنموي يرتكز على مبدأي التمثيلية واللامركزية في إطار الحفاظ على وحدة البلاد وهويتها. يتضمن جانبا تحليلياً تعمل فيه الدراسات الجهوية على تمييز وتحديد وحدات ترابية تتداخل فيما بينها وتتسم بالتجانس أو التكامل. كما يتضمن هذا المفهوم جانباً عملياً تفضي إليه تلك الدراسات، ويقضي بوضع برامج قطاعية تستوطن في تلك الوحدات الإدارية. بذلك تكون الجهوية تدل في آن واحد على نوع من أنواع التقسيم المجالي للبلاد وعلى صيغة من صيغ تدبير الشؤون العامة في إطار جهات تتعدى رقعتها مساحة الوحدات الصغرى التي تهتم بشؤون التنمية المحلية.

بل أصبح يتسع هذا المفهوم لدى الدارسين والإداريين والتقنيين ليشمل شيئاً فشيئاً كل التدابير والإجراءات الخاصة بالجهة، بما في ذلك عمليات التنظيم الجهوي وإعداد التراب على المستوى الجهوي. والواقع أن الجهوية تعتبر مظهراً أساسياً في إعداد التراب الذي يمثل مفهوماً ذا خصائص أكثر شمولية واندماجاً، حيث يقوم على النظر من جديد في العلاقات والتوازنات القطاعية، وعلى إعادة هيكلة المجال الجهوي، وفق خطط تنموية تعدل الأنظمة الإنتاجية وتعيد توزيع المظاهر الاقتصادية والاجتماعية الرئيسية، مثل التجهيزات الأولية والمشتركة وطرق المواصلات والسكن ومراكز الأنشطة والشبكات الحضرية.

نظراً لاختلاف وتنوع المناطق المغربية، من حيث المكونات البيئية والمؤهلات البشرية والاقتصادية، فإن البعد الجهوي والمحلي كان دائماً حاضراً في تصور وإنجاز كل عملية تنظيمية أو استثمارية وتجهيزية وتعميرية. غير أن حضور الخلفية المجالية كان متفاوتاً في المكان والزمن، وكانت تمليه باستمرار ضغوط الطلب والظرفية وتلبية الحاجيات الأساسية للسكان والسير العادي للنظام الإداري والقطاعات الإنتاجية والاجتماعية، أكثر مما كان يخضع لسياسة طوعية شاملة ومندمجة تنبني في إطار جهوي مؤسسي ملائم وتقوم على تسخير كل الطاقات والإمكانات

للبحث عن التوازن المحلي والوطني.

لم تتبلور الملامح الأولى للسياسة الجهوية إلا في مناطق وقطاعات محدودة، خاصة مع قدوم تصاميم التنمية الاقتصادية والاجتماعية في بداية الستينات، ثم سياسة إعداد التراب الوطني والتعمير وكذا تجهيز واستثمار الدوائر المسقية الكبرى.

أما التاريخ الرسمي لإحداث الجهات فيرجع إلى سنة 1971، حيث تم تأسيسها بمقتضى ظهير 16 يونيو 1971. بعد ذلك ارتقت المناطق الاقتصادية إلى صف الجماعات المحلية طبقاً للمراجعتين المتلاحقتين للدستور في سنتي 1992 و1996، كما هو شأن الأقاليم والعمالات التي انضافت بهذه الصفة إلى الجماعات الحضرية والقروية السابقة وعقب استفتاء 13 شتنبر 1996. لقد تمَّ وضعُ مشروع القانون المنظم للجهات (17 أكتوبر) الذي عرضه الملك على الأحزاب السياسية قصد إبداء الرأي، قبل أن يناقش ويصادق عليه من طرف الحكومة ثم البرلمان (27 مارس 1997)، ليخرج الظهير المنظم للجهات إلى حيِّز الوجود في 2 أبريل 1997.

في نهاية الستينات، نبعت السياسة الجهوية المستلهمة من التجربة الفرنسية في أهم مضامينها لتلبية الرغبة في الحد من آثار اختلال الهيكلة المجالية والقطاعية الموروثة عن الفترة الاستعمارية، ونتيجة لتعثر السياسة اللامركزية التي أخذ ينهجها المغرب المستقل، والتي اصطدمت بغياب الإطار المحلي المطابق والبنيات والأجهزة التنظيمية الملائمة. فتم التفكير في ضم مجموعة من الأقاليم فيما بينها لخلق منطقة اقتصادية لها رقعة كافية تتجاوز مساحة الإقليم الواحد، وتفوق طاقات وإمكانات إنجازه واستيعابه للمشاريع التنموية الكبرى، كإقامة المنشآت التجهيزية الكبرى والمعامل والجامعات والمطارات والطرق الرئيسية.

اعتماداً على هذا المنطلق، واعتباراً للتكامل أو قابلية التكامل بين مكونات المناطق كشرط أساسي لخلق التوازن المنشود في توزيع الأجزاء الفقيرة والأجزاء الغنية بين تلك المناطق أو داخل كل واحدة منها، وقع تحديد جملة من المعايير البشرية والاقتصادية التي يلزم على كل منطقة أن تتوفر فيها، وهي معايير كمية بالدرجة الأولى في معظمها. يتعلق الأمر أساساً بعدد السكان المناسب وأهمية وتنوع المؤهلات الطبيعية والمعدنية بين الوحدات المجالية المتجانسة والانتماء إلى أحواض نهرية تمكن من السقي، ونوعية وحجم القيمة الإنتاجية ومستوى التجهيزات الأساسية، ولا سيما فيما يخص النقل الطرقي والحديدي، وأخيراً وجود شبكة حضرية مكتملة أو في طريق التكوين، تكون متماسكة حول القطب الجهوي.

وهكذا توصلت الدراسات التمهيدية المتعددة الجوانب إلى تقطيع المغرب سنة 1971 إلى سبع مناطق اقتصادية تحتضن كل واحدة منها مجلساً جهوياً يتكون من مندوبي مجالس العمالات والأقاليم وممثلي الغرف المهنية، إلا أن اختصاصات المجلس ولجنه الأربع كانت ذات صبغة استشارية محضة تتمثل في الإخبار وتلقي المعلومات حول تصور وإنجاز البرامج التنموية في الميادين الاقتصادية والاجتماعية وإعداد التراب الوطني على المستوى الجهوي.

| الجهات | المراكز | الأقاليم |
|---|---|---|
| الجنوب | أگادير | أگادير، ورزازات، طرفاية |
| تانسيفت | مراكش | مراكش، أسفي |
| الوسط | الدار البيضاء | الدار البيضاء، الجديدة، سطات، خريبگة، بني ملال |
| الشمال الغربي | الرباط | الرباط، القنيطرة، تطوان، طنجة |
| الوسط الشمالي | فاس | فاس، تازة، الحسيمة |
| الشرق | وجدة | وجدة، الناظور |
| الوسط الجنوبي | مكناس | مكناس، قصر السوق |

مراكز وتركيبة الجهات ـ 16 يونيه 1971

أما على الصعيد الوطني فأوكلت مهمة الإشراف على النظام الجهوي لثلاثة أجهزة إدارية مركزية، وهي اللجنة الإدارية لتهييئ التراب الوطني وقسم التخطيط والتنمية الجهوية واللجنة الوطنية للتنمية الجهوية، وقد أسندت لهذه الأخيرة مهمة التنسيق بين المجالس الجهوية والمستويات المركزية.

يتبين من خلال الدور المنوط بالجهات وشروط سيرورة اشتغالها، أن النتائج التنموية المحصل عليها لا يمكن أن يكون لها وقع كبير يذكر على أرض الواقع، بالمقارنة مع ما كان ينتظر منها، وما كان مطروحاً عليها آنذاك من تحديات في سائر القطاعات والمناطق. ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى الإطار القانوني والتنظيمي للجهة الذي كان أصلاً مبتوراً وغير متوازن.

أمام سيادة دواليب الإدارة الوصية على السلطة التمثيلية، وتغلب الهاجس الإداري والسياسي لديها على الهم الاقتصادي والاجتماعي، والذي يتجلى في تكوين الجهات من أقاليم كاملة، كان حضور المجالس الجهوية هزيلاً بحكم القانون الذي لا يخول لها حق المبادرة والتقرير، ولا يمنحها الوسائل المادية والمالية الكافية لبلورة أهدافها، وكذلك بفعل الواقع الذي جعل نوعية تركيبتها ومستوى أطرها وكيفية تسيير أعمالها والبت في مختلف القضايا المعروضة عليها تكون مشوبة بكثير من الخلل والضعف.

بالتالي، لم تفلح المجالس في جعل المؤسسة الجهوية تشكل حلقة وصل متينة تربط بالفعالية المرغوبة بين السلطة المركزية والمستوى المحلي. فكان على السلطة التقريرية والعملية التنموية أن تنتقلا إما إلى الصعيد المركزي فيما يخص التوجهات العامة للمشاريع الكبرى، أو

إلى الأقاليم والعمالات بالنسبة لإنجاز مختلف البرامج، بل حتى الهياكل الإدارية نفسها لم تكن تساير المتطلبات التنظيمية لسياسة الجهوية بما فيه الكفاية من احترام الديمقراطية المحلية وشروط العقلنة والحداثة، ولم يكن حتى مسؤوليها على قناعة تامة بمغازيها ومراميها، وعلى استعداد كامل لتنفيذ مضامينها.

لم تتمكن الجهوية التي انتهجت ابتداءً من 1971 من تحقيق الأهداف التي خلقت من أجلها، وأهمها نقل الإنتاجية داخل الجهة والتخفيف من التفاوتات في سائر المقومات الاقتصادية بين الجهات. بل تضاعف التمركز السكاني والحضري والتجهيزي والاستثماري والاجتماعي في الجهات وأجزاء الجهات التي كانت أصلاً أكثر حظاً، أي في جهتي الوسط والوسط الشمالي، وعلى الخصوص في المحور الرابط بين القنيطرة والجديدة وبعض الأقطاب الجهوية الكبرى. بينما كانت الأولوية قد أعطيت في التقطيع الترابي وتسطير الأهداف للتوازن بين الجهات، بدل التوازن داخل الجهة الواحدة.

لقد استأثرت الدوائر المسقية الغنية بجل جهود الدولة والقطاع الخاص، تمشياً مع سياسة الانفتاح والتصدير، وتعمقت الهوة بينها وبين المناطق الفلاحية الأخرى التي عانت، فضلاً عن ذلك، من ظرفية سيئة تتسم بتعاقب سنوات وفترات الجفاف، ولا سيما منذ بداية الثمانينات. كما أخذت تتجدر التفاوتات بين العالم الريفي والوسط الحضري الذي صار محط هجرة قوية تتفاقم ظاهرتها باستمرار. كما أن الرأسمال الخاص بدوره تعامل في توطين أنشطته ومنشآته بطابع من الانتقاء المجالي والتركيز في المدن والمناطق الأكثر دينامية، ولم يخضع لتوجهات الجهوية التي وفرت له عملياً تدابير تشجيعية لكي يتنمى ويستثمر في إطار جهوي مناسب وفي جميع أنحاء المغرب.

ترتبت عن كل هذه العوامل عواقب وخيمة على الميادين الاقتصادية والاجتماعية، وظهرت عوائق حالت دون تحقيق التوازن المطلوب داخل وبين المناطق، وبرزت اختلالات في معالم وأشكال ووظائف الشبكات الحضرية التي تعتبر بمثابة العمود الفقري لسياسة إعداد التراب الوطني. علاوة على ذلك، أخذت تشكو الهيكلة الحضرية للجهات على وجه الخصوص من عدم تراتبية بعض الشبكات الحضرية، وتقاسم بعض الشبكات بين جهات مختلفة وعدم المساواة في توزيع المدن الكبيرة والمتوسطة بين المناطق.

صحيح أن النتائج التي آلت إليها هذه التجربة كانت على العموم محدودة ومتفاوتة التأثير. لكنها خلّفت دراسات متنوعة على الصعيد الجهوي، وأفرزت تراكماً للخبرات، وللثغرات والهفوات كذلك، والتي من اللازم على التجربة اللاحقة أن تتجنبها. بل نجح الامتحان الأول هذا في خلق تقليد جهوي تدريجي يحفّز على تدارك الأوضاع والبحث عن السبل الكفيلة بالنهوض بالجهة، وذلك بدءاً بسنّ قوانين مناسبة، تتميّز بالابتكار في إيجاد المجال الأكثر ملائمة، والصلاحيات الأوسع، والتمثيلية الأمتن والأكثر نزاهة، والتي تسمح للهيئة الجهوية أيضاً أن تتمتع بالمقدار الكافي من الإمكانيات المادية، وأن تدبر شؤونها بنوع من التوازن بينها وبين سلطة الوصاية. وهكذا تضافرت عدة عوامل في مطلع التسعينات، نبعت عنها رغبة أكيدة وتوجهات جديدة لخوض تجربة أكثر نضجاً وقابلية للتحقيق.

كان من المنتظر في الحقيقة أن يعاد النظر في التنظيم الجهوي السابق على ضوء تراكم التجارب الجهوية، بأخطائها وبإيجابياتها، لمدة أكثر من عقدين، وبصفة خاصة عندما أقبل المغرب على منعرج تاريخي بداية من سنة 1992. حيث أفضت الإصلاحات الدستورية إلى تغيير التوازنات القائمة على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ثم أعقبتها تعديلات أخرى أتى بها الدستور المراجع لسنة 1996، الذي أريد له أن يكون دستور الديمقراطية المحلية واللامركزية الجهوية بامتياز. وأهم ما أسفرت عنه هذه المستجدات هو إنشاء مجلس المستشارين المنبثق عن الجهات وتدعيم مسلسل اللامركزية الجهوية وتعديلات خاصة ببعض المؤسسات الدستورية، أهمها مجلس الحسابات والمجلس الدستوري.

من ثمة أصبح الاختيار الجهوي بمثابة ركن لا محيد عنه من الأركان التي تتأسس عليها السياسة المغربية. ذلك أن من شأن تعزيز الخصوصيات والأصالة الجهوية ترسيخ وحدة البلاد وإغناء وتأكيد الهوية الوطنية. زد على ذلك أن الملك نفسه تولى في عدة مناسبات حث أحزاب الأغلبية الحاكمة وأحزاب المعارضة على السواء، على تبني سلوك سياسي جديد في المناقشات واتخاذ القرارات الجهوية. ويعتمد هذا السلوك على مبدأي الحوار والتراضي، خصوصاً فيما يتعلق بتهييء التناوب على الحكم على أحسن وجه والتعجيل بتفعيل المؤسسات الدستورية. في هذا المناخ النفسي حدث التوافق بين الحكومة ومجلس النواب وداخل الفرق البرلمانية، وتمت المناقشة والمصادقة على مشاريع القانون المنظم للجهات والجماعات المحلية الأخرى وغرفتي البرلمان ومدونة الانتخابات. وقد سبق أن وقعت الحكومة وجل الأحزاب يوم 28 فبراير 1997 على تصريح مشترك يعد بمثابة ميثاق شرف يحدد التزام الطرفين فيما يخص ضمان نزاهة الانتخابات وسلامة الأجهزة التمثيلية.

لعل أول ما يسترعي الانتباه في الحديث عن النهج الجديد للجهوية هو توفر الجهة الآن دستورياً وقانونياً على وضعية تخول لها صفة الجماعة المحلية، المتمتعة بالشخصية المعنوية والاستقلالية المالية، كسائر الجماعات الأخرى والعمالات والأقاليم والجماعات القروية والحضرية. رغم مختلف المؤاخذات على التقسيم الجهوي الجديد الواردة أعلاه ( *الجهة، معلمة المغرب*)، من دون شك أن نقص حجم

رقعتها، نتيجة رفع عددها من سبع إلى ست عشرة جهة، سيسمح بالتحكم أكثر في مكوناتها الترابية والقطاعية، كما سيتيح إمكانية أكبر لإيجاد ذلك الانسجام وذلك التوازن المفقودين سابقاً داخل الجهة وبين مختلف وحداتها المتجاورة.

وبما أن إعادة تصور وهيكلة الجهوية قد جعلت من الجهة مجالاً لإسقاط قرارات إجرائية وفي ميادين موسعة للإسهام في العلمية التنموية، فإنها تعززت كإطار للتنمية الشمولية. كما أن اعتبارها كمجال لإحدى صيغ التنظيم الإداري والتمثيلي، وتكليفها بمعالجة قضايا أهم من تلك التي تعالج على مستوى الجماعات الأخرى، لدليل على الرغبة في تحويلها من كيان اقتصادي صرف إلى كيان للحياة الإدارية والاجتماعية أيضاً، وعلى ارتقاء اللامركزية من نطاق الجماعة إلى نطاق الجهة.

أضف إلى ذلك أنه يجوز للجهة، وحسب أهداف وشروط معينة لإنجاز المشاريع الموحدة، أن تتعاون مع جهات أخرى محادية لها في لجان مشتركة، وأن تربط علاقات شراكة مع مختلف الجماعات المحلية الأخرى أو مع المؤسسات العمومية والقطاع الخاص. وفي هذه الحالات ستتمدد أو تتقلص دائرة نفوذها وحدودها التنموية. ومهما يكن من أمر كذلك، فإن البعد المجالي الوطني حاضر أيضاً لدى الجهة، ويحتم عليها أن تنخرط فيه سواءً عبر ممثليها في مجلس النواب ومجلس المستشارين، داخل البرلمان أو في جلسات المجلس الجهوي، أو عن طريق إبداء رأيها حول التصاميم الوطنية أو البت في القضايا التي تنقلها لها الدولة، وعند تهييء التصاميم الجهوية.

تتجلى المظاهر التحديدية لمحتوى الجهوية في توسيع ميادين المشاركة والعمليات التنموية، التي يختزلها النص القانوني المنظم للجهة في عبارة "تناط بالجهات ... مهمة المساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للجماعة الجهوية ..."، ويقرر المجلس الجهوي "التدابير الواجب اتخاذها لضمان تنميتها". ويمكن تجميع هذه الوظائف وتصنيفها في أربعة أنواع.

النوع الأول من الاختصاصات التي يمارسها المجلس الجهوي تدخل في إطار مسؤولياته الذاتية. ويتعلق الأمر بمهام اقتصادية ( القيام بأعمال لإنعاش الاستثمارات وتشجيع إنجازها على أرض الواقع، خصوصاً عن طريق إنشاء وتنظيم مناطق صناعية ومناطق الأنشطة الأخرى) وأخرى بيئية (القيام بكل الإجراءات التي تعمل على حماية البيئة، وعلى عقلنة وتدبير الموارد المائية، وكذلك ضمان المحافظة على المميزات المعمارية الجهوية وإنعاشها)، وأخيراً اجتماعية وثقافية (اتخاذ جميع التدابير الضرورية في ميدان التكوين المهني وذات الطابع الاجتماعي والثقافي، ومزاولة كل عمل لازم لإنعاش التشغيل.

| الجهات | المراكز | العمالات والأقاليم |
|---|---|---|
| 1 ـ وادي الذهب ـ الكويرة | ـ الداخلة | ـ وادي الذهب. |
| 2 ـ العيون ـ بوجدور ـ الساقية الحمراء | ـ العيون | ـ العيون ـ بوجدور. |
| 3 ـ گلميم ـ السمارة | ـ گلميم | ـ گلميم، طاطا، أسّا ـ الزاگ، السّمارة، طانطان. |
| 4 ـ سوس ـ ماسّة ـ درعة | ـ أگادير | ـ أگادير إداوتانان، إنزگان ـ أيت ملّول، شتوكة ـ أيت باها، تارودانت، تيزنيت، ورزازات، زاگورة |
| 5 ـ الغرب ـ الشراردة ـ بني حسن | ـ القنيطرة | ـ القنيطرة، سيدي قاسم |
| 6 ـ الشاوية ـ ورديغة | ـ سطات | ـ سطات، خريبگة، بنسليمان |
| 7 ـ تانسيفت | ـ مراكش ـ المنارة | ـ مراكش ـ المنارة، مراكش ـ المدينة، سيدي يوسف بن علي، الحوز، شيشاوة، قلعة السراغنة، الصويرة. |
| 8 ـ الشرق | ـ وجدة ـ أنگاد | ـ وجدة ـ أنگاد، جرادة، بركان، تاوريرت، فگيگ، الناضور |
| 9 ـ الدار البيضاء الكبرى | ـ الدار البيضاء | ـ الدار البيضاء ـ أنفا، عين السبع ـ الحي المحمدي، عين الشق ـ الحي الحسني، بن مسيك ـ سيدي عثمان، الفدا درب السلطان، مشور الدار البيضاء، سيدي البرنوصي ـ زناتة، المحمدية. |
| 10 ـ الرباط ـ سلا ـ زمور ـ زعير | ـ الرباط | ـ الرباط، الصخيرات ـ تمارة، سلا، الخميسات |
| 11 ـ دكالة ـ عبدة | ـ أسفي | ـ أسفي، الجديدة. |
| 12 ـ تادلة ـ أزلال | ـ بني ملال | ـ بني ملال، أزلال |
| 13 ـ مكناس ـ تافيلالت | ـ مكناس ـ المنزه | ـ مكناس ـ المنزه، الإسماعيلية الحاجب، إفران، خنيفرة، الرشيدية. |
| 14 ـ فاس ـ بولمان | ـ فاس الجديد ـ دار الدبيبغ | ـ فاس الجديد ـ دار الدبيبغ، فاس المدينة، زواغة ـ مولاي يعقوب، صفرو، بولمان. |
| 15 ـ تازة ـ الحسيمة | ـ الحسيمة | ـ الحسيمة، تازة، تاونات. |
| 16 ـ طنجة ـ تطوان | ـ طنجة ـ أصيلة | ـ تطوان، شفشاون، طنجة ـ أصيلا، الفحص ـ بني مگادة، العرائش. |

مراكز وتركيبة الجهات ـ 17 أغسطس 1997

والأنشطة الاجتماعية والثقافية، والقيام بأعمال في ميدان إنعاش الرياضة، واعتماد كل التدابير والسبل الرامية إلى إنعاش وتمتين أعمال التضامن الاجتماعي، وكذا الأعمال ذات الطابع الإحساني).

النوع الثاني من الأختصاصات يتمثل في تلك التي يمكن أن تفوّتها الدولة إلى المجلس الجهوي، وأهمها القيام بالتجهيزات ذات الفائدة الجهوية، وإقامة وصيانة المستشفيات والثانويات والمؤسسات الجامعية وتوزيع المنح، وتكوين أعوان وأطر الجماعات المحلية.

أما النوع الثالث فيهم الاتفاقيات التي يتم السماح للمجلس بإبرامها حول كل عملية تنموية ضرورية مع الدولة أو أي شخص معنوي خاضع للقانون العام. ومن الأمثلة التي يعينها القانون المنظم لجان التعاون المشترك بين الجهات، والتي يمكن أن تتكون لإنجاز أعمال مشتركة أو إقامة تجهيزات ذات فائدة مشتركة أو تدبير أموال بكل جهة منها تكون موجهة لتمويل أشغال مشتركة وتغطية بعض نفقات التسيير المشتركة. تعد هذه اللجان مؤسسات عامة تتمع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، ويتكون أعضاؤها من ثلاثة مناديب لكل جهة ينتخبهم المجلس من بين أعضائه.

النوع الرابع والأخير من الاختصاصات يمارسها المجلس في حالة تجاوز ميدان اختصاصاته الخاصة به أو المسندة إليه أو المسموح له القيام بها من طرف الدولة، أو بسبب ضعف وسائله المادية والمالية. يقوم بمقتضاها بإبداء رأيه والإدلاء باقتراحات في الأعمال ذات المصلحة العامة التي تساعد على تنمية الجهة، وهي أعمال تتولاها الإدارة أو أي شخص معنوي من أشخاص القانون العام. يتعلق الأمر بجوانب ثلاث، اجتماعية (إقامة المؤسسات الجامعية والمستشفيات في الجهة) وبيئية (الإسهام في ضبط السياسة المائية على الصعيد الوطني إذا طلبت الدولة وهيئاتها المختصة منه الإدلاء برأيه) واقتصادية على وجه الخصوص (محتوى المخطط الوطني للتنمية في الجوانب التي تهم الجهة، وإقامة المرافق العامة الجهوية وتقرير تنظيمها وتدبير شؤونها، وسياسة إعداد التراب الوطني والتعمير، وكل التدابر المتعلقة باختيار الاستثمارات التي يتم عزم توظيفها من طرف الدولة أو الأشخاص المعنويين الخاضعين للقانون العام داخل حدود الجهة).

يتبين إذن أن الجهة تساهم بالتفكير والمبادرة وإبداء الرأي في ميادين شتى، ولكنها مقيدة بأن تتبنى سلوكاً يتميز بطابع الاحترام الصارم للتشريعات والتنظيمات الجاري بها العمل. بل تكون مطالبة أحياناً بالامتناع الكلي عن الخوض في بعض المواضيع. من هذا الباب ينبغي للمجلس الجهوي أن يزاول مهامه مع وجوب مراعاة الاختصاصات المخولة للهيئات والجماعات الأخرى، وألا يتداول طبعاً في قضايا يكون غير مؤهل لها، ولا سيما تلك التي تمس وحدة الأمة والبلاد. كما لا يجوز أن يسفر التعاون بين الجهات أو بين الجهة وسائر الجماعات المحلية الأخرى عن نوع من التبعية والوصاية فيما بينها. غير أن النص المنظم للجهة ينزع في كثير من الحالات إلى توظيف ظاهرة الغموض كإحدى مكونات المنهجية المتبعة في تداول بعض المفاهيم أو التعامل مع بعض المواضيع. حيث تارة تسمى الأشياء بصريح العبارة وتارة تترك مبهمة وقابلة للتأويل وتعدد المعاني. من هذه الأخيرة نجد عبارات "شؤون مصلحة الجهة" و"اختصاصات المجلس" و"كل التدابير والإجراءات" التي تهم ميداناً من الميادين، وخصوصاً الجانب الثقافي الذي ورد ملتبساً وغير مفصل، وبالتالي قابلاً لجميع احتمالات الفهم.

من زاوية أخرى، يستنتج من خلال تقنين العلاقة بين المجالس التمثيلية والسلطة التنفيذية أن حرية المبادرة الجهوية تكون محددة بمدى السماح بها من طرف سلطة الوصاية. وهكذا، تكون إمكانية قيام اتفاقيات فيما بين الجهات أو بينها وبين الجماعات المحلية الأخرى مرهونة بإمكانية إذن وزير الداخلية بذلك، وليس بمحض اختيار المجالس الجهوية النابع عن الحاجة الملحة والمصلحة الذاتية للجهة. زيادة على ذلك فإن مختلف العلاقات الخارجية للمجلس الجهوي لا تتم مباشرة، بالنظر إلى الاعتبارات التنظيمية التي يمليها الهاجس الإداري، ولا تتحقق إلا بطريقة التراتبية الإدارية عن طريق العامل الجهوي. كما هو الشأن في جميع الاتصالات والاقتراحات التي يدلي بها المجلس إلى الإدارة ومختلف المؤسسات والمصالح المختصة على الصعيدين المركزي والجهوي لإنعاش الجهة. ومن المؤكد أن هذه القيود تحد من روح المبادرة وتقلل من فعّالية التشاور.

إذا كان مضمون الجهوية يتميز بتنوع صلاحيات المجلس الجهوي وامتدادها على ميادين وحقول عديدة، فإن المنهجية الجديدة المعتمدة لممارسة الاختصاصات ترتكز على الدراسات والاستشارات والخطط الإدارية المسبقة التي قد يطول أو يقصر مفعولها على المدى الزمني، وأيضاً على تحكيم مؤسسات تستهدف ضمان سلامة سيرورة الجهوية.

هكذا يتكلف المجلس حسب اختصاصاته الذاتية بوضع نوعين من التصاميم التنموية : المخطط الجهوي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والمخطط الجهوي لتهييء التراب. علاوة على ذلك يساهم المجلس في إعداد المخطط المديري للتهيئة المندمجة لمياه الحوض المائي، إذا كان يغطي كلياً أو جزئياً رقعة الجهة، وذلك لضمان عقلنة تدبير الموارد المائية للجهة. ومن المعلوم أن تحضير هذه المخططات مصحوب بثلاثة شروط قانونية رئيسية.

أولاً، يتعين عليها التوفيق بين أهدافها وأهداف المخططات الوطنية، ومراعاة مختلف التوجهات المعتمدة من

طرف الدولة على المستوى الوطني، ولا سيما بالنسبة للمخطط الجهوي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والمخطط الجهوي لتهيئ التراب.

ثانياً، يلزم على المجلس الجهوي أن يحيل هذين المشروعين إلى مؤسستين مركزتين للموافقة عليهما، الأول إلى المجلس الأعلى للإنعاش الوطني والتخطيط، والثاني إلى اللجنة الوزارية لتهيئة التراب الوطني.

وأخيراً، يتم تحضير المخطط الجهوي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية "في حدود الوسائل الخاصة بالجهة وتلك الموضوعة رهن تصرفها"، أي أن إعداده يتم بناءً على واقعية صرفة تتحدد بحجم الوسائل المتوفرة، ولا يتم وفق مشروع مكتمل، والتخطيط إلى المستقبل بنظرة شمولية ومندمجة تستجيب لجميع التطلعات التي تطمح إليها الجهة.

إضافة إلى ذلك، يستعين رئيس المجلس الجهوي في ممارسة اختصاصاته بمكلفين بمهمة وبمكلفين بالدراسات. وهم موظفون تلحقهم الإدارة لديه أو يقوم بتوظيفهم مباشرة بعقدة للاشتغال تحت سلطته وبتنسيق مع الكاتب العام للجهة. من ضمن أهم ما يتميز به سير أعمال المجلس الجهوي أيضاً، تكوين سبع لجان دائمة على الأقل لدراسة المسائل الواجب عرضها على المجلس الجهوي العام، يرأسها مندوبون يُعينهم رئيس الملجس من بين أعضاء المكتب أو من بين أعضاء المجلس عند اللزوم. وتختص هذه اللجان في المسائل التالية : "المالية والميزانية، والتخطيط وإعداد التراب الوطني، والمسائل الاقتصادية والاجتماعية وإنعاش الشغل، والمسائل الفلاحية والتنمية القروية، والصحة والمحافظة على الصحة، والتعمير والبيئة، وأخيراً الثقافة والتعليم والتكوين المهني". ونظراً لأهمية اللجنة الخاصة بمسائل التخطيط وإعداد التراب الوطني، فقد يمكن لرئيس المجلس الجهوي بنفسه أن يتولى رآستها.

رغم كل جهود تدعيم تأطير الجهوية واللامركزية، فإن التوجهات الجديدة غير متبوعة بتصور واضح لطبيعة الطاقات والموارد البشرية التي ستباشر المسؤوليات الجهوية البالغة الأهمية. بل وقع إغفال تدقيق جانب الرأسمال البشري الذي يعد أحد أهم الركائز التي تنبني عليها السياسة الجهوية. والحال أنه يشترط أن تكون على رأس الجهة أطر مهيأة ومكونة، تكون متحلية بالمصداقية اللازمة والكفاءة الضرورية والقدرات العالية التي تتلاءم مع المتطلبات والتحولات المرتقبة.

لقد أبانت التجارب السابقة أن من شأن سوء تسيير أشغال وبرامج الجماعات المحلية سيادة سلطة الوصاية على التمثيلية الجماعية، وكذا خلق الكثير من العراقيل التي تعترض إرساء وتطور مبدإ التنمية المحلية. لهذا الغرض يتكلف جهازان قضائيان على الخصوص بالسهر ما أمكن على ضمان السير العادي للحياة الجماعية والتحكيم في حالة المنازعات داخل المجلس الجهوي وبينه وبين السلطة الوصية.

يعتبر المجلس الجهوي للحسابات مؤسسة جديدة أحدثت وفقاً لتغييرات دستور 1996، بهدف "مراقبة حسابات الجماعات المحلية وهيئاتها وكيفية قيامها بتدبير شؤونها". تراقب سلامة حسابات الموارد والنفقات التي يتكلف بها المحاسب العمومي للجهة، والآمر بالصرف وكل مسؤول فعلي على تسييرها. كما تمارس رقابة على ميزانية الجهة. في هذا الإطار ينص القانون المنظم للجهة بصفة خاصة على قضية حيوية تتعلق بالحساب الإداري، وهي مسألة حيوية قد تنتج أساساً عن رفض طريقة تدبير الحياة الجماعية. حيث يمكن أن يلجأ وزير الداخلية إلي إحالة الأمر على المجلس الجهوي للحسابات، إذا تم رفضه من طرف رئيس المجلس الجهوي للجهة بالتعليلات الضرورية، ثم امتنع بعد طلب الوزير عن القيام بدراسة جديدة لذلك الرفض، فتشبث به. وأخيراً تعهد إلى المجلس الجهوي للحسابات مهمة مراقبة التسيير في جميع أوجهه، للنظر في مدى مشروعية البرامج من حيث الأهداف والوسائل والتكاليف والنتائج المالية.

نسبة المقاعد المخصّصة للجماعات المحلية
والهيآت الناخبة في تكوين مجالس الجهات

| | المقاعد المخصصة لمجالس البلديات والجماعات القروية | | المقاعد المخصصة لمجالس العمالات والأقاليم | | المقاعد المخصصة للغرف المهنية | | المقاعد المخصصة لممثلي المأجورين | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | أ | ب | أ | ب | أ | ب | أ | ب |
| النسبة المتوسطة | - | 45،5 | - | 14 | - | 31 | - | 9،5 |
| النسبة الدنيا | 11 | 37 | 1 | 6 | 12 | 14 | 3 | 5،5 |
| النسبة العليا | 3 | 53 | 9 | 18 | 11 | 43 | 1 | 14،5 |

أ - رقم الجهات : 1 ـ وادي الذهب ـ الكويرة. 3 ـ كلميم ـ السّمارة. 9 ـ الدار البيضاء الكبرى. 11 ـ دكالة ـ عبدة. 12 ـ تادلا ـ أزلال.

ب - النسبة المائوية.

يلاحظ في هذا الصدد، ورغم وضوح مسطرة اللجوء إلى هذا الجهاز وتحديد الآجال لذلك، أن التدخل الفاصل يتم بطريقة بعدية، من دون التوفر على إجراءات توجيهية مقررة سلفاً، وتحول دون وقوع مشكلات قد تخل بالتنظيم الجهوي والديمقراطية المحلية، وبالعلاقات بين سلطة الوصاية والسلطة الجماعية. كما أن أمام المجلس الجهوي للحسابات مهام جسيمة، يصعب عليه إنجازها على الوجه الأكمل من دون تقديم مساعدة الجميع له للتصدي لكل التجاوزات والخروقات.

أما المؤسسة القضائية الدستورية الثانية فتتمثل في المحاكم الإدارية التي يمكن اللجوء إليها من كلا الطرفين، أي سلطة الوصاية والمجلس الجهوي، وتستهدف المحكمة الإدارية من جهة الحد من سلطة الوصاية والتحكيم بينها وبين المجالس الجهوية، ومن جهة أخرى مراقبة سلامة عمليات تأسيس تلك المجالس وقانونية قراراته. بذلك تتولى البت في الطعون الخاصة بكل مراحل العمليات الانتخابية لمستشاري المجالس الجهوية أو لأعضاء المكاتب المسيرة لها. كما تعلن بطلب من العامل الجهوي أو أي طرف يعنيه الأمر، عن إلغاء قرارات المجلس الجهوي إذا كانت خارجة عن اختصاصاته أو كانت باطلة أصلاً من جراء تناقضها مع النصوص والتشريعات التنظيمية الجاري بها العمل أو عقب مساهمة مستشار جهوي في اتخاذ قرار يجني منه فائدة شخصية أو لصالح شخص ينوب عنه. كما يجوز إحالة الأمر على المحكمة الإدارية إذا تعرض العامل الجهوي على قرارات المجلس أو إذا توفرت فيها شروط البطلان السابقة الذكر، وطلب المجلس القيام بدراسة جديدة فلم يقم بها.

بالمقابل يمكن لرئيس المجلس الجهوي أن يرفع إلى المحكمة مسألة رفض وزير الداخلية أو العامل الجهوي تنفيذ قرارات المجلس المتعلقة بالميزانية وبمجموعة من المسائل المالية والجبائية ومن المعاملات العقارية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن ميزان القوى في حالة النزاع يعطي نوعاً من الامتياز إلى سلطة الوصاية، إذ يتوقف بحكم القانون تنفيذ كل قرارات المجلس الجهوي، إذا كانت هي المدعية، إلى أن تبت المحكمة في ذلك. ولا تطبق نفس المسطرة إذا كان رئيس المجلس الجهوي هو المشتكي. زد على ذلك أن العامل الجهوي هو ممثل الجهة لدى المحاكم، ولا يمكن له أن يقوم بعملية قضائية دون موافقة المجلس الجهوي، إلا أنه يجوز له ذلك من دون طلب الموافقة في حالة التقاضي المتعلقة بالحيازة أو المرفوعة إلى القضاء المستعجل. يضاف إلى هذا أن هناك الآن نقصاً في المحاكم الإدارية وأنها تشكو من صعوبة مسايرة تكوين القضاة لتطبيق وتنفيذ النصوص القانونية الجديدة المعقدة.


*ظهير 16 يونيو 1971* المتعلق بإحداث الجهات ؛ *القانون 96 .47* المنظم للجهات (ظهير 2 أبريل 1997) ؛ *تصاميم التنمية الاقتصادية والاجتماعية* ؛ *دساتير المملكة المغربية* ؛ *الجريدة الرسمية* ؛ المهدي بنميرة، *الجماعات المحلية والممارسة المالية بالمغرب*، مراكش، 1994 ؛ *المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، الجهة، الجهوية والتنمية المحلية*، العدد 8 الرباط، 1996.

M. Philipponneau, *Décentralisation et régionalisation*, Pàris, 1981 ; J. Lajugie, P. Delfaud, C. Lacour, *Espace régional et aménagement du territoire*, Paris, 1985 ; D. Basri, *L'administration territoriale, l'expérience marocaine*, Paris, 1990 ; *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie*, N° spécial, *Décentralisation / déconcentration*, N° 8, Rabat, 1992.


مصطفى عياد

**جواز السفر** والتأشير القنصلي بالمغرب. كان لهما مدلول واستعمال متقاربان في القرن الثاني عشر (18 م) ولم يكن سفر المغاربة قبل ذلك إلى البلدان الإسلامية في آسيا وإفريقيا يتطلب جوازاً وتأشيراً، وكذلك سفر المسلمين من هذه البلدان إلى المغرب باعتبار أن المسلم لايعدّ أجنبياً في ديار الاسلام. واستمر ذلك إلى أن تسلط الاستعمار الغربي على العالم الإسلامي وما تلاه من تجزئة وتقسيم فرسمت الحدود وبدأ تطبيق فرض الجواز في الموانئ أولاً، بينما ظلت التنقلات البرية عملياً بعيدة عن هذا التطبيق، خاصة في مناطق البدو. وكمثال على ذلك نشير إلى تنقل قبائل البدو المغاربة والجزائريين حتى بعد فرض معاهدة للامغنية سنة 1845 التي ترسم الحدود بين المغرب والجزائر الخاضعة للاستعمار الفرنسي.

يبقى أن مسألة التأشير القنصلي لم تكن تطرح إلا بمناسبة التنقل بين المغرب والدول المسيحية، بعدما بدأت بإقامة قناصل لها بالمغرب، تلك الممارسة التي تعممت لتشمل في نهاية القرن الثاني عشر (18 م) أغلب دول أوربا ثم الولايات المتحدة الأمريكية. وفي بعض هذه الدول أقام المغرب بدوره ممثلين قنصليين، وعقد معها معاهدات تضمن معظمها مقتضيات عن التأشير القنصلي.

يعتبر التأشير من الاختصاصات الإدارية للقناصل، وهي اختصاصات اتسع نطاقها وتنظمت بالتدريج. وقد جرى العمل على أن التأشير القنصلي يشمل :

- إعطاء رعايا دولة القنصل جوازات وغيرها من أوراق السفر.

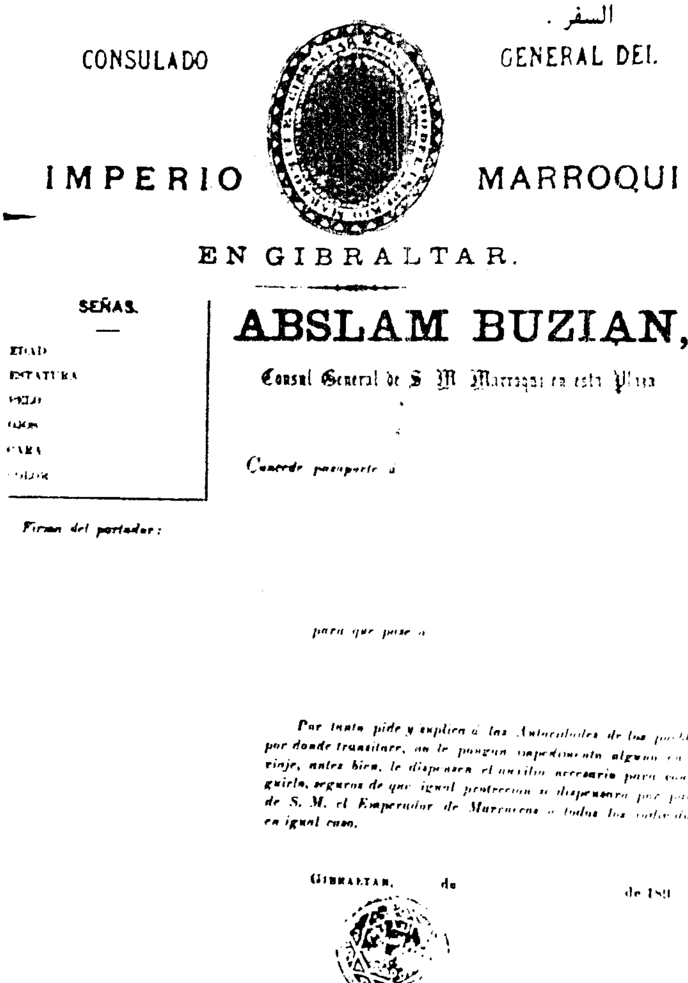
CONSULADO GENERAL DEL IMPERIO MARROQUI EN GIBRALTAR.

SEÑAS

ABSLAM BUZIAN,

Consul General de S. M. Marroqui en esta Plaza

Concede pasaporte a

Firma del portador:

para que pase a

Por tanto pide y suplica á las Autoridades de los puntos por donde transitare, no le pongan impedimento alguno en su viaje, antes bien, le dispensen el auxilio necesario para conseguirlo, seguros de que igual protección se dispensará por parte de S. M. el Emperador de Marruecos á todos los suyos en igual caso.

GIBRALTAR, de de 18

- التأشير والمصادقة على العقود والوثائق الأخرى.
- منح تأشيرة للأجانب الراغبين في دخول إقليم دولة القنصل.

وبالرجوع للممارسة وللمعاهدات المغربية نلاحظ أن أهمية كبيرة أعطيت للجوازات والتأشيرات في مجال الملاحة البحرية. ذلك أن ضمان حرية الملاحة وأمن السفن وبالتالي حرية وأمن التجارة كان هو الدافع الأساسي لسعي الدول الغربية إلى عقد معاهدات سلم مع المغرب. وهكذا نصت المعاهدات على ضرورة توفر السفن المغربية والأجنبية على جوازات ووثائق عبرت عنها المعاهدات بتسميات مختلفة، سواء في نصها العربي أو الأجنبي، ومن ذلك : "مراكب تجار الدولتين يدخلون إلى أي مرسى شاؤوا من الجهتين، وتتوجه المراكب المذكورة *بالكواغيد* المعلومة ... (*معاهدة المغرب مع اسبانيا سنة 1799*، فصل 16). تفسر نفس المعاهدة في الفصل 17، جوازات سفن الإسبان يسلمها حاكم بلدهم في المرسى التي يسافرون منها، لكن جواز سفن التجار المغاربة يسلمها لهم قنصل اسبانيا بالمغرب. كيف يفسر هذا الوضع مع ملاحظة أن باقي المعاهدات الموقعة من طرف المغرب تقضي بأن الجواز يتسلمه المواطنون من سلطات دولتهم، فنقرأ مثلاً : "إذا التقت سفن سيدنا نصره الله الجهادية بقراصين الفرنصيص أو غيرها من سفنهم البارز كانية حاملة لسنجاف الفرانصيص وعندهم *باسبورط* من قبل سلطانهم على الوجه المصطلح عليه كما هو مرسوم آخر هذه الشروط فلا يتعرض لهم ..." (*معاهدة مع فرنسا سنة 1767*، فصل 3).

والمغرب بدوره كان يعطى لسفن مواطنيه جوازات تثبت جنسيتها. وتوجد صوره لنموذج الجواز المغربي يحمل الطابع السلطاني الكبير لمولاي سليمان، مؤرخ في 25 جمادى الأولى عام 1228 / 26 ماي 1813 ونصه :

"يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعلى أمره أن البرقيتى المسمى ... له زوج اصوارى وعدد مدافعه ... وعدد بحريته ... رائسه هو حامل سنجقها المنصور بالله، فلا يتعرض له أحد من الأجناس المصالحين مع جانبنا العلي بالله ..." هذا الجواز يسمح للرايس بالحصول على تأشير قناصل الدول الممثلة في المغرب، بحيث نقرأ في نهاية نص الجواز المغربي "... فعليه نامر كافة القونصوات الواقفين بإيالتنا المحروسة بالله بإعطائهم *كتابتهم* ..." (Fumey, doc. XI). هذا التأشير القنصلي الذي يمنح للسفن المغربية تعبر عنه *معاهدة 1767* مع فرنسا بـ : "خط يد *القونصو*"، وتورد نموذج "خط يد القنصو المصطلح عليه الذي يكون عند (سفن سيدنا نصره الله)" وهو : "كاتبه فلان قنصل الفرنصيص بإيالة سيدنا نصره الله بثغر كذا. نعلم كل من رأى هذه الأحرف أن المركب المسمى كذا، ورئيسه فلان، وفيه كذا، وهو من ثغر كذا، فإنه ومن معه من إيالة السلطان المنصور بالله سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله سلطان مراكش ومن انضاف إليه، رجاله كذا، مدافعه كذا.

أما قناصل انجلترا في المغرب فيسلمون للسفن التجارية المغربية *"شهادة"* (*معاهدة مع انجلترا سنة 1801 و1824*، فصل 16).

وإذا كانت التسميات التي أطلقت على التأشيرات القنصلية مختلفة ونماذجها كذلك فإن الثابت هو ضرورة توفر السفن المغربية التجارية قبل الإبحار على كل الوثائق الجاري بها العمل مثل الجواز المغربي وتأشيرة القنصل الأجنبي. هذه التأشيرة تفيد في حالة ما إذا أرادت السفينة المغربية دخول أحد موانئ دولة القنصل المؤشر، وفي حالة تنظيم اللقاء في أعالي البحار بينها وبين سفينة حربية أجنبية، وذلك لأن السفن الحربية كان لها حق التأكد من أوراق وهوية السفن التجارية.

وتنص بعض المعاهدات على أن التأشيرة القنصلية تغنى عن الوثائق الأخرى، فالسفن الحربية الفرنسية إذا التقت بالسفن المغربية "لايطالبونهم بشيء إلا بإظهار خط يد القونصو الفرنصيصي المستوطن بإيالة سيدنا" (*معاهدة مع فرنسا، سنة 1767*، فصل 3). والسفن الأنجليزية إذا لقيت "مركباً من مراكب سلطان مراكش أو لأحد من رعيته فإنه يخلى سبيله إذا كانت عند رئيس المركب إجازة بخط يد العامل المسلم أو معه شهادة قونصوا الانجليز أو نائبه..." (*معاهدة سنة 1801*، فصل 16).

هذه المقتضيات التي نصت عليها المعاهدات لم تكن مجرد حبر على ورق، بل إن كثيراً من الوثائق المغربية والأجنبية تنص صراحة على حرص الرياس والمخزن على توفر السفن على الوثائق اللازمة، ومن ذلك رسالة من مولاي عبد الرحمان إلى محمد أشعاش مؤرخة في 19 جمادى الثانية 1257 / 8 غشت 1841 : " ... وعليه فلتأمر رؤساء المراكب الحمارة وغيرهم بأن لا يسافر أحد منهم حتى تكون عنده فيتورة مركبه جامعة لجميع ما حمل فيه، ومعها كواغد البحر المعلومة للسفر" (*وثائق خ ح*، عهدم عبد الرحمان، مح 7 / 2). توضح نفس الرسالة سبب تأكيد السلطان على عدم قبول أي سفينة لاتتوفر على تلك الوثائق وذلك "... ليلاً يحمل شيئاً لتجار رعيتنا فيؤخذ في يده". هذا التحذير أتى بعدما كثر عدد السفن الحربية الإسبانية في مضيق جبل طارق، التي تعترض السفن التجارية وتصادر حمولة كل مركب أوراقه ناقصة. وقد سبق أن نصت *معاهدة سنة 1799* في الفصل 38 على ضرورة توفر التجار الذين يصدرون مواد من المغرب لإسبانيا على شهادة يمنحها لهم قناصل اسبانيا "... مبيناً فيه ماوسقه..."، وهذا طبعاً زيادة على ما يسمى الجواز القنصلي أو خط يد الفونصو، أي التأشيرة.

وتتأثر مسألة جواز السفر والتأشير القنصلي بما يطرأ على العلاقات الدولية من توتر، ففي سنة 1801 مثلاً رفض القنصل الامريكي بطنجة تسليم جوازات إبحار للسفن

المغربية التي كان مولاي سليمان يريد إرسالها إلى طرابلس، محملة بالقمح، لمساعدة أهلها على تجاوز الأزمة التي كانت تعاني منها ليبيا نظراً للقحط وللحصار البحري الذي فرضته عليها الولايات المتحدة الامريكية ( *معلمة المغرب*، 3 : 749).

ومن باب التأشير القنصلي أيضاً تأشير القنصل المقيم في إحدى المراسي المغربية على أوراق سفن رعايا دولته التي تزور المغرب، وهذه التأشيرة يدلى بها قبطان السفينة إذا التقى في البحر مع سفينة حربية " ... ولايلزمون مراكيب صارض بإظهار كاغيط سوى ما أخذوه من عند قونصهم الذي هو بالمرسة التي خرجوا منها ..." (*معاهدة مع سردينيا سنة 1825*، فصل 9).

ومما تقدم نلاحظ أن بعض المعاهدات نصت على أن الوثائق، سواء كانت جوازاً أو تأشيرة، لها شكل محدد تتفق عليه الدولتان المتعاقدتان، ونصت معاهدات أخرى علي أن ذلك الشكل يمكن تغييره، لكن لا يمكن إدخال أي تغيير إلاّ بعد إعلام الطرف الآخر (*معاهدة مع اسبانيا سنة 1799*، فصل 16 ؛ مع سردينيا سنة 1825، فصل 8). وهذه قاعدة كانت محترمة حتى في حال عدم النص عليها. وتضيف *معاهدة سنة 1799* مع إسبانيا (فصل 16) تفصيلاً مفاده أن جوازات السفن التجارية الإسبانية والمغربية تُحرَّر بكيفية خاصة، بحيث يكون فحصها ومراقبة صحتها غير متوقف على معرفة القراءة. وتستثني المعاهدات الموقعة بين المغرب والدول الأوربية المراكب الصغير، مثل قوارب الصيد، من الزامية التوفر على الجواز والتأشيرة (*معاهدة مع اسبانيا سنة 1799*، فصل 16 ؛ *مع سردينيا سنة 1825*، فصل 8)، واستمر الأمر على هذه الحال رغم مطالبة بعض الدول الأوربية بإلزام قوارب أهل الريف بالجواز. فقد رفض مولاي عبد الرحمان طلباً في الموضوع قدمته فرنسا بعد احتلال الجزائر، ضمن سياستها الرامية إلى إضعاف المقاومة الجزائرية وسد كل المنافذ في وجه الدعم المغربي. ومما جاء في جواب السلطان إلى دى لبرط خليفة قونصو الفرنصيص بتاريخ 4 صفر 1248 / 3 يوليوز 1332 : "... وما ذكرت في شأن فلائك أهل الريف فإنا لا نحدث ما لم يكن في القديم ولا نبتدعه، كما لا نترك ما كان فيه ولا ندعه، ففلائكهم دائماً إنما تسافر في سواحل البحر وتتردد فيما بين بلادهم ولا يتعدونها، ومن بلادهم إلى تطوان لا غير، ولا يخرجون من تحت رعايتنا، فلا يحتاجون إلى باسبورط لعدم احتياجهم إليه في الماضي ..." (Fumey, *doc.* XIV).

لكن بعد ذلك اشترطت *معاهدة سنة 1861 مع اسبانيا*، (فصل 25) على القوارب الريفية أن لا تسافر حتى تحصل على جواز من لدن حكام المواقع الإسبانية بالبحر المتوسط، أو من لدن القناصل الإسبان، إذا كان أصحاب هذه القوارب يسكنون ميناء مغربيا به قنصل إسباني.

هكذا يظهر أن مسألة التأشير القنصلي قد سايرت التطورات التي عرفها المغرب وتغير موازين القوى لصالح الأطراف الأوربية، خاصة بعد هزيمتي 1844 و1860.

وهنا تجدر الإشارة إلى نوع آخر من التأشير القنصل في مجال الملاحة، ظهر بالمغرب بعد سنة 1840 م وهو تأشير الشهادات الصحية التي تسلم للسفن الواردة على المراسي المغربية أو المنطلقة منها، فرضه المجلس الصحي الدولي بطنجة، الذي شكلته هيئة القناصل المسيحيين الذين يمثلون الدول الأجنبية بالمغرب، ( *المجلس الصحي الدولي بالمغرب*، 71).

في مجال تنقل الأشخاص، نلاحظ أن جل المعاهدات الموقعة بين المغرب والدول المسيحية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 - 19 م). تنص على حق وحرية رعايا كل دولة متعاقدة في الذهاب إلى إقليم الدولة الأخرى (*معاهدة مع فرنسا سنة 1767*، فصل 2 ؛ *مع اسبانيا سنة 1767*، فصل 11 ؛ *مع الولايات م. أ. سنة 1786* و1836، فصل 14 ؛ *مع الصقليتين سنة 1834*، فصل 1 ؛ ...).

لكن إذا أخذنا أمثلة وفحصناها نجد اختلافات بين مانصت عليه معاهدة مع دولة، ومانصت عليه أخرى مع دولة ثانية، وكذلك بالنسبة للدولة الواحدة بين معاهدتين وقعتهما مع المغرب في ظروف مختلفة. وكتوضيح للحالة الثانية نذكر بالنسبة لاسبانيا أن *معاهدة سنة 1767*، فصل 11، تقرر تمتع الإسبان بالحرية الكاملة للإقامه في المغرب، وللمغاربة في اسبانيا. لكن معاهدة سنة 1799، فصل 3، تضع شروطاً لهذه الهجرة : - "لايدخل من إحدى الدولتين للأخرى إلا من كان من أهل المروءة والحياء ...".

- المغاربة والاسبان يجب أن يتوفروا على جوازات سفر، فالإسباني الراغب في السفر إلى المغرب يتسلم "البسبرط من حاكم البلد التي خرج منها مبيناً فيه سبب قدومه"، وعند وصوله إلى المغرب يجب أن يتم فحص هذا الجواز من طرف قنصل إسبانيا العام أو نواب القناصل أو الوكلاء. أما المغربي الذي يريد الذهاب لاسبانيا "فلا يقبل إلا إذا أتى ببسبرط القنصو الكبير أو نائبه".

هذه المقتضيات قبل أن تسنها المعاهدة كانت قد قررتها ممارسة الدولة المغربية، فقد سبق للسلطان محمد بن عبد الله أن أصدر أمراً مؤرخاً في 15 ربيع الثاني 1202 / 24 يناير 1788، يمنع سفر المغاربة إلى "بر النصارى" إلا إذا توفرت شروط هي :

- أن يكون الشخص ذا مروءة وعقل ودين.
- أن يذهب إلى طنجة ويقدم للسلطات المختصة معلومات عن سفره : إلى أين يتجه، وكم ستدوم إقامته في الخارج. يكتب ذلك ويذيله بتوقيع يلزم باحترامه.
- عند توفر الشروط السابقة، يُمنح الشخص الذي يريد السفر تأشيرة من طرف القنصل الإسباني، يعبر عنها الأمر السلطاني، بقوله "... يكتب له قونصو الاصبنيول ليطرة لحاكم البلاد الذي هو متوجه إليها ببر النصارى كلها" (*وثائق تطوان*، مح 1677 / 58).

ويُبَرر فرض الجواز على المسافرين المغاربة والإسبان برغبة البلدين في الحفاظ على استمرار علاقة السلم والصداقة بينهما، ومنع تنقل الأشخاص الذين يمكن أن يؤدي سلوكهم أو مواقفهم وآراؤهم إلى اضطراب تلك العلاقة الودية. هذا التبرير تم التنصيص عليه في الفصل الثالث من *معاهدة سنة 1799*. أما باقي المعاهدات التي وقعها المغرب فلا تنص على الجواز والتأشير، بل تقرر بصفة عامة حرية مجيئ واستقرار رعايا دولة متعاقدة في إقليم الدولة الأخرى. فمعاهدة سنة 1801 مع انجلترا مثلاً تنص صراحة علي : "رعية سلطان الانجليز لهم الإتيان بمراكبهم وسلعهم وأنواع متاجرهم إلى كل ناحية من نواحي سلطان مراكش والدخول إليها والمقام بها والسكنى من غير أمد محدود ..." (فصل 3). كذلك يمكن للانجليز مغادرة المغرب بكل حرية (فصل 27). أما رعايا سردينيا فيحتاجون عند مغادرة المغرب إلى تأشير قنصل دولتهم (*معاهدة سنة 1825*، فصل 4).

نعود إلى *معاهدة سنة 1799* بين المغرب وإسبانيا، التي فرضت الجواز عند الدخول إلى أحد البلدين، فنجدها تقرر حرية الإسبان في مغادرة المغرب متى شاءوا، دون حاجة إلى إذن السلطات المغربية، لكنهم يحتاجون إلى موافقة القنصل الإسباني، وذلك بهدف البحث والتأكد من أن هؤلاء الإسبان لم تترتب عليهم ديون أو التزامات أخرى من الواجب عليهم الوفاء بها قبل رحيلهم. ويُعامل المغاربة بالمثل في إسبانيا "وكذلك المسلمون في أرض إصبانية، يسافرون منها متى شاءوا من غير توقف على إذن حاكم ولاغيره، إلا إذا كان على أحد حق حتى يؤديه ..." (فصل 10).

ومرة أخرى، يتغير الوضع في مجال التنقل والهجرة بين المغرب وإسبانيا تبعاً لتغير الظروف العامة. *فمعاهدة سنة 1861*، فصل 4، تنص على "رعية حضرة سلطانة اسبانية لهم أن يسافروا ويستقروا ويسكنوا حيث شاءوا بإيالة حضرة سلطان مراكشة دون تعرض ولا منع من أحد ..."، وهذا يعنى حرية دخول الإسبان للمغرب، مع عدم اشترط جواز وتأشير. هذا النص لم يكن مجرد إجراء شكلي، بل ترجم إلى الواقع، حيث وفد على المغرب بعد سنة 1868 كثير من الإسبان، وبلغت هجرتهم حداً قياسياً بعد مؤتمر مدريد حتى أصبح عدد المستوطنين الإسبان بالمغرب يقدر سنة 1897 بـ 8.000 شخص، أي ما يعادل حوالي 90٪ من مجموع الأوربيين الذين ارتفع عددهم في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) إلى حوالي عشرة آلاف شخص مقابل 250 شخصاً تقريباً سنة 1832 ( *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 1 : 148 ـ 153).

فيما يخص دور القناصل المغاربة، تفيدنا الوثائق أنه كان من مهام القنصل العام للمغرب بجبل طارق منح جوازات سفر للرعايا المغاربة (*وثائق مديرية الوثائق الملكية*، مح اسبانيا، رقم 2 ومح جبل طارق). وتجدر الإشارة إلى أن هذه الجوازات لم تكن تطلب فقط في حالة السفر لدولة أوربية بل صار المغاربة يحتاجون إليها حتى في حالة السفر إلى الجزائر بحراً والدخول إلى أحد موانئها خصوصاً منذ سنة 1844 (Schroeter, p. 84).

كذلك صار القنصل المغربي بجبل طارق يمنح "تسريح ركوب" للرعايا المتوجهين إلى العاصمة العثمانية (*وثائق م. و. م، مح جبل طارق*). وتوجد صورة لنموذج الجواز المغربي، صادر عن القنصلية العامة للمغرب بجبل طارق أيام ولاية عبد السلام بوزيان. ( *البحث العلمي*، عدد 29 ـ 30، ص 194).

*وثائق*، خ ح، عهد مَ. عبد الرحمان، مح 7 / 2 ؛ *وثائق تطوان*، مح 167 / 58 ؛ *وثائق مديرية الوثائق الملكية*، مح جبل طارق ومح اسبانيا 2 ؛ محمد المنصور، *معلمة المغرب*، 3 : 749 ؛ محمد الأمين البزاز، *المجلس الصحي الدولي بالمغرب*، 71 ؛ مصطفى بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 1 : 148 ـ 153.

Fumey, *Choix de Correspondances Marocaines*, 1ère partie, p. 27 et 33 ; R. Guillien et J. Vincent, *Lexique de termes juridiques*, Paris, 1981, p. 431 ; Schroeter, *Merchants and pedlars of Essaouira*, p. 84.

حياة الغراس

تم طبع هذا الجزء من معلمة المغرب بمطابع سلا
في صفر عام 1419 / يونيو 1998
وأعيد طبعه في جمادى الأولى عام 1433/ أبريل 2012

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

مطابع سلا

19، زنقة الحافظ السلفي
المعاريف - الدار البيضاء

✆ : 05.22.25.65.65

**Imprimerie de Salé**

**19, Rue El Hafid Salafi**
**Maârif - Casablanca**
**Tél.: 05.22.25.65.65**

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN ( Tome IX ) 9981 - 03 - 009 - 0

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

9

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé
"SALA"

1998 - 1419

Encyclopédie

du

Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

10

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

1998 - 1419

# معلمة المغرب

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 629

بسم الله الرحمن الرحيم

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ . | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في تحرير هذا الجزء

محمد **أخريف**، وزارة التربية الوطنية ـ القصر الكبير.
محمد **الأخصاصي**، باحث ـ الرباط.
أحمد **أشعبان**، باحث ـ تطوان.
سعيد **أعراب**، باحث ـ تطوان
مصطفي **أعشي**، معهد الدراسات الإفريقية ـ الرباط.
عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط.
إبراهيم **ألوزاد**، كلية الآداب ـ فاس ظهر المهراز.
حسن **اميلي** ـ كلية الآداب ـ المحمدية.
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء.
عبد الكبير **باهني**، وزارة السكنى والتعمير ـ الرباط.
الهادي **بجيبجو**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط.
محمد **البدراوي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط.
ثريا **برادة**، كلية الآداب ـ القنطيرة.
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب ـ المحمدية.
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب ـ الرباط.
الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية ـ العرائش.
محمد **بكراوي**، كلية الآداب ـ فاس.
عبد الرحمان **البكريوى**، كلية الحقوق ـ الرباط.
محمد **بلعربي**، باحث ـ الرباط.
المختار **بلعربي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد العزيز **بلفايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
البضاوية **بلكامل**، كلية الآداب ـ الرباط.
رقية **بلمقدم**، وزارة التربية الوطنية ـ مكناس.
عبد الإله **بلمليح**، كلية الآداب ـ وجدة.
علي **البليشي**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **بنجلون**، باحث ـ الرباط.
عبد العزيز بن عبد الوهاب **بنجلون**، باحث.
لطيفة **بنجلون العروي**، باحثة ـ الرباط.
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية.
محمد **بنشريفة**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الوطنية الغابوية ـ سلا.
عثمان **بناني**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **بوخبزة**، باحث ـ تطوان.
عبد القادر **بوراس**، وزارة التربية الوطنية ـ القنيطرة.

أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب ـ فاس ظهر المهراز.
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط.
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء عين الشق.
مصطفى **بوشعراء**، باحث ـ سلا.
عبد الله **بوصحابة**، كلية العلوم ـ فاس.
إبراهيم، **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **بوعزيز**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط.
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب ـ مكناس.
أحمد **بومزگو**، كلية الآداب ـ أگادير.
جامع **بيضا**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **ابن تاويت التطواني**، باحث ـ تطوان.
عبد العزيز **توري**، وزارة الثقافة.
أحمد **التوفيق**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد العزيز **تيلاني**، كلية اللغة العربية ـ مراكش.
خليل بن أحمد **جزوليت**، باحث ـ الرباط.
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية ـ مراكش.
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء.
أحمد **جوماني**، باحث ـ الرباط.
محمد **جوماني**، باحث ـ الرباط.
جعفر ابن **الحاج السلمي**، كلية الآداب ـ تطوان.
حسن **حافظي علوي**، كلية الآداب ـ مراكش.
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء بن مسيك.
ميمون **حجوط**، المندوبية السامية لقدماء المقاومين ـ الرباط.
محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة.
فاطمة **الحراق**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط.
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الرحمان **الحريشي**، باحث ـ الرباط.
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب ـ فاس ظهر المهراز.
علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **خربوعة**، المعهد العلمي ـ الرباط.
إسماعيل **خياطي**، كلية الآداب ـ الجديدة.
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم ـ الرباط.
مارية **دادي**، كلية الآداب ـ وجدة.
محمد بن عبد العزيز **الدباغ**، وزارة الثقافة ـ فاس.

المهدي **الدليرو**، وزارة الثقافة ـ الرباط.
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب ـ مراكش.
شفيق **الرفاگ**، كلية الآداب ـ أگادير.
علال **ركوگ**، كلية الآداب ـ بني ملال.
محمد **رمضاني**، كلية العلوم ـ الرباط.
بوجمعة **رويان**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
محمد **زروال**، باحث.
محمد **زنيبر**، كلية الآداب ـ الرباط.
قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط.
عبد الفتاح **الزين**، البحث العلمي ـ الرباط.
محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا.
عبد السلام **السعيدي**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش.
رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش.
مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **الشرقاوي إقبال**، باحث ـ مراكش.
صالح **شكاك**، وزارة التربية الوطنية ـ تمارة.
المصطفى **شويكي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء عين الشق.
محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط.
منير **صالح**، باحث.
أبو بكر **الصبيحي**، باحث ـ سلا.
محمد **الصوفي**، باحث.
عبد الرحمان **الطيبي**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا.
عبد العزيز بن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة ـ مكناس.
توفيق **العبقري**، باحث ـ الرباط.
زكية **عراقي سيناصر**، وزارة الثقافة ـ الرباط.
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان.
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش.
عبد الله **العمراني**، باحث ـ تطوان.
محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
الحاج موسى **عوني**، كلية الآداب ـ فاس.
مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الخالق **غازي**، باحث.
حياة **الغراس**، باحثة ـ مراكش.
إدريس **الفاسي**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.

حسن **الفكيكي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
بوشتى **الفلاح**، باحث.
المصطفى **فنيتر**، كلية الآداب ـ مراكش.
عبد الإله **فونتير**، كلية الحقوق ـ الرباط.
عبد القادر **القادري**، كلية الحقوق ـ الرباط.
محمد مصطفى **القباج**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
محمد، **القبلي**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **قدور**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **كربوط**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **كلاد**، وزارة التربية الوطنية ـ أسفي.
محمد **اللبار**، كلية الآداب ـ ـ وجدة.
سيمون **ليفي**، كلية الآداب ـ الرباط.
حسن **ليمان**، وزارة الثقافة ـ وليلي ـ مكناس.
محمد **ماگامان**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش.
أحمد **متفكر**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش.
محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمدية.
المكي **مربي**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش.
محمد **مرزاق**، وزارة التربية الوطنية ـ وجدة.
نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **مزيان**، كلية الآداب ـ فاس.
الرشيد **المصلوت**، باحث ـ تارودانت.
عز المغرب **معنينو**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط.
محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **المكاوي**، باحث.
عبد الرحمان **الملحوني**، باحث ـ مراكش.
محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **منيوي**، المعهد العلمي ـ الرباط.
عبد الحي **مودن**.
شاكر **الميلود**، باحث.
محمد **الناصري**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط.
مططفى **ناعمي**، البحث العلمي ـ الرباط.
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب ـ الرباط.
زهرة، **النظام**، كلية الآداب ـ المحمدية.
محمد **هشمي**، المدرسة الوطنية الغابوية ـ سلا.
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش.
أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة.
مصطفى **يعرف**، باحث ـ وجدة.

# بيبليوغرافيا إضافية
# إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة

ع. ابن **إبراهيم**،

*إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش السبعة رجال*، مخ. خ. ح. رقم 232.

م. **أخريف**،

*إطلالة على أولياء مدينة القصر الكبير*، مارس 1989.

إ. **الإدريسي**،

*إعلان الصناعة الفاسية بنهضتها السامية*، فاس، 1938.

ع. **الإدريسي**،

*كشف الغطا عن سر الموسيقى ونتائج الغناء*، الرباط، 1935.

س. **أدي شير**،

*معجم الألفاظ الفارسية المعربة*، بيروت، 1980.

م. **الأسدي**،

*التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار*، تح. ع. طليمات، القاهرة، 1968.

ي. **أشباخ**،

*إسبانيا والبرتغال في عهد سيادة المرابطين والموحدين*، تطوان، 1939.

س. **أعراب**،

*جامع البيضاء*، معلمة المغرب.

*تاكطشت*، معلمة المغرب.

م. **أعشي**،

*العلاقات السياسية والعسكرية في موريتانيا الطنجية بين المور والرمان من 140 إلى 285 م*، د. د. ع، الرباط، 1980.

م. **أعفيف**،

*الحركات الحسنية من خلال مؤلفات ابن زيدان*، مجلة كلية الآداب الرباط، ع 7، 1980.

ع. **أقضاض**،

*تأسيس جيش التحرير المغربي في الشمال*، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 12.

ح. **أميلي**،

*الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن 17*، د. د. ع، الرباط، 1989.

ح. **أنوش**،

*بورحيم*، معلمة المغرب، ج 5.

أ. **باكار**،

*المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة*، [د. م] : [د. ت]، 2 ج.

**باه النعمة**،

*الشعر الحساني المجال النقدي والمرجع*، الدار البيضاء، 1992.

**البخاري**،

*الجامع الصحيح*، بيروت، [د. ت].

ع. **بدوي**،

*أفلاطون في الإسلام*، تهران، 1974.

م. **برادة غزيول**،

*مدونة وتنظيمات الجمارك والضرائب غير المباشرة*، 1995.

ع. **بردلة**،

*رسالة إلى مولاي إسماعيل*، مخ. خ. ع رقم د163.

م. **بركاش**،

**مراسلات مخزنية**، مخ. خ. ع الرباط، ميكروفيلم.

ع. **البكريوي**،

*الوجيز في القانون الإداري المغربي*، الرباط، 1990.

ع. **البلغيثي**،

*المنار*، مخطوط.

ر. **بلمقدم**،

*أرقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل*، الرباط، 2 ج.

ع. **بنعبدالله**،

*الأثر الاسلامي في الفن المغربي*، *البينة*، ع 10، فبراير 1963.

ع. **بنعبيد**،

*التوت*، *معلمة المغرب*، ج 8.

م. **بنعلي**،

*جوانب من نشاطات جيش التحرير بمنطقة فگيگ*، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع 2.

م. **بناني**،

*فهرسة أحمد بن العربي ابن الحاج*، مخ. خ. ح.

م. **بنميرة**،

*الجماعات المحلية والممارسة المالية بالمغرب*، مراكش، 1994.

م. **بوجندار**،

*ترجمة صاحب الفضيلة والمعالي محمد بن الحسن الحجوي*، *السعادة*، ع. 6054، 19 يناير 1944.

م. **بوخلفة**،

*الطريق لمعرفة القصر الكبير*، 1972.

ر. **بورقية**،

*حول القبيلة في المجتمع المغربي في القرن 19 م*، *مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية*، الرباط، ع 14، 1988.

إ. ابن **بوزيد السلاوي**،

*الكناشة العلمية*، مخطوط.

ح. **البوسليماني**،
*روضة الأزهار ونزهة الأبصار*، مخطوط.

أ. **بوشرب**،
*المغاربة والبحر*، مجلة بحوث، ع 4، 1991.
*وثيقة برتغالية جديدة تتعلق بواقعة المليحة*، مجلة كلية الآداب فاس، ع 2 ـ 3، 1979 ـ 1980.

إ. **بوطالب**،
*الإدارة*، معلمة المغرب، ج 1.

ب. **بوعسرية**،
*مكناس المدينة الجديدة : التأسيس، البنيات الإدارية، التناقضات، 1911 ـ 1939*، د. التاريخ، الرباط، 1995.

ح. **بوعياد** ،
*الحركة الوطنية : الظهير البربري 1348 / 1930*، الدار البيضاء، 1979.

ي. **بوغانم**،
*سوسيولوجيا الأغنية : أغنية جيل جيلالة نموذجاً*، الدار البيضاء، 1990.

م. **البومسهولي**،
*من المسؤول عن إفلاس تعاونية الدباغين في مراكش*، **الاتحاد الاشتراكي**، ع 3621، 9 يوليوز 1993.

إ. **التادلي**،
*أغاني السيقا ومعاني الموسيقى*، مخطوط.

ع. **التازي**،
*دور الطرق الصوفية في المحافظة على التراث الموسيقي العربي*، **المناهل**، 1986.

ع. **التاغرغارتي**،
*تراجم بعض علماء وفقهاء سوس*، مخطوط.

إ. **التامري**،
*المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة*، الدار البيضاء، 1995.

ص. **التجيبي** بن إدريس،
*زاد المسافر*، بيروت، 1970.

ح. **التريكي**،
*المساجد ووظائفها بمراكش زمن المرابطين والموحدين*، ضمن *أشغال الملتقى الأول حول مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي*، الدار البيضاء 1989.

أ. **التستاوتي**،
*ذيل ممتع الاسماع*، مخطوط.

ج. **التستاوتي**،
مجموع، مخ. خ. ع. رقم ك 309.

أ. **التغاتيني**،
*فتاوى فقهاء جزولة*، مخطوط.

**التقي العلوي**،
*أصول المغاربة : الاتحاديات الأطلسية، أيت عطا*، **البحث العلمي**، ع 23، 1974.

ع. **التليدي**،
*المطرب في مشاهير أولياء المغرب*، طنجة، 1987.
ح. **التمنوگالي**،
*العقود الجوهرية*، مخ.
م. **التنسي**،
*تاريخ بني زيان ملوك تلمسان*، تح. م. بوعياد، الجزائر، 1985.
**الثعالبي**،
*تحفة الوزراء*، تح. ح. الراوي وأ. م. الصفار، بغداد، 1977.
م. ابن **جابر**،
*منية العابر*، تح. ع. العمراني.
ع. **الجادري**،
*اقتطاف الأنوار من روضة الأزهار*، ضمن كتاب *علم المواقيت أصوله ومناهجه*، تح. م. ع. الخطابي، المحمدية، 1986.
م. **الجائي**،
*مقمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام*، مخ. خ. ح.
خ. ع. **الجباري**،
*تيسير الباري في ثبوت النسبة النبوية الشريفة لأولاد الجباري*، الدار البيضاء، 1989.
ع. **الجراري**،
*الخصيب في آثار الحبيب*، مخطوط.
*مدخل لرحلة الحضيكي*، المناهل، ع 10.
م. ابن **الجزري**،
*غاية النهاية في طبقات القراء*.
م. **الجزري**،
*النشر في القراءات العشر*، تح. م. علي الضباع.
م. **الجزولي**،
*ذكريات من ربيع الحياة*، الرباط، 1971.
*المواهب القدسية*، مخ. خ. ع رقم ج 97.
خ. **جزوليت**،
*المختار جزوليت شهيد انتفاضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944*، مخطوط.
ع. **الجشتيمي**،
*الحضيكيون*، مخطوط.
ح. **جلاب**،
*معجم عراصي مراكش*، *مجلة التراث الشعبي*، ع 5، 1981.
إ. ابن **جلون**،
*التراث العربي المغربي في الموسيقى*، 1981.
*الدروس الأولية للموسيقى الأندلسية*.
*الجهة، الجهوية والتنمية المحلية*، *المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية*، ع 8، 1996.

ع. **الجيلالي**،

*تاريخ الجزائر العام*، بيروت، 1965.

ابن **الحاج**،

*الدر المنتخب المستحسن*، مخ. خ. ح، رقم 1920.

م. **أيت الحاج**،

*مظاهر الحياة الثقافية بحاحة وإيداوتنان*، د. د. ع.

ج. ابن **الحاج السلمي**،

*وثائق بيت شيخ الجماعة أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي بتطوان*، ضمن كتاب *تطوان خلال القرن 18*، 1727 ـ 1822، تطوان، 1993.

ط. ابن **الحاج السلمي**،

*الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف*، مخ.

*رياض الورد*، تح. ج. ابن الحاج السلمي، دمشق، 1993.

م. ابن **الحاج السلمي**،

*إسعاف الإخوان*، الدار البيضاء، 1992.

م. ابن **الحاج العبدري**،

*المدخل*، بيروت، 1977.

ط. **الحبيب** بن **الملولي**،

*تاريخ درعة*، مخطوط.

م. **حجاج الطويل**،

*الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، د. د. ع، الرباط، 1988.

أ. **حجي**،

الفتوحات الالهية.

*مواهب الملك الحق المعبود*، مخطوط.

م. **حجي**،

موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996 ـ 10 ج.

ع. **الحجرتي**،

*الروض الطيب العرف*، مخطوط.

م. **الحجوي**،

*الأحداث السياسية على عهد مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ*، مخ. خ. ع.

إ. **حركات**،

*النشاط الاقتصادي الاسلامي في العصر الوسيط*، الدار البيضاء، 1996.

*النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين*، الدار البيضاء.

م. **حركات**،

*الاقتصاد السياسي : مراحل تكوين المعرفة الاقتصادية*، الرباط، 1996.

**حزب الاستقلال**،

*قائمة الشرف*، الرباط، 1988.

**الحسن الثاني**،
*التحدي*، الرباط، 1983.

ع. **الحسني**،
*الإلمام ببعض من لقيت من علماء الإسلام*، مخطوط.

ع. **الحسيني**،
*أضواء حول مشاركة قبيلة أولاد جرير في صفوف جيش التحرير بالمنطقة الشرقية*، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 9.

م. **الحضيكي**،
*الرحلة الحجازية*، مخ. خ. ح رقم 405.
*فهرست*، مخطوط.

ق. **الحلفاوي**،
*شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة*، مخ. خ. ابن يوسف مراكش، رقم 171.

ب. **الحمومي**،
*رسالة فيما اشتمل عليه الاتاي من المنافع وبيان طبخه وطريق استعماله وسبب ظهوره*، فاس، ط. حجرية، 1908.

ت. **الحمومي**،
*المقصد في التعريف بالشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن الحمومي وشيخه المولى التهامي*، مخ. المسجد الأعظم، وزان.

س. **الحوات**،
*ثمرة أنسي في التعريف بنفسي*، مخ. خ. ع. رقم ك 1264.
*السر الظاهر فيمن أحرز بفاس النسب الطاهر*، فاس، ط. حجرية.

م. ع. **الخطابي**،
*الطب والأطباء بالأندلس الإسلامية*.

أ. **خطوري**،
*أضواء على انطلاقة عمليات جيش التحرير بإيموزار مرموشة*، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 14.

م. **خليل**،
*محمد المختار السوسي : دراسة لشخصيته وشعره*، الدار البيضاء، 1985.

ع. **الخياري**،
*الرأسمالية والصناعة التقليدية*، د. اقتصاد، الدار البيضاء، 1983.

م. **الخياطي**،
*جواهر السماط في ذكر مناقب سيدي عبد الله الخياط*، مخطوط.
*الخوجة، ترتيب العسكر*، مخ. خ. ع رقم د 2733.

م. **الداودي**،
*طبقات المفسرين*، بيروت، 1983.

م. **الدباغ**،
*من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني*، الدار البيضاء، 1992.

م. أ. **دهمان**،

*معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي*، دمشق، 1990.

ع. **الدوماني**،

*روضة التحقيق في فضائل آل الصديق*، مخطوط.

ح. **الذهبي**،

*المشتبه في الرجال*، تح. م. البجاوي.

ت. ابن **رحمون**،

*شذور الذهب في خير نسب*، مخ. خ. ع رقم د 1484.

*مناقب الشيخ الكامل والقطب الجامع سيدي عبد السلام بن مشيش*، مجموع مخطوط، خ ع. رقم 1484.

هـ. هـ. **رشيد**،

*ما يجب أن تعرف عن جامعة الدول العربية*، تونس 1980.

ع. **ركوك**،

*بعض الدلالات التاريخية من خلال العيطة*، *بيان اليوم*، 10 فبراير 1992.

*التصوف الغنائي في منطقة الصويرة والشياظمة*، *بيان اليوم الثقافي*، 12 / 3 / 1992.

أ. **الرهوني**،

*مختصر عمدة الراوين*، مخطوط.

*حاشية على شرح عبد الباقي الزرقاني*، القاهرة.

أ. **الريفي**،

*تقييد في أسرة الجيديين*، مخطوط.

ع. **الرياحي**،

*تعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي*، تونس، 1320 هـ.

م. ابن **زاكور**،

*الاستشفاء من الألم في التلذذ بذكر صاحب العلم*، مخ. خ. ح. الرباط.

م. ابن **زكري الفاسي**،

*حاشية على صحيح البخاري*، مخ. خ. ح. رقم 11149.

ع. **زمامة**،

*ابن حسون الوزاني*، *البحث العلمي*، ع 17، 1971.

م. **الزميلي**،

*لباس المرأة وزينتها في الفقه الإسلامي*، عمان، 1982.

م. **زنيبر**،

*ابن بطوطة*، *معلمة المغرب*، ج 4.

ز. **زوكاغي**،

*أحكام القانون الدولي الخاص في التشريع المغربي : الجنسية*، الرباط، 1992.

أ. **زوكاغي**،

*وثائق الجنسية المغربية*، الرباط، 1994.

ع. ابن **زيدان**،

*معجم طبقات المؤلفين في عهد الدولة العلوية*، مخ. خ. ح رقم ز 12564.

ع. **الزين**،

*العلاقات بين المدينة والبادية بحوض الرباط*، د. د. ع، علم الاجتماع، الرباط، 1987.

ح. **الزيات**،

*ثياب الوثني*، مجلة *الشرف*، ع 4، يناير - مارس 1947.

أ. **الزياتي**،

*عقد الجمان في شمائل مولاي عبد الرحمان*، مخ. خ. ع. رقم 40.

م. **الزيادي**،

*سلوك الطريق الوارية*، مخطوط.

ع. **سالم**،

*المغرب الكبير*، بيروت، 1981، 2 ج.

ع. **السعود**،

*تطوان في أواخرالقرن 19*، د. د. ع، الرباط، 1992.

أ. **سكيرج**،

*نزهة الاخوان في تاريخ تطوان*، مخطوط.

*كشف الحجاب*، القاهرة.

ع. **سكيرج**،

*مذكرة الزبير سكيرج 1850 - 1932*، مجلة *دار النيابة*، ع 8.

أ. ع. **سلامة**،

*المبسوط في نظام الجنسية*، القاهرة، 1993.

**السلطان مولاي حفيظ**،

*داء العطب قديم*، مخطوط.

**السملالي**،

*مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولانا الحسن*، مخ. خ. ح. رقم 81.

ع. **السوسي السملالي**،

*منتهى النقول ومشتهى العقول*، مخ. خ. ع. الرباط، رقم 633.

م. ع. **سيناصر**،

*مسجد الحسن الثاني*، بنيراك (فرنسا)، [د. ت].

ع. **السيوطي**،

*لب اللباب في تحديد الأنساب*، بغداد.

ع. **الشاذلي**،

*أسفي*، معلمة *المغرب*، ج. 2.

ح. **الشبيهي**،

*الجراوي*، شاعر *الموحدين*.

م. **الشراط**،

*الروض*، تح. ز. النظام، الرباط، 1997.

م. **شفيق**،

*أمازيغ*، معلمة *المغرب*، ج 2.

أ. **الشقيري**،
*الجامعة العربية : كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية*، تونس، 1979.

م. **شماعو**،
*المجتمع المغربي كما عرفته*، الرباط، 1980.

أ. **شوارق**،
*حقائق تاريخية عن عملية افراغ الباخرة دينا*، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 18.

ح. **شوقي**،
*قبيلة السراغنة خلال القرن 19*، د. د. ع، الرباط، 1990.

م. **شويكي**،
*إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء*، د. الرباط، 1985.

م. **صالح**،
*من الفقيه بن صالح إلى ميلانو : الهجرة الدولية المغربية إلى إيطاليا* وتأثيرها على مناطق الانطلاق، د.د.ع، الرباط، 1996.

أ. **الصبيحي**،
*الرحلة الحجازية*، مخ. خ. ص.

م. **صلك**،
*من معارك إقليم وادي الذهب سنتي 1957 ـ 1958*، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 33.

ع. **الصنهاجي**،
*مذكرات من تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من 1947 إلى 1956*، المحمدية، 1987.

م. **الصوفي**،
*ديبلوماسية مؤتمرات القمة في العلاقات العربية*، د. د. ع، القانون العام، الرباط، 1982.

م. **الصومعي**،
*التشوف الصغير*، مخ. خ. ع رقم د 1103.

أ. **طربين**،
*انجازات جامعة الدول العربية في دعم الاستقلال السياسي للأقطار العربية*، مارس 1912.

ط. **الطويل**،
*حوار مع الحاج الحسين التولالي*، جريدة كل الفنون، 9 أبريل 1994.

ع. **العافية**،
*الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها*، المحمدية، 1982.

م. ابن **عبود**،
*مراكز الأجانب في المغرب*، الرباط، 1988.

إ. **عبد الباقي**،
*الجنسية في قوانين دول المغرب العربي الكبير*، تونس، 1971.

ع. ابن **عبد الجليل**،
معجم مصطلحات الملحون.
*طرب الملحون المغربي*، مجلة التراث الشعبي، ع 10، 1980.
*الموسيقى الأندلسية المغربية*، عالم المعرفية، ع 129، 1989.

ص. ابن **عبد الحليم**،

*كتاب الانساب*، مخ. خ. ع الرباط، رقم ك 1275.

ف. **عبد الرزاق**،

*المطبوعات الحجرية في المغرب*، الرباط، 1989.

ح. ح. **عبد الوهاب**،

*شهيرات النساء التونسيات*، تونس، 1353 هـ.

م. ابن **عثمان المراكشي**،

*الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة*، 1937.

م. **العجلان**،

*تأليف في الأشربة والمعاجين والأدهان والسفوفات والمراهيم والأكحال والمربيات واللطوخات*، مخ. خ. ع رقم د 761.

ح. **العرائشي**،

*انطلاق المقاومة المغربية وتطورها*، الرباط، 1982.

**العروسي**،

*السلطنة الحفصية* - بيروت.

أ. **عزاوي**،

*رسائل موحدية جديدة*، د. د. ع، الرباط، 1986.

م. ابن **عزوز حكيم**،

*باب التوت*، *معلمة المغرب*، ج 8.

*التطور الطبوغرافي لمدينة تطوان*، *مجلة تطوان*، ع 4 - 5، مارس 1993.

*حاكمة تطوان*، الرباط، 1983.

م. ابن أبي **عسرية الفاسي**،

*رحلة*، مخطوطة.

أ. ابن **عطية**،

*سلسلة الأنوار*، مخ. خ. ع، رقم ك 2458.

ع. **عفيفي**،

*الملامتية والصوفية وأهل الفتوة*، القاهرة، 1956.

ع. **العكاري**،

*البدور الضاوية في ذكر الشيخ وتلاميذه وبناء الزاوية*، مخطوط، خ. ع رقم د 88.

إ. **العلوي**،

*بني مالك*، *معلمة المغرب*.

ع. **العلوي**،

*صناعة النسيج في المغرب الوسيط : الانتاج والمبادلات*، *مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية فاس*، ع 2، 1985.

م. ابن **علي الدكالي**،

*السفينة المنجية في أخبار أهل الزاوية الحجية*، مخطوط.

ك. **علي**،

*جامعة الدول العربية والمنازعات الاقليمية العربية*، د.د. ع، الرباط، 1980.

ع. **عمرو**،

*اللباس والزينة في الشريعة الاسلامية*، عمان، 1985.

أ. **العماري**،

*مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر*، د. كلية الآداب الرباط، 1981.

ف. **العيساوي**،

*جوانب من علاقة المخزن بالحرف*، د. د. ع، الرباط، 1989.

م. **عياد**،

*الشريف الإدريسي، معلمة المغرب.*

ح. **الغراس**،

*هدة البارود بجامع الفنا على لسان شاهد عيان*، مجلة *أطلس مراكش*، ع 2، 1994.

أ. **غرسياخايين**،

*الفن والفنانون المسلمون*، مدريد، 1951.

ع. **غلاب**،

*تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، الرباط، 1987، 2 ج.

ط. **الغنيمي**،

*جامعة الدول العربية*، الاسكندرية، 1974.

ر. م. **غورضو**،

*تعقيب وتوضيح حول مقال دور مركز كارمة إبان المقاومة وتأسيس جيش التحرير*، مجلة *المقاومة وجيش التحرير*، ع 31.

ع. الله **الفاسي**،

*الإعلام*، تح. ف. نافع د. د. ع. الرباط.

علال **الفاسي**،

*الشاعر عبد الرحمن حجي*، *العلم*، 21 يونيو 1965.

م. **الفاسي**،

*شاعر الخلافة الموحدية أبو العباس الجراوي*، الرباط.

*شعراء الملحون السلاويون*، *المناهل*، ع 33.

م. المهدي **الفاسي**،

*تحفة أهل الصديقية*. خ. خ. ع. رقم : ج 79.

س. **الفشتالي**،

*تقييد*. مخ، خ، ع، د 283.

س. **فنيش**،

*الفقيه عبد السلام حركات*. د. د. ع، التاريخ، الرباط، 1994.

أ. **القادري**،

- *العلامة المفتي أحمد الجريري : شيخ الجماعة بسلا 1277 ـ 1353* هـ الرباط، 1985.
- محمد حصار.
- *مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 إلى 1940*، الدار البيضاء، 1992، ج 1.

م. **القصار**،

*فهرس*، مخ. خ. ع. رقم : ك 1427.

ع. **الكاديكي**،

*الامراض المعدية*.

*كتاب القوانين الداخلية المتعلقة بمشاة العسكر الجهادية في سبيل الله*. مخ. خ. ع. رقم : 1258.

ع. الحي **الكتاني**،

*الآيات النفاعات فيما يتعلق بالحمامات*. مخ. خ. ع. رقم : ك 2942.

*أشرف بقعة*، مجلة المغرب، يونيو 1936.

*إعلام الأئمة*، فاس : ط. حجرية.

*تبليغ الأمانة في مضار الاسراف والتبرج والكهانة*. مخ. خ. ع. رقم : ك 2729.

*توفير المنة*. مخ. خ. ع. رقم : ك 2404.

*زهر الآس في بيوتات فاس*. مخ. خ. ع. رقم : ك 1281.

*كتاب في الخطاب*. مخ. خ. ع. الرباط، رقم : ك 3208.

م. **الكتاني**،

*الاعلام ببعض ما يتعلق بالمكانات المجلاة من الأحكام*. مخ. خ. ع. رقم : ك 1180.

*رفع الألباس وكشف الضر والباس ببيان ما للعلماء النحارير الاكياس في مسألة الجرير التي وقع فيها الخوض بين الناس*. مخ. خ. ع. رقم : ك 1180.

ع. **كنون**،

*أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي*، بيروت [د. ت].

*ابن عبدون، أحمد بن شعيب الجزنائي*، تطوان [د. ت].

*جني زهر الآس في شرح نظم عمل فاس* ، القاهرة [د. ت].

م. **كنون**،

*كفاية المحتاج في استعمال المحلي والديباج*. مخ. خ. ع. رقم : د 1231.

م. **لشكر**،

*ملحمة جيش التحرير بالصحراء المغربي*، مجلة المقاومة وجيش التحرير. ع 19.

ح. **المباركي**،

*الري وندرة الماء : مشكل الفلاحة العصرية بحوز مراكش*. د.د. ع. الرباط، 1987.

م. **المجاطي**،

*شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ نافع*.

م. **مجدوب**،

*مملكة المورين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*. د. د. ع. فاس، 1990.

مجهول،

*تمسك الفقير الحقير بطريقة الولي الشهير الخطير سيدي محمد بن عيسى الكبير*. مخ.

*ورقات في أسرار بعض الصنائع*. مخ. خ. كلية الآداب الرباط، رقم : 216 مكل.

**محمد الخامس**،

*خطاب بمناسبة استقبال جيش التحرير سنة 1956*، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 2.

أ. **المداني**،
*مراحل الكفاح الوطني بالجنوب المغربي وانطلاقة جيش التحرير ومقاومة قبائل ايت أوسا نموذجا مجلة المقاومة وجيش التحرير*. ع 35.

أ. ت. **المدني**،
*حرب لثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا* ، الجزائر، [د. ت].
*كتاب الجزائر*، الجزائر، 1350 هـ.

أ. **المرابي**،
*تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان*. مخ. خ. ع. رقم : ك 154.

**المرأة المغربية والحلي**، *العلم*، ع. 870، 28 أبريل 1974.

م. **المرغيتي**،
*العوائد*، مخطوط.

ع. **المريني**،
*النضال الجبلي : الأنظمة الاجتماعية الجبلية*، طنجة 1988.

ع. **المزريوي**،
*مذكرات*. مخ.

م. ع. **المشرفي**،
مشموم *عرار النجد*.

ج. **مطر**، ع. **هلال**،
*النظام الاقليمي العربي : دراسة في العلاقات السياسية العربية*، بيروت، 1983.

أ. **معنينو**،
تكوين *جيش التحرير بقبيلة الحزناية بإقليم تازة مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع 20.

ش. **مفيد**،
*جامعة الدولة العربية ميثاقها وإنجازاتها* ، القاهرة، 1978.

أ. **المقري**،
*أزهار الكمامة في أخبار العمامة ونبذة من ملابس المخصوص بأسرار الإمامة*. مخ. خ. ع. رقم : د 984.

ع. ابن **المقفع**،
*الأدب الصغير تم الأدب الكبير في رسائل البلغاء*. تح. م. كرد علي، القاهرة 1954.

م. **المكودي التازي**،
*الإرشاد والتبيان لرد ما أحدثه الروساء من أهل تطوان*، مخطوط.

م. ابن **الميك**،
*بادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال*. مخ. خ. ع. الرباط.

ع. **المنتوري**،
*الفهرسة*. مخ. خ. ع. رقم : 1578.

ابن **منظور**،
*لسان العرب*، بيروت، [د. ت]..

ح. **المنفلوطي**،

*تحفة الكرام في بعض مناقب غوث الانام قطب جزولة*. مخ. خ. ع. رقم : 925.

م. **المنوني**،

*التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور - مجلة الثقافة المغربية*، ع 7، 1972.

*حل مشكلة تتصل باسم وعصر مؤلف الروض المعطار، المناهل*، ع 10، نونبر 1977.

ح. **مهديوي**،

*الزي التقليدي لقبائل الأطلس، جريدة الأنوار*، ع 122، 31 دجنبر 1996.

م. **مولاي رشيد**،

*المغرب الأقصى عند الاغريق واللاتين*، الدار البيضاء، 1993.

م. **ميارة**،

*الدر الثمين، شرح المرشد المعين*، القاهرة، 1306 هـ.

ج. **الناصري**،

قضاة سلا. مخطوط، خ. ص.

م. **ناعمي**،

*ازوافيط - معلمة المغرب*، ج 2.

ع. **نجمي**،

عكاكزة. د. د. ع. الرباط.

أ. **الهشتوكي** بن داود،

*هداية الملك العلام*. مخ. خ. ع. رقم : ق 147.

ن. **همزان**،

*تدوين تاريخ جيش التحرير بالجنوب المغربي - مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع. 12.

أ. **همشي**،

*انطلاقة جيش التحرير بتازة عجلت بارجاع الملك واعلان الاستقلال، مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع 38.

ع. **الهلالي**،

*وفيات الهلالي*، مخطوط.

أ. **هوزالي**،

*التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي*. د. د. ع، الرباط، 1987.

ف. م. **الهوني**،

*تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية*.

أ. **هيل**،

*النبات الاقتصادي*، تر. عبد المجيد زاهر [وآخران] - القاهرة، 1962.

## Supplément
## à la bibliographie des ouvrages et des articles cités
## dans l'encyclopédie avec leurs abréviations


ABDEL JALIL, J.M. - *Le Maroc*, Paris, 1942.

ABOU EL KARAM, F. - *Répertoire des gouvernements du Royaume du Maroc, 1955 - 1988*, Casablanca, 1988.

ADAM, A. - *Le Costume de quelques tribus de l'Anti - Atlas, Hesp.*, 3ème - 4ème trim., 1952.

ADMINISTRATION DES EAUX ET FORETS ET CONSERVATION DES SOLS. - *Quantification de la consommation de bois de feu au Maroc*, Casablanca, 1994.

AHERDANE, M. - *Signes symboliques et peintures corporelles, Amazigh, n° 6, 1981.*

AIT HAMOU, H. - *Mutation de l'espace péri-urbain casablancais : le cas des communes des Aït Harrouda et Tit Mellil*, Th. 3ème cycle, Géo., Tours, 1988, 2 vol.

ALAOUI, Y. A. - *Guide du chasseur au Maroc*, Rabat, 1992.

ALARCON. - *Melilla*, Madrid, 1909.

ALBERT, Lt. - *Les Ida Ubaqil*, Arch. S.H.A., 1915.

ALBERT, Lt. - *Renseignements sur la tribu des Ilalen, Sous, Anti - Atlas*, Arch. S.A.H., 1914.

ALBERT, P. - *Les Tribus du Sahel atlantique, Sous, Tazeroualt, Dra, Oued Noun, Seguiet et Hamra*, Paris, 1960.

ALDECOA, M. De. - *Cours d'arabe marocain*, Paris, 1942.

ALMAGRO CORREA, A. *Las Torres bereberes de la Marca Media, Cuadernos de la Alhambra*, 12, 1976.

AL-MAKARI, A. - *Focus et topique en Hassaniyya*, Th. 3ème cycle, Rabat, 1987.

APPIEN. - *Bellorum civilium liber, Libya, Punica* in *Historia Romana*, Teunber, 1906.

ARSALANE, K. - *Le Foot-ball marocain*, Casablanca, 1990.

ASEBRIY, L. - *Evolution tectonique et métamorphique du Rif central, définition du domaine subrifain*, Th. Doc. d'Etat, Rabat, 1994.

AUBERT, Cap. - *Les Harratine de l'annexe de Tafingout*, Arch., S.H.A. 1913.

AYMARD, A. - *Aspects de la défense romaine en Afrique, I.H.*, 1952.

AZAN, P. - *L'Emir Abd el-Kader, 1808 - 1883 : du fanatisme musulman au patriotisme français*, Paris, 1925.

BADUEL, R. - *La Production de l'espace national au Maghreb, A.A.N.*, XXIII, 1983.

BAIDA, J. - *La Presse marocaine d'expression française, des origines à 1956*, Rabat, 1996.

BALDOUI, J. - *L'Artisanat marocain à la croisée des chemins*, Alger, [s.d.].

BALLETTO, L. - *Da Genova al Maghreb, 1222 - 1226, Archivo Storia Sardo di Sassari*, 1982.

BELLOUCHE - DAMBLON. - *Nouvelles données palynologiques sur la végétation holocène du Maroc, Trav. Sct. Sc., Tech.* XXV.

BARDON, H. - *Contribution à l'étude épidémiologique et chimique de la rougeole au Maroc, Bull. Inst. Maroc*, n° 3-4, 1951.

BASRI, D. - *La Décentralisation au Maroc : de la commune à la région*, Paris, 1994.

BASRI, D. / Dir. - *Précis de fiscalité des collectivités locales et de leurs équipements*, Rabat, 1993.

BASSET, H. - *La Fête de Lalla Ksaba, F.M.*, n° 6, 1917.

BASSET, H. - *Les Rites du travail de la laine à Rabat, Hesp.*, 1er - 2ème trim., 1922.

BASSET, R. - *Hadjar al - Nasr, E.I.*, T. 2.

BAUDY, P. - *Economie forestière nord - africaine : description forestière du Maroc*, Paris, 1958.

BAUMONT, G. - *L'Avenir des corporations artisanales au Maroc*, [s.l.], 1949.

BEAUDET, G. - MAURER, G. - MARTIN, J. - *Remarques sur quelques facteurs de l'érosion des sols, R.G.M.*, n° 6, 1964.

BEAUDET, G. - *Types d'implantation humaine en pays Zaïan, R.G.M.*, n° 8, 1965.

BELLAOUI, A. - *La Place de Jamaa El Fna entre le visiteur et l'usager : premier bilan d'un sondage d'opinion, Atlas*, n° 2, 1994.

BENABID, A. - *Etudes phytosociologique et phytodynamique et leur utilité, Ann. Rech. Forest. du Maroc*, n° 24, 1984.

BENCHEHIDA - SBIHI. - *Proverbes de vieilles femmes marocaines*, Fès, 1930.

BENCHEKROUN, M. - *La Vie intellectuelle marocaine sous les mérinides et les wattasides*, Rabat, 1974.

BEN CHENEB, M. - *Proverbes arabes de l'Algérie et du Maghreb*, Paris, 1907.

BENHALIMA, H. - *L'Artisanat traditionnel Sefrioui, R.G.M.*, n° 1, 1977.

BENKHALIFA, S. - *Le Costume dans la tradition, Echanges*, vol. 1, n° 3, 1979.

BENSLIMAN - HASSAR, J. - *Aïn Karouach : un nouveau site archéologique dans le Gharb, B.A.M.*, 12, 1980.

BENTOLILA, F. / Dir. - *Proverbes berbères*, Paris, 1993.

BERGIER, P. - *Les Falconiformes marocains, statut, répartition et écologie, Annales C.E.E.P.*, n° 3, 1987.

BERNES, J.P. - ALAIN, J. - *Arts et objets du Maroc : céramique, bijoux, armes, ABC Décor*, mars 1974.

BERQUE, J. - *La criée publique à Fès, Rev. d'Econ. publique*, mai 1940.

BERRADA, T. - *Aspects de la question militaire au 19ème S., Maroc Europe*, n° 7, 1994.

BERTRAND, A. - *Tribus berbères*, Lausanne, 1977.

BESANCENOT, J. - *Bijoux arabes et berbères du Maroc*, Casablanca, 1953.

*Bijoux, E.B.*, 10.

BIREBENT, J. - *Aquae Romanae : recherche d'hydraulique romaine dans l'Est algérien*, Alger, 1962.

BLACHERE, R. - *Contribution à l'étude de la littérature proverbiale des arabes à l'époque archaïque, Arabica*, I, 1954.

BLANFORD, H.F. - *On the connection of the Himalaya Snowfall and seasons of drought in India, Proceedings Royal Society London*, 37, 3, 1884.

BLOCK, D.P. - *Histoire et toponymie, A.E.S.C.*, Juil.-Août 1969.

BOIX, C. - *Années de disette, années d'abondance : sécheresses et pluies au Maroc, B.S.G.* (Paris), mars 1872.

BON, G. - *Tatouages berbères, Public mondial*, n° 25, 1950.

BONJEAN, P. - *Esquisse d'un portrait de la marocaine*, Casablanca, [s.d.].

BORELY, J. - *Mon plaisir au Maroc*, Paris, 1927.

BOUCHARB, A. - *Les Crypto - musulmans d'origine marocaine et la société portugaise au 16ème S.*, Th.

BOUGIS, P. - *Les Poissons marins*.

BOULARD, M. - *Les Orthoptères - Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et des Techniques, Zoologie*, Paris, 1984.

BOULNOIS, L. - *La Route de la soie*, Paris, 1963.

BOURGUIGNON, Lt. - *Reconnaissance aux Ida ou Zekri*, Arch., S.H.A., 1917.

BOURNON, J.Y. - *Le Dictionnaire des proverbes et dictons de France*, Paris, 1986.

BRADINET, P. - *Le Régime douanier du Maroc*, Th. Doct., Bordeaux, 1932.

BROSSARD, L. - *Les Fils et les tissus*, Paris, 1977.

BRUNOT, L. - *Au seuil de la vie marocaine*, Casablanca, 1950.

BRUNOT, L. - *Proverbes et dictons arabes de Rabat, Hesp.*, 8, 1928.

BRUNOT, L. - MALKA, E. - *Proverbes judéo-arabes de Fès, Hesp.*, 3ème trim., 1937.

BUFFE, Cap. - *Les Ahl Tata*, Arch. S.H.A., 1938.

BUFFE, Cap. - *Les Id ou Blal*, Arch. S.H.A., 1938.

BURCKHARDT, J.L., *Arabic proberbs*, London, 1875.

BURLET, J. - *La Laine et l'industrie lainière*, Paris, 1972.

BUTTIN, J. - *Les Poignards et les sabres marocains, Hesp.*, 26, 1936.

CABRERA, A. - *Al-Maghreb Al-Aksa*, Madrid, 1924.

CAMPS, G. - *Acridophages - E. B.*, I, 1984.

CAMPS, G. - *Recherches sur les origines des agriculteurs noirs du Sahara, R.O.M.M.*, n° 7, 1970.

CAMPS - FABER, H. - *L'Origine des fibules en Afrique du Nord, R.O.M.M.*, n° 13 - 14, 1973.

CAMPS - FABER, H. - *Problèmes posés par l'origine de l'orfévrerie émaillée en Afrique du Nord, R.O.M.M.*, 1970.

CANGARDEL, H. - *Essais anti-acridiens, campagnes 1957 - 1958 et 1958 - 1959, Cah. Rech. Agron.*, 10, 1960.

CAPPERON, L. - *Au secours de Fès*, Paris, 1912.

CARRE, O. - *La Ligue des Etats Arabes, Rev. Fr. de Sc. Pol.*, vol. XXI, n° 2, avril 1971.

CASTRO, R.F. De. - *El Rif : territorios de Guelaia y Quebdana*, Madrid, 1911.

CENIVAL, P. de. - *La Zaouia dite de Berada'a, Hesp.*, XV, fasc. 1, 1932.

CESAR MORAN, A. - *Visita de Marruecos, Mauritania*, 1942.

CHABÈRT, M. - *Situation et défense de la soirie lyonnaise, B.E.M.*, I, 1933 - 34.

CHAJAI, L. - *Langage d'artisans à Marrakech*, Doct. nouveau régime, Paris IV, 1986.

CHAMPAULT, D. - *La Main : ses figurations au Maghreb et au Levant*, Paris, 1965.

CHAMPION, M. - *La Situation des métiers et des arts indigènes*, Rabat, 1917.

CHANTREAUX, G. - *Les Tissages décorés chez les Beni Mguild, Hesp.*, 1945.

CHATELAIN, L. - *L'Histoire militaire du Maroc antique, Rev. int. hist. mil.*, 1950.

CHATIN, B. - *Les Tanneries traditionnelles de Fès*, Th. 3ème cycle, Bordeaux I, 1985.

CHAUMEIL, J. - *Histoire d'une tribu maraboutique de l'Anti-Atlas : Les Aït Abdellah ou Saïd, Hesp.*, 1er trim., 1952.

CHAUVEAU, A. - *L'Industrie du cuir au Maroc, Chimie et industrie*, 2ème trim., 1920.

CHAVAGNAC, M. - *De Fès à Oujda*, [s.l.], 1887.

CHEBEL, M. - *Le Corps dans la tradition au Maghreb*, Paris, 1984.

CHEESMAN, T.L., - *The Auxilia of the Roman Imperial Army*, Oxford, 1914.

CHENAIL, A. - *Dessins d'art marocain*, Rabat, 1930.

CHERKAOUI, T.E. - HATZFELD, D. - *Evaluation de l'aléa sismique au Maroc, 7ème congrés int. de l'AIGI*, Lisboa, 1994.

CHOTTI, Cap. - *Aït Oumribete*, Arch. S.H.A., 1950.

CHOUBERT, G. - *Histoire géologique du précambrien de l'Anti-Atlas, Notes du service géologique*, n° 162.

CHOUIKI, M. - *Settat et son rôle régional*, Th. 3ème cycle, Géo., Tours, 1989.

CHRAIBI, D. - *La Civilisation ma mère*, Paris, 1980.

CHURCHILL, C.H., - *Vie d'Abd el-Kader*, Alger, 1974.

CIASCA, R. - *Un centro marocchino del traffico genovese nel medio evo - Revista internazionale di scienze sociali*, T. XLIII, fasc. 4, 1935.

CLEMENTE, G. - *La Notitia Dignitatum*, 1968.

CLOUZOT, H. - *Les Arts du métal*, Paris, 1934.

CLOUZOT, H. - *Les Métiers manuels à Fès, Hesp.*, 1er trim., 1924.

COHEN, D. - *Le Dialecte arabe Hassaniyya*, Paris, 1963.

COLIN, G.S., *Chrestomatie marocaine*, Paris, 1955.

COLIN, G.S. - *Noms d'artisans et de commerçants à Marrakech, Hesp.*, 12, fasc. unique, 1952.

CORRIENTE, F. - BOUZINEB, H. - *Recopilacion de refranes andalusies de Alfanso Del Castillo*, Zaragoza, 1994.

CRESSIER, P. - *Prospection géophysique sur le site médiéval d'Aïn Karouach, B.A.M.*, 14, 1981.

DAKKI, M. - ARAHOU, M. - MOUNA, M. - *Les Insectes, G.E.M. Faune*, Rabat, 1987.

DAOUD, Z. - *Interview avec Aherdan, Lamalif*, n° 175, mars 1986.

DARMON, J.P. - *Nympharum Domus : les pavements de la maison des nymphes à Néapolis et leur lecture*, Leiden, 1980.

DAVIES. - *Cohortes quitate, Historia*, 20, 1975.

DAVIS, S.J. - *Osmanli proverbs*, London, 1898.

DECAMPS, M. - *Contribution à la faune du Maroc - 3 : Acridoïder du Maroc saharien, Bull. Soc. Ent. France*, 75, 1970.

*Décentralisation - déconcentration, R.M.F.P.E.*, n° 8, 1992.

DELANNOY, H. - *Aspects du climat de Marrakech et de sa région, R.G.M.*, n° 20, 1971.

DELERIS, Lt. - *Les Ahl Tissint*, Arch., S.H.A., 1915.

DELPY, A. - *Notes sur le tissage dans les Zemmours, C.A.T.A.N.*, n° 3, 1954.

DERENBOURG, J et H. - *Opuscules et traités d'Abul - Walid Marwan Ibn Janah de Cordoue*, Paris, 1880.

DERINY, S.M. de. - *Marrakech et les ports du Sud*, Paris, 1918.

DESANGES, J. - *Les Territoires gétules de Juba II, R.E.A.*, 66, 1964.

DESANGES, J. - *Un Curateur de la sauterelle sur la portica de Carthage en 48 - 49 de notre ère, E.O.S.*, LXV, 1976.

DESPUJOLS, P. - *Historique des recherches géologiques au Maroc : des origines à 1930, Notes et mémoires*, n° 25, n° 37.

DEVILLETTE, J. - *La Collection de bijoux de la région de Taza au Musée de l'Homme, H.T.*, fasc. 2, 1960.

DEZ, G. - *La Grèce et l'Orient*, Paris, 1964.

DOLLFUS, H.-P. - *L'Etablissement d'un fichier ichtyologique du Maroc Atlantique de Tanger à l'embouchure de l'Oued Dra*, Rabat, 1955.

DOMENECH LA FUENTE, A. - *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942.

DRESCH, J. - *Recherches sur l'évolution du relief dans le Massif Central du Grand Atlas, le Haouz et le Sous*, Tours, 1941.

DRESCH, J. - *Systèmes d'érosion en Afrique du Nord, R.G.L.*, vol. 28, n° 3, 1953.

DUBOIS, A.L. - *A travers trois républiques*, Paris, 1972.

DUBOIS, P. - *Tableaux économiques du Maroc*, 1915 - 1959.

DUFOURCQ, Ch. - *Aperçu sur le commerce entre Gênes et le Maghrib au 13ème S.*, in *Mélanges offerts à E. Perroy*, Paris, 1973.

DUMEZIL, G. - *Encore Genius*, in *Hommages à R. Shilling*, Paris, 1938.

EANEZ DE ZURARA, G. - *Cronica da tomada de Ceuta por el Rei D. Joao I*, Lisboa, [s.d.].

ECHIGUER, M.H. - *Les Aït Yadine*, Doct. Sorbonne, Paris, 1978.

EDDIANI, A. [et al...]. - *Evaluation économique à postériori des petits barrages réalisés entre 1984 et 1986*, Rabat, 1988.

EL ALAOUI, My L. - *Le Droit douanier au Maroc*, Casablanca, 1997.

EL- ATTAR, B. - *Les Proverbes marocains*, Casablanca, 1992.

EL- FASSI, M. - *Lettres inédites de Moulay Ismaïl, H.T.*, 1962.

ELMASTOUR, A. - *Contribution à l'étude de la biologie et du mode de vie du sanglier (Sus scrofa barbarus)*, Mém. 3ème cycle, I.A.V., Rabat, 1982.

EL MOUDDEN, A. - *Etat et société rurale à travers la harka au Maroc du 19ème S., The Maghreb Review*, 8, n° 5-6, 1983.

*Etude sur les populations habitants dans les cités construites par la Compagnie Immobilière Franco-Marocaine*, Casablanca, 1955.

EUDEL, P. - *Dictionnaire des bijoux de l'Afrique du Nord*, Paris, 1906.

EVANS - PRITCHARD, E. - *La Femme dans les sociétés primitives*, Paris, 1971.

FASSI, D. - *Les Formations superficielles du Saïs de Fès et de Meknès : du temps géologique à l'utilisation actuelle des sols*, Th. Paris I, Sorbonne, 1993.

FAUR, J. - *Caligula et la Maurétanie à la fin de Ptolomée - Klio*, 55, 1973.

FEGHALI, M. - *Proverbes et dictons syro-libanais*, Paris, 1938.

FELZ, J. - *Au Maroc inconnu*, Grenoble, 1935.

FERREY, E. - *La Réorganisation marocaine*, Paris, 1905.

FONTANES, J. - *Histoire des métiers d'art*, Paris, 1950.

FOSSET, R. - *Pression démographique et système de culture dans les plaines atlantiques*, in *G.E.M. : géographie humaine*, Rabat, 1987.

FOSSET, R. - *Quelques aspects de la vie rurale dans l'arrière pays de Mohammédia, R.G.M.*, n° 13, 1968.

FOUCHER, L. - *Inventaire des mosaïques, feuille 57,* in *Atlas archéologique de Sousse.*

FOWLER, H.W. - *The Marine fisher of West Africa, Bull. Am. Mus. Hist.*, vol. LXX, fasc. 1, 1936.

FRANCESCI, A. - *Costumes et bijoux au Maroc, L'Oeil*, n° 294-295, Janv. - Fév. 1980.

FROMENTIN, E. - *Un été dans le Sahara*, Paris, 1952.

GABUS, J. - *Sahara : bijoux et techniques,* Neuchâtel, 1982.

GALLOTI, J. - *Le Lanternon du Minaret de la Koutobia de Marrakech, Hesp.*, II, 1er trim., 1923.

GALLOTI, J. - *Les Métiers d'art au Maroc, F.M.*, n° 4.

GARCIA DE RESENDE. - *Cronica de Dom Joaõ II e Miscelania*, Lisboa, 1973.

GARCIA PEREZ, A. - *Isla del Perejil*, Madrid, 1906.

GASCON, Cap. - *Les Aït Ouadrim*, Arch. S.H.A., 1916.

GASCON, Cap. - *Etude sur les leffs Tahouggat et Igouzoulen dans les tribus de l'annexe des Aït Baha*, Arch. S.H.A., 1946.

GASCOU, J. - *Marius et les Gétules, M.E.F.R.*, 61, 1969.

GAUD - HENDLER. - *La Rougeole au Maroc, B.I.H.M.*, n° 3-4, 1950.

GAYOT, H. - *La Broderie de Fès*, Rabat, 1959.

GAYOT, H. - *Le Décor floral dans l'art de l'Islam occidental*, Rabat, 1955.

GAYOT, R. [et al...]. - *Les Cordonniers de Fès, Hesp.*, 23, 1936.

GENDRE, F. - *Voyageurs et géographe, pionniers inconnus ou oubliés de la France au Maroc, R.G.M.*, 1946.

GHALI, B.B. - *La Crise de la Ligue Arabe, Ann. Fr. Dr. Int.*, 1968.

GIRAUD, J.B. - *Les Origines de la soie*, Lyon, 1989.

GODBARGE, H. - *Deux corporations berbères à Fès, B.E.S.M.*, 10, 1948.

GOLVIN, L. - *Aspects de l'artisanat en Afrique du Nord*, Paris, 1957.

GOLVIN, L. - *Le Métier à la tire des fabricants de brocart de Fès, Hesp.*, 37, 1er - 2ème trim., 1950.

GOMAA AHMED. - *The Foundation of the League of Arab States*, London, 1977.

GONTHIER, J. - *La Soierie de Lyon*, Paris, 1978.

GOUDARD, J. - *Bijoux d'argent de la tâche de Taza, Hesp.*, 8, 1928.

GRAND, R. - *L'Agriculture à travers les âges*, Paris, 1950.

GROHMAN, A. - *Tiraz, E.I.*, T. 4.

GSELL, S. - *Vieilles exploitations minières dans l'Afrique du Nord, Hesp.*, 1928.

GUENNOUN, S. - *La Montagne berbère : les Aït Oumalou et le pays Zaïan*, Paris, 1929.

GUIZOT, F. - *Mémoire pour servir à l'histoire de mon temps*, Paris, 1858 - 1867, 8 vol.

HAJJI, M. - *Les Droits de douane au Maroc*, Thèse, Paris, 1981.

HAKIMI, R. - *La Ville de Berrechid dans l'espace casablancais*, Th. 3ème cycle, Géo, Tours, 1984.

HARAKAT, M. - *L'Audit dans le secteur public au Maroc*, Rabat, 1994.

HARAKAT, M. - *Le Droit de contrôle supérieur des finances publiques au Maroc*, Rabat, 1992.

HARDY, A. - *Les Babouchiers de Salé, B.E.M.*, 5, 1938.

*Harir, E.I.*, T. 3.

HART, D.M. - *Les Institutions des Aït Morhrad et Aït Haddidou, B.E.S.M.*, 1978.

HASTENRATH, S. - HELLER, L. - *Dynamics of climatic hazards on North Est Brazil, Quaterly Journal of the Royal Meteorological Society*, 103, 1977.

HERBER, J. - *La Boucle d'oreille et les lobes percés chez les marocaines, Hesp.*, 32, 1945.

HERBER, J. - *Influence de la bijouterie soudanaise sur la bijouterie marocaine, Hesp.*, 37, 2ème trim., 1950.

HERBER, J. - *La Main de Fathma, Hesp.*, 1927.

HEUSCH, B. - *L'Economie dans le Prérif : une étude quantitative de l'érosion hydrique dans les collines mameuse du Prérif occidental, Ann. Rech. Forest., Maroc*, n° 12, 1970.

HEUSCH, B. - *L'Erosion hydraulique au Maroc : son calcul et son contrôle, Al Awamia*, n° 36, 1970.

HOSNI, M. - *La Répression des fraudes commerciales en droit marocain*, Thèse, Paris X, 1985.

HUMBERTO, F. - *Cornacero Henares, Alcazarquivir, 1950*, Tetuan, 1953.

HUVELIN, P. - *Mouvements pré-atlasiques et récents dans les Jbilets et sur leur pourtour, Notes et Mémoires du Service Géol.*, Maroc, 249, 1973.

*L'Industrie marocaine des peaux, B.I.D.M.*, Juil. 1942.

JACOB, A. - *Arts et objets du Maroc, A.B.C. Décor*, 1974.

JACQUET, P. - *Le Maroc de notre jeunesse*, Montpellier, 1987.

JEHEL, G. - *Gênes et le Maghreb au Moyen Age, Studi Maghrebini*, XXII, 1990.

JEHEL, G. - *Les Génois en Méditerranée occidentale, fin 11ème - début 14ème siècle*, Paris, 1993.

JOHNSTON, R.L.K.N. - *The Songs of Sidi Hammou*, London, 1907.

JOLY, A. - *L'Industrie à Tétouan, A.M.*, 15, 1909.

JOUDAMY, K. - *Périphérie Nord -Est de Casablanca : étude géographique*, Th. 3ème cycle, Géogr., Bordeaux III, 2vol.

JULIEN, C.A. - *Histoire de l'Afrique blanche*, Paris, 1966.

JULIEN, C.A. - *Histoire de l'expansion et de la colonisation française : les voyages de découverte et les premiers établissements XV - XVIème S*, Paris, 1948.

JULIEN, C.A. - *Histoire de l'Océanie*, Paris, 1942.

JULIENNE, M. - *En dissidence*, Paris, 1933.

JUSTINARD, L. - *Poèmes chleuhs recueillis au Sous, R.M.M.*, 2ème trim. 1925.

KADDACHE, M. - *L'Algérie dans l'antiquité*, Alger, 1972.

KENBIB, M. - *Protection, protectorat et nationalisme, 1904 - 1938, H.T.*, 1978 - 1979.

KERR MALCOM, H. - *The Arab Gold War : Gamal Abd Al-Nasir and his rivals, 1958 - 1970*, London, 1971.

KHALLOUK TEMSAMANI, A. - *Pays Jbala : Makhzen, Espagne et Ahmed Raissouni*, Tanger, 1996.

KHATIB BOUJIBAR, N. - *Bijoux et parure du Maroc*, Casablanca, 1974.

KILITO, A. - *Architecture et sacré : une saison au hamam*, in *Le Maroc : espace et société*, Passau, 1990.

KOCHER, L. - *Présentation d'un ver luisant recemment découvert au Maroc, C.R. Soc. Sc. Nat. Maroc*, 31.

KRUEGER, H.C. - *Genove trade with North Africa, Speculum*, VIII, 1933.

LABRUSSE, C. - *Mariage, Encyclopoedia Universalis*, vol. 10, 1962.

LACROIX, F. - *Procédés agricoles, R.A.*, 1870.

LACROIX, M. - *Notes sur les produits tinctoriaux, C.A.T.A.N.*, n° 5, 1959.

LAJUGIE, J. [et al...]. - *Espace régional et aménagement du territoire*, Paris, 1985.

LAKHLIFI, N. - *L'Artisanat de production à Meknès*, Th. 3ème cycle, Toulouse, 1985.

LAMAZIERE, A. - *Le Maroc secret*, Paris, 1952.

LAMB, P.J. - PEPPLER, R.A. - *North Atlantic oscillation, concept and an application, Bull. Am. Meteo. Society*, 68, n° 10, 1987.

LAMDOUAR BOUAZZAOUI, N. - *Maladies infectieuses du nouveau né, du nourrisson et de l'enfant*, Rabat, 1989.

LAMOUROUX, M. - *Etude de sols formés sur roches calcaires : pédogenèse fersiallitique au Liban*, Th. Strasbourg, 1972.

LANDAU, R. - *The Beauty of Morocco*, London, 1951.

LAPANNE - JOINVILLE, J. - *Les Métiers à tisser de Fès, Hesp.*, T. 27, 1940.

LA PORTE DE VAUX, A. de. - *Notes sur le peuplement juif du Sous, BESM*, XV, n° 54, 1952.

LA PUENTE, C. de. - *La Familia de Abu Ishaq Ibn Al-Hajj De Velefique : estudios onomastico - biograficos de Al-Andalus*, Madrid, 1992.

LAUREL, A. M. - MARÇAIS, P. - *Les Coiffures à Tindouf, Travaux de l'Inst. Rech. Sah.*, n° 12, 1954.

LEGLAY, M. - *Le Culte du serpent dans les cultes africains*, in *Hommages à W. Deonna*, Paris, 1957.

LEMOINE, P. - *Mission dans le Maroc occidental*, Paris, 1905.

LENS, A.R. De. - *Pratiques des harems marocains*, Paris, 1925.

LEVI-PROVENÇAL, E. - *Conférences sur l'Espagne musulmane*, Le Caire, 1951.

LEWICKI, T. - *Banu Ifren, E.I.*, Nlle éd., T. 3, 1971.

L'HERITIER, G. - *Observation sur le comportement de Pelania mauritanica L. (Col. Lampyridae), Bull. Soc. Sc. Nat. Phys. Maroc*, 35, 3.

*Livre d'or du Maroc*, Paris, 1934.

LOMBARD, M. - *Les Textiles dans le monde musulman*, Paris, 1978.

LOPES, D. - *Os Portugueses en Marrocos*, in *Historia de Portugal* / Dir. D. Pires, Parcelos, 1931.

LOPES, F. - *Cronica del Rei Dom Joao I da boa memoria*, Lisboa, 1973.

LOPEZ, E. - *Yabala*, Madrid, 1947.

LOPEZ, R. - *Studi sull economia genovese nel medio evo - I Genevesi in Africa occidentale*, Turin, 1936.

LOUIS, A. - *Le Hamam au Maghreb, E.I.*, Tome 3.

LYNEBORG, L. - *Mammifères d'Europe*, Paris, 1972.

MADRAS, D. - *Au Sud de l'Atlas*, Casablanca, 1950.

MANNEVILLE, R. - *L'Expérience Castor aux carrières centrales de Casablanca, Notes marocaines*, n° 7, 1956.

MANZANO RODRIGUEZ, M.A. - *La Intervencion de los Benimerines en la Peninsula Ibérica*, Madrid, 1992.

MARÇAIS, G. - *Le Costume musulman d'Alger*, Alger, 1930.

MARÇAIS, W. - *Djellab, E.I.*, 1ère éd., Tome 1, 1913.

MASCARELLO, A. - *Quelques aspects des activités italiennes dans le Maghreb médiéval, R.H.C.M.*, n° 5, 1968.

MASSONNAUD, A. - *L'Evolution des corporations depuis notre installation au Maroc, B.E.S.M.*, 4, 1937.

MAUSS, M. - *Manuel d'ethnographie*, Paris, 1967.

MAZUDE, C. - *La Guerre du Maroc, R.D.M.*, 1860.

MENSIA, M. - *Essai sur la bijouterie arabe*, Th. 3ème cycle, Paris, 1976.

MERCIER, H. - *L'Arabe par l'image : textes ethnographiques*, Rabat, 1946.

MESSAOUDI, L. et M. - *L'Art de vivre marocain*, Paris, 1981.

MICHAUX - BELLAIRE, E. - *Le Gza et la Guelsa, R.M.M.*, 1911.

MICHAUX - BELLAIRE, E. - *L'Impôt de la naïba et la loi musulmane au Maroc, R.M.M.*, VII - VIII, 1910.

MICHAUX - BELLAIRE, E. - SALMON, G. - *El-Qçar El-Kebir : une ville de-province au Maroc septentional, A.M.*, 1904.

MILLES - LACROIS, A. - *La Lutte contre l'érosion dans le domaine rifain, Mines et Géologie*, n° 23, 1965.

MILLOT, G. [et al...]. - *L'Epigénie calcaire des roches silicatées dans les encroutements carbonatés en pays subaride, Anti Atlas, Maroc, Sc. Géol. Bull*, 30, 3.

MINISTERE DE LA SANTE PUBLIQUE. Direction de l'Epidémiologie et des programmes sanitaires. - *Guide Lepre*, Rabat, 1993.

*Monographie de la ville d'El Hajeb, Bull. Econ. Soc. Province d'El Hajeb*, 1994.

*Monographie de la Province de Figuig*, Figuig, 1993.

MONTAGNE, R. - *Où en est l'évolution sociale du Maroc, A.A*, n° 9, 1er trim., 1950.

MONTAGNE, R. - *Un essai de régionalisation au Maroc*, C.H.E.A.M.

MONTALEMBERT, A. de. - *En colonne chez les Zaers, A.F.*, 1911.

MONTLAHUC, Y. - *Les Oudaïas bastion des corsaires de Salé*, Casablanca, 1980.

MONTMARIN, A. de. - *Les Nouvelles solutions en matière d'habitat, leur application au Derb Jdid, BESM*, n° 80.

MOUREAU, Cap. - *Les Sociétés des Oasis : une race, les Harratin*, Arch. S.H.A., 1955.

MOZERE, L. - *Le Printemps des crêches : histoire et analyse d'un mouvement*, Paris, 1992.

MUZI, J. - *Le Corps orné, le corps masqué*, Paris, 1978.

NAVARRO AL BARRACIN. - *El Hayk en la zona atlantia del Marruecos español, Tamuda*, 2, 1954.

NOGUES, G. - *Artisans et métiers marocains*, Casablanca, 1941.

NORMAN, C. - *Une lettre inédite de Moulay Ismaïl aux gens de Fès, H.T.*, XV, 1974.

OLIVEIRA MARQUES, A. H. - *Joao I*, in *Dicionario da Historia de Portugal*, vol. 3, Porto.

OSSENDOWSKI, F.A. - *Le Maroc en flamme*, Paris, 1927.

OTHMANI, M. [et al...]. - *Tizerzaï : la fibule au Maroc*, Milan, 1987.

OUACHI, M. - *La Maurétanie Tingitane, Mémorial du Maroc*, I, 1983.

OUACHI, M. - *Les Rapports militaires, Memorial du Maroc*, III, 1983.

OWODENKO, B. - *Le Bassin houiller du Jerada, Notes et Mém. Serv. Geol. Maroc*, n° 207, 1976.

PARENT, Cap. - *Confédération des Ammeln*, Arch. S.H.A., 1953.

PASCON, P. - *Segmentation, stratification dans la société rurale marocaine, B.E.S.M.*, n° 138 - 139, 1979.

PAUSSET, E. - *Histoire de la soie*, Paris, 1985.

PAUTY, E. - *Les Hamams de Rabat-Salé, R.A.*, 1944.

PEGOLOTTI, B. - *La Pratia della meratura, Cambridge* (Mass.), 1936.

PEGURIER, J. - *Espaces urbains en formation dans le Tensift*, Rabat, 1981.

PEGURIER, J. - *L'Intégration urbaine dans le Sud-Ouest marocain, BESM*, n° 131 - 132, 1976.

PERIGNY, M. de. - *Fès, capitale du nord*, Paris, 1917.

PFISTER, R. - *Les Premières soies sassanides, Etudes d'orientalisme*, vol. 2, 1932.

PHILIPPONEAU, M. - *Décentralisation et régionalisation*, Paris, 1981.

PICARD, G.C. - *Authenticité du périple d'Hannon, C.T.*, 25ème année.

PILLANT, M. - *Notes contributives à l'étude de la confédération Zaïan, A.B.*, T. V, 1919- 1920.

PIQUE, A. - *Géologie du Maroc : les domaines régionaux et leur évolution structurale*, Rabat, 1994.

PLAISANCE, E. - *L'Ecole maternelle aujourd'hui*, Paris, 1977.

*Les Psychologues et la psychologie dans les institutions de l'enfance, Psychologie scolaire*, 12, n° 12, 1982.

RABATE, M. R. - *Les Bijoux de l'Atlas et du sud marocain*, Th. 3ème cycle, Paris 5, 1972.

RAGOUG, A. - *Quelque réflexion au sujet de la sita, Al-Bayan*, 10 - 2 -1992.

RAMDANI, M. - TOURENQ, J.N. - *Notes sur les chironomides de la merja Sidi Boughaba, Bull. Inst. Sc.*, 6, 1982.

RENOU, A. - *Le Mouton*, Paris, [s.d.].

*Les Ressources naturelles et la mise en valeur actuelle de la plaine du Haouz, R.G.M.*, n° 17, 1970.

REURE, Cap. de. - *Les Ahl Aglou*, Arch. S.H.A., 1938.

REVAULT, J. - *Le Tissage et le tatouage dans le Moyen Atlas*, Fès, 1933.

RICARD, P. - *Arts et industries indigènes du Nord de l'Afrique*, Fès, 1918.

RICARD, P. - *Les Arts marocains et leurs rénovations*, Bordeaux, 1930.

RICARD, P. - *Le Batik berbère, Hesp.*, 5, 4ème trim., 1925.

RICARD, P. - *L'Industrie indigène au Maroc, B.E.M.*, 1933.

RICARD, P. - *Recherche sur le vocabulaire du vêtement hispano-mauresque, Bull. Hispanique*, 1951.

RICARD, P. - *Une lignée d'artisans : les Ben Chérif de Fès, Hesp.*, T. 37, 1950.

RICARD, R. - *Notes sur la tactique militaire dans les places portugaises du Maroc, Bulletin Hispanique*, XXXV, 1933.

RICARD, R. - *Le Problème de l'occupation restreinte dans l'Afrique du Nord, A.E.S.*, 1936.

RIERA, A. - *España en Marruecos : cronica de la campaña de 1909*, Buenos Aires, 1910.

*Rif et Jbala, B.E.P.M.*, n° 71, 1926.

ROGERS, J.L. - *The Association between the North Atlantic oscillation and the Southern oscillation on the Northern. Hemisphere, Month Wea. Rev.*, 112, 1982.

ROMAN, J. - *Fragmentos sobre Al-Hocemas*, Melilla, 1994.

ROMANELLI, P. - *Topographia e archeologia dell' Africa Romana*, 1970.

ROSENDE - CASAS, J. - *El cultivo del gusano de seda en Marruecos, Mauritania*, n° 198, 1 mayo 1944.

ROUACH, D. - *Bijoux berbères au Maroc*, Paris, 1989.

ROUSSET, M. - *Politique administrative et contrôle social*, in *Le Maroc actuel*, Paris, 1992.

ROUX, A. - *Quelques documents manuscrits sur les campagnes de Moulay El Hassan, Hesp.*, fasc. 1, 1936.

ROXAN, M.M. - *The Auxilia or Mauretania Tingitane, Latomus*, XXXIII, 1973.

RUHLMAN, A. - *A propos d'une plaquette de caractère militaire trouvée à Thamuda, PSAM*, I, 1935.

RUHL MANN, A. - *Moules à bijoux d'origine musulmane, Hesp.*, 21, 1935.

RUI DE PINA. - *Chronica del Rey Don Joao II*, in *Cronicas de Rui de Pina*, Porto, 1977.

SABA, K.S., [et al...]. - *Malafies et ravageurs des plantes cultivées au Maroc*, Rabat, 1976.

*Safi et sa région*, Casablanca, 1951.

SALMON, G. - *Le Droit d'asile des canons, A.M.*, vol. 3, 1905.

SAUMAGNE, C. - *Les Piscines romaines de Capsa, R.T.*, 15, 16, 1933.

SAVAIN, Capit. - *Tribu des Beni M'tir*, Serv. Hist. Arm. Terre, Février 1928.

SAVINE, A. - *Le Maroc il y a cent ans*, Paris, [s.d.].

SECRET, E. - *Les Hamams de Fès, B.I.H.M.*, 2, 1942.

SEFRIOUI, A. - *Le Costume citadin, G.E.M.*, vol. 2, 1987.

SEFRIOUI, A. - *Le Cuir, G.E.M.*, vol. 2.

SEFRIOUI, A. - *La Sellerie, G.E.M.*, 2, 1987.

SEGUY, R. - *Quelques experts de Fès*, in *La Renaissance du Maroc : dix ans de protectorat*, Rabat, 1922.

SERRAO, J.V. - *Joao II*, in *Dicionario da Historia de Portugal*, vol. 3.

SETHOM, S. - *Une paire de fibule marocaine. Cahiers des Arts et Traditions Populaire*, n° 4, 1971.

SICAULT, G. - *Epidémiologie de la variole au Maroc, Bull. Inst. Hyg. Maroc*, Nelle série, T. II, 1942.

SIERRA ARTES, A. - *Recuerdos de la guerra del Rif, 1911 - 1912*, Barcelona, 1914.

SIMONPOLI, J.F. - *La Conversation enfantine*, Paris, 1991.

SOUVILLE, G. - *Petits bronzes de Jupiter et de Vénus trouvés en Maurétanie Tingitane. Hesp.*, 1957.

SPILMANN, G. - *Les Pays inaccessibles du Haut Draa, R.G.M.*, n° 2, 1929.

STUMME, H. - *Dichtkinnst und Gedichte der Shluch*, Leipzig, 1895.

SUETONE, *Vie des douze Césars*, Paris, 1922, 3 vol.

SUTER, G. - *Carte géologique du Rif au 1/500.000, Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, 1965.

TACITE. - *Annales*, Paris, 1965.

*Tanger 1800 - 1956 : contribution à l'histoire récente du Maroc*, Rabat, 1991.

TAUXIER. - *Les Deux rédacteurs du périple d'Hannon, R.A.*, 1882.

TENESE, M.L. - *Introduction à l'étude de la littérature orale, A.E.S.C.*, n° 5, Sept. - Oct. 1969.

TERRASSE, H. - *Notes sur l'origine des bijoux du sud marocain, Hesp.*, 11, 1930.

THARAUD, J. et J. - *Les Seigneurs de l'Atlas*, Paris, 1918.

THAUVIN, J.P. - *Ressources en eau du Maroc : domaine du Rif et du Maroc oriental*, Rabat, 1971.

THEWYS, G. - *Essais d'utilisation du DDVPC 2 : 2 (Dichlorovinyl - phosphate) en lutte antiacridrenne, campagne 1968 - 1969. Al Awamia*, 1970.

THODEN, R. - *Abû l-Hassan 'Ali : merinidenpolitik zwischen Nord-afrika und Spanien in den Jahren 710 - 752 H - 1310 - 1351*, Freiburg, 1973.

TRABUT, L. - *Etude de l'halfa*, Paris, 1889.

TREMEAU, H. - *Le Droit douanier*, Paris, 1988.

TRIKI, H. - *Abdelmalek As-Saadi*, in *Le Mémorial du Maroc*, vol. 3.

TRIKI, H. - DOVIFAT, A. - *Médersa de Marrakech*, Paris, 1990.

TROIN, J.F. - *Montagnes et ville dans le Nord - ouest du Maroc, R.O.M.M.*, n° 41 - 42, 1986.

TROTTES, P. - *Our mission to the Court of Morocco in 1880*, Edinburg, 1881.

TUCCI, R. Di. - *Documenti inediti sulla spedizione e sulta Mahona der Genovesi a Ceuta*, Gênes, 1935.

VANACHER, C. - *Géographie économique de l'Afrique du Nord, Annales*, Mai-Juin 1973.

VATTIER, J. - *Au Maroc utile, B.G.M.*, 3, 1923.

VIGEL, L. - *Soieries marocaines : les ceinture de Fès*, Paris, 1913.

VIGY, P. de. - *Notes sur quelques armes du musée de Dar Batha à Fès, Hesp.*, 2ème trim., 1923.

VIGY, P. de. - *Les Sabres marocains, Hesp.*, 1er trim. 1924.

VIGNET - ZUNZ, J. - *Djebala, E. B.*, XVI, 1995.

VINOGRADOV, A.R. - *The Aït Nadir of Morocco : A Study of the social transformation of a Berber tribe*, Ann.-Arbor, 1974.

WALKER, G.I. - *World weather, Quaterly Journal of the Roy, Meteo. Society*, 1928.

WALKER, G. T. [et al...]. - *World Weather, Mem. Roy. Meteo. Soc.*, 1932.

WEYRE, G. - *Au Maroc : dans l'intimité du Sultan*, 1950.

WILDI, W. - *La Chaîne tello - rifaine : structure, stratégie et évolution du trias au miocene, Rev. Géol. Dyn. Géogr. Phys.*, vol. 24, n° 3, 1983.

WITTE, C.M. - *Une lettre inédite du Roi Jean II au Pape Innocent VIII sur l'affaire de Graciosa, Studia*, 1958.

XIN, J. - *Notes sur le Souk el Attarine, La vie tunisienne illustrée*, n° 17, 1924.

XIN, J. - *Notes sur les parfums orientaux, La vie tunisienne illustrée*, n° 16, 1924.

YVER, G. - *Correspondance du Capitaine Daumas, consul à Mascara*, Alger, 1912.

YVERT, B. - *Dictionnaire des Ministres, 1789 - 1989*, Paris, 1990.

ZEIGLER, D.J. - FASSI, D. - *Rediscovering : the roots of moroccan geography in era of interdependence. The Geographical Bulletin*, 1966.

## Liste des principales abréviations des périodiques

**A.A :** *L'Afrique et l'Asie.*
**A.A.N :** *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
**Acad. Sc. Col. :** *Académie des Sciences Coloniales.*
**A.E.S.C :** *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
**A.F :** *Afrique Française.*
**A.F : R.C :** *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
**A.I.E.A :** *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
**A.I.E.O :** *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
**A.M :** *Archives Marocaines.*
**A.M.S :** *Archives Marocaines de Sociologie.*
**And. :** *Al-Andalus*
**Ann. Rech. Forest. Maroc :** *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
**Ant. Afr. :** *Antiquités Africaines.*
**B.A.M :** *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
**B.A.R :** *British Archeological Reports.*
**B.C.T.H :** *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
**B.E.P.M :** *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
**B.E.S.M :** *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
**B.G.M :** *Bulletin de Géographie du Maroc.*
**B.I.D.M :** *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*
**B.I.F.A.N :** *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
**B.M.S.A.P :** *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
**B.L.O.A.B :** *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
**B.L.S :** *Bulletin de Liaison Saharienne.*
**B.S.G :** *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
**B.S.G.A :** *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
**B.S.G.A.O :** *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
**B.S.H.M :** *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
**B.S.O.A.S :** *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
**B.S.P.M :** *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
**Bull. Archéol. :** *Bulletin Archéologique.*
**C.A.A :** *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
**Cah. Rech. Agron. :** *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
**C.A.T.A.N :** *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
**C.B.E.T :** *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
**C.C.E.J :** *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
**C.E.A :** *Cuadernos de Estudios Africanos.*
**C.H.I :** *Cuadernos de Historia del Islam.*
**C. Méd. :** *Cahiers de la Méditerranée.*
**C.R.A.I.B.L :** *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**C.R.A.S :** *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
**C.T :** *Cahiers de Tunisie.*
**E.B :** *Encyclopédie Berbère.*

**E.I.1 :** *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
**E.I.2 :** *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
**E.T.A.M :** *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
**Et. Medit. :** *Etudes Méditerranéennes.*
**F.M :** *France - Maroc.*
**F.S.S.A.N :** *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
**G.E.M :** *Grande Encyclopédie du Maroc.*
**Hesp :** *Hespéris.*
**H-T :** *Hespéris-Tamuda.*
**H.T.E :** *Hommes, Terre et Eaux.*
**I.G :** *Information Géographique.*
**I.H.E.M :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**I.H.E.M : N-D :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. :** *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
**I.S.C :** *Institut Scientifique Chérifien.*
**Isl. Cult. :** *Islamic Culture.*
**I.S.P.M :** *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
**J.H.S.N :** *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
**M.A.I.B.L :** *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**Medit :** *Méditerranée.*
**M.E.F.R :** *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
**N.A.M.S.L :** *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
**P.I.H.E.M :** *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**P.S.A.M :** *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
**P.S.H.M :** *Publications de la Section Historique du Maroc.*
**R.A :** *Revue Africaine.*
**R.A.P :** *Revue de l'Action Populaire.*
**R.C.C :** *Revue de la Chambre de Commerce.*
**R.D.M :** *Revue des Deux Mondes.*
**R.E.A :** *Revue des Etudes Anciennes.*
**R.E.I :** *Revue des Etudes Islamiques.*
**R.E.L :** *Revue des Etudes Latines.*
**R.G.L :** *Revue de Géographie de Lyon.*
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. :** *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
**R.G.M :** *Revue de Géographie du Maroc.*
**R.H.C.M :** *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
**R.H.E :** *Revue d'Histoire Economique.*
**R.H.M.C :** *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
**R.M.D.E.D :** *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
**R.M.E :** *Revue Maroc-Europe.*
**R.M.F :** *Revue Militaire Française.*
**R.M.F.P.E :** *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
**R.M.M :** *Revue du Monde Musulman.*
**R.P.P :** *Revue Politique et Parlementaire.*
**Rev. Inst. Hist. Mil. :** *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
**S.G.L :** *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
**S.I :** *Studia Islamica.*
**S.I.H.M :** *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. :** *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

**جوان،** (الجنرال -) (Alphonse Juin) من أشهر المقيمين العامين بالمغرب. ولد بعنّابة بالجزائر سنة 1888. وبعد دراسته الثانوية بقسنطينة نجح في مباراة ولوج المدرسة الفرنسية الشهيرة سان سير (Saint Cyr) بباريز، فتخرّج فيها عام 1911 ضابطاً بالرتبة الأولى في الترتيب العام، وكان من بين زملائه في نفس الفوج شارل دوگول، كانت تربطهما علاقات حميمية.

وفي عام 1912، عيّن جوان عضواً في الديوان العسكري للجنرال ليوطي المقيم العام الأول بالمغرب وشارك في الحرب العالمية الأولى على رأس فرق عسكرية متألّفة من الجنود المغاربة لا غير، فاستبسلوا فيها ونالوا إعجاب الحكومة الفرنسية التي منحت جوان، بعد انتهاء الحرب، عدة ميداليات أهمها جوقة الشرف.

وبعد عودة جوان إلى المغرب عام 1920، ألحق مرّة أخرى بالديوان العسكري للمقيم العام، ليوطي، ثم شارك في حرب الريف بالجنود المغاربة كما كان من الذين يخوضون المعارك ضد المقاومة المغربية في الأطلس وتخوم الصحراء.

وعندما رحل ليوطي عن المغرب عام 1926، جعله خلفُه ثيودور ستيگ (Th. Steeg) من المقرّبين إليه، وكذلك كان الشأن مع خلف هذا الأخير، لوسيان سان (Lucien Saint) الذي عينه رئيساً لديوانه العسكري، عام 1931. أما الجنرال نوگيس الذي تولى مهمة الإقامة العامّة بالرباط عام 1936 فعينه قائداً لأركان الحرب بالمغرب وقائداً عامّاً للجبهات القتالية بشمال إفريقيا ثم رقاه إلى رتبة جنرال في 25 دجنبر 1938.

وفي عام 1939، توجّه جوان إلى ميادين القتال بفرنسا على رأس الفيالق المغاربية الذين استبسلوا في معركة فلاندرة، إلا أنه وقع أسيراً بأيدي الألمان. وهنا بدأت مرحلة غامضة في حياة الجنرال جوان.

وبمساع من الماريشال بيتان Pétain أطلق سراح جوان وأسندت إليه مهمة قائد عام لقوات الحلفاء بشمال افريقيا، ثم أسندت له مهمّة سياسية كمكلف بالقيام مقام المقيم العام بتونس من عام 1942 إلى عام 1943، ثم أصبح الجنرال جوان قائداً للقوات الفرنسية التي هاجمت قوات المحور (ألمانيا وإيطاليا) في عقر دارها. إذ نزلت بإيطاليا عام 1943 بطوابير عديدة تتألف من أهالي المستعمرات ومن المغاربيين خاصّة، فحالفه النصر في المعارك المتتالية، من أشهرها معركة جبل كاسينو التي قتل فيها عدد ضخم من هؤلاء الجنود.

وتقلّد جوان من عام 1944 إلى شهر ماي 1947 مهام قيادة أركان الحرب العامة للدفاع الوطني بفرنسا وفي أثناء ذلك أي في أوائل عام 1946، عيّنت الحكومة الفرنسية إيريك لابون مقيماً عامّاً بالمغرب، فمضى يساند بعض الإصلاحات الإدارية وسمح بعودة علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني وأحمد بلافريج من المنفى، ورفع الحظر عن المنشورات الوطنية وسمح بتأسيس المدارس الحرّة. كما أن في عهد ولايته، قام الملك محمد الخامس بزيارة لطنجة (9 أبريل 1947) رغم محاولات سلطات الحماية بالدار البيضاء لعرقلتها. وكان للخطاب التاريخي الذي ألقاه الملك بطنجة والذي ندّد فيه بالحماية مطالباً بالحرية والاستقلال وقع سيء في نفوس المعمّرين في المغرب وفرنسا، وسرعان ما بدأت الأوساط الاستعمارية في المغرب وفرنسا وتونس تتحرّك مدعية ان ملك المغرب زاغ عن "الطريق المستقيم ويجب ردّه إلى الجادّة" وأن ذلك لن يتم إلاّ بتعيين مقيم عام حازم". والتقط جوان هذه الفكرة وشكل حول شخصه جماعة من

المؤيدين لترشيحه للولاية على المغرب. فظهر أن العديد من أقطاب السياسة بفرنسا لايؤيدون الإصلاحات السياسية بالمغرب، وأن قلوبهم تفيض غيظاً على الإسلام. وأكثرهم تطرّفاً يومئذ ثلاثة من أصحاب اليمين المتزمّت في الحكومة الفرنسية وهم : پول رامادي (Paul Ramadier) رئيس الحكومة، وبيير - هانري تيتجن (Pierre Henri Teitgen) كاهيته وجورج بيدو (Georges Bidault) وزيره في الخارجية الذي مضى يحلم باليوم الذي سيتمكن فيه الصليب من سحق الهلال للقضاء على الإسلام في هذا الركن من المعمور.

تردّدت أخبار متضاربة في فرنسا عن الأوضاع في المغرب، وكان جورج بيدو يلفّق ما تحمله البرقيات السرية الصادرة من زعماء الاستعمار بالمغرب، ويطلع الحكومة على خطورة الأوضاع. فتعجّلت الحكومة في استدعاء إيريك لابون وعينت له خلفاً هو الجنرال جوان العبوس المتكبّر، الذي حلّ في أواخر ماي 1947 بالدار البيضاء. واستقبله بها الملك محمد الخامس وقال في خطاب الاستقبال : "... ان للمغاربة اليوم، بعدما شاركوا في تحرير فرنسا من الاحتلال الألماني، تطلّعات ومطامح مشروعة ..." فردّ عليه جوان : "إني أعتزم النظر في هذه الطموحات المشروعة بتفهّم واسع ... ولكن توجد كذلك [لدى المغاربة] طموحات غير مشروعة ...". وبهذا الصدد، ننقل هنا ما قاله إريك لابون لصديقه المؤرخ شارل أندري جيليان بمناسبة الإعلان عن تعيين جوان : "قالوا ان المغرب كاد يضيع لنا. لكن لايوجد الآن بفرنسا إلا أنت وأنا اللذان ندرك أن المغرب ضاع الآن لفرنسا مع هذا التعيين ...".

لم تمض إلا أيام قليلة على نزول جوان بالمغرب، حتى أخذ ينتهك انتهاكاً سافراً سيادة المغرب واختصاصات الملك، وذلك بخلع بعض الباشوات والقواد والقضاة ويعيّن من تلقاء نفسه آخرين. وفي هذا الجو الذي دشّنه بتعسفاته

واستفزازاته، دخل إلى مراكش يوم 9 يونيو 1947، في زيارة رسمية. فعطلت المصالح الإدارية والمدارس وخرج السكان لاستقباله بالحفاوة التي لا تليق إلا برئيس دولة.

استحدث جوان مجلساً للوزراء والمديرين، وهي مؤسسة صورية أغلب أعضائها فرنسيون جاءت خرقاً لمعاهدة الحماية التي لم تنصّ على إنشائها، وأمست هي الأخرى انتهاكاً للسيادة المغربية. واحتج الملك، ومرّة أخرى ذهب احتجاجه سدى لدى باريس، لأن الحكومة الفرنسية منحت جوان تزكيتها لهذا المجلس وهي تعلم أنّه ليس سوى حكومة فرنسية أخرى في المغرب.

واشتدّت الأزمة بين الإقامة والقصر الملكي بسبب سياسة جوان الرامية إلى إحلال السلطة الفرنسية محل السيادة المغربية، واشتكى محمد الخامس إلى الحكومة الفرنسية. وفي 6 أكتوبر 1950، لبّى محمد الخامس دعوة فانسان أوريول رئيس الجمهورية الفرنسية، لكن جوان كتب رسالة لوزارة الخارجية الفرنسية قبل ذلك بأيام جاء فيها : "... قد يتعرّض السلطان في محادثاته مع الرئيس أوريول، إلى عقد الحماية وإلى ما يسميه انتهاك السيادة والعبث باختصاصاته. وسيطلب حرية العمل النقابي وإصلاحات سياسية مآلها الحرية للمغاربة والمغرب ...وأنا أقترح رفض كل مطالبه، لأنها عنصرية لأنكم في حالة تلبيتها أو تلبية بعضها سترفعون من قيمته أمام الوطنيين. وفي هذه الحال لن أستطيع ضمان أمن الفرنسيين، وعليكم تعيين مقيم عام آخر ..."

زيادة على هذه الرسالة، ندب جوان الفرنسيين إلى إرسال العرائض الجماعية إلى وزارة الخارجية الفرنسية التي كانت مسندة وقتئذ إلى روبير شومان (Robert Schumann). ووعد فانسان أوريول الملك بمواصلة المحادثات الرامية إلى إقرار إصلاحات سياسية تضمن بعض الحريات للمغاربة وإبقاء المغرب مرتبطاً بفرنسا.

غير أن جوان نسف كل مجهود في هذا السبيل، وعارض بوسائله الخاصة تأسيس "لجنة مشتركة" مغربية - فرنسية لم يكن اختيارها موكولا إليه. وكانت الحكومة الفرنسية تحاول التخلص منه، فعرضت عليه ولاية مستعمرة أخرى هي الطُّونكان في آسيا ولكنه رفض، وكثرت تنقلاته بين المغرب وفرنسا، وكلما نزل من الطائرة بالدار البيضاء، يقول للصحفيين ولزعماء الاستعمار قولته الشهيرة : "ها أنا أعود وسأبقى". وانطلقت الشرارة التي ستشعل ناراً لن تخمد إلا مع الاستقلال، حيث أقدم جوان على طرد الوطنيين من مجلس شورى الحكومة.

وفي يوم 21 يناير 1951 طلب جوان من الملك بكل إلحاح أن يبعد العناصر الوطنية من ديوانه وأن يعلن عن شجبه وسخطه على حزب الاستقلال والوطنيين أجمعين. وأكره الملك على اتخاذ قرارات أخرى تحدّ من سلطه واختصاصاته لفائدة الإقامة العامة. وهكذا ظل جوان يذكي

احتدام الأزمة. فوضع الجيش في حالة استنفار قصوى، واشتدّت المراقبة على التنقلات بين المدن، ومنع الاجتماع بين ثلاثة أفراد فما فوق، وجعلت الدوريات العسكرية تجول في المدن. وتذكّر جوان التعليمات السرية التي أعطاها له جورج بيدو عام 1947 على غير علم من حكومته، فشاعت أخبار مفادها أن جوان هدد الملك كذلك بخلعه عن العرش إذا هو تمادى في معارضة سياسة الإقامة العامّة.

وفي آخر يناير 1951، حضر جوان إلى نيويورك بمناسبة عرض القضية المغربية على أنظار الجمعية العامّة للأمم المتحدة، فتزايد عدد أنصار المغرب، إلا أن جوان عارض بكل قواه اتخاذ أي قرار في هذا الموضوع. أما في فرنسا، فبدأ اتجاه الحكومة يتغير محتجّاً على السياسة العنيفة التي ينتهجها الجنرال جوان في المغرب، وبدأ القوم يتفهّمون حقيقة الأوضاع السائدة في هذا البلد، لاسيما بعد المذكرات المتتالية التي كان يبعثها محمد الخامس إلى رئيس الجمهورية الفرنسية، وقد طلب في إحداها، وهي مؤرخة بـ 8 فبراير 1951، التحكيم بينه وبين جوان.

أمر جوان المراقبين المدنيين وضباط الشؤون الأهلية بتحريك القبائل البربرية ودفعها إلى المرابطة حول فاس دون إعطاء قوادها وشيوخها أي مبرّر لذلك. وطلبت الحكومة الفرنسية من جوان أن يوقف هذه الحركة فأجاب : "لا أستطيع، فالقبائل ستنزل إلى فاس للمطالبة بخلع السلطان، وهذا من حقّها" وبالتوازي مع ذلك، اتخذت إجراءات في حق الضباط الفرنسيين الذين رفضوا اتباع هذه الخطّة.

وفي يوم 25 فبراير 1951، أعطى جوان أمراً نهائياً للملك بالتوقيع على بروتوكول تعسفي قبل الساعة الثامنة ونصف من مساء ذلك اليوم، مؤكداً أنه "في حالة الامتناع عن الإمضاء، فإن القبائل ستدخل فاساً، وسيعقب ذلك ما لم يكن في الحسبان".

في هذه الظروف كان الجنود بالرباط يطوقون القصر، وفرقة منهم تطوق بيت ولي العهد. وطلب شومان من جوان أن يتخلّى عن هذه السياسة ووعده برتبة مرشال مقابل ذلك، وكان الملك ينتظر بفارغ الصبر أن يتدخّل رئيس الجمهورية الفرنسية بمساعيه الحميدة لدى جوان، لكن بدون جدوى، ووقّع الملك مرغماً على البروتوكول المشؤوم الذي ينص على إقرار "إصلاحات ديمقراطية"، وكان التوقيع إفشالاً مؤقّتاً للمؤامرة.

أُسدل الستار على هذا المشهد من المسرحية التي لم تنته بعد، وعادت القبائل من حيث أتت بأمر من الجنرال جوان الذي لاشكّ أن ظنّه خاب بضياع فرصة خلع الملك، وذلك باعتراف الجنرال نفسه الذي ما فتئ يتوعّد الملك بإعادة الكرة والانتقام.

وفكّر جوان بجدّ في عصا المرشال والنجمتين اللتين ستضافان إلى نجومه الخمس، ورغب في هذه الرتبة العالية التي ستلحقه بزمرة المرشالات الذين تفتخر بهم فرنسا بما حققّوه من انتصارات كبرى في ميادين الوغى. لكن الجنرال جوان كان يشعر بأن شيئاً مّا يربطه بالمغرب، فأحزنه أن يبرح الإقامة العامّة دون إتمام مهمته في تقديم مسرحيته للجمهور. واشترط الجنرال على الحكومة الفرنسية أن يكون له حق اختيار خلفه، فقبلت طلبه، وأسندت منصب الإقامة العامة بالمغرب إلى ضابط مارس مهنته في هذا البلد تحت قيادة الجنرال ليوطي وكان مسؤولاً عن إنجاح التوغل الفرنسي بكل الوسائل في الأطلس المتوسط، في عملية ما سمّاه ليوطي نفسه "عملية التهدئة" وهو الجنرال گيوم، قائد القوات الفرنسية بألمانيا.

غادر الجنرال جوان المغرب نهائياً يوم 20 شتنبر 1951 وأسندت إليه ابتداء من فاتح أكتوبر 1951، قيادة القوات الأطلسية المشكلّة من الحلفاء والخاصة بالدفاع عن أوربا الوسطى بما فيها القوات البرية والبحرية والجوية. وفي شهر ماي 1952، تمّت ترقيته إلى رتبة مرشال دوفرانس، وانتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية في نونبر من نفس السنة. وفي عام 1956 قدّم استقالته من الحلف الأطلسي أو أقيل منه بطلب من الولايات المتحدة، ونشر كتاباً بعنوان : *البلاد المغاربية تحترق*، ذكّر فيه باستقلال المغرب وتونس. مستنكراً كون المغاربة والتونسيين "تنكّروا لما صنعت فرنسا بأوطانهم وتضحياتها في سبيلهم، ويواخذهم بإشعال النار في الجزائر والتآمر على فرنسا في كل مكان".

توفي المرشال جوان في غضون عام 1967، وكان دوگول من الذين حضروا مراسيم جنازته ودفنه بمقبرة "ليزانفاليد" (Les Invalides).


*نضال ملك*، اعداد سنتي 1956 - 1957.

C.-A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes, 1415 - 1956* ; G. Delanoë, *Lyautey, Juin, Mohamed V* ; P. Boyer de Latour, *Vérités sur l'Afrique du Nord* ; G. Grandval, *Ma mission au Maroc* ; F. Nataf, *L'indépendance du Maroc* ; R. Montagne, *Révolution au Maroc*.


أحمد بنجلون

**جواو الأول**، أو يوحنّا الأول ملك البرتغال، أول عاهل من أسرة أفيش (Avis) التي وصلت إلى السلطة بعد الثورة الشعبية التي عرفتها البرتغال فيما بين 1383 - 1385، والتي استطاع من خلالها إبعاد المطامع القشتالية والحفاظ على استقلال البلاد. وفي عهد هذا الملك شرع البرتغال في التوسع بالاستيلاء على سبتة والتحكم في الجزر الأطلسية.

جواو الأول ابن طبيعي للملك دون پيدرو (1357 - 1367). ولد بلشبونة يوم 11 أبريل 1437، وتربى بعيداً عن البلاط، في دور بعض النبلاء، ووجه توجيهاً دينياً لجعله يتحمل فيما بعد مسؤولية داخل الكنيسة البرتغالية.

وبذلك حلت أسرة أفيش، محل الأسرة الحاكمة السابقة. ومعلوم أن مصير هذه الأسرة ارتبط بشكل وطيد بالتوسع

في المغرب الذي ابتدأ كما هو معلوم بغزو سبتة، وانتهى بمغامرة دون سبستيان.

Ferñao Lopes, *Crónica del Rey Dom Joao I da boa memoria*, Lisboa, 1973 ; Gomes Eanes de Zurara, *Crónica da tomada de Ceuta por el Rei D. João I*, Lisboa, s.d. ; A.H. Oliveira Marques, *"João I"*, in : *Dicionãrio da História de Portugal*, Dir. Joel Serrão, Porto, III, pp. 383 - 387.

**جواو الثاني**، ملك البرتغال، ابن الملك الفونصو الخامس الملقب بالإفريقي (1438 ـ 1481). ولد بلشبونة يوم 5 ماي 1455. وأشركه أبوه في تسيير شؤون البلاد في سن مبكرة، إذ أنابه عن نفسه حين قرر الهجوم على طنجة سنة 1464، وحين اكتساحه لقشتالة لمطالبته بعرشها (أبريل 1475)، كما جعله وصياً على العرش حين التحاقه بفرنسا طلباً لمساعدتها العسكرية (1476). وخاض "الأمير المثالي" كما تسميه المصادر البرتغالية، إلى جانب أبيه معارك حاسمة، منها مهاجمة مدينة أصيلا سنة 1471.

وابتداء من سنة 1474، كلف الأمير جواو بالإشراف على عمليات الكشوف الجغرافية بعد أن أصبح إشراف الدولة عليها مباشراً ونقلت مصالحها إلى العاصمة. واستمرت تلك العمليات في الاستئثار باهتمام جواو حتى بعد مبايعته سنة 1481. وقد حقق البرتغاليون في عهده نجاحات باهرة بسبب رعاية الدولة للكشوف وتمويلها لها والاحتفاظ بأسرارها وإبعاد المنافسة عنها.

شغل جواو الثاني البحثُ عن طريق بحرية للوصول إلى الهند عن خوض حروب بالمغرب. فاكتفى بولاء اسمي لسكان مدينة أزمور الذين اعترفوا بسلطته على مدينتهم سنة 1486، كما جدد العمل سنة 1488 بمعاهدة الحماية التي كان قائد آسفي قد أمضاها مع أبيه قبل وفاته. وكان تحصين "الجزيرة" بوادي اللكوس، قرب مدينة القصر الكبير، سنة 1489، المحاولة الوحيدة لجواو الثاني للتوسع بالمغرب. إلا أن تلك المحاولة انتهت بهزيمة برتغالية بعد أن حال محمد الشيخ الوطاسي دون توصل الحامية البرتغالية بالإمدادات من البحر (راجع مادة/الجزيرة).

J.V. Serrao, *João II*, in : *Dicionãrio da História de Portugal*, dir. Joel Serrão, Porto, T. III, pp. 387 - 391 ; Rui de Pina, *"Chrónica d'el Rey Dom João II"*, in : *Crónicas de Rui de Pina*, édit. Lopes de Almeida, Porto 1977, pp. 893 et s.s. ; Damiao de Góis, *Crónica de Príncipe D. João*, édit. Graça Almeida Rodrigues, Lisboa, 1977 ; Garcia de Resende, *Crónica de Dom João II e Miscelânia*, Lisboa, 1973 ; D. Lopes, *"Os Portugueses em Marrocos"* in : *História de Portugal*, dir. D. Peres, Barcelos, 1931, Vol. III, pp. 450 et s.s.

**جواو الثالث**، ملك البرتغال "الملك التقي" (O. Piedoso) كما تلقبه المصادر البرتغالية، هو ابن الملك إمنويل السعيد (1494 ـ 1521). ولد بلشبونة يوم 6 يونيو 1502، وهو العاهل الخامس عشر للبرتغال، والسادس ضمن الأسرة الملكية الثانية المعروفة بأسرة أفيش المذكورة آنفاً. تولى الملك يوم 19 دجنبر 1521 وعمره ستّ وثلاثون سنة، بعد أن اكتسب تجربة سياسية إلى جانب والده. ورث يوحنا الثالث إمبراطورية شاسعة لا تغيب عنها الشمس، تمتد عبر ثلاث قارات، بعد ما كانت قد بلغت أقصى توسعها في عهد والده، وأضحت تشمل فضلاً عن الثغور المغربية والجزر الأطلسية، المراكز التجارية بغرب وشرق إفريقيا، وكذا إمبراطورية الشرق والبرازيل.

ويمكن الإشارة بسرعة إلى الأحداث التي عرفها البرتغال في عهده، والتي لها علاقة بالمغرب في ثلاثة أحداث أساسية :

1 ـ مرور الإمبراطورية البرتغالية بعد سنة 1521 بظرفية صعبة شملت كل المناطق التابعة لها، وذلك لثلاثة أسباب أساسية :

ـ المقاومة العنيفة التي واجهت الحاميات البرتغالية بالمغرب.

ـ تزايد نشاط التهريب وإفشال محاولة البرتغال احتكار التجارة بكل ربوع إمبراطوريته.

ـ وتفاقم الأزمة المالية التي كانت الدولة البرتغالية تعاني منها منذ القرن الرابع عشر.

2 ـ الانسحاب الجزئي من المغرب والتخلي عن عدد من الثغور المغربية تفادياً لهزيمة عسكرية شبيهة بالتي تكبدتها الحامية البرتغالية بأگادير في ربيع سنة 1541. ومعلوم أن محمداً الشيخ السعدي استطاع منذ بداية الثلاثينات من القرن السادس عشر تجهيز جيشه بأعداد متزايدة من المدفعية التي تمكن منها عن طريق الإنتاج والشراء، وأنه بسبب ما توفر لديه من إمكانات مالية جلب لها أطراً تركية وعلجية، وأنه شجع تجار فرنسا وإنجلترا وحتى البرتغال على الإقبال على مرفأي تركوكو وتافضنا للتزويد منهما بما يلزمه من عتاد وذخيرة. وبذلك تغير ميزان القوة لصالح جيوشه وجيوش أخيه كما تأكد ذلك للبرتغاليين خلال حصار أگادير سنة 1533 وخصوصاً خلال الحصار الطويل الذي اهتز له البرتغال كله والذي ضربه أحمد الأعرج على آسفي في ربيع السنة التالية. وبما أن أوضاع الخزينة البرتغالية وأوضاع البلاد الاقتصادية والاجتماعية لم تكن تسمح بمواجهة الأميرين السعديين، فقد قرر جواو الثالث إخلاء الثغور التي لا تمثل أهمية استراتيجية ولا تفيد البرتغال في شيء. وهكذا أرسل العاهل البرتغالي إلى أگادير لجنة يرأسها أحد القباطنة الذين سبقت لهم الخدمة بالمغرب لدراسة ظروف ذلك الإخلاء. ويبدو أن معارضة النبلاء، أكبر المستفيدين من التوسع بالمغرب، للمشروع حال دون تنفيذه. إلا أن العاهل البرتغالي لم يتوقف عن التفكير في الموضوع بدليل مكاتبته البابا بطريقة مستعجلة قصد استئذانه في تخريب المدن ومعاهدها

الدينية التي قد يتعذر الاحتفاظ بها (1532) وفك الحصار الذي ضربه المغاربة على أسفي سنة 1534، والذي تطلب الدفاع عنه تجنيد وسائل مالية وبشرية ضخمة فرض على جواو الثالث التفكير من جديد في الموضوع. وهكذا كاتب في نفس السنة عدداً من أعيان البلاد وكبار رجال الكنيسة وأطلعهم على أوضاع البلاد، وعلى ضرورة التخلي عن بعض الثغور المغربية.

وركزت الرسالة علي عوامل جغرافية ومالية وسياسية لتبرير القرار الملكي. تتمثل الجغرافية في افتقاد السهول الغربية لأية أهمية استراتيجية لبعدها عن البرتغال، وبالتالي فإخلاء ثغورها لن يمثل أي خطر على البلاد في حال استرجاع المغاربة لها، وأنها لاتوفر للبرتغال أية حماية في حالة الاحتفاظ بها. وأشارت الرسالة إلى صعوبة الدفاع عن أسفي وأزمور في الوقت المناسب لسوء وخطورة ميناء الثانية وانعدام ميناء بالأولى، خصوصاً وأن مرابطة جيوش الشرفاء قربها أصبحت دائمة. كما أن وجود مرتفاعات حول آسفي يجعلها عرضة للنيران والقذائف. ولإطلاع المخاطبين على أوضاع البلاد المالية التي لا تسمح بإرسال العون للثغور المحاصرة في كل وقت وحين، أرفقت الرسالة بتقرير مالي مفصل وسري عن أوضاع الخزينة. إلا أن النبلاء رفضوا الاقتراح الملكي. وحاول العاهل البرتغالي التخفيف من حدة الضغط السعدي بالتقرب من السلطان أحمد الوطاسي الذي عبّر عن رغبته في عقد حلف عسكري معه للقضاء على الشرفاء السعديين بتنظيم هجوم بري وبحري مشترك.

وزعزع تحرير محمد الشيخ لأگادير في ربيع 1541، الذي اعتمد فيه على المدفعية والسلاح الناري بشكل مكثف، ألوجود البرتغالي بالمغرب. فمن مجموع حامية تتكون من 1600 شخص، قتل ألف وأسر الباقي. وخوفاً من أن يضم محمد الشيخ جيشه إلى قوات أخيه المرابطة ضد ثغور دكالة، أمر العاهل البرتغالي بإخلاء أسفي وأزمور في خريف سنة 1541 وتحصين مازيغن لجودة مينائها وللتخفيف من حدة الانتقادات التي واجه بها ما كان يعرف بـ "التيار لإفريقي" القرار الملكي. وبعد أن دخل محمد الشيخ السعدي إلى فاس سنة 1549، أمر يوحنّا الثالث بإخلاء القصر الصغير وأصيلا سنة 1550 تفادياً لهجوم سعدي. وبذلك لم يبق في يد البرتغاليين إلا سبتة وطنجة ومازيغن. وبالطبع لم يستسغ الرأي العام البرتغالي هذا التراجع بالمغرب، واستمر يطالب بالهجوم من جديد عليه، وسيجد استجابة لدى دون الملك سبيستيان مما أدى إلى المغامرة المعروفة التي انتهت بفقدان البرتغال لاستقلاله لمدة ستين سنة.


أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء.

R. Ricard, *Les Portugais et l'Afrique du Nord*, extraits des *Annales de Jean III* de Luis de Sousa, Paris, 1940, 208 p. ; P. de Cénival, D. Lopes et R. Ricard, *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, Série Sa'adienne, Archives et Bibliothèques du Portugal*, T. 2, 3 et 4. Paris, 1939 - 1953 ; J.V. Serrão, *"João III"*, in : *Dicionário de História de Portugal*, direc. Joel Serrao, T. III, pp. 391 - 396 ; D. Lopes, *"Os Portugueses em Marrocos no tempo de D. João III"*, in : *História de Portugal*, dir. D. Peres, Barcelos, 1932, vol. 4 ; Dias, G.S. da Silva, *A política cultural da época de João III*, Coimbra : 1969, 2 vol., 1003 p. ; A. Boucharb, *Les crypto-musulmans d'origine marocaine et la société portugaise au XVIème siècle*, Thèse dactylographiée.


أحمد بوشرب

**جوَاوَة**، أو اجْواوة وإجْواوْن حسب النطق المحلي، إحدى أهم فرق قبيلة بني سيدال القلعية. لانعرف أصل الاسم. وأول علمنا بتداوله يعود إلى ماذكره المجهول صاحب *وثيقة نسب قبيلة قلعية* الموضوع عام 939 / 1533، حيث قال : "إجواون التحتيين إهرنن وإخوانهم في بني ورياغل، أهل أسعيد أهرون (؟)" إلى ما ردد آخر القرن الماضي بالوثائق المخزنية والمصادر الأجنبية. لجواوة حالياً مجالان : جواوة الجبل : هو الموطن الأصلي للتجمعات الجواوية. ونعرف أن جواون في الأصل مدشر صغير واقع عند منبع واد غساسة (واد إبرهوشن بالمكان) من هضبة ممتدة غرب سفح تازوطا حيث أيت ياسين في شماله ومدشر إزرورن في شرقه، ثم شملت القسم الغربي من هضبة الگعدة.

يظهر أن شأن مدشر جواوة ازداد اتساعا بانتقال دار المخزن من تازوطا إلى مركز تميزار بالگعدة على يد قائد قلعية عمر بن مسعود القيطوني ثم أخيه الطاهر، وهما من الأسرة القيطونية التي قادت حركة الجهاد ضد الوجود الإسباني بمليلة المحتلة على عهد الملوك العلويين بدءاً من المولى رشيد إلى محمد بن عبد الله (*معلمة المغرب*، ج 6 مادة تازوطا ؛ ج. 8 مادة تميزار). لم يلبث مدشر جواوة أن ارتقى إلى فرقة كبرى منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري (19 م) بظهور أول شخصياته المخزنية من أسرة إلغمان المتمثلة في القائد محمد بن يحيى بن المختار ألغم على عهد السلطان المولى سليمان، قائداً على قبيلة قلعية كلها.

وفي أواخر القرن الماضي تكاد جواوة الجبل أن تندثر بعد أن تضاءلت سلطتها إثر تفكك قلعية إلى القيادات المعروفة على عهد المولى الحسن فأصبحت مجرد جماعة صغيرة، ولم يبق منها من المداشر سوى : إعذايا وتازروت جواوة وإلغمان. أما مدشر جواوة الأصلي فقد امحى اسمه من الخرائط الراهنة بسبب الهجرة، إذ لم يبق بالمكان سوى أربع دور (*خريطة سنة 1967*) و(*الضابط* 98 - 99).

جواوة التحتية أو الوطا ؛ لها مجال أوسع بالوطا يتوزع على التلال المنتشرة على القسم الجنوبي الغربي من كتلة جبل وكسان بجوار الضفة اليمنى من مجرى واد كرط،

ويتوسط الجماعة واد المالح، أحد روافد واد كرط. يحدّ جواوة التحتية من الشمال أولاد ياسين الوطا وأولاد عبد الدايم من بني بويحيى من جهة الجنوب بينما تتاخم من جهة الشرق فرقة وكسان من بني بويفرور.

لا ندري متى بدأ النزول من جواوة الجبل إلي الوطا الذي كان في البداية عزائب أهل الجبل، ولكن صاحب وثيقة نسب *قبيلة قلعية* المؤرخة بسنة 939 / 1533 أشار فقط إلى جواوة التحتية، غير أن ذكره لجواوة التحتية يفترض وجود الفوقية والجبلية قبلها ولابد أن يكون هذا النزول قبل القرن العاشر (16 م).

مجال جواوة التحتية رعوي متمثل في انتشار العزائب التي هي أصل المداشر المنتشرة بالمكان مما يعوض النقص الواقع لجواوة الجبلية : إفنطراس وإمساتن وإعلاويا وتازروت مكداد وإعذاين وگارة بوميا وإمعروفن وبرطوال وعزيب علال أقدور وإرافل وإبحجارن وبوثمريقت.

ولاشك أن مُخبر موليراس حين عد كوانين جواوة وجعلها مائة وخمسين كانونا، كان يعني المجالين الجبلي والسهلي. وقد ارتفع العدد إلى ثلاثمائة وأحد عشر كانونا حسب إحصائيات الثلاثينات للقرن الحالي.

وكل الجواويين المعروفين لدينا من مدشر إلغمان الواقع على الضفة اليسرى من مجرى حوض واد إزرورن الأعلى، المنبع الرئيسي لواد المدور. وهو منضو بجماعة جواوة الجبل السالفة الذكر.

**الجواوي، علال** بن عمر ألغم، خَلَفَ في الحكم المختار ألغم الجواوي الآتي ذكره، ربما من شوال 1309 بعد أن عاشت جواوة فراغاً نحو العامين. وكيفما كان الأمر فقد وجدناه يمارس مهامه كقائد يوم 22 حجة 1309 ولم يبق بيده سوى جواوة الجماعة وأولاد ياسين (20 ربيع الثاني 1312 و27 محرم 1313). أما جماعات أولاد غانم والحيانن وإدرايين فكانت من ضمن إيالة جاره القائد حمُّ بن الهادي الفكلاني (14 محرم - 3 صفر 1310).

لم يلبث أن احتدم النزاع بين علال الجواوي وحمُّ بن الهادي حول ضم الجماعات التي كانت موطن النزاع منذ وقت سابق على عهد قيادة القائد المختار ألغم. وفي السنوات الموالية كان النزاع ما يزال قائما (8 بيع الأول 1314). إلا أن منافسه حمُّ بن الهادي القلعي استطاع جلب أولاد ياسين إليه واعتراف المولى الحسن بذلك (6 ذي القعدة 1316).

استمر القائد علال بن عمر الجواوي في قيادته حتى سنة 1318 (5 حجة 1318) حيث أُمر بالتنازل عما أضافه لنفسه من الجماعات المتنازع عنها (الحيانن وأولاد غانم وإدرايين) للقائد الجديد علال بن كروم الفكلاني المعيّن منذ 28 محرم 1318 على بني فكلان (5 حجة 1318). ومنذ هذا التاريخ انقطعت عنا أخبار الجواوي علال بن عمر.

**الجواوي، محمد** بن يحيى بن المختار ألغم القلعي، قائد قلعية على عهد المولى سليمان، إذ تعرفنا به وثيقة عدلية بتاريخ 26 رجب 1210 / 5 فبراير 1796 حيث أشارت إلى أن له قطعة أرض بجهة مدينة غساسة (القلة) بالمكان المعروف بالزوبية.

نجد خبره أيضاً على عهد المولى عبد الرحمان حيث كان مسجونا على يد عبد القادر أشعاش بالعرائش ونعت برأس الفتنة. وتشفع له حاكم طنجة القائد محمد بن عبد المالك الريفي مرتين : آخر عام 1262 / 1845 ثم سنة 1264 / 1847 فتم تسريحه. لا ندري مصيره بعد تاريخ تسريحه، وما إذا كان قد أعيد إلى القيادة أم لا. وكل ما هناك أن منصب القيادة انتقل إلى ابنه المختار الآتي الذكر.

**الجواوي، المختار** بن محمد بن يحيى بن المختار ألغم القلعي، يمكن التأكد من أنه كان بمنصب قائد قبيلة قلعية كلها وعلى أقسامها الخمسة قبل 12 جمادى الأولى عام 1288 حسبما جاء في وثيقة أهل تيلزارت (*المعلمة*، ج 8، ص. 2739)، أي على عهد محمد بن عبد الرحمان. ونعلم أنه نفَّذ آخر عهد السلطان ما أمر به من بناء قصبة فرخانة لتكون دار المخزن ومركز إقامة رئيس الإدالة المخزنية لحراسة نقط الحدود الممنوحة لمليلة المحتلة بناء على اتفاق 1859. (*المعلمة*، جنادة). بناها عن طريق مساهمة أخماس قلعية ورتبت للإدالة مؤونتها موزعة على قبائل الريف الشرقي.

امتدت قيادة المختار على الأقسام الخمسة المعروفة بقلعية، وهي : بني شكر ومزوجة وبني بوگافر والگعدة وبني بويفرور، على أساس مبدأ القيادة الواحدة حسبما كان معروفا قبل عهد المولى الحسن. وقد دلت أحداث قلعية في بداية حكم المولى الحسن على صعوبة الاحتفاظ بنظام القيادة القديم وانفراد الجواوي المختار ألغم بحكم قلعية جميعها، في وقت كان المخزن الحسني على استعداد لتطبيق نظام تعدد القيادات عملا بتفكيك نظام القيادة الواحدة.

نسجل رفض قبيلة قلعية لحكم المختار ألغم منذ بداية حكم المولى الحسن، حسبما عبرت عنه وثيقة 10 ذي القعدة عام 1290. وبتتبع الوثائق نجد أن الموقف نفسه استمر تجاه القائد الجواوي خلال السنوات الست التالية. ويمكن تتبع الأحداث على الشكل التالي :

أجمعت قلعية على هدم دار المختار ألغم تعبيرا عن إخلاء المكان لغيره، مما ألزمه الفرار والتوجه إلى فاس التي كان بها في رجب 1295 وتطلب تدخل المرابط محمد الحضري لإسكان الفتنة (17 شعبان و10 رمضان 1295).

وربما عاد قائد قلعية إلى منصبه خلال السنة الموالية تحت ظروف التصالح ومعالجة الوضع، فالقلعيون عاودوا

الهجوم على داره حسبما أدلت به مراسلة 15 رجب 1296 مما اضطره للعودة إلى فاس (14 ذي القعدة 1296). وفي آخر السنة كان الوضع كسابقه باستثناء ما قيل عن تراجع بني شكر عن رأيها (24 حجة 1296).

ويمكن اعتبار سنة 1297 سنة تفكك الوحدة القيادية بقلعية وتعددها لا على حسب نمط الأخماس فقط بل تجاوز ذلك إلى أدنى المراتب على مستوى الفرق والجماعات، إذ أن المخزن الحسني لم يكن يراعي في هذا التقسيم سوى رغبات الأعيان والجماعات واتجاه ميلها إلى هذا الشخص أو ذاك، ولم يكن للتناسق الجغرافي أي اعتبار في هذا التقسيم.

ونتيجة للتقسيم الجديد الذي كان على حساب الجواوي المختار ألغم انفصلت من قيادته على مستوى الأخماس : خمس بني بوگافر المجاور لجواوة، ظهر به محمد بن العربي البوگافري الذي وجدناه يمارس مهامه حسب وثيقة 9 شوال 1298. (*معلمة المغرب*، ج. 6 : 1833) ؛ خمس بني بويفرور: قائده حميدة بن شلال العلاطي حسب وثيقة متم صفر 1298 / 31 يناير 1881 (انظر *معلمة المغرب*، مادتي البويفروري حميدة بن شلال وجزولة) ؛ بني شكر : محمد ابن الهادي الشكري الداودي حسب مراسلة 29 محرم 1298؛ مزوجة : لحسن بن محمد المزوجي في نفس التاريخ.

ولم يستقل الجواوي المختار ألغم بعد انفصال الأخماس الأربعة المذكورة بخمس الگعدة وحده (بني سيدال فيما بعد) بل واجه منافسة أعيان فرقة بني فكلان الداخلة في تقسيم الخمس. وبذلك اقتصرت قيادة الجواودي على فرقة جواوة وحدها، حسبما ذكرناه عن مجالها سابقا.

ظل المختار ألغم الجواوي غير راض بما بقي بيده من السلطة. وسيفتح باب النزاع مع منافسيه الفكلانيين على جملة من المداشر كانت إطار نزاع دائم بين فرقتي جواوة وبني فكلان : إدراجن الجبل، دراكنة، على الضفة اليمنى من مجرى واد تازوطا عند مخرجه إلى أربعاء ثلاث. ولها ما يقابلها من إدراجن الوطا (ثلاث الوطا) ؛ إلحيانن الجبل، اللحاينة، الزاوية الجنوبية الشرقية من كتلة كعدة بني فكلان. ويمثلهم فرقة الوطا (ثلاث الوطا) ؛ أولاد غانم بالجبل والوطا والمدشر الكائن بالوطا (ثلاث الوطا).

ويعتبر المختار ألغم الجواوي أن التجمعات المذكورة كانت مندرجة في فرقة جواوة، فهو يقول : كانوا معنا في أول الزمان سلفا عن خلف. وربما كان مدشر ثلاث ضمن إيالة المختار الجواوي، إذ أنه اشتكى من غريمه محمد بن الهادي العديوي لتراميه عليه. (6 شعبان 1306).

ففي هذا الإطار الجغرافي الضيق احتدم التنافس بينه وبين حمُّ بن محمد الفكلاني : 1298 إلى 1300 (29 محرم ومتم جمادى الأولى عام 1298) ومع الخضر بن محمد العديوي (138 جمادى الثانية - رمضان 1300 ؛ 15 ومتم رجب. 5 شعبان. 8 شوال. 17. 9 ذي القعدة. 6 حجة 1301) ثم مع محمد بن الهادي الفكلاني (5 جمادى الألى 6 شعبان 1306).

ولم ينج القائد المختار ألغم الجواوي من إثارة الصعوبات مع فرقة جواوى نفسها مركز قيادته. فقد وصل بها الحد إلى الفرار من ثقل واجباته العالية إلى الأمين علال ابن المختار الفكلاني، لأن المختار حين ألزمها بدفع هدية 300 ريال فرض الزيادة على الزكاة والواجب المخزني. (فاتح صفر 1302. كناش 360 / 55).

لماذا قُبض على المختار ألغم وأُودع السجن في آخر سنة 1306 أو بداية التي تليها ؟ لا يظهر ذلك من الوثائق بوضوح. هناك رسالة القائد محمد بن أحمد الكبداني رفيق المختار الجواوي في السجن يشير إلى أن سبب القبض عليهما اتهامهما بحيازة مال المخزن ومتاع القبيلة (23 ربيع الأول 1309). غير أننا لا نملك التفاصيل.

ترتكز الرواية الشفوية على نخوة المختار ألغم، ولا بد أن نقيم الوزن للنكسة التي لحقته بسبب تفكيك وحدة قيادته ومضايقته في خمس الگعدة نفسه. وقد لاحظنا أنه منذ ذلك لم يلب دعوة السلطان لزيارته كالعادة، بل اكتفى بارسال أخيه الحسن خليفته (8 رجب 1300) ونضيف إلى ذلك عدم مشاركته في حركة الغرب الشهيرة التي أُخذ بها العديد من المخالفين من عمال الريف الشرقي وقلعية بصفة خاصة، كان منهم القائد محمد بن أحمد الكبداني رفيق المختار ألغم في سجن مصباح بالعرائش، ربما منذ بداية 1307 حيث وجدنا أَهل ألغم توجهوا للاحترام بمولاي إدريس، يتزعمهم أخوه الحسن وصهره اليزناسني.

بقي المختار ألغم بسجن العرائش (21 جمدى الأولى 1307) ومن هناك بدأ في مراسلة أهله، ولذلك أو عز القائد حمُّ بن الهادي الفكلاني خلال السنتين المواليتين إلى السلطان بنقل المختار إلى سجن مراكش دون أن ينال مبتغاه (26 جمدى الأولى 1307 - 22 رجب 1308). وابتداء من هذا التاريخ تحتجب عنا أخباره.

*وثائق خ. ح.* بالرباط ؛ *وثائق الهاديين بالناظور* ؛ *وثائق أولاد داود لصاحبها* أولاد عالوش وورده والحاج ميمون الداودي ؛ مجهول، *وثيقة نسب قبيلة قلعية*، مخطوطة 939 / 1533 ؛ ح. الفكيكي، *قلعية ومشكل الوجود الاسباني بمليلة*. ج 1 / 137 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، تطوان 1951 ؛ *الخريطة الطبوغرافية لسنة 1954 و1967* ؛ *معلمة المغرب*، ج. 6 و8 ؛ بحث ميداني سنة 1975.

A. Moulieras, *Maroc inconnu*, I / 166 ; R.F. de Castro y Pedrera, *El Rif*, Malaga 1911 , p. 82 - 82 ; *Geografia de Marruecos. Protectorados Y Posesiones de Espana en Africa*. T. 2, p. 226 ; *Vademecum*, p. 58, Ceuta 1931.

حسن الفگيگي

**جوبيتير** (Jupiter)، معبود روماني عثر على بعض آثاره في المغرب لما كان تحت سلطة الرومان.

يعتبر جوبيتير أكبر معبودات الجمع الديني الروماني

وسوف تعرف عبادته انتشاراً واسعا في مختلف الولايات الرومانية بما فيها الولاية الافريقية. وفي موريطانيا الطنجية (المغرب القديم) عثر على عدة دلائل تدل على عبادته، فبعض النقائش حملت اسمه وهي عبارة عن هدايا مقدمة إلى جويتير الأفضل الأعظم (J. O. M) أو مقدمة له إلى جانب معبودات وثنية أخرى. ففي تموسيدا (*A.E.*, 1996 ; 618) عثر على لوحة مقدمة إلى جويتير، حامي الدولة الرومانية من طرف إحدى الفرق العسكرية التي تطلب حمايته، ومما يؤكد ذلك وجود بعض الرموز الخاصة به كالنسر والصاعقة. أما في وليلي فقد ارتبط اسم جويتير باسم الامبراطور سبتموسى سيڤر (S. Sévère) ذلك أن الإهداء موجه إلى جويتير بمناسبة تخليد الذكرى العاشرة لحكم الامبراطور (202 م) ويسجل بعض الاحتفالات وكذا توزيع الهدايا وإقامة الألعاب (*IAM*, 2, 354) وهناك دلائل أخرى على وجود هذه العبادة في موريطانيا، عثر عليها في كل من تموسيدا (*IAM*, 2, 248) ووليلي (*AM*, 2, 353) وهي عبارة عن هدايا مقدمة إليه لكن لا نجد ذكراً للأفراد الذين قدموا هاته الهدايا. وهناك هدايا مقدمة إليه إلى جانب معبودة أخرى قديمة "Dii mortales" (*IAM*, 2, 356, 357, 368, 359, 361) وإلى جانب بنيوس الامبراطور (*IAM*, 2, 356 - 361).

وفي سلا (*IAM*, 300) وطنجة (*Cil*, 9988) قُدس جويتير في إطار الثالوث الكابتولي. إلى جانب النقائش عثر على تماثيل تحمل صوره، ففي بناصا تمثال من البرونز في إحدى منازل الحي الشمالي للمدينة حيث يظهر جويتير في شكله الكلاسيكي، يحمل في يده اليسرى نسراً وفي يده اليمنى ربما يحمل الصاعقة. والتمثال في صورته النهائية عبارة عن إنجاز هيلني. ويكمن أن نقرب هذا التمثال من نموذجين آخرين من البرونز عثر عليهما في وليلي، الأول يمثل جويتير وهو يحاول رمي الصاعقة، والثاني أحسن إنجازاً وهو على نفس مستوى تمثال بناصا من حيث الصنع والأداء.

إن جويتير أكبر معبوداتهم، قُدس في المغرب القديم، سواء وحده أو في إطار الثالوث الكابتولي تحت أشكال رومانية وبالتالي فهو يمثل الديانة الرسمية الرومانية.

Daremberg - Saglo, *Dictionnaire des antiquités grecques et romaines*, s.v. *Jupiter* ; A. Ruhlman, *A propos d'une plaquette de caractère militaire trouvée à Thamuda*, *PSAM*, I, 1935, p. 33 - 45 ; G. Souville, *Petits bronzes de Jupiter et de Venus trouvés en Maurétanie Tingitane*, *Hesp*, 1957, p. 146 - 151 ; R. Thouvenot, *PSAM*, II, 1954, p. 121 pl. XXVI, 1 ; *Inscriptions antiques du Maroc* - 2 - *Inscriptions latines*, Paris, 1982.

عبد العزيز بل الفايدة

**جودار، محمد** بن عبد الله مقاوم، ولد سنة 1930 بالشياظمة إقليم الصويرة، وشارك في صفوف المقاومة السرية بمدينة الدار البيضاء في التشكيلية التي كانت تحت مسؤولية السيد حسن الشياظمي، ثم بعد ذلك عمل تحت إمرة الأزهاري عبد الرحمان في ابن مسيك ونواحيه، وكان يعرف باسم (جولي) قام بعدة أعمال فدائية منها : اغتيال حارسين مدنيّين كان يحرسان متجراً لبيع الخمور والتبغ، كما كان مشاركاً في لجنة للإسعاف مكونة من أربعة أفراد (إسعاف المقاومين).

أُلقي عليه القبض بتاريخ 10 مارس 1955 وسُجن بالدار البيضاء حيث تم اغتياله من طرف حراس السجن المدني بتاريخ 21 مارس 1955.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 3 : 79.

**جوذر باشا**، أو جوذر، قائد جيش الأندلس أيام السعديين. من أبرز رجال الدولة والشخصيات العسكرية الأساسية في عهد السلطان أحمد المنصور، تعرض عقب معركة وادي المخازن سنة 986 / 1578 م. لتنكيل المنصور في فترة بطشة بقواد أخيه عبد المالك المتوفى، رؤساء جيش الأندلس، حيث استثناه من القتل وحجزه في منزل بالبادية حتى سنة 998 / 1590 م، حيث عفا عنه وأسند إليه قيادة حملة السودان.

انطلق جوذر من مراكش في ذي الحجة عام 998 / أكتوبر 1590 م، وتمكن من هزم قوات أسكيا إسحاق بن داود، واستولى على كاغو ثم تنبكتُ في ظرف وجيز. لكن توقفه عن مواصلة الحرب استجابة لطلب التفاوض حول السلم مع الأسكيا المهزوم دفع المنصور إلى خلعه من قيادة الجيش، وأسند ذلك إلى القائد محمود باشا الذي وصل إلى تنبكت في شوال عام 999 / غشت 1591.

وقد ظل جوذر في السودان تحت أوامر القائد محمود باشا إلى أن قتل هذا الأخير في كمين نصبته الفلول السودانية، فوزع السلطان المنصور الذهبي السلطات بين القائد منصور بن عبد الرحمان الذي ترك له القيادة العسكرية، وولّى جوذراً إدارة المناطق المفتوحة، وذلك في رجب عام 1003 / مارس 1595. وقد استخلف أحمد المنصور القائد محمد التباع بعد وفاة القائد منصور في ربيع الأول عام 1005 / نونبر 1596، لكن قيادته لم تدم

أكثر من سنة ونصف حيث توفي في شوال عام 1006 / ماي 1598 م، وقيل إن وفاتهما كانت من تدبير الباشا جؤذر.

وبأمر من المنصور الذهبي غادر جؤذر السودان عائداً إلى مراكش في رمضان عام 1007 / 1599. وكلف هو والقائد منصور النبيلي سنة 1011 / 1602 م بالقبض على محمد الشيخ المامون أثناء زحف المنصور على فاس لمجابهة تمرده ؛ وإلى جؤذر أسندت مهمة سوق المامون سجيناً إلى مكناس.

وإثر وفاة المنصور في ربيع الأول عام 1012 / غشت 1603، سارع الباشا جؤذر إلى نقل الأمير المعتقل ليضعه بين يدي شقيقه أبي فارس بمراكش لمنع مولاي زيدان من البطش به. كما انحاز جوذر في حروب أبناء المنصور إلى صف أبي فارس وتمكن من هزم زيدان في أول مواجهة بين مملكتي فاس ومراكش، لكن هذا النجاح ستتلوه هزيمة مريرة أودت بحياة جؤذر عام 1015 / 1606 أمام قوات عبد الله ابن الشيخ المامون الزاحفة على مراكش.

م. الغربي، *موريطانيا ومشاغل المغرب الإفريقية*، الرباط، د. ت. ص. 152. 157.

**جوذر بن عبد الله**، من قواد العهد الأخير للدولة السعدية، وأحد وزراء محمد الشيخ الأصغر. أوفده في سنة 1047 / 1637 سفيراً إلى البلاط الأنجليزي لتقديم مشروع اتفاقية السلم والصداقة التي أعد مشروعها في مراكش في جمادى الأولى 1047 / سبتمبر 1637، قصد الحصول على مصادقة العاهل الأنجليزي شارل الأول عليها، وأيضاً للقيام بمساع لدى الدولة الأنجليزية من أجل الحصول على مساعدتها في تمكين السلطان السعدي من بعض السفن. وقد مكث جؤذر بلندن من جمادى الأولى عام 1047 / أكتوبر 1637 إلى محرم عام 1048 ماي / 1638، حيث نجح في المهمة الأولى، في حين لم نلمس حدوث أي شيء فيما يخص النقطة الثانية.

H. de Castries, *S.I.H.M.*, 1ère série - Ang. T. III.

حسن أميلي

**الجورائي**، بيت من البيوتات القديمة بفاس. قال فيهم صاحب جنى *زهر الآس* : "وبيتهم بيت فقه وعلم وصلاح" وينسبون إلى بني غفجوم قبيلة بتادلا. ومن المتأخرين منهم بفاس المعلم أحمد بن قدور الجورائي، كان يملك ربع جنان حَبة حْلاوة قرب جبل زالغ عام 1057 ؛ والحاج محمد بن بلقاسم الجوراري عام 1079 ؛ وعبد الله بن الحاج محمد الجوراري مالك الدار الكائنة بدرب النوار من حومة النواعرين عام 1085. وقد انقرضوا من فاس.

**الجُورَائي**، أو الجُراوي، يسكُر بن موسى الغفجومي التادلي ثم الفاسي، يكنى أبا محمد. نشأ بمدينة تاجنيت بتادلا، وانتقل إلى فاس طلباً للعلم، فأخذ عن أبي خزر يخلف الأوربي وسليمان التلمساني، وصحب الإمام علي ابن حرزهم واستقر نهائياً بفاس. ولقي الشيخ أبا يعزى يلنور فأخذ عنه ولم يعد ينقطع عن زيارته، وكان يعرج بعد ذلك على مسقط رأسه في تادلا قبل أن يعود إلى فاس.

كان الجورائي فقيها متمكناً من فروع المذهب المالكي، عليه المدار فيه بفاس في عصره، وله *حواش على المدونة*. إلى صلاح وزهد واجتهاد في العبادة، وخاصة في رمضان. إماماً وخطيباً في جامع القرويين، وكان لايدعو في الخطبة للخليفة الموحدي، فكاد يجر عليه بلاء، فتخلى عن الخطبة متعللاً بعجمة كانت في لسانه، وبقي إماماً أربعين سنة لم يسهُ فيها قط.

أخذ عنه جماعة من أعلام فاس منهم أبو محمد صالح الهسكوري شارح *الرسالة*. وتوفي ضحى يوم السبت 11 قعدة عام 598 / 3 غشت 1202. ودفن بالقلّة خارج باب عجيسة.

ي. التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، 337 ؛ أ. الصومعي، *المعزى*، مخطوط ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ط. الرباط، 1 : 57 . 58 و 70 . 72 ؛ أ. بابَ التنبكي، *نيل*، 360 ؛ *كفاية*، مخطوط ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 164 ؛ ع. الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

محمد حجي

**جوردان**، فردينان - جورج - Jourdan, Ferdinand Georges، معمر فرنسي حل بالمغرب سنة 1920 كمقاول بعد أن عرف متاعب مع العدالة في بلاده أدت إلى طرده من

هيئة المحامين بمدينة تولون التي كان يشتغل فيها. وبمساعدة مواطن تونسي يدعى عثمان بن بجي بن عمور، أسس جوردان بالدار البيضاء جريدة أسبوعية تحت عنوان *La Guêpe Marocaine* (الزنبور المغربي). وذلك في ماي 1920. وكان جوردان يسخّر هذه الصحيفة لابتزاز أموال الشخصيات الميسورة ؛ ذلك أنه يترقب أخبارها، خاصة تلك التي لا يرغب أصحابها في إعلانها على الملأ، فيهدد بتشهيرها إذا لم يؤد مقابل كتمانها تعويض مادي. وقد استهدفت هذه الحملة بعض الأعيان المغاربة والأوربيين، كما حاولت النيل من مؤسسات تجارية وإعلامية. وضمن قائمة الذين تعرضوا للقذف عبد اللطيف التازي (باشا الدار البيضاء سابقا)، ومولاي أحمد بن منصور (باشا الدار البيضاء)، والحاج عمر التازي (وزير الأملاك المخزنية)، والتاجر اليهودي مردوشي دهان، وبيير ماص (مدير جريدة *Le Petit Marocain*)، الخ. ولما ضاقت الإدارة الفرنسية درعا بتجاسر "الزنبور المغربي"، أصدر المقيم العام ليوطي قراراً بطرد كل من جوردان وابن عمور من المغرب (5 نونبر 1922).

J. Baida, *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*, Rabat, 1996, p. 106 - 107 et 116 - 118.

جامع بيضا

**جوريو**، من الأسر الأندلسية الرباطية التي لم تلعب أي دور تاريخي في أحداث المدينة عكس الأسر الأندلسية الأخرى التي تحدث عنها محمد الضعيف ومحمد بوجندار وغيرهما، لكن برز منها أفراد خلال القرن الرابع عشر (20م) مثل :

**جوريو، إبراهيم** (الحاج -) الذي كان مهتماً بالتجارة للتصدير والاستيراد خصوصاً مع مصر والحجاز، وهو أخو الحاج مَحمد جوريو آتي الترجمة.

**جوريو، الطيبي** بن الحاج المعطي. كان مدرساً بالمدرسة الحرة بالزاوية المباركية سنة 1341 / 1922 التي كان يديرها الفقيه العدل محمد بن القاضي أحمد بناني.

**جوريو، محمد** أمين أحباس الحرمين الشريفين بالرباط، كان يحج كل سنة تقريباً لدفع الحصيلة العائدة من أحباس مكة والمدينة إلى مستحقيها. وكان لايتنقل في الرباط إلا من المسجد الأعظم إلى الزاوية الحمدوشية، ويشد الرحلة دائماً لزيارة ضريح سيدي علي ابن حمدوش وسيدي أحمد الدغوغي ومولاي إدريس الأكبر بجبل زرهون. وكانت أسرة جوريو تنتمي كلها إلى الزاوية الحمدوشية.

**جوريو، المعطي** كان ضمن الجماعة التي احتجت سنة 1340 / 1921 على شق الطريق في المقبرة وعلى ما يعرف "بضريبة الكياب" وبسبب ذلك أبْعد إلى طنجة ونُفي الحاج محمد البحراوي إلى الصويرة والحاج بوبكر بلكوره إلى أسفي والمحجوب الأزرق إلى الجديدة، وقد لقي نفس المصير بمدينة سلا عبد الله بن سعيد القائد والدبلوماسي الشهير الذي نفي إلى وجدة ـ وبنعيسى العلو السلاوي إلى جهة أخرى.

ع. الجراري، *شذرات تاريخية من 1900 إلى 1950*، الدار البيضاء 1976، ص. 196 ـ 197 ؛ ع. السويسي، *تاريخ رباط الفتح*، الرباط 1979، ص. 209 ؛ م. الأمين بلگناوي، *روايات شفوية*، في 30 / 10 / 1995.

عبد الإله الفاسي

**الجَوْز**، أو "الگوز" أو الگرگاعْ، ثمرُ شجرةٍ تسمى علمياً يُوگْلاَنْسْ رِيگْيَا Juglans regia وهو من فصيلة الجوزيات Juglandaccae.

لشجرة الجوز تاج كبير شبه كروي الشكل، ويمكن أن يتجاوز علوّها عشرين متراً. قشرة جذعها وأغصانها رمادية اللون ملساء في الصغر، تتشقق مع بداية سن النضج، أوراقها مركبة ذات وريقات عريضة، نفضية. أزهارها الذكرية مجتمعة على شكل هرميّ الشكل. أما الأنثوية فهي منفردة. ثمارها كروية في حجم بيضة الدجاج أو أكبر بقليل، خضراء قبْل نضجها ثم تصفر بعده. يجب إزالة الغلاف الخارجي أو تقشيره لإخراج لُبِّ الجوز الذي يُوجد بداخل النواة أو البذرة الصالحة للاستهلاك.

تصادف أنواع أخرى من الجوز طبيعياً بأمريكا الشمالية منها الجوز الأسود الذي زرع في مناطق عديدة من العالم.

أما فيما يخص الجوز "المَلَكي" (ترجمة للاسم العلمي) المعروف عندنا بالمغرب والموصوف أعلاه فقد عرفت زراعة سلالاته العديدة انتشاراً واسعاً بمنطقة البحر المتوسط وجنوب أوروبا وآسيا وأمريكا. وكان معروفاً إلى حدود السنوات الأخيرة أن أصل الجوز "الملكي" لايخرج عن نطاق بلاد الفرس، وأن العرب هم الذين أدخلوه إلى شمال افريقيا. غير أن الدراسات الحديثة المتعلقة بحبوب اللقاح في الرسوبات والمخثّات (مناطق رطبة تتراكم فيها الرسوبات من طمي وطين ومواد عضوية لاتتحلل، قد يصل عمرها إلى آلاف السنين) في المنطقة الشرقية من الأطلس الكبير، أثبتت أن الجوز "المَلَكي" كان يوجد بوديان جبلي العياشي ومعسكر، وربما بوديان جبلية أخرى بالمغرب، وذلك منذ ثمانية آلاف سنة على الأقل.

من البديهي التذكير أنه لا توجد حالياً غابات طبيعية

مكونة من هذا النوع، ولكنه يصادف مغروساً بجانب مجاري المياه في جميع المناطق الجبلية من الريف إلى الأطلس الكبير، واستثنائياً بالأطلس الصغير. إنه يتلاءم مع البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة والرطبة جداً، ولايخرج عن الطوابق النباتية المطابقة للمتوسطي الدافئ والمتوسطي وفوق المتوسطي، ذوات الأشكال الحرارية المعتدلة والقارسة والباردة.

أما من حيث التربة فإن شجر الجوز يحبذ الأراضي الخصبة والسميكة والغنية بالطمي الموجودة بجانب المياه الجارية. ويغرس الجوز لخشبه ولثماره ولسواكه ولمواد أخرى. ويعطي الجوز أجود وأغلى ما ينتج بالمغرب من الأخشاب الجميلة الصلبة المستعملة في صناعة الأثاث الثمين.

ثمار الجوز غنية وذات قيمة غذائية وطاقوية عالية تحتوي على فيتامينات وأملاح معدنية كثيرة، كما تُستخرج منها زيت المائدة ذات الجودة الممتازة. وتدخل الثمار في عدد كبير من المأكولات والحلويات، وحدها أو مع اللوز والتين المجفف والتمر، والحمص المقلي. وبالإضافة إلى هذه الفوائد يؤكل الجوز لتقوية الشهوة الجنسية، وكذلك لمقاومة السموم.

تستعمل قشرة الجوز كسواك للتجميل وذلك لتبييض الأسنان وتنظيفها، ولتحمير الشفاه واللها، وضد الرائحة الكريهة للفم.

أما الأوراق فلها فوائد أخرى وخاصة فيما يخص التطبيب التقليدي ضد السموم وديدان الأمعاء، وضد مرض السكري والبواسير وقرح المعدة إلى غير ذلك.

*أبحاث شخصية* ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، تر. د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

Ballouche et Damblon, *Nouvelles données palynologiques sur la végétation holocène du Maroc. Actes X Symposium APLF. Bordeaux 1987. Trav. Sct. Sci. Tech.* t. XXV, pp. 83 - 90.

عبد المالك بنعبيد

**جوستينار**، ليوبولد Justinard, Léopold، أحد ضباط مصلحة الاستعلامات الفرنسية بالمغرب إبان الفترة الاستعمارية. ولد في سنة 1878، وتخرج من المدرسة العسكرية الفرنسية المشهورة سان سير Saint Cyr عام 1899.

عندما أرسل إلى المغرب في مهمة عسكرية، فطن مبكراً إلى أهمية دراسة لغات وعادات ساكنة البلاد كوسيلة لإخضاعهم. فتعلم اللغتين العربية والأمازيغية، وبرع في إتقان لهجة تاشلحيت إلى درجة مكنته من أن يخصص لها كتابا مدرسيا منذ سنة 1914. وشكل ذلك أحد العوامل التي جعلت المقيم العام ليوطي يعتمد على هذا الرجل في بسط الاحتلال الفرنسي على منطقة سوس. فكلفه بمهمة في تيزنيت من 1916 إلى 1921. وبعدها التحق بمنطقة تافيلالت حيث احتاجت السلطة العسكرية إلى خبرته لاستكمال عملية إخضاع القبائل هناك. وفي غشت 1925 كلف بمهمة مراقبة البريد بتازة، نظراً للدور الذي كان لهذه المنطقة في نشر أخبار أحداث الريف في مجموع أرجاء المغرب. لكن، في العام التالي كان جوستينار ضحية حادثة طائرة حربية في منطقة "تارگيست" أصيب على إثرها بجروح خطيرة في وجهه. ولما لم تعد أحواله الصحية تسمح له بمزاولة نشاطه العسكري، تقاعد فاختار مدينة سلا كمقر لاستقراره لردح من الزمن خصص معظمه للتأليف. وفي شتنبر 1955 أنعمت عليه الحكومة الفرنسية بوسام من درجة عالية Croix de la Légion d'Honneur تسلمه من يدي المارشال جوان.

توفي جوستينار بفرنسا سنة 1959 بعد أن خلف عددا مهما من المقالات والكتب التي تعتبر، حتى يومنا هذا، من المراجع الأساسية لكل دارسي التاريخ الاجتماعي والسياسي والثقافي للجنوب المغربي. ومعظم إنتاجه الفكري كان نتيجة إقامته بالمناطق الجنوبية. فقد ألف عن قبائلها (تازروالت، أيت باعمران...) وأعيانها (الطيب الگندافي...) معتمدا على الرواية الشفوية أحيانا وعلى الوثائق والمخطوطات المحلية أحيانا أخرى. وقد كان احتكاكه بأهل المناطق الجنوبية، خاصة منها السوسية، كبيرا إلى درجة جعلت عامة الناس تلقبه بـ"القبطان الشلح".

*Maroc-Presse*, 22 septembre 1955, p. 2 ; *Revue de l'Afrique Française*, Mai-juin 1959, p. 62 ; Justinard (Colonel), *Un grand chef berbère : le caïd Goundafi*, Casablanca, 1951 ; *Un petit royaume berbère : le Tazeroualt : Un saint berbère : Sidi Ahmed Ou Moussa*, Paris ; *La Rihla du marabout de Tasaft*, Paris, 1940 ; Dossier au S.H.A.T., Vincennes, n° 35657/41.

جامع بيضا

**الجوصي، محمد** بن الأحسن كان سنة 1271 / 1854 من عدول مدينة سلا القائمين بالإشهاد في الأنكحة والمعاملات. ويظهر أنه طارئ على المدينة لامن أهلها.

رسوم عدلية في خ. ص ؛ *الذيل الجديد على الإتحاف الوجيز*، مخطوط.

مصطفى بوشعراء

**جوطة**، قرية مندثرة من القرى الإدريسية الكبرى في سهل الغرب، وإليها ينسب الشرفاء الجوطيون. وهي أقرب القرى إلى فاس التي ظلت تأوي الأدارسة بعد نكبتهم على يد موسى بن أبي العافية وضياع الحكم منهم وانغمارهم في الجبال زمن المرابطين والموحدين. ويقترن اسم جوطة في المصادر بالبحث في النسب الجوطي. ولم يسعفنا التحري الميداني في ضبط الموقع، ولذلك سنقتصر على جمع شتات ما عثرنا عليه من معلومات على قلتها وتكرارها.

يقول العربي الفاسي في *مرآة المحاسن* (ص. 188) عن جوطة : "وهي قرية عظيمة على نهر سبو في العدوة الجنوبية، خربت ولم يبق منها إلا آثار". ويبدو أن خراب جوطة وقع أثناء الحروب التي جرت في أزغار بين المرينيين وعرب رياح أنصار الموحدين (*الاستقصا*، 3 : 7) في غضون توطيد الحكم المريني. وقد كانت أكثر شدة بعد مقتل الأمير عبد الحق قرب وادي سبو مما دفع المرينيين إلى الانتقام وتشريد عرب رياح وما رافق ذلك من خراب. ثم غمر فيضانات نهر سبو أنقاض جوطة فانطمست معالمها واستعصى على النسابين والمؤرخين ضبط موقعها. فكانت اجتهادات صاحب *مرآة المحاسن* الذي توصل من خلال الروايات التي التقطها إلى مقاربة المكان، فأشار إلي وجود "مسيل شتوي يعرف بمخرط جوطة" في بلاد بني عمران من الخلط، وإلى قبر السيد يحيى الجوطي الذي كان مزارة مشهورة في ذلك الوقت.

وجاء في كتاب *الدرّ السني* ما يؤكد هذا القول، من وجود قبر الشريف المذكور في حدود سنة 830 / 1426 وهو تاريخ المصدر الذي اعتمد عليه والذي يحمل عنوان *الفتح المبين*، لكن القبر لم يعد كذلك في تاريخ تأليف *الدر السني* حوالي سنة 1090 / 1679. وهناك التباس في قبر عليه قبة كان مزارة دعي صاحبه سيدي حسون الغريب يُعتقد أنه ليحيى الجوطي. كما يوجد بالقرب منه أثر لجدرات قرية يحتمل أن يكون دالاً على موضع جوطة. (*الدر السني*، ص. 13) ويبقى الغموض وارداً في تحديد موقع جوطة بالضبط، مما يتطلب المزيد من التحريات الميدانية والبحوث الأثرية لاكتشاف هذه القرية العظيمة حسب تعبير العربي الفاسي.

ع. الفاسي، *مرآة المحاسن*، ص. 188 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 3 : 7 ؛ ع. القادري، *الدرّ السني*، طبعة حجرية، فاس، ص : 13.

**الجُوطيّ** ← الشبيه الجوطيّ

**الجُوطيّ** ← طاهر الجوطيّ

**الجوطيون**، شرفاء أدارسة من ذرية القاسم بن إدريس الأزهر بن إدريس الأكبر، ومن أشهر فروعهم العمرانيون بفاس، والشبيهيون بمكناس وزرهون. كان أول من استوطن منهم جوطة ونسب إليها يحيى جد الشرفاء الجوطيين قاطبة. إلا أن المصادر اختلفت في ترتيبه ضمن عمود النسب الجوطي. ذكر البعض أن أول من نزل بجوطة هو يحيى بن القاسم بن إدريس الثاني، أثناء ولاية والده على طنجة وما والاها من بلاد المصامدة، أو بعد هزيمته على يد أخيه عمر وانزوائه في رباطه بساحل أصيلا. ويرجح هذا القول صاحب *الدر السني*، بناء علي كتاب أهل فاس إلى الشريف يحيى العدّام وهو في جوطة، مستنجدين به من استيلاء عبد الرزاق الخارجي على عدوة الأندلس، أما القول الثاني فهو لابن خلدون، ويذهب إلى أن جد الشرفاء الجوطيين هو يحيى بن محمد بن يحيى العدّام بن القاسم أي حفيده.

تكاثر أبناء يحيى الجوطي وشكلوا فروعاً ظلت تسكن جوطة إلى غاية بداية الدولة المرينية حيث تزودنا المصادر بشذرات حول انتقال الشرفاء الجوطيين جملة إلى مدينة مكناس وفاس في فترات متقاربة، وقد تكون هذه الهجرة الجماعية نتيجة للفتن والحروب الواقعة في منطقة أزغار بين بني مرين وعرب رياح وخراب جوطة، وكذلك بفضل الدّعم الذي لقيه الشرفاء الأدارسة بصفة عامة من طرف ملوك الدولة المرينية الأوائل بدءاً بأبي يوسف يعقوب بن عبد الحق (656 - 685)، أول من نظّم الاحتفال بعيد المولد النبوي.

كان للمرينيين اعتناء بالشرفاء، والبحث في أنسابهم وجمع شتاتهم من الجهات المختلفة وتسجيلهم في ديوان العطاء، مما أدى إلى انبعاث الشرف الإدريسي. وتدخل السياسة المرينية تجاه الشرفاء في إطار البحث عن سند ديني قوي واكتساب المشروعية. في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق قدم الشريف الجوطي عبد الواحد ابن عبد الرحمان إلى مكناس، وهو الأب الثاني عشر لشرفاء مدينة مكناس ؛ وقد استصحبه معه السلطان أثناء فتح فاس للتبرك به، وبعد رجوعه إلى مكناس رتب له جرايات شهرية وسنوية توارثها أبناؤه. وكان دخول السلطان إلى فاس سنة 668 / 1259. وفي نفس الفترة رجع الشرفاء الطالبيون الجوطيون إلى فاس كما يستفاد من كلام ابن السكاك ولحق بهم العمرانيون. استقر الطالبيون بجوار ضريح مولاي إدريس الأزهر في دار القيطون وتولوا تسيير الحرم الإدريسي، ثم انتزع منهم العمرانيون هذه الولاية وأخرجوهم من دار القيطون على يد السلطة المرينية وبإيعاز من صهرهم الفقيه ابن مرزوق. وعوضهم عنها السلطان أبو الحسن المريني بفتوحات سيدي علي أبي غالب، كما تولى

العمرانيون الجوطيون خطة النقابة. وأصبحت لهم مكانة مرموقة في حاضرة فاس ووجاهة لدى سلاطين الدولة المرينية وحققوا ثورة عظيمة نتيجة للتراكم المادي الهائل الحاصل من الجرايات والعطاءات والهدايا السلطانية فضلاً عن إسقاط التكاليف والإعفاء من الضرائب، إلى درجة أن الشرفاء العمرانيين الجوطيين أصبحوا يشكلون خطراً على السلطة المرينية خاصة وأنهم صاروا يقودون "حزباً" دينياً قوياً يضم شيوخ التصوف الشاذليين والعلماء والأعيان. وهذا مادفع المرينيين إلى تغيير سياستهم تجاه العمرانيين فضلاً عن الضغوط التي كانت على بيت المال. ويتلخص هذا التحول الذي بدأ مع حكم أبي فارس عبد العزيز (768 - 823)، في تنحية الوزير من السلطة وعزل النقيب محمد بن علي العمراني من خطة النقابة وتفضيل الشرفاء الصقليين الوافدين الجدد على العمرانيين وحرمان هؤلاء من الامتيازات السابقة.

انتظر الشرفاء العمرانيون فترة ضعف الدولة المرينية واستغلوا ظروف الأزمة العامة وتقاعس المرينين عن القيام بفريضة الجهاد وبصفة خاصة تدهور الأوضاع داخل مدينة فاس زمن عبد الحق الثاني (823 - 870) ونظموا انتفاضة شعبية ضد السلطة المرينية، بمساندة التيار الديني الصوفي، حملت الشرفاء إلى السلطة، حيث تمت للنقيب محمد بن علي العمراني الجوطي البيعة على يد الفقيه عبد العزيز الورياغلي، وأسس الشرفاء الأدارسة على أنقاض الدولة المرينية المنهارة إمارتهم، لكن حياتها كانت قصيرة (870 - 876)، كما أن سلطتها انحصرت في العاصمة ولم ترق إلى مستوى الدولة، لأن الأطراف كانت تحت نفوذ الأمراء المحليين. وكانت الإمارة الجوطية دون مستوى تحقيق طموحات شيوخ التصوف فيما يتعلق بقيادة الحركة الجهادية من أجل وقف الغزو البرتغالي وتحرير الثغور المحتلة. وهذا عامل أساسي في ذلك الظرف السياسي لم يستغله الشرفاء العمرانيون في الحفاظ على السلطة. أضف إلى ذلك فشل الشرفاء في حل المشاكل القائمة على مستوى مدينة فاس، لذلك كان من السهل على الوطاسيين القضاء على الإمارة الجوطية سنة 876 / 1471 بمساندة الطريقة القادرية، ففر الأمير محمد بن علي العمراني مع جماعة من الشرفاء إلى تونس. وظل العمرانيون يستوطنون تونس إلى غاية صعود الشرفاء السعديين إلى الحكم. ففي عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي الذي كان أكثر عناية بالشرفاء الأدراسة اعترافاً منه بالدور الذي لعبه شرفاء الشمال في معركة وادي المخازن، أصبح الجوطيون يحملون لقب "التونسيين" ويظهر أنهم كرهوا هذا اللقب وغيروهُ بالإدريسيين وهو رجوع إلى الأصل، كما عادت إليهم نقابة الشرفاء الأدارسة وولاية الحرم الإدريسي. وفي عهد السلطان مولاي إسماعيل تمّ تقسيم نقابة الشرفاء في فاس إلى إثني عشر نقيباً للحد من احتكار العمرانيين.

ويلي العمرانيين الجوطيين في المرتبة الشبيهيون الجوطيون أهل مكناس وزرهون، وهؤلاء أدركوا خطة النقابة وتوارثوها أبا عن جد منذ قيام الدولة العلوية، حيث قام السلطان مولاي رشيد في إطار عملية ضبط الأنساب والحد من الفوضى التي تلت وفاة السلطان أحمد المنصور بتعيين النقيب عبد القادر بن محمد الشبيهي لهذا الغرض وخوّل حق الفصل في نزاع الشرفاء الأدارسة بمكناس وزرهون، فكان أول نقيب من الفرع الشبيهي الجوطي.

ع. القادري، *الدر السني*، ص. 13 - 19 ؛ د. محمد القبلي، *مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين* ضمن مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار تبقال للنشر 1987 ؛ محمد ابن السكاك، *نصح ملوك الإسلام*، طبعة حجرية، ص : 18 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 16 - 39 - 52 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 115 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 85.

محمد عمراني

**الجوق**، مجموعة من العازفين والمغنين يشتركون في أداء مقطوعات موسيقية آلية وغنائية، تحت قيادة عضو يتوفر على خبرة موسيقية واسعة. وترتبط ظاهرة الجوق بتعدد الأفراد المشاركين فيه وبتنوع الأدوار التي يضطلعون بها من إنشاد بنوعيه فردي وجماعي وعزف على الآلات.

ينحصر إطلاق تسمية "الجوق" بالمغرب في مجموعات قليلة أبرزها : جوق طرب الملحون، وجوق الموسيقى الأندلسية، وجوق الموسيقى العصرية، في حين تظل المجموعات الفنية الباقية سواء منها الحضرية أو البدوية - موسومة بأسماء دالة على أصناف ممارساتها كأحواش، وأحيدوس، والعيطة، والطقطوقة، أو منسوبة إلى الطوائف التي تمارسها كطائفة عيساوة وهدّاوة، وحمادشة، وجيلالة.

وبينما حافظت بعض المجموعات على مظاهرها التقليدية من حيث عدد أفرادها ونوع أدواتها الموسيقية كثنائيات القوّالين والمداحين، وثلاثيات إنشاذن وإمذيازن وإملگازن، "وربْاعة المعلمة"، وطوائف الطبّالين والغياطين، فقد عرفت أغلب المجموعات الفنية الأخرى - وخاصة منها الموجودة بالحواضر - تحولات جوهرية بلغت مستويات متفاوتة من النمو الذي تبلور في تنوع الآلات الموسيقية وتعددها.

تُوكلُ قيادة الأجواق والمجموعات إلى أشخاص تختلف أسماؤهم من مجموعة إلى أخرى. وأكثر الاسماء شيوعا : روايس أحواش، وشيوخ أحيدوس، والمعلمات الحضّارات، ومقدّمو الطوائف الدينية، ونقّاقو أجواق الآلة الأندلسية.

ومن خلال تقصي الواقع الحالي للأجواق والمجموعات يمكننا استخلاص ما يلي :

- عرفت ظاهرة الجوق الشعبي المستعرب في مناطق السهول المغربية طفرة متميزة منذ القرن العاشر (16 م)، تجلت في تبني آلات جديدة تختلف من حيث طبيعة تركيبها

وطريقة عزفها عن الآلات التقليدية المستعملة في الأغاني الأمازيغية. وإلى ذلك ألمح المؤرخ البرتغالي مارمول كاربخال في كتابه *افريقيا* فذكر أن أعراب منطقتي نوميديا وليبيا كانوا يتغنون بقصائدهم المقفاة الموزونة على أنغام الدف والعود والكمان (يريد آلة الرباب ـ القيول ـ) كما يحدث في بعض الرقصات البرتغالية، وذلك ما سيعرف وشيكا بأغاني العيطة الحوزية التي أصبحت اليوم تعتمد بالدرجة الأولى على الكمنجة.

ـ تطورت التشكيلة التقليدية لجوق "طرب الآلة" في الحواضر التي استقبلت مهاجري الأندلس منذ سقوط غرناطة، وبعد أن كانت الأسرة الآلية لهذه التشكيلة منحصرة في العود والرباب والطر، رحُبَ مجالها لتحتضن آلات أخرى نقرية ووترية هي الدربوكة والكمنجة والقانون، ثم لتتبنى في العقود المتأخرة البيانو وبعض آلات النفخ الغربية. وقد أفضى دخول هذه الآلات إلى حظيرة الجوق الأندلسي إلى ارتفاع عدد العازفين.

ـ من جهة أخرى عرف المغرب منذ العقد الثالث من هذا القرن نشوء ظاهرة الأجواق العصرية تحت تأثير عوامل متعددة. وعرفت هذه الأجواق بدورها تناميا مطرداً، فبعد أن كانت في البدء محدودة الأعضاء تُذكّرُ بالتخْت المصري في شكله ونظامه وعدد أفراده ونوع آلاته (عود ـ كمان ـ قانون ـ دربوكة) تزايد عدد العازفين والمغنين وأصبح الجوق في واقعه اليوم أشبه بالأركسترات الغربية من حيث تعدد العازفين ووفرة المنشدين.

مارمول كاربخال، *افريقيا*، تعريب مجموعة من المؤرخين المغاربة، 1 : 110 ؛ ع. ابن عبد الجليل، *الموسيقى الأندلسية المغربية*، سلسلة *عالم المعرفة*، عدد 129 ـ 1988 ص 229 و251.

**جوق الخمسة والخمسين**، مجموعة موسيقية مختصة في عزف ميازين الموسيقى الأندلسية، تأسست بمبادرة من ملوك الدولة العلوية، ومنذئذ ظلت تابعة للقصر الملكي. ويستمد الجوق تسميته من عدد الميازين التي تحتضنها النوبات الإحدى عشرة التي انحصرت فيها مستعملات الموسيقى الأندلسية منذ أوائل القرن الثاني عشر : 11 نوبة × 5 ميازين = 55 ميزاناً.

ويختلف جوق الخمسة والخمسين عن الأجواق المغربية الأخرى من حيث اعتماده في عزف مستعملات "الآلة" على آلات النفخ النحاسية بدل الآلات الوترية (الرباب والعود والكمنجة) وعلى الطبول والصنوج بدل الطار والدربوكة.

وفي صدد استعمال هذه الآلات نشير إلى شهادة سجلها عبد العزيز الفشتالي مؤرخ أحمد المنصور السعدي في وصف موكبه : "أمامه الطبل العظيم الذي دوى صوته على البعد، ومن خلفه الطبول الأخرى التي تقرع مع المزامير المعروفة بالغيطات، يتولى النفخ فيها قوم من العجم أساتيذ يتعلمونها ... ومزامير أخرى، وجعاب طويلة صفرية على مقدار النفير تسمى "الطرنبات" مما أحدثه أمير المؤمنين أيضاً في دولته، وزادت به دولته على غيرها فخماً وضخامة، تنبعث منها أصوات وتلاحين لاتحرك الطبع ولاتبعثه على شيء سوى الحرب..."

ومع قيام الدولة العلوية انقطع استخدام تلك الألحان وتحوّل الجوق إلى عزف مستعملات الموسيقى الأندلسية، من قبيل ما أورده ابن زيدان في *الإتحاف* عند حديثه عن مراسيم السلطان الحسن الأول في صلاة الجمعة إذ قال : "وعادتُهُ في ذلك أن يقف الطبال المعروف بالگومي بمزاميره بباب قصره قبل بزوغ الشمس من صباح الجمعة، فيضرب إلى أن تطلع الشمس ثم تعقبه الموسيقى بألحانها العربية الشجية ... فإذا أدرك باب المسجد صدح الموسيقيون بما يكون فالاً حسنا كقولهم :

لك الهنا والسرور دائم    يا أيها الطالع السعيد

والبيت مطلع صنعة من قدام الحجاز المشرقي.

ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 1 : 398 و410 و517 وهو يفسر هذه التسمية بكون الجوق كان مشكلاً من خمسة وخمسين عازفاً ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، الرباط، ص. 204.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الجَوْقَة**، مصطلح كان يطلق على جماعة من الأعيان بالشاوية يجتمعون خلال القرن الماضي ويدعون (الجَوّاقة). ويتألفون من كبار جماعات القبائل، يجتمعون كلما دعا الأمر، في "جوقة" للتداول في أمور الحرب والسلم. وبهذا فالجوقة والجواقة، لاتظهر إلا في أوقات الاضطراب عندما تأخذ الجماعات مصير قبائلها بين يديها، كما حدث في أيام "سيبة" الشاوية بين 1902 ـ 1906. وتَفْرزُ الجَوْقَة أو الجواّقة جماعة قليلة العدد تتولى الحكم وتنفيذ ماحكمت به حسب أعراف القبيلة ؛ وحينئذ تسمى جماعة الحكام "زروفات" وينعت حكمها "بحكم زروفات".

تحريات ميدانية.

*Villes et tribus du Maroc, Casablanca et la Chaouia*, T. I - II.

علال الخديمي

**جولي، پيير** July Pierre ولد بإقليم المارن في فرنسا سنة 1906 وتوفي في باريس سنة 1982. كان محامياً إلى أن قامت الحرب العالمية الثانية فأدى واجبه الوطني فوقع في أسر الجيوش الألمانية لكنه فرّ ليلتحق بصفوف المقاومة، إلا أنه ألقي عليه القبض من جديد فامتُحن أشد الامتحان إلى أن استطاع الفرار مرة أخرى ليستأنف نشاطه في المقاومة. ولما وضعت الحرب أوزارها عاد إلى سابق عمله في المحاماة مع دخول حقل السياسة حيث انضمّ إلى "تجمع الشعب الفرنسي" وكان ذلك حزب الجنرال دي گول، ثم إنه لما كان له إلمام متميز بالشؤون الإفريقية فإنه عين كاتباً للدولة لدى رئاسة الحكومة من 2 يوليوز 1953 إلى 9 يونيه 1954 ثم وزيراً للشؤون المغربية والتونسية من 23 فبراير إلى 20 أكتوبر 1955 ثم وزيراً منتدباً لدى رئاسة الحكومة من 20 أكتوبر 1955 إلى فاتح فبراير 1956، مما يعنى أنه واكب الأزمة التي مرت منها العلاقات بين المغرب وفرنسا فيما بين 1953 و1955 وكانت عاقبتها استقلال المغرب لما فيه خير الدولتين.

كان پيير جولي قد أدرك أن تلك الأزمة كانت من حبك "اللوبي" الاستعماري بالمغرب الذي كان يموّه ويلبس على الحكومة الفرنسية في باريس في الوقت الذي كان يعمل على قمع الحركة الوطنية في المغرب، ولقد بسط القول في ذلك بتفاصيل مثيرة في كتاب ألّفه في الموضوع تحت عنوان *جمهورية من أجل ملك* أصدره سنة 1974 وهو بمثابة وثيقة لا غنى عنها، يذكر في صفحاتها ما كان له ولصديقه رئيس الحكومة الفرنسية آنذاك إدگار فور من المواقف لانتزاع مصير المغرب من براثين "اللوبي" الاستعماري. ومما جاء فيه : "منح الاستقلال في نظرنا كان يعني إعادة الكرامة للأمة المغربية والمسؤولية للشعب المغربي عن مصيره. وهل من سبيل إلى الشك في أننا بلغنا الهدف بعد المظاهرات المنقطعة النظير التي استقبل بها ابن يوسف لدى عودته إلى وطنه، ثم بعد سنوات قليلة من ذلك لدى وفاته المفاجئة التي تلقاها الشعب وكأنها كارثة وطنية ؟ ألم يكن محمد بن يوسف قد صنع الوحدة الوطنية لأول مرة مما جعل حداً على ما يبدو للبنيات الفيودالية التي كانت أساس لحام هذا البلد [...] وكان هذا العاهل يشخص شعبه بما وقع حوله من الإجماع، وأنه أدخل المغرب في مسلسل المؤسسات الديمقراطية بعد أن أقام مجلساً وطنياً".

P. July, *Une république pour un Roi*, Paris, 1974 ; B. Yvert, *Dictionnaire des Ministres, 1789 - 1989*, Paris, 1990.

إبراهيم بوطالب

**جولي فيردينان** F. Joly مغامر وملبّس فرنسي تسمّى بـ"الأمير" عبد الله بن علي. وكان قد فر من اللفيف الأجنبي بالجيش الفرنسي بالجزائر، وجاء إلى المغرب سنة 1879 زاعماً أنه شقيق السلطان مولاي الحسن، وأنه كان مسجوناً عند الماريشال بوجو بعد أن اختطف في صغره، أي منذ معركة إسلي سنة 1844، وكان بذلك يريد المطالبة لنفسه بحقه في العرش، أو أن يعترف السلطان على الأقل بأنه أخوه. لكن عبد الله بن علي (أو ابن عالي كما كتبته بعض المصادر) ما كان إلا أميراً مزوراً. فهو فرنسي الجنسية صدرت عليه أحكام من القضاء الفرنسي مرات متعددة. وكان يزعم أنه أنجليزي ومن رجال الصناعة. وكان إلى هذا وذاك عميلاً للحكومة الألمانية. وقد ألقي عليه القبض سنة 1879 وظل معتقلاً حتى مات بسجن طنجة. وكانت له علاقة أيضاً بمغامر نمساوي تسمى بالحاج عبد الكريم باي واسمه الحقيقي گايلينغ Gayling.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، 4 : 1527.

F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, p. 89 ; J. Caillé, *La petite histoire du Maroc*, p. 109 ; J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome III, p. 481 et tome IV p. 172.

مصطفى بوشعراء

**جوليان، شارل أندري**، Charles-André Julien مؤرخ وسياسي فرنسي من أنبل من تخرج من مدرسة المؤرخين الفرنسيين في هذا القرن، اختص بتاريخ الاستعمار لايقف عند جمع المعلومات ونشرها في الكتب، ولكن ليصدع بما كانت الدعاية الاستعمارية تروجه من الأكاذيب أو تسكت عليه من الحقائق، فكان من المناضلين ضد الاستعمار منذ شبابه وامتد به العمر حتى رأى الأمم المغلوبة على أمرها تعود إلى الاستقلال الواحدة تلو الأخرى.

وُلد في شتنبر سنة 1891 في مدينة كان (Caen) من أسرة بروطسطانتية من جنوب شرق فرنسا متفتحة تقدمية حيث كان والده من أصدقاء الزعيم الاشتراكي الفرنسي جان جوريس (J. Jaurès) فلقد تعرف عليه منذ 1897 وهو في السادسة من عمره وأقنعه والده سنة 1898 ببراءة الضابط ألفريد دريفوس (A. Dreyfus) الذي أثارت محاكمته لخيانة

لم يقترفها ضجة كبرى، وقام سنة 1904 بتوزيع المناشير على العمال ضد شرب الكحوليات، ثم سنة 1906 حدث أول تحول حاسم في حياته حيث عُيِّن والده أستاذاً للتعليم في بعض ثانويات وهران، فكان أول اتصال له بالمغرب العربي وبداية تجنده ضد جور الاستعمار وتشوفاته لاحتلال المغرب الأقصى. ومما صدمه يومئذ وجود تلميذ جزائري مسلم واحد في ثانوية كانت تضم ألف تلميذ، ولشدة ما كان من صدمته أنه كتب مقالا دفاعاً عن اللغة العربية لكن الصحافة المحلية رفضت نشره.

ثم إن والد شارل أندري جوليان توفي فجأة فوجد نفسه مجبراً على كسب عيشه لإتمام دراسته، فاشتغل بالصحافة واشتد نضاله النقابي لفضح مساوئ الاستعمار، فمن أقواله في هذا الصدد : "لا أعدى لي من الامتيازات، والذي حولني إلى مناضل ضد الاستعمار هو بالضبط أن الاستعمار قائم على الامتياز، وهذا الامتياز لايعتبر تفوقاً جماعياً للبلد المتقدم على البلد الذي يستعمره، ولكنه أيضاً امتياز للأفراد، فإن آخر صعلوك يطأ أرض المغرب ينظر إلى العربي وإن كان من المثقفين على أنه من الهمج بالقياس معه"

انخرط جوليان في الحزب الاشتراكي سنة 1910، وانتخب رئيس رابطة حقوق الإنسان في الجزائر وتونس، ثم انتخب مستشاراً في بلدية وهران، فكان أول مستشار اشتراكي ينتخب في الجزائر المحتلة مما جعله عرضة لنقمة الأوساط الاستعمارية، سيما بعد أن عينه ليون بلوم (Léon Blum) زعيم الحزب الاشتراكي مفوضاً للدعاية الحزبية في افريقيا الشمالية، ثم إنه لما انشق الحزب إلى اشتراكيين وشيوعيين سنة 1920 مال مع التيار الشيوعي، فزار الاتحاد السوفياتي والتقى بكبار زعمائه مثل لينين وطروطسكي، وتجول في أقطار آسيا الوسطى المسلمة التي كان الجيش الأحمر يمارس فيها ضغوطاً استعمارية صارخة ممّا لم يكن أندري جوليان ليسكت عليه، فلما عاد إلى فرنسا وأراد أن يصدع بحقيقة ما رأى حال قادة الحزب الشيوعي الفرنسي بينه وبين ذلك، فانقطع عنهم وقال : "لقد جعلت قاعدة حياتي الكفاح ضد الاستعمار والكفاح ضد الكذب المنظم".

وفي سنة 1923 استقر نهائياً في باريس واشتغل بالتدريس في عدة ثانويات هنالك دون أن يكف عن النضال ضمن الهيئات المناوئة للفاشستية وعن الكتابة الملتزمة في الصحف اليسارية وعن البحث العلمي الذي تكلل سنة 1931 بصدور أول كبريات مؤلفاته، وهو كتاب *تاريخ إفريقيا الشمالية منذ الأصول إلى سنة 1830*، ثم إنه جدد انخراطه في الحزب الاشتراكي سنة 1934 مما جعل زعيمه ليون بلوم، يوم انتخب رئيساً للحكومة ضمن الجبهة الشعبية في ربيع 1936، يسند إليه كتابة جلسات اللجنة العليا لشؤون البحر المتوسط، وهي الهيئة التي كان موكلا بها شؤون المستعمرات الفرنسية المطلة على ذلك البحر، وقد كان من أعمال تلك اللجنة إعداد مشروعي استقلال سوريا ولبنان، والإصغاء إلى مطالب الوطنيين المغاربيين. ومعلوم أن كل ذلك انتهى إلى الباب المسدود، وقال جوليان عن تلك التجربة : "إنها تجربة حاسمة علمتني أن رئيس الحكومة مهما كان من حسن إرادته فإنه لاطاقة له بتحالف قوات الرجعية الاستعمارية". ولم يغادر ذلك المنصب إلا سنة 1938.

ولما كانت الهزيمة على فرنسا، في الحرب العالمية الثانية، انضم إلى صفوف المقاومة إلى حدود 1944، وفي تلك السنة اقترح اسمه ليكون نائب كاتب الدولة في وزارة الخارجية مكلفاً بشؤون شمال إفريقيا في حكومة فرنسا الحرة، إلا أن وزير الخارجية يومئذ وهو جورج بيدو (G. Bidault) ما كان يستعين بمن كان يتفهم المطالب الوطنية للأمم المستعمرة، ولذلك أصبح التدريس مهمته الكبرى سواء في السوربون أو في بعض المدارس العليا كالمدرسة الوطنية للإدارة ومعهد الدراسات السياسية والمدرسة العليا للإدارة الاستعمارية، فاشتدت صلاته بالشباب المغاربي الذي تخرج جماعة منهم على يديه فكان يأخذ بيدهم ويرشدهم. وهكذا أعلن مساندته لبيان المطالبة باستقلال المغرب في مارس 1946، وكان ذلك بايعاز من المرحوم عبد الرحيم بوعبيد، كما أنه تدخل لدى المقيم العام إيريك لابون (Eirik Labonne) لإطلاق سراح الزعيمين علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني المعتقلين منذ 1937، وفي سنة 1947 انتخب ممثلاً للحزب الاشتراكي في مجلس الاتحاد الفرنسي المنشأ بمقتضى دستور الجمهورية الرابعة، مما مكنه من زيارة العديد من المستعمرات ومن فهم أسباب الاستغلال والاضطهاد فيها، وأنه بعد زيارة المغرب سنة 1952 حاول إثارة انتباه رئيس الجمهورية فانسان أوريول (Vincent Auriol) إلى المؤامرة التي كانت تحاك ضد العرش المغربي وكان قد كتب في ظرف وجيز أواخر 1951 كتابه الذي كان له بالغ الوقع على مصير المغرب العربي، وعنوانه *افريقيا الشمالية تتحرك*، ولذلك قال عنه الملك محمد الخامس بعد عودته إلى عرشه سنة 1955 : "إنه الصديق الفرنسي الذي طالما عمل من أجل تحرير المغرب" وجزاء له على ذلك وثقة به أسند إليه أمر تأسيس أول كلية آداب عصرية في المغرب فكان عميداً لها من سنة 1957 إلى 1961.

ثم عاد إلى وطنه وسنه تجاوز السبعين، لكن حيويته المتميزة وطاقاته العلمية كانت مازالت غزيرة نضّاخة، فألف في العقدين الأخيرين من حياته كتباً قيمة منها *تاريخ الجزائر المعاصره : الغزو ومنطلقات الاستعمار (1827 - 1871)* وذلك سنة 1964، كما ألف كتاباً عن المغرب بعنوان *المغرب أمام الأمبرياليات 1415 - 1956* وذلك سنة 1978، ووضع كتاباً عن تونس بعنوان *كيف حصلت تونس على الاستقلال* وذلك سنة 1985، وكان في ذات الوقت يشرف على السلسلة الموفقة عن "الأفارقة" وهي ترجمات متسلسلة لبعض كبار وجوه تاريخ القارة، هذا وكان قد سبق له أن

نشر دراسات مقتضبة في سلسلة *Que sais-je* الشهيرة منها *تاريخ إفريقيا* ثم *تاريخ إفريقيا البيضاء*. ومن مؤلفاته المرموقة *تاريخ توسع الاستعمار الفرنسي والرحلات الاستكشافية والمؤسسات الأولى في القرنين الخامس والسادس عشر*، وذلك سنة 1948، وكتاب بالمشاركة مع آخرين بعنوان *بناة فرنسا ما وراء البحار*، سنة 1946 ضمنه نبذة عن حياة بعض أولئك الرواد مثل شامبلان (Champlain) فاتح الكاندا ودوبليكس (Dupleix) فاتح الهند، وبوجو (Bugeaud) فاتح الجزائر، وفيدرب (Faidherbe) فاتح السنيغال، وفيري (Ferry) الوزير المنظر للتوسع الاستعماري، وگالييني (Galliéni) فاتح الطونكين ومدغشقر، وليوطي فاتح المغرب.

توفي شارل أندري جوليان في صيف سنة 1991 عن سن تناهز مائة سنة.

Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1931 ; *Histoire de l'Afrique*, Paris, 1941 ; *Histoire de l'Océanie*, Paris, 1942 ; *Histoire de l'expansion et de la colonisation française. Les voyages de découverte et les premiers établissements (XV-XVI s.)*, Paris, 1948; *L'Afrique du Nord en marche. Nationalismes musulmans et souveraineté française*. Paris, 1952 ; *Histoire de l'Algérie contemporaine. La conquête et les débuts de la colonisation (1827 - 1871)*, Paris, 1964 ; *Histoire de l'Afrique blanche*, Paris, 1966 ; *Le Maroc face aux impérialismes 1415 - 1956*, Paris, 1978.

إبراهيم بوطالب

**جونز، هـ . إ.** H.E. Jones، منصِّر أنجليزي من هيأة "نورث أفريكا ميشن : North Africa Mission استوطن الدار البيضاء من سنة 1872 إلى سنة 1900. وله تقارير عن المغرب ظهرت بجريدة "نورث أفريكا" North Africa الأنجليزية الأسبوعية بإنجلترا.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 4 : 1411.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome I, p. 125.

**جونسطن، ر ل ن** R.L.N. Johnston كان نائباً قنصلياً لإنجلترا بالصويرة من سنة 1885 إلى سنة 1900. وهو من مواليد أنجلترا، وبقي مقيماً بالصويرة حتى أدركته الوفاة بها سنة 1918. كان يحترف التجارة والإقراض، لأنه فتح بالمدينة فرعاً للبنك الإنجليزي المصري سنة 1890. كان يكتب مقالات عن المغرب بمعرفته بعوائد أهله وأحواله السياسية والتجارية، وكان يوقعها تارة بمفرده تحت اسم مستعار هو م. مورتمر Magdes Mortimer، وكان يكتب تارة أخرى باشتراك مع مواطنه ج كُووَن G. Cowan الذي أقام بالصويرة طيلة خمس وعشرين سنة كتب خلالها *تأليفاً عن الجنوب المغربي*.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 3 : 1078 و1084.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome I, p. 94 et 125, et Tome IV, p. 260.

مصطفى بوشعراء

ابن **الجوهر، أبو بكر** اللمتوني أحد كبار قواد الجيش في العصر المرابطي الأخير، خاصة في مرحلة المواجهة بين المرابطين والموحدين، فقد ظهر دوره جليا في هذا الصراع، حيث إن أول ذكر له في المصادر يقترن بمشاركته على رأس عسكر هسكورة في معركة البحيرة ضد الموحدين سنة 524 / 1129، وكان قد وصل إلى مدينة مراكش على رأس جيشه لتعزيز موقف المرابطين تجاه مهاجميهم، وكان ابن الجوهر قائداً لحصن "واشبور متاع هسكورة" (*أخبار المهدي*، 100).

ومع اشتداد الصراع بين الطرفين وسيطرة الموحدين على مناطق جبل درن وخضوع قبائله لهم بعد الانتصارات المتتالية التي حققوها بعد وفاة ابن تومرت، وانتقال الصراع إلى منطقة الشمال والشمال الشرقي، فإن البيذق يشير من جديد إلى وجود ابن الجوهر قائداً عسكرياً بتلمسان إلى جانب عاملها اللمتوني محمد بن يحيى ابن فانو. وعندما أرسل عبد المومن بن علي قائده يوسف ابن وانودين بعسكر لمهاجمة مديونة قرب تلمسان، اندفع الجيش المرابطي للقتال بقيادة ابن الجوهر وابن فانو، لكنهما قتلا معا بمنطقة وادي الزيتون قرب تلمسان سنة 537 / 1142 على يد ابن وانودين.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي، بيروت، 1990 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب (قسم الموحدين)* الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن الاثير، *الكامل في التاريخ* (ج 8) بيروت، 1978 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* (ج 6) بيروت، 1956 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* (ج 2) الدار البيضاء، 1956 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*، القاهرة، 1964.

محمد المغراوي

**جوهر الدار**، أو الياسمين البري، هو يَاسْمِينُوم فْرُوتِيكَانْسْ Jasminum fruticans الذي ينتمي إلى فصيلة الزيتونيات Oleaceae وهو شجيرة قصيرة القامة لايتعدى علوها مترين، مستقيمة لكنها في بعض الحالات تستند إلى نباتات أخرى. جذورها مُشَكَّرة. وأغصانها خضراء عديمة الزغب ولها ضلوع شبه مجنحة. أوراقها غير متقابلة، معنقة نفضية، لامعة الوجهين، مقسمة إلى ثلاث

جوهر الدار

وريقات. أزهارها مجتمعة من اثنين إلى أربعة على أطراف الأغصان. تويجاتها صفراء، في شكل قمع ذي أنبوب طويل. ثمارها صغيرة الحجم عنبية وكروية الشكل، ذات لون أسود عند نضجها في فصل الصيف. جوهر الدار نبات طبيعي يوجد بحوض البحر المتوسط، ويصادف بالمغرب في جميع المناطق ماعدا الصحراوية والجافة منها والجبال العالية. يجاوز الأحراج والغابات التي تعيش في البيومناخات الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة، وفي الطوابق النباتية تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ والمتوسطي، أما من حيث التربة فإنه يفضل الأراضي الخصبة الغنية بالدبال. تستعمل سيقان جوهر الدار لصناعة أنابيب الغليون التقليدية.

*أبحاث خاصة.*

Metro et Sauvage, 955 - *Flore des végétaux ligneux de la Mamora. La nature du Maroc. Soc. des Sc. Nat. et phys. du Maroc.*

عبد المالك بنعبيد

**الجواري، محماد** بن مخمد مقاوم، ولد سنة 1347 / 1928 بفرخانة بالريف، عمل في صفوف المقاومة السرية وشارك في عدة أعمال فدائية، وكان وراء تحطيم طاحونة معمل المناجم بالريف وتخريب حوض وآلات ميكانيكية والقيام بعدة عمليات اغتيالية. كما كان يمد جيش التحرير بالقنابل التي يصنعها بنفسه.

توفي سنة 1956 بعد انفجار قنبلة كان يعدها.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 3 : 89.

**جُوان**، أسرة باعمرانية كبيرة تنتسب إلى جدها الحسين جُوان (ت. 1359 / 1940) الذي كوّن لنفسه مركزاً قوياً في القبيلة بمساعدة أبنائه الأربعة مبارك ومحمد والبشير والطاهر، ومازالت أسرة جُوان موجودة حتى اليوم، وقد لعب بعض أفرادها دوراً مهماً في جيش التحرير، ومنهم قواد وتجّار في الخارج.

**جُوان، الحسين** الباعمراني الخلفي رأس أسرة جُوان ولد عام 1249 / 1833 بأيت باعمران، واشتهر بالفلاحة والصيد البري، وخاصة الوعول والغزلان، وينتمي إلى فخذة إدْ عَلي من قبيلة أيت إخْلف، ورغم أن الرواية الشفوية ترجع أصله إلى قرية تامصلوحت خارج أيت باعمران، فإن الرجل استطاع أن يكوّن لنفسه مكانة بين قبيلته، مادياً ومعنوياً، ومات عن سن عالية (مائة وسبع سنوات).

**جُوان، مبارك** بن الحسين الباعمراني الخلفي، ثقافته لا تتجاوز حفظ القرآن، لكنه كان ذكياً طموحاً، فاشتغل في البداية بالفلاحة وكسب الماشية وتجارة القوافل في بداية القرن العشرين، وخاصة لما توفي الشيخ محمد بن مبارك بُوزاليمْ، فكان جُوان هذا يرسل جماله إلى مدينة تيزنيت يتاجر في مادة السكر والشاي والسلع الأخرى، وكانت فرنسا تشجع تجار أيْت باعمران، حيث تبيعُ لهم بأثمان رخيصة، قصد ربط العلاقة بين شمال المغرب وجنوبه، خوفاً من أطماع ألمانيا التي ظهرت في أيت باعمران حينئذاك.

وفي هذه الظروف نمت تجارة جُوان مبارك، وبسرعة أصبح من أغنياء البلد، فكوّن لنفسه هالة بفضل كرمه، وصارت داره دار ضيافة بين رائح وغاد، وخاصة مابيّن سنوات 1920 و1930. وفي هذه الفترة كانت الأوضاع متدهورة في أيت باعمران، بسبب الجفاف من جهة، وطغيان ظاهرة السِّيبة من جهة أخرى، وحدث أن ضعفت عائلة بني الشيخ همّو محل قيادة القبيلة بسبب استشهاد القائد محند ضد الجنرال دولاموط سنة 1917 وقُتل أخوه الشيخ الحسن والشيخ مبارك بن القائد أحمد من نفس العائلة بالسّم، فظهر فراغ سياسي بالنسبة لقيادة قبيلة أيْت اخلف.

وهنا برزت أسرٌ لسد هذا الفراغ منها أسرة جُوان هذا، لكن عارضتها عائلة الضِّلْعيِّين الخلفية بزعامة عيسى بن عثمان، فتسبّب هذان الشخصان في تقسيم القبيلة إلى قسمين، وبدأت المناوشات والاغتيالات بين الطرفين، والحق أن اليد الأجنبية لم تكن بعيدة عن تحريك تلك الفتن، والهدف هو إضعاف تلك الجهات التي وقفت أمام حملة الباشا حيدا ابن مّايْس، وكذلك حملة الجنرال دولاموط، وإذا كانت فرنسا تمد أصحابها بالمال من تيزنيت، فإن مطامع اسبانيا ظهرت كذلك في أيت باعمران إلى أن رجحت كفة هذه الأخيرة حسب تقسيم النفوذ الاستعماري. ولما خرجت إسبانيا من سيدي افني حسب اتفاقية ثلاثاء الاخصاص سنة 1934 اجتمع رأي القبيلة من جديد على الشيخ عبد الكريم الخلفي فوقع باسم أيت اخلف وثيقة ثلاثاء الاخصاص، كامغار للقبيلة إلى جانب أعيان أيت باعمران مثل القائد أحمد أصْبَايْو ... كما عين مبارك جُوانْ أنْفْلُوساً علي فخذة - إدْ عْلي - من أيت اخلف فكان

الشيخ مبارك جوان (الثالث على اليسار)

يشارك في مجلس الحكم الذي يترأسه الضابط الاسباني بتيْغزي كل يوم خميس.

كتب مبارك جُوَّان هذا كناشة سجل فيها إحصاء ربع قبيلة أيْت اخْلُف، وخاصة الولادات والوفيات والذكور والاناث والمهاجرين والعسكريين.

وفي دار أنفلوس جُوَّان هذا نزل الجنرال كابّاصْ عندما قام لأول مرة بوضع الحدود بين إسبانيا وفرنسا صحبة أعيان أيت باعمران إلا أن الجَوَّ بين هؤلاء الأعيان وهذا الضابط كان مُكْفَهِراً، وخاصة عندما تنازل كبّاص لفرنسا عن جزء مهم من قبيلة أيت بوبكر في الساحل، وكان النقاش حول ذلك سيثار معه في دار جُوَّان هذا، فإذا ببرقية مستعجلة ترد عليه من مدينة سيدي إفني فغادر منزل جُوَّان، وصارت مسألة الحدود تتقادم بتمكن الاستعمار وتقويته، وتوفي مبارك جُوَّان عن سن عالية في سنة 1377 / ماي 1957، لكن عائلته مازالت مستمرة، فمنهم من لعب دوراً هاماً، في جيش التحرير، ومنهم القادة ومنهم تجار في الخارج.

*مذكرة عند عائلة جُوَّان* ؛ الحسين الجهادي، *جانب من تاريخ ايت باعمران*، مخطوط ؛ *رواية شفوية عن الشيخ عبد الكريم* الذي عايش الأحداث.

الحسين الجهادي

**الجويزي، قاسم** بن أحمد الملقب حسام الدين، أديب عالم رحال، أخذ بفاس عن أحمد المنجور وأحمد الزموري وأحمد بن القاضي والحميدي، ثم رحل إلى المشرق ودخل تركيا والشام والحرمين وتوفي غريقاً بقرب ساحل جدة سنة 1001 / 1592.

م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، 1 : 294.

محمد ماكامان

**جياني**، أسرة يهودية تنتمي لمدينة صفرو عُرف أعضاؤها بوظائف حاخامات وقضاة (ديانيم) في القرنين التاسع عشر والعشرين. منهم، راحاميم جياني : حاخام صفرو، توفي سنة 1891. تاركا وراءه تأليفا سماه *وياكيد لأبراهام* (وقال لإبراهيم) الذي أنجزه بمعية صديقه أبراهام حليمي. ومن بين حاخامات صفرو جياني شلومون أبنير وصموئيل. هذا الأخير الذي عاش طويلا بمدينة تونس قبل أن يعود إلى مسقط رأسه صفرو. ترك عدة مقيدات (قرارات شرعية يهودية تشكل جزءاً من مجموعة كتابات يوسف بن النعيم).

Benaim Josef, *Malkhe Rabbanam*, Folio, 105.

سيمون ليڤي

**ابن جياني**، علال، مقاوم من مواليد سنة 1934 بالساقية الحمراء. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 وعمل من أفراد فرقة المقاطعة الثامنة تحت مسؤولية المناضل الهاشمي بمركز الروضة الساقية الحمراء، شارك في عدة معارك ضد قوات الاحتلال قبل أن يستشهد في إحدى المعارك سيدي أحمد العروسي بالساقية الحمراء.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 2 : 117.

**الجياف** (باب -) بتطوان، يقع بالواجهة الشمالية لسور المدينة القديمة، حيث فتحت الباب مباشرة على مقبرتها الشمالية الشرقية. أعطي هذا الباب ثلاثة أسماء : باب الجياف، وباب الفونسو الثالث عشر، وباب السفلي. يعتبر هذا الأخير اسماً خاطئاً سمي به الباب مؤخراً إذ باب السفلي كان داخل المدينة في اتجاه شمالها الغربي. وارتبط الاسم الثاني بفترة احتلال اسبانيا لمدينة تطوان سنة 1860. أما اسم "باب الجياف" فهو الاسم المعروف به في السابق والآن. فسر أصل اسم "الجياف" من خلال الروايات الاتية :

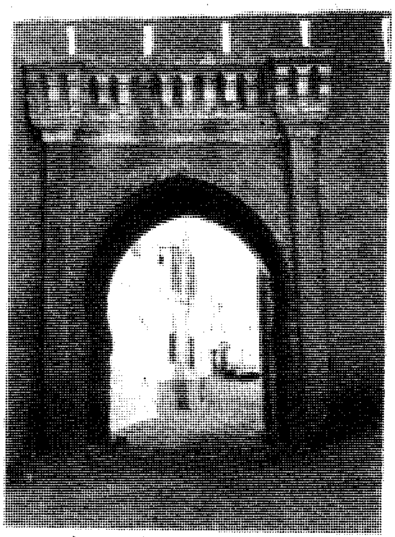

- تعرضت مدينة تطوان وقائدها عبد الرحمان عشعاش في عهد المولى عبد العزيز بن الحسن إلى هجوم بعض القبائل الريفية التي حاصرتها أكثر من ستة أشهر، كان الانتصار بعدها للتطوانيين الذين قاموا بذبح عدد من المحاصرين وألقوا بجثثهم أمام الباب : تركت بعد مدة روائح كريهة نتنة فسميت لذلك باب الجياف.
- تحكى الرواية الثانية نفس سياق الأحداث، وتختلف عن الأولى في ترك الريفيين موتاهم من المحاصرين أمام الباب ولانتشار رائحة الجثث أُطلق عليها "باب الجياف".
- تفسر الرواية الثالثة أصل الاسم بارتباطه بالباب المستعمل من طرف اليهود للخروج بجنائزهم إلى مقبرتهم جنوب شرق القصبة.

وهناك معطى آخر لابد من إضافته هنا ويتعلق بالتحريات الأثرية التي قمنا بها حول مدينة تطوان سنة 1981 - 1982، ومنها متابعة أشغال بناء مؤسسة اجتماعية تابعة لجمعية حنان في غشت 1982. فقد تبيّن فعلاً أن

الفرشات الأثرية أمام هذا الباب تتكون من فرشة عالية من الأزبال - كما أشارت إلى ذلك في سنة 1905، وأسفلها فرشة تزيد عن 70 سم في ارتفاعها تتضمن هياكل عظمية بشرية لا تخضع لشروط عمليات الدفن، نظراً لتراكم الهياكل بعضها فوق بعض وأخذ جماجمها اتجاهات مختلفة.

ارتبط تأسيس باب الجياف بتوسيع المدينة خلال منتصف القرن الحادي عشر (17 م) وفتحت الباب - وباب السعيدة أيضاً - في السور المضاف من باب العقلة إلى باب الجياف (محمد داود، *تطوان*، 1 : 102 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *التطور الطبوغرافي*، 101).

يقدم تصميم الباب شكلاً مربعاً تقريباً (3 م × 2،80 م) ولا تشغل مساحة المربع عناصر معمارية أخرى. ومادة بناء الباب من الحجارة المكسوة بملاط من التراب المبلل وقليل من الجير. جدد إطار فتحتي العقدين الداخلي والخارجي بالآجر بتقنية "النائم" إلى حدود بداية انطلاقهما واتكائهما على الأرجل. وشكل العقدين من النوع البيضاوي الشكل مع تجاوز خفيف في خط تقوسهما.

تُعتبر الواجهة الخارجية المشرفة على المقبرة أهم ميزة معمارية تذكر في وصف الباب، فهي واجهة يتقدمها عمودان يحصران بينهما فتحة العقد ويحملان إطاراً زخرفياً أكثر بروزاً منهما في إشرافه على الباب. والزخرف عبارة عن تناوب بين تجويف مقعر ونتوء محدب. يبدو أن هذا الإطار كان قاعدة لشرفة منحدرة نحو الخارج مكسوة، ربما بالقرميد مثل سائر الشرفات التي تعلو الأبواب.

وكما سبقت الإشارة أعلاه، فإن التحريات الأثرية أمام الباب وخارج السور أسفرت فرشاتها الأثرية عن النتائج الآتية :

- على مستوى بقايا البنيات الأثرية الثابتة مكانها. فقد كشف الحفر عن سور يصل سمكه إلى 1،60 م، لم نتمكن من معرفة طوله تحت أكوام الأتربة وأسفل القدم الغربي لباب الجياف، ويأخذ اتجاهه اتجاهاً معاكساً لاتجاه سور واجهة المسورة الحالية أي ش ج بدل شرش. ش غ. ومواد بنائه من الحجارة المتوسطة يربط بينها الجير بنسبة عالية والتراب. وقد تعرض هذا السور لتصدع طبيعي - خط انكسار - تعمق نحو أساسه.

- على مستوى البقايا الأثرية المتنقلة : إنّ أهم اللقى أمام باب الجياف هو العدد الكثير للغلايين الفخارية - أكثر من 28 وحدة - ، لم نقم بعد ببحث تاريخي عن تاريخ التدخين أو الدخان بالمغرب، ولكن الإشارة إلى وجود هذه الغلايين شمال بقايا السور المشار إليه، يفيد كثيراً في إعادة النظر في تطور مدينة تطوان وفي علاقتها بإنتاج الغلايين الفخارية : بعض الغلايين المستعملة بها آثار الدخان والبعض الآخر مكسور وليس به أثر الاستعمال.

وجدت هذه الغلايين بالفرشة الثالثة، بعد فرشة الأزبال وفرشة الهياكل العظمية. وتربة هذه الفرشة ذات لون رمادي، ربما هو تعبير عن مكان أفرنة، كما وجدت بنفس الفرشة مواد فخارية أخرى.


م. داود، *تاريخ تطوان*، 1957، الملجد الأول ؛ م. ابن عزوز حكيم، *التطور الطبوغرافي لمدينة تطوان*، مجلة تطوان، العدد 4. 5 مارس 1993.

Ahmad R'Honi, *Historia de Tetuan*, Traducida por M. Ibn Azzuz Haquim, Tétuan 1953 ; M.A. Joly, *Tétouan*, *A.M.*, volume IV, n° II - II, Juil.-Août 1905, Paris, 1905.


أحمد أشعبان

**الجيتوليون** أو الجيتول أو الگيتول Gaetuli، اسم لعدة تجمعات قبلية في التاريخ القديم، شغلت نطاقاً جغرافياً واسعاً من الشمال الإفريقي، يمتد من المحيط الأطلسي إلي خليجي السيرت.

نستقي معلوماتنا عن هذه العناصر البشرية الإفريقية من بعض المصادر الإغريقية واللاتينية التي مكنتنا من التعرف عليهم في مدى زمني يتراوح بين القرن الثاني قبل الميلاد والخامس الميلادي. بيد أن هذه المعلومات غير كافية للإحاطة بكل المسألة المطروحة حول هؤلاء الأقوام، شأنهم في ذلك شأن كل قضايا التاريخ القديم بشمال إفريقيا، التي لا نتوفر حولها إلا على معلومات متناثرة في المصادر القديمة لكتاب غير أفارقه. ومع ذلك فقد أمكن رسم الإطار الجغرافي الذي شغله الجيتوليون، ورصد دورهم السياسي والعسكري خلال التدخل الروماني بشمال إفريقيا.

أفادنا المؤرخ الروماني سالوست في تكوين صورة عن مواطن الجيتوليين ودورهم العسكري، في نصرة الملك النوميدي يوغرطة وهو يحارب الرومان الذين تدخلوا في نوميدية للقضاء عليه. ففي الكتاب الذي سماه المؤرخ حرب *يوغرطة* *Bellum Jugurthinum*، أفرد في المقدمة مدخلاً للتعريف بجغرافية افريقيا وسكانها حيث قال : "سكان افريقيا الأولون الجيتوليون والليبيون، وهم قوم غلاظ متوحشون يقتاتون بلحوم الحيوانات المتوحشة وبنبات المراعي كما تفعل القطعان. لم تحكمهم عادة ولاقانون ولا رئيس، يهيمون علي وجوههم مشتتين، ولايقفون إلا حيث يداهمهم الليل" (الفصل 18).

أضاف الكاتب إشارة للتمييز بين الليبيين والجيتوليين قائلاً : كانت مساكن الليبيين أقرب إلي بحر افريقيا، بينما كانت مساكن الجيتوليون أقرب إلى الشمس غير بعيد عن المنطقة الحارة". ثم قال : "إن الليبيين كانوا أقل حباً للحرب من الجيتوليين" (الفصل 18).

وأخيراً أوضح الكاتب مايلي : "يوجد، على ما يقال، بداخل نوميدية الجيتوليون الذين يعيش بعضهم في الأكواخ وبعضهم الآخر رُحل وهم أكثر همجية. وأخيراً يوجد خلف

هؤلاء الاثيوبيون أصحاب المناطق التي تلفحها الشمس" (الفصل 19).

وذكر الكاتب الجيتوليين أثناء الحديث عن أطوار الحرب التي خاضها الملك يوغرطة ضد الرومان في مملكته بنوميدية، وهي حرب استمرت من 111 إلى 102 ق.م، وأطلعنا على دورهم في هذه الحرب منذ سنة 108 ق.م، حيث قام ميتلوس، قائد القوات الرومانية، بهجوم على جنوب شرق نوميدية، حيث تقع مدينة تهالة. وفي هذا السياق أورد سالوست ما يلي : "تأكد يوغرطة منذ أن أضاع تهالة أن لاشيء يمكن أن يقف في وجه ميتلوس. فذهب مع بعض رجاله مخترقاً صحاري عظيمة حتى وصل عند الجيتوليين، وهم قبائل همجية بربار، كانت لاتزال تجهل حتى اسم الرومان، فجمع هذه الكثرة من الناس، وعودهم شيئاً فشيئاً أن يقفوا مصطفين، وأن يتبعوا الأعلام وأن يحافظوا على النظام. وباختصار عودهم على جميع ما تفرضه المهنة العسكرية" (الفصل 80).

فمن خلال سالوست، يتضح أن قسما من قبائل الجيتوليين، كانت مواطنهم تقع جنوب شرق نوميدية (الجزائر الحالية) بالمناطق المتصلة بالصحراء، وأن نمطهم في العيش يغلب عليه التنقل وتربية المواشي. ومن الناحية السياسية فأغلب الظن أنهم كانوا رعايا الملك النوميدي يوغرطة. الأمر الذي مكنه من تعبئتهم في ظروف المقاومة ضد الرومان، في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد.

ونتابع مع الجغرافي سترابون المعاصر لسالوست في النصف الثاني من القرن الأخير قبل الميلاد، وامتدت حياته إلى النصف الأول من القرن الميلادي الأول، تلمس النطاق الجغرافي المتضمن لمواطن الجيتوليين، وذلك على مدى واسع، بين جنوب موريطانية (المغرب القديم) وناحية خليجي السيرت.

ففي حديث الكاتب عن جغرافية موروسية، وهي موريطانية، يقول : "هناك سلاسل جبلية تخترق موروسية انطلاقاً من رأس كوطيس (وهو رأس سبارطيل)، وتمتد هذه الجبال حتى خليجي السيرت. فبينما يستوطن الموروسيون المناطق الغربية من هذه الجبال، فإن الجيتوليين ينتشرون في المناطق الداخلية منها (أي الشرقية)" ثم يصف الكاتب هذه العناصر بقوله : "إن الجيتوليين هم أقوى الشعوب الليبية" (Strabon, 17, 3, 2).

وفي حديث الكاتب عن بلاد الماسيسوليين، الذين أقاموا مملكتهم في القسم الغربي من نوميدية، بين رأس تريتون شرقاً ونهر ملوية غرباً، وهو النهر الذي يفصل مملكتهم عن مملكة الموريين، أشار الكاتب إلى مواطن الجيتوليين على أنها بعيدة عن النطاق الساحلي، مناطق جبلية وقاحلة، تتخللها بعض الأراضي الصالحة للزراعة، يستغلها الجيتوليون (Strabon, 17, 3, 9).

وفي المقدمة العامة التي خصصها الكاتب لمؤلفه الجغرافي، قدم تعريفاً موجزاً عن القارات الثلاث المعروفة في القديم، وهي أوروبا وآسيا وليبيا (أي إفريقيا)، نجد عند هذا الكاتب نفس الصورة التي تحدث عنها سالوست، في توزيع العناصر البشرية الإفريقية من الجنوب إلى الشمال. وهكذا وضع سترابون الإثيوبيين في أقصى جنوب القارة الإفريقية، وشمالهم وطن الجيتوليين، ثم شمالهم في النطاق المتوسطي ذكر النوميديين في القسم الشرقي من هذا النطاق، والموريين في القسم الغربي المتصل بالمحيط الأطلسي. غير أن سترابون أضاف توضيحاً عن الواجهة الشمالية الشرقية من النطاق المتوسطي. حيث ذكر مواطن بعض الأقوام بين مصر وقرطاجة حيث قال : "انطلاقاً من مصر نجد مواطن المارماريدين، التي تمتد حتى منطقة قورينة (التي استوطنها الإغريقيون في غرب ليبيا الحالية منذ القرن السادس (ق. م)، وبعدهم نجد البسوليين والناسمونيين، وبعدهم نجد فرقة أخرى من الجيتوليين، ثم نجد الاسبوستيين والبوزاكيين الذين تتصل مساكنهم بقرطاجة" (Strabon, 2, 5, 33).

وهنا نضيف إشارة الشاعر الروماني فرجليوس، الذي تحدث عن الجيتوليين في نواحي خليجي السيرت (Virgile, *Enéide*, 5, 192).

نتعرف بواسطة بومبونيوس ميلا وبلينيوس الشيخ على طوائف الجيتوليين في نواحي المحيط الأطلسي، جنوب موريطانية.

لقد وضع بومبونيوس ميلا كتاباً جغرافيا في النصف الأول من القرن الميلادي الأول، وفي وصفه لساحل المحيط الأطلسي من الجنوب إلى الشمال، ذكر الإثيوبيين في أقصى جنوب القارة الإفريقية، سيراً على نهج الكتاب السابقين. وشمال الاثيوبيين ذكر الفاروسيين والنكريتيين، الذين ذكرهم سترابون أيضاً جنوب غرب موريطانية. وبعد النكريتيين ذكر بومبونيوس ميلا الجيتوليين. نستفيد من هذا الكاتب أن الجيتوليين يعيشون حياة التنقل، يجوبون مناطق ليست قاحلة، بل تتوفر على المراعي والوديان، يكثر فيها المريف والأرجوان الذي تستخلص منه صباغة جيدة ذات شهرة كبيرة في كل البلدان (Pomponius Mela, 3, 104).

أما بلينيوس فقد ساهم في التعريف ببعض القبائل الجيتولية، وتحديد مواطنها جنوب غرب موريطانية، وذلك في كتابه الضخم الذي يدعى : *التاريخ الطبيعي* خاصة منه الجزء الخامس الذي خصصه لجغرافية افريقيا. والمعلوم أن الكاتب عاش خلال القرن الميلادي الأول، وتوفي سنة 79 للميلاد شهيد الفضول العلمي، مختنقاً بغازات بركان الفيزوف الذي انفجر في هذا التاريخ.

تأتي أهمية معلومات بلينيوس الشيخ من كونه عرّفنا عن الجيتوليين في المغرب القديم، ومن كونه استقى معلوماته من كتّاب سبقوه مثل بوليبيوس الذي قام برحلة

حول ساحل المحيط الأطلسي سنة 146 ق. م، بعد سقوط قرطاجة. وقد ضاع الكتاب الذي يتضمن هذه الرحلة، ولا نتوفر حولها إلا على ما جاء عند بلينيوس. كما استقى الكاتب معلومات جغرافية من خريطة أكّريبا التي وضعها للشمال الافريقي في عهد الامبراطور الروماني أو غسطس، ثم أخذ معلومات عن الملك يوبا الثاني الذي كان عالم عصره.

هكذا عرّفنا بلينيوس الشيخ على فرقة من الجيتوليين وهم الأوطولول Autololes أو Autoleles، على أن مجال نفوذهم ينحصر بين ميناء روسادير Rusaddir (نواحي أكادير) ونهر كوسينوم Quosenum، وهو واد تانسيفت حسب بعض الدارسين. ثم أوضح الكاتب أن الأوطولول ينتشرون في المناطق التي تخترقها الطريق الرابطة بين مدينة سلا وجبال الأطلس، مع الإشارة إلى أن مدينة سلا، التي تقع على الحدود الجنوبية لولاية موريطانية الطنجية، كانت تتعرض لهجوم الأوطولول (Pline L'Ancien, 5, 5 et 9).

وفي كتاب آخر تحدث الكاتب عن الأطولول على أن مواطنهم تتصل بالمحيط الأطلسي متقابلة مع الجزر الارجوانية التي كانت ضمن مجال نفوذ الملك يوبا الثاني (Pline L'Ancien, 6, 201).

وفي تتبع الكاتب لوصف ساحل المحيط الأطلسي أشار إلى فرقة من الجيتوليين في أعالي نهر درعة Darat، وجعل اسمهم مشتقاً من هذا النهر على الصيغة التالية Gaetulos Daras (Pline L'Ancien, 5, 10).

إلى جانب الأوطولول عرّفنا الكاتب على قبائل أخرى جيتولية تدعى البنيبور Baniurae (انظر هذا العلم في الجزء الخامس من *المعلمة*). لقد أوضح الكاتب أن الأوطولول والبنيبور انتقلوا من مواطنهم، وزحفوا شمالاً على مواطن المورين الذين أفنتهم حروب طاحنة لم يذكر تاريخها. وفي هذا السياق أشار الكاتب إلى أن فرقة جيتولية ثالثة تدعى النيسمي Nesimi، على أنها رافقت الأوطولول والبنيبور في هذا الزحف، لكنها تراجعت بعد ذلك، وفضلت العودة إلى الجنوب بجوار الإثيوبيين (Pline L'Ancien, 5, 17).

وفي الحديث عن جنوب شرق نوميدية، أوضح الكاتب أن نهر نكّريس Nigris (واد جدي عند البعض)، كان يفصل بين بلاد جيتولية والإثيوبيين (Pline L'Ancien, 5, 30). وفي خاتمة الكتاب الخامس حول إفريقيا أورد الكاتب إشارة حول مواطن الجيتوليين على أنها تقع في المناطق المتصلة بالصحراء (Pline L'Ancien, 5, 4, 3).

إشارات أخرى لبلينيوس الشيخ حول الجيتوليين ذكر فيها أن بلاد جيتولية تزخر صخورها بالمريق والأرجوان (Pline L'Ancien, 5, 12). ثم أضاف في كتاب آخر أن أرجوان جيتولية يعطي أجود صباغة على الإطلاق (Pline L'Ancien, 19, 127). وأخيراً أشار الكاتب إلى أن الجيتوليين كانوا يستخلصون الأعشاب الطبية التي تدعى بالأوفورب Euphorbe من جبال الأطلس (Pline L'Ancien, 25, 78 - 79).

في جغرافية بطوليمايوس، الذي ينتمي لمدينة الاسكندرية، والذي عاش في القرن الميلادي الثاني، ورد ذكر للجيتوليين في البلاد التي أطلق عليها اسم ليبيا الداخلية، جنوب ولاية موريطانية الطنجية، موضحاً أن الأوطولول يشغلون مناطق تتصل بالمحيط الأطلسي، متقابلين مع جزيرة هيرة Héra، التي يظن البعض أنها جزيرة موكّادور، التي تمت المقاربة بينها وبين الجزر الأرجوانية المشهورة في عهد يوبا الثاني (Ptolémée, 4, 6, 14 انظر أيضاً : Ptolémée, 4, 1, 1 ; 4, 6, 1).

وسبق أن تتبعنا بواسطة سالوست، أن الملك النوميدي يوغرطة جند عدداً كبيراً من الجيتوليين، في أحلك ظروف صراعه مع الرومان ابتداء من سنة 108 ق. م تحت قيادة ميتلوس. وقد أضاف المؤرخ إشارة إلى وجود الجيتوليين في جيش يوغرطة كخيالة خلال مواجهته للقائد الروماني ماريوس الذي خلف ميتلوس على رأس الجيش الروماني من سنة 107 إلى 105 ق. م وإليك إحدى هذه الإشارات : "إن ماريوس كثيراً ماهاجم الجيتوليين ويوغرطة، وهزمهم أثناء عودتهم بالغنائم التي استولوا عليها من حلفائنا، بل إنه أرغم الملك غير بعيد من كيرتة Cirta على أن يلقي بسلاحه" (انظر الفصول 88 و97 و99).

نستفيد من مصدر معاصر لسالوست يدعى حرب افريقيا *Bellum Africanum*، لكاتب مجهول، معرفة دور الجيتوليين في حرب يوغرطة، لصالح القائد الروماني ماريوس. واللافت للنظر أن سالوست الذي أرخ لهذه الحرب، لم يتحدث عن نصرة الجيتوليين لماريوس، رغم أن المؤلف متحيز جداً لماريوس، وكان همه في هذا الكتاب إبراز بطولات ذلك القائد الذي ينتمي للشعبيين الذين يدافع عنهم سالوست.

نستفيد من كتاب *حرب افريقيا* أن ماريوس جعل الجيتوليين حلفاء له في أواخر حرب يوغرطة، وأعطاهم حقوق المواطنة الرومانية، ومكنهم من أراضي لم يكونوا يملكونها من قبل (*Bel. Afr.*, 32 ; 35 ; 56). والجدير بالذكر أن بعض النقائش اللاتينية المكتشفة في الجزائر أثبتت صحة ما جاء في هذا المصدر.

ثم نعلم بواسطة هذا الكتاب، كيف تطورت أوضاع هؤلاء الجيتوليين أنصار ماريوس، وذلك عند قيام الحروب الأهلية الرومانية، بين القائدين الرومانيين ماريوس وسولا. فقد أخبرنا صاحب هذا الكتاب بأن بومبيوس الذي تدخل في افريقيا سنة 82 ق. م لصالح سولا، ضد أتباع ماريوس، قد جرد الجيتوليين من امتيازاتهم، وألحقهم بمملكة همبسال (*Bel. Afr.*, 56). ويعني ذلك أن الجيتوليين ظلوا أوفياء لماريوس، وناصروه في محنته مع سولا في إفريقيا.

ثم نتتبع مع هذا المصدر مواقف الجيتوليين خلال الصراع بين القائدين الرومانيين بومبيوس وقيصر، في الشوط الثاني من الحروب الأهلية الرومانية. والمعلوم أن صاحب هذا الكتاب تتبع في مؤلفه هذا يوميات القتال الذي دار في إفريقيا سنتي 47 و46 ق. م لـمّا حلّ قيصر بإفريقيا بعد مقتل بومبيوس، ليحارب أبناء وأنصار عدوه. والمعلوم أن الملك النوميدي يوبا الأول ابن همبسال قد تحالف مع أتباع بومبيوس في إفريقيا ضد قيصر.

فمن خلال هذا المصدر، علمنا أن الجيتوليين كانوا ضمن رعايا الملك يوبا الأول، وكانوا مجندين في جيوشه كفرسان وكحرس ملكي. وقد انفصل عنه بعضهم خلال الحرب والتحقوا بقيصر (*Bel. Afr*., 55 - 56).

وفي حديث الكاتب عن حلفاء قيصر في إفريقيا، أشار إلى تدخل الملك الموري بكوس الثاني في غرب مملكة يوبا الأول، ومعه قائد روماني كان في خدمته، يدعى ستيوس Sittius. وهنا ذكر الكاتب مايلي : "إن ستيوس والملك بكوس وَحَّدا قواتهما. فعندما سمعا بذهاب يوبا (للالتحاق بأتباع بومبيوس في ولاية إفريقيا)، زحفا على مملكته، وهجما على كيرتة، أشهر مدن هذه المملكة. فتم الاستيلاء عليها بعد بضعة أيام من القتال. كما تم الاستيلاء على مدينتين للجيتوليين، ولقد عرض ستيوس على الجيتوليين إمكانية تسليم المدينتين بعد مغادرة السكان لهما. وبعد رفضهم لهذا العرض، ثم القبض عليهم وذبحهم جميعاً" (*Bel. Afr*., 25).

وإضافة إلى ذلك هناك إشارات إلى دور الجيتوليين في صفوف قوات أتباع بومبيوس بإفريقيا، بعضهم كمرتزقة، منهم الخيالة والبحارة (*Bel. Afr*., 43 ; 61 ; 62). وقد انفصل بعض الجيتوليين عن أتباع بومبيوس وانضموا لقيصر، كما فعل الجيتوليون الذين كانوا في قوات الملك يوبا الأول وحسب الكاتب فإن الدافع إلى هذا الانفصال هو ولاؤهم السابق لماريوس الذي يعد قيصر من أقربائه (*Bel. Afr*., 32, 35).

هذا عن واقع الحال في نوميدية التي نتوفر حولها على عدة إشارات حول دور الجيتوليين في التدخل الروماني بشمال إفريقيا. أما عن موريطانية، فإننا لا نتوفر إلا على خبر بلينيوس السالف الذكر، يمكن توظيفه في هذا الإطار. يتعلق الأمر بذكر الكاتب لزحف الأوطولول والبنييور على مواطن الموريين الذين أفنتهم الحروب (Pline L'Ancien, 5, 17).

لقد سبق لنا أن تطرقنا لهذا الموضوع في بحثنا عن مملكة الموريين (د.د.ع.)، وقمنا بتحليل هذا الخبر، في ضوء ظروف مملكة الموريين بعد الحروب الأهلية الرومانية بين أوكتافيوس وأونطونيوس.

فخلال هذه الفترة كان مجال نفوذ الموريين ينقسم إلى مملكتين : مملكة بگود وهي موريطانية، ومملكة بكوس الثاني في غرب نوميدية التي خضعت للموريين منذ أواخر حرب يوغرطة. وكانت هذه المملكة متصلة بمجال نفوذ الملك النوميدي يوبا الأول الذي قضي عليه سنة 46 ق. م، ليمتد مجال نفوذ بكوس الثاني حتى نهر الامبساگا شرق نوميدية. وبعدما اندلع الصراع بين أوكتافيوس وأونطونيوس تحالف بكوس الثاني مع الأول، وبگود مع الثاني.

إن هذا الصراع بين القائدين الرومانيين خلال الشوط الأخير من الحروب الأهلية الرومانية، كان له انعكاس سلبي على أوضاع المكلة المورية تحت حكم بگود، نظراً لانهزام صاحبه أونطونيوس في الحرب ضد أوكتافيوس، الشيء الذي أدى إلى الإطاحة بحكمه سنة 38 ق. م، بسبب تدخل قوات أوكتافيوس عسكرياً في موريطانية، انطلاقاً من إسبانيا. ولقد انضم الملك الموري بكوس الثاني إلى قوات أوكتافيوس في هذا التدخل، الشيء الذي مكنه من ضم موريطانية إلى مجال نفوذه منذ سنة 38 ق. م حتى تاريخ وفاته سنة 33 ق. م.

هناك أدلة تاريخية وأثرية على مقاومة رعايا بگود في موريطانية لتدخل بكوس الثاني في بلادهم، وهي مقاومة تتصدى أيضاً للتدخل الروماني في شؤونهم، والمعلوم أن وفاة بكوس الثاني جعلت موريطانية، وكل مجال نفوذ الملك تحت رحمة أوكتافيوس الذي قرر ضم موريطانية للأمبراطورية الرومانية. وفي اعتقادنا أن أوكتافيوس لم يتمكن من التحكم في موريطانية أمام مقاومة أهلها، مما جعله يعدل عن مشروع الإلحاق، وينصب يوبا الثاني ابن يوبا الأول ملكاً على مجال نفوذ الموريين سنة 25 ق. م.

نعتقد إذن أن هذه هي الظروف التي يمكن أن نرجع إليها خبر بلينيوس الشيخ عن الحروب التي أفنت الموريين لدرجة أن البلاد أصبحت تحت رحمة الجيتوليين الذين حلوا محل الموريين. في رأينا أن القائد الروماني أوكتافيوس حسم الحرب ضد الموريين لصالحه بعد وفاة بكوس الثاني، مما سمح له بإقامة عدة مستوطنات في مجال نفوذ هذا الملك، منها أربعة في المغرب القديم هي : طنجة، زيليل، بناسا، وبابا. ونظن أن أوكتافيوس هو الذي شجع الجيتوليين من الأوطولول والبنييور على اكتساح المناطق التي كان يشغلها الموريون، حسب خبر بلينيوس الشيخ في هذا الصدد.

ففي ظننا، أن أوكتافيوس أقدم على هذه السياسة ليجعل من الجيتوليين حزاماً أمنياً حول المستوطنات الرومانية التي أقامها داخل موريطانية، بعيدا عن الساحل وهي بناسا وبابا.

ومن الإشارات التي تندرج في إطار الدور العسكري للجيتوليين، ما ذكره المؤرخ الروماني تيتوس لفيوس، حول مشاركتهم في الحرب البونية لصالح حنبعل، قائد قرطاجة الشهير في هذه الحرب (Tite Live, 23, 18, 1).

ثم نجد أصداء عن دور الجيتوليين في الحروب البونية ضمن ملحمة الشاعر سليوس إيطالكوس، حيث جاء علي لسانه مايلي : "أنتم معشر الجيتولين، قد غادرتم أكواخكم والتحقتم بالمعسكر. أنتم الذين تعودتم على العيش مع الحيوانات الضارية، تتحدثون مع الأسود غير المروضة، وتهدئون روعها. إنهم قوم لا منازل لهم، يسكنون في عرباتهم، اعتادوا الطواف في البراري ينقلون خيامهم، إنهم التحقوا بالمعسكر يمتطون ألفا من الخيول ذات السرعة الفائقة، لكنها في منتهى الترويض والطاعة". (Silius Italicus, 3, 285 - 294).

إشارة أخرى نوردها في هذا الصدد تتعلق بالجيتوليين من رعايا الملك يوبا الثاني، فلقد قاموا بالثورة ضده في السنة السادسة للميلاد حسب ماورد من خبر هذه الثورة لدى المؤرخ ديون كاسيوس قائلاً : "لقد انتفض الجيتوليون ضد يوبا لكونهم رفضوا الخضوع للرومان. إنهم ثاروا على الملك، فخربوا وقتلوا عدداً من الرومان الذين قاموا بحمله على إحباط ثورتهم. ونظراً لقوة الجيتوليين وبسالتهم، فإن كورنليوس كوسوس Cornelius Cossus (القائد الروماني الذي حاربهم) قد حظي بالتكريم (في رومة) وأُعطي لقب الجيتولي (Dion Cassius, 55, 28, 4).

والجدير بالذكر أن الملك يوبا الثاني ساهم في إحباط هذه الثورة الجيتولية بما قدّمه من مساعدة للرومان. وجزاء علي ذلك حظي بتشجيع رومة، يتمثل ذلك في توصله بشعارات التكريم المعهودة في رومة، وهي مقعد من العاج وتاج من الذهب. وقد أصدر الملك صوراً لهذه الهدايا على عملته التي ترجع لسنة هذه الانتفاضة. وبهذه المناسبة أصدر الملك على قطع نقدية أخرى صورة إلهة النصر الرومانية Victoria، وهو تقليد روماني يخلد الانتصار علي الأعداء.

هكذا يتضح ان الجيتوليين حظوا بشهرة في كتابات الأقدمين طوال فترة الوجود الروماني بإفريقيا، على أن الأحداث البارزة التي شارك فيها الجيتوليون تتوقف في القرن الميلادي الأول حسبما نتوفر عليه من معلومات. ومع ذلك ظل اسمهم خالداً في القرون اللاحقة، لدرجة أن واحداً من أشهر كتاب العهد الروماني في القرن الثالث الميلادي الذي ينتمي لإفريقيا، وهو أبولي، قد اعتز بكونه نصف نوميدي ونصف جيتولي (Apulée, *Apologia*, 41, 5).

كما لم تخل مؤلفات القديس المسيحي الإفريقي أغوسطين، الذي عاش في القرن الخامس للميلاد، من الإشارة إلى الجيتوليين (Augustin, *De Ordine*, 2, 5, 15). وفي نفس الفترة نجد إشارة إلى الجيتوليين في كتاب بول أوروس عن التاريخ الروماني (Paule Orose, *Adv. Pag.* 1, 2, 90).

يبقى أن نشير إلى أن اسم الجيتوليين ورد في بعض النقائش على صيغة Gaetuli أو Getuli، واحدة منها تعود إلى عهد الامبراطور الروماني كلاوديوس *C.I.L.*, 10, 797.

وخلاصة القول، إن الجيتوليين في المغرب القديم، كانوا ضمن المجال الذي خضع للمملكة المورية، التي امتدت حدودها إلى بلاد الإثيوبيين منذ عهد الملك بكوس الأول علي الأقل. وفي نوميدية نعلم أنهم كانوا ضمن رعايا الملوك النوميديين، يوغرطة همبسال، يوبا الأول، ليشملهم حكم يوبا الثاني الذي تولى حكم مجال نفوذ الموريين.

إشارة أخيرة نوردها في هذا الصدد، هي مقاربة بعض المؤرخين المحدثين بين اسم الجيتوليين القدماء، وقبائل جدالة في العصر الوسيط.


محمد مجدوب، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33*، ق.م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، فاس 1990.

G. Camps, *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, *Libyca*, 8, 1960 ; J. Desanges, *Les Territoires gétules de Juba 2*. *R.E.A.*, 66, 1964, p. 33 - 47 ; Idem, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; Idem, *Commentaire de Pline L'Ancien*, Livre 5, Paris, 1980 ; J. Faur, *Caligula et la Maurétanie, la fin de Ptolémée*. *Klio*, 55, 1973, p. 255 - 257 ; E. Fresouls, *Les Baquates et la province romaine de Tingitane*. *B.A.H.*, 2, 1957, p. 65 - 116 ; J. Gascou, *Marius et les Gétules*. *M.E.F.R.*, 61, 1969, p. 555 - 568 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, Tomes 5, 7 et 8, Paris, 1912 - 1928 ; R. Rachet, *Rome et les Berbères : un problème militaire d'Auguste à Diocletien*, 110, 1970.


محمد مجدوب

**الجيد** (آل -)، أسرة حاحية من قبيلة أيت أمّر بجنوب غرب بلاد حاحة، والنسبة إليهم بدون ياء يقال فلان الجيد. وانظر ما علاقتهم بالجيدين الغماريين بأقصى شمال البلاد. كان لآل الجيد الحاحيين مكتب قرآني تحول إلى مدرسة علمية وزاوية صوفية في أوائل هذا القرن، تُقدم الدروس للطلبة وتنشر الطريقة التجانية.

**الجيد، أحمد** بن أحمد الحاحي فقيه صوفي قضى فترة طويلة من حياته في التعليم وتلقين الأواد التجانية، وإليه يرجع الفضل في تأسيس مدرسة الجيد الزاوية. وكان كريماً يحسن استقبال الوافدين لذلك كثر الإقبال عليها من جميع أنحاء المنطقة.

توفي أحمد الجيد عام 1346 / 1927.


التامري، إبراهيم، *المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة*، الدار البيضاء، 1995، 1 : 30.


محمد حجي

**الجيدي**، أسرة نبيلة في قبيلة بني زيات الغمارية القاطنة على ضفاف البحر المتوسط بإقليم شفشاون، أصلها من بني توزن ربع إغربيّن بالريف الشرقي. انتقل جدهم محمد بن عمر المرابط هو وأخوه مَحمد إلى قبيلة بني زيات في أواخر القرن الحادي عشر (17 م) ونزلا بقاع امرغاتن بتجيساس المعروفة الآن بـ"سطيحة" أو "سطيحات". ثم

انتقلا إلى قلات (بني جلا)، ثم افترقا فنزل محمد - جد الجيديين - بأزاغر الريفيين، وتناسل أبناؤه وأحفاده، وصار مدشراً خاصاً بهم، يعرف إلى الآن بـ"مدشر الريفيين"، وأقبر هناك، وقبره مشهور لديهم. أما أخوه مَحمد، فنزل بمدشر إجافن - بني يخت - حيث توفي هناك، ودفن بين اجافن وبديجلة مقبرة تدعى "تزكان".

**الجيدي، عبد القادر** بن عبد السلام الزياتي المدعو الريفي، التصق به هذا اللقب دون غيره من أبناء عمومته ؛ وكان يكتبه هكذا بخط يده دون أن يرى في ذلك غضاضة.

تعلم على شيوخ بلده، منهم عبد الغفور مهدي وهو من الغماريين الذين ندبهم محمد بن عبد الكريم الخطابي، وعينه مدرسا بجامع أدوز ببقيوة.

ولعل عبد القادر الريفي درس عليه في قريته دجلدت، ثم رحل إلى فاس وأنهى بها دراسته ؛ وبعد عودته إلى مسقط رأسه، عينه محمد ابن عبد الكريم الخطابي قاضيا بقبيلته بني زيات، ثم تولى خطة القضاء في عهد الحماية بقبائل بني بشير وبني بوشيبت وبني أحمد بالريف، كما عين قاضيا بقبيلة بني رزين بناحية غمارة الجبلية، ثم على قبيلة بني سلمان، وأخيراً على قبيلة بني خالد - وكلها من قبائل غمارة.

وكانت وفاته سنة 1377 / 1957 م.

**الجيدي، عمر** بن عبد الكريم بن عمر الريفي التوزني، ينتهي نسبه إلى الجد الأعلى عمر المرابط. وتعني كلمة المرابط : النسيب، أو كبير القوم. والجَيِّدي - بفتح الجيم، وياء مشددة مكسورة - كذا أصلحه لي بعضهم ممن له خبرة بنسبهم ؛ والمشهور على ألسنة الناس أنه بكسر الجيم وياء ساكنة مخففة.

ولد عمر بمدشر الريفيين سنة 1368 / 1948، وتعلم على والده عبد الكريم، فحفظ القرآن وجوّده، وأتقن رسمه وضبطه ؛ وبدأ دراسته بالبادية على الفقيه الورع العياشي ابن علي أعراب بجامع تندمان بقبيلة بني بوزرة إحدى قبائل غمارة ؛ ثم التحق بالمعهد الأصلي بتطوان سنة

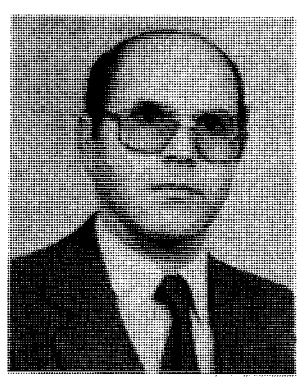

1380 / 1960، حيث حصل على شهادة الباكلوريا، ثم عين بعد ذلك استاذاً بالتعليم الثانوي بالدار البيضاء ؛ وبعد حصوله على الإجازة من كلية أصول الدين بتطوان، التحق بدار الحديث الحسنية بالرباط، وتخرج منها سنة 1396 / 1975، حاصلاً منها على دبلوم الدراسات العليا، ثم على دكتوراه سنة 1401 / 1980، حيث عمل منذ ذلك الوقت أستاذاً بدار الحديث الحسنية إلى حين وفاته يوم الخميس 21 صفر 1416 / 22 يوليوز 1995 بمنزله بالرباط رحمه الله.

كان عمر لا يمل القراءة والكتابة، على ضعف بصره، وكان خص كل وقته للتعريف بمذهبه مالك في الغرب الإسلامي، وهو ميدان فسيح لم ينل حظه من عناية الباحثين والدارسين على كثرة ما كتب عنه ؛ وهي جوانب جديرة بالاهتمام ؛ فألّف في ذلك : *العرف والعمل في المذهب المالكي*، وهو موضوع أطروحته (طبع) ؛ *محاضرات في تاريخ المذهب المالكي* (طبع) ؛ *مباحث في المذهب المالكي بالمغرب* (طبع) ؛ *التشريع الإسلامي، أصوله ومقاصده* (طبع) ؛ *الفقيه ابن عرضون الكبير* : حياته وآثاره، وهو موضوع رسالته الأولى (دبلوم الدراسات العليا) (طبع) ؛ *من أعلام غمارة*، في جزء واحد (مخطوط)، وكان ينوي أن يخرج في جزءين بما سيضيفه إليه من إضافات، والأمر لله.

ومن آثاره في التحقيق : *آداب الصحبة لابن عرضون* (طبع) ؛ الجزء الرابع من *النوادر والزيادات* لابن أبي زيد القيرواني تحت الطبع ؛ الجزء السادس عشر من *التمهيد* لابن عبد البر - بالاشتراك - (طبع).

كما نشر مجموعة *أبحاث ومقالات* في كبريات المجلات والموسوعات : مثل *دعوة الحق* ؛ *ومجلة دار الحديث الحسنية*، كان من أسرة تحريرها، وتسييرها ؛ *ومعلمة المغرب*، شارك في تحرير مجموعة من موادها، وكان من آخر ما حرره في حرف التاء (تيگساس) (8 : 2734).

**الجيدي، المفضل**، عم عمر سابق الترجمة وشقيق والده ؛ درس بفاس، وتولى عدة وظائف، منها نظارة الأوقاف، والعدالة، والخطابة بقبيلة بني زيات.

ولد سنة 1301 / 1884 وتوفي في 18 ذي القعدة عام 1394 / 3 دجنبر 1974.

أحمد بن عبد القادر الريفي، *تقييد في أسرة الجيديين* (مخطوط) ؛ *وثائق عائلية* ؛ *روايات شفوية*.

سعيد أعراب

**الجير**، منه جير طبيعي معدني ناتج عن الحرارة والضغط التكتوني، وجير اصطناعي ناتج عن حرق الأحجار الكلسية والحجر الرملي في معزل عن الهواء.

النوع الأول وكذا الجبس المعدني قليل الانتشار، وجد

منذ القديم في جبل درن (الأطلس الكبير) يحفر السكان الأرض لاستخراجه ويستعملونه لتبييض أرضية المنازل مثل ما نجده اليوم عند سكان المنطقة ويزينون به النوافذ فيُعطي منظراً جميلاً : جدران حمراء أو وردية بنوافذ وكوات بيضاء تظهر من بعيد كإطارات مستطيلة الشكل ومربعة مرسومة على الجدران البُنّية.

للجير منافع عديدة فهو مطهر ومصفٍ للمياه ومعقّم ومضاد للحشرات والجراثيم إلى غير ذلك من المنافع، ففي أماكن خزن المياه من صهاريج ونطاف (مضفيات) يستعمل لتصفية المياه وقتل ما بها من ميكروبات والمحافظة على مذاقها، ويستعمل حتى في الآبار.

وقد أدرك الإنسان المغربي خصائص الجير ومميزاته منذ أمد بعيد، ففي الميدان الصناعي وخاصة صناعة الدباغة والنسيج استعمل الجير وبخار الجير كمادة مساعدة على نزع الصوف من جلود الأغنام (اللباطة) وتُنقع الجلود في ماء الجير لتعقيمها والمحافظة على طراوتها قبل دبغها، ويستعمل الجير في الميدان الفلاحي لوقاية الأشجار من الطفيليات، ويستعمل مسحوقه عند غربلته فوق الحبوب في أماكن خزنها لحمايتها من التسوس والحشرات، ويستعمل الجير اليوم استعمالات أخرى وخاصة بخار الجير لتصفية السكر وإكسابه اللون الأبيض.

وللجير استعمالات أخرى غير ما ذكر كيماوية وصيدلية إضافة إلى الاستعمال الشائع في تبييض جدران البنايات والمنازل وفي مواد البناء، إذ كان فيما سبق يخلط مع الجص والطين لبناء الأسوار والجدران والسواقي والقناطر والسدود وغيرها بطريقة "الطابية" فهو يكسب هذه البنايات الصلابة ويقوم بدور الإسمت اليوم.

يصنع الجير عن طريق وضع أحجار الكلس تحت حرارة مرتفعة بمعزل عن الهواء مثل طريقة صنع الفحم الخشبي (الكوشة) فتحترق الشوائب والمواد الزائدة وتتبلورذرات الكالسيوم مختزنة قسطاً كبيراً من الحرارة تعود للظهور عند تفاعلها مع الماء (طفي الجير)، تفاعل ذرات الكالسيوم مع ($H_2O$).

ترجع الإشارات الأولى عن استعمال الجير في المصادر إلى القرن الثاني (8 م) وقد ارتبط هذا الاستعمال بالبناء، فقبل بناء المدن مثل فاس أو بناء الأسوار والمؤسسات الكبرى مثل جامع القرويين يتم التحضير لذلك بجمع المواد الضرورية، ومنها جمع الجير أو صنعه وطفيه، ويمكن القول إن الاستعمال الأول للجير عرف في المغرب كمادة للبناء ثم انتشر أكثر وتوسع في استعماله فتطورت صناعته وانتقلت من الشكل التقليدي (كوشة وكوش) وهي طريقة بدائية متنقلة إلى الأفران الثابتة المبنية بالحجارة والتي انتشرت خارج المدن.

جاء في *الاستبصار*، ص. 186 "وقد بني ببلاد تازا في هذه المدة المذكورة ( القرن 6 هـ) مدينة الرباط، وهي مدينة كبيرة في سفح مشرف على بسائط تشقها جداول المياه العذبة، وعليها سور عظيم وقد بني بالجير والحصى يبقى مع الدهر".

أما ابن أبي زرع فيتحدث في *القرطاس* (ص. 30) عن بناء إدريس لفاس قائلاً : "... فوصل إلي وادي سبو حيث هي حمة خولان فشرع في حفر الأساس وعمل الجير وقطع الخشب".

ويرجع انتشار كوش الجير وأفرانه وتجارته في المدن إلى تزايد حركة العمران والبناء وارتفاع المستوى المعاشي للسكان الذين أقبلوا على البناء والتشييد، إضافة إلى المنشآت العمومية ومنشآت المخزن من مساجد ومدارس وفنادق وحمامات وقصور وأسواق وغيرها. وقد بلغت المدن الكبرى قمة توسعها وعمرانها في العهد الموحدي، لذلك قدّم لنا صاحب *القرطاس* والجزنائي إحصاءً عن عدد المنازل والمصريات في مدينة فاس في عهد الناصر الموحدي وعن عدد كوش الجير ( *القرطاس*، 48. 49. 63).

ولما تطورت المدينة وكثر إنتاج الجير أصبحت الأفران خارج الأسوار وأصبح ثمنه مرتفعاً لشدة الإقبال عليه خاصة وأن استعمالاً جديداً لهذا المادة دخل المغرب في العهد المريني وهو تبييض الجدران، حتى إن المدينة الجديدة التي بناها المرينيون في فاس عرفت بالمدينة البيضاء، ولعل هذه العادة أتت من الأندلس ضمن عادات أخرى تتعلق بالأكل واللباس (لباس الأبيض) والزخرفة والنقش والموسيقى وغيرها ( *القرطاس*، 57).

وأمام تزايد الإقبال على استهلاك الجير عمد المكلفون بجامع القرويين وممتلكاته وأحباسه إلى الاستقلال بأفران خاصة لإنتاج الجير لسد حاجيات المباني الحبسية الكثيرة التابعة للجامع (*وصف افريقيا*، 1 : 178. 216) أما ابن خلدون فقد أشار في معرض حديثه عن صناعة البناء إلى الكلس كمرادف لكلمة الجير ( *المقدمة*، ص. 407).

ولا يمكن أن يفهم من كلام الإفراني في *نزهة الحادي* (ص. 103) "... حتى إنه وجدت بطاقة فيها إن فلانا دفع صاعاً من جير حمله من تنبكت وُظف عليه في غمار ..." أن الجير كان مفقوداً أو نادراً بالمغرب يتكلف ذلك الشخص بحمل تلك الكمية الضئيلة منه من تنبكتُ إلى مدينة مراكش أثناء بناء المنصور الذهبي لقصر البديع، بل يتعلق الأمر بإبراز الكاتب لمدى هيبة السلطان وسريان أمره حتى إلى المناطق النائية، أما الجير فكانت العادة في استعماله قد ترسخت في البلاد وصناعته قد تطورت وانتشرت. ويفهم من التفسير المقدم عن أصل اسم مدينة الدار البيضاء ان البيوت والمنازل المبيضة بالجير عند الغزو البرتغالي للمغرب كانت قليلة بل نادرة في تامسنا وجنوب المغرب عموماً حتى إن الموجود منها كان لافتا للانتباه، واتخذ علامة يهتدي بها البحارة، فكانت الدار البيضاء في ساحل أنفا متميزة وبها عرف البرتغاليون المنطقة (Casablanca).

تطورت صناعة الجير وتنوعت فأصبح فيه (البلدي) (والرومي) والفرق بينهما واضح في نوع الحجر المستعمل فهو في البلدي خليط من الحجر الرملي والحتّ يعطي جيراً صالحاً أساساً للبناء وبعض الاستعمالات الأخرى كالدباغة والفلاحة وخزن الحبوب وتطهير المياه العذبة، أما الجير الرومي الناعم فهو المستخرج من الكلس الخالص ويستعمل للطلاء وتبييض الجدران والأرضيات ويستعمل مخلوطاً بالرمال لتبليط الجدران إلى غير ذلك من الاستعمالات. وينتج الجير اليوم بطرق عصرية في معامل خاصة تستعمل أنواعاً جديدة من الطاقة، منها الطاقة الكهربائية والمحروقات، إلى جانب استمرار الأفران التقليدية في ضواحي بعض المدن، وتستقل معامل السكر بإنتاج ما تحتاجه من كميات كبيرة من الجير في أفرانها العصرية الخاصة.

من الطريف أن كلمة الجير تطلق في بعض المناطق بالمغرب على الحرقة أو الالتهابات التي تصيب البلعوم والجزء الأعلى من المعدة عند الإفراط في تناول بعض أنواع المأكولات والمشروبات، والعلاقة بين هذا المرض والجير تكمن في الشبه الكبير ما بين فعل الأحمضة في المعدة والبلعوم وبخار الجير الحارق عند تبريده (طفيه).

ع. ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت د. ت ؛ مجهول، *الاستبصار*، الإسكندرية 1958 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1970 ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، الرباط 1970 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، جزآن 1980 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ *بحث ميداني*.

*S.I.*

محمد حجاج الطويل

**جيراردان**، إدوار Gerardin Edouard قنصل فرنسي ولد في دجنبر 1889، ثم بعد حصوله على الإجازة في الأدب والقانون والعلوم السياسية دخل سلك القنصلية فتقلب في عدة مناصب بالإدارة المركزية بالكي دورسي Quai d'Orsay وفي الخارج، في ألمانيا وهولاندا والطايلاند وإسبانيا حيث كان قنصل فرنسا في مالقه عند منتصف العشرينات، وهنالك قام بزيارة لمليلية تعرف أثناءها على هانري پونصو (H. Ponsot) المقيم العام في المغرب من 1933 إلى 1936 الذي كان يومئذ في وجدة ضمن الوفد الفرنسي الملكف بالتفاوض مع الزعماء الريفيين لجعل حد لجهادهم، ولذلك عندما عُيِّن پونصو مقيماً عاماً واحتاج إلى من يخلف مستشار الحكومة الشريفة جان گي (J. Guy) فإنه اقترح المنصب علي جيراردان الذي قبل المنصب فتم تعيينه يوم 16 شتنبر 1934، وكانت صلاته بالسلطان سيدي محمد طيبة بدليل أنه لما وافاه الأجل المحتوم فجأة في أبريل 1936 أبي العاهل إلا أن ينتقل بنفسه إلى دار المستشار الراحل للتعزية، وكان في ذلك إشارة سياسية لم تخف على المسؤولين الفرنسيين حيث جاء في مذكرة أولى لوزارة الخارجية يوم 22 ماي 1936 ما يلي : "لقد صرح السلطان أنه يُعير بالغ الأهمية لأسباب التواصل مع الإقامة العامة وأنه يرغب في أن يُسْنَدَ الوظيف إلى موظف من سلك القنصلية العامة حتى وإن كان لايعرف العربية" ثم جاء في تعليق آخر لنفس المصلحة يوم 28 ماي 1936 مايلي : "لقد كان المولى يوسف يميل كل الميل لهذه الأطر (القناصلة) إدراكاً منه لما كانوا عليه من التمسك بروح الحماية وبما كانوا عليه أكثر من غيرهم من المراعاة للتقاليد المخزنية [...] وإن العاهل الحالي سيدي محمد على نفس ما كان عليه والده".

*Annuaire diplomatique*, 1935, AAE, MA, 428 ; MA, 1300.

إبراهيم بوطالب

**الجيزي، عبد السلام** الفاسي، أبو محمد، من بيت شهير بفاس بالعلم والصلاح. دَرَس على شيوخ القرويين في عهده أمثال الطيب ابن كيران والتاودي ابن سودة وحمدون ابن الحاج السلمي وغيرهم. وكان يعلّم الصبيان في كتّاب بحي التناكين أي الشرابليين من عدوة فاس القرويين، وألّف شرح *المنفرجة* لابن النحوي، وشرح *دليل الشيخ المختار الكنتي*، بالإضافة إلى *صلوات* ودعوات من إنشائه.

توفي يوم الخميس سابع ربيع الأول عام 1264 / 12 فبراير 1848 ودفن خارج باب الفتوح.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 26 ؛ ع. الكبير الكتاني، جنى زهرالآس، مخطوط.

محمد حجي

**الجيزيين** (باب -) بفاس، يوجد عن يمين الخارج من باب الفتوح، ويعرف حالياً بباب الحمراء. كان باب الجيزيّين مفتوحاً على عهد الأدارسة ثم أغلق سنة 357 في اليوم الذي سقطت فيه جنازة درّاس بن إسماعيل أثناء حمله لقبره خارج هذا الباب. وظل كذلك إلى أن أعيد فتحه في السنوات الأخيرة ليكون مخرجاً للسيارات التي تصعد من الطريق المجاورة لسيدي علي بوغالب.

لم يؤثر إغلاق باب الجيزيّين على السير العام نظراً لوجود بعض المنافذ الأخرى، ونظراً لكون باب فتوح قد أسس من بعده فكان من أهم الأبواب الميسرة للتعامل والمحافظة على كيان المدينة.

اشتهر باب الجيزيّين بمقبرته القديمة وببعض المقابر القريبة منها، وقد أشار المؤرخون وكتاب التراجم إلى عدد من العلماء والصالحين الذين دفنوا هناك، نذكر منهم على سبيل المثال بعض من ترجم لهم الكتاني في *سلوة الأنفاس* وهم محمد الفشتالي ومحمد الطالب ابن سودة ومحمد بن أجروم النحوي صاحب *المقدمة النحوية* وأبو عبد الله الخراز ناظم مورد *الظمآن* وعبد الكريم اليازغي ومحمد القوري

وأبو الفرج الطنجي وإبراهيم بن عبد الرحمان التلمساني ومحمد بن الرمامة ويعقوب الحلفاوي وإبراهيم ابن الحاج وعلي الأنفاسي وعبد الرحمان الجزولي شارح *الرسالة* وأبو جيدة المشاط ومحمد ابن عباد شارح حكم *ابن عطاء الله* ويحيى السراج وعبد الواحد الونشريسي وأحمد الوجاري وأحمد الونشريسي صاحب *المعيار* ومنديل ابن أجروم وعبد الرحمان الجاديري وغير هؤلاء ممن يفخر بهم المغرب علماً وصلاحاً.

وقد ارتبط ذكر بعض القبائل بأماكن مخصصة موجودة داخل هذا الباب، فمن ذلك مثلاً حسب ما جاء في كتاب *ذكر بعض مشاهير أهل فاس في القديم* لمحمد بن عبد القادر الفاسي بيت بني القبابين وقال عنه : "إنه بيت قبيلة عربية قحطانية مع علم وثروة وكانوا من قرطبة الأندلس أتوا فاساً وقت مغراوة وسكنوا عدوة الأندلس. انقرض عقبهم وبقي ذكر جناتهم، فمن ذلك بخندق النمر الروض المعروف بالقبابية وكان في الجيزين من فاس حيث اليوم المقابر داخل باب الفتوح، وديارهم كانت تعرف بديار القبابين.

وكما كانت تحدد بعض قبور المدفونين داخل هذا الباب بذكره كانت تحدد قبور بعض المدفونين بخارجه كما هو الحال بالنسبة إلى قبر الفقيه دراس بن إسماعيل رحمه الله.


أ. ابن القاضي، *جذورة الاقتباس*، ج 1 ص 97 و102 و194 و189 ؛ م. الفاسي، *ذكر بعض مشاهير أهل فاس في القديم*، الملزمة الأولى، ص. 7.


محمد بن عبد العزيز الدباغ

**الجيسة** (باب –) أو الگيسَة أو عجيسة بفاس، يقع في شمال شرق المدينة العتيقة، في مقابل جبل زالاغ. بناه الأمير المغراوي عجيسة بن دوناس إبان استبداده بأمر عدوة القرويين، أيام دولة أخيه فتوح بن دوناس، ما بين شوال عام 452 وعام 455. بناه برأس عقبة السعتر فوق باب حصن سعدون الذي أنشأه الإمام إدريس.

وتعرف عقبة السعتر اليوم بفاس باسم عقبة الحفارين التي توصل مابين باب الجيسة وساحة العشابين التي تتفرع منها الطرق نحو الصاغة والجوطية والعطارين وجامع القرويين ونحو واد زحوت.

ـ قال صاحب *القرطاس* "فلما ظفر الفتوح بأخيه عجيسة وقتله أمر الناس بتغيير اسم الباب الذي بناه أخوه وترك إضافته إليه، فأسقط الناس العين من عجيسة وأدخلوا عوضاً منها الألف واللام. فقالوا باب الجيسة، فبقي ذلك إلى الآن".

زكّى ابن أبي زرع في روايته هذه كل من الجزنائي في *زهرة الآس* والناصري في *الاستقصا*، إلا أن لصاحب *القرطاس* نفسه رواية أخرى مفادها أن أمير المؤمنين محمد الناصر الموحدي هو الذي أمر بتغيير اسم هذا الباب فأسقط الناس العين وأدخلوا الألف واللام عوضاً منها فقالوا الجيسة.

أما ابن خلدون فقد رأى في تحريف الاسم الأصلي إلى الجيسة أن الناس خففوه لكثرة الاستعمال. ولعل ذلك هو الأقرب إلى الصواب. وتنطق العامة اسم هذا الباب بصيغة : باب الگيسة.

اعتنى المنصور الموحدي وابنه الناصر بتجديد أسوار مدينة فاس وأبوابها، فجُدد بناء باب الجيسة في عهد الناصر. وبقي على ما بناه عليه إلى أن تهدم وتخرب أكثره بمر السنين، فجُدد بأسره ماعدا القوس البراني في سنة لأربع وثمانين وستمائة بأمر من أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق المريني.

ولعل أهم مميزات باب الجيسة احتفاظه بطابعه الموحدي المتميز بالمدخل الملتوي أو المدخل ذي الزاوية القائمة الذي لا تغيب فعاليته الدفاعية عن المهتمين بالعمارة العسكرية الوسيطية.


ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973، ص. 42 وص. 111-112 ؛ ع. الجزنائي، *زهرة الآس*، نشر ألفريد بيل، الجزائر، 1922، ص. 31 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1، ص. 223، الدار البيضاء، 1954.


محمد اللبار

**الجيش المغربي** ـ تاريخ قديم ـ لم يتحدث الكتّاب الكلاسيكيون من الإغريق والرومان عن الجيش المغربي وكيفية تنظيمه وتكوينه وإنما تعرضوا لبعض مكوناته والأسلحة التي يستعملها والخيول التي يركبها حينما تصطدم مصالح الغزاة بمصالح الممالك الأمازيغية وخاصة النوميدية والموريتانية. من هذه الإشارات : "أنهم من الفرسان المتمازين والعارفين بفن رمي الحربة وكذلك من أحسن النبالة. إذ يستعملون السهام المتصلبة بالنار" وأنهم "يحاربون في غالب الأحيان راكبين الخيل وحاملين الحراب ومستعملين اللجام المصنوع من الأسل، كما يظهرون أيضاً سيفاً قصيراً وعريضاً ذا حد واحد" أما بالنسبة للمشاة فتذكر النصوص : "ويحمي المشاة أنفسهم بواسطة جلود الفيلة التي تقوم مقام التروس" وتشير النصوص كذلك إلى فصيلة الخيول المستعملة في الركوب أو في جر العربات الحربية وكذا الدروع إذ هم "يركبون الخيل القصيرة الشهم الذلول الذي يكفي قيادته بالقضيب" و"هم يستعملون في هذا السياق الترس الصغير المستدير والمصنوع من الجلد، وكذا الحربة من الحديد الواسع والقصير والأقمصة ذات الطرائد العريضة والمنعدمة الحزام".

وعليه فانطلاقا من هذه النصوص يتضح أن الممالك الأمازيغية كان لها جيش متكون من الفرسان والمشاة وأن الفرسان كانوا يلبسون ملابس جلدية ويحملون التروس المصنوعة من الجلد بجانب الحراب الحديدية والسيوف القصيرة، بينما مشاة هذا الجيش كانوا يحمون أنفسهم بواسطة جلود الفيلة ويستعملون النبال كسلاح.

وعلى الرغم من أن هذه النصوص لا تشير إلى استعمال الفيلة إلا أنه ليس من المستبعد أن تكون الممالك المغربية قد استعملتها في جيشها خاصة و،أن سنيس وهانيبال اعتمدا كثيراً على الفيلة.

وبالإضافة إلى الفيلة فإن احتكاك الأمازيغ ومواجهتهم للإغريق والرومان والقرطاجيين جعلهم يقتبسون أدوات عسكرية جديدة وأساليب وطرقاً جديدة برزت لدى بعض قادتهم كماسنيسا ويوغرطة وتاكفاريناس.

هذا والملاحظ أن هذه النصوص لا تشير إلى الجيوش المغربية إلا عرضا وذلك عندما تصطدم قواتهم بالقوات الأمازيغية أو عندما يحتاجون إلى مساعدة عسكرية من الملوك الأمازيغ كما حدث مع ماسينيسا الذي ساعد روما مرات بقوات من جيشه في حروبها ضد فيليب المقدوني سنة 200 ق. م. بألف فارس، وعشرة أفيال وألف فارس سنة 198 ق. م. في نفس الحرب. وفي سنة 191 ق. م. أعان الملك ماسينيسا روما في حربها ضد انطيوكوس بخمسمائة فارس وعشرين فيلا الخ.

وانطلاقا من هذه الإشارات يمكن أن نستخلص أن الجيش المغربي كان يتكون من ثلاث دعائم أساسية : الفرسان والمشاة وأهل الفيلة.

وأظن أن هذه الدعائم الثلاث ظلت هي الأسس التي ينبني عليها الجيش المغربي سواء لدى ماسينيسا أو يوغرطة أو تاكفاريناس ؛ أو لدى باقي الملوك الأمازيغ في شمال إفريقيا قبل الاحتلال الروماني. لأنه مع بداية اهتمام الرومان بإفريقيا الشمالية منذ الحروب البونية، وخاصة الحرب الثانية، سيدخل تغيير كبير على الجيش في المنطقة؛ نتيجة محاولات روما تأليب الممالك المحلية ضد قرطاج وخاصة ماسينيسا الذي تعاون معها تعاوناً عسكرياً أدى إلى تدمير قرطاج سنة 146 ق. م. وبعد هذا أخذ اهتمام الرومان ينتقل بالتدريج من شرق شمالي افريقيا إلى غربها. وساعد على هذا التقدم نحو الغرب الزعماء الموريتانيون والنوميديون الذين كانوا يتعاونون مع المتنافسين على السلطة في روما آملين من وراء ذلك الحصول على مكاسب ترابية. هذا في الوقت الذي كانت فيه روما تحاول الاستفادة من إقبال الزعماء الأمازيغ عليها عن طريق إذكاء التنافس بينهم والحصول على امتيازات. ولذلك فبمجرد انتصار يوليرس قيصر على منافسه بومبي وقتل الاگليد يوبا الأول وأخذ ابنه رهينة إلى روما اتخذت المبادرات الرومانية اتجاهات متعددة :

1 - إنشاء ولايات جديدة ؛

2 - إنشاء مستعمرات رومانية في كل شمالي افريقيا بما فيها موريتانيا الغربية ؛

3 - تشجيع المحاربين القدامى المسرحين من الجيش على الهجرة إلى شمال افريقيا قصد الاستيلاء على الأراضي الزراعية والاستيطان بها ؛

4 - تربية ابن يوبا الأول وروممنته وتزويجه بابنة كليوباطره وتسليمه مملكة موريتانيا قصد تهيئ الظروف الملائمة للاستيلاء نهائيا عليها.

ورغم ولاء بطليموس ملك موريتانيا لروما وتنفيذه سياستها ومخططاتها فإن هذا لم يكن كافيا لإبقائه على العرش، فقتلته وتحولت السلطة الرومانية التي كانت غير مباشرة بواسطة المملكة الموريتانية إلى سلطة مباشرة بواسطة وكلاء وولاة وموظفي الأمبراطور. وقسمت مملكة موريتانيا إلى ولايتين :

- ولاية موريتانيا القيصرية التي كانت عاصمتها قيصرية شرشال حاليا بالجزائر.

- ولاية موريتانيا الطنجية نسبة إلى طنجة وذلك على الرغم من أن طنجة لم تكن هي العاصمة بل كانت وليلي.

وبعد هذا الالحاق الرسمي اعتمدت روما في تركيز سلطتها ونفوذها على قوات الاحتلال الروماني التي تتكون من الفرق العسكرية المكونة من المواطنين الرومان فقط، وكانت تسمى الليجيو ؛ والقوات الاحتياطية أو القوات المساعدة التي كانت تجند من أبناء المستعمرات.

المصطفى مولاي رشيد، *المغرب الأقصى عند الاغريق واللاتين، القرن السادس ق. م.، القرن السابع ق. م*، 1414 - 1993، الدار البيضاء ؛ محمد التازي سعود، *حرب يوغرطة*، 1399 - 1979 ؛ مصطفى أعشي، *العلاقات السياسية والعكسرية في موريتانيا الطنجية بين المور والرومان من 140 إلى 285 م*. د.د.ع، الرباط، 1980.

M. Rachet, *Rome et les berbères : un problème d'histoire militaire d'Auguste à Dioclétien*, Bruxelles ; M. Bemabou, *La résistance africaine à la romanisation*, Paris 1976 ; Y. Desanges, *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; R. Cagnat, *L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs*, Paris, 1912 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 vol. Osnabruk, 1979 ; M. Kaddache, *L'Algérie dans l'antiquité*, Alger, 1972 ; Cahier du groupe de recherches sur *l'armée romaine et les provinces*, II, Paris, 1979 ; Suetone, *Vie des douze Cesars*, ed. H. Ailloud, 3 vol., Paris, 1922 ; Appien, *Bellorum civilium liber, Libyca, Punica*, in *Historia Romana*, éd. P. Viereck, A. C. Roos, Teunber, 1906 ; T.L. Cheesman, *The auxilia of the Roman Imperial Army*, Oxford, 1914 ; Davies, *Cohortes quitate, Historia*, 20, 1975, p. 751 - 763 ; L. Chatelain, *L'histoire militaire du Maroc antique*, *Rev. Int. Hist. Mil.*, 1950, pp. 161 - 172 ; M.M. Roxan, *The auxilia on Mauretania Tingitane*, *Latomus*, XXXIII, 1973, pp. 838 - 855 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, 1943, 3ème éd. ; L. Chatelain, *Le Maroc des romains*, 1949, 2ème éd. ; G. Clemente, *La Notitia Dignitatum*, 1968 ; A. Aymard, *Aspects de la défence romaine en Afrique*, *I.H.*, 1952 ; Ch. Courtois, *Les Vandales et l'Afrique*, 1955 ; P. Romanelli, *Topographia e archeologia dell'Africa romana*, 1970 ; R. Thouvenot, *Les diplomes militaires de Banasa*, *PSAM*, IX, 1951, p. 151 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 vol., Paris, 1912 - 1928 ; Tacite, *Annales*, trad. française de H. Geolzer, Paris 1965 ; G Camps, *Massinissa ou les débuts de l'histoire*, *Libyca*, VII, 1er sémestre, 1960 ; Cesar, *Guerre d'Afrique*, Trad. française

par A. Bouvert, Paris, 1949 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Rabat, 1924 ; M. Ouachi, *La Maurétanie Tingitane, Mémorial du Maroc*, vol. I, 1983, pp. 215 - 232 ; *Les rapports militaires, Mémorial du Maroc*, vol. III, 1983, pp. 233 - 242.

مصطفى أعشي

* * أما الجيش المغربي خلال العصر الإسلامي فإننا نقترح تركيب المعلومات المتوفرة لنا عن تطوره التاريخي في مواضيع تربط بين الجيش وبين النسيج السياسي والاجتماعي في تاريخ المغرب قصد الخروج ببعض المعالم المميزة أو المتكررة في حياة المؤسسة العسكرية عبر القرون.

لعب الجيش دوراً أساسياً في تاريخ المغرب سواء كان أداة للقبائل أو في يد الدولة. فالنظام القبلي كان يستعمل القوة العسكرية في حفظ التوازن بين المجموعات أي لنوع من "السلم المسلح"، كما يستعملها للحد من استبداد الرؤساء. لذلك ظهر في القبائل شيوخ الاستنفار "إمغارن ن تغيت" الذين يرجعون إلى حياتهم العادية بمجرد انتهاء القتال. فلم يكن على هذا الصعيد القبلي تخصص في العسكرية، وإن كانت مظاهر عديدة في حياة السلم تشير إلى جوانب الحرب ورموزه سواء في اللباس أو في الفن.

ومن جهة أخرى، فكل القبائل تكون قاعدة محتملة للقوات العسكرية وتجهيزات الحرب، وربما كان تضخم هذه الإمكانية وما يطرحه من تأطير وضبط مشكلا لدى الحكام المركزيين.

ومع تأكد استمرار الدول المركزية، تزامن لدى كل منها وجود نواة دائمة للجيش المخزني واللجوء إلى استنفار القبائل في المشاريع العسكرية المحلية الواسعة أو الخارجية المكلفة، وهذا يعني أن الشطر الأعظم من النفقات العسكرية كان على كاهل القبائل مباشرة.

فالعمليات الداخلية تكون نواتها من الجيش المخزني وتكملها إضافات القبائل المستنفرة المتفاوتة الحجم بحسب أهمية الأهداف.

وفي العمليات الجهادية ضد الأجنبي، يتسع الاستنفار القبلي، ولا تعود أي أهمية لنواة الحرس المخزني الدائم. ويتجلى هذا من الوقوف على أرقام أعداد الجيوش في المعارك التاريخية الكبرى في تاريخ المغرب.

وكثيراً ما أعطت المشاريع الجهادية الكبرى فرصة للحكام لكي يبرروا شرعيا أحقيتهم في الزعامة من جهة، وفي فرض ضرائب جديدة من جهة أخرى، بل إن القضاء على بعض التمردات الداخلية أو على أدعياء منافسين سهل في ظروف استدعت التعبئة لمواجهة الخطر الأجنبي. وهذا المعطى يقابله معطى آخر يتمثل في كون تخلي الحاكم عن الجهاد يجعله عرضة لانتقاد الجماعة المحكومة على لسان سدنة المشروعية من العلماء في الغالب، وفي ممارسة هذا اللجوء إلى القبائل يتم التنازل للمحاربين على ما هو شرعي من الغنائم أو على نسبة منها تفوق المنصوص عليه بكثير.

وهذا ما يفسر حرص الحكام على احتكار حق القيام بالجهاد ما أمكن، لأنه مصدر رأس مال رمزي يتصل بالمشروعية من جهة ومصدر غنائم مهمة في مثل حالات القرصنة البحرية التي كان معظمها رد فعل على العدوان الأجنبي.

والحرص الاضطراري للمغاربة على الجهادو أسفر عن نتيجة تاريخية لا مراء فيها وهي إنقاذ المغرب من المآل الذي سقطت فيه بلدان إسلامية مجاورة أو بعيدة تعرضت لضغط أوربا المسيحية بعد تفوقها في العصور الحديثة.

إن تأسيس جيش قوي كان لا يكتسب مشروعيته إلاّ في مشاريع الجهاد، ولذلك كلما أراد حاكم أن يفعل ذلك خارج هذا السياق واجه أحكاماً سلبية من الفقهاء كثيراً ما رددها المؤرخون، ومن الأمثلة على ذلك ما قيل عن جيش أحمد المنصور السعدي وعن جيش المولى إسماعيل.

فدور الجيش بالنسبة للدول المغربية المتعاقبة هو الاستعمال في فرض احترام وجهة نظرها السياسية والدينية، وفرض أداء الجبايات واحترام الأمن، وتكوين عدد من القادة كانت تسند إلى بعضهم مهمات إدارية أيضا، وتصدق هذه الأدوار بالخصوص على النواة الدائمة للجيش. بيد أن رؤساء القبائل الحاكمة كانوا في معظم الأحوال يتولون قيادة الجيوش ويشكلون حاشية السلطان ويعتبرون من أهل المشورة.

وإذا تتبعنا السياسة العسكرية للدول المغربية، سواء منها ذات الأصل الديني كالأدارسة أو ذات الأصل القبلي المرتكز على دعوة دينية كالمرابطين والموحدين أو ذات الطابع القبلي المحض كالمرينيين أو العسكري كالوطاسيين أو ذات الأصل الشريف كالسعديين والعلويين، وجدناها سياسة تخضع لمعادلة واحدة : تقوية النواة العسكرية المخزنية لتصبح أداة فعالة أمام القبائل، مع الحرص على أن تبقى هذه النواة خاضعة للسلطة السياسية. وهذه المعادلة تفسر إلى حد مّا التغييرات المختلفة التي عرفها الجيش المخزني سواء فيما يخص مكوناته العرقية أو الاجتماعية أو عدده ونفوذه حيث تراوح بين عهود القوة والاستداد، وبين فترات الضعف والتشتت.

فالتركيبة العرقية أو القبلية تشتغل أكثر عند تأسيس الدول، ثم لا يلبث رؤساؤها أن يعملوا على الاستغناء عن قواعدهم الحربية الأولى المبنية على عصبية متحكمة، ومن ذلك تخلص الأدارسة من أوربة وعمل المرابطين على سلخ الجيش من قاعدته الصنهاجية بإدخال عناصر سودانية وإيبيرية مسيحية وأغزاز ترك الخ. وكذا فعل الموحدون عندما أدخلوا على القاعدة المصمودية عناصر گوميين من المغرب الأوسط وعلوجا أندلسيين ثم عرب بني هلال.

وقد كانت لسياسة التنويع هذه عواقب سلبية في كثير من الأحيان بسبب ما كانت تؤدي إليه من التنافر وعدم الانسجام الذي أدى إلى هزائم في معارك حاسمة.

ومنذ عهد المرينيين صارت تتضح ملامح النواة الدائمة للجيش المغربي المحترف متمثلة في حرس كان يتكون في الغالب من علوج مسيحيين ومن بني هلال وبني سليم، وكانوا يشكلون حرس السلطان الخاص والحاميات المرابطة في المدن وفي ثغور البلاد. بيد أن إبعاد العنصر الزناتي ولا سيما إلى الأندلس لم يمنع تعرض الأمراء المرينيين لاستبداد عدد من قواد العسكر المحترفين من غير عصبيتهم القبلية، بل كان ذلك من أسباب الفوضى التي عرفها العهد الأخير لهذه الدولة.

وقد تكرر استخدام الأجانب من أتراك وغيرهم في الصراعات الداخلية السعدية، بل لجأ بعض أمرائهم إلى الاستنجاد بعناصر إيبيرية نصرانية. وكان رد الفعل الشعبي على ذلك تعبئة دينية عميقة تداركت كيان الدولة وتولت الدفاع عن الأمة وتحققت بها انتصارات كان لصداها فائدة في إحجام القوات الأوربية الحديثة عن مشاريع غزو المغرب الذي استرد جيشه سمعة جيدة في حوض البحر المتوسط الغربي.

وأهم ما تميز به الجيش السعدي التحرر إلى حد غير معهود من النفوذ القبلي بالاعتماد على العناصر المحترفة. فقد قام السعديون على الجهاد والشرف وعملوا على ربط القبائل العربية بنظامهم على أساس المصلحة. وهذا من أصول تكوين نظام "الكيش". وإلى جانب العناصر العربية أدخلوا في عسكرهم عناصر أجنبية مختلفة واتخذوا مصطلحات وألقاباً أجنبية. وكان الدافع إلى ذلك حفظ التوازن وعدم تمكين عنصر قبلي من إحكام قبضته على أداة الاستقرار والسلطة والجهاد. وهذا لم يمنع قيام العناصر الأجنبية في الجيش بتدبير قتل ثلاثة من أمراء السعديين.

وقد ضعفت أدوار الجهاد في تكوين الجيش بعد سقوط الأندلس واحتلال الأتراك للمغرب الأوسط وظهور سلبيات حملة المنصور لبلاد السودان. بيد أن ميزات خاصة للجندي المغربي قد تقوت بعد إدخال استعمال البارود مع الحفاظ عل صفات التحمل وخفة الحركة.

لكن أزمات عميقة أضعفت كيان الدولة ثم الجيش النظامي وسمحت بعودة ظهور العصبيات المسلحة على سطح الأحداث لا سيما في شكل أطماع إقليمية.

وقد استطاع الشرفاء العلويون أن يجمعوا بين مشروعية مستمدة من الشرف والجهاد، وبين الاعتماد على قاعدة عسكرية ابتداء من نواة جمعها مولاي امحمد.

وقد كان النظام العسكري الذي بناه المولى إسماعيل خاضعا لنفس المعايير السابقة التي استهدفت تكوين جيش نظامي وإبقاءه ما أمكن مستقلا عن النفوذ القبلي وجعله متفوقا على القوات العسكرية الجهوية، وجعله في نفس الوقت خاضعا للسلطة المركزية.

وإذا كان المولى إسماعيل قد استعمل لهذه الغاية وسائل تقليدية، وأخرى مبتكرة فإن النتيجة التي وصل إليها بعد خمسين سنة في الحكم فاقت بكثير ما وصل إليه سابقوه وخصوصا فيما يتعلق بالتفوق العسكري الداخلي وبتحرير الجيش من النفوذ القبلي.

فمن وسائله التقليدية :

1) ما ورثه من السعديين من نظام قبائل "الكيش" المبني على إعفاء بعض القبائل من الغرامات و:إقطاعها" أراضي للفلح مقابل خدمات عسكرية عند الاقتضاء، وأهم تلك القبائل جيش الأودايا المتكون من رحى أهل سوس ورحى المغافرة ورحى الأودايا ثم جيش شراكة وجيش أيت إيمور.

2) عناصر عسكرية ظرفية تستنفر في حالات خاصة كأيت أومالو. ورماة المدن في فاس والرباط وسلا.

3) قبائل المجاهدين التي حصرت في عناصر معينة أغلبها من أهل الفرض، وقد ترك لها خيلها وسلاحها، ومهمتها تحرير الثغور.

أما الوسائل المبتكرة، فمنها عنصر العبيد الذي جمع في إطاره أعداداً هائلة من عبيد كان آباؤهم في ديوان السعديين ومن آخرين اشتروا أو أُسروا. وقد ربطوا بالولاء على الدولة على أساس قَسَم على كتاب *صحيح البخاري* فسموا بجيش البخاري. وقد وُزعوا على قصبات تحرس أماكن استراتيجية في البلاد لضمان الأمن والحيلولة دون تسرب قبائل جبلية زاحفة نحو السهول ولا سيما صنهاجة الظل بالأطلس الكبير الأوسط والأطلس المتوسط. وقد وصل عدد هؤلاء البخاريين خمسين ألفاً.

- وإلى جانب العبيد كانت فرقة تسمى الانكشارية يترأسها الباشا مساهل وتألفت من الرماة الراجلين وإن كان قوادها من أهل الخيل.

- والعنصر الثالث فرقة كانت بوجه عروس وعدد أفرادها خمسة آلاف وكانوا يحملون لقب"قواد رؤوسهم" والواحد منهم يسمى "قايد راسو".

وقد كان في القصور الملكية عبيد شداد تسند إلى بعضهم مهمات عسكرية أو مدنية.

كان تكوين هذا الجيش يتم بالوعظ والتحريض المعنوي الذي يشارك فيه حتى السلطان وبالتفرغ للتدريب وبتسليح أفراده بآليات أكثر تطوراً من الآليات التي تتوفر عليها القبائل، وأغلب أسلحة جيشه مستورد من أوربا وهي أخف مما كان يصنع بالمغرب.

كان أطفال العبيد يربون ابتداء من سن العاشرة تربية على طريقة الانكشارية التركية، وكانوا يتعلمون الصنائع وركوب الخيل واستعمال السلاح، ويلتحقون بالجيش في سن السادسة عشرة.

وكان جيشه في الحركات (الحملات) يتقدم على صفين على شكل هلال يكون الفرسان جناحيه، وكان استعمال المدفعية أساسيا، يجرها في كثير من الأحيان الأسرى المسيحيون ويستعملها العلوج. بيد أن تاكتيك الجيوش كان لا يختلف عن أسلوب الكروالفر المعروف عند القبائل، بيد

أن التجربة أكسبت القدرة على عدد من الحيل ربح بها عددا من المعارك.

إن هذا العنصر الجيشي أدخل تغييراً على التوازن التقليدي بين الجيش النظامي والقوة العسكرية للقبائل لا سيما بعد نزع السلاح والخيل من هذه الأخيرة. غير أن مولاي إسماعيل لم يترك لهذا الجيش فرصة الاستبداد سيما وأن عناصره لا تجمعها روابط عرقية ولا اجتماعية، إذ كان مكونا من شراگة والأودايا وجيش البخاري وجيش المجاهدين وجيش أيت إمور والعلوج. وكان تقسيم هذا الجيش إلى فرق وإلى قيادات تشهد تغيرات مستمرة مثل تقسيم الأودايا إلى فرقة فاس تحت قيادة محمد بن عطية وفرقة مكناس وعليها أبا الحسين المعروف بـ"بوشفرة". ولما قسم السلطان المغرب عمالات بين أبنائه أعطى كل واحد منهم فرقة من الجيش. وقد تعرض عدد من قواد الجيش لعقوبات من السلطان دون أن يكون لذلك أثر على طاعة الجيش، بينما أغدقت على قواد آخرين نعم جعلتهم من أكبر الأغنياء المترفهين.

كان التحكم في هذه الآلة العسكرية العظمى يرجع إلى شخصية السلطان، وهذا ما يفسر الفوضى التي قامت بسبب تصرفات الجيش بعد موت المولى إسماعيل وتنازع أبنائه لمدة ثلاثين سنة، لا سيما بسبب اضمحلال التجارة التي كانت مصدر تمويل هذا الجيش. وهذا ما يفسر طغيان عناصر البخاري خاصة، حيث دفعوا أبناء المولى إسماعيل إلى تجاوزات ضريبية فادحة من أجل إرضائهم وضمان ولائهم المتقلب وإلى ضعف عام للبلاد.

وكان الدرس المستخلص من هذه الفتنة عمل السلاطين منذ عهد سيدي محمد بن عبد الله على إعادة التوازن بين عناصر الجيش وإعطاء الأسبقية للمفاوضات على الحرب وانحصار دور الجيش في استعماله كوسيلة للضغط على الخصم. وكان العنصران المكونان لهذا الجيش هما جيش البخاري وقبائل "الگيش"، مع وجود بعض العلوج المختصين في المدفعية (الطبجية) أو البحرية.

وقد استمرت ملامح التنظيم الإسماعيلي، وبالرغم من الضعف الذي نال عناصر الجيش (البخاري والگيش) فقد كانت لها امتيازات على القبائل ومن البارزين منها يؤخذ خدام سامون "كأصحاب الكمية" من ذوي المهام العسكرية وأصحاب "الشكارة" المدبرين للمال، والحجاب والوزراء والكتاب وأصحاب الحناطي أي المكلفين بمختلف مهام الخدمة داخل القصور الملكية وصارت هذه الوظائف عمليا شبه وراثية من عائلات أصلها "گيش" أو من عبيد البخاري. لكن هذه العناصر "البخاري" و"الگيش" كانت تنقل من مقر إلى مقر حسب ما يقتضيه نظر السلطان. وكانت مناطق التوطين هي على الخصوص مناطق المرور السلطاني بين العواصم، وكان يحال دونها ودون التحالف مع القبائل التي استقرت بين ظهرانيها.

وقد أضيفت إلى هذه العناصر قبائل أخرى اختبرت طاعتها مثل الرحامنة التي كون منها سيدي محمد بن عبد الله نظاما على غرار الانكشارية التركية. وكان مولاي سليمان قبل ذلك أضاف قبيلة گروان إلى الجيش بعد كسر شوكتها. وأضاف مولاي عبد الرحمان شراردة بعد هدم زاويتهم إلى الگيش. وقام الملوك بحذف بعض القبائل من "الگيش" لأسباب مختلفة كالتمرد.

وكلما تقوت فرقة من العناصر في مقرها قسمت ونقل بعضها وسُلِّط عليها غيرها لمراقبتها. وكان المخزن يحرص على التوازن الضروري بين قوته العسكرية وبين القوة العسكرية للقبائل، ويتدخل لإضعاف الجهة التي يتوقع خطرها، ووقع تكييف هذه السياسة وكذا خريطة توزيع الجيش مع المقتضيات الأمنية والاقتصادية، فقد صارت أغلبية الجيش تشكل حاميات الموانئ بعد استعادة نشاط التجارة مع الخارج، وذلك لحمايتها من قراصنة أوربا ومن القبائل المجاورة ومن أدعياء الملك. وكان النشاط التجاري سبباً في رفع أجور العسكر وتجديد سلاحهم بانتظام، ولما تقلصت هذه المداخيل في عهد المولى سليمان سقط الجيش في دورة جديدة من الضعف، حتى اكتفى المخزن بنواة من بقايا عبيد البخاري وگيش الودايا وشراگة، وقد انشغلت خاصة بتحركات قبائل تجدد عنفوانها، وظهر تفوقها في عدة مناسبات. وقد حاول مولاي عبد الرحمان تدعيم الجيش في إطار استعادة توازنه مع قوات القبائل، لكن مع عدم وجود الوسائل المادية لذلك، مما اضطره إلى إجراءات مفروضة تحت الضغط الأوربي كإغراق آخر سفن الأسطول المغربي بعد تعرض موانئ مغربية لهجمات السفن الأوربية.

وقد احتفظ الجيش بمظهر التكامل بين النواة المخزنية والقوة العسكرية القبلية، ولكن في وضعية تتسم بكثير من الضعف، ومع هذا كله ظل الجيش المغربي محتفظا إلى حدود احتلال فرنسا للجزائر بمظهر القوة والانسجام مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى ؛ كما كان يحتفظ بسمعة في الخارج مبنية على انتصارات شهيرة في الماضي.

بيد أن احتلال الجزائر طرح على المغرب قضية الجهاد، مخاطر المغامرة فيه وعواقب التخلي عنه. وقد كانت النتيجة انهزام إسلي في 14 غشت 1844. وقد استنتج المخزن والعلماء خاصة أن تكوين جيش مغربي على غرار الجيش الأوربي هو "الجواب" عن هذا التحدي. وزادت هزيمة حرب تطوان عام 1860 تأكيد هذه الضرورة، وأدت تلك الاجراءات إلى محاولة أمرين :

1) تكوين جيش نظامي، يجمع من كل القبائل والمدن وتدريبه تدريبا عسكريا عصريا.

2) تقوية هذا الجيش بالسلاح المتطور.

ومن أجل الهدف الأول صار المخزن يفرض على كل مدينة أو قبيلة عددا من الأفراد يدخلون في الجندية، والعدد متناسب مع عدد سكان القبيلة ودرجة طاعتها، وكذا

بحسب الظروف والأحوال. وعلى سبيل المثال فرض مولاي الحسن على العرائش 200 مجند وعلى فاس 500 وعلى دكالة 2000 وعلى الشاوية 2000 وعلى الرحامنة 3000 الخ.

وكان المؤطرون إما مغاربة تكونوا في المغرب أو الخارج أو أجانب جاءوا في بعثات عسكرية إلى المغرب، وذلك تأثراً بالنموذجين الأوربي والتركي معا. وقد استدعى المغرب في البداية مدربين جزائريين وتونسيين. وأرسل طلبة للتدريب في مصر في عهد سيدي محمد واستعملت مراجع تركية ترجمت إلى العربية لوضع التنظيمات العسكرية، وقسم الجيش الجديد الذي أطلق عليه تسمية "العسكر" على النمط التركي، واقتبست مصطلحات جديدة كالطابور والأنباشي والشاوش والبلوكمير والطنبرجي والطربطي الخ.كما تأثرت بذلات الجيش بالنموذج التركي.

وشيئا فشيئا تجاوز المخزن مرحلة النموذج التركي ليمر إلى مرحلة النموذج الأوربي ولا سيما عن طريق إرسال البعثات إلى الخارج، مثل بعثات سيدي محمد إلى جبل طارق وقوامها 200 من العسكر بين 1870 و1873 وبعثات مولاي الحسن إلى نفس المكان وقوامها 425 عسكريا بين 1873 و1877، وفي عهد محمد الرابع وخلفه مولاي الحسن أرسلت بعثات أخرى إلى بلدان أوربا بل وحتى إلى الولايات المتحدة. وقد دام تكوين بعضهم ست سنوات ورجعوا للعمل على تدريب الجيش أو في معامل السلاح أو في الهندسة العسكرية. وكان يشترط في المبعوثين صغر السن والقابلية للتعلم والوجاهة الاجتماعية.

أما المدربون الأجانب فقد كانوا إما من الأتراك أو من الأوربيين. وكان بعضهم مرتزقة جاءوا يبيعون مهاراتهم الشخصية ومن ذوي السوابق في بلدانهم، وكان البعض الآخر ضمن بعثات حكومية من فرنسا سنة 1877 ومن ضمنها القبطان إركمان Erckman والدكتور ليناريس Linarès، وكلاهما اكتسب مع الأيام أهمية في حاشية المخزن. وبقيت هذه البعثة الفرنسية تتجدد باستمرار إلى انعقاد الحماية، وبالرغم من محاولات مولاي الحسن ومولاي عبد العزيز ومولاي حفيظ الاستغناء عنها.

وكان قد تم الاتفاق بين السلطان مولاي الحسن ووزير بريطانيا المفوض بطنجة دريموند هاي Drumond Hay على مجيء ضباط بريطانيين إلى المغرب، فكان ماكلين McLean أول ضابط أجنبي لدى المخزن عام 1877. وقد درب الطبجية ثم الحرابة على استعمال المدفع من نوع گاردنر Gardener والمدفع من نوع Maxims.

وفي إطار التنافس بين الدول الأوربية على المغرب تهافتت إيطاليا وإسبانيا وألمانيا على تقديم الخدمات الحربية للمغرب مثل بناء ماكينة السلاح الإيطالية بفاس سنة 1888 وتسييرها، وفي نفس السنة وصل الضابط الألماني هوگوتبورگ المكلف باستقبال مدافع من نوع كروب Krupp وتركيبها بعد أن اشتراها المخزن. وقد جاء بعده ألمان آخرون في مهمات أخرى.

وبعد سنتين من المحاولات استطاعت إسبانيا في عام 1889 أن تعين لدى المخزن مدربين وطبيبا عسكريا اسمه كورتيس Cortes الذي استطاع اتخاذ مكان في دوائر المخزن إلى غاية 1904.

أما إجراءات التجهيز والتسلح العسكري فقد تناولت تقوية وسائل الدفاع البحري ببعض الثغور وترميم التحصينات وبناء أبراج جديدة وقواعد لبطاريات المدافع. كما حاول المخزن تحديث الأسطول باشتراء باخرة من إيطاليا تمّ أداء ثمنها مسبقا، ولم تصل إلا بعد موت السلطان وهي التي أطلق عليها "بشير الإعلام بخوارق الأعلام"، واشتريت باخرة أخرى من بريطانيا سنة 1882 وسميت بالحسني، واشتريت مقنبلة من ألمانيا سنة 1892 سميت السيد التركي.

وفي هذا الصدد أيضا اشتريت أسلحة حديثة من عدة بلدان بواسطة مفاوضات مع الحكومات أو الشركات بعد أن كان الشأن في عهد مولاي عبد الرحمان منحصرا في شراء السلاح من جبل طارق مقابل القمح بواسطة القنصل المغربي اليهودي بنعليل، ومن جهة أخرى أنشئت نواة محلية لصنع السلاح كمعمل القرطوس بأگدال بمراكش ودار السلاح بفاس.

وقد أدت هذه السياسة العسكرية التي نهجها المخزن خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى حدود 1912، إلى تحولات هيكلية في الجيش، وإلى تطوير تقني ضعيف، وكان لهذا نتائج سياسية سلبية، لأن السياق الذي تمت فيه تميز بممارسة عدد من الضغوط الأجنبية على المغرب، لم يكن المغرب مؤهلا لمواجهة متطلباتها لا ماديا ولا بشريا.

فالجيش صار يتكون من ثلاثة عناصر هي :

- العكسر ، وهو العنصر الجديد المحترف، وكان فيه من المشاة أو "الرجلية" 12.000 جندي، وينقسم إلى طوابر تحمل أسماء القبائل أو المدن التي تأصلت منها، وكان تحت أوامر السلطان ويرأسه العلاف الكبير (عبد الله بن أحمد في عهد سيدي محمد، ومحمد العربي الجامعي خال السلطان مولاي الحسن، ثم خلفه محمد الجامعي الصغير وسعيد بن موسى في عهد مولاي عبد العزيز ثم الجباص ثم العربي المنبهي ثم الجباص مرة أخرى).

لم يتم هذا العكسر بما فيه الكفاية لعوائق، منها صعوبة التجنيد بصفة دائمة وهو ما لم يألفه الناس، وقلة الإمكانات المالية وتأطيره بغير المسلمين.

- الگيش، هو العنصر التقليدي المكون من قبائل "الگيش"، ومن بقايا جيش البخاري. لم يعد يتعدى عدده خمسة آلاف أهمها الخيالة (1.300) والمسخرين، وكانت رئاسته لقائد المشور (إدريس بن العلام في عهد مولاي الحسن).

- الطبجية أو المدفعية، وهو القسم العسكري الذي ركز عليه المخزن في الإصلاح إلى جانب العسكر، وقد التحق به

الطلبة المستفيدون من البعثات إلى الخارج. وكان عدد أفراده سدس مجموع الجيش الجديد (2000) وكان تحت أوامر السلطان مستقلا عن العسكر وعن الگيش، وكانت تشرف عليه عناصر إما تركية أو من العلوج أو من الأوربيين.

أما في الجانب التقني فلم تؤد هذه الجهود إلا إلى نتائج هزيلة بسبب قلة الإمكانيات المادية وعدم الاستفادة من الموفدين في البعثات، وبسبب عمل الأوربيين على مضايقة "إصلاحات" المخزن بشتى الوسائل.

أما الأسلحة المستوردة، وإن استنزفت بيت المال، فلم تكن لها فائدة كبيرة إذ كان بعضها مما تجاوزته الدول الأوربية وأرادت التخلص منه باستعمال وسائط وسماسرة، ومنها ما كان فاسدا. ومنها ما لم يكن استعماله في متناول الجنود المغاربة. وقد كانت متعددة الأنواع والمصادر، تحتاج بعد استعمال معين إلى قطع غيار، ومنها ما أهمل كالسفن الحربية لارتفاع مصاريف الإصلاحات. ويضاف إلى هذا كله ما أدّى إليه ترويج الأسلحة من تهريبها إلى القبائل. أما البعثات الأجنبية فقد اشتغل عدد من أفرادها بالتجسس أو بمشاغل ضارة بمصداقية المخزن.

أما من الناحية السياسية فقد أدت متطلبات هذه الإصلاحات إلى خلق نوع من العنف الجبائي بين الحاكمين والمحكومين، والتركيز على قطاع لا ينتج وهو الجيش، وهذا كله كان يهيئ لتقويض التوازنات التقليدية ويهيئ لتكريس التبعية للأجنبي، تبعية في أشياء تبدو اختيارية في البداية ثم تتحول إلى متطلبات لازمة تثقل من النفقات وبالتالي من الجبايات التي يؤدي الإسفاف فيها إلى توتر العلاقات السياسية الداخلية وتسهيل تنفيذ أطماع الأجانب.

ومع الزمن ظهر أن مهمة البعثات وخصوصا منها الفرنسية منذ 1905 صارت منكشفة، وهي "جعل الجيش المغربي قوة منظمة تساند وتضمن الغايات الفرنسية" وهكذا عرضت فرنسا عدة مشاريع قوانين "لإصلاح الجيش المغربي"، وهي مشاريع وجدت في قرارات مؤتمر الخزيرات 1906 قاعدة لها. وهكذا تم الرفع من عدد المدربين الفرنسيين داخل الجيش المغربي، وتوسعت الرقعة الجغرافية لنفوذ البعثة، وأوكل لها الإشراف حتى على جيش الحدود، ودفعت المخزن إلى الاستغناء عن كل البعثات الأخرى بما فيها البعثة العسكرية التركية التي أحضرها مولاي حفيظ إرضاء للذين ساندوه كسلطان للجهاد وظنوا أن المغرب مازال بإمكانه أن يستغني عن التعاون مع النصارى باللجوء إلى التعاون مع مسلمين أكثر تقدما كالعثمانيين.

وفيما بين 1909 و1911 تضخم نفوذ البعثة الفرنسية داخل الجيش المغربي بتوجيهات من وزارتي الخارجية والحربية الفرنسيتين. وقد نفذ القائد الفرنسي مانجان Mangin هذه السياسة وحدد عدد الجيش المغربي في 6.000 بتاريخ 15 غشت 1911 ورفع من عدد المؤطرين الفرنسيين داخل كل طابور (7 طوابير من المشاة في كل منها 5 ضباط و5 ضباط صف من الفرنسيين، وطابوران من المدفعية في كل منها ضابط و3 ضباط صف و4 طوابير من الخيالة في كل منها ضابطان و6 ضباط صف، وطابور للهندسة فيه ضابط و6 ضباط صف وطابور للإدارة فيه 26 ضابطا و16 ضابط صف).

وبازدياد هذا الاستحواذ كانت المؤسسة العسكرية المخزنية قد سقطت رسميا تحت السيطرة الأجنبية. ولكن انتفاضة العسكر في 17 أبريل 1912 أي بعد خمسة وثلاثين يوما من فرض نظام الحماية على المغرب، هذه الانتفاضة قد دلت على أن هذه المؤسسة وبالرغم من كل التغييرات التي أدخلت عليها تحت الضغط الأوربي، لم تنسلخ عن المجتمع المغربي، وظلت قادرة على أن تعبر عن عدم رضاها على الأمر المفروض من الخارج. لكن القضاء على الجيش النظامي المغربي لم يكن يعني القضاء على القوة العسكرية المغربية، إذ كان على الجيش الفرنسي أن يواجه القوة العسكرية للقبائل التي كبدته خسائر لأكثر من عشرين سنة على الرغم من أن فرنسا دفعت مؤتمر الجزيرة الخضراء إلى تحريم دخول الأسلحة إلى المغرب.

فالأحداث وقعت في العاصمة فاس عدة أيام بعد توقيع عقد الحماية أي في مدينة يعمها الاستياء والغضب وتحتلها الجيوش الفرنسية بقيادة الجنرال برولار Brulard وكان عددها يتعدى 1500، منقسمة إلى طابورين من الرماة، وطابور من المدفعية، وفصيلة من الرشاشات، وفرقة من الإصباحية وفرقة من القناصة الإفريقيين، بينما كان الجيش المخزني الذي يبلغ 5.000 فرد بما فيه الحرس الملكي، والمهندسون، متفرقا بين قصبة شراردة، بقرب باب الساگمة، والبرج الشمالي (برج النور) والبرج الجنوبي، وتكنة تامديغت بقرب باب فتوح.

وقد انطلقت الشرارة الأولى من قصبة شراردة حيث أطلق الطابور رقم 4 للمشاة النار على المدربين الفرنسيين وانطلق الجنود من القصبة ينادون "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وتبعهم السكان، وهجم "الثوار" على كل الأماكن التي يسكنها المدربون الفرنسيون وعلى الملاح الذي التجأ أغلبية سكانه لدار المخزن.

وقد قابل الجيش الفرنسي هذه الانتفاضة "بالمدفعية" التي كانت بظهر المهراز، حيث رمى الكومندار فيليبو Philipot كل الأحياء، كما خرجت طوابر الجيش الفرنسي من دار الدبيبغ متجهة نحو الملاح، ولكنها حوصرت من طرف العسكر المغربي وخيالة القبائل. وقد دامت المعارك ثلاثة أيام، استنجد فيها الجيش الفرنسي الموجود في فاس بالجيش الموجود في مكناس تحت قيادة الكومندار دودو Doudous الذي جاء لنجدته بفرقة من المدفعية وفرقة من الفيلق الأجنبي والإصباحية. ومع ذلك لم يستطع الجيش الفرنسي أن يجعل حدا لهذه الانتفاضة، إلا بإعانة طوابر مغربية كطابور المهندسين (الذي دربته البعثة الفرنسية) وطابور بوجمعة بن مبارك المسفيوي (الذي دربته البعثة كذلك)، وبإعانة العلماء والشرفاء الذين صاروا يهدئون

السكان، وكذلك بحضور الجنرال مواني Moigner من تفلت بـ 9 فيالق من المشاة، وفيلقين من الخيالة وفرقة من المدفعية وفرقة من الرشاشات. وقد بلغ عدد القتلى الفرنسيين 9 من المدربين و19 ضابطا وضباط صف، و35 من الرماة من بينهم ضابطان و70 جريحا، كما جرح 70 من يهود الملاح.

أما القتلى المغاربة فليس بين يدينا وثائق تسمح لنا بتقدير عددهم.

واغتنمت فرنسا هذه الثورة لإعطاء الضربة القاضية للعسكر المغربي فجردته من سلاحه وسجنته في التكنات وأعلنت حالة الطوارئ في فاس وأعطت كل السلطات المدنية والعسكرية لحاكم عسكري هو الجنرال ليوطي.

وقد كان على المغرب أن ينتظر عهد الاستقلال ليحيى المشروع الذي أحبطه الضغط الغربي وقلة الموارد المالية والفوضى العسكرية والسياسية التي عاشها في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي، ليؤسس في ماي 1956 أول جيش نظامي ذا طابع وطني، هو القوات المسلحة الملكية التي كانت نواتها الأولى من أعضاء المقاومة وجيش التحرير، والجنود المغاربة الذين كانوا داخل الجيش الفرنسي، ومن متطوعين من كل الأوساط الاجتماعية، سواء من المدن أو من البادية.


كاتب مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، الاسكندرية، 1957 ؛ أ. الناصري، *الاستقصاء*، الدار البيضاء، 1954 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن الخطيب، *إعمال الاعلام بمن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلام*، مخطوط ؛ ابن زيدان، *اتحاف* ؛ م. شفيق، *إمازيغن، معلمة المغرب*، ج. II، الرباط 1989 ؛ بردلة العربي، *رسالة إلى مولاي إسماعيل*، مخطوط خ ع، رقم D163 ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، بيروت 1967 ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ اكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الرباط 1976 ؛ بليمني بوعشرين، *التنبيه المغرب عما أصبح عليه الآن حال المغرب*، تح. المانوني، الرباط 1994 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب المستحسن*، خ ح رقم 1920 ؛ مجهول، *الابتسام عن دولة مولاي هشام*، خ ح 12420 ر ؛ الجائي محمد الحسني، *مقمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام*، مخطوط خ ح ؛ حفيظ، السلطان، *داء العطب قديم*، مخطوط ؛ محمد الحجوي، *تقاييد تاريخية*، خ ع ؛ الخوجة، *ترتيب العسكر*، مخطوط خ ع رقم د2733 ؛ ديبگو دي طوريس، *تاريخ الشرفاء*، تر. محمد حجي والأخضر، الرباط 1988 ؛ محمد الدكالي، *الإتحاف الوجيز* ؛ المشرفي، *الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية*، مطبعة حجرية، خ ع، رقم D1463 ؛ محمد المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، الرباط 1987 ؛ السملالي، *مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولانا الحسن*، مخطوط خ ح رقم 81 ؛ أبو قاسم الزياني، *البستان الظريف*، مخطوط خ ع، رقم د 1577 ؛ *عقد الجمان في شمائل مولاي عبد الرحمان*، مخطوط، خ ع، رقم 40 ؛ *كنانيش تتعلق بشؤون الجيش*، خ م ح من 1 إلى 553 ؛ *كتاب القوانين الداخلية المتعلقة بمشاة العسكر الجهادية في سبيل الله*، خ ح رقم 1258 ؛ كناش ابن اليمني خ ع فيلم ر 4 ؛ *رسائل سلطانية إلى المحتسب مولاي عبد الله البوكليلي* خ ع ؛ *كناش بين الحكومتين البلجيكية والانجليزية من جهة، والحكومة المغربية من جهة لشراء الأسلحة*، شوال 1302.

L. Arnaud, *Au temps des Méhallas ou le Maroc de 1860 à 1912*, Casablanca, 1952 ; E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904 ; E. Michaux-Bellaire, *L'impôt de la naiba et la loi musulmane au Maroc, R.M.M.*, T. VII et VIII, 1910 ; T. Berrada, *Certains aspects de la mission française au Maroc, H.T.*, VI XXV, 1987 ; *Aspects de la question militaire au XIXème siècle, Maroc Europe*, N° 7, 1994 ; B. Augustin, *Le Maroc*, Paris, 1915 ; E. Burke, *Prelude to protectorate in Morocco precolonial, resistance 1860-1912*, Chicago, 1976 ; N. Cigar, *Une lettre inédite de Moulay Ismaïl aux gens de Fès, H.T.*, Vol. XV, 1974 ; Cossé Brissac, P. de, *Les rapports entre la France et le Maroc avant la conquête de l'Algérie (1830-1847), Hesp.*, 1931, T. XIII, Fascicule 1 et 2 ; M. Delafosse, *Les débuts des troupes noires au Maroc, Hesp.*, 1923 ; E. Doutté, *Les moyens de développer l'influence française au Maroc*. Paris, 1900 ; *Mission au Maroc : en tribu*, Paris, 1914 ; *Marrakech*, Paris 1905 ; Andrez Dzuibinski, *L'armée et la flotte marocaine à l'époque des sultans de la dynastie saadienne* ; M. El Fassi, *Lettres inédites de Moulay Ismaïl, Etudes, textes et photocopies des lettres, H.T.*, 1962, N° spécial ; A. El Moudden, *Etat et société rurale à travers la harka au Maroc du XIXème siècle. The Magreb Review*, N° 5-6, septembre-décembre 1983 ; J. Erckman, *Le Maroc moderne*, Paris, 1905 ; E. Ferrey, *La réorganisation marocaine*, Paris, 1905 ; J. Caillé, *Au lendemain de la bataille d'Isly. Corresponsance inédie. Hesp.* 1947 ; *La véritable histoire de l'ingénieur Abderrahmane Desaulty, Hesp.* 1949, 3ème et 4ème trimestre ; *La mission du capitaine Burel au Maroc en 1808*, Paris, 1953 ; *Les marocains à l'école du Génie de Montpellier (1885-1888). Hesp.* , T. XLI, 1er et 2ème trimestre, 1954 ; *Quelques renseignements sur le capitaine Erckman, Hesp..*, T. XLI, 3ème et 4ème trimestre, 1954 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967 ; W. Harris, *Le Maroc disparu*, Paris, 1921 ; C.A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes, 1415-1956*, Paris, 1978 ; M. Lahbabi, *Le gouvernement marocain à l'aube du XXème siècle*, Rabat, 1958 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, 1830-1912*, Paris, 1977 ; Ch. René Lerlerc, *L'armée marocaine*, Alger, 1905; *Les tribus guiches au Maroc. Essai de géographie agraire, R.G.M.*, N° 7, 1965 ; R. Le Tourneau, *Fès avant le protectorat*, Rabat, 1949; AGP Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaine*, Paris, 1923 ; C. Mazude, *La guerre du Maroc, RDM*, 1860; J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1830-1894*, Paris, 1961-1963, 4 vol. ; R. Montagne, *Les berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1930; M. Morsy, *Moulay Ismaïl et l'armée de métier. RHMC*. TXIV, avril, juin 1967 ; A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, Oran 1925 ; D. Nordman, *Les expéditions de Moulay Hassan, H.T.*, Vol. XIX, 1980-81; *La Pacification du Maroc : 1907-1934*. Paris, 1936 ; C. Penz, *La mission du capitaine Burel, envoyé de Napoléon auprès du sultan Moulay Slimane (1808-1810), Hesp.* , T. XXXVII, 3 et 4ème trimestre 1949 ; R. Reynaud, *En marge du livre "jaune", le Maroc*, Paris, 1923 ; J. W. Rolhman, *The new order in a pre-colonial muslim societey : military reform in Morocco 1844-1904*, University of Michigan, Thèse inédite, 1983 ; A. Roux, *Quelques documents manuscrits sur les campagnes de Moulay El Hassan, Hesp..*, T. XXII,

fascicule 1. 1936 ; St. René Taillandier, *Les origines du Maroc français*, Paris, 1930 ; (Docteur) Tringa et A. de la Motte, *Un correspondant de révolution. ou journal d'un Israélite de Fès. 1908-1910*, Bibliothèque Générale de Rabat ; F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Raba,t 1947 ; G. Weyre, *Au Maroc dans l'intimité du sultan*, 1905 ; Archives Ministère de la Guerre, Paris, série C, série 3H; Ministère des Affaires Etrangères, Quai d'Orsay, Paris : Correspondances politiques, 38 à 74 ; Correspondances ; Mémoires et documents.

ثريا برادة

**جيش التحرير المغربي** يعدّ امتداداً للمقاومة التي خاضها المغاربة منذ إقدام الاستعمارين الإسباني والفرنسي على فرض حمايتهما على المغرب، واجه المغاربة بانتفاضات في مختلف ربوعه الوجود الاستعماري إلى حدود سنة 1934 ليأخذ الكفاح شكلاً جديداً تمثل في النضال السياسي، وتميز بتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944، ثم خطاب طنجة التاريخي سنة 1947، ليدخل هذا الكفاح منعطفا حاسما بعد نفي المغفور له محمد الخامس وأسرته الملكية الشريفة في غشت 1953، حيث انطلقت المقاومة الفدائية السرية المسلحة لتتكلل بانطلاقة جيش التحرير بإيموزار مرموشة وأكنول وبورد وتيزي وسلي في أكتوبر 1955، تلك الانطلاقة التي عجلت بعودة الملك الشرعي حاملا لواء الحرية والاستقلال.

مرحلة التكوين وانطلاقة جيش التحرير. جاء تكوين جيش التحرير المغربي نتيجة طبيعة الكفاح الذي ظل يخوضه المغرب بعد امتداد أيادي الاستعمار إلى رمز سيادته، فبعد أن بدأ الوطنيون مواجهة الاستعمار في عمليات فدائية، كانت بادرة تنظيم الخلايا المسلحة في المدن الرئيسية التي ضمت في صفها أهم العناصر الحية من الشباب. وكونت قيادتها السرية وغدت بعد 20 غشت 1953 حركة وطنية مسلحة لها رجالها المنتمون لمختلف الأقاليم، وبها تنظيماتها الدقيقة، وبعد انكشافها من طرف السلطات الفرنسية في يناير 1954 التحقت أهم عناصرها بمنطقة الوجود الاسباني في الشمال حيث تألفت قيادة جديدة للمقاومة المسلحة بتطوان، ولقد شهدت تطوان والناظور وغيرها حركة دؤوبة بإشراف عدد من الزعماء والقادة وتنسيق داخل الوطن وخارجه، إذ تكونت عدة خلايا منها ومن مثيلاتها انطلق التنظيم لجيش التحرير وتعزيز صفوفه بالمجاهدين والعمل للبحث عن الأسلحة والتخطيط للهجوم على الفرنسيين، وإجراء التداريب على السلاح وإعداد المقاتلين للهجومات.

وهكذا تم تكوين جيش التحرير الذي مهدت له حركة المقاومة، فتم تنظيم هذه الجماعات ودرب أفرادها بالمنطقة الخليفية، وتألق منها ما أطلق عليه اسم جيش التحرير المغربي، وقد كان لموقف إسبانيا المعادي للسياسة الفرنسية دور فعال في مساعدة تكوين هذا الجيش حيث تم الاتفاق على أن تشجع إسبانيا إنشاء جيش التحرير وأن تساعد معنوياً على تنظيم الجيش بمساعدة قواد مغاربة مدربين ذوي تكوين عسكري سابق في الجيش الفرنسي.

عمليات جيش التحرير بالشمال :

1) - انطلاقة جيش التحرير ببولمان. يعدّ فاتح أكتوبر 1955 يوم الانطلاقة الأولى لعمليات جيش التحرير بشمال المملكة، حيث بدأ التفكير في خلق مجموعات من المقاومين قصد شن هجومات منسقة ومنظمة على المواقع التي توجد فيها قوات الاستعمار، وقد أعطيت الشرارة الأولى في إيموزار مرموشة بإقليم بولمان، حيث شن هجوم على ثكنة الجيش الاستعماري أدى إلى غنم أسلحة وذخائر مهمة مما اربك المستعمر، وكان ردّ فعله على هذا الهجوم وحشيا باستعماله لمختلف أنواع الأسلحة الفتاكة الموجودة آنذاك، ورغم شراسة العدو وقواته الضخمة، بقيت قبائل مرموشة صامدة في وجه الاستعمار تكبده الخسائر تلو الخسائر.

2) - انطلاقة جيش التحرير بإقليم تازة. في الساعة الواحدة من ثاني أكتوبر 1955 هاجم أفراد جيش التحرير عدة مراكز فرنسية مهمة بمناطق متعددة، منها مراكز بورد وتيزي وسلي وأكنول (مثلث الموت) وقد كللت هجوماتهم بالنجاح واستولوا على مستودع تابع للعدو يضم أسلحة ومعدات حربية. وبعد هذا الانتصار الذي رفع من معنويات أفراد جيش التحرير اتجهوا إلى مركز بوزنيب لمواجهة الفرنسيين الذين اندحروا رغم توفرهم على أسلحة من الطراز الحديث، كما دارت معارك أخرى في كل من أجدير وتيزي وسلي، وقد استطاع جيش التحرير محاصرة القوات الفرنسية فيها وألحق بها أضراراً فادحة اعترف العدو بأهميتها.

3) - انطلاقة جيش التحرير بالحسيمة. بعد أن استعادت

إسبانيا سيطرتها على المنطقة حاولت تغيير أسلوبها مع السكان، فاتبعت سياسة التعايش بدل سياسة المواجهة المباشرة، لكن المنطقة عرفت حركات احتجاج بين الفينة والأخرى إلى أن بدت في الأفق بوادر المقاومة المسلحة، فأسهمت منطقة الحسيمة بالمال والرجال، فمدينتا الحسيمة وترجيست شهدتا إشعاعا سياسيا ساهم في بلورته عدة أحزاب وطنية، كحزب الاستقلال وحزب الاصلاح الوطني وحزب الشورى والاستقلال، ونجم عنه اندلاع عدة مظاهرات جماهيرية ما بين 6 و20 مارس 1955 ضد الإدارة الاستعمارية من أجل المطالبة باستقلال البلاد، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الاسباني ميكل مارتين في كتابه *الاستعمار الإسباني بالمغرب* (ص. 200)" كان الوطنيون يسيطرون بشكل كامل على منطقة شمال المغرب : تجمعات سياسية وتظاهرات وأغان ورقصات ورايات وصور الأبطال الرئيسيين للمنظمة السرية ظهرت في القبائل الأقل تسيسا، ووقعت عدة حوادث مع جيوش الاحتلال".

وقد شارك أبناء المنطقة قبيل انطلاق العمليات الأولى لجيش التحرير في استقبال الوطنيين اللاجئين إلى المنطقة الخليفية، كما شاركوا في نقل الأسلحة خصوصاً من تطوان إلى مركز باب الحيط التابع لجيش التحرير، ولقد كان مركز "بوزنيب" الواقع بنفوذ إقليم الحسيمة عرضة لهجوم عناصر جيش التحرير في صباح يوم 2 أكتوبر 1955، حيث استولت عليه، وهو مركز ذو موقع إستراتيجي يتحكم في عدد كبير من المناطق المحاذية سواء التابعة حاليا لإقليم تازة أو لإقليم الحسيمة.

إن سهولة أخذ هذا المركز من طرف أفراد جيش التحرير بالقياس إلى قلة سلاحهم، بالمقارنة مع الترسانة العسكرية الفرنسية، يؤكد مدى عزم المقاومين على استعادة ما اغتصبه المحتل، وتوخى المقاومون في هجوماتهم تلك التصدي لقوات العدو على أكثر من محور ومركز، ولم يكن هدف قادة جيش التحرير فتح مواجهة مفتوحة مع العدو، وإنما اتباع سياسة حرب المواقع نظراً لرجحان ميزان القوى العسكري لفائدة قوى الاحتلال، ثم اعتباراً لدور الحرب الخاطفة من إنزال أكبر الخسائر بالعدو مع الاحتفاظ ما أمكن بمعنويات المجاهدين في مستوى عال.

وإزاء اتساع عدد المراكز التي أنشأها قادة جيش التحرير "كأحرور" "والما علي" و"مرجانة" وباب الحيط" وزواعونام" و"تاوفة"، وغيرها، فإن المجاهدين تمكنوا من تكبيد قوات الاحتلال هزائم نكراء في أماكن تجمعها وكذا قوافل التموين.

وللتقليل من وقع حجم هذه الصدمات المتتالية على قوات الاستعمار سعى إلى استرداد بعض المراكز ذات الوزن الاستراتيجي، فركز اهتمامه على مركزي "باب الحيط" وبوزنيب" حيث نظم عمليات عسكرية جوية وبرية واسعة النطاق ولا سيما ضد مركز "بوزنيب".

4) ـ انطلاقة جيش التحرير بإقليم الناظور. تكمن الأهمية الحيوية لهذا الإقليم في اختيار جيش التحرير الوطني لمدينة الناظور مركزاً لاستقراره وتجنيد فرق وتدريب متطوعيه، ويذكر التاريخ أن هذه المدينة لعبت دور خزان للسلاح لفائدة جيش التحرير، وتجدر الإشارة إلى أن أول سفينة لشحن السلاح حلت بها. ويتعلق الأمر بالباخرة "دينا" القادمة من المشرق العربي، تبعتها في شهر غشت 1955 سفينة "النصر" التي أفرغت ثلاثين طنا من الأسلحة، وهذه الأحداث تدل على دور الناظور في تزويد المجاهدين بالسلاح إلى أن شن جيش التحرير هجوماته البطولية على مركز إيموزار مرموشة بإقليم بولمان ومركز أكنول وبورد وتيزي وسلي بإقليم تازة وسيدي بوزنيب بإقليم الحسيمة وقيامه بعمليات فدائية موازية بمراكز أخرى بشمال المملكة ابلت فيها فرق هذا الجيش وأبناء إقليم الناظور البلاء الحسن لتحقيق النصر وإعلاء صوت الحق حتى يرضخ دهاقنة الاستعمار لمطالب الشعب المغربي بالاعتراف بالاستقلال وعودة جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه وأسرته الكريمة من المنفى، ويدل حجم إسهام هذا الإقليم على تنوع مراكز تدريب جيش التحرير بكارمة وبوفافيسي وعين زورة، كما تكونت مجموعة من الشباب مهمتها جمع الرجال والأسلحة والمؤن، منها أولاد داوود وأولاد بوعبد السيد وراس كبدانة واحديدان وبني شكير وبني توزين وغيرها.

فبعد شهر ونصف من الحرب الطاحنة مع المستعمر الأجنبي لاحظت الإقامة العامة الفرنسية أن دائرة المعارك في اتساع مطرد والخسائر الفرنسية تزداد يوما بعد يوم استفحالا في الجنود والعتاد، مما اضطرها إلى إعادة النظر في القضية المغربية وأعلنت عن عودة بطل التحرير جلالة المغفور له محمد الخامس وعائلته الشريفة من المنفى طالبة من المغاربة وقف القتال.

* *

انطلاقة جيش التحرير بالجنوب. بعد استقلال المغرب سنة 1956 بقيت المناطق الجنوبية ترزح تحت نير الاستعمار الأجنبي، في هذه الفترة انتقل جيش التحرير إلى الجنوب المغربي لمواصلة الكفاح واستكمال الوحدة الترابية، وقد سبق هذا الانتقال دراسة شاملة وعامة للمنطقة كتمهيد لاختيار الطريق الأسهل للجيش، وبالتالي معرفة مراكز العدو ومدى قدرته العسكرية، هذه المجموعة انتقلت من أيت أورير إلى أولوز إذ وجد آنذاك 150 رجلا متمركزين في أولوز، وكذا بالنواحي المجاورة، ومنه تابعت الطريق لتستقر باستيك التي تمركزت فيها القيادة العليا، بالإضافة إلى مراكز أخرى خصصت للتدريب وتنظيم العمليات العسكرية ونقطة انطلاقة لخوض المعارك ضد الدخيل الأجنبي خاصة ضد إسبانيا. وفي هذه الفترة توافد العديد من أبناء الصحراء

للانخراط في الجيش، مما أدى بالقيادة إلى الانتقال إلى أقا ومنها إلى گولميم الذي أصبح المركز الأول لجيش التحرير.

- تقييم حركة التحرير بالجنوب المغربي. بدون استثناء من الشمال إلى لجنوب تعد حركة التحرير جزءاً لا يتجزأ من حركة التحرير بالمغرب حيث ظهرت في ظرف زمني حاسم متشبثة بنفس المبادئ التي التزمت بها باقي الحركات الوطنية والتي تتمثل في المشروعية والاستقلال والوحدة الترابية.

كانت إذن هذه النقط الثلاث المطلب الأول والأساسي لحركة التحرير بالصحراء المغربية، وهذا الظرف الزمني جاء ليبرز لنا مدى ارتباط أبناء الشمال بأبناء الجنوب، وكذا مدى التواصل والتماسك الموجود بين حركتين ظهرتا في فترة زمنية واحدة يجمعهما هدف مقاومة الاستعمار.

وقد تزامنت الفترة التي أوجدت هذه الحركة مع مخططات العدو الهادفة إلى القضاء على وحدة البلاد، وبث روح التفرقة، وكان سلاح المقاوم في هذا الميدان هو إيمانه بعدالة قضيته، كما أن الجهود التي بذلتها حركة التحرير بالجنوب المغربي طالما سجلها التاريخ وردد صداها، إذ استطاع هذا الجيش أن يحقق الانتصار على الاستعمار، متخطياً بذلك الحدود الوهمية التي لا صلة لها بالتاريخ ولا بالقانون، وذلك من أجل تحقيق هدف اسمى طالما ضحت الحركات التحريرية بالجنوب من أجل تأكيده والمتمثل في استكمال السيادة الوطنية للمغرب.

وحول المكانة التي حظي بها جيش التحرير ضمن باقي الحركات الوطنية والدور البارز الذي لعبه في فترة ما بعد الاستقلال يأتي واضحاً من خلال الكلمة المولوية لصاحب الجلالة المكل الحسن الثاني نصره الله التي جاء فيها :

"قليل من يعرف ما قام به جيش التحرير في جنوب المغرب، وان كان أحد يعرف ما قام به هذا الجيش منذ سنة 1958 وقبل سنة 1958 فهو خادم هذه البلاد ..." فحركة التحرير استطاعت أن تسير المعارك بوعي وحكمة وعظة. وهذا الموقف تدعم على الإيمان بالنصر وبإرادة الشعب المغربي بقيادة رمز الكفاح الملك الشرعي للبلاد. وأما تحالف القاعدة والقمة فاضطر الاستعمار إلى احترام السيادة المغربية، والأكثر من ذلك وحدة الصف والإيمان الصادق بعدالة مطالب أبناء المغرب، لذلك شكلت أروع صورة للالتحام البطولي، كما شهدت ساحة المعركة نشاطا سواء على الصعيد الميداني أو على صعيد النشاط الدبلوماسي، وذلك في إطار توعية المواطنين بقضيتهم وإبعاد الوجود الاستعماري".

موقف القبائل الجنوبية من الدخيل الأجنبي. انتفاضة قبائل أيت باعمران. انطلقت هذه الانتفاضة يوم 23 نونبر 1957، إذ قام جيش التحرير بالتنسيق مع قبائل أيت باعمران للهجوم على مجموعة من المراكز الإسبانية تمكن من تحريرها ما عدا مركز سيدي إيفني.

لقد بدأت حرب التحرير بعدما أخفقت الاتصالات والمشاورات التي دارت بين الوطنيين الباعمرانيين والسلطات الإسبانية في سيدي إيفني بهدف التوصل إلى حلول سلمية لحسم النزاع، وانطلقت العمليات الأولى فجر يوم الجمعة" 23 نونبر 1957 بقيام طلائع جيش التحرير بشن هجوم موحد ضد جيش الاحتلال الإسباني في 18 مركزاً عسكريا، وكانت قوات جيش التحرير التي يناهز عددها 3000 جندي تتصدى بإقدام وبسالة نادرة للجنود، وبالرغم من أن ميزان القوى كان غير متكافئ عدة وعدداً فقد استطاع جيش التحرير أن يشن بطلائعه هجومات ناجحة ألحقت خسائر فادحة بقوات الجيش الاسباني، وأهم ما يسترعي الانتباه في هذه العملية العسكرية هو التنسيق المحكم بين مختلف فرق جيش التحرير، حيث نظم الهجوم في نفس الساعة وفي نفس اليوم على كل المراكز، ولم يتوقف إلا بعد أن استسلم المستعمر وقبل المفاوضة. والجدير بالذكر أن هذه الانتفاضة تتعدى المنطقة المذكورة لتصل إلى حدود طرفاية، مما جعل اسبانيا تشعر بالخطر وتتوجه من وادي الذهب، وقد اسفرت هذه المواجهة عن تحرير 18 مركزاً.

- حرب الصحراء - ايكوفيون. لم تقتصر مقاومة جيش التحرير على جبهة أيت باعمران بل امتدت إلى الصحراء قام جيش التحرير بتقسيم الصحراء إلى جبهتين - الجبهة الشرقية قام فيها جيش التحرير بعمليات عسكرية اسفرت عن عدة خسائر مادية ومعنوية في جانب العدو.

أما في الجبهة الغربية، فقد عرفت هذه المناطق عدة معارك ضارية أهمها المسيد التي فوجئ بها جيش التحرير، إذ كان العدو الإسباني مزوداً بالذخيرة والعتاد والجيش لكن جيش التحرير قدم للمستعمر الإسباني بطاقة تعريف عن الجندي المغربي وشجاعته في تحرير أرضه، وخرج المستعمر عنها كيفما كانت قوته وعتاده، ثم معركة الدشيرة المشهورة (13 يناير 1958)، إذ أراد الاسبان أن يمحوا بها عار الهزيمة التي مني بها جنودهم، لكن الانتصار كان حليف المغاربة مرة أخرى فعزموا على حملة أخرى أكثر انتقامية، وهذه المرة ستتحالف فرنسا وإسبانيا للقضاء على قوات جيش التحرير المغربي فيما سمي بعملية إيكوفيون.

دارت المعركة في المناطق الخاضعة لإسبانيا، إلا أنه حسب الاتفاق المبرم بباريز فإن التدخل الفرنسي يجب أن لا يتعدى الخط 40 / 27 ومن جهة الغرب ناحية السمارة. ومن جهة أخرى فإن المدة التي يجب أن لا تتجاوزها المعارك خارج منطقة النفوذ الفرنسي هي 15 يوما.

*خطاب محمد الخامس* بمناسبة استقبال جيش التحرير سنة 1956 ؛ *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع. 2، ص 6 ؛ بنعلي مصطفى، *جوانب من نشاطات جيش التحرير بمنطقة فگيگ* ؛ عبد الملك الحسيني، *أضواء حول مشاركة قبيلة أولاد جرير في صفوف جيش التحرير بالمنطقة الشرقية*، عدد 9، ص. 33 ؛ عبد العزيز اقضاض، *تأسيس جيش التحرير المغربي في الشمال*، عدد 12، ص. 13 ؛ همزان نجية، *تدوين تاريخ جيش التحرير بالجنوب المغربي*، عدد

12، ص. 63 ؛ أحمد خطوري، *أضواء على انطلاقة عمليات جيش التحرير بإيموزار مرموشة*، عدد 14، ص. 33 ؛ شوراق أحمد، *حقائق تاريخية عن عملية افراغ الباخرة "دينا"*، عدد 18، ص. 49 ؛ لشكر محمد، *ملحمة جيش التحرير بالصحراء المغربية*، عدد 19 ص. 40؛ أحمد معنينو، تكوين *جيش التحرير بقبيلة اگزناية بإقليم تازة*، عدد 20، ص. 3 ؛ الرحماني ميمون غورضو، *تعقيب وتوضيح حول مقال دور مركز كارمة إبان المقاومة وتأسيس جيش التحرير*، عدد 31، ص. 48 ؛ ايت المداني أحمد، *مراحل الكفاح الوطني بالجنوب المغربي وانطلاقة جيش التحرير ومقاومة قبائل ايت اوسا نموذجا*، عدد 35، ص. 57 ؛ همشي أحمد، *انطلاقة جيش التحرير بتازة عجلت بارجاع الملك واعلان الاستقلال*، عدد 38، ص. 119 ؛ صلك محمد، *من معارك إقليم وادي الذهب سنتي 1957 ـ 1958*، عدد 33، ص. 51.

ميمون حجوط

**الجيشتيميّ**، أسرة تنسب إلى قرية أگُشْتيم الواقعة على سفوح جبال "الگست" بالأطلس الصغير على بعد حوالي 7 كلم من تافراوت، وينفتح طريق هذه القرية على وادي أمّلْن بمدخل يدعى "إيمي أگُشْتيم"، وكلا الموقعين يعرف تجمعاً سكنياً قديماً لم نعثر على تاريخ بدايَته.

تعتبر هذه الأسرة من الأسر العلمية الكبيرة بمنطقة سوس، وقد أنجبت كثيراً من العلماء المشهورين (*المعسول*، 6 : 163) ينتمون إلى نسب واحد، وكان جدهم الأعلى هو العلامة عبد الله بن مَحمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد ابن محمد بن إبراهيم بن مسعود بن أبي بكر بن محمد بن مَحمد بن عمر بن أبي بكر بن الحسن الجيشتيمي، وإلى هنا تنتهي هذه السلسلة.

وقد انقرض ما يقرب من ثلاث عشرة أسرة من الأسر الجيشتيمية. أما الفروع المشهورة التي ما تزال إلى اليوم، فهي :

ـ أسرة أيت أقديم نسبة إلى عبد الله بن أحمد أقديم من نفس السلسلة، وإلى هذه الأسرة يرجع نسب عبد الرحمان ابن عبد الله صاحب الضريح المشهور بأيمي أگُشْتيم.

ـ أسرة أيت الفقير وتنتسب إلى محمد بن عبد الله الملقب بأكرامو.

ـ أسرة أيت منصور، وتنتسب إلى أيت إبراهيم بن إبراهيم.

ـ أسرة أيت موسى التاسگدلتيين. ويبلغ علماؤهم واحدا وعشرين عالماً.

ـ أسرة النجارين وقد اشتهر من علمائهم ثلاثة.

يُرفع نسب الأسرة الجيشتيمية وفروعها إلى أبي بكر الصديق في رواية غير متصلة كما أوردها عبد الرحمان الجيشتيمي في كتابه *الحضيگيون* عند ترجمته لوالده عبد الله بن محمد، وكذا صاحب المعسول. وبعد التحري يمكن لنا صياغة شجرة انساب الأسر الجيشتيمية كما يلي :

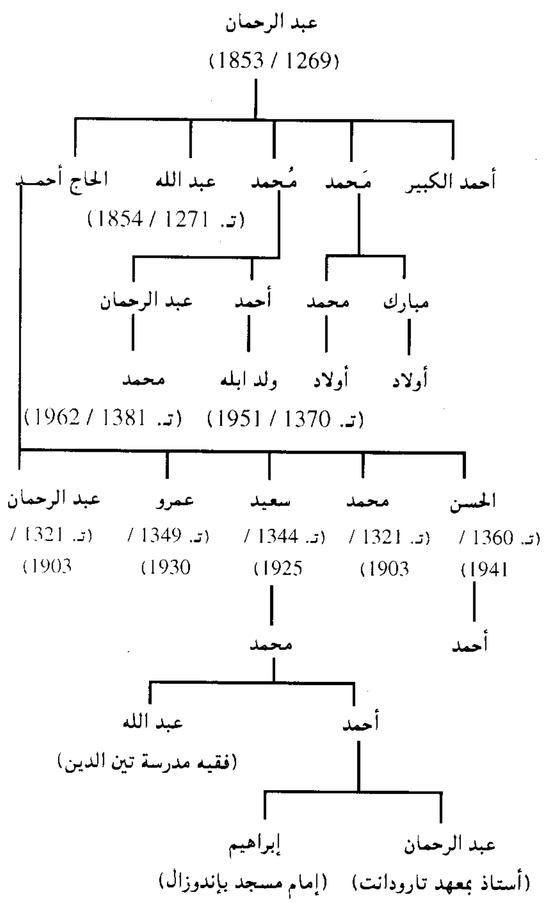


(شجرة أنساب الأسرة الجيشتيمية)

عبد الرحمان الجيشتيمي، *الحضيكيون*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 6 ؛ ح. جهادي، *تقييد خاص* ؛ الراضي اليزيد، *مراسلة خاصة عن الأسرة الجيشتيمية* ؛ *روايات شفوية*.

عمر أفا

**الجيشتيمي، أحمد** بن عبد الرحمان بن عبد الله التملي البكري الجزولي، ويُكتب أحياناً بدون ياء بعد الجيم (الجشتيمي). ينتسب الجيشتميون إلى إمي أگشتيم من قبيلة أمّلن بضاحية تافراوت، ويتصل نَسبهم بأبي بكر الصديق، وهذه الأسرة ـ يقول المختار السوسي ـ "من الأسر التي يقل نظيرها في الأسر العلمية المغربية".

وَلد أحمد الجيشتيمي عام 1231 / 1815 وأخذ عن والده عبد الرحمان ولازمه في المدرسة الجيشتيمية وبه تخرّج في العلوم اللغوية والشرعية والعقلية، ولما حجّ أخذ عن علماء المشرق واستجازهم وفي مقدمتهم المحدث عبد الغني الدهلوي (ت. 1296).

ولما آل إليه أمر التدريس في مدرستهم الجيشتيمية جدّ

واجتهد في الإقراء والنصح، وتكاثر عدد الطلبة فيها من مختلف نواحي سوس حتى عد شيخ جماعتهم، ثم بدا له أن يحج، فاستخلف بعض تلاميذه وحج وجاور، وكانت له مساجلات مع فقهاء الحجاز على اختلاف مذاهبهم نظماً ونثراً، كما كانت له مساجلات أدبية وعلمية مع السوسيين وغيرهم. وهو شاعر فحل طويل النفس.

كان لأحمد الجيشتيمي اتصال بالملوك ولاسيما المولى الحسن الأول الذي اتخذه إماماً راتباً له في الصلوات مدة طويلة، ثم رجع إلى سوس وتصدّر للتدريس في تارودانت من سنة 1304 إلى ما بعد 1312 حيث أخذ عنه كثير من الأعلام مثل الطاهر الإفراني والعربي الساموگني. وقد أورد في *المعسول* قائمة بأسماء ثلاثة وأربعين من أعلام سوس الآخذين عنه.

توفي في تيبيوت بضاحية تارودانت في 18 ذي القعدة عام 1327 / فاتح دجنبر 1909، ودفن في داره وبنيت عليه قبة حافلة.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 6 : 83 ـ 161 ؛ *خلال جزولة*، 4 : 121 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 462.

**الجيشتيمي، الحسن** بن عبد الله بن محمد التملي البكري الجزولي، ولد قبل سنة 1190 / 1770 وأخذ عن أحمد بن عبد الله الهوزيوي الروداني وغيره، وذهب إلى السودان لشراء العبيد، فلقي في بلاد تكنته الشيخ المختار الكنتي "وكان يربي المريدين ويدخلهم الخلوة الصوفية" فلازمه سنين عديدة وتزوج بنته وأنجب منها، ومكث هناك حتى مات الشيخ الكنتي سنة 1226، فلازم ابنه خليفته السائر على هدي أبيه حتى مات الابن، فبقي في الزاوية الكنتية مجتهداً في العبادة والتعليم وتربية المريدين إلى أن أدركته الوفاة هناك في رجب عام 1246 / دجنبر 1830 وكانت مدة إقامته عند الكنتيين نحو ثلاثين سنة. وكان يراسل أهله من السودان نظماً ونثراً.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 6 : 19 ـ 20.

محمد حجي

**الجيشتيمي، عبد الرحمان** بن عبد الله التيُّوتي، ولد في منتصف جمادى الثانية عام 1185 / أواخر شتنبر 1771 وتلقى العلم في عدة مراكز بسوس مثل أجشتيم وتارودانت، وتتلمذ على عدة شيوخ أمثال أحمد الجرفي الإيبوركي وعبد الله بن مَحمد الگرسيفي الذي قرأ عليه النحو والحديث، وأحمد بن عبد الله الهوزيوي الذي قرأ عليه علوم اللغة العربية، ومحمد بن أحمد وأحمد بن محمد الحضيگي ومحمد بن عبد الرحمان الفاسي وابن سالم الروداني وعبد الله الورديمي الهوتاتي ومحمد بن إبراهيم الامزاوري العبدلاوي والبوزيدي الذي قرأ عليه الآداب في كتب *المقامات والدريدية والمعلقات والطغرائية*.

انتقل عبد الرحمان الجيشتيمي بعد ذلك إلى مراكش حيث لقي عدداً من العلماء أمثال القاضي محمد بن إبراهيم الزداغي، ومحمد المكي ابن مريدة السرغيني الصبيحي الساوري الصنهاجي المراكشي المتوفى بفاس عام 1234 / 1818 مؤلف *الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة* الذي ذكر فيه رجال مراكش السبعة، وشارح *خطبة السلطان المولى سليمان المشهورة*.

عرف المترجم بالورع والتقشف والتشبث بالناصرية وهي الصفات الغالبة على الجيشتيميين (*المعسول*، 6 : 59 ؛ *الإعلام*، 8 : 124). كما عرف كأحد أدباء سوس أواسط القرن الثالث عشر بحيث وصفه مؤلف الإعلام بأنه "مجدد الأدب العربي بسوس". ومن مؤلفاته : *البراهين والقواطع اللوامع في الرد على ابن داود التيملي والمتابع*، وهو الذي يسمى أيضاً *إرسال الصواعق على ابن داود الناعق*، وهي رسالة كتبها جواباً عن رسالة الشيخ أحمد التمگوشي لما نزل على أحمد بن داود التيملي وأعرض عن المترجم ؛ *مختصر طبقات علماء سوس* لمحمد بن أحمد الحضيگي، وفيه تعرض الحضيگي لمغاربة ومشارقة من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر. أما في *المختصر* فقد اقتصر الجيشتيمي على السوسيين مثل ما فعل محمد بن عمر السوسي الدغوغي المتوفى أوائل القرن الثالث عشر (19 م) وعبد الرحمان السوسي الترغوتي (ت. 1279 / 1862) ؛ *الحضيكيون* وهو مجموعة تراجم خصصها الجيشتيمي للحضيگي سابق الذكر ولمعاصريه من الفقهاء والصلحاء السوسيين. ويضيف ع. ابن سودة أن للمؤلف ذيلاً على ما سبق ترجم فيه لنفسه يقع في نحو الكراسة ويوجد بخزانة محمد المختار السوسي (*دليل*، 1 : 224 ع 882) ؛ *إعراب القرآن في سفرين* ؛ و*مختصر أراجيز فقهية* ؛ و*مراجعة بعض الإيلالنيين* في كراسة وآثار أخرى في *الترسل*.

توفي يوم ثامن رمضان عام 1269 هـ / 52 ـ 1853 ودفن بأجشتيم، وبذلك يكون قد عاش ثلاثاً وثمانين سنة.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. الرباط ـ الأجزاء 1، 2، 6، 8 (1974 ـ 1977) ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، الدار البيضاء، ط. 2، 1 : 1960، ج 2 : 1965 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء 6 والجزء 11 (1960 ـ 1963) ؛ *سوس العالمة*، 1380 / 1960) ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الجزء 1 (1983) الجزء 2، 1989 ؛ م. خليل، *محمد المختار السوسي، دراسة لشخصيته وشعره*، الدار البيضاء، 1985.

المكي مربي

**الجيشتيمي، عبد الله** بن **عبد الرحمان** التملي البكري الجزولي، ولد قبل عام 1231، وقرأ على والده في المدرسة الجيشتيمية مبادئ العلوم، ثم رحل إلى فاس فأتم دراسته على كبار شيوخها. ولما رجع إلى مسقط رأسه

اشتغل بالتدريس إلى جانب والده، وصار عمدة المدرسة بعد أن شاخ أبوه وضعف عن عقد المجالس العلمية، واستمر عمله زهاء عشرين سنة أخذ عنه فيها الجم الغفير من طلبة سوس، أورد في *المعسول* قائمة بأسماء ستة عشر منهم.

حجّ عبد الله الجيشتيمي بعد وفاة والده عام 1269 / 1852 ولقي إمام المالكية بمصر الشيخ عليش وسأله - نظماً - عن بعض الموضوعات الفقهية، وبعد أن حج وزار أدركته الوفاة على ست مراحل من المدينة المنورة في 18 محرم عام 1271 / 11 أكتوبر 1854.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 6 : 78 ـ 82.

**الجيشتيمي، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان** الرحماني. وُلد في "إيمي أوكُشْتيم" سنة 1350 / 1952، وتتلمذ على والده في حفظ القرآن، ثم تنقّل في عدد من المدارس العلمية العتيقة بسوس لتلقي مختلف العلوم، فأتقن مبادئ اللغة العربية : *الجرومية والزواوي والجمل* على يد الفقيه الحسين أوصالح بـ"مدرسة إيكضي" لمدة عامين، ودرس *المبنيات وألفية ابن مالك* وجزءاً من *مختصر الشيخ خليل والمعلقات السبع* على عبد الله بن محمد الإغشاني بمدرسة بومروان، ثم عاد إلى المدرسة الجيشتيمية فاستكمل علي يد فقيهها محمد اليزيدي العلوم اللغوية والفقهية، وكان متفوقاً مما جعله يقوم بتدريس بعض العلوم للطلبة المبتدئين، ويتقن تفسير الدروس باللغة الأمازيغية. ولما كانت سنة 1376 / 1956 انتقل إلى مدرسة أيت عبد الله زمناً يسيراً، ونظراً لطموحه اقترح على والده الانتقال إلى القرويين بفاس فدرس بها ثلاث سنوات، لكنه لم يستطع أن يتأقلم مع النظام الجديد، فانتقل إلى جامع ابن يوسف بمراكش، كما حاول الالتحاق بجامع الأزهر بالقاهرة، لكن الظروف المادية كانت تعوقه عن ذلك.

انتقل إلى الرباط عام 1385 / 1965 واشتغل بالتربية والبحث العلمي وتوجيه الطلبة المنتمين إلى الجامعة، كما أنه ساهم بفعالية في دروس محاربة الأمية في إطار جمعية التبادل الثقافي سنة 1388 / 1968، وكانت له صلة بالعلماء المشهورين يناقشهم في القضايا الكبرى، وله جرأة في التعبير عن آرائه، وشارك في مجال التأليف والنشر، ومن بين إنتاجاته المنشورة : *تحقيق كتاب الحوض* في الفقه المالكي باللسان الأمازيغي للشيخ محمد بن علي أوزال طبع بالدار البيضاء 1977 ؛ و*شرح العمل السوسي* في الميدان القضائي، نظم عبد الرحمان الجيشتيمي، طبع بالرباط 1984 ؛ و*مقالات وأشعار بالأمازيغية* نشرت في مجلتي *التبادل الثقافي وأرّاتن*، ومساهمات في بعض الندوات.

توفي بالرباط يوم الأحد 13 حجة عام 1404 / 9 شتنبر 1984 ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

ع. الجيشتيمي الرحماني، *كتاب الحوض وكتاب العمل السوسي* ؛ ح. جهادي، *مراسلة خاصة عن حياة عبد الله الرحماني الجيشتيمي*، 1996 ؛ إ. أخياط، *ملف تأبين عبد الله الجيشتيمي*، 1984 ؛ م. اباصور، *رواية شفوية*.

عمر أفا

**الجيشتيمي، عبد الله بن مَحمد بن عبد الله** بن سعيد التملي البكري الجزولي، هذا هو جد الجيشتيميين العلماء الذين بلغ عددهم اثني عشر. مات أبوه وهو صغير فاعتنت أمه بتعليمه في مسقط رأسه ثم ذهبت به إلى بعض المدارس النشيطة في سوس ودرعة، وأخذ الطريقة الناصرية فاشتهر بالعلم والصلاح. وبعد تخرجه شارط في مساجد بلده، واشتغل إلى جانب التدريس بنساخة الكتب وفلاحة الأرض فاكتسب من ذلك أموالاً كان يصرفها في مصالح المساجد، كما كان شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد حج ولقي علماء مصر والحجاز وأخذ عنهم وأجازوه، كالشيخ مرتضى الزبيدي شارح *القاموس*، والدردير شارح *المختصر الخليلي*، والشيخ الأمير.

كما أجاز هو عدداً من تلاميذه، ومما جاء في بعض هذه الإجازات "أخبرته بجميع مروياتي ومسموعاتي وكل مقروء منه لنا خصوصاً ومسموعاً من فقه كمختصر *خليل* وغيره، ونحو *كألفية ابن مالك* وغيرها، وحديث *كالصحيحين* وغيرهما، وأصول *كالورقات وجمع الجوامع*، وتوحيد *كعقائد السنوسي، ومنطق المختصر والسلّم*، وبيان *كالتلخيص* وغيره، وبجميع الفنون الشرعية، وذلك كله بأسانيدها إلى أربابها ... لثمان خلون من ربيع النبوي عام 1182". وللجيشتيمي تآليف أجلّها *شرح الشفا* للقاضي عياض.

توفي حاجاً في البقاع المقدسة يوم 17 جمادى الثانية عام 1198 / 2 ماي 1784.

**الجيشتيمي، محمد بن الحسن** بن عبد الله التملي البكري الجزولي، ولد قبل عام 1220 / 1805 وأخذ فيما يُظن على عمه عبد الرحمان بن عبد الله الجيشتيمي في مدرستهم، وعلى فقهاء فاس مع ابن عمه عبد الله. تخرج فقيهاً متمكناً وأقبل على الإفتاء إقبالاً كلياً. وقد وقف المختار السوسي على بعض فتاويه في مجموعة *فقهية* بسوس، وقال عنه : "كان من كبار الفقهاء المفتين المنكبين على النوازل في تلك الجهة حتى هلك بذلك".

يذكرون أنه كتب حكماً على أبناء الأمين التمليين فانقضوا عليه فقتلوه في الثامن عشر من ذي القعدة عام 1280 / 25 أبريل 1864.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 6 : 20 .

محمد حجي.

**الجيشتيمية** (المدرسة -)، هناك مدرستان بهذا الاسم، إحداهما مدرسة علمية عتيقة توجد بـ"إيمي أوگُشْتيم" في قبيلة أمّلن قرب مركز تافراوت بالأطلس الصغير، كانت قديمة صغيرة، فلما قدم عليها جد الأسرة الجيشتيمية عبد الله بن محمد من "تامگروت" جدّدها وملأها علماً وجهاداً حتى توفي عام 1198 / 1780، فتابع أولاده وأحفاده وأساتذة آخرون - إلى اليوم - نفس المسار بنفس الجدّ في الدراسة والتحصيل، واستطاعت أن تخرّج العديد من العلماء، وهي في عداد المدارس الكبرى التي لها تاريخ حافل بسوس.

أما المدرسة الثانية فهي "المدرسة الجيشتيمية بتارودانت" أسستها جمعية علماء سوس والمجلس العلمي بالمدينة سنة 1392 / 1972، وكان هدف المؤسسين هو المحافظة على دراسة القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم الإسلامية، ولذلك تستقبل هذه المدرسة التلاميذ المستظهرين لكتاب الله استظهاراً حسناً، ويطبق فيها برنامج يشمل التفسير والتجويد والحديث والفقه الإسلامي واللغة العربية والإنشاء والأدب والتاريخ والجغرافيا والعروض والبلاغة والمنطق والأصول ومصطلح الحديث والفرائض والتوقيت والرياضيات والطبيعيات واللغة الأجنبية. وقد وقع تطبيق هذا البرنامج منذ شروعها في العمل. وابتداء من السنة الدراسية 74 - 1975 أصبحت المدرسة تطبق برامج المرحلة الابتدائية المقررة في التعليم الأصيل مع تطعيمها بدراسة بعض المتون، زيادة على حفظ القرآن، وقد برهنت التجربة على نجاحها انطلاقا من النتائج الإيجابية التي حققت هدف جمعية علماء سوس - صاحبة المشروع - حيث أصبحت هذه المدرسة مصدراً لتزويد معهد محمد الخامس بتارودانت بالتلاميذ الجدد على مستوى الدراسة الثانوية.

ومن الجانب المادي تم التعاون بين عدة أطراف، فمن جهتها قامت جمعية علماء سوس بتهييئ بناية خاصة مجهزة للعمل الدراسي، كما أوجدت أماكن للإيواء وإطعام الطلبة الأفاقين، وساهمت وزارة الأوقاف بدفع رواتب بعض المدرسين، وأمِّنت منحة تشجيعية لأكثر من مائة من التلاميذ الوافدين على هذه المدرسة، وخصصت نيابة وزارة التعليم مدرسين في المواد الحديثة إلى جانب أساتذة متطوعين من المعهد المذكور. وقد تعاقب حتى الآن على إدارة هذه المدرسة - بانتداب من الجمعية - ثلاثة من العلماء منهم المرحومان مولاي سعيد العلوي قاضي المدينة الأسبق وعضو المجلس العلمي، وأحمد الأدوزي اليعقوبي أستاذ بالمعهد وعضو المجلس العلمي، والثالث أمد الله في عمره هو الأستاذ أحمد شاعري الزيتوني الذي ما يزال يتولى إدارة هذه المؤسسة.

كانت نتائج هذه المؤسسة التابعة لمعهد محمد الخامس تستهدف تطوير ما يعرف "بالمدارس العلمية العتيقة" المنتشرة في البوادي المغربية، وذلك بتجاوز بعض نقائصها علميا ومنهجيا، مع الاحتفاظ بإيجابياتها المتمثلة في الكفاءة العالية لخرّيجيها من مشاهر الفقهاء والعلماء، خاصة في مجال الدراسات القرآنية واللغة العربية والعلوم الإسلامية، والسعي إلى الحصول على تلاقح موادها بالعلوم الحديثة واللغات، دون الانجراف مع بعض سلبيات التعليم العصري، وقد كان هذا هو الهدف الأساسي لدى الكثيرين ممن اهتموا بشؤون التعليم منذ بداية الاستقلال، في إطار المطالبة بتحقيق فكرة "المدرسة الوطنية" لمجابهة التحديات التي تعرفها الحياة المعاصرة.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 123 - 165 ؛ جمعية علماء سوس، *مذكرة حول مشروع إنشاء مدرسة قرآنية علمية بتارودانت*، مرفوعة لوزارة التعليم ووزارة الأوقاف، وعامل الإقليم سنة 1971 ؛ أحمد الأدوزي اليعقوبي، *تقرير عن المدرسة سنة 1977* ؛ م. اليعقوبي البرنوصي، *تقرير عن المدرسة سنة 1996*.

عمر أفا

**جيكو** (الأب -) بهذا عرف، واسمه الحقيقي محمد بلحسن التونسي العفاني الروداني، ينتمي إلى أسرة ثرية عالمة، وُلد سنة 1900 بإسافن ناحية تارودانت وتلقى مبادئ القراءة والكتابة في سن مبكرة على يد والده الذي ارتبطت شهرته بثرائه وتخرجه من جامعة الزيتونة بتونس. وبحكم ارتباط الوالد بالميدان التجاري هاجرت الأسرة جميعها إلى مدينة الدار البيضاء، وبها قضى المترجم له سنوات التعليم الابتدائي والثانوي إلى أن نال شهادة الباكلوريا سنة 1918 حيث كان أول مغربي ينال هذه الشهادة بالمدارس الفرنسية. وفي سنة 1922 رحل إلى الديار الفرنسية لدراسة الاقتصاد وبعد تخرجه عاد إلى المغرب فشغل منصب وكيل مفوض للقرض العقاري للجزائر وتونس لمدة خمس عشرة سنة أي من سنة 1932 إلى أواخر 1947.

وبحكم دراسته المتينة واحتكاكه بالجاليات الأوروبية كان يجيد اللغة الفرنسية حتى إنه كان كاتباً مبدعا نظم الشعر

الأب جيكو أول الواقفين على اليسار

وحرر المقالات الأدبية والسياسية والرياضية في العديد من الجرائد التي كانت تصدر في فترة الحماية وإلى عهد الاستقلال.

عمل الأب جيكو في جل الميادين ذات الصبغة الوطنية : شارك في الحركة الوطنية بماله وقلمه وناضل ضد السلطات الاستعمارية بمشاركة في عمليات فدائية أصيب في إحداها وكاد أن يهلك، ثم انخرط في العمل النقابي بالاتحاد المغربي للشغل وكان عضوا نشيطاً به إلى آخر أيامه. كما عمل في الميدان الصحافي.

أما في المجال الرياضي فقد كان معلمة رياضية وطنية فهو المؤسس لأعرق الأندية الوطنية في فترة الاستعمار : الوداد البيضاوي الذي حقق معه العديد من الألقاب المحلية وعلى صعيد شمال إفريقيا في فترة الحماية ؛ بدأ مساره الرياضي كلاعب ومسيِّر أشرف على تدريب فريق USA "اليوسا" أولاً ثم فريق الرجاء سنة 1947 كما كان من بين الأعضاء المؤسسين للجامعة المغربية لكرة القدم.

كوّن الأب جيكو أول مدرسة لكرة القدم ترتكز على أصول علمية، وقد دخل ميدان التدريب والتسيير معتمداً على سلاح العلم حيث كان يتراسل ويتعامل مع أشهر المدربين العالمين. جال في أرجاء المعمور وكان أول مغربي يحضر تظاهرة كأس العالم لكرة القدم بدعوة من الجامعة الدولية FIFA. كان في عصره مفضلاً على غيره متفوقاً بالعلم والحلم والسخاء حريصاً على تلقين الشباب المغربي حبّ الدين والوطن ذا همة عالية وباع كبير في الميدانين العلمي والرياضي. كان ميسوراً وقضى مُعدماً بعد أن أنفق كل ممتلكاته وماله في خدمة بلده والرياضة المغربية على الخصوص.

توفي بالدار البيضاء يوم السبت 25 جمادى الثانية عام 1390 / 29 غشت 1970. ولتخليد ذكراه أطلق اسمه على ملعب لكرة القدم بالدار البيضاء ملعب الأب جيكو.

*الرواية الشفوية ؛ تحريات خاصة.*

*La Vigie marocaine*, 25/8/1953 ; *Le Petit marocain*, 1960.

محمد بلعربي

**جيل جيلالة**، مجموعة موسيقية شعبية أسستها عام 1392 / 1972 جماعة من الفنانين الذين كانوا يمارسون المسرح بالدار البيضاء ضمن فرقة الفنان الطيب الصديقي. وتعتبر فرقة "جيل جيلالة" من أبرز فرق "الأجيال" التي تأسست بمختلف المدن المغربية في السبعينات.

أنجزت هذه الفرقة على امتداد عقدين كاملين مجموعة من الأغاني أكثر أشعارها مما نظمه أعضاؤها الستة : مولاي الطاهر الأصبهاني، ومحمد الدرهم، وعزيز الطاهري، ومحمود السعدي، وعبد الكريم القصبجي، وأحمد مفتاح. وتعكس جل نصوص هذه الأغاني قضايا اجتماعية، من قبيل : ألْعارْ أبُويا (1973) - گولو لَخْليلي (1974) - السفينة (1985) - هذا وَعْدَكْ يامسكين (1985) ؛ ووطنية مثل : لعيونْ عينيًّا (1975) - تحية لجنود الصحراء (1981) السبتية (1983) ؛ وقومية من قبيل : القدس (1974) - ديما أنا عربي.

ومن جهة أخرى سعت مجهودات المجموعة إلى إخراج بعض قصائد الملحون المعروفة في حلة جديدة ينساق لها الشباب المغربي كمرحلة أولى وبالتالي الشباب العربي في مرحلة ثانية. ومن هذه القصائد : قصيدة "الشمعة" لابن علي، وقصيدة "يالطف الله الخافي" لعبد القادر العلمي.

وقد كان عملها هذا موضوع معارضة وانتقاد لما ينطوي عليه من تحريف لفن الملحون، وهو تحريف ألمح إليه شيخ هذا الفن المنشد الحاج الحسين التولالي الذي سبق له أن سجل مع جيل جيلالة بعض القصائد حيث قال : "كانوا لايأخذون القصيدة كي يغنوها كاملة حتى يكتمل معناها، وإنما يكتفُون منها بأقسام صغيرة وأبيات قليلة، ويخضعونها لايقاع مغاير لما هو موجود في الملحون، وهم يعتقدون أنهم بذلك يحسنون صنعاً، ولكن ذلك غير صحيح لأن الملحون ينبغي ألاّ يخرج عن إطاره الموسيقي الغنائي".

تعتمد فرقة "جيل جيلالة" في أدائها على آلات موسيقية تقليدية إيقاعية في مجملها وهي : الطبيلة المزدوجة، والتعريجة في حجميها المتوسط والصغير، والبندير، والهرّازي أو الدعدوع، وهو عبارة عن تعريجة كبيرة الحجم.

وقد أنتجت المجموعة شريطاً سنمائياً مطولاً بعُنوان "أحداث بلادي" وآخر قصيراً بعنوان "صورة" حظي بالجائزة الأولى في مهرجان قرطاج بتونس.

صابر بوغانم، *سوسيولوجيا الأغنية : أغنية جيل جيلالة نموذجاً*، الدار البيضاء، 1990 ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، *طرب الملحون المغربي*، مجلة *التراث الشعبي*، ع 10، 1980، ص 99. 102 ؛ الطاهر الطويل، *حوار مع الحاج الحسين التولالي*، جريدة، *كل الفنون*، السبت 9 أبريل 1994، ص 7.

عبد العزيز بن عبد الجليل.

ابن الـجيلالي، **أحمد** الأمـغـاري الحـسني رئيس المجلس العلمي بفاس بعد وفاة الشيخ أحمد ابن الخياط. كان من الفقهاء العظام الذين لايقوى على حضور درسهم في الفقه والأصول وما إلى ذلك من علوم الدين إلا أفذاذ الطلبة النجباء النبغاء. قرأ على كبار شيوخ عصره في القرويين أمثال محمد بن المدني گنون، والمهدي ابن الحاج، والمهدي ابن سودة، وأحمد بناني كَلاً وأضرابهم، وسلك طريق القوم على يد الشيخ محمد بن عبد السلام ابن عبود السلاوي. شاهدته يلقي درسه بالقرويين في *شرح الزرقاني على مختصر خليل*، ويده مستمسكة بحُق "طابا" التي كان أنفه يرشح بمحلولها فيعلم على طوق "فرجيته" وأطراف "نقابه" المسدولة على منكبيه.

لقد كان الشيخ أحمد ابن الجيلالي من المهابة والوقار بحيث لم يكن مطلقاً يجرؤ عليه "جنرال" فاس ولا مراقبها الطاغية "شنكور". كما كان في علمه الفقهي خاصة لايقاربه إلا سيدي الراضي الحنش السناني، وكان يتمتع بتقدير العلماء واحترامهم، فكان خاتمتهم في هذا وذاك الوضع المهيب.

ولما فُرض نظام التعليم بالقرويين اعتراه مرض ألزمه المكوث بداره فكان صهره - أخو زوجته - الفقيه البگراوي يقوم نيابة عنه بمهمة الرئاسة للمجلس العلمي. وظل الأمر كذلك إلى ان توفي رحمه الله، في خامس ذي الحجة عام 1352 / 21 مارس 1934، ودفن بزاوية الشرفاء الوزانيين بالشرشور ولم يخلف ولداً ذكراً فانقطع عقبه.

*معرفة شخصية* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 69 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، عام 1352 ؛ *سل النصال*، الترجمة، 83.

محمد ابن تاويت التطواني

ابن الجيلالي، **الجيلالي** مقاوم ولد سنة 1343 / 1924 بدوار الزكاكمة قيادة السماعلة إقليم خريبگة، شارك في الانتفاضة التي عاشتها مدينة واد زمّ. وأثناء تدخل الجيوش الاستعمارية لتفريق المتظاهرين بعد إطلاق النار عليهم سقط الشهيد صريعاً بتاريخ 20 غشت 1955.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 4 : 192.

ابن الجيلالي، **حسين** مقارم ولد سنة 1357 / 1938 بدوار أمهروق بإقليم خنيفرة. تشبع بالروح الوطنية منذ صغره وانضم إلى المقاومة السرية المنبثقة من الدار البيضاء والمتسربة إلى جبال الأطلس. كان يعمل تحت مسؤولية الأمكوني الإدريسي محمد بن عمر، ولما نُفي رمز البلاد تحمس للعمل النضالي، وشارك في عدة أعمال فدائية واغتيالات في صفوف الخونة والمعمرين، واستشهد أثناء القيام بالواجب الوطني يوم 20 غشت 1955.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 2 : 56.

ابن الجيلالي، **عبد السلام** مقاوم ولد بابن أحمد سنة 1341 / 1922. عمل ضمن المقاومة السرية المغربية بمدينة الدار البيضاء ويعتبر من أكبر أفراد قيادة حركة الهلال الأسود، أعماله الفدائية لا تحصى، اعتُقل سنة 1376 / 1956 واختطف من مركز الدائرة السابعة للشرطة بالدار البيضاء فلم يظهر له أثر، تغمده الله برحمته الواسعة.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 2 : 165.

ابن الجيلالي، **العربي** مقاوم ولد سنة 1354 / 1935 بالمزامزة إقليم مراكش والتحق بصفوف المقارمة السرية بالدار البيضاء وسطات وسيدي حجاج - مزاب، وعمل تحت مسؤولية رحال المسكيني وخلفه الحاج عبد الله صطراشي منذ سنة 1953. ومن الأعمال التي قام بها اغتيالات وحرائق وإتلافات، وأثناء عمله الفدائي أصابه رصاص المستعمر فسقط شهيداً يوم 11 جمادى الأولى عام 1374 / 8 يناير 1955 في قبائل أولاد حريز المذاكرة.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 2 : 209.

ابن الجيلالي، **مصطفى** مقاوم ولد سنة 1349 / 1930 بدوار الشرفاء ملحقة تويسيت إقليم وجدة. انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء بإقليم فگيگ مع

المسؤول بلحاج بوبو سنة 1955 وأثناء اشتباك عنيف وقع في قرية الكبيشات مع جنود المستعمر سقط شهيداً، وذلك سنة 1377 / 1957.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 3 : 216.

**الجيلاني** بن **حمّ**، من قواد المخزن العلوي، اشتهر باسمه، وهو ينحدر من أسرة بخارية، ولد بمدينة مكناس في أوائل القرن الثالث عشر (19 م)، وأقبل على التعلم منذ صباه، فدرس على شيوخ مدينة مكناس وفقهائها، وكان مواظباً على حضور مجالسهم فتخرج فقيهاً مشاركاً، ومهر في علم التوقيت ومايرتبط به من حساب وتنجيم وتعديل، وكانت له براعة تامة في علم الأوفاق وأسرار الحرف،

وتصدر هذه العلوم بمدرسة الدار البيضاء بمدينة مكناس ( *الإتحاف*، 2 : 110 ).

نظراً لانتماء أسرة الجيلاني بن حمُّ إلى عبيد البخاري، فقد التحق بصفوف العسكر السلطاني على عهد مولاي سليمان، وتميز من بين أقرانه بشجاعته وإقدامه، كما ظهرت مواهبه العسكرية في معرفته الدقيقة بمكائد الحروب، الأمر الذي نبَّه إليه رؤساءه فرقي إلى مرتبة قائد. وفي خضم الأحداث التي عرفها المغرب في الأيام الأخيرة من عهد مولاي سليمان، غادر الجيلاني بن حم صفوف العسكر السلطاني، وخرج من مدينة مكناس بأهله وذويه والتجأ إلى إحدى قبائل الأطلس المتوسط.

وبعدما استقرت الأمور، وخمدت نار الفتن القبلية على يد السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام، رجع الجيلاني بن حمُّ إلى مدينة مكناس، فاتصل خبره بالسلطان، فأعاده إلى صفوف العسكر السلطاني، وقد عرف الجيلاني بن حمُّ كيف يوظف مواهبه العلمية والعسكرية في جانب مخدومه، فقرّبه إليه وجعله من خاصة حاشيته، ثم رقاه إلى رئاسة المشور السعيد، وظل في هذا المنصب طيلة عهد مولاي عبد الرحمان وردحا من عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى أن اقتضى نظر السلطان تعيينه في أواسط العقد الثامن من القرن الثالث عشر (19 م) على رأس عمالة مراكش. وتفيدنا وثائق زاوية البركة الناصرية أن المناطق الجنوبية خاصة وادي درعة ودادس كانت تابعة لمجال نفوذ الجيلاني ابن حمٍّ.

وبعد وفاة سيدي محمد بن عبد الرحمان، ولاه السلطان الحسن الأول عمالة مدينة فاس وضواحيها على إثر فتنة الدباغين ( *الاستقصاء*، 9 : 139) وكان يعهد إليه بفض مشاكل القبائل المجاورة لمدينة فاس (*قبائل إيناون*، 223) لما يتمتع به من رجاحة عقل وكياسة في تدبير الأمور، وتفان في السهر على تسيير شؤون المخزن.

وفي سنة 1291 هجرية، عينه السلطان على رأس عمالة طنجة فظل بهذا المنصب إلى وفاته بها عام 1295 / 1878.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 2 و5 ؛ أ. الناصري، *الاستقصاء*، ج 9 ؛ عبد الرحمان المودن، *قبائل إيناون والمخزن*، البيضاء، 1995 ؛ *وثائق زاوية البركة الناصرية*.

أحمد البوزيدي

**جيلبير**، تيودور، T. Gilbert كان أول نائب قنصلي رسمي لفرنسا بالدار البيضاء لما أحدث هذا المنصب في أكتوبر سنة 1865. وكان قبل ذلك يشغل وظيفة الترجمان الثاني بالسفارة الفرنسية بالقاهرة، ثم عين بمدينة حلب. وقد انتقل إلى المغرب سنة 1866 وهو لا يزال في طور الشباب بعد أن قضى بالمشرق العربي أزيد من ثمان عشرة سنة. ظل بالدار البيضاء نائباً قنصلياً حتى سنة 1869. وله كتابات حول المغرب. ثم تقلب في وظائف أخرى، منها أنه عين قنصلاً بدمشق سنة 1879

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 2 : 905.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome I, p. 114, Tome II, p. 455, Tome V, p. 79 ; J.-L. Miège et E. Hughes, *Les Européens à Casablanca au XIX siècle : 1856 - 1906*, p. 92, Tanger, 1954.

مصطفى بوشعراء

**جيلدا**، Gilda مدينة مغربية قديمة تعدّ من بين المواقع الأثرية المهمة التي تزخر بها منطقة الغرب. عرفت استقراراً مهماً في الفترة الموريطانية وكذلك في الفترة الرومانية، وخير شاهد على ذلك اللقى الأثرية التي تنسب إلى هذا الموقع. لقد اهتم الكثير من الباحثين بهذا الموقع منذ نهاية القرن الثالث عشر (19 م) إلى اليوم، ورغم توفر العديد من الإشارات إلى هذه المدينة التي وردت في مختلف المصادر واللقى الأثرية، فقد تضاربت الآراء حول موضعها بالضبط، ومع ذلك فقد أجمع كل الباحثين على أنها لا يمكن أن توجد إلا في منطقة الغرب وبالضبط بجوار مدينة سيدي سليمان.

هذا الموقع معروف لدينا بواسطة المصادر المكتوبة وعددها سبعة. ويمكن تقسيمها إلى قسمين : مصادر تهم الجانب الكرونولوجي، ومصادرتهمُّ الجانب الطبوغرافي.

حاول البعض فيما يخص أصل التسمية أن يقربه من أجليد الشيء الذي يمكننا من التفكير بأن جيلدا كانت إقامة ملكية أو أميرية، كيفما كان مستوى سلطة هذا الملك الموريطاني، خاصة وأن ج. كامبس يشير إلى أن هذه التسمية أو اللقب أجليد، أو بالليبية كما ورد جلد GLD يمكن أن يحمل مختلفاً من طرف حاكمي المملكة أو زعماء القبائل الكبري أو العشائر". ولهذه الغاية لابد من البحث عن موقع مؤكد في هذه الفترة.

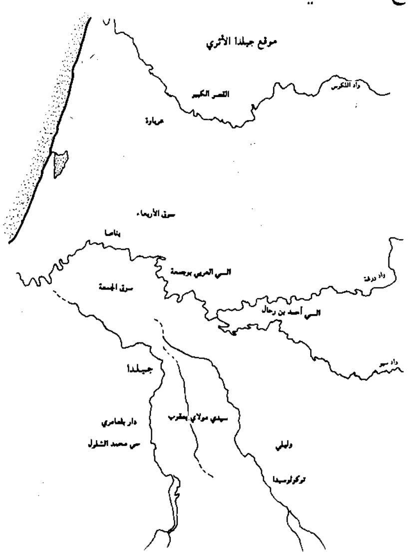


جيلدا من بين المدن التي تمت الإشارة إليها مبكراً في التاريخ المغربي، خاصة وأنها تمت الإشارة إليها من طرف الكسندر پوليستور حيث يقول : "جيلدا، مدينة ليبية"، اسم

شعب جيلديت حسب ما ورد في كتابه الثالث إن هذه الإشارة من الأهمية بمكان بحيث تؤكد أن هذه المدينة كانت توجد في سنة 70 ق. م. ووردت هذه الشهادة كذلك عند بمبونيوس ميلا في الفقرة 111 - 107 التي تخص مدن المغرب بالرغم على أنها مدن صغيرة فقد تعتبر مدناً ثرية "Quarum ut inter paruas opulentissimmae habontur".

ولحسن الحظ فإن التحريف الذي تعرض له النص والذي وصل إلينا على الشكل التالي Gildane dubritania لم يمس اسم جيلدا، ومن المعروف أن بمبونيوس ميلا انتهى من كتابة مؤلفه حوالي سنة 41 وبدون شك بعد 44 بعد الميلاد، ولكن انطلاقاً من مصادر وجدت قبل تأسيس أو تكوين الولاية الرومانية الموريطانية الطنجية.

المصدر الثالث وهو لصاحبه بطليموس Ptolémée (4، 1، 7) الذي يعطينا إحداثيات جيلدا (7° 50' و33° 55').

أما الجغرافي الرافيني Géographe de Ravenne فيستعمل اسم Gudaa والذي لا يتناسب مع اسم جيلدا. أما مرحلية أنطونان فلا تشير إلا إلى المسافة التي تفصل ما بين جيلدا وفوبيسكيانيا في الشمال، ولكن يجب أن نصعد نحو الشمال إلي أن نصل إلى مدينة أوبيدوم نوڤوم، لنجد موقعاً محدداً بدقة، يبعد عن جيلدا بـ 53 قدم، أما في اتجاه الجنوب نحو أكواي دسيكاي Aquae Dacicac والتي تبعد عن هذه المدينة بـ 12 قدما، وكذلك مدينة وليلي التي تبعد عن جيلدا بـ 28 قدم.

وفي الأخير هناك وثائق أثرية يظهر عليها اسم جيلدا، هذه الوثائق هي آجرّ مختوم Facta gildae والتي تعني صنعت بجيلدا إلا أن هذا الأجرّ كله ضاع، أربع منها معروفة، يتم توزيعها على موقعين : ضيعة بريبو على ضفة واد بهت، وأخرى وجدت بسيدي أحمد برحال على ضفة ورغة.

إلا أنه بالرغم من العثور مؤخراً على آثار لبقايا آجر محروق بضيعة پريو الشيء الذي يمكننا من اقتراح صنع الآجر المختوم Facta gild بهذه الضيعة، ومع ذلك يمكن اقتراح أن ضيعة پريو كانت تدخل ضمن النطاق الإداري لجيلدا، وهكذا فإنه من الممكن كتابة جيلدا دون أن توجد بالموقع الحضري نفسه.

موقعان متقاربان الواحد من الآخر بحيث لا يبعد إلا بـ7،5 كلمترات قد اقْتُرحا كموقع لجيلدا : الأول شمال المدينة الحديثة لسيدي سليمان والتي تبعد بستة كلمترات عن التل المأتمي الذي دمـــر في سنة 1939، والآخر يوجد جنوب المدينة حيث يبعد عن التل بكيلو ميترونصف. الأول هو موقع غيغا، أما الثاني فعادة يحمل اسم ضيعة پريو نسبة إلى اسم مالك الضيعة. إن الموقعين معاً يحتل كل واحد منهما تعرج واد بهت.

إن موقع جيلدا لايمكن أن يقترن إلا بغيغا وذلك للعناصر التالية :

أولاً : قلة البنايات الأثرية التي عثر عليها إلى حد الآن بضيعة پريو والتي لابد من تصحيح موضعها "أن البقايا" توجد بقمة تعرج واد بهت، أي تحت ضيعة پريو بالضبط، بل على مساحة، في انتظار تصميم أو رفع عام لهذه البقايا، تقدر بـ 12 هكتاراً. حيث تشمل هذه المساحة بداية التعرج النهري وجنوب الضيعة بين الطريق المعبدة، التي تربط سيدي سليمان بدار العامري، وواد بهت. في الخنادق التي حفرت لبناء مصنع سيغطي جزءاً كبيراً من هذه الضيعة، وجدنا سنة 1994 بقايا بنايات من الأحجار، ولقى أثرية متعددة عدلنا عن جمعها بكاملها، أما شرق الطريق المعبدة، بالضبط في ملتقى هذه الطريق بمسلك الضيعة، فإن عملية حرث أشجار الزيتون قد أظهرت لُقى أثرية كثيرة كذلك.

ثانياً : موقع غيغا يتوفر على سور يحيط بالمدينة، جزء كبير منه لايزال بارزاً بالإضافة إلى بقايا باب ضخمة تقارب إحدى أبواب وليلي. نجد بهذا الموقع كذلك حمايات ومعاصر للزيتون ومنزلين بباحتين معمدتين (Péristyle) ومجموعة من البنايات الغير المعروفة بدقة.

أما بالنسبة لضيعة پريو فإن البقايا الأثرية قليلة، وأغلبها لم يعد بارزاً، منها جزآن من سور لوحظا سابقاً على صورة جوية للمنطقة، وبعض بقايا البنايات القديمة والتي ربما تنتمي لضيعة فلاحية كبرى بجميع مرافقها. إن استمرار البحث الأثري بهذه المنطق لكفيل بدحض هذه الفرصية أو تأكيدها.

للتميز بين موقعين متقاربين جداً، لا تفيد إحداثيات بطوليمي في شيء. أما إشارات مرحلية أنطونان فهي في صالح جيلدا، إذا ما علمنا أن ضيعة پريو توجد بالقرب من أكواي دسيكاي Aquae dacicae. إن المسافات الواردة في مرحلية أنطونان الفاصلة بين مختلف المراكز أو المواقع المغربية فهي قصيرة إذا ما قورنت بالمواقع، فأغلب هذه المسافات أو بعضها، لم يتم قياسها بدقة بل تم تقديرها فحسب. تضاف إلى هذه العناصر معطيات جديدة ساعدتنا علي الحسم في إشكالية موقع هذه المدينة، هذه المعطيات الجديدة جاءت نتيجة لعملية مسح أثري قمنا بها بمنطقة ضيعة پريو سنة 1992، مكنتنا من جمع لُقى أثرية كثيرة أغلبها من الفخار. إن الموقع الذي يجب أن يقترن بجيلدا لابد أن يزودنا بوثائق أثرية كثيرة تغطي أغلبها النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد. هذه الوضعية موجودة و مؤكدة بموقع غيغا، حيث نجد بوفرة الفخار ذا البرنيق الأسود المؤرخ بفترة ما قبل السنوات الخمسين قبل الميلاد. بالإضافة إلى أن الاستبارات التي أجريت بالموقع سنة 1957 تشير إلى أن هناك مستويات موريطانية من شأنها أن توفر الكثير من هذه الوثائق. أحد هذه المستويات يمكن أن يؤرخ بالقرن الثاني قبل الميلاد، يوجد تحت مستوى زودنا بالكثير من قطع الفخار ذي البرنيق الأسود، تليها فرشات أفقية من الطين خالية من كل دلالة على الاستقرار، ومباشرة عثر على مستوى آخر للاستقرار ممثل بقطع كثيرة

لجرر ذات أكتاف (Jarres à épaulements) ونقد لمسينسا من البرونز المتوسط. بينما في ضيعة پريو لم نعثر إلى حد الآن ولو على قطعة صغيرة من الفخار ذي البرنيق الأسود.

إن أغلب اللقى الأثرية التي عثر عليها بضيعة پريو تؤرخ الاستقرار بهذه الضيعة بالنصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد، وبالضبط في الفترة التي تغطي حكم بوغود Bogud وبخوس Bacchus وكذلك بين سنة 33 ق. م. وبداية حكم جوبا الثاني.

إن ما نعرفه عن غيغا ليقترب بكثير مما نعرفه عن مستوى القرن الأول قبل الميلاد بتاموسيدا : كثرة الفخار ذي البرنيق الأسود، أنفورات القرن الأول قبل الميلاد تضاف إلى هذه الوثائق النقود القادسية Gaditaines ونقود مدن أخرى توجد في المضيق أو على المحيط الأطلسي.

هكذا إذن تكون المعطيات واللقى الأثرية التي عثر عليها في غيغا تجعل من هذا الموقع حالياً، المرشح الوحيد والجدي الذي يمكن أن يتطابق مع جيلدا. وعلى كل حال فإن الأكمات التي توجد عليها غيغا تجلب الرؤيا من بعيد، وهي تشبه في تكوينها التلال التي أقيمت عليها مدينتا بناصا وتاموسيدا.


C. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1877 ; L. Chatelain, *Le Maroc des romains, étude sur les centres antiques de la Maurétanie Occidentale*. Paris 1968 ; R. Thouvenot, *BCTA* 1946 - 1949 ; M. Euzennat, *rapport sur l'activité de l'archéologie marocaine en 1955, sondage B.A.M.*, 1955 - 1956 ; M. Euzennat, *BAM* II, 1957, p. 205 - 206 ; *Les voies romaines du Maroc dans l'itinéraire Antonin*, *Mélanges Grenier*, 1952 ; R. Rebuffat, *Rirha*, *Enciclopedia dell'arte antica, classica e orientale*, VII, 1965 ; J. Marion, *Note sur l'apport de la numismatique à la connaissance de la Maurétanie Tingitane, Antiquités africaines*, I, 1967 ; M. Euzennat, *"Rirha" The Princeton Encyclopedia of classical Sites*, 1976 ; J. Gascou, *Inscriptions latines du Maroc, B.A.M.*, 1982 ; R. Rebuffat, *Recherches sur le bassin du Sabou I Gilda, SAM* XVI, 1985 - 1986 ; A. O. Akkerraz, Veronique Breuquier-Reddé, E. Lenoir, *Nouvelles découvertes dans le bassin de Sabou, VI Colloque international d'histoire et d'archéologie de l'Afrique du Nord*, PAU 1993, p. 11 (A paraître) ; H. Limane, R. Rebuffat, *Voie romaine et système de surveillance militaire sur la carte d'Arbaoua, VI colloque international d'histoire et d'archéologie de l'Afrique du Nord*, PAU 1993, Annexe 1 ; M. Chaker et G. Camps, *"Agellid", E.B.* ; *Etienne de Byzance in Fragmenta Historicorum*, ed. Muller, III, 1849, p. 238 ; Pomponus Mela, ed. C. Frick, p. 79 ; R. Rebuffat, *Les erreurs de Pline et la position de Baba Iulia compestrics, Antiquités Africaines*, I, 1967 ; *Itinéraire Antonin*, éd. Cuntz, 1929 ; R. Rebuffat, *Recherches sur le bassin de Sebou*, I, *Gilda, BAM* XVI, 1985 - 1986 ; G. Souville, *Atlas préhistorique du Maroc*, 1, *Le Maroc Atlantique* ; R. Rebuffat, *Gilda, BAM* XVI, 1985 - 1986 ; M. Euzennat, *BAM*, 1957.


حسن ليمان

**جيليز** (جبل -) ← **گيليز**

**جينينگز**، Jeannings منصّرة بروطيسطانية إنجليزية وصلت إلى طنجة في يبراير سنة 1886، وكانت منخرطة في بعثة "نورث إفريكا ميشن : North Africa Mission. ثم رحلت إلى فاس سنة 1889 حيث أقامت ست سنوات. وكانت في المصيف ترحل هي ورفيقاتها إلى مدينة صفرو التي كتبت عنها مقالات وصفتها فيها ونشرتها بجريدة البعثة المذكورة.

غادرت جينينگز المغرب سنة 1895، بعد قضاء تسع سنوات في الميدان الطبي والتنصيري.


م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 4 : 1424.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 124.


مصطفى بوشعراء

**جينون** (Junon)، معبودة اللاّتينين القدامى، تطابقها هيرا (Héra) عند الإغريق. يزعمون أن جينون هي أخت زوس وبوسيدون، وابنة كرونوس وRhéa، وهي المشرفة على الزواج وعلى المواليد الجدد (Juno Lucina) - وقد أقيمت لها عدة معابد في روما أهمها معبد الكابتول الذي تقتسمه مع كل من جويتير وميزفا ثم معبد جينون التي تنبئ (Juno Moneta) أي تلك التي حذرت الرومان من الهجوم الغالي. وبالنسبة للمدرسة الرواقية، فجينون تمثل الهواء (Aer) ومنه اسم "هيرا" على اعتبار أن العالم يتكون من أربعة عناصر الماء والهواء والنار والأرض. وحسب بعض الفلاسفة فإنها تمثل الأرض والهواء معاً.

عرفت عبادة جينون انتشاراً في مختلف الولايات الإفريقية وذلك نتيجة التشابه الحاصل منذ القديم بين المعبودة الفنيقية تانيت وجينون الاغريقية - الرومانية - وقُدست جينون تحت أشكال مختلفة حيث نصادف جينون الملكة (Juno Regina) وهذا يمثل مظهرها الروماني، أما المظهر المحلي فيبرز من خلال التقرب إلى جينون السماوية (Juno Caelestir). وعثر في مدينة Thugga بولاية البروقنصلية على إهداء موجه إلى جينون المشرفة على المواليد (Juno Licina).

أما في المغرب القديم فقد عثر على دلائل مادية عبارة عن أربع نقائش مقدمة إلى جينون، في كل من سلا (*IAM*, 300 ; *AE*, 1934, 123) وتموسيدا (*IAM*, 247) وبناصا (*IAM*, 87).

فبالنسبة لنقيشتي سلا وتموسيدا، لا نتعرف على مقدم الاهداء، في حين بالنسبة لبناصا يتعلق الأمر بإهداء مقدم إلى جينون الأوغسطية على شرف امرأة تدعى Pompeia Valenane، من طرف أحد أفراد عائلتها. إذن فجينون في المغرب القديم، قُدست تحت الشكل الروماني ولم يعثر لحد الآن على نقيشة مقدمة إلى جينون المحلية أي جينون السماوية، وبالتالي فهي تمثل إلى جانب جويتير الديانة الرسمية الرومانية.

M. Leglay, *Les religions de l'Afrique romaine d'après Apulée et les inscriptions. Africa Romana. Atti del I Convergno di Studi Sassani.* I ; R. Thouvenot, *Tête de marbre antique. REA*, 1936 ; *IAM. Inscriptions antiques du Maroc 2 - Inscriptions Latines*, Paris, 1982.

عبد العزيز بل الفايدة

ابن **جْيُّو** (Ben Jio)، أسرة يهودية كانت تقطن بمدينتي أصيلا وطنجة منذ القرن الثاني عشر (18 م). ويحمل العديد من الحاخامات والقضاة في طنجة لقب ابن جيو. ظهرت طوال القرون الثلاثة الأخيرة (18 ـ 20 م) عدة شخصيات وشغلت مناصب هامة وأسندت إليها مسؤولية على رأس الطائفة اليهودية بطنجة، وهيئتها وأيضا في إطار جمعيات يهودية خيرية وثقافية ودينية. ومن ضمن الأسماء اللامعة التي انتمت لهذه الأسرة نذكر الحاخام أبراهام بن جيو الذي توفي سنة 1887 والقاضي يعقوب بن جيو الذي أسس في بداية القرن العشرين بيعة "بيت الإله".

ابن **جْيُّو، سيليا** زوجة موردخاي ابن جيو آتي الترجمة، مؤسسة "ملجأ موردخاي ابن جيو"، بقيت سيليا أرملة وبدون أطفال. فاتخذت قرار إقامة مؤسسة تعتني بالأطفال، وبذلك أحدثت "ملجأ موردخاي ابن جيو" في سنة 1949 بالدار البيضاء، اعتمدت سيليا التي كانت مدرسة على ثروة زوجها في جعلها الأساس الذي ينبني عليه ملجأ الأيتام الجديد. أما شؤون الملجأ فقد كانت تديرها جمعية تحمل نفس الاسم. عُرفت سيليا بنشاطها وحيوتها سواء على المستوى الجمعوي أو على مستوى الجماعة اليهودية بالدار البيضاء.

وفي سنة 1996، وتخليدا لاسمها وزوجها، قرر مجلس الجماعة اليهودية بالدار البيضاء تأسيس متحف "اليهودية المغربية : سيليا ابن جيو" حيث وضعت جمعية بن جيو رهن مشروع إحداث المتحف مقراً يشكل جزءاً من مقر مأوى الأطفال (زنقة جيل كرو، رقم 81 الوازيس الدار البيضاء).

ابن **جيو موردخاي**، شغل منصب الحاخام الأكبر لمدينة طنجة، ورئيس بيت الدين "محكمة الحاخام" وأيضا المدرسة التلمودية (يشيبا) وذلك لمدة اثنتين وستين سنة خلفاً لجده موشي بن جيو. وطيلة ممارسته للمهام السالفة حافظ موردخاي بن جيو على هالته القانونية والمعنوية، كما أن تأسيس بيعة "عيص حاييم" أي شجرة الحياة الذي تم في نهاية القرن التاسع عشر كان على يديه (Larédo, *Les Noms des Juifs du Maroc*).

واجه الحاخام موردخاي بن جيو كل التغيرات التي خضعت لها جماعته في ظل الظروف الخاصة التي عاشتها مدينة طنجة آنذاك "طنجة البعثات الديبلوماسية" وبحكم وظيفته الدينية كحاخام كانت له مبادرة دعوة "المعا ماد" جمع للأسياد مهمته تكوين لجنة للتسيير (Junta Selecta) عرفت بمناهج عملها العتيقة. في سنة 1890 طالبت حركة الشباب التجديدية بدورات تنظيم انتخابات حقيقية، استطاعت هذه الأخيرة في نهاية المطاف تنظيمها حيث تم انتخاب لجنة تمثيلية تتكون من اثني عشر عضواً على رأسها حاييم بن شمول، لكن هذه اللجنة لم تحظ باعتراف موردخاي بن جيو وقسم من المسؤولين عن الجماعة اليهودية، ومن ثم نشب الصراع فكانت "اجتماعات واجتماعات مضادة" تلتها فوضى على الصعيد العام. عقب تلك الأحداث تدخل الباشا عبد السلام بن عبد الصادق من أجل إعادة الأمور إلى نصابها ومن أجل صيانة مرتبة الحاخام وضمان احترامه وحفاظاً على سلطة (La Junta).

إزاء الاتحاد الإسرائيلي العالمي الذي فتح مدرسة بطنجة سنة 1864 كان لموردخاي موقف مرن عن باقي الحاخامات. وفي 1887 أقفلت المدرسة أبوابها طيلة بضعة أشهر عقب الحصار الذي نظمه الحاخامات بسبب مناهج التعليم المتبعة التي تخلق فرقا بين المدرسة والإيمان، لكن الاتحاد الإسرائيلي كسب القضية بتحمل المسؤولية الشاملة في التوجيه المدرسي. وفي سنة 1899 أكد موردخاي بن جيو أهمية المدرسة العصرية في كونها تعطي الشباب اليهودي فرصة وإمكانيات العمل مؤكداً في نفس الوقت علي ضرورة أن تشمل الدراسة الجمع بين التوراة وبين اهتمام العالم العصري:

توفي بطنجة سنة 1917.

Isac Laredo, *Memorias de un viejo Tangerino*,, Rabat, 1994 ; Laskier, Michael M., *The Alliance Israélite Universel and the Jewish Communities of Morocco 1986 / 1962*. State University of N.Y., 1983.

سيمون ليڤي

**الجيّار**، أسرة تطوانية عريقة منسوبة إلى معالجة الجير أصلها من مدينة سبتة واستوطنت تطوان قديماً، ومازالت بها.

عرف منها أفراد، منهم الفقيه العدل الميقاتي الرياضي السيد محمد بن أحمد الجيار، كان يتعاطى الشهادة عام 1250هـ ومابعده، وهو شيخ المؤقت الرباطي السيد محمد بريدة.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، 7 : 25 ؛ مجهول، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب*، طبعة الرباط، ص 55.

**الجيار**، عائشة بنت محمد ابن الجيار السبتي محتسب سبتة وأحد وجهائها في العهد المريني. تعتبر بنته هذه من بين النساء المغربيات النابغات اللواتي تركن ارتسامات في تاريخ الحضارة المغربية، فقد نشأت في وسط علمي ودرست الطب على يد صهرها محمد الشريشي المتوفى سنة 771 / 1369 ونبغت فيه. وقد أدركها وهي في سن السبعين

مؤلف كتاب *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب*. ووصفها بأنها عاقلة نزيهة النفس، عارفة بالطب والعقاقير. توفيت قبل عام 818 / 1415.

مجهول، *بلغة الأمنية*، تح. م. بنتاويت، *مجلة تطوان*، العدد 9 ص 173 - 193 ؛ م. بنتاويت، *تاريخ سبتة*، ص 163 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، 1 : 93 ؛ م. العربي الخطابي، *الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية*، 1 : 79.

محمد ماگامان

**الجيار، عبد العزيز** بن محمد بن عمر التغلبي أو الثعالبي الفاسي، من الشعراء الذين لقيهم أحمد المقري وأعجب بهم في رحلته المغربية سنة 1009. حلاه في *روضة الآس* بقوله : "الأديب الشاعر المفلق، صاحب النادرة الغريبة ... وله في الخمريات أخبار ينقلها عنه أهل ذلك المذهب".

وُلد في حدود الستين وتسعمائة، وعمل كاتباً مع زيدان بن أحمد المنصور، وقد بعث به زيدان سفيراً إلى القسطنطينية بعشرة قناطير من الذهب إلى صاحبها وطلب منه أن يمده ببعض الأجناد كما فعل مع عمه عبد الملك، فجهّز له السلطان العثماني اثني عشر ألفاً من جيش الترك وركبوا البحر، فلما توسطوه غرقوا جميعاً إلاّ غراباً واحداً فيه شرذمة قليلة. وقد عُدّ ذلك من نحس زيدان الذي كان يتطاول على الصالحين ويهينهم.

حظي الجيّار بتقدير كبير في القسطنطينية العظمى، وهناك تعرّف عليه الأديب المصري الكبير شهاب الدين الخفاجي وعقد له ترجمة مطولة في كتابه *ريحانة الألبا* ، وحلاه بأوصاف أدبية عالية، وامتدحه بقصيدة قافية مطولة أثبت مقتطفات فيها في *الريحانة*. وأشعار عبد العزيز الجيّار معظمها ضاع والباقي متفرق في مؤلفات معاصريه.

لم نقف على تاريخ وفاة الجيّار، ولعله مات في حدود 1040 / 1630.

أ. المقري، *روضة الآس*، 342 - 344 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 135 ؛ ش. الخفاجي، *ريحانة الألبا*، 174 - 177 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 214 - 215 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 6 : 70 و72 ؛ ع. الحميد الرندى، *الكتابة والكتاب*، ص 24.

محمد حجي

**الجيّاني** أو الجَيْني أو جَيّين، أسرة تطوانية نبيلة، أصلها من مدينة جيان الأندلسية الشهيرة، حرفت بمرور الزمن، منها من تجاوزها إلى الصفار وبهذا الاسم اشتهرت أخيراً وتنوسيت النسبة الأولى وان كان بعض أفرادها يذيلون الصفار بالجياني أو الجيني كما كان يفعل الفقيه السفير الوزير السيد محمد بن عبد الله الصفار الجيني الذي وزَر للسلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام وسفر له إلى فرنسا وكتب في ذلك رحلته الشهيرة التي طبعت مؤخراً.

من أقدم من عرف منهم المعلم قاسم جيّين كان بتطوان عام 1117 هـ وممن عرفنا منهم المحسن الكريم الوطني الحاج محمد الصفار الجيني حفيد الوزير المذكور، وابنه الأستاذ عبد السلام الصفار الجيني. وهي أسرة موفورة العدد ولهم عمومة بمدينة فاس وسلا.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، 3 حرف ج ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، حرف ج نسخة المؤلف بخطه بخزانته بتطوان.

محمد بوخبزة

**الجياني، عبد الله** ابن خيار. كان مقدما على الجيّارين بفاس، أي خبيراً بشؤون البناء، ولعله قدم إلى المغرب فيمن ورد عليه من الأندلسيين المختصين في أشغال البناء والري. ولاشك أن كفاءته كانت وراء تعيينه مشرفا على مدينة فاس، أي مكلفا بأعمال الجباية بها، وذلك في عهد علي بن يوسف في حدود سنة 510 / 1116، فأصبح "له حظ عظيم حتى لم يكن في زمن الحشم (المرابطين) أحظى منه، ليقضي الله أمراً كان مفعولا ( (*أخبار المهدي*، 24).

لا تذكر المصادر شيئا عن الجياني بعد ذلك، إلى أن كان حصار الموحدين لفاس سنة 540 / 1145، حيث وقع سوء تفاهم بين الجياني وبين يحيى ابن غانية الصحراوي على إثر طلب هذا الأخير من المشرف الجياني إمداده بالمال لمقاومة الموحدين، فاتصل الجياني بأبي بكر بن الجبر قائد الموحدين الذي تركه عبد المومن محاصراً لفاس، واتفقا على أن يقوم الجياني بمساعدة الموحدين على دخول المدينة، وفعلاً قدّم لهم مساعدة ثمينة وفرت عليهم كثيراً من الوقت والدماء.

لقد رحب الموحدون بمساعدة الجياني لهم، فأقروه على وظيفته مشرفا لفاس، وتركوا معه أحد شيوخهم وهو محمد ابن يحيى الگدميوي، ثم أصبح قائداً عسكريا لدى الموحدين، حيث نجده على رأس عسكر الغرب في محلة عبد المومن التي انطلقت من فاس في اتجاه دكالة لإخضاعها ومطاردة جيش يحيى ابن غانية.

ولم تزل مكانة الجياني تتقوى لدى الموحدين، حتى جلت حاله. ولعب دوراً واضحاً في حركة "الاعتراف" التي تمت في بداية خلافة عبد المومن سنة 544 / 1149 والتي كان انطلاقها على إثر الرسالة التي بعث بها الجياني للخليفة عبد المومن يخبره فيها عن قتل أهل مكناسة للفحامين في الجبل، ومحاصرة فاس، فأعد عبد المومن "جرائد" وهي قوائم بأسماء الآلاف من المعارضين للسلطة الجديدة من جميع قبائل المغرب الأقصى، وتم إعدامهم في عملية تطهير واسعة النطاق، وفي هذه العملية كان الجياني مسؤولا مع الشيخ الموحدي يوسف بن سليمان عن تنفيذ الاعتراف بمنطقة الغرب بفاس ومكناسة، فقتلا حوالي ثلاثمائة شخص ثم "قتلا في مكلاتة مائتين، وقتلا في فاس من المؤنثين والسوقة ثمانين" ( *أخبار المهدي*، 71).

كما كان الجياني قد ساهم بجانب القائد زكريا بن سعيد الوريكي في إخضاع منطقة ملوية ومحاربة الثائر بها معاذ

المسطاسي وأسرة ونقله إلى مراكش حيث قتل مصلوباً.

وقد أدت حركة "الاعتراف" إلى شيء من الهدوء "وتمهدت الدنيا وأزال الله ما كان فيها من التخليط" (*أخبار المهدي*، 72).

وفي عام 548 / 1153، خالف أهل هرغة وتينمل فنقلهم عبد المومن، "وهجر بني أمغار، ودفعهم إلى فاس وأسكنهم فيها، وأمر الجياني واليها أن يحوشهم، وأمر لهم فيها بسهام أعطيت لهم" (*أخبار المهدي*، 76).

ويتعلق الأمر هنا بأنباء أخوي محمد المهدي ابن تومرت. لكن هؤلاء الأمغاريَيْن سيتمكنان من الفرار من مراقبة الجياني والي فاس الذي سارع إلى الاتصال بالخليفة عبد المومن وإعلامه بذلك، الشيء الذي سيحول دون نجاحهما فيما كانا عزما عليه من إعلان ثورة بمراكش بمساعدة عدد من أتباعهما بها، وآل أمرهما إلى القتل وقتل أتباعهما.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1991 ؛ ابن عذاري، *البيان (قسم الموحدين)* الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ابن الأبار، *الحلة السيراء*، تح. حسين مونس، القاهرة، 1963 ؛ ي. التادلي، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، 1984.

**الجياني، علي** بن محمد بن حسن عالم إشبيلي، جياني الأصل، وسكن مدينة مراكش، يقول عنه تلميذه ابن عبد الملك المراكشي : "كان أديب النفس كاتبا بليغا شاعرا مجيدا، رقيق الغزل بارع المنازع، فائق النظم والنثر مبرزاً في فهم المعاني، نحوياً ماهراً ذاكراً للغات والآداب، من أبرع من رأيته خطاً، وكان لايحسن بري القلم، إذ كان يبرى له" ( *الذيل والتكملة*، 5 : 287).

كان أول أمره قاضيا بحصن القصر من نظر إشبيلية، ثم استكتبه الخليفة الرشيد الموحدي مدة قليلة، وربما كان ذلك سبب مجيئه إلى مراكش وسكناها، وبها تتلمذ عليه عدد كبير من أبنائها، من بينهم ابن عبد الملك المراكشي الذي ذكره في *الذيل والتكملة* وأثنى عليه كثيراً، وذكر أنه استفاد من علمه كثيراً خاصة في "مذاكرته في الطريقة الأدبية".

وقد حظي بمكانة رفيعة لدى الخليفة الموحدي فكان "نفاعا بجاهه"، كما ساعده يسره المادي على سخاء النفس واليد، إضافة إلى كرم أخلاقه.

بعد عزل الجياني عن الكتابة أسندت إليه خطة الإشراف (أي شؤون الجباية) على بلاد حاحة من نظر مراكش.

وكان قد شرع في تأليف كتاب يجمع بين "تفسيري الزمخشري وابن عطية" لكنه توفي قبل أن يتمه. ونظم كتاب "*الإحكام في معجزات النبي عليه الصلاة والسلام*" لمعاصره أبي محمد حسن بن القطان الذي كان هو الآخر من شيوخ ابن عبد الملك. وللجياني منظومات كثيرة في مقاصد شتى ورسائل متنوعة أورد ابن عبد الملك في ترجمته نماذج منها.

توفي الجياني بتامطريت بحاحة وهو يلي إشرافها سنة 663 / 1264 ودفن بها، ولم يترك من يرثه، فورثه بيت مال المسلمين.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة* (ج 5) بيروت، 1965.

محمد المغراوي

**الجياني، محمد** السبتي، الطبيب المهندس المعماري، أصله من جيّان الأندلس، عاش بمدينة سبتة فعدّ من رجالاتها وأهلها. كان عارفاً بخبايا الأمراض وأنواع الأدوية، وكانت حانوته في السوق الكبير بحضرة سبتة يقصدها المرضى وذوو العلل. كما عرف عنه براعته في الهندسة والعمارة حيث قلّده السلطان أحمد بن أبي سالم المريني خطة نظارة المباني بنفس المدينة والإشراف على مباني الدولة وإخراج الأموال للإنفاق عليها. بالإضافة إلى ذلك كان مجاهدا محاربا للنصارى بالأندلس.

توفي في أواخر عام تسعة وثمانين وسبعمائة / 1387 وقيل بداية عام تسعين وسبعمائة / 1388.

مجهول، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب*، الرباط، 1984، ص. 53 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1979، ص. 66.

رشيد السلامي

# ح

ابن **الحاج الإشبيلي، محمد** بن علي بن عبد الله المهندس المعروف بابن الحاج الإشبيلي. وُلد ونشأ بإشبيلية في ظل الحكم القشتالي، ثم انتقل إلى فاس في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني. وعاد إلى الأندلس حيث وزر لسلطانها أبي الجيوش نصر (708 ـ 713). وبعد خلعه لجأ ابن الحاج إلى أمير سجلماسة عمر، وربما كانت له يد في تمرّده على أبيه السلطان أبي سعيد.

وُصف ابن الحاج بكونه من العارفين بالحيل الهندسية والمهرة في نقل الأجرام ورفع الأثقال، بصيراً باتخاذ الآلات الحربية. ومن الأعمال التي أشرف على إنجازها الناعورة على واد فاس للسلطان يعقوب، قال ابن الخطيب : "اتخذ له الدولاب، المنفسح القطر، البعيد المدى، مليّن المركز والمحيط، المتعدد الأكواب، الخفي الحركة حسبما هو اليوم (أي منتصف القرن الثامن الهجري) ماثل بالبلد الجديد، دار المُلك بمدينة فاس، أحد الآثار التي تحدو إلى مشاهدتها الركاب" (*الإحاطة*، 2 : 140). ونَسب صاحب *القرطاس* إلى "ابن الحاج المهندس" جلب ماء عين غبولة إلى قصبة رباط الفتح سنة 683 بأمر السلطان يعقوب المريني (*القرطاس*، 406).

لكن أشهر عمل قام به المهندس فيما يبدو هو بناء "دار الصناعة" أي صناعة السفن بسلا حيث كانت تجلب إليها الأخشاب من المعمورة، فربط دار الصناعة بالنهر بواسطة ترعتين وعبر بابين بحيث "جلب الماء من الوادي إلى الباب المسامت لجامع حسّان من العدوة الأخرى في ترعة عميقة، فإذا صنعت سفينة جديدة بهذا المحل وأريد إرسالها في الوادي، فُتحت الترعة المذكورة فيدخل الماء وتعوم فيه السفينة فتخرج من الباب القبلي سابحة على وجه الماء إلى أن تقع في الوادي، ولذلك ارتفع قوس الباب القبلي جداً نحو المائة قدم ليخرج المركب منشور القلاع" (*الاتحاف الوجيز*، 63) وقد اهتم السلاطين المرينيون ـ كما فعل قبلهم المرابطون والموحدون ـ ببناء دور صناعة أخرى في المغرب والأندلس.

توفي ابن الحاج بفاس في شعبان سنة 714 / نونبر ـ دجنبر 1314.

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، 2 : 139 ـ 141، تح. عنان، ذ. القاهرة ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص 406 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 1 : 288 ـ 289 ؛ م. الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، الرباط، 1986 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 3 : 22 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية عصر بني مرين*، ص 20، الرباط، 1979.

أحمد عزاوي

**الحاج** التطواني، أسرة أصلها من الأندلس وتتميز عن غيرها ممن يحمل هذا اللقب بالتطواني، مازالت موجودة حتى اليوم يذكر منهم :

**الحاج التطواني، عبد السلام** بن محمد، أول باشا بتطوان بعد استقلال المغرب، وبقي في وظيفه إلى أن توفي يوم الأحد 26 ربيع عام 1409 / 6 ـ 11 ـ 1988، ودفن قرب والده آتي الترجمة بضريح سيدي السعيدي الشهير بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 63، مخطوط ؛ *مختصره*، ص. 95 ؛ *الرخامة المثبتة على قبره*.

**الحاج التطواني، قاسم** الأندلسي الولي الصالح الذي كان معاصراً للشيخ مَحمد بن علي ابن ريسون أحد أبطال معركة وادي المخازن الشهيرة المتوفى سنة 1018 هـ، وكان هذا يحض على زيارة المترجم له حيا ويشهد له بكبر القدر، ولما عزم العامل حمو بجّة أحد قواد دولة المنصور الذهبي السعدي من عام 986 إلى عام 1020 هـ على إذاية الشيخ مَحمد بن علي ابن ريسون المذكور قصد أحد مريديه المسمى أحمد بوقبة التطواني المترجم له وأخبره بما عزم عليه العامل بجّة. وأظهر تخوفه الشديد على شيخه. انقبض المترجم له وصار يضرب الأرض مغضبا بإحدى رجليْه ويقول : لايقدر على ذلك بجّة ولافجة، وكرر ذلك مراراً، فلم ينل الشيخ بعد ذلك أذى.

ويظهر من حوالة أحباس ضريح سيدي السعيدي أن

المترجم له كان حياً في حدود عام 1018 هـ إلى عام 1025هـ. وقد توفي ودفن بضريح سيدي السعيدي، وهو الذي أظهر قبره، ومازال أحفاده يتولون سدانة الضريح ونظارة أوقافه إلى الآن. وأقدم من عرف من أحفاده ـ كما في رسوم أثرية وأحباس حوالة الضريح ـ أحمد بن محمد الحاج التطواني الذي اشترى أصلا من بعض أولاد قزبان (وهي عائلة أندلسية انقرضت) ـ بتاريخ عام 1077 هـ. وهناك رسم آخر ذكر فيه السيد عبد الكريم بن الحاج محمد بن قاسم الحاج التطواني مؤرخ بعام 1186 هـ وآخر وصف فيه السيد أحمد بن الحاج التطواني محمد بن قاسم الحاج التطواني بأنه ناظر أحباس الضريح.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، (4 : 31)، مخطوط خاص ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ص 276، ط. تطوان ؛ *فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه الوالد* للحسن بن مَحمد ابن ريسون، ص 119، ط. تطوان.

**الحاج التطواني، مَحمد بن مُحمد** الأندلسي، عامل تطوان على عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام، ولي العمالة بتاريخ 19 شوال عام 1275 / 22 ماي 1859 بعد وفاة سلفه الحاج أحمد الحداد، فقام بالأمر خير قيام. وتصدى للحكم بين الناس بالعدل والنظر في مصالح المدينة والمواطنين إلى أن حدثت فتنة قبيلة (انجرة) مع حاكم (سبتة) الإسپاني. تلك الفتنة التي أدت إلى احتلال تطوان وهجرة أهلها منها. كان ذلك في رجب عام 1276 / فبراير 1860 م وكان ذلك آخر عهد المترجم له بالحكم، وتوفي بعد ذلك في تاريخ غير محدد.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، (2 / 59)، مخطوط، *مختصر عمدة الراوين*، ص 84 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ص 125.

**الحاج التطواني، مُحمد بن مَحمد** بن مُحمد الأندلسي عامل تطوان على عهد الخليفة السلطاني مولاي المهدي بن إسماعيل العلوي أول خليفة لملك المغرب في منطقة حماية إسبانيا.

عيّن بعد وفاة سلفه السيد أحمد بن الحاج محمد بن العربي الطريس، واستمر عاملا إلى أن توفي الخليفة المذكور في ربيع الأول سنة 1342 / أكتوبر 1923، فقام المترجم له مقامه باسم نائب الخليفة على مقتضى الأوفاق المبرمة في عقد الحماية بين دولتي فرنسا وإسبانيا. إلى أن تم الاتفاق على تعيين خلف للخليفة المتوفى وهو ولده الأمير مولاي الحسن بن المهدي الذي ظل في منصبه إلى استقلال المغرب. ولما عين المترجم له نائب الخليفة استقل نائبه السيد العربي بن الحاج أحمد الدليرو بالعمالة.

كان الحاج التطواني محل احترام الجميع لفضله ونسكه إلى أن توفي في ثاني قعدة عام 1344 / 14 ماي 1926 عن سن تناهز ثمانية وستين عاماً.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 63، مخطوط خاص ؛ مختصره، ص 95 ؛ *الرخامة المقبتة على قبره*.

محمد بوخبزة

ابن **الحاج السلمي**، أسرة فاسية عالمة أصلها من الأندلس حيث اشتهر منهم في القرن السادس (12 م) أبو إسحاق إبراهيم ابن الحاج السلمي البلفيقي الصوفي الكبير دفين مراكش (تـ. 616 هـ) وحفيده أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم ابن الحاج البلفيقي شيخ ابن خلدون وابن الخطيب وابن خاتمة (انظر *المعلمة*، ص. 1356).

ينتسب بنو الحاج السلميون الأندلسيون إلى الصحابي الجليل العباس بن مرادس السلمي. ولا نعلم متى استقروا في بلفيق، وهي بلدة صغيرة في منطقة المرية، لكن من المؤكد أن استقرارهم فيها كان قبل القرن السادس حتى اشتهر إبراهيم الجد بالبلفيقي. ويقارب مؤلف *رياض الورد* تاريخ انتقال بني الحاج السلميين إلى فاس بفترة سقوط الأندلس سنة 897 / 1492. وقد ظل هذا البيت بعيداً عن التعلق بالعلم حتى القرن الحادي عشر حيث ظهر منه أبو الفضل أحمد ابن الحاج السلمي قاضي فاس الجديد، ثم أولاده وأحفاده وجلهم من العلماء والأدباء. ويظهر أن الفتن التي ارتج لها المغرب بعد موت المولى إسماعيل دفعت بعض أهل هذا البيت إلى الهجرة من فاس إلى تطوان أو المشرق وإفريقيا الغربية. وأجبرت البعض الآخرين على ترك التعلق بالعلم.

وفي نهاية القرن الثاني عشر (18 م) ظهر من بين بني الحاج السلميّين أبو الفيض حمدون، ثم أولاده وأحفاده واستمر فيهم العلم إلى هذا القرن.

م. الطالب ابن الحاج السلمي، *رياض الورد*، تح. جعفر ابن الحاج السلمي، دمشق، 1413 / 1993.

C. De la Puente, *La Familia de Abu Ishaq Ibn Al-Hayy De Velefique. Estudios onomastico-biograficos de Al-Andalus*. Editados por Manuela Marin y Jesus Zanon, Madrid, 1992, pp. 309-347.

ابن **الحاج السلمي، إبراهيم** بن محمد. وُلد بمدينة فاس في الربع الأول من القرن العشرين، وفيها درس

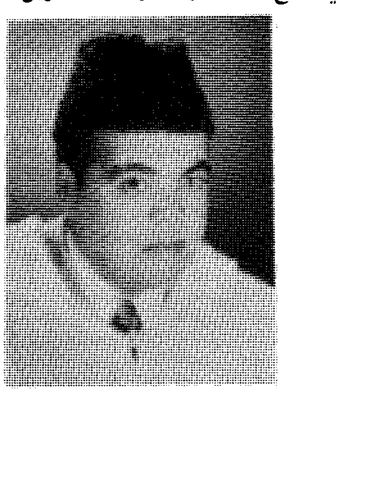

دراسته الابتدائية، ثم التحق بالقرويين طالبا، وتخرج منها في أواسط الأربعينيات من هذا القرن.

اشتغل في شبابه المبكر بالتدريس، ولا سيما في مدرسة المنية الابتدائية الوطنية بفاس. بيد أن نشاطه الوطني جعله عرضة للاعتقال عدة مرات، كما أمر الجنرال جوان بإيقافه عن عمله، فظل على ذلك صابراً محتسباً خمس سنوات، حتى جاء الاستقلال، فرجع إلى عمله وارتقى فيه، فصار أستاذا بالتعليم الثانوي الأصلي. وعندما تكونت رابطة علماء المغرب انتمى إليها.

كتب إبراهيم ابن الحاج مسرحيات وطنية في الأربعينيات من هذا القرن، كان تلامذته بمدرسة المنية الابتدائية يمثلونها. بيد أنها ضاعت فيما نحسب. توفي بمدينة فاس يوم السبت 12 شعبان عام 1415 / 14 يناير 1995.

*خطب تأبين العلماء له في ذكرى وفاته، ومرويات عن القرابة.*

## ابن الحاج السلمي، أحمد بن عبد الرحمان

معلوماتنا قليلة عن هذا الفقيه. وكل ما نعلمه عنه ينحصر في كونه كان مستقراً بتطوان سنة 1150 / 1737، مع أخيه الأديب الفقيه السيد عبد الله. وتشير الوثائق إلى أنه كان يتمتع بالاحترام والتوقير الرسميين، لأجل صفته العلمية، بفضل تدخل أبيه عبد الرحمان لدى السلطان محمد بن إسماعيل، وسعيه في ذلك.

ويرجح من القرائن أنه ولد بفاس قبل عام 1130 هـ، على الأقل، وأنه توفي بمدينة تطوان، في تاريخ متأخر عن سنة 1150 / 1737.

*وثائق بيت شيخ الجماعة* أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي بتطوان، نشر وتقديم، ج. ابن الحاج السلمي، *أعمال ندوة تطوان خلال القرن الثامن عشر*، 1727 / 1822، تطوان، 1993، ص 116 - 131.

## ابن الحاج السلمي، أحمد بن العربي بن محمد

ابن علي بن محمد الداخل إلى فاس من الأندلس. لاشك في أن شيخ الجماعة، أبا الفضل، أحمد بن العربي ابن الحاج هو أول من اشتهر من البيت السلمي القادم من الأندلس إلى فاس. كما أنه رأس بيتا من العلماء كان هو مفتتحه.

ولد أحمد بن العربي بمدينة فاس، سنة 1042 / 1632 وبها حفظ القرآن وجوده. وأخذ عن علماء وقته من المغاربة، ولاسيما عبد القادر الفاسي، وحمدون الأبار، ومحمد ميّارة، ومحمد بن أبي القاسم ابن سودة، وحمدون المزوار، وأحمد بن جلال التلمساني، وعلي الزرهوني. كما أخذ عن علماء المشرق ونزلائه من المغاربة عندما حج، ولاسيما علي الشبراملسي والخرشي، شارح *المختصر*، وعيسى الثعالبي الجزائري المكي.

وصفه محمد الطالب ابن الحاج بقوله : "برع في العلوم، كالعربية والأصلين، والمنطق والفقه، والحديث والتفسير والتصوف، وصار إماما في المعقول والمنقول، مقدّما على علماء الحضرة الفاسية وصلحائها، كأنه البدر الطالع في أفق سمائها. واشتهرت فضائله، وانتشرت فواضله، وضُرب به المثل في الورع وعلو الهمة، والتسليم للأقدار، والتوجه إلى الله الملك القهار، والاجتهاد في نشر العلم، ولزوم العبادة، والتحري عن الشُّبه، وإخماد البدع التي جرت بها العادة".

رحل إلى المشرق حاجا سنة 1074 / 1633، ثم سنة 1078 / 1677. وهنالك استجاز العلماء المشارقة فأجازوه، ووصل أسانيد أهل المغرب في الحديث وغيره بأسانيدهم.

اشتغل بالتدريس في القرويين. وتخرّج عليه علماء أعلام، ولاسيما عبد السلام جسوس، وعبد السلام بن الطيب القادري، ومحمد ابن زاكور الأديب، والطيب بن محمد الفاسي، وابنه مَحمد، ومحمد بن أحمد المسناوي الدلائي، وأحمد الجرندي، ومحمد بن عبد السلام بناني، ومحمد ابن زكري.

بيد أن أحمد بن العربي ابن الحاج لم يتصدّ قطّ للتأليف والتصنيف، شأن شيخه عبد القادر الفاسي. وإنما خلّف فتاوى وأنظاما علمية في فنون متعددة، وشعرا لطيفا متفرقا في المصادر، ولا سيما في *رياض الورد*. وشعره لا يخلو من جمال ومن تعدد الأغراض. وكانت له مساجلات أدبية مع أدباء عصره. ومنهم من امتدحه بالقصائد الطنانة في حياته، ثم رثاه بعد موته.

عاش أحمد زاهداً في الدنيا، منصرفا عن زهرتها. ويظهر أن علاقته بشيخه عبد القادر الفاسي، ثم الطابع العام لثقافة العالم المغربي في عصره. والظروف الاجتماعية العامة التي عاش فيها، جعلته يختار التصوف. ونظن أنه كان متصوفا شاذليا على الطريقة الفاسية، مع شيء من الميل للطريقة الوزانية. ولا يخلو شعره من تصوير تعلقه بالأولياء أحيائهم وأمواتهم. وهذا ما جعل مؤرخيه ينسبون له شيئا من الكرامات.

وعلى الرغم من تولية السلطان المولى إسماعيل له القضاء بفاس الجديد سنة 1105 / 1693، ومكوثه على القضاء إلى وفاته، فإنه كان ممن أنكر من العلماء استعباد الحراطين، كعبد السلام جسوس، والقاضي بردلة، وكان ضمن وفد علماء فاس الذين اجتمعوا بالسلطان في شأنهم. ويشير *رياض الورد* إلى ما ناله من ضيق نفسي في قضية الحراطين، كما يشير إلى تصريحه بكراهيته للروسى، قائد فاس.

بيد أن وفاة أبي الفضل عصمته من الأذى الكثير الذي لحق العلماء الآخرين في قضية الحراطين، ولحق أهل بيته، ولاسيما ابنه محمدا.

توفي أحمد بن العربي ابن الحاج بمدينة فاس سنة 1109 / 1697.

م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، بيروت، 1403 / 1983 ؛ *نشر المثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب*، الدار البيضاء، 1977 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1316، فاس، 1314 / 1896 جزءان ؛ م. ابن الحاج السلمي، *رياض الورد* (1273)، تح. جعفر ابن الحاج السلمي، الجزء الأول، دمشق، 1413 / 1993 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، د. ت. د. م. جزءان ؛ م. الإفراني، *صفوة من انتشر* ؛ م. بناني، فهرسة أحمد بن العربي ابن الحاج، مخطوطة خ. ح. ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، نشر إحسان عباس، بيروت، 1402 / 1982 ؛ ج. ابن الحاج السلمي، *وثائق بيت شيخ الجماعة* أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي، بتطوان، أعمال ندوة *"تطوان خلال القرن الثامن عشر"*، تطوان، 1994.

ابن الحاج السلمي، **أحمد** بن **محمد** بن أحمد. ولد بمدينة فاس سنة 1094 هـ / 1682 م، وبها نشأ في حجر أبيه وجده. وعليهما تتلمذ، ثم على محمد بن عبد القادر الفاسي، والقسنطيني الكماد، والغربي بردلة، والمسناوي، وابن زكري، والجُرنُدي.

وصفه صاحب *رياض الورد* بقوله إنه كان : "علامة دراكة، حافظا متفننا، ماهرا، ضابطا، تام المشاركة في جميع علوم العربية، قوي العارضة في الأصلين والمنطق، والحديث والتفسير، لا يُجارى في التصوف والتاريخ والأنساب، منفردا بعلم الحساب والفرائض، مجتهدا في العبادة.

ويظهر أنه بعد وفاة والده سنة 1128 هـ ، تولى التدريس والإمامة والخطابة والقضاء بفاس الجديد.

لا يذكر صاحب *رياض الورد* لأحمد هذا أنه تصدى للتأليف. إلا أن صاحب *سلوة الأنفاس* نسب إليه أنه ابتدأ تأليف *حاشية على مختصر ابن عرفة* في الفرائض، وأنه أنجز منها نحو الربع ؛ فيكون بهذا قد واطأ أباه على الاهتمام بفرائض ابن عرفة. ولربما كانت هذه الحاشية أو الشرح لوالده، فسعى هو في إتمامها، أو أن الأمر التبس على صاحب *السلوة*، فنسب للابن ما كتبه الأب.

ويشير صاحب *رياض الورد* إلى أن له نثراً وشعراً في أعلى طبقات البلاغة، وعلى طريقة الأقدمين. وأورد له أبياتا من قصيدة في المديح النبوي. بيد أنه لم يورد من نثره شيئا يدل على طبقته في البلاغة، أو منزعه في الأدب. وقد نسب له سيدي عبد السلام ابن سودة ديوانا حافلا. بيد أننا لا نعرف شيئا عن هذا الديوان. أما صاحب *سلوة الأنفاس*، فيشير إلى أن له أشعارا وقصائد في المديح النبوي.

توفي أحمد يوم 18 ربيع الثاني، عام 1133 / 16 فبراير 1721، ودفن بروضة ابن الحاج، بالدرب الطويل، من مدينة فاس.

م. القادري، *التقاط الدرر* ؛ *نشر المثاني* ؛ ع. ابن سودة، *دليل* ؛ م. ابن الحاج السلمي، *رياض الورد* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*.

ابن الحاج السلمي، **إدريس** بن محمد بن محمد. من عدول فاس في القرن الثالث عشر الهجري. توفي بعد سنة 1316 / 1898. وهو والد الأديب محمد بن إدريس، من كتاب جريدة *السعادة*.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، فاس، 1314 هـ/ 1896 م، جزآن.

ابن الحاج السلمي، **حمدون** بن **عبد الرحمان** المرداسي الفاسي، أبو الفيض، أبرز عَلَم من بيت بني الحاج السلميين الفاسيين. ولا ريب أنه قد شكل في ذاته "أمة" وحده من بين علماء فاس والمغرب، في زمنه وبعده، أو ظاهرة فكرية وأدبية وعلمية شديدة التَّميُّز، حتى لُقب بحجة أهل المغرب على أهل المشرق.

وُلد بمدينة فاس حوالي سنة 1174 / 1760، وبها نشأ ودرس على أعلام كبار، منهم : محمد بن الحسن بناني، وعبد الكريم اليازغي، وسليمان بن أحمد الفشتالي، والتاودي ابن سودة، ومحمد ابن أحمد بنيس، وعبد القادر ابن شقرون، والطيب بن عبد المجيد ابن كيران. وممن أجازه في العلوم من أهل المغرب محمد بن عبد السلام ابن ناصر الدرعي التمگروتي، صاحب *الرحلة الناصرية* المشهورة، ومن أهل المشرق الشيخ مرتضى الزبيدي شارح *القاموس*.

وقد مكنه تحصيله العلمي الرفيع والمتنوع، ونبوغه المبكر، من أن يُحصِّل على ثقة أشياخه، ويتصدر لتدريس العلوم بالقرويين وهو فتى قد جاوز العشرين بقليل، ثم على ثقة السلطان سيدي محمد بن عبد الله، الذي عينه مدرساً خاصاً لابنه المولى سليمان. وكان ذلك بسجلماسة، حيث كان يقيم الأمير وقتئذ. فانتقل إليها سنة 1202 / 8 . 1787. وهنالك بدأ اسم حمدون ابن الحاج يقترن باسم الأمير ثم السلطان المولى سليمان.

وعندما توفي السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وتولى ابنه المولى اليزيد عرش المغرب، ترك حمدون ابن الحاج التدريس بسجلماسة ورحل إلى المشرق قاصداً الحج والمجاورة. وكان ذلك سنة 1205 / 90 . 1791. وفي طريقه إلى الحج اتصل بمن استطاع من أعلام المشرق والمغرب وأفاد منهم، وربما مدح بعضهم، كالشيخ الصوفي الكبير، سيدي أحمد التجاني، وقاضي الجزائر محمد بن أحمد بن مالك. وفي تونس اتصل بالشيخ صالح الكواش التونسي، والشيخ قاسم بن عمر المحجوب، وكان هذا شأنه في القاهرة والمدينة المنورة.

وفي سنة 1206 / 1 . 1792، رجع الشيخ حمدون من رحلته المشرقية، ليجد تلميذه المولى سليمان متبوئا عرش المغرب، فألحقه بحاشيته العلمية، وصار من جملة أدبائه

الذين يعمرون مجالسه بالأمداح. ورفع منزلته وعامله معاملة فيها من رقة الشمائل والبعد عن التكلف والحجاب شيء كثير، وأصدر في شأنه ظهيراً رسمياً بتوقيره وتجديد توقير أهل بيته.

اشتغل أبو الفيض حمدون في البدء مدرسا في القرويين. وربما كان يزاوج بين التدريس وتعاطي التجارة في بعض حوانيت قيسارية فاس، لضيق معاشه. ثم صار مدرساً خاصاً للأمير المولى سليمان في سجلماسة، بيد أننا لا ندري بالضبط كيف كان يعيش في المدينة المنورة.

ولما رجع إلى فاس من رحلته المشرقية وصار من الحاشية السلطانية، رجع إلى التدريس، ولا سيما تدريس التفسير في جامع الرصيف ثم في القرويين، ثم اختاره السلطان المولى سليمان للحسبة بفاس، لما كان يعرف فيه من الشدة في الحق. وقد اشتهر فيها بالمبالغة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإجبار الناس على صلاة الجماعة، حتى صارت "الصلاة الحمدونية" مثلاً يضرب في المغرب. ثم ولاه السلطان عاملاً على العرائش وأعمالها سنة 1219 / 5-1804، فتابع سيرته السابقة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإجبار الناس على صلاة الجماعة. بيد أن هذه الولاية المخزنية وأعباءها ومشاكلها، وما واجهه فيها من الصعوبات، لم ترقه كثيراً، بل تَبَرَّم منها، كما هو واضح في شعره، فاستعفى منها السلطان فأعفاه بعد أن تقلدها حوالي ثلاث سنوات. والظاهر أنه لم يكن مهيأ للولاية المخزنية، بحكم شخصيته وأخلاقه وطبيعة تحصيله العلمي. وربما كان قد افتقد في العرائش، وهي مدينة عسكرية وتجارية، ما كان قد ألفه في فاس من بيئة علمية وفكرية. فأورثه كل هذا نفورا من العمل المخزني. فلما عينه السلطان عاملاً على وجدة استعفى السلطان فأعفاه.

وعندئذ، تفرغ الشيخ أبو الفيض للتدريس وعمّر به أوقاته في القرويين وربما في غيرها من الجوامع وفي الضريح الإدريسي، فدرس علوما مختلفة كالتفسير والفقه والبلاغة والحديث. واستأنف نشاطه في التأليف والنظم إلى حين وفاته.

عاش أبو الفيض حمدون رجلاً عالماً وزاهداً كبيراً في الدنيا على الرغم من صلته بالسلطان. وقد كتب ابنه محمد الطالب في وصف حياته وسلوكه وأخلاقه وشخصيته فصولا ممتعة في *رياض الورد* الذي هو مصدرنا الأول عنه ومصدر المصادر المتأخرة. كما روى عنه أحفاده روايات كثيرة في زهده. وكان له ميل واضح إلى التصوف ولا سيما في كتبه وشعره، حتى نسب إلى الطريقة الوزانية وعده رجال الزاوية التجانية منهم.

من الصعب الحديث عن فكر أبي الفيض حمدون ابن الحاج بالنظر إلى تعدد اهتماماته وتعدد تآليفه، وبالنظر إلى أن الدراسات الحمدونية لـمّا تزل في مهدها على الرغم من المجهود الكبير المشكور الذي بذله أحمد العراقي في الكشف عن أدبه وتوثيقه وتحقيقه ودراسته وجهدنا في تحقيق *رياض الورد* وهو المصدر الأول عنه، ذلك أنه كان أديباً شاعراً كاتباً ينظم الشعر العمودي الفصيح والموشح والزجل ويكتب الرسالة والمقامة والخطبة مداحا للسلطان وللنبي صلى الله عليه وسلم. وكان عالماً مشاركاً في أهم العلوم الشرعية والآلية، مفسراً محدثاً فقيهاً متكلماً، كما كان منطقياً عروضياً بلاغياً. وتدلنا قائمة مؤلفاته التي عثر عليها والتي ما تزال محجوبة أو ضائعة، على تفننه في العلوم والآداب، وهاك مسردا بها، مرتبا على حسب الحروف الهجائية.

*إمتاع الأسماع بتحرير ما التبس من حكم السماع*، وهو كتاب في السماع منسوب إلى السلطان المولى سليمان وليس له وإنما هو لأبي الفيض حمدون. وقد ألفه على لسان السلطان فنسب إليه. توجد منه نسخ في الخزائن المغربية والأجنبية ؛ *إجازات علمية* مختلفة لتلاميذه ؛ *بغية الأريب* وهي منظومة في علم الكلام. ولعلها هي عين أرجورته في علم الكلام التي وصلتنا نقول منها ؛ *الثمر المهتصَر في روض المختصر*. وهي حاشيته المشهورة على *مختصر سعد الدين* على *تلخيص المفتاح* للقزويني، وهي من أجلّ مؤلفاته، ويشتغل بتحقيقها الآن بعض الطلبة في كلية الآداب بالرباط ؛ *حاشية على تفسير البيضاوي* ما تزال محجوبة ؛ *حاشية على شرح المحلّي* على جمع الجوامع، لا تزال محجوبة ؛ *الخريدة في المنطق*، وهي منظومة في 111 بيتاً من الرجز. وقد شرحها ابنه محمد المحدث، وشيخه الطيب ابن كيران. وكلا الشرحين مطبوع في المطبعة الحجرية؛ *خطب جمعية* ما تزال مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط ؛ *ديوان شعر كبير* حققه تحقيقاً ممتازاً د. أحمد العراقي ونال بتحقيقه ودراسته درجة الدكتورة في الآداب ثم نشره، وهو يتضمن "وتريات"، توجد مستقلة أحيانا وفيه 545 نصا، منها بعض ما استدركه د. أحمد العراقي، وهو دليل على أن ديوانه لا يتضمن كل شعره ؛ *ديوان النوافح الغالية في المدائح السليمانية*. وقد حققه أيضاً د. أحمد العراقي ونال به درجة دبلوم الدراسات العليا. وهو خاص بمدح السلطان ويتضمن ثمان مقامات له في مدح السلطان ولما يُنشر ؛ *رسائل متنوعة* ومتفرقة إلى أعلام عصره ؛ بعض منها على لسان السلطان ؛ *رسائل في التفسير*، المعروف منها خمس كما أثبته د. أحمد العراقي ؛ *رسالة في لفظة "قال" في الحديث*، نشرها عبد الله گنون ؛ *رسالة النصر والتأييد، في اعتبارات اجتماع النفي والتقييد* ؛ *رحلة حجازية*. تحدث عنها محمد الفاسي، وما تزال محجوبة ؛ *شرح عقود الفاتحة*، وهو شرح لمنظومته المطولة في السيرة الواقعة في حوالي أربعة آلاف بيت (4000) من بحر البسيط وروي الميم المكسور. وهي في خمسة مجلدات ضخام. وقد طبع منها المجلد الأول فقط في المطبعة الحجرية بأمر من السلطان المولى سليمان وطرف صغير من المجلد

الثاني، وهذا الكتاب أهم أعماله الدالة على موسوعية مؤلفه وفكره وعصره، ونرجو أن يوفقنا الله إلى نشره ؛ *شرح مقصورته في العروض والقوافي*، وقف به عند القافية وأتمه ابنه القاضي محمد الطالب ؛ *مراقي الصعود* على تفسير أبي السعود، وهو حاشيته على تفسيره ؛ *مقامات* متنوعة بعضها متضمن في ديوانه *النوافح الغالية* وبعضها ضمن مجاميع خاصة ؛ *مقصورة في علمي العروض والقوافي* وهي في معارضة *المقصورة الخزرجية* الشهيرة. ويرجع تاريخ نظمها إلى سنة 1203 / 8 ـ 1789. وله شرح عليها وقف به عند القافية وأتم الشرح بعده بمدة طويلة ولده محمد الطالب. ولهذه المقصورة شرح آخر، لمحمد بن أحمد التازي المصري عنوانه : "*الحلل المقصورة على الخريدة المقصورة*" بيد أننا لا نعرف شيئاً عن هذا الشرح ؛ *نفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري*. وهو شرح لنظمه لمقدمة ابن حجر لفتح الباري وهو مطبوع بالمطبعة الحجرية بفاس سنة 1329 / 10 ـ 1911 ؛ *نظم الحكم العطائية*، ما تزال منه بعض الشذرات متفرقة في كتبه وكتب غيره.

إن كثرة هذه المؤلفات والآثار الأدبية وتنوعها المعرفي يؤكد "ظاهرة" حمدون ابن الحاج وكونه من أعلام المغرب الكبار وحاجتنا إلى إعادة اكتشاف هذا الرجل واكتشاف فكره وعصره وهذا سيكون من مهمة البحث العلمي المغربي المستقبلي.

توفي الشيخ حمدون ابن الحاج بمسقط رأسه مدينة فاس سنة 1232 / 1817، ودفن بروضة العلماء الكائنة خارج باب الفتوح.

م. الطالب ابن الحاج السلمي، *الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف*، مخطوط ؛ *رياض الورد*، تح. ج. ابن الحاج السلمي، دمشق، 1993 ؛ ع. إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974 / 1983 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية*، الدار البيضاء، 1977 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، المطبعة الحجرية، فاس 1314 هـ / 1896 م جزءان ؛ ح. ابن الحاج، *الديوان العام*، تح. العراقي، 1995 م جزءان ؛ أ. سكيرج، *رفع النقاب بعد كشف الحجاب*، تطوان، د. ت ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، المطبعة الحجرية، فاس، 1316 / 1898 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، د. ت. د. م. جزءان ؛ فوزي عبد الرزاق، *المطبوعات الحجرية في المغرب*، الرباط، 1989 م ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية* ؛ ع. گنون، *النبوغ المغربي*، بيروت، 1960.

ابن **الحاج السلمي، حمدون** بن **محمد** الحفيد، من عدول فاس وموثقيها المشهورين. ولد سنة 1234 / 1818. وتوفي قبل سنة 1314 / 1896.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ م. ابن الحاج، *رياض الورد*، دمشق، 1413 هـ / 1993 م.

ابن **الحاج السلمي، الطائع** بن **أحمد**. ولد بفاس، وبعد أن حفظ القرآن وتلقن المبادئ، التحق بالقرويين، عام 1315 / 1897، فدرس على من كان فيها من العلماء، ذكر منهم محمد بن الفاطمي ابن الحاج عدداً كبيراً، منهم أحمد ابن الجيلالي المغاري والتهامي گنون ومَحمد بن قاسم القادري وعبد السلام الهواري وأحمد بن الخياط الزگاري ومحمد بن جعفر الكتاني.

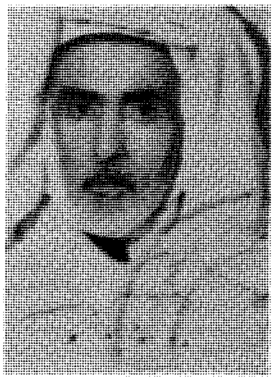

وبعد طور التّعلّم، اشتغل الطائع ابن الحاج بالعدالة والإفتاء والإشراف على شؤون الطلبة الآفاقيين، ثم عمل مدرساً نظامياً في القروين. وتقلب فيه. ثم عُين مستشاراً في الاستئناف الشرعي الأعلى سنة 1359 / 1939. فانتقل إلى الرباط حيث تلقى عنه الأمير مولاي الحسن دروسا. ثم رجع إلى فاس رئيساً للمجلس العلمي للقروين سنة 1365 / 1945. وبقي رئيساً له، مع اشتغاله بالفتوى إلى سنة 1373 / 1953، حيث أعفي على إثر الأزمة المغربية الكبرى. فلازم بيته إلى أن توفي بمدينة فاس سنة 1377 / 1957.

وصفه محمد بن الفاطمي ابن الحاج بقوله : "فقيه جهبذ نحرير. له مشاركة في العلوم المتداولة وغيرها بالقروين. وله الباع الطويل والمقدرة الكبيرة في الفقه والأصول والميزان (المنطق) والبلاغة والحديث والتفسير والفرائض والحساب وصناعة التوثيق وتطبيق الفقه على الجزئيات والنحو واللغة.

بيد أن الطائع ابن الحاج، على شهرته في وقته، والإعجاب الشديد الذي تمتع به من الناس، لم يشتغل بالتأليف إلا قليلاً. وقد ترك فتاوى شرعية متعددة، وتعليقاً على *تنقيح القرافي* في الأصول.

م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان*، الدار البيضاء، 1992 ؛ ع. التازي، *جامع القرويين*، بيروت، 1972.

ابن **الحاج السلمي، عبد الرحمان** بن مَحمد وُلد بمدينة فاس بُعيد سنة 1090 / 1678، وبها نشأ، وأدرك والده وجده شيخ الجماعة.

تتلمذ بفاس على أبيه مَحمد، والعربي بردلة، وعبد السلام جسوس، والمسناوي، وأحمد الجرندي وغيرهم.

وصفه محمد الطالب ابن الحاج في *رياض الورد* بقوله : "كان رضي الله عنه، ممن تضلع في جميع العلوم ... قائما بتدريس الفنون، قيام محقق ضابط محصل محرر. مع قوة الفهم، وحسن العبارة، ولين الجانب، ومكارم الأخلاق، وسرعة الدمعة، مع الدين المتين.

بعد وفاة أخيه أحمد (الحفيد) سنة 1133 / 1720، بأيام قلائل، تولى ما كان بيد أخيه من المناصب الدينية والعلمية، من الإمامة بمسجد النار بفاس، وتدريس الفقه والنحو بمدرستي العطارين والمصباحية، والحديث بالقرويين، مع الاستفادة من حُبُس هذه الكراسي.

بيد أن عبد الرحمان ابن الحاج كان مولعاً بالرحلة إلى الحجاز للحج، فحج مراراً، وحتى وُصف في الظهائر السلطانية بالرحالة. وكانت أول حجة له سنة 1115 / 1703. وهنالك حصلت له صداقات مع بعض العلماء المشارقة، كزين العابدين بن سعيد المنوفي. ويظهر أن اضطراب الأحوال في المغرب، ابتداء من فتنة الحراطين، ثم ما تلا وفاة المولى إسماعيل، سنة 1139 هـ، من أهوال، هو ما جعله يكثر من الحج والرحلة إلى المشرق، وفي الحج مناسبة وذريعة للتواري في انتظار تحسن الأحوال. وعند ذلك، وربما عند غير ذلك أيضاً، كان يستنيب ابن أخته أبا العباس، أحمد الشرايبي، على التدريس في مدرسة العطارين.

ولعلّ هذه الاستنابة جعلت الفقيه ابن إبراهيم يتطلع إلى احتلال كرسي مدرسة العطارين، وينازع أبا زيد وابن أخته أحمد الشرايبي، حتى صدر ظهير من السلطان محمد ابن إسماعيل، مؤرخ بربيع الأول سنة 1150 / يوليوز 1737، يجدد له الاحترام والتوقير القديمين ويصف عمل الفقيه ابن إبراهيم بالترامي.

ويظهر أن سوء أحوال المغرب، على العموم، وفاس على الخصوص، بعد وفاة المولى إسماعيل، هو ما جعل أبا زيد يستنيب عنه ابن أخته، بدلا من أولاده هو، وقد كانوا أيضاً من العلماء، نظراً إلى هجرتهم إلى تطوان، واستقرارهم بها طلبا للعافية.

وعلى الرغم من تمتع عبد الرحمان بما كان يتمتع به أهل بيته من التوقير والاحترام الرسميين فإنه قد جرت له محنة قُبض فيها، سببها مطالبة المخزن لعمه الحاج العربي، بنصيب من تركة الكاتب أحمد أگايز الگرفطي. وكانت النتيجة أن أفرج عنه بعد أن أدى للمخزن، على وجه الصلح، شطرا من المال المطالب به عمه الحاج العربي، الغائب في السودان (إفريقيا الغربية) وكان ذلك سنة 1136 / 1723.

توفي عبد الرحمان ابن الحاج بالمدينة المنورة سنة 1170 / 1756، مخلفاً ذريته بمدينة تطوان.

م. الحاج السلمي، *رياض الورد*، تحقيق، جعفر ابن الحاج السلمي، دمشق، 1413 هـ / 1993 م (الجزء الثاني قيد النشر) ؛ *وثائق بيت أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي بتطوان* ؛ ج. ابن الحاج السلمي، *أعمال ندوة تطوان خلال القرن الثامن عشر* (1727 - 1822 م)، تطوان، 1993، ص. 116 - 131.

ابن **الحاج السلمي، عبد السلام** بن عبد الله. لا نعلم شيئاً عن هذا الفقيه، لولا إشارة عابرة عنه في ظهير للسلطان محمد بن إسماعيل مؤرخ بسنة 1150 هـ، تثبت أنه استفاد من التَّوقير والاحترام الرسميين، لأجل صفته العلمية، وذلك بفضل تدخل جده لفائدته وفائدة أخيه محمد، لدى السلطان محمد بن إسماعيل.

والأرجح أنه نشأ بتطوان، كأخيه، عندما هاجر إليها أبوه وعمه، إن لم يكن ولد بها. والأرجح كذلك أنه توفي بها، في تاريخ لاحق بمدة طويلة على السنة المذكورة.

*وثائق بيت شيخ الجماعة*، أبي العباس، أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي بتطوان، نشر وتقديم، جعفر ابن الحاج السلمي، أعمال ندوة *تطوان خلال القرن الثامن عشر* (1727 - 1822)، تطوان، 1993، ص 116 - 131.

ابن **الحاج السلمي، عبد العزيز** بن محمد بن المفضل بن محمد، وُلد بمدينة تطوان سنة 1936. وتلقى دراسته الابتدائية بالمدرسة الفرنسية الإسلامية. وبعدها التحق بالمعهد الرسمي، فنال شهادته. وفي نهاية الخمسينيات، اشتغل معلماً في التعليم الابتدائي.

وعندما جاء الاستقلال، ترك العمل في التعليم، لأجل ميوله السياسية المتعاطفة مع حزب الشورى والاستقلال، والتحق بالبعثة العسكرية المغربية التي أوفدها محمد الخامس إلى مدينة طليطلة بإسبانيا، للدراسة في أكاديميتها، فمكث بها عاما واحداً، ثم رجع مع رفاقه ضابطاً برتبة ملازم أول سنة 1957.

وعندما قامت الفتن بمنطقة الريف سنة 1958، أرسلته القيادة العسكرية، ضمن من أرسلتهم لتسكين الهيجان، فبقي هنالك مدة، إلى أن عم الهدوء والطمأنينة. ثم بعثته ضمن القوات الأممية إلى زايير سنة 1960، عندما وقع التمرد فيه والحرب الأهلية. فمكث فيه مدة سنة. ثم رجع إلى المغرب، وارتقى في سلاح الطيران المغربي إلى رتبة عقيد.

توفي بمدينة الرباط، يوم الثلاثاء 14 ربيع الثاني عام 1415 / 20 شتنبر 1994. ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه مدينة تطوان، حيث دفن.

*رواية* عن أفراد العائلة والمعرفة الشخصية.

ابن **الحاج السلمي، عبد الله** بن **عبد الرحمان الأصغر** شقيق أبي الفيض حمدون الشهير. وُلد بفاس في حدود سنة 1178 / 1764. وتتلمذ على أخيه وعلى التاودي ابن سودة، وعبد الكريم اليازغي، والجيلاني السباعي، وعبد القادر ابن شقرون، ومحمد بن أحمد بنيس، والطيب ابن كيران.

وصفه ابن أخيه، مؤرخ البيت السلمي بقوله في *رياض* .

*الورد* : "كان ... ممن برز في حلائب الأدب [...] وانفرد بتحقيق العلوم العربية، والمعارف اللدنية. كاملاً ملازماً للسيرة النبوية، مؤثراً للخمول آكلا من كسب يمينه، دؤوبا على نسخ كتب العلم لضرورياته ... وأصوله كلها في غاية الصحة ونهاية الإتقان، لاهتمامه بمقابلتها وعكوفه على تصحيحها، مؤيدا على ذلك بحسن الخط، وإتقان التقييد والضبط.

وقد أورد له في *رياض الورد* بيتين في مدح شيخه التاودي ابن سودة، ولم يزد عليهما. وذكر أن الناس تغالوا في اقتناء ما خطه بيمينه من كتب زمناً طويلاً.

ويظهر أنه في آخر عمره تخلى عن الدنيا، وعن كل نشاط اجتماعي، وتفرغ للعبادة والتصوف، إلى أن توفي مطعونا بمدينة فاس يوم 11 ذي الحجة سنة 1213 / 16 ماي 1799.

م. ابن الحاج السلمي، *رياض الورد*.

ابن **الحاج السلمي، عبد الله** بن **عبد الرحمان الأكبر**، ولد بمدينة فاس، قبل سنة 1128 / 1715، تاريخ وفاة جده، أو قل في حدود سنة 1108 هـ. ذلك أنه مذكور في ترجمته أنه أخذ عن جده، وأنه بعث برسالة شعرية إلى عبد الله جسوس، يحمله تبليغ السلام إلى جده مَحمد بن أحمد بن العربي ابن الحاج.

تتلمذ على جده وأبيه وعمه وكانوا كلهم من كبار العلماء، ولازم أباه في السفر والحضر، وهذا يعني أنه كان يصاحبه إلى المشرق، وعلى العربي بردلة، ومحمد بن عبد السلام بناني، والمسناوي، وابن زاكور.

وصفه محمد الطالب ابن الحاج بقوله : "وبالجملة فقد اتصف صاحب الترجمة بكل فضيلة، وحصل من جل العلوم كل دقيقة وجليلة".

ووصف أدبه بقوله : "انفرد ببراعة الإنشا، وتحكم في القول كيف شا".

لا ندري متى استقر بالضبط بالزاوية العياشية. بيد أنه لا بد من أن يكون ذلك قبل سنة 1128 هـ، تاريخ وفاة جده. ولا لماذا استقر هنالك بعيداً عن فاس، ولا مدة استقراره، وهل كان ذلك طلباً للعلم، وهو احتمال ضعيف، أم سياحة وتصوفاً، وهو احتمال ضعيف، أم اعتصاماً بها وتواريا من فتنة الحراطين، وهو الأرجح، وبدليل مراسلته وتعلقه بعبد الله بن عبد السلام جسوس.

وتشير وثائق بيت أحمد بن العربي ابن الحاج إلى أن استقرار عبد الله بمدينة تطوان، كان ابتداء من سنة 1150 / 1737، على الأقل، أي إبّان الفتن التي أعقبت وفاة المولى إسماعيل، وترخيص السلطان المولى محمد بن إسماعيل له بالتدريس بها ومزاولة العدالة، مع احترامه وتوقيره بها. ويظهر أنه خلف بها ولديه الفقيهين محمدا وعبد السلام، عندما توفي سنة 1190 / 1775، في خلافة السلطان سيدي محمد بن عبد الله. ونرجح أنه توفي بمدينة تطوان.

م. الطالب بن الحاج السلمي، *رياض الورد* ؛ *وثائق بيت شيخ الجماعة أحمد* ؛ ابن الحاج السلمي، أعمال ندوة *تطوان خلال القرن الثامن عشر*، تطوان، 1993 ص 116 - 151.

ابن **الحاج السلمي، عبد الهادي** بن محمد من علماء النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري بفاس. اشتغل بالتدريس والتوثيق، وخلف ابنه محمد بن عبد الهادي عالماً فقيهاً أيضاً.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، المطبعة الحجرية، فاس 1314 / 1896 ؛ *رواية عن الحسن بن المفضل بن محمد المحدث ابن الحاج السلمي*.

ابن **الحاج السلمي، العربي** بن أحمد ورد ذكره في وثائق بيت شيخ الجماعة أحمد ابن الحاج. ويُفهم من الظهير الإسماعيلي الذي يُشير إليه، والمؤرخ بسنة ست وثلاثين ومائة وألف، 1136 / 1723، أنه كان فقيهاً تاجراً، وأنه حج وهاجر من المغرب إلى بلاد السودان (إفريقيا الغربية) للتجارة، وأنه كان شريكا لبعض رجال المخزن، هو أحمد أگايز الگرفطي، كاتب الباشا غازي، في التجارة، وأن علاقته التجارية به، هو ما جعل السلطان المولى إسماعيل يأمر بالقبض عليه، وهو غائب بالسودان، عندما استصفى وتتبع تركة أحمد أگايز الگرفطي، ثم يعفو عنه، لما سوى الأمر مع ابن أخيه، السيد عبد الرحمان. ويظهر أيضاً أن موقف أهل بيته من قضية الحراطين، وما صاحبها من فتن عمت المغرب، هو ما جعله يتوارى في السودان، متظاهراً بالتجارة ومتمعشا بها.

إننا نعلم على وجه القطع أنه كان حيّا سنة 1136 / 1723. ولربما توفي ببلاد السودان.

*وثائق بيت شيخ الجماعة أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي*، بتطوان، نشر وتقديم، جعفر ابن الحاج السلمي، أعمال ندوة *تطوان خلال القرن الثامن عشر*، (1727 - 1822)، تطوان، 1993، ص 116 - 131.

ابن **الحاج السلمي، الفاطمي** بن عبد الكبير. أحد عدول فاس في القرن الرابع عشر الهجري. وصفه ابنه محمد بقوله : "الفقيه العدل الموثق الرضى المرتضى". وُلد بفاس في مطلع القرن الرابع عشر الهجري. واشتغل أولا كاتبا في بنيقة السلطان المولى عبد الحفيظ، لما وُهبه من جمال الخط وحسنه. ولما ساءت الأحوال في آخر عهد هذا السلطان، ترك العمل في دار المخزن، وتعاطى العدالة، وظل مشتغلاً بها إلى وفاته. وقد خلف ذكرا جميلا بين الناس، لما كان عليه من النزاهة والحزم في التوثيق.

م. ابن الحاج السلمي، *إتحاف ذوي العلم والرسوخ، بتراجم من*

*أخذت عنه من الشيوخ*، الدار البيضاء، 1398 - 1978 ؛ *معارف عن طريق القرابة العائلية*.

ابن الحاج السلمي، **مَحمد** بن **أحمد** بن العربي

هو ثاني علم أنجبه بيت بني الحاج السلميين بعد هجرتهم إلى فاس، عند سقوط الأندلس. وُلد في مدينة فاس في حدود سنة ستين وألف هجرية. (1649 م) وتتلمذ على عدد كبير من العلماء، أولهم والده ومنهم أبو علي اليوسي، وعبد القادر الفاسي، الذي أجازه إجازة عامة.

وصفه محمد الطالب ابن الحاج، في *رياض الورد*، بقوله : كان "... علامة حافظاً متبحراً متفنناً، ماهراً في العربية، متضلعاً بالفقه والحديث، والتفسير والأصلين، والبيان والمنطق والتصوف، منفرداً بعلم الحساب والفرائض، بصيراً بالتاريخ ومُلح النوادر مع سلامة القريحة، ونزاهة الساحة، والاجتهاد وكمال الاعتناء، مطالعة ومباحثة وتقييداً، منتهجا طريقة الفقراء، من العزلة والصبر والزهد، والورع والتهجد، والصيام والقيام".

انتصب للتدريس، بعد وفاة والده سنة 1109 / 1649، فدرّس الفقه بمدرستي الخصة والعطارين، والحديث بالقرويين، وتولى كذلك القضاء والخطابة والإمامة بفاس الجديد. ويشير ظهيرا توليته القضاء وتزكيته إلى مبلغ التقدير الرسمي لعلمه وكفايته وخلقه، الذي حازه من السلطان المولى إسماعيل ومن علماء وقته، كمحمد بن بلقاسم عليلش الحضرمي، والعربي بردلة. وإذا كنا نعلم أنه ولي القضاء خلفا لوالده، عند وفاته، فإننا لا نعلم كم استمر على القضاء، وهل مات على القضاء بفاس الجديد، أم ترك هذه الخطة الشرعية قبل ذلك بكثير، ولا سيما عند اشتداد أزمة الحراطين، وإعلانه بالإنكار لتمليكهم مع العربي بردلة، وعبد السلام جسوس، ومحمد ميارة الحفيد. وأغلب الظن أنه انصرف عن القضاء إبان اشتداد الأزمة.

بيد أن وظائفه الرسمية لم تمنعه قط من أن يقف موقف المعارض في قضية الحراطين المشهورة، حتى تعرض للأذى في نفسه من ذلك، ولا من الانحياز إلى الشيخ عبد السلام جسوس، ثم ابنه عبد الله جسوس ومواصلته، والتصريح بذلك في شعره، والتشفي من عدوه.

ألف مَحمد ابن الحاج، في الفقه شرحا على *فرائض ابن عرفة*. ونظم الشعر، وكانت له *أشعار وقصائد*. بيد أنه لم يصلنا من شعره إلا شيء قليل وارد في *رياض الورد*.

توفي بمدينة فاس سنة 1128 / 1715، وبها دفن بروضة ابن الحاج بالدرب الطويل، بعدما عاش ثمانية وستين عاماً أو نحوها، مخلفا من ذريته ولدا عالما هو عبد الرحمان، وعالما أديبا مثله، هو أحمد (الحفيد).

ابن الحاج السلمي، **محمد الطالب** بن **حمدون**

وُلد حوالي سنة 1217 / 1803 بمدينة فاس، وفيها قرأ في شبابه المبكر على أعلام عصره. منهم : شقيقه محمد المحدث، وأبو بكر بن زيان الإدريسي. وبعد ذلك صار مدرسا بالقرويين، ومكث في تدريسه زمنا طويلا إلى أن عينه السلطان المولى عبد الرحمان قاضيا للجماعة بمراكش، وذلك حوالي سنة 1259 / 1843. وقد أقام على القضاء بمراكش زهاء ثلاث عشرة سنة ثم بعد وفاة عبد الهادي بن عبد الله العلوي قاضي فاس سنة 1272 / 1856 انتقل إلى فاس قاضيا بها وبقي على القضاء بها سنة واحدة توفي بعدها ولم يمنعه القضاء من القيام بالتدريس في مراكش والخطابة بجامع ابن يوسف ثم بفاس.

اتفق مؤرخو محمد الطالب ابن الحاج على وصفه بكل محمدة عندما ولي القضاء، فهو "آخر قضاة العدل" عند عبد الحي الكتاني، "وما عدت له هفوة"، حسب العباس بن إبراهيم المراكشي، "ولم يسمع بمثل عدله في الأعصار المتأخرة، كما قال أيضاً ؛ بل ضربه السلطان المولى الحسن مثلاً لقضاة العدل في رسالته إلى أهل مراكش.

عاش محمد الطالب متصوفا على الطريق الشاذلية الدرقاوية التي أخذها عن الشيخ محمد الحراق زاهداً في الدنيا وزخرفها. فلما مات "لم يُخلف شيئا"، حسب العباس بن إبراهيم"، ولم يوجد في تركته ما يقوم على تجهيزه وإنما جهز إلى قبره بثمن دملج ذهبي لبنته كان قد اشتراه لها خالها، وهذا نهاية في الورع والزهد والإعراض عن الدنيا.

كتب محمد الطالب الكثير من المؤلفات بخط يده أكدت صفته من حيث هو عالم كبير من أعلام علماء عصره، له مشاركة في التاريخ والفقه وعلم النسب وعلوم اللغة. منها ما أنجزه وأتمه، ومنها ما منعه الموت من إتمامه، ومنها ما هو معروف موجود، وبعضها مطبوع، ومنها ما لا يعرف منه إلا الاسم، وهذه قائمة مؤلفاته :

*الأزهار الطيبة النشر فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادئ العشر*، مطبوع طبعة حجرية ويتناول أهم العلوم المتداولة في المغرب في القرن الثالث عشر الهجري ؛ *الإشراف على من بفاس من مشاهير الأشراف*، نعمل الآن علي تحقيقه ؛ *حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين*، طبعت عدة مرات ؛ *حاشية على شرح بحرق للامية الأفعال*، طبعت عدة مرات كذلك ؛ *السرور والابتهاج بترجمة الشيخ حمدون ابن الحاج*، وهو كتاب في تاريخ بيت بني الحاج السلميين في الأندلس والمغرب. وهو مصدرنا الأول في كتابة كثير من تراجم مادة ابن الحاج السلمي ؛ وقد نشرنا جزءه الأول محققا ؛ *روض البهار في ذكر شيوخنا الذين فضلهم أجلى من شمس النهار*، لا يعرف عنه إلا اسمه ؛ *شرح إحياء الميت بفضائل آل البيت*، للسيوطي مخطوط ؛ *شرح مقصورة والده حمدون ابن الحاج في العروض والقوافي*، مخطوط ؛ *كناشتان* مخطوطتان ؛ *كتاب التعريف بالتاودي ابن سودة*، نشرناه محققا ؛ *منظومات*

مختلفة؛ *نظم الدر واللآل في شرفاء عقبة ابن صوال*، في أنساب الكتانيين مخطوط.

توفي محمد الطالب ابن الحاج يوم تاسع ذي الحجة من عام 1273 / 13 يوليوز 1857. ودفن بضريح سيدي ابن الحاج بالدرب الطويل من مدينة فاس.

ابن **الحاج السلمي، محمد الطالب** بن **محمد** من ذرية شيخ الجماعة أحمد بن العربي ابن الحاج. عُرف فرع بيته بالمرابط. أديب فاسي من أهل القرن الثالث عشر الهجري. له شرح على *مقامة أبي الفيض حمدون ابن الحاج*.

ابن **الحاجّ السُّلميّ، محمد** بن **عبد الرحمان** شقيق أبي الفيض حمدون الشّهير. ولد بفاس في حدود سنة 1180 / 1766، وبها نشأ. وتتلمذ على أخيه الأكبر، الشّيخ أبي الفيض حمدون، وعبد القادر ابن شقرون، ومحمد الطّيّب ابن كيران. وتعلّم الخطّ حتى برع فيه وتميّز، وصار يُشار إليه في صناعة الخطّ والتّزويق، تعلم على الخطّاط الشّهير، أبي الحسن، عليّ الوافلاويّ.

جمع محمد ابن الحاجّ، إلى ثقافته العلميّة، وموهبته الفنّيّة في الخطّ والتّزويق بالذّهب، قريحة أدبيّة، ومعرفة بالموسيقى وميلا إليها. وقد وصفه ابن أخيه محمد الطّالب ابن الحاجّ بقوله إنّه كان : "كثيرا ما يتأثّر بالسّماع، وينفعل بنغمات الألحان، عارفا بطبوعها، وقوالب أصواتها، متين الدين خاملاً، شاعراً مجيداً مطبوعاً. بيد أنه لم يورد أيّ شيء من شعره. ثم إننا لا نعرف شيئا من شعره، ولا نعرف مصير تأليفه في *أسرار العبادات*. لا ندري متى ولا أين تُوفّي الشّيخ محمد بن عبد الرحمان ابن الحاجّ، لأن ابن أخيه محمدا الطّالب لم يقيّده. ونظن أن ذلك كان في أواسط القرن الثالث عشر الهجريّ. ولربّما كان مايزال حيّا عندما ابتدأ صاحب *رياض الورد* في وضع كتابه، في حدود سنة 1248 / 1832.

م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، الرباط، 1412 / 1991 ؛ م. الطالب ابن الحاج، *رياض الورد، فيما انتمى إليه هذا الجوهر الفرد*، تح. د. ج. ابن الحاج السلمي، الجزء الأول، دمشق، 1413 / 1993.

ابن **الحاج السلمي، محمد** بن **عبد الكبير** العلامة الأديب وُلد بمدينة فاس سنة 1301 / 1883. وفي القرويين درس على أعلامها أهمّ المتون المتداولة عصرئذ في الفقه والنحو والأصول والحديث وغير هذا من العلوم. ذكر منهم ابن أخيه محمد بن الفاطمي ابن الحاج : أحمد بن الجيلالي المغاري، والتهامي جنون، وأحمد ابن الخياط الزكاري، ومحمد بن قاسم القادري، وعبد السلام ابن محمد الهواري، ومحمد بن جعفر الكتاني، ومحمد گنون، وخليل بن صالح الخالدي التلمساني، ومحمد بن رشيد العراقي، وعبد العزيز بناني، وعبد السلام بناني، وأحمد بن المأمون البلغيثي، ومحمد بن محمد بناني، والعباس التازي، ومحمد بن محمد زويتن، وأبا شعيب الدكالي، وأحمد بن محمد العلمي، وعبد السلام بن الحسن بناني، وعبد الرحمان ابن القرشي، وأبا بكر بن العربي بناني.

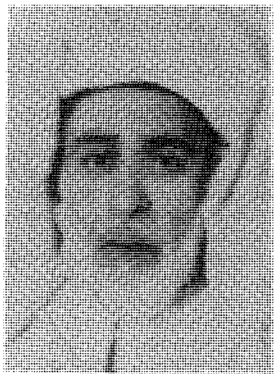

وبعد أن أنهى دراسته، صار مدرسا بالقرويين. وجمع أحيانا بين التدريس والعدالة، وبين التدريس والإفتاء. وظلّ مدرّسا للعلوم بها، ولاسيما علوم الآلة، إلى أن توفي.

وصفه مؤرخه محمد بن الفاطمي بقوله : "فقيه علامة مشارك في كثيرمن الفنون المتداولة. إلا أنّ له تبريزاً وتفوقا في حلبة الفقه والنحو والأدب والبلاغة وعلوم اللغة." بيد أنه غلب عليه الأدب وعلومه. ومال طبعه إلى نظم الشعر في مختلف أغراضه من مدح ورثاء وإخوانيات وسوى ذلك. وامتدح من الملوك مولاي يوسف، ومحمدا الخامس، وربما من كان قبلهما. بيد أن شعره مايزال مشتتا ينتظر من يجمعه. ولم يترك من المؤلفات إلا شرحاً *كبيراً على المزهر* للسيوطي، لم يتمّه.

توفي بمدينة فاس يوم 28 ربيع الأول سنة 1378 / 12 أكتوبر 1958.

م. بن الفاطمي ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدارالبيضاء، 1412-1992 ؛ ع. التازي، *القرويين، المسجد والجامعة بمدينة فاس*، بيروت، 1972، 3 أجزاء ؛ *كناشة البشير أفيلال* (1410 هـ) مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *اليمن الوافر الوفي، في امتداح الجناب المولوي اليوسفي*، 1932 م.

ابن **الحاج السلمي، محمد** بن **عبد الله**، لا نعرف شيئا ذا بال عن هذا الرجل، لولا إشارة عابرة إليه في ظهير للسلطان المولى محمد بن إسماعيل.

تمتّع الفقيه محمد بن عبد الله ابن الحاج بالحماية الرسمية، أي بالتوقير والاحترام، لأجل صفته العلمية بمدينة تطوان التي استقر بها أبوه، والتي ربّما وُلد هو بها، وذلك

بفضل تدخل جدّه عبد الرحمان ابن الحاج، لدى السلطان محمد بن إسماعيل سنة 1150 / 1737. وهذا يعني أنه كان شابا أو حدثا في ذلك التاريخ.

وقد كان هذا الفقيه على قيد الحياة سنة 1186 / 1772 مقيما في تطوان ومتزوجا بها، كما تثبت ذلك إشارة وردت عنه في ظهير للسلطان المولى محمد بن عبد الله.

*وثائق بيت شيخ الجماعة*، أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي بتطوان. نشر وتقديم، جعفر ابن الحاج السلمي. أعمال *ندوة تطوان خلال القرن الثامن عشر*، تطوان 1993، ص 116 ـ 131.

ابن **الحاج السلمي، محمد** بن **عبد الهادي**، من رجال نهاية القرن الثالث عشر، وبداية القرن الرابع عشر.

اشتغل بالتدريس في القرويين. وورد اسمه مع أسماء العلماء الموقعين على العريضة المرفوعة إلى السلطان مولاي يوسف سنة 1330 / 1912 في شأن جامع القرويين.

كان فقيها معتنيا باستنساخ مخطوطات أسلافه، بخطه المغربي الجليل، مع الورع والزهد والانقباض. ومنها ديوان حمدون ابن الحاج، (نسخة الخزانة العامة بالرباط)، و*رياض الورد*، وغير ذلك.

له كتاب "الأنوار المضيئة في الليل الداج".

ع. زيدان، *الدرر الفاخرة، بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة*، الرباط 1356 / 1937 ؛ ع. بن عبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، المحمدية، 1395 ـ 1396 ـ 1401 ـ 1975 ـ 1976 ـ 1981، 4 أجزاء ؛ *رواية الأستاذ الحسن ابن الحاج*.

ابن **الحاج السلمي، محمد** بن **الفاطمي** ولد بمدينة فاس، حوالي سنة 1343 / 1924. وفي مكاتبها حفظ القرآن وتعلم مبادئ العربية.

ثم أقبل على تعلم العلوم المتداولة في القرويين على شيوخها. وقد ذكر في فهرسته : *إتحاف ذوي العلم والرسوخ* جملتهم. وهم : الحسين ابن البشير، ومحمد بنونة الفاسي، ومحمد ابن سودة، ومحمد بوطالب، والعربي السعودي، وأبو الشتاء الصنهاجي، وأحمد ابن شقرون، وأضرابهم. وتخرج عالماً من القرويين من القسم الأدبي سنة 1368 / 1948.

وقد أجازه من العلماء : الحسن مزّور، وعمه مَحمد بن عبد الكبير ابن الحاج، ومحمد ابن إبراهيم، وعبد الرحمان الغريسي، ومحمد بن العربي العلوي، وعبد الحفيظ الفاسي، والعباس بن إبراهيم المراكشي، والمدني ابن الحسني الرباطي، وأحمد ابن الصديق الغماري، ومحمد الباقر الكتاني، ومحمد بن اليمني الناصري، ومحمد بن الحبيب الفلالي الأمغاري.

اشتغل محمد بن الفاطمي ابن الحاج منذ شبابه الباكر بالتدريس، وأفنى عمره فيه. وقضاه كله في فاس، إلا سنة واحدة في مدينة سيدي سليمان. وقد درّس في سلكي القرويين الابتدائي والثانوي. وحين أحيل على التقاعد، سنة 1405 / 1984، شغل نفسه بالتوثيق حتى توفي. وعند إحياء الكراسي بالقرويين، عاد إلى تدريس النحو والفقه فيه.

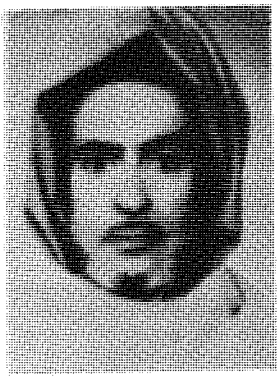

أسهم محمد بن الفاطمي ابن الحاج في الحركة الوطنية المغربية. وكان له نشاط مرموق في حزب الاستقلال. ووقّع عريضة المطالبة برجوع محمد الخامس مع رفاقه من العلماء يوم 27 ذي القعدة 1373 / 1953. وفي 12 ذي الحجة 1373، اعتصم مع من اعتصم من العلماء في الضريح الإدريسي. وعلى إثر هذا، سجنته السلطات الاستعمارية بمدينة الرباط.

ولما رجع محمد الخامس إلى فرنسا، سافر مع وفد العلماء لتهنئة جلالته بالعودة. وتشهد كتاباته الذاتية الخاصة على تعلق كبير بمحمد الخامس. بيد أنه بعد الاستقلال، كفّ عن النشاط الحزبي، وإن ظل يعد نفسه استقلاليا إلى آخر عمره، وانصرف بهمته المعهودة إلى العمل ضمن رابطة علماء المغرب، مؤمنا بوظيفتها غاية الإيمان. بل خصص نفسه لتاريخ العلم والعلماء المعاصرين، وجامعة القرويين. بل يمكننا أن نقول عنه إنه مؤرخ القرويين دون منازع على الطريقة القديمة. يستوي في ذلك ما تركه مخطوطا وما نشره في حياته.

كان لمحمد بن الفاطمي ابن الحاج اهتمامات متنوعة. إلا أنه غلب عليه الأدب وكتابة التراجم. وقد خلف من الكتب التي تدل على اجتهاده الكبير، ومجهوده الميداني وغير الميداني، ما يأتي :

1 ـ *إتحاف ذوي العلم والرسوخ، بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ*. وقد نشره في حياته. وهو أهم مصدر عنه.

2 ـ *إسعاف الإخوان الراغبين، بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*. وقد نشره كذلك في حياته. وهو يتضمن مئة ترجمة لعلماء المغرب. أما الباقي مما يلي، فهو مايزال مخطوطا.

3 ـ *التحفة المسكية الغالية، في رحلتي الأولى إلى البقاع الحجازية*.

4 - *الهدية السنية، في الرحلة الثانية، إلى الأصقاع المقدسة الحجازية.*

5 - *ما سنح بالبال، من رحلة الحج والتجوال.*

6 - *الخطب الجمعية السلمية.* وقد أنشأها دون أن يشتغل بالخطابة.

7 - *اللآلئ الغالية البهية، في الأمثال العامية المغربية.*

8 - *خطوات وخطرات من خلال رحلة سياحية وعلاجية.*

9 - *الطرفة البهية، في رحلتي للربوع الأندلسية.*

10 - *الدرر البهية السنية، في الرحلة الإرشادية المولدية، إلى الديار الفرنسية.*

11 - *رحلة الوعظ والتوعية الدينية، إلى الديار الفرنسية.*

12 - *الرحلة التوجيهية الرمضانية، إلى الديار الأوربية الهولاندية.*

13 - *تحقيق المطمح والمنية، بالرحلة الرابعة وشعائر الحج ومناسك العمرة.*

14 - *النصيحة الدينية، لأعضاء الأمة الإسلامية.*

15 - *الكشكول الممتع، السُّلَمي المقنع.*

16 - *بنات أفكاري، وفلذات أكبادي.*

17 - *مذكرات عن محنة علماء فاس عند نفي محمد الخامس.*

18 - *مذكرات ذاتية وتاريخية.*

19 - *إنشاءات أدبية،* في صورة قصص ومقالات وحكايات.

20 - *مراسلات كثيرة.*

توفي بمدينة الرباط، يوم الأربعاء 8 شوال 1413 / 31 مارس 1993، بعد مرض أعضله. ثم نقل إلى فاس فدفن بها في اليوم التالي، مخلفا وراءه حسن الأحدوثة والثناء من الناس عامة وخاصة.

م. الفاطمي أبن الحاج السلمي، *إتحاف ذوي العلم والرسوخ، بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ*، الدار البيضاء، 1398. 1978 ؛ *إسعاف الإخوان الراغبين، بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، 1412. 1992 ؛ *مذكراته المخطوطة، المعرفة الشخصية والقرابة.*

**ابن الحاج السلمي، محمد بن محمد بن أحمد**

ولد بمدينة فاس سنة 1332 / 1913 في بيت علم. إذ كان والده عالما محدثا، وعمه الطائع رئيسا للقرويين، وجده عالما مؤرخا كبيرا للدولة العلوية.

وبعد مرحلة التعليم الابتدائي، قصد القرويين للدراسة، عام 1348 / 1929. فدرس على علماء أجلة أهم العلوم المتداولة في القرويين، وهم محمد ابن سعيد المكناسي، والعباس بناني، وعمه الطائع ابن الحاج، ووالده محمد بن أحمد ابن الحاج، ومحمد أقصبي، وعبد الرحمان الغريسي وأضرابهم. ثم تخرج عالماً من القسم الشرعي للقرويين سنة 1356 / 1936.

عُيّن محمد بن محمد ابن الحاج أولا عدلا بفاس، ثم كاتبا بمجلس الاستيناف الشرعي الأعلى بالرباط، ثم قاضيا بأحواز الرباط عام 1357 / 1937، ثم قاضيا بقبيلة شراكة وسلاس وفشتالة وأولاد عيسى، في قرية أبَّ محمد، سنة 1365 / 1945، ثم قاضيا بفاس الجديد سنة 1373 / 1953.

كان محمد بن محمد بن أحمد ابن الحاج عالما فقيها مفتيا. وقد خلف فتاوى مجموعة. وكان أيضاً أديباً ذا نثر وشعر. وصفه إدريس بن الماحي الإدريسي بـ"العالم المدرس القاضي الأديب الكاتب المقتدر". وقد ذكر محمد بن الفاطمي ابن الحاج عنه، وهو أهم مصدر مفصل عنه، أن شعره كان كثيراً في موضوعات متنوعة. وأورد له قصيدة من شعره في المدح. بيد أن أهم ما خلفه، هو كتابه *خواطر*. وهو مجموعة مقالات في التربية والإصلاح والأدب والثقافة، وفي مناقشة نظرية النشوء والارتقاء، تصور تطور تفكير عالم القرويين المغربي في الأربعينيات من القرن العشرين. وقد نشر المؤلف الجزء الأول منه. ولاندري مصير الثاني.

وعندما جاء فجر الاستقلال، ناله أذى من الفدائيين وعُزل عن القضاء ؛ فلزم الفتوى. ثم اشتغل بالتدريس بالثانوي في فاس أيضاً. ثم رجع إلى القضاء الشرعي بمحكمتي فاس الإقليمية والاستئنافية. وظل قاضيا إلى أن توفي بمسقط رأسه يوم 8 شوال عام 1387 / 8 يناير 1968.

م. بن الفاطمي ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدار البيضاء، 1412. 1992 ؛ *خواطر*، فاس، 1367 هـ / 1948 م. الجزء الأول ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*.

**ابن الحاج السلمي، محمد بن محمد المحدث.** ولد بفاس سنة 1223 / 1807. وصفه صاحب *الدرر البهية* بقوله : "كان محدثا خيرا ذا مروءة في دين متين. وهو أحد المحدثين الذين كانوا يسردون الصحيح بحضرة أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمان بن هشام كان

ينتحل خطة الشهادة بسماط هذه الحضرة، ولازال عليها إلى أن توفي في حدود 1314 / 1896.

إ. الفضيلي العلوي، *الدرر البهية*، فاس 1314 هـ، 1896 م. جزءان ؛ م. الطالب ابن الحاج، *رياض الورد*، تح. جعفر ابن الحاج السلمي، دمشق، 1413 / 1993.

ابن **الحاج السلمي، المهدي** بن **أبي بكر** من علماء القرويين. ولد بفاس وبها نشأ وتعلم وتخرج. أدرج مدرسا بها في الطبقة الرابعة عام 1337 / 1918. وقد جمع بين التدريس في القرويين وثانوية مولاي إدريس بفاس.

توفي بفاس شابا سنة 1343 / 1924.

ع. الهادي لتازي، *جامع القرويين*، بيروت، 1972 ؛ ع. ابن زيدان، *الدرر الفاخرة*، الرباط، 1356 / 1937.

ابن **الحاج السلمي، المهدي** بن **محمد** إنّ المعلومات عن هذا الفقيه قليلة جداً. وقد كتب في ترجمته ابن أخيه محمد بن عبد الهادي ابن الحاج في كتابه : *الأنوار المضيئة في الليل الداجّ*.

ولد المهدي ابن الحاج بفاس سنة 1244 / 1828. وتتلمذ على أبيه محمد المحدث، وعمه محمد الطالب، وعلى من عاصرهما من أعلام العلماء، كالوليد العراقي، ومحمد بن عبد الرحمان الفلالي، وأحمد المرنيسي وغيرهم.

وصفه صاحب *الدرر البهية* بقوله : "الفقيه العلامة النحرير، المحرر الفهامة، السيد المهدي، المحدث الأصولي، المنطقي الحافظ الحجة. آية الله الكبرى في جميع فنون العلم، العقلية والنقلية. أقبل على التدريس في جميع الفنون، فهرع إليه طلبته من كل حدب لحسن تبليغه، وسلاسة عبارته وإتقانه. فانتفع به خلق كثير".

ووصفه صاحب *سلوة الأنفاس* بقوله : "كان فقيها علامة مدرسا نفاعا. له مشاركة في فنون عديدة، وصناعة بديعة في التدريس، حلو المنطق، كريم النفس، جميل الأخلاق، خيِّرا ديِّنا هيِّنا ليِّنا خاضعا متواضعا منصفا".

تخرج على يده عدة علماء أعلام، منهم الشيخ عبد الكبير الكتاني، والمهدي الوزاني، ومحمد المدني ابن جلون.

وقد خلّف *رسالة في أحكام الخنثى*، ماتزال مخطوطة في مكتبة تطوان العمومية. ونسب له صاحب *الدرر البهية حاشية علي الخرشي*.

توفي بفاس سنة 1290 / 1873.

إ. الفضيلي العلوي، *الدرر البهية*، فاس 1314 / 1896 ؛ م. الطالب ابن الحاج، *رياض الورد*، تح. جعفر ابن الحاج السلمي، دمشق، 1413 هـ / 1993 م ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، 1316 هـ / 1898 م ؛ م مخلوف، *شجرة النور الزكية* ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، 1402 ـ 1982 ؛ ع. بن عبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية* ؛ رواية المفضل بن محمد ابن الحاج عنه.

جعفر ابن الحاج السلمي

ابن **الحاج الشفشاوني، محمد** بن **أحمد** قاضي شفشاون على عهد الأميرين إبراهيم بن علي بن راشد وأخيه محمد بن علي بن راشد. كان فقيهاً مرموقاً له اهتمامات بالقضايا الشائكة في عصره يناقش فيها ويُناظر ويُسائل علماء عصره حولها. ومن ذلك مسألة عقائد العوام التي كانت موضوع مراسلات بينه وبين شيخ فقهاء فاس آنذاك عبد الواحد الونشريسي والتي كانت على ما يبدو واحدة من عوامل وأسباب النفرة والخلاف بينه وبين الشيخ المتصوف عبد الله الهبطي وأبي القاسم ابن خجو وهو الخلاف الذي تطور ليصل إلى درجة إهانة الهبطي بالضرب والحبس من طرف والي شفشاون بإيعاز من القاضي صاحب الترجمة كما أخبر بذلك ابن الضحية، محمد بن عبد الله الهبطي في منظومته قائلاً :

كم سامه بالضرب والتهاون | والي وقاضي الجور في شفشاون
سجنه القاضي عدوُّ نفسه | من غير جرم موجب لحبسه

توفي صاحب الترجمة سنة 969 وقد أفتى في مجموعة من النوازل أثبتها العلمي في نوازله.

م. الهبطي، *المنظومة*، مخطوط ؛ م. العلمي، *النوازل*، 1 : 244 ؛ 2 : 6 ومابعدها ؛ *العافية*، *شفشاون*، 330 ومابعدها.

محمد مرزاق

ابن **الحاج العبدري**، محمد بن محمد الفاسي مؤلف *المدخل*. ولد في منتصف القرن السابع الهجري، ولعله من الطارئين على فاس، فقد جاء في بعض نسخ كتابه *المدخل*: "يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه .. محمد بن محمد بن محمد العبدري القبيلي الفاسي الدار)، ولا يقال فاسي الدار إلا لمن كان طارئا عليها ـ كما لا يخفى.

ولا ندري مدى صلته بأبي عمرو عثمان بن مَحمد بن عبد الله العبدري الفاسي، فهو بياسي الأصل من كورة جيان، استوطن فاس وتوفي بسبتة سنة 663 / 1264.

وهناك عبدري آخر له *شرح على الرسالة* ينقل عنه في *المدخل* ويترجم عليه. ووهم بروكلمان فذكر أن ابن الحاج ـ مترجمنا ـ ولدٌ للعبدري صاحب الرحلة. أخذ ابن الحاج العبدري عن شيوخ فاس، منهم : أبو عبد الله الفاسي، تردد ذكره في *المدخل* وهو من رجال التصوف.

غادر ابن الحاج فاسا ـ وهو شاب يافع، فدخل تلمسان، واتصل بالشيخ إبراهيم بن يخلف التنسي المطماطي، سمع منه، وكان من أهل الفضل والصلاح، انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في وقته (ت. 670 / 1271).

ثم التحق ابن الحاج بتونس، فصحب أبا محمد عبد الله بن محمد المرجاني، وكان من الأئمة الأعلام في الفقه والحديث والتفسير والتصوف. رافقه في رحلته إلى المشرق، وعندما هاج عليهم البحر، توسل الناس إليه، فأمرهم بالصدقة، فأنجاهم الله من الغرق.

وبعدما أديا مناسك الحج، عاد الشيخ المرجاني إلى بلده تونس، وهناك توفي سنة 669 / 1270.

أما ابن الحاج، فقد شد الرحال إلى بيت المقدس، وزار المسجد الأقصى ؛ وربما عرج على اليمن وبلاد الشام، وانتهى به المطاف إلى أرض الكنانة، فنزل الاسكندرية وتجول في بادية الصعيد، واستقر - نهائيا - بالقاهرة، فأخذ عن الحافظ تقي الدين عبيد الأشعري (ت. 692 / 1292) وسمع عليه *الموطأ* وحدث به.

ثم لازم أبا محمد بن أبي جمرة (ت. 629 / 1299)، فبدت عليه بركاته، وصار ملحوظا بالمشيخة والجلالة - كما يقول ابن حجر.

تتلمذ له أبو محمد المنوفى (ت. 748 / 1347)، وخليل ابن إسحاق الجندي صاحب *المختصر* المشهور (ت. 776 / 1347) وشمس الدين الرفاء الملقب بحمام الحرم، سمع عليه كتابه *المدخل* وأجاز محمد بن علي بن ضرغام سكر من شيوخ ابن حجر.

وتذكر بعض الروايات أنه أجاز لمن أدرك حياته بعامة. كف بصره في أخريات حياته وأقعد، وتوفي عن نيف وثمانين سنة. ألف كتابه *المدخل* بإشارة من شيخه أبي محمد بن أبي جمرة، وأسماه *المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات*، والتنبيه على بعض البدع التي انتحلت، وبيان شناعتها وقبحها ..

وذكره الصفدي باسم *كتاب البدع*، وهو كتاب حافل، غزير العلم، كثير الفوائد، كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها، وأكثرها مما ينكر، وبعضها مما يحتمل - كما يذكر ابن حجر. ولعله لم يؤلف غيره ونسب له بعضهم كتاب *شموس الأنوار وكنوز الأسرار*، وهو لابن الحاج محمد الكبير. *بلوغ القصد والمنى في أسماء الله الحسنى*.

وفي *إيضاح المكنون* أنه من تأليف ابن أبي الحاج. وذكر له بروكلمان - خطأ - كتاب : *الأزهار العاطرة النشر*، وهو للطالب بن حمدون ابن الحاج ونسب له بعض المفهرسين *تقييداً في رسم القراء السبعة*. وهو من تاليف ابن حاج آخر متأخر.

م. ابن الحاج العبدري الفاسي، *المدخل*، الطبعة الثانية، بيروت ؛ 1397 / 1977 ؛ م. ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، مصر، 1386 / 1967 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، السفر الخامس، (ق 1)، بيروت، 1960 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج المذهب*، مصر، 1351 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، فاس، 1309 ؛ إسماعيل باشا، *إيضاح المكنون*، بغداد، بروكلمان، *دائرة المعارف الإسلامية*، الطبعة الاولى ؛ حاجي خليفة، *كشف الظنون*، بغداد ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، طبع (1270 - 1900) ؛ ي. سركيس، *معجم المطبوعات*، طبع لبنان ؛ ع. السيوطي، *حسن المحاضرة*، الطبعة الشرقية (1267) ؛ ع. الوهاب الشعراني، *الطبقات الكبرى*، مصر (1282 - 1904) ؛ خ. الصفدي، *الوافي بالوفيات*، الطبعة الثانية، ايران، (1281 - 1961) ؛ ع. العزيز بن عبد الله، *الموسوعة المغربية*، (1290) ؛ ع. كنون، *مشاهير رجال المغرب* (السلسلة 22)، بيروت؛ م. م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، بيروت - لبنان.

سعيد أعراب

ابن **الحاج، محمد ومجون** بن سيمونن بن محمد بن وركوت، قائد مرابطي من بطانة يوسف بن تاشفين وأخلص أصدقائه وأعاظم قواده وخاصتهم، أبلى البلاء الحسن في محاربة النصارى وحلفائهم من ملوك الطوائف خاصة منهم بني هود وبني ذي النون، وكان يوسف بن تاشفين وابنه علي يُكلفانه بهذا الأمر ويعتمدان عليه فيه. وعن هذا يقول ابن خلدون : "ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الثالث سنة تسعين (490 / 1038) وزحف إليه الطاغية (الفونس 6) فبعث عساكر المرابطين لنظر محمد ابن الحاج فانهزم النصارى أمامه وكان الظهور للمسلمين ... ثم أجاز الأمير يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين سنة ثلاث وتسعين وانضم إليه محمد ابن الحاج وسير بن أبي بكر واقتحموا عامة الأندلس من أيدي ملوك الطوائف".

وُلي صاحب الترجمة عاملاً على قرطبة سنة 484 / 1091 من قبل يوسف بن تاشفين بعدما اقتحمها وقتل حاكمها المأمون بن المعتمد. ولما سقط عبد الله بن فاطمة جريحاً في إحدى حروبه ضد الفونس السادس سنة 493 هـ خلفه محمد ابن الحاج على غرناطة فهب مع عامل إشبيلية لإيقاف هجومات هذا الطاغية لكنه فشل. ولعل هذا الفشل هو الذي أدى إلى عزله سنة 499 / 1105 من قبل علي بن يوسف الذي تولّى زمام الأمر عند اشتداد المرض على والده، فبقي إلى أن رضي عنه وعينه سنة 501 هـ عاملاً على فاس ثم على بلنسية سنة 503 هـ، ومن هناك استمر يقاتل النصارى في كل مكان إلى أن سقط شهيداً في الميدان صحبة الأمير محمد بن مزدلي والأمير إسحاق بن دانية والأمير أبي بكر بن واسنو وجملة آخرين من الأمراء والحشم قدروا بثمانين، وذلك في مستهل صفر سنة 509 / 1115.

م. ابن عذاري، *البيان*، 4 : 49 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 221 ومابعدها ؛ *مجلة تطوان*، 3 - 4 : 155 ومابعدها.

محمد مرزاق

ابن **الحاج النميري، إبراهيم** بن عبد الله الغرناطي، يكنى أبا القاسم ويلقب برهان الدين، من أسرة عريقة في العلم والمجد. وُلد عام 713 / 1313. أديب كاتب شاعر مؤلف مكثر اضطلع بمهام سامية في غرناطة وسبتة وقسنطينة، وأقام مدة طويلة بفاس في خدمة السلطان أبي الحسن المريني وابنه أبي عنان. وكان معاصراً ومصاحباً لعبد الرحمان ابن خلدون ولسان الدين ابن الخطيب ومحمد ابن مرزوق الذين عملوا مثله في بلاط المرينيين بفاس.

مـؤلفـات ابـن الحـاج : *مذكرات* نشـر مـا بقي منهـا المستـشرق دي بريمار De Prémare ورحلتـه المسمـاة *فيض العبـاب وإفـاضـة قـداح الآداب في الحـركـة السـعـيـدة إلى قسنطينة والزاب*، زار خلالها في ركاب مخدومه أبي عنان عدداً من مدن المغرب الأقصى، وكذا المغرب الأوسط الذي كـان خـاضـعـاً لبني مـريـن. تعـد هذه الرحلة من المصـادر الأساسية لتاريخ الدولة المرينية، وأبي عنان على الخصوص، وقد نشرت أخيراً محققة مع دراسة وافية تعرّف بالمؤلف والكتاب.

توفي إبراهيم ابن الحاج بعد عام 774 / 1372 ولم يحدد أحد من مترجميه - على كثرتهم - سنة وفاته.

م. ابن شقرون، *مقدمة فيض العباب*، ص 5 - 109، الرباط د. ت، والمصادر الأندلسية والمغربية والشرقية التي اشتملت عليها المقدمة.

محمد حجي

أبو **حَاج**، أسرة فاسية عريقة قيل في نسبها إنها قرشية، وقيل إنها بربرية من غَفْجُوم فخذ من زناتة. وإليها ينسب الفقيه الكبير أبو عمران الفاسي، ودرب أبي حاج الشهير حتى اليوم بحي الطالعة بفاس، ومسجده المعروف بمسجد درب أبي حاج الذي ربما يكون من ابناء هذه الأسرة المنقرضة الآن في فاس، وقد تولى بعض آل أبي حاج القضاء أيام المرابطين بفاس وغيرها من جهات المغرب.

أبو **حاج، موسى** بن عيسى الغفجومي المشهور في كتب التراجم بكنيته أبي عمران الفاسي. نشأ ودرس في مدينة فاس ثم جاز إلى الأندلس ودخل قرطبة، فأخذ عن أعلامها أمثال أبي محمد الأصيلي وسعيد ابن مريم وعبد الوارث ابن سفيان وغيرهم. وانتقل بعد ذلك إلى القيروان فأخذ عن أبي الحسن القابسي، وإلى بغداد فحضر مجالس القاضي أبي بكر ابن الطيب وأبي الفتح ابن أبي الفوارس، ودرس الأصول على القاضي أبي بكر الباقلاّني، ثم رجع إلى القيروان واستقر بها، قيل لأنه أزعج عن فاس من قبل بعض الظلمة بسبب تشدده في الحق.

من مؤلفاته *كتاب التعاليق على المدونة* لم يكمل. وذكر ابن فرحون في *الديباج* نقلا عن حاتم بن محمد : "كان أبو عمران من أحفظ الناس وأعلمهم، جمع حفظ المذهب المالكي إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة معانيه، وكان يقرأ القرآن بالسبع ويجوّده، مع معرفته بالرجال وجرحهم وتعديلهم. أخذ عنه الناس من أقطار الأندلس، واستجازه من لم يلقه".

وأبو عمران هو الذي ندب الأمير يحيى بن إبراهيم الكدالي مرجعه من الحج لقتال برغواطة، ووجهه إلى الشيخ وجاج بن زلو اللمطي ببلاد نفيس وكتب إليه ليبعث معه من طلبته من يثق بعلمه ودينه وورعه وحسن سياسته ليقرئ الصنهاجيين بالصحراء القرآن ويفقههم في دين الله. فبعث معه بالفقيه عبد الله ابن ياسين الذي عمل على تأسيس دولة المرابطين.

توفي أبو عمران الفاسي بالقيروان في 13 رمضان 430 / 8 يونيه 1039.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، 87 - 89 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج المذهب*، 344 - 345 ؛ إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس*، 44 - 45 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 345 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 5 - 7 ؛ ع. ابن سودة، *رفع الالتباس*، مرقون.

محمد حجي

أولاد **الحـاج المليلي**، فرقة مندرجة ضمن قبيلة كبدانة الواقعة جنوب شرق إقليم الناظور. تحتل الفرقة الجزء الشرقي من القبيلة بالقسم المعروف برأس كبدانة أو رأس الماء. يحدها من الجهة الجنوبية مجرى واد ملوية، ولها ساحل يحيط بها من جهتي الشرق والشمال. أما من جهة الغرب فتمتد على طول حدودها فرقة أيت بوقيطون (القياطن).

تتألف الفرقة حالياً من سبعة مداشر، تعرف في التقويم الإداري بأسماء سلالية تدل على الجد المتفرع منه، خلافا لما كان معروفا في بداية القرن الحالي، فهناك :

- أولاد يوسف الكبير أو أيديم، على الساحل الشرقي.
- المرابطون وهم أهل البَرج.
- أولاد رحو ابن الحاج أو تغانينت.
- أولاد حدو بن رحو أو بني جبارة.
- أولاد موسى أو تازاغين.
- أولاد هرفوف أو الهرافيف.

تحتل فرقة أولاد الحاج المليلي بكبدانة المرتبة الأولى من الوجهة الاقتصادية بفضل اعتماد مواردها على الميدانين الفلاحي والتجاري. فأهم نقطة اقتصادية ساحلية هي رأس الماء أو رأس كبدانة المعروف في التاريخ الوسيط، وهو يوجد ضمن أراضي المرابطين وأولاد يوسف الكبير. يشرف الرأس على البحر بأجراف قوية الانحدار وينتهي بشاطئ صغير من الجهة الشمالية الشرقية حيث اتُّخذت المرساة (تامرسات)، مقابل جزر كبدانة المحتلة. كان للمرسى دوره في التجارة البحرية مع ساحل كل من الريف الشرقي والجزائر الغربية سيما مع وهران، ولم يحد من نشاطه سوى احتلال جزر كبدانة من طرف الإسبان عام 1264 / 1847.

وقبل القرن الحالي كان سوق أولاد الحاج هو يوم الجمعة مقره بجماعة البرج بأولاد حدو بن رحو، ثم استبدل في بداية الغزو الإسباني بيوم الثلاثاء، وهو بمقربة من مجرى واد ملوية، ويسمى أيضا سوق رأس الماء ويبعد عنه بنحو سبعة كيلومترات. ويقصد السوق علاوة على أهل كبداة تجار خمس بني بويفرور من قبيلة قلعية ولعساري بني وكيل ببني بويحيي.

وبموقع فرقة أولاد الحاج الهام وإشراف رقعتها على الساحل أصبحت مساحتها معبر القوافل التجارية الذاهبة من قلعية إلى بني إزناسن وغيرها من بقاع الجزائر الغربية مما أضاف إليها ما نسميه بمداخيل دور الوساطة.

وتتوفر أرض فرقة أولاد الحاج المليلي على مساحة هامة من نبات الحلفا، مركز تجميع إنتاجها هو سوق ثلاثاء بني جبارة بجماعة أولاد حدو بن رحو، وهي مادة تجارية كانت تصدر وقت الأزمات عن طريق التهريب أو الترخيص السلطاني علاوة على زراعة الحبوب من قمح وشعير.

ويوجد بالفرقة مبنى رباط مسجد جنادة والبرج الذي كانت به الحراسة الساحلية منذ احتلال الإسبان لمليلة، يقوم بتسييره أعيان المرابطين وتقوم كل فرق كبدانة بتنظيم العسة والمشاركة بحصة معلومة من رجالها.

لاحظ مُخبر موليراس أن عدد دور أولاد الحاج كان قد بلغ ثلاثمائة دار قبل 1892، أما الإحصاء المقدم من طرف الإسبان قبل سنة 1915 فقد بلغ ستمائة دار (600 x5 = 3.000 نفر، تقديراً). وإذا كنا نشك في حدوث هذا النمو السريع المفاجئ فإننا نميل أكثر إلى الإحصاء المقدّم من طرف الإسبان.

ومن الناحية التاريخية يبدو أن تعمير أراضي فرقة أولاد الحاج المليلي لم يتم بصورة قارة إلا في بداية القرن العاشر (16 م) استنادا إلى الرواية الشفوية التي لها ما يساندها من الإشارات التاريخية، فهناك وثيقة صادرة في آخر القرن الثالث عشر (19 م) أشارت إلى الفرقة باسم أولاد الحاج المليلي، بينما سمتها وثيقة 28 ذي القعدة 1313 / 11 ماي 1896 أولاد المليلي.

تستعرض الرواية الشفوية التي قام الإسبان بنقلها في بداية القرن الحالي وقمنا نحن بتسجيلها أيضا في استطلاع خاص، قصة خروج أيت الحاج المليلي من مدينة مليلة سنة 902 / 1496 بعد المشاركة في التمرد على حاكم محمد الشيخ الوطاسي والمساهمة في هدم المدينة تحسبا لغزو إسباني مرتقب، ثم انتقالها إلى رأس كبدانة بعد التأكد من التسرب الإسباني في السنة الموالية.

والمعلوم لدينا من الوجهة التاريخية أن جماعة أندلسية منتمية إلى ناحية موتريل كانت قد استقرت بمليلة منذ ما قبل عام 895 / 1489 مرت بنفس الظروف التي تقصها رواية أيت مليلي، مما أدى بنا إلى الاعتقاد أن أسرة الحاج المليلي كانت من جملة الخارجين من مليلة المحتلة ومن المتلجئين إلى برج كبدانة، حيث تشكلت فرقة أولاد الحاج المليلي.

استقر عميد الأسرة الحاج المليلي بعد عام 903 / 1497 ببرج كبدانة حيث تمكن من شراء أملاكه وتأسيس الأسرة التي احتفظت باسمه. ولايزال التقويم الإداري الراهن حاملا لبعض سمات القرن العاشر (16 م). فما يمكن استنتاجه أن أولاد رحو بن الحاج هم أقدم من تعرفنا عليهم من أولاد الحاج المليلي، وهذا ترك ابنه حدو بن رحو الذي شكل بدوره دائرة مستقلة من نسله، ثم أولاد يوسف الكبير وأولاد موسى وأولاد حمو بن عمر الذين لا نعرف صلة القرابة بينهم وبين الحاج المليلي. كما أننا لا ندري ما إذا كان الهرافيف من أيت مليلي أم لا. وقد أشرك أولاد الحاج في سكناهم جماعة من المرابطين الذين يردون نسبهم إلى الأدارسة تيمناً بوجودهم إلى جوارهم مثلما جرت العادة.

وما نعرفه من تاريخ فرقة أولاد الحاج المليلي خلال العصر الحديث أن الفرنسيين كانوا قد تشوفوا أثناء القيام بمهمة استكشافية لسواحل الشمال الشرقي المغربي إلى امتلاك أرض الفرقة منذ بداية سنوات الستينات من النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م) كنتيجة لاهتمامهم بموقع جزر كبدانة حسبما أبرزته تقارير رئيس البحرية فرانسوا دو بوفرت إلى الوزير كولبير سنة 1074 / 1662، حين اقترح على الحكومة بناء برج في مقدمة رأس كبدانة، واستغلال الأراضي المجاورة وحقول الملالح، إلى جانب المتوفر من الثروات الحيوانية البحرية منها والبرية.

ويصادف الاقتراح الفرنسي تعرفنا على أول شيخ حاجي وحاكم كبدانة بأسرها، المدعو الشيخ علي بن سليمان الحاجِّي، وكان أغنى أهل كبدانة ومن المشهورين من شيوخ الشمال الشرقي في منتصف القرن الحادي عشر (17 م)، إلى جانب الشيخ عمر بن محمد الحمّامي التمسماني وأحمد أعراص اليطّفتي.

ومن أحداث فرقة أولاد الحاج المليلي استقبالها للمولى الرشيد العلوي إثر مغادرته لتافيلالت أثناء خلافه مع أخيه المولى مَحمد، وذلك حوالي 1072 / 1660 (*المعلمة*، 8 : 2552) واحتضان الشيخ علي بن سليمان لحركته التي كانت في طورها المبكر، حيث بقي إلى أن تمكن من ضم بني إزناسن وقلعية وباقي جهات الريف الشرقي.

ومن شخصيات أولاد الحاج في العصر الحديث أيضا المدعو البشير بن محمد بن أحمد المرابط الحاجّي الكبداني، مقدم المجاهدين ما بين 1775 و1794، كان له دور في ميدان مليلة وحراسة ساحل كبدانة من القراصنة الأوربيين. وقد قدمنا نبذة عن جهاده في رسالتنا الجامعية.

وتبدو معرفتنا لأوضاع فرقة أولاد الحاج المليلي في الفترة المعاصرة على عهد المولى الحسن الأول والمولى عبد العزيز أفضل، والوضعية ظاهرة من خلال التعرف على سلسلة القواد المتعاقبين على حكمها، أولهم المدعو عمر هرفوف الحاجّي الذي كان قائد كبدانة على عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان على ما يظهر. ثم ابنه عمر بن عمر هرفوف الحاجّي الذي وجدناه في مرتبته ابتداء من سنة 1297 / 1897 ثم خلفه محمد بوصفية الحاجي الكبداني الذي احتفظ بالقيادة ما بين 1301 / 1883 و1310 / 1892، وظهر بعد ذلك محمد بن محمد بن عمر هرفوف الحاجّي المعين يوم 28 ذي القعدة 1313 / 1895 وأخوه ميمون بن محمد بن عمر هرفوف الحاجّي الذي كان بتلك الصفة عام 1321 / 1903.

وقد تركت حركة الشريف محمد أمزيان ضد الروگي بوحمارة أولاً والغزو الإسباني لفرقة أولاد الحاج المليلي ثانياً بصماتها، فقد سبق له أن التجأ إليها ونال بها الشهرة بعد إصهار الحاجيّين إليه والسماح له بتأسيس الزاوية التي لاتزال قائمة إلى اليوم بجوار الملك العقاري المحبس من أجلها.

وقد نالت فرقة أولاد الحاج اختيار مشروع التوسع الإسباني بالشمال الشرقي والسيطرة على معدن جبل ويسان، فاستغل حاكم مليلة الجنرال مارينا (Marina) تغلب الروگي بوحمارة على قلعية والتجاء القوات المخزنية المرابطة بقصبة فرخانة إلى مليلة لنشر قواته بفرقة أولاد الحاج ورأس كبدانة.

فبعد احتلال جزيرة سبخة بوعرك (Restinga) يوم 14 فبراير 1908، تقدم الجيش الإسباني إلى رأس كبدانة فاحتل المنطقة يوم 12 مارس من نفس السنة، ومن هناك تمت السيطرة على كبدانة لفتح الطريق أمام سهب بوعرك وقصبة سلوان وتطويق قلعية ومركز مقاومتها بجبل أكركور.

*وثائق الخزانة الحسنية بالرباط* : كناش 192، خ. ح. الرباط ؛ *معلمة المغرب*، 1 و8 ؛ *خريطة طبوغرافية لسنة 1921* ؛ *خريطة المصلحة الطبوغرافية* عام 1954 ؛ *استطلاع ميداني يومي* 14 و15 غشت 1975.

*S.I.H.M. France*, 2ème série, T. 1 ; Mouette, *Histoire de Mulay Rachid et Mulay Ismael* ; R. F. De Castro, *El Rif, Territorios de Guelaia y Quebdana*, Madrid 1911 ; Capitan x, *Verdades Amargas*, Madrid, 1910 ; Comision Historica de las campanas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, T. 2 ; *Vademecum* ; Carlos Martines de Campos, *Espana Belica*, Madrid, 1973.

حسن الفگيگي

**الحاجب**، قصبة يرجع تاريخ تأسيسها إلى القرن السادس (12 م) على عهد الدولة الموحدية، وكانت تسمى جامع الحمَّام، وفي بداية القرن التاسع الهجري (15م) هدمت جل بناءاتها ولم يبق منها إلا بعض الأسوار، وقال عنها الحسن الوزان في بداية القرن العاشر (16 م) : "هي مدينة قديمة ... على بعد نحو خمسة عشر ميلا جنوب مكناس ... ولا يزال قائما من أطلالها جميع السور المحيط بها تقريبا".

وأعاد السلطان الحسن الأول بناء قصبة الحاجب كما ذكر عبد الرحمان بن زيدان "... وكذلك بنى قصبة الحاجب بحبوحة برابرة بني مطير ..." وذلك حوالي سنة 1298 / 1880، حيث صارت مركزاً لأشهر منطقة بأحواز مكناس، وتحتل هذه القصبة موقعا استراتيجيا على ارتفاع 1000 م، إذ كانت تخترقها الطريق السلطانية الذاهبة من مكناس إلى تافيلالت، وتقع ما بين سهل سايس الخصيب وبين الهضاب الكلسية بالأطلس المتوسط، مصدر عيش العديد من رعاة بني مطير، ومناخها معتدل، وبذلك صارت من أغنى مراكز المنطقة وأكبر سوق للحبوب والمنتجات الغابوية والأغنام ومشتقاتها من الصوف والزرابي.

احتلت القوات الفرنسية التي كان يرأسها الضباط : گورو Gouraud ودالبييز Dalbiez وبرولار Brulard قصبة الحاجب في نهاية شهر يونيه 1911، وأقامت فيها معسكراً للجنود الشريفية والأجنبية، وفي بداية عهد الحماية الفرنسية صارت الحاجب تجمعا سكنيا محاطاً بسور سميك، وأقامت فيها القيادة العسكرية مكاتبها الخاصة ومصالحها الإدارية، ومن بينها مصلحة الاستعلامات، وتم تقسيم قبيلة بني مطير من الناحية التسييرية إلى قسمين شمالي وجنوبي على رأس كل منهما قائد، وكان أشهرهم إدريس أورحو - على القسم الجنوبي - وحدو نهموشة - على القسم الشمالي - وكلاهما تابعان للمركز العسكري بالحاجب الذي تحول منذ فاتح مارس 1913 إلى دائرة بني مطير، ثم صار منذ 9 يوليوز 1914 ملحقة أدمجت فيها قبيلة گروان الجنوبية ابتداء من 14 دجنبر 1923.

وقد تطور الحاجب بعد الاستقلال وأصبح مدينة عامرة.

Abes, *Monographie d'une tribu berbère, les Aïth Ndhir (Beni M'tir)* : Savain (Capitain), *Tribu des Beni M'tir*, Février 1928, in Service Historique de l'Armée de Terre (S.H.A.T), 3H435 Doggier ; C28704 *Fiche de tribu.*

بوشتى بوعسرية

الحاجب - جغرافيا - منطقة اتصال بين هضبة الحاجب *المنتصبة من الجنوب (أزيد من 1000 م من الارتفاع) وسهل سايس المنخفض (600 - 800 م) الممتد شمالاً في اتجاه مدينة مكناس. وتنتمي هضبة الحاجب هاته إلى مجموعة الهضاب العليا المتدرجة للأطلس المتوسط الغربي (من 1000 إلى 2000 م) وهي مرتفعات كلسية تكسوها غابات الفلين الأخضر تارة، وتارة أخرى تظهر عارية جرداء تستغل كمراع صيفية في إطار حركة الانتجاع التي كان يعتمد عليها نمط عيش القبائل البربرية النصف رحالية (أيت يوسي وبني مگيلد وبني مطير) بعد قضاء الفترات الباردة في منخفضات أزغار حيث المناخ يعتدل والمراعي تخضر.

ويشكل سهل سايس أحد هذه المنخفضات التي كانت تمثل مراعي الشتاء، وهي عبارة عن أراض منبسطة ذات تربة غنية كانت تنصب بها خيام بني مطير وتسرح بها الأغنام إلى أن عرفت استعماراً فلاحياً مكثفاً جعل منها منطقة فلاحية من أغنى المناطق المغربية.

وبحكم جغرافية هذا الموقع يحتل الحاجب ممراً استراتيجياً هاماً يربط بين مكناس وتافيلالت ماضياً وحاضراً، ممراً جعله يستفيد من سهولة الاتصال بحيث تربطه شبكة كثيفة من المواصلات بمجموعة من المراكز الحضرية، إذ لا يبعد عن مكناس إلا بـ50 كلم وعن أزرو بـ30 كلم وعن إفران بـ25 كلم.

تتمتع مدينة الحاجب، إضافة إلى هذا، بموضع طبغرافي متدرج (بين 950 إلى 1050 م) وتُطل من أعالي السفوح كأنها شرفة منتصبة يستمتع فيها المرء بجمال مشاهدها الريفية وبهاء طبيعتها المتميزة وخرير مياه عيونها الرقراقة التي تستمد مياهها من التساقطات الثلجية والمطرية للمرتفعات (عين حند وعين كحلة وعين الذهبية). فالمناخ هنا قاري يستفيد في الفترات الباردة من التيارات الهوائية الرطبة التي تغذي المنطقة بمتوسط تساقطات يتراوح مابين 400 و500 مم (446 مم سنة 1944) تنزل أساسا على شكل أمطار وتأخذ شكل ثلوج، مرة على الأقل في السنة. أما الفصول فهي متباينة، فالصيف حار وجاف باستثناء العواصف الرعدية. أما الشتاء فهو معتدل ورطب.

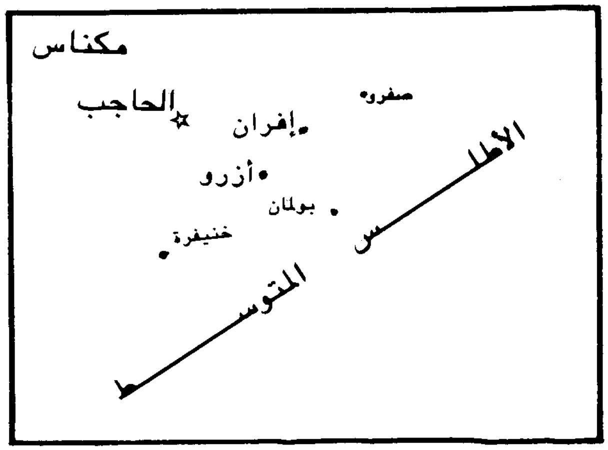


لعبت مدينة الحاجب طيلة تاريخها وبحكم موقعها الاستراتيجي الهام دور بوابة الأطلس المتوسط. وقد عمل ملوك الدولة العلوية على التحكم فيها واستعمالها كقاعدة لفرض السلطة المخزنية على هذه المناطق الجبلية الوعرة التي قلما عرفت التوتر.

ففي القرن الحادي عشر (17 م) نظم المولى إسماعيل "حركات" متوالية تجاه هذه المنطقة للحد من تحركات وتنقلات القبائل الصنهاجية الرعوية النازحة من الجنوب الشرقي للأطلس الكبير نحو المناطق الشمالية الغربية للبلاد باحثة لها عن مراع جديدة : قبائل بني حسن، زمور، أيت يوسي، بني مگيلد، گروان، بني امطير.

فإلى نهاية القرن الثاني عشر (18 م) نجد أن قبيلة بني مطير مازالت مقيمة بالأطلس المتوسط الشرقي بمنطقة إتزر بأعالي ملوية. ولم تصل إثر هجرتها الطويلة إلى منطقة الحاجب إلا بعد مطلع القرن الثالث عشر (19 م).

وقد قام المولى الحسن الأول (1875 ـ 1894) بالتصدي لتحركات هذه القبائل وأمرَ بتشييد قصبة الحاجب في موضع يفرض المراقبة على بني مطير وصوب الأطلس. واختار لها موضعا سفحيا يشغل مكانة مركزية داخل التراب المطيري ويتحكم في العبور بين سهل سايس والمرتفعات المجاورة، وأنزل بها جيوشه. غير أن هجرة هذه الأخيرة عن القصبة وتخليها عن حراستها فيما بعد فتح باب استعمالها كفنادق لاستقبال التجار اليهود المتنقلين الذين كانوا يتوافدون على السوق الأسبوعي المحلي. ولازالت بقاياها تشغل موطنا بارزا في قلب المدينة، إذ نجدها تشرف على شارع محمد الخامس من الواجهة الغربية.

ومع احتلال الحاجب من طرف الجيش الفرنسي سنة 1912 أعطت إدارة الحماية اهتماماً كبيراً لهذا الموقع الاستراتيجي وعززت وظيفته العسكرية لدعم عمليات الغزو الموجهة إلى الأطلس المتوسط الذي وجدت فيه مقاومة عنيفة (إذ لم يتم الاستيلاء على أزرو إلا بعد عامين على فرض السيطرة على مركز الحاجب : 1914) وقامت بخلق معسكر للمراقبة والتكوين يعتبر من أهم القواعد العكسرية التي أسسها الاستعمار بالبلاد.

وباعتبار أهمية هذا الموقع عززت الإدارة المغربية وظيفته بعد الحصول على الاستقلال واحتفظت بالمعسكر الذي منحته اسم المقاوم الكبير موحى أُحمّو الزياني الذي تزعم المقاومة الجبلية ضد الاحتلال الفرنسي جاعلة منه بذلك رمزاً وطنياً.

فإذا برزت مدينة الحاجب في الماضي بوظيفة عسكرية متميزة فإنها تأثرت في الحاضر عقودا طوالا من ثقل هذه الوظيفة ومن وضعها العميق على بنائها الاقتصادي والاجتماعي، حيث كانت تعرف أساساً بثكناتها، وبقيت وظائفها الأخرى من إدارة وخدمات محدودة بعد الاستقلال. هذا في الوقت التي اشتهرت فيه جارتها أزرو بإشعاعها الدراسي والثقافي وجلبت الكثير من أبناء الحاجب الذين تتلمذوا بثانوية طارق بن زياد التي كانت تحمل أيام الحماية اسم الثانوية البربرية. كما اشتهرت لقربها من إفران بإشعاع وطني في ميدان السياحة والاصطياف. وظلت تابعة إداريا إلى عمالة مكناس إلى مطلع التسعينات.

إلا أن الإصلاحات الإدارية التي جاءت بها سياسة اللامركزية و"تقريب الإدارة من المواطنين" منحت الحاجب فرصة ترقية إدارية لم تكن من حظ مراكز حضرية أخرى تفوقها ديمغرافيا واقتصادياً، وأصبح الحاجب بذلك عاصمة إقليم فلاحي غني، مؤهلة لاستقبال بنيات إدارية وخدمية جديدة من شأنها أن ترفع من وضعها الاقتصادي والاجتماعي خاصة وأن إقليمها يتميز بمؤهلات طبيعية وفلاحية هامة من شأنها أن تساعد على خلق أنشطة من نوع جديد (صناعات تحويلية غذائية وغيرها).

ومما لا شك فيه أن أنشطة المدينة التجارية والخدمية ستعرف انتعاشا يخرجها من ركودها. فالتجارة تتمثل في بيع المواد الغذائية والملابس والتجهيز المنزلي، وكذا مواد

البناء وغيرها، وتتمركز بالحاجب السفلي، ويلعب السوق الأسبوعي الذي يقام يوم الاثنين جنوب غرب المدينة دور تبادل تجاري بين المدينة ومحيطها الخارجي ويشكل محطة إقليمية رئيسية لبيع المواشي والمنتجات الفلاحية يتوافد عليها سكان الأرياف المجاورة لقضاء حاجياتهم الشرائية وكذا للترفيه وربط الاتصال.

أما قطاع الخدمة فيعتمد على أنشطة البناء التي بدأت تنتعش بسبب عمليات استصلاح المدينة وامتدادها. وتبقى الخدمات الأخرى مثل الخياطة والحلاقة والمطاعم والمقاهي ضعيفة، فإلى حدود 1994 لازال الفندقان الموجودان بالحاجب مغلقين.

فيما يخص الخدمات التعليمية والصحية والرياضية يلاحظ أن مدينة الحاجب عززت مكانتها خاصة فيما يخص التعليم الثانوي، فهي الآن تتوفر على ثانوية واحدة بالإضافة إلى إعداديتين وأربع مدارس ابتدائية، كما تتوفر على مركز صحي ومستوصف وعيادات طبية خاصة فتحت أبوابها في السنين الأخيرة. ومن جهة أخرى توجد بالمدينة ملاعب رياضية لكرة القدم وكرة اليد وكرة السلة ومسبح، بالإضافة إلى المركب الرياضي الذي يوجد بحي المركز.

تعرف مدينة الحاجب تزايداً ديمغرافيا منذ مطلع القرن وتفيد الإحصائيات أن الحاجب مرت من ذلك المركز التجاري الأسبوعي القروي الضعيف الأهمية إلى صنف المدن الصغرى في بداية الاستقلال ثم إلى صنف المدن المتوسطة بعد ثلاثين عاما.

لقد وصل عدد سكانها سنة 1960 إلى 7.817 نسمة وارتفع إلى 23.369 سنة 1994. ويرجع سبب هذا التكاثر إلى الهجرة القروية بالإضافة إلى الزيادة الطبيعية، فبالرغم من ظروفها الاقتصادية المتواضعة استطاعت هذه المدينة أن تفرض وجودها كقطب ديمغرافي رئيسي بالإقليم تأتي بعده عين تاوجطات وأگوراي، ولا تترك الصدارة إلا لمدينة أزرو خارج محيطها الجهوي القريب.

ساكنة الحاجب والمراكز القريبة منها

| المراكز | 1960 | 1971 | 1994 |
|---|---|---|---|
| **إقليم الحاجب** | | | |
| الحاجب | 7.417 | 12.601 | 23.369 |
| عين تاوجطات | 2.113 | 4.137 | 16.070 |
| أگوراي | 1.898 | 3.047 | 10.033 |
| **إقليم إفران** | | | |
| إفران | 3.260 | 6.014 | 11.147 |
| أزرو | 14.133 | 20.756 | 40.789 |

تعرف مدينة الحاجب منذ أن أصبحت عمالة تحولات مجالية وعمرانية هامة حيث بدأت تظهر إلى الوجود ملامح جديدة نتيجة المجهودات الكبيرة التي بذلت ولازالت تبذل في عمليات التهيئة والاستصلاح والتزيين. وها هي الآن تعرض محاسن موضعها البهي بفضل توسيع وتجميل شارع محمد الخامس، المحور الرئيسي الذي ينطبق مع الطريق الرئيسية المارة من قلب المدينة.

لقد عرفت كذلك في أيت بلال إقدارن عملية إعادة هيكلة وتزيين للواجهات السكنية جعلت منه حيا حضريا منسجما بعد أن ظهر على شكل فوضوي تنعدم فيه أبسط التجهيزات الضرورية. ومما أسرع بتهيئته كونه يشغل موضعا حساسا يتميز بمنحدرات وعرة مطلة على مدخل المدينة من الواجهة الشمالية، كما تم ترميم قصبة المولى الحسن الأول (الأسوار) وتهيئة حديقة للأمينة وعين كحلة. غير أن هذه المجهودات والإنجازات بقيت مقتصرة على قلب المدينة وعلى الحاجب العلوي.

يتسع الحاجب في إطار بنية مجالية متفجرة، ويفرض موضعها المتدرج (950 - 1050 م) وحتمية خلفيتها التاريخية تركيبتها الحضرية المعقدة وأشكال أنسجتها المتباينة. وتفرز لنا دراسة التصميم الحضري قطاعين أساسين تنتظم داخلهما مختلف أحياء المدينة التي أصبحت تغطي ما يقرب من 400 هكتار.

يمتد الحاجب السفلي فوق المنحدرات وعند قدم الافريزات الصخرية للهضبة المنتصبة يتكون من نوايا قديمة وأحياء جديدة :

- حي القصبة، وهو أقدم حي بالحاجب تحيط به أسوار عالية ويشكل نواة تطل على الشارع الرئيسي.
- حي أقشمير (كهوف) وحي الشريشرة يمتدان في معزل عن شارع محمد الخامس في اتجاه الشرق فوق تضاريس وعرة تشكو من ضعف التجهيزات وتدهور ظروف السكن، تتمركز فيها الفئات الاجتماعية الفقيرة.
- الأحياء الجديدة التي تحاذي من الجهة الجنوبية شارع المسيرة الخضراء وهي عبارة عن تجزئات خاصة أو قامت بها الدولة لمحاربة سكن الصفيح وحل مشكل السكنى بالنسبة للفئات الاجتماعية ذات الدخل المحدود. ظهرت هذه الأحياء في فترة الاستقلال ولازالت تتسع في اتجاه فاس أساسا تقطنها فئات متوسطة من موظفين وتجار وحرفيين. معظم السكن بها يأخذ شكل سكن اقتصادي من النوع الجيد : تجزئة "بام" تجزئة بئر أنزاران وتجزئة روسطابلة.
- حي أيت بلال إقلالن (الذي سبق ذكره) ظهر في ظروف عشوائية نتيجة الضغط المتزايد في الحاجيات السكنية، اهتم استصلاحه أساسا بواجهات البيوت حيث تمت مراجعة تنظيمها في إطار تصميم عام أدخل عليها عناصر معمارية جديدة مثل السطوح المائلة والقرميد الأحمر التي لم تعرف سابقا إلا في الأحياء الاستعمارية (Urbanisme de façade).

ينفـرد الحـاجب العلوي من المدينة بكونه يمثل المدينة الاستعمارية. وقد استوطنت هذه الأخيرة فوق سطح الهضبة (1020 ـ 1050 م) ولم تنشأ في هذا الموضع صدفة بل جاءت في إطار تخطيط وظيـفي ومـجالي مـسبق استـهـدف خلق مركز للمراقبة يوفر الدعم العسكري والخدمات (من إدارة وخدمات اجتماعية) للنظام الاستعماري بالمنطقة ويكرس سياسة التمييز العنصري بين الساكنة المغربية والأوربيين.

تتركب المدينة العليا من حيين أساسيين هما حي المركز الإداري والسكنى الذي يتمد غربا، وحي التكنة العسكرية التي تقع شرقا. وقد ظلت هذه الأخيرة سجينة هذه البنية مدة طويلة بعد الاستقلال حيث تمت أهم التوسعات التي عرفها الحاجب بالجزء الأسفل.

يتميز المركز الإداري والسكنى بتنظيم مجالي اعتمد التعمير الحديث في مبادئه، ويتجلى ذلك من خلال هندسة التصميم وتهوءة البنية وخضرة الشوارع والحدائق، كما أنه اعتمد في البنايات الطابع الأوربي المتميز بالسطوح المائلة المغطاة بالقرميد. وقد تمركزت به أهم المصالح الإدارية والخدمية، كما كان يشكل موطن الساكنة الأوربية التي تدبر شؤون المدينة والمناطق التابعة لها. وتمت مغربتها منذ السنوات الأولى للاستقلال.

تستغل التكنة العسكرية الأراضي الموالية شرقا للمركز والمنتصبة فوق الحاجب السفلي. تأخذ مساحة شاسعة ومكانة بارزة في النسيج الحضري للمدينة (تمتد على ما يقرب من ربع المساحة الشاملة) الشيء الذي يبرز استمرارية أهمية وثقل الوظيفة العسكرية في البناء الاقتصادي والاجتماعي الحالي.

ظهرت منذ التسعينات أساسا امتدادات جديدة على طول الطريق المؤدية إلى إفـران وكـذا على طول الطريق الرابطة بين الحـاجب وأزرو. وهي امـتـدادات على شكل تجزئات مجهزة لازال معظمها فارغا.

ويمكن القول إن الحاجب بإعدادها لأحياء جديدة تطمح إلى توفير السكن وجلب الاستثمار لإنعاش اقتصادها الذي لازال كما سبق ذكر ذلك يعتمد على أنشطة ثلاثية. وتبحث الحاجب عن خلق قطاع صناعي لتعزيز بنياتها الإنتاجية. وهناك مشروع القيام بدراسة لخلق منطقة صناعية بمدينة الحاجب قصد جلب الاستثمارات المنتجة حولها.

Amal Rassam Vinogradov, *The Aïd Nadir of Morocco : A study of the social transformation of a Berber tribe*. Ann.Arbor, 1974 ; *Monographie de la ville d'El Hajeb ; Bulletin économique et social de la province d'El Hajeb*. Sem. I et II, 1994 ; *Etude régionale du SDAU de la ville de Meknès*. MHUT ; *Recensement de l'habitat et de la population : 1971 - 1982*. Direction de la statistique 1984 ; *Plan de la ville d'El Hajeb au 1/5.000*. Direction de la conservation foncière et des travaux topographiques, 1983 ; *Carte topographique d'El Hajeb au 1/50.000*. Direction de la conservation foncière et des travaux topographiques, 1974.

* * الحاجب إقليم ينتمي إلى مجموعة الأقاليم الفتية التي ظهرت إلى الوجود عند مطلع التسعينات نتيجة تطبيق اللامركزية الإدارية وتعزيز التسيير المحلي. ويشغل هذا الاقليم موضعا استراتيجيا داخل الجهة الاقتصادية الوسطى ـ الجنوبية إذ نجده يأخذ موطنه في منطقة اتصال الهضاب الأطلسية المتوسطة بسهل سايس الغربي الواقع جنوب العاصمة الجهوية مكناس، وتمر به الطريق الرئيسية الرابطة بين هذه المدينة ومراكز تافيلالت (الرشيدية ـ أرفود ـ الريصاني) عابرة قبل ذلك أزرو وميدلت في الأطلس المتوسط.

يحظى إقليم الحاجب ببيئة طبيعية متباينة أفرز تباينها هذا ذلك التدرج الطبغرافي الذي نلمسه من الشمال إلى الجنوب. يمتد في الجزء الشمالي سهل سايس الغربي وهو عبارة عن أراض منبسطة ذات ارتفاعات متوسطة تتراوح بين 600 و800 م تعلو في اتجاه الجنوب حيث تشرف الإفريزات الصخرية لحافة هضبة الحاجب المنتصبة فوق 1000م في الارتفاع، وتشكل هذه الهضبة الجزء الغربي من الأطلس المتوسط المنضدي الممتد في اتجاه أزرو وإيفران وتميزها بتضاريس قليلة التقطع وتتخللها هنا وهناك متن وتلال تصل قممها ما بين 1300 و1400 م تجاذيها من الجنوب الغربي تقطعات الهضبة الوسطى.

تبدو المشاهد هنا عارية وفقيرة حيث انقرضت الغابة في معظم المرتفعات ولم تنجُ من الاجتثات إلا في اتجاه إيفران (غابة الجعبة) وبالغرب من أگوراي (رأس جدي وأيت ويخلفن) حيث نجدها مكسوة بأشجار الفلين الأخضر. أما التربة فهي هيكلية وصخرية مكونة من الكلس والحمري. غير أن في اتجاه سايس تختلف المشاهد تماما وتراها على شكل أراض فلاحية غنية ذات المشارات الهندسية المنتظمة حيث جودة التربة وتنوعها (الترس الحمري الرمل) بالإضافة إلى الانبساط الطبغرافي الذي ساعد على انتشار الزراعات وتكثيف الاستغلال.

ويلعب المناخ كذلك دوراً حاسما في خلق ظروف ملائمة للفلاحة بإقليم الحاجب، وهو مناخ قاري يتميز ببرودة ورطوبة فصل الشتاء وحرارة وجفاف فصل الصيف، ويميل إلى مناخ شبه جبلي فوق مرتفعات الأطلس.

ففي الفترات المناخية العادية يمتد الفصل الرطب من أكتوبر إلى أبريل، وقد تطول مدته إلى شهر ماي فوق الهضاب، ويستقبل الإقليم كميات هامة من التساقطات. ففي سنة 1994 وهي سنة عرف المغرب فيها جفافا نسبياً سجلت المراكز التالية ما يلي : الحاجب 524 مم، أگوراي 465مم وعين تاوجدات 350 مم. ومثل عجز التساقطات ما يقرب من 50 مم في هذه المنطقة.

تنزل هذه التساقطات على شكل أمطار. غير أنه ليس من النادر أن تهبط على شكل ثلوج غزيرة فوق المرتفعات في الفصل البارد مغذية بذلك العيون الكثيرة فوق سطح

الهضبة (تاغبالوت موإكوردان، تاغبالوت مُو تقشميرت عين بويودا ..) أو عند قدم الجبل (عين الخادم، عين أغبال، أغبالو بويوسف ..) وبفضل أهمية التساقطات هاته التي تفوق 800 مم فوق القمم تكثير كذلك الجداول المائية التي تجري من الجنوب نحو الشمال : واد تيزگيت، واد عين أغبال، واد الدفالي إلى غير ذلك من المجاري المائية التي تغذي الزراعات بمياهها الغزيرة والرقراقة.

أما درجة الحرارة فتبقى معتدلة بالسهل في فصل الشتاء ونادراً ما تنخفض إلى أقل من الصفر، غير أنها تبرد بشدة فوق المرتفعات ويكثر الصقيع. وفي فصل الصيف ترتفع الحرارة ويصل المتوسط الحراري إلى 33 درجة. وقد تفوق هذا العدد خاصة حين تهب رياح الشرقي الساخنة. وليس من النادر أن تتكون إذ ذاك فوق القمم عواصف رعدية وتتهاطل أمطار قوية وعنيفة تزيد من حدة انجراف التربة وتؤدي إلى إتلاف المنتجات الفلاحية وإحداث فيضانات تأثرت منها مؤخرا مدينة الحاجب.

يشكل هذا الوسط الطبيعي الملائم للاستغلال البشري موضوع اهتمام ونزاع بين القبائل الرعوية التي تعاقبت عليه منذ القرن الحادي عشر (17 م).

فخلال هذه الفترة التاريخية التي دامت حتى القرن الثالث عشر (19 م) عرف المغرب بسبب فترات الجفاف المتكررة انطلاق حركة تنقل واسعة النطاق دفعت بمجموعة من القبائل الرعوية إلى الهجرة من الجنوب الشرقي للأطلس الكبير نحو الشمال الغربي للبلاد باحثة عن مراع جديدة وهي قبائل زعير، زمور، بني حسن، گروان وبني مطير. وقد حاول السلاطين العلويون الحد من هذا الزحف القبلي والنزاعات الناتجة عنه بتنظيم عدة حركات نحو الأطلس المتوسط، وشيدت عدة قصبات بهذه المنطقة، منها قصبة أگوراي التي بنيت في عهد المولى إسماعيل (1672 ـ 1727) وقصبة الحاجب التي أنجزت على يد المولى الحسن الأول (1775 ـ 1894). ولم تستقر قبائل بني مطير بمنطقتنا هاته إلاّ في القرن الماضي حيث جعلت منها محاطها واستغلت مواردها حسب نمط عيشها النصف الترحالي.

كانت قبائل بني مطير تمارس نشاطا اقتصاديا يعتمد أساسا على تربية الماشية في إطار حركة انتجاع فصلية تنظم تنقلات الأسر وحياتهم بين أعالي ومنخفضات المحاط. تمتد هذه التنقلات على ما يقرب من 30 كلم. وتأخذ الزراعات داخل هذا النظام الفلاحي مكانة تكميلية حيث نجدها تنتج أساسا الشعير وشيئا من القمح الصلب والخضروات.

ففي شهر مارس تسوق الأسر قطعان الغنم والمعز والأبقار وكذا الحمير والبغال المحملة بالأواني والأفرشة والخيام نحو مراعي المرتفعات بعد أن قضت الخريف والشتاء فوق "بلاد أزغار" وتنصب إذ ذاك هاته الخيام إلى غاية أكتوبر. غير أن الرجال يعودون إلى السهل في شهر يونيو للقيام بأشغال حصاد زراعات الحبوب التي تم زرعها ويلتحقون بعد إنهائها بأسرهم في الجبل.

وبهذا يمكن القول إن حياة قبائل بني مطير كانت تنتظم بين رحلة الشتاء والصيف، كانت تستغلّ فيها هذه الأخيرة ما يقرب من 150.000 هكتار منها 65.000 هـ. من الأراضي السهلية، جزء صغير منها كان يخضع إلى الملك الخاص وهو الجزء الذي كان يحمل الزراعات، والقسم الأوفر كان ينتمي إلى الملك الجماعي.

فمع الغزو الاستعماري الفرنسي للمنطقة عرف المجتمع المطيري تحولات عنيفة وسريعة أدت إلى تشويه وتفتيت البنيات الإنتاجية القبلية القائمة. لقد تم الاستيلاء على قصبتي الحاجب وأگوراي سنة 1912، غير أن المقاومة الأهلية استمرت بالجبال سنين طوالاً إلى أن تقهقرت الظروف الاقتصادية للقبائل المقاومة بسبب محاصرتها من طرف جيوش الاحتلال وعنائها من قساوة الفصول الباردة التي اعتادت أن تقضيها فوق المنخفضات ذات المناخ المعتدل.

وقد عمل الاستعمار الفرنسي على التحكم في هذه المنطقة باعتبار أنها كانت جزءاً ممّا سماه المارشال ليوطي "المغرب النافع" المتوفر على موارد طبيعية هامة للاستغلال وإقامة المعمرين.

فمنذ السنوات الأولى من الوجود الفرنسي بالمنطقة عملت إدارة الحماية على تسهيل عملية السطو والاستيلاء على الأراضي الجماعية وتشجيع المعمرين على الاستيطان بأغنى أراضي سهل سايس. فهناك من القبائل مثل آيت حَرْزَ الله وإبْويلْدْمَان التي فقدت معظم أراضيها على سبيل المثال وصلت مساحة الأراضي التي استولى عليها المعمرون 14.000 هـ. أي ما يعادل 100٪ من أراضي هؤلاء (استعمار رسمي وخاص) وتم تهجير أسر ودواوير بأكملها. واستطاع المعمرون الخواص أن يحتلوا ما يزيد عن 30.000 هـ.

فمن المخلفات السلبية المباشرة للاستعمار الفلاحي لسهل سايس أن فقد الأهالي أراضي المراعي الشتوية وأصبح التخلي عن حركة الانتجاع أمراً مفروضاً. وانطلقت سيرورة استقرار السكان في أوضاع الهشاشة والتهميش. واضطر هؤلاء للتعاطي إلى العمل المستأجر داخل ضيعات المعمرين أو إلى الهجرة نحو المراكز الحضرية بحثا عن موارد جديدة للعيش.

وفي الوقت الذي تعرضت فيه البنيات الإنتاجية العتيقة إلى التفسيخ والتفتيت ظهرت بهذه المنطقة فلاحة رأسمالية عصرية في إطار صناعات ضخمة ذات طابع أوروبي (من حيث هندسة بناياتها وهيكلتها العامة)، سخرت لها كل وسائل الإنتاج من مواصلات وقروض وتقنيات متطورة. وازدهرت بذلك زراعات متخصصة تسويقية من حبوب وقطان وخضراوات. وبعيداً عن الحاجب في اتجاه تيفرت نجد زراعة الكروم. وقد ساعد على تنشيط وتعزيز الفلاحة

الاستعمارية بالمنطقة خلق مراكز خدمات تستجيب لمصالح المعمرين في ميادين الصحة والتعليم والتجارة، إلى غير ذلك. هذا بالإضافة إلى الوظائف الرئيسية التي أنيطت بها الإدارة والمراقبة العسكرية في كل من أگوراي والحاجب.

يلعب إقليم الحاجب اليوم دوراً اقتصادياً هاما على مستوى جهوي ووطني، ويعتمد اقتصاده أساسا على ممارسة النشاط الفلاحي، غير أن ما يميز فلاحة اليوم عن فلاحة الأمس هو أن الإرث الاستعماري في هذا القطاع وكذا التأطير التنموي الذي استفاد منه هذا الأخير من طرف الدولة من بداية الاستقلال يعتبران من العوامل الأساسية التي أسهمت في تطوير النشاط الفلاحي بهذا الإقليم والرفع من منتجاته.

فبعد استرجاع الرصيد الفلاحي الاستعماري من طرف القطاع الخاص والدولة التي فوضت إلى شركات عمومية مسؤلية الجزء الأوفر مما استرجعته (شركة التنمية الفلاحية وشركة تسيير الأراضي الفلاحية) والباقي وزع في إطار عملية "الإصلاح الزراعي" على بعض الفلاحين الذين انتظموا داخل تعاونيات للإنتاج.

- سيادة الزراعات وتمركزها بالسهل. يعرف توزيع الزراعات بإقليم الحاجب تباينا واضحاً بين الجبل والسهل وتسود أساساً بسهل سايس، وهي زراعات كثيفة ومتنوعة ويغلب عليها إنتاج الحبوب والقطاني، وهذا جدول يلخص أهم المنتجات الزراعية بالإقليم حسب المساحة لسنة 1994.

| نوع الزراعة | | المساحة بالهكتار |
|---|---|---|
| الحبوب | القمح الطري | 54.160 |
| | القمح الصلب | 17.050 |
| | الشعير | 12.250 |
| | المجموع | 83.460 |
| | زراعات القطاني والعلفيات | 6.986 |
| | الزراعات الزيتية | 5.640 |
| | الخضروات | 2.312 |
| | أشجار الفواكه | 10.799 |

تأخذ الحبوب الصدارة من ضمن المنتجات الفلاحية للإقليم. ويرجع انتشارها إلى ملاءمة الحبوب وخاصة القمح الطري مع مناخ المنطقة، وهي زراعات بورية تمارس في إطار تناوب مع زراعات القطاني والعلفيات وكذا الزراعات الزيتية.

- انتشار تربية الماشية فوق الجبل مع بداية احتلال الزراعة لهذه المنطقة. تعتبر تربية الماشية المكونة أساسا من الأغنام وجزئيا من الماعز والبقر نشاطا تقليديا لمرتفعات الإقليم حيث المسارح الرعوية الجماعية والمجالات الغابوية التي تشكل الأرضية المادية لنظام رعوي كان يعتمد على حركة الانتجاع، غير أن زعزعة هذا النظام وتكسير التوازنات القائمة على أساس استعمال الموارد المتكاملة للمحاطات مند العقود الأولى من هذا القرن شكّلا العاملين الحاسمين في تراجع حركة الانتجاع وبداية ممارسة تربية الماشية في الاصطبلات.

ويلاحظ فعلا اليوم أن مرتفعات الهضبة بدأت تعرف نوعا من التكثيف البشرى، الشيء الذي فتح الباب لممارسة الزراعات في أراض كانت تخضع بالأمس القريب لاستغلال رعوي في إطار تملك جماعي. فالمشاهد تتحول من حين لآخر من مسارح صخرية إلى أراض مستصلحة ومسيّجة بحجارة الكلس البيضاء التي أقلعت بأحدث الوسائل الآلية. وتبنى البيوت والإصطبلات بالمواد الصلبة، وهو ما يوحي لنا بأن ما يحدث من تطور في هذه المنطقة هو ناتج عن انطلاق سيرورة التملك الخاص للأراضي الجماعية. وبدأت الزراعات الموسمية وكذا الشجرية تنتشر مستعملة المياه الجوفية المستخرجة بالمحركات البنزينية، وتمثل الخيام حدثاً نادراً.

- استغلال المعادن، غير أنه هامشي، باعتبار الدور الاقتصادي والاجتماعي الذي يلعبه في الإقليم، ويتمثل هذا الاستغلال في استخراج معدن الحديد من منجم دولَبْ الذي ينتج ما يقرب من 2.806 طن في السنة ويشغّل 12 عاملاً.

سجل إقليم الحاجب كذلك تطوراً ملحوظاً نلمسه في بروز شبكة حضرية مهمة ودينامية هيكلت مجاله وخلقت بوجودها مراكز استقطاب ديمغرافي واقتصادي. وصل عدد سكان المراكز الحضرية سنة 1994 إلى 65.034 نسمة على مجموعة 180.459 أي ما يعادل 36٪ من مجموع الساكنة بهذا الإقليم الذي تشكل أريافه أراضي معطاءه توفر ظروف العيش لما يقرب من ثلثي السكان.

تتوزع هذه الساكنة على أربعة مراكز : أگوراي، عين تاوجطات سبع عيون، الحاجب العاصمة الإقليمية.

| المراكز | 1960 | 1971 | 1994 |
|---|---|---|---|
| أگوراي | 1.898 | 3.047 | 10.033 |
| سبع عيون | 500 | 1.122 | 15.573 |
| عين تاوجطات | 2.113 | 4.047 | 16.069 |
| الحاجب | 7.817 | 1.261 | 23.359 |

يلاحظ من خلال هذا الجدول أن عدد السكان يتزايد باستمرار، غير أن نسبة التزايد تختلف من مركز لآخر، ويظهر جليا من خلال هذه الأرقام أن مركز سبع عيون وكذلك مركز عين تاوجطات يتميزان بديناميتهما. فكلا

هاتين المدينتين الصغيرتين تستفيدان من موقعهما الجغرافي الهام وسط سهل سايس الذي يعتبر من أغنى المناطق الفلاحية بالبلاد، وتشكل محاور استقطاب للهجرة القروية في الوقت الذي بدأ الاستقرار يستعصي فيه بكبريات المدن (فاس ومكناس القطبين الجارين).

إن تعميم الزراعات الكثيفة بسهل سايس كان له الدور الحاسم في تنشيط اقتصاد المراكز الحضرية لهذا الإقليم. وتعيش الأنشطة الخدمية والتجارية من تفاعل مستمر مع محيطها الاقتصادي الإقليمي. وتتمثل هذه الأنشطة في الإصلاح الآلي من شاحنات وآلات فلاحية وغيرها ومطاعم وتزويد بالمواد الغذائية والملابس والتجهيز المنزلي. هذا بالإضافة إلى الخدمات الاجتماعية والإدارية ذات الإشعاع المحلي والإقليمي، كالتعليم والصحة والرياضة وغير ذلك.

ففي ميدان التعليم يتميز توزيع التجهيزات بتمركزها في الوسط الحضري، فالمراكز الحضرية هي الوحيدة التي تحظى بجل الخدمات التعليمية الابتدائية والثانوية.

| المستوى التعليمي | عدد المدارس حسب الوسط | | |
|---|---|---|---|
| | حضري | قروي | مجموع |
| روض | 6 | 0 | 6 |
| مركز دراسي | 1 | 23 | 24 |
| مدرسة ابتدائية | 13 | 1 | 14 |
| إعدادية | 4 | 2 | 6 |
| ثانوية | 3 | 0 | 3 |

ولازالت أرياف الإقليم تشكو من ضعف المرافق الأساسية، وليست هاته المرافق الوحيدة التي لا تستفيد من وفرتها، ونذكر كذلك الخدمات الصحية التي نجدها هي الأخرى متمركزة في المدن (مستوصفات ومراكز صحية) هذا إضافة إلى الخدمات الاجتماعية الأخرى والإدارية. ومعروف أن هزالة الأوضاع الخدمية بالأوساط الريفية تعتبر من الأسباب الحاسمة في تشجيع الهجرة نحو المدن.

ومما زاد أهمية الشبكة الحضرية داخل هذا الإقليم كون مراكزها الأربعة ارتقت على مستوى إداري وأصبحت تخضع إلى التسيير البلدي، وتقلدت مدينة الحاجب منصب عاصمة إدارية مما عززها بمصالح إدارية وعمومية تسهر على تنمية المنطقة.

وبالرغم من تعزيز الدور الوظيفي لهذه الشبكة الحضرية تبقى قاعدتها الاقتصادية هشة وغير قادرة على تسجيل وإدماج الفائض الديمغرافي المتزايد والناتج عن الزيادة الطبيعية والنزوح من الأرياف، فجل الأنشطة ثلاثية وغير منتجة وضعيفة التشغيل.

آفاق التحضر. إذا كانت ظاهرة التحضر المتواصل التي تعرفها هذه المنطقة قد أظهرت إلى وجود شبكة حضرية هيكلت تنمية المنطقة فإن تشكيلة مراكزها كثيراً ما وقعت في ظروف غير لائقة على مستوى مجالي وعمراني. فإلى جانب الأحياء المنظمة والمهيأة التي نشأت في إطار مشاريع اجتماعية للسكن ظهرت قطاعات سكنية عشوائية في غياب أبسط التجهيزات، منها ما هي صلبة ومنها ما تأخذ شكل مدن صفيح وتغطي مساحة تقرب من 40 هكتاراً داخل الإقليم. وأفرزت استمارة سنة 1994 التي قامت بها المصالح التابعة لوزارة السكنى أرقاماً توحي بمدى تفشي ظاهرة السكن غير اللائق بإقليم الحاجب.

| الموطن | الحي | عدد البراريك | عدد الأسر |
|---|---|---|---|
| عين تاوجطات | معمل الدوم والنوايل | 377 | 545 |
| أكوراي | دواوير : القشلة، الرجاء في الله لشريفة لاروك | | |
| | وعين كوته | 287 | 304 |
| سبع عيون | بوكيار | 108 | 126 |
| الحاجب | أيت بلال | 30 | 33 |

وفي إطار سياسة محاربة السكن غير اللائق تحاول المصالح المسؤولة تنظيم عمليات اجتماعية تستهدف تحسين ظروف السكنى عن طريق إعادة إسكان سكان الصفيح، ونظمت لذلك تجزئات استفادت منها عين تاوجطات (معمل الدوم) وأكوراي (الرجا في الله) أو بتطبيق مشاريع تهيئة وإعادة الهيكلة في عين المكان. همت قطاع آيت بلال بالحاجب ولاروك بأكوراي.

Brignon (et al.), *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1967 : J. Celerier, *La transhumance dans le Moyen Atlas, Hesp.* 1927, vol. 7 ; A. Rassam Vinogradov, *The Aït Ndir of Morocco : a study of the social transformation of a berber tribe*. Ann Arbor 1974 ; *Etude régionale du schéma directeur de Meknès*. Rabat, 1979 ; *Projet Sebou*, 1970 ; *Bulletin économique et social de la province d'El Hajeb*. 1er et 2ème semestre, 1994 ; *Recensement général de la population et de l'habitat. 1960 - 1971 - 1994* ; *Carte topographique d'El Hajeb au 1/50.000*, 1974.

عائشة العلوي البلغيثي

**الحاجّي**، أسر شتّى، منهم من ينتسبون لقبيلة أولاد الحاج العربية العسكرية بسهل سايس في ضواحي مدينة فاس، ومنهم من ينتسبون إلى أولاد الحاج المليلي بإقليم الناظور (انظر ما سبق) أو إلى أسرة درعية تستوطن قصر تيسرگات بواحة ترناتة شمال مدينة زاگورة، ومنهم حاجيّون يمثلون أسرة قيادية من أولاد بوالسباع بناحية سيدي المختار دوار البيرات بإقليم أسفي. كان أول من حصل من هؤلاء

على منصب القيادة هو سليمان الحاجّي البيري الذي كان باشا مدينة الصويرة والشياظمة على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، لكنه أعفي من هذا المنصب، ولم تعد القيادة إلى هذه الأسرة إلا على عهد السلطان الحسن الأول حيث أسندت قيادة الشياظمة إلى القائد عباس بن مبارك الذي توفي حوالي 1318 / 1900. وخلفه ابن أخيه :

**الحاجّي، أحمد** بن **الطاهر**. عاصر هذا القائد القواد الكبار أمثال الأكلاوي والكندافي والعبدي والمتوكي، وامتد نفوذه على عدة قبائل. وبعد وفاته سنة 1350 / 1931 تولى القيادة ابن عمه حميدة الحاجي الملقب بالقائد الحاجي

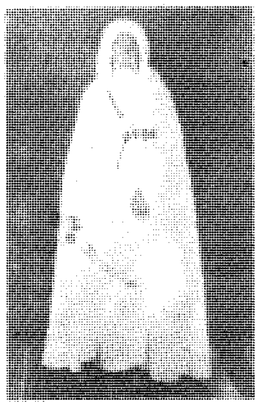

الصغير. وكان قبل ذلك يشغل منصب خليفة القائد، وعاصر ظهور الحركة الوطنية فكان من المؤيدين لها، وحافظ على الدور الثقافي والديني الذي كانت تمثله دار الحاجّي إلى أن توفي سنة 1372 / 1952.

أ. الرجراجي، *الشموس المنيرة* ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة* ؛ *روايات شفوية*.

**الحاجّي، أحمد** بن **علي** الدرعي، شيخ صوفي ولد بقصر توغزة بواحة ترناتة على بعد بضعة كيلومترات شمال مدينة زاكورة في أوائل القرن العاشر (16 م) وانتقل إلى قصر أولاد الحاج على الضفة الشرقية لنهر درعة فنسب إليه. يرجع نسبه إلى إدريس الثاني حسب مشجر النسب الذي بيد حفدته. وبالرغم من نسبه في هذا المشجر فإن النعت الذي غلب على أحمد بن علي هو "المرابط" شأنه في ذلك شأن الكثير من أصحاب الزوايا بواحات درعة.

لا نكاد نعرف شيئاً عن تعليمه الأولي ولا مستوى مداركه العلمية. وتفيدنا مخلفات أحمد بن علي بزاويته، وهي عبارة عن مصاحف قرآنية ومخطوطات في الصلاة على النبي عليه السلام والسيرة النبوية، أنه كان على نصيب من العلم الديني، أوراده اليومية هي بعض الأحزاب من المصحف الشريف وأجزاء من كتب الصلاة على النبي والأمداح النبوية.

تدل بعض الوثائق المحلية على أن أحمد بن علي كان في مطلع شبابه يمارس العمل التجاري الذي يفرض عليه التنقل عبر أسواق درعة والمناطق المجاورة وخاصة بلاد تافيلالت التي كانت خلال العقود الأولى من القرن العاشر تموج بأتباع الطريقة الزروقية، على عكس بلاد درعة التي انتشرت فيها الطريقة الجزولية على أيدي ثلة من العلماء السوسيين الطارئين على وادي درعة خلال العقود الأولى من هذا القرن، وكان شيخ الطريقة الزروقية بتافيلالت آنذاك هو عبد الله بن علي السجلماسي المعروف محليا "بجبار التلايف". وقبل وفاته سنة 940 / 1533 عهد بأمر مشيخة الطريقة الزروقية إلى الشيخ أبي القاسم الغازي وأذن له في تلقين الذكر ( *هداية الملك العلام*، 48). وعن هذا الأخير أخذ أحمد بن علي الحاجي ورد الطريقة الزروقية. وتذكر بعض الروايات أن أبا القاسم الغازي كان رقيقاً عند الشيخ الحاجي، اشتراه في بعض رحلاته التجارية ثم عرف مكانته الروحانية فأعتقه وأخذ عنه ثم خلفه في التربية وتلقين الورد بعد وفاته.

انتقل الشيخ أحمد بن علي من قصر توغزة إلى قصر أولاد الحاج بالضفة الشرقية لنهر درعة في تاريخ غير محدد، وأسس به "زاوية جبّار المكسور" في موقع ملائم لتجمع المريدين، وتفرغ فيه لتلقين الورد الزروقي الشاذلي وتربية المريدين، فأقبل عليه الخلق من كل الفئات الاجتماعية. ومدار أمره التوكل على الله والإعراض عما في أيدي البشر والقناعة بما تيسر. وقد شاع أمره في كل واحات درعة وقصده الناس للأخذ عنه من مزكيطة شمالا إلى محاميد الغزلان على مشارف الصحراء، ويذكر صاحب *الدرر* أن أهل الفضل من درعة كانوا يلازمون زيارة زاويته ويعتقدون في كراماته، كما كان الشيخ أحمد بن إبراهيم التامكروتي يحض مريديه على زيارة زاوية سيدي أحمد بن علي جبّار المكسور، وكثيراً ما كان يردد : "لو يعلم الناس ما في زيارة سيدي أحمد بن علي لمشوا إليه على وجوههم فضلا عن أرجلهم" ( *الدرر*، 9).

ويفيدنا صاحب *الدرر* أن أمراء وقواد الدولة السعدية بواحات درعة كانوا يجلون هذا الشيخ ويتجنبون إغضابه ويعجلون بتلبية مطالبه ولا يردون له شفاعة بالرغم من أنه كان يتحرز من الوقوف ببابهم ولا يقف هذا الموقف إلاّ خدمة للضعفاء والمساكين وحمايتهم من عسف الحاكمين.

ومن أتباع أحمد بن علي الحاجي بدرعة عبد الله بن حسين الرقي، أخذ عنه الورد الشاذلي والوظيفة الزروقية ولازمه مدة طويلة حتى تخرج عليه، فاستخلفه أحمد بن علي قبل وفاته على الطريقة الزروقية بدرعة. وعلى يد عبد الله بن حسين أخذ الشيخ مَحمد ابن ناصر الورد الزروقي وانتقل من أغلان إلى تامكروت حيث اشتهر به أمر الزاوية الناصرية. ومايزال الناصريون إلى اليوم يقومون في أوقات معينة من السنة بزيارة ضريح شيخ شيوخهم أحمد بن علي جبّار المكسور ويزودون مسجد الزاوية ببعض اللوازم الضرورية كالحصر والدلاء وأواني تسخين الماء.

توفي أحمد بن علي الحاجي سنة 998 / 1589م. وظلت زاويته منذ ذلك الوقت إلى الآن مقصد الزوار والمريدين من مختلف الجهات الجنوبية خاصة من بلاد أيت عطا وأيت واوزگيت.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ محمد بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ أحمد بن داود الهشتوكي، *هداية الملك العلام*، مخطوط، خ. ع. ق. 147 ؛ ع. بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، ج.م.

**الحاجِّي، عبد الرحمان** بن محمد بن محمد العربي الدرعي وُلد بزاوية جده محمد العربي في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) ودرس على والده وبه تخرج إذ لم تعرف له رحلة علمية خارج درعة. وبعد وفاة والده سنة 1333 / 1914 تولى منصب القضاء. ولا تزال بعض أجوبته الفقهية التي عثرنا عليها بمختلف قصور ترناتة تدل على طول باعه في العلوم الشرعية. وفي غمرة الصراعات القبلية التي عرفتها بلاد درعة حوالي عام 1335 / 1916، اتهمت بعض قبائل أيت عطا والروحة القاضي عبد الرحمان الحاجي بممالأة قبائل أولاد يحيى ومداهنة خلفاء الأگلاوي بالوادي فقامت عصابة منهم بمهاجمة زاوية القاضي واغتصابها بالقوة، وذلك يوم 23 ربيع الثاني سنة 1346 / 19 أكتوبر 1927. وحول هذه العملية يقول السيد الطيب بن لحبيب الملولي : "فقام أيت أونيرْ والروحة ودخلوا الزاوية (زاوية القاضي) وقتلوا القاضي سيدي عبد الرحمان بن محمد .. وقتلوا أربعة من دراوة (حراطين الزاوية) وحاز الأعداء ما فيها من غلة وأثاث .. قيل وحازوا من كتب العلم أربعة عشر مائة، وشتتوا ما شتتوا وخربوا دار العلم وركن الشرع وتركوا أهل درعة في ظلمات، صم عمي فهم لا يبصرون" ( *تاريخ الملولي*، 76). وما زال المسنون من أهل درعة يذكرون هذا الحادث البشع حيث قام غلاة هذه العصابة بصنع نعال خفيفة من أغلفة هذه الكتب ورموا جلها في نهر درعة والقليل منها هو الذي بيع بثمن بخس في أسواق المنطقة. وبمقتل القاضي عبد الرحمان الحاجي انقرض العلم في هذه الأسرة وضاعت الخزانة العلمية النفيسة التي خلفها أجداده من قبله.

توفي عبد الرحمان الحاجي قتيلا بزاويته يوم 23 ربيع الثاني عام 1346 / 19 أكتوبر 1927.

**الحاجِّي، محمد العربي** بن محمد الدرعي (جد عبد الرحمان سالف الترجمة) ينحدر من أسرة تعرف محليا بالحاجّي، وكانت إلى حدود العقود الأولى من القرن الثالث عشر الهجري (19 م) تستوطن قصر تسرگات بواحة ترناتة شمال مدينة زاگورة.

تلقى محمد العربي تعليمة الأول على يد بني قومه بقصر تسرگات وقصر أولاد أوشَاحْ، وقد اشتهر هذا القصر الأخير خلال القرن الثالث عشر (19 م) بعلمائه وفقهائه من أسرتي أولاد ابن شخمون وأولاد ابن حاجِّي. ثم انتقل إلى فاس لإتمام تعليمه، فأثار بقوة حفظه وإدراكه السريع لغوامض المعضلات العلمية والفقهية انتباه زملائه في الدراسة وشيوخه، فكانوا يطلقون عليه "نور المجلين" ( *المعسول*، 16 : 17) وبعد تخرجه عاد إلى درعة وتصدر للتدريس وبث العلم لمن رغب فيه من أهل درعة وأهل الفايجة (الأراضي الممتدة ما بين سوس ودرعة) وفي سنة 1241 / 1825 عين السلطان عبد الرحمان بن هشام محمد العربي الحاجي قاضيا على قبائل وادي درعة كافة بظهير مؤرخ بعاشر ذي القعدة، ومما يدل على مكانة محمد العربي الحاجي عند هذا السلطان أنه فوض له النظر في قضاة قبائل درعة والفايجة ليثبت من شاء ويعزل من شاء. ويظهر أن هذه الحظوة التي فاز بها القاضي محمد العربي الحاجي أثارت حفيظة بعض الشيوخ المحليين وخاصة الشيخ إبراهيم الباردي، فاستنجد القاضي بالسلطان الذي أصدر ظهيراً يسبغ على القاضي محمد العربي أردية التوقير والاحترام، "وألاّ يُسام من الوظائف المخزنية بتكليف ولا يطالب بجليل من ذلك ولا حقير، ولا قليل ولا كثير". وقد أقام القاضي محمد العربي الحاجي في أخريات أيامه زاوية خاصة به ما تزال تعرف بزاوية القاضي إلى اليوم، على مقربة من قصر تسرگات مقر أسلافه ( *العقود الجوهرية*، 65) وعكف فيها على التدريس إلى أن أدركته الوفاة عام 1261 / 1845.

**الحاجِّي، محمد** بن محمد العربي الدرعي، وُلد بزاوية والده في العقد الخامس أو السادس من القرن الثالث عشر (19 م)، وبها نشأ وتعلم على يد والده وقريبه البشير الحاجي، وبعد وفاة والده أخذ عن القاضي السهيل التسرگاتي، ثم رحل إلى فاس في حدود عام 1270 لإتمام تعليمه، فأخذ عن عبد الرحمان السجلماسي الحجرتي وغيره من علماء فاس ( *الإعلام*، 7 : 213) وتخرج فقيهاً عارفاً بالأحكام أديباً لامعاً، يقرض الشعر، إلا أن جل أشعاره عبارة عن ابتهالات وتوسلات إلى الله تعالى.

عاد محمد الحاجي إلى وادي درعة وتصدى للتدريس في مجلس والده بزاوية القاضي، فأقبل عليه الخلق من كل واحات درعة وجهة الفايجة وبلاد الساحل وطارت شهرته في الجنوب كله، فانتدبه السلطان الحسن الأول لمنصب القضاء وفوض له كذلك في اختيار نوابه على قبائل وادي درعة والمناطق المجاورة. لم يكن القاضي محمد الحاجي يتقاضى أجراً من بيت المال، وإنما يستخدم المتحاكمين عنده في مزارعه وبساتينه. واشتهر بالصدع بالحق وإلزام شيوخ القبائل وأعيانها بالرضوخ لأحكام الشريعة، وهو أمر لم تتحمله بعض القبائل خاصة عندما يتعلق الأمر بحماية

الضعفاء والمساكين والوقوف إلى جانبهم، لذلك ما كاد السلطان مولاي الحسن يغيب عن مسرح الأحداث سنة 1311 / 1894 حتى قام المدني الأكلاوي، العامل المخزني على مناطق الجنوب، بتحذير الحاجب احماد بن موسى من نفوذ القاضي الحاجي بدرعة، فاستقدمه الحاجب باسم السلطان مولاي عبد العزيز إلى مراكش، ووضعه في شبه إقامة جبرية ( *الإعلام*، 2 : 445) وولاه قضاء قصبة مراكش. وبالرغم من العناية الخاصة التي لقيها من المخزن، فإن نفسه لم تطمئن لوجوده بمراكش، خاصة وأن قبيلة أولاد يحيى قد أو عزت إلى بعض حلفائها من أيت حَمُّو بالاستيلاء على أملاكه وتهديم ساقيته، فأصبح بين ناري الغربة وضياع أملاكه، فأكثر من التوسلات لرجال المخزن وصلاّح مراكش لفك أسره ورجوعه إلى مسقط رأسه. ونستشف من المراسلات التي وجهها السلطان مولاي عبد العزيز إلى القايد محمد بن العربي اليحياوي سنة 1313 / 1895، أن المخزن العزيزي حمّل القائد اليحياوي مسؤولية ضياع أملاك القاضي وألزمه بردها، وسمح السلطان للقاضي الحاجي بترصد رجالات قبيلة أولاد يحيى بمراكش واعتقالهم لإرغام قبيلتهم على إعادة ما ضاع من أملاكه. ولما توفي احماد ابن موسى سنة 1318 / 1900 أذن السلطان مولاي عبد العزيز للقاضي محمد الحاجي بالعودة مكرما إلى وادي درعة، وجدّد له التعيين في منصب القضاء بها، فعاد إلى زاوية أبيه وجدد مراسيمها، وأحيى بها ما اندرس من العلوم، وتخرج على يده الجم الغفير من الفقهاء من مختلف واحات درعة، وظل يزاوج بين التدريس والقضاء إلى حين وفاته سنة 1333 / 1914. وقد خلف وراءه خزانة علمية نفيسة ضاعت في الأحداث التي عرفتها زاوية القاضي سنة 1346 / 1927.

محمد بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ ع. الكريم المزريوى، *مذكرات*، مخطوط ؛ الطيب بن لحبيب الملولي، *تاريخ درعة*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 16 ؛ ع. ابن إبرهيم، *الإعلام*، ج 2 و7 ؛ *وثائق محلية من زاوية القاضي ودار القائد اليحياوي*.

أحمد البوزيدي

**حاجز، سليمان** بن يعقوب (أو حاجيز) Hajiz Samuel ben Ya'aqob كان ربياً بفاس. توفي سنة 1634. وهو صاحب مؤلفين في التأويل والخطب، طبعا بالبندقية سنة 1596 تحت عنوان "ديبر شيموئيل" (كلام صموئيل) و"مبقيش هاشيم" (المتعطش للاسم أي لله).

**حاجز، يعقوب** Hajiz Ya'aqob ربيّ من مواليد فاس سنة 1620، توفي باسطمبول سنة 1674. وقد استقر في ليڤورن Livourne بإيطاليا ما بين سنة 1646 و1656 حيث كان يمتهن التدريس. وموازاة مع ذلك كان يحارب المسيح المزيف شبتاي صبي Shabbetai Sbi الذي استطاع إقناع شريحة واسعة من الطائفة اليهودية المحيطة بالبحر المتوسط. إلا أن يعقوب حاجز قُضي ببدعته وبدعة أتباعه.

وليعقوب حاجز عدة مؤلفات، نذكر منها :

كتاب *شجرة الحياة*، "عيض حاييم" طبع بليڤورن 1654 - وبرلين 1716 ؛ كتاب "هلخوت قيطانوت" *الفتاوى*، طبع بالبندقية سنة 1704.

أبرهام لاريدو : *"Les Noms des Juifs du Maroc"*.

شمعون ليڤي

**حاحة**، قبيلة تعدّ في عرف النسّابين من قبائل مصمودة من جملة شعوب البرانس، وحاحة اسم قديم، ضارب في أعماق التاريخ منذ ما قبل الإسلام، كما يطلق اسم حاحة أيضاً على المجال الجغرافي الذي تستوطنه هذه القبيلة من باب الإضافة فيقال : "بلاد حاحة"، ثم حذفت كلمة بلاد للاختصار فأصبح إطلاق حاحة على الموطن يغني عن ذكر المضاف. وتختلف حدود بلاد حاحة باختلاف العصور، فهي في القديم تطلق على منطقة شاسعة تمتد كما في كتب التاريخ *كالعبر والاستقصا* إلى بلدة تادنست من جهة القبلة وتجاور دكالة غربا وتمتد بسيطا إلى السوس، ومن ناحية الغرب يمتد الساحل المتميز بخليج ظل المنفذ الرئيسي نحو العالم الخارجي طوال ثلاثة آلاف سنة (حيث أسس أمراء قبائل حاحة قلعة الصويرة وقلعة أگادير منذ ما قبل الإسلام) (الزياني، *الترجمانة*، 255).

وفي القرن السادس (12 م) تقلص موطن حاحة من الشمال بسبب دخول العرب الهلاليين الذين استقدمهم يعقوب المنصور الموحدي من افريقيا، فقد تدفق هؤلاء على السواحل بالشاوية ودكالة فاختلطوا بالسكان الأمازيغ ونشروا في هذه السواحل اللغة العربية وحمولتها من الأعراف والتقاليد، فأخذت هذه المنطقة تتعرب تدريجيا إلى أن تغلبت العربية على اللهجات التي كانت سائدة قبل ذلك في كل من دكالة وعبدة والشياظمة المستعربة حاليا، وبذلك تقلص موطن حاحة الأمازيغية ليقتصر على منطقة محصورة بين مدينتي الصويرة شمالا وأگادير جنوبا تستوطنه اثنتا عشرة قبيلة حاحية متجاورة على الشكل الآتي :

1 - الصف الساحلي : إداوگرض - إداوْسارن - إداكّيلّول - أيت امر.

2 - صف الوسط الهضبي : إنگنافن - إمگراد - إداوكازو - إداوتغما.

3 - الصف الشرقي الجبلي : أيت زلطن - إداوزمزم - إداوبوزيا - أيت عيسي.

وبفضل موقع حاحة وسط المغرب كجسر رابط بين شمال المغرب وجنوبه فإنها تمثل قطب الرحى للحوادث التاريخية

والتفاعلات الثقافية والحضارية التي عرفها المغرب عبر العصور، فتألقت بسبب ذلك أسماء حاحية لامعة في مجال السياسة والدين والأدب أمثال العبدري الحيحي وسعيد بن عبد المنعم الحاحي ويحيى الحاحي الأديب السياسي والقائد الحاج عبد الله الحاحي وأنفلوس الحاحي وغيرهم.

وفيما يخص علاقة حاحة بالمخزن يبدو أنها كانت من إيالة البرغواطيين في بعض الأوقات التي تقووا فيها وامتد نفوذهم من (تامسنا) على ساحل البحر إلى (ماسة) بسوس، ثم لما اندفع اللمتونيون من الجنوب كانت حاحة والشياظمة (رگراگة) أول باب فتح لهم إلى الحوز، لأن الرگراگيين والدغوغيين الذين عمروا في القرون الهجرية الثالث والرابع والخامس الحوز إلى رباط شاكر على مسيل وادي نفيس كانوا دائما ضد البرغواطيين، فلذلك مدّوا أيديهم للمرابطين، ثم كثر ذكر حاحة بعد ذلك في الدوائر المخزنية.

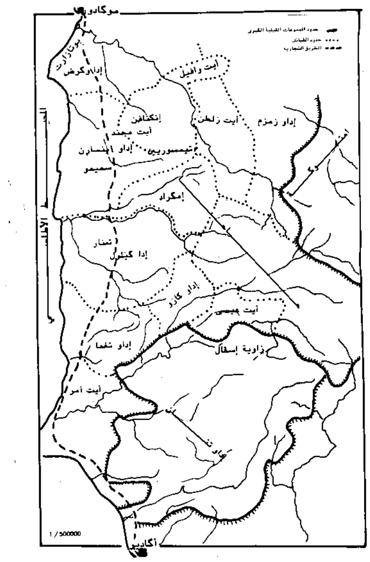

وفي العصر الموحدي ناصر أهل حاحة دعوة المهدي بن تومرت في بداية عهدها، وفي عام 541 / 1146 ارتد الحاحيون مع من ارتد من قبائل مصمودة عن المذهب الموحدي، لذلك وجه عبد المومن إلى حاحة جريدة بالوعظ والاعتراف على يد قائديه المخلصين وهما : صهر أبي سعيد - كما يعرف - وعثمان بن مناد، فقتلا من الحاحيين من أهل التخليط والمعاندين ثمانمائة. وفي العصر المريني ظلت حاحة تعيش على شكل أحياء صغيرة تحيط نفسها بدائرة من الأسرار، وغالبا ما يحكم هذه الأحياء أعيان محليون يديرون شؤون قبائلهم الصغيرة الملتفة حول قلاع (ايگيدار) على شكل مخازن للحبوب وغيرها من ممتلكات الأسر، وحول هذا المخزن (أگادير) تتشكل الأحياء البربرية في الجنوب منذ قرون إلى أن ظهر الحكم السعدي حوالي عام 918 / 1512، فخلقت هذه التجمعات السكنية بحاحة وإيداوتنان عدة صعوبات للمخزن السعدي، ولكنها لم تلبث أن اختفت واحدة تلو الأخرى بسبب هجمات البرتغاليين والأعراب الذين دمروا عدداً كبيراً من تلك القلاع التي سماها الحسن الوزان بمدن حاحة، فوصف عمرانها وما آلت إليه من خراب.

وكرد فعل على التخريب الذي تعرضت له البلاد ظهرت بحاحة القوى الدينية التي عمل الإمام مَحمد بن سليمان الجزولي على إحيائها وسط الفوضى التي عمت المغرب، وفي هذا الوقت كانت منطقة حاحة في طريقها لتصبح قبيلة مخزنية يحاول الشرفاء السعديون المستقرون بتسگدلت أن ينظموها لصالحهم، وظهر في كل جهة زهاد متصوفون : أمثال الشيخ سعيد بن عبد المنعم (ت. 935 هـ) وتلميذه الصالح إبراهيم بن علي التغانيميني التناني (989 هـ) الذين استقطبوا سكان قبائل حاحة وإيداوتنان، فأسسوا زوايا كبيرة وغنية تحت تأثير الحماس الشعبي إلى الجهاد ضد نصارى البرتغال المحتلين للموانئ الأطلسية، وقد اكتسب هؤلاء الزهاد المتصوفون ثقة السكان وولاءهم بفضل ما بذلوه من جهود صادقة في الدفاع عن الحق وحماية الرعية من الحكام الأجانب، فقاموا بينهم مقام أهل السلطة الزمنية في تسوية النزاعات القبلية، وتنظيم الشؤون الثقافية والاجتماعية للسكان في ظل الدولة السعدية الشريفة.

وفي ظل الدولة العلوية تحولت حاحة بالخصوص إلى قبيلة مخزنية في عهد مولاي رشيد (1075 - 1082) وأخيه مولاي إسماعيل (1082 - 1139 هـ) فعندما سلك الأول طريق حاحة على رأس الثمانينات في القرن الحادي عشر الهجري لم يلاق أي مقاومة في هذه المنطقة إلا من طرف سكان جبال ايداوتنان الذين قرروا حمل السلاح في وجهه عند نقطة "كاب غير" جهة أگادير، فواجههم السلطان المولى رشيد الذي كان يقود جيشا مكونا من 75.000 جندي، وفي عهد المولى إسماعيل أصبحت سوس ملجأ للطامعين والمغامرين، وتوالت الحملات التأديبية بدون توقف، وكانت تمر غالبا عبر بلاد حاحة، ثم أصبح البلد مسرحا للحروب بين أبناء السلطان المولى إسماعيل، فبقيت حاحة في الاطراف متمتعة باستقلالها إلى أن جاء عهد سيدي محمد بن عبد الله (1171 - 1206 هـ) فانضمت إليه حاحة - دون ايداوتنان المتمنعة بجبالها - وانخرطت في سلك النظام المخزني، لكن رؤساء حاحة في عهد الحكم الذاتي، أمثال : علي يعيش الزلطني، وأغناج، والزرهوني محمد ابن مبارك الحاحي، توجسوا خيفة مما اقترفته أيديهم، فرأوا أن يرسلوا إلى السلطان إنسانا هو منهم بمنزلة القدم من الراكب، فعمدوا إلى الطالب محمد بن بيهي أومولود - وكان شريفا من آل الشيخ سيدي سليمان بوتيت دفين أباينو قرب گلميم - فدفعوا له فرسا وهدية يقدمها عنهم إلى سيدي محمد بن عبد الله الذي نزل بمحلته في ذلك الحين بالشياظمة، وقد أرسل إليهم بملاطفة لعلهم يدخلون فيما دخلت فيه قبائل

الحوز ومراكش، فمثل محمد بن بيهي بين يدي السلطان وأدى التحية وأبلغ خضوع حاحة، واعتذر عن الرؤساء المشهورين الذين تخلفوا عن الحضور أحسن اعتذار، فأغضى الملك وأظهر أنه اكتفى به، ثم عرض عليه أن يكون هو بنفسه واسطة بينه وبينهم فناوله ظهير القيادة وخلع عليه من نعمه، وحمله على فرس مطهم، ووهب له قينة جميلة علي العادة المتبعة، وبذلك ملك محمد بن عبد الله زمام حاحة منذ عام (1182 ـ 1768 م). ومنذ عهده أصبحت حاحة قبيلة مخزنية تحكمها أسر حاحية مشهورة تتسلم ظهائر القيادة من السلاطين العلويين أمثال :

1 ـ قيادة آل أبيهي أو مولود (1182 / 1768 ـ 1288 / 1871) *المعلمة* ج 1 ص 103.

2 ـ قيادة إنفلاس الحاحيين (1288 / 1871 ـ 1331 / 1912) *المعلمة* 3 / 851.

3 ـ قيادة أيت عدّى النكنافيين التي تناوبت مع إنفلاس على الحكم في حاحة الشمالية.

4 ـ قيادة آل المحجوب الگيلوليين بتمنار (1299 / 1881 ـ 1351 / 1932) *المعلمة* / كيلولي.

5 ـ قيادة آل تيكزيرين التامرين (1290 / 1873 ـ 1377 / 1957) *المعلمة* 8 / 2733.

6 ـ قيادة آل بويفنزى بإداوبوزيا (1299 / 1881 ـ 1373 / 1953) *المعلمة* 6 / 1907.

يبدو أن روح المقاومة والنضال في سبيل نصرة الحق والمشروعية متأصلة في قبائل حاحة مع ما يتطلبه ذلك من صفات الشجاعة والإقدام والتضحية، وتشهد بذلك الحروب التي خاضوها ضد المارقين من برغواطة وكذلك جهادهم ضد البرتغال الغزاة لسواحل بلادهم تحت لواء كبار علمائهم ومتصوفيهم من شيوخ الزوايا أمثال مَحمد ابن سليمان الجزولي (ت. 870 / 1465) وسعيد بن عبد المنعم الحاحي وغيرهما ممن رفع راية الجهاد والنضال من العلماء والرؤساء، لذلك نجد قبائل حاحة تعتبر نفسها مندمجة في نظام تحالف إيگزولن بالجنوب، وبهذه الصفة شارك الحاحيون في حروب سهل سوس والأطلس الصغير وتازة بزعامة قواد مخزنيين أشداء يحسب لهم حسابهم لدى ملوك زمانهم.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، 66 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 98 ؛ م. المختار السوسي، *رحلة من الحمراء*، 21 ؛ م. ايت الحاج، *مظاهر الحياة الثقافية بحاحة وايداوتنان*، د. د. ع (15 ـ 124).

محند أيت الحاج

**الحاحي**، أُسر شتى تنتسب إلى بلاد حاحة الواقعة بين الصويرة وأگادير على ساحل المحيط الأطلنطي. وينسب إليها أيضاً على غير قياس بصيغة الحيحي والحاحائي. وأشهر سكانها رجراجة المشهورون بشيوخهم الصالحين منذ عدة قرون.

ومن الأسر الحاحية العالمة الأسرة النعيمية المنانية، نسبة إلى الشيخ عبد المنعم أو النعيم من قبيلة إداوبُوزيا بالجهة الشرقية من بلاد حاحة. ينتسبون إلى الشرف الحسني عن طريق أحمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله. ويرون أن نسبة المناني إلى منى الحجار التي جاء منها أحد أجدادهم القدامى، وهو لا يستقيم. ولهم مدرسة علمية عتيقة تدعى المدرسة النعيمية مازالت قائمة نشيطة حتى اليوم في حاحة.

**الحاحي، أحمد** بن الحسن بن عبد الله بن سعيد المناني. قال عنه الرسموكي في *الوفيات* : "له نثر بليغ ونظم مليح، وهو أستاذ صالح"، قرأ في زاوية زداغة بتافيلالت على عمه يحيى الحاحي آتي الترجمة وبه تخرج في الفقه والأدب. وخلفه في زوايتهم حين تأمّر يحيى وانتقل إلى المحمدية (تارودانت). ولما توفي يحيى سنة 1035 كما سياتي، رثاه بقصيدة دالية مطلعها :

آه قد دُكّ مجدُ آلِ سعيـد　　　بوفاة العلامة الصنديـد

وقد حاول الحاحيون التشبث بالملك وإقامة أحمد بن الحسن مقام عمه يحيى، وفي ذلك يقول محمد المرغيتي في *العوائد* : "ولما توفي يحيى ... بويع ابن أخيه السلطان الأسعد، الهمام الأمجد، أبو العباس مولانا أحمد ..." غير أنه لم يقو على مجابهة أبي حسون السملالي الذي استعاد المحمدية إلى سلطته، وانكمش أحمد في زاوية زداغة يدرّس ويربّي على عادة أسلافه العلماء الصالحين. وألف شرحاً *لقصيدة الهبطي*، ونظم تخميساً *لبردة البوصيري*، وجمع ديوان النقائض *التجلي فيما وقع بين سيدي يحيى وأبي محلي*.

توفي بمسقط رأسه ليلة الاثنين رابع عشر محرم عام 1052 / 14 أبريل 1642، ودفن خلف جده عبد الله بن سعيد داخل القبة الكبرى.

م. المرغيتي، *العوائد*، مخطوط ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد*، مخطوط ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة، 79 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 11 ؛ *المعسول*، 19 : 83 و92 ؛ سوس، 182 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 564.

**الحاحي، سعيد** بن **عبد المنعم** (أوالنعيم) المناني، رأس علماء هذه الأسرة وصالحيها، حصل على نصيب من علم الظاهر والباطن، وأشهر شيوخه الصالحين عبد العزيز التباع أكبر مريدي الشيخ مَحمد بن سليمان الجزولي. قال عنه ابن عسكر في *الدوحة* : "شيخ السنة ومحيى الديانة ... كان من أكابر المشايخ وأشهرهم علماً وعملاً، وله في المعاملات الشأن الذي لا يُدرك مع شدة الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوة الزهد والورع". وكان معاصراه الشيخ أحمد بن موسى السملالي وعبد الله الهبطي ينوّهان به كثيراً، ويعدّه الهبطي من بين مشايخ ذلك العصر المنفردين بالتربية النبوية الصحيحة.

ألف سعيد الحاحي عقيدة مبسطة لمريديه، وتمتع بنفوذ روحي كبير في قبائل حاحة التي التفت حوله في الجهاد ضد المسيحيين المحتلين لشواطئ تلك المنطقة، وربما اشتُمت منه رائحة الطموح إلى الاستحواذ على السلطة. فكتب إليه رفيقه وصديقه الحميم العالم الصالح أحمد بن عبد الرحمان التيزرگيني رسالة طويلة مؤثرة ينهاه عن طلب الرياسة ويحذّره مغبة تفريق الكلمة بعد أن كادت تلتئم حول دولة السعديين الناشئة. ومما جاء فيها : "بلغنا عنكم أنكم عازمون على مخالفة الشرع العزيز، وعلى الرمى بأديانكم وأبدانكم وأرواحكم وعقولكم وأولادكم وأموالكم وأحبابكم وأتباعكم وأزواجكم في بحور الهوى والردى، ولا سفينة ! وعلى التورط في مهواة الذنوب تتشبثون فيها بالصغيرة والكبيرة. وذلك طلب الملك والولاية، ومنازعة أرباب الدولة بالقتل والمشاتمة. هاه ! هاه ! هاه ! كلا لا ! كلا لا ! كلا لا!

أين عقولكم الراجحة ؟ أين علومكم الراسخة ؟ أين بصائركم الثاقبة ؟ أين عهودكم للسادة السالفة ؟ انتهُوا خيراً لكم ! انتهوا خيراً لكم ! وإني لكم والله من الناصحين" !

وقد آتت هذه النصيحة الخالصة أُكلها وصرفت الشيخ سعيد الحاحي عن الخوض في معترك السياسة والرياسة ليشتغل بما يعنيه إلى أن أدركته الوفاة سنة 953 / 1546، وقبره مزارة كبرى ببلاد حاحة، يُقام حوله موسم تجاري كل سنة.

م. ابن عسكر، دوحة، *موسوعة أعلام المغرب*، 2 : 878 ؛ *وفيات الرسموكي*، ص 19 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، 50 ؛ *تحفة أهل الصديقية*، 27 ؛ م. القادري، *الطرفة*، مخطوط، م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أحمد بومزگو، *الترجمة*، 749 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 13 : 272 ـ 275 و19 : 75 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 221 ـ 222 ؛ 2 : 560.

محمد حجي

**الحاحي، طلحة** بن الزبير بن سليمان بن تميم يكنى أبا الزبير، توفي في دولة المرتضى، (646 / 1248 ـ 665 / 1266) ولكيفية موته خبر غريب، وله تأليف سماه : *الترجيح والتنقيح في الناسخ والمنسوخ* وقيل : انما هو من تآليف أبي علي الكفيف الماجرى، رواه عنه طلحة بن الزبير هذا

مؤلف مجهول، *مفاخر البربر*، تح. ليفي بروفنصال، ص 69، الرباط.

محند أيت الحاج

**الحاحي، عبد الله** بن سعيد بن عبد المنعم المناني، ينتسب إلى أحمد بن إدريس الأول دفين فاس ( *المعسول*، 19 : 72 ـ 78). وجدّه الأعلى داود هو أول معروف من سلسلة نسب عبد الله بن سعيد، وأول نزيل بالمحل الذي سينسب إليه في حاحة، ونعني به قرية أيت داود، غير أن أكثر الأسماء شهرة في سلسلة نسبه هو والده سعيد بن عبد النعيم (أو المنعم) سابق الترجمة، وهو مؤسس الزاوية في قرية آبائه أيت داود والمعروفة في كتب التاريخ بالزاوية الحاحية.

ولد عبد الله بن سعيد في أيت داود وفيها تربى وتعلم على يد والده. ثم قام بجولة لقي فيها الأئمة الأعلام، منهم الفقيه الزقاق والونشريسي وأمثالهم من مشاهير علماء فاس والمغرب ( *المعسول*، 19 : 80 ـ 82). ثم صحب بعد ذلك شيوخ التصوف وأخذ عنهم. ومن أشهرهم والده الشيخ سعيد بن عبد المنعم والشيخ أحمد أُموسى السملالي دفين تازروالت بسوس، والشيخ محمد بن علي الشطيبي دفين مدشر تازغدرة بقبيلة بني زروال، والشيخ عياد بن عبد الله السوسي. ( *المعسول*، 19 : 81). غير أن الشيخ الذي عَوَّل عليه في الطريق وانتسب إليه هو عبد الله الهبطي دفين زاويته بالجبل الأشهب من بلاد بني زجل في غمارة (*دوحة*، 103 ؛ *صفوة*، 10)، وهو أحد كبار أتباع عبد الله الغزواني تلميذ عبد العزيز التباع خليفة شيخ الجزوليين جميعا مَحمد ابن سليمان الجزولي.

وهذا يعني أن عبد الله الحاحي جزولي الطريقة مثل والده، ومن أهل الطبقة الثالثة فيها. بل كان أيضاً، وعلى غرار آبائه وأبنائه، يمثل صورة الصوفي الجزولي النموذج، لانه ـ وعلى نَحْو ما عُرف عن مؤسس الطريقة الجزولية ـ كان يجمع بين العلم الظاهر والعلم الباطن. يعني أنه لم يتصوف إلاَّ بعد أن تكون في العلم الظاهر. "ولا غرو ـ يقول المختار السوسي ـ أن يكون كذلك من تخرج بالإمام الهبطي النظار المشهور" ( *المعسول*، 19 : 80).

وعلى كل حال، فالظاهر أن الشيخ عبد الله الحاحي بلغ في المجالين العلم الظاهر والتصوف مستوى عاليا أهله ليتولى مقاليد المشيخة في الزاوية الحاحية بأيت داود، بعد وفاة مؤسسها والده الشيخ سعيد وأخيه أحمد بن سعيد ( *المعسول*، 19 : 78 ؛ *رحلة الوافد*، 240).

غير أن المصادر التي ترجمت له لا تتحدث عنه إلا وهو شيخ لزاوية تُدْعَى زاوية زدّاغة تافيلالت بدَرَن. فصاحب *المعسول* يقول "إنه سكن أولاً في (بوشنين) من (أيت إيگاس) ... ثم صار يتعبد تحت سدرة في (تافيلالت) حيث زاويته بعد. وكان المكان لرجل مسن، بُلّغ خبر الشيخ (عبد الله الحاحي) فجاء إليه واسمه علي، وكان الوادي يسمى (وادي القطران) ـ فيما قيل ـ فسماه وادي العسل" ( *المعسول*، 19 : 78).

فلماذا إذن هاجر عبد الله أيت داود بحاحة ؟ يجيب محمد حجي "... ربما كان لهجرة عبد الله بن سعيد من حاحة إلى تافيلالت زدّاغة أسباب سياسية" ( *الحركة الفكرية*، 2 : 560). وهذا الرأي المشوب بالحذر، لا نملك غير

توكيده، إيمانا منا بأن عبد الله الحاحي كان من بين شيوخ الزوايا الذين وقفوا في وجه السلطان الغالب، منتقدين سياسته السلبية في الجهاد. لذلك رأى الغالب أن يخرجه من بين عصبته الحاحيين، إلى جبل ناء يتعذر الوصول إليه في أقصى جنوب البلاد (المصدر السابق، 2 : 560)، انتقاما منه على موقفه المذكور، وعلى غرار ما فعله السلطان نفسه إزاء أمثال الشيخ الحاحي من الأولياء.

مهما يكن من أمر فقد أخلى الشيخ عبد الله الحاحي زاوية أهله بأيت داود، وانتقل إلى مكان آخر يعرف بزَدَّاغة تافيلالت بمُنْحَدَرَات جبال الأطلس الكبير، شمال غرب تارودانت، بعيدا عنها بنحو سبعين كلم، في منطقة جبلية وعرة جداً. لكن بالرغم من وعورة المكان أصبحت الزاوية الحاحية الجديدة موطن إشعاع علمي وصوفي، يعم جنوب البلاد كلها، بفضل ما بذله شيخها عبد الله بن سعيد الحاحي من جهود متكاملة، بدءاً بتعمير المنطقة وتيسير سبل العيش والمقام بها، وانْتهاءً بجلب العلماء للتدريس بالزاوية، وهي الأمور التي ساعدت على تقاطر وفود الزوار والمريدين وطلاب العلم عليها.

وفي هذا الصدد تذكر المصادر أن الشيخ عبد الله الحاحي قسم أيامه ولَيَاليه بين التدريس والوعظ والإرشاد والتأليف والذكر والتهجد، وهكذا آلى على نفسه ألاَّ يغادر زائر زاويته إلاَّ بعد أن يحفظ *عقيدته* وفرضه وسننه "وإنْ كان لا يعرف حرفاً أو طعن في السن والهرم، وله في ذلك اختصار عجيب" (*المعسول*، 19 : 79 - 80).

وفي هذا الصدد يقول صاحب *الفوائد* : "حضرت مجلس تذكيره مرة فأسمعنا حكما ومواعظ في الإنابة وتصفية الباطن، والتبري من الحول والقوة، والتحذير من شوائب الأعمال ورعونات النفس وحب الدنيا والتأكيد على اتباع السنة ولزومها..."

كما ألف كتابا آخر سماه *شعب الإيمان* ضم بين دفتيه "ما لابد للمسلم منه في التوحيد، ذكر فيه أربعا وسبعين شعبة، واحدة واحدة" (*المعسول*، 19 : 79). إلى جانب مجموع في المواعظ والأذكار في حجم سدس القرآن، "جمع فيه نقولا من التفسير والأحاديث والأخبار، تتحدث عن نزول الموت بالمحتضر، وما يجب الاعتقاد والإيمان به من أحوال القبر وما بعده، يُمْلَى على الناس بين العشاءين. وبعد العشاء يجتمع عليه جميع الواردين والزائرين، فلا يُرَى واحدٌ يتخلفٌ عن سماع ذلك، ولا يُمَكَّن من الرجوع إلى بلده حتى يحفظه ويفهمه، وذلك دأبه رضي الله عنه" (المصدر السابق، 19 : 82).

ومما يحكى في هذا الإطار أن طائفة ممن يُنسبون إليه قدموا عليه بنية الخدمة في الحصاد، "فقال لهم لا ننتفع بشيء من خدمتكم إلاَّ إن تعلمتم ما فرض الله عليكم، وتأخذوا فيه ونياتكم على الإقامة فيه، وإلاَّ لاَ حاجة لنا فيكم، فكان رضي الله عنه لا يعمل له إلا من يحافظ على دينه، ويسخن الماء في الحرث ويتوضأون ثم يصلون جماعة، هكذا عند كل عمل، حرثا كان أو حصاداً، أو غيرهما على الدوام" (*المعسول*، 19 : 81 - 82).

وإضافة إلى الزوار والمريدين وطلبة العلم كان "يؤوي إليه العلماء، كأحمد البوسعيدي الذي نسخ له *مقدمة الحافظ ابن حجر* ... وكمحمد بن عبد الواسع البعقيلي مؤلف *الكراسة* في أخبار الجزوليين المسماة *مناقب البعقيلي*، فقد ذكر أنه آوى إليه أزمانا" (*المعسول*، 19 : 79)، والشيخ محمد بن علي الجزولي الأنوسي المشهور بباعه الطويل في علوم القراءات والتجويد، والشيخ التمنارتي والد أبي زيد عبد الرحمان مؤلف *الفوائد الجمة في أسانيد علوم الأمة*، إلى جانب أبناء عبد الله الحاحي نفسه وخاصة منهم الحسن بن عبد الله الذي اشتهر بالفتوى (*الحركة الفكرية*، 2 : 562).

يقول التامنارتي : "كان عبد الله الحاحي عظيم الهمة، له نظر دقيق واحتياط في طريقي العبادة والعادة، أزهد الناس وأورعهم في ذلك، وقصده الناس لذلك من جميع آفاق المغرب ..." (*الفوائد*، 12). لذلك لا عجب إذا اكتسب شعبية هائلة واعصوصبت حوله معظم قبائل درن من علماء وطلبة ومريدين وعوام ؛ بعضهم يطمع في بركته، والبعض في التتلمذ على يديه، أو سلوك طريق القوم بصحبته، والبعض يطمع في هذا كله. ولا عجب أيضاً إذا أصبحت الزاوية الحاحية من كبريات الزوايا المغربية خلالْ القرن العاشر (16 م) وأصبح لشيخها حضور في مجريات الأحداث السياسية والعسكرية زمنئذ.

لم يقتصر عبد الله الحاحي على التعليم وإطعام الطعام ومساعدة المحتاجين، أو ما يعرف عموما بالأدوار الاجتماعية، وإنما لعب أيضاً أدواراً سياسية هامة، سواء عندما أصبح شيخاً لزاوية والده في أيت داود بحاحة أو عندما أسس زاويته الجديدة بتافيلالت زداغة. بل إن نقل مقر زاويته من المكان الأول إلى الثاني، يرتبط أساساً بهذا الدور السياسي كما قلنا.

لكن الظاهر أن خُطَّة عبد الله الغالب الرامية إلى إضعاف غريمه وسميه الحاحي بتجريده من عصبته لم تكن ناجعة، إذا علمنا أن النفوذ الذي حققه الشيخ الحاحي في زداغة تافيلالت بدرن فاق ما حققه بزاوية والده، بفضل الطريقة التي سنها في حياته هنالك والقائمة أساساً، كما رأينا، على الإحسان والعزلة حتى إذا جاءته الفرصة لرد الاعتبار إلى نفسه، ضد سياسة السلطان كان على أتم الاستعداد.

وقد جاءت هذه الفرصة عندما عاد عبد الملك المعتصم وأحمد المنصور من منفاهما بالديار العثمانية ودخلا في صراع مع محمد المتوكل بن عبد الله الغالب حول العرش. نقول جاءته الفرصة لأن الشيخ عبد الله الحاحي سوف يقف في هذا الصراع إلى جانب الأخوين عبد الملك المعتصم وأحمد المنصور ضد محمد المتوكل ابن عبد الله الغالب.

فقد ذكرت المصادر التاريخية أن محمد المتوكل عندما هاجر مراكش عاصمة الجنوب أمام ضغط عميه عبد الملك وأحمد، قصد الأطلس الكبير، حيث آواه محمد بن ويسعدن من كبار أولياء الجبل. وبإشارة من ابن ويسعدن أيضاً اعصوصبت حول المتوكل قبائل الأطلس الكبير الشرقي والسوس، مما جعله يقف ندا في مستوى جيوش خصميه التي كان يقودها عمه أحمد، في المعركة الفاصلة الشهيرة باسم "معركة تيزرت الكبرى" (*الفوائد*، 12).

غير أن نتيجة المعركة آلت في النهاية لصالح أحمد وعبد المالك وهلاك كثير من خُدّام زاوية ابن ويسعدن، وعلى رأسهم ابنه عمر. (*الحركة الفكرية*، 2 : 566)، وقد ساهم في صنع هذا الانتصار، الشيخ عبد الله الحاحي الذي وقف بأتباعه وعصبيته الجديدة إلى جانب الأخوين، فَقَدَّم لهما خدمة جليلة، عندما أعرض عن مساعدة المتوكل وحليفه ابن ويسعدن (*المعسول*، 19 : 78). وكان باستطاعته، يقول محمد حجي، "... لو انضم إلى ابن ويسعدن أن يغير مجرى الأحداث" (*الحركة الفكرية*، 2 : 516). غير أنه فضل أن يحارب محمداً المتوكل وأن يبايع "عبد الملك ووفد عليه إلى مراكش" (*نزهة*، 47).

لكن بعد مرور عقد من الزمن على مبايعة أحمد المنصور ساءت العلاقات من جديد بين هذا السلطان وعبد الله الحاحي، ودخل الطرفان في صراع مسلح مكشوف. وحينما نقرأ أخبار هذه المواجهة نجد "الأرض والضرائب" محوراً لها. فقد جاء في *الصفوة* قوله : "لما نزل قائد المنصور عبد الرحمان بن المريد الشياظمي بأسفل سوس، أضر ببعض أصحابه (عبد الله الحاحي) ممن له ضَيْعَة هناك، فأتى الشيخَ شاكياً فانتصر له.

ولعل النكبة التي حلت بهذا الجيش هي التي دفعت بالمنصور إلى تجريد حملة ثانية برئاسة القائد منصور بن عبد الرحمان العلج في محاولة للنيل من الشيخ الحاحي وعصبته. غير أن هذا الأخير "رحل من داره إلى مَوضع آخر فوقها" مما يعني أن قوات المنصور حاصرت زاوية الحاحي، وأن أتباعها شردوا إلى أعالي الجبال. لكن الحملة توقفت، عند هذا الحد، لأن المنصور استدعى قائدها للمشاركة في الاستعدادات الجارية بمراكش لغزو السودان (*صفوة*، 10).

ولسنا ندري ماجريات الأحداث بعد ذلك، لكن الأكيد أن توفر المنصور على جيش عتيد فرض عَلى شيوخ الزوايا كالحاحي وغيره الاستكانة والخمول، ولو مؤقتا، وعاد عبد الله بن سعيد الحاحي إلى زاويته بمدشر تافيلالت، وظل يمارس بها نشاطه العلمي والصوفي إلى أن وافاه الأجل يوم الجمعة 11 جمادى الثانية أو رجب عام 1012 هـ / نونبر - دجنبر 1603 م.

م. ابن عسكر، دوحة *الناشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1396 / 1976 ؛ ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط، الرباط، 1240 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجرية بفاس، د. ت ؛ *نزهة الحادي*، الرباط، 1974 ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، بيروت، 1403 / 1983 ؛ أ. الزياني، *الترجمان المعرب*، مخطوط ؛ ع. التاسفتي، *رحلة الوافد*، تح. علي صدقي ازايكو، القنيطرة، 1992 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 19، البيضاء ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج 2، المحمدية 1389 / 1978 ؛ أ. *الوارث*، *الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرن (16 م)*، د.د.ع، فاس 1988.

P. de Cénival, *La zaouia dite de Berada'a, Hesp.*, Tome XV, Fasc. I, 1932.

أحمد الوارث

**الحاحي، يحيى** بن عبد الله بن سعيد المناني. وُلد ونشأ في زاوية زداغة (تافيلالت سوس) في حدور الأطلس الكبير، وأخذ فيها عن والده عبد الله بن سعيد وأحمد أدفال السوساني الدرعي العلوم الشرعية والصوفية، وأقام بفاس مدة طويلة يأخذ عن أعلامها : أمثال الإمام أحمد المنجور والقاضي عبد الواحد الحميدي والمفتي يحيى السراج والأستاذ أحمد الزموري وطبقتهم، كما درس بمراكش على الفقيهين محمد الرجراجي وأحمد بن محمد السالمي.

تكوّن يحيى الحاحي تكويناً متيناً في اللغة العربية وقواعدها وآدابها، وفي الفقه والحديث والعقائد وسائر العلوم الشرعية، إضافة إلى سلوك طريق القوم والتحلي بأخلاق الصوفية على سنن أبيه وجده، ورجع إلى مسقط رأسه ليشتغل إلى جانب والده بالتدريس والتربية. ولما مات عبد الله بن سعيد سنة 1012 / 1603 خلفه يحيى في رآسة الزاوية والتدريس بها، وتكاثر عدد طلبته ومريديه، فكانت أوقاته معمورة بالمجالس العلمية وحلقات الأذكار أثناء النهار وطرفاً من الليل، يختم *صحيح البخاري* كل رمضان في مجالس مشهودة، وكان من جملة الآخذين عنه فيها عبد الرحمان التامنارتي ووصفها في كتابه *الفوائد الجمة*.

ولما ثار أحمد بن أبي محلى على السعديين سنة 1019 / 1610 وتغلب على زيدان بن أحمد المنصور وأزعجه عن مراكش، استنجد زيدان بيحيى الحاحي، فأنجده - بعد تردد - وهاجم الثائر ابن أبي محلى وقضى عليه في معركة گيليز سنة 1022 / 1614. ولما رجع يحيى إلى زاويته فترت همته في التدريس وتلقين الأوراد، وأخذ يراسل السلطان زيدان ويمنّ عليه بمناصرته ويتجنّى كثيراً دون أن يفصح عمّا يجول بخاطره، وأخيراً أعلن الثورة في سوس ضد زيدان مظهراً الرغبة في حماية الدين وجمع كلمة المسلمين، وملك تارودانت من يد أبي حسون السملالي المُستبدّ بها واتخذها عاصمة لإمارته، لكنه لم يستطع أن يوسع دائرة نفوذه شمالاً ولا جنوباً إلى أن مات.

ألّف يحيى الحاحي كتباً تعليميّة أغلبها شروح، منها : *تحصيل المنافع من كتاب الدرر اللوامع في القراءات* ؛ وشرح

قصيدة لامية له في التهنئة باسم *الرشفة الهنيّة من رسالة التهنيّة* ؛ *وأجوبة في موضوعات شتى* في مجلد ؛ *ومؤلّف في الجدول* ؛ *وأرجوزة في الشهداء*، شرحها بعض علماء سوس. على أن أكثر إنتاجه شعر، وأغلبه في هجو خصمه أحمد بن أبي محلى والرد عليه. وكانا صديقين أيام الطلب وعاشا معاً مدة طويلة في فاس، لكنهما اختلفا بعد أن استولت عليهما فكرة الحكم والسلطان. وهجُوهما - من الناحية الأدبية الصرفة - جيّد على ما فيه من إقذاع. وقد جمع الحسن بن عبد الله الحاحي هذه الأشعار في مجلد ضخم سماه *التجلي فيما وقع بين سيدي يحيى وأبي محلى*، على غرار *نقائض الفرزدق وجرير*، وقف عليه غير واحد من الباحثين في خزائن سوس. وآخر من اطلع عليه الشاعر المرحوم الحسن البونعماني.

توفي يحيى الحاحي بتارودانت ليلة الخميس سادس جمادى الثانية عام 1035 / 5 مارس 1626، ونقل إلى زاوية زداغة حيث دفن بإزاء والده في مشهد واسع ما تزال جدرانه قائمة حتى اليوم.

م. التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ أ. ابن عطية، *التفكير*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 133 ؛ *نزهة*، 184 ـ 185 و188 ـ 209 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة، رقم 783؛ أ. التغاتيني، *فتاوى فقهاء جزولة*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 6 : 33 ومابعدها ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 10 : 222 ـ 245 ؛ م. المختار السوسي، *إيليغ*، 52 وما بعدها ؛ *خلال جزولة*، 2 : 113 و 4 : 11 ؛ *المعسول*، 19 : 84 ـ 93 ، *سوس*، 183 ؛ م. العثماني، *ألواح جزولة*، مرقون، ص. 90 وما بعدها ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، 136 ـ 137 وهوامش 8 ـ 12 ؛ *الحركة الفكرية*، 2 : 563.

محمد حجي

**الحاحي، يوسف** بن تغوريت، الشيخ الفقيه الحاج الزاهد الورع الناسك القدوة، أقام بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم مدة، ولقي بها جماعة من أهل العلم، وتوفي ببلاد حاحة في عشرة الثمانين وستمائة الهجرية حوالي 680 / 1281.

مؤلف مجهول، *مفاخر البربر*، تح. ليفي بروفنصال، ص. 73، الرباط.

محند أيت الحاج

**الحاخام**، haḥam يجمع عند اليهود على حاخاميم وبالعربية حاخامات. ويعني في الاستعمال المتداول بالمغرب الحبر اليهودي أي بالمعنى الواسع "رجل الدين عند اليهود". أما الكلمة نفسها "حاخام" عند اليهود فتطلق على ذي المعرفة الواسعة بالدين، وهم الذين يعملون بنفس المجال بحيث ينعكس على سلوكهم اليومي. ونجد من بينهم الرّبي - القاضي (م - ع ديان و ج - و ديانيم) والموثق (م - ع سوفير و ج - ع سوفريم). أو بعض الشخصيات التي تحمل بتواضع لقب تلميذ - حاخام (سيأتي ذكره لاحقاً).

المصطلح العبري حاخام يحيلنا إلى نفس المصدر في اللغة السامية الذي أعطى لفظ حكيم وحكمة، وهو نفس المعنى الذي نجده في القواميس العبرية : حيث يرادف مصطلح حاخام كلاً من حكيم وعالم ورائد وذكي، ويحيلنا الفعل حاخوم إلى حَكُم، فَهِمَ. أما الاسم فهو حُخْمَة أي حكمة وتبحر.

والحاخامات يتلقون دراستهم في مدارس دينية منذ الطور الثانوي إلى آخر لحظة من حياتهم، وهاته المدارس يطلق عليها بالعبرية لفظ "تيشيفاه" وتسمى في الاصطلاح العبري المغربي "بليسيبا".

يقضي الحاخامات حياتهم في دراسة وسبر أغوار التوراة والتلمود سواء فرادي أو جماعات (اللفظ العبري كدليل)، ويستطيعون أيضاً المساهمة في تعليم المريدين في جماعات للدرس للكبار الذين يجتمعون بانتظام داخل هذا المعبد أو ذاك والذين ننعتهم في المغرب كذلك بلفظ "بليسيبا".

يحمل تلميذ حاخام عدة معان : المعنى الأول : طالب بليشيفاه، وله في الاستعمال معنى ثان وهو (عالم أو أديب متمكن من الثقافة العبرية) وهذا اللقب هو مدح رغم ظاهره المتواضع. إلا أن هذا المعنى لا يعود إلى القاعدة التي يعطيها Malka وBrunot في *Glossaire Judéo-Arabe de Fès*, Rabat, 1940, p. 21. "طالب العلم الذي يتابع دراسته ويحتل منصباً دينياً متواضعاً (...) مثله مثل الطّالب المسلم بالمعنى المغربي للكلمة، بل على العكس هناك اعتبار بالنسبة لتلميذ حاخام". في اللغة الإسبانية اليهودية المتداولة في شمال المغرب أيضاً، فهو تابع لعالم، وكهذا يسمي العلماء بكل تواضع كما يكتب : (Benoliel José, *Dialecto judéo - hispano marrroqui o Hakitia*, Madrid, 1977, p. 255) "ولا أحد يجرؤ على تسمية نفسه بحاخام لأنه ملك لله". أما بالنسبة لحاييم الزعفراني في كتابه : *يهود المغرب*، فهو يقول : "المثقف هو الذي يتمتع بالتقدير".

حاخامات بالمغرب : إن للمغرب حاخامات ذوي شهرة واسعة تمتعوا بالتميز في عصرهم وفي تاريخ اليهودية، وهذا راجع إلى أعمالهم وخصوصاً علمهم وكتاباتهم سواء باللغة العبرية أو باللغة العربية.

والجدير بالذكر أن مؤلفاتهم في اللغتين تندرج في الحركة الفكرية للفضاء الثقافي العربي وخصوصاً في العصر الذهبي سواء في المشرق أو الأندلس أو المغرب. فإذا كانت شخصية موسى ابن ميمون من قرطبة (المشهور برامبام أو ميمونيد بحروف مختصرة بالعبرية) فإن بعض مؤلفاته أنجزت بمدينة فاس ما بين 1160 و1165م، هذه المدينة التي كانت في القرون التاسع والعاشر و الحادي عشر مركزاً للعلم

اليهودي، فخلال هاته الحقبة كانت المدارس اليهودية (يشيفون) بالمدينة تساهم بشكل كبير في خصوبة الفكر العلمي التلمودي واللِّسني بالأندلس (ليسانا، قرطبة...).

وهكذا نجد يهودا ابن قريش التاهرتي، العالم والطبيب بمدينة فاس، يحرر "رسالته إلى جماعة يهود فاس" يضع الأسس المنهجية للمقارنة العلمية بين اللغات، كما يعترف بذلك علماء اللِّسنيات (Que sais-je ? *La linguistique*). ويهودا حيوج من مواليد مدينة فاس، جدد النحو العبري باكتشافه للجذور الثلاثية. وداوود بن أبراهام الفاسي : (القرائي) في القرن العاشر الميلادي وضع أول قاموس عبري - عربي بعنوان *"جميع الألفاظ"*.

ومن مواليد مدينة فاس كذلك، دوناش بن لَبْرَاط، وهو عالم لِسْني كبير عاصر الحكم الأموي، وكان يقيم بالعاصمة الأموية.

وقام إسحاق هاكوهين الفاسي (المعروف عند اليهود بهاريف) عن سن متقدمة بمغادرة مدينة فاس ليستقر بلياسانا (قرب مدينة غرناطة)، لكي يقوم بتسيير المدرسة المشهورة (يشيفاء)، وقد كان ألّف مقدمته للتلمود (هالافوت هاريف) والتي تسمى أيضاً "بتلمود قاطان" أي التلمود الصغير الذي ظل لمدة طويلة مرجعاً لأجيال من الحاخامات حتى داخل أوربا الوسطى.

وفي القرن (12 م) نجد رجلين يحملان نفس اللقب العائلي - تألقا بالرغم من الظروف الصعبة التي عاشها اليهود تحت الحكم الموحدي الذي عرف هلاك الحاخام الفاسي يهودا هاكوهين بن سوسان - وهما شمعون ابن عقنين من فاس ويوسف ابن عقنين من سبتة، شاعر وكاتب له عدة مراسلات مع ابن ميمون.

وخلال القرن (14 م) عاش بها الفيلسوف يهودا مالكا ابن نسِّيم، من مؤلفاته باللغة العربية "أُنْسُ الغريب".

بالإضافة إلى أن القرن (14 م) يؤرخ للسلالة الطويلة لأسرة ابن دانان بفاس، المبتدئة بالحاخام موسى بن ميمون (المعروف باسم رامبام الفاسي)، والتي امتدت حتى حدود القرن العشرين، مع الحاخام شؤول دنان آخر الرؤساء للمحكمة الموسوية العليا بالرباط. فقد أعطت لفاس وغرناطة حاخامات مغمورين مثل سعديا ابن دنان الذي رجع من غرناطة ليستقر بفاس بعدما كان آخر قاض بغرناطة سنة 1490 م، وهو صاحب كتاب "الضروري في اللغة العبرانية" وهو منهج باللغة العربية لتعلم اللغة العبرية، وهو من نفس سلالة المؤرخين الذين ساهموا سواء بالعبرية أو بالعربية في المجموعة التاريخية المعروفة باسم "ديبر هاياميم" والتي تحكي قصة الطائفة اليهودية من القرن 16 م إلى 19 م (أنظر Vajda, *Un recueil de textes historiques Judéo-Marocain, Hesp.* 1948 - 1949).

وسيكون من العبث محاولة جرد اللائحة الطويلة للحاخامات الذين طبعوا التاريخ اليهودي المغربي. غير أن إحصاءً دقيقاً قام به الحاخام يوسف بنايم في كتابه "ملخي رابنان" وهو الباحث الفاسي في قرننا هذا (انظر البيبيوغرافيا). وسنكتفي هنا بذكر الأسماء الأكثر شيوعاً (ومن أجل المزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى المقالات المخصصة لهاته الأسماء في نفس المعلمة).

أعطى مجيء اليهود المهاجرين من إسبانيا سنة 1492 م وهم الملقبون بـ (ميغوراشيم بالعبرية، أو العجميين والروامة بالعربية) دفعة جديدة للحاخامات المغاربة، وخاصة بالمدن التي استقروا بها. وقد تكتل القسم الكبير من هؤلاء المهاجرين بفاس ومكناس وتطوان وسلا.

عرف القرن 16 و17 م انصهار الفرق بين الشريحتين الإسبانية (السفردية) والمحلية إلى حد اندماج المناهج والأعراف في ميدان القانون والعادات المحلية.

أما بالنسبة للغة في نهاية القرن 17 م، فقد ظلت اللغة المحلية هي اللغة المسيطرة في كل من مدينة فاس ومكناس والرباط وسلا وصفرو. أما اللغة اليهودية الإسبانية فقد ظلت بكل من تطوان ومدن الشمال.

بين بداية القرن (16 م) بفاس ونشر كتاب "سفرها تقانوت" "أي الفتاوي" في القرن (19 م) على يد الحاخام أبراهام أنقاوا من سلا، (انظر Haïm Zafrani, *Les Juifs du Maroc : Vie sociale, économique et religieuse*, Paris, 1972) حل محلها الاندماج الذي سيُتبع خلال النصف الأول من القرن العشرين، بجلسات جماعية للقضاة (الديانيم) تحت إشراف المحكمة الموسوية العليا.

هناك عائلات تخصص أفرادها في مجال القضاء، وتطبيقاً لعادات ما يسمى "بالسرار" التي تجعل اختيار الحاخامات من هاته العائلات يقوم على شرط توفرهم على قدرات تؤهلهم لذلك المنصب. ولهذا نجد سلالات كاملة من الحاخامات. ففي فاس، إلى جانب عائلة ابن دنان (وهم بلديون)، نجد على طول الخمسة القرون الماضية أسرة أبنسور (يعقوب : حاخام وشاعر 1673 م - 1753 م، وموشي وشلوم) وشعر هؤلاء الثلاثة نشر سنة 1893 م تحت عنوان "عيت لكول حفص" على يد الحاخام الكبير لفاس رفائيل أبنسور.

أما عائلة السرفاتي فلديهم أبنر في القرن (19 م) وهو صاحب مؤلف حول تاريخ الجماعة اليهودية بفاس بعنوان "يحاس فاس" وهناك كذلك بن أموزيغ ما بين القرن 17 م و19 م، وسريروا والمعروف منهم هو شؤول Saül (1566 م - 1655 م) صاحب كتاب أوريم وتوريم، وهو مؤلف حول القضاء.

ونجد أيضاً أسرة أفلالو (ميمون في القرن (17 م) وهو حاخام كبير بالزاوية الدلائية، زامن مرحلة ترحيل يهودها إلى فاس، وابنه سعديا حاخام بفاس، وهناك كذلك يُهوشوع ويحين وكانا حاخامين بأگادير.

ونذكر من عائلة منسانو : أبرهام في القرن (18 م) وميمون في القرن (20 م).

وبين صفوف عائلة مونسينيكو نجد ياديديا الأول في القرن (19 م) وياديديا الثاني الحاخام الأكبر للمغرب المتوفي سنة 1995 م.

وهناك أسرة بوطبول وأسر أخرى نذكر منها حاخامات مثل أبرهام بن داويد ويوسف الملقب بدويدو، وقد كان عدلاً ما بين القرن 18 و19، وهو حسب يوسف بنايم في كتابه "مالخي ربنان"، 16 - أ، صاحب مؤلف تاريخي لم يطبع بعد.

ونجد القبّالي أزولاي وهو صاحب كتاب "أورها حمّا" أي "ضوء الشمس". وبعض الأسماء لأكبر الحاخامات الذين كانوا يوجدون بمختلف المدن مثل أسرة ابن عطار بفاس، ومنهم المتوفي سنة 1604 م وشلومو وأبرهام ويعقوب وأخوه يحيى الملقب "بالرِّبي الكبير" وكان صائغاً وقاضياً توفي سنة 1698 م. وهناك عُبيد وابنه رفائيل بن عُبيد في القرن (18 م).

وبسلا نجد حاييم الملقب بالشيخ (هزّقين بالعبرية) 1620 م - 1721 م. وبمراكش هناك داوود خلال القرن (17 م) وهو صاحب مقاطع دينية، وموردخاي القبالي.

وبمكناس نجد شيم طوب وموشي وخصوصاً حاييم بن عطار ومؤلفه هو "أو هاحييم" (أي نور الحياة) وهو كتاب في القبالة (التصوف عند اليهود) الذي كان يدرسه بليفورن وبعدها بالقدس. وبنفس المدينة مكناس نجد سلالتين قد هيمنتا في مجال الحاخامات وهما سلالة بردوگو، ومن بينهم نجد موشي الملقب بما شبير في القرن (18 م) ومردخاي الملقب بما ربيز في نفس القرن. ورفائيل ما بين سنة 1747 م و1822 م وأخيراً يهو شواع، وقد كان رئيس المحكمة الموسوية العليا للمغرب، وتوفي سنة 1946 م.

والسلالة الثانية هي سلالة طوليدانو التي تضم لائحتها الطويلة شخصيات كانت مقربة من مرلاي إسماعيل، ومن هاته السلالة نجد يا عاقوب (الملقب بما هريط).

وبسلا نجد سلالة أنقاوا التي أعطت الحاخام أبرهام في القرن (19 م) المذكور أعلاه والحاخام رفائيل (1848 م - 1935م)، قاضي ميحل ورئيس للمحكمة الموسوية العليا، ظل يمارس هاته الوظيفة إلى آخر لحظة من حياته. وهناك يوسف المالح صاحب كتاب في علم الشريعة "تُوقْفُو اشيل يُوسف" طبع بليفورن سنة 1829 م كان حاخام - قاضي الرباط وسلا.

وقد عرفت مدينة تطوان حاخامات كباراً من سلالة بو درهم والموزنينو، وأشهرهم الحاخام إسحاق بن وليد الذي خلف مدرسة ومعبداً يمكن زيارتهما بنفس المدينة تطوان.

أما بمدينة طنجة، فأول حاخام قاض بها هو أبرهام طوليدانو في نهاية القرن (18 م) والأكثر شهرة بهاته المدينة هو الحاخام موردخاي بنجيو.

ومدينة الصويرة بالرغم من أنها حديثة العهد فقد عرفت حاخامات مشهورين مثل أبرهام كورياط صاحب كتاب "بريت أبوط" أي (عهد الأجداد) وحاييم بنطو (Haïm Pinto) في القرن (19 م) صاحب المعبد والضريح الذي يحج إليه اليهود في موسم سنوي (الهيلولا).

وفي جنوب المغرب تميز حاخاماته في ميدان القبالة، فنجد أسرة بو حصيرة ومن بينهم إسحاق ثم يعقوب وقبره بدمنهور بمصر وإسرائيل (الملقب ببابا سالي) وقد لمعوا بتافيلالت وتقام لهم المواسم بكَرَّامة.

أما "ميقوبيلي" درعة الذين وسموا التصوف اليهودي ومن بينهم نجد بأقا يعقوب بو إفرگان وبتارودانت موشي ابن ميمون الباز وبمراكش شالوم بوزاگلو في القرن (18 م) وحديثاً بن باروخ هاكوهين ....

وقبلهم في القرن (15 م)، وصل الحاخام داويد هالثي من إسبانيا إلى تمگروت بواد درعة، ويعرف بربي داويد الدرعي، وهو قبالي وصاحب مؤلفات في هذا المجال مثل كتابه "سفر هالخوت" (الدار البيضاء 1930 م)، "أي كتاب الملك"، وقبره إلى يومنا هذا مزارة لليهود في موسم سنوي (الهيلولا).

انظر : Haïm Zafrani, *Kabbale, vie mystique et magie*, Paris, 1986

ولنفس الكاتب، انظر : *"Ethique et mystique, le commentaire kabbalistique du traité des pères de J. Bu Ifergan"*, Paris, 1991.

ولا يمكن إنهاء هذا الإحصاء السريع، دون ذكر حاخامات مدينة دبدو، والسلالة الطويلة لأسرة كوهن العريقة، ومن بينهم شلومو هاكوهين الذي ألف كتابا يؤرخ لفترة من فترات مدينة دبدو "ياحاس دبدو" وهو مقدمة لكتاب "واياحيل الشلوموا" (الدار البيضاء 1929 م).

أما عن حاخامات مدينة صفرو فنذكر شلوم مامان في القرن (18 م) وقبره مزارة لليهود، وهناك أيضاً عوباديا ورفائيل موشي الباز في القرن (19 م) المشهور بقصائده اليهودية المغربية (الملحون) التي تتميز بإلهام روحاني عميق (انظر عبد العزيز شهبر، "مجلة كلية الآداب بتطوان"، العدد 6 - 1993).

ونشير أيضاً إلى حاخام كوليل : (الاشتقاق من كوليل، جماعة من الحاخامات بمدينة ما).

هذا اللفظ كان يدل سابقاً على "الربيّين الرسل" القادمين من أوربا وكذلك من اليشفون من صفد وطبريا والقدس لجمع الأموال والهبات من أجل الجماعات الربية والتلاميذ المغاربة الذين يقضون حياتهم في الدراسة الدينية بهاته المدن، ومن بينهم من توفوا في المغرب وأصبحت مقابرهم فيما بعد مزاراً لليهود مثل : ربي عمران بن ديوان المدفون في آسْجَنْ (قرب مدينة وزان).

ومن أهم الأنشطة للأحبار الرسل :

قيامهم بنشر أفكار الأحبار الفلسطينيين عن طريق التعليم أو الوعظ أو بإعادة أو نسخ وتوزيع كتبهم أو كتب

البلدان التي كانوا يمرون بها والقيام بوظيفة قاضي القضاة عند الضرورة، ويحكمون في بعض القضايا التي لا يتخذ منها التملود والتوراة موقفاً واضحاً، وبذلك يصبح حكمهم قاعدة يقاس عليها.

ومن أشهر الحاخامات اليهود الرسل ذوي الأصل المغربي نجد : رفائيل أو حنا من مواليد مكناس سنة 1850 م، هاجر مع جده إلى طبرية سنة 1865 م، ورحل رسولاً في الثلاثين من عمره، مقتفياً آثار سابقه يوسف ميمران إلي بخارى ووجد سنة 1894 م في الهند وبُورما وكردستان ثم قطع بعد ذلك كل بلدان الشرق العربي والغرب الإسلامي ...

"إسحاق عوزيل الفاسي، وهو نحوي وشاعر، عين حاخاماً بمدينة أمستردام حيث توفي بها سنة 1620 م. وتلميذه إسحاق عطية (Atias) في القرن (17 م) وكان حاخاماً بهمبورغ والبندقية. وإليهو بن أموزيغ (Amozegh) الناشر المشهور اللقورني الذي نشر كثيراً من مؤلفات اليهود المغاربة، وقد ترك مسقط رأسه الصويرة، وذهب ليستقر بإيطاليا".

(انظر : *"ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب"* لحاييم الزعفراني، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم).

شمعون ليڤي

**الحارة** أو المحلّة أو الربَض تعني تجمعاً سكنياً خارج أسوار المدينة، يسكنها الفقراء والمحترفون، وقد ذكر الحسن الوزان لمدينة فاس - في مطلع القرن العاشر (16 م) - عدة أرباض أو حارات، يقطن في معظمها فقراء القوم، ومنها حارة خاصة بالمجذومين، ولم تكن هذه الحارات خاصة بفاس وإنما كانت توجد خارج مدن أخرى، لا سيما حارة المجذومين الذين يجب عزلهم والتحرز من مخالطتهم تفادياً للعدوى.

**حارة المجذومين بدكالة ← الجذام**




**حارة المجذومين بفاس**، تحتوي هذه الحارة - كما شاهدها الحسن الوزان - على نحو مائتي دار يسكنها المجذومون وحدهم، ولهم رئيسهم الديني الذي يجمع دخل الأملاك الموقوفة عليهم من طرف المحسنين. ويقدم إلى هؤلاء المرضى كل ما هو ضروري لهم بحيث لا يحتاجون إلى شيء.

يقوم الرؤساء بتخليص المدينة من كل مجذوم أو مبروص أو من هو على شاكلتهم من ذوي الأمراض المعدية. ولهم السلطة لإخراج المصابين من المدينة مهما كانت وضعيتهم الاجتماعية وإسكانهم بهذه الحارة. وإذا هلك مجذوم ولم يترك وارثاً آل نصف تركته إلى أهل الربض، ويختص ورثته بالنصف الآخر. وللمجذومين مقبرة خاصة في حارتهم يدفنون بها.

وقد نقص عدد دور ربض المجذومين بعد ذلك فلم يعد في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) يتعدى ستين داراً.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي والأخضر، 1 : 278 ؛ ك. مارمول، *إفريقيا*، تر. م. حجي وآخرين، 2 : 160 - 161 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة*، 81.

محمد حجي

**حارة المجذومين بالقصر الكبير** (أو حارة المجذامين) كانت تقع شمال المدينة في مكان يطلق عليه المنزه، أنشأها يعقوب المنصور الموحدي حين جدد مدينة القصر الكبير وبنى أسوارها ومساجدها وحماماتها. وكانت الحارة محاطة بأسوار مزدوجة مبنية بالطابية (انظر الصورة).

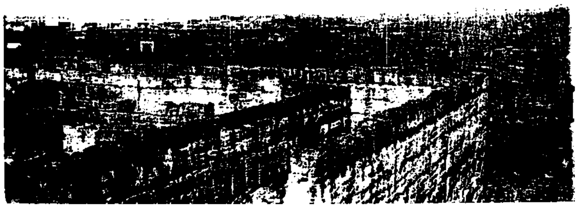


صورة فريدة أخذت مباشرة بعد الاحتلال الإسباني لمدينة القصر الكبير تظهر فيها أسوار حارة ~~المجذومين~~ الجذامى

وحينما احتل الإسبان المدينة سنة 1329 / 1911 وفرضت الحماية قاموا لاحقا ببناء حي بجانبها سموه حي الحارة. ويوجد فيه الآن مركز القوات المساعدة.

م. بوخلفة، *الطريق لمعرفة القصر الكبير*، 1972، ص 39.

محمد أخريف

**حَارة المجذومين بمراكش**، مجال سكني خصص لإواء المصابين بداء الجذام من أهل المدن منذ العصر الوسيط على الأقل. يقع خارج الأسوار منها، انطلاقا من قاعدة عزل المريض عن غير المريض كوسيلة لدفع انتشار المرض، وهو مؤشر على وجود تقاليد لها صلة بالحماية والوقاية خاصة من الأمراض المعدية. ومن المستبعد أن يكون تعيين موقع من محيط المدينة، بهذه المواصفات الجغرافية والوظيفية وليد أفعال تلقائية، والمرجح أنه نتيجة اختيار كان للمخزن نصيب فيه.

عرف محيط مراكش توالي وجود حارتين للمجذومين هما :

الحارة الأولى كان موقعها خارج أسوار المدينة من الجنوب قرب باب أغمات ( *التشوف*، 312)، لا يعرف بالضبط تاريخ نشأتها. وتعود الإشارات المتداولة عنها إلى منتصف القرن السادس (12 م)، من الجائز التساؤل عن طبيعة هذه الحارة، هل كانت بالفعل تشكل حومة مستوفية لكل الشروط الضرورية التي تتطلبها تلبية حاجيات ساكنتها ؟ ولعل الاختيار في الإجابة بالايجاب يبدو أمراً وارداً. إذ يمكن رصد عدة مؤشرات لا تستبعده. انطلاقا من بعض الاشارات الخاصة بها. منها ما يدل على وجود سكن (*التشوف*، 348 / 313). ومنها ما يستشف منه وجود استقرار بشري، لكونها كانت محطة تصوف بارزة، عرفت بتوافد غير منقطع واستقرار مؤقت للمريدين الذين لم يكونوا قلة ( *التشوف*، 312) ومكان له وظيفة استشفائية تتطلب الاستقرار، ومن المرجح أنها كانت تتوفر على مسجد.

لا توفر الإشارات القليلة إمكانية استشفاف المساحة التي كانت تشغلها هذه الحارة، والمكونات المعمارية التي كانت تتضمنها. وهل كانت حياة المرضى القاطنين بها تخضع لتنظيمات خاصة ؟ وهل كانت هناك ضوابط تحدد علاقتهم مع باقي المدينة ؟ ما هي مصادر عيشهم ؟ هل كانوا يستفيدون من أرزاق مخزنية، أو موارد وقفيّة ؟ كيف كان يتم التعامل مع المجذومين من أهل الذمة ؟ ... الخ

من الجائز أيضاً التساؤل عن تخصيص حومة بعينها للمصابين بهذا الداء، إذ من المرجح أنّ في التخصيص علامة كمية تحيل على اتساع دائرة المجذومين، وانتشار الاصابة بالعدوى. فهل كان الوسط البيىء للمدينة، ووجود أحوال الخوف بين قسم من ساكنة مراكش من وراء إنشاء هذا الإطار الاستشفائي ؟

الحارة الثانية : كان موقعها أيضاً خارج الأسوار، لكن في جهة الغرب أمام باب دكالة، ومن المرجح أن ظهورها يعود إلى زمن حكم الشرفاء السعديين، واستمر وجودها إلى بداية القرن الرابع عشر (20 م)، حيث قدر الطبيب رينو P. Raynaud عدد المرضى بها مع عائلاتهم سنة 1902 بحوالي 200 إلى 300 فرد. ما يقرب من المائة منهم كانوا قد قدموا إليها من نواحي الجديدة (G. Deverdun, *Marrakech*, T. 1, pp. 589 - 590).

وقد أشار رونو إلى توفر هذه الحارة على مسجد وسوق وسجن، وتنظيم داخلي خاص بسكانها، تحت إشراف مخزني (رسالة مخزنية مؤرخة بـ17 رمضان 1281هـ) وكان المصابون يباشرون بأنفسهم حرث أراضيهم وحقولهم (*Marrakech*, t. 1, 590)، كما تحدث عن وجود إقامة فيها خاصة بالمجذومين اليهود مع بيعة لممارسة عبادتهم (*Marrakech*, t. 1, 590).


ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، البيضاء، 1984.

Gaston Deverdun, *Marrakech*, T. I, Rabat 1959.


محمد رابطة الدين

**الحارث**، قبيلة كبرى ضمن اتحادية سفيان الجُشمية الهلالية التي أنزلها الخليفة الموحدي يعقوب المنصور بسهل تامسنا إلى جانب الخلط وبني جابر ( *العبر*، 6 : 27)، وتعتبر قبيلة الحارث أو الحَرث - بحذف حرف المد - النواة الصلبة لاتحادية سفيان التي كانت لها الزعامة والقيادة في جُشم طيلة العهد الموحدي، ولما ضعفت الدولة الموحدية دخلت سفيان في صراع ومنافسة مع قبيلة الخلط التي انتقلت إليها الزعامة في عهد بني مرين، وازدادت أسهمها وحظوتها بمصاهرة سلاطين بني مرين لها. فاندحرت سفيان حتى إن الحارث أصبحت هي البارزة على مسرح الأحداث، وبقيت في الواجهة تصارع من أجل استرجاع ما ضاع لسفيان من امتيازات ومن أراض خصبة في تامسنا، وتستغل ظروف بني مرين الصعبة خاصة في الأندلس أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق محاولة استعادة سيطرتها على المناطق التي فقدتها، وتعيث فساداً بقطع الطرق والتعرض للقوافل ومهاجمة التجمعات السكنية ... فاضطر السلطان يعقوب إلى تقديم محاربتهم عن غيرهم : "ونهض السلطان من مراكش في 3 شوال عام 677 (17 فبراير 1279) وفرّ مسعود بن كانون (السفياني) وجموعه أمام السلطان فانتهب معسكرهم وحللهم واستباح عرب الحارث من سفيان" ( *الاستقصا*، 3 : 50) ورغم ما حل بالحارث من هزائم واضطهاد فإنها لم تستسلم وبقيت تشاغب وتتنقل ما بين سوس والتخوم الصحراوية جنوباً وبلاد حاحة وأسفي شمالاً. وامتد عيثهم وطغيانهم ليشمل مدينة مراكش وضواحيها خاصة بعد ضعف الدولة المرينية وتصارع أمرائها ومشايخها على السلطة : "فلما استبد سلطان مراكش الأمير عبد الرحمان بن أبي يفلوسن علي ابن السلطان أبي علي (سنة 776 / 7 - 1378 م) استخلصهم ورفع منزلتهم واستقدمهم بعض أيامه للعرض بفرسانهم ورجلهم على العادة وشيخهم منصور بن يعيش من أولاد مطاع وتقبض عليهم أجمعين وقتل من قتل منهم وأودع الآخرين السجن..." ( *العبر*) وبذلك اندثرت قبيلة الحارث الأم لتحل محلها البطون والفروع وأهمها أولاد مطاع.


ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1959، ج.6 ؛ ل. ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، المحمدية، 1976 ؛ *نفاضة الجراب*، القاهرة، د. ت؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954.


محمد حجاج الطويل

أولاد **الحارثي**، من أهل فاس - كما جاء في *إزالة الالتباس* - وأصلهم من قبيلة الشياظمة، أهل ثروة وتجارة ومال ومعاش وحرفة، منهم الشيخ علي بن محمد الحارثي دفين حومة الرميلة من فاس ممن كان يشار إليه بالخير والصلاح، وتوفي سنة عشرين وألف (1601) أو بعدها. وذكر في الأخير أنه وقف بعد مدة على ما يدل على أن أولاد الحارثي أصلهم من الأندلس. ولم يشر إلى قبيلة الحارث المذكورة قبلُ.

**الحارثي، أحمد** بن عمر السفياني المكناسي، الشيخ الكبير، والصوفي الشهير، قال عنه ابن عسكر في *الدوحة*: "من الأكابر الذين لهم التصريف الرباني، صحب الشيخ القطب مَحمد ابن سليمان الجزولي وأخذ عنه فهدى الله به أمة عظيمة، ومشايخ التصوف يعظمونه غاية التعظيم ويثنون عليه الثناء الجميل".

كان في بداية أمره شيخ قبيلته سفيان ورئيسهم، كريماً مضيافاً. استضافه يوماً جماعة من أصحاب الشيخ الجزولي فأضافهم وأكرمهم غاية الإكرام، ولما أرادوا الانصراف جمع ماله من ماشية وغيرها وذهب بذلك معهم إلى الشيخ. فقبل ماله وأعرض عنه، فتوجه الحارثي إلى مكناس وأقام بها يتعيش في كفاف إلى أن بعث الشيخ الجزولي أصحابه يبحثون عنه وأمدّهم بمال اشتروا له به داراً وأصلحوا حاله "فسرت في الناس نفحة أقبلوا بها إليه من الجهات، وظهرت له البركات، واشتهرت عنه الكرامات".

أخذ عن الشيخ أحمد الحارثي جمهور من الصوفية في مقدمتهم الشيخ الكامل مَحمد ابن عيسى الفهدي (شيخ الطريقة العيساوية)، وعمرو الحصيني صاحبا الضريحين الشهيرين بمكناس.

توفي الشيخ الحارثي بمكناس في العشرة الأولى من القرن العاشر في حدود 905 / 1499 وقبره مزارة كبرى بمكناس، وعنده مسجد مهيّأ للعبّاد والزهاد.

م. ابن عسكر، دوحة، 74 ـ 75 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، 35 ـ 36 ؛ مؤلف مجهول، *تمسك الفقير الحقير بطريقة الولي الشهير الخطير سيدي مَحمد بن عيسى الكبير*، مخطوط.

محمد حجي

**الحارثي**، قائد إزاجن : عرّفنا به برنار رودريگيث البرتغالي في مؤلفه *حوليات أصيلا* من غير الإدلاء باسمه الشخصي، ولم نتمكن من تعويض هذا النقص من مصادرنا. يبدو أن القائد كان من مساعدي محمد الشيخ الوطاسي ضد فاس الجوطية، فتم تعيينه على ناحية مصمودة بمركزها مدينة إزاجن، ثم أصبح مكلفا بالنيابة عن الشيخ الوطاسي لمباشرة شؤون الشمال الغربية مع البرتغاليين.

ظهر القائد الحارثي أول مرة إثر احتلال البرتغال لكل من أصيلا وطنجة، حين كلفه محمد الشيخ ببحث بنود الهدنة الموقعة يوم 7 صفر 876 / 24 غشت 1471. باشر الهدنة مع حاكم أصيلا النائب عن الفونص الخامس وتم توقيعها لمدة عشرين سنة، مقتضاها السيطرة البرتغالية على حوزي أصيلا وطنجة وإخضاع المستقرين بهما لأداء المغارم.

كلف محمد الشيخ قائده الحارثي مرة ثانية سنة 906 / 1500 بعد أن استوفت الهدنة المنصرمة مدتها عام 897 / 1491 لبحث الهدنة على أساس جديد يرمي إلى إلغاء النفوذ البرتغالي عن حوزي أصيلا وطنجة المخول لهما بمقتضى الهدنة السابقة، وهو ما لم يقبله حاكم أصيلا البرتغالي ولم يتنازل عنه المفاوض المغربي، وبذلك كُلف الحارثي بنقل جميع المغاربة المستقرين بالحوزين إلى جهة القصر الكبير جنوب واد المخازن.

وللحارثي دور في الحركة الجهادية بالشمال الغربي التي قادها أهل المدن والسلطان محمد الوطاسي البرتغالي ضد أصيلا وطنجة. ابتدأ دوره بإلحاق مدينة إزاجن ضمن المراكز الجهادية إلى جانب المراكز الهبطية. وبناء على ذلك ساهم الحارثي باستمرار في الحركات التضامنية التي قادها حكام المدن الشمالية الغربية من إقليم الهبط إلى جانب علي المنظري حاكم تطوان وعلي ابن راشد العلمي حاكم شفشاون وطلحة العروسي حاكم القصر الكبير وعلي ابن شقرون وأمين الغرناطي حاكمي العرائش على التوالي، وذلك إلى غاية 922 / 1516. كما أنه شارك في الحملات السلطانية التي قادها محمد البرتغالي ضد أصيلا ما بين سنوات 1508 و1516. وابتداء من هذا التاريخ توارت عنا أخباره.

ح. الفكيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور المحتلة*، أطروحة مرقونة بكلية الآداب، الرباط 1991.

Bernardo Rodrigues, *Anais d'Arzila*, t. I.

حسن الفكيگي

**الحاري، إبراهيم** (مولاي ـ) بن مَحمد بن إبراهيم المراكشي. الأستاذ الشاعر. وُلد عام 1357 / 1938 بمدينة مراكش بحي الحارة ـ باب دكالة ـ وإليه ينسب، ونشأ في بيت دين وعفاف. تلقى القرآن الكريم عن والده الذي كان له كتّاب قرآني، وعن والدته التي كانت تحفظ كتاب الله العزيز بثلاث روايات : البصري، المكي، وحمزة. وكان لها هي الأخرى كتّاب قرآني للنساء.

تلقى إبراهيم تعليمه الابتدائي والثانوي بمسقط رأسه مراكش، ثم حصل على الإجازة من كلية العربية، واشتغل بالتدريس في التعليم الابتدائي والثانوي وتفتقت موهبته الشعرية في سن مبكرة قبيل الاستقلال، فانكب على قراءة الدواوين الشعرية، وحفظ قصائد ومقطعات شعرية لمجموعة من الشعراء جاهليين وإسلاميين وعباسيين ... فتشبع بروح الشعر العمودي، ونصب العداء للشعر الحديث أو القصيدة النثرية. وتطرق في شعره لجل الأغراض الشعرية من مدح وهجاء ورثاء وغزل ... لكن في أخريات حياته أحرق الشعر الهجوي، ولم يُبق منه إلا على قطعتين، وله *ديوان* شعري ما يزال مخطوطاً.

توفي بمسقط رأسه مراكش يوم الأحد ثاني صفر عام 1413 / 2 غشت 1992. ودفن بمقبرة باب الخميس.

*ديوان شعره المخطوط* ؛ أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط ؛ *روايات شفوية*.

أحمد متفكر

**حاسّي**، (يُجمع على حسيان وحواسي) كلمة عامية مرادفة لكلمة بئر تجاوزاً، ويُتداول في عدد من المناطق المغربية الجافة الشرقية والجنوبية الصحراوية منها خاصة، حيث يرد في تسمية العشرات من المواقع التي تطور بعضها إلى تجمعات سكنية بعد أن كانت عبارة عن موارد للسكان والمواشي، ومنها حاسي بركان وحَسْيان الذياب. وأصل هذه الكلمة عربي إذ هي تحريف دارج لكلمة "حسْيُ" وتجمع على أحساء وحساء وتطلق على عدد من الأماكن بشبه الجزيرة العربية مثل الأحساء وأحساء بني سعد وأحساء القطيف وأحساء خرشاف وغيرها. وأصل هذه الكلمة الاحتساء ومعناه نبش التراب لخروج الماء في المناطق القاحلة حيث تختزنه قريبا من السطح في الغالب رواسب فتاتية نفيذة أساسها قعر صلب كتيم، وقد ورد في *لسان العرب* لابن منظور "الحسْيُ سهل من الأرض يستنقع فيه الماء" وكذلك "غلظ فوقه رمل يجتمع فيه ماء السماء، فكلما نزحت منها دلوا جمت أخرى" وكذلك "الرمل المتراكم أسفله جبل صلد، فإذا مُطر الرمل نَشف ماء المطر، فإذا انتهى إلى الجبل الذي أسفله أمسك الماء ومَنع الرملُ حرَّ الشمس أن ينَشِّف الماء، فإذا اشتد الحر نُبث وجهُ الرمل عن ذلك الماء فنبع باردا عذبا ..." ويتضح أن خصائص الأماكن التي تحمل هذا الاسم في المشرق والمغرب تؤكد هذا خلافا للبئر.

*بحث ميداني.*

**حاسي بركان**، مركز صغير يقع في الجانب الشرقي للطريق الثانوية رقم 412 الرابطة بين مدينة الناظور التي تبعد بحوالي 35 كلم شمالا ومدينة العيون التي تبعد بحوالي 50 كلم جنوبا. يتركب من كلمة "حاسي" وهي تحريف لكلمة "حسْيُ" العربية التي تعني البئر تجاوزاً وكلمة "بركان" أوَ أبرْشان وهي أمازيغية تعني الأسود. وأصل الاسم مغارة يوجد بها حسْيُ ينبع ماؤه من صخر أسود اللون خلافا لبئر ينبثق ماؤه من صخر أبيض يسمى "أنو أملال" (البئر البيضاء) يوجد قريبا في الناحية الغربية. وقد دخلت إدارة الاحتلال الإسباني إلى حاسي بركان سنة 1914 فجعلت منه مركزاً استعماريا لمراقبة قبائل بني بويحيى ؛ وهاجمت هذه القبائل المستعمر الإسباني بهذا المركز فألحقت به هزيمة فادحة سنة 1921.

يقع هذا المركز على ارتفاع 400 متر بين مجموعة من التلال المنتشرة ويعد في الهامش الشمالي لسلسلة جبال بني إزناسن على مسافة حوالي 13 كلم شمال غرب سد مشرع حمادي المشيد على وادي ملوية، موقعا استراتيجيا على أقصر طريق تربط مدينة الناظور التجارية والحدودية بالطريق الرئيسية رقم 1 التي تربط بين مدينة وجدة ومدينة الدار البيضاء. ولعل هذا ما جعل نسبة هامة من سكان حاسي بركان يشتغلون في قطاع النقل سائقين ينقلون الأشخاص والبضائع، بينما بقي النشاط الفلاحي للسكان هامشيا يشمل الرعي الواسع والزراعة البورية الاحتمالية في وسط قاحل زاده الاجتثاث الذي شجع عليه المستعمر الإسباني.

يتكلم سكان حاسي بركان ونواحيها الأمازيغية بلهجة ريفية (بني بويحيى عموما) وكذلك العربية (بني وكيل خصوصا). ويلاحظ أن للزوايا تأثيراً في الحياة الروحية للسكان (القادرية، والعلوية بالخصوص).

بلغ عدد سكان جماعة حاسي بركان 10.534 نسمة سنة 1960 ليصبح 12.014 سنة 1971 ثم 12.109 سنة 1982. ويؤكد هذا التطور الضعيف لعدد السكان إحصاء سنة 1994 الذي سجل ما مجموعه 12.915 نسمة للوحدة المجالية نفسها التي انقسمت إلى جماعة حاسي بركان (8.483 نسمة) وجماعة أفسو (4.432 نسمة). ويعزى هذا الركود السكاني إلى الهجرة الداخلية (نحو المدن والمراكز المجاورة) والهجرة إلى بلدان أوربا الغربية (هولندا وألمانيا خاصة وكذلك إسبانيا مؤخرا). ويلاحظ هذا الركود على المركز نفسه الذي لم يستفد كثيراً من موقعه إذ بقي هامشيا يضم بقايا بعض البنايات الموروثة عن المستعمر الإسباني مثل الثكنة العسكرية والسجن وبعض مقرات الإقامة والإدارة بعضها مهجور والبعض الآخر يستعمل سكنا وظيفيا لبعض الموظفين الوافدين.

لم يعرف هذا المركز إلا توسعا محدوداً للنواة القديمة وللنواة الجديدة التي تبعد عنها بحوالي 500 متر والتي ظلت إلى حدود السبعينات تحتوي فقط على مقهى ومحطة بنزين بجوار الطريق. ولقد ظهر السكن الاقتصادي الحديث حاليا متراصا ومتجمعا حول النواتين بطابق واحد أو طابقين إلى جانب بضعة محلات للتجار والحرفيين. ويشتمل المركز على مسجد ومستوصف بطبيب واحد وممرض واحد، وعلى مكتب بريدي ومجموعة مدارس وسوق أسبوعية تعقد أيام الأربعاء.

*بحث ميداني.*

عبد الرحمان الحرادجي

أولاد **الحافظ**، أو حافظ ـ بدون تعريف ـ من قبيلة الشراردة لهم ذكر بفاس ـ حسب *إزالة الالتباس* ـ وهم أهل معاش وحرفة.

**الحافظ، إدريس** بن عبد الرحمان الدليمي الشرادي، قائد أيام الحماية، متشبع بالروح الوطنية، وُلد سنة 1318/ 1900 بقرية الحافظ الموجودة بمشيخة العناترة، قيادة زكوطة، دائرة سيدي قاسم. ولاه السلطان محمد بن يوسف قائداً على قبيلة الشراردة بظهير مؤرخ في ثالث شعبان 1342. وأضيفت له بمقتضى الظهير المؤرخ في 21 ربيع الثاني من عام 1349 قبائل "زرارة والشبانات وتكنة من الشراردة". وقد كان من القواد المؤيدين لسياسة محمد الخامس الوطنية، رافقه خلال زيارته التاريخية لطنجة سنة 1947 "وكان بجانبه عند إلقائه تلك الخطبة الشهيرة التي أصبحت برنامجا للكفاح الوطني. (*كلمة التأبين* التي ألقاها أحمد ابن سودة). وشجع إنشاء المدرسة الحرة "الحسنية" بسيدي قاسم، التي أشرف ولي العهد آنذاك، الأمير مولاي الحسن، على تدشينها يوم 26 شتنبر 1946، والتي أسهمت في نشر أفكار الحركة الوطنية بالمدينة، وتكوين الشباب القاسمي.

كان القائد الحافظ من المسؤولين الذين نددوا بخلع السلطان الشرعي ونفيه، الأمر الذي أدى إلى عزله حسبما ورد بجريدة *السعادة* التي أخبرت في عددها 8663 بتاريخ 21 يناير 1953 بـ : "إقالة خمسة رؤساء مغاربة من وظيفهم" كان منهم : "السيد إدريس بن عبد الرحمان الحافظ قائد الشراردة (سيدي قاسم)". وقد تم العزل المذكور بموجب ظهير وقعه محمد ابن عرفة بتاريخ 29 حجة عام 1372 ورد فيه : "أننا عزلنا خديمنا القائد إدريس بن عبد الرحمان الدليمي من الولاية على الشراردة بسيدي قاسم وأسندنا النظر فيها لغيره، فليتخل عنها".

ونظراً لموقف القائد الحافظ من السياسة الاستعمارية، مُنع من السكنى بسيدي قاسم، وفرضت عليه الإقامة الإجبارية خارجه لمدة سنتين، لم ترفع إلا بعد عودة محمد الخامس إلى عرشه. وكان القائد الحافظ ممن استقبلهم السلطان المذكور بسان جرمان آن لاي Saint Germain (En-Laye بعد عودته من منفاه. وأرجعه السلطان إلى منصبه قائداً على الشراردة بظهير مؤرخ في 20 شعبان من سنة 1375 / 2 أبريل 1956، وهو المنصب الذي بقي به إلى أن طلب إعفاءه لأسباب صحية في أبريل 1958.

توفي يوم 3 جمادى الأولى عام 1401 / 9 مارس 1981، ودفن بسيدي قاسم.

*مجموعة ظهائر ووثائق في حوزة ورثة الحافظ* ؛ جريدة *السعادة*، عدد 8663 بتاريخ 21 يناير 1953 ؛ يومية *L'Opinion* عدد 6654 بتاريخ 2 نونبر 1984، بمناسبة الاحتفال بذكرى عودة المغفور له محمد الخامس إلى سان جرمان، حيث تظهر صورة المترجم له مع المغاربة المستقبلين لمحمد الخامس ؛ *الخطاب الذي ألقاه ولي العهد*

الأمير مولاي *الحسن* بمناسبة تدشين المدرسة الحسنية بسيدي قاسم" المطبعة المحمدية، الرباط.

أحمد بوشرب

**الحافظي، أحمد** بن **العبدي** من أكبر قواد عبدة، تولى قيادة الربيعة بعد نكبة قائدها أحمد بن العياشي العبدي الذي كان معدوداً آنذاك من أحسن القواد سيرة وأبعدهم صيتا حسبما ذكره الكانوني (*جواهر الكمال*، ص. 34)، وقد عيّن السلطان مولاي الحسن أحمد بن العبدي الحافظي قائداً على إخوانه من قبيلة الربيعة سنة 1879 فاستطاع خلال مدة قيادته أن يحظى بثقة المخزن وان يضبط شؤون القبيلة التي كانت أراضيها تعتبر من أخصب أراضي عبدة، وصفها الكانوني بقوله "وأحسن تراب عبدة الربيعة" (*أسفي وما إليه*، 170).

دامت ولاية أحمد الحافظي على القبيلة ثمان سنوات، حيث وافته المنية سنة 1305 / 1887 فخلّف عدداً كبيراً من رؤوس الماشية على اختلاف أنواعها، وعدداً كبيراً من الأسلحة والعتاد، وبعض العبيد، بالإضافة إلى كمية هائلة من الحبوب والزرع حسبما تركته العدلية، ويعود تاريخ هذه التركة إلى 4 ربيع الثاني عام 1305 / 1887.

*كناش تركة بعض القواد*، خ. ح رقم 96.

**الحافظي، الشافعي** بن **العبدي**، تولى منصب قيادة الربيعة من عبدة بعد وفاة أخيه القائد أحمد سابق الترجمة، وذلك سنة 1305 / 1887. وبعد أن أخلص لجانب المخزن وقدم بيان تركة أخيه القائد أحمد. نعمت القبيلة في عهده بالرخاء واستأثرت بالنصيب الأكبر من حيث الإنتاج الفلاحي بالرغم من أنها لا تمتد على مساحة كبيرة، وقد بلغ خرص القبيلة سنة 1309 / 1891 ما مجموعه : 2.558 خروبة مراكشية من القمح، و2.180 خروبة من الشعير، في حين أن باقي قبائل عبدة لم يتعد خرصها 559 خروبة من القمح و426 خروبة من الشعير (*كناش خرص الربيعة* 1309. خ. ع رقم 406) وهذا يوضح المكانة التي كانت تحتلها قبيلة الربيعة وقائدها الشافعي الحافظي ضمن مجال عبدة.

وفي السنوات الأخيرة من ولاية القائد الشافعي بدأت تظهر عليه بعض التجاوزات مما جعل المخزن يراقب تصرفاته، وجعل قائد البحاترة آنذاك عيسى بن عمر العبدي عيناً عليه، وهذا ما تشير إليه بعض المراسلات المخزنية نورد بعضها على سبيل المثال : "... أن الخادم عيسى بن عمر، أخبرنا أنك منعت الشيخ مبارك بن البحاتري من استغلال أراضيه التي كان يستغلها منذ فترة أخيك، وبالضبط مند عشرين سنة مضت، وأنت الآن تحاول منعه منها، وعليه فنأمرك أن تبين الأسباب التي دفعتك لهذا العمل ازاء الشيخ المذكور". كما بعث السلطان مولاي الحسن إلى القائد عيسى بن عمر رسالة يستخبره فيها عن حالة أحد الأشياخ من إيالة القائد الشافعي الحافظي.

وبسبب هذه التجاوزات، وخلال الأحداث التي هزت الحوز عموما وقبائل عبدة على وجه الخصوص إثر وفاة السلطان مولاي الحسن وتولية ابنه مولاي عبد العزيز من طرف الوزير الوصي احماد ابن موسى سنة 1894. قامت قبيلة الربيعة ضد القائد الشافعي بن الحافظي الذي كان غائبا في مأمورية مخزنية إلى فاس. ويشير الكانوني في مخطوطه إلى ما أحدثته القبيلة بقائدها المذكور بقوله : "... فهدموا داره وهتكوا حريمه، وفعلوا الأفاعيل التي تستحيي منها الإنسانية" (مخطوط، علاقة *أسفي*، ص 108).

وكانت مدة ولاية القائد الشافعي الحافظي على الربيعة سبع سنوات، عرفت بعدها قبيلة الربيعة وضعاً آخر، حيث أدمجت في إيالة القائد عيسى بن عمر العبدي الذي استأثر بقيادة كل مكونات عبدة.

*كناش خرص الربيعة*، 1309، مخطوط خ. ح. رقم 406 ؛ *وثائق خ. ح* ؛ م. الكانوني، *علاقة أسفي*، مخطوط، ص 108.

المصطفى فنيتر

**الحافي**، أسرة سلوية نابهة، تنتسب إلى قبيلة الحافات بالسراغنة. لا يعرف تاريخ بداية استيطانها بمدينة سلا، على أنها كان لها شفوف وحظوة بها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 و19 م). وقد أنجبت عدداً من الفقهاء والمدرسين والعدول ورؤساء البحر. وتعد أسرة الحافي - اليوم - في عداد الأسر المنقرضة من سلا ومن أشهر أفرادها :

**الحافي، أحمد** بن **عاشر** - اسماً واحداً - بن عبد الرحمان السلوي، فقيه عالم مدرس ومؤلف. ولد بسلا في رمضان عام 1091 / شتنبر 1682 وقرأ القرآن على شيخه محمد بن عبد السلام مَرْصُو بكتّاب زركالة من حومة الطالعة بمدينة سلا، وابتدأ قراءة الأجرومية على يد أبي البركات ابن عبد السلام مرصو، شقيق شيخه الأول - وهما من جبل العلم - ، ثم تلقى العلم على يد كبار شيوخ سلا وفاس ومكناس. أخذ عنهم الفقه والحديث والتفسير والمنطق والحساب وغيرها. وقد ترجم أحمد بن عاشر الحافي لشيوخه في *فهرسه*، منهم أحمد بن ناجي السجلماسي، وأبو بكر الفرجي السلوي، ومحمد بن عبد الرحمان ابن زكري الفاسي وغيرهم. ونشير إلى أن الحافي لازم كذلك الأخوين أحمد ابن عبد القادر التستاوتي، والعياشي بن عبد القادر التستاوتي، وأخذ عنهما الطريقة الناصرية. وتجدر الإشارة إلى أن المصادر التي ترجمت للحافي اهتمت أساساً بهذه المرحلة من حياته، لا سيما وأنه ألف خلالها أشهر تراثه

الفكري : *تحفة الزائر في مناقب الحاج أحمد بن عاشر*، *والفهرس*.

أما التحفة فهي عبارة عن دراسة مفصلة لسميّه الشيخ أحمد بن عاشر الجزيري السلوي المتوفى عام 765 / 1364 ؛ في حين يضم *الفهرس* معلومات مفيدة عن عدد من علماء القرن الثاني عشر (18 م) ومادة تاريخية تتعلق بالمؤلف في الفترة الأولى من عمره، وهي الفترة التي سكتت عنها المصادر التي ترجمت له. ومن جهة أخرى، فإن أحمد بن عاشر الحافي كان مولعاً بالتقييد، حيث ترك لنا عدة *كناشات علمية* تضم فوائد تاريخية، ومساجلات أدبية.. ومازالت بعض منتسخاته محفوظة بالخزانة الصبيحية بسلا، والخزانة العامة بتطوان، والخزانة الحسنية بالرباط. ونشير إلى أن *كناشات* أخرى للحافي أشارت إليها بعض المصادر تعد ـ اليوم ـ في عداد المفقود. وقد انتسخ الحافي بخطه الجميل *شرح الأجرومية* للمكودي في 16 ربيع الأول عام 1107 هـ بمدينة سلا، *ونزهة الناظر* لأحمد بن عبد القادر التستاوتي، ودوحة *الناشر* لابن عسكر، وجزءاً من *مغني اللبيب* لابن هشام وغيرها.

استخرج الحافي بعض الكتب من مسوداتها، منها *حاشية شيخه ابن زكري الفاسي على صحيح البخاري*، وانتهى منها يوم الأربعاء عاشر شعبان 1147 بمدينة سلا. إلى جانب ذلك قرظ الحافي بعض مؤلفات علي العكاري (الحفيد) منها : *الدرر المفصلة في شرح البسملة والحمدلة* ؛ *والمقصد الأسنى في الدعاء بالأسماء الحسنى* ؛ وجوهر *القلائد في ذكر نبْذة من العقائد*، كما كتب تقريظا على كتاب *منهاج التوضيح لمسائل صلاة التسبيح* لمحمد الهاشمي اشكلانطو.

وقد نال الحافي إجازات من عدة شيوخ كمسعود بن محمد جمّوع الفاسي في أواسط شوال عام 1118، ومحمد ابن عبد السلام بناني، ومحمد بن أحمد المسناوي الدلائي، ومحمد بن عبد الرحمان ابن زكري الفاسي وغيرهم.

توفي بمسقط رأسه سلا عام 1163 / 1750 ودفن على بعد حوالي مائة متر من ضريح سميه الشيخ أحمد بن عاشر الجزيري في اتجاه القبلة، وقبره عليه حوش كبير، تم تجديده مؤخراً.

**الحافي، عبد اللطيف** بن عبد الرحمان تولى عمالة سلا عام 1217 على إثر اعتراض السلويين على تعيين عبد القادر بن الغماري الحسناوي عليهم وقالوا : "لا يحكم فينا إلا من كان منا، واتفقوا على عبد اللطيف الحافي" ( *تاريخ الضعيف*، 2 : 604) وقد بعث المولى سليمان محمد بن عبد السلام البخاري المدعو السلاوي وولاه على العدوتين وأمره بالقبض على الحافي والحسناوي فاعتقلا ثم أطلق سراحهما. واشتغل عبد اللطيف الحافي في آخر عمره في ميدان النقل البحري سنة 1229 / 1813.

**الحافي، علي** من أقران أحمد بن عاشر الحافي ورفيقه في الدراسة، قرأ على الشيخ محمد بن عبد الرحمان ابن زكري الفاسي بمدينة سلا ( *الفهرس*، 44).

**الحافي، محمد** بن عبد الرحمان شقيق أحمد بن عاشر، كان عاملاً بمدينة سلا قبل عبد الحق فنيش الشهير الذي ولي العمالة في عهد السلطان عبد الله بن إسماعيل، وصدر من عهد محمد بن عبد الله. إلى جانب ذلك، أسندت لمحمد بن عبد الرحمان الحافي مهمة سفير بمالطة قصد إحصاء الأسرى الأتراك بها، وقد أصابته ورفاقه في السفارة محنة بسبب سوء التصرف في مال الفداء، واختفوا مدة بالشرق، ورجع محمد الحافي إلى سلا قبل سنة 1176 / 1762 وخلف ذرية بها.

**الحافي، المكي** فقيه مشارك قرأ على الشيخ علي العكاري ولازم مجالسه العلمية بالمسجد الأعظم بمدينة سلا، وكان أميناً بمرسى العدوتين سنة 1226 / 1811.

أحمد بن عاشر الحافي، *الفهرس*، تح محمد السعديين، رسالة، د. د. ع، بكلية الآداب بالرباط، 1991 ؛ *تحفة الزائر*، تح، مصطفى بوشعراء، 1988 ؛ *كناشة* خ. ص، رقم 868 ؛ أحمد بن عبد القادر التستاوتي، *نزهة الناظر*، مخطوط خ. ع. بتطوان، رقم 11، ص 248 - 250 ؛ العياشي التستاوتي، مجموع خ. ع. ك. 309، ص 303 وما بعدها ؛ م. ابن زكري الفاسي، *حاشية على صحيح البخاري*، خ. ح، 11149 ؛ علي الكعاري (الحفيد)، *البدور الضاوية*، مخطوط خ. ع. 88 د، ص 28 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح م. البوزيدي، 2، 604 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح مصطفى بوشعراء، 115 ؛ *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط خ.ع. 11 د، ص 69 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 466 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، ط. 1986، ص 116 - 117 ؛ ج. كوستي، *بيوتات سلا*، تح نجاة المريني، 130 ؛ عبد الله الصبيحي، *كناش خاص*، 143.

K. Brown, *An urban view of Moroccan history, Salé, 1000 - 1800. H.T*, vol. XII, 1971, p. 63 - 67.

محمد السعديين

**الحالة المدنية** بالمغرب تعرّف "الحالة" تعريفات متعددة ومختلفة، يمكن الإعراض عنها والقول بإيجاز : إن "حالة شخص" هي مجموع صفات (qualités) يأخذها القانون في الاعتبار ليرتب عليها آثاراً قانونية أو ليربط بها حقوقاً والتزامات، أو هي كل حالة من حالاته على حدة والوضعية التي ترتبط بها. وقد حاول البعض، وهو يعالج الحالة في القانون الفرنسي، تعريفها قائلاً : إن المؤلفين الذين عرّفوا حالة الأشخاص لفتوا الأنظار إلى مظهرها المزدوج :

1 ـ فالبعض ألحّوا بالخصوص على كون الحالة طريقة

للوجود بالنسبة للشخص. وتتكون باجتماع الصفات التي تخصه بالنظر لبعضْ مؤسسات القانون الفرنسي. فبالنسبة لتشريع الجنسية يكون فرنسياً أو أجنبياً ؛ وبالنسبة لقواعد الزواج والتطليق وفصل الأجساد يكون اعزب أو متزوجاً أو مطلقاً أو أرملاً ؛ وبالنسبة لقواعد النسب يكون ولداً شرعياً أو طبيعياً أو متبنى ... ومزج هذه الصفات المتعددة وتفاعلها يمكن أن يعطي "حالات مختلفة".

2 - والبعض الآخرون ركَّزوا على المظهر الاجتماعي للحالة أكثر من تكوينها فأوضحوا أنها قبل كل شيء وضعية أو مركز الشخص في الحياة القانونية، وبعبارة أخرى انها النظام (Statut) الذي يخضع له.

لكن المظهرين السابقين للحالة لا ينفصلان ؛ لأن الوضعية القانونية للشخص محددة بالصفات التي يحوزها. ثم ان التعبير عن الحالة في الفرنسية يكون باستعمال الفاظ متعددة هي : Statut, Situation, Position, Etat، والأمر في الحقيقة لا يتعلق "بحالة" بقدر ما يتعلق "بوضعية". وهذه الوضعية لا تتكون من حالات دائماً ؛ "فالنسب" مثلاً عنصر جوهري في حالة الشخص لكنه ليس صفة أو حالة وإن أمكن وصف ولد بأنه شرعي أو طبيعي أو متبنى ... "والاسم" عنصر لا غنى عنه للشخص وللسلطة العامة ولكنه ليس حالة أوصفة وإنما مرجع الصفات والحقوق والالتزامات والمجد والعزّ أو السقوط والذلة.

وهكذا نرى أن "الحالة" ليست صفة أو صفات بقدر ما هي "وضعية قانونية" خاصة بكل شخص تُعد بمثابة عشّ قانوني له يتكون من مجموعة عناصر. لكن غلب استعمال لفظ "الحالة" الذي يميز فيه بين "الحالة العامة أو الجنسية" وبين "الحالة الخاصة أو الحالة المدنية". بالرغم من أن الحالة العامة تتولد غالباً عن الحالة الخاصة أو عن أهم عنصر فيها وهو "النسب". ونجمل القول فنقول : إن الحالة لا عمومية فيها ولاخصوصية. وانما هي ما يسمى "الأحوال الشخصية" في جانبها الموضوعي والتوثيقي، لكننا نحن في المغرب لا نقصد بها إلا الجانب التوثيقي، بل بعضاً من الجانب التوثيقي فقط، وهو الذي يتولاه من يسمون ضباط الحالة المدنية، أما البعض الآخر فيتولى توثيقه من يسمون بالعدول وقضاة التوثيق والصُوفْريم أو العدول العبريين، ولما يجمع بعد هذا التوثيق في يد واحدة بالرغم من بعض الجهود التي بذلت في هذا الاتجاه.

أهمية الحالة المدنية (توثيق الوضعية الشخصية) : لتوثيق الوضعية المدنية الشخصية أهمية بالغة في الحياة المعاصرة، بالنسبة للفرد وبالنسبة لبقية أفراد المجتمع. وبصفة خاصة بالنسبة للدولة. فهو يحدد هويات للأفراد ويقيم النظام داخل العائلات وفي المجتمع. فسجلات الحالة المدنية :

1 - تعتبر أجهزة استعلام بالنسبة للأمن بمعناه الواسع ؛

2 - وتفيد في إعداد لوائح بأسماء الشباب الممكن دعوتهم للخدمة العسكرية ؛

3 - كما تسير إعداد اللوائح الانتخابية ؛

4 - لسجلات الحالة المدنية وظيفة إدارية تتمثل في تقديم مستخرجات الرسوم التي تتضمنها إلى مختلف الإدارات عمومية كانت أم خصوصية ؛

5 - وتعتبر كذلك أجهزة إحصاء تتمكن بها الدول التي تحسن تنظيمها من التعرف على حركة السكان أو وتيرة تطور النمو الديمغرافي فيسهل وضع خطط التنمية ؛

6 - يساهم نظام الحالة المدنية في الحفاظ على أصالة الأمة بالحفاظ على طبيعة الأسماء وخصائصها ونغمها ؛

7 - لسجلات الحالة المدنية أهمية أيضاً من حيث الدراسات التاريخية لأن دراستها تفيد في معرفة تاريخ العائلات.

أصل نظام الحالة المدنية : يُرجع البعض أصل نظام الحالة المدنية إلى 1250 سنة قبل الميلاد. ويقول إن السجلات أو اللوائح التي كانت تدوَّن فيها وقائع الحالة المدنية لعبت دوراً هاماً في المجال العسكري والضريبي في مصر الفرعونية وعند الاغريق وروما فيما بعد. لكن البعض الآخر يذكر أن النظام الذي كان عند الاغريق خاصة في أثينا، لم يكن نظاماً للحالة المدنية وانما كان وسيلة لمعرفة الحالة العامة للمدينة (Cité) أي مواردها البشرية والمالية، دون الاهتمام بالحالة الخاصة للفرد. وهذا الكلام يصدق كذلك على روما فيما بعد. إن معالم الحالة المدنية يتعين البحث عنها في الأعراف الكنسية خلال العصور الوسطى، ولا يمكن التحدث عن أي إرث عن القوانين القديمة. والأمر في الحقيقة كان يتعلق بحالة دينية لا مدنية لأن الرهبان كانوا يهتمون بالمراسيم الدينية. وهي 1) التعميد (Baptême) الذي يدخل به مخلوق جديد في جماعة المسيحيين ؛ 2) والزواج الذي يجعل اتحاد رجل وامرأة مشروعاً ومقدساً ؛ 3) والدفن الذي يعتبر الشهادة الأخيرة للإيمان. وهذا الثلاثي هو الذي يفسر حتى اليوم كون رسوم الحالة المدنية ثلاثة : رسوم الولادة والزواج والوفاة. ويرجع تاريخ رسوم الحالة المدنية في فرنسا إلى بداية القرن الخامس عشر، واكتسبت الصفة الرسمية بصدور أمر ملكي (*L'ordonnance de villes* - Cotteret) سنة 1539 (بالنسبة للولادات والوفيات) وأمر ملكي آخر (*L'ordonnance* de Blois) سنة 1579 (بالنسبة للزواج). وكان خاصاً بالكاثوليك دون غيرهم إلى سنة 1787. وبصدور دستور شتنبر 1791 ومرسوم في شتنبر 1792 أصبح هذا النظام لائكياً تتولى إدارة البلدية إمساك سجلاته بدلاً من رجال الكنيسة. وهذا النظام التوثيقي هو الذي ستدخله سلطات الحماية إلى المغرب فيما بعد.

دخول نظام الحالة المدنية إلى المغرب وتطوره فيه : لم يعرف المغاربة نظاماً للحالة المدنية مثل هذا. وكانت الحاجة

إلى إثبات أحوالهم المدنية غير ملحة في الغالب ؛ لأن المجتمع كان قبلياً منغلقاً وذا ثقافة شفوية. وكان الفرد عندما يحتاج إلى مثل هذا الإثبات - كما إذا رغب في إثبات العلاقة الزوجية أو النسب - يلجأ إلى النسابين أو النقباء وخصوصا العدول ليحرروا له ما يسمى شهادة اللفيف. وكان تاريخ الزيجات والولادات والوفيات وغيرها يربط بأحداث وظواهر معينة مثل نشوب حرب وازدياد ابن السلطان ومرور مجاعة ... ولم يكن المغاربة العبريون يختلفون عن نظرائهم المسلمين ؛ فكانوا هم أيضاً يلجأون إلى عدولهم (صوفريم Souffrim) للحصول منهم على تيودات ليدا (Tioudat lida)، وظل الأمر كذلك حتى دخل نظام الحالة المدنية إلى المغرب مع الحماية.

لكن لابد من بعض الإيضاح هنا. فالأجانب الذين كانوا يعيشون في المغرب حتى قبل الحماية بكثير كانوا يعتمدون في إثبات أحوالهم المدنية على رسوم الحالة المدنية التي كان يحررها لهم رهبانهم في المغرب الذين كانوا يتوفرون على كنائيش رسمية لهذا الغرض، كما كانوا يلجأون إلى قنصليات بلدانهم الموجودة في بعض المدن المغربية، غير أن الوصول إلى المكاتب القنصلية لم يكن سهلاً، فقد كان مكلفاً مادياً وصحياً، خاصة أن وسائل النقل كانت منعدمة أو قليلة وضعيفة جداً، مما استدعى - مع تزايد عددهم - تأسيس نظام للحالة المدنية لهم وهو ما قامت به سلطات الحماية.

أول نظام للحالة المدنية أنشئ بالمغرب - غير ما ذكر - نظام طبق منذ سنة 1907 على أفراد الجيش الفرنسي الذي دخل الدار البيضاء ووجدة. ثم صدر ظهير بتاريخ 18 يونيو 1913 (*B.O.* du 11 juillet) مؤسسا نظاماً للحالة المدنية خاصاً بالفرنسيين والأجانب الذين كانوا يقيمون بكثرة بالقنيطرة والمهدية. ويلاحظ على هذا النص أنه لم ينظم طريقة إمساك السجلات ؛ وأنه أسند مهمة ضابط الحالة المدنية لرئيس مكتب المراقبة بالقنيطرة والمهدية المكلف بالاستعلامات ؛ كما قرر قبول التصريحات بالولادات والوفيات فقط من الفرنسيين والأجانب دون غيرهم. ونصَّ على ضرورة الإشارة إلى جنسية الأطراف في الرسم. لكن هذا الظهير لم يكتب له أن يعيش طويلاً لأن أسباب مماته تضمنتها طبيعة أحكامه، وكان لا بد من نص آخر، فصدر ظهير شريف بتاريخ 04 شتنبر 1915(*B.O.* du 6/9/1915) ينظم موضوع الحالة المدنية من جوانب مختلفة (ماعدا الجانب الموضوعي من أحوال الشخص). وما زال يعتبر حجر الزاوية في نظام الحالة المدنية بالمغرب. صدر هذا الظهير بعد تبادل الرأي بين مصالح الإقامة العامة والنيابة العامة بمحكمة الاستئناف بالرباط. فقد رفضت هذه النيابة مشروع الإقامة العامة واقترحت نظاماً بديلاً يطبق على الفرنسيين والأجانب وعلى المغاربة في نفس الوقت، تعلق الأمر بالتصريح بالولادات والوفيات أم اتصل بالزواج ؛ على أن يتم تسجيل زواج المغاربة وطلاقهم في سجل الحالة المدنية المخصص للزيجات بناءً على ملخص لهما يُعد بعد أن يتم توثيقهما بالطريقة التقليدية من قبل العدول. إلا أن الإقامة العامة رفضت مشروع النيابة العامة البديل بدعوى أنه سيثير مشاعر المغاربة الذين لم يتفتحوا بعد على الأفكار الغربية. ثم ما لبث النقاش أن تمخض عن ظهير 04 شتنبر 1915، الذي سمح للمغاربة بالتصريح بولادتهم ووفياتهم فقط. أما الفرنسيون والأجانب فيخضعون له حتى في زواجهم، إجبارياً بالنسبة للأولين واختياريا بالنسبة لغيرهم.

بدأ تطبيق هذا الظهير في النواحي التي كان الأمن مستتباً فيها من منطقة الحماية الفرنسية، وفي فترات متعاقبة. ولم يمدد إلى جميع نواحيها إلاّ سنة 1931. ولم يخضع له المغاربة بشكل منتظم ؛ فلم تكن كل القرارات التي كانت تصدر عن الصدر الأعظم لتطبيق الظهير في هذه الناحية أو تلك تنص دائماً على إمكانية تصريح المغاربة بولاداتهم ووفياتهم. فقد كانت تذكر هذا أحياناً وتلتزم الصمت أحياناً أخرى. بل منعهم من هذا التصريح القرار الصادر بتاريخ 05 يناير 1916 لتطبيق الظهير في مدينتي فاس ومكناس. وبتاريخ 13 شتنبر 1922 صدر ظهير عدل الفصل الأول من ظهير 04 شتنبر 1915 وقضى بأن الحالة المدنية المطبقة فوراً على الفرنسيين والأجانب لن تطبق على الرعايا المغاربة إلا حسب الشروط التي سيحددها فيما بعد قرار للوزير الصدر الأعظم. وصدر هذا القرار بتاريخ 23 دجنبر 1922 ألغى جميع القرارات السابقة المنشئة لمكاتب الحالة المدنية وأنشأ مكاتب بدلها ومكاتب أخرى جديدة، وسمح للمغاربة بالتصريح في جميع المكاتب بولاداتهم ووفياتهم ابتداءً من فاتح يناير 1923، دون السماح لهم بإبرام الزواج أمام الضابط، مالم يتعلق الأمر بزواج مختلط بين طرف مغربي وطرف أجنبي (حسب عمل الإدارة واجتهاد محكمة النقض الفرنسية). ويمكن القول بأنه ابتداءً من هذا التاريخ أمكن للمغاربة التصريح بولاداتهم ووفياتهم لدى ضباط الحالة المدنية إذا رغبُوا. لكنهم لم يكونوا يفعلون إلا قليلاً، ما عدا أفراد الجماعة اليهودية الذين كانوا أكثر إقبالاً عليه.

ونظراً لأهمية نظام الحالة المدنية نادى بعض المغاربة المتفتحين بضرورة استفادة المواطنين منه وضرورة اخضاعهم له. وهذا ما كان أمنية المؤتمر الرابع لفدرالية الجمعيات العلمية لشمال افريقيا، المنعقد بالرباط سنة 1938 ؛ وما طالبت به لجنة العمل المغربي في مخططها للإصلاح سنة 1939. كما أن لجنة لأساتذة معربين ومتقنين للأمازيغية وحدت سنة 1935 طريقة كتابة الأسماء المحلية الشخصية والعائلية وأعدّت فهرساً *(Répertoire)* أبجديا بأسماء المغاربة المسلمين المستعملة في منطقة الحماية الفرنسية يتكّون من 4302 اسم، وعُهد لضباط الحالة المدنية بكتابة

الأسماء وفقه. لكن اندلاع الحرب العالمية الثانية حال دون بحث الموضوع.

ما إن انتهت الحرب حتى استُؤنف التفكير فيه من جديد. وكان هذا بمناسبة إعداد مشروع قانون يتعلق بالوضعية الإدارية للموظفين المغاربة العاملين في الإدارات العمومية. وقد استهدفت سلطات الحماية إخضاع المغاربة لجميع مقتضيات ظهير 04 شتنبر 1915، وجعلت هذا الخضوع إجبارياً لا اختياريا كما كان. غير أن الصدر الأعظم رفض مشروع الإقامة العامة الذي قدمته له سنة 1945 مقدماً مشروعاً مضاداً ذا طابع إداري صرف لا يمس بقواعد الأحوال الشخصية والميراث التي كانت مطبقة أمام محاكم المخزن. وظل الجدل قائماً بين الطرفين ودائراً على تقديم مشروع بديل، وهدد المخزن باستشارة العلماء، لكن سلطات الحماية أصرت على تفاديها، بدعوى أن مثل هذه الاستشارة ستربك العمل بدون داع وتعوق عمليات الإصلاح أو التحديث الذي التزمت به في معاهدة الحماية. كما أن المخزن الذي كان قد قبل تصريح المغاربة بولاداتهم ووفياتهم صار يرفض أن يتم هذا التصريح أمام موظفي سلطات لائكية، مما يفيد أن موقفه كان ينبئ عن توجه سياسي جديد، وهو أمرٌ مفهوم إذا استحضرنا ظروف الأربعينات وتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال. وقد أسفرتْ هذه المجاذبة بين الجانبين عن توافق على أحكام ظهير 08 مارس 1950 (وقرار تطبيقه) الذي أتى بمقتضيات جديدة ومدد العمل بأحكام ظهير 04 شتنبر 1915 إلى المغاربة في ما يتصل بالتصريح بالولادات والوفيات إذا لم تتعارض مع قواعده والاجراءات المتخذة لتنفيذه، كما نصّ الفصل الثامن منه على عدم جواز المساس "بما يجري به العمل من القواعد لدى المحاكم الراجع لها النظر في الأحوال الشخصية والميراث". وهذا الفصل هو الذي لـمّا يزلْ يباعد في المغرب بين نظام الحالة المدنية والأحوال الشخصية بالرغم من أنهما واحد في العمق هو "الوضعية الشخصية أو المدنية للشخص".

صدرت فيما بعد نصوص متعددة تتعلق بموضوع الحالة المدنية لكنها كانت معدلة أو متممة أو ملغية، كما بُدئ في استخدام النظامة (المعلوميات) في بعض مكاتب الحالة المدنية على سبيل التجربة.

في منطقة طنجة الدولية كان يطبق نظام خاص بالأجانب قبل أن يمدد إليها نظام منطقة الجنوب بموجب ظهير 07 يوليوز 1958. كما مدد إلى منطقة الشمال بمقتضى ظهير 21 يوليوز 1959، وهي المنطقة التي كان يطبق فيها نظام إسباني على غير المغاربة - وان استفاد منه بعضهم طوعاً - إلى أن صدر ظهير خليفي بتاريخ 02 فبراير 1954 أنشأ ما سماه كناشاً يقيد في كتاب الباشوات بالمدن والمراقبين بالبوادي ولادات ووفيات المغاربة. لكنه لم يكتب له النجاح أو بالأحرى التطبيق. وألغي بظهير التمديد المشار إليه. أما الأقاليم الصحراوية فقد طبق فيها النظام الإسباني كما كان الأمر في الشمال، ثم طبق فيها النظام القائم الآن في شمالي المملكة مع استرجاعها أواخر السبعينات.

يبقى إذن ظهير 04 شتنبر 1915 (الذي لحقته عدة تعديلات تزيد عن 19 تعديلاً) وظهير 08 مارس 1950 حجري الزاوية بالنسبة لنظام الحالة المدنية الحديث بالمغرب. ويمكن أن نذكر فيما يلي بعض خصائص هذا الظهير الأخير وبعض الخصائص العامة للنظام ككل.

بعض خصائص نظام الحالة المدنية بالمغرب :

1 - أن ظهير 08 مارس 1950 لا يطبق إلاّ على المغاربة من مسلمين وسواهم ولا يستفيد منه الأجانب.

2 - أنه يخص من الحالة المدنية التصريح بالولادات والوفيات دون الزواج وانحلاله الذي تركه الفصل 8 منه لنظام العدول وقضاة التوثيق.

3 - أن هذا الظهير ألزم جميع المغاربة بالتصريح لكنه علّق الإلزام على ما ينصّ عليه قرار تطبيقه. وقد ربط هذا القرار - الصادر بتاريخ 03 أبريل 1950 - الإلزام بالولادات والوفيات التي تخول أو تسقط إعانة عائلية قانونية. لكن أعقاب مَنْ تم تسجيلهم طوعاً أو كرهاً يصبحون هم أيضاً ملزمين بالتصريح. ومن عداهم من المغاربة لهم الخيار في التسجيل وعدمه.

4 - أسند مهمة ضباط الحالة المدنية في حينه إلى الباشاوات والقواد الذين يمثلون السلطة الإدارية المغربية. ثم أضفيتْ هذه الصفة بموجب الفصل 45 من الميثاق الجماعي لسنة 1976 وبعض النصوص اللاحقة على رؤساء الجماعة المحلية وبعض رجال السلطة. وهم وحدهم الضباط اليوم حتى بالنسبة لتطبيق ظهير 04 شتنبر 1915 على الأجانب.

5 - إن رقابة نظام الحالة المدنية أسندها في حينه إلى النيابة العامة بالمحاكم المخزنية - لا المحاكم الأجنبية في المغرب - كما أسند لنفس المحاكم النظر في طلبات اصدار الأحكام التصريحية والنظر في النزاعات المتصلة بالحالة المدنية.

6 - إن الرسوم تحرر بالعربية أو الفرنسية. وبعد تعديل 12 نونبر 1963 غدا تحريرها باللغة العربية فقط، مع نقل الأسماء العائلية والشخصية إلى الأحرف اللاتينية. وهو نفس ما يطبق على المغاربة خارج المغرب بموجب المرسوم رقم 646. 66. 2 المؤرخ في 29 يناير 1970 المتعلق باختصاصات الأعوان الديبلوماسيين والقناصل العاملين بالخارج.

7 - إن هذا الظهير نصّ على ضرورة اختيار كل ربّ أسرة إسماً عائلياً سيعرف به هو وأعقابه من بعده. وقد عدّد المشرع شروط اختيار هذا الاسم في الفصل السادس منه، المعدل بالظهير رقم 65 - 77 - 1 المؤرخ في 19 شتنبر 1977. لكن هذه الشروط يقع ألا تحترم من الناحية العملية.

8 - إنه أسَّس ما سمّاه كناش التعريف والحالة المدنية،

يُضمّن مجموع معلومات تؤخذ من رسوم الولادات والوفيات لأفراد الأسرة ويسلم إلى ربها. وتنقل الأسماء بالأحرف اللاتينية. وهذا الكناش يسلم بدلاً من كناش العائلة المنصوص عليه في ظهير 04 شتنبر 1915 الذي يسلمه ضابط الحالة المدنية للزوجين بعد عقد زواجهما المدني.

9 - لم يشرْ هذا الظهير إلى حجية وثائق الحالة المدنية. ولذا نأخذها من الفصل 14 من ظهير 1915 الذي يعتبرها وثائق رسمية وذات حجية. ما لم يطعن فيها بالتزوير. والإدارة تعتمدها لكن المحاكم لا تعتبرها حجة في الغالب، لا سيما بالنسبة لإثبات النسب.

ويمكن إجمال الكلام عموماً والقول عن نظام الحالة المدنية بالمغرب بأنه :

أ - نظام مزدوج، يخضع الأجانب لظهير 04 شتنبر 1915 فقط الذي تحرر وثائقه باللغة الفرنسية ويخضع المغاربة لظهير 08 مارس 1950 الذي يحيل أحياناً على ظهير 1915. ويخضعون أيضاً لهذا الظهير الأخير بالنسبة للزواج المدني المختلط (ويمكن أن تضيف إلى هذا النظام المزدوج ما يقوم به العدول من توثيق بعض عناصر الوضعية الشخصية للمغاربة مثل الزواج وانحلاله وشواهد الاستلحاق وشواهد إثبات النسب وكفالة طفل ... ولا ننسى كذلك النظام التوثيقي العبري الذي يخص المغاربة العبريين ويتولى تحرير رسومه العدول العبريون (Souffrim).

ب - نظام لائكي رغم أن أساسه كنسي.

ج - نظام يتناول الجانب التوثيقي فقط من الأحوال المدنية دون الجانب الموضوعي.

د - نظام يتميز بطابع تصريحي ؛ فليس للضباط أن يناقشوا من يصرح لديهم بوقائع الحالة المدنية.

هـ - إنه نظام يستلزم الإشارة إلى جنسية الأطراف في الرسم بالرغم من أن وثائق الحالة المدنية لا تثبت الجنسية.

و - إن النيابة العامة المكلفة برقابة تطبيق نظام الحالة المدنية لا تتمتع بسلطة رئاسية (وظيفية) على ضباط الحالة المدنية (كما هو الأمر في فرنسا) ما عدا في الزواج المدني.

ز - إن العديد من فصول الظهيرين، لا سيما ظهير 1915 تجاوزها الزمن.

بعض نصوص نظام الحالة المدنية :

1 - ظهير 04 شتنبر 1915 المؤسس لنظام الحالة المدنية بالمغرب، كما هو معدل ومتمم، خاصة بالقانون رقم 82. 01 الذي أضاف إلى هذا الظهير الفصل 61 المنشئ للبطاقة الشخصية والعائلية للحالة المدنية (ومرسوم تطبيقه)، وقد صدر للأمر بتنفيذه الظهير ش. رقم 178. 83. 1 بتاريخ 15 أكتوبر 1984.

2 - ظهير 08 مارس 1950، كما عدل وتمم بعدة نصوص تالية، منها :

أ - الظهير رقم 1.63.240 المؤرخ في 12 نونبر 1963.

ب - الظهير رقم 1.77.65 المؤرخ في 19 شتنبر 1977.

ج - القانون رقم 35.95 الصادر للأمر بتنفيذ الظهير ش. رقم 1.96.97 بتاريخ 02 غشت 1996.

وقد صدر لتطبيق هذا الظهير قرار وزيري بتاريخ 03 أبريل 1950، المعدل والمتمم بعدة مراسيم لاحقة.

3 - الظهير رقم 1.60.191 المؤرخ في 10 غشت 1960 المتعلق بالتصريح بالوفيات في بعض الحالات.

4 - الظهير رقم 1.60.020 المؤرخ في 04 مارس 1960 المتعلق بانعقاد الأنكحة بين مغاربة وأجانب طبقاً لصيغة الحالة المدنية.

5 - بعض فصول قانون المسطرة المدنية وقانون التنظيم القضائي والقانون الجنائي و...

د. عمر النافعي، *نظام الحالة المدنية بالمغرب، إشكال التعميم والضبط*، نشر جمعية تنمية البحوث والدراسات القضائية، المعهد الوطني للدراسات القضائية، الطبعة الأولى 1997 ؛ أنور الخطيب، *الأحوال الشخصية، خصائص الشخص الطبيعي*، الطبعة الثانية 1964 منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ؛ د. أحمد سلامة، *الأحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين والأجانب، المدخل والقواعد العامة*، ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي، 1958 ؛ د. موسى عبود، *الوجيز في القانون الدولي الخاص المغربي*، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 1994 ؛ عبد الحميد بن أبي زيان بنشنهو، *النظام الإداري بالمغرب*، الطبعة الرابعة، مطبعة الامنية الرباط 1963.

Pierre Léonardi, *L'histoire des actes de l'état civil*, thèse, Paris, 1961 ; P. Decroux, *L'Etat Civil au Maroc*, *Hesp.*, 3 - 4 trim. 1950, ; S. Filizzola, *L'organisation de l'état civil au Maroc*, Rabat, 1958 ; J. Le Calonnec, *Droit civil, état et capacité des personnes, Encyclopédie Dalloz*, 2ème éd., Tome IV ; H. Benet, *L'Etat civil en Algérie : Traité théorique et pratique de la constitution de l'état civil des indgènes algériens*, Alger, 1937.

عمر النافعي

أيت **حامد**، وتكتب أيضاً بدون مد : "حَمد" والنسبة إليها حامدي، قبيلة سوسيّة يمتد موطنها على جزء من مرتفعات الأطلس الصغير الغربي (عالية وادي والغاس). وتتصل أراضيها بسهل إيداوگارسْمُوكْنْ واشتوكن عبر ممرات جبلية معروفة. أما من الناحية الطبغرافية، فتطغى على ترابها المرتفعات والأودية الضيقة. ومن أهم مرتفعاتها جبل أضاض مدني الذي يشرف على حوض أداي، أزرونْعيسي ... ويشقها وادي والغاس، وهو من عالية وادي ماسة. يحدها شمالا أيت صواب وأيت وادريم واشتوكن إلى الغرب والجنوب نجد إيداوگارسموكت، بينما يحدها أيت صواب في الشرق. لا نعرف إن كانت القبيلة من صميم اتحادية إيداولتيت، أو أنها تكوّن قبيلة مستقلة

منذ القدم، وهذا ما يُستشف من إشارة صاحب *ديوان قبائل سوس* عندما صنّف مساهمة أيت حَمَد الجبائية ضمن حساب قبائل إشتوكن بـ 200 سرجة، وحمد الذين رافقوا السلطان المنصور من صميم القبيلة. ومن أقدم مداشر القبيلة : تاسيلا أوزريف، أزاريف، تيلگات، أزرونْغيسي. ويبدو أن تراب أيت حمد عرف استقراراً بشريا قديماً، ومن الشواهد الدالة على ذلك : أطلال القرى المندثرة : حصن تيگمي أورومي، قصبة الفرسان من العبيد ... كما أن محراب مسجد تيلگات كان مائلاً نحو الجنوب. وكانت هذه الأخيرة مركز قيادة جزولة في العهد السعدي، ومنها كان زعماء أيت حمد يسيرون أمور القبائل المجاورة، كما ساندوا إيليغ مدة من الوقت خاصة على عهد أبي حسون السملالي. ونستشف من إشارة A. Le Chatelier أن القبيلة كانت تدبر شؤونها بنفسها، حيث يتولى النفاليس (10 لكل فرقة) تنظيم الأمور الجماعية وفق أعراف معروفة.

ومنذ القرن العاشر (16 م) كانت مدارس القبيلة : أزاريف، تاسيلا، تيلگات، تمثل مراكز علمية ودينية مستقطبة. ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الحركة الفكرية اقترنت بأسرة آل عبد العزيز التيلگاتية، وقد نبغ منها ثلة من العلماء والمتصوفة، نذكر منهمْ على سبيل المثال : أحمد بن داوود الحامدي وأحمد بن سعيد الحامدي وداوود بن عبد الله الحامدي وسعيد بن علي الحامدي وعلي بن محمد الحامدي ...

ونشير إلى أن القبيلة كان لها الدور البارز في مساندة حركة الشيخ أحمد الهيبة وخلفه مربّيه ربه. كما تصدّت، وبمعية أيت وادريم، لحملات القائد الكنتافي سنة 1917 ولهجومات الجنرال الفرنسي سنة 1934.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 116 . 117 . 140 . 142 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أحمد بومزگو، بحث لنيل د. د. ع، الرباط، 1994 ؛ إ. الحساني، *ديوان قبائل سوس*، مخطوط.

L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVIème siècle*, *A.M.*, 1933, p. 69 ; A. Le Chatelier, *Tribus du sud ouest marocain : bassins cotiers entre Sous et Draa*, Paris 1891, p. 57.

أحمد بومزگو

**الحامدي، أحمد** بن سعيد بن علي التلگاتي نسبة إلى جبل أيت حامد في الأطلس الصغير، وتلگات قرية في واد منبسط بسفح هذا الجبل على ضفاف واد الغَاس أحد روافد نهر ماسة بسوس. حلاّه المختار السوسي بقوله : "عالم كبير ذو شهرة، قام مقام والده في رياسة الأسرة بالعلم والوفادة على حضرات الملوك السعديين ورفع القصائد إليهم". ترجم له الرسموكي والگرامي والحضيكي، واتفقوا على وصفه بالعلم والخير والصلاح. لكن لم يصفوه بالأدب مع أن له مشاركة في الشعر وإن لم تدانِ ضلاعة والده سعيد آتي الترجمة. واشتهرت له قصيدة لامية مدح بها عبد الله الغالب، اتسمت بالجزالة وسلاسة التعبير. وقد أثبت م. المختار السوسي في *خلال جزولة* (2 : 138 . 140) نصي ظهيرين سعديين في احترام المترجم وإخوته. أولهما لأحمد المنصور الذهبي في أوائل المحرم عام سبعة وثمانين وتسعمائة، والثاني لولي عهده محمد الشيخ المامون بتاريخ أواخر جمادى الأخيرة عام خمسة وتسعين وتسعمائة. ويصف الظهير الأخير أحمد الحامدي بالقاضي. والقضاء والرياسة عريقة في هذا الفرع من الحامديين.

توفي أحمد الحامدي يوم السبت 26 صفر عام 997 / 14 يناير 1589.

*الظهيران* المشار إليهما أعلاه ؛ م. الرسموكي، *وفيات*، تح. م. المختار السوسي، الرباط 1988، ص 33 ؛ أ. ابن القاضي، درة *الحجال*، 1 : 167 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو الترجمة، 27 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 137 . 140 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 593.

**الحامدي، الحسن** بن سعيد بن علي. فقيه رئيس لمنطقة شاسعة تحيط بدار إقامته تليگات. كان معتنياً بالعلم ونساخة الكتب يستأجر لذلك طلبة المنطقة، وقد وقف م المختار السوسي على كثير من الكتب المنسوخة لهذا الفقيه الرئيس وبعض مقيداته.

توفي بتيلگات ليلة الأربعاء 25 ربيع الأول عام 1033 / 16 يناير 1624.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 142 . 143.

**الحامدي، سعيد** بن **عبد الرحمان** بن الحسن التيلگاتي. وُلد في 20 ذي القعدة عام 1057 / 17 دجنبر 1647، الفقيه القاضي، قال عنه م. المختار السوسي : "عالم كبير مدرّس طائر الشهرة وهو الذي نقلنا عنه نسب الأسرة". لم تذكر كتب التراجم شيوخه ولا الآخذين عنه إلا مقيدات بعض تلاميذه، ولعله كان قاضياً بسوس أيام السلطان المولى إسماعيل في منطقة هشتوكة.

توفي بعد عصر يوم الخميس غرة ربيع الأول عام 1135 / 10 دجنبر 1722. (في الأصل : الخميس غرة اليوم الأول، ولعل الصواب ما أثبتناه).

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 145.

**الحامدي، سعيد** بن **علي** بن محمد بن عبد العزيز، واسطة عقد الحامديين وأديبهم الكبير، الشاعر المفلق والكاتب البارع. درس في مسقط رأسه على والده الفقيه عليّ وطبقته ثم شد الرحلة إلى فاس فأخذ عن كبار علمائها : شيخ الجماعة محمد ابن غازي، وعبد الوهاب بن محمد الزقاق، وموسى ابن هارون وأضرابهم. واشتغل مدة

بالتدريس أخذ عنه فيها أحمد بن سعيد الجزولي المراكشي وغيره. وخصه الأديب التامنارتي في *الفوائد الجمة* بفقرة فنية تنمّ عن إعجاب بالغ : "سهم القريض المُغرب، وإمام الأدب العريض بالمغرب، مُرتسم في زمام أئمة البلاغة، متسم بتمام الإبداع وحسن الصياغة، بشعره نافح أقصى المغرب أدناه، وبسحر بيانه كافح جيش المحاورة فعاد ملك يمناه، والأدب له عبد يجيب متى دعاه، وسهم يصيب الغرض متى رماه. دوحة اللسان بقطره بتلقيحه أثمرت، وروضة البيان بتحقيقه أمرعت وأعطرت، وقصائد شعره التي سحرت الألباب، وفاضت فيضان العباب، تشهد له".

اتصل بالسعديين في المراحل الأولى لنشأة دولتهم، وعمل كاتباً مع السلطان أحمد الأعرج، وكان على اتصال وثيق بأخيه وخليفته في سوس محمد المهدي الشيخ، ولا ندري إن كان كتب له كذلك. وقد مدحه بشعره وعرض عليه شكاة قومه، ورثى ولده محمد الحران حين قُتل في مواجهة أتراك الجزائر. كما اتصل بعد ذلك بالسلطان عبد الله الغالب ومدحه وأشاد بتجديده مدرسة ابن يوسف العظيمة.

وبالرغم مما أجمع عليه مترجموه معاصروه فمن بعدهم من رسوخ قدمه في ميدان الأدب وطول نَفَسه الشعري فإن ما بقي من قصائده الطوال لا يتجاوز العشر، أتى م. المختار السوسي بمطالعها في *خلال جزولة* وأثبت نصوصها في *المُترعات*. وبعد ذلك وقف له على *ديوان أشعار* في مجلد، وشروح لقصائده الطوال.

ومن أهمّ شعره السياسي مقصورة من سبعة وأربعين بيتاً وجهها إلى محمد المهدي الشيخ - وهو ما يزال بسوس - يطلب منه باسم سكان البوادي والقرى أن يعيد بناء حصن المنكب (أگادير - إيغير) بعد أن هدمه على رأس محتليه البرتغاليين مطلعها :

| | |
|---|---|
| فقل لإمام الهدى المرتضى | عماد العباد وطود العلى |
| إليك تظلّمَ هذي الثغور | وشكوى البوادي وشكوى القُرى |

وبذلك تعد هذه القصيدة لبنة أدبية في صرح مدينة أگادير التي شيدها محمد المهدي الشيخ السعدي بالقرب من حصن المنكب المحطم سنة 947 / 1541.

توفي سعيد الحامدي بمراكش - جاء إليها لحاجة فأدركته الوفاة - ليلة الأحد رابع ربيع الأول عام 973 / 29 شتنبر 1565.

أ. ابن القاضي، درة، 3 : 301 - 302، رقم 1386 ؛ *لقط*، موسوعة *أعلام المغرب*، 2 : 915 ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط، 39 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة رقم 750 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 9 : 145 - 146 ؛ م. المختار السوسي، *خلال*، 2 : 130 - 133 ؛ *سوس*، 69 و180 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 2 : 386 ؛ م. ابن تاويت، *الوافي بالادب*، 3 : 656 - 659 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 592.

**الحامدي، عبد الرحمان** بن علي بن محمد بن عبد العزيز، أخو الأديب سعيد سابق الترجمة، عالم صوفي كبير القدر شهير الذكر في سوس، يذكر مع الشيخ أحمد بن موسى السملالي ومحمد بن إبراهيم الشيخ التامنارتي وسعيد بن عبد المنعم الحاحي وأضرابهم. ذكره جميع مؤلفي كتب التراجم السوسيين وأجمعوا على تقديره والتنويه به. قال عنه محمد البعقيلي : "الفقيه العالم المتبرك به حياً وميتاً، شيخنا ... من العلماء العاملين بما علّمهم الله، له قدم راسخة في طاعة الله ورسوله". وزاد الحضيكي : "كان فقيهاً محدثاً حافظاً ذا فنون في علوم جمة ورعاً نزيهاً".

أخذ عن والده وطبقته، وتتلمذ له عدد وافر من طلبة قطره وخاصة التامنارتيين العلماء.

توفي يوم السبت السابع عشر من ذي القعدة عام 984 / 5 فبراير 1577. ومشهده مزارة كبيرة حتى الآن.

ع. التامنارتي، *الفوائد*، مخطوط ؛ م. البعقيلي، *مناقب*، 29 - 31 ؛ الرسموكي، *وفيات*، 23 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة، 721 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 133 - 137 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 592.

**الحامدي، علي** بن **محمد** بن **سعيد** فقيه متمكن، اشتهر بالإفتاء في مسقط رأسه تيلگات، ثم استدعاه أبو حسون بودميعة السملالي حين بنى حاضرة إمارته إيليغ وعينه قاضي الجماعة بها. قال عنه تلميذه الرسموكي في وفياته : "عاصرته وعاشرته وصاحبته نحو سنتين آخر عمره، وكان ظريفاً ذكياً ذا سمت ووقار".

توفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رجب عام 1043 / 25 يناير 1634.

م. الرسموكي، *وفيات*، 15 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 627 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 140 - 141 ؛ *رجالات سوس*، 37 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 606.

**الحامدي، علي** بن **محمد** بن **عبد العزيز**، جد الحامديين المذكورين في العصر السعدي. فقيه مشارك وأديب بارع، درس في سجلماسة على الشيخ إبراهيم ابن هلال صاحب *النوازل*، وفي فاس على شيخ الجماعة محمد ابن غازي، ولم يبق من آثار قلمه سوى *رسالة* بليغة وجهها لشيخيه ابن هلال سنة 898 "تدل على تضلع في الأدب ورقة في التعبير، وتمكُّن في حسن التحبير". أثبتها م. المختار السوسي في كتاب *المترعات*.

درّس في مسقط رأسه، وكان من الآخذين عليه أبناؤه سعيد وإخوته، ثم انتقل في آخر حياته إلى أقّا بالقرب من تامنارت، وهناك أخذ عنه الشيخ محمد بن إبراهيم التامنارتي وآله العلماء الصلحاء.

توفي بأقّا حوالي عام 920 / 1514.

م. الرسموكي، *وفيات*، 46 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ.

بومزكو ترجمة، 582 و720 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 129 ـ 130 ؛ رجالات، 20 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 591.

**الحامدي، محمد** بن **أبي بكر** البيضاوي، فقيه أديب شاعر من آخر الحامديين العلماء المعاصرين، اشتغل بالقضاء، وكان عضواً بمحكمة الاستيناف الشرعي بالدار البيضاء، له كتاب *مشارق الأنوار في ذكر مولد النبي المختار*، نشره بالمطبعة الوطنية بالرباط، وبآخره قصيدة في المديح النبوي، عام 1365 / 1946. وكانت وفاته بعد هذا التاريخ.

إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 98.

**الحامدي، محمد بن عبد الرحمان** بن الحسن يلقب بالسوق، فقيه مشهور في قومه إلى الآن، له مؤلف في *الطب* ؛ ومؤلف في *الصلاة على النبي عليه السلام* ؛ وتوسل في ورقتين نظمه سنة 1085، وذكر عقبه أن أهل الجريد بتونس اتخذوه ورداً لهم لما تركه عندهم في حجته.

توفي بعد سنة 1085 / 1674.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 143 ـ 144.

محمد حجي

**الحامّات**، Aquae في المغرب القديم. لقد تردد الرومان إلى جانب الحمامات العادية (Balnea, Thermae) على مبان خاصة تعرف في الهندسة الرومانية تحت اسم الحامات Aquae التي كانت تتغذى من العيون المعدنية. فهذا النوع من البنايات اعتبر كأماكن للعبادة واعتقدوا أن الإله المشرف على الحامة هو الذي يشفي المرضى عن طريق هاته المياه المعدنية ذات الخاصية الطبية.

وضعت أغلب هاته الحامات تحت حماية آلهة الطب أو آلهة المياه حيث عثر في حامة Djebel el oust بتونس على بقايا معبد صغير بداخله نقش حجري يحمل نصا لاتينيا يفيد بأن المتعبدين هم الذين تقدموا بالإهداء، وبداخل حوض ربما استعمل للاغتسال والتطهر عثر على تماثلين لآلهة الطب، "إسكولاب وهيجيا".

وفي المغرب القديم تشير الوثائق إلى حامة وحيدة هي المعروفة تحت اسم "الحامة الداكيكية" Aquae Dacicae التي توجد شمال غرب وليلي، فقد تم تقريب هذا الاسم من أحد شعوب شرق أوروبا (Daces) التي شكل أفرادها فرقا مساعدة ضمن الجيش الموريطاني. إن أغلب هاته الحامات بنيت خارج التجمعات الحضرية وبالقرب من العيون، وقد تقام بنايات مرافقة كالمساكن مثلا والخاصة بالمتعبدين والمرضى ـ وهذه لائحة لهاته الحامات التي وجدت بافريقيا.

- في موريطانيا الطنجية : Aquae Dacicae
- في موريطانيا القيصرية : Aquae Calidae

Aquae Sirenses

- في نوميديا : Aquae Caesaris

Aquae Flavianae
Aquae Herculis
Aquae Novae
Aquae Thibilitanae

- في البرقنصلية : Aquae Aptuccensium

Aquae Carpitanae
Aquae Persianae
Aquae Traiane
Aquae
Ad Aquas
Ad Aquas Alianae
Djebel el oust

- في الطرابلسية : Aquae Tacapitanae

- حامة غير موطنة : Aquae Albenses

H. Jouffroy, *Les Aquae Africaines, caesarodunum* XXVI, Actes du colloques d'Aix les Bains, 1990, p. 87 - 99 ; Ould Dada, *Le Thermalisme en Afrique Proconsulaire, TER*, Tunis ; L. Poinssot - Ch. Saumagne, *Les piscines romaines de Capsa, R.T.*, 15, 16, 1933, 235 - 239.

عبد العزيز بل الفايدة

**حاميم**، متنبئ شهير في تاريخ المغرب، اسمه عبد الله ابن منّ الله (أبو خلف) بن حريز بن عمر بن وجفوال بن زروال، ادعى النبوءة في الشمال الغربي المغربي في النصف الثاني من القرن الثالث (9 م) بقبيلة وادْ رَاسْ الواقعة بين مدينتي تطوان وطنجة.

لا نعرف المتنبئ حاميم عبد الله إلا من خلال ما نقله أبو عبيد الله البكري عن مصدره محمد الوراق، كما أننا نجهل أصل مدلول لقبه. وهو ينتمي إلى أسرة بني وجفوال التي مثلها في النصف الأول من القرن الثاني الهجري جده الخامس واجفوال بن زروال.

كانت الأسرة منذئذ مستقرة بقبيلة واد راس بالجبل المدعو آنذاك بجبل حاميم الذي لا يمكن أن يشار إلى غير المسمى حاليا جبل المخالد (627 م)، مصدر منابع واد راس أو واد الخميس، أحد روافد واد تطوان (مارتيل فيما بعد)، إذ أن البكري وضع جبل حاميم قريبا من آخر سماه جبل "تيطسوان" ويسمى حالياً رغم التحريف الذي لحقه جبل تيطسويرا الداخل في حدود جنوب قبيلة أنجرة. ويمكن تحديد موطن بني وجفوال القرن الثاني الهجري بمداشر الوقت الراهن : اللواوا والمخالد وخندق الكبش والرمل والمجعبة.

ربما كانت لأسرة حاميم سوابق في استقطاب الجماعات نتيجة اشتهارها في احتراف العرافة والكهانة. وقد شكل والده منُّ الله وعمته تانفيت وأخته دجو الجماعة المحترفة لذلك الفن، أما حاميم فقد أدى به الأمر إلى التنبؤ. والإعلانُ عن النبوءة مصرح به في تعاليمه التي رفضت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومشارٌ إليها من طرف شاعر

طنجة المدعو أبا العباس فضل بن مفضل المدحجي في هجائه.

جعل حاميم عبد الله النبوة ثلاثية : الإيمان به وبوالده منّ الله وعمته تانفيت، واختلق من أجل ذلك ما ادعى أنه قرآن حرره باللهجة الأمازيغية المحلية، وهو مؤلف من تهاليل وابتهالات في شطره الأول، ومن تعاليم محرفة عن الشريعة الإسلامية من صلاة وصوم وزكاة مع إبطال للحج في شطره التالي، ساق منهما البكري عدة أمثلة.

وربما كان عبد الله حاميم كثير التحرك فدبّر مقتلُه بناحية الساحل بين طنجة وأصيلا سنة 315 / 927 وترك من الأولاد ثلاثة : محمد وعبد الله وعيسى الذي كان له ذكر بعد والده. وعلى الرغم من بعد الزمن فإن الذاكرة الشعبية مازالت تختزن في ذهنها اسم حاميم مما يعكس قول البكري عن كثرة أتباعه بالشمال الغربي المغربي.

أ. البكري، *المغرب في ذكر أخبار إفريقية والمغرب*، ص. 100 و107 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، ص. 40-41 ؛ *خريطة طبوغرافية* سنة 1965.

حسن الفكيگي

**حانون** والمغرب القديم. أصل حانون من مدينة قرطاج ولا نعرف تفاصيل حياته. وكل ما نعلم أنه من عائلة الماغونيد (Magonides)، إحدى الاسر القرطاجية الثرية. لقد زودت هذه الأسرة دولة قرطاج بالرؤساء والقادة العسكريين وبالرحاليْن المشهورين كحانون وأخيه هميلكون (Himilcon).

تذكر المصادر أن حانون قام برحلته إلى ما "وراء أعمدة هرقل" في إبان أوج قرطاج وبطلب من الدولة. ويفترض أن هذه الرحلة تمت خلال القرن الخامس. ومعلوم أنه في نفس الإبان قام أخوه هميلكون بآكتشاف السّواحل الشمالية للمحيط الأطلسي (وصل لغاية إيرلندا حسب بعض الدراسات).

وللإشارة، فبذكر حانون لاسمه فقط وإغفاله لذكر نسبه يكون قد اتبع الطريقة القرطاجية في كتابة أسماء الأعلام التي تظهر وتتردد من خلال بعض شواهد القبور. وهذه النقطة لصالح مصداقية هذه الرحلة التي أثارت ومازالت تثير الكثير من ردود الفعل.

وفي اعتقادنا تعد رحلة حانون من أقدم وأهم الرحلات التي همت الشواطئ الجنوبية للمحيط الأطلنتي. وقد احتفظ صاحب الرحلة بتقريره منقوشا على صفائح معدنية علقت بمعبد الإله كرونوص (Cronos) (التسمية إغريقية) الذي يوافق عند القرطاجيين الاله بعل - ساتيرن (Baal-Saturne). ومن المفترض أن معبده كان موجوداً بالعاصمة قرطاج. وإذا كان التقرير الأصلي قد ضاع أو لم يصلنا بعد فإننا نعرف الرحلة من خلال الترجمة الإغريقية ولعلها اختصار لها بما أنه وردت معلومات أخرى ضمن مصادر قديمة.

وهذه الترجمة الإغريقية للرحلة يُرجعها الباحثون المعاصرون تبعا للغتها إلى أواسط القرن IV ق.م ويتوفرون على نسختين منها إحداهما موجودة اليوم بروما وكانت في السابق بمدينة هدلبرغ (Hedelberg) الألمانية ؛ والنسخة الثانية توجد حاليا بلندن. ونعتمد من جهتنا الترجمات الفرنسية للنص الإغريقي المنشورة ضمن العديد من المراجع ومن ضمنها أساساً مؤلف رايموندروجي (R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, pp. 17 - 18).

أدى تقرير الرحلة إلى خلق مواقف عديدة ومتباينة بين الباحثين المعاصرين نحصرها في ثلاث هي :

* موقف المجموعة الأولى : يشك أصحابها في صدق الرحلة، وقضية الشك ليست أمراً جديداً فقد أعلنها كتاب قدامى نذكر منهم أيليوس أرستيد (Aelius Aristide) من القرن الثاني الميلادي، ومن متزعمي النزعة الشكية في تاريخنا المعاصر طوكسيي (Tauxier) الذي اعتبر التقرير نسيجا من الأكاذيب (Un tissu de mensonges) بل إن الباحث موني (R. Mauny) اعتبر النص أكبر أكذوبة في تاريخ ملاحة العصر القديم.

* موقف المجموعة الثانية : يتخذ أصحاب هذه المجموعة موقفا وسطاً حينما يحتفظون من التقرير بالفقرات الست الأولى، ويقرون بصبغتها الرسمية وبمصداقيتها، في حين يحكمون على باقي الفقرات بأنها موضوعة. بل إن جيرمان S. Germain يعتبر جل فقرات الرحلة منتحلة من مؤلف هيرودوت Herodote (القرن V ق. م) ويقيم لذلك مقاربات بين نص الرحلة وفقرات من كتاب هيرودوت ويبين بأن كثافة المعلومات بهذا المصدر دليل على أن الناسخ أخذ منه مادته.

* موقف المجموعة الثالثة : هو موقف تصديق للرحلة، وعدد المنضوين كبير إلا أن الآراء حول المدى الذي وصل إليه الرحالة متشبعة ويمكن حصرها بدورها ضمن موقفين أساسيين : فريق أول يصدق كل ما جاء في الرحلة بل يحاول أن ينسب الأخطاء للناسخ أو لتغييرات طبيعية همت الساحل المغربي وغيرت بعض معالمه. ولذلك فهذا الفريق يصل مع الرحالة إلى ما وراء المغرب، إلى السينيغال والكاميرون. بل وإلى حدود خليج غينيا، ونجد من أصحاب هذا الرأي فيفيان دوسان مارتان Vivien de St. Martin الذي قال : "يشكل هذا التقرير رغم إيجازه أحد النصوص النفيسة التي ورثناها عن العصر القديم". ويتبنى گزيل Stéphane Gsell نفس الموقف عندما يقول بأن نص رحلة حانون هو فريد من نوعه فيما يتعلق بوصف الشواطئ الإفريقية لجنوب المغرب".

فريق ثان : لا يؤمن أصحابه بتمكن القائمين بالرحلة من تجاوز حدود المغرب ؛ بل منهم من يوطن المواقع المذكورة بالتقرير ضمن خط طنجيس - ليكسوس أو طنجيس - موكادور. فأي المواقف نتبنى ؟

نعتبر الرحلة من الوثائق الهامة : ويحق أن نطلق عليها تجاوزاً "شهادة ميلاد المغرب" لكونها سندنا الأساسي في معرفة المغرب القديم قبل القرن V ق.م وآثاره، وليست مصادره المكتوبة. فموقعا ليكسوس وموگادور يعودان للقرن VII ق.م بتأريخ فخارهما فحسب، وحتى إذا كان نص هيرودوث المشهور حول المقايضة يتطرق للتجارة المنتظمة التي ربطت "القرطاجيين" "بالأهالي" المستوطنين وراء أعمدة هرقل، فإن معلوماته تتسم بصيغة العمومية وبذلك تبقى رحلة القرطاجي حانون من أقدم الوثائق المكتوبة التي تزودنا بمعلومات ضافية عن الساحل الأطلسي الجنوبي.

لا نخفي بأن الرحلة تتخللها ثغرات وهفوات عديدة. فهل نرجع ذلك إلى رغبة قرطاج في أن تظل رحلاتها وتقاريرها سرية حتى لا تزاحمها دول أخرى ؟ وإذا كان الأمر كذلك لماذا تم تعليق تقرير الرحلة الحانونية بمعبد بعل ساتيرت (كرونوص عند الإغريق) ؟ هل لتبين إحرازها لقصب السبق في مجال الملاحة البحرية وفي ميدان الاكتشافات ؟ ما هي اذن الأهداف الحقيقية لهذه الرحلة ؟ كثير هي الأسئلة التي ليس لها جواب كاف، وسنحاول أن نبحث في الأهداف.

جاء في مقدمة الرحلة ما يلي :

"1 - قرر القرطاجيون أن يبحر حانون إلى ما وراء أعمدة هرقل ويؤسس مدنا قرطاجية ؛ فأبحر بستين سفينة ذات خمسين مجدافا رفقة 30.000 من الرجال والنساء والأقوات وكل ما يحتاجون إليه". فالهدف المسطر من وراء الرحلة حسب هذا التقرير هو تأسيس مستعمرات قرطاجية على ساحل المحيط الأطلسي. ولكن بلين القديم في كتابه *التاريخ الطبيعي* (الكتاب 5، الفقرة 8) يذكر سببا آخر وهو الطواف حول إفريقيا. وحول هذه النقطة أيضاً تضاربت آراء الباحثين المعاصرين : فقد حلل كاركوبينو J. Carcopino بإسهاب الفكرة القائمة على كون الدافع الحقيقي للرحلة هو ضمان تجارة الذهب السوداني ؛ ولكن لو كان الغرض الحقيقي هو البحث عن الذهب لكان الرحالة حانون قد اقتصر على امتلاك جزيرة سرني Cerné كسوق وافر بالذهب حسب الكتاب القدماء. يبعد جاك رامان J. Ramin افتراض كاركوبينو ويذكر من جهته بأن العلاقات التجارية كانت تربط باستمرار جنوب الصحراء بشمالها وكان بالامكان أن يحصل التجار على ذهب السودان عن طريق التبادل البرّي، ويقدم تبريراً آخر للرحلة يتمثل في بحث الرحالة حانون عن مواد أخرى يصعب نقلها براً ومنها نحاس منطقة أكزوزت Akjoujt بموريطانيا الحالية التي تبعد بحوالي 200 كلم عن العاصمة نواكشوط، ولكن لم يتم الكشف بالمنطقة المذكورة عن مواد فنيقية تؤكد رأي جاك رامان.

إذن هل نعتبر محرك هذه الرحلة هو الدافع السياسي ؟ الظاهر أنه لم تكن لحانون طموحات سياسية خاصة مادام تنفيذ أوامر المجلس الأعلى لمدينته بتحقيقه للرحلة ثم العودة بالتقرير الذي علقه بمعبد قرطاج يدلان على ولائه لمدينته.

هكذا يبدو أنه عندما أقلع حانون من قرطاج كانت له أهداف تتفق مع أهداف مدينته اتسم بعضها بطابع السرية وكان بعضها الآخر واضحاً، من ذلك "إنزال المعمرين وراء الأعمدة" ؛ يعني ذلك من جهة التخفيف من الضغط السكاني على قرطاج ؛ ومن جهة ثانية فتح أسواق جديدة على ساحل المحيط الأطلسي. ومن هنا يفسر العدد الضخم من فنيقيي قارة ليبيا الذين رافقوه، فقد وصل عددهم إلى 30.000 معمر، ونميل إلى تصديق إمكانية نقل السفن القرطاجية لهذا العدد من الراكبين لأنه باعتماد شهادة المتخصصين في ميدان الملاحة البحرية كان بإمكان السفن ذات صفين من المجاديف (Pentecontores) أن تستوعب ما قدره 40 طنا ؛ بل إن روزنبرجير (Rosenberger) يذكر بأن حمولة السفن البونيقية والقرطاجية كانت تصل إلى 300 طنا. ومن غريب الصدف أن يحمل القائد الروماني سيبيون (Scipion) الملقب بالافريقي 30.000 راكبا على ظهر 60 وحدة !

* * *

وبتتبعنا لتقرير الرحلة نذكر بأن حانون أنشأ أو عمر سبع مستعمرات تقع جميعها وراء الأعمدة (مضيق جبل طارق) على ساحل المحيط الأطلسي.

أولى هذه المحطات التي ذكرها حانون هي : مستعمرة تيمياثيريون Thymiaterion. ويظن أغلب الدارسين (Tissot, Besnier, Gsell, Marcy...) أن المدينة توجد عند مصب نهر سبو حيث تقع المهدية حاليا ؛ بينما يرى آخرون (Rousseaux, Ponsich...) بأنه يجب البحث عن هذه المدينة حول المضيق حيث مدينة طنجة حاليا.

والواقع أن تحديد موقع أعمدة هرقل هو الذي سيترتب عنه تحديد دقيق لموقع المستعمرة فإذا عينت الأعمدة بقادس فإن موقع تيمياتيريون (Thymiaterion) سيكون على الشاطئ الأطلسي على بعد مسافة تقدر بيومين من الإبحار ابتداءاً من الجنوب الغربي الإسباني في اتجاه نهر سبو. أما إذا حددت الأعمدة بداخل المضيق فإن المستعمرة يمكنها أن تطابق موقع طنجة الحالي. ونميل إلى اعتقاد أن مدينة طنجة ليست هي المقصودة نظراً لقدمها، فهي سابقة الإنشاء وجدت قبل عصر حانون ولا يمكن أن تكون قد أسست من طرفه.

باقي المحطات التي عمرها حانون تقع وراء رأس سلوييس Cap Soloeis. فماذا تطابق حاليا ؟

ورد مصطلح "رأس سلوييس" عند عدد من الكتاب الكلاسيكيين وأقدمهم هيرودوث ( *التواريخ*، II، 32 ؛ IV، 43). واتخذ بعض الباحثين من نصوص هيرودوث منطلقهم ليجعلوا من رأس سلوييس رأس سبارطيل Cap Spartel غرب طنجة، إلا أن هذا الرأي يبقى على مستوى فرضية لأنه من المعلوم أن رأس سبارطيل اشتهر أساسا بأسماء ترتبط بغراسة العنب، من ذلك مصطلحا كوتيس Cotes وأمبلوزيا Ampelusia (انظر مادة امبلوزيا).

أما رأس كانتان (Cap Cantin) فقد أخذ اسم (Solis)

القريب من مصطلح (Soloeis) ونميل إلى مطابقة رأس كانتان، أو بدوزة، بسلوييس.

تكريس معبد للإله بوسيدون Poseidon برأس سلوييس ينمّ عن مدى تشبث القرطاجيين بمعبوداتهم وعلى رأسها إله البحر بوسيدون. ومعلوم أن تسميته هذه إغريقية ويطابق عند الرومان الاله نبتون Neptune ومن المعروف أن الشعوب القديمة قدست آلهة المياه واتخذت لها تسميات مختلفة، ومن البديهي أن يخص القرطاجيون إله البحر بالتقديس بحكم أنهم شعب بحري. يشير هيرودوث إلى وجود إله البحر عند اللوبيين قبل تأسيس قرطاج ويضيف قائلاً : "... إن عبادة الإله نابعة من ليبيا وان الإغريق قد ورثوها عنهم ..." *التواريخ*، II، 50) فهل إله رأس سلوييس ليبي ـ فنيقي ؟

يذكر الرحالة سيلاكس المزعوم (Le Pseudo - Scylax) (IV ق. م) بأنه وجد بنفس الرأس مذبحا Autel مكرّسا لبوسيدون، ولاشك أنهما يشيران لنفس المكان. ويقول الرحالة سيلاكس المزعوم إن عبور المسافة بين الأعمدة ورأس سلوييس تتطلب خمسة أيام إبحار. ويرى گزيل Gsell بأن المسافة الفاصلة بين الأعمدة وكانتان هي خمسمائة وسبعون كلم وهي مناسبة لعدد الأيام التي ذكرها سيلاكس المزعوم (انظر مادة بوليب Polybe حول المسافات من الأعمدة إلى باقي المحطات على الساحل الأطلسي.

وإذا كانت المؤسسات التي عمرها حانون تبدو من خلال التقرير بأنها تقع جميعها بعد رأس سلوييس، فالدراسات المعاصرة لا تتفق علي ترتيبها بنفس الكيفية التي جاءت عليها في النص، فمستعمرة كاريكون تيكوس Caricon Teichos (الجدار القوي) تطابق من خلال عدة باحثين موقع أسفي، ومن خلال آخرين موگادور، ومن خلال فريق ثالث أگادير. وباعتماد عدة مؤشرات وعلى رأسها التحليل اللغوي نميل إلى اعتبار موگادور هي المعنية : ومستعمرة مليطا (Melitta) تم تقريبها من مليسا (Melissa) وهي مدينة "ليبية" أشار إليها إيتيان البيزنطي Etienne de Byzance استنادا إلى هيكاتي المليتي Hecatée de Milet وقربت أيضاً من الاسم القديم لوادي ماسة Massasat جنوب أگادير ؛ وحسب كاركوبينو توجد مليسا بجوار Gutté بالشمال المغربي وعزز مقولته هاته بالاستناد إلى نص بلين القديم ( *التاريخ الطبيعي*، 5 / 2) وقد ورد به المعلومات التالية : "أن أول شناخ على المحيط يسميه الاغريق أمبلوزيا ؛ وهنا وجدت في الماضي Melissa وقربت المحطة الموالية Cotté من Gutté وسيلي ذكرها.

إذن، من المستعمرات الأخرى التي أنزل بها حانون المعمرين القرطاجيين نجد ما يلي :

ـ أكرا Akra : يرادف مصطلح أكرا الإغريقي مصطلح رأس (Rus) المتداول في اللغات السامية، ومن المعلوم أنه لا يوجد بين رأس كانتان ومضيق جبل طارق سوى مركز فنيقي واحد يبدأ بكلمة "Rus" ونقصد بذلك مدينة (Rusibis) التي توافق عند مجموعة من الباحثين المعاصرين مازغان (الجديدة).

ـ گيت (Gytte) : وتذكرنا بمصطلح كوطا (Cotta) التي أشرنا إليها نقلا عن پلين القديم، وقد مَوْضَعَها وراء أعمدة هرقل بالقرب من مليسا، وهي أيضاً قريبة من مصطلح كوطيس (Gotes) أحد الأسماء القديمة لرأس سبارطيل.

ويذهب رامان Ramin إلى اعتقاد أن گيطي Gytté توجد على بعد سبعة عشر كلم جنوب طنجة حيث عثر الأثريون على عدد من المخلفات الفنيقية التي تعود إلى القرن السادس وبداية القرن الخامس ق.م وهي حسب بوشيك Ponsich على بعد ثلاثة كلم جنوب رأس سبارطيل في موضع الجبيلة Djebila الحالي.

ـ أرامبيز (Arambys) : تعني هذه الكلمة حسب مارسي Marcy مصب (Embouchure) وتطابق عنده سلا (شالة) أما كاركوبينو فتعنى عنده رأس العنب - Har) (Aubus وتشكل بذلك مرادفا آخر لمصطلحي كوتيس الأمازيغي وأمبلوزيا الإغريقي.

يشير التقرير أيضاً إشكالية تسميات الأودية المغربية. ورد في الفقرة السادسة ما يلي :

"ومن هنا وصلنا إلى نهر كبير اسمه لكسوس ينبع من ليبيا : ويعيش على ضفافه اللكستيون الرحل، يرعون قطعانهم، فأقمنا مدة بينهم ..."

يرى بعض الباحثين المعاصرين أنه يجب البحث عن هذا النهر جنوب المغرب ويطابقونه بنهر درعة الحالي ؛ في حين يرى البعض الآخر أنه يجب موافقته مع اللوكوس الحالي الذي لا يزال يحتفظ بنفس التسمية.

ولمصطلحي لوكوس ودرعات (Darat) حسب مارسي لهما نفس المعنى، وهو النهر ذو المياه الغرينية. ويخالف روسو Rousseaux هذا الرأي ويعتبر وادي درعة من الأودية الجافة وبالتالي من الصعب أن تتوفر فيه مياه غرينية. يرفض كاركوبينو بصفة قطعية مطابقة ليكسوس الذي تشير إليه رحلة حانون. بكسيون Xion الذي تشير له رحلة سيلاكس المزعوم، ويعتقد أن النهر الوارد في رحلة حانون هو وادي اللوكوس الحالي الذي يحافظ منذ القديم على نفس التسمية. أما رامان Ramin فيرى أن وادي اللوكوس الوارد اسمه في الرحلة الحانونية يطابق أحد أودية الجنوب المغربي، ويميل من جهته لترجيح كفة وادي درعة.

* * *

نصل إلى المحطة التي أثارت العديد من الافتراضات والتساؤلات وهي جزيرة سرني Cerné.

ورد اسم هذه الجزيرة عند عدد كبير من الكتاب القدماء مما يبين أهميتها. ومن خلال استعراض النصوص القديمة يتبين بأنه من الصعب ضبطها بتدقيق فهي جزيرة بشرق افريقيا من خلال مصادر، ويغربها من خلال أخرى.

وإذا اقتصرنا على سرني الغربية فليس من السهل تحديدها. يجعلها حانون "على خط واحد مع قرطاج، ذلك أن الوقت الذي [أمضاه] في الإبحار من قرطاج إلى الأعمدة هو نفس الوقت الذي يمكن استغراقه للذهاب من الأعمدة إلى سرني ..." ويقول بوليب Polybe (القرن II ق. م) بأن "سرني توجد بحدود موريطانيا في مواجهة الأطلس، وعلى بعد ثمان سطادات من اليابسة" ووصفها الجغرافي أفينوس Avinus بالنائية. وكان سطرابون أكثر المؤلفين تشككا، فقد صرح بأن سرني في عصره لم تكن توجد بأي مكان :

"Cerné ne se retrouve aujourd'hui nulle part"

ونجم عن تضارب آراء الكتاب القدماء تباين مواقف الباحثين المعاصرين : فهناك من طابق سرني بجزيرة فضالة أو جزيرة موگادور، وذهب فريق ثان إلى البحث عنها عند مصب نهر الساقية الحمراء بين رأس بوجدور ورأس جوبي (Juby) (طرفاية) أو بوادي الذهب حيث الجزيرة الصغيرة هرني Herné واعتقد فريق ثالث بأنها توجد خارج حدود المغرب المعاصر فطابقوها بأرگوان Arguin بموريطانيا، وحاول فريق آخر البحث عنها في السنغال فوافقت عندهم سان لوي St. Louis أو گوري Gorée ...

وكلمة سرني تعني "آخر سكنى" أو "دار أخيرة" حسب باحثين، وتعني قرن Krn حسب آخرين. ومن المعلوم أن الفنيقيين الذين أبحروا طويلا كان من الطبيعي بالنسبة لهم أن يعطوا اسم سرني Cerné للمركز البعيد عن قاعدتهم الأساسية ؛ وهذا الأمر هو الذي شجع رامان Ramin على قول بأنه ليست هناك سرني واحدة. في حين يميل بعض المؤرخين والأثريين إلى مطابقة هذه الجزيرة بموگادور اعتماداً على آثارها. وإذا اتفقنا مع هذا الرأي هل يلزم أن نبحث عن موضع آخر لمستعمرة كاريكون تيكوس التي تموضع بدورها بموگادور ؟

وإذا كان من الصعب أن نتحدث بصفة يقينية عن مواضع بعض المستعمرات والأنهار الوارد اسمها ضمن الرحلة الحانونية، فماذا عن القبائل ؟

يعسر أيضاً أن نتعرف بدقة على مجال شعب اللكستيين Lixites. فقد يدل على سكان مدينة ليكسوس القديمة القريبة من مدينة العرائش الحالية، وهذه وجهة نظر كاركوبينو؛ وفي المقابل يحدد رامان مجال اللكستيين بالارتكاز على نمط عيشهم، وبما أنهم حسب رحلة حانون "رحل" يعتمدون الرعي فإنه يفضل توطينهم بجنوب المغرب.

هل تساعدنا المصادر القديمة على حل هذا الاشكال ؟

يذكر المؤرخ القديم پوزنياص Pausanias (القرن II ق.م) بأن اللكستيين يشبهون في معيشتهم الأطلنتيس Atlantes والناصامون Nasamons ؛ وهم يقطنون على حدود الأطلس ويقتاتون فقط بثمار الكروم البرية. وقوله هذا يشجعنا على اعتبار اللكستيين من سكان الجنوب المغربي.

وأشارت الرحلة إلى شعوب أخرى منهم الأثيوبيون Aethiopes والتروكلوديت Troglodytes. وتحدد هذه القبائل بالجنوب المغربي ؛ فالأثيوبيون بعد عصر حانون تفرعوا إلى عدة فروع استوطنت ضفاف الأنهار المغربية الجنوبية وبالأساس درعة ؛ في حين حُدد مقر سكنى التروكلوديت بسلسلة الأطلس.

هكذا يزودنا هذا التقرير بمعلومات ضافية تحتاج إلى مزيد من البحث المتروي للتحقق من بعضها وضبط بعضها الآخر.

يسترعي انتباهنا اختفاء جل المدن التي عمرها أو أنشأها حانون فلم يعد لمعظمها ذكر في المصادر اللاحقة. فهل هي مدن أشباح كما صرح بذلك كاركوبينو ؟ وهل اندمجت عناصرها الوافدة بسكان المغرب الأوائل فلم يعد باستطاعة الرحالة والكتاب اللاحقين التمييز بين المدن "الليبية والفنيقية" ؟ هل اندثرت هي وغيرها من المدن بفعل الحروب ؟ فالجغرافي سطرابون Strabon نقلا عن الرحالة Ophélas يقول إن أكثر من 300 مدينة فنيقية قُضي عليها خلال الحروب التي دارت رحاها بين سكانها والأهالي (النگريت Nigrites) والفاروسيين (Pharusiens).

أين نموضع المدن على خريطة اليوم ؟

لاحظنا أن بعض الباحثين غيّروا من المعطيات الطبيعية للمغرب ليخضعوها للنص ؛ وأرجع البعض الآخر أخطاء النص للناسخين واجتهد فصححه ليحصل على معلومات توافق منهجيته. نقول للمجموعة الأولى التي بدلت المعطيات الطبيعية للمغرب بأن عملها يخالف تصريح الجيولوجيين الذين أثبتوا بأن المغرب جيولوجيا لم يتغير منذ الزمن الرابع. ونقول للمجموعة الثانية، لا يمكن أن نستخرج من النص مالا يوجد فيه. صحيح أن الناسخ معرض للوقوع في الخطأ، ولكن لا يلزم أن نعلق جهلنا بخطأ الآخرين.

إذن فلننتظر أن تتظافر جهود العديد من العلوم وأن يصبح المسح الأثري شاملاً لنتزود بمعلومات إضافية عن تاريخنا القديم.


ب. بلكامل، مجموع *محاضرات* 1988 ـ 1991 : *"الصويرة في عصورها القديمة من خلال الكتابات التاريخية* : (إشكالية التسميات)" أعمال الأيام الدراسية بالصويرة، أكتوبر، 1990، ص. 33 ـ 51.

J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1943 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; Id., *Recherches sur l'activité des méditéranneéns aux confins de l'Afrique*, Rome, 1978; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afriqur du Nord*, Paris, 1913, Tome I ; G. Germain, *Qu'est ce que le periple d'Hannon ? Document, amplification littéraire ou faux intégral, Hesp.* XLIV, 1957 ; A. Jodin, *Mogador, comptoir phenicien du Maroc atlantique*, Tanger, 1966 ; G. Marcy, *Notes linguistiques autour du periple d'Hannon, Hesp.* XX, 1935 ; Id., *Le périple d'Hannon, dans le Maroc antique de J. Carcopino", Journal asiatique* 1943 - 1945, ; R. Mauny, *Les siècles obscurs de l'Afrique du Nord*, Paris ; G-Ch. Picard, *Authenticité du periple d'Hannon*, C.T., 25ème année ; J. Ramin, *Le périple*

d'Hannon, *B.A.R.*, série 3, 1976 ; R. Roger, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Rousseaux, *Hannon au Maroc, R.A.* 1949 ; Tauxier, *Les deux rédacteurs du periple d'Hannon. R.A* 1882 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1876 ; Vivien de St. Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine*, Paris, 1863.

بلكامل البيضاوية

**الحايطي**، نسيج غليظ ملوّن من صوف وحرير يعلق على الحيطان لأجل التدفئة والزينة، ولم تكن جدران منازل السواد الأعظم من سكان أهل الحواضر المغربية، باستثناء القصور والإقامات الفخمة التي كانت في حوزة الأثرياء والأعيان، مغطاة بالزليج والفسيفساء ولا بأنواع الطلاء الحديثة والصباغة اللامعة. ما كان متداولا عند عامة الناس هو السقوف الخشبية المسماة "بالجايزة" التي يتخذ أجودها من شجر الأرز، والجدران المبنية بالطوب أو الحجر والمطلية بطبقة واحدة أو طبقتين من خاتر الجير أو بطبقة سميكة من عجين الجبس إن كان الشخص من الموسرين المتوسطين. لذلك كان اللجوء إلى تغطية الجدران بالحائطيات شيئاً مألوفاً بالنسبة إلى سكان الحواضر المغربية، إلى فترة قريبة، وخاصة في الأفراح والمناسبات. وقد سُمي هذا الغطاء بالحايطي لأنه يغلف الحائط ويغطيه ويعطيه رونقاً وجمالاً. وانتشرت الحائطيات أكثر بالمغرب أيام السعديين، واشتهر بها قصر البديع بمراكش أيام أحمد المنصور الذهبي.

كانت الحائطيات تنسج على يد "الزرادخي"، وأحسنها يُصنع في مدينة فاس. وقد اشتهر عبد القادر بن الشريف وأخوه عثمان بإنتاج أحسن بسائط الحائطيات من أقمشة القطيفة والطلس والكمخة والحرير مع ما كانا ينتجان على منوالهما الرفيع من رايات مخزنية وأحزمة وأقمشة حريرية موشاة بخيوط الذهب والفضة. وبعد الانتهاء من بساط الحائطي يسلمه النساج إلى المعلمة "الطرازة" لترقم على مختلف قطعه مجموعة من الرسوم والأشكال الهندسية كالأقواس والزهور والورود وغيرها، وتحرص على تنسيق رسومها مع بساط الحائطي فتدمج مثلابين اللون الأخضر والأحمر أو الأحمر والأصفر أو الأزرق والأصفر أو غيرها من الألوان الفاتحة المناسبة، مما يثير النظر ويضفي على المكان جمالاً وبهاءً. لذلك كانت قيمة الحائطي كبيرة كلما كان بساطه من طلس أو حرير وكانت أرضيته مملوءة بالطرز. وفي نهاية تحضيره يتسلم "الخياط" مختلف القطع المطروزة ويباشر وصلها ببعضها إلى أن يصبح الحائطي كله قطعة واحدة، فلا يبقى إلا دور "الفراش" الذي توكل إليه مهمة تثبيت الحائطي على الجدران أو بداخل الخيمة.

كانت الحائطيات من أنواع مختلفة، منها ذات البسائط الكتانية والقطنية والحريرية، ومنها ما يحمل رسوما قليلة، وما كانت الرسوم تملؤه بالربع أو الثلث أو النصف أو أكثر من ذلك أو أقل منه. وأحسنها ما كان بساطه من حرير هندي وطرزه بخيوط الذهب مما لا يملكه إلا السلاطين وكبار رجال المخزن والقواد والأعيان. أما الفقراء من الناس ممن لم تكن تتوفر لهم الإمكانات المادية الكافية وكان لابد لهم من الحائطيات في أفراحهم فكانوا يعمدون إلى كراء أدنى هذه الحائطيات مرتبة من بعض "السراجين" أو "الفراشين" أو "النگافات" (الماشطات) لتغطية الجدران أثناء الحفلات. وقد لا يقوى أكثرهم إملاقا إلا على اقتناء حائطي صغير الحجم لا يغطي الجدران بكاملها بل المكان المخصص لجلوس العروسين فقط يدعى "الحايطي الزحّاف" إشارة إلى أنه قصير لا يستطيع أن يغطي من الحائط إلا أعلاه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المساجد في سائر الحواضر المغربية كانت لا تخلو جدرانها من حائطيات تغطي جدرانها، ومازالت، لكنها كانت كلها من حصير تتخللها أنواع من الرسوم ينسجها "الحصارون". ومازالت هذه الحائطيات تستعمل إلى يومنا هذا في بعض الحفلات سواء في المنازل أو الخيام.

L. Brossard, *Les fils et les tissus*, Paris, 1977 (reédition) ; Louis Capperon, *Au secours de Fès*, Paris 1912 ; L. Chajai, *Langage d'artisans à Marrakech*, Université de Paris 4, Doctorat nouv. régime, 1986 ; A. Chenail, *Dessins d'art marocain*, Rabat 1930 ; J. Felz, *Au Maroc inconnu*, Grenoble, 1935 ; Jean Fontanes, *Histoire des métiers d'art*, Paris, 1950 ; Henri Gayot, *Le décor floral dans l'art de l'Islam occidental*, Rabat, 1955 ; *La broderie de Fès*, Rabat, 1959 ; A.M. Goichon, *La broderie au fil d'or à Fès, Hesp.*, tome 26, 1er trim. 1939 ; L. Golvin, *Le métier à la tire des fabricants de brocart de Fès, Hesp.*, tome 37, 1er et 2ème trim. 1950 ; A. Grohman, *Tiraz, E.I.*, tome 4 ; A. Jacob, *Arts et objets du Maroc*, *ABC Décor* n° hors série, Paris, 1974 ; J. Lapanne - Joinville, *Les métiers à tisser de Fès, Hesp.*, tome 27, 1940; P. Ricard, *Une lignée d'artisans, les Ben Chérif de Fès, Hesp.*, tome 37, 1950 ; R. Seguy, *Quelques experts de Fès, La Renaissance du Maroc, dix ans de protectorat*, Rabat, 1922 ; J. et J. Tharaud, *Fès ou les bourgeois de l'Islam*, Paris, 1954.

**الحايك** أو الكساء، رداء غير مخيط يلف به الشخص جسمه حتى يغطيه به من الرأس إلى القدمين. لم يكن خاصاً بالرجال دون النساء، فهو يدعى الحايك عند النساء والكساء عند الرجال، ويكون لونه في الغالب هو البياض وحجمه خفيف وملمسه ناعم شفاف، كما قد يكون من صوف غير أبيض ونسيجه متين وغيرشفاف، ويسود هذا النوع الأخير في البوادي الواطئة من المغرب الأطلنتي ويدعى عندئذ "الشملة"، وإذا كان من صوف غليظ مما يلبس في الفصول الباردة وتجاوز طوله أحد عشر ذرعا سمي "الحداشي".

وقد كان الحايك ينسج قطعة مستطيلة الشكل تنجز خرقتها دفعة واحدة ويتراوح طولها بين خمسة وستة أمتار ولا يقل عرضها عن المتر والنصف لكنه لا يتعدى المترين. وهو يتخذ عادة من قماش صوف خفيف في فصل الصيف والفصول الحارة ومن صوف غليظ في فصل الشتاء والفصول الباردة. وتختلف أنواعه حسب الجودة والشفافية

والإتقان تبعاً لاختلاف المناطق ومستوى الثروة والمنصب الاجتماعي وفصول السنة. ويرتديه الفقراء من الناس من صوف ضعيف الجودة خشن المنظر والملمس أبيض اللون أو مخطط. أما الموسرون من أهل الحواضر العريقة فلا يتخذون الحايك أو الكساء إلا من صوف رفيع دقيق النسج ناعم الملمس يتخلله بالنسبة لأكثرهم ثراءً أشرطة متوازية مستطيلة من الحرير تنسجم انسجاما رائعا مع لون الصوف الأبيض. وقد استمر تداول هذا الرداء في حواضر المغرب إلى منتصف القرن الحالي وفي البوادي إلى ما بعد ذلك وخاصة في السهول الساحلية والداخلية.

وكان يرتدي أحسن أنواع الأكسية في حواضر المغرب السلاطين والوزراء والقواد والباشوات والعلماء والقضاة والفقهاء. فإذا كان سدى الكساء من خيط رقيق النسج ولحمته من غزيل متين من صوف أبيض تتخلل خرقته حبيبات صوف ناعمة ناتئة دعي "المحربل" أو "المحبب"، أما إن كان سداه ولحمته معا من صوف رقيق فانه يسمى "السوسدي". إلا أن أحسن الأكسية على الإطلاق وأكثرها غلاء وأقلها تداولا بين الناس كان هو "الكساء الرقيق" الذي يسمى أيضاً "كساء الشعرة" و"كساء خرقة البزيوي"، وهو من صوف طويل الألياف ناصع البياض شديد الرقة يكاد المرء أن يطبق عليه راحة يده الواحدة من فرط دقة نسج غزيله.

والكساء ـ الحايك رداء عريق في القدم إلى حد أن بعضهم اعتبره هو الجد الأول لكل الملبوسات الخارجية. وهو يشبه إلي حد كبير الرداء الذي كان يلبسه الرومان القدامى (La tage). وتشهد كتب التاريخ على أن استعماله كان سائدا في شمال إفريقيا منذ عهود غابرة حيث كان يرتدى عند الجنسين دون الاستعانة بأي مشد أو مشبك خارجي على نفس الطريقة التي مازال سكان ليبيا الحالية يلفونه بها حول أجسامهم بعد ارتداء ملابسهم الداخلية.

وكانت طريقة ارتداء الحائك في القرن الثالث عشر (19م) بالنسبة للذكور والإناث معاً تتم على الشكل التالي: يمرر الشخص أحد طرفي الكساء على كتفه الأيسر ثم يعقده بحزام يشده إلى بطنه ثم يلقيه من وراء ظهره ليغطي به جسمه من الخلف ثم ينزل به ليغطي به أسفل جسمه ويقبض حاشيته اليسرى بيده اليسرى قبل أن يرميه من جديد خلف ظهره ويمرره من تحت إبطه ليغطي به صدره. وبعد أن يكمل بالحايك دورة أولى بالرجوع به إلى الكتف الأول الذي انطلق منه يلفه على رأسه مرة واحدة أو اثنتين ويستأنف عملية الشد من جديد على الظهر والصدر، وبعد تغطية الجزء الأعلى جسما ورأسا ينتقل الشخص إلى القسم الأسفل ليلفه بنفس الطريقة الموصوفة.

وتلتحف المرأة بحائكها ثم تضع اللثام على وجهها، وهي تستطيع أن تتحكم فيه وتحركه كيفما تشاء بالاعتماد على يديها الاثنتين وخاصة يدها اليمنى.

وهناك طريقة بسيطة وسريعة للالتحاف بالحايك تستعملها بعض النساء في حالات الاستعجال والطوارئ وأثناء التنقل العادي داخل الحي أو أثناء الخروج لقضاء الحاجات في الأسواق القريبة. تسمى هذه الطريقة السريعة في الالتحاف " الشدة والردة"، وهي لا تتطلب أكثر من شد طرفي الحايك وتغطية الجسم والرأس به ووضع الطرف الآخر فوقه، أي رده عليه، وإمساك هذا الطرف بإحدى اليدين، فتكون المرأة وكأنها ترتدي جلبابا بدون قب مفتوح من الأمام من وسطه. وتسود هذه الطريقة على الخصوص في سهول المغرب الأطلنتي وخاصة في عبدة ودكالة وحاحة والشياظمة والشاوية.


م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء 18، الدار البيضاء، 1960 ؛ م. الحلوي، *معجم الفصحى في العامية المغربية*، الدار البيضاء، 1988 ؛ أ. الصبيحي، *في بعض العادات المغربية*، فاس 1925.

G. Charmes, *Une ambassade au Maroc*, Paris, 1844 ; P. Jacquet, Au *Maroc de notre jeunesse*, Montpellier, 1987 ; E. Doutté, *En tribu*, Paris, 1914; *Marrakech*, Paris, 1905 ; A. Renou, *Le mouton*, Paris [s.d.]; J.M. Abdeljalil, *Le Maroc*, Paris, 1942 ; H. Mercier, *L'arabe par l'image, textes ethnographiques*, Rabat, 1946 ; H. Basset, *La fête de Lalla Ksaba*, *France - Maroc*, n° 6, p. 36, juin 1917 ; M. Julienne, *En dissidence*, Paris, 1933; F. Bonjean, *Esquisse d'un portrait de la marocaine*, Casablanca [s.d.] ; M. De Aldecoa, *Cours d'arabe marocain*, Paris, 1942 ; C. Didier, *Promenade au Maroc*, Paris, 1844 ; G.S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953 ; Navarro Al Barracin, *El Hayk en la zona atlantica del Marruecos español*, *Tamuda*, tome 2, 1954.


محمد بوسلام

* * الحايك، استغله البرتغاليون وكان يصنع بكثرة في بادية دكالة وفي أسفي والبريجة عند احتلالهم لهذه المنطقة في القرن التاسع (15 م). وعرف إنتاج المنسوجات الصوفية

طفرة كبيرة بعد تنظيم البرتغاليين للتجارة بغرب أفريقيا بجزيرة أرگان أولا - ساحل موريطانيا -، ابتداء من سنة 1455، ثم بلامينا (Lamina)، بساحل الذهب، بعد 1481. فقد أضحوا يقايضون هناك العبيد بما أصبحت الوثائق البرتغالية تنعته بـ : "أثواب أرغان (Roupa de Arguim) التي كانت تتمثل في الحياك والحنابل، وإلى حد ما في الجلاليب. وكانت تلك الأثواب أهم ما ينتج هناك، والإقبال عليها كبير إلى حد أن عبدا كان يبادل ببضعة أمتار منها. لذا حظي إنتاج واقتناء الحياك - والحنابل - باهتمام الملك البرتغالي الذي كان آنذاك أكبر تجار بلاده، ومحتكر الأنشطة التي تضمن أهم ربح.

وتزودنا الإيصالات، أو وثائق إبراء الذمة التي كانت السلطة المركزية تسلمها لموظفين بعد انتهاء مأموريتهم، بفكرة عن الكميات التي اقتناها ممثلو الملك البرتغالي بأسفي وأزمور. فقد بلغ مجموعها بالمدينة الأولى 58019 حائك موزعة على الإيصالات كالتالي :

| المجموع | 1521-1517 | 1510.1508 | 1501 | 1500.1498 | 1498.1495 | 1495.1491 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 58019 | 26930 | 293 | 9781 | 3273 | 8265 | 7477 |

وكانت الكميات التي وردت بالإيصالات التي تهم أزمور قليلة. ويعود ذلك إلى الدور الذي أوكله البرتغاليون للمدينة بعد احتلالها، والمتمثل في جمع الحبوب والخيول وصيد الشابل.

أحمد بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984 ؛ رينهارت دوزي، *المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب*، ترجمة أكرم فاضل، *اللسان العربي*، المجلد العاشر، الجزء الثالث، يناير 1973، ص 31-33.

Robert Ricard, *Etudes sur l'histoire des portugais au Maroc*, Coimbra, 1955 ; P. de Cenival (et al...), *Sources inédites de l'histoire du Maroc, série Sa'adienne*, Paris, tome 1 et 2 ; P. Pereira, *Esmeraldo de Situ Orbis*, Lisboa, 1975 ; P. de Cenival, Th. Monod, *Description de la côte d'Afrique, de Ceuta au Sénégal par Valentin Fernandez (1506 - 1507)*, Paris, 1938.

أحمد بوشرب

**الحايك**، أسر تطوانية من أصول مختلفة : من الأندلس وقبائل مصمودة وبني سعيد وبني مصور وبني حُزمر، استوطنوا تطوان قديما. وفي أواخر القرن العاشر كان بتطوان أبو علي الحسن الحايك من أصحاب الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي ورفقاء الشيخ محمد نوار البسطي المتوفي عام 1006 هـ.

وممن اشتهر من المصموديين منهم الفقيه القاضي عبد الرحمان الحايك آتي الترجمة قيل إنه شريف علمي وان أحد أجداده انتقل من بني عروس إلى مصمودة، ومنها إلى قبيلة بني سعيد ثم إلى تطوان. وقد انقطع الآن عقب الفقيه هذا من تطوان. ولم يبق الآن منهم إلا أسرة اشتهرت بلقب (الطنيطن).

وذكر في *رفع الالتباس* : أن أولاد الحايك كانوا بفاس منذ القرن التاسع (15 م) والغالب على الظن أنهم من الأندلس، وكانوا يكتبون بياء النسبة (الحايكي).

م. داود، *عائلات تطوان*، حرف ح نسخة المؤلف بخطه بخزانته ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج 3 حرف ح و5 : 130، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون خ. ح.

**الحايك، عبد الرحمان** بن مَحمد الزواگي الحسني المصمودي السعيدي ثم التطواني قاضيها، ينتسب للشرف ويلتقي مع الوزانيين في السيد عمر النجاري والد الأخوين إبراهيم جد الوزانيين، وعثمان جد فرع المترجم له.

الفقيه العلامة المدرس النوازلي المفتي المؤلف المشارك الواعية، ولي قضاء زاوية أبي زيان مدة، ثم نقل إلى قضاء تطوان فوليه المرة الأولى في شعبان عام 1205 إلى عام 1212 هـ ثم أخر، ووليه مرة ثانية في 15 رمضان عام 1228 إلى رمضان عام 1231.

كان عبد الرحمان إلى جانب القضاء والفتوى يتعاطى التدريس والتأليف مولعا بالتقييد والنسخ، وكلما شرع في إقراء كتاب بدأ في شرحه والتعليق عليه. فما تم تدريسه تم شرحه. وما لا، ظل ناقصا. فمن ذلك *التفسير*، *والنصيحة الزروقية*، والمرشد المعين لابن عاشر وغيرها. افتتح إقراء هذه المواد بالجامع الكبير بتطوان. ومن عادته أن يذكر هذا في أول الشروح. وما تم إقراؤه وشرحه كثير. وقفت منه على : *إعراب مختصر خليل*، *وإعراب لامية الزقاق*، *وشرحها مستقلا*، *وحاشيتان على المكودي على ألفية ابن مالك*، *وحاشية على الدر المنظم للحكام* لابن سلمون، ألفها بطلب من صديقه الوزير النقيب السيد محمد بن الصادق الريسوني، *وشرح فرائض المختصر*، *والنوازل*، *وأربعين حديثا* من رواية الأئمة الأربعة : أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، عشرة أحاديث عن كل واحد منهم.

وذكروا له مما لم نقف عليه : *حاشية على تفسير الجلالين*، *وحاشية على التاج والإكليل لمختصر خليل* لأبي عبد الله المواق.

هذه الكتب الكامل منها والناقص مازالت بخطه في خزانة تطوان العامة وخزانة بعض حفدته وبعض الخواص. ومن منسوخاته مجموع يضم أكثر من عشرة كتب مختلفة بخط دقيق ومداد باهت، وعلى هوامشه طرر وتعاليق، محفوظ بخزانة تطوان تحت رقم : 852 م.

ومن الجدير بالذكر أن نوازله الفقهية المخطوطة (ومنها نسخة بالخزانة الحسنية) ضمنها الفقيه المفتي المهدي الوزاني نوازله الكبرى *(المعيار الجديد)* والصغرى وكلاهما مطبوع.

كما أنه من المفيد أن نشير إلى أن المترجم له كان ضد المتصوفة. فكان وراء نكبة الشيخ محمد الحراق التطواني

الشهيرة، كما كان من المشاركين في نكبة الشيخ أحمد بن عجيبة وأخيه ومريديهما المفضية بهم للسجن والامتحان والتعنيف. ويذكر الأستاذ الصوفي التهامي الوزاني التطواني في مذكراته الصوفية *(الزاوية)* أن المترجم له كان يخرج يوم الجمعة من مقصورة الجامع الكبير حاملا عصا الخطيب فيضرب بها سيقان الفقراء الحراقيين وهم يرقصون في المسجد قبل بناء زاويتهم.

توفي المترجم له في10 جمادى الثانية عام 1237 / 6 مارس 1822 بتطوان ودفن بالزاوية الريسونية.

أ. سكيرج، *نزهة الإخوان، في تاريخ تطوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، مخطوط ؛ أ. ابن عجيبة، *أزهار البستان، في طبقات الأعيان*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 6 : 275 ؛ م. المُرير، *النعيم المقيم (فهرسة)* الجزء الأول ص 114 (مخطوط بخزانة المؤلف).

محمد بوخبزة

**الحايك، محمد** بن **حسين** الأندلسي التطواني ثم الفاسي، عاش في القرن الثالث عشر (19 م) على عهد السلطان محمد الثالث وخلفه المولى سليمان، واشتهر بكناشه الذي ضمنه المستعملات الغنائية الخاصة بالموسيقى الأندلسية من توشيحات وأزجال وأشعار، انتهى من جمعه عام 1214 هـ. وقد أصبح *كناش الحايك* عمدة الموسيقيين ومرجعهم وحكمهم، وما يزال كذلك حتى اليوم.

قسم الحايك كناشه إلى خمسة أقسام :

1) مقدمة ضمنها فصولا ثلاثة :

ـ الفصل الأول في جواز السماع واستحكامه. استعرض فيه جملة من الأخبار التي تؤكد على جواز السماع وتبيح الغناء.

ـ الفصل الثاني في منافع السماع وأحكامه. وقد ذكر فيه أن في كل لذة ما يتعب الجسد إلا الغناء ففيه راحة له.

ـ الفصل الثالث في أصل السماع وأحكامه. وفيه تحدث عن أصول الغناء العربي التي ترعرعت في أمهات القرى من الجزيرة العربية، وهي غناء الركبان، والترجيع الكثير النغمات، والغناء الخفيف.

2) كلمة موجزة عن الموسيقى، وعن آلة العود. وفيها عرف الموسيقى بأنها "علم الألحان، أي صناعة الطرب والصوت، وهو الغناء". ثم تحدث عن العود وأصوله الأولى.

3) طبوع الموسيقى الأندلسية. وقد قرر أنها بلغت في عهده خمسة وعشرين طبعا، وأن أهل زمانه اقتصروا على استعمال إحدى عشرة نوبة، وأنهم كانوا يضيفون إلى كل نوبة ما يناسبها من الطبوع.

4) ميازين النوبة، وفي هذا القسم استعرض الميازين الأربعة التي كانت *تقوم النوبة عليها في زمانه*، وهي البسيط، والقائم والنصف، والبطايحي والقدام، ثم عرف هذه الميازين وضبط نقراتها.

5) الاشعار والأزجال والتوشيحات المستعملة في الموسيقى الأندلسية. وهي تشكل جملة ما كان متداولا في عهد الحايك من مستعملات النوبات الإحدى عشرة، والتي كانت تغطي سائر ميازينها باستثناء ميزان قائم ونصف نوبة الرصد، وقائم ونصف الحجاز المشرقي الذي كانت مستعملاتهما الشعرية ضائعة على عهد الحايك.

وقد جرت مراجعة كناش محمد بن الحسين الحايك مرتين.

أولاهما أيام السلطان محمد بن عبد الرحمان. وكان هدفها اعتماد ترتيب جديد للنوبات والصنائع.

والثانية عام 1303 / 1885 بدعوة من محمد بن العربي الجامعي وزير السلطان الحسن الأول. وقد انعقدت لهذا الغرض لجنة من شيوخ "الآلة" انكبت على مراجعة كناش الحايك وإعادة ترتيب ميازينه، واختزال بعض صنعاته، واستبدال بعض أشعاره بأخرى جلّها في المديح النبوي. ويمكن حصر أبرز التعديلات التي طلع بها المجموع الجديد والذي أصبح يعرف باسم *مختصر كناش الحايك* في الآتي :

ـ الاستغناء عن المقدمة بسائر فصولها وماتلاها من حديث عن الموسيقى والعود والطبوع والميازين.

ـ استبدال أشعار نوبة رمل الماية التي كانت في الغزل ووصف العشي بأخرى مختارة مما نظم في المديح النبوي والتشوق إلى الديار المقدسة.

ـ إضافة ميازين الدرج إلى النوبات الإحدى عشرة.

ـ إضافة البراول إلى الميازين، وهي الأشعار الملحونة، وقد أصبح *مختصر الجامعي* مرجع شيوخ هذا الفن وعمدتهم في أكثر الحواضر المغربية التي تعمل بمذهب أهل فاس. وتوجد له عدة نسخ مخطوطة بالخزانة العامة من بينها :

ـ مخطوط رقم 1327. كان الفراغ من استنساخه في مستهل رجب عام 1330.

ـ مخطوط رقم 488 د. تحدث عنه محمد بوجندار في كتاب "الاغتباط".

ـ مخطوط تحت رقم 1031 د.

وقد عمل بعض المهتمين حديثا على طبع مختصر الحايك واصداره في طبعات خاصة هي حسب ترتيبها الزمني على النحو التالي :

1) *مجموع الأغاني الموسيقية الأندلسية المعروف بالحايك*. أنجزه الفنان الرباطي محمد بن الحاج الدكالي المعروف بلقب "حبيبي امبيركو" المتوفى عام 1354 / 1935. وهو يحتوي على ست نوبات هي : رمل الماية، والعشاق، والاصبهان، وغريبة الحسين، والرصد، ورصد الذيل. وقد جرى طبعه بالمطبعة الاقتصادية بالرباط.

2) *مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المعروف بالحايك*. أعده ورتب ميازينه وحقق مستعملاته عبد اللطيف بنمنصور عام 1397 / 1977. وهو يتميز باحتوائه مقدمة الحايك.

3) *التراث العربي المغربي في الموسيقى - مستعملات نوبات الطرب الأندلسي المغربي - شعر - توشيح - أزجال - براول*، أنجزه الحاج إدريس ابن جلون التويمي عام 1981، ومهد له بمقدمة الحايك.

- *من وحي الرباب* جمعه وحققه الفنان الحاج عبد الكريم الرايس عام 1982، وهو أكثر المجاميع والمطبوعات قربا من *مختصر الجامعي* لخلوه من مقدمة الحايك، وقائم ونصف كل من الرصد والحجاز المشرقي.

أما *كناش الحايك* الأصلي فتوجد له نسخ مصورة من مخطوط كان الفراغ من استنساخه في 15 شوال عام 1325، وأصله من ممتلكات ورثة الحاج عبد السلام بن الحسن الرقيواق بطنجة، ظل هذا المخطوط مرجع شيوخ الفن في المدن الشمالية خاصة شفشاون وتطوان، مما يدل على تسمك فناني هذه المنطقة بكناش الحايك بعيداً عن التأثر بالتعديل الذي أقرته لجنة الوزير الجامعي عام 1303.

توفي محمد الحايك بفاس بعد عام 1214 / 79 - 1800.

ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 452 ؛ *المطبوعات المذكورة داخل النص*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الحايك، محمد بن عبد الرحمان** بن مَحمد المصمودي السعيدي ثم التطواني. العلامة القاضي النوازلي الموثق البارع المفتي. وُلد عام ألف ومائة ونيف وتسعين وحفظ القرآن والمتون، ثم أخذ عن والده وعلماء بلده، ولم تعرف له رحلة، ومارس التوثيق والفتوى والنوازل والقضاء طول عمره، ودرّس وقَيد وأفاد واستفاد.

ولي قضاء تطوان المرة الأولى عام خمسين ومائتين وألف واستمر إلى أن أخر عنه في رمضان عام اثنين وخمسين ومائتين وألف. واستمر في عافية إلى أن ولي المرة الثانية بتاريخ 29 جمادى الثانية عام 1271 هـ واستمر قاضيا إلى أن توفي بتطوان في 22 ربيع الأول عام 1273 / 20 نونبر 1856.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، 5 : 131 ؛ *مختصر*، ص 106، مخطوط ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ص 258 ؛ *تاريخ تطوان*، 7 : 14، تطوان.

محمد بوخبزة

**حايين** (أهل -) أهم الفصائل المكونة لقبيلة أزوافيط دعامة لف أيت عثمان المشكل إلى جانب أيت الجمل لاتحادية تكنة بوادي نون، ويصعب في ضوء المعطيات المتفرقة التي توفرها الرواية الشفوية حصر الأصول الإثنية لأهل حايين ولا حتى تفسير أو تأويل هذا الاسم في غياب مشتقات مساعدة، على أننا نلفت الانتباه إلى أن الرواية سواء داخل الفصيلة أو داخل القبيلة وحتى خارجها تتفق على اعتبار أهل حايين قادمين من موريطانيا ثم استقروا بمدشر أسرير حيث لا توجد لهم فروع خارجه. وتنسب هاته الفصيلة نفسها إلى شخص يدعى مبارك الذي يؤكد البعض أنه جاء من صحراء الترارزة في حين نجد روايات تؤكد على مقدمه من ناحية "أزواد" بموريطانيا وإن كنا نجهل بالضبط موقع هاته الأخيرة، لكن اقتراب التسمية من "أزفاط" أو أصفاد" بتحوير أحد الحروف لاشك يصب في قالب وحدة الهوية والمناورة الانتمائية لإيديولوجيا النسب في ظروف لاحقة، وعلى العموم ففي فترة يصعب تدقيقها قدم جد أهل حايين من الجنوب وترك من الأبناء هيبة ولحسن (جد أهل مبارك أعلي) وزبير، بينما تميز أحد إخوتهم بالزبيرات على أن أهل بولخيار وأهل الشفيري يكادون يغيبون بحكم الاضمحلال البيولوجي ونقص التوالد الذي حكم بتقلصهم إلى مستوى الفرد الواحد كما هو الشأن بالنسبة لأهل الشفيري مثلاً، ونؤكد هنا على تغييب الإناث كاستراتيجية لتمييز الأصول وتنقية الفروع إن لم يترك مبارك فعلا إناثا.

ولكي نفهم الدور الكبير الذي سيلعبه أهل حايين داخل القبيلة يجب أن نبين أولا مواجهاتهم الرئيسية مع الأمازيغ الذين كانوا يعلنون انتماءهم اللامحدود لمدشر أسرير في وقت زاد فيه ضغط الأوائل على التوازن الداخلي، فقد كان على أمازيغ أن يترجموا خضوعهم بالذبح على أهل حايين وتقديم الغرامات، بينما سيكون عيسى ولد إعيش بحكم أنشطته التجارية التي وسعها مع الأنجليز بالصويرة، أول مجسد لرغبة الاستقلال وترجمة الطموح المكبوت لرفع ما كان أمازيغ يسمونه "ظلم أهل حايين"، كما أن دخول أيت حماد أُعلي وأهل المحفوظ إلى المدشر سهلا بفضل درجة الانقسامات والصراعات ورغبة كل طرف في تدعيم سلطته على الآخر مع تفوق كبير لأهل حايين الذين اعتُبروا إلى مطلع القرن الثالث عشر (19 م) أسياد المنطقة كما تشهد على ذلك الرواية الشفوية، من هنا نفهم أهمية تحالف أهل المحفوظ بجانب أضراضير وأيت بلقاسم مع أمازيغ، وصراعات عيسى ولد إعيش المازيغي مع أهل المعطي نتيجة للروابط غير المنضبطة التي كان يلتزم بها هؤلاء والتي حتمها عليهم وجودهم على نقطة التماس بين أمازيغ وأهل حايين، هؤلاء الذين دفع بهم الحصار من الواجهة الغربية إلى تكثيف وضبط سلطتهم من الناحية الشرقية بإجهاض محاولات أيت ياسين الطامحين بدورهم إلى فرض كلمتهم التي كان من نتائجها درس مسجد لالاً بيت الله والذي لم يكن انتهاكا لحرمة المقدس ولكن صرامة تتطلبها المصالح الحيوية لأهل حايين المتخوفين من تقارب أيت الخنوس وأيت حماد أُعلي وأيت مسعود، وهو ما يجرّنا إلى التأكيد على أن أسطورة القرابة بين أيت محند وأهل حايين على اعتبار أنهم أولاد مبارك (يجري تقسيم الأخماس تحت هاته القاعدة) ليس في الحقيقة إلا تغطية

لتقارب المصالح التي يعطيها الرابط الدموي متانة الديمومة، وإن وصلت المواجهة المجالية إلى حد تخريب منازل أهل بايزيد بأيت مسعود، فإن التحالف الصريح لهؤلاء مع أيت الخنوس ساهم في تراجع زحف أهل حايين، كما أن المواجهة لم تكن تعني سحق الخصم نظراً لأهمية الاحتفاظ بالموازين علاوة على قيمة المغارم التي كان يحصل عليها أهل حايين مثلاً من عند أيت ياسين (السويلمات) بأسرير، وأيضاً فيما قبل من عند أمازيغ لحد أن العقاب مثلاً بعد وفاة عيسى ولد إعيش لم يتجاوز فرض الأشغال على أمازيغ.

وإذا كان الطابع المميز لأهل حايين كباقي الفصائل القبلية متسما بدرجة عالية من الانقسامية، فان الانفصال عبر فروع متعددة لا يعني إطلاقا المساواة بين هاته الأخيرة، فحتى على مستوى الأملاك يلاحظ تفوق بعض الفروع وسيطرتها على أراضي واسعة في وقت يتوارث البعض ملكيات صغيرة تحولها الانشطارات البيولوجية إلى محاصيل وراثية لا تلبث أن تتحول إلى قطع مجهرية (ميكروسكوبية) كما أن درجات التفاوت أيضاً، وخلافا لما كان يراه گلنر، تتأسس على تقسيمات اقتصادية وسياسية، فقد سمحت مثلاً التوجهات الزراعية والتجارية لعائلة أهل لحسن (خصوصا مبارك أُعلي) بتراكم أكبر قدر من الملكيات، بينما استغل أهل هيبة سلطاتهم القيادية لتعزيز مكانتهم ومحاولة الاستحواذ على نوبات الماء والأراضي، وإن كان ذلك في الغالب لا يعني سوى أشخاص منفردين، إذ نتساءل هل كانت القيادة في أهل حايين تخدم مصالح المخزن وتدعمه أم أنها كانت تابعة لتطورات مجالية داخلية كرس خلالها هؤلاء خدمتهم فقط لتنمية وترقية استفادتهم؟ بالرغم من ضرورة التلميح إلى تكامل الوظيفتين، وبالرغم من أننا نتوفر على وثائق تثبت مراسلات السلطان عبد العزيز (De La Chapelle) إلا أن ذلك كان في مجمله رداً على استئثار أيت الخنوس في شخص عائلة الكوري الشهير خاصة محمد لحماد ولد حماد ألكوري ويوسف من بعده من أهل حماد أُسالم التي أصبحت حتى أواخر القرن الثالث عشر (19 م) من أهم فصائل قبيلة ازوافيط (Le Chatelier, 83) ثم لحبيب من عائلة أهل المعطي اللذين استغلا دعم السلطان الحسن الأول الباحث عن زعامات محلية، فالتبادل المصلحي بين المخزن والقبائل يفجر حدود هاته الأخيرة على المستوى الخارجي ما في ذلك شك (بورقية : 45) لكنه في الوقت نفسه يؤجج مطامح أخرى تكون مسؤولة في مثالنا بالفعل عن عمالة محمد يحيى من أهل هيبة مع الفرنسيين، بل إنه سافر إلى تزنيت قبل دخولهم إلى وادي نون، وهو عمل بالغ الدلالة، خاصة إذا علمنا أن تحالف أهل علي منصور غيب أهل حايين من جدول مصالحه في وقت كان الاستحواذ على الأراضي يكرس أهمية الأملاك لكنه أيضاً ينظم عن طريق سلطة الفصائل والتطورات العسكرية والسياسية على الأقل إلى حدود سنة 1729 كما تشهد بذلك إحدى الوثائق (أزوافيط، 365).

وعلى المستوى الخارجي تؤكد الرواية الشفوية على الأدوار الرئيسية التي لعبها أهل حايين في صراع أيت عثمان مع أيت الجمل لحد أن الفصيلة تفتخر بالوقائع التي هزمت فيها أيت لحسن ونهبتهم. فأوالية الانشطار والانصهار تفرض نفسها بشكل لافت للملاحظة حتى إن اعتبار العلاقة الحميمة التي يقول أهل حايين إنها ربطتهم بولد العيدْ بأدوار لا يجب أن نفهم منها أكثر من رغبة ملحة في الارتباط بعثمان بن مندي خاصة وأن مكان وموقع أدرار يعود بالفصيلة إلى الجذر الأصلي لتلتقي عبر شبكة من الرموز بلف أيت عثمان عبر يحيى وبلّة أبناء عثمان (يحيى جد أهل غيداً)، مكملة بذلك ايديولوجيا النسب لفروع متفرقة لايجمعها في الحقيقة إلا وحدة الجوار وارتباط المصالح، على أن ظرفية المواجهات وتمايز الفخذات من حيث القوة والضعف تجعل من هاجس التكاثر أمراً ملحاً من أجل تسليح أكبر عدد من الذكور (Pascon, 111) لذلك نجد أن الإحساس بالتراجع دفع بأهل حايين إلى احتواء أكبر عدد من الدخلاء فيما نصطلح عليه بالتكاثر الاستراتيجي لضمان الحق في الأراضي والماء. غير أن ذلك اليوم ما يزال يؤرخ لظرفية تراجع كبير يشهد عليها كثرة الهجرة إلى المدن الداخلية منذ بداية القرن وبيع الاملاك إضافة إلى تراجع العائلات بل وانقراض بعضها.


رحمة بورقية، *"حول القبيلة في المجتمع المغربي في القرن (19 م)"* *مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية*، ع 14، الرباط، 1988 ؛

مصطفى ناعمي، *"ازوافيط" معلمة المغرب*، الجزء الثاني.

F. De La Chapelle, *Les Tekna du sud-ouest marocain, étude géographique, historique et sociologique*, *B.A.F.C.M.*, 1934 ; A. Le Chatelier, *Tribus du sud-ouest marocain*, Paris 1891 ; P. Pascon, *Segmentation, stratification dans la société rurale marocaine*, *B.E.S.M.*, N° 138 / 139, 1979.


أحمد جوماني

**حباب**، جارية رومية تزوجها الأمير الموحدي إدريس المامون بن يعقوب المنصور، وولدت له عبد الواحد الذي سيحمل لقب الرشيد بعد توليه الملك بجهود والدته وتدخلها في شؤون البلاد، حيث إنها تعتبر من دهاة النساء وأبرعهن في المناورات السياسية واستمالة قادة الجيش. وقد أبانت عن حنكتها السياسية وتطلعها إلى الحكم يوم وفاة زوجها المامون بوادي العبيد، فكتمت الوفاة واستدعت ثلاثة من قادة الجيش كانوا عمدة المامون لكل واحد منهم عشرة آلاف جندي من بين قومه وعشيرته، وهم كانون بن جرمون السفياني وشعيب أوقاريط الهسكوري والقائد الرومي رئيس فرقة الأفرنج، فأبلغتهم بالأمر وأطلعتهم على ما تعتزمُه من تولية ابنها عبد الواحد الملك وهو في سن الرابعة عشرة، وأغدقت عليهم العطايا بسخاء ووعدتهم بأن

تجعل مدينة مراكش فيئاً لهم إن دخلوها، فامتثلوا لرغبتها وجرت بيعة الأمير في اليوم الثاني لوفاة المأمون وهو فاتح محرم عام 630 / 18 أكتوبر 1232، وتوجه الجميع إلى مراكش ومعهم جثمان الهالك في تابوت، وتابعت حباب مسيرتها في نصرة ولدها طوعا أو كرها بالترغيب والتهديد غير مبالية بالثورات التي قادها منافس ولدها يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور. وفي هذا الصدد يقول ابن أبي زرع: "فسمع أهل مراكش بما شرطته حباب للرومي والقواد من نهب المدينة فخرجوا مع يحيى لقتال الرشيد والتقى الجمعان وأتى الرشيد حتى وقف بباب المدينة فتحصن منه أهلها وغلّقوا الأبواب فأمّنهم وبعث إلى القائد الرومي وأصحابه بقيمة فيء مراكش فقبضوه..." لكن حباب لم تستمتع بفترة ملك ولدها الرشيد بسبب المعارك المتوالية التي خاضها إلى حين وفاته سنة 640 / 42-1243.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص 254 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 241-242.

محمد ماگامان

**الحبابي**، أسرة فاسية على فرقتين - كما جاء في *رفع الالتباس* - فرقة من قبيلة كرجامة بقصر ريحانة من جبل حبيب، ومازالت طائفة منهم بهذا الجبل. وهؤلاء هم الساكنون بزنقة حجّامة، أهل طلب ومال وتجارة وحرفة ومعاش، منهم الحاج محمد الحبابي (ت. 1152 / 1739) من أكبر مريدي الشيخ أحمد التجاني. وفرقة ثانية من أهل فاس بيدهم توقيت منار القرويين يتوارثونه جيلا بعد جيل حتى الآن. وستأتي تراجم بعضهم..

ع. ابن سودة، *ازالة الالتباس عن قبائل سكان مدينة فاس*، مخطوط، خ.ح.

**الحبابي، إدريس** بن محمد بن الطاهر الفاسي. كان - كأبيه آتي الترجمة - ملماً بالحساب والتوقيت والتعديل، وخلفه في منصب موقت منار جامع القرويين وظل على ذلك إلى أن توفي ليلة الجمعة تاسع ربيع الأول عام 1299 / 27 يناير 1882. ودفن قرب والده بروضتهم بالقباب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2671.

**الحبابي، عبد القادر** بن محمد بن الطاهر الفاسي، عالم مشارك يغلب عليه جانب الرياضيات والفلك، ولا يُذكر أنه تولى منصب التوقيت رغم ضلاعته في هذا العلم.

توفي في مهل ذي الحجة عام 1298 / 25 أكتوبر 1881 ودفن قرب قبة الشيخ أحمد اليمني بالقباب مع والده.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2670.

**الحبابي، عبد الله** بن عبد القادر الفاسي، موقت منار القرويين. كان - كأبيه وأخيه - رياضياً فلكياً موقتاً معدلاً، وإلى ذلك كان فقيها فرضياً مشاركاً. أخذ عن أخيه محمد آتي الترجمة، وعن الشيخ إدريس بن الطايع البلغيثي وأحمد بن الطالب ابن سودة وعبد الله بن إدريس البدراوي وغيرهم.

تولى التوقيت بالقرويين بعد وفاة أخيه عام 1316 / 1898، وبقي يزاوله إلى قرب موته حيث حصل له شبه ذهول عقب وفاة ابنه الوحيد. وممّن اتصل به واستفاد منه عبد السلام ابن سودة الذي ذكره من جملة أشياخه في فهرسه *سل النصال*، وأثنى على علمه وشهامته.

توفي صباح يوم الجمعة ثالث عشر قعدة عام 1359 / 13 دجنبر 1940. ودفن بروضتهم بالقباب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *سل النصال*، *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 3079 ؛ إ. الإدريسي، *وفيات*، مخطوط، ص 20.

**الحبابي، عثمان** بن محمد الفاسي. وُلد عام 1282 / 1865 بفاس، وبها نشأ وتعلم على شيوخ عصره كمحمد بن التهامي الوزاني وعبد المالك بن محمد العلوي الضرير وأحمد ابن الخياط.

تخرج عالماً مشاركاً في مختلف العلوم الشرعية والعقلية، وانقطع للتدريس بالقرويين طوال حياته. وقد وصفه تلميذه ابن سودة في *سل النصال* بالعالم العلامة المشارك المدرس النفاعة الخير الناسك المتبتل، وذكر أن له تآليف عديدة منها *رفع الإيهام* في حكم سجود التلاوة. طبع على الحجر بفاس عام 1338.

توفي يوم الجمعة رابع حجة عام 1343 / 26 يونيه 1925. ودفن في روضة أهله بالقباب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *سل النصال*، *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2944 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، ص 98.

**الحبابي، محمد بن الطاهر** الفاسي، جد الحبابيين الموّقتين بفاس كان متضلعاً في الحساب والتوقيت والتعديل متولياً منصب موقت منار القرويين إلى أن توفي عشية يوم الجمعة سابع عشر رمضان عام 1267 / 16 يوليوز 1851 ودفن قرب قبة الشيخ أحمد اليماني بالقباب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2592.

**الحبابي، محمد بن عبد القادر** الفاسي، موقت منار القرويين وأحد المتضلعين في العلوم العقلية. كان - مثل أبيه - متمكناً في الرياضيات والتعديل والتوقيت والتنجيم.

توفي صبيحة يوم السبت سادس جمادى الثانية عام 1316 / 22 أكتوبر 1893.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2814.

محمد حجي

**الحبابي، محمد عزيز** بهذا اشتهر، واسمه الكامل محمد بن عبد العزيز بن عثمان الحبابي. وُلد بفاس يوم 16 جمادى الأولى عام 1342 / 25 دجنبر 1923. كان جده فقيها. أما والده فكان يمارس الأعمال التجارية بفاس بنجاح. تزوج عبد العزيز من إحدى بنات أسرة القادريين المعروفة بالعلم والوراقة وأنجب منها بنتا وولدا هو المترجم.

توفيت أمه بعد مرور سنة على ولادته فكفلته جدته (أم والدته) هو وأخته الكبرى واستمر ذلك إلى أن بلغ سن السابعة من عمره حيث عاد إلى كنف والده الذي كان قد تزوج مرة أخرى وانتقل إلى أطراف مدينة فاس.

لم يرتح الولد في بيت أبيه فلجأ إلى الهروب من هذا البيت مراراً يجوب طرقات المدينة ويلج مساجدها، أو يقصد بيت أخواله. وفي تلك الجولات فتنته لعبة كرة القدم، فلم يكن مستغربا أن يتعرض هذا الطفل المتمرد لحادثة سير خطيرة أثناء ممارسته لهذه اللعبة في الطريق العام.

بالرغم من شفاء الطفل وعودته إلى بيت أبيه فإن الحادثة أثرت على ذاكرته : فقد لازمه خلل الذاكرة طيلة حياته. فكان يعول في تفكيره الشخصي على تداعي المعاني أكثر من فعل التذكر. بل لعل ذلك هو الذي يفسر ميله للتأمل الفلسفي والخيال الشعري. كما يفسر لاحقا عدم تمكنه من متابعة دروس الألمانية واللغات القديمة المقررة في شهادة تاريخ الفلسفة بالسوربون.

بعد هذه الحادثة اطمأن الولد إلى عطف زوجة أبيه وأولادهما (إخوته) فنعم لأول مرة بالاستقرار العائلي. وفي تلك الأثناء بدأ يتردد بانتظام على المدرسة الإبتدائية (بعد أن اجتاز مرحلة الكتّاب) ثم انتقل إلى ثانوية المولى إدريس بفاس. وهو امتياز تفرد به أبناء الأعيان في عهد الحماية الفرنسية. يقول م. ع. الحبابي لاحقا وهو يتحدث عن بداية الممارسة الفلسفية في المشرق والمغرب : "علينا أن نتذكر أن الانطلاقة الأولى كانت لأبناء الأعيان، فهم الذين كانوا يذهبون إلى المدارس المزدوجة وفي البعثات إلى الخارج..." (*مجلة الفرسان*، ع.23). لكن هذا الامتياز لم يخف الواقع المتخلف لهذه الفئات المحظوظة، إنها "لم تكن ممتزجة بالشعب ولم تكن تعرف همومه". كما أنها لم تخلق "تيارات فكرية وفنية ولا أسلوبا سلوكيا ولا إيديولوجية..." (*من يصنع النهضة*، 3 : 210).

من خلال إشارات قليلة وغامضة نفهم أن م. ع. الحبابي، وهو ما يزال تلميذا بثانوية المولى إدريس، أصبح مناضلا في الحركة الوطنية التي كانت في عنفوان انطلاقتها. وبسبب ذلك حكم عليه في يناير 1945 بالسجن مدة ثمانية عشر شهرا قضى منها ثمانية شهور حبسا نافذا. تشير زوجته الأستاذة فاطمة الجامعي إلى أنه في أعقاب حوادث 1944 تعرض للضرب العنيف على دماغه، وهو "بالمنفى بالأطلس المتوسط"، وتضيف زوجته أن هذه الضربات جعلته بعد مدة يخضع لعملية جراحية في الدماغ أصبح بعدها "ضعيف البنية يقاوم دائما ويعاني نظاما في الحياة جد متعب" (*مدخل*، ص. 11).

اهتم التلميذ أيضا بالنشاط الثقافي، فأسس جمعية لهواة المسرح. وبدأ ينشر محاولاته الأولى في الشعر والفلسفة. وهي محاولات سيقلل من شأنها لاحقا. فالأشعار مجرد "بهلوانيات فيها كل شيء إلا الشعر". أما الفلسفة فلم تكن المحاولة "جادة". لكن هذا التلميذ الطموح سيمارس الترجمة، فنقل إلى العربية قصائد فرنسية رومنطيقية ونشرها في المجلات والصحف المغربية آنذاك. كما ترجم كتابا في الفلسفة هو كتاب كارادي فو : *مفكرو الإسلام*. ولن ينسى كيف لقيت ترجمة هذا الكتاب إقبالا فنفدت طبعته الأولى، وعلل ذلك لاحقا بالروح العقلانية التي سادت صفحات هذا الكتاب والتي كان يفتقر إليها المحيط الثقافي المغربي وينزع إليها ويتحمس لها (*تعاليق على جيل الظمأ*، 68 - 69).

لم يكن هذا النشاط الثقافي والسياسي في حياة هذا التلميذ غريبا عن التعارض الذي بدأ يُهيمن على فكره ووجدانه تحت تأثير الثقافة الفرنسية التي كان يتلقاها في ثانوية المولى إدريس ونتيجة لمفعول السلفية الوطنية التي رسخها روحيا في كيانه زوج خالته الفقيه السلفي الشهير الشيخ محمد بن العربي العلوي. فقد كان التلميذ معجبا بهذا الشيخ الفذ الذي قارنه بسقراط في إحدى إنشاءاته المدرسية. فكان ينقب في كتب الفلسفة بجهده الشخصي عله يقع من الشيخ موقع القبول وينال تقديره.

في سنة 1946 رحل الشاب محمد عزيز الحبابي إلى باريس حيث التحق بالسوربون (شعبتي الفلسفة والفيزياء). وقد ذكرت زوجته فاطمة الجامعي أن هذه المرحلة تمت في أعقاب حوادث سنة 1944 وما أصابه منها. فتقول إنه "طرد من التعليم وفر إلى باريس ليتابع دراسته وهو محروم من المنحة" (*مدخل*، ص. 11).

لكننا لا نعلم كيف توفرت لهذا الشباب أسباب الهجرة وشروط الإقامة في باريس وكيف أمكنه التسجيل في جامعة السوربون بالرغم من أنه تعرض للطرد من ثانوية المولى إدريس وهو لا يزال في القسم الثاني من البكالوريا (النظام الفرنسي). لكننا نعلم بعض أحاسيسه التي ظلت في ذاكرته. يقول محمد عزيز الحبابي لاحقا : "لقد تابعت دراستي العليا في فرنسا بالسوربون، وكان المغرب آنذاك ما يزال تحت الحماية. لم أكن أشعر بأنني كائن كالكائنات الأخرى". كانت نظرة المستعمر تجرح الكرامة. إنه يريد ترسيخ نوع من "الإحساس بالدونية" ويدعى أنه "حامل حضارة وتمدن". إن جواز سفره آنذاك كان يطرح أزمة هذه الهوية. فعلى هذا الجواز "تعرف هويتي بكيفية غامضة ملتبسة عمدا وبنية مبيتة : من مواليد فاس، منطقة المغرب، حماية فرنسية".

لم يجد الطالب المغربي أمامه سوى عالم الفكر والأدب، يلجأ إليه ويتواصل معه هروبا من واقع يرفضه ويشعره بالدونية وفقدان الهوية. سيعترف لاحقا بأنه كان يرتاح في رفقة "مونطين وديكارت ولافوازيه وپول ڤاليري". بينما يشعر بالقلق (في محيطه الاجتماعي الجديد) من "الخطاب الجارح أو اللطف الأبوي المصطنع".

ونفهم أيضا أن هذا الطالب المغربي بالرغم من محنته النفسية في باريس لم يضمر حقدا ولا كراهية عمياء لمحيطه الجديد. كما أنه لم ينغلق على نفسه، ولم تتضخم لديه عقدة الآخر، ونقائص الآخر، كما حدث لبعض المثقفين (المهاجرين) أو (المنفيين). فقد أقبل بنهم على دروس السوربون وحياة الحي اللاتيني التي تميزت بها باريس بعد الحرب.

سيتذكر لاحقا أشهر الأساتذة الذي كان يستمع إليهم في المدرجات : دروس جان ڤال في الفلسفة الوجودية، وجان هيبولت حول فلسفة هيجل، ومحاضرات ميرلوبونتي في الفينملوجيا وجاستون باشلار في فلسفة العلوم.

وفي الحي اللاتيني كان الطالب يستوعب بقلبه وعقله الحوار والجدال بين مختلف التيارات الفلسفية والسياسية والفنية : الوجودية (بزعامة سارتر) في مواجهة التيارات الماركسية الجارفة.... أصداء التحول الفني الجمالي في أعمال ماتيس وپيكاسو والأدب الوجودي... يضاف إلى ذلك كله معركة التجديد التي خاضها الفكر المسيحي في أعمال إتيان جيلسون وإيمانويل مونيي.

في سنة 1949 حصل الطالب محمد عزيز الحبابي على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة من السوربون بعد أن اجتاز بنجاح اختباره في مادتين رئيسيتين : الفلسفة البرجسونية والفلسفة الوضعية. وانكب بعد ذلك على إعداد أطروحتين جامعيتين في الفلسفة ؛ أطروحة رئيسية بعنوان *من الكائن إلى الشخص* : محاولة في الشخصانية الواقعية التي نشرها سنة 1954 وأطروحة مكملة تحت عنوان *حرية أم تحرر* نشرها سنة 1956. هيأ الطالب المغترب ذلك كله في زمن قياسي وأمام لجان علمية لا تجامل ولا تتساهل. وضمن شعبة يندر فيها الأجانب.

لعل ذلك هو ما يفسر كيف استقبلت أطروحة محمد عزيز الحبابي الرئيسية كحدث ثقافي إعلامي وسياسي هام. سيقول جيلبير موري باستغراب في *مجلة الفكر* (1955) إن "السيد الحبابي هو أول دكتور مغربي في الفلسفة" ؛ استغراب لهذا الطالب المغربي الرائد الذي كتب رسالة جامعية أصيلة في الفلسفة بلغة فرنسية رفيعة المستوى. لكن هذا الترحيب والاستغراب لم يمنع محمد عزيز الحبابي لاحقا من اعتبار أطروحته (وما رافقها من ملابسات) مساهمة نظرية في مقاومة الاستعمار الفرنسي. فمشكلته كانت آنذاك كما سيقول - "ما نوع المسؤولية التي يتحملها الفيلسوف إزاء المضطهدين والمتخلفين ؟".

سيعود محمد عزيز الحبابي إلى أرض الوطن سنة 1959، فقد ظل في "دار الهجرة بفرنسا إلى أن "سمح له بالرجوع إلى المغرب. فما المقصود بالسماح ؟ ! لا نملك ما يسعفنا بالجواب. لكن ديوانه *بؤس وضياء* الذي صدر بباريس سنة 1958 يسجل لنا مشاعر هذا المثقف المغترب وهو يتحرق لوطنه. وتشتعل في نفسه الحماسة الوطنية ورموزها آنذاك، بل إن بعض القصائد تكاد تعد (نشيدا وطنيا). فشوقه للعودة كان قويا وعنيفا... فمن منعه من ذلك ؟ ! ما نعلمه أنه خلال الفترة الفاصلة بين سنة 1952 - 1959 عين باحثا ملحقا بالمركز الوطني للبحث العلمي C.N.R.S. وحصل على الجائزة الدولية (مرحا Bravo) التي يشرف عليها مانديس فرانس، وذلك سنة 1955. فهل لذلك صلة ما بتأخير الإذن له بالعودة إلى أرض الوطن ؟ ! مجرد احتمال. لكن حصول محمد عزيز الحبابي على جائزة المغرب في الآداب سنة 1959، أي بعد عودته مباشرة، شهادة اعتراف وإعادة الاعتبار لهذا المفكر المغربي في وطنه.

يقول محمد عزيز الحبابي لاحقا، وهو يتذكر عودته إلى

أرض الوطن، إنه "فوجئ بجو سياسي ومجتمعي محموم : الفرح جم والمشاكل أكثر. تغيرات سريعة تعتري الذهنيات والسلوك الفردي والجماعي". والواقع أنه عاد في فترة بدأت فيها أفراح الاستقلال تخمد وتنحسر في أفق أزمة سياسية تتفاقم باستمرار.

لكن الأزمة في العمق، كما سيرسمها محمد عزيز الحبابي بطريقته الخاصة، هي أزمة (وعي). والحل في يد المثقفين الحقيقيين. إن هذه النخبة هي التي تستطيع أن تقاوم كل مظاهر تخلف الوعي وزيفه : الدجل والشعوذة وغياب العقلنة... إن ذلك هو ما تفصح عنه روايته *جيل الظمأ* التي كتبها في صيف 1958. (ولم تنشر إلا في سنة 1967). إن إدريس بطل الرواية الحاصل على الدكتوراه من جامعة السوربون سيقتنع بأن "التوعية الوطنية" هي "أس الحضارة" و"نقطة الانطلاق".

لعل هذا التوجه وهذه القناعة الشخصية والفلسفية (بالتزام المثقف) هي التي رسمت مسار الحبابي في هذه الفترة وأثرت في اختياراته ومواقفه وآرائه. فبدون تردد سيتخلى عن صفة الباحث المتفرغ في فرنسا ليتولى سنة 1959 منصب أستاذ كرسي في جامعة الرباط (وهي لا تزال في نواتها الأولى). وفي نفس السنة سيعمل على تأسيس "اتحاد كتاب المغرب العربي" بمشاركة عدد من الأدباء المغاربيين من بينهم : محمد برادة - عبد الجبار السحيمي - محمد العربي المساري - محمد الصباغ - مصطفى المعداوي - مولود معمري وغيرهم. سيصبح الحبابي رئيساً لهذا الاتحاد الفتي وسيهيئ له مقرا عرف بدار الفكر ومجلة تخصه هي *مجلة آفاق*.

غير أن سنة 1961 ستعرف حدثين هامين في حياة محمد عزيز الحبابي : فقد اكتمل صدور ثالوثه الفلسفي بظهور كتابه *من المنغلق إلى المنفتح* وهو يحمل دعوة أصيلة لحوار الحضارات والثقافات الإنسانية. وباكتمال هذا الثالوث نكاد نزعم أن بناءه النظري الأساسي قد بدأ يكتمل.

والحدث الثاني تمثل في تعيين محمد عزيز الحبابي عميدا لكلية الآداب بالرباط. ولقب العميد سيطغى على غيره. فسيعرف الحبابي في سائر الأوساط بالعميد، وسيرته كعميد لهذه الكلية ستتردد على الألسنة. إن الحبابي كما يسجل مقال صحفي متأخر "لم يركن للراحة على أريكة العمادة، لكنه بقي أستاذا يبت في الأمور الإدارية في قاعة المحاضرات أو في ردهات الكلية..." بالرغم من فتوة الكلية التزم هذا العميد "الصرامة العلمية" في معاملة الطلبة وهيئة التدريس. كلفه ذلك عناء وعتابا "إن لم نقل كراهية" مَنْ أقصتْهم هذه الصرامة... كما التزم بدعم شعبة الفلسفة وتعريبها وإدراج فلاسفة الإسلام ضمن مقرراتها وفي مقدمتهم : عبد الرحمان بن خلدون.

كانت فترة (العمادة) التي امتدت ثماني سنوات فترة إرهاق ومحنة. ففي مراسلة خاصة لصديقه عبد الكريم غلاب (يناير 1970) يقول محمد عزيز الحبابي بمرارة : "منذ سنوات وأنا كلما بدأت كتابا حدث مشكل إداري (أيام محنة عمادة كلية الآداب) أو سافرت، فأضطر إلى توديع الكتاب...".

كانت العمادة محنة حقيقية للرجل : فهذا المثقف المعتل صحيا الذي كان يقضي سحابة يومه في مكتبه في القراءة والكتابة سيجد نفسه في دوامة يومية متجددة لا ترحم. تتراكم فيها مواعيد الاجتماعات والندوات والمحاضرات والملفات والاستقبالات.. كان مكتبه الرسمي خلية نحل دائمة الحركة. ورنين جرس الهاتف يناديه حيثما كان. كما كان في تنقل دائم ونجم الدعوات والحفلات الرسمية داخل الوطن وخارجه. لم تكن العمادة امتيازا لكنها نضال يومي مرير.

ليس غريبا أن يتراجع الإنتاج النظري للعميد في هذه الفترة، إن الكتيب الذيّ نشره سنة 1964 بعنوان *الشخصانية الإسلامية* يسجل هذا التراجع. فالكتاب كما يقول محمد عزيز الحبابي نفسه "قياسا إلى حجم اجتهاداتي وتنظيراتي في كتابي الأول والرئيسي *من الكائن إلى الشخص* يبقى متواضعا".

لا نبالغ إذا اعتبرنا سنة 1968، بداية مرحلة جديدة في حياة الحبابي. ونهاية حلم (المثقف) في *جيل الظمأ*. كانت وقائع هذه السنة قاسية كما كانت صدمتها عنيفة. فقد الرجل منصب العمادة دون أن يقترح لأي منصب آخر يليق بمقامه وريادته. وفقد رآسة اتحاد الكتاب الذي أسسه واكتفى بعضوية المكتب. لكن أهم واقعة هزت وجدانه وحياته في الصميم هي انفصام عري علاقته العاطفية برفيقة حياته آنذاك. ففي المجموعة الشعرية *صوتي يبحث عن طريقه* التي صدرت له سنة 1968 نجد قصيدة حزينة بعنوان وحيد في دار الندوة أي دارته في أگدال بالرباط. حيث وجد نفسه ينتظر عبثا. فكلمات الوداع التي تركتها رفيقته مكتوبة كانت سيفا قاطعا، كسرت روحه... وفي قصيدة أخرى رقيقة يتحدث عن ذلك الحيوان الأليف : كلبه فيسكي الذي شهد لحظات سعادته العاطفية التي اختفت.

حدث ذلك في فترة كان فيها العامل السياسي يتفرد بالأولوية والحضور الفعال في المدارس والجامعة في المغرب وفرنسا. لكن محمد عزيز الحبابي فضل بإصرار أن يمارس دور المثقف المصلح، ضمير الأمة ومعيارها النقدي المتعالي، سيقول لاحقا : "ما ذنبي إذا كنت لا أحب السياسة... إنني أقبل أن أخضع لأوامر الحكومة ولكني أرفض وأتألم عندما أطالب بالتصفيق الحاد والتحمس لأوامر قد لا أرضى عنها وربما أكون أحيانا ضحية لها".

غير أن شخصية محمد عزيز الحبابي كان لها أثرها ومفعولها فيما حدث. فالرجل من موقع أكاديمي استهان بالدرجات الأكاديمية وألقابها وطقوسها. حيث فضل دوما

أسلوبا سقراطيا ساخرا في التدريس والحوار والنقاش... كان في قاعة الدرس "يستحيل أن تراه جالسا، وإنما تراه يتجول بين صفوف الطلبة مرددا : أنا أمشي إذن أنا أفكر. يربت على كتف أحدهم ويتكئ طويلا على الآخر..." يهتم بأبسط وأتفه الهفوات : "طالب يهمل الهامش وأول السطر والنقطة والفاصلة". ولم يكن نادرا أن يصدم الأسماع بأسلوبه.

في سنة 1969، غادر محمد عزيز الحبابي وطنة مرة أخرى ليلتحق بالجزائر حيث عين أستاذا بجامعتها، كما عين هناك مستشارا في التعليم العالي. لا نعلم تفاصيل مقامه في الجزائر، لكنه كان دون مواربة مقام المهاجر المغترب عن وطنه وتلامذته وأصدقائه... وفي فترة هذه الإقامة سيهتم محمد عزيز الحبابي بأزمة الشرق الأوسط التي أعقبت حرب 1967 والتي ترددت أصداؤها في الأقطار المغاربية خاصة الجزائر ذات الاتجاه القومي الاشتراكي المتطرف. سيردد محمد عزيز الحبابي ما كان شائعا في الصحف حول أسباب هذه الأزمة أو النكسة : "لنا ضباط بلا حنكة استراتيجية" ولنا جامعات ومعاهد عليا "ولكن الشهادات بضاعة مزجاة تدور في دوامة الألقاب الرنانة..." "رأسمالنا الأمية".

إلا أن هذه الحماسة (القومية) ليست ظرفية في فكر محمد عزيز الحبابي فلها سوابق في كتاباته وأشعاره. فقد ظل حريصا على الدفاع عن "العربية الفصحى" وحضور جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (الذي انتسب إليه) وأدان مرارا سوء التفاهم المغربي / المشرقي وكل أشكال التمزق والانشقاق في المنطقة. ولم تغب القضية الفلسطينية في هذا الاتجاه. فقد قام بترجمة فرنسية لنماذج من الشعر الفلسطيني والجزائري في مجموعته "آلام بإيقاع" *Douleurs Rythmées* (1974) وحرص على نشر أعماله بالعربية في مصر ولبنان بالرغم من نقده لدور النشر العربية وأساليبها التجارية السيئة.

في سنة 1974 عاد محمد عزيز الحبابي مرة أخرى إلى وطنه. يعود هذه المرة وقد اختار حياة هادئة. أصبح أستاذاً باحثاً متفرغاً منتسباً إلى جامعة فاس. واستقر مسكنه برفقة زوجته الأستاذة الفاضلة فاطمة الجامعي، في دارة تحف بها الأشجار وتملأ ساحتها الورود والأعشاب الخضراء بنواحي الرباط.

ستصبح هذه الدارة ملتقى لأصدقائه وطلبته وزواره عموما. كما ستصبح مقرا للجمعية التي أسسها باسم "جمعية الفلسفة بالمغرب" وفي مكتبه الفخم الذي يعج بالكتب والمجلات هيأ عددا هاما من المقالات والأشعار والمؤلفات التي تعرض في جملتها لقضايا ومواقف وآراء تتعلق بأزمة العالم الثالث أو ما سماه بـ"الغدية".

في هذه المرحلة ومنذ أوائل الثمانينات سيحظى محمد عزيز الحبابي بعدد إضافي من التكريمات نذكر منها حصوله على لقب "أمير للقصة" في حفل ببلدية باريس يوم 15 / 10 / 1982 بحضور عمدة باريس آنذاك (جاك شيراك) والشاعر السينغالي اللامع سنغور.

كما تم ترشيحه بصفة رسمية يوم 21 / 10 / 1987 للحصول على جائزة نوبل. وتأسست لجنة وطنية لدعمه. ومنح سنة 1988 على الصعيد الوطني جائزة الاستحقاق الكبرى على مجموع أعماله. وفي أواخر دجنبر 1988 أقيمت ندوة تكريمية لهذا المفكر بكلية الآداب بفاس وذلك بمناسبة بلوغه سن التقاعد المهني الرسمي.

بعد سنة 1988 ازدادت عزلة محمد عزيز الحبابي في بيته وقلت تنقلاته. فصحته المعتلة أصلا بدأت تتدهور. كان يستعيد بعض العافية بفضل رعاية زوجته ومهارة أطبائه لكن ذلك لم يدم طويلا. فقد وافته المنية يوم ثاني ربيع الأول عام 1414 / 20 غشت 1993. وتناقل الجميع النبأ المفجع. لكن الرجل ظل حيا في قلب زوجته ونفوس طلبته وفي إنتاجه وأعماله الفلسفية والأدبية.

ألف محمد عزيز الحبابي ما يناهز أربعين عنوانا بين مقال وكتاب. لكن أصالة فكره تكاد تنحصر في أعماله الفلسفية الرئيسية التي نشرها بين سنة 1954 - 1964 وهي أساسا : *من الكائن إلى الشخص - حرية أم تحرر - من المنغلق إلى المنفتح - الشخصانية الإسلامية*. هذه الأعمال تقدم مذهبا فلسفيا سماه صاحبه "الشخصانية الواقعية". معترفا بكونه ظهر في سياق المدرسة الفلسفية المعاصرة. إنه بمعنى ما امتداد (للشخصانية) "إيمانويل مونيي" وشارل رنوفيي... لكنه مذهب يقترح انفصاله وخصوصيته.

فشخصانية الحبابي تعتبر نفسها شخصانية واقعية أي أنها تمنح الشخص "أبعادا" أخلاقية واجتماعية بإلحاحها على دور التواصل وقيمه في تحقق الكائن وتشخصنه. فبفضل التواصل "يتم الامتلاء المعنوي والوجداني داخل الكائن فينفتح على الآخرين ويتشخص بهم ومعهم" وإذا كان ذلك يعني رفض الفردانية والأنانية كغاية فإنه يتعين التسليم بها كوسيلة. ففردية الشخص منطلق ضروري وحتمي "ليكتشف المرء وجوده ويكشف عنه". فالإرادة الخاصة وما تتمتع به من حرية هي التي تنجز التعالي والتواصل. فيمكن لهذه الإرادة الخاصة أن تنسجم مع الإرادة العامة أو تعارضها.

تبعا لتحليلات محمد عزيز الحبابي لهذه الفلسفة يتم التركيز على صفتين جوهريتين : الصفة الأخلاقية والصفة الإنسوية. فالشخصانية الواقعية تحمل معاني ومقاصد أخلاقية : أبرزها الدعوة للتحرر والمساواة والالتزام بالقيم الإنسانية. "إنها فلسفة تحد لظروف عصيبة ولسان حال المستغلين والمسحوقين في التاريخ، إنها كما قال أحد الباحثين تريد أن تبرهن على أن المعاصرة يجب أن يصاحبها "مجهود إرادي لتحريك الزمان" مجهود لا ينفصل عن الشروط الواقعية للإنسان لكنه ضروري ليكتسب الإنسان حرية متجددة ومتحركة.

إنسوية هذه الشخصانية الواقعية جعلتها تتبنى الدعوة لحوار إيجابي بين الثقافات، وتستنكر بثبات صريح كل أشكال التطرف والتعصب القومي والديني. فوحدة الجنس البشري "حقيقة علمية" يستحيل دحضها، والحضارة لا تكون إلا "إنسانية" : فهي "مجموعة تفاعلات الثقافات القومية المختلفة".

كل ذلك لم يمنع هذه الشخصانية من تبني (هوية إسلامية) بديلا للهوية المسيحية الأصلية في سياقها لدى مونيي ورونوفيي. بل إنها ذهبت بعيدا في الدفاع عن أصالة الثقافة العربية الإسلامية ووصفت نفسها مرار بكونها شخصانية إسلامية. فالإسلام في أصوله حدد الأبعاد الحقيقية للشخص وخلصه من الشوفينية والقبلية والأنانية حيث نظمت تعاليمه (وفي مقدمتها الشهادتان) في آن واحد أبعادا أفقية (الشعور بانتماء الشخص للأمة) وأبعادا عمودية أي النزوع للتعالي. فينبثق الشخص المسؤول الملتزم بمصلحة الأمة والمتمتع بمواطنة قائمة على أسس روحية الشخص القادر على التغير الذاتي للأحسن وتغيير العالم، إن ذلك هو ما يعنيه الإسلام باستخلاف الله للإنسان في الأرض.

بالرغم من أن قيمة هذا المذهب ومنزلته الفلسفية مسألة أثارت الجدل إلا أن معظم الباحثين أقروا بكونه يعدُّ (ولا يزال كذلك) أفضل مجهود فلسفي عرفه الفكر المغربي منذ زمن ابن رشد. فهو إحياء للفلسفة والتأمل الفلسفي في تاريخ هذه المنطقة بعد زمن طويل هيمن فيه الفقه والتصوف. ولاشك أن الممارسين للفلسفة في مغرب اليوم يدينون بفضل عظيم لهذه المغامرة الفلسفية الأولى وما ارتبط بها من إنجاز وانبثاق للتعليم الفلسفي في الجامعة المغربية.

لكن ذلك لا يمنعنا من ذكر بعض النقد الذي تعرضت له هذه الشخصانية في أفق تطويرها وجعلها مادة خاما لتراث فلسفي مغربي حديث وأصيل.

فقد أدرجت هذه الفلسفة ضمن المحاولات التي عرفها الفكر العربي المشرقي الحديث (جوانية عثمان أمين - وجودية عبد الرحمن بدوي...) بعد الحرب العالمية الثانية وتبعا لذلك فقد شابها ما شاب هذه المحاولات من قصور ونقائص : انتقائية ونزوع مدرسي وانبهار بالغرب والتزام بمفاهيم ليبرالية ساذجة، كل ذلك مع مسحة وطلاء ديني تراثي لا تتقبله المفاهيم الرئيسية .. وبنيتها الأصلية..

يشار أيضا إلى أن هذه الفلسفة تجمدت في زمن ظهورها. لم تستطع أن تستوعب لاحقا التحولات الفلسفية والعلمية خاصة ما عرفته العلوم الإنسانية من تطور وتجديد. وما عرفته الفلسفة المعاصرة من نقد جذري لعدد من المفاهيم المطلقة : الحقيقة - العقل - الإنسان - التاريخ.

لم يكن محمد عزيز الحبابي غافلا عن خطورة التحولات التي شهدها العالم على مذهبه، ففي مقال نشر له بدأ يتحدث صراحة عن "فلسفة الغد" ويتساءل هل الشخصانية تعتبر فلسفة للغد ؟.. يقول بدون تردد "ما أظن ذلك ! فدور الشخصانية سيقتصر على توجيه المشتغلين بعلم الغد في أفق إنساني".. سيتأكد هذا الاتجاه (الغدوي) في استجواب أنجزه سنة 1988 حيث سيقول إن الأزمات "تجرف الماضي والحاضر" وأن الشخصانية الواقعية باتت هي "نفسها متجاوزة ككل المنظومات الفلسفية الأخرى.

لم يتردد المحللون لفكر الحبابي في التقليل من شأن هذه (الغدية) : تأملاتها الخفيفة وخطابتها الاتهامية (التقليدية) للغرب ومعلوماتها التقنية المحدودة. إنها تمثل مرحلة الآراء والمواقف في فكر محمد عزيز الحبابي ولا ترقى إلى مستوى إنتاجه الفلسفي في الخمسينات. لكنها علامة على فكر لا يسكن قلقه النظري : يتحرك وينقب ويستمع لعصره ومحيطه ويغامر في استشفاف المستقبل الإنساني.

لابد، أخيرا، من الإشارة إلى أدب محمد عزيز الحبابي. فهو أدب يضم أعمالا شعرية وروائية متعددة كتبت باللغتين العربية والفرنسية. في نظر عدد من النقاد تعتبر الأشعار المكتوبة بالفرنسية أفضل أقسام هذا الأدب. فهي ترسم صوتا متميزا مليئا بشجن الهوية في الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية. أما بقية الإنتاجات فهي محاولات لإنتاج أدب شخصاني يماثل الأدب الوجودي. لكن أوان الأدب الفسلفي الذي يمزج بين إبداع الصورة والمعنى واللفظ لم يحن بعد في تاريخ الثقافة المغربية، وتظل محاولة محمد عزيز الحبابي محاولة رائدة، ويكفيه ذلك فضلا.

أعمال محمد عزيز الحبابي : نورد لائحة بأهمها دون الإشارة إلى الترجمات أو النشرات المتعددة لنفس الكتاب :

* *جيل الظمأ* (رواية)، بيروت، المكتبة العصرية، 1967 ؛ - *إكسير الحياة* (رواية)، القاهرة، دار الهلال، 1972 ؛ - *مفاهيم مبهمة في الفكر العربي المعاصر*، القاهرة، دار المعارف، 1990 ؛ - *تأملات في اللغو واللغة*، ليبا - تونس، الدار العربية للكتاب، 1980 ؛ - *العض على الحديد* (مجموعة قصصية)، تونس، الدار التونسية للنشر.

- *De l'être à la personne : Essai de personnalisme réaliste*. Paris, 1954 ; - *Liberté ou libération*, Paris, 1956 ; - *Du clos à l'ouvert : Vingt propos sur les cultures nationales et la civilisation humaine*, Casablanca, 1961 ; - *Chants d'Expérience (Poèmes)*, épuisé ; - *Misère et lumière (poèmes)*, Paris, 1958 ; - *Le Personnalisme Musulman*, Paris, 1964 ; - *Ma voix à la recherche de sa voie (poèmes)*, Casablanca, 1968 ; - *Douleurs rythmées (poèmes)*, Alger, 1974 ; - *Ibn Khaldum*, Paris, 1971, 3ème édit. (Collection : Philosophes de tous les temps) ; - *Espoir vagabond (Roman)*, Paris ; - *Espérance malgré la mort*, Rabat ; - *Adil (poèmes)*, Rabat ; - *La rose se meurt*, Paris ; - *La crise des valeurs*, Paris ; - *Le monde de demain*, Casablanca, 1980 ; - *Ere d'innocence (Poèmes)*, Paris.

*** أهم الدراسات التي تناولت فكر محمد عزيز الحبابي وأدبه :**

- أعمال الندوة *"للمفكر الكاتب : محمد عزيز الحبابي"*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، الرباط، ط 1، 1990 ؛ - *"دراسات مغربية مهداة إلى المفكر المغربي محمد عزيز الحبابي"*، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، ط 2، 1987 ؛ - فاطمة الجامعي، من هو محمد عزيز الحبابي، *"مدخل إلى أعمال محمد عزيز الحبابي الأدبية والفلسفية*، البيضاء، مطبعة النجاح، ط 1، 1986، ص. 11.

م. ع. الحبابي، حديث مع *مجلة الفرسان* بباريس، عدد 23 / 5 / 1988 ؛ *"الإنسان والأعمال"*، مطبعة النجاح، 1991، ص. 115 ؛ من *يصنع النهضة العربية*، ج. 3، ص. 210 ؛ *الأيادي المتشابكة* (استجواب مع المجلة السويسرية *VOIR* في صيف 1988) ؛ *بنيات غدوية* ؛ جيلبر موري Gilbert Mury، *مجلة الفكر La pensée*، عدد 1955 ؛ *"محمد عزيز الحبابي من الشخصانية إلى نوبل"* ؛ *رسالة إلى عبد الكريم غلام*، حوار نشره بنسالم حميش في كتابه : *معهم حيث هم* (الدار البيضاء، دار الحكمة 1988، في ص، 148 - 166) ؛ حوار مع م. ع. عبد الصادق (*مجلة الفكر*، تونس، عدد 4، 1971) ؛ محمد أفاية، *قراءة في جيل الظمأ* ؛ *كلنا بدائيون* (مقال نقله عن الفرنسية م. برادة) ونشر بالعربية في م. ع. الحبابي : الإنسان والأعمال. ج. 2، ص. 11، ظهر مختصر للكتاب ؛ *"أطروحات جديدة عن الإسلام"* ؛ *عالم الغد*، مقال نشر في "مدخل إلى أعمال محمد عزيز الحبابي الأدبية والفلسفية"، ص. 157 ؛ *حوار حول الشخصانية والغدية* (نشر بنسالم حميش في كتابه *معهم حيث هم*، بيت الحكمة، البيضاء 1988).

Eliana De Lera, *Il personnalismo Filosofia Specifica d'El Musulman*, Université de Palerme, 1967 ; - Marcello Adlo Gronnase, *Il Pelsiero di Mohamed Lahbabi*, Université de Milan, 1968 ; - Fadel Sidarouss, *Les fondements de l'anthropologie philosophique de Mohamed Aziz Lahbabi*, Université Saint-Joseph, Beyrouth, 1971 ; - Claudia Ginecco, *La Produzione Litteraria di Lahbabi*, Université de Rome, 1974 ; - Pierre Menenteau et Bernard Jourdan, *Mohamed Aziz Lahbabi : homme de dialogue*, Rabat, 1989, p. 19 - 20 ; M. Aziz Lahbabi, *De l'être à la personne*, 2édit., Alger, p. 125.

محمد ألوزاد

**الحُبَاحِب**، حشرة تسمى في المغرب بُونُويرة، وفي المعاجم أيضاً : اليراع : جنس حشرة في ذنبها شعاع كالسراج يضيء ليلاً، نارها ضئيلة يضرب المثل بضعفها. تنتمي إلى رتبة مغمدات الأجنحة Coléoptères اللينات الجلد وفصيلة اليراعيات Lampyridae التي تتميز باختلاف الشكل بين الذكور والإناث. من بين الأنواع الشائعة في المغرب Lampyris noctiluca يسمى بالفرنسية Ver luisant للأنثى وLampyre للذكر وبالانجليزية Firefly وCommon glow worm يسمى بالأمازيغية أزانْفاض وتِنْدُوفَا وتليضور وذلك حسب المناطق المغربية.

الإناث عديمة الجناحين، دودية الشكل وشبيهة باليرقات. تحمل على مؤخرة بطنها جهازاً باثا للضوء. تنتج الإنارة عن تأكْسُد Oxydation مادة شعاعية Luciférine بواسطة خميرة Luciférase. تتكون الإنارة من تَشَعُّعات كلها مرئية تمتد من الأخضر إلى الأحمر. لكل نوع من الحباحب ضوء يتميز بطول موجته وبمدة لمعانه، ويعتبر هذا الضوء إشارة تعطيها الإناث للذكور للتقرب منها خلال فترة الولادة. تتعرف الذكور على الإناث من نفس النوع بواسطة ميزات الإنارة المنبعثة من بطونها. تضع الإناث البيض في التراب وتختفي اليرقات نهاراً تحت الأحجار وبداخل التراب وتخرج ليلاً لتبحث عن الحلزونات التي تكون غذاءها كما هو الشأن عند الكبار.

للذكور زوجان من الأجنحة، وتتكون قرونها الاستشعارية من 11 مفصلة وينتهي الفصّ الأخير من الأرجل بخمس قطع متداخلة. معظم الأنواع ليليّة النشاط ويتراوح طولها بين 11 - 16 ملم لونها بني داكن. لكل من الكبار واليرقات جهاز فمي ماضغ قوي يلتهم أجسام الحلزونات.

تعيش عدة أنواع من الحُباحب في المغرب منها : Lampyris noctiluca, Nyctophila reichei, Phosphaenus hemipterus, Lucida lusitanica وPelania mauritanica.

تقام حاليا في عدة مختبرات عالمية بحوث حول الضوء المنبعث من هذه الحشرات واستعماله لحاجيات الإنسان. وهو راجع إلى إنارة باردة تُبَث على أمواج يتراوح طولها بين 418 و656 نانو متر، وهي محكمة الإتقان إذا قارناها مع الإنارة المصنوعة من طرف الانسان.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

G. L'Heritier, *Observations sur le comportement de Pelania mauritanica L. (Col. Lampyridae), Bull. Soc. Sci. Nat. Phys. Maroc*, 35 (3) : 223 - 224 ; L. Kocher, *Présentation d'un ver luisant récemment découvert au Maroc. C.R. Soc. Sci. Nat. Maroc*, 31 : 12 - 13.

نجاة الخياطي

**الحُبَارى**، والحبَارة والحبراية جنس طيور برية من رتبة طوال الساق Ralliformes ou Gruiformes ومن فصيلة الحباريات Otididae. تعيش في المناطق الحارة والمعتدلة وتعرف بهذا الاسم في جميع البُلْدان العربية. تسمى أيضاً في مصر دجاجة برية والخَرَب والحُبْرج والحبجر. تسمى بالبربرية حسب المناطق : أگـايس - أزايگ - أجُوغر - تاسنينات. وتعرف بالفرنسية Outardes وبالأنجليزية Bustards.

تضم الفصيلة واحداً وعشرين نوعا كلها قارضة تتغذى على براعم الأعشاب والأزهار والحبوب والحشرات والديدان والرخويات وصغار الزواحف.

العنق والساقان طويلان والمنقار طويل قوي. والجناحان دائريّان وقصيران. الذنب قصير ويتكون من عشرين ريشة قوية. الذكور أكبر حجما من الإناث. تكيفت قوائمها

المتطورة مع الجري والركض حيث تنتهي بثلاثة أصابع فقط، وكثيراً ما تفضل هذه الطيور المشي عوض الطيران.

يتكون العمود الفقري من أربع عشرة فقرة عنقية وثمان فقرات ظهرية وست فقرات ذنبية. معظم عظام الجسم مملوءة بالهواء مما يساعد الحيوان على الطيران، وتعتبر أنواع الحبارى من أثقل الطيور وزناً إذ يبلغ وزن بعض أنواعها 16 كلغ.

تتوالد الحباري في أواخر شهر أبريل وتضع الأنثى من 1 إلى 5 بيضات وسط حفرة غير مفروشة تختارها بين الأعشاب. وتدوم مدة الحضانة ما بين 25 و28 يوما، وتغادر الصغار العش مباشرة بعد التفقيس، وتحسن الطيران بعد أربعة أسابيع.

تضم الفصيلة في العالم واحداً وعشرين نوعا تعيش في أوروبا وآسيا وأفريقيا من بينها أربعة أنواع تعيش في المغرب :

ـ الحبارى المتوّجة، تسمى علميا Chlamydotis undulata وبالفرنسية Outarde houbara - ondulée وبالانجليزية Houbara bustard، وتتميز بعنق أسود الريش على جانبيه ورمادي مبيض على مقدمته ومؤخرته. الرأس متوج بريش رمادي مسود. الظهر والجوانح بنية صفراء. البطن أبيض والقوائم رمادية مخضرة. يبلغ طول الجناح أربعين سم وبسطة الجناحين ما بين مائة وعشرين ومائة وثلاثين سم، ولا يتعدى طول الذكور أربعة وستين سم.

تعيش الحبارى في المناطق الجافة وشبه الجافة من المغرب وخاصة في النجود العليا الشرقية الغنية بالحَلْفَا وفي الجنوب بين طانطان والعيون، وتعتبر من الطرائد المفضلة لدى الصيادين، وكثيراً ما يتم صيدها بواسطة الصقور.

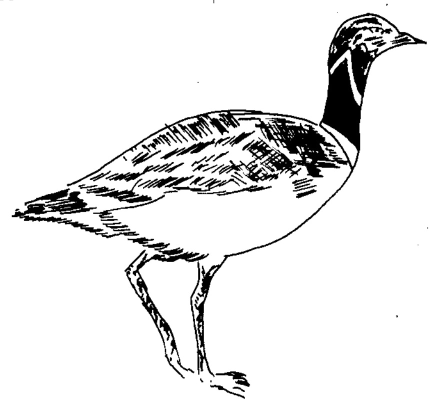

حبارى رعادة

تلد الأنثى ما بين اثنتين وثلاث بيضات ونادراً أربعاً، لونها بني مخضر لامع، ويبلغ قطرها 62 x 45 ملم. ترافق الصغار الأمهات مباشرة بعد التفقيس وتتغذى على الحشرات والديدان. يعيش هذا النوع مزدوجا وأحيانا وسط مجموعات صغيرة وهو شديد الحذر ويصعب الاقتراب منه مما يجعل صيده صعبا.

ـ الحبارى الصغيرة، تسمى علميا Otistetrax، وبالفرنسيةCanepetière وبالانجليزية Little bustard.
ريش الإناث موحد اللون، بني مصفر منقط بالأسود، وتتميز الذكور بعُنق أسود الريش تتخلله حلقات بيضاء رمادية. لا يتعدى طول الإناث ثلاثة وأربعين سم وطول الجناح ثمانية وعشرون سم وبسطة الجناحين متر واحد. يبلغ طول الذكور 50 سم ويتراوح الوزن بين 800 - 1000 غرام، بينما لا يتعدى وزن الإناث ستمائة غرام.

تتوالد هذه الحبارى ما بين أبريل ويونيو وتضع الأنثى ما بين 2 و5 بيضات وسط حفرة مفروشة. لون البيض أخضر بني منقط ومخطط بالبني الدكن. يبلغ القطر 53 x 39 ملم. تحضن الأم البيض ثلاثة أسابيع وتعتني بفراخها ريثما تحسن الطيران.

يعد هذا النوع من الطيور المهاجرة، يقضي فصل الشتاء في السهول الغربية الساحلية، ومنه عدد كثير يتوالد في السهول والنجود شمال الأطلس الكبير، إلا أنه خلال العشر سنوات الأخيرة عرف هذا النوع تقلصا ملحوظا في عدده.

ـ الحبارى العربية تسمى علميا Ardeotis arabs وبالفرنسية Outarde arabe وبالأنجليزية Arabian bustard.
يبلغ طول الإناث 74 سم وطول الذكور 90 سم ويتعدى وزنها 8 كلغ. العنق رمادي والظهر والجناحان بنية صفراء، والأقدام صفراء وقوية. تلد الأنثى 1 - 2 من البيض بنية مخضرة منقطة بالرمادي، يبلغ قطرها 53 x 71 ملم.

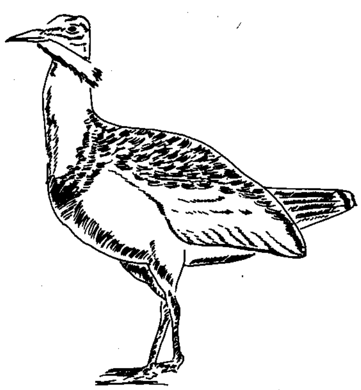

حبارى ملتحية

عرف هذا النوع تقلصا شديداً في عدده حيث كان في بداية القرن يتوالد في السهول الساحلية الغربية الممتدة من سهول الغرب إلى ضواحي تزنيت. يحتمل وجود بضع وحدات في مناطق گولمين وسوس - ماسة. يعد هذا الطائر من الحيوانات المنقرضة في المغرب.

ـ الحبارى الكبيرة تسمى Otis tarda علميا، بالفرنسية Grande Outarde - Bardu وبالأنجليزية Great bustard.
تتميز بجسم كبير وقوي يصل وزنه إلى 16 كلغ وتبلغ بسطة الجناحين 2.20 متر. طول الذكور 102 سم وتتميز بريش أبيض وراء المنقار يكون شوارب طويلة. الصدر مزين بحلقة عريضة من الريش المحمر. الأقدام رمادية وقوية. يبلغ طول الإناث 76 سم ولا يتعدى وزنها 10 كلغ.

تتوالد في أواخر أبريل وتضع الأنثى 2 ـ 4 بيضات مخضرة رمادية منقطة بالبني. يبلغ قطرها 80 x 57 ملم. تحضن الأنثى بيضها 25 ـ 28 يوما وتعتني بصغارها لمدة أربعة أسابيع. يقتصر موطنها في المغرب على المناطق المنحصرة بين سهول الغرب ووادي ورغة وطنجة. لم يبق من هذا النوع إلا بضعة أفراد مهددة بالانقراض.

الحبارى بكل أنواعها من الطيور المحمية في العالم خوفا من انقراضها وفي المغرب يصدر في حقها قرار سنوي من وزارة الفلاحة ينظم مدة الصيد وأماكنه لكل من هذه الأنواع.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977, 135 - 136 ; M. Thevenot, P. Beaubrun, R.E. B Aouab, *Compte rendu d'ornithologie marocaine, Doc. Inst. Sci.* Rabat, 1982 ; M. Thevenot, P. Beaubrun et J. Schouten, *Breeding birds of the Khnifiss - La'youne region and its recent developments. Trav. Inst. Sci.* Rabat, hors série 1988, p. 141 - 160.

محمد رمضاني

**حبّ الملوك** بالمغرب أو الكرز أو الكريز، نوع شجري يسمى علميا بْرُونُوسْ سِيرَزْيُوسْ Prunus ceraseus وهو من فصيلة الورديات Rosaceae. بالإضافة إلى هذا النوع المزروع توجد بالمغرب أنواع برية أخرى شجرية أو شجيرية تعطي ثماراً صغيرة الحجم لا قيمة لها بالنسبة للاستهلاك البشري. ومن أهم هذه الأنواع بْرُونُوسْ آفْيُومْ Prunus avium وبْرُونُوسْ مَحَالِيبْ Prunus mahaleb وبْرُونُوسْ بْرُوسْتْرَاتَا Prunus prosytrata.

لشَجرة حبّ الملوك قامة متوسطة. تاجها كروي. جذعها ذو قلف مشقق. أوراقها بسيطة نفضية. أزهارها بيضاء أو قرمزية في مجموعات، ثمارها صغيرة ناعمة الملمس حمراء أو برتقالية أو تميل إلى الاصفرار، ذات أعناق طويلة ونواة مستديرة وناعمة.

الموطن الأصلي لحبّ الملوك هو أوروبا وآسيا ومنطقة البحر المتوسط، ومن هذه المناطق انتشرت زراعته إلى أجزاء أخرى من القارات الخمس كأمريكا بعد اكتشافها.

ولحب الملوك أصناف عديدة تعطي ثماراً جد مختلفة في الحجم واللون ووقت النضج. تنحصر زراعة حبّ الملوك بالمغرب في المناطق الجبلية من الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير. تتطلب زراعتُهُ الأراضي السقوية في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة من الطوابق النباتية للمتوسطي وفوق المتوسطي والجبلي المتوسطي. وأشهر منطقة حبّ الملوك بالمغرب هي الناحية الوسطى من الأطلس المتوسط وبالضبط ما بين صفرو المدينة المشتهرة بمهرجانها السنوي لحبّ الملوك ومدينة عين اللوح.

يغرس حبّ الملوك لثماره المحببة المستعملة كفاكهة المائدة طازجة أو مثلجة أو معلبة أو كمربي.

أما فيما يخص الأنواع الأخرى المذكورة أعلاه فإنها برية، تعيش منفردة دون أن تشكل غابات أو حتى باقات.

فبْرُونُوسْ آفْيُومْ يقطن أتربة خصبة في البيومناخات الرطبة جداً من الطابقين النباتيين فوق المتوسطي والجبلي المتوسطي.

غير أن بْرُونُوسْ مَحَالِيبْ لا يصادف إلا على الأجراف الصخرية من جبال الأطلس في المناطق البيومناخية شبه الجافة وشبه الرطبة من الطوابق النباتية للمتوسطي وفوق المتوسطي والجبلي المتوسطي.

بْرُونُوسْ بْرُوسْتْرَاتَا شجيرة تصادف مع نباتات التشكيلة السهبية في قمم الجبال.

ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962 ؛ ترجمة، د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة ؛ *أبحاث شخصية*.

عبد المالك بنعبيد

**الحُبَّار** Seicle، حيوان مائي ينتمي إلى الرخويات وبالأخص إلى راسيات الصدر (أو الصدراسيات) أي حيوانات لا فقريات يتلاحم عندها الرأس والصدر ليكون جسما واحداً (صورة 1) إلا أن هاته الحيوانات في الواقع، تتميز بقرب الرجل من الرأس حيث إن الرجل التي هي واضحة المعالم عند الرخويات الأخرى تعطي عند الصدراسيات عدة مجسات (ثمانية أو عشرة) تحيط بالفم كما تعطي قمْعاً يسمح للماء بالخروج من جسم الحيوان.

تعيش كل أنواع الحبار في المياه ذات نسبة هامة من الملوحة أي إمّا في البحر أو مصبات الأنهار أو البحيرات المالحة. وهو من الحيوانات اللاحمة التي تتغذى على حيوانات أخرى كرخويات أخرى أو قشريات بما في ذلك السرطان والإربيان إلا أنه إذا سمحت الظروف بذلك فالحبار لا يتهاون في اصطياد والتهام أسماك صغيرة.

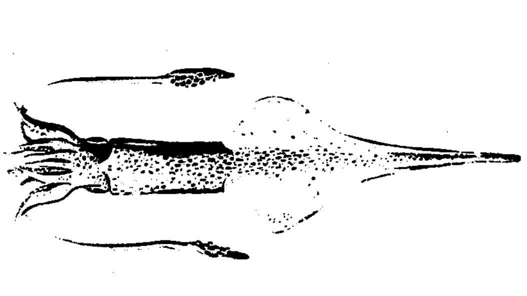

يعيش الحبار فرادى أو جماعات، قرب السواحل أو في أعماق البحر الممتدة إلى أكثر من خمسمائة متر. فهو إما سابح كالعوالق غير معتمد على أية دعامة، وإما بين الأعشاب والطحالب وفوق الصخور والرمال "متكئا" من فينة لأخرى على سطح القعر بواسطة مجساته.

يُرى الحبار في أغلب الأحيان سابحا ببطء نحو الأمام مستكشفا الوسط الذي يعيش فيه بواسطة مجساته الممتدة معتمداً في حركته وتنقلاته على تذبذب زعنفتيه الجانبيتين، كما يمكن أن يرى وهو يقفز كالسهم إلى الوراء إذا ما أحس بخطر ما معتمداً في سرعته على قذف الماء الموجود داخل الجسم بكل قوة إلى الخارج. في حالة خطرما يستعمل الحبار مادة سوداء كالمداد يعكر بها الماء تحدث التهابات في عيني مطارده وتحجبه عنه مما يعطيه الوقت الكافي للنجاة بنفسه.

والحبار حيوان مزدوج الجنس حيث إن هناك ذكراً وأنثى، إلا أن أغلبية الأنواع تكون الأنثى أكبر من الذكر حجما. يتوالد ويتجانس الحبار عن طريق مجسات متخصصة لدى الذكر ناتجة عن تخصص إحدى (أو اثنتين) المجسات التي تحيط بالفم فيتغير شكلها الخارجي لتكون جهازاً تناسلياً يسمح للذكر بحمل الحيوانات المنوية إلى مكان تلقيح البويضات الأنثوية والذي يمكن أن يوجد في مواطن شتى من جسم الأنثى كالظهر أو داخل الجسم ... الخ.

تحتفظ الأنثى بالحيوانات المنوية للذكر إلى حين نضج بويضاتها حيث يتم تلقيحها وتخصيبها من طرف الأنثى نفسها ووضعها على شكل عناقيد ملتصقة بعضها ببعض مثبتة على دعائم صلبة في أماكن ذات حركية كافية لتطهير الماء باستمرار ولتزويد البويضات بالأكسجين الكافي.

تتطور البويضات وتنمو ما بين 30 و70 يوما فتتفقس لتعطي كل واحدة منها نسخة مصغرة من الحبار عليها أن تنمو وتتغذى وتترعرع لتعطي حبارا كما نعرفه.

يوجد في العالم عدد كبير من أنواع الحبار يفوق طول بعضها 50 سنتم ويقل طول البعض الآخر عن 5 سنتم، تتوفر السواحل المغربية منها على حوالي اثنى عشر نوعا. إلا أن الأنواع ذات القيمة التجارية هي حوالي ستة أنواع تختلف فيما بينها بنوع وشكل القوقعة الداخلية التي يمكن أن تكون كلسية مثلاً أو مكونة من مادة قرنية، تختلف كذلك بشكل الزعانف الجانبية التي يمكن أن تكون إما طويلة تمتد على طول الجسم أو قصيرة مستديرة أو معينة الشكل. ونذكر على سبيل المثال بعض الأنواع التي توجد بالسواحل المغربية وبالأخص السواحل الصحراوية الجنوبية للمغرب حيث إن بعض الدراسات تقصد مصايد الصدراسيات في هاته المنطقة حوالي 100.000 طن يتكون 37٪ منها من الحبار. فهناك مثلاً Sepia officinalis، S. bertheloti أو S. elegans.

ورغم وجود أسطول مغربي وأجنبي كبير على الشواطئ الجنوبية للصحراء المغربية التي تهتم بصيد الصدراسيات فإن المغرب نظراً للأهمية التجارية للصدراسيات يولي أهمية كبرى لاحتياطه من هاته الحيوانات حيث إنه كل سنة تمنع البواخر من صيد هاته الحيوانات حتى تتمكن من التوالد والتكاثر في فترات معينة مما سمي بالراحة البيولوجية.

**الحبّارة**، Calmar حيوان مائي يختلف عن الحبار السابق في تصنيفه الحيواني ولو أن الحُبّارة تنتمي كذلك إلى الصدراسيات. فهي في شكلها تشبه إلى حدٍّ ما الحبار حيث إنها تتوفر على عشر مجسات (اثنان منها أطول من الأخريات) كما تتوفر على زعانف جانبية تمكنها من السباحة إلا أنه يمكن التفريق بسهولة بين الحبارة والحبار بشكل الزعانف التي هي طويلة تمتد تقريبا على طول الجسم عند الحبار بينما هي قصيرة تقع في مؤخرة الجسم بالنسبة للحبارة (انظر الرسم). تتوفر الحبارة على قوقعة داخلية تتكون من منطقتين اثنتين : المحور والريشة (انظر الرسم 2).

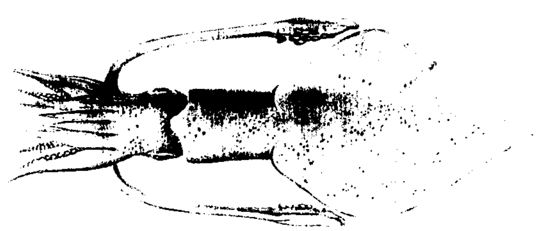

الحبّارة رخوية مائية أيضاً لا تعيش في المياه العذبة وإنما في مياه البحر فقط ما بين سطح البحر ومئات الأمتار تحت الماء. إلا أن ما يميز هاته الحيوانات هو احتواؤها على أكبر اللافقريات حجما ويتمثل ذلك في جنس "Architheutis" الذي يعيش في أعماق تفوق أربعمائة متر والذي يمكن أن يبلغ طوله إلى حوالي عشرين متراً ووزنه أكثر من ألف كيلو غراما والذي يكوّن الغذاء الأساسي لحوت العنبر صاحب أكبر رقم قياسي في مدة وعمق الغوص. أما معظم الحبارات فهي تتغذى على حيوانات أخرى بما فيها أنواع أخرى من الحبارة أصغر منها حجما وتُكوّن الغذاء الأساسي لعدد آخر من سكان المحيط كأسماك القرش والعديد من الحيتان وكذلك الإنسان.

تتناسل الحبارة مثل الحبار عن طريق مجسات الذكر المختصة التي تنقل إلى الأنثى حيوانات الذكر المنوية التي تختزنها إلى حيث نضج بويضاتها التي تخصبها بنفسها (باستعمال السائل المنوي) وتضعها مُجَمَّعَة على دعائم مثبتة. إلا أن أنثى الحبارة تضع عدداً أكثر بكثير مما تضعه أنثى الحبار حيث إن الحبارة يمكن أن تضع أكثر من 200.000 بيضة ملقحة بينما لا تتعدى أنثى الحبار 400 أو 500 بيضة.

تقضي البويضات حوالي أربعين يوما قبل أن تعطي حبارات صغيرة لا تتعدى بضع مليمترات كاملة الخلقة لا ينقصها إلاّ نمو حجمها لتبلغ حجم الكبار.

يوجد على السواحل المغربية عدة أنواع من الحبارات إلا أن أكثرها أهمية وخاصة من الناحية الاقتصادية هي أربعة فقط : Alloteutis africana ، A. subulata ، Lotigo vulgaris و L. forbesi.

وتوجد على السواحل الجنوبية الصحراوية لبلادنا أكثر من أي ناحية أخرى وتكون الحبارات فقط حوالي 4٪ مما يتمّ صيده من الصدراسيات.

محمد منيوي

**الحبّاسي**، أسرة تنتسب لفرقة من قبيلة بني مالك المستوطنة في سهل الغرب شمالي سلا، وكان الحباسيون منذ قرون خلت يسكنون بنواحي إيغيليزان من أحواز مستغانم بالقطر الجزائري قبل أن تصل أفواجهم الأولى إلى غرب المغرب وتستوطن الضفة اليمنى لنهر سبو، واشتهر الحبابسة بأمرين :

- وجود مدينة سوق أربعاء الغرب بتراب الحبابسة، وكانت تسمى قديماً سوق أربعاء سيدي عيسى بن الحسن المصباحي. وبها أيضاً قرى أخرى مثل قرية الحباسي الذي هو واحد من الحبابسة المالكيين الذين تولوا مقاليد السلطة على كافة إخوانهم وسائر القبيلة خلال عدة عقود من القرن الثالث عشر (19 م) كما سيأتي. وبالقرية تحيط خيام للحبابسة من أقارب وأصهار وأصحاب ومسخرين متعصبين بالقائد المولى عليهم وحارسين لشخصه وأملاكه.

قبل منتصف القرن الماضي كان أحد عمال سفيان عبد السلام بن عبد الكريم ابن عودة متولياً على إخوانه وعلى بني مالك أيضاً. لكن بعد ذلك بمدة قصيرة أصبح لهؤلاء قائد منهم هو محمد بن الحاج (اسما) الحباسي وارد الذكر. ومن ذلك الوقت أي من سنة 1261 / 1851 إلى سنة 1328 / 1910 تبوأ الحبابسة مكانة رفيعة بالسلطة يتداولونها فيما بينهم إلى أن حيل بينهم وبينها بولاية الطيب بن الشرقاوي الخليفي المالكي على بني مالك.

**الحبّاسي، أبو بكر** بن **محمد**، ولي الأمر بعد موت أبيه القائد محمد بن الحاج سنة 1276 / 1859، واستمر كذلك فترة طويلة انتهت سنة 1301 / 1884.

**الحبّاسي، أبوبكر** بن **محمد** بن **أبي بكر** استعمل على القبيلة حوالي سنة 1303 / 1885 ولربما قبلها. واستمر كذلك فترة من الزمن. وكان من الولاة الذين لهم معاملات واسعة مع الناس، وكذلك مع بعض الأجانب إلى حد أنه كان سنة 1307 / 1890 مديناً بمبلغ من المال لنائب قنصل فرنسا بالعرائش لوي ده لاروش. وفي سنة 1311 / 1893 تمرد أهل الغرب وشقوا عصا الطاعة بعد عزل القائد بوسلهام بن المصطفى ابن الرموش السفياني، فأسند السلطان مولاي الحسن أمر سفيان إلى القائد المجاور لهم وهو أبو بكر الحباسي. فلم يوفق في ردعهم وردهم لجادة الصواب.

وفي سنة 1312 / 1894 بعد موت السلطان بفترة قصيرة نكب أبو بكر الحباسي بالعزل والسجن معاً. ولا نعلم لذلك من سبب سوى أن يكون الحاجب احماد بن موسى أراد الانتقام من الحباسيين مثلما فعل مع الجامعيين. وطبعاً اتهم الحباسي باكتساب ثروة فاحشة، فنزعت منه كلا أو بعضاً وفرضت عليه ذعيرة. وقد أطلق سبيله بعد ذلك بعد أن أدى معظم المال الموظف عليه.

وفي سنة 1315 / 1897 عين عاملاً على مدينة وجدة فترة لم أقف على مداها، كما رشح سنة 1327 / 1909 للولاية على قبيلة أنجرة المجاورة لطنجة لما وصف به من العقل والحزم والرفق بالناس.

ومما يذكر عنه أنه في السنوات الأولى من القرن العشرين كان من القواد الذين شاركوا في المحلة القامعة لبوحمارة بشرق المغرب. لكن لما طالت الحرب اشتكى أبو بكر بمرضه ربما لهرمه "وبقائه في الرفعة" (أي أنه لم يكن مهيض الجناح، لأنه كانت له صفه قائد) "فارغ الأشغال" بسبب تدهور أحوال النفس وشدة أحوال الطقس.

**الحبّاسي، إدريس** بن **الحسين** أحد القواد الخمسة المعينين سنة 1312 / 1894 بعد نكبة أبي بكر الحباسي وتوزيع إيالته عليهم. وكانت بينهما مصاهرة، فأخت إدريس كانت زوجاً لأبي بكر. ومكث في الولاية إلى وفاته سنة 1316 / 1898 ووجه المخزن أحد خبراء سلا هو أحمد بن عبد الرحمان بوعَلُّو لإحصاء متروكه.

**الحبّاسي، العربي** بن **علي** بن **المسيّح**، لعله عين مباشرة بعد موت إدريس. وكان سنة 1903 لايزال قائداً. والغالب أنه توفي سنة 1328 / 1910، فعين مكانه الطيب ابن الشرقاوي الخليفي المالكي الذي كان سنة 1319 / 1901 سجيناً بسلا، فطلب العربي من عاملها الإفراج عنه وتوجيهه للقرية.

**الحبّاسي، محمد** بن **الحاج** - اسماً - وهو أول الحباسيين في الولاية. كان اسم أبيه هو الحاج كما نرى، لوجود أخ له اسمه عبد الرحمان بن الحاج الذي كان سنة 1290 / 1873 أحد المبايعين للسلطان الحسن الأول ومعه ابن أخيه الذي كان قائداً وقته وهو أبو بكر بن محمد الحباسي. كان محمد قائداً حتى سنة 1845. لكنه في السنة الأخيرة

وقعت له حادثة غريبة (ركاز) سجن من أجلها بعض الوقت بمدينة مكناس.

وحتى سنة 1265 / 1848 كان محمد الحباسي لا يزال مبعداً بمكناس. والظاهر أنه أعيد إلى سالف منصبه بعد ذلك بقليل. فإذا كانت سنة 1851 وجدناه عاملاً. ولعله دام إلى ما قبل سنة 1276 / 1859.

إسماعيل العلوي، بني مالك، *معلمة المغرب*، ص 1556 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 80 و93 ؛ أ. داود، *تاريخ تطوان*، 6 : 24 ؛ ع. بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 330 . 334 . 351 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 2 : 698 . 704 . 705 . 706 . 724 . 729 وج 3 ص 1178 وج 4 ص 1339 ؛ *التعريف ببني سعيد*، 1 : 112 و251 وج 2 ص 7 ؛ *علاقة المخزن بأحواز سلا*، ص 58 . 124 . 230 . 249 . 271 ؛ *مجلة الوثائق*، ج 3 ص 166 ؛ الوثائق الملكية والبنسعيدية والصبيحية.

E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, p. 98 -99.

مصطفى بوشعراء

**الحبّاك**، أسرة مكناسية عالمة، انتقل بعض أفرادها إلى فاس وكان لهم ذكر بهذه المدينة، وتولى بعضهم خططاً شرعية سامية فيها. ولم يعد لهم اليوم ذكر بفاس إلاّ زنقة تحمل اسمهم.

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون خ. ح.

**الحبّاك، أحمد** بن **سعيد** القيجميسي. ولد بمكناسة عام 804 / 1402 وأخذ الفقه عن كثير من شيوخها كأخيه لأبيه الشيخ الفقيه محمد بن سعيد الحباك وابن جابر الغساني المكناسي وأبي عمران موسى الجاناتي وأبي القاسم التازغدوري وأبي محمد العبدوسي وعلي بن يوسف بن يشو التلاجدوتي وغيرهم. ويعتبر المترجم واحداً من علماء أسرة الحباك المنتشرة في المغربين الأقصى والأوسط خلال نهاية العصر الوسيط وبداية العصر الحديث، كما يعد من بين أعلام مكناسة البارزين حيث كان له التقدم في الفقه والأدب، كما كان له ذوق في التصوف.

تتلمذ عليه فقهاء كبار بمكناسة وفاس، ومنهم الإمام محمد بن أحمد ابن غازي الذي لازم مجلسه واستفاد منه كثيراً من العلوم وقرأ عليه *شرح ابن عقيل على الألفية*، *ونظمه لمسائل ابن جماعة التونسي في البيوع*.

كان أحمد الحباك يدرس بالمدرسة المتوكلية المنسوبة للسلطان أبي عنان المريني ويخطب بجامع القرويين بعد الفقيه العبدوسي وكذلك بالجامع الأعظم بمكناسة. ولأسباب لا تذكرها المصادر عُزل الفقيه الحباك إلى جانب القاضيين القَوْري والجنياري في يوم واحد، ثم طلب منه بعد ذلك إمامة جامع الأندلس بفاس فرفض قبولها كرد فعل على عزله.

توفي أحمد الحبّاك بفاس عام 870 / 1466 مخلّفاً ولداً اسمه أبو سعيد كان من عدول فاس.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1952، ص. 5، 11، 24، 27؛ *التعلل برسوم الإسناد*، تح. محمد الزاهي، الدار البيضاء، 1979، ص. 87 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 127 . 128، 319، 516 ؛ *درة الحجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1971، ج. 1، ص. 88 . 89 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، مصر، ط. 1، 1351، ص. 81 . 82 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، المطبعة الحجرية الفاسية، 1316 هـ، ج. 3، ص. 246 . 247؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الدار البيضاء، ط. 2، 1990، ج. 1، ص. 313 . 315، ج. 4، ص. 5 وج. 5، ص. 455 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، د. ت.، ص. 264 ؛ م. حجي (محقق)، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 149، 262.

**الحباك، أحمد** بن **محمد** بن محمد بن محمد الأنصاري المكناسي، فقيه نحوي. أخذ عن ثلة من علماء المغرب في عصره كالمقرئ سليمان بن عبد الله اليزناسني الشهير ببويَغْريبَنْ والإمام ابن غازي، والشيخ أحمد زروق. وتخرج على يديه فقهاء ومتصوفة مثل الوليّ الصالح عبد الله ابن حسون السلاسي السلاوي والفقيه أبي شامة ابن إبراهيم الدكالي المشنزائي الفاسي والفقيه محمد بن عبد الرحمان بصري الولهاصي المكناسي المعروف بسيدي بصري وأجازه في القراءات السبع *والألفية والرسالة القيروانية وبردة البوصيري*، وقد أورد ابن زيدان نص هذه الإجازة في كتابه *إتحاف أعلام الناس* (4 : 29 . 32). كما أخذ عنه أيضاً الشيخ رضوان الجنوي ومحمد بن عبد الله الدقاق وأبو القاسم بن علي ابن خجُّو.

توفي أحمد الحباك مسموماً في محرم أو صفر من سنة 938 / غشت . أكتوبر 1531 بعد عودته من حركة الصلح التي أشرف عليها والتي جمعت بين الأشراف السعديين والأمير أحمد الوطاسي، ويُرجع سبب تسميمه إلى أنه كان قوالا للحق منكراً للظلم لا تأخذه في الله لومة لائم لذلك أمر الوطاسي بقتله. ومن الأمثلة على ذلك الفتوى الشهيرة التي أصدرها والتي تبطل تحزب التجار الفاسيين ضد من عُرفوا بالإسلاميين ومنعهم من دخول الأسواق وتؤكد وقوف الحق إلى جانب هذه الفئة من المجتمع الفاسي.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط، 1977، ص. 6، 15، 49 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 133 ؛ *درة الحجال*، القاهرة، 1971، ج. 1، ص. 94 ؛ ج. 3، ص. 62 ؛أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، مصر، ط. 1، 1351، ص. 90 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، المطبعة الحجرية الفاسية، 1316، ج. 3، ص. 249 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ط. 2، 1990، ج. 1 : 316 ؛ ج. 4، ص. 29 . 32 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. مصطفى بوشعراء، سلا، 1986، ص. 97 ؛ م. حجي (تحقيق)، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 293 ؛ *الحركة الفكرية*، الرباط، 1976، 1 : 275 . 276.

ابن **الحبّاك، محمد**، فقيه حيسوبي معدل أحد أبرز العارفين بعلم الهيأة. كان إلى جانب أبي الحسن ابن القطان أو سليمان الغياش ممن وقفوا على اختيار موضع فاس الجديد الذي أمر ببنائه السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 674 / 1276، كما ساهم في تحديد قبلة المدرسة اليعقوبية المعروفة بمدرسة الصفارين عندما شيدها السلطان المذكور سنة 675 / 1277. ومما اشتهر عنه أيضا وضعه سنة 685 / 1287 لبدن من فخار في القبة العليا من جامع القرويين وجعل في هذا البدن ماءً ومن فوقه طستا من نحاس فيه خطوط وثقب يخرج منها الماء بقدر محدد ومعلوم إلى أن يصل إلى الخطوط، فيسهل بذلك معرفة أوقات الليل والنهار في الأيام الغائمة.

لا نعرف تاريخ وفاة ابن الحباك هذا غير أنه عاش في نهاية القرن السابع (13 م).

مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، ص. 161 ؛ الجزنائي، جنى زهرة *الآس*، ط. 2، الرباط، 1991، ص. 50 ـ 51، 81 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، 7 : 402 ؛ ابن الاحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 19 ـ 20 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 54.

**الحباك، محمد** بن **سعيد** القيجميسي، من فقهاء مكناسة الزيتون. وصفه ابن غازي بالفقيه الزاهد الرباني المربي، وأخذ عنه أخوه أحمد بن سعيد المتقدم ذكره والإمام ابن غازي. عاش في القرن التاسع (15 م).

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1952، ص. 23 ـ 24 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، مصر، ط. 1، 1351، ص. 306 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ط. 2، 1990، ج. 3، ص. 597.

**الحباك، محمد** بن أبي **الفرج**، قاضي فاس وخطيبها. عده الونشريسي من بين أصحابه ووصفه بالفقيه الأجل والعالم العلم الأفضل، الحاج الأكمل، كما أورد في *معياره* نازلة تخص ابنة محمد الحباك هذا واسمها عائشة، وتتعلق هذه النازلة بما تركته من أثاث وربع وعقار وحلي وكتب كإرث لها من أبيها ومن أمها الزهراء بنت أبي يحيى الحباك.

توفي محمد الحباك سنة 871 / 1467.

أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1981، 6 : 532 ـ 539 ؛ *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 149، 262.

رشيد السلامي

ابن **حَبُّوس، محمد** بن حسين بن عبد الله الفاسي ـ بتشديد الباء وتخفيفها ـ، شاعر الدولتين المرابطية والموحدية "وحبوس من موالي بني أبي العافية الذين ملكوا المغرب الأقصى أيام بني أمية الأندلسيين" (*الذيل والتكملة*، 8 / 1 : 293).

وُلد ابن حبوس في حدود سنة 500 بفاس، وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى تلسمان ومراكش، وأقام مدّة بالأندلس إلى أن استقر الأمر للخليفة عبد المومن بن علي بمراكش، فرحل إليه، وخصّه وأبناءه بأمداح كثيرة.

قال عنه ابن الأبار في *التكملة* (1 : 371) : "كان عالماً محقاً، وشاعراً مفلقاً، يتقدّم في ذلك أهل زمانه، ويوقف علي جودة شعره من ديوانه. امتدح الأمراء ؛ ووصفه ابن عبد الملك في *الذيل والتكملة* رواية عن بعض رواة شعره : (8 . 1 : 294) بأنه "كان شاعراً مفلقاً من جلّة فحول الشعراء متفنّناً في معارف سوى ذلك من كلام ونحو ولغة" ؛ وحلاّه ابن دحية في *المطرب* بقوله (ص 200) : "شاعر المغرب الأقصى، ومفخره في صناعة المحاكاة والتخييل. وإن كان له غلوّ في الأمداح، وإفراط في الاختراع والاقتداح".

أمّا ديوانه، فلم يصل إلينا، وإن كان متداولاً في عصره وبعده اطلع عليه ابن الأبار، ووقف عليه ابن عبد الملك، في مجلد متوسط قائلاً : "وشعره كثير، وقد جمع له بعض أصحابه المختصين به ما علق بحفظه منه أو أحضره ذكره، أو أسأرته عوادي التنقّل والاضطراب إلى آخر ربيعي ستين وخمسمائة، فناهز ذلك ستة آلاف بيت وخمسمائة بيت، وقد وقفت عليه في مجلد متوسط" (8 . 1 : 298) ورفع ابن دحية ديوان ابن حبوس إلى الملك الكامل بن أيوب سلطان مصر، وكان قد لقيه بمراكش سنة 564 / 1168. ثم زاره في داره بمدينة فاس، فأخذ عنه وسمع منه ...

يظهر من خلال هذه الإشارات أنّ *الديوان* كان متداولا بأيدي الناس، وأن شعره حظي في عصره بدراسات ونظرات نقدية لخّصها المراكشي في كتابه *المعجب* (ص 213)، إذ جعل لا بن حبوس طريقة في الشعر أي مذهباً خاصاً به، يقول : "وكانت طريقته في الشعر على نحو طريقة محمد ابن هانئ الأندلسي في قصد الألفاظ الرائعة والفقاقع المهولة، وإيثار التقعير، إلاّ أنّ محمد بن هانئ كان أجود منه طبعاً وأحلى مهيعاً".

كان ابن حبوس مقدما على شعراء عصره في العدوتين ذا مكانة في دولة لمتونة حتى نُقلت إليهم عنه حماقات، فهرب إلى الأندلس، كما كان "حظيّاً عند عبد المومن بن علي، نال في أيامه ثروة، وكذلك في أيام ابنه أبي يعقوب" (*المعجب*، ص 214)، ومن مظاهر ذلك أنه أول شاعر أنشد قصيدة في مدح عبد المومن بن علي عندما حلّ بجبل الفتح مهنئاً بالنصر مطلعها :

| | |
|---|---|
| بلغ الزمان بهديكم ما أمّـــلا | وتعلّمتْ أيامه أن تعــــدلا |
| وبحسبه أن كان شيئا قابـــلا | وجه الهداية صورة فتشكّــلا |

ويعد كتاب *الذيل والتكملة* لابن عبد الملك المراكشي، المصدر الذي حفظ من الضياع قصائد مختلفة للشاعر ابن حبوس في المدح، والحكمة، وفي مدح المصحف العثماني،

وفي شكوى الدهر، يليـه كتـاب *زاد المسافر وغرة محيّا الأدب السافر* لأبي بحـر صفـوان بن إدريس الذي أورد له مختارات شعرية من قصائد عديدة في مناسبات مختلفة.

ويلخص عبد الله كنون رأيه في شعر ابن حبوس قائلاً: "ومجمل القول فيه، أن شعره يجمع بين الجزالة والإبداع، ويكثر فيه المجاز والصور الخيالية التي يقرّب بها ما بَعُدَ من المعاني، وشرد من الأغراض، والكلمة فيه تخضع لمراد الشاعر ولا تتحكم فيه، ولو كان بيدنا كثير من شعره لحكمنا جزما بأنه نسيج وحده في أسلوبه على ما ظهر لنا ممّا بيدنا من شعره ... تجربته الشعرية كانت تقتضي منه معاناة وعملية خلق فني كما هو الحال عند كلّ الفنانين والأدباء الكبار" ( *ابن حبوس*، ص 14). بينما يصنف محمد ابن تاويت الشاعر ابن حبوس ضمن مدرسة المتنبي، فهو "شاعر معان أكثر منه شاعر ألفاظ، فالمزيّة الحقيقية في شعره ليست الألفاظ الخداعة، ولكنها في المعاني التي تبرهن عن قيمتها وتعلن عن نفسها بواقعها" ( *الوافي بالأدب*، 1 : 100).

ص. ابن إدريس، *زاد المسافر*، ص 43 ؛ ابن دحية، *المغرب*، ص 200 ؛ ابن الأبار، *التكملة*، 1 : 371 ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 8 . 1 : 294 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، ص 214 ؛ ع. كنون، *ذكريات مشاهير رجال المغرب*، عدد 39 ؛ م. ابن تاويت التطواني، *الوافي بالأدب العربي*، 1 : 100 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 4 : 110.

نجاة المريني

ابن **حَبُّوش**، كنية لشخصين من قبيلة حُصين توليا منصب قيادة فرقة هذه القبيلة الواقعة جنوب شرق سلا على الضفة اليمنى من نهر أبي رقراق، وكلاهما من فصيلة أولاد عقبة :

ابن **حَبُّوش، الجيلالي** ربما كان ولد العربي آتي الترجمة تولى قيادة فرقة حصين بعد العربي إلى أن عزل سنة 1321 / 1903.

ابن **حَبُّوش، العربي** بن بوعزة الحصيني تقلب في منصب القيادة على إخوانه في فترات تخللها السجن والعزل عدة مرات.

ففي سنة 1290 / 1873 كان قائداً إلى أن كانت سنة 1292 / 1875 فعزل، لأن قيادة حصين أسندها السلطان مولاي الحسن إلى قائد عامر الحاج العربي بن الفقيه المَغُّوثي، بعد أن كان ولّى قبله أحمد بن العروسي الهلالي العمري عليها. غير أن حصين وجوارهم السهول لم يرضوا أن يولى عليهم غيرهم من عامر الحوزية.

وقد عدل السلطان عن رأيه بعد أن زال فسادهم وظهر له صلاحهم، وكان ذلك سبباً في تولية العربي بن حَبُّوش مرة أخرى بعض الوقت. غير أن هذا الأخير لما تداين لبعض الأجانب وخصوصاً ليعقوب بن سعيد ترجمان نائب قنصل فرنسا بالرباط عزله السلطان حتى يؤدي ما بذمته، وأمر بسجنه سنة 1299 / 1882 طيلة شهرين ثم أفرج عنه بشرط أن يسدد ما عليه. وظل معزولاً عن الولاية نحو ثلاث عشرة سنة بقية العهد الحسني. فلما توفي السلطان عاد إلى الطمع في القيادة وأخذ يبذل المال لينال بغيته. وعلى الرغم من أن عبد الله بنسعيد عامل سلا أخبر الحاجب احماد بن موسى بأن العربي كان يريد الهجوم على سلا وبأنه رجل متصف بالتعسف على إخوانه وبأنه كذاب أحمق لا يصلح للولاية، اعتبرها الحاجب ضغينة من العامل يكنها للعربي الذي كان على علاقة جيدة مع قاضي سلا الحاج علي عواد الذي كان يؤيد العربي ابن حَبُّوش ضد خصمه بنسعيد. فما كان من المخزن إلا أن ولاه مرة ثالثة سنة 1312 / 1895 وظل قائداً إلى حدود سنة 1319 / 1901، ويظن أنها كانت سنة وفاته.

م. بوشعراء، *قبيلة بني حسن*، مخطوط ؛ *وثائق*، خ. ص وآل بنسعيد ؛ *الوثائق الملكية*.

مصطفى بوشعراء

## الحُبُس ← الوقف

**الحَبَق**، نبات يسمى علميا أوسِيمُومْ بَازِيلِيكُومْ Ocimum basilicum من فصيلة الشفويات Lamiaceae وهو نوع عشبي لا يتعدى علوه ثلاثين أو أربعين سَنْتيمتْراً، ذو أوراق بسيطة عطرة وأزهار بيضاء شفوية الشكل.

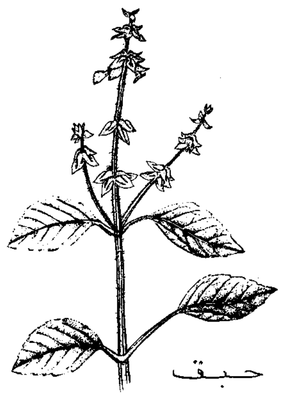

حبق

يزرع الحبق عادة في المحابق أو استثنائيا في الحدائق المنزلية للزينة وإبعاد الباعوض والذباب، ولهذا نراه مرصعا للنوافذ والأبواب والمداخل. كما يستعمل في بعض المأكولات والحلويات نظراً لما له من ميزات طبية ضد أمراض الجهاز التنفسي والجهاز الهضمي، وضد السموم ولدغات الحشرات وضد البواسير...

*أبحاث شخصية*.

عبد المالك بنعبيد

**الحبوب**، هي مجموعة من النباتات المنتمية إلى عشيرة النجليات التي تعطي حبا طحينيا يستعمل في تغذية الإنسان والحيوانات الداجنة، من ضمن هذه الحبوب القمح والشعير والذرة والأرز والذرة البيضاء والدخن والشوفان والخرطال والبشنة. الذرة البيضاء والصفراء والدخن والأرز وهي حبوب المناطق الحارة، أما باقي الحبوب فتنتمي على الخصوص للنطاق المعتدل.

بالنظر إلى محاصيلها، تمثل الحبوب أهم النباتات التي يزرعها الإنسان. يلعب القمح والأرز على رأسها الأدوار الأولى من حيث التغذية والاقتصاد على الصعيد الدولي. يعتبر القمح بعد الشعير الزراعة الوطنية للمغرب. بالإضافة إليهما تسهم الذرة والأرز والشوفان في تغذية الإنسان، في حين يختص الخرطال والشعير والذرة البيضاء بصفة أكبر في إطعام الحيوانات الداجنة. تستعمل العديد من الحبوب كذلك صناعيا (الشوفان، الشعير، الذرة، الأرز) في معامل الجعة والنشاء والتقطير ...

تمثل زراعات الحبوب نشاط حوالي المليون ونصف من الحيازات الزراعية، مغطية 80٪ من الأراضي المزروعة بالمغرب (4.500 000 هكتار)، وموفرة 75٪ من الحصة البروتينية في الوجبة الغذائية المغربية. كما تكون 46٪ من موارد التغذية المخصصة للقطيع (حب وتبن).

يتسبب ضعف انتظام التساقطات (من حيث الحجم والتوزيع خلال السنة) في تفاوتات عنيفة لإنتاج الحبوب بالمغرب : 69 مليون قنطار سنة 1968، 21 مليون في 1981، 78 مليون في 1986 ... المعدل السنوي للفترة 1968-1986 هو 43.5 مليون قنطار.

لكن اعتبار إنتاج الحبوب على المدى الطويل يظهر نموا واضحا يرتبط أساسا بتحسن تقنيات الإنتاج. نسبة النمو الملاحظة، وهي حوالي 1.1٪ في السنة، تبقى مع ذلك أدنى من نسبة نمو السكان الحضريين على الخصوص، وبذلك أدنى من الطلب الغذائي.

1 - اعتبارات نباتية وتقنية.

الحبوب نباتات سنوية غالبا، ذات جذور حزمية، وسيقان أسطوانية مزودة بعقد بها أوراق موشحة مغمدة. تجتمع الحبات في سنابل أو سنيبلات، يشكل مجموعها سنبلة بسيطة (الذرة) أو مركبة (القمح) أو عشكولا (الخرطال). تأتي الثمرة جافة، مطبقة (برة)، غالبا محبوسة داخل العصفات والعصفيات المعروفة بقشور الحبة، المغطاة بالسفا.

في المكان الذي تنفصل فيه الورقة المغمدة عن الساق، يتولد غالبا لسين غشائي وشفاف به سنان متفاوتة الطول تلتف حول الساق (أذينات). لهذه الزوائد أهميتها من الوجهة النباتية. حيث إنها هي التي تسمح بتمييز مختلف الحبوب في طورها العشبي. فللشوفان لسينات وأذينات شديدة القصر، وللقمح لسينات وأذينات متوسطة، وللخرطال لسين طويل ومبتور وأذينات منعدمة، وللشعير أذينات طويلة وعريضة ومتقاطعة، ولسين قصير. أوراق القمح والخرطال خضراء فاتحة، وهي في الشعير تنزع إلى الأخضر المصفر. بعض ضروب القمح والخرطال والشعير محيولة، بمعنى أنها تبذر في الخريف لتحصد في الصيف الموالي، الشيء الذي يعرضها في بعض الحالات إلى الانقراض بفعل البرد القارس بدون ثلوج أو الجمد والذوبان المتتاليين في نهاية الشتاء، خاصة في الجبال. لذلك يكون لحبوب الخريف إن هي نجت مردود أكبر من حبوب الربيع. تجدر الإشارة إلى أن جل ضروب القمح المزروعة في المغرب هي وظائفياً ربيعية. أي أنها لا تتوقف على البرد الشتوي (الاستربياع) من أجل أن تسنبل، ومع ذلك فإنها تبذر في الخريف. هناك من ضروب الحبوب ما يزرع أكثر من غيره.

تتمتع الحبوب بخاصة الإشطاء، أي أنها ترسل شطوءا، فراخا جديدة في قاعدة العقد السفلي. وهي ملكة ثمينة تسمح باقتصاد البذور أو بتغطية الفراغات الناجمة عن نبوت رديء. يتم تسهيل الإشطاء بواسطة تنعيم الحقل وتجرير القمح وخاصة التزويد بأسمدة منترجة. لكن يحسن تجنب المغالاة في تشجيع الإشطاء على الأتربة الغنية، وتخفيفه على الأراضي المتوسطة والفقيرة. وهو ما يحصل باستعمال بذور أقل في الحالة الأولى، وأكثر في الحالتين الأخرين، مثلاً : 150 كلغ / هكتار من البذور بالنسبة للقمح المزروع مبكراً في الأتربة المتوسطة، 200 كلغ / هكتار في أتربة فقيرة.

يساعد البذر المبكر كذلك على الإشطاء ويتطلب مقادير أقل من البذور. يلزم التحفظ بشأن استعمال ميزة الإشطاء إلى أبعد الحدود، ذلك أن آخر الفراخ في الظهور تعاني من إبطاء في التنبت وفشل في الإسبال العادي. لذا لا نلجأ إلا نادرا إلى البذر الخفيف. كما أن التبكير الزائد في البذر على الأتربة الجيدة، يتسبب في التكثر من الشطوء معطيا قمحا معشبا، كثير التبن، قليل الحب. متطلبات الحبوب هامة على الخصوص من حيث الآزوط : حيث تصدر 3 كلغ للقنطار المنتوج. لكن كل إسراف في الآزوط يحدث غزارة في الإنبات، ذبولا في قاعدة السيقان والضجعان. من أجل إعطاء محصول جيد، تحتاج الحبوب الرئيسية إلى قرابة 80 إلى 90 كلغ من الآزوط، 40 إلى كلغ من حامض الفوسفوريك و100 إلى 125 كلغ من البوتاس. دفاعاتها ضعيفة في مواجهة النباتات الدخيلة لذا وجب بذرها في الأتربة النقية المعدة إعداداً جيداً. فمن أجل الحصول على مردود جيد، يستحسن مشط الأراضي وتجريرها، وبذرها حسب الخط، وإبادة الأعشاب في بداية التنبت.

2 - حبوب الشتاء

أ - الشعير

يحتل الشعير حوالي 46٪ من الزرعة المغربية، ويعطي

45,3٪ من الإنتاج. فهو لا يغيب عن كل الأراضي المستصلحة، ويصير الزراعة الرئيسية كلما نزل معدل التساقط السنوي عن 300 ملم / سنة، كما هو الشأن في هضاب الشمال الغربي والوسطي، وفي سوس والأطلس الصغير وواحات درعة. في بعض الجهات بقي الشعير إلى أمد قريب الممثل الوحيد للحبوب، ولربما الزراعة الوحيدة.

وبما أنه الزرع الأكثر جلدا، فإنه بقي مدة طويلة يوفر الإنتاج الأكبر والأكثر استقراراً. لكن استفادة الشعير، كغذاء للإنسان والحيوان من التقنيات المتطورة لم يحصل إلا بعد السبعينيات، الفترة التي تركز فيها المجهود على التحسين الوراثي للقمح، وموازاة مع جفاف الثمانينات. ضبط ضروب ذات مردود عال أمر حديث حيث إن الضروب المنتقاة لم تستعمل على مدي واسع إلا في موسم 1985 - 1986. صحيح أن النتائج كانت مرضية لكن، وكما هو الشأن بالنسبة للقمح، مقابل عمليات زراعية عالية الكلفة بالمقارنة مع الضروب المحلية، خاصة بتقوية معالجة الأرض، والتسميد المعدني ... بالإضافة إلى أن هذه الضروب شديدة الحساسية إزاء الأمراض الفيروسية والفطرية، الشيء الذي يعمق الاستفادة التامة من التحسين. لم تعرف ضروب شعير الخطين الانتشار الكافي رغم مردوديتها العليا من نسق الستة خطوط بسبب العادات التفضيلية للفلاحين المغاربة.

ب - القمح الصلب

يمثل القمح الصلب 29,6٪ من الأراضي و30,4٪ من إنتاج الحبوب بالمغرب. يكون أكبر جزء من حقول الزروع في ظهير المدن بين طنجة وآسفي. ويلغي تقريبا شمال فحص طنجة، كل الحبوب الشتوية بما في ذلك القمح الطري والشعير. يحتل القمح الصلب الصدارة أمام الشعير والقمح الطري في جل جهات الريف الغربي وفي مقدمة الريف وسايس وبلاد زمور وزعير وسهول الشاوية ودكالة وعبدة ومجموع الأطلس المتوسط الغربي من الحاجب إلى مشارف ميدلت، وفي أراضي السقي الكبير ومحيط تادلة. وذلك رغم مرونته الأقل إزاء الدورة المناخية السنوية. وقد استفاد هو الآخر من البحث الزراعي.

في إطار سياسة تنمية إنتاج الحبوب بعض الضروب الناجحة المضبوطة بالمغرب وفي دول أخرى : كيبيروندا (2777)، كوكوريت، جوري، وأحدث منها كريم ومرزاق ... وغيرها كثير، كانت موضوع تكثير البذور. إذاعتها على مدى جغرافي واسع لم تصل إلى كل الفلاحين في الجهات المعتبرة، الذين لازالوا يثمنون جلادة الضروب المحلية.

حـ - القمح الطري

يغطي 11,7٪ من المساحات ويقدم 12,6٪ من إنتاج الحبوب. يحتل القمح الطري الصف الثاني بعد القمح الصلب أو الشعير في ظهير الرباط والدار البيضاء، في مقدمة الريف، الأطلس المتوسط الغربي، كل السهول بين أم الربيع وتانسفت (بني مسكين، الرحامنة، أحمر)، والأراضي السقوية الكبرى، وفي السهول والمنخفضات بين سوس الأدنى وواد نون. نصيبه من زرعة الحبوب الخريفية يزيد على 15٪ ويمكن أن يتعدى 35٪ ويصل إلى 50٪. دخل في سياق الاستعمار الزراعي، وكان أول مستفيد من أبحاث التحسين الوراثي وبصفة خاصة خلال السبعينات، حيث تم إنتاج ضرب "نسمة 149"، وإدخال "سيتي سيروس". وسرعان ماعمت "النسمة" أقاليم البلاد حيث يمكن أن تعطي في أحسن الظروف التقنية مردود 30 إلى 40 قنطارا في الهكتار خلال السنوات المواتية مناخيا، 20 قنطار في سنوات الخصاص مع بلوغ 60 قنطارا في الهكتار المسقي.

وصل الاتساع العريض لزرعة القمح الطري أوجه خلال موسم 1985 - 1986، بمساحة 1.034.400 هكتار مقابل 778.000 في 1984 - 1985 و462.000 في 1961 - 1962. وذلك تجاوبا مع إرادة وتجند السلطات المعنية للاستجابة للطلب المتزايد على هذه المادة من طرف التجمعات الحضرية الكبيرة.

د - الحبوب الشتوية الثانوية.

لم يبق من أقدم الحبوب وهي الشوفان والحنطة الرومية إلا مساحات صغيرة في الأراضي العالية، الرطبة شتاء، خاصة في الشمال الغربي الريفي. في هذه المنطقة، وهي من أقدم الأراضي الزراعية، لازالت هذه الحبوب مستعملة في التغذية البشرية، لكنها على العموم اندثرت بسبب قابليتها الضعيفة للخبازة. أما قشها، الذي كان ضروريا لبناء الشقوف فإنه فقد الكثير من قيمته بعد إدخال المطيلة المتموجة قبل عشرين سنة. عرف الشوفان بعض الانتعاش كزراعة علفية في الحيازات الكبيرة لتربية الماشية.

هـ - بلاد القمح وبلاد الشعير

يلاحظ على الفور التوافق الحاصل بين الأراضي التي يغلب فيها القمح الصلب والنطاق الذي يعرف معدل التساقطات السنوية المتجاوز 400 مم. كيف يفسر هذا التوزيع بين بلاد القمح وبلاد الشعير. هل هي علاقة سببية مباشرة بين المناخ ونوع الحبوب ؟ أم هو الربط بين انتشار القمح الصلب ومواقع المدن الكبيرة الأكثر تركزاً في الشمال الغربي الأطلنتي ؟

معلوم أن القمح الصلب هو نوع الحبوب الأكثر إكسابا في السوق، وأن الجهات الغربية من المراكز الحضرية هي المستفيدة الأولى من التدخلات التقنية، وفي هذا السياق من انتشار البذور المنتقاة للقمح الصلب ... تطور هذا النوع واضح في الشاوية العليا التي كانت بلاد الشعير. أم هل هي تفاعلات بين تركيبة من العوامل منها التساقطات الأكثر غزارة، وأنواع التيرس والأتربة فوق البازلت، وشبكة المواصلات الكثيفة ... أما فيما يخص القمح الطري، فإنه يتمركز في الشطر الغربي من البلاد، عامة في السهول

والهضاب، لكن لا يمكن ربطه بأية خاصية متميزة للبيئة الطبيعية (التساقطات، الرطوبة، النظام المناخي، الأتربة...) بالإمكان تمييز ثلاثة أنواع من المواقع : نواحي المدن الكبيرة، القطاعات المسقية الكبيرة والجهات المجتثة حديثا وجلها بمحاذاة النطاق الجاف.

3 ـ الحبوب الربيعية

باستثناء بعض آثار الدخن في الأطلس الكبير وعلى رمال إقليم طنجة وفي الغرب الأعلى، حبوب الربيع الوحيدة غير المسقية هي الذرة والذرة البيضاء. مجال هاتين الزراعتين لا يمكن أن يتجاوز الجوار المحيطي الرطب إلا عندما يتوفر الري.

أ ـ الذرة :

تحتل الذرة 10،1٪ من أراضي الحبوب وتمثل 7،8٪ من الإنتاج. يدعم التغذية البشرية وتغذية القطعان معا. تنمو الذرة بدون سقي في المجال الساحلي حيث يتراوح معدل التساقطات السنوية بين أقل من 300 إلى 400 مم / سنة، بزيادة التكثيف الخفي كما هو الشأن في عبدة ودكالة والشاوية ... أما في الريف الغربي فهو قليل الانتشار. يستقبل معدلا مطريا من 900 إلى 1200 مم ما بين أكتوبر وأبريل. لكن ابتداء من أبريل ـ ماي يحل الجفاف بعنف. يتزايد المدى الحراري في اتجاه الداخل وتنقص التساقطات. الأتربة اللدنة بالرغم عن مقدورها الجيد في احتجاز الماء، لا تفلح في مقاومة ظروف الصيف التي تصمتها وتصلبها.

ب ـ الذرة البيضاء

توجد الذرة البيضاء في موقع أدنى، فلا تغطي إلا 2،6٪ من الزرعة ولا تحقق إلا 3،9٪ من الإنتاج. كانت وحدها تمثل حبوب الربيع في مجموع البلاد قبل إدخال الذرة الصفراء ابتداء من القرن السادس عشر. هي الآن محصورة في أقصى الشمال وتعاني من تراجع واضح.

جـ ـ الأرز

الأرز ثالث حبوب الربيع المزروعة في المغرب، يدخل في المجال المسقي. استفادت زراعته من تدخل قوي للدولة. دخل المغرب خلال فترة 1925 ـ 1930 بدءاً بمناطق العرائش والسايس، ثم تطورت زراعاته في منطقة الغرب ابتداء من 1949 التي تتفرد بها حاليا. عرف اتساع المرزات توجهات مختلفة وتقلبات حسب الظروف : 65 هكتار في 1949، 7.000 هكتار في 1955 ، 2.200 في 1961، 9.100 في 1978. ثم حصل تراجع واضح بسبب الجفاف والأوبئة (بانيكوم) : 879 هكتار في 1982 و562 في 1985.

مكّن تحسين التخزين المائي لسد إدريس الأول من تنشيط الزراعة سنة 1986، وذلك ببذر 4.860 هكتار.

عكس إنتاج الأرز التقلبات التي عرفتها المساحات : 430.000 قنطار في 1969، 25.000 في 1985 بمعدل 183.000 قنطار / سنة بالنسبة للفترة 1949 ـ 1986. ابتداء من 1980، أصبح من الضروري الاستيراد نزولا عند رغبة المستهلكين.

4 ـ تدخلات الدولة في قطاع الحبوب.

ليست التقلبات المناخية وحدها العائق في وجه نمو إنتاج الحبوب. من جملة المشاكل الأخرى : البنيات العقارية غير المواتية، النقائص المرتبطة بقلة الخبرات التقنية عند الفلاحين، ضعف المكننة داخل الحيازات، الاستعمال غير الكافي لمقومات الإنتاج، ضعف سياسات التعميم والبحث والتسويق والتحريض على الإنتاج. يفسر تظافر هذه الصعوبات هزال الإنتاج وسوء استغلال القدرات المغربية التي تقدر بحوالي 100 مليون قنطار (بلغ الرقم القياسي لسنة 1994، 94 مليون قنطار) أهم تدخلات الدولة هي :

ـ عملية الحرث : التي خصت الفترة بين 1957 و1962 وهمت 900.000 هكتار وأحدثتْ زيادات هامة في المردود (من 45 إلى 60٪).

ـ عملية التسميد : في الموسم 1965 و1966، وهي امتداد لعملية الحرث، ركزت على الفائدة من المزاوجة بين استعمال الأسمدة والبذور المنتقاة. تراوح زائد المردود بين 4 و7 قناطر في الهكتار حسب الأقاليم.

ـ عقد التناوب : شرع العمل بها في 1969 بإصدار مدونة الاستثمارات الفلاحية. استفادت من التجارب السابقة محاولة إدماج عمليات معالجة التربة، التسميد، استعمال البذور المنتقاة وممارسة التناوب.

ـ عملية التويزة : وهي عملية تعاون وطني مترتبة عن نداء ملكي، ترمي إلى تخويل الفلاحين فرصة تدارك ما فات من عمليات معالجة الأرض خلال المواسم غير المواتية. عولجت مساحات كبيرة في إطار هذه العملية :

1.600.000 هكتار في 1981 ـ 1982، 1.400.000 في 1982 و1.000.000 في 1983 ـ 1984.

عملية الأشغال المبكرة : بعد عملية الحرث الأولى التي كان الهدف منها تحسيس الفلاحين بأهمية الحرث الآلي بصفة عامة، جاءت هذه الحملة الثانية في 1984 ـ 1985 لتحسين مستوى الأشغال والتبكير بها. وهكذا عولجت 850.000 هكتار قبل متم شتنبر 1985 و1986، وأكثر من مليون هكتار قبل التساقطات الأولى لنفس الموسم.

ـ العملية المندمجة : شرع فيها في 1981 داخل القطاعات المسقية. وقد سمحت بمضاعفة مردود القمح الطري في هذه الأراضي. ونظراً للنجاح الكبير الذي حققته هذه العملية، كان من المعول تطبيقها على زراعات الذرة ابتداء من موسم 1986 ـ 1987.

ـ عملية تكثيف زراعة مليون هكتار من القمح الطري : تم تنفيذها تبعا للتعليمات الملكية خلال موسم 1985 ـ 1986 بزرع أكثر من مليون هكتار بالقمح الطري، وهو مستوى لم يسبق أن تحقق من قبل. تطرقت هذه العملية إلى إمداد الفلاحين بقروض كافية (1600 درهم للهكتار في البور و2200 من المسقي)، تزويدهم بمقومات الإنتاج، وكذلك التأطير المكثف للفلاحين بالنسبة لمختلف عمليات التسيير

التقني للزراعات مع تركيز خاص على مسائل مستحدثة مثل الوقاية الصحية للنبات. كما بذلت مجهودات خاصة في ميدان ابتكار حبوب ذات مردودية عالية، وتنمية توفير مقومات الإنتاج (أسمدة، بذور) بالمغرب وتوزيعها.

كما انتهجت سياسة للأسعار، الغرض منها تشجيع الفلاحين على الاستثمار في قطاع الحبوب (ارتفع ثمن القمح الطري من 85 درهما / قنطار في 1977 إلى 200 درهم في 1985، وثمن الذرة من 65 إلى 180 درهما، وثمن الشعير من 65 إلى 165 درهما) ومع ذلك لا يبدو أن معظم الفلاحين قد استفادوا من هذا الإجراء نظراً لصعوبات تسويق منتوجهم. تعود صعوبات التسويق أساساً إلى ضعف طاقة تدخل التعاونيات (CMA وDCAM) والتجار المقبولين، إلى اهتمام هؤلاء بالاستيراد، وإلى غياب تنظيم الفلاحين.

أقامت وزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي في 1981، تخطيطا للحبوب يقوم وزن العوائق التي تحد من تطور القطاع ويضع برامج عمل لتفاديها، أنجز هذا العمل بتعاون مع منظمة الزراعة والأغذية (الفاو) وهو يمثل قاعدة لكل تدخلات الدولة في القطاع. لكن لم يهتم إلا بالحبوب الأربعة الأساسية، دون اعتبار للحبوب الثانوية (الشوفان، الذرة البيضاء، البشنة، الخرطال، الأرز ...) نظراً لتنوعها الكبير والمحدودية النسبية لمساحاتها.

5 - التسويق الداخلي للحبوب

يتم تمويل السوق الداخلية للحبوب بواسطة الإنتاج المحلي، مع تزايد تدريجي للاستيراد ابتداء من الستينات. يخص الاستيراد أساسا القمح الطري وقد أصبح يمثل ثلث المتوفر من الحبوب انطلاقاً من أوائل الثمانينات. هناك إذن طرق تموين من الخارج وأخرى داخلية لتسويق الإنتاج الوطني.

فيما يخص تسويق الحبوب، يتعايش مسلكان مختلفان : "الحر" و"الرسمي" أو "المراقب" المنضوي في المكتب الوطني البيمهني للحبوب والقطاني (أونيكل). على أن مقادير الحبوب الرئيسية الداخلة في المسالك المراقبة التي تخضع لنوع من التنظيم لا تمثل في المعدل إلا عشر الإنتاج الوطني وذلك منذ أواخر الستينات على الأقل. يمكن أن تصل هذه النسبة إلى أكثر من الثلث بالنسبة للقمح الطري وأن تنخفض إلى مادون الجزء العشرين في الشعير، حيث إن جل الإنتاج يدخل في الاستهلاك الذاتي أو يسلك السوق الحرة في ظروف يعاني منها الفلاح أكثر مما يتحكم فيها.

أ - السوق الحرة :

السوق الحرة، وهي الأهم بكثير، تضمّ الأسواق القروية والأسواق الحضرية للحبوب، حيث تتحد الأسعار بحسب العرض والطلب. يمكن أن تتزود هذه الأسواق مباشرة من طرف الفلاحين ذاتهم (خاصة في الأسواق القروية)، لكن جل العمليات يقوم بها الوسطاء في الغالب (تجار، سماسرة، مطاحن، مقسطون ومضاربون). ذلك أن الفلاحين، في فترات الضيق التي تزيد من حاجتهم إلى السيولة، يتخلون عن نصيب كبير من الإنتاج على مستوى الحيازات ذاتها، قبل الحصاد أو بعده. يتم هذا التخلي على أساس تقديرات تقريبية يندر أن تكون لفائدة الفلاح. وحتى داخل الأسواق والقروية منها على الخصوص فإن المعاملات لازالت تجري جزئياً باستعمال الأساليب التقليدية للقياس (العبرة، المد ...)

يعرف النظام التقليدي لطحن القمح بواسطة الرحى الحجرية المحركة يدويا تراجعاً كبيراً في الأوساط القروية. فهو لم يعد قائما إلا في الجهات النائية والجبلية من البلاد. قسم متزايد من حبوب الاستهلاك الذاتي وأكبر نصيب من التي تسلك السوق الحرة، يسحق في المطاحن التقليدية وهي منشآت صغيرة مجهزة برحي حجرية أو بمسحق أسطواني. يقدر عددها بـ8752 وقدرتها بـ25 مليون قنطار تقريبا. منها 385 وحدة تدار بالماء و893 معطلة.

ب - السوق الرسمية :

يشترك في المدار الرسمي، تحت مراقبة المكتب الوطني للحبوب والقطاني، ثلاثة أصناف من الفاعلين : تعاونيات التسويق، تجار خواص، ومطاحن صناعية.

- التعاونيات (SCAM وCMA)، تضطلع مبدئيا بمهمة تأمين تصريف بضاعة الأعضاء حسب الثمن الرسمي المضمون، وتخزين المقادير المودعة لديهم بغرض تسليمها إلى المطاحن الصناعية. نجد في الواقع العدد المحدود للتعاونيات (13)، تمركزها في بعض الأقاليم وبعدها عن مناطق الإنتاج، ضعف قدراتها التخزينية وأحياناً إمكانياتها المالية، تسييرها الناقص غالبا، الفروق الكبيرة بين المتعاونين والتبعية المبالغة إزاء سلطات الوصاية، كلها عوامل أسهمت في إضعاف دور السكامات (SCAM) والسيامات (CMA)، بل وتحويلها عن مهمتها.

- من ضمن التجار الخواص هناك التجار المقبولون من طرف المكتب الوطني البيمهني (190 في بداية 1987)، ومهمتهم في تجميع وتوضيب وتخزين الحبوب. وتجار التجميع (1126 في 1987) المتوفرون على رخصة السلطات الإقليمية، ومنهم المستثمرون الفلاحون، وتجار التقسيط. يوجد تقنين رسمي ينظم ويحدد حقوق وواجبات كل فئة من التجار، خاصة فيما يهم المقادير المحصلة والمخزنة.

المطاحن الصناعية (عددها 82، تتوفر على قدرة سحق 32 مليون قنطار) تتعامل أساسا مع التجمعات الحضرية. المفروض أنها لا تستطيع التزود مباشرة من السوق الحرة إلا بالقمح الصلب. أما القمح الطري، فهو يمر إليها عبر التعاونيات والتجار المقبولين. في الواقع، ركزت المطاحن أنشطتها منذ مدة على القمح الطري، خاصة في سنوات الخصاص حيث تمثل الاستيرادات أهم نصيب من تموينها.

وقد مرت نسبة الاعتماد على الخارج في تحصيل الحبوب الرئيسية من 10٪ خلال 1969 ـ 1973 إلى أكثر من 40٪ في 1981 ـ 1985.

6 ـ الواردات.

بالرغم من أن النظام الأساسي يسمح بذلك، فإن المكتب الوطني للحبوب لا يتزود بما يلزمه رأساً من الخارج، بل يقوم بالدراسات اللازمة (على مستوى السوق الداخلية لتحديد الحاجيات، والسوق الدولية لتقصي الفرص) ويصدر طلبات العرض لدى التجار المقبولين للحصول على مقادير محددة. يجتمع المستوردون (حوالي عشر شركات تجارية) بمقر المكتب يوم المزايدة للمشاركة في المزاد على أساس مجموعة من الضوابط : الأسعار العالمية، قيمة الشحن، الثمن خالص القيمة والتأمين والنقل، قدرات التخزين، وسائل التمويل، ثمن التفويت إلى المطاحن ... يؤمن بعد ذلك المستوردون المختارون تنفيذ مختلف عمليات شراء وإيصال المقادير المطلوبة. لكن منذ موسم 1985 ـ 1986 وفي إطار المستويات التي تمولها المعاونة الأمريكية، اعتمد المكتب الوطني أسلوباً جديداً يتم فيه التموين عبر ثلاث مزايدات منفصلة : واحدة لشراء القمح في المنطلق (نقطة الركوب)، الثانية للشحن، والثالثة للاستيراد الفعلي المسمى "بالتحويل". تبدو هذه الطريقة أفيد للبلاد، لأنها تسمح بتمكن أفضل من مختلف مكونات سعر الاستيراد وبتنافس مفتوح بين الوكلاء المعنيين. على أي فإنها حققت على ما يبدو توفيرات هامة. لكن بالرغم من ذلك فإن النقص في وسائل التمويل الذاتية (للمكتب وللشركات المستوردة) ووسائل النقل والاستقبال في الموانئ والتخزين لازال يتسبب غالباً في خلق زائد كلفة يثقل ثمن المنتوج النهائي. ومع ذلك فالانعكاسات على المستهلك ليست تلقائية إذ التسعيرة العمومية محددة من طرف الدولة، ومدعمة عند الاقتضاء. فالمكتب الوطني البيمهني للحبوب والقطاني هو الذي يراقب مختلف مراحل مسار تكرين أسعار الحبوب (القمح الطري أساسا) المجلوبة إلى المدار الرسمي. يأخذ مباشرة على عاتقه بعض التكاليف (تخزين، نقل ...) ويصرف لمختلف الفاعلين (تجار مزودين، مطاحن ...) وينجز معادلة الأسعار، مؤمنا الموازنة بين أثمان الكلفة والأثمان العمومية عند الاستهلاك.

منذ المصادقة على الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الگات)، فإن ترتيبات دورة الأوروگواي تنص على التزام كل البلدان الممضية بتفكيك العوائق التي من شأنها أن تعوق التجارة بين البلدان. من أجل ذلك التزم المغرب بتليين آليات تسيير تجارته الخارجية خاصة منها تلك التي تخص المواد الأساسية. وفعلا ينص القرار الصادر عن وزارة التجارة الخارجية بتاريخ 19 أبريل 1994 على أن التحرير سيكون تدريجيا خلال 1995. لحد الآن، قررت السلطات العمومية في شهر فبراير من 1995 تأجيل المواد الأخرى حتى الصيف، باستثناء البترول. أثارت هذه التوجهات الجديدة تساؤلات عدة منها تأثيرها على الإنتاج الوطني، والأمن الغذائي والتسعيرة عند الإنتاج والاستهلاك ... الخ.

أحمد بوعزيز

**حَبِيب** (جبل –) منطقة وقبيلة هبطية بالشمال الغربي المغربي، ينسب جبل حبيب إلى أحد الفقهاء المرافقين للحملات الإسلامية الأولى، ربما حملة موسى بن نُصير، يدعى حبيب بن يوسف الفهري، استقر بالمكان في أواخر القرن الأول الهجري. وتدل شهرته بالمكان إلى يومنا هذا على الدور الذي قام به لتعليم أهل الناحية مبادئ الدين الإسلامي. يشار إلى ضريحه المعين له في أعلى الجبل بجوار شجرة الخروب التاريخية.

يرتبط جبل حبيب من الوجهة الجغرافية ببني حسان وبني يدر، وينحصر بين وادي الخروب (الواد الكبير) المحيط بالجبل من جهة الجنوب ووادي الحريشة الذي يوسم حدوده من جهة الشمال، وقد أدمج في إطاره الجغرافي قسم غربي سهلي.

يتوزع سكان قبيلة جبل حبيب على مجالين :

ـ جبل حبيب الفوقي : يحدد مجاله الجغرافي من الجهة الشمالية الشرقية بمجرى واد فتييت أو الزاوية المنساب من قمة بوغارزيهان، ويتمم حدوده من الجهة الشرقية مجرى واد الحجريين. وهو جبل حبيب الأصلي. تشكلت بهذا القسم من الجبل مجموعة سكانية عرفت منذ القرون الأولى بقبيلة جبل حبيب، اشتهرت بها قبل القرن الرابع (10 م) قرية وقلعة الخروب التي كانت تقطة عبور بين الشمال والجنوب. وخلال القرن العاشر (16 م). أمكن لنا عد سبع قرى مستقرة بالقسم الفوقي : الخروب، وهي أهمها وأشهرها الدالة عليه، ثم الجبيلة والريحانة وأخشابش

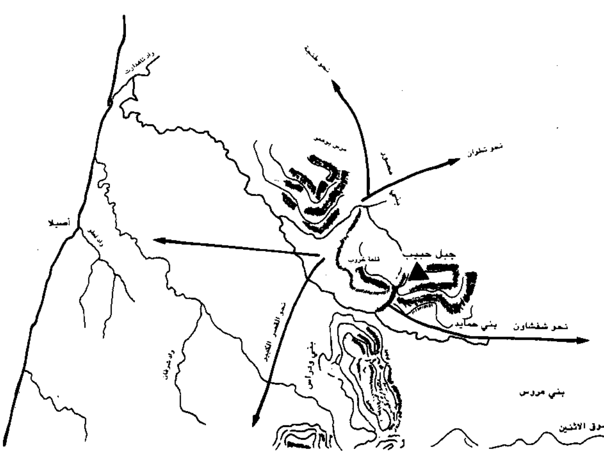

والرواوس (وهم أولاد الروسي) والقلعة والفلالسة (ومنهم أولاد أفيلال). وقد انضافت بعد ذلك إلى المجموعة مداشر دار بن صدوق وبو مزود والرمل والهباطة وبني اهداين وتيزروتان والصف، مما نلاحظه في الوقت الراهن. وبلغ عدد سكانه قبل سنة 1915 نحو أربعمائة وثمانية وثمانين دارا.

- جبل حبيب السفلي : قسم سهلي ملحق بالجبل تمتد رقعته على شكل مثلث لانحصاره بين واديي الخروب والحريشة، تشكلت مجموعته قبل القرن العاشر (16 م). وتألف منذئذ من قريتي الكور وحذيفة، ثم أضيفت إليهما قرى : الزوة ودشر علوش وقنوعة وعين جيارة والخب والمدور والدشيرة والشرابخة والهار وافريغص والحجرة واحريق وحميوش ودار فلاق والمنزلة وجبل الريح، حسب التقسيم الإداري الحالي، وبلغ سكانه نحو ستمائة دار.

ومما زاد في أهمية جبل حبيب الجغرافية كونه نقطة مرور أهم الطرق القديمة التي فرضت نفسها في الوقت الحاضر أيضاً، وهي متجهة نحو الشمال الشرقي اتجاه تطوان وسبتة والقصر الصغير عبر فج الصاري حسب البكري، أو ممر الكور أو اللاما حسب المصادر البرتغالية، بعد المرور بالقصر الكبير والعرائش وأصيلا.

ولقبيلة جبل حبيب حضور بارز في تاريخ الشمال الغربي. ففي العصر الوسيط الأول وضع البكري الجبل في مرتبة محطة مرور القوافل التجارية العابرة من الجنوب نحو الشمال أو العكس. وجعل منه جبلا كثير العيون، وكانت به آنذاك قلعة ابن خروب، وهي قرية الخروب التي لا تزال إلى يومنا. ويبرز تاريخ جبل حبيب خلال القرن العاشر (16 م) ابتداء من الغزو البرتغالي لسبتة خلال مرحلتين :

1) أثناء تبعية الجبل لطنجة : فقد اهتم به صالح بن صالح الياباني المريني حاكم طنجة المتوفى عام 844 / 1440، وهو الذي أعاد بناء قلعة الخروب هناك وبنى به قصراً ليكون مقر سكنى إحدى زوجاته. ونعرف من رؤساء الجهاد المسمى أبا علي الحسن الذي كان رفيق رئيس المجاهدين بجبال مجكسة (الجبال الرابطة بين سبتة وتطوان) المسمى عبو بن محمد المريني سنوات 818 / 1415 ـ 822 / 1419.

انتقل أبو علي إلى جبل حبيب بعد سنة 822 ليتخذ منه نقطة الحملات الجهادية نحو سبتة بتعاون مع جماعات جزولة المقيمة بمقربات الميدان السبتي، وبقي بالمكان إلى أن اختفت عنا أخباره سنة 830 / 1426. وتعود أخبار قيادة الجهاد أثناء مشاركة جبل حبيب في حصار المرينيين للقصر الصغير سنة 863 / 1458، ربما كان الجبل تحت قيادة أحد أبناء صالح بن صالح الياباني.

والظاهرة البارزة بعد سقوط القصر الصغير استقبال الجبل لعدد من أهل أنجرة وبني حزمار وفحص طنجة بعد نزوحهم عن الجهات المحتلة أو المهددة من طرف البرتغاليين. وآنذاك وُضعت رئاسة الجهاد بيد العلميين، كان منهم أبو جمعة الحسن الذي تولى رئاسة الجهاد بعد ابن صالح الياباني حوالي 867 / 1462.

2) أثناء التبعية لشفشاون : كان مقتل أبي جمعة بجبل حبيب سببا لانتقال رئاسة الجبل إلى شفشاون الراشدية ابتداء من سنة 876 / 1471 ليصبح مركز جهاد ضد أصيلا وطنجة المحتلتين في نفس السنة، وذلك طوال حياة الإمارة الشفشاوية، تناوبت أثناءها رئاسة الجهاد أسر معروفة لدينا، خاصة الرواوسة العلميين (آل الروسي) وبني يعيش الأنجريين وبعض العروسيين. وقد تعزز المركز الجهادي بفضل المساعدات التي كان يقدمها نظام جامع القرويين من الرجال والمساعدات المالية.

وقد عانى جبل حبيب من جهة أخرى من الغارات البرتغالية المنطلقة من أصيلا خاصة طيلة الوجود البرتغالي بها ما بين 1471 و1550، ولم تنج منها سوى قلعة الخروب التي زاد في تحصينها وقوعها في مرتفع، كما أن قرب الجبل من أصيلا حال بينه وبين الاستفادة من المعازب المحيطة به.

لم يتوقف الدور الجهادي لجبل حبيب بالجلاء البرتغالي عن مدينة أصيلا عام 957 / 1550 بل تحول إلى ميدان مدينة طنجة ليفتح صفحة جديدة في تاريخه خلال ما تبقى من فترة العصر الحديث، ولم تستثن منها المشاركة في معركة وادي المخازن.

وللجبل أيضاً مواقف جهادية تجاه امتداد موجات الغزو الإسباني على الشمال الغربي خلال الفترة المعاصرة في نطاق مقاومة أحمد الريسوني إلى أن تم احتلاله في صيف سنة 1338 / 1920 بعد أن كان نقطة قطع الصلة بين سبتة وتطوان من جهة وأصيلا والعرائش من جهة ثانية.

م. البكري، *المغرب*، 107 ـ 115 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 430 ـ 501 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 43 ؛ *البحث الميداني*، عام 1959.

Zurara, *Cronica de D. Pedro de Meneses* ; *Cronica de D. Duarte* ; D. De Gois, *Cronica de Rei D. Manuel* ; Bernardo Rodrigues, *Anais d'Arzila* ; J. Martin Ruiz, *Toponimia menor de Yebala* ; *Vademecum*, 24 ; *Geografia de Marruecos*, 2 : 246 ; D. Berenguer, *Campanas en el Rif y Yebala*, 2 : 120.

حسن الفكيكي

**ابن الحبيب**، أسرة فاسية أصلها من لمطة تافيلالت، قال في حقهم صاحب *إزالة الالتباس* : "أهل معاش وحرفة وتجارة ... ومنهم فرقة من تلمسان أهل معاش وحرفة وتجارة دخلوا إلى فاس قريباً". ولم يشتهر من أولاد ابن الحبيب الفاسيين أحد بعلم، لذلك لم تتعرض لهم كتب التراجم، وإنما اشتهر بالعلم السجلماسيون، ويكتبون "الحبيب" بدون "ابن".

محمد حجي

**ابن حبيب القصري**، فيلسوف من قصر كتامة، معلوماتنا عنه جد محدودة. فليس لدينا إفادات عن

أوليته، لكن المصادر القليلة التي تعرضت له تذكر أنه بَرَعَ في العلوم القديمة، واشتهر أمره إلى درجة أن فقهاء عصره انتقدوا عليه بعض ما كان ينتحله من مقولات فلسفية، فبلغ أمره إلى الخليفة أبي العلاء المأمون الموحدي، فكان مصيره أن أدرج ضمن لائحة "الزنادقة" الذين نظمت حملة رسمية لمتابعتهم، ولا شك أن ذلك قد تم في حدود سنة 626 / 1228 وهي السنة التي أعلن فيها المأمون براءته من مهدوية ابن تومرت وأخذ في محاربة البدع. فاعتُقل ابن حبيب مع من اعتقل، ثم قتل وصلب.

ابن سعيد المغربي، *المغرب في حلي المغرب*، تح. شوقي ضيف، القاهرة، 1978، ط 3 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح إحسان عباس، بيروت، 1968، 2 : 125.

محمد المغراوي

**الحبيب اللمطي، أحمد الحبيب بن محمد** بن **أحمد** السجلماسي الفيلالي، حلاه في *إتحاف المطالع* "بالشيخ الامام، العلامة الهمام" وذكر من مؤلفاته *فريدة السمط الفريد في رثاء السبط ولعن اليزيد*، *والوظيفة السُّنية في الأذكار السُّنيَّة، والدعوات النبوية*.

توفي في تاسع وعشرى محرم عام 1243 / 22 غشت 1827.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2527.

**الحبيب اللمطي، أحمد الحبيب بن محمد** بن **صالح** السجلماسي، يتصل نسبه بأبي بكر الصديق، لذلك يقال له أيضاً الصديقي. كان من الأولياء الصالحين، والعلماء العالمين. قرأ بمسقط رأسه سجلماسة والصحراء، ولقي في مراكش الحسن اليوسي والأخوين العكاريين محمداً وعلياً. ووصفه تلميذه أحمد بن عبد العزيز الهلالي في *الزواهر الأفقية* قائلاً : "فريد العصر، ذو المآثر التي لايدركها الحصر، المتضلع من المعقول والمنقول، المتحلي من الفضائل والفواضل بما يُبهر العقول، المجلّي في الحفظ والتحقيق بين مشاهير القراء، وسائر أرباب العلوم الغراء..."

أخذ عنه جمّ غفير من طلبة الجنوب، وفي مقدمتهم قريبه أحمد بن المبارك اللمطي مؤلف *الذهب الابريز في مناقب الشيخ عبد العزيز*.

توفي بمسقط رأسه يوم رابع محرم عام 1165 / 23 نونبر 1751 ودفن بدار سكناه.

أحمد الهلالي، *الزواهر الأفقية*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر*، *موسوعة أعلام المغرب*، 6 : 2175 - 2176 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 383 - 385 ؛ م. الأخضر. *الحياة الأدبية*، 257، والمصادر المذكورة في الهامش 1.

محمد حجي

ابن **الحبيب، محمد** الفيلالي المكناسي، تلقى تعليماً صناعياً بإنجلترا بعد سنة 1880 التي رجع منها ضمن الوفد الثلاثي المتكون من الجباص وسكيرج والحاج إدريس بن بوعزة.

كان ابن الحبيب من جملة عمال دور السلاح المغربية الذين قصدوا الديار الإنجليزية سنة 1884. ولم يرد بيان عن أسماء مرافقيه في هاته البعثة الثانية المحتملة. ويغلب على الظن أن هناك شيئاً من الخلط بين مَن أُرسلوا للتعليم بجبل طارق ابتداء من سنة 1293 / 1876 وكانوا يعدون بالمئات، وكلهم من العسكر وضمنهم بضعة أشخاص كانوا من الضباط الأطباء، وبين من وُجهوا إلى الديار الإنجليزية، وقد يكون ابن الحبيب منهم وظهرت نجابتهم وكفاءتهم. ويظهر من الآثار التي خلفها المترجم له أنه كان يتعلم بلندن سنة 1308 / 1891.

عُرف ابن الحبيب بالمواكني، فقد تعلم صناعة الميكانيك هناك، كما أشرف على صنع البارود بمعمل القرطوش بمراكش ولاسيما سنة 1314 / 1897 حتى أصبح سنة 1328 / 1910 مديراً للمعمل المذكور أي لما كينة القرطوش.

ومن اختراعاته :

- ساعة في غرفة المؤقت بمنار جامع ابن يوسف بمراكش، كتب على رخامتها أنه اخترعها سنة 1308 / 1891 وهو بمدينة لندن.
- ساعة كبيرة يزيد طولها على أربعة أمتار وعرضها على مترين كتب عليها : "ابن لحبيب عام 1318 - بمكناس"، ولايزال هيكلها الخارجي موجوداً في بيت بأگدال مولاي الحسن بمراكش.
- ساعة أخرى قيل إنها في مشهد مولاي إبراهيم قرب مراكش.

توفى بمراكش عام 1334 / 1916

م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، 1 : 252 - 253 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 4 : 1352 ؛ *وثائق الخزانة الصبيحية* بسلا.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome IV, p. 97.

مصطفى بوشعراء

**حُبَيِّب**، أسرة فاسية أصلها من الأندلس، ولعلها استقرت بفاس منذ القرن التاسع (15 م). ينتسب آل حُبيِّب إلى بني أمية، وقد انقرضوا الآن من فاس ولم يبق ينسب إليهم فيها سوى مسجد الشيخ أحمد حُبيِّب بالمخفية.

**حُبَيِّب، أحمد** بن محمد الرندي الفاسي، حلاّه في *نشر المثاني* بالولي الصالح العارف بالله تعالى. أخذ عن الشيخ محمد بن أحمد الغماري صاحب الزاوية بحومة

المخفية تلميذ عبد العزيز التباع ومَحمد بن سليمان الجزولي بواسطتين. وقال عنه في *المطمح* : "من أولياء الله الصالحين وعباد الله المتقين، من المشهود لهم بالبركات، وله مخالطة في العلم".

توفي بفاس عام 1013 / 1605 وضريحه مزارة كبرى خارج باب الفتوح مقابل حيط حوش أبي المحاسن الفاسي المستدير على القباب من أسفله، وعليه بناء قوس، ومقابر أصحابه أمامه عن سيار الطالع لقبة سيدي يوسف الفاسي قبلة برمية حجر أو رميتين. ومازال يُنسب إليه المسجد الذي عن يمين الداخل لدرب رأس الزاوية من حومة المخفية بفاس. وذكر في *ابتهاج القلوب* حبيّباً آخر يسمى أبا الحسن علياً كان يقرئ الصبيان بحومة المخفية، ومسجده ومكتبه معروفان بهذه الحومة، توفي عام 853 / 1449.

م. الطيب الفاسي، *مطمح النظر*، مخطوط ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر*، *موسوعة أعلام المغرب*، 3 : 1140 ـ 1142 ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

**حَتّى** (سِـي -) **محمد** بن **الحسن** الشرگي أباً الزموري أمّاً ثم السلاوي. فقيه متمكن من فروع الفقه المالكي. كان نائباً عن قاضي أزمّور، ثم صار خطيباً بالخميسات بعد انتهاء العمل بالعرف البربري. استقر أخيراً بمدينة سلا، وكان معاصراً لقاضي سلا علال ابن الفقيه الثغراوي وصديقاً لعاملها الحاج الطيب الصبيحي.

اشتغل سي حتّى في سلا بتدريس قواعد اللغة العربية وأخذ عنه جل طلبتها، وفي مقدمتهم محمد بن الطيب الصبيحي (باشا سلا فيما بعد) درس عليه البلاغة بكتاب *الجوهر المكنون*، وابن عمه أحمد بن محمد الصبيحي (الناظر فيما بعد).

توفي سي حتّى عام 1359 / 1940.

*رواية شفوية عن الشيخ الحاج محمد بن الطيب الصبيحي* ؛ ع. ابن سودة، *سل النصال*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3411 ـ 3412 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 192.

محمد حجي

**حج المغاربة** ← **ركب الحاجّ**

**حجّاج، الحسن** بن أحمد الحسني العمراني التطواني. حفظ القرآن في صغره وبعض مبادئ العلوم، ثم تعاطى التجارة، ولشفوف نظره وجودة معاملته وفرط ذكائه أثرى في وقت قصير ثراء كثيراً اتهمه لأجله بعض العجزة بأنه عثر على كنز، قال المؤرخ الرهوني ـ وما أحسن ما قال ـ : "وهو كذلك لأن الجد في الأعمال كنز من كنوز الأموال".

استُخدم أمينا في مرسى مدينة العرائش ثم أمينا لصائر دار اعديل بفاس أعوام 1315 ـ 1320 هـ ولما عاد إلى تطوان عين محتسبا للمدينة فقام بالمهمة خير قيام، وحارب الغش وغيّر المنكر، وشدد الخناق على العابثين بالأموال والأعراض والأرواح حتى سئم الناس جده وضجوا منه وقالوا المثل الدارج المعروف : (يرتحم الحجاج قُدام ابْنُو) لكراهة الناس للحق، ونفور أغلبهم من أهله. فأعفي من وظيف الحسبة.

كان أعجوبة زمانه في الحفظ مولعا بالمطالعة، يقرأ ما يقع عليه بصره ويسرده لمن شاء باللفظ في الغالب، يكاد يحفظ تفسير *روح البيان* لإسماعيل حقي، مطلعا على الأحوال العصرية، متتبعا لما يجري في العالم. مع قوة ملاحظته وإدراكه للأسباب والنتائج، ثوري المنزع من دهاة السياسة قوالاً بالحق، ساعيا لتغيير الأوضاع وقلب الأحوال غير هياب ولا وجل. امتُحن بالسجن والتغريب بسبب لطمه لمحتسب تطوان السيد محمد السراج، إذ وجد أعداؤه بذلك السبيل لإيذائه فأغروا به عامل تطوان إذ ذاك السيد أحمد الخضر السلاوي فقبض عليه وجَلده وبَعث به سجينا لمكناسة. وسُرح بعد ذلك بشفاعة ورجع إلى تطوان، ومن مواقفه الشجاعة أن بعض أصهاره عرض عليه الحماية الأجنبية وهو في محنته، وربما كانت تنفعه. فأبى بشَمَم وصبر إلى أن فرج الله عنه.

بعد إعفائه من الحسبة في أواخر عمره لزم بيته وانقطع لتلاوة القرآن ومطالعة الكتب إلى أن توفي رحمه الله عام 1331 / 1912. ودفن بالزاوية الريسونية بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 7 : 13، مخطوط ؛ *روايات شفوية*.

محمد بوخبزة

**الحجام**، أسرة فاسية عريقة معروفة بهذه المدينة منذ القرن التاسع (15 م) يظن صاحب *إزالة الالتباس* أن منهم علي الحجام (ت. 1132) دفين الزاوية المنسوبة إليه بواد الحريفي داخل باب بني مسافرين، ثم رأى في وثيقة أن أصلهم من تلمسان. ويوجد مسجد الحجام أسفل زقاق الحجر.

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون خ. ح.

**الحجّام الإدريسي**، الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس الأزهر، أمير إدريسي مثّل الدور الأخير للدولة الإدريسية الأولى. عرف الحسن بالشجاعة والإقدام قبل توليه الملك، ولقب بالحجام لضربه أعداءه في محاجمهم، ومُدح بذلك :

وسميتَ حجاماً ولستَ بحاجم ... ولكن لضرب في مكان المحاجم

قام الحسن الحجام بثورة ضد نفوذ العبيديين بالمغرب، سنة 310 / 922 بعد انهزام ابن عمه يحيى بن إدريس بن عمر (يحيى الثالث) أمام قائد قوات العبيديين أصحاب

افريقيـة مصالة بن حبوس الذي خلع يحيى وأقام ريحان الكتامي والياً على فاس. فاجأ الحسن الحجام مدينة فاس في جموع أنصاره وقتل عاملها ريحان الكتامي واجتمع الناس عليه وبايعوه ودخل في طاعته أكثر قبائل البربر، ثم طارد ولاة العبيديين وملك مدن مكناس والبصرة وأصيلة وغيرها واستقام له أمر المغرب إلى أن وقع خلاف بينه وبين موسى بن أبي العافية زعيم قبيلة مكناسة، وجرت بينهما معركة "شنعاء" بفحص الزاد بين فاس وتازا أسفرت عن هزيمة ابن أبي العافية وقتل أزيد من ألفين من جنده، من بينهم ابنه منهال.

ولما رجع الحسن الحجام إلى فاس، ترك جنده خارج الأسوار، ودخل المدينة وحده فغدر به عامله على المدينة حامد ابن حمدان الهمداني، دخل عليه ليلا وقيده بالحديد وأغلق أبواب المدينة في وجه الجيش وأرسل إلى ابن أبي العافية يخبره بأن قاتل ابنه أسير في يده.

تمكن موسى بن أبي العافية بعد سلسلة من المعارك من الاستيلاء على فاس، وطلب من ابن حمدان أن يسلّم إليه خصمه لينتقم منه. فماطله، وكان قد ندم على خيانته، وفكّ قيود الحسن الحجام وأدلاه من السور ليفر فوقع الحسن على الأرض وانكسرت ساقه ومات بعدوة الأندلس بعد ثلاث ليال، بعد أن حكم نحو سنتين، وكان موته في حدود سنة 313 / 925.

وبموته انتهت الدولة الإدريسية الأولى التي استمرت نيفاً وأربعين ومائة سنة.

أ. البكري، *المسالك والممالك*، 2 : 809 . 810 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 4 : 32 . 33 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، 82 . 83 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 340 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 168 . 169 ؛ إسماعيل العربي، *دولة الأدارسة*، 152 . 153.

محمد حجي

**الحَجّام الأسفي، عبد الخالق** بن إبراهيم بن عبد الخالق أحد كبار علماء أسفي في الثلث الأول من القرن الثالث عشر (19 م). يقول عنه الكانوني : "كان نخبة زمانه وفريد أقرانه، أحد الفقهاء المحققين، والعلماء العاملين وقضاة العدل المعروفين بالتثبت والسيرة الحسنة، مع المشاركة في الفنون المتداولة والإمامة في الفقه ..."

تولى قضاء أسفي في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وزاده السلطان مولاي سليمان قيادة المدينة.

توفي عام 1234 / 1818.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، (القسم الثاني المخطوط).

عبد الرحيم العطاوي

**الحجّام الأمغاري، عبد الله**، يكنى أبا محمد ساهم في عدة غزوات بإسبانيا في عهد السلطان أبي يعقوب يوسف المريني، وغلب عليه لقب "الحجّام" لشجاعته تشبيهـا له بالأمير الإدريسي الحسن الحجّام الذي كان يحرص في الحروب على ضرب أعدائه في مكان الحجامة.

توفي الحجام الأمغاري سنة 745 / 1345، ودفن بزاوية تيط، جنوب مدينة الجديدة وبُني على قبره حوش.

*سلسلة مدن وقبائل*، المغرب، ج 10، *دكالة*، تر. م. الشياظمي، مخطوط ؛ م. الشياظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط.

محمد الشياظمي

**الحجّام الزرهوني، عبد الله** بن علي الصبيحي، عاش حول زاوية المولى إدريس الأكبر وأخذ عن عمر الخطاب عن التباع، وكان له أتباع كثيرون. ذكر صاحب *الصفوة* أنه كانت له زوجة سيئة الأخلاق. تؤذيه جداً، فأشار عليه أصحابه بطلاقها فقال : "لو فعلت لأبليت بها مسلما غيري".

توفي سنة إحدى وألف / 92 . 1593، ودفن بخيبر في أعلى زاوية المولى إدريس بزرهون، وبنيت عليه قبة، وقبره مشهور يزار.

م. المهدي الفاسي، *ممتع*، ملزمة 13 ص. 6 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ص. 21 . 22 ؛ م. القادري، *الإكليل*، مرقون ص. 402، ط. مرقونة ؛ *إلتقاط*، ص. 19 ؛ *نشر*، 1 : 39.

مارية دادي

**الحجّام السلاوي، أحمد** بن محمد، كان من الذين أوفدوا للتعلم في ألمانيا حيث تدرب بمدينة إيسن على استخدام مدافع كروب. وكان معه بَلَديُّه محمد بن الحاج مَحمد (فتحاً) النجار المدعو بُولاّن. وَقبل ذلك كانا معاً مستخدمين بفريق المدفعية بسلا. عاد الحجام السلاوي إلى المغرب سنة 1306 / 1888 واستخدم بالجيش.

لا نعرف التاريخ الذي توجه فيه إلى الخارج ولا التاريخ الذي توفي فيه.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج 4 ص. 1349 ؛ *التعريف*، ج 2 ص. 151 و 221.

مصطفى بوشعراء

**الحجّامي، محمد** بن أحمد بن علي، أحد المجاهدين المغمورين، قاد حركة الجهاد الشعبي بأحواز شمال - شرق فاس، مباشرة بعد أن تمكن الجيش الفرنسي من إخماد الانتفاضة الشعبية التي اندلعت بفاس أيام 17 و18 و19 أبريل سنة 1912، والمعروفة بأيام فاس الدامية. إذ رغم احتلال العاصمة فاس، فان المقاومة الشعبية ضد المحتل الفرنسي لم تخمد، بل سرعان ما انتقلت شرارتها إلى

أحواز فاس بقيادة أحد أبناء المنطقة : الشريف محمد الحجّامي.

يذكر محمد بن الأعرج السليماني في مخطوطه *زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ* أنّ : "... الشيخ الحجامي عمراني من شرفاء قبيلة الجاية ..." ويرجع بعضهم نسبه إلى الشيخ عبد الله الحجام الزرهوني الصبيحي دفين زرهون بزاوية مولاي إدريس الأكبر.

وُلد محمد الحجامي حوالي سنة 1281 / 1864 م بقرية بني مَحمد من قبيلة الجاية، ونشأ في وسط محافظ متدين، وحفظ القرآن بدار أبيه بزاوية بوليد، ثم انتقل بعد ذلك إلى جبل العلم بجوار ضريح الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش، حيث تتلمذ على أشهر شيوخ المنطقة ومتصوفتها. وكان ينتمي إلى الطريقة الناصرية الشاذلية وليس إلى الطريقة الدرقاوية كما يذكر بعض المؤرخين الأجانب. ثم أصبح يحظى بشعبية كبيرة وثقة من طرف القبائل المجاورة. وبذلك توفرت له جميع شروط القيادة والزعامة من علم وشرف وجاه وثقة عند الناس، وكان عمر الحجامي سنة 1912 يناهز الخمسين سنة تقريباً.

يمكن التمييز بين مرحلتين في مسيرته الجهادية :

ـ مرحلة التنقل بين القبائل المجاورة لفاس القاطنة شمال المدينة وشرقها من أجل توحيدها وجمع كلمتها، والحصول على الدعم المادي والحربي اللازم لتنفيذ مشروعه الجهادي. بالإضافة إلى ربط علاقات وطيدة مع بعض الزعماء الذين كانوا يخوضون الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي أمثال سيدي رحو بناحية صفرو ؛ ومحمد بن الحسن السملالي، الذي كانت تنعته الكتابات الاستعمارية الفرنسية "بالروگي". وأصله من سوس، لكنه استقر بناحية الحياينة لدعم المقاومة الشعبية، ونصَّب نفسه سلطاناً حقيقياً للبلاد، فتمت له البيعة يوم الجمعة بقبة ضريح مولاي بوشتى الخمار، قاد عدة معارك ضد جيش الاحتلال بتنسيق مع محمد الحجامي ؛ وأحمد بن الشيخ محمد ابن الصديق ومحمد بن علي الخمليشي من الشرفاء الخمليشيين الذين قادوا الكفاح المسلح بالريف قبل ظهور محمد بن عبد الكريم الخطابي. وقد استعان الشريف الحجامي أيضاً بالجنود المغاربة الذين فروا من صفوف الجيش الرسمي المغربي بأسلحتهم إثر انتفاضة فاس وساندوا المقاومة الشعبية، كما وفروا لها اطراً مدربة وهكذا كوّن الحجامي جيشاً وطنياً يضم أكثر من 6.000 رجل نصف عددهم من العنصر الجبلي : من بني زروال والجاية وفشتالة ...

ـ ومرحلة التأطير والقيادة : تقدر المصادر الفرنسية عدد القبائل المنضوية تحت قيادة الحجامي بعشرين، وهو عدد من القبائل لم يستطع أي مقاوم قبله أن يوحدها ويجمع كلمتها. وتذكر الرواية الشفوية أنه لما التفّت حوله القبائل بعين بُومَرْشَد واتفقت على مبايعته سلطاناً للجهاد رفض قائلاً : "عندنا سلطان هو المولى عبد الحفيظ بن الحسن العلوي، وعلينا أن نستشيره في الأمر". وفعلا وجه رسالة إلى المولي عبد الحفيظ يستشيره في هذا الجهاد. فلم يتوصل منه بأي جواب، وفهم من هذا السكوت أنه يؤيد الجهاد ضد المحتل.

نص الرسالة التي وجهها الحجامي إلى القبائل

ولقد خاض المجاهدون تحت قيادة محمد الحجامي ما بين 25 ماي 1912 وأكتوبر 1914 سبع معارك ضد الجيش الفرنسي ومعركة واحدة ضد الاسبانيين بكتامة.

ولقد استحوذ الكولونيل گورو (Cl. Gouraud) على أمتعة الحجامي ووثائقه بعد انهزام هذا الأخير بمركز قيادته بالحجرة الكحيلة على ضفاف نهر سبو، وعثر فيها على رسالة في منتهى الدقة والأهمية موجهة إلى القبائل تتضمن تعليماته بمحاصرة فاس القديم التي يتمركز فيها الجيش الفرنسي وتوجد بها القنصلية الفرنسية، إذ يحدد فيها الحجامي لكل قبيلة الجهة التي يجب عليها مهاجمتها. وكانت الخطة ترمي إلى أن تهاجم :

ـ قبائل بني وراين وأيت سغروشن وبني سادن والشراردة وأولاد الحاج فاس من جهة دار دبيبغ والقسم السفلي المجاور لباب فتوح.

ـ وقبائل التسول وغياتة والبرانس من جهة باب الجنود.

ـ وقبائل أولاد عمران (من الحياينة) وهوارة وسجعة من جهة سيدي بوجيدة وباب الگيسة.

ـ وقبائل عمور والشرفاء وبني زروال من ناحية باب الگيسة وباب المحروق.

- أما قبائل شراكة وأولاد جامع وبني ورياغل والحياينة فكان عليها أن تهاجم بين باب المحروق ودار دبيبغ.

إنها خطة عسكرية جد محكمة باعتراف المقيم العام الجنرال ليوطي نفسه، لأنها تحاصر المدينة القديمة من جميع الجهات، مما يبرز مؤهلات الحجامي العسكرية والتنظيمية وقد دام حصار فاس أكثر من ثلاثة أشهر (ماي - يونيو - يوليوز 1912) استطاع المقاومون خلالها إحكام السيطرة على جل منافذ المدينة إذ تمكنوا عدة مرات من مداهمة العدو داخل أسوار فاس. ولقد قام سكان فاس البالي بدور مهم في شد عضد إخوانهم المجاهدين ومؤازرتهم طيلة مدة الحصار المضروب على المدينة.

وخلال ليلة 25 ماي 1912، أي بعد يوم واحد من وصول ليوطي إلى فاس، زحفت القبائل المجاهدة نحو العاصمة من الناحية الشرقية، من جهة نهر سبو وكذا من الشمال الشرقي حوالي الساعة العاشرة ليلاً. فنشبت معركة حامية الوطيس استمرت حوالي اثنتي عشرة ساعة، إلى غاية العاشرة صباحاً من يوم 26 ماي. وكان الحجامي يسيّر العمليات الهجومية انطلاقاً من مركز قيادته بالضفة اليمنى من نهر سبو، أي على بعد عشرة كيلو ميترات من المدينة. يقول ابن الاعرج السليماني "... هجم على المدينة من ناحية باب الگيسة ودخل بعض الجبالة ليلاً من مجرى الوادي وقاتلوا حامية الباب وهلك من الفريقين جماعة، وأصبحوا يترددون بأزقة المدينة حتى وصل بعضهم لضريح مولاي إدريس ...".

ويضيف ابن زيدان أن المقاومين "صعدوا لقبة الضريح الإدريسي، ويقال إنهم أخذوا منه علماً من الأعلام التي أخذ الحجامي يصحبها معه في سائر أسفاره ...".

أربك هذا الضغط القبلي الفرنسيين، وزاد من ارتباك الوضع قرار المولى عبد الحفيظ مغادرة فاس والتوجه نحو الرباط. ولرفع الحصار المضروب على فاس قرر ليوطي تعزيز الإمدادات العسكرية من مجندين ومدفعية ثقيلة. ولقد مكنت هذه التعزيزات من فك الحصار عن العاصمة وإبعاد المقاومين عنها بعدما : "... رماهم المدفع. وبعد أن أبعدهم تبعتهم فرقة من الجنود حتى أقطعتهم وادي سبو..." حسب محمد الحجوي.

إن الخسائر الكبيرة التي مني بها المقاومون في الأرواح أثرت على نفسيتهم، إلا أن الحجامي أقنع رؤساء القبائل بمتابعة الجهاد حتى يتم تحرير فاس. فنظم المجاهدون هجومات أخرى أكثر ضراوة ما بين 27 و30 ماي 1912. على أن أكبر المعارك التي خاضتها المقاومة ضد جيش الاحتلال هي التي دارت بالحجرة الكحيلة على ضفاف نهر سبو يوم فاتح يونيو 1912. وقد كلف الجنرال ليوطي الكولونيل گورو (Cl. Gouraud) . بقيادة وتنسيق العمليات العسكرية.

ولهذه الغاية حشد گورو جيشاً ضخماً يتكون من أربع فرق من المشاة : سينغاليين وجزائريين وتونسيين وقوات إضافية من الگوم والمخازنية، إضافة إلى فرقتين من الخيالة،... معززة بمختلف أنواع الأسلحة الفتاكة : من طيران ومدفعية ثقيلة (من عيار 75) ورشاشات ...

وعلاوة على هذه الوسائل العسكرية لجأ ليوطي إلى الدهاء السياسي لتفكيك المقاومة كالاستعانة ببعض أعيان فاس وبمحمد المكي الوزاني، وبعض القواد كولد بّا محمد الشرگي.

كانت المعركة طاحنة واستمرت طيلة صبيحة فاتح يونيو استُعمل فيها السلاح الأبيض، وأبان خلالها المجاهدون عن استماتة وشجاعة فائقة ابهرت الكولونيل گورو، وليوطي على الخصوص الذي اندهش أمام ما بلغه التنظيم والانضباط والصمود لدى المقاومين.

غير أن سلاح المدفعية الثقيلة والطيران لعبا دوراً حاسماً في حسم المعركة وإنهائها.

لقد نتج عن انهزام المقاومة حول فاس ما يلي :

1) تفكيك صفوف المقاومة واعتصام المجاهدين بقمم الجبال. يقول ابن الأعرج السليماني "... افترقت جموع الحجامي ولحقت بجبالها ورجع الشريف الحجامي لبلاده من قبيلة الجاية ثم لحق بجبال غمارة ناجياً بنفسه ...".

2) ترقية الكولونيل گورو لرتبة جنرال.

3) انتقال الحجامي وأنصاره لمساندة المقاومين في مناطق مغربية أخرى : بناحيَة تازا وشمال البلاد حيث التحق مع أبنائه بالمقاومة الريفية.

توفي محمد الحجامي حسب الرواية الشفوية عام 1360 / 1941.

*وثائق*، خ. ع ؛ *أرشيف وزارة الحربية بفانسين*، باريس، المحفظات، أرقام 3943 و3945 و3978 ؛ ع. ابن زيدان، ملحق الاتحاف، مخطوط، خ. ح، رقم 11769 ؛ م. ابن الأعرج السليماني، *زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ*، مخطوط، خ. ع ؛ م. الحجوي، *الأحداث السياسية على عهد مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ*، مخطوط، خ. ع.

*Bulletin de l'Afrique Française*, 1914 ; *L'Illustration*, 1912, 1913, 1914.

محمد بكراوي

**حجي**، أسرة سلوية عريقة موطنها الأول في بني ورياگل شمالي مدينة فاس حيث ما يزال قائماً ضريح الشيخ عمرو حجي أخي الشيخ أحمد حجي الجد الأعلى للحجيين السلويين. وللحجيين فروع قديمة في كل من فاس ومكناس لا يعرف تاريخ استقرارهم هناك ولا انتقالهم، وإنما المؤكد حسب رسوم عدلية وحوالات حبسية أنهم كانوا يعيشون هناك خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 . 19 م).

وورد ذكر أسرة حجي من بين الأسر التطوانية في وثائق

القرنين الثالث عشر والرابع عشر (19 ـ 20 م)، لكنها انقرضت الآن من تطوان. ومن عقاراتها الباقية دار حجي بحي سيدي السعيدي، وغرسة داخل تطوان اشتراها الحاج أحمد بن عبد الله حجي عام 1305 هـ.

وخلال القرن الحالي وبخاصة بعد الاستقلال هاجرت أسر حجية عديدة من سلا إلى الرباط والدار البيضاء وطنجة وغيرها لأغراض تجارية وحرفية وإدارية، وطاب لهم المقام فاستقروا هناك بصفة دائمة.

**حجي، أحمد**، الجد الجامع للحجيين السلويين، صاحب الضريح الشهير بحومة الصف، السوق الكبير بسلا. صوفي صالح مجاهد، هاجر في منتصف القرن الحادي عشر (17م) من موطنه ببني ورياغل إلى فاس ثم إلى مكناس قبل أن ينزل في سلا ويستوطنها. سلك طريق القوم على يد الشيخ الزاهد القوي الحال عبد الله الجزار المكناسي (ت. 1061 / 1651) تلميذ الشيخ الحارثي بن موسى دفين بهت بسنده إلى الشيخ أحمد الحارثي دفين مكناس كبير مريدي الشيخ مَحمد بن سليمان الجزولي. قال في حقه معاصره أحمد بن أبي عسرية الفاسي في *رحلته* : "الكامل الأوصاف على الإطلاق، الحائز الولاية بالاستحقاق، لكرم نفسه، وأعماله ليوم رمسه، أخلاقه صافية. حدثني من أثق به أنهم لم يشاهدوا في مشايخ عصره من يشبهه في أخلاقه، مع الاجتهاد، ودوام الأوراد، الجمال يغلبه، والجلال في الأسماء يلهبه، قد جمع بين الحالتين، وورث القسمتين".

وهكذا فإن طريقة الشيخ أحمد حجي شاذلية جزولية عيساوية، وأورادها هي أحزاب هؤلاء الشيوخ غير أن الورد الراتب فيها هو حزب *"سبحان الدايم"* للشيخ مَحمد ابن سليمان الجزولي، يُقرأ جماعة في الزاوية الحجية مساء كل جمعة ويحفظه المريدون عن ظهر قلب ويقرؤونه فرادى في بيوتهم وكلما اجتمعوا في الزاوية أو في بيوت بعضهم.

كان للشيخ أحمد حجي مريدون كثيرون في العدوتين سلا والرباط، وفي قبائل زمور المنتشرة فيما بين مدينتي سلا ومكناس، وقد شاركه جماعة منهم في الحركة الجهادية ضد المهدية بحلق الوادي التي انتهت بتحرير هذه المدينة من يد الإسبانيين بعد أن ظلوا يحتلونها اثنتين وستين سنة. وحضر الفتح السلطان المولى إسماعيل الذي استلم مفاتيح المهدية عند صلاة يوم الجمعة خامس عشر ربيع الثاني عام 1092 / 2 ماي 1681. وقد أمر المولى إسماعيل في آخر حياته ببناء جامع بجوار ضريح الشيخ يعرف اليوم بجامع سيدي أحمد حجي، وأوقف عليه هو وأبناؤه أوقافاً كثيرة.

توفي الشيخ أحمد حجي بسلا ليلة الأربعاء السابع من شهر ربيع الأول عام ثلاثة ومائة وألف / 28 نونبر 1691.

أحمد بن عبد القادر التستاوتي المباركي، *ذيل ممتع الأسماع*، مخطوط ؛ محمد بن أبي عسرية الفاسي، *رحلة*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 204 ؛ علي العكاري، *البدور الضاوية*، مخطوط؛ م. القادري، *نشر*، *موسوعة أعلام المغرب*، 5 : 1825 ـ 1826 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 110 ؛ ج. الكتاني، *إعلام الأئمة*، ط حجرية فاس ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 180 ؛ م. ابن علي الدكالي، *السفينة المنجية في أخبار أهل الزاوية الحجية*، مخطوط ؛ *الإتحاف الوجيز*، 101 ـ 102 ؛ *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، نسخة المؤلف بخطه في خزانته بتطوان.

**حجي، أحمد** بن **عبد السلام السلاوي** نزيل الدار البيضاء. وُلد بمدينة سلا عام 1304 / 1886 وبها نشأ ودرس على علماء المدينة، خاصة الحساب والفرائض، وسلك طريق القوم على يد الشيخ المربّي محمد بن عبد السلام ابن عبود المكناسي الدرقاوي حين استوطن مدينة سلا ولازمه وأصهر إليه وأوغل في الزهد وقهر النفس على *طريقة* المتفقرة أهل التجرد من أصحاب الشيخ العربي الدرقاوي، فكان، رغم مكانته الاجتماعية، يلبس المرقعة ويتمنطق بحبل ويسير في أسواق سلا مكشوف الرأس حافي القدمين رافعاً صوته بالهيللة ماداً يده للصدقة، تم يدفع في آخر المطاف ما تجمّع لديه إلى المساكين.

اشتغل بالعدالة في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى الدار البيضاء قبيل الحرب العالمية الأولى 1914، واشتغل بالتجارة مدة، ثم رجع إلى العدالة وعيّن موقتاً وخطيباً بالجامع العتيق بهذه المدينة، وألف في ذلك *الفتوحات الإلهية، الموهوبة المستعجلة، لطالب حصة الدار البيضاء بالساعة الإدارية لمآت السنين المستقبلة*، وألف كذلك *الفردوس المفقود في بيان حال محمد ابن عبود أو الدر المنضود في ترجمة الشيخ ابن عبود*، في جزء وسط. ثم توسع في الموضوع وألف كتاباً ضخماً سماه *مواهب الملك الحق المعبود لتعبير مرائي أحمد حجي والتعريف بابن عبود* في جزءين كبيرين، وهو شبه مذكرات يومية ذات طابع صوفي روحاني يسجل فيها ما يراه في منامه ويعبّره بحسب ما يجده في اليقظة، مازجاً ذلك بأخبار شيخه محمد ابن عبود وبعض الأحداث الآنية التي عاشها. وله كذلك مجموعة *رسائل* إلى بعض إخوانه في موضوعات شتى، و*مجموعة خطب جمعة*.

توفي بالدار البيضاء ليلة الأحد عشري شعبان عام 1391 / 10 أكتوبر 1971.

أحمد حجي نفسه، *مواهب الملك الحق المعبود*، مخطوط المؤلف ؛ *الفتوحات الإلهية*، مطبعة الجامعة بالدار البيضاء، د. ت ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 1 : 227 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 154.

**حجي، أحمد** بن **عبد الله** بن الحارثي السلاوي، اشتهر بسيدي أحمد بن الحارثي - بإسقاط اسم أبيه عبد الله - وُلد بسلا في حدود عام 1265 / 1848، ونشأ في رعاية والده الذي كان من علماء المدينة المرموقين. كان المترجم - كما يقول قريبه أبو بكر الصبيحي في *كناشته العملية* - "مثالاً في العمل والاستقامة، كريم المائدة حلو الحديث، ذا تجارب في الحياة، جالس العلماء والفضلاء، تجري الحكم على لسانه، كثير الأسفار، له أصدقاء في جميع أنحاء المملكة ينزلون في ضيافته الأيام الطوال، وخارج المغرب في عدة أقطار".

اشتغل بالتجارة منذ نعومة أظفاره، ثم بصناعة الصابون، وكان شديد الصلة بانجلترا كثير التردد عليها

حيث له أصدقاء من علية القوم وصلة بالأسرة المالكة، يستدعى للحفلات الرسمية ولحضور المعرض السنوي للصناعات البريطانية كل سنة. كما كان له متجر كبير في لندن للمصنوعات المغربية يديره ابنه محمد حجي المدعو "اللورد". وآخر في نيويورك يديره ابنه عبد الكريم حجي.

ولما زار أحمد حجي لندن سنة 1949 زار القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية، ورسم له الفنان عبد السلام علي نور صورة جملية بريشته حلّى بها غلاف مجلة *المستمع العربي* وكتبوا له فيها ترجمة موجزة (ص 12) مما جاء فيها : "تاجر مشهور يحترمه إخوانه المغاربة، ويقدره أصدقاؤه الانكليز ويحبه كل من اتصل به، فهو المغربي المخلص لبلاده المتفاني في خدمة أمته، لا يالو جهداً في تنمية الصلات التجارية بين بلاده وبين البلدان الأوربية عامة وبريطانيا خاصة متسلحاً بعزيمة الشباب وحكمة الشيوخ وتجربة الخبراء. ولطالما نادى بوجوب محاربة الجهل والخمول، وساهم في كثير من أعمال البر والإحسان والنهوض بأبناء جنسه".

وبالرغم على أن المترجم لم يكن محمياً أنجليزياً، فإن ما كان يتمتع به من رعاية التاج البريطاني جعل الفرنسيين يتهيبونه ولا ينتهكون حرمته. وبذلك أمكنه أن يرسل أبناءه للدراسة في نابلس ثم في دمشق ومصر وانجلترا، ومنهم الصحفي الشهير سعيد حجي آتي الترجمة. كما كان منزله الفخم بسلا منتدى الوطنيين يجتمعون به في المناسبات المهمة. ومنها الجمع الوطني الكبير الذي عقد فيه سنة 1933 للاحتفال بمناسبة مرور سنة على صدور مجلة مغرب بفرنسا، وخطب فيه محمد حسن الوزاني، وكان من جملة الحاضرين، علاوة على علماء سلا وأعيانها، علال الفاسي وأحمد بلافريج ومحمد اليزيدي ومحمد غازي وممثلو الحركة الوطنية في مختلف الأقاليم. ولما قاوم الوطنيون سنة 1930 الظهير البربري كان أحمد بن الحارثي حجي إلى جانبهم مع شيخ الجماعة أحمد الجريري وأحمد الصابونجي وأبي بكر زنيبر ومحمد الطالبي يوقعون عريضة احتجاج واستنكار قدمت لجلالة الملك ولسلطات الحماية.

توفي بمسقط رأسه يوم الأحد تاسع صفر عام 1381 / 3 يوليوز 1961. وقد ختم أبو بكر الصبيحي ما كتبه عنه في *كناشته* بقوله : "فبذهاب المترجم ذهب من سلا الأنس والكرم، وخفتت تلك الأصوات التي كانت تتعالى من بين جدران منزله : أصوات الخطباء والزعماء والأدباء الذين اتخذوا منه دار ندوتهم ومحل اجتماعهم واحتفالاتهم. كل ذلك عشته وشاهدته بالعيان وأحتفظ بذكراه الحلوة الجميلة".

*وثائق عائلية* ؛ أبو بكر الصبيحي، *كناشة علمية*، مخطوطة خ ص. 59 - 60 ؛ مجلة *المستمع العربي*، لندن 1949 العدد 13 ص 12.

**حجي، بومدين** بن عبد الله الجزار بن الشيخ أحمد حجي. فقيه صالح درس بمسقط رأسه على علماء المدينة، وأجازه الشيخ أبو سرحان مسعود جمُّوع الفاسي دفين الضريح الحجي (ت. 1119 / 1707) وقف على هذه الإجازة بخط المجيز الجميل المؤرخ الأمين إبراهيم ابن بوزيد السلاوي وذكرها في *كناشته العلمية* أثناء الترجمة التي خصصها لأبي مدين حجي، وقال عنه : كان "علامة محدثاً خطيباً مدرساً متولي النظر على زاوية جده وأحباسها، وخطيب جامعها ومدرس العلم به".

أسند إليه السلطان المولى إسماعيل النظر في بناء الجامع المجاور لضريح الشيخ أحمد حجي نظراً مطلقاً لا يشرف عليه فيه أحد من الولاة أو غيرهم.

وأشار ابن بوزيد في *الكناشة* إلى ما كان يتمتع به أبو مدين حجي من حظوة لدى أمير وقته الذي كان مرتباً له راتباً حسنا على تدريس العلم بالجامع المذكور وقال : "وقد رأيت ظهير المرتب ... ونص فيه على توقيره واحترامه".

توفي في حدود عام 1160 / 1747 ودفن بالزاوية الحجية بين أبيه وجده.

*ظهائر إسماعيلية* ؛ إبراهيم ابن بوزيد السلاوي، *الكناشة العلمية*، مخطوط ؛ بلقاسم عشاش، *بيوتات سلا*، تح. نجاة المريني، ص 74.

**حجي، سعيد** بن أحمد السلاوي، وُلد يوم الخميس 11 ربيع الأول عام 1330 / 29 فبراير 1912 بمدينة سلا، وبها نشأ ودرس مبادئ اللغة والدين، ثم انتقل في طلب العلم إلى نابلس ودمشق فمصر وانجلترا. وكان يعتمد على نفسه في تكوينه وتعميق معلوماته، مهتماً بالصحافة يريد أن يكون صحفياً وكاتباً يهتم بأحوال أمته ووطنه. أصدر وهو ابن خمس عشرة سنة جريدة *الوداد* الخطية، وكتب في الجرائد الوطنية الأولى *الحياة* لعبد الخالق الطريس و*عمل الشعب* لمحمد حسن الوزاني و*السلام* لمحمد داود، و*المغرب* لمحمد الصالح ميسة.

وبعد رفض طلباته المتكررة لاصدار جريدة يومية من طرف سلطات الحماية، واحتجاجات كتلة العمل الوطني ومطالبتها بحرية الصحافة، سُمح لسعيد حجي في محرم عام 1357 / أبريل 1937 بإصدار جريدة *المغرب* أول جريدة يومية وطنية صدرت بالمغرب، كان سعيد يكتب افتتاحياتها بتركيز كبير على المشاكل الوطنية وخاصة الاجتماعية وما تتطلبه من حلول. وفي 6 صفر عام 1357 / 17 أبريل 1938 أصدر *الملحق الثقافي* لجريدة *المغرب*، شارك في تحريره الشباب الوطني الحي من كل أنحاء المغرب وخاصة من فاس، ولم يلبث الملحق أن أصبح مجلة مستقلة باسم *الثقافة المغربية*.

كان سعيد حجي صحفياً بطبعه "ويعتبر بحق - يقول أبو بكر القادري - خالق الصحافة الوطنية ومطورها ببلادنا" كما كان مفكراً سياسياً ومصلحاً واقعياً. أسس مطبعة صغيرة بسلا كانت تطبع جريدة المغرب، و*الثقافة المغربية*، وعدداً من كتب التراث والإبداع، ثم طورها وزاد في آلاتها ونقلها إلى ساحة المامونية بالرباط، ومع ذلك ظل يأمل في خلق مطبعة كبرى أو مجموعة مطابع تقوم بإحياء التراث الوطني وتستجيب لحاجات التوعية والتكوين والتثقيف المنشود للبلاد. وكان يفتتح مذكراته السنوية بعبارة : "المغرب بحاجة إلى مطبعة". كما كانت له مشاريع كثيرة يعمل على إنشائها، منها "مكتب الشؤون المغربية" يجمع كل ما له علاقة بالمغرب والمغاربة ويسعى في الحصول على أهم الجزئيات المغربية بكل دقة وأمانة عن طريق الصحف والكتب والنشرات، ويقسم إلى ثمانية فروع، يختص أولها بالناحية الاقتصادية، والثاني بالناحية السياسية، والثالث بالناحية الفكرية ... والاجتماعية ... والاستنهاضية ... والتاريخية ... والخارجية ... والجغرافية.

لقد أصيب سعيد بمرض مفاجئ، وهو في ريعان الشباب والفتوة وعز النضال والكفاح، مرضٌ لم يجد فيه علاج - ويتحدث أهله وأصدقاؤه عن عملية تسميم إجرامية - وتوفي يوم الاثنين ثالث عشر صفر عام 1961 / 2 مارس 1942 ولم يجاوز الثلاثين من عمره إلا بأيام معدودات ودفن

بضريح جده أحمد حجي في مشهد جنائزي مؤثر لم تعرف المدينة له مثلاً، وأبّن من طرف أصدقائه عند قبره، وفي حفل تأبين بقصر المامونية بالرباط بعد مرور أربعين يوماً على وفاته شارك فيه الجم الغفير من الشاب الوطني المثقف.

سعيد حجي نفسه، *افتتاحيات جريدة المغرب والثقافة المغربية ومحاضراته* ومقالاته المنشورة في مختلف الصحف والدوريات ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3163 ؛ أ. القادري، سعيد حجي، *دراسة عن حياته ونشاطه الثقافي والسياسي*، جزآن، الدار البيضاء، 1979، وهي أوفى دراسة كتبت عنه.

**حجي، عبد الرحمان** بن أحمد السلاوي، وُلد يوم الخميس 15 ذي القعدة عام 1318 / 6 مارس 1901 بسلا، وبها نشأ وتعلم في الكتّاب وفي المسجد الأعظم على علماء المدينة أمثال أحمد ابن الفقيه الجريري وأحمد ابن عبد النبي، ومحمد الصبيحي ثم في الرباط على أبي شعيب الدكالي والمدني ابن الحسني ومحمد الرغاي ومحمد الحجوي. ولما بلغ الواحدة والعشرين من عمره انتقل إلى

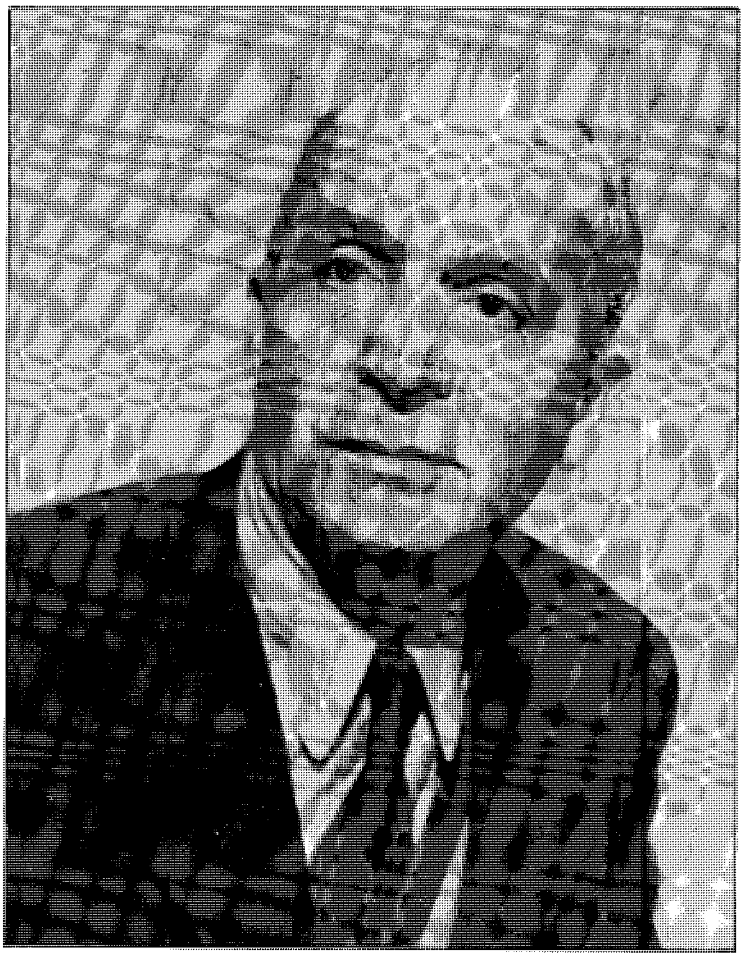

فاس حيث مكث ثلاث سنين أخذ فيها عن أعلام القرويين، وكان إقباله على دروس العربية والأدب أقوى، كما كان يقرأ منفرداً ما يقع بين يديه من كتب أدبية ودواوين شعرية وما يصل من الشرق من جرائد ومجلات ويعجب بكتابات زعماء الإصلاح والتجديد أمثال محمد عبده ورشيد رضا ومصطفى المنفلوطي، وفي ذلك يقول عن نفسه : "وأنا منذ نشأت وأنا أميل إلى الأدب العربي حتى صرفت فيه معظم أوقاتي، وصار لديّ من أعز ما أطالع".

بدأ يقرض الشعر وهو طالب في فاس، فنظم في التشوق إلى مسقط رأسه، وانتقاد بعض عادات مجتمعه، ومهاجمة أدعياء الفضيلة الممالئين للاستعمار، والإشادة والتنويه بثورة ابن عبد الكريم الخطابي التي كانت أصداؤها تدوّي في أرجاء العالم.

وبعد رجوع عبد الرحمان حجي إلى سلا وجهه والده إلى لندن ليشتغل فيها بالتجارة، لكنه لم يستطيع المضي قدماً في هذا الميدان بالرغم على توفر كل أسباب النجاح فيه من مال ودور تجارية انجليزية لها صلات وثيقة بوالده مستعدة لتتعاون معه. هجر لندن بعد أن هجاها بقصيدته الشهيرة :

ساقني الدهر لا امتطاء البحار     واقتحام الأخطار في الأسفار

رجع عبد الرحمان حجي إلى سلا ليعيش بين دواوين الشعراء ومعاجم اللغة مع أدباء مدينته وعلمائها، وليشتغل بالأستاذية في مدرسة أبناء الأعيان بسلا ثم في ثانوية مولاي يوسف بالرباط ومعهد الدراسات المغربية العليا وجامعة محمد الخامس.

لعبد الرحمان حجي شعر غزير نشر قليل منه في حياته، وجُمع بعضه بعد وفاته في *ديوان* طبع في بيروت، وطبع له قبل ذلك *كشف النقاب عن أخلاق الشباب*، وتحقيق *شرح بحرق الكبير* للامية الأفعال، طبع بسلا، ونشر عدداً من الدراسات والمقالات الأدبية والنقدية في مختلف الدوريات.

توفي بمسقط رأسه بعد مرض طويل يوم الخميس 27 ذي الحجة عام 1384 / 29 أبريل 1965 بعد أن أوصى أن تخرج جنازته على نغمات الآلة التي كان شديد الولع بها، ودفن بزاوية أصهاره شرفاء وزان التهاميين بحومة الصف.

م. ابن العباس القباج، *الأدب العربي في المغرب الأقصى*، 2 : 25 - 35 ؛ علال الفاسي، *الشاعر عبد الرحمان حجي*، *جريدة العلم*، 21 يونيه 1965 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3388 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 95 ؛ إ. السولامي، *الشعر الوطني في عهد الحماية*، ص. 233 ؛ م. زنيبر، *مقدمة ديوان عبد الرحمان حجي*، بيروت، 1991، ص 17 - 58، وهي أوفى ترجمة كتبت له.

**حجي، عبد الله الجزار** بن الشيخ أحمد السلاوي. سماه والده تيمناً باسم شيخه عبد الله الجزار المكناسي، ولم يُرزق ولداً ذكراً غيره. واعتنى بتربيته وتعليمه غاية. درس المترجم في مسقط رأسه على علماء المدينة، ولازم مجالس

الشيخ علي العكاري المراكشي بالجامع الأعظم حين نزل مدينة سلا إثر إخلاء الزاوية الدلائية من طرف المولى الرشيد ابن الشريف العلوي عام 1079 / 1668. كان يحضر هذه المجالس العلمية، إلى جانب عبد الله الجزار حجي، كبار الطلبة السلاويين الذين سيتصدرون الحركة الفكرية في مدينتهم أمثال القاضي محمد المنصوري السوسي والقاضي محمد زنيبر والمؤلف أحمد بن عاشر الحافي والأديب محمد ملأح، وكذلك الأمير عبد الواحد ابن السلطان المولى إسماعيل الذي كان يسكن بالرباط، ثم انتقل الشيخ العكاري إلى الرباط ليقترب من الأمير، فصار الطلبة السلويون، ومنهم المترجم، يحضرون مجالسه بالجامع الكبير في العدوة الأخرى واستمر ذلك إلى وفاة الشيخ علي العكاري سنة 1118 / 1706.

كان عبد الله الجزار حجي، إلى جانب اهتمامه بعلم الظاهر، ميّالا إلى علم الباطن متصوفاً سالكاً نهج سلفه في الاستغراق في التعبد والتفكر. وخلف والده في القيام بشؤون الزاوية الحجية والمريدين إلى أدركته الوفاة عصر يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من صفر عام 1122 / 29 أبريل 1710 ودفن خلف والده بالزاوية وبنيت عليه قبة حافلة ملاصقة لقبة والده.

*رسوم عدلية* ؛ علي العكاري الحفيد، *البدور الضاوية في ذكر الشيخ وتلاميذه وبناء الزاوية*، مخطوط ؛ إبراهيم بن بوزيد السلاوي، *الكناشة العلمية*، مخطوطة ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 110 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 108 ـ 109 ؛ أ. الصبيحي السلاوي، *الروض*، مخطوط خ ص ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، 1988، ص 126 ـ 130 ؛ م. السعديين، *دراسة فهرس أحمد الحافي*، د. د. ع، الرباط 1991.

محمد حجي

ابن **الحجر، إبراهيم** بن يوسف، أبو إسحاق من أطباء البلاط في عصر الموحدين ؛ ترجم به ابن عبد الملك المراكشي في كتابه *الذيل والتكملة*، وذلك مع مَن يسميهم الغرباء، وهم الداخلون إلى الأندلس من غير أهلها، ومع الأسف فإن السفر الذي توجد به هذه الترجمة يعتبر الآن مفقوداً ؛ ولم ينقل أحد فيما وقفنا عليه هذه الترجمة عن ابن عبد الملك، ولهذا فإن ما نعرفه عن هذا الطبيب الخطير مأخوذ من إشارات وردت إليه في الأسفار الموجودة من الذيل والتكملة ؛ والجزء الأخير من *البيان المغرب*.

وأول هذه الإشارات ما أومأ إليه ابن عبد الملك من اتهامه بدس السم للخليفة الموحّد المستنصر ولد الناصر بن المنصور (ت.620 هـ) وسبب ذلك ـ كما يذكر المؤرخ المذكور ـ أنه على إثر أزمة مالية في الدولة حدثت "وحشة بين المستنصر ورجال دولته حتّى هم بالقبض عليهم واحداً بعد واحد واستصفاء أموالهم، ولما تحسسوا ذلك واستشعروه سعوا في تخلّصهم منه بقتله، فدسّوا عليه من سمّه فمات.

قال ابن عبد الملك : "وقد تقدّم الإيماء بذلك في رسم أبي إسحاق بن الحجر" وإذا كنا لا نعرف الآن ما كتبه ابن عبد الملك حَولَ هذا الموضوع في ترجمة طبيبنا فإن عبارته المذكورة تومئ إلى أنه كان لهذا الطبيب دور في سم المستنصر الذي تزعم الرواية المتداولة بين المؤرخين أنه نطحته بقرة فمات.

ونفهم من هذا أن الطبيب إبراهيم ابن الحجر كان من أطباء البلاط في عهد المستنصر إلى جانب أطبائه الآخرين الذين ذكرهم ابن أبي أصيبعة، وهم أبو الحجاج يوسف بن موراطير. وأبو إسحاق إبراهيم الداّني وأبو يحيى بن قاسم الإشبيلي وأبو العلاء بن أبي جعفر بن حسان وأبو محمد عبد الملك الشذوني وعبد العزيز بن مسلمة الباجي وأبو بكر ابن القاضي أبي الحسن الزهري الإشبيلي وأبو جعفر أحمد ابن سابق القرطبي ؛ فجميع هؤلاء خدموا بطبهم الخليفة المستنصر ؛ وكلهم ماتوا في عهد دولته. ومن الغريب أن ابن أبي أصيبعة لم يترجْم لصاحبنا، ويبدو أنه لم يبلغه خبره وهو يقف عند هؤلاء الذين توفوا في زمن المستنصر، وقد روى أخبارهم عن القاضي أبي مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك الباجي الإشبيلي الذي هاجر من إشبيلية واستقر في دمشق، وقد كانت هجرته سنة 633 هـ بعد فشل انتزاء ابن أخيه في إشبيلية. وربّما نفهم من هذا أن الطبيب إبراهيم ابن الحجر لم يشتهر ذكره قبل التاريخ المذكور.

والإشارة الثانية إلى هذا الطبيب في كتاب *الذيل والتكملة* تفيدنا أنه أصبح في عهد الرشيد (630 ـ 640 هـ) "كبير أطبائه والمُدلّ عليه والكثير الخلوة به" ويقصّ علينا ابن عبد الملك في ترجمة أبي البركات الفارسي الوافد على الخليفة المذكور خبراً يدل على حظوة الطبيب ابن الحجر عند الرشيد، ونورد الخبر بنصّه لما فيه من طرافة ولما له من دلالة، قال : "وكان قدومه (أبو البركات) على مراكش في أيام الرشيد من بني عبد المومن، فصرف إليه وجه الاعتناء به والتنويه ووالى بره وتكريمه وحظي عنده حظوة تامة وأجرى له ثلاثمائة درهم وسبعة قناطير ونصف قنطار من الحواري في كل شهر مرتبة سوى ما يتعاهده به من إحسان وكسى وهدايا وتحف، فتمادى علي ذلك حاله معه مدة إلى أن رفع إليه مقالةً في إثبات صنعة الكيمياء وأنه واصل قد أدركها علماً وعملاً وادعى إفادته إياها ؛ فقطع الرشيد عنه ما كان يُجْريه عليه ثلاثة أشهر حتى استوحش من ذلك أبو البركات وأثر في حاله، وكان موضع سكناه قريبا من مسكن أبى إسحاق ابن الحجر المذكور قبل، وكان كبير أطباء الرشيد والمدلّ عليه والكثير الخلوة به فألقى إليه أبو البركات ما ناله من فقد الجراية التي كانت تجرى له وجهل سببه، فتلطف أبو إسحاق ابن الحجر في إلقاء قضيته إلي الرشيد بعد رصده ساعة بسط منه وقال له : ياسيدي، عبدكم الغريب المنقطع إلى جنابكم الفارسي هو ممن شملني وإياه نسب الاغتراب والأوي إلى كنفكم العزيز وهو مع ذلك

جاري الجنب، ذكر لي ماعيل له صبره، وضاق من أجله ذرعُه، وذلكم توقّف ما كان يجري عليه من إنعامكم منذ ثلاثة أشهر ولا يعرف موجبه، فتبسم الرشيد وقال له : كيف يكون هذا ونحن نرى، وهو أنّا أحوج إليه منه إلينا، فأكبر ابن الحجر هذا الجواب، وقال : معاذ الله يا سيدي، وأنّى يمكن هذا ؟ فرفع الرشيد طرف بساطه الذي كان جالساً عليه وأخرج من تحته مقالة أبي البركات في صنعة الكيمياء، وقال له : من وصل إلى هذا العلم أو هذا العمل فالملوك مفتقرون إليه، فلما وقف ابن الحجر على بعض مضمّنها سُقط في يده ولم يُحرْ جَواباً إلاّ بالاعتذار عنه بضعف العقل وسوء التدبير واختلال الذهن وفساد النظر وتلطّف في استعطاف الرشيد لَه والرغبة إليه في إعادة ما كان يجري عليه من إنعامه فأسعفه في ذلك وقضاه جميع ما فاته منه في الأشهر السابقة".

نستنتج من هذا النص ما يلي :

- أن ابن الحجر كان كبير الاطباء في بلاط الرشيد، ومعنى هذا أنه كان في البلاط أطباء آخرون وأنّ ابن الحجر كان كبيرهم ورئيسهم.

- أنّ هذا الطبيب كان أثيرا لدى السلطان ومقرّباً جداً إليه يطلعه على الأسرار ويسعفه في المطالب والحاجات.

- أنه كان غريبا وافداً على الموحدّين في حضرة مراكش، فمن أين جاء ؟ ومن أين أصله؟

كُنّا نتحقّقُ من الجواب لَوْ وصلَتْ إلينا ترجمة الرجل في *الذيل والتكملة*، ولكن يبدو من اسمه أنه من ولد ابن الحجر زعيم مُسْلمي صقلية في عهد ملكها غليام، وقد تحدّث ابن جبير في رحلته عن هذا الزعيم الحمّودي الأصل وصموده ومحنته بسبب ما نسب إليه من مكانته لدى الموحدين وتشوفه إلى هجره صقلية، ويبدو أن هذا الزعيم انتقل هو أو بعض أولاده من صقلية إلى بجاية حيث كان فيها. وفي قسنطينه أعلام من هذا البيت، فلعله وفد من بجاية أو نقل منها إلى حضره مراكش مثلما نقل منها الطبيب أبو إسحاق إبراهيم الداني الذي توفي بمراكش في دولة المستنصر.

والإشارة الثالثة والأخيرة التي نجدها عند ابن عبد الملك حول صاحبنا هي أنه كان مقصوداً من الكبراء، ويمدحه الشعراء، جاء في ترجمة أبي العباس محمد ابن عفير ما يلي : "ومن شعره يخاطب أبا إسحاق بن يوسف بن الحجر - الآتي ذكره في الغرباء من هذا الكتاب إن شاء الله - ويصف له شكاية ألمت به ويستدعي طبها منه" وبعد هذا قصيدة في مدحه تتألف من 21 بيتاً فمنها :

حبر هو البحر إن جاشت غواربُـه   بالعلم فاضت على العبرين بالعبَـر
حوى المعارفَ طراً واستقلّ بهـــا   قطباً بغير النهى والفضل لم يَـدُر

أما الإشارة التي وردت حول هذا الطبيب الخطير في *البيان المغرب* فهي :

"وكان ابن وقاريط أيضاً معتنيا بالفقيه أبي إسحاق ابن الحجر غرة مصره، ونادرة عصره، العلمُ والأدبُ والطب يُعزَى إليه، فمازال مشتملاً عليه، وكان الفقيه أبو إسحاق خفيفاً على النفوس تميل قلوب الملوك لمداعبته، وحسن حديثه ودرايته، واحتوائه على أخبار الدول وإحاطته، وكان للسيد أبي محمد سعد به اعتناء كثير أيضاً ويخلو معه في أكثر أوقاته، فكان أبو إسحاق المذكور يؤكد الوصلة بين السيد أبي محمد سعد وبين ابن وقاريط، ووثق ذلك كما يجب وكما أراد في حقّ صاحبيه، وعمل في ذلك مازاد استمالة نفس ابن وقاريط عليه".

وفي هذا النص ما يزيدنا معرفة بشخصية هذا الطبيب الذي جمع بين العلم والأدب والطب من جهة والسياسة والحكمة والدهاء من جهة أخرى، ويدلّ هذا النص كما يدلّ كلام ابن عبد الملك السابق على الأدوار السياسية التي قام بها هذا الطبيب مُنذ عهد الخليفة الموحد الناصر حتى عهد الرشيد وربما ما بعده.

هذا كل ما نعرفه عن هذا الطبيب الكبير الذي شبهه الشاعربجالينوس بل جعله جالينوس وقته. وسنعرف عنه أكثر مما ذكرنا عندما يظهر السفر المشتمل على ترجمته من كتاب *الذيل والتكملة* إن شاء الله.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 6 : 124 - 125، 8 : 179 - 241 - 242 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* (قسم الموحدين) ص 304، الدارالبيضاء ؛ ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، 3 : 127 - 132.

محمد بنشريفة

## حجر بادس ← بادس

**الحجر** (دار -) بلدة بقبيلة أنجرة شمال تطوان بين المضيق وسوق خميس أنجرة. في موقع جميل بجانب الوادي المسمى أيضاً وادي الحجر. تحيط به جبال لا يتجاوز ارتفاعها ألف متر، تطل على البحر المتوسط وترتبط وتتواصل مع كل جبال المنطقة. تُنتج دار الحجر الخضر والزيتون والتين ويوجد بها مركز الجماعة القروية وبعض المؤسسات الاجتماعية.

F. Joly, *Les régions géographiques du Maroc* ; L. Gentil, *Dans le Bled es-Siba*.

أحمد بنجلون

**حجر عيسى**، جبل بالأطلس الصغير في سوس ينطق به محليا أزْرُو نْعيسَى يقع في قبيلة أيت حَامَد، إلى الجنوب الشرقي من قرية تيلگات التاريخية. يتميز المكان بمناعة طبيعية، مما جعل السكان يحتمون فيه عادة أثناء الصراعات المحلية. وبأسفله توجد آثار ساقية قديمة تعرف بساقية القائد وكانت تسقى بمياه وادي والغاس.

ترتبط شهرة المكان بأسرة بني عبد العزيز الحامدية، وبه مشهد العالم الصالح عبد الرحمان بن علي الحامدي (ت. 984 / 1576).

م. الحضيكي، *كتاب الطبقات*، تح. أحمد بومزگو، بحث لنيل د. د. ع، الرباط 1989 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 118 . 129.

أحمد بومزگو

**الحجر** (عين -) منطقة على بعد ثلاثين كيلومترا في الشمال الشرقي لمدينة الصويرة، على يسار الطريق الوطنية المؤدية إلى أسفي، تحدها على اليسار الطريق الشاطئية الجديدة الرابطة بين أسفي والصويرة.

تشكل هذه المنطقة شبه مستطيل طوله نحو ثلاثين كيلومترا وعرضه نحو عشرة كيلومترات. يُشرف عليها من اليمين جبل الحديد الذي يهيمن على مسافات شاسعة من عين المكان. أغلب الأرض مساحات حجرية، ينبت فيها مع ذلك شجر أرگان وتتخللها حقول خضراء تعْتمد أساسا في سقيها على مياه عين جارية لها صبيب هام تسمى "عين الحجر". تعدّ هذه المنطقة من الشياظمة، وبها بعض القرى أهمها سوق عين الحجر، الذي يوجد به مركز إداري ومدرسة ومؤسسات اجتماعية أخرى.

*وثائق إدارية مختلفة.*

Province de Marrakech, *Monographie*.

أحمد بنجلون

**الحجر** (قصر -) يسمى أيضاً دار الحجر ( *البيان*، ق. م : 28 ؛ *الحلل*، 144) ودار الأمة ( *الاستبصار*، 209) وهو القلعة التي كانت بها الإقامة المخزنية بمراكش على عهد حكم المرابطين وقسم من زمن حكم الموحدين. كان موقعه في الجنوب الغربي من داخل أسوار مراكش المرابطية.

ويبدو أن تاريخ الشروع في تأسيسه يعود إلى عام 462 / 1070 من جهة لموافقته للتاريخ الأكثر ترجيحا لبناء المدينة، ومن جهة ثانية لاتفاق مختلف الروايات على أنه أول بناء بدأ العملُ بإنجازه ( *البيان*، ج 3، 19 ؛ *الحلل*، 25) أما تاريخ انتهاء الأشغال فغير معروف، والظاهر من خلال الإشارات المتداولة، أن مدة البناء شملت مدة وجود أبي بكر بن عمر اللمتوني في مراكش، وفترة من زمن حكم يوسف بن تاشفين، وحسب نتائج الحفريات التي أجريت على قطاع من موقع قصر الحجر، فإن هذا الأخير عرف بناء قصر إبان حكم علي بن يوسف (G. Deverdun, *Marrakech*, I : 91-98).

يمكن تحديد المكونات المعمارية لهذه الإقامة المخزنية في عنصرين هما :

1 ـ السور وملحقاته : استغرقت مدة انجازه مائة شهر (20، *البيان*، ج 3) ولا توفر المصادر أو أعمال الحفريات الجزئية، إمكانية تكوين ولو صورة مختزلة لهذا الجانب بالذات، فإشارات الأولى تتحدث عن سور وأبواب، وأعمال الثانية همت فقط الواجهة الجنوبية للقصر وقسما من الواجهة الشرقية على امتداد 218 متراً. وإذا التقت الدلالة الطبونيمية لهذه البناية مع نتائج الحفريات، حول استخدام الحجر ضمن مواد البناء. فقد استخلص دوڤردان من نفس النتائج أن المساحة لم تكن صغيرة. مرجحا إمكانية اقترابها من اتخاذ شكل مربع (Marrakech, t. 1 : 57) ومن الأسئلة التي تبقى مطروحة : طول السور، وشكله الهندسي.

من النعوت التي أطلقت على قصر الحجر : القصبة ( *البيان*، ق. م. 28 ؛ *الحلل*، 139) والحصن ( *الحلل*، 25) ولعل مما يجمع بين الاثنين ارتباطهما الوثيق بمعمار له وظيفة أمنية صرفة : مراقبة، حماية، دفاع، حراسة ... وإذا كان السور هو قاعدة هذه الحصانة، فإن إنجاز هذه الوظيفة كان يستوجب دعمه بعناصر دفاعية وأمنية أخرى أهمها : الأبراج والشرافات والأبواب، أما ما تعلق بالأول والثاني فلا شيء عنهما سواء في المصادر أو في الميدان، وأما ما يخص الأبواب، فإن الإمكانيات المرجعية المتاحة لا تسمح بضبط عددها وأسمائها وتوزيعها الجغرافي، والمؤكد أن قصر الحجر كان به أكثر من باب ( *البيان*، 4 : 22 ؛ *الحلل*، 25) والمعروف إلى حد الآن كاسم باب السراجين "الذي كان بمقربة من جامع الكتبيين من سور الحجر" ( *البيان*، م. 352) كانت له أبواب من حديد، أعيد استخدامها في أبواب سور تارودانت عام 665 / 1266 (459، *البيان*، ق. م) وكان ينعت بباب السراجين القديم تمييزاً له عن باب من أبواب حومة الصالحة كان يحمل نفس الاسم، وأصبح يعرف بباب القواقين خلال القرن السابع (13 م)( *الذيل والتكملة*، سفر ق 1 : 351 ـ 352 ؛ *البيان*، ق. م. 358).

2 ـ المكونات المعمارية الداخلية : من غير المستبعد أن قصر الحجر يتوفر على جامع. ويستشف من الإشارة التالية لصاحب *الحلل* : "فبنى الخليفة عبد المومن بدار الحجر مسجداً آخر" ( *الحلل*، 144) وجود مسجد يعود إلى فترة المرابطين لعله مسجد الطوب (حامد التريكي، *المساجد ووظائفها*، 161).

وردت الإشارة إلى القصر في ارتباط مع هذا المعمار المخزني تحت اسم "دار علي بن يوسف" في سياق أحداث افتتاح مراكش عام 541 هجرية 1146 ميلادية (البيان، ق. م. 28) وفي أخبار عام 566 / 1171، تمت الإشارة إليه بالقصر ( *المن بالامامة*، 346 ؛ *البيان*، ق. م، 118) ويرى دوڤردان أن بناء القصر المرابطي بدار الحجر، يعود إلى عهد حكم علي بن يوسف، واعتماداً على الزركشي صاحب كتاب : *تاريخ الدولتين* فإن عام 520 / 1126 يمثل تاريخ انتهاء أشغال البناء، وربط بين تخريبه، وإيجاد مكان لتأسيس جامع الكتبيين، أما استنتاجات الحفريات الجزئية فلم تأت بجديد يذكر.

لعل تأمل هذه العناصر يدفع إلى تسجيل بعض الملاحظات، منها :

- أين كانت إقامة قيادة المخزن المرابطي على الأقل إلى نهاية العقد الأول من القرن السادس (12 م) فدار الحجر كوحدة معمارية متكاملة لم تكن قصبة ذات أغراض استراتيجية صرفة، وغاية التحصينات الموجودة بها كانت حماية مركز استقرار المخزن المركزي، إذ يبدو أن سكناه ومكان تدبير شؤونه كانا معاً داخل هذه الوحدة. إذ لا غاية تبقى من وراء إنشاء السور وملحقاته، إذا لم تكن ضمان أمن قيادة مخزن الوقت، داخل مجال قبلي لم تكن العلاقات مع أهله تدعو إلى الاطمئنان.

- يبدو أن القول ببناء جامع الكتبيين على حساب قصر علي بن يوسف يدفع إلى طرح التساؤل التالي : أين كان مقر الإمارة وسكنى الخليفة الموحدي وحاشيته ؟ من جهة لعدم توفر أي مؤشر يستشف منه وجود قصور أخرى مرابطية أو موحدية، ومن جهة ثانية لأن الشروع في تأسيس المدينة المخزنية الجديدة المعروفة بحومة الصالحة لم يتم إلا في عام 580 / 1184 ( *البيان*، ق. م. 174) ولم يبدأ الانتقال إليها فيما يبدو إلاّ عام 585 / 1189 ( *الاستبصار*، 210) ومن جهة ثالثة فإن تاريخ بناء جامع الكتبيين ترجع بدايته إلى عهد حكم عبد المومن.

انطلاقا من هذه الملاحظات يمكن رصد مسألتين هما :

- هل يمكن اعتبار القصر المنسوب إلى علي بن يوسف تجديدا وتوسيعا لقصر سابق تعود نشأته إلى عهد حكم يوسف بن تاشفين أم بناية جديدة ؟

- وبالنسبة لعلاقة التخريب ببناء جامع الكتبيين نعتقد أنه أمر غير وارد، ولعل النص التالي لصاحب *الحلل* يزيد من فهم معقول للمسألة إذ يقول : "فبنى الخليفة عبد المومن بدار الحجر مسجداً آخر، جمع فيه الجمعة، وشرع في بناء المسجد الجامع" (ص. 144). ونكتفي بالسؤال التالي : ألا يمثل موقع جامع الكتبيين موقع الجامع المرابطي ذاته بعد تخريبه ؟ ( *أخبار المهدي*، 66).


أ. البيدق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، تح. عبد الهادي التازي، بيروت، 1987 ؛ مجهول، *الاستبصار*، تح. سعيد زغلول عبد الحميد، البيضاء، 1985 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بن شريفة، السفر الثامن القسم الأول، الرباط، 1984 ؛ ابن عذاري، *البيان*، ج 3، تح. إحسان عباس، بيروت، 1967، قسم الموحدين، تح. محمد إبراهيم الكتاني، وآخرين، الدار البيضاء، 1985 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، تح. عبد القادر زمامة، سهيل زكار، البيضاء، 1979 ؛ حامد التريكي، *المساجد ووظائفها بمراكش زمن المرابطين والموحدين*، ضمن أشغال الملتقى الأول حول مراكش، من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، البيضاء، 1989.

G. Deverdun, *Marrakech*, tome I, Rabat 1959.


محمد رابطة الدين

**حجر النحل**، بلدة في شمال أصيلا، على ساحل المحيط، تطل على واد الشرف وتشرف عليها سلسلة من الجبال الصغيرة، تحيط بها غابة من الفلين الأخضر، اشتهرت قديما بكثرة النحل الذي ينتج عسلا مراً تتغذّى به الماعز بالخصوص، ولم يبق اليوم أثر للنحل في هذه المنطقة التي قلّت مياه مجاريها رغم وفرة الأمطار التي تتساقط فيها خلال الشتاء، وأهم نهر بهذه الجهة هو الواد الهرهار، والموقع معدود من منطقة جبالة.


F. Joly, *Les régions géographiques du Maroc* ; L. Gentil, *Dans le Bled es-Siba*.


أحمد بنجلون

**حجر النسر**، أو حجرة النسر حسب التواريخ، وحجرة الشرفاء أو حجرة سيدي مزوار حسب المتعارف عليه محلياً في الوقت الراهن، قلعة إدريسية واقعة بقبيلة سماتة الغمارية، إحدى القبائل الهبطية بالشمال الغربي من إقليم العرائش. سمي الموضع كذلك بسبب كثرة النسور التي كانت تعشش بالحافة الجنوبية من جبل الخلوة.

لم تحظ قلعة حجر النسر بما يكفي من البحث والتحقيق والتنقيب الأركيولوجي. ورغم وصول بعض العسكريين الإسبان إليها فإنهم لم يتوصلوا إلى الكشف عن مكانتها الأثرية والتاريخية. وكان فضل سبق الوصول إليها أخيراً بمبادرة تنقيبات برنامج "كازا دي فيلاثكيث" الفرنسية الموجودة بمدريد. ونقدم ما توصلنا إليه نتيجة الزيارة التي شاركنا فيها إلى جانب الأركيولوجي "باتريس كريسيي" Patrice Cressier. وستكون *معلمة المغرب* أول من يتوصل إلى نشر أوضح المعلومات وأدقها عن القلعة الإدريسية.

يتم الوصول إلى القلعة بعد قطع ثلاثين كيلو مترا عبر طريق جد وعر منحرف نحو قرية تولا السوماتية بعد الدخول في طريق مؤد إلى ضريح المولى عبد السلام ابن مشيش من جنوب جبل حبيب. والقلعة واقعة على كتلة صخرية مرتفعة من نوع الكويستا، يحتل موضعها الجزء الجنوبي من جبل الخلوة، (782 م) إلى القسم الذي تعلو فيه قبة سيدي مزوار (614 م).

موقع قلعة حجر النسر

من المؤكد أن أول اتصال الأدارسة بالمكان خص "دوار الحجر" المجاور لموضع القلعة قبل بنائها بنحو القرن. نعرف ذلك من وجود قبة المجاهد المزوار أحمد بن علي بن محمد ابن إدريس الثاني الملتجئ الأول إلى المكان قبل وفاة والده سنة 234. مفضلا التنسك بالجبل المسمى إلى الآن بجبل الخلوة، ربما كانت وفاة المزوار أحمد سنة 250. وتكنيته بأمزوار تعبير عن ذلك السبق. توجد قبته بالقرب من مدخل القلعة، مما يلي الشرق وبجوارها مقبرة قديمة.

ويعود الفضل إلى أبي عبيد الله البكري الذي قدم لنا تاريخ ظهور قلعة حجر النسر، محصنة قادرة على حماية الأدارسة المعتصمين بها من بطش موسى بن أبي العافية. فمؤسسها هو إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس، رئيس بني محمد، وذلك سنة 317. وبالطبع فإننا لا نستطيع الفهم من قول البكري تأسيسها سنة حصار الأدارسة بها. ويمكن أن نحدد بداية تاريخ التأسيس بسنة مقتل الحسن الحجام بفاس عام 313، فمنذ ذلك الحين تأكد انحياش الأدارسة من فاس والبصرة وغيرهما إلى سماتة وبناء القلعة، وتجمعهم مما دفع الزعيم المكناسي إلى تجريد قواته لإخراجهم من معقلهم.

تبين النتائج الأركيولوجية السطحية الأولى والأخيرة إلى يومنا هذا أن خرائب القلعة تتألف من ثلاثة أقسام نعدها من الشرق نحو الغرب :

- الساحة الشرقية : تحتل القسم الشرقي، ويوجد بزاويتها الجنوبية الشرقية باب الحصن الوحيد، وهو عبارة عن مدخل منحوت في الصخر، يرقى إلى الساحة بعد تدرج في الصعود بخمسة أمتار. ويحيط بالساحة الكبرى سور حجري منحوت هو بدوره على صخر أصلي في المكان استغل لتلك المهمة. ولا تزال أسس السور الجنوبي الغربي ظاهرة. وتشكل الساحة مقدمة القصبة.

- القصبة : اختير لبنائها تل صغير يحتل المرحلة الوسطى ويشرف علي الساحة من الجهة الغربية، وهي مقر إقامة صاحب القلعة، زاد في حصانتها ارتفاعها بنحو 780 م. يظهر رسمها على شكل مستطيل باتجاه غربي شرقي. تحمل آثار سور وخرائب بالوسط لا تظهر علاماتها بسبب نمو الأشجار والأحراش. وللقصبة مدخل يوجد بالزاوية الجنوبية الشرقية، وهو وعر وضع بين الصخر المنحوت لا يسمح بالدخول سوى لشخص واحد.

- الساحة الغربية : وهي أوسع مساحة وأكثر ارتفاعا، الغاية من وجودها حماية القلعة من الناحية الغربية المقابلة لحصن تاوينت ببني گرفط، مركز المراقبة خلال أي حصار. وتبدو حصانة الساحة طبيعية فلا أثر في الوقت الراهن لعلامات امتداد الأسوار، وربما اكتفي بما كانت توفره الحافات والخوانق المميزة لشكلها من الحصانة والحماية، سيما الخانق الذي يجري فيه منبع واد صاف الحمام، أحد روافد واد المخازن عند عين بيطا (847 م).

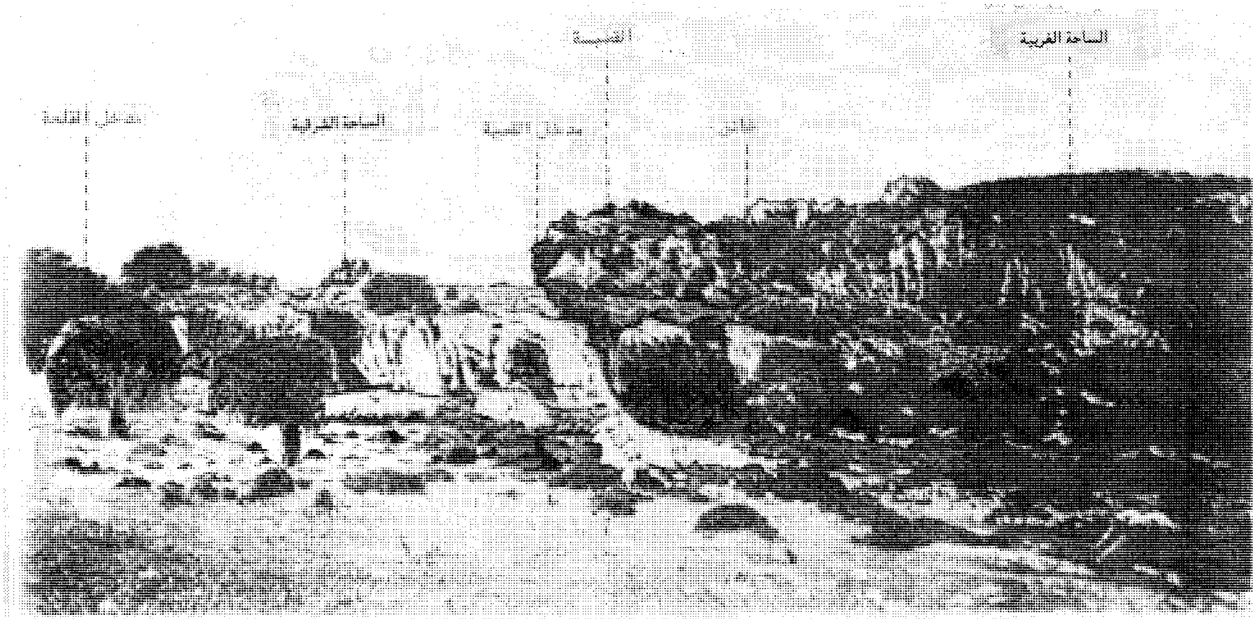


منظر عام لموقع قلعة حجر النسر الادريسية

وبجوار قلعة حجر النسر مياه عيون غزيرة، مثل عين القرمود التي تجري عند الحافة الشمالية من القلعة وهي مصدر تزويد أهل القلعة بالمياه، إلى جانب عين الطلبة وعين دار الغشام المتدفقتين بالشمال الغربي من القلعة. كما أن هناك أربعة منابع أخرى موزعة على المنحدر المؤدي إلى دوار عين الراطي.

والملاحظ أن القلعة لم تكن مدينة مثلما ذكر ابن حوقل، بل كانت مجرد قلعة يتحصن بها الحاكم الإدريسي بأهله وكنوزه وقوته وقت الشدة. ربما عاد إلحاق صفة المدينة بها إلى وجود دوار الحجر بجوارها. وتشير الرواية الشفوية المحلية إلى امتداد السكن على التلال الواقعة بالشمال الغربي، حيث اليوم جماعة الشناتفة، بين مجرى واد مرحلة وجبل الخلوة. أما دوار "دار الراطي"، حسب النطق الجبلي نسبة إلى شخص يدعي الرضي، فقد ظهر بعد القرن الرابع بدون تحديد.

ولقلعة حجر النسر تاريخ يمتد على مدى طول القرن الرابع (10 م) مرتبط بانتشار الأسر الإدريسية بالشمال الغربي المغربي منذ بداية القرن السابق. فمثلما نعلم أن موسى بن أبي العافية المكناسي كلف بمهمة حصار الأدارسة بالقلعة منذ تأسيسها قائده أبا الفتح الذي رابط بمحلته في موضع يدعى بتاوينت (لا يزال الاسم معروفا بقرية الصخرة ببني گرفط حاليا)، ومن القلعة دبر الأدارسة بعد مضي أربع سنوات على بدء الحصار (317 ـ 321 هـ) هزيمة القائد المكناسي بحصنه الذي بناه هناك، وبسبب ذلك الانتصار دعاه الأدارسة حصن الكرم تفاؤلا وتيمنا بينهم.

ولا يعني هذا الحصار سوى مراقبة الطرق والمسالك المحيطة بالقلعة وعزلها عن المراكز والمدن الشمالية التي كانت لا تزال بيد بني محمد الأدارسة، وعلى الأخص منها الطريق الشرقية المسايرة لوادي أزلة، أحد روافد واد لكوس المؤدي نحو مدينة البصرة أولا، ثم الطريق المؤدية نحو كل من قصر كتامة (القصر الكبير) وأصيلا بموازاة الدير الجنوبي من جبل بني گرفط.

وبعد فك الحصار عن القلعة عينت الأسرة الإدريسية على رأسها ابتداء من سنة 312 القاسم بن محمد الملقب بگنون الذي سيحتل مناطق الشمال باستثناء مدينة فاس، ويقدم الطاعة للعبيديين إلى أن توفي بحجر النسر سنة 337. وخلفه ابنه أبو العيش أحمد الذي فضل بعد ذلك الانصراف للجهاد بالأندلس، ليقوم بالأمر بعده أخوه المشهور الحسن بن گنون.

بدأ حصار الأمير الإدريسي بقلعة حجر النسر من جانب الأمويين أيام عبد الرحمان الثالث وابنه الحكم بسبب تحوله إلى طاعة العبيديين أثناء حملة بولگين بن زيري بن مناد، ففي سنة 362. وجه الحكم الثاني محمد بن القاسم بن طملس نحو الحسن بن گنون، مما جعله يغادر البصرة بحرمه وذخائره نحو حجر النسر.

وبعد مقتل القائد الأندلسي محمد القاسم بجبل مهران بالقرب من حجر النسر غربا بعث الحكم الثاني قائده ووزيره الغالب الأموي وحاصر حجرة النسر من جديد سنة 363 وبعد احتلاله لحصن الكرم بجيش كبير تمكن به من الوصول إلى الأسوار، مما جعل الحسن يطلب الأمان مع سبعمائة من رجاله، فتم نقلهم إلى قرطبة. ومن الأندلس انتقل الحسن بن گنون إلى مهدية إفريقية فمصر سنة 365.

وبعد ثماني سنوات من النفي عاد الحسن بن گنون سنة 373 إلى حجر النسر من جديد، فظل بها إلى أن استنزله القائد الأندلسي أبو الحكم عمر المعروف بعسكلاجة سنة 375. ليتم قتله قبل وصوله إلى قرطبة.

لم تتعرض قلعة حجر النسر للتخريب من طرف الأندلسيين كما هو المتوقع، بل إن الحكم الثاني فضل إبقاء حاميته بها. ففي سنة 386. كان قائده الأندلسي مازال بها إلي أن تسلم القلعة الأمير زيري بن عطية المغراوي بإذن من الخليفة المرواني هشام المؤيد القائم آنذاك ضد المنصور ابن أبي عامر. ومنذ هذا التاريخ اختفت عنا جميع الإشارات المتعلقة بالقلعة الإدريسية بعد ثمانين عاما من حياة صاخبة.


ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ ابن حيان الأندلسي، *المقتبس* ؛ أبو عبيد الله البكري، *المغرب في أخبار بلاد إفريقية والمغرب* ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *مفاخر البربر* ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب* ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ *استطلاع ميداني* خلال أيام 10 و11 و12 يونيه 1993 المنظم من طرف "كاسادي فيلاثكيث" ؛ *الرواية الشفوية المأخوذة عن المرحوم شيخ دار الراطي عبد الله الجميلي*.

A. Almagro Correa, *Las torres bereberes de la Marca Media. Cuadernos de la Alhambra*, 12/1976 ; R. Basset, *Hadjar al-Nasr. E.I.*, T. 2 ; A. Cesar Moran, *Visita de Marruecos, Mauritania*, 1942.


حسن الفگيگي

**الحجر** (واد –) منطقة فلاحية صغيرة، تقع على بعد نحو عشرين كيلومتراً من مراكش، على الجانب الأيسر للطريق الوطنية المؤدية إلى قلعة السراغنة. وسميت بواد الحجر لوجود الأحجار البيضاء فيها بكثرة مما يعرقل إدخال التقنيات الزراعية الحديثة. ومع ذلك، فبفضل ما يحتويه باطن أرضيتها من حوض مائي، وبفضل واد تانسيفت الذي يمر بها، فان هذه المنطقة تنتج بعض الخضر على ضفاف النهر، والشعير، وبها جهات مغروسة بالزيتون والمشمش والبرقوق، كما توجد بها واحة من النخيل تشكل الطرف الأيمن لنخيل مراكش. يحتضن واد الحجر جماعة قروية ومدرسة ابتدائية مختلطة ومؤسسات أخرى.


F. Joly, *Les régions géographiques du Maroc* ; L. Gentil, *Dans le Bled es-Siba*.


أحمد بنجلون

**حجرة النكور**، جزيرة صغيرة قريبة من مصب وادي النكور في البحر المتوسط احتلها الإسبانيون أيام السلطان المولى إسماعيل في 15 جمادى الأولى عام 1084 / 28 غشت من سنة 1673 (*Geografia de Marruecos*, T. II, p. 301).

فما هي الظروف التي قادت إسبانيا لإضافة مركز جديد إلى نفوذها على الساحل الريفي ؟

لا نستغرب من استعمار إسبانيا لهذا الثغر، علما أن جذور الوجود الأجنبي ازدادت توغلا بآثارها ومجالها بعد أن تبين بأن العاهل الإسباني خوان الثاني مصمم العزم على تعزيز الموقع العسكري لمدينة مليلية وجزيرة بادس.

إذن، الهدف من استيلاء الإسبان على جزيرة صغيرة لا أهمية اقتصادية لها غير التسابق إلى ربح أكبر عدد من المواقع الإستراتيجية الساحلية (Rafael Pezzi, p. 78) في انتظار إتاحة الفرصة للتوغل داخل الأراضي. مع العلم أن إسبانيا كانت قد أولت اهتمامها للحجرة أثناء محاولة فريجوس إقامة شركة المزمة سنة 1666، بإيعاز من الملك الفرنسي لويس الرابع عشر. ومهما حاولنا تقديم الإيضاحات عن الظرف المناسب الذي اغتنمه قائد الأسطول الإسباني مونتي ساكرو (Monte Sacro) للنزول بحجرة النكور فلن نجد أي شيء، على الرغم من اعتقادنا أن قائد الحملة لم يجد صعوبة لاستقراره بها بجنوده ونقل معداته الحربية إلى الحجرة والتمكن من نصب أربعة مدافع تجاه أراضي سهل النكور مما يفسر عدم وجود أي مقاومة دفاعية بالحجرة كان في وسعها صد الغزاة. هذا إلى جانب عجز عامل الريف دحّ الخطيب عن القيام بأي محاولة تذكر.

لا ندري الأثر الحقيقي الذي تركه الغزو الإسباني داخل البلاط العلوي، فهذه هي الخسارة الأولى التي لحقت السواحل المغربية بعد توحيد البلاد واسترجاع معظم الثغور المحتلة. ففي سنة 1084 / 1673 بدا أن مسألة حجرة النكور كانت قد بلغت نهايتها بالسقوط في يد الاسبان. ومما زاد من تخوفات الريفيين وتذمرهم ضعف المقاومة الرسمية. هذا ما ظهر لنا من مصدر مغربي وحيد تناول أحداث الغزو الإسباني للجزيرة حيث أشار إلى أن قصبة حجرة النكور : "بقيت دار إسلام حياة مولانا الرشيد ونحو عامين من خلافة مولانا إسماعيل، إلى أن باعها للنصارى دحّ الخطيب، كما روي عن كثير من أهل الريف، وكان دحّ المذكور هو العامل على الريف في كثرة الهرج والفتن، ونازلها النصارى في المراكب والسفن وحاصروها وداروا بالقصبة من كل جهة إلى أن دخلوها صلحا بعد الحصار الشديد وذلك في أواخر 1084 / 1673" (الريفي، *زهرة الأكم*، ص. 22).

ويبدو من خلال هذا النص أن عبد الكريم الريفي لم يكتم أنفاسه عن المسألة حين صب كل المسؤولية عل عامل الريف بما ذكره من تهم تخص تراجع العامل عن صد الغزاة عن احتلال الجزيرة. وربما يعود ذلك إلى ضعف مصادره أو إلى جهله بالمخطط الإسباني الرامي إلى غزو المنطقة.

فحسب المصادر الإسبانية التي تتبعت خبر الغزو أشارت إلى أن الحصار الذي ضربته السفن الإسبانية وفعالية مدفعيتها هي التي أجبرت الحامية المغربية المكونة من اثنين وعشرين مقاتلا على مغادرة الحصن تاركين وراءهم اثنى عشر مدفعا (*Historia de las Campañas en Marruecos*).

فإذا كانت مصادرنا قد عودتنا عدم الحديث عن الغزو الإسباني لسواحل الريف، فإن المؤلف عبد الكريم الريفي أضاف إلى ما أشرنا إليه أنه بعد تولية الباشا عبد الكريم الخطيب (ابن عم دحّ الخطيب) احتل الإسبان البرج المقابل لحجرة النكور رغم المقاومة الشديدة التي أبداها السكان، بينما الباشا قائم في تلابادس (قصبة سنادة) يستعد للرحيل عن الريف إلى مراكش، الشيء الذي أثار استياءً في صفوف المجاهدين الريفيين. ،واتهموه بأنه باعه للنصارى وقبض ثمنه. ومما يدل على صدق ذلك : "أن الذين ساروا من أهل الريف إلى أمير المؤمنين لتارودانت لم يظهر لهم خبر ولا أثر لأجل شكايتهم بما فعل بالبرج المذكور" (*زهرة الأكم*، ص. 22).

أما موقف السلطان من هذا الاحتلال الجديد فلا نعرف عنه أي شيء، نظراً لغياب المصادر التي تعرضت لهذا الغزو مما لم يسمح لها بإبداء أي رأي. ونعتقد أن انشغال السلطان مولاي إسماعيل آنذاك بإخماد الفتن في المنطقة الجنوبية هو السبب في عدم إعطاء أهمية لاحتلال الإسبان لحجرة النكور.

عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهرة الاكم*، تح. بنعدادة آسية، د.د.ع. الرباط،1992 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 7.

Estat Mayor Central del Ejército, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1947 ; *Historia de las Campañas de Marruecos*, Madrid, 1950 ; Pezzi Rafael, *Los presidios menores de Africa y la influencia española en el Rif*, Madrid, 1983.

عبد الرحمان الطيبي

## الحجرتي ← السجلماسي...

**الحَجْري، إبراهيم** بن أبي الفضل بن صواب، أبو إسحاق مؤدب وطبيب متجول، أدّب وطبَّب بالأندلس والمغرب خلال عصر المرابطين. وُلد بشاطبة حوالي سنة 425هـ.

تدل كلمة الحجري على أنه ينحدر من أسرة تنتسب - فيما يبدو - إلى حَجْر بن ذي رعين من حمير، وقد كانت هذه الأسر تستقر في شاطبة ومن أعلامها مترجمنا ووالده المؤدب أبو الفضل، وجعفر بن أحمد بن أمية الحجري. نشأ هذا الأديب الطبيب بمدينة شاطبة التي اشتهرت بإنتاج الورق الجميل وإنجاب علماء جلة، وبها درس على والده أبي الفضل ثم على الإمام أبي عمر بن عبد البر النمري، الذي كان أهل شاطبة يفتخرون بوجوده في بلدهم.

كما أخذ عن لغوي الأندلس أبي الحسن علي بن سيدة، وينبغي أن يكون قد درس عليه إما بمرسية أو بدانية حيث توفي سنة 458 هـ.

وبعد أن أصبح الحجري من أهل المعرفة بالنحو واللغة والأدب غادر بلده شاطبة وتجول في أرجاء الأندلس مشتغلا بالتعليم والتأديب. وممن أخذ عنه الشاعر المشهور ابن خفاجة ولا نعرف هل قرأ عليه في جزيرة شقر بلده أم في شاطبة التي كان يتردد عليها.

ويبدو أن صلة مترجمنا بشاعر الطبيعة كانت كبيرة فقد كان له أستاذاً وصديقاً وعاشا معا مدة .. على أتم ما يكون الأصفياء اصطحابا" ولذلك مدح ابن خفاجة سميه وشيخه فيما يذكر ابن الأبار، وفي ديوان الشاعر رسالة كتبها إلى الأستاذ عندما انتقل إلى المغرب يتحسر على فراقه، ويتشوف إلى لقائه ويتذكر ماضيهما متسائلا : "فأين ما كان من تلك الأيام، المتخيلة من الأحلام ؟ وأين من قد عرفنا وألفنا من الإخوان ؟ بانوا، وكأنهم ما كانوا ؛ وفقدوا، وكأنهم ما وجدوا". ويعد أن يشير الشاعر في رسالته إلي طائفة من أخباره وأحواله يقول :

"هذه - جمع الله بك - جملة حالي، فليت شعري كيف حالك ؟ وما آ مالك ؟ وفيم اعتمالك ؟ ويم اشتغالك ؟ وإلى من تستريح مفاوضا، أو من تجادل معارضاً، والخليل، قليل، بل ليس بغريب، أن تقول ما بالدار من قريب" ويذكر أنه كان يأمل زيارته في المغرب لولا .. أن الجزيرة - حرسها الله - بحيث لا يُسافَرُ عنها ولا يُورد عليها" ولسنا نعرف هل يقصد جزيرة شقر أم جزيرة الأندلس، ومهما يكن الأمر فلعله يلمح إلى ظروف حصار وانعدام أمن قبل انتشار نفوذ المرابطين، ويخبر الشاعر أستاذه وصديقه أنه سكن بعده إلي صديق خبره فأحبه ويقول "وكنت قد استرحت إليه من بَعْدك، وسددت بموضعه من خَلّة بُعدك .. وما هَذا الصدَيق الجديد إلا أبو عبد الله ابن عائشة الذي يقول ابن خاقان في ترجمته إنه ابن عائشة الذي كان كما يقول ابن خاقان "كثيراً ما ينشرح بجزيره شقر ويستريح" وكان ابن خفاجة " منزع نفسه، ومصرع أنسه" ويستفاد هذا من مقدمة الرسالة. وقول الشاعر فيها : "ومازلنا بحال ارتباط واغتباط، حتى استُدعي من العدوة، فلبى تلبية الإجابة، وانتقل باسم تقلّد رسم الكتابة".

فالإشارة هنا إلى انتداب ابن عائشة للكتابة عن أمير المسلمين ابن تاشفين، وابن عائشة هذا الكاتب الشاعر الحيسوبي هو غير معاصره ابن عائشة القائد الأعلى، فهذا صحراوي لمتوني، وذاك أندلسي بلنسي.

كان ابن خفاجة يود أن يزور أستاذه وصديقه إبراهيم بن صواب "مجدداً للعهد ولو بلفظة، ومتزوداً قبل الفوت ولو بلحظة"، ويفهم من شعره أنه وفى بالعهد فوفد على المغرب ولعله لقي صاحبه. ويبدو أن سوق مهنة الطب كانت نافقة يومئذ، ولهذا نجد ابن صواب ينتقل من التأديب إلى التطبيب، فبعد أن "تجول في البلاد معلما بها" تعلم الطب واشتغل به في آخر حياته، ويذكر ابن الأبار أنه "قعد للعلاج بطنجة". ولسنا نعرف على من درس علم الطب، وقد كان أبو مروان ابن زهر الجد أشهر طبيب في الأندلس وقد أقام مدة في دانية عند مجاهد حيث كان أيضاً ابن سيدة استاذ مترجمنا في علم اللغة، فمن الممكن أن يكون ابن صواب أخذ عنه الصناعة أو عن ولده أبي العلاء مثلما أخذها عن هذا شاطبي آخر هو أبو عامر محمد بن ينق الشاطبي، وإذا كان هذا قد ذكر في *طبقات الأطباء* فإن صاحبنا ابن صواب لم يرد له ذكر فيها.

لسنا نعرف كذلك تاريخ انتقال مترجمنا من الأندلس إلى المغرب وانشغاله بعلاج الناس في طنجة كما لا نعرف مدة مكوثه بهذه المدينة.

وقد ذكر ابن الأبار أن المترجم "استقر آخر عمره بمدينة فاس في نحو *ست وخمسمائة*" ثم قال بعد هذا : "وتوفي بمكناسة الزيتون وهو ابن إحدى وثمانين سنة". ولم يرد في *التكملة* المطبوعة تاريخ ميلاد الرجل صراحة ولا تاريخ وفاته كما رأينا، وجاء في *جذوة الاقتباس*، وهي تنقل عن التكلمة ما يلي : " واستقر آخر عمره بمدينة فاس، توفي في نحو *ست وخمسمائة*". وإذا لم يكن ابن القاضي تصرف في عبارة ابن الأبار أو وهم في نقلها فإن تاريخ ميلاد هذا الطبيب - إذا كان قد عاش احدى وثمانين سنة وتوفي سنة *ست وخمسمائة* - هو سنة 425 . وهذا التاريخ ينسجم مع تلمذته لابن سيدة (ت. 458 هـ) وابن عبد البر (ت. 460 هـ) كما ينسجم مع أستاذيته لابن خفاجة (ت. 533 هـ).

*ديوان ابن خفاجة*، 63-67، تح. مصطفى غازي ؛ ابن الأبار، *التكملة*، 172 (ط. الجزائر، تح ابن شنب) *التكملة*، 1 : 42، (ذ. مصر بعناية عزت العطار) *التكملة*، رقم 2496، (الاركون وبالنثيا) ؛ *بغية الوعاة*، 1 : 422 (نقلا عن *صلة ابن الزبير*) ؛ أ. ابن القاضي، *جدوة الاقتباس*، 88.

محمد بنشريفة

## الحجَري، أحمد ← أفوقاي

**الحَجْري، عبد الله** بن محمد بن علي بن عبد الله السبتي. والحجري منسوب إلى حَجْر بن ذي رُعين في حمْير. من أصحاب القاضي عياض. وُلد بالمرية في ذي الحجة سنة 505 هـ، وبها نشأ ودرس وتأدب، وكان لا يرضى الأخذ إلاّ عن ذوي الجلالة والشهرة بالعدالة. فشيوخه أعيان. وبعد تنقله في بلاد الأندلس في طلب العلم القى عصا التسيار ببلده، فولي إمامة الجامع والخطبة به. ودُعي للقضاء فأبى وامتنع.

وفي سنة 542 / 1147 خرج مع أهله - بعد طول حصار العدو لقصبة ألمرية - فاراً إلى مرسية فمالقه، ومنها توجه

إلى مدينة فاس فأقام بها مدة. ثم انتقل إلى سبتة فاتخذها وطنا، وأنزل في مسجد يصلي فيه إماما، وقعد فيه لإقراء القرآن والحديث والفقه والنحو والأدب، فبعد صيته، وعلا ذكره، وكان الناس يرحلون إليه للأخذ عنه.

كان خاتمة المسندين وآخر الجلة العلية من المحدثين، يجمع إلى ذلك كله العناية بالرواية، والمشاركة في أنواع الدراية من القراءات والحديث والفقه واللغة والعربية والأدب. أما مؤلفاته فضاعت كلها في كائنة ألمرية.

ثم نقل قبل وفاته إلى حضرة مراكش، فأجلسه يعقوب ابن يوسف الموحدي في جامعها لإسماع الحديث النبوي، ما يربو عن السنة. ولما عزم المنصور على غزو الأندلس سأله الحجري الرجوع إلى سبتة إلى أن يقفل من غزوه فأسعفه. فرجع إلى سبتة وأقام بها مدة، وتوفي ليلة الأحد أول شهر صفر من عام 591 / 15 يناير 1195، ودفن يوم الأحد عند صلاة الظهر بالموضع المعروف بالمنارة جوفي رابطة أبي الخليل من سبتة.

أ. ابن قنفذ، *شرف الطالب*، *موسوعة أعلام المغرب*، 1 : 383 ؛ *عنوان الدراية*، ص 88، هامش 3.

أحمد متفكر

**الحجل**، جنس طيور برية من رتبة الدجاجيات Galliformes ومن فصيلة التدرجيات Phasianidae. تعرف بهذا الاسم في الدول العربية وتسمى أيضاً في مصر قبج، والكلمة فارسية معربة. ويُسمى الحجل بالأمازيغية أسكور وأحيگون للذكور وتاسكورت للإناث. يسمى الفرخ سلك والأنثى سلكانة وسُلَكة. يسمى بالفرنسية Perdrix وبالانجليزية Partridge وبالإسبانية Perdiz moruna.

يعرف لجنس الحجل Alectoris أربعة أنواع مستقرة في أوروبا الجنوبية والوسطى ونوع واحد يعيش في شمال افريقيا وجزيرة سردينيا وجزر الكناريا هو Alectoris barbara.

يتميز الحجل المغربي بأجنحة قصيرة ودائرية. القوائم الخلفية قصيرة وقوية تكيفت مع المشي والركض وجرف التربة بواسطة المخالب المعقوفة في مؤخرة الأصابع. المنقار

أحمر قصير قوي، جزؤه الأعلى أطول وأكثر انحناء من الجزء الأسفل. الذيل دائري وقصير. الذكور تشبه الإناث في ألوان الريش ويصعب التمييز بينهما. يتراوح طول الكبار بين 28 ـ 34 سم، ووزنها 450 ـ 600 غرام.

الرأس بنيّ ناعم، العنق رمادي، الصدر بني ـ أزرق، البطن والظهر بنيّان محمرّان، جوانب البطن مخططة بريش أسود، الأقدام حمراء تنتهي بثلاثة أصابع أمامية وأصبع خلفي.

يعيش الحجل في مختلف مناطق المغرب الغابوية منها والصحراوية الساحلية والجبلية التي لا يفوق ارتفاعها 3000 مترا، يكثر عدده في المرتفعات الأولية من الجبال وفي الغابات المنفرجة، ويقل عدده في الغابات الكثيفة. حواسه السمعية والبصرية قوية جداً مما يجعله شديد الحذر ولا يقترب من الإنسان. يكثر نشاطه في بداية النهار ونهايته، ويتغذى على الحشرات والديدان في بداية نموه، وبعد ذلك يأكل الحبوب وبراعم النباتات الرطبة والثمار المعنبة. يقطع مسافات طوالاً مشيا على الأقدام ولا يطير إلا عند إزعاجه وشعوره بالخطر.

يعيش وسط مجموعات يتعدى عددها أحيانا عشرين فرداً، وفي أواخر فصل الشتاء يعيش مزدوجا وتبتدئ مرحلة التوالد في شهر مارس، وتحفر الإناث حفرة تحت الأعشاب وتفرشها بقليل من قطع النباتات والريش وتضع فيها من 8 إلى 18 بيضة مصفرة ومنقطة بالبني والأحمر، يبلغ قطرها 31 x 43 ملم. تحضن الإناث البيض 24 ـ 25 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. ترافق الصغار الأبوين مباشرة بعد التفقيس طوال ربيعها الأول مما يجعلها تكوّن مجموعات خلال الخريف والشتاء، وكثيراً ما يتعرض الأفراد للأمراض وللصيد المحظور من طرف رعاة الغنم مما جعل عدد هذا الطائر يقل سنويا، ولتعويض هذا النقص وتقويته تسهر عدة وحدات على تربية الحجل قصد إكثاره وإطلاقه في الأماكن المخصصة للصيد السياحي.

يعد الحجل من الطرائد الأساسية للصيادين في المغرب، وصيده رياضي أكثر مما هو ترفيهي، إذ يتطلب مجهودات لقطع مسافات طوال بين الهضاب والجبال والصخور، كما يتطلب مصاحبة الكلاب المرنة على الصيد للبحث عنه وإجباره على الطيران والتقاطه بعد إصابته حيث إنه قادر على الاختفاء بعد جرحه وكثيراً ما يصعب العثور عليه.

صيد الحجل بواسطة الرخصة مفتوح كل يوم في المغرب ابتداء من فاتح أكتوبر إلى غاية فاتح يناير ويستمر الصيد في الأماكن المعدة للصيد السياحي بالنسبة للأجانب إلى نهاية شهر فبراير. تمنح الرخص من طرف وزارة الفلاحة، ويوجد بأماكن الصيد مراقبون يعاقبون المخالفات الغير المشروعة في حق الطرائد، كاستعمال أسلحة وآلات غير قانونية وأخذ البيض وصيد عدد من الطرائد يتجاوز الحد المحدود.

H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, London, 1984, p. 102 - 103 ; A. A. Alaoui, *Guide du chasseur au Maroc*, Rabat, 1992, 181p.

**الحجلة**، جنس من الأسماك العظمية البحرية من شعاعيات الزعانف ومن رتبة الفرخيات Perciformes ومن فصيلة لحميات الشفاه Labridae. تتميز الأنواع بزعنفة ظهرية واحدة طويلة وبأسنان أمامية مخروطية وحادة تليها أسنان شبيهة بالأضراس. الزعنفة الذيلية دائرية ألوانها زاهية تذكر بألوان طيور الحجل.

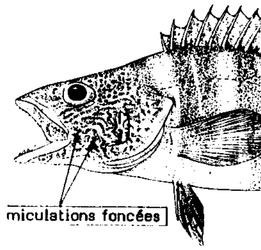


تضم الفصيلة عشرين نوعاً تعيش في البحار الدافئة، خمسة أنواع منها تعيش في البحر المتوسط فقط بينما تعيش الأنواع الأخرى في السواحل الأطلنطية والمتوسطة.

من بين الأنواع الشائعة في أسواق الأسماك المغربية : نوع Xyrichthys novacula المسمى بالفرنسية Rason وDouzelle lame وبالأنجليزية Pearly raazorfish وبالإسبانية Pao. لا يتعدى طوله ثلاثين سم وشائع بين خمسة عشر وعشرين سم، جسمه مضغوط جانبيا تكسوه حراشف كبيرة ودائرية. الفم صغير جداً والأسنان حادة كالأنياب، الأمامية منها طويلة. الزعنفة الظهرية طويلة تبتدئ من مؤخرة الرأس وتنتهي غير بعيدة عن الذنب. تبتدئ بتسع أو عشر شوكات وتنتهي بأحد عشر أو اثني عشر شعاعاً. تبتدئ الشرجية بثلاث شوكات ولها 11 ـ 13 شعاع.

تختلف الألوان بين الذكور والإناث، فهذه الأخيرة وصغارها وردية حمراء وبنية صفراء تذكّر بألوان الحجل البري، الذكور برتقالية ومخضرة اللمعان، الرأس مخطط بالأزرق والبرتقالي.

يعيش هذا النوع في السواحل المتوسطية والأطلنطية الشرقية منها والغربية قرب الشواطئ بين أعماق لا تتعدى خمسين متراً، ويألف الأماكن الرملية والمعشوشبة ويتغذى من القشريات والديدان ومن الرخويات الصغيرة. كثيراً ما يختفي وسط الرمال ويخرج نهاراً ليتغذى من الأخينوسات والحلزونات والقشريات الصغيرة والديدان. يرافق أحياناً الأسماك الكبيرة ويقوم بتنظيفها من الطفيليات.

يتوالد ما بين أبريل وغشت ويصير بالغاً بعد سنة، صيده رياضي وتقليدي ونادر في أسواق الأسماك المغربية.

W. Fisher, M. Schneider et M.L. Bouchot, *Méditerranée et mer noire. Fiches d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*. Rome, 1987, p. 1134-1154.

محمد رمضاني

**الحجمري**، أسرة رباطية أوردها محمد بوجندار في اللائحة الطويلة لأسر الرباط لكنه لم يشر هو ولا غيره من النسابين إلى أصلها. يقول البعض إنها من الأسر التي هاجرت من شمال المغرب إلى الرباط، ولعلهم من قبيلة بني حزْمَر ـ انقلب الزاي جيماً ـ القاطنة بموقع جبلي يشرف على المجرى الأدنى لوادي مرتيل بجوار بني معدان القبيلة التي توجه منها هي أيضاً أفراد قطنوا الرباط منذ مدة طويلة وكونوا أسرة تحمل اسم المعداني. لا يوجد ذكر "الحجمري" في *تاريخ الضعيف* الذي يتضمن أسماء العديد من أسر مدينة الرباط، والذي تمتد أحداثه علي قرنين من سنة 1043 هـ إلى سنة 1233 / 1633 إلى 1818، ولا في *الاستقصا* للناصري.

**الحجمري، إبراهيم** (الحاج -) من ريَّاس البحر عاش أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وأوائل القرن الذي يليه، اشتغل بوظيفة قائد للسفن في عهد السلطان الحسن الأول (1873 ـ 1894) وكان يتوفر على خبرة فنية لتسيير السفن واستخدام آلاتها، وعلى بينة من معرفة ساعات المدّ والجزر، كما كان يلقي دروسا في "علم البحر" ولا تعرف سنة وفاته. وخلف أولاداً منهم :

**الحجمري، بنعيسى** بن إبراهيم، شبّ في أحضان الحركة الوطنية حيث كان من المساهمين في تنظيم الاحتفالات بعيد العرش سنتي 1933 و1934 الذي كان يعد تحديا للسلطات الفرنسية ومظهراً لتشبث المغاربة برمز بلادهم. كما شارك في النشاط الكشفي حيث كان عضوا في الكشفية الحسنية وغيرها من التنظيمات، ومات قتيلاً بيد مجهول في إحدى الرحلات الكشفية.

**الحجمري، محمد** بن إبراهيم، من نجباء تلاميذ المدرسة العصرية، وتوظف في إدارة البريد وشارك في الإضراب الذي شنه موظفوها سنة 1944 فأوقف عن العمل لكنه سرعان ما عاد إلى وظيفته بتدخل من المفتش العام للبريد الذي كان يعرف كفاءته وأخلاقه الحسنة.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، الرباط 1986 ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح* ؛ الرباط 1345 ؛ م. الأمين بلگناوي، *روايات شفوية* ؛ ع. الجراري، *شيخ الجماعة أبو إسحاق التادلي الرباطي*، ص 153، الدار البيضاء 1980.

عبد الإله الفاسي

**الحَجُوجِي، محمد** بن محمد الحسني الفاسي ثم الدمناتي، من آل الحجوجي المعروفين بفاس المنتسبين إلى المولى إدريس بن إدريس. ولد بفاس يوم الخميس السابع والعشرين من شهر رمضان عام 1297 /2 شتنبر 1880. قرأ القرآن الكريم على ابن عمه أحمد الحجوجي، ثم علي الفقيه محمد بن محمد الخمسي، ودخل القرويين لطلب العلم عام 1315 / 1897 فأخذ عن الشيوخ محمد كنون ومحمد القادري ومحمد بن جعفر الكتاني وأحمد ابن الخياط وأحمد ابن الجيلالي وعبد المالك العلوي الضرير وغيرهم. وبعد أن تخرّج عالماً محدثاً مشاركاً صوفياً درّس بفاس ثم انتقل إلى مدينة دمنات لنشر العلم وتلقين أوراد الطريقة التجانية التي كان يعدّ من أعظم رجالها. فأكرم وفادته تلميذه عمر الأكلاوي قائد المنطقة، واعتنى به عناية خاصة، وتفرغ الفقيه الحجوجي لدروس العلم والتربية والإرشاد وتلقين الأوراد، والإمامة بالناس إلى آخر أيام حياته.

كان له ولوع كبير بالتأليف والتحرير، حتى بلغت مؤلفاته اثنين وتسعين كتاباً في موضوعات شتى، منها : *تفسير القرآن الكريم* في ثلاثة أجزاء ؛ *الحلل السندسية*، وهي حاشية على شرح محمد جسوس علي *شمائل الترمذي* في أربعة أجزاء ضخام ؛ *بغية السائل في تخريج أحاديث الشمائل* في مجلد ؛ *فتح القدير في شرح التاريخ الصغير للإمام البخاري*، في أربعة أجزاء ؛ *منحه الوهاب في تخريج أحاديث الشهاب*، في مجلد ؛ *إرشاد المقيم والساعي لفهم أحاديث القضاعي*، في مجلدين ؛ شرح *مسند الدارمي* في ثمانية أجزاء ؛ *سر الرحمان فيما في مسند الدارمي من تراجم الرواة والقبائل والبلدان*، في ثلاثة أجزاء ؛ شرح *كتاب الشكر لابن أبي الدنيا* في مجلد؛ *فيصل فيض الله الممدود في شرح مسند أبي داوود* ؛ *سلافة الصفا في تراجم رجال الشفا* في مجلدين ؛ *شفاء الغرام في حج بيت الله الحرام وزيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام*، وهي *رحلة إلى الديار الحجازية* ؛ فهرسته المسماة : *نيل المراد في معرفة زجال الإسناد* في أربعة أجزاء، إلى غير ذلك.

ألقى يوم السبت ثاني جمادى الثانية عام 1370 درسه المعتاد الأول في *صحيح البخاري* على الساعة الحادية عشرة صباحاً، ودرسه الثاني بين العشاءين. ووافق الموضوع قوله (ص) : (موت قبيلة أهونُ عند الله من موت عالم) فأبدأ وأعاد في موت العلماء ببيانه الساحر، ومنطقة الباهر، وبعد أن فرغ من درسه، وأم الحاضرين في صلاة العشاء دخل منزله. وفي الساعة الثانية والنصف صباحاً أيقظ أهله، وطلب منهم إحضار ماء الوضوء، ولما أراد أن يشرع في الوضوء أحس بوهن في أعضائه، فجلس على فراشه يستغيث بالله تعالى، وأيقظ جميع أفراد أسرته، وودعهم في كنف الله الذي لا تضيع ودائعه. وآخر ما فاه به : (إنّي أقر لله بالوحدانية، ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة) ثم فاضت روحه على الساعة الثالثة والنصف صباحاً، قرب طلوع فجر يوم الأحد ثالث جمادى الثانية عام 1370 / 11 مارس1951. ودفن بمدينة دمنات.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال* ؛ *موسوعة أعلاء المغرب*، بيروت 1996، 9 : 3258. 3259 ؛ أ. متفكر، *أعلام مراكش*، مخطوط ؛ *روايات شفوية*.

أحمد متفكر

**الحجوي**، أسرة فاسية استقرت بمدن أخرى كتازا والرباط وغيرهما، تنتمي إلى الثعالبة الجعفرين نسبة لجعفر ابن أبي طالب وزينب بنت علي بن أبي طالب. والجعفريون أو بنو جعفر كانوا طردوا في القرن الرابع (10 م) عندما كانوا مع أبناء عمهم بني حسين مكلفين بالإشراف على أمور مكة المكرمة، فلجأوا إلي موقع بين مكة والمدينة قبل أن يُطردوا ثانية من طرف بني حرب، فعزموا على الهجرة إلى مصر العليا فقطنوا بها المكان الواقع بين أبولينوبوليس الصغرى (كوس) وبين سوانيات Syène على ضفة النيل في اتجاه أول شلال لهذا النهر، وقد اقتسموا تلك البلاد مع أبناء كنزدانهة Kenzedanha.

وبعد ذلك انضم عدد منهم إلى الموجة الهلالية السليمية المكتسحة لإفريقية والمغربين خلال القرن السادس (12 م)، وفي القرن الثامن تم تشتيتهم من قبل السلطان المريني أبي ثابت ؛ فاستقرت أسرة الفقيه الحجوي بجوار وادي سبو شرق المكان المدعو مشرع بلأرج ثم بمكان حجر الوقاف بضواحي فاس. وأخيراً استقرت بناحية سيدي قاسم. ومن دون شك فإن المكان المسمى حجاوة الموجود بالضفة اليمنى لنهر سبو والمحدود في شماله الشرقي بقبيلة أولاد عيسى ونهر ورغة قد أخذ اسمه من هذه الأسرة.

وفي بداية عهد السلطان المولى إسماعيل بعد انتفاضة محلية نُقل جدهم عبد السلام بن الحسن الحجوي مع ذويه إلى تازا ولم يغادرها آل الحجوي إلا من أجل أسفار إلى الخارج وبالخصوص إلى الشرق.

كان لآل الحجوي أسفار إلى أوربا، فكان منهم التجار والعلماء، يُذكر منهم التاجر الحاج العربي الحجوي جد الوزير محمد بن الحسن وكان دائم الأسفار إلى باريس وإلى

مكة المكرمة مع أبيه محمد بن بوعزة. وأصبح الحاج العربي نفسه عالماً وتوفى سنة 1286 / 1869، وابنه الحسن الحجوي تعاطى العلم والتجارة وتتلمذ على الشيخ الحاج محمد گنون الذي زوجه ابنته وهي أم الوزير العالم محمد الحجوي.

هناك فرع آخر من آل الحجوي ثبت أن أصلهم من الأندلس ولهم وجود بمدينة الرباط، من بينهم الهاشمي بن مَحمد الحجوي الرباطي الأندلسي المتوفى بالدار البيضاء عام 1315 / 1897 عندما كان يزاول عمله بمرساها، وهو من المتفوقين من تلامذة الشيخ إبراهيم التادلي الرباطي الذي وصفه بالطالب الألمعي اللوذعي. وقلما وصف الشيخ التادلي أحد تلامذته بمثل هذا الوصف الدال على شفوفه في العلم والفهم. واليوم أسرة الحجوي متفرعة ولها وجود في مختلف المدن المغربية.

م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط، 1987 ـ ص 469 ؛ *ترجمة صاحب الفضيلة والمعالي محمد بن الحسن الحجوي* ؛ جريدة *السعادة*، عدد 6054 ـ 19 يناير 1944.

Mission scientifique : *Villes et tribus du Maroc. Rabat et sa région*, T. I, Carte p. 3 - 5 ; Gouvion, Edmond et Marthe, *Aayane Al Maghrib al Akça*, Paris VI 1939, p. 263.

عبد الإله الفاسي

**الحجوي، الحسن** بن العربي الثعالبي الفاسي، والد الفقيه الوزير محمد الحجوي مؤلف *الفكر السامي*. درس بفاس على الشيخ محمد گنون الكبير وأحمد بناني كلاً ومَحمد بن قاسم القادري وغيرهم، وسلك طريق التصوف على يد الشيخ العربي الوزاني شيخ زاوية وزان وولده عبد السلام الوزاني دفين طنجة.

اشتغل الحسن الحجوي بالتجارة فلم تكن له دروس إلا بداخل منزله مع أهله. ومنهم ولده محمد المذكور، قال : "أخذت عنه العقائد والفقه والأخلاق (التصوف) والتاريخ والحساب والجغرافيا وتراجم الرجال وغير ذلك ،واستفدت منه مالم أستفد من غيره أدباً وسياسة وأخلاقاً وديناً وأحوال دنيا".

توفي في حدود 1331 / 1912.

م. الحجوي، *الفكر السامي*، 4 : 201 ـ 206 ؛ *مختصر العروة الوثقى*، سلا، 1938، ص 50.

**الحجوي، عمر** بن الحسن الثعالبي الفاسي. أخو الفقيه الوزير مؤلف *الفكر السامي*. ولد عام 1301 / 1883، وشارك أخاه المذكور في الدراسة على والده وبعض شيوخ القرويين. وصفه في *إتحاف المطالع* بأنه "كان وجيهاً حاذقاً متيقظاً مطلعاً على ما يجرى من الأمور" ولا يعرف من آثاره إلا مسامرة *أخلاقية* ألقاها بالمدرسة الثانوية الإدريسية، وطبعت بفاس عام 1342 / 1923 في ثلاثين صفحة.

توفي بطنجة في أواخر صفر عام 1380 / غشت 1960، وبها دفن.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3354 ؛

إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 97 ؛ *وفيات القرنين الثالث عشر والرابع عشر*، مخطوط، ص 97.

**الحجوي، محمد** بن الحسن الفاسي. وُلد ظهر يوم الجمعة رابع رمضان عام 1291 / 17 أكتوبر 1874 بمدينة فاس، وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم والأمهات وتلقى دروساً على والده في العقائد والفقه والتاريخ والسير والشمائل. وفي سنة 1307 دخل القرويين ودرس على شيوخها العلوم النقلية والعقلية، أمثال محمد بن التهامي الوزاني ومَحمد گنون ومحمد القادري وأحمد ابن الخياط وأحمد بن سودة وعبد السلام الهواري والكامل الأمراني وأحمد ابن الجيلالي، وقد ترجم لهم في فهرسه *العروة الوثقى بمشيخة أهل العلم والتقي*، ومختصره وذكر ما قرأه عليهم من علوم وفنون. وبعد عشر سنوات بدأ يلقي دروساً في القرويين بعد أن أذن له شيوخه بذلك، ويؤلف كتبه الأولى في الأدب والفقه. وبعد أن اشتغل بالتجارة مدة عُيّن عدلاً في صوائر دار المخزن بمكناس، ثم أمين ديوانة وجدة على الحدود المغربية الجزائرية فكان ذلك بداية الوظائف المخزنية التي تقلب فيها.

وبعد فرض الحماية على المغرب سنة 1330 / 1912 عين محمد الحجوي نائب الصدر الأعظم في التعليم، وحاول تنظيم القرويين - حسب مخطط حكومي - عن طريق ما سُمي بالمجلس التحسيني لإصلاح التعليم بالقرويين فلم يوفق وأعفي من منصبه، وأقبل من جديد على التجارة والتدريس بالقرويين. وبعد تسع سنوات أعيد إلى نيابة الصدارة في التعليم واتصلت وظائفه المخزنية إلى وفاته، وكان في أثناء ذلك يعقد بداره القريبة من جامع السنة بالرباط دروساً خاصة يحضرها طائفة من علماء العدوتين.

كان محمد الحجوي عالماً متمكناً في مختلف فروع المعرفة، ولاسيما الفقه وأصوله، إلا أنه كان "يحب الفخر" وينوّه "بأولياته" ! ألف كتباً بلغت سنة 1930 خمسين - حسب ذكره - وهي في موضوعات شتى، أهمها : *الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي*، طبع بالرباط وتونس في أربعة أجزاء، وهو نظرة شاملة وعميقة للفقه ومفاهيمه وتطوره من عهد النبوة إلى الآن.

ومن آثاره المطبوعة أيضاً محاضرات تتسم بالتجديد والتفتح، منها :

- *مستقبل تجارة المغرب*، ألقيت بثانوية فاس وطبعت بتونس.
- *تعليم المرأة تعليماً عربياً*، ألقيت في المؤتمر الأدبي بالرباط ونشرت في تونس.
- *الفتح الإسلامي لإفريقيا الشمالية ودفع المثالب عنه*، محاضرة ألقيت في الخلدونية بتونس وطبعت هناك.
- *نقد كتب الدراسة في إفريقيا الشمالية*، محاضرة ألقيت في مؤتمر الآداب بتونس وطبعت هناك.
- *تطور الإنشاء بالمغرب الأقصى*، محاضرة ألقيت بفاس وصدرت *ملحقاً مستقلاً بمجلة المغرب* بالرباط.
- *التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين*، محاضرة ألقيت بمكناس وكان لها صدى واسع ونشرت أكثر من مرة بالمغرب وتونس.
- *مختصر العروة الوثقى*، فهرس لشيوخه طبع بمدينة سلا.

ومن تآليف الحجوي المهمة التي لم تطبع بعد :

- *انتحار المغرب بيد ثوارة*، مذكرات تاريخية كتبها لما كان موظفاً بوجدة نائباً عن المخزن في قضية الحدود، وعن الثورات العديدة التي قامت بالمغرب آنذاك.
- *تاريخ إفريقيا الشمالية* في نحو أربعة أجزاء.
- فهرس الشيوخ المسمى *العروة الوثقى بمشيخة أهل العلم والتقى*.

اتخذ محمد الحجوي موقفاً مخالفاً لإجماع الأمة أثناء الأزمة السياسية سنة 1953، وهو يومئذ نائب الصدر في العدلية، لذلك ساءت حالته النفسية والجسمية بعد حصول المغرب على الاستقلال، ومات بأحد مستشفيات الرباط عشية يوم الأحد فاتح ربيع الأول عام 1376 / 6 أكتوبر 1956 وحمل من الغد إلى فاس ودفن بقصبة ابن دباب ولم يحضر جنازته أحد - يقول عبد السلام ابن سودة - بعدما امتنع الحزابون من القراءة عليه. وبعد دفنه امتنع سكان القصبة من الصلاة في ذلك المكان فأخرج من قبره ونقل إلى مكان مجهول.

م. الحجوي نفسه، *الفكر السامي*، 4 : 30 - 36 و199 - 213 ؛ *العروة الوثقى*، فهرس شيوخه، مخطوط ؛ *مختصر العروة الوثقى*، سلا، 1938 الكتاب كله ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3320 ؛ ع. رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، 9 : 187 ؛ الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 96 - 97.

**الحجوي، محمد** الفاسي، درس بمسقط رأسه، واشتهر بين رفاقه تلاميذ ثانوية مولاي إدريس بالاستقامة الخلقية والروح الوطنية. وبعد تخرجه في الآداب عمل أستاذاً بثانوية مولاي إدريس، ثم مديراً لثانوية ابن عباد بسطات فثانويتي مولاي الحسن ومحمد الخامس بالدار البيضاء. وقد عُين بعد ذلك نائباً لوزارة التربية الوطنية بمراكش ثم مديراً للتعليم الأصيل بوزارة التربية الوطنية.

شارك في عدة لقاءات علمية، ونشر مقالات دينية وأدبية في بعض الدوريات والمجلات المغربيّة، منها بحث عن فلسفة الحجّ وأسراره.

توفي بالرباط يوم الجمعة 28 جمادى الثانية عام 1418/ 31 أكتوبر 1997. ودفن يوم السبت بمقبرة الشهداء بالرباط، حيث أبنه أحد رفاقه بكلمات مؤثرة.

*معرفة شخصية* ؛ جريدة *العلم*، العدد 17 367 في 14 - 11 - 1997.

محمد حجي

**الحجوي، المهدي** بن محمد بن الحسن الثعالبي الفاسي. وُلد بفاس سنة 1322 / 1904، وتلقى تعليما مزدوجا : تقليديا في القرويين وعصريا في ثانوية مولاي إدريس، حيث حصل على الشهادة الثانوية. كما نال شهادة الترجمة من معهد الدراسات المغربية العليا بالرباط، وشهادة الباكالوريا من ثانوية گورو بالرباط أيضاً. رافق والده الوزير محمد بن الحسن الحجوي في العديد من الأسفار والرحلات إلى الجزائر وتونس وأوربا وبلاد المشرق. شغل وظائف في السلك المخزني، أهمها : الكتابة بالمحكمة

العليا (الجنايات) في الرباط، ثم تولى منصب باشا مدينة وجدة. وقد تعرض خلال مزاولته لهذه الوظيفة لمحاولة اغتيال من لدن أحد الوطنيين، وهو يؤدي صلاة الجمعة، حيث ضُرب في عنقه، لكن إصابته لم تكن قاتلة، أما ضاربه فقتل على التو. بقي محمد المهدي الحجوي باشا في وجدة إلى حين إعلان استقلال المغرب، فأعفي من الخدمة. وقد ورد اسمه ضمن لائحة أولية للأشخاص الذين شملهم قرار الحرمان من التصرف في أملاكهم باعتبارهم متعاونين مع الاستعمار، حسبما ورد في بلاغ صادر عن رئاسة الحكومة المغربية بتاريخ 6 صفر 1376 الموافق لثاني شتنبر 1957 (جريدة *العلم*، 4 ـ 9 ـ 1957).

كان محمد المهدي الحجوي كاتبا وشاعرا ومترجما. خلّف عدة مؤلفات، منها : *حياة الوزان الفاسي وآثاره*، حيث ضمن هذا الكتاب ترجمة مفصلة للرحالة حسن بن محمد الوزان نقلها عن عدة مصادر، وقدم عرضا موسعا لرحلة الوزان "*وصف إفريقيا*" اقتباساً من ترجمتها الفرنسية. والكتاب، في الأصل، بحث قدمه صاحبه خلال مؤتمر المستشرقين الثامن الذي عقده معهد الدراسات المغربية العليا بفاس، في جلسة بتاريخ 20 غشت 1933. وقد طبع الكتاب بالمطبعة الاقتصادية بالرباط سنة 1354 / 1935. وفي هذا المؤلَّف، أشار محمد المهدي الحجوي إلى كتاب له بعنوان *الجغرافية وأطوارها*، لكن أحداً من الدارسين لم يُحل عليه، ولعله من الكتب المفقودة. ومن مؤلفاته : *المرأة بين الشرع والقانون*، الذي عكس ثقافته القانونية والإسلامية، وتضمن فصولا هامة، منها : الولاية العامة، تصرفات المرأة، المرأة والحقوق. وقد فرغ منه بمكة المكرمة في 6 ذي الحجة سنة 1365 هـ. ونشر ملخصا له في *مجلة الثقافة المغربية* سنة *1942 / 1943*، بعد أن حاضر به في النادي الفرنسي بالدار البيضاء، كما أشار إلى ذلك محمد المهدي الحجوي نفسه في كتابه هذا الذي صدر بالدار البيضاء سنة 1967. والذي تضمن ترجمة لمحتواه باللغة الفرنسية. كما خلف الحجوي *ديوان شعر*.

توفي ليلة الجمعة 11 ذي الحجة سنة 1388 / 28 فبراير 1969.

م. القباج، *الأدب العربي في المغرب الأقصى*، ط. 1، الرباط، 1929، 2 : 11 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ط. 2، الدار البيضاء، 1960 ـ 1965، ج 1، ص. 205، ج 2، ص. 397 ؛ ع. الجراري، *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين من 1900 إلى 1972*، الرباط، ط. 1، 1985، ص. 265 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، *مجلة كلية الآداب*، الرباط، ع. 17، 1992، ص. 159 ؛ جريدة *العلم*، الرباط، ع. 2647، 4 ـ 9 ـ 1957.

أحمد المكاوي

**حجيوة ← قلعيّة**

**الحدج ← الحنظل**

**حدّ كُرت**، مدينة صغيرة في منطقة الغرب سميّت باسم جبل كرت الواقع على مسافة ثمانية كيلومترات إلى الشمال الغربي منها. تبعد مدينة حد كرت عن القنيطرة بمسافة تسعين كيلومتراً، وهي اليوم بلدية تابعة لإقليم سيدي قاسم بعيدة عن العاصمة بمسافة خمسة وأربعين كيلو ميترا. بلغ عدد ساكنة حد كرت 4.276 نسمة موزعة على 742 عائلة حسب نتائج إحصاء 1994، أو ما يعادل 5.7 فرد للعائلة الواحدة.

كان لحد كرت دور مهم أيام الحماية نظراً لخصوبة أرضها ولقربها من الحدود الفاصلة بين منطقتي التسيير الإسباني والفرنسي : هذا ما يفسر تعيين المستشرق الفرنسي الشهير جاك بيرك (1910 ـ 1994) مراقباً مدنياً في حد كرت.

المختار بلعربي

**الحدّاد، أحمد** بن **عاشر** الخمليشي الرباطي، الشيخ العالم الصوفي، غلب عليه لقب الحداد وعرف بشيخ الدرقاويين. تتلمذ على الحاج محمد بن العربي الدلائي مؤسس الطريقة الحراقية بالرباط وشيد أركانها بعد وفاته.

استوعب الحدّاد أذكار الزاوية، وحفظ ما كان رجالها يزمزمون به على نغمات طبوع الموسيقى الأندلسية في حلقاتهم من أشعار ملحنة بنوعيها : السماع ـ ويراد به إنشاد القصائد والمولديات كالبردة والهمزية والبغدادية ـ والمديح، ويقصد به المقطعات الصوفية القائمة على أنساق صنعات النوبة الأندلسية من أزجال وتواشيح وبراول، وما يتخللها من بيتينات.

تقلد أحمد الحداد مشيخة الزاوية، وأصبح وارث سر التقاليد الغنائية التي أرسى قواعدها من قبله عميد المادحين بالرباط الشيخ محمد بن العربي الدلائي صاحب كتاب *فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار*، وهي تقاليد تتصل بأسلوب إنشاد وصنائع النوبة من حيث العمل بوحدة الطبع الموسيقي.

ألّف أحمد الحداد *صلوات وأحزاباً* وتوسلات نثرية وزجلية يذكرها الحراقيون وينشدونها. ولما حجّ لقي بعض شيوخ المتصوفة العلماء في مصر فأعجبوا به وحلاه أحدهم في مؤلّف له بأوصاف روحانية عالية وأخذ عنه جميع أوراده. وقد وقف عبد الله الجراري على مجموع أحزابه ومؤلفاته الصوفية وأورد نبذاً منها في *أعلام الفكر*، وهي تدل على ذوق صوفي رفيع، وعبارات صقيلة سامية.

وقد تتلمذ على الحداد جملة من أقطاب السماع، تهيأ لتقاليد المدرسة الحراقية أن تظل قائمة بفضلهم حتى اليوم، وكان على رأس هؤلاء الفقيه المقدم المتصرف عبد السلام

گديرة الذي أخذ عنه الشيخ المتفنن عبد القادر حفيد محمد ابن العربي الدلائي المتوفى عام 1380 / 1960، ومحمد بن محمد بن عمر الريش المتوفى عام 1392 / 1972، وصهره محمد بن أحمد بنمنصور الرباطي المتوفى عام 1938. وقد آلت هذه التقاليد اليوم إلى المسمع المتفنن عبد اللطيف بمنصور الذي أخذها عن جده لأمه عبد السلام گديرة.

توفي أحمد بن عاشر الحدّاد بالرباط في ثاني ربيع الثاني عام 1326 / 4 ماي 1908، ودفن بالزاوية الحراقية بالرباط ورثاه محمد بن اليمني الناصري بهمزية طويلة مطلعها :

غارت عيون الأرض أين المـاء    واغبّرت الآفـاق والأنحـاء

ع. الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 20 - 25 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ص 260.

عبد العزيز بن عبد الجليل

## الحدّاد، أحمد بن عبد الكريم التطواني (الجد)

الحسني العلمي، ينتمي نسبه إلى أحد أبناء أبي بكر الجد الجامع للأشراف العلميين. ومعلوم أن مسقط رأس هؤلاء جميعا قبيلة بني عروس، انتقل منها أحد أجداده إلى قبيلة بني گرفط. ثم منها إلى قبيلة بني ليث، ومنها انتقل جده الأعلى محمد بن علي الحداد إلى مدينة تطوان في حدود عام 1120 / 1708.

كان في أول أمره يتّجر في العطر والحلي إلى الجزائر والشام فأثرى من ذلك لما كان يتحلى به من الصدق والأمانة والديانة الشيء الذي لَفَتَ نظر السلطان عبد الرحمان بن هشام إليه. فاستخدمه أمينا برباط الفتح، وكلفه بالإشراف على الأبنية السلطانية، فأظهر أمانة وحسن تدبير، وأنشأ مصالح عديدة، أطلقت ألسنة الناس بالثناء عليه، وعلى همته وسداد رأيه، كما أشركه مع ابن المكي القباج المكلف باستقصاء أموال أولاد أشعاش ومصادرتها. ثم عين عاملاً عاما على تطوان وما إليها، فأحسن السيرة كعادته، وأقام ميزان العدل، مع حُسن أخلاق ومروءة وعفة ونزاهة، واستمرّ كذلك حميد الذكر ذائع الصيت إلى وفاته. وهو جد الفقيه الصدر سميّه أحمد بن عبد الكريم الحداد آتي الترجمة بتطوان.

ومن مآثره بناء قنطرة (بوصْفيحة) التي تبعد عن تطوان بنحو ثماني كيلو مترات ومازالت ماثلة للعيان، كما أحدث غيرها. وفي أيامه حدث الطاعون الجارف الذي خرب البلد عام 1272 / 1855.

توفي بتطوان عام 1274 / 1857.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 58 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 335.

## الحدّاد، أحمد بن عبد الكريم التطواني

(الحافد) الحسني العلمي الفقيه العلامة الخطيب المفوه المدرس الصوفي الكاتب البارع الصدر، آخر وزير أول في الحكومة الخليفية بمنطقة حماية إسبانيا بالمغرب.

ولد بتطوان في 26 جمادى الأولى عام 1309 / 28 دجنبر 1891 وخفظ القرآن على الفقيه السيد عبد السلام الدهري والفقيه أحمد ابن حمزة، ثم حفظ بعض المتون العلمية، وفي عام 1327 / 1909 شرع في الدراسة فأخذ عن علماء بلده كابن الأبار والمؤدن والعمراني والبقالي والزواقي والرهوني والفرطاخ وأفيلال والمرير وغيرهم، ولم تعرف له رحلة علمية، بل من غريب أمره أنه لم يخرج من تطوان إلاّ مرة واحدة رئيسا لوفد الحكومة الخليفية إلى مدريد لإبلاغ الجنرال فرانكو احتجاج الشعب المغربي واستنكاره لسياسة فرنسا المفضية إلى خلع الملك محمد الخامس، ولعله زار طنجة، كما أخبرني.

ثم تعاطى الشهادة والخطابة والتدريس، ونظراً إلى ما امتاز به من معرفة وذكاء وألمعية وبراعة إنشاء وخط حسن عين على كره منه كاتبا بوزارة المالية بتاريخ 6 شعبان 1332 / 26 يونيه 1914 م ؛ وبتاريخ 10 جمادى الثانية 1338 / 1 مارس 1920 م عين كاتبا أول بالصدارة العظمى على عهد الصدر الفقيه محمد ابن عزوز، وبعد ذلك عين على التوالي مدرساً من الدرجة الثالثة ومدرساً خاصاً لسمو الخليفة السلطاني الحسن بن المهدي، وعضواً أول بالمجلس الأعلى للتعليم الإسلامي بشمال المغرب، ومدير الأحباس الإسلامية، ونائباً عن الصدر بالمحكمة العدلية المخزنية العليا، ورئيساً للمحكمة العليا للاستئناف المخزني. وفي 27 جمادى الأولى 1367 / 7 أبريل 1948 عين صدراً أعظم (وزيراً أول) في آخر حكومة خليفية، وظل كذلك إلى استقلال المغرب.

وقد وُسّم بعدة أوسمة ملكية وخليفية آخرها وسام العرش من الدرجة الثالثة، وكان له مقام رفيع في اللطف والظرف والذكاء والمعرفة والنزاهة والعفة والورع، ومن حرصه على العلم وتطلعه للمعرفة أنه لما عين السلطان مولاي عبد العزيز أستاذاً رياضياً لتعليم رجال المدفعية بتطوان (الطبجية) انضمّ المترجم إليهم قصد الاستفادة وتلقى معهم دروساً أفادته جداً.

وكان خلقه الذي امتاز به وأجمع عليه عارفوه : التواضع الجم، فكان متفرداً به كيفية وممارسة مبالغا لدرجة الابتذال، وقد لوحظ عليه أنه - وهو الصدر الأعظم - يأتي إلى مكتبه بالصدارة العظمى ممتطيا سيارته الفخمة الحاملة للعلم الخليفي الأخضر ولكنه يتنكب الدخول من الباب الكبير ويدخل من باب خلفي صغير، ولما سأله أحد خواصه عن ذلك قال : إنني أتضايق من صوت البوق ومسارعة الجند والمخازنية إلى الاصطفاف صفين وانحنائهم لتحيتي.

ومن ورعه أنه كان لا يضيف إلى اسمه نسبة "الحسني العلمي" رغم ثبوت ذلك شرعا، وسئل عن ذلك فقال : إنني

لم أُعرف بذلك، فلماذا أعرض نفسي للقيل والقال، والعلم عند الله وهو المسؤول أن يلحقني بنسب رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن أمانته ونزاهته وعفته أنه مع هذه الوظائف السامية وعلى رأسها الصدارة العظمى التي تقلب فيها معظم سني حياته لم يملك ثروة ولم يتأثل مالاً إلا ما لا بدّ منه، مكتفيا بعيش الكفاف قنوعا بما عنده لايمد عينيه إلى ما مُتع به غيره ممن يعملون تحت نظره مفضلاً أن يعيش كسائر الناس مثلما عاش أسلافه.

وهو إلى جانب هذا كان برزخاً بين الإدارة الإسبانية والخليفة السلطاني في ظروف دقيقة عاشها الشمال إذ ذاك، فكان الموظفون عموما حزبين : حزبا خليفيا وحزبا إسبانيا، والصراع بينهما محتدم. وكان هؤلاء يكيدون للخليفة ويزينون للإدارة الإسبانية الاستقلال بالمنطقة، وجرت في ذلك مشاورات واتخذت خطوات والمترجم له يتلقى الصدمات وهو صامد في مهب الرياح مستميت في الدفاع عن الخليفة وكشف مكايدهم وإبعاد خطرهم عن البلاد، واستمر كذلك رغم الأراجيف والإشاعات التي كان يبثها الخصوم ضده إلى أن أفسد خطة الطامعين وجنّب البلاد ما كان يمكن أن تتعرض له من مصائب وويلات. وهو هاش باش يتلقى الجميع بالقبلات والترحاب والمدائح، لا يظهر عليه أدنى تأثر ولا غضب ولا انفعال. وبعد أن حظي بوسام العرش خُصص له معاش يستعين به على تكاليف الحياة، فأمضى بقية أيامه في ستر وعافية محبوبا من الناس جميعا يتردّد بين البيت والزاوية الكتانية إلى أن قضى نحبه يوم الخميس 19 جمادى الأولى 1406 / 31 يناير 1986، ودفن يوم الجمعة خارج باب المقابر على أمتار معدودة من ضريح أبي الحسن المنظري.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 58 مخطوط ؛ أ. الحداد، *فقيد العلم والفضيلة العلامة الوزير*، في الذكرى الثانية لوفاته، سلسلة 3 من منشورات جمعية قدماء معهد مولاي المهدي.

محمد بوخبزة

ابن **الحدّاد، التهامي** بن عبد القادر المراكشي ثم المكناسي، أستاذ مجود مقرئ بالقراءات السبع. درس هذا العلم على شيوخ فاس ومكناس مثل عبد الله الكامل الأمراني ومحمد گنون ومحمد بن التهامي الوزاني ومحمد القادري وأبي جيدة الفاسي، واشتغل مدة من الزمن بتربية الأمراء العلويين حيث اختاره السلطان الحسن الأول لتأديب إخوته بمكناس ثم انتدبه لتعليم أولاده ووجهه معهم لقبيلة احمر. وقد أشار إلى مشيخته السلطان مولى عبد الحفيظ في نظمه لشرحه مغني اللبيب بقوله :

كشيخنا طود العلوم الراسي   بحر الهدى التهامي المكناسي

ولما ولي السلطان عبد الحفيظ الملك أسند إليه قضاء فاس الجديد. وفي سنة 1328 هـ أدى فريضة الحج ووقعت له في هذه الرحلة خلافات مع الفقيه الأديب أحمد بن المامون البلغيثي في شأن زيارة قبر عمّ النبي أبي طالب وزيارة دار أبي سفيان، فهجاه البلغيثي بقصيدة مطلعها :

رماني ابن حداد بجهل ديانتي   بمحفل علم بين قوم أفاضل

وقد اعتذر ابن الحداد للبلغيثي، وعلاوة على خطة التدريس والقضاء اللتين زاولهما اشتغل بالتأليف أيضاً وترك شرحاً على نظم *الياقوته* للمولى عبد الحفيظ في القضاء في جزءين ؛ وشرحاً *لمولد* محمد بن جعفر الكتاني لم يكمله و*تأليفاً في الجهاد* ؛ وقد ضاع هذان المؤلفان الأخيران.

توفي في آخر يوم من شعبان عام 1336 / 9 يونيه 1918 ودفن بضريح سيدي بوطيب بمكناس.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 2 : 107 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 98؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2901 - 2902 ؛ ع. رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، 3 : 94.

محمد ماگامان

ابن **الحداد، محمد** بن عبد الرحمان بن أحمد الصنهاجي. أحد فقهاء مكناسة الزيتون. برع في الحديث والأدب خاصة الشعر الذي كان يقرضه منذ شبابه ويمدح به الملوك. وبعد أن نزع عن ذلك لزم التصوف سلوكا وعبادة، فكانت له اتصالات وزيارات لكبار أولياء ومتصوفة عصره مثل عبد الرحمان الهزميري المتوفى سنة 707 / 1307. ثم انتقل إلى الشرق فلقي في طريقه بمدينة بجاية الشيخ أبا البركات ابن الحاج البلفيقي الذي أفاد بأن ابن الحداد هذا لم تكن له منزلة كبيرة بين العلماء ومع ذلك تعجب من التفاف طلبة بجاية حوله وأخذهم عنه علوم الفقه. وترجع دوافع سفره إلى الشرق لأسباب شخصية تتمثل حسب بعض المصادر فيما ذكره في خطبة أمام طلبته بمكناسة حيث قال: "الحمد لله الذي خلق الإنسان على صورته، وذكر اسم الله الرحمن الرحيم في ملاك شريف من شرفائها" عندها قام عليه طلبته ثم خرج بسبب ذلك إلى الشرق.

ذكر ابن القاضي أن ابن الحداد كان حيا سنة 723 / 1323. أما ابن حجر العسقلاني فقد حدد تاريخ وفاته في ثامن ذي الحجة من عام 722 / 18 دجنبر 1322، وقد توفي في مكناسة وقبره يوجد بمسجدها المعروف بمسجد الشجرة.

ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، د. ت. 3 : 496 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1981، ج. 4، ص. 162 ؛ ج. 11، ص. 175 - 177 ؛ ج. 12، ص. 175 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، ط. 1، 1971، ج. 2، ص. 108 - 109 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، بيروت، 1986، ج. 8، ص.

34 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ط. 2، الدار البيضاء، 1990، ج. 3، ص. 580 ـ 581.

رشيد السلامي

**الحدادي، أحمد** بن إدريس بن التهامي المنقاري. كان جده وعائلته يتعاطون مهنة الحدادة فنسبوا إليها. أما والده فكان من رجال الدين وأهل الخير، له مدرسة للقراءات. ولما توفي في العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر للهجرة، خلّف عدة أولاد نبغوا كلهم في العلم والقراءات.

أخذ أحمد الحدادي بمدرستهم عن الفقيه يوسف الزويني، ثم رحل إلى فاس فأخذ عن شيوخها، أمثال عبد المالك الضرير العلوي ومحمد بن قاسم القادري ومحمد بن التهامي الوزاني وغيرهم. وبعد رجوعه من فاس، أصبح يساهم في التدريس بمدرستهم بمعية قريبه الشيخ علي بن الزوين.

توفي أحمد الحدادي سنة 1329 / 1911 ودفن بمقبرة سيدي الوافي على مقربة من سوق خميس الزمامرة.

م. الكانوني، *جواهر الكمال*.

محمد الشياظمي

**الحدود المغربية** (في القديم والوسيط). عرفت عدة تغييرات وتقلبات ولم تتوقف منذ آلاف السنين في الاتساع تارة والتراجع أخرى. اتسعت هذه الحدود في بعض الحقب وامتدت من طرابلس شرقا إلى السوس الأقصى غربا، ومن نهر النيجر جنوبا إلى أقصى حدود الأندلس شمالا، كما تراجعت وتقلصت في حقب أخرى تبعا لقوة الدول التي توالت على حكم البلاد أو ضعفها. فكلما كانت هذه الدول قوية وعتيدة توسعت حدودها، وكلما ضعفت قوتها تنازلت عن مساحات شاسعة كانت تحت حكمها من قبل.

بدأت الملامح الأولى للحدود المغربية تبرز مع الفينقيين الذين قاموا بتأسيس مراكز ساحلية بالمغرب من أجل التبادل التجاري مع أهله. والفينقيون كما هو معلوم عرب كنعانيون كانت بلادهم تقع بالساحل السوري ـ الفلسطيني. واستمر هذا التبادل التجاري حتى بعدما أسس الفينقيون دولتهم الجديدة بقرطاجة، على الساحل الشرقي بتونس، ومنها اختلطوا مع المغاربة الذين اعتنقوا ديانتهم وتبنوا لغتهم. لكن الحضارة القرطاجية سرعان ما سقطت تحت هجمات الرومان الذين دمروا قرطاجة واستولوا على شمال إفريقيا، عندئذ قسم الرومان الشمال الإفريقي إلى ثلاثة أقسام هي : 1) نوميديا، وتمتد من مصر إلى نهر ملوية ـ دون مملكة قرطاجة ـ 2) موريطانيا وتمتد من نهر ملوية شرقا إلى المحيط الأطلنتي غربا حيث كانت تشكل شمالي المملكة المغربية. 3) بلاد الجيتول Getules وهم سكان جنوب موريطانيا.

حكم بوخوس Bocchus موريطانيا (18 ـ 81 ق. م) أي شمالي المغرب في حدوده الممتدة من ملوية إلى المحيط الأطلنتي. ولما قام صهره يوغرطة (18 ـ 105 ق. م) بمحاربة الرومان بقصد إجلائهم عن الشمال الإفريقي، حارب بوخوس إلى جانبه ضد الرومان، ثم انقلب عليه خوفا من قوتهم وسلمه أسيراً إليهم، فكافؤوه بتوسيع مملكته، ومنحوه المنطقة الممتدة من شرقي ملوية شرقي موريطانيا إلى وادي ستيف. وبهذا عرفت حدود مملكة موريطانيا توسعا جهة الشرق في عهد بوخوس.

وفيما بين سنة 80 وسنة 62 ق. م انقسمت موريطانيا جغرافيا إلى قسمين ؛ قسم شرقي يحكمه بوخوس الثاني Bocchus II وقسم غربي يحكمه بوغود Bogud. وحاربت موريطانيا إلى جانب روما ضد يوبا الأول Juba ملك نوميديا الذي انهزم أمام الرومان في معركة تامبسوس سنة 46 ق. م. ولما اعتلى أكتافيوس Octave عرش روما عين بوخوس الثاني ملكا على القسمين معا الشرقي والغربي من موريطانيا.

ولما مات بوخوس الثاني سنة 38 ق. م عادت روما إلى تقسيم موريطانيا إلى القسمين السابقين، وعينت عليهما واليين سنة 33 ق. م. لكنها سرعان ما قسمت البلاد إلى ثلاثة أقسام جديدة هي : زيليس (أصيلا) ويابا كمسترين (قرب مدينة وزان) وبناصا (سيدي علي بوجنون). وفي سنة 25 ق. م قام الامبراطور أوكتافيوس بتعيين يوبا الثاني Juba II ملكا على موريطانيا التي توحدت من جديد تحت حكمه الذي دام من سنة 25 ق. م إلى سنة 23 بعد الميلاد. يوبا الثاني هذا هو ابن يوبا الأول، كان الرومان قد أخذوه رهينة، وهو في الخامسة من عمره بعد هزيمة في معركة تامبسوس السالفة الذكر، وعهدوا إلى "أوكتافيا" شقيقة الامبراطور أغسطس Auguste بتربيته. ولما اشتد عوده وتأكدت قوته العسكرية في المعارك التي خاضها بجانب الامبراطور، ولاه على موريطانيا وعلى ما تبقى من ملك أبيه بنوميديا. وقد أصبحت موريطانيا تمتد في عهده من المحيط الأطلنتي غربا إلى الوادي الكبير شرقا، كما أنها أصبحت تضم كذلك جزءاً من بلاد جيتول جنوبا. وخلفه ابنه بطليموس Ptolémée سنة 23 م. وفي سنة 40 م، قتله الامبراطور كاليغولا Caligula غدراً. فقامت ثورة في موريطانيا ضد الرومان بزعامة ايدمون Aedemon مولى بطليموس، دامت أربع سنوات، كانت من أشد الثورات، كما تشهد على ذلك التنقيبات الأثرية بكلسوس وتامودا، حيث اتضح أن هاتين المدينتين أحرقتا ودمرتا عن آخرهما خلال القرن الأول الميلادي. وهو تدمير ينسبه علماء الآثار

إلى حروب إيدمون ضد الرومان. لكن بالرغم من سحق هذه الثورة فقد قامت روما مرة أخرى بتقسيم موريطانيا إلى ولايتين يفصلهما نهر ملوية، فالمنطقة التي تمتد شرقي النهر تسمى موريطانيا القيصرية نسبة إلى عاصمتها القيصرية (شرشال) والمنطقة التي تمتد غربي النهر حتى المحيط تسمى موريطانيا الطنجية، نسبة إلى عاصمتها طنجة. ومع أواخر القرن الثالث الميلادي لحقت روما أزمة شاملة أدت إلى تلاشي سلطتها على المناطق التي كانت تحكمها. وأصبح وجود الرومان مقتصرا على منطقة طنجة وعلى بعض المراكز بالسواحل المغربية إلى أن تحول حكم البلاد من أيديهم إلى أيدي الوندال، ذلك أنه لما تأكد ضعف الرومان قام بونيفاس أحد القواد الرومانيين بالشمال الإفريقي سنة 427 م، بتوجيه بعثة إلى جونزيرق Genseric ملك الوندال بإسبانيا يعرض عليه اقتسام الشمال الإفريقي إن هو وقف إلى جانبه ضد روما.

وكان الوندال مستقرين مع بداية القرن الخامس الميلادي في جنوب إسبانيا، وأصبحت المنطقة تسمّى باسمهم (فندالوسا) أي أندلسا، فيما بعد، وفي 427 م، عبر الوندال مضيق جبل طارق إلى شمال المغرب، وداهمت فلول جيوشهم الجيوش الموالية لروما وطاردوهم إلى أن تخلوا عن الشمال الإفريقي. وبعد انتصارهم على الرومان لم يكتفوا بأخذ نصف البلاد بل استولوا عليها كلها ثم توجهوا بعد ذلك نحو روما وحاربوها في عقر دارها، وحققوا انتصارات عليها. لكن هيمنة الوندال لم تستمر طويلا إذ في عهد الامبراطور البيزنطي "يستيا" Gustin سنة 533 م، هزمت جيوشهم وأعيدت البلاد ثانية تحت السيطرة الرومانية، واكتفى البيزنطيون بالاحتفاظ ببعض المراكز على السواحل المغربية حتى سنة 683 م. وهكذا ظلت حدود البلاد غير مضبوطة المعالم في كتابات المؤرخين طيلة هذه الفترة الطويلة من الزمن إلى أن حل بها العرب المسلمون في القرن الأول الهجري لنشر الإسلام بها.

وصل الإسلام إلى الشمال الإفريقي في خلافة معاوية ابتداء من سنة 26 هـ. واستمر الفتح الإسلامي على يد عقبة ابن نافع في عهد يزيد بن معاوية إلى أن وصل إلى مدينة أسفي سنة 62 هـ. وبعد مقتل عقبة بن نافع عين موسى بن نصير عاملا على إفريقيا والمغرب في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، فاستطاع توحيد المناطق البربرية وإخضاعها، وأصبح المغرب جزءاً من ولايته في هذا العهد. وتم فتح الأندلس على يد طارق بن زياد البربري سنة 92 (711 م) وبعد انقراض الدولة الأموية في المشرق سنة 132 هـ. استقل المغرب وظهرت به إمارات محلية، وأسس المولى إدريس الأول دولة الأدارسة في المغرب واستطاع توحيد معظم البلاد في دولته الجديدة. ولما خلفه ابنه المولى إدريس الثاني أسس مدينة فاس التي أصبحت عاصمة ملكه، وبعد وفاته قامت نزاعات وفتن استمرت فترة طويلة عرف المغرب خلالها حروبا دامية انتهت بقيام دولة المرابطين.

عرفت حدود المغرب في عهد المرابطين اتساعاً كبيراً لم تشهده البلاد من قبل، فقد شملت النصف الغربي من الشمال الإفريقي، وأوقف المرابطون المسيحيين في إسبانيا عند حدودهم، ذلك أنه في عهد يوسف بن تاشفين انضمت الأندلس إلى المغرب واتسعت الإمبراطورية المرابطية وبلغت حدودها بجاية شرقا والسوس الأقصى غربا والسودان جنوبا وسرقسطة شمال الأندلس. لكن الخلفاء الذين خلفوه من أبنائه لم يستطيعوا الحفاظ على اتساعها، واستغلت الأندلس الفتن التي قامت بين المرابطين والموحدين فانفصلت لمدة وجيزة عن المغرب، فتراجعت الحدود إلى ما كانت عليه.

وفي عهد الدولة الموحدية اتسعت رقعة المغرب اتساعاً كبيراً لم تعرفه البلاد من قبل ولا من بعد، إذ كانت تمتد حدوده شرقا من طرابلس إلى السوس الأقصى، وفتحوا معظم بلاد الأندلس، ذلك أنه بعدما تمت بيعة عبد المؤمن الموحدي سنة 527 هـ، استولى أول الأمر على الجنوب المغربي ثم توجه نحو الشمال الشرقي فضمه إلى دولته، وفي سنة 535 هـ انتصر الموحدون على الإسبان وضمت الأندلس من جديد داخل الحدود المغربية. بعد ذلك جهز عبد المؤمن جيشا لفتح المغرب الأوسط والأدنى وتم فتحهما، وبذلك توحد الشمال الإفريقي في دولة الموحدين.

وفي عهد المنتصر بدأت الحدود تتراجع بسبب الثورات والفتن. وأخذ الإسبان يستولون على البلاد الأندلسية. وظهر بنو مرين الذين استقروا بناحية فاس بزعامة أميرهم عبد الحق بن محيو المريني. وبعد وفاة المنتصر قامت الفتن بين الموحدين، فاستغلها الحفصيون واستقلوا عن المغرب بتونس. وفي سنة 628 هـ، استقل عدد من جهات الأندلس بدورها عن المغرب. وفي سنة 636 هـ، استولى الإسبان على قرطبة بالأندلس، وبذلك تقلصت حدود المغرب بشكل كبير.

وعلى إثر انقراض دولة الموحدين بالمغرب ظهرت ثلاث دول مستقلة في القرن السابع الهجري، فالحفصيون أعلنوا استقلالهم بالمغرب الأدنى واستولى الزناتيون على المغرب الأوسط، بينما استولى المرينيون على المغرب الأقصى، فأصبحت حدود المغرب لا تمثل إلا ثلث ما كانت عليه أيام ازدهار الموحدين.

حاول المرينيون الحفاظ على الامتداد الواسع الذي عرفته الحدود المغربية في عهد الموحدين، لكنهم لم يستطيعوا ذلك إذ سرعان ما ضعفت دولتهم وفقدت نفوذها في المغرب الأدنى والمغرب الأوسط، وعاد المغرب إلى حدوده الأولى، بل إن دولا أجنبية كالبرتغال وإسبانيا بدأت تطمع في الاستيلاء على المغرب والنيل من استقلاله. فقد احتل البرتغال مدينة أسفي وطنجة وأصيلا،

واستولى الإسبان على جبل طارق. وبدأت دولة بني مرين تتقلص بعد خروج المناطق المغربية عن طاعتها، وبسقوط مدينة فاس في أيدي الأشراف السعديين انهارت دولتهم.

ولما تولى السعديون الحكم لم يكن للمغرب أسطول بحري يدافع به عن نفسه، كما أن سواحله كانت محتلة من طرف الأجانب الذين كانوا يهاجمون حدوده باستمرار، ومع ذلك قد استطاع محمد الشيخ الملقب بالمهدي أن يسترجع عدداً من المراكز الساحلية من أيدي البرتغاليين كأزمور وأسفي والقصر الصغير وأگادير. وفي هذا الوقت كان العثمانيون قد تمكنوا من احتلال ليبيا وتونس والجزائر، وأخذوا يستعدون للانقضاض على المغرب. وكانت وقعة وادي المخازن في عهد عبد الملك السعدي سنة 986 هـ التي دارت رحاها بين الغزاة البرتغاليين والسعديين بالقرب من مدينة القصر الكبير، وكان النصر فيها حليف السعديين، وبذلك ردت للمغرب هيبته ومكانته في المنطقة. وفي عهد أحمد الملقب بالمنصور اتسعت حدود المغرب بفتحه بلاد السودان (والمقصود بالسودان آنذاك هي منطقة نهر النيجر والساحل حتى المحيط الأطلنتي). وبعد موت أحمد المنصور ضعفت دولة السعديين بسبب الثورات الداخلية من أجل الحكم. وظل الوضع هكذا إلى أن قامت دولة العلويين. وفي عهد المولى إسماعيل العلوي تم استرجاع طنجة والعرائش وأصيلا، ونظم هذا السلطان جيشاً قوياً ووحد البلاد ونشر فيها الأمن. وقام هؤلاء الملوك بجهود متوالية لتحرير سبتة ومليلية ولكن مشاكل متعلقة بالحدود استجدت فعرقلت هذه الجهود.

الهادي بجيبجو

** وقد أصبحت الحدود المغربية في العصر الحديث، موضوع أطماع أجنبية. فموقع المغرب الجيوسياسي وإمكاناته كمصدر محتمل للثروة، تفسر اهتمام الدوائر العامة في السياسات الخارجية الأجنبية. وقد اهتمت به القوات الأوربية في أوقات وأزمنة مختلفة. وهذا ما أدى إلى كون حدود المملكة المغربية قد تعرضت للعدوان غير ما مرة تبعاً لملابسات تاريخية.

- الحدود الشمالية : أظهرت إسبانيا أطماعها لاحتلال المغرب منذ نهاية الوجود العربي في الأندلس عام 1492. وهي الآن تحتل على الشاطئ المتوسطي للمغرب خمسة مواقع تمارس عليها سيادتها : سبتة ومليلية وحجرة بادس وحجرة الحسيمة والجزر الجعفرية.

وقد فرضت على المغرب حدود الاحتلال لسبتة ومليلية منذ 1859، إذ تؤكد معاهدة تطوان بتاريخ 24 غشت 1859 بمقتضى مادتها الأولى أن المخزن يسمح لإسبانيا بالسيطرة على الأراضي القريبة من مليلية إلى الحد الذي يضمن الدفاع عنها وضمان سلامتها وهدوئها، ومن جهة أخرى نجد المادة الثالثة تنص على أنه ستجري تحديدات جديدة امتداداً في شاطئ المتوسط جنوبي مناطق الأماكن التي تسيطر عليها إسبانيا وعلى أساسها سيتحدد مجال مفعول القضاء التابع لمليلية، كما وقع النص على أن أرضا محايدة ستحدد بين القضاء الإسباني والمغربي ؛ وسيتولى المخزن تعيين قائد عند حدود مليلية وفي الجهات المجاورة لحجرة بادس والحسيمة وذلك للحيلولة دون هجومات القبائل المجاورة (Donnadieu, *Les relations*).

أما تحديد مجال السيطرة على سبتة فقد جاء عقب المعاهدة التي فرضتها إسبانيا ووقعت بتطوان يوم 26 أبريل 1860. فقد توقعت مادتها الثانية توسيع "الأرض الخاضعة للقضاء القائم بسبتة إلى المدى الذي يضمن الأمن التام والدفاع المؤكد عن الحامية الإسبانية هناك".

وتقرر أن تقوم لجنة بهذا التحديد على الميدان بواسطة وضع علامات وأعمدة (Rezette, *Les enclaves*...).

ولما استرجع المغرب استقلاله عام 1956 أظهر قادة المغرب رغبتهم في استرجاع الأراضي المغربية التي تحتلها إسبانية وذلك عن طريق المفاوضات وحسب مبادئ القانون الدولي، وبهذا الصدد اقترح جلالة الملك الحسن الثاني على إسبانيا إنشاء خلية تفكير مشتركة من أجل إيجاد حل ودي لقضية المستعمرات.

الحدود الشرقية : أثار تحديد الحدود الشرقية للمغرب عدداً من الخلافات في الرأي بين المغرب وفرنسا من جهة وبين المغرب والجزائر من جهة أخرى. فقد جرى تخطيط أولي للحدود الشرقية نتيجة معاهدة للأمغنية بتاريخ 18 مارس 1845، وفيها تم تخطيط جزء من الحدود على امتداد 250 كلم بين خليج عجرود وفگيگ مروراً بممر ثنية الساسي.

وفي جنوب فگيگ اعتبرت المعاهدة في مادتها السادسة أن الأمر يتعلق بالصحراء ولا حاجة فيها إلى تحديد. وقد استغل هذا الغموض لخدمة الأطماع الفرنسية في المنطقة، فقد خدمتهم في مشاريعهم لغزو هذه الجهات الصحراوية بالتدريج تبعا لمراحل السيطرة النهائية على المناطق الغربية والجنوبية الغربية للجزائر. وهكذا ففي مارس 1912 وهو تاريخ عقد الحماية على المغرب تبنت فرنسا بطريقة أحادية خطاً إدارياً تحت اسم خط ڤارنيي تتوزع بمقتضاه الاختصاصات الإدارية الفرنسية في المغرب وفي الجزائر، فكانت كل الجهات الواقعة غربي هذا الخط وشماليه تابعة للمغرب والجهات الواقعة في الشرق والجنوب تدعى جزائرية (Maazouzi, *L'Algérie*...).

بيد أن هذا الخط لم يُسوِّ مسألة السيادة الترابية في منطقة تيندوف، وفي الأخير وبعد أن مدت فرنسا سلطتها يوم 10 مارس 1934 في الجهات التي بين نون ودرعة اعتبرت الحكومة الفرنسية أن احتلال تيندوف سيتم باسم

فرنسا وليس باسم المغرب، وقد فسر الجنرال شاربونو المشارك في عملية "تهدئة" جنوب المغرب الدواعي التي جعلت فرنسا ترفض إدماج تيندوف في المغرب حيث قال : "ومهما يكن، ففي النظام الدولي قد تكون هناك عوائق لتوسيع مجال المخزن في اتجاه الجنوب على حساب بلدان الجزائر وموريطانيا التي هي فرنسية بالخصوص" (Charbonneau, *Sur les traces*...).

وهكذا وضع احتلال تيندوف نهاية موقتة للتنازع حول الأراضي الصحراوية جنوبي فكيك.

غير أن مشكل تحديد الحدود المغربية الجزائرية عاد ليوضع بحدة غداة استقلال الجزائر. وبعد حرب الرمال في أكتوبر 1963 وبعد عدة فترات توتر قررت الجزائر والمغرب في عام 1970 تصفية نهائية لنزاعهما الترابي. وهكذا أنشأ الطرفان لجنة متساوية الأعضاء لتخطيط الحدود بين فيكيك وتيندوف على حسب الحدود الإدارية للعهد الاستعماري. وقد وقع التنصيص مرة أخرى على مقتضيات اتفاق تلمسان في الاتفاقيتين الموقعتين بين البلدين أثناء انعقاد قمة منظمة الوحدة الإفريقية بالرباط ما بين 12 و15 يونيه 1972. وتتعلق الاتفاقية الأولى المتصلة بموضوعنا بتخطيط الحدود وتكرس حدوداً دولية تمتد من ثنية الساسي إلى تيندوف، وينص الفصل السابع من هذه المعاهدة على أن مقتضيات هذه الاتفاقية تسوي بشكل نهائي قضايا الحدود بين المغرب والجزائر.

الحدود الجنوبية :

بعد انهزام المغرب في حرب تطوان أمام هجوم إسبانيا عام 1860، حصلت حكومة إسبانيا من المغرب على تنازل قهري يؤسس بمقتضاه مركز للصيد على ساحل المحيط الأطلنتي. وقد استقر هذا المركز فيما بعد بإفني. ومن جهة أخرى قامت إسبانيا ابتداء من أعوام الثمانين باحتلال جزء من ساحل وادي الذهب وأعلنت حمايتها على الساحل الإفريقي أي ما بين الرأس الأبيض ورأس بوجدور. وقد أدى الوجود الإسباني في هذا الجزء من التراب المغربي إلى إقدام كل من فرنسا وإسبانيا على تعيين ممتلكاتهما في المغرب بمقتضى معاهدة 27 / 11 / 1912. وهكذا نص الفصل الثاني من هذه المعاهدة على ما يلي :

"تحدد الحدود بين المنطقتين الفرنسية والإسبانية بتلعة وادي درعة ومنها تمتد ابتداء من البحر إلى غاية خط الطول 11° شرق باريس. ثم تحاذي هذا الخط جنوبا إلى أن تلتقي بخط العرض 27,40° شمالاً، وفي جنوب هذا الخط يبقى التطبيق جارياً بالبندين 5 و6 في اتفاقية 3 أكتوبر 1904. أما المناطق المغربية الواقعة شمالي وشرقي هذا التحديد والمعنية بهذه الفقرة فتكون تابعة للمنطقة الفرنسية".

وبعد استقلال المغرب قام يطالب باسترجاع الأراضي الباقية تحت سيطرة إسبانيا. وهكذا استرجع المغرب طرفاية في فاتح أبريل 1958. ولكن المناورات التسويفية من جهة إسبانيا جعلت المغرب يخطر لجنة تصفية الاستعمار التابعة للأمم المتحدة من أجل أن تسجل في جدول أعمالها قضية إفني والصحراء الغربية. وقد أدانت مقررات الأمم المتحدة الموقف المتصلب لإسبانيا واضطرتها بمقتضى معاهدة فاس إلى التخلي للمغرب عن إفني بتاريخ 4 يناير 1969. وقد تمسكت إسبانيا بالصحراء الغربية وقررت أن تنظم بصفة انفرادية استفتاء خلال النصف الأول من عام 1975، بهدف خلق دولة صحراوية.

ومن أجل إفشال المناورة الإسبانية قام المغرب بإخطار الجمعية العامة للأمم المتحدة يطلب منها رأي محكمة العدل الدولية. وقد أصدرت هذه الأخيرة رأيها بتاريخ 16 أكتوبر 1975 وفيه أكدت مغربية الصحراء ووجود روابط البيعة التي تربط بين قبائل الصحراء بسلاطين المغرب. وعلى إثر صدور هذا الرأي قام جلالة الملك بتنظيم المسيرة الخضراء وهي مسيرة سلمية لاستعادة الأراضي المغتصبة.

وقد عجلت هذه المسيرة بعقد اتفاق مدريد الثاني بتاريخ 14 نونبر 1975 ونص على ضرورة استشارة سكان الصحراء بواسطة الجماعة. وقد أعلنت هذه الأخيرة يوم 26 فبراير 1976 ارتباط الصحراء بالمغرب.

وبالرغم من كون حقوق المغرب الترابية غير قابلة للمناقشة، فإن الجمعية العامة للأمم المتحدة قررت تطبيق تقرير المصير بالنسبة لسكان الصحراء. وقد انضم المغرب إلى هذه الأطروحة خلال عام 1981. ومنذ 1986 والأمم المتحدة تقوم بدور وساطة انتهت عام 1991 إلى خلق بعثة للأمم المتحدة لإجراء الاستفتاء في الصحراء الغربية. وقد توالت الاتصالات من أجل تنظيم استفتاء لتقرير المصير يواجه عرقلة أساسية تتعلق بقضية تحديد هوية الهيئة الناخبة التي يمكن لها المشاركة في التصويت.

محمد العموري

**الحدودي، علي** بن محمد بن عبد الكريم، كان واليا لبني مرين على مدينة فاس، وفي أيامه أشرف على تحقيق مجموعة من المنجزات منها بناؤه سنة 689 / 1291 أو 692 / 1293 للباب الكبير المدرّج الذي بقبلة جامع القرويين وجلب إليه الماء من عيون ابن اللصادي المعروفة بعيون الكوازين (أو الكزارين، الكزازين، الكوزيين)، ثم صنع برحبة الزبيب سقاية وأجرى بها من ذلك الماء. غير أن السلطان يوسف بن يعقوب المريني لم يعجبه الأمر وأنكر على واليه فتح ذلك الباب دون استئذانه فنكبه وأمر بإغلاق الباب المذكور.

توفي بعد سنة 692 / 1293.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972، ص. 66 ؛ الجزنائي، جنى *زهرة الآس*، ط. 2، الرباط، 1991، ص. 74، 77.

**الحدودي، محمد** بن عبد الكريم، أشرف على بناء الجامع الكبير بفاس الجديد إلى جانب والي مكناسة أبي علي الأزرق وذلك برسم السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني، وانتهى منه في شهر رمضان من عام 677 / 1279، كما قام سنة 682 / 1284 بإصلاح وبناء الحائط الشرقي لجامع القرويين بعد أن ظهرت عليه علامات الانهيار والخراب. يضاف إلى ذلك بناؤه للفندق الكبير الذي بسوق الشماعين بفاس والذي كان محبسا عليه من طرف السلطان يوسف بن يعقوب المريني.

مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، ص. 162 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972، ص. 68 ؛ الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، ط. 2، الرباط، 1991، ص. 79-80 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، ط. 1، الرباط، 1982، 7 : 186-187 ؛ م. المنوني، *ورقات*، الرباط، 1979، ص. 16.

رشيد السلامي

**الحديد** (جبل -) في الشياظمة يبلغ ارتفاعه نحو خمسمائة متر ويمتد مع هذا الارتفاع عبر مسافة طويلة لأنه يشكل سلسلة من الجبال والتلال تخترق منطقة الشياظمة الواقعة بإقليم الصويرة من الشرق إلى الغرب، وتصل هضباته إلى الشاطئ الأطلنتي حيث تتوغل في البحر لتشكل بدورها نقطة تسمى رأس الحديد، حسب ما هو ظاهر على الخريطة، جنوب مصب تانسيفت.

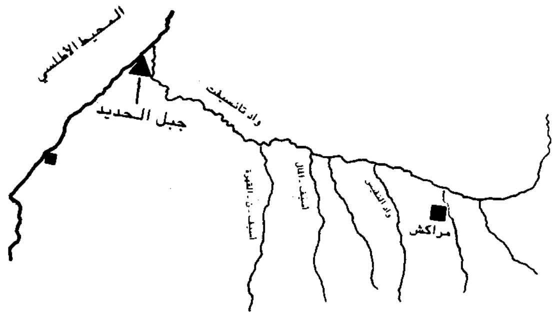


يبدو هذا الجبل شامخا بلونه المائل إلى السواد، في منطقة بلدة تالمست الواقعة بالطريق الرئيسية المؤدية من أسفي إلى الصويرة، بمحاذاة مجرى تانسيفت.

كانت منطقة جبل الحديد إلى الخمسينات من هذا القرن تتضمن حقولا غناء، تنبت فيها الزروع المختلفة وأشجار الزيتون وأركان واللوز، وذلك بفضل مياه الأمطار التي تتجمع في الأخاديد والآبار وتتدفق من سفوح الهضاب والتلال، لأن الأراضي ذات الطبقات الطباشيرية لم تكن تمتص هذه المياه إلا قليلا. وكان المعمرون الأوربيون الأول، والمسافرون منهم والمستكشفون يضربون خيامهم في هذه الناحية المعتدلة الجو، أثناء الصيف.

لكن طبيعة منطقة جبل الحديد تحولت مع هبوط مقاييس الأمطار وهيمنة الجفاف. فصارت الحقول الخضراء أراضي حمراء لا ينبت فيها شيء، وقد أمست غلالها تتراجع، وتردى اقتصادها للغاية، إلا ما كان من الجهة التي يطل عليها شرق هذا الجبل، وهي الجهة التي تنبع فيها عين جارية منذ قديم الزمان ومن صبيبها يشرب الناس ويزرعون وترد الأنعام. وتسمى هذه الناحية "عين الحجر" لأن العين تنبع بين أراض كثيرة الحجر على العموم (انظر عين *الحجر*).

يتكون جبل الحديد من صخور سوداء - لأن التعرية بلغت هنا درجتها القصوى - تشكلت في الحقبة البليوسينية، ويتألف من جهات أخرى من صخور طباشيرية فقدت غشاءها الطيني. وتحتوي الصخور الأولى علي الحديد - ومن هنا اسم الجبل وسلسلته - الذي كان القدامى يستغلونه بوسائلهم التقليدية. وجاءت عام 1916 شركة فرنسية لاستغلاله كما كان يفعل السابقون إلا أن عدم وجود سكة حديدية جعلتهم يعدلون عنه سنوات قليلة من بعد.

أما من الناحية التاريخية، فان جبل الحديد شهد معركة حامية الوطيس عام 1046 / 1636. بين محمد الشيخ الأصغر السعدي وفرقة من هشتوكة المعززة بالشياظمة، أسفرت عن انهزام الملك السعدي. ومن غريب الصدف أن سلفه أحمد الأعرج انتصر هناك على أعدائه في حركة تأسيس الدولة السعدية.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 14 و6 : 84.

F. Joly, *Géographie du Maroc : les plaines atlantiques* ; L. Gentil, *Explorations au Maroc* ; Ministère des Mines et de l'Energie, *Panorama de l'industrie minière*.

أحمد بنجلون

**الحديد** (معدن -) من أصل لاتيني فروح، رمزه الكيميائي Fe، ووزنه الذري 55,85، نظامه البلوري مكعب، كثافته 7,8، صلابته 4,5. غالبا ما يحتوي الحديد الخام على النيكل والكوبلط والنحاس والكبريت والكاربون. الحديد معدن أبيض أشهب أو أسود ؛ ورغم أنه من أصلب المعادن المستعملة، فإنه لين ولَدِن، لمعانه معدني، وشديد المغناطيسية.

الحديد سهل التآكل عند الاتصال بالهواء، حيث يعطي قشرة متكونة من الصدأ أو الليمُونيتْ على شكل خبث بُركاني.

من بين المعادن التي تفرز الحديد نذكر الحديد الخام، حجر الدم، المغْنيتيت، الجوثيت، الليمونيت، كربونات الحديد، البيروتيت والبيريت.

للحديد مصدران، الأول فضائي ويخص الحديد النزكي، والثاني أرضي ويخص الصخور الصهارية، والتحولية (كصخور سْكَارن) وكذلك الرسوبية.

يستعمل الحديد بخاصة في الصناعات المعدنية، والخضوب.

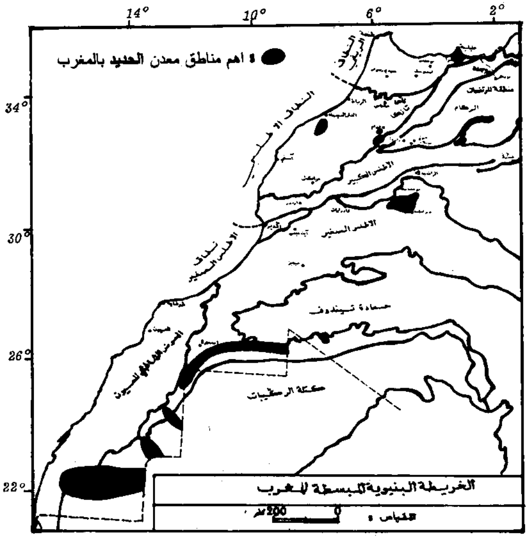


نجد الحديد بالمغرب في المناطق الآتية :

- منطقة الريف الشرقي وتُمثل بها رواسب وكسان قرب الناظور، المنجم الوحيد المنتج حاليا للحديد (يتراوح إنتاجه السنوي ما بين 400.000 و800.000 طن من الركاز المعدني بنسبة 62٪) حيث عليه أن يسد حاجيات المعمل الوطني لصناعة الحديد الذي أنشئ بنفس الناحية.

- منطقة غرب تافيلالت (مَكمَن إمينتورزة) والذي يحتوي على 50 مليون طن من المعدن بنسبة 52٪ من الحديد، إلا أنه يتعذر استغلالها لسبب صعوبة موضعه الجغرافي.

- منطقة ساحل المحيط الأطلنتي(تشيلة - زوارَزمين، أولاد سعيد، تيفلت) التي استغلت ولكن بشكل متقطع وذلك لسوء نوعية الحديد بهذه المنطقة.

- مناطق أيت عمار وخنيفرة بالمغرب الأوسط.

- المنطقة الجنوبية بالأقاليم الصحراوية، ونذكر منها على سبيل المثال ناحية طويلة وسفاريات وعجرشة.

تنقسم رواسب الحديد في المغرب إلى صنفين :

1 - رواسب الإحلال المائي الحراري وتوجد أساسا بالمناطق التالية :

- ووزال قرب خنيفرة حيث يحل التمعدن الحديدي محل الحجر الجيري التابع للحقب الكربوني ؛

- النجد الساحلي بالقرب من بن سليمان وذلك في الأحجار الجيرية التابعة للحقب الديفوني ؛

- الأطلس المتوسط الغربي (تانيفرت) وذلك في صخور الدولوميت التابعة للياس ؛

- ويشان (منطقة الناظور، الريف الشرقي) حيث يرتبط المعدن بتداخل صخور الديوريت في الشيست، وعلى الأخص في الأحجار الجيرية التابعة للمزوزوي.

2 - رواسب بركانية - رسوبية وتتمثل على الخصوص في الرواسب الكربونية لقطارة بالجبيلات حيث الأجسام المتمعدنة شبه رأسية مثل صخور الشيست المحيطة بها تشمل معادن كبريتية في العمق، والتي تأكسدت في السطح حتى عمق 50 متراً حيث تحولت من بيروتيت، بيريت، كالكوبيريت إلى جبيبات من الليمونيت بنسبة 45. 55٪ من حديد.

3 - رواسب يعود فيها التركيز الأصلي إلى ظواهر ثانوية، ونذكر منها الرواسب الرسوبية في سلسلة جبال اسفاريات (إقليم بوجدور) الما قبل الكمبري ؛ والرواسب المرتبطة بحركة المياه الحارة الحديثة بالقرب من تدزك بالأطلس الصغير الغربي حيث تشربت الصخور الجيرية والدولوميتية التابعة للجوروي بالحديد الناتج عن حركة هذه المياه الحارة.

ولقد أنتج المغرب حوالي 43 مليون طن إلى حدود سنة 1977 موزعة كالآتي :

+ 80٪ من رواسب منطقة الناظور (الريف الشرقي)

+ 15٪ من رواسب آيت عمار (المغرب الأوسط)

+ الباقي من عدد الرواسب الصغيرة الغنية التي استغلت بشكل متقطع.

وفي سنة 1987 وصل إنتاج المغرب إلى ما يناهز 126.021 طن من الحديد حيث صدّر منها حوالي 88.236 طن ؛ أما في سنة 1993 مثلا فلم يبلغ الإنتاج إلا 83.946 طن، حيث صُدر منها ما يناهز 55.142 طن.

عبد الله بوصحابة وصالح شگاگ

تطور إنتاج الحديد (بالطن) في بعض المناجم المغربية

| المنجم | نسبة الحديد | 1937 | 1938 | 1940 | 1947 | 1948 | 1949 | 1950 | 1951 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| مناجم تيفلت | - | - | 6.490 | - | 3.365 | 3.575 | 5.578 | 22.766 | 4.405 |
| مناجم أيت عمار | 45٪ | 52.749 | 236.749 | 51.093 | 151.041 | 301.264 | 353.790 | 316.048 | 521.347 |
| مناجم قطارة | 52٪ | - | 15.377 | 7.537 | 2.619 | 3.600 | 3.028 | 3.142 | 19.252 |
| مناجم المغرب الشرقي | 55٪ | 2.335 | 3.033 | 1.605 | 1.558 | 1.871 | - | - | - |

* * وعن الحديد في التاريخ لم ترد في المصادر العربية معلومات كافية عنه بالمغرب وعن المعادن بصفة عامة. فصاحب *القرطاس* يذكر بأن "من باب الحديد تمتد الطريق الذاهبة من فاس إلى جبال فزاز ومعادن العوام" ويشير عبد الواحد المراكشي في *المعجب* إلى أنه "فيما بين سلا ومراكش قريبا من ساحل البحر الأعظم بمقدار يوم أو أكثر قليلاً، موضع يدعى إيسنْتار، فيه معدن حديد أيضاً، وليس هذا الموضع على طريق السّفار، وإنما يقصده من أراد حمل الحديد منه".

إلا أن أهم المعلومات عن مناجم الحديد نجدها في الجزء الأول من *وصف إفريقيا* للحسن الوزان. فحين حديثه عن مدينة "الجمعة" من ناحية "هسكورة" يذكر بأنها مسكونة بـ "عدد وافر من الصناع لا سيما الدباغين والسراجين والحدادين، لأن هناك منجما للحديد على عمق كبير، ويصنع هؤلاء الحدادون كثيراً من صفائح الخيل، يصدر أهل هذه البلدة جميع الأدوات التي يصنعونها مع بضائعهم [...] فيصنعون منها دروعا جميلة في غاية المناعة" وعن معدن عوام، يشير الوزان إلى "وجود منجم للحديد هناك يتردد الناس عليه كثيراً". وقد كانت مدينة مليلة "مزدهرة جداً لأنها كانت عاصمة المنطقة، وبها إقليم كبير ينتج كمية هامة من الحديد والعسل". ثم يقول :

وجميع الجبال المجاورة لمدينة أمَجّاوْ "مناجم حديد يعمر العمال المشتغلون فيها العديد من المداشر والقرى". وتستخرج من جبل "بني سعيد" الواقع شرق نهر نكور "كمية كبيرة من الحديد [...] ولكل عامل في المعدن داره قرب المنجم مع ماشيته ومعمله الذي يصفي فيه الحديد، وينقل التجار هذا الحديد إلى فاس في شكل سبائك، لأن عمال المعادن لا يعرفون كيف يحولونه إلى قضبان، ومالا يباع منه يستخدم آلات كالمجارف والفؤوس والمناجل، وكذلك لصنع أسلحة لهؤلاء الفلاحين، إذ لا يمكن استخلاص الفولاذ من هذا الحديد". ثم يقول :

وفي منحدرات جبل "بني يستيتن "مناجم حديد، يعالج فتصنع منه صفائح تحذى بها الخيل [...] ويصنعون منه الخناجر كذلك [...] وتتحلى النساء بخواتم وأقراص من حديد".

ومنذ أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وبداية القرن الموالي حظي معدن الحديد كباقي المعادن باهتمامات الرحالين والباحثين الجيولوجيين الأوربيين، والمصالح الاستعمارية الأروبية بشكل عام.

ولم يكن البحث الجيولوجي منفصلا عن البحث المعدني، وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى مجموعة من الأسماء التي لعبت دوراً رياديا في استكشاف الجيولوجيا والمناجم المغربية أمثال (Louis Gentil)، (Aubel Brives)، الإخوان (Mannesmann)، (Ph. Russo).

ومن مناجم الحديد التي تم التصريح باستكشافها في القنصليات الفرنسية : حديد "جبل الحديد" وحديد "تازروالت" سنة 1907، وحديد "شمال غرب تارودانت" سنة 1912 وشرع في استغلال هذه المناجم على الشكل التالي :

| السنة | المنجم | الشركة المستغلة |
|---|---|---|
| 1908 | حديد ويشان | الشركة الإسبانية لمناجم الريف |
| 1929 | مقطع الحديد | شركة الدراسات والاستغلالات المنجمية بتادلة |
| 1937 | حديد أيت عمار | الشركة المغربية للمناجم والمواد الكيماوية |
| 1943 | قطارة | شركة المناجم وتقنية الفلزيات |
| 1948 | جبل عوام | شركة جبل عوام |

ولا يمكن فصل استغلال مناجم الحديد في عهد الحماية عن سياسة منجمية متكاملة اتضحت ملامحها بعدة ظهائر منظمة كظهير 18 يناير 1914، وظهير 15 شتنبر 1923، وظهير 1 نونبر 1929 وظهير 16 أبريل 1951 ... مروراً بخلفيات الصراع الفرنسي الألماني، وبتأسيس المصالح المختصة وبتكوين "مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية" بظهير 15 دجنبر 1928.

وشكلت سنة 1926 البداية الفعلية لاستغلال مناجم الحديد بالمغرب، حيث صدر ظهير 28 ماي 1926 الذي أعفى الحديد والفضة من حقوق التداول. أما إنتاجه فالبرغم من غزارته، فإن مضامينه والوضعية الجغرافية للمناجم لم تساعد على تطوير الاستغلال كما كان مرغوباً فيه، كما أن تباعد مناجم الحديد عن مناجم الفحم لم تساعد على تطوير مشاريع الأبحاث.

وعليه، فقد ظل الإنتاج ضعيفا إلى غاية 1937، حيث أصبح ميدان المناجم قطبا مهما في توجيه السياسة الاقتصادية الجديدة. ومنذ هذا التاريخ عرف قطاع مناجم الحديد انتعاشا ملحوظا بفعل تزايد الطلب الأوربي نتيجة التطور الحاصل في الصناعة الحديدية لتطور الدفاعات الوطنية للعديد من الدول، ونتيجة توقف إنتاج مناجم إسبانيا، وبفعل الشروع في استغلال منجم الحديد بأيت عمار.

وشكلت مناجم الحديد مصدراً مهما لأرباح عدة شركات، كما ساهمت في خلق عدة تحولات محلية، وساهمت في توسيع قاعدة "الطبقة العاملة".

وفيما يلي بعض المعطيات الإحصائية حول إنتاج مناجم الحديد بالمغرب :

| السنة | الإنتاج المسوق | المحتوى المعدني |
|---|---|---|
| 1919 | 151.000 | - |
| 1920 | 299.000 | - |
| 1925 | 800.000 | - |
| 1930 | 648.000 | 22 |
| 1935 | 799.000 | 0 |
| 1938 | 1.067.171 | 131.000 |
| 1940 | 466.233 | 279.500 |
| 1945 | 835.000 | 522.000 |
| 1949 | 1.350.818 | 707.780 |
| 1950 | 1.379.190 | 726.856 |
| 1951 | 1.482.648 | 820.968 |
| 1952 | 1.584.952 | 871.088 |
| 1953 | 1.492.083 | 835.751 |
| 1954 | 1.265.893 | 722.379 |
| 1955 | 1.342.853 | 770.346 |
| 1956 | 1.868.008 | 1.061.438 |
| 1957 | 1.868.122 | 1.039.887 |
| 1958 | 1.538.426 | 865.930 |

تطور إنتاج الحديد (بالطن) في بعض المناجم المغربية

ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1 ؛ الجريدة الرسمية.

*B.E.S.M.* ; P. Despujols, *Historique des recherches géologiques au Maroc, des origines à 1930, Notes et mémoires* n° 25 et 37 ; P. Dubois, *Tableaux économiques du Maroc*, 1915 - 1959 ; S. Gsell, *Vieilles exploitations minières dans l'Afrique du Nord, Hesp.*, 1928.

صالح شكاك

**أبو حديد**، كنية لمفتاح، أحد أولاد الأمير أبي يحيى بن عبد الحق المريني. وقد ساهم مفتاح هذا إلى جانب والده في محاربة أواخر ملوك بني عبد المومن وتوسيع نفوذ بني مرين بالمغرب الأقصى. وهكذا حارب أبو حديد الخليفة السعيد الموحدي بمنطقة تامسنا سنة 643 / 1246. وفي سنة 653 / 1255 قام أبو يحيى المريني بتنظيم حملة واسعة إلى بلاد الجنوب من المغرب الأقصى تمكن خلالها من فتح سجلماسة ودرعة بمساعدة ابن القطواني الثائر على الموحدين، فعقد عليها لابنه أبي حديد، غير أن المرتضى الموحدي حاول سنة 654 / 1256 استرجاع سجلماسة، لكن التحدي المريني بزعامة أبي يحيى وأبي حديد استطاع الإبقاء على المدينة تحت النفوذ المريني. وفي أيام الخليفة المرتضى الموحدي تمكن أبو حديد كذلك من السيطرة على مدينة فاس واعتراض الجيش الموحدي الذي كان يستهدف إخماد ثورة أهل المدينة ضد الموحدين. وفي خضم الصراع الذي احتد بين عرب بني جابر من جهة والأمير أبي يحيى من جهة أخرى بمنطقة تادلا سنة 651 / 1253 قتل أبو حديد أميراً مرينيا بنواحي مكناسة هو علي بن عثمان بن عبد الحق ابن أخي أبي يحيى وذلك بإيعاز من هذا الأخير بعد أن أحسَّ بميول علي إلى الثورة والتمرد عليه. وبعد وفاة الأمير أبي يحيى اتجه أبناؤه أبو طاهر وأبو سالم وأبو حديد إلى ناحية طنجة للاستقرار بها، لكنهم سرعان ما أبانوا عن نيتهم في الاستبداد بالمنطقة حيث سخروا حوالي ثلاثمائة فارس فبالغوا في إفساد تلك الناحية والعيث في ساكنتها ولم يتوقفوا عن ذلك إلا بعد الاتفاق مع صاحب طنجة ابن الأمين على تأدية خراج معلوم. ثم ما لبث هؤلاء الأمراء أن نقضوا الاتفاق وغدروا بصاحب طنجة وقتلوه في قصره، الشيء الذي أغاظ أهالي طنجة وثاروا لحينهم على المرينيين وقتلوا أولاد أبي يحيى الثلاثة بمن فيهم الأمير أبو حديد، وكان ذلك سنة 661 / 1263.

ابن عذاري، *البيان المغرب*...، قسم الموحدين، بيروت، 1985، ص. 371، 433 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، ص. 82 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1985، ص. 114 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 362 - 364، 384 - 386.

رشيد السلامي

**أيت حْدِيدُو**، اتحاد مجموعة من القبائل الرعوية يمتد موطنها عبر مساحات شاسعة من أعالي وادي دادس إلى أعالي وادي غريس وأسيف ملّول. وكذلك أعالي وادي زيز. وقد تمت إزاحة هذه القبائل عن المناطق المجاورة للواحات ودفعت إلى المرتفعات الجبلية للأطلس الكبير الأوسط، وفي هذا الصدد يقول مؤلف *نعت الغطريس* (ص. 150). أما أيت حْديدُو فقبيلة كبيرة بالجبال التي على رأس وادي تدغة ودَادس وانتشروا هناك إلى جبال أيت سخمان وتنقسم قبيلتهم أولا على قسمين : قسم أيت إبراهيم - وقسم أيت يعزى. وأما قسم أيت إبراهيم : فيضم أيت سعيد وعلي وأيت وزدوز - إزناگن - آيت عمر وحمى

أيت أورزى ملوان ـ أيت الثلث وهم أيت موسى ويشو، أيت عتو ويكو ـ أيت علي ويكو وأيت هرهور.

أما قسم أيت يعزى فقسمان : أيت حمو وعلي وقسم إحوضيگن ويقال لهم أيت النصف، وكل قسم من هذه الأقسام شعب تحته قبائل وعمائر وبطون وأفخاد وفصائل وعشائر ..."

وقد ركز الباحث دافيد هارت على دراسة قبائل أيت حْديدُو في حاضرها وذلك للوصول إلى أن هذا الحاضر هو في نفس الوقت ماض وهو تاريخ هذه القبائل على أساس أن هذه القبائل احتفظت بسماتها إلى اليوم. وتمكنت أشياء كثيرة من الصمود ومغالبة الزمن إلى وقتنا الحاضر ! وهذا يعني أن هذه المجتمعات مجتمعات جامدة. وهذا فيه كثير من الغلو والمبالغة.

والجدير بالذكر أن أيت حْديدُو ينتمون إلى الاتحاد القبلي أيت يافلمان : (أي الذين وجدوا السلم بينهم) ويضم هذا الاتحاد إلى جانب أيت حْديدُو كلا من أيت مرغاد وأيت يترديك وعرب الصباح (تافيلالت) وهو اتحاد تم تكوينه لمجابهة اتحاد قبائل أيت عطا. إذ كثيراً ما كانت تقع نزاعات بين الطرفين حول المراعي والمجال الزراعي الضيق، وتنتهي هذه الصراعات بانتصار أحد الطرفين أو بتدخل الزوايا والصلحاء للتحكيم وإحلال السلم. ولزاوية أحنصال نفوذ قوي لدي أيت حْديدُو، وكذلك الزاوية الدرقاوية لسيدي الهواري (فركلة).

يعتمد مجتمع أيت حْديدُو على التكافل لمواجهة قساوة الظروف الطبيعية ـ إذ ينقسم أفراد القبيلة الواحدة إلى رعاة منتجعين ومزارعين مستقرين. كما أن موارد عيشهم جد متواضعة تكاد لا تلبي حاجياتهم، وغالبا ما كان المخزن يجد صعوبات في استيفاء الواجبات منهم كما جاء في رسالة السلطان الحسن الأول أثناء قيامه بالحركة إلى تافيلالت، وقد أوردها صاحب *الاستقصا* (9 : 204) : "... وفيما قبل كنا وجهنا من يستوفي من أيت حْديدُو ما وظف عليهم في المغارم، ويأتي من عندهم بما هو لهم لازم، فلم يظهر منهم ما يفيد، ورجع الموجهون بغير طائل ولا عتيد، وقبضنا عليهم بأجمعهم جزاءً وفاقاً حتى يؤدوا جميع ما فُرض عليهم بحول الله ..."

وبسبب قساوة الظروف الطبيعية. كان أيت حْديدُو من أشد القبائل دفاعاً عن مصدر عيشهم وأكثر تمسكا بموطنهم، يتمتعون بخصال حربية عالية، ولهذا واجهوا الاستعمار الفرنسي في كل المعارك التي شاهدتها الناحية الوسطى للأطلس الكبير ومنها معركة أيت يعقوب.

ففي يوم 29 حجة عام 1347 / 8 يونيو 1929 تمكنت فرقه من أيت حْديدُو وأيت يحيى من مباغتة طابور فرنسي يقوم بعملية التمشيط بحثا عن المقاومين على مقربة من قصر أيت يعقوب في أعالي واد زيز، وتمكن المقاومون من إبادة الطابور الفرنسي المغير، فكانت الحصيلة اثنين وخمسين قتيلا وعلى رأسهم قائد الطابور المقدم إيمانويل Emmanuel، ولم يتم القضاء على مقاومة أيت حْديدُو بأيت يعقوب إلاّ يوم 19 يونيو بعد استعمال كل وسائل الإبادة من طيران حربي ومدافع لتدمير القصر الشهيد.

وقد أثارت مقاومة أيت حْديدُو ضجة كبرى وزعزعت أركان الحماية، وطُرحت قضية أيت يعقوب في البرلمان الفرنسي بسبب الخسائر البشرية التي تكبدتها جيوش الاحتلال مما عرض هيبة فرنسا للإذلال، إذ تمكن أفراد قلائل من الرعاة الشجعان من إلحاق هزيمة نكراء بجيش دولة قوية.

كما خاضت قبيلة أيت حْديدُو معارك تازگزاوت وسط منطقة جبلية عالية شمال الأطلس الكبير الأوسط بين أعالي وادي العبيد شمالا وأسيف ملول جنوباً، وهو موطن قبائل أيت حْديدُو، وقد انضمت إليهم قبائل أيت سخمان وأيت يحيى وزايان والتفّ الجميع حول قائد المقاومة المكي أمهاوش وإخوانه المهدي والمرتضى والمصطفى وكلهم ينتمون إلى عائلة أمهاوش المعروفة بعدائها للاستعمار. وقد شكلت تازگزاوت عقبة كأداء أمام الزحف الاستعماري وتكبدت جيوشه بفضل المقاومة الشديدة للقبائل السالفة الذكر خسائر مادية وبشرية فادحة واستمرت المفاوضة من 12 يوليوز إلى 16 شتنبر 1932.

وقد شاركت قبائل أيت حْديدُو في معارك مقاومة الاستعمار الفرنسي إلى جانب أيت مرغاد في عدد من المعاقل، وأمدوا أهل تدغة بالمقاومين أثناء امتداد نفوذ الأگلاوي وقاوموه من 1918 إلى حين دخول الاستعمار إلى المنطقة سنة 1931. وقد انتقم المستعمرون من أيت حْديدُو بعد أن تم إخضاعهم فقسموهم إلى مشيخات عديدة أسندوها إلى شخصيات حربية استمالوها إليهم، وقربوا إليهم رؤساء آخرين كوّنوا من بعضهم مجلساً استشارياً لتطبيق الأعراف القبيلية القديمة في المخالفات وألحقوا الآخرين بالجيش، وبذلك تفتتت قبيلة أيت حديدو وبقيت معزولة في الجبال لا تتصل بالعالم الخارجي إلا مرة كل سنة خلال موسم الخطوبة بإميلشيل.


أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 204 ؛ المهدي الناصري، *نعت الغطريس الفسيس*، مخطوط ؛ محمد المعزوزي وهاشم العلوي، *الكفاح المغربي المسلح*، الرباط 1986.

D. M. Hart, *Les institutions des Aït Morhrad et Aït Haddidou*. in *Actes de Durham. B.E.S.M.*, Rabat, 1978, p. 57 - 83 ; A. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas Central*, Paris, 1934; Gl. Huré, *La pacification du Maroc*, Paris, 1952 ; G.H. Bousquet, *Le droit coutumier des Aït Haddidou des Assif Melloul et Isselaten. Confédération des Aït Yafelman, A.I.E.O.*, XVI 1965.


عبد القادر بوراس

**حديقة التجارب** بمكناس، أرسل المسؤولون الفرنسيون بباريس بعثات دراسية إلى المغرب للتعرف على

أهمية أراضية الزراعية، وترأس الماركيز دو ـ سگونزاك Le Marquis De Segonzac أول بعثة وصلت إلى طنجة في شهر أبريل 1912 وتوجهت بعد ذلك إلى إقليم مكناس، حيث أقامت به أيام 31 ماي وفاتح وثاني وثالث يونيه، فزارت نزالة بني عمار (معسكر بوتي جان) بزرهون وأراضي سايس تعرفت من خلالها على المؤهلات الفلاحية للمنطقة، ودخل أعضاء البعثة المذكورة إلى مكناس، وبعد ثلاثة أيام رجعوا إلى زرهون.

كانت هذه الجولة العلمية فرصة لأعضاء اللجنة الاقتصادية المكلفة بمهمة الاطلاع على الإمكانات الفلاحية للمناطق التي زارتها وخاصة مكناس وأحوازها، مما شجع المكلفين في مديرية الفلاحة بالرباط ـ بعد توصلهم بالتقارير المفصلة الخاصة بأعمال اللجنة المذكورة ـ على التركيز على مكناس لتكون نموذجا في القطاع الفلاحي، فصارت بمثابة مختبر طبيعي لإجراء التجارب الزراعية، ووقع الاختيار على جنان بنحليمة لإقامة أول حديقة تجارب في المغرب، ويعتبر هذا الجنان من محبسات السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1201 / 1788 على المسجد الأعظم، إلا أن إدارة الأملاك المخزنية ادعت ملكيتها له، وطلب السلطان مولاي يوسف من هذه الإدارة تقديم تعويض مالي لنظارة الأوقاف مقابل الاستيلاء على الجنان المذكور، فلبت طلبه، وتم تفويت هذه الملكية إلى إدارة الفلاحة بمكناس التي أنشأت عليها حديقة للتجارب الزراعية سنة 1913، قدرت مساحتها بـ : 29 هكتارا، غرست بمختلف أنواع الأشجار والمزروعات.

تقع هذه المشتلة على ارتفاع 600 م تقريبا، ما بين جنوب دار المخزن، وشمال أگدال، قرب صهريج السواني وقصر الدار البيضاء (مقر الأكاديمية العسكرية الحالية)، محاطة بسور يقيها من هبوب الرياح العاصفية، وتربتها خصبة، تخترقها المجاري المائية، مما سهل عملية الري دون صعوبة أو تكلفة لمد القنوات، وقد ساعدت هذه الظروف الطبيعية على تهيئة هذه الحديقة التي كانت تتوفر على مجموعات شجرية متنوعة من زيتون وبرتقال وبرقوق ولوز وكروم وخوخ ورمان ... ونقلة تنبت بسرعة نظراً لتوفر الظلال والحرارة المعتدلة، وكل ما من شأنه أن يساعد على خلق هذا "المختبر" الذي وضع في خدمة المعمرين الذين بدأوا يتوافدون على مكناس وأحوازها، وبدأت هذه الحديقة تعطي إنتاجا وافراً منذ السنة الأولى لإنشائها وصلت قيمته المالية إلى 760 ريال قابلة للارتفاع بعد إدخال الإصلاحات عليها.

بدأت التجارب الأولى لبعض المزروعات بإقليم مكناس في نهاية سنة 1913 وأقيمت أولاها على القطن الذي زرع في "بوتي جان" بزرهون، وبحديقة التجارب في جنان بنحليمة، وأعطت هذه المحاولات نتائج مشجعة، وتم إرسال نماذج منها إلى مديرية الفلاحة بالرباط، لتعميم التجارب في مناطق أخرى، وتوبعت هذه التجارب فيما بعد على الحبوب التقليدية والزوان والجلبان والخردل ـ Moutarde ـ واللفت والبنجر والتبغ ونوارة الشمس وغيرها من المزروعات.

أصبحت الإدارة الفرنسية بالرباط تولي عناية كبيرة للقطاع الفلاحي، آخذة من التجربة الناجحة في مكناس وأحوازها نموذجا يحتذى لخلق مشاريع مستقبلية في أقاليم أخرى، فراحت تقترح على السلطان إصدار ظهائر تدعم بها خطتها، وتعطيها الفعالية، وهكذا صدر ظهير 28 غشت 1915، أحدثت بموجبه إدارة كبرى للفلاحة والاستعمار بالإيالة الشريفة، لما تقتضيه المنفعة وتنمية الاقتصاد.

وعملت الإقامة العامة بالرباط على ربط كل ما له علاقة بالفلاحة بالكتابة العامة للحماية، وأسند إليها حق التصرف في الأراضي الزراعية مهما كان نوعها، وتوزيعها بالطريقة التي ترتضيها على الأشخاص الذين لهم اهتمام بالقطاع الفلاحي من مختلف الدول الأوربية، وخول لها الظهير المذكور جعل إدارة الفلاحة والتجارة والاستيطان، وإدارة المياه والغابات ومصلحة الأملاك المخزنية والمحافظة العقارية تحت نظرها.

ازدادت أهمية حديقة التجارب بمكناس بما أصبحت تقدمه للمعمرين من مساعدات، وما صارت تدره من أموال على إدارة الفلاحة بالمدينة كان مصدرها بيع المنتجات الشجرية وأعواد الحطب، التي كانت تغطي نفقات الحديقة، وما فضل يوضع في صندوق هذه الإدارة، فمثلاً كان وفر سنة 1914 هو 12.637 بسيطة حسنية، وصارت سنة 1915 : 8485 ب. ح، لينزل سنة 1916 إلى : 7095 ب، ح، ويرجع سبب انخفاض هذا الوفر إلى الزيادة في أجور العمال المياومين، وكثرة الإنفاق على الإصلاحات التي أدخلت على الحديقة، ومنها إقامة منزه ـ بها ـ للأهالي وللأوربيين، وبناء سور من الجهة الجنوبية الذي يفصلها عن أگدال بما قدره 3101 ب . ح، وكذلك إلى عدم بيع غلة عرصتي الشطرنجية والبحراوية (ملعب الگولف الحالي) اللتين كانتا تابعتين لجنان بنحليمة، وأصبحتا تحت تصرف أمين مستفاد دار المخزن، كما أثرت ظروف الحرب العالمية العظمى على السير العادي للحديقة المذكورة، حيث صُدّر جزء من إنتاجها ـ دون مقابل ـ لفرنسا لخدمة مجهودها الحربي.

وخوفاً من تدني مداخيل جنان بنحليمة أكثر مما وصلت إليه، بادرت السلطات الفرنسية إلى جعل إدارتها مشتركة بين مصلحة الأملاك المخزنية وإدارة الفلاحة بمكناس، حفاظا على استمرارية أداء هذه الحديقة لدورها الذي أنشئت من أجله وهو تقديم المساعدات والإرشادات للمعمرين.


بـ. بوعسرية، *مكناس المدينة الجديدة، التأسيس، البنيات الإدارية، التناقضات*، 1911 ـ 1939 ؛ *أطروحة دولة*، مرقونة، كلية الآداب بالرباط، 1995.


بوشتى بوعسرية

**الحديَّة** أو الحدأة، وفي بعض المعاجم أبو الخطاف، جنس طيور برية من رتبة الكواسر النهارية Falconiformes ومن فصيلة الصقريات Accipitridae. تسمى باللهجة البربرية أصيوان للذكر وتاصيوانْتْ للأنثى. يسمى الجنس علميا Milvus ومنه نوعان يعيشان في المغرب يتميزان عن باقي الصقور والعقبان والبُزاة بذيلهما المتفرع أثناء التحليق في الفضاء.

إنها طيور لاحمة ونشالة، المنقار نصف دائري، قصير ومعقوف يقوى على الفتك بالحيوانات الحية والجثث. تنتهي الأقدام بأربعة أصابع تتوفر على مخالب معقوفة وقوية تمسك بالطرائد وتحتفظ بها وقتاً طويلاً.

النوع الشائع في المغرب هو الحديَّة السوداء Milvus migrans وهو طائر من القواطع يشتو في ضواحي إفريقيا الاستوائية ويقضي فصل الصيف في أوربا، ومنه عدة أفراد تتوالد في المغرب، وهو شائع في البلاد منذ سهول سوس إلى شمال المغرب وشرقه. يخشاه سكان البادية لأنه يفترس أحيانا صغار البط والدجاج والأرانب.

يبلغ طوله ستة وخمسين سنتيما ولا يتعدى وزنه ثمانمائة غرام. تبلغ بسطة جناحيه مائة وخمسة عشر سنتيما، وريشه بني مسود على ظهره وبطنه ورمادي مسود تحت جناحيه وذيله. تصعب أحيانا مشاهدة تفرع الذيل ويكثر تشابهه مع عقيب مرزة القصب Busard des roseaux.

يألف البحيرات وأماكن رمي الأزبال بالمدن والقرى، وكثيراً ما يختلط بمجموعات الغربان ليأكل ما تبقى من الجثث. يعيش في الغالب مزدوجا وتكثر مشاهدته في فصل الخريف وفي فصل الربيع حيث تضاف إلى الوحدات المستوطنة في المغرب ما بين خمسين ومائة وخمسين فراداً تستريح في البلاد خلال هذين الفصلين ثم تستأنف هجرتها.

فهو طائر يأكل القادورات وجثث الأسماك والثدييات الصغيرة والضفادع والزواحف ويفترس أحيانا الحيوانات الحية كالفيران والأسماك وصغار العصافير والدجاج.

يُشاهد منها ما يزيد عن ستمائة فرد بضواحي مضيق جبل طارق في أواخر شهر أبريل، كما شوهد في مختلف مناطق المغرب حوالي ثمانين فرداً وضعت لها الخواتم وهي صغيرة بداخل أعشاشها في كل من سويسرا وألمانيا وفرنسا وإسبانيا.

يسمى النوع الثاني الحدأة الحمراء - Milan royal Milvus milvus يبلغ طوله واحداً وستين سنتيماً ويزن كيلو غراماً واحداً. تبلغ بسطة جناحيه مائة وخمسين سم وذيله متفرع جداً، مما يساعد على تمييزه بين الصقور. ريشه أشقر محمر على ظهره وبطنه ورمادي بني يميل إلى البياض تحت جناحيه.

لا يفوق عدده في المغرب ثلاثين فرداً تعيش مستقرة في أعالي جبال الريف والأطلس المتوسط ويُضَافُ إليها حوالي مائتي فرد أثناء مرحلة الهجرة. يألف الغابات الكثيفة والمناطق الصخرية ويتغذى على الفيران والزواحف والطيور الصغيرة وجثث الحيوانات.

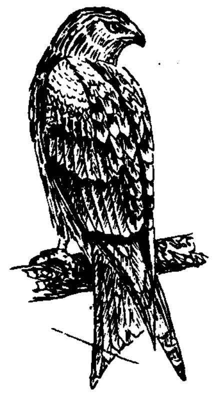

الحدية الحمراء

تتوالد هذه الأنواع ما بين أبريل وماي وتبني الأعشاش عادة فوق الأشجار العالية وأحياناً بين الصخور، وتلد الأنثى ما بين 2 ـ 3 بيضات ونادراً 4 بيضات، منقطة أحيانا بالبني والأحمر، يبلغ قطرها 57 x 45 ملم بالنسبة للحدأة الحمراء و53 x 43 بالنسبة للحدأة السوداء. تدوم مدة الحضانة 28 ـ 31 يوماً وتغادر الصغار العش ما بين 40 و45 يوما.

تعد أنواع الحدأة من بين الطيور المحمية في المغرب، يمنع صيدها وبيع بيضها، وذلك بمقتضى الظهير الشريف الصادر في 6 ذي الحجة 1341 الموافق 21 يوليوز 1923.


أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

P. Bergier, *Les falconiformes marocains : Statut, Répartition et écologie*, *Annales C.E.E.P.*, n° 3, 1987, p. 33 - 40.


**أبو حراب**، أو **المها** (Cretzchma, Oryx dammah 1826) من **فصيلة الظباء** ومن المجترات الكبيرة. طوله عند الغارب 1,10 إلى 1,25 م وطوله جميعا بين الرأس والجسم يفوق 2,35 م. طول ذيله 70 سم ويصل وزنه إلى 200 كلغ. يكسوه شعر أبيض مصفر جهة ظهره وجوانبه وبني جهة

عنقه ومؤخرة ذيله وأبيض فاتح جهة بطنه. لكلا الجنسين قرنان حلقيان ملوليان ومنحدران قليلاً إلى الوراء، يبلغ طولهما 80 سم وقد يصل إلى 115 سم عند الأنثى. صيغة أسنانه كالتالي : قوارض 0 / 3 أنياب 0 / 1 أضراس أمامية 3 / 3، أضراس 3 / 3 = 32 سنا.

قام المصريون بتربيته قديما، وهو حالياً مطارد كأبي عدس من طرف القبائل الصحراوية والصيادين مما أدى إلى تقلص عدده. يتكون قطيعه عادة من اثنى عشر فرداً وقد يفوق أحيانا ستين فرداً ولا يعيش منفرداً إلا نادراً. كثيراً ما ينضمّ قطيع هذا الحيوان إلى باقي قطعان المحبرات التي تلتقي حول البرك بعد سقوط الأمطار.

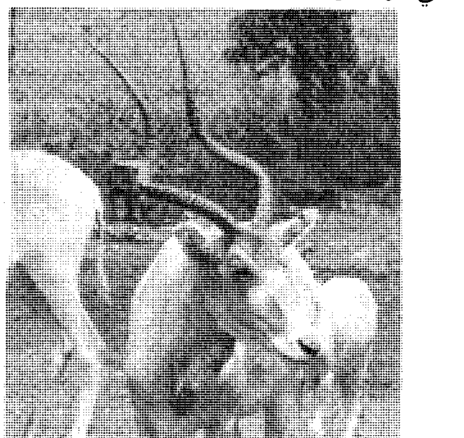

يُعد أبو حراب من أكثر الحيوانات تنقلا، يقطع مسافات طويلة من فصل لآخر بحثاً عن الأعشاب والقطاني كقرون السنط (أقاقيا) وبعض الفواكه التي تكوّن غذاءه اليومي.

كان هذا الحيوان خلال القرن الماضي يعيش في المناطق شبه الصحراوية والصحراوية بجنوب الأطلس مكونا قطعاناً مهمة وخاصة أثناء تنقلاته الفصلية. يبدو أنه اندثر في المغرب في بداية هذا القرن باستثناء الصحراء المغربية حيث تكلم عنه الصيادون في ناحية زمور خلال الأربعينيات، إنه الآن منعدم بالمغرب ولا يوجد إلا في الصحراء الوسطى متنقلا بين أيّير وإيبيدي.

محمد رمضاني

**حرازم** ← ابن **حرزهم**

**حرازم** (سيدي -) مركز للاستحمام بالمياه المعدنية الدافئة التي تبلغ حرارتها 35 درجة الصالحة لعلاج الأمعاء والكبد. يبعد عن مدينة فاس بنحو 15 كلم إلى جهة الشمال وكان يدعى قديماً حامة خولان.

جهّز مركز سيدي حرازم بعد الاستقلال بسقايات وبنايات حديثة للمصطافين مع جميع المرافق الضرورية من سوق وفنادق وحمامات وحدائق. وينسب إلى الضريح الموجود بطرف المركز، وهو ضريح الشيخ محمد ابن حرازم شيخ الصوفية بالمغرب والأندلس المتوفى عام 633 / 1235. ولعله من قرابة الشيخين علي ابن حرزهم دفين باب فتوح بفاس، وابن عمه صالح ابن حرزهم.

الصديق ابن العربي، *كتاب المغرب*، ط 3، 1984، ص 234 - 235.

محمد حجي

**الحراطين** بالمغرب، يطلق مصطلح حراطين على السكان السود أو الملونين الذين يقطنون بالمناطق الصحراوية وشبه الصحراوية. وقد اختلف في أصل الكلمة، فالبعض يقول بأن أصل الكلمة هو تحريف لكلمة حرّاثين (مفرد : حرّاث) أي الذين يحرثون الأرض، والبعض الآخر يقول بأن أصل الحرطاني يعني "الحر الثاني"، أي الذي كان رقاً وعتق.

وحسب مجموعة من الباحثين أمثال لاووست ومارسي E. Laoust وPh. Marçais فإن أصل الكلمة ساميّ من اللهجة البربرية بالأطلس المتوسط والكبير وتافيلالت بل وبموريطانيا حيث يستعمل الناطقون بهذه اللهجة كلمة "أحرضان" (الجمع : إحرضان). بينما يعتقد باحثون آخرون أن استعمال كلمة "حراطين" له بعد سوسيو - اقتصادي أكثر مما هو عرقي. فالحرطاني هو بستاني سخر من طرف العناصر السوسيو- ثقافية من بربر وعرب التي استولت على المنطقة. لكن ما هو مؤكد أن استعمال مصطلح "حرطاني" فيه نوع من التحقير، لذا فالسكان السود ينفرون من إطلاقه عليهم.

يوجد تضارب كذلك حول أصل هؤلاء السكان، فهناك رأي يعتقد أن أصلهم من السودان، ورأي آخر يقول إنهم منحدرون من سكان سود كانوا يعمرون المناطق الصحراوية.

حسب المراجع القديمة فإن شعوبا تعرف بالأثيوبيين الغربيين كانت تسكن بالصحراء الحالية. خلال زمن النيوليتيك، اعتبر هؤلاء الزنوج الجنس الأكثر انتشاراً بهذه المناطق ؛ وتقول السيدة M. C. Chamla بأنهم يتكونون من ثلاثة عناصر : عنصر رقيق وعنصر قوي ويسمون بالسودانيين إلى جانب عنصر آخر ناتج عن تمازج العنصرين السابقين. من هذه العناصر انحدر الحراطين لكنهم فقدوا عبر التاريخ مميزات العناصر الأثيوبية.

فالحراطين سكان محليون من سلالة الأثيوبيين اختلطوا مع بعض العناصر البيضاء المتوسطية (ليبيون - بربر ثم عرب - بربر) في الشمال ووسط الصحراء، كما تمازجوا مع عناصر زنجية سودانية في الجنوب و الغرب.

تجدر الإشارة إلى ضرورة التفريق بين الحراطين وإكلان، فإكلان منحدرون في أغلبهم من السودان ويشتغلون بالمنازل، ولعل هذا العنصر الأخير هو الذي خلق خلطا لدى البعض فيما يخص أصل الحراطين.

يستعمل مصطلح حرطاني في الأطلس المغربي، ووادي درعة، وتافيلالت، وفي شمال موريطانيا، وبالأطلس الصحراوي الجزائري الغربي وشمال الصحراء حتى منطقة وركلة (الرسم البياني). ويتكلم الحراطين عدداً من للهجات، كالبربرية والعربية بدرعة وتافيلالت ومنطقة الهكار بالجزائر ... أي أنهم يتكلمون لهجات السكان الذين يسخرونهم بعد ما فقدوا لهجاتهم الأصلية.

لتوضيح حالة الملونين بهذه المناطق نورد مثال درعة الأوسط. كانت تسكن بهذا الوادي، منذ عهود غابرة، شعوب ذات لون أسود تسمى بالكوشيين أو الأثيوبيين الغربيين. فهؤلاء هم الذين أسسوا أول مملكة بدرعة، عاصمتها على جبل زاگورة الذي يفصل بين واحتي ترناتة وفزواطة. والكلمة التي تطلق علي السكان الملونين الحاليين بدرعة هي أدْرَاوَى (جمع : أدراوي)، نسبة إلي وادي درعة أو وادي أدْرا كما يعرف محلياً.

تسميات الفلاحين الـ[illegible]ارنين بالصحراء

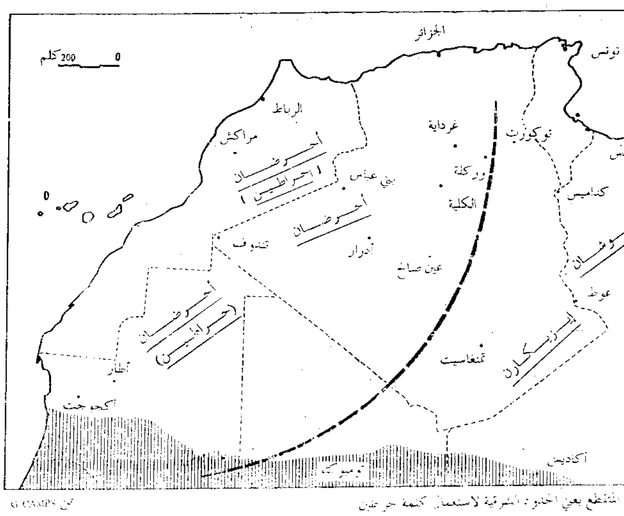


الخط المتقطع يعني الحدود الشرقية لاستعمال كلمة حرطين — عن G. CAMPS

في كثير من الحالات لا توجد أي روابط دموية بين مختلف أدْرَاوَى أو بالأخرى من الصعب توضيحها، وذلك لعدة أسباب : أولها مثلاً أن ثلث أدْرَاوَى بواحة فزواطة - وهي إحدى الواحات الست المكونة لدرعة الوسطى - يجهلون انتماءهم العرقي. يضاف إلى ذلك أن أدْرَاوَى أو حراطين درعة هم تجمع سوسيو - ثقافي مهمش، فمنذ قدوم التجمعات البشرية الأولى - بدءاً باليهود أو المعتنقين لليهودية وانتهاء بأيت عطا والعرب - لم يحصل هؤلاء على أي سلطة محليا، بل إنهم سخروا من طرف المستقرين الجدد. يضاف إلى ذلك انضمام عدد من الأفراد والعائلات المنبوذة أو المرفوضة من عناصر عرقها الأصلي. لذا اندثرت أو لم تكن الروابط الدموية والأبوية بين أدْرَاوَى. وقد اندمجوا داخل مجتمع القصر الذي يخضع لعلاقات اجتماعية خاصة.

يتميز التنظيم الاجتماعي بقصور درعة بالتراتب، يوجد في قمة الهرم الاجتماعي كل من أيت عطا والعرب والأحرار والشرفاء والمرابطون، يأتي بعدهم في قاعدة هذا الهرم أدْرَاوَى ؛ أما اليهود فاعتبروا خارج الهرم. نتج هذا الأخير عن ميزان القوى والمهام التي يمارسها كل عنصر من مختلف العناصر المكونة لجماعة القصر ؛ بل إن بعض العناصر وجدت في قمة الهرم بفضل نسبها. وهكذا وجد حراطين درعة المغلوبون علي أمرهم، والذين يتعاطون الفلاحة - وهي مهنة "غير شريفة" في نظر العناصر الأخرى - في قاعدة الهرم.

يسكن حراطين درعة داخل القصور، بحيث يتعايشون في أغلبها مع بعض أو كل مختلف العناصر الاجتماعية التي تسكن وادي درعة الأوسط. بفضل أدْرَاوَى نجد تجمعات سكانية مهمة تصل أحيانا إلى أزيد من 5.000 نسمة.

وبصفة عامة، يشكل حراطين درعة الأغلبية الساحقة في بعض القصور التي ظلت محافظة على عدد مهم من السكان المنحدرين من الملونين الأوائل كقصري أولاد إبراهيم وأغلاودرار بواحة فزواطة حيث وصلت نسبتهم بهما سنة 1986 على التوالي إلى 78،8٪ و92،4٪. في البعض الآخر تعايشوا مع السكان الوافدين الجدد كحالة قصور تيمتيك التي تسكن بها 257 عائلة 48٪ منها أدْرَاوَى، وقصور أمزرو التي يشكل فيها أدْرَاوَى 54٪ من أصل 534 عائلة. أما في حالات أخرى فإنهم لا يشكلون إلا نسبا قليلة، والسبب يرجع إما لطردهم من طرف المستقرين الجدد كقصور بني علي (14،3٪ بقصر أيت بو مزراك و 28،6٪ بقصر أيت خوي يشو) أو لأن المستقرين الجدد فضلوا بناء قصور جديدة خاصة بهم كقصبتي أيت إسفول وأيت عيسى أو إبراهيم من أيت عطا التي تشكل في كل واحدة منهما عائلات أدْرَاوَى حوالي 8٪ فقط ...

يفسر التراجع النسبي لادراوى أيضاً بعامل الهجرة خصوصا الداخلية. فمناخ درعة مناخ شبه صحراوي، معروف بطول فترات الجفاف مما فرض نزوح سكان درعة نحو مدن الشمال وخصوصاً المتضررين منهم وفي مقدمتهم أدْرَاوَى. فخلال القرن العشرين، هاجرت عائلات بأكملها إثر المجاعات التي أعقبت أزمة 1929 وأواخر الأربعينات، وجفاف السبعينات (12،5٪ من العائلات غادرت درعة سنة 1977). وقد أسفرت الأبحاث الميدانية عن نتائج مثيرة بحيث وجدنا أن 2.996 عائلة غادرت واحة فزواطة بصفة نهائية ما بين بداية العشرينات من هذا القرن وسنة 1986 ؛ أي أكثر من عدد العائلات التي تعيش بالواحة حاليا (2.841 عائلة). وتبين من خلال نفس البحث أن عدد عائلات الحراطين بفزواطة الذين كانوا يشكلون 74٪ من العائلات عند نهاية الربع الأول من القرن العشرين قد انخفض إلى 45٪.

لتبيان الاختلاط والتنوع الموجودين داخل عنصر ما يعرف بادراوى أو حراطين درعة، نقدم مثال قصور تيمتيك: تتكون تيمتيك من قصور تيمتيك الحدب، الوسطانية، أيت بوخلاط، أيت مولاي الكبير وأيت بلوليد، لكن بعد توزيع الأراضي الجماعية الخاصة بالسكن في أواخر الثمانينات، تمركزت القصور على شكل تجمع واحد حول قصر تيمتيك الحدب ويوضح الجدول التالي الأصل الجغرافي لادراوى تيمتيك.

| الانتماء الجغرافي | اسم العظم أو الفخدة | العائلات | | الأفراد | |
|---|---|---|---|---|---|
| | | العدد | النسبة | العدد | النسبة |
| قصور تيمتيك | أهل إماولان | 3 | 2,4 | 37 | 3,8 |
| | أهل إكرفصة | 3 | 2,4 | 39 | 4,0 |
| | أهل تاوزينت | 5 | 4,0 | 50 | 5,1 |
| | أهل أقلمون | 8 | 6,3 | 67 | 6,8 |
| قصور فزراطة | عدد من العائلات | 30 | 20,8 | 210 | 21,5 |
| واحات : ترناتة، محاميد وتاكونيت بدرعة الأوسط | " | 26 | 20,6 | 217 | 22,2 |
| منطقة تاغبالت | " | 3 | 2,4 | 34 | 3,5 |
| مناطق أخرى من المغرب | " | 10 | 7,9 | 96 | 9,8 |
| عائلات لم تصرح | " | 38 | 30,1 | 228 | 23,3 |
| المجموع | | 126 | 100,0 | 978 | 100,0 |

أصل حراطين أو ادراوى قصور تيمتيك بفزواطة

يتضح من خلال هذا الجدول أن حوالي 15٪ من السكان انحدروا من أسر قديمة بالقصر، ويعرفون بأهل البلاد، بل إن كل واحدة منها تحمل اسم مجموعة من الحقول التي كانت في الأصل موقع قصر كل عائلة قبل أن تجتمع في القصور المكونة لتيمتيك. نضيف إلى هؤلاء ما يقرب من 24٪ الذين قدموا من مختلف قصور فزواطة وأثبتوا انتماءهم العرقي إلى إحدى الفخدات من أدْرَاوَى بهذا القصر أو ذاك. أما بالنسبة لثلث الأسر التي قدمت من مختلف جهات المغرب فإن ما يزيد عن الثلث منهن منحدر من أصل عبيد تم تحريرهم. أما 30,6٪ الذين لم يصرحوا بانتمائهم العرقي فإنهم ينتمون إما إلى مختلف العناصر الاجتماعية الأخرى خصوصا من العرب أو من زواج مختلط ما بين أدْرَاوَى وأحد هذه العناصر.

نشير إلى أن أغلبية السكان الأصليين يعتبرون من النبلاء المحليين ولا يشتغلون كخماسة بل إنهم أحياناً يلجأون إلى استغلال أراضيهم عن طريق وسطاء.

G. Spillmann, *Villes et tribus du Maroc*, vol. IX, *Tribus berbères*, Tome II. *Districts et tribus de la haute vallée du Dra*, Paris, 1930 ; A. Azam, *Les structures politiques et sociales de l'oued Dra*, CHEAM, n° 2.039, Paris, 1947 ; D. Jacques Meunié, *Hiérarchie sociale au Maroc présaharien*, *Hesp.* T. XIV 3 - 4ème trim. 1958 ; G. Camps, *Recherches sur les origines des agriculteurs noirs du Sahara*, *R.O.M.M.* n° 7, 1970, pp. 35 - 45 ; G. Toutain, *Sur une évolution économique de la vallée du Drâa*, *Alawamia* n° 53, 1974 ; A. Jacques Meunié, *Le Maroc des origines à 1670, vie politique, économique et sociale*. Doctorat d'Etat, 4 vol., Paris I, 1975 ; *Les structures agraires et les systèmes d'irrigation dans la palmeraie de Fezouata, Drâa moyen-Maroc*. Thèse de Doctorat d'Université de Rouen-France, janvier 1990.

عبد الكبير باهني

ولد **حْرَاكَة البشير** بن علي البورزگاوي (ينتمي لفخذة أولاد بورزگ) السلماني الزعري. تولى قيادة قبيلة السلامنة مدة طويلة، في عهد الحسن الأول وابنيه عبد العزيز وعبد الحفيظ. كان ولد حراگة قائداً مقتدراً تمكن من التلاؤم مع جميع التيارات. وهكذا ظل في منصبه بعد الانقلاب الحفيظي، حيث جدد له سلطان الجهاد ظهير القيادة بتاريخ 28 ربيع الثاني عام 1328 / 9 ماي 1910.

وتمكن ولد حراگة من ربط علاقات ود مع الفرنسيين الذين أبقوه قائداً على قبيلته بعد فرض الحماية. لكن القبيلة سرعان ما ثارت على قائدها فعزل، وانتهى به المطاف بأن قتل في سوق الأحد بالسلامنة وهو السوق الذي حُول إلى خميس سيدي بطاش. وقد عين الفرنسيون القائد عمار بن منصور السلماني الشعالي خلفاً للقائد ولد حراگة.

*وثائق*، خ. ح ؛ ابن-سودة، *زعير قديماً وحديثاً*، الجزء الثاني.

علال الخديمي

**الحرباء**، ويدعوها المغاربة "تَاتَا"، نوع من الحيوانات ينتمي إلى العظاءات Squamates - Reptiles Sauriens وإلى فصيلة الحرابي أو الحرباويات الدُّوديات الألْسِنَة Chamaeleonidae التي تشمل ما يقرب من مائة نوع في العالم معظمها يعيش في مدغشقر وإفريقيا وآسيا.

يعيش في المغرب نوع واحد يسمى في المعاجم حرباء والكلمة فارسية معربة ويدعى في الشرق حرباء وحرباية ويسمونه في الشام أيضاً حِرْذُونا وبَرْبَخْتي وَجَمَلُ اليهود يُدْعَى علميا Chamaeleo Chamaeleon وبالفرنسية

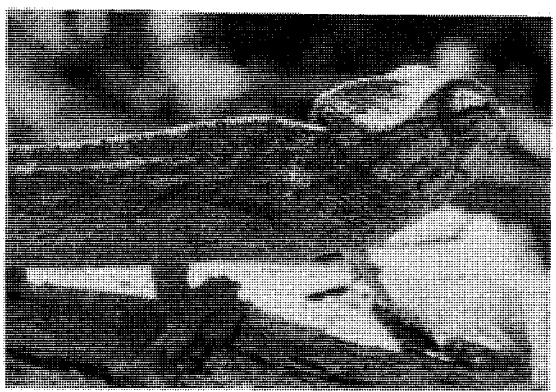

Common وبالانجليزية Caméléon vulgaire - (Commun) chameleon وبالاسبانية Camaleón común.

الجسم مضغوط جانبيا ولَيِّن، يتراوح طوله ما بين 25 - 28 سم وطول ذيله 12 سم. يتوفر على عدد كبير من الخلايا الصبغية أو الملونة التي يتمكن بفضلها من تَغْيير لونه بكيفية مفاجئة ليتستر ضمن الوسط المحيط به دون أن يمكن تمييزه بسهولة. يتغير اللون حسب كمية ونوعية الضَّوْء من جهة وألوان الوسط المحيط به من جهة ثانية. وهكذا يمكن أن يتخذ لونا رماديا أو أخضر أو داكنا لكي يباغث ويصطاد فرائسه المتمثلة عادة في الحشرات والعناكب أو للدفاع عن النفس في حالة الخطر. وهو حيوان بطيء يعيش على النباتات الشجرية في الأماكن التي لا تكثر فيها أشعة الشمس، وتساعده مخالب أصابعه على تسلق الأشجار، وكثيراً ما يستعمل ذيله للتنقل بين الأغصان وذلك بالتوائه على الغصن عدة مرات. يقضي معظم أوقاته في مكان واحد بدون أن يتحرك حيث يمكث جامدا يراقب ما حوله بعينيه المستقلتين إحداهما عن الأخرى، ذلك أنه بينما تنظر العين الأولى إلي أعلى اليسار، تراقب الثانية الأسفل واليمين، وما إن يَلمح حشرة حتى يُسدد نحوها عَيْنَيْه ثم يَتَلَقَّفها في سرعة مذهلة بواسطة لسانه اللزج والأخَّاذ.

يتوالد في أواخر فصل الصيف وتضع الأنثى من ثلاثين إلى أربعين بيضة تردمها في التراب وتبقى هناك ما بين ثمانية أو تسعة شهور لتعطي الصغار في فصل الربيع. تصير الحرباء بالغة بعد سنة وتعمر ما بين أربع وخمس سنوات.

يعيش في إفريقيا الشمالية وفي آسيا الغربية وفي بعض الأماكن من جنوب إسبانيا (قادس ومالقة). إنه حيوان مهدد من طرف الأطفال ومن السواح.


أمين العلوف، *معجم الحيوان*، 1932، القاهرة.

A. Salvador, *Guia de los anfibios y reptiles españoles*, 1974 ; J. Anthony, *Grande Encyclopédie Alfa des sciences et des techniques. Zoologie* 2, 1984.


محمد رمضاني

**الحَرْبة**، جزء من قصيدة الملحون وموقعها من القصيدة بعد جزء الدخول. وهي منها بمنزلة السمط من الموشح أو اللازمة من النشيد، ولذلك يعاد إنشادها مرة بعد كل قسم من أقسام القصيدة كما تُكرر في نهايتها، ويضطلع بترجيع الحربة الشدادة، أي مجموعة العازفين والمنشدين، سموا كذلك لأنهم يشدون أزر المنشد الذي ينفرد بأداء الأقسام ويتيحون له الاستفادة من لحظات الإنشاد الجماعي.

والعادة أن تنشد الحربة على نفس لحن القسم السابق لها ونفس مقامه وإيقاعه، غير أن هذا الأخير يجنح إلى السرعة المتدرجة في ختام القصيدة.

والعادة أن تعرف القصيدة بحربتها، حتى أصبحت بعض القصائد تسمى بحرباتها. وأن تقوم من حيث الوزن الشعري على "قياس" أبيات القصيدة.

ومن نماذج الحربة، حربة قصيدة "طامو" للعلمي :

طامو يا بْهيج الخَـدادا    يالحر من الگادا زيا غيت لَمْجيدْ

ديري اللَّعَاشَق امْـرادوا    ينكي جْميعْ لَحْسُـودْ

وحربة قصيدة "التوبة" لابن سليمان :

توبْ يا راسي لا تشقي اسيدي يا سيدي    يَالتَّاعب لأبد من الرحيل

لا تَامن في الدنيا بناسها غرُارَا


ع. الجراري، *القصيدة*، ص 347 ؛ ع. ابن عبد الجليل، *مجلة التراث الشعبي*، س 11 ع 10 ص 121 ؛ م. الفاسي، *معلمة الملحون*، القسم الأول من الجزء الأول ص. 82.


عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **حربيط**، محمد بن الطاهر من مواليد مدينة فاس في العقد الأخير من القرن السابق. احترف مهنة النجارة منذ صغره مع والده السيد الطاهر ابن حربيط، وتفنن في صناعة الآلات الموسيقية، خاصة آلة العود، وقد نال ميدالية ذهبية عن أعماله في المعرض الدولي بباريس سنة 1915. ومنذ ذلك الحين ذاعت شهرته.

كانت عيدانه مطلوبة داخل المغرب وخارجه لجودة صنعها ومقاييسها. وقد عاشر كبار رجال الموسيقي المغربية بفاس كالبريهي، والمطيري، ومولاي أحمد الوكيلي. توجد آلات من صنعه في متاحف عربية كمتحفي القاهرة وبغداد.

انقطع عن العمل منذ سنة 1396 / 1976 فاعتكف في منزله إلى أن وافته المنية يوم 28 رجب 1414 / 11 يناير 1994 عن عمر يناهز مائة عام.

أيت **حربيل**، قبيلتان تحمل كل منهما اسم أيت حربيل، الأولى بأحواز مراكش لا نعرف عنها شيئاً، وقد تكون من جيش المخزن السعدي خلال مرحلة السلطان أحمد الأعرج. والثانية بسوس سنعرف بها من خلال الشوارد القليلة الواردة في المصادر، والتي تحمل معلومات يكتنفها الغموض لا تساعد كثيراً على تلمس معالم تطورها بشكل قطعي.

اختلفت الروايات حول أصل أيت حربيل، فمنها من ينسبهم إلى قبيلة جالوت الفلسطينية كما جاء في كتاب *روضة الأفنان* للمؤرخ الإگراري، وسنده في ذلك *مروج الذهب* للمسعودي. لكن تبيَّن بعد التحقيق أن هذا الرأي لا أصل له، وبالمقابل تذهب رواية أخرى إلى أن أصلهم من قبائل الصحراء اللمتونيين والگداليين، انتقلوا إلى سوس إثر جائحة الطاعون التي أصابت المغرب سنة 749 / 48 - 1349 م.

كيفما كان الأصل، فالقبيلة اعتبرت دائماً دخيلة في

سوس مما جعل محاولات الاستقرار تواجهها عدة مشاكل باستمرار، من أبرزها تكتل الجزوليين ضد الحربيليين الذين عملوا - حسب بعض المصادر - على تأسيس حلف تحكات. وبواسطة هذه القوة العسكرية في إطار الحلف، استطاعت القبيلة الصمود أمام قبائل "الشرگ" و"باني" الغرب.

ورغم أن الغلبة كانت لتحگات حتى بداية القرن الحادي عشر (17 م) أثناء تحالف الجزوليين مع إمارة إيليغ، فإن رسم معالم حدود ومجالات تنقل الحربيليين وانتجاعهم من الصعوبة بمكان.

كما أن تقسيمات القبيلة المورفولوجية غير محددة بدقة ؛ فنحن نجهل الكثير عن الفروع المجاورة لقبائل مجاط وإيغشان وإفران، اللهم إلاّ ما يتعلق بالفرع القاطن بقصبة أيت حربيل بتامنارت.

عند نهاية القرن الثامن (14 م) أو بداية التاسع ظهرت بسوس شخصية مغمورة تدعى "أمنصاگ" (أو أمْنْزاك)، تضاربت الروايات حول نسبها، فإذا كان بعضها يرجع أصلها إلى أيت حربيل، فإن ثمة أخرى تعتبره مجاطي الأصل ؛ فإن كانت الرواية الأولى صحيحة، فإن ذلك سيساهم في بسط نفوذ القبيلة بتمدولت ونواحيها سيما وأن أمنصاگ كان قائداً من قواد المرينيين الذين خرّبوا مدينة تامدولت.

ومهما كان الأمر، فارتباط القبيلة بهذه الشخصية قد يكون محاولة منها - لا غير - لإثبات كيانها، والتقليل من صفة "الدخلاء" التي ينعتون بها. ومع نهاية القرن التاسع (15 م) لم يرد اسم القبيلة ضمن القبائل التي أبرمت اضطراراً معاهدة تگاووست يوم 25 رجب عام 904 / 8 مارس من سنة 1499 م مع سلطات الاحتلال الإيبيري.

لماذا اقتصر نص المعاهدة على ذكر التامنارتيين والإفرانيين دون جيرانهم الحربيليين ؟ هل يعني ذلك تراجع نفوذهم السياسي بالمنطقة ؟ يذهب محقق النص إلى أن قرية تگاديرت التي وردت في المعاهدة، والتي كانت تحت سلطة التامنارتيين قد يقصد بها تگاديرت نايت حربيل التي وطّنها شمال شرق أگرض. إلا أن التثبت من ذلك أمر صعب لا سيما وأن أغلب أسماء الأعلام الجغرافية الواردة في النص مصحف ومحرف. وحري بالذكر أن هناك بناء يسمى "تگاديرْت" بين القصبة وأگرض معمولاً للحراسة.

تطرح المعاهدة تساؤلات يصعب الإجابة عليها في هذا الموضوع. غير أننا يمكن أن نستخلص أن نفوذ الحربيليين قد تقلص وأصبحوا ضمن قبيل تامنارت سواء تعلق الأمر بفرع قصبة نايت حربيل المجاور لأگرض، أو تعلق الأمر بالفروع الأخرى.

شارك الحربيليون في عهد السعديين، بنصيبهم في كتيبة من جيوش رافقت السلطان أحمد الأعرج إلى مراكش بعد استقراره بتامدولت وأقّا زهاء سنتين. وقد يكون هؤلاء هم الذين أسسوا فرعا للقبيلة بأحواز مراكش كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

من أبرز ما يميز هذه المرحلة أن فيجة تامنارت كانت قاعدة بلاد جزولة حسب شهادة عبد الرحمان التامنارتي، إذ حظيت باهتمام المخزن السعدي، ولعب الشيخ محند إبراهيم التامنارتي (ت. 970 / 563 م) وخلفاؤه من بعده دور الوسيط بين السلاطين والسكان. لذلك لا مناص من أن يستأثر أهل أگرض التمنارتيون بالحكم في المنطقة ويمتد نفوذهم إلى مجال الحربيليين. ومع نهاية القرن بدأ هؤلاء يستعيدون جزءاً من قوتهم ومكانتهم السياسية، ففي صيف سنة 988/ 1580 م قام السلطان أحمد المنصور السعدي بحركة إلى بلدة جزولة، حسب ما جاء في *ديوان قبائل سوس* لإبراهيم ابن علي الحساني. وكلفت القبيلة هي وقبيلتا إذا اگاگمار وإيغشّان بتوفير ما يلزم المحلة المخزنية التي نزلت بمركز إيلغ، من مؤونة وشراب. بعد ذلك رافق السلطان وفد من أربعمائة فرد يمثلون القبيلة وقبيلتي أيت وافْقا وإيغْشّان. من خلال هذه المعلومات يمكن أن نستشف - لأول مرة - المجال الذي تشغله الفروع الكبرى لقبيلة حربيل دون فرع قصبة نايت حربيل، فهي تجاور إذ اگاگمار (مقاطعة إيلغ) وإيغْشّان وأيت وافقا. غير أن رسم حدودها الحقيقية من الصعوبة بمكان خلال هذه المرحلة، ونكتفي بالإشارة إلى أن علاقة هذه الفروع بجيرانهم يطبعها الصراع. فمنطقة تاگنزا - على سبيل المثال - التي كانت تحت إمرة التامنارتيين فيما مضى، غدت مجالا للصراع بين أيت وافقا وأيت حربيل.

من جهة أخرى نلمس تراجع نفوذ التامنارتيين، فيمكن أن نتساءل لماذا لم يذكر وفد التامنارتيين ضمن الوفود التي رافقت السلطان السعدي، مع العلم أن *الديوان* أشار إلى نزالتهم ضمن نزالات المحلة المخزنية ؟ هل يعني ذلك أن ممثيلهم أدرجوا ضمن الحربيليين ؟ إضافة إلى ذلك، قدَّر *الديوان* عدد سروج قبيلة حربيل بمائتي سرجة، أي ما يقارب ثلاثمائة كانون.

وهذا العدد من السكان مهم إذا قورن بالجيران، فهو يعادل ساكنة إفران ويعادل كذلك ساكنة أيت وافقا، بينما هو أكثر من ضعف ساكنة أيت إيغْشّان.

استمر الحربيليون بعد سنة 988 / 1580 م في بسط نفوذهم، إذ استولوا على حصن أيت علي الإستراتيجي بواحة تامنارت الذي كان للسموگنيين، وخصص للمراقبة لما يتمتع به من مناعة طبيعية، وخصص كذلك لتخزين مدّخرات القبيلة. ويذكر المختار السوسي كذلك أنهم عمَّروا منطقة "تزلْمي" التي كانت مقاطعة مستقلة وكانت مجاطة أحد فروعها. غير أن هذا الوضع سيتغير بعد سنة 1012 / 1603، حيث دخل الجنوب بصفة عامة مرحلة خطيرة نتج عنها تطلع زعامات سياسية للحكم، نافست السلطة المركزية في جهات مختلفة بتازروالت وبحاحة وبتافيلالت.

في هذا الظرف بالذات تقوى حلف تگزولت بدخول الإيلغيين ورئاستهم للحلف، واستمر نفوذهم قويا طيلة

مرحلة بودميعة (1022 / 1049) بينما عانى حلف تحكات من ضعف قوته ونفوذه. قد يكون المجاطيون وهم من حلف تكزولت خلال هذه المرحلة، بسطوا نفوذهم في مجموع مقاطعة "تزلمي" وتمازجوا مع كثيرين من الحربيليين.

وبالمقابل، مع صعود العلويين عرفت موازين القوى بسوس تحولا كان في صالح الحربيليين مؤقتا : فمن جهة، ألحق السلطان المولى الرشيد شللا بمركز الإمارة الإيلغية (1081 هـ / 1670 م) ترتب عنه ضعف حلف كزولة لمدة من الوقت.

ومن جهة أخرى، استمال فرع الحربيليين القاطن بالقصبة ابن السلطان مولاي إسماعيل : محمد العالم سنة 1110 / 1699 - 1700 م، ودبروا مكيدة للقيادة الكثيرية التي حوصرت ثم طردت من قرية أكَرض مقر قيادة تامنارت، وتولى الرئاسة حلفاؤهم المرابطون من ذرية الشيخ محند أُبراهيم التامنارتي. بينما امتد نفوذ حربيلة على باقي مجموع قرى وادي تامنارت.

استطاع الكثيريون بعد ثمان سنوات دخول أكَرض من جديد وتمت تزكيتهم فيما بعد بظهائر مخزنية، وأمر السلطان القائد الحسن الحربيلي أن لا يتعرض لها ولا ينازعها في أولادها وأملاكها ومن انحاز إليها من سكان.

لقد استمر المخزن في تأييد الأسرة، لكن انشغاله وضعف أجهزته وإمكانياته المالية حال دون توطية نفوذها، وغدا حكمها لا يتجاوز قرية أكَرض ونواحيها. بعد وفاة السلطان المذكور دخل الجنوب من جديد مرحلة عصيبة كما هو الحال بالنسبة لمجموع المغرب. وهي مرحلة نجهل فيها ما جد من أخبار وأحداث في المنطقة، ويعزى سبب ذلك إلى غياب المصادر. ويمكن القول إن غياب التأييد المخزني للأسرة الكثيرية - وإن كان تأييداً معنوياً فقط - قد شجع الحربيليين على تمديد مجال نفوذهم وسلطتهم السياسية.

بعد سنة 1214 / 1800 غدت يد الأسرة متصلة - من جديد - برؤساء إيليغ الذين يرأسون حلف تاكَزولت الذي استرجع جزءاً كبيراً من قوته إلى حدود سنة 1315 / 97 - 1898 مما حصر الحربيليين في مجالهم الأصلي ومنعهم - على الأقل - من توسيع حدودهم على حساب تراب الكثيريين. غير أن هذه القوة لم تكن مطلقة، فتراجع إمارة إيليغ مرتين أمام الجيوش المخزنية سنتي 1224 و1262 تسبب في تراجع قوة الجزوليين تراجعا مؤقتا، وبالتالي أمست الأسرة في وضعية حرجة قد تستفيد منها قبيلة حربيل.

لقد توترت العلاقات بين الاثنين طيلة قرنين ونيف من الزمن : من سنة 1131 / 1719 إلى سنة 1352 / 1933 حيث ثارت حروب ومصادمات شديدة حول مواقع استراتيجية ثلاثة على الضفة اليمنى لوادي تامنارت نحو الجنوب الشرقي، وهي : إيغيرْ ولُولْن وإيشْت وإيكَواز. وتمكن الكثيريون قبل سنة 1327 / 09 - 1910 من الحفاظ على هذه المواقع بعد أخذ ورد.

يلاحظ أنه كلما بلغ الصراع أشده بين الحلفين : تحُكات وتاكَزولت، وأحس المناصرون من كلا الطرفين بتأثير ذلك في التوازن الذي يطبع الحلفين بالأطلس الصغير وواحات باني، إلا وتتدخل شخصيات سياسية أو صوفية لدفع القبيلتين للدخول في الصلح. كما وقع - على سبيل المثال لا الحصر - في فترة الشيخ / القائد محمد بن حمو التامنارتي (ت. 1293 هـ) حين استمر الصراع سبع سنين، تدخل على إثره رئيس إيليغ الهاشم بن علي - رغم أن الحلف الجزولي كان قويا آنذاك - لإيقاف الحرب والدخول في الهدنة.

من هنا يمكن أن نتصور الخسائر المادية والبشرية التي يمكن أن يتكبدها المتنازعون الذين صرفوا كل مذخراتهم، مما كان له تأثير واضح على وضعهم الاجتماعي.

بعد سنة 1327 / 1910، أصبحت الكفة راجحة لصالح الحربيليين من جديد حيث توسع مجال القصبة المذكورة ليشمل إيغيرْ ولُولْن وإيشْت وإيكَواز، بينما بقي مركز إيشت تحت نفوذ التحوكَاتيين.

لا يعني هذا استسلام الكثيريين، بل استمر التوتر إلى حين دخول فرنسا المنطقة دون أن يتمكنوا من استرداد نفوذهم على المراكز المذكورة. لعل السبب الأساسي لهذا التراجع يعود إلي اعتمادهم على إمكانياتهم الذاتية، نتيجة ضعف حلف تاكَزولت إثر هزيمة زعيم إيليغ الحسين أُهاشم أمام القائد سعيد الكَيلولي سنة 1317 / 1899 - 1900، ونتيجة انتقال ثقل الصراع من تامنارت إلى قبيلة مجّاط زعيمة الحلف آنذاك أثناء نزاعها - في نفس الفترة - مع الجراريين المدعمين من لدن الجيش المخزني بقيادة محمد أنفلوس الحاحي، ثم أثناء نزاعها مع القائد المدني الأخصاصي فيما بعد.

إن اهتمام الحربيليين بضبط رسم حدودهم في الجنوب الشرقي بدعم نفوذ الفرع القاطن بقصبة نايْت حربيل، لم يُنسهم الفروع الأخرى التي تشغل مجالا يسامت حدود قبائل أيت تيكني، أيت عبد الله أو سعيد، مجاط إفْران، إدبْراهيم، أيت أوسا، أيت أومْريبْط، خلال القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19 - 20 م).

يمكن أن نبدي ملاحظتين حول هذه الفروع :

- الأولى أنه تأكد من خلال الشوارد الواردة في المصادر صيرورة الصراع مع الجيران، فأغلب أملاك قبيلة أيت عبد الله أُسعيد بتازروالت تم شراؤها من أصحابها الحربيليين، الذين دأبوا - من حين لآخر - على السطو عليها ومحاولة استرجاعها بالقوة. كما اندفعت قبيلة أيت أومريبط نحو أراضي الحربيليين بعد تضررها الاقتصادي من بناء مركز تندوف.

- الملاحظة الثانية هي أن المخزن في عهد السلطان المولى الحسن الأول وخلفه، أدرج قبيل حربيل بجميع فروعه ضمن قبيلة إدْ براهيم، التي غدت تحت إدارة القائد الحاج أحمد التامنارتي، لذلك اختفى اسم حربيل من الظهائر والرسائل

المخزنية. غير أن نفوذ القائد التامنارتي الحقيقي قلما تجاوز أكَرض ونواحيها.

بعد هذه المرحلة، ما بين سنوات 1346 ـ 1348 / 1928 ـ 1930 ذكر دولا شابيل أن قرى أيت حربيل دخلت في إطار محميي إدْ براهيم ومجاط وأيت أمريبط مما يعطي فكرة عن تراجع نفوذ وقوة القبيلة. لكنها لم تنسحب كليا من مسرح الأحداث بالمنطقة، بل كانت متورطة في أحداث عصبية ما بين سنتي 1347 و1352 حول قضية "تِمْگدِّشْت" (التفاصيل في *المعسول*، 19 : 399 وما بعدها).

أما عن مرحلة الحماية الفرنسية، فمراكز الاستعلامات بكل من أقا وفم الحصن وعلى وادي صياد (أسيف أونْگمار) كانت تراقب تحركات الحربيليين، وأذكت نزاعاتهم مع الجيران، وعملت كذلك على تقوية جانب التحگاتيين في "قضية إيشت". بهذه الطرق تمكنت الجيوش الفرنسية من عزل فروع القبيلة بعضها عن بعض وخنقها اقتصاديا، وتفكيكها من الداخل مما فسح المجال بعد احتلال مركز أيت وابْلّي، لاحتلال كل المنطقة سنة 1352 / 1934.

خلال هذه المرحلة، حوفظ على التسيير الإداري المعمول به مع تغييرات شكلية منها إشراف القبطان الفرنسي بمركز فم الحصن على قصبة نايت حربيل ومجموع تامنارت مع إدخال الفروع الأخرى في إيالة أيت إينُوس وادْ براهيم. منذ أواسط الأربعينات من هذا القرن، شاركت شخصيات في تنشيط حركة المقاومة السرية ثم العسكرية بالمنطقة.

وعن مكونات قبيل حربيل السكانية، فإن موقعها الاستراتيجي بجبل باني وبالأطلس الصغير سمح بدمج وانصهار عناصر مختلفة ومتداخلة، ويلاحظ أن بنية السكان، عرفت تجدداً استمر إلى عهود قريبة جداً.

أما فيما يتعلق بنمط العيش السائد فثمة مزج بين النجعة والاستقرار، غير أن تراجع منسوب المياه بشكل خطير والحصار المضروب على الرحل وأنصاف الرحل غداة دخول الحماية المنطقة، سببا ـ بدون شك ـ خللا في التوازن بين النمطين، نتج عنه تراجع في مستوى العيش، لذلك مافتئت فروع من القبيلة تبحث عن حماة جدد.

ومن ناحية أخرى، انحصرت الفلاحة المسقية في قرى محدودة : أداي، تيمولاي، القصبة ... بينما انتشر الرعي وتربية الإبل والغنم في أغلب المجالات الأخرى.

كما استفادت قلة قليلة من التجارة الصحراوية والسودانية، لكن احتلال الصحراء وتحويل التجارة الدولية جعل التجار يقتصرون على أسواق محلية : تاغجيجت، تيمولاي، أداي، القصبة ... الخ.

على صعيد آخر، بالرغم من ظروف المنطقة السياسية والبيئية، نشطت الحركة العلمية في مدارس مشهورة في قرى حربيل مثل : القصبة وأداي. ونشطت كذلك الحركة الصوفية بالخصوص في زاوية الشيخ علي بن أحمد الإلغي (ت. 113 هـ) التي كانت تعتمد في مواردها على صدقات الحربيليين السّاموگنْيِّين.

كما كانت حربيل باتفاق مع قبائل منافسة حول المجال: مجاط وبعقيلة، تُغرّم كل من اقترف جرماً في حرام زاوية دّوگادير، وهي نفس الزاوية المذكورة آنفا ومقرها قبيلة أيت عبد أوسعيد بتازروالت. ومن المثير للانتباه أن علماء حربيلة قلما يعتمدون نسبا حربيليا، لذلك صعب ـ علينا الآن ـ استقصاء الأعلام المشهورة.

**حربيل** (قصبة نايت –) تقع على الضفة اليمنى لوادي تامنارت على كيلو مترين ونيف من قرية أگرض بتامنارت. ولا نعرف تاريخ بناء القصبة بالتحديد. هل كان زمن انتقال الحربيليين من الصحراء إلى سوس عند منتصف القرن الثامن (14 م) ؟ أم أن التأسيس كان على يد الحربيليين الذين استقروا بالأطلس الصغير، وقد يكون انتقل منهم فرع إلى القصبة ؟

كيفما كان الجواب، فالثابت أن ظهور القصبة على مسرح الأحداث بالمنطقة بشكل مكثف كان أثناء بداية توتر العلاقة مع الجيران الكثيريين، حسبما ذكرناه آنفاً.

ونشير إلى وجود أطلال قلعة منيعة فوق ربوة تشرف على قرية أگرض مقر القيادة الكثيرية، يطلق عليها اسم تَگاديرْت ومعناه القصَبة الصغيرة، بنيت بالحجارة واللَّبن، يخترقها خندق سري وبجواره نطفية للتزود بالماء أثناء الحصار. تحتوي البناية كذلك على أبراج للمراقبة، لاتفارقها ليل نهار كتيبة من الحراس الحربيليين تربو على خمسة عشر حارسا حتى دهمت جيوش الاحتلال الفرنسي القصبة أواخر سنة 1352 / 1933.

لقد كان موقع القصبة مؤهلا لمراقبة بسيط تغْزّارين الذي استغله مالكوه الكثيريون خلال القرن الحادي عشر (17 م) لزراعة الحبوب وفق تقنيات مقتبسة من الإيلغيين. ولمراقبة جنان عين تيمِّلْت الذي يحاذي الربوة يساراً ويزود أگرض بما يلزمها من ثمار النخيل ومزروعات مسقية. لذلك مافتئت قصبة نايت حربيل تُلحق من حين لآخر أضراراً بهذا الجنان مما حذا بالكثيريين إلى تسويره.

فيما يتعلق بإمكانيات القصبة البشرية فقد قدر الرحالة الفرنسي شارل دو فوكو دُورها سنة 1301 / 1883 بمائتي دار، وهو يعادل نفس عدد دور قرية أگرض. وهما بذلك يمثلان أكبر تجمعين سكنيين بمجموع واحة تامنارت مقارنة بقريتي : إغير ولولن وإيگواز.

ومن اللافت للانتباه أن هذا العدد تقلص كثيراً، إذ بلغ مائة كانون فقط حين زار المختار السوسي القصبة سنة 1362 / 1943، ولعل مرد ذلك تراجع منسوب العين التي تغيض من حين لآخر والتي كانت تزخر ماء ـ فيما مضى ـ وكلما نضب الماء استعان السكان بعين إيغيرولولن. لقد سمح موقع القصبة في مجال انتقالي بين المناطق شبه الصحراوية

(الأطلس الصغير وبداية مجال باني) والمناطق الصحراوية، بتعدد أصول ساكنتها كما هو الحال بالنسبة للقرى المجاورة. ولكن ما يميزها أن فئة الحراطين قليلة بها مقارنة مع نسبة البيض.

سمح الموقع كذلك بتجدد بنية السكان نظراً لمرونة تقبل الدخيل؛ كان المرابطون حفدة الشيخ محند أُبراهيم التامنارتي المطرودون من قرية أگرض إثر تورطهم مع الخصوم الحربيليين، أهم الدخلاء. وهم يتكونون من فئتين: التحقت الأولى بالقصبة واستقرت بوسطها بصفة نهائية سنة 1110 / 1706 ورجعت الثانية إلى أگرض سنة 1140 / 1727 بتدخل من الشيخ الصالح الحسين الشرحبيلي ثم ما فتئت أن فارقته سنة 1256 / 40 ـ 1841 لتستقر بأطراف القصبة.

أصلح هؤلاء مسجداً من المسجدين المعروفين في القصبة خُصص لدراسة القرآن فقط. لذلك رحلت نخبة منهم إلى المدارس السوسية الأخرى لإتمام التعلم، وبعد التخرج شارط المؤهلون منهم في مدارس علمية مشهورة كمدرسة تانكّرْت بإفران، وعلى رأسهم الفقيه الصوفي محمد بن إبراهيم بن أحمد مفتي ومقدم الطريقة الدرقاوية بالمنطقة.

لعل ظروف الصراع مع الجيران حال دون التفرغ للعلم؛ إذ أقبل سواد المرابطين القصبيين على الخوض في مجاذبة رؤساء أگرض التامنارتيين، بل منهم من أقبل على الخوض في السياسة والرئاسة. فقد كان عبد السلام بن محمد بن عبد الرحمان رئيساً بعد منتصف القرن الثالث عشر (19م) على أهله إلى أن شاخ فخلفه ولده الطاهر. أما الحفيد الهاشم القصبي فقد كان قائداً على إيالة تشمل قرى القصبة إيغيرولُولْن وإيگواز في عهد الاحتلال الفرنسي. كما كان عبد الرحمان بن عبد الله على رأس القصبيين الذين ساندوا شيخ أيت وابلي: محمد أزنْكض في نزاعه مع قائد أقا الحسن بن إبراهيم بن بلعيد الذي اعتمد على عتاد جيوش الاحتلال الفرنسي. وقد مهد هذا النزاع الطريق لاحتلال القصبة يوم الأحد 16 ذي القعدة سنة 1352 / 4 مارس 1934. وسجن عبد الرحمان بن عبد الله بتارودانت عاما ونصفا ثم أمضى نصف عام في سجن گلميم ليخلى سبيله بعد ذلك.

قبل أن يتأثر المرابطون بالسلطتين السياسية والعلمية، عرفت قيادة محلية اعترف بها المخزن العلوي على عهد السلطان المولى إسماعيل، غير أننا لم نتمكن لحد الآن من تحديد قائمة هؤلاء القواد، وقد اكتفى المختار السوسي بذكر شخصين يحملان اسم الحسن الحربيلي. ودخلت القصبة في عهد السلطان الحسن الأول في إيالة الكثيرين كما رأينا آنفاً.

م. الإگراري، *روضة الأفنان*، تح. حمدي أنوش، بحث لنيل د. د. ع؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط، كلية الآداب ـ بالرباط؛ إبراهيم الحساني، *ديوان قبائل سوس*، تح أفا عمر، نشر دراسات ع 1، 1987 أگادير؛ علي بن محمد، الدوماني، *روضة التحقيق في فضائل آل الصديق*، مخطوط؛ م. المختار السوسي، *إيليغ قديما وحديثا*، 1966، صفحات 234 ـ 238 ـ 240 ـ 304؛ *خلال جزولة*، 25 ـ 35؛ *المعسول*، 1960 ـ 1963، 1: 27 ـ 42 ـ 43 ـ 122 ـ 123 ـ 132 ـ 197؛ 2: 160 ـ 161؛ 3: 102 ـ 119 ـ 141 ـ 205 ـ 399؛ 5: 145 ـ 146؛ 7: 52 ـ 68 ـ 18 ـ 42؛ 9: 117؛ 10: 160؛ 19: 250 ـ 264؛ 20: 232 ـ وما بعدها؛ *معلمة المغرب*، مواد مختلفة، صفحات 290 ـ 1127 ـ 1129 ـ 1995 ـ 1997.

P. Albert, *Les tribus du Sahel Atlantique : Sous - Tazeroualt - Dra - Oued Noun - Segueit et Hamra*, Paris, 1906 ; P. de Cenival et F. de Lachapelle, *Possessions Espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique, Hesp.*, 1935, 2 - 4 trim ; A. Le Chatelier, *Tribus du Sud Ouest marocain*, Paris, 1891 ; J. Chaumeil, *Histoire d'une tribu maraboutique de l'anti-Atlas - Les Aït Abdellah ou Saïd, Hesp.* 1952, 1er trim., T. 39 ; Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc 1883 - 1884*, Paris, 1888 ; L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au* XVIe S., Paris 1933 ; F. de Lachapelle, *Les Tekna du Sud marocain. B.C.A.F.M.*, 1933 - 1934 ; D. Jacques Meunié, *Le Maroc Saharien*, Paris, 1982 (index) ; *Cartes des tribus du Maroc 1 /100.000* (1934), *Foum El Hassane 1 / 100.000* (1968).

**الحربيلي، محمد** بن **أحمد التهالي** شيخ صوفي كبير الشأن، له شهرة في عصره ونسبت له كرامات، نزل بقرية أگرض أوسول من تَجْگالت التي كانت في إيالة تاهالا وغدت من إيالة إيَغشَّان فيما بعد.

توفي في ربيع الثاني من سنة 1020 / يونيه ـ يوليوز 1611 ودفن بإيسي عند مشهد سيدي بلقاسم الفلالي.

م. الحضيكي، *طبقات الحضيكي*، تح أحمد بومزگو، بحث لنيل د. د. ع الرباط، 1994، الترجمة 345؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في سوس*، 1989، ص 54 الترجمة 13؛ *المعسول*، 3: 5 ـ 6؛ داوود بن علي الگرامي، *بشارة الزائرين*، مخطوط، خزانة الإگراري؛ *وفيات الرسموكي*، تح. السوسي محمد المختار، الرباط، 1988.

شفيق الرفاگ

**حَرْتوكة**، جنس أسماك بحرية من الغضروفيات Chondrychtyens ومن فصيلة Pleurotremata السيليوغيندي Scyliorhinidae التي تضم سبعة أنواع في العالم كثيرة الشبه بسمك القرش في حجمها وتختلف عنه في ثوبه المبرقع بعدة بقع بنية. الاسم شائع في أسواق الأسماك المغربية ويعرف في الشرق العربي بكلب البحر المبرقع والكوسج، والغراء هو اسمه في المعاجم وفي اللسان العربي.

تتميز الأنواع بوجود خمس فتحات خيشومية منفصلة على كل جانب خلف الرأس بعكس الأسماك العظيمة التي تتوفر على فتحة واحدة. اثنتان من الفتحات موجودتان فوق الزعنفة الصدرية، وتميز هذه الصفة أنواع هذه العشيرة من أنواع سمك القرش.

يتكون الهيكل من مادة غضروفية Cartilage تتحول عند غليها في الماء إلى مادة مرنة تشبه الجيلاتين. تتصلب بعض أجزاء الهيكل بالتشبع بأملاح الكالسيوم. الجمجمة عبارة عن علبة غضروفية يلتصق بها الفك الأسفل بواسطة أربطة عضلية بسيطة. الجلد مسنن بنتوءات صلبة وخشن جداً. الفم موجود في الجهة البطنية بداخله أسنان صغيرة مرتبة في عدة صفوف متوازية واحدة خلف الأخرى والصف الأمامي كثير الاستعمال. تتجدد الأسنان في حالة كسرها أو إسقاطها، كلها حادة ومخروطية الشكل وليست قوية جداً، تستعمل للإمساك بالفريسة حتى يتم ابتلاعها برمتها وليس لتقطيعها. العينان بيضاويتا الشكل وكبيرتان. الزعنفتان الظهريتان متساويتان ومنحنيتان إلى الوراء.

تعيش الأنواع غير بعيدة عن قاع البحر وذلك في أعماق تتراوح بين خمسة وعشرين وخمسمائة متر. لا تحسن السباحة مما يجعلها لا تقطع مسافات طويلة وتقتات من الإربيان والأخطبوط والحبار والأسماك الصغيرة الحجم. تستعمل الأنواع المصطادة من طرف السفن في أعالي البحار في صناعة دقيق الأسماك. تعرض الأنواع المصطادة من طرف الزوارق الصغيرة في الأسواق للاستهلاك.

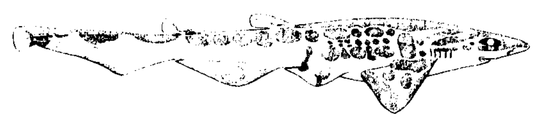

تعيش في السواحل المغربية أربعة أنواع من حرتوكة :

- حرتوكة الكبيرة وتعرف بحرتوكة في جميع الموانئ المغربية عدا طنجة فتسمى القطة "الكّطة" تسمى علميا Scyliorhinus stellaris وبالفرنسية Grande Roussette وبالأنجليزية Nursehound وبالإسبانية Alitán.

يتميز هذا النوع بطول يتراوح ما بين 150 - 190 سم، وشائع بين 40 - 55 سم. الفم صغير دائري، الظهر بني فاتح، البطن أبيض، الجوانب والزعانف مبرقعة بعدة نقط مختلفة الشكل بنية داكنة وبيضاء. الزعنفتان الذنبية والشرجية محفوفتان بالسواد.

يعيش في الأعماق الصخرية والمرجانية التي لا تتعدى 400 متر. يلد البيض طول السنة وبكثرة في فصل الربيع والصيف. تضع الأنثى في كل مرة بيضتين داخل كبسولة صغيرة تلتصق بالأعشاب وتخرج الصغار من البيض بعد 9 أشهر لا يتعدى طولها 16 سم وتصبح بالغة عندما يبلغ طولها 75 - 80 سم. النوع موجود باستمرار في الأسواق السمكية المغربية وشائع في السواحل المتوسطية والأطلسية.

- حرتوكة الصغيرة كما هو شائع في الأسواق السمكية المغربية و"الكّطة" في طنجة. تسمى علميا Scyliorhinus canicula وبالفرنسية Petite Roussette وبالانجليزية Smallspotted catshark وبالاسبانية Pintarroja. لا يتعدى طول هذا النوع 100 سم وشائع بين 20 - 50 سم. الظهر بني فاتح، البطن مصْفر، الجوانب والزعانف مبرقعة بعدة نقط بنية داكنة وبيضاء. يعيش غير بعيد عن قاع البحر في أعماق تتراوح بين 50 - 150 سم وخاصة منها الغنية بالرمال والوحل. تلد الأنثى بيضتين في كل مرة (96 - 115 بيضة في السنة) وذلك منذ نونبر إلى يوليوز. تخرج الصغار من البيض بعد 5 - 11 شهراً بطول لا يفوق 10 سم، وتصير بالغة عندما يصل طولها إلى 35 - 45 سم. تتغذى من الإربيان والسرطانات والرخويات والأسماك الصغيرة. صيد هذا النوع شبه صناعي وتقليدي وهو موجود باستمرار في الأسواق السمكية وشائع في السواحل المتوسطية والأطلسية.

- حرتوكة سوداء الفم تسمى علميا Galeus melastomus وبالفرنسية Chien Espagnol وبالانجليزية Blackmouth Catshark وبالاسبانية Pintarroja bocanegra. لا يتعدى طولها 90 سم وشائع بين 10 - 50 سم. تعيش في أعماق لا تتعدى ألف متر. تلد الأنثى البيض داخل كبسولة تلتصق بالأحجار والأعشاب. وهي شائعة في السواحل المتوسطية والأطلسية وموجودة باستمرار في أسواق الأسماك.

ينحصر التوزيع الجغرافي لنوع Galeus atlanticus على السواحل المتوسطية الجزائرية والمغربية والإسبانية، وكثيراً ما يصعب التمييز بينه وبين حرتوكة سوداء الفم لكثرة التشابه بينهما. لا يتعدى طولها 45 سم وتعيش في أعماق لا تتعدى 600 متر.

تستعمل جلود هذه الأسماك لإزالة خشونة الخامات الصلبة في المعادن وتلميعها، كما يمكن تصنيعه إلى جلود. تُستخدم زعانفه بعد تجفيفها بأشعة الشمس كغذاء عند الصينيين.

G. Bianchi, *Guide des ressources halieutiques de l'Atlantique marocain. Fiches F.A.O. d'identification des espèces de la pêche*. Rome, 1984 ; W. Fisher, M. Schneider et M.L. Bouchot, *Mediterranée et Mer Noire, Fiches FAO d'identification pour les besoins de la pêche*, Rome, 1987.

محمد رمضاني

**الحرث بالمغرب** في العصر الوسيط استمر تقليدياً بالطريقة التي كانت قبله، غير أن العملية أصبحت لها قدسية وتتم وفق طقوس مصطبغة بصبغة دينية من استخارة وطهارة وأداء الفرائض وتوزيع الصدقات على الفقراء قبل بدء عملية الحرث وأثناءه، وتشوبها بعض العادات القديمة والأساطير المرتبطة بالشعوذة وبالخرافات.

أساس الحرث "الزوجة" وهي مكونة من المحراث الخشبي أو الحديدي تجرّه بقرتان أو ثوران، وفي غالب الأحيان وخاصة في العصر الوسيط الأعلى والأوسط زوجان من الأبقار (أي أربعة من رؤوس البقر). ويمكن القول إن المحراث الخشبي بأجزائه المعروفة حتى اليوم في الفلاحة التقليدية المغربية هو نفسه المحراث التاريخي.

وقد كان المحراث بسكة من حديد وأحياناً بدونها. خاصة في مناطق التربة الرملية والهشة، أما التغيير الكبير الذي عرفته عملية الحرث فيتعلق (بالزوجة)، وهو تغيير يمكن اعتباره سلبياً في ذلك الوقت إذ استبدلت الأبقار والثيران في جر المحراث بالحمير، والإيجابي فيه هو ربط المحراث إلى صدورها ثم الجر، وقد كان المحراث من قبل يربط إلى قرون الأبقار على اعتبار أن قوة الأبقار والثيران في قرونها (1911 / 17e AM). وما يمكن أن نستنتجه من *معيار* الونشريسي في هذا الموضوع هو أن الأبقار المعدة للحرث والأشغال الفلاحية الأخرى قد قل عددها فأصبحت نادرة في العصر الوسيط الأدنى لعدة أسباب منها تعطل الإنتاج وتدهور النشاط الفلاحي عموماً بسبب الاضطرابات الاجتماعية والحروب، لذلك كثرت المنازعات حول الأبقار وإعارتها وحول الغش في عملية البيع والشراء (*المعيار*، ج. 6 و8).

وقبل أن يصبح الحرث بالدواب أمراً مألوفاً مرّ بفترة انتقالية كانت (الزوجة) فيها تضم خليطاً من الثيران أو الأبقار والحمير والبغال والخيول، ولعل الحسن الوزان هو الذي أثارت انتباهه عملية الحرث بالحمير في إقليم حاحة فسجلها (*وصف افريقيا*، 1 : 77).

أثّر هذا التغيير في الزوجة على المردودية، فالأبقار أصلح لعملية الحرث من غيرها، فهي تجر المحراث بقوة وعمق وبطء، ولها فوائد عديدة أكثر من غيرها، إلى جانب القيام بالحرث، وإن التحكم فيها أثناء الحرث أسهل (*L'agriculture à travers les âges*, t. 3, p. 272)، ولعل انتشار العمل بالبقر في الفلاحة في حوض البحر المتوسط له ما يبرره في المناخ وطبيعة الأرض، وأيضاً لغلاء الدواب خاصة الخيول والبغال، والحاجة الماسة لها في الحروب والتنقل.

أما "سكة الحديد" فقد انتشر استعمالها في المحارث الخشبية منذ العهد الروماني وتوسع استعمالها أكثر في المغرب خلال العهد الموحدي بسبب ازدهار صناعة التعدين نسبيا. والحاجة إلى تطوير وسائل الانتاج ومنها المحراث الخشبي.

لكن المحراث الخشبي عاد للانتشار أكثر على هيئته القديمة دون سكة، ابتداءً من العهد المريني لعدة أسباب، منها : الاضطرابات السياسية والحروب المستمرة فتراجعت الزراعة والصناعة ومنها صناعة التعدين، وأيضاً نضوب مناجم الحديد السطحية السهلة الاستغلال. وابتداءً من العهد الوطاسي تركزت صناعة الحديد والحدادة في يد اليهود الذين يطوفون في مختلف الجهات لعرض خدماتهم ومصنوعاتهم، ومنها إصلاح المحاريث وتزويدها بسكك الحديد (*وصف افريقيا*، 1 : 83 - 95 - 110 - 121 - 129 - 146).

من الدارسين من جعل العبيد من وسائل العمل الفلاحي اعتماداً على بعض النوازل التي تحدثت عن العبيد والدواب للحرث، ونص النازلة "الحرث بالبقر والعبيد" (*المعيار*، 5 : 138) ومن الجائز في هذه المسألة أن يكون استخدام العبيد السود في الفلاحة منتشراً أكثر في الواحات جنوب وشرق جبال درن وأن استعمال (الزوجة) في هذه الواحات نادر إذ تقوم الزراعة هناك على شكل أحواض صغيرة المساحة، وقد يستخدم البشر هناك لجر المحاريث، ولا يقتصر الأمر على العبيد بل يشمل النساء والأطفال، وقد استخدمت النساء في عمل مماثل في المدرجات الجبلية حيث الرقعة الزراعية لا تتعدى بضعة أمتار.

تتم عملية الحرث في غالبية المناطق على مرحلتين :

- الأولى : عند نزول الأمطار الخريفية الأولى للقضاء على النباتات الطفيلية وتهيئ الأرض، وتعرف العملية "بالقليب"، وقد تكون مرة واحدة أو عدة مرات (الفلاحة النبطية).
- الثانية : في أوائل فصل الشتاء، يتم الحرث بعد زرع الحبوب وفق منازل محددة معروفة عند الفلاح، ويعرف الحرث المبكر بالبكري ؛ أو في بداية فصل الربيع بالمزوزي، وتتم عملية الزرع بنشر البذور على وجه الأرض خاصة الحبوب (الشعير والحنطة)، أما الذرة والقطاني فتوضع في الحفر أو الأثلام حبة حبة (*كتاب الفلاحة*).

تستغل الحقول وفق دورة ثنائية في الزراعة الخفيفة البورية، تقسم فيها الاستغلاليات إلى قسمين، يترك القسم الأول بدون حراثة أو قليباً للاستراحة، ويزرع القسم الثاني، ويتم التناوب بينهما في الموسم الموالي. أما في الزراعة المسقية فالعملية تتم في دورة ثلاثية تتبادل فيها الحبوب حسب المناطق، وقبل البذر يقوم الفلاح بتنقية الحقل المحروث وتكسير الطوب بواسطة مشط تجره البهائم أو يجره إنسان، وفي غالب الأحيان كانت النساء يقمن بتكسير الطوب وراء أزواجهن وهم يحرثون (*المقصد*، 141) أما الحقول المراد زراعتها خضراً أو غراستها بالأشجار المثمرة فتتم تسويتها بالحرث والمشط وقياس ميلها (بالمرجيقل) (مادة الميم ...Supplément) وتقسيمها إلى أحواض صغيرة متقاطعة بشكل هندسي حتى تتم عملية سقيها بسهولة.

اتخذت الزوجة في المغرب وفي حوض البحر المتوسط كوحدة لقياس مساحة الأراضي الزراعية، فعند F. Braudel أن معدل ما يحرثه زوج من الثيران في اليوم هو عشرة هكتارات، ومازالت هذه التقديرات مستعملة في البادية المغربية، إذ يقاس غنى الفلاحين بمدى المساحات المزروعة، وهذه تقاس بعدد أزواج حراثتها، فيقال مثلاً "فلان يحرث بخمسة أزواج" أي أن ما يحرثه في اليوم حسب القاعدة

المعروفة في البحر المتوسط هو 50 هكتاراً ويضرب هذا العدد في عدد أيام الحرث.

قال الحسن الوزان مستدلا على غنى سكان مدينة بولعوان "إنهم أغنياء جداً بحبوبهم وماشيتهم، لكل واحد من السكان مائة زوج من الثيران أو أقل أو أكثر ..." (*وصف إفريقيا*، 1 : 123).

أ. الونشريسي، *المعيار*، فاس 1315 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط 1980 ؛ أبو خير الأندلسي، *كتاب الفلاحة*، فاس 1357 ؛ ابن وحشية، *كتاب الفلاحة النبطية*، فرانكفورت، ألمانيا 1984 ؛ ع. البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط 1982 ؛ محمد الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، بحث مرقون، كلية الآداب الرباط 1988.

Dozy, *Suppléments aux dictionnaires arabes*. Leyde, Paris 1927 ; Roger Grand, *L'agriculture à travers les âges*, Paris, 1950 ; *Archives marocaines*, Vol. 17, 1911.

محمد حجاج الطويل

**الحرّاق**، أسرة شريفة عَلَمية من ذرية موسى بن مشيش أخي الشيخ عبد السلام ابن مشيش الولي الشهير، مسقط رأسها الأول قبيلة بني عروس (من إقليم العرائش الآن) ثم انتقل أفرادها إلى مدينة شفشاون ومنها إلى تطوان وغيرها.

ومن الجدير بالذكر أن هناك عائلتين تحملان هذا الاسم وليستا منها، إحداهما من قبيلة أهل سريف قرب مدينة القصر الكبير استوطنت تطوان مؤخراً. والأخرى بقبيلة بني حُزمار قرب تطوان استوطنت تطوان قديما تنتسب إلى الشرف ولكنها نوزعت فيه.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج. 3 حرف ح، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، حرف ح، نسخة المؤلف بخطه بخزانة بتطوان.

محمد بوخبزة

**الحرّاق، أحمد** بن **عبد السلام** بن الطاهر العلمي السريفي. وُلد بمدشر الصفصاف على الضفة اليمنى لوادي المخازن في منتصف القرن الثالث عشر (19 م) وتعلم على أبيه الذي كان من علماء المنطقة بقبيلة آل سريف، والذي كان يزوره بعض العلماء من فاس، ثم ذهب المترجم إلى فاس لاستكمال دراسته، وهناك أخذ عن الشيخ عبد الهادي ابن أحمد الصقلي ومحمد بن التهامي الوزاني ومحمد بن جعفر الكتاني ومحمد گنون وأضرابهم.

كان أحمد الحراق عالماً مشاركاً وأستاذاً مقرئاً عارفاً بالروايات ذا سند فيها، لذلك عينه السلطان الحسن الأول لتعليم أبنائه، ومنهم الأمير عمر بن الحسن الذي تخرج على يديه وظل يكنّ له التقدير والاحترام. وقد سماه السلطان عبد العزيز قاضياً بجبل العلم ونواحيه، ثم أقره على ذلك السلطان عبد الحفيظ. ومن تآليف أحمد الحراق، *تحفة الأبرار في التعريف بالشيوخ والسادات الأخيار*، وهي فهرسة ألفها لتلميذه الأمير عمر بن الحسن العلوي.

وفي 4 جمادى الثانية 1331 / 11 ماي 1913 انعقد مؤتمر عام للمجاهدين أطلق عليه "مؤتمر عين دالية"، حضره ممثلو القبائل، منهم : الفقيه أحمد بن عبد السلام الحراق الذي مثل قبيلة آل سريف. ثم اتصل بأحمد الريسوني وأصبح كاتبا له. وكان يقوم بالوعظ والإرشاد، والحث على الجهاد. وشارك في عدة معارك أهمها معركة ركيبة الحياي، والقليعة، وتاركونت، والربطة، وبني اسفار، وبوجديان، وجزولة.

ولما ظهر ابن عبد الكريم الريفي وتغلبت سلطته على القبائل الريفية وبعض الجبلية، ذهب إليه الأستاذ أحمد الحراق فتلقاه ابن عبد الكريم بالترحيب وبالغ في إكرامه وأمده بأسلحة فائقة هو وأنجاله ...

توفي أحمد الحراق قتيلاً حينما وقع له خلاف مع محمد ابن عبد الكريم الخطابي هو وابنه محمد وزوجته الثانية الشريفة الريسونية التي توفيت بعد مقتله بعد عشرة أيام نتيجة هول الحادثة، ودفن بمقبرة حومة ريف الغابة في صيف 1344 / 1925.

ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، تح. احسان عباس، 1 : 285 - 286 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 1 : 145 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 294 ؛ العياشي المريني، *صور من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة*، ج. 1 ص. 55 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، ج. 1 ص. 88 والملاحظ أن المؤلف أخطأ فسماه محمد عوض أحمد ؛ م. ابن خليفة، *القصر الكبير، أعلام*، ص. 44 - 46 ؛ *وثيقة عدلية*، مؤرخة في ثامن صفر عام 1357 عند حفدة المترجم ؛ مجلة *دار النيابة*، العدد 8 سنة 1983، ص. 33 - 36.

محمد أخريف

**الحرّاق، محمد** بن **محمد** بن عبد الواحد العلمي الموسوي، الشيخ الصوفي الشهير العلامة الفقيه الأديب الشاعر شيخ الطريقة المنسوبة إليه المنتشرة في بعض جهات المغرب، انتقل أجداده من قبيلة بني عروس إلى شفشاون، وبها وُلد عام 1186 / 1772 وأخذ مبادئ العلوم فيها، ثم سافر إلى فاس فأخذ عن علمائها ورجع منها إلى تطوان فاستوطنها وتعاطى بها الإمامة والخطابة والفتوى والتدريس. لكن بعْض منافسيه من أقرانه حسدوه فدبروا له مكيدة مستعينين ببعض سكان حي العيون حيث المسجد الذي كان يخطب به، انتهت بعزله عن جميع الوظائف، فتغير مزاجه، وفسد دمه، ومرض مرضاً أشرف منه على الهلاك، أنشأ فيه قصيدته الهمزية يتوسل فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم مستشفيا، وبعد إبلاله من المرض تصوّف، وذهب إلى الشيخ العربي الدرقاوي بقبيلة بني زروال وأخذ عنه سنة 1228، فرضيه الشيخ وأذن له في إعطاء الورد والدعوة إلى الطريق في حكاية طويلة.

عاد الشيخ الحراق إلى تطوان، وتصدر للتلقين والتربية، فأقبل الناس عليه بالرغم من عداء الفقهاء له. كان رقيق الطبع شاعراً متفننا زجالا، عازفا على العود، حافظا لأزجال الموسيقى الأندلسية وصنائعها. يأخذ بعض ما يروقه من مقطعاتها وتواشيحها فيعارضه بمثله في نفس صوفي. ويستعملها بالعزف. كما نظم أزجالا رقيقة مازالت تستعمل (براول) في طرب الآلة إلى الآن، من ذلك صنعة:

الصبحْ كشْرِفْ يَرخِي ذيلْ ازَارُو ولَبَسْ مَن الديباجْ اغْفَارا

فنسج الشيخ على منواله قوله في غرض صوفي :

صَافِي الحبيبْ تظفرْ ببديعْ انوارُو وتحوزْ مَنْ بَهاهْ إمــــارا

وقوله :

جاد الزمانْ واستبشَرْ قلبْ الهايْمْ وتحلى بَالسعدْ حينْ صابْ امْناهْ

وكان يعمد إلى قصائد ابن الفارض وأزجال الششتري فينسج على منوالها وهي كثيرة تعرف بمراجعة دواوينه الثلاثة وهي مطبوعة.

يعتبر الشيخ الحراق ممن أحسنوا التعبير والإفصاح عن الاتحاد ووحدة الوجود، فشعره طافح بشرح ذلك وتقريبه، ولا يوجد في متأخري الصوفية مَن يدانيه في ذلك. وله مؤلفات صغيرة، منها : *تعليقه على المشيشية وحكم ابن عطاء الله* وغيرها ؛ و*رسائل* كثيرة كتبها لمريديه على عادة الشيوخ، جمعها تلميذه الشيخ محمد بن العربي الدلائي الرباطي في كتابه *النور اللامع البراق في التعريف بالشيخ الحراق*، توجد نسخه المخطوطة بتطوان : رقم 44، وخزانة الرباط، رقم : 960. وللشيخ عبد القادر الورديغي الشفشاوني تلميذ الدلائي كتاب *بغية المشتاق*، طبع بمصر، نقل فيه كثيراً من رسائله وأشعاره. وللشيخ *تائية طويلة* أودعها أفكاره وأذواقه وأشار إلى مقامه في السلوك الصوفي، اشتهرت بالمغرب وغيره. شرحها تلميذه الشيخ المكي ابن سودة الفاسي، وشرحه مطبوع على الحجر بفاس، وشرحها أيضاً تلميذ تلميذه هذا ابن القاضي العباسي شرحاً أطول وأوفى سماه *مجلى الآماق وإثمد الأحداق*، يوجد مخطوطاً بالخزانة الحسنية 11478. كما جمع ابن القاضي هذا *نوازل وفتاوي* الشيخ الحراق في جزء وتتبع *تعاليقه وطرره على شرح الحطاب لمختصر خليل* في جزء، يوجدان بخزانة تطوان ضمن مجموع، وتحدث التهامي الوزاني التطواني في مذكراته الصوفية المسماة : *الزاوية* عن تقاليد الزاوية الحراقية بتطوان وأخبار الطريقة وشيخها ومريديه بما لا يوجد في غيرها.

توفي الشيخ الحراق بتطوان في 21 شعبان عام 1261 / 25 غشت 1845 م ودفن بزاويته الشهيرة قرب باب المقابر.

م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 342 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 142 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 6 : 289 ؛ ت. الوزاني، *الزاوية*، الكتاب كله ؛ م. بن العربي الدلائي، *النور اللامع البراق*، مخطوط؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 7 : 4673 ؛ المهدي الدليرو، *مجلة الحديقة التطوانية*، سنة 1 عدد 2 ؛ م. الحراق، *الديوان*، مطبوع عل الحجر بفاس، وعلى الحروف بتونس ؛ عبد القادر الورديغي، *بغية المشتاق*، طبع على هامش *سعد الشموس والأقمار* لنفس المؤلف، بمصر، النصف الثاني كله من الكتاب.

محمد بوخبزة

**الحرَّالي، علي** بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي المراكشي، الأندلسي المرسي، كنيته أبو الحسن. ورد اسمه بالنون (الحراني) في *النجوم الزاهرة* (ص. 317) و*لسان الميزان* (4 : 304) و*ميزان الاعتدال* (3 : 114) وهو غير صحيح، فانتسابه ثابت لحرَّالة قرية قرب مُرسية، وهي قبيلة بربرية سمي البلد بها، ولام الكلمة مشدد حسب *القاموس*، ومهمل في *التاج* حسب ما جاء عند الجوهري والصاغاني وأكثر أهل اللغة.

ولد الحرالي بمدينة مراكش ولم تذكر المصادر تاريخ ميلاده، وبها نشأ ودرس على مجموعة من العلماء، وكانت المدينة آنذاك العاصمة العلمية للغرب الإسلامي كله. والمرجح أن يكون ذلك قد تم في آخر عهد يوسف الموحدي وبداية حكم ابنه يعقوب المنصور. ومن الذين أخذ عنهم أبو الحجاج يوسف بن نهوي حسب ما جاء في *نيل الابتهاج* (ص. 201) أو ابن هوى حسب ما أورده صاحب *عنوان الدراية* (ص. 143)، ويعتقد محقق الكتاب أن المقصود هو يوسف بن محمد البلوي المؤلف المشهور.

كانت للحرالي رحلات وجولات عديدة : فقد ذهب إلى الأندلس وأخذ بها عن أبي الحسن بن خروف وابن القطان وابن الكتاني. وحج فأخذ عن أبي عبد الله القرطبي إمام الحرم الشريف، ودخل مصر فأقام ببلبيس مدة، ثم سكن طرابلس، وانتهى به المطاف بحماة الشام، ولقى جلة من المشايخ شرقاً وغرباً.

وجاء في *طبقات المفسرين* للداوودي 1 : 392، وفي *طبقات المفسرين* للسيوطي، 65 : (وجال في البلاد وشارك في عدة فنون). هذه الجولات ولقاءات العلماء مكنته من أن يكوِّن نفسه تكوينا علميا متينا وأن ينبغ ويتفوق في عدد من العلوم، وهي الملاحظة التي يلاحظها كل مطلع على المصادر التي ترجمت له وأجمعت على ذلك.

وملخص ما يمكن أن يقال عن علمه حسب تعبير المصادر أنه إذا تكلم في علم، يعتقد المرء أنه لا يعرف غيره، وما من علم إلا وله فيه تصنيف وتأليف، إلا أن ما يستوقف المُراجِع لهذه التراجم قولها بأنه كان لا يفتقر إلى مطالعة أو مراجعة شيء لإحاطته وتحصيله، وجميع ما صنفه من الكتب ما كان يراجع فيه كتابا ولا يطالع فيه سوى مجرد فكره وتسديد نظره (*عنوان الدراية والأعلام*).

وهذا التقدير لقيه المؤلف في عصره وبعده، فقد كان شرف الدين البارزي قاضي حماة يعظمه، وكان مجد الدين التونسي يتغالى في تعظيم مؤلفاته. إلا أن علماء آخرين ناقشوا كتبه ودخلوا معه في حوار، وخاصة عز الدين بن

عبد السلام الذي لم يقبل قوله بمخالفة *التهذيب للمدونة*، وهو الأمر الذي جعل بعض فقهاء عصره يتهمونه بعدم معرفة المذهب لاشتغاله بالمعقولات *نفح الطيب* (2 : 188) *طبقات الداوودي وطبقات السيوطي*.

وإلى جانب التوقيت الذي تولى أمره بجامع الملك المؤيد برّز الحرّلي في التدريس، فإنه كان يقرئ أحد عشر علما، منها : التفسير والفقه وأصوله والتصوف. ومن الكتب التي درسها : كتاب *النجاة* لابن سينا، وكتاب *التهذيب والمدونة*.

ومن أشهر تلامذته : محمد بن علي بن العابد الأنصاري الفاسي والقاضي أبو فارس بن كحيلا. والبوني صاحب شمس *المعارف*، ويحيى بن زكريا القرشي، وعبد المنعم بن محمد الجزائري، وعبد الحق بن ربيع، وعبد العزيز بن عمر بن مخلوف، ومحمد بن الحسن التميمي القلعي المسمى بالأديب ويحيى بن زكريا السطيفي.

ويبدو أن منهج الحرالي في التدريس والشرح والتحليل كان مخالفا لمنهج معاصريه، لذا كان إما محل تقدير وإكبار، أو محل اعتراض واستنكار، فقد أقام في تدريس الفاتحة نحوا من ستة أشهر يلقي في التعليل قوانين تتنزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام (*نفح الطيب*، 2 : 188). وقد سبقت الإشارة إلى منهجه الفريد في المقارنة بين *التهذيب والمدونة*. أما كتاب *النجاة* لابن سينا فكان ينقضه عروة عروة بعد أن يوضح منه ما يليق، ويقرره بأحسن طريق (*عنوان الدراية*، ص. 144) وقيل عنه في مجمل دروسه : "كان من العجائب في جودة الذهن واستخراج الحقائق (*تاج العروس*، 7 : 377).

وقد عرف الحرالي بالورع والصلاح والزهد في الدنيا، والصبر على الشدائد وأذى الناس، وأعطت المصادر نماذج من حلمه وصبره سواء على المسيئين له من عامة الناس أو من أهل بيته، فقد كانت زوجته تسيء معاملته وكان يقابل تصرفها بالصبر والمجاراة. وكان معظما لأهل البيت محترما لهم معترفا بالاسترقاق لهم والعبودية، وإذا قدم عليه أحد من أهل البيت يقوم له من مجلسه (*عنوان الدراية*، ص. 147).

وكان صوفيا له حزب من تأليفه يلازمه بعد صلاة الصبح ولم يتخل عن ذلك حتى أثناء مرضه الذي مات به، ونصه وارد في *عنوان الدراية* (152 - 153)، وهو عبارة عن الاستغفار والهيللة والصلاة على النبي وتلاوة آيات من القرآن الكريم. وهو حزب لا يبدو من خلاله ما قيل عن صاحبه من أنه كان فلسفيّ التصوف، الشيء الذي جعل ابن تيمية يحطّ من كلامه ويقول : تصوفه على طريقة الفلاسفة (*طبقات المفسرين*، 1 : 392).

خلف الحرّالي عدداً من المؤلفات في موضوعات مختلفة، منها :

- *أسماء النبي* عليه السلام ؛ *إصلاح العمل لانتظار الأجل*، وفي تاج العروس (7 : 377) (لانقضاء الأجل) وفي *كشف الظنون* (2 : 1082) صلاح العمل ؛ *الإلماع بطرف من الانتفاع* (في علم الحروف) ؛ *الإيمان التام بالنبي عليه الصلاة والسلام*، ذكر صاحب *معجم المؤلفين* (7 : 13) أنه مخطوط ؛ *تفهيم معاني الحروف*، ذكر الزركلي في *الأعلام* (4 : 257) أنه مخطوط ؛ *السر المكتوم في مخاطبة النجوم* (في السحر) مطبوع، قيل إنه منحول عليه وليس من تأليفه ؛ *شرح الأسماء الحسنى* ؛ *شرح الشفا* ؛ *شرح الموطأ* ؛ *شمس مطالع القلوب وبدر طوالع الغيوب* (في سر الحرف). وقد أخذ عليه بعض معاصريه زعمه بأنه استخرج من علم الحروف وقت خروج الدجال، ووقت طلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج، ولعل زعمه ذلك هو السبب في طعن بعضهم في عقيدته ؛ *فتيا صلاح العمل لانتظار الأجل* (لعله مختصر الكتاب السابق الذكر) (*كشف الظنون*، 2 : 1241) ؛ *كتاب التوشية* ؛ *كتاب التوقية* ؛ *كتاب العروة*، ورد ذكره في *تاج العروس* (7 : 377) وهدية *العارفين* (1 : 707) ؛ *لمعة الأنوار وبركة الأعمار*، وفي هدية العارفين (لمحة الأنوار) ؛ *اللمعة في حل الكواكب السبعة* ؛ *المعقولات الأول* (في المنطق) ؛ *مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل*، وفي بعض المصادر : *مفتاح اللب المقفل* وهو أهم كتبه. قال عنه صاحب *نفح الطيب* (2 : 188) تفسير حسن، وعليه نسج البقاعي مناسباته، وذكر أنه وقف على جزء منه من أول القرآن الكريم إلى الآية 37 من سورة آل عمران ؛ *النصح العام لمن قال ربي الله ثم استقام*، مخطوط خ. ابن يوسف مراكش 139 / 1 ؛ *الوافي في علم الفرائض* ؛ وأورد له صاحب *عنوان الدراية* (ص. 155) نموذجين من نظمه يتصفان بالضعف والضحالة ينزع فيهما منزعا فلسفيا، وبيتين زجليين في وصف بستان.

اتفقت أغلب المصادر على أن وفاته كانت بحماة يوم 12 شعبان عام 637 / 13 مارس 1240 باستثناء الداودي في *طبقات المفسرين* نقلاً عن ابن الآبار، والغبريني في *عنوان الدراية* الذي حكى بتفصيل خبر موته ومرضه بالإسهال ومداومته على قراءة حزبه، وكان يقول لأصحابه إذا كان يوم 12 شعبان نسافر معكم، وعندما حل اليوم طلب منهم الحضور وتلاوة القرآن وإشعال الشموع، وكانت وفاته بعد صلاة عصر اليوم المذكور سنة 638 هـ.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ م. مرتضى الزبيدي، *تاج العروس* ؛ محمد بن علي الداوودي، *طبقات المفسرين*، بيروت، 1983 ؛ ج. السيوطي، *طبقات المفسرين* ؛ أ. الغبريني، *عنوان الدراية*، تح. عادل نويهض، بيروت ؛ حاجي خليفة، *كشف الظنون*، بيروت ؛ ابن حجر العسقلاني، *لسان الميزان*، بيروت، 1971 ؛ م. الذهبي، *ميزان الاعتدال*، تح. علي محمد البجاوي، القاهرة، 1963 ؛ يوسف بن تغرى بردي الاتابكي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، طبعة مصورة عن دار الكتب، مصر ؛ أ. المقري التلمساني، *نفح الطيب*، تح. احسان عباس، بيروت 1968 ؛ أ. بابا السوداني، *نيل*

*الابتهاج*، بيروت ؛ إسماعيل باشا البغدادي، *هدية العارفين*، اسطمبول، 1951 ؛ ع. كحالة، *معجم المؤلفين*، بيروت.

حسن جلاب

**الحرّان السعدي** (محمد -) هو ابن السلطان محمد الشيخ المهدي، الأمير الشجاع المقدام، كان العضد الأيمن لوالده طوال فترة تمهيده للدولة الناشئة سواء عند ما كان بالسوس الأقصى أو حين طلع إلى مراكش بعد أن نحّى أخاه الأكبر أحمد الأعرج.

كان مشايخ الصوفية المناصرون للسعديين يتجاوبون مع الحرّان، ومنهم الشيخ أبو الرواين دفين خارج مكناس الذي كان يناديه قبل أن يكون للأشراف السعديين ذكر بالمغرب قائلاً : "يا حرّان ! جئ فإني قد أعطيتك الغرب". ولم يكن الناس يفهمون كلامه. إلى أن ظهر الحرّان مع والده محمد الشيخ "فكان - يقول الإفراني - هو الذي يتقدم للحروب، ولم يُفتح لأبيه من البلاد إلا ما فُتح على يده".

ولما دخل محمد المهدي الشيخ إلى فاس عام 956 / 1549 ووحّد المغرب كله تحت سلطته، أراد أن يُبعد عنه خطر الأتراك الذي كانوا يحتلون الجزائر ويتربصون بالمغرب الدوائر، فهاجمهم بجيوش جرارة ترأسها هو وابناه محمد الحرّان وعبد القادر، وحاصر تلمسان تسعة أشهر إلى أن دخلها يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الأولى عام 957 / 9 يونيه 1550 بعد أن مات في حصارها ولده البكر محمد الحرّان.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. ع. گنون، ص 290 - 292 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، ص 27 - 28 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، ص 106 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 25 و37 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 45 - 46.

محمد حجي

**الحرّان العلوي**، هو ابن الشريف بن علي وأحد إخوة السلطان المولى إسماعيل. كان الأمير الحران مقيماً بتافيلالت مع عدد من إخوته. وفي سنة 1088 / 1677 قام بينه وبين أخيه حمادة صراع دفعه إلى طلب النجدة من السلطان، وكان آنذاك متوجهاً لقتال برابرة الأطلس من أتباع الدلائيين، فأبقى عليه بجانبه واستعمله بعض الوقت في هذا القتال، لكن الحران فر من محلة السلطان ليعود إلى الصحراء. وهناك دخل من جديد في الصراع مع إخوته، وهو ما أدّى إلى اعتقاله وتقديمه "مقيداً مغلولاً" إلى السلطان الذي أشفق عليه فأطلقه ومنحه خيلاً وأقطعه مدشراً بالصحراء يتعيش منه.

وفي السنة التالية خرج الحران مع بعض إخوته وبني عمه واستنصروا بقبائل أيت عطا، فنهض إليهم المولى إسماعيل والتقي بهم بجبل صاغرو، وكانت الوقعة عظيمة حيث هلك من رماة فاس، دون غيرهم، حوالي أربعمائة مقاتل. وانتهت المواجهة بهزيمة الحران وشيعته وفراره إلى الصحراء. وفي طريق رجوعه إلى الغرب اعترضت السلطان وجيشه عاصفة ثلجية بثنية الأگلاوي فهلك العديد من الجيش في هذه المحنة.

وفي سنة 1097 / 1687 قام الحران من جديد على أخيه السلطان وساند أحمد ابن محرز الذي قاد تمرداً ضد عمه لسنوات عديدة. وعندما حاصر ابن محرز مدينة تارودانت بدعم من الحران نهض إليهما السلطان وحاصرهما لمدة طويلة، وفي هذا الحصار قُتل أحمد بن محرز بعد فترة من العصيان دامت أربع عشرة سنة، وبقي الحران مُعتصماً بتارودانت شهوراً عديدة، وهلك في هذا الحصار ما يناهز ستمائة جندي. وفي سنة 1099 / 1689 اقتحم السلطان المدينة وأرغم الحران على الفرار باتجاه الصحراء. ولا يذكر له المؤرخون خبراً بعد ذلك.

أ. الزياتي، *البستان الظريف*، تح. رشيد الزاوية، القسم الأول، الرباط، 1992 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء السابع، الدار البيضاء، 1956.

محمد المنصور

**الحرّة**، لقب تشريف في المغرب لا يراد به مقابل الأمَة، وإنما توصف به الأميرات أمهات الملوك وزوجاتهم وبناتهم، منذ عهد المرابطين إلى العصر الحديث.

**الحرّة، حواء** بنت تاشفين أخي أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين لأمه، وزوج سير بن أبي بكر اللمتوني القائد الشهير ووالي إشبيلية. لم تذكر المصادر سنة ولادتها ولا تاريخ وفاتها ولا مراحل تعلمها غير أنها كانت تحفظ القرآن وتحصل جوانب مختلفة من العلوم الإسلامية والأدبية المتداولة في عصرها.

لم يكن المرابطون يجدون حرجا في ظهور زوجاتهم وبناتهم ومقابلتهن للناس وهن سافرات، فقد كانت زينب النفزاوية زوجة يوسف ابن تاشفين تدبّر شؤون الدولة من وراء ستار، وكذلك زوجة ابنه علي.

نشأت الحرة حواء في أحضان الحضارة المرابطية الأندلسية، ومن حولها الجواري يخدمنها. تستمع إلى الشعراء وتقرأ الشعر بكل حواسها. فنمت مداركها واتسعت آفاق معارفها. يقول ابن عذاري : "وكانت هذه الحرة حواء أديبة شاعرة جليلة ماهرة".

ويبدو أن دواعي هذا الشغف بالشعر والأدب التي قد تهيأت لها وتوافرت لديها جعلتها تستقطب أنظار الشعراء والأدباء كابن القصيرة وابن المرخي ومالك بن وهيب، فهب هؤلاء وأمثالهم إلى الحضور في مجالسها ومنتدياتها الشعرية التي كانت تعقدها، وتحاضرهم فيها في مراكش، ونقرأ في *البيان* ما يؤكد ذلك.

و هناك ملاحظة أخرى تتعلق بسكوت المصادر عن التاريخ الذي كانت الحرة حواء تحضر فيه هذه المحاضرات في مراكش. أكان ذلك قبل انتقالها إلى إشبيلية رفقة زوجها سير بن أبي بكر أم بعد وفاته سنة 507 / 1113 وعودتها إلى المغرب ؟ وليس واضحاً كذلك سبب وجودها بأغمات. فمن المرجح أن رحلتها إلى هذه المدينة كانت بسبب إشراف زوجها على نفي المعتمد بن عباد وسجنه هناك. وكان هذا الأمير السجين، قد طلب من الحرة خباء فلم تلب طلبه. ونقرأ في *نفح الطيب* شعراً للمعتمد في هذا الموضوع.

ومهما يكن من أمر فإن ولع الحرة حواء بالأدب والشعر استمر أو زاد بعد انتقالها واستقرارها بإشبيلية صحبة زوجها. وكانت هذه الحضرة قد أصبحت أبرز موطن للإشعاع الفكري بالأندلس. ومن شعر الأعمى التطيلي فيها، من قصيدة طويلة، قوله :

أما رأيت ندى حواء كيف دنا — بالغوث إذا كان يأتي دونه العطب

دنيا ولا ترف، دين ولا قشف — ملك ولا سرف، حرك ولا طلب

لقد كانت الحرة حواء تفيض حيوية، متفتحة مقبلة على مشاريعها، قوية الثقة بنفسها، مؤمنة أشد الإيمان بمواهبها ومؤهلاتها، شديدة الرغبة في المزيد من المعرفة، مساهمة في تنشيط الحركة الأدبية في مراكش وإشبيلية. لذلك فهي لا تقل أهمية عن أديبات عصرها في الأندلس والمغرب كولادة بنت المستكفي ونزهون الغرناطية وقيمة بنت يوسف بن تاشفين وغيرهن ممن كن يشغلن بال الناس بأخبارهن.

ع. المراكشي، *المعجب*، تح. سعيد العريان، القاهرة، ص. 171 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، 4، 57.56 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، م. 4 : 217 ؛ ع. گنون، *النبوغ المغربي*، 1975 ج 1 ص. 75 ؛ إ. حركات، *النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين*، الدار البيضاء، ص 129 ؛ إ. القادري بوتشيش، *المغرب والأندلس في عهد المرابطين*، بيروت، 1993 ص. 46.

عبد السلام السعيدي

**الحرة**، (الست -) حاكمة تطوان، وهي عائشة (وقيل فاطمة) بنت علي بن موسى ابن راشد العلمي أمير شفشاون وحفيد المولى عبد السلام ابن مشيش. أمها إسبانية من إقليم قادس بالأندلس، أسلمت. ولدت الحرة عائشة حوالي عام 900 / 1494 وتربت في كنف أبيها تربية تليق بمقامها كأميرة شريفة، وكانت تحسن إلى جانب العربية لغة أمها الإسبانية. تزوجت أولا بالمنظري الثاني حاكم تطوان (ابن أخي المنظري الكبير مجدد مدينة تطوان) فكانت تنوب عنه في الحكم كلما تغيب عن المدينة إلى أن توفي عام 925 / 1519، وأصبحت تطوان خاضعة لأمير شفشاون إبراهيم بن علي بن راشد، أخي الست الحرة.

وفي سنة 931 / 1525 تنازل الأمير إبراهيم لأخته الست الحرة عن قيادة تطوان فحكمتها تحت نظره إلى سنة 935 / 1528، ولعل سبب ذلك اشتغاله بقيادة مجاهدي شفشاون في هجماتهم المتتالية على البرتغاليين في سبتة. وخلال فترة حكم الست الحرة شارك التطوانيون في هذه الحركات الجهادية بقيادة بعض أعيان تطوان.

ولما استدعى ملك فاس أحمد الوطاسي الأمير إبراهيم ابن راشد وعينه وزيراً في بلاطه سنة 935 / 1528 أسند في نفس الوقت حكم شفشاون إلى ابن عمه هلال بن سعيد بن موسى ابن راشد، وبقيت الحرة عائشة حاكمة مستقلة في تطوان ثلاث عشرة سنة أخرى إلى أن تزوجها السلطان أحمد ابن محمد الوطاسي، (رسم الصداق مؤرخ بيوم الخميس خامس ربيع الأول عام 948 / 30 يونيه 1541) فصارت الست الحرة خليفة زوجها في حكم تطوان ـ بعد رجوعه إلى فاس ـ لكنها سرعان ما دخلت في نزاع مع أخيها محمد ابن راشد حاكم شفشاون الجديد، وزاد في ذلك تآمر البرتغاليين، وتمكن أحمد الحسن المنظري أخيراً من إخراج الحرة من تطوان يوم 12 رجب عام 949 / 22 أكتوبر 1542 ومصادرة جميع أملاكها، فرجعت إلى مسقط رأسها شفشاون وماتت بعد قليل، ودفنت بزاوية ابن الحسن بالقرب من القصبة.

م. ابن عزوز حكيم، *حاكمة تطوان*، الرباط، 1983، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في آخر الكتاب.

**الحرة، عَودَة** بنت أحمد الوزگيتي الملقب بأمير الجبل أمّ أحمد المنصور الذهبي ـ وعَودَة تخفيف مسعودة في لسان قومها ـ اشتهرت أيام حكم ابنها المنصور بالاهتمام بالقضايا الاجتماعية والقيام بمشاريع إحسان كبرى. يقول عنها معاصرها أحمد ابن القاضي في *درة الحجال* ـ وكان يكاتبها في بعض المصالح العامة ـ : "كان لها اعتناء ببناء القناطر، وإصلاح السبل والمساجد وديار مبيت القوافل في الطريق ... وكانت شفيقة رفيقة بالرعية، تحض ولدها ـ أيده الله ـ كل ساعة وحين على الرفق بهم والنظر إليهم بنظر الوالد".

ويُذكر في سبب بنائها جامع باب دكالة بمراكش أنها دخلت بستانا من بساتين قصرها وهي في حالة الوحم، فرأت به خوخاً ورماناً فتناولتهما وأكلت منهما في نهار رمضان، ثم ندمت على ما صدر منها، وفلعت أفعالا كثيرة من باب البر رجاء أن يتجاوز الله عنها. ولازال النساء والصبيان يسجعون بقضيتها إلى الآن فيقولون : (عودة أكلت رمضان بالخوخ والرمان) في أسجاع غير هذه (*الاستقصا*، 5 : 118). يحتوي جامع الحرة على بيت للصلاة من سبعة بلاطات، تفصل بينها أعمدة ضخمة، وتنتهي بعقود حذوية، والصحن يكاد يكون مربعا (38 م x 36 م) تحيط به المجنبات من نواحيه الثلاث، ولا تشتمل كل مجنبة منها على غير رواق واحد. ويمتاز الجامع بقبتين تعلوان طرفي بلاطين محاذيين للصحن من جهة بيت الصلاة. وثلاثة أبواب في جهات الشرق والغرب والشمال. وبنيت في قبلة الجامع مكتبة أوقفت عليها الحرة عودة جملة وافرة من الكتب العلمية، وتنافس في إهداء الكتب إلى هذه الخزانة كل من أحمد المنصور وأبنائه ورجال حاشيته، ولم يبق من هذه المكتبة اليوم سوى مخطوطات قليلة محفوظة في خزانة ابن يوسف بمراكش عليها تحبيس الحرة عودة.

كان جامع الحرة أيام السعديين عامراً بالمدرسين والمتعلمين، وذكر المقري هذا الجامع في *روضة الآس* قائلا "أكثرت عليه من الأوقاف والجرايات وخزائن الكتب وكراسي أنواع العلوم، وقد صليت فيه الجمعة مراراً ورأيت جماعة أعلام يدرسون به أنواع العلوم".

أورد ابن القاضي في *المنتقى المقصور* نص وثيقة ما حبسته الحرة عودة من عقارات داخل المدينة وخارجها على جامعها بباب دكالة، وهي جميع السبعين حانوتاً غير نصف حانوت الواجبة لها في نصفها من القيسارية وسط المدينة، وجميع بيت الأرحي الجديدة التي لها على وادي تسلطانت المشتمل على أربع مدارات مع جميع داره والعين الكبرى التي تملكها بالمخالص خارج باب تاغزوت مع أرضها وجناتها ومائها.

توفيت الحرة عودة بمراكش يوم الثلاثاء 27 محرم عام 1000 / 12 نونبر 1591.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 182 - 183 ؛ *المنتقى المقصور*، تح. محمد رزوق، 1 : 256 - 260 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، 63 - 67 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 269 - 271 ؛ أ. متفكر، *تقييد عن جامع باب دكالة*.

**الحرة، مريم**، زوجة السلطان أبي سعيد المريني، وكان السلطان أبو الحسن المريني يعدّها كأمه بعد أن توفيت والدته الحبشية. ذهبت الحرة مريم إلى الشرق مع ركب الحج الذي وجهه السلطان أبو الحسن المريني سنة 738 / 1337 مع *الرَّبْعَة* التي كتبها بخطه من *المصحف الشريف* وأهداها للحرم المكي. وأرسل معها إلى السلطان الملك الناصر بن قلاوون صاحب مصر هدية عظيمة تشتمل على كمية وافرة من الزمرد والزبرجد والجوهر النفيس الملوكي والحلل المذهبة والسيوف المحلاة بالذهب والسروج بركاب ومهاميز الذهب ومآت الخيول العتاق العراب والجمال والبيزان وغير ذلك مما تحدث عنه بكثير من التفصيل والإعجاب المؤرخ المصري المقريزي في كتاب *السلوك*، فنزل الركب بالقرافة قرب مسجد الفتح، وكان يوم طلوع الهدية من الأيام المذكورة، ففرق السلطان الهدية على الأمراء على قدر مراتبهم عدا الجواهر فإنه اختص بها.

يقول المقريزي : "ثم نقلت الحرة إلى الميدان بمن معها ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة في كل يوم بكرة وعشية ما عمهم وفضل عنهم ... ولما تهيأ المحمل ندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولي الجزيرة وأمره أن يرحل معها في مركب لها بمفردها قدام المحمل ويمتثل كل ما تأمر به، وكتب لأميري مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة".

م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. م. خ. بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 452 - 454 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 551 - 553 ؛ أ. المقريزي، *السلوك* ؛ بنقل أ. المقري، *نفح الطيب*، 4 : 400 - 403 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 3 : 127 - 130.

محمد حجي

**حَرُّودة** (عين -) مركز تشكلت نواته في إطار الاستعمار الفلاحي الذي اكتسح بلاد زناتة منذ العقد الثاني لعهد الحماية. ونشأت هذه النواة كقرية للأوربيين بدوار أولاد إطُّو البحر، عند ملتقى الرباط - الدار البيضاء والمحمدية - برشيد، وظلت لمدة طويلة تتمحور حول حانة وكنيسة، الشيء الذي جعلها تشتهر أكثر كمحطة طرقية تحت اسم " 17 كلم" وظل حجمها صغيراً ووظيفتها تجارية بالأساس، لقربها من الدار البيضاء والمحمدية. ولم تتم ترقية هذا المركز إلى مستوى تجمع حضري إلا سنة 1992. وجاءت هذه الترقية في إطار تشجيع حركة التمدين بالضواحي الشمالية الشرقية للدار البيضاء وفق مقتضيات المخطط التوجيهي الأخير الذي جعل توسع هذه المدينة يتجه بالأساس نحو المحمدية. ويتوقع هذا المخطط حركة تعمير واسعة بعين حرودة في ارتباط بانتشار الصناعة في هذا الاتجاه.

أصبحت عين حَرُّودة حينئذ جماعة حضرية، بعد أن تم فصل جماعة الشلالات عنها. وبحجم 27.741 نسمة سنة 1994 أصبحت تشكل أكبر تجمع حضري بالضواحي الفاصلة بين الدار البيضاء والمحمدية. هكذا تحولت عين حرودة من قطب لمجال تسود به زراعة البواكر وتربية الدواجن إلى

قطب لمنطقة تنتشر بها الصناعة والسكن الاقتصادي. وبذلك فقدت عين حرودة تدريجيا مكانتها كمركز قائم الذات لتصبح مجرد امتداد للمجال الحضري البيضاوي. وفي هذا الإطار تم فصلها سنة 1992 عن عمالة المحمدية لتصبح تابعة لعمالة البرنوصي زناتة. وبهذا التحول من جماعة قروية شاسعة ومتباينة الأطراف يرتبط حوالي ثلثي سكانها بالسكن غير اللائق، إلى جماعة حضرية، تم فصلها عن ضواحي الدار البيضاء وفُتح الباب أمام تحولها على المستوى العمراني والوظيفي في آن واحد.

H. Aït Hamou, *Mutations de l'espace peri-urbain casablancais : Le cas des communes des Aïn Harrouda et Tit Mellil*, Thèse 3ème cycle, Géo, Tours, 2 t, 513 p., 1988 ; R. Fosset, *Quelques aspects de la vie rurale dans l'arrière - pays de Mohammédia, RGM*, n° 13, 1968, p. 103 - 119 ; K. Joudamy, *Périphérie Nord - Est de Casablanca : étude Géographique*, Thèse 3ème cycle, Géo, Bordeaux III, 2 t, 490 p.

المصطفى شويكي

**حُرَيْقَة** أو حُرَيِّكَة أو قُرَيْصَة، أسماء تطلق على عدة أنواع نباتية من جنس أورْتيكا Urtica. وفصيلة القَرَّاصيات Urticaceae، تنمو طبيعيا بالمغرب. وهي نباتات عشبية حولية تظهر في فصل الربيع. لها سيقان يمكن أن يتجاوز طولها المتر والنصف بالنسبة لبعض الأنواع. أوراقها بسيطة ومسننة. أزهارها ثنائية المسكن لكن محمولة على ساق واحد. الأزهار الذكرية مجتمعة على شكل هري والأزهار الأنثوية مجتمعة على شكل كروي.

ما يميز أنواع الحريقة هو أن جميع الأعضاء الظاهرة للنبات من سيقان وأوراق وأزهار مكسوة بزغب مُحْرق لاسع عند لمسه من طرف الإنسان.

تعيش أنواع الحريقة في الأماكن المحاذية لمساكن الإنسان أو للمزابل حيث تكثر المواد النيتروجينية. تختلف البيومناخات الملائمة للحريقة حسب الأنواع التي قد تصادف في الجاف وشبه الجاف وشبه الرطب واستثنائيا الرطب.

*أبحاث ميدانية.*

عبد المالك بنعبيد

ابن **حرْزهم، صالح** بن محمد، ويدعى أيضاً حْرازْم. قال الساحلي في *بغية السالك* : رأيت بخط أهل العناية بالضبط والتصحيح : ابن حْرازْم. هذا العابد هو عم أبي الحسن علي ابن حرزهم. وقال صاحب *التشوف* إنه رحل إلى الشام ولقي أبا حامد الغزالي.

التميمي، *المستفاد*، مخطوط، وعنه نقل صاحب *جذوة الاقتباس* وصاحب *الروض العاطر الأنفاس* ؛ التادلي، *التشوف*، 8.

أحمد التوفيق

ابن **حرْزهم، علي** بن إسماعيل بن عبد الله الأموي، وتسمية العامة سدي حرازم. من حفدة عثمان ابن عفان. وليس هو دفين حامّة خولان البعيدة عن فاس بنحو خمسة عشر كيلومتراً.

وُلد بفاس ونشأ بها، وكان من كبار الفقهاء. عارفاً علامة متبحراً في غاية اللطف والسخاء زاهداً في الدنيا تخلى لأخيه أبي القاسم عن جميع ما ورثه عن أبيه وكان مالا ذا بال، سالكاً طريق القوم أهل التحقيق، ينحو طريق الملامتية ولم تكن تعرف إذاك بالمغرب. أحكم كتاب *إحياء علوم الدين* وضبط مسائله وكان يستحسنه ويثني عليه. قصده الناس من كل جهة للأخذ عنه.

وللشيخ ابن حرزهم أشياخ عدة، منهم من أخذ عنه علم الظاهر فقط كالقاضي أبي بكر ابن العربي. ومنهم من أخذ عنه على سبيل التبرك والاستفادة كالشيخ يوسف ابن النحوي والشيخ محمد الخياط دفين حومة الدوح من طالعة فاس، والشيخ أبي بكر بن عثمان ابن مالك. وأخذ أيضاً عن والده الشيخ إسماعيل ابن حرزهم وعمه صالح ابن حرزهم سابق الترجمة وهو شيخه الحقيقي وعليه اعتماده.

رحل إلى مراكش فدرّس بها، وتاب على يده أناس كثيرون وزهّد أميرها الصنهاجي وكثر أتباعه وتلامذته. ودعا الناس لجنازة ابن برجان، وكان السلطان بفتوى الفقهاء أمر أن يلقى في المزبلة.

أخذ عن صاحبَ الترجمة جماعة منهم أبو مدين الغوث دفين تلمسان قرأ عليه *رعاية* المحاسبي، ومحمد التاودي دفين خارج باب الجيسة من فاس. والشيخ يسكر الجوراني والشيخ أبو يعزى يلنور.

توفي ابن حرزهم بفاس آخر يوم من شعبان سنة تسع وخمسين وخمسمائة / 22 يوليوز 1164 م. ودفن خارج باب فتوح من أبواب فاس. وبنيت عليه قبة كان تاريخ بنائها واسم من بناها من أمراء بني مرين منقوشا في رخامة على ضريحه، ثم أمر السلطان العلوي محمد بن عبد الله بهدمها وإعادة بنائها، قال القادري في *الإكليل* : (وجدد البناء عليه أمير وقتنا في هذا الزمان وهو عام ثمانية وسبعين ومائة وألف) وهي القائمة البناء الآن وهي قبة عظيمة واسعة الفناء والشكل والبناء.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، 168 - 173 ؛ التميمي، *المستفاد*، مخطوط ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، 12 ؛ أ. ابن أبي زرع، *القرطاس*، 265 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 2 : 464 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 9 : 49 ؛ أ. بابا السوداني، *نيل*، 182 ؛ م. القادري، *الاكليل*، تح. مارية دادي، ص. 464، ع 562 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 200 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 71.

مارية دادي

ابن **حرزوز**، أسرة مكناسية. في *الديوان الإسماعيلي* أولاد حرزوز عباسيون. ويعتبر بيتهم من أعرق الأسر

العلمية بمكناس يبتدئ ذكرهم من القرن السابع (13 م). ومن المشهورين منهم :

- ابن **حرزوز، عبد الرحمان**
- ابن **حرزوز، عبد الرحيم**
- ابن **حرزوز، عيسى**
- ابن **حرزوز، محمد** بن **عبد القادر**
- ابن **حرزوز، محمد** بن **عيسى**
- ابن **حرزوز، منصور** (الجد)
- ابن **حرزوز، منصور** (الحفيد)
- ابن **حرزوز،** أبو **يعزى**

كل هؤلاء مذكورون فيما يلي حسب تواريخ وفياتهم دون ترتيب هجائي.

جدهم الشيخ أبو علي منصور ابن حرزوز، حيث يوقِّت في *الذخيرة السنية* وفاته بعام 655 / 1257 محليا إياه "بخطيب مكناسة وإمام جامعها، الحاج الصالح المجاهد".

وذكره نفس المصدر وهو يشير لانتفاضة مكناس ضد الموحدين أيام السعيد : "... فأقبل السعيد حتى نزل بظاهر مكناسة، فتلقاه جميع أهلها ... والشيخ الفقيه الخطيب الصالح أبو علي منصور ابن حرزوز في مقدمتهم ...".

وفي تعبير *القرطاس*، ووصل أمير المؤمنين علي السعيد إلى مكناسة، فخرج إليه أهلها يطلبون منه العفو، وقدّموا بين أيديهم الشيخ الصالح أبا علي منصور ابن حرزوز ..."

ونحو هذا في *الروض الهتون* مخططا المترجم بخطيب مكناس الشيخ الصالح المتبرك به، وعاود هذا المصدر نفس الحلية، وهو يذكر أسرة بني حرزوز بين البيوتات العلمية بالبلد ذاته : "... ومنهم بنو حرزوز، ومن جملتهم الشيخ الصالح المتبرك به أبو علي منصور بن حرزوز".

عيسى ابن حرزوز، ذكره ابن مرزوق بين خواص أهل مجلس السلطان المريني أبي سعيد الأول (710 - 730 هـ) وذكره ابن بطوطة بين المجاورين قائلاً : ومنهم أبو مهدي بمكة، عيسى ابن حرزوز المكناسي، فتبين من هذا المصدر وسابقه أن المنوه به كان بقيد الحياة صدر القرن الثامن الهجري، كما نستفيد من المصدر الأول أن المترجم معدود من جلة أعلام عصره.

ومن هذه الأسرة محمد بن عيسى بن عبد الله بن الشيخ أبي علي منصور ابن حرزوز، هكذا يحدد اسمه وآباءه في طالعة إحدى مخطوطات كتابه : *الكوكب الساري في اختصار البخاري* (مخطوط، خ. ع 3388 د) وإذا لم يقع حذف في سلسلة آباء هذا المؤلف، فيكون ابنا للمذكور قبله، حيث يستنتج أنه عاش خلال المائة الهجرية الثامنة.

ولنتعرف - إلى حد - على الأفق الثقافي للمترجم، نعرض افتتاحيته لكتاب *الكوكب الساري* : "الحمد لله المنيع حجابه، الجليل جنابه، الباطن أسراره، الظاهر أنواره، الشديد محاله، الجزيل نواله، السديد مقاله، الذي شرح صدور أهل السنة باليقين، وهداهم السبيل المستقيم والتمسك بالحبل المتين، وخصهم بالدعوة إلى أركان الدين، ووفقهم بالاقتداء بسيد المرسلين، واقتفاء آثار الصحابة والتابعين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول رب السماوات والأرضين، وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : فإن أجل العلوم وأنفعها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، إذ هو الأصل لجميع العلوم وكل العلوم فرع منه، فاستخرت الله في اختصار كتاب الشيخ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الذي هو أجل كتب الحديث وأصحها وأكثرها فائدة، أردت أن أسهله ليصغر جرمه، ويقرب حفظه وفهمه، وسميت كتابي هذا *بالكوكب الساري، في اختصار البخاري*"، ومن الله أسأل العون والمغفرة فهو الغفور".

نتبين من هذه الافتتاحية اهتمام المترجم بمادة الحديث الشريف وخصوصاً *صحيح البخاري*، فينم اختصاره له عن ممارسة طويلة وعميقة للكتاب، ثم ينم أسلوب الافتتاحية عن اقتدار في صناعة الإنشاء، ويلاحظ في هذه الصياغة استخدام الأسجاع المتوازية، والشبيهة بأسلوب الخطب الجمعية، مما قد يشف عن اضطلاع المؤلف بخطة الخطابة في مكناس، وهي خطة مارسها بعض أفراد أسرة حرزوز بالجامع الكبير في مكناس.

ومن الواضح أن براعة المترجم في الكتابة وفي مادة الحديث يستتبع ذلك معرفته للعلوم اللسانية والفقهية، وهي استنتاجات ربما لاحظها ابن زيدان عندما يحلي المنوه به بالعلامة المشارك النقاد، خلال الترجمة القصيرة التي كتبها له.

بقي أن نشير إلى أن *الكوكب الساري* جرده المؤلف من الأحاديث المكررة عند البخاري، واقتصر على الراوي الأخير وحذف ما في السند.

والكتاب لا يزال مخطوطاً في نسخ متعددة، وبالإضافة إلى المخطوطة المشار لها صدر هذه الترجمة، نذكر مخطوطة أخرى (خ. ع. 240 د) في سفر متوسط الحجم، يشتمل على 237 ورقة.

أبو علي ابن حرزوز، منصور بن أحمد بن إبراهيم الحفيد، هكذا يسميه بمنصور تلميذه عبد الوهاب الزقاق بخطه، وبهذا ذكره كل من التامنارتي والحضيكي، وسماه ابن زيدان والكتاني باسم الحسن، وهو سبق قلم، لمخالفته لما يعتمده تلميذه الزقاق والحامدي، وكأن الغلط سرى لمن سماه بالحسن من تكنيته بأبي علي.

ولتقييم الدرجة العلمية للمترجم نثبت التحلية التي يصفه بها تلميذه عبد الوهاب الزقاق : "الشيخ الإمام، المحدث الراوية المكثر الضابط، الخطيب البليغ المصقع".

ثم يقول عنه تلميذه ابن عسكر : "الفقيه المحدث، العلامة، الخطيب، الأديب، العارف، الفهامة ... لم ير بالمغرب خطيب أفصح منه، ولم يكرر خطبة قط".

ولا نزيد على هذا في التعريف بالمركز العلمي لأبي علي بن منصور، ونحيل على ترجمته عند ابن عسكر والحضيگي وابن زيدان والكتاني، مع إشارات عند مؤلف مجهول كتب تاريخ الدولة السعدية.

غير أنه لا يفوتنا أن نلحق إضافات جديدة لمضمون هذه المصادر، ونذكر أن المترجم ألف ثبتا صغيراً حلله الكتاني في *فهرس الفهارس*، وهو بين مخطوطات خ. ح 12767، حيث يوجد في مجموعة ـ من حجم متوسط ـ تتصدرها أسانيد المؤلف إلى طائفة من المؤلفات الحديثية وغيرها، والمسلسلات مما رواه بتونس ومصر، ثم إجازته ـ بخطه ـ لعبد الوهاب الزقاق، عدد صفحات هذه الأسانيد سبعة وبعدها يأتي نص الثبت في عشرين صفحة. ومن هذا الثبت ساق التامنارتي ستة أسانيد تتصل بالمترجم. وقد أشرنا ـ سلفاً ـ إلى ثلاثة من الرواة عن المترجم : عبد الوهاب الزقاق، أجازه المترجم بتاريخ أوائل شوال سنة 957، وقال عنه : "وأجزت الفقيه الصدر العلامة، علم المغرب : سيدنا عبد الوهاب ...".

ـ ابن عسكر مؤلف دوحة *الناشر*، فيذكر فيها عن شيخه : "لقيته وسمعت منه".

ـ ثم عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبد العزيز الجزولي الحامدي، ومن طريقه ساق التامنارتي الأسانيد الستة المشار لها وشيكا.

الرابع من الرواة عن المترجم : أبو بكر بن أحمد بن سعيد الجزولي نزيل مراكش، كتب له إجازة قال في صدرها : "قدم علينا السيد الكامل، العالم العلم العلامة العامل، الجامع لخصال الفضائل، الفقيه الجليل : سيدنا أبو بكر بن أحمد الجزولي ...".

وعن استشهاد أبي علي بن حرزوز نشير إلى *تاريخ الدولة السعدية* لمؤلف مجهول الاسم، حيث يحتفظ بفقرات من خطبه في فترة ظهور الدولة السعدية، ثم كانت وفاته هو وولده شهيدين عام 960.

والمترجم هو الذي أشار له الوزير ابن إدريس في *أرجوزته في صلحاء مكناس* وذكره في هذا البيت :

وبوعلي الوليّ حرزوز ونجله والطيب ابن عزوز

وذكر الطيب ابن عزوز، وهذا لا يزال مدفنه معروفاً بداخل إحدى الدور في حي العروية، وقد يكون مدفن المترجم بالزنقة التي كانت تضاف لأسرته في حي حمام الجديد : درب حرزوز والآن درب العنبوب حسب النطق الدارج.

وأشار للمترجم ـ أيضاً ـ الشيخ عبد القادر العلمي في زجليته في صلحاء مكناس، غير أنه ذكره ضمن المدفونين براس التاج.

هلْ راسْ التاج دونْكم ما نعْملْ دونْ

إلى أن يقول :

بابن حرزوز بو علي دره لقْنون ورجال حداه في الرواضي مكنونا

ورأس التاج كان يطلق على ما يسمى ـ الآن ـ بحي سيدي عمرو الحصيني.

*

* *

وسيكون أبو علي ابن حرزوز رابع المعروفين من أعلام الأسرة، ونذيل عليهم بأربعة أسماء من النابهين منهم، وقد صاروا يحذفون "ابن" من لقبهم العائلي، ويكتفون بكلمة حرزوز"، وتبتدئ هذه اللائحة من صدر المائة الهجرية الحادية عشرة :

عبد الرحيم بن علي حرزوز كانت له مصاهرة بفاس مع الفقيه الكاتب أحمد الغرديس.

محمد بن عبد القادر حرزوز عدل في وثيقة عام 1063.

عبد الرحمان بن علي حرزوز عدل أول في وثيقة عام 1082. وعدل أول في وثيقة مؤرخة بأوائل محرم 1086. وعدل أول في وثيقة عام 1101.

أبو يعزى حرزوز قيم مشهد أبي علي منصور الجد الأعلى للأسرة ويقع هذا المشهد أعلى حارة بني موسى غرب المدينة.

*حوالة المساجد الكبرى بمكناس*، 217 ـ 250 ـ 360 ؛ *حوالة المساجد الصغرى بمكناس*، 77 ؛ *حوالة أحباس لزوايا بمكناس*، 8 : 200 ؛ م. ابن أبي زرع، *القرطاس*، 257 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، 90 ـ 77 ـ الجزائر ؛ م. ابن حرزون، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر، 119 ؛ ابن بطوطة، *تحفة النظار*، 1 : 74 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، 62 ـ 63 ؛ ع. الرحمان التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط، 8 ـ 12 ـ 100 ـ 104 ـ 105 ـ 114 ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*، 30 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، البيضاء، 1 / 154 ـ 155 ـ 159 ـ 299 ـ 301 ؛ ابن إدريس، *أرجوزة في صلحاء مكناس*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 307 ـ 308 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 3 : 597 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 1 : 266.

محمد المنوني

**حرس المدينة** في تاريخ المغرب الوسيط. يقصد بحرس المدينة الإطار البشري المكلف بضمان أمن المدينة وسكانها في أنفسهم وممتلكاتهم، وهو عبارة عن مجموعة من الفرق كانت منتظمة في هيكلة جهاز الأمن، وعملها موزع حسب الزمان والمكان بشكل يضمن تغطية أمنية شاملة للمدينة ليلا ونهاراً. ومن خلال جرد للمصادر المتداولة التي تخص أخبار فترة حكم المرابطين والموحدين، أمكن رصد والتقاط أسماء مجموعة من هذه الفرق هي كالتالي :

ـ الحرس : قوة لحفظ الأمن داخل المدينة، ولعلها الجهة

المسؤولة عن فرض احترام النظام العام، وضمان حقوق الأفراد والجماعات ولها حق التدخل لردع المعتدين وإنصاف المظلومين ( *التشوف*، 394.).

- حرس الليل، فرق خاصة حسبما يبدو بمراقبة أمن المدينة كلها خلال الليل. ومن الجائز أنها كانت تخضع لتنظيم داخلي في قمته صاحب حرس الليل أو العريف الذي كانت هذه الفرق تعمل تحت إمرته ( *التشوف*، 119 ـ 455).

- حرس السوق : يستفاد من إشارة لابن الزيات في *"التشوف"* أن أسواق المدن كان لها حرس خاص بها ليلاً ونهاراً. ومن الوسائل التي كان يستعين بها في الحراسة الليلية، استخدام الكلاب، ويبدو أن الردع والزجر كان يحق لأفراده استعماله ( *التشوف*، 370 ـ 398).

- حرس السور : فرق أمنية كانت محطات عملها موزعة على طول السور خلال النهار ( *العبر*، 6 : 548) ومن غير المستبعد أن مهامها اليومية في الأحوال العادية كانت تستهدف المراقبة والإشعار والحماية، إما عند الضرورة كالحصار وغيره. فيتعزز السور بقوة استثنائية منها ما يكون تابعا للمخزن ( *العبر*، 6 : 548)، ومنها ما يتشكل من المتطوعة ( *البيان*، ق. م. 326)

- حرس أبواب السور : (انظر مادة : باب تنظيمات ووظائف. *معلمة المغرب* الجزء الثالث).

- السُّمّار : مفرده : سامر فرق أمنية تعمل بالليل، أمكن رصد نوعين منها، تتلخص مهامّ الأولى في التغطية الأمنية لسور وأبراج المدينة بالليل ( *البيان*، ق. م. 127 ـ 416) ويبدو أن وظائفها كانت مركزة على ترصد ومراقبة الأخطار المحتملة من خارج المدينة بشكل خاص، والإخبار بها في أسرع وقت، أما الثانية فكانت مكلفة بالحراسة الليلية للسجناء ( *التشوف*، 171).

- الدراجون : صنف مكلف بالحراسة الليلية للدروب، وكانت المحطة الرئيسية لتوضع الحارس هي باب الدرب، ومن العناصر التي كان يستعين بها في أداء مهامه : سلاح وفانوس وكلب (Lévi - Provençal, *Conférences*, p. 82).

- عناصر التجسس : يبدو أن من مهام هذا الصنف البحث عن المجرمين الفارين، والتحقيق في هوية المتهمين. ومن الحالات التي أمكن التقاطها في هذه الباب، البحث والمتابعة التي تمت في حق الأشخاص الذين انتهزوا حادث إحراق قيسارية مراكش للنهب والسرقة عام 607 / 1210 (*البيان*، ق. م. 258) وهو مخالف للتجسس ذي الطبيعة السياسية الذي كان حاضراً أيضاً، واستهدف ترصد العناصر التي لم يكن المخزن يطمئن إلى ولائها، وهي حالة ملاحظة بصفة خاصة في علاقة المخزن مع أهل التصوف ( *الذيل*، 8 : 1، 250) واستهدف أيضاً اية جهة تستشم منها معارضة مّا ( *البيان*، 437).

- المؤذنون : هم أهل الأبراج وأهل المنارات ومسمّعو المدينة في المواضيع ( *المقتبس*، 58) مهمة هذا الصنف مزدوجة، أولاها الإنذار بالأخطار التي تحدث داخل المدينة، أو تصل إليها من الخارج وثانيتها تبليغ الأوامر الأمنية الواجب تنفيذها على الفور وفي أسرع وقت ممكن ( *أخبار المهدي*، 78).

- الرقباء : من غير المستبعد أن هذا النوع من الحرس كانت له مهام ظرفية، تظهر عندما تستدعي الأحوال تدخلا يتطلب حراسة ومراقبة غاية في دقة الضبط للجهة المستهدفة. ومن بين الحالات المسجلة في هذا الجانب ما وقع لوفد أهل إشبيلية الذي قدم إلى مراكش لمبايعة عبد المومن، وبسبب وشاية محتواها ارتداد أهل اشبلية عن بيعتهم، اتخذ المخزن إجراء احتياطيا سريعا، كاد الوفد الإشبيلي، وعلى رأسه القاضي أبو بكر ابن العربي، أن يكون ضحيته إذ "رقب عليهم الرقباء ليلاً ونهاراً، ورأوا الموت عياناً وجهاراً. ودام ذلك ثلاثة أيام إلى أن وصل الحق ببراءة أهل اشبيلية ... فاستدرك الأمير لرواحهم، وعجل بسراحهم" ( *البيان*، ق. م. 34).

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ *المقتبس من كتاب الأنساب*، تح الرباط، 1971 ؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، البيضاء، 1984 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بن شريفة، السفر الثامن، القسم الأول الرباط، 1984 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان*، *قسم الموحدين*، تح. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، بيروت، 1985 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، المجلد، 6، بيروت، 1967.

E. Lévi-Provençal, *Conférences sur l'Espagne musulmane*, Le Caire, 1951.

محمد رابطة الدين

أيت **الحرش** بن سعيد بن حمادي، مقاوم وُلد سنة 1333 / 1914 بتميسنت العليا قبيلة بني ورياغل قيادة امزورن إقليم الحسيمة. انخرط في صفوف جيش التحرير، وعمل ضمن الوحدات التي كانت تحت مسؤولية السيد عباس ومحند علال. وقد شارك في عدة معارك ضد جنود الاحتلال بالمنطقة الشمالية قرب جبل بوزينب وجاهد في سبيل حرية واستقلال البلاد إلى أن استشهد يوم السبت 26 ربيع الأول عام 1375 / 12 نونبر 1955 ببوزينب.

*وثائق المقاومة* وجيش التحرير، الملف رقم 791 421.

**الحرَف**، أو الصناعات التي يُرتزق بها، يدخل الاهتمامّ بتاريخها ضمن مشاغل التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، ذلك أن حضور الحرف كان ضرورة لازمة في حياة المجتمع والمخزن، فالفلاح محتاج لأدوات الإنتاج وإلى ما يلبي حاجياته غير الفلاحية، والتاجر مرتبط بالحرفي لأجل التبادل، إما لمنتجات أولية كالصوف وهو اختصاص حرفة اللباطة أو نصف مصنعة كالذهب أو تامة الصنع كالملابس، أو لتهييئ وسائل النقل والتخزين. والمخزن محتاج إلى الحرفي لتلبية متطلباته المختلفة : عسكرية معمارية ...

ولأخذ فكرة مجملة عن هذا الموضوع خلال العصر الوسيط يمكن حصره في الملاحظات التالية :

أولاً : شروط الإنتاج : مواد أولية وفيرة ومتنوعة :

ـ مواد أولية ذات أصل فلاحي، من أبرزها :

| المادة | أماكن إنتاج مشهورة |
|---|---|
| القطن | سجلماسة، تادلة، الغرب |
| الصوف | سجلماسة، أغمات |
| الجلود | هسكورة، أغمات |
| قصب السكر | سوس، سبتة |
| أرگان | الأطلس الكبير الغربي |
| الحناء | درعة |
| شهد العسل | سوس |
| القنب | سوس |
| منتجات الغابة | الريف، الأطلس، المعمورة |

يبدو إذن وجود تنوع في هذا الصنف من المواد الأولية، مع عدم استبعاد أن إنتاج أغلبها كان يغطي الحاجيات، وقد ساهم إنتاج البعض منها في التجارة مع خارج المغرب.

مواد أولية معدنية : يبدو أن موارد المغرب المعدنية خلال هذه الفترة، كانت لها أهمية معتبرة، من جهة لأهمية الرصيد المعدني المستخرج محليا، الذي جاوز البعض منه حاجيات الحرف ليتجه جزء منه نحو التصدير كالنحاس. ومن جهة ثانية لتزوده بكميات أخرى من الخارج، إما موجودة كالذهب، أو منعدمة كالعاج، ويمكن رصد المعادن الأكثر استغلالاً من خلال اللوحة التالية :

| المعدن | مواقع إنتاج مشهورة |
|---|---|
| الذهب | تازة، سجلماسة |
| الفضة | سوس |
| النحاس | الأطلس الصغير |
| الحديد | الساحل المتوسطي |
| الملح | شمال فاس |

ـ طاقة بشرية ذات قيمة. من غير المستبعد أن الطاقة البشرية التي كانت تشتغل في الصناعة خلال هذه الفترة كانت لها قيمة معتبرة كما وكيفا، فمن مؤشرات العنصر الأول، الأهمية العددية لمجموع الحرف التي وجدت بالبلاد آنذاك ومساهمتها البارزة في اقتصاد المدن بشكل خاص. ويمكن الاقتراب من هذه الملاحظة من خلال معطيات اللوحة الإحصائية التالية والخاصة ببعض حرف فاس زمن حكم الموحدين :

| الجهة | عدد وحداتها |
|---|---|
| السكة | |
| النسيج | 3.064 دارا |
| الصابون | 47 دارا |
| الدباغة | 86 دارا |
| هيكل الحديد والنحاس | 12 دارا |
| الزجاج | 11 دارا |
| الكاغد | 400 دار |
| الصباغة | 116 دارا |
| الفخار | 188 دارا |
| الجير | 135 كوشا |

ومن المؤشرات كذلك أن الجنوب المغربي وحده : من وادي أم الربيع إلى الصحراء، وُجدت به خلال هذه الفترة أكثر من ثلاثين مدينة ومركز استقرار (هذه الاحصائية مستخرجة من : *مسالك* البكري، *والاستبصار*، *والتشوف*، *وكتاب الجغرافيا* لابن سعيد) ومن الجائز أيضاً أن الحرف ساهمت في تحديد مورفولوجيا المدن. المرجح إذن أن مراكز الإنتاج لم تكن متباعدة عن بعضها، ومتداخلة مع السكن الذي لا يستبعد أن نسبة هامة منه كان يشغلها الحرفيون. ولعل الجانب الشرقي من مراكش يقدم حالة واضحة في ذلك.

أما العنصر الثاني فتلاحظ مؤشراته بصفة خاصة في التخصصات الدقيقة التي عرفتها حرف مختلفة، وهي مسألة تعكسها بجلاء بقايا التراث المعماري للفترة بالذات كمدينة فاس ومراكش ...

انطلاقا من هذه الملاحظات تبدو العلاقة عضوية بين المستوى الذي وصلت إليه الحرف خلال الفترة، والطاقة البشرية التي تطلبها تحقيق ذلك.

ـ آليات الإنتاج : إن الحالة التقنية التي توجد عليها آليات الإنتاج الحرفي عبر العصور هي دون شك تراكم لمختلف التطورات التي عرفتها أدوات المعمل الحرفي بالمغرب، على أن فهم هذا التطور لا يمكن أن يكتمل إلا إذا وُضع في إطار جغرافي أشمل، هو الغرب الإسلامي، نظراً للعلاقات الكثيفة التي كانت تربط المغرب بهذا المجال خلال العصر الوسيط ومساهمتها في تشجيع تنقل الأشخاص ومنهم الحرفيون بخبراتهم واجتهاداتهم. فمن خلال نموذج مراكش مثلا يمكن ملاحظة أهمية التأثير الأندلسي خاصة في الآثار الموحدية، وبصمات قبيلة تدغة من الجنوب المغربي التي كانت متخصصة في الأعمال الخاصة بالخطارات.

ولعل من شأن نفس الإطار استشفاف تاريخ هذه الآليات، وإمكانية رصد الأصول، والاقتراب من معرفة نوعية التطور.

وعموما يبدو أن آليات الإنتاج التي كانت تعتمدها حرف الفترة كانت من مستوى له قيمة بارزة، ولذا كانت

هذه الآليات ذاتها غير متوفرة، فإن ما تم انجازه بواسطتها سواء ما أشارت إليه المصادر ولم يبق له وجود كالمقصورة الميكانيكية التي كانت بداخل جامع الكتبيين ( *الحلل*، 145) والساعة التي كانت بأحد أبوابه (*ورقات*، 301) أو ما بقي من تراث مادي يرجع إلى هذه الفترة، يمثل شهادة صريحة على قيمة هذه الآليات، فجلب المياه على مسافات بعيدة وإقامة القناطر والجودة العالية للمسكوكات وبلوغ صناعة السفن أرقى عهود إنتاجها ... منجزات لم يكن تحقيقها ممكنا دون رقي الحالة المتطورة التي كانت عليها آليات الإنتاج.

ومن غير المستبعد أن طرق الإنتاج كانت هي الأخرى مسايرة للحالة الإيجابية التي كانت عليها باقي مكونات العمل الحرفي. ملاحظة تبدو بعض مؤشراتها على سبيل المثال في الكيفية التي بنيت بها الصوامع الثلاث الكتبيين وحسان والجيرالدا، ودقة قياسات المنشآت المعمارية المتبقية، وفي بناء مدينة مخزنية كاملة بلغت مساحتها 44 هكتاراً في أقل من عشرين عاما (Marrakech, I, pp. 211 - 248). والعمل فيما يبدو بقاعدة الإنجاز تحت الطلب لإنتاج كثير في وقت محدود ( *البيان*، ق. م. 201).

يستشف من بعض الإشارات المتداولة أن مختلف الحرف انتظم أهلها في إطار مجموعات مهنية ذات مصالح مشتركة في الإنتاج والتسويق، ولربما ظروف العيش، عرفت باسم الحنطة (انظر *الحنطة*) قاعدتها التضامن ويشرف عليها شخص عرف بالأمين يكون عادة من بين عرفائها وأهل الثقة بينهم. وكل أمناء الحرف كانوا يعملون تحت إشراف مخزني يمثله المحتسب، ومن مهام هذا الأخير في هذا الشأن محاربة التطفيف في الميزان والغش والتدليس في الإنتاج والاحتكار له خاصة في أوقات الشدة.

ثانياً : أنواع الحرف. من المرجح أن المغرب توفرت له خلال العصر الوسيط كل الحرف التي كان في حاجة إليها. خاصة وأن الشروط المشجعة لذلك كانت حاضرة، نظراً لاتساع خريطة الأوراش التي أقامها المرابطون والموحدون والمرينيون، ولأهمية ديمغرافية البلاد والمداخيل المحترمة لقسم لا بأس به من السكان، وظهور نزوع إلى الرفه في العيش خاصة في المدن الكبرى وعلى رأسها مراكش وفاس. إلى جانب ما يقتضيه إنجاز ما حدده المخزن من مشاريع، وما تستوجيه المصالح والخدمات ذات النفع العام، وتأمين حاجيات المدن.

في إطار هذه الظرفية يبدو أن الحرف عرفت انتعاشا معتبرا، وهو أمر يمكن ملاحظته من خلال عدة مؤشرات، منها : الأهمية الكمية للوحدات الحرفية التي كانت بفاس في الفترة ذاتها، والطلب على الحرفيين المغاربة داخل المغرب والأندلس، ودقة بعض التخصصات وتداخلها في الإنتاج.

وفيما يلي لائحة بمجموعة من الحرف المعروفة خلال الفترة : السفن، النحاس، الحديد، الزجاج، السكة، الصباغة، السروج، السكر، النسيج، الخياطة، الصابون التجارة، الجلد، الصياغة، الكاغد، الوراقة، البناء، النقش، الفخار، الجير...

ويوضح النص التالي للمقري دقة بعض التخصصات الحرفية وتداخل عمليات الإنتاج من خلال العناية البالغة التي خص بها خلفاء بني عبد الومن مصحف عثمان يقول "لما أراد عبد المومن تفخيم مصحف عثمان ... حشد له الصناع المتقنين ممن كان بحضرتهم العلية، وسائر بلادهم القريبة والقاصية، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والنظامين والجلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين ... ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب إلى الحذق في صناعة إلا حضر" ( *حضارة الموحدين*، 159 . 160).

ولذا كانت محاولة تقويم الإنتاج وفق المعايير والشروط المطلوبة أمرا عسيرا في الوقت الحالي. فإن تسجيل أهميته الكمية والنوعية تبدو أمراً ممكنا، وهي ملاحظة يمكن رصدها على الأقل من خلال شهرة الإنتاج خارج المغرب، مثل الدرق اللمطية (الإدريسي، *وصف افريقيا*، 37) والسلهام السجلماسي ( *المغرب*، 147) والدينار السجلماسي ( *البيان*، 2 : 231) وفي أهمية مساهمة الإنتاج في عدد الصادارات، فضمن لائحة هذه الصادرات التي أوردها الإصطخري أحصى حوالي ثلاثة عشر مصنوعاً أكثر من نصفها يعود إلى الحرف مثل : اللبود، الذهب، الحرير ( *المسالك*، 37) وأضاف إليها الحميري فيما بعد منتجات أخرى كالصوف والنحاس ( *الروض*، 134).

ثالثاً : الخاصيات والمميزات. إلى جانب الخصوصية الوظيفية للإنتاج الحرفي كمادة تلبي رغبة أو رغبات نفعية، فإنه يختزن وبامتياز قيمة فنية وإبداعية، تقدم مؤشراً قوياً على طبيعة الإبداع والابتكار، ومستوى مهارات الحرفين في فترة من الفترات. جانب يستشف أكثر من خلال الأشياء التي تمر قرائتها الجمالية عبر العين كالمعمار والمنسوجات والأسلحة ... ويبدو أن هذا الجانب من الفن بالذات كانت له أهمية بالمجتمع المغربي خلال العصر الوسيط، لذا علمنا أن الفن المرتبط بالسماع والطرب كان مضايقا سواء من طرف المخزن أو من بعض الطوائف الصوفية، فقد أمر المنصور الموحدي "أصحاب الشرطة بقطع الملهين والقبض على من شهد من المغنين، فثقف من وجد منهم بكل مكان، فغيروا هيآتهم وتفرقوا على الأوطان وبارت سوق القيان" ( *البيان*، ق. م 174)، أما الطائفة الغماتية فلم تخف تحفظها من الإنشاد والسماع ( *إثمد*، 1 : 192).

الخاصيات الدينية : تسمح كتب المناقب بملاحظة وجود ارتباط بين المتصوفة وأهل الحرف، ويمكن رصد بعض

مؤشراته من خلال علاقة المتصوفة أفراداً أو طوائف مع الحرفيين. فمن خلال هذه المؤلفات أمكن استخراج أسماء مجموعة من الحرف مثل : الغزال، الصواف، الحلاج، الخياط، الحصار، الكتاني، الوراق، السفار، الخراز، الدباغ، النعال، الصباغ، العطار، القفال، الحداد، السراج ... (لائحة مستخرجة من *التشوف*).

وقد تم استخراج هذه اللائحة من أسماء مجموعة من المتصوفة، تحمل أسماؤهم صفة مهنية، أو تتضمن المعلومات المقدمة عنهم الإشارة إلى ممارستهم لحرفة معينة.

ويبدو أن التوزيع الجغرافي للصلحاء والأولياء داخل المدن، ارتبط بمواقع وجود أهل الحرف، وهذا ما يلاحظ عل الأقل في مراكش، فالجانب الشرقي منها الذي اشتهر بحضور بارز لأهل التصوف فيه، شكل الإطار الجغرافي الذي توطنت به أغلب الحرف داخل المدينة، ومن الجائز أن هذه العلاقة بقيت مستمرة حتى في الفترة التي ظهرت فيها الطوائف الصوفية بالجنوب المغربي، مسألة يمكن رصد بعض مظاهرها من خلال نموذج الطائفة الغماتية، فمن جهة تركيز عمل هذه الأخيرة في مراكز حضرية عرفت نشاطا حرفيا متميزاً : أغمات، مراكش، فاس، ومن جهة ثانية في الأسماء العائلية لعدد من المريدين التي تحمل مضامين أنشطة حرفية مثل : السراج، الخياط، الحداد، النجار، وأخيراً زيارة حرفيين لشيخ الطائفة في أغمات ( *إثمد*، 1 : 225) وإلى المساعدة المادية التي قدمها هذا الأخير إلى بعض النساجين بفاس ( *إثمد*، 1 : 235).

وإلى سنوات غير بعيدة كانت تقام بمراكش مواسم دينية خاصة بالحرفيين بجانب ذلك، فقد كانت لعدد من الحرفيين طقوس وتراتيل دينية أثناء عمليات الإنتاج.

انطلاقاً من مبدإ منع إلحاق الضرر، ومنه الأضرار البيئية المترتبة عن نشاط بشري الذي يدخل ضمن المعايير التي اعتمدتها قاعدة المشهد المورفلوجي للمدن المغربية خلال العصر الوسيط، يلاحظ أن الحرف التي من شأنها أن تلحق أضراراً وإزعاجا للسكان، إما برائحة كريهة أو بدخان أو ضجيج، قد تمّ توطينها في مواقع بعيدة عن السكن، مثل حرفة الدباغين والفخارين والحدادين، وحتى المنشآت التي تلبي حاجيات يومية للسكان كالأرحية والأفران والحمامات إذا كان عملها ينتج عنه ما يلحق ضرراً بالسكان، فقد أفتى الفقهاء بمنعها.

ملاحظة ثانية في هذه الخاصيات، تتعلق بظهور أسماء حومات في بعض المدن، تحمل مضامين حرفية، مثل حومة الأرجوانين في مراكش ( *الذيل*، 4 : 22) وزقاق الوراق في سبتة (*تاريخ الوراقة*، 34) علما بأن الطبونيمية التي ترمز إلى مشاغل اقتصادية، كانت فيما يبدو حكراً على الأسواق ونقط الإنتاج. ولعل لهذا الظهور علاقة بحركية وانتعاش الاقتصاد الحرفي خلال هذه الفترة، وبالأهمية الديمغرافية لنسبة السكان النشيطين العاملين في الحرف داخل المدن.


الاصطخري، *المسالك والممالك*، القاهرة، 1961 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، بغداد، 1857 ؛ الإدريسي، *وصف افريقيا الشمالية والصحراوية*، الجزائر، 1957 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار*، تح. سعد زغلول عبد الحميد، البيضاء، 1985 ؛ ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، البيضاء، 1984 ؛ ابن سعيد المغربي، *كتاب الجغرافيا*، تح. إسماعيل العربي، بيروت، 1970 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، تح. احسان عباس، بيروت، 1975 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، بقية السفر الرابع، تح. إحسان عباس، بيروت، د. ت، الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، تح. عبد الوهاب ابن منصور، الرباط، 1991؛ ابن عذاري، *البيان*، جـ. 2، تح. جورج كولان وليفي بروفنسال، بيروت، د. وقسم *الموحدين*، تح، محمد إبراهيم الكتاني، وآخرين، الرباط، 1985 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، تح. سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، البيضاء، 1979 ؛ ابن تكلات، *إثمد العينين*، تح. محمد رابطة الدين، الجزء الأول، غير منشور ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية*، الرباط ؛ *تاريخ الوراقة المغربية*، البيضاء، 1991 ؛ *حضارة الموحدين*، البيضاء، 1989.

G. Deverdun, *Marrakeh*, Tome I, Rabat, 1959 ; A. Brignon, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1967 ; C. Vanacher, *Géographie économique de l'Afrique du Nord*, *Annales*, Mai - Juin 1973, pp. 659 - 680.


محمد رابطة الدين

**الحَرقُوص**، مرهم معطّر للتجميل يعطي نصاعة الوجه والجلد ويعطر الذات كلها. مثل الحناء التي تستعمل لتزيين اليدين والرجلين وتجميل شعر الرأس، والكحل الذي يعتمد لإذكاء سواد العيون والرموش، والسواك لتنظيف لثة الفم وتنصيع بياض الأسنان، والعكار لتأجيج حمرة الخدود والشفاه. يستعمل الحرقوص في بلدان المغرب العربي، ويبقى أثره على الوجه لعدة أسابيع ثم يزول تلقائيا شأنه شأن الحناء.

والحرقوص لفظة عربية فصيحة تعادلها أدَّال بالأمازيغية. وهو مستحضر للتجميل ساد استعماله في السهول والهضاب الداخلية زيادة على مرتفعات الأطلس، إلا أنه كان قليل التداول في الحواضر الكبرى. يتم تحضيره على يد نسوة متخصصات في ذلك يعرفن "بالحرقاصات" أو "الحراقات" غالباً ما يكنّ هن أنفسهن اللواتي يُحضِّرن أيضاً الكحل والحناء ومواد الزينة والتجميل الأخرى من المدقوقات والمسحوقات والمحروقات والمراهم والأدهان.

تقوم هؤلاء النسوة بجمع نبات "تاسرغينت" و"تارَّة" وتنظفهما من الشوائب ثم تضيف إليهما عطر الجاوي الصلب وتباشر دق الكل وسحقه. وبعد خلط هذه المواد ودمجها بما فيه الكفاية تعمد إلي طبخها في موقد خاص إلى أن تتبخر ويتقطر ماؤها. وعندما تنتهي من عملية التقطير تضيف إلى ما توفر لها من ماء مقطر ومعطر قدراً معلوماً من السواك والقرنفل والصباغة البلدية الحمراء، ثم

تخلط ذلك بيدها اليمنى وتباشر دلكه كما تدلك الحناء حتى يندمج سائله المعطر بجامده المسحوق وتحرص على أن يبقى هذا الخليط رخواً لزجاً تحتفظ به في وعاء تقليدي غالباً ما يكون قرن ثور أو غزال أو في قارورة من زجاج أو قنينة طين أو جلد أو ثوب سميك أو أي وعاء آخر في المتناول.

ويستعمل الحرقوص على الخصوص لتجميل الوجه وتعطيره في الأفراح والولائم والأعياد والمواسم وحفلات الرقص الجماعي في المناطق الأمازيغية. وتوضع نقطة منه بأحد الأصابع الوسطى بين الحاجبين أو أسفل الصدغين، ومن النساء من تضعه فوق الأنف وأسفل الشفة الدنيا. وهو يتميز برائحته الجذابة، لذلك كان الرجال والنساء في مغرب القرن الماضي يعشقون رؤيته ورائحته.

لكن استعمال الحرقوص كمادة للتعطير بدأ يتراجع بشكل كبير وأصبح وجوده مهدداً في الحواضر والبوادي بسبب انتشار مواد التعطير والتجميل العصرية. وعلى الرغم من استمراره ضمن البضائع التجارية في بعض أسواق البوادي النائية إلى جانب الكحل والحناء والعكار وغيرها من مواد التجميل التقليدية، فإن بقاءه في طريق الزوال نتيجة اكتساح مواد التجميل الحديثة للأذواق وأيضاً بسبب صعوبة تحضيره أكثر من غيره من وسائل الزينة التقليدية.

م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي* الجزء الأول، الرباط 1990 ؛ جعفر بن إدريس الكتاني، *كتاب في الخضاب*، مخطوط، رقم 3208 ك.

A. Pignol, *Costumes et parures dans le monde arabe*, Paris, 1978 ; Jean Muzi, *Le corps orné, le corps masqué*, Paris, 1978 , Jean Herber, *Peintures corporelles au Maroc, la peinture au harqus, Hesp.* vol. 9, 1921 ; M. Lacroix, *Notes sur les produits tinctoriaux, C.A.T.A.N.*, n° 5, 1959 ; M. M. Barde, *Coiffures féminines du Maroc au sud du Haut-Atlas*, Aix-en-Provence, 1990 ; Gilbert Bon, *Tatouages berbères, Public mondial* n° 25, 1950 ; Marquis De Segonzac, *Au cœur de l'Atlas*, Paris, 1910 ; J. Xin, *Notes sur les parfums orientaux, La vie tunisienne illustrée* n° 16, 1924 ; *Notes sur le souk el Attarine, La vie tunisienne illustrée* n° 17, 1924 ; M. Aherdane, *Signe symboliques et peintures corporelles, Amazigh* n° 6, 1981.

محمد بوسلام

**حَركات**، أسرة، الأصل في نطق الكلمة بفتح الراء، والكثيرون يسكنونها، ولا فرق. وهناك فريقان من آل حركات : 1 - فريق ينحدر من حركات بن الزبير الذي هو من فريق الأدارسة العَمْرويين، حسبما ورد في *الدرر البهية* لإدريس الفضيلي. 2 - فريق ينتمون إلى بني رياح، إحدى قبائل بني هلال، وجدهم حركات بن عساكر. وكان عساكر هذا أخاً لمسعود بن سلطان بن زمام الذي كان رئيس بني رياح في عصر الموحدين. ونقل المنصور الموحدي قسماً كبيراً من بني رياح إلى المغرب، وترك فريقاً منهم بإفريقية، وبينهم بنو عساكر الذين منهم حركات. وفي القرن الثامن حدد ابن خلدون مواطن آل حركات بضواحي الأربس من افريقية، ولكن مجموعات أخرى منهم توزعت في أوقات غير محدّدة بني أقطار الشمال الإفريقي حيث يوجدون حول طرابلس وبالقطر الجزائري، كما يوجدون بدكالة. وقد ساهموا بروح نضالية في الحرب ضد البرتغال. بل إن بعض أسرهم توجد بالأطلس المتوسط أيضاً وبعدد من مدن المغرب كالدار البيضاء والرباط وسلا.

وبرز وجود أسرة الحراكتة (أو الحركاتيين) بسلا منذ القرن الحادي عشر (17 م) حيث كان عامر حركات من باشواتها (محافظيها)، وعاصر السلطان محمد بن عبد الله العلوي (1757 - 1790 م) فقيهان كبيران من أسرة حركات، هما عبد السلام بن عبد الله الذي ترك مؤلفات عديدة في الفقه والنوازل، لا سيما شرحه الضخم على تحفة الحكام لابن عاصم (خ. ع. بالرباط)، وابن عمه القاضي عبد السلام بن بوعزة، الذي كان أحد المستشارين البارزين لدى العاهل المذكور. ووجود هؤلاء الثلاثة في وقت واحد، مع دراسة الأخيرين بسلا، يعني أن وجود أسرة حركات بهذه المدينة سابق بالتأكيد لعصر السلطان المذكور.

ومن أعلام الأسرة بعد هؤلاء : الفقيه الشاعر محمد بن بناصر حركات (ت. 1316 / 1898). والعربي حركات الذي كان من البعثة الطلابية إلى إيطاليا حيث تخرج في الهندسة. وأبو بكر بن بناصر حركات (ت. 1349 / 1930) انتقل إلى الدار البيضاء واشتغل بالتوثيق والتوقيت.

وتوزعت الأجيال المتأخرة من الأسرة المنحدرة من سلا بين تخصصات عديدة كالمحاماة والتدريس والطب والمسؤوليات العسكرية والأعمال الحرة. ويشتغل حراكتة دكالة بالفلاحة، وبعضهم بمختلف الأعمال الحرة الأخرى.

وفي ليبيا يوجد ضريح الشيخ بوعجيلة من آل حركات، والذي قيل إنه هاجر قبل بضعة قرون من المغرب. ولهذه القبيلة هناك حسن صيت بين سكان المنطقة.

وأغلب الحركاتيين يجمعون بين حدة الذهن والوقار الفطري، كما أن معظمهم لا يدخلون في عداد الأثرياء، فهم بين متوسط الحال وفقير معوز. وفي كل عمل يمارسه أحدهم، يأخذه بالجدية والحزم. ومع كثرة تجمعاتهم عبر الشمال الإفريقي فهم باستثناء العصر الموحدي لم ينشئوا تكتلا ولم يدخلوا في المزايدات السياسية على حساب المصلحة المشتركة التي تربطهم بالآخرين.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1959 م، 6 : 47، 70، 288 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ص. 125، 159، تحقيق مصطفى بوشعراء، الرباط، 1406 / 1986 م ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*. طبعة حجرية بفاس ؛ م. الباقر الكتاني، *ترجمة الشيخ محمد الكتاني*، الرباط، 1380 / 1960 م ؛ عبد الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2، 106، 368، الرباط، 1971 ؛ السعيد فنيش، *الفقيه عبد السلام حركات*، د.د.ع في التاريخ بكلية الآداب بالرباط، 1415 / 1994.

إبراهيم حركات

**حركات، أبو بكر** بن بناصر السلاوي، فقيه مفسر، ميقاتي حيسوبي، أديب شاعر ينظم الشعر الفصيح والملحون ويتقن اللغة العبرية. اشتغل مدة طويلة في مسقط رأسه بالتدريس في الجامع الأعظم والعدالة في القاعة (سوق الإدام). ضاقت حاله بمسقط رأسه فطلب من قاضي الدار البيضاء أحمد بن المامون البلغيثي أن يلحقه بسماط العدول هناك ومدحه بقصيدتين طويلتين، ففعل وأصبح أبو بكر حركات من عدول الدار البيضاء وموقت الجامع العتيق بها، وبقي على ذلك إلى أن توفي بها عام 1349 / 1930.

**حركات، عامر** بن محمد السلاوي، أول من وقفنا على ذكره في تاريخ المدينة، تولى القيادة بسلا بعد أن تخلى له عنها سعيد الجنوي قائد سلا وحاكم العدوتين من طرف الدلائيين. وذلك قبل سنة 1065 / 1655. وهناك سلاوي آخر يدعى الحاج عامر حركات، لعله حفيد الأول، كان سنة 1126 خليفة لأمين المستفاد بالعدوتين الحاج محمد ابن إبراهيم معنين.

أ. حجي، *الفتوحات الإلهية* ؛ م. الباقر الكتاني، *ترجمة الشيخ محمد الكتاني*، سلا، 1962 ؛ ص. 163 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، سنة 1988، ص. 187 - 188 ؛ م. بوشعراء، *ملحق الإتحاف الوجيز*، ص. 159 ؛ عبد الملك، البلغيثي، *المنار*، مخطوط، خ. ص.

**حركات، عبد السلام** بن عبد الله السلاوي، الفقيه المتمكن من فروع المذهب المالكي وأصوله، درس على شيوخ سلا قبل أن يتوجه إلى فاس للأخذ عن أعلامها، وفي مقدمهم الشيخ محمد التاودي ابن سودة شارح *التحفة*، ولم يكن يتردد في انتقاده وانتقاد معاصره محمد الرهوني محشي الزرقاني على *المختصر* بالرغم مما يكن لهما من تقدير كما سنرى.

خصص له المؤرخ السلاوي محمد ابن علي الدكالي سبعة عشر بيتاً في *إتحاف أشراف الملا*، وترجم له كذلك في *الإتحاف الوجيز* وأشاد بعلمه وفضله. وذكر أنه أخذ التصوف عن القطب أحمد الصقلي الفاسي ولازمه وانتفع به كثيراً ونشر طريقته في سلا متخذاً من ضريح أبي علي الشريسي بباب حساين (الزاوية الدرقاوية حالياً) زاويةً يجتمع فيها المريدون الصقليون. قال في حقه ابن زيدان في *الإتحاف* (5 : 358) "آية محكمة في التحصيل والإدراك وجودة التعبير واسع العارضة فقيه نوازلي مفت مرجوع له، علاّمة جليل مشارك فاضل محقق لبيب، ألمعي مهذّب أريب، ورع خاشع مثيل، تصدر للإفتاء بالعدوتين بلده سلا والرباط فأحيى بهما ما اندرس وحل منهما محل السواد من العيون وأخصبت به البلاد بعد المحول".

ولي قضاء مدينة مكناس والصويرة ودرّس وأفتى في مسقط رأسه سلا وفي غيرها من الحواضر، وكان على صلة وثيقة بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله يحضر مجالسه العلمية ويصحبه في بعض تحركاته، وقد سار معه مرة إلى فاس، وأمره السلطان بتدريس التفسير في القرويين، وكان فارس هذا الميدان، حضر أحد مجالسه فيه العالم الصالح إبراهيم الرياحي شيخ الجماعة بتونس حين جاء سفيراً لسلطان المغرب عام 1218 / 1803 فوجهه السلطان لزيارة القرويين وحضر مجلس الشيخ عبد السلام حركات في التفسير وقال عنه : "وهو - أي حركات - بحر زاخر يقول : ألم يتقدم لنا كذا ؟ ألم أقل لكم كذا ؟ ألم تسمعوا مني كذا ؟ من سورة البقرة إلى أن وصل إلى قوله تعالى *"لكل جعلنا منكم شرْعةً ومنهاجاً"* قال : فتقدمت إليه وقلت له يا سيدي : هذه الآية محكمة أو منسوخة ؟ فقال لي محكمة، فقلت له ربما تكون دليلا لأهل الكتاب في عدم عموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فأجابني بجواب غير مقنع فسكت لأنه رجل مهيب".

ألّف عبد السلام حركات كتباً ورسائل ونوازل عديدة، منها واحد وعشرون في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا أكثرها أصول بخطه :

- *أحكام الجُلس والأجزية بسلا والرباط*، انتهى من تبييضه يوم الخميس ثامن أو تاسع جمادى الثانية عام 1230.
- *إرشاد الكبير المتعال في قول أئمتنا بالحق يعرف الرجال*.
- *تحفة الإخوان في زجر من يترك الشرع ويرتكب البهتان*.
- شرح *تحفة ابن عاصم* في أحكام القضاء، قال عنه ابن علي الدكالي : "في غاية الجودة والتحرير، يعترض فيه على شيخه سيدي التاودي ابن سودة غالباً".
- *الفتح الخلاق في صرف الجامعة للأوراق*، شرح به منظومة ابن الأبار.
- *تقدير فرض النفقه*، فرغ من تبييضه قرب الزوال من يوم السبت 17 جمادى الأولى عام 1232.
- *تنبيه الإخوان على ما وقع بين التواتي وأهل فاس فيما مضى من الزمان*.
- *نازلة تتعلق بالجائحة في الكراء*، فرغ من تبييضها بعد صلاة الظهر من يوم الاثنين السادس عشر من شهر رجب عام 1232. وهذا آخر تاريخ وقفنا عليه مما كتبه المترجم الذي تضاربت الآراء في تحديد سنة وفاته، فجعلها معظمهم بعد عام 1218. وقد عقد له عبد السلام ابن سودة ترجمتين في *إتحاف المطالع* الأولى باسم عبد السلام بن بوعزة حركات وجعل وفاته عام 1218، والثانية باسم عبد السلام بن عبد الله حركات وجعل وفاته في عشرة 1240.

توفي عبد السلام حركات بمسقط رأسه سلا بعد 16 رجب عام 1232 / 2 يونيه 1817. ودفن بالزاوية الناصرية أسفل العقبة الكبرى المفضية للجامع الأعظم.

م. ابن علي الدكالي السلاوي، *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط، ص 75 ؛ *الإتحاف الوجيز*، 125 ؛ عمر الرياحي، *تعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي*، تونس، 1320 هـ ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 358 ـ 362.

محمد حجي

**حركات، العربي** بن محمد بن بناصر السلاوي، أديب شاعر ـ كأبيه وأخيه ـ. التحق بإيطاليا بمدينة طورينو ضمن البعثات التعليمية ليدرس الفنون الحربية ابتداءً من سنة 1306 / 1888. وقد عاد إلى المغرب سنة 1315 / 1897 بعد تخرجه، فوجه لتدريب جنود المدفعية بالجديدة وأسفي. ويحكى عنه رفيقه الحسين الزعري أن همته كانت منصرفة دائماً إلى النحو والشعر.

ولما بسطت الحماية على المغرب انتقل من أسفي واستوطن سلا والرباط. فكان في أواخر أيامه إماماً بأحد مساجد الرباط لا يفتأ يقرأ الصحف الأجنبية. وله قصائد طوال في مدح السلطان المولىٰ يوسف.

توفي في حدود 1320 / 1902.

ع. ابن زيدان، *اليمن الوافر الوفي، في امتداح الجناب المولوي اليوسفي*، فاس، 1342 هـ؛ عبد الله الجراري، *من أعلام الفكر*، ج 2 : 368 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج 4 : 1358 ؛ *التعريف*، ج 2 : 242.

مصطفى بوشعراء

**حركات، محمد بن بناصر** السلاوي، فقيه فرضي حيسوبي، وأديب شاعر طويل النفس، لا نعرف الشيوخ الذين أخذ عنهم إلا أنه كان رفيق الشيخ أحمد بن خالد الناصري مؤلف *الاستقصا* الذي يعبر عنه بصاحبنا. فيكون من شيوخه السلويين محمد بن عبد العزيز محبوبة المتوفى بالحجاز سنة 1279 / 1863 وأبو بكر بن مَحمد عواد. ولا نعرف إن كانت له رحلة علمية إلى فاس. اشتغل مدة في مسقط رأسه بالتدريس والعدالة حيث كان مبرزاً في علم الفرائض، وألّف فيه *ألفية* (1120 بيتا) اشتهرت وقرظها كبار فقهاء العصر ؛ و*منظومة في أحكام المساقاة الفقهية*، كما عُرف بقصائده الطوال في المديح النبوي وفي مختلف الأغراض الشعرية، جمعت في *ديوان* وقف عليه مؤلف *أعلام الفكر المعاصر* وقال عن المترجم : "كان شاعر عصره، وأديب مصره، له ديوان ضخم اشتمل على قصائد مطولات، سلطانيات وإخوانيات، ومقطعات وأمداح في علماء بلده كأنها السحر الحلال، أو العذب الزلال".

كان محمد بن بناصر حركات على صلة بالسلطان الحسن الأول، يمدحه ويسجل الأحداث التاريخية البارزة في عصره، ومن ذلك قصيدة نونية تناهز ثمانين بيتاً سجل فيها ثورة الدباغين بفاس وما قام به الحسن الأول لاحتوائها والقضاء على فتنتها، مطلعها :

لله يا تلك التي تأوي الفنا     لا تنقُضي ما كان صبري قد بنى

ولعل المترجم اشتغل في أواخر حياته كاتباً بالبلاط، فكان يصاحب الحركات السلطانية في مختلف أنحاء البلاد.

توفي بسلا يوم السبت خامس وعشرى ربيع الأول سنة عشر وثلاثمائة وألف / 13 غشت 1898. ودفن خارج باب المعلقة.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 139 ـ 142 ؛ أ. الصبيحي، *الروض*، مخطوط، ص 100؛ م. ابن علي الدكالي، *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط، 107 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 2817 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، 2 : 106.

**حركات، محمد** بن **محمد** بن بناصر السلاوي ابن من قبله، وورثه في الأدب والقريحة الشعرية، كان من وجهاء العدول في سلا، جلس في دكان العدل الطيب ابن بوزيد بعد وفاته، وهو دكان برأس سوق الغزل تعاقب على العمل فيه عدول أعيان لعدة أجيال. كما اشتغل مدة في نظارة الأحباس، وكان من الأدباء الذين يحضرون حفلات عيد المولد النبوي بالقصر السلطاني أيام المولى يوسف ومحمد الخامس، وينشد فيها مولديات طوالاً نشر كثير منها مما يتعلق بالعهد اليوسفي في مجموع *اليمن الوافر الوفي*. ولمحمد حركات *ديوان* شعري مخطوط عند ولده، ومقيدات فقهية وأدبيّة.

توفي بالرباط عشية يوم الجمعة ثالث وعشرى محرم عام تسعة وثمانين وثلاثمائة وألف / 11 أبريل 1969 ودفن بمقبرة سيدي الخطاب بالعلو.

ع. ابن زيدان، *اليمن الوافر الوفي، في امتداح الجناب المولوي اليوسفي*، فاس، 1342 هـ ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3414.

محمد حجي

**الحَـرْكة**، مصطلح مخزني ـ بسكون الراء ـ وتعني ما يشبه الغزوة أو المسيرة العسكرية، والمشارك فيها يسمى الحارك. وقد احتفظت الكلمة في اللسان الدارج بمعنى يرتبط بالفرس والركض به، وكذا ألعاب الفروسية.

وربما كان أول مؤرخ استعمل مصطلح "الحرْكة" هو أين صاحب الصلاة في كتابه *المن بالإمامة* (ص 174 ـ 190) عندما تحدث عن فتوحات الموحدين في إفريقية والأندلس. كما استعملها للدلالة على تنقل المخزن تنقلا خاليا من أي عمل عسكري، وظل مصطلح الحرْكة يحمل مفهوم الجهاد والفتح، من العصر المرابطي إلى العصر المريني وذلك ما نجده عند بعض المؤرخين كعبد الواحد المراكشي.

ومن منتصف القرن العاشر (16 م) لم تعد الكلمة تعنى أعمال الفتح والجهاد خارج البلاد بل أصبحت تعنى تلك

العمليات العسكرية الداخلية التي تنظمها السلطة المركزية لإثبات سيادتها على جهة ما من البلاد. وهذا ما قام به سلاطين الدولتين السعدية والعلوية.

فالسلطان أحمد المنصور السعدي قام بأربع حركات بين سنة 986 / 1578 و990 / 1582 داخل البلاد قبل أن يستقر حكمه. أما في عهد الدولة العلوية فقد قام السلطان المولى الرشيد بإحدى عشرة حركة، والمولى إسماعيل بحركات عديدة لإخضاع الخارجين عن الطاعة وخاصة في الجبال، أما أهم حركات السلطان محمد بن عبد الله التي قام بها فهي إما حركات قادها عند ما كان خليفة لأبيه في مراكش حيث حَرَّكَ نحو سوس وحاحة، ثم حركاته عندما أصبح سلطانا وهي نحو عشرين حركة.

وفي عهد المولى سليمان الذي تميز بثورات القبائل والزوايا قام السلطان بحوالي خمس عشرة حرْكة أغلبها بين فاس ومراكش عبر مكناس، ثم حركات عبر خط آخر يقصد تازا وبني مگيلد والشاوية.

أراد كثير من المؤرخين الأوربيين أن يجعلوا أسباب الحركات المخزنية هي الرغبة في إخضاع الجزء الأكبر من المغرب الذي اعتبروا أنه يعيش في حالة "سيبة" مستمرة : فهنرى طيراس H. Terrasse يعتبر أن السلطان لم يكن يبسط حكمه على كل البلاد، وأن العلاقة التي تربطه مع القبائل هي علاقة عنف وقوة، وأن بلاد السيبة تمتد على الأطلس المتوسط وشمال الأطلس الكبير ومنطقة زمور والحدود مع الجزائر والواحات الصحراوية، واعتبر أن حالة السيبة ابتدأت في عهد المرينيين واستمرت قبائل السيبة تروم الاستقلال سواء كانت من القبائل المستقرة أو المتنقلة أو نصف المتنقلة.

وقد سار جون واتربري John Waterbury على نهج طيراس عندما قال بأن المخزن هو عبارة عن "نسق قار من العنف المستمر" يريد بذلك أن يفسر بأن الهدف من الحركات السلطانية هو إرغام القبائل على الخضوع بالقوة وأداء الضرائب للمخزن.

لاشك أن الغرض من هذه النظرة الاستعمارية واضح، ذلك أن هناك عدة أهداف كانت ترمي إليها الحركات السلطانية، كما أن العلاقات بين المخزن والقبائل حتى من كانت منها تبدو خارجة عن الطاعة هي علاقات يدخل فيها المخزن على الأقل دخول الحَكم والمؤدب لا دخول المبتز للضرائب انطلاقا من المعلومات المتوفرة عن القرن الثالث عشر (19 م) وما قبله.

نعم، عرف هذا القرن تزايد الحركات الموجهة إلى القبائل لدفع ما عليها من واجبات كالزكاة والأعشار التي هي ضرائب شرعية تكوّن أساساً مهما من أسس بيت المال. لكن هذا القرن الذي هو قرن التسرب الأوربي وجهت فيه إلى المغرب ضربات متنوعة الوسائل والأشكال، ضربات عسكرية واقتصادية وتجارية ونقدية، وأخرى ضد سيادة السلطة السياسية والقضائية والتشريعية. كان من نتائجها افتقار البلاد إلى المال وعلى الخصوص بعد الضربة العسكرية القاسية التي تلقاها المغرب عندما أجبر على خوض حرب تطوان سنة 1277 / 1860 وبعد دفع مقادير هامة من الغرامة المالية الباهضة التي فرضتها عليه إسبانيا كشرط للتخلي عن المدينة المحتلة تطوان، فلم يجد المخزن إلا أن يسلك طريق التماس المساعدة من مختلف الفئات، كما اضطر إلى فرض عدد من المكوس. لكن مع ذلك كانت الحركات الموجهة إلى القبائل سواء في عهد محمد بن عبد الرحمان أو في عهد الحسن الأول، وحتى في عهد جد هذا الأخير المولى عبد الرحمان بن هشام لا تهدف فقط إلى جمع المال ولكن إلى أهداف أخرى.

إذا كانت المعلومات متوفرة نسبيا عن الحركات التي قام بها سلاطين القرن الثالث عشر (19 م) فإن مسألة تنظيم الحركة وتموينها ومكوناتها نجد أوفر المعلومات عنها في العهد الحسني.

كانت الحركة تحتاج إلى عدة أنشطة واستعدادات تستدعى عمل عدة حرفيين مثل خياطي الخيام، وكان أغلبهم من اليهود، وصناع الدوم لتهيئة الشواريات والحصائر وصانعي الحبال ذات السمك المختلف حسب الحاجة لشد الخيام، كما تدخل فيها خدمات الأمناء لشراء العلف للبهائم وطحن القمح للتموين، ولإحصاء الخيل والبغال والإبل الموجودة تحت أيدي عمال القبائل.

قبل انطلاق الحركة كان يسبقها مهندس وميقاتي لمعاينة الطرق الصالحة لمرورها وتصويرها وتقسيم مراحلها بالساعات والدقائق ووصفها من أجل تعيين ميادين الاستراحة ومواضع الماء وتقييد القبائل التس سيكون المرور بترابها وعادة كل قبيلة في الحركة وما تقوم به من الخدمات، وما يلزم الحارك من التموين وما يكفى لعلف الدواب ... الخ

وكان تقرير المهندس والميقاتي يعرض على عمال كل ناحية فإما أن يسلموا به وإما أن يبدوا نظرهم فيه. وكانت الحركة في عهد السلطان المولى الحسن تضم ما بين 15.000 و70.000 رجل. فكل قبيلة تعطي 200 حارك من فرسان ورماة، وكانت بعض القبائل لا تعطي إلا الرماة مثل جبالة، بينما تمنح قبائل السهول الفرسان.

في بيان تقييد المشاركين في إحدى الحركات الحسنية نجد أن عدد المشاركين 15.900 موزعين كالآتي : 8.000 من العسكر، 1.500 من المسخرين. 1.000 من رماة الحناطي البرانيين والداخليين (المقصود أصحاب الحرف الموجودين خارج القصر وداخله) 400 من الحمَّارة و1.000 من الراجلين و400 من أصحاب الخيل، وغيرهم.

وهناك بيانات عن عدد كل نوع من البهائم المسيرة في الحركة وكمية العلف التي تحتاج إليه في اليوم وفي الشهر وفي ثلاثة أشهر.

قبل انطلاق الحركة يكون العمال قد أرسلوا جلود البقر والمعز والضأن، وحبال القنب وخيوط الكتان، والفؤوس والمعاول والمطارق إلى الفرايگى وهو صاحب أفراگ أو خيام السلطان.

كانت هذه الخيام تنصب قبل انطلاق الحـْركة لاستقبال الذاهبين فيها، من وزراء وقضاة وعلماء وأعيان وشرفاء ورؤساء الجند ورجال الدولة. وتقام حفلات دينية تستمر ثلاث ليال. وعندما تجتمع الوفود تنطلق الحركة متتبعة الطريق الموصوفة من طرف المهندس والميقاتي.

كانت الحـْركة تتوقف في محطات معينة للاستراحة، وإذا كانت المشاكل الواجب حلها من طرف المخزن لدى القبائل متعددة أو شائكة فإن مدة سفر الحـْركة تطول وتمتد إلى ستة أشهر من فاس إلى مراكش على سبيل المثال.

كانت الحـْركة تنتظم على شكل خاص يبدو كهيئة مدينة مسورة دائرية تتوسطها خيام السلطان حيث السيوان وهو خيمة السلطان وبإزائه المسجد، فخيمة اجتماع الهيئة المخزنية ثم خيام المكلفين بالخدمات الشخصية للسلطان مع عبيد الدار وأخبية أسرة السلطان وخيام الطبجية (المكلفين بالمدافع) والحرابين وكبار الموظفين.

تحيط بهذه الدائرة دائرة ثانية تتكون من خيمة الفرايگيّة وخيمة مسخرى أهل سوس ثم أيت الربع، فعبيد البخاري الحارسين لخزينة المال. ولا بأس أن نورد بعض المعلومات المتعلقة بخزينة المال. لقد كان انعدام الأوراق المالية في ذلك الوقت يجعل حجم كمية متواضعة من القيمة المالية كبيراً ثقيل الوزن. فما بالك بخزينة مال مدينة متنقلة كالحركة. لقد كان المال المكون لـ"خزينة المال" يحمل على خمسين بغلة. على كل بغلة 4.000 ريال موزعة على أربعة صناديق في كل واحد ألف ريال.

إزاء هذه القافلة قبائل الشراردة - الرحامنة - زمران - شراگة، الأوداية - جيش أهل سوس الخ... ووراءها من الناحية القبلية الشمالية السوق، ثم مخيم محلة العسكر فخيام محال القبائل المصاحبة للسلطان من جميع أنحاء البلاد. ويفصل بين هذه الخيام ممرات كأزقة عمومية وحومات.

سبق القول إن هدف الحركة لم يكن فقط استخلاص الضرائب، لأن ذلك كان موكولا إلى أمناء مختصين أحدثوا في عهد السلطان المولى الحسن للإشراف على قواد القبائل يقومون بهذا الواجب في الحالات العادية - كما أن القبيلة كانت مقسمة إلى فرق يمكن لفرقة واحدة أن تخرج عن الطاعة أو تمتنع عن أداء ما عليها للمخزن، ولكن هذا الامتناع لم يكن نابعا دائماً من الحب في الانفصال بقدر ما كان راجعا للحالة الاقتصادية للقبيلة، إذ قد تكون أرضها جذباء أو تعيش حالة فقر ربما زاد الجفاف من حدتها، وما أكثر ما وقع ذلك.

هكذا يمكن أن نلاحظ عدة وظائف أو أهداف ترمي إليها الحركات السلطانية :

أ - تفقد الرعية : حيث يقوم السلطان في هذه الحركات التفقدية بالنظر في أحوال الرعية والاتصال بالأماكن البعيدة لإثبات حضور المخزن، ولتلقي وفود القبائل من أجل تجديد الطاعة والولاء. وتمارس السلطة خلال الحركة السياسية اليومية، يقول السباعي في كتابه *البستان الجامع* "إن السلطان المولى الحسن كان في تنقله يمارس السياسة والقضاء والأحكام. لقد كان إذن يستمع إلى شكاوي الناس بمعية المخزن، ويفصل في النزاعات.

تبين الوقائع أن القبائل المتنازعة كانت تستدعي المخزن للفصل في النزاعات فيما بينها والتي كانت تقوم إما على الأرض أو الماء أو الغابة ... الخ. وكانت أخرى لا تمانع على الأقل في توسط المخزن أو السلطان نفسه في حل النزاعات والخضوع لأوامره، مثال تدخل مخزن السلطان المولى عبد الرحمان بالتي هي أحسن بين قبيلة هنتيفة عند قدم الأطلس الكبير وبين أولاد بوسبع. ولم يستعمل المخزن القوة، مما يفند أطروحة بعض مؤرخي الاستعمار. مثال آخر من عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان حيث وقع نزاع سنة 1288 / 1871 بين الفرق الثلاث لأيت يوسي المعروفة بضراوتها والموجودة في جانبي الأطلس جنوب فاس وصفرو، وكانوا لا ينضبطون لأوامر القائد الذي لم يكن يستطيع الهيمنة على كل تراب القبيلة لشساعته، واستمر النزاع فاستغاثت إحدى فرقهم بالسلطان الذي كان نداؤه لهم بالرجوع إلى الصواب والتآخي وخضوعهم له سبباً كافياً لنهاية الحرب ووسيلة لاستتباب الأمن عندهم، وهذا يفند أطروحة طيراس التي تدخل هذه القبيلة ضمن قبائل السيبة.

ب - تأديب القبائل. كانت بعض الحـْركات تستهدف تأديب بعض القبائل إما لطغيانها وتعديها على جيرانها من القبائل الأخرى أو لفسادها وقطعها للطرقات، فينظم المخزن حركات من هذا النوع مثل حركة المولى عبد الرحمان ضد بني موسى الذين قتلوا عاملهم أحمد بن زيدوح، ومثل حركة المولى الحسن ضد زمور الذين قتلوا نائب عاملهم أحمد بن المودن الفرجي، وحركته ضد بني مطير الهاجمين على مكناس، وحركته ضد بني إزناسن الذين أجبروا عامل السلطان ابن الشليح على التنازل لصالح ابن البشير سنة 1293 / 1876 فتمكنت هذه الحركة من إرجاع ابن الشليح إلى منصبه.

أما الحركات من أجل استخلاص الجبايات فهي عديدة ولكن ليست وحيدة - كما رأينا، وكما أراد بعض المؤرخين الأجانب أن يوهموا بذلك - وتكفي الإشارة إلى أن أهم القبائل التي نظمت ضدها حركات من هذا النوع هي زمور سنة 1259 / 1843 و1270 / 1853 وتافيلالت 1271 / 1854 والرحامنة 1292 / 1875 وسوس 1304 / 1886.

كان الهدف من بعض الحركات وبالخصوص تلك التي قام بها السلطان المولى الحسن، مرتبطا بظروف المغرب

آنذاك تجاه الدول الأوربية المتنافسة عليه. ففي سنتي1330 / 1882 ـ 1886 نظم السلطان حركتين إلى سواحل سوس التي كانت محل توافد مكثف للأجانب. كانت الحركة الأولى تضم ما بين 40 ألف و70 ألف رجل لم تحدث خلالها أية مواجهة، ولكن يمكن القول إن الحركتين حققتا بعض الأهداف مثل إلغاء بعض الوكالات التجارية الأوربية بسوس، وكذلك تحقيق إصلاحات إدارية، وإعادة تقسيم المنطقة الواقعة في يد كبار القواد إلى عدة قيادات أسندت إلى قواد جدد. وفي محرم عام 1311 / أواخر يوليوز 1893 توجه نفس السلطان إلى تافيلالت على رأس حركة قوامها 30.000 نفر إضافة إلى حركة ابنه المولى محمد، والغرض من ذلك الاتصال بوفد سكان توات للتنسيق في أمر مواجهة الجيوش الفرنسية الراغبة في احتلال توات.

وكخلاصة يمكن القول إن "الحركة" كانت ممارسة مخزنية عادية ومظهراً لتنقل السلطان عبر أنحاء البلاد لممارسة السياسة على الرعية. ولا ننسى ما تحمل هذه الكلمة من معنى الحركة ليس بالنسبة للحاركين فقط، وإنما بالنسبة لتنشيط الحياة الاقتصادية بتعبئة العديد من أهل الحرف والصنائع وما يتبع ذلك من تبادل الأنشطة والخدمات وحركة البيع والشراء.

ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 1962، العدد 1 ص. 189 ؛ *إتحاف أعلام الناس*، 2 و5، الرباط، 1930 ؛ م. أعفيف، *الحركات الحسنية من خلال مؤلفات ابن زيدان*، مجلة كلية الآداب بالرباط، العدد السابع، 1980 ؛ ج. عياش، *دراسات من تاريخ المغرب* ؛ *الوظيفة التحكيمية للمخزن*(Rabat 1979) ؛ ع. العروي، *الأصول الثقافية والاجتماعية للوظيفة المغربية*، باريس 1977 ؛ أ. العلمي، *الحركة كممارسة إصلاحية في عهد مولاي الحسن*، في ندوة *المغرب من العهد العزيزي إلى سنة 1912* ؛ الجامعة الصيفية المحمدية يوليوز، 1987، ج 2 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956 ج 9.

عبد الإله الفاسي

## الحركة الديموقراطية الاجتماعية
## ← الحركة الوطنية الشعبية

**الحركة الشعبية** أول حزب سياسي تأسس بعد استقلال المغرب. ولم يكن ميلاده أمراً سهلاً، بسبب هيمنة فكرة الحزب الوحيد لدى بعض السياسين المسيطرين آنذاك.

أُعلن عن تأسيس الحركة الشعبية في شهر شتنبر 1957 من طرف بعض زعماء المقاومة وقادة جيش التحرير، وخاصة الدكتور عبد الكريم الخطيب وعبد الله الوكوتي والمحجوبي أحرضان والصنهاجي والطيب بلعربي وحدو أبرقاش، واختيار هذا الأخير كأول كاتب عام للحزب، لكن وزارة الداخلية أغلقت مقر الحزب بشارع علال بن عبد الله بالرباط. وبالرغم من منع الحزب وإغلاق مقره فإن المؤسسين لم ييأسوا، فأصدروا جريدة *المغرب العربي*، بالعربية، *والعمل* بالفرنسية، وظلوا يناضلون حتى صدر قانون الحريات العامة يوم 15 نونبر 1958. ولذلك فإن الحركة لم تستفد من نظام الحزب إلا بعد صدور هذا الظهير.

عقد المؤتمر التأسيسي للحركة الشعبية في أكتوبر 1959 ولم يصدر عنه أي برنامج سياسي واضح، ومع ذلك فقد بعث هذا التأسيس الأمل في سكان العالم القروي الذين ضحّوا بالغالي والنفيس من أجل الاستقلال وعودة الأسرة الملكية من المنفى، إلا أنهم لم يتمتعوا به، وهذا ما جعل المحجوبي أحرضان يقول : "لم نطالب بالاستقلال لكي نفقد الحرية"، ولم تمنع الاضطهادات المواطنين من مختلف الفئات من الانضمام إلى الحزب الجديد الحركة الشعبية، وخاصة في العالم القروي.

وبعد سنة 1959 حاولت مجموعة من الشباب المتحمس تنظيم وهيكلة الحزب فشرعت في تأسيس المنظمات الموازية بدءاً بالشبيبة الشعبية التي يعود الفضل في تأسيسها إلى إدريس بلحسين (3 / 7 / 1960). وفي الميدان النقابي أنشئ اتحاد نقابات العمال الأحرار سنة 1963 الذي أصبح يحمل منذ 1983 اسم اتحاد النقابات الشعبية.

ثم توالت الأحداث وصوتت الحركة الشعبية بنعم على أول دستور مغربي سنة 1962 ثم دخلت في جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية وشاركت في انتخابات 1963 ؛ واستطاعت أن تحصل على 43 مقعداً، مما هيأها لتترأس أول برلمان مغربي في شخص الدكتور عبد الكريم الخطيب.

وتأثرت الحركة بالجو السياسي العام في المغرب بين المد والجزر، وواجهت زعيم الحركة الشعبية المحجربي أحرضان تحركات عديدة في إدارة الحزب سنوات 65 و66 و67 و75 و78 و79 و1985. كانت تسعى إلى وضع الحزب على المسار الصحيح الذي يرعى المصلحة العليا للبلاد والشعب المغربي. فكان ردّ فعل المحجوبي أحرضان طرد العديد من الحركيين القدماء المخلصين للحزب وللجماهير الحركية.

إذا كان المؤتمر التأسيسي للحركة الشعبية سنة 1959 لم يصدر عنه بيانات ولا مواقف سياسية واضحة، فإنه انطلاقا من المؤتمر الثاني للحركة المنعقد في أكتوبر 1962، أخذت تنبثق بعض المواقف والمبادئ منها ما سمي آنذاك "بالاشتراكية الإسلامية" كقاعدة للبرنامج السياسي، وذلك بتوزيع أراضي الدولة وأراضي الأحباس على القبائل والجماعات المحلية. كما برز في هذه المواقف الاهتمام بالثقافة الأمازيغية بحيث طالب المؤتمر بالعمل على تشجيع تعليم اللهجات الأمازيغية.

وقد عزا الدكتور الخطيب تبني الاشتراكية الإسلامية إلى أنه يستهدف "منع الشعب المغربي من الاتجاه إلى المادية وخاصة الماركسية، وأننا نريد أن نبني دولة عصرية تظل جذورها ثابتة في الإسلام. ونحن لا نعتقد أن في وسعنا أن نتقدم بالنسبة لطبائعنا ودخائل نفوسنا بدون

الدين. والإسلام هو الذي يفرض علينا تحرير المرأة عندنا، وهو الذي يحل لنا مشاكل الملكية وتوزيع الأرض وحتى مشاكل المال والتجارة، وأنا لا أعني ما طرأ على الإسلام من صور مشوهة في الألف سنة الأخيرة وإنما أعني روحيته الأصيلة وطهره".

وبعد ذلك عقدت مؤتمرات أخرى ودائما وسط خلافات على الزعامة في صفوف قادتها. وقبل مؤتمر 1966 أي في سنة 1965، وقع خلاف بين المحجوبي أحرضان وعبد الكريم الخطيب سببه تأييد عبد الكريم الخطيب لملتمس الرقابة الذي تقدمت به أحزاب المعارضة ورفض أحرضان له. وعقد المؤتمر الخامس سنة 1966 وسط خلاف بين أحرضان والخطيب مما أدى إلى أول انقسام الحركة إلى حركتين :

1 - الحركة الشعبية بزعامة المحجوبي أحرضان التي ظلت محافظة على اتجاهها التقليدي.

2 - الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية التي تأسست سنة 1967 بزعامة الدكتور عبد الكريم الخطيب.

وعن سبب الانقسام يري الدكتور عبد الكريم الخطيب أنه يعود إلى تأييد المحجوبي أحرضان لحالة الاستثناء المعلنة سنة 1965 في البلاد بعد أحداث مدينة الدار البيضاء. ورفض الخطيب لها.

أما المحجوبي أحرضان فيذكر أنه "في الواقع لم يقع أي انقسام داخل الحركة الشعبية، فقد انعزل الدكتور الخطيب بنفسه عن الحركة الشعبية، وأضاف قائلا، وأريد أن أقول إن الدكتور الخطيب صديق كفاح قديم، وأكن له كل تقدير، وقع بيننا سوء تفاهم فقط، لكن لم يحدث أي انقسام داخل صفوف الحركة الشعبية، والدليل على ذلك أن الخطيب كان له نائب واحد في البرلمان الحالي (برلمان 1977 - 1983). وإن القول بوقوع انقسام داخل الحركة الشعبية ليس صحيحا. كل الذين خرجوا عن الحركة الشعبية إما طردوا أو استقالوا، ولم يقع أي انقسام".

وحول اتهام الحزب بأنه "حزب عنصري" أمازيغي يقول أحرضان : "نحن ندافع عن الشخصية المغربية، ونعمل من أجل الحفاظ على الأخوة بين العرب والأمازيغ، ولقد كان الأمازيغ هم سيف الإسلام. والاستعمار هو الذي حاول التفريق بين العرب والأمازيغ، نحن ندافع عن الشخصية المغربية وعن الثقافة المغربية ولا يمكن أن نقبل بخلق نزاع. والحمد لله لا يوجد أي نزاع في المغرب من هذا النوع، والذين يقولون بهذه الفكرة هم هيأة سياسية معينة ترمي إلى تحطيم حزبنا، نحن نقول إن اللغة العربية هي لغة القرآن والإسلام ولغة الرحمة".

ويضيف : "أنا أكنّ للغة العربية كل تقدير، ويجب أن يكون كذلك للغة الأمازيغية وضعها. لا توجد مشكلة بين العرب والأمازيغ، المشكلة حول التراث الثقافي فقط، ولابد من المحافظة على التراث وعلى الشخصية المغربية".

وبعد انتخابات 1983 و1984 اتخذ الأمين العام للحركة الشعبية المحجوبي أحرضان موقفا مناهضا للحكم واتهمه بتزوير الانتخابات وبالضغط على مرشحي الحركة وعرقلة تجمعاتهم ودفعهم ليتركوا أماكنهم للمرشحين المساندين من طرف السلطة، كما أنه رفض المشاركة في الحكومة الجديدة إثر خلاف حول مشاركته فيها، وفضل أن يبقى في المعارضة دون مناقشة الأمر مع هياكل الحزب، وقام بطرد عدد من أعضائه ؛ وبذلك أصبحت مسألة إجراء تغيير ملحة وضرورية لإرساء الديموقراطية داخل الحزب. وهكذا وبعد معاينة انعدام نشاط الحزب وشلل هياكله وعدم قدرة قيادته على مسايرة تطور المجتمع المغربي وتلبية طموحات وآمال مناضلي الحركة الشعبية وعدم وجود أي اتصال بين أجهزة الدولة والحزب طالبت القوات الحية في الحزب بتغيير الهياكل وتجديد القيادة وتدبير أحسن لشؤون الحزب. وهذا ما أدى إلى تكتل عدد من القياديين الحركيين وقيامهم بحملة واسعة في أوساط الحركيين لتفسير وضعية الحزب والفراغ الذي يعيشه الحركيون من جراء الجمود والتوقف الذي عرفه نشاط الحزب نتيجة المواقف الانفرادية لزعيمه. فتمكنوا من جمع النصاب القانوني لأعضاء المجلس الوطني طبقا للقانون الأساسي للحزب. وعقد مؤتمر استثنائي أيام 4 و5 و6 أكتوبر عام 1986. تبنّى نظاما أساسياً جديداً يعتمد على قيادة جماعية تتكون من ثمانية أمناء وطنيين. واتفقت القيادة الجماعية على إسناد منصب الأمين العام للسيد محند لعنصر. وفي هذا المؤتمر أقال المؤتمرون زعيم الحزب السيد المحجوبي أحرضان. ومنذ هذا الوقت انفصلت الحركة الشعبية عن شخص المحجوبي أحرضان.

ومنذ المؤتمر الاستثنائي للحركة بدأ العمل على جميع المستويات المركزي والمحلي منها. فعلى الصعيد المركزي شاركت القيادة الجديدة في العمل السياسي الوطني والدولي وذلك باتخاذ المواقف اللازمة إزاء مشاكل الساحة السياسية، هذا فضلاً على أن الأمانة العامة كانت تعقد اجتماعاتها بانتظام بجانب اللجنة المركزية والمجلس الوطني.

وعلى الصعيد المحلي عُقدت التجمعات الإقليمية والمحلية، وفتحت العديد من المكاتب وفق خطة إعادة تنظيم وهيكلة الحزب. وقد أعطى التنظيم والهيكلة نتائجه إذ تمكن الحزب خلال انتخابات 1992 الجماعية من فرض وجوده في عدد من الجماعات الحضرية كالرباط وسلا والبيضاء ومراكش والعرائش وطنجة الخ .. أما الانتخابات البرلمانية فقد جعلت من الحركة الشعبية القوة السياسية الثالثة في البلاد بـ 54 برلمانيا، وهذا ما سمح لها بأن تشارك في الحكومة الحالية، حكومة الدكتور عبد اللطيف الفيلالي بثمانية وزراء.

وآخر مؤتمر عقدته الحركة الشعبية هو المؤتمر الثامن بالرباط أيام 11 و12 و13 نوفمبر 1994 ؛ وفيه صادق المؤتمرون على قانون أساسي جديد وتم انتخاب السيد محند

لعنصر أمينا عاما للحزب.

يتضمن القانون الأساسي الجديد 39 فصلا موزعة بين أهداف الحزب وشروط العضوية وتنظيم الحركة الشعبية، كالمؤتمر الوطني ومنصب الأمين العام والمجلس الوطني واللجنة المركزية والمكتب السياسي والهيئة الاستشارية واللجنة التأديبية وأموال الحركة.

ا ـ أهداف الحزب : تؤكد فيه الحركة الشعبية تشبثها بالقيم الوطنية المقدسة وتعلقها بالملكية الدستورية التي تعتبرها الإطار الوحيد الذي يضمن للأفراد والجماعات حريتهم وتؤكد الحركة انتماء المغرب للأمة العربية الإسلامية وتسعى بصورة خاصة إلى تحقيق ما يلي :

أ ـ في المجال السياسي :

1 ـ تدعيم ممارسة الديمقراطية المحلية بإرساء أسس جهوية حقة في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

2 ـ الدفاع عن سيادة المغرب ووحدته الترابية وتعبئة كل الطاقات من أجل تحرير باقي الأراضي المستعمرة.

3 ـ تدعيم دولة القانون والدفاع عن حقوق الإنسان والتشبث باحترام الحريات الفردية وكرامة المواطن المغربي.

4 ـ تنظيم المواطنين لجعلهم قادرين على تسيير شؤونهم في مختلف المجالات وتوعيتهم لممارسة العمل الديمقراطي في إطار الملكية الدستورية.

5 ـ تعبئة الشباب من أجل توجيه طاقاته الخلاقة للمساهمة في تنمية البلاد مع دعم دور المرأة المغربية وجعلها تمارس حقوقها كاملة.

6 ـ دعم تطلعات المغرب الوحدوية مع دور المغرب العربي والتضامن العربي الإسلامي.

7 ـ تأييد كفاح الشعب الفلسطيني من أجل تقرير مصيره والتضامن مع الشعوب المكافحة من أجل استقلالها.

8 ـ التضامن مع كل المبادرات الساعية إلى تحقيق سلم دائم وعادل.

ب ـ في المجال الاقتصادي :

1 ـ تدافع الحركة الشعبية عن الحرية الاقتصادية حيث يجب علي الدولة أن تضمن احترام إطار تدخل المواطنين.

2 ـ تساند لامركزية القرارات الاقتصادية مع تدعيم موارد الجماعات المحلية التي تعتبر أساس وقاعدة لتنمية اقتصادية حقة للبلاد.

3 ـ التطور الاقتصادي لتحقيق المزيد من العدالة الاجتماعية والرفع من المستوى المعيشي لكل الفئات الشعبية.

4 ـ تؤكد الحركة الشعبية بالخصوص تشجيع الفلاحة التي تمثل مورد أغلبية السكان والنهوض بالعالم القروي حتى يساير بصفة موازية الركب التنموي للمناطق الحضرية.

5 ـ كما تطالب بتزويد العالم القروي بتسهيلات مالية وإدراية لتمكينه من مشاركة فعالة في التنمية الاقتصادية دون إفقاره. كما تطالب الحركة بإصلاح زراعي يمكن من ازدهار وتطور هذا القطاع الحيوي الذي يعتبر مورد عيش لكثير من السكان. مع توفير الماء والكهرباء والطرق.

ج ـ في المجال الاجتماعي :

ـ إن السياسة الاجتماعية للحركة الشعبية تهدف إلى الدفاع عن مصالح الفئات الاجتماعية الأكثر فقرا بإرساء عدالة اجتماعية. وتؤكد بالخصوص على الدفاع عن العالم القروي والشبه الحضري لتمكينهم من ممارسة حياة اجتماعية مستمرة وكفيلة بالتوازنات الاجتماعية والديموغرافية الضرورية لتطور اقتصادي شامل.

1 ـ على مستوى التعليم تناضل الحركة من أجل وضع قواعد سياسة تعليمية واضحة في إطار ميثاق وطني يحظى بإجماع التيارات السياسية، ويأخذ بعين الاعتبار العوامل الحضارية والثقافية والتاريخية للبلد.

2 ـ كما تنادي الحركة بالتعليم للجميع، وكل طفل له الحق في التعليم كيفما كان انتماؤه الاجتماعي.

3 ـ على صعيد الثقافة تطالب الحركة بتدعيم كل الوسائل الكفيلة بتمكين المواطنين من المحافظة على ثقافتهم المبنية على الحضارة والتاريخ والتقاليد، ومقاومة كل تشويه وإهمال للثقافة الوطنية بمكوناتها الأساسية : الثقافة العربية والثقافة الأمازيغية. ومن اللازم صيانة هذه الثقافة وذلك بإجراء البحوث والدراسات.

4 ـ في ميدان الشغل تناضل من أجل ضمان الشغل لكل المواطنين واحترام حقوق الطبقة العاملة.

5 ـ وفي مجال الصحة يعتبر الحزب أن التطبيب حق أساسي لكل مواطن، ويهيب بالسلطات العمومية إلى تعميم المراكز الصحية والعيادات وضمان الشروط الضرورية لاستفادة المواطنين من العلاج وخاصة سكان العالم القروي.

ج ـ ميدان المحافظة على البيئة

إيمانا من الحركة بأن كل تغيير للبيئة يترتب عنه خلل في النظام البيئي، ووعيا منها بخطورة مشاكل البيئة الناجمة عن التلوث، والتعمير العشوائي، والتصنيع غير المحكم ببعض المناطق، والعواقب الوخيمة التي يمكن أن تنتج عنه، فإن الحركة الشعبية تناضل من أجل :

1 ـ المحافظة على البيئة وعقلنة استغلال وتدبير الموارد والثروات الطبيعية، مع الأخذ بعين الاعتبار النمو الديمغرافي للبلاد.

2 ـ المحافظة على كل الثروات الوطنية واستثمارها بطريقة تسمح بالتحكم في التوازن البيئي.

3 ـ مقاومة كل أشكال القضاء على الغابة، وانجراف التربة، والتصحر، وأي خلل يمس بالأنظمة الطبيعية للوديان والمسطحات المائية والمياه الجوفية والشواطئ.

II ـ العضوية :

يخضع الانخراط في الحزب لشروط نجد بعضها في جميع الجمعيات طبقا لظهير 15 نوفمبر 1958 وهي كالآتي :

1 ـ أن يكون المنخرط مغربيا متمتعا بحقوقه المدنية. 2 ـ أن يبلغ من العمر الأقل 18 سنة. 3 ـ أن يلتزم صراحة بالدفاع عن مبادئ الحركة. 4 ـ أن ينتظم في خلية من خلايا الحركة ويحضر اجتماعاتها. 5 ـ أن يدفع اشتراكاته بانتظام ويحصل على بطاقة العضوية.

III ـ تنظيم الحركة الشعبية :

تتألف الحركة الشعبية من تنظيمات خلوية وإقليمية وهيئات وطنية :

أ ـ فالخلية تشكل الوحدة الأساسية للحركة على مستوى الحي في المدن والقرى والجماعات المحلية في العالم القروي.

تفتح المكاتب بقرار من الأمانة العامة لهذا الغرض.

يكون كتاب الخلايا في الجماعات هيئة الحركة على مستوى الدائرة. ومن مكاتب الدوائر يتكون المجلس الإقليمي الذي ينبثق عنه المكتب الإقليمي الذي يسهر على تنظيم النشاط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي على مستوى الإقليم.

ب ـ وعلى المستوى الوطني تباشر الحركة مسؤولياتها بواسطة هيئاتها الوطنية التالية :

1 ـ المؤتمر الوطني : وهو أعلى جهاز للحركة ويضم ممثلي المكاتب المحلية، وأعضاء المجلس الوطني، وأعضاء المجالس الإقليمية، والمكاتب الإقليمية واللجنة المركزية، والمكتب السياسي، والهيئة الاستشارية، وممثلي الشبيبة والنقابات والطلبة والاتحاد النسوي وغيرها من الجمعيات والمنظمات المنتمية للحزب. وينعقد المؤتمر مرة كل ست (6) سنوات. كما أنه يمكن أن يعقد في دورة استثنائية بطلب من ثلثي أعضاء المجلس الوطني، كما حدث سنة 1986، وباستدعاء من الأمانة العامة.

والمؤتمر الوطني هو الذي يقوم بإعداد سياسة الحزب وتنظيمه، والبحث عن الموارد المالية، وانتخاب الأمين العام والمصادقة على المجلس الوطني.

2 ـ الأمين العام : ينتخبه المؤتمر الوطني ويحق له أن يختار أعضاء من المكتب السياسي يساعدونه في مهامه. والأمين العام هو الذي يسهر على تنفيذ قرارات المؤتمر الوطني، ويسير إدارة الحزب، ويدير أموال الحركة، ويترأس اجتماعات المكتب السياسي، واللجنة الإدارية واللجنة التأديبية. ويمثل الحزب أمام السلطة الإدارية والقضائية. كما أنه يعتبر الناطق الرسمي للحزب، ويقوم بتعيين المفتش العام للحزب والمفتشين الإقليميين ونوابهم.

3 ـ المجلس الوطني : يصادق المؤتمر الوطني على تكوين المجلس الوطني الذي يتألف من ممثلي المجالس الإقليمية في حدود خمسة إلى عشرة أعضاء اعتماداً على عدد منخرطي الإقليم، بجانب أعضاء الفريق البرلماني وممثلين عن الشبيبة والنقابات والطلبة والاتحاد النسوي والجمعيات الموازية ؛ هذا فضلاً عن خمسين (50) عضوا يقترحهم الأمين العام.

يجتمع المجلس الوطني مرة كل سنتين في دورة عادية، كما أنه بإمكانه عقد دورات استثنائية. ويسهر المجلس الوطني على تطبيق توجهات المؤتمر ودراسة السياسة العامة للبلاد، ويحدد مواقف الحزب طبقا لتوجيهات المؤتمر الوطني. ويقوم المجلس الوطني بانتخاب من بين أعضائه ممثلي المجالس الإقليمية في اللجنة المركزية.

4 ـ اللجنة المركزية : تتكون من أعضاء المكتب السياسي والفريق البرلماني وعضو واحد عن كل إقليم و20 عضوا يقترحهم الأمين العام. وتجتمع اللجنة المركزية مرة كل ستة أشهر على الأقل باستدعاء من الأمين العام. وتناقش تقرير المكتب السياسي، كما تقيّم نشاط مختلف الأجهزة الحزبية، وتوجه المكتب السياسي، وتسهر على احترام السياسة العامة للحزب تمشيا مع مقررات وقرارات المؤتمر الوطني.

5 ـ المكتب السياسي : يعتبر أداة تنفيذ وعمل مستمر وهو الذي يحدد مواقف الحزب ويوجه إعلامه ويتابع أعمال مختلف هياكل الحزب ومنظماته، ومن بين أعضائه يعين أعضاء الأمانة العامة. يجتمع المكتب مرة في الشهر على الأقل وكلما دعت الضرورة إلى ذلك.

6 ـ الهيئة الاستشارية : تتكون من حركيين أسدوا خدمات جليلة للحركة، ويستعين بها المكتب السياسي عند الحاجة. وقد يكلف أعضاؤها بمهام لدى منظمات الحزب.

وبالإضافة إلى الأبواب السابقة هناك بنود خاصة باللجنة التأديبية وبأموال الحركة. ففيما يتعلق بموارد الحركة فإنها تتكون من واجبات انخراط الأعضاء، والإعانات والفوائد العامة. وتتم مراقبة تدبير أموال الحزب من طرف لجنة مكونة من أربعة أعضاء ورئيس يتم انتخابهم لمدة سنة من طرف اللجنة المركزية. وتقوم اللجنة المالية بإعداد التقرير السنوي وتسليمه للأمين العام وتعرضه على اللجنة المركزية.

## الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية

← الحركة الشعبية

**الحركة الوطنية الشعبية**، تكونت بزعامة المحجوبي أحرضان سنة 1991 بعد إقالته من الحركة الشعبية على إثر مؤتمرها الاستثنائي في أكتوبر1985. فبعد خمس سنوات من الركود دعا المحجوبي أحرضان إلى عقد مؤتمر تأسيسي في مراكش أيام 18 و19 يوليوز 1991 أسفر عن تأسيس حزب جديد يحمل اسم الحركة الوطنية الشعبية.

وقد دخل أحرضان مع مناصريه انتخابات سنة 1992 الجماعية و1993 البرلمانية. وبالرغم من حداثة حزبه فإنه فرض وجوده في عدد من المناطق والمدن التي كانت خاصة فيما سبق بالمعارضة التقليدية كمراكش والدار البيضاء وسلا، هذا فضلاً عن مناطقه التقليدية المعتادة وأصبح للحركة الوطنية الشعبية فريق في البرلمان يتكون من 25 برلمانيا.

إلا أنه وفي هذه المرة أيضاً عرفت الحركة الوطنية الشعبية ومن خلال الفريق البرلماني انشقاقاً تكون على إثره فريقان برلمانيان : أحدهما تابع لأحرضان يتكون من اثني عشر برلمانياً، والآخر تزعمه محمود عرشان ويبلغ عدده سبعة عشر برلمانياً، وأطلق عليه فريق الحركة الوطنية الديمراطية الاجتماعية. وتطور هذا الفريق الجديد إلى حزب جديد عقد مؤتمره في شهر يونيو 1996 وحمل اسم الحركة الديمقراطية الاجتماعية وأصبح السيد حمود عرشان أول أمين عام لها.

وفيما يتعلق بالقانون الأساسي للحركة الوطنية الشعبية فهو نفس القانون الأساسي للحركة الشعبية الأم.

*لقاءات وجلسات خاصة مع بعض القادة التاريخيين للحركة* ؛ فائزة سارة، *الأحزاب والقوى السياسية في المغرب*، 1990 ؛ المهدي بن بركة، *الاختيار الثوري في المغرب*، بيروت، 1966 ؛ روم لاندو، *مراكش بعد الاستقلال*، تعريب خيري حماد، بيروت، 1961 ؛ جون واتر بوري، *الملكية والنخبة السياسية في المغرب*، تر. ماجد نعمه وعبود عطية، بيروت، 1982 ؛ *الحركة الشعبية نضال واستمرارية*، نشر حزب الحركة الشعبية، بدون تاريخ ؛ *استجواب مع محند لعنصر الأمين العام للحركة الشعبية* مجلة : *Le Libéral magazine*, n° 15, Mars 1989 pp. 12 - 2 ؛ *استجواب مع السيد المحجوبي أحرضان* في مجلة : *Le Libéral magazine* n° 23 Janvier 1990 pp 15 - 19. ؛ حدو أبرقاش، *مذكرة إلى السادة أعضاء الأمانة العامة للحركة الشعبية* مؤرخة في 20 / 4 / 1989 محررة بالرباط ؛ حدو ابرقاش ومحمود عرشان، *بلاغ إلى أعضاء الحركة الشعبية* موقعة باسم لجنة الاتصال.

Conseil National du Mouvement Populaire, Rabat Hilton le 30/9/78 *"Contribution pour une nouvellle société"* ; Zakya Daoud : *interview avec "Aherdan" Lamalif* n° 175, Mars 1986, pp. 8 - 9.

**مصطفى أعشي**

**الحُرْم**، هو المكان الذي يحرُم فيه القتل وإراقة الدماء وكل أشكال العُنف، وهو بالتالي المكان الآمن الذي يسوده السِّلم والذي يقصده كل شخص يخاف على نفسه من عقوبة أو انتقام، وفصيحه الحَرَم - بفتح الحاء والراء - وينطق به عامة أهل المغرب الحُرْم - بضم الحاء وسكون الراء -.

والحَرَم كمؤسسة دينية واجتماعية عُرفت لدى جميع المجتمعات التقليدية التي لم يبلغ فيها تمركز السلطة درجة متقدمة، كما هو عليه الحال في المجتمعات القبلية. ونظراً لأهميته لدى هذه المجتمعات فقد اكتسى الحَرَم صبغة دينية متميزة وأصبح جزءاً من معتقدات الكثير من الشعوب كعرب شبه الجزيرة العربية حيث كانت مدينة مكة تلعب دور مجال مُقدس تقصده القبائل للتجارة أو العبادة أو النظر في شؤون السلم والحرب. وبمجيء الإسلام احتفظت مكة بوضعها كحَرَم، بل إن الإسلام أضاف حرماً ثانياً هو حرم المدينة المنورة، وبذلك أصبحت شبه الجزيرة العربية تتوفر على حرمين بدل حَرَم واحد.

وفي المغرب كرَّس الإسلام هذه المؤسسة التي عرفها البربر بالتأكيد قبل وصول الإسلام تحت أشكال مختلفة. والتقليد الموجود والمعروف بالعار أو أزواگ هو خير دليل على أن المجتمعات القبلية في شمال إفريقيا كانت تتوفر على آليات مختلفة لتنظيم العُنف وتقنينه. وإلى وقت قريب كانت قبائل الأطلس المتوسط تحرم القتال خلال أوقات معينة كأوقات الحرث أو جمع الغلل الزراعية. كما أن قبائل الريف كانت تعتبر السوق الأسبوعي مجالاً لا يُسمح لأحد بانتهاك حُرمته أو اقتراف شكل من أشكال العنف فوق أرضه، وذلك حفاظاً على استمرار بعض الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية الحيوية.

ومنذ العصور الأولى للإسلام ارتبطت مؤسسة الحُرْم بالشرف والصلاح، فأصبحت بعض أضرحة الشرفاء أو الأولياء أماكن يُستجار بها، وتُقصد من طرف كل فارّ من ثأر يُلاحقه أو عقاب يهدده. ولقد لاحظ ويسترمارك، عالم الإثنوغرافيا الفنلندي، الذي وصف بشكل دقيق المعتقدات والمؤسسات الدينية بالمغرب عند مطلع القرن العشرين، أن أماكن الحُرْم هي في الغالب أضرحة للأولياء، وأن المسجد على الرغم من كونه يتمتع بالقدسية كبيت لله فإن العامة لا تعتبره حرماً وتُفضل أن تستجير ببيوت الأولياء.

وأشهر الأضرحة التي تحتل الصدارة في هذا المجال ضريح مولاي إدريس بفاس وضريح مولاي عبد السلام بن مشيش بجبل العلَم، ويستمد هذان الضريحان أهميتهما من انتساب دفينيهما إلى السلالة الشريفة. وكان لكل حُرْم من هذين الحرمين مجال محدد وحدود معروفة مثبتة في المواثيق والظهائر السلطانيّة، يحترمها الخاص والعام ولا يقدر أحد أن يتعداها. وكان حُرْم مولاي إدريس بفاس يمتد إلى عدة أزقة حول الضريح الإدريسي، وقد وُضعت علامات خشبية عند منافذ هذا الحُرْم يُصبح كل من تجاوزها باتجاه الضريح آمناً وفي ذمة الشرفاء الأدارسة الساهرين على أمور ضريح جدهم. وكان حرم مولاي عبد السلام بن مشيش يغطي مساحة أوسع تشمل أراضي عدة قبائل مجاورة.

ولم تكن كل الأضرحة تتمتع بنفس القدر من الاحترام،

فضريح ولي يتوفر على شرف النسب وشهرة قديمة وسمعة ذائعة كان يأتي في الغالب قبل غيره من الأضرحة. وكان هذا الاحترام يزيد في حالة وجود عصبية قوية متمثلة في أهل الولي وعشيرته. فإذا كان الناس بشمال المغرب يفضلون الضريح المشيشي ويضعونه في المقام الأول كملجأ يُحتمى به فذلك راجع إلى درجة كبيرة إلى عصبية الشرفاء العلميين الذين كانوا يشملون برعايتهم وحمايتهم كل من قصدهم واستجار بضريح جدهم. وكان السلاطين على الرغم من قوتهم وهيبتهم يُراعون هذا الحُرْم ولا يقتحمون حدوده حتى عندما يُستعمل كملجأ من طرف الثائرين والخارجين على الدولة. والأمثلة كثيرة في هذا المجال نشير منها إلى حالة اليزيد بن سيدي محمد بن عبد الله الذي بقي مُحترماً بالضريح المشيشي إلى أن توفي والده في سنة 1204 / 1790، فخرج حينئذ ليتولى مقاليد الحكم. وبعد ذلك بقليل لجأ إلى حُرْم مولاي عبد السلام بن مشيش أميرٌ آخر هو المولى مسلمة بن سيدي محمد بن عبد الله الذي استفاد من حماية الشرفاء العلميين في صراعه مع إخوته على العرش، ولم يغادره بصفة نهائية إلا بعد توسط الشرفاء والتوصل إلى مخرج سلمي للأزمة.

كما أن قدرة الضريح على توفير الحماية للفارين من عدالة المخزن كانت تتوقف إلى حد بعيد على المكانة التي كان يحتلها هذا الضريح وأصحابه لدى المخزن نفسه. فالسلطان كان هو الذي يمنح ظهائر التوقير والاحترام، وبالتالي كان بوسعه أن يقوي جانب حرم ويُضعف جانب حُرم آخر. وخير مثال على ذلك هو الاحترام الذي أصبحت زاوية الفاسيين تتمتع به بالحضرة الإدريسية كنتيجة للعلاقة المتميزة التي كانت ترتبط المولى إسماعيل بعلماء الأسرة الفاسية. وكنتيجة لذلك استفادت الزاوية الفاسية من عدة امتيازات مخزنية، كان في مقدمتها بناء وتوسيع الزاوية التي تضاعفت مساحتها أربع مرات حسب صاحب *نشر المثاني*. كما استفادت الزاوية الفاسية من الدعم المخزني في شكل هبات أو تحبيس ممتلكات وغير ذلك. وبسبب هذا العطف المخزني أصبحت الزاوية حسب محمد بن الطيب القادري حرماً متميزاً يقصده الراغبون في الملجأ والهاربون من أحكام الولاة دون أن يستطيع أحد من هؤلاء أن يسهم بسوء مهما كان نوعُ جريمتهم، بل إن الباحثين عن الحماية بمدينة فاس أصبحوا يفضلون زاوية الفاسيين ويشعرون فيها بالأمن أكثر مما كان الحال بأضرحة تقليدية أخرى.

وعلى ضوء ما سبق يُمكن التأكيد أن الحُرْم، عكس ما قد يتبادر إلى الذهن، لم يكن دائماً موجهاً ضد المخزن بتوفيره الملجأ للمتمردين والفارين من العدالة. ففي الحالة المشار إليها أعلاه يظهر بوضوح أن المخزن نفسه كان يعزز ويقوي مؤسسة الحُرْم لأنها كانت تُشكل مظهراً من مظاهر التوازن الاجتماعي والسياسي وتسمح بإيجاد حلول سلمية للكثير من الخلافات المستعصية. فلجوء أمير متمرد إلى ضريح مولاي إدريس أو مولاي عبد السلام بن مشيش مثلاً كان يعني في الواقع نهاية للمواجهة العنيفة وبداية الحوار تحت رعاية أصحاب الحُرْم الذين كانوا يضمنون حلاً سلمياً يوقف خطر التمرد بالنسبة للمخزن ويحفظ ماء الوجه بالنسبة للأمير المهزوم، الذي يُطلب منه في الغالب أن يعتزل الحياة السياسية أو يرحل إلى منطقة يُتقى فيها شره.

إلا أن رغبة الدولة الحديثة في مركزة شؤونها والحد من نفوذ القوى المحلية والدينية قد حذا ببعض السلاطين إلى إضعاف مؤسسة الحُرْم عندما أصبحت تشكل في نظرهم خطراً على الدولة وسيادتها. وقد تقوى هذا التوجه خلال القرن الثالث عشر (19 م) بشكل خاص عندما اتسع نفوذ القوى الدينية وأصبحت بعض الزوايا تتحدى سلطة المخزن بربطها علاقات مباشرة مع الأوربيين، بل إن بعض المرابطين والشرفاء وضعوا أنفسهم تحت حماية النصارى، وهو ما أضر بمكانتهم في المجتمع وأثر سلباً على مؤسسة الحُرْم بشكل خاص.

وفي هذا الإطار، ومع حرص الدولة المستمر على كسر الاحتكار الذي كانت تُمارسه القوى الدينية على مؤسسة الحُرْم، أصبحنا نشاهد خلال القرنين الماضيين بروز حُرْم من نوع جديد لا يرتكز على أية قاعدة دينية. وهكذا ظهر ما يُسمى "بزواگ المدفع"، وهو "حُرم مخزني" صرف، ذلك أن الشخص الذي كان يرغب في الحماية أو الذي كان يريد أن يلفت انتباه المخزن إلى ظلم أصابه، أو يلتمس العفو والصفح من الدولة لجرم ارتكبه كان يتوجه إلى مدفع في ملك المخزن ويستجير به واضعاً نفسه تحت رحمة السلطان. وهكذا يشير صاحب *كتاب الاستقصا* على سبيل المثال إلى تضرع قبائل إشقيرن الأطلسية إلي السلطان مولاي الحسن وطلبهم عفوه عندما "استجاروا بالمدفع" خلال إحدى الحركات المخزنية. ومن خصائص هذا الحُرْم أن كان في متناول غير المسلمين كاليهود الذين لم يكن يسمح لهم بولوج الأضرحة والزوايا.

وختاماً نشير إلى أن العلماء، وخاصة المتشبعين منهم بالأفكار السلفية، كان لهم بعض الدور في إضعاف مؤسسة الحُرْم كما كانت تُمارسه الزوايا وأتباعها من العامة. فمنذ نهاية القرن الثالث عشر (19 م) وبداية القرن الرابع عشر (20 م) أصبحنا نرى بعض العلماء يفتون بعدم شرعية الحُرْم إذا كان يؤدي إلى معارضة نصوص الشرع ويكرس ممارسات اعتبروها جاهلية مثل "الزواگ" أو "العار". فرميُ العار على الأولياء، يقول محمد بن جعفر الكتاني، طلباً لحمايتهم أو رغبةً في شفاعتهم، هو عمل لا يُقدم عليه إلا "الجهلة الأغبياء" ويتضمن سوء أدب مع أولياء الله لما ينطوي عليه من نية الإكراه، وهو بالتالي مرفوض شرعاً. وفي نفس الاتجاه أفتى العديد من العلماء باستباحة الأضرحة والزوايا إذا استُعملت لحماية العصاة والخارجين عن طاعة أولي الأمر.

م. القادري، *نشر المثاني*، الجزء 3، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط، 1986 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، الجزء 1، طبعة حجرية، فاس، 1899 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء 9، الدار لبيضاء، 1954 ـ 1956.

G. Salmon, *Le droit d'asile des canons*, *A. M.*, vol. 3, 1905, pp. 144 - 153 ; E. Westermarck, *Ritual and Belief in Morocco*, 2 vols., New-York, 1968.

محمد المنصور

**الحُرْم العلمي**، من أكبر حرمات المغرب وأشهرها، وأغلب الظن أن تأسيسه كان في عهد السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي، بعد معركة وادي المخازن نتيجة لتطور الشرف العلمي في الشمال الغربي وظهور الأشراف العلميين على رأس الحركة الجهادية، ويندرج ضمن الامتيازات التي منحتها السلطة السعدية للاشراف.

يرتبط الحرم العلمي بالقطب المؤسس مولاي عبد السلام بن مشيش دفين جبل العلم في قبيلة بني عروس. ويرجع الفضل للشيخ عبد الله الغزواني في تأسيس وتنظيم زيارة قبره، أواخر القرن التاسع (15 م) حيث بيّن القبر وبني عليه ضريحا متواضعا أثناء وجوده في بني زكّار زمن الوطاسيين. وقد أضفى علماء المغرب على الزيارة المشروعية بفعل كثرة ترددهم على الضريح المشيشي، فضلاً عن زيارة الأمراء والسلاطين له. وكانت الزيارة في الذاكرة الجماعية الشعبية تُعرف بحج المسكين، يبدو فيها التماثل بين العَلَم ومكة في توقيت الزيارة وطقوسها. ويتألف المقدس العلمي من جميع مآثر الولي في قمة الجبل، وتشمل مغارة الخلوة، وجامع الملائكة، وعين البركة وموضع ارتقاب الفجر وعقبة الحياة وحجرة مولاي عبد السلام. ويمكن القول إن تراب الجبل وما ينبت فوقه وما ينبع فيه من ماء كان يعتبر في نظر عامة الناس مقدسا حلت فيه بركة الولي. وقد اقترن الجبل المقدس بالهوية النسبية التي استحقها الأشراف المنحدرون من نسل مولاي عبد السلام وأخويه وأعمامه الذين استوطنوا جبل العلم منذ القديم دون سواهم من الفروع الإدريسية.

لقد شكل الجبل مركز الحرم العلمي ويُعتقد أن مركز الحرم هو الحوش المحيط بالضريح، إلا أن الحرم التاريخي والعرفي شمل نطاقا أوسع تجاوز مساحة الجبل المقدس. ومن الصعب تمثيل حدود الحرم العلمي على الخريطة بدقة اعتماداً على الوثائق التي بين أيدينا، وعلى الخريطة الطبوغرافية لأن معالم الحدود القديمة قد تغيرت أسماؤها ولا أثر لبعضها في الذاكرة المحلية. قدرت مساحة الحرم القديمة بنحو خمسين ألف هكتار، موزعة بين أربع قبائل جبلية متجاورة هي : بني عروس التي حازت معظم مساحة الحرم لاعتبارات تاريخية، وقبيلة بني ليث، وبني يوسف وبني يدر. ويتحدد الحرم العلمي، في الوثائق بالمداشر، وعددها اثنان وعشرون مدشراً حرمياً، موزعة على النحو الآتي :

| القبيلة | مدشر الحرم | العدد |
|---|---|---|
| بني عروس | تازروت ـ أغيل أبو علقمة<br>الحارش ـ دار الحيط ـ افرنو<br>طردان ـ بغورة ـ تاجزرت | 9 |
| بني ليث | العجالية ـ خندق أبران<br>أدجاز ـ الحصن ـ المحروقة<br>تالجمين | 6 |
| بني يوسف | السلاليم ـ بوسرواس<br>تازجلوت ـ الدشير | 4 |
| بني يدر | أغبالو ـ الحامة ـ أرايون | 3 |

إن تمثل الحرم في المجتمع داخل هذه المساحة يناقض الحلال، ويقننه تشريع خاص مقتبس من الحرم المكي، متجدد بفعل الظهائر والرسائل السلطانية، ويتألف من ثلاثة بنود : "لا يقربه المخزن ولا يطوف حوله ولا يُصطاد فيه وحش ولا يُقطع منه شجر". وفي العرف الشفوي، لا يدخله اليهود والنصارى. وقد كان أصحاب الحرم الاشراف أكثر تشدداً في هذا الصدد، فضلا عن رسوخ التقاليد الجهادية في المنطقة، مما جعل الحرم العلمي مجالا ممتنعا على الرحالة الأجانب الذين زاروا الشمال خلال القرن الثالث عشر (19 م) كشارل دوفوكو الفرنسي ودي كويڤاس الإسباني الذي فشلت رحلته إلى جبل العلم.

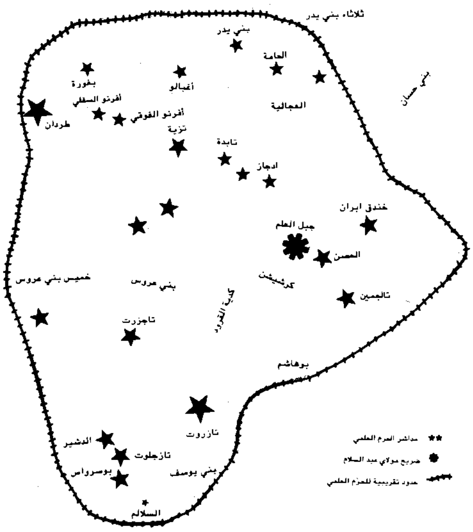


ومن الأعراف الشفوية أن لا يدخله أحد من ذرية ابن أبي الطواجن قاتل القطب مولاي عبد السلام، وذرية أتباعه في بني سعيد. كان شيوخ الأشراف العلميين يميزونهم بعلامات فيزيولوجية خاصة، كما حكى راوية موليراس في كتاب *المغرب المجهول*. ومن أدب السير فوق تراب الحرم العلمي، إزالة النعال والحفاظ على الطهارة كما كان يفعل العلماء أمثال الشيخ التاودي ابن سودة الذي كان شديد الارتباط بالعلم. غير أن تصور الحرم وتوقيره كان يختلف

من قبيلة إلى أخرى، فالحرم العلمي في نظر أهل الأخماس العليا، ينحصر في الضريح المشيشي والحوش المحيط به ؛ والمقدس لا يتجاوز هذا الفضاء، وهذا التصور يبدو جليا في ممارسات رجال القبيلة أثناء موسم مولاي عبد السلام، كانوا يدخلون الحرم حاملين السلاح، يقدمون الذبائح ويمارسون طقوس الزيارة وفي طريق العودة إلى قراهم، لا يتورعون عن نهب أقرب مداشر الحرم وهو الحصن أو سفك الدماء. وعلى النقيض من ذلك كان حلفاء الأشراف، ومعظمهم من القبائل البربرية الأصل، يغالون في تقديس القطب الشهيد والحرم العلمي.

لقد تمتع الحرم العلمي بحماية السلاطين، عن طريق الظهائر الموجهة للأشراف والرسائل التي تعني المخزن المحلي، وبذلك ضمن حق الاستجارة أو "أزواك". والاستجارة نوعان، استجارة رمزية يستغيث فيها المحترم بالولي، كما يدل على ذلك الملفوظ الشفوي في طلب الشفاعة والبركة، لقضاء حاجات مختلفة. وفي هذه الحالة يكون حضور المقدس في نفس المستجير قويّا. أما النوع الثاني، فهو اللجوء إلى الحرم بحثا عن الأمان. وتؤكد الوثائق المخزنية أن الحرم العلمي كان مجالا للتمتع من السلطة المركزية من طرف الأفراد والجماعات. وقد أفرز الاستحرام أحداثا ووقائع ذات أهمية في تاريخ المغرب السياسي، بفضل الحصانة القانونية التي حظي بها الحرم العلمي، ومن بين الظهائر المؤسسة لهذه الحصانة، ظهير السلطان المولى إسماعيل للأشراف العلميين، وهو بمثابة إجراء زجري لقواد الشمال وللقائد سعيد الزراري بالذات، نص على العقوبات التي تذهب إلى حد قطع الرقبة في حالة اختراق الحرم العلمي.

إلا أن تاريخ الحرم العلمي يسجل أن توظيفه لم يكن في صالح السلطة المركزية، بل وظف أحيانا ضد السلطان حامي الحرم. ومن أبرز الأمثلة التي نستحضرها هاهنا، استخدامه من طرف مولاي اليزيد ضد والده السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ومن طرف المولى مسلمة ضد أخيه مولاي سليمان. كما لجأ إليه قواد تطوان وغيرهم للنجاة من بطش السلطان كما هو حال القائد محمد بن عمر لوقاش.

وعلى مستوى آخر استخدمت القبيلة الحرم العلمي في التملّص من الوظائف السلطانية ومن التكاليف، وغالبا ما حدث الهروب القبلي الجماعي إلى الحرم العلمي، بعد صدور الأوامر السلطانية بإنزال العقوبة بالقبيلة المتمردة. وتعكس الوثائق المخزنية المعتمدة، أن الحرم خلال القرن الثالث عشر (19 م) شكل سلطة عظمى في المنطقة الشمالية الغربية، تجاوزت السلطة المخزنية في حالات عديدة، جعلت المخزن في مواقف حرجة، ما بين تنفيذ الأوامر السلطانية واحترام تشريع الحرم ؛ خوفا من ردود فعل قبيلة بني عروس وحلفائها الداخلين في حدود الحرم وغيرهم. ونظراً لانعدام ضوابط تسيير الحرم العلمي والتحكم في مجاله أواخر القرن الأخير وانحراف بني عروس عن الجادة في علاقاتها بالسلطة المركزية، غدا الحرم العلمي ملجأ للجناة واللصوص، مما تسبب في اختلال النظام في المنطقة. وقد تنبه السلطان الحسن الأول إلى خطورة الوضع واتخذ في إطار الحركة المنظمة إلى شمال المغرب في صيف 1306 / 1889، إجراءً إدارياً وعسكرياً استهدف إضعاف القبيلة المتحصنة بحرمها بكيفية مرنة حيث خصص زيارتين للضريح المشيشي، فأحاط به الأشراف إحاطة السوار بالمعصم وطيّب خاطرهم بالعطاء وجدد حدود الحرم ليمرر إجراءً إدارياً فصل بموجبه حرم سيدي المزوار بسماتة عن الحرم العلمي، وسماته عن بين عروس، رتّبها كقبيلة مستقلة عن بين عروس. إلا أن هذا الإجراء كان مفعوله محدداً وظرفيا، في زمن تفشت فيه الظواهر القبلية السلبية واختل نظام المخزن في المنطقة واستفحل داء الحمايات الشخصية، ولم يعد الحرم العلمي كما كان يضمن الأمان. والأدهى من ذلك أن الأشراف العلميين لم يتنزهوا عن أعمال النهب وحمل السلاح داخل الحرم، وكان من ضحاياهم العربي المشرفي صاحب *الرحلة إلى الشمال* وراوية موليراس الطالب الجزائري محمد بن الطيب ؛ مما ساهم في تراجع الحرم العلمي.

محمد ابن زاگور، *الاستشفاء من الألم في التلذذ بصاحب العلم*، مخطوط، خ. ح. ص. 11.16 ؛ التهامي بن رحمون، *مناقب الشيخ الكامل والقطب الجامع سيدي عبد السلام بن مشيش ضمن مجموع*، خ. ع. الرباط رقم 1484، د. ص. 244.253 ؛ *وثائق خصوصية* نشر بعضها الطاهر اللهيوي في *حصن السلام بين يدي أولاد مولاي عبد السلام*، الدار البيضاء، 1978.

محمد عمراني

**الحرمل، أحمد** بن عبد الرحمان، من أهل طنجة ومات بمصر عام 612 / 1215 قدم مراكش. قال عنه ابن الزيات في *التشوف*، إنه جال في بلاد الاعاجم وانتفع به خلق كثير، ولعله يقصد بلاد البربر، وكان مقامه في التوكل. كان يدخل الصحراء بأولاده ويتكلم على الخاطر.

ي. التادلي، *التشوف*، 432.

أحمد التوفيق

**الحَرْمَل**، نوع نباتي يسمى علميا بگانُوم حَرْمَلا Peganum harmala وهو من فصيلة الزقوميات Zygophyllaceae. ويسمى أيضاً "سَذَاب بَرّي أو "حِمْحِم" أو "مجنّنة".

إنه نبات عشبي معمر جد متفرع، يبلغ طولهُ خمسين سم. أوراقُه مركبة. أزهاره كبيرة نسبيا بيضاء أو تميل إلى الاصفرار. ينتج بذوراً كثيرة سوداء.

يعيش الحرمل طبيعيا في المناطق البيومناخية شبه الجافة والجافة والصحراوية. وعلى أتربة رملية أو طمية.

عرف الحرمل منذ أقدم العصور كنبات سام تستعمل بذوره في التطبيب الشعبي ضد أمراض عديدة ولتسكين وتنويم الأطفال ولتهدئة الأوجاع والمفاصيل وضد الروماتيزم والإسهال عند الأطفال، كما تستعمل مع زيت الزيتون لتقوية الشعر عند النساء.

*أبحاث شخصية.*

عبد المالك بنعبيد

**الحرناشيون** (مورسيكيون) ← **الهرناشيون**

ابن **حريث، محمد** بن محمد بن علي بن إبراهيم العبدري القرشي، ولد بسبتة سنة 641 / 1243 وأخذ العلم عن شيوخها وشيوخ مدن أخرى، كعبد العزيز الحراني وعبد المومن ابن خلف التونسي وأبي الحسن بن أبي الربيع. كان محدّثا بالموطأ، مبرزاً في العلوم والقراءات والعربية حتى عد من كبار فقهاء سبتة المشاركين. وقد أهلته هذه المكانة العلمية لتبوء مناصب دينية هامة منها إمامة الجامع الأعظم بسبتة والخطبة به، ثم إمامة المسجد الحرام عندما رحل إلى المشرق، وأقرأ الفقه والحديث بمكة المكرمة مدة سبع سنوات.

وقد أشارت كتب التراجم إلى أسماء كثير من العلماء الذين تتلمذوا على الفقيه ابن حريث سواء في المغرب أو المشرق، منهم الفقيه محمد بن أحمد ابن حيون والقاضي المؤرخ محمد بن أحمد بن علي ابن شبرين، والفقيه محمد بن علي ابن أحمد الخولاني والفقيه محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النميري، وكذلك الفقيه محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغساني، والفقيه محمد بن علي بن هانئ اللخمي السبتي، والقاضي محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن خميس الأنصاري، والإمام محمد بن أحمد بن إبراهيم التلمساني الأنصاري ومحمد الفشتالي والفقيه محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الحسيني السبتي ومحمد ابن محمد القرموني وغيرهم.

ومما يعرف عن ابن حريث أيضا أنه تزهد في آخر عمره ووقف كتبه وعقاره على العلم والعلماء وبقي مجاوراً بالحرمين الشريفين إلى أن توفي بمكة في جمادى الآخرة من سنة 722 / يونيه - يوليوز 1322.

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1975، 2 : 184، 242 ؛ 3 : 36، 89، 97، 144، 185، 201 ؛ النباهي، *المرقبة العليا*، بيروت، د. ت. ص. 176 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج المذهب* وبهامشه *نيل الابتهاج*، مصر، ط. 1، 1351، ص. 290 ؛ مجهول، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب*، الرباط، 1984، ص. 29 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، بيروت، د. ت. 4 : 319 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1981، 1 : 135 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، ط. 1، 1971، 2 : 248 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، بيروت، 1986، 7 : 166 ؛ *أزهار الرياض*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب، المحمدية، 1980، 5 : 59 ؛ ابن العماد، *شذرات الذهب*، بيروت، د ت، 6 : 58.

رشيد السلامي

**الحرير** بالمغرب، دخلت زراعة شجر التوت الضرورية لتغذية دودة القز التي تنتج الحرير إلى المغرب والأندلس مع الفاتحين العرب، وكانت قد انتقلت إلى بلادهم من آسيا الوسطى والصين والهند. وعرفت تربية دودة القز وصناعة الحرير المرتبطة بها لعدة قرون خلت درجة كبيرة من الازدهار "في دولة بني أمية بالأندلس والطوائف من بعدهم ودولة العبيديين ومن كان على عهدهم من ملوك العجم بالمشرق" (*العبر*، 1 : 472).

ارتقت أشكال اللباس وتطور هندام المسلمين في المغرب الإسلامي بما أدركوه من تحسن في أحوال معاشهم فخرجت عادة التزين بملابس الحرير عن نطاق القصور لتعم أوساط الأثرياء والمترفين وتعدت بالتدريج الأوسط العليا لتنتشر في صفوف الفئات الوسطى. لكن تربية دودة القز بقيت مع ذلك قليلة وظلت منتجاتها محدودة التداول لعدة قرون ولم تتطور بشكل واسع في المغرب إلا مع نهاية القرن التاسع (15 م) على يد القزازين الأندلسيين المهاجرين المستقرين بمدن الشمال بعد سقوط غرناطة فاعتنى هؤلاء أشد الاعتناء بأشجار التوت الأبيض وتنافسوا في غرسه وتشذيبه وتوفيره كغذاء أساس للدودة المنتجة للحرير في سبتة وتطوان وفاس (*وصف افريقيا*، 1 : 216 و362).

لا بد من الإشارة إلى أن الحرير كان أقل المواد النسيجية وفرة واستعمالا في إنتاج اللباس بالمغرب بالمقارنة مع القطن والكتان والصوف التي كانت محاصيلها تحقق الاكتفاء الذاتي للبلاد وتوفر فائضاً للتصدير (*تاريخ تطوان*، 6 : 355)، ويرجع سبب ذلك إلى عاملين رئيسيين، أولهما طبيعي وثانيهما ذهني. يتجلى العامل الأول في ارتفاع درجات حرارة المناخ المغربي مما لا يتلاءم كثيراً مع تربية دودة القز ويجعل تكاليفها مرتفعة، في حين يرجع العامل الثاني إلى استنكاف السواد الأعظم من الرجال

المغاربة عن ارتداء ملابس الحرير تمكساً بتعاليم الإسلام، لذا لم يكن يلبس الحرير في المغرب إلا النساء والقليل من ذوي الحيثيات بكيفية حركية.

كانت تربية دودة القز قائمة في شمال المغرب بضواحي تطوان والشاون وفي بني عروس وبني حزمر وبني حسان وغمارة من منطقة جبالة وكذا بضواحي فاس ومكناس وسلا والرباط. لكن القزازة ازدهرت بتطوان وفاس أكثر من غيرهما وساد الاعتناء بها لعدة قرون من لدن القزازين إلى مطلع القرن الثالث عشر (19 م) حيث تسجل المستندات التاريخية أن القزازين في هاتين المدينتين كانوا يرعون أشجار التوت في الأجنة والعرصات المتاخمة ويتنافسون من أجل الرفع من مردوديتها. ففي تطوان "كان الناس في القرون الماضية إلى العشرة الأولى من القرن الرابع عشر (20 م) معتنين غاية الاعتناء باستخراج الحرير من الدود... وكان يحصل لهم من ذلك أرباح طائلة ومنها تكتسي العائلة وتشور لنفسها الأبكار( *عمدة الراوين*، 1 : 365). كما كان القزازون في فاس يتعهدون أشجار التوت حتى إذا انتصف فصل الشتاء جلبوا إليها دودة القز ونشروها على أوراقها بهدف إنتاج الحرير الخام. وفي ضواحي فاس أحصى الملاحظون الأجانب في مطلع القرن العشرين مما بقي من هذه القزازة المزدهرة أكثر من 6000 شجرة كل واحدة منها كانت تنتج حوالي 150 كلغ من الأوراق الصالحة لتغذية دودة القز وكان ما لا يُحصى عدده من نساء فاس وفتياتها يشتغلن بفتح خيوط الحرير وغزلها فوق سطوح المنازل. وكان إنتاج الحرير في السنوات العادية يضمن الشغل في المدينتين معا لأعداد لايستهان بها من العاملين والعاملات في الجني والجمع والغسل والفتح والتبييض والصبغ والغزل والفتل والنسج والجدل والطرز وغيره.

أما في جنوب المغرب فكانت دودة القز تربى في مسفيوة وبعض الجهات المسقية في الحوز وفي عرصات مراكش وأجنتها وضواحي أسوارها. وكانت العديد من النساء المراكشيات اللائي يربين دودة القز يذهبن كلما اقتضى الحال إلى البساتين المجاورة لاقتناء ورق شجر التوت الضروري لتغذيتها (E. Doutté, *En tribu*, p. 167, Paris, 1914). وقد أشار مارمول إلى وجود سوق كبير في رحاب مدينة مراكش خلال القرن العاشر (17 م) للاتجار في أقمشة القطن والكتان والحرير، وكان إلى جواره سوق للمنسوجات الرفيعة بالقرب من جامع الكتبيين.

هذا وكانت أنواع الحرير المنتجة في المغرب حسبما تداولته أيدي التجار في أسواق المنسوجات في القرن الماضي وخاصة بين الحرارين لا تتعدى ثلاثة أو أربعة رئيسية. فهناك "الحرير الخم"، وهو أجود الأنواع وأكثرها بياضا وبريقا ونعومة ملمس، وقد أخذ هذه التسمية من خم الطيور وهو الغطاء الناعم الذي تفرشه الطيور لصغارها في الأعشاش. ونظراً لأن أكثر هذا الحرير الرفيع المستوى كان يستورد من الهند فان الكثير من الحرفيين كان يسميه أيضاً الحرير الهندي. ويأتي بعد هذا النوع الأول نوع ثان يدعى "حرير ورق السهل" وهو أقل جودة من حرير الخم وبياضه يميل قليلا إلى الزرقة. أما "حرير الاقتصاد" فهو نوع ثالث متوسط الجودة والنعومة واللمعان والبياض ويناسب كل من يسعى من الناس إلى أن يكون وسطاً ومقتصداً في هندامه وأشكال ارتدائه، وهو أرفع مستوى من نوع رابع يدعى "الحرير المكرش" يبدو بياضه ميالا إلى الصفرة ويميل إلى الخشونة ويكاد أن يلتصق بالبصمات عند اللمس.

ونظراً لتنوع الصناعات الحريرية والمهن التابعة لها في المغرب من طرز على الحرير وجدل للخيوط الحريرية وصناعة المناديل والسبنيات النسوية والأحزمة والأقمشة الحريرية وأثواب الزردخان التي تختلط فيها خيوط الحرير بخيوط الذهب أو الفضة فإن خام الحرير الوطني لم يكن كافيا لتحقيق الاكتفاء مما جعل مدن تطوان وفاس والرباط وغيرها من الحواضر الكبرى تستورد منه ما يكفيها سنوياً من مراكز إنتاجه بالشرق. ففي فاس كان عدد العاملين في الصناعات الحريرية وحدها يتعدى ألف شخص في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) بين متعلمين وصناع ومعلمين، وفي تطوان كانت صناعة الحرير تستهلك سنوياً في القرن الماضي أكثر من أربعة أطنان من خام الحرير "وكان يحصل للعاملين في صناعته أرباح طائلة" (*عمدة الراوين*، 1 : 365). وقد اشتهرت في صناعة الحرير عدة أسر كانت أشهر من نار على علم في المغرب، نذكر من بينها أسرة آل ابن الشريف بفاس، وأسرة الدلّيرو في تطوان. يقول أحمد الرهوني في *عمدة الراوين* إنه "أدرك منها خمسمائة منوال في تطوان وأن الحاج عبد الله الدلّيرو كان ممن يتعاطى حرفة نسج الحرير وكان له منها مرمتان واتخذ حانوناً لبيع ما كان ينسجه صناعه" (نفس المصدر، 369).

لكن انفتاح المغرب على التجارة الأجنبية وتوقيعه للعديد من الاتفاقيات مع الإنجليز والفرنسيين وغيرهم في سنوات 1856 و1860 و1863 و1880 و1906 وجه ضربة قاضية لصناعة الحرير المغربية. وعلى الرغم من أنها حاولت أن تصون وجودها وتدافع عن استمرارها، فإن مصيرها قد آل بالتدريج إلى التلاشي أمام منافسة المنسوجات الحريرية الفرنسية والإنجليزية والألمانية والنمساوية التي غزت الأسواق والأذواق بدقة صنعها وجودتها وانخفاض أسعارها مقارنة مع المنسوجات المغربية، فما أن حلت سنة 1912 حتى أصبح الاستيراد هو القاعدة واستهلاك الحرير المحلي هو الاستثناء (*تطوان في أواخر القرن*، ص. 45).

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 1 و ج 7 بيروت، 1960 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الرباط، 1983 ؛ م. الكتاني، *رفع الألباس وكشف الضر والباس ببيان ما للعلماء النحارير الأكياس في مسألة الحرير التي وقع فيها الخوض بين الناس*، مخطوط، خ. ع رقم 1180 ك ؛

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، مخطوط، خ. ع بتطوان رقم 676 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1931 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 6 تطوان، 1978 ؛ جامعة الدول العربية، *معجم اللباس*، الرباط، 1975 ؛ ع. العزيز العلوي، *صناعة النسيج في المغرب الوسيط، الانتاج والمبادلات*، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية فاس العدد الثاني 1985 ؛ ع. العزيز السعود، *تطوان في أواخر القرن XIX*، د. د. ع الرباط، 1992 ؛ ع. المالك بنعبيد، *التوت*، معلمة المغرب، ج 8 ص. 2614 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *باب التوت*، معلمة المغرب، ج 8 ص. 2615.

Lucien Golvin, *Le métier à la tire des fabricants de brocart de Fès*. *Hesp*. vol. 37, 1er - 2ème trim. 1950 ; Lucien Vigel, *Soieries marocaines, les ceintures de Fès*. Paris, 1913 , Prosper Ricard, *Le batik berbère*. *Hesp*. vol. 5, 4ème trim. 1925 ; Maurice Lombard, *Les textiles dans le monde musulman*, Paris, 1978 ; *L'Islam dans sa première grandeur*, Paris, 1971 , Juan Rosende - *Casas. El cultivi del gusano de seda en Marruecos*, *Mauritania* n° 198, 1949 ; Halima Ferhat, *Sabta : des origines au XIVèmeS*, Rabat, 1993 ; E. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, Paris, 1899 ; E. Doutté, *En tribu*, Paris, 1914 ; R.L. de La Charrière, *Le long des pistes maghrébines*, Paris, 1939 ; M. De Perigny, *Fès capitale du nord*, Paris, 1917 ; E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904 ; L. et M. Messaoudi, *L'art de vivre marocain*, Paris, 1981 ; *Revue du Monde Musulman*, tome 58, 1924 ; Prosper Ricard, *L'industrie indigène au Maroc*, *B.E.M.*، 1933 ; R. Letourneau, *Fès avant le protectorat*, Casablanca, 1946 ; A. Joly, *L'Industrie à Tétouan*, *A.M.*, vol. 15, 1909 ; *Harir E.I*, T. 3, pp. 214-217 ; M. Chabert, *Situation et défense de la soierie Lyonnaise*, *B.E.M.* tome 1, 1933 - 34 ; Gabriel Rousseau, *Le costume au Maroc*, Paris, 1938 ; A. Pignol, *Costumes et parures dans le monde arabe*, Paris, 1987 ; Jean Baldoui, *Les arts indigènes au Maroc*, Paris [s. d.] ; L. Boulnois, *La route de la soie*, Paris 1963 ; J.B. Giraud, *Les origines de la soie*, Lyon, 1989 ; J. Gonthier, *La soierie de Lyon*, Paris 1978 ; E. Pausset, *Histoire de la soie*, Paris, 1985 ; R. Pfister, *Les premières soies sassanides*, *Etudes d'orientalisme*, vol. 2, 1932.

محمد بوسلاّم

أولاد **حْريز** جغرافيا (منطقة وقبيلة). تنتمي قبيلة أولاد حريز إلى مجموعة قبائل أولاد عطية التي تقطن الجزء الشمالي من سهل الشاوية. وتتكوّن في أكثر من ثلثها من قرويين تشكل الفلاحة نشاطهم الأساسي. ويعتمدون في ذلك على سهل برشيد الذي تنتشر به تربة التيرس الخصبة والذي يستقبل متوسطا سنويا من الأمطار يقدر بحوالي 350 مم.

شهدت أولاد حريز استعمارا فلاحيا مكثفا أدى إلى تركز كبير للملكيات في شكل استغلاليات شاسعة تعتمد على آليات حديثة. وبذلك أصبحت من أكبر مناطق إنتاج الحبوب بالمغرب (القمح والذرة). ومنذ حوالي عقدين من الزمن دخلت بلاد أولاد حريز في مسلسل من التحول، من سيادة زراعة الحبوب إلى سيادة زراعة الخضر. وبشكل مواز يعرف السكن مزيدا من التشتت وتتصاعد الكثافات السكانية ؛ وقد جاء ذلك نتيجة لاكتساحها من طرف حزام الخضروات المحيط بالدار البيضاء. أي أنها تتحول من التناوب السنوي للحبوب مع القطاني إلى تناوب زراعات الخضر خلال السنة الواحدة. ويتم هذا التكثيف للاستغلال الفلاحي في ارتباط بالسوق البيضاوية وبالتصدير نحو الخارج، وتحت تصاعد تأثير الشركات الصناعية والتجارية المحلية والأجنبية.

أدت هذه التحولات إلى تكثيف الروابط بين أولاد حريز والدار البيضاء. فبالإضافة إلى تيارات الهجرة القروية التي تستقطبها هذه المدينة منذ بداية هذا القرن تكثفت التيارات الاقتصادية والمالية والتنقلات اليومية. وساعد على ذلك كثافة شبكة محاور المواصلات التي تبلغ حوالي 30 كلم من الطرق في كل 100 كلم$^2$ وتتمحور هذه الشبكة حول مدينة برشيد التي تعتبر عاصمة أولاد حريز وحلقة أساسية في ترابط المنطقة بالدار البيضاء. فرغم كون أولاد حريز تنتمي إدارياً إلى دائرة برشيد التابعة لإقليم سطات، تزداد المنطقة وعاصمتها ارتباطا بالدار البيضاء، وتلعب الأسواق الأسبوعية دوراً لا يستهان به في تصاعد هذا الارتباط سواء من حيث تزويدها بالبضائع أو من حيث توافد التجار، خاصة وأن معظم الأسواق الكبرى بالشاوية السفلى توجد بأولاد حريز أو تدور في فلكها، وعلى رأسها سوق اثنين برشيد الذي يعتبر أكبر أسواق الشاوية على الإطلاق.

إذا كانت قوة الارتباط بالدار البيضاء في تصاعد، فذلك لأن هذه المدينة قد شكلت عاصمة للشاوية قبل أن تكون العاصمة الاقتصادية للمغرب. غير أن كثافة هذا الارتباط تعوق توسع الحياة الحضرية بالشاوية على العموم وببلاد أولاد حريز على الخصوص، فحتى التطور الاقتصادي والعمراني الذي تشهده مدينة برشيد قد جاء شديد التبعية للدار البيضاء، وتطور مركز الدروة يتم بدوره في ارتباط بها.

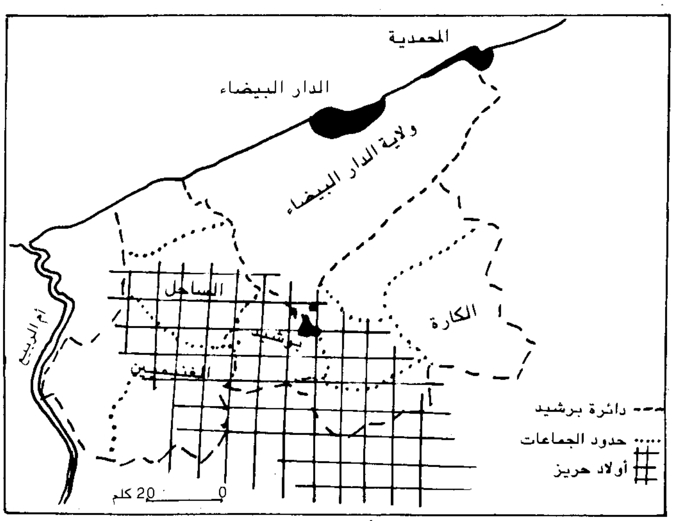


أولاد حريز

M. Chouiki, *Settat et son rôle régional*, Thèse 3ème cycle, Géo, Tours, 1985 ; R. Fosset, *Société rurale et organisation de l'espace : les Bas Plateaux Atlantiques du Maroc Moyen*. Thèse d'Etat, Montpellier, 1979 ; R. Hakimi, *La ville de Berrechid dans l'espace casablancais*, Thèse 3ème cycle, Géo, Tours, 1984.

المصطفى شويكي

** تاريخ قبيلة أولاد حريز. تشكل هذه القبيلة مع اثنتي عشرة قبيلة أخرى اتحادية الشاوية المشهورة بمنطقة تامسنا. تقع أرض أولاد حريز بين قبيلتي أولاد سعيد والمزامزة من الغرب والجنوب الغربي، ومديونة من الشمال وأولاد زيان والمذاكرة في الشرق ومزاب في الجنوب الشرقي.

ترجع أصول قبيلة أولاد حريز إلى فروع مختلفة، فهي تتكون من فرق ترجع أصولها إلى المجموعة العربية الهلالية، التي ينتمي إليها الخلط وسفيان وبني جابر. وإلى هذا الفرع الأخير تنتمي فرقة أولاد جابر الحريزية. ومن المعلوم أن قبائل جشم الهلالية قد نقلوا إلى المغرب الأقصى من طرف يعقوب المنصور الموحدي، الذي أسكنهم بلاد تامسنا. ويظهر أن فرقة رياح الحريزية، تنتمي بدورها إلى القبائل العربية التي نقلت إلى المغوب الأقصى في هذا العهد. وبدون شك، فإن قبيلة أولاد حريز تشمل عناصر أصلية محلية أي من سكان تامسنا الأولين وهم بقايا برغواطة، وتتفق الروايات التاريخية على اعتبار أولاد صالح من العناصر السكانية الأصلية للمنطقة. وعلى كل حال، تكون الفرق الثلاث : أولاد صالح ورياح وبني جابر، العناصر السلالية الأكثر قدماً وتعميراً لتامسنا. وهي بالتحامها تبرز خصوصيتها في مقابل عناصر أخرى أحدث تعميراً للمنطقة.

ويعتبر أولاد يوسف الذين يضمون : أولاد علال وأولاد عبد الله وأولاد سيدي الجيلالي وأولاد عثمان وأولاد حجاج، من العناصر الأصلية لقبيلة أولاد حريز بالرغم من أن استقرارهم كان أحدث من استقرار أولاد صالح ورياح وبني جابر.

كما استقرت بالقبيلة عناصر أخرى ذات أصول بربرية وعربية ؛ مثل أولاد سيدي الجيلالي العميري الذين جاؤوا للمنطقة من بني عمير بتادلا في أواخر القرن الثاني عشر (18 م) في حين ينسب الحبَّاشة إلى أصول أمازيغية استقرت بالقبيلة في عهد مولاي عبد الرحمان أي خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر (19 م).

وبالجملة يمكن القول، إن قبيلة أولاد حريز الشاوية، تتكون في تركيبها السلالي من عناصر سكانية أصيلة تنتمي لبرغواطة وعناصر عربية يمثلها بشكل واسع العنصر الهلالي من القبائل التي نقلها الموحدون والمرينيون إلى تامسنا بخاصة، والسهول الساحلية بعامة. وهذه العناصر العربية هي التي عربت المنطقة وأعطتها اسمها الحالي الشاوية. وتضم قبيلة أولاد حريز عناصر بشرية من القبائل المجاورة كدكالة مثلا.

والملاحظ أن العناصر السلالية المكونة لقبيلة أولاد حريز هي التي تنتمي إليها مختلف قبائل الشاوية، حسب نسب متفاوتة، وخاصة القسم المعروف بأولاد بوعطية، وهو القسم الذي يتكون من أولاد حريز ـ المذاكرة ـ أولاد علي ـ الزيايدة مديونة أولاد زيان ـ مزاب ـ الأعشاش. ويقابل هذا القسم، قسم أولاد بورزگ الذي يتكون من : المزامزة ـ أولاد سعيد ـ گدانة ـ أولاد بوزيري ـ أولاد سيدي بنداود ـ زناتة (راجع مادتي : بورزگ ـ بوعطية).

لعبت قبيلة أولاد حريز أدواراً رئيسية في تاريخ اتحادية الشاوية، إذ ساهم أعيان أولاد حريز في صنع هذا التاريخ منذ أواخر القرن الثاني عشر (18 م) على الأقل. وهكذا شارك أولاد حريز في نسج أحداث الشاوية في الفترة المضطربة التي أعقبت وفاة سيدي محمد بن عبد الله. فقد برز الحطاب بن عثمان المنياري الحريزي كقائد قوي مؤيد لمولاي اليزيد. بل تشير بعض الروايات التاريخية إلى مصاهرة الرجل مع مولاي اليزيد (*عبير الزهور*، 165).

وبعد موت مولاي اليزيد لعب الحطاب دوراً بارزاً في بيعة أخيه مولاي مسلمة الذي توسط له مرابط أبي الجعد عند أعيان الشاوية وكان الحطاب من بينهم. لكن مولاي مسلمة سرعان ما فشلت محاولته ؛ حتى إن المؤرخ السلاوي محمد بن علي الدكالي، سماه سلطان شهرين وهو يعلق على بيعته بالدار البيضاء وطرده منها.

وقد نكل مولاي سليمان بأعيان أولاد حريز الذين أيدوا أخاه مسلمة، وعلى رأسهم الحطاب الذي سجنه مع ابني مسلمة في سجن فاس.

وقد برز محمد بن عبد الخالق الحريزي المعروف بگريران الحريزي، في هذا العهد، ثم سرعان ما أصبح عاملاً على الشاوية كلها من طرف مولاي سليمان الذي كبّد أولاد حريز هزيمة شنعاء سنة 1209 / 1794 إثر تأييدهم لموقف عبد الملك ابن إدريس ابن عم السلطان وخليفته بالشاوية.

وفي عهد مولاي عبد الرحمان (1822 ـ 1859 م)، خلفت أسرة آل برشيد الحريزية أسرة گريران الحريزي، في قيادة القبيلة، وظلت تتوارث قيادتها من 1844 إلى عهد الاحتلال الفرنسي. وفي ظل قيادة آل برشيد ظهرت قصبة برشيد. كمركز حضري وسط القبيلة (انظر برشيد).

وقد عرفت قبيلة أولاد حريز اضطرابات مزمنة بعد وفاة قائدها، ساهمت فيها منافسات وأطماع أبناء الأسرة الحاكمة، كما أثرت فيها أحوال المنطقة التي عرفت انتفاضات عامة بكل قبائل الشاوية منذ 1903 إلى حدود 1907 ؛ حيث بدأت المواجهة مع جيش الاحتلال الفرنسي الذي نزل بالدار البيضاء في غشت 1907.

ساهم أولاد حريز كغيرهم من قبائل الشاوية في عمليات المقاومة ضد الاحتلال. وخاض مجاهدو القبيلة غمار المعارك التي دارت حول الدار البيضاء طيلة النصف الثاني من سنة 1907. وبعد احتلال برشيد في يناير 1908،

تحول بعض أعيان أولاد حريز إلى مرشدين ومتعاونين مع قيادة الجيش الفرنسي المحتل للشاوية.

وفي ظل الاحتلال نظمت الدولة المحتلة إدارة الشاوية، فعينت على إدارة قبيلة أولاد حريز القائد محمد بن عبد السلام برشيد. وفي الحقيقة، لم يزد المحتلون على أن ثبتوا ذلك القائد، بعد أن كان أحد أبناء عمومته وهو الحاج محمد بن حمو الحريزي قد طرده من القبيلة (راجع مادة الحاج محمد بن حمو *الحريزي*).

كانت قبيلة أولاد حريز حوالي سنة 1910 مقسمة إلى الفرق الآتية :

أولا : أولاد يعقوب : ويتكونون من الأفخاد الآتية : الحلالفة - تاعلاوت - المباركيين - الحباشة.

ثانياً : أولاد يوسف : أولاد علال - أولاد عثمان - أولاد سيدي الجيلالي - أولاد حجاج - دغنة - العبارة.

ثالثاً : أولاد جابر : أولاد صالح - رياح - أولاد رحال - غوفير.

رابعاً : النواصر : زاوية النواصر والمرابطين الملحقين بها.

ونظراً لقرب أرض قبيلة أولاد حريز من ساحل المحيط، ومن مدينة الدار البيضاء، يبدو أنها كانت مكاناً ملائماً للمرابطة والجهاد ضد الغزو النصراني للشواطئ المغربية. يشهد على ذلك عشرات الأضرحة والقباب المنتشرة بالقبيلة. زد على ذلك انتشار الزوايا التي كانت تقوم بدور التربية الروحية والتعليم والدعوة للجهاد والتدرب على الرماية. وأسطع مثال نجده في زواية النواصر المشهورة بالقبيلة.

تتكون زاوية النواصر من زاويتين صغيرة وكبيرة. لعبت أدواراً هامة في حياة أولاد حريز بخاصة والشاوية بعامة، إذ كانت في الأصل مقراً للتدريب على الرماية لأجل الجهاد. كما قامت بدور الإرشاد الديني وبدور التعليم حيث كانت بمثابة ثانوية تمنح طلبتها تكويناً اعدادياً لولوج جامعة القرويين.

من الزوايا الأخرى التي وُجدت بأولاد حريز نذكر زاوية سيدي المكي، وزاوية شنتوف، وزاوية أولاد سيدي أحمد بن بوعزة، وزاوية بوعزة بن بوعزة، وزاوية أولاد سيدي إدريس، وزارية أولاد سيدي الجيلالي.

ونظراً لخصوبة أرض أولاد حريز واستوائها عرفت الاستغلال الرأسمالي منذ أواسط القرن الثالث عشر (19م) كثرت فيها المخالطات مع التجار الأجانب وانتشرت بها الحمايات القنصلية. وامتلك فيها الأجانب العقارات وقطعان الماشية.

وفي ظل الاحتلال الفرنسي أصبحت أولاد حريز منطقة مثالية للاستيطان. وهكذا بينت الاحصائيات سنة 1912، استقرار حوالي 28 مستوطناً بالقبيلة. وقد استحوذ المستوطنون على حوالي 12.000 هكتار أي عشر أراضي القبيلة الفلاحية منذ 1913.

وقد شهدت قبيلة أولاد حريز تطورات وتحولات سريعة خلال القرن الرابع عشر (20 م) نظراً لقربها من الدار البيضاء ولوجودها في الطريق الرابطة بين الدار البيضاء ومراكش وهكذا نَمَتْ مدينة برشيد بسرعة. وتحولت اليوم إلى مركز صناعي متطور. ويبدو أن مطار النواصر محمد الخامس الموجود على أرض القبيلة قد ساهم بدوره في التحولات السريعة التي شهدتها أولاد حريز.

هاشم المعروفي، عبير *الزهور*، الدار البيضاء، 1987.

*Villes et tribus du Maroc, Casa et les Chaouia*, T. 1-2.

علال الخديمي

**الحريزي، بوشعيب** بن **الحسن** من تعلاوت، فخذة من قبيلة أولاد حريز، زعيم مشهور من زعماء الشاوية أيام الانتفاضة، ومجاهد صلب حارب الفرنسيين حول الدار البيضاء وبالشاوية وخاض عدة معارك ضد جيش الاحتلال. وبعد احتلال الشاوية، انتقل إلى فاس مع كثير من زعماء الجهاد الذين انسحبوا مع مولاي عبد الحفيظ. ويبدو أن الرجل كانت له علاقات متينة مع الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، فكان من أتباعه حينما قرَّر الشيخ الخروج من فاس. ولذلك عندما تعرضت أسرة الشيخ للسجن كان بوشعيب بن لحسن من بين المسجونين سنة 1327 / 1909 وإذا كنا لا نعلم المصيرَ الذي آل إليه الرجل، فقد دلت وثائق جيش الاحتلال الفرنسي على أنه كان يعتبر [illegible] العناصر المجاهدة والمطلوبة من طرف جيش الاحتلال. وأن المطالبة به تجددت سنة 1328 / 1910 بالرغم من كونه كان مسجوناً في ذلك التاريخ بفاس.

*مراسلة* من قائد جيش الاحتلال الجنرال موانيي Moinier إلى وزير الحربية بتاريخ 24 دجنبر 1910 ؛ *وثائق الحربية الفرنسية*.

**الحريزي، بوشعيب الرداد**، صديق بوشعيب بن الحسن ورفيقه في الجهاد، شارك بدوره في عدة معارك، ويظهر أن هذا المجاهد هو الذي تشير الرواية المحلية إلى أنه كان يحمل معه أدوات موسيقية لتحريض المجاهدين وإثارة حماسهم ؛ حتى إذا جد الجد وحمي الوطيس استبدل الآلة الموسيقية بالبندقية وخاض غمار المعركة. كان بوشعيب الرداد سنة 1328 / 1910 من بين الأعيان المطلوبين من طرف جيش الاحتلال، ومعنى ذلك أنه كان خارج الشاوية أي أنه تمكن من الانسحاب من الشاوية بعد السيطرة عليها.

**الحريزي، الحطاب** بن **الحاج حمو**، ينتمي إلى فخذة أولاد علال. كان أبوه الحاج حمو بن أحمد خليفة للقائد عبد السلام بن رشيد، ثم تولى القيادة، كان الحطاب من أعيان أولاد حريز والساعد الأيمن لأخيه الحاج محمد بن

حمو زعيم ومقدم أولاد حريز المشهور خلال الانتفاضة في العقد الأول من القرن العشرين.

*وثائق خ. ح.*

*Villes et tribus, Casa et les Chaouia*, T. 2.

**الحريزي، الحطاب** بن **عثمان** المنياري الشاوي، من كبراء أعيان قبيلة أولاد حريز لعب دوراً رئيساً في الأحداث السياسية التي كانت الشاوية مسرحا لها إثر وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ويظهر أن الحطاب بن عثمان، أصبح في عهد مولاي اليزيد، من الركائز الأساسية في تثبيت ولاء الشاوية للسلطان، إذ يفهم من الأخبار التي نقلها الضعيف أن السلطان تصاهر مع الحطاب الحريزي، وولاه القيادة خلفاً للقائد عبد الله الرحماني.

وفي بداية عهد مولاي اليزيد، أي سنة 1204 / 1789 ـ 1790 أمر صهره القائد الحطاب بأخذ غرامة كبيرة من قبيلة مديونة المجاورة لأولاد حريز، وقدرت تلك الغرامة التي استوفاها الحطاب قهراً من القبيلة المذكورة بـ 500 من الخيل دفعت للجيش و1.000 رأس من البقر و17.000 مثقال. وقد قرضت هذه الذعيرة عقاباً لهجوم مديونة على مدينة الدار البيضاء، كما جند الحطاب بن عثمان مائتي شاب من أبناء الشاوية بأمر من مولاي اليزيد، لتتعلم الرماية بالمدفع بالدار البيضاء وكلف يهم المعلم الطبجي محمد بن غسلان الرباطي لتدريبهم.

ونتيجة لخلاف لا ندري سببه ألقى مولاي اليزيد القبض على الحطاب بن عثمان عندما مر بالشاوية سنة 1205 / 90 ـ 1791 وأرسله إلى سجن مهدية. ولا ندري كيف تقلبت الأحوال بالحطاب الحريزي، بين سنة 1205 هـ وسنة 1208 هـ. ويبدو أن الرجل أخرج من سجنه إثر وفاة مولاي اليزيد أو قبيل ذلك. إذ نصادفه وقد انغمس من جديد في الأحداث السياسية المتعلقة بتنافس أبناء سيدي محمد بن عبد الله على الملك. وهكذا نرى الحطاب وقد انضم للفريق الذي بايع مولاي مَسلمة بالشاوية سنة 1208 / 93 ـ 1794. وقد حدثت هذه البيعة بتوسط مرابط أبي الجعد العربي بن المعطي الشرقاوي. وقد ربط السلطان الجديد أو سلطان شهرين، علاقة مصاهرة مع الحطاب، إذ تزوج ابنته. لكن مسلمة لم يلبث أن فرّ من الدار البيضاء إلى أزمور أمام قوات مولاي سليمان الذي ولى على الشاوية أخاه مولاي الطيب. وقد ألقى القبض على الحطاب وأرسله السلطان ليسجن في فاس البالي.

ولما فشلت محاولة مولاي مسلمة، سجن مولاي سليمان ولديه الرشيد وجعفر وأدخلهما السجن حيث قرنا في سلسلة واحدة مع صهر أبيهما الحطاب بن عثمان الحريزي.

وتشير أخبار التاريخ إلى أن الحطاب بن عثمان، رفض أن يقابل عبد الخالق بن المحجوب الحريزي أو ينظر إليه لما أدخل السجن معه. وكان عبد الخالق هذا المعروف بكَريران قد تولى القيادة إثر فرار مولاي مسلمة من الدار البيضاء وقتل بعض أعيان أولاد حريز إخوانه ومنهم أخ للحطاب بن عثمان سنة 1209.

وهكذا فالبرغم عن قساوة ظروف السجن، ظل الحطاب محافظاً على أنفته وكبريائه كرجل من كبار المغرب في ذلك التاريخ.

م. الضعيف، *تاريخ لدولة السعيدة* ؛ هاشم المعروفي، *عبيرالزهور*.

**الحريزي، حمو** (الحاج ـ) بن أحمد بن الجيلالي، ينتمي إلى فخذة أولاد علال من قبيلة أولاد حريز، وهو من أبناء عمومة القائد عبد السلام برشيد. كان الحاج حمو خليفة للقائد عبد السلام برشيد الذي كان قائداً لقبائل أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي طيلة الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (1870 ـ 1903).

وبعد وفاة القائد عبد السلام برشيد، أصبحت قيادة برشيد محل تنافس بين أبنائه وخليفته الحاج حمو الذي تمكن في النهاية من تولي قيادة أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي، ثم أضاف إليه السلطان قيادة مدينة الدار البيضاء. وظلت سلطة الحاج حمو نافذة حوالي سنتين. وبعد وفاته اشتد التنافس بين ابنه الحاج محمد وبين محمد بن القائد عبد السلام برشيد.

وإذا تمكن الحاج محمد من الحصول على قيادة القبيلة فإن السلطان عين قائداً جديداً على الدار البيضاء. وبما أن الحاج محمد بن الحاج حمو كان من زعماء الحركة الشعبية بالشاوية، فقد تعرض للسجن والمحاكمة من طرف جيش الاحتلال. كما أصدر السلطان ظهائر بمصادرة أملاك القائد الحاج حمو وابنه الحاج محمد بتاريخ 6 محرم 1326 الموافق 9 فبراير 1908، بالنسبة للأول ؛ وبتاريخ 10 جمادى الأولى 1326 الموافق 10 يونيو 1908، بالنسبة للثاني. وقد حدد ظهير المصادرة حوالي سبعة عشر ملكاً من أملاك الحاج حمو بالدار البيضاء منها 8 دور كبيرة وحوالي عشرة حوانيت ومخازن.

**الحريزي، سليمان** (الحاج ـ) ولد كريبش، ينتمي إلى دوار أولاد غوفير. وهو من زعماء قبيلة أولاد حريز وأعيانها. لعب أدوراً رئيسية في انتفاضة الشاوية بين 1903 ـ 1906، شارك في الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي واستشهد في معركة سطات الأولى التي جرت يوم 10 حجة عام 1325 / 15 يناير 1908.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ هاشم المعروفي، *عبير الزهور*.

**الحريزي، الشافعي** (الشيخ ـ) بن النور، ينتمي لفخذة أولاد حجاج موالين الساحل، اشتهر بالشجاعة والحزم بين الزعماء الذين شاركوا في جهاد الشاوية. ساهم كغيره

من أعيان القبيلة بأدوار بارزة في الانتفاضة. وأظهر عداء شديداً للاحتلال ولم يستسلم للفرنسيين إلا بعد احتلال برشيد وخضوع قبيلة أولاد حريز.

**الحريزي، عبد الخالق** بن المحجوب المعروف بگريران من أعيان قبيلة أولاد حريز وأبطالها، صعد نجمه وهو صغير في بداية عهد مولاي سليمان لما فشلت محاولة مولاي مسلمة بن محمد بن عبد الله في الدار البيضاء سنة 1208 / 1793 ـ 1794 ولى مولاي سليمان أخاه مولاي الطيب على الدار البيضاء والشاوية. وقد وفد أعيان الشاوية وكبراؤها على القائد الجديد، وكان من بينهم عبد الخالق بن المحجوب. ويظهر أن مولاي الطيب اختار عبد الخالق وخلفه مكانه في ولاية الدار البيضاء وأولاد حريز لما انتقل بأمر السلطان إلى مراكش حوالي سنة 1209 / 94 ـ 1795. بعد أن كان السلطان قد ألقى القبض على قائد أولاد حريز الحطاب ابن عثمان.

ويلاحظ من الأعمال التي بدأ بها عهد گريران الحريزي، أنه تولى المسؤولية وهو لا يزال صغيراً يطغى عليه حماس الشباب وتهوره. وهكذا نجده يعمد إلى قتل بعض كبراء الشاوية مثل ولد الحمراء المحمدي المزابي. ومزاب آنذاك قبيلة كبيرة تكون مع أولاد حريز ومديونة والمذاكرة وأولاد علي قسم أولاد بوعطية من الشاوية. كما قتل گريران أخا القائد السابق الحطاب بن عثمان. وبهذه الأفعال ثارت قبائل مزاب عليه ولم يستطع إخضاعها، فذهب مستنجداً بالسلطان في مكناس ـ ويظهر أن سوء سيرته، زيادة على ما اتهم به من ميل إلى مولاي الطيب، قد دفعا مولاي سليمان إلى سجنه ووضعه في حبس فاس البالي مع سلفه الحطاب الحريزي. وقد رفض هذا الأخير الاجتماع به أو رؤيته لأن عبد الخالق كان قد قتل أخاه كما سبق.

ويظهر أن گريران خرج من السجن وأعيد إلى منصبه. ذلك أن الأخبار التاريخية، تشير إلى أن مولاي سليمان لما عزل قائد المزامزة وأولاد بورزق، الغازي بن المدني المزامزي سنة 1230 / 1814 ـ 1815 ؛ ولى مكانه عبد الخالق بن المحجوب الحريزي، لكن قبائل أولاد بورزق بزعامة المزامزة، رفضت گريران الذي ينتمي إلى أولاد بوعطية، وربما كان الرفض بسبب سوء سيرة القائد ؛ فذهب القائد مستنجداً بالسلطان الذي زحف إلى الشاوية بجيوش كثيرة، منها قبائل بني حسن بقيادة الباشا محمد بن الجيلالي الحسناوي وأعراب الويدان بقيادة الباشا العربي بن بلال النجدي الزعري (*عبير الزهور*، 201 ـ 203).

ولما أخضع مولاي السليمان الشاوية لعبد الخالق الحريزي تقدم إلى الحوز. وقد سكتت المصادر عن گريران الحريزي بعد هذا التاريخ إلى سنة 1238 / 1822 وهي السنة التي توفي فيها مولاي سليمان.

فقد أشار الناصري، في *الاستقصا*، إلى أن عبد الخالق بن گريران الحريزي شهد وقعة زاوية الشرادي مع السلطان، وبعد هذا التاريخ سكتت المصادر عن أخبار عبد الخالق گريران الذي كان نفوذه ينسحب على بعض قبائل تادلا كورديغة (الضعيف) ولا ندري المصير الذي انتهى إليه. ويبدو أنه قُتل في بعض المعارك. تشير بعض الروايات إلى مقتله بتادلا بعد هزيمة مولاي سليمان سنة 1818 بزيان. وهذه الرواية تتعارض مع ما أشار إليه الناصري فيما بعد. وآخر خبر عنه يهم قصبته المعروفة "بمرجانة" : فلما تولى مولاي عبد الرحمان، ولّي على الشاوية ابن عمه محمد بن الطيب، وكان قائداً قاسياً شديد الشكيمة. وقد عمد الوالي الجديد إلى التنكيل بقبيلة أولاد حريز حوالي 1240 "أوقع بهم وقعة شنعاء فقبض على جماعة كبيرة منهم وضرب منهم نحو مائتي رقبة وهدم قصبة گريران الحريزي المسماة مرجانة". (*الاستقصا*، 9 : 12).

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ هاشم المعروفي، *عبير الزهور*.
*Villes et tribus. Casablanca et les Chaouia*, T. I.

**الحريزي، عمر** (الحاج -) بن الطاهر المشهور بـ"دويدو"، أحد أعيان قبيلة أولاد حريز ورجالها المعروفين الذين كانت كلمتهم مسموعة في فرقهم قبيل الاحتلال الفرنسي للشاوية وخلاله. وإذا كان الحاج عمر دويدو قد شارك جماعته في كل الأعمال التي قامت بها خلال انتفاضة الشاوية بين 1903 و1907، وساهم بدوره في مقاومة الاحتلال الفرنسي للدار البيضاء والشاوية في البداية أي في سنة 1907، فإنه تطوع ليكون رهينة عند قيادة جيش الاحتلال بعد أن تمكن الفرنسيون من السيطرة على مدينة برشيد في بداية 1908. لقد طلب المحتلون من قبيلة أولاد حريز أن تقدم رهائن كضمانة على عدم عودتها إلى الجهاد.

وقد انقلب الحاج عمر دويدو (الرهينة) وربط علاقات متينة مع قيادة جيش الاحتلال، حيث أصبح عنصراً ملازماً للقيادة العليا مع الجنرال داماد. فاستخدمه هذا الأخير دليلاً، ومخبراً من الدرجة الأولى في العمليات الحربية والمعارك التي خاضها جيش الاحتلال بالشاوية سنة 1908.

كان الحاج عمر دويدو شيخ فرقته الحلالفة، إحدى فرق أولاد حريز، ويعترف الفرنسيون بأنه قدم لهم خدمات ثمينة باستعلاماته خلال معارك احتلال الشاوية !

**الحريزي، محمد** (الحاج -) بن **حمو** بن أحمد بن الجيلالي، ينتمي إلى فخذة أولاد علال من قبيلة أولاد حريز، وهو من أبناء عمومة القائد محمد بن عبد السلام برشيد. وكثيراً ما نجد المصادر تنعته بولد الحاج حمو"، ويظهر أن هذه التسمية ألصقت به بعد الحوادث التي نجمت

عن خلافه مع أبناء القائد عبد السلام برشيد حول القيادة على القبيلة سنة 1905 - 1906.

ينتمي الحاج محمد إلى أسرة غنية، كان أفرادها يتوارثون قيادة قبائل أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي طيلة القرن الثالث عشر و بداية الرابع عشر (19 - 20 م).

فالحاج محمد بن حمو، هو ابن الحاج حمو بن أحمد الجيلالي الحريزي، خليفة القائد عبد السلام بن رشيد المشهور (انظر برشيد). وقد تمكن الحاج حمو من تولي قيادة أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي بعد وفاة القائد عبد السلام برشيد سنة 1903. وبعد وفاته نشب خلاف على قيادة القبيلة بين ابنه الحاج محمد وبين محمد بن عبد السلام برشيد. وأخيراً تمكن الحاج محمد من السيطرة على الأوضاع وتولي القيادة ؛ بالرغم من حصول محمد برشيد على ظهير التولية كان الحاج محمد بن حمو زعيماً ومقدماً في قبيلته؛ بما تعنيه كلمة مقدم من حمولات دينية وأخلاقية واجتماعية وعسكرية، في مغرب القرن الثالث عشر (19م).

كان مقدم القبيلة شخصية محترمة مسموعة الكلمة. وكان التقديم يعترف به للرجل المستقيم، المدافع عن جماعته والمنتمي - غالباً - لطائفة الرماية التي كانت تدرب المجاهدين - أصلا - على كيفية حمل السلاح لأجل الجهاد. زد على ذلك، أن الحاج محمد اشتهر خلال انتفاضة الشاوية، كزعيم من زعمائها وقائد من قواد الجماعات التي كانت تتولى السهر على الأمن والفصل في النزاعات بين الناس. لكل ذلك، لا نستغرب السهولة التي تمكن بها الحاج محمد بن حمو من السيطرة على قصبة برشيد بمساعدة زعماء الجماعات الثائرة من القبائل الأخرى. وقد تعرضت دار برشيد إلى التخريب صيف 1906، بعد هروب القائد إلى فاس، كما خرّب الثوار بزعامة الحاج محمد دار قائد أولاد زيان في بداية 1907.

اعترف المخزن بالقائد الجديد وتبادل معه المراسلات التي دار أكثرها حول علاقة الحاج محمد مع التجار والمحميين. والظاهر أن علاقة الرجل مع التجار الأجانب واليهود المحميين كان يشوبها التوتر، فطالما اشتكى التجار على المخزن من كون الحاج محمد لم ينصفهم ولم يرد لهم ديونهم عليه فصدرت له الأوامر السلطانية في الموضوع (كناش الطابع الشريف : محرم 1325).

وبدون شك، يدخل توتر علاقات ولد الحاج حمو مع المحميين والتجار الأجانب في إطار ظرفية شهدت استنفاراً شعبياً بالشاوية ضد مظاهر الاستغلال الأجنبي والظلم الاجتماعي، وتحفزاً لإبعاد أخطار الأطماع الأجنبية في المغرب إثر إعلان ميثاق الجزيرة في ربيع 1906.

وإذا علمنا أن انتفاضة الشاوية التي بدأت منذ 1903، قد تحولت إلى جهاد منذ إعلان ميثاق الجزيرة، نتأكد من أن "ولد الحاج حمو"، كان - بالفعل - من الزعماء الشعبيين، الذين عارضوا مظاهر التدخل الأجنبي بالشاوية. وتتهمه المصادر الأجنبية بأنه كان صديقاً للموابط محمد بن الطيب البوعزاوي الذي تنسب له الدعوة للجهاد بالشاوية، ولمولاي عبد الحفيظ الذي أعلن الجهاد رسمياً إثر نزول جيش الاحتلال الفرنسي بالدار البيضاء في غشت 1907.

اتهم الفرنسيون الحاج محمد بن حمو بالتحريض ضد الأجانب القاطنين بالدار البيضاء، الأمر الذي تسبب في حادث 30 يوليوز 1907، الذي أسفر عن قتل تسعة عمال أجانب بمرسى الدار البيضاء. وتدعي المصادر الفرنسية بأن هدف الرجل هو نيل قيادة الدار البيضاء بدل القائد بوبكر ابن بوزيد الذي عينه المخزن عليها.وواضح أن هذا الاتهام لا يصمد أمام حقيقة أن الفرنسيين سجنوا ابن بوزيد عامل الدار البيضاء والحاج محمد قائد أولاد حريز. متهمين الأول بالتواطؤ مع الثاني، فهل يتواطأ العدو مع عدوه ؟ !

الواقع، أن اتهامات الأوساط الاستعمارية لبعض المسؤولين المغاربة كانت اتهامات سياسية، الهدف منها الانتقام من رجال صمدوا في وجه الضغوط الأجنبية ورفضوا التنكر لمصالح بلادهم. زد على ذلك أن تلك الاتهامات جاءت لتبرير تعسفات جيش الاحتلال الفرنسي بالشاوية. فبعد احتلال برشيد في يناير 1908، ألقي القبض على الحاج محمد بن حمو في بيته، وسيق للسجن بالدار البيضاء. تم قدم للمحاكمة مع حوالي عشرة من المغاربة، أمام المجلس الحربي، بتهمة التسبب في الأحداث التي سبقت الاحتلال. وقد أسفرت المحاكمة عن نتيجة بينت بأن تلك المحاكمة كانت سياسية لإرضاء الأوساط الاستعمارية بالمغرب وعلى رأسها الوزير الفرنسي المفوض بطنجة : E. Regmault، فقد حكمت المحكمة العسكرية بقيادة الجنرال داماد، بتسليم المغاربة المتهمين، وعلى راسهم الحاج محمد، إلى سطات بلادهم "التي يرجع لها تطبيق العقوبات اللازمة". وقد عارض المفوض الفرنسي الحكم العسكري الصادر في 26 شتنبر 1908، مدعياً أن ذلك سيسيئ للنفوذ الفرنسي، وتدخل لدى وزير الخارجية الفرنسية ليوضح له بأن الجنرال داماد قرر دفع ولد الحاج حمو ومن معه للسطات المغربية، في حين أنه كان قد حكم ونفذ الحكم في متهمين آخرين، وهذا تعارض سيسيئ للعدالة العسكرية. حسب زعمه، وأبدى معارضته لتسليم الرجل للسلطة المغربية قائلاً: "لا ننسى أن أحداث 30 يوليوز كانت سبباً في قيام مولاي عبد الحفيظ بحركته. ولهذا لا يعقل أن يعاقب المتسببون فيها دون أن يكونوا عرضة لعداوة المحيطين به الذين يؤيدونه في الجهاد، وأننا لا يمكن أن نحاكم الجناة بتسليمهم إلى سلطات ستعمل على تحريرهم أو تعلن براءتهم".

وهكذا تغلبت سياسة الانتقام على "العدالة العسكرية" لجيش احتلال الشاوية، وأبقي الحاج محمد ومن معه في السجن. ويستفاد من بعض التحريات الميدانية أن الرجل

ظل محبوساً بوجدة إلى وفاته. ويستفاد من بعض الوثائق أن المحتلين، عملوا على استصدار ظهائر من مولاي عبد العزيز صودرت بموجبها أملاك الحاج محمد الحريزي وأبيه حمو بن أحمد بن الجيلالي الحريزي.

وثائق خ. ح ؛ ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*.
Archives de guerre, Vincennes, Paris ; *Villes et tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, T. 1 - 2.

**الحريزي، محمد** بن العربي المدعو سحور، سجل التاريخ اسم هذا الرجل لمشاركته في حادث 30 يوليوز 1907 بالدار البيضاء، ذلك الحادث الذي اتخذته الأوساط الاستعمارية الفرنسية ذريعة لاحتلال الشاوية. كان محمد بن العربي هو البرّاح الذي نادى ذلك اليوم بمقاطعة الأجانب بالدار البيضاء وعدم التعامل معهم. وبعد تلك المناداة قامت طائفة من الناس بالهجوم على أوراش الشركة الفرنسية بمرسى المدينة حيث وقع اشتباك بين العمال الأوربيين والمغاربة أسفر عن قتلى من الجانبين لم تسجل منهم إلا أسماء تسعة عمال أوربيين ثلاثة فرنسيين وثلاثة إسبانيين وثلاثة إيطاليين.

ولقد ألقي القبض على محمد بن العربي بعد احتلال الدار البيضاء واتهمه الفرنسيون بالتحريض ضدهم وحكم عليه بالسجن مع أحد عشر من أبناء الشاوية أشهرهم الحاج محمد بن حمو الحريزي.

**الحريزي، محمد** (الشيخ -) بن الحاج محروق الرياحي. ينتمي لفخذة رياح الحريزية من أعيان أولاد حريز وزعمائها المشهورين، لعب دوراً بارزاً في انتفاضة الشاوية، وكان من زعماء الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي حيث أبان عن صمود ومثابرة في مقاومة المحتلين. وقد رفض الخضوع للفرنسيين في البداية إلى أن تمكنوا من بسط سيطرتهم على القبيلة. وبالرغم من كونه كان أمياً فقد اشتهر بالاستقامة ومكارم الأخلاق.

**الحريزي، محمد** بن المكي بن محمد بن عيسى، ينتمي إلى فرقة النواصر من أولاد حريز، يعتبر من الذين ساهموا في خدمة بلادهم في الميادين الدينية والثقافية والإدارية.

لقد حصل محمد بن المكي على تعليم متين إذ درس على أبيه في زاوية النواصر مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن، ثم ذهب إلى فاس فاستكمل تعليمه في القرويين. مكث بفاس أربع سنوات حصل خلالها على ثقافة لغوية وفقهية كافية، أهلته لخلافة أبيه كمقدم على زاوية النواصر وفي مهمة العدالة. وبذلك قدم محمد بن المكي خدمات كثيرة لأبناء قبيلته في ميادين العدالة والتربية الروحية والتعليم.

ونظراً لمؤهلات الرجل ولاّه الفرنسيون منصب شيخ فرقة النواصر. فجمع بذلك بين مهنة العدالة والشياخة زيادة على دوره الموروث كمقدم روحي لزاوية النواصر، وكل هذه الوظائف تولاها خلال العقد الثاني من القرن العشرين.

علال الخديمي

**الحريشي**، أسرة أموية مكناسية. من أشهر أفرادها :

**الحريشي، أحمد** بن أبي الفرج بن حبيب

**الحريشي، حسين** بن أبي علي بن حبيب

**الحريشي**، أبو **القاسم** بن حبيب

**الحريشي، محمد** بن أبي سعيد

اشتهرت أسرة الحريشي باسم فقيه مرموق. يقول عنه ابن غازي وهو يعدد أعلام مكناس : "ومنهم الفقيه المشاور المفتي الحجة أبو القاسم بن حبيب الحريشي، كان أبو محمد عبد الله العبدوسي يثني عليه في مجلسه، وقد أدركته بالسن فقط". وتفيد الفقرة الأخيرة من هذا النص، أن المترجم كان من شيوخ أواسط القرن التاسع (15 م) ومشهده لا يزال قائما بمكناس، حيث يقع في الزنقة التي تحمل لقبه العائلي أسفل حي الزرقاء.

وقد كرر ابن غازي النقل عنه في كتابه *تكميل التقييد*، ومن ذلك ما جاء به عنه في كتاب القسم : "...ووجدت بخط بلدينا شيخ شيوخنا أبي القاسم بن حبيب الحريشي المكناسي، ناقلا من كتاب أبي محمد عبد الله التادلي الموضوع على المدونة ...". أولهم محمد بن أبي سعيد الأموي بن حبيب الحريشي.

ثم حسين بن أبي علي بن حبيب الأموي الحريشي.

وثالثاً : أحمد بن أبي الفرج بن حبيب الأموي الحريشي.

له ترجمة مختصرة عند ابن زيدان، وأخصر منها عند أحمد بابا التنبكتي.

وإلى أبي القاسم الحريشي، جاء ذكر ثلاثة من أحفاده في وثيقة نسب عدلية تحمل تاريخ أواسط شوال عام 930 هـ.

م. ابن غازي، *تكميل التقييد*، مخطوط، خ. ع رقم 3217 د. ص 172 ؛ *الروض الهتون*، المطبعة الملكية - الرباط، ص 65 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، منشورات كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس، ص 310 ؛ وثيقة واردة عند الشيخ جعفر الكتاني في *الرياض الربانية*، مخطوط خ. ع، رقم 497 ك ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 302 - 303 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 5 : 536.

محمد المنوني

**الحريشي**، أسرة فاسية عريقة، تُنسب إمّا إلى حَرِيش - وهو الجاري على الألسن بفاس وغيرها - : قبيلة

من بني عامر كما عند الجوهري صاحب *الصحاح* والشيخ مرتضى على *القاموس*. وحَريش هذا هو الحَريش بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة إلى آخر النسب الواصل لمضر كما عند صاحب *الكامل* وغيره، وعليه فيكون أصحاب هذا النسب عرباً. وإما إلى حُرَيْش - بالتصغير - : قبيلة من البربر بالمغرب كما عند الشيخ مرتضى أيضاً، وبه ضبط هو وصاحب *نشر المثاني* هذا اللفظ في ترجمة الشيخ أبي الحسن الحُرَيْشي الآتية، لكن لم نطلع على ذكر لهذه القبيلة في قبائل البربر لدى من ألَّف فيهم. والمعروفون الآن بنسبة الحُرَيْشي فرقٌ بحسب سكناهم من حومات فاس وإن كان لا يجمعهم قُعدُد معروف، منهم فرقة أهل غدير الجوزة من حومة السياج، وفرقة سيدي أحمد الشاوي ودرب الحمام بجَرْنيز، وفرقة أهل درب مشماشة، وفرقة المْصَاري، وفرقة أهل درب الغرباء، وهم التونسيون، ومنهم شعبة بمصر عددهم وافر، ولهم فيها قرية وأراض زراعية، بالإضافة إلى فرقة أهل زقاق الحجر، وفرقة أهل درب آمنة بالنّجارين وهو رهط صاحب التقييد.

**الحريشي، بُوعَزَّة** أو أبوعزّة بن علي بن أحمد الفاسي، قال في *سلوة الأنفاس* : ومنهم الفقيه النبيه المحدث النزيه سيدي أبو يَعْزَى المدعو بُوعَزَّة بن الفقيه العلامة المحدث الشهير أبي الحسن سيدي علي بن أحمد بن محمد الحريشي الفاسي. سمع من والده، وكان فقيها مدرساً يدرس *الرسالة* وغيرها لمن يحضر مجلسه من بعض الطلبة والعوام، وله معرفة بعلم الحديث والسير، وقد أخذ صاحب الترجمة عن والده كما ذكر وعن تلاميذه الشيوخ أحمد بن مبارك وأحمد بن عبد الله الغربي السلاوي، وقد أجازوه كلهم، كما وقف حفيده صاحب التقييد على إجازة كل بخطه.

توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف / 1769، ودفن بروضتهم التي يدفنون بها قرب سيدي علي بن أبي غالب بسريوة داخل باب الفتوح من فاس الأندلس.

**الحريشي، عبد الرحمان** بن عبد السلام، الفقيه الجليل العلامة النبيل النحوي النحرير، ذكره تلميذه الشيخ أبو الحسن الحريشي الآتي بعده في *اختصاره لنفح الطيب*. وقال بعدما ذكر : لما توفي الشيخ المذكور وأدخل قبره لم أتمالك أن قلت عند ذلك، وهي قصيدة صدرت مني في صغري، مطلعها :

لأَ للرَّزايا ما تُعيدُ وما تُبدِي     ولله ما يَحْوي حَشَايَ من الصَّدِّ

توفي في خامس عشر جمادى الأولى سنة تسعين وألف / 24 يونيه 1679.

**الحريشي، عبد الواحد** بن عبد السلام كان صاحب مكتب لتعليم كتاب الله عز وجل، مُغْرىً بالأمداح النبوية لا سيما في شهر المولد الشريف، وتخرج على يده في ذلك أناس كانوا معبد عصرهم وغريض مصرعهم. ذكره حمدون ابن الحاج في *عقود الفاتحة*. "وقد رأيت نسخة من *صحيح البخاري* بخط حسن، وبآخرها ما نصه : على يد العبد عبد الواحد بن عبد السلام الحريشي" *(تقييد في الحريشيين)*.

**الحريشي، العربي** بن أحمد الفاسي. كتب ترجمةً لنفسه في آخر *التقييد* جاء فيها أنه وُلد بفاس عام 1298 / 1880 وبه حفظ القرآن الكريم على يد الأستاذ الشيخ الشهيد محمد المدعو حدُّو بن موسى، ثم التحق بالقرويين وأخذ عن علمائها وبالخصوص العلامة محمد الهوّاري درس عليه النحو والتوحيد والفقه والتصوف والمنطق، ثم لازم دروس الشيخ المحقق أحمد بن الجيلالي في نفس المواد السابقة وفي الأصول بكثير من التوسع والتعمق.

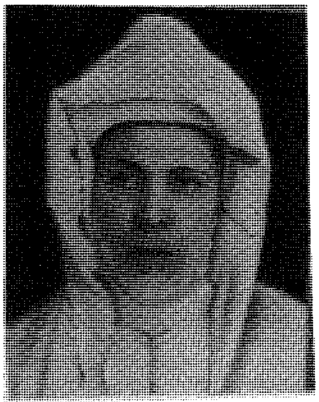

ولما بلغ المترجم الحادية والعشرين من العمر انخرط في سلك كتّاب المخزن المترسلين، وخصص بعد ذلك بمكاتب الإنشاء الصادرة عن وزير الحربية المهدي المنبهي، وصَاحَبَهُ في حركته للقبائل الجبلية وفتح تازا، ومطاردة الثائر أبي حمارة. ثم مع خلفه في وزارة الحربية محمد الجبّاص، وصحبه كذلك في حركة مطاردة الريسوني، وانتقل مع الجباص إلى طنجة للاشتغال معه ومع الحاج محمد الطريس بدار النيابة، ثم كتب لوزير المالية الطيب المقري وصحبه إلى أوربا لما ذهب للعلاج وزارا معظم الأقطار الأوربيّة.

ولما تقرر إحداث النظام بجامعة القرويين وقع الاختيار على المترجم لشغل منصب أول مراقب في الجامعة، وتقلب في مختلف مناصب إدارة الجامعة إلى أن وقع تقديم وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال فكان المترجم في جملة العلماء الذين حملوا عريضة التأييد إلى المغفور له محمد الخامس، وبعد إبعاد محمد الخامس عن عرشه عزلت السلطات الفرنسية المترجم وامتحنته مع جماعة من علماء القرويين، وبقي معتزلا إلى أن توفي يوم السبت عاشر شوال عام 1386 / 21 يناير 1967.

**الحريشي، علي** بن أحمد بن محمد الفاسي داراً ومنشأ، الشيخ الإمام الحافظ الحجة الهمام، القدوة الثبت المسند المعتمد، شيخ الجماعة الوجيه المعمر. أخذ عن الشيخ الإمام عبد القادر الفاسي، وولديه مَحمد وعبد الرحمان وغيرهم. وأخذ عنه جماعة منهم الشيخ أحمد ابن مبارك وابن زكري وغيرهما، وبالمشرق من شيوخ الشيخ مرتضى الشيخ إسماعيل بن عبد الله وعمر بن يحيى بن مصطفى ومحمد بن الطالب ابن سودة ومحمد بن عبد الله ابن أيوب ومحمد بن محمد بن مسعود الوزاني وغيرهم.

قال في *نشر المثاني* : وكان لصاحب الترجمة إقدام على التأليف فشرح *موطا* إمامنا مالك. وشرح *الشفا* للقاضي عياض واختصر *الإصابة* لابن حجر، واختصر *نفح الطيب* للإمام المقري، وله غير ذلك من التآليف، وذكر الشيخ مرتضى من تآليفه *شرح الشمائل*، وتوفي وجهته للحج بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع عام 1145 / 1732 عن سن عالية.

**الحريشي، أبو القاسم** بن حبيب المكناسي. قال ابن غازي في *الروض الهتون* : كان فقيهاً مفتياً مشاوراً حجة أدركتُه بالسن فقط، وكان عبد الله العبدوسي يثني عليه في مجلسه، ونقله الشيخ أحمد باب في *نيل الابتهاج*.

**الحريشي، محمد بن أحمد** الفاسي علامة فقيه، شرع في شرح *مختصر خليل* ولم يكمله، وله شرح على *شمائل الترمذي*، أخذ عن أحمد المزوار وعن عبد القادر الفاسي، وشرحه على *المختصر* المذكور كان من جملة الكتب التي حيزت من خزانة السلطان السابق مولاي عبد الحفيظ من طنجة وأدخل بعضها للمكتبة الرباطية وغُيب البعض.

توفي أوائل ذي الحجة عام 1102 / أواخر غشت 1691.

الجوهري، *الصحاح* ؛ مرتضى الزبيدي، *حاشية على القاموس* ؛ حمدون ابن الحاج، *عقود الفاتحة*، مخطوط ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون* ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج* ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 4 : 193 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ العربي الحريشي، *تقييد في الحريشيين*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال* ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3395 ـ 3396.

عبد الرحمان الحريشي

**الحريشي، مَحمد (الحاج -)** الفاسي أمين مخزني بالقصر الملكي بفاس على عهد الحسن الأول، يظهر أنه كان مكلفا بالإشراف على الوارد من الزكوات والواجبات المخزنية من القبائل. ونعرف عنه مرافقته للمحلة المخزنية الموجهة إلى الريف الشرقي، حسبما يمكن لنا تتبع أشغاله من خلال مقامه بالقصبة الإسماعيلية بسلوان الكائنة بالحد الجنوبي من قبيلة قلعية من خمس بني بويفرور، المجاور لقبيلة أولاد ستوت من ناحية الريف الشرقي. كان قد حل بها يوم 24 ذي القعدة من سنة 1309 / 22 ماي 1892 وسيظل بالمكان إلى آخر جمادى الأولى من السنة الموالية.

ظهر الأمين الحاج مَحمد الحريشي مستقلا في مهمته عن سلطة قائد المحلة المولى عثمان، وسبق له أن استلم من السلطان المولى الحسن قبل رحيل المحلة، مجمل القوائم المبينة لمقادير الواجبات المفروضة على كل قبيلة أو فرقة، وهي معلومة باسم القُواد المخزنيين المتولين عليها، طبق ما سبق إلى أولئك من المرسلات السلطانية في نفس الموضوع.

بادر الأمين الحريشي بمجرد استقراره في القصبة إلى استدعاء قواد قلعية ومعهم أمناؤهم للحضور في يوم معلوم مرتب حسب يوميات موزعة على مختلف الجماعات بنوع من التناوب. وفي 5 محرم 1310 / 30 يوليوز 1892 كان مستعدا لمباشرة مهمته مع قبيلة مزوجة.

جلس الأمين برفقة مساعديه من الكتاب خاصة منهم الجلاني بن بلخير الميقاتي والطالبان عمر والشباني بحضور قاضي قبيلة قلعية، لقبض الواجبات في مجلس يدعى بالقامة، لم نتمكن من تحديد موقعه داخل محيط القصبة بسبب حالة التخريب التي توجد عليه والتغييرات المحدثة من طرف الإسبان، وحضر المساعدون والمكلفون بتسجيل الحاصل من الداخل في دفاتر خاصة.

وقد حدث تنافر بين الأمين الحريشي ورئيس المحلة بسبب تطلع رئيس المحلة إلى مراقبة المداخيل اليومية، أدى أخيراً إلى إضافة المولى عثمان بعض قواد الرحى لمراقبة عملية القبض، فبتلك الوسيلة يبعث الرسائل المتضمنة للمقادير المقبوضة إلى السلطان بقصد مقابلتها مع مثيلاتها المبعوثة من طرف الأمين الحريشي، مثلما حدث في مستهل ربيع الثاني من سنة 1310 / 23 أكتوبر 1892.

يرسل الأمين المقادير المقبوضة، سواء كانت عينا أو نقدا على مراحل ودفعات. ففي مستهل ربيع الأول سنة 1310 بعث خمسة وعشرين كبشا وخمسة قناطير من السمن ومثيلها من الزيت، ومائتي درهم نقدا إلى بيت المال بفاس على يد حامية ومسؤول بحوزته قائمة الأحمال المرسلة ومحتوياتها.

عاد الحاج مَحمد الحريشي قبيل يوم 3 جمادى الثانية إلى فاس وطلب مقابلة السلطان لتقديم تقرير عن المستوفى من حركة محلة سنة 1310. ونعلم أنه كان بفاس قائما بمهامه الرئيسية حسب مراسلة مؤرخة 28 رمضان 1311 / 4 أبريل 1894، وكان آنذاك مهتما بتوجيه البريد إلى مدينة العرائش، ومنذ هذا التاريخ انقطعت أخباره عن الريف الشرقي.

*كنانيش الخزانة الحسنية*، 185 ـ 192 ـ 204 ـ 707 ؛ *وثائق الخزانة الحسنية بالرباط*، سنتا 1909 و1310.

حسن الفكيكي

**خْريلّي**، بستــان سلطاني بمراكش لا يقل أهميــة عن بساتين المنارة، وأكدال والصالحة بالرغم على أنه الآن لم يعد محافظاً على خضرته وحالته كما هو الشأن بالنسبة لأكدال والمنارة. وهدفنا من تسجيله هو ما يوجد حوله من وثائق، وما كان يعرفه من عيون متدفقة، تسقي منطقة جبل جيليز وما حولها، في اتجاهي المدينة وسيدي بوعثمان. ومساحته كبيرة، وكان مغروسا كسائر البساتين المحيطة بالمدينة بالنخيل والزيتون والرمان والتين، تقيم به الأسر النزهات والحفلات، وقد سجل شعراء الملحون، وزجل الدقة المراكشية ذلك :

النْزَاهَا وقتَ النـــوَار       فاخْريلّي واخْريلّـــي

وفي *الكناشة* 26 من خ. ح أن أغلب عيون هذا البستان اشتراها السلطان مولاي عبد الرحمان فيما بين سنتي 1226 و1267 / 1849 ـ 1850 وهي :

ـ عين دادة 6 نوب من أصل 8 نوب، في شعبان 1266 / 1849.

ـ عين الشراط الثمن 202 مثقال بتاريخ 13 شعبان 1266 / 24 يونيه 1850.

ـ عين هنتاتة، نوبة من أصل 8 نوب، بثمن 380 مثقالا بتاريخ : 17 شعبان 1266 / 28 يونيه 1850.

ـ عين حميدة مول أتاي، الثمن 430 مثقالا بتاريخ : 16 شعبان 1266 / 27 يونيه 1850.

ـ عين مولاي بوستة، الثمن 146 مثقالا بتاريخ : 15 رمضان 1266 / 25 يوليوز 1850.

ـ عين الجبابدي : الثمن 430 مثقالا بتاريخ : 7 شوال 1266 / 16 غشت 1850.

ـ عين البقال : الثمن 125 مثقالا بتاريخ : 13 شوال 1266 / 22 غشت 1850.

ـ عين بوشارب بتاريخ : 13 شوال 1266 / 22 غشت 1850.

ـ عين الجازمية : نوبتان، بثمن 66 مثقالا و6 أوقيات بتاريخ : آخر ذي القعدة 1266 / 7 أكتوبر 1850.

ـ واشترى أربع نوب من أصل تسع بثمن 473 مثقالا بتاريخ : 25 ذي الحجة 1266 / فاتح نونبر 1850.

ـ عين البطار : نوبة من أصل 8 نوب بثمن 60 مثقالا في 12 صفر 1267 / 17 دجنبر 1850.

ـ عين فريمة بتاريخ : 3 ربيع الأول 1267 / 6 يناير 1851.

ـ عين الفقيه بن بلا، بثمن 390 مثقالا، في ربيع الأول 1267 / يناير 1851.

ـ عين حمو بن سالم : 4 نوب بثمن 64 مثقالا.

ـ عين الصواف 8 نوب بثمن 429 مثقالا.

وشهد على هذه المشتريات العدلان : مولاي اليزيد بن الطاهر الإدريسي من سكان القصور، والمكي بن محمد الفيلالي الهلالي. *نسخ رسوم أملاك السلطانين مولاي عبد الرحمان وابنه محمد بمراكش بين 1266 ـ 1283 / 1850 ـ 1866*. وهي وثيقة تؤكد غزارة مياه وعيون بساتين مراكش.

وكان جزء من عرصة حريلي في ملك الزاوية البوعمريّة بمراكش، وقد وقفنا في وثائقها على تقييدين هامين :

1 ـ حساب المحجور أحمد بن بوعمرو بن أحمد بن محمد البوعمري من غلل عرصة حريلي نكتفي بذكر ثلاث سنوات منها تجنبا للتطويل :

| الإنتاج | 1922 / 1341 | 1926 / 1345 | 1932 / 1351 |
|---|---|---|---|
| الرمان | 625 فرنك | 580 فرنك | 500 فرنك |
| الزيتون | 213 فرنك | 750 فرنك | - |
| الليمون | - | 200 فرنك | 180 فرنك |
| المشماش | - | 15 فرنك | 35 فرنك |
| البلح | - | 20 فرنك | 17 فرنك |
| الشعير | 15،50 عبرة بثمن 10 فرنكات للعبرة | 50 عبرة بثمن 17،5 فرنك للعبرة | 18 عبرة بثمن 5 فرنك للعبرة |

2 ـ ووقفنا على حساب محجورة أخرى هي الطفلة غيثة في عرصة حريلي عن نفس المدة، لا يختلف كثيراً في قيمته عن حساب المحجور السابق الذكر.

*كناشة* رقم 16، خ. ح ؛ *كناش مصاريف ومداخيل الزاوية البوعمرية بمراكش رقم 4 : في ملكية حفدة الشيخ أبي عمرو* ؛ ح. جلاب، *معجم عراصي مدينة مراكش* ؛ *التراث الشعبي*، العدد 5، السنة 12 ـ 1981.

حسن جلاب

**الحريّات العامّة**، يعتبر قانونون الحريات العامة من بين أهم القوانين التي صدرت خلال السنوات الأولى لحصول المغرب على الاستقلال، وهو يتكون من ثلاثة نصوص قانونية، صدرت في شكل ظهائر شريفة بتاريخ 15 نونبر 1958، وتم تعديل بعض مقتضياتها بتاريخ 10 أبريل 1973، بالإضافة إلى التعديل الأخير الذي أدخل على الظهير الشريف المتعلق بحق تأسيس الجمعيات بموجب المرسوم بمثابة قانون الصادر في 28 شتنبر 1992 والخاص بموضوع مساهمة الدولة في تمويل الحملات الانتخابية، وهذه الظهائر هي على التوالي :

1 ـ الظهير الشريف رقم 1.58.376 الصادر في 3 جمادى الأولى 1378 الموافق 15 نونبر 1958 يُضبط بموجبه حق تأسيس الجمعيات.

2 ـ الظهير الشريف رقم 1.58.377 الصادر في 3 جمادى الأولى 1348 الموافق 15 نونبر 1958 بشأن التجمعات العمومية.

3 ـ الظهير الشريف رقم 1.58.378 الصادر في 3 جمادى الأولى 1348 الموافق 15 نونبر 1958 بشأن قانون الصحافة بالمغرب.

وتحدد هذه النصوص الإطار القانوني لممارسة الحريات العامة في المغرب، بالإضافة إلى ذلك، فإن دستور المملكة الصادر في 4 دجنبر 1962 قد تضمن جملة من الأحكام المتعلقة بمجال الحريات العامة، ولا سيما منها حرية ممارسة الشؤون الدينية وحرية ممارسة الحقوق المدنية والسياسية، وحرية التجول، وحرية الاستقرار بجميع أرجاء المملكة، وحرية الرأي، وحرية التعبير بجميع أشكاله وحرية الاجتماع، وحرية تأسيس الجمعيات، وحرية الانخراط في أي منظمة نقابية وسياسية حسب اختيار المواطن، ولا يمكن أن يوضع حد لممارسة هذه الحريات إلا بمقتضى القانون. وبالعودة إلى بعض النصوص التشريعية نجد عدداً من المقتضيات التي تتناول تنظيم مجال وحدود ممارسة بعض هذه الحريات.

وقد أكدت مختلف الدساتير المراجعة التي عرفها المغرب سنوات 1970، و1972 و1992 و1996 نفس الحريات إلى جانب إضافة واحدة وردت في الدستور المراجع لسنة 1996 والمتعلقة بضمان حرية المبادرة الخاصة التي تعتبر من الحقوق الاقتصادية في النظام الليبرالي الذي يمثل نهجا يسلكه المغرب منذ الاستقلال.

وهذه الحريات جميعها تعتبر جزءاً أساسياً من حقوق الإنسان الذي أكد المغرب تشبثه بها كما هي متعارف عليها عالميا من خلال الدستور المراجع سنة 1992، لا سيما وأن المغرب قد صادق على جملة من الصكوك الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان، كما هو الشأن بالنسبة للإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في سنة 1948 واتفاقية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية سنة 1966، وغيرها من البروتوكولات والملاحق والمواثيق الدولية المتعلقة بمحاور ومجالات عديدة، كحقوق المرأة وحقوق الطفل وغيرها، علما بأن ثمة بعض التحفظات التي أبدتها الدولة المغربية على بعض أحكام هذه المواثيق والتي تتعارض مع المرجعيات الدينية والسياسية والتاريخية للمغرب.

وبالرجوع إلى قانون الحريات العامة نجد أن المشرع المغربي قد وضع إطاراً قانونياً محدداً لممارسة هذه الحريات، فالظهير الشريف المتعلق بحق تأسيس الجمعيات، بعد أن حدد تعريفا قانونيا للجمعية، معتبراً إياها اتفاقا لتحقيق تعاون مستمر بين شخصين أو عدة أشخاص لاستخدام معلوماتهم أو نشاطهم لغاية غير توزيع الأرباح فيما بينهم، أكد على خضوع الجمعيات في تصرفاتها القانونية لقواعد الالتزامات والعقود المطبقة على الخواص، وأقر مبدأ تأسيس جمعيات الأشخاص بكل حرية، وبدون سابق إذن شريطة التصريح لدى السلطات العمومية بمجموعة من المعلومات حول تأسيس الجمعية وأعضائها وأجهزتها ونشاطها وقوانينها الأساسية. كما أقر مبدأ إضفاء صفة المنفعة العامة على بعض الجمعيات تبعا لنوعية نشاطها ووسائل عملها. وأجاز حق تكوين اتحادات وجامعات بين عدة جمعيات تسعى لتحقيق نفس الهدف أو بينها أهداف مشتركة. وقد حدد المشرع كذلك مقتضيات وأحكاما خاصة بالأحزاب السياسية والجمعيات ذات الصبغة السياسية، حيث وضع مفهوم النشاط السياسي وحدد شروط تأسيس الأحزاب، وبيّن العقوبات المفروضة في حالة مخالفة هذه الشروط، كما خص الجمعيات الأجنبية ببعض المقتضيات الخاصة من حيث شروط تأسيسها والضوابط التي يجب أن تخضع لها. وقد وضع جملة من الأحكام الخاصة المتعلقة بفئات الكفاح والفرق المسلحة الخصوصية إلى جانب مقتضيات عامة وانتقالية تهم الحسابات المالية للجمعيات والعقوبات المفروضة في حالة وقوع بعض المخالفات التي تعتبر مسا صريحا بالنظام العام.

أما الظهير الشريف المتعلق بالتجمعات العمومية فقد نص على حرية الاجتماعات العمومية، وقد حدد إجراءات التصريح بإقامتها لدى السلطات العمومية، والشروط الواجب مراعاتها حفاظا على النظام العام، والعقوبات المفروضة في حالة ارتكاب بعض المخالفات أو الجنح أو الجرائم.

ولم يفت المشرع في هذا القانون تحديد الاجراءات المتعلقة بتنظيم المظاهرات والتجمهرات في الطريق العمومية، حيث وضع مقتضيات خاصة لمنع التجمهر المسلح وبين حالاته، والعقوبات المطبقة في حالة وقوعه.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المقتضيات قد ألغت وعوضت الأحكام القانونية التي كانت مطبقة أثناء فترة الحماية بخصوص الاجتماعات العمومية، والتجمهرات العمومية والمظاهرات في الطرق العمومية.

وأما الظهير الشريف المتعلق بقانون الصحافة بالمغرب، فقد أقر المشرع من خلاله جملة من الأحكام مقسمة إلى خمسة أبواب وثمانية فصول، همت أساسا القواعد القانونية المتعلقة بالطباعة وترويج الكتب والصحافة الدورية وما تخضع له من إجراءات سواء تعلق الأمر بحق النشر والادارة والملكية والتصريح والايداع والاستدراكات وحق الجواب، أو تعلق الأمر بالجرائد والنشرات الأجنبية، كما همت المسطرة الإدارية الواجب اتباعها فيما يتعلق بإلصاق الاعلانات والنشرات والتجول بها وبيعها في الطريق العمومية، والعقوبات النافذة بخصوص الجرائم أو الجنح المرتكبة عن طريق الصحافة أو غيرها من وسائل النشر، علما أن المشرع في هذا الباب قد صنف هذه العقوبات وميز بين مجالات تطبيقها من خلال تحديد قواعد خاصة تطبق في حالة التحريض على ارتكاب الجرائم والجنح، وقواعد تخص الجنح المرتكبة ضد الشؤون العامة، وأخرى تتعلق بالجنح الماسة بالأشخاص. ومقتضيات بشأن الجنح المرتكبة ضد رؤساء

الدول والممثلين الديبلوماسيين الأجانب. وقد أقر المشرع إلى جانب ذلك عدداً من الأحكام القانونية بخصوص النشرات الممنوعة والحصانات الخاصة بالدفاع، والعقوبات المطبقة في حالة انتهاك حرمة الآداب العامة، أو في حالة توزيع أو عرض نشرات متنافية مع الأخلاق والآداب العامة. وحدد عدداً من القواعد المسطرية والإجرائية الواجبة التطبيق بخصوص المتابعة والزجر في حق الأشخاص المسؤولين عن ارتكاب الجرائم والجنح عن طريق الصحافة. وبيّن قواعد الاختصاص والإجراءات الواجبة التطبيق من الناحية القضائية بما في ذلك جهة الاختصاص، والقواعد التي يتعين مراعاتها حسب طبيعة ونوع بعض الجرائم، والزجر الاحتياطي، وآجال تقادم الدعاوى العمومية والمدنية الناتجتين عن الجرائم والجنح المتعلقة بمجال الصحافة.

ونعتقد أن تطبيق قانون الحريات العامة من خلال المقتضيات القانونية المذكورة، وإن كان في حاجة إلى إعادة النظر في كثير من أحكامه، فإنه مع ذلك قد عرف تطوراً مهما في اتجاه ترسيخ ممارسة الحريات السياسية والمدنية انسجاما مع التطورات العالمية في مجال حقوق الإنسان.

عبد الإله فونيتر

**حزازيات**، حيوانية Bryzoaires، تعيش معظم الحزازيات متكاملة ومتناسقة من عدة أفراد. وإن كانت في غالب الأحيان كل الأفراد متشابهة في شكلها ففي أحيان أخرى تحتوي كل مجموعة على أفراد ذوي أشكال مختلفة، وذلك باختلاف الوظيفة التي يؤديها كل فرد داخل المجموعة حيث إن هناك أفراداً تتمثل وظيفتهم في التكاثر والتوالد، وهناك أفراد مهمتهم تجديد الماء والأكسجين في محيط المجموعة، وأفراد كذلك تكمن مهمتهم في الحصول على الغذاء الكامل للمجموعة. أما شكل المجموعة في رمتها فيختلف كثيراً باختلاف الأنواع، وحتى داخل نفس النوع فان الأشكال يمكن أن تختلف باختلاف شكل الدعامة التي يعتمدها هذا النوع أو الآخر.

وحتى نبسط الأمور فإذا أخذنا فرداً من مجموعة يتشابه أفرادها فإن كل فرد يكون على شكل صندوق صغير ذي هيكل خارجي صلب يمكّن من تدعيم وتثبيث المجموعة كلها كما يمكّن من حماية الفرد داخله والذي هو نفسه ذات تكوين عضوي بسيط جداً. فالجهار الهضمي برمته يوجد على شكل حرف "U" اللاتيني يحمل في أحد طرفيه الفم مُحاطاً بعدة زوائد مكسوة بشعيرات دقيقة جداً تمكن بحركاتها الدائمة من خلق تيار مائي قرب الفم، كما تمكن من تصفية هذا التيار واستخلاص مافيه من مواد عضوية صالحة للأكل. أما في الطرف الثاني لهذا الجهاز الهضمي فهو الإست تقذف منه مخلفات الهضم، وهو تستعمل في شكله وموضعه بالنسبة للزوائد المحيطة بالفم كأداة لترتيب وتصنيف الحزازيات.

تتغذى الحزازيات على العوالق الصغيرة وعلى المواد العضوية، وكباقي الحيوانات المائية تستمد الأكسجين الضروري لها مباشرة من الماء. ونظراً لبدائية تكوينها وعدم توفرها على خياشيم كالأسماك مثلاً أو الرخويات فهي تمتص الأكسجين عن طريق كل الجسم وخاصة الزوائد المحيطة بالفم.

كل الحزازيات مائية ومعظمها بحري، إلا أن هناك أنواعاً قليلة تعيش في المياه القارية، ويمكن أن تتخذ لنفسها دعامات مختلفة الشكل والنوع والحجم كالصخور وهياكل السفن وأرصفة الموانئ والأخشاب العائمة فوق الماء، بل وحتى الطحالب وقواقع الحيوانات الأخرى. بل وهناك كذلك أنواع تعيش في الأوحال والرمال.

يوجد في المغرب أكثر من أربعمائة وثلاثين نوعا للحزازيات، لبعضها توزيع شاسع يمتد على كل البحار والمحيطات تقريبا، وللبعض الآخر توزيع محدود في المنطقتين الأطلسية والمتوسطية، كما أن هناك واحداً وثلاثين نوعاً اكتشفت لأول مرة في المياه المغربية ولازال لحد الآن توزيعها الجغرافي مقتصراً على المياه الوطنية، إما المتوسطية منها وإما الأطلسية وخاصة المناطق الصحراوية.

محمد منيوي

ابن **حزب الله**، أسرة فاسية عالمية ينسبون إلى بيت بني حزب الله الذين يُرجعون أصولهم الأولى إلى الصحابي قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج. وفدوا على الأندلس ثم استوطنوا مدينة فاس. يعرف من أهل هذا البيت علماء وفقهاء أمثال الفقيه المدرس الخطيب أحمد بن هلال وابنه الفقيه القاضي علي بن هلال وابنه أبي غالب حزب الله بن علي بن هلال وابنه محمد بن حزب الله ثم ولده أحمد آتي الترجمة. وقد انقرضت هذه الأسرة من فاس.

ابن **حزب الله، أحمد** بن محمد الخزرجي الفاسي أحد الفقهاء المشهورين في هذا البيت الفاسي حيث مارس الخطبة والتدريس والإقراء.

توفي شهيداً في وقعة طريف سنة 741 / 1341 وهي الوقعة التي انهزم فيها الجيش المريني بقيادة السلطان أبي الحسن أمام التحالف القشتالي البرتغالي.

ل. ابن الخطيب، *ريحانة الكتاب*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1981، 2 : 428 ؛ إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 19 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 119، 305 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، مصر، ط. 1، 1351، ص. 68 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب، المحمدية، 1980، 5 : 73 ؛ *نفح الطيب*، بيروت، 1986، 7 : 250 ؛ م. حجي(محقق)، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 110، 192.

رشيد السلامي

**الحَزّان** Hazzan يقصد به الكلام العام المغربي رجل دين يهودي، يتولى أمر ذبائح اليهود أو يشرف على معبدهم. أو على الأقل هذا المعنى الواسع الذي يتداوله المسلمون المغاربة.

أما عند اليهود المغاربة خصوصاً في كلام جنوب مراكش والصويرة وأسفي والجديدة وسوس وتافيلالت... فالمعنى أكثر تحديداً فهو يطلق على مدرس بالمدرسة اليهودية التقليدية يتقاضى من راتبه خبزاً (خبزة الحزان) حسب حاييم الزعفراني. في كتابه *Pédagogie en terre d'Islam*, p. 52). كما أنه هو الذي يسيّر الصلاة، والغريب في الأمر أن هذا المصطلح غير مستعمل عند يهود فاس ومكناس الذين يستعملون الربّي لرئيس المدرسة، وشاليام سيبّور للمفوض المندوب عن الحاضرين لدى من يسير الصلاة.

ورغم ذلك فإن الحزان هو لقب شائع لبعض العائلات بكل البلاد. إيتيمولوجيا أو من جهة الاشتقاق اللغوي :

فالأصل العربي حزّان معنيان : الأول مراقب، والثاني مسير للصلاة. الأول مشتق من المصدر حَزَ (أي بصر) وحَزُون = رؤية. وهناك (حَزَنُو باللغة الأشورية أي مفتش) وهذا المعنى الأخير هو الوارد في التلمود (انظر : عدداً من الأمثلة في كتاب أبرهام لاريدو) *Les Noms Juifs du Maroc*, Madrid 1978, pp. 569 - 570.

لكن المعنى قد تطور في اللغة العبرية المتداولة بعد فترة تدوين التوراة، ليصبح الحزان لقباً لشخص يقوم بالمراقبة فيما يكلف به من معبد ؛ والقارئ للتوراة (مسمّع) وأخيراً المادح الذي يتغنى أو يرتل الصلاة والبيوطيم (أي شعر ديني مغنى). ومن هنا جاء المصطلح الحدي حزّنوت الذي يعني فن الترتيل.

والحزّان في كتابات متنوعة هو اسم شخصي شائع لدى اليهودية الأوربية والمتوسطية في القرنين 18 و19، وقد ورد ذكر أسماء ربيين بهذا اللقب، نذكر منهم : إليعزر حزان، إلعَزارْ حزان، شلومو والياهو حزان، وقد كانوا قضاة (ديانيم) بمراكش وخلّفوا عدة مؤلفات. وداوود حزان، الربي الأكبر بالصويرة، توفي سنة 1828 وترك بعض الكتب المخطوطة، وهي عبارة عن تفاسير القوانين الموسوية، ومنذ عهد قريب يحتفظ تاريخ المطبعة بالمغرب بأسماء مثل شريبط وحزان أي الشريكين مسعود شريبط وعمران حزان اللذين أسسا مطبعة ودار نشر بفاس. ومما صدر عنها كتب بالحرف العربي وذلك منذ حوالي 40 سنة.

يوسف تدغي، *الكتاب والمطبعة العبرية بفاس*، القدس 1994 ؛ *الكتاب باللغة العبرية* ؛ يوسف بنايم، *مالخي ربنام* Makhe Rabbanam.

شمعون ليفي

ابن **حْسَّاين** أو ابن حسين - دون مدّ -، أسرة رباطية تنتمي إلى مولاي عبد الله أمغار. اشتهر من هذه الأسرة تجار اشتغلوا بالتصدير والاستيراد منذ عهد المولى الحسن وكانوا ممثلين لدار لامب Lamb الانجليزية يتجرون في الأثواب والكتان، ومن أشهرهم :

ابن **حساين، صالح** بن المعطي، كان يتاجر هو وأخوه الغزواني في الصوف على عهد المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ.

ابن **حساين**، صهر الشيخ فتح الله بناني، كان صوفيا مقدما للزاوية البنانية الفتحية.

وفي عهد الحماية اشتغل آل ابن حساين بالتعليم في المدارس الرسمية منهم محمد ابن حساين الذي تخرج كأول معلم مغربي رسمي سنة 1929. وتتلمذ على يده عدة أفراد.

وكانوا كذلك من السباقين في البعثات الطلابية إلى الخارج، كمحمد بن عبد القادر ابن حساين الذي كان ضمن وفد طلابي متكون من ثلاثة وعشرين طالباً رباطيا للدراسة في فرنسا سنة 1932 وكان من أوائل المتخرجين منها بشهادات عليا.

محمد الأمين بلگناوي، *رواية شفوية*، في 30 / 10 / 1995.

عبد الإله الفاسي

**الحسبة بالمغرب**، تعتبر خطة الحسبة من الوظائف الدينية التي تنبثق عن المبدأ الإسلامي "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" الذي "هو القطب الأعظم للدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين" (*إحياء علوم الدين*، 2 : 269). كانت الحسبة في العصر الراشدي يباشرها الخلفاء أو ولاة المدن ( *الأحكام السلطانية*، 258)، ثم أصبحت توكل لمن يقوم بها مع توسع مهام ومسؤوليات الخلفاء بقية عصر الراشدين، وفي الدول الإسلامية اللاحقة.

لقد أثيرت بصدد أصول الحسبة مناقشات عديدة خاصة بين المستشرقين، فذهب جوزيف شاخت إلى القول بأن أصولها بيزنطية، في حين حاول آخرون البحث في تطورها في البيئة الإسلامية، ورصد علاقتها بتطور كل من حركة التمدين وحركة الفقه لارتباطها الوثيق بهما.

ترسم الحسبة للمدينة الإسلامية معالم النموذج الأخلاقي والتنظيمي المميز للحياة الإسلامية، وينطوي هذا النموذج على جملة من المفاهيم والعلاقات التنظيمية التي تراهن على الانسجام الأخلاقي بين المجتمع والشريعة. لكن الحسبة بمفهومها الاصطلاحي ستتطور أكثر في الجانب الذي يخص الإجابة على الاحتياجات التي كانت تعنى "بأحكام السوق" في المدينة الإسلامية التي تعتبر الخلية الأكثر نشاطا في المجتمع. وهكذا جاءت أحكام الحسبة النظرية والتطبيقية

كحصيلة للتجربة التاريخية للمجتمع الإسلامي، ولم تكن مجرد فقه افتراضي تخيله الفقهاء كما يرى شاخت.

لقد أجرى أبو الحسن الماوردي مقارنة بين الحسبة والقضاء: الحسبة توافق القضاء في: الاستعداء على المدعَّى عليه، ثم إلزامه برد الحق الذي عليه. وأنها تقصر عن القضاء في كونها تنظر في الدعاوي المتعلقة بالمنكرات فقط دون سائر الخصومات، وأنها مقصورة على الحقوق المعترف بها. لكنها تزيد على القضاء في كونها تنظر في القضايا حتى وإن لم يوجد خصم يستعدي، كما يجوز للمحتسب استعمال التعزيز والرهبة وهو ما لا يجوز للقاضي.

استقرت الحسبة في كتب الفقه النظري كوظيفة شرعية تهتم بتكاليف واسعة، ولكنها مافتئت تحصر وتدقق أحكامها، وهي عموما تدور حول الأبواب الرئيسية الآتية:

1 - الأسواق؛

2 - المكاييل والأوزان والنقود (مراقبة الجودة وقمع الغش)؛

3 - التنظيمات الحرفية؛

4 - المساجد والصلاة؛

5 - السلوك العام (محاربة مختلف المنكرات والمفاسد والبدع)؛

6 - مرافق المدينة: الطرف - الحمامات - المياه - البناء...؛

7 - القضاء؛

8 - أهل الذمة؛

وللقيام بهذه المهام اشترط الفقهاء في المحتسب مجموعة من الشروط وهي:

1 - الإسلام 2 - التكليف (البلوغ والعقل) 3 - العلم بما يحتسب فيه 4 - القدرة على التغيير والقيام به (ابن المناصف، *تنبيه الحكام*، 314) وفصلوا في شروط أخرى مكملة.

لقد تبلورت الكتابات النظرية حول الحسبة في حدود القرن الخامس (11 م) مع أبي الحسن الماوردي (ت. 450 هـ) في كتابه *الأحكام السلطانية* ثم الإمام أبي حامد الغزالي (ت. 505 هـ) في فصل مهم من كتابه إحياء علوم الدين.

أما كتب الحسبة التطبيقية بالغرب الإسلامي فأقدمها كتاب يحيى بن عمر الأندلسي (ت. 289 هـ) *أحكام السوق*، ثم انقطعت الكتابة بعده في الموضوع إلى حدود القرن الخامس حيث ظهرت مؤلفات أندلسية مهمة مثل *رسالة ابن عبدون*، ونوازل ابن سهل (ت. 486 هـ) وفي القرن السادس ظهرت *رسالة في آداب الحسبة* للسقطي المالقي، ورسالتا ابن عبدون والجرسيفي، وكلها لفقهاء مالكيين. وقد عرفت الحسبة بالأندلس بـ"ولاية السوق"، وكانت لها أهمية بالغة منذ العهد الأموي. وقد ظهرت ابتداء من القرن الخامس مؤلفات أخرى في الحسبة بالمشرق لفقهاء شافعية بالأساس. وقبل هذين القرنين فإن المعلومات التي كانت ترد عن الحسبة لم تكن في الغالب سوى شذرات وأخبار متفرقة في كتب التاريخ والتراجم والفقه.

الحسبة بالمغرب الأقصى في العصر الوسيط، لم نقف في المصادر التي تؤرخ للإمارات المغربية الأولى (المدراريون، الأدارسة، مغراوة وبنو يفرن، إمارة نكور) على أية إشارة إلى الحسبة أو إلى محتسبين في المدن التي كانت خاضعة لهم. ورغم معرفتنا بأسماء قضاة بعض المدن المغربية في هذه المراحل المبكرة، فإن معلوماتنا عن المحتسبين قليلة جداً، ويمكن القول إن مهام الحسبة كانت داخلة ضمن مسؤوليات القضاة وفقا للعرف المالكي الذي سار عليه قضاة إفريقية مثل سحنون (ت. 240 هـ) في الجمع بين القضاء والحسبة، خاصة وأن أول قاض لفاس الإدريسية عينه إدريس الثاني سنة 189 هـ هو عامر بن محمد بن سعيد القيسي أحد تلاميذ الإمام مالك، وقد ورد فاسا ضمن وفد إفريقية (*القرطاس*، 27)، بينما عرفت ولاية السوق بالأندلس في مرحلة مبكرة وعلى يد بعض تلاميذ الإمام مالك أيضاً. ويظهر أن أهل المغرب الأقصى تبنوا إدماج النظر في شؤون الحسبة إلى القضاء، وكان بعض العلماء أحيانا يقومون بالحسبة تطوعا، مثل أبي عمران الفاسي (ت. 430 هـ) الذي أُخرج من فاس على يد حكام مغراوة بسبب تصديه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي العصر المرابطي، قامت دعوة عبد الله بن ياسين على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، وقد مارس أثناء مقامه بالصحراء مهام الحسبة، فاستنكر بعض عادات قبيلة لمتونة فتذمروا منه وقاطعوه، كما اجتهد في تعزير أتباعه فكان يضرب كل متخلف عن صلاة الجماعة عشرين سوطا، خمسة سياط عن كل ركعة، وكان يؤدب بالضرب كل من رفع صوته بالمسجد، ولم يكن يفكر في التأديب بين الخاصة والعامة (البكري، *المسالك*، 667؛ *القرطاس*، 81؛ *أعمال الأعلام*، 228 - 231؛ حسن محمود، *قيام دولة المرابطين*، 164 - 165).

وعندما فتح المرابطون سجلماسة سنة 447 هـ أمر عبد الله بن ياسين بتغيير المناكر، والقضاء على مظاهر اللهو والظلم التي كانت سائدة، فقطعت المزامير وأحرقت محلات الخمر.

يظهر من خلال استعراض تاريخ المرابطين بعد استقرار دولتهم أن الحسبة بشكلها المؤسسي لم تكن ضمن خطط الدولة كما كان عليه الشأن بالأندلس مثلا. ويظهر أنها لم تستقل عن نظر القضاة، حيث نجد أن الفقيه محمد بن عبد الرحمان ابن العجوز قاضي فاس في عهد يوسف بن تاشفين قد ألزم الناس بلبس السراويل رجالا نساءً (*الجذوة*، 253) ولاشك أن دمج الحسبة مع القضاء كان من دواعي عدم التأليف فيها في المغرب الأقصى خلال هذا العصر. وأول إشارة نصادفها في التأليف في الحسبة تخص الفقيه عيسى بن أصبغ الجياني المعروف بابن سهل (ت. 486 هـ) صاحب كتاب "*الإعلام بنوازل الأحكام*"، وقد ضمنه فصلا مهما عن الحسبة. وبالرغم من أن هذا الفقيه قد استقضي بكل من

طنجة ومكناسة فإنه لم يشر في كتابه إلى قضايا تتعلق بالحسبة في هذه المدن، وكل ما ذكره في الموضوع يخص الأندلس.

يتبين إذن أن المرابطين لم يعملوا بخطة الحسبة، بل ظلت من اختصاص القضاة ومن حق كل قادر عليها سيراً على عمل السلف، وذلك ما تدل عليه بعض الأخبار الخاصة بمحمد بن تومرت، فإنه لما حل بمدينة فاس قافلا من المشرق في حدود سنة 510 هـ أثار انتباهه وجود حوانيت لبيع الآلات الموسيقية في أحد أسواقها، فهاجمها هو وأتباعه وكسر آلاتها وأحدث جلبة في السوق، وعندما اشتكى أرباب الحوانيت ما حل بهم إلى قاضي فاس عبد الحق بن معيشة الغرناطي أقر عمل ابن تومرت قائلا : "لو لا ما رأى من السنة، فما كسرها ومزقها، مروا، فإنهم مخالفون للحق" (*أخبار المهدي*، 44) وهاجم ابن تومرت بمدينة مراكش موكب أخت أمير المسلمين علي بن يوسف مستنكراً تبرج جواريها، فلم يلمه أحد على على ذلك ( *المعجب*، 180)، واستنكر في مجلس علي بن يوسف والفقهاء بجامع مراكش بيع الخمر علانية وتربية الخنازير وشيوع المنكرات، فكانوا يعتبرونه محقا في حسبته إلى درجة أن أمير المسلمين بكى من لومه.

ومع ذلك فإن استغناء المرابطين عن خطة الحسبة يبقى أمراً مثيراً للتساؤل خاصة وأن أغلب أطر الخطط الشرعية والإدارية في دولتهم كانوا من الأندلسيين، ثم إن المدن في عهدهم قد بلغت شأواً عظيماً من التطور خاصة مدن مراكش وفاس وسبتة.

وفي العصر الموحدي في مرحلة الثورة : ركز ابن تومرت على مبدإ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كأداة أساسية في نضاله السياسي، فلا يذكر الفقيه السوسي قبل لجوئه إلى جبال المصامدة إلا من خلال قيامه بواجب الاحتساب، سواء على ظهر السفينة التي أقلته من الأسكندرية أو في مدن قسنطينة وبجاية وملالة وتلمسان ووجدة وأجرسيف وفاس ومكناسة ومراس (*أخبار المهدي*، 30 ـ 48). ولا شك أن جرأة ابن تومرت وعلمه وإخلاصه لأهدافه كانت عوامل حاكمة في طبيعة استخدامه للمبدأ المذكور، إضافة إلى تقبل عمله سواء من طرف المجتمع أو من طرف الفقهاء والقضاة.

ومن منطلق إصلاح مجتمع القبائل الموحدية، كرس ابن تومرت الحسبة في بيئة تينمل، فـ"كان يضرب الناس على الخمر بالأكمام والنعال وعسب النخل، متشبها في ذلك بالصحابة" ( *المعجب*، 193). وتشدد في أمر الرُّبّ الذي كان سكان الجبل "لا يستغنون عن شربه لشدة برد الجبل وثلجه" ( *الروض المعطار*، 235). ومع أن تنظيمات الموحدين قد تضمنت فئة المحتسبين أو المزاور، فإن المصطلح استعمل بمعناه اللغوي العام، ولم يكن يعني القائمين بأمر الحسبة (البيذق، 54).

وفي مرحلة الدولة : اعتبر الخلفاء الموحدون الأمر بالمعروف والنهر عن المنكر من واجباتهم الأساسية، وتتضمن الرسائل الموحدية تأكيدا واضحا على ذلك. ويبدو أن عبد المومن بعد استقراره بمراكش عمل على استكمال بناء مؤسسات الدولة، وقد عني بتعيين المحتسبين سواء بالأندلس أو بالمغرب. فقد عين في مرحلة مبكرة من حكمه سنة 541 هـ شخصاً يدعى يوسف بن أحمد على الاحتساب بمدينة إشبيلية بعد زيارة وفد من أهلها إلى مراكش ( *البيان المغرب*، 36). ولم يكن تعيين المحتسبين مقتصراً على المدن الكبرى فقط، بل كان المحتسبون يعينون ببعض المدن الصغيرة مثل داي التي أكره أحد الصوفية وهو يوسف بن علي المؤذن (ت. 557 هـ) على ولاية الحسبة بها ( *التشوف*، 168). وفي عاصمة الموحدين كان قاضي الجماعة هو الذي يختار محتسبها، حيث أرسل القاضي حجاج بن يوسف الهواري (ت. 572 هـ) إلى شخص يدعى مروان بن عبد الملك اللمتوني "أن يصل إليه من فاس ليقدمه على خطة الحسبة بمراكش" ( *التشوف*، 238)، ونلاحظ أن مهام الحسبة في مرحلة بداية الدولة كان يختار لها في الغالب أشخاص ذوو ميول صوفية.

وإضافة إلى المحتسبين، تذكر المصادر "أمناء الأسواق"، فنجد عند عبد الواحد المراكشي أن المنصور "كان قد أمر أن يدخل عليه أمناءِ الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين، ويسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم" ( *المعجب*، 189). وتتضمن بعض الرسائل الرسمية الموحدية أوامر بتكليف "أمناء" للقيام بمراقبة أسواق الجواري وتتبع الخمور ومستعمليها، ومراقبة الصلاة وتعليم الناس الفاتحة وسورة من القرآن (*نظم الجمان*، 150 ـ 167 ؛ *رسائل موحدية*، نشر بروڤنصال، 126 ـ 138) مما يدل على أن الأمناء كانوا إما محتسبين أو مساعدين للمحتسبين، ولم يكونوا أمناء للحرف كما ذهب إلى ذلك هو بكنز ( *النظم الإسلامية*، 229).

وقد عرفت خطة الحسبة في العصر الوحدي "بحسبة السوق" لارتباطها أكثر بمراقبة الأسواق وحماية الحقوق بها. ومن بين من ولي هذه الخطة في أواخر الدولة نذكر : ميمون بن علي الخطابي المكنى بابن خبازة (ت. 637 هـ) الذي كان محتسبا للطعام في محلة الخليفة إدريس المأمون عند توجهها. إلى مراكش سنة 625 هـ ثم ولي حسبة السوق بها ( *الذيل والتكملة*، 8 : 239)، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري التطيلي (ت. 645 هـ) وقد ولي نفس الخطة فحمدت سيرته فيها ( *الذيل والتكملة*، 4 : 177).

الحسبة العامة : إضافة إلى الحسبة التنظيمية كانت الدولة الموحدية تولي عناية خاصة للحسبة العامة التي كان يمارسها مجموعة من أطر الدولة كالطلبة والحفاظ والقضاة والحكام بصفة عامة، وكذلك بعض العلماء (*جذوة*، 85).

كان الخلفاء الموحدون الأوائل جادين في مراقبة الأوضاع

العامة في دولتهم، وكانوا يوجهون أوامرهو لأطر الدولة يأمرونهم بمراقبة الأوضاع ومحاربة المنكرات والمفاسد ( *البيان*، 37، 267 ؛ *نظم الجمان*، 150 ـ 167 ؛ *رسائل موحدية*، 126 ـ 138).

لقد كان يعقوب المنصور أكثر الخلفاء صراحة في القيام بشؤون الحسبة العامة وصرامته في تطبيق أحكام الشريعة (*المعجب*، 278 ؛ *وفيات الأعيان*، 3 : 109 ؛ *البيان*، 171 ؛ *القرطاس*، 216)، وكان من عادته أن يتلقى شكاوي أهل المدن التي يحل بها.

وتابع الخلفاء الموحدون بعد ذلك السير على خُطى مؤسسي الدولة، فقد أصدر يوسف المستنصر سنة 617 ـه رسالة إلى كافة الجهات المغربية والأندلسية تحثُّ على "أخذ الناس بإقامة الدين والحفز على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حذا في ذلك ما فعله جده عبد المومن"، ( *البيان*، 267). وفي سنة 628 هـ "نفذت كتب المأمون إلى سائر البلاد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ( *الاستقصا*، 2 : 240).

مظاهر الحسبة العامة : يرى الدارس لتاريخ الموحدين أن القوة والصراحة كانتا طابعا مميزاً لعهود عدد من الخلفاء، وقد تجلى ذلك في مظاهر الحسبة العامة التي توخَّى منها الخلفاء الحفاظ على رسوم الشريعة ومحاربة الفساد، ومن مظاهر ذلك التشدد في منع الخمر بما فيه الرُّب، إلى درجة أن المنصور "قتل في بعض الأحيان على شرب الخمر" (*وفيات الأعيان*، 7 : 11)، كما تشدد الخلفاء في أمر الصلاة، فقد كان عبد المؤمن "يعظم أمر الدين ويقويه، ويلزم الناس في سائر بلاده بالصلاة" (*نهاية الأرب*، 22 : 427) وأصدر أوامره بأن "من رُئي في وقت الصلاة غير مصل قتل" (نفسه، *والتشوف*، 220) إلى درجة أن عبد المومن قد اعتُبر "كثير السفك لدماء المسلمين على صغار الذنوب" (*نهاية الأرب*، 427). ولم يعد القتل على ترك الصلاة معمولا به بعد عبد المومن، ولكن العقوبة على ذلك استمرت، فالمنصور كان "يعاقب على ترك الصلاة، ويأمر بالنداء في الأسواق بالمبادرة إليها" (*وفيات الأعيان*، 7 : 11).

ومن إجراءات الحسبة العامة التي تبناها الموحدون بصرامة منعهم للمكوس والضرائب غير الشرعية "فأمنوا السبل وسبلوا الجسور دون قبالة" ( *المن بالإمامة*، 234 ـ 463 ؛ *البيان*، 164) و"طاردوا المتقبلين واستحلوا قتلهم" (*الروض المعطار*، 541) وقد لفت انعدام المكوس بالمغرب نظر الرحالة الأندلسي ابن جبير (540 ـ 614 هـ) فسجل إشادته بالموحدين لما رأى من تهاون الدول الإسلامية بالمشرق قائلا : "إنه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه إلا عند الموحدين أعزهم الله، فهم آخر أئمة العدل في الزمان، وكل من سواهم من الملوك في هذا الأوان فعلى غير الطريقة، يعشرون تجار المسلمين كأنهم أهل ذمة لديهم، ويستحلون أموالهم بكل حيلة وسبب" ( *الرحلة*، 56).

ستعود الضرائب غير الشرعية إلى الظهور عند ضعف الدولة وبروز مشاكلها المالية مع استفحال التمزق السياسي للمغرب بعد وفاة الرشيد سنة 640 هـ. وقد عمل آخر الخلفاء الموحدين إدريس أبو دبوس على "رفع الكلف والمحدثات بالبوادي والحواضر، واقتصر على الحقوق الواجبة التي جرى عليها قديما العمل المتواتر [...] وسرح الأبواب للداخل والخارج دون غرم شيء من الأشياء لا في سلاع ولا في زرع ولا في غير ذلك مما كان يغرم قبل ذلك من مدد الأمراء. وكما أمر برفع غرم الأبواب كذلك أمر برفع المعونة في الرحاب" ( *البيان*، 448).

ومما يلاحظ أنه مع ممارسة الحسبة بجميع وجوهها في العصر الموحدي إلا أن الكتابة في الموضوع قد قلت بشكل ملحوظ، فلا نتوفر على مدونات خاصة بالحسبة، باستثناء فصل مهم في كتاب *تنبيه الحكام* لابن المناصف الأزدي (563 ـ 620 هـ)، ورسالة لأبي الحسن ابن القطان (ت. 628 هـ) حول المكاييل والموازين، لم تصلنا.

أما في العصر المريني فبقيت وظيفة الحسبة قائمة بعد زوال دولة الموحدين وقيام دولة بني مرين، واستمرت معها قلة التأليف في الموضوع. ويعود ذلك ولا شك إلى الاكتفاء بالمدونات والرسائل الأولى في فقه الحسبة والتي يظهر أنها كانت مفصلة بالقدر الكافي، ثم إنها كانت منطلقة من المذهب المالكي فلم تدع الحاجة إلى تجاوزها. وأهم مؤلف معاصر للمرينيين هو لقاضي الجماعة بتلمسان محمد بن أحمد العقباني التلمساني (ت. 871 هـ) المعنون بـ "*تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر*" وهو أشبه بكتب الأحكام الفقهية منه بكتب الحسبة التنظيمية.

وكان محتسب فاس في عهد يعقوب بن عبد الحق المريني تحت نظر قاضي الجماعة بها مفضل بن محمد العذري (*جذوة*، 339). وقد توسعت مهام المحتسب بعد ذلك، فكانت تضاف إليه مسؤوليات أخرى، حيث كان يشارك الوالي والقاضي في تسيير شؤون مدينة فاس، ويختص بشؤون الأسواق ودار العيار، ومراقبة الأماكن العامة مثل الطرق والحمايات والحارات. وقد بنى محتسب المدينة في قيساريتها نموذجا لذراع مضبوط ليكون أساسا لمقاييس التجار والمتعاملين، عرف بقالة سوق العطارين (*ورقات*، 106) وكان إضافة إلى ذلك يقوم بدور الحكم في النزاعات بين أهل الحرف والصنائع، كما كان يفصل في الخلافات بين التجار وزبنائهم، وكان يعتمد في مسؤولياته هذه على مجموعة من الأمناء وأرباب الحرف المعروفين بالخبرة والورع.

ويظهر أن بعض سلاطين بني مرين كانوا يميلون إلى إشراك السكان في اختيار المحتسبين، فقد قال أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني : "أوصى جدنا عبد الحق ـ رضي الله عنه ـ بوصية التزمناها وهي : أن ثلاثة من الولاة لا مدخل للرعية فيهم مع السلطنة، وهم : صاحب القصبة، وصاحب الشرطة، والوالي، وثلاثة المرجع

فيها للرعية، وهم : إمام الصلاة والخطبة، والقاضي، والمحتسب" (*المسند*، 233).

ومن محتسبي العصر المريني نذكر : الشاعر عبد العزيز الملزوزي المكناسي (ت. 697 هـ) "كان جُعل له النظر في أمور الحسبة ببلاد المغرب" (*مختصر الإحاطة، مخطوط*، خ. ع. د. 1582، ورقة 279)، وعلى يده كان تعديل الصاع المغربي ليوافق المد النبوي (*روض القرطاس*، 282).

- وغالب بن علي بن محمد الشقوري الغرناطي (ت. 741 هـ) محتسب مدينة فاس، وكان ذا إلمام بالطب، وخدم أبا الحسن المريني (*جذوة*، 506).

- الشيخ الحاج أبو الضياء منير بن أحمد بن منير الهاشمي الجزيري، نزيل أسفي وصاحب السوق وناظر المارستان بها. وبها لقيه ابن الخطيب السليماني سنة 761 هـ (*نفاضة الجراب*، القاهرة، 72).

- أبو عبد الله ابن الجيار، كان محتسبا بمدينة سبتة (*بلغة الأمنية*، 55).

- يعقوب بن عبد الله الخاقاني الفاسي "انتصب سنة 817 هـ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وردع المفسدين، حتى صار له أنصار وأتباع" (*الضوء اللامع*، 10 : 115 ؛ عن *خطة الحسبة*، 89).

- علي بن أحمد الحسيني السبتي الشهير بالكغاد (ت. 839 هـ) كان يجمع بين الحسبة والنظر في الأحباس بفاس (*المناهل*، 14).

وقد أدخل أبو عنان المريني منصب "صاحب الصلاة" ضمن إدارة دولته، وكانت مهمته أمر الناس بالصلاة في أوقاتها وفي جماعة، والمحافظة على صلاة الجمعة ومعاقبة المتخلفين والمتهاونين. وقد كانت هذه الخطة مشهورة بالأندلس، وجلعها الموحدون ضمن مهام المحتسب والأمناء والحفاظ وغيرهم. وكان تعيين صاحب الصلاة في العصر المريني يتم بظهير سلطاني، وكان يفرض له مرتب، ويعين أعوان يساعدونه، ويحصلون هم أيضاً على مرتبات (*فيض العباب*، 22-23). وقد ذكر صاحب *بيوتات فاس الكبرى* أن أبا المكارم منديل بن زنبق "كان يحرض الناس على الصلاة في أوقاتها، ويضربهم عليها بالسياط والمقارع بأمر السلطان أبي عنان المريني" (*البيوتات*، 50).

وفي العصر الوطاسي يبقى أهم مصدر عن معلوماتنا عن الحسبة هو *وصف إفريقيا* للحسن الوزان الذي يؤكد أن منصب الحسبة أصبح السلطان يسنده إلى الأعيان بطلب منهم بالرغم من أميتهم وعدم إلمامهم بمتطلبات المنصب، في الوقت الذي كان المحتسب في السابق يختار من ذوي المروءة والكفاءة. ولعل هذا ما ساعد على تفشي ظاهرة الرشوة لدى المحتسبين ولجوئهم أحيانا إلى بعض العقوبات المبالغ فيها. ويظهر أن هذا التحول رافق تحولا آخر تمثل في تقليص مهام المحتسب وحصرها في بعض شؤون السوق مما لم يكن يتطلب إلماماً بالفقه والأحكام، ولا شك أن تراجع أهل العلم والتصوف عن قبول بعض المناصب وإحجامهم أحيانا عن التعامل مع السلطة الوطاسية كان من العوامل المساعدة على تراجع أهمية منصب الحسبة، وشيوع مفاسد ومخالفات كثيرة لم تفد الخطب النارية للشيخ الورياغلي في القضاء عليها، وهو الذي عرف بشدته في إنكار المنكر والتشنيع حتى على ذوي السلطان.

وقدم الحسن الوزان أيضاً معلومات مفيدة عن مرور موكب المحتسب بأسواق فاس مخفوراً بعدد من الحرس، وعن بعض الطرق والوسائل التي كان يستخدمها لكشف الغش في المواد الغذائية وبعض العقوبات التي كان ينزلها بالمخالفين.

وتتميز المعلومات عن الحسبة في العصر السعدي بقلتها وتشتتها، ويظهر أنها تجاوزت التدهور الذي لحق بها في العصر الوطاسي، حيث شغلها بعض الفقهاء المعروفين بعلمهم ومكانتهم، وأصبح التركيز أكثر على إلمام المحتسب بأحكام الفقه، فحبّست مجموعة من مصادر الفقه والحسبة ووضعت في دكان المحتسب بفاس ليرجع إليها عند الضرورة، وقد عاينها الشيخ ميارة في صغره، وذكر ذلك في شرحه *للامية الزقاق*، وتعتبر هذه أول إشارة إلى تخصيص دكان للمحتسب بأحد أسواق المدينة، ويظهر أن هذا الإجراء قد اتخذ في العصر السعدي لتأكيد حضور المحتسب في السوق بصفة دائمة، حتى يسهل على الناس الوصول إليه وقت الحاجة. وقد كانت لبعض محتسبي هذا العصر تدخلات تتجاوز مراقبة الأسواق، مثل محتسب عدوة الأندلس بفاس الحاج صالح الذي قطع تدخين الدخان حين دخل إلى المغرب في عهد السعديين ومنع بيعه، كما منع بيع آلات الطرب للنساء. وألزم الناس بالصلاة، وفرض التستر في الحمامات وغيّر مناكر شتى، وكان قد ولي الحسبة سنة 1049 / 1639 م.

ومن بين محتسبي العصر الفقيه أحمد ابن مواس الذي كان أبوه موقتا بجامع القرويين بفاس، ومحتسب درعة أحمد بن سعيد التونسي الذي كان هو الآخر من الفقهاء.

وفي العصر العلوي بعد تجاوز مرحلة الاضطراب الطويلة التي عرفها المغرب بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي واستتباب الأمر للشرفاء العلويين بدأت خطة الحسبة تنتعش بدورها وأصبح حضورها ملموسا سواء في كتابات الفقهاء أو على المستوى التطبيقي. فقد أصبح الفقهاء أكثر انشغالاً واهتماما بقضايا نظرية تدخل في باب الحسبة، وألفت في ذلك تآليف. أما من الناحية العملية فقد أصبحت مكانة المحتسب في المدينة المغربية منذ عهد المولى الرشيد تأتي في المرتبة الثالثة بعد الوالي والقاضي، وأصبح المحتسب يختار من الفقهاء ذوي المكانة والاحترام ويعين بظهير سلطاني. ومن خلال الوثائق المخزنية نلاحظ أن أخبار المحتسبين أصبحت تصل إلى السلطان ويتواصل بشأنها مع عماله في مدن شتى.

ونجد أيضاً أن أخبار المحتسبين وقصصهم أصبحت أكثر تداولا في كتب التراجم والتاريخ. ويظهر من هذا الأهمية

التي أصبحت مكانة المحتسب تكتسيها داخل الحكومة المغربية، وأيضاً داخل المدينة، وقد تجلت هذه الأهمية في المهام الواسعة التي أصبحت توكل إلى بعض المحتسبين، حتى صار عدد منهم يتجاوزون اختصاصاتهم لتوسيع نفوذهم، مما كان يؤدي بهم إلى الاصطدام سواء مع القضاة أو العمال، وذلك ما تعالجه وثائق عديدة.

في حين نجد أن الميزات الشخصية لبعض المحتسبين وحزمهم كانت كافية لإقناع بعض السلاطين بتكليفهم ببعض المهام الخارجة عن تخصصهم، فقد كلف مثلا الطاهر بادو محتسب مكناس في عهد مولاي سليمان بصائر الدار السلطانية، ووكل إلى محتسب آخر بمكناس الإشراف على صناعة البارود في عهد الحسن الأول، كما أسند لمحتسب فاس مراقبة طباعة الكتب بالمطابع الحجرية، وغير ذلك من المهام التي تشير إليها المصادر.

ونجد الضعيف الرباطي يرجع مسألة بناء الملاحات لليهود ببعض المراسي إلى فكرة اقترحها محتسب فاس أبو القاسم الديوري على السلطان مولاي سليمان لفصل سكن اليهود عن سكن المسلمين، وقد نقل هذا المحتسب ليصبح قاضيا بسلا بعد اصطدامه مع قاضي فاس.

وتحتفظ الوثائق المخزنية وكتب التراجم والتاريخ بأسماء عدد هام من المحتسبين يتجاوز بكثير الأسماء المعروفة لمحتسبي العصور السابقة، كما تحتفظ بوقائع وأخبار تساعد على تكوين صورة أدق عن موقع المحتسب في الإدارة المغربية في هذا العصر والمهام اليومية التي كان يزاولها وطبيعة القضايا التي كان يعالجها وغير ذلك.

وفي مرحلة الحماية : تضررت خطة الحسبة وهيبتها كما تضررت الإدارة المغربية من نظام الحماية القنصلية ونظام الامتيازات الأجنبية في المغرب خلال القرن الثالث عشر (19 م)، ومع فرض الحماية على المغرب سنة 1912، بدأت مهام المحتسب تتقلص في إطار الإصلاحات الإدارية التي اقترحتها الإدارة الاستعمارية، فتم إحداث مصلحة قمع الغش، فكانت بذلك إبعاداً للمحتسب عن ميدان ظل يراقبه لقرون.

وفي بداية الاستقلال تم في عهد الملك محمد الخامس رحمه الله إحياء خطة الحسبة وإعادة الاعتبار لها عن طريق العودة بها إلى تقاليدها المعهودة، لكن القوانين والتنظيمات التي وضعت في عهد الحماية بقيت تعترض تطور خطة الحسبة عن طريق التداخل الذي أصبح يصل بين اختصاصات المحتسب وبعض المصالح الإدارية الأخرى، إلى أن كان ظهير سنة 1982 الذي حدد اختصاصات المحتسب وأوكل إليه مراقبة الأثمان في المواد الغذائية والمشروبات ومواد التزيين والنظافة، وكذا خدمات ومنتجات الصناعة التقليدية والمنتجات الفلاحية، ونظم نفس الظهير مهمة أمناء الحرف وحدد العلاقة بينهم وبين المحتسب، وبذلك أصبح لخطة الحسبة مكانة قانونية في النظام الإداري المغربي وتعززت سلطتها في المراقبة والتدخل في حسم بعض النزاعات.

وأصبح المحتسب يزاول عمله بشكل يومي يساعده في ذلك أعوان إداريون ويعمل أمناء الحرف تحت إشرافه.


أ. الماردي، *الأحكام السلطانية والولايات الدينية*، بيروت، دار الكتب العلمية، 1978 ؛ أ. الغزالي، *إحياء علوم الدين*، بيروت، دار المعرفة، د. ت ؛ م. أبو يعلى الفراء، *الأحكام السلطانية*، تح. محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987 ؛ م. العقباني التلمساني، *كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر*، تح. علي الشنوفي، مجلة معهد الدراسات الشرقية بدمشق، 1967 ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، دار الكتاب اللبناني، 1967 ؛ يحيى بن عمر الأندلسي، *أحكام السوق*، تح. محمود علي مكي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية. مدريد، مجلة 4 ـ 1956 ؛ م. السقطي المالقي، *رسالة في آداب الحسبة*، باريس، 1931 ؛ ابن عبدون، ابن عبد الرؤوف، ثلاث *رسائل أندلسية في الحسبة*، نشر ليفي بروفنصال، القاهرة، 1955 ؛ ابن سهل الجياني، *فصل من الأحكام الكبرى حول الاحتساب*، نشر التهامي الأزموري وحليمة فرحات، هسبريس *تمودا*، مجلد 14، 1973، ص. 7 ـ 108 ؛ م. ابن المناصف الأزدي، *تنبيه الحكام على مآخذ الأحكام*، تح. عبد الحفيظ منصور، تونس، دار التركي 1988 ؛ موسى لقبال، *الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي*، الجزائر، 1971 ؛ ع. الرحمان الفاسي، *خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين*، الدار البيضاء، 1984 ؛ م. المغراوي، *ملاحظات حول مسألة الحسبة في الدولة الموحدية*، مجلة دراسات، كلية الآداب، أگادير، ع 2، 1988 (47 ـ 16) ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي ؛ المجيلدي، *التيسير في أحكام التسعير*، تح. موسى لقبال، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ؛ الظهير الشريف رقم 1.82.70 بتاريخ 28 شعبان 1402 الموافق 21 يونيو 1982 يتضمن الأمر بتنفيذ القانون رقم 02.82 المتعلق باختصاصات المحتسب وأمناء الحرف، *الجريدة الرسمية*، عدد 3636 بتاريخ 7 / 7 / 1982 ؛ حسن بكريم، *الحسبة، تطورها قديما وحديثا*، المحمدية، مطبعة فضالة، ط 1، 1990.

Claude Cahen et Mohamed Talbi, *Ḥisba*, E.I2, T. III, (503 - 505) ; G. Marçais, *Considérations sur la ville musulmane et notamment sur la fonction du Muhtasib*, dans *Recueils de la Société Jean Bodin*, VI, Bruxelles, 1954 ; E. Tyan, *Histoire de l'organisation judiciaire en Islam*, T. II, 1943 ; J. Schacht, *An Introduction to Islamic Law*, Oxford, 1964 ; *The Origins of Muhammedan Jurisprudence*, Oxford, 1975.


محمد المغراوي

ابن **حسّان، أحمد** بن الحسن بن أحمد القضاعي أبو جعفر، رفيق محمد بن جبير الكناني في رحلته الأولى إلى المشرق لأداء فريضة الحج سنة 578 / 1182، ويعتبر من الأعلام الأندلسيين الذين استقروا بالمغرب حيث قدمته

كفاءته العلمية ليصبح طبيب الخليفة الموحدي يعقوب المنصور ويخصه بتأليف في الطب يدعى *الجملة والتفصيل في تدبير الصحة*، كما وضع *مختصراً في الموسيقى* لكتاب أبي نصر محمد الفارابي. وتميز ابن حسّان بمشاركته العلمية وخاصة في اللغة العربية، ذلك أنه سبق أن كتب للسيد أبي سعيد بن عبد المومن الموحدي حسب رواية أحمد المقري في *نفح الطيب*، وجمع بين تحصيل العلوم والغنى، فكان يملك عقاراً وضياعاً بفاس وصار من سراة البلد وأفاضلهم، غير أنه لم يعمر طويلا حيث وافاه الأجل وهو دون الخمسين، سنة 598 أو 599 / 1201 ـ 1202 بفاس، وقيل بمراكش حسب رواية ابن الأبار في *التكملة*.

ابن الأبار، *التكملة*، تح. إبراهيم الأبياري، 1 : 126 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 2 : 383 ؛ ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، 3 : 129 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 99 ؛ م. العربي الخطابي، *الطب والأطباء بالأندلس الإسلامية*، 1 : 62 ؛ ع. بنعبد الله، *الطب والأطباء بالمغرب*، ص. 35.

محمد ماگامان

**حسّان** (جامع)، أكبر جوامع الغرب الإسلامي على الاطلاق، وثاني أكبر الجوامع الإسلامية قاطبة، بعد جامع سامراء بالعراق، شيد فوق بقعة أرضية تفوق مساحتها 25.500 متر2، حيث يمتد طوله على 183،12 مترا، وعرضه على 139،32 مترا بالتحديد.

لم يكتب لهذه المعلمة العظيمة أن يكتمل بناؤها، ولا أن تؤدي وظائفها كما ابتغاها لها بانيها الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي (580 ـ 595 / 1184 ـ 1199 م)، إذ توقفت بها الأشغال بوفاته. وبخصوص الإنشاء نفسه، ذهب الباحث الفرنسي "كايّي" (J. Caillé) إلى أن الآمر بالإنشاء، بل وربما المدشن للأعمال، لم يكن المنصور، وإنما هو والده وسلفه أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، حيث كان مشروع الجامع داخلا في مشروع إنشاء مدينة رباط ـ الفتح التي اختطها. وقد اعتمد "كايّي" في رأيه على نص المراكشي، حيث أوله ليصل إلى مبتغاه، مع أن هذا الأخير صريح بما هو عكس ذلك حيث نجده يشير حرفيا إلى المنصور وليس إلى أبيه بقوله : "وبنى فيها مسجداً عظيماً" (*المعجب*، ص 384).

ولما اشتهر المنصور بميوله لشماخة الصنع وجودة الإتقان في كل ما وقف على إنشائه، فإن جامع حسان هذا، جاء قمة من قمم الإنجاز الديني الموحدي، حيث يظهر أن تطور العمارة الموحدية التي أعلنت عن قواعدها في أولى إنجازاتها بتازة، وصقلتها وأبدعت لها طرقا وقوانين أصبحت مرجعية في كل من الكتبية وتينمل، وصلت في حسان منتهاها. وإن كنا اليوم في عجز عن تلمس جزئيات هذا المنتهى في أطلال الجامع، فإن ذلك لا يزال متجلياً في صومعته الشاهقة وفي تصميمه العام الذي لا يشبهه تصميم.

لم يتفق اثنان من بين كل من اهتم بجامع حسان عن أصل تسميته ولا إلى من تعود لفظة "حسان"، بل ذهب كل طريقه في التفسير والتأويل، فأعاده البعض إلى القيّم على البناء، وقرنه آخرون باسم مهندس أندلسي اعتُقد أنه واضع تصميمه، لينتهي الباقي إما إلى أن اسم حسان يعود إلى قبيلة بني حسان (بني حسن) العربية، المستوطنة لجزء من سهل الغرب، وإما إلى أن اللفظ إنما يعود على الحسن والجمال اللذين كانا للجامع. ويرتكز صاحب هذا الرأي الأخير في استنتاجه هذا على كون العادة عند المغاربة أن يشتقوا لفظة حسان من كلمة حسن (د. الكحلاوي، *العمارة الإسلامية*، ص. 288)، ليلاحظ بعد ذلك أن الجامع لم يذكر لا عند صاحب *المعجب*، "وهو شاهد عيان"، ولا عند ابن بطوطة مثلا بهذا الاسم، وإنما ظهر هذا الأخير لأول مرة في نص تاريخي عند ابن أبي زرع المتأخر.

ومهما يكن، فإن من اهتموا بدراسة أطلال جامع حسان عمارة وفنا كانوا هم الفرنسيين، وذلك مع مطلع هذا القرن ؛ فلهم يعود الفضل في فحصها فحصاً أثرياً وفنياً، حافظت لنا نتائجه على الكثير من الجزئيات التي طمستها فيما بعد الأعمال والتغييرات التي تمت بالموقع. ويعود أول رفع هندسي للجامع إلى سنة 1902، تلته عملية مماثلة سنة 1913، ثم ثالثة سنة 1914، وهكذا إلى أن كانت آخرها تلك التي قام بها "كايّي" السالف الذكر، سنة 1949 م. ولهذا الأخير دراسة مفصلة جامعة انطلق منها في محاولة وضع مشروع ترميم وإعادة بناء الجامع، كانت ستكون أعظم ورش ترميم أقيم لمعلمة، لو كتب لها النجاح.

ورغم كون هذا الاهتمام ساهم في إنقاذ معلمة من النسيان، حيث أعيدت لها مكانتها في سلسلة الفنون المعمارية الإسلامية، فإن ما ضاع من معلومات كثير ومهم بسبب الجهل بالتاريخ، وبسبب ضعف المنهج، وكذلك لعدم الاهتمام بجزئيات الأمور في دراسات كان المفروض فيها أن تدقق وتحقق. والمتصفح لأعمال "ديولافوا" (Dieulafoy) وزوجته (1914 ـ 1915) أو "جول بوريلي" (Jules Borely) بعدهما (1933 ـ 1934)، على وجه الخصوص، سيجد من الهفوات ومن الخلط والنقص في المعطيات ما يؤكد ما نقول. هذا، وقد حاول "هنري طيراس" H. Terrasse بمساعدة كل من "جان هينو" (Jean Hainaut)، وهو أكبر تقني ـ رسام عرفته مصالح الفنون الجميلة بالمغرب في عهد الحماية، و "جاك كايّي" السالف الذكر تدارك النقص والإجابة عن الكثير من التساؤلات التي بقيت معلقة بسبب الضياع المذكور.

اختار المنصور لجامعه بقعة أرضية بشمال شرق الرباط، وكان بها انحدار في اتجاه الشمال، إذ لم تكن منبسطة تمام الانبساط ؛ وقد أدّى هذا الأمر إلى جلب كميات هائلة من الأتربة ودكّها لتملأ المواضع المنحدرة. ومن شأن هذا الأمر، أن يثير تساؤلا عن أسباب اختيار المنصور ومهندسه لهذه

البقعة بالذات وليس غيرها، مع العلم أن الرباط بنيت على أرض الكثير من مواضيعها منبسطة أو ضعيفة الانحدار.

إن الذي يظهر، هو أن هذا الاختيار يعود لعوامل أخرى غير الطوبوغرافية، قد يكون أساسها تموضع نقطة التأسيس في نظام هندسي شامل، وزع الأماكن والمعالم، بشكل محكم ومدروس، جاعلا من البقعة التي خصصت للجامع نقطة مركزية ومحورية في نظام عام. ومما يميل بنا إلى هذا الافتراض الذي لا يزال يفتقر إلى أدلة قاطعة، المسافات التي تفصل جامع حسان عن أهم أبواب المدينة الموحدية، وعن قصبتها (الأوداية)، وعن جامع حاضرة سلا الكبير، الموحدي كذلك. وهناك في هذا الأمر دراسة في طور الإنجاز، قد تفضي إلى تثبيت هذه الفرضية وتفسيرها.

وعلى المستوى الهندسي المعماري، نجد الإنجاز مرتكزاً على فكرة مدروسة، وتصميم محكم موضوع أصلا، وليس إلى فكرة مجردة، ترامت مكوناتها شيئاً فشيئاً حتى كونت وحدة تامة. فكل المقاييس التي أخذت في أدق الرفوعات سواء منها الأرضية أو العلوية، كلها تدل على أن الجامع إنجاز لتصميم مدروس. فهو بناء مستطيل الشكل، متوازن في كل جزئياته، اختير المربع له كقاعدة لتقسيم تفاصيله، كما اختيرت المقاييس في تقابل بسيط (مارسي، *العمارة*، ص. 207). على أن مسألة الدقة في الحساب والتخطيط الهندسي ليست وليدة مشروع حسان، بل هي تقليد سنه عبد المؤمن ومهندسوه في أولى انجازات الموحدين، ووصلت منتهى الدقة في مسجد تينمل (J. Hassar - Benslimane, *Tinmel*, p. 303).

وكما هو الشأن في المساجد الموحدية الأخرى، فقد جاءت القبلة منحرفة عن الاتجاه الصحيح، إذ هي في حسان جنوبية محضة، عوض أن تكون جنوبية شرقية.

هذا وقد اتفق الباحثون على أن تخطيط جامع حسان معقد ولا يشبهه أي تصميم آخر، فقد جاء منقسما إلى قسمين أساسيين هما بيت الصلاة والصحن، لكن تتخللهما عناصر جديدة لم تعهد فيما عرف من مساجد وجوامع قبل حسان.

أما بيت الصلاة فينتظم على الشكل التالي (انظر التصميم):

- على طول جدار القبلة، تجرى ثلاثة بلاطات أفقية، يخترقها 21 بلاطا عموديا؛
- في الوسط، ينتظم 18 بلاطا عموديا يخترقها 11 بلاطا أفقيا؛
- على جانبي هذا القسم الأوسط، تموضع صحنان مستطيلا الشكل؛

يحد كل واحد جنوبا ثلاثة بلاطات عمودية بثلاثة

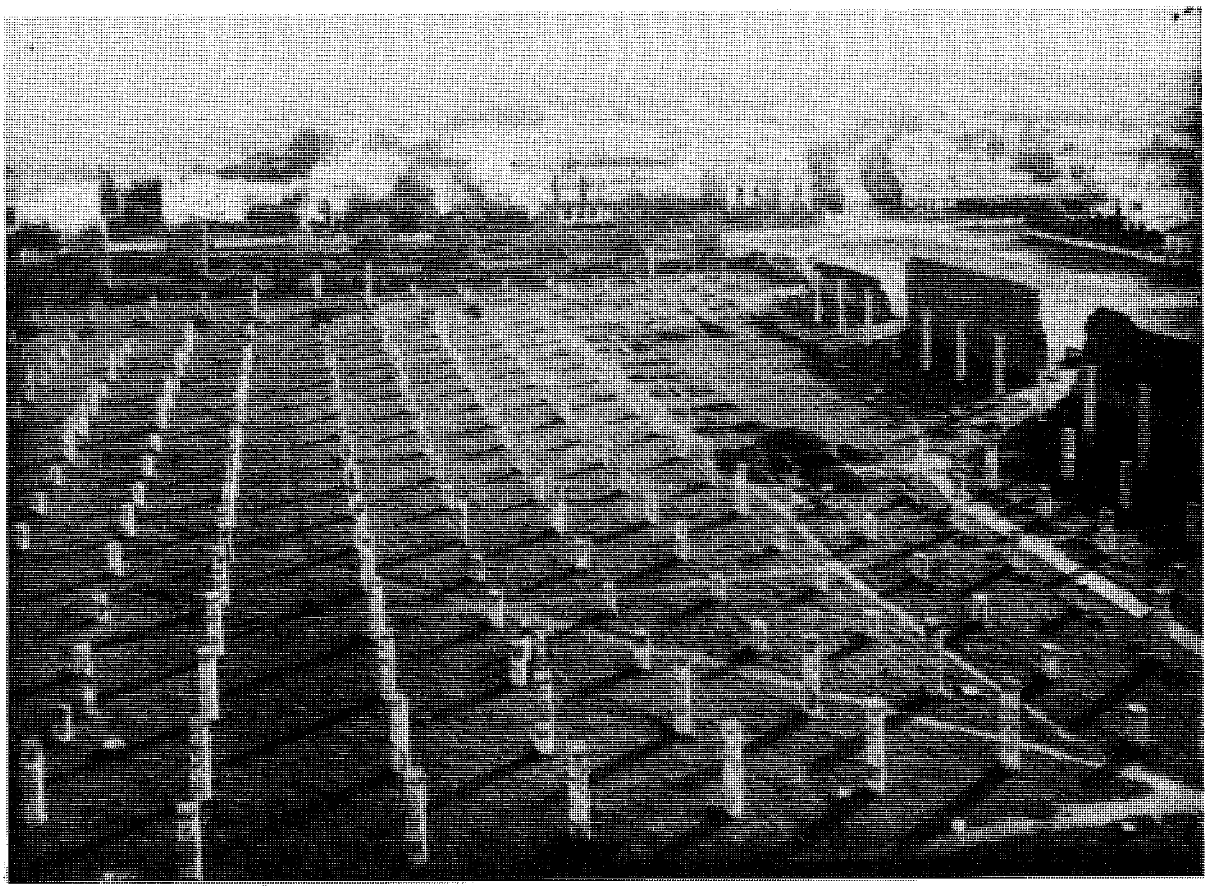

جامع حسان : منظر عام أخذ سنة 1934

بلاطات أفقية، وشمالا ثلاثة بلاطات عمودية كذلك لكن بسبعة بلاطات أفقية ؛

- على طول الجدارين الغربي والشرقي، يجري بلاطان عموديان، لهما نفس اتساع البلاط العمودي الأوسط، المؤدي إلى المحراب.

أما ما يخص الصحن، فكان يمتد على عرض مساحة الجامع، ليمتد عموديا على ما يناهز ربع (1/4) طولها. وكان بالصحن خزان ماء ضخم، مستطيل الشكل كذلك وعميق. وقد بقيت هذه الساحة فضاء فسيحا فارغا لكون الجامع لم يكتمل بناؤه ؛ ولو اكتمل هذا البناء لكان الصحن سيحاط ببلاطات من جهاته الثلاث كما أكدت ذلك الدراسات الأثرية. ومما يعزز هذا الافتراض، كون القسم الأسفل من الصومعة بقي مجرداً من كل زخرفة، وهو ما يعني أن سقوفا كانت ستلصق بواجهات الصومعة الداخلية.

ومن مميزات جامع حسان التي ينفرد بها عن غيره :

- الصحنان المستطيلان اللذان أدمجا في بيت الصلاة، وهو اختيار قد يكون الداعي له ضرورة توفير إنارة كافية لبيت صلاة شاسع الأطراف. ويعتقد "مارسي" أن نموذج هذين الصحنين آت من بلاد افريقية أي تونس الحالية، وبالضبط من مسجد المهدية الفاطمي (Marçais, *Architecture*, p. 209).

- علو كل من البلاطات الثلاثة المحاذية لجدار القبلة، والبلاطين العموديين المحاذيين لجداري الجانب الغربي والجانب الشرقي، بنسبة تفوق علو البلاطات الأخرى. وهذا الحل المعماري أريد به الزيادة في توفير إنارة إضافية لبيت الصلاة. لكننا لا ندري أكان هذا العلو عاديا، أي زائداً عن علو باقي البلاطات دون تغيير في القسم العلوي للأقواس، أم أن هذه كانت مزدوجة كما كان عليه الحال بجامع قرطبة مثلا ؟

**حسّان** (صومعة) نصبت الصومعة في وسط الجدار الشمالي، أي في المحور العمودي قبالة المحراب، مع بروز نصفيه من جانبي الجدار. وهذا التموضع جديد وفريد في صوامع الغرب الإسلامي، وإن كان المرينيون قد إقتدوا به - كما اقتدوا بعناصر أخرى من جامع حسان نفسه - في إنشائهم لمسجد المهدية بتلمسان.

هذا، وتصل صومعة جامع حسان في العلو الذي توقف عنده البناء، إلى 44 مترا، أي أكثر بقليل من ثلثي العلو الذي كان مقرراً أن تصله لو كتب لها أن تكتمل. أما مادة بنائها فالحجارة المنجورة، بينما الزخارف التي تزين واجهاتها هندسية لعب فيها الشكل المعروف بـ "دَرْج وكُتَف" دوراً رئيسياً، كما أن عدد الأقواس المفصصة فاق عدد الأشكال الأخرى.

أما داخل الصومعة، فيتكون من مركز به غرف موزعة على طوابق ستة، وهو ما نجده بالكتبية كذلك، تغطي كل

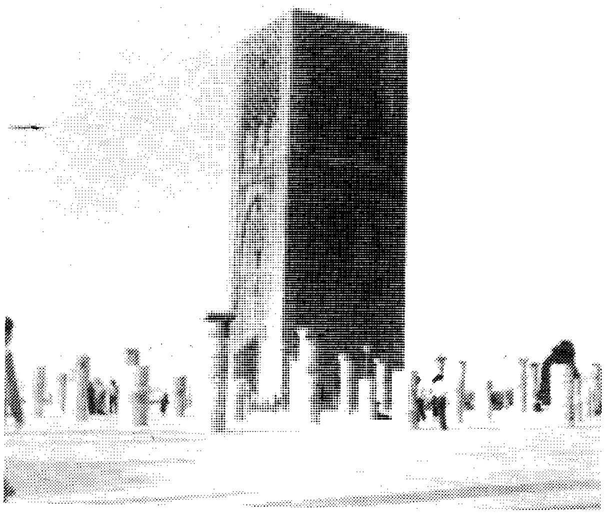

واحدة قبة يختلف شكلها عن شكل القباب الأخرى. ويدور حول المركز مَطْلع (وليس درج) خفيف الانحدار، عرضه متران، وفي هذا العرض قال الحسن الوزان : "يمكن لثلاثة فرسان أن يصعدوا ... جنبا إلى جنب" (*وصف افريقيا*، ا، ص. 201).

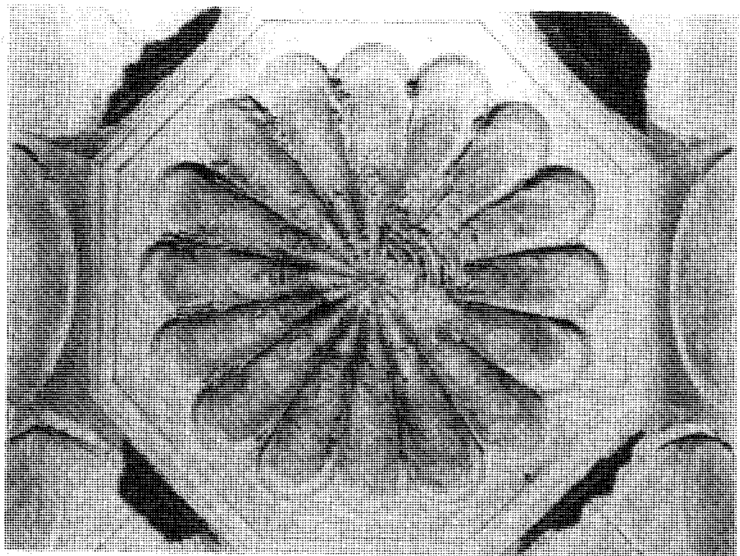

جامع حسان إلى اليوم ملتقى الزوار والسواح من داخل البلاد وخارجها، يلتقي في رحاب موقعه الناس، ويتأملون في عظمة فكرة الإنشاء، وضخامة الصنع، في غياب إمكانية تأملهم في حكم هذا الصنع، اللهم إلا ما كان من عظمة وزخرفة الصومعة، الدالة في شموخها على قوة السلطان مع الخضوع لله عز وجل، والتي كثيراً ما يبقى المرء مشدوداً إليها، يتخيل انطلاق الأذان من أعلاها، يدعو المومنين للصلاة وذكر الله. وقد كان في وقت ليس بالبعيد بإمكان الوافدين على الموقع، أن يصعدوا إلى الصومعة، والتمتع من أعلاها بأجمل المناظر وأبهاها. ولعل ما يمثله موضع حسان في طوبوغرافية الرباط، ولعل قدسية الموقع كذلك، كانا سببين رئيسيين في اختيار هذا الأخير لتشييد ضريح محمد الخامس والمسجد الملاحق له.

ع. المراكشي، *المعجب*، القاهرة، 1949 ؛ ابن بطوطة، *رحلة ابن بطوطة*، بيروت، 1960 ؛ ع. ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، بيروت، 1983 ؛ ع. السويسي، *تاريخ رباط الفتح*، الرباط، 1979 ؛ م. م. الكحلاوي، العمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي، *عمائر الموحدين الدينية في المغرب، دراسة أثرية معمارية*، جامعة القاهرة، (رسالة دكتوراة) 1986.

J. Caillé, *La ville de Rabat des origines à 1912*, Paris, 1945 ; *La mosquée de Hassan à Rabat*, Alger, 1947 - 48 ; Dieulafoy, *La mosquée de Hassan*, Paris, 1914 ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954 ; H. Terrasse, *L'art hispano - mauresque des origines au XIIIè siècle*, Paris, 1932 ; *Le plan de la mosquée de Hassan*, dans *C.R.A.I.B.L.*, Paris, 1951 ; J. Benslimane, Ch. Ewert , A. Touri et H. Wisshak, *Tinmel: fouille de la mosquée almohade*, *B.A.M.*, XIV, Rabat, 1981 - 82, p. 277-312.

عبد العزيز توري

**ابن حَسَّان، محمد** بن عبد الحق بن أبي علي المُرسي ثم المراكشي، أبو العلاء. ينتمي إلى أسرة علمية، فقد كان جده أبو علي كاتباً للأمير محمد بن سعيد بن مردنيش صاحب مُرسية، وبعد وفاة هذا الأخير سنة 567 / 1171، التحق أبو علي بالموحدين وحظي لديهم. أما والده أبو جعفر عبد الحق، فقد اهتم بالفلسفة والطب ونال حظاً من بقية العلوم القديمة، وشُهر بذلك في بلده مرسيه.

تلقى أبو العلاء ابن حسَّان علومه بالأندلس، وقد أثرت بيئته العائلية في تكوينه العلمي، حيث برع مثل أبيه في الطب والفلسفة والعلوم القديمة، كما برَّز في الأدب والكتابة مثل جده لأبيه، كما أنه كان ينتمي من جهة أمه إلى بيت علمي شهير، فقد كان جدّه لأمه هو أبو محمد ابن عطية صاحب *التفسير* الشهير.

رحل أبو العلاء ابن حسان إلى مراكش في المرة الأولى، وصحب بها الوزير أبا سعيد ابن جامع واستفاد من صحبته، وكان خلال هذه المدة طبيبا في بلاط الخليفة يوسف المستنصر الموحدي (ت. 620 / 1223) لكنه لم يلبث أن عاد إلى الأندلس بعد تبدل الأحوال السياسية على إثر الصراعات التي أعقبت وفاة المستنصر، فسكن مدينة إشبيلية مدة ثم الجزيرة الخضراء مقرباً من صاحب أعمالها من قبل ابن هود، أبي عمران موسى بن سعيد.

ثم انتقل من جديد إلى مراكش، لينخرط في سلك كتاب الخلافة في عهد الخليفة أبي محمد عبد الواحد الرشيد (630 و640 هـ)، ولا ندري السنة التي انتقل فيها إلى العاصمة الموحدية، لكن إحدى رسائل أبي المطرف ابن عميرة المخزومي إليه سنة 639، تحليه بـ"رئيس الكتاب وعميد الآداب"، وهي رسالة وجهها له بغرض التوصية بأحد العلماء المشارفة الذي زار مراكش وهو نجم الدين المازندراني.

وكان من بين ما حصل لابن حسان أثناء إقامته بمراكش عثوره على كنز أثناء القيام ببعض أشغال الحفر في منزله، فكان سبب ازدياد نعمته وبقائه بمراكش بعد وفاة مخدومه الرشيد وتركه للكتابة السلطانية وقد توفي سنة 641 / 1243.

ابن سعيد المغربي، *اختصار القدح المعلي*، تح. إبراهيم الأبياري، القاهرة، ط 2، 1980، ص. 126 - 127 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب (قسم الموحدين)*، تح. جماعة من الأساتذة، بيروت، 1985، ص. 299 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بنشريفة، الرباط، 1984 (8 : 455 - 457) ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1949 (4 : 288) ؛ أ. ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، بيروت، 1979 (3 : 129).

محمد المغراوي

**حسَّان**، Hassan عائلات يهودية من تطوان وطنجة وجبل طارق، كان أجدادهم من أحبار يهود إسبانيا منهم :

يقوت إلى ابن حسَان (Yekuti il Ibn Hassan) كان من أعيان بلاط سرقسطة خلال لقرن الحادي عشر الميلادي قبل أن يقتل نتيجة ثورة بالبلاط كلفت الملك المنذر حياته كذلك.

ويوسف ابن حسّان كتب في القرن الخامس عشر مؤلفاً باللغة العربية عنوانه (مُحْسِن الأدب).

ونذكر مردفاي حسان من بين ربيي تطوان في القرن الثامن عشر، وفي آخره سليمان حسّان الذي كان يتمتع بثقة السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلا أنه قتل على يد مولاي اليزيد.

وفي القرن التاسع عشر استقر يشُوَّم حسّان (Yeshia Hassan) المشهور "بسلفا دور" بطنجة حيث أسس سنة 1895 بنك حسّان وكان من المسيرين للطائفة اليهودية وقد عرف بأعماله الخيرية.

وقد خلفه ابنه أبرهام حسّان في رئاسة البنك، وفيما بعد عُيِّن رئيساً للطائفة اليهودية بالمدينة، وخلفه في مهامه أخوه يوسف المعروف بجو (Joe)، الذي أصبح عضواً (للمجلس التشريعي) لمنطقة طنجة خلال النظام الدولي.

وهناك فرع من عائلة حسّان استقر منذ نهاية القرن الثامن عشر بجبل طارق، فالسير يوشوم حسّان (Sir Josna Hassan) أصبح خلال سنوات 1970 رئيساً للحكومة المحلية لجبل طارق (انظر : لا ريدوا أبرهام : *Les noms des Juifs du Maroc*, Madrid, 1978).

شمعون ليفي

**الحسَّاني، محمد** الدرعي، قرأ بزاوية سيد الناس بواحة فزواطة وتخرج على يد الشيخ أبي القاسم الدرعي (*الدرر*، 261) ويبدو أن الحساني كان من جملة العلماء

الذين ساروا في ركب الدولة السعدية حيث استقر به المقام بمدينة مراكش، ويذكر ابن عسكر الشفشاوني أنه التقى بالحساني في مدينة مراكش وشاركه في عدة مسائل (*الدوحة*، 94) وقد أعجب ابن عسكر بقوة حافظة الحساني واطلاعه الواسع ومعرفته بأسماء الكتب ومظانها.

فلما قتل القاضي علي بن أبي بكر السكتاني صحبة السلطان مَحمد الشيخ السعدي سنة 964 / 1556 انتدب الفقيه الحساني لتولي خطة الإفتاء بمراكش، إلا أن وباء الطاعون الذي نزل بالمدينة لم يمهله طويلا فتوفى مطعونا سنة 965 / 1557.

م. ابن عسكر الشفشاوني، دوحة *الناشر*، طبعة الرباط ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 5 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج 2.

أحمد البوزيدي

**الحسّانية** (لهجة وشعر) لهجة عربية مستعملة في الصحراء المغربية وموريطانيا. وتشكّل الحسانية اللغة الأم لساكنة تعيش في مساحة جغرافية تمتد من وادي نون في الجنوب المغربي إلى نهر السنغال جنوب القطر الموريتاني.

تنسب الحسانية إلى اللهجات العربية البدوية التي تختلف عن اللهجات الحضرية بخاصياتها الصوتية والصرفية. وبالرغم من اتساع مجال الحسانية فإنها لا تختلف كثيراً من منطقة إلى أخرى. وتسمى الحسانية عند الناطقين بها "كلام البيضان" أو "كلام البيض" لتمييزها عن اللهجات الزنجية والبربرية التي تحيط بها. يقول أحمد الأمين الشنقيطي في كتابه *الوسيط* : "وهي ـ الحسانية ـ خليط من العربية الفصحى الممزوجة بالعامية (...) ويسميها أهلها بكلام حسان ولا أعلم مَن حسان هذا ..."

تنتمي الحسانية إلى اللهجات العربية البدوية كما أسلفنا إلا أن ما يميزها على الخصوص هو غنى معجمها بالكلمات والتعابير البربرية خاصة في ميدان الفلاحة والأعشاب والأعلام الجغرافية، وهذا ليس غريبا إذ أن المناطق التي تستعمل فيها الحسانية كانت أصلاً بلاد بربر وكان دخول هذه اللهجة عامل تغيير لساني واضح أحدثته القبائل المعقلية والهلالية على فترات متفرقة من التاريخ الإسلامي لشمال افريقيا.

تعرف الحسانية كسائر اللهجات اختلافات على المستوى الصوتي والمعجمي من منطقة إلى أخرى. وأهمها نطق القاف غينا "ق / غ" والغين قافا "غ / ق" خاصة في القطر الموريتاني على عكس الصحراء المغربية. كأن يقول المرء "غاضي" "قاضي" أو الغلم" بدل "القلم" على سبيل المثال. كما يمتاز القطر الموريتاني باستعمال صوامت لا وجود لها في مناطق أخرى كال "V" اللاتيني وال "P" كأن يقول المرء "الڤضة" بدل "الفضة" بمعنى المال. وأهم ملاحظة هي أن الحسانية استطاعت أن تحافظ على بنية تركيبية هي أقرب إلى الفصحى من غيرها من اللهجات الحضرية والبدوية في شمال إفريقيا. ودراسة هذه اللهجة قد تأتي بالكثير حول بعض مظاهر تطور اللهجات العربية عبر التاريخ.

أما الشعر الحساني فبالرغم على وجود شعر عربي فصيح ذي تاريخ عريق في الصحراء المغربية وموريطانيا فإن الشعر الحساني يحتل مكانة مرموقة في هذه المجتمعات، فهذا الشعر له أشكال وأوزان متعددة، وأهم ما يميزه هو أنه شعر غنائي بالدرجة الأولى، ومن الصعب التفريق بين الجانب الغنائي والجانب العروضي فيه. إن أصغر وحدة في الوزن الحساني تتكون من شطر واحد وتسمى "تيفلويتْ". ويمكن تقسيم أنماط الشعر الحساني إلى ثلاثة أنواع :

1) التَّبْراعْ : وهو نمط خاص بالنساء ينشد في المناسبات التي تجتمع فيها النساء. وهو ذو قالب شعري سهل وبسيط لا يتجاوز في غالب الأحيان شطرين قد يتساويان في الوزن أو يختلفان، ويظهر "التَّبْراعْ" على الشكل التالي :

شطر قافية (حرف) شطر قافية (حرف) (والحرف يعوض أحد حروف الهجاء) كمثال على ذلك :

شِ واسِ حَدْ      لَسْقامْ عْليهْ ألاَّ تْشْتَدْ

(ماذا يفعل من اشتد به المرضُ)

2) الگاف : وهو الأكثر شيوعاً في الشعر الحساني نظراً لسهولة نظمه وهو يبدع عادة في الأفراح والمناسبات وينقسم الگاف إلى أربعة أنواع :

2.1 ـ "الگاف لمرابَعْ" وهو الأكثر شيوعاً لقلة أشطره. وهو عبارة عن أربع "تيفلواتن" أو أشطر متعاقبة، فالشطر الأول والشطر الثاني يعرفان بالمگيَّم لاعتماد الگاف عليهما، والشطران الثالث والرابع يعرفان بالمگعدة لأنهما يكملان الگاف.

2.2 ـ "الگاف لمـلَّخ" : وهو أصلاً گاف مرابع لوروده بأربعة أشطر إلا أن الشطر الرابع منه يختلف عن البقية.

2.3 ـ "الگاف لمساتْ" وهو قليل الاستعمال ويتكون من ستة أشطر.

2.4 ـ "الگاف المثامن" ويتكون من ثمانية أشطر.

3) الطلْعة : وهي تلعب دوراً هاماً في الشعر الحساني لأنها أقرب إلى القصيدة بمعناها العام وهي تعبِّر بوضوح عن قدرة الشاعر الإبداعية وطول نفسه على عكس الگاف المستعمل كثيراً نظراً لقصره وتعبيره عن حالات آنية ومنعزلة. وكما هو الشأن بالنسبة للگاف فإن الطلعة أنواع من ناحية الشكل. فقد تكون مستقلة في بنائها أو مبتدئة بگاف أو منتهية به.

الوزن والعروض : إن أهم ما يميز الشعر الحساني على العموم هو أنه غنائي بالدرجة الأولى كما قلنا أي أنه ينظم ليُغنى به، وهذا ما يطرح مشكلاً كبيراً للباحثين بسبب التداخل الكبير بين الجانبين الإيقاعي الغنائي والعروضي.

والتفريق بين بحور الشعر الحساني "أظهور تلعن" يتم عند مستعمليه بطريقة عفوية أو فطرية. وتتنوع المقامات الغنائية الحسانية إلى ثلاث مقامات هي :

- "الجنبة البيضة" و"الجنبة الكحلة" ثم الجنبة الزركَة" أو "جنبة لكَنيدية"، وتتميز كل واحدة بإيقاعها الموسيقي، يعرفها المغنون" إكَاون" جيداً ويتطلب شرحاً ومعرفة خاصة بالموسيقى على العموم والموسيقى الإفريقية على الخصوص. وهذا المظهر جعل أغلب من يبحثون في العروض الحسانية يقعون في غلط الخلط بين الجانب الموسيقي المحض والجانب الشعري والعروضي. وهذا ميدان يفتح آفاقاً هامة للبحث.

م. الأمين الشنقيطي، *الوسيط* في تراجم أدباء شنقيط، القاهرة، 1958 ؛ باه النعمة، *الشعر الحساني، المجال النقدي والمرجع*، الدار البيضاء، 1992.

D. Cohen, *Le dialecte arabe Hassaniyya*, Paris, 1963 ; Ahmed Al Makari, *Focus et topique en Hassaniyya*, Thèse 3ème cycle, Université Mohammed V, Rabat, 1987.

أحمد المقري

أيت **حسُّو**، قبيلة كبرى باتحادية أيت عطا. وهي صحراوية بالأصالة والمحتد تضرب بجذورها في صنهاجة اللثام من أهل الطبقة الثالثة حسب تصنيف ابن خلدون، وبعد تشكيل اتحادية أيت عطا في العقود الأخيرة من القرن العاشر (16 م) انضمت إلى قبيلة أيت حسُّو بعض العناصر من صنهاجة الأطلس ( *البحث العلمي*، 23 ـ 120 ). تتكون قبيلة أيت حسُّو من عدة قبائل صغرى من أهمها : أيت بوداود، أيت علي وحسُّو، أيت يزُّو، أيت خَرْدي، أو شُّنْ، أوزليگنْ (*Les Aït Atta*, 80) وتشكل مجموعة أيت حسُّو ثلثاً واحداً من خُمْس أيت واحْليمْ الذي يتشكل بالإضافة إلى أيت حسُّو من قبائل أيت بُويَكنيفن وإلْمشان. ويؤكد المتخصصون في تاريخ اتحادية أيت عطا أن قبائل خمس أيت واحْليم تعتبر من القبائل التي وضعت الأسس الأولى لهذه الاتحادية بجبل صاغرو. وتفيدنا الرواية التي ما تزال متداولة إلى اليوم أن مجالات انتشار قبيلة أيت حسُّو إبَّان تشكيل اتحادية أيت عطا، كانت محصورة ما بين السفوح الجنوبية لجبل صاغرو ومنطقتي تازرين وتاغْبالت المجاورتين، وكانت تصل بقطعانها إلى هوامش الواحات الجنوبية من درعة.

يؤكد بعض الدارسين أن إتحادية أيت عطا، كانت منذ نشأتها تشكل مصدر تعب ومشقة للدولة ومركز رعب وفزع لسكان الواحات من باني إلى توات شرقا ( *البحث العلمي*، 23 : 118) ولعل ما يؤكد ذلك أن قبائل أيت عطا ما كادت تشعر بوفاة السلطان مولاي إسماعيل سنة 1139 / 1727، وانشغال أبنائه بأمور السلطنة وفتنة عبيد البخاري حتى انطلقت في عمليات دفع كبرى من جبل صاغرو في اتجاه واحات درعة وتافيلالت، وهكذا ما كاد القرن الثاني عشر (18 م) يشرف على نهايته حتى كانت بعض قبائل أيت عطا قد وصلت في زحفها إلى مشارف واحات درعة، وبدأت طلائعها تضايق المستقرين بالأسواق المحلية والطرق التجارية. وفي هذا الوقت بالذات تحركت قبيلة أيت حسُّو من سفوح جبل صاغرو في إتجاه مناطق تازرين وتاغبالت، وقد تمكنت بعض فرق هذه القبيلة من الاستبداد بسكان هذه المناطق. ويفيدنا مَحمد بن عبد السلام الناصري في *رحلته الحجية* سنة 1196 / 1781 أن أيت يزُّو وأيت علي وحسُّو من قبيلة أيت حسُّو قد بنوا لهم بعض المداشر على طول الطريق بين تازرين وعشيش في إتجاه تافيلالت، ويؤكد الناصري أن الحجاج كانوا يتخذون لهم آلة الحرب من البارود والرصاص لحماية انفسهم من لصوص أيت عطا (*الرحلة الناصرية*، 5 ـ 8 ).

نزوح أيت حسُّو إلى درعة : استغلت قبائل أيت عطا وفاة السلطان سيدي محمد ابن عبد الله سنة 1204 / 1789 وانشغال أبنائه بالنزاع على كرسي الحكم، فتقدمت إلى واحات درعة واستولت على بعض القصور بالقوة. ولما استتبَّ الأمر للسلطان مولاي سليمان، أهمه ما تقوم به قبائل أيت عطا بالجنوب، لذلك جهز حركة مخزنية بقيادة كاتبه أحمد التينغراسي ووجهه سنة 1216 / 1801 إلى وادي درعة، فاسترجع القصور المغصوبة من أيت عطا وأعاد إليها سكانها ( *الجيش*، 282)، إلا أن الحركة المخزنية ما كادت تغادر المنطقة حتى عادت قبائل أيت عطا خاصة وقبائل الرحل بصفة عامة إلى اغتصاب القصور من المستقرين ونهب المنتجات الزراعية، الأمر الذي جعل السلطان مولاي سليمان يجهز حملة عسكرية لردع قبائل أيت عطا بتافيلالت ودرعة، عهد بقيادتها إلى حمان الصريدي، وذلك سنة 1218 / 1804. فلما وصل إلى تافيلالت فرق المحلة علي أقاليم الصحراء : درعة والفايجة وتدغة وفركلة (*الجيش*، 272). ونستفيد من بعض إشارات الضعيف الرباطي أن حمان الصريدي توجه بنفسه على رأس المحلة التي قصدت بلاد درعة، فلما جبى أموال الوادي تربصت له قبائل أيت عطا بثنية تافيلالت في المدخل الشرقي لواحة ترناتة "وأرادوا أكل المحلة" إذ كان الصريدي قد قبض منهم أناسا وبعثهم مكبلين إلى سجلماسة، وقد اضطر الصريدي إلى الهرب بعد أن ترك بيد أيت عطا جملة من المهاريز والأنفاض.

وأمام عجز القواد المخزنيين المحليين عن ردع قبائل الرحل وتوفير ظروف الأمن والاستقرار لسكان واحات درعة، خاصة منها الواحات الجنوبية المتفتحة على المجالات الصحراوية، قام الشيخ عْمَامُو من واحة اكتاوة بالسفر إلى جبل صاغرو. وتذكر الرواية الشفوية المتداولة بالمنطقة أن الشيخ عْمامُو حرص على التظاهر بالثراء والغنى أثناء تفاوضه مع بعض قبائل أيت عطا حتى يقنعها بالنزول معه إلى درعة لحماية قبيلته من هجومات الرحل الصحراويين. وقد استجابت لدعوته مجموعة من قبائل أيت واحليم المنتمية إلى قبيلة أيت حسُّو. وبعد ظهورهم بواحة اكتاوة،

قام كل من الشيخ محمد الحيوني والشيخ المعطي الصبيحي باستقدام مجموعة من قبائل أيت اسفول. وما لبثت هذه القبائل من أيت عطا أن وجدت نفسها في بؤرة الصراعات المحلية التقليدية، وبالتالي الدخول في مواجهات مسلحة فيما بينها. وعن هذه الصراعات بين قبائل أيت عطا يقول الفقيه التمنوگالي : "ثم نزل بساحتهم عطا فصكوا ثم كثر بين الداخلين الفتن الجمة .. فجعلوا أعزة أهلها أذلة والأكابر أصاغر ( *العقود الجوهرية*، 5 ـ 9) .. وتؤكد كل المعطيات التاريخية أن قبيلة أيت حسُّو قد تحركت في هذا الوقت بالذات في اتجاه واحات درعة. ونظراً لقوة هذه القبيلة ووفرة عناصرها، قامت قبيلة قصر بني هْنيتْ بواحة اكتاوة بعقد اتفاقية تكفلية مع قبيلة أيت حسُّو ,*Les cités rurales*) (44. ومما جاء في هذه الاتفاقية التكفلية على الخصوص أنهم أعطوهم ربع ما يملكون من الأرض والنخيل والدور والأملاك المرهونة والأراضي الميتة والحية والبهائم والأثاث والمنازل الموجودة داخل قُطّة (المجال الزراعي والرعوي للقبيلة) قصر بني هنيتْ من حدود أملاك قصر نصراط إلى حدود أراضي قصر خسوان ...

وبعد عقد هذه الاتفاقية التكفلية انتقلت عدة أسر من أيت خـــردي وأيت بوداوود وأيت يزو وأزولدگنْ إلى الاستقرار بقصر بني هْنيتْ إلى جانب السكان الأصليين، وبذلك دخلت هذه الاتفاقية حيز التنفيذ حيث بات دور قبيلة أيت حسُّو هو حماية قبيلة قصر بني هنيتْ وممتلكاتها من هجومات الرحل الذين كانوا بياغتون المستقرين فينهبون المحصولات الزراعية. وهكذا سمحت هذه الاتفاقية التكفلية لقبيلة أيت حسُّو بالاستقرار داخل واحة اكتاوة، ومنها تحولت بالتدريج بحثاً عن المراعي لقطعانها إلى الاستقرار والارتباط بالأرض. وقد وجدت هذه القبيلة نفسها في مواجهة مع قبيلة أيت اسفول التي تكفلت بدورها بمجموعات من قبائل القصور بأكتاوة كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وقد أدى تعارض المصالح والتنافس الحاد إلى خوض حروب طاحنة بين أيت حسُّو ومن في صفها وأيت إسفول ومن لفها. وفي غمرة هذه الصراعات القبلية قامت قبيله قصر أولاد إدريس بواحة محاميد الغزلان سنة 1311 / 1893 بعقد اتفاقية تكفلية مع قبيلة أيت حسُّو لحمايتها من هجومات الرحل الصحراويين مقابل الربع من ممتلكاتها. ويظهر أن هذه الاتفاقية التي فتحت أبواب واحة محاميد الغزلان أمام قبيلة أيت حسُّو ومن في حسابها. أثارت قبائل أيت علوان ومن معهم على اعتبار أن محاميد الغزلان كانت مجال تصرف قبائل أيت علوان وأيت إسفول. ودخل المتنافسون من أيت حسُّو وأيت علوان في صراع انتهى بانتقال أولاد إدريس سنة 1321 / 1903 إلى كفالة أيت سيدي وأيت بومسعود العلوانيين ,*Districts et tribus*) (190 ورغم الضغوط القوية التي مارستها قبائل أيت علوان على أيت حسُّو، فإن هؤلاء تشبثوا بحقهم في الحفاظ على المتلكات التي تسلموها من أولاد إدريس بمقتضى إتفاقية 1311 / 1893 ثم غادروا قصر بونو من أولاد إدريس وأسسوا لهم قصر الركبة بقُطة أولاد إدريس حيث لا يزالون بهذا القصر إلى الآن. وأمام تحالف قبائل أيت علوان مع أيت إسفول استنجدت قبيلة حسُّو بقبيلة أيت خباش التي نزلت بثقلها بواحة محاميد الغزلان، وقد أحدث وصول أيت خباش اختلالا في التوازنات القبلية لصالح أيت حسُّو التي أضعفتها الحروب القبلية، ثم ما لبثت قبائل أيت خباش أن زاحمت قبائل أيت إسفول بواحة اكتاوة، ويذكر التمنوگالي أن أيت خباش" احتلوا اكتاوة احتلال الليوث وهلكت بينهم وعدوهم (أيت إسفول) الضروع والنفوس ... وخربوا مداشر منها : القصر الكبير وقصر غريب وخسوان ( *العقود الجوهرية*، 7 ـ 8).

وبعد وصول طلائع القوات الفرنسية إلى درعة في شهر يناير 1931 وجدت الصراع على أشده بين أيت إسفول و أيت حسُّو المعاضدين بأيت خباش. وتحت قوة الضغط النفسي التي باتت قبائل أيت خباش تمارسه على قبائل أيت إسفول بواحة اكتاوة، سافر بعض أعيان أيت إسفول إلى مزگيطة حيث اتصلوا بضابط الشؤون الأهلية بأگدز جورج سپلمان وطلبوا منه تسليحهم لمواجهة أيت خباش و أيت حسُّو. ولتعميق الهوة بين القبائل قام سپلمان بتزويد أيت إسفول بمجموعة من البنادق والف طلقة من الرصاص، إذ كان يعتقد أنه من الخطإ ترك قبيلة أيت إسفول تنهزم أمام أيت خباش المناصرين لبلقاسم النگادي الثائر آنذاك بتافيلالت (*Souvenirs d'un colonialiste*, 97). وفي نفس الوقت حاول هذا الضابط الإتصال ببعض أعيان أيت حسُّو الذين طلبوا منه عدم التدخل في صراعهم مع قبيلة أيت إسفول. إلا أن سپلمان وهو يحاول إقناع أيت حسُّو بالانضمام إلى صفوف المخزن، فوجئ بصعود بعض قبائل أيت عطا إلى جبل صاغرو لمقاومة القوات الفرنسية بالمنطقة، وكانت قيادة قبائل أيت عطا بيد أيت واحليمْ في شخص عسُّو أوبسلامْ من قبيلة إلمسان إحدى القبائل القوية بخمس أيت واحليمّ، فانضمت قبيلة أيت حسُّو إلى إخوانها في الخمس الواحْليمي لمقاومة القوات الفرنسية. وبعد نهاية معارك جبل صاغرو واستسلام عسو أو بسلام في أواسط مارس سنة 1935، ركزت القوات الفرنسية كل جهودها لإخضاع الواحات الجنوبية بدرعة بصفة نهائية، فدخلت قبيلة أيت حسُّو تحت سلطة الحماية كغيرها من قبائل الوادي وظلت محتفظة بكل المواقع التي وجدت بها قبل وصول الفرنسيين إلى درعة.

*وثائق محلية في حوزة الكاتب* ؛ محمد بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ م. الناصري، *الرحلة الكبرى*، مخطوط، خ. ع. د. 2327 ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم الخماسي*، ط 1994 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 8 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، *الاتحاديات الأطلسية، أيت عطا*، مجلة *البحث العلمي*، ع. 23، 1974.

G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Draa*, Rabat, 1936 ; *Districts et tribus de la haute vallée du Draa, A.M.*, n° 9, T. II, 1931 ; P. Azam, *Les cités rurales du Ktawa*, CHEAM, 1946 ; *La structure politique et sociale de l'oued Draa*, CHEAM, Paris, 1947 ; *Sédentaires et nomades dans le sud marocain*, CHEAM, Paris 1946.

أحمد البوزيدي

## حسُّون البقِّيوي (الحاج -) ← الحسونية زاوية

**حسّون**، طائر يسمى أيضاً أبا حسُّون، وحسّون ذهبي. نوع من الطيور البرية حسن الصوت وألوانه زاهية. ينتمي إلى رتبة الجواثم Passeriformes وفصيلة الشرشوريات المخروطيات المناقير Fringillidae. يسمى علميا Carduelis carduelis وبالفرنسية Chardonneret وبالانجليزية Goldfinch. له أسماء كثيرة في المعاجم كنقَّار الشوك والشُّوَيْكي وعروس الطير. يسمى في المغرب سْطيلة ومْريقمة وبْريقمة وأمّ قْنينْ ويسمى بالبربرية تاسلَيت نْيكْضاض وتوكرورغ وأمُقْنَين وإمْقني.

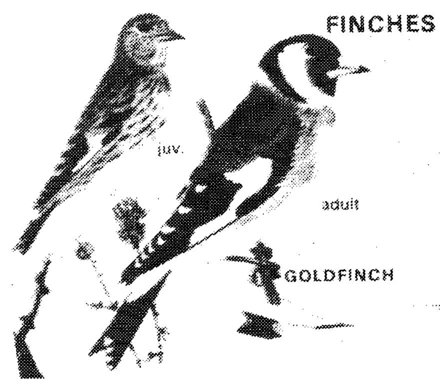


لا يتعدى طوله اثني عشر سم ولا تتعدى بسطة جناحيه اثنين وعشرين سم. المنقار مخروطي ودقيق يلتقط بسهولة الحبوب بداخل ثمار النباتات المشوكة. الوجه مزين بريش أحمر زاهي محاط بلفافة من الريش الأبيض تليها لفافة من الريش الأسود. البطن والظهر لهما ريش بني، الجناحان مزينان بريش أسود على الجوانب ويتوسطه ريش أصفر زاهي. الذيل مثلم وريشه أسود على جانبيه ويتوسطه ريش أبيض. ريشه المزين بألوان زاهية جذابة وصوته الحسن جعلا منه طائراً يصاد ويربى في الأقفاص بداخل المنازل.

إنه طائر شائع في المغرب ماعدا الأماكن الصحراوية، يألف البساتين والحدائق والغابات القليلة الأشجار، وتكثر مشاهدته في فصل الربيع والصيف، ويتكون غذاؤه من الحبوب الدقيقة يلتقطها من النباتات الغنية بالأشواك.

يتوالد مرتين إلى ثلاث مرات في السنة ما بين مارس ويوليوز ويضع أعشاشه على أغصان الأشجار العالية منها والقصيرة.

تصنع الأنثى العش بإتقان محكم يتطلب منها أسبوعا كاملاً تفرشه بقطع من الصوف والزغب والريش وتضع فيه من 4 ـ 6 بيضات بيضاء يميل لونها إلى الأزرق منقطة بالسواد والبني. يبلغ قطرها 18،5 x 13،5 ملم. تحضن الأم البيض 12 ـ 14 يوما ولا تغادر الصغار العش إلا بعد أسبوعين ويعتني بها الأبوان بعد ذلك مدة أسبوع ريثما تحسن الطيران وتعتمد على نفسها.

لهذا الطائر أعداء كالثعابين والكواسر النهارية والإنسان، لكن تكاثره القوي يعوض ما يُباد منه، فهو مازال متوازنا في جميع البلدان التي يعيش فيها.

يشمل توزيعه الجغرافي شمال إفريقيا وآسيا وأوروبا الجنوبية والوسطى، ويعد من الطيور الغير المضرة للإنسان وللزراعة.

مصطفى شهابي، *مصطلحات العلوم الزارعية*، لبنان، 1988.

W. Reade et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids.*, Paris, 1968.

محمد رمضاني

ابن **حسّون** السلاسي السلاوي، عبد الله بن أحمد الخالدي. كان فقيهاً صوفياً زاهداً مقصوداً للانتفاع به تبركاً وكتابة. لا تنبئ المصادر التي ترجمت له كثيراً بتاريخ حياته كولادته وأصله وفرعه. وإنما يذكر أنه وُلد بقلعة سلاس الواقعة على بعد ستين كيلو متراً من شمال مدينة فاس، في خط يرتفع من الجنوب إلى الشمال مستقيماً حتى يصل إلى الضفة الجنوبية لنهر ورغة، في منطقة وعرة ومشجرة، تسكنها قبائل مصمودية، منها غمارة التي تمتد مواطنها إلى بادس وشفشاون، وعن غمارة يتفرع بنو خالد الذين ينتمي إليهم الشيخ ابن حسون.

وإذا كنا نعرف مكان ولادته بقرية سلاس الجبلية، فإننا لا ندري تاريخها. فقد رحل إلى فاس للأخذ عن علمائها ومنهم عبد الواحد الونشريسي الذي قتل سنة 955 / 1548. فيكون إذن قد وُلد على وجه التقريب في العقد الثالث من القرن التاسع (15 م).

أما نسبه فهو كما جاء مكتوباً في رسم إراثته : عبد الله بن أحمد بن مَحمد (فتحاً) بن الحسن ابن أبي حسون، (وليس ابن حسون) وأخواله بنو يلصوت آل الشيخ عبد الوارث اليلصوتي. دفين بني درگول من قبائل غمارة قرب شفشاون.

ويستفاد من رسم الإراثة المشار إليه أن عبد الله ابن حسون تزوج من عائشة بنت عمرو بن مَحمد (فتحاً) السـَّادي الودغيري وأنه رزق منها ببنت اسمها عائشة وبثلاثة أولاد هم : عبد الله (وكان في وقت الإراثة سنة 1013 غائباً بفيجيج عند الوداغير الذين هم أخواله طبعاً) وأحمد ومَحمد.

وهناك بقرية سلاس استظهر القرآن يقينا، وحفظ المتون الأولى احتمالاً، وإلا فقد تعلمها بفاس التي قصدها وهو

بلاريب في عنفوان شبابه وفي وقت لم تحدد المصادر له تاريخاً، وبها أخذ عن بعض علمائها وفقهائها مبادئ العلوم الوقتية من فقه ونحو ولغة وأدب. وكان منهم أحمد الحبّاك وعبد الرحمان بن إبراهيم الدكالي المشنزائي وعبد الوهاب وعبد الواحد الونشريسي وعلي بن هارون المطغري.

وبعد أن ملأ وطابَه علماً رجع إلى سلاس في تاريخ نجهله، ولعله في العقد السادس من القرن العاشر، ومكث بقريته مدة كانت تجرى أثناءها بين أهل سلاس - كما رواه الناصري - حروب ومقاتلات. فكان إذا غلب أهل مدشره فرح، وإذا انهزموا حزن. ففكر في نفسه وقال : "محبة الغلبة تستدعى محبة الشر للمسلمين. وعليَّ عهدُ الله لا جلست في موضع أفرق فيه بين المسلمين وأبغي الشر لهم". فارتحل إلى سلا بعد ذلك. وتقول الرواية الشفوية إنه وفد على مدينة سلا وهو طاعن في السن تاركاً أهله بمسقط رأسه.

وما ذكر من أن جماعة من عشيرته جاءوا يراودونه على الرجوع إليهم فضرب لهم مثلاً بماء البحر الهائج فيه والهادئ عند اغترافه منه مقالة لا ينبغي أن تفهم على ظاهرها..

ونفترض أن بعض أهل سلا دعوه للمجيء إليهم، وذلك أنهم استقبلوه بالتمر والحليب. فكانوا إذن يعلمون بقرب قدومه. وهناك أسطورة تقول إن جميع صلحاء سلا قد استقبلوه وكان منهم سيدي يَدَّر دفين يفرط المعروف أيضاً بباب فَرْض القريب من باب الخميس، والذي وصفته الرواية المذكورة بأنه كان قادري الطريقة ذا أتباع وأوراد.

استوطن عبد الله ابن حسون مدينة سلا وأخذ ينشر العلم قائماً على *مختصر خليل*، فتخرجت على يديه طائفة من العلماء والمتصوفة مثل مَحمد بن سعيد العتابي المتوفى سنة 1032 والمدفون بجوار ابن حسون، ومَحمد (فتحاً) القُجيْري ومَحمد بن أحمد العياشي الزياني المالكي المجاهد السلاوي المعروف، وكان شيخه ابن حسون قد أهداه فرساً وأمره بركوبه والتوجه إلى دكالة وأزمور لمنازلة البرتغاليين. ومنهم صوفي آخر هو مَحمد (فتحا) بن أبي بكر الدلائي أحد أعلام المغرب، أخذ عنه والتقى به. أما الشيخ ابن حسون فقد أخذ التصوف عن عبد الله الهبطي عن الغزواني عن التباع عن الجزولي.

كان ابن حسون من المتصوفة، الفقهاء. لكنه لم يكن من أهل الحديث. وذلك ما رواه بنفسه لابن القاضي من أنه ما استجاز أحداً. غير أنه كان يتخوف من البلاء الذي قد يصيب المغرب عند وفاة أحمد المنصور الذهبي.

كانت لابن حسون أحوال مشكلة ومحيّرة أوَّلها الحسن اليوسي وحملها محملاً جميلاً في كتابه *المحاضرات*، منها أن أرباب الطبول والمزامير كانوا يصبحون كل يوم يضربون أمام بابه النوبة الموسيقية.

ومما يؤثر عن هذا الشيخ جلوسه بالمسجد الأعظم وكتابته حروزاً وتمائم للناس بدوييهم وحضرييهم، إذ كان لهم اعتقاد راسخ فيه وصل ببعضهم إلى أن يتساقطوا على رجليه بالتقبيل. ولما رأى ذلك أهل العلم من بعض زوار الشيخ أنكروا هذا التقبيل وهذا التهافت عليه، فرد عليهم الشيخ بجواب يبرر ذلك العمل.

ولا يزال بعض الحسونيين إلى اليوم يكتبون الرقى ويصفون لمرضاهم أدوية بسيطة. وقد حظوا بتقدير السلاطين فكانت تعطي لهم ولغيرهم من أبناء المرابطين والصلحاء صكوك التوقير والاحترام. وهذا ما أدخل في سلوك بعض حفدة الشيخ شيئاً من التعالي إلى حد أن تشوفوا لأن يكونوا أشرافاً ينادَوْن بالتسييد والموالاة. مع أن بني خالد الذين ينتسب إليهم الشيخ غماريون ريفيون لا صلة لهم بآل البيت. ويتهامس بعض السلاويين بأن هؤلاء المنتسبين إلى الشيخ ليسوا بحسونيين أصالة، لأن أفراداً من بيت سلاوي معروف كانوا يسكنون بجوار الشيخ ويخدمونه قيد حياته، فلما مات أصبحوا سدنة لضريحه بعد أن تصاهروا مع أولاد سيدي عبد الله، فصار الناس يدعونهم بالحسونيين.

توفي عبد الله ابن حسون في الثاني عشر من المحرم عام 1013 / 10 يونيه 1604 ودفن بضريحه الشهير بحومة باب مصدق قرب المسجد الاعظم، ولم يخلف بسلا رباعاً. ففي رسم تركته التي كتبها عدلان سلاويان هما علي حمدوش ومَحمد بن سعيد العتابي نجد أن الشيخ ابن حسون خلف ثلاثة رباع فلاحية بسلاس قيمتها 1750 ريالاً وعدداً من الأنعام والدواب والمنقولات قيمتها 1680 ريالاً وكلها كانت بمدشره زيادة على ألف ريال كانت مالاً ناضاً.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 62 - 63 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج 1، ص. 45 - 46 - 76 - 82 - 91 - 125 - 129 - 130 - 331 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 6، ص. 109 - 110 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ص. 69 - 97، *وإتحاف أشرف الملا*، ص. 42 - 43 ؛ م. حجي، الزاوية الدلائية، ص. 51 - 53 - 81 - 85، الطبعة الثانية ؛ محمد مزين، *فاس وباديتها*، ج. 1، ص. 94 - 98 - 99 - 222 ؛ م. التطواني، *كناشة*، الورقة 42 ؛ *رسم تركة الشيخ* ؛ *تحريات ميدانية*.

K. L. Brown, *Poeple of Salé*, p. 69, *An Urban View of Moroccan History, Salé, 1000 - 1800, H.T.*, Vol. XIL, p. 41 - 42.

مصطفى بوشعراء

## أبو **حسون السملالي** ← **بودميعة**

ابن **حسون الـﮔدميوي**، محمد بن أبي العلا، أحد رجالات المخزن الذين تفانوا في خدمة بني مرين. عينه السلطان أبو عنان واليا على أسفي والمناطق التابعة لها ومكلفا بجمع ضرائبها. ويستفاد من ظهير مريني مؤرخ سنة 755 / 1355 أن السلطان المذكور كان قد أمر محمد بن حسون خلال ولايته تلك بتمكين شرفاء آل أمغار من

جرايتهم السنوية التي تبلغ مائة دينار ذهبية والتي كانوا يتقاضونها كعادتهم من ملوك بني مرين منذ بداية دولتهم وذلك رعيا لنسبهم الشريف ولما يتمتعون به من صلاح ودين. بعد ذلك عينه السلطان أبو سالم واليا على مراكش وأعمالها ومشرفا على جباية ضرائب المصامدة. وقد ناقسه على هذا المنصب شيخ هنتاتة عامر بن محمد الذي كان أجداده يحتكرونه منذ عهد يعقوب بن عبد الحق. وعند وفاة السلطان أبي سالم سنة 762 / 1361 انتهز عامر بن محمد الفرصة للانتقام من ابن حسون وقتله بمراكش سنة 763 / 1362، ثم استقل بولاية المدينة تحت إمارة الأمير أبي الفضل ابن السلطان أبي سالم.

وقد أشار ابن الخطيب إلى المزايا والخصال التي كان يتمتع بها ابن حسون وأهمية العلاقات التي كانت تجمعه به. فخلال زيارته لمراكش في إطار رحلته داخل المغرب الأقصى بين 760 هـ و763 هـ نزل ضيفا عند واليها فوصف كرمه وحفاوته وأكد أنه "سورة الفضل والكمال، ومعنى الجلال والجمال، وسيف الجباية والمال... وهو العامل العالم، والعادل الذي تُكف به المظالم..." (*نفاضة*، ج. 2، ص. 161). كما أورد بعض المخاطبات الشعرية التي كانت بينهما وهي تعكس نوع العلاقات التي كانت تجمع بين رجل دولة ومثقف في فترة عرف فيها المغرب الأقصى اضطرابات سياسية وصراعا على السلطة.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، 2 : 59، 61، 161، 162، 320، 321 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، 6 : 570 ؛ 7 : 661، 662 ؛ محمد بن عبد العظيم الزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط، خ. ع، حرف ج، رقم 377، ورقة 34 ب - 35 أ ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، بيروت، 1986، 9 : 210، 211 ؛ *أزهار الرياض*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب، المحمدية، 1980، 1 : 289 - 290 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 1976، 4 : 379 - 381.

رشيد السلامي

ابن **حسّون الكفيف**، الحسن بن علي الماگري، أبو علي نزيل أسفي والمتوفى بها. وصف بالفقيه الحافظ المحدث، له تأليف سماه : *الترجيح والتنقيح في الناسخ والمنسوخ*. وقد أورد صاحب *مفاخر البربر* رواية تنسب هذا الكتاب إلى طلحة بن الزبير بن سليمان الحاحي - من رجال الأدب المتوفي في دولة المرتضى الموحدي - غير أنه لم يرجّح هذه الرواية مبرزاً أن طلحة هذا إنما روى الكتاب عن ابن حسّون الماجري. ولم يذكر تاريخ وفاة المترجم، ويظهر أنه من رجال القرن السابع (13 م).

مجهول، *مفاخر البربر*، مخطوط ضمن مجموع في خ. ع. 1275ك، ص. 95 - 96.

ابن **حسون المراكشي** ← ابن **البزّار**

ابن **حسون الوزاني، أحمد** بن العربي بن حنيني الحسني الوزاني - بلداً - ويبدو أنه وإن كان شريفاً حسنياً فإنه ليس علمياً يملحياً من آل عبد الله الشريف دفين وزان، ويسميه بعضهم ابن حساين بدل ابن حسون لكن هذه الكنية الأخيرة هي المشهورة.

نشأ بوزان وبها درس على الشيخ محمد بن علي البرنوسي ومحمد بن قاسم الصواف الضرير. ثم توجه إلى فاس عام 1258 / 1842 لإتمام دراسته على شيوخ القرويين أمثال محمد بن عبد الرحمان السجلماسي الحجرتي ومحمد ابن العربي قصارة ومحمد المجاوي التلمساني والوليد العراقي والطالب ابن الحاج السلمي وأضرابهم.

ذكره رفيقه في الطلب عباس السجلماسي الحجرتي في مقدمة كتابه *الروض الطيب العرف* حين أورد فهرسة ابن حسون المسماة *بهجة الأنفاس فيمن أخذت عنه بوزان وفاس*، ووصفه بالقاضي وذكر بعض أخباره بفاس. وفيما عدا ذلك لم يهتم به أصحاب كتب التراجم ولو أنه كان عالماً نحريراً وكاتباً مقتدراً على ما يبدو من بقايا مؤلفاته.

ولما رجع ابن حسون إلى وزان، أسند إليه منصب القضاء فيها، فكان إلى جانب ذلك يلقي دروساً متنوعة في المسجد الكبير، ويراسل كبار فقهاء وأدباء عصره، كقاضي الرباط الطيب بسير، والمؤرخ محمد أكنسوس المراكشي وشاعر الملحون الفصيح قدور العلمي المكناسي. ولابن حسون أشعار وموشحات وأزجال على غرار ما كان ينظمه معاصره الشيخ محمد الحراق التطواني، ذكر بعضها في *كناشته العلمية*، وكان عازماً على جمع آثاره الأدبية في ديوان مرتب على خمسة أبواب - كما جاء في *الكناشة* - الأول في النسيب والمديح والتهنية، والثاني في الهجاء والمراثي والتعزية، والثالث في الاعتذار والتحلية، والرابع في المخاطبات والتعمية، والخامس في الموشحات والتخميس وما التحق به، والسادس في النثريات كالمقامات والمراسلات. ولا ندري إن كان هذا المشروع قد تحقق. وتجدر الإشارة إلى أنه كانت لابن حسون معرفة بالموسيقى ينظم "براول" تغنّى في بعض النوبات، ذُكر بعضها في *كناش الحايك*.

توجه ابن حسون لأداء فريضة الحج سنة 1269 / 1852 صحبة شريف وزان عبد السلام بن العربي وطائفة من أعيان هذه المدينة، وكتب في ذلك رحلة سماها *الرحلة الوزانية الممزوجة بالمناسك المالكية*. وفي سنة 1271 / 1854 أسندت إليه الإمامة والتدريس بالمسجد الكبير بوزان فكان القيم على خزانته العلمية وأقبل على مخطوطاته النادرة يستفيد ويفيد، ولعله كان قدتخلى عن القضاء.

وذكر في *الكناشة* مشروع كتاب آخر سماه *منهاج المستريح فيما قيل في غالب مدن الدنيا* من هجو ومديح، وذكر في *الكناشة* بعض ما قيل في فاس ومكناس وصفرو وتازا وتطوان من هجو ومدح.

توفي بوزان عام 1282 / 65 ـ 1866.

أ. ابن حسون نفسه، *بهجة الأنفاس*، مخطوط ؛ *كناشته العلمية*، مخطوط ؛ عباس السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط ؛ م. الحفناوي، *تعريف الخلف برجال السلف*، الجزائر، 1907 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، تح. إحسان عباس، 1 : 122 ؛ ع. زمامة، *ابن حسون الوزاني*، *البحث العلمي*، ع. 17، 1971 ص. 145 ـ 155 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية*، ج 2 أرقام 948 و972 و1140.

**أبو حسون الوطاسي، ثالث ملوك الدولة الوطاسية، واسمه الكامل أبو الحسن علي بن محمد الشيخ، مؤسس دولة بني وطاس. تولى أبو حسون الملك بعد وفاة أخيه محمد البرتغالي سنة 932 / 1524 بعهد منه، لكنه كان شديد البخل لا يحسن تصريف دواليب الدولة. وفيه يقول معاصره الكراسي التطواني :**

**وكان في البخل على أموالهْ ما لم يكن في غيره من آلهْ**

**فلم تمض بضعة شهور حتى عُزل وخلفه ابن أخيه أحمد** ابن محمد البرتغالي الذي عانى الأمرين من الشرفاء السعديين القائمين بالجنوب، وانهزم أمامهم أكثر من مرة إلى أن أسروه في دخولهم إلى فاس أوائل سنة 956 / 1549 وقبضوا على الوطاسيين ـ عدا أبا حسون ـ وبعثوا أميرهم أحمد الوطاسي سجيناً إلى مراكش حيث توفي بعد بضع سنوات.

تمكن أبو حسون من الفرار وتوجه إلى إسبانيا لطلب المعونة من شارلكان، لكن بدون جدوى، ثم اتجه إلى الجزائر واتصل بداياتها الذين كانت أطماعهم متجهة إلى المغرب، فكوّنوا جيشاً قوياً من الانكشارية بقيادة صالح الرايس التركماني، فسار في أوائل سنة 961 / 1553 مع أبي حسون الوطاسي واقتحموا فاساً على محمد المهدي الشيخ السعدي بعد معارك طاحنة، ودخل أبو حسون مع الأتراك إلى فاس في ثالث صفر عام 961 / 8 يناير 1554 فاستُقبل بها استقبالا حافلا. "وترجل هو عن فرسه ـ يقول *الاستقصا* ـ وصار يعانق الناس كبيراً وصغيراً شريفاً ووضيعاً، ويبكي على ما دهمه وأهل بيته من السعديين، واستبشر الناس بقدمه وتيمنوا بطلعته" وقد صرف أبو حسون الجنود الأتراك إلى الجزائر بعد أن كثرت شكاية الناس بهم ودفع إليهم المال الذي اتفق معهم عليه.

وفي أواخر نفس السنة رجع محمد المهدي الشيخ إلى فاس بجيوش جرارة وجرت بينه وبين أبي حسون معارك انهزم فيها أبو حسون وتحصن بفاس مدة، ثم لقي حتفه في معركة حاسمة بموضع يعرف بمسلمة بضاحية فاس يوم السبت 24 شوال 961 / 22 شتنبر 1554 وبموته انقرضت دولة الوطاسيين.

م. الكراسي، *عروسة المسائل*، الرباط، 1963 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 159 ـ 161 ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، 2 : 175.

محمد حجي

**الحسونية** (الزاوية ـ) تقع في الجهة اليسرى من قرية أدوز على الطريق المؤدية إلى حد الرواضي الواقعة بمجال قبيلة بقيوة بجبال الريف، وقبر الشيخ المؤسس الحاج حسون البقيوي يوجد بجوار الزاوية (A. Ghirelli, p. 76).

يحتل الموقع الذي اختير للزاوية سفح هضبة يبلغ ارتفاعها 552 م بين مدشر حَرْشُونْ في الجهة الشرقية ومدشر أيت بُويذَرْ في الجهة الجنوبية، ويظهر أن تأسيس الزاوية كان خاضعاً أيضاً للممر التجاري المخترق لجبل بُويَحْمَدْ المطل على جزيرة بادس مع أن قرية أدوز كانت تعتبر أهم مركز تجاري في القبيلة خلال القرن الثالث عشر (19 م) (A. Moulieras, p. 91)، كما أن الممر المتجه نحو الشرق عبر جبل برقوق أصبح محطة تأسيس زوايا أخرى مثل زاوية "أَغْبَالْ" الواقعة بقرب وادي تَرْمَاسْتْ وزاوية بُوسَكُورْ.

إن دارس تاريخ الزاوية الحسونية سيلمس أنها مرت بثلاث مراحل : الأولى التي ملأ فراغها الشيخ المؤسس الحاج حسون المتوفى أواخر القرن السادس (12 م)، وهي مرحلة نشر الطريقة، لأن المؤسس كان رجل علم وشيخ تربية صوفية (البادسي، *المقصد*، ص. 63 ـ 64) وقد بلغت الزاوية في عهده أعلى مكانتها ببلاد بقّيوة، وعلى الرغم من اعتقادنا أن خلفاءه من أبنائه وأحفاده حافظوا على تلك الدرجة بشكل من الأشكال، فإن الزاوية قد دخلت مرحلة ثانية تميزت باستغلال الإرث الصوفي المروث عن الشيخ المؤسس. ومما يلاحظ على شيوخ هذه الزاوية في القرون الأخيرة أنهم كانوا من حملة العلوم الدينية، هذا ما لاحظناه أثناء قراءة الظهائر. فمنهم العالم والفقيه والقاضي، وبتتبع هذه النعوت المسجلة بالظهائر نجد أن صيغتها قد انتهت بالظهائر المسلمة للأسرة على عهد محمد بن عبد الله ونشير على سبيل المثال إلى الظهير التالي الذي جاء فيه :

"الفقيه الأجل العالم القاضي، محبنا السيد محمد بن عبد الحق حفيد الولي الصالح البركة سيدي الحاج حسون القاطن بزاوية أدوز من قبيلة بقيوة". (ظهير مؤرخ في 23 صفر 1174 / 4 أكتوبر 1760).

أما الظهائر المتأخرة فتكتفي بذكر "المرابطين أهل أدوز" ولا تزيد على ذلك شيئاً من النعوت العلمية. ويعني هذا أن الزاوية الحسونية كانت آنذاك قد دخلت المرحلة الأخيرة التي يميزها ظهور "المقدم" على رأس الزاوية. وبالفعل فاننا نلاحظ أنه لأول مرة ينعت شيخ الزاوية الأدوزية بالمقدم منذ سنة 1207 / 1792. وهو شيخ الزاوية. وبموجب الظهائر السلطانية كان يترك لشيخ الزاوية حق التصرف في الأعشار التي توزع داخل الأسرة، علاوة على إعفائها من أداء الواجبات المخزنية. وهنا كذلك نجد أن المقدم أو شيخ الزاوية مرتبط بالحياة المادية، فهو يصرف جل أوقاته في البحث عن أسباب المعيشة على غرار باقي السكان، كما أنه يستفيد من الزيارات الفردية أو الجماعية الموسمية منها

والسنوية. فالمعلوم أن سكان بقيوة قد ألفوا عقد موسم تكريما لشيخ بقيوة الحاج علي ابن حسون الأدوزي (Ghirelli, p. 75). لكن الذي يسترعي الانتباه هو أن نفوذ هذه الزاوية ظل منحصراً داخل القبيلة نفسها، وهذا فسح المجال لشيخي الطريقة الوزانية والخمليشية للتدخل في بعض القضايا الاجتماعية والسياسية للقبيلة، وعلى سبيل المثال: تمّ تشكيل وفد بقيوي مع أحد الشرفاء الوزانيين الذي توسط بينهم وبين المخزن نتيجة ما اقترفه أهل بقيوة من مخالفات للأوامر السلطانية. وقد أصدر السلطان مولاي الحسن عفوه عنهم (رسالة من السيد عبد الله بن إبراهيم الوزاني إلى أخيه سيدي حميدو الوزاني بتاريخ 6 صفر 1311 / 19 غشت 1893).

ويلاحظ في الفترة الأخيرة قيام روابط بين الزاوية الحسونية وزاوية تيقّيت، مدشر واقع ضمن فرقة تيگيديِّتْ، وقد كان التيقيتيون منضوين تحت الزاوية الحسونية، وصار الموسم السنوي الذي يقام لإحياء عيد المولد النبوي يبتدئ في زاوية أدوز وينتهي بزاوية تيقِّيتْ.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، تح. سعيد أعراب، الرباط، 182، ص. 63 - 64؛ *ظهائر الأسرة الحسونية* ؛ مصلحة الخرائط الطبوغرافية، *خريطة*، مقياس، 100.000 / 1، الرباط، 1974.

A. Ghirelli, *Monografia de la kabila de Bokoia, Archivos del Instituto de Estudios Africanos*, Año VIII, n° 32, 1955 ; A. Moulieras, *Le Maroc inconnu, Exploration du Rif*, 1er partie, Paris, 1885.

عبد الرحمان الطيبي

**الحسونيّون** ← ابن **حسون السلاسي** السلاوي

**الحَسْكَة**، أداة من نحاس لحمل شمع الإنارة، وتصنع عادة من النحاس الأصفر. وهي عمودية الشكل غالباً ما تتكون من قاعدة فارغة من الداخل، ينتصب فوقها ساق مجوف، منحوت الأطراف، ينتهي برأس مقعر تثبت عليه الشمعة. هذا معنى الحكسة في اللسان المغربي الدارج، وتعني أيضاً الفخ، والعمود الملتصق بالجدار الذي تزين به بعض الأبواب، وركيزة الدرابزين (الدربوز)،

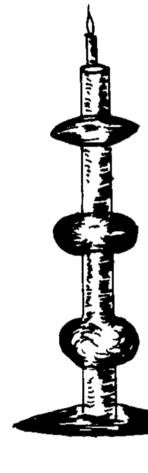

وأنواعاً من النباتات تثمر أشواكاً تعلق بالملابس وبصوف الغنم. وربما أخذت الحسكة اسمها من الحسكة النباتية لإمساكها بالشمعة ومنعها من الميل والسقوط من باب القياس والتشبيه. وأخذ العرب اسم الشمعدان الذي يدل عليها وعلى شبيهاتها ذوات الساق المتفرع إلى فرعين أو أكثر عن الفرس.

ورغم احتكاك المغاربة بحضارات متعددة، فإنهم فضلوا صناعتهم المحلية في إنتاج أدوات الإنارة كالقنديل وغيره على صناعة غيرهم. ومع دخول الإسلام إلى المغرب، اتسع انتشار القنديل، وأصبحت تنار به المساجد، وعرف تحسنا ودقة في الصنع. وأدخل العرب الشمع إلى المغرب، فكان يصنع من أحجام وألوان مختلفة. وأدى استعماله وتداوله إلى إنشاء صناعة الفانوس في الحواضر الكبرى كفاس ومراكش. واستعمله سكان المدن في تجوالهم ليلاً، وفي إنارة صحون المساجد وأبوابها، ولازالت بعض الفوانيس شاهدة على ذلك حتى الآن في بعض المساجد العتيقة وبعض الأضرحة.

وفي القرن السادس الهجري (12 م) بدأ المغاربة يستعملون النحاس في صناعتهم، وذلك بعد ظهور استعماله بأوربا والأندلس. واستبدلت القناديل في المساجد بالثريات النحاسية أو المصباحيات كما يسميها أهل فاس. فكانت تحمل على دوائرها كؤوسا مملوءة بالزيت، توضع فيها فتائل توقد ليلاً.

وفي القرن الثاني عشر (18 م) نشطت صناعة النحاس بالمغرب، فظهرت الصينيات، والأباريق، والغلايات، والطيسان والمواقد والمباخر وأيضاً الحسكة بصناعتها المحلية. وقد كانت كل هذه الأواني والأدوات التي أصبحت تصنع بالمغرب تستورد وتستعمل من طرف مترفي المدن ورجال المخزن، إلا أن صناعتها المحلية جعلتها تغزو معظم البيوتات. وهكذا أصبحت الحسكة المغربية منذ القرن الثالث عشر (19 م) تنافس أدوات الإنارة الموجودة آنذاك واستعملت في المناسبات الدينية والحفلات والأعراس ومع ظهور الكهرباء أصبحت تفقد دورها في الإنارة تدريجيا، وتراجعت صناعتها لتندرج أخيراً ضمن القطع الأثرية التي تعرض في المتاحف. ولو أنها مازالت تستعمل في بعض الاحتفالات الدينية الكبرى بالمساجد والزوايا.

R. le Tourneau, *Fès avant le protectorat*, Casablanca, 1949 ; P. Ricard, *L'industrie indigène au Maroc : enquête sur les principales industries d'art, B.E.M.*, vol. 1, n° 6, 1934 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe, 1830 - 1894*, Rabat [s. d.] ; H. Clouzot, *Les arts du métal*, Paris, 1934 ; *Les métiers manuels à Fès, Hesp.*, tome IV, 1924, 1er trim. ; *Le Dictionnaire Colin* (sous la direction de Zakia Sinaceur), Rabat, 1993 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères : notes de linguistique et d'ethnographie - dialecte du Maroc*, Paris, 1920 ; *Grand Larousse encyclopédique*, tome 2 [Paris], 1960 ; *La Grande Encyclopédie du Maroc* (*Arts traditionnels* : 2 tomes), Rabat.

الهادي بجيبجُو

**حَسَن**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس مازالت بتطوان إلى الآن، وأول من عرف منهم القائد المجاهد قاسم ابن القائد المجاهد الفارس محمد حسن المتوفى يوم الجمعة 14 ذي الحجة عام أربعة وخمسين وتسعمائة / 25 يناير 1548. كما هو مرسوم على رخامة قبره داخل روضة الشيخ علي الفحل خارج باب المقابر بتطوان، وهي أقدم رخامة هناك. وممن عرف من أفراد هذه العائلة السيد مُحمد حَسَن من شعراء الملحون وحفاظه توفي منذ سنوات. وسألت الأستاذ محمد داود عن القائد المذكور فأخبرني أن له ذكراً في المصادر الأنجليزية بعلاقات اقتصادية كانت لهم معه، ولم يرد له ذكر في المصادر العربية.

*رخامة خارج باب المقابر*، بتطوان ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، حرف الحاء، نسخة المؤلف بخطه في خزانته.

محمد بوخبزة

**الحسن الأول**، السلطان ابن السلطان سيدي محمد ابن عبد الرحمان بن هشام ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن السلطان الأعظم المولى إسماعيل. بويع له بدون منازع لدى وفاة والده سنة 1873 وامتد عهده وحكمه إلى وفاته سنة 1894، وكان من أكبر ملوك المغرب في القرن الثالث عشر (19 م) رغم تفاقم ما أصبح يحيط بالبلاد من المخاطر لكنه تصدى لها بكل ما أوتي من قوة ودهاء واجتهد لإفساد مفعولها بحيث تجسدت في شخصه تناقضات الأمة المغربية في تلك الحقبة الحالكة يوم وقفت سجينة بين معتقداتها وأعرافها وممكناتها المتواضعة وتطلعات الرسمالية الامبريالية وتهافتها على خيرات البلاد اعتماداً على تفوقها العسكري المطلق.

ولد في نهاية الثلاثينات من القرن التاسع عشر، وأمّه من قبيلة آل الجامعي إحدى قبائل الجيش المخزني المستوطنة بأحواز فاس الشمالية، ونشأ في أحضان جده السلطان المولى عبد الرحمان الذي توسم فيه باكراً أمارات النبوغ والأهلية للأمانة الكبرى، فاعتنى بتربيته وانتخب له أحسن المربين لينشأ نشأة إسلامية خالصة على أساس من التقوى والورع والإلمام بالأصول والفروع من العلوم العربية. وسعيا في ذلك أمر بأن يُربى في بلاد احمر بين أسفي ومراكش ليبقى على الفطرة الأولى ولئلا يفتتن بمفاتن الحضارة والرفاهية. وهكذا عند ما توفي المولى عبد الرحمان وخلفه ولده سيدي محمد المقدم لولاية العهد منذ قديم فإنه وجد في ولده المولى حسن خير معين على صغر سنه بالنظر إلى باقي إخوته، حيث تجلت فيه معالم الحكمة والرصانة والحزم وبعد النظر، وصار السلطان سيدي محمد يستخلفه في مراكش عاصمة الجنوب كلما اقتضى الحال أن يتفقد هو أحوال البلاد في الشمال، وأسند إليه وهو في العشرين الأولى من حياته قيادة "الحركات" تمهيداً لبعض جهات البلاد، من ذلك "حركة" في بلاد تادلا وأخرى لبلاد سوس وحاحا، فتجلت قدرات الأمير "سيدي حسن" على ما كانت تسميه كتابات العصر، وبدا مؤهلا لتحمل أعلى المسؤوليات استناداً إلى أحكام التشريعة وإلى التقاليد المرعية.

ولذلك بويع له بدون ممتنع لدى وفاة والده، مع أنه كان في "حركة" في بلاد حاحا وأدركه النبأ الفاجع والبيعة وهو في بوريقي محلته وسط تلك القبيلة، فأقبلت عليه الإمامة طائعة، وأقبل عليها بروح الراشد المرشد، وقبض بزمام الأمور بلا عنف فتمرض فيها القلوب ولا وهن فتنتهي إلى الشغب والفتنة. وكان المغرب في أشد الحاجة إلى حزمه وعزمه لأنه كان قد فقد حرمته العسكرية منذ هزيمتي إسلى سنة 1844 أمام الجيوش الفرنسية وتطوان سنة 1860 أمام الجيوش الإسبانية، ولم تنتزع هذه المدينة من مخالب الاحتلال إلا بالتزام المخزن بأداء غرامة ثقيلة أفرغت بيت المال وأجبرت المخزن على الاقتراض من انجلترا لأداء الجزء الأول من تلك الغرامة، مع وجوب أداء الجزء الثاني منها من مدخول الجمارك وجلوس قباضين إسبان إلى جانب أمناء المراسي المغاربة استخلاصاً لذلك.

وكان السلطان سيدي محمد قد اضطر إلى نهج سياسات جديدة في ترتيب الجيوش وجباية الأموال وإصلاح

السكة والصرف محاولة منه للنهوض بالبلاد على أسس تحفظ لها شيئا من سالف عظمتها، لكن الموت استعجله قبل أن يضع القواعد الثابتة لذلك، فما كان من المولى حسن إلا أن يسير في خطاه وأن يسعى في إتمام ما كان قد أدرك أن لا سبيل إلى نهج غيره من وجوه الحكم، إذ كانت البلاد في حاجة إلى من يضبط شؤونها الداخلية بمنتهى الصرامة وكانت في حاجة إلى من يرتب تلك الشؤون على أسس جديدة تتظافر فيها أساليب العصر مع الأعراف المغربية وأحكام الشريعة، وكانت أكثر من ذلك كله في حاجة إلى من يحميها من تكالب النصارى ومن دسائسهم، وهذا البرنامج هو الذي تجند المولى حسن لإنجازه من أول ما بويع له إلى أن وافاه الأجل المحترم.

فبخصوص تمهيد البلاد شهد كل المعاصرين مغاربة وأجانب بأن عرش هذا العاهل كان على صهوة جواده، وأدرك الجميع باكراً أنه لم يحكم المغرب مثله إلا جدّه المولى إسماعيل، وذلك أن "حركاته" بلغ عددها تسع عشرة حركة في عهد لم يتجاوز إحدى وعشرين سنة، مما يعني أنه كان لا يقيم في عواصمه وفي قصوره إلا بقصد الاستراحة وتفقد أحوال دار المخزن وبيوت المال والحاميات العسكرية المقيمة هناك، وأطول مدة كف فيها عن "الحركة" هي التي قضاها في مراكش سنة 1878 إشفاقا على الرعية مما نزل بها من المجاعة والأمراض وانتشار الجراد بسبب انحباس الأمطار، وفي ما عدا ذلك فإن عهده كان كله ظعناً وترحالاً حتى إنه بويع له وهو في حاحة، وتوفي وهو في تادلا في طريقة إلى الرباط وأقاليم الشمال، وكان المحور الرئيسي لحركاته يدور حول الطريق الرابطة بين عواصم المملكة كمراكش والرباط ومكناس وفاس، وعادة ما كان يتم الربط بينها من خلال تادلا وسهول الشاوية ثم تامسنا فسهول الغرب فسهل سايس الذي تقتسمه مكناس وفاس، وأثناء تلك "الحركات" ينظر في شؤون القبائل فيجبي الضرائب ويؤدب من يستحق التأديب مثلما حصل للسماعلة في تادلا ولبني مطير جنوب مكناس عدة مرات.

وقد اعتنى المولى حسن عناية خاصة بشؤون سهل سايس سعيا في جعله في مستوى ما كانت عليه قبائل الحوز المراكشي من الطاعة والتمهيد، وكان من أول أعماله المدوية في فاس إخماد ثورة عامتها بقيادة طائفة الدباغين سنة 1873 الذين ظنوا أنهم يستطيعون فرض إرادتهم على السلطان الجديد بأن ربطوا بيعتهم بإسقاط المكوس عنهم، فلما دخلها المولى حسن أول مرة ثاروا عليه فاضطر إلى قمع الفتنة بقوة المدافع وجاء ذلك دليلا على ما كان عليه من الحزم والعزم.

لكن هذا المحور المركزي ما كان ليضبط لو لم يعمل المولى حسن على دعمه من جهة ما وراءه من الأقاليم والقبائل، فلقد أدرك أن شؤون بني مطير لا سبيل إلى التمكن منها بدون التمكن من بني مگيلد وظيان في جنوبها وشرقها، ولذلك قام بحركة إلى تلك الأوعار سنة 1888 واستطاع أن يرتب شؤونها بتعيين مُحا وحمو الظياني قائداً على تلك الأقاليم مع مهمة مراقبة تحركات باقي قبائل الأطلس المتوسط مثل اشقيرن وآيت شخمان. ومن تدعيم هذا المحور المركزي أيضاً زيارته للثغور الأطلسية كالجديدة وأزمور والدار البيضاء منذ 1874 / 1875 وعنايته بتقوية وسائل الدفاع عنها من جهة البحر كما زار طنجة ومنطقة الهبط لنفس الغاية سنة 1889.

على أن أهم ما تميزت به "حركات" المولى حسن عنايته بأطراف البلاد وبأقاليمها النائية من جراء ما بات يهددها من تهافت الأجانب عليها وترويجهم لدعايات سامة مفادها أن تلك الجهات ليست من المغرب ولا تدين له بالطاعة، فإنه تفقد أحوال القبائل الريفية الشرقية لمجاورتها لمليلية المحتلة (1874) كما انتقل إلى إقليم وجدة الذي كان عامله قد تمارض في الانصياع لأوامر المخزن. ومعلوم ما كان لوجدة من الخطورة الإستراتيجية على أبواب الجزائر المحتلة (1876) ثم إنه قام بحركتين إلى سوس الذي لم يكن دخله السلطان منذ عدة عقود، فانتقل إلى هناك سنة 1882 ثم سنة 1886 فمهد شؤونه بأن أقام بيتاً للمال في تارودانت وجعل تيزنيت عاصمة للتخوم الصحراوية وميناء أساكة سوقا للمبادلات مع الخارج، وعين القواد على القبائل مع إثباتها على أعرافها، وكانت الغاية الأساسية من كل ذلك جعل حد للجدل مع الإسبان الذين كانوا قد اشترطوا على المغرب غداة واقعة تطوان بأن يتخلى لهم عن مرفإ للصيد مقابل الجزر الخالدات كانوا يدعون أنه كان في ملكهم منذ العهود السابقة تحت اسم "سانطاكروث دى ماربيكينيا"، وأراد المولى حسن أن يقف بنفسه على كنه تلك الدعوى ولكن الأمر ظل معلقا بين الدولتين. أما الغاية الثانية من هاتين الرحلتين فكانت ترمي إلى جعل حد لنشاط تاجرين إنجليزين هما ماكينزى (Mac Kenzie) وكورتيس (Curtis) اللذين صارا يتصلان مباشرة بالقبائل المحلية ويسعيان في إخراجها من طاعة المخزن، وأقاما لنفسهما وكالات تجارية بطرفاية مما كان خطراً على وحدة البلاد الترابية، فأمر المولى حسن في رحلته السوسية الثانية بتقويض كل ما كان التاجران المذكوران قد أقاماه من التجهيزات هنالك.

وكان آخر كبريات حركاته تلك التي قام بها سنة 1892 انطلاقاً من فاس إلى واحات تافلالت، ولئن كان القصد المصرح به من ذلك هو زيارة ضريح أسلافه الشرفاء مؤسسي الدولة فإن الغاية الأساسية كانت هي إعلان حقوق المغرب على واحات توات في الجنوب الشرقي التي كانت أعناق الفرنصيص قد أشرأبَّت إليها ورام والي الجزائر جول كامبون (Jules Cambon) إلى احتلالها في مطلع التسعينات، فجاءت زيارة المولى حسن إلى تافلالت إشارة ديبلوماسية بأن واحات توات جزء لا يتجزأ من المغرب، وانتهزت الفرصة لتجديد ما كان بيد خدام الدولة والشرفاء

وعامة القبائل هنالك من الظهائر والرسوم المخزنية، كما كانت مناسبة لتمهيد شؤون قبائل الأطلس الكبير الشرقي مثل أيت يزدك وأيت مرغاد وأيت حديدو.

وهكذا كانت أيام المولى حسن كلها حركة دائبة غايتها ضبط أمور البلاد وترصيص الصفوف حتى لا يجد الأعداء أدنى سبيل للنيل منها أو التسرب إلى قلبها، ولقد كللت تلك الجهود بالنجاح وأضحى المغرب طوع يدي السلطان بعد أن أصبح عدد القواد يناهز 330 قائداً رغم الاعتماد على مجرد أدوات التواصل التقليدية كالقافلة للنقل والرقاص للبريد مما عرضه للمعاناة من عتوِّ بعض القبائل حتى استحال عليه تأديبها، من ذلك قبيلة غياثة التي ترأس السلطان نفسه "سوقة" إلى قلب جبالها فوقع في بعض كمائنها ولم ينج منه إلا بشق الأنفس (1877)، كما عانى من افتيات أيت شخمان في حركة 1888 إلى أوعارهم حيث بعث بكتيبة لجباية ضرائبهم يرأسها ابن عمه المولى سرور، فتظاهرت القبيلة بالامتثال وأوغلت بالكتيبة في الثنيات حتى إذا جن الليل عليها قتلت أفرادها بمن فيهم الأمير، وكانت تلك الوقعة الشنيعة دليلاً على ما كان يعترض الدولة يومئذ من العقبات لضبط شؤون القبائل ضبطا محكما، وما كانت تلك الحادثتان لتُحزَّ في خاطر المولى حسن لو لم تكن البلاد معرضة لأراجيف الأوربين ومنكشفة أمام أنظارهم، ولذلك كانت المهمة الثانية التي انصرف إليها عزمه ترمي إلى تجديد حرمة المغرب باعتماد بعض أدوات العصر، فحاول السير فيما كان والده قد سار فيه من الترتيبات والتنظيمات الجديدة مع مراعاة مقتضيات الشريعة والمستوى المعنوي والثقافي للرعية.

وأول ما اعتنى به أمر الجيش النظامي فإنه كان واعيا بضرورة تأطيره بالضباط الأكفاء وبتزويده من العتاد الحربي العصري، ولقد هاله ما رأى من سوء انضباط جيوشه في وقعة غياثة (1877) حيث استطاعت تلك القبيلة على ضعف سلاحها أن توقع العسكر السلطاني في كمين كاد العاهل نفسه يذهب ضحيته، مما دعاه لدى وصوله إلى وجدة إلى مطالبة الفرنصيص بأن يمكنوه ممن يدرب جنوده تدريبا نظاميا، وبادرت فرنسا إلى تلبية الرغبة لما كان لها فيها من الفوائد، وحاول المولى حسن أن يخفف من أخطار الضباط الأجانب بأن حصر مهمتهم فيما جاؤوا من أجله وأمرهم بالمقام في الرباط لتدريب الجنود المغاربة على المدفعية، ولم يترك احتكار ذلك لجنس من الأجناس وإنما استقدم مدربين من انجلترا وإسبانيا، وكان يسهر بنفسه على شراء المعدات، وكل سفارة مغربية إلى أوربا كان من مهامها الرئيسية زيارة معامل السلاح والسعي في اقتناء أحسن ما جد منه. فمن ذلك على سبيل المثال سفارة العربي الزبدي سنة 1876 إلى باريس وبروكسيل ولندن والطاليان، ثم سفارة ابن رشيد إلى ألمانيا سنة 1892، ومع ذلك لم يشف الاستيراد غليل السلطان فإنه أقدم سنة 1885 على إنشاء معمل مغربي لصناعة الرصاص والبنادق بمساعدة بعض المهندسين الطاليان، وأُقيم المعمل بجوار القُصور السلطانية في فاس، وتتبع السلطان أحواله عن كثب، ولكن النتيجة ظلت دون ما كان يطمح إليه لا من حيث الكيف ولا من حيث الكم، إذ لم يتجاوز الإنتاج خمسة بنادق كل يوم على هول ما كان ينفق عليه، وظلت البلاد في حاجة إلى التزود من المعامل الأوربية رغم ما كانت تفرض من باهظ الأسعار، كما أن مجهودات المولى حسن ذهبت سدى في مجال الأسطول فإنه اقتنى بأغلى تكلفة مركبا من إطاليا للاستغناء عن الأساطيل الأوربية في حركة النقل بين الموانئ المغربية إلا أن هذا المجهود لم يُجد فتيلا لانعدام الشروط التقنية والبشرية لاستثماره يومئذ.

ونفس الملاحظة تجوز بالنظر إلى المجهود التعليمي والبعثات الطلابية التي انطلقت بأمر من السلطان إلى مختلف المدارس العليا الأوربية لتعلم الهندسة أو المدفعية أو الطب وما إلى ذلك من الفنون العليا، وكان المولى حسن مقتنعاً مثل والده بضرورة تدارك العجز المغربي في العلوم البحتة كالرياضيات وعلوم الطبيعة إلا إنه كان منفرداً بذلك الإدراك وسط حاشيته المكلفة بالتنفيذ ووسط مجتمعه العريض الذي لم ير في المبعوثين إلى أوربا قبل رحيلهم الا شباباً مسلما معرضاً للضياع وبعد عودتهم منها رجالا خرجوا عن أطوارهم، ولذلك انحصرت البعثات عند أفراد معدودين منهم من لم يكن صالحا لما قُدم له فلم يحصل على طائل، ومنهم من حصل على بعض المعلومات لكنه لم يجد بعد رجوعه إلى المغرب مجالا لتطبيقها فضاعت معلوماته، والقليل منهم مثل محمد الجباص والزبير سكيرج هو الذي طفا على وجه الأحداث فأفاد واستفاد. أما عامتهم فكان في حالة محمد ابن الكعاب الذي ذهب إلى بلجيكا "لأخذ علوم الصنائع المفقودات عن المغرب" وبعد سنوات من ذلك تناسى المسؤولون أمرهم فما كان من هذا الطالب إلا أن كتب إلى الحاجب أحمد بن موسى (1886) يقول : "هذه سبع سنين ونصف ونحن مفقودين عن الأهل والوطن والأعداء لا تنظرنا إلا بعين الاحتقار" مما يفيد أن عدم تتبع المبادرات كان ينتهي إلى إبطالها لعدم استعداد الأمة يومئذ للتمسك بأسباب حضارة غريبة عنها، شأنها في ذلك شأن المؤرخ أحمد بن خالد الناصري الذي قال عن عهد المولى حسن : "إنما النصارى أجربوا سائر البلاد فأرادوا أن يجربوا هذا القطر السعيد الذي طهره الله من دنسهم" وذلك تعليقاً منه على اقتراحات الفرنسيين على المولى حسن بتجهيز البلاد من "بابور البر والتلغراف" فكيف كان بوسعه أن يقدم على ذلك والرعية متحفظة ممتنعة، سواء في ذلك الخاصة والعامة ؟ ومع ذلك فإنه أبى إلا أن يقيم بعض المعامل كمعمل للسكر في مراكش ومعمل للقطن في نفس المدينة بغاية التخفيف من استيراد تلك المواد الذي تكاثر استهلاكها بين الرعية، كما اعتنى

بشؤون المعادن وسعى في النهوض باستغلالها مما يثبت وعيا واضحاً لديه بضرورة الاعتماد على النفس. ومن مبادراته في هذا الصدد ترتيبه لأول جهاز بريدي مغربي سنة 1892 بناء على طائفة الرقاصة الذين صاروا بظهير مخزني مدقق ينطلقون من الرباط مرتين في الأسبوع في اتجاه الشمال والشمال الشرقي وفي اتجاه الجنوب والجنوب الشرقي لتمكين تجار المدن الواقعة في تلك الجهات من رسائلهم والرجوع من عندهم بما يكتبون به لمختلف الآفاق. وكان يريد إعداد المهندسين في الطرق والجسور للنهوض بأسباب التواصل البري في البلاد وفاتح السفير الإيطالي في ذلك لكنّ أبعد ما تأتّى له هو إصلاح بعض المراسي وبناء منار رأس سبارطل في أحواز طنجة، وذلك لأن إرادته الإصلاحية كانت لا سند لها من جهة الرعية ولا بالأحرى من جهة نواب الأجناس الذين كان لا يعنيهم إلا الفوز بالامتيازات الملموسة.

ولذلك كان مصير الإصلاح النقدي الذي أقدم عليه سنة 1881 نفس المصير، فإنه كان قد استطاع أن يملأ من جديد بيت المال عند اقتراب موعد التخلص من الديون الإسبانية سنة 1885، فأقبل على سك عملة جديدة أصبحت تعرف بالحسني جعلها على الضوابط الشرعية مع اعتماد المصطلحات النقدية الإسبانية كالبسيطة والدورو والريال وربع الريال والبليون، إلا أن هذه العملة سرعان ما تحولت إلى خسارة لأن الريال الحسني كان يزن 29،216 گراما بناء على وزن الدرهم الشرعي بينما كان الريال الإسباني لا يزن إلا 25 گراما، وحيث إن المعاملات كانت تتم بالعملتين فإن الحسني سرعان ما اختفى إما تصديراً للخارج وإما اكتنازاً في الداخل، واضطرت الدولة تخفيفا من الخسارة إلى سحبه من الرواج (1893) وأقدم السلطان على سك عملة أخرى جعلها في وزن الريال الفرنسي لكن أسعار الفضة كانت يومئذ في انهيار، ففقدت تلك العملة 30٪ من قيمتها حال إصدارها وأقدمت الأجهزة المخزنية نفسها على رفضها في الأداءات الجمركية وما إليها، فتفاقمت الفوضى النقدية في البلاد رغم رغبة السلطان في جعل حد لها.

وكان مصير الترتيبات المالية والجبائية كذلك إلى العجز مع أن المولى حسن سهر من أول ما تربع على كرسي الحكم على ملء بيت المال الذي أرهقته غرامة حرب تطوان فلم يتردد في العقد الأول من عهده عن التشدد في جباية الضرائب واستيفاء كل ما يجب للدولة سواء من قبل الأجانب أو من قبل الرعية، فمن جهة الأجانب ألح على ممثلي الدول الأوربية لعقد مؤتمر مدريد (1880) لجعل حد للحماية القنصلية التي كان من يحملها يستطيع التملص من الضرائب، ولذلك جاء في مقررات المؤتمر فصل يجعل بعض الحدود لمنح الحماية وآخر يلزم الجميع بأداء الضرائب سواء منها المستفادات في المدن أو الزكوات والأعشار في البوادي، على أن يتم تنظيمها تنظيماً محكماً. ولهذه الغاية أصدر المولى حسن ترتيباً جبائياً جديداً سنة 1884 وعين أمناء متخصصين للقيام بالجباية في القبائل وانتزع من القواد ما كانوا عليه من الالتزام بذلك سابقا هادفاً بذلك إلى جعل حد لتجاوزاتهم وتعسفاتهم، وأمر لهم برواتب مضبوطة في المقابل، لكن حسن استعداد السلطان لم يكف لإنجاح تدابير كانت تمس بمصالح رجال السلطة وبالأعراف الموروثة، فلا الحماية القنصلية خفت ولا الأجانب أدوا الضرائب ولا تجاوز الترتيب الجديد حدود بعض قبائل السهول الأطلسية إلى أن طواه النسيان.

ومن أسباب هذا الفشل الرئيسية المناورات الأمپريالية وضغوط نواب الدول الأوربية وتجارها وسماسرتها على المخزن، ولا سبيل إلى استكناه عهد المولى حسن إذا ما غضضنا الطرف عن تفاقم التسرب الامبريالي خلاله داخل البلاد، على أن نميز بين مرحلتين، ففي العقد الأول منه فيما بين 1873 و1882 استطاع العاهل حصر تلك الضغوط عند بعض الحدود والحالة هذه أن الظروف في أوربا كانت مساعدة، ففرنسا كانت منشغلة بتجاوز هزيمتها أمام ألمانيا سنة 1871 كما كان عليها أن تتغلب على نزاعاتها الطبقية مما لم يتأت لها إلا في مطلع الثمانينات، ودخلت إسبانيا فترة جديدة من الاضطراب سنة 1868 وظلت تتأرجح بين النظام الملكي والنظام الجمهوري إلى أن بويع للملك الفونصو الثاني عشر فصارت الأمور إلى شيء من الاستقرار، أما انجلترا فإن مصالحها كانت تملي عليها منذ منتصف القرن ضرورة الحفاظ على الأوضاع القائمة بالمغرب بحكم تصدرها في مبادلاته الخارجية ولحاجتها إلى مراقبة الضفة الجنوبية لمضيق جبل طارق، وفي ما عدا هذه الدول فإن إيطاليا وألمانيا كانتا يومئذ منشغلتين بتدعيم صرح وحديتهما الوطنية لحداثة عهدهما بها، وكانت باقي الدول مثل بلجيكا والنامسا لا يتجاوز اهتمامها بالمغرب مستوى المصالح التجارية والديبلوماسية الضيقة، بل يمكن أن نجزم بأن مجموع الدول الأوربية كانت في العقد الأول من عهد المولى حسن لا تسعى في تجاوز تلك المستويات لأن الرسمال الأوربي كان ما زال لم يدخل بعدُ عصر التوسع الامپريالي وكان مازال سجين الأساليب الاستعمارية العتيقة التي كانت تُخليِّ بين القناصل وبين الدولة التي يقيمون لديها ليتصرفوا بحسب النوازل والمصالح الآنية. ولقد أدرك المولى حسن ذلك وألح على الأجناس في أمر مراجعة ضوابط الحماية القنصلية واعتمد في ذلك على ممثل انجلترا جون دروموند هاي (J. D. Hay) الذي كان مقيما في المغرب منذ 1845 وكان يتظاهر بشيء من التعاطف مع السلطان ويساعده في بعض مواقفه دون أن يفرط في مصالح بلده، ولولاه لما انعقد مؤتمر مدريد (1880). ولئن كان المغرب قد انتزع بعض الفوائد من المؤتمر إلا أنه التزم بالاعتراف للأجانب بحق تملك العقار في المغرب وتوسيع مفهوم الحماية القنصلية لغير التجار السماسرة والمخالطين، مما يعني أن

مؤتمر مدريد كان بمثابة صيحة في واد، وذلك أن الظرفية لأوربية تغيرت مع مطلع الثمانينات حيث أصبحت الامبريالية الأوربية لا تحتاج إلى المواد الأولية بقدر ما تحتاج إلى أسواق تصرف فيها فائض منتجاتها وأموالها، وتجلى ذلك في المغرب الحسني فاشتدت الضغوط على السلطان بما لم يسبق له مثيل حتى أثر ذلك في صحته، ولم تنج البلاد من الدسائس الأوربية إلا بسبب تنافس الأقطاب. ففرنسا مثلاً عينت في مطلع الثمانينات سفيراً لها في المغرب أورديكا (Ordyga) وكان من الغلظة والفظاظة بما لا حد له، وكان يريد أن يطبق على المغرب ما كان قد فرض مؤخراً على تونس من الحماية، فاتخذ الزاوية الوزانية أداة لمناوراته فمنح قطبها عبد السلام الوزاني الحماية القنصلية وصار يشوش به على المخزن حيث صار الشريف المذكور يقتطع الأراضي ويمنح الامتيازات للفرنسي شافنياك (Chavagnac) فمر المولى حسن من لحظات حالكة فيما بين 1882 و1884 وكانت فرنسا يومئذ تحت حكم جول فيري (Jules Ferry) وهو مؤسس إمبراطوريتها في تونس ومدغشقر والهند الصينية، ولو لم تتحرك باقي الدول التي لم تكن بعد قابلة للتخلي عن المغرب لكان بوسع أورديكا أن يلعب في المغرب الأدوار التي أداها روسطان (Roustan) في تونس سنة 1880.

وأكبر دليل على انقلاب الظرفية الامبريالية تحول انجلترا نفسها إلى سياسة الضغط والإكراه الصريح، وذلك بعد انسحاب هاي سنة 1886 وتعيين كربي كرين (Kirby Green) مكانه، فجاء إلى مراكش (1890) يزيد ويرعد ضغطا على السلطان، لكنه توفى فجأة فتنفس السلطان الصعداء لكن جاء بعده ايوان سميث (Ewan - Smith) الذي حل بفاس سنة 1892 ليلة انطلاق المولى حسن في اتجاه تافلالت وتجرأ على رفع العلم الانجليزي فوق مقر إقامته مما كاد أن يؤدي إلى فتنة وخيمة العواقب، وكانت الغاية من تلك الضغوط رفع الحواجز التي كانت تعرقل تصدير البضائع المغربية مثل الحبوب والقطاني والماشية وإلزام المخزن بتجهيز البلاد من السكك الحديدية والمراسي العصرية وأسباب التواصل السريع.

وكان من علامات الظرفية الجديدة دخول ألمانيا في نفس المضمار منذ الثمانينات واشتداد اهتمامها بالسوق المغربية، فكانت أول من حصل على تسريح الصادرات المغربية بمعاهدة تجارية أبرمت بين الدولتين سنة 1890 وكان المولى حسن قد أصغى لأقوال نوابها الذين كانوا يدعون مساندة البلدان الإسلامية، والواقع أن الألمان كانوا كغيرهم إنما تعنيهم مصالحهم بدليل دخولهم في مناورة عامة جرت سنتي 1887 و1888 بقصد إرغام المغرب على الانفتاح، ولم تفشل المناورة إلا بسبب تحاسد الأقطاب وتزاحمهم على الأبواب. فالدول الصغرى مثل بلجيكا وإيطاليا كانت لا ترغب في الحلول الدولية لما كان يوافقها من ميل المولى حسن للاستعانة بها، أما إسبانيا فالبرغم من أنها صارت تتحرك بنشاط في الصحراء الغربية المغربية إلا أنها كانت متخلفة في التصنيع وكان يكفيها الضغط على المغرب من جهة سبتة أو مليلية كما حدث سنة 1893 وانتزاع الغرامات منه، ولذلك كانت يومئذ تدافع عن مبدأ المحافظة على الأوضاع القائمة مما كان فيه متنفس للمولى حسن الذي قضى هكذا عهده محاصراً بين شعب كانت خيرة نخبته مثل المؤرخ الناصري ترى في مخالطة النصارى عين الضرر وبين الدول الأوربية التي أطلقت العنان لقناصلها وتجارها ليزعزعوا الأوضاع في المغرب تمهيداً الفرض الوصاية الأجنبية عليه في وقت لاحق، ولذلك كثيراً ما ورد في رسائل السلطان عبارات التضرع مثل "أشكو بَثّي وحزني إلى الله".

وقد وصف المشرفي صاحب *الحلل البهية* ما نزل بالمولى حسن من الحيرة والكآبة يوما جاء السفير الانجليزي كربى گرين إلى مراكش بإنذاره وتهديداته فقال : "ومما يستغرب ويعدّ من مناقبه وكراماته أنه ورد عليه سفير انجلترا [...] فلما اجتمع به ذكر مطلوبه الذي يريد وجعل له أجلا يوماً واحداً وكان ذلك يوم الاثنين فقال إني مسافر لا محالة يوم الأربعاء إما بتنفيذ الغرض المطلوب أو بعدمه قولا واحداً فاختر لنفسك واستشر في أمرك، وكان السلطان يومه ذلك صائما ... فبقى ... متحيراً ينظر في عاقبة ما طلب منه ... لم يبرح من محله ذلك اليوم لما أصابه من هول ذلك الطلب وعظم أمره ولم تفد حيلة ولا سياسة تدافعه زمنا ما فبات ليلته يتقلب ساهراً من أجله، فحينئذ عزم على الالتجاء إلى مولاه إذ هو المجيب المضطر إذا دعاه، ومن يتوكل عليه كفاه ،فأصبح يوم الثلاثاء مناديه ينادي بأهل الفضل والديانة من العلماء والأشراف والأعيان وأكابر دائرته وكل من توسم فيه الخير من المسلمين وأمرهم بذكر اسمه تعالى اللطيف العدد المعروف مع قراءة صحيح *البخاري وكتاب الشفا* للقاضي عياض توسلا باسمه العظيم وحديث نبيه الكريم ليكشف عنه مادهم السلطان من أمر السفير، وعين أمناء بكل مرسى يقفون على ما عسى أن يكون من النفير. وكان من ألطاف الله بالمولى حسن ومن رضاه عليه أن خرج السفير المذكور للقنص يوم الثلاثاء فناله ما ناله من الإرهاق وعاد إلى مبيته فأصبح ميتاً بنوبة قلبية يوم الأربعاء. قال المشرفي : "وأذّن في الوقت بموته مؤذن صيت ووصل الخبر حينا للإمام والوزراء وكافة المسلمين وفرح الكل بما تيقنوه من حماية الدين ..." وفي هذه الإشارة دلالة على ما أضحى المغرب عليه من الوهن السياسي حيال الضغوط الأوربية فانفتح باب الاحتلال الأجنبي وتأجل ولوجه لبضع سنوات من جراء الازدحام.

توفي الحسن الأول بتادلا ليلة الخميس ثالث ذي الحجة عام 1311 / 7 يونيه 1894. ودفن بالرباط.

م. السباعي، *البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في*

*بعض مآثر السلطان مولانا الحسن*، مخطوط، خ. ع رقم 1364 ؛ أ. ابن الحاج السلمي، *الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المومنين مولانا الحسن* ـ ميكرو فيلم خ. ع رقم 590 ؛ علي السملالي، *تأليف في الدولة الحسنية*، مخطوط، خ. ع د. 480 ؛ م. المشرفي، *الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية*، مخطوط، خ. ع. د. 1463 ؛ م. غريط، *فواصل الجمان*، فاس 1347 / 1928 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف إعلام الناس*، الجزء الثاني، فاس 1930 ؛ *العز والصولة*، المطبعة الملكية، الرباط، 1961 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ ع. ابن منصور، *مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة 1880*، الرباط، 1977 ؛ *مجلة الوثائق*، 8 أجزاء صادرة عن المطبعة الملكية، الرباط؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر إينولتان، 1850 / 1912*، الرباط، 1983 ؛ مصطفى بوشعراء. *الاستيطان والحماية بالمغرب*، الرباط، 3 أجزاء، 1984 ؛ نعيمة التوزاني، *الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن*، الرباط، 1979 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1985، ط. 2 ؛ م. الأمين البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*، الرباط 1992 ؛ خالد ابن الصغير، *المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر 1856 ـ 1886*، الدار البيضاء، 1990 ؛ *المغرب في الارشيف البريطاني، مراسلات جون دراموندا هاي مع المخزن 1846 ـ 1886*، الدار البيضاء، 1992 ؛ مصطفى الشابي، *النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر*، الرباط، 1995.

P. Trottes, *Our mission to the court of Morocco in 1880*, Edinburg, 1881 ; E. de A , *Le Maroc*, Paris, 1882; J. Erckmann, *Le Maroc moderne*, Paris, 1895 ; Fumey, *Choix de correspondanes marocaines*, Paris, 1900 ; B. Meakin, *The Moorish Empire. A Historical Epitome*, London, 1889 ; *The Land of the Moors. A comprehensive description* ; Nehlil, *Choix de lettres chérifiennes*, Paris, 1915 ; A. G P. Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaines 1504 - 1912* ; J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1830 - 1894*, Paris, 1961, 4 vol. ; *Moulay Hassan* in *Les Africains* ; Brignon, Amine, Boutaleb, Martin et Rosenberger, *Histoire du Maroc*, Paris, 1967 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain*, Paris, 1977 ; M. Kenbib, *Les protections étrangères au Maroc au XIXe et au début du XXe siècles*, Thèse III cycle, Paris VII, 1980 (inédite) ; *Juifs et musulmans au Maroc (1859 - 1948)*. Rabat, 1994.

إبراهيم بوطالب

**الحسن الداخل**، أول قادم من الشرفاء العلويين من المشرق، وهو الحسن بن القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي بكر بن علي بن الحسن ابن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وُلد الحسن الداخل في أوائل المائة السابعة للهجرة بالحجاز من ينبع النخل بمدشر يعرف بمدشر بني إبراهيم. وكان دخوله إلى المغرب حوالي سنة 664 / 1266 في دولة يعقوب المنصور المريني يطلب من وفد من الحجاج المغاربة من أهل سجلماسة يتكون من أولاد البشير وأولاد المنزاري وأولاد المعتصم وأولاد بن عاقلة. وكان رئيس الوفد إذاك السيد أبو إبراهيم العمري.

وتذكر الروايات أن سبب استقدامه إلى المغرب أن الأشراف قد قلوا في المغرب خلال القرن السابع وأن سجلماسة قد خلت نهائيا منهم فرأى أهلها أن يعملوا على استقدام بعض الأشراف من وطنهم الأصلي تيمنا بمعايشتهم واستدراراً للخير بفضلهم، وتذكر رواية أخرى أن أهل سجلماسة لم تكن تصلح الثمار ببلدهم فأتوا بالحسن الداخل (فحقق الله رجاءهم وأصلح ثمارهم حتى عادت بلادهم هي هَجَر المغرب).

استقر الحسن الملقب بالداخل في سجلماسة بمكان يدعى المصلح. ولما اطمأنت نفسه زوجه الشيخ أبو إبراهيم ابنته، وقد عرف هذا الشريف بالفضل والتقوى والعلم خصوصاً علم البيان الذي كانت له فيه اليد الطولى حتى قيل إنه من أوائل الذين أدخلوا هذا العلم إلى المغرب.

توفي الحسن الداخل بسجلماسة بعد أن أقام بها اثنتي عشرة سنة، وذلك حوالي 676 / 1277 ودفن بمكان وسط سجلماسة حسما للنزاع بين أهلها. وقبره شهير قرب قصر كرينفود بالريصاني. وخلف الحسن الداخل ولداً واحداً يسمى محمداً، وخلّف محمد هذا ولداً واحداً أيضاً يسمى الحسن باسم جده، ومنه تفرّع الشرفاء الحسنيون السجلماسيون.

ع. السلام القادري، *الدر السني*، 52 ؛ أ. العلوي، *الأنوار الحسنية*، 26 ـ 28 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 31 ؛ م. الإفراني، *روضة*، 12 ـ 18 ؛ أ. الزياني، *البستان*، المقدمة ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 3 : 88، 5 : 3، 7 : 51 ـ 7 ؛ المشرفي، *الحلل البهية*، 1 : 53 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*.

مارية دادي

**الحسن بن عبد المومن الموحدي**، كثيراً ما يقع الخلط بين اسم الحسن واسم شقيقه الحسين خاصةً وأن كليهما يكنى أبا علي. كان الحسن أحد قواد العساكر لأخيه الخليفة يوسف بالإضافة إلى ثلاثة إخوة آخرين (*البيان*، 166). ولاه أخوه يوسف أول سنة 565 على سبتة وغمارة خلفاً لأخيه أبي سعيد عثمان الذي أصبح والياً على غرناطة ( *البيان*، 109 ؛ *المن*، 395 ـ 396 ؛ *العبر*، 6 : 498) وشارك مع الخليفة يوسف في حصار وبدّه سنة 567 على رأس عساكر غمارة ( *المن بالإمامة*، 594) والمعروف أن هذا الحصار كان الهدف منه محاولة إفشال التحالف القشتالي الأرگوني، لكنه انتهى بالفشل بسبب سوء التنظيم في المعسكر الموحدي وقبل أن يغادر يوسف إشبيلية نحو المغرب سنة 571 ترك على ولايتها أخاه الحسن، ورغم أن هذا حدث بعد عقد هدنات بين الموحدين والإسبان فإن هؤلاء لم يلبثوا

أن نقضوها حيث تحرك جيش من ليون نحو جهات إشبيلية في السنة اللاحقة، غير أن الأمير الحسن تمكن من إفشال هذا الهجوم (*البيان*، 138) ولم يتوقف الضغط الإسباني على الأراضي الإسلامية خاصة وأن المغرب أصبح يعاني من انتشار وباء الطاعون. ولعل استدعاء والي إشبيلية سنة 573 إلى مراكش للمفاوضة في "مصالح المسلمين" يعني تدارس مشكلة الضغط الإسباني على الأراضي الأندلسية. ثم استقر الوالي الحسن بإشبيلية منذ محرم عام 574 / يونيه - يوليوز 1178، وذكر ابن عذاري وفاته بها في نفس السنة (*البيان*، 139) غير أن ابن عبد الملك المراكشي يذكر أن الحسن حضر جنازة أحد مترجميه المتوفى في إشبيلية في ربيع الأول سنة 575، ولعله توفي في هذه السنة أو قريباً منها. ومما تجدر الإشارة إليه، أننا اعتمدنا *البيان المغرب* (ط البيضاء) غالباً لتجنب الخلط الواقع في طبعة تطوان بين اسمي الحسن والحسين، وكذلك في *المعجب* للمراكشي و*المن بالإمامة* لابن صاحب الصلاة.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، تح. ع. الهادي التازي، ص. 222 - 223 - 395 - 396 - 494 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، ص. 271 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، ط. البيضاء. ص. 80 - 109 - 110 - 134 - 136 - 137 - 148 (يقارن مع طبعة تطوان، ص. 107 - 110 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 267 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 498.

أحمد عزاوي

أبو **الحسن المريني** علي بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني. بويع بعد وفاة أبيه يوم الجمعة الخامس والعشرين لذي القعدة سنة 731 / 30 غشت 1331. ذُكر أنه كان "طويل القامة، عظيم الهيكل، عبل العضدين، معتدل اللحية، حسن الوجه" وأنه كان "عفا مائلا إلى التقوى ... محبا في الصلحاء، عادلا في رعيته". ومن أبرز ما احتُفظ به عن نهجه العام أنه "كان عالي الهمة مهتما بضخامة الملك" كما كان له "مذهب في الفخر معروف". ومما يؤكد هذا التوجه لدى أبي الحسن سعيه الدؤوب إلى الاستئثار بزعامة الغرب الإسلامي وميله إلى التعريف بمنجزاته السياسية والعسكرية لدى أهل المشرق أشرافا وملوكا ورعايا. وقد يتصل بنفس هذا التوجه إعطاؤه الأولوية لمقام الدولة وهيبتها في سائر الأحوال، فلم يتردد في إعدام ابنه أبي عبد الرحمان بسبب انتحاله الدعوة لنفسه سنة 742 للهجرة، كما أنه لم يتخل عن الاقتصاص من أخيه أبي علي وتصفيته بمجرد ما انتقض عليه بسجلماسة سنة 733 / 1333 بتواطؤ مع أبي تاشفين العبد الوادي أمير تلمسان. وبالتالي فإن سياسة هذا السلطان قد اتصفت منذ البدء بوضوح الهدف وقوة الشكيمة فجاء عهده منسجما مع اختياراته الرسمية الغالبة وإن كان قد تأثر بالظرفية المحيطة إلى حد بعيد.

ترتكز هذه الظرفية في مطلع عهد أبي الحسن على عنصرين اثنين، يتلخص أولهما في تقدم مملكة قشتالة شمالا نحو مياه البوغاز، بينما يتمثل العنصر الآخر في تهديد إمارة تلمسان من جهة الشرق لإفريقية بلاد الحفصيين. وتجدر الإشارة إلى أن المطامع العبد الوادية كانت قد ظهرت في آخر عهد أبي سعيد فمهدت بذلك لتقارب الخلافة الحفصية وإمارة بني مرين قبل تتويج هذا التقارب بانعقاد المصاهرة بين أبي الحسن وأبي يحيى في ابنة هذا الأخير قبيل وفاة أبي سعيد. وهكذا سوف يكون على الإمارة المرينية أن تتحرك في اتجاه كل من الشرق والشمال على التوالي قبل أن تعمد إلى التركيز على قضايا الشمال الإفريقي بالدرجة الأولى. أما مرحلة المراوحة بين الاتجاهين فتقف عند الانكسار الأول للأسطول المريني بوقعة طريف في السابع من جمادى الثانية سنة 741 / 28 نونبر 1341. من أهم محطات هذه المرحلة غزو أبي الحسن لبلاد سواحل المغرب الأوسط في منتصف سنة 732 / ربيع سنة 1332 واسترجاعه لثغر جبل طارق في السنة الموالية قبل العودة إلى السواحل وضبطها ثم محاصرة مدينة تلمسان ودخولها في السابع والعشرين من شهر رمضان من سنة 737 / 29 أبريل 1337. وأما المرحلة الثانية التي تم التركيز فيها على التحكم في الفضاء المغاربي بوجه عام، فإن من أبرز ما يميزها اهتمام أبي الحسن بتوحيد مختلف فصائل العصبية الزناتية وإشراكها مع دعم هذه الخطة نفسها بسياسة دينية تقوم على اصطفاء رجال المذهب وتقريب الشقة بين علماء المالكية بالمغربين الأقصى والأوسط في انتظار أن ينضم إليهم علماء إفريقية بعد سقوط مركز الخلافة الحفصية ودخول الجيوش المرينية - الزناتية مدينة تونس في الثامن من جمادى الثانية من سنة 748 / 15 شتنبر 1347. ورغم ما يطبع هذه المرحلة من اهتمام خاص بقضايا المغرب بالمعنى الواسع، إلا أن قضية الجهاد لم تكن لتغيب كليا من استراتيجية أبي الحسن كما يتضح من خلال تتبعه الدقيق لأحوال المحاصرين بالجزيرة الخضراء ومده إياهم بالمؤن قبل أن يضطروا آخر الأمر إلى الاستسلام والخروج إلى العدوة المغربية عند اشتداد وطأة الجيوش القشتالية بقيادة ألفونسو الحادي عشر في غضون شهر شوال من سنة 743 / مارس 1343.

وإذا كانت خطة أبي الحسن قد اعتمدت محاولة ضبط السواحل وإعادة بناء الأسطول بعد وقعة طريف بهدف التحكم في مجموع المنافذ المرتبطة بتجارة القوافل وإحكام مجمل وسائل الضغط على مستوى التعامل مع الممالك المسيحية بالشمال، فالملاحظ أنها باءت بالفشل آخر الأمر بسبب ما ترتب عنها من تلاحق الحركات العسكرية التي أدت إلى تذمر العديد من زعماء القبائل المرينية وغيرهم من أشياخ القبائل المعبأة بعيداً عن المواطن الأصلية. ولقد تفجر هذا التذمر مباشرة بعد تغلب البدو المناوئين لسياسة أبي

الحسن الجبائية بإفريقية وانكسار المعسكر السلطاني بين أيديهم بضاحية القيروان قبل أن ينجو أبو الحسن بنفسه إلى مدينة تونس في الثامن من محرم من سنة 749 / 8 أبريل 1348. ولقد تزامن ظهور الطاعون الجارف أو "الطاعون الأسود" بالبلاد الإفريقية مع هذه الهزيمة النكراء ثم اشتدت وطأته ابتداء من شهر ربيع الأول الموالي فصعب الاتصال وعزت المؤن ودعا أبو عنان لنفسه بتلمسان بسند من جمهور الأشياخ في الشهر ذاته. وبذلك انقسمت الدولة على نفسها، فاضطر أبو الحسن أن يغادر إفريقية على التو فأبحر من تونس "أيام استفحال فصل الشتاء" في منتصف شهر شوال من سنة 750 / نهاية دجنبر 1349. وكان أن غرق الأسطول ومعه الجم الغفير من العلماء ورجال الدولة وغيرهم من عامة الناس. ورغم نجاة السلطان ووفود أوليائه عليه من بين عرب سويد وأمراء مغراوة بالمغرب الأوسط، فإنه قد دوفع من قبَل مَن نُصّب بهذه الأنحاء من حلفاء أبي عنان فانتهى به الأمر إلى اللجوء إلى مدينة سجلماسة ثم غادرها مضطراً سنة 751 للهجرة في اتجاه الجبل حيث حط الرحال بأرض هنتاتة إلى أن عبأ جيشاً من المصامدة وعرب الحوز وتانسيفت بهدف استرجاع مراكش والانطلاق منها كقاعدة لاسترجاع ملكه. ومع أنه قد وفق في احتلال مراكش واستعد لمواجهة الخصم، إلا أن لقاء المعسكرين على ضفاف أم الربيع قد أسفر عن انهزام السلطان في آخر صفر سنة 752 / منتصف أبريل 1351. وخلص أبو الحسن مهزوما إلى بلاد هنتاتة فنزل ابنه على الجبل واستعد للتضييق على أهله فلم يجد السلطان بدا من استعطافه فبعث إذاك أبو عنان من يلتمس له العفو والرضى من أبيه "فرضي عنه وكتب له بولاية عهده" قبل أن يعتل بمنفاه ويهلك أواخر شهر ربيع الأول أو ربيع الثاني على اختلاف في الروايات سنة 752 / مايو أو يونيه سنة 1351.

وهكذا يكون أبو الحسن قد دفع بمجال الحكم المريني إلى أقصى الأراضي الإفريقية فضمن بذلك لدولته الحضور والإشعاع شرقا ببلاد مصر والحجاز وبلاد الشام وكذا بالجنوب الغربي مما وراء الصحراء وخاصة بمملكة مالي. لذا فإن عهده قد ظل مقترنا بفترة الأوج المريني رغم ما آلت إليه التجربة بالنسبة لصاحبها من فشل ذريع ومتاعب. ومما زاد من شأو أبي الحسن أثناء مدة حكمه وبعد مماته أنه قد أرفق مشروعه الشمولي بسياسة دينية ـ اجتماعية مرنة سمحت له بالتعامل مع كل من الفقهاء والمتصوفة والأشراف ونيل الحظوة لدي الكثيرين منهم ولدى العامة من جمهور الرعية. ومن جهة أخرى فإن هذه السياسة قد تجسدت فيما خلفه السلطان نفسه من منشآت دينية ومؤسسات علمية أو اجتماعية بكثير من مدن المغرب وخاصة بفاس وسبتة وسلا ومكناسة ومراكش حيث حرص على إقامة المعابد وتأسيس المدارس وبناء القناطر وتنظيم الجبايات وإنشاء المحارس و "المناظر" بغية تأمين السواحل والطرق. ومع أن أبا عنان سوف يعمل علي استلهام نفس التوجه واقتفاء أثر والده مع تعديل الخطة والأسلوب، إلا أن الهزة العميقة التي كان قد تسبب فيها هو نفسه قد حكمت على المد المريني بالتوقف رغم المظاهر كلها كما حكمت على الدولة بولوج منعطف تقهقري لا رجعة فيه.

ابن الأحمر، *روضة النسرين في دولة بني مرين*، الرباط، 1382 / 1962، ص. 25 ـ 26 ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، بيروت، 1379 / 1959، المجلد السابع، ص. 525 ـ 598 ؛ *التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا*، القاهرة، 1370 / 1951، ص. 19 ـ 55 ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، الدار البيضاء، 1988 / 1409، ص. 106 ـ 153 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر، 1401 / 1981 ؛ *ملعبة الكفيف الزرهوني*، الرباط، 1407 / 1987 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط 1401 / 1980، خاصة ص. 137 ـ 179 وكذلك :

M. A. Manzano Rodriguez, *La intervencíon de los Benimerines en la Penísula Ibérica*, Madrid, 1992, 215 - 308 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen-Age*, Paris, 1986 ; R. Thoden, *Abû l-Hassan 'Ali, Merinidenpolitik zwischen Nordafrika und Spanien in den Jahren 710-752 H. / 1310-1351*, Freiburg, 1973.

محمد القبلي

**حَسَن ـ نْ ـ وَاهْرَا**، مقاوم لعب أدواراً مهمة في مساعدة المجاهدين بسوس وأيت باعمران. وُلد حوالي سنة 1298 / 1880 في أگدال ـ ن ـ تَالامْت بوادي سوس، ومات والده وهو صغير، فعاش مع أمه قائما بمسؤولية رب الدار، فأكسبه ذلك حنكة وقوة الشخصية، ومع ذلك كان إنسانا مرنا محبوبا لدى العامة والخاصة.

اشتغل منذ صغره بالتجارة البسيطة بين مراكش وتارودانت والأطلس الصغير، لكن لـمّا وصلت جيوش الحماية إلى تارودانت توقفت التجارة عن طريق القوافل، فكانت جبال جزولة (الأطلس الصغير) معقلا للمقاومة السوسية بزعامة المجاهد أحمد الهيبة وأخيه من بعده مُربّيه ربّه، وكان حسن هذا من الشخصيات التي عملت على نقل السلاح وخاصة البندقية الرُباعية التي تعد في ذلك الوقت سلاحا فعّالاً بالقياس إلى الأسلحة التقليدية العتيقة، مثل بُوشْفْرْ وبُوحْفْرَا وسَاسْبُو القصير وبُوحبّا وأَصُوهَايْ.

كانت مهمة حسن ـ نْ ـ واهْرا الحصول على البندقية الرباعية إما عن طريق الفتك بحاملها من الجنود الفرنسيين، أو عن طريق التوصل لها من مهرِّبي هذه البنادق من القبائل المجاهدة في الأطلس المتوسط وخاصة أيت عطا وأيت خبّاش ...

أما كيف ينقل حسن هذا السلاح، فإنه يعمد إلى شراء الأسطل التي ينقل بها الماء، فيعمد إلى تثقيبها وتجويفها ماعدا السطل الذي في أسفل الكرْز (الشواري) ثم الذي

في أعلى الأسطل، بينما البندقية داخل الأسطل المجوفة المربوطة على ظهر البغل، وليس معها أي شيء، فكل سطل داخل في الآخر، ولا يعقل أن يتاجر الرجل في أسطل مجوّفة في نظر الحراس.

أما الطريقة الثانية لنقل السلاح فكان يخيط بندقية واحدة في بَرْدَعة بغله، وبهذه الطريقة استطاع هذا الرجل أن يزوّد كبار القوم في جبال جزولة بالسلاح الضروري. ولا ننس أن ثمن البندقية الرباعية في ذلك الوقت يصل إلى مائة ريال حسنية، لذلك لا يحصل على هذا السلاح إلا القادة الكبار، لذلك أفاد واستفاد وكان مشهوراً ببائع السلاح.

لذلك قامت فرنسا بمراقبته، ولما ثبت لديها اتصاله بأيت باعمران، سلطت عليه ابن القائد مالك ليراقب حركاته وسكناته، مما جعل مترجمنا هذا يرد على ابن القائد بقوله : "ما عرف قيمتك الكفْريّة إلا النصارى الذين عينوك علينا هنا" فأجابه ابن القائد مالك، والله سأتابعكم حتى أصادر أموالكم، وأبيع حتى ما تسدون به بيوتكم. وفعلا نفّذ ذلك ظلماً وعدوانا، وما أكثر أمثاله في ذلك الوقت، فويل لهم مما كسبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون، أما حسن ـ نْ ـ واهرا فقد قبضت عليه سلطة الحماية وسلم للقائد علي ولد منصور بأگدال بوادي سوس سنة 1349 / 1930 إلى أن مات في السجن بعد عدة شهور من إلقاء القبض عليه في نفس السنة.

الحسين الجهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*.

الحسين الجهادي

**الحسناوي، أحمد بن العربي** بن المكي المعمّري المحمّدي المعروف عند السلاويين "بالفقيه الحسناوي" وُلد حوالي سنة 1295 / 1878 بدوار البگارة الواقع على الضفة اليسرى من نهر الردم بقبيلة بني حسن، ولاشك أنه تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه، ثم أكمله بالأخذ عن شيوخ المدن التي كان يقيم فيها أبوه، ولا سيما فاس، حتى اكتسب مسكة من العلوم الوقتية أهلته لينخرط في الأسلاك المخزنية.

لما انتقل أبوه إلى السكنى بسلا اشترى "سانية" بستاناً كبيراً بوسط مدينة سلا أمام السوق البلدي وبنى بها دار سكناه التي ما تزال قائمة حتى اليوم. وقد جزئت السانية وأصبحت حياً سكنياً كبيراً يحمل اسم "سانية الحسناوي".

ظل الفقيه الحسناوي يسكن بالمدينة السلاوية معظم حياته معدوداً من أعيان كتاب دار المخزن، ثم رُقي إلى درجة نائب للصدر الأعظم الحاج محمد بن عبد السلام المقري وكان في آخر حياته يقيم أحياناً بالرباط مع بقاء سكناه بسلا.

ومع أنه كان منقبضاً منعزلاً فقد كان من مُرافقيه فقيه أديب سلوي وموظف مخزني مثله هو العربي معنينو المعروف بابن زطيطو، ورجل آخر من أعيان سلا هو حمايد بنغموش الذي عرف عنه أنه كان يخالط رجال السلطة. وكان يتردد على منزله بعض الشخصيات المرموقة التي أصلها بدوي أو التي تنتمي مثله إلى قبيلة بني حسن : مثل القائد العيادي الرحماني والقائد بوجمعة بن مبارك المسفيوي باشا بني ملال والقائد إبراهيم الزهاني قائد أولاد يحيى من بني حسن قرب سيدي سليمان.

كان الفقيه الحسناوي كريماً مضيافاً إذا طرق بابه ولو ليلاً أحد معارفه من أمثال المشار إليهم قدّم إليهم قرى لا يقل عن أربعة أصناف من الأطعمة. ومما يذكر عنه أيضاً أنه كان ولوعاً بالميكانيك، عندما يرجع من دار المخزن ينزع ثيابه الفخمة ويرتدي لباساً عادياً مثل الفريول ويشمر عن ساعده لإصلاح الساعات الجدارية التي كانت عنده، ويصلح سيارته التي كان يقودها بنفسه.

أدركته الوفاة بمدينة الرباط حوالي سنة 1378 / 1958 عن نحو ثمانين سنة ولم يخلف عقباً.

*معرفة شخصية ورواية شفوية عن مَحمد البوعناني السلاوي،* (حلاق الفقيه الحسناوي وملازمه).

**الحسناوي، العربي** بن المكي المعمّري المحمدي السلاوي ينتمي إلى فرقة أولاد مَحمد من قبيلة بني حسن شمالي مدينة سلا، تقلب في مناصب مخزنية وقضائية، وكان في صدر القرن العشرين الكاتب الثاني للصدر الأعظم، ذا جاه عند قبيلته التي كانت تلجأ إليه لإخباره بما يروج عندها. له مراسلات بالخزانة الصبيحية بسلا. ولما أصبحت الرباط عاصمة إدارية انتقل إلى السكنى بسلا مع أهله، وخلف بها ذرية، منها ولده الأديب الكاتب أحمد سابق الترجمة الذي خلفه في الوظائف المخزنية.

توفي العربي الحسناوي يوم 16 حجة 1332 / 14 أكتوبر 1913.

م. بوشعراء، *علاقات المخزن بقبيلة بني حسن*، 1860 ـ 1912، ص. 24 ؛ *تقييد بالخزانة الصبيحية*.

E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, p. 208.

مصطفى بوشعراء

**الحسناوي، محمد بن يوسف الفاسي**، صوفي كبير ومربّ شهير. قال عنه الحوات في *الروضة المقصودة* : "الشيخ القوي الإمداد والإيراد الولي الصالح، والمتبحر الرابح، أبو عبد الله محمد بن يوسف الحسناوي، نسبة على غير قياس للبلد المعروف في المغرب في ساحل وادي سلا الذي يسكنه أهل العهود من عرب الحجاز سليم وهلال الذين أدخلهم للمغرب السلطان يعقوب المنصور الموحدي. كان صاحب الترجمة ... شيخا مملوءاً أسراراً، تتلألأ طلعته أنواراً، ويخبر بالمغيبات، وتقضى عند دعائه الحاجات. كان له أتباع ظهرت عليهم آثار الانتفاع. أخذ رضي الله عنه

عن الشيخ الأشهر الولي الأكبر أبي الحسن علي ابن حمدوش وإليه ينتسب".

يبدو من خلال هذا النص أن صاحب الترجمة من تلامذة علي ابن حمدوش المجذوب (ت. 1135 / 1722) دفين جبل زرهون الذي تنسب إليه طائفة حمادشة المشهورة. وحسب الحوات فهو وارث سر علي بن حمدوش، حيث كان يدير شؤون الطائفة الحمدوشية بفاس.

ويعد الحسناوي من شيوخ التاودي ابن سودة في التصوف، كما في *الفهرسة*.

توفي بالطاعون كما في *فهرسة* التاودي ابن سودة حيث يقول : "دخلنا عليه زمن الوباء وهو مريض بداره، فعدناه وقلنا له ادع للمسلمين فإن هذا الأمر كاد يفنيهم، فقال : هذا أمر الله وليس بأيدينا شيء". وكانت وفاته سنة ست وخمسين ومائة وألف / 1744 ودفن بزاويته الكائنة بِسَبُّوسة قرب درب اللمطي من عدوة فاس الأندلس.

التاودي ابن سودة، *فهرسة* ؛ م. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. ع. تيلاني، الدار البيضاء، 1995.

عبد العزيز تيلاني

## الحسني، أحمد بن محمد ← الشريف السبتي

**الحسني الإدريسي**، أسرة أسفية شريفة من حفدة المولى إدريس بن إدريس، استقر جدهم يوسف بن عبد الصمد الحسني الإدريسي خلال القرن الثامن (14 م) بأدَّار في بلاد الشياظمة حيث كان معدوداً من مشاهير العلماء والصلحاء. وما يزال قبره مزارة في قرية أوناغي بالقرب من الصويرة، واستوطن حفدته مدينة أسفي وعرفوا بأولاد الناظر واشتهر منهم عدد من الأعلام.

م. الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ *جواهر الكمال*، القسم الثاني المخطوط.

**الحسني الإدريسي، إبراهيم** بن عبد الله الأسفي أحد مشاهير فقهاء مدينة أسفي ومحتسبيها، من حفدة الولي الصالح يوسف بن عبد الصمد الحسني الإدريسي جدّ أولاد الناظر الأسفيين. توفي عام 1270 / 1853.

**الحسني الإدريسي، عبد السلام** بن مولاي الحاج الأسفي، أحد أبرز وجوه العلم والثقافة والتربية والتعليم في النصف الأول من هذا القرن. وُلد بأسفي عام 1311 / 1893 في بيت علم وشرف وتلقى تعليمه على يد نخبة من علماء المدينة وخاصة على أبيه مولاي الحاج. وانتقل عام 1340 / 1921 إلى مدينة فاس للدراسة بجامع القرويين فقرأ على الشيوخ أحمد القادري وعبد العزيز بناني وأحمد بن المامون البلغيثي ... وبعد تخرجه رجع إلى مسقط رأسه حيث انخرط في سلك العدالة، غير أن ميوله الشديدة للتدريس والتربية جعلته يتطوع بإعطاء دروس خاصة إلى جماعة من الشباب والكهول.

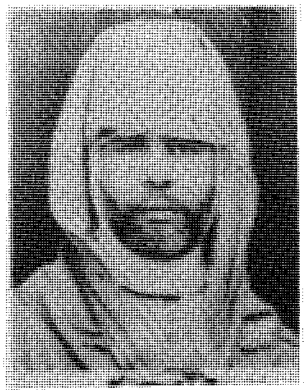

وفي سنة 1350 / 1931 فتح مدرسة حرة تعتمد برامجها على أسس بيداغوجية حديثة وتستمد روحها بالأساس من فكرة الحركة السلفية. فاعتنت هذه المؤسسة التي عرفت إقبالا كبيراً بتربية تلاميذها تربية وطنية وبنشر الثقافة والعلم والحضارة العربية الإسلامية مع التفتح على الحضارات الأجنبية والأفكار الحديثة. ورغم الصعاب ومضايقات الإدارة الاستعمارية فإنها نجحت في مهمتها واستطاعت أن تؤدي الرسالة التي أحدثت من أجلها، وتخرج منها بالفعل مجموعة من الشبان الأسفيين الذين كان لهم فيما بعد حضور متميز بشكل مباشر أو غير مباشر في المجالين السياسي والثقافي.

ولقد زار المرحوم علال الفاسي عام 1351 / 1932 "مدرسة مولاي عبدَ السلام" وتعرّف على برامجها وسير الدروس بها فأعجب بها ونوه بصاحبها في وثيقة كتبها بيده، توجد الآن بحوزة أسرة المترجم ومما جاء في آخرها : "...فيجب على كل من يستطيع الإرشاد والتنوير أن يفتح للناس بصائرهم وينبههم إلى مواقع الغلط التي يأتيهم منها الخطر ويكون على بينة من أمره لا ينكر القديم لقدمه، ولا يستنكف من الانتفاع بما استجد في العصر لحدوثه، عاملا بقول الشاعر :

إن هذا القديم كان جديدا ... وسيغدو هذا الجديد قديما

عليه أن يكون من الذين ينظرون إلى الأساليب فيقتبسون أنفعها ويستمعون القول فيتبعون أحسنه... 15 جمادى الأولى 1351، كتبه بمدينة أسفي عن استعجال محمد علال الفاسي".

توقف نشاط "مدرسة مولاي عبد السلام" عام 1366 / 1946. ومنذ ذلك الحين وإلى غاية وفاته اعتزل المترجم الناس ولازم بيته، ولم يكن يستقبل إلاّ أفراد عائلته الأقربين وبعض تلامذته ... إلى أن توفي يوم الخميس 23 ربيع الأول عام 1393 / 26 أبريل عام 1973 ودفن بمقبرة سيدي منصور بأسفي. ولقد ودعت المدينة ابنها البار في

موكب رهيب إلى مرقده الأخير، كما أقامت يوم 2 جمادى الأولى عام 1393 / 3 يونيو 1973 حفلا تأبينيا كبيراً شاركت فيه نخبة من المثقفين بكلمات نثرية وقصائد شعرية. وجاء في آخر كلمة تلميذه الأستاذ التهامي بن علال الوزاني : "... لقد كنتَ أول مؤسس لأول مدرسة للعلم والعرفان ينهل منها شباب ذلك الجيل من علمك ووطنيتك الصادقة ورجولتك الفائقة وتضحياتك الغالية ... إن حياتك تاريخ وعملك رسالة وخلقك قدوة وكفايتك ثروة ومصابك مصاب أمة لامصاب أسرة ..."

*ورقات مرقونة* من إعداد اللجنة المشرفة على إحياء الذكرى الأربعينية لوفاة العالم عبد السلام بن مولاي الحاج الحسني (3 يونيو 1973) ؛ *وثيقة المرحوم علال الفاسي بخطه* ؛ *شهادات شفوية*.

عبد الرحيم العطاوي

**الحسني**، (أزمة –) يقصد بها تلك الأزمة النقدية التي عرفها المغرب غداة صدور ظهير 21 محرم عام 1338 / 16 أكتوبر 1919 الذي ينص على تحرير الصرف وانتهاء عهد التكافؤ بين العملتين الرائجتين بالمغرب آنذاك، وهما "الحسني" (نسبة إلي السلطان المولى الحسن، وهي عملة فضية) والفرنك الفرنسي.

ويرجع ذلك التكافؤ إلى فترة الحرب العظمى حيث إن هذه الظرفية الاستثنائية أفرزت ندرة الفضة في الأسواق العالمية، خاصة بعد أن توقف المكسيك عن تزويدها بهذا المعدن. وكانت نتيجة ذلك أن ارتفع سعر الفضة عبر العالم. وقد تأثر المغرب بانعكاسات السوق العالمية، فشهد حالة من عدم الاستقرار في الصرف فيما بين "الحسني" والفرنك، ولجعل حد لهذا الاضطراب فرضت السلطات، ابتداء من 8 أكتوبر 1917، تكافؤا بينهما.

وهكذا، إذن، عادت للصرف حريته بعد ظهير 1919. وفجأة أصبح "الحسني" موضوع المضاربة والاحتكار، فوصل سعره إلى أرقام قياسية أزعجت المعمرين، خاصة منهم أولئك الذين كان عليهم أن يردوا ديونا بهذه العملة. وكان فزعهم مصدر شرارة غضب تجلت أصداؤه في مظاهرات صاخبة بشوارع الدار البيضاء لم تهدأ إلا بعد أن تشكلت لجنة عهد لها بالتفاوض مع السلطات الرسمية من أجل رفع الضرر عن المعمرين. ورغم هذا الاحتجاج، فقد استمر "الحسني" في التداول بحرية حتى إلغاء رواجه رسميا في مارس 1920.

J. Baida, *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*, Rabat, 1996, p. 103-105.

جامع بيضا

**الحسني السجلماسي**، أسرة شريفة بتافيلالت، هكذا كانت تنتسب قبل أن يؤول إليها ملك المغرب في النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م) ومن ثم سموا علويين نسبة إلى جدهم مولاي علي الشريف (ت. 847 / 1443) دفين الرصاني من تافيلالت. وسميت دولتهم الدولة العلوية.

**الحسني السجلماسي، أحمد** بن **عبد الواحد**، أديب شاعر ناثر نشأ في مراكش على عهد أحمد المنصور الذهبي، والعلماء والأدباء متوافرون في حاضرة الدولة، وفي مقدمتهم والده المفتي الخطيب الأديب عبد الواحد آتي الترجمة، فلازم مجالسه الخاصة ودروسه في جامع الشرفاء بالمواسين، كما لازم دروس ومجالس غيره من علماء الحاضرة وأدبائها. اجتمع به أحمد المقري صاحب *نفح الطيب* أثناء زيارته لمراكش وأعجب بذكائه وقريحته الشعرية وأثنى عليه كثيراً في *روضة الآس* وأورد نماذج من شعره، وسجّل بحزن وتأثر موت هذا الأديب اليافع في ذي الحجة متم عام 1009 / يونيه 1601 متأثراً بالوباء الذي حل بمراكش في هذه السنة.

أ. المقري، *روضة الآس*، ص. 202 ـ 204 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 104 ـ 105 ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، ص. 36 ؛ *نشر*، *موسوعة أعلام المغرب*، 3 : 1108 ؛ إ. الفصيلي، *الدرر البهية*، الجزء الأول ؛ ع. گنون، *النبوغ*، 3 : 79 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 2 : 250 ـ 251 ؛ م. حَجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 384.

**الحسني السجلماسي، أحمد** بن **محمد** بن الحسن الشريف، والد المفتي عبد الواحد الحسني آتي الترجمة. لم تتحدث عند كتب التراجم إلا ما ذكره ولده عبد الواحد في فهرسه *الإلمام* مما يُفهم أنه كان محدثاً مجازاً من قبل الشيخ عبد الرحمان سقين، لقيه عام 956 وأخذ عنه وأجازه بجميع ما اشتملت عليه *فهرستا ابن حجر وابن غازي*، وأجاز بالتبعية له ولَده عبد الواحد، صاحب الفهرس وذكر نص الإجازة. ولأحمد الحسني إجازة أخرى من الشيخ محمد خروف التونسي، أجاز كذلك بالتبعية عبد الواحد الحسني.

توفي بعد سنة 956 / 1549.

ع. الواحد الحسني، *الإلمام ببعض من لقيت من علماء الإسلام*، مخطوط، ص. 73 ـ 74.

**الحسني السجلماسي، أحمد** بن **يوسف** بن بركة الشريف. انفرد بترجمته معاصره وبلديّه عبد الله الفاسي في *الإعلام بمن غبر*، ولم يذكر شيوخه المغاربة، ويفهم من وصفه بالحاج المجاور أنه مكث مدة طويلة بالشرق، وربما التحق به وهو ما يزال في عهد الطلب، لأنه أخذ في الحجاز عن شيخه صفي الدين أحمد القشاشي المكي عن شيخه أحمد الشناوي عن شيخه صبغة الله الهندي بأسانيده

المذكورة في *الجواهر الخمس* له. ولقي جماعة عنده من مشايخ المشرق والمغرب وانتفع بهم.

كان المترجم عارفاً "بطريقة الأسماء والأوفاق". وتوفي بفاس يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الثاني عام 1072 / 13 دجنبر 1661.

عبد الله الفاسي، *الإعلام بمن غبر* ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 4 : 1509.

**الحسني السجلماسي، عبد الله** بن علي بن طاهر. عالم مشارك أستاذ محدث، وصالح زاهد ناقد. وُلد بمدغرة قرب الرصاني في حدود عام 960 / 1552. ودرس بها قبل أن ينتقل إلى مدينة فاس ويأخذ عن أعلامها وفي مقدمتهم عالم المعقول والمنقول أحمد المنجور، وإمام أهل الحديث محمد بن قاسم القصار. وأخذ عنه جماعة من أعلام عصره كأبي بكر التطافي فقيه سجلماسة ومدرسها، ومحمد بن سعيد المرغيثي صاحب المؤلفات الشهيرة في الفلك والتوقيت، ومحمد العربي بن يوسف الفاسي، وولداه عبد الهادي ومحمد آتيا الترجمة.

كان المترجم يعد أحد حفاظ المغرب الثلاثة المبرّزين في عصره، وأرجف بعض حساده بقولة نسبوها إلى معاصره الشيخ المحدث مَحمد بن أبي بكر الدلالي - وهو منها براء - : "حفاظ المغرب ثلاثة، حافظ ضابط ثقة هو أحمد بن يوسف الفاسي، وحافظ ضابط غير ثقة هو أحمد المقري، وحافظ غير ضابط ولاثقة هو عبد الله بن علي بن طاهر" وقد استنكر هذه المقولة كل من سمعها أو رواها منذ عصر ابن طاهر إلى اليوم. ولا عجب أن يكثر خصوم المترجم وحساده ويختلقوا ضده الأباطيل والأراجيف، فقد كان شديد الإنكار على أصحاب البدع مهما علت درجاتهم الاجتماعية، ومع ذلك كان يتمتع بتقدير كبير من لدن السلطان أحمد المنصور الذهبي وكبار رجال بلاطه والمنصفين من أقرانه العلماء والصلحاء.

درّس عبد الله بمراكش وتافيلالت وامتاز بمزايا عديدة في ميدان التعليم : إحكام صناعة التدريس وجودة الإملاء والتعبير، لا سيما في تفسير القرآن الكريم، حيث يمزجه بأسباب النزول وأحوال النبوة وقواعد اللغة والبلاغة، كما امتاز بالمعرفة الواسعة بأيام العرب وأنسابها وسيرة الرسول عليه السلام والخلفاء الراشدين وتاريخ المسلمين عامة، والفرق الدينية من سنية ومبتدعة معتدلة أو مغالية، إلى فهم ثاقب للإسلام المصفّى، ورسوخ العقيدة السمحة النقية، فكان "سلفيّ" عصره يشنع على المزيفين من المتصوفين، والمتجبرين من الولاة الظلمة، فلحقه منهم أذى عظيم ولم تلن قناته.

ألف عبد الله بن علي بن طاهر في التفسير والحديث والعقائد والجهاد والأدب، من ذلك : *الدر الأزهر في مناسبات الآيات والسور* ؛ *والدر الأزهر المستخرج من بحر الاسم الأطهر*، جمع فيه اثنين وسبعين فناً من فنون القرآن على غرار كتاب *الإتقان في علوم القرآن* للجلال السيوطي؛ *والدر الأزهر في السيرة النبوية*. وعقيدتان : صغرى وكبرى؛ *معارضة بانت سعاد* ؛ وديوان *أشعار في مدح الرسول الكريم*. *ولباب مراقى الجنة مما ورد في الجهاد في السنة* ؛ *والإسعاف والإنجاد في ذكر الآيات الواردة في الجهاد*.

توفي بمسقط رأسه يوم السبت 12 جمادى الثانية عام 1042 / 24 دجنبر 1632 - على أصح الروايات - وقبره مزارة شهيرة في بلاد مدغرة على الضفة اليسرى لوادي زيز بعيداً عن الرشيدية (قصر السوق) بنحو ثلاثة كيلو ميترات إلى الجنوب. وخصه قريبه علي بن المصطفى المدغري بتأليف : *فتح القدوس القاهر في نسب أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر*.

م. العربي الفاسي، *مرآة*، 186 ؛ أ. العياشي، *رحلة ماء الموائد*، 1 : 15 ؛ ع. الفاسي، *بستان الأذهان*، 26 ؛ أ. العلوي، *الأنوار*، 65 - 66 ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، 1 : 278 ؛ م. ابن العياشي، *زهر*، 62 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 3 - 4 ؛ *نزهة*، 134 - 135 ؛ م. الناصري، *فتح الملك*، 86 - 87 ؛ م. القادري، *الإكليل*، 55 ظ ؛ *التقاط*، 97 - 100 ؛ *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، 3 : 1318 - 1325 ؛ م. الحضيكي، طبقات، 2 : 213 - 215 ؛ م. الزكي العلوي، *المطالع*، 220 - 222 ؛ م. ابن الحاج، *الإشراف*، 85 ظ - 86 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 263 - 265 ؛ ع. المدغري، *فتح القدوس*، الكتاب كله ؛ م. الأهري، *اليواقيت*، 177 - 178 ؛ م. الموقت، *السعادة الأبدية*، 1 : 75 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 302 - 309 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 469 - 471 ؛ م. العلوي، *شرفاء سجلماسة*، 5 - 6 ؛ ل. بروفنسال، *الشرفاء*، 260 وفي هامش 4 بعض مراجع ترجمته ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 522.

**الحسني السجلماسي، عبد الهادي** بن عبد الله بن علي بن طاهر. عالم مشارك أديب ناظم ناثر، غيور مجاهد. تخرّج بوالده وبأقرانه من علماء العصر في تافيلالت وفاس والدلاء. أقبل في بداية أمره على التعليم والإفادة في جامع قصر القصبة بمدغرة يدرّس علوم اللسان والشريعة، وكان كأبيه مهتما بنشر العلم والحدب على الطلبة، فنظم لهم أصعب المصنفات وشرحها ليسهل عليهم إدراكها واستذكارها، كجمع *الجوامع* للسبكي. *وتلخيص المفتاح* للقزويني. ونظم لهم ألفيات في السير، ومصطلح الحديث، والنحو ، وغير ذلك.

اهتم عبد الهادي الحسني بمشكل الحكم القائم آنذاك إثر تمزيق وحدة المغرب السياسية على يد أمراء الزوايا، فناصر المجاهد العياشي السلوي بالسيف والقلم، وحج إلى مكة في آخر عمره فأدركته الوفاة بالمدينة المنورة.

على أن أهم مؤلفات عبد الهادي هو *فلك السعادة*

*الدائر بفضل الجهاد والشهادة*، وهو أهم كتاب أُلف في الجهاد أواخر عهد السعديين، إذ كان المؤلف يعرف أكثر من غيره ظروف الجهاد ومشاكله آنذاك، لمراسه واحتكاكه بالمجاهد العياشي، وربما كان العياشي هو الذي دفعه إلى تأليف الكتاب كما تشعر بذلك المقدمة وان لم تفصح عن اسمه.

و*فلك السعادة* انما هو مختصر من أصل ضخم يبدو أن المؤلف لم يتمكن من تنقيحه بسبب مشاغله الجهادية. على أن هذا المختصر هو بنفس تصميم الأصل أبوابا وفصولا، ولا تنقصه إلا بعض النصوص والتفصيلات الإضافية.

يشتمل الكتاب على مقدمة، واثني عشر بابا (بعدد بروج الفلك) وثمانية وعشرين فصلا (بعدد المنازل)، وخاتمة. يتحدث الباب الأول عن الأمر بالجهاد وحكمه وآدابه، والثاني في معرفة من يحارب، وشروط النكاية والمهادنة، ومنع الاستعانة بالمشرك، والثالث في فصل المسارعة إلى الجهاد، والرابع في ذم الفرار وفضل الثبات في الصف، .. والسادس في ترجيح الجهاد على الحج، وغزو البحر وشهادته وفضل الجرح في سبيل الله، والسابع في وجوب النفقة في سبيل الله بتجهيز الغزاة، وفي أمانة المجاهدين .. بينما تختص الخاتمة بأحكام النفل والسلب والأمان.

يعتمد أسلوب ابن طاهر في هذا الكتاب على الخطاب والتساؤل المثير، مع نفس طويل وتحمس شديد، حتى لتكاد تشعر بالرجل خرج عن طور الاعتدال كلما ذكر ما حل بالبلاد من البلايا، بل إن كلامه أشبه بالخطابة المرتجلة أمام الجمهور منه بالكتابة المدونة في القراطيس. وانك لتجد عنده من نصاعة الأفكار وتسلسلها المنطقي ما تجده عند كبار الكتاب والخطباء المعاصرين، وتعثر في ثنايا كلامه على ألفاظ "الكفاح" و"الجلاد"، و"الاسترقاق" و"الاستعباد"، وعبارات "نصوص الدفاتر" و"حماية الأوطان"، فتخالك تقرأ مقالات وخطب مصطفى كامل وسعد زغلول وأضرابهم من زعماء الوطنية العربية في القرن العشرين.

لم يقف عبد الهادي في الجهاد عند مرحلة النظر والكلام، وإنما شارك في المعارك إلى جانب المجاهد العياشي السلاوي، وحج إلى مكة في آخر عمره فأدركته الوفاة بالمدينة المنورة في أواخر عام 1056 / أوائل 1647.

م. العربي الفاسي، *مرآة*، 186 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج*، 224 ؛ أ. العلوي، *الأنوار*، 66 ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، 2 : 674 ؛ ع. القادري، *الدر السني*، 55 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، 4 : 1423 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 130 ؛ م. الزكي العلوي، *المطالع*، 222 - 223 ؛ م. ابن الحاج، *الإشراف*، 86 و - ظ ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 265 - 267 ؛ ع. المدغري، *فتح القدوس*، الباب الرابع ؛ م. الأزهري، *اليواقيت*، 235 ؛ م. العلوي، *شرفاء سجلماسة*، 6 - 7 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 523.

**الحسني السجلماسي، عبد الواحد** بن أحمد بن محمد الشريف. وُلد بسجلماسة يوم الأربعاء 12 رمضان عام 933 / 12 يونيه 1527، ونشأ بين يدى الشيخ العالم الصالح الزاهد محمد ابن مهدي الجرّاري صاحب الزاوية المعروفة اليوم بزاوية الحنّا في أرباض مدينة زگورة بدرعة. ولعل أسرة عبد الواحد الشريف انتقلت حوالي سنة 934 أو 935 / 1529 إلى درعة. إذ يحدثنا المترجم في فهرسه الإلمام أنه اتصل بالشيخ ابن مهدي وهو ابن سنة ونصف و"نشأ تحت مطارح نظره" وصار يغدو ويروح إلى مجالسه وهو ما يزال "في خدر الصبا" واستمر ملازماً له إلى أن كبر وصار من خلصائه.

قرأ عليه بلفظه أو سماعاً بقراءة غيره كثيراً من الكتب العلمية في الفقه والعقائد والفرائض والحساب والحديث والنحو والتصريف والعروض. منها *صحيح البخاري* مرتين وثالثة إلى كتاب المناقب، و*تهذيب البرادعي*، و*أرجوزتا التلمساني والونشريسي* في الفرائض ؛ و*الخزرجية* في العروض، و*التفسير* أزيد من ختمتين بعضه بابن عطية، و*مغني اللبيب* لابن هشام، و*قوانين* ابن أبي الربيع في النحو، و*تنقيح القرافي* و*شرحه* في الأصول، وكتب كثيرة في التصوف ذكرها. "وأما *مختصر ابن الحاجب* و*خليل* و*ألفية ابن مالك* و*لاميته* و*رسالة* ابن أبي زيد فلا أحصيها عدداً لأن هذه الكتب كان إقراؤه فيها مستمراً على الدوام في المساء والإصباح، فختمناها عليه مراراً وتفقهنا فيها مع الأصحاب بين يديه ليلاً ونهاراً، وجرت فيها في كل ختمة مع أعيان الأصحاب محاورات ومراجعات ودار بيننا فيها أبحاث. ودرس عبد الواحد في نفس الزاوية على كبير طلبة ابن مهدي سعيد بن علي السوسي الأوزالي.

تكوّن عبد الواحد إذاً تكويناً متيناً في زاوية ابن مهدي، ولم يكن تردده على فاس بعد ذلك إلا لأجل إشباع نهمه العلمي بالأخذ عن الإمام أحمد المنجور وطبقته، أو الحصول على إجازات كبار الشيوخ وأسانيدهم. ومن مجيزيه في فاس مباشرةً أبو النعيم رضوان الجنوي، كما أجازه بالتبعية لوالده أحمد الشريف آتي الترجمة وكلّ من الشيخ محمد خروف التونسي والشيخ عبد الرحمان سقين. وأجازه من علماء المشرق بواسطة بعض الحجاج الفيلاليين محمد النشاء الشافعي ومحمد العلقي الشافعي ومحمد الفيشي المالكي المصريين، ومحمد المقدسي وغيرهم.

اتصل عبد الواحد الحسني بالسعديين وعمل في بلاطهم منذ المراحل الأولى لتأسيس دولتهم، وتولى أيام أحمد المنصور خطة الفتوى بحاضرة الدولة، والإمامة والتدريس بجامع الأشراف في حي المواسين. وقد كثر الآخذون عن عبد الواحد الحسني من الطلبة والعلماء حتى عُدّ شيخ الجماعة في عصره.

كان عبد الواحد من جلساء أحمد المنصور المقربين إليه، ينيبه عنه في قضايا المظالم التي كان المنصور يجلس لها

بنفسه أيام الجُمع بعد الصلاة للاستماع إلى شكاوى الناس وإنصافهم، ويكلفه بتحرير بعض المراسلات والوثائق المهمة، كما كان يقدمه - بعد قاضي الجماعة - في إنشاد القصائد المولديات بين يديه في حفلات عيد المولد النبوي. ولعبد الواحد قصائد طوال في مدح الرسول الكريم يختمها بمدح حافده أحمد المنصور. كما كان السلطان يقترح على المترجم تأليف بعض الكتب، ومنها جمع ديوان أشعار أهل البيت الذي اخترمته المنية قبل إتمامه، ويوجد اليوم بخط مؤلفه في الخزانة الزيدانية بالإسكوريال. ومن مؤلفات عبد الواحد الحسني - علاوة على ما سبق - : شرح *مقصورة المكودي* في المديح النبوي ؛ *تعاليق على ألفية ابن مالك* ؛ *اختصار نكت السيوطي على الألفية* ؛ حاشية على *شرح المرادي على الألفية* ؛ *أدبيات* عبارة عن مساجلات وقصائد مبعثرة في مؤلفات معاصريه.

توفي بمراكش يوم الخميس 25 رجب عام 1003 / 6 أبريل 1595 ودفن بضريح القاضي عياض.

ع. الواحد الحسني نفسه، *الإلمام ببعض من لقيت من علماء الإسلام*، الفهرس كله (مخطوط) ؛ أ. ابن القاضي، درة، 3 : 140 - 142، رقم 1096 ؛ *لقط الفرائد*، *موسوعة أعلام المغرب*، 2 : 851 ؛ *المنتقى المقصور*، تح. م. رزوق الرباط، 1986، 1 : 248 و376 و406 ؛ ع. التمنارتي، *الفوائد*، 41 - 44 ؛ العلوي، *الأنوار*، 58 ؛ م. القادري، *الدر السني*، 58 ؛ م. الطيب الفاسي، *مطمح*، 1003 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 134 - 135 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، 2 : 277 - 279 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 111 وفي مواضع متفرقة ؛ أ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 103 - 104 ؛ م. الأهري، *اليواقيت*، 227 - 228 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 522 - 525 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 775 ؛ أ. النميشي، *تاريخ الشعر*، 25 ؛ م. ابن تاويت التطواني، *الوافي بالأدب*، 3 : 660 - 663.

## الحسني السجلماسي، محمد بن عبد الله بن

**السيد**، خطيب الجامع الأعظم بالقصبة السجلماسية، لقيه به الرحالة أبو سالم العياشي في طريقه إلى الحج، وكتب عنه في الرحلة : "له دراية بالفقه والنحو، وله مشاركة في العلوم، أديب كاتب ... مسرع الجواب محققه، لا يتكلم في مسألة علمية إلاّ وكشف عنها الغطاء".

توفي بعد عام 1072 / 1662.

أ. العياشي، *رحلة ماء الموائد*، 1 : 17 ؛ أ. العلوي، *الأنوار*، ص. 73 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 528.

## الحسني السجلماسي، محمد بن عبد الله بن

**علي** بن طاهر، يعرف في تافيلالت بسيدي ابن علي. درس بفاس على الشيخ عبد القادر الفاسي، ورحل للحج فلقي مشايخ هناك وأخذ عنهم. آتاه الله بسطة في العلم والمال، وجمع له بين حسنتي الدين والدنيا. فكان مدرسا نفاعا، وثريا معطاء، وعابداً متبتلا. ولي قضاء تفيلالت فحمدت سيرته فيها، وتتلمذ له الكثيرون في مدغرة وفاس، وكان من جملة الآخذين عنه عبد الرحمان الفاسي صاحب *الأقنوم*، والرحالة أبو سالم العياشي مؤلف *ماء الموائد*.

توفي بمسقط رأسه مدغرة مطعوناً عام 1089 / 1678.

أ. العياشي، *اتحاف الاخلاء*، 4 ؛ *رحلة ماء الموائد*، 1 : 15 - 16 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج*، 298 ؛ أ. العلوي، *الأنوار*، 66 ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، 39 و235 - 236 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 203 ؛ م. القادري، *نشر*، *موسوعة أعلام المغرب*، 4 : 1719 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة، رقم 357 ؛ أ. الخياط القادري، *تقاييد*، 9 ؛ م. الزكي العلوي، *المطالع*، 223 ؛ ع. المدغري، *فتح القدوس*، الباب الرابع ؛ ع. الكبير الفاسي، *تذكرة المحسنين*، *موسوعة أعلام المغرب*، 4 : 1618 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 267 - 268 ؛ م. العلوي، *شرفاء سجلماسة*، 7 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 524.

## الحسني السجلماسي، محمد بن عبد الواحد

ابن أحمد الشريف. وُلد بمراكش وبها درس على والده الفقيه المفتي الأديب عبد الواحد في جامع المواسين وعلى غيره من شيوخ التدريس المتوافرين آنذاك بحاضرة السعديين، فكان هو وأخوه أحمد سابق الترجمة كفرسي رهان في ميدان الأدب والشعر، إلى جانب جيل من الشبان العلماء أبناء رجال البلاط وعلية القوم. لقيه أحمد المقري في رحلته الأولى إلى مراكش وعاشره مدة وأعجب بذكائه وعلمه وخاصة شعره الرائق. وكتب عنه في *روضة الآس* : "لقيته بمراكش - حماها الله - فشاهدت منه أديبا برع في فنه، وجمع العلوم على حداثة سنه، طلع هو وأخوه الآتي بعده بأفق الحضرة بدري هاله، وكل منهما قد انتمى له الفهم الثاقب وانتهى له، ولِمَ لا وقد درت عليهما الدولة الأحمدية المنصورية المولوية أيدها الله من أخلافها، ومن قبلُ على أبيهما شيخ الجماعة الإمام المفتي، فلا غرو إن كانت الفروع تابعة لأصولها وأسلافها... إلا أنه عاجله الحمام، وكسف بدره قبل التمام".

خلف محمد الحسني والده في إلقاء القصائد المولديات بين يدي أحمد المنصور، وبالرغم على أنه عمّر ستة أعوام بعد والده أي يفترض أن تكون له خمس أو ست من هذه القصائد الطوال، إلا أنه لا يعرف منها الآن سوى واحدة همزية أنشأها وأنشدها في قصر البديع في ربيع السنة التاسعة التي توفي فيها أثبت المقري منها ستين بيتاً، كمقاطع فقط، تدل على متانة لغة الشاعر الشاب وسلاسة تعبيره وطول نفسه الشعري. والنماذج الشعرية الأخرى التي أوردها المقري في أغراض مختلفة هي كل ما بقي من شعر المترجم.

توفي مطعوناً في مراكش في ذي القعدة عام 1009 / ماي 1601.

أ. المقري، *روضة*، 192 ـ 204 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 104 ـ 105 ؛ م. الطيب الفاسي، *مطمح*، مخطوط ؛ م. القادري، *الأكليل*، 8 و37 ؛ *التقاط*، 35 ؛ نشر، *موسوعة أعلام المغرب*، 3 : 1107 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 104 ـ 105 ؛ م. ابن الموقت، *السعادة*، 2 : 128 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 190 ـ 191 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 384.

**الحسني السجلماسي، محمد بن محمد** (بن محمد) بن أبي القاسم الشريف ابن عم المفتي عبد الواحد الحسني سابق الترجمة، درس بفاس على الإمام أحمد المنجور وشيخ النحاة محمد بن مجبر المساري حلاّه صاحب *الجذوة* "بالفقيه الخطيب المشارك النحري المتفنن" وذكر له *تعليقاً على ألفية ابن مالك*.

انتقل إلى مدينة مراكش ودرّس بها حيث أخذ عنه قاضيها عيسى السكتاني. وتولى الخطابة بجامع الأشراف لأول مرة بعد أن أتم بناءه السلطان عبد الله الغالب السعدي.

توفي محمد الحسني بمراكش عام 988 / 1580.

أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 325 ؛ *درة الحجال*، 2 : 213 ؛ *لقط الفرائد*، *موسوعة أعلام المغرب*، 2 : 938 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 42 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 171.

محمد حجي

**الحسني الشفشاوني** ← ابن **راشد العلمي** ...

ابن **الحُسْني العلمي**، أسرة رباطية من شرفاء جبل العلم اليملاحيين، لم يرد في المصادر المعروفة من أين أتت ولا متى حلت بمدينة الرباط ولعل الوثائق العائلية للأسرة تنبئ بذلك. وأول من يُذكر منها هو محمد الغازي ابن الحسني آتي الترجمة.

وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن هذه الأسرة أتت من وزان، ففي بداية القرن الثالث عشر (19 م) وجد بالرباط أفراد يحملون اسم ابن الحسني مثل المكي بن عبد الله ابن الحسني الذي كان قاطنا بالرباط في جمادى الثانية عام 1211 والحُسني بن التهامي الذي توفي بالرباط يوم الأحد 12 محرم 1214، وهذان الأخيران جاءا من وزان كما يذكر الضعيف، لكن لا نعلم هل كانا هما الأصل الذي تفرعت عنه أسرة ابن الحسني الرباطية.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعدية*، تح. أحمد العماري، الرباط 1986.

عبد الإله الفاسي

ابن **الحُسني العلمي، عبد الكريم** بن محمد المدني بن محمد الغازي، وُلد بالرباط وبها نشأ ودرس على علمائها وبخاصة والده. كان يلازم دروسه في البيت، وفي المسجد الكبير متكئاً على سارية خلف صف الطلبة، لا يُحضر معه كتاباً ولا يناقش، صامت هادئ دائماً يمشي الهوينا ويتحدث بصوت منخفض، وإذا انبسط أتى بنكت أدبية وتاريخية طريفة وتبسم وأشرقت أسارير وجهه الأشقر الوضاء، ولمعت عيناه الشهلاوان تحت نظارتيه السميكتين.

يحسن المذاكرة في مختلف الموضوعات الفقهية واللغوية والبلاغية، ويمتاز في تاريخ الإسلام والأندلس والمغرب بصفة خاصة. قليل الكتابة لكنه إذا كتب أفاد وأغنى. نشر في مجلات مغربية وعربية كانت تصدر في الثلاثينات والأربعينات بحوثاً تاريخية قيمة بتوقيع "ابن خلدون الصغير"، وقليل منها بإمضائه الصريح لا سيما ما يتعلق بعيد العرش. كان محط تقدير كبير من طرف المؤرخ النقيب عبد الرحمان ابن زيدان، والمترجم هو الذي قدّم كتابه *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس* وراجعه ووضع فهارسه الثمانية في كل جزء من أجزائه الخمسة المطبوعة، وهي أصحّ وأدق فهارس ما نُشر بالمغرب من كتب التاريخ والتراجم قبل نحو سبعين سنة.

عاش عبد الكريم ابن الحسني مع والده بمنزله الفخم قرب المسجد الكبير بالرباط، في عفاف وكفاف واقتصاد أكلاً وشرباً ولباساً، رغم ما آتاه الله من بسطة في الرزق، ووظيفه السامي بدار المخزن، إلى أن أدركته الوفاة مساء يوم الأحد سادس وعشري شوال عام 1392 / 3 دجنبر 1972.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الجزء الأول + فهارس الأجزاء 5 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3443 ؛ مجلة *رسالة المغرب*، الرباط، 19 ؛ *معرفة شخصية وصحبة*.

محمد حجي

ابن **الحُسْني العلمي، محمد الغازي** بن الحاج الحَسَني الرباطي، فقيه مشارك ميال إلى الحساب والتوقيت والأدب. زاوج بين طلب العلم والتجارة. ومن شيوخه العالم الصالح العربي ابن السايح وشيخ الجماعة

إبراهيم التادلي الرباطي. تزوج محمد الغازي ابن الحسني بنت الأمين عبد السلام التازي المعروف بموخا وكان من كبار رجال دولة السلطان الحسن الأول، وحضر حفلة الزواج عدد من أعيان الرباط، ومنهم الشاعران أحمد جسوس وأحمد الزعيمي فأنشدا قصيدتين مطولتين في التنويه بشرف أسرة ابن الحسني وكريم خصال محمد الغازي.

توفي محمد الغازي بالأسكندرية مرجعه من الحج عام سبعة وثلاثمائة وألف / 1889.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1930، أجزاء 2-3-5؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط 1987؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط 1986؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، الرباط 1969.

عبد الإله الفاسي

ابن **الحُسْني العلمي، محمد المدني** بن محمد الغازي الحَسَنيّ الرباطي. وُلد فجر يوم عيد المولد النبوي ثاني عشر ربيع الأول عام 1307 / 6 نونبر 1889، وهي السنة التي توفي فيها والده بالأسكندرية مرجعه من الحج، فكفله جده لأمه الأمين الشهير عبد السلام التازي سابق الترجمة. ودرس في مسقط رأسه على علماء العدوتين، أمثال عمه محمد ابن الحُسني وعبد الرحمان بريطل ومحمد المكي البطاوري والجيلالي ابن إبراهيم وأحمد بن قاسم جسوس ومحمد الرندة الرباطيين، والحافظ السلفي أبي شعيب الدكالي، وأحمد ابن موسى الهمساسي السلاوي تلميذ الشيخ أبي المواهب العربي ابن السائح ووارث سره في الحديث الشريف حفظاً وفهماً وإلقاءً، فكان المترجم نسخة طبق الأصل للشيخ ابن موسى وشيخه أبي المواهب ابن السائح في الدروس الحديثية التي سارت بذكرها الركبان. وهي دروس عالية في غاية الإمتاع والإفادة، معدّل الدرس

ساعتان، يلقيها في ضريح أبي المواهب ابن السائح أو الجامع الكبير بالرباط. ومثلها في المتعة والطول دروسه في الأصول والنحو والبلاغة والفقه والسيرة وغيرها. حضرت جملة منها لبضع سنوات فأدركت بالمشاهدة والمشاركة ما كنت أقرأ عن حفاظ الإسلام أمثال الذهبي وابن حجر والسيوطي. وإلى جانب علمه الرصين كان المترجم أديباً ناثراً شاعراً ينهج نهج الأندلسيين في السجع والتجنيس، ويكاد يحفظ كتاب *نفح الطيب* الذي لاينتهي من قراءته حتى يعيده ويعيده. وقصائده الطوال رائقة لم ينشر منها إلا القليل.

قضى ابن الحسني معظم حياته متحرراً من كل وظيف مقبلاً على التدريس والتأليف، وكان موسعاً عليه في الرزق، يكثر من الأسفار والنزهات والاجتماعات العلمية والأدبية. وفي عام 1348 / 1980 عين عضواً بمجلس الاستيناف، ثم ناب عن رئيسه مدة قبل أن يصبح رئيس مجلس الأستيناف عام 1363 / 1944 إلى نهاية سنة 1372 / 1953 حيث عاش الظرف السياسي الخطير الذي تكالب فيه الاستعمار على المغرب وأطاح بملكه الشرعي محمد الخامس، فأصابت المترجم شرارة هذه الفتنة واتُّهم بالتواطؤ ثم ثبتت براءته.

ألف المدني ابن الحسني كتباً ورسائل ومنظومات وختمات مازالت كلها مخطوطة عند أبنائه، منها :

- *الفتح القدسي على قافية الأوسي* شرح فيه قافية الشاعر ابن عمرو الأوسى الرباطي. وهو من أول ما ألف.
- *نفائس الدرر على خصائص المختصر* (مختصر خليل).
- شرح *النصيحة*، لشيخه محمد بن جعفر الكتاني (نصيحة أهل الإسلام).
- *الفوائد اللطيفة في ذكر كتب السنة الشريفة*، نظم فيه *الرسالة المستطرفة* لشيخه الكتاني المذكور.
- *حدائق البهجة في الرحلة إلى طنجة*.
- *دليل السائل إلى أجوبة المسائل*، مجموعة فتاويه الفقهية.

على أن أعظم مؤلفات المترجم علماً وحجماً وابتكاراً هو كتاب *منار السبيل إلى مختصر خليل بالحجة والدليل* تتبع فيه مسائل المختصر المعقدة المعمّاة وحللها تحليلا فقهياً شافياً مدعماً كل مسألة فيه بدليلها من الكتاب والسنة، وهو عمل لم يسبق أن اهتدى إليه أحدٌ من فقهاء المالكية الذين كتبوا مآت الشروح والحواشي والتعاليق على *المختصر*. يقول المترجم في مقدمة هذا الكتاب : "إنه لما منّ الله تعالى علينا فافتتحنا درس المختصر الخليلي وبسطنا ذلك الخوان، حسب أمر بعض مشايخي واقتراح من الإخوان، الذين لازموا دروسه فهم فيما بينهم أعوان، تلازموا معه فكانوا كندماني جذيمة ونخلتي حلوان، وذلك في شوال عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة وألف 1339 هـ عنّ

لى تقييد هذه الكتابة عليه، على نسق لم أسبق فيما أعلم إليه، قصدت به إبداء أصول فقهه من الكتاب والسنة والأثر، أجمع من ذلك واستجد منه ما اندثر. وذلك ليفرق اللبيب بين النصوص من الفروع والمستنبط، فربما ظن الكثير أن الكل منصوص أو أنه مما استنبط فقط، فنقبت عن الأصول التي يعتمد عليها في تنفيس هذه الكربة، وترقبت طلوع شموسها من آفاق الدواوين الحديثية حتى سطعت أنوارها بعد أن لقيت عرق القربة".

توفي بمسقط رأسه الرباط عصر يوم الاثنين خامس وعشري شوال عام 1378 / 4 ماي 1959، ودفن في فناء زاوية سيدي الشيخ بن أحمد الدرعي بالعلو غير بعيد عن ضريح أبي المواهب العربي ابن السائح. وبعد مرور أربعين يوماً على وفاته أقيم له حفل تأبين بالجامع الكبير بالرباط ألقيت فيه كلمات وقصائد شعرية في التنويه بالعالم الراحل.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 187 و241 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *سل النصال*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3341 ـ 3342 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 201 ـ 206 ؛ *الحافظ الواعية محمد المدني ابن الحسني*، ضمن سلسلة شخصيات مغربية (2) الكتاب كله ؛ إ. السولامي، *الشعر الوطني في عهد الحماية*، ص. 233 ـ 234 ؛ محمد بن الفاطمي ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، 1992.

## الحسني، محمد بن أحمد ← الشريف الفاسي

**الحسنيّة السجلماسية، صفية** بنت الفقيه المفتي عبد الواحد بن أحمد الشريف سابق الترجمة، من النساء العالمات القلائل اللاتي عُرفت أسماؤهن في العهد السعدي، ذكرها والدها في فهرسه *الإلمام* بمناسبة حصولها بالتبعية له على إجازة الشيخ عبد الرحمان بن عبد القادر الهاشمي العلوي الشافعي (خادم العلم والحديث الشريف، بحرم الله المطهر الشريف) بتاريخ يوم الخميس الثامن عشر من شهر شعبان عام 988.

وقد أثبت صاحب *الفهرس* نص الإجازة العامة له ولابنته "الدرة المصونة، ـ يقول المجيز ـ الفاخرة المكنونة، ذات الحجاب المنيع، والستر الرفيع، الفقيهة النقية البهية، السيدة الشريفة صفية، صان الله حجابها ..."

توفيت صفية بعد عام 988 / 1580.

ع. الواحد الحسني، *الإلمام بعض من لقيت من علماء الإسلام*، مخطوط، ص. 93 ـ 94.

محمد حجي

**الحَسَنية**، مدرسة لتعليم اللغات الأجنبية أسسها السلطان الحسن الأول في طنجة ليتدرب فيها طلبة البعثات المتوجهون إلى الخارج ليتموا دراستهم هناك ويصبحوا مؤهلين لخدمة المخزن والجيش، لم يكن لهذه المدرسة بناية متميزة بارزة العنوان وذات مدير معروف ولا أساتذة ذكرت أسماؤهم ولا برامج ومقررات واضحة. حقاً إنها بعد سنة 1303 / 1885 تميزت بنظام جديد مخالف لما كان من قبل. ووصفُها بالمدرسة الحسنية لم يأت في أية وثيقة وقعت بين يدي وإنما كان الحديث عن مدرسة الألسن ولو أن مولاي الحسن هو صاحب الفكرة. ولما مات أصبح البعض يُسمونها مدرسة الطاليان. وهي ليست مدرسة التطبيب الإسبانية التي كانت تابعة للمستشفى الإسباني بطنجة وتستقبل القليل من الشبان المغاربة لتعليمهم مبادئ الطب والعلاج. وليست أيضاً هي المدرسة الحبسية المحدثة بطنجة التي اكتتب أهل البلد وجمعوا مالاً لإصلاحها سنة 1322 / 1905، فهي مخالفة في مناهجها للمدرسة الحسنية لأنها كانت تدرس مواد "العلم الشريف" (العلوم الدينية والشرعية) لا العلوم الحديثة (من حساب وهندسة ولغات أجنبية) التي كان تلقن بمدرسة الألسن.

وأختم هذا الاستطراد لأقول إن شباناً مغاربة كانوا في أواخر القرن الماضي يأتون للتدرب على العلوم البحرية والعسكرية التي كان يلقنها إياهم ضباط ومهندسون أجانب سواء في المراكب أو في الأبراج والتحصينات. وليس هؤلاء الشبان العسكريون ومتعلمو الطب وطلاب المدرسة الحبسية لتدريس العلوم التقليدية من طلاب المدرسة الحسنية.

ما كاد الحسن الأول يتربع على العرش حتى بدأ بإدخال إصلاحات وتنظيمات عسكرية، وكانت هاته المؤسسة وهذا التعليم الحربي من آكد اهتماماته. انطلقت المرحلة الأولى من هذا التعليم باختيار خمسة عشر شاباً من أهل الفطنة والنجابة ومن صغار السن، وكلف بعض الولاة المدنيين والعسكريين بانتخابهم من الذين توفرت الشروط فيهم. لكن عددهم كان قليلاً، إذ عين لكل من ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وإيطاليا وإسبانيا ثلاثة منهم، تعلموا اللغة المناسبة بطنجة طيلة سنتين على يد موظفين في المفوضيات قبل أن يُوجَّهوا إلى الخارج لإتمام معارفهم.

وبعد عودتهم حوالي سنة 1298 / 1880 دعت الضرورة إلى اختيار شبان آخرين للتعليم. فلم تتحمس للمشروع الثاني ألمانيا ولا إنجلترا ولا إسبانيا، وبقيت كل من فرنسا وإيطاليا في الميدان. وبعد مشاورات تقرر أن تعلم لغتا البلدين الأخيرين بطنجة ابتداء من سنة 1303 / 1885.

وكان لا بد من الدخول في تجربة ثانية لتعليم اللغة أولاً ثم انتخاب بعض النجباء للسفر إلى الخارج ثانياً، وقد حدد لها إطار جغرافي هو الرباط وسلا، وكلف الحاج مُحمد بركاش نجل النائب السلطاني بإجراء الاتصالات مع عاملي العدوتين : عبد السلام السويسي قائد الرباط والحاج محمد بنسعيد قائد سلا. وكان كل من الثلاثة متفتحاً، لأنهم كانوا من قبل من السفراء إلى أوربا، فكانوا يجرون

الاتصالات مع الناس لإقناعهم بتوجيه أبنائهم وذلك بشرح الفوائد التي يمكن أن يجنوها. ولذلك إذا فحصنا قائمة هؤلاء التلاميذ لانجدها تشتمل إلا على السلاويين والرباطيين.

لكن برگاش مات قبل أبيه سنة 1304 / 1886 فعين السلطان مولاي الحسن أمين الأمناء الحاج محمد التازي موخا الرباطي للسير على منوال برگاش، وهو أيضاً كان ممن عاشوا بالخارج وعرفوا مزايا هذه الخطوة الجديدة.

لم تكن مهمة برگاش والعامليْن سهلة، لأن اختيار الشبان وترشيحهم إنما كان بالإقناع حتى الاقتناع، دون إكراه. كان يلقى القبول تارة والإعراض أو التملص تارة أخرى، وكانت تأتيه التشفعات بعد الترشيح لإعفاء الأبناء لسبب من الأسباب، وفي بعض الأحيان كان الأب يزوج ولده في الحال حتى يفلت من التعليم ببلاد النصارى وقراءة علومهم. وأحيانا أخرى كان الآباء يستحيون أو يتظاهرون بالاستحياء ليتخلصوا من ولد لهم عاصٍ أو مشاكس، قاصدين تأديبه وزجره. ولنقرأ طرفاً من رسالة للحاج مُحمد برگاش سنة 1885 لنعرف البعض مما أشرنا إليه أعلاه. فقد كتب إلى الطريس في شأن تسفيره شباناً من الرباط وسلا إلى طنجة "وجهنا لك بالأمس صحبة البابور تسعة نفر من الاولاد المتعلمين سبعة منهم تتمة العدد 15 المعين قبل، واثنان : أحدهما من الرباط والآخر من سلا هما اللذان طلب باشدور الطليان زيادتهما أخيراً. وأسماء الجميع مقيدة بالطرة. ولا عمل على البعض من الأسامي المقيدة في الكتاب الذي صحبوه معهم، لأنه وقع التبديل في ذلك. وهؤلاء المتعلمون هم غاية ما تيسر في الوقت مع طول المدة. فكل من توفرت فيه الشروط لا يسمح به أهله. ولا يخفاك كثرة الشفعاء الذين يتعين قبول شفاعتهم".

- التطور : بعد أن كان المشروع مؤيداً من لدن أقطار أوروبية في البداية، لم تعد في الحلبة كما قدمنا سوى إيطاليا وفرنسا، وكانت لغة الدولة الأولى تدرس بطنجة أكثر من الفرنسية مدة تزيد على السنتين.

قال برگاش في رسالة أخرى للحاج محمد الطريس سنة 1303 / 1885 في شأن اختياره شباناً من العدوتين : "واعلم أن الأناس المشار إليهم كلهم صغار السن، ومن طلبة القرآن، وجلهم خرجوا من المكاتب، فنحبك أن تنظر لهم داراً لنزولهم وامرأة تكون تباشر مأكولهم وغيره لعدم قدرتهم على القيام بشؤونهم. والأمناء يصيّرون ما يجب في ذلك كما يُصيِّر على من كان قبلهم".

هاته المرة لم يعد الأمر كما كان، بل أصبح المخزن متكفلا باستئجار دار لهم والإنفاق على إركابهم وإيوائهم وإطعامهم وإكسائهم. فإذا كان الإنفاق اليومي سارياً عليهم فقد كان الإنفاق الموسمي مثل الكسوة متعثراً. ففي سنة 1885 قالت رسالة للطريس إنه أعطي لكل واحد منهم "بدعية وجابضولاً وسزوالاً وجلابة بْراية مع طربوش وبلغة دون شهرية لمن يتعلمون اللغة". فقد صارت المدرسة مدرسة معروفة إذن بزي أصحابها، لكن دون منحة شهرية، لأن الأمناء كانوا ينفقون عليهم. وأضاف النائب السلطاني : "أما البحرية المتعلمون فقد جعل لهم عشرة ريال في الشهر لكل واحد منهم، زيادة على مونة بسيطتين في اليوم، على أن يتكلفوا بالكسوة لأنفسهم".

كانت الكسوة تصرف للطلبة، لكن كان يقع إهمال أحياناً مثلما حدث سنة 1309 / 1891 لما كتب نائب الطليان إلى محمد المفضل غريط وزير الشؤون الخارجية ذاكراً أن متعلمي "اللغة الإيطاليانية بقصد توجيههم لإيطاليا لتتميم قراءتهم فهم تقريباً عريانين. هذا نحو عام ونصف قبل قدومهم لم يقبضوا كسوة أخرى ..."

بقي تعليم اللغة الإيطالية مستمراً سنة 1885 بخمسة عشر متعلماً وسنة 1887 باثنين وثلاثين تلميذاً نصفهم من سلا والنصف الآخر من الرباط. ومع مرور السنين ظهر فتُور ونقصت أعداد المتعلمين وأصبحوا سبعة سنة 1318 / 1900 وُجه منهم اثنان إلى إيطاليا بعد رجوع الفوج الثاني الذي كان مشتملا على أزيد من عشرين فرداً، ثم لم يعد يتعلم اللغة المذكورة سنة 1325 / 1907 إلا شابان فقط.

أسماء المتعلمين بالمدرسة الحسنية بطنجة، وهم صنفان :
أ - صنف تعلم اللغة بطنجة ثم وجه إلى الخارج لتتميم دراسته وعددهم واحد وعشرون ؛ ب - وصنف تعلم اللغة بطنجة ولم يسافر إلى البلدان الأوروبية وعددهم اثنان وثلاثون دون من تعلموا اللغة بالخارج.

أ. المتعلمون بطنجة والخارج معاً

| اسم المتعلم | أصله من | تعلم اللغة ابتداء من سنة | رحل ابتداء من سنة... إلى |
|---|---|---|---|
| 1. الميلودي الزيادي | الرباط | الألمانية - 1874 | ألمانيا - 1876 |
| 2. الحسين بن الحاج خلوق | الأولداية | الألمانية - 1874 | ألمانيا - 1876 |
| 3. عبد السلام التسولي | فاس | الألمانية - 1874 | ألمانيا - 1876 |
| 4. مَحمد الگباص | فاس | الإنجليزية - 1874 | إنجلترا -1876 |
| 5. الزبير سكيرج | فاس | الإنجليزية - 1874 | إنجلترا -1876 |
| 6. إدريس بن بوعزة | فاس | الإنجليزية - 1874 | إنجلترا -1876 |
| 7. أحمد بن العباس بنشقرون | فاس | الإسبانية - 1874 | إسبانيا - 1876 |
| 8. محمد الشدادي | الرباط | الإسبانية - 1874 | إسبانيا - 1876 |
| 9. عبد السلام الفاسي | الرباط | الإسبانية - 1874 | إسبانيا - 1876 |
| 10. قاسم بن محمد | الأوداية | الفرنسية - 1874 | فرنسا - 1876 |
| 11. الطاهر بن الحاج | الأوداية | الفرنسية - 1874 | فرنسا - 1876 |
| 12. محمد ابن الكعاب | شراگة | الفرنسية - 1874 | فرنسا - 1876 |
| 13. المختار الرغاي | البواخر | الإيطالية - 1874 | إيطاليا - 1876 |
| 14. عبد السلام عينوش | الأوداية | الإيطالية - 1874 | إيطاليا - 1876 |
| 15. محمد بن أحمد بناني | فاس | الإيطالية - 1874 | إيطاليا - 1876 |
| 16. عبد الله التيال | سلا | الإيطالية - 1885 | إيطاليا - 1888 |
| 17. محمد القجيري | سلا | الإيطالية - 1885 | إيطاليا - 1888 |
| 18. محمد البوهالي الشرقاوي | الرباط | الإيطالية - 1886 | إيطاليا - 1888 |
| 19. قاسم بن بوزكري | الأوداية | الإيطالية - 1886 | إيطاليا - 1888 |
| 20. الصادق التونسي | طنجة | الإيطالية - 1893 | إيطاليا - 1900 |
| 21. أخوه المختار | طنجة | الإيطالية - 1893 | إيطاليا - 1900 |

وقد توفي الطالبان السلاويان الحاملان لرقمي 16 و17 بإيطاليا سنة 1897 قبيل رجوعهما إلى المغرب.

ب - مَن تعلموا اللغة الإيطالية بطنجة ولم يسافروا إلى الخارج

| الاسم | أصله من | تعلم ابتداء من سنة | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| 1. محمد بريطل | سلا | 1885 | - |
| 2. عبد الله بريطل | سلا | 1885 | - |
| 3. أبو بكر بن الحاج عبد القادر اشماعو | سلا | 1885 | - |
| 4. أخوه محمد | سلا | 1885 | - |
| 5. محمد بن العربي اعمار | سلا | 1885 | - |
| 6. محمد المكينسي | سلا | 1885 | - |
| 7. محمد العوفير | الرباط | 1886 | - |
| 8. محمد الشيحاني | الرباط | 1886 | - |
| 9. محمد الريفي | الرباط | 1886 | - |
| 10. الغازي الزعري | الرباط | 1886 | - |
| 11. عبد الكرين بوهلال | الرباط | 1886 | - |
| 12. بوعزة اللحياني* | الرباط | 1886 | - |
| 13. إبراهيم غالب** | الرباط | 1886 | - |
| 14. محمد بن التهامي الدكالي*** | الرباط | 1886 | - |
| 15. بوبكر يعكوب | الرباط | 1887 | - |
| 16. محمد بيرو | الرباط | 1887 | - |
| 17. الحاج محمد الغريسي | الرباط | 1887 | - |
| 18. أحمد التوزاني | الرباط | 1887 | - |
| 19. أحمد بن المختار | الرباط | 1887 | - |
| 20. المكي بن مبارك | الرباط | 1887 | - |
| 21. بوعزة بن بنعاشر العشاب | سلا | 1887 | - |
| 22. المعطي الزردالي | سلا | 1887 | - |
| 23. حجي الحصيني | سلا | 1887 | - |
| 24. المدني جلزيم | سلا | 1887 | - |
| 25. المدني المصلوحي | سلا | 1887 | - |
| 26. أبو بكر بن الحسن بن مريدة | سلا | 1887 | - |
| 27. عمر الطرابلسي | سلا | 1887 | - |
| 28. عبد العزيز الأبيض | سلا | 1887 | - |
| 29. محمد الزواوي | سلا | 1887 | - |
| 30. محمد بن إدريس الطنجاوي | سلا | 1887 | - |
| 31. مصطفى السالمي | سلا | 1907 | - |
| 32. بناصر بن بوسلهام | سلا | 1907 | - |

*) بدلاً من المكي كليطو

**) بدلاً من التهامي بن يوسف

***) بدلاً من قدور بن عبد السلام

ولا يفوتني في الختام أن أشير إلى أن خمسة من الأبناء المعروفين بنسبهم السلاوي كان رشحهم عاملها سنة 1294 / 1877 بأمر من السلطان، وهم :

1 - المكي بن الفقيه التيال
2 - عبد السلام ابن القاضي
3 - عمر بن بناصر حركات
4 - محمد عواد
5 - عبد العالي ابن عبد السلام

لكني لم أقف على ما يفيد أنهم التحقوا بالمدرسة الحسنية بطنجة، ولا أعرف مصيرهم كما لا أعرف مصير الاثنين والثلاثين المذكورين في الجدول الثاني أعلاه ما عدا واحداً منهم وهو قريبي أبو بكر بن الحاج عبد القادر اشماعو، خال أبي الذي كانت جدتي تنعته بالمُتَعَلِّم. كان يزورنا في بعض الأحيان بعد صلاة الجمعة ويطلب مني أن أقرأ له آيات من القرآن يتولى تفسيرها بعد ذلك لي ولكافة أعضاء الأسرة. وكنت أعلم أنه كان سلفياً يقرأ ما كتبه الشيخان محمد عبده ورشيد رضا. كان حتى العقد الخامس من القرن العشرين يتجر بالسوق الكبير في حانوت يبيع فيها الحناء. وتوفي حوالي سنة 1368 / 1948.

ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 2 : 150 - 151 ؛ عبد الغني سكيرج، *مذكرة الزبير سكيرج*، 1850 - 1932، مجلة *دار النيابة*، العدد 8 ص. 28 وما بعدها ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج. 1 ص. 147 ؛ مصطفى بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج. 2 ص. 826 ؛ ج. 4 الباب الرابع عشر، من ص. 1335 إلى ص. 1385 ؛ *التعريف ببني سعيد السلاويين*، ج. 2 ص. 163 - 165 - 167 - 186 - 188 - 191 ؛ *مجلة الوثائق*، ج. 3 ص. 442 و494 ؛ *الكناش* 2720ك (خ ع) ص. 194 - 195 ؛ *وثائق مكتبة، تطوان* ؛ *الوثائق الملكية* ؛ *الوثائق البنسعيدية* ؛ *الوثائق الصبيحية* ؛ *وثائق الخزانة العامة* بالرباط.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome 4, p. 97.

مصطفى بوشعراء

**حَسْيَان الذياب**، (أحساء الذئاب) مركز منجمي صغير يقع في شمال الهضاب العليا على بعد حوالي 60 كلم غرب مدينة عين بني مطهر بإقليم جرادة. ولقد كان في الأصل عبارة عن نقطة ماء (حسْي) يرتحل حولها مربو الماشية قبل أن يكتشف بجوارها على بعد حوالي نصف كيلو متر (راس محمد) حقل من العروق المعدنية سنة 1930، وفي سنة 1947 عثر على معدن "الڤلفرام" مما أدى إلى إنجاز العديد من الأشغال المنجمية من بحث واستغلال إلى حدود سنة 1954 حيث تم إغلاق المنجم. ومنذ ذلك الحين تراجع هذا المركز ليعود إلى وظيفته الأصلية وهي تزويد الرحل بالماء، ولم تبق به إلا بضعة مساكن ريفية تعقد حولها سوق أسبوعية أيام الجمعة إلى أن أصبح مركزاً لجماعة قروية اقتطعت من جماعة المريجة تحت إسم أولاد

غـزيّل، وقـد بلغ عـدد سكانهـا 5596 نسـمـة سنة 1994 وأغلبـهم من الرحل. ويتـزايد اسـتقطاب هذا المركز للسكان حاليا إذ تم تزويده بالكهرباء وبُني فيه مؤخراً مجمع سكني ومركز صحي.

*بحث ميداني.*

عبد الرحمان الحرادجي

**حْسيسَنْ**، أسرة تطوانية قصريّة، لا يعرف بالضبط أصلها الحقيقي، والمؤكد أنها توجد في المنطقة الشمالية الغـربيـة في المدن والبوادي، فـهي مـوجـودة في بني صـالح قرب تطوان، وفي مدشر أعنان ببني سعيد بين تطوان ووادي لاو. كما توجد بقبيلة اغزاوة.

وفي سنة 1320 / 1902 هاجر رجلان من آل حْسيسَنْ إلى مدينة القصر الكبير هما الأخوان عبد الرحمانَ وعبد السلام حْسيسَنْ. واتصلا بأسرة شعشوع التي تصاهر معها هذا الأخيرَ. وما زال حيا بمدينة طنجة عن عمر يناهز 116 سنة.

اشـتـغل آل حْسـيسَنْ في القـصـر الكبـيـر بالتـجـارة والعقار. وكلهم ينتمون إلى الحاج عبد السلام حْسيسَنْ، الذي أصبح بعد وفاة أخيه عبد الرحمان من أكبرَ أغنياء المدينة، وبسبب ذلك أطلق اسم "حْسيسَنْ" على عدة أحياء منها : - دوار الحْسيسَنْ في القصرَ الكبير الذي هو اليوم جزء من حي الأندلسَ. وغـرسـة الحْسيسَنْ التي تحتـوي على دار تحمل نفس الاسم بنيت حواليَ سنة 1355 / 1936. وفي طنجة أيضاً حومة الحْسِيسَنْ التي ينطلق منها شارع بلجيكا.

والحاج عبد السلام حينما كان في القصر الكبير كانت له عـلاقـات تجـارية مع كـثـيـر من الدول، مـثل : انجلتـرا والصين وفرنسا والجزائر، ولديه وثائق تجارية مهمة عن هذه الفترة.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ج 1، الباب السابع حرف ح 334 ؛ *معرفة شخصية وروايات شفوية.*

محمد أخريف

**الحسيكة، محمد** بن عـلال الفطواكي ثم المراكشي، من أشياخ الملحون ويعرف أبوه عـلال باخشاش (ت. 1389 / 1969).

وُلد الحسيكة بحومة باب الدباغين بمراكش سنة 1344 / 1925 ودخل الكتاب في بداية الثلاثينات ثم التحق بمدرسة "الحيـاة" الحرة حيث أخذ قسطاً من التعليم قبل أن يلتحق بدار الدباغة مع أبيه.

كان الحسيكة إلى جانب عمله في الدباغة مواظبا على مشاركة زملائه الحرفيين في حفلات "النزاهة" التي كانوا ينظمونها كل يوم جمعة بالبساتين المجاورة للمدينة. وقد أتاحت هذه الحفلات الأسبوعيـة تألق المترجم في ميدان الملحون إلى جانب صديقيه بلمحجوب صرفاق ومحمد ناموس. جمع قصائد في الملحون ورحل إلى المدن المغربية التي لها علاقة بهذا الفن كفاس والرباط وسلا ومكناس وتارودانت والراشدية وأسفي وذلك منذ أواخر الأربعينات، حيث اتصل برواد الملحون وروى عنهم القصائد النادرة، وبعد فترة توقف دامت حوالي خمس سنوات بتأثير من والده استأنف نشاطه عام 1377 / 1957، وساهم في تأسيس جمعية لرواد الملحون بمراكش باسم "جمعية هواة طرب الملحون".

ومنذ سنة 1970 ساهمت عدة عوامل في تطور نشاط المترجم خاصة انقسام الجمعية في هذه السنة على إثر انفصال مجموعة من الأعضاء برئاسة محمد بن عمر الملحوني في إطار جمعية "الجيلالي متيرد". وقد التحق الحسيكة بالمعهد الموسيقي بدار السي سعيد بروض الزيتون لتدريس مادة الملحون، واستمر في أداء مهمته بعد انتقال المعهد إلى مقره الجديد بجنان الحارتي بكَيليز.

قام الحسيكة بمجهود كبير في جمع القصائد ونسخها وحفظها منذ بداية شبابه إلى أواخر حياته، وساعده على ذلك معرفته بقواعد اللغة العربية وخطه الجميل وتذوقه لأوزان الشعر، وقد مكنه ذلك من إتمام عدد من القصائد المبتورة و"تنقية" قصائد أخرى.

ورغم اهتمام المترجم بالجمع والنسخ والحفظ والإنشاد يلاحظ أنه لم يهتم بالنظم إلا في أواخر حياته حسب ما نعلم. ومن القصائد التي نظمها قصيدتان في إطار العرشيات بمناسبة الذكرى الفضية لمحمد الخامس، أولاهما في قياس "الوردة" تتركب من ستة مقاطع، المقاطع الخمسة الأولى كل منها يضم خمسة أبيات، بينما المقطع السادس يضم ستة أبيات، عثرنا عليها ضمن الوثائق الخاصة بخزانته. أما القصيدة الثانية فهي في قياس "محبوب القلب".

توفي محمد الحسيكة بمراكش يوم الثلاثاء خامس ذي الحجة عام 1411 / 11 يونيو 1991 وأقبر بروضة باب أغمات ورثاه بعض رفاقه الأشياخ بقصيدة عدد فيها مواهبه وأعماله في ميدان الملحون.

مقابلات شخصية، *الوثائق الخاصة* المحفوظة بخزانة المترجم ؛ صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، ص. 45.

المكي مربي

**الحسيمة**، مدينة على ساحل البحر المتوسط في الجزء الأوسط من منطقة الريف يحدها شمالا البحر المتوسط وغربا قبيلة بقيوة وشرقا قبيلة تمسمان وجنوبا قبيلة بني ورياغل.

وبحكم موقع المدينة الساحلي توجد تحت هيمنة المناخ المتوسطي حيث الاعتدال طوال السنة. ويبلغ معدل كميات الأمطار ما بين 300 مم و400 مم في السنة.

تقع الحسيمة الحديثة في موقع مدينة "المزمّة التاريخية وهي من أولى المدن التي أسسها العرب بالمَغرب في عصر الفتح الإسلامي" ( *المغرب*، 124).

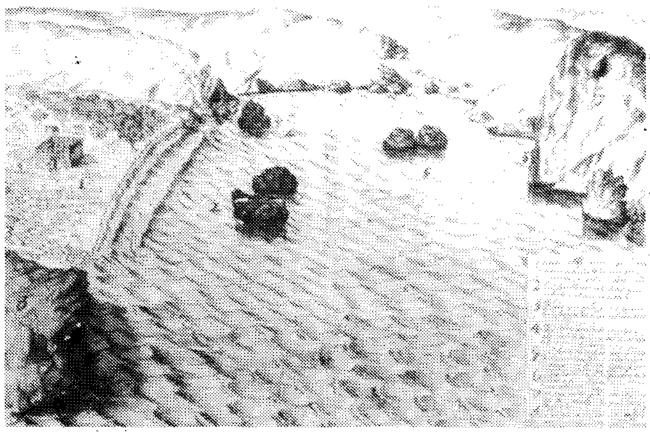

مرسى الحسيمة سنة 1667

اقترن إنشاء مدينة الحسيمة ونموها بدخول الاستعمار الإسباني إلى منطقة الريف الأوسط مع بداية سنة 1345 / 1926 م. بعد انتهاء حركة المقاومة العنيفة التي خاضها الريفيون بقيادة محمد ابن عبد الكريم الخطابي، وسموها "جبل ملموسبي"، غير أن هذا الاسم لم يعمر طويلا وغُيّر بيبيًّا سان خورخو (Villa Sanjurjo) نسبة للجنرال سان خورخو الذي نزل بالقوات الاسبانية في منطقة الريف الأوسط.

ومنذ سنة 1349 / 1930 وُضع أول تخطيط للمدينة الجديدة من طرف الضابط المكلف بالشؤون الأهلية دون إميليو بلانكو إزاغ (Don Emilio Blanco Izaga) الذي راعى فيه التقاليد الريفية. حيث شرع في بناء حي وسطي يتكون من قيصريات وفندق وحمام ومسجد وسوق ومحكمة ومحل للصناعة التقليدية ومستشفى وسجن ومدارس إسبانية - ريفية. ومن هذا الحي التجاري والعمومي تفرعت باقي البنايات المستقلة.

واللافت للانتباه أن المدينة إلى غاية الأربعينات لم تعرف أي ساكن ريفي من القبائل المجاورة باستثناء بعض التجار والعمال الذين يتعاملون مع الإسبان يشتغلون بها نهاراً ويرجعون مساءً إلى قبائلهم. بينما بدأ تزايد السكان الإسبان الذين يفدون إليها من الأندلس ومن شمال إسبانيا ببعض عائلاتهم وكوّنوا أحياء تجارية وحرفية بالمدينة.

وقد تعرضت المدينة لكارثة طبيعية غيرت من حياة التجمع السكاني بالمدينة، إذ شهدت المدينة ليلة 21 صفر عام 1369 / 13 ديسمبر 1949 رياحا شمالية عاتية أتلفت عدداً كثيراً من المنازل الهشة وأغرقت جميع المراكب الراسية في الميناء الذي بناه الإسبان.

ولما استقل المغرب سميت المدينة باسم "الحسيمة" الذي كانت تحمله جزيرة النكور المحتلة من طرف الإسبان والستمد - بتحريف - من اسم مدينة المزمة القديمة كما رأينا.

عرفت مدينة الحسيمة بعد الاستقلال نموا ديمغرافيا سريعا حيث انتقل عدد سكانها من 18.686 نسمة سنة 1971 إلى 41.662 نسمة سنة 1982، وإلى أكثر من 65.000 نسمة حاليا. وأغلب سكان المدينة ينتمون إلى القبائل الريفية المجاورة. كما كانت المدينة تضم إلى عهد قريب طائفة من الإسبانيين الذين فضلوا المكوث في المدينة بعد الاستقلال وطائفة يهودية، لكنهم غادروا الحسيمة في اتجاه إسبانيا أو في اتجاه إسرائيل.

ونظراً للهجرة القروية التي تعرفها الحسيمة منذ السبعينات فإنها عرفت توسعا مجاليا الأمر الذي جعل قطاع البناء يشهد حركة قوية قصد الاستجابة لحاجيات السكان خاصة من طَرف العمال المهاجرين إلى الخارج، مما أدّى إلى ارتفاع مهول في ثمن الأرض نتيجة قلة الأراضي من جهة والمضاربة العقارية من جهة أخرى. كما ارتبط هذا التوسع العمراني بتوافد الموظفين الممثلين لمختلف الوزارات والإدارات والشركات بعد أن أصبحت الحسيمة عاصمة الإقليم.

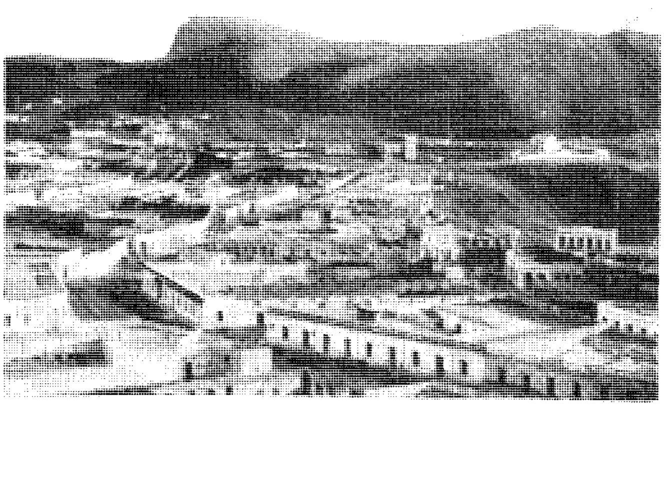

الحسيمة (بياسانخورخو) سنة 1934

ومع ذلك فإن الحسيمة تعاني من مشاكل متعددة، وبقي أفق نموها اقتصاديا واجتماعيا محدوداً في ظل

الظروف العامة الراهنة. اللهم إذا أعطيت لها الأهمية في إطار مشروع تنمية المنطقة الشمالية، نظراً لما تتوفر عليه من إمكانيات مهمة خاصة في المجال السياحي.

** إقليم الحسيمة أُحدث سنة 1379 / 1959 بمقتضى الظهير الشريف الصادر في 6 دجنبر 1959 المعدل الظهير 13 أكتوبر 1956. وأصبح الإقليم يتكون من جماعتين حضريتين وتسع عشرة جماعة قروية موزعة كالتالي :

بلدية الحسيمة : جماعة حضرية

دائرة تارگيست : جماعة حضرية + 8 جماعات قروية

دائرة أجدير : 8 جماعات قروية

دائرة بني بوفراح : 3 جماعات قروية

ويضم الإقليم إحدى عشرة قيادة وغرفتين مهنيتين لقطاعي الفلاحة والتجارة والصناعة. وبناء على القانون رقم 128 المتعلق بمراجعة التقسيم الجماعي بتاريخ 16 يونيو 1987 نظراً للنمو الديمغرافي الذي عرفه الإقليم تمت عملية إعادة تقسيم إقليم الحسيمة إدارياً على النحو التالي :

| الدوائر | القيادات | الجماعات الحضرية والقروية |
|---|---|---|
| - | - | الحسيمة (بلدية) |
| | | بني بوعياش " |
| | | امزورن " |
| | | تارجيست " |
| بني بوفراح | بني بوفراح | بني بوفراح |
| | | اسنادة |
| | | بني گميل مكصولين |
| | | بني كميل |
| بني ورياغل | أربعاء توريرت | شقران |
| | | أربعاء توريرت |
| | النكور | تتفروين |
| | بني حذيفة | بني عبد الله |
| | | زاوية سيدي عبد القادر |
| | | بني حذيفة |
| | أيت يوسف | أيت يوسف أوعلي |
| | أوعلي | امرابطن |
| | ازمورن | ازمورن |
| | | اروافي |
| | | أيت قمرة |
| تارجيست | بني عمارت | سيدي بوزنيب |
| | | بني عمارت |
| | كتامة | عبد الغاية السواحل |
| | | مولاي أحمد الشريف |
| | | إساگن |
| | | كتامة |
| سيدي بوقيم | سيدي بوقيم | |
| | | زرقت |
| | | بني بونصار |
| | | بني بشير |

وقد وقع تغيير في هذا التقسيم بناء على القانون الصادر بوضع ومراجعة اللوائح الانتخابية العامة وتنظيم انتخاب مجالس الجماعات الحضرية والقروية رقم 90. 92. 1 بتاريخ 9 ذي الحجة 1412 / 11 يونيو 1992.

تبلغ مساحة إقليم الحسيمة نحو 3555 كلم$^2$. يحده من الجهة الشمالية البحر المتوسط، ومن الجنوب إقليما تازا وتاونات، ومن الشرق إقليم الناظور، ومن الغرب إقليم شفشاون وتغطى الغابات مساحة 95.400 هكتار.

وقدرت ساكنة إقليم الحسيمة سنة 1982 بـ 311.298 نسمة منهم 59.490 يعيشون في الوسط الحضري و251.808 بالوسط القروي.

ومن خلال نتائج الإحصاءات السكانية لبلدية الحسيمة ودوائر الإقليم نلاحظ أن 76٪ من سكان الإقليم يعيشون بدائرتي بني ورياغل وتارگيست، بينما سجل تراجع سكان دائرة بني بوفراح بنسبة 10،5٪ نسمة سنة 1982 بالمقارنة مع سنة 1971 التي كانت تصل نسبتهم إلى 12،7٪ نسمة. وهذا راجع إلى الهجرة القروية.

أما بالنسبة لمدينة الحسيمة فقد عرفت نمواً مطرداً في عدد سكانها إذ أصبحوا يمثلون سنة 1982 نسبة 13،4٪ من مجموع سكان الإقليم. وهذا التطور راجع إلى هجرة سكان القبائل المجاورة لها.

وبخصوص النشاط الاقتصادي للإقليم يعتمد على النشاط الفلاحي بالدرجة الأولى إذ يعتبر مصدر الدخل الرئيسي للسكان بسبب انعدام بنية صناعية في الإقليم. كما أن الفلاحة تواجه بعض المشاكل الطبيعية. فبالإضافة إلى أهمية المناطق المرتفعة غير الصالحة للزراعة يبرز كذلك مشكل الماء الذي يعود إلى ظاهرة الجفاف وعدم انتظام التساقطات. وهذا ما يجعل الأراضي الصالحة للزراعة لا تتعدى 123.200 هكتار من مجموع المساحة. كما أن النسبة العقارية السائدة بالإقليم والأساليب التقليدية المستعملة تجعل المردود الفلاحي ضعيفا بالمقارنة مع باقي المناطق المغربية.

وتحتل الحبوب المرتبة الأولى من حيث المساحة، فالشعير يشغل 63٪ والقمح الطري 27،4٪ والقمح الصلب 9،4٪ ثم الذرة 0،2٪ من الأراضي المزروعة. ويكتسي قطاع تربية الماشية أهمية على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي إذ يعتبر المحرك الأساسي لبعض القطاعات المنتجة كالصناعة التقليدية التي تزود بالمواد الأولية كالصوف والجلد، ويبلغ قطيع الابقار 36.955 رأس وقطيع الأغنام 37.300 رأس وقطيع الماعز 65.517 رأس حسب إحصاء مديرية الحسيمة سنة 1991.

ويُعد قطاع الصيد البحري العمود الفقري لاقتصاد المنطقة لكونه يحتل مكانة مهمة في نشاط غالبية السكان ويساهم بشكل ملموس في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للإقليم. كما يلعب دوراً أساسياً في تغذية السكان. غير أن

القطاع أصبح يعيش مشاكل نتيجة قلة الثروة السمكية وارتفاع ثمن السمك مما انعكس سلبا على غالبية السكان.

وفي المجال السياحي تبقى البنية الأساسية لهذا القطاع جد ضعيفة رغم ما تزخر بها المنطقة من مقومات طبيعية تؤهله لأن يكون قطبا سياحيا مهما. فشواطئه تعتبر من أجمل شواطئ المغرب. إلا أن الإقليم لا يتوفر على فنادق شاطئية تسمح للسياح الأجانب بالتوافد عليها، بالإضافة إلى قلة المحاور الطرقية التي تصل إلى الشوطئ والمرتفعات والمآثر التاريخية.

وبسبب هذه العزلة نشطت حركة الهجرة منذ الستينات خاصة إلى أوربا ثم إلى بعض المدن المغربية كطنجة والرباط والدار البيضاء.

عبد الرحمان الطيبي، *المجتمع بمنطقة الريف قبل الحماية*، د. د. ع، ج. 1؛ وزارة الداخلية والإعلام، *عمالة إقليم الحسيمة*؛ *وثائق المديرية العامة للجماعات المحلية*؛ وزارة السكنى والتعمير، *تعداد السكان 1982، مديرية الاحصاء بالحسيمة.*

Juan Roman, *Fragmentos sobre Al Hocemas*, Melilla, 1994.

عبد الرحمان الطيبي

ابن **حسين، أحمد** التطواني، ويُنطق به ممدوداً في لهجة تطوان وما إليها: "ابن حساين" الفقيه العالم العلامة المعدل المفتي المدرس. أخذ عنه المؤرخ سكيرج *فرائض مختصر خليل* وأثنى عليه كثيراً، قال الفقيه الرهوني: وقفت على عدة رسوم عليها شهادته، وعدة فتاو تدل على مكانته الفقهية.

وأصل هذه العائلة من قبيلة بني يزيد الريفية، ولهم مصاهرة مع عائلة أفيلال الشهيرة بتطوان. وخصوصاً الأديب المفضل منهم فهم أخوال أولاده.

توفي بعد عام 1218 / 1803.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، 6 : 52؛ أ. سكيرج، *نزهة الإخوان في تاريخ تطوان*، مخطوط، ص. 62.

محمد بوخبزة

**حَسين داويد بن أهارون**، Hasin David ben Aharon أحد كبار الشعراء اليهود المغاربة باللغة العبرية، عاش بمكناس (1722 ـ 1792 م)، عارف بالأدب ومتمرس بقوانين الشعر على نمط القصيدة التوراتية، البيوط (Le piyyut) (غناء ديني متداول خلال القرون الأولى للميلاد)، والعصر الذهبي الأندلسي، كما كان عارفاً بالعلاقة الوثيقة بين القصيدة والطرب الأندلسي.

خلّف حسين داويد عدة مقطوعات جُمع الجزء الكبير منها في ديوانه تهيلا لدويد أي "مدح داويد" على شرف الملك الذي يُنسب له الزبور (زبور داوود). نشر في أمستردام سنة 1807، ثم أعيد طبعه عدة مرات من ضمنها طبعة الدار البيضاء سنة 1931.

يعرّف الكاتب في المقدمة وبعض الصفحات من النص بالدوافع والأهداف للإبداع الشعري، وكذلك الصفات المطلوب توفرها في الشاعر وفي الشعر. والشاعرية هي بالأساس موجهة نحو المقدّس، الحب الرباني. وتصل مراراً إلى الدرجة الصوفية. وفي هذا الإطار أدخلت عدة قصائد شعرية له في طقوس الحفلات الدينية، وحفل الختان، والأعراس...

ومن ضمن مكونات مقدمته نجد بعض القطع ذات المدلول التعليمي مثلا *سفر ميقومات شيل زباحيم* (تدور حول القرابين المهداة لله) وهي قصيدة مكونة من 451 بيتا. على طريقة القصيدة العمودية، تدور حول قوانين طقوس الذبح الحلال. وله مؤلف آخر وهو *"تقيلا لدويد"* (صلاة على داود) يلخص فيه قواعد الأخلاق والحياة الدينية كما دونها الربي يوسف قروا في مدونته التي تحمل اسم *"شولحان عروخ"*.

ومن جهة ثانية نجد الشاعر يغفل قصائد المناسبات على شرف الشخصيات المهمة، أو رثاء شخصية تستحق الذكر. وهكذا خلف داويد حسين عدة قينان (بكائيات) في نفس سياق الشعر اليهودي الحزين. واحدة منها مخصصة لأحزان الطوائف اليهودية بالمغرب تحت حكم مولاي اليزيد (92 ـ 1790). وكان يحب كذلك أن ينشد في عجائب الخلق والخالق مثل قصيدته التي نظمها أثناء مروره بتافيلالت عن واحة وادي زيز والتي حركت قريحة الشعر فيه.

حاييم الزعفراني، *Poésié juive en Occident Musulman*, Paris, 1977؛ بنايم يوسف، *Malkhe Rabbanam*, Jerusalem, 1931.

شمعون ليفي

ابن **حسين، عبد الكريم** التطواني اشتهر بالتدريس والعدالة وتعاطي الشهادة، وكان مقصوداً للفتوى في النوازل.

توفي بعد عام 1251 / 1835.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط.

محمد بوخبزة

**الحسين بن عبد المومن الموحدي**، أمير وقع الخلط في بعض المصادر بين اسمه واسم أخيه الأمير الحسن سابق الترجمة. ويبدو أن أهم ولايات الحسين هي إفريقية. وربما تولى على سجلماسة قبل ذلك مع إمكانية الخلط بين اسمه واسم أخيه الحسن (*العبر*، 6 : 501) أما ولايته على افريقية فقد حدثت بعد إعادة فتح قفصة سنة 576 من طرف أخيه الخليفة يوسف، ونظراً لأهمية هذه الولاية وبُعدها عن مركز الدولة وإمكانية تعرضها للفتن أكثر من باقي الجهات، فقد وُزعت بينه وبين أخيه أبي موسى. وخلال اشتغال

الجيوش الموحدية بأحداث الأندلس في نهاية السبعينيات تحركت القبائل العربية بإفريقية واصطدم معها الواليان في منطقة قابس وانتهت المعركة بأسرهما ثم افتكا بفدية قدرها ستة وثلاثون ألف مثقال زائفة (*المعجب*) فتحرك أبو موسى عائداً إلى المغرب فوقع في أسر بني غانية بعدما احتلوا مدينة بجاية قادمين من جزر شرق الأندلس سنة 580 إلى أن فك أسره بعد ذلك. أما الحسين المترجم فاستقر بمدينة تونس (ويسميه المراكشي أبا علي الحسن !) ويبدو أن المذكور استمر على ولاية إفريقية إلى حركة يعقوب المنصور إليها سنة 583 وهي الحركة التي كانت بسبب عيث بني غانية في المنطقة مع حلفائهم من القبائل العربية خاصة وما جرى خلالها من هزيمة جيش الموحدين شمال بلاد الجريد في واقعة "عمرة" ثم انتقام المنصور لهذه الهزيمة في معركة الحمّة وما أعقبها من نجاحه في إعادة فتح بلاد الجريد ومدينة قفصة. وعندما قرر العودة إلى المغرب سنة 584 ترك على ولاية إفريقية ابن عمه السيد عبد الرحمان بن عمر بن عبد المومن (انظر عبد الرحمان بن عمر).

ع. المراكشي، *المعجب*، 271 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* (ط. البيضاء) 110. 111. 139 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، س 8 : 302 (ويسمي الوالي أبا علي الحسن بن عبد المومن !).

أحمد عزاوي

ابن **حْسينَة، البشير**، مقاوم وُلد سنة 1338 / 1919 بأسًا وانخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1376 / 1956 وعمل بالمقاطعة السابعة مركز أسا تحت مسؤولية السيد التامك ايدي بن محمد.

بقي يعمل بكل نزاهة وإخلاص، وشارك في عدة معارك بصحراء المغرب منها أم العشار، الرغيوة، وأبلى بلاء حسنا في هذه المعارك - معارك الساقية الحمراء إلى أن استشهد بهذه الأخيرة في ساحة الوغى سنة 1379 / 1959.

**حْسينُو**، أسرة عريقة بتطوان لا أعرف أصلها ومازالت موجودة موفورة العدد، كان منهم مقدمون مجاهدون أيام السعديين. ففي *تاريخ الدولة السعدية* أن المامون الشيخ السعدي بعد اغتياله المجاهد التركي (مراد برتقيش) المرابط بمدينة تطوان، ارضاءً لنصارى سواحل الأندلس وسبتة وجبل طارق الذين أقض مضاجعهم بانتصاراته فأهدوا للمأمون هدية نفيسة جزاء له على إراحتهم من عدوهم التركي، أبرم مع النصارى هدنة لمدة أربعين سنة، وأمر بالكف عن الجهاد فامتثل بعض المقدمين منهم بعض أولاد (بو اللّيف) و(أولاد حسينو) فوزع عليهم أراضي للحراثة. ويوجد منهم الآن بتطوان كثير منهم حرفيون ومعلمون.

مجهول، *تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية*، ص. 95، ط الرباط ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 38، ط تطوان.

**الحُسَيْني**، أسرة تطوانية شريفة تنتسب للحسين السبط بن علي بن أبي طالب. أصلها من قبيلة الأخماس من مجشر الحارك، عمالة شفشاون، استوطنت تطوان قديما وكانت تتولى الإشراف على الزاوية الريسونية بمركز تازْروت بقبيلة بني عروس الجبلية وتطوان. ومنهم الشيخ الصالح عبد السلام الحُسَيْني من أخص أصحاب الشيخ علي بن مُحمد بن علي ابن ريسون والمشرف على زاويته بتطوان وتربية أبنائه وعلى رأسهم الشيخ ذائع الصيت السيد عبد السلام بن علي ابن ريسون صاحب مجالس الطرب والأمداح والعلم. نبغ من أفراد هذه العائلة الفقيه المجود حسن الصوت السيد عبد السلام الحُسَيْني، وابن أخيه الأستاذ الأديب الشاعر السيد عبد السلام بن عبد السلام (خمس مرات) الحُسَيْني وكانوا يُعرفون بالخمسي، ومنهم من يُدعى (ابن تامة) وهي كنية أحدهم قديما. إلا أنهم بعد ذلك انتسبوا لجدهم الأعلى الحسين السبط وبه يعرفون الآن. ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء الأشراف من الفروع الحُسَيْنية القليلة بالمغرب. وهم غير الصقليين والعراقيين بفاس. وليسوا من حُسينيّي سبتة الذين اشتهر منهم الشريف ابن أبي رافع، فإن هؤلاء انقرض عقبهم كما قال النسابة سليمان الحوات.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، *صك شجرة الشرف الحسيني*، مخطوط ؛ سليمان الحوات، *السر الظاهر فيمن أحرز بفاس النسب الطاهر...* ط حجر بفاس، ص. 75.

محمد بوخبزة

**الحشرات**، طائفة من الحيوانات المتعددة الخلايا، عديمة الهيكل العظمى وتنتمي إلى اللافقريات المفصلية Arthropoda. تعرف بهذا الاسم في البلدان العربية اللسان وتسمى بالبربرية أبُورَغْس ويجمع على ئبُورغْسن وأبوخُو وأبَخُوش ويجمع على ئبَخْشاش. تطلق كلمة بَخُوش على عدة أنواع من هذه الطائفة وتسمى بالفرنسية Insectes.

أول من أطلق على هذه الكائنات كلمة Entoma هو أرسطو (384 - 322 ق. م) استعملت أزيد من قرنين، وكانت تضم أنواع العنكبوتيات وعديدات الأرجل والقشريات والحشرات. ومنذ ظهور التصنيف الذي مثلثة أعمال عالم الطبيعة السويدي ليني سنة 1788 إلى يومنا هذا، عرف تصنيف طائفة الحشرات تغيرات وتعديلات متعددة ومازال قيد المراجعة والتدقيق لكثرة تعقيده.

يمرّ نُمُوّ الحشرات من عدة مراحل تطويرية. فبعد التفقيس من البيض تصبح يرقانة، وبعد ذلك تتحول إلى عذراء أو خادرة وهو طور انتقالي بين الحشرة الكاملة

واليرقانة. يختلف الشكل ونمط العيش ومكان التطور بين الحشرات الكاملة ويرقانتها وخادراتها.

تتميز الحشرات بجسم حَلَقي يتكون من الرأس والصدر والبطن ومن زوائد متمفصلة تتمثل في الأرجل والسواري والملاقط، وهي زوائد متمفصلة منقسمة بدورها إلى عدة قطع تعرف بالفصلات، مفككة فيما بينها بما يكفي لتمكينها من إنجاز عدة حركات.

يحمل الرأس زوجة من القرون الاستشعارية وعينين مركبتين وثلاثة عيون بسيطة تقع في الطرف الأعلى من الرأس، وهذا الجهاز البصري المعقد يمكّن هذه الكائنات من النظر حولها إلى جميع الجهات. يتكون الفم من فكين علويين وفكين سفليين يختلف تركيبها حسب العادات الغذائية لكل نوع. يكون الفم إما ماضغا كما هو الشأن عند الجراد وبوجعران ومعظم أنواع رتبة مغمدات الأجنحة، أو مصاصاً لدى أنواع الفراشات، أو لحاسا لدى الزنبور والنحل، أو لحاسا ومصاصا في نفس الوقت عند أنواع الناموس (البعوض).

يحمل الصدر ثلاثة أجزاء يتوفر كل واحد منها على زوج من الأرجل مما يفسر تسمية الحشرات بسداسيات القوائم. غالبا ما تكون قوائم الزوج الأول أصغر من باقي القوائم الأخرى، ويختلف شكلها حسب الأنواع لمواجهة متطلبات البيئة الطبيعية.

تتمفصل الأجنحة على الصدر بالنسبة للحشرات المجنحة، وهي أجنحة تتميز بخصائص مختلفة من حيث البنية والمظهر. إنها أجنحة غشائية مكونة من ورقتين صفيحيتين تسري بها عروقه تعطي للجناح مظهر تشبيك غير منتظم. يتضاعف سمك الزوج الأول من الأجنحة ويقوم بوظيفة ترسيخ الأجنحة الحقيقية ووقايتها أثناء الاستقرار.

تتوفر عدة أنواع من الحشرات المجنحة على أفراد مجنحة وأخرى عديمة الأجنحة، ويرجع هذا الاختلاف إلى التمييز الجنسي، وكثيراً ما يلاحظ هذا في أنواع الفراشات حيث تكون الذكور مجنحة والإناث منعدمة الجناحين. يرجع هذا الاختلاف أيضاً إلى الانتماء إلى طبقة معينة كما هو الشأن عند مملكة النمل من خلال التنظيم الاجتماعي.

يتكون البطن من قطع حلقية متواصلة تلج فيها الأعضاء الحسية وأعضاء التناسل وفي بعض الحالات أعضاء الهجوم والدفاع كالمنخس المتصل بالغدد السامة، وتوجد على بطن إناث بعض الأنواع حامل البيضاء الذي يقوم بوظيفة وضع البيض.

تنقسم طائفة الحشرات إلى مجموعتين كبيرتين هما سداسيات القوائم البسيطة أو اللأجناحية وتتمثل في أربع رُتب، ومجموعة الحشرات المتطورة المعروفة بالمجنحة وتتمثل في خمس وعشرين رتبة. تتكون طائفة الحشرات على وجه اليابسة من مليون نوع أي ما يعادل 80٪ من مجموع الحيوانات الفقرية واللافقرية، وهذه الوفرة تبين مدى أهمية هذه الطائفة إلى جانب تعقيد بنيتها وأشكالها غير المتجانسة. أصنافها متوزعة في كل مكان، فمنها ما يعيش فوق الأرض، وأخرى طائرة في الهواء، وأخرى تعيش في الماء.

بدأت دراسة الحشرات في المغرب منذ أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وما تزال مستمرة إلى يومنا هذا، ومعظم الأنواع محنطة ومعروضة في المتحف الوطني بالمعهد العلمي بالرباط. من بينها عدة أنواع يقتصر توزيعها الجغرافي العالمي على المغرب وحده.

أُحصي إلى يومنا هذا حوالي 12.000 نوعا من الحشرات بداخل التراب الوطني، ويحتمل ارتفاع هذا العدد إلى 15.000 نوعا. تنتمي هذه الأنواع إلى كل رتب طوائف الحشرات، من بينها سبع رتب مجنحة تضم لوحدها 11.000 نوعا أي ما يعادل 90٪ من مجموع الأنواع المعروفة في المغرب. وهذه الرتب هي : مغمدات الأجنحة 4.000 نوع، الفراشات 2.200 نوع، غشائيات الأجنحة ومنها النحل والنمل والزنبور 2.000 نوع، مزدوجات الأجنحة ومنها الذباب والناموس 1.000 نوع، مختلفات الأجنحة 850 نوعا، ومنها البق، متشابهات الأجنحة ومنها الصرار 450 نوعا، مستقيمات الأجنحة ومنها الجراد والجدجد 400 نوع.

باقي الرتب الأخرى وعددها 22 تقتسم ما بينها ألف نوع في المغرب، ويحتمل ارتفاع عددها مستقبلا نظراً لقلة دراستها وهي على التوالي :

- عديمات الأجنحة ومنها أربع رتب : البدائيات تتكون من 60 نوعاً والبدائيات المذنبة ومزدوجات الذنب عُرف منهما 40 نوعا ودراستهما قليلة في المغرب. ثم رتبة المذنبات أو هدبيات الأذناب ومنها قارضات الكتب ولاحسات السكر ولها حوالي 20 نوعا.

- الحشرات المجنحة ومنها 18 رتبة : اليوميات أو اليأفوفات وسميت هكذا لأن الحشرة الكاملة تعيش زمنا قصيراً لا يتعدى أسبوعاً بينما تعيش اليرقانات في المياه أزيد من سنة ومنها 22 نوعاً تعيش في المغرب. اليعاسيب ومنها حوالي 60 نوعا كل يرقاناتها تعيش في الماء. الوردانيات ومنه بنت وردان (سرّاق الزيت) ويضم 80 نوعا. متساويات الأجنحة ومنها الأرضيات (Termites) لا يتعدى عدد أنواعها في المغرب 10 تعيش كلها داخل مملكات ذات نظام اجتماعي محكم.

العصويات Phasmoptères ومنها حوالي عشرة أنواع. الجمانات أو اللؤلئيات Plécoptères ومنها 22 نوعا تعيش كلها في المياه الجارية العذبة. ثاقبات الأذن Dermoptères ومنها 15 نوعا. عصبيات الجناحين ومنها 80 نوعا. شعرات الأجنحة ومنها 80 نوعا. البرغوثيات ومنها حوالي 50 نوعا في المغرب. القمليات Anoploures ومنها أقل من عشرة أنواع. هدبيات الأجنحة ومنها حوالي عشرة أنواع.

ليس في الطبيعة أنواع من الحشرات يتغذى بها

الإنسان بينما توجد عدة أنواع نافعة وتلعب دوراً هاماً في الميدان الاقتصادي، ونذكر منها النحل ودوره في صنع العسل. توجد أيضاً عدة حشرات ضارة بالنباتات والفواكه والخشب وحياة الانسان كذبابة الحبوب وذبابة الفواكه والناموس ودوره في مرض الملاريا.

مصطفى شهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، بيروت.

M. Dakki, M. Arahou et M. Mouna, *Les Insectes, G.E.M., Faune*, 1987 ; M. Ramdani et J.N. Tourenq, *Notes sur les chironomides de la merja Sidi Boughaba. Bull. Inst. Sci.*, 6, 1982, 179 - 185 ; F.S. Saba, K. S. Schluter, H. U. Fischer et Thewys, *Malafies et ravageurs des plantes cultivées au Maroc*. Rabat, 1976.

محمد خربوعة

**الحشّاش** ← **الوكيلي** عبد المالك بن محمد

**الحشْمي** ← **الجزائري**، علي...

**الحصَاد**، العملية قبْل الأخيرة من العمل الفلاحي الموسمي، يتم حصاد الحبوب في الواحات والمناطق الجبلية عن طريق الاقتلاع، وفي الاستغلاليات الكبيرة يتم بمعناه التقني إما عن طريق العمل المأجور باستئجار الحصادين مقابل أجرة عينية أو نقدية، أو عن طريق التضامن ما بين القبائل في ما عرف بعد باسم (التويزة)، وفي العمل المأجور يخرج الحصادون جماعات لقطع السنابل بالمناجل تحت إشراف صاحب الفدان ووفق رغبته، يبدأ العمل جماعياً من طلوع الشمس إلى ما بعد الزوال أي في الفترة التي يكون فيها الجو معتدلا ويتفق أصحاب الفدادين عادة مع الحصادين على التموين وطريقة أداء الأجور (*التشوف*، 101 ـ 102 ـ 103 ـ 111 ـ 113 ؛ *المعيار*، 8 : 137 و138 ومابعدها) والملاحظ أن عنصر العبيد أو العمال الزراعيين السود قد تطورت خبرتهم بالعمل الزراعي منذ أن أدخلهم المرابطون إلى المغرب كعبيد الخدمة أو رعاة ( *نظم الجمان*، 211 و242 ؛ *التشوف*، 119 ـ 245 و248).

تتم عملية الحصاد في الأراضي الجماعية عن طريق التويزة مناوبة بين القبائل أو العائلات، ويتطوع شباب قرية أو عدة قرى أو قبيلة لحصاد فدان العجزة والأشخاص المسنين أو المتصوفة والصلحاء ( *التشوف*، 111 و113).

كان الاتفاق هو أساس التعامل ما بين الحصاد وصاحب الفدان وتخضع شروطه إلى قانون العرض والطلب، فعند كثرة الحصادين تتدنى الأجور وتصبح شروط صاحب الفدان هي الغالبة، والعكس في حالة قلة الحاصدين ؛ ففي العصر الوسيط كان التعاقد الغالب هو (المقاطعة) أي يتم الاتفاق بين صاحب الفدان والحصادين على (الحصاد والجمع والنقل) مقابل جزء محدد من المحصول وأحياناً مقابل التبن أو اللقطة (أي التقاط ما سقط من سنابل في الفدان) إلى غير ذلك من الأشكال التي اختلفت حسب الظروف والفترات التاريخية، من ذلك مثلا أن اللقطة (أو الالتقاط) في السنوات الخصبة تكون مباحة للجميع خاصة للفقراء، وفي السنوات العجاف تصبح اللقطة أجرة للحصاد أو للدارس أو الحراث ... أو تُوقَف لأعمال الخير. ( *المعيار*، 8 : 265 ـ 266) ؛ في العصر الوسيط كانت عملية تنقية الحقول والفدادين من الأعشاب الضارة التي تسبق عادة عملية الحصاد تكلف بها النساء مقابل أجرة نقدية أو عينية يومية أو إلى أجل الحصاد وجمع المحاصيل، وفي غالبية الاستغلاليات الكبرى كانت العملية تتم مقابل اللقطة أي السماح لأصحاب ذلك العمل بالتقاط السنابل التي تسقط بعد الحصاد، وأحياناً تتم العملية مقابل ما يجمعه العمال من عشب وحشيش خاصة في الاستغلاليات المجاورة للمدن.

لم تعرف أدوات الحصاد تغييراً منذ التاريخ القديم وإلى الآن في مناطق الفلاحة التقليدية، فالمنجل مازال على حاله وشكله ( *التشوف*، 85 ـ 103 ؛ *المقصد*، 141) ثم أغطية الأصابع من أعواد الدفلى المجوفة أو من قصب توضع على الأصابع اليد اليسرى وقاية لها من ضربات المنجل الطائشة.

عرف عن الحصادين حشونتهم وغلظتهم في المعاشرة بينهم وفي التعامل مع أصحاب الفدادين، فانعدام الثقة بين الطرفين هي الغالبة، ويضرب بهم المثل في عدة مناسبات، مثل الأكل الشره (ماكْلَة الحصادة) ومن ذلك ما رواه صاحب *التشوف* عن أبي جبل يعلى من أهل فاس (ص. 101 ـ 103) : " ... فانصرف إلى مدينة فاس فلما قرب منها وقد أصابه جوع شديد أبصر الحصادين قد سيقت لهم ثردة الفول بالسمن، فاستولت عليه شهوة الطعام ومالت به رائحته، فقال في نفسه : أنا أسمر وهؤلاء الحصادون من جنسي فلعلهم يدعونني للمؤاكلة معهم، فمال إلى جهتهم فصاحوا عليه وانتهروه".

من المناطق التي اشتهر أهلها بالبراعة في الفلاحة منذ القديم وإلى اليوم جبال الريف، واشتهر منهم في ميدان الحصاد على الخصوص جبالة فإلى وقت قريب، أي قبل انتشار المكننة بشكل واسع، كانوا يكتسحون السهول الأطلسية والداخلية في موسم الحصاد ابتداءً من أواخر شهر ماي، فكانت الأسواق الأسبوعية في البوادي تعج بهم. ي.

ابن الزيات، *التشوف*، الرباط، 1958 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1981 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تطوان، د. ت ؛ محمد الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، د.د.ع. كلية الآداب الرباط، 1988 ؛ *بحث ميداني في قبائل الشاوية*.

محمد حجاج الطويل

**الحَصْبَة**، مرض طفحي من الأمراض المعدية التي

تصيب الأطفال بنسب كبيرة، يُسمى في المغرب بوحمرون بالعربية الدارجة وبوزگاغ بالبربرية. وقد وصفه الرازي بأنه داء يعطي للجلد لونا أحمر وبنفسجيا، وهو مرض خطير وقاتل.

تشح المعلومات حول داء الحصبة في الفترة السابقة للحماية الفرنسية، فلم يرد له أي ذكر لدى ما اطلعنا عليه من مؤلفات مؤرخينا وإخباريّينا. وقد درس الأطباء الأوربيون الذين توافدوا على المغرب غبَّ توقيع الحماية، داء الحصبة وانتبهوا إلى ما كان يشكله من خطر على صحة أبناء جنسهم ومن يعيش قربهم من المغاربة، فجعلوه منذ البداية في قائمة الأمراض ذات الإعلان الإجباري. ثم حاولوا أن يهيئوا له من وسائل العلاج ما يحد من استشرائه وانتشار عدواه. غير أن محاولاتهم في هذا الباب لم تُجد نفعا، حيث عجز الكبار من هؤلاء الأطباء عن علاج الحالات التي كانت تتوافد على المستوصفات بالمدن، أو على خيام الوحدات الصحية المتنقلة بالبوادي، فعدل المغاربة عن الذهاب بالمصابين منهم بالحصبة إلى الطبيب، وبلغ الأمر بالكثيرين منهم إلى حد الاعتقاد بأن هذا الداء يستعصي على العلاج. وأنه سيصيب الجميع بشكل حتمي، ثم ينزاح دون علاج.

وكم كان اندهاش الفرنسيين كبيرا أثناء تقصياتهم حول هذا المرض من الأجوبة التي كانوا يتوصلون بها من المغاربة، ومعظمها عبارات تنم عن استخفاف بهذا المرض وتقليل من شأنه، مثل "كيف والو" أو "لاشيء" أو "إنه بوحمرون فقط"، مع أن له مضاعفات خطيرة كالتهاب القصبات والرئة والتهاب الأذن ومضاعفات معوية وعصبية أخرى. لذلك عاث داء الحصبة بشكل كبير في المغاربة خلال فترة الحماية، وخاصة الأطفال منهم، حيث كان يطرق البلاد كل سنة، كما يوضح ذلك الجدول التالي :

| السنوات | عدد حالات الحصبة |
|---|---|
| 1927 | 1756 |
| 1928 | 1985 |
| 1929 | 1723 |
| 1930 | 1498 |
| 1931 | 1640 |
| 1932 | 2404 |
| 1933 | 2679 |
| 1934 | 1819 |
| 1935 | 2206 |
| 1936 | 1715 |
| 1937 | 1987 |
| 1938 | 3008 |
| 1939 | 2483 |
| 1940 | 3988 |
| 1941 | 1134 |
| 1942 | 1254 |
| 1943 | 1812 |
| 1944 | 2444 |
| 1945 | 2555 |
| 1946 | 2030 |
| 1947 | 3201 |
| 1948 | 3947 |
| 1949 | 2412 |
| 1950 | 6433 |

ولا تمثل الإحصاءات المسطرة داخل هذا الجدول، باعتراف من اعتمدوها، سوى نسبة قليلة مما كان عليه الأمر من خطورة داء الحصبة واتساع رقعة انتشاره. فعدد المصابين من المغاربة بهذا الداء، ومعظمهم من الأطفال، لم يكن يقل عن 24.000 سنويا، كما أكد ذلك الدكتوران Gaud وHendler في دراسة لهما سنة 1950، عن داء الحصبة بالمغرب. وكان الموت يحصد مابين 10 و20٪ من عدد الحالات، بمعنى أن تأثير الحصبة بالمغرب كان خلال فترة الحماية، مضاعفا بعشرين مرة، عما كان عليه الحال بفرنسا في تلك الفترة.

ويظهر من خلال الجدول، وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، أن طائف الحصبة كان يلم بالمغاربة كل سنة. كما لو كان من الأدواء المتوطنة بهذا البلد. وتظهر دراسةGaud وHendler المذكورة، أن داء الحصبة كان يداهم البلاد في بعض السنوات على شكل زخات وبائية لا تتوفر احصائيات حقيقية بشأنها، كما كان الحال في السهول الأطلنطية سنوات 1935 و1937 و1938 و1944 و1947، والأطلس المتوسط في سنتي 1942 و1946، والأطلس الكبير سنتي 1939 و1947، وتافيلالت في 1938 و1947 وورزازات في سنة 1940.

كيف كان المغاربة يعالجون الحصبة ؟ استخدم المغاربة في علاج المصابين منهم بالحصبة وصفات بقي بعضها يستعمل، ربما إلى يومنا هذا، في بوادي المغرب، وتتجلى في تغطية المريض أو رأسه بغطاء أحمر، أو تبخير المريض بشعر الماعز، وأحيانا بشربه لقليل من العسل. وعمد بعض الناس في ذلك إلى طبخ كروش البقر أو الغنم مع كميات من الكسبرة والكرفس، فيشرب المريض من طبيخها ويُدثر بكثير من الأغطية ليعرق.

ولا يمكننا الجزم بفعالية هذه الوصفات أو عدم نجاعتها في علاج الداء، ولو أن كثيراً ممن تم استجوابهم في هذا الباب، كانوا يثقون في تلك الوصفات وخاصة الأخيرة منها. وقد بقي هذا الداء يعيث في المغاربة حتى بعد فترة الحماية، ومجيء الاستقلال، حيث تخبرنا الدكتورة نعيمة لمدور البوعزاوي في كتابها عن أمراض الأطفال أن داء

الحصبة تسبب فيما بين 1957 و1970 في 1.110.000 حالة وفاة بالمغرب.

وتجدر الإشارة ونحن نختم حديثنا عن داء الحصبة إلى وجود نوع آخر من الحصبة يسمى الحميراء أو الحصبة الالمانية La Rubéole، وهي تشبه الحصبة كما تحدثنا عنها، وخطورتها تكمن في ما يلحق الجنين من تشويه كالصمم والبكم، عندما تصاب بها المرأة الحامل في الشهور الثلاثة الأولى.


د. عثمان الكاديكي، *الأمراض المعدية* ؛ د. فرج محمد الهوني، *تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية* ؛ *الرواية الشفوية*.

H. Bardon, *Contribution à l'étude épidémiologique et clinique de la rougeole au Maroc*. *.I.H.M.*, N° 3 - 4, Tome XI, 1951 ; Gaud et Hendler, *La rougeole au Maroc*. *B.I.H.M.*, N° 3 - 4, Tome X, 1950 ; N. Lamdouar Bouazzaoui, *Maladies infectieuses du nouveau-né, du nourrisson et de l'enfant*. Rabat, 1989.


بوجمعة رويان

**الحصبة** نوع من غناء العَيْطة يدعى أيضا الحصباوي نسبة إلى منطقة الحصبة التي تقع شمال أسفي بثلاثين كلم على الطريق الرابطة بين أسفي والجديدة عبر دكالة وقسم من قيادة الربيعية. وإلى هذه المنطقة يرجع ظهور فن العيطة الحصباوية التي تعتبر من أصعب العيوط من حيث العزف والإيقاع والأداء. بحيث لا يمكن لأي فنان أن يؤدي فن الحصبة باستثناء شيوخ الحصبة، وقد انتقلت عدة عيوط من الحصبة إلى المرسى، تغيرت وأصبحت مطبوعة بطابع جديد.

تمتاز عيوط الحصبة من حيث الشكل بكونها جد طويلة، وأطولها "الرادوني" أو "برغالة" وتتكون من تسعة فصول، وأقصرها تتكون من خمسة فصول مثل "كبت الخيل". أما من حيث الأدوات فإنها تمتاز بمحافظتها على الآلات الأصلية كالسويسدي والكنبري والتعريجة. وبخصوص الموضوعات نجدها جد متنوعة بحيث تختلف من المجال العاطفي إلى مجال الهجر، ومن الاختلاجات النفسية إلى الفروسية ثم الصراع مع السلطة وغير ذلك مما يرتبط بحياة الإنسان وبالأحداث التي تقع له.

تعتمد الحصبة من الناحية الفنية على الإيقاع أكثر من النقع، وعلى الكلمة أكثر من الرنة الموسيقية، وعلى الصوت الذي يجب أن يوفر مختلف الطبقات الصوتية. من جهة أخرى نجد هذا النوع من العيطة بقي محصورا في منطقة أسفي نظراً لصعوبة تناوله كما ذكرنا، ولا نجده يتناول في مجالات العيطة الأخرى كالمرسى أو الحوزي أو ورديغة.

ونجد من أهم شيوخ هذا النوع مثلا الشيخ مصطفى ولد الضوء والبدري والدعهاجي وعبدة.

تضم الحصبة العديد من العيوط أهمها الرادوني أو البرغالة وهي أطول العيوط إذ تتكون من تسعة فصول، ونجد من باقي العيوط :

وليتي ولتي، وهي من العيوط الميتة
كاسي فريد، وهي من العيوط الميتة كذلك
سيدي حسن، نسبة للسلطان الحسن الأول
اغريب في المحلة أو على قبلك بايتا عساسة
بين الجمعة او بين الثلاث
ارجانا في العالي، أو الخادم
حاجتي في گريني، أو سيدي أحمد
كبت الخيل
خربوشة
العمالة أو ابا علال ساجني
الواد يالِّي ما عندو گوَّاد

وقد أخذت عيطة (ارجانا في العالي) اسم "الحصبة" لكونها كانت أول عيطة من منطقة الحصبة تم تسجيلها على شريط "45 لفة" سنة 1963 وبهذا تم ترويجها تحت اسم الحصبة.

أصبحت بعض الفرق حاليا تستعير بعض الفصول من هذه العيوط ثم تغني، وقد لقيت إقبالا كبيراً نظراً لعذوبتها. وتتكون هذه العيطة من سبعة فصول "قاطبات" وست "حطات" وانصراف. ويفوق عدد الأبيات عشرة في كل قاطبة.

ونظراً لذلك التبادل والتلاقح الذي وقع بين مختلف المناطق المتجاورة مثل : الحصبة، المرسى أي منطقة في عبدة ودكالة. انتقلت هذه العيطة إلى منطقة الشاوية فأصبحت تدعى "ارجانا في العالي البيضاوية أو المرساوية ... وقع عليها الكثير من التغيير بحيث أصبحت تتركب فقط من فصلين وحطة واحدة وانصراف. الفصل الأول بطيء ويدخل ضمن المقدمة، والثاني إيقاع سريع ويدخل ضمن الانصراف. ونظراً لقصر هذه العيطة فقد أدمج في إطارها وخاصة في الانصراف عيطة الكافرة واغدر بي ... أما من حيث الأبيات فنلاحظ أن بعضها لازال يحتفظ بأصالته، وذلك بحكم وجودها في كل من العبدية والبيضاوية، وتبقى الأبيات الأخرى مطبوعة بطابع المرسى. وبالنسبة للإيقاع الذي تتخذه هذه العيطة فهو إيقاع لا يتغير منذ البداية حتى النهاية .. ويمكن استشفاف العديد من الملاحظات من خلال مقارنة نصوص عيطات الحصبة. ومن نماج الحصبة.

*ارجانا في العالي الحصباوية أو الحصبة أو الخادم*

| | |
|---|---|
| ارجانا في العالـــي | غـريـب أُو برانـــــــي |
| الحصبة ولأنـــــة | سوارتـها عطابـــــــة |
| راعـــي للخـــــاوة | كلْشي يفوتْ تبقَى لَعْدَاوة |

باب هيا ما يدوم حال يا سيدي


إدريس الإدريسي، *كشف الغطاء عن سر الموسيقى ونتائج الغناء*، الرباط 1935 ؛ ع. الجراري، *القصيدة*، الرباط 1969 ؛ م. الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ أ. الصبيحي، *باكورة الزبدة*، تعليق عبد الرحيم العطاوي ومحمد ظريف، الرباط، 1994 ؛ علال ركوك، *بعض الدلالات التاريخية من خلال العيطة*، *بيان اليوم الثقافي* 92.2.10 ؛ *نماذج من الزعري*، 92.3.15 ؛ *الرواية الشفوية في منطقة الحصبة*.

A. Ragoug, *Quelques réflexions au sujet de la aïta, Al Bayan,* 10/02/1992.

علال ركوك

**الحُصْري، عليّ** بن عبد الغني الفهري القيرواني السبتي، الأديب الشاعر المقرئ الضرير. نسبة إلى صناعة الحُصْر. وهو من حفدة الفاتح عقبة ابن نافع الفهري، وقريب إبراهيم الحُصْري مؤلف *زهر الآداب*.

وُلد علي الحُصْر في حدود سنة 420 هـ بمدينة القيروان وبها نشأ وتعلم على كبار شيوخها وبرّز في علوم العربية والقراءات - على الخصوص - تبريزاً بوأه أن ينتهض بهمة التدريس والإقراء بجامع القيروان نديداً لأشياخه وباذاً لأقرانه وأترابه، على أن ذلك لم يدم طويلا، فقد كانت الزحفة الهلالية على القيروان سنة 449 هـ قاصمة الظهر، أضحت بعدها القيروان حصيداً كأن لم تغن بالأمس، فنزح علي إلى مدينة سبتة، حيث ألفى فيها مقاماً طيباً ونزل بها منزلا مباركاً تحت إيالة حاكمها سكّوت بن محمد البرغواطي ( *معلمة المغرب*، 4 : 1170 وبعدها) ونجله بهاء الدولة يحيى ( *الذخيرة*، 2 : 662) فقد هيأ له من أسباب التفرغ للتدريس والإقراء ما جعله مدينا لهما بإجراء جميل الذكر وكريم الدعاء، يقول : "ومن الحق الواجب أن يدعو للمنصور (لقب لسكّوت) والحاجب (لقب لابنه) فهما فَجَّرا هذا النهر من بحري، واستخرجا هذه الدرر من نحري، بصفحهما الجميل، وإحسانهما الجزيل، جزاهما الله حسن ثوابه، كما أجلساني لإقراء كتابه، وأخرجاني من ظلمة الشعراء إلى نور القراّء" (*منح الفريدة*، 2 : 17).

وفي سبتة ذاع صيت الحُصْري وضاع عرفه في الآفاق، فوفد إليه الطالب وكثر عنه الآخذ وراسلته ملوك الطوائف تبتغي وده وترتجي مديحه. ولما أن أمضى بسبتة ردحاً من الزمن، حوالي عشر سنوات، اجتاز إلى الأندلس. ولعله قصد إشبيلية استجابة لاستدعاء قديم من المعتمد ومنها جاب القطر الأندلسي وتنقل بين أرجاء ممالكه ينتجع ملوكه، ويمتاح نوالهم، فأمر أمره وذاع سره وضاع عرفه (*الذخيرة*، 7 : 246) زار الحُصْري في رحلته : المرية وبلنسية ومالقة ومرسية ودانية - كما تدل على ذلك إشارات كثيرة وردت في شعره وتراجم أصحابه - وطاب له الثواء بالأندلس رغم ما كان يقع بينه وبين أترابه ومعاصريه من "مناقرات ومنافرات" والمعاصرة حجاب. ونحن وإن كنا نرى أن في بعض ما جرى من ذلك احتضاماً لحق مترجمنا وتظلما فواحا على شخصه، فإنا لا نسقط عنه - أحيانا - معرة التشريب وملامة التأنيب، إذ كان فيما قيل عنه : "ضيق العطن، مشهور اللسن، يتلفّت إلى الهجاء تلفّت الظمآن إلى الماء" ( *الذخيرة*، 1 : 246)، كما كان له اعتداد بالنفس يصل إلى حد الغرور جعله يتشامخ على أهل الأندلس بما كان يطرح عليهم من المسائل العلمية في قالب الألغاز والتعمية. (*أخبار وتراجم أندلسية*، 111).

وفي سنة 483 خرج الحُصْري من الأندلس راجعاً إلى المغرب فنزل بطنجة حيث اقتعد مجلس الإقراء وتصدر منصب التدريس يبث معارفه القرآنية بعدما اعتزل ركب الشعراء وأحرق أشعاره، وجعل القرآن شعاره ... (مقدمة "*اقتراح القريح*" ) إلى أن هدَّ الدهرُ منْ قُواه، واجتمع إليه على كبر السن عماه، وضاق ذرعه، وتراجع طبعه، واستكان إلى الوحدة والخلوة، ونفض يده من الترحال ( *الذخيرة*، 7 : 246).

ترك الحُصْري مكتبة أدبية ذكر له منها المترجمون ما يلي : *المستحسن من الأشعار* : ولعلها هي المجموعة التي يسميها ابن قنفذ "كتاب القصائد" ( *الوفيات*، 260) وهي مجموعة من القصائد نسجها في مدح المعتمد بن عباد. وقدمها إليه عند اجتيازه إلى طنجة سنة 484 هـ ( *المعجب*، 211 . 212) ؛ *المعشرات* : جملة قصائد في الغزل والنسيب رتّبها على حروف المعجم، ومجموع أبياتها تسعون ومائتان، وربما كانت من وحي مأساته بفرار زوجه الشابة عنه وكان بها شغوفا ( *الحوليات*، 1964 ع. 1 ص. 127) وقد اعتُبرت من "أروع ما عرفه الأدب العربي من أغاني الغزل الصافي الكئيب" وقد قام بطبعه المرزوقي والجيلاني في كتابهما عن الحُصْري، وأفادا أنه أول من ابتدع نظم المعشرات ؛ *ديوان اقتراح القريح واجتراح الجريح* : يشتمل على واحد وتسعين وخمسمائة وألفي بيت من الشعر موزعة على حروف الهجاء، كله في رثاء ولد له مات صغيراً اسمه عبد الغني، ويرى الشاذلي تويجر أنه كتاب ضمّنه الحُصْري قسما منثوراً وآخر منظوما. وليس ديونا فحسب.

*ديوان شعر* قال عنه حسن حسني عبد الوهاب : "منه قطعة صالحة ضمن مخطوط في مكتبة الإسكوريال" (*صدور الأفارقة*، 5) ؛ *رسائل الحُصْري* لم يبق منها إلا فقرات قليلة نشرها الأستاذان في كتابهما عن الحُصْري ؛ أشعار أخرى متفرقة منها قصيدته السائرة "ياليلُ الصبّ" وقصيدة "سهم الشهم" فيها هجاء عصريه وقريعه ابن الطراوة.

وأما في علم القراءات فقد كان فيها "الأستاذ الماهر" و"الأستاذ الأعلى" و"شيخ القراء" وأهم ما يجلي منزلة الحُصْري القرائية هي ما تركه من مؤلفات في هذا الجانب المعرفي - علم القراءات - وقد قال الذهبي عنه : "وله تصانيف في القراءات" (*سير أعلام*، 19 : 27)، ومبلغ علمي أنّ ما خلفه الحُصْري في هذا الميدان لا يعدو أن يكون : *لغزه القرائي المشهور*، *وقصيدته في قراءة نافع* التي اشتهرت بالمغرب قبل سنة 603 هـ .. وتداولها الناشئون بحفظها في الكتاتيب. وقد حكى المجاطي عن شيخه أنه : "أدرك في مدينة فاس أناساً يقرؤون حرف نافع من *الحصرية* قبل قدوم المؤلف أبي الحسن بن برّي إليها وقبل قدوم تأليفه إليها حتى إلى باب الراءات، فيقرؤونها

من *الشاطبية الكبرى* لأنه سلك في نظمه سلوك أبي عمرو في *التيسير*" (*شرح المجاطي على الدرر*، 122).

توفي بطنجة سنة 488 / 1095 ودفن بإزاء سورها خارج باب الحدادين (إشارة فريدة عزيزة وردت في النسخة الناصرية من *القصيدة الحصرية*).

ع. ابن بسام، *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1979 ؛ م. ابن خير، *فهرس ما رواه عن شيوخه*، بيروت، ط. 2، 1979 ؛ أ. السلفي، *أخبار وتراجم أندلسية*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1405 ؛ خ. ابن بشكوال، *الصلة في تاريخ أئمة الأندلس*، تح. السيد عزت العطار، 1955 ؛ ع. ابن دحية، *المطرب من أشعار أهل المغرب*، تح. إ. الأبياري وصاحبيه، بيروت؛ ع. المراكشي، *المعجب*، تح. س. العريان، العربي العلمي، الدار البيضاء، 1978، ص. 7 ؛ م. ابن الآبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. السيد عزت العطار، القاهرة، 1375 ؛ ع. الرعيني، *برنامج شيوخ الرعيني*، تح. إ. شبّوح، دمشق، 1962 ؛ أ. ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، تح. إحسان عباس، دار صادر ؛ ع. الدباغ، *معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان*، 1320 ؛ ع. م. المراكشي، *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة*، الرباط ؛ م. ابن رشيد، *ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة*، الأجزاء 2ـ3 تح ؛ م. بلخوجة، تونس، 1982 ؛ ق. التجيبي، *البرنامج*، تح. عبد الحفيظ منصور، 1981 ؛ م. الذهبي، *المشتبه في الرجال*، تح. م. البجاوي، ص. 1، 1962 ؛ م. المجاصي، *شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ نافع*، رقم 2705 ؛ ي. السراج، *الفهرسة*، مخطوط، خ. ع رقم 2643 د ؛ م. ابن الجزري، *غاية النهاية في طبقات القراء*، 1352 ؛ *النشر في القراءات العشر*، تح. م. علي الضباع ؛ ع. المنتوري، *الفهرسة*، مخطوط، خ. ح رقم 1578 ؛ ع. السيوطي، *لب اللباب في تحديد الأنساب*، بغداد ؛ م. ابن غازي، *التعلل برسوم الإسناد*، تح. م. الزاهي، الرباط، 1979 ؛ ح. خليفة، *كشف الظنون*، بيروت، 1990 ؛ ع. ابن العماد، *شذرات الذهب*، 1350 ؛ م. ابن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجرية ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ط 1 1349 ؛ ك. بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، تر. عبد الحليم النجار وآخرين، مصر، 1975 ؛ ح. ح. عبد الوهاب، *صدور الأفارقة* ؛ إبراهيم الحصري ضمنه مجلة *الثريا*، س 1 ع. 109، 1944 ؛ المرزوقي والجيلاني، *علي الحصري، دراسة ومختارات*، ط 2 1974 ؛ ش. بويحي، *حوليات الجامعة التونسية*، ع. 1، 1964.

توفيق العبقري

**حصّار**، أسرة سلوية ربما كانت من مهاجري الأندلس، استوطنت سلا منذ عهد بعيد. وقد عرف منها تجار كبار وأمناء وعدول، وكان منها العمال أيضاً. أمثال محمد بن قاسم حصار أمين مرسى الدار البيضاء سنة 1280 ومحمد ابن عبد الله حصار الذي كان فيما بين سنة 1304 و1322 أميناً بمرسى تطوان وأسفي، والمعطي بن عبد الله حصار ناظر الأحباس بأسفي وسلا (ت. 1356 / 1937).

**حصّار، عبد الله** (الحاج -) بن قاسم السلوي كان تاجراً وأميناً بمرسى أسفي وبالدار البيضاء. وقد خلف مَحمد بن إدريس الجرَّاري في ولاية الدار البيضاء، وفيها توفي سنة 1296 / 1879 بسكتة قلبية.

**حصّار، قاسم** (الحاج -) بن الحسن السلوي، كان تاجراً كبيراً له امتياز في بيع البقر بطنجة للوسق إلى الخارج. كما كان أميناً بمختلف المراسي.

توفي سنة 1285 / 1868.

**حصّار، محمد** بن **عبد الله** السلاوي، طبيب، مهتم بشؤون الثقافة والفكر كثير التردد على الخزائن العلمية. قضى معظم حياته في التطبيب بالدار البيضاء. إلى أن أدركته الوفاة بالرباط يوم الجمعة 29 شعبان عام 1414 / 11 فبراير 1994 ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

جريدة *العلم*، عدد 15998 بتاريخ 15 يبراير 1994.

**الحصّار، محمد الفاسي**، فقيه أستاذ مقرئ، كان يدرّس بالقرويين. ولم يزد مترجموه على هذه العبارة القصيرة التي تناقلوها.

توفي بفاس يوم السبت عاشر جمادى الأولى عام 908/ 12 نونبر 1502 ودفن خارج باب الفتوح.

أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 244 ؛ *درة الحجال*، 2 : 144 ؛ *لقط الفرائد*، *موسوعة أعلام المغرب*، 2 : 815 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 159.

**حصّار، محمد بن المعطي** السلاوي، الوطني الكبير. وُلد بسلا في رجب عام 1328 / يوليوز 1910. وبعد أن تلقى التعليم الابتدائي بمسقط رأسه تحول إلى الدراسة بالرباط بثانوية مولاي يوسف.

ظهرت عليه ملامح الاستعداد الصحافي منذ صغره، فكان في شبابه القصير يكتب ببعض الجرائد الوطنية مثل *عمل الشعب* وجريدة *الحياة* التطوانية. وأشرف على تحرير *مجلة المغرب* التي كان يصدرها محمد الصالح ميسة.

كان شغوفاً بالمطالعة والتحصيل وظهرت عليه ميول إلى الميدان السياسي والأدبي، فكان من المؤسسين للنادي الأدبي الإسلامي بسلا سنة 1347 / 1928، ثم انخرط في جمعية المحافظة على القرآن الكريم، وانضم إلى حركة مقاومة الظهير البربري. كان من الرعيل الأول للجماعة الوطنية الأولى التي نشأت بسلا.

كان شجاعاً جريئاً، نظّم مع الحاج أحمد معنينو مظاهرة ضد انتشار الخمور بسلا فسجنا من أجلها طيلة شهر.

خلف بعض الأبحاث والمقالات جمعها أبو بكر القادري في كتيب وضعه في ترجمته، يظهر منها ما كان يتمتع به من رأي ثاقب.

توفي بسلا يوم الأحد 6 جمادى الأولى 1355 / 26 يوليوز 1936، وأبّنته جماعة من الوطنيين والشعراء والأدباء. ويسمى اليوم بسلا شارع باسمه.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 150 ؛ عشاش، *بيوتات مدينة سلا*، تح. نجاة المريني، ص. 98 ـ 99 ؛ *وثائق بنسعيد* ؛ م. بوشعراء، *الذيل الجديد في الإتحاف الوجيز* ؛ *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج. 1 : 77، ج. 2 : 804 ـ 805 ـ 922، ج 3 : 1025 ؛ *التعريف*، ج. 1 : 197، ج. 2 : 249 ـ 258 ؛ أبو بكر القادري، *محمد حصار*، ص. 8 ـ 11 ؛ ع. الجراري، من أعلام الفكر المعاصر، ج. 2 : 480.

مصطفى بوشعراء

**حْصَين**، إحدى الفرق الثمان التي تكوّن قبيلة بني حْسَن الموجودة بين وادي سبو وأبي رقراق وهي أصغر هاته الفرق سكاناً ومساحة.

ذكر بعض المؤلفين أن موطن حصين كان بضاحية سلا وهو موقع مدينة كوديس الفينيقية بعين اسمير إلى أن حطمها الوندال وتركوها بلاقع، ويظن أن مكان أطلالها هو المقابر الموجودة هناك. كما يذهب آخرون إلى أن بني يفرن لما أسسوا إمارتهم بسلا وشالة في القرن الرابع (10 م) لمقاومة بورغواطة اتخذوا موقع حصين مركزاً هجومياً لمقاومتهم (كينيث ل براون، *نبذة حضرية عن تاريخ المغرب* : سلا، 1000 ـ 1800، ص. 92).

لا نعرف متى استوطن حصين مجالهم الحالي. والمظنون أنهم أُنزلوا شرقي سلا ونهر أبي رقراق في العهد المريني. وبعد ذلك صار لهم دور دفاعي عن مدينة سلا من غارات المجاورين لهم ولا سيما في القرن الثالث عشر (19 م) مثل زمور. ولهذا يرى حصين أنهم من قبائل الگيش ينبغي أن يعاملوا كذلك.

يحدّ حصين قبيلة عامر الحوزية شمالا والسهول جنوباً وشرقاً ونهر أبي رقراق ومدينة سلا غرباً، ويمر بها نهر أبي رقراق فيشطرها شطرين. ومرور هذا النهر بها يؤهلها لدور زراعي ممتاز (*مدن المغرب وقبائله، الرباط وناحيته*، المجلد الأول، أحواز سلا القسم الرابع ص. 244 و248).

وهكذا عرفت منطقة الولجة في القرن الثالث عشر (19م) زراعة سقوية غنية مثل القطن والحناء والعصفور والنيلة سنة 1864 و1868 (*التعريف ببني سعيد*، 2 : 65 و120).

ولما انتصبت الحماية الفرنسية أحصي سكان حصين وعدد خيامهم، وظهر أنهم ينقسمون إلى قسمين مجموعهما 171 خيمة (أسرة) :

ـ العشيرة الأولى (85 خيمة) : رياح 65 خيمة، والعساكرة 20 خيمة.

ـ العشيرة الثانية (86 خيمة) : ذْو رافع 13 خيمة، وأولاد عقبة 73 خيمة، وهم يتجرأون هكذا : أولاد هلال 36 وأولاد مبارك 28 وأولاد موسى 9 (*مدن المغرب وقبائله*، ص 252).

واليوم تشهد منطقة حصين تطوراً بشرياً وعمرانياً واقتصادياً بسبب قربها الشديد من مدينة سلا، فصارت اليوم بلدية خاصة ضمن المجموعة الحضرية لمدينة سلا (المرسوم الصادر في 28 حجة 1412 / 30 يونيو 1992 الصادر بالجريدة الرسمية عدد 4157 بتاريخ فاتح يوليوز 1992 بشأن التنظيم الترابي).

وقبل ختام هذا العرض أشير إلى أن حصين كانت تُسيَّر من سنة 1860 إلى 1912 من لدن قواد وأشياخ، هم :

ـ محمد بن الطيب دريهْمُو حتى عزل سنة 1283 / 1867.

ـ العربي بن بوعزة ابن حَبُّوش 1290 / 1873 وبقي يحكم أولاد عقبة إلى غاية 1319 / 1901.

ـ خليفة ابن الداودي وهو رياحي عُين سنة 1283 / 1867 حتى توفي سنة 1306 / 1889.

ـ محمد بن سليمان، وهو رياحي أيضاً وولي على رياح والعساكرة مثل سلفه إلى أن سجن سنة 1311 / 1894 وعزل.

ـ علي بن شَرْدُود من أولاد مبارك، وُلي من سنة 1299/ 1882 إلى سنة 1309 / 1891.

ـ الجيلالي ابن حبوش، ولي سنة 1321 / 1904.

ـ علال بن محمد ابن سليمان من رياح وُلي عليهم وعلى العساكرة سنة 1321 / 1904.

ـ أحمد وبعده مَحمد (فتحاً) بن جلول وقد ولي كل منهما سنة 1328 / 1910، وهما معاً من رياح.

ـ محمد بن علي بن شردود من أولاد مبارك أي من أولاد عقبة، وقد عين سنة 1326 / 1908 بعد أبيه.

ـ الحاج الطيب الصبيحي ولي سنة 1330 / 1912 على كافة حصين زيادة على مدينة سلا، وصار مَحمد بن جلول خليفة له هناك. (*مدن المغرب وقبائله*، ص. 250 ـ 251).

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، الجزء الثاني ؛ *قبيلة بني حسن 1860 - 1912*، مخطوط ؛ *وثائق آل بنسعيد والخزانة الصبيحية* ؛ *الجريدة الرسمية*، العدد 4157 في فاتح يوليوز 1992.

K. L. Brown, *An urban view of Moroccan history, Salé, 1000 - 1800, H.T.*, vol. XII, 1971 ; *Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région*, Tome I, *Banlieue de Salé*.

مصطفى بوشعراء

**الحُصَيني، بنعيسى** بن المحجوب المعروف بالمقدّم. نشأ بمدينة مكناس في أواخر القرن الماضي. وقد ولع منذ شبابه بالسماع، فكان يلازم الزاوية العلمية ويحفظ مستعملات المادحين والمسمعين أمثال محمد شويكة ومحمد وقادة. وفي بداية العقد الثالث انتقل إلى الرباط حيث تعرف على الفنان عمر الجعايدي والقائد الكروالي قائد الفرقة النحاسية للقصر الملكي وأخذ عنهما مستعملات النوبات الأندلسية، وأتقن العزف على الرباب والعود.

وقد عاد إلى مكناس، فتقلد مهمة مقدم الزاوية العلمية واجتمع حوله هواة الموسيقى الأندلسية يأخذون عنه، وكان مما لقنهم ميزان بطايحي رصد الذيل.

وقد كان من بين مجموعة الشباب المكناسي الذين سعوا في إحداث قسم خاص بتعلم "الآلة" في متحف دار الجامعي سنة 1351 / 1932.

*روايات شفوية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الحُصَيني، عبد السلام** السلاوي، فقيه أستاذ مقرئ يعرف القراءات السبع، كان من القراء المؤدبين الصبيان الذين يأخذون الصلة الموزعة عليهم بمناسبة الأعياد وغيرها. كما كان اسمه يُدرج في قائمة الفقهاء الذين يحفظون القراءات السبع.

توفي بعد عام 1278 / 1862.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، 2 : 54 - 56 ؛ *ذيل الاتحاف الوجيز*، 161.

**الحُصَيني، عبد الله** السلاوي، مجاهد من رياس البحر، كان يشغل أكثر من وظيف في السفن الجهادية. ويتقاضى صلات بهذه الصفات. وكانت له عقارات كثيرة بمدينة سلا وخارجها مفصلة في رسم تركته المؤرخ في سابع عشر شعبان عام ستة وخمسين ومائتين وألف. ولعل وفاته كانت في نفس سنة التركة 1256 / 1840.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، 2 : 155 و160 ؛ *رسم عدلي بتركة المترجم في حوز العدل السيد عبد النبي البخاري بسلا*.

**الحُصَيني، علي** بن إدريس الحسناوي الفاسي. فقيه مشارك مطلع، تولى القضاء والإفتاء بمدينة فاس وغيرها، وتوفي بفاس زوال يوم الأربعاء فاتح محرم (أو متم ذي الحجة) 1214 / 5 يونيه 1799. ودفن خارج باب الفتوح من جهة قبة الشيخ ابن حرزهم.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2466.

محمد حجي

**الحُصَيني، عمرو** (سيدي -) بن مبارك المكناسي نسبة لحصين من قبيلة بني حسن المعروفة بضواحي سلا من عرب معقل. شيخ صوفي زاهد ناسك أخذ عن الشيخ الكبير مَحمد بن سليمان الجزولي وتلميذه عبد العزيز التباع. ظهرت له كرامات عديدة في حياته. أشار إليه ابن عسكر في *دوحة الناشر* (ص. 111) قائلا "كان كثير التنسك والانقطاع إلى الله تعالى وكان ورده كل ليلة أن يختم القرآن العظيم ما بين العشاءين في ركعتين، يفتح القراءة في أول ركعة بعد صلاة المغرب ويختمها في الثانية فإذا سلم علم الناس بدخول وقت العشاء الأخيرة فيسمعون أذان المؤذن في الحي ..."

وكان يتمتع بصوت شجي ويرتل القرآن ترتيلا من غير هدر منه ولا عجلة، كما كان يزور الشيخ أبا يعزى سنويا يمشي إليه حافيا من مكناس إلى قبره مسيرة يومين.

توفي بمكناس حوالي عام 945 / 1538 ودفن بروضة راس التاج التي تنسب إليه وبنى عليه المولى عبد الرحمان ابن هشام عام 1252 / 1836 ضريحا، أصبح من أشهر المزارات بمكناس.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، *موسوعة أعلام المغرب*، 2 : 866، ص. 111 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 495.

رقية بلمقدم

**الحضانة** (دور -)، مؤسسات اجتماعية ارتبطت نشأتها بتطور حياة المرأة التي لم يعد لها متسع من الوقت لرعاية أبنائها نظراً لانشغالها بالعمل إلى جانب الرجل أصبح من الضروري فتح هذه المؤسسات لتنوب عنها في حضانة الأبناء، ووضعت لهذا الغرض برامج ومناهج تربوية ونفسية تراعي السن المبكر للطفل. وقد عرف هذا النوع من التمدرس حاليا نمواً سريعاً خاصة في الدول الصناعية. ويختلف نوع هذه الدور من حيث المضمون من بيئة إلى أخرى، ومن واقع اجتماعي إلى آخر، وتختلف تنظيماتها في البلد الواحد.

تستقبل دور الحضانة الأطفال الصغار والرضع الذين تتراوح أعمارهم ما بين ثلاثة أشهر - عندما تنتهي رخصة الولادة عند الأم الموظفة - وثلاث سنوات.

ليس في المغرب قانون ينص على إنشاء دور الحضانة، لكنها موجودة، بعضها تشرف عليه وزارة الصحة العمومية وتحتضن أطفالا ما بين الرضاعة والسنة الثالثة، وبعضها يندمج في التعليم الأولي (رياض الأطفال) وهي تابعة

للأندية النسوية، وتشرف عليها وزارة الشبيبة والرياضة، كما توجد دور للحضانة تابعة لمنشآت عمومية أو شبه عمومية أو خاصة كالجيش الملكي ومكتب الفوسفاط ومكتب الطاقة والهلال الأحمر ... وهناك دور الحضانة التابعة للبعثات الثقافية الأجنبية.

تبتدئ دور الحضانة باستقبال الأطفال قبل ساعات العمل عند الأمهات وتعطى وجبات الأكل فيها في أوقات معلومة ؛ ففي الساعة التاسعة صباحا يعطي للأطفال عصير فواكه، وفي الحادية عشرة يتناول الأطفال وجبة الغذاء، بعدها ينامون في الأفرشة المخصصة لهم ؛ فالرضع لهم أسرة محاطة بقضبان تحفظهم من السقوط، أما الكبار فينامون على أفرشة موضوعة مباشرة على الأرض. وفي الساعة الرابعة بعد الزوال تقدم لهم أكلة خفيفة. وتتوفر دار الحضانة على عدد كبير ومتنوع من اللعب توزع على الأطفال حسب سن كل واحد منهم من طرف المربيات، وتتكلف كل مربية بحضانة خمسة رضع، أما إذا كبر سنهم فيرتفع العدد إلى ثمانية.

يبدأ الأطفال في المشي عند بلوغهم سنة تقريبا وتساعدهم المربيات على القيام بذلك، وتستمر مساعدتهم حتى الشهر الرابع عشر بالنسبة للمتخلفين منهم. وتختلف الأنشطة داخل المؤسسة إذ يسمح للكبار منهم بتصفح الكتب المزينة بالصور، وتقص عليهم المربية القصص التي تناسب سنهم وذلك قصد إعدادهم لولوج رياض الأطفال عند بلوغهم سن الرابعة من عمرهم.

تقوم بإدارة الحضانة مديرة يشترط فيها أن تكون ممرضة مختصة في تربية الأطفال الرضع، مهمتها تنشيط دار الحضانة بتنظيمها العمل التربوي وتوفير متطلبات المؤسسة وتأدية أجور العاملات من مربيات ومنظفات وغيرهن، وتسهر علي زيارات الطبيب للمؤسسة بكيفية منتظمة للاطلاع على صحة الأطفال، كما تحرص على إقامة علاقات ودية مع الآباء. ويجتمع الاباء مرة كل ثلاثة أشهر قصد استشارتهم في التنظيم اليومي للمؤسسة وشرح الاتجاهات التربوية والأنشطة الموجهة لأطفالهم.

*وثائق وزارة الشبيبة والرياضة، ووزارة الصحة.*

E. Plaisance, *L'Ecole maternelle aujourd'hui*. Paris, 1977 ; *L'Education en France* ; *Notre petit frère va à la crèche*, *BTJ*, 10 / 1985 n° 0267 ; J.F. Simonpoli, *La conversation enfantine*, Paris, 1991 ; L. Mozere, *Le printemps des crêches : histoire et analyse d'un mouvement*. Paris, 1992.; *Ouvertures : l'école, la crêche, les familles*. Paris, 1985 ; *A la mode des petits. Enfance*, 12/1993 n° 04/93 ; *Les psychologues et la psychologie dans les institutions de l'enfance. Psychologie scolaire*, 12/1982 n° 42.

الهادي بجيبجو

**الحضرمي، أبو بكر محمد** بن الحسن المرادي حسب ماورد في *ذخيرة ابن بسام* (ق 4، ج. 1 : 364 ـ 367). وهي نسبة إلى قبيلة مراد بحضرموت كما صنفها ابن حزم في *جمهرته*. على أن نشأته قد تمت بالقيروان حسب مارواه ابن بشكوال نقلا عن القاضي عياض. نجهل مع ذلك تاريخ ولادته وظروف نشأته إذ أن المصادر لا تذكر له شيوخاً قرويين أو مغاربة أو أندلسيين. وحتى إذا كان قد أخذ كتاب *فقه اللغة* للثعالبي عن المغربي أبي قاسم عبد الرحمان بن عمر بن محمد التميمي القصديري، فإن مشاركته المعروفة في الأدب وقرض الشعر لم تكن أكبر اهتماماته العلمية. فقد اتفقت المصادر على أنه كان "عالما وإماما في أصول الدين، وله نهوض في علم الاعتقادات والأصول". بل إن تليمذه يوسف الكلبي الملقب بالضرير أخذ عنه علم الكلام حيث يعتبر الحضرمي المرادي "أول من أدخل علم الاعتقادات إلى المغرب الأقصى". وبذلك نستبعد أن تكون نشأته العلمية قد تمت كلها بالقيروان. لقد كان ذا ثقافة كلامية أصولية خلافا لما هو متداول بين مالكية المغرب الأدنى والأندلس والمغرب الأقصى. كما حمل معه إلى المغرب العقيدة الأشعرية شأنه في ذلك شأن "نظار أهل السنة ... ومن المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية" (*الغنية*، 282) فقد وصلتنا أسماء بعض مؤلفاته في العقيدة الأشعرية بفضل تلميذه يوسف الكلبي الضرير (ت. 520 / 26 ـ 1127) كما سجل ذلك المقري في *أزهار الرياض* (3 : 161)، بل إن مما يؤكد ابتعاده عن أجواء المالكية بالمغرب إهمال فقهائهم له متجاهلين بذلك شيخا كبيراً في علمي الأصول والكلام.

وصل الحضرمي إلى أغمات وريكة حوالي سنة 450 / 58 ـ 1059. ولم تمض إلا أربع سنين حتى أصبح مشهوراً مما دعا أبا بكر بن عمر اللمتوني أمير المرابطين إلى اصطحابه معه لدى عودته النهائية إلى الصحراء لمتابعة الدعوة والجهاد (465 / 1072). السؤال المطروح هنا هو لماذا اصطحب أمير المرابطين إمام المتكلمين الأصوليين ؟ وهل يمكن على ضوء هذه العلاقة الإبقاء على الانتقاد الذي يصف المرابطين بالسلفية التي تحارب النظريات العقلية في علم الكلام والتي ترفض كل تأويل عقلي للعقائد ؟

لم يتردد أبو بكر بن عمر في تعيين الإمام الحضرمي قاضيا لمدينة أزگى التي لا تبعد عن موقع مدينة أطار الحالية إلا بحوالي ثمانية كلمترات إلى الغرب. تتجلى أهمية أزگي يومها في كونها أول مراقي الصحراء. ومنها إلى سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة ومنها إلى نول سبع مراحل. وهذه المدينة ليست بالكبيرة لكنها متحضرة وأهلها يلبسون مقدرات ثياب الصوف ويسمونها بلغتهم القداور. وقد أخبر بعض من دخل هذه المدينة أن النساء اللواتي لا أزواج لهن بها إذا بلغت المرأة منهن أربعين سنة تصدقت بنفسها على من أرادها من الرجال فلا تدفع عن نفسها ولا تمنع من يريدها. وتسمى هذه المدينة بالبربرية أزقى. وبالجناوية قوقدم. ومن أراد الدخول إلى بلاد سلى وتكرور وغانة وبلاد السودان فلا بد له من هذه المدينة (*صفة المغرب*، 60) وإذا كان الزهري قد أكد على أن أزگي هي حاضرة المرابطين (*جغرافية*، 190) فإن مهمة الحضرمي تبدو

ذات أهمية بالغة. ما يميز هذه المهمة وأين يمكننا العثور على أهميتها التاريخية ؟ إن دراسة العلاقة القائمة بين أبي بكر بن عمر اللمتوني ويوسف بن تاشفين تكشف للمدقق عن صياغتين لمفهومين أساسيين للدولة يتناقضان شكلا ومضمونا. وتتلخص صياغة هذا التناقض المفهمي في إيمان أبي بكر بن عمر بضرورة الفصل بين مهمتي الإمام والأمير واحتياج الدولة لكليهما، بينما لا يرى يوسف بن تاشفين ضرورة للإبقاء على إمام بعد وفاة عبد الله بن ياسين. كانت مهمة الفقهاء هي إرشاد الجند المرابطي وتعليمه أمور دينه. هذا ما يمكن أن نستشفه من القاضي عياض حين أوضح في *الغنية* (ص. 282)، أن أبا الحجاج الكلبي الذي يكون قد زار أزكي بعد انتقال أبي بكر بن عمر إليها حمل منها أراجيز وتجريداً في العقائد والأصول للإمام الحضرمي.

واضح إذن أن وظيفة الحضرمي بالمعنى المحدد آنفا، مرتبطة تمام الارتباط بكل النيات والمقاصد التي كان يعلن عنها الأمير أبو بكر بن عمر، فالجهاد يقتضي ضرورة الفصل بين وظيفتي الإمام والأمير كما أكد على ذلك عبد الله بن ياسين بأساليبه العنيفة، وما على الإمام سوى أن يدمج نفسه في صيغة متميزة باعتبارها معياراً حاسماً. كان على الصيغة أن تأخذ بعين الاعتبار التخطيط المحكم الذي قام به العلماء بالقيروان والأندلس وسوس من أجل إرساء الدولة المرابطية. لقد كان شعار "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" هو دعامة الدعوة المرابطية. كان اهتمام أبي بكر بن عمر بالفقه والحديث دليلاً على تشوفه لفروع الفقه الذي انبثقت عنه أصولَ الفقه وأصول الكلام والنحو والعلوم العقلية. ودون أن نتوقف عند مراحل نمو هذا التوجه الأميري المرابطي، ننتقل إلى ذكر خصائص المدرسة التي انشأها الإمام الحضرمي كتعبير أكثر تألقا عن السائد يومها.

لم يكتف أبو بكر الحضرمي *بالأرجوزة والمختصر* أسلوبا منهجيا في التعليم السريع. بل نجده يدفع أفكاره وتأملاته بعيداً سابغا كل السمات الجوهرية لوظيفته كإمام في تثبيت "رسوم الملك" المرابطي وآدابه. فقد جاء مختصره المشهور *الإشارة إلى أدب الإمارة* كأداة منهجية يقترحها على الأمراء المرابطين من أجل توضيح مبادئ علم السياسة. فسواء طلب منه الأمير أبو بكر بن عمر كتابة المؤلَّف ليكون منهجا له وللمرابطين أم لا، فإن الحدث يكفي وحده لبلورة الخلاف القائم مع يوسف بن تاشفين حول الفصل بين الوظيفتين. ولاشك أن فكرة كتاب *الإشارة إلى أدب الإمارة* كنظام أدلة متداولة وعقلانية في الجوهر لدى أمراء الصحراء تبرز خصائص منظور الفصل بين سلطتي الأمير والإمام. لقد أضفى الحضرمي على كتابه هذا وضوحا ودقة استقاهما على ما يبدو من الجنس الأدبي المسمى مرايا الأمراء Fürstenspiegel. فهو يؤكد في مدخل الكتاب بأنه لم يتبع سبيلا جديداً بل سار سير الذين "جردوا في الآراء والحكم الكتب الباقية. وضربوا للتجارب والنظر الأمثال الشافية". لقد ارتأى الحضرمي أن يكتب لأحداث الأمراء لكي يتحول تهذيبهم إلى مسار صائب من العادات والسلوك. اعتمد من بين أشكال جنس مرايا الأمراء شكلين يعودان إلى العصور الهيللينستية هما التدبير والدولة. يتخذ القسم الأول من الكتاب شكلا هرميا ابتداء من تدبير الرجل نفسه تم دخله وخرجه فتدبيره مع أهله وخدمه لينتقل بعد ذلك إلى العلاقات العامة. ويبدأ القسم الثاني من الكتاب بالحديث عن الملك والملك وآدابه ليتحدث بعد ذلك عن سياسة الخاصة ثم العامة فالجند فالخراج والأموال والحرب والسلم لينتهي بأساليب السلوكات السياسية.

يكون الحضرمي بذلك قد استند إلى *التاج في أخلاق الملوك* للجاحظ *وسر الأسرار* لأرسطو الذي تمت ترجمته إلى العربية خلال القرن الثالث الهجري علاوة عن كتب يونانية أخرى. ويتضح أنه قد أخذ عن *الأدب الكبير* لابن المقفع وعن *كليلة ودمنة* مما جعله يتأثر أيضاً بالأدب الإيراني الساساني. أهم ما يميز موقف الحضرمي من شرعية حكم المرابطين هو ارتباطهم بالشريعة وحقهم في الاحتفاظ بخلافة جديدة بمعزل عن الحكم العباسي. فقد نظر إلى دولة المرابطين بالصحراء خاصة على أنها ضرورية خاضعة لأحكام الشريعة الصرفة. فحدد مسؤوليته في تنويرهم من أجل تأسيس تقاليد سلطانية وبلاط أميري قد لا تعتمد رسوم الملك التي كان يرفضها أبو بكر بن عمر رفضاً تاماً.

إذا نحن تصفحنا كتاب الإشارة وجدناه يحدد نماذج السلوك السياسي السليم التي لا يمكن اختزالها أو تقليصها إلى أية نماذج إديلوجية كيفما كانت الظروف المعاشة. والواقع أن هذه النماذج والصيغ تتوقف على مدى انطباقها على حياة الصحراء. هنا يتضح للمتصفح أن الواقعة الأكثر دلالة بالنسبة لهذه النماذج السلوكية هي الهوة التي تفرق بين هذا الجنس من مرايا الأمراء المقصود هنا وبين الخصوصيات المحلية لكبار الرحل من إيزناگن (صنهاجة) ما يجعل من هذه الهوة قنطرة يستحيل عبورها هو غياب أي قاسم مشترك بين نماذج كتاب *الإشارة* والمنطق الذي يسود نظام التحالفات بين قبائل الصحراء. فالرعية هنا قبائل يسوسها الوازع العصبي، وسلطان دولة أبي بكر ابن عمر يتعلق بالرعي اللمتوني المبني على قوانين تحالفيه صرفة. وعلى العكس من الهدف المرابطي الذي عرف تدهوراً كبيراً بعد صراع يحيى بن عمر مع إيگدالن (گدالة) ووفاته بالصحراء. لم يعد هناك ما يذكي لهيب الحركية الإصلاحية. فكيف نعتبر قبائل الصحراء عبيداً للأمير المرابطي اللمتوني الذي واجبه الوحيد نحوهم أن يعدل بينهم ؟

لقد ارتكز الاتجاه الأساسي للحضرمي على دوره كإمام. وهنا يتضح من ممارساته الصارمة تجاه العامة والخاصة مدى اقترابه من خطة ابن ياسين، فهل كان يطمح إلى خلافة هذا الأخير في تزعم الدعوة المرابطية كما أشار إلى ذلك ابن بسام ؟ ( *الذخيرة*، 1 : 364). لا يمكن أن نتصور جهل

الحضرمي لدى مصاحبته لأبي بكر بن عمر إلى الصحراء حقيقة الخلاف مع ابن تاشفين. لقد كان الإمام يعلم بأن حدود مأموريته لن تتجاوز الصحراء إلى شمالها. بهذه الكيفية يصير طموح الإمام الحضرمي قد تحدد بفعل الظروف السياسية التي كانت تميز الصحراء عن سلطة ابن تاشفين. لقد ربط الحضرمي تدعيم أسس السلطة المرابطية في الصحراء بدوره كإمام يستند إلى أسس عملية. كان يدافع عن مبدأ "انتهاز الفرص" بحرارة متأثرا في ذلك بابن المقفع في *كتاب السياسة*. وقد تجلت استقلالية فكره عن فكر أبي بكر بن عمر وحتى عن عبد الله بن ياسين ويوسف ابن تاشفين بإصراره على تجنب الحرب بأي وسيلة. بل نجده يختلف مع الفكر السياسي الإسلامي حين يؤكد على أن المكيدة ليست كذبا وإنما هي القانون العام للسلوك السياسي. نفهم من هنا أن منطلق الإمام الحضرمي لم يكن هو الوازع الديني وأن الذي شكل بالنسبة إليه الظاهرة الأساسية يومها نمو سلطة الدولة. ويترتب عن ذلك أن أهم شيء هو بالضبط الأسلوب والصيغ الممكنة للدولة. فهو يرى أن مسؤولية الأمير تقتضي منه ألا يعتمد على عصبية واحدة في الجيش تحسبا لكل انقلاب ممكن. تقف هنا العلاقة بين الإمام الحضرمي والأمير أبي بكر بن عمر بوصفها معياراً صارماً غير خاضع للأخطاء القياسية. الدليل على ذلك أن الإمام ظل قاضيا صارما بأزگي بعد وفاة الأمير أبي بكر بن عمر حوالي سنة 468 / 75 ـ 1076. بل إن ممارساته القاسية ظلت تجري بنفس الكيفية حيث تجد ممارسات عبد الله بن ياسين امتدادها في صورة الإمام المرابطي. وعندما يؤكد ابن بشكوال على ظهور الإمام الحضرمي المفاجئ بقرطبة سنة 487 / 94 ـ 1095 ( *الصلة*، 2 : 605)، فإن ذلك لا يعني انتهاء مهمته بأزگي التي سيتوفى بها سنة 489 / 95 ـ 1096. لقد أقام مدة سنتين تقريبا بالأندلس ولم يحاول خلال عبوره شمال الصحراء الاتصال بيوسف ابن تاشفين. وبذلك تتحدد خصائص علاقته بالأمير أبي بكر بن عمر فيما يبدو قطيعة تامة بينه وبين ابن تاشفين الذي سمى نفسه "أمير المسلمين".

هكذا يتضح أن هذا القاضي الفقيه المتكلم الأشعري الذي حاول أن يخلف عبد الله بن ياسين يفصح عن مقاربة متباينة مع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين. لا وجود لشخصية الحضرمي شمال الصحراء ولا وجود لابن تاشفين بالصحراء كأمير إلا بقدرما استطاع أن يجلب إليه ما تبقى من الفصائل اللمتونية. هذه الحقيقة التاريخية تستعمل بشكل أساسي لنقل الخطاب الداخلي لأفكار الإمام الحضرمي ومشروعه الذي جعل منه اسما مبجلا إلى يومنا هذا، وقبراً يؤمه الحجاج وتتكرر حول خوارقه المقولات الشفوية المحلية.

ع. ابن المقفع، *الأدب الصغير ثم الأدب الكبير في رسائل البلغاء*، تح. محمد كرد علي، القاهرة، 1954 ؛ عبد الرحمن بدوي، *افلاطون في الاسلام*، تهران 1974 ؛ ابن الأبار، *المعجم في أصحاب القاضي الإمام علي الصدفي* ؛ ابن بسام، *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*، بيروت، تح. احسان عباس، 1979 ؛ ابن بشكوال، *الصلة*، جزآن، القاهرة، 1955 ؛ ابن عساكر، *تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري*، القاهرة، د. ت ؛ الثعالبي، *تحفة الوزراء*، تح. حبيب الراوي وابتسام مرهون الصفار، بغداد 1977 ؛ القاضي عياض، *ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك*، تح. أحمد بكير محمود، بيروت، 1967 ؛ *الغنية*، فهرست شيوخ القاضي عياض، تح. محمد بن عبد الكريم، 1978 ؛ ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، تح. عبد السلام هارون، القاهرة، 1971.
Abd Al Wedoud Ould Cheikh et Bernard Saison, *Vie(s) et mort (s) de el imam al Hadrami : autour de la postérité saharienne du mouvement almoravide : 11e - 17e siècle*. *Arabica*, XXXIV, 1987 ; M. Naïmi, *Le pays Tekna. commerce. histoire et structures*, à paraître.

مصطفى ناعمي

**الحضرمي، عبد المهيمن** بن محمد بن عبد المهيمن السبتي. وُلد بسبتة عام 676 / 1277 وبها نشأ في كنف والده محمد الذي أصبح قاضي الجماعة بالمدينة منذ سنة 683 في عهد العزفيين أقربائه. فلما احتل النصريون مدينة سبتة عام 705 / 1305 ونفوا العزفيين عنها إلى غرناطة انتقل معهم بنو الحضرمي، وفي الأندلس استكمل عبد المهيمن تكوينه العلمي على جملة مشايخ أورد أسماءهم ابن الخطيب.

ولما عادت سبتة إلى النفوذ المريني وعاد العزفيون إليها ومعهم بنو الحضرمي كان عبد المهيمن قد أصبح في مستوى الخدمات الرسمية خاصة بعد وفاة أبيه سنة 712 / 1312 فجعله السلطان أبو سعيد المريني صاحب علامة ابنه الأمير أبي علي عمر. ومنذ سنة 718 / 1318 تولى عبد المهيمن هذا المنصب مع الكتابة للسلطان نفسه، واستمر كذلك في عهد أبي الحسن ورافقه في رحلته إلى تونس فأدركته الوفاة هنالك بسبب الطاعون الجارف.

وصفه معاصره ابن مرزوق في *المسند* بكونه شيخ المسندين والمؤرخين (ص. 116)، والإمام الأوحد حامل لواء الحديث والأدب (ص. 117) وصاحب العلامة وإمام الكتبة وأحد علماء الحضرة وأهل المشورة، تقلد ذلك لأبي سعيد ثم لأبي الحسن ... وكان وقوراً مهيباً معظماً عند الخاصة والعامة مقداما موحداً متقياً، نادرة وقته وأعجوبة زمانه، أحفظ الناس بعلم اللسان واللغة والأدب بحر في ذلك ... مع إمامته وتقدمه في علم الحديث والمعرفة برجاله (164 ـ 165). وتحدث عنه ابن الخطيب لكونه أحد شيوخه ووصفه بالرئيس صاحب القلم الأعلى بالمغرب، وذكر شيوخ عبد المهيمن ومن أجازوه بالأندلس والمغرب والمشرق، واعتبره "تاج المفرق وفخر المغرب على المشرق".

توفي بتونس مطعوناً في شوال عام 749 / دجنبر 1348 ـ يناير 1349.

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. ع. عنان، 4 : 11 ـ 18 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، ط. الجزائر، 1981 ؛ ع. ابن

خلدون، *العبر*، 7 : 515 ـ 517 ؛ ابن الأحمر، مستودع *العلامة*، 50 ـ 51، ط. تطوان ؛ ابن الأحمر، *نثير الجمان*، 223 ـ ط. بيروت ؛ النباهي، *المرقبة العليا*، تح. ليفي ـ بروفنصال، 132 ـ 133 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 444 ـ 445 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 5 : 240.

أحمد عزاوي

**الحَضْري**، أسرة نبيلة أندلسية الأصل تُنسب إلى مدينة (حَضْرة) الواقعة بين غرناطة والمرية بالأندلس، استقرت بعد الهجرة إلى المغرب بمدينة شفشاون وتطوان وقبيلة الأخماس، وهناك عائلة أخرى بقبيلة الأخماس يطلق عليها (الحطري) بالطاء المشالة. مازال الحضْريون موجودين بالمدينتين والقبيلة، ويقال إن أصلهم من عرب حضرموت (باليمن الجنوبي) ومنه جاء اسم مدينتهم الأندلسية (حضرة) حسب عميد الأسرة الآن الفقيه الخطيب الحاج عبد السلام الحضري التطواني.

كانت شفشاون مُهاجَرهم الأول ومنه انتقلوا إلى تطوان واشتهروا بالتجارة بداخل المغرب وخارجه كأوربا والشرق وتركيا، عرف نشاطهم التجاري منذ سنة 1203 / 1788 وممن لمع اسمه في هذا الميدان بتطوان السيد قاسم بن علي الحضْري المتوفى بتطوان ليلة السبت سابع شعبان عام 1243 ودفن بالزاوية الريسونية. ومنهم السيد محمد بن العربي الحضري كان يتجر بفاس ويكاتب زبناءه ورفاقه في المهنة من أهل تطوان سنة 1270 منهم الحاج عبد الرحمان مدينة، والحاج محمد پايص والحاج أحمد يَايص.

ومن أعيان تجار هذه العائلة : الحاج عبد الرحمان بن محمد الحضري والحاج عبد الكريم، وكانت لهذا الأخير تجارة بتركيا، ويذكر من بقي من أهله بشفشاون أنهم كانوا يحتفلون بمقدمه بالطبول والأعلام، وكذلك بتطوان، وهذا يدل على سعة تجارته ووفرة أمواله وما يحمله من سلع وتحف ومركزه الاجتماعي بين أهل بلده.

ومن أفراد هذه العائلة من يذكر بالعلم والفقه، وعلى رأس هؤلاء الفقيه عبد الكريم الحضري آتي الترجمة. ومنهم الفقيه العدل السيد أحمد بن علي الحضري الذي كان يتعاطى الشهادة بتطوان عام 1088. وانظر هل منهم أبو الصون المحجوب الحضري أحد كتاب دولة السلطان مَحمد ابن الشريف أخي مولاي إسماعيل.

ومما عرفت به هذه الأسرة محبتها للأشراف العلميين وامتزاجها بهم بالمصاهرة، وخصوصا الريسونيين منهم قديما، فقد حدث عميد الأسرة الآن بشفشاون أن تحت يده رسالة تقدير واحترام لأحد أجداده من الفقيه النسابة الحسن بن أحمد ابن ريسون صاحب كتاب *فتح التأييد* المطبوع بتطوان والمتوفى بفاس عام 1055 وبه دُفن، كما حدث الحاج عبد السلام المذكور آنفاً أن جده لأمه انتقل من تطوان إلى سكنى شفشاون بإشارة من الشيخ عبد السلام ابن ريسون المتوفى بتطوان عام 1299 لما طلب منه دواء لمرض أصابه.

ومما يجدر ذكره مما يتعلق بتاريخ هذه الأسرة أن الإمامة والخطابة بجامع ريف الأندلس من شفشاون كانت ومازالت قاصرة على أفراد هذه الأسرة يتوارثونها بينهم، وفيهم الآن عدول وأساتذة وتجار بالمدينتين شفشاون وتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 61، مخطوطة ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 3 : 134 ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، حرف الحاء نسخة الخزانة الداودية بتطوان بخط المؤلف ؛ *روايات شفوية* عن عميد الأسرة بشفشاون الحاج عبد السلام الحضري وعن مؤرخ شفشاون علي بن أحمد الريسوني.

**الحَضْري، عبد الكريم** بن عبد السلام. وُلد بشفشاون ويعدّ ألمع شخصية في هذه العائلة لما عرف به من العلم والفضل والأدب، فقد تولى القضاء والفتوى والعدالة والخطابة بجامع (ريف الأندلس) بشفشاون مدة، ومازالت فتاويه وتقاييده بأيدي الناس بشفشاون ونواحيها.

كما كانت له مساجلات أدبية وإنشادات وإفادات مع معاصريه من الفقهاء والقضاة والأدباء أمثال محمد بن الصادق الريسوني، وصالح بن أحمد الحكموي الرباطي والرحالة محمد بن عبد السلام الناصري، وعبد الرحمان الحايك قاضي تطوان، والفقيه قاضي تطوان عبد الرحمان بن محمد البرنوسي. ولما توفي القاضي عبد الرحمان الحايك رثاه المترجم بقصيدة طويلة حزينة.

ظل المترجم له قائما بهذه الوظائف مع النزاهة وذيوع الصيت وطيب الأحدوثة إلى أن وافاه الأجل بمسقط رأسه قبل زوال يوم الاثنين 5 شعبان عام 1250 / 8 دجنبر 1834.

*كناش خاص تضمن كثيراً من فتاوي المترجم ونظمه ؛ كناش عدلي* بخط المترجم له بخزانة تطوان رقم 535 ؛ *كناشته بخزانة* مؤرخ شفشاون علي بن أحمد الريسوني.

محمد بوخبزة

**الحضيكي**، أسرة تبدو أخبارها غامضة خاصة ما يتعلق بظروف استقرارها بحوض تارسواط (قبيلة أمانوز) وبعمود نسبها. فلا نعرف على وجه التدقيق متى استقرت بالحوض، وإن كان الراجح، كما عند المختار السوسي، أن ذلك حدث قبل القرن الثامن (14 م)، أي في نفس الفترة التي استقرت فيها أسرة آل مَحمد بن إبراهيم والشيخ التامنارتي بقرية إيمي أوگادير. وتذكر الروايات أن أصل أسرة الحضيكي من قبيلة إيداوسملال من قرية أيت عباس، وانتقل فرع منها إلى إيغالن، بعدها هاجرت إلى حوض تارسواط بقبيلة أمانوز. وقد أورد السوسي في موضع آخر إشارة يُرجع فيها أصل الأسرة إلى قبيلة سموگن، ثم تعرض لبعض أملاكها الموجودة بقرية أوگرض من نفس القبيلة. وأشار إلى أن أفرادها كانوا من أعيان قبيلتهم. إن هذا

الطرح لا يعدو كونه موعزاً من ذلك التحفظ الذي سجله السوسي في حق الحضيكي عندما نسب جد أسرة الإلغيين إلى قبيلة سموگن.

مهما يكن، فإن استقرار الأسرة الحضيكية في تارسواط قديم، وشكل ذلك مرحلة متميزة في مسار الأسرة، وتبقى أخبار أدوارها الاجتماعية والدينية مجهولة، كما يخيم الصمت على رجالاتها قبل بروز شخصية الإمام الحضيكي. وقد أورد هذا الأخير في كتابه *الطبقات* بعض أجداده الأبعدين والأقربين، إلا أنه لم يسجل لنا معلومات كافية عن تراجمهم ومستواهم الفكري، وإنما اقتصر على الثناء عليهم، وتعظيمهم وذكر كراماتهم. منهم : محمد بن داوود ابن الحسن التارسواطي، وعبد الله بن عثمان الأوگرضاوي، ومحمد بن أحمد بن يحيى الغتر وعبد الله بن إبراهيم ومحمد بن محمد بن سليمان وحواء بنت عبد الله.

**الحضيكي، مَحمد** بن أحمد اللكوسي المانوزي الإيسي اشتهر بالحضيكي، وكنيته أبو عبد الله. ويلاحظ في بعض المصادر التي ترجمت له زيادة ألقاب أخرى ذات صبغة عامة كالسوسي والجزولي. وُلد بقرية تارسواط في شعبان 1118 / نونبر دجنبر 1706، وبها قضى طفولته وقسطا كبيراً من شبابه. نشأ في أسرة مشهورة بالصلاح، محاطاً بعناية ورعاية مخصوصة بسلوك صوفي. تلقى مبادئ القراءة والكتابة، وكان تعليمه الأولى على يد الفقيه عبد الله بن إبراهيم الگرسيفي. ويبدو أن هذا التلقين غير كاف مما حذا بأسرته إلى إرساله إلى زاوية الشيخ أحمد بن موسى بتازروالت، ومنها انتقل إلى منطقة أقا حيث أخذ عن الشيخ أحمد بن محمد بن الكوري المرابطي الدرعي. كما أخذ عن الشيخ أوهبول بقرية تاگديرت أو شعيب. ويشير التاغرغارتي إلى كونه أبدى استعداداً للتحصيل، وبرز نهمه العلمي وحبه للمعرفة وهو مازال صغيراً. لذا أصبح مؤهلا لحضور مجالس علماء عصره. فسار إلى زاوية أگدال مرزگون بماسة عند الشيخ أحمد الصوابي، وهو عمدة تكوينه الفقهي. كما أخذ عن جملة من علماء سوس أمثال : عبد الله بن إبرهيم الرسموكي ومحمد بن الحسن الحامدي وأحمد ابن عبد الله الهشتوكي وأحمد بن يحيى الرسموكي ومحمد ابن يحيى الأزاريفي وأحمد بن محمد العباسي ومحمد بن علي الهوزالي ... دون أن ننسى اتصاله المبكر بالشيخ حسين الشرحبيلي أثناء نزوله بقرية تارسواط.

يبدو أن الحضيكي لم يقتصر على مركز علمي واحد، وإنما عمل على الأخذ عن الفعاليات الفكرية الموجودة آنذاك. وكان تأثير شيخيه الصوابي والعباسي أساسياً في تكوينه الفكري والصوفي. كما أن جد شيوخه من تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر ومن أعمدة الطريقة الناصرية بسوس. بعد ذلك شد الحضيكي الرحال إلى مراكش. ولا يورد تاريخا محدداً لمقامه بالمدينة وأخذه عن بعض علمائها أمثال : محمد بن عبد الله الدرعي، ومحمد الصغير الإفراني، ومحمد الحاج أبو عبدلي، بيد أنه لا يستبعد أن يكون ذلك قد تم قبل رحلته إلى المشرق، لورود أخبار تحصيله بمراكش في رحلته الحجازية. علماً بأنها تتضمن فقط مشايخه من سوس ومراكش والمشرق، ولا تشمل أخبار عودته إلى المغرب ومقامه بفاس وسلا.

سافر الحضيكي إلى المشرق في سنة 1152 / 1739، وأهم مصدر للتعريف بأخباره خلال مروره بطريق الحاج المغربي ومقامه بمصر، هي *رحلته الحجازية*. وكانت الرحلة أيضاً مناسبة استغلها لزيارة بعض علماء سجلماسة كأحمد بن محمد اللمطي وأخيه صالح. مباشرة بعد أدائه فريضة الحج، أقام بمصر لمدة سنتين، وهي كافية للتحصيل المعرفي ولقاء علماء الأزهر من مختلف المذاهب الفقهية أمثال : أحمد بن محمد العماري وأحمد بن مصطفى الاسكندري وعمر الطحاوي، وأحمد الجوهري ... وإجمالا كانت الفترة التي قضاها بالمشرق ذات أثر مهم في تكوين شخصيته المعرفية. وفي هذا الإطار لم يترك الحضيكي، الطالب المشبع بثقافة الأزهر، فرصة مروره بمدينة فاس، دون أن يتصل بعلمائها رغم الظروف السياسية المتسمة بالاضطراب وعدم الاستقرار بسبب تنازع أبناء المولى إسماعيل على الحكم. وهكذا أخذ عن محمد بن الحسن البناني ومحمد بن قاسم جسوس وعمر بن عبد الله الفاسي، وكلهم أجازوه. بعد ذلك عرج على مدينة سلا التي مكث بها ثلاثة أشهر في بداية عام 1154 / 1741، وفيها لازم الشيخ أحمد بن عبد الله الدكالي. وبعد رجوعه إلى سوس انتهى به المطاف إلى زاوية أبي القاسم الفيلالي ضمن قبيلة إيسي. ولا نعرف متى استقر بهذا الموضع ولا الأسباب التي دفعته إلى ذلك. ومهما يكن فإن هذا الاستقرار ارتضاه لنفسه، حيث انصرف إلى التدريس والوعظ، وانعقدت أولى حلقات تدريسه، وتخرج عليه عدد من الطلبة. كما هيأ له مقامه بالمنطقة الظروف الملائمة للتفرغ إلى التأليف في جميع العلوم : الفقه، الحديث، السيرة، التصوف، النحو، الآداب، التراجم، الفهارس. ويعتبر كتابه في التراجم المعروف *بالطبقات* من أهم إنتاجاته الفكرية، ضمنه أكثر من 820 ترجمة للفقهاء والعلماء والصلحاء من الرجال والنساء ممن عاشوا بين القرنين العاشر والثاني عشر (16 ـ 18 م).

للإشارة فقد وظف الحضيكي مكانته العلمية والدينية في تعامله مع محيطه القبلي، ويبدو أن زاويته أصبحت جزءاً لا يتجزأ من البناء الاجتماعي بسبب الأدوار التي اضطلعت بها. وتشيد المصادر بمواقف الشيخ المتشددة ضد الممارسات البدعية. كما كان يستعمل نفوذه الروحي والمعنوي لإحلال التصالح بالمنطقة وإصلاح ذات البين بين القبائل، والتصدي لأفكار المكاوي وبلاً بن عزوز التي اعتبرها بدعاً وزندقة. ودعا تلامذته إلى عدم اتباع الشخصين المذكورين. ومما يبين إسهام زاوية الحضيكي في المجال الاجتماعي، تلك الأعمال النفعية ذات الصالح العام

التي كان يوجه مريديه إلى القيام بها : توفير مخازن المياه، حفر قنوات إيصال الماء بمنطقة أمگدول وايسي ...

توفي محمد الحضيگي يوم السبت 19 رجب عام 1189 / 15 شتنبر 1775.

م. الحضيگي، *الرحلة الحجازية*، مخطوط، خ. ح رقم 405 ؛ *فهرسته*، مخطوط ؛ عبد الرحمان الجشتيمي، *الحضيگيون*، مخطوط ؛ عبد الله الهلالي، *وفيات الهلالي*، مخطوط ؛ ع. الحفيظ الفاسي، معجم *الشيوخ*، المطبعة الوطنية، 1350 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، 1982 ج 1، 353 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 4 ص. 81، الرباط 1975 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1960 - 1965 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 11 / ج 3، *رجالات العلم*، ص. 70 - 44 ؛ *سوس العالمة* (عدة مواضع) ؛ ع. ابن عبد الله، معجم *المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى*، 1972، ص. 29 ؛ ح. البونعماني، *حول تاريخ الحضيگي*، جريدة السعادة، عدد 4623 - 1938 ؛ عبد الرحمان، التاغرغارتي، *تراجم بعض علماء وفقهاء سوس*، مخطوط ؛ ع. الجراري، *مدخل لرحلة الحضيگي*، مجلة *المناهل*، عدد 10، 1977.

أحمد بومزگو

**الحطب**، مادة عضوية متكونة من الخشب (80 - 90٪) والقشرة والأوراق (10 - 20٪) التي تستعمل جافة عند احتراقها. استعمل الإنسان الحطب منذ اكتشاف النار لإنتاج الطاقة الحرارية لتلبية حاجياته فيما يخص الطبخ والتسخين والتدفئة. وإلى حد الآن يبقى الحطب المصدر الرئيسي بالنسبة للقسط الأكبر من سكان العالم ولا سيما في بلدان العالم الثالث. لقد قدرت المنظمة العالمية للتغذية والزراعة (F A O) بأن 80٪ من الخشب المستهلك هو في العالم الثالث مستعمل على شكل حطب. وهذا يدل على مدى ارتباط هذا الاستهلاك بالموارد الغابوية التي تعرف مزيداً من الضغط الناتج عن تكاثف السكان وتزايد حاجياتهم للطاقة الحرارية. فإن هذا الاسغلال المفرط يعتبر بدون شك خطراً على توازن الأنظمة البيئية الغابوية، كما حدث في بلدان الساحل الإفريقي. وتجدر الإشارة كذلك إلى وجود عامل آخر يساهم في تزايد الضغط على الغابة وهو الحالات غير العادية من التغيرات المناخية كما هو الشأن في المغرب.

يستهلك المغرب كمية كبيرة من الحطب، تقدر بمائة وثلاثة عشر مليون قنطار سنوياً، 92٪ منها تستعمل بالخصوص من طرف الأسر المغربية، و8٪ الباقية من طرف المؤسسات الاجتماعية كالحمامات والافرنة والمصبنات. تدل هذه المعطيات على مدى ارتباط الأسر المغربية باستعمال الحطب كمصدر للطاقة الحرارية. إن هذا الارتباط يلاحظ بشكل وثيق بالنسبة للأسر القروية حيث تصل نسبة الاستهلاك إلى 89٪ مقارنة مع 3٪ فقط التي تستهلكها الأسر الحضرية.

إن معدل الاستهلاك الإجمالي للحطب يقدر بـ26 قنطاراً سنوياً لكل أسرة مغربية، يمثل فيها الحطب الغابوي وحده 14 قنطاراً سنوياً لكل أسرة. تتغير هذه المعدلات حسب تغيرات مناخات المناطق بالمغرب حيث نجدها ترتفع مع قساوة المناخ وتنخفض في المناطق الدافئة. وهذا ما تؤكده المعطيات الآتية المتعلقة بمعدل لاستهلاك لكل أسرة :

- نسبة الاستهلاك من 0 إلى 10 قناطر : مناطق الدار البيضاء، الناظور، طنجة، أگادير، بوجدور ...
- نسبة الاستهلاك من 10 إلى 20 قنطاراً : مناطق مكناس، تطوان، سطات، مراكش، گلميم ...
- نسبة الاستهلاك من 20 إلى 30 قنطاراً : مناطق الخمسيات، أزيلال، بولمان، تيزنيت ...
- نسبة الاستهلاك ما فوق 30 قنطاراً : مناطق إفران، خنيفرة، شفشاون ...

تتكون الكمية الإجمالية المستهلكة من الحطب في المغرب كما يلي :

- 53٪ : من خشب الغابات
- 19٪ : من خشب أشجار البساتين والأشجار المثمرة
- 28٪ : من موارد مختلفة كالتبن، وبقايا المزروعات، وما نتج من فضالات المصانع الخشبية ...

وفيما يخص الحطب الصادر عن الغابات المغربية فإنه يتعلق بالخشب غير المستعمل في الظروف الحالية في النجارة ولا في التصنيع ولا للتحويل إلى مشتقات الخشب، وذلك يرجع إلى كون البحوث الخاصة بتطوير التقنيات اللازمة لم تنجز بعد. والأنواع الشجرية الغابوية المنتجة لهذا الحطب هي :

- أشجار البلوط وخاصة البلوط الأخضر : 34٪
- أنواع شجيرية مختلفة : 42٪
- أوكالبتوس : 15٪
- أرگان : 5٪
- المخروطيات : صنوبر، عرعر ... 4٪

أما من حيث المنظور البيئي فيجب أن نشير إلى أن هناك عجزا كبيرا ما بين ما تستهلكه الأسر المغربية من حطب والذي يقدر بـ113 مليون قنطار سنويا، وما تنتجه الغابات المغربية سنويا والذي لا يتعدى حسب التقديرات 15 مليون قنطار من القدرة الإنتاجية. وهذا يعني أننا نستهلك حوالي 100 مليون قنطار سنويا من الحطب زيادة على ما تنتجه الغابات. مما يدل على أن الاستهلاك الحالي للحطب سيؤدي لا محالة إلى اندثار الغابات المغربية على المدى المتوسط، دون الإشارة إلى العوامل الأخرى للتدهور التي لا تقل خطورة.

Administration des Eaux et Forêts et Conservation des Sols. Cellule des études de Casablanca, 1994. *Quantification de la consommation de bois de feu au Maroc* ; Rome, 1980 : *Le bois comme source d'énergie. Comité des forêts*, 5° session.

محمد هشمي

**الحطاب**، أسرة دكالية عربية نبيلة ولعل منهم آل الحطاب الذين هاجروا إلى الشرق واشتهر منهم هناك في القرن العاشر (16 م) الفقيه الكبير الباقعة محمد بن محمد ابن عبد الرحمان الحطاب المغربي الأصل المكي المولد (ت. 954 / 1547) وولده يحيى الحطاب آخر فقهاء الحجاز من المالكية (ت. بعد 993 / 1385) وقد كان هؤلاء يضيفون في توقيعاتهم "الرعيني" وهم من عرب اليمن. ويوجد آل الحطاب اليوم في مدينة الجديدة انتقلوا إليها من بادية دكالة أيام السلطان عبد الرحمان بن هشام لنشر العلم بين أهلها.

**الحطاب، أحمد بن صالح** الجديدي المدعو مُولى النّخل، أورد نسبه الكانوني في *جواهر الكمال*، بناء علي شجرة يقول إنها توجد بيد حفدته بالجديدة تصل إلى إدريس ابن إدريس مؤسس مدينة فاس. وقد كان مقر هذه العائلة عند جدهم المشهور عمرو بن الحسن الحطاب بالسراغنة فانتقل ولده عثمان إلى الشاوية وتناسلت ذريته هناك في أولاد حريز فكان منهم العلماء والصلحاء والأعيان".

ولما انتدب السلطان عبد الرحمان بن هشام عدداً من سكان دكالة وسوس لعمارة مدينة الجديدة بعد إعادة بنائها (انظر مادة : *الجديدة*)، قام كذلك بانتداب عدد من العلماء والفقهاء لتأطير هؤلاء السكان البدو الذين لم يكن لهم إلمام كبير بشؤون الدين والحضارة. وكان أول من انتدب لهذه الغاية الفقيه أحمد بن صالح الحطاب. وكان أستاذاً عالماً مجداً في نشر القرآن والدين، فأخذ يطوف على الناس ويحبب إليهم الدين والصلاة ويبالغ في تأليفهم بالإطعام تارة وبالمال أخرى، ولا يترك سبيلا من سبل الإرشاد إلاّ طرقه حتى انتشر الدين والقرآن في أولئك النزلاء، كما عمل أبناؤه على تفقيه الناس في أمور الدين وعمارة المساجد.

توفي الفقيه أحمد الحطاب صدر القرن الثالث عشر (19 م) ودفن على مقربة من نخل كان هناك فعرف بسيدي أحمد مُولَى النّخل. ومنذ تلك الفترة غلب اسم سيدي أحمد مُولَى النّخل على اسمه الحقيقي وأصبحت المقبرة التي دفن بها تحمل اسم "مقبرة سيدي أحمد مُولَى النّخل".

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، مخطوط ؛ *روايات شفوية*.

**الحطاب، أحمد بن محمد** الجديدي، وُلد بمدينة الجديدة سنة 1351 / 1932 وتربى في أحضان والده بعناية كبيرة لأنه لم يرزق من الأولاد غيره، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بالجديدة ثم التحق بمدرسة المعلمين بمراكش، وبعد تخرجه منها عين بالمدرسة الابتدائية بالجديدة وقضى بالتعليم الابتدائي مدة قصيرة ثم حصل على شهادة العالمية من كلية ابن يوسف بمراكش، فالتحق بالتعليم الثانوي سنة 1378 / 1958، وبعد ذلك أسندت إليه إدارة ثانوية أبي شعيب الدكالي سنة 1318 / 1961. فكان هذا الشاب الفقيه شعلة من الذكاء، وقام بواجبه على رأس تلك المؤسسة بكفاءة ودراية، كما كان ينوب أحيانا عن والده في إلقاء خطبة الجمعة بالمسجد الأعظم بالجديدة.

انخرط صغيراً أيام الحماية في الحركة الوطنية، فكان يناضل في حزب الشورى والاستقلال، ولما رفض والده الفقيه محمد الحطاب الدعوة لابن عرفة على منبر المسجد، سنة 1373 / 1953، ألقت سلطة الحماية القبض عليه هو وولده لأنهم كانوا يعتقدون أنه هو الذي حرض والده بحكم انتمائه إلى الحركة الوطنية على اتخاذ ذلك الموقف، غير أنه أطلق سراحهما بعد مدّة.

توفي في حادثة سير بين مدينة الجديدة والجرف الأصفر ولم يتجاوز عمره الأربعين يوم السبت 28 ذي الحجة سنة 1389 / 7 مارس 1970.

*معرفة شخصية* ؛ *وثائق إدارية* ؛ ع. بنسودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3418.

**الحطاب، محمد** بن أحمد بن المعطي بن أحمد بن صالح سابق الترجمة. وُلد بالجديدة عام 1304 / 1886 وبعد أن حفظ القرآن الكريم أخذ عن عدد من علماء الجديدة وفي مقدمتهم والده الفقيه أحمد بن المعطي الحطاب (ت. 1328 / 1910) والقاضي سعيد بن الهيبة الدكالي البوعزيزي والقاضي أبي شعيب المبخوت والفقيه الفيلسوف مَحمد الرافعي والقاضي محمد الريفي، ثم رحل إلى فاس بصحبة والدي إسماعيل الشياظمي بقصد اتمام دراستهما بالعاصمة العلمية فكان من رفقائهما في الدراسة عباس بناني الفاسي فتوطدت صداقة كبيرة بين الثلاثة لم تنفصم عراها إلا بوفاتهم.

ولما عاد محمد الحطاب إلى مسقط رأسه، التحق بسماط العدول، ثم لم يلبث أن أسندت إليه مهمة الخطبة بمسجد بلحمدونية المعروف الآن بالمسجد البراني، وظل يمارس ذلك أزيد من خمسين سنة أي إلى أواخر حياته. وبما أن أهل الجديدة كانوا في ذلك العهد لا يبدون رغبة كبيرة في إرسال أبنائهم إلى المدرسة الابتدائية الوحيدة التي كانت سلطة الحماية قد أنشأتها بهذه المدينة، فإن تلك السلطة عملت على توظيف الفقيه محمد الحطاب كمدرس للغة العربية ومبادئ الدين بالمدرسة المذكورة، الشيء الذي جعل أولئك الآباء يطمئنون على مصير أولادهم فيقومون بتسجيلهم بتلك المدرسة التي كانت توجد بالدرب الطويل.

واعتباراً لما كان يمتاز به الفقيه الحطاب من حيوية ونشاط، فانه بالإضافة إلى العدالة التي لم يكن يمارسها إلا

لماماً وإلى التدريس بالمدرسة الحكومية وخطبة الجمعة بالمسجد الأعظم، أخذ ينظم في نفس المسجد بعد صلاة المغرب دروساً في الفقه والدين والنحو والصرف والبلاغة والسيرة النبوية لفائدة عدد من تلاميذ المدرسة الحكومية أو من تلاميذ الكتاتيب القرآنية المنبثة في المدينة، لذلك كان يطوف باستمرار على تلك الكتاتيب لتقديم بعض الإرشادات التربوية للمدرسين ولاختيار التلاميذ النجباء لتمكينهم من حضور الدروس التي كان يلقيها بالمسجد الأعظم. وهكذا كان له الفضل في تمكين عدد كبير من الشباب من إتمام دراستهم الثانوية، بل وحتى العالية، فهو لم يكن يقتصر على التدريس والإرشاد، بل كان يتعدى ذلك إلى تقديم الإعانات المادية لا للطلبة الذين كانوا يدرسون بالجديدة فحسب، بل حتى لأولئك الذين كانوا يدرسون خارجها لا فرق عنده بين من كان يدرس بالتعليم العصري أو التعليم الأصيل. كما كان الفقيه الحطاب بالإضافة إلى ذلك من دعاة تعليم البنات ومن أول من شجع على إنشاء مدرسة خاصة بالفتيات بالجديدة.

كنت أحضر دروس الفقيه الحطاب بالمسجد الأعظم بين العشاءين بعد أن أدخلني إلى المدرسة الحكومية إثر وفاة والدي، فكان يشتري من ماله الخاص كتب المطالعة ويوزعها علينا، وعندما ينتهي دراسة فن من الفنون يقوم يجمع كتب تلك المادة ليوزعها على فئة أخرى من الطلبة وهكذا دواليك. وكان يمتاز بصوت جهوري وفصاحة لسان، لذا كان الإقبال على دروسه وخطبه شديداً.

تأثر الفقيه كثيراً بوفاة ولده أحمد سابق الترجمة فتدهورت صحته ولم يلبث أن توفي بالجديدة في عشري ذي القعدة عام 1390 / 17 يناير 1971.

*معرفة شخصية وروايات شفوية* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع وسل النصال*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3425 ،'3426.

محمد الشياظمي

ابن الحُطيْئة، **أحمد** بن عبد الله بن أحمد بن هاشم اللخمي، من أهل فاس ولو أن هذا البيت لم يذكره ابن الأحمر في بيوتات فاس الكبرى. وُلد الحُطيْئة بفاس يوم الجمعة 17 جمادى الأخيرة عام 480 / 18 شتنبر 1087 وبها نشأ ودرس على ما يبدو. قال عنه ابن القاضي في *الجذوة* : "كان من مشاهير الصلحاء وأعيانهم، وكان مع صلاحه فيه فضيله ومعرفة بالآداب، وكان رأساً في القراءات السبع، ونسخ بخطه كثيراً من كتب الآداب وغيرها، جميل الخط حسن الضبط".

انتقل إلى مصر، وحج ودخل الشام، واستقر أخيراً بضاحية القاهرة، وللمصريين فيه اعتقاد كبير لما رأوا من صلاحه وفضله، وكان عالي الهمة يتعيش من نساخة الكتب. وقد حلت بمصر مجاعة شديدة وجاءه أعيان القوم يرغبون في مساعدته فأبى وأصهروا إليه بابنته وظل على حاله إلى أن توفي في آخر المحرم سنة ستين وخمسمائة / 17 دجنبر 1164 ودفن بالقرافة الصغرى.

ابن الحُطيْئة، **محمد** اللخمي الفاسي، لعله ابن من قبله كان متصدّراً للقراءات بفاس في النصف الثاني من القرن السادس (12 م) أخذها عنه عليّ بن موسى ابن النقرات السالمي الجياني حين انتقل إلى مدينة فاس، المتوفي بعد عام 593 / 1196.

أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 116 و2 : 481 ؛ أ. ابن قنفذ، *شرف الطالب*، *موسوعة أعلام المغرب*، 1 : 364.

محمد حجي

**الحُفْرة** (مْوالينْ -)، فرقة كبيرة من فرق قبيلة أولاد سعيد بالشاوية الجنوبية. كانوا في بداية القرن العشرين يتألفون من خمسة دواوير هي : أولاد معمر، أولاد سيدي أحمد بن اليمني، شرقاوة الحوارثة، أولاد سي شكدال، عراوة. وحسب الإحصاءات الإدارية التي أنجزتها إدارة الحماية كان مْوالينْ الحفرة يتكونون حوالي سنة 1913 من ألف وخمسمائة وخمس وتسعين خيمة. وبذلك كانت فرقة مْوالينْ الحفرة تأتي في الرتبة الثانية من حيث عدد الخيام بعد فرقة الهدامي (1887 خيمة) تليها فرقة أولاد عريف (1261 خيمة) وگدانة (1027) وأولاد عبو (917 خيمة) ومزورة (774 خيمة). وهذه الفرق الخمس هي التي تكوِّن قبيلة أولاد سعيد.

ينتمي مْوالينْ الحفرة إلى أصول شاوية من قبائل مجاورة وأصول دكالية وتادلية، وتوجد بديارهم آثار قصبة أحد قواد أولاد سعيد المشهورين بالشاوية وهو القائد عبّو ولد مْولْ الطابَعْ، قرب سوق أربعاء أولاد سعيد مْوالينْ الحفرة التي تقع إلى الغرب من مدينة سطات.

علال الخديمي

**الحفصي، عبد الواحد** بن أبي حفص عمر بن يحيى محمد بن وانودين، ويرفعون نسبهم إلى عمر بن الخطاب كما عند ابن خلدون.

كان والده أبو حفص عمر الهنتاتي أول من بايع المهدي ابن تومرت من قومه وحملهم على ذلك فأطاعوه لمكانته بينهم، لذلك كان يسمى بين الموحدين بالشيخ كما كان المهدي يُسمي الإمام وعبد المومن بالخليفة، وهذا يدل على مكانته في الدولة، تلك المكانة التي ورثها أبناؤه من بعده، ومنهم صاحب الترجمة الذي عُرف بشجاعته وشدة بطشه ونفاذ كلمته والذي وطد علاقاته أكثر مع الأسرة الموحدية الحاكمة عندما تزوج بأخت الناصر بنت يعقوب المنصور.

ولما نهض الناصر إلى إفريقية سنة 601 / 1204 حين بلغه استيلاء ابن غانية على تونس ؛ سرح إليه أبا محمد

عبد الواحد فأوقع به في تاجرا من نواحي قابس وأثخن في أتباعه وجنده قتلا وسبياً، أما ابن غانية فقه فرَّ إلى صحراء برقة لاسترجاع أنفاسه ولم شتاته.

وبعد ما أتم الناصر تمهيد إفريقية وأرجع الأمور إلى نصابها واعتزم الرحيل إلى دار ملكه بالمغرب الأقصى اختار عبد الواحد بن أبي حفص ليكون والياً عليها لمواجهة ابن غانية وأمثاله وشيعتهم من الملثمين والأعراب، لكنه امتنع أول الأمر ثم قبل بعد مدة مقابل شروط، أهمها أن يعود إلى المغرب عند انتهاء ثلاثة أعوام وأن يولي ويعزل كيف شاء ؛ فقبل الناصر شروطه دون تردد وعاد إلى المغرب سنة 603 / 1207. هذه التولية التي أجمع عليها شيوخ الموحدين كانت مبعث شك بالنسبة لكثير من المؤرخين وغيرهم من المهتمين والمتتبعين لأخبار الموحدين إذْ رَأوْا فيها مظهراً من مظاهر الصراع على النفوذ الداخلي في بلاط السلطان الموحدي بين هؤلاء الشيوخ ومؤامرة منهم لإبعاد أبي محمد عبد الواحد الحفصي، "وكأنهم أرادوا إبعاده عن الخلافة ليجدوا السبيل إلى أغراضهم" كما يقول التجاني في *رحلته*.

لم يرجع صاحب الترجمة إلى مراكش بعد ثلاث سنوات كما كان مقرراً، بل استُبقي هناك رغم إلحاحه على الناصر بالرجوع خصوصاً بعدما تم له الانتصار الباهر على ابن غانية في معركة نفوسة سنة 606، فراح يرتب أمور البلاد ويدبر شؤونها ولم يحدث بينه وبين السلطة المركزية الموحدية ما يعكر صفو العلاقات إلا تأخره على مبايعة المستنصر بالله الموحدي الذي قدمه الأشياخ لخلافة والده الناصر المتوفى في شعبان عام 610 / دجنبر 1213 وهو لا يزال بعد طفلا.

ومع ذلك فقد استُبقي عبد الواحد في إفريقية واستُكفي به وعُول عليه في ضبط أحوالها وتدبير شؤونها، ولم يزل بها إلى أن هلك في المحرم من سنة ثمان عشرة وستمائة 618 / فبراير 1221، وسيكون لأبنائه وأحفاده شأن فيها خصوصاً بعدما اعلنوا انفصالهم عن الدولة الموحدية وكونوا إمارة بني حفص في تونس.


ابن عذاري، *البيان*، قسم الموحدين ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 327 - 332 ؛ التجاني، *الرحلة*، 360 ؛ العروسي، *السلطنة الحفصية*، 69 - 101.


محمد مرزاق

**الحفصي، محمد المامون** بن محمد المراكشي، من ذرية الحفصيين ملوك تونس آل أبي حفص عمر الهنتاتي أحد أصحاب المهدي ابن تومرت. قدم جده محمد على السلطان محمد المهدي الشيخ بعد أن استولى الأتراك على تونس وأزعجوا الحفصيين عنها. فأكرمه وظنه يريد إعانته على استرجاع ملكه لكن الحفصي اختار المسكنة والاشتغال بالعلم وظل في حظوة إلى أن مات.

وُلد محمد المامون في حدود سنة ثلاث وألف / 1594 بمراكش، وبها درس على القاضي عيسى السكتاني وأبي بكر السكتاني المغارتي، وأحمد الحريري وغيرهم، فنبغ على صغر سنه في العلوم الشرعية واللغوية، وألف كتباً تعليمية نالت إقبالاً عظيماً منذ عصره إلى الآن، منها شرح *للأجرومية*، مركّز واضح مفيد ؛ و*شرح العقيدة الصغرى* للسنوسي تناول فيه بالشرح والتعليل بعض عبارات المؤلف السنوسي في شرحه لصغراه، وقد طبع على الحجر بفاس عام 1324 / 1906 و*شرح العقيدة الكبرى* للسنوسي ؛ و*منظومة في المنطق*.

توفي بمراكش، وهو في عنفوان الشباب، يوم الاثنين 23 شوال عام 1037 / 26 يونيه 1628.


م. الإفراني، *صفوة*، 109 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، الترجمة، 446 ؛ أ. ابن عجيبة، *أزهار البستان*، 241 - 242 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 254 ؛ ع. كنون، *النبوغ*، 1 : 258 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 90.


محمد حجي

**الحفّارة** Pholade، حيوانات مائية تنتمي إلى الرخويات كالحبار والحلزون، كما تنتمي إلى ثنائيات الصفة كالمحار ويلح البحر مثلاً، فهي بذلك حيوانات مائية وبحرية بالأخص تتغذى بالعَوالق والمواد العضوية الموجودة في الماء بعد تصفيته، كما تمتص الأكسجين الضروري لوظيفة أعضائها مباشرة من الماء عن طريق خياشيم متطورة بالنسبة لثنائيات الصفة الأخرى. أما التوالد فيتم عن طريق الصدفة بعد إلقاء كل من الحيوانات المنوية والبويضات في الماء.

تعتبر الحفارة من الرخويات القلائل التي تعيش في ثقب داخل الصخور، فهي ذات صفة طويلة ورقيقة نسبياً مكسوة "بأسنان" وأشواك دقيقة تمكنها من حفر متاهات داخل الصخور. أما بالنسبة لبعض العلماء وبالإضافة لهاته الطريقة الميكانيكية فإن حفر الثقب والمتاهات داخل الدعامات يتم كذلك عن طريق فرز لعاب حامضي تذوب تحت تأثيره المواد المكونة للصخور خاصة الكلسية منها. أما إذا فضلت اللجوء إلى صخور صلبة غير كلسية فهي تدور حول نفسها تبرد وتسحل حبيبات الصخر إلى أن تتمكن من تهيئ ثقب في حجم قوقعتها وبالمتانة اللازمة، وقد يتطلب حفر جحر واحد بضعة أسابيع.

إذا كانت الحفارة تعيش عادة في المستويات السطحية وخاصة في منطقة المد والجزر فإن وجودها في بعض السلسلات الجيولوجية العميقة تحت سطح البحر يفسره العلماء بانحدار مستوى الساحل، كما أن وجودها في مغارات وآثار أعلى حاليا من مستوى البحر فهذا يؤكد تراجع مستوى مياه البحر، وخلاصة لذلك فإن بقايا هذه الحيوانات يمكن استعمالها كدليل على تغيرات مستوى مياه البحر خلال العصور الجيولوجية.

يوجد في المغرب نوع واحد من الحفارات في معناها اللاتيني، أي التي تنتمي إلى جنس Pholas وهو نوع Pholas dactylus إلا أنه إذا اعتبرنا أنواع ثنائيات الصفة التي تعيش داخل الصخور والتي بالتالي يمكن أن نطلق عليها اسم حفارة فهناك ثلاثة أنواع أخرى هي Lithodomus lithophaga وLithophaga lithophaga كذلك Lithophaga aristota.

*Alfa science* 1974 ; *Les animaux. Encyclopédie des animaux dans la nature*, vol. 3, *Animaux de la mer*, Paris, 1980 ; H. Boue et R. Chantal, *Biologie animale, Zoologie. Invertébré*. Paris, 1962, 723p.

محمد منيوي

ابن **حفني، صموئيل ها كوهين** (Samuel ha Cohen ben Hofni) كان ابن حفني ها كوهين رئيس المحكمة اليهودية بفاس بين القرن العاشر والحادي عشر للميلاد. وقد ولد بفاس سنة 1034 م وانتقل بالعراق، وهو عضو أكاديمية ربيي مدينة سورا (Sura) وكان آخر رئيس لها (گاؤون).

ونعلم أن گاؤون شغل منصب كبير الطوائف اليهودية خلال الحكم العباسي وكان الگاؤون كذلك المرجع الديني والقضائي لعموم اليهود.

وفي هذا الصدد قام صموئيل ابن حفني بالجدل ضد الانفصاليين (le schisme) المعروفين بالقرائين، في كتابه المحرر باللغة العبرية "عرووت" (Earavot) وتعني : (مقت) وأغلب مؤلفاته باللغة العربية وهي حول القوانين الموسوية ونذكر منها : *البلوغ والإدراك، في الطلاق، في النفقات، الضرائب، الشفعة، الشروط، المجاورة، البيع، ومدخل إلى التلمود*.

شمعون ليفي

**الْحَفُولْ**، هو الاحتفال في اللهجة الحسانية، ويطلق على العمليات التي تتّبعها المرأة والوسائل التي تعتمد عليها للتزيين أو الزينة والتي تشمل تقريبا كل المناطق الظاهرة من الجسد، حيث يتم توظيف الكحلة لتزيين الأعين كما كان يدهن الوجه بالدهن الخالص مخلوطا بالقليل من ورق الزعفران الحر، بينما توظف النيلة التي تجلب من السودان وجنوب موريتانيا في صبغ لأنف ورؤوس الشفاه (حتى تسودّ لَكمَامَة) وبعدها تأخذ المرأة المسواك وتلوكه في فمها حتى يصبح لونه أحمر، ثم ترسم خطا صغيراً على الخدين باستعمال "الحَمَّيْرَة" وهي عبارة عن حصى صغيرة تفرز لونا أحمر ولتزيين أطراف أخرى كأعلى الخدين والحاجب والجبهة، وتشترك المناطق الصحراوية كلها تقريبا في أنماط ووسائل الحفول، كما أن الجواهر والحلي الفضية بشكل خاص تعتبرها المرأة من المكونات الرئيسية للزينة كالخواتم والخلاخل، الگلايد، أمْزَرّدْ، الطْوَانَگْ ... ليس فقط لأن الاعتياد على انعدام الأمن وضرورات الترحال تفرض على المرأة أن تحمل كل أنواع الحلي حيث تغطي الرأس والعنق واليدين (Puigaudeau, 26) بل إنه في مناطق تزاوج الاستقرار والترحال كوادي نون نجد نفس المعطيات.

وتعد الظفرة بدورها مظهراً من مظاهر الحفول لا يمكن فصلها عنه كما فعلت دي بيگودو. وهي العملية التي تنجزها نساء متخصصات في تصفيف الشعر، وتختلف الظفرة حسب نوع الشعر والمناطق، وإذا كانت العملية تعاد كل شهر تقريبا فإن الظفرة العادية كما نجدها في أطار بموريتانيا ووادي نون تشتهر بتوفرها على خمس ظفائر تقليدية : كَطّب وگرنين وظفرتين (Puigaudeau, 20) إلا أن ظفرة العرس تختلف نسبيا إذ يقسم الشعر إلى قسمين، الأمامي يقسم بدوره إلى ثلاثة أجزاء : أزُورْ يعلق عليه خيط مزين بـ"لَخْرَزْ الحر" (الْگرْ ـ الكركوب ـ التيلْ الحر...) ثم "الجدايل" وهي خمس ظفائر صغيرة تزين "بأمجُونْ" و "شْعيل" و "المَيّالْ" ثم تليه "اخطاطيم" وهما ظفيرتان تجذبان إلى الأمام وتزينات "أمجونة" كبيرة. أما القسم الخلفي فنجد فيه "أتَبّيب ظفرة صغيرة لا تزين، ثم "لعتاتيگ" وهي ظفائر تزين بأمجون ولخْرَابْ.

وتعتبر العطور أيضاً مكملة للحفول حيث نجد فيها ما هو محلّي وما هو مستورد خاصة من جنوب الصحراء. وما يهم في هذه العملية في الثقافة المحلية لوادي نون هو كونها مرتبطة بعدد من الطقوس والمحددات، إذ باعتبار "الحفول" رغبة في البحث عن التزيين والتجميل الاصطناعي، فإنه بالمقابل يكتنز نسبة هامة من الرموز (Mauss, 99) .

إن الضوابط الاجتماعية التي ترافق وترتبط بتنظيم هذه العملية تُظهر باكراً عن ارتباطها بالعلاقات الجنسية وشرورط الاتصال (امرأة ← رجل) وبالتالي عن تكامل النسق الاحتفالي الذي تنطوي عليه مكوناتها، فليس من حق الفتاة التي لم تتزوج بعد أن تمارس "الحفول" بل يسمح لها بذلك ابتداءً من صبيحة عرسها شرط أن تكون قد أثبتت عذريتها وأصبح الحفول "حلالاً" عليها، كما لا يحق للمرأة / الزوجة أن تواصل وتستمر في "حفولها" في حالة غياب زوجها، في حين يجوز للمرأة المطلقة أو الأرملة بعد أن تكون قد أنهت فترة "العدة" أن تتحفل لأنها تعتبر في الثقافة المحلية "ديّارة" أي أنها مازالت ترغب في الزواج ثانية.

إن الطقوس الموازية للحفول تتناسل فيها أيضاً مفاهيم الاستعراض والإغراء، وكذا وضعيات وظروف المرأة في المجتمع الصحراوي. كما أنها تخفي عدداً من المتغيرات المتلاحقة في قرون من الزمن، إذ ضمن هاته المعطيات يجري الصمود ضد تحولات القيم الاجتماعية وشروط المثاقفة (*Annales*, 1105) هكذا نجد أمازيغ بوادي نون يختلفون نسبيا عن تكنة في بعض مراسيم وشروط الحفول. ومع غياب معلومات ومعطيات مونوغرافية حول الموضوع

يظل اللجوء إلى الوصف والمقارنة أمراً أولياً ولكنه على مستوى معرفي يصعب من خلاله إصدار أحكام بل تجميع نتائج البحث المعاصر (E. Prichard, 33).

M. Mauss, *Manuel d'ethnographie*, Paris, 1967 ; Evans Pritchard, *La femme dans les sociétés primitives*, Paris, 1971 ; A. Puigaudeau, *Arts et coutumes des Maures, H.T.*, vol. XI, 1970 ; M. L. Tenèse, *Introduction à l'étude de la littérature orale, A.E.S.C*, N° 5, Sept.-Octobre 1969.

جوماني أحمد وجوماني محمد

**الحفيان، العربي** بن الحاج، من الأعيان المعروفين بقبيلة أولاد سعيد المنتمية للشاوية الجنوبية. اشتهر بولد الحاج الحفيان، ولعب دوراً بارزاً في انتفاضة الشاوية، تلك الانتفاضة التي بدأت بأولاد سعيد، وهو ينتمي إلى فرقة أولاد عريف السعيدية، من دوار أولاد قاسم. كان مقرباً من المرابط البوعزاوي، سابق الترجمة، لذلك رشحه لقيادة القبيلة خلال الانتفاضة وخلال عمليات الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي (1907 - 1908). ولما سيطر الجيش الفرنسي على الشاوية هاجر ولد الحاج الحفيان إلى مراكش - وظل على عدائه للفرنسيين الذين اعتبروه بدورهم من أخطر المعارضين لهم حسبما أكدته استخبارات الجيش الفرنسي التي بينت سنة 1910 أنه كان مخالطا لبعض البلجيكيين ربما لحماية نفسه من الفرنسيين.

علال الخديمي

ابن **الحفيان، محمد** البرهمي العمري، كان سنة 1268 / 1851 وربما قبلها قائداً للبراهمة الذين هم بطن من فرقة عامر الحسناوية، ولا سيما عامر الحوزية المحيطة بمدينة سلا من الشمال. ورد ذكره قائداً في الوقت الذي كان الأسطول الفرنسي عازماً على قصف مدينة سلا بسبب القمح المنهوب، فطلب منه أن يكون على أتم استعداد لكل طارئ.

وقد قام ابن الحفيان بواجبه بمعية إخوانه عامر وبما لهم من حمية ونجدة حتى خلد ذلك محمد بن الحاج عبد الغني بلحسن السلاوي المتوفى سنة 1273 / 1856 في قصيدة ملحونية مشيداً به وبإخوانه "ناس المْشَالْيَا" أي أهل المبارزة والقتال، فقال :

ابن الحفيان مْعَا اقبيلتو وخُوتُو هاذُو اجْـــوادْ لَقْبايل عامَـــر

هاذو عامر ناس المْشَالْيَا يَتْمَجَّدو لَحْرار

وكانت لهاته القصيدة التي نشرها ج سونيك G. Sonneck في كتاب *Chants Arabes du Maghreb* سنة 1903 صدى كبير وصلت مقاطعها إلى مدينة قسنطينة وشيوخها الذين كانوا يحفظونها وينشدونها.

على أن ابن الحفيان قد رُزِئ بطريقة غير مباشرة في بعض أملاكه بفعل ذلك العدوان الفرنسي. ذلك أنه كان قد اشترى داراً بحومة باب سبتة من مدينة سلا من ورثة أحمد زنيبر ولا سيما ولده بناصر. لكن المخزن الذي كان يطالب الورثة بمبلغ 1600 ريال منع بيعها ضمانة لحقوق الدولة وأراد حيازتها بالثمن الذي اشتراها به ابن الحفيان. وأثناء البيع صفقة تهدمت الدار بفعل البارود الذي كان فيها لجانب المخزن لمواجهة العدوان فانفجر وتهدمت الدار كلها. فطلب القائد من مولاي عبد الرحمان إعانته بنصف ثمنها حتى يصلحها، فوافق السلطان لكن ذلك لم يكتب له التنفيذ، فبقيت الدار المذكورة متهدمة وخالية إلى أن أصبحت محلا لرمي الأزبال طيلة أربعين سنة. وإلى ذلك نبه عامل سلا الحاج محمد بنسعيد في رسالة منه إلى الحسن الأول فأمر السلطان أمناء الرباط بإجراء تقويمها على يد الخبراء. ولما حاول بوحموش السلاوي حيازتها جادله في ذلك القائد محمد بن محمد بن الحفيان سنة 1308 / 1890 ذاكراً أن أباه كان يملكها ولا يجوز أن تصبح ملكا لغيره.

وبعد مدة قصيرة عزل محمد بن الحفيان، لكنه رد إلى سالف منصبه فكان قائداً على عامر كلها سنة 1272 / 1857 أو قبلها بيسير واستمر في وظيفة إلى ما بعد سنة 1281 / 1864 حيث أدركته الوفاة.

م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، هامش الصفحة 33 من الطبعة الثانية ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 63 ؛ م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، ص. 99 - 100 ؛ محمد عز الدين الذيبي، *دور الزوايا والصلحاء في التنظيم الاجتماعي بالمغرب*، بحث مرقون لنيل الإجازة في علم الاجتماع بكلية الآداب بالرباط، سنة 1983 - 1984.

ابن **الحفيان، محمد** بن **محمد** البرهمي العمري، ولد القائد الحفيان المذكور أعلاه ولي على البراهمة وغيرهم من قبيلة عامر مثل أولاد مبارك والمغايثة والنخاخصة، فكان سنة 1307 / 1890 قائداً إلى أن كانت سنة 1313 / 1896، فأودع السجن.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، ص. 166.

مصطفى بوشعراء

**حفير السُهَاج**، خندق بسبتة، وهو أحد الحفائر الأربعة التي كانت موجودة بسبتة الإسلامية، وثاني الحفائر التي أمكن تحديد موقعها بسبتة الحالية. إنه عبارة عن خندق كبير يفصل المدينة عن أرباضها الغربية في الجهة الضيقة من شبه الجزيرة. أقدم إشارة إلى هذا الحفير نعثر عليها في كتاب *المسالك والممالك* للبكري (القرن الخامس - 11 م). وقد يعود تاريخ إنجازه إلى أقدم من ذلك. والراجح أنه حفر لغرض عسكري محض، لحماية ظهر المدينة القديمة من أخطار البر، ومن ثم تقوية الحماية العسكرية الطبيعية التي كانت تشكلها الجبال المحيطة بسبتة. وعند ما توسع النسيج الحضري وتجاوز حفير السهاج كنتيجة لارتفاع عدد ساكنة سبتة الإسلامية، أصبح الاتصال بين الأرباض الخارجية والمدينة يتم عبر قنطرتين : قنطرة باب المشاطين

وقنطرة باب الفرج. لقد أدرك البرتغاليون فيما بعد الأهمية الاقتصادية والعسكرية لهذا الخفير الجاف فحوّلوه إلى قناة مائية صالحة للملاحة.

أ. البكري، *كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، ط. دوسلان، باريس، 1965، ص. 103 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1983، ص. 46.

M. Gordillo Osuma, *Geografia urbana de Ceuta*, Madrid, 1972 ; Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIème et XIVème siècle : essai de reconstitution de la civilisation musulmane*, Thèse 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987.

زليخة بنرمضان

**الحـــق**، جريدة أسسها الإسبان في طنجة يوم 8 يناير 1911 للذوذ عن مصالحهم ومنافسة جريدة *"السعادة"* المناصرة للفرنسيين. وعندما فرضت فرنسا هيمنتها على المغرب بموجب معاهدة فاس (30 مارس 1912) صعّدت جريدة *الحق* من لهجتها ضد الفرنسيين وحاولت تحريض المغاربة ضدهم، سيما وأن انتشارها أصبح يتجاوز مدينة البوغاز ليشمل بعض المناطق الداخلية من البلاد، مثل حاضرة فاس. وقد تضايقت الإقامة العامة من هذه الدعاية، الشيء الذي جعلها تعتقل، بتاريخ 3 شتنبر 1912، المصريين اللذين كانا يشرفان على تحريرها، وهما أحمد رفعت ومحمود زكي. وبعد المثول أمام المحكمة العسكرية بالرباط، حكم على الأول بخمس سنوات سجنا مع الأشغال الشاقة، وعلى الثاني بثلاثة أشهر سجنا. وكان من انعكاسات هذه المحاكمة أن عكفت الإدارة الفرنسية على إعداد قانون ينظم الصحافة في المغرب.

عكست جريدة *الحق* نوع التحالفات السائدة في أوروبا قبيل الحرب العظمى ؛ فسبحت باسم إسبانيا، وتعاطفت مع ألمانيا، وبشرت بفكرة الجامعة الإسلامية التي كان يُروِّجها العثمانيون. واستمرت في الصدور حتى سنة 1914.

*أعداد جريدة الحق في خ. ع.*

جامع بيضا

**حقوق الإنسان**، يمثل الاهتمام المتزايد للمجتمع الدولي بضرورة تمتع جميع بني البشر في كل بقاع المعمور بكافة الحقوق والحريات أهم تقدم أخلاقي عرفه التعامل الدولي خلال هذا القرن.

وإن هذا الاهتمام البارز الذي حظيت به اليوم مسألة حقوق الإنسان على المستوى الدولي، وإن وجد ما يبرره، فإنه لا يعني أنه اهتمام طارئ أفرزته طبيعة الحياة الراهنة. ذلك أن حقوق الإنسان كانت - دوماً - حاضرة في عمق الصراعات التي خاضتها الإنسانية خلال تاريخها الطويل ؛ إذ أن قيم الحرية والكرامة والعدل والمساواة قيم نادت بها الديانات وعانقها الفكر الإنساني وضحّت من أجلها الأمم والشعوب.

ومع ذلك، فإن درجة الاهتمام بحقوق الإنسان، ونوعية هذا الاهتمام وطبيعته قد تباينت بتباين المراحل التي مرّ منها تطور الفكر البشري ؛ ممّا ترك بصمات واضحة على أساليب التأسيس المرجعي التي عرفتها هذه الحقوق.

مرجعيات حقوق الإنسان : لقد اختلفت مرجعيات حقوق الإنسان وتنوعت، وعكست في اختلافها وتنوعها تعدد الزوايا التي قد ينظر من خلالها لهذه الحقوق، وتنوع الإشكاليات التي ترتبط بها.

1 - المرجعية الدينية : أكدت الديانات السماوية على كرامة الإنسان وعلى المنزلة الخاصة التي أنزله الخالق بين سائر المخلوقات، فقد جاء في القرآن الكريم "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً" كما جاء على لسان رسول الله (ص) في خطبة حجة الوداع "أيها الناس : إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب. ليس لعربي فضل على عجمي، ولا لعجمي فضل على عربي، ولا أسود على أبيض، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد".

وقد أكد البيان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان (المعلن عنه سنة 1981) ثلاثة وعشرين حقاً من حقوق الإنسان الأساسية مستمدة من القرآن والسنة ؛ كما بيَّن أن هذه الحقوق هي حقوق ذات مصدر إلهي لا بشري "شرَّعها الخالق سبحانه، فليس من حق بشر - كائناً من كان - أن يعطلها أو يعتدي عليها".

كما أكدت وثائق أخرى نفس التوجه حيث ركَّزت على الأصول الإسلامية لحقوق الإنسان.

2 - المرجعية الفلسفية : اتسمت أغلب الاتجاهات الفكرية التي برزت مع عصر النهضة بنزعة إنسانية Humanisme، فأعلت من قيمة الإنسان، وأقرت بتميزه عن غيره من الكائنات الأخرى ؛ كما أكدت على تميزه بالعقل والإرادة والحرية كماهيات تشكل وجوده ؛ وعلى أن له حقوقاً تستمد وجودها من وجوده الطبيعي *(فلسفات الحق الطبيعي)* أو من وجوده الاجتماعي *(نظريات العقد الاجتماعي)*. وحددت هذه الحقوق في : الحق في الحياة، الحق في التملك، الحق في الأمن، الحق في الحرية، الحق في المساواة، والحق في حرية المعتقد. واعتبرت أن هذه الحقوق تدخل في صميم الوجود البشري ؛ وأن هذا الوجود هو المصدر لهذه الحقوق، كما اعتبرت أنه بدون التمتع بهذه الحقوق فلن يكون الإنسان إنساناً على الإطلاق.

3 - المرجعية السياسية : رغم الحضور القوي لقيم حقوق الإنسان في كل من الفكر الديني والفكر الفلسفي خاصة الحديث منه، فإن "فكرة حقوق الإنسان" في نشأتها قد ارتبطت - تاريخياً - وبشكل أوضح بالفكر السياسي الحديث الذي برز في الغرب مع نهاية القرن الثامن عشر، وخاصة

مع الثورة الفرنسية ؛ قبل أن يكتسح هذا الفكر السياسي مجموع الفكر العالمي لتتخذ "فكرة حقوق الإنسان" عندئذ صبغة عالمية وتصبح محركاً دافعاً لنضالات الكثير من الدول والشعوب.

لقد شكل بالفعل *"إعلان حقوق الإنسان والمواطن"* - الذي تبنته الجمعية الوطنية التأسيسية الفرنسية يوم 26 غشت 1789 - مرحلة أساسية وحاسمة في تاريخ الفكر السياسي الحديث ؛ حيث كان هذا الإعلان أول إعلان صدر عن مؤسسة سياسية وقدَّم صياغة واضحة لمفهوم حقوق الإنسان في علاقتها بالمؤسسات السياسية والاجتماعية. من هنا كان لهذا الإعلان أثر بالغ في توجيه الاهتمام - في كل ممارسة سياسية - لقضية حقوق الإنسان ؛ باعتبارها قضية تحدد طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تحكم السلطة التشريعية والتنفيذية في إدارتها للمؤسسة الاجتماعية خدمة للإنسان - المواطن.

كما شكل هذا الإعلان لحظة تاريخية فاصلة توَّجت ما سبقها من أحداث ارتبط فيها الفكر السياسي الغربي بقضية حقوق الإنسان وحقَّق خلالها طفرات نوعية تمثلت في الثورة الإنجليزية سنة 1688 وإعلان الحقوق المتمخض عنها سنة 1689، وفي استقلال الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1776 وإعلان دستورها سنة 1787. وفي نفس الوقت شكل لحظة تاريخية مهَّدت لما تلاها من وقائع وأحداث وتطورات عرفتها قضية حقوق الإنسان ؛ كانت أهمها : نشأة عصبة الأمم سنة 1919، وميلاد منظمة الأمم المتحدة سنة 1945، وتبني الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948، وانطلاق حركات تحرير الشعوب مع بداية هذا القرن.

4 - المرجعية الوطنية : يشكل تاريخ النضال الوطني للشعوب من أجل التحرر - الذي شهده هذا القرن - تراثاً مرجعياً لحقوق الإنسان بالنسبة للكثير من الدول ومن ضمنها المغرب.

فلقد شهد المغرب - مع بداية هذا القرن - نضالات سياسية من أجل الإفلات من قبضة الاحتلال الأوروبي الذي كان يهدده. وقد ساهمت تلك النضالات في بروز حركة دستورية أدت إلى نشأة فكر سياسي إصلاحي وطني.

ومع بداية الثلاثينات تبلورت حركة وطنية قادت بتلاحم مع العرش مسيرة نضالية للمطالبة بالحقوق السياسية والمدنية للإنسان المغربي، وفي مقدمتها حقه في الحرية والكرامة، وتميزت بتقديم وثائق للمطالبة بالاستقلال وهي : وثيقة *مطالب الأمة المغربية* سنة 1931، ووثيقة ***مطالب الشعب المغربي*** سنة 1934، ثم وثيقتي ***المطالبة بالاستقلال المؤرختين*** بـ 10 و13 يناير سنة 1944.

كما برزت - في نفس الفترة - حركة المجتمع المدني للدفاع عن حقوق الإنسان ؛ حيث شهدت مدينة تطوان سنة 1933 تأسيس أول تنظيم مدني للدفاع عن حقوق الإنسان بالمغرب حمل اسم " اللجنة الفرعية للدفاع عن حقوق الإنسان".

5 - المرجعية الدولية : مع نهاية الحرب العالمية الأولى بدأ الاهتمام الدولي بحقوق الإنسان يتخذ طابعاً عملياً، إذ بدأ يترجم - تدريجياً - إلى نصوص في القانون الدولي. وهكذا تضمنت المادة 23 من ميثاق عصبة الأمم التزام الدول الأعضاء في هذه العصبة بالسعي نحو إيجاد ظروف إنسانية أفضل لكل العاملين من رجال ونساء وأطفال، وبالحرص على ضمان شروط المعاملة العادلة لمواطني المستعمرات الواقعة تحت نظام الانتداب الذي سنته عصبة الأمم.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية، وكردٍّ فعل للمجتمع الدولي إزاء الأهوال التي عانت منها الإنسانية بسببها، فإن ميثاق الأمم المتحدة عكس وبشكل واضح - في مواد عديدة منه - اقتناع المجتمع الدولي بأن الحماية الدولية الفعالة لحقوق الإنسان تشكل أهم الشروط لضمان السلم والتقدم الدوليين. إلا أن هذا الميثاق لم يتضمن أي تفصيل لمضمون هذه الحقوق، الشيء الذي تم تداركه في *الإعلان العالمي لحقوق الإنسان*، الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بباريس يوم 10 دجنبر 1948.

ويمثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان - كما جاء على لسان الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة السيد خافير بريز دي كويلار - "علامة رئيسية على طريق التقدم البشري أدت إلى إعمال المبدأ الذي قرره الميثاق وهو أن الاحترام العالمي لحقوق الإنسان هو محل الاهتمام المشترك لجميع الحكومات والشعوب". وعلى الرغم من عدم إلزاميته القانونية، فإن أهمية الإعلان العالمي تكمن في سلطته المعنوية، باعتباره أول وثيقة دولية رسمية في التاريخ، فهو وثيقة "تمثل في مجالها ضمير العالم ومعياراً يمكن أن تقاس به مواقف المجتمعات والحكومات".

وقد أدى استقلال عدد كبير من الدول والتحاقها بالأمم المتحدة منذ الخمسينات، إلى توسيع مجال حقوق الإنسان لتشمل حقوقاً لم يشر إليها الإعلان العالمي كحق الشعوب في تقرير مصيرها وفي السيادة على ثرواتها الطبيعية وحقها في اختيار أنظمتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

هكذا فإن التطور الذي ميز المجتمع الدولي منذ الستينات أدى إلى ظهور حاجة إلى إضفاء الإلزامية القانونية على ما تضمَّنه الإعلان العالمي من حقوق وما برز من حاجات جديدة في هذا المجال. فاعتمدت الأمم المتحدة منذ سنة 1966 العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والثقافية ؛ والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وبروتوكوله الاختياري.

ومع بدء نفاذ هذه العهود سنة 1976، أصبحت الشرعة الدولية لحقوق الإنسان حقيقة واقعة، وأصبحت بقوة القانون ملزمة لكل الدول التي صادقت عليها ؛ وبذلك شكلت خطوة جزئية إلى الأمام في طريق إقرار الحقوق الأساسية للإنسان، كما أصبحت مصدراً للمبادرات التي اتخذتها

منظمة الأمم المتحدة فيما بعد لإقرار حقوق أخرى بصفة دقيقة على شكل مواثيق تخص مجالات متعددة.

ومن بين هذه المواثيق نجد الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، والاتفاقية الدولية لقمع جريمة الفصل العنصري والمعاقبة عليها، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، والاتفاقية بشأن الحقوق السياسية للمرأة، واتفاقية حقوق الطفل، والاتفاقية الخاصة بالرق، واتفاقية تحريم السخرة، واتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، واتفاقية الحرية النقابية وحماية حق التنظيم النقابي، والاتفاقية الدولية لحماية حقوق جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم، وغيرها من الاتفاقيات والإعلانات والبروتوكولات والقواعد الدولية التي تهدف إلى حماية الحقوق الأساسية للإنسان والحفاظ عليها.

وهكذا فإن المجتمع الدولي ومنظمة الأمم المتحدة على وجه الخصوص قاما - خلال الخمسين سنة الماضية - بمجهودات جبارة من أجل إقامة نظام شامل ومتكامل لحماية حقوق الإنسان غطّى كافة المجالات المتعلقة بالإنسان.

تصنيف حقوق الإنسان : يمكن تصنيف حقوق الإنسان - من زاوية تطورها التاريخي - إلى أجيال ثلاثة.

الجيل الأول : يشتمل هذا الجيل من حقوق الإنسان نمطاً من الحقوق تضمن للفرد حريات تدخل في مجال الفكر والاعتقاد (الحق في حرية التفكير والتعبير والعبادة) وحقوقاً تدخل في مجال الوجود (الحق في الحياة الطبيعية وفي الحياة الخاصة) وأخرى تتعلق بحرية الفعل (الحق في حرية العمل وفي ممارسة التجارة وفي المشاركة في الجمعيات) وثالثة تتعلق بالسياسة (الحق في المشاركة في الشؤون العامة وفي عدم التعرض للاعتقال التعسفي وفي عدم التعرض للتعذيب وفي محاكمة عادلة). ويجد هذا النمط من الحقوق تجسيداً له في العهد الدولي المتعلق بالحقوق المدنية والسياسية.

وتؤسس هذه الحقوق (التي هي في نهاية التحليل حريات) على توجه فلسفي - ليبرالي يضع حدوداً لسلطة الدولة، ويلزمها بالامتناع عن اتخاذ أي تدابير تحد من حرية الأفراد والجماعات، بل ويطالبها بتوفير أقصى الضمانات لممارستها ؛ وهو توجه ارتبط بفلسفات الحق الطبيعي القائلة بأن حقوق الإنسان حقوق طبيعية لا يحق لأية سلطة مهما كانت حرمانه منها.

الجيل الثاني : يشمل هذا الجيل من حقوق الإنسان نمطاً من الحقوق تتطلب تدخل الدولة بشكل إيجابي لضمانها سواء عن طريق تقديم مساعدات للأفراد حين لا يستطيع هؤلاء الأفراد أن يوفروا لأنفسهم وسائل العيش بسبب البطالة أو العجز، أو عن طريق توفير الشروط الضرورية للقادرين منهم لضمان مستوى عيش ملائم. ومن أمثلة هذه الحقوق : الحق في المأكل، وفي المسكن، وفي الصحة، وفي التعليم، وفي الضمان الاجتماعي وفي العمل وفي الحصول على أجر يتناسب ونوعية العمل المنجز وفي المشاركة في الإضراب عن العمل وفي الحياة الثقافية. ويجد هذا النمط من الحقوق تجسيداً له في العهد الدولي المتعلق بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وتؤسس هذه الحقوق التي هي في نهاية التحليل واجبات تقع على الدولة إزاء الأفراد على توجه فلسفي - اشتراكي يلزم الدولة بواجبات نحو الفرد، وهو توجه يرى أن الإنسان ليس فقط فرداً معزولاً عن المجتمع له حقوق مدنية وسياسية، بل هو أيضاً كائن اجتماعي منتج ومستهلك مما يستوجب على الدولة أن تضمن له حقوقاً اقتصادية واجتماعية وثقافية.

الجيل الثالث : يشمل هذا الجيل من حقوق الإنسان ما اصطلح على تسميته بالحقوق التضامنية ذات البعد الكوني. وهو نمط جديد من الحقوق وسعت دائرة ومجال حقوق الإنسان أدى إليها التحول الحضاري الذي ميّز المجتمع الدولي خلال النصف الأخير من هذا القرن. وقد برزت الحاجة إليها مع تزايد الإحساس بالمخاطر التي بدأت تتربص بالإنسان وبمحيطه الطبيعي والاجتماعي نتيجة ظهور نزعة جديدة تهتم بالمحافظة على التوازنات البيئية والاجتماعية لما لهذه التوازنات من أهمية في استمرار النوع البشري. ويجد هذا النمط من الحقوق تجسيداً له في المعاهدات الدولية المتعلقة بالحق في التنمية، والحق في السلام، والحق في التواصل، والحق في بيئة سليمة، والحق في التراث المشترك للإنسانية.

وقد ترسخ هذا التوجه الجديد لحقوق الإنسان مع سيطرة ما أصبح يعرف بالعولمة mondialisation نتيجة التقدم الهائل الذي عرفه مجال التواصل والاعلاميات.

حماية حقوق الإنسان : مهما تنوعت أصناف حقوق الإنسان وتطورت أجيالها، فإنها تطرح على المستوى الدولي والإقليمي عدة إشكالات ترتبط ليس فقط بضرورة المصادقة على العهود والمواثيق المتعلقة بها، ولكن أيضاً بمدى نجاعة المؤسسات الدولية والإقليمية الموكول إليها ضمان مراقبة احترام هذه الحقوق.

إن المؤسسات الدولية والاقليمية الموكول إليها أمر السهر على مراقبة الالتزام بحقوق الإنسان تواجه معضلة التأثير على الدول للالتزام بهذه الحقوق التي قبلتها من خلال التوقيع على المعاهدات المتضمنة لها، وذلك نظراً لبنية النظام الدولي المحكومة بسيادة الدولة.

ويمكن تصنيف هذه المؤسسات إلى رسمية وغير رسمية :

1 - المؤسسات الرسمية : يفتقر المجتمع الدولي إلى وجود مؤسسات قضائية تتولى النظر في الخروقات المتعلقة بحقوق الإنسان، وقد برزت الحاجة إلى هذا النوع من المؤسسات للتصدي لجرائم الإبادة الجماعية Génocide التي شهدتها كل من البوسنة ورواندا، مما حمل الأمم المتحدة على

استصدار قرارات لمتابعة المتورطين في تلك الجرائم ودفع مجلس الأمن إلى إحداث محكمتين دوليتين لمحاكمتهم.

وهكذا، وفي ظل غياب أجهزة قضائية تعنى بالنظر في الخروقات المتعلقة بحقوق الإنسان على المستوى الدولي، فقد عهد ميثاق الأمم المتحدة بذلك إلى كل من الجمعية العامة والمجلس الاقتصادي والاجتماعي الذي يعمل تحت إشرافها.

وقد أنشأ المجلس الاقتصادي والاجتماعي سنة 1946 لجنة حقوق الإنسان التي يوجد مقرها بجنيف (سويسرا) وهي أهم جهاز أممي يمارس الاختصاصات المتعلقة بحقوق الإنسان على المستوى الدولي. وتتشكل هذه اللجنة من أعضاء يتم اختيارهم لمدة ثلاث سنوات على أساس التمثيل الجغرافي للدول. وتعقد اجتماعاتها خلال دورة سنوية واحدة تستغرق ستة أسابيع، يحضرها ممثلون عن المنظمات غير الحكومية بصفة اشتشارية وممثلون عن الدول الأعضاء في الأمم المتحدة كمراقبين. وتتولى هذه اللجنة تقديم مقترحات وتوصيات إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي من خلال التقارير التي ترفع إليها من طرف اللجن الفرعية التي تشكلها، وكذلك من خلال المداخلات التي تستمع إليها خلال انعقاد دورتها السنوية.

أما على المستوى الإقليمي، فيوجد تفاوت هائل بين المناطق والقارات فيما يتعلق بتوفر أو غياب مؤسسات تعنى بحماية حقوق الإنسان، ويرجع هذا التفاوت إلى درجة تطور المجتمع المدني وتقدم الممارسة الديمقراطية حسب كل منطقة.

وهكذا، فإذا كانت أغلب التنظيمات الإقليمية قد صاغت مواثيق لحقوق الإنسان كما هو الأمر بالنسبة للاتفاقية الأوربية لحقوق الإنسان سنة 1950، والاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان سنة 1969، والميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب سنة 1981 ؛ فإن بعض المواثيق لم تنص على آليات لضمان احترام هذه الحقوق.

فعلى خلاف العجز الحاصل في الميثاق الإفريقي، فإن الاتفاقية الأوربية لحقوق الإنسان أوجدت العديد من مؤسسات المراقبة، منها اللجنة الأوربية لحقوق الإنسان، والمحكمة الأوربية لحقوق الإنسان وهما من ضمن أهم المؤسسات النشيطة والفعالة في مجال حماية حقوق الإنسان على المستوى الإقليمي.

2 - المؤسسات غير الرسمية : وهي هيئات دولية وإقليمية تنتمي إلى المجتمع المدني، وقد بلغت من العدد والتنوع درجة يصعب معها حصرها، الشيء الذي يعكس المكانة التي أصبحت تحتلها قضية حقوق الإنسان لدى الرأي العام العالمي. فلقد أصبحت هذه الهيئات تمثل مكوناً أساسياً في حماية حقوق الإنسان، وذلك نظراً لفعاليتها.

ويتعلق الأمر بالأساس بمنظمة العفو الدولية Amnesty International التي تأسست سنة 1961 ويوجد مقرها بلندن، كما توجد فروع لها بمختلف مناطق العالم ومن ضمنها المغرب. وتهتم هذه المنطقة - بالأساس - بمتابعة أحوال سجناء الرأي أو ما يسمى بالمعتقلين السياسيين. كما يتعلق الأمر باللجنة الدولية للصليب الأحمر CICR التي تأسست خلال النصف الأخير من القرن الماضي، والتي يوجد مقرها بجنيف، وتوجد فروع لها بمختلف مناطق العالم ؛ وتهتم بالأساس بالقانون الدولي الإنساني في وضعية الحرب.

وتتمثل أعمال هذه الهيئات في إجراء التحريات، ومراقبة المحاكمات وزيارة السجون وتقديم الإغاثة، ونشر تقارير دورية، كما تعمل على ممارسة ضغوط على الحكومات المعنية عبر تنظيمات المجتمع المدني الدولي والمحلي.

* * *

ومهما يكن من أمر، ورغم التقدم الحاصل في احترام حقوق الإنسان بالمقارنة مع العقود السابقة، فإن التجاوزات والممارسات المنافية لحقوق الإنسان، وانتهاك حقوق الأفراد والشعوب أمور ما تزال قائمة.

فلا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ولا العهود والمواثيق المتعلقة بها، ولا المؤسسات الدولية والإقليمية المختصة بحمايتها، تكفي لوضع حد للانتهاكات التي تطال حقوق الإنسان ؛ حيث لا تزال أنظمة - في مناطق متعددة من العالم - تنتهك الكثير من هذه الحقوق، وتقف من وراء العديد من الأزمات الإنسانية، بل ومن وراء حروب الإبادة الجماعية Génocide التي تستهدف الإنسان في أهم حقوقه الأساسية وفي مقدمتها حقه في الحياة.

وهكذا، فإن قضية حقوق الإنسان لا ترتبط فقط بمسألة توقيع أو مصادقة أو انضمام إلى إعلانات أو عهود أو معاهدات، أو مسألة نجاعة أو فشل المؤسسات الدولية والإقليمية والوطنية الموكول إليها ضمان مراقبة احترام هذه الحقوق ؛ بل قضية ترتبط أيضاً - وبشكل أساسي - بسلوك يتحدد في إطار أخلاق مؤسسة على احترام كرامة الإنسان ؛ سلوك يستدمج قيم الحرية والعدل والكرامة والمساواة بين الأفراد والشعوب باختلاف أجناسها وأديانها ومعتقداتها السياسية، وانتماءاتها الفكرية والثقافية والحضارية.

ولقد انتبه المنتظم الدولي لأهمية هذه القضية، حيث أكد على ضرورة نشر ثقافة تقوم على احترام حقوق الإنسان؛ ثقافة يستدمجها الأفراد والمجتمعات يكون هدفها الارتقاء بالإنسان في تعامله مع الآخر إلى مستوى احترام الكرامة الانسانية، لتتحول بذلك حقوق الإنسان من مجرد نصوص وإلزامات قانونية إلى مواقف وسلوكات حضارية.

ورغم ما قد يمثله هذا الموقف من تقدم في مجال إعمال حقوق الإنسان، فإنه قد يبدو بالنسبة للبعض كضرب من الطوباوية التي اعتاد أن يعانقها الفكر الإنساني في كثير من الفترات، كما قد يرى فيه البعض نية مغرضة يسعى من

ورائها الغرب إلى إحكام سيطرته على العالم، وإلى بسط سيادة ثقافته على باقي الثقافات الأخرى ؛ في حين قد يدركه البعض الآخر كهدف أعلى تسعى الانسانية إلى بلوغه، بالرغم مما يطرح من إشكاليات لا حصر لها.

الإشكاليات المرتبطة بنشر ثقافة حقوق الإنسان : إن ثقافة حقوق الإنسان - ككل ثقافة - يمكن أن تحدد من زاويتين اثنتين :

- من حيث ارتباطها بموضوعها
- ومن حيث ارتباطها بمصدرها

• فعندما نحاول تحديد ثقافة حقوق الإنسان من حيث ارتباطها بموضوعها، يتبادر إلى ذهننا محتوى هذه الثقافة ومادتها، وبالتالي فإن ثقافة حقوق الإنسان تتخذ هنا بُعداً معرفياً، وتصبح واحدة من ثقافات متعددة : ثقافة صحية، ثقافة علمية، ثقافة أدبية، ثقافة فنية ... الخ.

وإذا تبنينا هذا الاتجاه، سيكون النشر الذي نتوخاه هو تبليغ إخباري لمعلومات أو معارف عن هذه الحقوق. وهنا تواجهنا الإشكالية التالية : أية معارف، وأية معلومات عن حقوق الإنسان ينبغي نشرها ؟ وما الغاية التي ينبغي أن ننشدها من وراء هذا النشر ؟

• لكن الثقافة تتحدد أيضاً في ارتباطها بمصدرها، ذلك أن الثقافة هي نتاج جماعي لفئات اجتماعية ضيقة (ثقافات فرعية داخل المجتمع الواحد) أو نتاج جماعي للمجتمع بمختلف فئاته (ثقافة وطنية) أو نتاج جماعي لمجتمعات ترتبط بمحددات الدين أو اللغة أو التاريخ المشترك (ثقافة قومية). والثقافة بهذا التحديد، هي مجموع التمثلات والأفكار والقيم المرتبطة بالمخيلة الجماعية للفئات التي أفرزتها، من خلال تفاعل أفرادها فيما بينهم، وتفاعلهم مع محيطهم، عبر تطور تاريخي جدلي. إن هذا التحديد يقودنا إلى ربط ثقافة حقوق الإنسان بمصدرها الغربي (الأوربي - الأمريكي)، وبالتالي يؤدي بنا إلى التساؤل عن المبرر لتعميم ونشر ثقافة رأت النور في مجتمعات غريبة عن مجتمعاتنا. ويزداد التساؤل حدة عندما ينصب الاهتمام على أوجه الاختلاف بين بعض مكونات هذه الثقافة ومكونات ثقافتنا المحلية.

إن هذا التساؤل هو ما تعبر عنه الإشكالية المطروحة والمتداولة حالياً في ساحتنا الثقافية والمتعلقة بكونية حقوق الإنسان وخصوصيتها الثقافية. وعندما تطرح هذه الإشكالية فذلك يعني أن مبدأ قبول تلك الثقافة أمر غير مسلم به سلفاً، باعتباره مطروحاً للنقاش. عندئذ يبرز السؤال : كيف يمكن الإقدام على نشر ثقافة يشكل مبدأ قبولها موضوعاً للنقاش ؟

تساؤل ثان يفرض نفسه عند مناقشة الإشكاليات التي يطرحها نشر ثقافة حقوق الإنسان ويتعلق الأمر بمدى العلاقة الموجودة بين نشر هذه الثقافة وبين الديمقراطية ؟ وبنوعية هذه العلاقة ؟ فهل هي علاقة سببية ؟ وإذا كان الأمر كذلك، فأيهما السبب وأيهما النتيجة ؟ أم أنها علاقة ارتباط تزامني ؟ أم أنها علاقة جدلية ؟

تلك أهم الاشكاليات التي يطرحها نشر ثقافة حقوق الإنسان، وسنحاول معالجتها باقتضاب فيما يلي :

1 - إشكالية كونية حقوق الإنسان والخصوصية الثقافية:

تطرح هذه الإشكالية في ارتباط مع مواقف بعض الدول الغربية التي استعملت مفهوم الكونية Universalité استعمالاً مغرضاً جلعها تضحي بالمبادئ والقيم المؤسسة لحقوق الإنسان، في سبيل المحافظة على مصالحها الاقتصادية وعلى هيمنتها ؛ وذلك عن طريق تسخير تلك الحقوق لإضعاف سيادة الكثير من الدول، من أجل السيطرة على مواردها الطبيعية والبشرية.

هذا التصور لحقوق الإنسان "كإيديولوجيا مغرضة" لا ينحصر فقط في دائرة التحليل الهادئ للمفكرين (ومنهم مفكرون غربيون أنفسهم)، بل يتعداه ليشمل أجهزة دول تشعر بسيادتها مهددة، يجعلها تتعامل بنوع من الحيطة والحذر مع حقوق الإنسان. ويتجلى ذلك في التردد الذي يطبع وضع آليات التطبيق الداخلي لنشر هذه الحقوق والدفاع عنها، رغم مصادقتها على الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان.

لكن الحيطة والحذر يتطوران لدى فئات مجتمعية ارتبطت في ذهنها الكونية بإيديولوجيا توسعية استعمارية، لازالت تذكر بماض استعماري قريب، ضخمته أحداث ومواقف جديدة للدول الغربية، أذكت الوجدان والعواطف لهذه الفئات الاجتماعية لتتجسد في رفض أو مقاومة تتخذ هي بدورها إحدى الصورتين الآتيتين :

صورة الاكتفاء الذاتي في مجال حقوق الإنسان، وبالتالي الاستغناء عن المصادر الكونية لهذه الحقوق، على اعتبار أن الخصوصية الثقافية غنية بقيم الإنسان وتعتبر منبعاً لها. أو صورة الاحتماء وراء هذه الخصوصية لرفض هذه الحقوق بحجة تعارضها مع هذه الخصوصية Spécificité.

ولا بأس أن نذكر - رغم أن الأمر لا يحتاج إلى ذلك - أن هذه الإشكالية قد تمحورت في دولنا العربية الإسلامية حول الإسلام، مما جعلها تصبح أكثر تعقيداً بحضور البعد الديني في مكوناتها.

وإن موقف المفكرين من إشكالية الإسلام وحقوق الإنسان - وبغض النظر عن البعد الإيديولوجي لهذا الموقف - هو نفسه موقف متباين. ويمكن تلخيص هذا التباين في ثلاثة اتجاهات :

• اتجاه توفيقي يرى أن قيم حقوق الإنسان قيم نادى بها الإسلام (حرية التعبير، حرية التفكير، حرية الملكية...)، بل يعتبر موقف الإسلام طلائعياً في مجال حقوق الإنسان، ويكفي الرجوع إلى النصوص الدينية لإبراز هذه الحقوق.

• اتجاه يرى أن هناك تعارضاً بين الإسلام وبين حقوق الإنسان، ومرجعيته في ذلك ما تتضمنه بعض الآيات من دلالات تتنافى مع مبدأ المساواة مثلاً بين الرجل والمرأة، بين المسلم وغير المسلم، بين الرجل الحر والعبد، فضلاً عن إقراره للعقاب الجسدي والقصاص.

• اتجاه ثالث يتجاوز الاتجاهين السابقين، ليربط إشكالية الكونية والخصوصية بالأسس التي تنبني عليها حقوق الإنسان، لا بمضامينها من قيم ومبادئ. هذا الاتجاه لا ينفي إمكانية التطابق بين قيم ومبادئ حقوق الإنسان وبين القيم الإسلامية، إلاّ أنه يرى أن الفرق يكمن في كون حقوق الإنسان، من منظورها الكوني (أو الغربي كما يريد البعض) مؤسسة على اعتبار أن هذه الحقوق هي من بناء الإنسان، نتيجة صراعاته عبر التاريخ ؛ وبتعبير آخر، على اعتبار أن الإنسان هو مصدر هذه الحقوق، وفي نفس الوقت هو غايتها ؛ لا على اعتبار أن هذه الحقوق منحة إلاهية.

بقي أن نشير قبل الانتقال إلى معالجة إشكالية العلاقة بين نشر ثقافة حقوق الانسان وتحقيق الديمقراطية أن هناك من لا يرى تعارضاً بين الكونية L'Universalité والخصوصية La Spécificité لدرجة تقتضي أن نختار إحداهما على حساب الأخرى. فالكونية لا يمكن أن تنفي الخصوصية، وإلاّ لأصبحت حقوق الانسان وسيلة للاعتداء على حق مؤسس لهذه الحقوق، وهو الحق في الاختلاف Le Droit à la différence ؛ بل ولتنافت هذه الحقوق مع مبدإ يشكل أحد مقوماتها وهو مبدأ التسامح La tolérance وقبول الآخر، كما أن الخصوصية ينبغي ألاّ تكون انغلاقاً على الذات أو رفضاً للآخر.

وهكذا يمكن تجاوز هذه الإشكالية عن طريق التوفيق بين الخصوصية التي هي الشعور بالذات وبالهوية (فالذي لا يشعر بذاته وبهويته، أو يشعر بأنهما مهددتان، لا يمكنه أن يحاول الآخر) وبين الكونية التي تنطلق من الوعي بماهية الذات وبماهية الآخر للسير معاً نحو ما هو مشترك بين جميع أفراد الإنسانية.

2 ـ إشكالية نشر ثقافة حقوق الانسان وتحقيق الديمقراطية : إن العلاقة التي يمكن أن نجدها بين حدي هذه الأطروحة، أي العلاقة بين حقوق الإنسان وبين الديمقراطية، قد تختلف باختلاف نوع مقاربتنا لها وعمق هذه المقاربة، لتتراوح بين التطابق والتباين بينهما عبر درجات متعددة من التقارب والتباعد.

وحتى لا ندخل في التحديدات الدقيقة، ولا في التحليلات التاريخية لنشأة الديمقراطية، سنكتفي بما يقتضيه إبراز العلاقة بينهما على مستوى الواقع، أي علاقة الترابط والتبعية المتبادلة بينهما.

إن الديمقراطية في ارتباطها بالتنظيم السياسي للمجتمع ـ باعتبارها أسلوباً لاختيار الحاكمين أو للمشاركة في تدبير الشؤون العامة للمجتمع ـ تحيل على البعد السياسي للمجتمع، وبالتالي على الأفراد كمتموقعين داخل تنظيم سياسي ومؤسساتي معين، أي على الأفراد باعتبارهم مواطنين Citoyens. في حين ترتبط حقوق الإنسان بحقوق هذا الأخير المرتبطة بطبيعته كإنسان كائن وراء مختلف الأنظمة السياسية وسابق عليها.

التمييز إذن بين الديمقراطية وحقوق الإنسان هو تمييز بين المواطن والإنسان، بين السياسي والإنساني.

لكن الديمقراطية هي أسلوب محدد لتعيين الحكام، ونوع معين في تسيير شؤون المجتمع. فالنظام الديمقراطي حسب التعريف الكلاسيكي هو النظام الذي يحترم فصل السلط، والحريات العامة، ومشاركة المواطنين في الانتخابات الحرة. الوقوف عند هذا المستوى من التحليل يجعلنا ندرك نوعاً من العلاقة بين المفهومين، لكنها علاقة تظل مع ذلك محدودة ؛ ذلك أن الممارسة الديمقراطية تبدو مرتبطة ببعض حقوق الإنسان التي يتم الاعتراف بها للمواطن، ويتعلق الأمر بالحرية السياسية والحريات العامة. الترابط الموجود هنا يحيلنا على الجيل الأول من حقوق الإنسان.

إلاّ أن التطور الذي عرفه المفهومان جعلهما يرتبطان أكثر فأكثر. فالمقاربة الحديثة لمفهوم الديمقراطية تجعلها أكثر استقلالاً عن الدولة، لا لتهميش هذه الأخيرة، وإنما للحد منها وإضفاء مشروعية أكبر عليها، وبالتالي تنقل التسيير الديمقراطي من حدود المجتمع السياسي إلى مجموع المجتمع المدني وإلى مجموع الحياة الاجتماعية عندئذ لم تعد الديمقراطية بمعناها الواسع مشروطة فقط بتوفر الحرية السياسية والحريات العامة، بل تصبح مشروطة أيضاً بتوفر شروط أخرى تتوقف عليها الكرامة الإنسانية. الترابط الموجود هنا يحيلنا على الجيل الثاني من حقوق الإنسان.

يمكننا إذن أن نعتبر أن حقوق الإنسان هي الروح التي بدونها تظل الديمقراطية "تقنية لحل الشؤون العامة". فلا ديمقراطية بدون احترام الكرامة الانسانية لكل إنسان جسمياً واجتماعياً وروحياً، ودون تنمية الحريات الشخصية في بعدها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

من هنا تظهر أهمية نشر ثقافة حقوق الانسان بالنسبة لتدعيم الديمقراطية. فإحساس الأفراد بكرامتهم وحريتهم وبممارستهم لحقوقهم هي المحرك الذي يدفع بدينامكية الديمقراطية إلى الأمام، والضامن للتطبيق الفعلي لها ؛ إذ بدون هذا الإحساس تصبح الديمقراطية مجرد قوانين، وتصبح موسساتها مفتعلة وفارغة. ولكن في نفس الوقت تظهر أهمية الديمقراطية بالنسبة لتطبيق حقوق الإنسان، فبدون توفر حد أدنى من الحرية ومن المؤسسات والقواعد التي تضمن تلك الحرية لا يمكن احترام تلك الحقوق أو المطالبة بها.

العلاقة إذن بين حقوق الإنسانية والديمقراطية هي علاقة سببية دائرية، فكلاهما يدعم الآخر عبر سيرورة تاريخية تسير باستمرار نحو التقدم.

جانب أساسي ينبغي إذن الانتباه إليه في تعاملنا مع حقوق الإنسان والديمقراطية - سواء عبر الثقافة التي نريد نشرها أو عبر ممارستنا لحقوقنا وللديمقراطية - وهو البعد التطوري لحقوق الإنسان وللديمقراطية باعتبارهما بناءً إنسانياً ينمو ويتطور عبر التاريخ.

قضية نشر ثقافة حقوق الإنسان وتدعيم الديموقراطية قضية ينبغي أن تعالج في إطار مواكبة المجهود الإنساني من أجل تحقيق القيم التي يتأسسان عليها معاً، وعلى رأسها قيمة الكرامة الإنسانية.

أما حقوق الإنسان بالمغرب : فرغم التفتح الذي طبع سياسة المغرب الخارجية عبر الحقب التاريخية، فإنه - نتيجة لموقعه الجغرافي الواقع على مرمى حجر من أوربا، وللظروف التاريخية التي جعلته مستهدفاً من طرف العديد من دول هذه القارة - كان لابد أن يلتزم نوعاً من الاحتراس مع هذا التفتح. ومع ذلك شكل تاريخ نضاله الطويل في مواجهة الاستعمار - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - تراثاً مرجعياً وطنياً في مجال حقوق الإنسان.

ورغم تمسك المغرب باستقراره الداخلي - وحرصه الشديد على هذا الاستقرار منذ الاستقلال - فإنه قد راهن على التوجه الديمقراطي مبكراً، حيث تبنّى سياسة التأسيس المتأني والثابت للمسلسل الديمقراطي بالبلاد منذ إصدار ظهير الحريات العامة (20 ماي 1958)، واختيار نظام الملكية الدستورية (دستور 14 نوفمبر 1962).

والمتتبع لما عرفه المغرب من تقدم في مجال حقوق الإنسان منذ استقلاله سنة 1956، يدرك مدى التطور الذي أحرزه في هذا المجال ؛ وهو تطور نبع من إيمانه بقيم الحرية والكرامة، ومن تضحياته ونضاله الطويل من أجلها ؛ ذلك "أن من جاهد من أجل الحرية لا يمكن إلاّ أن يكون معها، ومن ناضل من أجل فرض حقوق الإنسان والمواطن على الاستعمار لا يكون إلاّ وفياً لها في عهد الاستقلال، بشرط أن لا يقع المس بقدسية مفاهيم المثل، وأن تحترم قدسية الواجبات وقدسية الحقوق، وأن تمارس الحقوق والحريات في نطاق المسؤولية لئلا تعبث بها الفوضى" كما جاء في خطاب العرش لجلالة الملك الحسن الثاني يوم 3 مارس 1991.

وهكذا فقد تبنّى المغرب الالتزام بالإعلان العالمي لحقوق الانسان منذ دستور 1962 حيث نصت ديباجته على تعهد المملكة المغربية بالالتزام بما تقتضيه مواثيق المنظمات الدولية من مبادئ وحقوق وواجبات. كما صادق سنة 1979 على العهدين الدوليين المتعلقين بالحقوق المدنية والسياسية وبالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وانضم وصادق سنة 1993 على جملة من الاتفاقيات المتعلقة بحقوق الإنسان ومن ضمنها اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة واتفاقية حقوق الطفل والاتفاقية الدولية لحماية حقوق جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم.

كما قطع خطوات هامة في مجال سن القوانين التي تضمن للإنسان حقوقه في مختلف مجالات الحياة المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وكان من الطبيعي - نظراً للتطورات التي عرفها المغرب داخلياً من جهة، وللتطورات التي عرفها العالم من جهة أخرى أن تعرف السنوات الأخيرة تسارعاً في مجال إرساء دعائم الديمقراطية بالبلاد، واكبه تسارع في وثيرة إعمال حقوق الإنسان، حيث نص دستور 4 شتنبر 1992 بصرامة على أن "المملكة المغربية .... تؤكد تشبثها بحقوق الإنسان كما هي متعارف عليها عالمياً" معبراً بذلك عن إرادة سياسية واضحة فيما يتعلق بالتزام المغرب بحقوق الإنسان.

وقد تُرجمت هذه الإرادة السياسية وهذا الالتزام الدستوري إلى جملة من التدابير شكلت دعماً مؤسساتياً مهماً في مجال إعمال حقوق الإنسان بالمغرب منذ بداية التسعينات، نقتصر على ذكر بعضها فيما يلي :

1 - على مستوى المؤسسات الاستشارية :

• إنشاء المجلس الاستشاري لحقوق الانسان (ماي 1990) : وهو مؤسسة استشارية مستقلة عن السلط التشريعية والتنفيذية والقضائية، مهمته مساعدة جلالة الملك في جميع القضايا المتعلقة بحقوق الإنسان. وتعكس تشكيلة أعضائه التعددية السياسية والنقابية والثقافية والدينية للمجتمع المغربي.

• إنشاء المجلس الوطني للشباب والمستقبل (يوليوز 1990) : وهو مؤسسة استشارية تهتم بقضايا الشبيبة الحضرية والقروية في مجال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من منظور التشغيل ؛ وتعمل على تقديم اقتراحات للحكومة تتعلق بالحلول التي تراها مناسبة لتلك القضايا.

ويمتاز هذا المجلس بتنوع في تركيبته حيث يضم جميع الفرقاء الاجتماعين والسياسيين، وبأصالة في منهجية عمله، حيث يعتمد في إسقاطاته على الدراسات الميدانية.

• إنشاء الملجس الاستشاري لمتابعة الحوار الاجتماعي (يناير 1995) : وهو مؤسسة استشارية لدى جلالة الملك، ويتكون من ممثلين عن جميع الفرقاء الاجتماعيين (الحكومة - الفرق المهنية - أرباب العمل ونقابات العمال)، ويعتبر فضاءً للحوار وللتشاور، كما يقوم بفحص ودراسة مشاكل عالم الشغل ويقدم اقتراحات وتوصيات في هذا المجال.

2 - على مستوى المؤسسات التنفيذية :

• إنشاء الوزارة المكلفة بحقوق الانسان (نوفمبر 1993) : وتتولى - بتنسيق مع الوزارات المعنية - إعداد وتنفيذ سياسة الحكومة المتعلقة بالدفاع عن حقوق الإنسان واحترامها والنهوض بها ؛ وذلك بالعمل - في مجال الدفاع - على تعزيز مجال الحوار والتشاور مع منظمات المجتمع

المدني وعلى فحص ومتابعة الشكايات الواردة من المواطنين، وبالسهر - في مجال النهوض - على مطابقة النصوص التشريعية والتنظيمية لمتطلبات حقوق الإنسان وعلى نشر الثقافة المرتبطة بحقوق الإنسان وتنميتها ودعمها من خلال النسيج الاجتماعي.

• إنشاء المندوبة السامية المكلفة بالأشخاص المعاقين (مارس 1994) : وهي جهاز حكومي يعمل على تأمين الرعاية والإدماج الاجتماعيين لصالح الأشخاص المعاقين، وذلك بتعاون مع الوزارات ومع الجمعيات المعنية، كما يعمل على ضمان كرامة الشخص المعاق عن طريق ضمان حقوقه كمواطن.

3 - على مستوى مؤسسات المراقبة :

• إنشاء المحاكم الإدارية (1991) : وهي مؤسسات قضائية تم إحداثها بمختلف أقاليم المملكة، بموجب قانون تبناه البرلمان في شهر يوليوز 1991 وجاء استجابة لما جاء في الخطاب الذي ألقاه جلالة الملك يوم 8 ماي 1990 بمناسبة تنصيب المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان. وتتولى هذه المحاكم النظر في القضايا المتعلقة بالتجاوزات التي قد تصدر عن الإدارة في علاقتها بالمواطنين.

• إنشاء المجلس الدستوري (1992) : يعتبر إحداث هذا المجلس من أهم المستجدات التي جاء بها الدستور المعدل لسنة 1992. ويتولى هذا المجلس مراقبة دستورية القوانين، وقانونية الانتخابات التشريعية.

ولقد عرف المجتمع المغربي منذ السبعينات حركة نشيطة للمجتمع المدني فيما يتعلق بحقوق الإنسان حيث شهد ميلاد أربع جمعيات للدفاع عن حقوق الإنسان وهي : العصبة المغربية لحقوق الإنسان سنة 1972، والجمعية المغربية لحقوق الإنسان سنة 1979 والمنظمة المغربية لحقوق الإنسان سنة 1988، ولجنة الدفاع عن حقوق الإنسان سنة 1992، كما شهد ميلاد عدد هائل من الجمعيات المهتمة بقضايا المرأة والطفل والمعاق وبقضايا البيئة وغيرها من القضايا المرتبطة بالدفاع عن حقوق الإنسان.

كما عرف اتخاذ جملة من التدابير في مجال حقوق الإنسان كان أبرزها إعلان العفو الشامل وإلغاء ظهير 1935 وذلك سنة 1994، وتعديل مدونات الأحوال الشخصية والشغل والتجارة وقانون المسطرة الجنائية، كما تم تعديل الدستور سنة 1996 الذي أحدث نظام الغرفتين بالبرلمان.

وكلها تدابير تسعى إلى تحسين أوضاع حقوق الإنسان بالمغرب وإلى دعم الديمقراطية وترسيخ دولة القانون. إلا أنه "... كيفما كانت القوانين، وكيفما كانت الدساتير لابد أن ننظر إلى الديمقراطية كنهج، إذن كسلوك وكتطبيق ...". كما جاء في الخطاب الذي ألقاه جلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة الذكرى الثانية والعشرين للمسيرة الخضراء يوم 6 نونبر 1997.

وبهذا المعنى فإن قضية الديمقراطية وقضية حقوق الإنسان (وهما وجهان لعملة واحدة) تصطدمان - في كل المجتمعات بما فيها المغرب - بمعيقات شتى، وتطرحان إشكاليات متعددة قد لا تجد حلها فقط في تفعيل مؤسسات المراقبة بما فيها المؤسسات الدستورية والقضائية، وإنما أيضاً في تفعيل المؤسسات الاجتماعية والتربوية والثقافية والإعلامية، وكذا تنظيمات المجتمع المدني من أجل دعم الديمقراطية عبر نشر ثقافة حقوق الإنسان ؛ ثقافة تهدف إلى تعميق الوعي بكرامة الإنسان عن طريق استدماج قيم الحرية والعدل والمساواة، هذه القيم التي تستمد أصولها من مقومات المغرب الدينية والوطنية والحضارية وتشكل ضمانة لتحقيق طموحات المغرب في التنمية الشاملة في أفق الانخراط الإيجابي والفاعل في المسيرة الحضارية للإنسانية جمعاء.

فاروق حمادة، *الوصية النبوية الإسلامية*، نشر دار الثقافة، الدار البيضاء، ص 41 - 42 ؛ *البيان الصادر عن المجمع الإسلامي العالمي* بمناسبة بدء القرن الخامس عشر الهجري والمؤرخ بـ 21 ذي القعدة 1401 (19 شتنبر 1981) ؛ الشافعي محمد بشير، *قانون حقوق الإنسان - ذاتية ومصادر*، في كتاب : حقوق *الإنسان*، المجلد الثاني، دراسات حول الوثائق العالمية والإقليمية 1989، ص 45 وما بعدها ؛ *إعلان حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام* الصادر عن رابطة العالم الإسلامي سنة 1979، ومشروع *وثيقة حقوق الإنسان في الإسلام* الذي تم تقديمه إلى مؤتمر القمة لمنظمة المؤتمر الإسلامي بالطائف سنة 1989 ؛ علي زنيبر السلاوي ، وثيقة *"حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال"* ؛ ومشروع دستور سنة *1908* الذي وردت في مواده من 12 إلى 34 ذكر هذه الحقوق ؛ محمد المنوني، *مظاهر*؛ محمد حسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد* ؛ *الوثيقة التي قدمتها الهيأة الوطنية في شمال المغرب إلى رئيس* الجمهورية الاسبانية سنة 1931 ؛ *والوثيقة التي قدمتها كتلة العمل الوطني إلى جلالة المغفور له محمد الخامس سنة 1934* ؛ *الوثيقتان اللتان قدمهما زعماء الحركة الوطنية بتنسيق مع جلالة الملك المغفور له محمد الخامس*، الأولى تقدم بها حزب الاستقلال بزعامة المرحوم علال الفاسي، والثانية تقدمت بها الحركة القومية برعاية المرحوم محمد حسن الوزاني ؛ *حقوق الإنسان، مجموعة صكوك دولية* - المجلة الأولى - الجزء الثاني - *صكوك عالمية* - الأمم المتحدة - نيويورك 1993، ص 1 - 10 ؛ *الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان، الأمم المتحدة*، نيويورك 1988، ص 1 ؛ المرجع السابق : حقوق *الانسان، مجموعة صكوك دولية*، المجلد الأول والثاني، نيويورك، 1993 ؛ *انبعاث أمة*، 1961.

J. Locke, *Deuxième Traité du gouvernement civil*, in *Anthologie des Droits de l'Homme* (textes réunis par W. Laqueur et B. Brun). Paris, 1994 ; J.-J. Rousseau, *Du contrat social*. Ibidem pp. 93 - 100 ; *La Déclaration française des Droits de l'Homme et du Citoyen*. Ibidem pp. 152 - 155 ; *Pacte de la Société des Nations* in *Anthologie des Droits de l'Homme*, op. cit. p. 196 ; *Charte des Nations Unies* (articles 1, 55, 56, 60, 62, 68, 76) in *Les Nations-Unies et les Droits de l'Homme* 1945 - 1995. Séries livres bleus des Nations-Unies, volumes VII, New-York, 1995 pp. 151 - 153 ; A. Saaf, *Université et*

spécificité dans les Droits de l'Homme, in *Le Maroc et les Droits de l'Homme*, collection *Edification d'un Etat moderne* sous la direction de MM. Driss Basri, Michel Rousset et Georges Vedel, Paris, 1994, p. 130 ; A. Belhaj, *Démocratie et Droits de l'Homme*, in *le Maroc et les Droits de l'Homme*, op. cit., p. 148 ; P. Meyer-Bisch, *La culture démocratique*, Commission National Suisse pour l'UNESCO, Paris 1993, p. 8.

خالد عبد الرزاق

**الحكاية الشعبية المغربية**، جنس أدبي نثري تقليدي متداول باللسانين العربي الدارج (خرايف) والأمازيغية (دمينْ) ؛ يدخل ضمن الممارسات الترفيهية التي كانت سائدة في الأوساط العائلية وفي الساحات العمومية قبل بضعة عقود. في الوقت الراهن تراجعت الحكاية الشعبية بفعل طغيان أساليب التسلية الحديثة من سينما وتلفاز ؛ بالرغم من أنها كثيراً ما تشكل اللحمة الرئيسية للمادة السردية للأفلام والقصص الحديثة. ومازالت بعض بقايا هذا التقليد، على ندرتها، موجودة في الأسواق الأسبوعية والمواسم الفصلية حيث ترتبط بظاهرة "الحلقة" التي أصبحت بدورها تميل إلى الزوال.

وعلى غرار الأجناس الأخرى في الأدب الشفوي، فإن للحكاية الشعبية ضوابطها وأعرافها وطقوسها بدءاً بقواعد افتتاحها وانتهاءً بطقوس ختمها مروراً بتمفصلات وتسلسل أجزائها. فسواء كانت باللسان الدارج أو اللسان الأمازيغي، فإن الحكاية المغربية تُستهلّ دائما بعبارات طقوسية تقليدية شبه قارّة، تدرج السرد في المقام المتعارف عليه ثقافيا واجتماعيا، حيث يُعْلَن بذلك الخروج من عالم الواقع لولوج عالم خيالي وزمن أسطوري يفسح المجال لامتزاج المعقول بالغرائبي والخرافي والأسطوري في أماكن وأزمنة من نسج الخيال الجماعي. ومن أشهر عبارات الاستهلال : "كانْ يا مَا كانْ ..." ومتغيراتها الجهوية، ومهما كانت الصيغة الافتتاحية، فإن عنصر الإسلام ثابت فيها، حيث يبدأ الراوي بذكر الله تعالى وبالسلام على رسوله الكريم :

"صلّيوا على النبي" ! يقول الراوي، فيجيبه الحاضرون المتحلقون حَولَه : "الصلاة عْلَى لْحْبِيبْ والسَّلاَمْ".

فكأن هذا الاستهلال الطقوسي - الديني بداية ميثاق عرفي بين الراوي وجمهوره الذي يتخلص طوال مدة الحكْي من قيود العقل والمنطق ليسبح في الدوامة الخرافية التي تسلب لبّه بفعل بلاغة وحذق الراوي وقدرته الخارقة على مَسْرَحَة وتمثيل وإيحاء مختلف الأدوار والمواقف والمشاهد والشخصيات.

والحكاية الشعبية من هذا المنظور عملية تواصلية حيّة بين الراوي وجمهوره. فالراوي يتفاعل تلقائيا وباستمرار مع سامعيه، حيث قد يغيّر مجرى الأحداث التي يحكيها في أي لحظة وقد يتوقف عن الحكي ليتأكد من تتبع السامعين للسرد ولاندماجهم مع المحكي. ويلجأ في ذلك لعدة صيغ وتعابير تقليدية القصد منها ضمان استمرارية مؤازرة الجمهور له وسط العالم العجيب الذي ينسجه من حوله :

"دَازْت أَيَّامْ ومْشَاتْ لْيَالْ .. وأنَا وْ ايَّاكُمْ يَالسَّامْعِين نْصلّيْوا على الحْبِيبْ سيدْنَا مُحمد".

ويُختتم السرد الحكائي عادة بعبارة طقوسية، تظهر وكأنها تضع رمزياً حداً لعالم الخيال لتعود بالذهن إلى عالم الواقع : "ومْشيت وخلّيتهم ورجعت في حالي".

وفضلاً عن عبارات الاستهلال والاختتام، يتخلّل السَّرْدَ مجموعة من الإشارات اللفظية ذات شحنة بلاغية وتعبيرية ترسّخ خاصية التواصلية المباشرة للحكاية الشعبية المعتمدة أساساً على الشفهية والتمثيليّة، حيث إن الراوي كثيراً ما يلجأ إلى حركية شبه مسرحية يمثل فيها بصوته وجسمه وتقاسيمه كل أدوار الحكاية التي يسرد أحداثها. وهذه الخاصية المتميزة للحكاية الشعبية تجعلها لا تتكامل لَبناتُها إلاّ إذا توفرت لها ظروف الإلقاء المباشر من قبل راوٍ يمتلك ناصية الحكي والتشخيص، وذلك ما يجعل النصوص المستنسخة من الحكاية المروية شفاهيا شبه مبتورة لاقتصارها فقط على عنصر دون باقي المكونات الأخرى المرتبطة بعملية الإلقاء.

في التصنيف المعتاد للحكاية الشعبية، يورد المتخصصون أربعة أنواع حكائية يتميز كل واحد منها بخصوصياته الموضوعاتية وطقوسه السردية. فهناك الحكاية العجائبية، والحكاية الحيوانية، والحكاية المناقبية، والحكاية الساخرة.

- *الحكاية العجائبية، أو العجيبة* : تدور موضوعاتها حول تيمات من عالم السحر ودنيا الخوارق والجن وكل ما يتجاوز حدود المألوف. غالبا ما يكون البطل الآدمي في صراع أو تفاعل مع شخصيات خارقة من تلك العوامل العجيبة. ذلك أنه كثيراً ما يجتاز اختبارات ومحناً تضعه في مواقف حرجة يتعين عليه إظهار ملكاته وقواه الأسطورية للوصول إلى هدفه. أما الأحداث فهي مزيج من الواقعي والخرافي أو تَأَرْجُحٌ بينَهُما، حيث يتنقل البطل بين دنيا البشر وفضاءات "الغول" و "الجن" بسهولة لا يحكُمها سوى منطق الحكي وقانون السَّرد. ومن أشهر هذه الحكايات العجيبة في التراث الأمازيغي، حكاية "حَمُّو نَاميرْ" (أو "حْمَادْ أو نامير"، حسب المناطق) وهو بطل له عائلة غريبة مع حُوريّات من العالم الآخر، كما أن الثقافة المغربية برافديها الأمازيغي والعربي الدّارج تعجّ بحكايات عجيبة من أصل مشرقي، وخاصة من "ألف ليلة وليلة" والتي تتداول عبر السنين في صيغ مكيّفة مع السياقات المحلية، إلى درجة أن بعضا منها قد تمت "مغربته" شكلا ومضمونا.

وحسب الدارسين والسيميائيين المهتمين بهذا الجنس الحكائي، وعلى رأسهم فلاديمير پْرُوپْ Vladimir Propp ،

فإن السرد في الحكاية العجيبة قائم على منظومة محكمة تتمثل في السيرورة السردية (Discours Narratif) الذي يتمحور حول "بحث" (quête) البطل على شيء محدّد (أو شخص معين)، يقوده إلى العدد من المحن والمآزق (غالبا ما يكون عددها سبعاً) ويكون عليه الإفلاح في تجاوزها رغم المخاطر المهدّدة لحياته، وينتهي به المطاف في الأخير إلى حلّ المعضلة القائمة بالانتصار على الأشرار (عفريت، غول، ظالم .. الخ). وتخليص الضحايا (غالبا ما يتعلق الأمر بأميرة حسناء). وهكذا نجد في الثقافة المغربية نماذج عالمية مصوغة في قالب محلي، أمازيغي أو دارجي : من ذلك مثل سندريلا (Cendrillon) المتمثلة في عيشة رْمَادَة و "الخنصر الصغير (Petit Poucet) في "حْـديـدَانْ" أو مْقيدْش".

- *حكايات الحيوان* : هي من أشهر الحكايات وأوسعها انتشاراً نظرا لبساطتها وقصر سردها اللذين يسهلان تداولها من لدن الجميع. أبطالها من الحيوانات التي تتخذ خصائص وطبائع وسلوكات محاكية للإنسان، لكونها أساساً ترمز إلى هذا الأخير في حياته وقيمه وقضاياه وانشغالاته. ففي الحكاية الأمازيغية يشتهر ابن آوى (ءوشن) والقنفذ (بومحمد) بأدوارهما المتنافرة (رابح / خاسر، شاطر / بليد ؛ ذكي / ساذج....)، حيث تطغى حكاياتهما وطرائفهما على جميع حكايات الحيوانات الأخري. وكثيراً ما تسند لبعض الحيوانات كالأسد والفأر والحمامة، والضفدعة والغراب وغيرها، أدوار ثانوية في الحبكة المنسوجة حول مغامرات الحيوان الرئيسي. أما في الدارجة المغربية، فإن الذئب أو الثعلب يحتل مقام ابن آوى، بينما القنفذ يبقي قاراً كبطل محوري.

وهناك من حكايات الحيوانات ما يدور حول إشكاليات فلسفية، تجعل من الموضوع ذريعة لتفسير بعض الظواهر الكونية أو أصل بعض السلوكات الغريبة، كأصل عداء بعض الوحوش للإنسان (كالأسد مثلا). وهناك من الحكايات ما يستمد حبكته من المواضيع العالمية المنتشرة في المشرق أو الغرب والموجودة في المتن العربي (*كليلة ودمنة*) أو المتن الغربي (*لافونتين*).

الحكاية المناقبية : هي حكايات أبطالها من الأولياء والصالحين ذوي الكرامات التي تتجاوز في بعض الأحيان حدود الواقعية وتندرج في عالم الخوارق والكرامات. ولا تخلو أي ثقافة محلية في المغرب من مثل هذه الحكايات التي غالبا ما لا يكون العنصر الواقعي فيها سوى شخصية الوليّ الصالح. ويظهر أن هذا النوع من الحكايات موجود في مختلف ثقافات العالم، حيث إن مواضيع الخوارق والأحداث المنسوبة إلى الأشخاص تكاد تتشابه من ثقافة إلى أخرى : القدرة على بعض الإنجازات الخارقة : إشفاء العلل الجسدية والروحية، التنبؤ بالغيب الخ. وما يميز هذا النوع الحكائي عن غيره من الحكايات الأخرى، هو كونه لا يسرد للاستمتاع أو للتسلية بقدر ما يأتي في سياقات معينة، كمحافل ذكر مناقب الأولياء أو استحضار الكرامات الشهيرة مثلا.

- *الحكاية الساخرة أو (الضاحكة)* : غالبا ما تكون قصيرة وغير متقنة من الناحية السردية والبلاغية، كونها شبيهة بالنكتة. أبطالها جدّ قلائل (اثنين أو ثلاثة) وموضوعاتها تدور حول السخرية والحذق والبلاهة والسذاجة وغير ذلك من القيم والاخلاق والصفات السلبية والمكروهة داخل المجتمع. وهناك في المتن المغربي بعض المواضيع والشخصيات النموذجية التي تتمحور حولها أغلب الحكايات الشهيرة ومنها : المرأة بمختلف العيوب المنسوبة إليها في الثقافة الشعبية ؛ الفقيه وما ينسب إليه من صفات قدحية ؛ الأحمق وما يصدر عنه من أفعال وتصرفات. وتعتمد الحكاية في تقديمها للأحداث والشخصيات على عنصر المفارقة والتناقض واللامعقول لإثارة الضّحك. ومن أشهر الحكايات الساخرة في المغرب، حكايات جُحا التي يُرجَعُ أصلها إلى المشرق، ولكنها جدّ متأقلمة مع المناطق المغربية، حيث يسمى "جْحَا" في الثقافة الدارجة وبأسماء أخرى في المناطق الأمازيغية. إلاّ أن خصائصه المعروفة غالباً تبقى ثابتة، ومنها بالخصوص بَلاَدَتُهُ الذكية التي تشكل المفارقة الأساسية التي تحرك السرد وتعطيه النكهة الساخرة المتوخاة منه.

- *الحكاية الكاذبة* : وهي أقل الأنواع تداولاً، إذ لا يتعاطاها سوى العارفين بالتلاعب باللغة المحلية وبلاغتها. وهي أقرب من الحكاية الساخرة، إلاّ أنها تعتمد على سرد متناقض وغير متجانس ولا معقول. وتهدف حبكتها المطرزة بإتقان إلى تدويخ السامع والزج به في متاهة فكرية لا يخلصه منها سوى نهاية الحكاية القصيرة بموقف مُضحك من فرط ما يراكمه من متناقضات. وفيما يلي نموذج من هذه الحكايات المتداولة باللسان الأمازيغي وله متغيرات مماثلة في عدد من لهجات الدارجة المغربية.

"اجتمع أربعة أشخاص واتفقوا على الخروج للسرقة : الأول أصلع، والثاني أعرج والثالث أبكم وأخرس والرابع أعمى.

وبينما هم في إحدى جولاتهم المعتادة، صاح الأعمى : "انتهبوا، إني أرى أناساً قادمين نحونا !"

ثم قال الأخرس الأبكم : "حقا ! إني أسمع من هنا أصوات صهيل خيلهم !"

وصاح الأصلع من الخوف : "لقد أفزعتموني حتى وقفت شعرات رأسي كالأشواك !".

وأخيراً صاح الأعرج " د. هلمّواً لنهرب بعيداً !"

H. Basset, *Essai sur le littérature des berbères*, Alger, 1920 ; A. Boukous, *Langage et culture populaires au Maroc*, Casablanca, 1977 ; Drouin, *Un cycle oral hagiographique dans le Moyen-Atlas maocain*, Paris, 1975 ; M. Galley et Z. Iraqui-Sinaceur, *Dyab, Jḥa, La'âba. Le triomphe de la ruse. Contes marocaines du fonds Colin*, Paris, 1994 ; E. Laoust, *Contes berbères du Maroc*, Paris, 1949.

الحسين المجاهد

**الحكم والأمثال المغربية**، إذا كان العديد من الحكم والأمثال الفصيحة والأندلسية قد تمّ إنقاذه بفضل مجهود المؤلفين والباحثين الذين سهروا على تدوينها وتحقيقها فإنّ الكثير من الحكم والأمثال المتداولة يوميا بين الفئات الاجتماعية بالمغرب لم ينشر منه إلا النزر القليل. فما هي إذن خصائص هذه العبارات المليئة باللغز والحكمة التي نفوه بها بالعربية الدارجة أو بالأمازيغية ؟ ومتى نستعملها ؟ ما هي وظائفها ؟ أي صورة للمجتمع المغربي تعكس لنا ؟

ليس من السهل التمييز بين الحكمة والمثل بصفة قاطعة. فكلمة "حكمة" تعبر عادة على النضج والرأي النابع عن التجربة والرصانة ؛ للحكمة علاقة بالقصة أو الحكاية حيث تشير هذه اللفظة إلى جملة قصيرة من شأنها أن ترشد المرء الذي تقصده وتوجّه سلوكه ومعاملته إلي الصواب. الحكمة الشعبية إذن تلخص جوهر الموضوع أو الحالة، فتُعتبر بمثابة نصيحة أو قاعدة سلوكية تتجلى فيها خبرة القدماء وتتسم بالحيطة والحذر.

وغالبا ما يتميز "المَثَل" بأسلوب مجازي يُستخدم فيه الرمز والاستعارة، كما يتميّز بتركيب وجيز ودقيق ؛ وللمزيد من الجمالية والرونق في الأسلوب تلجأ الحكم والأمثال إلى طرق تُستعمل عادة في الشعر، كالقافية والسجع.

تارة يكون المثل أو الحكمة على صيغة سؤال أو تعجب يحتوي على مقارنات وأضداد ؛ وتارة أخرى يكون على صيغة حوار أو أحجية. كل هذه الوسائل تسهل تلقين وحفظ هذه العبارات كما ترسخ بنيتها وتحميها من التحريف طيلة تسلسلها عبر الأجيال.

من خلال دراسة الأمثال والحكم يعمل بعض الباحثين على بلورة "الحكمة العامة" والعقلية المشتركة بين الشعوب. من الملاحظ فعلا أن جل الحكم والأمثال تكوّن رصيداً عاماً وملكية مشتركة، وأن معظم الأمم تعبر عن نفس الشعور بواسطة أمثالها، وفي هذا المضمار نلاحظ أحيانا علاقة وطيدة بين أمثال من دول مختلفة وبلغات متباينة، وذلك من حيث المضمون والمدلول أو حتى من حيث الشكل. ويبدو أن المثل الشائع، بفضل ما يتضمنه من حكمة، خرق تخوم المكان والزمان وشيّد جسورا بين الأمم :

اللّي عضُّه الحَنْشْ، يخافْ من الطّـوَالْ

- لهذا المثل مقابل بالأمازيغية : يان ابّي ولغمد ارت يسود يزكر yan ibbi ulgmad art issiwid izikr
- وبالفرنسية Chat échaudé craint l'eau froide
- وبالإنجليزية He who is bitten by a a snake fears even a rope

لا تنحصر الأمثال حسب هذه النظرية في حقل ثقافي واحد بل تتجاوز حدوده وتشاع عبر الأوساط الثقافية المختلفة.

وهناك نظرية أخرى، أساسها العلاقة الموجودة بين الأمثال والمجتمع الذي يستعملها. وحسب هذه النظرية، تعتبر الأمثال والحكم كمرآة تتجلى فيها الحياة اليومية والتجربة الشعبية. ومن خلال الأمثال يستطيع الباحث أن يتعرف على العقلية السائدة في شعب وعلى مزاجه وأفكاره واعتقاداته وتقاليده. والحقيقة أننا لا نجد تناقضا بين النظريتين الاثنتين. فعندما نتمعّن في دراسة الأمثال والحكم الشعبية المغربية، نجد صنفين من الأقوال : الصنف الأول كما أشرنا إليه، يحتوي على كل ما يتعلق بالبشرية بصفة عامة ويمكن تطبيق هذا الصنف من الأقوال على أي مجتمع في أي قطر :

النّواضْ بَكري، بَالذّهب مَشْري

أما الصنف الثاني من الأمثال فيدل على خاصيات ينفرد بها الشعب المغربي، ولا يمكن إدراك تلك الأقوال إلا في محيطنا الاجتماعي والثقافي :

بْحالْ العربْي فَالشّمّاعين
اللّي حبْ الصّحْ، يمشي للقروين

قبل أن نلقي نظرة على أهم المحاور التي تدل عليها الحكم الشعبية المستعملة في بلادنا، سنقف عند شكل هذه الحكم، أي جانبها اللغوي والأدبي.

الحكم والأمثال من الناحية اللغوية : للأمثال صيغ وبنيات وأساليب خاصة بها، وبالأمازيغية "لنظم" و"لمعاني" تعبران على ما يثير الانتباه في دراسة الأمثال. ترجع الكلمة الأولى إلى أصل عربي : نظم أي صنع أبيات شعر ؛ وتشير الثانية "لمعاني" إلى المعنى المجازي للمثل ؛ وللمزيد من التوضيح سنأتي بنماذج من التراكيب البنيوية والأساليب المستعملة في هذا النوع الأدبي :

- تسلسل من الجُمل لها نفس المضمون :
  ما يحكْ لك غيرْ ظَفْرَك، ما يبكي لك غير شَفْرَك
- يتركب المثل من شطرين : الشطر الثاني نتيجة إيجابية أو سلبية للشطر الأول :
  اعمَلْ الخيرْ، تْصيبْ الخيرْ
  غرسُه، يْقَلّْعَك !
- تأتي بعض الأمثال على شكل سؤال أو سؤال وجواب أو تعجب
  آ المبيّضْ مَن بَراً، آش خْبارَكْ من الداخل ؟
  آش خَصّكْ آ العَرْيان ؟ الخاتَم آ مُولاي
  آ الشّاري، تفكّر يومْ تْبيعْ !
- من الحكم، ما يشبه الأحاجي :
  الثّلثْ الخالي في الدّنيا هو راسْ بْنَ آدَم
- تستعمل حكم على شكل حوار :
  قال لُه : آشْ صَنْعةْ بّاكْ ؟
  قال لُه : نقّارْ
  قال لُه : حْمَدْ الله على رمضانْ تْقاضَى

وضمن هذه التراكيب تلجأ لغة الحكم والأمثال إلى

أساليب تستعمل عادة في الشعر كالمجاز والسجع والقافية :

النهارْ بَعْويناتُه والليل بَوْدينَاتُه

إذا فاتكْ الطعامْ قُل شبعتْ، وإذا فاتك الكلامْ قُل سمعتْ

ومن الوسائل التي تثير الانتباه وتعطي للمثل صبغة شيّقة نجد :

- تكرار الألفاظ : نْهية، نْهية وإذا عْمَى سرْ وخلّيهْ
- الإيحاءات اللفظية : الدِّينْ كايهدَم الدِّين
- كما تتميز لغة الحكم والأمثال باستعمال المتناقضات والأضداد في التعبير :

إذا طَرْدَكْ البخيلْ عندْ الكريمْ تْبات

اللّي قْنَعْ بالقليلْ كايعطيهْ اللهْ الكثيرْ

وظائف الحكم والأمثال :

نظراً للخصائص اللغوية التي أشرنا إليها، كالسجع والقافية، تعتبر الحكم والأمثال بمثابة نوع أدبي من ضمن أصناف الأدب الشعبي، لا فرق في بعض الحالات بين أمثال منظومة وأبيات شعرية. واعتباراً لصقل قالبها وجمالية شكلها، تُضفي الأمثال على حديثنا اليومي رونقاً فيصير عذباً شيقاً، ومن تم نلاحظ أن استعمال الأمثال يسترعي الانتباه ويجعلنا نصغي إلى من يتكلم بواسطتها لنستوعب كلامه. فلهذا الكلام دور معين في علم الأخلاق وتأديب الأشخاص وتهذيب المجتمع. تبلور تلك العبارات حقائق جذرية مستنتجة من التجربة البشرية أمام مواقف معينة، كما تعبر بصفة عامة عن شعور إنساني مثل التفاؤل والبخل والخداع والظلم. يُذم النفاق والافتخار والأنانية في كل مجتمع بنفس الأساليب، وعلى عكس ذلك يُنوّه بالصدق والكرم والحلم. هذه مواقف ثابتة تعبّر عن الحكمة الشعبية وتُخلد بواسطة الأمثال. من أجل ذلك يُعتبر المثل حجة قاطعة أو دليلاً مقدساً يبرهن عن كلام صادر عن الأجداد منذ العصور الغابرة ورثناه عنهم فأصبح ملكاً للجميع، ومن واجبنا احترام هذا الكلام وأخذه بعين الاعتبار.

وفي غالب الأحيان يُنطق بالحكمة لهدف معيّن وفي ظروف خاصة ؛ هذه العبارات، من شأنها أن تخفف آلامنا في حالة التشاؤم والفشل، كما من شأنها أن ترشد إلى الحيطة وتوجه أفعالنا. نظراً لهذه السمات، تبدو الحكم والأمثال، على غرار الحكايات والقصص، كأنها تنبثق من نفس المنبع تتخلص فيه حكمة الأجيال المتلاحقة.

والحقيقة أن هذا الموقف تجاه التراث اللغوي يختلف من مجتمع إلى آخر ويبدو متمكنا راسخاً في المجتمعات التي تسودها تقاليد شفوية عريقة. ولنأخذ قبيلة اشْتُوكَن بمنطقة سوس مثالاً لذلك. يلاحظ أن الحكم شائعةً بكثرة في هذه القبيلة، ولأعضاء القبيلة اهتمام كبير بالحكم المتداولة، يعتني كل واحد بفك الألغاز المستعملة وما ترمز إليه، وتعتبر هذه الكفاءة من شروط انسجام المرء في مجتمعه، وفي نفس الوقت تقوي مصداقية حديثه. أما الشخص الذي ينقصه اكتساب الحكم فيعتبر قليل الذكاء ويبقى مهمشا.

للحكم وظيفة من الناحية الدينية حيث تدعو بعضُ الحكم إلى احترام مبادئ الدين وتُوصي بالصبر والرصانة وهيَ من مميزات الرجل المؤمن :

الصّْلاَ في وقْتها احْسن مَنْ الدُّنيا وما فيها

الصّْبرْ مفْتاحْ كلْ خيرْ

الثْقالة من الله والخَفّة من الشّيطان

من الحكم ما يوجه أو يرشد، ومنها ما يلقن معرفة علمية مستنتجة من تجربة القدماء، وعلى سبيل المثال نذكر مجال الفلاحة لما يزخر به من معلومات ونصائح عملية حول الفصول وحول الطقس والتغيرات الجوية. يعتمد الفلاح على الحكم الشعبية ليتذكر ما يجب العمل به عندما تحل مواسم الحرث والزرع والحصاد :

اذا حْمَارَتْ مْعَ العْشي، غيرْ حَلّسْ حْماركْ يمشي

واذا حْمَارَتْ مع الصّْبَاحْ، رَدْ حماركْ للمْراحْ

فَاتكْ الغرسْ قبلْ مارسْ والزّريعة قبلْ حَيّانْ

بعد هذا السرد الوجيز لوظائف الحكمة والمثل في المجتمع علينا أن نتساءل في شأن مجموعة من الأمثال المستعملة لأغراض خاصة. وقد تصيبنا الحيرة ويعترينا الضجر اذا اعتبرنا الأمثال الموجهة إلى المرأة كخلاصة لحكمة القدماء :

اللّي ما يذبْحْ شاتُه، وما يْسوّطْ مْراتُه، مُوتُه خيرْ مَنْ حْيَاتُه

دوا الضّرْسَة والمْرا : الكُلاّبْ والبْرَا

إن الأمثال من هذا القبيل شائعة في جل البلدان ويرجع أصلها إلى تعايش فئات مختلفة واحتكاك مجموعات ذات مبادئ دينية أو لغوية أو عرقية متباينة. من المحتمل أن تضمحل هذه الأمثال أو تكتسي معنى مجازياً بدل المعنى الأصلي نظراً لتطور الأحداث وتغير الوقائع التاريخية.

واليوم ما زلنا نسمع البعض منها في حالات يطغى عليها نوع من العنصرية. للأمثال من هذا الصنف ضدّ المرأة والخادم (العبد) واليهودي والأمازيغي (الشلح) ... وظيفة نفسانية. وبواسطة ما قاله الآخرون ينقل المرء هذه الأمثال ويعبّر بتهكم واستهزاء عن اللاشعور وبذلك يتبين ما هناك من غيظ وما يجيش في النفس من انفعالات.

م. بن شريفة، *أمثال للعوام في الأندلس* لأبي يحيى الزجالي ؛ ح. اليوسي، *زهر الأكم في الأمثال والحكم*، تحقيق د. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، ثلاثة أجزاء، 1981 ؛ م. شماعو، *مئة وألف من الأمثال الشعبية*، الرباط، طبعة الكاتب، 1985 - 1986 ؛ الحسين بن علي بن عبد الله، *قصص وأمثال من المغرب*، الجزء الأول، الدار البيضاء، النجاح الجديدة، 1996.

Benchehida et Sbihi, *Proverbes de vieilles femmes marocaines*, Fès, 1930 ; M. Ben Cheneb, *Proverbes arabes de l'Algérie et du Maghreb*, Paris, 1907 ; F. Bentolila (sous la direction de.), *Proverbes berbères*,

*Awal*, 1993 ; R. Blachère, *Contribution à l'étude de la littérature proverbiale des arabes à l'époque archaïque*, *Arabica* 1, 1954 ; L. Brunot, *Proverbes et dictons arabes de Rabat, Hesp.*, T. VIII, 1928 ; L. Brunot et E. Malka, *Proverbes judéo-arabes de Fès, Hesp.*, 3ème trim., 1937 ; J.L. Burckhardt, *Arabic proverbs*, London, 1875 ; G.S. Colin, *Chrestomathie marocaine*, Paris, 1955 ; *Proverbes inédits de Marrakech* ; F. Corriente, H. Bouzineb, *Recopilacion de refranes andalusies de Alfonso Del Castillo*, Zaragoza, 1994 ; S.J. Davis, *Osmanli proverbs*, London, 1898 ; Jean-Yves Bournon, *Le dictionnaire des proverbes et dictons de France*, Paris, 1986 ; B. El Attar, *Les proverbes marocains*, Casablanca, 1992 ; M. Feghali, *Proverbes et dictons syro-libanais*, Paris, 1938.

زكية عراقي سيناصر

**حَكْم**، أسرة رباطية كانت موجودة بالرباط، على الأقل منذ القرن الحادي عشر (17 م). يتحدث كواندرو R. Coindreau في كتابه *قراصنة سلا* عن واحد من هذه الأسرة لعله جد أفراد الأسر الحالية الحاملة لهذا الاسم بالرباط، وهو الرايس حكم واسمه الشخصي عليّ، وكان يحمل لقب "نائب أميرال سفن سلا" والمقصود بسلا ما يشمل الرباط التي سكنها المورسيكيون بعد قرار الطرد من الأندلس الذي أصدره فيليب الثالث سنة 1609 في حق المسلمين هناك. وامتد النشاط البحري لعلي حكم هذا من سنة 1671 إلى 1715 على الأقل، حسب نفس المؤلف. ومن المعلوم أن مجاهدي أبي رقراق كانوا من السلويين والأندلسيين المطرودين، لكن وجدت أسماء محلية في لائحة هؤلاء المجاهدين ورؤساء البحر - كما كانوا يسمون - فلا نعلم هل كان علي حكم من الأندلسيين المطرودين أم كان ينتمي إلى قبيلة تحمل نفس الاسم تقريبا وهي قبيلة بني حْكَمْ الزمورية (بسكون الحاء والكاف والميم) وهي الموجودة قرب قبيلة الحُودَرَّان، وكانتا تحسبان من تراب مركز تيدِّرس أيام الحماية، وكانت قبيلة بني حكم تضم أكثر من 6.800 فرد حسب إحصاء 8 مارس 1936.

وإذا رجعنا إلى مصطفى بوجندار فإنه لا يعدُّ أسرة حكم من الأسر الأندلسية. وعلى كل حال برز فيها زيادة على رياس البحر عدد من العلماء أمثال أحمد بن علي حكم الرباطي، ومن أساتذته القاضي الشهير أحمد الحكمي المتوفى سنة 1226، ويقول بوجندار إن والد أحمد حكم هذا لعله هو المذكور في كتاب *دوحة البستان* من جملة تلامذة الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان.

ويتحدث الضعيف عن المدعو حكم وكان من أئمة المسجد الكبير بالرباط سنة 1227 / 1812 - كما يتحدث عبد الله الجراري عن عبد العزيز بن أبي بكر حكم المتوفى سنة 1362 / 1943 وكان من الوطنيين المشاركين في حركة الظهير البربري سنة 1930.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. م. العماري، الرباط 1986، ص. 770 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط، 1987، ص.38 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، الجزء 2، الرباط، 1969 ص. 453 ؛ كواندور روجي، *قراصنة سلا*، تر. محمد حمود، الرباط 1991 ؛ *وثائق وزارة الخارجية الفرنسية*، ملف 770، الإدارة العامة.

عبد الإله الفاسي

**الحكماوي** أو الحَكْمَوي، محمد بن محمد الصنهاجي، فقيه أديب اشتغل مدة كاتباً في بلاط السلطان سيدي محمد بن عبد الله وولده المولى سليمان، ثم ولاه هذا الأخير عاملا على تطوان بعد عزل العامل قبله حُمان الصريدي. ولما قدم الحكماوي تطوان لم يتقبله أهلها، وحاصوا حيصة حُمر النَّعَم (على حد تعبير الفقيه الرهوني) وتوجه وفد من أعيانهم، على رأسهم علي ابن ريسون وأولاد الشيخ عبد الله بن العربي الوزاني حاملين رسالة شفاعة من الفقيه الصالح محمد بن علي الورزيزي (الورزازي) وكان صديقاً للسلطان يطلبون عزل الحكموي وإعادة سلفه الصريدي، فقبل شفاعة الفقيه وهدية الوفد، وعزل القائد الحكماوي وولى عليهم بدله السيد عبد الرحمان أشعاش، وكان ورود هذا الوفد على السلطان في 14 أو 15 رمضان عام 1210 / 23 - 24 مارس 1796 وبعد ذلك قلد المولى سليمان محمد الحكماوي إمارة السواحل وقبائلها وثغورها إلى أن توفي بمدينة طنجة في حدود عام 1240 / 1825 وبها دفن.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح العماري، ص. 301 ؛ ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، ص. 39، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 / 46 مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2521.

محمد بوخبزة

**الحكماوي الرباطي ← الحكمي**

**الحَكْمي، أحمد** بن أحمد الرباطي، أصله من بني حكم فخذة من زمور الشلح بين سلا ومكناس ويدعى أيضاً بالحكماوي - على غير قياس - نشأ بالرباط وأخذ مبادئ العلوم قبل أن يرتحل إلى فاس ويأخذ عن شيوخها كالتاودي بن سودة والشيخ البناني. ورجع إلى الرباط ليشتغل بالتدريس، تخرج على يده عدة علماء منهم ولده صالح الحكمي والقاضي محمد ابن جلون ومحمد بن التهامي ابن عمرو، وغيرهم كثير.

تقلد أحمد الحكمي خطة القضاء بالعدوتين الرباط وسلا يوم الثلاثاء 2 رمضان 1214 / 28 يناير 1800 وكانت إشاعة تقلده القضاء قد راجت قبل ذلك بحوالي أربع سنوات على حد قول المؤرخ الضعيف أيام قضاء محمد الغربي. لكن الذي خلف محمد الغربي هو القاضي اليسع الفيلالي ثم عزل وعوض بالحكمي. وقد مكث الحكمي من الخطة مدة خمس سنين إلى أن أُعفي منها يوم السبت 23 جمادى الثانية 1219 / 29 شتنبر 1804 وولى مكانه القاضي الطيب

بسّير. ثم طلب منه تولي القضاء مرة أخرى فامتنع. وكان خلال خطته يستعمل نائبا عنه بسلا الفقيه الهاشمي أطوبي السلاوي، ونائبا عنه بالرباط تلميذه ابن عمرو. عرف القاضي الحكماوي بكثرة التعبد وعدم الاكتراث للشدائد، وقد تعاطى الموسيقى كما أشار إلى ذلك حافده إبراهيم التادلي.

توفي يوم الثلاثاء 19 رمضان 1226 / 8 أكتوبر 1811 بعد مرض ألزمه الفراش أربعين يوما.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، 1986 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 346 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 30 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 138 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2485.

**الحَكْمي، صالح** بن أحمد القاضي الرباطي سابق الترجمة. تلقّى العلم عن شيوخ بلدته، ومنهم والده، وحينما شب اشتغل بالتدريس وأوكلت إليه مهمة الخطبة بجامع القصبة بالرباط سنة 1230 / 1814 بعد عزل خطيبه عبد القادر مورينو. وقد تحدث عنه الضعيف مراراً ممّا يدل على أنه كان من وجهاء المدينة، فذكر أنه كان مثلاً من ضمن الفقهاء الذين قدموا التعازي للسلطان المولى سليمان بعد موت أخيه مولاي عبد السلام في شعبان من سنة 1227 / غشت - شتنبر 1812، كما كان من ضمن الوفد المهنّي للسلطان بمناسبة عيد المولد وهو بمراكش في 6 صفر 1228 / 8 فبراير 1913 ولما كان صالح الحكمي من أصدقاء الضعيف، ذكره مراراً عندما كانا ينظمان الأسفار الجماعية مع ثلة من الأصدقاء. ففي يوم الخميس 27 قعدة 1228 / 22 نونبر 1813 خرجوا لزيارة الأولياء وفي 12 ربيع الثاني عام 1229 / 3 أبريل 1814 توجهوا لزيارة ضريح عبد الله بن ياسين بكريفلة ... الأمر الذي يدل على أنه كان متصوفاً محباً للصالحين.

تولّى صالح الحكماوي قضاء مكناس وقضاء الرباط وعُرف بالصرامة في الأحكام. وتولى هذه الخطة مراراً، وكان مع القاضي بسير يتداولان قضاء الرباط مع قضاء مكناس نحو الستة أشهر أو العام لكل واحد على عادة السلطان المولى سليمان في تولية القضاء لمدة قصيرة ثم يأمر بالتبادل أو البدل. وكان خلال مدة قضائه بمكناس يتولى الخطبة في جامع قصبتها وبجامعها الأعظم، وكان من الشعراء ملازما لصديقه أديب الرباط ابن عمرو الأوسي وقعت بينهما مساجلات شعرية ومراسلات نثرية أورد ابن زيدان في *الإتحاف* نماذج منها.

توفي سنة 1251 / 35 - 1836.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، في صفحات عدة ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 358 ؛ ع. ابن زيدان عبد الرحمان، *إتحاف*، 4 : 382 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 156.

عبد الإله الفاسي

**الحكومة بالمغرب**، من المسلم به أن تاريخ الحكومة في النظام السياسي المغربي قد ارتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ مؤسسة السلطان المغربي منذ دولة الأدارسة إلى العلويين في أواخر القرن العشرين، إذ غير خاف في حقائق التاريخ ووقائعه المتوافرة طبيعة العلاقة التي كانت سائدة بين سلطان المغرب، الحاكم الفعلي من جهة، وبين حكومته من جهة ثانية والتي كانت تعرف بحكومة السلطان، أو بحكومة جلالة الملك كما هو مصطلح عليه اليوم في القاموس السياسي المغربي المعاصر.

ولعل استقراء تاريخ الحكومة المغربية يفضي بنا إلى التأكيد على أن مهمة أعضاء الحكومة هي بالأساس تنفيذ تعاليم السلطان، وإنجاز التكاليف والمهام التي كان يسندها لهم، كل في مجاله وميدانه، فكانوا بذلك وزراء تنفيذ يقومون بأعمالهم بناء على قواعد التفويض والإنابة.

وفي هذا الإطار كان سلاطين المغرب، على خلاف السلاطين الأتراك، يحتفظون دائما بحكومة مصغرة في تشكيلها مما جعل هياكل السلطة المركزية مبسطة في تركيبها وتكوينها، فقد كانت الحكومة تتشكل قبل الحماية من خمسة وزراء وهم : الصدر الأعظم، ووزير البحر، ووزير المظالم، ووزير الحرب، ووزير المالية.

أما الصدر الأعظم، فقد كان يعتبر رئيسا لجهاز المخزن يشرف على السياسة الداخلية للدولة، ويمارس سلطة مباشرة على قواد القبائل وعمال المدن بالنسبة للمناطق المعترفة بشرعية السلطة المخزنية والخاضعة لسيطرتها. وبالإضافة إلى ذلك، كان يباشر مراقبة على المسائل التي لا تدخل في اختصاصه مباشرة، وهي مراقبة تتفاوت فعاليتها ودرجتها حسب مقدار الثقة التي يحظى بها من قبل السلطان.

أما وزير البحر، والذي يقابله في التنظيم الحكومي الحديث وزير الشؤون الخارجية، فلم يكن يحمل هذه الصفة إلا استثناء، حيث كانت تضفى عليه عندما كان يمثل الدولة في إطار العلاقة مع الأوربيين، وذلك من أجل تحديد مهامه في إجراء حوار أو إبرام اتفاقات مع الأمم الأوربية، لا سيما بخصوص قضايا قرصنة وشراء العبيد المسيحيين، والقضايا التجارية التي تحدث في الموانئ.

وصفته كوزير للبحر في الإدارة المخزنية، رغم ما يوحي به إطلاقها، لا تمت بأية صلة أو علاقة مع الشؤون البحرية، فقد كان - إلى جانب ما ذكر - يتلقى تظلمات الجاليات الأوربية، ويجري المفاوضات مع الأعوان الديبلوماسيين من ممثلي الدول الأجنبية.

أما وزير المظالم أو وزير الشكايات، وهو منصب ترجع أصوله إلى تاريخ قديم، حيث كان معروفا لدى الدولة الإسلامية في الشرق تحت عنوان "ولاية المظالم"، فقد كانت مهامه تنحصر في تلقي مختلف الشكايات الواردة من القبائل أو بعض الخواص ضد الموظفين وأعوان الدولة، ولم يكن في بعض الأحيان، سوى كاتب يعمل وفق أوامر الصدر الأعظم.

فأما وزير الحربية، فهو الآخر لم يكن يحمل صفة وزير في إطار التنظيم المخزني، وإنما كان يعرف باسم "العلاّف"

بمعنى الممون، إذ كان مكلفا بتموين الجيش أكثر من كونه قائداً له، فهو لم يكن يكلف بإدارة العمليات في فترة الحرب، ولكنه كان يشرف على تسيير وإدارة تشكيلات الجيش وأداء أجوره.

وفيما يتعلق بوزير المالية وهو الذي كان يعرف في النظام المخزني بأمين الأمناء أو رئيس الأمناء، فقد كان يقوم بمهام الخازن العام أكثر من كونه وزيراً للمالية، فهو لا يقوم بتحضير الميزانية، أو تقدير العجز، أو تحديد المداخيل الضرائبية - على غرار قواعد التدبير المالي الحديث للدولة - وإنما كان يكتفي بتجميع المداخيل التي تحول إلى بيت المال وتسجيل المصاريف التي ينفقها جهاز المخزن من أجل تدبير شؤون الدولة، أما مالية الدولة فتحدد من قبل الخازن الخاص للسلطان.

وقد كان لكل وزير أو عضو من أعضاء الحكومة عدد من الكتاب يساعدونه في مهامه، والحكومة في أغلب الأحيان تكون متنقلة، إذ السلطان غالبا ما ينتقل إلى عدد من المدن خلال السنة، كفاس أو مراكش أو مكناس أو الرباط، حيث يقيم هناك مدة طويلة قد تدوم شهوراً عديدة.

وعلى مستوى الأقاليم كانت هناك إدارات تمثل الحكومة المركزية في المناطق الخاضعة لسلطة الجهاز المخزني، وهكذا كان حكم القبائل والمدن موكولا إلى القواد والباشوات الذين كانوا يطبقون التعليمات والأوامر الصادرة لهم من السلطان أو الصدر الأعظم، بالإضافة إلى مهامهم في حفظ الأمن وجباية الضرائب. وقد كان لكل قائد خليفة يساعده في أداء مهامه، بالإضافة إلى كاتب خاص يتولى أمر التسجيل والتوثيق، إلى جانب بعض عناصر القوة العمومية الذين كانوا ينعتون بـ"المخازنية"، أما في قبائل البرابرة فقد كانت تساعد القائد وتنوب عنه في بعض الأحيان الجماعة أو هيئة الأعيان.

والسلطان على غرار ما يقدمه الصدر الأعظم والوزراء له من رأي ومشورة واقتراح، فإنه كان يستعين بفتاوى ومشورة عدد من العلماء وفقهاء الأمة فيما يتبعه من سياسة وما يتخذه من قرارات.

وبعد خضوع المغرب لنظام الحماية الذي جعل البلاد تحت نير الاستعمار، عرفت مؤسسة الحكومة عدة تغييرات جوهرية في تنظيمها وتأليفها، حيث إن بنود معاهدة الحماية نفسها التي أبرمت بفاس في 30 من شهر مارس 1912، كانت تنص على عدد من المقتضيات والأحكام التي قيدت من السيادة الوطنية التي يمثلها سلطان المغرب، وجعلت البلاد تحت الوصاية الأجنبية، حيث تم اشتراط قبول السلطان قيام الحكومة الفرنسية بعد إعلام المخزن، بالاحتلال العسكري للتراب المغربي الذي يراه ضروريا لحفظ النظام وأمن المعاملات التجارية، وأقرت أن تصبح الإجراءات التي يفرضها النظام الجديد للحماية تتخذ من قبل السلطان أو من قبل السلطات التي يفوض لها ذلك، بناء على اقتراح من الحكومة الفرنسية التي يمثلها لدى السلطان المندوب المقيم العام الذي يتمتع بجميع السلط والصلاحيات المفوضة له من حكومته لتنفيذ معاهدة الحماية. كما أصبح المقيم العام كذلك بمقتضى أحكام هذه المعاهدة، الوسيط الوحيد بين سلطان المغرب وممثلي الدول الأجنبية، فيما يرجع لعلاقة هؤلاء مع الحكومة المغربية، إضافة إلى تكليفه بجميع المسائل المتعلقة بالأجانب في الامبراطورية الشريفة، وفي نفس السياق تم تكليف الأعوان الدبلوماسيين والقنصليين لفرنسا في الخارج بتمثيل الرعايا المغاربة.

وبالتالي، فإن المعاهدة قد فرضت على سلطان المغرب التزامه بعدم إبرام أي اتفاق ذي صبغة دولية بدون موافقة مسبقة لحكومة الجمهورية الفرنسية، وأقرت في الميدان المالي التزام حكومتي البلدين بتحديد أسس تنظيم مالي جديد، بناء على اتفاق مشترك بينهما. ولا يخفى ما تتضمنه هذه الاتفاقات من شروط وتقييدات للسلطة الشرعية التي كان يمثلها سلطان المغرب، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي.

وفي هذا الخصوص أقرت المعاهدة، إلى جانب التزام سلطات الحماية بالمحافظة على الوضعية الدينية لمؤسسة السلطان.

تنظيم المخزن الشريف وإصلاح جهازه.

وفي هذا السياق تمت إعادة تنظيم هياكل الدولة بإقرار نظام جديد للحكومة، تمثل أساسا من خلال الظهير الصادر عن السلطان بتاريخ 31 أكتوبر 1912 بشأن تنظيم حكومة المخزن، والقاضي بجعل إدارة البلاد تحت إشراف حكومة تتكون - تحت سلطة الجلالة الشريفة - من :

- وزير أول يحمل اسم الصدر الأعظم،
- وزير للحرب،
- وزير للمالية،
- وزير للعدل،

وقد حصرت أحكام هذا الفيرمان مهام الصدر الأعظم في المحافظة على أرشيف الدولة، والإدارة العامة للبلاد، والأمن العام، والتعليم والصحة، والأشغال العمومية، والفلاحة والغابات، والمناجم، وبصفة عامة جميع الأمور التي لا تدخل في اختصاص باقي الوزارات، كما اشترطت أن يقوم الصدر الأعظم عند اتخاذه لأي إجراء أو قرار بالاتفاق مسبقا مع ممثلي المقيم العام، وهم الكاتب العام، والمدير العام للمالية، ومدير الأشغال العمومية، وذلك بحسب مهام كل واحد منهم.

أما وزير الحرب فقد قضت أحكام الفيرمان بتكليفه بالإشراف على شؤون الدفاع عن البلاد، وتم بموجب نفس الأحكام تفويض هذه المهام إلى الجنرال القائد رئيس الجيوش الفرنسية.

كما أن وزير المالية قد كلف بجميع المسائل المتعلقة بالمداخيل والنفقات الخاصة بالحكومة المغربية، لا سيما تحضير وتنفيذ وتصفية ميزانية البلاد، وإحداث وتحصيل الضرائب، وإدارة الممتلكات العامة. وهو مطالب على غرار الصدر الأعظم، بضرورة الاتفاق المسبق مع المدير العام للمالية.

وقد كلف وزير العدل بجميع المسائل المتعلقة بالعدالة

وبتنفيذ المقررات الصادرة عن المحاكم وبالنظام العقاري، مع التزامه بالاتفاق مقدما مع الكاتب العام لدى الإقامة العامة أو مندوبه.

وقد خول هذا الفيرمان للصدر الأعظم ووزيري المالية والعدل، إمكانية الاستعانة بمندوبين خصوصيين من أجل تسيير مصالحهم.

أما وزارة الشؤون الخارجية فقد كلف بمهامها بمقتضى معاهدة الحماية، المقيم العام نفسه.

وفي سنة 1913 تمّ إحداث وزارة للأوقاف، بناء على ظهير شريف صدر في الثالث عشر من شهر يوليوز، وفي نفس السنة أُحدث منصب مندوب لدى الصدر الأعظم مكلف بالتعليم.

وفي سنة 1914 تم إلغاء وزارة المالية بموجب ظهير شريف صدر في الخامس من شهر غشت، حيث أسندت اختصاصاتها إلى الصدر الأعظم نفسه، ثم بعد ذلك إلى المديرية الشريفة للمالية.

وقد أحدثت سنة 1919 وزارة للأملاك المخزنية بمقتضى ظهير شريف صدر في السابع والعشرين من شهر أبريل، ولكن وجودها كان مؤقتا، حيث تم حذفها سنة 1927. وهكذا أصبحت حكومة المخزن مكونة فقط من : الصدر الأعظم، ووزير العدل، ووزير الأوقاف، في حين خضعت القطاعات الحيوية كوزارة الحرب والخارجية والمالية وغيرها من القطاعات التقنية لسلطات الحماية، إما تحت إشراف المقيم العام مباشرة، أو تحت إشراف المديريات التقنية التابعة للحماية بكيفية غير مباشرة.

وبالموازاة مع ذلك، فقد كانت السلطات التي تمثل فرنسا لدى حكومة المخزن المركزي هي من جهة المندوب المقيم العام، والمفوض العام لدى الإقامة الذي تتمثل مهمته الأساسية في النيابة عن المقيم العام، والكاتب العام للحماية ومهمته الأساسية هي تجميع المسائل الإدارية على الصعيد المركزي.

وقد كانت المصالح المقيمية (وتسمى بهذا الاسم لارتباطها المباشر بالمقيم العام، حيث كانت تعمل وفق التنظيمات السائدة في الإدارة الفرنسية)، كانت هذه المصالح تتشكل أساسا - بالإضافة إلى المساعدين المباشرين للمقيم العام : الدواوين المدنية والعسكرية والديبلوماسية والإعلامية من ثلاث مديريات كبرى هي :

- المديرية المكلفة بربط الاتصال مع المخزن، والقيام بمراقبته، وكانت تعرف بمديرية الشؤون الشريفة.

- المديرية المكلفة أساسا بالمراقبة السياسية العامة، والمخولة لفرنسا وفق معاهدة الحماية. وقد عرفت هيكلتها عدة تعديلات، حيث كانت تحمل اسم مديرية الشؤون الأهلية، ثم مديرية الشؤون السياسية فيما بعد. وأصبحت في سنة 1946 مكونة من جهازين : الكتابة السياسية ومديرية الداخلية، إلى أن تم توحيدهما في بداية سنة 1948 في إطار مديرية للداخلية.

- وأخيراً، مديرية مصالح الأمن العام.

وإلى جانب هذه المديريات التي كانت تتكلف أساسا بالمراقبة وتقدم خدمة أمنية واستخبارية للإدارة الاستعمارية، كانت الإدارة المركزية للحماية تتكون من سلطات ومصالح تعرف بالمصالح الشريفية الجديدة، وهي عبارة عن وزارات أهلية بإشراف فرنسي، حيث كانت إدارتها خاضعة للسلطة المباشرة لممثلي الاستعمار الفرنسي، (المقيم العام، مفوض الإقامة العامة، الكاتب العام للحماية). وقد تم إحداث هذه الوزارات الجديدة في مختلف المجالات التقنية، كما خضع تنظيمها الداخلي وتعيين موظفيها إلى الطرق والكيفيات السائدة في مباشرة الاختصاصات المحلية، (أي بناء على ظهائر شريفة وقرارات وزيرية).

وقد كانت تضم كلا من مديريات المالية والأشغال العمومية والإنتاج الصناعي والمعادن والفلاحة والتجارة والغابات والتعليم العمومي والصحة العمومية والشغل والبريد والمواصلات اللاسلكية.

وهكذا كانت البلاد خاضعة خضوعا تاما لمراقبة سياسية وأمنية وعسكرية وخارجية تباشرها مصالح الإقامة العامة، كما كانت المصالح الإدارية في مختلف المجالات خاضعة للأطر التقنية الفرنسية، بتنسيق تام بل ومباشر مع الإدارة الفرنسية، في حين ظل الحضور المغربي باهتا ومحصورا ورمزيا، ولم يكن يتمتع بأي سلطات فعلية.

وفي هذا الإطار، كان الجهاز الذي يلعب دور الوسيط بين مصالح الإقامة وإدارة المخزن هو مديرية الشؤون الشريفة، التي يوجد على رأسها مستشار الحكومة الشريفة، الذي يلعب دوراً مزدوجاً من خلال جهاز واحد، فهو يراقب عمل جميع السلطات الحكومية المخزنية، وهو في نفس الوقت الذي يشرف على ربط الاتصال بين الإقامة العامة والمخزن، إذ يقدم للسلطان والصدر الأعظم - حسب الحالة - مشاريع الظهائر أو القرارات الوزيرية التي يرفعها لهما المقيم العام، كما يحضر جلسات مجلس الوزراء الذي يرأسه السلطان.

وإلى جانب ذلك، شكلت الإقامة العامة ضمن هياكل إدارتها المركزية، بموجب قرار مقيمي صدر في الثامن عشر من شهر مارس 1919، مجلسا للحكومة كانت تهدف من وراء تأسيسه ضمان تنسيق ثابت ومستمر بين مختلف مناطق البلاد المستعمرة والإدارة. وقد كان مجلسا يجتمع بصفة دورية كل شهر، ويتكون من رؤساء غرف التجارة والفلاحة ونواب رؤساء لجن الدراسات الاقتصادية، بالإضافة إلى مندوبين عن اللجان البلدية المحلية. وقد سعى المقيم العام ليوطي عند إحداث هذا المجلس إلى جعله مجلسا خاصا من أجل الحصول على بعض التوضيحات والاستشارات في المجالات الاقتصادية.

وقد عرف هذا المجلس الذي كان يضم شعبة فرنسية واحدة تتكون من الفرنسين، تغييرا في تركيبه سنة 1923، حيث أصبح يضم - بمقتضى قرارات للمقيم العام صادرة في العاشر من شهر ماي - شعبة مغربية تضم رؤساء ونواب رؤساء الشعب المغربية بالغرف الاستشارية.

وفي 13 أكتوبر 1926 تم، بقرار مقيمي كذلك إحداث

شعبة فرنسية ثالثة تمثل الجالية الفرنسية داخل المجلس، من غير الفلاحين والتجار والصناع الذين تمثلهم الغرف التي ينتسبون لها.

وفي الخامس من شهر ماي 1945 تم توسيع قاعدة تمثيل المغاربة اليهود في المجلس ليصحبوا ممثلين بستة مندوبين، بعدها تم إعادة تنظيم لجان الجالية اليهودية بالمغرب بموجب الظهير الشريف العام في 5 ماي 1945.

ولعل أهم التعديلات التي أدخلت على تشكيلة المجلس وطريقة تعيين أعضائه، لا سيما بالنسبة للشعبة المغربية، هي التعديلات التي تمت خلال سنة 1947 بموجب الظهير الشريف الصادر في 20 ديسمبر، حيث تم توسيع قاعدة تمثيل المغاربة كذلك ليشمل ممثلين عن المصالح المختلفة، إلى جانب ممثلي قطاعات الفلاحة والتجارة والصناعة، كما تم إقرار قاعدة الانتخاب في اختيار هؤلاء الممثلين.

أما القراران الوزيريان الصادران في 30 أكتوبر و15 ديسمبر من نفس السنة، والمتعلقان بالغرف الاستشارية، فقد كانا يهمان بالأساس الشعبة الفرنسية. والحاصل أن مجلس الحكومة، انطلاقاً من تشكيلته وطبيعة أعماله وصلاحياته، كان مؤسسة تابعة للإقامة العامة ذات طبيعة مهنية ومالية، كما أنه بقي مجرد مجلس استشاري لدى الإقامة العامة التي بقيت صاحبة السلطة والتقرير، إذ كانت الغاية منه بالدرجة الأولى تزكية عمل أجهزة الحماية.

أما جهاز المخزن فقد بقي موجودا بنفس التشكيلة يعمل في حدود ضيقة وفق آليات تتحكم فيها السلطات الاستعمارية من خلال التوجيه والمراقبة والتدخل في جميع الشؤون والقضايا بكل الوسائل المتاحة. ولم يعرف هذا الجهاز تعديلا جوهريا إلا في سنة 1947 حيث صدرت ثلاثة ظهائر شريفة بتاريخ 21 يونيو، يتعلق الأول منها بإعادة تنظيم المخزن المركزي الذي أصبح جهازه يتكون من الصدر الأعظم، ووزير العدل، ووزير الأحباس، ومدير البروتوكول، ونائب الصدر الأعظم الملكف بالتعليم، بالإضافة إلى خمسة مفوضين من قبل الصدر الأعظم مكلفين بمهمة دائمة للتنسيق مع الإدارات الشريفة، ويتعلق الأمر بمفوضين في المالية والفلاحة والتجارة والأشغال العمومية والإنتاج الصناعي والبريد والمواصلات اللاسلكية، وهي القطاعات التي يشرف عليها مدراء فرنسيون.

أما الظهير الشريف الثاني فيتعلق بمجلس الوزراء المصغر الذي أصبح - بمقتضى هذا الظهير - يجتمع بالقصر الشريف تحت رئاسة السلطان، كلما ارتأى ضرورة ذلك.

في حين يتعلق الظهير الثالث بإحداث مجلس للوزراء والمدراء، يجتمع مرة كل شهر تحت رئاسة الصدر الأعظم، من أجل دراسة مشتركة للمسائل ذات الصبغة العامة، من قبل أعضاء المخزن من جهة، ومدراء الإدارة الشريفة من جهة أخرى. وقد صدر بعد ذلك قرار وزيري بتاريخ 15 سبتمر 1947 يحدد كيفية تسيير هذا المجلس.

وهكذا يبدو أن نظام الحكومة التي عرفها المغرب خلال فترة الحماية، كان نظاما يقوم على تركيب مزدوج للهياكل الحكومية التي تتحكم فيها سلطات الإقامة العامة بفضل ما كانت تتمتع به من امتيازات وصلاحيات ونفوذ ومراكز قرار. وبقي الجهاز المخزني جهازاً للإشراف على الإدارة التقليدية في البلاد، دون أن تكون له سلطة فعلية باستثناء سلطة المصادقة على مشاريع القرارات التي تقترحها سلطة الحماية، ممثلة في الإقامة العامة ومصالحها المختلفة، بالإضافة إلى أن السيادة المشتركة الذي كانت تسعى إلى تطبيقها سلطات الحماية من خلال تركيبة هذا المجلس، لم تكن من خلال الصلاحيات وسلطات القرار سوى نظام من الهيمنة المقننة التي جعلتها الإقامة العامة أمراً واقعاً ومفروضاً.

وبعد استقلال البلاد سنة 1955، إثر عودة سلطان المغرب الشرعي المرحوم محمد الخامس من منفاه بمدغشقر، تأسست أول حكومة مغربية في السابع من ديسمبر 1955 تحت رئاسة السيد البكاي بن المبارك الهبيل، ضمت خليفة للرئيس، وأربعة وزراء للدولة، واثني عشر وزيراً، وكاتبا للدولة ملحقا برئاسة الوزارة، وكاتبا للدولة في الشبيبة والرياضة.

وفي العاشر من شهر ديسمبر من نفس السنة، أحدثت كتابة عامة للحكومة، وعين على رأسها أول كاتب عام للحكومة هو السيد الحاج مَحمد باحنيني، كما صدر ظهير شريف في السادس من يناير 1956، قضى بأن تسند للوزير الأول جميع الاختصاصات التي كان يمارسها رئيس الحكومة المغربية (أي الصدر الأعظم) بمقتضى النصوص النافذة في انتظار توزيع سلطات التقرير الإداري. وقد أحدثت في نفس السنة وزارة للدفاع الوطني، ووزارة للخارجية.

وبتاريخ 25 أكتوبر 1956، قدمت الحكومة استقالتها إلى جلالة الملك محمد الخامس الذي كلف من جديد السيد بن المبارك البكاي بتشكيل حكومة جديدة، ضمت 14 وزيراً ووكيلين للوزارة، من بينهم أول شخصية حكومية إسرائيلية أسندت لها حقيبة وزير البريد والتلغراف والتليفون هو الدكتور بن زكين.

وقد صدر في نفس السنة أول ظهير الشريف بعد الاستقلال، يسمح للوزراء وكتاب الدولة والكاتب العام للحكومة ووكلاء الوزارة بتفويض إمضائهم لمدراء الدواوين الوزارية ورؤسائها، وكذا لعلية موظفي الإدارة الذين يحتلون مرتبة مدراء مساعدين أو مهندسين رؤساء. كما صدر ظهير شريف آخر خلال شهر نونبر، يسمح للوزراء وكتاب الدولة بنقل بعض اختصاصاتهم وسلطهم إلى وكلاء الوزارات.

وفي 16 أبريل 1958 تم حل هذه الحكومة وأعلن جلالة الملك المغفور له محمد الخامس عن العهد الملكي الذي أكد فيه على جمْلة من المبادئ الأساسية التي أصبح يقوم عليها النظام السياسي المغربي، والمتمثلة أساساً في جعل سيادة البلاد تتجسم في الملك، والسعي لإقرار نظام ملكي دستوري تتحقق بفضله ديمقراطية مبنية على روح التعاليم الإسلامية وواقع التطور المغربي، وإشراك الشعب تدريجيا في تدبير شؤون البلاد ومراقبة تسييرها.

وفي نفس السياق، تم التنصيص على مبدإ فصل

السلطتين : التشريعية والتنفيذية، مع التأكيد على إصدار ظهير شريف مستقبل، من أجل تعيين سلطة رئيس الحكومة وسلطة كل وزير، واختصاصات مجلس الوزراء.

وقد اعتبر الملك آنذاك، من خلال أحكام العهد الملكي، أن الوزراء يستمدون سلطتهم منه، وأنهم مسؤولون أمامه بصفة جماعية وانفرادية، كما أن مسؤوليتهم تضامنية، في حين جعلت السلطة التشريعية بيد الملك والمؤسسات التي ستقام فيما بعد. وقد جاء إعلان هذا العهد رداً على بيان اللجنة السياسية لحزب الاستقلال الذي صدر غداة أزمة وزارية حصلت بسبب عدم انسجام أعضائها الصادر في 20 أبريل 1958.

وقد تم إثر ذلك تأليف حكومة جديدة في 12 ماي 1958، تتكون من عشرة وزراء وسبعة وكلاء للوزارة، ترأسها شخصية معتدلة من حزب الاستقلال هي شخصية الحاج أحمد بلافريج، ولكن هذه الحكومة لم تعمر أكثر من سبعة أشهر ليتم إعفاؤها من مهامها، وتشكيل حكومة جديدة رابعة تحت رئاسة السيد عبد الله إبراهيم في 24 ديسمبر 1958، احتفظ فيها بمنصب وزير الشؤون الخارجية إلى جانب منصب الوزير الأول. وقد كان السيد عبد الله إبراهيم ينتمي إلى الجناح اليساري لحزب الاستقلال آنذاك، قبل حدوث انشقاق في هذا الأخير خلال سنة 1959 تولد عنه حزب آخر هو الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وقد كانت تضم هذه الحكومة إلى جانب الوزير الأول، منصب نائب لرئيس الوزارة، الذي شغله السيد عبد الرحيم بوعبيد، إلى جانب منصب وزير للاقتصاد الوطني والمالية، بالإضافة إلى تسعة وزراء ووكيلين، مع احتفاظ وزير العدل السيد الحاج امحمد باحنيني بمهام الأمين العام للحكومة، إلى أن تم إعفاؤها من مهامها في 21 ماي 1960، والإعلان عن تشكيل حكومة جديدة هي الحكومة الخامسة في 27 ماي من نفس السنة تحت رئاسة جلالة الملك المغفور له محمد الخامس، وإسناد مهمة نائب لرئيس الحكومة لولي عهده آنذاك، الأمير مولاي الحسن. وقد وجه جلالة الملك - آنذاك - نداء إلى الأمة، أعلن فيه عن تشكيل هذه الحكومة، وحدد برنامجها السياسي والاقتصادي، وحدد سنة 1962 أجلا لوضع دستور للبلاد يحدد السلط وينظمها، ويمكن جميع المواطنين من المشاركة بواسطة ممثليهم في تسيير الشؤون الوطنية ومراقبة أعمال الحكومة. وفي نفس التاريخ أصدر جلالة الملك ظهيراً شريفاً يفوض فيه جميع الاختصاصات والسلط المخولة لرئيس الحكومة إلى ولي العهد. وقد عرفت هذه الحكومة بعض التعديلات الجزئية المتعلقة بحقائب العدل والفلاحة، كما تم تعيين الأمير فال ولد عمير وزيراً للدولة.

وبعد وفاة المغفور له محمد الخامس، بتاريخ 26 فبراير 1961 الموافق للعاشر من رمضان 1380، ومبايعة ولي عهده الأمير مولاي الحسن ملكا للمغرب من قبل الحكومة، ترأس نفس الحكومة ، وأقر جميع الوزراء في مناصبهم طبقا للتشكيلة التي عينها المغفور له محمد الخامس. كما وضعت وزارتا الدفاع والفلاحة تحت سلطته المباشرة.

وهكذا تميزت هذه الفترة التي تعاقبت خلالها خمس حكومات، منذ استقلال المغرب سنة 1955 إلى سنة 1961، بعدة تطورات وأحداث سياسية ودستورية وحزبية، كان أهمها : تأسيس مجلس وطني استشاري، وصدور وثيقة العهد الملكي، وتكوين حكومات ائتلافية، وقيام صراعات سياسية حزبية، كان طابعها الخاص طموح حزب الاستقلال للمشاركة الفعلية في ممارسة السلطة رغم تحمل أعضاء منه لعدد من المسؤوليات الوزارية. إلى جانب بروز أزمات وزارية بسبب انعدام الانسجام الحكومي. ولكن الموجه العام لهذه الفترة تمثل أساسا في السعي نحو إقامة أسس نظام ملكية دستورية، وهو الهدف الذي أعلن عنه المغفور له محمد الخامس، وسعى لتحقيقه عندما قام بإحداث مجلس الدستور في شهر نونبر 1960. الذي حالت الصراعات الحزبية ومواقف بعض الأحزاب دون قيامه بمهامه.

وفي 2 يونيو 1961 شكل الملك الحسن الثاني حكومة سادسة تحت رئاسته، ووضع وزارة الشؤون الخارجية تحت سلطته العليا. وفي نفس الشهر أصدر قانونا أساسيا للمملكة جعله نظاما مؤقتا لنظام الحكم إلى حين صدور دستور البلاد.

وبالفعل فإنه في 14 دجنبر 1962، قام الملك بعرض مشروع الدستور المغربي الأول علي استفتاء شعبي، حيث حظي بموافقة شعبية شبه إجماعية. تلاها بعد ذلك تشكيل حكومة سابعة، حددت مهمتها في الإشراف على الانتخابات التي أفضت إلى انتخاب أول برلمان مغربي، انعقد لأول يوم 18 نونبر 1963. ومنذ ذلك التاريخ، سيعرف المغرب عدة أحداث وتطورات سياسية ستؤثر بكيفية مباشرة على طبيعة التشكيلات الحكومية، ومسيرة العمل الحكومي، ووضعية جهاز الحكومة ضمن المؤسسات السياسية والدستورية للبلاد، كان أهمها فشل التجربة البرلمانية الأولى، وإعلان حالة الاستثناء، والأحداث السياسية والعسكرية الخطيرة في مستهل السبعينات، بالإضافة إلى التطورات التي عرفتها المؤسسات الحزبية الموجودة في الساحة السياسية وما أفرزته من صراعات وانشقاقات وتحالفات، فضلاً عما كان للأحداث الاقتصادية والاجتماعية الداخلية من دور خلال عقد الثمانينات والتسعينات في التأثير على التوجهات التي كانت تقوم عليها السياسة العامة للدولة في ترجيح بعض الاختيارات السياسية، دون أن نغفل التذكير بما كان للأوضاع والمتغيرات الدولية من تأثير مباشر على الوضع السياسي الداخلي بالمغرب، كانت الدولة مجبرة على أن تأخذه في الاعتبار.

كل ذلك أثر - بكيفية أو بأخرى - على طبيعة التشكيلات الحكومية التي كان يتم تأليفها، بالإضافة إلى التعديلات التي كانت تعرفها في الأشخاص والبرامج وآليات العمل.

وهكذا عرف المغرب خلال أكثر من أربعة عقود مضت على حصوله على الاستقلال خمسة دساتير تم وضعها على التوالي خلال سنوات : 1962 - 1970 - 1972 - 1992 - 1996

وباستثناء الدستور الأول، فإن الدساتير اللاحقة كانت عبارة عن دساتير مراجعة أكثر من كونها دساتير جديدة، وذلك بالنظر لمضامينها ومحتوياتها والمرجعيات التي اعتمدتها في رسم معالم وتحديد مكونات النظام السياسي والدستوري المغربي، علما بأن ثمة بعض التعديلات الجزئية الطارئة قد أدخلت على هذه الدساتير في بعض الأحيان، كما هو الشأن : بالنسبة لمراجعة سن الرشد بالنسبة للملك، أو تحديد السنة المالية من أجل تحضير قانون المالية .. الخ. وفي العموم فإن جميع هذه الدساتير أو المراجعات الدستورية قد تم اعتمادها بواسطة استفتاءات شعبية، وكلها كانت بمبادرات ملكية.

والمتمعن في النص الدستوري المغربي في نسقه العام، وعلى الرغم مما عرفه من مراجعات وتعديلات، يدرك أن المؤسسة الملكية تحتل في النظام السياسي والدستوري المغربي مركز الحكم في البلاد، انطلاقا من كون الملك يوجد على رأس السلطة العليا التي تشكل مصدراً لباقي السلط الأخرى، وهو يعتمد في احتلال هذه المكانة التي تجعل الملكية الدستورية متصفة بجملة من الخصوصيات عن باقي الأنظمة المماثلة، على ثلاث مرجعيات أساسية تتمثل أولا في المرجعية الدينية التي تجعل منه أميراً للمؤمنين وتضفي بذلك على حكمه مشروعية دينية، وثانيا في المرجعية التاريخية التي تجعل منه سلطانا أو ملكا يحكم البلاد بناء على عقد البيعة الذي يربط بينه وبين الشعب، وبالتالي تضفي مشروعية تاريخية على استمرارية النظام الملكي بالمغرب باعتباره نظاما له أصول تاريخية في البلاد، لم تستطع فترة الحماية الاستعمارية أن تنال منه على خلاف ما حصل في كثير من البلاد الأخرى، بما فيها البلاد العربية الإسلامية. وأخيراً المرجعية الدستورية المعتمدة على النص الوضعي التي تجعل منه ملكا ورئيسا عصريا للدولة، بحيث ترسخ موقعه داخل النظام الدستوري، وتمكنه من أدوات الحكم وآلياته الحديثة، وتحدد علاقاته بباقي السلط والمؤسسات الأخرى، وهو أمر يضفي على الملكية طابعا عصريا أساسه المشروعية القانونية الوضعية.

وفي إطار هذا النسق يتحدد موقع مؤسسة الحكومة داخل هرم السلطة في النظام الدستوري المغربي، فالملك طبقا للدستور المراجع الصادر في 7 أكتوبر 1996، هو الذي يعين الوزير الأول ويعين باقي الوزراء الذين تتشكل منهم الحكومة باقتراح من الوزير الأول، وله أن يعفيهم من مهامهم، سواء بمبادرة منه أو بناء على استقالتهم، ولذلك فهم مسؤولون أمامه كما أنهم مسؤولون أمام البرلمان.

والحكومة في ضوء اختصاصاتها الدستورية تمارس عملها انطلاقا من مستويات متعددة :

1 - *المستوى الأول* : ويتمثل في القطاعات الوزارية المختلفة التي يُشرف فيها كل وزير على قطاع معين، سواء في المجالات السياسية أو الاقتصادية أو المالية أو الاجتماعية أو الثقافية أو التعليمية .. الخ. ويعتبر الوزير المسؤول الأول عن إدارة هذا القطاع مسؤولية سياسية وإدارية، ولذلك فهو يساهم انطلاقا من القطاع الذي يشرف عليه في رسم السياسة العامة للدولة، ويسهر على تطبيق التوجيها العامة للحكومة، وتنفيذ القوانين والأنظمة الصادرة في دائرة اختصاصه.

2 - *المستوى الثاني* : ويهم مسؤولية ودور الوزير الأول في الإشراف على تنسيق النشاط الحكومي، من خلال توجيهاتها وتعليماته وقراراته التي يتخذها في إطار سلطته التنظيمية التي يمارسها دستوريا، والتي يمكن في إطارها أن يفوض بعض سلطه لبعض الوزراء، فضلا عن توقيع هؤلاء بالعطف على المقررات التنظيمية الصادرة عنه والتي يكلفون بتنفيذها.

وعلاوة على ذلك، فالوزير الأول هو الممثل القانوني للدولة وهو يرأس المجالس الإدراية لعدد من المؤسسات العمومية، وله صلاحيات واختصاصات محددة بمقتضى نصوص خاصة. وهو الذي يعرض برنامج الحكومة الذي تعتزم تطبيقه أمام البرلمان بمجلسيه، ذلك بعد تعيينها من لدن الملك، ويتضمن هذا البرنامج الخطوط الرئيسية للعمل الذي تنوي الحكومة القيام به في مختلف مجالات النشاط الوطني، وبالأخص في ميادين السياسة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والخارجية.

وفي نفس الإطار، فإن الحكومة تعمل على تنفيذ القوانين تحت مسؤولية الوزير الأول، ومن أجل ذلك، فإن الإدارات العمومية موضوعة رهن إشارتها.

3 - *المستوى الثالث* : هو المجالس الحكومية التي تعتبر مجالس للتداول والتنسيق، تنعقد تحت رئاسة الوزير الأول بناء على دعوة منه، ووفق جدول محدد يتم تحضيره من قبل الأمين العام للحكومة. وفي الغالب الأعم فان مجلس الحكومة ينعقد مرة كل أسبوع، يقدم خلاله الوزراء عروضا حول القطاعات التي يشرفون عليها، أو حول بعض المهمات الخاصة التي يكلفون بها، أو بعض القضايا المستعجلة التي تتعلق بمجالات اختصاصهم، أو حول بعض البرامج التي يقترحونها في إطار تنفيذ السياسة العامة للحكومة.

كما يتم خلال ملجس الحكومة كذلك اتخاذ الإجراءات والتدابير اللازمة لتنفيذ البرنامج الذي التزمت به الحكومة أمام البرلمان، واتخاذ القرارات اللازمة لذلك، والدراسة والمصادقة على الصيغة النهائية للنصوص التشريعية والتنظيمية التي ستعرض للبت فيها من قبل مجلس الوزراء، وفقا لمقتضيات الفصل (66) من الدستور.

4 - *المستوى الرابع* : هو مجلس الوزراء الذي يرأسه الملك ويجتمع بناء على تعليمات منه، ووفق جدول أعمال يتم تحضيره من قبل الأمين العام للحكومة، بتنسيق مع المصالح المختصة بالديوان الملكي. وتتحدد الأمور والمسائل التي يتعين عرضها على مجلس الوزراء من أجل البت فيها في جميع القضايا التي تهم السياسة العامة للدولة والإعلان عن حالة الحصار، وإشهار الحرب وطلب الثقة من مجلس النواب قصد مواصلة الحكومة تحمل مسؤوليتها، ومشاريع القوانين قبل إيداعها بمكتب أحد مجلسي البرلمان، والمراسيم التنظيمية، والمراسيم المتعلقة بختم الدورات البرلمانية العادية والدورات الاستثنائية والمراسيم التي تكون بمثابة

تدابير تتخذها الحكومة بناء على قانون الإذن في ظرف محدود من الزمن ولغاية معينة، والمراسيم التي تكون بمثابة قوانين متخذة من قبل الحكومة خلال الفترات الفاصلة بين دورات انعقاد البرلمان، ومشروع المخطط، وأخيراً مشروع مراجعة الدستور.

انطلاقا من هذه المستويات تمارس الحكومة عملها باعتبارها جهازاً يمثل السلطة التنفيذية داخل الدولة، ولكنها تمارس كذلك اختصاصات وصلاحيات دستورية في المجال التشريعي، فالوزير الأول له - كما لباقي أعضاء البرلمان - حق التقدم باسم الحكومة بمشاريع القوانين التي تعرض على البرلمان بعد اعتمادها من قبل مجلس الوزراء، وللحكومة أن تعترض على كل اقتراح أو تعديل لا يدخل في اختصاص السلطة التشريعية، ويحق لها كذلك في حالة الخلاف بينها وبين البرلمان أن تلجأ إلى طرح الخلاف على المجلس الدستوري للفصل فيه، كما يمكنها - كما ذكر سلفا - أن تتخذ مراسيم قوانين خلال الفترات الفاصلة بين دورات البرلمان، كما أنها تتدخل خلال المسطرة التشريعية، سواء في تحديد مشاريع ومقترحات القوانين التي يمكن أن يدرسها البرلمان حسب الأسبقية والترتيب الذي يُحدده أو المُشاركة في تقديم ومناقشة مشاريع ومقترحات النصوص المعروضة داخل اللجان البرلمانية أو في الجلسات العامة للبرلمان، أو الاعتراض على بحث التعديلات المقترح إدخالها على النصوص المعروضة للتصويت والتي لم يسبق لها أن نوقشت داخل اللجان البرلمانية، أو طلب التصويت دفعة واحدة على نص معين أو جزء منه من قبل المجلس المعروض عليه. كذلك يمكن للحكومة أن تطلب تشكيل لجنة ثنائية مختلطة في حالة عدم اتفاق مجلس البرلمان على نص واحد للمشاريع أو المقترحات المعروضة.

بالمقابل فإن الحكومة تخضع لمراقبة البرلمان فيما تقوم به من أعمال ونشاط، سواء من خلال الأسئلة الشفوية التي يطرحها أعضاء البرلمان في الجلسات الأسبوعية، أو الأسئلة الكتابية التي يتعين أن تقدم الحكومة جوابها بخصوصها خلال العشرين يوما التالية لإحالة السؤال عليها، أو من خلال ملتمسات توجيه تنبيهات يمكن أن يقدمها مجلس المستشارين لها، أو ملتمس رقابة يمكن أن يقدمه كل مجلس من مجلسي البرلمان، علما بأن الموافقة على هذا الملتمس يؤدي إلى استقالة الحكومة استقالة جماعية.

كما أن الحكومة يمكنها في إطار طلب مواصلة تحمل مسؤوليتها أن تطالب بمنح الثقة لها من قبل البرلمان عن طريق التصويت لفائدتها بشأن نص تطلب الموافقة عليه، أو تصريح يقدمه الوزير الأول في موضوع السياسة العامة، وفي حالة الرفض فإن ذلك يعتبر سحبا للثقة يترتب عليه نفس ما يترتب على ملتمس الرقابة من استقالة جماعية للحكومة.

وتجدر الإشارة إلى أن الجهاز الحكومي، من أجل أن يقوم بهذه المهام ومباشرة هذه الاختصاصات، يتكون من مجموعة من الوزارات، كل وزارة تختلف عن الأخرى حسب طبيعة وحجم القطاع أو القطاعات التي تشرف عليها. أما النظام الهيكلي الداخلي للوزارات، فيتكون أساسا من ديوان الوزير الذي يتكون من رئيس للديوان وعدد من المستشارين، وكتابة عامة، ومفتشية عامة، ومديريات وأقسام ومصالح على الصعيد المركزي، ثم مصالح خارجية على مستوى العمالات والأقاليم والجهات منتظمة في شكل مديريات جهوية أو نيابات أو مندوبيات على الصعيد المحلي.

وقد عرف المغرب منذ فترة الاستقلال إلى اليوم ثلاثة وعشرين حكومة، أولها برئاسة السيد امبارك البكاي في 7 ديسمبر 1955، وآخرها برئاسة السيد عبد الرحمان اليوسفي التي تم تعيينها من قبل جلالة الملك في 14 مارس 1998.

*ملحق خاص بالحكومات المغربية منذ استقلال المغرب إلى اليوم (1955 - 1998)*

• الحكومة الأولى (7 ديسمبر 1955 - 25 أكتوبر 1956)

رئيس الوزارة : السيد البكاي بن مبارك الهبيل

خليفة الرئيس : السيد محمد الزغاري

وزراء الدولة : الأستاذ إدريسي المحمدي. الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد. الأستاذ محمد الشرقاوي. الأستاذ أحمد رضا اجديرة.

وزير العدل : الأستاذ عبد الكريم ابن جلون التويمي

وزير الداخلية : القايد الحسن اليوسي

وزير المالية : الأستاذ عبد القادر ابن جلون

وزير الأحباس : السيد محمد المختار السوسي

وزير العلوم والمعارف والفنون الجميلة : السيد محمد الفاسي. وزير الأشغال العمومية : السيد محمد الدويري

وزير الفلاحة : السيد أحمد بن منصور النجاعي

وزير التجارة والصناعة التقليدية والسياحة والملاحة التجارية : السيد أحمد اليزيدي. وزير الإنتاج الصناعي والمعادن : الأستاذ التهامي الوزاني. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : السيد عبد الهادي بوطالب. وزير الصحة الدكتور عبد المالك فرج. وزير التعمير والسكنى : الدكتور مَحمد بن بوشعيب

كاتب الدولة للأنباء الملحق برياسة الوزارة : السيد عبد الله إبراهيم

كاتب الدولة للشبيبة والرياضة : السيد أحمد ابن سودة

ملاحظات : - بتاريخ 10 ديسمبر 1955 تم تعيين السيد الحاج مَحمد (فتحا) باحنيني كاتبا عاما للحكومة.

وفي 22 مارس 1956 أحدثت وزارة الدفاع الوطني. وفي 26 أبريل 1956 أحدثت وزارة الشؤون الخارجية. وفي 5 ماي 1956 يكلف السيد إدريس المحمدي وزير الدولة مؤقتا بمهام وزارة الداخلية. وفي 25 أكتبر 1956 قدّمت الحكومة استقالتها إلى جلالة الملك محمد الخامس فقبلها وكلف السيد البكاي بتشكيل حكومة جديدة.

* * *

• الحكومة الثانية (28 أكتوبر 1956 - 16 أبريل 1958)

- رئيس الوزارة : البكاي بن مبارك الهبيل

- وزير الشؤون الخارجية : الحاج أحمد بلا فريج. وزير الدولة المكلف بالوظيفة العمومية : محمد الرشيد ملين. وزير العدل : الحاج عبد الكريم ابن جلون التويمي. وزير الداخلية : إدريس المحمدي. وزير الدفاع الوطني: محمد الزغاري. وزير الاقتصاد الوطني : عبد الرحيم بوعبيد. وزير التهذيب الوطني : محمد الفاسي. وزير الفلاحة : الحاج عمر بن عبد الجليل. وزير الأشغال العمومية : مَحمد الدويري. وزير الأخبار والسياحة : أحمد رضا گديرة. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : عبد الله إبراهيم. وزير الصحة العمومية : الدكتور عبد المالك فرج. وزير البريد والتلغراف والتلفون : الدكتور بن زكين. وكيل وزارة الاقتصاد الوطني في التجارة والصناعة : - السيد أحمد اليزيدي. وكيل وزارة الاقتصاد الوطني في المالية : - السيد شريف عبد الله الشفشاوني

* * *

• الحكومة الثالثة (12 ماي 1958 - 3 ديسمبر 1958)

- رئيس الوزارة ووزير الخارجية : الحاج أحمد بلا فريج

- نائب الرئيس ووزير الاقتصاد الوطني ووزير الفلاحة : عبد الرحيم بوعبيد. وزير العدل : الحاج عبد الكريم ابن جلون. وزير الدفاع الوطني: أحمد اليزيدي. وزير التربية الوطنية : الحاج عمر عبد الجليل. وزير الأشغال العمومية : مَحمد الدويري. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : البشير بن العباس. وزير الصحة العمومية : عبد المالك فرج. وزير البريد والتلغراف والتلفون : محمد عواد

صدر ظهير سمي وكلاء الوزارات ابتداء من 12 ماي 1958، ويتعلق الأمر بالسادة : مَحمد بوستة : في الشؤون الخارجية. شريف عبد الله الشفشاوني : في المالية. أحمد بن كيران : في التجارة والصناعة والصناعة التقليدية والملاحة التجارية. محمد المهدي عبد الجليل : في الانتاج الصناعي والمعادن. عبد الحفيظ القادري : في الفلاحة. إدريس السلاوي : في الداخلية. محمد الطاهري : في التربية الوطنية

* * *

• الحكومة الرابعة (24 ديسمبر 1958 - 21 ماي 1960)

- رئيس الوزارة ووزير الخارجية : عبد الله إبراهيم

- نائب الرئيس ووزير الاقتصاد الوطني والمالية : عبد الرحيم بوعبيد. وزير العدل : الحاج مَحمد أبا حنيني. وزير الداخلية : إدريس المحمدي. وزير الدفاع الوطني: محمد عواد. وزير التربية الوطنية : الحاج عبد الكريم بن جلون. وزير الفلاحة : التهامي عمار. وزير الأشغال العمومية : عبد الرحمان بن عبد العلي. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : محمد المعطي بوعبيد. وزير الصحة العمومية : يوسف بن العباس. وزير البريد والتلغراف والتلفون : محمد المذبوح.

- بتاريخ 31 أغسطس 1959 يكلف مؤقتا السيد محمد عواد وزير الدفاع الوطني، بمهام وزارة البريد والتليغراف والتيلفون خلفا للسيد محمد المذبوح المستقيل.

* * *

• الحكومة الخامسة (27 ماي 1960 - 16 ماي 1961)

- رئيس الحكومة : جلالة الملك محمد الخامس

- نائب رئيس الحكومة : صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير مولاي الحسن. وزير الشؤون الخارجية : إدريس المحمدي. وزير الداخلية : البكاي بن مبارك. وزير الاقتصاد الوطني والمالية : مَحمد الدويري. وزير التربية الوطنية : عبد الكريم بن جلون. وزير الوظيفة العمومية والاصلاح الإداري : مَحمد بوستة. وزير الأشغال العمومية: عبد الرحمان بن عبد العلي. وزير الفلاحة : حسن الزموري. وزير التجارة والصناعة العصرية والمعادن والصناعة التقليدية والملاحة التجارية : إدريس السلاوي. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : عبد الكريم الخطيب. وزير الأنباء والسياحة : مولاي أحمد العلوي. وزير الصحة العمومية : يوسف بن العباس. وزير البريد والتلغراف والتلفون : محمد الشرقاوي.

- بتاريخ 26 فبراير 1961 (العاشر من رمضان 1380) توفي جلالة الملك المغفورله محمد الخامس، وتمت مبايعة ولي عهده الأمير مولاي الحسن ملك المغرب من قبل الحكومة.

وفي نفس التاريخ جعلت الحكومة تحت رئاسة جلالة الملك الحسن الثاني الذي أقر تعيين جميع الوزراء في مناصبهم.

* * *

• الحكومة السادسة (2 يونيو 1961 - 5 يناير 1963)

- رئيس الحكومة : جلالة الملك الحسن الثاني

وزير الشؤون الخارجية : تحت السلطة العليا الجلالة الملك الحسن الثاني. وزير الدولة مكلف بشؤون موريطانيا والصحراء المغربية : فال ولد عمير. وزير الدولة مكلف بالشؤون الإسلامية : علال الفاسي. وزير الدولة : محمد بن الحسن الوزاني. وزير الدولة مكلف بالتربية الوطنية : محمد رشيد ملين. وزير الدولة مكلف بالشؤون الافريقية : عبد الكريم الخطيب. وزير الداخلية وزير الفلاحة : أحمد رضا اگديرة. وزير العدل : امَحمد بوستة. وزير الاقتصاد الوطني والمالية : امحمد الدويري. وزير الدفاع الوطني : محجوبي أحرضان. وزير منتدب في الشغل والشؤون الاجتماعية : عبد القادر بنجلون. وزير الأشغال العمومية : محمد بنهيمة. وزير الأنباء والسياحة والفنون الجميلة : مولاي أحمد العلوي. وزير التجارة والصناعة الحديثة والمناجم والصناعة التقليدية والملاحة التجارية : أحمد الجندي. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : عبد الكريم الخطيب. وزير الصحة العمومية : يوسف بن العباس. وزير البريد والتلغراف والتلفون : محمد بن عبد السلام الفاسي

* * *

• الحكومة السابعة (5 يناير 1963 - 13 نونبر 1963)

- رئيس الحكومة : جلالة الملك الحسن الثاني

الممثل الشخصي لجلالة الملك ووزير الشؤون الخارجية : الحاج أحمد بلا فرج. وزير الدولة المكلف بشؤون موريطانيا والصحراء المغربية : فال ولد عمير. وزير الدولة المكلف بالشؤون الافريقية ووزير الصحة العمومية : عبد الكريم

الخطيب. وزير الدولة : محمد بن الحسن الوزاني. وزير الداخلية وزير الفلاحة : أحمد رضا اگديرة. وزير العدل : أحمد أبا حنيني. وزير المالية : إدريس السلاوي. وزير الدفاع الوطني : محجوبي أحرضان. الوزير المنتدب في الشغل والشؤون الاجتماعية : عبد القادر بنجلون. وزير التربية الوطنية : يوسف بن العباس. وزير الأشغال العمومية : بنسالم جسوس. وزيرالتجارة والصناعة العصرية والمناجم والملاحة التجارية : محمد بنهيمة. وزير البريد والتلغراف والتلفون : محمد بن عبد السلام الفاسي. وزير السياحة والصناعة التقليدية والفنون المحلية : أحمد العلوي. كاتب الدولة في الأنباء والشبيبة والرياضة : عبد الهادي بوطالب. وزير الأوقاف المكلف بوزارة الشؤون الإسلامية : الحاج أحمد بركاش.

- بتاريخ 5 يونيو 1963 تم إجراء تعديل حكومي تعلق بإعفاء وتعيين عدد من الوزارة السادة :

- بنسالم جسوس : الاعفاء من مهام وزير الأشغال العمومية

- أحمد الحمياني : التعيين في مهام وزير الداخلية

- محمد بنهيمة : التعيين في مهام وزير الأشغال العمومية

- إدريس الدباغ : التعيين في مهام وزير التجارة والصناعة والمناجم والملاحة التجارية

- عبد الهادي بوطالب : التعيين في مهام وزير الأنباء والشبيبة والرياضة بعد أن أصبحت كتابة الدولة في الأنباء والشبيبة والرياضة وزارة.

* * *

- الحكومة الثامنة (13 نونبر 1963 - 8 يونيو 1965)

- الوزير الأول : أحمد باحنيني

- وزير الدولة مكلف بشؤون موريطانيا والصحراء المغربية : فال ولد عمير. وزير الشؤون الخارجية : أحمد رضا اگديرة. وزير منتدب لدى الوزير الأول : عبد الهادي بوطالب. وزير العدل : عبد القادر بنجلون . وزير الداخلية: عبد الرحمان الخطيب. وزير الشؤون الاقتصادية والمالية والفلاحة : إدريس السلاوي. وزير الدفاع الوطني : المحجوبي أحرضان. وزير التربية الوطنية : يوسف بن العباس. وزير الصحة العمومية : العربي الشرايبي. وزير البريد والتلغراف والتلفون : محمد بن عبد السلام الفاسي. وزير الأنباء والسياحة والفنون الجميلة والصناعة التقليدية : أحمد العلوي. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : التهامي الوزاني. وزير الأوقاف مكلفا بوزارة الشؤون الإسلامية : الحاج أحمد بركاش. وكيل الوزارة في المالية : مامون الطاهري. وكيل الوزارة في التجارة والصناعة العصرية والمناجم والملاحة التجارية : أحمد بناني. وكيل الوزارة في الفلاحة : نور الدين الغرفي. وكيل الوزارة في الداخلية : حدو الشيكر. وكيل الوزارة في الأنباء والسياحة والفنون الجميلة والصناعة التقليدية : عبد الرحمان الكوهن.

- بتاريخ 20 غشت 1964 أصبح تشكيل الحكومة كما يلي :

- الوزير الأول : أحمد أبا حنيني
- وزير العدل : عبد الهادي بوطالب
- وزير الشؤون الخارجية : أحمد بنهيمة
- وزير الشؤون الاقتصادية والمالية : محمد الشرقاوي
- وزير الدفاع الوطني : الجنرال أمزيان محمد الزهراوي
- وزير الداخلية : الجنرال محمد أو فقير
- وزير التربية الوطنية : يوسف بن العباس
- وزير الأشغال العمومية : محمد بنهيمة
- وزير الأنباء والسياحة والفنون الجميلة والصناعة التقليدية : أحمد العلوي
- وزير الصحة العمومية : العربي الشرايبي
- وزير الأوقاف المكلف بوزارة الشؤون الاسلامية : الحاج أحمد بركاش
- وزير الوظيفة العمومية والاصلاح الإداري : التهامي الوزاني
- وزير الشبيبة والرياضة : عبد الرحمان الخطيب
- وزير البريد والبرق والتبلفون : حدو الشيكر
- وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : محمد عمور
- وزير شؤون موريطانيا والصحراء المغربية : يكلف بها الوزير الأول
- وكيل الوزارة في المالية : مامون الطاهري
- وكيل الوزارة في التجارة والصناعة العصرية والمناجم : أحمد بناني
- وكيل الوزارة في الداخلية : عبد الحفيظ بوطالب
- وكيل الوزارة في التعليم التقني والتكوين المهني وتكوين الإطارات : محمد التادلي
- وكيل الوزارة في الأنباء والسياحة والفنون الجميلة والصناعة التقليدية : عبد الرحمان الكوهن.

* * *

- الحكومة التاسعة (8 يونيو 1965 - 6 يوليوز 1967)

- رئيس الحكومة : جلالة الملك الحسن الثاني

- الوزير الأول : السيد محمد الزغاري. وزير شؤون موريطانيا والصحراء المغربية : الأمير مولاي الحسن بن إدريس. وزير العدل : السيد عبد الهادي بوطالب. وزير الشؤون الخارجية : السيد أحمد الطيب بنهيمة. وزير التنمية : السيد محمد الشرقاوي . وزير الدفاع الوطني : الجنرال محمد مزيان الزهراوي. وزير الداخلية : الجنرال محمد أو فقير. وزير الشؤون الإدارية : السيد الحاج محمد أبا حنيني. وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة والشبيبة والرياضة : الدكتور محمد بنهيمة. وزير المالية : السيد مامون الطاهري. وزير الفلاحة والاصلاح الزراعي : السيد المحجوبي أحرضان. وزير الصناعة العصرية والمناجم والسياحة والصناعة التقليدية : السيد محمد الاغزاوي . وزير الأشغال العمومية والمواصلات : السيد أحمد العسكي. وزير التجارة : السيد عبد الحميد الزموري. وزير الصحة العمومية : الدكتور العربي الشرايبي. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية : السيد الحاج أحمد بركاش. وزير البريد والتلغراف والتلفون : السيد حدو الشيكر. وزير

الشغل والشؤون الاجتماعية : السيد عبد الحفيظ بوطالب. وزير الأنباء : السيد أحمد بن جلون. وكيل الوزارة في الشؤون الخارجية : السيد عبد الله الشرفي. وكيل الوزارة في الشؤون الإدارية : السيد بدر الدين السنوسي. وكيل الوزارة في السياحة والصناعة التقليدية : السيد عبد الرحمن الكوهن.

- بتاريخ 11 مارس 1967 تم إجراء تعديل حكومي آخر تعلق تعيين السادة :

- امحمد الزغاري : وزيرا للفلاحة والاصلاح الزراعي مكلف بالشؤون الاقتصادية. أحمد العراقي : وزير للشؤون الخارجية. أحمد العلوي : وزير للتجارة والصناعة التقليدية والصناعة العصرية والمناجم. محمد العيماني : كاتبا لدولة لدى الوزير الأول في تكوين الاطارات. الطيب زعمون : نائب كاتب الدولة لدى الوزير الأول. عبد الوهاب العراقي : نائب كاتب الدولة في التجارة.

* * *

- الحكومة العاشرة (6 يوليوز 1967 - 4 غشت 1971)

- الوزير الأول : الدكتور محمد بنهيمة

- وزير موريطانيا والصحراء المغربية : الأمير مولاي الحسن بن إدريس. وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة : عبد الهادي بوطالب. وزير العدل : علي بنجلون. وزير الشؤون الخارجية : أحمد العراقي. وزير الداخلية : الجنرال محمد أوفقير. وزير الشؤون الإدارية الأمين العام للحكومة: الحاج امحمد أبا حنيني. وزير المالية : الأستاذ عبد القادر ابن جلون. وزير الأحباس : السيد محمد المختار السوسي. وزير العلوم والمعارف والفنون الجميلة : السيد محمد الفاسي. وزير الدفاع الوطني : محمد حدو الشيكر. وزير المالية : مامون الطاهري. وزير التجارة والصناعة التقليدية الصناعة العصرية والمناجم : أحمد العلوي. وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي مكلف بالإنعاش الوطني : امحمد بركاش. وزير الأشغال العمومية والمواصلات : يحيى الشفشاوني. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : عبد الهادي بوطالب. وزير الصحة العمومية : العربي الشرايبي. وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية : الحاج أحمد بركاش. وزير البريد والبرق والتيلفون : بدر الدين السنوسي. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : عبد الحفيظ بوطالب. وزير الأنباء : أحمد السنوسي. وزير السياحة : حسن اعبابو. كاتب الدولة المكلف بشؤون قدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير وقدماء المحاربين لدى الوزير الأول : عبد السلام بنعيسى. كاتب الدولة المكلف بالشؤون الاقتصادية لدى الوزير الأول : أحمد بناني. كاتب الدولة المكلف بالتخطيط وتكوين الاطارات لدى الوزير الأول : محمد العيماني. كاتب الدولة ومكلف بالشبيبة والرياضة لدى الوزير الأول : المهدي بنبوشتى. نائب كاتب الدولة في الشؤون الخارجية : عبد الله الشرفي. نائب كاتب الدولة في الداخلية : محمد بن العالم . نائب كاتب الدولة في الفلاحة : الطيب زعمون. نائب كاتب الدولة في التجارة : عبد الوهاب العراقي

- بتاريخ 17 يونيه 1968 تم تعيين السادة :

- عبد الهادي بوطالب، وزيرا للدولة. الجنرال محمد مزيان، وزيرا للدفاع الوطني. محمد حدو الشيكر، وزيرا للتعليم العالي. قاسم الزهيري، وزيرا للتعليم الثانوي والتقني

- بتاريخ 17 أكتوبر 1969 تم إعفاء السادة :

- الدكتور أحمد العراقي، وزيرا أول

- صاحب السمو الأمير مولاي الحسن بن إدريس، وزيرا للدولة

- الدكتور محمد بنهيمة، وزيرا للدولة مكلفا بالفلاحة والإصلاح الزارعي

- عبد الهادي بوطالب، وزيرا للشؤون الخارجية

* * *

- الحكومة الحادية عشرة (6 غشت 1971 - 5 أبريل 1972)

- الوزير الأول : محمد كريم العمراني

- وزير العدل والأمين العام للحكومة : الحاج امحمد أبا حنيني. وزير الدفاع الوطني ماجور عام للقوات المسلحة الملكية : الجنرال محمد أوفقير. وزير الداخلية : أحمد بن بوشتى. وزير الشؤون الخارجية : عبد اللطيف الفيلالي. وزير الثقافة والتعليم العالي والثانوي والأصلي وتكوين الاطارات : أحمد العسكي. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية : الحاج أحمد بركاش. وزير التعليم الابتدائي : حدو الشيكر. وزير البريد والتلغراف والتلفون : إدريس بن عمر العلمي. وزير الشؤون الإدارية : أحمد مجيد بن جلون. وزير الفلاحة والاصلاح الزراعي : المعطي جوريو. وزير الأشغال العمومية والمواصلات : محمد البرنوصي. وزير الصحة العمومية : الدكتور عبد المجيد بلماحي. وزير العمل والشؤون الاجتماعية والشبيبة والرياضة : أرسلان الجديدي. وزير الأنباء : عبد القادر الصحراوي. نائب كاتب الدولة في الثقافة والتعليم العالي والثانوي والأصلي وتكوين الاطارات : محمد شفيق

وابتداء من 11 غشت 1971 :

- نائب كاتب الدولة في المالية : محمد المدغري

- نائب كاتب الدولة في التجارة والصناعة العصرية والمناجم والبحرية التجارية : عبد العزيز بنجلون

- نائب كاتب الدولة في السياحة : عبد الكامل الرغاي

* * *

- الحكومة الثانية عشرة (12 أبريل 1972 - 20 نونبر 1972)

- الوزير الأول : محمد كريم العمراني

- نائب الوزير الأول وزير العدل والأمين العام للحكومة: الحاج امحمد أبا حنيني. وزير الدفاع الوطني ماجور عام للقوات المسلحة الملكية : الجنرال محمد أوفقير. وزير الداخلية : الدكتور محمد بنهيمة. وزير الشؤون الخارجية : الدكتور عبد اللطيف الفيلالي. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية : الحاج أحمد بركاش. وزير التعليم الابتدائي : حدو الشيكر. وزير البريد والتلغراف والتلفون : الجنرال

إدريس بن عمر العلمي. وزير الشؤون الإدارية : أحمد مجيد بنجلون. وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي : المعطي جوريو. وزير المالية : مصطفى فارس. وزير الثقافة والتعليم الأصلي والعالي والثانوي : الحبيب الفهري. وزير التجارة والصناعة العصرية والمناجم والبحرية التجارية : عبد العزيز بنجلون. وزير الأشغال العمومية والمواصلات : عبد اللطيف الغساسي. وزير التعمير والسكنى والمحافظة على البيئة الطبيعية : الحسن الزموري. وزير العمل والشؤون الاجتماعية والشبيبة والرياضة : أرسلان الجديدي. وزير الصحة العمومية : عبد الرحمان التهامي. وزير السياحة : عبد الرحمان الكوهن. كاتب الدولة لدى الوزير الأول : محمد شفيق. كاتب الدولة لدى الوزير الأول مكلف بالتخطيط والتنمية الجهوية وتكوين الإطارات : عبد اللطيف العيماني. كاتب الدولة لدى الوزير الأول مكلف بالشؤون الاقتصادية والتعاون : عبد الله الفاسي الفهري. كاتب الدولة لدى الوزير الأول مكلف بالإنعاش الوطني والتعاون الوطني والصناعة التقليدية : عبد الله غرنيط. نائب كاتب الدولة في الداخلية : عباس القيسي

- بتاريخ 20 نونبر 1972 تم إنهاء مهام الحكومة.

* * *

• الحكومة الثالثة عشرة (20 نونبر 1972 - 5 أكتوبر 1977)

- الوزير الأول : أحمد عصمان

- وزير الدولة : الحاج امحمد ابا حنيني. وزير العدل : البشير بلعباس التعارجي. وزير الداخلية : الدكتور محمد بنهيمة. وزير الشؤون الخارجية : أحمد الطيبي بنهيمة. وزير المالية : بنسالم جسوس. وزير التربية الوطنية : محمد حدو الشيكر. وزير البريد والبرق والتليفون : الجنرال إدريس بن عمر العلمي. وزير الأنباء : أحمد مجيد بنجلون. وزير التعمير والسكنى والمحافظة على البيئة والطبيعة : الحسن الزموري. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية والشبيبة والرياضة : محمد أرسلان الجديدي. وزير الصحة العمومية: عبد الرحمان التهامي. وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية : محمد المكي الناصري. وزير السياحة : عبد الرحمان الكوهن. وزير الشؤون الإدارية الأمين العام للحكومة : عباس القيسي. وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي : عبد السلام برادة. وزير التجارة والصناعة العصرية : عبد القادر بنسليمان. وزير الأشغال العمومية والمواصلات : صالح المزيلي. كاتب الدولة لدى الوزير الأول مكلف بالتخطيط والتنمية الجهوية وتكوين الإطارات : عبد اللطيف العيماني. كاتب الدولة لدى الوزير الأول مكلف بالإنعاش الوطني والتعاون الوطني والصناعة التقليدية : عبد اللطيف غرنيط. نائب كاتب الدولة في التعليم العالي : عبد الكريم حليم. نائب كاتب الدولة في التعليم الابتدائي والثانوي : محمد بوعمود. نائب كاتب الدولة في الشبيبة والرياضة : منير الدكالي

- بتاريخ 25 أبريل 1974، تم إجراء تعديل حكومي موسع، شمل أغلب الوزارات حيث أصبحت التشكيلة الحكومية كما يلي :

- الوزير الأول : أحمد عصمان

- وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية : الحاج امحمد ابا حنيني. وزير الدولة المكلف بالتعاون وتكوين الإطارات : الدكتور محمد بنهيمة. وزير الدولة المكلف بالشؤون الخارجية : الدكتور أحمد العراقي. وزير الدولة بالمكلف بالاعلام : أحمد الطيبي بنهيمة. وزير العدل : عباس القيسي. وزير الداخلية : محمد حدو الشيكر. وزير الشؤون الاسلامية والأوقاف : الداي ولد سيدي بابا. وزير البريد والبرق والتيلفون : الجنرال إدريس بن عمر العلمي. وزير المالية : عبد القادر بنسليمان. وزير الفلاحة والاصلاح الزراعي : صالح المزيلي. وزير التعمير والسكنى والسياحة والمحافظة على البيئة الطبيعية : الحسن الزموري. وزير الشؤون الإدارية، الأمين العام للحكومة : امحمد بنيخلف. وزير الصحة العمومية : الدكتور أحمد رمزي. وزير التجارة والصناعة العصرية والمناجم والبحرية التجارية : عبد اللطيف الغيساسي. وزير الأشغال العمومية والمواصلات : أحمد التازي. وزير التعليم العالي : عبد اللطيف بن عبد الجليل. وزير التعليم الابتدائي والثانوي : محمد بوعمود. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : محمد العربي الخطابي. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالتعاون الوطني والصناعة التقليدية : عبد الله غُرنيط. كاتب الدولة في المالية : عبد الكامل الرغاي. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون العامة : عبد السلام زنيند. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الاقتصادية : محمد بلخياط. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالتخطيط والتمية الجهوية : الطيب ابن الشيخ. كاتب الدولة في الداخلية : إدريس البصري. كاتب الدولة في التعمير والسكنى والسياحة والمحافظة على البيئة الطبيعية : جلال السعيد. كاتب الدولة في الاعلام : محمد المحجوبي. كاتب الدولة في الشؤون الاسلامية والأوقاف : الحسن الوقاش. كاتب الدولة في التجارة والصناعة العصرية والمناجم والبحرية التجارية : موسى السعدي.

* * *

• الحكومة الرابعة عشرة (10 أكتوبر 1977 - 27 مارس 1979)

- الوزير الأول : أحمد عصمان

- وزير الدولة المكلف بالشؤون الخارجية والتعاون : امحمد بوستة. وزير الدولة المكلف بالبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية : المحجوبي أحرضان. وزير الدولة الملكف بالشؤون الثقافية : الحاج امحمد اباحنيني. وزير الدولة الملكف بالداخلية : الدكتور محمد بنهيمة. وزير العدل : المعطي بوعبيد. وزير التجهيز والإنعاش الوطني : امحمد الدويري. وزير المالية : عبد اللطيف الغيساسي. وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي : مصطفى فارس. وزير الإعلام : محمد العربي الخطابي. وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية : الدكتور أحمد رمزي. وزير الشغل والتكوين المهني : محمد بوعمود. وزير الشؤون الإدارية : امحمد

بنيخلف. وزير مكلف بالعلاقات مع البرلمان : محمد حدو الشيكر. وزير التربية الوطنية وتكوين الأطر : الدكتور عز الدين العراقي. وزير الشبيبة والرياضة : عبد الحفيظ القادري. وزير السكنى والتعمير : عباس الفاسي. وزير الشؤون الاجتماعية والصناعة التقليدية : عبد الله غرنيط. وزير النقل : محاند ناصر. وزير التجارة والصناعة : عبد الكامل الرغاي. وزير الصحة العمومية : الدكتور رحال الرحالي. وزير الطاقة والمناجم : موسى السعدي. وزير السياحة : المنصوري بن علي. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالتخطيط والتنمية الجهوية : الطيب بن الشيخ. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون العامة : عبد السلام زنيند. كاتب الدولة في الداخلية : إدريس البصري. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الاقتصادية : عثمان السليماني. كاتب الدولة في الشؤون الخارجية : عبد الرحمان بادو. كاتب الدولة في التعليم العالي والبحث العلمي : سعيد بلبشير. كاتب الدولة في تكوين الأطر : عبد الحق التازي

ملاحظات : تم تعيين السيد عباس القيسي، أمينا عاما للحكومة بنفس التاريخ.

التعديلات التي أدخلت على الحكومة الرابعة عشر :

بتاريخ 10 أكتوبر 1978، تم إنهاء مهام السادة :

- محمد العربي الخطابي، كوزير للاعلام
- محمد بنيخلف، كوزير للشؤون الإدارية
- المنصوري بن علي، كوزير للسياحة

وقد تعين السادة :

- عبد الهادي بوطالب، وزيرا للدولة مكلفا بالاعلام
- المنصوري بن علي، وزيرا للشؤون الادارية
- عبد اللطيف الجواهري، وزيرا منتدبا لدى الوزير الأول
- عز الدين جسوس، وزيرا للسياحة.

* * *

- الحكومة الخامسة عشرة (27 مارس 1979 - 5 نونبر 1979)

- الوزير الأول ووزير العدل : المعطي بوعبيد
- وزير الدولة المكلف بالشؤون الخارجية والتعاون : امحمد بوستة. وزير الدولة المكلف بالبريد والمواصلات : المحجوبي أحرضان. وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية : الحاج امحمد اباحنيني. وزير التجهيز والانعاش الوطني : امحمد الدويري. الوزير المكلف بالعلاقات مع البرلمان : محمد حدو الشيكر. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية : الدكتور أحمد رمزي. وزير الفلاحة والاصلاح الزراعي : عبد اللطيف الغساسي. وزير الداخلية : إدريس البصري. وزير المالية : عبد الكامل الرغاي. وزير التربية الوطنية وتكوين الأطر : عز الدين العراقي. وزير الشغل والتكوين المهني : محمد أرسلان الجديدي. وزير الشبيبة والرياضة : عبد الحفيظ القادري. وزير الشؤون الاجتماعية والصناعة التقليدية : عبد الله غرنيط. وزير السكنى وإعداد التراب الوطني : عباس الفاسي. وزير الشؤون الادارية : منصوري بن علي. وزير النقل : محمد ناصر. وزير الصحة العمومية: رحال رحالي. وزير الطاقة والمعادن. وزير التجارة والصناعة: عز الدين جسوس. وزير السياحة : عبد السلام ازنيند. وزير الإعلام عبد الواحد بلقزيز. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول : عبد اللطيف الجواهري. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالتخطيط والتنمية الجهوية : الطيب بنشيخ. كاتب الدولة في الشؤون الخارجية : عبد الرحمان بادو. كاتب الدولة في التعليم العالي والبحث العلمي : سعيد بن البشير. كاتب الدولة في تكوين الأطر : عبد الحق التازي. كاتب الدولة لدى الوزير المكلف بالشؤون الصحراوية : خليهن ولد الرشيد.

* * *

- الحكومة السادسة عشرة (8 نونبر 1981 - 30 نونبر 1983)

- الوزير الأول : المعطي بوعبيد
- وزير الدولة المكلف بالشؤون الخارجية : المحجوبي أحرضان. وزير الدولة : الحاج امحمد اباحنيني. وزير الدولة مولاي أحمد العلوي. وزير العدل : مولاي مصطفى بن العربي العلوي. وزير الداخلية : إدريس البصري. وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية : الهاشمي الفيلالي. وزير التخطيط وتكوين الأطر والتكوين المهني : امحمد الدويري. وزير التربية الوطنية : الدكتور عز الدين العراقي. وزير المالية : عبد اللطيف الجواهري. وزير التشغيل والإنعاش الوطني : محمد أرسلان الجديدي. وزير التجارة والصناعة والسياحة : عز الدين جسوس. وزير الصناعة التقليدية والشؤون الاجتماعية : عباس الفاسي. وزير الإعلام والشبيبة والرياضة : عبد الواحد بلقزيز. وزير النقل : المنصوري بن علي. وزير الطاقة والمعادن : موسى السعدي. وزير الصحة : رحال رحالي. وزير الصيد البحري والملاحة التجارية : بنسالم الصميلي. الأمين العام للحكومة: عباس القيسي. وزير الشؤون الثقافية سعيد بن البشير. وزير السكنى وإعداد التراب الوطني : المفضل لحلو. وزير التجهيز : محمد القباج. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول : عبد الكريم غلاب. وزير البريد والمواصلات : محند العنصر. وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي : عثمان الدمناتي. الوزير المكلف بالعلاقات مع البرلمان : أحمد بلحاج. كاتب الدولة في الشؤون الخارجية : عبد الحق التازي. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الصحراوية : خليهن ولد الرشيد. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الإدارية : محمد التوكاني. كاتب الدولة في الشبيبة والرياضة : عبد اللطيف السملالي. كاتب الدولة في السكنى وإعداد التراب الوطني : عبد اللطيف الحجاجي.

* * *

- الحكومة السابعة عشرة (30 نونبر 1983 - 11 أبريل 1985)

- الوزير الأول : محمد كريم العمراني (ابتداء من 19 نونبر 1983)
- وزير للدولة : أحمد عصمان. وزير للدولة : المعطي

بوعبيد. وزير للدولة : عبد الرحيم بوعبيد. وزير للدولة : احمد بوستة. وزير للدولة : المحجوبي أحرضان. وزير للدولة: مولاي أحمد العلوي. وزير للدولة : محمد أرسلان الجديدي. وزير الداخلية : إدريس البصري. وزير الشؤون الخارجية : عبد الواحد بلقزيز. وزير الإعلام : عبد اللطيف الفيلالي. وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية : الهاشمي الفيلالي. وزير التخطيط وتكوين الأطر والتكوين المهني : امحمد الدويري. وزير التربية الوطنية : الدكتور عز الدين العراقي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الاقتصادية : الطيب بن الشيخ. وزير المالية : عبد اللطيف الجواهري. وزير التجارة والصناعة والسياحة : عز الدين جسوس. وزير الصناعة التقليدية والشؤون الاجتماعية : عباس الفاسي. وزير النقل : المنصوري بن علي. وزير الطاقة والمعادن : موسى السعدي. وزير الصحة العمومية : الدكتور رحال رحالي. وزير الصيد البحري والملاحة التجارية: بنسالم الصميلي. الأمين العام للحكومة : عباس القيسي. وزير الشؤون الثقافية : سعيد بن البشير. وزير السكنى وإعداد التراب الوطني : المفضل لحلو. وزير التجهيز : محمد القباج. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول عبد الكريم غلاب. وزير البريد والمواصلات : محمد العنصر. وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي : عثمان الدمناتي. الوزير المكلف بالعلاقات مع البرلمان : أحمد بلحاج. وزير الشبيبة والرياضة : عبد اللطيف السملالي. الوزير المكلف بالتعاون : عبد الواحد الراضي. وزير التشغيل والإنعاش الوطني : مولاي الزين الزاهدي. كاتب الدولة في الشؤون الخارجية : عبد الحق التازي. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الصحراوية : خليهن ولد الرشيد. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الإدارية : محمد التوكاني. كاتب الدولة في السكنى وإعداد التراب الوطني : عبد اللطيف حجاجي.

* * *

• الحكومة الثامنة عشرة (11 أبريل 1985 ـ 11 أغسطس 1992)

ـ الوزير الأول : محمد كريم العمراني

ـ وزير الدولة : الحاج امحمد اباحنيني. وزير الدولة : مولاي أحمد العلوي. وزير العدل : مولاي مصطفى بن العربي العلوي. وزير الشؤون الخارجية والتعاون والاعلام : عبد اللطيف الفيلالي. وزير الداخلية : إدريس البصري. وزير التربية الوطنية : عز الدين العراقي. وزير الصحة العمومية : الطيب بن الشيخ. وزير المالية : عبد اللطيف الجوهري. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالعلاقات مع المجموعة الاقتصادية الأوربية : عز الدين جسوس. وزير السياحة : موسى السعدي. وزير الصيد البحري والملاحة التجارية : بنسالم الصميلي. الأمين العام للحكومة : عباس القيسي. وزير التجهيز والتكوين المهني وتكوين الأطر : محمد القباج. وزير النقل : محمد بوعمود. وزير الفلاحة والاصلاح الزراعي : عثمان الدمناتي. وزير الشبيبة والرياضة : عبد اللطيف السملالي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الاقتصادية : مولاي الزين الزاهدي. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية : عبد الكبير المدغري العلوي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بتنمية الأقاليم الصحراوية : خليهن ولد الرشيد. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالتخطيط : الراشيدي الغزواني. وزير الصناعة التقليدية والشؤون الاجتماعية : محمد أبيض. وزير الطاقة والمعادن: محمد فتاح. وزير التجارة والصناعة : الطاهر المصمودي. وزير الشؤون الثقافية : محمد بنعيسى. وزير السكنى : عبد الرحمان بوفتاس. وزير التشغيل : حسن العبادي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالعلاقات مع البرلمان : الطاهر عفيفي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الإدارية : عبد الرحيم بن عبد الجليل

ـ بتاريخ 30 سبتمبر 1986 تم إنهاء مهام السادة :

ـ محمد كريم العمراني، كوزير أول

ـ الدكتور عز الدين العراقي، كنائب للوزير الأول، ووزين التربية الوطنية.

وتم تعيين السادة :

ـ الدكتور عز الدين العراقي، وزيرا أول

ـ محمد الهلالي، وزيرا للتربية الوطنية

ـ محمد السقاط، كاتبا للدولة في الشؤون الخارجية، مكلفا بالعلاقات مع المجموعة الاقتصادية الأوربية.

* * *

• الحكومة التاسعة عشرة (11 صفر 1413 / 11 غشت 1992)

ـ الوزير الأول : محمد كريم العمراني

ـ وزير للدولة : مولاي أحمد العلوي. وزير الدولة المكلف بالشؤون الخارجية والتعاون : عبد اللطيف الفيلالي. وزير العدل : مولاي مصطفى بن العربي العلوي. وزير الداخلية والاعلام : إدريس البصري. وزير الصحة العمومية : عبد الرحيم الهروشي. وزير المالية : محمد برادة. وزير التربية الوطنية : الطيب الشكيلي. وزير الصيد البحري والملاحة التجارية : بنسالم الصميلي. الأمين العام للحكومة : عباس القيسي. وزير الأشغال العمومية والتكوين المهني وتكوين الأطر : محمد القباج. وزير النقل: الراشدي الغزواني. وزير البريد والاتصالات السلكية واللاسلكية : عبد السلام أحيزون. وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي : عثمان الدمناتي. وزير الشبيبة والرياضة : عبد الله بلقزيز. وزير التجارة والصناعة وتحويل المنشآت العامة إلى القطاع الخاص : مولاي الزين الزاهدي. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية : عبد الكبير المدغري العلوي. وزير التشغيل والصناعة التقليدية والشؤون الاجتماعية : محمد الودغيري. وزير الطاقة والمعادن : مولاي إدريس العلوي المدغري. وزير الشؤون الثقافية : محمد علال سيناصر. وزير الاسكان : عبد الرحمان بوفتاس. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الإدارية : عزيز حسبي. وزير التجارة الخارجية والاستثمارات الخارجية والسياحة : حسن أبو أيوب. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالمالية

المغربية القاطنة بالخارج : رفيق الحداوي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية: محمد المدغري العلوي. كاتب الدولة في الشؤون الخارجية : أحمد الشرقاوي. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون العامة : عبد الرحمان السباعي. نائب كاتب الدولة لدى وزير الداخلية المكلف بالمحافظة على البيئة الطبيعية : شوقي السرغيني.

* * *

• الحكومة العشرون (11 نوفمبر 1993 - 25 ماي 1994)

- الوزير الأول : محمد كريم العمراني (ابتداء من 9 نوفمبر 1993)

- وزير للدولة : مولاي أحمد العلوي. وزير للدولة مكلف بالشؤون الخارجية والتعاون : عبد اللطيف الفيلالي. وزير الدولة في الداخلية والاعلام : إدريس البصري. وزير العدل : محمد الإدريسي علمي المشيشي. وزير الصحة العمومية : عبد الرحيم الهروشي. وزير المالية : محمد سكوه. وزير التربية الوطنية : محمد الكنيديري. وزير الصيد البحري والملاحة التجارية : المصطفى ساهل. وزير الأشغال العمومية والتكوين المهني وتكوين الأطر : محمد حصاد. وزير النقل : الراشيدي الغزواني. وزير البريد والمواصلات : عبد السلام أحيزون. وزير الفلاحة والاستثمار الفلاحي : عبد العزيز مزيان بلفقيه. وزير الشبيبة والرياضة: مولاي إدريس العلوي المدغري. وزير التجارة والصناعة : إدريس جطو. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية: عبد الكبير العلوي المدغري. وزير التشغيل والشؤون الاجتماعية : رفيق الحداوي. وزير الشؤون الثقافية : محمد علال سيناصر. وزير الإسكان : إدريس التولالي. وزير التجارة الخارجية والاستثمارات الخارجية والصناعة التقليدية : مراد شريف. وزير السياحة : سيرج بيردوكو. الأمين العام للحكومة : عبد الصادق ربيع. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الإدارية : عزيز حسبي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول : عبد الرحمان السباعي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالجالية المغربية القاطنة بالخارج : أحمد الوردي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالعلاقات مع البرلمان : محمد معتصم. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بتنشيط الاقتصاد : عمر القباج. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بحقوق الانسان : عمر عزيمان. الوزير المكلف بتحويل منشآت عامة إلى القطاع الخاص منتدبا لدى الوزير الأول : عبد الرحمان السعيدي. كاتب الدولة في الشؤون الخارجية : الطيب الفاسي الفهري. نائب كاتب الدولة لدى وزير الداخلية مكلفا بالمحافظة على البيئة الطبيعية : شوقي السرغيني

ملاحظة : - بتاريخ 25 ماي 1994 تم إعفاء السيد محمد كريم العمراني من مهامه كوزير أول، وتعيين السيد عبد اللطيف الفيلالي خلفا له، حيث تم تشكيل حكومة جديدة.

* * *

الحكومة الحادية والعشرون (7 يونيو 1994 - 31 يناير 1995)

- الوزير الأول ووزير الشؤون الخارجية والتعاون : عبد اللطيف الفيلالي

- وزير للدولة : مولاي أحمد العلوي. وزير الدولة في الداخلية والاعلام : إدريس البصري. وزير العدل : محمد الإدريسي علمي المشيشي. وزير الصحة العمومية : عبد الرحيم الهروشي. وزير المالية : محمد سكوه. وزير التربية الوطنية : محمد الكنيديري. وزير الصيد البحري والملاحة والتجارة : مصطفى ساهل. وزير الأشغال العمومية والتكوين المهني وتكوين الأطر : محمد حصاد. وزير النقل : الراشيدي الغزواني. وزير البريد والمواصلات : - وزير عبد السلام أحيزون. وزير الفلاحة والاستثمار الفلاحي: عبد العزيز مزيان بلفقيه. وزير الشبيبة والرياضة : مولاي إدريس العلوي المدغري. وزير التجارة والصناعة : إدريس جطو. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية : عبد الكبير المدغري العلوي. وزير التشغيل والشؤون الاجتماعية : رفيق الحداوي. وزير الطاقة والمعادن : عبد اللطيف الكراوي. وزير الشؤون الثقافية : محمد علال سيناصر. وزير الإسكان : إدريس التولالي. وزير التجارة الخارجية والاستثمارات الخارجية والصناعة التقليدية : مراد الشريف. وزير السياحة : سيرج بيردوكو. الأمين العام للحكومة : عبد الصادق الربيع. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الإدارية : عزيز حسبي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول : عبد الرحمان السباعي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالجالية المغربية القاطنة بالخارج : أحمد الوردي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالعلاقات مع البرلمان : محمد معتصم. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بتنشيط الاقتصاد : عمر القباج. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بحقوق الانسان : عمر عزيمان. وزير الخوصصة المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بمنشآت الدولة : عبد الرحمان السعيدي. كاتب الدولة في الشؤون الخارجية والتعاون : الطيب الفاسي الفهري. نائب كاتب الدولة لدى وزير الدولة في الداخلية المكلف بالمحافظة على البيئة : شوقي السرغيني

* * *

• الحكومة الثانية والعشرون (27 فبراير 1995 - مارس 1998)

- الوزير الأول ووزير الشؤون الخارجية والتعاون : عبد اللطيف الفيلالي

- وزير للدولة : مولاي أحمد العلوي. وزير الدولة في الداخلية : إدريس البصري. وزير العدل : عبد الرحمان أمالو. وزير المالية والاستثمارات الخارجية : محمد القباج. وزير الفلاحة والاستثمار الفلاحي : حسن أبو أيوب. وزير الصيد البحري والملاحة التجارية : مصطفى ساهل. وزير الاتصال الناطق الرسمي باسم الحكومة : مولاي إدريس العلوي المدغري. وزير التجارة والصناعة والصناعة

التـقليـدية : إدريس جطو. وزير الأوقـاف والشـؤون الاسلامـيـة: عـبد الكبـيـر المدغري العلوي. وزير الطاقة والمعادن : عبد اللطيف الكراوي. الأمين العام للحكومة : عبد الصادق ربيع. وزير الخوصصة المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بمنشآت الدولة : عبد الرحمان السعيدي. وزير الشؤون الثقافية : عبد الله أزماني. الوزير المكلف بالعلاقات مع البرلمان : عبد السلام بركة. وزير الصحة العمومية : الدكتور أحمد العلمي. وزير التعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي : إدريس خليل. وزير التربية الوطنية : رشيد بن المختار. وزير النقل : سعيد أمسكان. وزير البريد والمواصلات : حمزة الكتاني. وزير الشبيبة والرياضة : أحمد أمزيان. وزير التشغيل والشؤون الاجتماعية : أمين الدمناتي. وزير الإسكان : سعيد الفاسي. وزير السياحة : محمد العلوي المحمدي. وزير البيئة : الدكتور نور الدين بنعمر العلمي. وزير التكوين المهني : عبد السلام بروال. وزير التجارة الخارجية : محمد العلوي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول : عبد الرحمان السباعي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الإدارية : مسعود المنصوري. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بتنشيط الاقتصاد : محمد حما. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بحقوق الإنسان : محمد زيان. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالسكان : لامين بنعمر. كاتب الدولة في الشؤون الخارجية والتعاون : الطيب الفاسي الفهري. نائب كاتب الدولة لدى وزير الشؤون الخارجية المكلف بشؤون الجالية المغربية القاطنة بالخارج : لحسن كبون. نائب كاتب الدولة في الشؤون الخارجية المكلف بالعلاقات مع اتحاد المغرب العربي : عبد العزيز المسيوي

- بتاريخ 13 غشت 1997، تم إعفاء السادة :

- عبد الرحمان أمالو، وزير العدل والوزير المكلف بحقوق الإنسان بالنيابة. محمد القباج، وزير المالية والاستثمارات الخارجية. حسن أبو أيوب، وزير الفلاحة والاستثمار الفلاحي. عبد الله أزماني، وزير الشؤون الثقافية. عبد السلام بركة، الوزير المكلف بالعلاقات مع البرلمان. الدكتور أحمد العلمي، وزير الصحة العمومية. سعيد أمسكان، وزير النقل. حمزة الكتاني، وزير البريد والمواصلات. أحمد أمزيان، وزير الشبيبة والرياضة. أمين الدمناتي، وزير التشغيل والشؤون الاجتماعية. سعيد الفاسي، وزير الإسكان. محمد العلوي المحمدي، وزير السياحة. الدكتور نور الدين بنعمر العلمي، وزير البيئة. عبد السلام بروال، وزير التكوين المهني. محمد العلمي، وزير التجارة الخارجية. مسعود منصوري، الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الإدارية. محمد حما، الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بتنشيط الاقتصاد. لامين بنعمر، الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالإسكان. لحسن كبون، نائب كاتب الدولة لدى وزير الشؤون الخارجية المكلف بشؤون الجالية المغربية بالخارج. عبد العزيز الميسوي، نائب كاتب الدولة لدى وزير الشؤون الخارجية المكلف بالعلاقات مع المغرب العربي

- وبنفس التاريخ تم تعيين أو الاحتفاظ بالسادة :

- مولاي أحمد العلوي، وزير الدولة. إدريس البصري، وزير الدولة في الداخلية. عمر عزيمان، وزير العدل. إدريس جطو، وزير المالية والتجارة والصناعة والصناعة التقليدية. عبد العزيز مزيان بلفقيه، وزير الفلاحة والتجهيز والبيئة. عبد الكبير المدغري العلوي، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية. مراد الشريف، وزير السكنى والتشغيل والتكوين المهني. مصطفى ساهل، وزير الصيد البحري والشؤون الإدارية والعلاقة مع البرلمان. مولاي إدريس العلوي المدغري، وزير الاتصال الناطق الرسمي باسم الحكومة. عبد اللطيف الكراوي، وزير الشؤون الاجتماعية : الصحة والشبيبة والرياضة والتعاون الوطني. الأمين العام للحكومة عبد الصادق ربيع. عبد الرحمان السعيدي، وزير تنشيط الاقتصاد والخوصصة المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بمنشآت الدولة. عبد السلام أحيزون، وزير المواصلات. إدريس خليل، وزير التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر. رشيد بن المختار، وزير التربية الوطنية. إدريس بنهيمة، وزير النقل والملاحة التجارية والسياحة والطاقة والمعادن. عبد الرحمان السعيدي، الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بإدارة الدفاع الوطني. الطيب الفاسي الفهري، كاتب الدولة لدى وزير الشؤون الخارجية والتعاون. عزيزة بناني، كاتبة الدولة لدى وزير التعليم العالي والبحث العلمي المكلفة بالثقافة. عبد الفتاح بنمنصور، كاتب الدولة لدى وزير المالية المكلف بتمويل الاقتصاد. عبد الرزاق المصمودي، كاتب الدولة لدى وزير المالية المكلف بالتجارة والصناعة والصناعة التقليدية. عبد العظيم الحافي، كاتب الدولة لدى وزير الفلاحة والتجهيز والبيئة المكلف بالاستثمار الفلاحي. الحسين التجاني، كاتب الدولة لدى وزير الفلاحة والتجهيز والبيئة المكلف بالبيئة. آمينة بن خضراء، كاتبة الدولة لدى وزير الطاقة والمعادن المكلفة بتنمية القطاع المعدني. فؤاد حمادي، كاتب الدولة لدى وزير الشؤون الاجتماعية المكلف بالصحة. زليخة الناصري، كاتبة الدولة لدى وزير الشؤون الاجتماعية المكلفة بالتعاون الوطني. نوال المتوكل، كاتبة الدولة لدى وزير الشؤون الاجتماعية مكلفة بالشبيبة والرياضة.

* * *

• الحكومة الثالثة والعشرون (15 ذي القعدة 1418 / 14 مارس 1998)

- الوزير الأول : عبد الرحمان يوسفي

- وزير الشؤون الخارجية والتعاون : عبد اللطيف الفيلالي. وزير الداخلية : إدريس البصري. وزير العدل : عمر عزيمان. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية : عبد الكبير المدغري العلوي. الوزير المكلف بإعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والإسكان : محمد اليازغي. وزير الاقتصاد والمالية : فتح الله والعلو. وزير الفلاحة والتنمية القروية والصيد البحري : الحبيب المالكي. الأمين العام للحكومة : عبد الصادق الربيع. وزير الصناعة والتجارة

والصناعة التقليدية : العلمي التازي. وزير التنمية الاجتماعية والتضامن والتشغيل والتكوين المهني، ناطق رسمي باسم الحكومة : خالد عليوة. وزير السياحة : حسن الصبار. وزير التجهيز : بوعمرو تغوان. وزير النقل والملاحة التجارية : مصطفى المنصوري. وزير الطاقة والمعادن : يوسف الطاهري. وزير التربية الوطنية : إسماعيل العلوي. وزير التعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي : نجيب الزروالي. وزير مكلف بالعلاقات مع البرلمان : محمد بوزوبع. وزير مكلف بحقوق الإنسان : محمد أوجار. وزير الشؤون الثقافية : محمد الأشعري. وزير الصحة : عبد الواحد الفاسي. وزير الشبيبة والرياضة : أحمد الموساوي. وزير الاتصال : محمد العربي المساري. وزير الوظيفة العمومية والإصلاح الإداري : عزيز الحسين. وزير القطاع العام والخوصصة : رشيد الفيلالي. وزير منتدب لدى الوزير الأول مكلف بإدارة الدفاع الوطني : عبد الرحمان السباعي. وزير منتدب لدى الوزير الأول مكلف بالشؤون العامة للحكومة : أحمد الحليمي علمي. وزير منتدب لدى الوزير الأول مكلف بالتوقعات الاقتصادية والتخطيط : عبد الحميد عواد. وزير منتدب لدى وزير الدولة وزير الشؤون الخارجية والتعاون مكلف بالشؤون المغاربية والعالم العربي والإسلامي : عبد السلام زنيند. وزير منتدب لدى وزير الفلاحة والتنمية القروية والصيد البحري مكلف بالصيد البحري : التهامي الخياري. وزير منتدب لدى وزير الفلاحة والتنمية القروية والصيد البحري مكلف بالمياه والغابات : سعيد اشباعتو. وزير منتدب لدى وزير التربية الوطنية مكلف بالتعليم الثانوي والتقني : عبد الله ساعف. كاتب الدولة لدى الوزير الأول مكلف بالبريد والتقنيات الإعلامية: العربي عجول. كاتبة الدولة لدى وزير الدولة وزير الشؤون الخارجية والتعاون مكلفة بالتعاون : عائشة بلعربي. كاتب الدولة لدى الوزير مكلف بإعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والإسكان مكلف بالبيئة : أحمد العراقي. كاتب الدولة لدى الوزير المكلف بإعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والإسكان مكلف بالإسكان : محمد المباركي. كاتب الدولة لدى وزير الصناعة والتجارة والصناعة التقليدية مكلف بالصناعة التقليدية : حسن الماعوني. كاتب الدولة لدى وزير التعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي مكلف بالبحث العلمي : عمر الفاسي. كاتب الدولة لدى وزير التنمية الاجتماعية والتضامن والتشغيل والتكوين المهني مكلف بالرعاية الاجتماعية والأسرة والطفولة : محمد سعيد السعدي. كاتب الدولة لدى وزير التنمية الاجتماعية والتضامن والتشغيل والتكوين المهني مكلف بالتضامن والعمل الإنساني : حمو أوحلي. كاتبة الدولة لدى وزير التنمية الاجتماعية والتضامن والتشغيل والتكوين المهني مكلفة بالمعاقين : نزهة الشقروني.

محمد المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، نشر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، 1985 ؛ محمد أشركي، *الوزير الأول، مركزه ووظيفته في النظام المغربي*، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة، كلية الحقوق الدار البيضاء، 1985 ؛ محمد معتصم، *النظام السياسي الدستوري المغربي*، ايزيس للنشر، الدار البيضاء 1992 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، تقديم وتعليق عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط 1961 ؛ ع. بنعبد الله، *تاريخ المغرب*، مكتبة المعارف، د. ت ؛ ع. العروي، *تاريخ المغرب*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1977 ؛ ع. القادري، *الوجيز في المؤسسات السياسية والقانون الدستوري والنظم السياسية*، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1982 ؛ ع. بوطالب، *النظم السياسية العالمية المعاصرة* ؛ ع. بنشنهو، *البيان المطرب لنظام حكومة المغرب*، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الثانية 1952 ؛ ع. غلاب، *التطور الدستوري والنيابي في المغرب (1908 ـ 1977)*، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء، 1978 ؛ ع. الفاسي، *حفريات عن الحركة الدستورية في المغرب قبل الحماية*، مذكرة مرفوعة من كاتب مجهول إلى السلطان مولاي عبد العزيز، سلسلة الجهاد الأكبر رقم 6، مطبعة الرسالة، الرباط دون تاريخ ؛ نعيمة هراج التوازين، *الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن (1873 ـ 1894)*، مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، 1979 ؛ محمد أشركي، *هيكل الدولة المغربية، السلطان والحكومة*، ضمن أعمال الجامعة الصيفية حول موضوع المغرب من العهد العزيزي إلى سنة 1912، المحمدية، 1987 ؛ عبد اللطيف أكنوش، *المخزن المغربي وامتداداته المحلية قبل سنة 1912*، ضمن أعمال الجامعة الصيفية حول موضوع المغرب من العهد العزيزي إلى سنة 1912، المحمدة، 1987 ؛ عمر العسري، *التنظيمات الإدارية الإقليمية في المغرب خلال القرن التاسع عشر*، ضمن أعمال الجامعة الصيفية حول موضوع المغرب من العهد العزيزي إلى سنة 1912، المحمدية، 1987 ؛ أعداد من *الجريدة الرسمية* خلال الفترة المتدة ما بين 1913 و1998.

A. Benjelloun, *Droit administratif*, 2ème éd., Rabat, 1992 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830 - 1912*, Casablanca, 1993 ; A. De Laubadère, *Les réformes des pouvoirs publics au Maroc*, Paris, 1949 ; J. Bonjean, *L'unité de l'empire chérifien*, Paris, 1952 ; Bremard, *L'organisation régionale du Maroc*, Paris, 1949 ; E. Durand, *Traité de droit public marocain*, Paris, 1955 ; P. Espérandieu, *Lyautey et le protectorat*, Paris, 1947 ; H. Gaillard, *La réorganisation du gouvernement marocain*, Paris, 1916 ; *L'histoire et l'organisation du protectorat marocain, sa politique indigène*, Rabat, 1915 ; A. Gilaut, *Principes de colonisation et de législation coloniale*, Paris, 1908 ; H. Blet, *Histoire de la colonisation française*, Paris, 1946 ; L. Holtz, *Traité de législation marocaine*, Paris, 1914 ; M. Sehimi, *La notion de constitution au Maroc*, thèse de doctorat d'état, Faculté de droit de Rabat, 1984 ; M. Rouss (et al.), *Droit administratif marocain*, 5ème édition, Rabat, 1992 ; P. L. Rivière, *Précis de législation marocaine*, *Caen*, 1942 ; H. Gaillart, *L'histoire et l'organisation de l'empire chérifien, conférences Franco-Marocaines*, Tome I, Paris, 1916 ; M. Berge, *La justice française au Maroc, conférences Franco-Marocaines*, Tome I, Paris, 1916 ; N. Bouderbala, *Aspects de l'idéologie juridique coloniale*, *R.J.P.E.M.*, n ° 4, 1978 ; *Traités du Maroc*, Publiés et commentés par P. L. Rivière, Paris, 1924 ; *Les codes marocains, recueil des actes et traités constituant le droit international public du Maroc*, Casablanca, [s.d.]; *Recueil législatif des judidictions chérifiennes au Maroc*, Elaboré par Tahar Essafi, Casablanca, 1926 ; *Bulletin officiel* de 1913 à 1998.

عبد الإله فونتير

الثلج بقمم الأطلس الكبير

انظر صفحة 2846

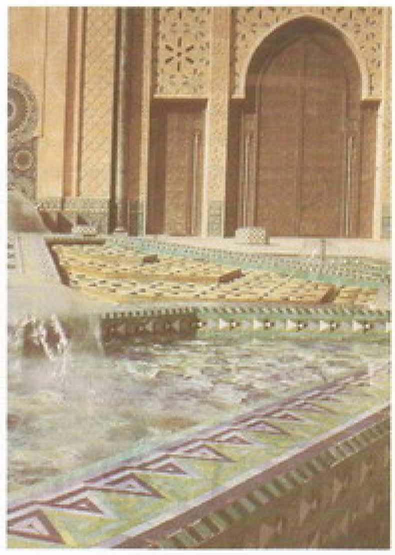

جامع الحسن الثاني بالدار البيضاء

الباب الخارجي - البلاط الرئيسي

انظر صفحة 2864

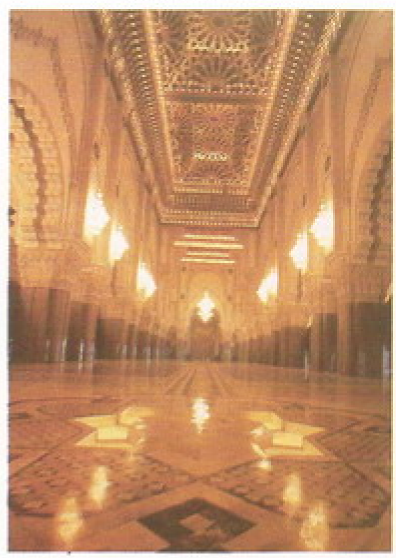

جامع الفنا

الساحة العمومية الشهيرة بمراكش

انظر صفحة 2869

جاوش

صنف من أصناف الطيور بالمغرب

انظر صفحة 2896

الجبس

كتلة من الجبس الخام

انظر صفحة 2917

جَكَراندا

عثكول هرمي من الأزهار

انظر صفحة 3051

الجحموم أو الشحرور

انظر صفحة 2925

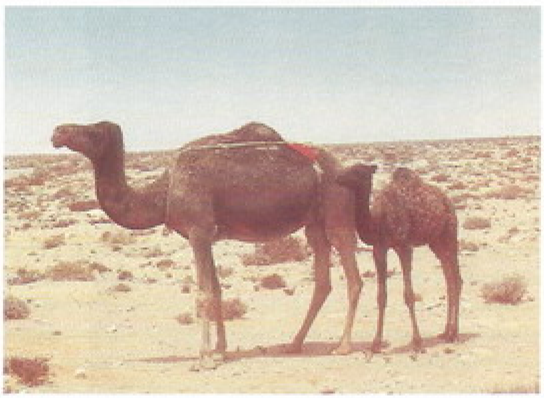

الجمل

انظر صفحة 3087

جرجير أو الخردل

انظر صفحة 2952

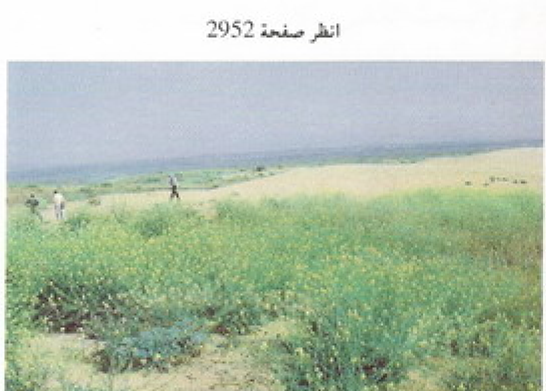

الحبارى الصغيرة

انظر صفحة 3304

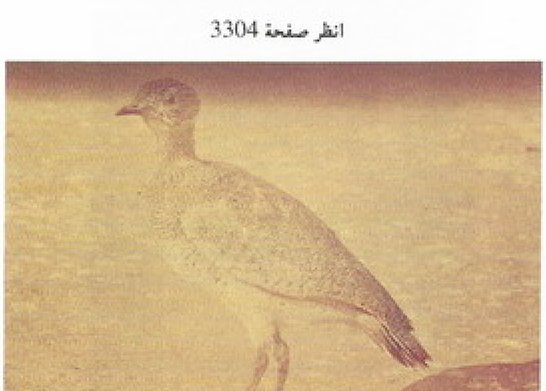

الحبارى العربية

انظر صفحة 3304

حُرَيْـقة أو حريكة

انظر صفحة 3369

الحجل

انظر صفحة 3334

حسّون أو أمّ قنين

انظر صفحة 3416

الحجلة

انظر صفحة 3335

أبو حِراب أو المَها

انظر صفحة 3352

تم طبع هذا الجزء من معلمة المغرب بمطابع سلا
في صفر عام 1419/ يونيو 1998
وأعيد طبعه في جمادى الأولى عام 1433 / أبريل 2012

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

مطابع سلا

19، زنقة الحافظ السلفي
المعاريف - الدار البيضاء

✆ : 05.22.25.65.65

**Imprimerie de Salé**

**19, Rue El Hafid Salafi**
**Maârif - Casablanca**
**Tél.: 05.22.25.65.65**

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

10

Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé "SALA"**

**1998 - 1419**

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN ( Tome X ) 9981 - 03 - 010 - 4

Encyclopédie
du
Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

11

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2000 - 1421

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984/629



ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 0 - 012 - 03 - 9981 (الجزء 11)

بسم الله الرحمن الرحيم

أعد هذا الجزء من معلمة المغرب
بدعم من وزارة الثقافة والاتصال
ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق
عبارات الشكر والامتنان.

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ . | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في تحرير هذا الجزء

محمد **أخريف**، وزارة التربية الوطنية ـ القصر الكبير
محمد **أديوان**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **أزهار**، كلية الآداب ـ المحمدية
محمد **الأسعد**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ عين الشق
أحمد **أشعبان**، باحث ـ تطوان
سعيد **أعراب**، باحث ـ تطوان
عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط
ع. العزيز **أكرير**، كلية الآداب ـ بني ملال
العربي **أكنينح**، المدرسة العليا للاساتذة ـ فاس
حسن **أميلي**، كلية الآداب ـ المحمدية
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
محمد **أيت حمزة**، كلية الآداب ـ الرباط
الهادي **بجيبجو**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
محمد **البدراوي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب ـ الرباط
منير **البصكري**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية ـ العرائش
ع. العزيز **بل فايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **بلعربي**، باحث ـ الرباط
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب ـ الرباط
رقية **بلمقدم**، كلية الآداب ـ القنيطرة
علي **البليشي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **بنجلون**، باحث ـ الرباط
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية
محمد **بنشريفة**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية ـ سلا
عثمان **بناني**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد الأمين **بوخبزة**، باحث ـ تطوان
ع. القادر **بوراس**، وزارة التربية الوطنية ـ القنيطرة
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب ـ فاس
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ عين الشق
مصطفى **بوشعراء**، باحث ـ سلا

عبد الله **بوصحابة**، كلية العلوم ـ فاس
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **بوعزيز**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب ـ مكناس
أحمد **بومزگو**، كلية الآداب ـ أگادير
جامع **بيضاء**، كلية الآداب ـ الرباط
ع. الله المرابط **الترغي**، كلية الآداب ـ تطوان
ع. العزيز **توري**، وزارة الثقافة والاتصال ـ الرباط
أحمد **التوفيق**، الخزانة العامة ـ الرباط
ع. العزيز **تيلاني**، كلية اللغة العربية ـ مراكش
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية ـ مراكش
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
أحمد **جوماني**، باحث ـ الرباط
محمد **الحاتمي**، كلية الآداب ـ أگادير
حسن **حافظي علوي**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ بنمسيك
محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط
ع. الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة
ع. الجليل **حليم**، كلية الآداب ـ فاس
محمد **حمام**، كلية الآداب ـ الرباط
العربي **الحمدي**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد **حنداين**، وزارة التربية الوطنية ـ أگادير
محمد **حنيني**، كلية الآداب ـ الرباط
علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **خربوعة**، المعهد العلمي ـ الرباط
أحمد **الخنبوبي**، كلية الآداب ـ بوردو
إسماعيل **الخياطي**، كلية الآداب ـ الجديدة
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم ـ الرباط
مارية **دادي**، كلية الآداب ـ وجدة
محمد بن عبد العزيز **الدباغ**، وزارة الثقافة ـ فاس
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب ـ مراكش
شفيق **الرفاگ**، كلية الآداب ـ أگادير
علال **رگوگ**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط
بوجمعة **رويان**، كلية الآداب ـ القنيطرة
أحمد **زروال**، باحث ـ مراكش
قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط
زكية **ازوانات**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط
ع. الفتاح **الزين**، البحث العلمي ـ الرباط
ع. الصادق **ساسبو**، المدرسة الغابوية ـ سلا
ع. العزيز **الساوري**، وزارة الثقافة والاتصال ـ الرباط
الحبيب **السباعي الإدريسي**، وزارة المالية ـ الرباط
العياشي **السربوت**، باحث ـ وزان
محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا
ع. السلام **السعيدي**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش
مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد السلام **الشدادي**، معهد البحث العلمي ـ الرباط
صالح **شكاگ**، وزارة التربية الوطنية ـ تمارة
المصطفى **شويكي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ عين الشق
محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط
ع. الرحمان **الطيبي**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا
حسن **العباسي**، كلية الآداب ـ الجديدة
ع. العزيز **بن عبد الجليل**، وزارة الثقافة والاتصال ـ مكناس
ع. العزيز **عديدي**،
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط
بوشعيب **العركود**، وزارة التربية الوطنية ـ بني ملال
أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة
علي **العموري**،
الحاج موسى **عوني**، كلية الآداب ـ فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط

إدريس **الفاسي**، كلية الآداب ـ الرباط
ع. الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ عين الشق
حسن **الفگيگي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
المصطفى **قنيتر**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد **قدور**، كلية الآداب ـ القنيطرة
مصطفى **قلوش**، كلية الحقوق ـ الرباط
محمد **كربوط**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **گلاد**، وزارة التربية الوطنية ـ أسفي
محمد بن **لحسن**، كلية الآداب ـ بني ملال
شمعون **ليفي**، كلية الآداب ـ الرباط
حسن **ليمان**، وزارة الثقافة والاتصال ـ الرباط
محمد **ماگامان**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
أحمد **متفكر**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمدية
الحسن **المحداد**، كلية الآداب ـ أگادير
المكي **مربي**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش ـ
محمد **مرزاق**، وزارة التربية الوطنية ـ وجدة
نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط
زهور **المزگلدي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
أحمد **مزيان**، كلية الآداب ـ فاس
محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **المكاوي**، باحث ـ
محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **منيوي**، المعهد العلمي ـ الرباط
مصطفى **ناعمي**، البحث العلمي ـ الرباط
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب ـ الرباط
زهرة **النظام**، كلية الآداب ـ المحمدية
محمد **هشمي**، المدرسة الوطنية الغابوية ـ سلا
عثمان **هناكا**، كلية الآداب ـ أگادير
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة
إبراهيم **ياسين**، كلية الآداب ـ الجديدة
مصطفى **يعرف**، باحث ـ وجدة

# بيبليوغرافيا إضافية
# إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة


عبد الله **إبراهيم**،

ـ *نداء الحرية بين المغرب العتيق والمغرب الحديث*، الدار البيضاء، 1995.

محمد **أتكان** وأحمد **باسلام**،

ـ *مناقشة كتاب* سبيلمان بحث مرقون لنيل الإجازة أگادير، 1989.

أحمد **أحضري**،

ـ *ديوان الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع*، مخطوط.

إدريس بن الماحي **الإدريسي**،

ـ *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988.

شكيب **أرسلان**،

ـ *حاضر العالم الإسلامي*، (تعليق) 4 أجزاء، مصر، 1352 هـ.

ابن عبد العظيم **الأزموري**،

ـ *بهجة الناظرين*، مرقون كلية الآداب، د. د. ج. ع، الرباط، 1985 ـ 1986.

محمد **أزهار**،

ـ الإنسان والبيئة في الواحات السهبية الفاصلة، واحة ميسور نموذجا (المغرب الشرقي). مرقون.

محمد **الأسعد**،

ـ *دفاتر دكالة ـ عبدة*، الدار البيضاء، 1997.

خ. **إسماعيل**،

ـ *تحول البنيات الفلاحية في القطاعات المسقية* ...، رسالة. د. د. ع. في الجغرافيا، الرباط، 1988.

محمود **إسماعيل**،

ـ *الخوارج في بلاد المغرب*، 1976.

أبو إسحاق **الإصطخري**،

ـ *كتاب مسالك الممالك*، ليدن، 1927.

عمر **أفا**،

ـ *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، منشورات كلية الآداب، أگادير، 1988.

ـ *النقود في العهد السعدي ـ نماذج بيبليوغرافية*، مجلة تاريخ المغرب عدد 7 ـ 8 ـ 1998.

ـ *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، الدار البيضاء، 1993.

إبراهيم **أقديم**،

ـ *إسهام في الدراسة الهيدرولوجية والمرفلوجية لحوضي دادس وتدغة*، د. د. د. ع. كلية الآداب الرباط، 1983.

ابو القاسم **الأنصاري**،

ـ *اختصار الأخبار*، الرباط، 1983، ط. 2.

علي **أنكام**،

*قصر زاوية تامگروت*، مخطوط.

محند **أيت الحاج**،

ـ *مظاهر الحياة الثقافية بحاحة وإد اوتنان خلال القرن 14*، د. د. ع. مرقون.

محمد **أيت حمزة**،

ـ *ملامح التحولات السيسومجالية بحوض أسيف أمگون*. د. د. ع كلية الآداب الرباط، 1986.

**أحمد باب التنبكتي**،

ـ *نيل الابتهاج*، القاهرة، 1351 / 1932.

ع. الحق **البادسي**،

ـ *المقصد الشريف*، الرباط، 1982.

أندريه **پاكار**،
- *المغرب والحروف التقليدية الإسلامية في العمارة*، *أتوليبه*، 1974.
عبد الرحمن **بدوي**،
- *مؤلفات ابن خلدون*، القاهرة، 1962.
عادل سعيد **بشتاوي**،
- *الأندلسيون المواركة*، دمشق، 1985.
محمد ابن **بطوطة**،
- *تحفة النظار*، بيروت، د. ت.
إبراهيم باشا **البغدادي**،
- *إيضاح المكنون، في الذيل على كشف الظنون*، استانبول، 1364 / 1945/
- *هدية العارفين*، استانبول، 1951 - 1955.
أبو عبيد **البكري**،
- *المسالك والممالك*، بيروت، 1992.
**بلعسري**،
*التحديث الفلاحي ونمو المراكز الحشرية*، مثال الدائرة السقوية لدكالة، رسالة د. د. ع، الرباط، 1988.
أحمد **البلوي** الوادي آشي،
*ثبت البلوي*، تح. عبد الله العمراني، بيروت، 1973.
عبد المجيد **بنجلون**،
*جولات في مغرب امس*، 1972، الرباط، 1974 - 1975.
*هذه مراكش*، مصر، 1949.
عبد العزيز **بنعبد الله**،
- *الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب*، تطوان، 1953.
- *معجم الألوان*، الرباط، 1969.
- *المعجم التاريخي*، آخر كتاب تاريخ المغرب، الدار البيضاء، د. ت.
- *معلمة الفقه المالكي*، 1983، ص. 83.
- *معلمة المدن والقبائل*، فضالة، 1397 / 1977.
علي **بنعياش**،
*الخط المغربي المليح*، قراءة في جمالياته (بحث مرقون، 1998.
عبد الوهاب **بنمنصور**،
- *انبعاث أمة*، الرباط، (سلسلة).
- *الحسن الثاني، حياته وجهاده ومنجزاته*، الرباط، 1969.
- *قبائل المغرب*، الرباط، 1968، الجزء الأول.
- *مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب إلى مؤتمر مدريد 1880*، الرباط، 1977.
أبو بكر **بناني**،
*الفتح الوهبي في التعريف بشيخنا مولاي عبد الواحد وشيخه مولاي العربي*.
عثمان **بناني**،
*النشاط السياسي للوطنيين المغاربة بالقاهرة في عام 1947*، (أعمال ندوة النهضة والتراث).
عبد القادر **بوراس**،
*مجموعة من رسائل أحمد بن المدني ابن حيون، مداخلة ندوة الحركة الوطنية*، القنيطرة، أبريل، 1998.
أحمد **بوزيد** الكناني،
*من تاريخ الوراقة والوراقين بمنطقة سوس، مجلة كلية الآداب*، الرباط، عدد 21 - 22 - 96 - 1997.
م. بن البشير **بوسلام**،
*تاريخ قبيلة بني ملال*، 1854 - 1916.
مصطفى **بوشعراء**،
- *التعريف ببني سعيد*، الرباط، 1991.
- *علاقة المخزن بأحواز سلا*، بني حسن، الدار البيضاء، 1996.

إبراهيم **بوطالب**،

*التاريخ المعاصر*، البحث العربي حول المجتمع المغاربي في الفترة الاستعمارية، حصيلة وتقويم.

م. **البوطاهري**،

*جهة الرباط وسلا زمور زعير*، خريطة إقليم الخميسات.

أبو بكر **البيدق**،

*أخبار المهدي بن تومرت*، الرباط، 1971.

فرانسوا **بيرجي**،

*موحى وحمو الزياني، 1877 ـ 1921*، فاس، 1999.

عبد الهادي **التازي**،

ـ *الاسطول المغربي عبر التاريخ*، مجلة البحث العلمي، الرباط، العدد 33 نونبر 1982، ص. 15 ـ 47.

ـ *أمير مغربي في طرابلس*، جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي، ج. 4.

ـ مذكرات من التراث المغربي *الدبلوماسي للمغرب*، المحمدية، 1988.

محمد **التاشفيني**،

*اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون*، مخطوط.

م. ابن أبي بكر **التطواني**،

*كناشة*، مخطوط، خ. ص. رقم 407.

ع. العزيز **التمسماني**خلوق،

*جوانب من تاريخ جبالة المعاصر*، 1996، مجلة *دار النيابة*، عدد 14 سنة 1978، ص. 54.

ابن لحبيب **التمنوگالي**،

*العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*، مخطوط.

ع. العزيز **توري** وجودية **حصار بنسليمان**،

*قاموس ألفاظ البناء في العمارة التقليدية*، مخطوط.

أحمد **التوفيق**،

*مساهمة في دارسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، الدار البيضاء، 1978.

م. عابد **الجابري**،

*العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي*، الدار البيضاء، 1971.

عثمان **الجاحظ**،

*كتاب الحيوان*، تح. ع. السلام هارون، مصر، 1364 / 1945.

**جامعة** الدول العربية،

*معجم الملابس*، الرباط، 1975.

عباس **الجراري**،

*القصيدة*، الرباط، 1390 / 1970.

ح. ابن **الجزائري**،

*كشف الرموز في بيان الأعشاب*، الجزائر، 1928.

حمدون **الجزنائي**،

*الأصداف المنفضة في أحكام صناعة الذهب والفضة*، مخطوط.

ابن **جزي**،

*القوانين الفقهية*، الرباط، 1962.

حسن **جلاب**،

ـ *الحركة الصوفية في مراكش وأثرها في الأدب*، مراكش. ج. 3.

ـ *في تاريخ الماء وأساليب الري، تانسيفت*، مجلة جغرافية الأطلس والحوز، العدد، 1، مراكش، 1992.

ـ *معجم عراصي مراكش*، مجلة التراث الشعبي، 1981.

أحمد **جماني**،

*المدينة المغربية في العصر الوسيط*، مرقون.

ع. **جمجامة**،
*اللامركزية مع اللاتمركز والديموقراطية المحلية في الخطاب الملكي*، من إرسال التجربة إلى إعلان الإصلاح الجهوي 1955 ـ 1995، الرباط، 1996.
الحسين **جهادي**،
من تاريخ أيت باعمران، مخطوط.
شارل أندري **جوليان**،
*تاريخ إفريقيا الشمالية*، تر. محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس، 1952.
م. ابن **الحاج السلمي**،
*إتحاف ذوي العلم والرسوخ*، الدار البيضاء، 1978.
م. ابن **الحاج النميري**،
*فيض العباب وإفاضة قداح الأدب في الحركة السعيدة إلى قسطنطينة والزاب*، الرباط، ط. الأولى، 1984.
**حاج** صادق،
*صفة المغرب وأوربا في* ق. 3 / 9 ـ الجزائر، 1949.
**حازم** القرطاجني،
*مقصورة حازم*، 1 : 193.
أحمد بن عاشر **الحافي**،
*تحفة الزائر بمناقب الحاج أحمد بن عاشر*، تح. محمد بوشعراء، سلا، 1988.
محمد **حجاج الطويل**،
ـ *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1989.
ـ *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*، أطروحة مرقونة، كلية الآداب بالرباط سنة 1998.
محمد **حجي**،
ـ *البرناوي عبد الله بن عبد الجليل، معلمة المغرب*، 4، 1196.
ـ بوطالب أو *الطالبيون الجوطيون، معلمة المغرب*، 5، 1738.
م. ابن **حجر** العسقلاني،
ـ *تهذيب التهذيب*، اثنا عشر جزءاً، حيدر آباد الدكن، 1325 ـ 1327 هـ.
م. **الحجوي**،
ـ *الفكر السامي، في تاريخ الفقه الإسلامي*، الرباط، وفاس وتونس، 1345 هـ.
ـ *مختصر العروة الوثقى*، سلا، 1938.
علي **حسان حلاق**،
*تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي*، بيروت، 1978.
**الحسن الثاني**،
*ذاكرة ملك*، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1993.
ح. **حسني عبد الوهاب**،
*شهيرات النساء التونسيات*، تونس، 1353.
س. **الحصري**،
*دراسات عن مقدمة ابن خلدون*، مجلدان، بيروت، 1943.
أحمد **الحلبي**،
*ريحان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار القلوب*، مخطوط، خ. ع مصور على الشريط جائزة الحسن الثاني، 1148 ـ 1983، 18 ق.
ابن **حمادوش**،
*لسان المقال*، تح. سعد الله، الجزائر.
محمد **حمّوش**،
*دفتر عين علي مومن* (مذكرات سجين) مخطوط.
ع. **حميدة**،
ـ *أعلام الجغرافيين العرب*، دار الفكر، دمشق، 1980.

سليمان **الحوات**،

- *قرة العيون في الشرفاء الدباغيين القاطنين بالعيون*، مخطوط.
- *كشف القناع*، كناشة مخطوطة.

قاسم ابن **خجو**،

*ضياء النهار*، مخطوط.

علال **الخديمي**،

*أثر استقرار الأجانب بالدار البيضاء خلال القرن التاسع عشر*، أعمال ندوة الدار البيضاء، 1982.

**الخزانة الحسنية**ـ الرباط،

*محفظة مولاي عبد الرحمان بن هشام رقم 21 ـ 4520.*

**الخزانة الصبيحية**ـ سلا،

*وثائق آل بنسعيد.*

**الخزانة العامة**ـ الرباط

*وثائق آل بركاش.*

ع. ف. **خشيم**،

*أحمد زروق، و الزروقية*، طرابلس، 1980.

م. ابن أبي **الخصال**،

*رسائل ابن أبي الخصال*، تح. محمد رضوان الداية، دمشق، 1987.

ع. الله ابن **خضراء**،

*الرحلة الحجازية*، مخطوط.

إسماعيل **الخطيب**،

- *الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع*، تطوان، 1406 ـ 1986.
- *رائد الصحافة بالمغرب*، طبع بتطوان.

لسان الدين ابن **الخطيب**،

*نفاضة الجراب*، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985.

ع. الرحمن ابن **خلدون**،

*المقدمة*، *دار الفكر*، بيروت، 1981.

يحيى ابن **خلدون**،

*بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، نشر ألفريد بيل، الجزائر 1903 ـ 1910.

محند بن محمد **الخلفي**،

*رسائل أحمد الهيبة*، مخطوط.

ع. العزيز **الخلنجي**،

- *تقييد في ترجمة الشيخين محمد الخلنجي وولده عبد الله*، مخطوط.
- *شرح الصلاة المشيشية*، مخطوط.

م. بن عبد الرحمن ابن **خليفة**،

*القصر الكبير*، *أعلام فكرية* أدبية وتاريخية، طنجة، 1994.

محمد **الخمار الكنوني**،

*زماد هسبريس*، الدار البيضاء، 1987.

محمد **الخمال الطنجي**،

*رسوم عدلية شهد فيها سنة 1940*، مخطوطة.

نجاة **الخياطي**،

- *بوجعران*، *معلمة المغرب*، ج. 5، ص. 1640.
- *حباحب*، ج. 10، ص. 3303.

جون جيمس **دافيسن**،

*حركة المدارس الحرة بالمغرب*، 1919 ـ 1970، الدار البيضاء، 1991.

محمد **داود**،

*عائلات تطوان*، مخطوط.

ع. الكريم **الداودي**،

*كناشة علمية تحتوي على تسع وأربعين ورقة*، مخطوطة.

القايد الحاج محمد بن الهادي **الداودي**،

*وثائق القايد الداودي*، مخطوطة.

رضوان **الداية**،

*ابن أبي الخصال رئيس كتاب الأندلس*، سلسلة أعلام الفكر، رقم : 5.

ع. الرحمن **الدباغ**،

*معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان*، تح. محمد ماضور، تونس، 1978، ج. 3.

م. الطيب **الدباغ**،

*شجرة الأسرة الدباغية*، مخطوطة.

محمد ابن **الدراج**،

*الإمتاع والانتفاع في مسألة سماع السماع*، تح.م. ابن شقرون.

م. بن محمد **الدلائي**،

*بغية الرائي في العريف بالشيخ أبي عبد الله محمد المكي الدلائي*، مخطوط.

شمس الدين عبد الله **الدمشقي**،

*نخبة الدهر في عجائب البر والبحر*، بغداد، 1923.

بوفلوس **الدمناتي**،

*مداخلة ندوة الحركة الوطنية*، القنيطرة، أبريل، 1998.

نجيب **الدمناتي**،

*القول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع*، مخطوط، خ. ع.

يوسف **دنون**،

*قديم وحديث في أصل الخط*، مجلة *المورد*، عدد 4، سنة 1986.

محمد **دنية**،

*النسمات الندية من نشر ترجمة أبي العباس أحمد دنية*، الرباط، 1355.

گ. **دوفردان**،

*مراكش من التأسيس إلى سنة 1912*، الرباط، 1959 -مترجم جزئياً).

اوركاديو **دي لمريا**،

*نوبة الصبهان*، تطوان، 1956، ص. 29 ـ 31.

ويل **ديورانت**،

*قصة الحضارة* (مترجم) القاهرة، 1956.

عبد النبي **ذاكر**،

*الرحلة الحجوية إلى الديار الإسبانية*، مجلة كلية الآداب أگادير، العدد 7 السنة 1995.

نفيسة **الذهبي**،

*اقتفاء الأثر*، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1996.

محمد **الرايس**،

*الرحلة المرصعة ببديع اللآل في ترحال الشريف سيدي محمد الخمال*، مخطوط.

ابن **رزين**،

*فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان*، تح. م. بنشقرون، الرباط، 1981.

م. ابن **رشد الجد**،

*فتاوى ابن رشد*، بيروت، 1987.

م. ابن **رشيد**،

*إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح*، مخطوط.

*ملء العيبة*، تح. محمد الحبيب، بلخوجة، تونس، 1982.

أ. **الرفاعي**،

- *حلية الكتّاب ومنية الطلاب*، مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم 254، ج. د.
- *الجامعة العربية وقضايا التحرير*، ط. 2.

نجم الدين الأنصاري ابن **الرفعة**،

*الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان*، دمشق، 1980.

أحمد **الركراكي**،

*الشموس المنيرة في أخبار مدينة الصويرة*.

خ. الله **الركراكي السعيدي**،

*السيف المسلول على من أنكر على الرجراجين صحبة الرسول*، 1987.

عبد الله بن محمد **الركراكي**،

- السيف المسلول فيمن أنكر على الركراكيين صحبة الرسول الصويرة، 1987.

علال **ركوك**،

*الحدث التاريخي من خلال النصوص الشفوية : المقاومة وبعض أوجه التاريخ الاجتماعي 1890 - 1956*، دكتوراة، 1998.

محمد **رمضاني**،

*الأركة*، *معلمة المغرب*، ج. 1، ص. 324 - 325.

*البغل بالمغرب*، *معلمة المغرب*، ج. 5.

أندري **روسي**،

*طرابلس تحت حكم الإسبان*، ص. 58 - 59.

م. بن الصادق ابن **ريسون**،

*الاستشفاء من الالم في التلذذ بصاحب العلم*، مخطوط، خ. ح. رقم : 3585.

علي **الريسوني**،

*أبطال صنعوا التاريخ*، تطوان.

علي الغالي **الريسوني**،

*مغرب لا يقهر*، تطوان، 1992.

محمد **الريفي**،

*جواهر السماط في مناقب سيدي عبد الله الخياط*، مخطوط.

محمد بن علي **الزبادي**،

*سلوك الطريق الوارية في التلميذ والشيخ والزاوية*، مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم 245 ك.

أحمد ابن **الزبير**،

*صلة الصلة*، تح. ع. السلام الهراس وسعيد أعراب، فضالة، 1413 / 1993.

أحمد **زروق**،

*قواعد التصوف*، صححه ونقحه : م. ز. البحار وراجعه م. فرغلي، بيروت، 1992.

محمد. **الزرهوني**،

*رحلة الوافد*، الدار البيضاء، 1992.

أحمد **زروال**،

دراسة جيومورفلوجية *لدير أطلس مراكش* ...، الرباط، 1987.

معروف **زريق**،

*موسوعة الخطوط العربية وزخارفها*، دار المعرفة، دمشق، 1993.

أحمد **زكي**،

*في سبيل موسوعة علمية*، ط. ج. دار الشرق، 1994.

ع. القادر **زمامة**،

*علي بن ميمون الغماري*، مجلة الثقافة المغربية، الجزء السادس، 1972.

محمد **الزنادي**،

*دوحة البستان*، في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمان، مخطوط، خ. ع. 390 د.

قاسم **الزهيري**،

*مذكرة عن الدبلوماسية المغربية*، أرشيف وزارة الخارجية، مرقون، الرباط.

ع. الرحمان ابن **زيدان**،

*الدرر الفاخرة*، الرباط، 1356 / 1937.

*اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب اليوسفي*، فاس، 1342.

ع. **الزين**،

*العلاقات بين المدينة والبادية بحوز الرباط*، د. د. ع. في علم الاجتماع، الرباط، 1986.

يوسف، ابن **الزيات التادلي**،

*كتاب التشوف*، الرباط، تح. أ. التوفيق، 1958 ـ 1984.

. العزيز **سالم** وأحمد مختار **العبادي**،

*تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس*، بيروت، 1969.

محمد **السجلماسي** وع. الكبير **الخطيبي**،

*ديوان الخط العربي*، 1980.

العياشي **السربوت**،

*دار الضمانة*، مجلة *أبعاد فكرية*، ع 2، 1983.

يحيى **السراج**،

*فهرست*، مخطوط.

**سركيس**،

*معجم المطبوعات*، مصر، 1928.

**سعدالله**،

*تاريخ الجزائر*، 2، 438.

علي ابن **سعيد**،

ـ *اختصار القدح المعلى*.

ـ *روايات المبرزين*، تح. رضوان الداية، ص. 72.

ع. الكبير **سكيرج**،

*الخط المغربي*، مجلة الثقافة المغربية، عدد 2، سبتمبر 1947.

عبد الرحيم ابن **سلامة**،

*المغرب قبل الاستقلال*، الدار البيضاء، 1980.

رشيد **السلامي**،

*وثائق مرينية*، دراسة وتحقيق، د. د. ع. الرباط، 1989.

محمد **السنوسي**،

*السبيل المعين في الطرائق الأربعين*، مخطوط، خ. ع. 1521، 85 ـ 86.

المنهل *الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق*، مخطوط، خ. ع. 1243، ك 9.

ابن **سهل** الاشبيلي،

*ديوان ابن سهل*، تح. محمد قويقة، 1985.

التاودي ابن **سودة**،

*فهرسة*، مخطوط.

ع. السلام ابن **سودة**،

*رفع الالتباس*، مرقون.

محمد التاودي ابن **سودة**،

*زعير قديماً* وحديثاً، الجزء الأول.

عبد الرحمن **السيوطي**،

*الرحمة في الطب والحكمة*، بيروت، د. ت.

السعيد بن سعيد الخوري **الشرتوني**،

*أقرب المواد في فصيح العربية والشوارد*.

صالح **الشرقي**،
*أضواء على الموسيقى المغربية.*
*جُلْ تر المعاني*، الدار البيضاء، د. ت.
محمد ابن **شريفة**،
*ابن لبال الشريشي*، 508 ـ 582، الدار البيضاء، 1996.
**شريفي**،
*خطوط الخط حق عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجري*، الجزائر ...
ع. الله **شقرون** وآخرون،
*العربي الدغمي إبداع مغربي أصيل*، الرباط، 1996.
فتيحة **الشقيري**،
*جوانب من التطور التاريخي للخط المغربي*، الدار البيضاء، 1990.
أ. ابن الأمين **الشنقيطي**،
*الوسيط في أدباء شنقيط*، القاهرة، 1989.
مصطفى **الشهابي**،
*معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، لبنان، 1988.
م. **شويكي**،
*إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء*، دكتوراة مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 1995.
محمد **الشياظمي**،
*ضواحيها* ـ مدينة أزمور و، الرباط، 1987.
ـ *دكالة*، مدن وقبائل *المغرب*، ج. 10، تر. محمد الشياظمي، مخطوط.
أ. **الشيباني**،
*مصابيح البشرية في أبناء خير البرية*، ص. 156.
المهدي **الصالحي**،
*أعلام درعة*، مخطوط.
م. **الصباغ** القلعي،
بستان العارفين الأزهار، مخطوط، خ. ع. 243 د.
محمد **الصديقي**،
*إيقاظ السريرة بتاريخ الصويرة*، الدار البيضاء، د. ت.
صلاح الدين **الصفدي**،
*الوافي بالوفيات*، بيروت، 1997.
محمد **الصفار**،
*رحلة باريس*، مخطوط، خ. ع. رقم 113.
محمد الفاطمي **الصقلي**،
*النفحة الشمالية العاطرة الأنفاس في الرحلة الخمالية لحاضرة فاس*، مخطوط.
ح. **الطاهري**،
*تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان*، طبعة حجرية ـ فاس، 1324.
الطاهر محمد **عالوش**،
*وثائق عالوش*، مخطوطة.
محمد الصادق **عبد اللطيف**،
*الخط العربي في المغرب العربي الكبير*، المجلة *العربية*، عدد 85، 1984.
محمد ابن **عبد المنعم**،
*الروض المعطار*، بيروت، 1957.
أحمد ابن **عبود**،
مكتب *المغرب العربي في القاهرة*.
أحمد ابن **عجيبة**،
*أزهار البستان*، مخطوط.

زين الغابدين **العراقي**،

*فهرسة*، مخطوطة.

الصديق ابن **العربي**،

*مقدمة فهرس مخطوطات*خزانة ابن يوسف بمراكش، بيروت، 1414 / 1994.

محمد ابن **عرضون**،

*مقنع المحتاج في آداب الأزواج*، مخطوط.

محمد **عزاوي**،

*الغرب الإسلامي من خلال رسائله*، ق. ا (ص. 80 وما بعدها).

محمد ابن **عزوز حكيم**،

- *بطل جبالة حميد وولد السكات*، تطوان، د. ت.
- *كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى 1900)*، تطوان، 1999.
- *لماذا نطالب باسترجاع مدينتي سبتة ومليلية؟* تطوان، 1979.
- *مولاي علي ابن راشد مؤسس شفشاون*، تطوان، 1998.
- *ومضات مضيئة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني*، الرباط، 1986.

العربي **العزوزي**،

*نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية المشاهير*، مخطوط.

أحمد **عطية**،

*القاموس السياسي*، بيروت، 1974.

محمد **العلمي**،

*عبد الكريم الخطابي*، الرباط، 1968.

مصطفى **العلوي**،

*الحرب المغربية الفرنسية الإسبانية 1906 ـ 1936*، الرباط، 1994.

محمد ابن **علي الدكالي**،

- *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، الرباط، 1988.
- *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط.

محمد **العمراني**،

*سعد الشموس في مكارم الأخلاق وقمع النفوس*، مخطوط.

ابن فضل الله **العمري**،

*مسالك الأبصار*، الرباط، 1979.

م. عبد الله **عنان**،

*لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري*، القاهرة، 1954.

م. **عودة فاروق**،

*بداية ونهاية*.

ابن **العوام**،

*كتاب الفلاحة*، مخطوط.

محمد بن عبد الكريم **العيدوني**،

*يتيمة العقود الوسطى*، مخطوط.

محمد ابن **عيشون**،

*الروض العاطر الأنفاس*، تح. ز. النظام، د. د. ع. مرقون.

أبو سالم **العياشي**،

*اقتفاء الأثر*، تح. نفيسة الذهبي، الرباط، 1996.

محمد ابن **غازي**،

- *الروض الهتون*، الرباط، 1964.

أحمد **الغرباوي**،

*البحث الجغرافي والالتزام السياسي في المغرب*، البديل الرباط 1983.

م. ن. د. **الغزي**،
*الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة*، تح. ج. س. جبور، بيروت، د. ت.
ع. الكريم **غلاب**،
*التطور الدستوري والنيابي بالمغرب 1908*، 1992 ـ 1993، الدار البيضاء.
محمد خير **فارس**،
*تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب*، 1912 ـ 1939، دمشق، 1972.
ع. الحفيظ **الفاسي**،
ـ *رياض الجنة*، الرباط، 1931، ج. 2.
ـ *مختصر العروة الوثقي*، سلا، 1938.
علال **الفاسي**،
*النقد الذاتي*، تطوان، د. ت.
م. العابد **الفاسي**،
ـ *الخزانة العلمية بالمغرب*، الرباط، 1380 ـ 1960.
ـ *فهرس مخطوطات خزانة القرويين*، الدار البيضاء، 1400 ـ 1980.
محمد **الفاسي**،
*ابن خبازة*، مجلة *رسالة المغرب*، العدد 4، السنة السادسة، دجنبر 1947.
إسماعيل أبو **الفداء**،
*المختصر في أخبار البشر*، القاهرة، 1325.
**الفزاري**،
*كتاب جغرافية الفزاري*، مخطوط.
حسن **الفكيكي**،
ـ *جبالة، مجموعة البحث المتعددة الاختصاصات*.
ـ *محمد بن العربي البوگافري، معلمة المغرب*، 10 : 3096.
عبد السلام **القادري**،
*الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني*، ط. حجر فاس، 1308.
م. العربي **القادري**،
*كناشة*، مخطوطة.
محمد **القادري**،
*التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، بيروت، 1981.
أحمد ابن **القاضي**،
*المنتقى المقصور*، تح. محمد رزوق، الرباط، 1986، جزآن.
محمد المهدي ابن **القاضي**،
*النور القوي في ذكر شيخنا المولى عبد الواحد الدباغ وشيخه مولاي العربي الدرقاوي*، مخطوط.
أحمد **القسطلاني**،
*إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*، بولاق، 1276 هـ.
أحمد ابن **قنفذ**،
*شرف الطالب / موسوعة أعلام الغرب*، بيروت، 1996، ج. 2.
محمد **الكانوني**،
ـ *أسفي وما إليه قديما وحديثا*.
محمد الباقر **الكتاني**،
*ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد*، سلا، 1962.
محمد بن جعفر **الكتامي**،
سلوة الأنفاس، ط. حجر فاس، 1300.
ع. بن عبد العزيز **الگرسيفي**،
ـ *رسالة في تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة*، ملحق كتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر.
ـ *رسالة في تحقيق أوزان النقود بسوس*، ملحق بكتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر.

انسطاس **الكرملي**،

*النقود العربية والإسلامية وعلم النميات*، ط. 2، القاهرة، 1987.

إيف **لاكوست**،

- *العلامة ابن خلدون*، تر. ميشيل سلمان، بيروت، 1974.
- جريدة *لسان المغرب*، 14 فبراير 1908.

ع. **لغماري**، م. البوطاهري،

*جهة الرباط وسلا زمور زعير*، خريطة إقليم الخميسات، مخطوط.

أحمد **اللمطي**،

*الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ*، بيروت، د. ت.

موريس **لومبار**،

*الإسلام في مجده الأول*، ترجمة إسماعيل العربي، الدار البيضاء، 1990.

م. **مارتين**،

*الاستعمار الإسباني في المغرب*، 1861 ـ 1956، باريس، 1973.

ح. **المباركي**،

*الري وندرة الماء، مشكل الفلاحة العصرية بحوز مراكش*، د.د.ع. الرباط، 1987.

أحمد **متفكر**،

*ذيل الإعلام لعباس ابن إبراهيم المراكشي*، مخطوط.

**محمد مجدوب**،

- *أضواء حول تاريخ المغرب قبل العهد الفنيقي*، النشرة الأثرية، ع. 20.
- *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد* ، أطروحة مرقونة.

**مجهول** (غير مذكور)،

- *الاستبصار في عجائب الأمصار*، الدار البيضاء، 1984.
- *استراتيجية تنمية الري في أفق 2000*، (وزارة الفلاحة).
- *أعمال ندوة الحركة الوطنية في أفق سنة 2000*، كلية الآداب القنيطرة، 1994.
- *أنس العاشق ورياض الحب الوامق*، مخطوط.
- *بغية الراوي في مناقب المسناوي*، مخطوط.
- *بلغة الأمنية*، الرباط، 1984، ص. 24 ـ 26.
- *تاريخ الدولة السعدية*، تح. ج. كولان، الرباط، د. ت.
- *التعريف بنسب الشيخ الإمام سيدي أحمد بن يوسف*، مخطوط، خ. ح. 1457 د.
- *تقييد في أسر طنجة*، مخطوط.
- *تلخيص الحاوي للفتاوى*، مخطوط.
- *جهة دكالة ـ عبدة*، الحوار الوطني حول إعداد التراب، 1999، (وزارة إعداد التراب الوطني).
- *الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية*، الدار البيضاء.
- *دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب*، روما، 1998 (المنظمة العالمية للتعذية)
- *ديوان في أمداح الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي*، مخطوط.
- *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972.
- *الرباط، السكان القرويون حسب إحصاء 1971*، كتابة الدولة في التخطيط، 1973.
- *الروضة السليمانية*، مخطوط، خ. ع 1275.
- *السدود التلية*، الرباط، ماي 1988 (المجلس الأعلى للماء).
- *السكان القرويون حسب إحصاء 1982*، المنطقة الوسطى الجنوبية، (وزارة التخطيط).
- *شجرة نسب أسرة الخمال*، مخطوطة.
- *شهداء الاستقلال*، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.
- *مجموع ظهائر تتعلق بأسرة الخمال*، جائزة الحسن الثاني للمخطوطات، 1988.
- *المدونة القانونية للجماعات المحلية بالمغرب*، مراكش، 1997، الجريدة الرسمية.
- *مفاخر البربر*، تح. ليڤي بروڤنسال، الرباط، 1934.
- *المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب*، الرباط، 1911.

- *منظومة في أسرة الخمال*، مخطوطة خزانة گنون بطنجة.
- *نبذ تاريخية في أخبار البربر*.
- *ندوة البيعة والخلافة في الإسلام*، فضالة، (وزارة الأوقاف).
- *هدية السرور من الملك الخلاق في كرامة أبي القاسم بن عبد الرزاق*، مخطوط.
- *وثيقة المطالبة بالاستقلال*، 1996، حزب الاستقلال.

أحمد بن أبي **محلّي**،

*سلسبيل الحقيقة والحق في سبيل الشريعة للخلق*، مخطوط.

عبد العزيز **محمود**،

*الخط العربي الأندلسي وتطوره*، رسالة نوقشت بجامنعة الاسكندرية، كلية الآداب، 1981.

ميمون **المختار**،

*وثائق*، مخطوطة.

أ. **المريبطو**،

*المآثر الجلية في رجوع نسب أولاد العلوي للشعبة الحمودية الإدريسية الحسنية*، مخطوط.

عبد الحق **المريني**،

*دليل المرأة المغربية*.

محمد **المشرفي**،

*الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية*، مخطوط، خ. ع. رقم د. 1463.

محمد **مشيش** العلمي،

*القنيطرة ميلاد المدينة والحركة الوطنية 1913 ـ 1937*، القنيطرة، 1998.

محمد **المصلوحي**،

*الأثر الإسلامي في إبداع الخط العربي*، بحث للإجازة بكلية الآداب بالرباط، 1985، (بحث مرقون).

أحمد **معنينو**،

*ترجمة عبد العزيز الحوات*، مرقونة.

*الشيخ المجدد المبدع في فن الملحون*، مجلة البحث العلمي، ع. 28، 1977.

عز الدين **المعيار الإدريسي**،

*مقدمة نفس الصباح*، المحمدية، 1994.

محمد **المغراوي**،

*جماعة التبليغ*، معلمة المغرب، ج. 6، ص. 2266 ـ 2268.

*الخط المغربي، الإبداع والتاريخ*، (بحث مرقون، 2000).

محمد **المقدسي**،

*أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، ليدن، 1957.

محمد **المكلاتي**،

*المقامة الزهرية في مدح المكارم البكرية*، مخطوط.

أحمد **المكناسي**،

*أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب*، تطوان 1963.

الطيب بن لحبيب **الملولي**،

*تاريخ درعة*، مخطوط.

صلاح الدين **المنجد**،

*دراسات في تاريخ الخط العربي*، بيروت، 1972.

*دليل الموارد البحرية الحية في المغرب*، روما 1998، المنظمة العالمية للتغدية.

محمد **المنوني**،

- *دليل القصبة الإسماعيلية*، مجلة دعوة الحق، ع. 4، سنة 1967.
- *العلوم والآداب والفنون على عهدالموحدين*، الرباط، 1977.
- *مكتبة الزاوية الحمزية*، مجلة تطوان، ع. 8، 1963.
- *ندوة البيعة والخلافة في الإسلام*، فضالة، ج. 2، ص. 543.
- *ورقات من الحضارة المغربية*، الرباط، 1979.

ع. العزيز **منير**،

*الجهاز الحضري لدير أطلس دمنات، بني ملال، مدن صغيرة في تحول بطيئ*، د. د. ع. مرقون، الرباط، 1999.

محمد ابن **الموقت**،

*الرحلة المراكشية أو مرآة المساوئ الوقتية*، الدار البيضاء، د. ت.

*السعادة الأبدية*، طبعة حجر فاس، 1910.

المصطفى **مولاي ارشيد**،

*طنجة والمساكل الرومانية*، مجلة دار النيابة، ع. 10، 1986.

جعفر **الناصري**،

- *تقييد في آل ابن خضراء السلويين*، مخطوط.
- *ابن الخطيب بسلا*، سلا، 1988.

م. المكي **الناصري**،

*الروض الزاهر*، تح. المهدي الغالي، د. د. ع. كلية الآداب، الرباط، 1999.

عبد الله **نجمي**،

- *بين زروق ولوثر الرباطا والزوايا*، الرباط، 1997.
- *العكاكزة*، د.د.ع مرقون كلية الآداب، الرباط، 1986.
- *الملاماتية*، مجلة تاريخ المغرب، السنة الأولى 1981، ع. 1.
- *من تاريخ التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري*، مخطوط.

ح. **نصار**،

*الموسيقى والغناء في ألف ليلة وليلة*، منشورات إقرأ، مصر.

عادل **نويهض**،

*معجم أعلام الجزائر*، بيروت، د. ت.

محمد **الهبطي**،

*الألفية السنية*، مخطوط.

أحمد **هوزالي**،

*التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي*، د. د. ع. الرباط، 1987.

جورج **هوست**،

*تاريخ امبراطور المغرب سيدي محمد بن عبد الله*، تح. عبد الرحيم زحل، جريدة *العلم*، أبريل 1990.

ابن **وحشية**،

*الفلاحة النبطية*، مصورة مرانكورت.

علي **وزا**،

*دراسة جغرافية لوادي دادس*، بحث للإجازة، كلية الآداب، الرباط، 1979.

حسن **الوزان** الإفريقي،

*وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980.

حسن **الوزاني**،

*دليل الكتاب المغاربة، أعضاء اتحاد كتاب المغرب*، الرباط، 1993.

عبد الله **الوزاني**،

*الروض المنيف في التعريف بأولاد مولانا عبد الله الشريف*، مخطوط.

أحمد **الوكيلي**،

*مذكرات*، مخطوطة.

محمد **اليازغي**،

*حدائق الأزهار الندية*، مخطوط.

عبد الوارث **اليالصوتي**،

*المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب*، مخطوط، خ. ع. 5723.

الحسن **اليوسي**،

*فهرسة*، مخطوطة.

**Supplément**
**à**
**la bibliographie des ouvrages et des articles**
**cités dans l'encyclopédie**


ABDESSELAM, A. - *Ibn Khaldu, et ses lecteurs*, Paris, 1983.

ABDUL WAHAB, H. H. - *Un témoin de la conquête arabe de l'Espagne, R.T.*, 1932.

ABITBOL, M. - *Le Maroc et le commerce transaharien du 16è au 19è S. -R.O.M.M*, n° 30, 1980.

ABRE, R.D, - *Moha ou Hamou chef zaian - F.M*, n° 81, 1923.

ADIDI, A. - *Espace minier et formes de croissance : le bassin phosphatier de Khouribga* - Th. 3è cycle. Univ. Lyon III : 1986.

ADMINISTRATION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Etude de l'aménagement des nappes alfatières* - Rabat, 1983.

AGERON, C.R. - *Politiques coloniales au Maghreb* - Paris, 1973.

AIT HAMZA, M. - *L'Emigration facteur d'intégration ou de désintégration des régions d'origine* - Rabat, 1988.

AKHMISSE, M. - *Hommes et choses de Smara* - Rabat, 1987.

ALARCON, S. M. - GARCIA, L. R. *Los Documentos arabes diplomaticos del Archivo de la Corona* - Madrid, 1940.

AL AZMEH, A. - *Ibn Khaldun : an essay in interpretation.* - Londres, 1980.

AL AZMEH, A. - *Ibn Khaldun in modern scholarship.* - Londres, 1981.

ALAOUI [et al...], - *Salé cité millénaire*, Salé, 1997.

AL BARRACIN, N. - *El Hayk in la zona attantica - Tamuda*, 2, 1954.

ALKOUFFE, A. - *Tafilalet : étude de la nappe phréatique de Rissani.* - (Rapport).

ALLAIN, C. - *Une organisation agricole almohade - Hesp.* , 2è - 3è trim. , 1954.

*Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunes reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde et siglo XIII hasta. al XV* - Madrid, 1974.

*Au Maroc avec le Colonel De Castries : exposition comménorative du cinquantenaire de la collection des Sources Inédite de l'Histoire du Maroc. , 1905-1955* - Rabat, 1955.

AYDOUN, A. - *Musiques du Maroc.* - Casablanca, 1992.

BAHIR. - *Le Changement spatial, economique et social dans les communes rurales de la Wilaya de Casablanca.* - Montpellier, 1992.

BAIDA, J. - *La Presse marocaine d'expression française : des origines à 1956.* - Rabat, 1996.

BANQUE DU MAROC. - *Caractéristiques des monnaies marocaines en argent frappées entre 1881 - 1920* - Rabat (Ronéot.)

BARBIER, M. - *Voyages et explorations au Sahara occidental* - Paris, 1985.

BARTHELEMY, A. - *Tazra, tapis et bijoux de Ouarzazate* - Aix-en-Provence, 1990.

BELLAKHDAR, J, (et al...). - *Tissint : une oasis du Maroc présaharien* - Rabat, 1992.

BELLAOUI, A. - *Le Dir septentrional à l'Adrar N'Dern : un espace de transition en pleine mutation in les Régions de piedmont au Maghreb - Etudes méditerranéennes*, n° 18, 1994.

BENABID, A. et CUZIN, F. - *Population de dragonniers au Maroc ; valeurs taxinomique, biogéographique et phytosociologique. C-R Académie des Sciences de Paris.* 1977.

BEN CHEIKH, J. E. - *La Poétique arabe* - Paris, 1975.

BENHALIMA, H. - *Sefrou : de la tradition du Dir à l'intégration économique moderne : étude de géographie urbaine.* - Th. 3è cycle : Montpellier : 1977.

BENHIMA, M. - *La Cité de Derb Jdid.* 1959.

BERNARDO DA CRUZ, Fr. - *Chronica del Rey Don Sabastian* - Lisboa, 1837 - 1903.

BENNASSAR, B, et L. - *Les Chrétiens d'Allah : l'histoire extraordinaire des renégats, 16è et 17è S.* - Paris,

BENSLIMANE, J. - *Les Equipements commerciaux de détail à Casablanca : leur role dans l'organisation de*

*l'espace*. - Th. 3è cyle : Géo : Paris II. 1982.
BERQUE, J. - *Cent vingt-cinq ans de sociologie maghrebine. - Annales: E.SC,* Juil - Sept 1956.
BERTI, V. - *Les Evenements de Casablanca, 5 Août 1907. - France Outre* - Mer, Août - Sept 1953.
BERNARD, A. - *Une nouvelle carte du Maroc - Bull. Soc. Géo. Archéo. d'Oran,* T. 17, Fasc. 72, 1907.
BERTRAND, P. Y. - *Les Noms de plantes au Maroc* - Rabat, 1997.
BIDWELL, R. - *Morocco under colonial rule : French administration of tribal rule, 1912 -1956* - London, 1973.
BIREBENT, J. - *Aquae Romanae : recherche d'hydraulique Romaine dans l'est algérien* - Alger, 1962.
BOLOMAC, N. de - BOGROS, D. - *L'Arabe ; premier cheval de sang* - Paris, 1978.
BONJEAN, M. - *L'Epidémiologie du paludisne au Maroc* - Rabat, 1947.
BOSSARD, P. R. - *Mouvements migratoires dans le Rif oriental : le travail en Europe. Aspect contemporain majeurs des migrations dans la province de Nador.* - Th. 3è cycle : Montpellier : 1978.
BOSSAVY, M. - *L'Economie montagnarde chez les Aït Seri du Tadla - R.G.M,* n°1, 1939.
BOUASLA, E. - *La Zaouia tunisienne des Doukala : histoire sociale et économique, 18è - 20è S -H. T,* Vol. 28, 1990.
BOUBEKRAOUI, M.E.H. - *La Crise des palmeraies de la plaine du Tafilalet.* - Toulouse, 1983.
BOUGIS, P. - *Le Plancton* - Paris, 1977.
BOUHAMIDI, A. - *Le Village des Asphodèles in Littérature de langue française hors de France,* n° hors série.
BOURGUIBA, H. - *La Tunisie et la France* - Paris, 1954.
BRAUDEL, F. *Civilisation matérielle, économique et capitalisme, XV - XVII siècle* - Paris, 1979.
BROCKEL MANN. - *Geschichte der Arabischen Literatur* - Leyde, 1937 - 1949 - 5 vol.
BROWN, K. - *Résistance et nationalisme in Abd-el-Krim et la République du Rif* - Paris, 1973.
CAMPS. FABER, H. - *L'Origine des fibules en Afrique du Nord - R.O.M.M,* n° 13 - 14, 1973.
CANAL, J. - *Les Troubles de la frontière marocaine - Bull. Sc. Géo. Archéo d'Oran,* T. 6, Fasc. 29-30, Mars-avril 1886.
CAPAZ, F. - *Caberillas rebeldes de Gomara* - 1949.
CAPDEFERRO, M. - *Historia de Cataluna* - Barcelona, 1967.
CAPMANY Y MONPALAU, A. de - *Memorias sobre la marina, comercio y artes de Barcelona* - Madrid, 1779 - 1792, 4 vol.
CASODO, R. - *Politica marroqui de Carlos III* - Madrid, 1946.
CELERIER, J. - *L'Economie montagnarde dans le Moyen Atlas - R.G.M,* n° 1, 1939.
CELERIER, J. - *Le Maroc* - Paris, 1946.
CELERIER, J. - *La Montagne au Maroc : essai de définition et de classification - Hesp.* , 1938.
CENIVAL, P. de - *Le Comte Henry de Castries - Hesp.* VII, 3è trim. 1927.
CENIVAL, P. de - *La Légende du juif Ibn Mechaal et la fête du Sultan des Tolba à Fès - Hesp.* , 2è - 3è trim. 1954.
CHAMPION, M. - *Les Finances publiques au Maroc* - Rabat, 1961.
CHATINIERES, P. - *Dans le Grand Atlas.* Paris, 1919.
CHEDDADI, A. - *Ibn Khaldun revisité* - Casablanca, 1999.
CHEVALIER, J - GHEERBRAN, A. - *Dictionnaire des symboles* - Paris, 1974.
CHICHE, J. - *Contibution à l'étude de l'élevage dans le sud - est marocain, in Actes du collogue international : intégration économique des provinces sahariennes et développement national, Rabat, 9-10 Juillet 1984.* - Casablanca.
CHOUIKI, M. - *Systeme de santé et inégalités socio - spatales à Casablanca - R.G.M,* vol. 13, n° 1, 1989.
C.I.F.M. - *Etude sur les populations habitants dans les cités construites par la Compagnie Immobilière Franco - Marocaine* - Casablanca, 8 Oct. 1950.
CLEMENT, J.F. - *Tanger avant le statut international - Horizons maghrébines,* n° 31 - 32, 1996.
COLIN, G.S. - *Des juifs nomades retrouvés dans le Sahara marocain au 16è S. , in Mélanges d'études luso marocaines* - Lisbonne - Paris, 1945.
COLIN, G. S. - *Fès, port de mer - B.E.P.M* n°, 183, 1945.

CONJEAUD, M.H.G. - *Histoire militaire de la Chaouia depuis 1894* - Casablanca, [s.d].
CROIZARD, M - GALANTE, P. - *Les Hommes bleus au Maroc* - Paris, 1956.
CUBELLS, M. - *Documentos diplomaticos aragoneses. Revue Hispanique*, 37, 1916.
DALCHE, G, [el al ...] - *Villes et montagnes marocaines* - Rabat, 1964.
DAOUD, Z - *Amine Demnati - Lamatif*, n° 18, mars 1968.
DARMON, J. P. - *Nymphorum Domus : les pavements de la maison des Nymples à Neapolis et leur lecture*. Leiden, 1980.
DAWOOd, N.J. - *Ibn Khaldun : The Muqaddimah*. - Londres, 1967.
DE GAULLE, Ch. - *Mémoires de guerre* - Paris, 1958 - 1959.
*De Gaulle et le Maroc*, textes recueillis par M. Sehimi - Paris - Rabat, 1990.
*De Gaulle et le Tiers-Monde* - Paris, 1984.
DENOUN, D. - *Notice sur la tribu arabe saharienne des Aribs* - [s.l], 1929.
DESNOTTES, J - CELERIER, J. - *La Vallée de Debdou. - La Geographie*. vol. 50.
DESPOIS, J. - *L'Utilisation du sol dans les montagnes du Maghreb. - Acta Geographica*, 2è - 3è Trim. 1963.
DEVERDUN, G. - *Glaoua - E.I*, 2.
DEVILLETTE, J. - *Bijoux - E.B*, vol. 10.
*Diccionario enciclopedico Salvat* - Madrid, 1920.
DIEZ, E. - *L'Art de l'Islam*. - Paris, [s.d].
DOGHMI, M. - *Le Rôle de la Banque du Maroc dans le système monétaire et bancaire* - 1966.
DOTOUT, O. - *Extension saharienne du type Mechta - Afalou. - Cah. ORSTOM. (Géo)*, 14, 2, 1984.
DOULS, C. - *Voyages d'exploration à travers le Sahara occidental - Bull. Soc. Géo*, 3è trim. 1888.
DOUTTE, E. - *Les Djebalas du Maroc d'après les travaux de M.A. Mouliéras* - Oran, 1899.
DOUTTE, E. - *Enquête sur la dispersion de la langue berbère en Algèrie* - Alger, 1913.
DOUTTE, E. - *L'Islam algérien en l'an 1900* - Alger, 1900.
DOUTTE, E. - *Magie et religion dans l'Afrique du Nord* - Alger, 1909.
DOUTTE, E. - *Marrakech* - Paris, 1905.
DOUTTE, E. - *Notes sur l'Islam maghrebin : les Marabouts* - Paris, 1900.
DOZY, R - ENGELMANN, W. H. - *Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe* - Beyrouth, 1974.
*Dubdu - E. I*, vol. 2.
DUFOURCQ, Ch. E. - *Catalogue chronologique et analytique du registre 1389 de la chancellerie de la couronne d'Aragon intitulé Guerre Sarracenorum 1367 - 1386. in Miscelanea de textos Medievales* - Barcelone, 1974.
DUFOURCQ, Ch. E. - *L'Espagne catalane et le Maghrib aux 13è et 14è siècles* - Paris, 1966.
DUFOURCQ, Ch. E. - *La Question de Ceuta au 13è siècle- Hesp.* 1er 2è trim. 1955.
DUFOURCQ, Ch .E. - *Vers la Méditérranée orientale et l'Afrique, in Xe Congreso de Historia de la Corona de Aragon* - Zaragosa, 1976.
ECOCHARD, M. - *Casablanca : le roman d'une ville* - Paris, 1955.
EDDIANI, [et al...]. - *Evaluation économique à postériori des petits barrages réalisés entre 1984 et 1986* - Rabat, 1988.
EL GHALAMI, M. - *Planification urbaine et actions économiques des collectivités locales* - Mem. INAV : Rabat, 1998.
EL GHARBAOUI, A - *Cartographies et géographes arabo-musulmans aux temps de leurs splendeurs - Rev. Esp. Geo. et Soc. Ma.*, 1999.
EL HAJRAOUI, M.A. - *L'Industrie osseuse atérienne de la grotte d'El Mnasra ( région de Temara, Maroc)* - Tours, 1994.
EL HARRADJI, A. - *Le Massif de Debdou : étude géodémographique* - Th. 3è cycle : Paris I : Géo : 1985.
EL HARRADJI, A. - *Structure géologique et évolution géomorphologique du Massif de Debdou, Maroc oriental -R.G.M.* 1996.
ELKHIATI, N. - *Biotypologie et biogéographie des charophycées du Maroc. - Doct d'Etat : Fac. Sc : Marrakech :* 1995.

EL KRARI, J. - *Le Sciage du cèdre au Maroc : etude technico - économique* - Mem. 3è cycle : INAV : Rabat : 1989.

EL MOUNTASSER, A. - *La Croissance urbaine de Casablanca : étude des facteurs économiques et psychosociologiques*. - Th. 3è cycle : Paris VIII : 1980.

EMBERGER, L. - *Les Arbres du Maroc et comment les reconnaitre* - Paris, 1938.

EUSTACHE, D. -*Corpus des dirhams idrisites et contemporains*. - Rabat, 1970.

EUSTACHE, D. - *Histoire de la monnaie arabe et sa métrologie* - Rabat, 1970 - (Ronéot).

EUZENNAT, M. - *Remarques sur la description de la Maurétanie Tingitane dans Pline - Antiquités africaines*, 25, 1989.

EUZENNAT, M. - *Volubilis : nouveaux documents - B.A.M*, 2.

FABIEN, F. - *Le Maroc au bout de ma seringue* - Rabat, 1988.

FAMCHON, Y. - *Le Maroc d'Algésiras à la souveraineté économique* - Paris, 1957.

FARAJ, A. - *Contribution à une étude quantitative et qualitative des proteines de l'agarophyte Gélidum sesginpedale* - Doct. 3è cycle : Fac. Sc : Rabat : 1987.

FEREMBACH, D. - *Les Cromognoides de l'Afrique du Nord, l'Homme de Cromagnon* - Paris, 1970.

FEREMBACH, D. - *Diagrammes craniens sagitaux et mensurations individuelles des squelettes ibéromaurusiens de Taforalt* - Paris, 1965.

FERHAT, H. - *Sabta : des origines au XIV° siècle* - Rabat, 1993.

FISCHEL, W. J. - *Ibn Khaldun and Tamerlane : their historic meeting in Damascus 1401 AD = 803 HA* -Los Angeles, 1952.

FISCHEL, W. J. - *Ibn Khaldun in Egypt 1382 - 1406 : his public functions and his historical research* - Berkeley, 1967.

FRANCHI CONSETAGGIO, J. - *L'union du royaume de Portugal à la Couronne de Castille - S. I.H.M, France*, pp. 506 -570.

FROIDEVAUX, H. - *Henry de la Croix, Comte de Castries - Larousse, mensuel illustré*, T. 7, n° 249, Nov. 1927.

GARCIA, L. R. - *Cronica de Don Pedro IV de Aragon,* - Toulouse, 1942.

GATINEAU, L. - *Notes sur le montage d'une cure à indigo - C.A.T.A.N*, n° 5, 1959.

GAUDIO, A. - *Fès joyau de la civilisation islamique* - Paris, 1982.

GAUTIER, E. F. - *Medinat -ou- Daï - Hesp.* , 1926.

GAUTIER, E. F. - *Le Sahara* - Paris, 1950.

GAYRAL, P. - *Algues de la côte atlantique marocaine - La Nature au Maroc*, n° 2, 1958.

GAZULLA, F. - *Jaime I y los estados musulmanos* - Barcelona, 1919.

GAZULLA, F. - *Livre del feyts : Cronica de Don Jaime I* - Barcelona, 1926.

GELLNER, E. - *Muslim society* - Cambridge, 1981.

GENTIL, L - *Dans le bled Essiba* - Paris, 1906.

GIBB, H. A. R. - *Islamic background of Ibn Khaldun's political threory - BSOAS*, VII, 1933 - 1935.

GIBB, H. A. R. - *Studies on the Civilisation of Islam* - Londres, 1962.

GOICHON, A. M. - *La Vie féminine au Mzab*. Paris, 1927.

GOUDINEAU, Ch. - *La Céramique arétine lisse : fouille de l'Ecole Française de Rome*. - Paris, 1968.

GOULVEN, J. - *La Place de Mazagan sous la domination portugaise* - Paris, 1917.

GRAS, M. - *La Mémoire de Lixus : de la fondation de Lixus aux premiers rapports entre Grecs et Phéniciens* - Rome, 1992.

GRAND, R. - *La Gréce et l'Orient* - Paris, 1964.

GUENNOUN, S. - *Les Voix des monts : moeurs de guerre berbères* - Rabat, 1934.

HADDADOU, M. A. - *Guide de la culture et de la langue berbères* - Alger, [s.d].

HAJOUI, M. O. - *Histoire diplomatique du Maroc, 1900 - 1912* - Paris, 1938.

HAKAM, A. - *La Cartographie au Maroc. Le Topographe*, n° 4, Mars 1984.

HAMDOUCH, B. - *Spécialisation subie et sous-développement au Maroc* - Casablanca, 1983.

HART, D. - *De Ripublik à République - in Abd-el- Krim et la République du Rif*. - Paris, 1973.

HARTL, E. - EDWARD, Y. - *Races et types de chevaux* - Paris, 1977.
HAULOTTE, E. - *Symbolique des vêtements*. Paris, 1964.
HENINGER, R. - *Notes sur l'Akhnif - C. A. T. A. N*, n° 7, 1974.
HERBER, J. - *Les Hmadcha et les Dghoughiyyin ; Hesp*, T. III, 1923, 2° trim. ,
HEROUARD, E. - *Holothuris de la côte atlantique du Maroc et de Mauritanie - Bull. Soc. Sc. Nat. Phys. Maroc* - Rabat, 1929.
HIRSCHBERG, H. - *A history of the jews in North Africa* - 2° ed. - Leiden, 1974.
HMAM, M. - *La Cartographie au Maroc : situation et perspective - Topographe et foncier*, n° 2, Juillet 1992.
HNAKA, A. - *Taroudant et Ouled Taïma, bipôle urbain du Souss* - Agadir, 1995.
HOLSTEAD, J. P. - *Revialth of Nation : the origins and rise of moroccan nationalism, 1912 - 1944* - Harvard, 1967.
IBN KHALDOUN. - *Discours sur l'histoire universelle*, Trad. V. Monteil - Beyrouth, 1967 - 3 vol.
IBN KHALDOUN. - *Histoire des Berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique Septentionale* - Paris, 1852 - 4 vol.
IBN KHALDOUN. - *Peuples et nations du monde, extraits des 'Ibar*, Trad. A. Cheddadi - Paris, 1986 - 2 vol.
IBN KHALDOUN. - *Les Prolégomènes*, trad. en français et comment. De Slane. - *Notices et extraits*, vol. 19 - 21, 1862 - 1868.
IBN KHALDOUN. - *Le Voyage d'Occident et d'Orient : autobiographie*, Trad. A. Cheddadi. - Paris, 1980.
Al - IDRISSI, *le Maghreb au 6° siècle de l'Hégire*. Traduction M. Sadok - Paris, 1983.
*L'Iindustrie du tannage des peaux au Tafilalet - B. E. M*, vol. 3, 1936.
JACQUETON, G. - *Henry de Castries et son oeuvre* - Paris, 1917.
JODIN, A. - *Les gravures rupestres du Yagour ( Hau t - Atlas) : Analyse stylistique et thématique. B. A. M, T. V*
JOLY, F. - *Place des pays de pièmont dans la vie économique et humaine du Maroc. - Notes marocaines*, n° 13, 1960.
JOLY, F. - *Les Régions géographiques du Maroc - I.G*, n° 2, 1950.
JOLY, F - MARGAT, I. - *Remarques sur les bassins hydrauliques du Ziz et du Ghriss* - Rabat,
JOUMADY, K. - *Casablanca : métropole économique du Maroc* - Doct. : Bordeaux III : 1988.
JULIEN, C. A. - *L'Afrique du Nord en marche : nationalismes musulmans et souveraineté française* - Paris, 1952.
KAIKAI, I. M. - *L e Commerce des bois tropicaux au Maroc, evolution et perspective* - Mem. 3è cycle : Ecole Nationale Forrestière d'Ingénieur : Salé : 1995.
KATAN, Y. - *Oujda. une ville frontière du Maroc* - Paris, 1990.
KERBOUT, M. - *L'Eau dans le Dir de l'irrigation sociale à l'rrigation économique, la pénurie, ses conséquences et les stratégies d'adaptation, in Les Régions de piemont au Maghreb. - Etudes méditerranéennes*. n° 18, 1994.
KERBOUT, M. - *Originalité des zones de piémont : le cas du Dir du Moyen Atlas - G. E. M : géographie humaine* - Rabat, 1987.
KERBOUT, M. - *Les Périmètres irrigués du Dir moyen atlasique septentrional d'Agouraï à Al Manzal : étude géographique*. Th. 3 è cycle : Tours : 1981.
KIDD, J. - *L'Elevage des chevaux et des poneys* - Paris, 1977.
KIDOU, B. - *Contribution à l'étude démographique de la population urbaine du Grand Agadir*. - Th. Doct. : Lille : 1994.
KOUADRI, M - RICARD, P. - *Procédés marocains de teintures des laines* - Rabat, 1938.
LABICA, G. - *Politique et religion chez Ibn Khaldun* - Alger, 1968.
LA CHAPELLE, F. de - *Le Sultan Moulay Ismaïl - A.M*, 1927.
LACOUTURE, J. - *Cinq hommes et la France* - Paris, 1961.
LADREIT DE LA CHARRIERE. - *Les Procédés d'irrigation dans la plaine du Haouz de Marrakech - La Nature*, n° 1149, 1910.
LAGDIM SOUSSI, My B. - *Les Activités artisanales à Marrakech et leurs retombées économiques : étude géographique*. - Tours, 1984.
LASQUETTI. - *Episodios de la campana del Lucus* - Tetuan, 1929.

LAVOIX, H. - *Catalogues de monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale* - Paris, 1891.
LAWRENCE, B. B. - *Ibn Khaldun and Islamic ideology* - Leyde, 1984.
LEBOUTEUX, A. - *Regards sur le passé* - Paris, 1974.
LEMOINE, P. - *Le Royaume de Marrakech. - Bull. Soc. Géo,* Juil. 1905.
LEMPRIERE, G. - *Voyage dans l'Empire de Maroc* - Paris, 1801.
LE TOURNEAU, R - PAYE, L. - *La Corporation des tanneurs et l'industrie de la tannerie à Fès* - *Hesp.* vol. 20, fasc 2, 1935.
LE TOURNEAU, R. - *La Vie quotidienne à Fès* - Paris, 1965.
LOMBARD, M. - *Arsenaux et bois de marine dans la Méditerranée musulmane, 7è - 11è S. in Le navire et l'économie maritime du Moyen Age au 18è S. , Travaux du 2è colloque int. d'hist. marit.* - Paris, 1958.
LOZE, M. - *Les Finances de l'Etat.* - Rabat, 1971.
LOURIDO DIAZ, R. - *En torno al ensanche de limites de Ceuta en 1782 - H.T*, 1982.
LOURIDO DIAZ, R. - *Los Misioneros franciscanos y su participacion en el tratado de paz hispano marroqui de 1767 - Archivo Ibero - Americano*, 133, 1974.
LYAUTEY, H. - *Lyautey l'Africain.* - Paris, 1953 - 57, 4 vol.
MAHDI, M. - *Ibn Khaldun's philosophy of history* - Londres, 1957.
MAJDOUB, M. - *La Luttes du début du 1er siècle Av. J. C au nord de la Maurétanie*- Rome, 1992.
MARAINI, T. - *Ecrit sur l'art* - Rabat, 1990.
MARTINI, J. - *Les Potentialités agro - pastorales du Moyen Atlas Central : première approche cartographique - RGM.* vol. 20, n° 1 - 2, 1986.
MASSIGNON, L. - *Tarika - E. I,* 1987.
MATEU Y LLOPIS, F. - *Nota para estudio de los origines del sistema monetario espanol - numisma*, année 14, n° 67, Marzo - Abril 1964.
MAS-LATRIE, L. DE -*Traités de paix et de commerce concernant les relation des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentionale au Moyen-Age* . - Paris, 1866.
MAUNY, R. - *Autour de la répartition des chars rupestres du Nord - Ouest africain - in Congrés panafricain de préhistoire, Actes de la 2è session* - Alger, 1952.
MC CARTHY. - *Africa antiqua : lexique de géographie comparée de l'ancienne Afrique - R. A*, 1887.
MEDIANO, F. R. - *Familias de Fez* - Madrid, 1995.
MENIOUI, M. - *Diversité biologique de la faune marine du Maroc* - 1997.
MENIOUI, M - *Peuplements infralittoraux superficiels des côtes atlantoméditerranéennes du Maroc : étude faunistique, écologique et biogéographique* - Th. : Sc. : Rabat.
MERCANTON, J - ROUGET, B. - *Maroc : terre et ciel.* - Lausanne, 1954.
MICAUD, E. Ch. - *Arabs and berbers : from tribe to nation in North Africa* - London, 1973.
MICHAUX - BELLAIRE, E. - *Les Crises monétaires au Maroc - R. M. M.*, vol. 38, mars 1920.
MICHAUX - BELLAIRE, E. - *L'Organisation des finances au Maroc - A.M*, vol. 11, 1905.
MIEGE, J. L. - HUGUES, E. - *Les Européens à Casablanca au 19è S, 1856 - 1906,* Paris, 1954.
MIEGE, J. L. - *Les Origines du développement de Casablanca au 19è S. - Hesp.* 1953.
MIEGEVILLE, Dr - *La Situation économique de la région de Béni Mellal. - R.G.M*, 4, 1927.
MINER, H. - *Le Déclin des corporations de Fès, B.E.S.M*, Vol - 3, n° 109, Avril - juin 1968.
MINISTERE DES PECHES MARITIMES. - *La Mer en chiffres : synthèse 1995* - Rabat, 1995.
*Monographie de la province de Khouribga* - Khouribga, 1994.
MOSQUETERO, R, [el al ....]. - *Moluscos de la ria de Vigo II - Rev. de Sciencia del Mar*, 1990.
MOULAY RCHID, M. - *Le Maroc septentional selon Claude Ptolémée - R. G. M*, 3, 1979.
M'RABET, K. - *Peinture et identité, l'expérience marocaine* - Paris, 1987.
NACIRI, M. - *Déterminants et contextes de la production du savoir géographique au Maroc de la fin du 19e au milieu du 20e siècle,* in *la recherche géographique sur le Maroc*, Rabat, 1989.
NASSAR, N. - *La pensée réaliste d'Ibn Khaldun,* Paris, 1967.
NIETO, L. de. - *Relación de las guerras de Berberia y del succeso y muerta del Rey Don Sebastian - Codoin,* vol. 100.

NOIN, D. - *Casablanca - La Documentation Française*, n° 3797, 3798, 1971.

NOLLY, E. - *Gens de guerre au Maroc.*

OJEDA, L. - *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian - S.I.H.M., France* I.

O.R.M.V.A.H. - *Les Ressources naturelles et la mise en valeur actuelle de la plaine du Haouz R.G.M.*, n° 17, 1970.

O.R.T. - *La Filière bois au Maroc : étude de la production et la commercialisation du bois et des produits derivés - Projet Gharb Mamora*, 1992.

OUMLIL, A. - *L'Histoire et son discours : essai sur la methodologie d'Ibn Khaldun* - Rabat, 1979.

OVED, G. - *La Gauche française et le nationalisme marocain* - Paris, 1984, 2 vol.

PALACIO ATARD, V. - *Primeras negociaciones entre España y Marruecos en 1765 - Hispania,* 11, 1951.

PALLARY, P. - *Classification générique des mollusques terrestres et d'eau douce de la Berberie - Journal Conchyl,* n° 83, 1939.

PALEOLOGUE, M. - *Un grand tournant de la politique mondiale*, 1904 - 1905 - Paris.

PERETIE, M. A. - *Les Médersas de Fès, - A.M.*, vol. 18, 1912.

PEREZ, L. - *La Corona de Aragon y el Maghreb en el siglo 14, 1331 - 1410* - Barcelona, 1955.

PEREZ, R. - *Ibn Khaldun : la voie et la loi ou le maitre et le juriste* - Paris, 1991.

PEYRONNET, R. - *Livre d'or des officiers des affaires indigènes* - Alger, 1930.

PICHON, J. - *El Herri* - Paris, 1936.

PLANHOL, X. de - *Caractères généraux de la vie montagnarde dans le Proche - Orient et dans l'Afrique du Nord - A. G*, vol. 71, n° 384, 1962.

PLOQUIN, Ph. - PEURIOT, F. - *Les Chevaux du Royaume.* - Paris, 1990.

PONSICH, M. - *Exploitation agricoles romaines de la région de Tanger - B. A. M, V*, 1964.

PONSICH, M. - *Le Musée Michaux - Bellaire à Tanger - B. A. M,* IV, 1960.

POUE - CHANTAIL, R. - *Biologie animale : zoologie invertebria*. Paris, 1962.

PROST, H. - *Le Plan de Casablanca - F. M*, n° 8, 1911.

RAGGABI, A. - *Promotion immobilière et production de logement en milieu urbain : cas de l'opération Dar Dmana* - Mem. INAV : Rabat : 1985.

RAMDANI, M. - ELKHIATI, N. - *FLore et faune marines du Maroc, biodiversité, biogéographie - Expo 96. Lisbonne* - Rabat, 1998.

RAMDAN. , M - DAKKI, M - KHARBOUA, M, [et al...] - *Les Gasteropodes dulcicoles du Maroc, inventaire commenté. - Bull Inst. Sc.* , n° 11, 1987.

RAYNAUD, L. - *Etudes sur l'hygiène et la médecine du Maroc.* - Alger, 1902.

REBUFFAT, R. - *Recherches sur le Bassin de Sebou. 2 : Le périple d'Hannon. - B. A. M*, 16, 1985 - 1986.

RENAUD, H. P. J. - *Trois études d'hisoire de la médecine arabe en Occident - Hesp,* vol. XII, fasc.2, 1931.

*Répertoire alphabétique des tribus et confédérations du Maroc*, - Rabat, 1939.

REZETTE, R. - *Les Partis politiques marocains* - Paris, 1955.

REVOIL, P. - *Journal tenu pendant la conférence d'Algésiras, 12 janvier - 9 avril 1906* - Paris, 1939.

RIVET, D. - *Commandement français et ses réactions vis - à - vis du mouvement rifain, 1924 - 1926 - in Abd-el-Krim et la République du Rif* - Paris, 1973.

ROBLES, R. - *Implantation humaine dans le Dir de Béni Mellal - R. G. M.* n° 8, 1965.

ROSENTHAL, F. - *Ibn Khaldun : the Muqadimah an introduction to history* - Princeton, 1958 - 3 vol.

ROUGET, B. -*Voyges à travers l'histoire du Maroc* - Casablanca, 1958

ROUX E. J. - *Le Cheval barbe.* - Alger, 1987.

ROY, A. - *La Laine* - Paris, 1946.

RUMEN DE ARMAS, *Espana en el - Africa atlantica* - Madrid, 1957. ,

SALAS, J. de - *Marina espanola de la edad media*, 2è éd. - Madrid, 1925 - 1927.

SALAVERT Y RACA, V. - *La Corona de Aragon en el mundo mediterraneo del siglo 14* - Valencia, 1967.

SALMON, G. - *Notes sur Salé - A. M., III*, 1905.

SANS BARTHELONY. - *L égende marocaine au sujet de Dar el Beida, nom arabe de Casablanca. - Bull, Trim. Soc. Géo. d'Archéol. d'Oran*, vol. 45, 1925.

SAULNIER, J. - *Beni Mellal - BSGM*, N° 2, 1916.
SCHMITT, P. - *La plus ancienne carte géographique du Maroc - B. A. M., II*, 1977 - 78.
SEBAULT, P. L. - *Les Amitiés africaines et les Diar el Askri du Maroc.* - C. H. E. A. M, N° 717.
SERIEYX, Col. - *L'Oeuvre des amitiés africaines - Nlle Rev. Franç. d'Outre - Mer*, n° 6, Juin 1955.
SIDBON, B. B. - *La Question monétaire au Maroc* - Paris, 1921.
SIJILMASSI, M. - *L'art contemporain au Maroc* - Paris, 1989
SJOSTROM, E. - *Wood Chemistry : fundamentals and applications* - London, 1981.
SLANE, W. M. de - *Autobiographie d'Ibn Khaldoun - J. A*, 4è série, III, 1844.
SLANE, W. M. de - *Autobiographie d'Ibn Khaldoun* - in *Notices et extraits*, vol. 19, 1863.
SLOUSCH. - *Les Juifs de Debdou - R. M. M*, 1913.
SOLER, G. - *La Corona de Aragon y Granada - Boletin de la Real Academia de Buenas Letras de Barcelona*, T. 3, 1905 - 1907.
SOURDON, - *Le Marocain, son âme et sa ville* - Paris, [s. d]
SPILLMANN, G. - *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Draa.* - Rabat, 1936.
STEWEST, CH. F. - *The Economy of Morocco 1912 - 1962* - Harvard, 1964.
STOUKY, A. - *Un pro de la diplomatie, Le Matin du Sahara*, 28 - 8 - 2000.
SWEARINGEN, W. D. - *Moroccan mirages*, 1912 - 1986 - Princeton, 1987.
TAG, B. - *Les Hauts Plateaux du Maroc oriental : la destruction du nomadisme et ses conséquences - Revue Fac. Lettre de Fès*, N. S, n° 1, 1985, Départ. Géo.
TAIEB, M. - *L'Industrie de la chaussure au Maroc* - Rabat, 1961.
TALBI, M. - *Ibn Khaldun et l'histoire* - Tunis, 1973.
TARDIEU, G. - *La Conférence d'Algésiras : histoire diplomatique de la crise marocaine* - Paris, 1907.
TARRIOT - *Monographie de Casablanca de 1907 à 1914* - Casablanca, 1924.
TAXONERA, L. de - *El Duque de Riperda* - Madrid, 1945.
TAYLOR, A. J. P. - *La Conférence d'Algésiras - Rev. Historique*, T. 208, 1, oct. déc. 1952.
TILLON, G. - *Le Harem et les cousins* - Paris, 1966.
TISSOT, Ch. - *Itinéraire de Tanger à Rabat - Bull. Soc. Géogr.* (Paris), 1876.
TISSOT, Ch. - *Sur les monuments mégalithiques et les populations blondes du Maroc - Rev. anthropol.* V, 1876.
TOUTAIN, J. - *Cultes païens dans l'empire romain.*
TRIMINGHAM, J. S. - *The Sufi order in Islam* - London, 1971.
TROUSSET, P. - *L'Image de nomade saharien dans l'historiographie antique - Bull. de l'équipe d'écologie et d'anthropologie des sociétés pastorales.* CNRS, n° 10, 1982.
TROUSSI, De. - *Les Rhétaras de Marrakech - F.M.*, 1919.
TROUT, F.E. - *Morocco saharian frontiers* - Genève, 1969.
VIDALENC, G. - *L'Art marocain* - Paris, 1925.
WEISGERBER, F. - *Contribution à l'histoire de la cartographie marocaine - R.G.M.*, vol. 7, Fasc. 7, 1928.
WESTER MARCK, E. - *Histoire du mariage* - Paris, [s.d.].
WINKLER, J.R. - *Coléoptères : atlas illustré* - 2e éd. - Paris, 1973.
WOOL MAN, D. S. - *Rebels in the Rif : Abdelkrim and the rebellion* - London, 1968.
YATA, A. - *Presse démocratique au Maroc : bilan et difficultés* - Casablanca, [s.d.].
YVERT, B. - *Dictionnaires des Ministres, 1789 - 1989* - Paris, 1990.
ZURITA, J. de. - *Anales de la Corona de Aragon* - Zaragoza, 1669

**الحسن الثاني** (1929 ـ 1999)(*)، ملك المغرب الراحل طيب الله ثراه، امتد عهده من 1961 إلى 1999، وذاع صيته وطأطأت له الرقاب داخل البلاد وخارجها بما جبل عليه من سامي الخصال وخلف من كبير المنجزات. كان من أعظم ملوك المغرب إن لم يكن أعظمهم، بما تأتى له من ممارسة السلطان في أشكاله الإمامية الموروثة عن المخزن التقليدي، وفي أشكاله الإدارية العصرية المقتبسة من نظام الحماية الأجنبية. فهو الذي جدد للدولة المغربية هيبتها وشبابها، ممكنا إياها من أدوات التدبير العصري ومحتفظا لها بالركائز العتيقة التي أقيمت عليها منذ أقدم العصور. وككل من نشأ يستعد للأمانة الكبرى، فإن حياته تنقسم إلى المرحلة التي كان فيها يتمرن على المسؤولية، وتمتد من يوم مولده إلى وفاة والده المنعم محمد الخامس سنة 1961، والمرحلة التي تحمل فيها عبء الملك، ودامت ثمانا وثلاثين سنة، فلم يتقدم عليه من حيث طول الملك إلا جده الأكبر المولى إسماعيل.

1) ـ مرحلة ولاية العهد

تنقسم هذه المرحلة بدورها إلى ثلاث مراحل، مرحلة النشأة الأولى التي تجلى فيها ما جبل عليه من النبوغ، والمرحلة الثانية التي وقف فيها إلى جانب والده مناضلا في معركة الانعتاق من الحجر الاستعماري، والمرحلة الثالثة التي تحمل فيها أعباء ولاية العهد وكان فيها أول مساعد لوالده في ترتيب شؤون المغرب المستقل.

أ ـ النشأة الأولى وأمارات النبوغ (1929 ـ 1942)

ولد الحسن الثاني يوم الثلاثاء فاتح صفر 1348 / 9 يوليوز 1929، من والده الملك المقدس محمد الخامس، ومن والدته السيدة عبلة. نشأ نشأة الأمراء العظام المتشبعين بروح المسؤولية والحلم والهمة العالية. وتربى على رموز الملك ومعاني الشرف الذي هو من الإشراف، تحت أنظار والده الذي سهر بكل ما أوتي من حنان وإحساس بروح الأمانة الكبرى على نشأة فلذة كبده وخليفته، حيث توسم

(*) مكانه بعد الحسن الأول (10 : 3426) لكن استدركناه هنا على أن يرتب أبجدياً في طبعة قادمة.

فيه باكرا خير من يتلقى عنه وخير من يرث السر. وقد تجلى في الأمير منذ نعومة أظفاره ما لا يكون إلا في الأفذاذ. فإنه كان شعلة من الذكاء والتيقظ، جبار الذاكرة، بليغا فصيح اللسان، تجتمع فيه محاسن المنطق والبيان. كما أنه جبل على حب الوطن وعلى الغيرة عليه والنفور من كل ما يمس بكرامته. وإن مولده يواكب مولد الحركة الوطنية المغربية التي التحمت صفوفها حول عاهل البلاد وحول الأمير المولى الحسن الذي أطلقت عليه اسم أمير الأطلس سنة 1934، تشوفا لما يعد له من المسؤولية في المستقبل. وقد صار يقف منذ تلك السنوات الأولى من عمره إلى جانب والده في المناسبات الرمزية الكبرى، ويبدو للجمهور،

وتنشر الصحافة صوره عبر البلاد كلها، فأحبه المغاربة مثلما كانوا يحبون والده الهمام.

ب ـ مرحلة النضال من أجل الاستقلال (1942 ـ 1955)

إن النشأة في أحضان الملك مدرسة في حد ذاتها، لما فيها من الاحتكاك بكبار رجال الدولة من مغاربة وأجانب. لكن التحدي الاستعماري كان يلزم ولي عهد المغرب، بعد تعلم لغة القرآن وحفظ سوره، بتعلم لغتي الدولتين الحاميتين فرنسا وإسبانيا. وتجلى نبوغ الأمير في تعلمهما بسهولة في طور الكتاب والتعليم الابتدائي. ويوم جرى تدشين المدرسة المولوية في مطلع عام 1942 التي كان عليه أن يتابع دراسته الثانوية والعليا فيها، هو وباقي الأمراء والأميرات، ألقى خطابين بالعربية والفرنسية بفصاحة انبهر لها الحضور الذي كان يتصدره والده عاهل البلاد والمقيم العام الجنرال نوكيس وكبار رجالات الدولة. وفي هذه المؤسسة تابع دراسته مع بعض أبناء عمومته ونخبة من شباب المغرب من أقرانه، الذين صاروا من أقرب مساعديه فيما بعد، هم والأساتذة الذين تخرج على يدهم مثل محمد الفاسي ومَحمد باحنيني والمهدي بن بركة وعبد الهادي بوطالب.

وكانت سنة انتقال الأمير إلى الطور الثاني من التعليم هي أيضا سنة نزول جيوش الحلفاء على شواطئ المغرب في شهر نونبر منها. وقد ترتب على ذلك زعزعة السلطة الاستعمارية في البلاد، بما توالى على فرنسا من الهزائم جراء الحرب والتناحر الحزبي، وبما كان من لقاء محمد الخامس بالرئيس الأمريكي روزفيلت في الدار البيضاء في يناير 1943، واعتراف هذا الرئيس بأن المعركة ضدا على النازية كانت معركة الانعتاق من كل أنواع الغبن والقهر. فتجددت أسباب المطالبة بالاستقلال. ووجد الأمير الناشيء نفسه في الصفوف الأمامية من الكفاح الوطني وهو يدخل طور المراهقة. وأضحى أول مستشار لوالده، يقود إلى جانبه النضال على الجبهتين، جبهة داخلية، وغايتها الأخذ بيد الشعب وإرشاده لنفض غبار الجهل والخمول وإدخال البنين والبنات المدارس بأكثر عدد ممكن، بعد أن تبين من النقد الذاتي أن سبب الاستعمار هو ما كانت عليه الأمة من الغفلة والجهل سنة 1912. أما الجبهة الثانية، فهي جبهة مجادلة الفرنسيين بالحجج الدامغة من أجل جعل حد للحماية. ولكن الاستعمار الفرنسي خرج من الحرب العالمية مصمم العزم على التغطية على اهتزاز أركانه بتشديد القبضة على المغرب. وتوالت معارك الشعب تتناوب مع معارك العرش. وكان ولي العهد يقوم بواجباته أحسن قيام، إما في السير رسولا بين والده وبين قادة الأحزاب الوطنية لدى تحرير وثيقة المطالبة بالاستقلال في يناير 1944، وإما في إلقاء الخطب التوجيهية مثلما فعل أثناء رحلة طنجة (أبريل 1947)، التي ورى بها محمد الخامس عن نفور المغرب من الانخراط في المنظومة الاستعمارية الجديدة المخفية تحت عبارة "الاتحاد الفرنسي"، مذكراً بانتماء المغرب إلى الأمة العربية الإسلامية دون غيرها. وصار الأمير الشاب ممن يحرر المراسلات والتقارير التي أخذ والده يبعث بها للحكومة الفرنسية منذ تعيين الجنرال جوان مقيما عاما، ليثير انتباهها إلى ما أقدم عليه هذا المقيم العام من التجاوز ومن التلاعب بحقوق المغرب، حيث شرع يهدد الملك بعزله عن العرش إن لم يتنصل من الحركة الوطنية. وقد نال ولي العهد نصيبه من غضب السلطات الاستعمارية لما هالها من مكانته في المشورة والقرار، سيما بعد أن اختار دراسة الحقوق في الطور الأخير من التعليم وتخرج في ذلك على عادته في الإدراك والتفوق سنة 1951. وظلت سلطات الحماية ترفض الاعتراف له بولاية العهد بدعوى أن ذلك ليس من عادة الدولة المغربية. ويوم أقدمت على عزل محمد الخامس (غشت 1953)، فإنها نفت ولي العهد معه وكافة أعضاء الأسرة الشريفة. ولكن الشعب رد بانتفاضة عارمة أرغمت الحكومة الفرنسية على إلغاء الحماية وإرجاع الملك إلى وطنه وعرشه بعد سنتين من النفي، وذلك هو ما يعرف في تاريخ المغرب المعاصر بثورة الملك والشعب (نونبر 1955).

ج ـ ولاية العهد وبداية ممارسة الحكم (1955 ـ 1961)

كان الأمير الشاب يوم الاستقلال مكتمل التكوين، قادراً علما وعملا على تحمل كل ما يسنده إليه عاهل البلاد من جسيم المسؤولية. وقد تجلى ذلك في تقديمه رسميا لولاية العهد يوم 9 يوليوز 1957، المقترن بعيد ميلاده الثامن والعشرين الذي بات من يومئذ عيد الشباب المغربي. وارتبط بذلك الماضي بالمستقبل والأصالة بالحداثة، إشارة بتحمل ولي العهد لأعباء شباب الوطن في انتظار أن يتحمل الأمانة الكبرى. وكان يقوم بكل ما يقوم به أقرانه من الواجبات الوطنية فنال نصيبه من متاعب بناء طريق الوحدة التي ألغت الحدود بين منطقتي الاحتلال الفرنسي والإسباني، مخترقة أو عار سلسلة الريف بين تاونات وكتامة، في صيف تلك السنة. وما أن تم إنشاء القوات الملكية المسلحة في شهر ماي 1956 حتى أسند إليه محمد الخامس رئاسة أركان الحرب فيها تحت قيادته السامية. وسرعان ما تجلت مواهبه القيادية في إرساء السلطان المغربي في مجموع ربوع المملكة، وبخاصة في طرفاية التي كانت من جيوب الاحتلال الإسباني على الساحل الصحراوي واسترجعت في شهر رمضان 1377 / أبريل 1958، وأيضاً في إخماد بعض التصدعات القبلية والحزبية في الأطلس الكبير الشرقي (1957) وفي سلسلة الريف الشرقية (1958). وصار والده يستنيبه على حكم البلاد كلما كان عليه أن يسافر إلى الخارج. وتوج كل ذلك بما أسند إليه من نيابة رئاسة الحكومة يوم اقتضى نظر محمد الخامس تقلد تلك المهام بنفسه (ذي القعدة 1379 / ماي 1960)، بحيث كان ولي العهد في تمام الاستعداد لتحمل أعباء الحكم

عندما توفي والده فجأة في العاشر من رمضان عام 1380 الموافق ليوم 26 فبراير 1961، فانعقدت البيعة العامة لخلفه ووارث سره، يوم 3 مارس، تحت اسم الحسن الثاني، فهو ثاني الحسنين من الدولة العلوية.

الملك الحسن الثاني

لا يتسع المقام للإفاضة في كل ما قام به الحسن الثاني من المنجزات على طول ما كتب له من الملك. ثم إن المؤرخ ما زال قريبا من الأحداث، فلا يملك ذلك الحيز من البعد الزمني الذي تتضح به الرؤية بما ينشر من الوثائق ويتسع من المنظور. لكن الحسن الثاني دخل التاريخ من بابه الكبير. فلا مناص من ذكر شيء من منجزاته ولو في خطوطها العريضة. ويمكن التمييز بين ثلاث مراحل، مرحلة أولى قلقة مضطربة بسبب المنافسة على الحكم واحتدام إشكالية المحافظة والتغيير، وقد امتدت من 1961 إلى 1975، ومرحلة ثانية تميزت بالتحام الصفوف حول العرش وانتظام قواعد الملكية الدستورية واستكمال وحدة التراب الوطني، وامتدت من 1973 إلى 1989، وكانت المرحلة الثالثة هي السنوات العشر الأخيرة من العهد، وتميزت بتعمق الوعي بخطورة شأن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وبضرورة إعارة ذلك الأسبقية على تزاحم الأشخاص والأحزاب على السلطة، فعم الاتزان السياسي درءاً لسوء توازن البنيات التحتية.

أ - إرساء هيبة الدولة وإشكالية المحافظة والتغيير (1961 - 1973).

ظل العرش المغربي مسلوب أدوات سلطته مدة أربع وأربعين سنة جراء الحماية الأجنبية. وكان من عواقب ذلك أن التبس على المغاربة من بيده مقاليد الحكم. حتى إذا كان الاستقلال دعا محمد الخامس إلى الجهاد الأكبر الذي هو مجاهدة النفس. وصارت النخبة السياسية المتولدة عن الكفاح الوطني ملزمة بتجديد الصلة بقواعد المسؤولية السياسية أصلا وفرعا. ولما استعجلت المنية محمد الخامس في قلب تلك المعركة، كان على الحسن الثاني أن يقود الصفوف وأن يجدد للدولة هيبتها ويضع للصراعات الحزبية ما يقتضيه العصر من الوسائل والشروط، محتفظاً بما لا مناص من المحافظة عليه من الأصول ومتبنيا كل ما لا بأس به من أدوات التغيير.

وأول ما بادر إليه إثبات أركان الملكية الدستورية من خلال دستور 1962 الذي استفتي فيه الشعب فأجمع عليه مقرا ما تضمنه من إعلان للحريات العامة ومشاركة المواطنين في القرار على كل مستوى بما اعترف لهم به من حق التصويت الشامل السري وحق الصدع بالرأي المخالف وتعدد الأحزاب وفصل السلط ووقوف العرش موقف الحكم الساهر على المقدسات. وانتخب أول برلمان مغربي سنة 1963 وكان في غرفتين. وواكب هذا العمل السياسي داخل البلاد نشاط ديبلوماسي على الصعيدين الأفريقي والعالمي، حيث شاركت القوات الملكية المسلحة في إرجاع السكينة للكونكو - كينشاسة. وكان المغرب من الركائز المؤسسة لمنظمة عدم الانحياز (شتنبر 1961) ومن مؤسسي منظمة الوحدة الإفريقية (1963). وبدا اعتدال الحسن الثاني وحكمة تصرفه في الحرب التي جرت بين المغرب والجزائر حول واحة تيندوف سنة 1963. وكان بوسع المغرب أن ينتصر فيها لولا نزول الحسن الثاني عند ما أقرته منظمة الوحدة الافريقية من عدم المس بالحدود الموروثة عن الاستعمار. وظل يعمل بالتي هي أحسن ليسترجع ما بقي بيد الإسبان من الأقاليم الصحراوية، مثل إفني التي استرجعت سنة 1969، ومثل الساقية الحمراء ووادي الذهب اللذين لم يفتأ المغرب يذكر بحقوقه عليهما في جلسات الأمم المتحدة، بعد أن اعترف بالدولة الموريطانية. واتضح منذ السنوات الأولى من عهده حرصه على السلم والمسالمة، ذلك أنه سعى في فك المشاكل القائمة مع الدولتين الحاميتين السابقين بلطف خال من كل وهن وبحزم مترفع عن كل تعنيف، فتم جلاء جميع القوات العسكرية الأجنبية عن البلاد واسترجعت كل الأراضي التي كانت في قبضة المعمرين الأجانب. كما سعى السعي الحثيث في جمع كلمة المسلمين حيث تأسست برعايته منظمة المؤتمر الإسلامي في الرباط في شتنبر 1969.

وسهر الحسن الثاني في المجال الاقتصادي على أن يسير المغرب على النهج الليبرالي، يوم كان العديد من الدول النامية يرى أن لا مخرج من التخلف إلا باقتفاء خطى المعسكر الاشتراكي. أما هو فكان على بينة من ضعف الرأسمال المغربي ومن الحاجة إلى الاستثمار الأجنبي. فلا يمكن لاقتصاد البلاد أن يتكل على نفسه، سيما وأنه لم يزل مرتبطا باقتصاد فرنسا. على أن حالة التخلف تلزم الدولة بأن لا تترك الحبل على الوارد للمقاولين، فلابد من مراقبتها ولابد من العمل بالمخططات المضبوطة التي توالت إما ثلاثية وإما رباعية وإما خماسية، سعيا في استثمار خيرات البلاد، مثل الفوسفاط لبيعها في الخارج في شكل أسمدة أو مواد كيماوية رفيعة القيمة وليس في شكلها الخام وحسب. وإنه أدرك خطورة شأن الفلاحة في المغرب اقتصاديا واجتماعيا، فاعتنى ببناء السدود التي يسجل التاريخ أنه بني منها في عهده ما لا يقل عن ثمانين سداً، مما يعني ببلغة الإحصاء أنه بني منها سدان في كل سنة خلال عهده، ولو لم يكن إلا هذا من مفاخره لكفاه فخراً.

وأما على الصعيد الاجتماعي فإنه كان على بينة من خطورة شأن التعليم. وإنه ظل ملتزما بما وقع عليه الإجماع الوطني غداة الاستقلال من المبادئ الكفيلة بالنهوض به من بين تعميم وتعريب وتوحيد ومغربة. وقد بادر إلى إصدار ظهير بتاريخ 13 نونبر 1963 يقضي بتعميم التعليم على الأطفال البالغين سن التمدرس. وبذلت جهود مماثلة في ميادين الشغل ومراعاة حقوق الطبقة العاملة، وكان من منجزاته الأولى إحداث برنامج الإنعاش الوطني سنة 1961

لتوفير الشغل ومقاومة البطالة وإعداد اليد العاملة للأشغال الوطنية الكبرى. وهو الذي أرسى قواعد الضمان الاجتماعي المغربي وجعله يجاري أرقى ما يوجد منها في الدول المتقدمة.

إلا أن الحاجيات في هذا المضمار كانت تفوق الممكنات بكثير. وترتب على ذلك ما ترتب من الجدل والصراع بين الأحزاب، واختلفت الآراء في مفهوم "ثورة الملك والشعب". فالملك كان يرى أن حتمية التغيير تلزم بمزيد من الاحتياط حفاظا على الثوابت. وكانت الأحزاب الوطنية ترى أن التغيير إما أن يكون حثيثا شاملاً وإلا فلا تغيير. وسرعان ما تحول الجدل إلى محاكمات لبعض قادة تلك الأحزاب الذين سجن منهم من سجن واضطر آخرون إلى الهجرة، وإلى مواجهات في الشارع مثلما جرى في الدار البيضاء في شهر مارس 1965، وكان لابد من استعمال وسائل القمع القصوى للتمكن منها. وأمر الحسن الثاني بحل البرلمان في شهر يونيو من نفس السنة. ثم في شهر أكتوبر منها، اختطفت الشرطة الفرنسية أحد زعماء الحركة التقدمية الاشتراكية المغربية المهدي ابن بركة في باريس، ثم اغتيل في ظروف لم تقل العدالة بعد قولتها النهائية فيها. ولكن وزير الداخلية المغربي الجنرال محمد أوفقير كان له ضلع في الجريمة. ودليل ذلك أنه رام انتهاز الفرصة لتعميق الهوة بين الملك وبين الحركة الوطنية. ونظر هو بدوره إلى مفهوم الثورة على أنه انقلاب عسكري تقضى به بعض الأغراض الآنية. فامتدت الأيدي الآثمة مرتين إلى الحسن الثاني، في شهر يوليوز 1971 في قصر الصخيرات، وفي شهر غشت 1972 وهو على متن الطائرة العائدة به من فرنسا. وكانت نجاته من المؤامرتين معجزة جاءت دليلاً على صدق طويته الوطنية، فضلاً عما أتاحت من فرصة التخلص من بطانة السوء التي كانت تود لو انقطع ما بين الملك وبين أنصار العرش الطبيعيين المنضوين في الأحزاب الوطنية. وبالرغم من تحرك بعض العناصر المتياسرة المتطرفة سنة 1973، في البادية في منطقة الهضبة الوسطى، وفي المدن بين صفوف الطلاب، فإن الرأي العام المغربي لمس عن كثب ما في بعثرة الصفوف وإضاعة الجهد في الصراعات السياسية من المخاطر على بلد يعاني من الفقر والأمية وضعف الطاقة الإنتاجية.

ب ـ الإجماع على الملكية الدستورية

ترتب على الهزات الآنفة الذكر وعي بما أشرفت عليه البلاد من المزالق. وكان من طلائع ذلك تصحيح المسار في الحركة التقدمية بانتظام صفوف الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وانعقاد الكتلة الوطنية بين هذا الحزب وحزب الاستقلال، على أساس دعم النظام الملكي الدستوري وإرساء أساليب الديموقراطية في البلاد ومتابعة النضال من أجل استكمال الوحدة الترابية. وبناءً عليه استفتى الحسن الثاني المغاربة بشأن تعديل الدستور فأجمعوا على دستور 1972 الذي جعل الغرفتين غرفة واحدة، ثلثاها منتخبان بالاقتراع السري العام والثلث الأخير منتخب من لدن الجماعات المحلية والهيئات المهنية والنقابية. وبعد محاولة فاشلة أولى لاستئناف العمل النيابي سنة 1971، فإن الحياة النيابية انتظمت بصفة ثابتة منذ سنة 1977 فاكتملت جميع حيثيات النظام الملكي الدستوري على المستويين المركزي والجهوي.

لكن أسمى ما أنجز في هذه المرحلة من عهد الحسن الثاني هي المسيرة الخضراء يوم 6 نونبر 1975 التي مكنت من استرجاع الصحراء المغربية من قبضة الأسبان، بتعبئة للجماهير المغربية فريدة من نوعها، إذ زحف ما لا يقل عن 350.000 مغربي ومغربية على الحدود الاستعمارية، مسلحين بالقرآن وبالراية الوطنية، وداسوا الحدود دوسا وأجبروا المعمر الإسباني على الانسحاب. وكان ذلك نصرا للحق وبرهانا على عبقرية العاهل المبنية على الحلم والتبصر والعمل في السياسية بعمل الفلاح، كما كان يقول، فالفلاح ملزم بقلب التربة وتنقيتها وإعدادها للبذرة. ثم إنه بعد كل ذلك ملزم بالتمسك بالصبر والاتكال على الله لبلوغ المرام. وكثيراً ما كان أيضاً يذكر بأن السياسة فن الممكن من المستحيل أو فن إتيان الحلول الوسطى من كل المعضلات. وهذه الحكمة هي التي جعلته يربط الاتصال بقادة إسرائيل في الوقت الذي بعث بالجنود المغاربة ليقفوا إلى جانب إخوانهم العرب في ميادين منازلة الصهاينة، مثلما وقع سنة 1967 في الجولان وسنة 1973 على قناة السويس. وأضحى الحسن الثاني منذ تلك السنوات قطبا لا يستغنى عنه في معالجة النزاع العربي الإسرائيلي، مما حمل قادة الدول الإسلامية على انتخابه رئيساً للجنة الدفاع عن عروبة مدينة القدس منذ شهر ماي من سنة 1979، التي أنشئت للتصدي للنية الصهيونية في جعلها عاصمة إسرائيل.

وكانت سنة 1973 هي سنة ارتجاج الأسواق العالمية جراء ارتفاع أسعار النفط، فارتفعت معها أسعار باقي المواد الأولية، ومن جملتها الفوسفاط الذي يحتلّ المغرب رتبة الصدارة في تسويقه في العالم. وكان ذلك مناسبة لطفرة جديدة من الاستثمار المغربي رسم الحسن الثاني خطوطه العريضة وأثبت بعض نتائجه المرقومة في كتابه *التحدي* الصادر في مطلع الثمانينيات.

بيد أن السباق بين حاجيات الجماهير المغربية، التي تضاعفت أعدادها ثلاث مرات في عهده، حيث انتقلت من عشرة ملايين نسمة سنة 1961 إلى ثلاثين مليون سنة 1999، وبين القدرة الإنتاجية للبلاد، ظل يعاني من سوء التوازن الصارخ. وتجلى هذا التناقض في غضب الشارع في كبريات المدن مثل الدار البيضاء في يونيو 1981 وفاس ومراكش وتطوان في يناير 1984. وكان ذلك نتيجة سنوات متتالية من الجفاف ونتيجة التغيّر الاجتماعي الذي جعل

المدن وما فيها من صناعات عصرية تتضخم على حساب البوادي التي قل وزنها في الدخل الوطني الخام دون أن يقل عدد سكانها. ولكن الدولة باتت راسخة الأركان قادرة على تحمل أعتى العواصف. ولا أدل على ذلك من شروع الحسن الثاني ابتداءً من سنة 1982 في تشييد المسجد الفخم البهيج الذي يحمل اسمه في الدار البيضاء والذي يعد مفخرة من مفاخره إلى جانب المفاخر الهندسية الأخرى التي سهر على إقامتها، مثل ضريح محمد الخامس في الرباط والعديد من المباني الملوكية والإدارية والصناعية. فإنه كان مولعاً بالبناء والتشييد شأن عظماء الملوك في كل زمان ومكان. ومن أبرز ما سعى فيه في هذه المرحلة من عهده بناء وحدة إفريقيا الشمالية، وقد تأسس اتحاد المغرب العربي برعايته في مدينة مراكش (فبراير 1989).

ج - الاتزان رغم انعدام التوازن

كانت السنوات العشر الأخيرة من عهد الحسن الثاني كلها برهانا على دهائه وبعد نظره وغيرته على كرامة الوطن، بالرغم من تفاقم التناقضات الاقتصادية والاجتماعية ووجوب التصدي للحرب المفروضة على البلاد من قبل أعداء وحدتها الترابية منذ استرجاع الصحراء سنة 1975، ذلك أن انهيار المعسكر الاشتراكي سنة 1989 أثبت حصافة رأيه وعمق تبصره بما كان من اختياره للنهج الليبرالي قبل أن تنادي به السيدة ماركريت تاتشر في إنجلترا أو الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريگان. وقد اعترف المجتمع الدولي بذلك يوم قبل أن ينعقد المؤتمر التأسيسي للمنظمة العالمية للتجارة بمدينة مراكش (أكتوبر 1994). كما انعقدت برئاسة الحسن الثاني بالدار البيضاء (أكتوبر 1995) القمة الاقتصادية الأولى للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وذلك أول ملتقى عربي إسرائيلي لوضع أسس التعايش بين الجانبين، جاء على إثر اتفاقية أو سلو بين الفلسطينيين وإسرائيل سنة 1993 التي أقر الجميع بما كان للحسن الثاني من الأيادي البيضاء في التمهيد لها. ولكن ما أن تغيرت الأغلبية الحاكمة في إسرائيل لصالح اليمين الصهيوني المتطرف حتى قطعت كل الصلات من جديد.

أما على الصعيد الداخلي فمن آخر منجزاته الكبرى حرصه على تعديل الدستور عبر استفتاء شتنبر 1996، إذ انقسمت الغرفة الواحدة إلى غرفتين، ومنح الوزير الأول مزيداً من الصلاحيات لتشكيل الحكومة وتسييرها. وأبى الحسن الثاني إلا أن تتبوأ الأحزاب الوطنية مقاعدها من مسؤولية الحكم على أساس التناوب بالتراضي. وتم ذلك بعد سنوات من المخاض في شهر مارس 1998، فتشكلت حكومة برئاسة السيد عبد الرحمان اليوسفي، الكاتب العام للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، ومشاركة حزب الاستقلال وحزب التقدم والاشتراكية وحزب التجمع الوطني للأحرار وحزب الحركة الشعبية ومعظم الأحزاب التقدمية. وكان ذلك مسك الختام من منجزات الحسن الثاني المرموقة، وتعويضا عما حصل من سوء التفاهم بينه وبين الحركة الوطنية في مطلع عهده. وتوفي رحمه الله من المرض الذي ألم به منذ أواخر 1995. فتجلد له وصبر وظل يزاول واجبات الإمامة والقيادية خدمة لشعبه وإعزازاً لصيته إلى أن توفي وفاة المجاهدين وسط الميدان، عصر يوم الجمعة تاسع ربيع الثاني عام 1420 الموافق ليوم 23 يوليوز 1999، بضعة أيام فقط بعد الاحتفاء بعيد ميلاده السبعين. فبكاه شعبه وخرج يشيعه عن بكرة أبيه في مشهد رهيب، بثت صوره في العالم أجمع وحضره كبارالملوك والرؤساء. وكان عزاء المغاربة فيه تلك المواساة المعتبرة التي جعلت جنازته مأتما ومفخرة في آن واحد، امتزجت لديهم فيها لوعة الفراق بمشاعر الاعتزاز والشموخ، كما أنهم ساروا وراء نعشه مستبشرين مبتهجين بطلعة ولي عهده وخليفته على العرش صاحب الجلالة الملك محمد السادس الذي بينت السنة الأولى من عهده أنه خير لخير سلف، دام له النصر والتمكين.


الحسن الثاني، *التحدي*، الرباط، المطبعة الملكية، 1983 ؛ الحسن الثاني، *ذاكرة ملك*، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1993 ؛ عبد الوهاب بن منصور، الحسن الثاني، حياته وجهاده ومنجزاته، الرباط، المطبعة الملكية، 1969 ؛ عبد الوهاب بن منصور، سلسلة *انبعاث أمة*، وتضم خطب الحسن الثاني وتصريحاته العلنية في ستة وثلاثين مجلدا، (من العدد 6 إلى العدد 42).


إبراهيم بوطالب

**الحكيم**، أسرة أسفية عريقة أنجبت فقهاء وعلماء وتجاراً كباراً. قيل إن أصلها من عبدة وقيل من تطوان، نظراً لما لبعض أفرادها من صلات مع عائلات تطوانية وليس لها أي فرع بعبدة، وكلهم ينتمون إلى جدّ مشترك اسمه عبد المالك الحكيم، ويشكلون ثلاثة فروع : أولها منحدر عن أحمد بن الطيب بن عبد الملك، والثاني، عن الطاهر بن الطيب بن عبد المالك والثالث عن عبد الواحد بن الطيب بن عبد المالك.

وسندرج فيما يلي أبرز أفراد هذه الأسرة :

**الحكيم، أحمد** بن **الطاهر** بن الطيب بن عبد المالك، وُلد بأسفي عام 1263 / 1846، وبها تلقى تكوينه الأساسي المناسب لوقته، على يد فقهاء بلده، مثل الشيخ بوزيد المطاعي والشيخ محمد بن إدريس، ثم رحل إلى فاس عام 1291 / 1874 حيث أخذ عن الشيخ محمد بن عبد السلام گنون والشيخ المهدي الوزاني والشيخ محمد بن قاسم القادري. ولما عاد إلى أسفي انضم إلى هيئة التدريس بمدرسة أسفي، وكان الطلاب يواظبون ويهتمون بحلقاته الدراسية، وبقي على هذه الحال إلى أن صار مفتي البلد، واشتهر بتواضعه وباخلاقه الحسنة وسعة معرفته.

توفي بأسفي عام 1329 / 1911.

**الحكيم، البشير** بن **الطاهر** بن الطيب بن عبد المالك، شقيق الأول، وُلد عام 1251 / 1835 وتلقى العلم بأسفي أولاً ثم ذهب إلى فاس لمتابعة تكوينه ولم يرجع إلى مسقط رأسه إلا بعد عشرة أعوام. فكان يتطوع لإلقاء الدروس، وولي قضاء مدينة أسفي مدة.

انتهج البشير طريقة النساك في الحياة إلى أن توفي بمسقط رأسه وهو أعزب عام 1296 / 1878.

**الحكيم، الطيب** بن **عبد القادر** بن الطاهر بن الطيب، وُلد بأسفي عام 1322 / 1904 وحفظ القرآن وتلقى دروسا في العربية والفقه على شيوخ المدينة مثل عبد الله بن محمد بنهيمة وإدريس بن محمد بن هيمة. واشتغل بالتجارة فكان من كبار التجار والملاكين، ومن أعيان المدينة ووجهائها.

توفي بأسفي عام 1392 / 1972.

**الحكيم، عبد القادر** بن **الطاهر** بن الطيب وُلد بأسفي عام 1284 / 1867 وكان له إلمام بالثقافة العربية، وهو أحد كبار تجار المدينة وفلاحيها. ذو أخلاق كريمة وغيرة وطنية، الأمر الذي جعله يحظى بتقدير أهالي أسفي واحترام السلطات.

توفي عام 1345 / 1926.

**الحكيم، عبد القادر** بن **الطيب** بن أحمد بن الطيب، وُلد بأسفي عام 1325 / 1907 وتلقى تكوينه الأساسي في المدرسة الابتدائية الفرنسية واستكمله بتكوين عربي شمل القرآن والنحو والفقه على يد الفقيه المعطي العبدي. ثم كان من الرعيل الأول المزدوجي اللغة، مما أهله لشغل منصب بمصلحة تابعة لمديرية الفلاحة، وتم إلحاقه بمطاحن أسفي، ثم تاجراً في الحبوب. كان من وجهاء المدينة وأعيانها، اتصف بحسن الأخلاق والكرم وتواضعه مع الناس.

توفي بمسقط رأسه عام 1399 / 1978.

**الحكيم، محمد** بن **الطاهر** بن الطيب. وُلد بأسفي عام 1289 / 1864 الفقيه التاجر الملاك السخي، كان ينفق على عدد من الأسر الفقيرة، ويرابط أياما معدودة في كل شهر للعبادة برباط المدينة.

توفي عام 1350 / 1930.

م. الكانوني، *جواهر الكمال* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2665 ؛ أحمد بنجلون، *عائلات أسفي*، مخطوط ؛ *تاريخ أسفي*، مخطوط.

أحمد بنجلون

**الحلاليف**، قبيلة تنتمي إلى اتحادية زعير وتُكوِّن مع الرواشد والغوالم والنغامشة وأولاد دحّو وأولاد زيد والسلامنة وبني عبيد قسمَ "الكُفْيَانْ" الذي يمثل نصف زعير مقابل النصف الثاني الذي يطلق عليه "المزَارْعَة".

تقع أراضي الحلاليف في المنطقة الغابوية المجاورة للشاوية، يشتركون مع قبائل المذاكرة في حدور وادي الدالية وگلتة الذّيب. كما يجاورون قبائل الزيايدة والأعشاش من الشاوية. أما جيرانُهم من إخوانهم الزعريين فهم : السلامنة والرواشد والغوالم.

ينقسم الحلاليف إلى مجموعتين : الحلاليف العليا (الحلاليف الفوقانيين)، وهذه المجموعة تتكون من الأفخاذ الآتية :

أولاد مسعود والعطاطرة وأولاد عْميرة ؛ والحلاليف السفلى (الحلاليف التحتانيين) وتشمل الأفخاذ الآتية : السعيدية وأولاد أحمد وأولاد شميشة والسدراتة.

ساهمت قبيلة الحلاليف ومجموعات أخرى من مجاهدي زعير في مقاومة الاحتلال الفرنسي للشاوية، وكانت أرضها ملجأ يتحصن به المجاهدون المنسحبون من المناطق المحتلة بالشاوية. وبعد إتمام احتلال منطقة الشاوية كلها انتشر النفوذ الفرنسي في قبيلة الحلاليف ابتداء من سنة 1908، انطلاقاً من مركز بوشرون (الگارة) بالمذاكرة. وفي سنة 1910، قدرت الاستخبارات الفرنسية عدد خيام الحلاليف بحوالي 400 خيمة، وعلى ذلك فسكان القبيلة كانوا يتراوحون بين 2000 و2400 نسمة في بداية القرن العشرين.

أهم نشاط اقتصادي يعتمد عليه سكان الحلاليف هو تربية الماشية واستغلال أشجار الغابة زيادة على الزراعة. وللحلاليف علاقات واسعة مع أسواق الشاوية، خاصة أسواق قبيلة المذاكرة.

ع. ابن سودة، *زعير قديماً وحديثاً*، الجزء الأول.

Sicard, *L'organisation des Zaërs*, *R.M.M.*, 1910 ; *Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région.*

علال الخديمي

**الحَلْبة**، بالعربية، و"تيفيذاس" بالأمازيغية، تطلق على نوع نباتي أو على بذوره، اسمه العلمي تريگونيلا فينوم گريكوم Trigonella foenum-graecum. أما الفصيلة التي تنتمي لها الحلبة فهي الفراشيات Papillonaceae. وهي نبات بقلي حولي، ذو أزهار بيضاء، وقرون طويلة رفيعة، ولها منقار واضح، وتحتوي على بذور صغيرة ذات لون أصفر. والموطن الأصلي للحلبة هو حوض البحر المتوسط وآسيا. وقد زرعت منذ زمن قديم وذلك لعدة أغراض.

أما في المغرب فإنها تزرع في بعض السهول لإنتاج البذور المستعملة في تغذية الماشية أو للاستهلاك الآدمي. فبالرغم من مرارتها تُتناول بذور الحلبة خاصة من طرف النساء ليزددن سمنة وجمالا أو ليكثر حليب الرضاعة

عندهن. وتُعطى للأطفال النحيلي الجسم أو للمرضى الذين هم في طور النقاهة.

ومن مساوئها بعد تناولها التسبب في إفراز عرق أصفر ورائحة كريهة للجسد.

*أبحاث شخصية* ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

**الحَلَبي، أحمد** بن عبد الحي الفاسي. قال المترجم له في آخر كتابه *الدر النفيس* : "خُلقت ونشأت أنا وآبائي وأجدادي في مدينة حلب من أرض الشام ... وكان أصل أجدادي قبل ذلك من مدينة تدمر ... وقد سمعت أن نسبنا ينتهي إلى سيدنا ومولانا عبد الرحمان بن عوف الزهري".

عالم أديب فقيه صوفي ناظم ناثر. له ولوع بالأمداح النبوية والأشواق المصطفوية وله قصائد وأزجال في المديح النبوي كثيرة جداً.

ورد على مدينة فاس من البلاد المشرقية بعد أن زار مصر وتونس. وكان شافعي المذهب لم يتحول قط إلي المالكية رغم إقامته الطويلة بالمغرب.

ومن أشياخه محمد الرفاعي الحسيني شيخ مشايخ البصرة في وقته، أخذ عنه صاحب الترجمة وانتفع به ولازم القراءة بمدينة فاس بعد وروده عليها على الشيخ عبد القادر الفاسي وطبقته.

ذكر القادري في *النشر* أن المترجم له كان يسير عند السلطان مولاي إسماعيل لمكناسة في موسم ربيع الأول : ويقرأ بباب دار السلطان قصائد الأمداح، وكان له صوت حسن ويحسن تلك الصنائع، وكان السلطان وأولاده وموالي الدار والأتباع يعطونه ويكرمونه بالعطاء المخصوص.

وكان اليوسي من المعجبين بشعر الحلبي حتى نظم قصيدة تكلم فيها على لسان الحق فنقم عليه الشيخ اليوسي ذلك ونهاه سداً للذريعة فلم يقبل، وأدى ذلك إلى نزول قيمته عند الناس بعد أن كان مكرما عند السلطان فمن دونه وضاقت عليه معيشته.

للحلبي مؤلفات كثيرة في أغراض مختلفة. منها *ديوان* في الأمداح النبوية ؛ ومقامات عارض بها *المقامات الحريرية* سماها : *الحلل السندسية في مدح الشمائل المحمدية* ؛ *وكشف اللثام عن عرائس نعم الله تعالى ونعم رسوله عليه السلام* ؛ *والدر النفيس في مناقب مولانا إدريس* و *السيف الصقيل في الانتصار لمدح الرب الجليل*، ألّف هذا الكتاب إثر المقاطعة التي وقعت بينه وبين الحسن اليوسي ؛ *ومعراج الوصول في الصلاة على أكرم نبي ورسول* ؛ *ومناهل الصفا في جمال ذات المصطفى* ؛ *ومناهل الشفافي رؤية المصطفى* ؛ *والروض البسام في رؤية غيره عليه السلام* ؛ *والكنوز المختومة في السماحة المقسومة لهذه الأمة المرحومة* في أربعة أسفار ؛ *وفتح الفتاح على مراتع الأرواح* وهو شرح لقصيدة له طويلة سماها *مراتع الارواح في كمالات الفتاح* ؛ *والسيف المسلول في قطع أوداج الفلوس المخذول* (وهو رجل أنكر عليه نداء النبي صلعم مجرداً عن السيادة في قصيدة له) ؛ *وريحان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب* في مجلد، وله قصائد رفيعة في الأمداح النبوية، وأزجال شهيرة.

وقد أثنى عليه أهل عصره فيما كتبوه بخطوطهم على تآليفه، ومنهم الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي وأخوه عبد الرحمان، والقاضي العميري وأبو عبد الله القسنطيني، والقاضي أبو عبد الله المجاصي، والقاضي أبو مدين السوسي وغيرهم...

وقد أشار إليه الشيخ المدرع في منظومته فقال :

ومنهم الإمام مداح النبي　　　الشيخ أحمد الأديب الحلبي

وفي الأسرة الكتانية بالمغرب فرع يعرف بفرع الحلبية، نسبة إلى ابنة لصاحب الترجمة اسمها فاطمة، تزوجها أحد الكتانيين فنسبوا إليها.

توفي أحمد الحلبي بفاس في جمادى الثانية عام عشرين ومائة وألف / غشت - شتنبر 1708 ودفن بمطرح الجنة خارج باب فتوح على مقربة من ضريح دراس بن إسماعيل، وقبره معروف مقصود للزيارة.

م. العلمي، *الأنيس*، 6 - 19 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 215 ؛ م. القادري، *نشر*، 3 : 197 - 201 ؛ *الإكليل والتاج*، د. د ع مرقون، ص. 183 ؛ *التقاط*، ص. 302 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، 1 : 265 ؛ م. الحضيـگي، *طبقات*، 1 : 84 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 164 ؛ م. داوود، *تاريخ تطوان*، 3 : 118 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 332 - 352 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 1 : 144 ط 4، سركيس، *معجم*، 373.

Levi-Provençal, *Les historiens des chorfa*, p. 286, Brockelmann *(G.A.L.)*, S, 2, p. 683.

مارية دادي

**الحَلَبيّة، سارة** بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الفاسية. عالمة أديبة، وصالحة صوفية. وصفها معاصر لها أندلسي في كتابه *أنس العاشق* بقوله : "من المتظرفات من أهل زماننا هذا ممن فاقت نساء عصرها، أديبة شاعرة، وطبيبة ماهرة، تتصرف بيدها في جميع الصناعات فتجيد في ذلك، وتكتب الخط المستحسن، وتحلّ الذهب بصناعة

رائقة فتكتب، وكان لها إقدام في الكلام، ووفادات على الملوك والأشراف".

وفدت في طريقها إلى المغرب على المستنصر الحفصي بتونس وأنشدت بين يديه قصيدة بائية في مدحه وأقامت عنده حولاً، ثم دخلت الأندلس ولقيت ملكها محمد بن محمد بن نصر ابن الأحمر وأنشدته قصيدة دالية طويلة في مدحه كذلك. وراسلت شعراء الأندلس وكتابها وناظرتهم، ثم وفدت على فاس واتصلت بملكها المريني يعقوب بن عبد الحق فأكرمها وخلع عليها وأجرى لها راتباً دائماً فعاشت في المغرب أرغد عيش.

لقيها بفاس الفقيه عبد الله بن علي ابن سلمون (ت. 741) فأجازته وألبسته خرقة التصوف وأنشدته قصيدة رائية أجابت بها الرحالة محمد ابن رشيد السبتي مطلعها :

وافى قريضٌ منكمُ قد غـــدا لبعض أوصافكم ذاكـــرا

أطلع من أنفاسه أنجمـــاً ومن شذاه نَفَسا عاطـــرا

قال ابن القاضي في *الجذوة* (532) : قدمت (سارة الحلبية) على سبتة في آخر المائة السابعة فمدحت رؤساءها بني العزفي العلماء وأختهم العالمة صفية بنت محمد العزفي، وخاطبت كتّاب سبتة وشعراءها كمالك بن المرحل وإبراهيم التلمساني وابن البواب وأحمد الرنداحي. وشعرُها في غاية الرقة والرشاقة مع متانة أسلوب وسلامة لغة، ونثرها بليغ كشعرها، منه ما أجابت به مالك بن المرحل :

"وصلتني أبيات سيدنا أبقى الله مطلع سعادته، ومجمع سيادته، ومنبع كل حسن وريادته، فكانت ألذ من الأمن عند الخائف، والانقياد من الخل المخالف، فنشقت مسكها المختوم، وحليت بصري وبصيرتي من درها المنظوم ووشيها المرقوم، فرأيت من السحر، ما طوّق النحر، ومن البيان، ما أخرس اللسان، ومن بديع المعاني، ما ألكن ابن هاني، وأبكم الكناني..." وقد أتى في *الجذوة* بنماذج رائقة من شعرها ونثرها. توفيت بفاس الجديد في حدود عام 700 / 1300.

مؤلف أندلسي، *أنس العاشق ورياض الحبّ الوامق*، مخطوط بنقل ح. حسني عبد الوهاب ؛ أ. ابن القاضي، جذوة، 2 : 434 و522. 529 ؛ ح. حسني عبد الوهاب، *شهيرات النساء التونسيات*، تونس، 1353، ص 74. 77 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 3 : 69 ؛ ع. رضى كحالة، *أعلام النساء*، ط 2، 1958، 2 : 136. 137 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة*، 59.

محمد حجي

**الحلحال**، أو "خزامَى" و"كُحَّيلة" بالعربية و"أمزِّير" بالأمازيغية، ألفاظ تطلق على عشرة أنواع نباتية من جنس لا فانْدُولا Lavandula وفصيلة الشفويات Lamiaceae. وهي أنواع معمرة شجيرية يختلف ارتفاعها حسب الأنواع. أصغرها يتجاوز ثلاثين أو خمسين سنتمترا. أكبرها يبلغ أو يتعدى المتر والنصف. أوراقها بسيطة بالنسبة لنوعين، ومقسمة بالنسبة للأنواع الأخرى. لها رائحة عطرة. أزهارها مجتمعة على شكل سنبلة تختلف كثافتها حسب الأنواع.

حلحال (كحيلة)

يعيش بعض هذه الأنواع في البيومناخات الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة، والبعض الآخر يقطن المناطق الصحراوية أو الجافة. أما من حيث التربة فإن جل هذه الأنواع لا تبالي بالنوعية الصخرية ما عدا نوعين اثنين لا يتحملان الأراضي الكلسية. وتستعمل أنواع الحلحال في التطبيب التقليدي، ويستخرج منها عطر. كما تستعمل مع الشاي.

*أبحاث شخصية.*

عبد المالك بنعبيد

**الحلزون**، والواحدة حلزونة، جنس من الرخويات منه أنواع تؤكل. والحلزون عند عامة المغاربة يدعى "غْلالة" وببوش، وعند عامة أهل الشام ومصر سلنطح وزلنطح. والحلزون من شعبة الرخويات Mollusca ومن طائفة معديات الأرجل أو بطنيات القدم Gasteropoda وهو أجناس وأنواع عديدة منها ما يعيش في البحار والبحيرات الساحلية ومنها ما يعيش في المياه العذبة ومنها البرية. كلها حيوانات زاحفة تسير ببطء شديد على الأرض بعضلتها الشبيهة باللسان وتعرف بالقدم. تغطي جسمه صدفة كلسية أحادية الصمام ولولبية يفرز موادها بنفسه ويتخذها هيكلا ومسكنا له. تتخذ الصدفة أحجاما وأشكالاً مختلفة باختلاف المياه العذبة بينما يتعدى طولها عشرين سنتمترا عند البوقسان البحري. تحمل القدم في طيها المعدة مما أدى إلى تسمية هذه الطائفة ببطني القدم أو معديات الأرجل.

تلتوي أحشاء الحلزون في قوقعته أو صدفته وينطوي بعضها على بعض وتلتف بأكملها حول القدم مما يترتب عنه انتقال الغلاصم والفتحة الشرجية إلى الجزء الأمامي بجانب الفم.

تتميز هذه الحيوانات بتجويفة تنفسية تقوم مقام الرئتين تنتهي بثقب تنفسي. تتكون الأعضاء البطنية من طوق مريئي وغدد لعابية معوي وجيب معوي وشرج وقلب وكليتين وأعضاء تناسلية. تظهر الرأس على مقدمة القدم وبها زوجان من قرون الاستشعار.

أثناء التنقلات، يفرز الحلزون في سيره لعابا لزجا

ولامعا يلبث على الأرض وذلك لتسهيل الزحف ووضع حد للاحتكاك بالتربة. تتميز الحلزونات بحمل الأعضاء التناسلية الذكرية والأنثوية من طرف فرد واحد ويتم التناسل بالتقاء فردين. يوضع البيض عادة داخل حفرة ويردم بالتراب. وبعد التفقيس، تظهر الصغار على وجه الأرض وكثيرا ما تلتجئ إلى المناطق الرطبة وتختفي بين الأعشاب وتحت الصخور.

تتكون طائفة معديات الأرجل البرية في المغرب من 17 فصيلة ومن 73 جنساً ومن ما يزيد عن 600 نوع، يستهلك الإنسان من بينها حوالي 24 نوعا. نذكر منها حلزونات الكرم Helix ahmarina, Helix aspera, Helix atlantica, Helix brocha, Archelix steppica, Archelix surrodonta, Albea marocana.

كل أنواع الحلزون عاشبة مما يجعلها تخلف أضرارا بالنباتات المزروعة وكثيراً ما يستعمل في شأنها عدة مبيدات بداخل البيوت الزراعية المغطاة للقضاء عليها.

تألف الحلزونات المناطق الرطبة الغنية بالأعشاب وأعداؤها كثيرون منها الزواحف وبعض أنواع الطيور.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة 1988 ؛ أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة 1932.

M. Ramdani, M. Dakki, M. Kharboua et M. Elagbani, *Les Gastéropodes dulcicoles du Maroc. Inventaire commmenté. Bull. Inst. Sci.*, Rabat, n° 11, 1987; P. Pallary, *Classification générique des mollusques terrestres et d'eau douce de la berbérie. J. Conchyl*, n° 83, 1939.

محمد خربوعة ومحمد رمضاني

**الحلفاء**، تُعرف باسمها العلمي سْتيبَا تينَاسيسيمَا Stipa tenacissima، وهي أحد الأنواع النَباتية العدَيدة من جنس Stipa وفصيلة النجيليات Gramineae أو Poaceae التي تشمل الشعير والقمح والأرز والذرة. وهي نبات بري يلعب دوراً هاماً في الميادين الاجتماعية والاقتصادية، وذلك بفضل المساحات الشاسعة التي يغطيها بشمال افريقيا.

الحلفاء نبات عشبي من فصائل ذوات الفلقة الواحدة عديم الأغصان. له أوراق عديدة خيطية مستطيلة وضيقة ذات وجهين لكنه في أغلب الأحيان تلتف حولها مغطية بذلك الوجه العلوي تفاديا للنتح. تكون قواعد الأوراق على شكل غمد يحيط بالساق الذي يحمل الأزهار. تكون الأزهار صغيرة ومختزلة مجتمعة على شكل عُنْقود أو عُثْكول كثيف يوجد في أعلى الساق الذي يمكن أن يبلغ المتر والنصف أو المترين من الارتفاع.

تنتشر الحلفاء بواسطة الريزومات التي تعطي باقات يمكنها أن تتوسع مع مرور الزمن. كما يمكنها أن تنتشر بواسطة البذور. وتصادف في البيوموناخات الجافة وشبه الجافة من الطوابق النباتية المتوسطية الدافئة والمتوسطية واستثنائيا تحت المتوسطية أي ما بين سطح البحر و2000 م تقريبا. هذا التوزيع البيوجغرافي لا يخرج عن النطاق المتوسطي، في اتجاه الجنوب من شمال افريقيا. عندما تختفي تشكيلات الحلفاء نكون قد مررنا من النطاق المتوسطي إلى النطاق الصحراوي.

أما من حيث التربة فإن الحلفاء تعيش على الأراضي المحصبة وحسنة الصرف بالنسبة للمياه بخلاف الشيح الذي يفضل في نفس البيومناخات التربة الغنية بالعناصر الدقيقة من الطمي والطيف.

تغطي الحلفاء بالمغرب مساحات شاسعة تقدر بـ2.200.000 هكتار معظمها يوجد في المناطق الشرقية منتشرة ما بين تازا والناظور وفيكيگ والرشيدية بالإضافة إلى مناطق أخرى من الوجه الجنوبي للأطلس المتوسط والأطلس الكبير حتى الهضاب الغربية لإداوْتَانَانْ شمال أگادير.

أما من ناحية إنتاجها السنوي من الأوراق فإنه قد يصل إلى القنطار الواحد في الهكتار في المحطات الفقيرة، وإلى خمسة عشر قنطاراً في الهكتار في الأماكن الخصبة. وبخصوص كمية الحلفاء الممكن استغلالها سنويا فإنها قد تناهز ثمانين ألف طن. من الممكن استعمال هذه الكمية كمورد طبيعي لعدة أغراض، كصنع الألواح، أو عجين الورق (في بلدان أخرى مثل الجزائر وتونس) أو الحبال إلخ ... كما تعتبر الحلفاء أيضاً مصدراً للطاقة لسكان المناطق التي توجد بها، حيث تستعمل للتدفئة والطبخ ولصناعة أشياء عديدة مثل القفف والخيام والحصر...

تلعب الحلفاء دوراً اجتماعياً واقتصادياً هاماً جداً نظراً لاستعمالها في شتى الميادين وحتى في الرعي. وفي هذا المجال تعتبر تشكيلات الحلفاء المصدر الرعوي الوحيد في المناطق المذكورة أعلاه والتي توجد بها أكبر أعداد من قطعان الأغنام. تغطي تشكيلات الحلفاء على مدار السنة من 70 إلى 80 في المائة من الحجم الاجمالي لمتطلبات تغذية المواشي بهذه المناطق. للحلفاء قيمة علفية تقدر بـ 0،25 إلى 0،35 وحدة علفية في كل كلغ يابس من الأوراق.

أبحاث شخصية.

Administration des Eaux et Forêts et de la Conservation des Sols, 1983, *Etude de l'aménagement des nappes alfatières*, Rabat, 1983.

محمد همشي

** الحلفاء، في المنطقة الشمالية الشرقية وشرق الريف. هذه أهم مناطقها في المغرب. تمتد من ضواحي وجدة إلى مشارف فگيگ، وتحتل مساحات واسعة في أراضي گزناية والمطالسة وغمارة، حيث يستعملها السكان لفتل الحبال وضفر أغطية الرؤوس وصناعة القفف. وكان المطالسة يصنعون منها زيادة على ما ذكر شباكاً للنقل وأكياساً للحمل على الدواب. وقد أشار الحسن الوزان إلى أن سكان هذه المنطقة كانوا "يمشون حفاة ... وإذا أراد أحدهم أن يتجول فتل لنفسه نعلا من أسل (حلفاء). لكنه قبل أن يُتم فتل الزوج الثاني يكون الزوج الأول قد بلي" (*وصف إفريقيا*، 1 : 259).

ويذكر بعض الرحالة الأجانب أن الحلفاء كانت توجد أيضاً بضواحي مدينة سلا إلى جوار الأسل (السمار)، وفي أطراف سوس وضواحي مراكش وبعض جبال الحوز. وكانت الحلفاء في هذه المناطق تتخذ مادة أولية لإنتاج الحبال والحصر والأكياس المخصصة لاحتواء عجين الزيتون بهدف استخراج الزيت منه، وتستعمل في صناعة الأفرشة والمطارح وبعض أثاث البيت والأدوات المنزلية ولوازم النقل على الدواب. وكان سكان إليغ على الخصوص يصنعون منها "أحذية تُلبس في أوقات الشتاء" (*المعسول*، 1 : 38). واشتهر أيت وافقا منهم بقدرتهم الفائقة على تطويع ألياف الحلفاء الصلبة وإنتاج كل ما يحتاجه المجتمع المحلي من أدوات ولوازم خاصة بالأثاث المنزلي والنقل والأكل واللباس، كالأطباق والغرابيل والبسائط الضرورية للأكل والصلاة والنعال والترازات والأخزمة. لذلك قال أحد الشعراء السوسيين فيهم على سبيل الدعابة :

خلق الله للحرير أكفــــاً وأكفاً لصنعة الحَلْـفــــاء
حرفةُ الإلْغيِّينَ فتلُ حبـالٍ وشباكٍ ودبغُهم للـــدلاء

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1983 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 1، الدار البيضاء، 1960 ؛ م. ابن علي الدكالي السلاوي، *الإتحاف الوجيز*، الرباط، 1986 ؛ عثمان بوفتاس، *أمانوز*، الدار البيضاء، 1991.

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, tome 2, Paris, 1899; *B.E.S.M.*, vol. 6 n° 24, 1939 ; E. Fromentin, *Un été dans le Sahara*, Paris, 1952 ; *E.I.*, tome 3, p. 94 ; L. Trabut, *Etude de l'halfa*, Alger, 1889 ; Ali Bouhamidi, *Le village des asphodèles*, in *littérature de langue française hors de France*, n° hors série, p. 410 ; A. Sefrioui, *Le cuir*, in *G.E.M.*, vol. 2, 123, Rabat, 1987 ; F.A. Ossendowski, *Le Maroc en flamme*, Paris, 1927 ; L. Rousselet, *Sur les confins du Maroc : d'Oujda à Figuig*, Paris, 1912 ; H. Ferhat, *Sabta : des origines au XIVème s*, Rabat, 1993 ; P. Jacquet, *O Maroc de notre jeunesse*, Montpellier, 1987 ; M. Lombard, *Les textiles dans le monde musulman*, Paris, 1978 ; M. Chavagnac, *De Fès à Oujda*, 1887, [S.l.] ; H. Dugard, *La colonne du Sous*, Paris, 1981 ; Yvette Katan, *Oujda une ville frontière du Maroc*, Paris, 1990 ; L. Voinot, *Oujda et l'amalat*, Oran, 1912.

محمد بوسلام

**الحلفاوي**، أسرة أندلسية ماجدة كانت تسكن إشبيلية وبقيت مستوطنة فيها حتى بعد احتلال النصارى لها، فعدّ الحلفاويون لذلك مدجنين. ثم انتقلوا إلى مدينة فاس في النصف الأول من القرن الثامن (14 م)، واستوطنوها (انظر الحلفاوي محمد بن موسى) ونجد في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) بعض الحلفاويين في مراكش، يسكنون حياً يحمل اسمهم حتى اليوم بحومة باب دكالة.

## الحلفاوي ← الفاسي الحلفاوي

**الحلفاوي، قاسم** بن أحمد بن محمد المراكشي، لم تتعرض المصادر كثيراً لحياته فلم تذكر تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته، وكان تركيز كل المترجمين له على مسألتين :

- الأولى : كتابه *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة* الذي عرف فيه بشيخه محمد الكامل بن أبي عمرو القسطلي المراكشي (960 / 1552 - 997 / 1588).
- الثانية : انتماؤه للزاوية المذكورة وارتباطه الوثيق بشيوخها ومريديها.

وقد اعتمدنا - إلى جانب المعلومات القليلة المتوفرة - على كتاب *شمس المعرفة* لنستقي منه ما يمكن أن يفيدنا في التعريف بمؤلفه.

والد الحلفاوي هو أحمد بن محمد روى عنه المؤلف وذكر أنه كان من أتباع عبد الكريم الفلاح ( *شمس المعرفة*، 58) وهو شيخ أبي عمرو القسطلي كما هو معروف. وكان للحلفاوي أخ اقتسم معه أموال أبيهما، فأشهد الأخ الناس بعدم رضاه عن ذلك، وشكا الحلفاوي أمره لشيخه محمد الكامل فنصحه بالصبر، فلم تكد تمضي سنة حتى توفي الأخ وعاد الإرث كله للمترجم له ( *شمس المعرفة*، 91).

درس الحلفاوي بمراكش على بعض علمائها منهم : أبو بكر بن داوود، كان يحضر دروسه في أول النهار ؛ وإبراهيم ابن الحسن، كان يحضر دروسه في آخر النهار ( *الإعلام*، 10 : 28 - 29).

وأخذ التصوف والطريقة الجزولية التباعية عن شيخه أبي عبد الله محمد الكامل بن أبي عمرو القسطلي المراكشي مع صغر سنه، وكان معجبا به شديد التقدير والاحترام له، إذ كان يلقبه "شمس القرن العاشر" والشمس رتبة من مراتب الولاية. وله معه مواقف وحكايات عديدة رواها في مؤلفه عنه. منها ما حدث عند اتصاله به أول

مرة، فقد نظر إليه وأمر بتكشيطه (كذا) من ثيابه النفيسة وهو دليل - إذا أضيف إلى مسألة خصومته مع أخيه على الميراث - يبين انتسابه إلى أسرة ميسورة. وألبسه ما فيه رضاه، ثم قال لا بد من جلده، قال الحلفاوي : "وجلدني في وسط الناس، وكان أحسن وقت عندي وأحسن يوم وأحسن ساعة وقتي ذلك، ولا أحسب شيئا في أيام عمري أفضل من ذلك اليوم..." ( *شمس المعرفة*، 323).

والراجح أنه ألف كتابه *شمس المعرفة*حوالي سنة 993 / 1585 لقوله عن الشيخ عبد الكريم الفلاح في ترجمة أبي عمرو : "من كلامه ما شاهدنا صدقه بعد ستين سنة كقوله سأغرس في موضع كل سدرة شجرة. ولا يزال مراكش يعمر حتى يباع معطن البقرة بقيمة البقرة" والمعروف أن وفاة الفلاح كانت سنة 933 / 1526. وبذلك يكون الحلفاوي قد كتب كلامه سنة 993 / 1585.

وقد دأب شيوخ التصوف على فعل شيء مّا لدخول مريديهم مقام التوبة، منهم من كان يقص خصلة من الشعر كالتباع... وقد كاشف الحلفاوي شيخه فيما بعد بما كان يدور في نفسه قبل التوبة :

- إنه كان مترددا في اتباع الطريقة فأجابه الكامل : "الناس كلهم شربوا من مائنا إلا أنت تقيس وتنجر".

- إنه كان من المعترضين على المبالغين في قراءة *دلائل الخيرات* وهو من أذكار أتباع أبي عمرو، وبعد أخذه عن شيخه الكامل أصبح من الذين يختمونه" في اليوم مراراً عديدة "وكتب نسخا عديدة منه بخط يده" بعضها الآن بمدينة المصطفى عليه السلام" ( *شمس المعرفة*، 320).

ويبدو أن الحلفاوي أخلص للطريقة ولازم رباط شيخه وكان لا يغادره إلا نادراً : فقد زاره رجل من أصدقاء أخيه السابق الذكر، فغادر معه الرباط، ولما علم الكامل بذلك نهاه قائلا : "ما لكم وللخروج (كذا) بعض الناس يجعلكم مزارة من أجلنا ومغارة لكلام لا يجمع علينا..." ( *شمس المعرفة*، 324).

وكان الحلفاوي يداوم على قيام الليل، وشجعه شيخه على ذلك يوما عندما قال له : "أنت ممن يقوم الليل... إني أطوف عليكم في بيوتكم فأعلم القائمين والنائمين" (*شمس المعرفة*، 345). وكان الشيخ يركز في تلقينه على كتب الطريقة والتربية الصوفية فكان الحلفاوي يقرأ *الألفية* خفية، وعندما بلغ باب الحال، علم الشيخ بذلك فنهاه عن عمله، فتاب عنه، ( *شمس المعرفة*، 345).

ويبدو أن تقدير محمد الكامل لمريده كان سببا في القسوة عليه من حيث الالتزام والدراسة.. وربما طلب منه يوما التخفيف عنه فأجابه : "الناس كلهم أوسّع عليهم إلا أنت أضيق عليك" وهو يبتسم. فانكب الحلفاوي على يديه يقبلهما، واشتد عليه البكاء، فلما رأى حاله قال له : "ما يكون إلا خير" ( *شمس المعرفة*، 323 - 324). وكثيراً ما كان يستدعيه ويجالسه ويعظه وينصحه بالذكر والصلاة ويدعو له ويقول له "يا قاسم قسمتك تاتيك".

ومع ذلك كان الشيخ يظهر التلطف والرأفة عندما يمرض مريده، وقد سأل أمه عن حال ابنها مرة ( *شمس المعرفة*، 327) وسأل عن حاله مرة أخر بعدما شُفي من حمى (*شمس المعرفة*، 325) ونصحه بالكي مرة ثالثة ( *شمس المعرفة*، 326).

وكان الحلفاوي يسلك مسلك شيوخه في الاهتمام بالفلاحة ويستشيرهم في ذلك، فقد اقترح عليه محمد الكامل أن يغرس أرضاً له رمانا، فغرس إلى جانبه العنب والزيتون، فازدهر الرمان دون غيره من المغروسات ( *شمس المعرفة*، 343) وساعده بالمال على بناء صهريج لسقي جنان له بجليز ( *شمس المعرفة*، 326 - 327).

وإلى جانب الذكر والصلاة والتدريس، اقرأ الحلفاوي *صغرى السنوسي* وعبادات *مختصر خليل* للطلبة والمريدين حين طلبوا منه ذلك ( *الإعلام*، 10 : 28).

ويعتقد عباس بن إبراهيم أن الدرب الموجود بحومة باب دكالة المسمى بدرب الحلفاوي منسوب إليه، دون أن يثبت ذلك ( *الإعلام*، 10 : 25) إذ المعروف بمراكش أن الدرب يسمى باسم الولي إذا كان مدفونا فيه، أو توجد به زوايته... والحلفاوي عاش في زاوية الحضر بدرب سيدي بوعمرو أمام مسجد ابن يوسف حيث كانت - ومازالت - الزاوية البوعمرية. ودرب الحلفاوي المذكور كان يسكنه كبار رجال الدولة العلوية والشخصيات العلمية المرموقة بالمدينة التي اختارت التدريس بجامع باب دكالة المشيد من طرف مسعودة الوزگيتية.

ومن آثار الحلفاوي : *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة*، أشهر كتبه، عرف فيه بشخيه محمد الكامل بن أبي عمرو القسطلي المراكشي ورتبه في مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة، وقد وقع تداخل كبير بينه وبين كتاب (شمس القلوب لكل محبوب) الذي ألفه الزروالي في شيخه أبي عمرو القسطلي.

- شعر كثير أورده في كتابه *شمس المعرفة* في مدح شيوخ التصوف وأدب الطريقة وما إلى ذلك من الموضوعات الدينية بلغ مجموعه حوالي اثنتين وسبعين قصيدة ومقطوعة تجاوز بعضها مائة بيت وهو - من نوع شعر الفقهاء - أقرب إلى النظم التعليمي.

- *بغية السائل في أشرف الوسائل في الصلاة على المبعوث من خير القبائل*. في ثلاثين بابا و360 فصلاو4 آلاف صلاة و12 نوعا. ولهذا الكتاب أسماء أخرى ذكرها في ( *شمس المعرفة*، 230) منها : *غنيمة البائع والمشتري* / *كنز أهل المعارف والأسرار* / *نزهة أهل الجذب والتيسير* / ... والمسمى واحد هو كتاب الصلوات المذكورة.

توفي - حسب تقدير ابن سودة - بعد عام 1000 / 1591.

قاسم الحلفاوي نفسه، *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة*، مخطوط خزانة ابن يوسف بمراكش، رقم 171 ؛ ع. ابن إبراهيم،

الإعلام ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 240 ـ 241.

حسن جلاب

**الحلفاوي، محمد** بن **أحمد** المراكشي، لعله أخو قاسم الحلفاوي سابق الترجمة، فيكون حينئذ أكبر منه سناً لأنه كان من مريدي الشيخ أبي عمرو القسطلي نفسه بينما صحب قاسم محمد الكامل ابن الشيخ أبي عمرو كما سبق.

وصفه ابن إبراهيم في *الإعلام* بالفقيه الأرضي الأعدل. وذكر له كرامة مع الشيخ من خوارق العادات حين خرج لزيارة أخ له بثغر تاغزا راكبا على فرسه في الأرض فنادى الشيخ، قال الحلفاوي : "فإذا أنا بالشيخ سيدي أبي عمرو رضي الله عنه أنظر إليه بعين رأسي نظراً لا أشك فيه حققته بعيني ذاته وهيئته كما تركته بمراكش ...". ولعل وفاته لم تكن بعيدة عن وفاة شيخه أبي عمرو القسطلي عام 974 / 1566.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 185 ـ 186.

**الحلفاوي، محمد** بن **موسى** الفاسي. من مدجني إشبيلية، لعله أول مهاجر من الحلفاويين إلى المغرب. استوطن مدينة فاس أيام أبي الحسن المريني وكان حافظاً للقرآن ولكثير من الحديث، تتلمذ في العلوم الشرعية للفقيه محمد بن سليمان السطي الفاسي شارح *المدونة*، وأخذ التصوف عن الشيخ يعقوب الزيات الفاسي. قال ابن القاضي في *الجذوة* : "وكان ممن له قدم في الطريقة ... صاحب صدقات ومكاشفات ... وله مع أبي عنان حكايات مشهورة".

عُرف الحلفاوي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان مأذوناً له في ذلك من سلاطين بني مرين "حسم به أدواء الفساد، وقمع الأشرار عن بغيهم المعتاد".

توفي بفاس سنة 758 / 1356.

أ. ابن القاضي، جذوة، 1 : 305 ؛ درة، 2 : 231.

محمد حجي

**الحلفاويين** (مدرسة –) بفاس تعتبر أم المدارس المرينية، فالبرغم من اختلاف الباحثين حول تاريخ ظهور المدرسة بالمغرب فإنهم يتفقون على كون الحلفاويين أولى المدارس التي بناها بنو مرين. فقد شيدها أبو يوسف يعقوب سنة 670 / 1271 (جنى *زهرة الآس*، 75) أي قبل شروعه في بناء المدينة البيضاء دار الملك.

وأشرف أبو أمية الدلائي قاضي الجماعة بفاس على بنائها. ويبدو أن هذا القاضي هو صاحب فكرة تأسيس المدرسة، فلقد رحل من المرية بلده الأصلي إلى المشرق الإسلامي طلبا للعلم، فتتلمذ عن كبار العلماء كعز الدين بن عبد السلام ( *الجذوة*، 1 : 339)، ولاشك أنه أخذ قسطا من معارفه بالمدارس المنتشرة آنذاك بالمشرق فلما حط الرحال بالمغرب وتولى منصب قاضي الجماعة بفاس، طلب من السلطان يعقوب المريني تأسيس هذه المدرسة. ويذكر صاحب ( *الجذوة*، 335) أن أبا أمية الدلائي أول من سن سنة بناء المدارس بحضرة فاس.

عُرفت مدرسة الحلفاويين بأسماء كثيرة، فقد أطلق عليها في البداية اسم المدرسة ( *الذخيرة*، 162) لكن لما تعددت المدارس بفاس خلال القرن الثامن (14 م) نعتت بأسماء لتمييزها عن غيرها، فسميت باليعقوبية نسبة إلى مؤسسها السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني الذي حكم ما بين 656 ـ 685 / 1258 ـ 1286 (جنى *زهرة الآس*، 75) وسميت كذلك مدرسة الحلفاويين (*فهرس المنجور*، 63) ولعل الحلفاويين اسم الحي الذي بنيت فيه، وسُمي بعد ذلك بالصفارين عند انتقال أهل هذه الحرفة إليه في فترة متأخرة. وأصبحت المدرسة تسمى ـ حتى اليوم ـ مدرسة الصفارين، وقد يكون للمدرسة علاقة بمسجد قديم يعرف بالحلفاويين وكان مزاراً ينزل به أهل الصلاح والفضل (*ماضي القروين وحاضرها*، 49 ـ 50).

أقيمت مدرسة الحلفاويين على مساحة كبيرة، ويمتاز بابُها ببساطة شكله وخلوه من الزخارف عكس أبواب المدارس المرينية، يؤدي مدخلها المنعرج إلى فناء فسيح يتوسطه صهريج يضفي حيوية وبهاء على البناية. تتوزع حول الصهريج مختلف أقسام المدرسة، ففي الجهة الجنوبية الشرقية تقوم قاعة الصلاة، وبجوارها إلى الشرق دار الوضوء. في حين أن بيوت الطلبة تحتل الجوانب الاخرى، إذ يتم الوصول إليها عبر أروقة مغطاه. ويؤدي السلم إلى الطابق العلوي الذي يشتمل أيضاً على بيوت الطلبة. وتتميز قاعة الصلاة بشكلها المربع ـ وتستعمل كذلك لإعطاء الدروس ـ حيث ينتصب في جدار القبلة محراب يعد من أقوم محاريب مساجد فاس (جنى *زهرة الآس*، 75).

تشتمل المدرسة على صومعة مربعة الشكل، بُنيت من الآجر وكسيت بالفسيفساء، وبناءً على شكل الصومعة وعلى حجمها وعناصرها الزخرفية يمكن اعتبارها النموذج الأصيل للصومعة المرينية التي ستبلغ أوج تطورها خلال القرن الثامن (14 م).

منذ تأسيس الحلفاويين، سكنها الطلبة والقراء حيث أعطيت لهم الجرايات والمرتبات، واعتمد يعقوب المريني على جزية اليهود باعتبارها مورداً قاراً للإنفاق على مدرسته، ويظهر أن مداخيل الجزية كانت كبيرة لأنها استخدمت أيضاً في الإنفاق على صنع ثريا المسجد الأعظم بالمدينة البيضاء ( *الذخيرة*، 162) ويبدو أن مداخيل الحلفاويين من جزية اليهود لم تصبح كافية لتغطية نفقاتها وحاجياتها المتزايدة، إذ خصصت لها حسب حوالة الأحباس الموجودة بنظارة أوقاف القروين عدة أملاك وأوقاف. فحسب الحوالة المذكورة كانت المدرسة تستفيد سنة 992 من مداخيل عدة أرحية وحوانيت موجودة بالصفارين والسبيطريين والرصيف والنيارين ... ولقد ساهمت الموارد

في تعزيز مكانة مدرسة الحلفاويين وفي تأمين استمراريتها إذ ظلت محجّاً للطلبة والأساتذة والعلماء الكبار مثل الشيخ مَحمد بن سليمان الجزولي مؤلف *دلائل الخيرات* (*الجذوة*، 1 : 319) وعثمان بن عبد الواحد المكناسي اللمطي، فكانت مركزاً علمياً تلقى فيه أساسا العلوم الشرعية، ومن هنا ساهمت مدرسة الحلفاويين في تطوير الحياة الثقافية بفاس وفي ترسيخ إشعاعها الحضاري.

وقد احتضنت المدرسة خزانة للكتب، إذ أوقف عليها مؤسسها يعقوب المريني ثلاثة عشر حملاً من الكتب كان حصل عليها في اتفاقيته مع الملك القشتالي سانشو عام 684 / 1285 (*القرطاس*، 363).

شهدت مدرسة الحلفاويين إصلاحات عديدة غيرت نسبيا من ملامحها الأصلية، إذ ضاعت تماما الزخارف الجبسية التي كانت تزين الجدار المحيط بالفناء، كما فقدت المدرسة زخارفها من الزليج (بيل، 93) وبالرغم من هذه التغيرات فإن مدرسة الحلفاويين ما زالت تحافظ على طابعها القديم وعلى بعض زخارفها الأصلية كالقبة الخشبية التي تغطي قاعة الصلاة، فهي تشتمل علي عناصر كتابية ونباتية وهندسية متناسقة وبديعة. وهكذا تعد مدرسة الحلفاويين من المعالم الرئيسية بفاس وحلقة هامة في تاريخ العمارة والفن المغربي عامة والمريني خاصة.

وقد أجريت إصلاحات بالمدرسة سنة 1987 قصد تهيئتها وإعدادها لإيواء الطلبة الذين يتابعون دراستهم العلمية بجامع القرويين. فهي حاليا سكنى للطلبة الآفاقيين الشيء الذي يذكرنا بإحدى وظائفها الأصلية.


أ. المنجور، *فهرس*، تح. م. حجي، الرباط، 1976 ؛ ع. ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972 ؛ *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ع. الجزنائي، *زهرة الآس في بناء مدينة فاس*، الجزائر، 1923 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، 339 ـ 240 ـ 319.

M.A. Peretié, *Les médersas de Fès*, *A. M.*, T. 18, 1912, p. 257 - 373 ; A. Bel, *Inscriptions arabes de Fès.*, Paris, 1919 ; Ch. Terrasse, *Médersas du Maroc*, Paris, 1927.


الحاج موسى عوني

**الحلفي**، مقاوم ولد سنة 1914 بمدشر أزغار بني أحمد تبرانت دائرة ترجيست إقليم الحسيمة، كان متزوجاً وأباً لستة أبناء يعيش في مسقط رأسه فلاحا متواضعا إلى أن انخرط في صفوف جيش التحرير ضمن التشكيلة التي كان يرأسها محمد الفزازي المرنيسي، شارك في عدة معارك مع رفاقه في الجهاد إلى أن استشهد بعدما أصيب بالرصاص في إحدى المعارك مع جنود المستعمر الفرنسي ببوزينب في ربيع الثاني ـ جمادى الأولى عام 1375 / دجنبر 1955.


**حلق المعمورة ← المهدية**


**حَلْقة الدار**، الحلْقة في اللغة "كل شي استدار" وفي العمارة الإسلامية المغربية تُطلق على القسم الأوسط العاري من صحن الدار أو "وسط الدار"، سواء في المدن أو في الأرياف، وإن كانت كلمة الحلقة غير مستعملة في الوسط الأمازيغي إذ يحل محلها لفظ "تازنونت"، وهي التي نجدها في الدارج المغربي بصيغة" الزنونة" أو "الجنونة" حسب المناطق. ومعلوم أن هذا القسم العاري أساسي في العمارة التقليدية، خاصة في الوسط المدني، إذ منه تستمد الدار ضوءها وتهويتها. فالمنازل التقليدية في الحواضر تكون قليلة المنافذ على الخارج، وتكون النوافذ الموجودة بها ضيقة أو صغيرة الحجم، تحتل فتحاتها عموما شبابيك حديدية أو خشبية (على شكل المشربية)، وفي غير هذه الحالات نجد مكان الشبّاك إطاراً خشبياً مقوساً، مما يقلل من فتحة النافذة كذلك، ويقلل من دخول الضوء والهواء. ثم إن المنازل في المدن العتيقة كثيراً ما تحتل دروبا ضيقة، تكون الجدران بها قريبة من بعضها، حتى إن دروبا قد لا تتسع لمرور شخصين. كما أن بعض المنازل تقع داخل دروب مسقفة (وهي المسماة بالساباط)، بعضُها غير نافذ. وهذه الحالات كلها لها تأثير كبير على تهوية المنازل وإنارتها بالقدر الكافي والمرغوب.

وفي أغلب المنازل التقليدية المغربية، تتحدد الحلقة على طول جوانبها الأربعة بإفريز من القرميد، أو بكنة من خشب، قد يكون ألواحا عادية وقد يكون ألواحا منقوشة جميلة الصنع. أما الفتحة نفسها فتحتلها أحيانا شبكة من قضبان حديدية تتقاطع بينها بشكل يفرز مربعات صغيرة، وأحيانا يغطيها زجاج، على أن العنصرين معا دخيلان على العمارة التقليدية لم يظهرا إلا في هذا القرن.

هذا ونجد الحلقة تعني كذلك مطرقة الباب، وإليها يشير ابن منظور عند قوله "حلْقة البَاب وحلَقته بإسكان اللام وفتحها".


ابن منظور، *لسان العرب* ؛ معجم كولان للعامية المغربية، 2 : 364 ـ 365 ؛ ع. توري وجودية حصار بنسليمان، قاموس، *ألفاظ البناء في العمارة التقليدية*، ص. 62 (تحت الطبع).


عبد العزيز توري

**حَلْقة الفرجة** بالمغرب، هي مجلس ترفيهي يتحلق فيه الناس في السوق أو الساحة العمومية حول قاصّ أو مغنّ أو منشد أو بهلواني يبهر العيون ويستهوي الأفئدة. وتجمع على "حْلاقي". وهي غير حلقة التدريس التي يتحلق فيها الطلبة حول الشيخ في المسجد أو المدرسة، وحلقة الذكر عند الصوفية الذين يستعملون الرقص والسماع، وحلقة الدار التي هي فناء تحيط به أروقة محمولة على سوار وأقواس من حجر (انظر حلقة الدار).

إذا اقتصرنا على العصر الحديث في حلقة الفرجة وجدنا

الحسن الوزان (ت. بعد عام 957 / 1550) أثناء حديثه عن مدينة فاس في *وصف افريقيا* يذكر ما فيها من مغنين ومشعوذين ينشدون في الساحات قصائد وأغنيات وترهات لاعبين بالدف والرباب والقيثار وغيرها من الآلات. ووجدنا الشيخ عبد الله الهبطي (ت. 963 / 1556) يستنكر في الباب العاشر من *الألفية السنية* ظاهرة الزفّان وهو المغني الشطاح الذي ولع جبالة بشطحاته حتى لا يكاد يتخلف منهم أحد عن "حلقته" وتتبارى النساء في الرقص بين يديه وهو ينشد الأشعار الغزلية الخليعة باللسان الدارج الذي يفهمه الجميع ويطرب له.

كما نجد الحسن اليوسي في *المحاضرات* يستشهد على اختلاف طبائع الناس في الطعام باختلاف الإلف والعادة، بأنه دخل في أعوام الستين وألف مدينة مراكش، وهو يومئذ طالب علم، خرج يروّح ذات يوم عن نفسه في الرحبة (جامع الفنا) ووقف على رجل مسن عليه حلقة عظيمة وهو يحكي الأمور المضحكة قائلا : "اجتمع الفاسي والمراكشي والعربي والبربري والدراوي فقالوا تعالوا فليذكر كل منا ما يشتهي من الطعام، ثم ذكر ما تمناه كل واحد بلغة بلده وما يناسب بلده... تمنى الفاسي مرق الحمام ولا يبغي الزحام، والمراكشي تمنى الخالص (خبز السميد) واللحم الغنمي، والعربي تمنى البركوكش بالحليب والزبد، والبربري تمنى عصيدة انلي، وهو صنف من الذرة بالزيت، والدراوي تمنى تمر الفقوس في تگمدارت مع حريرة أمه زهراء".

وقد تكاثرت "الحلاقي" في الفترة المعاصرة، وخاصة أيام الحماية وتنوعت مشاربها وأخذت تستقطب جمهوراً واسعاً في الحواضر كمراكش وفاس ومكناس وسلا وتطوان. وساعد على انتشارها في الأوساط الشعبية أمران :

1 - التوقيت الشمسي المعمول به آنذاك عند الحرفيين والصناع التقليدين الذين كانوا يشتغلون من شروق الشمس إلى العصر.

2 - قلة أو انعدام وسائل التسلية داخل البيوت وخارجها، حتى أجهزة الراديو كانت محدودة لا يقتنيها إلا بعض الأسر الموسرة.

ولنضرب المثل بمدينة سلا التي كانت لها ساحتان لعقد "الحلاقي"، تقع الأولى خارج باب فاس المسمى أيضا باب الخميس، تمتلئ من العصر إلى الغروب حيث يكثر فيها القصاصون والممثلون الذين يقدمون قصصاً قصيرة وملحاً طريفة عن طريق الحكي الفردي أو الجماعي المصحوب أحياناً بالدف والبندير أو الگنبري، أو عن طريق الحوار بين اثنين أو جماعة يمثلون منافرة البدو والحضر، ومفاخرة النساء والأزواج، وعادات سكان مختلف الأقاليم في الطعام واللباس والأفراح والمواسم. وأشهر الحلايقية في هذه الساحة المسمى "العگر" الذي لا يُبارى في التعبير بملامح وجهه وتكييف صوته وتغيير لهجاته البدوية والحضرية ؛ و"الحاج" حاكي القصص الطوال كسيرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب وعنترة ابن شداد وابنة عمه عبلة بنت مالك.

وتقع الساحة الثانية داخل المدينة وسط السوق الكبير وتعمر بين العشاءين، ويغلب عليها طابع الغناء والرقص عندما تزور "رباعة الروايس" المدينة، والحركات البهلوانية مع فرق "عبيدات الرمَى" أو "أولاد سيدي أحمد أو موسى". وتزدحم فيها كذلك حلقة البودليّين الذين يشربون الماء في شدة غليانه ويأكلون الزجاج المسحوق... ويذعن الحاضرون بالتسليم عندما يطلب منهم ذلك فيصيحون بصوت جهوري جماعي تدوّي له الساحة "التسليم لله" وحلقة هداوة ذوي الشعور المشعثة الذين يدقون في طبول كبيرة موضوعة على الأرض ويرددون أزجالا حلوة في تمجيد الخالق تعالى والرسول الكريم وشيخهم سيدي هَدّي. وكان من ألمع نجوم هذه الساحة الحسين السلاوي ورفيق له لا أذكر اسمه، تزدحم حلقتهما بالشباب، وتحضرها بعض النساء المنتقبات فيتغزل الحسين ببعضهن أحياناً بزجله وهو يطوف بالحلقة شبه راقص قائلا:" ذوكْ العيونْ الكوحلْ..." محدقاً في إحدى المتحلقات التي قد تخجل وتنسحب.

لقد تضاءل شأن "الحلاقي" بعد الاستقلال نتيجة وفرة وسائل التسلية المرئية والمسموعة داخل المقاهي والبيوت، باستثناء جامع الفنا الذي لا تكاد تخلو ساحته منها ليلاً ولا نهاراً.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الترجمة العربية، بيروت، 1983 ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، بيروت، 1982 ؛ ع. الله الهبطي، *الألفية السنية*، مخطوط ؛ *اطلاع ميداني*.

محمد حجي

**حَلَقيّات** أو العَلَق، ديدان بحريّة تتميز - كما يدل اسمها على ذلك - بجسم ديداني الشكل مقسم إلى عدد كثير من الحلقات، وقد تم تصنيفها إلى ثلاث مجموعات :

1 - المجموعة الأولى تتميز بتوفرها على رأس ذي أعضاء حسية وجسم تحمل معظمُ حلقاته زائدتين اثنتين جانبيتين تتوفر كل واحدة منها على العديد من الشعيرات تساعدها على السباحة والتنقل ممّا حدا بالعلماء إلى تسمية المجموعة ب "Polychètes" أو "متعددات الشعيرات" كما يمكن لهاته الزوائد أن تحمل ملامس قد يكون لها دور أساسي في وظيفة التنفس. وتوجد داخل "متعددات الشعيرات" حلقيات "أوابد" تعيش في مسالك محفورة في الصخور مصنوعة بلعاب خاص وحبات الرمال، كما توجد حلقيات رحّالة لا تستقر بمكان، وهي دائمة التنقل بين النباتات والصخور بحثا عن الغذاء.

تعيش معظم متعددات الشعيرات في المياه البحرية إما في الرمال والأوحال أوفوق وداخل الصخور، كما أن هناك عدة أنواع تعيش ضمن العوالق أو كطفيليات لحيوانات أخرى. وهي إما لاحمة خاصة منها الرحالة وإما كالأوابد بحكم طريقة عيشها مضطرة للانتظار داخل "جحرها" لما

يمكن أن تحمله لها التيارات البحرية من عوالق أو مواد عضوية. أما عن طريق تزويدها بما تحتاجه من مادة الأكسجين فيتم ذلك أساسا بواسطة الزوائد الجانبية لكل حلقة من حلقات الجسم، وكذلك الملامس المحمولة على هاته الزوائد، بل وعند العديد من أنواع الأوابد توجد لوامس أخرى محيطة بالفم لها كذلك دور كبير في وظيفة التنفس. وقد ذهب العديد من العلماء إلى تأكيد أن الحلقيات متعددات الشعيرات يمكنها كذلك امتصاص الأوكسجين الموجود في الماء عن طريق جلد الجسم كله.

أما عن التكاثر لدى متعددات الشعيرات فقد أثبتت الدراسات أنه يتم بطريقتين اثنتين : طريقة جنسية بواسطة حيوانات منوية وبويضات تتكون وتنمو داخل تجوف الجسم فيلقى بها فيما بعد في الماء ليخصب بعضها البعض، وطريقة لا جنسية كالتبرعم أو انشطار الجسم إلى عدة قطع تعطي كل واحدة منها فرداً كاملاً. بل وأثبتت دراسات أخرى أن التكاثر عند متعددات الشعيرات يمكن أن يتم عن طريق التوالد العذري أي دون تدخل الحيوانات المنوية، كما أن هناك حالات نادرة يمكن فيها للأنثى أن تلد صغاراً مباشرة ومن دون بيض وهي الطريقة الولادية.

2 ـ المجموعة الثانية من الحلقيات وهي ما يمكن تسميتها "نادرة الشعيرات" (Oligochètes) وهي ديدان تختلف أساسا عن المجموعة الأولى بعدم وجود أية أعضاء حسية في الرأس الذي لا يُرى هو نفسه. كما تختلف عن متعددات الشعيرات بعدم وجود زوائد جانبية في حلقات الجسم، وحتى الشعيرات فهي قليلة ومغروسة مباشرة في الجلد.

من أشهر هاته الحلقيات دودة الأرض، إلا أن هناك أنواعا أخرى تعيش في المياه القارية الجارية منها والراكدة، وكذلك المياه البحرية. وإذا كان لا يُعرف لقليلات الشعيرات المائية دور مهم غير المساهمة في التوازنات البيئية داخل وسطها فإن لقليلات الشعيرات التي تعيش في اليابسة دوراً مهماً وأساسيا في إغناء الأرض بالمواد العضوية الضرورية لنمو النباتات، بل ولديدان الأرض الفضل الكبير في إنتاج الدّبال أي التربة العضوية، وأن أكبر كمية من هاته المادة الحيوية في العالم تنتجها الحلقيات قليلات الشعيرات حيث إنها تلتهم التربة (بالنسبة للأنواع التي تعيش على اليابسة) أو الرمال والأوحال (بالنسبة للأنواع المائية) فيمتص جهازها الهضمي ما يحتاج منها من مواد مغذية للجسم ويلقي بالباقي خارج الجسم غنيا بمواد أخرى صالحة للنباتات، لذا سميت هاته الحيوانات "آكلات التربة".

ليس لقليلات الشعيرات جهاز تنفسي، حيث إنه سواء بالنسبة للأنواع التي تعيش على اليابسة أو في الماء فإن الاستفادة من مادة الأوكسجين الموجود في الوسط يتم عن طريق جلد الجسم كله.

لقليلات الشعيرات كذلك طريقتان في التكاثر، فهناك طريقة جنسية، وتجب الإشارة إلى أن كل الأفراد عند هاته الحلقيات تلعب في نفس الوقت دور الذكر ودور الأنثى، والتجانس لا يمكن أن يحصل إلا بين فردين اثنين تلقح الحيوانات المنوية لكل واحد منهما بويضات الآخر، كما أن هناك طريقة غير جنسية وذلك بانشطار جسم الفرد الواحد إلى قسمين اثنين يجدد بعد ذلك كل واحد منهما ما ضاع منه في القسم الآخر.

3 ـ وأخيراً المجموعة الثالثة وهي ما يمكننا تسميتها ب "عديمات الشعيرات" (Achètes) فهي مبدئياً حلقيات لا تتوفر على شعيرات ولا على زوائد، إلا أنه رغم تسميتها هاته فهي تحتوي على بضعة أنواع مازالت رغم تطورها تحتفظ ببعض الشعيرات في الحلقات القريبة من الرأس. ومن الخصائص الرئيسية كذلك لهاته المجموعة توفر أنواعها على محجمين اثنين أحدهما محيط بالفم والثاني في الطرف الخلفي. ومن الخاصية الأخيرة يمكن استنتاج طريقة عيش هاته الحلقيات حيث إن وجود محجم محيط بالفم يُمَكن تلك الديدان من الالتصاق بضحاياها وامتصاص دمها.

وأشهر الأنواع المعروفة ببلادنا ما يسمى بالعلقة وهي ديدان صغيرة حمراء توجد في المستنقعات ومياه الآبار والتي إذا نفذت إلى جسم الإنسان أو الحيوان عن طريق الماء غير الصالح للشرب تحدث نزيفا خطيراً يمكن أن يؤدي إلى وفاة المصاب. تتغذى إذن هاته الحيوانات بدم ضحاياها وتتنفس عن طريق جلد الجسم كله تمتص بواسطته الأوكسجين الضروري لها مباشرة من الماء، أمّا التكاثر فلا يتم إلا بطريقة واحدة وهي الطريقة الجنسية. وبالفعل فإن كل عديمات الشعيرات تحمل في نفس الوقت أعضاء تناسلية ذكرية وأنثوية ولا يمكن للفرد أن يخصب نفسه، بل على كل فرد الالتقاء بفرد آخر حتى تخصب حيواناته المنوية بويضات الفرد الآخر.

أما عن أنواع الحلقيات الموجودة في المياه الإقليمية بالمغرب فهناك أكثر من 340 نوع يتوزع معظمها في أعالي البحار والمحيطات، والقليل منها فقط ذو توزيع متوسطي وأطلسي، كما أن هناك تسعة أنواع لا توجد إلا في المياه المغربية، وآخر نوع اكتُشف في المغرب سنة 1995 هو Diopatra marocensis اكتُشف في منطقة أسفي وهو كما يدل اسمه على ذلك يحمل إهداءً للمغرب.

محمد منيوي

ابن **حَلاَم**، أسرة علم ومروءة بمكناس من أهم أفرادها :

ابن **حَلاَم، أحمد**

ابن **حَلاَم، إدريس** بن قاسم

ابن **حَلاَم، التهامي** بن عبد الوهاب بن أحمد

ابن **حَلاَّم، عبد السلام** بن أحمد

ابن **حَلاَّم، عبدالعزيز** بن محمد بن قاسم

ابن **حَلاَّم، العربي** بن محمد بن أحمد

ابن **حَلاَّم، قاسم** الخطيب

ابن **حَلاَّم، مَحمد** (الجد -) دفين جنوب زرهون

ابن **حَلاَّم، محمد** الخطيب

ابن **حَلاَّم، محمد** بن **قاسم** بن محمد

كل هؤلاء الأعلام مذكورون فيما يلي حسب تسلسل أفراد الأسرة دون اعتبار الترتيب الهجائي.

وهم ينتسبون إلى الشيخ مَحمد ابن حلام دفين مركز خمراوة جنوب جبل زرهون جنوب مدينة مكناس، حيث سكنها أوائلهم - تخمينا - من أواسط القرن الثاني عشر (18 م) من الزمن تفرعوا إلى فرقتين :

أ - فرقة محمد بن قاسم بن محمد بن القاسم بن عبد العزيز بن عبد المجيد، ومن هذا الفريق محمد بن قاسم ابن حلام، المتوفى عام 1234، حلاه ابن زيدان بخاتمة أعلام عصره في تقرير *المختصر الخليلي بالزرقاني وبناني*، كما استنتج من بعض الوثائق العدلية ولايته لنيابة القضاء بمكناس.

ومن مقيدات المترجم كناشة بخطه تحمل رقم خ. ع. ك 3246 ثم الفقيه قاسم ابن حلام أول خطيب بالجامع العلمي.

وثاني هذا الفريق الفقيه العدل الحاج إدريس بن قاسم ابن حلام، المتوفى حوالي عام 1300.

وثالثاً : الشقيقان الحاج محمد وعبد العزيز ابنا الفقيه السيد محمد بن قاسم ابن حلام، وهو - أيضاً - جد العالم محمد بن أحمد بن المفضل برادة من بنته السعدية.

ب - فرقة أحمد بن حلام :

من هذا الفريق الفقيه العدل المبرز، النوازلي البارع مُحمد بن أحمد ابن حلام، المتوفى عام 1331، وهو والد الفاضل الحيي الحسيب السيد العربي، والد نخبة من منوعي الثقافة بين عربية وأجنبية.

ومن الفريق الفقيه العدل الخطيب السيد عبد السلام بن أحمد ابن حلام، والد الفقيه العدل العالم الخطيب محمد ضما المتوفى عام 1362.

ثم منهم التاجر الأريحي المفضال السيد التهامي بن الوهاب بن أحمد.

نذيل هنا بظهير إنعام بمنح من السلطان محمد الرابع تشجيعا لفئة من طلبة مكناس، رابعهم الحاج إدريس بن قاسم ابن حلام سابق الذكر، ونصه بعد الافتتاح :

"نفذنا - بحول الله وقوته - للطلبة الأربعة من أهل مكناس، وهم الطالب أحمد بن محمد ابن عزوز، وسيدي السعيدي بن محمد المنوني، والطالب إدريس بن محمد ابن عبود، والطالب إدريس بن قاسم ابن حلام، مثقالين لكل واحد منهم في كل شهر من أحباس الجامع الكبير، إعانة لهم على طلب العلم الشريف، فنامر ناظرها في حينه أن يكون يدفعها لهم في كل شهر، والسلام.

في 3 ربيع الثاني عام 1277".

مجهول آخر، *تلخيص الحاوي للفتاوي* لمجهول، وفرغ من كتابة أواخره بعد عشاء الأحد رابع جمادى الأولى عام 1269 هـ، خ. ع. ك 1855 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 4 : 168 - 296.

محمد المنوني

**حَلاَّمة**، نوع من الأسماك العظيمة الشعاعيات الزعانف Actinoptérygiens ومن رتبة الفرخيات Perciformes ومن فصيلة الأسبوريات Sparidae يسمى علميا Sarpa (Boops) salpa وبالفرنسية Saupe وبالانجليزية وبالاسبانية Salema. لا يتعدى طوله 51 سم وجسمه مضغوط جانبيا. بالفكين صف واحد من الأسنان كلها قاطعة. تتكون الزعنفة الظهرية من 11 - 12 شوكة ومن 14 - 17 شعاع كلها لينة وتتكون الزعنفة الشرجية من 3 شوكات و13 - 15 شعاع. الزعنفة الصدرية قصيرة. يتكون الخط الجانبي من 70 - 80 حرشفة.

اللون رمادي ويتخلل كل جانب 10 - 11 خطاً طولياً مصفراً ومذهباً مما أدى إلى تسمية النوع في أگادير وطرفاية والعيون بتالويزت نسبة للون الذهب.

يعيش هذا السمك غير بعيد عن السواحل في أعماق لا تتعدى 20 م وخاصة منها الصخرية والرملية الغنية بالطحالب والنباتات البحرية التي تُكوِّن قوته اليومي. يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد ويتوالد في فصل الربيع والخريف وهو من الحيوانات الخنثى. يصير بالغاً بعد أن يصل طوله إلى 20 سم. صيده في المغرب رياضي وتقليدي بواسطة صنارة طعمها قطع من النباتات البحرية وبواسطة الشباك. يصاد منها كل سنة ما بين 80 و110 طن بالنسبة للمغرب وما بين 1200 - 1500 طن في البلدان المحاطة بالبحر المتوسط.

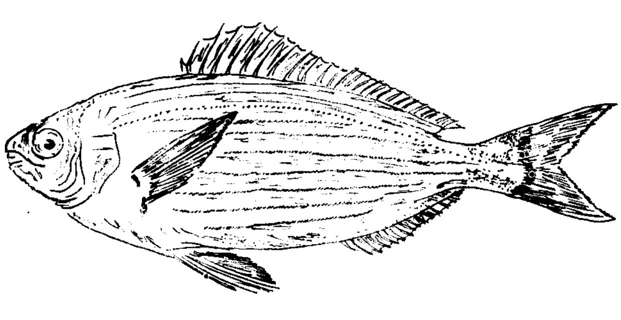

حلاّمة (سمك)

يشمل توزيع حَلأمة الجغرافي كلاً من السواحل المتوسطية وسواحل المحيط الأطلسي الشرقي ابتداء من بحر الشمال إلى سواحل إفريقيا الجنوبية الغربية. وتوجد باستمرار في جميع أسواق الأسماك المغربية وتستهلك طرية.

W. Fisher, M. Schneider et M.L. Bauchot, *Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche. Méditerranée et Mer Noire*. Rome, 1987, p. 1346 - 1373 ; G. Bianchi, *Guide des ressources halieutitque de l'Atlantique marocain*. Rome, 1984, p. 49.

محمد رمضاني

**الحلاوي، إبراهيم** بن أحمد الأسفي، أحد الشخصيات التي عرفها الميدان النقابي المغربي خلال الأربعينيات والخمسينيات. ولد بمدينة أسفي عام 1322 / 1904. لعب رفقة زميله مَحمد البركة دوراً مهما في تثبيت

أسس الحركة النقابية في ميدان الصيد البحري على الصعيد الوطني، وكانت له مساهمات فعالة في تنظيم الإضرابات الناجحة التي قامت بها نقابة الصيد لبحري في جميع موانئ المغرب خلال الخمسينيات. اعتُقل عدة مرات من طرف السلطات الاستعمارية بسبب نشاطه السياسي والنقابي.

توفي بأسفي في 28 محرم عام 1385 / 29 مايو 1965.

*معلومات شخصية وروايات شفوية.*

عبد الرحيم العطاوي

**الحلُّوف،** (البحري) نوع من الأسماك العظمية البحرية من شعاعيات الزعانف وملحومات الفك وفصيلة عنز الماء Balistidae. اسمه العلمي Capriscus وبالعربي الفصيح عنز الماء، وا لكلمة منقولة من اليونانية Kapros. لكنه اشتهر في أسواق الأسماك المغربية باسم الحلُّوف ويسمى في طنجة وأصيلا البغلة، ويُلقب بالغار في كل من مولاي بوسلهام وأسفي والجديدة وأگادير وطرفاية والعيون، ويُعرف في الدار البيضاء باسم الذيب ولبْحَرْ. ويُسمى في الشرق العربي عنز، وعنز الماء وبالفرنسية Baliste cabri وبالانجليزيةGreytriggerfish وبالاسبانية Pez Ballesta.

لا يتعدى طول الكبار 60 سم وشائع بين 20 - 30 سم. الجسم بيضوي الشكل ومضغوط جانبيا. الفم صغير جداً ويحمل أسنانا قارضة على صف واحد في الفكّ الأسفل، وعلى صفين في الفكّ العلوي. على الظهر زعنفتان تتكون أولاهما من ثلاث شوكات فقط والثانية من 24 - 27 شعاع كلّها لينة. الزعنفة الصدرية صغيرة. اللون رمادي أخضر اللمعان، وغالبا ما تتخل جوانبه ثلاث بقع كبيرة تميل إلى الأزرق. الحراشف صغيرة الحجم ومكثفة.

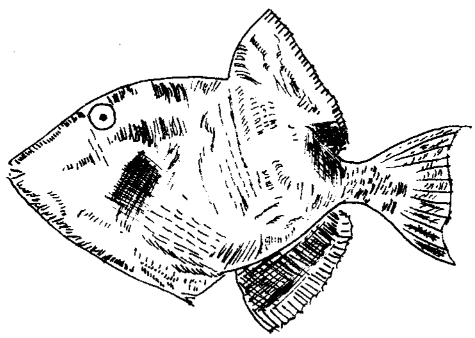

الحلوف البحري

يعيش في السواحل المتوسطية والأطلنطية الشرقية منها والغربية منذ البحر الشمالي إلى ضواحي أنغولا جنوبا، وكذلك في السواحل الاطلنطية الأمريكية إلى جنوب السواحل الأرجنتينية. إنه سمك لاحم يأكل القشريات الصغيرة والرخويات ويعيش بين الصخور في أعماق تتراوح بين 10 و100 متر. يتوالد في الصيف وتضع الإناث بيضها في حفر بين الصخور تحرسها الذكور، صيده تقليدي وشبه اصطناعي بواسطة الصنانير والشباك وموجود في أسواق الأسماك المغربية بصفة غير منتظمة.

تضم الفصيلة حوالي 30 نوعا تعيش في البحار الاستوائية والمعتدلة الحرارة منها نوع - Baliste royal Balistes vetula نادر في أسواق الأسماك.

مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، لبنان، 1988.

W. Fischer, M. Schneider et M.L. Bouchit, *Fiches d'identification des espèces pour les besoins de la pêche. Méditerranée et Mer Noire*. Rome, 1987, p. 972 - 973 ; J.R. Schouten et M. Ramdani, *Fish of the Khnifiss lagoon and the Tarfaya coast. Trav. Inst. Sci.*, Rabat, 1988, p. 101 - 104.

محمد رمضاني

**الحلُّوف،** (البري) أو الخنزير، واسم الحلُّوف شائع في بلدان المغرب العربي، والرث والعفر في بُعض المعاجم، حيوان وحشي من الفقريات اللبونة ومن الحافريات المزدوجات الأصابع السريعة الجري وغير المجترة لأن معدته مقسمة إلى جزئين فقط.

ينتمي إلى فصيلة الخنزيريات Suidae ويسمى علميا Sus scrofa وبالفرنسية Sanglier d'Europe أو Sanglier commun وبالانجليزية Wild boar وبالبربرية إلف يجمع على إلفان وإلْفيوَن ويسمى الخنزير المربي Porc ألادّاي ويجمع على إلادّاين.

جسمه ضخم يكسوه شعر حريري صلب يختلف لونه حسب السن، فهو رمادي مخطط بالبني الداكن عند الصغار التي تسمى الخِنّوص، ويصير رمادياً بنياً ما بين سنة وثلاث سنوات، وبعد ذلك يصير رمادياً فاتحاً. يتبدل شعره في الصيف والشتاء كل سنة. رأسه كبير ينتهي بفنطيسة قوية. الأذنان كبيرتان يكسوهما شعر أسود رمادي، والعينان صغيرتان.

يبلغ طوله جمعا بين الرأس والجسم 115 ـ 150 سم وطول الذيل 15 ـ 20 سم وعلوه عند الغارب 65 ـ 90 سم. يتراوح وزنه ما بين 75 ـ 140 كلغ. يبلغ عدد صبغياته 2 N = 38. قوائمه صغيرة وشبيهة بقوائم المعز.

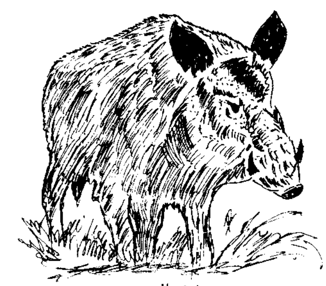

الحلوف البري

صيغة أسنانه كالتالي : 3/3 قوارض، 1/1 أنياب، 4/4 أضراس أمامية إلى أعلى مما يجعلها تبرز من فمه ويتجلى ذلك خاصة عند الذكور. تساعده الأنياب على حفر التراب بداخل المزروعات بحثا عن العساقيل والجذور وديدان الأرض والحلزونات والحشرات الصغيرة التي تُكوِّن غذاءه اليومي. يأكل كذلك الذرة وبعض الفواكه كالتين والبلوط، ومن الحيوانات يأكل صغار الأرانب والبيض.

نظامه الغذائي القارت جعل منه حيوانا سهل التدجين، ويرجع تاريخ تربيته إلى العصر الحجري الأخير (العصر النيوليتي) مما أدى إلى ظهور عدة سلالات داجنة تتميز بمردودية عالية في إنتاج اللحوم ابتداءً من مأكولات تَكلُفَتها ضعيفة. يقبل العيش في مختلف الأماكن وينعت بالحيوان القذر Cochon لرائحته الكريهة وللأوساخ الذي يخلفها في مكان عيشه. كان في القدم يستعمل أضحية ترمز إلى عدة شعارات للعقائد وأكله محرم لدى المصريين القدامى والديانة اليهودية والإسلامية.

يألف الخنزير البري الغابات والجبال، ويشمل توزيعه الجغرافي أوروبا وآسيا وشمال إفريقيا. يوجد في المغرب في كل المناطق الجبلية الغابوية الأطلسية منها والريفية، ونادر في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية. إنه حيوان ليلي النشاط يغادر الغابات ليبحث عن الأكل في المزروعات ابتداء من الغروب إلى طلوع النهار مما يجعله يخلف خسائر في المنتجات الفلاحية. يقضي نهاره وسط الغابات وكثيراً ما يستحم في مياه العيون والأنهار ليتخلص من الطفيليات التي تعيش على جلده.

تكثر حرارته التناسلية ما بين نونبر ودجنبر وتدوم مدة الحضانة 112 ـ 115 يوما. تضع الأنثى 4 ـ 8 صغار ترضعها لمدة ثلاثة أشهر على الأكثر. ترافق الصغار أمها ابتداء من اليوم الثاني من ولادتها وتصير بالغة ما بين سنة وسنتين.

يعيش الخنزير البري وسط مجموعات تتكون من الأب وبضع إناث وصغارها، وكثيراً ما تعيش الذكور المسنة منعزلة ولا تلتحق بالمجموعات إلا في فترات الحرارة التناسلية. تعيش الأمهات بجانب صغارها ولا تفارقها. يعمر الخنزير حوالي عشرين سنة.

تحريم أكله في الإسلام جعله يكثر في الغابات المغربية ويكون طريدة مهمة للقناصين الأجانب. يشترط في صيده الرخصة من مديرية المياه والغابات التي تحدد مكان الصيد وعدد الطرائد، والإحاشة Chasse en battue هي الطريقة الوحيدة المرخصة في المغرب، تتلخص في التفاف مجموعة من الناس مصحوبة بالكلاب حول الفريسة ودفعها نحو الصيادين لضربها بالرصاص. في حالة جرح الخنزير يشتد غضبه وهيجانه فيصبح خطيراً. أعطت الاحصاءات أن ما يقرب من 1600 رأس تصاد كل سنة في المغرب.

يختلف الخنزير البري الذي يعيش في شمال إفريقيا عن نظيره الذي يعيش في أوروبا في قامته وطوله مما جعل منه سلالة تسمى علميا Sus scrofa barbarus تتميز بعلو عند الغارب لا يتعدى 90 سم ولا يتعدى وزنه 140 كلغ بينما يبلغ وزن الخنزير الأوروبي أحيانا 300 كلغ.

A. Elmastour, *Contribution à l'étude de la biologie et du mode de vie du Sanglier (Sus scrofa barbarus)*. Mém. 3ème cycle, IAVX, Rabat, 1982, 53 p. ; L. Lyneborg, *Mammifères d'Europe*, Paris, 1972, 237 p. ; Y. A. Alaoui, *Guide du chasseur au Maroc*, Rabat, 1992, p. 181.

محمد رمضاني

**الحلو**، أسرة فاسية عريقة، تنسب عند الإطلاق إلى محمد الحلو الوطاسي المريني أخي الوزير يحيى بن يحيى بن عمر بن زيان الوطاسي الذي قتله السلطان عبد الحق المريني هو وقرابته بعد سنة 863 / 1458 عدا محمد الحلو وأخيه محمد الشيخ اللذين فرّا إلى الصحراء إلى أن استولى محمد الشيخ الوطاسي على ملك فاس فرجع إليها هو وأخوه محمد الحلو. وفي فاس قومٌ آخرون يدعون أيضاً "الحلو" لكن يميزون بلقب إضافي. واشتهر آل الحلو الوطاسيون في فاس بالعلم والخط الحسن وكان منهم نساخون مشهورون.

**الحلو، أحمد** بن محمد الكبير بن قاسم الفاسي، من علماء الشباب المتخرجين من القرويين. كان وطنياً مكافحاً خطيباً مفوهاً وكاتباً شاعراً.

توفي في ريعان شبابه، صباح يوم الجمعة خامس وعشرى جمادى الأولى عام ثمانية وستين وثلاثمائة وألف / 25 مارس 1949. بأحد المستشفيات بالدار البيضاء، ونقل إلى فاس حيث دفن بروضة العلميين داخل باب عجيسة. وأبنه عند دفنه الزعيم محمد حسن الوزاني ثم أقيم له حفل تأبين كبير بفاس خطب فيه الجمّ الغفير من أصدقائه الشبان الوطنيين.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3240.

**الحلو، عبد الرحمان** بن عبد العزيز الفاسي، وصفه في *إتحاف المطالع* بقوله : "علامة مشارك، أديب مطلع، له خط حسن، وإنشاء وترسل، ذكر الجد المهدي (ابن سودة) أنه من أصحابه في *تقييده*".

توفي بفاس ليلة الخميس سادس وعشري قعدة عام 1269 / فاتح شتنبر 1853.

عباس الحجرتي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط، ص. 21 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2596.

**الحلو، عبد السلام** بن أحمد الفاسي، قال عنه في إتحاف المطالع : "علامة متفنن له خط بارع ... ذكر الجد المهدي (ابن سودة) في *التقييد* أنه من أصحابه".

توفي عام 1241 / 25 - 1826، ودفن بالقباب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2524.

**الحلو، عبد القادر** بن عبد الرحمان الفاسي. كان فقيهاً مشاركاً مطلعاً ناسكاً منتصباً للشهادة في سماط العدول، إماماً بالنيابة بمسجد الأبار.

توفي في سادس عشر ذي الحجة عام 1306 / 13 غشت 1889.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2777.

**الحلو، عبد الوهاب** بن محمد الفاسي، فقيه مشارك أسند إليه منصب القضاء بفاس الجديدة مدة.

توفي بمسقط رأسه في رمضان عام 1194 / شتنبر 1780.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 1780.

**الحلو، محمد** بن **عبد السلام** الفاسي. من أكبر تجار فاس، متشبع بالروح الوطنية، وله مواقف مشرفة فيها، لذلك نفته السلطات الاستعمارية إلى مدينة صفرو. وإلى جانب ذلك، كان له خط جميل وولع بنسخ أمهات المؤلفات. نسخ بيده الكتب السبعة في الحديث، ونحو خمسين مصحفاً، وقد أقام حفلاً كبيراً عند إتمام النسخ رجاء ثواب الآخرة. يُوجد أحد هذه المصاحف بخطه الجميل في الخزانة الحسنية بالرباط تحت عدد 287.

توفي بمنفاه بصفرو يوم السبت عاشر قعدة عام 1373 / 10 يوليوز 1954 ونقل إلى فاس من الغد ودفن بالقباب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3294 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة*، 295.

**الحلو، محمد** بن **عبد الواحد** بن عبد النبي الفاسي، الشيخ الصوفي الكبير والعالم المشارك النحرير. درس على كبار شيوخ القرويين في عصره، أمثال عبد الله البدراوي، وهو عمدته، وعبد المالك العلوي الضرير، وأحمد بناني كلاًّ، ومحمد بن المدني گنون، ومحمد بن التهامي الوزاني. ثم انصرف إلى التصوف حتى أصبح متمكناً عارفاً باصطلاح القوم مستحضراً نصوصهم لا يضاهى في ذلك. إلى دين متين، وصلاح ويقين، فأقبل عليه الناس للتربية والسلوك، وتخرج على يده الجم الغفير من الناسكين وأهل التصوف "وما زالوا يلهجون بذكره ويعدّونه من أفضل أشياخهم في الطريق". وممن أخذ عنه وتبرك به عبد السلام ابن سودة ونـوّه به في فهرسه *سل النصال*.

ألف الشيخ الحلو عدة كتب في التصوف اطّلع عليها صاحب *سل النصال* في خزانة الشرفاء البدراويين أصهار الشيخ. منها *بهجة الأفكار في حسن الظن وعدم الإنكار*، أتى فيه بكلام نفيس يقبله كل ذي عقل سليم ؛ *والحكمة اللقمانية والحديقة المحمدية*، ضمنها وصيته النافعة لولده محمد وفرغ منها عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف ؛ *ونصيحة الإخوان بما يرضي الرحمان* ؛ *وحلل الصدق والتمكين للفقير المسكين*، إلى غير ذلك من التآليف.

توفي في شهر قعدة من عام واحد وأربعين وثلاثمائة وألف / يونيه - يوليوز 1923، ودفن بزاوية الشيخ أبي يعزى من حومة البليدة التي يتصرف فيها أصهاره البدراويون.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال* ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2930 - 2931 ؛ م. المنوني، *مصادر تاريخ المغرب*، ج 2. رقم 1447.

**الحلو، مَحمد** بن **محمد المهدي** الفاسي، وراق حسن الخط، بارع في زخرفة الكتب، تخصص في هذا الفن وخلّف عدة أولاد ساروا على نهجه في الوراقة والزخرفة والتجليد. وتحتفظ الخزانة العامة والخزانة الحسنية بالرباط بعدد من المنتسخات البديعة بخطه وزخرفته، آخرها *الشفا* للقاضي عياض انتهى من نسخه في منتصف جمادى الثانية عام 1189 (خ ح رقم 574) وفي هاتين الخزانتين

وغيرهما منتسخات جميلة مزخرفة كذلك لأولاده أحمد وعبد العزيز ومحمد. انظرها عند محمد المنوني في *تاريخ الوراقة*.

توفي بعد عام 1189 / 1775.

م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، ص. 144 و155 و157.

محمد حجي

**الحَلْوي**، أسرة تطوانية أصلها من فاس وقد انقرضت الآن من تطوان. عرف من أفراد هذه العائلة الفقيه السيد العربي الحلوي، والتاجر السيد أحمد بن الحاج محمد من كبار الأثرياء والأعيان بتطوان خلف من العين ما يزيد على عشرين ألف مثقال عدا الرباع والعقار والأثاث وأوصى بجزء مهم من متخلفه أن يصرف في وجوه البر والإحسان. كان هذا عام 1189 وتوفي بعد ذلك. وفي حومة البَلَد درب كان يحمل اسمه درب الحلوي، ثم غير إلى درب ابن جلون.

من آخر من عرفنا من هذه الأسرة الحاج محمد الحلوي الملقب (بيگازان) توفي منذ سنوات ولم يعقب.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج 3 حرف ح مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، حرف ج نسخة المؤلف بخطه بخزانته بتطوان.

محمد بوخبزة

**الحَلْيُ**، زينة من معدن نفيس أو جوهر أو ما أشبه ذلك، ولا ينفصل اللباس عند سائر الشعوب مهما دنا مستواها في سلم التطور عن الزينة والحلي مكمِّليْه الرئيسين. لهذا لم يكن أهل المدن والبوادي من سكان المغرب يتخذون الملابس من أجل تغطية الجسم وحمايته من غوائل الطبيعة فحسب، بل كانوا يزينون هذه الملابس نفسها وينمقونها ويوشونها بالطرز والجدائل والهدب والضفائر والمشبوكات والمعلقات، ويجملون ذواتهم بغير ما ذكر من ملاحق اللباس المتنوعة الأخرى وعلى رأسها الحلي والمجوهرات. ولم يكن تجميل الذات باللباس والتحلية مقتصراً على فئة اجتماعية دون أخرى ولا على الإناث دون الذكور ولا الكبار دون الصغار وإن كان الاهتمام به أكبر بالنسبة إلى الفئات الموسرة والإناث والكبار من الأشخاص على الخصوص.

فبالنسبة إلى الذكور كان يسمح لهم في المغرب بارتداء كل أنواع الأثواب باستثناء الحرير والفرو والديباج. لكن التزين بالذهب والفضة كان أمراً محظوراً على العموم على الرغم من أنهما "من أعظم جمال الدنيا" على حد تعبير المقري (*فتح المتعال*، ص. 52) كما كان لبس تيجان الذهب محرما على ملوكهم. ومع ذلك فإن هذه الأوامر والنواهي قليلا ما كانت تطبق وخاصة في صفوف أهل اليسر والثراء فكانوا لا يجدون حرجاً في ارتداء ملابس الحرير والفرو والديباج واتخاذ أردية جلها من الحرير المثقل بخيوط الذهب أو الفضة.

أما عامة الناس فكانت ظروفهم المادية لا تسمح لهم باقتناء الرفيع من الثياب وملحقاتها من الحلي والمجوهرات. لكن الجمهور من الفئات الوسطى كان يتوق مع ذلك إلى امتلاك بعضها مما تسمح به إمكاناته، فكان بعضهم لا يرى مانعاً في لبس الخواتم الفضية والذهبية وتقلد الخناجر و"الكميات" المذهبة أو المفضضة. وكان أكثر الناس جاهاً وغنى من سكان الحواضر والبوادي على السواء يشدون خصورهم بأحزمة الحرير والزردخان (هو الديباج نفسه بتسمية مغربية) ويمتطون الخيول الفارهة ذات السروج المسّومة المطروزة بخيوط الذهب أو الفضة وينتعلون أجود الأحذية ويتقلدون الحقائب الجلدية الرفيعة المطروزة بخيوط الحرير.

أما الإناث فقد أحل الله لهن لباس كل أنواع الأثواب والتزين بكل أشكال الحلي (*صحيح مسلم*، ج 3 ص. 1641) وذلك مادأبت عليه النساء المغربيات منذ عدة قرون حيث كانت المرأة التي لا حلي لها، عند الذكور والإناث كليهما، تعتبر كأنها جسد بدون روح ولو ملكت أروع الملابس وأكثرها أناقة. لهذا لم يكن ارتداء النساء لأجمل الملابس وتخضيب الأيدي والأرجل بالحناء وتنصيع الشفاه والخدود بالسواك والعكار وإبراز سواد العيون والحواجب والرموش بالكحل ووشم الأذقان والصدور والسيقان يعفيهن أبداً من تأنيق ذواتهن وتزيينها بالحلي التي كانت المرأة بواسطتها تذكي جمالها وتصون مالها للأيام العسيرة.

وقد كان الحلي والمجوهرات تصنع في الحواضر على يد صاغة مهرة يتقنون فن تمحيص المعادن وتذويبها وسبكها وتزويقها. وكان أمهر هؤلاء الحرفيين يوجدون في تطوان وفاس ومكناس ويتألفون في معظمهم من اليهود الذين وفدوا على المغرب من الأندلس في فترات مختلفة فحافظوا على استمرار نماذج الحلي الأندلسية في الحواضر الكبرى. وكان أتقنهم للصياغة يصنع قطعا آية في الدقة والجمال مما تداولته نساء الطبقات الاجتماعية العليا، فعلى يدهم كان يسبك الذهب والفضة ومنه كانت تصنع أنواع مختلفة من الحلي منها ما كان مرصعا بالأحجار الكريمة كالماس والياقوت والجوهر واللؤلؤ والزبرجد والزمرد والسفير والصوان والفيروز ومنها ما كان مزخرفا بالأصداف والعقيق والمرجان واللُّبان الأحمر والأخضر والأصفر (يدعى الصَّيَّال باللغة الفصحى). وقد جرت العوائد أن تسود الحُلي المرصعة لدى الفئات الاجتماعية الموسرة في الحواضر بينما تنتشر الفضية والفضية المذهبة في البوادي والأوساط الحضرية الفقيرة. أما أكثر الناس من ذوي الأحوال المتوسطة في المدن والبوادي على السواء فكانوا قليلاً ما يتعدون الحلي الفضية والفضية المذهبة أو النحاس المذهب أو المفضض.

وتنقسم الحُلِي المستعملة في المغرب إلى عدة أنواع،

منها ما يوضع على الرأس وهو "التاج" وما يوضع على الجبهة والرقبة والصدر ويدعى الخيط "وخيط اللَّبّة" وما يعلق في الأذنين من الأقراط "الحلقات" وما يلبس في اليدين من الأساور "الدمالج" وما يحيط بالأصابع ويدعى "الخواتم" وما يشد إلى أسافل السيقان ويسمى "الخلاخل".

والتيجان نفسها كانت تنقسم إلى عدة أنواع نذكر منها "التاج المبرج" و"تاج الخمسة" و"تاج البيبان" (التاج الأول مرتفع مثل البرج والثاني تتخلله كف يد من خمسة أصابع والثالث تشبه الأجزاء المتكونة منه شكل أبواب مترصة). وتنقسم الدمالج إلى دمالج "شمس وگمرة" أي أساور من ذهب وفضة، ودمالج "تعصار الصابون" وهي ملتوية تشبه في طياتها ليَّ الملابس أو الأثواب المعصورة بعد تصبينها و"الدمالج المخرمة" التي تتخللها أشكال هندسية مخرومة و"الدمالج المفرومة" التي تتخللها عدة فراغات. كما أن أنواع الخواتم التي سادت في المغرب إلى نهاية النصف الأول من القرن العشرين كانت كثيرة لا حصر لها نذكر منها على سبيل المثال "خاتم الطير" و"خاتم التاج" و"خاتم العش" و"خاتم عين الهر" و"الخاتم الغرناطي" و"خاتم الخمسة" و"خاتم القلب" و"خاتم اللوزة" و"خاتم الحجر الحر" و"خاتم المكتوب" (الخاتم الأول يتخلله طائر والثاني تاج والثالث عش والرابع عين قط والخامس ينتسب إلى غرناطة والسادس يعلوه كف من خمسة أصابع والسابع قلب والثامن لوزة والتاسع أحد الأحجار الكريمة والعاشر تتخلله كتابة عربية). وتختلف الأقراط بحسب المناطق وبحسب الحجم وتقنيات التزويق، فهي تسمى في فاس "الحلقات" و"العقارس" وفي الرباط "الدواوح" وفي طنجة وأسفي "لخراس" وفي مراكش "المفاتل" وفي بني ملال وتادلا "التواتل" و"الزواهگ".

هذا وتشهد المستندات التاريخية عبر مختلف العصور على أن الحلي في المغرب كان جزءاً لا يتجزأ من هندام الذكور والإناث. فقد كان السلطان عبد المالك السعدي يتقلد خنجراً رفيعاً ويمتطي صهوة جواد سرجُه من قماش مطروز، وكان حاجبه رضوان العلج يرتدي أحسن الملابس ويشد خصره بحزام من فضة. وكان السلطان سيدي محمد ابن عبد الله وابنه الأمير مولاي عبد السلام يرتديان أزهى القفاطين ويضعان على رأسيهما العمائم الموسومة بأشرطة الحرير. أما السلطان مولاي الحسن فكان حزامه من النسيج البلدي المعروف بالزردخان وخاتمه مفصصا بالزمرد أو الياقوت الأحمر أو حجر الماس ( *العز والصولة*، 1 : 58) وحين يمر تنبعث منه رائحة عطر عود الصندل وماء زهر الليمون. أما على مستوى المخزن المحلي فلقد رأى الأجانب في بداية القرن العشرين قائد الرحامنة العيادي بن الهاشمي

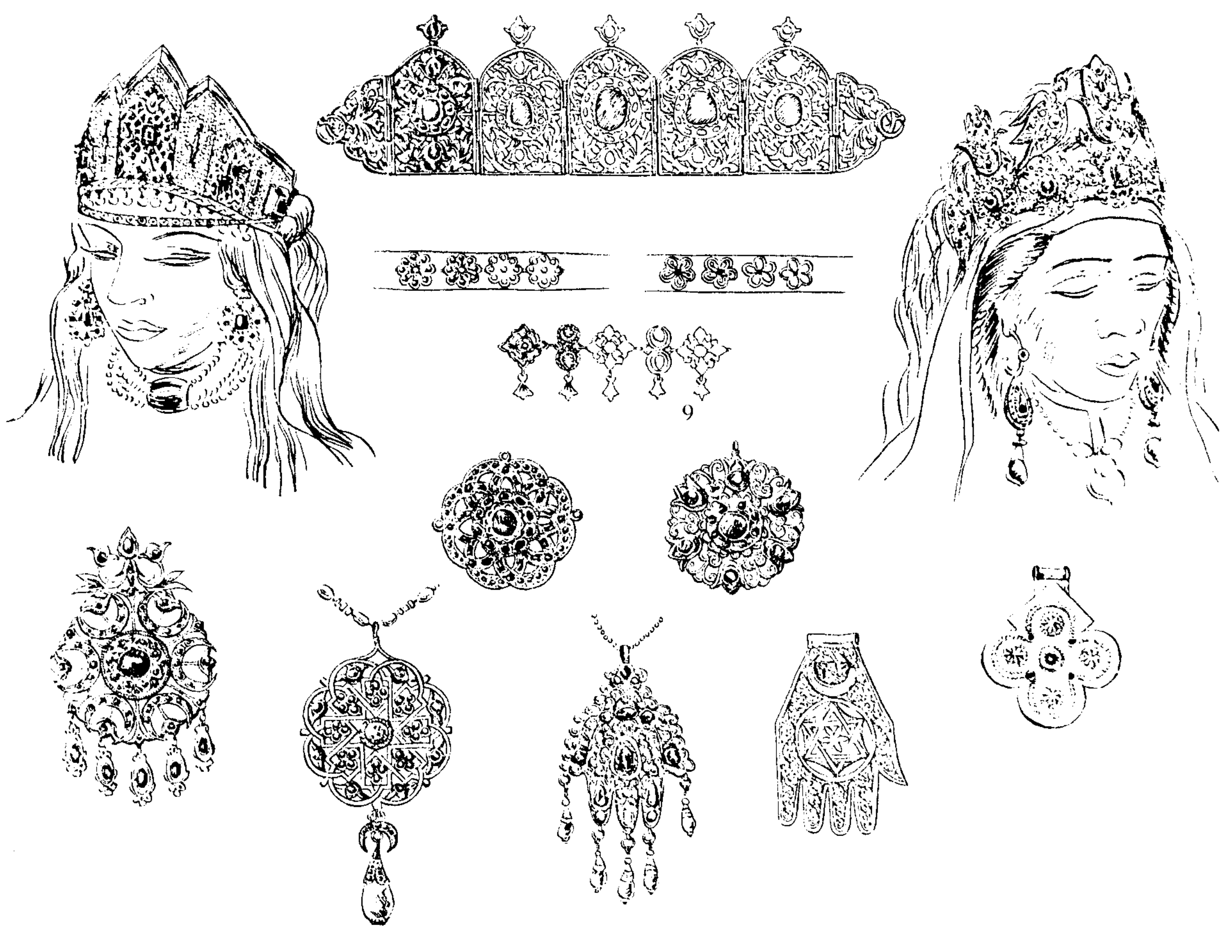

9

في حفل زفاف أحد أبنائه وهو يرتدي ملابس فاتنة ويضع في أصبعه الخنصر خاتما من ذهب خالص، كما رأوا بعض أعيان الحوز في نفس المناسبة وهم في مثل أناقته وعلى رأسهم القائد المهدي المنبهي.

أما نساء البلاط فكنّ في عهد السلطان مولاي الحسن يلبسن أردية الحرير المنمقة بخيوط الذهب ويتسورن بأصناف رفيعة من الدمالج ويشددن خصورهن بأحزمة مثقلة بالزردخان ويغطين رؤوسهن بالمناديل والسبنيات الحريرية الرفيعة التي تتدلى منها على جباههن قلائد الذهب والجواهر والأحجار الكريمة. وكانت أخت السلطان المولى عبد الحفيظ تتخذ في أحد أيام زينتها حزاماً من ديباج منمق وتغطي رأسها بمنديل من حرير لامع كانت أطرافه مزينة بحلي ذهبية تتوسطها أحجار كريمة من الزمرد ويعلو قمة رأسها لفيف من ريش النعام ترصعه أحجار الماس، وكانت أذناها مزينتين بأقراط ذهبية ضخمة.

ع. بن الهيثم، *البغية في ترتيب أحاديث الحلية*، مخطوط، خ. ع، رقم 2842 ك ؛ إ. بن الماحي، الإدريسي، *إعلان الصناعة الفاسية بنهضتها السامية*، فاس، 1938 ؛ جامعة الدول العربية، *معجم اللباس*، الرباط، 1975 ؛ م. بوسلام، *التاكموثيون، معلمة المغرب*، ج 7 ص. 2156 ؛ *التجميل التقليدي*، ص. 2290 ؛ ع. القادر زمامة، *أسماء الحرف المعروفة بفاس*، مجلة *اللسان العربي*، ع 4، السنة 1966 ؛ *فاس وصناعتها التقليدية*، مجلة *كلية الآداب بفاس*، ع 5، السنة 1981 ؛ مهدية الزميلي، *لباس المرأة وزينتها في الفقه الإسلامي*، عمان، 1982 ؛ ح. الزيات، *ثياب الوشي*، مجلة *المشرق*، ع 4، يناير - مارس، 1947 ؛ ع. العزيز عمرو، *اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية*، عمان، 1985 ؛ م. الكتاني، *الإعلام ببعض ما يتعلق بالمكانات المحلاة من الأحكام*، مخطوط، خ. ع، رقم 1180 ك ؛ م. بن علي گنون، *كفاية المحتاج في استعمال المحلى والديباج*، مخطوط، خ. ع. رقم 1231 د ؛ مؤلف مجهول، *المرأة المغربية والحلي*، جريدة *العلم*، ع 8706 ، 28 أبريل 1974 ؛ ع. بن زيدان، *العز والصولة*، ج 1 الرباط، 1961 ؛ أ. المقري، *أزهار الكمامة في أخبار العمامة ونبذة من ملابس المخصوص بأسرار الإمامة*، مخطوط، خ. ع، رقم 984.

H. Camps - Faber, *L'origine des fibules en Afrique du Nord, R.O.M.M.*, n° 13 - 14, 1973 ; *Problèmes posés par l'origine de l'orfevrerie émaillée en Afrique du Nord, R.O.M.M.*, n° spécial 1970 ; D. Champault, *La main: ses figurations au Maghreb et au Levant*, Paris, 1965 ; A. Francesci, *Costumes et bijoux au Maroc, L'œil* n° 294 - 295, Janv.-Févr. 1980 ; M. Chebel, *Le corps dans la tradition au Maghreb*, Paris, 1984; J. Herber, *La boucle d'oreille et les lobes percés chez les marocains, Hesp.*, vol. 32, 1945 ; *Influence de la bijouterie soudanaise sur la bijouterie marocaine, Hesp.*, tome 37, 1er - 2ème trim. 1950 ; *La main de Fathma, Hesp.*, 1927, fasc. unique ; J. Besancenot, *Bijoux arabes et berbères du Maroc*, Casablanca, 1953 ; J. Gabus, *Sahara bijoux et techniques*, Neuchâtel, 1982 ; M. Mensia, *Essai sur la bijouterie arabe*, Th. 3ème cycle, Paris, 1976 ; L. Bouvat, *La parure, les vêtements et le voile, R.M.M.*, vol. 4, 1908 ; J.P. Bernes et J. Alain, *Arts et objets du Maroc, céramiques bijoux, armes, ABC Décor.* n° hors série, mars 1974 ; Paul Eudel, *Dictionnaire des bijoux de l'Afrique du Nord*, Paris, 1906 ; J. Meunié, *Bijoux et bijoutiers du sud marocain, C.A.T.A.N.*, vol. 6, 1961 ; N. Khatib Boujibar, *Bijoux et parures du Maroc*, Casablanca, 1974 ; Samira Sethom, *Une paire de fibule marocaine, Cahiers des Arts et Traditions populaires* n° 4, 1971 ; A.M. Laurel et P. Marçais, *Les coiffures à Tindouf, Travaux de l'Institut de Recherche Saharienne* n° 12, 1954 ; J. Buttin, *Les poignards et les sabres marocains, Hesp.*, vol. 26, 1936 ; P. De Vigy, *Notes sur quelques armes du musée de Dar Batha à Fès, Hesp.*, 1923, fasc. unique 2ème trim. ; *Les sabres marocains, Hesp.*, 1924, 1er trim. ; M. R. Rabate, *Les bijoux de l'Atlas et du Sud marocain*, Th. 3ème cycle, Paris 5, 1972 ; L. Belhomme, *Les armes dans le Sous occidental, A.B.*. vol. 2, fasc. 2, 1917 ; A.Delpy, *Les divers types de poignards marocains, C.A.T.A.N.*, n° 6, 1960 ; H. Cluzot, *Les bijoux indigènes au Maroc*, Paris, 1906 ; J. Goudard, *Bijoux d'argent de la tâche de Taza, Hesp.*, vol. 8, 1928 ; A. Ruhlmann, *Moules à bijoux d'origine musulmane, Hesp.*, vol. 21, 1935, fasc. 1 et 2 ; H. Terrasse, *Notes sur l'origine des bijoux du sud marocain, Hesp.*, vol. 11, 1930 ; J. Devillette, *La collection de bijoux de la région de Taza au musée de l'homme, Hesp.*, vol 1, 1960, fasc. 2 ; *Bijoux , E.B., 10, p. 1496, B.E.S.M.*, vol. 17 n° 59, 3ème trim. 1953 ; A. Pignol; *Costumes et parures dans le monde arabe*, Paris, 1987 ; G. Rousseau, *Le costume au Maroc*, Paris 1938 ; D. Rouach, *Bijoux berbères au Maroc*, Paris, 1989 ; M. Othmani (et al.), *Tizerzaï, la fibule au Maroc*, Milan, 1987; A. Joly, *L'industrie à Tétouan, A.M.*, tome 11, 1907 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Rabat, 1920.

محمد بوسلام

ابن **حليمة** (أولاد -) أسرة شريفة تنتسب إلى القطب عبد السلام بن مشيش من ولده محمد، موطنها الأصلي مدشر أدياز الواقع في تراب الحرم العلمي على السفح الغربي من جبل العلم عند المقطع في قبيلة بني ليث. وقد وصف ابن زاكور أولاد ابن حليمة بأهل الأرومة الكريمة، هاجر بعضهم إلى خميس آل سريف وتطوان،وإلى قرّ في قبيلة جبل حبيب ومنكال من بين يدر. ويظهر أن أولاد ابن حليمة حسب مدونات الأنساب لم يشكلوا من الناحية الديموغرافية كثرة كما هو الشأن بالنسبة لأولاد ابن عبد الوهاب، ذكر منهم ابن رحمون ثلاث دور في الوقت الذي بلغ فيه عدد دور الأشراف العبد السلامين مائتين وعشرين داراً كانت تتقاسم هدايا الضريح في حدود عام 1104 / 1693. وفي ديوان محمد بن الصادق ابن ريسون بلغ عدد دور أولاد ابن حليمة ثماني عشرة داراً موزعة على المواطن المذكورة وذلك في حدود عام 1191 / 1777. وكان من وجهاء أولاد ابن حليمة في ذلك العهد الحاج العربي بن الطاهر بمدشر أدياز وأخوه الطيب بقر بجبل حبيب وكانا مبجلين معظمين في منطقة جبالة. وانظر ما علاقة آل ابن حليمة المكناسيين بهؤلاء العلميين.

التهامي ابن رحمون، *شذور الذهب في خير نسب*، مخطوط، خ. ع، الرباط، رقم 1484 د. ص. 182 - 184 ؛ م . بن الصادق ابن

ريسون، *الاستشفا من الألم في التلذذ بصاحب العلم*، مخطوط، خ. س رقم 3585، ص. 15.

محمد عمراني

**الحمَادَات** (أو لحمَادات)، هضاب صحراوية تمتد في المجال جنوب الأطلس من المغرب الذي يمثل قاعدة قديمة تنتمي للدرع الإفريقي. وهي مجال حيث سطح الأرض لم يعرف إلا تشوّهات ضعيفة المدى وممتدة على آفاق واسعة.

تظهر القاعدة القديمة جدا في تحدبات واسعة، تعرضت للتعرية والإزالة، مما سخر تنوع سطحها إلى أعراف صخرية ومنخفضات.

كل هذه البنية المعقدة تختفي تحت الغطاءات الحديثة للحمادات في الساقية الحمراء - تندوف - في الجنوب الغربي، ودرعة في الوسط، ثم گير وبودنيب في الشرق.

والحمادات هضاب رتيبة تمتد على مساحات شاسعة، تغلفها طبقة كربوناتية تنتمي لأجيال متعددة. جلها وأوسعها الهضاب المنتمية لنهاية الزمن الثالث. إلا أن بعضها مثل گمگم مسكي والعيون تنتمي للطباشيري. مما يعطي هضاب متدرجة يعلو بعضها بعضا.

ترسم هضبتا مسكي (شمالا عند قدم الأطلس الكبير) وگمگم جنوبا، جانبي محدب واسع مفرع يحتله سهل تافيلالت. ففي هضبة مسكي تميل طبقات الطباشيري نحو الشمال ابتداء من الحافة المطلة على تافيلالت والتي يخترقها واد زيز. بينما تميل هضبة گمگم نحو الجنوب الشرقي وتغطي أجزاء منها شرقا حمادة گير، وغربا حمادة درعة وتشرف حافتها المتقطعة على النهاية الجنوبية لتافيلالت في منطقة الطاوس.

أما حمادة الگير فهي مشرفة شرقا على كل هذه التضاريس، إذ تغطي هضبة مسكي شمالا على ارتفاع 1100 م وتمثل النهاية الشرقية لتافيلالت، وتعلو أخيرا هضبة گمگم جنوبا، إلى أن تنتهي في أقصى جنوبها في حوض الداورا على ارتفاع 550 م. وهي مكسوة بطبقة كلسية من نهاية الثلاثي، تتوسطها عدة ضايات ومنخفضات مفرغة.

نحو الجنوب الشرقي تنتهي هذه الحمادات عند أعراف بارزة وسط منخفضات طولية، تمتد جنوبا في منطقة تندوف وموريتانيا.

جفاف المناخ يفسر خصوصية الأشكال : وضوح الاجراف الصخرية وتجزؤها الشديد، انحدار تدريجي عند أقدام الحافات، تعدد المنخفضات المغلقة عند السطوح.

وينعدم الجريان فوق سطح الحمادات، رغم انتظام أودية قديمة جافة في إطار أحواض كبرى مستقلة (أودية تتجه إلى العرق الكبير الغربي والساورا، أودية ضمن حوض الداورا، وأخرى نحو حوض تندوف). إلا أن تناقص تغذية هذه الأودية أدى إلى تدهور جريانها. وتمثل الضايات مجالات تلعب دورا هاما، حيث تنتظم فيها دوائر نباتية مختلفة الظروف، تتمثل في وسط تربته من الدقة والطين، تغمره المياه في بعض المراحل الرطبة، وحواشي عناصرها خشنة، تشرف عليها سفوح صخرية.

ويمكن التفريق بين نوعين من السطوح. فهناك حمادات مستوية كهضبة الگير، وهضبة درا، وهي موافقة لطبقة كلسية تتفكك إلى رق فتاتي وتتوسطها حويضات. وهناك الحمادات المتقطعة إلى أودية معمقة، تجزئها إلى متون وعناصر. وهو حال هضبة گمگم وحمادة مسكي بجوار واد زيز، وكذلك حال هضاب گير ودرعة في أجزائها القريبة من الحافة، أي في مجال إشرافها على السهول المجاورة، كسهل تافيلالت، أو شريط سهل درا.

تلك الحافة التي تحد الحمادة، عبارة عن شكل طبغرافي وعر، به افريز صخري كلسي، يطل على منحدر في صخور فتاتية. وتتجزأ الحافة إلى بروزات وثغران، وتتقدمها أكمات شاهدة. ويختلف ارتفاعها النسبي ويمثل في كثير من الحالات حاجزا طبيعيا لعب دور حدود بشرية حقيقية. ويمكن في كثير من المواقع أن يعتبر الحد الفاصل بين الصحراء (على هضبة الحمادة) ومقدمتها الشمالية الممتدة في سهول ما قبل الأطلس.

*تحريات ميدانية.*

عبد الله العوينة

**حْمَادْشة** أو الزاوية الحمدوشية نسبة إلى الشيخ علي ابن حمدوش دفين جبل زرهون آتي الترجمة. وقد أسس مريدوه عدة فروع لزواياهم عبر مناطق المغرب، وطبعا فإن لكل فرع إيقاعه وطريقته في إنشاد القصائد والأذكار التي هي في غالب الأحيان تضرع إلى الله تعالى.

وطائفة حمادشة هاته قسمان : هناك مريدو الشيخ علي ابن حمدوش، وهناك أصحاب مريده أحمد الدغوغي وهم المشهورون بضرب رؤوسهم بالشواقير والمقدات مما حدا ببعض العلماء إلى استنكار صنيعهم.

تحتفل الزاوية الحمدوشية ببعض المناسبات خلال السنة كالإسراء والمعراج وسابع عيد المولد النبوي. ويعتبر موسم مدينة زرهون موسماً رئيسياً للطريقة الحمدوشية. أما المدن الأخرى فيتفق المريدون فيها على أوقات مختلفة حتى تتمكن وفود المدن من تبادل الزيارات.

وبخصوص الموسم الرئيسي لمدينة زرهون ينطلق خدّام الزاوية بالطواف في أماكن معينة من شوارع المدينة حاملين الأعلام المختلفة الألوان تحت قيادة مقدم الزاوية الذي يقوم بتنسيق الحضرة، وأثناء الطواف يقودون الذبيحة التي تكون عبارة عن ثور ويجمعون الهبات والتبرعات (الفتوحات) ثم يقومون بذبح ذلك الثور على نغمات الموسيقى طبعا ويقضي هؤلاء المريدون ثلاثة أيام في ضيافة أصحاب الزاوية.

وأما الحضرة الحمدوشية فهي ممارسة طقوس الذكر والموسيقى والجذبة وهي عند حمادشة تمر عبر أربع مراحل :

- تبدأ الحضرة أولاً بقراءة الأوراد : من الاستغفار، والأمداح النبوية، وذكر الجلالة، ثم يأتي حزب الشيخ ابن حمدوش الذي يبتدئ بالصلاة على النبي عليه السلام وينتهي باللهم صل على كل الأنبياء صلاة كاملة عالية. ثم الأذكار. وتبدأ مرحلة الحضرة، وهي الجذبة التي تستوجب آلة النفخ والطارة والهراز والطبل، ويبدأ بعض الأشخاص بالتمايل والانحناء. ومن حيث المقامات نجدها مثل نظيرتها في موسيقى الآلة... أما الإيقاعات فالغالب هو إيقاع 4 / 5 الذي يتحول إلى ميزان سريع گباحي وكذلك ميزان القائم ونصف، ويضبط الهراز الإيقاع كما يتضح من خلال التوزيع الموسيقي :

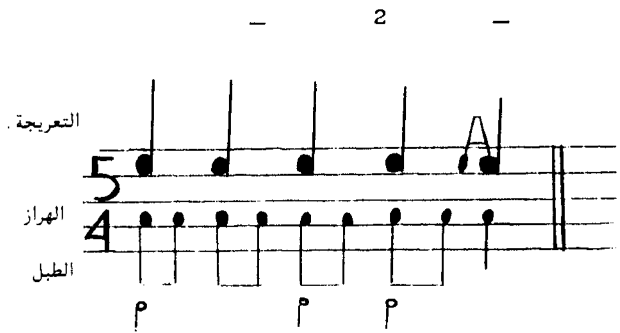


ونظراً للتطور الحاصل في الحياة اليومية اختلف نهج هذه الطريقة حسب المريدين أو حسب خصائص بعض المدن، فمثلا جرت العادة بالزاوية الحمدوشية بمدينة أسفي أن يجتمع مريدوها يوم الجمعة للذكر وتلاوة حزب الشيخ وممارسة الحضرة لكن التطور الذي حصل في الحياة اليومية فرض اجتماع المريدين فقط يوم الأحد وفيه تتم كل طقوس الزاوية. وخلال السنة تحتفل الزاوية بهذه المدينة يوم الإسراء والمعراج. وفي اليوم السابع الذي يلي عيد المولد النبوي تنظم الزاوية موسمها السنوي الذي لا يختلف في جوهره عن الموسم الرئيسي الذي تخلده مدينة زرهون وينظم هذا الموسم بتنسيق مع الزوايا الحمدوشية في منطقة تانسيفت.

وطبعا فإن مدينة أسفي كسائر المدن المغربية شهدت استقرار هذه الزاوية، وتطورت فيها الطريقة الحمدوشية بصفة مختلفة عن سائر المدن المغربية حيث نظمت سواكن خاصة بهذه المدينة تدعى "سواكن لبلاد" أما باقي السواكن المتعارف عليها في جميع أنحاء المغرب فتعرف بالسواكن الغرباوية نسبة إلى مدينة زرهون. وسواكن لبلاد هذه شبيهة بوصلة أندلسية حيث تبتدئ بطيئة ثم تأخذ في السرعة نحو الانصراف. وهذه السواكن عبارة عن اثنين فقط وحينما تكون الفرقة الحمدوشية الأسفية في مدينة أخرى فإنها لا تشتغل سوى بالسواكن الغرباوية وتنسب هذه السواكن إلى إخوة يدعون "أولاد باگاز" كانوا في جوق الموسيقى الأندلسية أواخر القرن الثالث عشر (19 م) ونظموا هذه السواكن على شكل وصلات أندلسية أصبحت طبوعاً مشهورة في هذه المدينة وتطورت على يد المرحوم "عبد القادر البخاري" ومازالت حتى يومنا هذا تتداول بين الشباب.

ومن خصوصيات هذه الزاوية أيضاً طريقة الحضرة فهي تنقسم عندهم إلى ثلاث مراحل : الذكـر : القصيدة أو "لوناسة"، العيطة : بواسطة الگوال، بداية الساكن بالغيطة بشكل بطيء.

هكذا تطورت طقوس الحمدوشية. ونشير في الأخير إلى أن عدد المريدين بدأ يقل في العقود الأخيرة.

ع. الهادي التازي، *دور الطرق الصوفية في المحافظة على التراث الموسيقي العربي*، *المناهل*، 1986، ص. 207 ـ 222 ؛ *استجوابات محلية ووطنية* مع فرق حمادشة في مختلف الزوايا ؛ *معاينات ودراسات ميدانية*.

A. Aydoun, *Musiques du Maroc*, Casablanca, 1992.

رگوگ علال

ابن **حَمادُوش، عبد الرزاق** بن محمد بن محمد الدباغ الحسني الجزائري، الفقيه المؤرخ النسابة المؤقت المتطبب الحيسوبي المشارك، ولد بالجزائر عام 1107 / 1695 وأسرته تعرف بأولاد الدباغ، وعاش طفولته بها وعانى من الضيق والفقر الكثير، وتزوج مرتين ولم يوفق ففارقته زوجه وأمه وأخوه، أما أبوه فتوفي وهو صغير جداً.

كان ميله للتعلم قوياً إلا أنه لم يستطع التفرغ له مع السعي في طلب المعاش والسفر للتجارة وعدم مفارقة الكتب كما قال في *رحلته*.

تلقى دراسته الأولى بالجزائر على مشايخ وقته كالمفتي محمد بن نيكرو، والقاضي مصطفى بن رمضان العنابي والقاضي الأديب محمد بن ميمون. ورحل إلى المغرب مراراً ولا سيما تطوان للتجارة والدراسة واستوطنها مدة، وقدم فاساً ومكناسة، وأخذ بفاس عن الشيخ أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي، والطبيب عبد الوهاب أدراق، أخذ عن الأول علم المنطق ولازمه لذلك بداره إلى أن توفي مطعونا فحضر جنازته ورثاه بقصيدة وكان مدحه قبل ذلك برائية قرأها خَجِلاً، وأطراه إطراء بالغاً، ووصف جنازته وازدحام الناس عليه وكسرهم لنعشه للتبرك ورؤياه له في المنام، ولما فاته أن يستجيزه ندم على ذلك وكتب صورة إجازة بما قرأ عليه وطلب من قاضي فاس عبد القادر بوخريص أن يشهد بصحة ما كتب فأسعفه وكتب وأثبت نص الشهادة فكان هذا من غرائب ما يُسمع ! وتلقى عن الطبيب أدراق مبادئ الطب ومدحه بلامية ألقاها عليه ووصف مجلسه وروضه الملوكي، وإصابته بمجلسه بالحمى النافض وقيامه لبيته ونظمه سينية يصف فيها حاله ويستدعي العلاج، فقبلها

منه وأسعفه، كما لقي بها محمد القسنطيني الذي قيل له إنه عالم بالتنجيم فلما ذاكره فيه وجده جاهلا ففارقه.

أما تطوان فقد وصف جوها وأهلها وأخلاقهم وعوائدهم في الاعياد وغيرها وما لقي من سوء تصرف أعوان الباشا أحمد بن علي الريفي في أخذهم المكس على سلعه التي كان يقدم بها إلى تطوان للتجارة، وتكرر قدومه إليها فكان بها عام 1145 وعام 1156 وحج قبل ذلك عام 1130 براً عبر تونس، ودخل مصر ومكث بالإسكندرية ورشيد. وقد يكون حج مرة أخرى إلا أنه لم يتحدث عن حجه ومن لقي في وجهته تلك ولعل هذا فيما ضاع من *رحلته*.

أخذ بتطوان عن المشايخ : مَحمد بناني وأحمد السرايري - وكان ينزل بفندقه - وأحمد الورزازي ولازمه، ولعله صحبه في رحلته للجزائر حيث نراه ملازماً له هناك لا يفارق مجالسه للقراءة والمقابلة والمعارضة.

أفاض ابن حمادوش في وصف الحياة العلمية بتطوان والمدرسين والكتب والعلوم وطريقة تدريسها وما قرأه منها ولم يجد بها عناية بالطب والفلك، وما كان يتعاناه من النظم والنسخ، وكيف استجاز علماءها وإجازاتهم له، ونصوص الإجازات. وذكر قصيدة لامية مدح بها بناني، ونظمُه كله نازل بارد مختل الوزن، وأملى عليه شيخه بناني *فهرسته* كلها فأثبتها، كما أتى *بمقامتين* من إنشائه بطريقة السجع الهابط المتكلف. وكان في أثناء إقامته بتطوان يسافر إلى فاس والجزائر وغيرهما ثم يعود. فقد نالته محنة بفاس نجا فيها بنفسه في أعقاب ثورة الباشا أحمد بن علي الريفي التي وصفها المترجم له وصف مشاهد لها وما آلت إليه حاله من مقتله وتشريد جموعه والاستيلاء على غنائمه وأسلابه وسلاحه، وقد نظم قصيدتين في مدح السلطان مولاي عبد الله وأخرى في تهنئته بالنصر على أخيه مولاي المستضيء وصاحبه الثائر الريفي، إلا أن القصيدتين لم تصلا إليه لغلظ حجابه فيما قال، وقال مرة أخرى : أغناني الله عن لُقياه، ولعل السبب الحقيقي ركاكة النظم وكثرة الأخطاء والخلل كما نرى في النصوص المثبتة.

وعاد مرة إلى تطوان فوجد شيخه السرايري توفي فرثاه، واستأنف الدرس والنسخ وأخذ يقرأ التوقيت مع الطلبة، وجرى له مع طالب مكناسي اسمه عبد الله الجنان ما أوجب وصفه بأنه من شرار الطلبة، ولم يكتف بذلك حتى نظم قصيدة في هجاء الطالب ومدح تطوان. ثم ذكر قصيدتين في الحنين إلى أهله، ووصف حاله، وتعرض لبيان ما كان يتجر به من بضائع وسلع. وأعاد الشكوى من أصحاب المكس في مرسى مرتيل بتطوان وبالجزائر وسوء معاملتهم، وكيف كان يتهرب من أداء المكس، وأفاض في وصف مشاكله العائلية.

والرجل في دراسته العلمية كان يعتمد على التجربة والملاحظة، وهذا من محاسنه، فيقف بنفسه على الحشائش والأعشاب، ويلاحظ التربة والهواء. ويفاوض العشابين في ذلك، وقد سجل نتائج دراساته في هذا الميدان في كتابه *كشف الرموز* الذي طبع قديما بالجزائر والمغرب والذي هو الباب الرابع من كتابه الكبير *الجوهر المكنون من بحر القانون* أي قانون ابن سينا، وقد تُرجم كشف الرموز إلى الفرنسية وأثنى عليه المختصون في فنه. كما درس كتاب عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي في (البونبة) أي القنبلة وصنع المتفجرات وما يلزم لذلك من بارود وغيره، وحاول صنع ذلك وتحديد مسافة انطلاق القنبلة، ووزنها وتدرّب على ذلك عمليا.

ألف المترجم له تآليف كثيرة في مختلف العلوم التي درسها علاوة على العلوم الشرعية، فألف في الهندسة والمساحة والطب والفلك والموسيقى وعلم البحر ويسميه (علم البلوط) ولم يبق من هذه المؤلفات - فيما نعلم - إلاّ جزء من رحلته المسماة *لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال* ؛ وكتاب *كشف الرموز*، والجزء الباقي من رحلته هو الجزء الثاني أو بقيته، ذلك أن النسخة الموجودة منه وهي أصل المؤلف بخطه عبارة عن كناش مختلط أو كشكول ضم أخباراً وحكايات وتراجم وإحصاءات وألغازاً وأدعية وعقوداً عدلية وأنباء عن حكام الجزائر الأتراك، والخلفاء العباسيين، وأتى على ذكر *فهرسة* أحمد بن مصطفى الصباغ الإسكندري التي ناولها مؤلفها إياه لروايتها ونسخها، وغير ذلك، ووقعت النسخة للشيخ عبد الحي الكتاني الذي كان أول من لفت إليها النظر واستفاد مما تضمنته من إجازات وأسانيد، ووقف على النسخة نفسها في الخزانة الكتانية بفاس الأستاذ محمد داود ونقل منها ما يتعلق بثورة الريفي.

هذا والرجل معجب بنفسه، يزعم تحقيق هذه العلوم فتراه يقول في علم البحر وأحواله ومسالكه : "إن يدي صَحت في هذا العلم"، وقال عن كتابه *الجوهر المكنون* : "إنه كتاب جليل يتوشح به الأصاغر ولا تمجه الأكابر"، ووضَع خريطة في مهاب الرياح وأخرى في صورة الأرض قال عنها: "لم أسبق إليها" متناسياً عمل الشريف الإدريسي السبتي قبله بزمان، وكل هذا في عبارة عامية تقريباً يتخللها لحن وخطأ كثير.

ويلاحظ أن الرجل كان معاصراً للأديب الرحالة ابن عمار، والشريف الرحالة الورثلاني ولكل منهما رحلة مطبوعة وللعلامة ابن المفتي، ولم يشر إليه أحد منهم ولا أجرى له ذكراً.

ويظهر أن ابن حادوش عُمِّر إلى ما بعد عام 1168 / 1754 وتوفي في تاريخ ومكان مجهولين.

ابن حمادوش نفسه، *لسان المقال*، تح. سعد الله، ط. الجزائر، الكتاب كله ؛ م. داود، تاريخ *تطوان*، 2 : 224، ط. تطوان ؛ سعد الله، *تاريخ الجزائر*، 2 : 438 ؛ عادل نويهض، *معجم أعلام الجزائر*، ص. 92، ط. أولى بيروت ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 362، ط. المغرب.

محمد بوخبزة

**الحمَار**، حيوان داجن من الحافريات ومن رتبة مفردات الأصابع Perissodactyles ومن فصيلة الخيليات يسمى علميا Equus asinus وبالفرنسية Ane domestique وبالأنجليزية Domestic ass وبالبربرية أغيول. يضرب به المثل في البلادة وقلة الفهم. تسمى أنثاه حمارة وأتان، وصغيره جحش، وصوته نهيق.

ينحدر الحمار الأهلي من سلالتين موطنهما الأصلي القارة الافريقية :

- الحمار الوحشي الإفريقيEquus asinus africanus يسمى Ane sauvage de Nubie كان يعيش في شمال إفريقيا وقد دجنت جميع أفراده مما أدى إلى انقراضه.

- الحمار الوحشي الصوماليAquus asinus somalicus يعيش في إفريقيا الجنوبية الشرقية ولم يبق منه إلا حوالي مائتي فرد تعيش متوحشة في ضواحي الصومال وإثيوبيا، ومطاردته لأجل تدجينه جعلت منه حيوانا في حالة الانقراض.

يعتبر السومريون أول من قام بترويض وتربية الحمار الوحشي، ويرجع ذلك إلى 8000 سنة قبل الميلاد. والحمار الأهلي الذي نعرفه اليوم هو نتيجة لقاح بين مختلف السلالات الإفريقية تمت عبر آلاف السنين. فَقُدْرَتُه على تحمل الأعمال الشاقة في البادية وفي الجبال جعلت منه حيوانا نافعا للإنسان استعمله للحمل والجر، وما يزال الحمار يلعب دوراً هاماً في حياة المغربي سواء في القرى أو في بعض المدن.

يتميز الحمار بأذنين طويلتين ورأس طويل مستطيل وعينين كبيرتين محميتين بجفون ذات أهداب متفاوتة. يتوفر الفم على شفتين متحركتين لحميتين، ويبلغ عدد أسنانه أربعين سنا صيغتها كالتالي :

3/3 قوارض، 1/1 أنياب، 3/3 أضراس أمامية، 3/3 أضراس. توجد بين الأنياب والأضراس فجوة فارغة من الأسنان تسمى بالحاجر توضع فيها الشكيمة كما هو الشأن بالنسبة للبغل والفرس. عنقه أهيف يعلوه عرف من الشعر الغزير لا يسقط جانبيا كعرف الفرس. تنتهي قوائمه بحافر واحد يقوم مقام مخالب الأصابع. طوله عند الغارب لا يتعدى 1.10 متر ومعدل وزنه مائة كلغ ونادراً ما يصل إلى مائتين وستين كلغ. عدد صبغاته اثنتان وستون.

يرتكز غذاؤه أساسا على العشب والتبن والشعير، فتقتلع القواطع العشب وتقوم الأضراس بمضغه، وهو حيوان غير مجتر. يشرب قليلا مما جعله يتحمل العيش في مختلف الأماكن الحارة منها والرطبة. تلد الأنثى صغيراً واحداً وتدوم مدة الحمل بين ثلاثمائة وأربعين وثلاثمائة وخمسة وثمانين يوما، وتصير الأنثى بالغة بعد سنتين والذكر بعد خمس سنوات، ويعمر سبعاً وثلاثين سنة، ويبقى بالنظر للخدمات التي يسديها للإنسان ولضآلة تكلفة تربيته مطلوبا في البادية. ويتراوح عدد الحمير بالمغرب خلال العشرين سنة الأخيرة ما بين 710.000 و910.000 رأس تستعمل في الفلاحة ونقل البضائع والأسفار وجر العربات الصغيرة.

تهتم مرابط الخيول الوطنية بالمغرب بتربية أجود فحول الحمير وتستورد من فرنسا وإسبانيا لرفع مستوى تهجين وإنتاج البغال. ويُوجد الآن في حيزها حوالي مائتي رأس من الفحول توضع بالمجان رهن إشارة المربين بمحطات تجويد نسل الخيول.


م. الشهابي، *معجم الشهابي*، بيروت، 1988.

H. Benjelloun, *Conditions d'utilisation des équidés dans le milieu urbain : cas de la médina de Fès*, Th. Doct. vétérinaire I.A.V. Hassan II, Rabat, 1990.


مصطفى يعرف

* *

الحمار من الناحية التاريخية يعتبر أكثر الدواب انتشاراً بالمغرب سواء في العصر الوسيط أو في الوقت الحاضر لتعدد استعماله واستغلاله وصبره وقلة تكاليفه ورخص ثمنه. فقد استخدم منذ ذلك العهد إلى اليوم للركوب والنقل والأشغال الفلاحية وأشغال البناء إلى غير ذلك، وهو من الحيوانات الأليفة الصالحة لكل زمان ومكان ولكل الأشغال *(Tableau Géographique)*. لكنه رغم تعدد منافعه ظلّ محتقراً من الإنسان دون أن يكون لذلك مبرر أو سبب معقول، فالحمار يضرب به المثل في الغباء وعدم الفهم إلى غير ذلك من الصفات والنعوت القبيحة.

استخدم المغاربة الحمير للركوب ونقل البضائع واستغلوها بكثرة في الأشغال الفلاحية : (الحرث والدرس ونقل المحاصيل والسقي وادارة النواعير ( *التشوف*، 172) (*وصف إفريقيا*، 1 : 77) (*قبض العباب*، 50)، وفي استخراج المعادن ونقلها. كما استخدمها الصيادون في نقل الأسماك والشباك وكل اشغال المراسي، واستخدمها الدباغون وسائر الحرفيين في نقل الجلود الخام والمدبوغة ونقل ما يحتاجه الصناع من مواد أولية ؛ وبصفة عامة فإن الحرف المختلفة والصناعات التي كانت معروفة في العصر الوسيط اعتمدت بشكل يكاد يكون كليا على الحمير، وحتى إذا نقلت بعض المواد على ظهور الجمال أو وصلت عن طريق القوافل إلى المدن والقرى، فإن الحمير هي المؤهلة لنقلها وتوزيعها داخل المدن والمداشر ؛ ورغم سهولة تربية الحمير وقلة تكالفيها وصبرها وصلابتها فإن إنتاج الحمير وتربيتها تراجع كثيراً أواخر العصر الوسيط حتى إن الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* (1 : 77 - 230 - 253 - 287) قدم لنا خارطة تقريبية للتوزيع الجغرافي للحمير في المغرب ولاحظ رداءة الأنواع الموجودة وقلتها.

استخدمت الحمير أيضاً في إنتاج البغال وفي التشهير ببعض المتمردين والمجرمين الذين يُرغمون على ركوب أنواع

قصيرة منها دون سرج أو بردعة فتتدلى أرجلهم حتى تثير الغبار ؛ ويطاف بهم في الأزقة والدروب بشكل يحمل على السخرية، وأحياناً تستخدم الحمير لحمل الأقفاص التي يسجن بداخلها المجرمون ويطاف بهم في الأسواق، لكن ذلك كان أواخر العصر الوسيط وفي العصور اللاحقة ؛ أما في العصر الوسيط الأوسط فلم يكن ركوب الحمير يثير أدنى شعور بالنقص، واستخدمت الحمير لتأدية عمل لا يستطيع غيرها من الدواب القيام به وهو بناء الأسوار ونقل مواد البناء إلى أعلى مستوياتها في أعلى السور. وفي العصور اللاحقة استخدمت لنقل الأسلحة والذخيرة بين مختلف الأبراج وتوزيعها عليها على طول الأسوار.

لم تتحدث المصادر الوسيطية إلا عن نوعين من الحمير في المغرب :

- الحمير الكبيرة الضخمة الشبيهة بالبغال وهي في الغالب الأعم متأصلة من الحمير المصرية (*أحسن التقاسيم*، 238) (Quid, 78) (*وصف إفريقيا*، 2 : 12).

- الحمير الصغيرة الحجم والخفيفة، وهي ولاشك النوع المحلي الجبلي، فرغم صغر حجمها أُعجب بها الحسن الوزان وبسرعتها وتسلقها للمسالك الجبلية (*وصف إفريقيـــا*، 1 : 77) أما باقي الإشارات خلال العصر الوسيط الأوسط والأدنى، فإنها ترد مقرونة في الغالب بكرامات الأولياء والمتصوفة وغالباً ما تكون بركة هؤلاء سبباً في إفلات حمير زوارهم من افتراس الأسد، وحمايتها من الأذى (*التشوف*، 202 . 252) (*أنس الفقير*، 25 . 26).

تعتبر الحمير أكثر الحيوانات عرضة للأوبئة وخاصة وباء الطاعون والحروب ولافتراس الحيوانات المتوحشة، مما جعل أعدادها تتذبذب بين الكثرة في أوقات السلم والسنوات الخصبة، والقلة في أيام الحروب والسنوات العجاف ؛ ولذلك كان قانون العرض والطلب هو المتحكم في اتساع انتشارها أو تقلصه، فغلاء الخيول والبغال مثلاً يجعل الطلب على الحمير يرتفع وتصبح الحمير من دواب الركوب حتى في الأوساط التي كانت تأنف من امتلاكها وركوبها.

أما مناطق إنتاج الحمير الجيدة المعدة للتصدير فهي محدودة جداً لم ترد إلا إشارات معدودة عنها في العصر الوسيط الأعلى والأوسط وهي منطقة وجدة (*التشوف*، 202 . 252 ؛ *أنس الفقير*، 25 . 26 ؛ *وصف إفريقيا*، 2 : 12 ؛ *احسن التقاسم*) بعكس مناطق الإنتاج المحلي الموجه للداخل فكثير لكنه رديء لا يرقى إلى مستوى التصدير، ويعود عدم اهتمام المصادر الوسيطية بما في ذلك المصادر المتخصصة ـ مثل كتب الفلاحة والبيطرة وكتب الحيوان بهذا النوع من الدواب إلى وجود خلفية الاحتقار المومإ إليها عند الكتاب.


ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ أ. ابن قنفذ القسمطي، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ المقدسي، *احسن التقاسيم*، ليدن، 1957 ؛ ابن الحاج، *فيض العباب*، الرباط، 1984 ؛ م. الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، مرقون كلية الآداب، الرباط، 1988.

R. Mauny, *Tableau géographique de l'Ouest Africain au Moyen Age*, Dakar, 1966 ; D. et M. Fremy, *Encyclopédie "Quid"*, 1978 ; G. Dez, *La Grece et l'Orient*, Paris, 1964.


محمد حجاج الطويل

**الحَمَام**، جنس طيور برية عرفها الإنسان منذ أقدم العصور وحاول تدجينها. تنتمي إلى رتبة وفصيلة الحماميات Columbiformes Columbidae يفوق عدد أنواعها 300 في العالم، منها ثلاثة أنواع تعيش وتبيض في المغرب. وتعدّ من الطرائد المفضلة لدى الصيادين للذة لحمها.

يتوفر الحمام على أجنحة طويلة مسننة وعضلات صدرية قوية ومتطورة تمكنه من قطع مسافات طويلة بفضل مقاومته وسرعته وحاسته التوجيهية الحادة. إنه من الطيور القواطع يتغذى من حبوب المحصولات الزراعية يلتقطها بمنقاره القصير المخروطي. قوائمه قصيرة حمراء وذيله متوسط الطول.

يسمى الحمام الطوراني أو الطرآني علميا Columba livia وبالفرنسية Pigeon biset وبالانجليزية Rock dove وفي مصر الحمام الأزرق وبالبربرية في المغرب أزضُوض وأزيضوض وتِزْضاض. لا يتعدى طوله 33 سم وبسطة جناحيه 60 . 63 سم وطول الجناح 22 سم وطول الذيل 12 سم ويزن حوالي 300 غرام. يتميز عن باقي أنواع الحمام ببقعة بيضاء مثلثة الشكل في مؤخرة الظهر وبخطين عريضين من الريش الأسود في مؤخرة الجناحين. الظهر والرأس والعنق رمادية مزرقة خضراء اللمعان على جوانب العنق. المنقار أسود، البطن رمادي.

يألف المغاور والأماكن الصخرية بأعالي الجبال وبالسواحل فيتخذها مسكنا له ينام فيها ويستريح وسط النهار. يتوالد عدة مرات في السنة ما بين فبراير وأكتوبر ويلد في كل مرة بيضة أو بيضتين ملساوين لامعتين يبلغ قطر الواحدة 39 x 29 ملم تحضنها الأنثى 17 . 19 يوما وتبقي الصغار داخل العش ما بين 30 . 35 يوما يطعمها الأبوان في البداية بسائل أبيض يُفرز من الحوصلة وبعد أسبوع تأكل الحبوب والحشرات الصغيرة.

يألف الحمام المدن، وكثيراً ما يتخذ صوامع المساجد والكنائس مسكنا له. يقتصر توزيعه الجغرافي على إفريقيا الشمالية وأوروبا الجنوبية وآسيا الغربية، وغالبا ما يعيش وسط مجموعات يفوق عددها مائة فرد.

ينحدر من هذا النوع الحمام الأهلي الذي عرف عبر التاريخ تهجينات عديدة أدت إلى عدة سلالات مختلفة الألوان والأشكال، أشهرها سلالة الحمام الزاجل Pigeon volant - voyageur = Columba tabellaria الذي كان يستعمل لنقل الرسائل.

يُربَّى الحمام لأكل لحمه ويستعمل في بعض النوادي التي تنظم مسابقات في الرمي بالرصاص على الحمام.

الحمام البري أو اليمام هو النوع الثاني ويسمى علميا Columba œnas وبالفرنسية Pigeon colombin وبالانجليزية Stock dove وبالبربرية أتْبير ئتبيرن وتاتبيرت للأنثى، وتطلق هذه الأسماء أيضاً على الحمام الأهلي. لا يتعدى طوله 34 سم وبسطة جناحيه 69 ـ 72 سم وطول الجناح 23 سم وطول الذيل 14 سم ويزن حوالي 300 غرام. يختلف عن الحمام الطرآني في منقاره الأصفر وفي عدم وجود البقعة البيضاء على ظهره.

يألف الغابات والأشجار الكثيفة والبساتين ويبني عشه بين شقوق الجدران والصخور وأحيانا في الحفر الموجود في جذوع الأشجار. يتوالد ابتداء من شهر مارس وكثيراً ما يلد 3 مرات في السنة. تضع الأنثى بيضة أو بيضتين يبلغ قطرهـا 29 x 38 ملم ويحضنها الزوجان بالتناوب 16 ـ 18 يوما. وهذا النوع موجود بكثرة في غابات جبال الأطلس المتوسط والكبير وجبال الريف. يتغذى من الحبوب يلتقطها على الأرض ويستريح وينام على الأشجار.

ـ حمام ورشان أو الحيذوان، وبالبربرية أزيضُوضْ، هو النوع الثالث يسمى علميا Columba palumbus وبالفرنسية Pigeon ramier وPalombe وبالانجليزية Wood pigeon وهو أكبر أنواع الحمام طولا ووزنا. يبلغ طوله 41 سم وبسطة جناحيه 73 ـ 79 سم وطول جناحه 25 سم وطول ذيله 18 سم ويتعدى وزنه أحيانا 500 غرام. يتميز بخط عريض دائري من الريش الأبيض يقطع جناحيه، وببقعة بيضاء على كل جانب من العنق. المنقار أصفر، الصدر رمادي وردي، مؤخرة الذيل سوداء وباقي ريش الجسم رمادي أزرق اللمعان.

يألف الغابات وخاصة منها المجاورة للحقول الزراعية، ومن بين الحبوب المفضلة لديه العدس والجلبان والحمص والشعير والقمح مما يجعل منه طائراً غير مرغوب فيه ومضراً بالمحصولات الزراعية.

يختار الذكر زوجته ابتداء من شهر مارس فينفخ صدره ويفتح ذيله وجناحيه مقتربا من الأنثى، وفي حالة الرِّضى يبنيان العش فوق أعالي الأشجار، وتلد الأنثى بيضة واحدة أو بيضتين ما بين أبريل ومايو وغالبا ما تلد 3 مرات في السنة مما أدى إلى تكاثره. يبلغ طول قطري البيضة 44 x 30 ملم. يحضن الأبوان البيض بالتناوب 17 يوما ويقدمان الأكل للصغار 29 ـ 35 يوما داخل العش.

إنه طائر شائع في المناطق الغابوية بالمغرب ومفقود في المناطق الصحراوية الجنوبية ابتداء من الخط الرابط بين أگادير ـ ورزازات وتختلف كثرته حسب المناطق. يعيش أيضاً في شمال الجزائر وتونس وفي أوروبا وبعض البلدان في آسيا العربية.

منه عدة مجموعات تشتو في المغرب وفي جنوب فرنسا وإسبانيا ثم تعود إلى أوروبا الشمالية ابتداء من مارس، بينما تبقى المجموعات الأخرى مستقرة في نفس المكان أو تقوم بتنقلات بداخل التراب المغربي ولا تغادره.

فيما يتعلق بصيد الحمام بالمغرب هناك قرار وزيري رقم 62 ـ 582 صادر في 3 نونبر 1962 يتعلق بقانون الصيد المستمر بداخل التراب المغربي بالنسبة للحيوانات المضرة للزراعة، وتوجد أنواع الحمام من بينها في المادة رقم 5. أغلب الصيادين يطاردون الحمام عن طريق الصدفة وليس هناك صيد تقليدي خاص بهذا النوع كما هو الشأن في فرنسا مثلا. إنه طائر شديد الحذر وتتعدى سرعته عند الطيران 100 كلم في الساعة مما يزيد من صعوبة صيده.


م. الشهابي، *معجم الشهابي في المصطلحات الزراعية*، بيروت، 1988.

A. Alaoui, *Guide du chasseur au Maroc*, Rabat, 1992, 181 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977, p. 190-195 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*. London, 197, p. 170-171.


محمد رمضاني

**الحَمَّام، عبد السلام** أحد زعماء قبيلة أنجْرة، برز اسمه سنة 1309 / 1891 بمناسبة سماح السلطان لإنجلترا وإسبانيا بإنشاء أسلاك التلغراف بنواحي طنجة.

كان جون دراموند هي J. Drummond Hay وزير بريطانيا العظمى قد التمس من مولاي الحسن مد جهاز التلغراف بين جبل طارق وطنجة، فلم يقبل السلطان. ثم جدد الكرة خلفه وليام كربي گرين W. Kirby Green ونال موافقة العاهل، فجاءت شركة إيستيرن تيلغراف Eastern Telegraph ووضعت أول خط بحري له سنة 1304 / 1887، بعد أن كان المخزن جعل لها ذلك بخمسة شروط :

1 ـ ألا يكون إلا بين طنجة من البحر،

2 ـ ولا يكون بمرسى آخر،

3 ـ ولا يكون في البر،

4 ـ وأن يكون بطنجة بالمحل الذي يعينه عامل البلد ونائب المخزن بها،

5 ـ وأن يقبل النواب الآخرون هاته الشروط.

وكانت إسبانيا من الدول التي قبلت تلك الشروط، فطلبت بدورها أن يرخص لها باتخاذه بين طنجة وطريفة أو الجزيرة الخضراء بحراً، فنالت رضى السلطان سنة 1307 / 1890. ومن شأن نصب خطوط التلغراف أن يمر بتراب أنجرة القريبة من طنجة وتغرس بها أعمدته. وقد وقع الاتفاق بين المغرب وإسبانيا على أن تبدأ أشغال نصب الأخشاب يوم 27 محرم 1309 / 2 شتنبر 1891.

وأشعر عامل تطوان السلطات المخزنية أن عبد السلام الحماء وأصحابه من أنجرة يريدون الحيلولة بين إسبانيا وذلك، بل وصرح الطريس لنائب تلك الدولة أن المعارضة الصادرة من عبد السلام "ليست معارضة لها، بل معارضة

للجناب الشريف، ولإسبانيا أن تشرع في وضع الركائز ما بين الواد وطنجة" وصدرت من أجل ذلك أوامر إلى إدريس أمْقَشَّد أحد عمال الحدادة بين سبتة وأنجرة وكذلك إلى عمال تطوان وطنجة وأصيلا "بترصد قائد قبيلة أنجرة عبد السلام الأنجري لاشتغاله بالفساد، لا على وجه الامتناع من نزول السلك بالقبيلة". ولما أُلقي القبض على الحْمام سنة 1309 / 1891 ظن الطريس أن "النازلة قد انتهت بوجه جميل" وبقي مسجوناً بضعة أشهر حتى أصدر السلطان أمره بتحويله إلى سجن مصباح بمراكش غير أنه استطاع أن يلوذ بالفرار بتواطؤ أو بدونه، فالتجأ إلى قبيلة وَادْراس، واستقدم أصحابه متعصباً بهم. فما كان من السلطان إلا أن خوّله الأمان باستدعائه إلى مراكش، فلم يفلح الأمان في تهدئة الروعة التي أحدثها الأنجري حتى "تفاقم أمر ولد الحْمام وانضم إليه ثلثا القبيلة وانضم إلى صفه بعض الأجانب". وكان من المتهمين بالتعاون معه تشارليز إيوان - سميث Ch. Evan Smith وزير إنجلترا بطنجة الذي خلف گرين المتوفى لكن لم يثبت شيء من ذلك عنه.

وبدأ الحْمام يعتقل الرهائن، فمنهم شاب فرنسي ذكرت مصادر فرنسية أنه كان في صيف 1892 يتجول "على شاطئ البحر حتى ملتقى النهر في طنجة القديمة، وإذا بشخصين يعتقلانه ويقودانه إلى قائد أنجرة المتمرد، فحبسه عنده ثمانية أيام وذلك دون أن يضطهد أو ينهب متاعه".

غير أن المخزن لم يكن يرى في اعتقال هذا الفرنسي عدوانا عليه، وإنما كان في وجوده هناك تواطؤ مّا مع الحْمام. قال السلطان للطريس إن "النصراني الفرانصيصي قد اكترى بهيمة للخروج لبساتين البلد على العادة. ثم جدَّ في السير لعند ولد الحْمام، وطلب أن يقيم معه من جملة رفقائه، وبقي معهم نحو الثمانية أيام، حتى استرعى كبراء القبيلة على الحْمام، خشية أن تلحقهم ملامة بسببه، ووجهوه في الأمان جبراً عليه".

واتخذ المخزن إجراءات وقائية وعسكرية. فلأجل حماية الأجانب وجّه الطريس تحذيراً لنواب الدول لكي "يأمروا رعاياهم بالاحتياط والأخذ بالحذر في خروجهم لنواحي المدينة إلى أن تطفأ نار القنتة".

أما قمع التمرد فقد عين المخزن القائد العربي بن عبو الرحماني ومعه القائد علي الأوديي لقيادة المحلة. لكن بعض كبراء هذا الجيش تطاولوا في العسف وأضروا في العيث، فوصلت للمخزن شكايات بهم. كما أنهم عمدوا إلى التلاعب بالأموال ونفخ أعداد المشاركين في الحملة حتى يتقاضوا عن ذلك من أمناء مرسى طنجة مبالغ غير مستحقة تسمى تلاعباً في الحساب. ولما بلغ خبر هذا التدليس للسلطان قال للطريس : "وصل كتابك بما تُقُوِّل على كبير المحلة السعيدة في التسراد الذي حضرته مع خدامنا أمناء المرسى المحروسة من كونه أكرى عدداً من الناس للوقوف فيه عوضاً عمّن فرّ من العدد الأصلي. ولم تتفطن لذلك حيث رأيت الجميع بالكسوة العسكرية، ورددت الأمر في ذلك إلى ما هو محقق عند جانبنا العالي بالله في كبير المحلة من صدق أوعدمه وصار بالبال.

"فالصدق اليوم عزيز، بل صار كعنقاء مغرب، يُسمع ولا يُرى وإن لم يكن الكل فالبعض. وحتى إن هو يُتحرّى فليس لأخ زيد أخ. والله أسال أن لا يكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد سواه".

كما أن أهل طنجة تظلموا لدى السلطان، إذ اشتكى أهل قبيلة الفحص "من إضرار المحلّة بهم ونهب أمتعتهم ... وصار النواب يسترعون من أجل ذلك ... ولما صدر من كبراء المحلة من القبض على بعض الصالحين من الأنجرة ... ومن جملتهم رجل مخالط للمركان ... فاقترح عليك نائب المركان تسريحه ورد متاعه أو تأتي مراكبهم لأجل الفصال، حسبما بكتابيه الواصلين طي كتابك ... وذكرت أن طول مكث المحلة بقرب طنجة لا يفضي إلاّ لمزيد التشويش، وصار بالبال.

"أما ما تشكى به أهل الفحص فلا غرابة في ذلك وكثيراً ما يقع ذلك من المحلة للصالح، ولكن يتدارك ذلك. وقد كتبنا لكبراء المحلة أن يفاصلوهم ... وأما أهل الأنجرة فليس فيهم رجل رشيد. وأما استرعاء النواب فهو ذلك. وأما المركان فكان من حقه أن لا يخالط أهل الفساد أو يحوز أمتعته من عندهم حيث فسدوا ... وأما ما خشيته من مكث المحلة بقرب طنجة، فقد أمرنا بنقلها من هناك..."

وقد أتت سياسة السلطان أكلها، فوفد أعيان أنجرة سنة 1310 / 1892 على لسان قبيلتهم طالبين الأمان. فأمّن السلطان "أهل الغابة المتظاهرين بالصلاح، إن لم يدخلوا في شيء من زمرة أهل الفساد".

وأخيراً في شعبان 1310 / مارس 1893 حملت الأنباء حسب رسالة السلطان إلى الطريس خبر القبض على "ظالم نفسه الحْمام الأنجري وحلوله بسجن طنجة ... فقد حاق به سيّئ مكره، وعاد عليه شؤم فعله وبغيه، فقد ضاعت بسببه رقاب وأموال" كان منها جنود مغاربة تولى فيليبي أو بيلو إي كناليس F. Ovilo y Canalis "الطبيب الاصبنيولي والمكلف بتعليم متعاطي الصناعة الطبية" علاج مجاريح هاته المحلة.

وهكذا نرى أن إدخال التلغراف الإسباني كان سبباً في فتنة دامت نحو سنتين. ولم أقف بعد ذلك على شيء عن مصير عبد السلام الحْمام الذي احتفظت الوثائق المغربية بأخباره وحدها. ولولا التلغراف لما سمع شيء عن هذا الأنجري.


م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 2 ص. 524 وص. 566 - 570 ؛ وثائق خ. تطوان.

J.-L. Miège, *Documents d'histoire économique et sociale marocaine au XIX siècle*, p. 199, Paris, 1969.


مصطفى بوشعراء

**الحْمَام** (مغارة -) وتعرف أيضاً بمغارة تافوغالت، تقع بقلب جبال بني إزناسن في المغرب الشرقي، وبالتحديد على بعد 55 كم شمال غرب مدينة وجدة، ويتعلق الأمر بمغارة عمقها 53 متراً، وعرضها 30 متراً.

اكتشف المغارة الدكتور پنشون Pinchon في بداية هذا القرن، وقام الباحث رولمان Rhulmann في الفترة الممتدة ما بين 1944 و1947 بعدة تنقيبات أبانت منذ الوهلة الأولى عن مدى أهمية وغنى الموقع، ومنذ 1961 قام الباحث جون روش J. Roche بدوره بعدة عمليات للتنقيب وهكذا تم تحديد 17 مستوى جيولوجي.

عرفت المغارة تعاقب عدة حضارات من بينها الحضارة الموسترية (180.000 إلى 140.000 سنة) ثم الحضارة العطيرية (40.000 - 25.000 سنة) ثم حضارة العصر الحجري الأعلى (20.000 - 10.000 سنة).

سوف لا نتطرق هنا إلى خاصيات كل هذه الحضارات لأننا سنعمل على الحديث عنها في الوقت المناسب ضمن أجزاء هذه المعلمة، ولكن سنركز حديثنا أساسا على المعطيات المهمة التي تخص هذه المغارة.

لعل ما يميز هذا الموقع هي الاكتشافات الأثرية التي تم العثور عليها والتي تعود إلى حضارة العصر الحجري الأعلى، إذ استطاع الباحثون من خلالها أن يقفوا عند عدة خبايا وأسرار تخص عادات وتقاليد إنسان هذه الفترة، وهكذا تبين بأن إنسان تافوغالت كان يمتاز بمهارة يدوية فائقة وحس فني رائع ونمط اجتماعي متطور. وبهذا تعتبر مغارة تافوغالت من أهم المواقع فيما يخص هذه الحضارة على صعيد شمال افريقيا ككل.

إضافة إلى العديد من الأدوات الأثرية التي تم استخراجها والتي تعود إلى مختلف الحقب التاريخية السالفة الذكر والتي كان يستعملها الإنسان، تم كذلك استخراج حوالي 180 هيكل عظمي يعود إلى حضارة العصر الحجري الأعلى أغنت معلوماتنا حول طريقة دفنه، كما تم اكتشاف عدة جماجم أجريت لها عمليات جراحية وحلي ونقوش صخرية ...

سنركز في البداية بالأساس على العملية الجراحية التي أجريت على رأس مريض. تنتمي هذه الجمجمة إلى فصيلة انسان "مشتة افالو" الذي كان منتشراً في المنطقة على طول السواحل خلال الفترة الممتدة ما بين 20.000 و10.000 سنة.

قد يتساءل القارئ عن سر الأهمية العلمية والحضارية التي تكمن وراء هذه الجمجمة، سيما إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنه قد سبق الكشف عن عدة جماجم أجريت لها عمليات مماثلة في أغلب مناطق العالم. إن مميزات العملية الجراحية التي نحن بصدد الحديث عنها تتجلى في كونها أقدم عملية من هذا النوع على الصعيد العالمي، زيادة على ذلك فإن جميع الدراسات التي أجريت عليها أثبتت نجاحها وبقاء المريض على قيد الحياة. عند هذه الاستنتاجات يمكن للقارئ أن يضع الأسئلة التالية : كيف يمكن إثبات كون هذه الثقبة الظاهرة على الجمجمة ناتجة عن عملية جراحية وليس عن كسر ؟ وما هي المعطيات التي تثبت أن هذا الانسان استطاع العيش بعد إجراء العملية ؟

للإجابة يمكن أن نقول إنّ هذه الجمجمة ليست الوحيدة بهذه المغارة بحيث من بين المائة وثمانين هيكلا التي تم استخراجها وُجدت خمس حالات متشابهة، هذا ما يؤكد أن هذا الانسان القديم كان يلجأ إليها باستمرار، زيادة على ذلك تظهر بقايا التشريح على العظام، كما أن هذه الثقبة مستديرة الشكل وجد منظمة وهذا ما يثبت أنها ناتجة عن عمل إرادي ودقيق للإنسان.

ولعل التحام العظام المحاطة بالثقب لدليل قاطع على نجاح العملية، كونه لا يمكن أن يحصل إلا إذا بقي الإنسان الذي أُجريت له العملية على قيد الحياة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الدقة والمهارة اليدوية التي كان يتميز بها انسان هذا العصر. وبالفعل فقد أثبتت الدراسات أن العملية الجراحية قد أجريت على العظم الجداري الأيسر بثقب يبلغ قطره 23 ميلمترا. وإذا كان الذي يحيط بالثقب رطبا ومسطحا فإن ذلك يؤكد على أن العظم قد نما والتأم بعد العملية.

وبغض النظر عن المهارة والتطور الفكري الذي يمكن استنتاجه من خلال هذه الجمجمة فإن لذلك تفسيرات واستنتاجات ذات صبغة سوسيولوجية، ذلك أن إجراء عملية من هذا المستوى تتطلب عناية فائقة، وهو دليل قاطع على أن المريض ينتمي إلى مجموعة بشرية تسود بين أفرادها علاقات اجتماعية وإنسانية معينة، وهذا عنصر كاف لخلق نواة مجتمع ذي ثقافة وعادات وتقاليد تستوجب المزيد من البحث التقني لكشف النقاب عنها. فمن خلال الدراسات التي قامت بها فرمباك Ferembach للهياكل العظمية، وجون روش للأدوات الحجرية (أدوات صغيرة الحجم، شفرات، حلي وأدوات من العظام انظر الصورة)) تبين أن هذا الإنسان عرف حياة جماعية متماسكة وعادات غير واضحة المعالم، كطريقة الدفن المعقدة التي كان يمارسها وإزالة بعض الأسنان الأمامية لكل فرد بلغ عمره 14 سنة.

إن المجال هنا بطبيعة الحال لا يسمح بكشف النقاب عن كل المعطيات الأثرية والجيولوجية التي تزخر بها مغارة الحْمَام، ولكننا حاولنا التركيز بالأساس على بعض النقط التي تميز هذه المغارة عمّا سواها.

م. ع. الهجراوي، *الحضارة الآشولية*، *معلمة المغرب*، 2 : 472 - 473 ؛ *الحضارة الإيبيروموروزية*، 3 : 917 - 919 ؛ *تمارة*، 8 : 2533 - 2534.

M.A. El Hajraoui, *Nouvelles découvertes néolothiques dans la région de Rabat : Grotte d'El Mnasra, Méditerranée*, n° 2, 1993, pp. 105 - 121 ; *L'Industrie osseuse atérienne de la grotte d'El Mnasra (région de Témara, Maroc)*, LAPMO, Univ. de Provence, Tours 3, pp. 91 - 94, 1994 ; J. Dastugue, *Pathologie des hommes de Taforalt*, in Ferembach D., *La nécropole*

*épipaléolithique de Taforalt (Maroc oriental), Etude des squelettes humains*, Casablanca, 1962 ; O. Dotout, *Extension saharienne du type Mechta-Afalou*, Cah. *ORSTOM (Géol)*, 14/2, 1984 ; D. Ferembach, *La nécropole épipaléolithique de Taforalt (Maroc Oriental)*, avec la collaboration de Dastugue et Poitrat, Casablanca, 1962 ; *Diagrammes craniens sagitaux et mensurations individuelles des squelettes ibéromaurusiens de Taforalt (Maroc Oriental)*, Travaux du Centre de Recherches Anthropologique, Préhistorique et Ethnoigraphique, Paris, 1965 ; *Les cromagnoides de l'Afrique du Nord, l'Homme de Cromagnon*, Paris, 1970 ; *On the origin of the Iberomaurusians (Upper Palaeolithic, North Africa)*, A New Hypothesis, J. Hum., *Evol.*, 14, London, 1970 ; *L'émergence d'Homo sapiens*, sous la direction de Bons J. et Delsol M., Paris, 1989 ; J. Roch, *L'Epipaléolithique Marocain*, Lisboa, 1963 ; *Les industries paléolithique de la grotte de Taforalt (Maroc Oriental)*, *2ème Congrès panafr. de Préhistoire*, Alger, 1967 ; *Cadre chronologique de l'épipaléolithique Marocain, 9ème Congrès Inter. Union Intern. Sc. Préhist. et Protohist., Septembre 1976, Colloque 2 Nice, Université de Nice*, 1976 ; M. Zouak, *Variabilité de deux populations machtofdes du Paléolithique supérieur maghrébin (Taforalt et Afalou-Bou-Rhummel)*, Doctorat d'Université du Muséum National d'Histoire Naturelle, Paris ; *Etude anthropométrique des os longs du membre supérieur des deux populations du paléolithique supérieur du Maghreb (Taforalt et Afalou)*, (à paraitre), *Etude statistique, Colloque sur l'Homme du Maghreb et son environnement depuis 100.000 ans, Décembre 1989, Maghnia* (Algérie).

محمد المغراوي

أولاد **حْمامة**، فخذة صغيرة من الأفخاذ المكونة لأولاد محمد الفرقة الشاوية المشهورة في تاريخ المغرب بصلابتها ونفوذها ويكوِّن أولاد حمامة مع أولاد عبد الله وأولاد الزيرق وأولاد عطو ما يسمى بأعشاش السهل.

قدّر عدد خيام أولاد حمامة سنة 1914 بثلاثمائة وخمسة خيام.

*Villes et tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, T. II.

علال الخديمي

**حَمَامة** بن **زيري** بن يعلى أحد أمراء بني يفرن ومؤسس دولتهم الثانية التي انتقلت من فاس إلي سلا. حكم إمارة بني يفرن بعد مقتل أخيه حبوس ودخل في صراع عنيف مع أمير مغراوة زيري بن عطية حول السيطرة على منطقة فاس. لكن ضغط مغراوة وشدة قوتهم العسكرية دفعت بحمامة بن زيري إلى الانسحاب والتحيز بقبيلة بني يفرن إلى ناحية سلا حيث أسس إمارة جديدة تمتد من سلا إلى تادلا. لكن هذا الانتقال لم يحل دون استمرار الصراع بين الإمارتين المنتميتين إلى نفس العصبية الزناتة، بل فرض على المترجم أن يبحث عن تحالفات جديدة ويطلب مساندة قوة كبيرة تمكنه من مواجهة مغراوة فاس حلفاء قرطبة وعيونهم في المغرب الأقصى. ولتحقيق هذا الهدف ربط اتصالات ودية مع أبي مناد باديس بن يوسف بن زيري (386 - 406) عدو مغراوة وأمويي قرطبة، وبعث إليه وفداً بزعامة أخيه زاوي بن زيري متحفاً إياه بالهدايا وراغباً في التحالف مع بني زيري لمواجهة الخطر المغرواي. غير أن المصادر لم تذكر كيف تطورت الأحداث بعد ذلك ولم تشر أيضاً إلى تاريخ وفاة حمامة بن زيري الذي يظن أنه مات فيما بين سنة 406 / 1015 و424 / 1033.

مجهول، *مفاخر البربر*، تح. ليڤي بروڤنسال، الرباط، 1934، ص. 26 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 44.

T. Lewicki, *Banu Ifren, E.I.*, Nelle éd., T. 3, 1971, pp. 1066 - 1070.

رشيد السلامي

ابن **حمامة، محمد** بن منصور بن مُنيِّر الزناتي المغرواي، السجلماسي، يكنى أبا عبد الله ويعرف أيضاً بابن منصور، من رجال الأدب والفقه والحديث ومن علماء اللغة المتضلعين. أول شارح *لمقامات الحريري* في المغرب، لم نر من ذكره من أصحاب كتب لتراجم، وإنما صنعنا ترجمته من بعض تواليفه المخطوطة.

روى عن أبي الحسن علي بن عبد الرحمن وأكثر عنه، وأبي بكر عصفور العبدري، وأبي الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني المعروف بابن حنين.

وله تصانيف كثيرة تدل على إدراكه وإشرافه، منها :

1 - *إعراب غريب البخاري* : ذُكر في *شرح غريب الشهاب* ص. 398.

2 - *اقتراح سميري في شرح مقامات الحريري* : ذُكر في *نبذة فهرسية* ص. 2، ويعتبر شرحه أول شرح *للمقامات الحريرية* في المغرب.منه نسختان خطيتان : الأولى في الأسكوريال رقم 496 والثانية خ. ع رقم 1090 ق، بها 277 صفحة وبآخرها نقص.

3 - *ألفاظ الموطا* : ذكر في *شرح غريب الشهاب* 321 وشرح *أحاديث الشهاب* ص. 22.

4 - البهجة المنيرة في شرح غريب السيرة : ذكر في *اقتراح سميري* ص. 115 - 139.

5 - *التهذيب لشرح ما في المدونة من غريب* : ذكر في *غرر المقالة* ص. 82 - 165.

6 - *الروض الأنيق* : ذكر في شرح *أحاديث الشهاب* ص. 44 وما بعدها.

7 - *شرح أحاديث الشهاب للقضاعي* : منه ثلاث نسخ خطية : الأولى في خزانة جامع القرويين بفاس رقم 709 ضمن مجموع من 55 ب إلى 100 ب ووقع الفراغ من نسخها عام 1002 هـ على يد كاتبها محمد بن علي السناني بداره برباط الولي الصالح أبي يعزى. والثانية بالخزانة العامة بالرباط رقم 585 ك ضمن مجموع من ص. 1 إلى ص. 313، وكان الفراغ من نسخها ضحوة يوم الأحد تاسع

شهر شوال سنة إحدى وستين وألف والثانية بمكتبة عبد الله كنون بطنجة.

8 ـ *شرح جامع أبي محمد* : ذكر في *غرر المقالة* ص. 272.

9 ـ *شرح غريب الشهاب* : تكرر ذكره في *شرح أحاديث الشهاب*. منه ثلاث نسخ خطية : الأولى في خ. ع. رقم 585 ك ضمن مجموع من ص. 314 إلى ص. 400، وكان الفراغ من نسخها عشية يوم الاثنين الثالث والعشرين من شوال عام 1061 هـ. والثانية بالخزانة العامة بالرباط رقم 1824 ك ضمن مجموع من ص.1 إلى ص. 53، وكان الفراغ من نسخها ضحوة يوم السبت الخامس عشر من شوال عام عشرة ومائتين وألف. والثالثة بمكتبة عبد الله كنون بطنجة.

10 ـ *شرح غريب الموطأ* : ذكر في *اقتراح سميري* ص. 85 ـ 122 و*غرر المقالة* ص. 79، وما بعدها.

11 ـ *عيون الذهب في التنبيه على نكت من الأدب*، ذكر في *اقتراح الأدب سميري* ص. 40 ـ 141 ـ 235.

12 ـ *غرر المقالة في شرح غريب الرسالة* طبع بدار الغرب الإسلامي في بيروت سنة 1406 / 1986 بتحقيق الهادي حمو ومحمد أبو الأجفان.

13 ـ *فقه الموطأ* : ذكر في *شرح أحاديث الشهاب* ص. 303.

14 ـ *الفقهيات* : ذكر في *شرح غريب الشهاب* ص. 381 وما بعدها.

15 ـ *فك أغراض البخاري المبْهَمَة في الجمع بين الحديث والترجمة* : ـ وهي مائة ترجمة ـ ذكر في *شرح أحاديث الشهاب* ص. 79، 211 ويسمى أيضاً *حلّ أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة* ذُكر في *إرشاد الساري* 1 / 26 و ؛ و*كشف الظنون* 1 : 551.

16 ـ *المسائل الفقهية المنوطة بالمعاني الشرعية* : ذكر في *شرح أحاديث الشهاب* ص. 189.

17 ـ *توارد المعاني الغامضة في مقابلة البخاري بالعارضة* : ذكر في *شرح أحاديث الشهاب* ص. 17.

وله شعر تعلوه مسحة دينية زهدية.

قدرنا أن المترجم ابن حمامة عاش في القرن السادس الهجري. يرجع ذلك أن شيخه ابن حنين توفي بفاس سنة 569 / 1173.

م. ابن شريفة، *ابن لُبّال الشريشي 508 ـ 582*، الدار البيضاء، 1996 ؛ ع. الله كنون، *شخصيات مغربية، ابن منصور المغراوي*، مجلة *دعوة الحق*، ع 9 س 3 ذو الحجة 1379 ـ يونيه 1960 ـ ص 29 ـ 30 ؛ *النبوغ المغربي*، بيروت، 1395 ـ 1975 ـ 1 : 227 ـ 230 ؛ *دعوة الحق*، ع 9 س 3 ذو الحجة 1379ـ يونية 1960 ـ ص 29 ـ 30 ؛ م. العابد الفاسي، *فهرس مخطوطات خزانة القروين*، الدار البيضاء، 1400 ـ 1980 ـ 2 : 303 ـ 304 ؛ أ. القسطلاني، *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*، خ. ع رقم 1229 ق 1 : 29 ؛ حاجي خليفة، *كشف الظنون*، بيروت 1402 / 1982، 1 : 551 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط 1979 ـ ص 350 هامش رقم 155 ؛ *نبذة فهرسية عن أبي محمد القاسم بن علي الحريري*، انفردت بها نسخة من الشرح الكبير للشريشي ـ السفر الأول ـ مخطوط خ. ع، رقم 81 ح.

عبد العزيز الساوري

**حَمَامة** بن **مَطْهَر** الزناتي من بطون بني القاسم الذين ينتسبون إلى عصبية بني عبد الواد. ويعتبر حمامة هذا أحد قواد زناتة الذين حاربوا إلى جانب الأمير المرابطي تاشفين بن علي في مواجهاته العسكرية مع عبد المومن الموحدي. وعند تولية تاشفين لأبي بكر بن مزدلي على تلمسان سنة 537 / 1142 بعث عبد المومن وهو بالريف عسكراً موحدياً بزعامة كل من ابن يغمور ويوسف ابن وانودين لمساندة أمراء بني ومانوا، حلفائهم هناك، على مواجهة هجومات الجيش المرابطي وحليفهم حمامة بن مطهر والتي انتهت باندحار لجيش الموحدي. لكن بعد ما تبين أفول نجم المرابطين وتحققت سيطرة عبد المومن على أجزاء كثيرة من المغرب الأقصى والأوسط وفد حمامة المترجم على أمير الموحدين عندما كان محاصراً لوهران سنة 538 / 1143 ودخل مع عشيرته في طاعته وتحالف معه ضد أعدائه المرابطين. ويلاحظ أن المصادر تتوقف في أخبارها عن حمامة عند هذا الحدث ولم تعد تشير إلى مصيره أو تذكر مآل حاله مع بني عبد المؤمن بعد ذلك التاريخ.

ابن عذاري، *البيان المغرب* ...، قسم الموحدين، بيروت، الدار البيضاء، 1985، ص. 19 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، 6 : 456 ؛ 7 : 116 ـ 150.

**حمامة** بن **المعز** بن عطية المغراوي، يكنى أبا العطّاف، تولى حكم إمارة مغراوة الزناتية بمنطقة فاس بعد وفاة ابن عمه المعز بن زيري بن عطية سنة 417 / 1026 أو 422 / 1031. ورث عن سلفه من أمراء مغراوة مشاكل كثيرة وعلاقات متوترة مع جيرانهم أمراء بني يفرن بسلا وبني خزرون بسجلماسة. وقد أدرك حمامة بن المعز ثقل هذا الإرث وتبين مدى خطورة التهديدات التي تمثلها إمارة بني يفرن على الخصوص مما ساهم في تجديد الصراع بين الطرفين والدخول في مواجهات عسكرية مباشرة، فعندما تولى الأمير أبو الكمال تميم بن زيري بن يعلى (ت. 448 / 1057) أمر بني يفرن بسلا ازدادت أطماعه في التوسع على المناطق المجاورة لحدود إمارته، فزحف إلى فاس واصطدم بأميرها حمامة بن المعز ودارت بينهما حرب ضروس أسفرت عن عدد كبير من القتلى في صفوف المغراويين وساكنة المدينة خاصة اليهود الذين قتل منهم حوالي ستة آلاف وانهزم المترجم وفرّ إلى مدينة وجدة، ودخل تميم إلى فاس في جمادى الثانية من عام 424 / ماي 1033 ليضمها إلى إمارته التي أصبحت تمتد على مجال واسع بين فاس وسلا

وتادلا. وفي خلال السنة الواحدة التي قضاها حمامة بن المعز في منفاه دب الضعف إلى جنده وتفرقوا عنه فاضطر إلى طلب العون والمساعدة من أمراء المغرب الأوسط حيث لجأ إلى مدينة تنس وحشد قبائل مغراوة هناك ونظم صفوفهم معلنا زحفه على فاس سنة 429 / 1038 ونجح في استرداد ملكه وطرد غريمه تميم اليفرني إلى سلا واضعاً بذلك حداً لفترة أكثر من خمس سنوات من حكم بني يفرن لفاس. كما قام حمامة بتنظيم حملة عسكرية إلى سجلماسة لكنه فشل في تحقيق أهدافه للتوسع نحو الجنوب وانهزم أمام قوة بني خزرون. وفي سنة 430 / 1039 تحرك صاحب قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط القائد ابن حماد في جيوشه الصنهاجية يريد مدينة فاس فخرج إليه حمامة المغراوي لصد غزوته لكن الحرب لم تقع بعد أن تم عقد الصلح بين الطرفين ورجع كل أمير إلى موقعه.

شهدت فترة حكم حمامة هذا ازدهاراً لفت انتباه المؤرخين ووصفوا الأمير بحبه للعلم والأدب وولعه بالسياسة، فكان قصره يرتاده العلماء والأمراء والأدباء والشعراء من الأندلس والمغرب.

واختلف المؤرخون في ضبط سنة وفاة حمامة بن المعز، فابن خلدون يجعلها في سنة 431 / 1040، وابن عذاري وصاحب *مفاخر البربر* يريان سنة 433 / 1042 أما ابن أبي زرع وابن الخطيب فقد جعلا وفاة حمامة في سنة 440 / 1049.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، ط. 3، 1983، 1 : 252 - 254 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 108 - 109 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، تح. ليفي بروفنسال، الرباط، 1934، ص. 42 ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، تح. أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، 1964، القسم الثالث، ص. 86 - 161 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 352 ؛ 7 : 45، 73 - 74 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 172 - 173 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، 1 : 220 - 221.

رشيد السلامي

**حْمَامُوش، علي** بن محمد، يعرف بسدي حْمامُوش، يتصل نسبه بيعقوب المنصور الموحدي، شيخ صوفي أخذ عن الشيخ عبد الله الغزواني عن عبد العزيز التباع عن محمد بن سليمان الجزولي.

تذكر المصادر أنه كانت له علاقة بالأرواح وأن طائفة من الجن كانت تقرأ عليه القرآن بداره بطالعة فاس التي بها توفي واستمرت قراءة القرآن تُسمع حتى بعد وفاته.

قال محمد العربي القادري في *الكناشة* : "كان في قيد الحياة أواخر ذي الحجة خاتمة سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة. وأظنه توفي في هذه العشرة، أعني العشرة الرابعة من القرن العاشر" وذكر صاحب *الدوحة* أن الشيخ حماموش توفي بفاس في العشرة الثالثة (نحو 925) ودفن خارج باب الحمرة وقبره مشهور بزاويته.

م. ابن عسكر، *دوحة*، *موسوعة أعلام المغرب*، 2 : 839 - 840 ؛ م. العربي القادري، *كناشة*، ص. 97 ؛ ابن عيشون، *روض*، 85، د.د.ع، مرقون ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع*، ملزمة، 24، ص. 1 ؛ *تحفة أهل الصديقية*، ص. 25 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج*، ص. 264 ؛ م. القادري، *الإكليل*، ص. 480، د. د. ع، مرقونة ؛ *الزهر الباسم*، مخطوط، ص. 33 وجه ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 225.

مارية دادي

**الـ حماية الإسبانية** بالمغرب. شرعت الدول الغربية منذ مطلع القرن التاسع عشر في إضعاف المغرب بغية احتلاله. وتأكد ذلك بعد احتلال الجزائر والقضاء على ثورة الأمير عبد القادر على يد فرنسا. فأجبرته على إبرام اتفاقات معها تسمح لها بامتيازات على حسابه. وكانت أقسى المعاهدات التي أبرمت في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بتاريخ 26 أبريل سنة 1860 على إثر الغزو الإسباني الذي أدى إلى احتلال مدينة تطوان وضواحيها. فطالبت إسبانيا بموجب هذه المعاهدة المغرب بغرامة مالية تعجيزية قيمتها 100.000.000 بسيطة، لا تتعدى مدة تسديدها ثمانية أشهر. لكن عند الدفعة الأولى فرغت خزينة الدولة، وعجز المغرب عن تسديد الدفعة الثانية، فطلب من بريطانيا قرضا قدره 10.000.000 بسيطة لأداء الدفعة الثانية. لكن هذه الأخيرة تماطلت في تسليم القرض، ولم تدفعه له إلا في 10 مارس 1862، مما أدى به إلى تدارك الموقف وتوقيع اتفاق مع إسبانيا في 30 أكتوبر 1861 لمراجعة المعاهدة السابقة، تنازلت الحكومة الإسبانية بموجبه عن تحديد موعد الدفع والتزمت بالانسحاب من مدينة تطوان حينما تتوصل بنصف الغرامة. وفعلا انسحبت إسبانيا من مدينة تطوان وناحيتها عندما تم لها ما أرادت. وبقيت بذمة المغرب 50.000.000 بسيطة لإسبانيا و10.000.000 بسيطة لبريطانيا، زيادة على الفوائد ومصاريف التوكيل ليصل المجموع في النهاية إلى 69.000.000 بسيطة.

أخذ الإسبان يستولون على نصف مداخيل الجمرك المغربي والنصف الآخر يبقى للدولة المغربية لتسدد منه ما عليها من ديون لبريطانيا. وقد اختار الدائنون أخذ ديونهم عن طريق الجمارك، أولا لأنها أهم مورد للمغرب، وثانيا لسهولة مراقبته. واستغرقت مدة هذه الديون 25 سنة قبل أن تنتهي. وبموجب معاهدة 1863، وقع التفاهم على نهج سياسة موحدة في المغرب بين الدول الأجنبية الممثلة في المغرب إلا إسبانيا فإنها أمضت تسوية مماثلة مع المغرب فيما بعد، نصت هذه المعاهدة الموقعة أصلا مع فرنسا على حق هذه الدول في حماية جميع المغاربة الذين يعملون في المفوضيات والقنصليات الأجنبية وغيرهم من العاملين والوسطاء عند التجار الأجانب وكل المغاربة الذين يرغبون

في ذلك. وقد كانت هذه المعاهدة تعفي كل المحميين من الضرائب ولا تطبق عليهم قوانين بلادهم.

أدى هذا الوضع إلى إضعاف المغرب ماليا وقضائيا، وإلى ظهور الفوضى وانتشارها في صفوف مواطنيه مما حدا بالسلطة المركزية إلى المطالبة بإلغاء هذه الامتيازات. ودعت إلى عقد مؤتمر شاركت فيه الدّول ذات الامتياز للنظر في طلبه، لكنه باء بالفشل لأن كل دولة لم تكن مستعدة للتنازل عن (حق) سبق أن اكتسبته. وتقرر فيه وضع تشريع دولي جديد. وانعقد مؤتمر مدريد في 3 يوليوز 1880، حيث تقرر عدم التنازل عن الامتيازات السابقة، مضيفا إليها أنه إذا ما تعاطى محمي أو أجنبي الزراعة فإن الضريبة تدفع إلى قنصليته.

في هذه الظروف كانت فرنسا تستعد لاستعمار المغرب وضمه إلى ممتلكاتها بإفريقيا. وفي 3 أكتوبر 1904 أمضت اتفاقية مع إسبانيا تعترف فيها بمحتوى المعاهدة السابقة المبرمة مع بريطانيا وتحدد مناطق النفوذ التي تخولها لإسبانيا على الساحل المغربي المطل على البحر المتوسط، كما تؤكد تسليمها منطقة سيدي إيفني، وترسم بالخرائط حدود البلاد التي خولت لإسبانيا فيما بعد.

لم تسكت ألمانيا على ما يجري من تنافس حول المغرب، وتأزمت علاقاتها مع بريطانيا وفضحت الاتفاقات السرية السابقة التي كانت تعقد بلا علم المغرب. ولما أدرك المغرب مناورات فرنسا وبريطانيا، دعا في 30 ماي سنة 1905 إلى عقد مؤتمر دولي بتأييد من ألمانيا. فانعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء في 7 أبريل سنة 1906. وتمخض عن معاهدة أمضتها كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا والنمسا وإيطاليا والسويد وهولندا وإسبانيا وهنغاريا وبلجيكا وروسيا والبرتغال والولايات المتحدة الأمريكية تهم مجموعة من القضايا، أهمها :

تنظيم الشرطة وحفظ الأمن في المغرب ؛

إنشاء بنك وتحسين دخل الضرائب ؛

تنظيم الجمارك المغربية ومراقبة تهريب السلاح ؛

وعهد إلى فرنسا وإسبانيا بحفظ الأمن داخل الموانئ المغربية. وبهذا كان المؤتمر في صالح فرنسا وإسبانيا ولم يحفظ كرامة المغرب. ولم تستطع ألمانيا منع ما تقرر. وهكذا استمرت فرنسا وإسبانيا في سياستهما التوسعية بالمغرب. وبتنسيق بين الدولتين احتل الإسبان سنة 1907 مدينتي العرائش والقصر الكبير، واحتل الفرنسيون مدينة الدار البيضاء.

نصت معاهدة الحماية الموقعة في 30 مارس 1912 في فقرتها الثالثة من مادتها الأولى على أن تدخل فرنسا في مفاوضات مع إسبانيا حول مصالح هذه الأخيرة في الشواطئ المغربية. وذلك ما وقع فعلا. فبموجب اتفاقية 27 نوفمبر 1912 الموقعة في مدريد لهذا الغرض، أصبحت المنطقة الشمالية خاضعة للحماية الإسبانية. وكم حاول الإسبان إضافة مدينة فاس إلى هذا الجزء لكنهم لم يفلحوا. ومنذئذ أصبح الخط الجغرافي الممتد من عرباوة جنوب القصر الكبير إلى مشارف مصب نهر ملوية في الشمال الشرقي للمغرب هو الحد الفاصل بين الجزء الشمالي والجزء الجنوبي الذي يدخل تحت السيطرة الفرنسية. كما نصت هذه المعاهدة على أن المنطقة الشمالية تعتبر من المناطق الخاضعة لسلطة السلطان، ينوب عنه فيها خليفة معين من قبله، يتمتع بنفس الحقوق التي هي للسلطان نفسه. ويكون مقر إقامته بمدينة تطوان، ومندوب عن السلطان في منطقة طنجة، يمارس نفس السلطات المخولة له.

كانت المنطقة الشمالية تمثل 5٪ من مجموع التراب المغربي آنذاك، ويسكنها 750.000 نسمة. تقطن في جهتها الغربية قبائل جبالة، ويتكون أغلب أهلها من فلاحين وصيادين. وكانت هذه المنطقة في ثورات مستديمة ضد الإسبان منذ سنة 1497، وهي السنة التي احتل فيها الإسبان مدينة مليلية ليجعلوها قاعدة ينطلقون منها لاحتلال التراب المغربي، وبقيت تحت نفوذ إسبانيا مدينة مليلية وسبتة والجزر الجعفرية في الشمال ومدينة الداخلة في الجنوب الغربي.

أما من الناحية التنظيمية، فقد عرفت المنطقة الشمالية من المغرب تنظيما مشابها للمنطقة الفرنسية، بحيث استقرت الإدارة المركزية بمدينة تطوان، وأنشئت إدارة إقليمية وأخرى محلية في باقي المناطق، وكانت تتألف من أجهزة ثنائية خليفية يترأسها خليفة السلطان، تساعده في مهامه حكومة المخزن الخليفي، وإسبانية يترأسها مفوض سام إسباني يعين من طرف حكومته، يمثل بلاده في منطقة الحماية، وفي نفس الوقت هو الحاكم العام لمدينة سبتة ومليلية اللتين تعتبرهما إسبانيا جزئين من ترابها.

أما التنظيم الإداري في مدينة طنجة فقد تأثر بطبيعة الوضع الدولي للمدينة، والذي يعود إلى ما قبل الحماية، حينما كانت مقر إقامة القناصلة المعتمدين لبلادهم بالمغرب. فقد منحوا حق إقامة بعض المؤسسات والإشراف عليها، وأقرت معاهدة الحماية ذلك. أما بالنسبة للأجزاء الجنوبية المحتلة من المغرب، فبعدما سعت إسبانيا إلى فصلها تدريجيا عن المغرب، قسمتها إلى أربع مناطق : منطقة سيدي إيفني والساقية الحمراء ووادي الذهب وجعلتها تابعة لرئاسة مجلس الحكومة الاسبانية، وجعلت طرفاية تابعة لإدارة تطوان.

وبانتهاء المقاومة المسلحة في الشمال، بدأت تظهر الحركة الوطنية غير المسلحة في قالب جديد وإطار سياسي واجتماعي وثقافي في حلة تجعلها تقاوم المحتل بسلاح الفكر والمعرفة معتمدة في ذلك على أبنائها النبهاء. فأحدثت من أجل هذا جرائد ومجلات باللغة الأجنبية داخل وخارج الوطن، لأن اللغة العربية كانت محدودة الاستعمال، وكذلك التشكيلات السياسية. لذلك بدأت هذه الحركة

الوطنية على شكل جماعات، ثم تكتلت في السر لتكون حزب الكتلة الوطني بزعامة عبد السلام بنونة في الشمال. أنشئ مثيل له بزعامة كل من علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني في منطقة الحماية الفرنسية. ومن أهم ما نادت به الكتلة الاحتفال سنويا بعيد العرش للتعبير عن مدى التحام الشعب بالعرش. وبعد نجاح الجمهوريين وسقوط الملكية في إسبانيا في 14 أبريل سنة 1931، تكون وفد وطني من أعضاء المكتب السياسي للكتلة الوطنية بالشمال وتوجه إلى مدريد في 6 يونيو من نفس السنة لتسليم وثيقة المطالبة بالإصلاحات. لكن مطالبهم رفضت من الجمهوريين. وبالمقابل أعطيت تسهيلات كبيرة لليهود الاسبان من أجل الاستقرار في منطقة الشمال، وصدرت مراسيم للتنقيب عن المناجم في المنطقة، وفرض ترخيص على أبناء المنطقة للانتقال من جهة إلى أخرى. وفي 24 ستمبر سنة 1931 تكون مجلس بلدي في مدينة تطوان عن طريق الانتخاب، كانت الأغلبية فيه للوطنيين. واستمرت الكتلة الوطنية في عملها النضالي وتمكنت من تنمية علاقاتها السياسية والثقافية مع المشرق العربي، فاشتركت في المؤتمر الإسلامي بالقدس في ديسمبر سنة 1931، كان من نتائجه التعريف بقضية المغرب. وفي سنة 1932 سلمت وثيقة مطالب إصلاحية جديدة للسلطات الاسبانية، حدث بعد تسليمها بعض الانفراج في العلاقات بين الوطنيين والإدارة الحامية أدى إلى ظهور جريدة *الحياة* الأسبوعية في فاتح مارس سنة 1934، لكن سلطات الحماية منعتها من الصدور بعد ذلك بقليل. وفي نفس السنة وبمناسبة العيد النبوي الشريف، قام الوطنيون بتظاهرات خطابية وتغنوا بالأناشيد الوطنية، فقامت سلطات الحماية على إثر ذلك باعتقال العديد من المواطنين وزجت بهم في السجون. وفي سنة 1935 توفي زعيم الكتلة الوطنية بالشمال عبد السلام بنونة في مدينة تطوان، وخلفه في الزعامة عبد الخالق الطريس. وتأزمت العلاقات بين الوطنيين وبين سلطات الاحتلال عندما قامت هذه الأخيرة بمصادرة أمتعة جريدة *الحياة*. واستمر هذا التأزم إلى أن قام "فرانكو" Franco بانقلابه ضد حكومة الجمهوريين في 18 يوليوز 1936. وجاء وعده للوطنيين على لسان الكولونيل "بيغبيدير" في مدينة تطوان بما يلي : "إن انقلاب "فرانكو" سينجح، ويجب ألا يعرقله المغاربة. وفي ساعة النصر سيقطف المغاربة معنا أينع الورود، ومن الآن سيلمس الوطنيون أن هناك معاملة مغايرة : السماح بحرية الحركة، التوسع في التعليم، تكثيف العلاقة مع المشرق. وفعلا قدمت عدة تسهيلات للوطنيين، فحصلوا على بنايتين، خصصت إحداهما للمعهد الحر، والأخرى للمدرسة الأهلية، وفتحت أبواب الإذاعة في وجوههم. وفي هذه الفترة ظهرت جريدة *الريف* للتهامي الوزاني. وبتعاون مع الخليفة السلطاني مولاي الحسن بن المهدي استطاعت الحركة الوطنية الحصول على وزارتي العدل والأوقاف، إلا أن سياسة سلطات الحماية أحدثت انشقاقا داخل الكتلة الوطنية، أدت بالمكي الناصري وهو عضو فيها إلى الانشقاق عنها ليؤسس حزب الوحدة المغربية وجريدة تحمل نفس الاسم، وأنشأ معهد مولاي المهدي. وفي 7 ديسمبر سنة 1936، أسس عبد الخالق الطريس حزب الإصلاح الوطني. وفي 24 ديسمبر من نفس السنة أسندت إليه وزارة الأحباس. وعين محمد داوود مفتشا بوزارة المعارف، وهو عضو في الكتلة الوطنية كذلك. لكن إسبانيا سرعان ما غيرت سياستها في المنطقة تجاه الوطنيين، وذلك تحت ضغوط جاليتها المقيمة في الشمال المغربي. واستقال عبد الخالق الطريس من منصبه لما واجهته العراقيل ليؤسس جريدة *الحرية* في 14 مارس 1937. وفي هذه الفترة عمت المظاهرات والمناداة بالإصلاحات في المنطقة الواقعة تحت الحماية الفرنسية بالجنوب. واصطدم الوطنيون بقوات الاحتلال الفرنسي، وزج بعدد كبير منهم في السجون، وأبعد الزعماء إلى المنافي.

وفي 29 أكتوبر من سنة 1937، قامت في مدينة تطوان مظاهرات احتجاج وتضامن مع الوطنيين بالجنوب. ورفعت لافتات تطالب بالحرية وبالوحدة في ظل العرش المغربي. وقامت تجمعات في المساجد، وخطب كل من عبد الخالق الطريس والمكي الناصري في الجموع. واحتشدت الجماهير في مدينة العرائش بالمواطنين القادمين إليها من كل حدب وصوب، وألقى فيهم المكي الناصري خطبا. وأرسلت من هناك رسائل احتجاج إلى الحكومة الفرنسية، ووجهت برقيات ولاء وإخلاص للسلطان محمد بن يوسف.

ومع نهاية الحرب الأهلية الإسبانية بانتصار "فرانكو" في فاتح أبريل 1939، بدأت الاعتقالات في صفوف الوطنيين، وأوقفت جريدة *الوحدة المغربية* وجريدة *الحرية*. وافتضحت سياسة الحرباء التي كانت تنهجها إسبانيا في المنطقة رغم تعاقب أنظمتها السياسية المختلفة في بلادها. وأثناء الحرب العالمية الثانية، تحولت مطالب الوطنيين من الإصلاحات إلى المطالبة بالاستقلال التام. ووقع كل من حزب الوحدة المغربية وحزب الإصلاح الوطني وثيقة "الميثاق الوطني" في 18 ديسمبر 1942، التي نصت على تكوين جبهة وطنية موحدة للدفاع عن استقلال المغرب ووحدته الترابية.

وابتداء من سنة 1945 تقوت عملية إذكاء الوعي الوطني في نفوس المواطنين وأنشئت نواد ومكتبات وفرق رياضية للشباب. وجاءت سنة 1947، فعبر السلطان محمد الخامس عن رغبته في زيارة مدينة طنجة فزارها رغم رفض الإقامة العامة. وتحرك الموكب السلطاني في اتجاه شمال المغرب يوم الأربعاء 9 أبريل سنة 1944. وفي اليوم التالي استقبل السلك الديبلوماسي والوفود المهنئة، ثم خرج إلى شعبه مصحوبا بولي عهده آنذاك جلالة الحسن الثاني، فألقى خطابه التاريخي، الذي أكد فيه رغبة بلاده في الاستقلال والوحدة. وفي اليوم الثالث، وكان يوم جمعة، أم

المصلين بالمسجد الكبير، وألقى خطابا دينيا، ثم تلا قوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم".

وقد قامت السلطات الإسبانية في المنطقة الشمالية في هذه المناسبة بقمع المواطنين المغاربة والزج بالكثير منهم في سجونها. وكانت المحاكم الاسبانية هي التي تبت في قضاياهم. وبعد نفي محمد الخامس اغتاظت الحكومة الإسبانية من نفي السلطان دون استشارتها، فاحتجت على لسان مندوبها السامي في تجمع سياسي أقيم بمدينة تطوان في 21 يناير 1954، جاء فيه : "إن فرنسا خطت خطوة لارجعة فيها، وعليها الآن أن تواجه مسؤوليتها وحدها". وبعد خمسة أيام من هذا التصريح صدر عفو شامل عن المعتقلين السياسيين بمنطقة الشمال. وبدأت إسبانيا سنة 1955 بتعيين حكومة جديدة للخليفة السلطاني ضمت عدداً من الوطنيين أسندت إليهم وزارات العمل الاجتماعي والتربية الوطنية والعدل والأوقاف.

وبعد أن وقع محمد الخامس في 2 مارس 1956 مع فرنسا وثيقة الاستقلال. تلاها في 7 أبريل من نفس السنة توقيع اتفاقية مماثلة مع إسبانيا في مدريد. وفي طريق رجوعه إلى المغرب، استُقبل محمد الخامس بتطوان استقبالا يصعب وصفه. وفي 29 أكتوبر سنة 1956 انتهى النظام الدولي بطنجة. لكن العديد من الجيوب والثغور المغربية المحتلة ظلت تحت السيطرة الإسبانية كسبتة ومليلية والصحراء المغربية.


محمد الصفار، *رحلة إلى باريس*، مخطوط، خ. ع. رقم 113 ؛ ميگل (مرتين)، *الاستعمار الإسباني في المغرب (1860 ـ 1956)*، باريس، 1973 ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، ج 3 ؛ علي الغالي الريسوني، *مغرب لا يقهر*، تطوان، 1992، د. ن ؛ ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، الرباط ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ عبد الرحيم ابن سلامة، *المغرب قبل الاستقلال*، الدار البيضاء، 1980؛ ع. المجيد بن جلون، جولات *في مغرب أمس* 1872، الرباط 1974 ؛ ح. بوعياد، *الحركة الوطنية والظهير البربري*، الدار البيضاء، 1979 ؛ محمد العلمي، *عبد الكريم الخطابي*، الرباط 1968 ؛ عبد النبي ذاكر، *الرحلة الحجوية إلى الديار الاسبانية*، مجلة *دراسات*، كلية الآداب والعلوم الانسانية في أگادير، العدد 7 السنة 1995 ؛ *الوثائق*، مجموعة دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية (المجموعة الرابعة)، الرباط، د. ت.

G. Ayache, *Etudes d'histoire marocaine*, Rabat 1979 ; *Les origines de la guerre du Rif*, Rabat 1981 ; *Mémorial du Maroc* (tome 5) ; *Hassan II présente la marche verte*, Paris 1990 ; *Histoire du Maroc*, Paris 1987 ; C.-A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes (1415 - 1956)*, Paris, 1978 ; J. F. Clement, *Tanger avant le statut international*, *horizons maghrébines*, n° 31 - 32, 1996 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912)*, Casablanca 1993, 2° éd. ; H. Amic, *Le Maroc hier et aujourd'hui*, Paris 1925 ; E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904 ; W. Harris, *Le Maroc disparu*, Paris 1929 ; F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947.


الهادي بجيبجو

**الحماية الفرنسية**، فُرضت الحماية الفرنسية على المغرب بمقتضى معاهدة 30 مارس 1912 وامتدت إلى أن أُعلن عن تحرر البلاد منها يوم 2 مارس 1956. وبالرغم من قصر هذه المدة فإن ما طرأ خلالها على المجتمع المغربي من التحولات في مختلف الميادين لم يسبق له نظير في تاريخه مما يوحي بما تخلل تلك التحولات من العنف ويوحي بأن الاحتلال الأجنبي كان معركة من البداية إلي النهاية، معركة بين الدولة الحامية والدولة المحمية ومعركة بين الجماهير المغربية والجالية الاستعمارية ومعركة بين الأصالة المكلومة والمعاصرة المتعجرفة أو بين الإصلاح المفروض والإصلاح الذي تتبناه الجماهير.

ولقد مرت هذه المعارك من ثلاث مراحل امتدت أولها من 1912 إلى 1930 وكانت لصالح الاستعمار الذي استغل تناقضات المجتمع المغربي ليكتسح الأرض ويفرض سطوته، وامتدت الثانية من 1930 إلى 1942 وتبين فيها للقيادة المغربية الناشئة ما ينطوي عليه الاستعمار من جهته من التناقضات التي يمكن إمساكه منها وزعزعة أركانه من خلالها، فتشكلت الحركة الوطنية وبدت قادرة على الاستفادة مما نزل بالدولة الحامية من النكبات بعد قيام الحرب العالمية الثانية، وكانت المرحلة الثالثة من 1942 إلى 1956 وكلها لصالح الدولة المحمية التي التحمت من جديد دواليبها الحكومية بصفوف الجماهير فتكسرت على تلك الوحدة كل المناورات الاستعمارية واسترجع المغرب استقلاله وسيادته.

ـ المرحلة الأولى 1912 ـ 1930 : الحماية معاهدة بين دولتين غير متكافئتين تستعمر بمقتضاها الدولة القوية الدولة الضعيفة وتفرض عليها معمريها ورساميلها وأساليبها الإدارية والاقتصادية والثقافية فتلحقها بأسواقها وبمجال نفوذها في العالم، فهي حيلة قانونية تستغل بها خيرات الدولة المحمية اعتماداً على أموالها وسواعد أبنائها، وهي إذن اغتصاب ترابي واحتلال أجنبي.

ولقد دخلت الجيوش الفرنسية أراضي المغرب منذ سنة 1900 حيث انتزعت منها واحات توات وضمتها إلى الجزائر، ثم واحات شنگيط وضمتها إلى ممتلكاتها في السودان الغربي (1908) ثم إنها أوقعت البلاد كلها ابتداء من ذلك التاريخ بين فكي كماشة باحتلال السهوب الشرقية المغربية من وجدة وبني بزناسن في الشمال إلى فيگيگ ووادي ݣير في الجنوب، وهذا من جهة الشرق، وباحتلال الدار البيضاء والشاوية من جهة الغرب (1907 ـ 1908) وفي سنة 1911 زحفت جيوش الاحتلال من الشاوية إلى فاس عبر الرباط وسهل الغرب ومكناس فأدخلت تحت سيطرتها كل الأقاليم

الموجودة على طريقها أو المتاخمة لها بحيث ما إن أبرمت معاهدة الحماية (30 مارس 1912) حتى كانت السيطرة الفرنسية تامة على جزء غير هيّن من التراب المغربي فبادرت غداة انعقاد الحماية إلى تعزيز غزوها باحتلال عاصمة الجنوب مراكش وباقي السهول الأطلسية شمالا وجنوبا وسهل تادلا والهضبة الوسطى والمرتفعات الأولى من الأطلس المتوسط وتم الربط بين جيوش الاحتلال الزاحفة من الشرق وتلك التي كانت تحتل القسم الغربي من خلال فجاج تازا وذلك قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى بقليل (يونيه 1914). فلما قامت الحرب خفت عمليات الغزو دون أن تنقطع، إذ تم الربط بين جيوش الاحتلال في بوذنيب وبين جيوش الاحتلال في مكناس وذلك على سطوح الأطلس المتوسط بالقرب من ميدلت (1917) مما قسم معاقل المقاومة هنالك إلى قسمين تمكنت العساكر الفرنسية من إسقاطهما الواحد تلو الآخر بعد نهاية الحرب، فسقط القسم الجنوبي فيما بين 1920 و1923، وتأجل مصير الثاني بسبب اندلاع حرب الريف في منطقة الحماية الاسبانية منذ سنة 1921. وبسبب امتدادها إلى منطقة الحماية الفرنسية سنة 1924 فلما انهزمت المقاومة الريفية سنة 1926 تم احتلال "بقعة تازا" وهي القسم الشمالي من الأطلس المتوسط ولم يبق ممتنعا على الجيوش الفرنسية إلا جبال الأطلس الكبير والأطلس الصغير وما يتصل بهما من الأقاليم الصحراوية، لكنها تجندت لذلك ابتداء من 1929 حيث تشكلت أربع فيالق ضخمة انطلاقا من مراكش ومن تادلا ومن مكناس ومن التخوم الجزائرية المغربية الجنوبية، فصارت تلك الفيالق تتسرب كل واحد من جهته إلى قلب الأوعار الأطلسية خطوة خطوة وترغم القبائل على الاستسلام تحت وابل من قنابل المدفعية الثقيلة والطيران، فوقعت سلسلة جبال العياشي في قبضتهم (1931) ثم واحات تافلالت (1932) ثم جبال صغرو (1933) ثم الأطلس الصغير وسلسلة بادو في قلب الأطلس الكبير (1934) وهي السنة أيضاً التي اكتُسحت فيها الصحراء المغربية.

وكان سبب انتصار الجيوش الفرنسية تفوقها المطلق في العتاد والتنظيم العسكري ووحدة القيادة وانسجام الرؤية، ومع ذلك فإنها لم تتغلب على ما كان من مقاومة القبائل المغربية إلا بعد اثنتين وعشرين سنة. فلقد كانت المقاومة المغربية آية في الاستبسال شهد بذلك العدو نفسه، كما شهد بأن جيوشه لم تدخل أدنى بقعة من التراب المغربي دون أن يكون سكانها قد استنفدوا جميع وسائل الامتناع، وكانت تلك المقاومة شاملة تلقائية يكاد لا يتميز فيها رئيس عن مرؤوس وإن ذاع فيها صيت بعض الزعماء مثل الشيخ ماء العينين وأبْنائه في الصحراء الغربية وسوس ومُحَا وسعيد الوراْوي في تادلا ومُحَا وحمُّو الزياني في الأطلس المتوسط الجنوبي وسيدي رحو في الأطلس المتوسط الشمالي والحجّامي في الحياينة وأهل زاوية أحنصال في الأطلس الكبير الشرقي ومُحَا نيفروتن وبلقاسم النگادي في تافلالت ومُحَا وبسلام في صغرو والمدني الخصاصي والقائد الناجم الخصاصي في الأطلس الصغير ومحمد بن عبد الكريم الريفي الذي سارت الركبان باسمه، وآخرين لا يتسع المقام لذكرهم جميعا. ويكفي أنهم استماتوا ومن كان وراءهم من المجاهدين في الدفاع عن الوطن والكرامة وكالوا لجيوش الاستعمار ضربات موجعة وألحقوا بها الفضيحة كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، مثلما حدث في معارك المنگار (1901) وتاغيت (1903) ورتيشيت (1905) والقصبة (1913) والهري (1914) وتافلالت (1181) وجبالة (1920ـ 1922) وورغة (1924ـ 1925) وأيت يعقوب (1929) وتازكزاوت (1932) وبوگافر (1933) وجبل بادو (1934)، لكن بطولات المقاومين لم تكن لتوقف الاكتساح الاستعماري لا لأن سلاحهم كان دون سلاحه ولكن لأن المقاومة كانت تتم متفرقة على العموم ولا يتجند السكان للقتال إلا عندما تدخل الجيوش الفرنسية ترابهم، ولم يكن قتالهم متفرقا من شدة التمسك بالعصبية بقدر ما كان من افتقار إلى وحدة القيادة ومن وقوف الدولة في جهة ووقوف القبائل في جهة أخرى بما نجح من دعاية الاستعمار الذي كان يردد ليل نهار أنه لا يغزو المغرب وانما يمهد أقاليمه لفائدة المخزن، وكانت النتيجة سنة 1934 أن جردت القبائل من كل سلاحها ورست مستقراتها بصفة نهائية عبر التراب المغربي.

وتلك نتيجة ما كان المخزن ليتغافل عنها لما كان منصرفا إليه منذ أقدم العصور من محاولة إدخال القبائل في طاعته، فلأول مرة أصبحت الأحكام المخزنية تنال جميع أنحاء البلاد وذلك من مميزات عهد المولى يوسف الذي تربع على العرش في غشت 1912 خلفا للمولى عبد الحفيظ أخيه، وسارت الدولة في عهده بسيرة من تنزل به أشد النوازل فيكون شغله الشاغل المحافظة على الأصول والتزام الصمود والحرص على أن لا يقع أي تفريط في شؤون العقيدة ولا في مرتبة اللغة العربية في الدولة. وهكذا قاوم المولى يوسف بالتي هي أحسن سياسة التفرقة بين القبائل العربية والقبائل البربرية التي رامت سلطات الاستعمار فصلها عن حظيرة الإسلام منذ ذلك العهد، حيث امتنع عن مسايرتها في ذلك وأحسن استغلال ما كان المقيم العام الفرنسي الأول في المغرب الجنرال ليوطي (Lyautey) الذي امتدت مقيميته من 1912 إلى 1925 يبديه من المراعاة للتقاليد المخزنية ومن الأدب مع العاهل والتظاهر بالوقوف عند بعض الحدود من الاستعمار، فإنه كان يردد بأنه ليس سوى "خادم سيدنا الأول" وكان يلح حتى لا تتحول الحماية من إدارة لمراقبة الأجهزة الحاكمة المغربية والأخذ بيدها إلى إدارة فرنسية مباشرة تمسك بزمام الأمور كلها وتهمش المسؤولين المغاربة، وسعى السعي الحثيث في أن تسترجع الدولة كامل حرمتها لتلافي ما لحق بها من الأضرار من

جراء فتن العهدين السابقين، وكان ذلك مما حمله على اقتراح الرباط عاصمة جديدة للمملكة ليكون في هذا إشارة بتجديد النهضة المغربية في عهد المولى يوسف، وكان ماهراً في سياسة "مدّ اليد" للنخبة المغربية، وكانت ميوله الشخصية للأنظمة الملوكية الارسطقراطية تساير ما وجد عليه المجتمع المغربي من التراتب ومن الالتزام بالتقاليد الموروثة، فكان حريصاً على استقطاب كل ذوي النفوذ إما بالكلام المعسول وإما بالضغط على مصالحهم، وبذلك اكتسب إلى جانبه أرباب الزوايا مثل عبد الحي الكتاني وعبد الرحمان الدرقاوي، واستطاع أن يتحكم في حوز مراكش وقبائل الأطلس الكبير الغربي بواسطة كبار القواد هنالك، أمثال الأكلاوي والكندافي والمتوكي، فنال على العموم رضى النخبة الحاكمة التقليدية التي زاد في انبهارها بما أقدم عليه ليوطى من "الإصلاحات" احتفاظها برتبها وحرمتها مع وعيها من جهة أخرى بما كان عليه المغرب من التخلف عن العصر فلم تبخل على ليوطي بالتنويه والتمجيد، وكيف لا ينبهر الجيل الذي كان على بينة مما عاناه السلطان المولى الحسن وبعده المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ يوم راموا إدخال بعض الترتيبات والتنظيمات على أساليب الدولة إذ صارت كل المجهودات يومئذ إلى الفشل الذريع، بينما نزل كل ما كان يقترحه ليوطي على المولى يوسف مكانه المناسب من الدولة. وتم كل ذلك في ظرف وجيز حتى بدا وكأنه من المعجزات، ففي أقل من عشر سنوات تم تجهيز البلاد من أهم ما كانت تحتاج إليه كل دولة عصرية سواء في ميدان التجهيزات الأساسية كبناء الطرق والجسور والسكك الجديدية والموانئ وبخاصة منها ميناء الدار البيضاء، أو في ميدان القانون والاقتصاد حيث صدرت الظهائر التنظيمة الأساسية في مجال العدل والمعاملات التجارية والضرائب وترتيبات الميزانية العامة ومحاسباتها، أو في مجال الشؤون الاجتماعية كالصحة والتعليم والحالة المدنية والتشغيل، هذا فضلاً عن التنظيمات الإدارية التي قسمت البلاد إلى جهات عسكرية وأخرى مدنية مع انقسام كل واحدة منها إلى مقاطعات تنقسم إلى دوائر منقسمة هي نفسها إلى مكاتب وملحقات. ويشرف على كل وحدة إدارية موظفان فرنسي ومغربي مما أدخل التراب المغربي برمته مع تقدم التمهيد العسكري في شبكة موحدة متماسكة الأطراف تستطيع السلطة المركزية أن تفصل في أمورها مباشرة من العاصمة الرباط، وكان ذلك ثورة في حدّ ذاته بالقياس مع أساليب المخزن وأدوات حكمه قبل الحماية، ولذلك ما كان أقطاب النخبة المغربية إلا لينبهروا، وقد انبهر أمثال محمد الجباص ومحمد المقري ومحمد السليماني وأحمد ابن المواز وعبد الرحمان بن زيدان، وكان انبهار آخرين من أمثال الشيخ شعيب الدكالي ومحمد الحجوي ومحمد بن العربي العلوي مدعاة لمراجعة النفس والتفكر في أمجاد السلف الصالح وانتقاد مساوئ الجيل الذي وقع تحت نير الاحتلال الأجنبي من شدة تفريطه في الأصول مما كان يوحي بمدى اتساع الهوة بين النخبة والجمهور، وتلك الهوة هي التي مكنت ليوطى من إمضاء قراراته في ظرف وجيز إلى أن قامت حرب الريف فجاءت نذيراً في أواسط العشرينيات بقدرة الشعب المغربي على رصّ الصفوف وصياغة الشعارات الموحدة الصادقة.

المرحلة الثانية 1930 ـ 1942 : أول ما تتميز به هذه المرحلة جلوس سيدي محمد بن يوسف (محمد الخامس) على العرش على إثر وفاة والده في نونبر 1927 ولم يكن مقدما لولاية العهد وإنما وقع اختيار السلطات الفرنسية عليه بموافقة أولي الحل والعقد من الحاشية المخزنية والعلماء لصغر سنه فإنه كان في السابعة عشرة من عمره وكان الأمل معقوداً لدى الأوساط الاستعمارية بأن يكون طوع إشارتها بما كان من تقديمها إياه على أخويه المولى إدريس والمولى حسن، لكن جلوسه على العرش جاء مقترنا بتصدر جيل جديد كان جل أعضائه من سن العاهل الشاب أو قريبا منه وكانوا إما ممن تخرج من المدارس العصرية التي أحدثتها الحماية كأمثال محمد بن الحسن الوزاني وعمر ابن عبد الجليل وأحمد بلافريج ومحمد الفاسي وإما من التعليم الإسلامي ومن القرويين بالخصوص بعدما دخله من التفتح والوعي والإصلاح على يد علماء الحركة السلفية ومن هؤلاء الشباب الجديد علال الفاسي وإبراهيم الكتاني والهاشمي الفيلالي والمكي الناصري الذين ربطوا الاتصال من تَوِّهم بإخوانهم في المنطقة الشمالية وأدركوا أن السبب الرئيسي في انهيار المغرب هو انحطاط العلم والتعليم وسيطرة الخرافات والشعوذة على العقيدة السليمة فدعوا إلى تنقية الثقافة الوطنية مما كان يشوبها وشيدوا مدرسة جديدة على قيم مثمرة.

وبالرغم من أن هؤلاء الشباب كانوا من النخبة الحضرية فكانوا أقلية إلا أن صفوفهم صارت تتعزز بما تقاطر شيئاً فشيئاً على المدن من شباب البادية الذين فروا من الاحتلال الاستعماري ولم يكن لهم هنالك لكسب عيشهم سوى سواعدهم فتحولوا إلى طبقة عاملة مدركة لما كان ينطوي عليه الاستعمار من الحيف السياسي والاجتماعي، سيما وأن الاستغلال الاستعماري كان قد تجاوز فترة الدهشة الأولى وصار يجني ريع ما كان قد وظفهُ من الأموال في المرحلة السابقة، ففي الفلاحة مثلا أضحى المغرب خزان حبوب جديد للسوق الفرنسية، وفي نهاية العشرينيات صار يتحول إلى كاليفورنيا موقوفة على تلك السوق تنهل منها حاجياتها من الحوامض والبواكير، كما أن المصانع في المدن صارت قادرة على تزويد المعمرين من المصنوعات الضرورية لهم سواء من الصناعات التحويلية أو في الصناعات الغذائية، فتوثقت بذلك الصلات بين المغرب وفرنسا وباتت جل مبادلات المغرب في الواردات والصادرات مع الدولة الحامية في الغالب، فاطمأنت الأوساط الاستعمارية لذلك

أيما اطمئنان، وتجلى ذلك في بعض التظاهرات مثل المعرض الاستعماري لسنة 1930 الذي أشرف على تنظيمه المارشال ليوطي بنفسه وبدا المغرب من خلاله وكأنه جوهرة الإمبراطورية الفرنسية. والواقع أن الحماية كانت قد تحولت إلى إدارة مباشرة يمسك فيها الموظفون الفرنسيون بمقاليد الأمور ولا يقوم المغاربة إلا بالأدوار الثانوية، وقد سار في هذا الاتجاه المقيمون العامون الذين خلفوا ليوطي مثل سطيگ (Steag) من 1925 إلى 1929 فهو الذي فتح أبواب المغرب أمام الفئات الدنيا من المعمرين الذين هرعوا من الجزائر وكانوا في أشد الحاجة لتدارك ما فاتهم من فرص الثراء هنالك، ومثل لوسيان سان (Lucien Saint) من 1929 إلى 1933 الموظف الاستعماري الذي ما كان ليخفى شيئا من معاني الحماية الحقيقية أو زميله مارسيل بيروطون (Marcel Peyrouton) الذي لم يقض إلا بضعة أشهر في الإقامة العامة (مارس إلى شتنبر 1936) لكنه بادر إلى استصدار جملة من الظهائر كلها لفائدة المعمرين، وكان الجيل الجديد من هؤلاء أشد وطئا على البلاد إذ بدا وكأنّ كل شيء بات طوع إشارتهم، هذا مع العلم بما اشتد من شرههم وتطاولهم على حقوق المغاربة بسبب انهيار فوائدهم غداة الأزمة العالمية لسنة 1929 فأرادوا التخلص من عواقبها على حساب الميزانية المغربية، وساندهم في ذلك الجيش العرمرم من الموظفين الفرنسيين الذين كانوا يتقاضون مرتبات باهظة ويشكلون قوة ضاغطة ليس على المقيمين العامين في الرباط وحسب بل وعلى الحكومات الفرنسية المتعاقبة في باريس بما كان لهم من قنوات الاتصال بها والتأثير على قراراتها.

ولا أدل على ما دخل تلك الأوساط من الزهو والغطرسة من إقدامها على إصدار الظهير البربري (16 ماي 1930) فإنها أيقنت أن حان الوقت لإمضاء سياسة التفرقة بين القبائل العربية والبربرية دفعة واحدة وإخراج القبائل البربرية من حظيرة الشريعة وإلحاقها بالمحاكم الفرنسية، وتم استغلال شباب السلطان سيدي محمد وتواطؤ الصدر الأعظم محمد المقري لاتخاذ ذلك القرار، ولكن الضمير الوطني كان في طريقه إلى اليقظة فاستفاق من تلك الضربة واستقام وتمثل في الشباب الوطني الذي دعا الجماهير للاحتجاج على الظهير المشؤوم بقراءة اللطيف في المساجد عقب الصلاة، واستجاب المغاربة بما دلّ على أنهم لم يكونوا لا مستسلمين ولا متغافلين، وأن المقاومة المسلحة إن كانت على وشك التصفية في الجبال فإنها كانت في المدن تتخذ أساليب أخرى وأسلحة أمضى من الأسلحة النارية لما كان فيها من استقطاب للجماهير ومن التشهير بالبهتان الاستعماري، وظنت الأوساط الاستعمارية أن جلد بعض أولئك الشباب الوطني مثلما فعل باشا فاس بوشتى بن البغدادي بمحمد بن الحسن الوزاني ورفاقه قد يكفي لإخماد الغليان، لكن القمع لم يزد الوطنيين إلا قوة والتحاماً، وكان من أهم نتائج الظهير البربري أن تجدد الاتصال بين سلطان البلاد وأولئك الشباب، إذ التقى وفد برئاسة علال الفاسي معه فاجتمعت الكلمة الوطنية من جديد حول العرش وتأكد ذلك بما أقدم عليه الوطنيون من الاحتفاء بعيد جلوس سيدي محمد على العرش يوم 18 نونبر من كل سنة، وأصبح هكذا للشعب عيد وطني إلى جانب الأعياد الدينية يعبر فيه عن وحدة صفوفه وعن تطلعاته السياسية وذلك على مرأى ومسمع من المسؤولين عن الحماية الذين وجدوا أنفسهم ملزمين بمسايرة ذلك القرار الشعبي الذي كان عليهم نصراً مبيناً، وقد تعزز بنصر آخر يوم قرر المقيم العام بونصو (H. Ponsot) (1933 ـ 1936) وكان من المتبصرين أن يتراجع عن الظهير البربري حيث أقيمت محاكم استئناف للقبائل البربرية بناء على أعرافها تابعة لأحكام السلطان وليس للمحاكم الفرنسية، كما أن الشباب الوطني انتزع حق إصدار صحف ناطقة بلسانه مثل مجلة *"مغرب"* في الخارج و*"عمل الشعب"* في الداخل. وبالرغم من أن التجربة لم تمتدّ أزيد من سنتين، إلا أنها مكنت الحركة الوطنية من صياغة الشعارات النضالية ومن تحبير مطالبها، وأصبح الضغط الوطني مما لا سبيل للإقامة العامة أن تتغافل عنه سيما بعد صدور *"برنامج الإصلاحات الوطنية"* (دجنبر 1934) الذي جاء بمثابة مرافعة على الحماية أدرجت فيها مآخذ الجماهير المغربية على الأنظمة الاستعمارية وفضحت فيها تناقضاتها مع النص الصريح لمعاهدة 1912 إذ كان من المفروض أن تساعد الحماية المغاربة على النهوض بشؤونهم فإذا بها تتحول إلى أداة لتمكين المعمرين من أجود الأراضي وأرباب الصناعة الأوربيين من خيرات البلاد والتجار من تصريف بضائع فرنسا وإقصاء البضائع المغربية مع وقف التمدرس على أبناء المعمرين والمستشفيات على مرضاهم ومحاصرة المغاربة في أحيائهم بجيش عرمرم وشرطة شرسة يتعاون معها قواد وباشوات جائرون مفسدون، وكانت تلك المطالب من الجرأة بمكان إذ ذهبت إلى مطالبة دعاة الإصلاح بإصلاح شؤونهم وأفسدت عليه دعاياتهم وأكاذيبهم، واسترجع المغرب بذلك صوته ومكانته وأصبح جزءاً لا يتجزأ من جهاد الشعوب العربية المناضلة يومئذ كلها عن حريتها وسيادتها ضد فرنسا أو انجلترا، بل عرف الشباب الوطني كيف يستفيد من تناقضات الدولة الحامية نفسها التي كان في الثلاثينيات تعاني من التفسخ السياسي والتمزق الاجتماعي، فكانت تتجاذبها أشد التيارات الإيديولوجية تطرفا وعصفت بها عواصف لا تنذر بخير، ومال الوطنيون ناحية التيارات الفرنسية الجماهيرية وفي طليعتها يومئذ الحزب الاشتراكي، ولما أسفرت انتخابات ربيع 1936 عن فوز الجبهة الشعبية بمشاركة الراداكاليين والاشتراكيين والشيوعيين ظن الشباب الوطني المغربي أن أصدقاءهم الاشتراكيين سوف يكونون خير معين

لهم على انتزاع بعض الحقوق من الأوساط الاستعمارية في المغرب.

لكن سرعان ما خابت تلك الآمال إذ عزلت الجبهة الشعبية مارسيل بيروطون عن الإقامة وعوضته بالجنرال نوگيس (Noguès) الذي تخرج على يد ليوطي وكان من كبار المسؤولين عن صدور الظهير البربري، فإنه كان يومئذ مدير الشؤون الأهلية ورئيس الديوان العسكري للمقيم لوسيان سان، وكان لا يضاهى في المكر والمخادعة. فأمسك بزمام الأمور بمنتهى الصرامة ومنتهى المداهنة واستغل اندلاع الحرب الأهلية في إسبانيا وما أحدثته من القلق في المنطقة الشمالية ليحاول فصل الحركة الوطنية عن السلطان وزرع أسباب الانقسام بين الوطنيين الذين انشقت صفوفهم إلى أنصار علال الفاسي وأنصار محمد بن الحسن الوزاني مما مهد السبيل للجنرال نوگيس لقمع الجميع ولما يمض على تعيينه في الإقامة أزيد من سنة، فنفى علال الفاسي إلى الگابون والوزاني إلى الصحراء الغربية وأمر بسجن باقي المناضلين وساعده على ذلك انشغال الرأي العام بما أصبح يلوح في الأفق من شبح الحرب العالمية الثانية، فتنفست الأوساط الاستعمارية الصعداء من جهة الضغط الوطني.

ولما اندلعت الحرب بادر المغرب بلسان ملكه ولسان الوطنيين إلى إعلان تمام المساندة لفرنسا، ولم يكن ذلك حباً فيها ولكنه كان إحساساً بضرورة الوقوف في تلك المعركة الكبرى في معسكر الديمقراطية والحرية. ولما توالت الهزائم على الدولة الحامية لم يبخل المغرب لا بأبنائه ولا بخيراته والتزم السكينة بالرغم من ضائقة الحرب كما التزم الحياد في النزاع الحزبي الفرنسي بين أنصار بيطان وأنصار دي گول، وجاء جزاء المغرب عن تلك المواقف الرشيدة بعد نزول الحلفاء على شواطئه الأطلسية (نونبر 1942) وبمناسبة انعقاد مؤتمر أنفا (يناير 1943) حيث اجتمع السلطان بالرئيس الأمريكي فرانكلين رُوزڤيلت (Roosevelt) فبدا المغرب من جديد دولة ذات حرمة وسيادة، حقوقها ثابتة بالرغم من الحجر الاستعماري، حيث تعهد الرئيس الأمريكي بمساعدة الملك على استرجاع استقلاله بناء على ميثاق الأطلسي المعلن لحقوق الشعوب في صيف 1941.

وهكذا انتهت المرحلة الثانية من الحماية لصالح المغرب واضطر نوگيس للانسحاب في يونيو 1943 بعد سيطرة دي گول على حكومة فرنسا الحرة الموقتة وباتت الأحزاب الوطنية المغربية وفي طليعتها ملك البلاد متشوفة لما قد يترتب على الفوز على النازية من أسباب الانعتاق من الاستعمار.

- المرحلة الثالثة 1943 - 1956 : لقد أدركت الحركة الوطنية غداة مؤتمر أنفا أن وقت مطالبة الحماية بالتعجيل بالإصلاحات قد ولّى وأن لا أحد يستطيع أن يصلح شؤون المغاربة إلا المغاربة أنفسهم، ولذلك أعيد النظر في التشكيلات الحزبية وأحدث حزب الاستقلال في نهاية 1943.

وبادر إلى وضع بيان المطالبة بالاستقلال (11 يناير 1944) بعد موافقة الملك عليه، ومجمله أن الحماية أضحت عائقا لتقدم المغرب وأن لا سبيل إلى النهوض بشؤون البلاد إلا باسترجاع تمام الاستقلال وبناء صرح دولة ملكية دستورية تسْتظل بظل الإسلام، وأصدر أنصار محمد بن الحسن الوزاني الذين أسسوا حزب الشورى والاستقلال بياناً مماثلاً بحيث كانت الأمة على كلمة سواء وكان من حقها أن تطمئن إلى نتيجة مبادرتها لما كانت تقدمه من المساعدة للحلفاء عامة ولفرنسا الحرة بوجه خاص.

لكن الاعتراف بالجميل ليس من خصال الاستعمار، فما أن رفع الوطنيون شعار الاستقلال حتى قررت الأوساط المسؤولة عن الحماية قمع ذلك في الحين، فرمت الحركة الوطنية بالتآمر مع الألمان، ثم أمرت بإلقاء القبض على محرري بيان المطالبة بالاستقلال، ولما نزلت الجماهير إلى الشوارع للاحتجاج في الرباط وسلا وفاس تصدت لها الجيوش التي كانت تعد لتحرير فرنسا فسقط من سقط من المتظاهرين شهيداً وألقى القبض على الآخرين وتزعم ذلك المقيم گابرييل بووه (G. Puaux) الذي خلف نوگيس في الإقامة العامة (يونيه 1943) وحاول أن يغطي على أعمال القمع باقتراح إصلاحات في ميادين التعليم والعدل والإدارة والفلاحة كانت كلها متجاوزة بعد المطالبة بالاستقلال، على أن "فرنسا الحرة" بزعامة دي گول لم تكن مستعدة للتخلى عن الحماية، وأقصى ما كانت تفكر فيه لإدخال بعض التغيير على العلاقات الاستعمارية أن تعوض الحماية برابطة جديدة تحتفظ بتبعية المغرب للامبراطورية الفرنسية. وتمهيداً لذلك استدعي الملك لزيارة باريس زيارة رسمية (يونيه 1945) ومنح وسام رفيق التحرير من قبل دي گول الذي وعده خيراً بخصوص مستقبل العلاقات المغربية الفرنسية ولبّى مطلبه باستبدال المقيم گابيريل بووه بآخر أكثر لباقة وتفهما لتطلعات المغاربة، وهكذا أسندت مسؤولية الحماية للسفير إيريك لابون (Eirik Labonne) الذي كان مهذباً وواعياً بنضج الشعب المغربي وبضرورة الأخذ بيده لينال نصيبه من الرقي، فما أن حل بالرباط في مارس 1947 حتى اقترح عدة ترتيبات إيجابية لنشر التعليم على أوسع نطاق ولإشراك نخبة من المقاولين المغاربة في المشاريع والمؤسسات الاقتصادية الكبرى، وكان يرى في ذلك خير ممهد لحمل البلاد على الانخراط في "الاتحاد الفرنسي" وهو الاسم الجديد للأمبراطورية الفرنسية في دستور الجمهورية الرابعة.

لكن مجهودات إيريك لابون ما كانت إلاّ لتذهب سدى شأنه في ذلك شأن كل من يسعى في التوسط بين جانبين تجلى تنافرهما بما لم يبق معه مجال للإصلاح بينهما، فأما الأوساط الاستعمارية فإن تمسكها بمصالحها في المغرب كان قد اشتد غداة الحرب بما تكدس في البلاد من أموالها منذ هروبها من ميادين القتال في أوربا، وأما الحركة الوطنية

بقيادة الملك فإنها لم تعد تطيق تصرفات تلك الأقلية الدخيلة، وتجلى تنافر الجانبين في أحداث أبريل 1947، بعد سنة فقط من تنصيب إيريك لابون حيث سمح للملك بأن يزور الأقاليم الشمالية باتجاه طنجة ومروراً من المنطقة الخليفية، وكانت تلك الزيارة إشارة إلى وحدة تراب البلاد وإلى وحدة الدولة المغربية، وجاء في الخطاب الذي ألقاه العاهل في طنجة (10 أبريل 1947) تصريح بأن لا ارتباط للمغرب إلا من جهة إخوانه العرب ومن جهة القارة الافريقية، ولم يفت الأوساط الاستعمارية ما كان في ذلك من الخطورة على أوضاعها ومن الجرأة على سطوتها، وحيث لم يكن إيريك لابون ممن ينصاع لأوامرها فإنها دبرت لمجزرة في الدار البيضاء ليلة بداية الرحلة الملكية، ذهب ضحيتها مئات الأبرياء، وتفطن الملك لما كان يقصد من ذلك فلم يُلغ رحلته وإنما تغافل في خطابه في طنجة عن ذكر ما كان يذكر في الخطب الرسمية من إنعامات فرنسا على المغرب، فردت الحكومة الفرنسية بأن عزلت إيريك لابون عن الإقامة (أبريل 1947) وعوضته بالجنرال جوان الذي توترت في فترة مقيميته العلاقات بين القصر والإقامة العامة بصفة نهائية. ذلك أنه حل بالرباط بأمر واضح من وزير الخارجية جورج بيدو بأن يحصل على انقياد السلطان أو يقيله، فاشتبكت خيوط المعركة الحاسمة بين أرباب الاستعمار وبين الوطنية المغربية، فقد صارت الجالية الدخيلة تسعى في إقحام نفسها في السيادة المغربية من خلال مقترح إصلاح لنظام البلديات والجماعات القروية بدعوى إرساء الديمقراطية في البلاد وجعل حد للملكية المطلقة مع أن الغاية الحقيقية من ذلك كانت ترمي إلى إرساء وطأة المعمرين في البلاد بعد أن أضحت مهزوزة منبوذة، ولذلك امتنع الملك عن إمضاء مشاريع الظهائر المقترحة عليه وسافر إلى فرنسا لإثارة انتباه رئيس الجمهورية الاشتراكي فانسان أوريول (Vincent Auriol) إلى تنافي تلك المشاريع مع سيادة المغرب ومع عقد الحماية لكن بدون جدوى، ولم يزد النزاع بينه وبين جوان إلا تفاقماً، فحرك جوان بعض كبار القواد مثل التهامي الكلاوي وأرباب الزوايا مثل عبد الحي الكتاني في طليعة 1951 وكاد الأمر ينتهي إلى عزل الملك يوم 25 فبراير 1951 ولكن العملية أرجئت لانشغال جوان بوظائفه الجديدة في الحلف الأطلسي، فتم تعويضهُ في الإقامة العامة بالجنرال گيُوم (A. Guillaume) أحد أتباعه وضابط سابق في الشؤون الأهلية، فاشتدت المضايقات على العرش وفقدت الأوساط الاستعمارية كل بصيرة بما أصابها من الخوف على مصالحها. فلما أقرت المنظمات الوطنية شن إضراب احتجاج على اغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد (8 دجنبر 1952) انتهزت سلطات الحماية ذلك فرصة لتحويل الاحتجاج السلمي إلى مجزرة ذهب ضحيتها مئات الأبرياء في حي الكاريارسانترال في الدار البيضاء وأردفتها بإلقاء القبض على جميع من كان معروفاً من القادة الوطنيين، وكان ذلك مجرد تمهيد لعزل الملك يوم 20 غشت 1953 وإرهاب الشعب حتى لا يحرك ساكنا يوم يعلن عن بيعة سلطان من اختيارهم واختيار أذنابهم من الخونة وهو المدعو محمد بن عرفة. لكن ما أن تمت تلك المناورة اليائسة حتى أعلنت بمنتهى التلقائية "ثورة الملك والشعب" وخرج من الصفوف قادة جدد ونزل إلى شوارع المدن جماعة من الفدائيين زرعوا الهلع في صفوف الأقلية الاستعمارية برصاصهم وقنابلهم وقطعوا عن المسؤولين في ظرف وجيز أسباب الاستخبار والتجسس بما كان من تصفيتهم لعملاء الحماية وجواسيسها، وظنت الشرطة الاستعمارية أنها تستطيع إيقاف الفداء بارتكاب أعمال إرهابية ممنهجة، فدخلت البلاد في مرحلة من الصراع العنيف عجز عن التمكن منه لاگيّوم الذي اعتزل في شتنبر 1954 ولا فرانسيس لاكوسط (Francis Lacoste) الذي خلفه في الإقامة وبدافشله هو بدوره في يونيه 1955. كانت الحكومة الفرنسية برئاسة إدگار فور (Edgar Faure) قد أدركت منذ تشكيلها في فبراير من تلك السنة مدى فداحة الخطأ الذي ارتكب يوم عزل الملك الشرعي فجددت الاتصال به وهو في منفاه في مدغشقر وأطلق سراح العديد من الوطنيين إعداداً لفتح باب التفاوض معهم، ولم يبق على الحكومة إلا أن تراوغ الأوساط الاستعمارية المتطرقة وذلك ما وكل بالمقيم العام جيلبير گرانڤال (Gilbert Grandval) في يونيه 1955، لكنه سرعان ما رفض أن يقع بين المطرقة والسندان فاستقال في بداية شتنبر بعد ثلاثة أشهر من تعيينه وحل محله الجنرال بوايه دي لاطور (Boyer de Latour) وكان من أقطاب ضباط الشؤون الأهلية لكنه استقال بعد أسابيع قليلة عند ما أدرك أن لا سبيل إلى إيقاف الحرب الناشئة في المغرب إلا بإعلان استقلاله وذلك لأن الفدائيين كانوا قد زعزعوا الحماية من أركانها ومنهم من استشهد في تلك المعارك مثل محمد الزرقطوني وإبراهيم الروداني وحمان الفطواكي وعلال بن عبد الله، ومنهم من أدرك ضرورة الانتقال إلى تنظيم صفوف جيش للتحرير في الجبال والأوعار ومدَّ يد الاتصال بالثورة الجزائرية التي كانت قد اشتعلت نيرانها منذ فاتح نونبر 1954، ومن هؤلاء عبد الله الصنهاجي والحسن الأعرج ومحمد البصري وعبد الرحمان اليوسفي على سبيل المثال لا الحصر، وما أن بدأت معارك التحرير في الريف الغربي والأطلس المتوسط الشمالي حتى بادرت الحكومة الفرنسية إلى الشروع في التفاوض مع القادة الوطنيين في مدينة إيكس ليبان (Aix-Les-Bains) وفك النفي عن محمد الخامس فعاد إلى فرنسا حيث تم الاعتراف بنهاية عهد الحماية من خلال تصريح لاسيل سانكلو (6 نونبر 1955) (La Celle Saint-Cloud) فعاد الملك إلى وطنه وعرشه مظفراً ممجّداً وشُرع في مباحثات مدققة بين الجانبين لنقل السلطات من الإدارة الاستعمارية إلى الإدارة المغربية، وتوج ذلك بإعلان الاستقلال واسترجاع

المغرب لكامل سيادته يوم 2 مارس 1956 وانتهى بذلك عهد الجهاد الأصغر ليبتدئ عهد الجهاد الأكبر كما جاء في بعض خطب محمد الخامس، وهو عهد التغلب على مخلفات الاستعمار مع استثمار خيرات البلاد لفائدة كافة أبنائها وبناء صرح الملكية الدستورية في ظل العروبة والإسلام.

إ. بوطالب، *الإدارة*، *معلمة المغرب*، (ج 1 ص. 212 ـ 216) ؛ ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران بمكناس*، الرباط، 1990 ؛ ح. بوعياد، *الحركة الوطنية، الظهير البربري*، 1348 / 1930، الدار البيضاء، 1979 ؛ الحسن الثاني، *التحدي*، الرباط، 1983 ؛ ق. الزهيري، *محمد الخامس الملك البطل*، الرباط، 1984 ؛ عبد الله الصنهاجي، *مذكرات في تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من 1947 إلى 1956*، المحمدية، 1987 ؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، (جزآن)، الرباط، 1987 ؛ م. الحبيب الفرقاني، *الثورة الخامسة، صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير*، (الجزء الأول)، الدار البيضاء، 1990 ؛ محمد خير فارس، *تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، 1912 ـ 1939*، دمشق، 1972 ؛ علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة، 1948 ؛ *النقد الذاتي*، تطوان، د. ت. ؛ أبو بكر القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 إلى 1940* (الجزء الأول)، الدار البيضاء، 1992 ؛ إبراهيم الكتاني، *مذكرات سجين مكافح*، الرباط، 1977 ؛ م. الرشيد ملين، *نضال ملك*، الرباط، د. ت. ؛ محمد بن الحسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد* (6 أجزاء)، بيروت، 1982 ـ 1986 ؛ م. الموقت، *الرحلة المراكشية أو مرآة المساوي الوقتية*، الدار البيضاء، د. ت..

A. Adam, *Casablanca : essai de transformation de la société marocaine au contact de l'occident*. Paris, 1969, 2 vol. ; Ch. R. Ageron, *Politiques coloniales au Maghreb* Paris, 1973 ; A. Ayache, *Le Maroc : bilan d'une colonisation*, Paris, 1956 ; *Le mouvement syndical au Maroc*, Paris, T. I, *1912 - 1942*, Paris, 1982, T. II ; G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif*, Rabat, 1981 ; G. Babin, *Le Maroc sans masque : Son Excellence*, Paris, 1932 ; S. Bernard, *Le conflit franco-marocain 1945 - 1956*, Bruxelles, 1963, 3 vol. ; J. Berque, *Le Maghreb entre deux guerres*, Paris, 1962 ; H. Bleuchot, *Les libéraux français au Maroc 19.47 - 1956* ; Aix-en-Provence, 1973 ; P. Boyer de Latour, *Vérités sur l'Afrique du Nord*, Paris, 1956 ; L. Cerych, *Européens et marocains, 1930 - 1956*, Bruxelles, 1964 ; J. Couleau, *La paysannerie marocaine.*, Paris, 1969 ; A.-L. Dubois, *A travers trois républiques. I. Sous le signe de l'amitié*, Paris, 1972 ; R. Gallissot, *Le patronat européen au Maroc, 1931 - 1942*, Rabat, 1964 ; G. Grandval, *Ma mission au Maroc*, Paris, 1956 ; A. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central 1912 - 1933*, Paris, 1946 ; *Histoire du Maroc* (Ouvrage collectif), Paris, 1966 ; A. Huré, *La pacification du Maroc: Dernière étapge 1931 - 1934*, Paris, 1952 ; A. Juin, *Le Maghreb en feu*, Paris, 1957 ; *Mémoires*, 2 vol, Paris, 1959 - 1960 ; Ch. A. Julien, *L'Afrique du Nord en marche: Nationalismes musulmans et souveraineté française*, Paris, 1952 ; *Le Maroc face aux impérialismes 1415 - 1956*, Paris, 1978 ; P. July, *Une république pour un roi*. Paris, 1974 ; R. Letourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane, 1920-1961*. Paris, 1962 ; H. Lyautey, *Lyautey l'Africain*, 4 vol. Plon, 1953 - 1957 ; *Paroles d'action, 1900 - 1926*, Paris, 1927 ; R. Montagne, *Naissance du prolétariat marocain*, Paris, 1951 ; *Opérations militaires au Maroc* (sous direction Jean Maxwel), Paris, 1931 ; G. Oved, *La gauche française et le nationalisme marocain*, 2 vol., Paris, 1984 ; L. Paye, *Enseignement et société musulmane au Maroc : Introduction et évolution de l'enseignement moderne au Maroc*. Rabat, 1992 ; R. Rézette, *Les partis politiques marocains*, Paris, 1955 ; D. Rivet, *Lyautey et l'institution du protectorat au Maroc*, 3 vol. Paris, 1988 ; G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haus-Dra*. Rabat, 1936 ; *Du protectorat à l'indépendance. Maroc 1912 - 1955*. Paris, 1967 ; *Souvenirs d'un colonialiste*. 1968 ; R. Bidwell, *Morocco under colonial rule. French administration of tribal* rule 1912-1956, London, 1973 ; R. Dunn, *Resistance in the desert : Moroccan responses to french imperialism 1881 - 1912*. The University of Wisconsin Press, 1977 ; E. Ch. Micaud, *Arabes and berbers : from tribe to nation in North-Africa*. London, 1973 ; J. P. Holstead, *Revialh of a Nation : The origins and rise of Moroccan nationalism*, 1912 - 1944, Harvad University Press, 1967 ; D. M. Hart, *'Assû û Bâ - Slâm in Les Africains* V, Paris, 1977 ; W. Hoisington, *The Casablanca* French Connection; A./ Scham, *Lyautey in Morocco. Protectorale administration 1912 - 1925* ; Ch. F. Stewest, *The economy of Morocco 1912 - 1962*, Harvard University Press, 1964 ; W. D. Swearingen, *Moroccan Mirages*. 1912 - 1986, Princeton University Press, 1987 ; F. E. Trout, *Morocco Saharian frontiers*, Genève, 1969 ; David S. Woolman, *Rebels in the Rif, Abdelkrim and the rebellion*. University Press, 1968.

إبراهيم بوطالب

**الحماية القنصلية**، الحماية حمايتان : حماية وزعت بالتقسيط من قبل قناصل الدول المقيمين في المغرب على من كان يرغب فيها من المغاربة وذلك إلى حدود 1912 وكانت في الحقيقة احتماء وتُسمى باللغات الأوربية "بروطكسيون" (Protection)، وحماية فرضت على المغرب فرضاً بمقتضى معاهدة دولية يوم 30 مارس 1912 وتسمى بلغاتهم "بروطكطورا" فلا مناص من أن نميز بينهما بأن نخص الأولى بعبارة "الحماية القنصلية"ونحتفظ بلفظ الحماية مجرداً للدلالة على المرحلة التي وقع فيها المغرب تحت الاستعمار الفرنسي والإسباني إلى أن تخلص منه سنة 1956. على أن الحمايتين مرتبطتان ارتباط الجنين بما يصير إليه بعد الولادة، فإن الحماية القنصلية على الأفراد كانت مقدمة للحماية بالجملة على البلاد، فلنعرض أول الأمر للحماية القنصلية.

إن لها أصولا قانونية تعود إلى ما كان الأمراء المسلمون يُنعمون به على تجار النصارى وقناصلتهم من الإنعامات جزاء لهم على ما كانوا يقومون به من أعباء التجارة بين ديارهم وديار الإسلام فكانوا لا يُحمِّلونهم شيئا من الكلف المخزنية ويخلّون بينهم وبين الفصل في ما يقوم بينهم من أسباب النزاع ويدوّن ذلك في ما يكتب بينهم وبين قناصل الأجناس من الشروط منذ أقدم العصور، بحيث

الحمد لله وحده

[seal]

يعلم من هذا الكتاب العامل ما اتفق عليه نائبنا الأنجد الحريص الأصلح الطالب محمد بركاش مع جماعة نواب الدول الفخام ... بمدريد عام سبعة وتسعين ومائتين وألف ... الحماية ... [illegible]

... بحول الله ... 25 ... عام 1297

الحمد لله وحده

[illegible]

الفصل الأول

[illegible]

الفصل الثاني

[illegible]

الفصل الثالث

[illegible]

الفصل الرابع

[illegible]

الفصل الخامس

[illegible]

الفصل السادس

[illegible] ... 1863 ...

الفصل السابع

[illegible]

الفصل الثامن

[illegible]

الفصل التاسع

[illegible]

الفصل العاشر

[illegible] ... 1863 ...

الفصل الحادي عشر

[illegible]

الفصل الثاني عشر

[illegible]

الفصل الثالث عشر

[illegible]

الفصل الرابع عشر

[illegible]

الفصل الخامس عشر

[illegible]

الفصل السادس عشر

[illegible]

الفصل السابع عشر

[illegible]

الفصل الثاني عشر

[illegible] ... في هذا الوقت وطبعوا بطابعهم وجعلوا اثنا عشر نسخة وحرر بمدريد في 3 يليه عام 1880 الموافق 24 من رجب عام 1297

عندما أقدم السلطان سيدي محمد بن عبد الله على النهوض بأسباب التجارة الخارجية مع دول أوربا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر فإنه لم يبتعد عن المعهود ولا ارتكب أدنى بدعة يوم أبرم اتفاقية صلح وتجارة مع الدولة الفرنسية (28 ماي 1767). فاعترف لها في الفصل 11 من شروطها بحق إقامة قناصلتها في مراسي المغرب للنظر في شؤون تجارها "لئلا يتعرض لهم أحد من حكام البلاد وغيرهم" ومن يستخدمه أولئك القناصل "من كاتب وترجمان وسماسير وغيرهم فإنه لا يتعرض لمن يستخدموه بوجه ولا يكلفون بشيء من التكاليف أيا كانت في نفوسهم وبيوتهم" كما لا يلزم القناصل بأي ضريبة على ما يجلبون من البضائع لحاجياتهم الخصوصية، "ولهم أيضاً أن يذهبوا حيث شاؤوا من إيالة سيدنا نصره الله من غير مانع". وجاء في الشرط 12 أن النزاع بين المسلم والفرنصيصي لا يفصل فيه القاضي وإنما يفصل فيه السلطان أو نائبه "حاكم البلد". وجاء في الفصل 13 أن الدعوى إن كانت على الفرنصيصي من قبل المغربي "فلا يحكم فيها إلا بعد إحضار القونصو ليجيب ويدافع عنه"، وقد حصلت دول أخرى على مثل ذلك كالسويد (16 ماي 1763). والدانمارك (25 يوليوز 1767) والبرتغال (27 نونبر 1773) وكان المولى إسماعيل قد أنعم على تجار انجلترا وقناصلتها بما لا يختلف إلا لفظا عن تلك الشروط بمقتضى معاهدة 17 يناير 1720 التي كانت تنص في مجملها على أن ما يمنح من الفوائد لرعايا لانجليز في المغرب يمنح مثله تماما لرعايا المغرب في انجلترا، فيومئذ كانت الكفة متساوية.

لكن تعميم أسباب الثورة الصناعية في أوربا وعجز المغرب عن الصمود أمام السلاح الأوربي عند منتصف القرن التاسع عشر سرعان ما أخل بتلك المساواة فاستفادت انجلترا من انهزام الجيوش المغربية أمام الجيوش الفرنسية في إسلي (غشت 1844) التي كان بوسعها أن تكتسح العاصمة فاس لولا التدخل الانجليزي لتفرض على المولى عبد الرحمان معاهدة تجارية جديدة (9 دجنبر 1856) اشتدت فيها الشروط بما دخلها من التدقيق والتضييق وبخاصة في أمر من يستعمله القناصل من المغاربة لخدمتهم فإن "لهم أن يختاروا ترجماناً واحداً وبواباً واحداً ومتعلمين من المسلمين أو من غيرهم ولا يلزمهم الجزية ولا الغرامة ولا ما يشبه ذلك، وإذا جعل النائب المذكور خليفة في خدمة قنصوات بمراسي سلطان مراكش من رعية السلطان يكون هذا وعياله الساكنون بداره موقرين ولا يلزمهم جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك" ويؤكد هذا الشرط أن لا يكون لهذا الخليفة القنصلي "أحد تحت حمايته من رعية هذه الإيالة إلا عياله فقط" (الشرط 3) وجاءت الشروط الموالية الأخرى (4 و8 و9 و10 و11 و14) تثبت الامتيازات القانونية المخولة للقناصل للفصل في ما يقوم من الدعاوي بين رعيتهم وفي الدفاع عنهم في حالة قيام دعوى بينهم وبين المغاربة. ولم تمض أربع سنوات على تلك المعاهدة حتى أرغم المغرب على التنازل لإسبانيا بمثل شروطها وذلك على إثر انهزامه في حرب تطوان (مارس 1860) حيث وقّع مع اسبانيا اتفاقيتين مجحفتين جاء في الشرط 13 من أولاهما (26 أبريل 1860) أن المغرب يعقد مع تلك الدولة اتفاقية تجارية يعترف فيها لرعاياها بما تحظى به أكثر الدول حظوة لديه، وجاء في الاتفاقية الثانية (20 نونبر 1861) بقناصيل تلك الشروط بصيغة ما جاءت به الاتفاقية مع انجلترا، وهكذا انفتح باب الحماية القنصلية على مصراعيه وعمت البلوى بها في ظرف وجيز مما كتب به السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى نائبه في طنجة محمد برگاش (27 شوال 1279 / 1863) فقال : "فقد اتسعت دائرة الحماية وصار يسارع للدخول فيها كثير ممن كان متبوعا بحق أو جنى جناية حيث رأوا نواب القنصوات وسائر التجار يقبلون كل من احتمى بهم وانحاش لجانبهم ولم يقفوا على الشروط المنعقدة بين الدول ولم يسيروا بالسيرة التي يسير بها الموجود منهم والأول، فحصل الضرر لبيت المال وللرعية بسبب ضياع حقوقها المرعية، وذلك المحتمي يسقط من الزكاة والأعشار واجبه فيقوم بادائه إخوانه وأقاربه فإن عجزوا عنه سقط من الداخل على بيت المال وأدى ذلك إلى فساد الأعمال على العمال لكونهم يبقون في حيرة من أجل واجبهم"، ولذلك رأى هذا السلطان أن يقع الإلحاح على نواب الأجناس وبخاصة منها نائب فرنسا بيكلار (Béclard) لجعل حدّ لكل ما أصبح يجري من التجاوزات بسبب الحماية الفوضية، وبادر بيكلار هذا للإصغاء لمفاتحات المخزن لما كان يخشى من تأخر فرنسا عن آخر ما حصلت عليه إنجلترا وإسبانيا من الامتيازات فأبرم وفقا مع المغرب بتاريخ 19 غشت 1863 تأكد فيه أن الحماية القنصلية أمر فردي وموقوف على ممارسة الخدمات القنصلية وأنها لا تمتد إلا للزوجة وللأولاد الساكنين مع المحتمي وأنها ليست وراثية إلا في أسرة آل ابن شمول اليهودية لدخولها في خدمة فرنسا منذ أجيال، وأن المحميين من صنفين : صنف "المستخدمين عند التجار الفرنصويين في أمور تجارتهم" على أن لا يزيد عدد السماسرة المحميين على اثنين لكل دار تجارية إلا إن كان لها "دار أخرى في مرسى أخرى فيكون لها في كل دار سمساران محميان"، كما نص الوفق على أن لا تمتد الحماية إلى سكان البادية "في مثل أمور الحراثة والفلاحة ورعي الغنم وشبه ذلك". ولكن حيث كان ذلك قد صار من الأمور الجاري بها العمل فإنه تقرر أن لا يتم الكف عنه إلا ابتداء من فاتح دجنبر 1863، علما مع ذلك أن من كان يتعامل من أهل البادية مع التجار الفرنسيين "حين تجب مطالبتهم بالأحكام فيعلم نائب الفرنصيص ليأمر صاحب الغنم أو الحرث بتوجيه من يقف على متاعه لئلا يبقى للضـياع" وتقرر ختاما أن يُمكن العمال "بزمام من هو في حـماية الفرنصيص" وأن يكون بيد كل محمي "بطاقة

مذكور فيها اسمه وتعيين الخدمة التي هو بها وتكون هذه البطاقة مكتوبة بالعربي وبالفرنصيص" ولا يسلم هذه البطاقة "إلا الباشدور المقيم في طنجة" وانضمت إسبانيا وانجلترا من حينهما لهذا الوفق الذي كان ظاهره لصالح الدولة المغربية ولكن جوهره كان وبالا عليها بما أسبغ على الحماية القنصلية من المشروعية وبما كان من ركوب التجار الأوربيين إياها ليتسربوا إلى قلب البلاد ويبثوا فيها بضائعهم ويلتقطوا ما يرغبون في تصديره من منتجات المغرب. فأضحت الدولة المغربية منذ الستينيات من القرن التاسع عشر مغلوبة على أمرها في عقر ديارها ولا تستطيع إلا إحصاء ما بات نواب الأجناس يكيلون لها من الضربات كما تشهد بذلك مراسلات السلطان المولى حسن، فإن تهافت المغاربة على الحماية القنصلية كان مخلا بالأحكام لأن كل متابع بجريرة كان يكفيه أن يحتمي ليصبح في مأمن من القضاء المغربي وكان مخلا ببيت المال لسقوط الضرائب والكلف عن المحميين، وهذا فضلاً عن أن دعاويهم على غير المحميين من الرعية سواء كانت مبنية على الحق أو على الافتيات فكان المخزن مضطرا لأداء الواجب فيها في انتظار استصفاء ذلك من الرعية التي أرهقتها الواجبات فمالت إلى العصيان والتمرد بينما اشتدت جسارة المحميين وبخاصة منهم المحميين اليهود الذي لم يتخلصوا من الذمة وحسب وإنما صاروا بمثابة حصان طروادة في قلب المغرب يطلعون الأوربيين على عوارته ويزرعون في ثنايا المجتمع أسباب التفسخ والفساد، فقد جاء في رسالة للمولى حسن إلى محمد بركاش (13 جمادى الأخيرة عام 1293) قوله : "فقد تفاحش أمر الحماية حتى صار يتلبس بها من يستحقها ومن لا يستحقها" وفي رسالة أخرى بتاريخ 24 ربيع الأول 1298 عن ظالم يدعى ولد عبد الله بن مالك من قبيلة مصمودة تغلب على قبيلته وتجبر لا لشيء إلا لكونه شريكا مع ترجمان سفير البروس (ألمانيا) في الغنم والتجارة "ومثل هذا إنما يحتمي ليبقى على عتوه وافتياته ولا يقدر حتى العامل أن يتكلم معه ومهما عارضه أحد في شيء إلا ويدعي عليه أنه ملك مال التجار". وجاء في رسالة ربيع النبوي عام 1295 أن الحمالة أصحاب النقل صاروا ينسبُون إبلهم لتجار الأجناس وللمحميين حتى لا يؤدى عن السلع المنقولة شيء "ولا يخفى ما في ذلك من الضرر الفادح والخرق الكبير المفضي إلى تضييع المستفادات وقلة النفع بطامع أن جل المصاريف الآن إنما يخرج منها" وجاء في رسالة بتاريخ 7 رمضان عام 1296 بخصوص متابعة خليفة قنصل الفرنصيص ليهودي من رعية السلطان وأمره بسجنه خرقا للمعاهدات قول المولى حسن بأن "مثل هذا هو السبب في وقوع النقص في رعيتنا والزيادة في رعية أخرى".

ولذلك سعى هذا العاهل سعيا حثيثا في جعل حد لفوضى الحماية القنصلية واستعان بسفير انجلترا جون درا مند هاي (John D. Hay) للدعوة إلى عقد مؤتمر دولي يفصل في الأمر فاجتمع المؤتمر في مدريد في ربيع سنة 1880 إلا أنه سرعان ما طغى ما جاء منطويا عليه من السلبيات على ما أقره من الإيجابيات شأنه في ذلك شأن وفق بيكلار قبله، فإنه أقر شروط الحماية السابقة دون أن يخفف منها شيئا واكتفى بالتعهد بعدم تجاوزها، لكن في مقابل ذلك التعهد اللفظي حصل ممثلو أوربا على اعتراف المخزن لهم بحق الملكية العقارية (الشرط 11) على "أن شراء هذه الأملاك يكون بتقديم إذن الدولة المراكشية ورسوم هذه الأملاك تكون مكتوبة بقوانين مقررة في شريعة البلد وأن يلتزم أصحاب تلك الأملاك بأداء الأعشار والزكوات عليها لكن "الوجوه والكيفية والتاريخ والقدر من هذه الزكاة والأعشار سيقع فيها ترتيب مخصوص بين نواب الأجناس ووزير الخارجية للحضرة الشريفة" كما تقرر أن يؤدى التجار الأجانب والمحميون واجبات الأبواب على أن يكون في ذلك ترتيب مخصوص بين الأجناس بطنجة ووزير الأمور البرانية للحضرة الشريفة" (فصل 13) وجاء في الشرط 16 "حتى حماية خارجة عن القانون أو بوجه التوسط لا تعطى في المستقبل" باستثناء "حماية كنستدينير وهي الحماية المعتادة ستحفظ في صورة واحدة لتكون جزاء لبعض الخدمات العظيمة الصادرة من مراكشي لإحدى دول الأجناس أو لأسباب غريبة الوقوع" مما يعني أن المغرب لم يستفد شيئا من مؤتمر مدريد فلو فرضنا أن الحماية القنصلية الفوضوية قد طردت من الباب فإنها عادت فدخلت من النافذة على شكل "الحماية المعتادة" أو كنستدينير (Consaétudinaire) وهي التي تعطى على غير شروط الأوفاق وتمنح جزاء وفاقا لمن يكون قناصل الدول راضين عنه من الشخصيات المغربية وهي الحماية التي منحها ممثل فرنسا أورديگا (Ordéga) سنة 1884 لشيخ

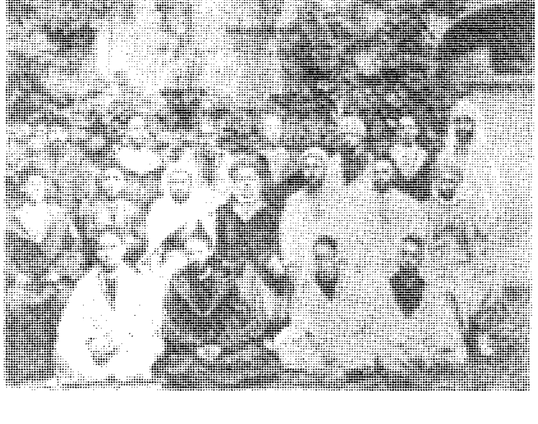

جماعة من المحميين بحديقة القنصلية الفرنسية بالرباط أواخر القرن 19

الـزاوية الوزانية عبد السلام بن العربي وذهب بها إلى محاولة فصل الشمال الغربي من البلاد عن أحكام السلطان لوتبعته حكومته، كما أن المؤتمر أقر لرعايا الأجناس حق امتلاك العقار على أن يؤدوا الحقوق الجبائية عليه بعد وضع ترتيب لذلك بين الجانبين، ومعلوم أن ذلك الترتيب لم يوضع إلا في ظل الحماية الاستعمارية، وكل ما تأتى للدولة المغربية من المؤتمر أن موعد الاستعمار أرجئ لأزيد من ثلاثين سنة نظراً لتنافس الأقطاب.

وهكذا ظلت الحماية القنصلية تنال من النسيج السياسي والاجتماعي المغربي حيث تفاقم أمرها وتحولت إلى أداة ثراء وتناور في يد القناصل والتجار، فالذين لم تكن بلدانهم تتشوف لاستعمار المغرب مثل طوماس ماتيوز (ThomasMathews) قنصل الولايات المتحدة أو كلاصو (Colaçao) قنصل البرتغال واسكوفاسو (Scovasso) الايطالي مقترح "الحماية كنستدينير" فإنهم جعلوها وسيلة للكسب السريع، والذين كانت لبلدانهم طموحات ترابية في المغرب فإنهم جعلوها أداة ضغط على المخزن وإفساد لسلطته إما لحمله مكرها على إدخال إصلاحات تتنافى والأعراف المغربية وذلك ما عمل به الانجليزي جون درامند هاي، وإما لإضعافه وفسخ أحكامه للتمكن من استعماره في الوقت المناسب، وذلك ما سار عليه ممثلو أسبانيا وفرنسا، فكانوا يبيعون الحماية القنصلية من المغاربة بسخاء كله مكر وعداء حتى انتهى الأمر إلى إنفار الدولة في الرعية وإنفار الرعية في الدولة وإلى تشويه أسباب الرقي في أعين المغاربة ليثبت عجزهم عن إدراكها بوسائلهم الذاتية ويتبين أن لا سبيل لإدخالها عليهم إلا بقوة الاستعمار، هذا فضلا عن كون تهافت النخبة الاجتماعية على الحماية القنصلية أعد للاستعمار جيلا قابلا للتعامل معه يوم تنحلّ البلاد ولذلك ما فتئ الفقهاء والعلماء يندِّدون بالمحميين "أصحاب الباسبورط الخثالي" وينعتونهم بأقبح النعوت، علما مع ذلك أن أعدادهم لم تتجاوز بضع مئات من الأفراد فكانوا أقلية إلا أنهم كانوا من النخبة الطلائعية في مجتمع محكوم عليه بالانفتاح.

لكن كم من نقمة في طيها نعمة، فمن مفارقات الاستعمار أن أدوار أولئك المحميين لم تنته مع فرض الحماية الاستعمارية سنة 1912 فإن فرنسا وإسبانيا لم تستطيعا على ما كان لهما من النفوذ إلغاء ما كان لبعض أعضاء تلك الطائفة من الاحتماء باستثناء من كان منهم تحت الحماية الألمانية أو النمساوية فإنهم حُرموا منها مع بداية الحرب العالمية الأولى، أما من كان محتمياً بانجلترا أو إيطاليا أو الولايات المتحدة مثلا فإنهم احتفظوا بالاحتماء، ومنهم من استغل ذلك ليعمل على مرأى ومسمع من سلطات الاستعمار في تنظيم الصفوف الأولى للحركة الوطنية كالحاج الحسن بوعياد والحاج عبد السلام بنونة والأخوين الديوري وعبد القادر برادة على سبيل المثال.


م. برگاش، *مراسلات مخزنية*، مخطوط، ميكرو فيلم، خ. ع ؛ ع. الوهاب ابن منصور، *مجلة الوثائق* (العدد 4)، الرباط ؛ *مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد*، سنة 1880، الرباط، 1977 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 1280 - 1311 (1863 - 1894) 3 أجزاء، الرباط، 1984 - 1988 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث* (جزآن)، بيروت، 1985؛ م. حسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد* (6 أجزاء)، بيروت، 1984.

Mas-Latrie, *Traités de paix et de commerce entre les pays chrétiens et l'Afrique septentrionale au Moyen-Âge* Paris, 1866 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe, 1830 - 1894* (4 vol.), Paris, 1963 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1805*, Paris, 1963 ; M. Kenbib, *Protections, protectorat et nationalisme (1904 - 1938), H.T.*, Vol. XVIII, 1978 - 79, p. 173 - 197 ; *Les protections étrangères au Maroc au XIXème siècle et au début du XX.* Doctorat de IIIème cycle - Université de Paris VII, 1980 (Inédit). ; E. Burke, II, *Prelude to protectorate in Morocco Precolonial Protest and Resistance 1860 - 1912*, The University of Chicago Press, 1976.


إبراهيم بوطالب

**حْمَايْدُوش**، أسرة باعمرانية قديمة حسب ما اطّلعنا عليه في عقودها العقارية، وأعرافها القبلية، وكانت من العائلات الكبرى فتشعبت، ومنها انحدرت فروع كثيرة ذات شأن كبير وموقف معروف في العلم والتصوف والجهاد والرئاسة.

ومن فروع هذه العائلة فخذة أيت محند بمدينة تيزنيت وعلى رأسها بيت العلم والقضاء عائلة أوعمّو، ثم فخذة أيت عمرو بويجّان، شرق تيزتيت، ثم آل الصالح سيدي إبراهيم أوعلي الولي المشهور في قبيلة إداوتانان المتوفى سنة 989 هـ.

**حْمَايدُوش أنفلوس أحمد**، وعرفت عائلته أحيانا بإدسّي لكثرة الطلبة فيهم، وقد برزت شخصية حْمَايدُوش هذا من بين إخوته الثمانية، حيث وقع انتخابه كفارس شجاع في معركة إيگالفْن ضد حملة الباشا حيدا بن مَّايْس سنة 1917.

قال حْمَايدُوش نفسه .. كنت فارسا في هذه المعركة وفرض علينا أن نقوم نحن الفرسان بما يعرف في حرب أيت باعمران - بعادا - ومعناها أن ننقض على الخصم بأقصى سرعة ونخالطه. ولما قتل الباشا حيدا اختلّ توازن المحلة بكاملها فاستسلم الجانب الآخر فتهافت الناس على جمع الغنائم فقصدت رجلا على بغلته، وحوله نساء فصوبت إليه بندقيتي، لكنه قال لا تضربني. وفعلا توقفت، فإذا به هو صوّب إلي رصاصة فقتلت فرسي وفي الحين أرديته قتيلا، ثم ركبت بغلته قاصداً داري".

وأكد لي ابن أخيه أن حمل تلك البغلة كان كله من الدراهم الحسنية وبفضل ذلك المال تمكن حْمَايدُوش من شراء العقارات الواسعة، كما انخرط منذ ذلك الوقت في تجارة

القوافل التي تربط بين تيزنيت والصحراء ضمن رآسة قافلة الشيخ محمد بوزاليم.

طال عمر المترجم أكثر من تسعين سنة كلّها جد وعمل، وقد استفاد كثيراً من تاريخ العائلة المجيد، ومن معاشرة كبار القوم والعلماء وخاصة أساتذة مدرسة إيسْگ الباعمرانية، وهي بجانب داره وفيها وعلى يد أستاذها أحمد بن گودْ الذي تنسب إليه الزاوية الدرقاوية هناك زاوية گودْ أقول على يد هذا الدرقاوي مسته مسحة من التصوف حتى سُمي في آخر حياته حْمَايدُّوش الفقير أحمد.

هذا وقد كانت حياة هذا الرجل حافلة بمواقف تستحق أن تسجل وتخلد، منها القيام بتسيير قبيلة أيت النص ضمن مجموعة من - إنفلاس - لما قتل قائد القبيلة محمد الوجداري في العشرينيات من هذا القرن، وكذلك الدفاع عن القبيلة عندما حاول القائد المدني الأخصاصي ضمّ هذه القبيلة فوقعت حروب قبلية طاحنة.

شارك أحمد حْمَايدُّوش في اتفاقية ثلاثاء الأخصاص سنة 1934 وبها اقتُطع أيت باعمران من حماية فرنسا لصالح إسبانيا، لذلك أقرته إسبانيا على فخذته، كما شارك في وضع الحدود الفاصلة بين الحمايتين في شمال أيت باعمران برآسة الجنرال گبَّاصْ سنة 1934.

ونظراً لمعرفته وخبرته وتجاربه كانت كلمته إلى جانب عيسى بن عثمان هي فصل الخطاب لدى الحكومة الإسبانية وخاصة ما يتعلق بالأعراف المحلية، ولدى هذه العائلة وثائق قديمة أهمها أعراف القبيلة ورسائل مخزنية ومراسلات في عهد الاحتلال الإسباني، وكذلك ما يتعلق بجيش التحرير.

توفي أحمد حْمَايدُّوش في بداية عام 1375 / 1956.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 13 : 199 ؛ *كراسة شايلاّه*، مخطوط؛

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، 1984 ؛ *استجواب مع ابن أخ المترجم له محمد بن لحسن حْمَايدُّوش*.

الحسين جهادي

**حْمَايْدُّوش**، قصبة جنوب أسفي على مقربة من مصب نهر تانسيفت. كانت فيما مضى بناية عظيمة بمشورها ودورها ومسجدها وأهريتها وأسوارها ... كما تشهد على ذلك آثارها التي مازالت قائمة حتى الآن. وقد ذكرها الفقيه الكانوني في *أسفي وما إليه* وقال : "(إنها) مسورة في بسيط من الأرض بسور متين واسع عليه ثمانية أبراج، توجد مدافعها ساقطة على الأرض، وفي وسطها دار كبيرة يحيط بها سور عظيم كان بها مسجد ومنار هدما بعد سنة 1330 هـ. وحملت أنقاضُهما إلى ما جاورهما من البلاد. وبين السورين عدة مخازن وأهرية منحوتة في الأرض مرفوعة على أبنية عظيمة يصعد إليها بمدارج. لست على علم من مؤسسها إلا أنها كان يسكنها عمال شياظمة من أولاد ابن حميدُّوش ... ويظهر أنها من تأسيس الدولة السعدية وهي اليوم خالية". كما أن الفرنسي "دوتي" (E. Doutté) وصفها في كتابه "*En tribu*" ووضع لها رسماً مفصلاً. وهو يرجع تاريخ تأسيسها إلى عهد المولى إسماعيل.

م. الكانوني، *أسفي وما إليه*.

E. Doutté, *En tribu*, Paris, 1914.

عبد الرحيم العطاوي

ابن **حَمَد** أو الحَمَدي، أسرة فاسية عريقة أصلها من بني يفرن الزناتيين، وبيتهم بيت علم وثروة منهم :

ابن **حَمَد، عبد العزيز** بن محمد اليفرني الفاسي، حلاه ابن القاضي في *الجذوة* "بالفقيه الفرضي الحيسوبي". وزاد ابن القاضي قائلا : انقرض عقبه اليوم. ولعله يريد انقراض أسرة بني حمد عموماً من مدينة فاس في ذلك التاريخ - نهاية القرن العاشر (16 م) -.

توفي بمسقط رأسه فاس سنة 853 / 1449.

ابن **حَمَد، عبد الله** (سيدي -) أحد أولياء مدينة مكناس وصلحائها، من بيت بني حَمَد الشهير بفاس، استوطن مدينة مكناس بإشارة من بعض المشايخ الأخيار الذين لقيهم أثناء رحلته للمشرق لأداء فريضة الحج (*الروض الهتون*، ص. 57) يصفه ابن زيدان في *الاتحاف* (4 : 498 - 499) بقوله : "فقيه عالم صالح، ولي كامل فالح، متواضع حسن الخلق، متبرك به حيا وميتا، آية الله في الزهد والورع والعبادة واتباع السنة". تروى عنه عدة كرامات وخوارق ومناقب كثيرة، مجاب الدعوة، والدعاء عن قبره مستجاب. يقصده الكثيرون للاستشفاء.

وعن نسبه جاء في لوح خشب منقوش ملصق بجدار من جدران قبة ضريحه "هذا ضريح العارف بالله الولي الأشهر سيدي عبد الله بن حَمَد الشريف الحسني نفعنا الله به" وقد جزم الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في *السلوة* بشرف سيدي عبد الله بن حَمَد، غير أن ابن زيدان في *الإتحاف* أنكر ذلك وقال : "ترجمه غير واحد من المحققين النسابين ولم يشر واحد منهم لكونه حسنيا بل وقع التصريح ممن يعتمد ويرجع لقوله بأن بيت بني حَمَد الشهير بفاس الذي هو منه".

أخذ عن سيدي علي وقال عن والده وتصل سلسلته إلى أبي الحسن الشاذلي، أما الآخذون عنه فمنهم الإمام القوري وأبو الفتوح وأبوزيد القرموني وجماعة.

ومن مآثره الخالدة ما حبسه من أملاك داخل مدينة مكناس وخارجها على الضعفاء والمساكين والمرضى وذوي العاهات والغرباء والمنقطعين، ولذلك نعت بأبي المساكين، وإليه ينسب المارستان المعروف بمارستان سيدي عبد الله بن حَمَد الذي ظل قائما حتى عهد الحماية. ولقد كانت أحباسه

أساس ما عرف بأحباس المساكين أو أحباس سيدي عبد الله ابن حَمَد، وقد نمت وتكاثرت بسبب إقبال المحبسين على ذلك النوع من التحبيس.

توفي عبد الله بن حَمَد بمكناس عام 833 / 1430 ودفن خارج باب البرادعيين غرب ضريح الشيخ محمد بن عيسى الفهدي الشهير بالشيخ الكامل. وضريح ابن حَمَد أيضاً مزارة شهيرة وهو من بناء المولى إسماعيل.

أ. ابن القاضي، جدوة، 2 : 224 ـ 225 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : 498 ـ 499 ؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل*، 1 : 287 ـ 288.

رقية بلمقدم

ابن حَمَد، **عليّ** اليفرني الفاسي، فقيه مشارك، وصالح ناسك. ولي القضاء بفاس والخطبة بجامع القرويين. قال عنه صاحب *بيوتات فاس الكبرى* : "وكان من عباد الله الصالحين، وله مكاشفات وكرامات وأسرار وإجابة الدعاء". ولم يذكر تاريخ وفاته.

ابن حَمد، **محمد** بن أحمد بن منصور اليفرني الفاسي، ممن روى عن المحدث إبراهيم بن فرتون السلمي (ت. 538 / 1143).

ابن حَمَد، **منصور** بن أحمد اليفرني الفاسي، حلاه ابن الأحمر في *البيوتات* بالفقيه، وذكر ابن القاضي في *الجذوة* أنه عالم الأسرة الحمدية.

توفي بفاس في رمضان سنة 560 / يوليوز ـ غشت 1165.

ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 26 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة، ص. 468 ـ 533 ؛ درة *الحجال*، 3 : 127 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 306.

محمد حجي

**حمداوة**، فرقة كبيرة من الفرق المكونة لقبيلة أمزاب : أملال، أولاد مراح، بني إبراهيم وأولاد شبانة، أولاد فارس.

تنتمي حمداوة إلى "احلال"، وترجع أصول حمداوة إلى الأطلس المتوسط فالرواية ترجع أصلهم إلى بني مطير، حيث أجداد حمداوة من عين اللوح وكان عدد الذين رحلوا من الأطلس إلى الشاوية سبعة خيام، كل خيمة أعطت اسماً لدواوير حمداوة. والدوارير التي كانت تكوّن حمداوة في النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م) هي : عين الضربان، أولاد بوعبو، بني سكتن، بني زيتون الاحلاف.

والجدير بالإشارة أنه فرقة حمداوة، هي التي ينتمي إليها قواد أمزاب المشهورون خلال القرن الثالث عشر (19م) وبداية القرن الرابع عشر (20 م) مثل عائلة محمد بن الشرقي التي منها القائد ابن أحمد باني "قصبة ابن أحمد" والعربي بن الشرفي الذي حكم أمزاب عند بداية الاحتلال الفرنسي.

Mege, *Les Mzab et les Achaches, A. B.*, 1918.

علال الخديمي

**الحمداوي، محمد** (الشيخ) وُلد سنة 1354/ 1935 بإقليم بولمان. وأتم حفظ القرآن الكريم وعمره اثنتا عشرة سنة، ثم تابع دراسته بجامع القرويين بفاس، وفي مطلع الاستقلال التحق بسلك التعليم الابتدائي.

تعرف سنة 1382 / 1962 على نشاط "جماعة التبليغ" التي كان أعضاؤها الهنود والباكستانيون يجوبون عدة دول مبشرين بمبادئ دعوتهم فرافقهم الشيخ محمد الحمداوي في بعض هذه الرحلات وتعرف على مبادئهم، ثم زادت صلاته عمقا بالجماعة بعد لقائه بالشيخ محمد يوسف الكندهلوي (ت. 1385 / 1965) المرشد العام لجماعة التبليغ وابن مؤسسها الشيخ محمد إلياس الكندهلوي (ت. 1365 / 1945).

وعلى إثر ازدياد نشاط الجماعة بالمغرب والتحاق أعداد من المغاربة بها، تم تأسيس فرع لها بالمغرب سنة 1384 / 1964، اختير على إثره الشيخ محمد الحمداوي أميراً أو مرشداً لها. وظل على رأس الجماعة بعد أن ترك العمل في التعليم، وكان يصرف أوقاتاً طويلة في الرحلات الدعوية للجماعة المعروفة بـ "الخروج في سبيل الله"، والتي كانت تقوده إلى مختلف المدن والقرى المغربية رفقة أعضاء الجماعة وبعض المتعاطفين معها. كما زار عدداً كبيراً من دول العالم لنفس الأهداف، خاصة الهند لتنسيق استراتيجية الجماعة مع مرشدها العام هناك.

وكان الشيخ محمد الحمداوي إلى جانب ذلك على قدر كبير من الهدوء والهيبة، ذا شخصية مؤثرة بخطبه ومواعظه.

توفي أثناء إحدى رحلاته الدعوية إلى مدينة القنيطرة حيث أصابته غيبوبة أثناء أداء صلاة العصر بأحد مساجدها، ثم مالبث أن توفي بعد نقله إلى المستشفى يوم الخميس 18 رجب 1407 / 19 مارس 1987.

جريدة *الإصلاح*، الرباط، س 1 / ع 2 / 27 مارس 1987 ؛ م. المغراوي، *جماعة التبليغ*، *معلمة المغرب*، ج 6. ص 2266 ـ 2268 ؛ *معلومات شفوية*.

محمد المغراوي

ابن **حَمْدُوش**، أسرة مكناسية من الأنصار الخزرجيين.

ابن **حَمْدُوش**، عبد العزيز بن عبد الله بن أحمد

ابن **حَمْدُوش**، عبد الله بن أحمد

ابن **حَمْدُوش**، محمد بن عبد الله (الجدّ –)

ابن **حَمْدُوش**، محمد بن عبد الوهاب

لمع فيهم بعض الفقهاء والأدباء، ويرتقي أقدم اسم معروف منهم إلى أواخر ربيع الثاني عام 1041 هـ، وهو الفقيه محمد بن عبد الله ابن حمدوش.

ومنهم الفقيه عبد الله بن أحمد إمام مسجد مكتب ابن جابر (مسجد حي التوتة) إلى أن توفي فخلفه فيها ولده الفقيه عبد العزيز.

وفي العصر السليماني نبغ في الأدب محمد بن عبد الوهاب ابن حمدوش، فيقول عنه ابن زيدان : "فقيه أديب أريب ناظم نائر". ومن شعره تخميس قصيدة عالم تونس وأديبها الشيخ إبراهيم الرياحي التي مطلعها :

صاح اركب العزمَ لا تُخلد إلى النـاس

واصحب أخا العزم ذا جد إلى فـاس

ومن مرتبة للمترجم في أحد علماء مكناس محمد الرجراجي :

| | |
|---|---|
| مَن للمجالس بعدَ فقدِ محمـد | كهف العلوم وعمدة الإقـراء |
| من للمنابر والمحابر بعـده | من للفصاحة حالة الإلقـاء |

ملاحظة : لا تلتبس هذه الأسرة ببيت الحمد وشيين في ضواحي مكناس، فهؤلاء أشراف علميون. والأولى تبينا أنهم أنصار خزرجيون، وكلتا العائلتين لا تزالان قائمتين.

*حوالة الجوامع الكبار بمكناس*، رقم 5 ؛ *حوالة المساجد الصغار بمكناس*، ص 159، عام 1127 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 4 : 300 ـ 301 ؛ سكيرج، *رفع النقاب*، 3 : 135 ـ 138، فيه التخميس بتمامه.

محمد المنوني

**حمدوش**، أسرة سلاوية عريقة، جاء جدهم من تافيلالت في تاريخ غير محدد. وعرف منهم تجار وحرفيون وفلاحون وعدول وشعراء ورؤساء بحريون. وكان منهم :

**حمدوش، أحمد** كان سنة 1292 / 1875 من الرؤساء البحريين بمدينة سلا، وكان سنة 1311 / 1894 ما يزال بهذه الصفة.

م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 156 و226.

**حمدوش، عبد الرحمان** كان مشتغلاً بالفلاحة، لكنه كانت له موهبة في نظم الشعر الملحون، وخلف بعض القصائد فيه. وقد تتلمذ الشيخ حمدوش على الشيخ عبد السلام الشرقاوي السلاوي المتوفى أوائل القرن الثالث عشر (19 م) بينما توفي حمدوش في منتصف القرن.

م. الفاسي، *شعراء الملحون السلاويون*، المناهل، العدد 33، ص. 9 و17 و31 ؛ م. بوشعراء، *ذيل* ؛ أ. الحافي، *تحفة الزائر بمناقب الحاج أحمد بن عاشر*، تح. م. بوشعراء، ص. 149.

**حمدوش، عبد الله** بن العربي كان سنة 1209 رئيساً بحرياً بمرسى العدوتين.

م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ص. 47، الهامش 45.

**حمدوش، العربي** بن عبد القادر بن محمد من فقهاء سلا، ولد سنة 1282 / 1865 وكان من عدول سلا في تلقي الشهادات من الناس. وقد نسخ بخطه كتباً سنة 1298. وكان سنة 1334 مازال بقيد الحياة.

م. حجي، *فهرسة الخزانة الصبيحية*، ص. 180 ؛ *كناشة الحاج عبد الله الصبيحي*.

**حمدوش، علي** أقدم من عرف من آل حمدوش السلاويين، كان من عدول سلا المنتصين للإشهاد بها في صدر القرن الحادي عشر، وهو من الذين كتبوا رسم إراثة الشيخ عبد الله ابن حسون دفين سلا في فاتح رمضان عام 1013، وكان معه رفيقه وتلميذ الشيخ ابن حسون مَحمد بن سعيد العتابي.

*رسم إراثة الشيخ ابن حسون في فاتح رمضان* 1013.

مصطفى بوشعراء

**حمدوش، علي** (سيدي -) بن عمران العلمي العروسي كما هو مقيد في عقد إراثة والده المؤرخ بـ 11 صفر 1119 / 14 ماي 1707 حسب ما جاء عند ابن زيدان في *الإتحاف* (5 : 459) لا نعرف تاريخ ميلاده في حين نعلم أنه تتلمذ على يد شيوخ كثيرين ومنهم المدعو الحفيان.

عاش سيدي علي بن حمدوش في بداية حياته بمدينة فاس حيث كان يجلس بباب القرويين المقابلة لباب الشماعين عدة سنوات أعطى خلالها دروسا في مختلف علوم عصره كما ورد عند بول برتيي Paul Berthier، وبعد ذلك انتقل إلى جبل زرهون الجنوبي.

والمعروف عن هذا الولي أنه من أهل الجذب يحب السماع والامداح، وأظهر الله على يده كرامات وخوارق عادات ـ ابن زيدان ـ فهو من أولياء الله الصالحين له مريدون وأتباع كثيرون داخل المغرب وخارجه، يقصدون زاويته على مدار السنة خاصة في سابع المولد النبوي، حيث يقيمون موسما يجتمع فيه هؤلاء الأتباع القادمون من مختلف أنحاء البلاد، وتتخلله ممارسات وعادات تم تحويرها عنه، أقل ما يقال عنها إنها لا تمت لعمل السلف الصالح بصلة، وتتمثل في شدخ الرؤوس بالشواقير والسكاكين تؤدي أحيانا إلى هلاك العديد منهم أو إصابتهم بعاهات مستديمة، في الوقت الذي يعتقدون فيه أن هذه الممارسات

تقر بهم إلى الله، وقد ورثوها ـ على ما يبدو ـ عن أحد أتباع الشيخ ابن حمدوش المسمى سيدي أحمد الدغوغي الذي كان غائبا أثناء وفاة شيخه، فلما قدم إلى زرهون وعلم بالخبر، أخذ يضرب رأسه على الجدران حزنا وألما عليه، فما كان من باقي الأتباع إلا أن اتخذوا هذه البدعة عادة ثابتة. وأغلب أتباع سيدي علي بن حمدوش يقيمون في المداشر الجنوبية لجبل زرهون وأهمها : بني وراد وبني راشد وبني جناد والقليعة وحمراوة، وكان هؤلاء يلقنون ورداً مكونا من 18.000 من الهيللة حسب ما ورد عند أبي العباس القراوي الجبلي ـ ابن زيدران ـ. ومن الآخذين عن سيدي علي ابن حمدوش : محمد بن يوسف الحمدوشي وأبو عبد الله الحمدوشي وأبو العباس الدغوغي وغيرهم (انظر حمادشة *زاوية*).

توفي الشيخ علي ابن حمدوش عام 1135 / 22 ـ 1723.

م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، 56 : 1979.

P. Berthier, *Essai sur l'histoire du massif de Moulay Idriss : de la conquête musulmane à l'établissement du protectorat français.* Rabat, 1938.

بوشتى بوعسرية

**الحمدوني، أحمد** بن النادي العلمي السريفي حسب إجازة السلطان أبي الربيع سليمان للفقيه الحمدوني التي وقف عليها الكتاني صاحب *فهرس الفهارس*، وهي ترجمة موجزة لا تقدم إلا النزر القليل من سيرته وحياته. ومن خلال الإجازات التي قدمها الحمدوني لغيره من علماء القرن الثاني عشر (18 م)، نكتشف أنه عاش بفاس فأخذ عن غيره وأخذ الناس عنه من أمثال أبي عبد الله محمد التهامي ابن رحمون من أهل فاس، ويذكر الكتاني أنه أخذ عن أحد بقايا تلاميذ الحمدوني ويتعلق الأمر بالناسك إدريس بن الطايع بن التهامي اليونسي (*فهرس الفهارس*، 1 : 331).

وتفيدنا وثيقة إجازة السلطان سليمان للحمدوني أنها أُخذت إبان تربع هذا الملك على عرش البلاد. (1207 ـ 1238 / 1792 ـ 1822).

ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج 1 ؛ م. بن عبد الرحمان بن خليفة، *القصر الكبير، أعلام فكرية أدبية وتاريخية*، 1994.

الحسين البعاوي

ابن **الحمدونية** محمد بن يحيى البوعزيزي الحساني الدكالي أحد مشاهير قواد مدينة الجديدة ودكالة في القرن الثالث عشر (19 م) وهو الذي أتم بناء المسجد الكبير بداخل المدينة الذي يحمل اسمه بعد أن توقفت عملية تشييده مدة من الزمن. وكان سلفه القائد الحاج الهاشمي بن العروصي الهلالي الدكالي هو الذي شرع في تأسيسه.

م. الكانوني، *أسفي*.

عبد الرحيم العطاوي

**الحمَدي** ← ابن **حَمَد**

ابن **حمدين**، أسرة سلوية نبيلة أصلها من الأندلس عرفت بالعلم والكرم، واشتهر منها هناك أبو القاسم ابن حمدين الذي خَلَف ابن رشد الجد في قضاء قرطبة بتولية من أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين سنة 513 / 1119.

كان ابن حمدين، علاوة على ضلاعته الفقهية أديباً شاعراً أريحياً جواداً يقصده الشعراء من أنحاء الأندلس ويجتمع ببابه منهم العدد العديد يمدحونه وينالون جوائزه السخية. وقد انتقل بعض بني حمدين إلى العدوة الجنوبية واستقروا بمدينة سلا الحديثة بعد تأسيسها من طرف بني عشرة. وقد نزل الشيخ الصوفي الشهير أبو علي الشريشي لما حط رحاله بسلا في منتصف القرن السادس (12 م) عند علي ابن حمدين (حمدون في *التشوف*) وكانت له معه صحبة وعشرة ومودة وحضر معه جنازة الزاهد الصالح عبد الله بن يوسف بن علي ابن عشرة.

تحدث المؤرخ السلاوي محمد ابن علي الدكالي عن هذه الأسرة قائلاً : "بنو حمدين بيتهم بيت خير وفضل من قديم، ولم تزل فيهم بقية خير وصلاح. فقد رأيت غربي برج الدموع على شاطئ بحر سلا المحروسة قبرا عليه لوحان من حجر الكدان مكتوبا على أحدهما التعوذ والبسملة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى الثاني : "هذا قبر الحرة المصونة الصالحة المباركة المرحومة مسعودة بنت الشيخ المرحوم الوجيه ابن حمدين، توفيت رحمها الله في اليوم التاسع من شهر شعبان الأبرك عام ستة وثماني مائة.

واستمروا مستوطنين بسلا المحروسة إلى صدر المائة الحادية عشر، فقد كان منهم من صاهر سيدي عبد الله الجزار بن الشيخ سيدي أحمد حجي، وهو المكرم الطاهر ابن حمدين. وقد انقرضوا لعصرنا هذا، والبقاء لله وحده".

ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، 1984، ص 201 ـ 202 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 3 : 537 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، 87.

محمد حجي

**الحُمَر**، حصن ومعركة. يقع حصن الحمر (وهو اليوم مدشر) في قبيلة الساحل التي تحد غربا بالمحيط الأطلسي وشمالا بقبيلة الغربية وشرقا وجنوبا بالخلط. وأهم مدينة في قبيلة الساحل هي أصيلا.

وقعت في هذه المنطقة عدة معارك بين قائد القصر الكبير عبد الواحد العروسي ـ في عهد الوطاسيين ـ بدعم من القبائل المجاورة وبين البرتغاليين. يقول الحسن الوزان "ويضايق قائد القصر البرتغاليين كثيراً، إذ تحت تصرفه

ثلاثمائة فارس يغير بهم ويتوغل إلى أن يصل أحيانا إلى أبواب أصيلا" ولم تتحدث عن معركة أو معارك الحمر من المصادر العربية غير هناك مصادر تصف هذه المعارك باستثناء *دوحة الناشر* في ترجمة علي بن عثمان الشاوي الذي "استشهد في وقعة *الحمر* التي كانت في حدود الأربعين (940 / 1533) بين النصارى والقائد عبد الواحد بن طلحة العروسي على مقربة من أصيلة، حدثني غير واحد ممن يوثق به ممن حضر الوقعة وبعضهم يصدق بعضا، لما هزم الناس استقبل الشيخ أبو النصارى وسيفه في يده وهو يتلو بردة الإمام البصيري".

كما أشار إلى هذه المعركة صاحب كتاب *القصر الكبير* Alcazarquivir بما ملخصه : السيد أحمد العروسي كان أكبر نبلاء مملكة فاس، كان يقضي جل أوقاته بفاس لاحتياج البلاط إلى شجاعته ومواهبه الحربية. وأثناء غيابه كان يخلفه على القصر أخوه عبد الواحد، ولو أنه كان يعود مرات للغارات على البرتغاليين في أصيلا لطمأنة المدينة. ولهذا عينه السلطان على تازا، وقد ساعد محمد البرتغالي أثناء مهاجمته لأصيلا سنة 1517. وفي سنة 1523 مات دون ماموبل دي منسيس. ولما قتل أحمد حوالي 1530 خلفه أخوه عبد الواحد الذي قام بحملة على أصيلا سميت بمعركة الحمر التي مات فيها الشيخ المشهور أبو الحسن بن عثمان دون أن يرضى إعطاء ظهره للنصارى، فكان السيف في يده وهو يتلو البردة. وتعرض أيضاً لمعارك الحمر صاحب *حوليات أصيلا Anais de Arzila*. حيث تعرض لها في عدة صفحات، فأثناء تحدثه في الفصل 16 عن غزو أصيلا وقتل مانويل دي كوستا (ص. 262) تحدث عن الحمر باعتبارها حصنا للقائد المغربي الذي حاول البرتغاليون التجسس عليه. وأشار إلى أن الحمر كانت تابعة لقائد القصر (ص. 223) واستقرار قائد القصر وقائد العرائش في الحمر (ص. 219) وفي الفصل 31 تحدث عن إحدى المعارك التي وقعت في الحمر والتي أدت في نظره إلى تراجع قائد القصر الذي جمع الرجال والعتاد وعاد للمعركة. وفي الفصل 20 (ص. 253) تحدث عن معركة الحمر بين قائد القصر عبد الواحد العروسي والبرتغاليين، استشهد فيها أحمد ابن قائد القصر.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الاخضر، 1 : 311 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، ص. 35 ؛ ح. الفكيگي، *جبالة*، مجموعة البحث المتعددة الاختصاصات، ص. 6 ـ 7 ؛ م. بوخلفة، *الطريق لمعرفة القصر الكبير*، 1972، ص. 45.

Bigues, *Anais de Arzila*, p. 41 - 53 - 147 - 201 - 219 - 223 - 262 ; Cortacero F. Hernares, *Alcazarquivir*, 1950, p. 176 - 1777.

محمد أخريف

ولد **الحمراء**، رجل شهير من رجالات الشاوية، عرفه التاريخ كأحد أعيان الدار البيضاء في أواخر القرن الثاني عشر (18 م) وبداية القرن الذي يليه. ينتمي ولد الحمراء لفرقة أولاد محمد المشهور بصلابتها في الحق، وهي إحدى فرق قبيلة الأعشاش التي تنتمي إلى امزاب.

ساهم ولد الحمراء، في الأحداث السياسية عقب وفاة السلطان محمد بن عبد الله، ويظهر أنه كان من الأعيان المؤيدين لمولاي سليمان إثر وفاة أخيه اليزيد. نفهم ذلك من موقفه من بيعة مسلمة بالشاوية بتوسط من مرابط أبي الجعد العربي بن المعطي الشرقاوي سنة 1208 / 1793 فقد عمل ولد الحمراء مع بعض كبراء أعيان الشاوية على طرد مسلمة من الدار البيضاء إلى أزمور.

ويبدو أن نشاط الرجل السياسي ومكانته كعنصر فاعل وصانع للأحداث السياسية بقبائل الشاوية آنذاك هي التي انتهت به إلى القتل على يد قائد أولاد بوعطية محمد بن عبد الخالق الحريزي المعروف بگريران. وتتأكد مكانة الرجل من كون مقتله أثار أحداثاً خطيرة وتسبب في حروب كثيرة بين أولاد بوعطية أنفسهم، إذ أعلنت عصبية ولد الحمراء من قبائل مزاب والأعشاش العصيان والثورة على القائد الذي لم يستطع إخضاعها، فأعانه السلطان بجيوش من قبائل الغرب بقيادة القائد إدريس بن الغازي السگيري. ولم تستطع تلك الجيوش أن تلحق الهزيمة بقبائل مزاب والأعشاش الذين تحصنوا بالغابة. واكتفى قواد المخزن بحصارهم مدة طويلة.

وقد خلد التاريخ اسم الرجل بالدار البيضاء حيث يوجد مسجد ولد الحمراء، الذي يرجع بناؤه إلى سنة 1204 / 1789 وتجديده في عهد السلطان الحسن الأول سنة 1310 / 1892.

م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ هاشم المعروفي، *عبير الزهور*.

ولد **الحمراوية**، عبد الرحمان المعروفي المزابي الشاوي، متفقه متأدب شغل وظائف داخل بلاط المخزن. وكم من كاتب حاذق نبيه توصل إلى الجلوس ببنيقات المخزن بفاس ليكتب لهذا الوزير أو ذاك، وكان صاحبنا من هؤلاء.

لا نعرف تاريخ ولادة الرجل ولادرجة ثقافته، لكن الثابت المحقق أن ولد الحمراوية، كان من الذكاء والجرأة والدهاء بحيث استطاع أن ينال الوظائف السامية داخل المخزن، وأن يترشح لمهمات خطيرة وينغمس في مغامرات ومؤامرات انتهت به إلى القتل.

يذكر صاحب *فواصل الجمان*، أن ولد الحمراوية صحب أبا حمارة الثائر المغربي المشهور قبل ادعائه الإمارة وتعلم منه أشياء كثيرة في السحر والتحايل. ويظهر أن هذه السابقة هي التي رشحت الرجل ـ بعد ذلك ليقوم بمهمة سرية لصالح المخزن عـنـد بوحمارة لما ادعى الإمارة. لكن ولد الحمراوية لم ينل شيئاً من الثائر واكتفى من الغنيمة بالإياب سالماً.

عين ولد الحمراوية كاتباً ببنيقة وزارة الداخلية، التي كان يتولاها الصدر الأعظم المفضل غريط، وخلال مزاولة عمله اتُّهم بالسعاية بين الوزراء فسجن بسبب ذلك، وأُبعد إلى سجن جزيرة الصويرة المعزول وسط البحر. وكان هذا السجن مأوى ذوي الجرائم السياسية الكبرى. وقد تمكن ولد الحمراوية من الإفلات من سجنه، ثم اتصل بالشيخ ماء العينين الذي تشفع له عند السلطان فعفا عنه.

وصعد نجم ولد الحمراوية من جديد لما بويع مولاي عبد الحفيظ بمراكش في صيف عام 1325 / 1907. فقد أعلن السلطان الجديد الجهاد وأرسل قوة من المجاهدين لمساعدة الشاوية أخواله. ولمواجهة نفوذ سلطان الجهاد بالشاوية ودفع القبائل إلى مهادنة الفرنسيين في إطار سياسة التعاون بين مخزن مولاي عبد العزيز وبين الحكومة الفرنسية كُلف ولد الحمراوية بالعمل مع أعيان الشاوية لخدمة أهداف الحزب العزيزي. وتشير بعض الأخبار إلى أن عبد الرحمان المعروفي كلف بالعمل على دفع القبائل إلى عقد هدنة مع الجيش الفرنسي وقطع الطريق على قوات مولاي عبد الحفيظ.

ويبدو أن ولد الحمراوية وضع رهن قواد الجيش العزيزي الذي أرسل من الرباط إلى الشاوية بقيادة محمد بن بوشتى البغدادي. ونظراً لتعرض هذا الجيش إلى الانكسار بالزيايدة وعودته منهزماً إلى الرباط فقد اتهم ولد الحمراوية بالتآمر مع الزيايدة، وحمّله قواد الجيش جانباً من مسؤولية الهزيمة التي لحقتهم.

وأُدخل ولد الحمراوية السجن من جديد إلى أن أطلق سراحه مولاي عبد الحفيظ، ويظهر أنه قام ببعض المهام في حكومة المخزن الجديد. لكن الثابت أن الرجل أُدخل السجن واتُّهم بمراسلة المتمردين على سلطة مولاي عبد الحفيظ سنة 1911، فحكم عليه بالإعدام.

وهكذا انتهت حياة ولد الحمراوية، التي حفلت بالدسائس والمغامرات السياسية. ولا نستغرب من أن ينغمس رجل طموح فيما انغمس فيه ولد الحمراوية. فقد كان الجو المحيط بالمخزن العزيزي وبعده المخزن الحفيظي موبوءاً بالدسائس والتآمر. وكان الوزراء ورجالهم هم المسؤولين عن تلك الدسائس والمشجعين عليها ماداموا يتوصلون من ورائها إلى ممارسة استبدادهم ونهب أموال الحكام المحليين بالقبائل خاصة وأموال الرعية بصفة عامة.


م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ هاشم المعروفي، *عبير الزهور*.

A.G.P. Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaine*.


علال الخديمي

**الحمري**، تربة من أهم وأرقى الأتربة الحمراء، ومعلوم أن الأتربة الحمراء تغطي مساحات واسعة من المجال المغربي إلى حد أنها تعتبر دالة طبيعة ولون البلاد كلها. السبب في ذلك أن العوامل الأساسية في تكوينها قد توفرت بسخاء كبير ومنها على الخصوص : القواعد الصخرية الكاربوناطية والبيومناخات المتوسطية.

فالقواعد الصخرية الكاربوناطية (كلس، دولومي، حث كلسي) هي التي تهيكل جبال الأطلس، كما أنها تحكمت في تفريش جل السهول والهضاب المحيطة بالأطلس خلال الحُقب الثالث، وهي كذلك التي رصفت الشريط الساحلي بموادها المنتمية لفترات جيولوجية مختلفة كالكريطاسي والنيوجين والرباعي.

أما المناخ المتوسطي فهو ليس وليد الحاضر، بل يبدو أنه ساد مجموع الحقب الرابع على الأقل، لكن مع تفاوت واضح في نزعات الرطوبة وتساقط الأمطار بين فترات مطيرة وأخرى بيمطيرة، وان الأتربة الحمراء قد تكونت أساساً خلال المراحل الأكثر رطوبة.

- لكن التربة المدعوة بالحمري عند الأهالي ليست إلا عضوا من العائلة الكبيرة للأتربة الحمراء حيث تقتضي الأهلية لهذه التسمية مجموعة من الشروط. اللون الأحمر للأتربة ضروري بالطبع لكنه غير كاف، حيث يلزم توفر نسيج متوازن لا غنى فيه عن الطين. بالإضافة إلى أن جل هذه الأتربة موروثة عن دورين من الحقب الرابع هما العميري والسلطاني على الخصوص. بدايةً بهذه المواصفات يقع الحمري في ما يُسمى بالتربة الحمراء المتوسطية أو التربة المتحدسلة حسب التصنيف الأكاديمي. لكن ليس كل الأتربة المتحدسلة مواتية. يقترب الحمري أكثر ما يكون من فرع الأتربة المتحدسلة ذات الاحتياطي الكالسيومي وبالتالي الضعيفة التصويل.

أما عندما يكون التصويل قد تمكن منها فأفقر خزينتها من العناصر القاعدية ثم خفَّف حمولتها الطينية إلى أقصى الحدود، فإن مسكاتها العلوية تتحول إلى رمال مع إبهات لونها الأحمر. التصنيفات المحلية التي غالبا ما تعنى بمظاهر السطح على الخصوص أخرجت هذا الصنف من الحمري معتبرة إياه رملاً.

كما أنها تصنف ضمن "الرمل" أو "الساحل" أتربة حمراء أخرى هي على ما يبدو موروثة عن مراحل سابقة للرباعي (النيوجين)، وقريبة في خصائصها من الأتربة المتحددة المدارية. يغلبُ هذا الصنف في السهول الساحلية الممتدة بين إقليم الغرب وطنجة.

- حالياً، لم يعد الربط بين الأرضيات الكاربوناطية وتكوين أتربة الحمري هو القاعدة. ذلك أن وصفها بالقديمة والموروثة عَرَّضها خلال الفترات الأحدث إلى عمليات تعرية بواسطة السيل المتفرق عملت على كشطها الجزئي من فوق الأراضي الكاربوناطية وتفريشها على مجالات صخرية لا فَضْلَ لها في تكرين الأتربة الحمراء. بل أكثر من ذلك أن هذه العملية هي المسؤولة عن أسمك أتربة الحمري، وعلى انتشارها الواسع عبر البلاد ("تيرا روسا").

نلاحظ هذه الظاهرة جنوب سهل تريفة الذي تلقى

مقادير هائلة من التراب الأحمر انطلاقا من كتلة بني يزناسن (Ruellan، 71 ؛ العوينة، 90)، وجنوب سهول السايس الموجود في وضع استقبال مواد الأطلس المتوسط الهضبي. كما نجد نماذج متعددة في باقي السهول الداخلية الموجودة بأقدام الجبال، وكذلك في السهول الأطلنتية كما هو الشأن مثلا في الشاوية ودكالة وجنوب سوس.

هي إذن أتربة وافدة، تختلف عن الأتربة الأصيلة من حيث إنها تتميز ببنيات الترسيب كما أنها غالبا أخشن إلى حدٍّ انطوائها في بعض الحالات على عدسات رملية أو حصوية بالإضافة إلى غناها من الطمي.

يُضاف إلى هذه الفصائل كلها، دائما بصفتها حمري، بعض السطوح الصخرية الغنية أصلا بالأطيان والأطماء الحمراء وأهمها بالمغرب المُنكشفات الفُتاتية لأدوار الترياس وكذلك تلك المنتمية للكريطاسي السفلي والسينوني في صيغتيهما القارية، مادامت هذه المنكشفات غير مالحة.

- لم تقتصر العمليات اللاّحقة لتكوين الأتربة الحمراء على التعرية والنشر بمختلف الصور فحسب، ولكن عمليات تتربٍ أخرى طرأت على سطحها، ينسبُها المختصون إلى أنها عمليات نكوص وتراجع، من ذلك أنها أصبحت مشوبة بالدُكنة عبر إغناء نسبي بالمادة العضوية الدبالية الناتج على ما يبدو عن تدهور الغابات الأصلية أمام التوسع الكبير للسهوب المتميزة بدورة إنباتية سريعة. وهكذا تتحول الأتربة الحمراء المتحدسلة إلى أتربة سيدبالية سمراء وكستنائية حسب تصنيف Aubert (1965) أو سيدبالية بُنِّية (C. P. C. S، 67) دون أن تخرج من صنف الحمري في سجل الأهالي.

- من ضمن المعطيات التخليلية لأتربة الحمري أنها حيادية إلى خفيفة الحموضة وأنها خالية من الجير والأملاح. لونُها الأحمر ناتج أولا عن تحرير الحديد عبر تفسيخ المعادن الأولية المتضمنة له وإطلاق الحديد المندمج. وهو أمر يتطلب رطوبة أعلى من المتوفرة حاليا. الشرط الثاني هو حصول التناوب الزمني بين فترات رطوبة وجفاف يخول أكسدة الحديد وترسُّبه على شكل معادن ثانوية، منها الهيماتيت. ظاهرة مهمة بالنسبة لهذا النوع من حركية الحديد في القطاعات الترابية أنه يُلَوِّنُ التربة بالأحمر بصفة متجانسة دون تبقيع ولا عزل لأية تعقدات حديدية، مما سمح بربط الدينامية بغطاء نباتي غابوي (Lamouroux ،71). أصنف ذلك أن هذه العمليات تتم عبر أحجام كبيرة، ذلك أن الحمري يتمتع بسمك معتبر مقارنةً بجُل الأتربة المغربية.

- وكما هو الشأن بالنسبة للعديد من الأتربة الأخرى، فإن للحمري علاقات بالقشرات الكلسية التي تُعتبر ظاهرة خطيرة من الظواهر التي تعتري التترب في مجموع الشمال الإفريقي، حيث تشكل مستويات إعاقة لتجذر النبات وفي بعض الحالات كيانا توسعيا يسطو على التربة ويحل محلها (Millot et al. ,77).

تختلف علاقات القشرة بالحمري حسب الدور الذي تنتمي إليه التربة من أدوار الرباعي، مع زيادة عامة في حدّة القَشْرَنَة في الجهات الجافة من المغرب (المغرب الشرقي، تادلا، الحوز) باستثناء الصحراء بالطبع بَدْءاً بهوامشها حيث تقلّ أو تختفي ظاهرتا التربة الحمراء والقشرة معاً.

فالأتربة الحمراء الأقدم، إذا ما وُجدت في أوضاع تصونها من القشرنة، غالبا ما تتوفر على مقادير مهمة من أطيان الكاولنيت والإليت وهي بذلك تكون ضعيفة الخصوبة.

لكن عندما نجدها في مكان مُوات لاستقبال المواد النَّقيلة، والأمر صحيح كذلك بالنسبة لحمري الرباعي الوسطي، فكثيراً ما تكون كبيرة السمك، تتخللها وتغطيها تماما سحنات القشرة الكلسية التي تحمل فوقها أتربة سطحية صحلة كلسمغنيزية وضيفية.

تجدر الإشارة إلى أن هذه هي أمثل الأوضاع المستدعية للتقشير الآلي والكشف عن التربة الحمراء المدفونة التي تكون إذاك ذات قيمة زراعية عالية بوصفها مشحونة بأطيان السمكتيت. أفضل الأمثلة نجدها في الأراضي الزراعية الغنية لسايس فاس (الفاسي، 93).

- أخيراً، تتميز أحدث الأتربة الحمراء بوجودها طبيعيا مكشوفة وخالية من التكلس في جل المناطق، وأنها تمثل أهم وأوسع المجالات الزراعية داخل الأودية النهرية، من بينها المصاطب العريضة لوادي أم الربيع ووادي ورغة وغيرها كثير. عدانة هذه المستويات شديدة الاختلاط، منها الموروث الهزيل القيمة (كاولنيت، إليت، كلوريت)، وبها كذلك أطيان عالية الخصوبة (السمكتيت والفدميكوليت).

- على العموم، يُثَمِّنُ المزارعون مختلف أنواع الحمري لأنها تشترك كلها في جودة خاصياتها الآلية وارتفاع إمكاناتها من حيث الخصوبة الكيماوية. فهي بالمقارنة مع التيرس مثلا، تتمتع في مجملها بأوضاع تضاريسية تصونها من الفيضانات وبمميزات ذاتية تمنع عنها الميهة والاحتقان وبالتالي الاختناق الطارئ للمحاصيل. كما أن فلاحتها أيسرُ بسبب الخفة النسبية لأنسجتها.

توازن تركيباتها النسيجية، على سمك كاف، يخول لها كذلك ذخيرة مائية نافعة مهمة وتدبيرا طبيعيا جيدا لهذه الذخيرة خلال مجموع السنة. ولا يخفى ما لهذه الصفة من وزن خاص في السنوات الفلاحية الجافة.

وبما أن الحمري تربة غير متخصصة فهذا يعطيها صلاحية إنتاج مردود مقبول إلى جيد بالنسبة لكل الزراعات.

G. Aubert, *Cahier ORSTOM, série pédologie*. Volume 3, fascicule 3, 109 p., 1965 ; CPCS, Grignon, *Classification des sols de la commission de pédologie et de classification des sols*. 96 p., 1967 ; D. Fassi, *Les formations superficielles du Saïs de Fès et de Meknès, du*

*temps géologique à l'utilisation actuelle des sols*. Thèse Paris I - Sorbonne, 2t., 876 p., 1993 ; M. Lamouroux, *Etude de sols formés sur roches calcaires. Pédogenèse fersiallitique au Liban. Th.*, Strasbourg, Mém. ORSTOM, 1972, 56, 266 p. ; A. Laouina, *Le Maroc Nord-Oriental, reliefs, modelés et dynamique du calcaire*. Oujda, 1990, 1, 605 p. ; G. Millot, D. Nahon, H. Paquet, A. Ruellon et Y. Tardy, *L'épigénie calcaire des roches silicatées dans les encroûtements carbonatés en pays subaride, Anti-Atlas, Maroc. Sci. Géol. Bull.*, 30, 3, p. 129 - 152 ; A. Ruellon, *Contribution à la connaissance des sols des régions méditerranéennes : les sols à profil calcaire différencié des plaines de la basse Moulaya (Maroc Oriental)*. Thèse Strasbourg, Mém. ORSTOM, 54, 1971, 302 p.

إدريس الفاسي ومحمد البدراوي

**الحمري، التهامي** بن محمد بن مبارك الأوبيري نسبة إلى فخذة الأوبيرات التي تتفرع إلى فرعين : الأوبيرات الكنتور قرب اليوسفية، والأوبيرات الحمراء على بعد بضعة أميال من زيما بالشماعية. وإلى هذه الأخيرة ينتسب التهامي الحمري وبها كرس حياته للتدريس، فكان له الفضل في نشر العلم بقبيلة احمر وخصوصا القراءات، فصار شيخ القراء بحوز مراكش، ومن أشهر تلاميذه في هذا الفن الشيخ الزوين صاحب المدرسة المشهورة (مدرسة سيدي الزوين) الواقعة على بعد اثنين وأربعين كلم من مراكش.

ترك الشيخ التهامي الأوبيري مؤلفا بعنوان : *إتحاف الخل المواطى ببعض مناقب الأمام السكياطي*، والسكياطي هو رفيقه واسمه عبد الله بن علي الرجراجي وكانت وفاته عام 1244 / 1828، وكانت بين الاثنين مودة خالصة، وتعاهدا على أن من مات قبل الآخر يؤلف في ترجمة صاحبه، وهذا الكتيب يقع في أربعة كراريس، وقد أخبر المؤرخ عبد السلام ابن سودة بأن خزانته الأحمدية تشتمل على نسخة منه في مجموع دخلت لها عن طريق خزانة عبد الحفيظ الفاسي.

توفي عام 1246 / 1830.

ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، ص. 297 و847 و849 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 1 : 176 ؛ رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، 3 : 94.

محمد ماگامان

**الحمري، محمد** بن عبد الله، وتدعوه الوثائق كذلك الحميري. نسبة إلى احْمَر أو حمير، القبيلة العربية المشهورة التي تحدها عبدة من الغرب، ودكالة من الشمال والرحامنة من الشرق.

أول وثيقة تحدثنا عن المترجم جاءت على لسان الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي حين قدَّم الحمري على أتباعه الناصريين بمراكش، مكان الحاج بوستة ؛ الذي قال بصدد عزله : "فلم نر له عيبا، وإنما أشفقنا على دينه وحاله ... فإننا لم نعزله عن سخطه، لكن محبة فيه ..." والرسالة موجهة إلى أهل مراكش ؛ وهي مؤرخة في منتصف رجب عام 1118 / أكتوبر 1706 (*رسائل ناصرية*، ص. 55) وليدعم مكانة مقدمه، كتب رسالة إلي ولاة الأمر والعمال بمراكش وأحوازها يوصيهم به خيراً يُستفادُ منها مكانة الحمري الكبيرة لدى شيخ الناصريين، وبعدها أكد عليهم باحترامه بيّن حظوته لديه فقال : "فإنه منا وإلينا، دمه دمنا، ولحمه لحمنا، له مالنا، وعليه ما علينا، ومن آذاه فقد آذانا، ومن وقّره فقد وقرنا .." (م. س. ن. ص. 98) وبذلك صار الحمري من كبار مقدمي الزاوية الناصرية ؛ حتى إن الفقيه أحمد بن سليمان الرسموكي - وهو تلميذ ناصري راسخ القدم في العلم - كان يتودد إليه سعيا في التقرب منه.

ووجه إليه الحسين الشرحيلي رسالة - نيابة عن الشيخ - ينوه به ويثني عليه، ويخاطبه بما يلي : "لأن هذا الأمر [أي التقديم على الفقراء] لم يكن بمرأى منك ومسمع، وإنما غبت حتى اختارك الله له واقبله ..." (م. س. ص. 56) ؛ أي ينبغي أن يكون في مستوى المهمة المنوطة به، في زاوية مراكش الناصرية. ويعدد الشيخ أحمد ابن ناصر شروطاً يجعلها بمثابة تعليمات تربط بين المقدم والأتباع، فيقول : "واسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم سنة وأحياها، وأخمد بدعة وأماتها، وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" (م. س. ص. 52) وبذلك يكون الحمري نموذجا للمقدم الناصري الذي يضطلع بنشر هذه الطريقة.

وقد تبلور دوره خاصة حين انبرى إلى الذب عن الطريقة الناصرية والمنافحة عنها، لما انفصل عنها أبو العباس أحمد الشرادي المتوفى عام 1160 / 1747 (*نشر المثاني*، 4 : 59) فقد انزعج الناصريون في مختلف جهات المغرب بسبب ذلك انزعاجا كبيراً ؛ لما قد يترتب عنه من سريان مفعوله إلى فرع الطائفة بمراكش ؛ لا سيما وأن دعوة الشرادي قد لاقت قبولا بين سكان المدينة ؛ كما يلوِّح إلى ذلك الحمري في رسالة أجاب بها أحمد بن عبد القادر التاستاوتي (*طلعة المشتري*، 2 : 116 - 118). هذا في وقت كان فيه شيخ الناصريين ببلاد الحجاز، لأداء فريضة الحج، سنة 1121.

وقد تصدّى مقدم الناصريين بمراكش إلى الرد عن رسالة التاستاوتي، مبينا أن المنشقين شردمة قليلة لا يتجاوز عددهم تسعة قائلا : .. وأماما طرق سمع سيدنا من التبديل .. إنما وقع لرهط تسعة، ولا يخفى عليك ما في التسعة، منهم رجل دباغ حاد عن الطريق وزاغ، يقال له ابن زيد ومازال في عمايته يزيد، والمتفقه السيد إبراهيم الخراص، وهو يزعم فيمن رجع إليه أنه من الخواص، والسبعة الباقون من الغوغاء الأخلاط، الذين لا يُعتدّ بهم في حل ولا رباط .." (*طلعة المشتري*، 2 : 118 ؛ *إعلام المراكشي*، 6 : 17).

وقد طمأن الحمري التاستاوتي بأن أهل مراكش ما يزالون متشبثين بأذيال شيخهم أحمد ابن ناصر ؛ بل لم

تزدهم دعوة الشرادي إلا تمسكا بطائفتهم، وتماسكا فيما بينهـم ؛ ولم تزحزحهم عنها قيد أنملة ؛ عضوا عليها بالأيدي والنواجذ ... لا يبغون عنها حولا، ولا يريدون بها بدلا .." (*طلعة المشتري*، 2 : 116).

ومن ثم يعتبر الحمري أن ما طرق أسماع الناصريين في بعض الجهات من الانحراف عن الطائفة الناصرية لا عبرة به، إذ أنه لا يعدو أن يكون من باب التهويل الذي لا يؤبه له (م. س. ن. 118) ويتضح مما سبق أن الحمري كان من بين مقدمي الناصريين الذين نافحوا عن طائفتهم بكل ما أوتوا من قوة.

وإذا كنا لا نعرف شيئا عن مستوى الحمري من الناحية العلمية، فإننا نستطيع أن ندرك مدى مبلغه من العلم، من خلال الرسائل التي كتبها إلى كل من شيخه أحمد ابن ناصر، وأخيه في الطريقة أحمد بن عبد القادر التاستاوتي. إذ نستوضح منها جميعاً أن الرجل كان متفقها، بل ربما من علماء زمانه. ذلك لأن اللغة التي يكتب بها رفيعه والأسلوب جميل متقن ؛ يطغى عليه السجع الذي لا نلمس فيه أي أثر للتكلف أو التمحل ؛ تبدو سجعاته محكمة، تطغى عليها أحيانا العفوية. أما مضامينها فتنبئ عن اطلاع واسع في عدة فنون كالفقه والتصوف والأدب لأنها ترشح بالتضمينات التي تبين عن إطلاع واسع. ومع ذلك يظل محمد بن عبد الله الحمري من الأعلام المغمورين، إذ لولا انخراطه في سلك الناصريين وتصدره للتقديم بزاوية مراكش لبقي من المجاهيل. وكما نجهل تاريخ ولادته، نجهل كذلك تاريخ وفاته، لكننا على يقين من أنه كان حيا سنة 1121 / 1709.

*الرسائل الناصرية*، مخطوط ؛ *الروض الزاهر*، مخطوط، خ. ع.، 187، ق ؛ *الدرة الجليلة*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ ع. إبراهيم، *الإعلام* ؛ علي أنكام، *قصر زاوية تامگروت*.

أحمد عمالك

**الحمرية للأهنية**، إحدى الوليات الصالحات بمدينة أسفي خلال القرن الثالث عشــــر (19 م) كانت لها خبرة في علاج الأطفال ومعرفة واسعة بمختلف الأعشاب. توفيت عام 1280 / 1863 ودفنت بمقبرة حي الرباط التي ظلت تعرف "بمقبرة للأهنيّـة الحمرية" إلى أن زالت هذه المقبرة قبل عشرين سنة تقريباً. وكان على قبرها حوش للتمييز مزارة خاصة من طرف النساء. يوجد قبرها الآن بمقبرة "بوديس".

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، ج 2، مخطوط.

عبد الرحيم العطاوي

**حمرية مكناس**، هضبة خصبة تقع شرق مدينة مكناس بين وادي ويسلان وبوفكران جرت فيها أحداث تاريخية مهمة، وغرسها المولى إسماعيل زيتوناً وحبّسها.

ولم تكن تعرف بهذا الاسم في العهود السابقة لفترة حكم المولى إسماعيل، فقد وصفها صاحب *الاستبصار* ـ وهو معاصر للموحدين ـ وصفاً لا ذكر فيه لكلمة حمرية قال : "وأحدث فيها الأمر العالي بحائر عظيمة في نهاية من الاتساع، وجلب لها ماء نهرها، وأمر بغرسها زيتونا وكروماً" (*الاستبصار*، ص. 187 ـ 188)، كما سماها أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنّى بالبيذق بالكدية البيضاء : " اعلم أن الله تعالى لما أمر بخروج المعصوم من فاس نزلنا بمغيلة ... ثم منها نحو مكناسة فلما أشرفنا على الكدية البيضاء نظر المعصوم الكدية فإذا بها مملوءة رجالا ونساء" (*أخبار المهدي بن تومرت*، ص. 25). ولما ولي محمد بن عبد الله ابن وجّاج في أوائل عهد الموحدين بلاد المغرب سيفا وعملا غرس بها بحيرات أكثر غراستها الزيتون ..." كما أن ابن غازي في *الروض الهتون* (ص. 12) أشار إلى تلك الغراسات دون أن يطلق على أراضيها اسم "حمرية".

وإذا غابت كلمة "حمرية" في هذه النصوص التاريخية وغيرها التي تحدثت عن غراسات مكناس وبحائرها قبل حكم المولى إسماعيل فان الحوالات الحبسية الإسماعيلية الخاصة بمكناس أشارت إليها صراحة، فمن ذلك ما جاء في حوالة الأحباس الكبرى رقم 5 (ص. 276) في وثيقة تقويم متخلف أحد الأشخاص (علي الفتان) المؤرخة بأوائل شوال عام 1091 / أواخر أكتوبر 1680 "جميع الأرض الكائنة برأس غيل السقي المسمات بحمرية المجاورة للمشطة". ويبدو أن كلمة حمرية التي أطلقت على كل البلاد التي حبسها المولى إسماعيل استمدت اسم تلك الأرض، التي أصبحت تكوّن جزءاً منها، وذلك من باب إطلاق الجزء على الكل. كما أن ابن زيدان أشار إلى أن حمرية كانت تسمى "بأبي حفص" قبل أن يتملكها المولى إسماعيل بالمعاوضة مع مالكيها. وفي قول ابن زيدان ما فيه من عدم التدقيق، لأن أرض أبي حفص المذكورة كانت مجرد جزء فقط من الأراضي التي أصبحت تعرف بحمرية. كما أنها لم تكن في ملك شخص واحد حسب ما جاء بقلمه، وهذا ما يتضح من نص ظهير المولى إسماعيل لقائده علي بن يعقوب لينوب عنه في عقد معاوضات الأراضي التي تكونت منها حمرية (*حوالة أحباس المساكين*، رقم 3، ص. 67 ـ 68).

بل إن محتويات هذا الظهير تؤكد أن أرض حمرية تكونت من مجموعة من الأراضي بعضها كان في ملك المولى إسماعيل أو بيت المال، والبعض الآخر كان ملكا للأحباس أو لبعض الأشخاص، ثم انتقلت بالمعاوضة مع مالكيها، ومنها : الأراضي الكائنة براس غيل المسماة بحمرية وأرض أبي حفص وأرض سهب الطبال المجاورة لها وأرض الشلوكي وغيرها. (يمكن الاطلاع على المعاوضات *بحوالة أحباس المساكين*، ص. 10 ـ 68 ـ 76، أو رقية بلمقدم، "*أوقاف مكناس* .." ج 1، ص 268 ـ 274).

وبعد أن تم تجميع أراضي حمرية أمر المولى إسماعيل

بغرسها زيتونا وتحبيسها. فقد وردت الإشارة إلى ذلك عند أبي القاسم الزياني في *البستان الظريف في دولة أولاد مولانا إسماعيل ابن الشريف* (ص. 188) : "فقد كان عنده بجنان حمرية مائة ألف شجرة من الزيتون حبسه على الحرمين الشريفين".

وكان إنتاج حمرية قبل ذلك لا يقتصر على الزيتون بل يشمل أنواعا كثيرة من الفواكه الصيفية والخريفية والورد مما كان له غلة جليلة كما كانت فيها أرض بيضاء للخضر والكتان تكترى بمال جسيم (ابن غازي، *الروض*، ص. 12).

وأمر المولى إسماعيل بجرّ الماء إليها من وادي بوفكران وسط جدار ضخم وأحاطها بسور. ومع ذلك يبقى أمر تحبيس حمرية من قبل المولى إسماعيل في حاجة إلى المزيد من التأكيد، لأنه لم يرد في الحوالات الحبسية ما يشير إلى ذلك التحبيس، خاصة وأن ظهيري تحبيس المولى محمد بن عبد الله لها ليس فيهما ما يؤكد أنها كانت محبسة من قبل، بل نص صراحة على أنها من أملاك السلطان : "اقتضى نظره السديد ورأيه الموفق الرشيد أن خرج عن بعض ما يحبه من ماله، رجاء ثواب الله ونواله، وهو جميع الغابة من الزيتون المسماة بحمرية ... فجعلها حبسا في سبيله ..." (*حوالة الأحباس الكبرى والاحمدية* رقم 7 ص. 255).

وقد حل الخراب بزياتين حمرية بعد وفاة المولى إسماعيل وعلى حد قول الزياني : "ومرت عليه هذه العصور والفتن والفترة والناس يحطبون منه "( *البستان*، ص. 188) إلى أن بويع السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 ـ 1790) فأمر بإصلاح ما حل بها من خراب وإعادة غرس ما أتلف من أشجارها وجر الماء إليها من وادي بوفكران ثم جدد تحبيسها بتاريخ 28 ذي القعدة 1184 / 15 مارس 1771 وصرف مستفاد غلتها على المساجد داخل القصبة والأروى وقصبة هدراش وبريمة، ولصالح ما هو من المساجد داخل المدينة محتاج، وما يفضل عن ذلك يبعث لمكة والمدينة، ثلثه الواحد لمكة، وثلثاه الاثنان للمدينة المشرفة (*حوالة الأحباس الكبرى*، رقم 5 ص. 318).

ثم أعاد السلطان النظر في هذا التحبيس فأصدر في 2 جمادى الأولى عام 1193 / 18 ماي 1779 ظهير تحبيس آخر حدد بموجبه حصة كل من الجهات المنتفعة، فقسمت حمرية إلى قسمين، أولهما وهو الواقع شرق الهضبة للحرمين الشريفين، تختص المدينة المنورة بالثلثين ومكة المكرمة بالثلث، بينما عين النصف الثاني حبسا على الجامع الأعظم بمكناس على أن يصرف جزء من مستفاده على روضة مولاي علي الشريف وروضة أبي زكرياء الحبان ويخصص قدر من زيته لضريح مولاي إدريس بفاس ومولاي أبي يعزى.

بقيت وضعية حمرية على حالها إلى أن دخل الفرنسيون مكناس (8 يونيو 1911) وتقرر ـ لضروريات دفاعية وإدارية ونفعية ـ بناء مدينة عصرية خاصة بالأوربيين، فوقع الاختيار على هضبة حمرية لتبنى فوقها تلك المدينة.

وضع المهندس هنري پروسط Henri Prost رئيس مصلحة المدن وتنظيمها أول تصميم للمدينة الجديدة فوق هضبة حمرية (15 ـ 1916) قبل أن تتمكن الإدارة الفرنسية من تسوية وضعيتها العقارية مع الأحباس. وأسندت مهمة الانجاز للكولونيل پويميرو Poeymirau فعمل على تنفيذ المشروع باتفاق مع بلدية المدينة وشرع في البناء في صيف 1917.

لم يكن الحصول على أرض حمرية المحبسة بالأمر الهين نظراً لوضعيتها العقارية، ولذلك أخذت الإدارة الفرنسية تتحايل لإيجاد صيغة قانونية تمكنها من الاستحواذ على أرض حمرية، وراحت تبتكر الخطط التي تمر عبرها مشاريعها مثل نزع الملكية للمصلحة العامة وتنمية العمران، والمعاوضات النقدية، وتفويت مساحات شاسعة من أرض حمرية لمصلحة الأملاك المخزنية، وعرفت المحاكم صراعا طويلا بين الأحباس والأملاك المخزنية التي ادعت أن نصف أراضي حمرية هو ملك لها، وعندما صدر الحكم لصالح الأحباس كانت معظم أراضي حمرية قد فوتت، ونجح الفرنسيون في إقناع السلطان مولاي يوسف بإصدار ظهائر تجعل أرض حمرية قابلة للمعارضة والبيع، صدر أولها في يوليوز 1917. وفي 17 أبريل 1918، صدر الظهير الخاص بتجزئة أرض حمرية إلى أحياء خاصة بالسكنى والتجارة بالتسقيط، وأخرى بالصناعة والتجارة بالجملة : "أذنا في تجزئة مساحة الأرض المعروفة بحمرية هناك المحكوم بملكية جميعها لجانبي الأحباس الكبرى المكناسية وأحباس الحرمية الشريفين .."

وقد تهافتت الإدارة الفرنسية المدنية والعسكرية وكذا الشركات والجمعيات والخواص على اقتناء أراضي حمرية مقابل تعويضات نقدية بسيطة تراوحت بين 1.50 سنتم سنة 1918 م و10 سنتيمات سنة 1928 للمتر المربع. وهذا التعويض النقدي هو أقل بكثير مما بيعت به الأراضي التي أقيمت عليها المدن الجديدة في باقي المدن الأخرى، لأن حمرية بمكناس كانت محبسة، فلم تعرف المضاربات العقارية.

ويبدو من نصوص معاوضات أراضي حمرية بالحوالة الحبسية رقم 8 (ص. 400 ـ 790) أن الجزء الأكبر من تلك المعاوضات تم في الفترة ما بين 1920 ـ 1930 وهي المرحلة التي عرف فيها المعمار بأرض حمرية أقصى توسع له. وقد فازت مصلحة البلدية وإدارة الشؤون الحربية ومصلحة الأملاك المخزنية وشركة سكة حديد طنجة بالنصيب الأوفر من أراضي حمرية، فقد تمكنت مصلحة البلدية ـ مثلاً ـ في سنة 1922 من أن تستولي على جل القطع المجزأة من أرض حمرية بالمعاوضة النقدية مع الأحباس.

انطلق البناء فوق هضبة حمرية اعتماداً على تصميم "هنري بروسط" الذي قسم حمرية إلى أحياء ومناطق

متخصصة، وهذا ما تؤكده ظهائر التجزئة "تجزئة قسمتين منها تعرف إحداهما بمحج وهي المعدة للسكنى والتجارة بالتفصيل، والأخرى بحمرية وهي المعدة للصناعات والتجارة بالجملة ..."

وقد مر بناء حمرية بمراحل تمتد أُولاها من 1918 إلى 1921 وقع التركيز فيها على تلبية الحاجيات الملحة كالأمن والنقل والتطبيب والتعليم، واختارت المصالح البلدية المنطقة التي أطلق عليها معسكر پوبلان Camp Poublan وحاولت أن تجعل منه حيا جميلا وأنيقا صالحا لأن يتوسط المدينة، خصصت مساكنة الأولى للضباط وضباط الصف والجنود وعائلاتهم، ولم يلبث أن توسع شرقا مكونا الحي العسكري.

دشنت نهاية هاته المرحلة من قبل المقيم العام بالمغرب المرشال ليوطي والجنرال بويميرو الحاكم العسكري للإقليم صحبة شخصيات أخرى في 15 ماي 1921 في حفل رسمي أقيم بقصر بناني، فكانت الانطلاقة الرسمية للتوسع العمراني الذي شمل فيما بعد الإقامات السكنية والأحياء الإدارية والتجارية والصناعية إضافة إلى المدارس والملاعب الرياضية والسوق والمسرح البلديين.

كانت المرحلة الأولى قصيرة ولهذا لم تظهر معالم معظم المنشآت التي وضعت لبناتها إلا في المرحلة الثانية 1921 - 1930 مرحلة التوسع الحقيقي للبناء فوق هضبة حمرية، تميزت بظهور عدد من المؤسسات الإدارية الفرنسية تجمع في هندستها بين الطابع المعماري المغربي والأوربي من بينها حتى حدود 1927 :

- المسبح البلدي، مقر بلدية الاقليم، بنك الدولة، محطة القطار، مجمع التبغ، مكتب بريد المدينة الجديدة، ثانوية بويميرو.

وبموازاة هذه المنشآت العمومية تم بناء مجموعة سكنية فردية (ڤيلات) ومشتركة (عمارات) من أشهرها عمارة "ماص"، كما منحت سنة 1922 أراضي في حمرية لجرحى الحرب لإقامة سكنهم الخاص.

وحوالي عام 1930 برزت مبانٍ جديدة هامة منها المكاتب المركزية لشركة خطوط السكة الحديدية طنجة فاس، والمؤسسة الخيرية قطرة الحليب La goute de lait والمحكمة وعمارة الغرف التجارية والفلاحية والمعهد الموسيقي، وهكذا اكتملت المصالح الأساسية للمدينة العصرية فوق هضبة حمرية في نهاية 1931.

وفي المرحلة الثالثة 1931 - 1940، شيد قصر البلدية وقصر العدالة ومركز البريد، كما شيدت بشمال وشرق المدينة ثلاث مجموعات معمارية :

- جناح مستشفى من 450 سرير، وثانوية للذكور مع داخلي للتعليم التقني تسع 1200 تلميذ، ومجزرة تحتوي على مخزن ومستودع للتبريد.

وفي هاته الفترة تم تشييد مجموعة فندقية : Volubilis، Exelscior و Continental Moderne Touring و Trans-atlantique كما بنيت مجموعة من الدور العسكرية بعد أن تمكنت إدارة الهندسة العسكرية من الحصول على قطعة أرضية من أرض حمرية مساحتها 24 هكتارا و88 آرا و33 سنتيار بالمعاوضة النقدية مع نظارة الأوقاف بمكناس بتاريخ 12 مارس 1932.

وانطلاقا من بداية المرحلة الرابعة 1941 - 1952 أسس المكتب الشريف للسكنى الذي ركز مشاريعه العمرانية في بناء العمارات الكبيرة للاوربيين. وبنهاية هاته المرحلة 1952 كانت معظم معالم مدينة جديدة ذات طابع أوربي قد شيدت على هضبة حمرية، وتمكن الفرنسيون من أن يقيموا فوق هضبة حمرية المحبسة ذات الزياتين مدينة عصرية بكل مقوماتها وخصوصياتها الأوربية.

أ. البيدق، *أخبار المهدي*، ص. 25 ؛ *حوالة الأحباس الكبرى*، رقم 5، ص. 176 ؛ *حوالة الأحباس الكبرى والاحمدية*، ج 2 ص. 255 - 257 ؛ *حوالة الأحباس الكبرى*، رقم 8، ص. 400 - 790 ؛ *حوالة أحباس المساكين*، رقم 3، ص. 10 و67 - 68 ؛ أ. الزياني، *البستان*، ص. 188 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 : 172 - 173 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون*، ص. 12 ؛ م. المنوني، *التخطيط المعماري لمدينة مكناس*، *مجلة الثقافة المغربية*، ج 7، ص. 34 ؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس*، 1 : 168 - 376 ؛ *أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية*، ص. 69 - 88.

رقية بلمقدم

**الحمزاوية** (الزاوية -) أو زاوية سيدي حمزة نسبة للشيخ حمزة بن أبي سالم عبد الله العياشي (ت. 1130 / 1717). الزاوية الحمزاوية عبارة عن قرية صغيرة تقع في الأطلس الكبير جنوب مدينة ميدلت، وتحدها من الشمال الغربي السفوح الجنوبية الشرقية لجبل العياشي، ومن الجنوب الغربي قمة جبل أفداير، وبذلك تنفتح أكثر على الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية في اتجاه تافيلالت ومدينة الريش، حيث تمتد أهم خطوط العبور القديمة.

أعطت هذه البيئة الجغرافية الجبلية للزاوية حصانة طبيعية، كما وفرت لها ثروة مائية هامة مستمدة من ثلوج القمم أو من المياه الجوفية التي تغذيها مجموعة من العيون والأنهار الصغيرة لا سيما النهر الذي يحمل اسم الزاوية ويعدّ من أكبر روافد واد زيز. ويمكن اعتبار نفس المؤهلات عند الحديث عن دوافع الاستقرار البشري في المنطقة وقد كان لاستقرار أحد أفراد الأسرة المؤسسة للزاوية. دور في تكوين مجتمع القرية، وفي القيام بعدد من الوظائف الدينية والتعليمية قبل أ ن تتوج مجهودات أحفاده بحدث تأسيس الزاوية العياشية سنة 1044 / 1635 أسسها الشيخ مَحمد بن أبي بكر العياشي (ت. 1067 / 1656) من أجل إرشاد قومه وتربيتهم ونسبت إليه في البداية، ثم عرفت باسم ولده أبي سالم العياشي قبل أن تستقر شهرتها باسم حفيده حمزة. وإذا كان الحديث عن مؤسسة صوفية لها

تاريخ متميز في الأطلس الكبير الشرقي يقتضي الإلمام بظرفية التأسيس وأصول التنظير وكيفية الممارسة فإننا نكتفي في هذا السياق بالإشارة إلى نقطتين أولاهما طريقة الزاوية وأدوارها، وثانيهما اعتناء أبنائها بجمع الكتب وتأسيس مكتبة كانت ومازالت تعد من المكتبات النموذجية في عصرها.

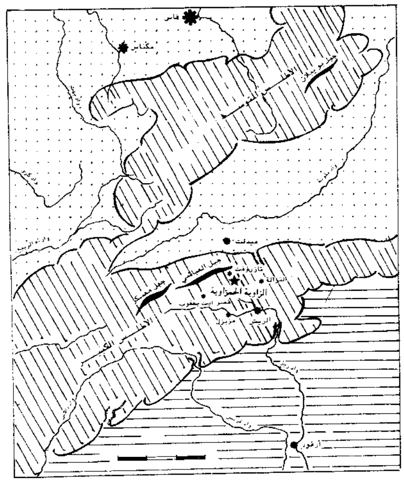

موقع الزاويه الحمزاوية

تتصل أسانيد طريقة زاوية سيدي حمزة بالشيخين محمد بن سليمان الجزولي وأحمد زروق، وهي من الطرق الشاذلية البسيطة التي تتناسب مع طبيعة البيئة البدوية حيث يظهر من مبناها ووصفها الالتزام بالسنة، والتعلق بالرسول عليه السلام واستقلال النفوذ الروحي من أجل تشجيع المريدين على طلب العلم، والمشاركة في الأمور الدينية والتثقيفية. وإن كنا لا نعرف بالضبط صيغة الأوراد أو الأذكار التي رتبها شيوخها فإن الملامح المشار إليها تستنبط من سيرة شيوخها وعلاقاتهم مع طلبتهم، وكذلك مما سجله أبو سالم العياشي في مؤلفاته عن تعاليم الطريقة الشاذلية وخصائصها. فالشيخ المؤسس محمد بن أبي بكر العياشي تتلمذ للدلائيين وخدمهم واقتدى بهم، بل إنه أسس زاويته بإشارة منهم، الشيء الذي جعل آثار انهزام الدلائيين على هذه الزاوية حيث أمر السلطان المولى الرشيد بإقفال الزاوية الحمزاوية وتغريب العياشيين إلى فاس سنة 1082 / 1671 فقضوا سنة كاملة في المعاناة بسبب الروابط الروحية والعصبية القبلية التي تجمعهم مع الدلائيين.

أما كتب الزاوية الحمزاوية فقد بدأ وفقها أيام الشيخ المؤسس وأخيه عبد الجبار، ووقع الاهتمام بها أكثر أيام الرحالة أبي سالم العياشي الذي جلب لها مخطوطات كثيرة من المشرق، اشتراها أو استنسخها. وزاد الاهتمام بالكتب لما ولي شؤون الزاوية وُلده حمزة الذي كانت له - كأبيه - رحلات إلى المشرق. والمكتبة الحمزاوية اليوم عبارة عن حجرة صغيرة مرتفعة نسبياً توجد بها ست خزائن خشبية مختلفة الأحجام ومملوءة بالكتب.

ويظهر أن النسخ غدا عنصراً أساسياً في تقاليد أبناء الأسرة العياشية فاضطلع به أعلام وشيوخ وطلبة بلغ عددهم تسعة، وإلى جانبهم كان هناك من يقوم بالنساخة للعياشين ولزاويتهم، كما كان علماؤهم يستكتبون المؤلفات من خارج الزاوية. وإلى جانب الاقتناء والإنتاج والتلخيص والشروح مثل الاهداء مصدراً من مصارد تزويد المكتبة وهناك عدة أمثلة مشرقية ومغربية.

كان للمكتبة الحمزاوية نظام خاص، يُنصَّب قيماً توكل إليه مهمة السهر على محتويات المكتبة والمحافظة عليها من المؤثرات الطبيعية أو من الضياع بحيث كانوا يسجلون الكتب التي يُعيرونها واسم المستعير ويطالبون بإرجاعها إذا اقتضى الأمر.

وتتوفر المكتبة على فهرس قديم وضعه مؤسسوها الأولون لكن الفهرس المعتمد حتى الآن هو الذي كتبه السيد عبد النبي بن المجذوب الفاسي بتاريخ رجب 1268 / أبريل - ماي 1852 وهو محفوظ تحت رقم 245 فقد ظل معمولاً به دون سواه وهو عمدة المحافظين على المكتبة.

وبعد الاستقلال توجهت بعثتان علميتان إلى زاوية سيدي حمزة، أولاهما سنة 1961 ومكثت في مهمتها أسبوعاً وقفت خلاله على كل المخطوطات وتم ترقيم 250 مخطوطاً منها. كما وضعت للمخطوطات ثلاث لوائح استخرجت منها قائمة مطولة تشتمل على قسمين الأول للمخطوطات التي تم ترقيمها وتسجيلها. والثاني للمخطوطات التي وقع تسجيلها ولم ترقم وعددها 356، والبعثة الثانية سنة 1962 ولبثت في مهمتها شهراً كاملاً وارتفع عدد المخطوطات المرقمة إلى 584. أو 864 مجلداً وضعت في خمس خزائن بالمكتبة.


ع. العياشي، *الإحياء والانتعاش*، مخطوط ؛ م. المنوني، *مكتبة الزاوية الحمزية*، مجلة تطوان، ع. 8، 1963 ؛ ن. الذهبي، *اقتفاء الأثر*، منشورات كلية الآداب الرباط، 1996.


نفيسة الذهبي

**الحمص**، نبات حولي يسمى علميا سيسيرْ أنيُوم Cicer annuum، من فصيلة الفراشيات Papillonaceae وهو نبات حولي متفرع ذو أوراق مركبة ريشية وأزهار فراشية الشكل، وثمار فرنية يحتوي كل قرن على حبة واحدة أو حبتين من بذرة الحمص.

والموطن الأصلي للحمص هو حوض البحر المتوسط، حيث عرفت زراعته منذ أقدم العصور إذ زرعه المصريون والعبرانيون والإغريق والرومان ثم العرب. ومنها انتقلت إلى أجزاء كثيرة من آسيا وافريقيا وأمريكا الوسطى. ويزرع الحمص بالمغرب بوريا على مساحات شاسعة من الطوابق النباتية لتحت المتوسطي والمتوسطي الدافيء والمتوسطي ذات الأشكال البيومناخية شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة واستثنائيا الجافة في السنوات المطرة. أما من حيث التربة فإنه يتلاءم مع جميع أنواعها.

يعتبر الحمص من أحسن القطاني المستهلكة إذ أن بذوره مغذية جدا، وتدخل في عدد كبير من المأكولات والحلويات.

*أبحاث خاصة* ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، ترجمة، د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

**حَـــمُّ** - أورْزاگْ، سدّ تلي تمّ إنجازه سنة 1407 / 1986 لتروية الماشية وتوفير ماء الشرب. يقع جنوب الهضاب العليا الشرقية بالقرب من مركز بلغيّادة، وعلى مسافة مستقيمة تبلغ حوالي 60 كلم (جنوب شمال غرب بُوعَرْفَة) وحوالي 65 كلم (جنوب غرب تنْدْرارة). ويكتب "حَمُّ" أحياناً بالواو لكنّنا وحّدنا المداخل بدونها "حَمُّ" وأشرنا إلى من اشتهر اسمه بالواو "حَمُّو"، مثل : "حمّو أورْزاگْ".

استمد هذا السد تسميته من واد حَمُّ - أورْزاگْ الذي يوجد في العالية الشرقية لحوض گيرْ، والذي يعتبر أحد الروافد الثانوية لوادْ بوعْنان. من أهم خصائص هذا السدّ نذكر حجمه الذي يبلغ 180.000 م$^3$ من التراب المتباين، وحقينته التي تعادل 1،6 مليون م$^3$ من الماء، وعلوه عن الأساس بارتفاع 14 م، استغرقت مدة بنائه تسعة أشهر. وهو من أعلى السدود التلية المغربية تكلفة مالية (3،12 ملايين درهم) أما معدل حجم موارده المائية فيبلغ أربعة ملايين م$^3$ من الماء.

تأخذ السدود التلية المبنية أو المبرمجة أهمية خاصة في هذه المنطقة لكون مناخ الهضاب العليا قاريّاً وشبه صحراوي، يتسم صيفاً بالقحولة والحرارة المرتفعة بسبب رياح الشرگي، وشتاءً بالبرودة والعواصف الرعدية المتقطعة والقصيرة. كما أن نقط الماء متباعدة وقليلة العدد، وكل المجاري المائية الرئيسية أو الثانوية توجد في الحواشي وعلى ارتفاعات مختلفة (ملوية، زا، بُوعْنان، زُوزْفانة).

أما البحث عن مدخرات أخرى للثروة المائية الجوفية فلا زال في طور التنقيب. كل هذه الأسباب أبقت سكان البادية على نمط عيشهم الموروث المتمثل أساساً في الترحال والانتجاع عبر سهوب الشيح والحلفاء الشاسعة. يستفيد حالياً من ماء السدّ حوالي 4.200 رأس ماعز و22.000 رأس غنم.

المجلس الأعلى للماء، *السدود التّلية*، الرباط، دورة ماي، 1988.

A. Eddiani (et al.), *Evaluation économique à postériori des petits barrages réalisés entre 1984 et 1986*, Rabat, 1988 ; Province de Figuig, *Monographie de la province de Figuig*, 1993 ; Division de la cartographie, *Carte du Maroc, Bouarfa*, 1/250.000, Rabat, 1986.

مصطفى عياد

**حَـــمُّ بن الجيلالي**، قائد عسكري اشتهر باسمه، وتولّى باشوية مكناس مباشرة بعد دخول السلطان مولاي الحسن المدينة آخر شهر رجب من سنة 1296 / يوليوز 1979، فبعد أن أقام بها شهراً عزل باشاها القائد إدريس بن محمد المدعو خنيشش وولاه مكانه.

بقي الباشا حم في منصبه طيلة المدة المتبقية من حكم السلطان المذكور وجزء من فترة حكم المولى عبد العزيز، وكان هذا الباشا يشغل - في نفس الوقت - منصب قائد الجيش المخزني المرابط في مكناس، هذه المدينة التي احتفظت بطابعها العسكري منذ أن ارتقى بها السلطان المولى إسماعيل إلى مستوى عاصمة اتخاذ القرارات للمغرب كله، وكان السلطان مولاي الحسن يعتمد على هذا الجيش في كبح جماح القبائل التي لم تعد تنالها الأحكام السلطانية بالجبال الأطلسية، كذلك ظل متأهبا للمشاركة في بعض الحركات الحسنية لا ينتظر سوى إعطائه الأوامر، كما حدث سنة 1306/ 1888 أثناء تمرد قبيلة بني مگيلد بالأطلس المتوسط مما حدا بالسلطان إلى مطالبة الباشا حَمُّ بالنهوض في جيش جرار صحبة متطوعة باقي القبائل المخزنية المجاورة لمكناس (بني مطير وگروان ...) في اتجاه الجبال الواقعة جنوب المدينة قصد إعادة النظام داخل القبيلة المذكورة وتمهيد الطريق أمام محلة السلطان التي تبعت الجيوش المخزنية بعد شهر من تحركها.

وبالرغم من كثرة العساكر وقيادة الباشا حَمُّ المحنك، فقد كادت قبائل الأطلس المتوسط أن توقع بها لولا نجدة فرسان المحلة السلطانية وفكها الحصار عن الباشا وجيوشه، فكان ذلك وراء توبيخ السلطان مولاي الحسن له، إلا أن هذا التوبيخ لم يفقده مكانته أويقلل من أهميته بدليل احتفاظه بوظيفه كما كان عليه الأمر سابقا.

وبعد تولية السلطان عبد العزيز الحكم سنة 1312 / 1894، أمر بإيعاز من احماد ابن موسى (ابّا حماد) الذي صار صدراً أعظم فيما بعد، باشا مكناس حَمُّ بن الجيلاني بإلقاء القبض على أولاد الجامعي : الحاج المعطي الصدر الأعظم على عهد مولاي الحسن، وأخيه محمد الصغير وزير الحربية في نفس العهد وصهرهما العربي الزبدي واستئصال أموالهم وأثاثهم فبيعت تركتهم في العواصم المغربية.

ولما استقر الأمر لاحماد ابن موسى وأصبح صدراً أعظم، وعين إخوانه وأقاربه في المناصب الرئيسية قلب ظهر المجن للباشا حَمُّ بن الجيلاني فعزله من منصبه ونفاه إلى تارودانت التي بقي بها إلى أن وافاه الأجل المحتوم سنة 1318 / 1900، رغم السمعة الطيبة التي كان يتمتع بها عند أهل مكناس نظراً لتدينه واهتمامه بالثقافة واقتنائه لآلاف الكتب من فاس ومكناس كونت مكتبة خاصة مهمة، وعين مكانه على رأس باشوية مكناس ابنه بنعيسى.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 1 و2 ؛ ب. بوعسرية، *مكناس المدينة الجديدة، التأسيس، البنيات الإدارية، التناقضات*، 1911. 1939، دكتوراه دولة في التاريخ المعاصر، كلية الآداب، الرباط، يوليوز، 1995.

بوشتى بوعسرية

**حَـمُّ** بن **حميدة** (زاوية سيدي -) تقع هذه الزاوية ببنائها الحالي على تل منيع شرق جبل الحديد قرب مركز يسمى بئر كوات على الطريق الرئيسية رقم 8 الرابطة بين الدار البيضاء وأگادير في إقليم الصويرة، وتعد من بين زوايا رگراگة المنتسبة إلى سيدي سعيد أحد رجالات رگراگة السبعة المسموع في حقهم صحبة الرسول عليه السلام ويوجد ضريحه بموضع يدعى الشِّيحيَّة بوادي تامصت.

اشتهرت الزاوية باسم دفينها سيدي حَمُّ (مَحمد فتحاً) بن حميدة لأنه يعود له الفضل في إحياء الطائفة الرجراجية بعد توقف "دَوْرها" لمدة خمس سنوات بسبب ما بلغ المولى إسماعيل عن طريق علماء فاس من عدم صحة صحبة الرجراجيين للرسول عليه السلام، الأمر الذي دفع سيدي حَمُّ بن حميدة للرحيل إلى مكناس وإقناع المولى إسماعيل ببطلان الوشاية، فأعطى موافقته بإعادة تنظيم دور رجراجة وتجديد تقديم سيدي مَحمد بن حميدة عليهم بظهير مؤرخ بـ 22 رجب عام 1128.

وقد جدد المولى عبد المالك الشيخ ظهير والده المولى إسماعيل بظهائر أخرى منها ذاك المؤرخ بـ 20 ذي القعدة عام 1139.

ومما يذكر أن زاوية سيدي حَمُّ بن حميدة أخليت مرات عديدة بفعل النكسات التي تعرضت لها على عهد بعض قواد المنطقة أمثال القائد عبد الرحمان بناصر العبدي الذي هاجم الزاوية وهدمها بعد أن رفض مقدم هذه الزاوية السيد الطاهر بن محمد بن حَمُّ بن حميدة المتوفى سنة 1214 الرجوع عن بيعة المولى هشام، ثم بنيت وأعيد هدمها في فترة لاحقة على يد قائد آخر هو بوجمعة التلاوي. ولم يبق من بنائها القديم غير بعض الأطلال التي ما تزال قائمة إلى اليوم.

ع. الله الرجراجي السعيدي، *السيف المسلول فيمن أنكر على الرجراجيين صحبة الرسول*، 1987 ؛ م. الكانوني، *أسفي وما إليه قديما وحديثا*، 1933 ؛ *زيارة ميدانية* لزاوية حمُّ بن حميدة.

محمد گلاد

**حَـمُّ الطالب** (سيدي -) ويكتب بالواو : "حَمُّو" شاعر يتردد في الأدب الشعبي بسوس. وقلما تجد شاعراً أمازيغيا بالمنطقة لا يستشهد بقول سيدي حَمُّ، أثناء الإنشاد، ومازال الشعراء يستهلون قصائدهم بقولة :

"ءِرْحْمْك أسيدي حمُّو ءينَّا ءيگْلين"

"يرحمك الله يا سيدي حمو، قال المسكين"

وسيدي حمو، شخصية غامضة مغمورة لا نعرف عن حياته إلا معلومات قليلة وغير دقيقة. كان موضوع دراسة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب وهي مساهمة في التعريف بهذه الشخصية التي شكلت مجالاً للدراسات الأجنبية مثل (Stumme Hans 1905) ودراسة (Johnston 1907) كما أن محمد المختار السوسي أشار إلى هذا الشاعر في بعض مؤلفاته قائلاً : "هذا شاعر سوس كان فقيها بالعلوم العربية ثم فتح له في الشعر بالشلحة فقال كثيراً ونسبوا إليه الكثير، ودفن في مشهد مولاي إبراهيم في "گيگ" ويعيش في النصف الأخير من القرن الثاني عشر إلى أوائل ما بعده، وهو من جهة قبيلة "اوناين" في قرية معروفة ( *الإلغيات*، 2 : 209).

وتختلف المصادر في تاريخ ومكان ميلاد هذا الشاعر، غير أن المناطق المذكورة في هذا الصدد لا تتجاوز الأطلس الصغير وسوس، وقد يكون موطنه "آزگروز" في مدشر "تاغ گوالت" بتيفنوت برأس الواد. أما بالنسبة لتاريخ ميلاده فقد اعتمد أمرير على عدة معطيات ليرجعه إلى سنة 1118 / 1706 بينما اكتفي المختار السوسي بتحديد تاريخه ميلاده في القرنين السابع عشر والثامن عشر ( *الإلغيات*، 2 : 209).

التحق سيدي حمُّ منذ صغره بإحدى المدارس العتيقة بسوس، ليتخرج منها كفقيه، ثم تحول إلى شاعر متجول يشارك في قرض الشعر في "أسايس" عبر قبائل الأطلس الصغير وسهل سوس، والتقى بالشيخ حسين الشرحبيلي أحد فقهاء النصف الأول من القرن الثاني عشر (18 م) وفي الروايات "أن سيدي حمُّ كان تلميذاً في مَدشر "تامگوت" بقرية "اولوز" أي أنه اتصل بحسين الشرحبيلي قبل سنة 1142 التي توفي فيها. وكان هذا الأخير موجوداً في درعة في رمضان سنة 1132 / 19 ـ 1720 وفي شوال من نفس السنة في "أغلال"، وفي سنة 1134 / 1721 بفاس وفي سنة 1139 / 1726 شيد زاويته في [قرية] "أمان ملّونين" فتقاطر عليه الناس لزيارته سنة 1141 / 1728، ولما اشتهر قام بجولة عبر سوس فبنى المدارس والأسواق، وأخذ عنه التلاميذ ... ويبدو أن سيدي حمُّ اتصل بالشيخ حسين الشرحبيلي خلال تلك الجولة، وأخذ عنه في هذه الفترة كغيره من التلاميذ، فكل الروايات الشفوية المشهورة الآن تقول بذلك، وتتفق على أن سيدي حمو نبغ في الشعر بقرية "أولُوز" وبعض المصادر تذكر المدشر ذاته "تامگوت" الذي فيه مسجد مازال يذكره بعض الناس باسم "تيمزگيدان سيدي حمو" أي مسجد سيدي حمو (امرير، ص. 15 ـ 16).

عاصر سيدي حمُّ فترة مليئة بالاضطرابات والثورات خاصة في سوس أواخر حكم المولى إسماعيل وما صاحبها من ثورات انفصالية (حركة محمد العالم ـ م. زيدان) وكذلك تصادف فترة الاضطرابات التي قال عنها المختار السوسي : "ولاريب أن ما بين 1139 و1169 كان مولاي عبد الله بن إسماعيل الذي عرفناه بالانحلال والتمزق وكثرة الثوار خصوصاً من سوس حيث ثار (بوتگلا) و(المكاوي) و(الگرسيفي) (*خلال جزولة*، ج. 4 : 85).

وعاصر أيضاً فترة سيدي محمد بن عبد الله وهي فترة وإن اتسمت بنوع من الاستقرار السياسي بفضل سياسة هذا السلطان فإن المنطقة أصبحت ضعيفة اقتصاديا بإغلاق

ميناء أگادير و "تدهورت مدينة سان كروا، ولم يعد لهذا الإقليم [سوس] نفس الامكانيات" .Lemprière 1801, p) .12)

وستعكس هذه الأحداث التي عاصرها سيدي حمُّ الطالب على شعره الذي تغلب عليه الحكمة والنظرة التشاؤمية.

توفي سيدي حمو الطالب حوالي عام 1203 / 1789 بعدما ترك للتراث الشعبي بسوس ثروة شعرية تساعد الباحث في الأدب والتاريخ لمعرفة بعض جوانب المجتمع بالسوس خلال القرن الثاني عشر (18 م).

م. المختار السوسي، *الإلغيات*، ج 2 ؛ *خلال جزول*، ج 4 ؛ ع. امرير، *الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمُّو الطالب*، الدار البيضاء، 1984.

Johnston (R.L.K.N.), *The Songs of Sidi Hammou*, London, 1907 ; Stumme Hans, *Dichtkinnst und Gedichte der Schluch*, 1895 ; G. Lemprière, *Voyage dans l'empire du Maroc*, Paris, 1801.

ابن **حمُّ، عبد السلام** الوزاني - بلداً لا نسباً - ويكتب بالواو "ابن حمّو" فقيه نوازلي متمكن من فروع المذهب المالكي، درس بفاس على شيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمان العلوي، وأحمد المرنيسي ومن في طبقتهما، وتولى القضاء بمسقط رأسه وزان مدة طويلة، ثم نقل إلى مراكش وأسند إليه السلطان محمد بن عبد الرحمان بظهير مؤرخ في 4 محرم 1290 النظر في مساجين مراكش وفوض إليه أمر تسريح من يستحق منهم ذلك سواء في سجن المدينة أو سجن مصباح، وأقره الحسن الأول على القضاء والنظر في المساجين، ثم أُخر عن ذلك ورجع إلى فاس واستوطنها، واشتغل بتدريس أحكام القضاء والفرائض، وانتصب لتلقي الشهادات في سماط العدول إلى أن خرج للحج في شوال عام 1298 / غشت - شتنبر 1881. صحبة الشريف الرئيس عبد الجبار الوزاني اليملحي، وبعد إنهاء مناسك الحج توفي بمكة يوم ثاني وعشرى صفر عام 1299 / 13 يناير 1882، ووصل خبر موته لفاس في 8 ربيع الأول الموالي.

ع. السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط، ص 8 و32 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 489 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2679.

محمد حجي

ابن **حمّاد**، أسرة صنهاجية ماجدة عاشت في الأندلس والمغرب، واستقر بعض أفرادها بسبتة، وبعضهم بمراكش منهم :

ابن **حمّاد، علي** بن موسى السبتي ثم الفاسي، وُلد بسبتة عام ثلاثة وخمسمائة / 1109 م وانتقل إلى غرناطة وسكنها حين ولي أبوه موسى قضاءها. ثم انتقل بانتقاله إلى قضاء الجماعة بمراكش "وكان من أهل العلم والأدب والنباهة"

توفي بفاس عام أربعة وستين وخمسمائة / 1168.

أ. ابن القاضي، *جذوة*، 2 : 479.

محمد حجي

ابن **حمّاد، محمد** بن **علي** بن أبي بكر الصنهاجي السبتي، أصله من قلعة بني حمّاد، ويسميه ابن عبد الملك: ابن حمّادو، وابن كلا نون. أما عند صاحب *مفاخر البربر* فهو أبو الحسن بن حمادو الصنهاجي ويصفه "بالشيخ الأجل الفقيه الرئيس الأكمل، العالم الأوحد" قرأ ببلده وبجاية والجزائر وتلمسان وببلاد المغرب، وذكر ابن عبد الملك بعض شيوخه في الأندلس. ومن العلوم التي حصل عليها "علم القرآن والحديث والأصول والنحو والأدب والتاريخ ... له حظ وافر في كل فنّ من هذه الفنون" (الغبريني).

وله تصانيف متنوعة منها *برنامج* لشيوخه رآه الغبريني ؛ وديوان شعري بعنوان : *عجالة المودّع وعلالة المشيّع*، وفي التاريخ *الدباجة في أخبار صنهاجة* ذكره ابن عبد الملك وقال إنه غير كتابه *النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة في إفريقية وباجة* (وكتبت غالباً بجاية). وقد نشر المستشرق ليڤي بروڤنصال بعض ما عثر عليه من هذا الكتاب تحت عنوان " نبذ تاريخية في أخبار البربر" سنة 1933 ؛ ومن تأليف ابن حماد أيضاً *أخبار ملوك بني عبيد* المطبوع بالجزائر سنة 1927 إن لم يكن هو نفسه كتاب : *الدباجة* المذكور، وذكر عن نفسه أنه لخص *تاريخ الطبري* (الغبريني).

أسندت إلى ابن حماد مهمة القضاء في عدة مدن : في مرسية والجزيرة الخضراء، ثم نُقل منها سنة 612 أو 613 إلى قضاء رباط تازا (حسب ابن عبد الملك) ثم سلا، ثم "ولي قضاء أزمور في مدة أمير المومنين المستنصر (الموحدي) وذلك في عام ستة عشر وستمائة" *(مفاخر)*.

توفي ابن حماد سنة 29 - 630 / 31 - 1232 (حسب ابن عبد الملك) وقيل في السنوات الأربعينية وعمره ينيف على ثمانين سنة.

م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، س 8 / ق 1 / ص. 323 - 325 (ت. بن شريفة) ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، ق 3 / ص. 30 (ت. الهراس وغيره) ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، ص. 94، خ ع / ك، 1275 ؛ الغبريني، *عنوان الدراية* ... (218 - 220)، بيروت، 1969 ؛ أ. ابن قنفذ، *شرف الطالب*، *موسوعة أعلام المغرب*، 1 : 403 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ص. 167 - 292 - 386.

ابن **حمّاد، موسى** الصنهاجي الأندلسي ثم المراكشي، وُلد بالأندلس سنة ست وستين وأربعمائة / 1073 وبها درس على يد محمد بن علي الأزدي الطليطلي،

ويوسف ابن النحوي، وسليمان بن وليد، وأجازه أبو محمد ابن عتاب ما رواه بخطه.

"كان فقيها حافظاً للرأي، عالماً بالمسائل والأحكام، مقدماً في معرفتها" فأسند إليه قضاء غرناطة، وكان يعد من جلة القضاة في عصره. وعلى إثر وشاية كاذبة قرّبه السلطان علي بن يوسف بن تاشفين "ونقله إلى قضاء حضرته، وألحقه بكرامته ومبرته".

توفي بمراكش وهو قاض بها، في 23 قعدة عام 535 / 30 يونيه 1141.

ابن الزبير، *الصلة*، ص. 614، الترجمة 1342 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 288.

ابن **حمّادة، عثمان** بن سعيد السبتي، هكذا سماه القاضي عياض وذكر أنه بصري الأصل (من بصرة المغرب)، سكن سبتة، وكان من أعيان فقهائها وقال : "سمعت أنه لم يكن يقرن به في وقته بسبتة سواه، وأنه لم يكن بالمغرب أقوم منه بحجة، أُخرج عن سبتة عند دخول برغواطة بعد الثلاثين [وأربعمائة] للمنافسة التي كانت بين أهلها وبين قطانها من أهل بصرة المغرب، فسكن غرناطة"، ولم يوضح عياض نوعية هذه المنافسة. ومن المعروف أن حكم البرغواطيين لسبتة استمر إلى سنة 477 عند فتح المرابطين لها ولم يذكر تاريخ وفاته.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تح. س. أعراب، ط 1983، 8 : 74 - 85.

أحمد عزاوي

**الحمّادي**، أسرة تنتسب إلى أيت حمّادي، فخذ من قبيلة بني مطير المقيمة بناحية الحاجب، دخلوا إلى مدينة مكناس فنسبوا إليها وصاروا يدعون : الحمّادي المكناسي، وهناك أولاد الحمّادي بسلا لعل لهم صلة ببني مطير، كانوا فقهاء ومؤدبين، منهم الجيلالي بن سليمان الحمادي من فقهاء سلا وعدولها قبل عام 1250 / 1824 وولده محمد بن الجيلالي الحمادي فقيه مؤدب اتخذه السلطان المولى عبد الرحمان إماماً للصلاة به، وكان عام 1278 / 1861 ما يزال بقيد الحياة. وقد انقرض بنو الحمادي الآن من سلا.

رسوم الخزانة الصبيحية ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 11 من مقدمة الكتاب ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 11 ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 55.

**الحمّادي المكناسي، التهامي** بن حمّاد بن عبد الواحد المطيري، وُلد بمكناس وبها نشأ وتعلم ثم ارتحل إلى فاس فأخذ عن الشيوخ حمدون ابن الحاج وأحمد بن التاودي ابن سودة وإدريس العراقي والطيب ابن كيران وأضرابهم، فتخرج فقيهاً محدثاً مشاركاً، وأديباً شاعراً ناثراً. قال عنه في *إتحاف المطالع* : "كان أعجوبة الدهر في الحفظ والإتقان والتحرير والإجادة ... تولى قضاء بلده مكناس ثم مراكش، وأقرأ في مجلس السلطان الحديث، له شعر يدل على عارضة كبيرة في الأدب. كان السلطان عبد الرحمان بن هشام لا يفارقه سفراً وحضراً.

تخرج على يده الجمّ الفقير من علماء الحضرة الإدريسية وأجازهم كالطالب ابن الحاج ومحمد الكردودي والوليد العراقي، لكنه لم يخلّف تأليفاً إلا قصائد موزعة في بعض الفهارس والكناشات.

مرض بمراكش فبعث به السلطان إلى داره بفاس لكن المرض اشتد عليه في الطريق ومات برباط الفتح حادي عشر صفر عام 1249 / 30 يونيه 1833 وعمره نيف وستون سنة، ودفن بدويرة الزاوية الناصرية بحي بوقرون.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 6 : 228 - 229 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2541.

**الحمّادي المكناسي، محمد** بن حماد المطيري، فقيه مشارك مطلع كأخيه إلا أن بضاعته الأدبية مزجاة. كان يدرّس بفاس الفقه والأصلين، وممن أخذ عنه فيها العباس السجلماسي الحجرتي وترجم له في *الروض الطيب العرف* وحلاه بقوله : "شيخنا العلامة الفصيح" وذكر أنه خرج إلى الحج عام اثنين وثمانين ومائتين وألف، وأدركته الوفاة بالينبوع في الحجاز، ووصل خبر موته إلى فاس في ثاني وعشري ربيع الأول عام 1283 / 4 غشت 1866.

ع. السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب*، مخطوط، ص. 26 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2631.

محمد حجي

**الحَمّار**، عائلة استوطنت تطوان قديما ورد ذكرها عام 1122 / 1610 وقد انقرضت الآن. ومن أشهر المتأخرين منهم :

**الحَمّار العربي**، المطرب المبدع كان من أصحاب الشيخ عبد السلام ابن ريسون بتطوان، ومن الملازمين لمجلسه وأمهر العازفين على آلة الرباب. يحكي أن شيخه المذكور أعطاه الآلة وأمره أن يعزف وهو لا يعرف فأخذها وعزف كأحسن ما يكون العزف، ومن ذلك اشتهر بجودة العزف على الرباب فكان لا يجاري في ذلك يذكرون هذا كرامة للشيخ المذكور.

توفي في حدود عام 1370 / 1950.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج 3 حرف ح. مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، نسخة المؤلف بخطه بخزانته بتطوان.

محمد بوخبزة

**الحمّام** بالمغرب، كانت الحمامات الخصوصية إلى عهد قريب قليلة جدا، إذ كانت الحمامات العمومية هي الوسيلة الرئيسية للنظافة، فكان المغاربة ذكوراً وإناثا يرتادونها من عدة قرون مرة أو مرتين في الأسبوع. كانت هذه الحمامات ومازالت جزءاً لا يتجزأ من المرافق العمرانية الحضرية التي لا تستقيم حياة المدينة العربية الإسلامية بدونها شأنها في ذلك شأن المسجد والسوق وفرن الحي وغيرها. لذلك لم يكن في الإمكان تصور أية مدينة بدون حمام مهما صغر حجمها. أما الحواضر الكبرى فكانت تضم العشرات من الحمامات الصغرى والمتوسطة والكبرى، بل كانت الأحياء المكتظة فيها تتوفر على حمامين أو أكثر تقع معظمها بالقرب من المساجد أو غير بعيد عنها لما للعبادة عند المسلمين من علاقة مباشرة بالطهارة.

أضف إلى ذلك أن الحمام كان يعتبر في نظر عامة الناس وخاصتهم إحدى نعم الدنيا التي لا تكتمل الحياة بدونها فكان الكثير من الناس يرتادونه للاستمتاع فيه بالسخونة والاسترخاء والنظافة. إنه بالنسبة إلى السواد الأعظم من أهل الحواضر بمثابة "الطبيب الأبكم" الذي يعالج شتى أمراض البرودة والمفاصل والجلد وغيرها، وقد ثبت عند السلف أنه "يذهب الدَّرَن (الوسخ) والوصب (المرض) وينظف البدن ويبيِّض الوجوه وينفع المريض والحائض والنفساء" ( *الآيات النفاعات*، ص. 23).

وكان جل الناس يفضلون الذهاب إلى الحمام ليلة الجمعة وقبيل الأعياد الدينية وغيرها من المناسبات الدنيوية ويتمنون الصحة والعافية لمن قضى منه وطره. لكن فئة قليلة من الحضريين كانت تفضل ألا تشارك العموم في الحمام فكانت لا تذهب إليه إلا صحبة الأسرة والعائلة ومن إليها من المقربين بعد اكترائه لمدة ليلة بكاملها، يقول ابن أبي زرع بأن مدينة فاس كانت تحتضن ثلاثة وسبعين حماما (*القرطاس*، ص. 48) ويذكر الوزان أن عدد الحمامات فيها وصل إلى مائة (*وصف إفريقيا*، ص. 229). وقد وجد الأجانب فيها قبل الحماية واحداً وعشرين حماما كانت في ملك الأحباس وأقل من عشرة في ملكية الخواص. وبتزايد عدد سكان هذه المدينة تزايد عدد حماماتها التي تجاوزت ثلاثين حماما سنة 1942 ثمانية منها في ملكية الخواص والباقي في ملكية الأحباس تُكريها بالمزاد العلني لمدة سنة واحدة أو نصفها.

يصف الحسن الوزان حمامات مدينة فاس في مطلع القرن العاشر (19 م) فيقول : "وإذا أراد أحدهم أن يستحم في هذه الحمامات دخل من باب أول إلى قاعة باردة ثم من باب ثان إلى قاعة ثانية أشد حرارة ومن هنا يدخل إلى قاعة ثالثة أشد حرارة من الثانية حيث يوجد مرجل محكم البناء" (*وصف إفريقيا*، ص. 229) مما يدل على أن التغيير لم يصب بنية الحمامات العمومية في سائر الحواضر المغربية فظلت على حالها كما كانت من عدة قرون إلى الآن.

يباشر العمل في الحمامات العمومية مجموعتان من العمال تشتغل المجموعة الأولى داخل الحمامات والثانية خارجها. أما المجموعة الداخلية فتضم زيادة على "الجلاَّسين" المكلفين باستخلاص رسوم الدخول "الكيَّاسين" المكلفين بإحضار الماء للزبون وغسل جسمه بدءاً من دلك الأطراف ومسد الأعضاء الأساسية إلى حك الظهر والبطن وفرك العنق والساقين والفخذين. يدعى هؤلاء العمال أيضاً "العمَّارين" و"الكسَّالين" و"الطيابين".

ويتكون العاملون خارج الحمامات من "الوقاد"، وهو شخص مسؤول عن تسخين الحمام والسهر على توفير المياه الضرورية للاستحمام والتحكم في فتحها وإغلاقها عند الطلب. يسمى هذا الشخص في مدينة فاس "السخَّان" وفي مراكش والرباط وغيرهما من مدن المغرب "الفرنتشي" أي صاحب الفرن وأصلها "الفرندجي" (مثل القهوجي وغيرها) ذات النبرة التركية انقلبت دالها إلى تاء. وقد كان الناس يكلفون هذا الشخص بشيِّ رؤوس الأغنام والأبقار وأكارعها والسهر على طهي بعض المأكولات الشعبية اللذيذة على نار فرن الحمام كأكلة السَّقط و"الطنجية" و"الطاجين" وغيرها.

وكانت الرباط في سنة 1944 تتوفر على سبعة عشر حماما أكبرها حمام السوق وحمام العلو وحمام القصري وحمام الشرفاء وحمام أكدال وحمام الأودابة زيادة على خمسة حمامات بمدينة سلا (*مجالس الانبساط*، ص. 49).

أما عدد الحمامات بطنجة فكان لا يتعدى سنة 1906 أربعة حمامات لكنها كانت كلها من النوع الكبير الذي يتقاطر عليه الوافدون من شتى أنحاء المدينة، ويتعدى المستحمون فيها مائتي شخص يوميا في المتوسط في الأيام العادية. وكانت حمامات طنجة تتميز عن غيرها من حمامات المدن الأخرى بأنها كانت كلها ملكا للخواص من أعيان المدينة كالحاج محمد الطريس نائب السلطان بطنجة والتاجر الشهير مصطفى الدكالي وغيرهما من الأثرياء وذوي الحيثيات.

أما أهل البوادي وسكان المناطق النائية فكانوا يلجأون عند الحاجة إلى الاستحمام إلى مكان معين في فناء إقامتهم ينصبون فيه خيمة أو يرصون فيه مخبأ ً يثبتون أركانه بما يوجد من عيدان وأخشاب ويغطونه بالأفرشة الثقيلة والأردية الضرورية ويحكمون إغلاقه. بعد ذلك تقوم السيدات بتسخين هذا المكان بمختلف أنواع الوقود القوية الالتهاب وتضع في أحد جوانبه كومة من الأحجار وتباشر إذكاء النار أسفلها حتى تكاد أن تتحول إلى شُهب بركانية. وعندما يدخل المستحم يجد نفسه وكأنه في حمام حقيقي لا فرق بينه وبين حمام الحاضرة إلا في المظهر الخارجي فما عليه إلا أن يرش الأحجار الملتهبة أو بعضها ليتصاعد منها بخار كثيف يملأ جنبات المكان ويغري بالاغتسال. يتخذ هذا الحمام البدوي الطارئ عدة أسماء

تختلف باختلاف المناطق، فهو يدعى "حمام العروسة" في الغرب و "المتروسة" في الشاوية ودكالة و "البرّاية" في الرحامنة و "سَكّنى" أو "السَّكّنية" في عبدة و "تالمياضيت" في سوس و"تاحمامت" في الشياظمة وحاحة.

ولقد تطور واقع الحمّام في الحواضر والبوادي وخاصة في العقود الأخيرة وبدأت الحمامات تنتشر في القرى البدوية، وتندرج الحمامات الخصوصية ضمن التصاميم الأساسية في المنازل الحضرية.يشهد على هذا التطور عبد الفتاح كليطو فيقول : "إن حال الحمام اليوم تغير كثيراً عن حاله بالأمس. فقد اختفى نقل الغبار بواسطة الدواب وحلت محله الأخشاب التي أصبحت تنقل بالشاحنات وتراجعت الأخشاب والحطب بدورها لفائدة وقود البنزين وأصبحت أوعية الحمام الخشبية ودلاؤه من قصدير وبلاستيك، وعوض مرجل الحمام الذي كانت تغطس فيه الأقباب لا ستخراج الماء بصنابير في كل الغرف، وأصبحت درجات الحرارة في جميع قاعات الحمام متساوية فلم يبق هناك فرق يذكر بين "البارد" و"الوسطي" و"الساخن" وتغيرت نظرة الناس إلى الحمام وبعدما كان جل الناس يتسابقون إلى الاستمتاع بنعمته أصبح الكثيرون منهم على العكس يفضلون الابتعاد من نقمته، ففقدت سخونة الحمام دفئها، ورحلته المادية والمعنوية معناها مما قد ينذر بقرب نهاية الحمام كمرفق عمومي ومعلمة من معالم العمران الحضري المغربي.

أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*. باريس، 1965 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الجزء الأول، الرباط، 1983 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الجزء الأول، القاهرة، د. ت ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط، 1986 ؛ ج. الكتاني، *الآيات النفاعات فيما يتعلق بالحمامات*، مخطوط، خ. ع رقم 2942 ك ؛ ع. الكتاني، *تبليغ الأمانة في مضار الإسراف والتبرج والكهانة*، مخطوط، خ. ع. رقم 2729 ك.

Y. Montlahuc, *Les oudaïas bastion des corsaires de Salé*, Casablanca, 1980 ; L. Brunot, *Textes arabes de Rabat*, tome 1, Paris, 1931 ; L. Assy (et al..), *La vie familiale à travers ses rites*, Paris, 1980 ; A. Kilito, *Architecture et sacré, une saison au hamam*, in *Le Maroc espace et société*, Passau, 1990 ; E. Pauty, *Les hamams de Rabat-Salé*, *R.A.*, 1944 ; E. Secret, *Les hamams de Fès*, *Bull. de l'Inst. hyg.du Maroc*, vol. 2, 1942 ; A. Louis, *Le hamam au Maghreb*, *E.I.*, tome 3, p. 148 ; E. Michaux-Bellaire, *Description de la ville de Fès*, *A.M.*, 1907 ; H. Terrasse, *Trois bains mérinides au Maroc*, Paris, 1950.

محمد بوسلاّم

**الحمَّام** أو "حمَّام زَيَان" تجمُّع سكني صغير بالأطلس المتوسط لإقليم خنيفرة في الجهة الوسطى الجنوبية، تسكنه بالأساس أسرٌ من فخذة آيت بُوعريف. يقع على ارتفاع 1172م فوق سطح البحر، ويتموضع عند قدم إفريز الجزء الغربي من الأطلس المتوسط الهضبي الكلسي المشرف على الهضبة الوسطى، وعند نهاية طريق صغير مسدود متفرع عن الطريق الوطنية رقم 24 الرابطة بين فاس ومراكش عبر بني ملال.

كان مركز الحمام في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) شأنه شأن تجمعات أخرى لآيت سگوگو على شكل "قصبات" علي طول الوديان بالجزء الجنوبي من المحاط السگوگوي. تم احتلاله من طرف القوات الفرنسية سنة 1917 خلال غزوها لمنطقتي الهضبة الوسطى والأطلس المتوسط.

وإذا كان الحمام قد شكل بين الخمسينيات والسبعينيات أحد مراكز أيت سگوگو الرئيسية، فلا يظهر أن حجمه كان كبيراً قبل ذلك ولو أن الإدارة الاستعمارية اختارته كنقطة لمراقبة القبائل، الشيء الذي فرض خلق مرافق إدارية وعسكرية "ومع بزوغ فجر الاستقلال أصبح الحمام جنة فيحاء يعج بالحيوية والحركة ... يشتمل على قيادة ومحكمة، وثكنتين عسكريتين للقوات المساعدة والقوات المتنقلة، ومدرسة ومستوصف ومقر لطبيب بيطري ومركز لنسل الخيول ... وتزايد عدد سكانه ولم لا وهو الذي يحكم آنذاك ما يقارب 18 مشيخة ... لكن مع مطلع السبعينيات بدأ الحمّام يتراجع أمام مركز مريرت الذي أصبح مقر السلطات الإدارية والنشاط التجاري للمنطقة.

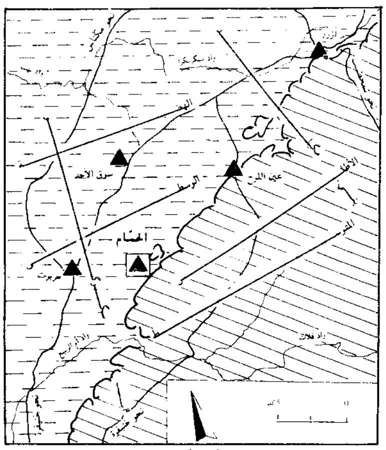


الحمّام (الأطلس المتوسط)

أما النشاط التجاري في الحمَّام فيبقى ضعيفا جداً، بحيث يفتقر إلى سوق أسبوعية ولا نجد به سوى عشرة دكاكين مستقرة. وباستثناء حداد واحد لا نجد هناك حرفيين آخرين مما يعني غياب الصناعة التقليدية.

ويعتمد سكان الحمَّام بجانب مواردهم المحلية على موارد قادمة من بعيد على شكل معاشات للمتقاعدين، وحوالات من الجنود والموظفين، والعمال في الخارج من أبناء القرية.

ونظراً للنقص الحاصل في الخدمات بعين المكان وفي إمكانيات الشغل ولتطلعات السكان وتطور حاجياتهم وكذلك لتوفر بعض الإمكانيات المادية لدى العديد من

الأسر، يلاحظ أن علاقات سكان الحمام بمريرت وبخنيفرة تعرف تطوراً سريعاً نلمسه من خلال أهمية وتنوع وسائل النقل انطلاقا من الحمّام. فالتنقل يتم بواسطة سبع سيارات أجرة وحافلة للمسافرين وأربع سيارات شحن خاصة للنقل السري.

إن فهم ما آلت إليه وضعية الحمام غير ممكن بدون اعتبار مجموعة من العوامل لبعضها صبغة جغرافية ولبعضها صبغة اقتصادية وللبعض صبغة اجتماعية ـ سياسية ـ فالحمّام يعاني من عزلة نسبية بسبب موقعه ولا يسجل ظاهرة دينامية اقتصادية وديموغرافية من شأنها تحريكه وتنشيطه، إذ جل الأراضي جبلية تشغلها الغابة ويستعملها السكان الذين لهم كثافة ضعيفة للرعي. ومما زاد في تفاقم وضع القرية فقدانها للتجهيزات والمرافق الإدارية والخدماتية بسبب منافسة مريرت التي تستفيد من موقعها على الطريق الرئيسي رقم 24 وتُوسُّعُ من دائرة نفوذها عن طريق السوق والإدارة والخدمات المتنوعة، وبسبب الصراعات الداخلية بين الأسر والأشخاص ذوي النفوذ الذين تتضارب مصالحهم. وأمام هذه المعوقات فلا يظهر أنه من السهل إعادة الحيوية إلى هذا التجمع وجعله ينتعش من جديد ويشع على ظهير اللهم إذا توفرت النيات الحسنة والإرادة السياسية وتضافرت جهود المنتخبين والمسؤولين الإداريين. ولعل إعادة فتح القيادة سنة 1995. أول مؤشر لتحولات إيجابية لاحقة.

كتابة الدولة في التخطيط والتنمية الجهوية، مديرية الإحصاء، الرباط، *السكان القرويون حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1971*، المنطقة الوسطى الجنوبية، مجموعة س. المجلد الثاني، دجنبر 1973 ؛ وزارة التخطيط، مديرية الإحصاء، الرباط، *السكان القرويون حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1982*، المنطقة الوسطى الجنوبية ؛ حَمَّام زَيان ـ مريرت، *من قلعة للمقاومة إلى أطلال تغازلها اللقالق*، *جريدة الاتحاد الإشتراكي* ليوم 7 غشت 1991 ؛ *بحث ميداني* بمساعدة بعض المستشارين الجماعيين، مارس، 1995.

G. Beaudet, *Types d'implantations humaines en pays Zaïan, R.G.M.*, n° 8, 1965, p. 49 - 60 ; *Les Beni M'guild du nord : Etude géographique de l'évolution récente d'une confédération semi nomade, R.G.M.*, n° 15, 1969, p. 3 - 80 ; Bendaoud, *Notes sur le pays Zaïan, B.S.G.M.*, n° 9, 1919, p. 21 - 56 et *A.B.*, vol. II, fasc. 3, 1917, p. 276 - 306 ; S. Guennoun (Capitaine), *La montagne berbère : Les Aït Oumalou et le pays Zaïan.*, Paris, 1929 ; S. Nouvel, *Nomades et sédentaires au Maroc*, Paris, 1919 ; M. Pillant, *Note contributive à l'étude de la confédération Zaïan. A.B.*, Vol. IV, 1919 - 1920, p. 88.

محمد كربوط

**الحَمَّامي**، نسبة إلى أولاد الحمَّام أسرة ريفية من قبيلة تمسمان بإقليم الناظور استوطنت تطوان قديما ومازالت موجودة بها بقلة. اشتهر من أفرادها مقدَّمون للجهاد وقواد كبار كان عليهم الاعتماد في الفتوح الكبرى التي تمت على عهد السلطان المولى إسماعيل.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج 3 حرف ح مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، حرف ج، نسخة المؤلف بخطه بخزانته بتطوان.

**الحَمَّامي، أحمد** بن حدُّو الريفي المعروف بالقايد أحمد الريفي، أحد وجوه أسرته المجاهدة التي مازالت إلى الآن بتطوان وطنجة، ومنهم أولاد ابن عبد الصادق الذين كانت فيهم القيادة والحسبة بطنجة منذ فتحها أسلافهم واستردوها من يد الإنجليز إلى أن استقل المغرب، وفي تطوان مازالت دار سكنى القائد الحمّامي معروفة بالزنقة المضافة إليه (زنقة القايد أحمد) بحي (الطرنكات) الشهير، وربما التبس على الناس بقريبه الشهير الذي جاء بعده الباشا أحمد بن علي صاحب القصر الكبير (القصر الملكي الآن) والمسجد المسمى باسمه (جامع الباشا) بتطوان.

ولاه السلطان مولاي اسماعيل عمالة تطوان وناحيتها بعد القضاء على نفوذ أولاد النقسيس عام 1084 / 1673. كان في ولايته نافذ الكلمة ـ كأنه خليفة عن السلطان ـ في عدة مناطق من شمال المغرب وظل كذلك إلى وفاته، وكان له أخ يسمى عُمر وابن عمه علي بن عبد الله والد الباشا أحمد. وفي هؤلاء الثلاثة (المترجم له القائد وأخيه عمر، وابن عمه علي بن عبد الله) كانت تنحصر رئاسة المجاهدين الذين كان السلطان مولاي إسماعيل يعتمد عليهم لقيادة الجيوش ورئاستها لجهاد الأفرنج وتحرير ما اغتصبوه من موانئ المغرب وأراضيه.

ففي عام 1092 / 1681 كان فتح المهدية التي كانت تسمى قبل ذلك المعمورة، حاصرها المجاهدون وضيقوا عليها الخناق، فاشترط الإسبان حضور السلطان لتسليم المدنية وكان بمكناس فأعلم وحضر واستنزل رئيس النصارى، فاستأمن ونزل مع أصحابه وكانوا ثلاثمائة وستة نفر، فأمنه السلطان وسيق الأسرى إلى مكناس للعمل في المباني السلطانية، وأحرز المجاهدون من أهل سلا ومن أهل الريف والفحص الغنيمة واقتسموها، وكان فيها عدد كبير من المدافع والمهارس، أمر السلطان بجرها إلى مكناس، وبعد الفراغ توفي القائد عمر أخو المترجم له موبوءاً في طريقه إلى تطوان فتولى قيادة الجيوش بعده المترجم له.

وفي عام 1095 / 1683 حاصر المجاهدون من أهل الريف بقيادة المترجم له مدينة طنجة التي كان خوان السادس مالك البرتغال قدَّمها هدية مع أخته إلى ملك الانجليز كرلوس الثاني أول سنة 1074 / 1663. وظلت إلى أن حاصرها المجاهدون، ففر منها الإنجليز بحراً على حين غفلة، وهدَّموا أحسن ما فيها من مبان، ودخلها المجاهدون في ربيع الأول عام 1095 / فبراير ـ مارس 1684 فوجدوها خالية فأعمروها وبقيت بيد أبناء القايد علي بن عبد الله الحمامي يتوارثون

حكمها إلى أن نكبهم السلطان مولاي عبد الله بعد مقتل الباشا أحمد بن علي المذكور، ثم عادوا إليها ومازال عقبهم بها إلى الآن.

وفي عام 1100 / 1688 حاصر المترجم له مع ذويه ثغر العرائش، ونازلوا الإسبان ضاربين أروع أمثلة البطولة والاستماتة إلى أن فتحوها يوم الأربعاء 18 محرم الحرام عام 1101 / 2 نونبر 1689 واستولوا على غنائمها ومعداتها الحربية العظيمة وأسروا ألفا وثمانمائة أسير سيقوا إلى مكناس للعمل مع الأسرى الآخرين في بناء القصور السلطانية، وأمر السلطان مولاي إسماعيل القائد الحمّامي أن يبني بها مسجداً وحماماً ومدرسة وداراً له بقلعتها، وأسكن بها أهل الريف تحت رئاسة المترجم له، وبعد ذلك بسنة شارك المترجم له في فتح أصيلا حتى تم.

وبعد هذه الفتوحات التي كان لصداها وقع عظيم في نفوس المغاربة المسلمين، نهى السلطان عن لُبس النعال السُّود التي لبسها الناس حزناً على استيلاء الإسبان على مدينة العرائش التي كان المأمون السعدي قدمها لهم، وأمر السلطان بلُبس النعال الصفر ذات اللون السارّ، كما ساهم المترجم له بجهد كبير في حصار سبتة الذي دام سنين طويلة وكانت على وشك الاستسلام لولا تراخي القُواد وتهاونهم حتى لايؤمروا بالتوجه لفتح البريجة (الجديدة) وقد طال بُعدهم عن أهليهم الشيء الذي جعل السلطان يتهمهم بعدم النصح والتخاذل. وكان المترجم له تولى قبل ذلك شراء كثير من العبيد لاسترقاقهم بأمر السلطان من جميع أنحاء المملكة لتجنيدهم الإجباري، وهي قضية العبيد الحراطين المشهورة التي امتُحن بسببها عدد من الفقهاء لامتناعهم من الإفتاء بجواز ذلك.

وقد انفرد المؤرخ سكيرج التطواني بذكر سبب وفاة المترجم له - وما أراه يصح - وهو أن المترجم له كتب إلى الإسبان بسبتة أن يرسلوا له قميصاً مسموماً، من لبسه سقط لحمه عن عظمه، فبعثوا إليه به، فأودعه صندوقا وحمله هدية للسلطان، فكتبت زوجة القائد بذلك إلى السلطان سراً، فلما حضر بين يديه وقدم الصندوق هدية، أمره بفتحه ففتحه فوجد القميص فأمره السلطان بلُبسه، فلم يسعْه إلا ذلك، فمات، ثم قال السلطان لأهل تطوان : من تريدون أن نوليه عليكم ؟ قالوا : نريد من يريده سيدنا، فقال : من طلع علينا الساعة نولّه عليكم، فطلع القائد علي بن عبد الله الحمامي ابن عم القائد حدو. ولقصة القميص هذه رواية أخرى يرويها أولاد لوقش. والسكيرج يسمي هذا القائد حدو وهو والد القائد أحمد، فلعل القصة - إن صحت - تتعلق بحدو والد المترجم له إلا أن المؤرخين لا يذكرون لهذا ولاية.

توفي المترجم له عام 1125 / 1713 ولم أقف على موضع وفاته ومدفنه، والغالب أنه بتطوان أو العرائش، والمترجم له، وأخوه عمر، وابن عمه علي بن عبد الله، وابنه الباشا أحمد رموز في الجهاد والبطولة والتضحية تحتاج إلى دراسة خاصة.

ع. السلام سكيرج، *نزهة الاخوان في تاريخ تطوان*، مخطوط، ص. 10 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 30 ـ 35، طبع مصر ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم الخماسي*، 1 : 134، ط. جديدة على الحروف بالمغرب ؛ م. الشرقي، *الحلل البهية*، ص. 62 ـ 63، مخطوط؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 66 ؛ ت. الوزاني، *تاريخ المغرب*، 2 : 79، ط. تطوان.

محمد بوخبزة

**الحَمَّامي، أحمد** بن **علي** الريفي المعروف بالباشا أحمد الريفي. كان مشاركاً لأبيه آتي الترجمة في رئاسة المجاهدين بالثغور الهبطية. فساهم في فتح المهدية وطنجة والعرائش وأصيلا. ولمّا مات والده ثبته المولى إسماعيل في منصبه كعامل على طنجة ومنطقة الشمال كلها وقائد للمجاهدين المحاصرين لسبتة ومفوض في الشؤون البحرية وافتداء الأسرى، فكانت له مراسلات مع الحكومات الأجنبية ومفاوضات مع مبعوثيها.

كانت بينه وبين قائد تطوان الفقيه الأديب عمر لوقاش نفرة وعداوة مستحكمة جعلته يزحف على المدينة بعد موت المولى إسماعيل لكن لوقاش برز له في أهلها وهزمه شر هزيمة.

بقي صاحب الترجمة مبعداً عن تطوان إلى أن تولى المولى المستضيء فلم يقدم عليه أحد من تطوان للمبايعة ؛ فاغتنمها الباشا أحمد الريفي فرصة للإيقاع بخصمه الفقيه عمر لوقاش فدس إلى السلطان بأن غريمه قد شق عصا الطاعة وطمع في الملك ؛ فما كان من السلطان إلا أن أمره بالزحف على تطوان للإيقاع به وبأهلها ففعل وهدم أسوارها وقتل الكثير من أعيانها، ونظمها في سلك ما كان مستولياً عليه، وبنى بها دار الإمارة واستقر هناك.

واستمراراً منه في تأييد المستضيء ضد أخيه المولى عبد الله زوّجه ابنته وحاولا معاً دخول مدينة فاس في المحرم من سنة 1156 / فبراير - مارس 1743، لكنهما انهزما أمام جيوش المولى عبد الله وانتهبت محلتهما، وأقسم صاحب الترجمة ألا يأكل لحماً ولا يشرب لبناً حتى يدخل فاساً وينهبها كما انتهبوا محلته.

ولما كان شهر جمادى الأولى من سنة 1156 / يوليوز 1743 خرج أحمد الريفي من طنجة قاصداً فاس، ولما سمع به المولى عبد الله استنفر سائر شيعته وخرج بهم لمواجهته فالتقى الجمعان بموضع يسمى المنزه غير بعيد عن القصر وأصيب الريفي وانهزم جيشه واحتُز رأسه وحمل إلى فاس وعلق بباب المحروق واجتمع الناس لرؤيته من كل فج، واستولى المولى عبد الله على متاعه وخزائنه، فكان الظفر بها من باب الظفر بالكنوز القارونية كما

يقول صاحب *الاستقصا*.

م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، 6 : 2136 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 115 ـ 117 ـ 153 ـ 160 ـ 166 ؛ *S. I. H. M* المجموعة الفرنسية الثانية، 6 : 500 ـ 512، الهامش 3.

**الحَمَّامي، علي** بن **عبد الله** الريفي، والد الباشا أحمد سابق الترجمة، ونظراً لشجاعته ولاه السلطان منصب عامل على تطوان والقصر وسائر بلاد الغرب، وقيادة عمليات الجهاد ضد النصارى في الثغور الشمالية المحتلة.

وفي ربيع الأول من سنة 1095 / فبراير ـ مارس 1684 عقد له المولى إسماعيل على جيش المجاهدين ووجهه لحصار طنجة، فضيقوا على من بها من النصارى وطاولوهم إلى أن ركبوا سفنهم وهربوا في البحر بعدما خربوها، وشرع القائد على بن عبد الله الريفي في بناء ما تهدم من أسوارها ومساجدها في فاتح جمادى الأول من السنة.

وفي تاسع وعشري صفر عام 1107 / 9 أكتوبر 1695 نادى السلطان بالجهاد وعيَّن صاحب الترجمة على رأس القوات النظامية وجيش المتطوعة لحصار سبتة الذي استمر سنين متعددة دون تحقيق المراد وذلك لمناعة المدينة، ولعدم وجود أسطول قوي يمكّن من حصارها بحراً ومنع وصول الإمدادات المتكررة إليها والتي كانت تصل من اسبانيا والبرتغال وحتى من انجلترا وفرنسا خوفاً من سقوطها حتى إن المفاوض الفرنسي آنذاك القنصل إستيل Estelle اعتبر هذا السقوط، إن تم، كارثة على النصرانية.

لم تكن الشجاعة وحدها هي ما عُرف به القائد علي بن عبد الله الحمامي لدي الخاصة والعامة، بل كانت ثروته كذلك مضرب الأمثال، إذ ملك أجود الأراضي وأوسعها بالمنطقة وجعلها حكراً على ماشيته ودوابه التي كانت لا تعد ولا تحصى، زيادة على الأموال الطائلة التي جناها من مشاركته في العمليات التجارية المختلفة مع التجار الأجانب واليهود في تطوان والقصر، وفي العمليات القرصنية وتجارة الرقيق من الأسرى.

ـ قام علي الحمَّامي إلى جانب مهامه العسكرية بمهام دبلوماسية كذلك، ذلك أن المولى إسماعيل أعطاه في جمادى الثانية عام 1108 / يناير 1697 تفويضاً عاماً للنظر والتفاوض في الشؤون البحرية والملاحية مع الأجانب، فباشر هذه المهام إلى أن مات ليلة 6 شعبان عام 1125 / 28 غشت 1713 وخلفه ابنه أحمد المعروف بالباشا أحمد الريفي سابق الترجمة.

م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، 5 : 1946 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 17 ـ 64 ـ 67 ـ 78 ـ 115 ؛ *S. I. H. M* المجلد الثاني، 270، الثالث، 357، السادس 500.

محمد مرزاق

**حمَّاني**، (سيدي -) بن محمد بن عزوز المباركي العليوي، يعرف بسيدي حمّاني وبولد غنيمة، كان رجلاً صالحاً فاضلاً من أهل الديانة. من أتباع الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الذين يترددون عليه باستمرار. ويظهر أن الرجل كان هو مقدم الزاوية الكتانية بقبيلتي أولاد علي والمراكشية بالشاوية. ولذلك بني زاوية صغيرة في الحدود بين القبيلتين المذكورتين إلى الشرق من قرية عين السبيت التابعة لدائرة الرماني. وقد أشارت استخبارات جيش الاحتلال إلى بناء متهدم بقي كأثر من الزاوية. ويبدو أن تهدم الزاوية كان نتيجة للاحتلال نفسه. ذلك أن سيدي حماني، كان منذ احتلال الشاوية يدعو المجاهدين لقتال الفرنسيين بتحريض من شيخه الكتاني الذي تبادل معه عدة مراسلات في موضوع الجهاد.

توفي سيدي حماني حوالي عام 1357 / 1938.

م. ابن سودة، *قبيلة زعير*، جزء 1 ؛ *تحريات ميدانية*.

علال الخديمي

**الحَمَّاية**، إنشاد يغنى مع رقصة الگدرة بمنطقة وادي نون، وهي رقصة ذات أبعاد دلالية ورمزية كبيرة. و"الحمّاية" هي تلك الكلمات الموزونة التي ينشدها أفراد الجوقة، ويغنونها بناء علي الإيقاع الخاص بالرقصة.

وتكتسى "الحَمَّاية" صبغة دينية وأخرى غزلية. ومن خلال الأولى يتبين مدى ارتباط رقصة الگدرة بالمارس الديني، حيث إن قانون الرقصة يحتم أن تبدأ الممارسة بإنشاد الحَمَّاية التالية :

ويا نبي اللـــــهْ　　أشفع لي يا رسول اللــهْ

إذ يردد فريق من أعضاء الجوقة شطرها الأول ويردد الفريق الآخر شطرها الثاني. وهذه الحَمَّاية هي ما يسمى في الرقصة ب "السباب" إذ تفتتح بها جولات الرقصة المتتالية.

وتعتبر الحَمَّاية ذات الصبغة الغزلية هي الأكثر ترديداً في الرقصة كما أنها تشكل مجال إبداع مستمر، ومنها على سبيل المثال :

ويَـا عْريـش البَـنَـــانْ　　خَـلِّ زَيْنَـك ذاكْ يْبَـــانْ
رأي : يا غـصنْ الـحــوز　　دَعْ جمالـك يتبـــدَّى
وبالرگبة يـــا الـغــــزالْ　　كيف اللُّبّان إلـى بَـــانْ
رأي : أيها الجيدُ جيد الغـزال　　مثـل تمظْهُـر اللبَـــان

إنَّ القيمة الإبداعية للحمَّاية في رقصة الگدرة ترتبط أساساً بالجمالية التي تكتنزها اللهجة الحسانية أحياناً في بعض عباراتها وإيحاءاتها.

ويثير مفهوم "الحَمَّاية" هذا مسألة هامة تتعلق بارتباط رقصة الگدرة بالنار كعنصر ضمني ورمزي يتحكم في الممارسة. فأدواتها الموسيقية التي يُضرب عليها لإحداث إيقاع خاص يوجه الرقصة هي في الأصل إناء للطبخ مرتبط بالنار أصلبا، كما أن الممارسين الذين يتقنون

هذه الرقصة يسمون هم أيضاً ب "النار" والحَمّاية دلاليا تعني فضاء أو أداتها توقد النار أو تشعلها. والشخص الذي يمارس رقصة الگدرة هو نفسه يسمى : "الحمّايْ" وهذه كلها كلمات ترتبط بحقل دلالي يعني الحرارة المفرطة (الحمّانْ) أو الاشياء والفضاءات المشتعلة (حامي - حامية).

*معرفة شخصية ميدانية.*

محمد جوماني

## حَمُّو ← حَمّ

بنو **حَمُّود**، أمراء أدارسة ينتسبون لجدهم حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس الأزهر، حاولوا لآخر مرة، وبعد سقوط دولتهم الثانية بالريف إثر مقتل ابن عمهم الحسن ابن گنون عام 375 / 985، أن يقيموا دولة إدريسية في الأندلس. لما اضطربت أحوالها واضطرمت فيها نار الحرب الأهلية أوائل القرن الخامس (11 م). وكان علي ابن حمود الإدريسي آنذاك حاكماً لسبتة، وأخوه القاسم ابن حمود والياً على الجزيرة ومالقة، فولّت بعض الأحزات المتنافسة علي بن حمّود قيادة الجيش المغربي في الأندلس ثم بايعوه بالخلافة في قرطبة في شهر محرم عام 407 / يونيه 1016 وتلقب بالناصر. ولم يلبث عليّ أن اغتيل بعد عامين، فخلفه أخوه القاسم بن حمّود ولقب بالمامون، لكن خرج عليه ابن أخيه يحيى بن علي، وتمكّن الأمويون بسبب هذا الخلاف من استرداد دولتهم لمدة قصيرة، ولم يحتفظ يحيى سوى بالجزيرة ومالقة، وطنجة وسبتة في العدوة المغربية. ثم عادت قرطبة إلى طاعته مرة أخرى لكن ثار عليه والي إشبيلية ابن عباد وجرت بينهما معركة قتل فيها يحيى (427 / 1036) وبذلك انتهت خلافة بني حمّود في قرطبة.

كان إدريس بن علي ابن حمّود أميراً على سبتة وطنجة فاستدعاه أنصاره إلى مالقة وبايعوه بالخلافة بشرط أن يولّي الحسن بن يحيى القتيل على سبتة وطنجة، وتلقب بالمتأيد بالله وظلت منطقة نفوذه بالأندلس محصورة في مالقة والجزيرة ورندة إضافة إلى الثغور التي يحكمها ابن أخيه في العدوة المغربية، إلى أن توفي سنة 431 / 39 - 1040. فخلفه في مالقة ابنه يحيى بن إدريس، وفي سبتة بويع الحسن بن علي ابن حمود - ثالث الإخوة - وكثرت الفتن والتقلبات السياسية وانقسمت أسرة بني حمود إلى فرعين : أبناء القاسم وأبناء علي، ولو أن الخلافة الرسمية ظلت في أبناء علي. ولما بايع أمراء البربر إدريس بن يحيى بن علي بمالقة سنة 434 ولّى على سبتة وطنجة رجلين من عبيد أبيه من بورغواطة سقّوط ورزق الله، وتكاثر المبايَعون والمعزولون والمقتولون من بني حمود، وانتهى أمر آخرهم محمد بن إدريس بن يحيى الملقب بالمستعلي بالخروج من مالقة التي سقطت في يد ملك غرناطة والتوجه إلى مليلة حيث استمر حاكماً بها إلى أن مات عام 460 / 1067 وبذلك انقرضت دولة بني حمود (الدولة الإدريسية الثالثة والأخيرة) بعد أن عاشت بين مد وجزر زهاء ستين سنة.

ع. الواحد المراكشي، *المعجب*، سلا، 1938، ص. 30 - 43 ؛ ع. ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، بولاق، 1274 ؛ إ. أبو الفداء، *المختصر في أخبار البشر*، القاهرة، 1325 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1958، 4 : 330 - 336 و6 : 455 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 1 : 431 - 435 ؛ ي. أشباخ، *إسبانيا والبرتغال في عهد سيادة المرابطين والموحدين*، تر. عبد الله عنان، تطوان، 1939، 1 : 32 - 37 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 186 ؛ إسماعيل العربي، *دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة*، بيروت، 1983، ص. 225 - 276.

محمد حجي

**الحَمُّود** أو الحمُّودي، أسرة تطوانية أندليسة عربية شريفة تنتسب إلى بني حمود الأمراء الأدارسة سابقي الذكر، ومن فروعهم : العَلْويون - بسكون اللام - نسبة إلى علي بن حمود تفرقوا بعد ذهاب دولتهم، ثم بعد سقوط سبتة، فسكنوا قرية تسمى باسمهم قرب تلمسان بالجزائر ولعلهم أول من سكنها تسمى : (العَلْويين) وربما قيل لهم هناك : (الحمامدة). ومنهم جماعة سكنت مدشراً سمي باسمهم أيضاً : (العْلاَوية) بقبيلة الحوز قرب تطوان. استوطنوا تطوان قديما ومازالوا بها، اشتهر منهم الفقيه العدل الميقاتي الموسيقي الحاج أحمد بن محمد العلْوي الحمّودي الملقب كأبيه وجده : المريبطو، وغيره كثير.

أ. المريبطو، *المآثر الجليّة، في رجوع نسب أولاد العلوي للشعبة الحمودية الإدريسية الحسنية* ؛ أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، ج 3 حرف ح مخطوط.

محمد بوخبزة

**حَمُّوش**، أسرة ريفية عريقة، انتقل في القرن الثالث أو الرابع الهجري فريق منهم إلى مكناس يوم كانت ماتزال عبارة عن مجموعة حوائر منها حارة بني حمّوش الذين زصبحوا اليوم يعرفون بالحمامشة (*إتحاف*، 1 : 57) (أولاد حميش)، ودخل فريق آخر منهم إلى الأندلس بعد فتحها، فكان منهم فقيه قرطبة الكبير مكي بن أبي طالب حمّوش الذي عدّد ابن غالب في كتابه *فرحة الأنفس* مؤلفاته فبلغت سبعة وسبعين، منها كتاب *الهداية إلى بلوغ النهاية* في التفسير في عشرة أجزاء.

**حَمُّوش، رحمة** بنت محمد بن الطالب حمُّ، مقاومة ولدت سنة 1324 / 1906 بالخندق إحدى فرق مدينة البهاليل

القريبة من صفرو، والمعروفة لدى أوساط المقاومة وجيش التحرير برحمة البهلولية. تزوجت لأول مرة بنقيب الزاوية القندوسية بصفرو عبد السلام القندوسي لتتعلم منه مبادئ الفضيلة وحب الوطن ولتنجب منه ولداً ذكراً أطلقت عليه اسم لهبوب القندوسي. وبعد سنتين على وفاة زوجها اقترنت بمقاوم يدعى علي بن محمد زرع فيها بذور المقاومة والنضال ضد الاستعمار الفرنسي.

وفي سنة 1373 / 1953 هاجم المقاومون ثكنة الجيوش الاستعمارية بسيدي بوسرغين بصفرو "Fort Prioux" وغنموا الكثير من الأسلحة والعتاد الحربي أودعوه بأحد الإصطبلات بضواحي المدينة. وكان أحد هؤلاء المقاومين المدعو الحسن البرنوصي العضو النشيط بطليعة عباس الفگيگي، كما أنه كان يسكن نفس البيت الذي تسكنه المقاومة رحمة حموش والمعروف حتى الآن بدار القندوسي بحي سيدي أحمد التادلي بصفرو، وهكذا أصبحت دار رحمة مقراً سرياً لرجال المقاومة تعقد فيه الاجتماعات ويأوي إليه المناضلون. ولمّا تجلت صعوبة نقل الأسلحة المغنومة من الإصطبل غير المأمون لوجود القوات الاستعمارية وجواسيسه عبر المدينة وضواحيها، تطوعت رحمة للقيام بنقلها إلى بيتها، وهكذا كانت تدس الأسلحة

وسط كومات الحطب، وتمر لمرات أمام الأضواء الكاشفة للجيوش الفرنسية وكأنها بدوية همها جمع الحطب. ويُذكر أنها كانت آنذاك في فترة نقاهة نتيجة عملية قيصرية حديثة العهد، فانحلّت غروز بطنها لثقل الأسلحة التي تنقلها إلى بيتها فتودعها في سلال الغلل من قمح وشعير، أما الرشاشات والبنادق فتحشرها في ملاحيف الصوف إلى حين مطالبة المقاومين بها. بل إن بعض الأسلحة بقيت مخزونة بدار هذه المقاومة إلى أن أهلّ فجر الاستقلال على المغرب وعاد المغفور له محمد الخامس من المنفى حيث سلم المقاومون تلك الأسلحة المتبقية إلى الجهات المسؤولة بالرباط.

وقد نالت رحمة حموش بطاقة المقاومة سنة 1379 / 1959 ولبّت نداء ربها بتاريخ 15 جمادى الأولى عام 1408 / 5 يناير 1988 ودفنت بمسقط رأسها البهاليل.

*شذرات من ملف المقاومة ؛ بحث ميداني.*

الحسين البعاوي

**حَمُّوش، محمد** بن محمد الريفي الفاسي، اشتهر بالفقيه حمّوش. ولد بفاس عام 1338 / 1919، وبها نشأ ودرس على جملة من الشيوخ المتصدرين للتدريس، وأشهرهم آنذاك عبد الرحمان ابن القرشي والعابد ابن سودة ومحمد العراقي سيدهم ومحمد بن سليمان العلوي وعبد الله الفضيلي.

عيّن مدرسا في النظام بالقرويين، وعزل لنشاطه الوطني في حوادث المطالبة بالاستقلال سنة 1944، وسجن مع جماعة من الوطنيين الفاسيين بسجن علي ومومن. وفيه كتب كناشة أدبية في نحول ثلاثمائة صفحة من الحجم الصغير، سماه كما في أعلى الصفحة الأولى : "*دفتر عين علي مومن* لصاحبه محمد بن الحاج محمد الريفي حموش سيجن بعين علي ومومن تحت عدد 12328 في 28 محرم عام 1364 / 13 جانڤي سنة 1945".

تتضمن *الكناشة* مختارات أدبية وعلمية وتاريخية مما قرأه المترجم في السجن من كتاب *البيان والتبيين* للجاحظ، و*تفسير المنار* لرشيد رضى. وفيه كذلك من أخبار السجناء الوطنيين وماعانوه مع السجانين الفرنسيين، من ذلك تهجم رئيس السجن المدعو كونطي الذي شتم الدين الإسلامي والقرويين وعلماءها وطلبتها، فحرر السجناء رسالة احتجاج من إنشاء الوطني السجين الطاهر غلاب وجهوها إلى جلالة الملك وإلى المقيم العام، أثبت الفقيه حموش نصها في كناشه، وهي بتاريخ رابع دجنبر سنة 1944.

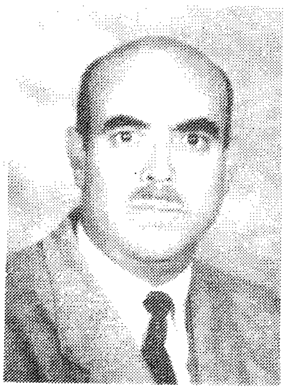

وبعد الاستقلال أعيد إلى منصبه العلمي وأخذ مجلسه من جديد بين شيوخ التدريس بالقرويين إلى أن أحيل على المعاش. وقد أصيب في آخر عمره بمرض لم يمهله طويلا فأسلم الروح إلى باريها بمسقط رأسه فاس يوم الأحد 24 محرم عام 1410 / 27 غشت 1989.

م. حموش نفسه، *دفتر عين علي مومن*، مخطوط ؛ *رسوم ووثائق عائلية وإدارية.*

محمد حجي

**الحمُّومي**، أسرة من أولاد حَمُّ الذين هم في عداد أولاد جامع النازلين معهم في بلاد لمطة خارج باب عجيسة من فاس، ينتسبون إلى الشرف ويصلون نسبهم بالأمير محمد بن إدريس بن إدريس الأكبر. دخل بعضهم مدينة فاس وبيتهم فيها بيت علم ومجد وديانة وتصوف وكرم وأريحية، نبغ فيهم عدد من العلماء ورجال التصوف، ورأسهم أحمد بن الحسن الحمومي آتي الترجمة أخذ عن شرفاء وزان وخرج سنة 1150 مع قبيلته أولاد جامع من بلادهم لمطة لما أصابها الجفاف، ولم يعد لما عادوا، واختار الاستقرار في بني زروال بفرقة بني إبراهيم حيث بنى الزاوية المسماة بالزاوية الفوقانية أو العليا لتلقين الأوراد الوزانية بعدما قلده الشيخ مولاي الطيب بن محمد الوزاني التقديم على الفقراء من أولاد جامع. وبعد وفاته في العشرة السابعة بعد مائة وألف خلفه ولده العالم الجليل مولاي التهامي الذي تصدر مشيخة الزاوية الحمّومية التي عرفت بنشر العلم والدين بين الجبليين، مع كرم البذل والسخاء ؛ والتي تفرعت فيما بعد إلى ثلاث زوايا، هي الزاوية الفوقانية المذكورة، وزاوية المقراوي، وزاوية الروض على ضفة وادي أمزاز بفرقة بني ملول الزروالية، وبها قبر الطيب ابن أحمد بن علي بن التهامي الحمومي.

قال البشير الفاسي : "بلغت أسرة الحموميين من الفخر والشرف غايته، وأدركت من الجاه ورفع القدر طارفهُ وتالدهُ، وفي أحد أفرادها وهو سيدي بن التهامي دفين فاس قيلت تلك المقالة الشهيرة التي هي عنوان الجاه والثروة "السماء لله والأرض للحمُّومي" وذلك كناية عن كثرة أملاكه وتعدد رباعه".

م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، 6 : 2255 ؛ م. البشير الفاسي، *قبيلة بني زروال*، 18 ـ 79 ـ 80.

محمد مرزاق

**الحمُّومي، أحمد** بن الحسن الحسني صالح بني زروال ومؤسس الزاوية الحمومية. استوفى ترجمته ولده التهامي في كتاب *المقصد السامي* وهي خالية من تاريخ الولادة والوفاة، إننا لا نعرف شيئا عن نشأته الأولى داخل أسرته، سوى أنه درس في فاس وقطن في المدرسة الرشيدية، وأخذ علم الظاهر عن الفقيه محمد القسمطيني ومحمد المسناوي الدلائي. كما اتصل وهو طالب بالشيخ مولاي التهامي الوزاني في إحدى زياراته لفقراء فاس، فسلب له الإرادة وأصبح عمدته في علم الباطن.

تولى أحمد بن الحسن الحمومي خطة القضاء في أولاد جامع بأحواز فاس، بوساطة من شيخه مولاي التهامي ؛ وأثناء مزاولة مهامه القضائية حفظ أوراد الطريقة الوزانية وأذكارها، وكان تصوفه سنياً، يتجلى هذا في استنكاره ممارسات الطائفة العيساوية واختلاط النساء بالرجال في المواسم. وقد تعرض لمحنة شديدة في عهد المولى إسماعيل إذ زُج به في سجن مكناس بسبب غيرته على النسب الشريف ودفاعه عن شرف البوزيدبين أهل بوجابر بأولاد جامع الذين كانوا مسجلين في زمام الحراطين. وهذا الامتحان دفعه إلى اعتزال القضاء من تلقاء نفسه، فوجهه شيخه إلى الجبل للقيام بإصلاح أحوال القبائل، فرحل إلى سلاس ثم انتقل إلى بني زروال حيث أسس الزاوية الحمومية سنة 1116 / 1705، ويبدو أن الزاوية الحمومية في حياة الشيخ المؤسس كانت تابعة للزاوية الوزانية بمثابة فرع لها، كما كان الشيخ يقدس دار وزان ويتردد عليها كثيراً قائلاً : "أنزلنا حرمتها عندنا كحرمة مكة".

عاش الشيخ أحمد بن الحسن الحمومي سنوات الفتن والمسغبات والأوبئة التي تلت وفاة السلطان المولى إسماعيل سنة 1139 / 1727. ويتبين من الترجمة المذكورة أنه لم يكن في خلوة أو في معزل عن الأحداث التي وقعت بالقرب منه، وحول مدينة فاس، بل كان حضوره بارزا، مارس خلالها وظائف الولي الذي استثمر بركته ومكانته في التحكيم بين القبائل المتناحرة من أجل كبح موجات العنف المتبادل كالتي وقعت بين بني زروال وحلفائها الحياينة وشراگة وأولاد جامع، وبين صنهاجة والريف ؛ وفي الشفاعة لدى السلطان في المساجين. ووقع الاختيار عليه عدة مرات للإصلاح بين سلاطين الوقت وبين بني زروال وحلفائهم مثل ما حدث أيام ولد عربية وعبد الملك. وقد رفض في حالات عديدة التوسط، كما وقع له مع الباشا أحمد الريفي الذي طلب منه في رسائل كثيرة تمهيد القبائل الداخلة في مجال نفوذه للحياد في زحفه على فاس، وكان امتناعه عن ذلك سببا في غارة الريف كتامة على بني زروال التي لعب فيها الولي دور المحرض على القتال والمدافع عن قبيلته.

كان الشيخ أحمد الحمومي شاهد عيان في وقعة سبو، بين قوات الباشا أحمد الريفي بمعية المولى المستضيء وجيوش المولى عبد الله سنة 1156 / 1743. وكان في صف هذا الأخير. وقد تحولت الزاوية الحمومية في خضم هذه الاضطرابات والفتن إلى حرم آمن يستقبل اللاجئين الهاربين من بطش مخزن أبناء المولى إسماعيل وقواد عبيد البخاري، وكان معظم المستجيرين من أهل فاس الذين ضاق بهم الحال في المدينة. وفي سنوات المسغبة قامت الزاوية الحمومية بالتخفيف من حدة المجاعة بإطعام الجائعين كما جاء في مناقب الشيخ الحمومي، الذي ساهم أيضاً بفعل بركته في علاج المطعونين.

توفي في العشرة السابعة من القرن الثاني عشر، حوالي عام 1165 / 1751.

التهامي الحمومي، *المقصد في التعريف بالشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن الحمومي وشيخه المولى التهامي*، مخطوط المسجد الأعظم بوزان، ص. 139 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، 6 : 2255 ؛ م. البشير الفاسي، *قبيلة بني زروال*، الرباط، 1962، ص. 49 ـ 53.

محمد عمراني

*في المغرب*، الرباط، 1989، ص. 57.

أحمد المكاوي

**الحمّومي، بدر الدين** أو محمد بدر الدين بن الشاذلي بن أحمد الحسني، من مواليد سنة 1178 / 1764. كان من أبرز علماء وقته، مشاركا في علوم شتى. أخذ عن عدد من الشيوخ، أبرزهم : التاودي ابن سودة وعبد القادر ابن شقرون ومحمد الرهوني.

عرف بدر الدين الحمومي بالصلاح والورع، وإعراضه عن الحاكمين، وقد أورد في *السلوة* أنه سمع والده "يحكي أن الوزير الأعظم في وقته كانت له وليمة وأتى إليه بنفسه يدعوه لها فامتنع ولم يذهب إليه" (1 : 178).

كان بدر الدين الحمومي مرجعا في الفتيا بمدينة فاس في عهد القاضيين أبي حامد الزرهوني وعلي التسولي. وقد استفاد منه عدد من العلماء، منهم : محمد بن عبد الرحمان الفيلالي، ومحمد الطالب ابن الحاج وأحمد ابن سودة. وقد ذهب الحمومي إلى الحج أكثر من مرة، وعاش ما يقارب تسعين عاما.

خلّف الحمومي عدداً من التآليف، منها : *شرح على الشمائل*، *وشرح على الوظيفة الزروقية*، وشرح على المرشد المعين. المسمى *منهل الماء المعين في شرح المرشد المعين*، طبع على الحجر بفاس. وكان الحمومي من أوائل علماء المغرب الذين ألفوا في موضوع الشاي والسكر، إذْ نافح عن حلية استهلاك هاتين المادتين، كما يبدو ذلك من تقييده *رسالة فيما اشتمل عليه الأتاي من المنافع* وبيان طبخه وطريق استعماله وسبب ظهوره، وقد طبع أيضاً على الحجر بفاس سنوات قليلة قبل فرض الحماية الفرنسية على المغرب، وهو أمر لافت للانتباه، إذ نادراً ما تم طبع نصوص خارج إطار الفقهيات والتراجم. ويرجح أن يكون طبع هذا التقييد، بموازاة مع طبع رسالتين في نفس الموضوع لكل من سليمان الحوات والناصري الدرعي، قد تم للرد على منتقدي تناول مادتي الشاي والسكر. فرغم الإقبال الكبير عليهما في المغرب، ظلت بعض الشخصيات الدينية تقاوم استهلاكهما بسبب تأثيرهما السلبي على اقتصاد البلاد والإمكانات المالية المحدودة للأفراد، فضلا عن السجال الفقهي بشأن طهارة هاتين المادتين من الوجهة الشرعية.

توفي بدر الدي الحمومي بفاس ليلة السبت ثامن محرم عام 1266 / 24 نونبر 1849 ودفن بزاويتهم بحومة البليدة وهو أول من دفن فيها.

بدر الدين الحمومي نفسه، *رسالة فيما اشتمل عليه الأتاي من المنافع وبيان طبخه وطريق استعماله وسبب ظهوره*، ط. حجرية، فاس 1326 / 1908 ؛ العربي المشرفي، *نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار*، مخطوط، خ. ع رقم 579 ك، ص. 436 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 136 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 178، 179 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 2 : 300 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2588 ؛ ع. بنعبد الله، *معلمة الفقه المالكي*، 1983، ص. 83 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 1988، ص. 84 ؛ فوزي عبد الرزاق، *المطبوعات الحجرية*

**الحمّومي، حساين** بن محمد بن علي الفاسي، سقط اسم "محمد" من *إتحاف المطالع*، وقال إن اسمه الحسن ويدعى حساين واستبدل بعلي علالاً. فقيه مشارك مدرس نفاع، أخذ عن عمه بدر الدين الحمّومي، ومحمد بن عبد الرحمان السجلماسي الحجرتي ومحمد المرنيسي. وكان إلى جانب التدريس "مقصوداً للصلح بين القبائل وخصوصاً أولاد جامع وشراگة، نافذ الكلمة عند عمالهم فيما به يشير عليهم".

توفي يوم الجمعة ثامن وعشري رجب عام 1309 / 26 فبراير 1892 وقد جاوز السبعين، ودفن بزاوية والده وجده من حومة البليدة.

عباس السجلماسي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط، ص 42 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2788.

**الحمّومية** (الزاوية) ← **الحمّومي أحمد**

**الحميات** بالمغرب. عرّف أبو القاسم الزهراوي (ت. 427 / 1035) الحمّى بأنها : "حرارة غريبة خارجة عن الطبائع". ونظم هارون بن إسحاق ابن عزرون الأندلسي (القرن الخامس الهجري / 11 م) *أرجوزة في الحميات والأورام* تربو أبياتها على المائتين بيت صنف فيها الحميات وبين أسبابها وطرق علاجها.

والحميات في التعريف العصري حالات مرضية تعتري الإنسان وتتميز بارتفاع درجة حرارة الجسم وجفاف الفم وسرعة النبض والتنفس، والشعور بالتعب والوهن والانهيار، وآلام الجسم وفقدان الشهية بالإضافة إلى تتابع القشعريرات وتصبب العرق. وتذهب الحميات في حالة استفحالها أو استمرارها بأرواح العديد من الناس.

وقد عانى المغرب في تاريخه الطويل من وباء الحميات كثيراً غير أن شح المعلومات في المصادر عن هذه الحميات لا تمكن من تصور واضح لها ولأصنافها بحيث لا ترد في كتب التاريخ إلا استطرادا في مواضيع أخرى، وأقدمُ ما تمكنا من العثور عليه في هذا الشأن، ما ورد عند البكري في *المسالك* إثر حديثه عن سكان أو داغُسْت، حيث ذكر أنهم يصابون كلهم بالحميات. وتعرض ابن خلدون في *المقدمة* للحميات وبين أسبابها. وأشار الحسن الوزان في معرض حديثه عن زواغة غرب فاس إلى أن "معظم سكانها صفر الوجوه يعانون من حميات شديدة يموت بسببها عدد كثير منهم". وعرض كاسطيلانو Castellanos لنوع خطير من الحمى عاث في المغاربة سنة 1688 أسماه الحمى القرمزية.

ولقد ظلت تصنيفات الحمى التقليدية متداولة بين المغاربة ومن كان يمتهن منهم مهنة الطب إلى مطلع هذا القرن حيث كان الكثير من الغموض يلف أصناف الحمى ويخلط بين بعضها البعض مما أفسح المجال أمام إرسال كثير من التسميات حتى إن مميزات العديد من الأمراض التي ترتبط بعض أعراضها بارتفاع درجة الحرارة كانت تحشر ضمن الحميات.

قام الأطباء الفرنسيون بعد فرض الحماية على المغرب سنة 1912 بعدد من التجارب الطبية فاتضح أن الحميات بالمغرب أنواع كثيرة لا تقف عند حد ما عدّده مؤلفو المصنفات الطبية القدامى ولو أن عامة الناس ظلوا يطلقون عليها اسم "الحُمَّى" أو "الحَمَّة" أو "السخانة" وتسمى بالبربرية "تاولا" أو "ترْغي". ووعيا منهم بخطورة الحميات عليهم وعلى مشاريعهم والوافدين من أبناء جلدتهم، انكب أطباء الاستعمار الفرنسي على دراسة الحميات تحليلا وتشخيصا وتصنيفا، فعددوا أنواعا كثيرة منها، وبينوا ما يتسبب في ظهورها من حشرات وجراثيم.

ومن أخطر الحميات التي كانت منتشرة بالمغرب في مطلع هذا القرن :

1) *الحمى التيفوئيدية* : وهي حمى مستمرة غير متقطعة مركزها الأمعاء وتسمى أيضاً الحمى المعوية. يطلق المغاربة على هذه الحمى اسم "المكلفة" أو "السالمة" أو "گردة".

يتسبب في ظهور الحمى التيفوئيدية مكروب يسمى Bacille d'Eberth وهو مكروب عصوي الشكل ذو قوة فائقة على الحركة، ينتقل عن طريق تلوث اليدين أو عن طريق تلوث ماء الشرب أو الخُضر، بسبب الغبار الذي ينقل أثناء تعرضه للريح بقايا البراز الجاف إلى الآبار أو بساتين الخضر. تبدأ هذه الحمى بالألم في الرأس والشعور بالوهن وانقباض الصدر والأرق وارتفاع درجة الحرارة أثناء الليل وانخفاضها في الصباح، بالإضافة إلى الهذيان وانقباض العضلات، وكذا شدة العطش وتبدل لون اللسان.

وكما هو الشأن بالنسبة لكل الحميات أو الأمراض بصفة عامة فإن معلوماتنا عن حمى التيفوئيد بالمغرب في الفترات المتقدمة عن مجيء الحماية الفرنسية قليلة جداً، وترجع أقدم الإشارات إليها، حسب علمنا إلى القرن الماضي وبالتحديد إلى سنة 1279 / 1879 وهي التي ساقها في *الاستقصا* بقوله : "... حدث الوباء بالحمى في أعيان الناس وأماثلهم فهلك منهم عدد كبير". وأشار الدكتور وايزجربر Wiesgerber إلى إلمام وباء من الحمى التيفوئيدية بالمغاربة في سنة 1898. وأوضح أحد الأطباء المرافقين لجيوش احتلال المغرب في دراسة أنجزها عن حمى التيفوئيد في المناطق الساحلية من المغرب سنة 1911 أن هذه الحمى فتكت في هذه السنة فتكا ذريعا بجيوش الاحتلال، حيث بلغ عدد من أصيب منهم بالحمى التيفوئيدية 2471، حصد الموت منهم 399. ولا نملك أرقاما يمكن الركون إليها بصدد وقع هذا الوباء على المغاربة، وإن كنا نميل إلى أنه جرف أرواح الكثير منهم.

وقد ظلت الحمى التيفوئيدية تعيث في المغاربة خلال فترة الحماية، رغم ما حاول الأطباء أن يُعدوه لها من أسباب التطويق، ويوضح الجدول التالي عدد المصابين بها خلال بعض السنوات، وفي مدن البلديات فقط :

| السنة | عدد المصابين |
|---|---|
| 1928 | 985 |
| 1928 | 544 |
| 1929 | 580 |
| 1930 | 436 |
| 1931 | 485 |
| 1932 | 345 |
| 1937 | 857 |
| 1938 | 795 |
| 1939 | 468 |
| 1940 | 540 |
| 1941 | 716 |
| 1942 | 688 |
| 1943 | 1191 |
| 1944 | 1421 |

ورغم عدم توفر إحصاءات خاصة عن حمى التيفوئيد في البوادي، فان تعرض مياه الشرب للتلوث باستمرار وعدم إقفال الآبار وتركها مفتوحة لكل ما تجره الرياح والسيول، بالإضافة إلى رفض السكان جوفلة المياه أو علاجها بمواد كيماوية أخرى، كان يخلق ظروفا ملائمة لترعرع الحمى التيفوئيدية وتفشيها.

وقد دأب المغاربة على علاج من "ضربته المكلفة"، بما يسمى "العرگة" (بتغليظ الراء) وذلك بالعمل على تعريق المريض، حيث يوضع بعض الزعتر مع الماء في مرجل حتى يغلي ويقدم للمريض ويرفع غطاء المرجل فيصعد البخار إلى وجه المريض حتى يعرق، ثم تُحزم بعض قشور الحامض حول رأسه. أما الطب العصري الذي وفد مع الاستعمار، فقد اعتمد في محاربة الحمى التيفوئيدية في البداية على التلقيح، الذي أثبت فاعليته في الحد من انتشارها، بالإضافة إلى محاربة تلوث المياه ومكافحة الذباب، ثم استعمال بعض العقاقير كالكلور مفنكول.

2 ـ *حمى المستنقعات* :

حمى المستنقعات أو البرداء وتسمى بالفرنسية Paludisme، وهي مشتقة من كلمة Palus التي تعني باللاتينية المستنقع أو المرجة ويسميها الإيطاليون ملاريا Malaria، وتتكون من كلمتين هما Mala وAria

وتعني الهواء الفاسد. "وهي مرض خطير يظهر على الإنسان بارتفاع حرارته الطبيعية مع الرعدة واشتداد وجع الرأس وتصبب العرق ووجود التعب في كل حركة. وهو عبارة عن تسلط بعض المكروبات الأجنبية على دم الإنسان تعرف بالهيماتوزوير. أما الوقت الملائم لانتشار هذا الداء وتمكنه من الأجسام فيبتدىء من شهر ماي إلى غاية شهر نونبر". ويرجع الفضل في اكتشاف المكروب المسبب لهذا الداء إلى الطبيب الفرنسي ألفونس لاڤران Alphonse Laveran وذلك في ثمانينيات القرن الماضي.

ينتقل داء حمى المستنقعات عن طريق لسعات البعوض، وخاصة الأنثى، ذلك أن البعوضة لا يمكنها أن تكون مهيأة ومستعدة للتلقيح من طرف الذكر إلا إذا امتصت وتغذت بعدة وجبات من الدم. الأمر الذي يدفعها إلى اللسع وإذا حدث أن لسعت شخصا مريضا بحمى المستنقعات فإنها تأخذ منه بذور المرض حتى إذا احتاجت إلى وجبة جديدة من الدم، فإنها تلسع شخصا آخر قد يكون سليما، فتنفث فيه لعابها المحمل بالطفيليات ويصاب بحمى المستنقعات.

وتتجلى أعراض هذا المرض في ما يلي :

- شدة الحمى كل يوم حيث تلمّ بالشخص على شكل نوبات تنتهي بالعرق الشديد.
- زيادة حجم الطحال حتى يأخذ من البطن أكثر من النصف.
- الضعف والهزال واصفرار اللون، والعجز عن الحركة والعمل.

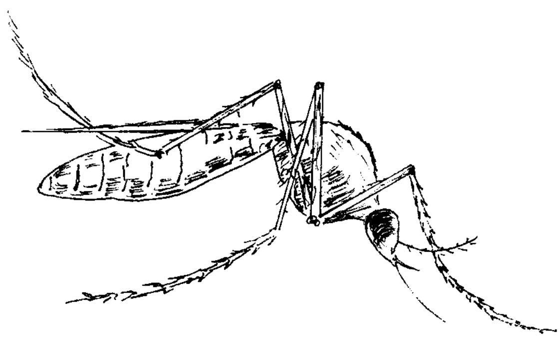

صورة للبعوضة أو الأنُوفيلْ الناقلة لحمى المستنقعات

وتؤدي حمى المستنقعات في حالة استفحالها وتمكنها إلى ما يمكن تسميته بالحمى السوداء، بسبب اسوداد لون البول لدى المصاب، بفعل تكسر الكريات الدموية الحمراء، كما قد تؤدي إلى اشتداد القيء واستمراره مما يُفقد الجسم سوائله. وقد ينقض المرض على صاحبه فيُودي بحياته.

ولا نتوفر على معلومات حول حمى المستنقعات في المغرب قبل هذا القرن، ولو أن البلاد كانت تعرف كثيراً من الأمراض ذات الارتفاع المفاجئ لدرجة الحرارة.

وأول ما يطالعنا من مؤلفات الأوربيين في الموضوع هو الدراسة التي قام بها الطبيب الاسباني Nobily Guitta سنة 1901 حول حمى المستنقعات بفاس حيث أشار إلى تفشي هذا المرض بكثرة هناك. وبعد سنة من هذا أي في 1902 صدر للطبيب الفرنسي رينو Raynaud *كتاب عن الصحة بالمغرب* تعرض فيه لحمى المستنقعات بمدينة الصويرة ولاحظ أنه من بين 3088 مريض مسجلين سنة 1899، كان عدد المصابين بحمى المستنقعات 121. وكانت فرق السيطرة على الجزء الغربي من المغرب من حمى المستنقعات، التي كانت تذهب بأرواح العديد من الجنود وتقرر منذ سنة 1914 توزيع (الكينة) على الفيالق وتزويد الجنود بالأقراص المذهبة للحمى. ويبين الجدول التالي قوة عشيان هذا الداء في جنود الاحتلال :

| السنة | عدد الإصابات |
|---|---|
| 1907 | 119 |
| 1908 | 455 |
| 1909 | 272 |
| 1911 | 4734 |
| 1912 | 9453 |
| 1913 | 5248 |

ونظراً لما كانت تشكله حمى المستنقعات من خطر على الفرنسيين، ثم على من كان يعمل معهم أو يقطن بجوارهم من المغاربة، تمّ ابتداءً من سنة 1919 تأسيس مصلحة لمكافحة حمى المستنقعات، وحاول الأطباء الذين كانوا يعملون بهذه المصلحة دراسة حمى المستنقعات وحددوا مواصفاتها ومراحلها وظروف ظهورها وانتشارها، وأدركوا، على عكس ما كان معروفا عند المغاربة من أن سبب هذه الحمى هو ما يوجد في الماء الراكد أو الجاري من أرواح شريرة أن هناك علاقة متينة بين عدد المصابين في سنة ومعدل التساقطات خلال نفس تلك السنة، إذ كلما كانت السنة مطيرة إلا وارتفع في صيف تلك السنة وخريفها عدد المحمومين. ذلك أن كثرة التساقطات وما تخلفه من مرجات وضايات وعلى الخصوص في المناطق ذات التربة القليلة النفاذية كتربة منطقة الغرب مثلا، كانت تخلق للبعوض، وهو الحشرة الناقلة لحمى المستنقعات، ظروفا مثالية للعيش والتكاثر، مما يفتح أمام الحمى آفاقا واسعة للتفشي والانتشار.

ويوضح الجدول التالي عدد المصابين بحمى المستنقعات في المغرب ما بين 1934 و1945 :

| السنة | عدد المصابين |
|---|---|
| 1934 | 168.742 |
| 1935 | 135.167 |
| 1936 | 190.000 |
| 1937 | 138.130 |
| 1938 | 144.398 |
| 1939 | 198.954 |
| 1940 | 176.877 |
| 1941 | 360.264 |
| 1942 | 286.068 |
| 1943 | 292.076 |
| 1944 | 166.858 |
| 1945 | 158.638 |

كان المغاربة قديماً يعالجون حمى المستنقعات التي كانوا يعتبرون المصاب بها "مضروبا على الماء" أو به مسّ من الأرواح الشريرة التي تسكن الماء، ببعض الوصفات التي أوردها صاحب كتاب *الرحمة* أو وصفات أخرى ذكرتها A.R. De Lens في كتابها الصادر سنة 1925 عن "ممارسات الحريم بالمغرب".

وتصدى القائمون بشؤون الصحة أيام الحماية لحمى المستنقعات لما كانت تمثله من خطر على المشاريع الفلاحية بالمغرب، بعدد من الاجراءات كتجفيف المستنقعات وتوزيع الأدوية (الكينة).

ففيما يخص تجفيف المستنقعات كان الهدف هو القضاء على المياه الراكدة وجرها نحو الانهار، ووضع حد لتكاثر البعوض الذي كان يجد في امتداد المرجات والبرك وما بها من نباتات، مراتع يضع فيها بيضه ودعاميصه. وهكذا شهد الكثير من بوادي المغرب، فيما بين بداية العشرينيات وقيام الحرب العالمية الثانية، عمليات تجفيف وتصريف وتطهير بدءاً بالأراضي المخصصة للمعمرين ومناطق تمركز السكان، وتحولت الأراضي المتجففة إلى ملكيات كبيرة. وقد اهتدت إدارة الصحة العمومية إلى زرع بعض أنواع الأسماك المسماة Gambusias في المياه التي تجري في قنوات التصريف أو في المرجات التي كان يصعب تجفيفها، لما عرفت به تلك الأسماك من قدرة كبيرة على التهام دعاميص البعوض.

أما فيما يخص توزيع (الكينة) أو ما يعرف بأقراص الكينين المصنوعة من لحاء شجر الكينكينا، فقد كان يخضع لنوع من التقنين، وكان ثمن الكينة مرتفعا جداً يتعذر معه على سكان البوادي التزود بها، الأمر الذي كان من شأنه أن يحدّ من فعالية تطويق الداء.

ومع نهوض الاقتصاد الاستعماري بالمغرب غداة الحرب العالمية الثانية وما رافق ذلك من تقدم في مشاريع الري وتوسيع رقعة الزراعات المسقية، بالإضافة إلى ظهور زراعة الأرز، نقصت احتمالات القضاء على حمى المستنقعات، ذلك أن مياه السقي ومياه المرزات كانت توفر ظروفا ملائمة لعيش البعوض وتكاثره بشكل أحسن مما كانت توفره البرك والضايات والمرجات. مما كان يعرض العاملين في الزراعات المسقية أو القاطنين بجوار المرزات للحمى، بمعنى أن سلطات الحماية أصبحت هي نفسها بدافع الضرورات الاقتصادية، تختلق ظروفا مثالية لتفشي الحمى وتساهم في نشرها، بعد أن كانت تبذل المحاولات لتطويقها والقضاء عليها.

3 - *الحمى الراجعة* :

الحمى الراجعة Fièvre récurrente وتسمى أيضاً الحمى الراجعة العالمية Fièvre récurrente mondiale، هي من الحميات التي تنتاب الانسان وتتميز بارتفاع مفاجيء في درجة الحرارة لديه لعدة أيام قد تصل إلى أسبوع، ثم تنخفض الحرارة لتعود مرة أخرى إلى الارتفاع، لهذا أطلق عليها اسم الحمى المراجعة.

ولعل هذا النوع من الحمى هو الذي أورده الأنطاكي في *تذكرة أولي الألباب* عندما عرض لأنواع الحمى فسماها حمى الغبّ، لأنها تغيب يوما ثم تعاود صاحبها، أو الحمى الفائته وتسمى المتراقية والمتعدية وتسمّى باسم أدوارها فيقال حمى خمس إن وقعت كل خامس".

يتسبب في هذه الحمى مكروبات تسمى لولبيات الحمى الراجعة وهي ما يعرف لدى المتخصصين بـ Les spirochètes d'Obermeir. وتنتقل عدوى المرض عن طريق القمل أو القراد.

تتجلى أعراض الحمى الراجعة في ما يلي :

- صداع في الرأس مصحوب بالأرق.
- ارتفاع درجة حرارة المريض من 39 إلى 40 درجة.
- ألم وتكسر في الجسد وآلام في البطن والظهر.
- قيء مرّي.
- تضخم الطحال والكبد، بالإضافة إلى تتابع القشعريرات واطرادها.
- يبدو لسان المصاب بالحمى الراجعة مذراً ضاربا إلى الصفرة عند جذره.

ومن مضاعفات هذا الداء إصابة المريض باليرقان أو الصّفير، حيث تعلوه صفرة يتبعها طفح جلدي بالإضافة إلى إصابة المريض بانقطاع البول أو ما يسمى بالزُّراء، كما تتسبّب هذه الحمى في الإجهاض للحوامل من النساء، وتؤدي إلى التهاب القولون والإسهال المفرط وظهور قروح في العين.

لم يسبق أن تبين ظهور الحمى الراجعة بالمغرب رغم أن أطباء الحماية الفرنسية، كانوا قد لا حظوا وجود بعض الحالات المتفرقة لهذا المرض سنة 1917. على أن الحمى الراجعة عادت المغاربة في سنة 1945 وهي آخر سنوات الحرب العالمية الثانية. ذلك أن هذه الحرب خلقت بالمغرب

ظروفا من الشدة والضيق انتسفت على إثرها مطامير الحبوب، وقلت الأقوات فانتشر الجوع والعري وندرت الأثواب والصابون وانهد الناس بما كان يعتريهم من ضعف وهزال بفعل اشتداد المسغبة وما ترتب على هذه الحال من تفاحش أمر القمل والبق والقراد وغيرها من الحشرات الناقلة للأمراض.

وكانت الحمى الراجعة قد تسللت إلى البلاد عبر ممرات المغرب الشرقي من الجزائر ذلك أن هذه الحمى ظهرت أول ما ظهرت خلال سنتي الحرب العالمية الثانية في حشود الجنرال لوكليرك التي كانت مرابطة بجنوب ليبيا والتي وصلت في بداية سنة 1943 إلى الجنوب التونسي وهي تنقل معها عوامل العدوى فامتدت الحمى إلى ضواحي القيروان ومنها إلى الجزائر سنة 1944، ثم داهمت المغرب في بداية سنة 1945، وشاعت في معظم مناطقه واستمرت به إلى فبراير من السنة الموالية 1946.

وكان طروق هذه الحمى وإلمام طائفها بالمغرب في هذه الظروف على شكل رخة وبائية قوية لم يسبق للمغاربة بها عهد، فعاثت الحمى في السكان ضعيفي البنية، لا يقوون على مقاومة المرض في وقت تقاصرت فيه قدرة القائمين بأمور الصحة عن دفع ما كان يلم بالبلاد من صنوف الداء.

وقد وصل عدد من ابتلي بهذه الحمى حسب احصاءات إدارة الصحة العمومية : 27730 شخصا، وهو رقم ضئيل لا يعكس حقيقة ما كانت عليه الحال من فتك الحمى الراجعة بالمغاربة في سنة 1945. ذلك أن الدكتور G. Blanc، وهو من كبار أطباء الحماية الفرنسية لاحظ أن الإحصاء المذكور لاظل عليه من الحقيقة، لأن أعداداً كبيرة من المرضى كانوا قد أفلتوا من الفحص في المدن الكبرى وعلى الأخص في البوادي. وفي هذا الصدد يرى الدكتور Sicault وهو من أطباء هذه الفترة، أن الرقم الذي قدمته إدارة الصحة العمومية يجب أن يضاعف أربع مرات حتى نقترب من الحقيقة. ويورد الدكتور G. Blanc أن عدد المصابين كان ما بين 120.000 و150.000. وكانت نسبة من لقي حتفة من المغاربة في هذه السنة من جراء استحفال الحمى الراجعة تصل إلى 20٪ في بعض المناطق وهو ما تؤكده الرواية الشفوية من كثرة الموتى في سنة 1945، حيث أصبح كثير من الدواوير بلاقع خاوية، وأصبح من كان ينجو من سكان الدواوير والمداشر من الموت يقضون يومهم ذهابا وايابا من المدشر إلى المقبرة ومن المقبرة إلى المدشر.

وكان المغاربة في كثير من البوادي يعالجون الحمى الراجعة بالتمائم وما إليها مما يرد عند صاحب *كتاب الرحمة* من وصفات لطرد "أم ملدم" بينما اتجهت سلطات الحماية إلى اعتماد مادة DDT، وهي عبارة عن مسحوق أثبت فعاليته في إبادة الحشرات، وخاصة منها القمل والبق والقراد، وهي الحشرات المسؤولة عن نقل لولبيات الحمى الراجعة ونشرها بين الناس. كما استعملت حقن من الزرنيخ الثلاثي التكافؤ Les arsenicaux trivalents وخاصة منها Le novarsenobenzol، غير أن ظروف الحرب العالمية الثانية، بما رافق ذلك من حصار واضطراب في المبادلات كانت تؤثر في الكميات الواصلة إلى المغرب من الأدوية الكيماوية.

وفي الختام نشير إلى أن الحميات كانت كثيرة بالمغرب، ركزنا على أهمها وأكثرها انتشاراً بين المغاربة، على أن هناك أنواعا أخرى من الحمى لم نتمكن من الحديث عنها. إما بسبب شح المعلومات حولها كما هو الحال بالنسبة للحمى المتموجة والحمى القرمزية والحمى المخية الشوكية والحمى الصفراء وحمى النفاس وغيرها، أو لأن بعضها يدرج ضمن أمراض قائمة الذات، لا يشكل ارتفاع درجة حرارة المصاب سوى عرض من أعراضها كالحمى المرتبطة بالتيفوس أو الحصبة أو الحميراء.


د. الأنطاكي، *تذكرة أولي الألباب*، بيروت، د. ت. ؛ م. العربي الخطابي، *تاريخ الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية*، بيروت، 1988 ؛ ج. السيوطي، *كتاب الرحمة في الطب والحكمة*، بيروت، د. ت. ؛ ع. الكاديكي، *الأمراض المعدية*، بنغازي، د. ت. ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1982 ؛ *جريدة، السعادة*، 1915 و1930 ؛ *الرواية الشفوية*.

Archives de médecine et de pharmacie militaires ; M. Bonjean, *L'épidémiologie du paludisme au Maroc*, Rabat, 1947 ; *B. I. H. M. ; Maroc - Médical* ; L. Raynaud, *Etudes sur l'hygiène et la médecine du Maroc*, Alger, 1902 ; H.P.J. Renaud, *Trois études d'histoire de la médecine arabe en Occident*, *Hesp.*, T. XII, fasc. 2, 1931.


بوجمعة رويان

**حمّيش** أو **حميص** أسرة من قدماء بيوتات مكناس.

**حمّيش، السعيدي** بن عبد القادر

**حمّيش، عبد الرحمان**

**حمّيش، عبد الرحيم** بن العربي

**حمّيش، عبد القادر** بن أحمد

**حمّيش، علي** بن أحمد

**حمّيش، علي** بن **عبد الرحمان**

**حمّيش، العياشي** بن محمد

**حمّيش، محمد** إمام الجامع الأعظم

**حمّيش، محمد** بن **عبد الواحد**

**حمّيش، محمد** بن **محمد** بن عبد الرحمان

كل هؤلاء الأعلام مذكورون فيما يلي دون اعتبار الترتيب الهجائي. وقد تسلسل في هذه الأسرة جملة من أهل العلم والفضل، وتحتفظ مصادر العصر الحديث بزمرة من الأسماء النابهة.

ورد اسم أحد علمائهم عند عبد الله الفاسي في *حوليات الإعلام بمن غبر* ... حسب الفقرة التالية عند وفيات سنة 1074 : "وفي هذه السنة توفي أبو الحسن علي بن أحمد حمّيص المكناسي، فمن قرأ على الشيخ أبي محمد عبد القادر بن عليّ الفاسي، سمع عليه في الحديث والفقه والعربية والأصول وعلم المعقول والمنقول، وتوفي ببلده مكناسة الزيتون".

ثم محمد بن بن عبد الرحمن حمّيش، جاء اسمه محلّىً بالفقيه العالم في وثيقة عدلية بتاريخ 23 ربيع الثاني 1257.

محمد بن عبد الواحد حمّيش، وصف بالفقيه المدرس في ظهير صادر لأولاده عن السلطان العلوي محمد 4، بتاريخ فاتح ربيع الثاني 1276.

ومن الطلبة المرموقين عبد الرحمان حمّيش، حسب إشارة عند ابن زيدان.

ومن الوراقين علي بن عبد الرحمن حمّيش، كتب - بخطه - النصف الثاني من القاموس المحيط في مجلد فرغ منه أواخر ذي القعدة 1060 هـ، حيث يحفظ مع الملجد الأول بخط مغاير، في الخزانة الحسنية رقم 2587، ويلاحظ أن الناسخ مع علي بن أحمد العائلي مرسوما بالصاد آخره بدل الشين المعجمة.

أما الوراق الثاني فهو عبد الرحيم بن العربي، وقد كتب - بخطه عام 1239 - "رسالة في أسماء الأنوار الإلهية وبعض ظواهر الآيات القرآنية"، وتوجد نسخة منها سافرت من المغرب إلى تونس، حيث تحفظ في "دار الكتب الوطنية" رقم 1535، للناسخ شبه ترجمة عند أبي العباس أحمد سكيرج في معجمية : "كشف الحجاب" ثم رفع النقاب"، وفي هذا "المصدر الأخير بصفة بالأديب الناشر الشاعر.

وفي الأسرة جماعات من الشهود الموثقين، آخرهم العدل عبد القادر بن أحمد حمّيش، المتوفي بتاريخ 8 ذي الحجة 1355.

وهو والد المرحوم السعيدي المعدود من نخبة طلبة جيله، والمتوفى أواخر عام 1409.

على أن آخر فقهائهم في مادة العلوم الأصلية، هو الفقيه الصالح سيدي محمد بن الإمام الراتب في الجامع الأعظم، المتوفى أواخر السبعينيات الهجرية، وهو والد الفيلسوف الأديب الأستاذ بنسالم حمّيش.

ونذيل - الآن - باسم الأمين المحسن الحاج العياشي بن محمد حمّيش، وقد كان السلطان العلوي محمد الثالث أحدث بمكناسة حلقة من الأمناء لمراقبة المسار المالي للأحباس وأملاك المخزن وما إلى ذلك، وكان المنوه به من جملتهم حسب إشارة لطائفة منهم وردت في وثيقة بحوالة مكناس الجديدة ص 117.

وقد جاء ذكر أسمائهم هكذا "... قام الأمناء بحضرة مكناسة : الأبر الأرضى السيد الحاج العياشي بن محمد حمّيش، والطالب السيد الشافعي بن الحاج عبد الله بادّو، والأبر السيد الحاج قاسم بن المرحوم السيد عبد السلام بن مومّو، والأبر بن الأبر الحاج محمد أجانا، بموافقة من عداهم من الأمناء الإثني عشر، بما إليهم من النظر في الأحباس بالأمر المولوي، تاريخ الوثيقة 26 جمادى الثانية 1186.

ومن مبرات العياشي حمّيش وقف جميع الثلث من الدار المزيدة في روضة الشيخ سيدي عبد الواحد الأشقر، الواقعة بمصر القبابين من نفس المدينة، كما ذلك بوثيقة متخلفه المؤرخة بأواخر جمادى الأولى 1208.

كما كان أوصى بحُبس معقب لعقاراته خارج المدينة، وبعد انقراض المحبس عليهم يرجع ذلك وقفا على المسجد الأعظم، حسب وثيقة ذلك بتاريخ أواخر صفر 1198.

وأخيراً : ها هو ظهير السلطان محمد الرابع بتجديد التوقير والاحترام، لأولاد الفقيه محمد بن عبد الواحد حمّيش سابق الذكر، ونصه بعد الافتتاح :

"... يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأشرق في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره، انا جددنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، لأولاد الفقيه المدرس السيد محمد بن عبد الواحد حميش المكناسي حكم ما بأيديهم من ظهير مولانا الوالد طيب الله ثراه، المتضمن توقيرهم واحترامهم، وحملهم على كاهل المبرة والإكرام، والرعي الجميل المستدام، مراعاة لنسبتهم للعلم الشريف، فالواقف عليه يعمل به، ولا يحيد عن كريم مذهبه.

صدر به أمرنا المعتز بالله، في تاريخ ربيع الثاني عام 1276.

م. حجي، مصادر تاريخية، *موسوعة أعلام المغرب*، والنقل هنا من النص المخطوط ؛ ظهير في مجلة، *الوثائق التي تصدرها مديرية الوثائق الملكية*، 2 : 378 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 5 : 362.

محمد المنوني

**حُمَيْضَة**، أنواع نباتية عديدة تنتمي إلى أجناس وفصائل مختلفة ومن أشهر هذه الأنواع :

- رُوميكسْ بُوسيفالو فوروسْ Rumex bucephalopharus وهو نوع طبيعي يعيش على الأثربة الرملية وخاصة بفرجات غابة المعمورة.

- أوكساليسْ سيرنُوا Oxalis cernua الذي يتمز بأوراقه المفصصة إلى ثلاث وريقات والشبيهة بأوراق البرسيم، وبأزهاره الصفراء التي تظهر على أعناق طويلة تستعمل للاستهلاك الآدمي. أدخل هذا النوع عفوياً إلى المغرب من جنوب افريقيا وانتشر في الأراضي الحمضية تحت أشجار البرتقال.

*أبحاث شخصية.*

عبد المالك بنعبيد

**الحَمِّيّ**، محمد بن عبد الرحمان الفاسي، منسوب لحمَّة الأندلس الشهيرة في الجهة الشرقية. من فقهاء فاس وعدولها المبرزين. قال في حقه القادري في *نشر المثاني* : "مقدّر الفرض بفاس وناظر مسجدها الأعظم والمنتصب لتلقي ما هو لجانب القضاء من التسجيلات ... شهير بالعدالة، معلوم بالجلالة محقق في الضبط والإتقان، محرر لفصول الوثائق عن علم وعرفان" وأثبت نص رسم وقف عليه بخط محمد بن عبد القادر الفاسي شهد له فيه بالعدالة والضبط والإتقان والثقة جماعة وافرة تنيف على ثلاثين من علماء فاس وعدولها وقضاتها، في مقدمتهم الشيخ عبد القادر الفاسي وابناه عبد الرحمان ومحمد، والعربي بردلة.

كان ما يزال حياً في تاريخ الوثيقة المذكورة، وهو مهل ذي الحجة عام 1087 / 4 فبراير 1677.

م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، ص 251 ؛ *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، 4 : 1717 ـ 1718.

محمد حجي

**الحَمْيَاني، علي** بن أحمد التامنارتي، يظهر من خلال هذه النسبة الأخيرة أنه من تامنارت بالأطلس الصغير، وقد طفحت هذه المنطقة بالعلم ورجالاته خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 ـ 17 م) ولاشك أن الحَمْيَاني هاجر إلى درعة في أواسط القرن العاشر (16 م) ضمن جموع العلماء الذين هاجروا من بلاد جزولة إلى درعة. وقد حلاه صاحب *الفوائد الجمة* بالمحقق المطالع، الكبير الشأن (ص.47).

اشتهر علي الحَمْيَاني باطلاعه الواسع، فانتدبه بعض سلاطين الدولة السعدية لتولي القضاء بمراكش إلا أنه خاف على نفسه من فتنة القضاء ففر ورجع إلى درعة حيث عكف على التدريس وإفادة المتعلمين. ورغم أننا لا نتوفر على ما يحدّد المكان الذي نزل به الحَمْيَاني بدرعة، فإننا نرجح أن يكون قد نزل بواحة فزواطة أو أكتاوة نظراً للعلاقات الوطيدة التي كانت تربط آنذاك هاتين الواحتين ببلاد جزولة. ويرجع الفضل للفقيه الحَمْيَاني في جمع *أجوبة ابن هلال* (*الإعلام*، 9 : 187).

توفي علي الحَمْيَاني بوادي درعة في حدود 980 / 1572.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 9 ؛ م. المختار السوسي، *مدارس سوس العتيقة*، ط. 1987 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج 2.

أحمد البوزيدي

**أولاد حْميد**، بطن من أولاد يحيى بن مَعْبَد من قبيلة بني حسن شرقي إقليم القنيطرة. وهم مجاورون لدار ابن العامري دائرة سيدي سليمان، ومنهم خيام صغيرة العدد مجاورة لقبيلة مختار.

أجرت سلطات الحماية في أول عهدها إحصاء لفخذات هذا البطن ولعدد خيامه، ثم جعلت أغلبهم تحت قيادة إبراهيم الزهاني ووضعت ستاً وسبعين خيمة تحت إشراف محمد بن مَحمد الكَدّاري المختاري. ومجموع أولاد حْميد هو 703 خيمة مفصلة كما يلي مضافاً إليهم حجاوة الذين هم قبيلة أخرى :

أولاد سي العابد الغياثي وأولاد بن نايل وأولاد سعيد 160 خيمة ؛ أولاد ابن الحسن والزياينة والعوابد والمغيليون 186 خيمة ؛ أولاد الغازي والنبيكَات والدريهميون 150 خيمة ؛ أولاد بَرُّوس والكَرينات وحْجاوة 131 خيمة ؛ أولاد شداد 23 ؛ والشهب 23 ؛ وأولاد سعيد والشعيبون والصحابيون 76 خيمة.

وكان أولاد حْميد في العهدين السليماني والرحماني إلى نظر آل ابن العامري الذين هم من أولاد بوجنون فرقة أولاد يحيى لكن نجمهم أفل في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان. ولما تولى مولاي الحسن أدخل تنظيماً جديداً فتت به الإيالات الكبرى فولى رجالاً من مختلف الفخذات على إخوانهم. فكان ثمة عدة قواد حْميديون.

م. بوشعراء، *قبيلة بني حسن*، 1860 ـ 1912 ؛ *الوثائق الملكية والبنسعيدية والصبيحية*.

*Villes et tribus du Maroc, Béni Ahsen*, p.p. 281 et 287.

مصطفى بوشعراء

**الحُمَيْدي**، أسرة فاسية عريقة أصلها من بني حُميد من صنهاجة بلاد ورغة. وبيتهم في فاس بيت فقه وعلم. وأقدمُ مَنْ أشارتْ إليهم كتب التراجم منهم الفقهاء محمد بن حسنون الحميدي المتوفى عام 705 وعلي بن محمد بن هارون الحميدي المتوفى عام 712 ؛ والفقيه المدرس محمد بن الفقيه المدرس أبي بكر الحميدي المتوفى عام 804 شيخ إسماعيل بن الأحمر ؛ والقاضي عبد الرحمن الحميدي المتوفى عام 894.

على أن في الأندلس قبل هؤلاء محدثاً شهيراً ومؤرخاً كبيراً هو محمد بن فتوح بن عبد الله الحُميدي تلميذ الإمام ابن حزم. ومؤلف كتاب *جذوة المقتبس* في ذكر ولاة الأندلس. المتوفى عام 488. ولا يعرف إن كان للحميدين الفاسيين علاقة قرابة به.

**الحُمَيْدي، أحمد** بن محمد، حلاه القادري في *نشر المثاني* "بالكاتب الأرفع، والبدر الأطلع، صاحب القلم الأعلى، واللفظ البالغ الأحلى ... أديب نحرير، له أنظام

رقيقة، وقدم إلى المعالي سبيقة، وخط حسن، وسمت مستحسن، عالي الهمة، عظيم الحرمة".

عمل كاتباً في بلاط السلطان المولى إسماعيل ثم مع ولديه عبد الملك فعبد الله. فكان يحسن الترسل والإنشاء والترتيب، وياتي من البلاغة بالعجب العجيب".

لم يقف صاحب نشر *المثاني* على تاريخ وفاة أحمد الحميدي وإنما ذكره في خاتمة الكتاب ضمن من تُوفوا في القرن الثاني عشر (18 م) دون تحديد، ولعل وفاته لم تكن بعيدة عن وفاة مخدومه السلطان عبد الله بن إسماعيل سنة 1171 / 1757.

م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، 6 : 2253.

**الحميدي، عبد الواحد** بن أحمد، أبو محمد وأبو مالك، عميد بيت الحميديين الذي سطع نجمه في سماء الحاضرة الإدريسية على عهد الدولة السعدية، وارتبط مصيره بتاريخ الشرفاء الزيدانيين بفاس حتى كاد يتطابق معه نشوءاً وارتقاء وانحطاطا. رأى عبد الواحد الحميدي النور عام 930 / 3 ـ 1524، الذي استولى فيه أحمد الأعرج على مراكش. وكان في إبان حداثته يوم دخول محمد الشيخ المهدي فاس عام 956 / 1549، وبلغ أشده أربعين سنة عندما ولاه السلطان عبد الله الغالب بالله قضاء الجماعة بفاس عام 970 / 2 ـ 1563.

لا تُفصل المصادر في هذه المرحلة الطويلة من حياة عبد الواحد الحميدي، والسابقة لاتصاله بالمخزن السعدي، والتي تغطي أكثر من نصف عمره. وتوجزها في أنه كان في ابتداء أمره يطلب العلم، ثم تركه واتخذ حانوتا للتجارة يبيع فيها الثياب الخلقة بالسوق المعروف بالخرارقيين من فاس، ثم وقع له حادث نجهله أزعجه إلى حثيث الطلب وتداركه قبل الفوت، فدأب عليه حتى صار من كبار الأئمة. ولا تفصح هذه المصادر عن داعي زهده في العلم، ولا تحدد مدة انقطاعه عنه، ولا تذكر ظروف عودته إليه وإقباله عليه. وتخلف الانطباع بإملاق الطالب عبد الواحد الحميدي، وان العوز هو الذي اضطره إلى الانصراف عن حلقات الدرس والإقبال على بيع سقط المتاع.

وقد وافقت مرحلة تتلمذ عبد الواحد الحميدي وطلبه للعلم مرحلة احتلال فاس مكان الصدارة في الميدان العلمي بالمغرب، واختصاصها بالتعمق في دراسة الفقه المالكي، والعناية الفائقة بعلوم القرآن والحديث وغيرها من العلوم، فأفاد من أعيان علمائها، ولازم عبد الواحد الونشريسي نجل مؤلف *المعيار*، وعبد الوهاب الزقاق حفيد صاحب *اللامية* الفقهية المشهورة والمختص *بمختصر خليل*، وقرأ نفس الكتاب أكثر من عشر مرات على الفقيه الزاهد مبارك التارختي، وأخذ عن أحمد بن علي المنجور الذي أخذ بدوره عنه، وأجازه محمد بن أحمد الغيطي المصري ضمن من أجاز من أعلام الحضرة الفاسية بمشيخته.

وبالإضافة إلى أساتذة عبد الواحد الحميدي هؤلاء والمتواتر ذكرهم في مصادر ترجمته، فقد انفرد تليمذه إبراهيم بن عبد الرحمان الگلالي في كتابه *تنبيه الصغير من الولدان* بالإشارة إلى تتلمذه على محمد بن أحمد اليسيتني. وسجل الأثر البعيد الذي كان لأستاذه هذا في نفسه، وأنه كثيراً ما كان يثني عليه في مجالسه العلمية، ويجل ذكره كمن يذكر الإمام محمد بن علي المازري وأمثاله على الدوام والاستمرار، ويحكي عنه حكايات ويصف لطلبته الحظوة التي كانت له عنده. ونرى أن التقارب في الطبع بين الأستاذ اليسيتني وتلميذه الحميدي، واتفاقهما في الجمع في شخصهما المتناقضات، أمر ربما كان من أسباب الصلة العميقة التي نظمت بينهما. وإذا علمنا أن اليسيتني قد عرف كيف يستغل الظروف السياسية الخطيرة التي عاشتها فاس في منتصف القرن العاشر (16 م)، وذهب ضحيتها كثير من أقرانه، وعلى رأسهم عبد الواحد الونشريسي وعبد الوهاب الزقاق، فحظي بثقة السلطان محمد الشيخ المهدي لما ظفر بفاس، وصار من خاصته وأهل مودته، يحق لنا التساؤل عما إذا كان بعض الفضل يؤول إليه في وصل حبل تلميذه الحميدي بالسعديين، وبالأخص بعبد الله بن محمد الشيخ الخليفة على فاس ؟

ولم يخل عبد الواحد الحميدي من الميل إلى التصوف والتشوف إلى رجاله، شأنه في ذلك شأن معاصريه من خاصة وعامة أهل القرن العاشر. وكان له اعتقاد ومحبة في رجلين لم يكن يرى أحسن منهما في الصلاح في عصره، وهما الشيخ رضوان بن عبد الله الجنوي والشيخ أحمد بن جامع الزروالي. وقد نظمت بينه وبين بلديه الشيخ رضوان الجنوي صلة وثيقة ومستمرة، دأب فيها على صادق خدمته وحسن الأدب معه والهروع إليه ساعة الشدة والضيق. وجرت بينهما محادثات ومكاتبات أثبتها أحمد المرابي في كتابه *تحفة الاخوان*. كما شد الرحال لزيارة الشيخ أحمد ابن جامع بمدشر بني خالد من قبيلة غمارة، وأخذ عنه الوظيفة الزروقية.

ويشترك الشيخان الجنوي والزروالي في صلتهما بالحركة الجزولية المتمركزة في مراكش، والمشايعة للسعديين منذ أولية استقرارهم بها في حدود عام 930 / 3 ـ 1524. فقد استخف الشيخ رضوان الجنوي ـ وهو في إبان الحداثة ـ ببطش حكام فاس، وخرج إلى مراكش متشوفا إلى صحبة الشيخ عبد الله الغزواني الذي كانت له يد في فشل ريح بني وطاس. كما أخذ الشيخ أحمد بن جامع عن الشيخ أبي عمرو القسطلي صاحب أعظم زاوية جزولية بمراكش في وقته، والذي كان السلطان عبد الله الغالب يعظمه ويحترمه، ويعتقد له مزية لا يعتقدها لغيره، ويصرح بأنه ما وجد البركة في دولته ومدته إلا له. فيكون الاتجاه الصوفي الذي انخرط عبد الواحد الحميدي في سلكه أو اشتهر بميله إليه هو الاتجاه الذي حظي بعطف ورضى

السعديين منذ خضعت فاس لهم. وتكون الحظوة الرفيعة لمشايخه في الفقه والتصوف لدى السلاطين السعديين ودرجته العالية في الفقه المالكي ومشاركته الواسعة في علوم كثيرة هي المقومات الأكيدة التي أهلته لولاية قضاء الجماعة. ونستبعد أن تكون هناك اعتبارات مادية وراء اختياره لهذه الخطة وأن البضاعة المزجاة التي تاجر بها قد بدلت عسره يسراً وحولت فقره غنى، وهذا قبل أن يصل حبله بالمخزن السعدي.

وقد اشتهرت ولاية الحميدي خطة القضاء بفاس عهد السعديين ومن قبلهم، بحيث لم تطل مدة غيره على هذه الخطة بهذه الحاضرة قبله مثلما طالت ولاية القاضي محمد بن عبد الله اليفراني المكناسي المتوفى عام 928 / 1 ـ 1522 الذي تولى هذه الخطة منذ عام 885 / 80 ـ 1481. وهكذا داوم الحميدي على قضاء الجماعة بفاس مدة تنيف على الثلاثة عقود، من عام تقلده له إلى عام وفاته (1003 / 1594). واستبد به في خلافة أربعة سلاطين هم عبد الله الغالب ومحمد المتوكل وعبد المالك المعتصم وأحمد المنصور. وبالإضافة إلى طول المدة امتازت هذه الولاية بتضارب الناس في شأنها : فبعد عام من وفاة الحميدي يخلد أحمد بن القاضي مثالبه في *جذوة الاقتباس* التي ألفها بفاس عام 1004 / 1596، ويترجم له بقوله : "أنه كان حافظاً لمذهب مالك، إلا أنه نبذ الشريعة المحمدية وراء ظهره، وكان يحكم بموافقة شهوته مع علمه بالفقه، إلا أنه لا يبالي بما فعل، حتى اكتسب هو ومن والاه أموالاً جليلة لا حصر لها، من أخيه وأولاده وأولاد أخيه وأختانهم وأعوانهم وغير ذلك. ولما توفي قال فيه صاحبنا أبو زيد عبد الرحمان المشنزائي :

تولى الحميدي وأحزابــه ... وأيـام دولتــه الغـاويـــة
ومات وخفت مـــوازينه ... وصـار إلى أمه الهاويـة

ولا سبيل إلى الشك في عدالة ابن القاضي، الذي استغرقت ولاية الحميدي قضاء الجماعة بفاس حياته طفولة وشباباً وكهولة إلى حين تصنيفه *الجذوة*. والأكثر من ذلك فقد قصد بتأليفه هذا إلى السلطان أحمد المنصور تلميذ الحميدي، وفي ذلك درك عظيم عليه منه لو لز أستاذه المذكور بما هو بريء منه.

ولم يُنظر بعين الرضى إلى ما كتبه ابن القاضي عن الحميدي في *الجذوة*، وتم التشطيب عليه بالحمرة، وذلك في نسخة المؤلف الأصلية بخطه، والتي لا شك أنها المهداة إلى مخدومه السلطان أحمد المنصور. ولولا وقوف المؤرخ محمد الصغير الإفراني على هذه النسخة المعتبرة ونقله لما شُطب عليه "لوجه لا يخفى على من له ممارسة بالعلم" كما نبه إلى ذلك بلفظه، وذلك في ذكره لأخبار عبد الواحد الحميدي في كتابيه *نزهة الحادي وصفوة من انتشر*، لضاع هذا النص واندثر، والذي لا نعثر له على أثر في النسخ المتوفرة اليوم من *الجذوة* الخطية منها أو المنشورة.

ولم يفتر الرد على ابن القاضي في هذه القضية، واستمر الظن في قوله هذا إلى زمان قريب منا. وعبر عنه محمد الكتاني في الترجمة التي أفردها لعبد الواحد الحميدي في *سلوة الأنفاس*، وجاء فيها بقول أحد المعترضين على ابن القاضي، وهذا نصه : "قال بعضهم : لا يقبل ما ذكره ابن القاضي فيه. قال : والذي أدركنا عليه الأئمة المعتد بقولهم من أشياخنا وأشياخهم وهلم جراً أن الحميدي المذكور إمام ثقة مأمون من قضاة العدل، بل أعدل قضاة المغرب في زمانه وأورعهم، ولعدله طالت مدة ولايته بحيث لم تطل مدة غيره بفاس قبله مثل ما طالت ولايته إلا القاضي المكناسي اليفرني. وقد أكثر علماء فاس فيما جرى به العمل عندهم من رأيهم من النقل عن القاضي الحميدي المذكور".

والواقع أن ابن القاضي لا يتفرد بالطعن في عدالة وأمانة القاضي عبد الواحد الحميدي، وقد سبقه إلى ذلك أستاذه أحمد المنجور الذي انتقد انتقاداً مراً خطة القضاء في عصره، وقال إنها أفلست في آخر أيام الوطاسيين عندما أسندت إلى من لا تتوفر فيه الكفاية العلمية ولا النزاهة الأخلاقية، وأكد على ظهور داء القضاء من جديد أيام عبد الله الغالب ومن أتى بعده من الشرفاء، أي على عهد ولاية عبد الواحد الحميدي قضاء الجماعة بفاس بالذات. وقد أثبت المنجور انتقاده هذا في *فهرسه* الذي أجاز به تلميذه السلطان أحمد المنصور، والذي ألفه عام 989 / 1591، والقاضي الحميدي يومها في أوج زعامته العلمية والفقهية وفي أزهى أبهته الدنيوية. ولعل هذا الانتقاد قد وجد من المنصور أذنا صاغية وقلبا واعيا، وكان وراء الأمر الاستعجالي الذي أصدره بعزل عبد الواحد الحميدي عن خطة القضاء، والذي ما لبث أن عدل عنه بنفس السرعة !

وقد يقال إن المنافسة الشديدة الناشبة بين المنجور والحميدي تضعف من هذا الانتقاد وما ترتب عنه من عزل ورد، فتعضده وتقويه نكبة الحميدي السابقة والقريبة من تأليف الفهرس المذكور، والتي تمت على يد السلطان عبد المالك المعتصم الذي نقم عليه شيئا سكتت عنه المصادر فسجنه مدة، وتشفع فيه قوم فلم يقبل شفاعتهم، وبعث بأولاده إلى الشيخ رضوان الجنوي يطلبون منه أن يشفع له عند السلطان، فأبى وكتب له ببيتين يحضه على التشفع بالخالق وترك التعلق بالخلق.

وقد اشتهر غنى عبد الواحد الحميدي بفاس، وحفلت سيرته بحبه المال وإقباله الشديد على الدنيا وسعة خلقه وكثرة انبساطه. وارتبطت جل الحكايات المستفيضة عنه بصلات كبراء المخزن له، وبالهبات والأطعمة الملوكية التي كانت تصله من السلطان أحمد المنصور. كما اتصلت جل الأبيات المأثورة عنه بهذه المناسبات، وما انفتح بها من أبواب المزاح والمباسطة والمداعبة بين أدباء الحاشية المنصورية، وليس هذا مقام التوسع في جلب هذه الحكايات

والمناسبات. وقد تعددت مصادر الجاه الديني والدنيوي الذي تمتع به عبد الواحد الحميدي، فحظي بالجمع بين العديد من الوظائف ذات الأهمية البالغة على عهد السعديين من قضاء وإمامة وخطابة وتدريس، بالإضافة إلى استفادته من الهبات السلطانية والصلات المخزنية. وهكذا وعلاوة على خطة قضاء الجماعة التي اشتهر بها، تقلد خطابة جامع السلطان بالمدينة البيضاء حيث يصلي نائب السلطان وولي عهده، وأجرها أعلى من أجور خطباء مساجد فاس جميعاً. وكان له كرسي تدريس بالقرويين، وهو كرسي الونشرسي الذي يعد من الوجهة المادية من أثرى الكراسي العلمية وأغناها بالقرويين، وكان معروفا لدى الناس بكرسي القاضي. كما ولي إمامة المدرسة المصباحية، وكذا التدريس بها. وكان عضوا في الديوان الذي اتخذه السلطان أحمد المنصور كل أربعاء تجتمع فيه وجوه الدولة ويتطارحون فيه وجوه الرأي فيما ينوب من جلائل الأمور وعظيم النوازل.

ومن مظاهر ثراء الحميدي داره الكبيرة ذات الأشجار بحومة المخفية من فاس الأندلس، وخزانته التي وصفها أحمد بابا التنبكتي بالملوكية، والتي كانت واحدة من أشهر المكتبات الخاصة بفاس على هذا العهد. والعادة التي اتخذها عبد الواحد الحميدي من شراء في فصل كل شتاء عدداً عديداً من الحياك ـ وهي لباس العلماء والطلبة في العصر السعدي ـ وتوزيعها على طلبته بالمدرسة المصباحية. وما يحكى شائعا بفاس من أن ابنته كان في رجليها خلاخل من ذهب لا تحملها إلا بسلسلة في حزامها، ولها إماء يتبعنها يحملن ما تخرج من حللها، واشتهار ابنه البكر محمد بلقب التاجر. وقد كان بفاس يهودي ساحر اسمه ابراهام يستطيع فتح جميع الأقفال دون حاجة إلى مفتاح، وكانت دار الحميدي من بين الدور الفاسية المشهورة بثرائها التي أغرته بالسرقة والسطو.

ومن بين مظاهر السطوة والنفوذ اللذين تحققا لبيت عبد الواحد الحميدي تكاثر أفراده من عقبه وعقب أخيه، ونظمه علاقة مصاهرات قوية من قبل نسائهم وبناتهم، وهو ما عبر عنه ابن القاضي بالأختان مع كثرة الأعوان والخدام، وعبر عنه عبد الرحمان بن إبراهيم المشنزائي بالأحزاب والدولة. زيادة على دالة المشيخة التي كانت لعبد الواحد الحميدي على السلطان أحمد المنصور، وعلى العديد من أرباب دولته، وعلى غالبية أعيان الحضرة الفاسية. وقد بث أولاده في مختلف مراكز الأنشطة الاقتصادية والقضائية والعلمية بفاس، فكان ابنه محمد يشتغل بالتجارة، وقدم ابنا آخر له لتلقي الشهادة بسماط عدول فاس، ونبغ ابنه عبد الوهاب المترجم بعده في الأوساط العلمية والأدبية الفاسية، وسيتولى قضاء فاس مدة والتدريس بالمدرسة العنانية.

ورغم تعدد وأهمية الوظائف التي تقلدها عبد الواحد الحميدي من قضاء وإمامة وخطابة وعمل في ديوان السلطان، فقد كان من أنشط عناصر التدريس بفاس، ومن أبرز أعلام الحركة الفكرية على عهد السعديين، خصوصاً خلال الدرر الثاني من أدوارها، الذي أعقب معركة وادي المخازن ودام إلى وفاة السلطان أحمد المنصور. وقد اتسعت دائرة نشاطه التعليمي خلال هذا الدور، وشملت مراكش التي احتلت مكان الصدارة في الميدان العلمي على عهد هذا السلطان. وتتصل العديد من أخبار عبد الواحد الحميدي بترحاله الدائم بين حاضرتي البلاد مراكش وفاس، في ركاب الأمراء أو الدهماء، وخروجه مع السلطان أحمد المنصور في زياراته إلى المراكز الدينية والعلمية النشيطة في الأطلس والسوس وغيرهما، مثل زيارته إلى رجال أغمات ورحلته إلى المحمدية. ولا تذكر رحلة عبد الواحد الحميدي إلى هذه الحاضرة إلا وتذكر معها فضيحته على يد أحد علمائها وهو سعيد بن إبراهيم الهلالي الذي ألقى عليه أسئلة غريبة في الفقه وقواعد اللغة نظمها في ستة أبيات من البحر الطويل، فتوقف عن الجواب عنها، فرفعت القضية إلى المنصور الذي أمر أحمد المنجور فأجاب عنها بنفس الوزن والقافية.

وقد أفنى عبد الواحد الحميدي عمره في التدريس بفاس، والمواظبة على قراءة التفسير والفقه والتصوف والنحو في القروين والمدرسة المصباحية. وخلف لنا تلميذه إبراهيم بن عبد الرحمان الگلالي وصفا دقيقا لبرنامجه الدراسي اليومي الحافل، الذي يبدأ بحصة صباحية في القروين يفتحها بدرس التفسير الذي يعتمد فيه *تفسير* الإمام ابن عرفة التونسي، ويعقب عليه بدرس الفقه فيقرئ *رسالة* ابن أبي زيد القيرواني، ويختم حصته هاته بتدريس حكم *ابن عطاء الله* الإسكندري في التصوف. ثم ينتقل بعد ذلك إلى المدرسة المصباحية فيقرئ طلبتها *تهذيب البرادعي* على *المدونة* في الفقه، قبل أن يؤم بهم صلاة الظهر. ثم يكعف على درسه المشهور الذي كان يحضره إلي جانب الطلبة الفقهاء المعتبرون، وهو درس مختصر *خليل* على الدوام بعد صلاة الظهر إلى العصر. وينهي يومه بتدريس *المغني* لابن هشام في اللغة والأدب. وقد أفاض الگلالي في وصف الإقبال العظيم الذي كان على مجلس شيخه الحميدي، وأسهب في ذكر الفقهاء الذين كانوا يلازمونه، ومنهم من كان ينتقل إليه مع أكثر طلبته، مثل الشيخ علي بن عمران السلاسي. وذكر أن مجلسه كان حسنا له حلاوة ورقة، وربما مازح بعض الأوقات طلبته بحكايات ومضحكات تناسب المحل. وأنه كان غالب أمره لا يعقد مجلسه هذا يوم الأربعاء لحضوره ديوان السلطان.

وشابت علاقة عبد الواحد الحميدي ببعض كبار علماء الوقت منافسة حادة، واشتهرت خصومته الشديدة مع الإمام أحمد المنجور والشيخ أحمد الزموري، فكان لا يتورع عن الوقوع في أعراضهما أحياء وأمواتا، وفي أجل محافل الدين والعلم : وقد قدم السلطان أحمد المنصور أستاذه

أحمد المنجور مرة للصلاة، فلما أراد المنجور أن يدخل المحراب منعه الحميدي، فقال له السلطان دعه فقد قدمه علمه، فقال الحميدي إن قدمه علمه فقد أخره نسبه، تعريضاً بأصله اليهودي. ولما توفي الشيخ أحمد الزموري لم يحضر الحميدي جنازته، وأياما قلائل بعدها انجر به الكلام - وهو في مجلسه العلمي الحافل - إلى التعريف بأولاد ابن إبراهيم المشنزائيين، فذكر الشيخ أبا القاسم المشنزائي الذي تتلمذ عليه الزموري، فقال : "وأحمرهم ذاك بلقاسم خلافاً لمن استريح منه !". وعلق تلميذه الگلالي على عبارته هاته "ومراده التوصل إلى ذم سيدي أحمد الزموري بواسطة شيخه مبالغة بأنه إنما كان شيخه الذي هو الأستاذ الحافظ سيدي أبو القاسم حمارا، بل أتى به بأفعل الدال على المبالغة في الحمرية، فكيف يكون تلميذه المستراح منه ؟".

وعموماً لم يكن عبد الواحد الحميدي يكظم غيظه ويعفو عن الناس، ولم يسلم من لسانه العديد من معاصريه من مشايخ الفقه والتصوف، ولم يكن يبالي بما يلحقه من إذايتهم من ضرر : فقد مر يوما على الملامتي عبد المجيد بن أبي القاسم البادسي، وهو جالس بازاء صومعة القرويين والناس يتبركون به، فقال له قم يا بغل الناس كلهم يصلون وأنت لا تصلي والناس يزورونك ! فنظر إليه وقال له أنت معزول ! فجاءه أمر السلطان أحمد المنصور بالعزل بيوم أو يومين من ذلك. وتشفع الحميدي بالبادسي، فجاءه من الغد كتاب من المنصور بتوليته ورده إلى خطته. ووطئ الفقيه سعيد بن إبراهيم الهلالي على حبل من حبال خباء عبد الواحد الحميدي المضروب بباب المحمدية، وكانت على الهلالي أطمار بالية وهيئة رثة، فصاح عليه الحميدي : من هذه البقرة التي قوّضت علي خيمتي ؟ مستحقراً به. فجاء الهلالي وقال له : البقرة هو الذي لا يجيب عن هذه المسائل! وألقى إليه قرطاسا مكتوبا فيه الأبيات الستة التي لم يحر لها جواباً.

وتذكر المصادر من حسنات عبد الواحد الحميدي حرصه على محبة الطلبة ونفعهم بعلمه وماله، وأنه كان يمازحهم في درسه بالحكايات والمضحكات، ويهديهم كسوة الشتاء، وأن أرباب الخصومات الذين كانوا يقصدون مجلس قضائه كانوا يعلمون منه ذلك فيتشفعون إليه بهم فيعفو ويتجاوز عنهم. وأيضاً محاولته نصح السلطان أحمد المنصور وندبه إلى العدل والرفق بالرعية، لما شاهد وهو في طريقة إلى مراكش سلسلة فيها رجال ونساء وفيهم امرأة أخذها الطلق وهي في كرب المخاض. وكذلك مبادرته إلى تبشير المجاهدين أولاد أبي الليف بنهاية اغترابهم ورجوعهم إلى وطنهم الهبط، بعد أن رحلهم السلطان أحمد المنصور إلى فاس عام 998 / 1590.

وقد تخرج على يد عبد الواحد الحميدي خلائق، يتصدرهم السلطان أحمد المنصور، ووزيره وكاتبه عبد العزيز الفشتالي، ومن القضاة ابنه عبد الوهاب المترجم بعده، وعبد العزيز المركني الفيلالي، وأبو القاسم بن أبي النعيم الغساني وإبراهيم الگلالي. وتتلمذ عليه أيضاً أبو المحاسن يوسف الفاسي، وأولاده أحمد الحافظ ومحمد العربي وأخوه عبد الرحمان بن محمد الفاسي "العارف". وقد سعى الحميدي إلى سكنى أبي المحاسن فاس بعد دخوله إليها عام 988 / 1580، وكتب إلى أهل القصر يطلب منهم الكف عن مطالبته بعدم الخروج من بلادهم. ومن تلامذته أيضاً الحسن ابن يوسف الزياتي، وأخوه أحمد.

ويقال إن عبد الواحد الحميدي كتب شيئاً على أوائل *مختصر خليل*، وقد احتفظ ببعض أجوبته تلميذه القاضي إبراهيم الگلالي في *تنبيه الصغير من الولدان والمسألة الشهية الامليسية*، وكذلك عبد العزيز نجل تلميذه الحسن الزياتي في *الجواهر المختارة*.

رُزئ عبد الواحد الحميدي في آخر أيامه بوفاة ابنه التاجر محمد، ولعل ميتته لم تكن طبيعية، إذ ذكر تلميذه الگلالي أن لها سببا لا يعرفه إلا القليل، وقد كان أحب أولاده إلى نفسه، ووجد عليه وجدا شديداً. وخرج لحفر قبره فحفر بمحضره، وأمر الحافر فحفر له قبر نفسه بجانبه، وهو يمازحه ويقول له وسع علي من كذا وسع علي كذا، حتى فرغ من حفره، فأدلى رجليه في القبر وبكى بكاء عظيماً أبكى الحاضرين معه لذلك، ثم رجع لداره. وكان قبل هذه المصيبة قد رأى رؤيا عبرها بموت ابنه محمد وأنه يلحق به، فكان كذلك، فما بقي إلا قليلاً ولحق به.

توفي عبد الواحد الحميدي عشية يوم السبت 18 ربيع الثاني 1003 / 31 دجنبر 1594، ودفن من غده بعد صلاة الظهر بروضة أبي زيد الهزميري خارج باب مصمودة من عدوة فاس الأندلس . وحضر جنازته الخليفة محمد الشيخ المامون بن السلطان أحمد المنصور، ووقف على قبره حتى فرغ من دفنه. وكان يوما عظيما خلت الديار من النساء والأولاد فضلاً عن الرجال لحضور جنازته، حتى كاد الناس يقتتلون من شدة الازدحام. وصلى عليه مفتي فاس وشيخ الجماعة بها الشيخ يحيى بن محمد السراج.

أ. المنجور، *فهرس*، 53 ـ 79 ؛ أ . ابن القاضي، *جذوة*، 181، 80 ؛ درة، 3 : 142 ؛ *لقط*، 290 ؛ أ. المرابي، *تحفة الإخوان*، مخطوط، خ. ع، 154 ك، 367 ـ 371 ـ 373 ـ 425 ؛ أ. المقري، *روضة*، 18 ـ 20 ـ 35 ـ 175 ـ 181 ؛ أ. الگلالي، *تنبيه الصغير من الولدان*، مخطوط، خ. ع، 571 ك، 18 ـ 21 ؛ م. الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، تح. ز. النظام، الرباط، 1997، 98 ـ 113 ـ 114 ـ 282 ؛ م. الصغير الإفراني، *نزهة*، هوداس، 53 ـ 54 ـ 56 ـ 121 ـ 130 ـ 133 ـ 134 ـ 158 ـ 159 ـ 165 ـ 171 ـ 173 ؛ *صفوة*، ط. حجرية، 14 ـ 32 ـ 46 ـ 95 ـ 96 ـ 97 ـ 102 ـ 166؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*، ط. حجرية، 10 ـ 37 ـ 85 ـ 148 ـ 166 ؛ م. القادري، *نشر*، *موسوعة أعلام المغرب*، 3، 1071 ـ 1074 ؛ *التقاط*، 2: 22 ، 1 ؛ س. الفشتالي، *تقييد*، مخطوط، خ. ع، 283 د، و 87 ظ ـ و 88 ظ ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 46 ـ 55 ـ 57 ـ 65 ـ 167 ـ 168 ـ 198 ـ 190 ـ 192 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجرية، 2 : 60 ـ 61 ؛

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 525 ـ 532 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، بعناية ؛ إ. عباس، 2 : 888 ـ 890 ؛ ل. بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، تعريب ع. الخلادي، 170 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 95 ـ 112 ـ 117 ـ 122 ـ 124 ـ 128 ـ 271 ـ 274 ـ 309 ـ 310 ـ 317 ـ 361 ـ 378 ـ 382 ـ 406 ـ 487 ـ 540 ـ 541 ؛ م. مزين، *فاس وباديتها*، الرباط، 1986، 175 ـ 280 ـ 281 ـ 282 ـ 560 ـ 561.

F. R. Mediano, *Familias de Fez*, C.S.I.S., 1995, p. 172-173.

**الحميدي، عبد الوهاب** بن عبد الواحد، أبو محمد وأبو النصر، يعرف بالقاضي الحميدي الصغير تمييزاً عن والده المترجم قبله. تتلمذ على والده المذكور، والحسن الدراوي ويحيى السراج ومحمد القصار وأبي المحاسن يوسف الفاسي وعبد العزيز المركني وعلي الجراري وأحمد الفاسي وأبي القاسم ابن أبي النعيم.

لقيه أحمد المقري لما دخل المغرب أول مرة عام 1009 / 1600، ومكث بفاس أسابيع معدودات ريثما يلتحق بقاعدة الملك مراكش. وخلد في *روضة الآس* مبادرته إلى إكرامه وقضاء مآربه ومراميه، وسجل علاقته الحسنة بالأمير محمد الشيخ المامون ولي عهد السلطان أحمد المنصور وخليفته على فاس، وأنه ناوله قصيدة له في مدحه.

قلّد الأمير المذكور عبد الوهاب الحميدي قضاء الجماعة بفاس، وذلك أواسط عام 1012 / 3 ـ 1604، لما استبد بأمر هذه الحاضرة بعد وفاة والده السلطان أحمد المنصور، وعزل قاضيها ابن أبي النعيم لمبايعته أخاه زيدان وقوله فيه وفي شقيقه أبي فارس أولاد الإماء. ثم أخر عبد الوهاب الحميدي عن هذه الولاية وأعيد إليها أستاذه ابن أبي النعيم. كما ولي التدريس بالمدرسة العنانية، ومن تلامذته الفقيه الزاهد محمد بن عبد الوهاب الدكالي الفاسي الذي جمع بين الفتيا والقضاء.

اشتهر عبد الوهاب الحميدي باعتقاده الكبير ومحبته الزائدة في شيخه أبي المحاسن الفاسي وملازمته الكثيرة له وانتفاعه به، وبالألفة الأكيدة والمواصلة التي كانت بينه وبين محمد العربي الفاسي، ودأبه على حضور مجالس أحمد الفاسي الملقب بالحافظ، وهو مجاوره بالدار. وقد خرج معه من فاس عام 1019 / 1610 فارا بدينه، وممتنعا عن ممالأة مخدومه محمد الشيخ المامون وموافقته على تسليم العرائش للإسبانيين. ولا نعلم هل ألقى عبد الوهاب الحميدي عصا التسيار ببادية بوزيري بالريف، والتي مات بها شيخه أحمد الفاسي عام 1021 / 1612، أم بقي متنقلا بالبوادي إلى وفاته بعده بعام واحد.

وستوذن وفاة عبد الوهاب الحميدي الموافقة لمقتل محمد الشيخ المامون بانهيار بيت الحميديين بفاس انهياراً مأساوياً. ويؤول الحال بأخته المذكورة في ترجمة والده، والتي اشتهرت ببذخ حليها وحللها وكثرة إمائها إلى الدوران على الديار وطلب من يستأجرها طحيناً أو غيره. ويختفي رسم دارهم الكبيرة بحومة المخفية، وتصبح عرصة براحاً مغترسة بالأشجار. وقد يكون عبد الله بن محمد الشيخ المامون هو الذي استصفى أموال الحميديين انتقاما من موقف عبد الوهاب الحميدي من والده. وقد يكون ذلك من فعل حاقدين وناقمين من أيام القاضي عبد الواحد الحميدي انتهزوا الفتن التي أظلم لها جو فاس فثأروا لأنفسهم من ذريته. وقد يكون نتيجة الشر الذي عم فاساً وخلا أكثرها بسببه، واستولى عليها الخراب حتى كادت تضمحل ويعفو رسمها. وتبقى ثروة الحميديين الطائلة مثالاً للثروات الخاصة التي نفدت كلمح البصر خلال هذه المرحلة المعتمة من تاريخ فاس.

صنف عبد الوهاب الحميدي *تقييداً* ترجم فيه لمشايخ العلم والتصوف الذين عاصرهم، وربما يكون قد قصد به التذييل على كتاب *دوحة الناشر* الذي ألفه محمد بن عسكر عاما واحداً قبل معركة وادي المخازن. وقد ذكر فيه بعض شيوخه مثل الشيخ أحمد الشاوي، الذي يقول في حقه "سيدي وشيخي وقرة عيني". وترجم فيه لبعض من كان له به اتصال من مشاهير صلحاء فاس مثل الشيخ علي ورزگ، وللعديد من أتباع أبي المحاسن مثل الشيخ إبراهيم الصياد والشيخ حمادي وغيرهما. وقد ضنت مكتبة الأسرة الفاسية بهذا التقييد النفيس، فلم تتعهده الأيدي بالنسخ، ولم يحصل له الذيوع والانتشار، واقتصر النفع به بخط مؤلفه على أبنائها ومعارفهم من كتاب التراجم الفاسيين، وتم النقل عنه في عدد محدود من مصنفات التراجم المشهورة، مثل *ابتهاج القلوب* لعبد الرحمان الفاسي *والروض العطر الأنفاس* لمحمد بن عيشون الشراط *والإعلام بمن مضى* وغبر لعبد الله الفاسي. وقد عبر هذا الأخير عن نفاسة هذا التقييد بنعته لمصنفه عبد الوهاب الحميدي بالمؤرخ، وذلك في الترجمة التي عقدها له من كتابه المذكور.

وعفّى الزمان على هذا التقييد، ونسجت عليه عناكب النسيان، فلا نجد له ولا لصاحبه ذكراً لا في *مؤرخي الشرفاء* ولا في *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*. ونعتقد أن مادة هذا التقييد المفقود موجودة في التقييد المنسوب إلى المدعو سليمان بن أحمد الفشتالي، الذي يبدو أنه عاش في أواخر القرن الثاني عشر (18 م) وقد سطر في ديباجته أنه في "ذكر من توفي من الأعيان من أول العشرة الأولى بعد القرن العاشر إلى ثلاثين، وما وقع فيها من الأخبار من أحوال ملوك الوقت، وغير ذلك مما جمعه بعضهم". والمقصود تقييد عبد الوهاب الحميدي قطعاً، والذي يترجم له ولوالده عبد الواحد الحميدي ولشيخه علي الجراري، بل وينفرد بذكر أخذه عن الشيخين الدراوي والجراري، ويخبر خروجه من فاس مع شيخه أحمد الفاسي الحافظ. وهذا التقييد محفوظ في الخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع

عدده 283 د، وعدد ورقاته خمسون، من الورقة 80 إلى الورقة 130.

توفي عبد الوهاب الحميدي عام 1022 / 3 ـ 1614.

أ. المقري، *روضة الآس*، 223 ـ 225؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*، ط. حجرية، 130؛ ع. الفاسي، *ابتهاج*، تح. ح. الداري، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 381 ـ 443 ـ 449؛ م. الشراط، *الروض*، تح. ز. النظام، الرباط، 1997، 256؛ ع. الفاسي، *الإعلام*، تح. ف. نافع، د. د. ع، الرباط، 23 ـ 39 ـ 79 ـ 82 ـ 83 ـ 91 ـ 125 ـ 126؛ م. الصغير الإفراني، *صفوة*، ط. حجرية، 64 ـ 142؛ م. القادري، *نشر*، *موسوعة أعلام المغرب*، 3 : 1203؛ *التقاط*، 2 : 60 ـ 61؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 3 : 294؛ س. الفشتالي، *تقييد*، مخطوط، خ. ع، 283 د و108، و111 و116 و120 ظ.

عبد الله نجمي

**الحُميديّة**، خديجة بنت أحمد بن عزوز الحميدي الفاسي. قال عنها تلميذها عبد الحفيظ الفاسي : "الشيخة الصالحة المقرئة من أهل فاس ... كانت حافظة لكتاب الله وما يلزم لأدائه من قراءة وتجويد، عارفة بمخارج الحروف قارئة بكثير من القراءات كقراءة ورش وقالون ومكي، عارفة بوجوه قراءة هذه الرويات وأحكامها، ملازمة لتعليم كتاب الله، كثيرة العبادة والتلاوة مشتغلة بما يعنيها". أخذت القرآن الكريم بروايته على شيخ القراء الحسن جنبور، وتلقى عبد الحفيظ الفاسي عنها القرآن الكريم برواياته الثلاث وأجازته بذلك سنة 1323. وتوفيت بعد ذلك بيسر بمدينة فاس.

ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، الرباط، 1931، ج. 2 : 26.

محمد حجي

**حميراء** أو حْميرًا ـ بالمد والقصر ـ كذا يُنطق بها في المغرب وفي المشرق العربي أيضاً ـ وتسمى أيضاً بوفسّيوْ في بعض المناطق الشمالية من البلاد ـ طيور بريّة صغيرة القد تألف الغابات والأدغال والبساتين والمناطق الصخرية. تحرك ذيلها باستمرار وسميت بالحميراء لحمرة ريشها. تنتمي إلى رتبة الجواثم وفصيلة الشحروريات Turdidae . يسمى الجنس علميا Phaenicurus وبالفرنسية Rouge - queue وبالأنجليزية Redstart وبالإسبانية Collirojo وبالبربرية أجضيض أزكاغ.

يُعرف لجنس الحميراء في المغرب ثلاثة أنواع يعتمد على الذكور للتمييز بينها وذلك لألوانها الزاهية المختلفة. إناث هذه الأنواع كثيرة التشابه وألوانها حمراء بنية. يتكون غذاؤها من الحشرات والديدان وبعض الفواكه العنبية.

النوع الأول من الحميراء Phaenicurus moussieri من أكثر الأنواع انتشارا في المغرب ويقتصر توزيعها الجغرافي العالمي على تونس والجزائر والمغرب، منها عدة مجموعات تشتو في المناطق الصحراوية من هذه البلدان الثلاثة ثم تعود في فصل الربيع لتتوالد في المناطق الوسطى والشمالية.

لا يتعدى طولها 12 سم. تتميز الذكور بريش أحمر على الصدر والبطن والذيل. الرأس أسود يتوسطه خط أبيض يمر فوق العينين وينتهي على جانب العنق، الجناحان سوداوان تتوسطهما بقعة بيضاء، المنقار والأرجل رقيقة سوداء.

حميـــــــراء

تتوالد مرتين في السنة ابتداء من شهر أبريل وتبني عشها وسط الأدغال وفي حواشي الغابات وفي الأماكن الصخرية وأحيانا في الجحور الموجودة في جذوع الأشجار. يتكون العش من قطع الأغصان ويفرش بالريش. تلد الأنثى 4 ـ 6 بيضات تميل إلى الأزرق، يبلغ قطرها 15 x 20 ملم. تُحضن من طرف الأبوين 13 ـ 14 يوماً وتبقى الفراخ بداخل العش مدة أسبوعي.

إنه طائر شائع في جميع المناطق المغربية الجافة منها والرطبة، الشمالية منها والجنوبية.

ويسمى النوع الثاني الحميراء الدبساء Phaenicurus ochrurus وبالفرنسية Rouge - queue noir. يبلغ طوله 14 سم. يتميز الذكور بذيل أحمر. العنق والصدر أسودان، الرأس والظهر رماديان مسودان، الجناحان رماديان تتخللهما بقع بيضاء. يعيش في المناطق المحيطة بحوض البحر المتوسط وفي أوروبا الوسطى الغربية. منه عدة مجموعات تشتو في جميع المناطق المغربية. عدة أفراد تتوالد في المغرب تبني عشها ابتداء من شهر أبريل في المنازل المهجورة ووسط الأدغال الكثيفة الأغصان. تلد الأنثى 4 ـ 6 بيضات تحضنها الأنثى وحدها لمدة 12 ـ 16 يوماً.

ويدعى النوع الثالث الحميراء بيضاء الجبهة يسمى علميا Phaenicurus phaenicurus وبالفرنسية Rouge - queue à front blanc. تتوالد في أوروبا وشمال المغرب والجزائر وتونس وتشتو في إفريقيا وآسيا الغربية. يبلغ طولها 14 سم ويتميز الذكر بعنق أسود وببقعة بيضاء على جبهته، ريش الصدر والذيل أحمر ورمادي على باقي الظهر

والجناحين. يتوالد ما بين مايو ويوليوز ويوضع العش بداخل شقوق الصخور والجدران وفي الأدغال وعلى أشجار البساتين. تلد الأنثى 5 ـ 8 بيضات زرقاء مخضرة تحضنها الأنثى وحدها مدة أسبوعين.

مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، بيروت، 1988.

Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East.* London, 1984, p. 250 - 251 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs.* Paris, 1977, p. 270 - 271.

**الحميري، إدريس** بن صالح بن منصور آتي الترجمة، يرجع إليه الفضل في دخول الإسلام إلى الريف أيام عبد الملك بن مروان، إذ يشير الزياتي إلى أنه : "في أيام عبد الملك دخل المغرب من إفريقية إدريس بن صالح الحميري، ونزل الريف وهو الذي بني مدينة النكور وعليه أسلمت قبائل الريف" ( *الترجمانة*، ص. 81).

وبالرغم من طول المدة التي حكم فيها بنو صالح إمارة النكور، فإن تاريخها بقي غامضا، وظلت المعلومات قليلة عن هذه الإمارة، بسبب إهمال المؤرخين القدامى تدوين أخبارها شأنها في ذلك شأن إمارة المدراريين بسجلماسة، إلا أن الجغرافي الأندلسي أبا عبيد الله البكري ذكر نتفاً من تاريخ الإمارة، تعرفنا أن مدينة النكور كان تأسيسها على يد سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور الحميري (*المسالك*، ص. 91) الذي أتم بناء المدينة التي اختطها والده إدريس بن صالح عندما كان يفكر في إقامة عاصمة جديدة لإمارة الريف المستقلة بدلا من بقائه في قبيلة تمسمان إلا أن المنية وافته قبل إتمام مشروعه، وبذلك يكون سعيد هو أول من اتخذ مدينة النكور عاصمة له. ( *العبر*، 6 : 440).

أ. البكري، *المسالك والممالك*، باريس، 1965 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 1968 ؛ أ. الزياني، *الترجمانة الكبرى*، الرباط، 1967.

**الحميري، صالح** بن منصور أول فاتح عربي وصل إلى الريف وكان يعرف بالعبد الصالح ( *المسالك*، ص. 91). حيث صحب الجيوش العربية برئاسة عقبة بن نافع الفهري في حملته الأولى عام 50 ـ 55 / 670 ـ 674. وربما أسندت لصالح قيادة حملة عسكرية إلى بلاد الريف خلال ولاية عقبة بن نافع الثانية عام 62 ـ 64 / 681 ـ 684 الذي قام بحملته إلى بلاد المغرب الأقصى. وقد استقر صالح بتمسمان مع عصبته من العرب اليمنية، وتمكن الجيش بقيادته من الاستيلاء على بلاد النكور، ويشير ابن خلدون إلى أنه : "لما استولى المسلمون أيام الفتح على بلاد المغرب وعمالاتها واقتسموه ... وكان صالح بن منصور الحميري من عرب اليمن في البعث الأول وكان يعرف بالعبد الصالح فاستخلص نكور لنفسه، وأقطعه إياها الوليد بن عبد الملك في أعوام إحدى وتسعين للهجرة" ( *العبر*، 6 : 439) وإذا كنا متحفظين من المراحل المضطربة التي مربها الفتح الإسلامي بالريف، فمن المؤكد حسب المصادر التاريخية أن العناصر البربرية من صنهاجة وغمارة أسلمت على يد صالح بن منصور ( *المسالك*، ص. 91).

ويبدو أن سكان المنطقة ارتدُّوا عن إسلامهم، وقاموا بإخراج صالح من قبيلة تمسمان، ونصّبوا رجلاً من قبيلة نفزة لتولية شؤونهم يسمى داود ويعرف بالرندي (*معيار الاختيار*، ص. 94)، إلا أنهم سرعان ما تراجعوا عن ثووتهم وعادوا لطاعة صالح، يقول البكري : "وتلافاهم الله بهداه وتابوا من شركهم وقتلوا الرندي واستردوا صالح" (*المسالك*، ص. 91) ومازال قبر هذا القائد العربي بقبيلة تمسمان يقصده السكان للتبرك به، كما أن اسم هذه الأسرة (الصالحية) مازال موجوداً في نفس القبيلة.

أ. البكري، *المسالك والممالك*، باريس، 1965 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 1968 ؛ ل. ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، تح. كمال شبانة، الرباط، 1977.

عبد الرحمان الطيبي

**الحميري، محمد** بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي، برّز في علوم الحديث واللغة والنحو وكان يستظهر *كتاب التاج* للجوهري *وكتاب سيبويه وجواهر ابن شاس* وغيرها فاستحق أن يوصف بين علماء عصره باللغوي. إلى جانب ذلك كانت له دراية بالعلوم العقلية والطبية ولعبة الشطرنج، فدرّس تلك العلوم بالمسجد القريب من زقاق الفضل بسبتة.

أخذ عن كبار أساتذة سبتة وفاس وغيرهما كشيخ النحاة والقراء إبراهيم بن أحمد بن عيسى الغافقي (ت. 716) وشيخ علم الأصوال والفرائض بمدرسة سبتة أبي القاسم بن عبد الله ابن الشاط (ت. 723). وقد انضم إلى وفد سبتة الرسمي الذي ذهب إلى غرناطة لتقديم البيعة لبني الأحمر في شخص أميرها محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر (701 ـ 708) بعد أن استولى على المدينة سنة 705 / 1306. وكان هذا الوفد يتكون بالإضافة إلى الحميري من أستاذه أبي القاسم ابن الشاط ومحمد بن علي ابن هانئ اللخمي. كما استقدمه السلطان أبو الحسن المريني إلى حضرة فاس لحضور مجالسه العلمية واستعراض محفوظاته من لغات العرب وشواهدهم.

وقد اعتقد كثير من الباحثين أن ابن عبد المنعم هذا هو مؤلف كتاب *الروض المعطار في خبر الأقطار*، وعلى رأس هؤلاء الدكتور إحسان عباس الذي حاول جاهداً في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب الربط بين *الروض* وبين ابن عبد المنعم اعتماداً على الترجمة التي خصه بها ابن الخطيب، علما بأن كل الذين ترجموا لصاحبنا بمن فيهم ابن الخطيب لم يذكروا

قط أنه اشتغل بالجغرافيا أو ألف كتابا *كالروض*.

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاة ابن عبد المنعم. فقد ذكر ابن الخطيب أنه توفي أثناء عودته من زيارته لسلطان المغرب بأحواز تازة عندما داهمه الوباء الجارف. ولعل المقصود بذلك هو ما عرف بوباء الطاعون الذي ضرب المغرب ومناطق أخرى من العالمين الإسلامي والأوربي سنة 749 / 1349 وخلف وفيات كثيرة من بينها الحميري نفسه. أما ابن حجر العسقلاني فقد أشار إلى تاريخ آخر هو سنة 727 / 1327. وعلى أية حال يظهر أن ماوراه صاحب *بلغة الأمنية* هو الأقرب إلى الحقيقة حيث أكد بشكل واضح أن وفاة ابن عبد المنعم كانت سنة 750 / 1350 وأنه دفن بمقبرة المنارة بسبتة.

ولعل مؤلف *الروض* اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميري التونسي الذي كان حيا سنة 726 وهو غير ابن عبد المنعم اللغوي صاحب الترجمة وإنما هو اتفاق في الأسماء أوجب هذا الالتباس.

م. الحميري، *الروض المعطار*، مقدمة المحقق إحسان عباس، ط. 2، بيروت، 1984 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1975، 3 : 134 ـ 135، اللمحة البدرية، بيروت، 1978، ص. 66 ؛ مجهول، *بلغة الأمنية*، الرباط، 1984، ص. 24 ـ 26 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، ط. 2، 1983، ص. 20 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، القاهرة، 4 : 151 ؛ ج. السيوطي، *بغية الوعاة*، مصر، ط. 1، 1926، ص. 69 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس ...*، ص. 316 ؛ م. المنوني، *حل مشكلة تتصل باسم وعصر مؤلف الروض المعطار*، *مجلة المناهل*، العدد 10، نوفمبر 1977، ص. 367 ـ 372.

**حْميِّر جَدَّة** أو حْميِّر نَانَّة، كما هو شائع في المغرب، أو حمار قبان في المعاجم : دُوَيْبة صغيرة من شعبة المفصليات Arthropodes وطائفة القشريات - Crustaces Malacostaces ورتبة متساويات الأرجل Isopodes. تشمل القشريات بالأساس حيوانات مائية، وأنواع حمار قبان هي الوحيدة التي تعيش في البر وتألف الأماكن الشديدة الرطوبة كالكهوف والمغاور وتحت الأحجار وبين أوراق الأشجار المتساقطة وبجانب ضفاف الأنهار والبحيرات.

تتراوح مقاييس الأنواع ما بين 8 و15 ملم. يتكون الرأس من خمس قطع حلقية مشبكة. العينان مركبتان تتكونان من عدة عناصر بسيطة ذات قدرة بصرية قوية. يحمل الرأس زوجين من قرينات الاستشعار. الأولى صغيرة جداً وتتكون من مفصل واحد. والثانية Antennes طويلة وقوية. الصدر مرتبط بالرأس ويتكون من 8 قطع تحمل كل واحدة منها زوجة من الأرجل متشابهة فيما بينها وتنتهي بمخلب واحد. يتكون البطن من ست قطع تحمل الأخيرة منها الأعضاء التناسلية بالنسبة للأنثى وتلج في كل منها الخياشم وهي بمثابة الأعضاء التنفسية.

تحمل الأنثى البيض بداخل غشاء في مؤخرة البطن وتعطي صغاراً كثيرة أشبه بالكبار تمر بعدة مراحل تطويرية في نموها.

تتغذى بالمواد العضوية ولا تؤذي الإنسان، وفي حالة إزعاجها تلتوي على نفسها فتكوّن كرويات صغيرة لتحمي بذلك أرجلها. من بين الأنواع الأكثر شيوعاً في المغرب Porcellio albinos P. flavocinctus: وP. paleseneeri التي تنتمي إلى فصيلة Porcellinidae. ومن فصيلة Oniscoïdae تذكر Oniscus asellus. تسمى هذه الحيوانات بالفرنسية Cloportes.

البحوث العلمية حول هذه الحيوانات قليلة في المغرب. وقد أجريت عليها عدة تجارب في المختبرات الأجنبية.

مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، بيروت، 1988 ؛ *دراسة ميدانية*.

A. Vandel, *Faune de France*, n° 66, *Isopodes terrestres*, Paris 1963, p. 419-931.

محمد رمضاني

**الحْنَاية** أو الحَنيَّة ـ في المعمار المغربي، القوس الذي يحدّ، في طرفي بعض الغرف من المنازل العتيقة، مجالا صغيراً يتراوح عرضه ما بين متر ونصف ومترين يسمّى "القبة" يوضع به سرير النوم. وقد اتسع مفهوم الحناية ليشمل كذلك "القبة" نفسها كما أن "القبة" اتُّخذت كمصطلح في بعض المدن (كمراكش مثلا) للدلالة على الغرفة بكاملها. ويشير الناس إلى الغرفة التي بها حْناية بعبارة : "البيت مُولْ الحْناية" للتمييز بينها وبين الغرف التي لا تشتمل على حناية. وفي هذا التمييز طبعاً تقديمٌ للغرف الأولى على الثانية.

ومن هنا فالحناية هي أحد العناصر المتميزة داخل البيوت المغربية التقليدية، تعلو أرضيتُها ببضعة سنتيمات (10 إلى 15 سنتم على الأكثر) أرضية باقي الغرفة.

ويتسع مجال حضور الحناية في العمارة الإسلامية الغربية ليشمل أطرافا شاسعة من المغرب الكبير وبلاد الأندلس. وأقدمُ مثال عندنا بالمغرب لهذا العنصر المعماري حنايا قاعتي القصر الذي تم اكتشافُه بموقع بَلْيُونَش بالشمال والذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع (10 م). وقد استمر وجود الحناية بالعمارة المغربية إلى عهد قريب، حيث احتفظت بها منازل النصف الأول من هذا القرن بالمدن العتيقة.

وكوّن قصر بليونش السالف الذكر وقصرُه الثاني الكبير الذي ببرج الساحل وكذا المنازل التي اكتُشفت بذات الموقع والتي تعود كلها إلى القرن الثامن (14 م) تحتوي على حنايات، فذاك يعني أن هذا العنصر المعماري ليس عنصراً حضرياً أي أنه لا يوجد في المنازل التي بالمدن وحدها، وإنما هو عنصر حاضر وقويّ الحضور في العمارة

التقليدية في المدن وخارجها خاصة بالأرياف التي لها علاقة بالأوساط الحضرية.

ابن منظور، *لسان العرب*، حرف الواو والياء من المعتل، معجم كولان، 2 : 389 ؛ ع. توري وجودية حصار بنسليمان، *قاموس*، ص. 70.

عبد العزيز توري

**الحنبل**، نسيج من صوف متين خيوطه سدًى ولحمةً تميل إلى الخشونة وغير مدكوكة عن قصد ليكون أكثر جلباً للدفء وخفاظاً لحرارة الجسم. وهو يشبه الحائك في طوله وعرضه ومميزاته العامة، وقد يكون أكبر منه في الطول والعرض ونصاعة الألوان. والفرق بين الحنبل والحائك أن الأول فراش وغطاء، والثاني لباس.

وقد اشتهرت في إنتاج الحنابل والمنسوجات الصوفية المتينة عموماً كل من أزمور والجديدة وأسفي منذ عدة قرون وكانت الحياك والحنابل والعبائن من بين البضائع التجارية التي كانت تعتمد عليها البلاد في علاقاتها مع الإيبيريين خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16 م) (*دكالة*، ص. 111). ويذكر ابن الخطيب أن جودة إنتاج مدينة أسفي لهذه الحنابل كانت من أسباب شهرتها وازدهار الحياة فيها (*معيار الاختيار*، ص. 76). لذلك تخصصت نساؤها في إنتاج منسوجات صوفية موجهة بالأساس إلى التصدير وعلى رأسها الحنابل البديعة المنظر المتينة الحجم الدقيقة الصنع الناعمة الملمس فراجت أسواق المواد النسيجية والصباغة واستقدم تجارها الأصواف اللازمة لذلك من سائر أرجاء عبدة وحاحة ودكالة فكادت صناعة المنسوجات الثقيلة أن تكون هي أول نشاط اقتصادي فيها قبل الصيد وصناعة الفخار التي سارت بذكرها الركبان كما يقول لسان الدين بن الخطيب (*معلمة المغرب*، 2 : 427).

واشتهرت حنابل سلا في القرون الأخيرة وحتى اليوم إلى جانب الزرابي الرفيعة المدعوة بالزرابي الرباطية. وتصدر منها كميات وافرة إلى أوربا وأميركا. ومازالت معالم صنع الحنابل ماثلة للعيان داخل أسواقها إلى اليوم.

أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984 ؛ م. الشياظمي، *مدينة أزمور وضواحيها*، الرباط، 1987 ؛ ل. ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، الرباط، 1977 ؛ ع. اللطيف الشاذلي، *أسفي، معلمة المغرب*، 2 : 428 ؛ م. الكانوني، *أسفي وما إليه*، د. ت ؛ الحسن شوقي، *قبيلة السراغنة خلال القرن 19*، د. د. ع. كلية الآداب الرباط، 1990.

E. Michaux-Bellaire, *Azemmour, in Villes et tribus du Maroc*, vol. 10, Paris, 1932 ; *Les Doukkala, in Villes et tribus du Maroc*, vol. 10, Paris, 1932 ; J. Goulven , *La place de Mazagan sous la domination portugaise*, Paris, 1917 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc*, Paris, 1970 ; N. Albarracin, *El hayk en la zona atlantica del Marruecos español*, *Tamuda*, tome 2, 1954 ; M. H. Echigueur, *Les Aït Yadine*, Doctorat es lettres, Sorbonne, Paris, 1978 ; A. Bertrand, *Tribus berbères*, Lausanne, 1977 (Suisse) ; J. Burlet, *La laine et l'industrie lainière*, Paris, 1972 ; A. Delpy, *Notes sur le tissage dans les Zemmours*, *C.A.T.A.N.*, n° 3, 1954 ; E. Doutté, *En tribu*, Paris 1914 ; L. Gentil, *Dans le bled Essiba*, Paris, 1906; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris 1920 ; J.

الحنبل (نسيج)

Revault, *Le tissage et le tatouage dans le Moyen Atlas*, Fès, 1933 ; P. Ricard, *Recherche sur le vocabulaire du vêtement hispano - mauresque, Bulletin hispanique*, 1951; L. Massignon, *Enquête sur les corporations musulmanes, R.M.M.*, tome 58, 1924.

محمد بوسلام

**الحنبل في دكالة.** تميز الوثائق البرتغالية بين الحنبل (lanbel, alenbel) والزربية (alcatifa). وقد عرفها الرحالة البرتغالي Pacheco Pereira بكونها أثوابا تشبه الأفرشة التي تحاك بمنطقة الألنتيجو (Alentejo) البرتغالية. فهي مزركشة بشرائط حمراء وأخرى خضراء وثالثة زرقاء، ورابعة بيضاء، ويبلغ عرض كل شريط منها أصبعين أو ثلاثة، تستعمل الحنابل فراشا ليلا وتقوم عند الاقتضاء مقام اللباس. وتعددت الإشارات بالمصادر البرتغالية إلى إقبال البرتغاليين على شرائها بأزمور، وخصوصا بآسفي، وذلك لكونها كانت توجه لغرب أفريقيا، حيث كانت تعرض بوكالات أركان (Arguim) وأشين (Axem) وخصوصا بلامينا (Lamina) الموجودة بساحل الذهب، وكانت تعتبر أهم سلعة يقبل السود على اقتنائها، فكانت بضعة أمتار منها تقايض بعبد. وكانت أسفي، حسبما ورد ببعض الوثائق، قادرة على تزويد أسواق غرب أفريقيا بكل ما تحتاج إليه من تلك السلعة (1507). وتخبرنا رسالة مؤرخة في 15 يونيو 1500 بأن الملك البرتغالي كان يدين لقائد أسفي بثمن الحياك التي اشتهراها منه. وسرعان ما انتقل الملك البرتغالي إلى الإنتاج بأسفي، ابتداء من سنة 1507، أي سنة قبل احتلالها. وقد طالب الوكيل التجاري سنة 1512 بتعويض محل الإنتاج بآخر أرحب، ووعد بتوفير المكان. واعتمد الملك البرتغالي فيما بعد على نظام التعاقد مع منتجين حسب مواصفات كانت تحددها مصالحه المختصة بلشبونة. فقد تعاقد سنة 1512 في هذا الشأن مع "مايل ليفي"، أحد يهود أسفي.

ويخبرنا الوكيل التجاري بأن اليهودي المذكور أنتج في دجنبر 1512 حوالي مائة وحدة "متقنة وجيدة النوعية". وبما أن الكمية المتعاقد بشأنها كانت لا تغطي كل حاجيات السوق بغرب أفريقيا، فإن الملك كان يكلف بين الفينة والأخرى وكيله بأسفي بشراء تلك الأثواب. فقد أنفق Heitor Gonçalvez في ذلك خلال دجنبر 1512 تسعمائة ألف ريال. كما اضطر "مايل ليفي" المذكور خلال نونبر 1514 إلى الالتجاء إلى الحوز حيث اشترى ما قيمته 300 أوقية من "أثواب أرغين"، مع أنه كان بحوزته في نفس الشهر 2000 من الحياك و100 من الحنابل.

وفي سنة 1519 تعاقد الملك البرتغالي مع بعض اليهود لكي يسلمود خلال ثلاث سنوات 9000 حنبل، أي 3000 خلال كل سنة. ولا شك أن اليهود المذكورين كانوا من آل ابن زميرو - أكبر الأسر اليهودية بالمدينة وأغناها - لأن أحد الإيصالات يذكر بأنهم فيما بين 1513 - 1519 يحتكرون إنتاج وبيع تلك الأثواب الصوفية.

وتشير الإيصالات، أو وثائق إبراء الذمة التي كانت الإدارة المركزية تسلمها للموظفين الذين أنهوا ماموررياتهم، إلى الكميات من الحنابل التي دخلت المتجر الملكي، وقد بلغت بأسفي 21.409، موزعة على الشكل التالي :

| | 1495 - 1491 | 1498 - 1495 | 1500 - 1498 | 1501 |
|---|---|---|---|---|
| حنابل عبائن | 2455 | 602 | 7325 | 17 |
| | **1504** | **1510 - 1508** | **1521 - 1517** | **المجموع** |
| حنابل عبائن | 101 | 972 | 137 | 21.409 |

والكميات السالفة الذكر قليلة مقارنة مع الطلب الذي كان يعرفه ذلك الإنتاج، ومردّه إلى اعتماد الملك البرتغالي أساسا على التعاقد مع منتجين، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984.

R. Ricard, *Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc*, Coimbra, 1955 ; P. de Cenival (et al...), *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, série Sa'adienne*, Paris, Tomes 1 et 2 ; P. Pereira, *Esmeraldo de Situ Orbis*, Lisboa, 1975 ; P. de Cenival et Th. Monod, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal, par Valentin Fernandez, 1506 - 1507*, Paris, 1938.

أحمد بوشرب

**حَنْبَل** أو حَمْبل - بالنون والميم - نوع من الأسماك العظيمة البحرية يسمى هكذا في معظم أسواق الأسماك المغربية كالدار البيضاء والمحمدية والرباط ومولاي بوسلهام والعرائش وطرفاية والعيون. والرمُولي هو اسمه في طنجة، ويسمى تَقْبة في أگادير. سمي بالحنبل لأن جوانبهُ مخططة عموديا مما أعطى لمظهره منظراً يشبه النسيج المغربي التقليدي المعروف بالحنبل.

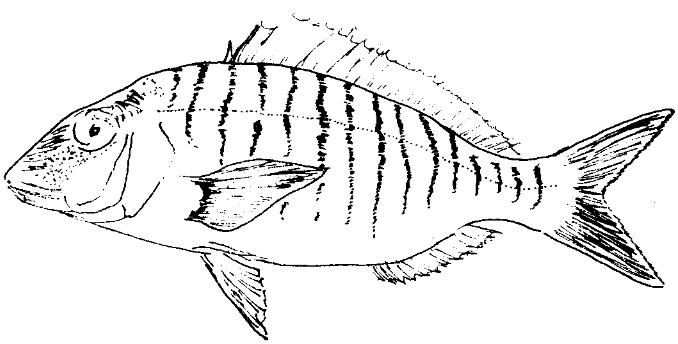

الحنبل (سمك)

ينتمي سمك الحنبل إلى رتبة شعاعيات الزعانف Actinopterygiens وفصيلة الأسبوريات ويسمى علميا Lithognathus mormyrus وكان يسمى سابقا Pagellus mormyrus. اسمه بالفرنسية Marbré وبالأنجليزية Striped Seabream وبالاسبانية Herrera. يسمى في الشرق العربي الحَفَّار والمرمار وهي معرّبة.

لونه أشهب رمادي فضيّ اللمعان، وجسمه مضغوط جانبيا وبيضوي الشكل. تتخلل جوانبه 14 ـ 15 بقعة طويلة بنية داكنة وأحيانا رمادية. لا يتعدى طوله 55 سم وشائع بين 25 ـ 30 سم. فمه مستدق وممتدّ إلى الأمام، بداخله أربعة صفوف من الأسنان. تتكون الزعنفة الظهرية من 11 ـ 12 شوكة ومن 11 ـ 12 شعاع في مؤخرتها تتكون الشرجية من ثلاث شوكات و10 ـ 11 شعاع.

إنه سمك لاحم يتغذى بالقشريات الصغيرة والديدان والأخينوسات ويألف الأماكن الرملية والطيفية والأماكن المعشوشية التي لا يتعدى عمقها 80 متراً.

يتوالد في الربيع والصيف وغالبا ما يعيش وسط مجموعات صغيرة ويصير بالغا بعد سنتين يبلغ طوله خلالها 14 سم.

يعيش في السواحل المتوسطية والأطلنطية الشرقية الممتدة منذ خليج گاسكون شمالا إلى رأس الرجاء الصالح جنوبا، ويوجد أيضاً في البحر الأحمر وفي الجنوب الغربي من المحيط الهندي.

صيده شبه صناعي وتقليدي في المغرب ويصاد بواسطة شباك مختلفة وبالصنانير. وهو موجود باستمرار في أسواق الأسماك المغربية. ويطلق اسم الحَنْبَل أيضاً على بعض أنواع سمك بوبرادع.

م. الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، بيروت، 1988.

J. Schouten et M. Ramdani, *Fish of the Khnifiss lagoon and the Tarfaya coast. Trav. Inst. Sci.* Rabat, Mémoires hors série, 1988 p. 101 - 104 ; W. Fischer, M. Schneider et M.L. Bouchot, *Méditerranée et Mer Noire, Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, Rome, 1987, p. 1364.

محمد رمضاني

**الحنديرة** أو الحنديرِ، رداء خارجي تأتزر به النساء، وهي من الأقمشة الملتحفة وغير المخيطة مما يسدل على الجسم من الخلف لتغطيته جزئيا أو كليا، تنسج دفعة واحدة على منوال أفقي. وتُتخذ الحنديرة عادة من صوف متين أو شفاف ومن قطن أو كتان بحسب المواقع الجغرافية وحسب فصول السنة، ويكون لونها في الغالب الأعم أبيض أو أبيض تتخلله أشرطة سوداء أو بُنية أو زرقاء أفقية أو عمودية، ويتراوح طولها في المجمل بين أربعة أمتار وأربعة أمتار ونصف ولا يتعدى عرضها المتر الواحد والنصف. وينطق بها في الأمازيغية : أحندير وتاحنديرت.

حنديرة أيت مرغاد

حنديرة زايان

حنديرة بني مگيلد

كان ارتداء الحنديرة سائداً بشكل واسع في سلسلة جبال الأطلس وسفوحها الشرقية والغربية والأراضي المتاخمة لها، وهي عند النساء الأمازيغيات تحل محل الحائك أو المئزر عند العربيات البدويات أو الحضريات. لذلك لم تكن النساء الأمازيغيات يستغنين عنها وهن خارج بيوتهن لقضاء مآربهن أو في الأفراح والمناسبات.

تُرتدى الحنديرة بطريقة بسيطة : تمرر المرأة طرفها الأعلى على كتفيها وتشده عند ثدييها بمشبك من الفضة وتربطه عند خصرها إما بحزام من صوف أو تجمع أهذابه وتدخل بعضها في بعض ( *المعسول*، 1 : 54).

تختلف أشكال الحنديرة وأطوالها وألوانها ورسومها من منطقة إلى أخرى، إذ كانت الألوان والرسوم والرموز التي تتخلل كل حنديرة هي التي تميز بين القبائل. فاللون السائد عند أيت بوگماز وأيت بوعلي وأيت سخمان وغيرها من قبائل الأطلس المتوسط كان هو الأبيض. وكانت حنديرة قبائل أيت يافلمان (أيت حديدُّو، أيت مرغاد، أيت يوسي وغيرها) والقبائل الممتدة على السفوح الجنوبية للأطلس الكبير من عدة ألوان وتتخللها أشرطة زرقاء وحمراء وسوداء وصفراء. أما حنديرة أيت مگيلد وَزَيان وزمّور فكانت تتخللها سبعة خطوط أفقية ويحتوي بعضها على رسوم هندسية مستوحاة من رموز القبائل وأوشامها، كما كانت تتخللها قطع معدنية دقيقة دائرية لامعة تدعى "الموزونة" وتنتهي حواشيها بأهذاب متنوعة.

تُلبس الحنديرية الصوفية في فصل الشتاء مع جوارب صوفية تسمى "تافريوين" و"تارغيوين" ونعال جلدية ذات كعب مرتفع مزخرفة برسوم ملونة بديعة. وفي فصل الصيف تُستبدل الحنديرة الصوفية المتينة بمئزر خفيف من قطن أوكتان يسمى في زيان وزمور وقبائل تادلة والحوز وسوس "تاميزارت" أ، "تابيزارت". وتحمل الحنديرة أسماء أخرى تختلف باختلاف المناطق، فهي تدعى "تافاكوت" في سوس وحوز مراكش والأطلس الصغير، و"تابرداوت" في أيت واراين بالأطلس المتوسط و "تاشكيوين" عند أيت حديدو وأيت يزدك وأيت مرغاد، و"تيزاكوين" بمنطقة درعة، و"أمنديل" في تيزنيت، وأرْدي" في السفوح الشرقية الدنيا لجبال الأطلس المتوسط والكبير، و"تاحرويت" في جنوب شرق المغرب وخاصة بمنطقة الرشيدية، و"أفيداح" في تاهلة وعلى وادي أملن "وتامحلفت" في إيداَوْسمْلال.


م. المختار السوسي، *المعسول*، 1، الدار البيضاء، 1960 ؛ عثمان بن عابد بوفتاس، *أمانوز لمحات تاريخية واقتصادية واجتماعية*، الدار البيضاء، 1991 ؛ الحسين مهديوي، *الزي التقليدي لقبائل الأطلس*، جريدة الأنوار العدد 122، 31 دجنبر 1996، ص. 10 ؛ م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، ج 1، الرباط، 1990 ؛ *أربعة وأربعون درسا في اللغة الأمازيغية*، الرباط، 1991 ؛ أ. مزيان، *فگيك مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن 19*، (1845 - 1903)، الدار البيضاء، 1988.

D. Madras, *Au sud de l'Atlas*, Casablanca, 1950 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris, 1920 ; H. Dugard, *La colonne du Sous*, Paris, 1918 ; A. Delpy, *Notes sur le tissage dans les Zemmours, C.A.T.A.N.*, n° 3, 1954; G. Dalche [et al...], *Villes et montagnes marocaines*, Rabat, 1964 ; G. Chantreaux, *Les tissages décorés chez les Beni-Mguild, Hesp.*, tome 32, fasc. unique, 1945 ; P. Chatinière, *Dans le Grand Atlas marocain*, Paris, 1919 ; A. Adam, *Le costume de quelques tribus de l'Anti-Atlas, Hesp.*, tome 39, 3ème - 4ème trim. 1952 ; J. Bellakhdar (et al...), *Tissint, une oasis du Maroc pré-saharien*, Rabat, 1992 ; A. Bertrand, *Tribus berbères*, Lausanne, 1977 ; M. Bendaoud, *Notes sur les pays Zaian, A.B.*, vol. 2, fasc. 3, 1917 ; G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara*, Rabat, 1936 ; Marquis de Segonzac, *Voyages à Maroc, 1899 - 1901*, Paris, 1903 ; J. Besancenot, Costumes et types du Maroc, Rabat, 1944.


محمد بوسلاّم

**الحنش، إدريس** بن علي بن الغازي بن المهدي السناني المالكي البكري الفاسي. فقيه صوفي وأديب شاعر، له *ديوان* بالعربية الفصحى يسمى *الروض الفائح بأزهار النسيب والمدائح*، وديوان آخر كبير في *الشعر الملحون* يحفظه الأشياخ وينشدونه. تشبع *بالروح الصوفية* ولازم شيوخها فأخذ الطريقة الكتانية عن الشيخ محمد الكتاني، وأخذ الطريقة الشاذلية عن الصالح إبراهيم بن علي الغماري، وعاش في فاس على الكفاف قنوعا لا يملك شيئاً. ثم دخل مراكش في أوائل دولة المولى عبد العزيز وقد لحقته حرفة الأدب.

من تآليفه علاوة ما سبق رسالة *الشهاب الكاوي لأهل التمشدق والدعاوي* في الرد على أهل الدعاوي الكاذبة في الولاية ؛ ورسالة *التذكير في بعض ما يجب على الفقير* ؛ ورسالة *تأنيس المسجونين وتنفيس المحرومين* ألفها لما سجن محمد بن قاسم الصادقي ؛ *ونزهة الأعيان وتبصرة الإخوان في تبيين ما بُني عليه مقام الإحسان، كبير وصغير* ؛ *وتأليف في الصلاة على النبي* عليه السلام على نسق *دلائل الخيرات* ؛ *والمقامة المغنية عن المدامة*.

توفي بفاس زوال يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى عام 1319 / 31 غشت 1901 ودفن خارج باب المحروق.


ع. إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 42 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة *أعلام المغرب*، 8 : 2826 ؛ ع. المالك البلغيثي، *النار*، مرقون خ. ص.


أحمد متفكر

**الحنشي**، أسرة سلوية انقرضت في منتصف القرن الحالي. تنتسب إلى الحنشة بطن من بطون عامر الحوزية المجاورة لمدينة سلا وعامر الوسطى القريبة من مركز مهدية. وهم قسمان : الحنشة البزيزات والحنشة الغرابة. وكان منهم في العهد الحسني بعض القواد هم :

**الحنشي، بوعزة** بن **إبراهيم** قائد الحنشة الغرارية سنة 1309 / 1819 بعد أن كان أمرُهم موكولاً إلى سلطة سعيد ابن العروسي الهلالي العمري. مكث بوعزة في منصبه إلى سنة 1313 / 1896 حيث عُزل وسجن. تقول عنه الوثائق إنه كان رجلا حازماً حافظاً للطريق الرئيسية من عيث قطاعها، وإن مقاتلات كان تدور بين إخوانه وجيرانهم من عامر وزمور كانت تسفر عن ضحايا وخسائر في الأموال والرقاب.

**الحنشي، بوغابة** ولي علي الحنشة بعد عزل بوعزة وسجنه، ومكث كذلك إلى وفاته سنة 1315 / 1897.

**الحنشي، حميدوش** المدعو أيضاً يَشِّي الحنشي، اضطلع بمنصب قائد بعد موت بوغابة. ثم أصبحت الحنشة بعده داخلة في إيالة سعيد ابن العروسي.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، ص. 167 و170 و296 ؛ *وثائق بنسعيد*.

مصطفى بوشعراء

**الحنشي، علي** السريفي، صالح شهير في بلاد جبالة، أخذ عن الشيخين علي الشلي وعبد الرحمان المجذوب، وكان الشيخ أبو المحاسن الفاسي يقول : "ما لقيت أقوى منه حالا يعني في أهل الأحوال".

توفي في حدود 1020 / 1611 وقبره مزارة في مدشر بئر دوار بسريف فوق ربوة صغيرة في مقبرة تسمى باسمه.

م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، ط حجر فاس، ص. 157 - 158.

محمد أخريف

**الحَنْطَة** (الحرفة) تؤكد المستندات التاريخية أن سكان الحواضر المغربية في معظمهم كانوا إما "أهل حرف وصنائع" أو "أهل أسواق وحوانيت"، بمعنى أن الحرف والتجارة كانت هي مصدر عيشهم الرئيسي. ذلك ما نجده في ربائد المكتبات الخاصة والعامة من تقاييد وفهارس وكنانيش مخزنية وبيانات أمناء ومحتسبين، بالإضافة إلى لوائح الإحصاءات المتكررة التي كانت تجريها المصالح الاقتصادية التابعة لسلطات الحماية من 1912 إلى 1956.

وكانت الحرف التي يشتغلون بها قبل انفتاح المغرب على الخارج واتصاله بأوروبا على الخصوص، أي قبل انتشار الحرف المرتبطة بأشكال الحياة الجديدة وأنماط الإنتاج الحديث منظمة في "حناطي" مهنية تجمع أهل كل حرفة على حدة بشكل يتوارثه "المتعلمون" عن "المعلمين" بالتقليد، ويحافظون على استمراره في سائر المدن وخاصة في الحواضر الكبرى التي كانت أكبر مراكز الإنتاج التقليدي في البلاد.

وتعتبر مدينة فاس، بما تحتفظ عليه من تراث في هذا المجال، أحسن نموذج لذلك. فهي ليست وريثة علم وتجارة فحسب، بل إنها "مملكة للصناعات والفنون الجميلة، ولو أتيح لمسافر من القرون الوسطى أن يزورها من جديد لوجد نفسه في مكان ليس غريباً عنه، لاسيما في ميدان الحرف حيث تتواتر تراكمات القرون السالفة فيها بكل وضوح، من القرن الثاني (8 م) إلى القرن الرابع عشر (20 م) جولات *في مغرب أمس بعيد الحماية*، ص. 43). لكن هذه الملاحظة ليست خاصة بفاس وحدها بل تنطبق بدرجات متفاوتة على غيرها من المدن الأخرى كمكناس وتطوان والرباط وسلا ومراكش وغيرها من المدن الصغرى التي مازال سكانها إلى اليوم يعتبرون أن "صنعة اليدين خير من مال الجدين".

وكانت دكاكين تقع مجتمعة في وسط المدينة بجانب الأسواق وقرب المواد الأولية الضرورية للإنتاج في أحياء خاصة بها تحمل اسم "الحنطة" التي ينتمي إليها أفرادها من دباغين وحدادين ونجارين وسفارين وسمارين ونجارين وسكاكين وغيرهم، كما كانت الأشغال المرتبطة بها تتم في دكاكين صغيرة وتعتمد على أدوات إنتاج عتيقة وتقنيات عمل تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، وكان تنظيمها الهرمي بسيطا يبدأ من "المتعلم" إلى "الصانع" "فالمعلم" ثم "الأمين" الذي هو رئيس الحنطة ويشرف على جودة الانتاج وعلاقات الحرفيين بالزبناء. وقد كان "أمين الحنطة" أو "أمين الطرقة" هذا يخضع بدوره لتوجيه ومراقبة "المحتسب" و"أمين المستفاد" في كل مدينة حرفية.

من أشهر "الحناطي" نذكر الفرأشين والحصارين وصناع الزرابي، والشماعين والفخارين والقشارين والسلالين والصفارين والقلالين والقشاشين أو الجوالقيين، والدرازين والدباغين والخرازين والخياطين والصباغين والطرافين والقشابين واللبادين والنيارين والصوافين والصياغين والجبّادين والغسالين والصبانين والحرّارين والصقليين والبزازين. إضافة إلى الحجّامين والعطارين والوزانين والسفارين والكتبيين والأبّارين والصيادين والغسّالين والحفارين والصحّافين. بعض هذه الحرف استمرت إلى اليوم، ومعظمها سادت في فترات سابقة ثم بادت واختفت.

ع. بن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1931 ؛ إدريس بن الماحي الإدريسي، *إعلان الصناعة الفاسية بنهضتها السامية*، فاس، 1938 ؛ ع. أمهان، *الفنون المغربية الأصلية*، مجلة *أبعاد فكرية*، العدد 2، 1989 ، أندري باكار، *المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة*، د. ت و د. م ؛ ع. المجيد ابن جلون، جولات في مغرب *أمس بعيد الحماية*، الرباط، 1975 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *الأثر الإسلامي في الفن المغربي*، مجلة *البينة* عدد 10 فبراير 1963 ؛ م. البوسهولي، *من المسؤول عن إفلاس تعاونية الدباغين في مراكش*، جريدة *الاتحاد الاشتراكي* عدد 3621، 9 يوليوز 1993 ؛ ع. الحق الخياري، *الرأسمالية والصناعة التقليدية*، دكتوراة دولة في العلوم الاقتصادية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1983 ؛

ع. القادر زمامة، *أسماء الحرف المعروفة بفاس*، *مجلة اللسان العربي*، العدد 4، 1966 ؛ م. العجلاني، *تأليف في الأشربة والمعاجين والأدهان والسفوفات والمراهم والأكحال والمربيات واللطوخات*، مخطوط خ. ع. رقم 761 د ؛ ع. العزيز العلوي، *صناعة النسيج في المغرب الوسيط*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية العدد الثاني، فاس، 1985 ؛ ف. العيساوي، *جوانب من علاقة المخزن بالحرف*، د. د. ع كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1989 ؛ أنطونيو غرسيا خايين، *الفن والفنانون المسلمون*، مدريد 1951، ترجمة نجيب أبو ملهم ؛ م. گنون، *كفاية المحتاج في استعمال المحلى والديباج*، مخطوط خ. ع. رقم 1231 د ؛ مؤلف مجهول، *ورقات في أسرار بعض الصنائع*، مخطوط خزانة كلية الآداب بالرباط رقم 216 مكل.

E. Adnan, *L'artisanat créateur au Maroc*, Paris, 1983 ; Anonyme, *L'industrie marocaine des peaux, B.I.D.M.*, juillet 1942 ; J. Baldoui, *L'artisanat marocain à la croisée des chemins*, Alger [s. l], [s. d] ; *Les arts indigènes au Maroc*, Paris, [s. d] ; H. Basset, *Les rites du travail de la laine à Rabat, Hesp.*, tome 2, 1er et 2ème trim. 1922 ; Gu. Baumont, *L'avenir des corporation artisanales au Maroc*, 1949 [s. l], [s. d] ; H. Benhalima, *L'artisanat traditionnel Sefroui, R.G.M.* n° 1, 1977 ; J. Berque, *La criée publique à Fès, Revue d'économie politique*, mai 1940 ; P. Bory, *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941 ; J. Burlet, *La laine et l'industrie lainière*, Paris, 1972 ; L. Chajai, *Langage d'artisans à Marrakech*, doct. nouveau régime, Paris 4, 1986 ; M. Champion, *La situation des métiers et des arts indigènes*, Rabat, 1917 ; P. Champion, *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1931 ; Bernard Chatin, *Les tanneries traditionnelles de Fès*, Université de Bordeaux 1, Th. 3ème cycle 1985 ; A. Chauveau, *L'industrie du cuir au Maroc*, *Chimie et industrie*, 2ème trim. 1920 ; G. S. Colin, *Noms d'artisans et de commerçants à Marrakech, Hesp.*, tome 12, fasc. unique, 1952 ; J. Fontanes, *Histoire des métiers d'art*, Paris, 1950 ; J. Gallot, *Les métiers d'art au Maroc, F. M.*, n° 4 ; H. Godbarge, *Deux corporations berbères à Fès, B.E.S.M.*, vol. 10, 1948 ; L. Golvin, *Aspects de l'artisanat en Afrique du Nord*, Paris, 1957 ; R. Guyot (et al...), *Les cordonniers de Fès, Hesp.*, tome 23, fasc. unique 1936 ; A. Hardy, *Les babouchiers de Salé, B.E.M.* tome 5, 1938 ; A. Lamazière, *Le Maroc secret*, Paris, 1932 ; R. Letourneau, *La vie quotidienne à Fès*, Paris, 1965 ; L. Massignon, *Enquête sur les corporations d'artisans et de commerçants au Maroc, R.M.M.*, vol. 58, 1924 ; A. Massonnaud, *L'évolution des corporations depuis notre installation au Maroc, B.E.S.M.* vol. 4, 1937; G. Nogues, *Artisanat et métiers marocains*, Casablanca, 1941 ; P. Ricard, *Arts et industries indigènes du Nord de l'Afrique*, Fès, 1918 ; *L'industrie indigène au Maroc, B.E.M.* vol. 1, 1933 ; *Les arts marocains et leurs rénovations*, Bordeaux, 1930 ; A. Savine, *Le Maroc il y a cent ans*, Paris [s. d] ; A. Sefroui, *La sellerie, G.E.M.* vol. 2, 1987 ; M. Taieb, *L'industrie de la chaussure au Maroc*, Rabat, 1961 ; H. Terrasse et J. Hainaut, *Les arts décoratifs au Maroc*, Paris, 1925 ; D. Chraibi, *La civilisation ma mère*, Paris, 1980.

محمد بوسلام

**الحنظل**، نبات يسمى علميا كولُوسَانْتيسْ فُولْگاريسْ Colocynthis vulgaris الذي ينتمي إلى فصيلة القرعيات Cucurbitaceae ويدعى بالعربية الدارجة "الحدج" وبالأمازيغية "تَفَرْزيسْتْ" أو أَفَرْزيزْ" أو "تَفَرْززْتْ" أو تيمْحيدْجيتْ" أو "إلِيفْ".

نَباتَ عشبي معَمّر زاحف ذو أوراق شبيهة بأوراق الدلاح، مفصصة. أزهاره صغيرة ثماره كروية الشكل تشبه بطيخة صغيرة من سلالة "سْويهْلَة"، ذات لون أصفر ولب شديد المرورة، حتى إن الأشياء المرة تشبّه بالحنظل. يعيش طبيعيا بالمناطق الجافة والصحراوية من إفريقيا وآسيا.

الحنظل

ينتشر الحنظل بالمغرب في البيومناخات الصحراوية والجافة واستثنائيا شبه الجافة. تناسبه الأراضي الرملية.

تحتوي ثمرة الحنظل على مواد عديدة كمادة الكولُوسينْت التي تستعمل كمادة طبية ضد الإمساك. وتعرف ثَمرة الحنظل استعمالات عديدة في التطبيب ضد مرض السل ومرض المفاصيل وأمراض الاعضاء التناسلية ولإبعاد الحشرات مثل الباعوض ...

*أبحاث شخصية*.

Renaud et Colin, *Tufat Al-Abab*, Rabat.

عبد المالك بنعبيد

**الحَنْفَاء** Caouanne، سلاحف بحرية، من الزواحف، وبالتحديد السلاحف التي تتميز عن باقي الزواحف بجسم محمي داخل قوقعة شديدة الصلابة (باستثناء نوع بحري واحد) تقيه خاصة من بطش الحيوانات المفترسة الأخرى كبعض الثدييات وكذلك بعض الزواحف الأخرى. وتظهر هاته القوقعة سواء عند الأنواع البرية أو البحرية على شكل صفيحات قرتينية متعظمة إلى حد ما وملتحمة بالأضلاع.

أما عن السلاحف البحرية فلا تتعدى أنواعها ثمانية قد يعثر على ستة منها فقط على السواحل المغربية، أما النوعان الباقيان فواحد منهما لا يوجد إلا على السواحل الأمريكية والثاني على السواحل الاستوائية. ومن بين هاته الأنواع الستة : *الحنفاء*.

تعتبر الحنفاء من أكثر السلاحف البحرية انتشاراً في العالم، فهي تستوطن تقريبا كل المحيطات والبحار في العالم ماعدا المناطق الباردة. قد يصل طول هذا النوع إلى حوالي 135 سنتمترا وقد يتعدى وزنه 440 كيلوغراما وهو

يتميز عن سائر السلاحف البحرية بخمسة أزواج من الصفيحات الجانبية الظهرية تصغر الأمامية منها عن الأربعة الباقية، كما أن عدد الصفيحات الجانبية البطنية لا يتعدى ثلاثة أزواج.

رغم أن هذا النوع بحري محض تكيفت معظم أعضائه لتمكنه من العيش في وسط مائي وبالأخص بحري فإن العديد منه يمكن مشاهدته في مصبات الأنهار وفي البحيرات المالحة، كما أن الإناث، خاصة وقت التوالد، تسعى إلى الشواطئ الرملية الهادئة وغير المأهولة لتضع بيضها.

الحنفاء نوع من السلاحف البحرية اللاحمة تتغذى أساساً بالحيوانات القعرية كالقشريات والرخويات وشقائق البحر والحلقيات، وفي بعض الأحيان على أسماك صغيرة، كما أن هناك عدة حيوانات عالقة يمكن أن تكوِّن نسبة لا بأس بها في وجبات الحنفاء كقناديل البحر مثلا أو الرخويات العالقة. وقد أثبتت أبحاث عديدة أن صغار الحنفاء تتغذى بالأساس على الأعشاب البحرية بما في ذلك الطحالب.

وإذا كانت الحنفاء تلتهم العديد من الحيوانات (الصغيرة الحجم بالأساس) فهناك العديد من الأنواع الحيوانية الأخرى تتخذ من الحنفاء ومن السلاحف البحرية الأخرى طعاما لها بما في ذلك أسماك القرش الكبيرة وحوت الأركة المسمى كذلك بالحوت القاتل، إلا أن أكثر الأنواع والأجناس تهديداً لحياة الحنفاء خاصة والسلاحف عامة هو الجنس البشري الذي يعتدي علي هاته الأنواع في كل مراحل حياتها منذ أن تكون على شكل بيضة حيث يطهيها كما تطهى بيض الطيور إلى أن تصبح كبيرة يتغذى على لحمها أو يصنع من قوقعتها أشياء لتزيين بيته.

أما عن توالد الحنفاء فيبدو أن سن التزاوج هو حوالي ست سنوات وأن هذا النوع يتوالد تقريبا مرة واحدة كل ثلاث سنوات. وما أن يحين وقت التوالد حتى تسرع الإناث للالتحاق بشواطئ غير مأهولة وفي غالب الأحيان نفس الشواطئ التي وُلدت بها قاطعة بذلك آلاف الكيلومترات في متاهات المحيطات وبدون أي مُوَجِّه. بعد ذلك تنتظر سدول الليل فتخرج من الماء وتتجه نحو أعلى نقط المدِّ وتحفر لبيضها حفرة تكون فيها ظروف ومعطيات الحرارة والرطوبة مناسبة لتطور البيض.

تضع الحنفاء حوالي مائتي (200) بيضة على مرحلتين إلى خمس مراحل بين كل مرحلة وأخرى حوالي خمسة عشر يوما، أما البيضة فهي على شكل كرة طاولة صغيرة لا يتعدى قطرها 55 ملمترا وقد يناهز وزنها 35 غراما فقط. يبقى البيض في الرمل حوالي عشرة أسابيع تعطي سحالف صغيرة لا يتعدى طولها حوالي الستين ملمترا.

ويعتبر خروج السلاحف الصغيرة من البيض من أهم الفترات في حياة السلاحف البحرية، وكذلك العديد من الحيوانات الأخرى المفترسة، كبعض الطيور الكاسرة والنورس والكلاب والذئاب وبعض سرطان البحر. أما بالنسبة للسلاحف فرغم خروجها من بيضها في حلكة الظلام وتوجهها بمجرد خروجها من الرمال مباشرة نحو البحر فأعدادها تتناقص بشكل كبير في هاته الفترة حيث تلتهمها حيوانات أخرى. وأما بالنسبة لبعض الحيوانات المفترسة كالسالف ذكرها فهي تنتظر خروج السلاحف الصغيرة من الرمل بكل لهفة حيث تكوّن جزءاً هاماً من غذائها.

تنتشر الحنفاء على السواحل المغربية على الواجهتين المتوسطية والأطلسية، ومجال وجودها يمتد من الحدود الجزائرية - المغربية حتى أبعد نقطة في السواحل الصحراوية لبلادنا، كما أن دراسات أثبتت توالدها في منطقة غير بعيدة عن مدينة القنيطرة.

Anonyme, *Sea Aurther of the world, FAO epecies catalogue*, vol. 11, 81 p., 1990 ; L. Laurent, Mouira S., N.M. Bradaf et J. Lescure, *Martuer mariner en Tunisie, en Algérie et au Maroc méditerranéen*. W W F / Fond Mondial pour la Nature Projet n° 3937.

محمد منيوي

**الحنّاء** أو الحنّة" أو "الحناءة" بالعربية أو "فَغُو" أو "يَرنّة" بالأمازيغية، تسمى علميا لَفْسُونْيا إينْرميسْ Lawsonia inermis وهي من فصيلة الحنّائيات Lythraceae. شجرة صغيرة يبلغ ارتفاعها أربعة أو خمسة أمتار إذا لم تقطع، لكنها لا تتجاوز في علوها المتر أو المتر والنصف في الحقل لأنها تقطع مرتين في العام بعد أن تقطع للمرة الأولى بعد ثلاث سنوات من عمرها. أوراقها بسيطة تشبه في شكلها وحجمها أوراق الرّمّان والريحان.

الحناء

يقع الموطن الأصلي للحناء ما بين مصر والهند مروراً بشبه الجزيرة العربية وإيران وباكستان وأفغانستان حيث عرفت مزاياها بهذه المناطق منذ أقدم العصور، فزرعت وانتشرت زراعتها بالمناطق الحارة وشبه الحارة بافريقيا وآسيا وذلك للزينة والصبغة المستخرجة من أوراقها.

يعتبر إنتاج الحناء في المغرب من أهم المحصولات الزراعية بالواحات الموجودة جنوب الأطلسين الكبير والصغير من فگيگ إلى آسًا مروراً بتافيلالت ودرعة. وهي من الصبغات الثابتة، تستعمل دواء لبعض الجروح والأمراض الجلدية.

ويجب قبل أن تستعمل أوراق الحنّاء أن تجفّف بعد قطعها، ثم تطحن، ويجعل منها عجينة تطلى على أيدي أو أرجل أو شعر النساء فتعطيها لونا برتقاليا أو أحمر أو أشقر وذلك حسب الكمية المستعملة. كما تستعمل ضد قشرة الرأس ولصباغة اللحية والحواجب والأظافر والأوشام وغير ذلك من وسائل الزينة الشخصية ولتليين الجلود وجعلها متينة.

*أبحاث شخصية* ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

**أبو الحنّاء**، طائر صغير القد من رتبة الجواثم وفصيلة الشحروريات، يدعى هكذا لشدة حمرة ريش صدره وعنقه. يسمى علميا Erithacus rubecula وبالفرنسية Rouge gorge وبالانجليزية Robin بالاسبانية Petirrojo وبالعربية الدارجة "بُوحَنَّا" وبالأمازيغية "أزگاغ ودمر" و"أزگاغ وُول".

يتشابه الزوجان في ألوان الريش وفي الحجم. ريشه بني مخضر على رأسه وظهره وجناحيه وذيله، وأحمر برتقالي جهة العنق والصدر وأبيض على مؤخرة البطن. المنقار والقوائم بنية. طوله جمعا بين الرأس والذيل 13.5 ـ 14 سم.

يتغذى من الحشرات وخاصة منها التي تطير كالذباب الذي يلتقطه عند الطيران ويألف الغابات والأدغال والبساتين، وهو طائر شديد التستر.

أبو الحناء

يحدد الزوج منطقة عيشه ويمنعها على سواه ابتداء من شهر شتنبر. يدافع عنها في حالة اقتراب زوج آخر من منطقته ويعيش مع زوجته فيها طوال فصل الشتاء، وتبتدئ مرحلة التوالد في مارس فيبني عشه وسط الأدغال الكثيفة الأغصان وبداخل الجحور الموجودة في جذوع الأشجار. تلد الأنثى عادة 4 ـ 6 بيضات ونادراً 9 بيضات لونها أبيض ملطخ بالأحمر ويبلغ قطرها 20 x 15.5 ملم. تحضنها الأنثى وحدها 12 ـ 15 يوما وتغادر الصغار العش بعد أسبوعين.

يقتصر توزيعه الجغرافي على دول حوض البحر المتوسط وأوروبا الوسطى والشمالية، ومنه عدة مجموعات تهاجر في فصل الربيع إلى شمال أوروبا بالتوالد. ويوجد أيضاً في آسيا الغربية.

إنه طائر شائع في المناطق الجبلية والساحلية الممتدة من الأطلس الصغير إلى شمال البلاد، ومنه عدة مجموعات تأتي من أوروبا لتشتو في المغرب ثم تعود عبر جبل طارق ابتداءً من شهر مارس. إنه نادر في المناطق الصحراوية التي قليلا ما يزورها في فصل الشتاء.

م. الشهابي، *معجم الشهابي في المصطلحات الزراعية*، بيروت، 1988.

C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977, p. 272 - 273 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East.* London, 1984, p. 252-253.

محمد رمضاني

**يوم الحناء** هو اليوم الثالث من أسبوع الزفاف بمنطقة وادي نون يقوم خلاله أهل العروس بتحضير إناء من الحناء التي خلطت مع نسبة كبيرة من الماء ترفق معه مأدبة غذاء جاهزة ويحملان إلى دار العريس التي تعود إليها العروس صباح هذا اليوم حيث ستجرى الطقوس المرتبطة بالحناء، والتي يعتقد أنها تعمل على إطالة عمر العلاقة الزوجية أو تساعد على تفادي السلبيات التي يمكن أن تنتج عن تعايش الرجل والمرأة (Mauss, 173) تطلى أثناءها يدا العروس ورجلاها بتلك الحناء لمدة قصيرة فقط لأنها تعتبر في هذه الحالة فألاً وليست زينة. ويتكرر هذا الطقس في مناطق عديدة بالمغرب، مع تقارب مهم وواضح في الدلالات التي تكتنزها المضامين الرمزية ؛ فالحناء تجنب الفأل السيء عن المرأة، كما يفترض في تلك التي تتولى مهمة وضع الحناء على العروس ألا تكون طالقاً أو تزوجت أكثر من مرة حتى لا تتعرض العروس لنفس المصير (Westermark, 202)، وحين تنتهي من ذلك يأتي الأطفال ليأخذوا بعض الحناء من على يدي العروس ورجليها أو كما يقال "إحُوصُو لحنّا" لأن ذلك يترجم مفاهيم الخصوبة والنسل الكثير والرغبة في إنجاب طفل ذكر، فعبر الحناء يتم الإنتاج الرمزي للقيم الاجتماعية، فهي تطرد الجن، وتبعد العين عن البيت وكل الممتلكات الثمينة، كما أنها تحفظ هذا الرباط الزوجي الذي يشهده الجميع (Puigaudeau, 11) ويتم إشهاره واستهلاكه عبر الطقوس الاحتفالية، كما تشارك النساء والفتيات العروس في هذه الحناء ويسعين إلى إبطائها في أيديهن بتعريضها للحرارة حتى تسود، وذلك من أجل نيل بركة

العروس، كما أظهر جاموس أيضاً عند قبائل الريف (Jamous, 272)، نرى إذن أن مكونات هذا الطقس يوضح الصفة المقدسة للالتزام، يحققه الاحتفال عبر المشاركة والمراقبة الاجتماعية (Labrusse, 512).

R Jamous, *Honneur et Baraka : les structure traditionneles dans le Rif*, Paris, 1981 ; C. Labrusse, *Mariage, Encyclopédia Universalis*. Vol. 10, Paris 1962 ; M. Mauss, *Manuel d'ethnographie*, Paris, 1967 ; O de Puigaudeau, *Arts et coutumes de Maures, H.T.*, Vol. XI, 1970 ; E. Westermarck, *Histoire du mariage*, Paris [s.d]

أحمد جوماني

**الحنّاوي، محمد** بن سالم السلاوي، فقيه عدل وُصف بالتقوى والزهد. وكان مؤدباً للصبيان بداخل مدرسة أبي الحسن المريني بطالعة سلا. وله خط جميل يتولى به نسخ الكتب. كان سنة 1249 من عدول سلا المبرزين، وتوفي سنة 1325 / 1907 عن سن عالية. وتجدر الإشارة إلى أن من أشهر البساتين بسلا "سانية الحنّا" ولعل الحناويين أصحابها أو منسوبون إليها. وقد انقرضوا اليوم.

م. بن علي، *الإتحاف الوجيز*، ص. 52 ؛ *إتحاف أشرف الملا*، ص. 57 ؛ *كناشة الحاج أبي بكر الصبيحي*، مخطوط، خ. ص. ؛ *رسوم الخزانة الصبيحية* ؛ *رسوم ووثائق شخصية*.

أولاد **حنُّون** فريق من الصفافعة قبيلة بني حسن القاطنين بالشمال الشرقي من إقليم القنيطرة في الجماعة القصيبية حسب التقسيم الجماعي الأخير (1992) . كان أولاد حنون يعدون في الصدر الأول في القرن الرابع عشر (20 م) بنحو 200 خيمة (أسرة) وقد تولى أمرها عدد من القواد الحنونيين :

**الحنُّوني، إدريس** بن **بوسلهام** كان سنة 1328 / 1910 قائداً بدلاً من موسى الحنوني آتي الترجمة. وكان لا يزال كذلك في عهد الحماية التي أضافت إليه فخذتي الرسوم وأولاد عبد الله الصفاعيتين.

**الحنُّوني، إدريس** (الحاج -) بن **يحيى**، ولي القيادة على أولاد حنون إثر وفاة أبيه الحاج يحيى. واستمر في منصبه إلى أن أدركته الوفاة سنة 1312 / 1894.

**الحنُّوني، العربي** بن الحاج يحيى هو الابن الثالث للقائد الحاج يحيى آتي الترجمة، وكان آخر أولاده في الولاية. وقد عين بعد أخيه معمّر بحيث كان قائداً سنة 1322 / 1904. وكان لا يزال سنة 1327 / 1909 في منصبه الذي نافسه عليه موسى الحنوني منذ سنة 1326 / 1908.

**الحنُّوني، معمّر** بن يحيى استعمل على إخوانه سنة 1312 / 1894 بعد أخيه الحاج إدريس. ومكث في منصبه إلى سنة 1318 / 1900 التي لعلها كانت سنة وفاته.

**الحنُّوني، موسى** كان سنة 1326 / 1908 قائداً على طرف من أولاد حنون حسبما ذكره العربي بن الحاج يحيى الذي اشتكى من تعسفاته على إخوانه. لكنه لم يمكث في الولاية مدة طويلة، إذ سرعان ما عين إدريس بن بوسلهام على كافة أولاد حنون.

**الحنُّوني، يحيى** (الحاج -) هو أقدم أولاد حنّون ولايةً، أتى ذكره متولياً عليهم منذ سنة 1267 / 1850. ولعله كان آنذاك شيخاً لقومه أو مجرد واحد من الوجهاء. وقد ورد وصفه بالقائد سنة 1295 / 1878 لـمّا وجه السلطان إليه وإلى قواد بني حسن رسائل يأمرهم فيها بالعمل على حفظ الطريق الذاهبة من سلا إلى شمال المغرب وشرقه. وقد استعمل على قومه طيلة ثلاثين سنة، إلى أن وافته المنية حوالي 1302 / 1884. وقد خلف أولاداً في الولاية هم الحاج إدريس ومعمّر والعربي المذكورون أعلاه.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا : قبيلة بني حسن*، 1860 - 1912، ص. 99 - 114 - 116 - 119 ؛ *التعريف ببني سعيد السلاسين*، ج 2، ص. 170.

مصطفى بوشعراء

با **حنِيني** (أسرة) ← **بَّاحنيني**

ابن **حْنيني، محمد** بن أحمد الزّراري ثم التازي نسبة لزيرار حوز مراكش، ذكره الشيخ التاودي ابن سودة في *فهرسه* ضمن شيوخه. وكانت تربطه بالشيخ عبد العزيز الدباغ صاحب *الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز*. علاقة متينة ومتميزة، إذ هو عمدته ووارث سره. ويحكي عنه الحوات في *الروضة* قوله : "ومما مَنَّ الله به علي أني لما التقيت مع شيخنا الإمام الغوث الهمام مولاي عبد العزيز بن مولاي مسعود الدباغ، كان قلبي متعلقا جداً بأمور الدنيا من حرث وتجارة ونحو ذلك. كنت من ذلك في غاية الكدّ والتعب. وكانت الدنيا هي المقصودة، والآخرة أضغاث أحلام. وكنت ممن رزقه الله شيئاً من العلم، وعزمت على أن أدخل في زمرة العدول، أو السعي في تولية خطة القضاء والعياذ بالله، فرحمني الله عز وجل حين لقيته، وطهّر الله قلبي وذلك ببركته وحسن سياسة" وحسب هذه الرواية فقد أمره شيخه عبد العزيز الدباغ ببيع ما عنده من الثيران وغسل قلبه من الفلاحة، كما أمره ببيع ما عنده من الكتب والتجرد إلى الله تعالى.

كان لمحمد ابن حْنيني إخوان في الله وأتباع سالكون طريق السنة مجانبون الابتداع، أورثه سره الشيخ عبد العزيز، فراج عنه في الخلق من معارفه الخالص الابريز وكثر قاصدوه من كل بلد وأخذ عنه أخذ انتفاع قوم ذوو عدد.

توفي سنة 1153 / 1741 بمدنية تازا وضريحه زاوية يقصدها الزوار.

التاودي ابن سودة، *فهرسة*، مخطوط ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، 393 ـ 394.

عبد العزيز تيلاني

**الحوالات الحبسية**، سجلات تضم الوثائق الحبسية فتشمل أسماء الأملاك الحبسية وأنواعها وأماكن وجودها ورسوم ملكيتها وتحبيسها وأسماء محبسيها، وطرق استغلالها ومداخيلها ونفقاتها على المساجد والمدارس والمشاريع الاجتماعية المتنوعة، إلى غير ذلك من الوثائق ذات الصلة بالأوقاف.

ويعتقد أنها سميت بالحوالات الحبسية لأنها أصلا وثائق وقفية حُولت إلى سجلات تجمعها، أو لعلها آتية من الحول بمعنى العام لملاحظة أنها تتجدد كل سنة في أكثر الظروف التي مرت بها الأوقاف، كما أنها تتعرض باستمرار للمراجعة والتتبع، الأمر الذي يدلّ على اشتقاقها من الحول أو من التحويل، لأن وثائق التحبيس تحول وتنقل لهذه الدفاتر.

ولا يعرف بالتحديد متى بدأ تدوين الحوالات الحبسية، إلاّ أنها عرفت بالمغرب منذ العصر المريني، غير أن أقدم الأصول الباقية منها إنما تعود للعهد الوطاسي ومنها "حوالة أحباس فاس العليا" و"حوالة أحباس المارستان بفاس"، وهما يعودان تاريخيا لسنة 905، والجزء الأول من "حوالة أحباس القرويين" بتاريخ 961.

ويعتبر العصر العلوي فترة تنظيم ـ أكثر ـ لهاته الحوالات، خاصة في عهد مولاي إسماعيل الذي أمر بإحصاء الأملاك الحبسية في كل البلاد. وتقييدها في سجلات خاصة عرفت بالحوالات الحبسية الإسماعيلية.

أول اهتمام بالحوالات الحبسية تناول حوالة أحباس طنجة فتم نشرها سنة 1914 مصورة في نصها العربي (330 لوحة) بعناية الفرنسي "ميشو بيلير".

ومن الذين اعتمدوا الحوالات الحبسية، عبد الرحمان ابن زيدان الذي استغل الحوالات الخاصة بمكناس بشكل كبير في تاريخه *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة فاس*، سواء فيما يتعلق بالتراجم أو بالأخبار التي أوردها عن مدينة مكناس.

وقد استخدم محمد المنوني الحوالات في بعض كتاباته كما جاء في مقاله عن *مكناس عبر أربعة عصور*، وولجت الحوالات في السنين الأخيرة قطاع الدراسات الجامعية، فاستغلها أحمد التوفيق في كتابه عن *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، ومحمد مزين في رسالته عن *فاس وباديتها 1549 ـ 1637*، ومحمد اللحية في رسالته حول *الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر*. ومع ذلك ماتزال الحوالات الحبسية لم تدرس دراسة مفصلة ولم يعن بها أحد ـ فيما نعلم ـ ولا تصدى لبحثها باحث.

وتوجد بالخزانة العامة بالرباط مصورات على الشريط لمعظم الحوالات الحبسية المغربية في 75 مصورة تحدث عنها محمد المنوني في مقال له بمجلة *البحث العلمي*، لكن مازالت بالنظارات الجهوية ثروة هامة من الحوالات غير مصورة. وأخَرى في بعض الخزانات، منها بخزانة القرويين بفاس قطعتان من حوالتين فاسيتين قديمتين الأولى تحمل رقم 399 والثانية رقم 395، و"حوالة أوقاف مدينة القصر الكبير" التي جددت عام 1284 وتحمل رقم 780.

من خلال الوثائق المدونة بهذه السجلات تتناثر معلومات بالغة الأهمية عبر الفترات المنوه بهـا، فتكشف ـ في بلد الحوالة ـ عن أسماء الخطط والآثار والأشخاص والأسر، علما بأن عددا من هذه صار غير معروف. كما تحتفظ الحوالات بمعلومات عن نظام التسيير لقطاع الأوقاف وأسماء القائمين به ومرتباتهم، فضلا عن الأنظمة الدينية والتعليمية والاجتماعية للمساجد والمدارس والمؤسسات الاجتماعية المندثرة. هذا إلى أن كثيراً من وثائق الحوالات يثبت بها تسلسل عدد من العائلات المغربية، مع مجموعات من أسماء الشهود والقضاة وتوقيعاتهم بأشكالهم المعقدة، مضافا لذلك بعض لوائح الكتب الموقوفة على المؤسسات التعليمية، ومجموعات الفتاوى مذيلة بأسماء المفتين، كما تقدم الحوالات الحبسية صوراً للأخلاق الشعبية في مجال البر والإحسان بواسطة مضمون تحبيسات الأفراد على مختلف المشاريع الإنسانية.

تحدث أحمد التوفيق عن حوالة أحباس دمنات قائلا : "وهذه الوثيقة، رغم صغر حجمها، مثال على ما للحوالات الحبسية من أهمية في تاريخ البنية الحضرية لحواضر المغرب، وفي إعادة تصور ولو جزئي للمنظر الزراعي بالنسبة لبواديه" ( *المجتمع المغربي*، ص. 25 ـ 26).

هكذا يبدو أنه بالرغم من الصبغة الوثائقية شبه المتخصصة للحوالات الحبسية (رسوم ملكيات، رسوم تحبيس، عقود شراء وبيع إحصاءات) فهي تحوي معلومات كثيرة دقيقة ومتنوعة حول جوانب حضارية مختلفة، وتزداد أهمية الحوالات ـ كمصدر ـ عندما نجدها تهتم بمناطق ونواحي تشكل عناصر ثانوية في زحمة اهتمامات "المؤرخ التقليدي (أو الرسمي) الذي يهتم أول ما يهتم بالأحداث السياسية الكبرى التي لها ارتباط بالسياق التاريخي الذي ينصب أول ما ينصب على تاريخ الدول والأسر المالكية وما يندرج تحت هذا المعنى، فهي تقدم مجموعة من المعطيات المرقمة والمحددة لملكيات المساجد والزوايا والمؤسسات

الإحسانية والمارستانات. كما أنها توفر - من جانب آخر - مجموعة متكاملة من المعطيات في مجال زمني واسع يعطي إمكانية المقارنة بين فترات مختلفة.

*حوالات أحباس مدن مكناس وفاس وطنجة* ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، 1 : 130 ؛ *مجموعة المصادر التاريخية المغربية*، *مجلة البحث العلمي*، عدد مزدوج 20 - 21، السنة 1972 - 1973، ص. 86 - 89.

رقية بلمقدم

**الحوامض**، تشمل الحوامض أو "الموالح" أو Agrumes بالفرنسية كل الأنواع الشجرية أو الشجيرية لفصيلة الروتاسيات Rutaceae. ومنها أنواع الليمون (انظر حامض) والـمَانْدرين والـكْليمُونْتين والبَامْبْلْمُوس والنارنج والترنج (انظر ترنج).

وهي أنواع شجرية أو شجيرية، بعضها قليل الأشواك، ولها رائحة عطرية، مستديمة الخضرة. أوراقها بسيطة أو شبه مركبة. أزهارها بيضاء أو مائلة إلى اللون الأرجواني، مفردة وذات رائحة عطرة وغزيرة الرحيق. ثمارها لبية تعرف بالبرتقالية غزيرة العصير نظراً لوجود أكياس عصارية.

الموطن الأصلي لجميع الأنواع البرية من الحوامض هو شرق آسيا وجنوبها. وقد استؤنست بعض الحوامض وزرعت منذ زمن بعيد جدا، قد يزيد عن ثلاثة آلاف سنة، فالترنج زرع في الحدائق المعلقة المشهورة في بابل لاستعماله في ماء الاستحمام والدهانات. ثم أدخلت الحوامض إلى المنطقة المتوسطية ومناطق أخرى حارة أو معتدلة من العالم، حيث أصبحت الآن من المحصولات الهامة.

جنس سيتْرُسْ غني بالأنواع التي يزيد عددها عن المائة بالإضافة إلى السلالات التي نتجت عن التهجين كالكْليمَانْتين الصادر عن أبوية المَانْدَرين والنرنج (البرتقال المر) بعد العملية التي أجراها الأب كْليمُونْ Clé-ment بمنطقة وهران. إنها أنواع وأصناف كثيرة لكن القليل منها ذو أهمية اقتصادية.

تغرس الحوامض بالمغرب على نطاق واسع في السهول المسقية لتْريفة وسايس والغرب ودكالة وعبدة وسوس، حيث تنتج كميات كبيرة من الفواكه التي تستعمل للأكل محليا أو للتصدير، أو للعصير أو لصناعة المربى. ويعتبر المغرب من أكبر مصدري الحوامض بالمنطقة المتوسطية. إذ يصدر البرتقال والكليمانتين للسوق الأوربية والروسية والبلاد العربية مما يمكن المغرب من الحصول على كميات وافرة من العملات الصعبة.

*أبحاث شخصية* ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

**الحُوت**، السمك لغةً، وقد غلب على الكبير منه، والعامة في المغرب لا تفرق بين الحوت والسمك. وبالنسبة للمختصين في علم الحيوانات الحوت والحوتيات والحيتان Cetacea رتبة من الفقريات اللبونة تعيش في البحار، منها الدلفين والأركة وجمل البحر والبال والعنبر والهركول.

تحاكي هذه الحيوانات الأسماك في شكلها إذ تتوفر على زعانف ورأس ثابتة لا تتميز عن الجذع إلا أن هيكلها العظمي ووظائفها الفزيولوجية تقربها من الثدييات البرية. الجسم منعدم الحراشف ويغطيه جلد عار توجد تحته دهنية سميكة تحمي الحيوان وتعزله عن التغيرات الحرارية الخارجية. ينتهي الجذع بزعنفة ذيلية عريضة وقوية وضعها أفقي تُساعد على السباحة. تحولت القائمتان الأماميتان إلى أعضاء سباحية ذات وظيفة استقرارية. تتوفر كل قائمة على خمسة أصابع.

تتنفّس أنواع الحوتيات بواسطة رئتين كبيرتي الحجم بسبب متطلبات البيئة التي تعيش فيها وإضافة إلى ضعف حاجة المناطق الدماغية إلى الأوكسجين تختزن هذه الحيوانات كمية كبيرة من الهواء تمكنها من الغوص تحت الماء أقصى ما يمكن من الوقت. تسبح عادة غير بعيد عن سطح البحر وتغوص إلى أعماقه تتعدى 1500 متر. يدخل الهواء من المنخار الموجود فوق الرأس به ثقبة أو ثقبتان حسب الأنواع. تبقى هذه الثقب محكمة الإغلاق خلال الغوص وعند ما يطفو الحيوان يقذف النفس بقوة تثير الانتباه حيث يتكوّن مع ملامسة الهواء البارد انبجاس مائي حقيقي يختلف شكله وحجمه حسب الأنواع.

تنقسم رتبة الحوتيات إلى مجموعتين :

أ - مجموعة ذوات الأسنان Odonticeta تتميز بثقبة واحدة على المنخار وبفم مزود بأسنان متساوية فيما بينها. يمثل هذه المجموعة في الشواطئ المغربية أحد عشر نوعا على الأقل، منها خنزير البحر Phocaena phocaena والأركة Orcinus orca والأركة المزيفة Pseudorca crassidens وخمسة أنواع من التخس أو الدلافين : Delphinus delphis، Tursiops truncatus، Stenella coeruleoalba، Seusa teuzei وGrampus griseus، ونوعان من البال Ziphius cavirostris وHyperoodon ampulatus ونوع Globicephala melaena.

تتميز هذه الحيوانات بخطم مستطيل يقوم مقام المنقار حيث يستعمل للبحث عن المأكولات وإمساكها، ويتكون قوتها اليومي من الرخويات والسرطانات والإربيان وباقي القشريات.

ب - مجموعة منعدمات الأسنان Mysticeta تسمى أيضا الباليات أو الأفاليات منها الهركول الأزرق Balaenoptera musculus والهركول الشائع B. physalus وهركلو رُودُلف B. borealis وجمل البحر أو

الكبع Megaptera novaeangliae والعنبر Physeter macrocephalus. تتميز هذه الحيوانات بثقبتين على المنخار ويفم بداخله صفائح مقرنة مثلثة الشكل ومهذبة جانبيا. تشكل صفوفها مصفاة فعالة يمر من خلالها الماء فتحفظ بالأجسام الدقيقة الأوقيانوسية التي تشكل القوت اليومي لهذه الأنواع.

تعتبر أنواع الباليات من أكبر الحيوانات على وجه الأرض طولا ووزنا. يتراوح طولها ما بين 5 أمتار و33 مترا بالنسبة للهركول الأزرق. من المعروف عند هذه الحيوانات أن معظم الأنواع تهاجر من المياه الباردة الشمالية إلى المناطق المعتدلة الحرارة خلال فترة التناسل والولادة وتعد الشواطئ المغربية من أكبر الممرات لعدد كثير من الأنواع. في حالة المرض أو الاصطدام بالصخور أو البواخر تلقي الأمواج بالأفراد المصابة إلى الشواطئ.

تدوم مدة الحمل ما بين 8 و16 شهرا وذلك حسب الأنواع. تضع الأنثى صغيرا واحدا يبلغ طوله 4 أمتار بالنسبة لأنواع الهركول ومترا واحدا بالنسبة للدلافين. تبقى الأم ثابتة على جنبها لاتتحرك لتمكن صغيرها من الرضاعة والتنفس في آن واحد.

تعد الحوتيات من الحيوانات المهددة بالانقراض الناتج عن صيدها لاستغلال شحومها في الزيوت الصناعية وأكل لحومها. صيدها ممنوع في الشواطئ المغربية ونادراً ما تدخل بعض أفراد الدلافين وسط شباك صيد الأسماك فتموت على إثر عدم التنفس.


م. رمضاني، *معلمة المغرب*، الأرُكة، ج. 1، ص. 324 - 325 ؛ البالين، ج. 3، ص. 1013 ؛ التخس، ج. 7، ص. 2299 - 2301 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة 1988. ؛ المعلوف أمين، معجم الحيوان، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Bayed et P. C. Beaubrun, *Les mammifères marins du Maroc, Inventaire préliminaire, Mammalia*, 51, 3, 1987, 89 - 92 p. ; D. Lloris et J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, FAO, 1998, 263 p. ; M. Ramdani et N. Elkhiati, *Flore et faune marines du Maroc, Biodiversité, Biologie, Ecologie et Biogéorgraphie.* Expo 98, Rabat, 1998, 68 p. ; H. Aloncle, *Deuxième note sur les Cétacés de la baie ibéro-marocaine, Bull. Inst. Pêche Marit.*, Maroc, 1967, (15) : 33 - 35 ; M. Menioui, A. Berraho, A. Idelhaj et A. Moumni, *Données récentes sur quelques mammifères marins et sur une tortue des côtes marocaines*. Rapp. Comm. Int. Mer. Medit., 34, 1998.


محمد رمضاني

**الحوريات** "Nymphae"، إن دور الكائنات التي تحمل في اللغة اللاتينية اسم "Nymphae" يتمثل في حماية العيون الطبيعية والحامات، بهذه الصورة تظهر عبادة الحوريات في مختلف الولايات اللاتينية القديمة.

وانطلاقاً من الشهادات الابيغرافية يبدو أن النقائش المتعلقة بها قليلة في إفريقيا وذلك نظرا لانتشار عبادة الاله "نبتون" إله المياه العذبة والمالحة.

لقد انتشرت عبادة الحوريات خاصة قرب الحامات وأهمها حامة "Flaviana" بنوميديا، وأثبتت البقايا الأثرية التي عُثر عليها أثناء التنقيبات بأن هذه الحامة كانت تتمتع بخاصية استشفائية وبالتالي فالعبادة التي خصصت لهذه الحوريات وللمياه من طرف المتعبدين كان الهدف منها الحصول على شفاء من أمراضهم العضوية.

وقد عثر على مختلف النقائش بداخل البلاد، الشيء الذي يدل على أن الحوريات اختصت في حماية المياه العذبة كما أثبتت ذلك الهدايا المقدمة لها، وهي عبارة عن قنوات ومعالم مائية (Nymphées) هذا فضلا عن كون عدد من الطوبونيمات التي عثر بها على الهدايا ما زالت تحمل حتى الآن اسم "عين" مثلا "عين موسى" قرب سطيف، وعين الشقور قرب وليلي.

وعادة ما نجد اسم الحوريات ملتصقا بأوصاف رومانية مثل "القديسات" "Sanctissimae" أو الفلاڤية "Flavianae" أو السبتيمية "Septimianae" الشيء الذي يدل على أن العبادة كانت تقام من طرف ممثلي روما، وهذا لا يعني أن الحوريات لم تكن وريثة القوى الليبية االمشرفة على المياه في هذه المنطقة حيث الماء له قداسته.

إن الهة المياه أو جنة المياه الليبية التي كانت مقدسة من طرف الأهالي استمرت تحت اسم الحوريات أو جنة النافورات ولكن عند تمسيح شمال افريقيا، أصبح لمصطلح "حوريات" الذي حملته النقائش، دلالة أدبية فقط، أي تعبير شعري من أجل الجديث عن الماء.

ويمكن القول إن توزيع النقائش الخاصة بهذه الكائنات غير متعادل، فأغلبها عثر عليها بنوميديا وخاصة بحومة Flaviana كما رأينا. وفي المغرب القديم عثر على نقيشة واحدة بعين الشقور قرب وليلي وهي عبارة عن إهداء موجه للحوريات ولجنة المكان (*IAM*, 2, 822) من طرف أحد الولاة.

ولم يغفل الأفارقة تمثيل الحوريات فوق الفسيفساء فالحوريات التي ترمز للقوى الطبيعية المشرفة على الخصوبة، تتوفر أيضا على خاصية حمائية (Valeur bénéfique) أي الحماية من القوى الشريرة وهذه الخاصية نصادفها في إحدى فسيفساء مدينة Althibunos (*IMGA* II, 575) وسوسة (*IMGA* II, 138)، وتجدر الإشارة إلى أن عدداً كبيراً من صور الحوريات عثر عليها بافريقيا سواء فوق الفسيفساء أو التماثيل، ولكن يصعب معرفة المضمون الاركيولوجي الذي وجدت فيه.

وقد حاول بعض الباحثين (R. Ginouvés) إقامة علاقة بين الحوريات وطقوس الزواج، فالحوريات تبدو بمثابة حاميات للزواج، فعادة ما يطلق على الفتيات المتزوجات اسم "حوريات" لأنها تدخل في علاقة تزاوج من أجل الإخصاب.

إن ما يمكن أن نستخلصه هو كون الحوريات اختصت بمجال المياه العذبة في هذه المنطقة من العالم الروماني والتي كان فيها للماء قيمة كبرى، كما أن عبادة الحوريات وجدت بدون شك قبل مجيء الرومان واستمرت خلال الوجود الروماني وحتى بعده ولكن تحت أشكال مختلفة.

J. Toutain, *Cultes païens dans l'empire romain*, p. 380 - 382 ; J. Birebent, *Aquae Romanae : recherche d'hydraulique romain dans l'Est Algérien*, Alger, 1962 ; J.P. Darmon, *Nympharum Domus : les pavements de la maison des Nymphes à Néapolis et leur lecture*, Leiden 1980 ; Darember et Saglio, *DAGR*, p. 124 - 127 ; *CIL* VIII, 17722, 17723, 17727 ; 4322 ; 2662 ; *AE*, 1910, 156; *AE*, 1928, 36 et 37 ; *IAM*, 2, 822.

عبد العزيز بل الفايدة

**الحوز**، مصطلح جغرافي يعني الضاحية. وفي المغرب حوزان مشهوران : صغير في الشمال هو "حوز تطوان" وكبير في الجنوب هو "حوز مراكش".

**حوز تطوان**، منطقة على البحر المتوسط تسكنها قبيلة تحمل نفس الاسم "قبيلة الحوز" وفي سفح أحد جبالها تقوم مدينة تطوان. تحد غربا وشمالا بقبيلة أنجرة، وشرقا بالبحر المتوسط، وجنوبا بقبيلة بني حزمر وودراس، تضم فرقتي : ـ فرقة صدينة وتحتوي على تسعة مداشر هي : سمسة، بني عمران، الدشريين، صدينة، اجعباق، العلوية، الكدان، ترانت، واد أجلة. ـ وفرقة البحري وتضم 15 مدشراً وهي : القلاليين، الملاليين، بني سالم، السرور، العنصر، واد أليل، بلوازن، البين، الكوف السفلي، الكوف الفوقي، واد الزرجون، بوجميل، الكدانة، عين ليين، جبل زمزم.

ينقسم الحوز الآن إلى ثلاثة أقسام : بلدية الفنيدق، جماعة سمسة (صدينة سابقا) سكانها حوالي 5.828 نسمة ومساحتها 75،85 كلم$^2$ ؛ وجماعة تغرمت سكانها حوالي 11.482 نسمة ومساحتها 255،15 كلم$^2$ بالإضافة إلى مدينة تطوان ومرتيل.

بنية الحوز التوائية يغلب عليها الصخور الكلسية، لهذا فهي تنتمي إلى الصخور الكلسية الليياتية، كما تحتوي على صخور دولوميتية وبلشية. وأهم جبالها الفحص وجبل البحار وجبل درسة وجبل عورغيز في الجنوب. يغلب على غطائها النباتي طابع الشوكيات خاصة الصنوبر بمختلف أنواعه مثل الحلبي والمظلي وأشجار الفلين. أما الماطورال فيتشكل من العرعار والضرو على السفوح الشمالية الغربية. ونظرا للبنية وطبيعة الصخور والتربة فإن الفلاحة ضعيفة، تقتصر على البقول والخضر وبعض الفواكه والحبوب الموسمية البورية.

تعتبر شواطئ الحوز على البحر المتوسط من أهم المناطق السياحية في المغرب، فقد أنشئت فيها عدة منشآت على طول الشاطئ مثل مارتيل، والمضيق، والرأس الأسود، وسانية الطوريس، والفنيدق.

كانت المنطقة الشمالية الغربية في الماضي تنتمي كلها إلى قبيلة غمارة واليوم أصبحت مقسمة إلى قسمين، غمارة وجبالة. والحوز تنتمي إلى هذه الأخيرة، وأهم ما يميزها هو التشبث بالقيم الإسلامية والعادات الأصيلة والحمية الجهادية. وقد تحدث مولييراس في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) عن عدة جوانب في الحوز منها الجانب الديني وأشار إلى كثرة الزوايا فيه، وإن كان قسمها تقسيماً غريباً، كالزاوية التجانية والقادرية والناصرية والدرقاوية والتهامية الخ.

ساهمت قبيلة الحوز عبر العصور في الحركات الجهادية في الأندلس مع المرابطين والموحدين، وفي معركة وادي المخازن أيام السعديين، وفي محاولات تحرير سبتة وحرب تطوان. وبعد فرض الحماية الإسبانية على المنطقة شاركت قبيلة الحوز في الحركة السياسية والعسكرية لمقاومتها. حضر ممثلو الحوز في مؤتمر عين دالية سنة 1331 / 1913 وفي التجمع بضريح المولى عبد السلام بن مشيش في 14 شعبان عام 1331 / 20 يوليوز 1913 لتأليف المجلس الأعلى للمقاومة بإشراف أحمد الريسوني وقد بلغت المعارك التي دارت رحاها ضد الإسبان بالحوز ثمان عشرة معركة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، ج 1 وج 4 ؛ م. ابن عزيز حكيم، *بطل جبالة حميدو ولد السكان*، ص. 31 - 33 ؛ *الحياة ندوة علمية*، ص. 64 ؛ ع. العزيز خلوق التمسماني، *جوانب من تاريخ جبالة المعاصر*، 1996، ص. 101 ؛ *دار النيابة*، عدد 14 سنة 1978، ص. 54.

*Yebala y el bajo Lukus*, Madrid, 1914, p. 9 - 10 - 11 ; *Jbala Histoire et Société*, Paris, p. 458 - 459 ; A. Moulieras, *Maroc inconnu*, II, 1899, p. 734 - 746.

محمد أخريف

**حوز مراكش**، هو السهل المحصور بين سلاسل الأطلس الكبير جنوباً وشرقاً والجبيلات شمالاً وهضاب حاحة وشياظمة غرباً. ويقع سهل الحوز بجنوب المغرب حول خط العرض 31° شمالا، وهو على شكل مثلث طول قاعدته الممتدة على طول السفوح الدنيا للأطلس الكبير 150 كلم وارتفاعه 55 كلم بنهايته الغربية حيث يبلغ السهل اقصى عرضه ويضيق في الوسط والشرق إلى 20 كلم. تبلغ مساحته حوالي 4.000 كلم$^2$. هكذا وُسع مدلول "الحوز" عندما شُرع في وضع الخرائط الإقليمية في بداية عهد الحماية. وكان الحوز قبل ذلك يطلق على البساتين المحيطة بمراكش، أي الضاحية الزراعية للمدينة، بينما كان يطلق على باقي السهل أسماء قبلية في معظمها.

بنيته الجيولوجية : يعتبر الحوز من سهول أقدام الجبال ويتشكل في غالبيته من مجموعة مخاريط انصباب وديان الأطلس يصل بعضها إلى ضفاف واد تانسيفت، بل إنها دفعت مجراه نحو الشمال. له ميل عام من أقدام الجبال : 1000 م نحو واد تانسيفت شمالا : 400 م، وميل معكوس

من واد تانسيفت إلى الجبيلات، وميل ثانوي خفيف بقعره من الشرق : 600 م إلى الغرب 300 م.

تتكون معظم أرضيته وتربته من الرواسب التي اقتلعتها وديان الأطلس من المجال الجبلي وغطت بها البنية السابقة لسهل الحوز.

يتكون من قاعدة قديمة للزمن الأول الجيولوجي : صخور غير منفذة : شيست وكوارتزيت وحث سوتها عوامل التعرية في نهاية الزمن الأول ج. ثم تراكمت فوقها خلال الزمنين الثاني والثالث طبقات رسوبية ذات سمك ضعيف غالبا من كلس الكريتاسي والطفل والطفل الكلسي أو الحتى ترجع للسينومانيان والتيرونيان كوّنت أحواضا تتميز بتقطعها خاصة بالجزء الغربي حيث تظهر محلياً أجزاء من القاعدة القديمة على شكل كتل منعزلة أهمها جبل جليز وتلال گماسة وتيورار غرب واد نفيس الذي يتكون من نجد مرتفع على شكل مثلث محصور بين فالقي تاحناوت جنوبا وأسوفيد بوسط الحوز، ذلك أن الحركات التهدلية التي تعرض لها بموازاة مع الحركات التكتونية التي رفعت جبال الأطلس لم تكن متساوية القوة بكل جهات الحوز مما جعل أجزاء من القاعدة القديمة تبرز على السطح وأخرى تنخفض وتتغطى بطبقات رسوبية غير سميكة. تعرضت هذه التكوينات الممتدة من الزمن الأول إلى الايوسين لتسوية أخرى حولتها إلى منخفض كوّن مزرابا لواد تانسيفت الذي يتلقى مياه كل وديان الأطلس بعدما انفصل عن واد أم الربيع وفتح طريقه غربا عبر هضاب حاحة نحو المحيط الأطلسي. ثم تراكمت فوقه في النيوجين والرباعي رواسب نهرية وقارية دقيقة وغليظة مما أدى إلى تنوع ترباته الزراعية حاليا. إذ نجد تربات سمراء دقيقة الحبيبات وأخرى تميل إلى البياض كثيرة الحجارة أو الرمال إلى جانب سطوح صخرية من الكلس المستنقعي. ويلاحظ عموما أن سمك هذه الرواسب ضعيف خاصة بالشمال عند قدم الجبال مباشرة خارج المخاريط حيث تظهر حادروات متنوعة الصخر ترجع للزمنين الثاني والثالث تظهر في عدم التوافق على شكل طبقات رسوبية ذات مكونات متنافرة من الحث والطفل والرصيص في الأعلى وأحيانا شيست الزمن الأول تغطيها جزئياً أو كليا رواسب مخاريط نيوجينية ورباعية قديمة وحديثة متراكبة ومتداخلة ترتبط بمختلف الفترات المناخية التي عرفها جنوب المغرب، تقطعها الوديان الأطلسية وقد تتعمق فيها خاصة عند مخارجها من أوديتها الجبلية، وتمتد بعض المخاريط إلى واد تانسيفت وتتصل فيما بينها كما يلاحظ في وسط الحوز وهي تغطي في جهات متعددة حفرا عميقة ومجاري رملية قديمة للوديان تكون اليوم أفضل خزانات للمياه الجوفية.

يسود الحوز مناخ متوسطي شبه جاف قاري نسبيا يتميز بقلة الأمطار عموما واضطراب سقوطها من سنة لأخرى يتراوح معدلها : 300 ـ 170 ملم / سنة وضعف رطوبته يبلغ معدلها في مدينة مراكش 242 ملم / سنة (علو 470 م) وشيشاوة 175 (340 م) وترتفع المعدلات المطرية في محطات الدير المرتفعة نسبياً إلى 324 ملم / سنة في إمينتانوت (علو 880 م) و437 في تحناوت (925 م) و346 في أيت أورير (660 م) و525 ملم / سنة في دمنات (علو

حوز مراكش

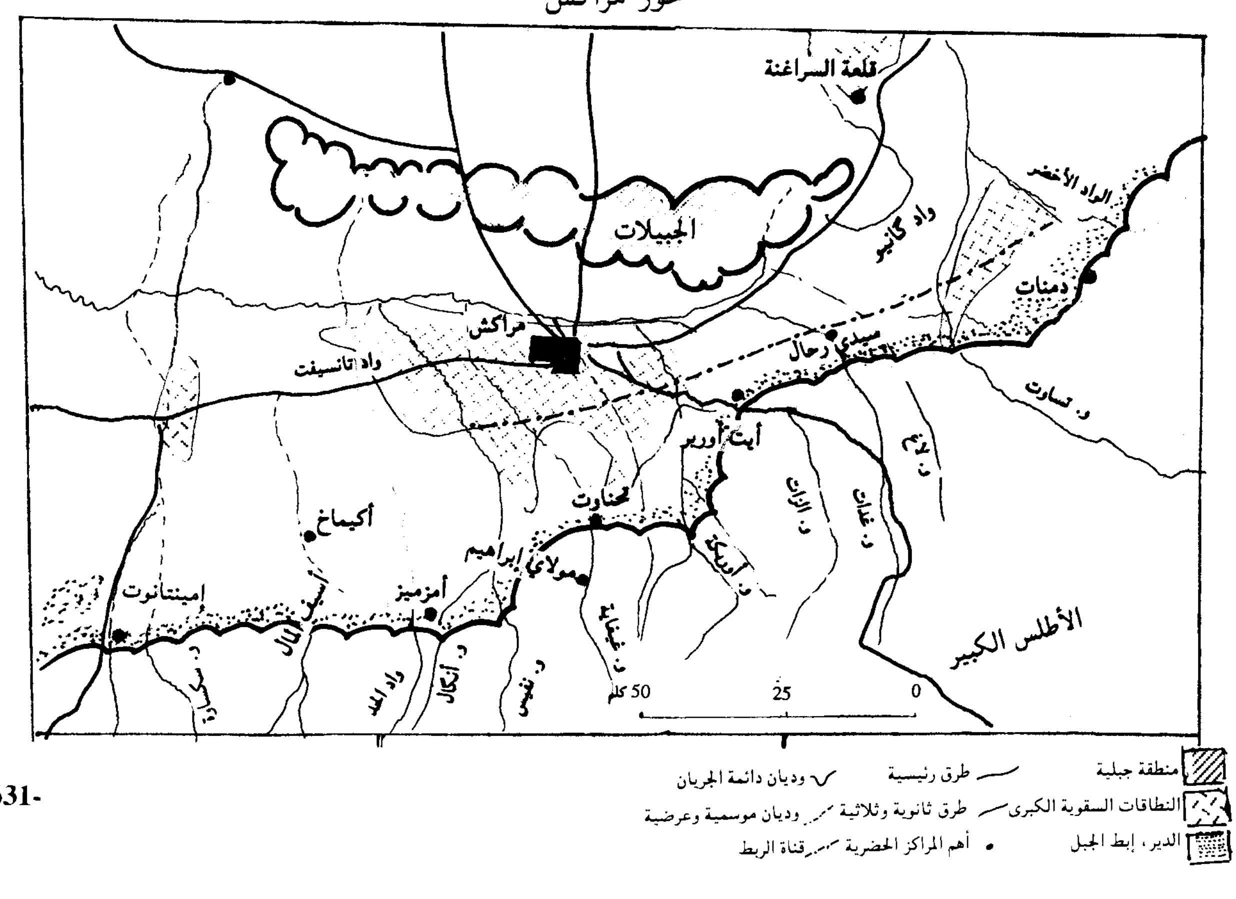

950 م) يتعرض للرياح الشمالية الغربية الرطبية وأحياناً إلى رياح غربية وجنوبية غربية وترتفع حرارته صيفا خاصة عند هبوب رياح الشرڭي الجنوبية " 39 يوما كمعدل. يبلغ معدل حرارته 19،8 (يناير 11،5 وغشت 28،8) لكنه يعرف درجات عليا + 40 كما تعرف بعض لياليه شتاء الصقيع.

النباتات الطبيعية : سهبية تتلخص في أعشاب حولية قصيرة وشجيرات السدرة الشوكية والدوم في الدير ونباتات أخرى ثانوية مرتبطة بقعور وسرير الوديان مثل الطارفة والطلح والصفصاف والدفلة...

السكان : تدلّ قرائن عديدة على أن الجبال أسبق من السهل إلى التعمير والاستقرار. تطورت كل مجموعة في واد، وكان سهل الحوز مجالا رعويا خاصا بها وليس هناك ما يثبت قدم الاستقرار البشري به أو استمراره إذ أن أزمات الجفاف التي يتعرض لها كانت تناهض كل استقرار دائم. وكانت كل قبيلة جبلية تحرص على استغلال مياه واديها بأراضي الفم والمخروط وكذلك المجرى الأسفل لواديها بالسهل، وهكذا قسمت أراضي الحوز إلى شرائح تمتد من مخرج الوادي بالدير إلى منطقة اتصاله بواد تانسيفت. لكن بدأ هذا الوضع يتغير في عهد المرابطين بعد بناء مراكش وحرص حكامها على حماية مجالها الخلفي واستحواذ تدريجي على مياه الوديان. وفي عهد المرينيين ظهرت أولى طلائع بني معقل وبني هلال بغرب الحوز وشرقه تنازع قبائل هسكورة مراعيها بشرق الحوز. وتعزز هذا الاتجاه في عهد السعديين عندما أسكنوا حماتهم من أهل سوس والصحراء بالأراضي الواقعة بين مراكش وجبال الأطلس لتقيهم خطر تدفق الجبليين على السهل، فأقطعوا أولاد بو السبع مجال سكساوة ونفيفة بالحوز الغربي ومجاط وثكنة بأراضي مزوضة وأولاد امطاع والعرب على حساب ڭدميوة بغرب نفيس والرحامنة على حساب أهل نفيس وغيغاية وأوريكا بالحوز الأوسط. كما انتشر السراغنة بمعظم الحور الشرقي. وتعزز هذا الوضع في عهد العلويين الذين أقاموا عدداً آخر من قبائل الڭيش بأراضي الحوز ومخروط واد نفيس. ولحرص سلطات المخزن بمراكش على تأمين موارد المياه خاصة من نفيس وغيغاية وأوريكا فإنها صارت تحكم هذه الأودية مباشرة من طرف باشا قصبة مراكش. وبنمو مراكش توسعت حولها البساتين التي امتلكها أعيانها وامتدت صعودا مع الوديان إلى مخارجها كما تدل على ذلك كثرة العزبان وأسماء السواقي.

وبعد التوسع الكبير الذي عرفته المجالات المسقية في إطار التحولات الاقتصادية الحديثة والنمو الديمغرافي الكبير الذي عرفته المراكز الحضرية ازداد عدد السكان بسهل الحوز إلى أن بلغ في احصاء شتنبر 1994 : 2.243.000 منهم 782.912 حضريون منهم 672.506 بمدينة مراكش. فرغم وزن مدينة مراكش البشري ونمو المدن الصغرى بالدير وبالسهل فمازال الريفيون يكونون الأغلبية 65٪ من سكان سهل الحوز يتوزعون بتفاوت كبير. إذ ترتفع الكثافة كثيراً بالنطاقات السقوية العصرية ومخارج الأودية إلى 150 ن / كلم$^2$ وتنخفض إلى حوالي 40 ن / كلم$^2$ في المناطق البورية التي تعرف بعض دواويرها إفراغاً كما يلاحظ بدائرة سيدي بوعثمان شمال واد تانسيفت وبوسط الحوز الغربي ونجد ڭماسة.

الثروة المائية : نظراً لسيادة الجفاف فإن الأراضي بسهل الحوز تفقد قيمتها إذا حرمت من مياه السقي المستمدة من مياه الوديان الجبلية التي تستفيد من غزارة الأمطار والثلوج. وقد كان استغلال مياهها مثار نزاع بين القبائل الجبلية من جهة وبين قبائل الڭيش بالسهل والسكان الحضريين بمراكش وسلطات المخزن من جهة أخرى. وهذه لائحة معدل جريانها السنوي وأهم معطياتها عند محطاتها بمخارج الأودية ولا يدخل بها الجزء السهلي الذي لا يساهم بشيء مهم في تغذيتها بل غالباً ما تستنفد مياهها فيه بالسقي والتسرب والتبخر الذي يبلغ معدله بمدينة مراكش 2600 ملم / سنة.

وديان الحوز الغربي :

| اسم الواد | طول مجراه الجبلي كلم | مساحة حوضه كلم2 | معدل أمطاره ملم / سنة | معدل جريانه السنوي مليون م3 |
|---|---|---|---|---|
| إمينتانوت | 19 | 146 | 472 | 11،5 |
| سكساوة | 35 | 573 | 562 | 63،1 |
| أسيف المال | 44 | 510 | 578 | 56،2 |
| واد كر | 22 | 150 | 616 | 11،4 |
| أمزميز (أنكال) | 20 | 115 | 546 | 21،5 |

يبلغ مجموع معدل جريانها السنوي 163،7 مليون م$^3$. ولكل واد قطاعه السقوي الذي يتميز بكثافة المزروعات العالية جيث تكثر الأشجار المثمرة وزراعة خفيفة بسافلته حيث يصبح السقي عرضيا ولا تصل مياهها إلى مستوى قاعدتها إلا نادراً. ونتيجة للتسرب الكبير لمياهها تظهر بعض العيون عند بعض الحافات أو بضفاف المجاري السفلى الجافة للوديان أهمها عين أباينو بمجال أولاد بوالسبع معدل صبيبها السنوي 600 لتر / ثانية.

وديان الحوز الأوسط :

| اسم الواد | طول مجراه الجبلي (كلم) | مساحة حوضه (كلم2) | معدل أمطار حوضه (ملم / سنة) | معدل جريانه السنوي (مليون م3) |
|---|---|---|---|---|
| نفيس | 150 | 1700 | 560 | 160 |
| غيغاية | 36 | 324 | 676 | 58 |
| أوريكا | 46 | 575 | 760 | 180 |
| اسيل | 20 | 94 | 534 | 9 |
| المالح | 13 | 116 | 696 | 10 |
| الزات | 50 | 496 | 696 | 150 |
| توانا | 24 | 110 | 600 | 15 |
| غدات | 50 | 550 | 700 | 120 |
| لاغ | 25 | 152 | 633 | 22 |

يبلغ معدل جريانها السنوي 724 مليون م$^3$ إلا أنه يتميز بعدم انتظام كبير، فالنسبة بين كمية جريانها السنوي الأدنى والأعلى تتراوح ما بين 1 ـ 22 بالنسبة لواد نفيس إلى 1 ـ 10 بالنسبة لواد أوريكا، لكل منها مخروطه ومجراه المستقل كليا أو جزئيا. ويلاحظ أن مجاريها لم تستقر بعد كليا لأنه يظهر بها عند كل فيضان نحت وإرساب وقرض للجوانب وحفرمجار جانبية جديدة بأسرتها العريضة.

وديان الحوز الشرقي :

| اسم الواد | طول المجرى الجبلي (كلم) | مساحة حوضه (كلم2) | معدل أمطاره (ملم / سنة) | معدل جريانه السنوي مليون م3 |
|---|---|---|---|---|
| تساوت | 122 | 1500 | 656 | 370 |
| تيديلي | 15 | 113 | 546 | 20 |
| إسيل | 25 | 162 | 787 | xx |
| الأخضر | 117 | 2840 | 661 | 520 |

ينتمي تساوت والأخضر إلى حوض أم الربيع الذي تمكن من أسر واد تاساوت ورافده الأخضر الذي يعبر ممر گاينو ليصل إلى سهل قلعة السراغنة. يبلغ معدل الجريان السنوي 910 مليون م$^3$ تتميز بانتظام نسبي لمعدل جريانها السنوي، فالنسبة بين مجموع جريانها لأكثر السنوات جفافا وأكثرها مطرا هي 1 ـ 6 بالنسبة لتساوت و1 ـ 8 بالنسبة للأخضر. تتميز هذه الوديان بتعمقها فلا يبرز تساوت على السطح إلا في منتصف السهل كما يتعمق الواد الأخضر على طول مجراه مما يصعب استغلال مياهه.

تنظيم استغلال المياه بسهل الحوز : تكتسي هذه الثروات المائية أهمية حيوية بالنسبة للحوز الذي كان يستغل سابقا كمرعى شتوي للقبائل الجبلية ولم يستقر سكانه بقرى دائمة كبيرة إلا بعد إتقان أساليب الري وتنظيم مجالات السقي. وتتمثل ثروته الزراعية اليوم في زراعة مسقية تستفيد من منشآت مائية قديمة وعصرية، فكل واد يغذي عدداً من السواقي بلغ عددها في نهاية الستينيات 150 ساقية مجموع طولها 5000 كلم. ولكل ساقية شبكة من المصاريف على شكل عمود فقري سمكة. وجل السواقي الكبرى أنشئت من طرف سلطات المخزن أو بعض الزوايا أو أعيان المنطقة من شيوخ وقواد وشرفاء يتطلب استمرار عملها صيانة مستمرة وحماية سلطة قوية، كما حفر به منذ قرون حوالي 1000 خطارة كان يعمل منها إلى عقد الثلاثينيات 650 خطارة بالحوز الأوسط وواد نفيس تكثر وتجود بمياهها خاصة بمجرى وادي نفيس وأوريكا حيث كان عمق الآبار 10 ـ 15 م. أما اليوم فقد جف معظمها بسبب الانخفاض الكبير لمستوى المياه الجوفية وصعوبة صيانتها وتعقد بنيتها العقارية لتوزيع ملكيتها بين ورثة كثيرين مجهولين أحياناً بالإضافة إلى عدد من العيون تكثر بالمصاطب الدنيا لوادي نفيس وتانسيفت لكن جف معظمها كذلك، وتقدر اليوم الحصيلة السنوية للمياه الجوفية بالحوز المستمدة من الخطارات والضخ الآلي بحوالي 300 مليون م$^3$ وهذا ما يجعل كميات المياه القابلة للاستغلال بالحوز تصل إلى حوالي 2100 مليون م$^3$.

وفي عهد الحماية بنيت منشآت مائية عديدة أهمها ثلاثة حواجز لتغذية السواقي أقيمت على وديان غيغاية وأوريكا وأنگال بالإضافة إلى سد للاتكركوست بحقينة 50 مليون م$^3$ كما شرع في حفر قناة الربط لجلب مياه الحوز الشرقي غير المستغلة إلى الحوز الغربي الذي كانت به نطاقات سقوية عصرية للمعمرين تحتاج إلى مزيد من المياه.

وفي عهد الاستقلال بنيت منشآت أخرى كبرى أهمها سد أيت عادل على واد تساوت : 230 مليون م$^3$ وسد أيت شواريت حقينته : 350 مليون م$^3$ بالإضافة إلى سدود حواجز تكميلية أهمها سد سيدي إدريس على الواد الأخضر 8 ملايين م$^3$ لتغذية قناة الربط التي أكملت ودخلت مرحلة الإنتاج في بداية الثمانينيات طولها 118 كلم صبيبها 20 م$^3$ / تحمل سنويا إلى الحوز الأوسط 300 مليون م$^3$ منها 40 مليون م$^3$ لمدينة مراكش كما زيد في علو حائط سد تاكركوست 9 أمتار فارتفعت حقينته إلى 80 مليون م$^3$. وقد جرت العادة أن جل الرساتيق المسقية تسمى باسم الساقية التي ترويها مثل بلاد سعادة ـ بلاد تسلطانت ـ تمزكلفت ـ تارگة. يبرز بينها سواقي مشهورة لها تاريخ كالساقية اليعقوبية طولها 50 كلم والمنصورية والقايدية... خاصة بالحوز الشرقي. وقد تعززت المساحات المسقية في السنوات الأخيرة بحفر آلاف الآبار باستعمال الضخ الميكانيكي الذي أحدث ثورة ومشكلا خطيراً إذ أدى إلى انخفاض مستوى المياه ا لجوفية كثيرا ً بـ 10 ـ 60 م وأكثر بل ونفادها في بعض الجهات.

ويلاحظ أن كل هذه المنشآت مازالت بعيدة عن تحقيق استغلال أمثل للمياه خاصة بالحوز الأوسط حيث تنعدم السدود لخزن المياه وتذهب مياه الفيضان الشتوي والربيعي إلى البحر، وبهذا لا تكاد الزراعة تستفيد بأكثر من 50٪ من كمية مياه الجريان السنوي. وفي الصيف عندما تشتد الحاجة إلى المياه تقل مياه الوديان بل يجف بعضها، ولهذا تحرص كل السواقي التاريخية الكبرى على أخذ مياهها صيفا من المقاطع العليا للواد التي لا تخرج عن الكيلومترات الأربعة الأولى من مجرى الواد بعد خروجه إلى السهل مما يثير نزاعات مع سكان قرى الدير الأعلى الذين يعتبرون الأسبقية في استغلال مياه الواد للعالية. كما استولى المعمرون في عهد الحماية على قسم وافر منها وأقاموا ضيعات عصرية كبرى بلغ مجموع مساحتها بالحوز 33.000. وتعيش اليوم منطقة الحوز تحولات بنيوية اقتصادية واجتماعية تتناول أساليب الإنتاج وتقنيات السقي ودمج الأراضي وتجديد المزروعات ورفع المردودية والإنتاجية. كما أدى تجديد شبكات الري وتكوين الضيعات العصرية على طول الطرق المعبدة وحيثما توفرت المياه إلى توسيع مجال الزراعة المسقية الذي يبلغ 160.000 منها 60 ألف تدخل في نطاق السقي العصري الكبير والصغير والباقي تقليدي بحيث مازال يتعايش بسهل الحوز أنظمة الري والإعداد المجالي التقليدية والعصرية. ويشرف على أنظمة السقي وإعداد المجال عدد من الأجهزة والمصالح الإدارية والتقنية أهمها المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز الذي يتحكم في إعداد 660.000 منها 220.000 قابلة للسقي والباقي قابل للزراعة وذلك بفضل عدد من المراكز التقنية والمحطات التي تراقب وتقدم خدمات عديدة بل صارت توزع الماء حسب قوانين جديدة. كما تلعب ضيعات صوديا وصوجيتا دوراً رياديا في تطوير أساليب الفلاحة وزراعة منتجات جديدة وكذلك بعض الشركات الوطنية مثل "أونا" التي قامت بدور ريادي في زراعة القمح اعتماداً على السقي بالرش المحوري.

توسيع الملكية الحضرية ورسملة الإنتاج والعلاقات : تعرضت أراضي الحوز والدير في بداية القرن الرابع عشر (20 م) إلى منافسة قوية لامتلاكها من قواد الأطلس الكبير : الأگلاوي والگندافي والمتوگي الذين بسطوا نفوذهم السياسي على كل الحوز مكان عشرين من القواد الصغار السابقين الذين كانوا يقتسمون حكم الحوز وأملاكه خلال القرن الثالث عشر (19 م) لكن الباشا التهامي الأگلاوي استطاع الاستئثار وحده بحكم كل الحوز وديره الجبلي بعد سنة 1912 وامتلاك ما أراد من مياهه وأراضيه. وفي ظل الحكم الاستعماري ثبت القواد الكبار وأعوانهم ملكيتهم لما استولوا عليه من بساتين وأراضي الحوز، ومنهم من باع إلى المعمرين أولى ملكياتهم الكبرى بالحوز، ومنهم من حفظ ما استولى عليه مثل الأكلاوي الذي حفظ 12.00 وخليفته البياز 4.800 وغيرهما. واستأثر الأگلاوي بثلثي مياه ساقية تسلطانت التي تأخذ ثلثي الصبيب الصيفي لواد أوريكا وامتلك 8٪ من أراضي مخروط واد الزات و18٪ من مياهه، كما امتلك عزبانا كبيرة بالحوز الشرقي مثل بويدا : 1200 هـ وتمثل أخطر هجوم حديث للملاكين الحضريين على أراضي الحوز ومياهه في المعمرين الذين حصلوا على الأراضي بمختلف الوسائل وهم الذين فتحوا مسلسل الاستغلال الرأسمالي الحديث والري العصري خاصة بأراضي مخروط واد نفيس وتساوت وكونوا عدة نطاقات سقوية حديثة أهمها : السويهلة وتاملالت، بلغت مجموع مساحتها 45 ألف هكتار منها 20 ألف هكتار تدخل في إطار الاستعمار الحر و25 ألف في إطار الاستعمار الرسمي.

وعند شروع الدولة في استرجاع أراضي المعمرين وحجز أملاك الإقطاعيين المتعاونين بعد الاستقلال سارع هؤلاء إلى بيع أملاكهم وتصدى لشرائها الحضريون الذين حصلوا على أكثر من 50٪ منها، كما تحول الباقي لاحقا إلى ضيعات في ملك الدولة تسيرها شركتا صوديا وصوجيتا. وتزايد إقبال الحضريين على شراء الأراضي بعد إنشاء هياكل تقنية للاستغلال والتسويق والقرض الفلاحي وتشجيع الزراعة التسويقية وتنفيذ مشاريع الري الجديدة لأنهم يعرفون كيف يستفيدون منها أكثر من الريفيين. لقد صار اقتناء الحضريين لأراضي الحوز وسيلة لادخار أموالهم وحمايتها من التضخم. وباشتداد أزمة الفلاحة التقليدية واستفحال مسلسل تفقير الريفيين صار الملاكون الجدد يشترون القطع الصغيرة المجاورة ويدمجونها في ملكيات واسعة، بل صاروا يشترون حتى أراضي الگيش والجماعة والأراضي البورية المحجرة ويجهزونها بالضخ الآلي ويحولونها إلى ضعيات عصرية تهتم بالزراعات الشجرية والتسويقية، وهكذا عرفت الزراعة المسقية بالحوز توسعاً كبيراً في العقدين الأخيرين باستعمال الضخ الآلي الذي أدى إلى انخفاض مستوى المياه الجوفية بشكل خطير في جهات عديدة خاصة بمخروط واد نفيس مما عجل بإتمام قناة الربط وتوزيع مياهها عبر قنوات باطنية بجماعات نفيس بالرش قصد ترشيد المياه. إن انتشار الملكية الحضرية والزراعة المسقية خاصة بالحوز الأوسط أدى إلى تفجير البنيات التقليدية وتفتيت وحدة الحوز البشرية وتقليص علاقاته القديمة بسكان الجبال وبروز علاقات جديدة قوية بين كل مخروط مع مدينة مراكش مما أخضعه لهيمنتها المالية والتجارية والإدارية.

التقسيم الجهوي الفلاحي :

الدير والتحولات الحديثة : الدير هو شريط من الأراضي العالية بمنطقة اتصال السهل بالجبل اشتهر بغناه الفلاحي لتنوع مجالاته الزراعية ووفرة مياهه. لكن قرائن كثيرة تدل اليوم على تقلص أهميته الاقتصادية والبشرية وتمزيق وحدته، إذ تميز كل من حادورات الدير ومخاريطه بتطور

خاص. فالحادورات والمتون البينهرية عرفت تقلصا في ساكنتها وأنشطتها القائمة على الزراعة البورية والرعي وذلك لعدم اهتمام المسؤولين بتطوير الزراعة البورية وانخفاض مداخليها وتدهور إنتاجها في السنوات الجافة وضيق مجال الرعي بسبب توسيع الملكية الخاصة بالسهل وتقنين الرعي بالغابات وعجز المراعي عن تغذية كل المواشي التي ترتادها. أما المخاريط فقد تزايد سكانها ونمت قراها وتعقدت البنية العقارية لأراضيها بسبب التفتت الكبير وتقلص معدل الملكية إلى ـ 1 ومازال معظمها في حوزة السكان المحليين. أما الملكيات الواسعة نسبيا التي كونها الأعيان سابقا فقد تحول بعضها إلى حضرية بانتقال مالكيها الجدد من أبناء الأعيان إلى السكن بمراكش وغيرها من المدن، ويلاحظ أن الضخ الآلي مازال ضعيفا هنا لقلة المياه الجوفية وعمقها بأراضي الدير غير المستوية. لكن الدير عرف تدخلا آخر أدى إلى تضييق مجاله الفلاحي والضغط على سكانه هو تشجير الأراضي التلية والمنحدرات التي تتناول آلاف الهكتارات من الملكية الخاصة والعامة غرست بها أشجار اللوز البوري وغيره في إطار مشاريع حماية وإصلاح التربة .D.R.S ويلاحظ على مستوى التحولات الحديثة تباين تطور أقسام الدير الثلاثة :

ـ فالدير الأوسط ارتبط مصيره بالنطاقات السقوية بسهل الحوز الأوسط وصار أكثر انفتاحا وتطوراً تحول إلى ضاحية بقلية وحليبية وسكنية لمراكش وصار أكثر تمديناً باستقرار منشآت تقنية وإدارية واجتماعية واستبدلت منتجاته التقليدية كليا أو جزئيا بمنتجات حديثة : فواكه مشمش تفاح خضر وأعشاب طبية، كما توسعت به زراعة الزيتون وتربية الأبقار الحلوب وانتشر به السكن المتشتت وتوسعت قراه مما أفرز تمدّناً اجتماعياً وعمرانياً.

أما الدير الغربي الذي يتميز بجفافه وضعف موارده وبعده النسبي عن مراكش فإن الملكية الحضرية به منعدمة وزراعته تقليدية ومازالت قبائله تهتم بتربية المواشي وتستعمل النجعة الشتوية بأراضي الحوز القاحلة أو المستراحة، والهجرة هنا قوية إذ تعتبر أهم موارد الأسر.

أما الدير الشرقي فقد كان أقل سكانا وأكثر اعتمادا على تربية المواشي لفقر تربته وصعوبة استغلال مياه الوديان المتعمقة في مجاريها ومازالت الملكية الجماعية منتشرة، كما اجتذبت القطاعات السقوية الحديثة بالحوز الشرقي مهاجرين كثيرين مما أبقى على ظاهرة قلة سكانه.

الحوز الغربي : صار تابعاً في معظمه لإقليم جديد هو شيشاوة. ونظراً لجفافه ـ 200 ملم ـ وقلة مياهه وفقر تربانه وكثرة الأراضي المتحجرة والقشرات الكلسية فإن زراعته بقيت متخلفة تعتمد على زراعة يناصيبية للحبوب وتربية الماعز والأغنام التي تكون حوالي 70٪ من مداخيل الأسر. ومازالت أراضي الگيش والملكية الجماعية والهياكل القبيلية قائمة والملكية الحضرية نادرة. أما الزراعة المسقية فتقتصر على مقاطع من الوديان خاصة بواد سكساوة وشيشاوة خاصة عندما تظهر بعض العيون بضفافها مثل عين ابّاينو كما ظهرت بعض الجيوب للزراعة المسقية المعتمدة على الضخ الآلي في بعض الأحواض التي تجمعت فيها تربة زراعية وتتوفر على مياه جوفية تنتشر بها زراعة أشجار الزيتون والقطنيات والحبوب. وقد اكتست مدينة شيشاوة أهمية كبرى بعد تحويلها إلى عاصمة الإقليم وينتظر أن تساهم بأموالها ونفوذها في تنمية إقليمها.

الحوز الأوسط : استفاد من كل المشاريع الحديثة للسقي وإعداد المجال بالإضافة إلى القديمة إذ نجد هنا أكبر تركز للخطارات والسواقي. عرفت زراعته تطوراً كبيرا لانتشار الملكية الحضرية وتكوين ضيعات حديثة مختصة في زراعة الخضر والفواكه خاصة الحوامض والزيتون والمشمش وتربية الأبقار للحليب أو اللحوم أو التوالد. وقد عرف السكن المشتت والمنشآت التقنية المرافقة للزراعة انتشاراً واسعاً خاصة على طول الطرق المعبدة. واندمج النطاقان السقويان المخلفان من عهد الحماية بتارگة وتسلطانت في منطقة سقوية واسعة تمتد من واد نفيس إلى واد اغدات. تعرف تعدد أنظمة الري وأساليب الاستغلال ويزداد انتشار الزراعة العلمية المختصة باستعمال واقية البلاستيك والري بالتقطير والرش والاهتمام بمنتجات التصدير وتعاقد الضيعات مع مؤسسات أجنبية لزراعات منتجات تحت الطلب مشتراة مسبقا. غير أن هذا التحول لم يشمل كل الحوز الأوسط فمازالت الرساتيق البائرة المحرومة من السقي واسعة الانتشار، وكذلك الزراعة البناصيبية إذ يرتبط التطور الزرعي بوفرة المياه الجارية أو الجوفية فتبقى المتون البينهرية والمحدبات حيث تقل المياه الجوفية أو تنعدم مناطق زراعة بورية مقلالة ومنطقة رعي تتشبث بها أسر ريفية فقيرة.

الحوز الشرقي : تابع لإقليم قلعة السراغنة، إن مضمون الحوز الشرقي يتجاوز هنا سهل الحوز الجغرافي إذ يطلق على تساوت السفلى المتصلة بأم الربيع والواقعة أراضيها بين سهلي تادلة والبحيرة. يتميز الحوز الشرقي بوفرة مياه وديانه الكبيرة وزيادة معدل أمطاره وقلة أراضيه الصالحة للزراعة المسقية لكثرة الأراضي المحجرة. ولكن اشتهر منذ القديم بسواقيه التاريخية التي تحمل مياه الواديين بعيدا إلى سهل قلعة السراغنة بل إلى أراضي سهل البحيرة، كما اشتهر قطاع مسقي تقليدي واسع على ضفاف واد تساوت وأنشأ به المعمرون قطاعاً سقويا غنيا بتاملالت والعطاوية، إلا أن انتشار الأراضي الجماعية (30 ألف) عرقل التطور الفلاحي وأبقى على الزراعة البناصيبية والرعي، كما أن انتشار الملكيات الكبيرة منذ القديم أدى إلى انتشار الاستغلال غير المباشر باستخدام الخماس أو الرباع.

وبعد بناء سد أيت عادل على واد تساوت اندمجت

قنواته الرئيسية في شبكة الري التقليدي المعتمد على السواقي الترابية، كما نفذت محاولات إصلاح زراعي لضم الأراضي وتتميز البساتين بكثافة زراعتها الشجرية والمتمثلة في الزيتون ومختلف الفواكه القديمة والحديثة كالتفاح والعنب والمشمش وانتشار الضخ الآلي ببعض المنخفضات لمحاربة صعود مستوى المياه الجوفية، ولازال هذا النطاق السقوي يتوسع ويبلغ حاليا 38 ألف. أما تساوت السفلى فقد كانت مجال رعي وزراعة يناصيبية للحبوب لانتشار الجفاف والتربات الفقيرة باستثناء بعض الأحواض التي أقام بها الأعيان السابقون بساتين. إنها تعيش الآن مخاضا اقتصاديا واجتماعيا ببداية تطبيق وتجهيز نطاق سقوي حديث يُسقى بقناة تساوت 2 التي ستحمل إليه سنويا 230 مليون م$^2$ من مياه سد بين الويدان.

نمو مسلسل التمدين بسهل الحوز والدير : كان الدير منذ القديم مركز ثقل سكاني ظهرت به أول المدن التاريخية عند مداخل الأودية بشكل تلقائي كأسواق محلية تستجيب لحاجيات السكان إلى التبادل التجاري وكمحطات للقوافل التجارية بطريق الدير واكتسى بعضها أهمية سياسية واقتصادية مثل أغمات، لكن تأسيس مدينة مراكش بموقع غير بعيد عن الدير سرعان ما اجتذب إليه الفائض الاقتصادي والبشري للمنطقة وكذلك القوافل التجارية وأصبح عقدة مهمة للمواصلات قلص من أهمية هذه المدن وجعلها تتقهقر إلى أن اختفى بعضها... كما أن الفتن المحلية وحروب القبائل والقواد التي عرفت أبعاداً خطيرة في القرن الثالث عشر(19 م) قضت على الكثير من العمران. ولم يكن يوجد بالدير في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) من مدن حقيقية سوى دمنات وأمزميز. لكن الأمن الاستعماري أنعش تدريجيا بعض مراكش الدير خاصة تلك التي استقر فيها أجهزة التأطير الجديدة كأمزميز وامنتانوت وأيت أورير ودمنات، كما اختيرت تاحناوت في نهاية عهد الحماية كمركز قيادة وثكنة عسكرية، وباستثناء دمنات التي تميزت ببعض مظاهر التمدين التقليدية فإن كل مراكز الدير الأخرى لم تزد في قيمتها الحضرية عن قرية للفلاحين وبعض التجار المحليين والموظفين، وأهم ما امتازت به عن بقية القرى موقعها الجيد على طريق معبد أو مدخل واد مهم وتوفرها على سوق أسبوعي وبعض المنشآت الإدارية والخدماتية. وبعد الاستقلال حظيت بعض المراكز السكنية بالحوز بأهمية متزايدة إما لموقعها على طرق مهمة أو إقامة منشآت تقنية وإدارية تشرف على النطاقات السقوية. كما تدعم مسلسل التمدين بتطبيق سياسة اللامركزية الإدارية، فقد تكونت أقاليم جديدة بمنطقة الحوز : إقليم السراغنة سنة 1975 ثم إقليم أزيلال 1977 ثم إقليما شيشاوة والحوز 1991 لكن مع ذلك مازالت نسبة الحضريين بالحوز منخفضة إذ لم تتجاوز 35٪ سنة 1994 ويرجع ذلك إلى فقر المنطقة ككل والدور المهيمن الذي تلعبه مدينة مراكش كمدينة كبيرة متضخمة تستأثر بكل الوظائف المهمة والأنشطة مما وجه إليها تيارا قويا من الهجرة الريفية. ولكبح هذا التيار وتدعيم حركة التمدين أنشأ المسؤولون عددا من الأجهزة الإدارية والتقنية والتجارية ببعض المراكز السكنية المهمة ورفعوها إلى مستوى مراكز حضرية ومراكز مستقلة وبلديات أملاً بأن تلبى حاجيات السكان إلى التمدين وتقليص حركات النزوح وتوزين الشبكة الحضرية بالحوز، وهكذا استفادت عدة مراكز من موقعها وتجهيزاتها وتزايد سكانها فارتقت إلى مستوى مدينة بالحوز بلغ سكانها في إحصاء شتنبر 1994 :

- إقليم الحوز : بلدية أيت أورير 12.162 نسمة ؛
مركز أمزميز : 8.985 ؛ مركز تاحناوت 4.462 ؛
مركز مولاي إبراهيم : 3.117 ؛ مركز تامصلوحت : 4.758
- إقليم شيشاوة : بلدية شيشاوة : 9.738 ؛ بلدية إمنتانوت : 12.592
- عمالة مراكش المنارة : مركز سيد الزوين : 7.726
- إقليم قلعة السراغنة : بلدية العطاوية : 11.219 ؛
بلدية تملالت : 8.701 ؛ بلدية سيدي رحال : 6.292 ؛
مركز سيدي بوعثمان : 2.872
- إقليم أزيلال : بلدية دمنات : 17.782

وبذلك يبلغ مجموع الحضريين بسهل الحوز وهوامشه : 110.406 نسمة وإذا ما أضيف إليهم سكان مدينة مراكش الكبرى 672.506 نسمة يكون مجموع الحضريين 782.912 يكونون 35٪ من مجموع سكان الحوز البالغ عددهم 2.243.000 نسمة.

ح. المباركي، *الري وندرة الماء، مشكل الفلاحة العصرية بحوز مراكش*، د.د.ع. الرباط، 1987 ؛ أ. هوزالي، *التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي*، د.د.ع. الرباط، 1987 ؛ *بحث ميداني*، مارس 1996، اعتمد خاصة على *معلومات المرشدين الزراعيين بالمنطقة*.

O.R.M.V.A.H. *Les ressources naturelles et la mise en valeur actuelle de la plaine du Haouz. RGM*, n° 17, 1970; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech.*, Rabat 1983 ; Document de la D.P.A. de Marrakech, Service de l'équipement rural, *Dossiers provisoires, juin 1979* ; *Hydrologie études des ressources en eau : nappe de Haouz*, mai 1988, Orleam - France ; *Revue Marocaine de l'eau*, n° 5 1987, *Eau et développement.*

أحمد هوزالي

**الحوزي، أحمد** بن محمد بن عبد الله الجديدي المراكشي،عالم فلكي معدل حيسوبي، كان له حضور بارز، ومشهود له في عالم الفلك...

ولد في بداية عام 1316 / منتصف 1898 بضاحية الجديدة، من أسرة فقيرة تعيش على الغزل والنسيج، وممارسة بعض الأعمال اليدوية. وكان والده صاحب كتّاب

قرآني سهر على تحفيظ ابنه الوحيد أحمد القرآن الكريم، وتنشئته تنشئة صالحة. وتشاء الأقدار أن يموت الأب، ووحيده في سن الثالثة عشر من عمره، لتتولى الأم رعاية ابنها، وتقر عينها لحفظه كتاب الله العزيز عن ظهر قلب.

وفي سن العشرين من عمره عين كاتبا خاصا للسيد العباس ثم لابنه بعده القائد "حمو" الذي أصبح بعد استقلال المغرب باشا على مدينة الجديدة. وخلال مزاولته لهذا العمل أخذت اهتماماته تتجه لمعلم اللغة الفرنسية، تسهيلا لتبادل الزيارات والمنافع بين القائد وبعض الفرنسيين والألمان من مصدري الأبقار والجلود.

وبسعي من القائد المذكور، عين المترجم له كاتبا تجاريا بمدينة بوردو الفرنسية، لضبط الصادرات والواردات مما اتفق على التعامل فيه آنذاك. فبرزت اهتمامات علمية للكاتب الشاب، إذ أقبل على علم الفلك يدرسه بمساعدة ثلة من علماء الفلك الفرنسيين. وعن طريقه تعرفوا على *رسالة زيج ابن الشاطر*، وكتاب *المناهج* لابن البناء العددي.

وعند رجوعه إلى المغرب في الثلاثينيات استقر بمدينة مراكش للعمل في القطاع المصرفي بأحد الأبناك، واستطاع أن يربط الصلات بين مجموعة من رواد الفلك وعشاق الرياضيات سواء من مراكش أو من المدن المغربية الأخرى أمثال أحمد الكنسوسي، وأحمد بن الطبيب المراكشي موقت المنار العباسي، ومحمد المهندس فلكي مدينة الجديدة، ومحمد بن الطيب بلكاهية موقت أسفي، وأحمد الأزموري قاضي مدينة البيضاء، وشيخ الفلكيين بفاس مَحمد العلمي الذي كتب إليه مرة يقول :

(محبنا الأعز الأرضى الفقيه الأنجب الموقت المعدل الحاذق الذكي سيدي أحمد بن محمدالحوزي، سلام عليكم ورحمة الله، ...

وما أشرتم إليه مما كنتم تعاقدتم فيه مع محب الجميع الفقيه سيدي محمد بن الطيب ابن الكاهية، وعاقكم عنه ماس المرض كان أخبرني به حين كنت بطرفه، وكنت إلى رؤيتكم والاستفادة من معارفكم أحوج وأشوف، ودعونا الله جميعا لكم بالشفاء...).

لقد عاش العالم الحوزي في مراكش باحثا منقبا، ساهراً الليالي لترصد نجمة، أو تسجيل فكرة شاردة، أو تعقيب وتصحيح إلى أن فارق الحياة.

ألف أحمد الحوزي عدداً من الكتب في التوقيت والتعديل، منها : *الشهاب في تعديل الكواكب بالحساب*، *والعقد الفريد في تعديل الكواكب على الرصد الجديد*، *وإيضاح الأدلة في مراصد الركلة*، والفتوحات الغيبية في *مبادئ علم الفلك والحصص*.

توفي بمراكش في شهر شوال عام 1369 / غشت 1950، ودفن بمقبرة باب دكالة.

أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط ؛ *روايات شفوية* ؛ *شهادات شفوية*.

أحمد متفكر

**الحَوْزِي**، غناء منسوب إلى حوز مراكش، وهو نوع من الغناء يدخل ضمن فن العيطة المركبة كالحصبة أو المرسي، مجاله احمر الشماعية، اليوسفية، الرحامنة، مراكش، بن گرير.

للعيطة الحوزية أو الحوزي مقدمة وفصول ونهاية أي قفل، غير أنها تختلف عن الحصبة والمرسي من حيث بعض المميزات كالمقام الموسيقي الحاد (يجب أن يتوفر المغني على طبقات صوتية حادة جدا لمسايرة هذه المقامات)، الذي يتميز بتقنية خاصة في الأداء على شكل مواويل وخاتمات سريعة جداً تعتمد على اختلاط الأصوات وتكاثف الإيقاع والسرعة وتدخل ضمن ميزان الدرج.

ومن أهم عيوط هذا النمط نجد : الخادم وخالي يا خويلي والشجعان، وهي من أشهر العيوط الحوزية التي مازالت تغنى. وعن الرواد نذكر الشيخ "محمد ابن حمامة" الذي كانت له محاولات لإحياء هذا النمط.

وتمتاز الفرق الحالية التي تغني الحوزي بكثرة العازفين على الكمان، والإيقاع إما بواسطة الگوال أو التعريجة بالإضافة إلى الاعتماد الكبير على الكفين وحركة النقر بالقدم على الأرض خصوصا في خاتمة العيطة.

ونسوق في ذلك مثالا لهذا النوع من العيطة، عيطة "الشجعان".

فين ايامك يا بن گريرْ　　الغبرة والكورْ يطيــرْ
فين ايامك يا الأَربعــا　　كان موســم ولاَ حَرْكَةْ
فين ايامك يا بوعثمان　　الطرابش كي بَلَّعمــانْ
فين ايامك يا الالمــانْ　　مِّيمْتي ماَ لبسْنا كتّانْ
دَوَّزْها واحدْ في القيـادْ　　دوزّْها القايدْ العيــادي

ع. ركوك، *بعض الدلالات التاريخية من خلال العيطة*، بيان اليوم الثقافي، 5 / 3 / 92 ؛ *التصوف الغنائي في منطقة الصويرة والشياظمة*، بيان اليوم الثقافي 12 / 3 / 92 ؛ *الرواية الشفوية*.

S.M. De Deriny, *Marrakech et les parts du Sud*, Paris, 1918.

علال ركوك

**الحَوْزِيّة**، قبيلتان إحداهما قرب أزمور ببلاد الشاوية، والثانية بضواحي مدينة الرباط. ونظراً لكون مدلول الحوز الذي هو جذر الاشتقاق لنعت الحوزية يعني الأراضي المتاخمة والتابعة وبلغة التنظيم الترابي العصرية : الضاحية. وهكذا سنجد قبائل كثيرة تحمل هذا الاسم لا كهوية سلالية ولكن كصفة مجالية ذات حمولة ترابية أساساً.

وينطبق هذا على قبيلة الحوزية بأزمور. تتكون هذه الوحدة القبيلة الترابية من عدة مجموعات قبيلة سلالية مختلفة الأصول. وقد تكونت هذه الوحدة ضمن دائرة إشعاع أزمور. وتعتبر أزمور من مدن العبور ذات الأهمية على الشريط الساحلي الأطلنتي استفادت الضاحية من مخالطات البرتغاليين، ولم تكن تنتج إلا القمح حسب ما

أورده الوزان في *وصف إفريقيا*، وقد أدخلت ضمن فلاحتها إنتاج الخضراوات والفواكه خاصة بالولجة ومهيولة. كما اشتهرت المنطقة على الخصوص بفلاحة الحناء. وتميزت التقنيات الفلاحية باستعمال الناعورات ضمن وسائل الري. ويقع المجال الحوزي ضمن الحدود التالية :

فمن جهة الشمال الغربي هناك الساحل الأطلنتي انطلاقا من مصب وادي أم الربيع إلى الغرب على مسافة يبلغ طولها حوالي عشرة كيلو مترات حيث تقع حدود الحوزية مع أولاد بوعزيز التي تتجه نحو الجنوب الشرقي على امتداد اثني عشر كيلو متراً تقريبا. وما بين هذه النقطة الكيلومترية ووادي أم الربيع تقع الحدود المتعرجة للحوزية التي تمر على أولاد سالم لتتجه شرقا على مسافة ثلاثة كيلو مترات تقريباً تتحول بعدها نحو الشمال الشرقي حتى وادي أم الربيع الذي يعتبر حدا طبيعيا للقبيلة من الجهة الشمالية الشرقية. ومن الملاحظ أن هذه الحدود كانت تتقلص وتتسع تحت تأثير الظروف الأمنية والمناخية خاصة من جهة الجنوب الشرقي والشرق حيث الحدود ليست طبيعية.

إن أهم ما يميز قبيلة الحوزية بهذه المنطقة هو تكونها من عدة مجموعات قبلية متنوعة الأصول. غير أن ما يلاحظ حول هذا التنوع كونه جاء نتيجة عوامل تاريخية ساعدت على تكون قبيلة الحوزية كمتحد ترابي له صبغة كونفدرالية قبلية. كما أن أزمور بفعل طبيعتها كمدينة ـ قنطرة ساهمت في تبلور حوزها بهذا الشكل لما هي في حاجة إليه لرواجها الاقتصادي، بل إن قبيلة الحوزية نادراً ما كانت تدخل في صراعات مع المدينة لطبيعة العلاقات المجالية والمبادلات الرمزية والاقتصادية. كما عرفت المنطقة بفعل الأطماع البرتغالية وجود المرابطين الذين جلبوا الأتباع وأقاموا الرباطات خاصة بفحص الزموريين والذي كانت تنطلق منه الجيوش لمحاربة البرتغاليين بالجديدة (مزغان). وقد لعب قرب الجديدة من أزمور دوراً كبيراً في تكون الحوزية لهذه الأسباب التاريخية والمعطيات المجالية.

وقد تم إحصاء عشر مجموعات مكوّنة لقبيلة الحوزية قبيل دخول الاستعمار الفرنسي، وهي : أولاد رحمون، أولاد عميرة، أولاد عامر، أولاد حميِّد، أولاد سالم، بني تامر، إضافة إلى التريعات والغربيَة (لآزمور) والشرفاء الگرنيين والشرفاء القرامشة. وتنحدر هذه المجموعات من أصول مختلفة عربية وأمازيغية جاءت إلى المنطقة في الظروف سالفة الذكر.

وقد بدأ تشكل الحوزية مع تراخي الهيمنة البرتغالية ثم اضمحلالها ورغبة السلاطين السعديين ومن جاء بعدهم في إعمار ضواحي آزمور كنقطة عبورين فاس ومراكش والتضييق على من رغب من الأجانب في احتلالها أو توسيع نفوذه انطلاقا منها. في هذا الصدد شُيّد الفحص (أو ما يعرف بفحص الزموريين) من طرف أولاد بوعزيز الذين ستنفصل منهم فرقة أولاد رحمون لتصبح مكوّنا من مكونات الحوزية. وفي سنة 1301 / 1823 ولّى المولى عبد الرحمان بن هشام على آزمور والحوزية أحمد بن الحاج الخودري وذلك في إطار إعادة تنظيم الجهة.

وسوف تدخل قبيلة الحوزية في حالة عصيان ضد المخزن العزيزي لما اشتدت الدعوة الحفيظية. وقد قاد هذا العصيان قبيلة التريعات تحت إمرة القائد السي محمد المعطي التريعي الذي ضيق الخناق على مناصري المولى عبد العزيز بأزمور وفرض مراقبته على طريق أزمور الجديدة مما دفع بمحاولة تموين أزمور عبد البحر دون نتيجة. واستمرت حملات القائد التريعي حتى دخوله في مواجهة مفتوحة مع الجيوش الفرنسية، الشيء الذي دفع بالسلطات الاستعمارية الفرنسية إلى أن تتحين فرص كسر شوكته حيث أخذت ابنه رهينة فحاول الحصول على حماية إسبانية لكنها لم تنفعه في استمرار بسط نفوذه حيث احتلت قصبته الواقعة على بعد عشرة كيلو ميترات جنوب أزمور ودمرت عن آخرها يوم 5 غشت 1912. وبهذا عادت الحوزية إلى الاحتماء بمدينتها، وارتبط مصير الحوزية مع أزمور قطب الإشعاع المحلي.

أما الحوزية الثانية فتقع بضواحي الرباط، ظهرت كوحدة إدارية بمواصفات قبلية جاءت نتيجة تدخلات المخزن في إطار إعادة تنظيم المجال وترتيب الأمور الإدارية على إثر انتفاضة قبائل الجيش من الأوداية بفاس أيام حكم السلطان مولاي عبد الرحمان (1832 / 1247)، حيث قام بتوزيع الأوداية على مختلف المناطق بعد سحق انتفاضتهم. وهكذا تم نقل رحى أهل سوس إلى الرباط وأسكنهم بقصبة تمارة. وكان إسكان الأوداية خطة مدروسة هدفت إلى تحقيق أمرين :

أولاً : ترسيم اقتطاع قرابة 9000 هكتار من أرض قبائل عرب الصباح كان قد أقطعها المولى سليمان إلى الشرفاء العلويين بالرباط جزاء مساندتهم له على تفرّده بالملك وعقابا لهذه القبائل على مناهضتهم له. ولم يستطع الشرفاء استغلال هذه الأراضي إلا بواسطة منح القبائل حماية (الكسا) عند دخولهم المدينة مقابل الحصول على مداخيل استغلال الأرض.

ثانياً : إضعاف قبائل عرب الصباح التي كان مجالها القبلي يمتد من حدود الزيايدة جنوبا إلى نهر أبي رقراق شمالا على طول الشريط الساحلي الذي تحده قبائل زعير من الشرق. حيث إنها كانت محور حلف عرب الويدان الذي جعل للاصفية تنصح أخاها المولى سليمان قائلة : "عطّشوا أباك ولم يقدر عليهم ... أنت تحتاج إليهم وهم لا يحتاجونك. فاصفح عنهم وأمّن عليهم" (الضعيف).

ضمن هذه السيرورة ظهرت "قبيلة الحوزية" بعد عزل المعاضيد ولعشاش عن إخوانهم من عرب الصباح عندما استوطن الأوداية الشريط المقتطع من الشاطئ الأطلسي إلى حدود قبائل زعير. وهكذا أصبح المجال الحوزي يحد شمالا

بنهر أبي رقراق وغربا بأسوار مدينة الرباط وشرقا بقبيلة زعير وجنوبا بالأوداية، ويمتد على مساحة 5000 هكتار تتقاسمها قبيلتا المعاضيد ولعشاش إضافة إلى فرقة الفقراء موساوى. وقد أخذت "القبيلة" اسمها من حوز الرباط، أي أنها أصبحت تحت إمرة قائد الرباط وخاضعة لسلطته المباشرة. ومنذ دخول الاستعمار، وفي إطار التنظيم الترابي خضعت قبيلة الحوزية في البداية لحكم دائرة الرباط ثم أصبحت تابعة لقيادة حوز الرباط مع الأوداية وقباذل لعرب بعد حل مشكل الحدود الترابية بين الدغمة والزيايدة. كما عرفت داخلياً تغيراً في تقسيمها الإداري من مشيختين تضم الأولى كلا من المعاضيد ولعشاش وتقتصر الثانية على الفقراء موساوى الذين كانوا يشددون على تنصيب شيخهم من فرقتهم لكونهم شرفاء إلى ثلاث مشيخات : المعاضيد العشاش والفقراء موساوى.

وقد انتظمت مكونات قبيلة الحوزية بحسب مرجعيات الشرف أو القوة.

1 ـ فالمعاضيد، فرع من قبيلة المعاضيد من عرب الصباح الموجود إلى الآن بتافيلالت. وهذه القبيلة أهم وحدة قبلية داخل الحوزية، فهي تمتلك أكبر حصة من الأرض داخل المجال الحوزي وذات ثروة وجاه حيث إنها أعطت قواد القبيلة وحسمت مسألة تنصيبهم.

2 ـ الفقراء موساوى وهؤلاء شرفاء أدارسة يعود نسبهم إلى عمران بن إدريس (حسب الشجرة التي بحوزة نقيبهم) وجدّهم موسى بن علي دفين جبل أيت راس أو أتراس ببلاد زمور. وضريحه مازال مزارهم ليومنا هذا. وقد منحهم الملوك العلويون ظهائر توقير واحترام يعود أقدمها إلى عهد المولى إسماعيل. وقد وُجدوا بالمنطقة منذ تاريخ طويل حيث توجد فرق منهم بدكالة وبالغرب. وتكاثف وجودهم داخل المجال الحوزي بفعل ضعف قبيلتي عرب الصباح (المعاضيد ولعشاش) اللتين حاولتا توظيف وجودهم لاتقاء هجمات قبائل زعير والسهول وحصين دون فائدة. وقد استطاعوا امتلاك أجود الأراضي وأخصبها (الولجة) بفعل الهبات والإرث، ذلك أن نظام الزواج مكنهم من ذلك، إذ أن زواج الشريفة من عاميّ أمر محظور في حين كان مسموحا للشريف أن يتزوج عاميّة. غير أنهم كانوا الفرع الأقل ارتباطا بالأرض وبالنشاط الفلاحي مما سهل تكون أملاك حبسية نتيجة اقتناء الأرض من طرف حضريين قاموا بتحبيسها.

3 ـ لعشاش : كانت أصغر وحدة قبلية داخل الحوزية. وظل هؤلاء يعيشون ضمن المعاضيد حتى حدود سنة 1913 عندما تكونت مشيخة خاصة بهم. وقد احتلوا الأراضي المتاخمة لأرض مولاي عبد العزيز (الزفاطي أو دار السلام حاليا).

وقد عانت الحوزية منذ تكونها من ضغط قبائل زعير على الخصوص حيث كانوا يضربون عليهم بمحلاتهم مما تضطر معه قبيلة الحوزية إلى اللجوء إلى شالة أو كرمة سيدي سعيد بن صالح (قصر قائد عبيد البخاري أيام سيدي محمد بن عبد الله حيث بنيت الإقامة العامة / وزارة الداخلية حاليا). ويعتبر استبدال اسم باب الحديد بباب زعير مؤشراً على سطوه القبائل الزعرية السائبة آنذاك والتي كانت تمتد غزواتها حتى داخل أگدال (حسان حاليا) حيث كان مضرب الأمان يقع ما بين المدينة القديمة ومحج شالة والمشور (القصر الملكي). ولهذا ظلت المجموعة الحوزية تعيش ضمن دواوير متنقلة داخل مجالها محتمية بالرباط كلما اشتدت وطأة "السيّاب" لدرجة أنهم قرروا أنهم كلما اعتقلوا سائبا يخلون سبيله بعد معاقبته ثم إكرامه خوفا من الفدية والانتقام. ومع دخول الاستعمار تفرقت المجموعات إلى دواوير داخل مجالها. ونشطت عملية تداول الأرض، واقتطعت العديد من الأراضي لفائدة المعمرين والمدينة كحي الطيارات والتقدم الذي كان قرية نموذجية، والحي الإداري ... كما أن أوراش البناء جلبت إلى المجال القبلي عدداً من المهاجرين تكدسوا داخل أحياء هامشية مكونة من براريك ونواويل وخيام كدوار برگاش الذي أصبح يعرف بدوار الدوم ودوار المعاضيد.

ومع تطور العمران الحضري واكتساح المدينة للمجال القبلي تفككت القبيلة وكان مشروع حي النهضة السكني (1978) الضربة القاضية التي أنهت الوجود القبلي لكل من المعاضيد ولعشاش في حين ما زالت فرقة الفقراء موساوى قائمة ضمن شريط الولجة على طول نهر أبي رقراق حتى عكراش لانتظامها كمؤسسة لها نقيبها ولانتعاش فلاحة الخضراوات التي تغذي الأحياء السكنية القريبة وللدور الإشعاعي لسوق أحد عكراش.

هذا التفاوت في استمرارية مكونات الحوزية، لا يرجع فقط إلى عوامل سوسيو مجالية (عنف القبائل السائبة والتوسع العمراني للمدينة) بل كذلك إلى عوامل تاريخية وسوسيو ثقافية. لموقع الرباط كمدينة قنطرة تربط بين فاس ومراكش جعل المجال الحوزي ومجال قبائل عرب الصباح بالمنطقة عموماً رئيسياً للحركات السلطانية والتنقلات المخزنية الشيء الذي منع تكون زعامات محلية وجهوية مهمة وذات إشعاع رغم الدخول المتأخر للقبائل الجياشة خاصة في العصر العلوي منذ أن شطب على قبائل عرب الصباح من ديوان القبائل النائبة. وهكذا مع عزل المعاضيد ولعشاش عن المكونات الأخرى تقوى موقع الفقراء موساوى الذين استغلوا وظيفتهم الدينية ووجود ضريح أحد أوليائهم بمنطقة عكراش (سيدي قاسم الناظور). غير أن انضمام هؤلاء إلى قبيلة الحوزية لم يمنع المعاضيد ولعشاش من استمرار ولائهم للزاوية الشرقاوية بأبي الجعد، حيث كانوا يعتبرون أنفسهم من خدامها، إذ بقيت الاحتفالات تقام بمناسبة قدوم ممثلي الزاوية حتى منعت أيام الاستعمار. فالانتماء الحوزي لم يرق إلى هوية قبلية مشتركة بين المكونات الثلاث لتشبث الشرفاء بمكانتهم الاجتماعية.

فقبيلة الحوزية لا يمكن اعتبارها متحداً قبلياً أو كونفدرالية قبلية بأي معنى من المعاني لاختلاف وضعيات مكوناتها ولكون هذا التجميع القبلي فرضته عوامل سياسية وقرارات تنظيمية هدفت أصلا إلى توفير عازل قبلي يحمي المدينة من القبائل المتمردة وإلى كسر شوكة عرب الصباح.

ورغم هذا التفكيك الذي عرفته قبائل عرب الصباح فإن علاقات المعاضيد على الخصوص مع محيطها ظلت متجاهلة الجوار الأودبي (نسبة إلى الأوداية) موطدة التبادلات ضمن "عرب الرمل" وهي تسمية تطلقها قبائل عرب الصباح على وحداتها الموجودة بين وادي يكم ووادي أبي رقراق لطبيعة التربة التي كانت رملية. غير أن اعتقال ابن يسّف قائد المعاضيد وباقي الحوزية من طرف القائد السويسي (قائد الرباط) وسجنه بتطوان حيث توفي هناك أثر على هيبة القبيلة ومكونات الحوزية، الشيء الذي حولها إلى قبيلة مسالمة.

كما أن "قبيلة الحوزية" لم تكن تتوفر على "جماعة" كمجلس تمثيلي، بل كان للشرفاء جماعتهم الخاصة بهم والتي لا تشبه من حيث التكوين والتنظيم "جماعة العوام" من المعاضيد ولعشاش. فداخل الفقراء موساوى كانت الكلمة لماسكي ظهائر التوقير والاحترام، على عكس المعاضيد ولعشاش الذين كانت جماعتهم مفتوحة بحسب النفوذ والتحالفات، بل إنها كانت تنقسم إلى جماعتين عند احتداد الصراع بين المعاضيد ولعشاش.

لقد أُنشئت "قبيلة الحوزية" لغرض تنظيمي وإداري، وما أن أصبح متجاوزاً حتى تحللت القبيلة للعوامل المذكورة.

ع. الفتاح الزين، *العلاقات بين المدينة والبادية بحوز الرباط*، د. د. ع، في علم الاجتماع، كلية الآداب بالرباط، السنة الجامعية، 1986 / 1987.

*Villes et tribus du Maroc* ; *Rabat et sa région*, tome 1 *(les villes avant la conquête)*, Paris, 1918.

عبد الفتاح الزين

**ابن الحوزية، محمد**، وينطق به العامة كلمة واحدة "بلَحوزية" من أعيان قبيلة أولاد سعيد الشاوية، قام بدور كبير في انتفاضة الشاوية سنوات 1903 - 1906. ينتمي لفرقة أولاد عريف، شارك في معارك الجهاد بالدار البيضاء حيث استشهد قرب المدينة سنة 1325 / 1907.

**حَوْضْ الحْنَاشْ**، موقع معركة بزعير جرت في صيف 1329 / 1911، بعدما احتلت القوات الفرنسية مدينتي فاس ومكناس (ماي - يونيو)، توجهت من الشرق نحو قبائل زمور وزعير. وكان هدف المحتلين هو دخول أرض قبائل زعير التي استعصت على الفرنسيين منذ سنة 1908 عندما أصبحوا مجاورين لها بعد احتلال بلاد الشاوية. وقد أمر الجنرال مْوَانيي قائد جيش الاحتلال، أن تتوغل قوات من الشاوية في زعير من الغرب لتلتقي مع القوات الآتية من الشرق (يوليوز - غشت 1911).

وبمجرد ما دخلت القوات الفرنسية في أرض زعير بعد مرورها من المعازيز، وجدت الأرض فارغة من سكانها الذين انسحبوا أمامها. وعندما وصلت مكان گلتة الفيلة أنشب معها المجاهدون من قبيلة النجدة القتال في المكان المسمى بحَوْض لَحْنَاشْ. وقد دام الاشتباك حوالي ساعتين قتل خلاله أربعة جنود من الگوم الجزائريين العاملين مع جيش الاحتلال وجرح أحد عشر جندياً. وقد وصف أحد الضباط الفرنسيين الحادث، وتأمل في القبور الأربعة التي حفرت للجزائريين، متسائلاً عن المصير الذي جاء بأربعة من الگوم من جنوب الجزائر ليقاتلوا لصالح مجموعة من رجال المال الموجودة بأوربا.

*تحريات ميدانية.*

E. Nolly, *Gens de guerre au Maroc* ; A. de Montalembert, *En colonne chez les Zaërs, A.F.*., 1911.

علال الخديمي

**الحَوَّات**، أسرتان تطوانيتان استوطنتا تطوان قديماً، إحداهما شريفة علميّة مُوسوية أصلها من بني عروس ثم شفشاون ومنها انتقلوا إلى درعة وفاس وتطوان اشتهر منهم العلامة الصوفي محمد الحوات ونجله الأديب النسَّابة الشهير سليمان الحوات.

ومن أفرادها بتطوان الفقيه العدل الشريف محمد بن المختار الحوات كان يتعاطى الشهادة عام 1290 وولداه الفقيه العدل محمد وأخوه الطالب المكي. أما الأسرة الأخرى فلا أدري أصلها. وقد انقرضت الأولى من تطوان الآن.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، ج 3 حرف ح، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، نسخة المؤلف بخطه بخزانته.

محمد بوخبزة

**الحوات، سليمان** بن محمد بن عبد الله العلمي الشفشاوني، ولد صبيحة يوم جمعة من رجب عام 1160 / مارس - أبريل 1747 وعاش في كفالة أمه ميسورة الحال، حيث ترك والده عدداً كثيراً من المواشي والأصول داخل شفشاون وخارجها، كما ترك غلاماً ساهراً على أملاكه اسمه "صهيب" وهذا ما ساعد سليمان على متابعة دراسته بفاس دون الاعتماد على أحد. دخل مدينة فاس لمتابعة دراسة سنة 1196 / 1772 وبقي بها إلى وفاته.

أخذ عن الشيخ محمد بن الخياط ابن إبراهيم الدكالي ومحمد بن الطيب القادري وعمر بن عبد الله الفاسي ومحمد بن الحسن بناني وزين العابدين بن هاشم العراقي وغيرهم.

وبرز في الأدب واللغة والتاريخ وعلم الأنساب. يقول عنه صاحب *نزهة الأبصار* : "وكان إماما هماما عالما عاملا

تصرف في سائر العلوم، قيد يده للمنطوق والمفهوم، ألف في طريق القوم وكان في بحور العلم يحسن السباحة والعوم".

أخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ التاودي ابن سودة وشغل مهمة نقيب الأشراف العلميين على عهد السلطان المولى سليمان. وترك مجموعة من المؤلفات مازال معظمها مخطوطا. تتناول التراجم والأنسباب بالإضافة إلى أشعار وخطب، منها :

ـ *البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية*. مخطوط، خ. ع. الرباط رقم 261 د ؛ *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي* : وهو عبارة عن ترجمة ذاتية تعرض فيها الحوات لحياته منذ ولادته بشفشاون حتى استقراره بصفة نهائية بفاس. مخطوطة خ. ع. رقم 1264 / 4 ك ورقم 11861 / 6 ؛ *السر الظاهر فيمن أحرز بفاس السر الباهر من أعقاب الشيخ عبد القادر*، وضعه في التعريف بالشرفاء القادريين، طبع بفاس عام 1351 / 1932 ؛ *قرة العيون في الشرفاء القاطنين بالعيون*، يعرّف فيه بالشرفاء الدباغيين الحسنيين القاطنين بحي العيون من عدوة فاس القرويين. مخطوط خ. ع. رقم 1256 ك. ضمن مجموع ؛ *المسك الاريج في نسب أولاد الدريج* تكلم فيه على نسب أولاد الدريج الموجودين بفاس وتطوان وأنهم من الأنصار، مخطوط ؛ *تأليف في ترجمة شيخه محمد بن الحسن البناني* (ت. 780 / 1194) ؛ *تقاييد في الأنساب*، مخطوط خ. ح. رقم 1252 ؛ *تغيير المنكر في الرد على من حرم السكّر*. مخطوط خ. ع. رقم 1072 ك. طبع بفاس عام 1326 / 1908 ؛ *منظومة في نحو ثمانين بيتا في الشيخ أبي عبد الله محمد ابن الفقيه* (ت. 1136 / 1723) مخطوط خ. ع. رقم 1306 ك ضمن مجموع ؛ *كشف القناع عن وجه تأثير الطبوع في الطباع* ؛ *تأليف في الناصريين* ؛ *كناشة علمية* ؛ *ديوان شعر في مدح السلطان المولى سليمان* ؛ *خطبة بحث فيها على مساندة المصريين بعد حملة نابليون بونابرت*.

توفي سليمان الحوات بفاس يوم الثلاثاء تاسع عشر صفر عام 1231 / 20 يناير 1816، ودفن بضريح الشيخ التاودي ابن سودة خارج باب عجيسة.

س. الحوات نفسه، *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي*، مخطوط، خ. ع رقم 1264 / 4 ك ؛ زين العابدين العراقي، *فهرسة*، مخطوط، خ. ع رقم 1942 ك ضمن مجموع، ص. 276 ؛ العربي المشرفي، *نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار*، مخطوط، خ. ع. رقم 579 ك ص. 451 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، 3 : 116 ؛ ل. بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. ع. الخلادي، الرباط، 1977، ص. 241 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة *أعلام المغرب*، 7 : 2497.

عبد العزيز تيلاني

* *

وقد ظهر اهتمام سليمان الحوات بالموسيقى كلون من ألوان الثقافة العامة التي كانت سائدة يومئذ بفاس، فأقبل على رجالها يأخذ عنهم كابن سعيد الذي نعته بغريض العصر ومعبده، ومن له الباع الطويل في مدده، وارتاد مجالس السمر، فاستمع إلى مشهوري المغنين كعبد الرحمان المزداري، وعازفي العود كعبد الرحمان ابن زكري الذي نوّه الضعيف بعزفه وإنشاده.

وقد نظم الحوات في الموسيقى الأندلسية أرجوزة قوامها خمسة وخمسون بيتا سماها "*كشف القناع عن وجه تأثير الطبوع في الطباع*". استعرض فيها أسماء طبوع "الآلة" فجعلها خمسة وعشرين طبعا سار في ترتيبها على نهجين : أولهما وهو القديم ـ نهج محمد بن الحسين الحايك في *كناشه* ويراعي ربط الطبوع الأصول بالطباع الأربعة : السوداء والدم والبلغم والصفراء، ثم تفريع هذه الأصول إلى فروعها.

وثانيهما مذهب استحدثه أهل فاس يقوم على ترتيب الطبوع حسب ما بينها من تقارب نغمي.

س. الحوات، *كشف القناع* ؛ *كناشة* ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 4 : 121 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، ص. 187.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الحوات، عبد العزيز** بن إدريس العلمي الفاسي، ولد بفاس، ودرس في القرويين إلا أنه لم يتم دراسته بسبب نشاطه السياسي ومساهمته الفعالة في الحركة الوطنية. سجن لمدة سنتين، بعد أحداث المطالبة بالاستقلال سنة 1944، بناحية بولمان ثم علي ومومن. وبعد خروجه من السجن استأنف نشاطه الوطني في صفوف حزب الشورى والاستقلال، وأسندت إليه إدارة مدرسة "الشعب" المجانية بفاس، التي أسسها هذا الحزب لأبناء الفقراء، فكان على حد تغيير رفيقه في الكفاح الحاج أحمد معنينو : "أب اليتامى والمحتاجين، وصديق الطبقة المحرومة يعالج شؤون الأبناء بالتربية الصحيحة والاعتماد على النفس".

كان عبد العزيز الحوات على رأس جمعية إخوان الصفا، وعلى صلة وثيقة بجمعيات التمثيل والثقافة والكشفية وأخوات الصفا اللائي كن يساعدن مادياً ومعنوياً تلاميذ مدرسة الشعب. إلى أن أقفلت أثناء الأزمة السياسية الكبرى في أوائل أعوام الخمسين. وقد نظّم خلايا المقاومة في بادية فاس، وخاصة في قبيلة گزناية، وسجن سنة 1953 و1954 في عين قادوس ثم على مومن. وبعد الاستقلال انهارت قواه الجسدية ودخل المستشفى للعلاج وبدأ يشتغل بالعدالة إلى أن وافاه الأجل المحتوم على إثر نوبة قلبية، في خامس وعشرى ربيع الأول عام 1386 / 15 يوليوز 1966 ودفن بزاوية شرفاء وزان بحومة الشرشور بفاس.

أ. معنينو، *ترجمة مرقونة للحوات* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9.

**الحوات، محمد** بن **عبد الله** العلمي المُوسوي الشفشاوني، والد النسابة الشهير سليمان الحوات سابق الترجمة. حلاه القادري في *نشر المثاني* "بالفقيه الأديب اللوذعي النجيب الذكي اللبيب".

درس في فاس على شيخ الجماعة محمد المسناوي الدلائي، وأخذ الطريقة الناصرية على يد الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي وكانت له به صلة وثيقة. ولي قضاء شفشاون بدون انقطاع إلى وفاته. واتصل بالخليفة السلطاني بدرعة الشريف بن إسماعيل وامتدحه بقصيدة رائية طويلة "فأجزل جائزته وأكرمه بالعطاء" وخلّف محمد الحوات تآليف منها *تحفة المعاصر ببعض صالحي تلامذة أبي عبد الله مَحمد ابن ناصر*، و*قصائد* معظمها في المديح النبوي، و*كنانيش* علمية.

لكن تبدد غالبها ـ كما يقول ولده سليمان ـ على يد من لم يراقب الله من الأقارب.

توفي قاضياً بشفشاون عام 1160 / 1747.

س. الحوات، *الروضة المقصودة*، ص. 244 ـ 245 و348 ؛ م. القادري، *نشر*، *موسوعة أعلام المغرب*، 6 : 2147 ـ 2149.

محمد حجي

**حْويدَّة**، الزيدية الغياتية، مغنية شهيرة (تصغير لاسم حادَّة) من قبيلة البحاترة العبدية تنتمي إلى آل غيات من فخذة أولاد زيد، لهذا كانت تسمى بالشيخة حْويدَّة الغياتية الزيدية.

تربَّت في كنف قبيلتها وتشبَّعت بعشقها للغناء ـ لما كان الغناء يمارس بنوع من التلقائية ـ فكانت بمثابة شاعرة أو مغنية حماسية لقبيلتها أثناء انفجار الصراع مع القائد عيسى بن عمر العبدي أواخر القرن الثالث عشر (19 م).

خلَّدت الشيخة حْويدَّة في هذا الإطار تراثاً فنياً رائعاً، ما تزال الذاكرة الجماعية العبدية تحتفظ به كملحمة درامية للقبيلة أطلق على هذا النوع من التراث الفني اسم "العَيْطة الحَصْبَوية". وما تبقَّى في مخزون الذاكرة من هذه الملحمة ـ رغم ندرته ـ يشكِّل وثيقة تاريخية لها دلالة عميقة في مجرى الصراع الذي كانت تخوضه البادية المغربية ضد استبداد بعض القواد الكبار وتسلطهم.

فحْويدَّة من هذا المنظور، ليست مجرد شيخة، بل هي رمز للمرأة البدوية المناضلة التي كانت لا تتردد في رفع صوتها عاليا، معلنة عن تمردها ورفضها ـ باسم قبيلتها ـ لكل أنواع الهيمنة والاستبعاد صارخة :

أنا عبدْ لعَبْـــــدَهْ وللسِّي عيســـــى لاَّ

تعود أحداث ووقائع هذه الملحمة إلى السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر (19 م) بعد وفاة السلطان مولاي الحسن وتولية ابنه مولاي عبد العزيز سنة 1311 / 1894 حيث قامت القبائل الحوزية ـ وبالأخص منها قبيلة الرحامنة ـ وامتنعوا عن مبايعته لصغر سنه من جهة ولاستبداد الوزير الوصي أحمد ابن موسى (ابّا احماد) بأمر الدولة من جهة أخرى.

وانتفضت قبائل عبدة بدورها، ومنها قبيلة البحاترة ضد قوادها وممثلي المخزن بها. فكانت انتفاضة أولاد زيد ضد القائد عيسى بن عمر العبدي امتداداً للأحداث التي وقعت في قبائل الحوز وغيره بزعامة الشيخ الحاج محمد بن ملوك ابتداءً من النصف الثاني من شهر محرم سنة 1313 / 1895، وهي الانتفاضة التي عايشتها وتفاعلت معها الشيخة حْويدَّة لمدة تزيد عن نصف سنة، كانت كلها صراعاً عنيفاً انتهى بتعذيبها وقتلها، وهي التي خلدت ملحمتها الدرامية من خلال ما تركته لنا من أغان كان لها دور كبير في إثارة حماس القبيلة لمواصلة الانتفاضة ضد الطاغية عيسى بن عمر الذي كانت تهجوه هجواً عنيفاً وتقول :

أعيسى بَنْ عُمر أقـتَّالْ اخُوتُو
أعيسى بن عمر أوكَّال الجيفَـة

ثم تزيد فتقول :

دار السي عيسى گالُو خْلاتْ
راها مقابلةْ للمعــاشـــات

فكانت تفجر في أعماق المحاربين الشجاعة والبطولة التي كانت تغني بها القبائل، فتقول :

نُوضَا نُوضَا حتـــى لبُوكشـــور
نُوضَا نُوضَا حتى دارْ السِّي قدُّور

هذا الكلام الذي كانت تردده حويـدَّة في شكل عيطة تتغنى بها وسط أفراد فخذة أولاد زيد، كان ينتقل بسرعة من مكان إلى آخر فيردده الناس فرادي وجماعات، ولعل هذا ما أعطى نفسا ودعماً لا نتفاضة أولاد زيد، فظهرت بمظهر قوي وعنيف، وأصبحت عبدة تشتعل من عنف الانتفاضة وحوصرت مدينة أسفي، فتدخل المخزن المركزي لتدعيم القائد عيسى بن عمر ومساندته من أجل وضع حد نهائي لانتفاضة أولاد زيد، وكان في عشية يوم 15 جمادى الأولى عام 1313. على الطريقة المعروفة وتابع القائد الفارين وأعتقل رؤساء فخذة أولاد زيد وأعيانهم بمن فيهم الشيخ الحاج محمد بن ملوك الزرهوني.

وأمام العنف والتنكيل الذي مارسه القائد عيسى بن عمر فرَّت الشيخة حْويـدَّة لدى أولا سعيد من الشاوية ناحية مدينة سطات، ونقلت معها إلى هناك التفاصيل الدقيقة لهذه الملحمة التي رددت مقاطع من فصولها وما مارسه القائد عيسى بن عمر من قتل وفتك بقبيلتها أمام أولاد سعيد.

وإذا كان القائد قد تمكن من القضاء على انتفاضة أولاد زيد، فإنه مع ذلك لم يستطع أن يُسكت صوت الشيخة حويـدَّة، التي مازالت تنطق بعمق معاناتها وتقول :

اللي ما عَزَّاني فـي كْبَدْتـي نعــرفُـو يَكرهْــــنـــي
تْعَالى تْعَالى نگـول ليــك أذاكْ الغـــــــــادي

شْكُـونْ سبـابـــــــي حتّى فَارَقْـتْ بْـــلادِي

* *

راعــي الخـــــاوَة كُــلْشـي يفـــوتْ

وتَـبْـقَـى العْـدَاوَى أقـــابـــــدِي

رْجَـانـا فـي العـالـي

اعتُقلت حويــدّة وأُدخلت إلى السجن بقصبة القائد داخل "البردوز" الذي كان يشبه القبر، وهناك عانت من التعذيب ما ذكره أحمد الصبيحي نقلا عمَّن عاشوا تفاصيل هذه الأحداث : "كان يركبها ناقة، ويأمرها أن تغني، وهو في وسط إخوانه، الغناء الذي كانت تغنيه لأولاد زيد". وكانت حْويـدّة وهي في حالة التعذيب تجادله بكل قوة وتقول له "انما هي امرأة، وانه إذا أراد أن يشفي غليله وغيظه فليكن مع الرجال" ومن آخر ما حُفظ من عيطاتها :

الليلة ليلةْ العــــذاب ابـابــــا ونْقَــاسـي

الدنيا ثْفــــــوتْ ابـابــــا ونْقَــاسـي

اخْرْهَــا المُـــــوت ابـابــــا ونْقَــاسـي

أ. الصبيحي، *باكورة الزبدة*، تح. ع. العطاوي ؛ *رواية شفوية*.

المصطفى فنيتر

**الحويشي، عبد الله** الرباطي شخصية دينية صوفية من العلماء والصلحاء النساك، عاش في القرن الحادي عشر وبداية الثاني عشر (17 - 18 م)، ضريحه مقصود للزيارة والتبرك ملتمس ممن يرجو الاستشفاء من العاهات والامراض، وهو موجود بالرباط بالزاوية الرحمانية التي يقال إنه هو بانيها - أخذ الطريقة الشاذلية عن علي بن عبد الرحمان الدرعي دفين تادلا، وأخذ هذا بدوره عن أبي عبد الله الواوزغتي الدادسي عن القطب أبي بكر الدلائي، وطريقته هذه جزولية شاذلية كان يلقنها وظل كذلك إلى أن توفي.

وقد ذكره عدد من كتاب التراجم مثل محمد المنالي في كتابه *دوحة البستان ونزهة الإخوان في مناقب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان*، وأحمد بن عبد القادر التستاوتي المكناسي في *اختصار ممتع الأسماع* الذي قال إنه رآه سنة 1092 وهو رجل مسن وعليه أمارات المسكنة. وتحدث عنه كذلك الحفيد العكاري في *البدور الضاوية* ونظم أحمد بن عبد القادر المذكور نظما لرجال *ممتع الاسماع* فذكره هو وصالح سلا الشيخ أحمد حجي في هذا البيت :

وأحمدُ حجي صالح الفعل خيـــرٌ

كذاك الحُويشي في الرباط انتمى لِيـا

خلف عبد الله الحويشي عدة أولاد، منهم الفقيه محمد وهو ممن انتفع أيضاً بالشيخ العكاري، وأخذ عنه علوماً مثل النحو والبيان والكلام والأصول والفقه، وقبره قرب قبر والده.

وذكر محمد المنالي في *دوحة البستان* أن عبد الله الحويشي توفي ليلة الجمعة 14 صفر 1103 / 2 نونبر 1691.

م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط، 1987، ص. 384 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط، 1986، ص. 84.

عبد الإله الفاسي

**الحياة**، جريدة صدرت في تطوان يوم فاتح مارس 1934 مقدمة نفسها كـ"جريدة أسبوعية حرة تدافع عن المصالح القومية". وكان رئيس تحريرها المسؤول عند انطلاقها هو عبد الخالق الطريس، أحد قادة هيئة العمل الوطني بشمال المغرب ثم زعيم حزب الإصلاح الوطني لاحقا. غير أن مهمة رئاسة التحرير انتقلت إلى التهامي الوزاني ابتداء من العدد 32 الصادر في 18 أكتوبر 1934، واستمر الطريس في الاحتفاظ بإدارة الصحيفة وتزامن هذا التغيير مع تقلد الطريس لوظيفة سامية في إدارة الأوقاف (16 أكتوبر).

صدرت "الحياة" عن المطبعة المهدية في حجم متوسط، وتراوح عدد صفحاتها بين 4 و8. ولم تكن مصورة إلا في حالات نادرة مثل العدد الممتاز الذي صدر يوم الأحد 18 نونبر 1934 احتفاء بعيد العرش والذي تصدرت صفحته الأولى صورة السلطان سيدي محمد بن يوسف.

تطرقت الجريدة التطوانية إلى مواضيع شتى بأقلام كل من عبد الخالق الطريس، والتهامي الوزاني، ومحمد بنونة، ومحمد حصار، وعبد السلام بن جلون، ومحمد الطنجي، وأحمد بلافريج، وغيرهم. ومن بين تلك المواضيع : أسس النهضة، وقضايا التعليم، ومحاربة الخمور، ومكافحة الشعوذة، وأحوال المشرق العربي، إلخ.. ولكن ربما كان نشر الصحيفة لعرائض الاحتجاج ضد الإدارة الاستعمارية والتي ترد عليها من مختلف أرجاء البلاد هو ما أزعج السلطات الفرنسية والإسبانية أكثر من غيره. وإذا كان الإسبان قد لجأوا إلى إثقال كاهل الجريدة بغرامات باهظة، فإن الفرنسيين اختاروا، ابتداء من 16 ماي 1934، منع ولوجها المنطقة السلطانية الرازحة تحت احتلالهم، وكانوا بمبادرتهم هذه، يدركون جيدا أهمية الضرر المادي الذي يلحقونه بـ"الحياة" التي فقدت جزءاً من مواردها الأساسية التي يوفرها قراؤها في جنوب المغرب. ومع ذلك، استمرت الأسبوعية التطوانية في تأدية مهمتها ؛ ومن الخدمات التي أسدتها للحركة الوطنية المغربية نشرها في أعداد متتالية، ابتداء من 3 يناير 1935، *"مطالب الشعب المغربي"*. لكن مختلف العراقيل التي قامت في وجهها أجبرت "الحياة" على الاحتجاب بعد إصدارها لعددها السابع والسبعين (29 غشت 1935).

جامع بيضا

**حياة الشعب** (جريدة -) منذ تأسيس الحزب الشيوعي المغربي سنة 1943 عمل على امتلاك جريدة عربية

تنطق باسمه إلى جانب صحافته الصادرة بالفرنسية (Espoir). لكن الإقامة العامة واجهت بالرفض الطلبات المتكررة للحزب في هذا الشأن. ويفسر هذا الرفض بكون السلطات كانت تخشى أن يمتلك الحزب الشيوعي أداة إعلامية ناطقة بلغة قد يصل صداها إلى الأوساط الشعبية. وأخيراً اهتدى الحزب الشيوعي في ماي 1946 إلى تأسيس جريدة سرية تحت عنوان *"حياة الشعب"*.

بالرغم من ملاحقة واعتقال السلطات لموزعي هذه الجريدة السرية، فقد واصلت الصدور حتى إعلان الاستقلال سنة 1956. وحينئذ تقدم الشيوعيون بطلب ترخيص لإصدار الجريدة علنا للحكومات المتعاقبة على أمور البلاد خلال السنوات الأولى للمغرب المستقلّ (حكومات البكاي وبلافريج وعبد الله إبراهيم)، غير أن الطلب رفض أكثر من مرة، الشيء الذي جعل الساهرين على الجريدة يصدرونها سرية لمدة سنوات وعلى شكل عتيق يفتقر إلى أبسط التقنيات العصرية في النشر (انظر الصورة). وغداة ظهير نونبر 1958 المنظم للصحافة في عهد الاستقلال، أقدم الشيوعيون على إصدار أول عدد من *"حياة الشعب"* بصفة علنية (خريف 1959)، إلا أن الرقابة كانت لها بالمرصد، وانتهت بذلك هذه التجربة الصحفية.

J. Baida, *La presse marocaoje d'expression française des origines à 1956*, Rabat, 1996, p. 310 - 311 ; A. Yata, *Presse démocratique au Maroc, bilan et difficulté*, s.d., Casablanca, p. 17 - 21.

جامع بيضا

ابن **حياتي، محمد** بن علي الغافقي الفاسي، فقيه أستاذ نحوي، قال عنه تلميذه ابن قنفذ (له تحقيق بالنحو والقراءات). وُلد عام 718 / 1318 وهو أول من أدخل إلى فاس *شرح المرادي على ألفية ابن مالك*.

أخذ عنه كبار طلبة فاس والقادمين إليها، أمثال يحيى السراج الكبير، وأحمد الخطيب ابن قنفذ القسنطيني، والحفيد ابن مرزوق التلمساني. ويذكرون من إنصافه وتواضعه أن بعض الطلبة سأله أن يقرأ عليه *المقدمة الجزولية* في النحو، فأخذها ابن حياتي وقصد أبا العباس ابن الشماع المراكشي وقرأ عليه فاتحتها، ثم أقرأها عشية اليوم نفسه.

توفي زوال يوم الخميس 8 جمادى الأولى عام 788 / 7 يونيه 1386 وعند ابن قنفذ أنه توفي سنة 781 لكنه غير مدقق.

ي. السراج، *فهرست*، مخطوط، خ ع 1242 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، ط. الرباط، 1973، 1 : 237 ؛ *درة الحجال*، 2 : 275 ؛ أ. ابن قنفذ، *شرف الطالب*، *موسوعة أعلام المغرب*، 2 : 692 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، ص 272 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 278.

محمد حجي

**الحْيايْنة**، قبيلة تقع شرق وشمال شرق فاس وتخضع إداريا لعمالة إقليم تاونات. والمؤكد أن أولاد حيون أو حيان، أو الحياينة كما يعرفون اليوم، لم يرد ذكرهم قبل العضر السعدي، هذا العصر الذي عرف استقرار بعض القبائل بالمنطقة كالشراقة وأولاد جامع (*فاس وباديتها*، 1 : 113)، كما أنه من المحتمل أن يكون الحياينة قد حلوا محل بني ومود الذين لم يبقوا معروفين بهذا الاسم اليوم، وقد أكد مرمول وجودهم بضاحية فاس على بعد ثلاث مراحل إسبانية، أي أقل من 17 كم من فاس الذي لا يفصلهم عنها إلا النهر، وربما كان النهر المقصود هنا هو ايناون (*إفريقيا*، 1 : 264).

والحياينة الذين يتفرعون إلى أولاد عمران الذين يسكنون الشمال، ثم أولاد رباب إلى الجنوب، ووسطهم أولاد عليان، ربما يكون أصلهم من الخلط الذين كانوا يسيطرون على جوانب وادي سبو كما يمكن إدراج أصلهم مع أولاد أحيى الذين هم من ذوي حسان المعقليين، ولو أن المواطن الأولى لهؤلاء هي نواحي ملوية، إلى أن استصرخ بهم علي بن يدر الأسكندري صاحب السوس بعد الموحدين فأصرخوه وارتحلوا إليه وأقاموا بالسوس. وهل يمكن إدخالهم ضمن المعقليين المنتمين إلى عوف بن بهثة بن سليم: أولاد يحيى لأن هؤلاء كانوا يسكنون بجنوب القطر التونسي؟

وكل ما نعرفه الآن أن قبيلة الحياينة شأنها في ذلك شأن قبيلتي شراقة وأولاد جامع، كانت موجودة بناحية فاس على العهد السعدي الأخير (*فاس وباديتها*، 1 : 113). أما مولاي التقي العلوي فيصنفهم ضمن القبائل المختلطة التي تسكن الضفة اليسرى لورغة أحد روافد سبو (*البحث العلمي*، 27 : 211).

وترى الرواية الشفوية للحياينة أن السكان ينحدرون من قبائل عرب بني هلال الذين نزحوا إلى المغرب من الشرق، حيث الولي الصالح سيدي مَحمد (فتحا) بن الحسن الجناتي أكبر صلحاء البلدة الذي كان يملك أغلب أراضي المنطقة، استقدم لدى زيارته إلى الشرق المدعوّ حيّون إلى قبيلة الحياينة ومعه أبناؤه الثلاثة، عمران وعليان ورباب، حيث سلمهم أراضيه، فاختلط السكان بذرية حيون، فحملت المنطقة أسماءهم (*مهرجان الفروسية*، 2 : 17).

ونظراً لموقع قبيلة الحياينة على مسالك فاس تجاه الشرق والشمال الشرقي فقد ساهمت أكثر من غيرها في الاضطرابات التي عرفتها فاس ما بين القرن العاشر والثالث عشر (16 - 19 م). وهكذا وقعت حرب بين أهل فاس والحياينة وشراقة سنة 1047 / 1637 على قنطرة سبو، قتل فيها من أهل فاس خمسة وأربعون رجلا، فخرج شرفاؤها وعلماؤها إلى سلا مستغيثين بالمجاهد العياشي السلاوي.

وفي رجب عام 1062 / يونيه - يوليوز 1652 خرج الفقهاء من فاس لزاوية الدلاء مستغيثين بالرئيس محمد

الحاج الدلائي لكف الحياينة من النهب وقطع الطريق وسفك الدماء، بعد أن كتب له أئمة العصر أجوبة بوجوب مقاتلتهم، إذ بلغت الفتاوي سبعا حررها أكابر فقهاء المدينة.

وفي عام 1073 / 1662 خرج مولاي محمد بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسني لقتال ابن عمه مولاي مَحمد بن الشريف، معاضداً من طرف الحياينة، هذا الحدث له أهميته السياسية في وضعية فاس الداخلية وعلاقتها بزعماء الحركة السياسية لقيام الدولة العلويّة، وعلاقتها أيضاً بالقبائل المجاورة.

وبعدما تمكن مولاي رشيد من ابن مشعل بناحية تازا ومقتل مولاي مَحمد، قام أهل فاس صحبة الحياينة والبهاليل وغيرهم واجتمعوا ببا الفتوح للميز وتأكيد الخروج عن مولاي رشيد فأعرض عنهم .وفي عام 1141 / 1728 كانت قبيلة الحياينة من ضمن القبائل التي اجتمعت على دعوة عبد المالك أخ مولاي المنتصر ابني المولى إسماعيل لمحاربة العبيد، فجرّد لهم العبيد خيلا سارت إليهم، فانهزم الغرب ومنهم الحياينة في وقعة دارت رحاها قرب وادي إينـاون ...

وعلى عهد السلطان المولى سليمان وخروج أخيه المولى مسلمة عليه، سائد الحياينة المولى مسلمة، فخرج السلطان إليهم وأوقع بهم، حيث انهزم الحياينة والمولى مسلمة، فنُهبت حلة الحياينة، وجاؤوا تائبين فعفا عنهم ونظمهم في تلك الجماعة (*الاستقصا*، 8 : 91).

وعلى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1201 / 1786 تصدى هذا الملك لغزو قبيلة شراقة ... فلجأوا إلى ضريح الشيخ أبي الشتاء بفشتالة، ثم سار إلى الحياينة فأطلق الجيش في زروعهم فحصدوها ودرسوها واستصفوها عن آخرها، ثم جرد الخيل في طلبهم، فاكتسحوا حللهم وأثاثهم، قال صاحب *البستان* : كنت يومئذ قد توجهت بجيش إلى عامل وجدة أبلغه إياه، فلما رجعت أدركت السلطان ببلاد الحياينة (*الاستقصا*، 9 : 62).

وفي أواخر شعبان 1276 / مارس 1860 كان لقدوم عرب الحياينة عميق الأثر، لمحاربة أودنيل الاسباني بوادي بوصفيحة، بعد أن انتقض الصلح مع الأصنيول الذين استولوا على تطوان ثم تراجعهم عن ذلك، حيث إن أبطال الحياينة "جاؤوا في حرد كبير وحنق شديد فقويت قلوب الناس بهم واشتد أزرهم وتقدموا إلى العدو، فأنشبوا معه الحرب بأبي صفيحة، فأوقعوا به وقعة أنست ما قبلها فقتلوا منه ما خرج عن الحصر ... وكان الذكر فيه لعرب الحياينة.

وبأرض الحياينة كانت انطلاقة ثورة الجيلالي الزرهوني المدعو بأبي حمارة، حيث إنه ذهب إلى قبيلة الحياينة التي كانت تتقلب بين الطاعة والعصيان وصادف وصوله انعقاد موسم صالح مدفون بها يسمى سيدي مَحمد بن الحسن الجناتي، وهو موسم مشهود تحضره قبيلة الحياينة ووفود القبائل المجاورة كغياثة والبرانس والتسول وصنهاجة الجبلية... فلم يجد الجيلالي الزرهوني فرصة خيراً من فرصة ذلك الموسم لإعلان ثورته.

لا يعني ما سبق أن قبيلة الحياينة كانت تثور من أجل الثورة المجانية، لكن ربما اعتباراً لظروف سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، خصوصاً إبان الأزمات السياسية وضعف السلطات المركزية، حيث إن المدينة (فاس) تشعر بنفسها محاصرة نتيجة لتحكم قبيلة الحياينة في بعض شرايين المدينة التجارية، لا سيما حينما كان للموكب الحجي عبر هذه المسالك أهميته الكبرى قبل نهاية القرن الثاني عشر (18 م)، أضف إلى ذلك مشكل الأراضي الفلاحية والعزبان على الخصوص، حيث تكثر الملكيات العقارية للفاسيين بأرض الحياينة. كما أن التوتر بين فاس والحياينة لا يعني أن الصراع كان تنافريا باستمرار، بل إن فترات الانفراج كانت تفسح المجال أحيانا إلى تحالف واضح في مواقف موحدة، حيث حصلت تحالفات متكررة بعد وفاة المولى إسماعيل، وكذا عند انتقال السلطة إلى السلطان الحسن الأول (تطور العلاقات بين البوادي والمدن، 38)

ويصف الرحالة الفرنسي دوفوكو الحركة التجارية بين تجار فاس والحياينة في ثمانينيات القرن الماضي في أحد أسواق الحياينة قائلاً : "أهل فاس يبيعون (البلغة)، لكن كذلك المنتجات القطنية والسكر والشاي ... ويشترون الحبوب والزيت والماشية والدواب (*Reconnaissance du Maroc*, 36).

أما بعد توقيع الحماية فإن قبائل الحياينة شأنها في ذلك شأن القبائل التي تسكن الخط الرابط بين فاس ووجدة مروراً بتازا، وقفت حجر عثرة أمام الجيوش الفرنسية المدججة بكل أنواع الأسلحة، فعلى الطريق من فاس إلى تازا شمالا وجنوبا هبت القبائل المجاورة لفاس وتازا، والتي تتخذ من تيسة (أهم مراكز الحياينة) مركزاً لها لتضرب الجيوش الفرنسية المتوغلة، وحرموا على الجيش الفرنسي دخول مركز تيسة في مارس 1913 حيث قرر الجنرال "گورو" توقيف كل تحرك عسكري فرنسي، فقد حرم عليه القائدان "الحجامي" و"الفشتالي" كل حركة منذ محاولة مارس إلى منتهى دجنبر 1913. وضاق الجنرال "گورو" ذرعاً بهذا الحصار الذي فشلت كل المحاولات لفكه في 24 يناير 1914. وقالت الوثائق الفرنسية إن الجنرال إنما كان يقوم باستعراض عضلات جيشه لإرهاب قبيلة الحياينة، وأنشأ مركزاً على بعد ثمانية عشر كيلومتراً من تيسة في (الزرارقة) هذا المركز الذي لم ينج بدوره، إذ دارت معارك شرسة ما بين 24 و26 مارس، قتل خلالها القبطان "اوفيفر" (*الحرب المغربية الفرنسية الاسبانية*، 249). نفس البسـالة والصمود أبانتها قبيلة الحياينة في وقعاتها ضد الاستعمار

الفرنسي بكل من عين عائشة وعين معطوف. وحتى إبان تدخل المجاهدين الريفيين ضد القوات الفرنسية الإسبانية المتحالفة، كانت قبيلة الحياينة تبدي بسالة ومقاومة شديدة، حيث اخترقت طائفة من المجاهدين المناطق الشمالية لتازا في اتجاه تيسة مما يؤكد مخطط الهجوم على فاس ( *الحرب المغربية* : 364). ويضيف نفس المصدر أنه عندما تحركت قوات فرنسية يوم 5 ماي 1925، لإنقاذ معسكر فرنسي في عين معطوف، وجدوا الجميع مقتولين حيث أطلقت الوثائق الفرنسية التعبير بقولها (لم تجد قوات القبطان ميج في معسكر عين معطوف إلا عسكريا واحداً على قيد الحياة). وفي معارك تيسة تذكر المصادر انقلاب المجندين المغاربة، حيث لم يبق تحت الجنرال "فريد نبيرغ" إلا القبطان "ريسبلاندي" الذي كان ينزف دماً كان ذلك يوم 9 ماي 1925، وبعد هتاف المجندين المغاربة "الله أكبر" وانقلابهم ضد الجنرال، لم يبق أمام هذا الأخير إلا الهروب، حيث تعقبه الريفيون حتى (غارة المزيات) ( *الحرب المغربية*، 365).

ح. الوزان الافريقي، *وصف افريقيا*، 1، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980 ؛ القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، بيروت، 1981 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، مجلة البحث العلمي، عدد 27، الرباط، 1977 ؛ م. مزين، *فاس وباديتها*، الرباط، 1986 ؛ع. بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، الرباط 1979 ؛ مصطفى العلوي، *الحرب المغربية الفرنسية الاسبانية "1906 ـ 1936"*، الرباط، 1994 ؛ عمالة إقليم تاونات، *مهرجان الفروسية*، رقم 2، *تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي*، (ندوة)، الرباط، 1988.

C. De Foucauld, *Reconnaissance du Maroc, 1883 - 1884*, Paris, 1888.

الحسين البعاوي

**حيدا** بن مَايْس، قائد كبير أصله من الصحراء تربى في الإغارات على الآخرين وبذلك استطاع أن يجعل مكانته بين أمثاله في راس الوادي بسوس، وينتمي إلى أولاد برْحيل من قبيلة المنابهة. ربط علاقاته بأسرتين كبيرتين مادياً ومعنوياً. فقد تزوج حيدا إزَّى بنت بَيْرُوك من عائلة بَاهْبَاز الشهيرة (*خلال جزولة*، 3 : 181) كما زوَّج حيدا بنته لمحمد بن لحسن بن حماد من عائلة المجد والكرم، فكان حيدا نفسُه رجل الكريهة مغْواراً مدافعا مهاجما، كأنما خلق من عشير الحرب الزَّبون ..." ( *المعسول*، ج 4 : 165).

وبتلك الصفات أصبح أهلاً لقيادة من هناك من طرف المخزن المغربي. وقد تناول الكتاب شخصية حيدا، تارة بالإعجاب والتقدير، وطوراً بالهجاء والتحقير، ويمكن التحقيق من حدة هذه المفارقة إذا استحضرنا عند الكتابة عن هذه الشخصية أن ما يقال عن فائدة معركة مّا عند الانتصار، ليس هو ما ينعت به عند الانهزام، وهنا تأتي الصعوبة التي مصدرها الموازنة بين ماله وما عليه.

وصف حيدا بأنه كان أعظم قائد في تلك الظروف أمام كل من الحاَحي والأگلاوي والگنتافي. كما كان آخر قائد للمخزن التحق بالأمير أحمد الهيبة مما يدل على أنه أخذ جانب الاحتياط تقديراً منه للموقف الصعب.

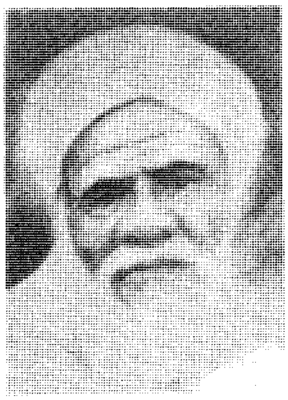

ولما قدم حيدا على الأمير أحمد الهيبة بتيزنيت فرح به الجميع، وقد أنساهم مقدمه أبّهة الباشا كابًا بالأمس، حتى إن الأمير أحمد الهيبة قال له : "فإنك يا حيدة منذ الآن والدي وأمري كله بيدك" ( *المعسول*، 4 : 124). وهكذا عين حيدا رسيماً كبير المحلة عند الخروج من تيزنيت إلى مراكش من طرف الأمير الهيبة (1912). وفعلا نظم تلك المحلة لمدة 14 منزلة. ولما وصل إلى مراكش أوعز إلى الأمير الهيبة بالقبض على قادة الحوز غدراً، قائلاً له : "فتغدّ بهؤلاء قبل أن يتعشوا بك"، فالغاية عند حيدا تبرر الوسيلة. لكن الأمير أحمد الهيبة رد عليه رداً إسلاميا بقوله : "أمان الله عليهم، هم مسلمون وما كنت لأغدر المسلمين" ( *المعسول*، 4: 135).

كانت هذه المفارقة هي السبب الواضح في جعل حيدا يلتمس لنفسه مخرجاً آخر، لذلك بعد انهزام المجاهدين في معركة سيدي بوعثمان شمال مراكش اتصل بجانب الحماية وهكذا رجع إلى داره برأس الوادي فقلب ظهر المجنّ، وقاوم الأعراب ومن إليهم ومع ذلك راود الهيبة أن يدخل مع حكومة مولاي يوسف ... ومع الدولة الحامية ( *المعسول*، ج 4 ص. 164) ولما رفض الهيبة ذلك ـ كما أن حيدا رأى رأس الباشا كابًا معلقا بأساراگ بتارودانت أعلن الحرب على خصومه.خصوصا أن الحكومة المركزية قبلت توبة حيدا بمجرد فراقه للهيبة، فأرسلته ليكفر عن سيئته بإخراج الأعراب من تارودانت وهكذا أصبح حيدا رأس رمح لصالح الحماية ضد الأمير الهيبة، وهو عميد الحكومة الوحيد في رأس الوادي.

لم يكن حيدا وحده الذي قلب ظهر المجنّ بل هناك آخرون "بَدّلُوا مواقفهم بعد الانهزام، فتنبهوا من ذلك التنويم المغناطيسي" ( *المعسول*، 4 : 167). وأدهى وأمرّ أن يكون حيدا المطلع على أسرار الأمير الهيبة هو القائم بمحاربته لأنه ـ ولاشك ـ يعرف مواطن الضعف والقوة.

ولكن ما العمل فقد كانت مدينة تيزنيت أول من ناصرت الأمير الهيبة وها هي اليوم أول من انتفض ضده،

وهاهم قادة الحوز كلهم مع سلطة الحماية، وهكذا فعل القائد الجراري وهو بجانب تيزنيت، والناس دائماً مع قوة الزمان فإذا كان المتحمسون للأمير الهيبة بالأمس يفرون منه اليوم، فكيف بحيدا الذي وصفه محمد بن لحسن بن يعيش حاجب السلطان بقوله : "فإذا بالغدار حيدا تعرّض للرسول - بينه وبين الهيبة - فاغتاله أصحابه" (*المعسول*، 4: 181).

وعلى كل حال لم يكن الأمير الهيبة لقمة سائغة في حلق حيدا، بل كانت الحرب سجالا، لكن كفة حيدا تميل دائما إلى الرجحان.

ومما يدل على مكانة حيدا لدى الحكومة أننا نجده يكاتب قائد ماسة الحاج محمد بأغْبَالُو ويَعدُه من طرف المخزن المغربي بما يسره، كما كان يراسل قبائل أزغار ويحاول ضمها إلى المخزن المركزي بقدر ما يُنفِّرُها من الأمير الهيبة.

استطاع حيدا أن يُخرج الأمير الهيبة من تارودانت فصار هو نفسه باشا تلك المدينة، ومنها تخرج الحَرَكَاتْ إلى اشْتُوكَن، وكان مغواراً يخوض الحرب بنفسه حتى إنه جرح مرة ضد القائد الناجم الاخصاصي، وكاد أمره يَنْدَحِرُ، غير أنه جمع بسرعة قوته من جديد.

ومن دهاء حيدا استغلاله ما صدر من جانب الأمير الهيبة تُجاه كبَارَ القوم، مثل الفتك بالقائد سعيد المجاطي والقائد عبد السلام الجراري والباشا گابًا بتارودانت والعلامة محمد أو عَبّو بأشتوكن، فصار الناس يقولون : "هكذا رجع الهيبة فاتكاً بعدما كان يستأمره حيدا أمام أسوار الحمراء في الفتك بالعظام فيتورع، ولكنه إنما تورع عن ذبح الكباش الكبار، ثم رجع أخيراً إلى ذبح الخرفان الصغار" (*المعسول*، 4 : 188).

يجب أن نستحضر هنا أن الأمور قد اختلطت في ذلك الوقت فلا يمكن أن نحمل الأمير الهيبة كل شيء، ومع ذلك فقد استفاد الداهية حيدا من كل ما نسب للصحراويين صدقا أو كذبا، وباستغلال تلك الإشاعات وترويج وتصحيح ما صح منها استطاع أن يحتل إشتوكن بكاملها، وفي الحين انضم إليه أيْتْ لمعْدْر الذين فضلوه على حكم ابن دحّان وسرعان ما تحكم في قبائل أزغار كلها إلى رأس الوادي ثم سلط عليها المغارم الباهظة وجمع أموالاً كثيرة.

كان الوقت إبّان الحرب العالمية الأولى فإذا بغواصة ألمانية ظهرت بأيْت باعمران في أفتاسّ - ن - رِكُونْت بقبيلة أيت إخْلْف وهنا فضلت الحكومة المركزية الباشا حيدا على ابن دحّان، حيث رحل هذا الأخير فحلّ حيدا محله تيزنيت، يجرّ وراءه قوة عظيمة، غزابها دار القائد المدني الأخصاصي، كما صالحه أبو الطعام الرخاوي، ولم يبق له إلا أيت باعمران للوصول إلى المحيط ومشارف الصحراء.

وفي نفس الوقت عينت الحكومة في تيزنيت القائد حَادِيمَانْ الحاج عبد الرحمان، ومعه القبطان جوستينار بينما الحربَ ومصارعة القبائل مَوكُولة إلى الباشا حيدا وحده.

وقد اشتد تخوف سلطته الحماية بعد اتصال الأمير الهيبة، بمن خرج من تلك الغواصة الألمانية.

وهنا جاء دور حيدا باحتلال جهة أيت باعمران، قبل أن تحتلها ألمانيا ومعه جَيش كثيف لكنه سقط ميتاً في معركة إيگالْفْن سنة 1335 / 1917 أمام مقاومة أيت باعمران ومن إليهم من القبائل التي لم تخضع بعد وذهبت محلته كلها غنيمة للمقاومين وحُمل رأسه إلى الهيبة في كاردوس ثم ألحق بجثته ودفن أمام ضريح الصالح سيدي عبد الرحمان بتيزنيت.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء 2 + 3 + 4 + 20 ؛ *إيليغ قديما وحديثا*، مداخلة ندوة بتيزنيت لجهادي الحسين ؛ الجامعة الصيفية بأگادير - مداخلة جهادي الحسين ؛ *خلال جزولة*، ج 3 ؛ *كناشة شايْلاَّ* سيدي محمد بن أحمد الكريمي، مخطوط ؛ *الكلمة* مجلة عدد 1 ص. 57 سنة 1971.

الحسين جهادي

ابن **حيدَة**، أسرة أسفيّة تنتمي إلى قبيلة "تمرة" العبدية بضواحي المدينة، استقر جدهم الأول الحاج عبد الله ابن حيدَة بأسفي حوالي 1260 / 1844 وكان من بين أولاده أحمد ومحمد وعبد القادر، وكان لأحمد عقب، منهم :

ابن **حيدَة، عبد الله** بن أحمد بن الحاج عبد الله، ولد بأسفي في 27 رمضان عام 1330 / 9 أكتوبر 1912 واشتهر كشاعر للملحون، فهو من جيل الحاج محمد ابن علي الدمناتي ومحمد الرباطي، وكلهم كانوا من كبار أشياخ الملحون بأسفي.

اتصل عبد الله بشيوخ هذا الفن في أسفي بمنزل خاله السيد أحمد الگراوي، كما كان يتردد على نوادي الملحون في مختلف المدن المغربية. وقد ساهم هذا العامل في تكوين شخصيته الأدبية بالإضافة إلى معرفة جيدة بالمناخ الشعبي الذي نشأ فيه وتأثر به.

اشتغل عبد الله ابن حيدَة منذ شبابه بالنجارة والصياغة، خاصة منها صياغة الأباريق والمجامر والأواني النحاسية بعد أن تعلم هذه الحرفة في فاس، ومنها ذهب إلى حج بيت الله الحرام راجلا، ولا تزال بعض الأسر في أسفي تحتفظ ببعض الأواني التي تُعد من صنع المترجم، بفتخرون بامتلاكها، وحتى إذا ظهر شيء منها، فإن الناس يتغالون في ثمنها لاقتنائه.

وكان عبد الله ابن حيدَة إلى ذلك بحاراً حتى اشتهر بين الناس بلقب "الرايس". وغالبا ما كان يختم قصائده بهذا الوصف يقول :

خذ أراوي ما يرضيك في جْواهر لنظام من علم الفتـــاح
شْغَلْ رَايس فالملاحة واللّي سألك عني فاسْفِـــي

نظم ابن حيدَة في كثير من أعراض الملحون، على غرار ما نجده عند كبار شعراء هذا الفن. والملاحظ أن معظم

قصائده تكاد تكون في المديح النبوي، أو في الشعر الوطني إضافة إلى بعض الأحداث التي عاشها وعاينها.

توفي بأسفي في شهر ربيع عام 1407 / نونبر 1987 فكان آخر شعراء الملحون بهذه المدينة.

*روايات شفوية ؛ ومعلومات خاصة.*

منير البصكري

**حيدوس** (رقص) ← **أحيدوس**

**الحَيّ الحسني**، تجمع سكنى ضخم بالهوامش الجنوبية - الغربية للدار البيضاء، وهو جزء من عمالة عين الشق - الحي الحسني. يرجع أصل هذا الحي إلى تجمع الصفيح المسمى الدرب الجديد الذي تشكل سنة 1949 عن طريق عدد من الأحياء الصغرى التي كانت تنتشر داخل أحياء الواحة وبوسيجور وأنفا والمطار ... وقد بلغ عدد سكانه 15.819 نسمة سنة 1957، ليصبح بذلك ثالث أحياء الصفيح بالدار البيضاء من حيث الحجم بعد كاريان سانطرال وكاريان بن مسيك، وعلى إثر حريق شب به يوم 11 يونيو 1958 تم تشييد حي جديد مكانه أطلق عليه اسم الحي الحسني.

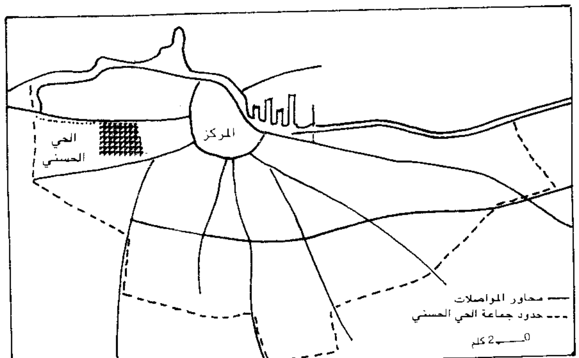


الحي الحسني

جاء المشروع الأصلي للحي الحسني ممتداً على مساحة 80 هكتاراً ومن حجم مدينة صغيرة لحوالي 30.000 نسمة. ويتكون من وحدات سكنية صغيرة (غرفتين ومطبخ) سفلية أو على طابقين ومن عمارات للسكن الجماعي. وقد تم إنجاز شطر منه من طرف الدولة وتكلف السكان بإنجاز الأغلبية. واستغرقت هيكلة الحي زهاء عشر سنوات تم خلالها إنجاز عدة مجموعات سكنية متباينة الأشكال والأحجام. وشكلت عملية تشييد الحي الحسني إحدى التجارب الأولى لعهد الاستقلال في ميدان إشراك السكان في بناء سكناهم. كما شكلت انطلاقة للسكن الاقتصادي بالأحياء الجنوبية الغربية لمدينة الدار البيضاء.

يتجلى تواضع المستوى الاجتماعي لهذا الحي من خلال استمرار فئة العمال في احتلال الصدارة داخله. فهم يمثلون أكثر من ثلث ساكنته النشيطة. ومع استقطاب الحي لبعض شرائح الفئات الوسطى المتمثلة في صغار الموظفين ومستخدمي القطاع الخاص وصغار التجار والحرفيين، تصاعد دفع الفئات المتواضعة نحو هوامش الحي بسيدي الخدير. ولم يحد من اكتساح الحي الحسني من طرف الفئات الوسطى إلا صغر حجم السكن به، الذي لا يتعدى ثلاث غرف بالنسبة لما يزيد عن ثلثي الوحدات السكنية. وبذلك ظل الحي الحسني يشكل أكبر تجمع سكني للفئات المتواضعة بالأحياء الجنوبية الغربية للدار البيضاء، وبقيت وظيفته سكنية بالدرجة الأولى. فهو لا يوفر الشغل داخله إلا لحوالي 20٪ من ساكنته النشيطة. وترتبط الأغلبية بباقي أحياء المدينة وخاصة منها المعاريف والأحياء الصناعية والمركز.

مع احتضان هوامش الحي الحسني لمقر عمالة عين الشق - الحي الحسني وما يرتبط بها من مصالح إدارية، ومع تعدد تجزئات الدولة في امتداده الجنوبي، يجنح هذا الحي نحو التشتت والتباين عمرانيا ووظيفيا. وبذلك يكون الحي الحسني قد نشأ واتسع وفقد وحدته وتجانسه في ظرف لا يتجاوز ثلاثة عقود من الزمن، وبالتالي فهو يشكل نموذجا لسرعة إيقاع التحولات السوسيومجالية بالدار البيضاء.

بحكم سرعة توسع الحي الحسني وتباين أجزائه وهوامشه تم فصله سنة 1981 عن جماعة عين الشق ليشكل جماعة حضرية تمتد على مساحة 1590 هكتار. وقد أصبحت هذه الجماعة تضم 198.195 نسمة سنة 1994. وبذلك أصبح الحي الحسني يشكل قطبا للأحياء المجاورة والمتكونة من أحياء الفيلات (السلام والهناء والراحة ...) وأحياء العمارات (بوسيجور والولفة ...) وأحياء السكن الاقتصادي (الولفة وفرارة ...) وأحياء السكن غير اللائق (سيدي الخدير وامتداده نحو الجنوب). ومع هذا التوسع المجالي والوظيفي يجنح الحي الحسني نحو الحد من طابعه السكني لتنتشر به أنشطة التجارة والخدمات ولتتحول بنواته الأولى الطوابق السفلية إلى محلات تجارية ولتتعدد به الأسواق وتتجه نحو التخصص.

م. شويكي، *إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء*، أطروحة دكتوراة الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1985، 3 أجزاء.

A. Adam, *Casablanca : essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'Occident*, Paris, 1968, 2 vol. ; M. Benhima, *La cité de Derb Jdid*, 1959 ; A. De Montmarin, *Les nouvelles solutions en matière d'habitat : leur application au Derb Jdid, BESM* n° 80, pp. 437 - 447.

**الحَيّ المحمدي**، بالدار البيضاء، من أكبر وأشهر أحيائها، وهو الآن جزء من عمالة عين السبع - الحي المحمدي. يرجع أصل الحي المحمدي إلى تجمع لسكن

الصفيح ظهر سنة 1920 بمحجر مهجور بمحاذاة المحطة الحرارية للصخور السوداء، وعرف تحت اسم كاريان سانطرال الذي يعتبر أكبر أحياء الصفيح التي تشكلت مبكرا بالدار البيضاء. ومع تصاعد حركة التصنيع بالمنطقة توسعت النواة الأولى لهذا الحي الذي تم ترحيله عدة مرات في اتجاه الشمال الشرقي والشرق. وفي نهاية سنة 1939 تم ترحيله إلى هوامش المدار الحضري نحو بقعة أرضية من 17 هك اقتنتها البلدية لهذا الغرض. وقد بلغ آنذاك عدد الأكواخ به 4.000 براكة. واستمر توسعه مع استقباله لسكان أحياء الصفيح الذين تم طردهم من القطاع الشرقي للمدينة. فتوسع على حساب أراضي الخواص. وبذلك أصبح كاريان سانطرال سنة 1950 عبارة عن تجمع لعدة أحياء للصفيح تضم 13.250 براكة و48.834 نسمة.

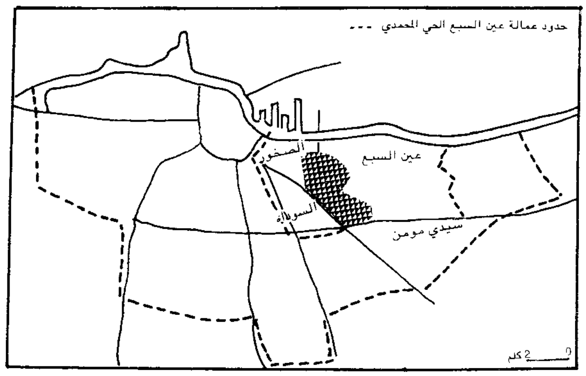


الحي المحمدي

ومع تعاظم حجم هذا التجمع وتزايد ارتباطه بالأحياء الصناعية، خضع بين 1950 و1960 لعدة محاولات للتحكم في توسعه. وتم ذلك عن طريق إنجاز برامج سكنية متباينة من حيث أحجامها وأشكالها. وفي هذا الإطار تم تشييد عدة تجمعات سكنية على شكل عمارات ووحدات سكنية مستقلة أو على طابقين، أطلق عليها اسم الحي المحمدي. ومع فتح المجال لتدخل الحي فئات اجتماعية أخرى في إطار تسويق الوحدات السكنية من طرف المؤسسات العمومية، أصبح الحي المحمدي عبارة عن تجمع سكني ضخم يضم إلى جانب أحياء الصفيح الأصلية عدة تجمعات للسكن الاقتصادي. وأضيفت إليها خلال عهد الاستقلال عدة تجمعات أخرى للفئات الوسطى مثل حي عادل والمسيرة ولمياء ... كان آخرها مجمع دار الأمان وإقامة الموحدين.

رغم هذا التحول يحافظ الحي المحمدي على طابعه الشعبي من خلال بنيته السوسيو مهنية التي يحتل بها المأجورون أكثر من 80٪، وتمثل داخلها اليد العاملة حوالي 75٪. وفي ارتباط بذلك لا يتوفر حوالي نصف الأسر بالحي المحمدي على أكثر من غرفتين. ولا يرجع ذلك إلى كون أغلبية وحدات السكن الاقتصادي تتكون فقط من غرفتين، بل أيضاً إلى انتشار حالات تعدد الأسر بالمسكن الواحد (حوالي ثلث الأسر تقطن غرفة واحدة). ونتيجة لذلك يعرف الحي المحمدي تكدسا كبيراً للسكان إلى درجة أن الكثافات السكانية بتجمعات السكن الاقتصادي قد أصبحت تفوق بكثير كثافات أحياء الصفيح. وعلى سبيل المثال تبلغ الكثافة في درب مولاي الشريف حوالي 1.800 ن / هك وتناهز 1.200 ن / هك في درب الكدية والسعادة، في حين لا تتعدى 660 ن / هك في كاريان السوق. وأمام هذا الضغط الديمغرافي شهدت معظم مجمعات السكن الاقتصادي توسعا عموديا عن طريق زيادة طابق أو اثنين. وبذلك أيضاً تزايدت الكثافات السكانية.

بشكل مواز للتوسع العمودي الذي لم تنج منه حتى أحياء الصفيح، شهد الحي المحمدي توسعا أفقيا كبيراً وخاصة في اتجاه الشرق. وبذلك فقد الحي تجانسه سواء على مستوى الإطار المبني أو هيكلته المجالية، لكنه ازداد ارتباطا بالأحياء الصناعية التي تشغل حوالي 75٪. من ساكنته النشيطة. وازداد الحي المحمدي تفككا مع التقسيمات الإدارية المتوالية التي ألحقت جزءاً من حي الصفيح الأصلي بجماعة عين السبع بدل جماعة الحي المحمدي التي يرتبط بها عضوياً ومجالياً.

أنشئت جماعة الحي المحمدي على إثر التقسيم الإداري لسنة 1981 الذي فصلها عن جماعة عين السبع. وخضعت بدورها سنة 1983 لعملية تقسيم جديد. فانفصلت عنها جماعة الصخور السوداء. وتضم جماعة الحي المحمدي في إطار حدودها الحالية معظم التجمعات السكنية التي تشكلت في ارتباط بحي الصفيح الأصلي، بالإضافة إلى عدد من الأحياء الصناعية. وتمتد على مساحة 390 هكتار وتضم 174.635 نسمة. وهي بذلك تسجل أعلى الكثافات السكانية بعمالة عين السبع ـ الحي المحمدي (450 ن / هك مقابل 150 ن / هك كمتوسط للعمالة)، وفي ذلك تعبير عن دورها كخزان لليد العاملة ليس فقط داخل هذه العمالة بل على صعيد الدار البيضاء ككل.


A. Adam, *Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'Occident*, Paris, 1968, 2 vol. ; CIFM, *Etude sur les populations habitants dans des cités construites par la Compagnie Immobilière Franco - Marocaine*. Document ronéo, Casablanca, 8 oct. 1955 ; R. Manneville, *L'expérience Castor aux carrières centrales de Casablanca. Notes marocaine*, n° 7, 1956, pp. 2-8 ; A. Raggabi, *Promotion immobilière et production de logement en milieu urbain : Cas de l'opération Dar Lamane*. Mémoire cycle supérieur INAU, Rabat, 1985.


المصطفى شويكي

**الحيّاني، محمد** موسيقي معروف ولد بالرباط عام 1362 / 1943. ولما بلغ الحادية والعشرين من عمره التحق بالمعهد الموسيقي، ومقره يومئذ بساحة بييتري، فانخرط في قسم الصولفيج، وتلقى على يد الأستاذة أوريل دروسا في الغناء الكلاسيكي كان لها أثر في بعث موهبته الفنية وتهذيب ميله الفطري إلى الغناء. وقد تعرف عليه الملحن

المغربي عبد الله عصامي، فاستحسن صوته، ولم يتردد في تقديمه إلى عبد القادر الراشدي وهو يومئذ رئيس الجوق الوطني للاذاعة.

بدأ الحياني مسيرته الفنية منشداً مردداً ضمن المجموعة الصوتية بالجوق الوطني، ثم تحول - كعادة جل المطربين المبتدئين - إلى تقليد المغنين المشارقة، خاصة منهم عبد الحليم حافظ الذي كان يجد في أغانيه المجال الأمثل لصقل موهبته وإرهاف إحساسه باللحن والكلمة.

كان الحياني - لحسن أدائه وعذوبة صوته - محط اهتمام ألمع الملحنين وكتّاب الكلمات المغاربة، فلحن له أحمد البيضاوي، وعبد القادر الراشدي، وعبد السلام عامر، وعبد الرحيم السقاط، وعبد الله عصامي، وحسن القدميري، وكتب له زجالون أمثال علي الحداني وحسن المفتي.

تميز الحياني من بين سائر المغنين المغاربة ببراعة في أداء الأغنية الزجلية والقصيدة الفصيحة معا، وتلك ملكة قلما تهيأت لغيره من المطربين، وإن كان حضوره في مجال المطولات والقصيد الفصيح أكثر قوة وإشراقا. وإلى ذلك عرف بتشدده في اختيار أغانيه وحرصه على سلامة كلماتها وسمو ألحانها، مثلما عرف بحرصه على توفر الأجواء المناسبة لتسجيلها في استوديوهات الإذاعة.

كانت أولى أغاني الحياني أغنية "يا وليدي" التي سجلها مع جوق إذاعة الدار البيضاء. وعلى امتداد ثلاثة عقود تألق في أداء روائعه الغنائية التي شكلت محطة بارزة في مسيرة الأغنية المغربية الحديثة التي طبعها صدق المعاناة، وأداء وديع هادئ بمشاعر الطمأنينة التي يشوبها الحزن، ويتحاشى ركوب أساليب الميوعة وأنماط التطريب المتفسخ.

ومن هذه الروائع : راحلة - غنت لنا الدنيا - قصة الأشواق - بارد وسخون - مَنْ ضَيّ بْهاكْ - أنا حر. وهي إبداعات ستظل منقوشة في ذاكرة المستمع الواعي تفرض مكانتها إلى جانب ما أبدعه رواد الأغنية المغربية العصرية الأوائل أحمد البيضاوي، والمعطي البيضاوي، وعبد الوهاب أكومي.

دخل الحياني ميدان الفن السابع فتقمص دور البطولة في شريط "دموع الندم" الذي أنتجه حسن المفتي عام 1982 وقدّم فيه جملة من الأغاني العاطفية هي على التوالي : أنا في احضان الفرحة (زجلية) - شايفك بعيون المغروم (زجلية) وقْتاشْ تغني يا گلبي، راجع والندم دموع - ضَحْكي يا عْيوني.

وقد اعتراه مرض عضال ألزمه الفراش، ولم يمهله أجله فتوفي صباح يوم الأربعاء 10 جمادى الثانية عام 1417 / 23 أكتوبر 1996 عن عمر بلغ 53 حولا.

*تصريح لمحمد الحياني في شهر يوليوز 1996* ؛ جريدة العلم، 27 أكتوبر 1996 ؛ *جريدة الاتحاد الاشتراكي* 27 أكتوبر 1996 / 17 نونبر 1996.

عبد العزيز بنعبد الجليل

**حيُّوج**، يهودا بن داويد المعروف عند العرب بأبي زكريا يحيى، وهو نحوي مشهور، ولد بفاس حوالي سنة 950 م وتوفي بقرطبة أوائل القرن الحادي عشر.. وقد وضع الأسس العصرية لدراسة النحو العبري باكتشافه الجذور الثلاثية في هذه اللغة بمقارنتها مع اللغة العربية واللغة الأرامية. ومن أشهر كتبه، كتاب *التنقيط* وكتاب الأفعال ذوات حروف اللين.

*مالخي ربنان* ليوسف بنايم ولرديوا *(Les noms des Juifs du Maroc*, Madrid, 1972)

شمعون ليفي

ابن **حيّون**، أسرة فاسية عريقة، أصلها من الأندلس، ومايزال بفاس حي يعرف بدرب ابن حيون. كان منهم فقهاء وتجار وحرفيون ذوو معاش. كما يوجد بواحة اكتاوة بجنوب درعة قصر كبير يدعى "قصر ابن حيون" لكن النسبة إليه : "حيّوني".

ابن **حَيُّون، أحمد** بن المدني الفاسي. ضابط مغربي برتبة عقيد التحق بالجيش الفرنسي سنة 1924 واستمر في هذا الجيش إلى أن بلغ سن التقاعد سنة 1960 وتفرغ لكتابة مذكراته. اشتغل والده بأعمال تجارية في سوق "الحرارين" بفاس. إلا أنه سرعان ما جلبه المغرب الشرقي بسبب موقعه قرب الجزائر فاستقر ببلدة "عيون سيدي ملاك" في بداية القرن الرابع عشر (20 م) حيث اشتغل بتجارة الاستيراد والتصدير بعدما زار عدة دول أوربية وربط علاقات تجارية هناك. فأصبح من أثرياء المنطقة وأعيانها، ولذلك كان مقرباً لقواد المخزن أمثال القائد "ركينة" و"البوزگاوي". وربطته علاقة صداقه مع المدني الأگلاوي أثناء قيامه بالمغرب الشرقي على رأس جيش لمحاربة "بوحمارة". وعند رجوع "الأگلاوي" إلى مراكش رافقه المدني ابن حيون وأسكنه الأگلاوي في رياض خاص به. كما شجعه على

ممارسة التجارة هناك، وأصبحت قوافله تجوب الأطلس الكبير. إلاّ أنه بعد توقيع معاهدة الحماية. قامت السلطات الفرنسية، وخاصة بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914 بمصادرة ممتلكات المحميّين الألمان المغاربة ؛ وبما أن المدني ابن حيون كان محميا ألمانياً فقد صودرت ممتلكاته ولولا تدخل المدني الأكلاوي بصرامة لدى الجنرال دولاموط De la Mothe لتعرض للإفلاس والسجن. وعند افتتاح الأكاديمية العسكرية بمكناس شجع الأكلاوي المدني بن حيون لإرسال ولديه أحمد وعبد الكريم فدخلا معاً هذه الأكاديمية سنة 1924 وتخرجا منها سنة 1926 برتبة ملازمين.

التحق الاثنان أحمد وعبد الكريم ابن حيون بالخدمة في صفوف المشاة المغاربة ثم الكوم وذلك لمدة خمس سنوات (1927 - 1932). وانطلاقا من 1932 دشن أحمد ابن حيون مرحلة جديدة في علاقاته مع الجيش الفرنسي والإدارة الفرنسية بالمغرب بحيث انضم إلى نخبة الضباط الذين يصنفون ضمن "أهل السيف والقلم" حيث عين ضابطا للشؤون الأهلية بإقليم ورزازات سنة 1932.

وقاد الجيوش التي ساهمت في احتلال درعة السفلى وصاغرو والصحراء كما كان يقوم بمهمة المترجم وجلب أعيان هذه المناطق للمساهمة إلى جانب فرنسا في عملية الغزو والاحتلال. وقام بدور فعال في استمالة قائد المقاومة بصاغرو "عسو أبُسلام" من أجل التفاوض وإنهاء المقاومة وفي هذا الصدد يقول أحمد بن المدني في إحدى رسائله إلى المؤلف :

"... لما نودي على الجنرال Le Gl. Huré القائد الأعلى للقوات الفرنسية بالجنوب، كان الضباط الذين وجهوا إليه الدعوة - لينتقل من مركز القيادة ببومالن دادس إلى جبهة العمليات بجبل صاغرو - كانوا يعتقدون أن الأمر قد انتهى بمجرد قبول عسو أبُسلام لمبدأ التفاوض وأن حضور الجنرال سيكون شكليا وشرفيا بحيث إنه سيتقبل الاستسلام ويحضر مراسيم التعرگيبة. إلا أن هؤلاء اندهشوا جميعا وأصيبت فرائصهم بالارتعاش لما سمعوا عسو أبُسلام يخاطبهم قبل وصول الجنرال هوري بدقائق بقوله :

"عليكم معشر الفرنسيين أن لا تعتقدوا أنني جئت هنا لكي أتعرض للإذلال والإهانة، إنني جئت موفداً من طرف إخواني المقاومين، لأبحث معكم شروط تحقيق السلم بدون هزيمة وإلا فأنتم هنا ونحن لم ننزل بعد من الجبل ولم نضع السلاح بعد ..."

أمام تصريح عسو أبُسلام هذا وقف الضباط مشدوهين خاصة وأنهم تورطوا في إيهام القائد الأعلى بأن الأمر انتهى - فالتفت جميع هؤلاء إلى جهتي ففهمت قصتهم : إنهم يبحثون عن وسيلة للخروج من الورطة، وما هي إلا هنيهة حتى وصل الجنرال هوري بالطائرة. وبدأ في إلقاء خطابه أمام عسو أبسلام وهو خطاب مشحون بالوعيد والتهديد وكان من جملة ما قاله لقائد أيت عطا : "إن المخزن قوي جداً وقادر على سحقكم مثل الذباب" وأرفق كلامه بحركة رجله يدك بها الأرض.

ولما جاء دوري للترجمة حاولت تقليد حركة رجل الجنرال هوري إلاّ أنني حرفت من ترجمة الخطاب قليلا فقلت لعسّو أبسلام :

"إن المخزن متسامح ويقبل التفاوض معكم لإنهاء الحرب" وعندئذ انشرحت ملامح "عسو أ بُسلام" وبدأت المفاوضات، وأدرك زملائي الضباط الدور الذي قمت به لإنهاء جحيم الحرب التي ذهبت بكثير من رفاق هؤلاء الضباط".

بعد نهاية العمليات العسكرية سنة 1934. دشن أحمد ابن المدني ابن حيون حياة جديدة، إذ أصبح من رجال السلطة في منطقة سوس حيث عين قائداً على قبيلة أيت صواب بالجنوب. وفي غيره من المراكز إلى أن عين باشا على أگادير سنة 1953 وأصبح أحمد ابن حيون إبّان الأزمة السياسية من قواد الجنوب الملتفين حول باشا مراكش التهامي الأگلاوي، كما أنه كان أداة لتطبيق سياسة الإقامة العامة بأگادير منذ عهد الجنرال جوان إلى الاستقلال أي بين 1953 و1955. وعند قيام مجلس العرش يوم 15 أكتوبر 1955 أي بعد إبعاد ابن عرفة إلى طنجة نودي على باشا أگادير لينضم إلى المجلس الموسع. وكان هذا المجلس يضم عند تأسيسه وتنصيبه يوم 17 أكتوبر 1955 : الحاج محمد المقري ومبارك البكاي والحاج محمد الصبيحي والطاهر وعسو، وقرر المجلس بالإجماع يوم 19 أكتوبر تكليف الفاطمي ابن سليمان بتأليف الحكومة وذلك بإيعاز من المقيم العام "بوايي دولاطور" Boyier De Latour وعندئذ خرج أحمد بن المدني ابن حيون بموقف على اثر انعقاد هذا المجلس يوم 26 أكتوبر ووزع التصريح الآتي على الصحافة :

"أصرح أنني لا أعترف في أي حال من الأحوال بالمؤامرات التي تحاك وتدبر حاليا في القصر. إنني أرفض الحلول التي تسعى إلى تجريد المغرب من سلطانه الشرعي، وبالتالي فإنني أطالب برجوع جلالة الملك محمد بن يوسف إلى عرش أسلافه بدون أي قيد أو شرط".

وهكذا نلاحظ أن التغيير الذي طرأ على موقف أحمد ابن حيون - شأنه شأن كثير من القواد - أملته عليه المستجدات بعدما رأى الشعب المغربي برمته يسير نحو الاستقلال فالتف بدوره إلى تلك الجهة جهة الحرية والاستقلال وعودة السلطان محمد بن يوسف. وقد غادر المغرب في دجنبر 1955 واستأنف عمله بالجيش الفرنسي إلى أن بلغ رتبة عقيد تم تقاعد سنة 1960. وقد أدركته المنية سنة 1992. وترك مؤلفاً يدافع فيه عن مواقفه سماه *"متهم بالإخلاص"*. وقد كان أحمد بن المدني ابن حيون من ألمع الضباط الذين عملوا مع فرنسا خلال الحماية.

توفي سنة 1413 / 1992.

ق. الزهيري، *محمد الخامس الملك البطل*، الرباط، 1984 ؛ ع. بوراس، *مجموعة من رسائل أحمد بن المدني ابن حيون*.
C. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*. Paris, 1978, p. 446 ; *Bulletin de la Koumia*, N° 125 juillet 1992, pp. 24 - 26 ; N° 127 décembre 1992, pp. 39 - 40.

عبد القادر بوراس

ابن **حيّون، الغالي** بن محمد الفاسي، وصفه ابن سودة في *إتحاف المطالع* "بالفقيه العلامة المدرس المطلع" وقد تتلمذ له وحضر دروسه بجامع القرويين وخصص له ترجمة مطولة في فهرسه *سل النصال* لكن هذه الترجمة مما سقط وضاع من هذا الكتاب.

توفي بفاس عام 1354 / 1935.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 3045.

ابن **حيّون، محمد** بن المدني الفاسي، انفرد بترجمته - فيما أعلم - إدريس بن الماحي الإدريسي في *وفياته*، وقال عنه "كان خيراً ديناً ورعاً زاهداً معتكفاً على قراءة العلم... ومع إقلاله من الدنيا كان ذا همة عالية لم يطلب وظيفاً قط، إنما كان ينوب عمن حصل له عذر من الأئمة والخطباء والوعاظ، وكان يتقوّت من كدّ يمينه" إنه نموذج فريد في الفترة المعاصرة للعالم الزاهد المواظب على فعل الصالحات، المسارع في الخيرات، إلى أن لقي ربه راضياً مرضياً يوم الأحد 22 محرم عام 1361 / 8 فبراير 1942.

إ. الإدريسي، *وفيات بعض أهل القرن الثالث عشر والرابع عشر*، مخطوط المؤلف، ص 23.

محمد حجي

**الحَيُّوني، محمد الحنفي** بن أبي بكر الأكتاوي الدرعي، ولد في أوائل القرن الثالث عشر (19 م) وأخذ مبادئ القراءة والكتابة بمسجد بلدته على عادة بني قومه من سكان أكتاوة. ثم انتقل شمالا إلى واحة فزواطة فالتحق بزاوية تامگروت الناصرية لأخذ العلم عن شيوخ الزاوية وعلمائها. ونستشف من بعض الإشارات في *رحلته الحجية*، أن الفقيه الحيوني بعد أخذه لحظ من العلم بتامگروت عاد إلى مسقط رأسه بقصر بني حَيُّون، فأسندت له قبيلة القصر إمامة المسجد وهي المهمة التي تجعل منه بطريقة مباشرة عدلا نكتب رسوم معاملات القبيلة في بيعها وشرائها وحَكَماً شرعياً يفصل في قضاياها. وقد سمحت له هذه المهمة في وسطه القبلي بربط صلات قوية مع شيخ قبيلة قصر بني حَيُّون في وقته محمد البَشْرَى. وبعد تجربة قصيرة في ممارسة الأحكام الشرعية، لم يكن الحيوني راضيا عن وضعيته، لأن بعض الناس من عامة القبيلة كان يعترض على أحكامه ويرفضها : "فإن قلنا له الحق كذا، يقول ليس ذلك الحق وليس ذلك الشرع" (*الرحلة*، 56) وحتى يتخلص من التزاماته مع القبيلة عامة والشيخ القوي محمد البَشرَى بصفة خاصة، قرر أن يرحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج وفي نيته المجاورة بالأزهر الشريف لإتمام دراسته العلمية.

غادر الحَيُّوني بلاد درعة في حدود عام 1260 / 1844 ولم يدون أخبار رحلته إلا بعد مضي ثلاث سنوات وقضائه مدة طويلة بالقاهرة تمكن خلالها من التمرس باللهجة المصرية، ومما يؤكد ما ذهبنا إليه، أن الرحلة تحتوي على ألفاظ من اللهجة المصرية مثل الشيَّال والشلبي والمطرح والعربية وغيرها. وتبلغ عدد صفحات *الرحلة* حوالي ستين صفحة من الحجم المتوسط. وتتكون من مقدمة وسبعة أبواب وحوالي ثلاثة عشر فصلا كلها مخصصة للحديث عن السفر في البحر وبلاد المشرق العربي باستثناء المقدمة التي لخص فيها أخبار سفره من أكتاوة إلى مدينة أسفي عن طريق مراكش.

ومن الملاحظ أن رحلة الفقيه الحَيُّوني تختلف عن باقي الرحلات الحجية التي أنجزها علماء زاوية تامگروت من الناصريين وغيرهم، بحيث لم يقلد أحدا في عمله ولم ينقل عن غيره، وإنما يصف ما شاهده بعينيه وما طرق سمعه، قاصدا بذلك إعلام الشيخ محمد البشري "ببعض الغرائب والعجائب التي قصر عليها ذهنه من أجل عدم الوصول إلى أماكنها" (*الرحلة*، 1).

ورغم أننا حاولنا العثور على أخبار الفقيه الحيوني بمنطقة أكتاوة فلم نتمكن من الحصول إلا على معلومات تفيد بأنه فقيه محصِّل وأنه قرأ في مصر وحج لا غير. ولم يفدنا أحد بتاريخ عودته من مصر ولا تاريخ وفاته.

ونقدر أنه مات في حدود عام 1280 / 1863.

م. الحيوني نفسه، *الرحلة*، مخطوط ؛ *وثائق محلية ؛ وتحريات ميدانية*.

أحمد البوزيدي

# خ

**الخابوري** (لون) كانت صباغة الخشب والحديد والجلود والملابس والأردية والأفرشة والجدران وأبواب الأضرحة والمساجد والمنازل وغيرها في مغرب ما قبل الحماية وقبل انتشار الصباغة الحديثة طبيعية أهلية بلدية. وكانت هذه الصباغة تستمد من مصادر نباتية كالنيلة والحناء والزعفران، أو معدنية كالبارودية والطرطار، أو حيوانية كالقشينية أو القرمزية، وهي حشرة تعيش على الصبار أو شجر البلوط الأخضر.

وكانت الألوان الطبيعية المستخرجة من المصادر الثلاثة المذكورة هي الأزرق والأحمر والأصفر، وهي ألوان أساسية تتفرع عنها عدة ألوان ثانوية تختلف في نصاعتها باختلاف كمية الصباغة ومدتها. فعن الأزرق يتفرع النيلي والعلجي والفضي، وعن الأحمر الأرجواني ودم الغزال والوردي، وعن الأصفر الكبريتي والرنجي والقصبي والخابوري وغيرها.

فاللون الخابوري يستمد اسمه من الخابور وهو نبات الوزال ذو اللون الأصفر الفاقع الذي يفرض نفسه بين الألوان، وهو ينتشر في المغرب والأندلس وينمو بكثرة في المرتفعات الشرقية لجبل سيروا والأطلس الكبير والصغير ويدعى أشْفُود بالأمازيغية.

وقد كانت للصباغين في مغرب القرن الماضي وماسبقه قدرة كبيرة على مزج الألوان والتحكم في مقادير المواد التي تتكون منها وتحديد المدة الكافية للحصول على كل لون، ولذلك يقول أهل الحرفة من الصباغين بأن "الناقص عيب والزائد عيب في الصباغة". ويؤدي كل إخلال بالمقادير ومدة الغليان أثناء الصباغة إلى تغيير اللون والانحراف عن فرعه المطلوب مما قد يلحق كبير الأضرار بسمعة الصباغ ويطعن في اتقانه للحرفة

وكان الزبناء يقصدون الصباغين بأرديتهم وأصوافهم وجلودهم وغيرها، ويطلبون تلوينها بصباغة محددة تكون إما لونا رئيسيا أو متفرعا عنه يذكرونه لهم بالاسم. فمنهم من يطلب اللون الكبريتي الذي يشبه الكبريت ومن يطلب الرنجي الذي يشبه لون الرنج أو الأترج، وقد يطلب بعض الزبناء من الصباغ اللون القيقلاني نسبة إلى لون شجرة القيقلان المعروف بالميموزا le mimosa أو القصبي نسبة إلى لون القصب أو الخابوري نسبة إلى الخابور. وتعتبر كل الألوان المذكورة من فصيلة رئيسية واحدة هي الأصفر لكنها تختلف عن بعضها البعض زيادة أو نقصانا في كمية الصباغة ومدتها وطريقة مزجها وأسلوب إذكائها أو إخفائها. وهنالك ألوان فرعية أخرى من غير ما ذكر مما ينتسب إلى مجال الأصفر نذكر منها القشرى الذي يشبه لونه لون قشور الرمان والقيحي الذي يشبه لون القيح والتبني الذي يشبه صفرة لون التبن ثم الذهبي والمشماشي والكرعي والبناني والجنجلاني والزيواني وشمس العشي والقمري وضوء الصباح والمحنية. وتشبه هذه الثلاثة الأخيرة ضوء القمر وضوء شروق الشمس في الصباح وصفرة لون الحناء.

ع. بنعبد الله، معجم *الألوان*، الرباط، 1969 ؛ جامعة الدول العربية، معجم *الملابس*، الرباط، 1975.

M. Kouadri et P. Ricard, *Procédés marocains de teintures des laines*, Rabat 1938 ; L. Gatineau, *Notes sur le montage d'une cure à indigo*, *C.A.T.A.N.*, n° 5, 1959 ; Anonyme, *L'industrie du tannage des peaux au Tafilalet*, *B.E.M.*, vol. 3, 1936 ; A. Barthelemy, *Tazra, tapis et bijoux de Ouarzazate*, Aix-en-Provence, 1990 ; A. Roy, *La laine*, Paris 1946 ; A. M. Goichon, *La vie féminine au Mzab*, Paris 1927 ; H. Miner, *Le déclin des corporations de Fès*, *B.E.S.M.*, vol. 3 n° 109, avril - juin 1968 ; L. Botte, *Au cœur du Maroc*, Paris, 1913, *R.M.M.*, tome 58, 1924.

محمد بوسلام

**الخارجية** (وزارة الشؤون الخارجية والتعاون) بعد حصول المغرب على الاستقلال قبل أربع وأربعين سنة انبعثت من جديد وزارة الشؤوون الخارجية المغربية في 26 أبريل 1956 بمقتضى ظهير (قانون تشريعي) صدر في 13 أكتوبر من نفس السنة نص على إحداثها وتنظيم الخطوط العريضة لها. لقد سبق أن غيَّبت معاهدة الحماية التي أبُرمت بين فرنسا والمغرب هذه الوزارة فيما غيبته من الوزارات المغربية في سياق انتهاجها لسياسة الحكم المباشر، وذلك بموجب الفصل الخامس من هذه المعاهدة الذي نص على ما يلي :

"سيمثل الحكومة الفرنسية لدى الجلالة الشريفة مندوب مقيم عام بيده جميع سلطات الجمهورية بالمغرب وهو الذي يسهر على تنفيذ هذه المعاهدة. وسيكون المندوب المقيم العام الوسيط الوحيد للسلطان لدى الممثلين الأجانب وفيما يجريه هؤلاء الممثلون من علاقات مع الحكومة، وسيكلف على الأخص بجميع المسائل التي تهم الأجانب في الإمبراطورية الشريفة. وستكون له سلطة المصادقة والإذن بالنشر باسم الحكومة الفرنسية لجميع المراسيم التي تصدرها الجلالة الشريفة".

وهكذا ألغت معاهدة الحماية وزارة الشؤون الخارجية المغربية التي استمرت قروناً عبر الدول التي تعاقبت على الحكم في المغرب، وكانت نشيطة بالأخص في عهد الدولة العلوية حتى يوم فرض الحماية. ويكفي دليلاً على ذلك ما كتبه وصرح به مراراً أول مقيم عام فرنسي بالمغرب المريشال ليوطي. لقد ذكر في محاضرة ألقاها بمدينة ليون سنة 1916: "بمجرد مجيئنا إلى المغرب وجدنا أنفسنا في مواجهة امبراطورية تاريخية مستقلة وغيورة على استقلالها ومتمردة على كل نوع من أنواع الاستعباد. هذه البلاد كانت تبدو إلى السنوات الأخيرة في صورة دولة قائمة الأساس تشتمل على منظومة من الموظفين مُرَتَّبين من أعلى إلى أسفل وعلى تمثيل في الخارج". ثم أضاف المريشال ليوطي موجهاً الكلام إلى مستمعيه قائلاً :

"فكروا أنّ العديد من الشخصيات المغربية مازالوا أحياء يُرزقون، وكانوا إلى ما قبل ست سنوات سفراء للمغرب المستقل في بيطيرسبورغ ولندن وبرلين ومدريد وباريس، وكان بمعصيتهم سكريتيرون وملحقون حاصلون على حظ كبير من الثقافة العامة يتعاملون على قدم المساواة مع رجال الدول الأوربيين، ولهم وعي وإدراك للشؤون العامة".

لنرجعْ في هذا الصدد إلى المعاهدات الأخيرة التي أبرمها المغرب المستقل في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين، أهمها : المعاهدة الفرنسية - المغربية سنة 1845 بعد احتلال فرنسا للجزائر ومعركة إيسلي، ومعاهدة الصلح الإسبانية - المغربية سنة 1860 بعد هجوم إسبانيا على تطوان واندحار الجيش المغربي، ومؤتمر مدريد سنة 1880، وهو أول مؤتمر دولي حول القضية المغربية. تلاه مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 الذي يُعدّ المؤتمر الدولي الثاني الذي انعقد لتسوية المشاكل الناتجة عن الاتفاقات السرية التي أبرمتها فرنسا مع الدول الاستعمارية الأخرى التي كانت تشرهُ لأخذ نصيبها من تقسيم المغرب.

كلما عدنا إلى الوراء إلاّ ونجد علاقات المغرب مع

الخارج ضاربة في القدم منذ عهد الأدارسة إلى دولة العلويين، من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب مع الدول المعروفة أو التي نشأت فيما بعد. ومكتبات الدول الأوربية على اختلاف أنواعها ومواقعها، ودول الجوار في البحر المتوسط، والدول الإسلامية والإفريقية والعالم الجديد، كل هذه المكتبات مليئة بالوثائق وبأخبار الديبلوماسيين - مغاربة وأجانب - وبمذكراتهم.

وإذا كانت علاقات المغرب وبعثاته الدبلوماسية إلى الخارج واستقباله للوفود الأجنبية ترجع إلى أقدم العصور، فقد نشطت الدبلوماسية المغربية بالخصوص في عهد الدولة العلوية كما تقدم، وبالأخص في عهد المولى إسماعيل الذي امتد حكمه من الربع الأخير في القرن السابع عشر إلى الربع الأول من القرن الثامن عشر الميلادي.والشأن في الجهاز الخارجي لكل دولة أن يكون تابعاً لرئيس الدولة. وكذلك كان الحال بالنسبة للمغرب. كان يُطلق اسم "وزارة البحر" على هذا الجهاز من عهد السعديين إشارة إلى أن هذه الوزارة تعنى بشؤون ما وراء البحار من "عقد المعاهدات والاستصدار والاستيراد وفض المشاكل التي تعرض في بعض الظروف. وظل اسم "وزارة البحر" متداولاً إلى منتصف القرن التاسع عشر حيث بدل باسم "وزارة الأمور البرانية" وهو مصطلح عربي سليم أكثر دلالة من سابقه. وكان أول من تولى الشؤون الخارجية في عهد المولى إسماعيل القائد عبد الله ابن عائشة. وتوالى بعده عشرات الوزراء والبعوث والسفراء في شتى مهام الدولة على عهود خلف المولى إسماعيل من السلاطين، نذكر منهم بوجه خاص المولى عبد الله والمولى محمد بن عبد الله والمولى هشام والمولى يزيد والمولى سليمان والمولى عبد الرحمن والمولى محمد بن عبد الرحمن والمولى الحسن والمولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ.

كان التمثيل الأجنبي، خاصة تمثيل الدول الغربية، على شكل قنصليات، فكان القناصل يستقرون تارة بالرباط وأخرى بسلا أو أسفي أو الصويرة وتطوان الخ .. لتتبع ما جريات الأمور عن كثب. ثم بعد ذلك أصدر السلطان محمد بن عبد الله قراراً بنقل مركز الدبلوماسية إلى طنجة الذي أصبح يُعرف بدار النيابة فيما بعد. وبقيت كذلك إلى عهد الحماية حيث أصبحت منطقة دولية.

المهام الكبرى التي أسندت إلى "وزارة البحرية" ثم إلى "وزارة الأمور البرانية" كانت تتلخص في المحافظة على استقلال المغرب، والسعي لمسالمة دول الجوار وربط علاقات الود والصداقة مع جميع الأقطار والارتباط معها بمعاهدات ومواثيق تجارية. كما عهد إليها بفداء الأسرى المسلمين والتفاوض في شروط فداء الأسرى الأوروبيين، أخذت أعمال الدبلوماسية المغربية تتنامى ابتداءً من القرن الحادي عشر الميلادي، فبلغت أوجها في القرن الثالث عشر في عهد الدولتين المرابطية والموحدية حيث امتدت رقعة المغرب إلى طرابلس الغرب شرقاً وحدود السنغال جنوباً والأندلس شمالاً. بيد أن المغرب أصبح في نهاية القرن الخامس عشر مهدداً من لدن إسبانيا بعد احتلالها غرناطة في 1492 والزحف على ما تبقى من الفتح العربي في الأندلس، والتوسع العثماني في تونس والجزائر. فأصبحت مهمة الدبلوماسية المغربية تنحصر في الدفاع عن ثغوره في الشمال والشرق. باستثناء الفوز العظيم الذي حققه المغرب في واد المخازن مما اكسب الدبلوماسية المغربية سمعة كبيرة، وجعل المغرب يزحف على دولة مالي ويحتلّ تنبكتو في 1591. لكنه ارتكس منذ ذلك الحين. وإذا كانت الدبلوماسية المغربية عرفت بعض الهدوء في القرنين السابع عشر والثامن عشر بسبب اشتغال الدول المسيحية بنزاعاتها المسلحة، إلا أنها نشطت في عهد الأوائل من سلاطين الدولة العلوية.

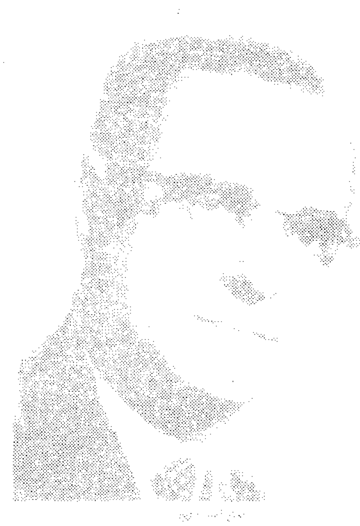

أهم المعاهدات التي أبرمها المغرب خلال هذه الفترة كانت تتعلق بالقرصنة البحرية في كل من المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، وبالتمثيل الدبلوماسي واستقرار الأجانب في المغرب، وفكّ الأسرى، وبالآفاق التجارية. ولائحة الدول التي أبرم معها المغرب معاهدات في هذه الأغراض طويلة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر فرنسا، إسبانيا، البرتغال، انجلترا الدانمارك، الولايات المتحدة، هولندا، إيطاليا، السويد. وتعرض استقلال المغرب ووحدته إلى امتحان رهيب ابتداء من القرن التاسع عشر الذي شهد نهضة أوروبا وإبرام اتفاقتي فيينا سنة 1815 وايكس - لا شبيل سنة 1818 وانحسار المد العثماني. لكن أعظم الخطر جاء إلى المغرب من احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 وتحرشات إسبانيا والبرتغال، فكان عليه أن يدافع عن كيانه في واجهتين. وأصبح على الدبلوماسية المغربية أن تبذل مزيداً من الجهود في هذا السبيل. فكانت معاهدات إسلي وتطوان والجزيرة الخضراء التي أشرنا إليها. ووقفت

الدبلوماسية المغربية منذ ذلك الحين موقف الدفاع. وكانت فرنسا تتآمر سراً لعزل المغرب، فأبرمت معاهدات بهذا الصدد مع ايطاليا في 1902، وأنجلترا في 1904 وإسبانيا في 1904 وألمانيا أخيراً في 1911. تنازلت بمقتضاها عن امتيازات لهذه الدول مقابل إطلاق يدها في المغرب. وهكذا تمت عزلة المغرب، بينما مهدت فرنسا كذلك لمعاهدة الحماية في 30 مارس 1912، بإحداث قلاقل وتسليح عملاء لتقويض سيادة الدولة المغربية في الوقت الذي كانت الدبلوماسية المغربية تبذل قصاراها في التفاوض ورد العدوان كما قال المؤرخ Chauvel في كتابه *Les Notions d'état et de nationalité au Maroc* : "تاريخ دبلوماسية المغرب يشهد بأن سيادة السلاطين أثبتت منذ زمن طويل وفي كثير من المناسبات عن حيويتها في الحقل الدولي".

وقد حفظ التاريخ أسماء بعض الذين تولوا "وزارة البحر أو الأمور البرانية" أمثال ابن عائشة ومحمد ابن حمو ومحمد الخطيب ومحمد برگاش ومحمد الطريس ومحمد المفضل غرِّيط، وعبد السلام التازي ومحمد بن عبد الكريم بن سليمان والحاج محمد المقري. إلى جانب سفراء وموفدي السلاطين إلى الخارج ممن يطول عرض أسمائهم.

لقد ألغت الحماية الفرنسية "وزارة الأمور البرانية" المغربية بموجب معاهدة 30 مارس 1912 كما ذكرنا. وبقيت هذه غائبة مدة أربع وأربعين سنة إلى أن أعاد انبعاثها جلالة الملك محمد الخامس تحت اسم وزارة الخارجية والتعاون عند تأليف الحكومة الثانية بعد الاستقلال برئاسة السيد مبارك البكاري سنة 1956 وأسند مهامّها إلى الحاج أحمد بلافريج الأمين العام لحزب الاستقلال إذ ذلك. منذ ذلك الحين إلى اليوم توالت على المغرب ثلاث وعشرون حكومة. بينما تعاقب على وزارة الشؤون الخارجية والتعاون ثلاثة عشر وزيراً آخرهم محمد بنعيسى ونجد عشرة كتاب دولة. والجدير بالذكر أن وزارة الخارجية تشتمل بالإضافة إلى الوزير المذكور على ثلاثة كتاب دولة. وتذكيراً بمهام الوزارة وتفريعاتها يمكن الرجوع إلى الفصل المتعلق *بالدبلوماسية* الذي حررناه في *معلمة المغرب*.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف* ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب* ، الصديق بن العربي، *كتاب المغرب* ؛ قاسم الزهيري، *مذكرة عن الدبلوماسية المغربية (أرشيف وزاوة الخارجية)* .

*Le Maroc avant le Protectorat, sous le Protectorat, faillite du Protectorat* ; Chauvel, *Notions d'état et de souveraintè au Maroc*.

قاسم الزهيري

جاء في *المسند الصحيح* : "استأذنني متولي الأشغال يوماً وأنا بالدار البيضاء في أن يدخل من المال المودع ما شد على العادة في المال إذا اجتمع في المودع البراني .. (*المسند*، ص 309) وأضاف صاحب المسند في ص 310 "قال : فأذنت لهم فأدخل المال وصب في خرائط حتى يجتمع للشد..."

ويفهم من نص ابن مرزوق في جهة أخرى من الصفحة ومن نصوص وإشارات أخرى أن الخرائط كانت تضم نقوداً دنانير معدودة ومختوم عليها وغالباً ما كانت الخريطة تختم على 1000 دينار :

"قال : والكتاب بين يدي فلمحت هذا الشخص قد مد أطناب غفارته أو برنسه على خريط منها وفي كل خريط ألف دينار ذهب (*المسند*، 310) وجاءت الإشارة في *التشوف*، ص 77 إلى "خريطة فيها 1000 دينار". وفي *كتاب المعجب*، 371 : "وجدت خرائط كثيرة مما كان يرفع إلى أمير المومنين أبي يعقوب بختمها ..."

في هذه النصوص القصيرة وفي غيرها - مما لا يسعنا ادراجها هنا - إشارة إلى أن أموال المخزن ومستحقاته النقدية كانت تصل إما معدودة ومختومة في خرائط وإما في صناديق وأكياس، وعندما ما يراد استعمالها تصب في خرائط وتوزع أو تخزن (*تاريخ الدولتين*، 14).

فما هي الخرائط وما هي دلالة الاسم ؟

يبدو من تلك النصوص والإشارات أن الخرائط كانت تصنع من الجلد وتحديداً من جلود الضأن (*المسند*، 310) ومنها الكبير والصغير. فالكبير هو ما ورد في النصوص أعلاه أما الخريط الصغير فهو الذي يستعمله الشخص في حياته اليومية وهو شبيه بالصرة تحزم على النقود ويتم توزيعها بحسب الاستحقاق والظروف فيأخذ المستحق النقود معدودة بخرائطها، ومنها الساذج الذي يشبه الصرة من الجلد أو هي نفسها. أما الخريط ففيه صناعة من فصالة وخياطة ؛ ولعل اسمه آت من شكله المخروطي أو من فعل الخرط المرادف للجرد والحساب ؛ ويقابله في اللغة الفرنسية La Bourse.

الزركشي، *تاريخ الدولتين*، تونس، 1289 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب في ذكر بلاد المغرب*، الدار البيضاء، 1978 ؛ ابن مرزوق التلمساني، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف إلى رجال النصوص*، الرباط، 1958 و 1984.

La Rourse : *Dictionnaire*.

محمد حجاج الطويل

**خارط**، أو خارطة، يجمع على خرايط : وعاءٌ من جلد لجمع النقود، توضع فيه بعد عدها، فتكون خرائط بألف دينار مثلاً، أو توضع فيها دون عدّ حتى يسهل نقلها وتوزيعها.

**الخضير** بن عبد العزيز، مقاوم وُلد سنة 1929 بدوار ازكريتا ملحقة اجدير دائرة أكنول بإقليم تازة من أبويه : عبد العزيز بن محمد، وزهرة بنت علال، تشبع بالروح الوطنية منذ نشأته الأولى، ولما قام المستعمر بنفي عاهل

البلاد محمد الخامس دفعته الغيرة الوطنية إلى الدفاع عن مقدسات البلاد والانخراط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالمنطقة الشمالية بجبال الريف، حيث عمل ضمن الفرقة التي كان يرأسها حسن الزكريتي، وقد شارك في عدة هجومات أبان فيها عن قدرة هائلة في النضال والجهاد إذ كان مثالا للرجل المجاهد المخلص وواصل نضاله البطولي بكل شجاعة وإخلاص إلى أن استشهد رحمه الله في هجوم قنطرة أجدير يوم 3 أكتوبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 4 : 83.

**خاطف الذباب** أو مُلتهم الذباب، وخطّاف الذباب ولقّاف الذبّاب كما ينطق به في المغرب، جنس طيور برية صغيرة القد من رتبة الجواثيم وفصيلة ملتهمات أو خاطفات الذباب Muscicapidae مشرومات المناقير تسمى بالفرنسية Gobe-mouches وبالانجليزية Flycatcher وبالاسبانية Papamoscas. من عاداتها ترقب الحشرات الصغيرة المجنحة والتهامها وهي طائرة.

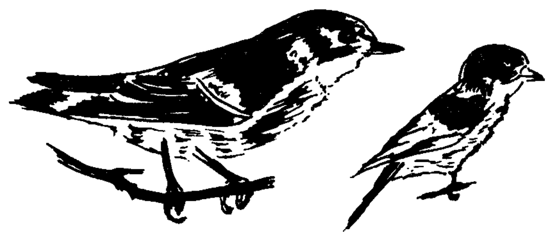

خاطف الذباب

خاطف الذباب من الطيور القواطع يتوالد في شمال المغرب العربي وفي أوروبا ويشتى في ضواحي إفريقيا الاستوائية الشمالية. منه نوعان يتوالدان في المغرب : خاطف الذباب الأسود وخاطف الذباب الرمادي أو المخطط. يتراوح طولهما ما بين 13 ـ 14 سم جمعا بين الرأس والذيل. تبلغ بسطة الجناحين 24 سم. ويتراوح وزنه ما بين 11 ـ 20 غرام.

يتميز خاطف الذباب الأسود Ficedula hypoleuca بمنقار وأرجل سوداء. ريشه أسود على رأسه وظهره وذيله وجناحيه، تتخلله بقع بيضاء على جبهته وجناحيه. الصدر والبطن أبيضان، والإناث لها ريش رمادي بني مخضر، يتوالد ما بين أبريل ويونيو، ويبني عشه عادة بين أغصان الأشجار وسط الغابات والادغال والبساتين والحدائق وأحيانا بين شقوق الجدران والصخور. تلد الأنثى 3 ـ 8 بيضات زرقاء مصفرة منقطة بالبني والأحمر. يبلغ قطرها 18 + 13 ملم تحضنها الأم 11 ـ 15 يوماً ولا تغادر الصغار العش إلا بعد أسبوعين.

خاطف الذباب الرمادي أو المخطط Muscicapa striata له ريش بُنّي ورمادي، صدره مخطط بريش بُنّي داكن. المنقار والأرجل سوداء. الاناث شبيهة بالذكور. يتوالد مرتين في السنة ما بين مايو ويونيو، وتضع الأنثى في عشها 2 ـ 7 بيضات زرقاء مخضرة يبلغ قطرها 18،5 + 14 ملم. يحضنها الأبوان بالتناوب وأحيانا من طرف الأنثى فقط مدة أسبوعين وتبقى الصغار في العش 13 ـ 16 يوما.

يعيش خاطف الذباب منعزلا في أغلب الأحيان ومزدوجا خلال فترة التوالد، وكثيراً ما يحدد مكان عيشه الذي يناهز الهكتار الواحد من المساحة. بتعرض لكل طائر من نفس فصيلته ويبعده. يشتد حذره عند التوالد ويكثر تستره وفي الأوقات الأخرى يقترب من المدن والمنازل والحدائق للبحث عن الذباب.

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة القاهرة، 1934.

H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East.*, London, 1984, p. 240 - 241 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussains d'Europe en couleurs*, Paris, 1978, p. 262 - 263.

محمد رمضاني

**الخالدي**، أسرة فاسية. ،هم فرقتان، فرقة من معسكر ينتمون إلى الشرف من بني عامر ومنهم القاضي خليل الخالدي. والفرقة الثانية من قبيلة غمارة أهل معاش وحرفة وطلب، منهم الفقيه عمرو بن الحسين الغمري الخالدي وهذه الفرقة من أقدم بيوت فاس لها جنان بالمرج ينسب إليها إلى الآن.

وهناك أسرة تطوانية تنسب إلى قبيلة بني خالد إحدى قبائل غمارة التسع، تقع شرق شفشاون واسم عائلة ينتسب بعض أفرادها للشرف، انقرضت الآن من تطوان. وان كان المنتسبون للقبيلة موجودين بها بطبيعة الحال.

ورد ذكرها في الوثائق مند القرن الثاني عشر الهجري، وبَرزَ من رجالها :

**الخالدي، أحمد** الخراز حرفة، جهينة النوادر والأنساب والأخبار. كان بتطوان أوائل القرن الرابع عشر، وتوفي من غيرعقب.

م. داود، عائلات تطوان (حرف الخاء) أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج : 3 (حرف الخاء) ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 1 : 175.

محمد بوخبزة

**الخالدي، خليل** بن صالح الحشمي الفاسي، ترجم له تلميذه عبد الحفيظ الفاسي في *مختصر العروة الوثقى* وقال عنه : "قرأت عليه حظاً من العربية نحواً وصرفاً واشتقاقاً ولغة، وذلك أهم فنونه، ويتقنها ويحسن تدريسها". كما وصفه بذلك ابن زيدان في *الإتحاف* وقال : كان آية في صناعة التدريس وبالأخص *ألفية ابن مالك*، ذا تؤدة لا يتزحزح ولا يتحرك حالة إلقائه الدروس، فصيح اللسان حلو العبارة، يحصّل ما ألقاه في درسه تحصيلاً عجيباً. مجلسه بالقرويين حفيل يحضره نجباء أعيان طلبة وقته".

تولى النيابة عن قاضي فاس بمقصورة القرويين الشيخ عبد الله ابن خضراء، ثم أسند إليه قضاء مكناس وزرهون، وصدرت منه أثناء ذلك "نوادر عجيبة" تدل على أنه لا يحسن الفقه وقواعد الأحكام، وقد فصل ابن زيدان القول في هذه "النوادر" تفصيلاً استنكره ابن سودة في *إتحاف المطالع*. والخلاصة أن المترجم كان لغوياً نحوياً ولم يكن فقيهاً، وقد ظلم نفسه بقبوله تولى خطة القضاء، والكمال لله.

له رحلة *تباشير الفرح*، وهي منظومة في وصف انتقال الحسن الأول من فاس إلى مراكش عبر تادلا ؛ و*مقامة الفيل* الذي أهدي إلى نفس السلطان.

توفي بفاس صبيحة يوم الاثنين تاسع عشر قعدة عام 1326 / 14 دجنبر 1908 ودفن قرب ضريح أبي بكر ابن العربي خارج باب الشريعة (باب محروق).

ع. الرحمان ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1931، ج 3 ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *مختصر العروة الوثقى*، سلا، 1938 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 ؛ دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط. 2، الدار البيضاء، 1960 ، 1 و 2.

محمد حجي

**الخالدي، عبد السلام** وهو (يكتب الخَلْد بفتح الخاء وكسر الدال في الحالة المدنية) من أسرة عالمة شهيرة في سوس، ترجم محمد المختار السوسي لأربعة عشر عالماً منها وذكر مالهم من التأليف في مختلف العلوم المتداولة

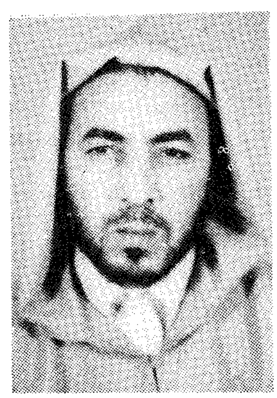

وبخاصة في اللغة العربية والدراسات الإسلامية (*المعسول*، ج 11، ص. 201) وقد كتب المترجم على بطاقته لدار الحديث الحسنية، كسبب للدراسة : "بيئتي التي نشأت فيها حبَّبت إليّ الإسلام والدراسات الإسلامية".

ولد سنة 1946 بدوار تارگينين قبيلة إدا گاگمار عمالة تيزنيت، من والده محمد بن خالد بن الحاج إبراهيم، ونسبة الخالدي من اسم جده المتوفى عام 1343 / 1925.

تعلم القرآن ومبادئ العربية بالمدرسة العتيقة بقبيلته إداوْباعقيل ثم انتقل إلى معهد محمد الخامس بتارودانت حيث انهى دراسته الابتدائية والثانوية في حدود سنة 1968.

انخرط في سلك التعليم معلما بأگادير ونتيجة ما يتمتع به من طموح علمي كأجداده لم يتوقف عن الدراسة والتدريس، فاندفع في اتجاه التدريس وارتقى إلى الأستاذية، ثم تولى الحراسة العامة. كما اندفع في الاتجاه الدراسي، فبعد الحصول على الباكلوريا وهو يزاول التدريس استطاع الحصول على شهادة الإجازة في كلية اللغة العربية بمراكش سنة 1980 ثم التحق بدار الحديث الحسنية بالرباط شعبة علوم القرآن والحديث وأنهى الدراسات العليا منها سنة 1984 وفي نفس الوقت التحق بمركز تكوين المفتشين بالرباط وتخرج منه في قسم التربية الإسلامية سنة 1987.

ونظراً لما تكون لديه من التمكن في علوم اللغة وآدابها وفي التوسع في الدراسات الإسلامية، بفضل المؤسسات التي تخرج منها وبفضل شيوخه الكبار.

اعتمد المترجم على خزانة والده واجداده التي تزخر بنوادر المخطوطات وتشبع بعلومها، فقد اتجه في انتاجه العلمي صوب تحقيق التراث، وأنجز بهمة عالية تحقيق مخطوط تربوي تعليمي هو *تمام النصيحه في إرشاد الطلبة*، من تأليف إيبورك بن عبد الله السملالي المتوفى سنة 1058 وقدم عنه دراسة في دار الحديث الحسنية، كما قدم التحقيق في مركز تكوين المفتشين، وعرّف ببعض المخطوطات مثل : رسالة في تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة، كما نشر بحثاً بعنوان : التعريف بكتاب *تمام النصيحة* بمجلة دار الحديث الحسنية عدد 9 سنة 1991 ص 399 ـ 415، غير أنه لم يعمر طويلاً، وقد أدركته المنية سنة 1411 / 1990.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 1963، ج 11، ص 201 ؛ ع. أفا، *النقود العربية في القرن الثامن عشر*، 1993، ص 20، ملف دار الحديث الحسنية الإداري، *رواية شفوية* عن عبد الله الدرقاوي.

عمر أفا

**الخالدي، علي** الغماري التطواني الفقيه الصالح المتبرك به المتطبب، كان يسكن في الغالب مجشر (الملالين) القريب من تطوان من ربع (بني سالم) من قبيلة

الحوز. ويتردد على تطوان باستمرار، يقصده الناس للزيارة والتبرك بدعائه، وسؤاله عن الأدوية، فينتفعون بما يصف لهم.

قال المؤرخ أبو العباس الرهوني : حدثني الحاج أحمد الفاسي أنه حضر عائداً عند السيد عبد الكريم اقْشُوشُو (انقرضت هذه العائلة اليوم) وكان مريضاً جداً في غيبوبة فاقداً الوعي. فوجد عنده المترجم له وقد عمد إلى فرخي دجاج فذبحهما ووضعهما على قلبه وانباضه فأفاق المريض من حينه.

توفي المترجم له في طاعون عام 1271 ودفن بمتعبده بالملالين رحمه الله.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، (6 : 21)، مخطوط.

**الخالدي، المكي** بن الحاج العربي التطواني الذي كان ناظر أحباس الضعفاء والمساكين بتطوان سنة 1175 / 1761 وأحباس الولي الصالح السيد علي الخالدي.

م. داود، *عائلات تطوان*، (حرف الخاء) ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، ج 3 (حرف الخاء)، مخطوط.

محمد بوخبزة

**خالص**، أسرة سلاوية انتقلت إلى الرباط فاستوطنته، وقد ذكرت في *كتاب التشوف لرجال التصوف* تارة بخالص وأخرى بابن خالص. لم تذكر في كتب التاريخ الحديث ضمن الأسر التي لعبت دوراً تاريخياً في مدينة الرباط بل لم يرد اسمها إلا في القرن الحالي كأسرة تجار اشتغل بعض أفرادها بتجارة السكر والشاي وخصوصا الإخوة محمد وأحمد والتهامي. وقد تعاطى هؤلاء الفلاحة بعد أن ورثوا عمهم الذي لم يخلّف ذرية وهو عز العربي الذي كان في العشرينيات من هذا القرن مشرفا على ضريح مولاي المكي. وقد أضاقوا النشاط الفلاحي إلى نشاطهم التجاري. عرف من بين الاخوة المذكورين : التهامي خالص وأحمد خالص.

م. الأمين بلكناوي، *رواية شفوية* في 30 - 10 - 1995.

عبد الإله الفاسي

**خانْفُوفْ** (معركة -) اسم مكان في قبيلة أيت إخْلِفْ الباعمرانية في الواد الذي يربط ما بين تاگاگرا شرقاً، ومدينة سيدي إفني غرباً، على بعد حوالي 18 كلم من مدينة سيدي إفني.

وكلمة خانْفُوفْ تعني الخانق بين الجبلين، وينطبق هذا الوصف على هذا المر الطبيعي الذي عمّق فيه واد تيزگي مجراه في الاتجاه نحو المحيط غربا، وفي خانْفُوفْ يمر الطريق الوحيد الذي يربط ما بين مدينة سيدي إفني وباقي الثكنات الإسبانية في شرق البلاد، مثل تيغزا، وأملُّو، وإيسْكْ وبوتاتْن، وتامُوشّا...

وقد تفطن الاسبان لأهمية خانْفُوفْ الاستراتيجية، فأنزلوا فيه معمراً وبنوا فيه داراً عبارة عن حصن متين واستخرجوا فيه مياها غزيرة وغرسوا فيه الموز والخضر والعلف، وشرعوا في تربية الماشية وإنتاج الحليب، وذلك كله بعد انتزاع الملكية العقارية من أهلها ببخْس دراهم معدودة، وبحيل شتى، والهدف في الواقع هو التمكن من ذلك المر الطبيعي.

وفي سنة 1957 أثناء معركة تحرير أيت باعمران وفي الأسبوع الأول تقدمت القوة الإسبانية من مدينة سيدي إفني، ومن ثكنة باطايّونْ بالذات لفك الحصار على أكبر ثكنة عسكرية بعد إفني وهي تيغزا، ومن حسن الحظ أن جيش التحرير الباعمراني، أسرع إلى احتلال دار خانْفُوفْ، وعدد المجاهدين دون العشرين ومع ذلك لم يستطيعوا احتلال ذلك الحصن (دار خانْفُوفْ) إلا بعد نفاد العتاد الحربي لدى المعمر الوحيد الذي في الحصن، وقتل على يد البالكوكي مولاي المحفوظ.

وما كاد حصن خانْفُوفْ يقع في يد المجاهدين حتى قدمت القوة الإسبانية من مدينة سيدي إفني لاحتلال خانْفُوفْ فوقعت معركة بين الطرفين لعبت فيها الظروف الطبيعية دوراً هامّاً لإيقاف الزحف الإسباني بعد أن تكبد خسائر في العتاد والأرواح. وبفصل معركة خانْفُوفْ هذه تمكن المجاهدون من الطريق الرئيسي، وضربوا حصاراً شاملاً على باقي الثكنات العسكرية في شرق البلاد إلى أن استسلمت كلها ماعدا تيغزا.

*بحث ميداني*، استجواب مع الضابط المشارك في نفس المعركة البالكوكي مولاي المحفوظ.

الحسين جهادي

**الخاوة**، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل الهبط ما زال بعض أفرادها بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 602.

محمد ابن عزوز حكيم

**خاوة** (أولاد -) قبيلة عربية تقطن منطقة ملوية الوسطى ما بين مدينة ميسور ومدينة القصابي على الضفة اليمنى لواد مليوية (وهي تابعة إداريا لدائرة ميسور، عمالة إقليم بولمان). وحسب علمنا فإن أول من ذكر اسم هذه القبيلة هو الرحالة الفرنسي دوفوكو (V.C., De Foucauld, 1988) خلافا لما ذكرته (جان شيش J. Chiche, 1984)، حيث ذكرت بأن قبيلة أولاد خاوة لم تكن معروفة بهذا الاسم قبل دخول الاستعمار.

هكذا نجد بأن دوفوكو هو الذي خلف لنا تفاصيل هامة

عن هذه القبيلة : أصلها، عدد أفرادها، ونمط عيشها. حيث يقول إنّ قبيلة أولاد خاوة كانت في الأصل متحدة ومندمجة مع قبيلة أولاد الحاج (إحدى أهم وأكبر القبائل بالمنطقة، ومقرها حاليا، الناحية الشرقية لمدينة أوطاط الحاج، دائرة أوطاط الحاج عمالة إقليم بولمان). ولأسباب سياسية انشقت عنها واتجهت غربا وشكلت حلفا مع قبيلة آيت أوفلا (ص : De Foucauld, 243) وعند تنصيب قائد القصابي خضعت لسيطرته، ودخلت في حظيرة السلطان، وأصبحت بلادها بلاد المخزن (ص : De Foucauld, 282) ويضيف قائلا بأن أغلبية سكان هذه القبيلة هم رعاة متنقلون. حيث إن منطقتهم رعوية بالدرجة الأولى، وذلك راجع لغنى سهو بها بالنباتات العشبية، حيث تتوفر على حوالي 25 صنفا من النباتات الخاصة بالمنطقة، وأطلق عليها (P. Y Bertrand, 1991) نباتات أولاد خاوة.

وقبيلة أولاد خاوة حاليا هي عبارة عن كونفدرالية تضم القبائل التالية : أولاد منصور، أولاد دحو، الكْرَارْمة، الحْشَالْفَا، الهمّالْ، ويقدر عدد سكان هذه الكونفدرالية حسب إحصاء سنة 1982 بحوالي 3.000 نسمة.

إلا أنه ومع توالي سنوات الجفاف وخاصة في الثمانينيات، فإن النظام القبلي قد تصدع، ونمط الترحال قد تفكك وانقرض، وأتلفت القطعان (Tag Boutayeb, 1985)، مما دفع بأفراد القبيلة إلى الاستقرار الجبري أو القهري، حيث أصبحوا لاجئين ايكولوجيين، ونزحوا إلى مدينة ميسور واستقر معظمهم بالضاحية الشمالية الغربية للمدينة مشكلين حيا يدعى بدوار النخلة (محمد أزهار، 1993).


م. أزهار، *الانسان والبيئة في الواحات السهبية الفاصلة، واحة ميسور نموذجا (المغرب الشرقي)*، أعمال ندوة، "المجال والمجتمع بالواحات المغربية"، سلسلة الندوات رقم 6، كلية الآداب والعلوم الانسانية - مكناس، ص. 134 - 135، 1993.

C. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc (1883 - 1884)*, Paris (p. 243 - 282), 1988 ; J. Chiche, *Contribution à l'étude de l'élevage dans le Sud-Est marocain*, in actes du colloque international : *Intégration économique des provinces sahariennes et développement national*, Rabat le 9 - 10 juillet 1984, Casablanca, p. 157 - 158 ; P. Y. Bertrand, *Les noms des plantes au Maroc*, Rabat, 1991 ; B. Tag, *Les hauts plateaux du Maroc oriental : la destruction du nomodisme et ses conséquences*, *Revue de la Faculté des Lettres de Fès*, N. S, n° 1, département de géographie, p. 25, 1985.


محمد أزهار

**خايـمي الأول**، ملك أراغون تولى الملك بعد وفاة أبيه حدثاً في سنة 1213، واستمر حكمه مدة طويلة حتى سنة 1276. تشير إليه المصادر العربية باسم جَايْـمَـشْ أو جَاقْـمَـة، أما المصادر الفرنسية فتنعته باسم Jacques 1. دشن حكمه بالهجوم على الأندلس وتمكن في ظل ضعف المخزن الموحدي من احتلال مجموعة من المدن الإسلامية كالجزائر الشرقية (جزرميورقة) سنة 631 / 1233 وبلنسية سنة 636 /1238 ومرسية سنة 665 / 1266. وبسبب سياسته التوسعية في المناطق الشرقية من شبه الجزيرة الإيبيرية لُقب بخايـمي الفاتـح أو الـغازي، Jaime El Conquistador، وهذا اللقب يعكس كذلك طموحات خايمي إلى تحقيق هيمنة أراغون السياسية والتجارية والعسكرية على منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في مواجهة الحضور القوي في المنطقة للايطاليين خاصة جنوة وبيزة والبندقية. لذلك اتجه ملك أرغون إلى الاهتمام ببلاد المغرب واللعب على التناقضات والصراعات التي بدأت تحتدم بين مجموعة من القوى السياسية على إثر انهيار الامبراطورية الموحدية، وهي : بنو حفص بافريقية وبنو عبد الواد بالمغرب الأوسط وبنو مرين بالمغرب الأقصى.

وقد شكل المغرب الأقصى حجر الزاوية في هذا التوجه الجديد الخايمي الأول، والعامل الحاسم بالنسبة لمستقبل سياسته الخارجية، لهذا حاول ربط علاقات دبلوماسية منذ سنة 637 / 1239 مع سبتة العزفية التي كانت تابعة حينداك لأبي زكرياء الحفصي، وتوجت يوم 4 فبراير 1269 بعقد معاهدة سلام ومهادنة بين ملك أراغون وصاحب سبتة العزفي، وهي المعاهدة الأولى من نوعها التي تعقدها مملكة أراغون مع قوة سياسية في المغرب الأقصى.

غير أن تغير الأوضاع السياسية في المنطقة وبروز بني مرين كقوة سياسية أصبحت تسيطر على الجزء الأكبر من المغرب الأقصى خاصة بعد دخولها مراكش عاصمة الموحدين سنة 668 / 1269، الشيء الذي أرغم خايمي الأول على تغيير تحالفاته ومخططاته والسعي إلى ربط اتصالات منذ سنة 1273 مع الرجل القوي في المغبر وهو يعقوب بن عبد الحق المريني وذلك على حساب الحليف القديم العزفي.

لقد تزامنت هذه التحولات مع محاولات يعقوب المريني الرامية إلى اتمام سيطرته على كل مناطق المغرب الأقصى خاصة سبتة وسجلماسة المحطتان الاستراتيجيتان اللتان مازالتا خارج قبضة السلطان المريني. ولعل من أبرز الأحداث المغربية التي تقف عندها الوثائق والمصادر الاسبانية بالنسبة لهذه الفترة تتعلق بالارهاصات الأولى للعلاقات المرينية الأراغونية في عهد كل من السلطان أبي يوسف يعقوب والملك خايمي الأول، وكانت مدينة سبتة العنصر البارز في تحديد طبيعة ومستقبل هذه العلاقات.

فعند محاولة يعقوب إتمام سيطرته العسكرية على المناطق الشمالية الغربية، استولى على طنجة شهر ربيع الأول من سنة 672 / 1273 وبعث ولده وولي عهده يوسف إلى سبتة في جيش كثيف حيث وجد مقاومة عنيفة خاصة من الجهة البرية، أما الجهة البحرية فكانت تشكل المتنفس الذي قلل من خطورة الحصار المريني وساعد السبتيين على المقاومة والصمود. واعتبرت المصادر الإسبانية أن عدم توفر يعقوب على أسطول عسكري لحصار سبتة من البحر

وتطويقها من الجهتين اضطره إلى طلب العون والمساعدة من ملك أراغون خايمي الأول، ومده بسفن حربية للقيام بهذا الحصار البحري. وقد اهتمت الوثائق والمصادر الإسبانية بهذه القضية واعتبرت أن المساعدة العسكرية الأراغونية كانت حاسمة في استيلاء بني مرين على مدينة سبتة. والوثيقة التي اعتمدها المؤرخون الإسبان في الخروج بهذه الاستنتاجات تدفع الباحث إلى طرح مجموعة من الملاحظات حول مدى صحة الوثيقة المذكورة وحقيقة المعلومات التاريخية الواردة فيها.

يستفاد من هذه الوثيقة / المعاهدة أنها وقعت وحررت بتاريخ 17 جمادى الأولى 673 / 18 نونبر 1274 وأن هذا التوقيع تم بحضور السلطان يعقوب شخصياً إلى برشلونة، وهذا أمر مشكوك في صحته ومستبعد إلى أبعد الحدود، فالمصادر المغربية والأندلسية لم تشر قط - لا من قريب ولا من بعيد - إلى وجود هذه المعاهدة ولا إلى وجود يعقوب ببرشلونة، بل حتى بعض الباحثين المهتمين بموضوع العلاقات الاراغونية المغربية شككوا في ذلك وأكدوا أنهم لم يعثروا في أرشيف أراغون على مثل هذه المعاهدة. في حين تبقى المصادر الوحيدة التي أشارت إليها هي : : Salas Capmany : *Antiguos tratados*... و *Marina española*... و Mas - Latrie : *traités de paix*... وعليها اعتمد المؤرخون الإسبان وغيرهم فيما بعد.

كما ورد في ديباجة هذه المعاهدة تحلية السلطان يعقوب بـ"أمير المؤمنين سيد المغرب وفاس وسجلماسة وما يليها..". في حين تؤكد المصادر المغربية أن سجلماسة التي اعتبرتها المعاهدة ضمن حكم السلطان يعقوب لم تكن كذلك، بل كانت، حسب تاريخ توقيعها خاضعة لسيطرة بني عبد الواد، وأنها لن تصبح تحت حكم بني مرين إلا بعد هذا التاريخ، أي في شهر صفر أو ربيع الأول - حسب اختلاف المصادر - من سنة 673 / شتنبر 1274 وقبل فتح يعقوب مدينة سبتة سنة 672 / 1273. فكيف يعقل أن يطلب السلطان مساعدة أراغون لحصار سبتة ويوقع معاهدة بذلك في تاريخ يتناقض مع تسلسل الأحداث التي تقدمها المصادر المغربية.

ومما جاء في المعاهدة كذلك أن يعقوب تقدم بطلب مساعدة عسكرية من خايمي الأول لحصار سبتة من البحر مقابل تعويضات مالية، وتتمثل هذه المساعدات في منح السلطان خمسين سفينة حربية وخمسمائة فارس ونبيل، وقد خصص السلطان لذلك تعويضات مالية تقدر بمائة ألف بيزنطة فضية سبتية (عملة كانت رائجة في ذلك الوقت في البحر المتوسط وهي منسوبة إلى بيزانسيو - القسطنطينية) ومائة ألف كذلك لاعداد سفر الجيوش الأراغونية إضافة إلى أموال أخرى عندما تفتح المدينة. فهل كان يعقوب المريني - وهو في أوج قوته العسكرية - محتاجاً لطلب مثل هذه المساعدة من ملك أراغون والقبول بها لحصار مدينة لها موقع متميز في التجارة بين المغرب وأوربا.

في هذا الصدد تفيد المصادر الإسبانية أن ملك أراغون استجاب فعلاً إلى طلب السلطان المريني وبعث قائده بيري فيرنانديز دي هيخار Pere Fornández de Hijar في أسطول للهجوم على سبتة ومحاربة الأسطول العزفي وتضييق الخناق عليها فترة وجيزة لتستسلم بعدها ويسيطر عليها الجيش المريني. ويلاحظ أن أخبار هذا الهجوم الأراغوني لا وجود له إلا في بعض المصادر الإسبانية، في الوقت الذي تتفق فيه جميع المصادر المغربية على أن سبتة حاصرها يوسف ابن السلطان يعقوب أياما معدودة دفعت العزفي إلى الاستسلام ومصالحة بني مرين ومبايعة السلطان يعقوب مقابل خراج يؤديه كل سنة، وكان هذا الفتح كما هو معروف في سنة 672 / 1273 الشيء الذي يؤكد أن تاريخ هذا الفتح وقع قبل تاريخ توقيع المعاهدة المذكورة بينما منطق الأحداث يفترض العكس أي توقيع المعاهدة قبل فتح سبتة.


ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972، ص. 312 مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، ص. 137 - 139 - 140 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، ج 7 : ص. 385 - 388 - 389 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1974، ج 2 : ص. 98 ؛ *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، بيروت، 1978، ص. 47 ؛ ع. الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المحمدية، 1988، ج 7 : ص. 121.

A. de Capmany y Monrpalau, *Memorias sobre la marina, comercio y artes de Barcelona*, Madrid, 1779 - 1792, t. 3, p. 200 ; t. 4, p. 7. , *Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunes reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde el siglo XIII hasta al XV*, Madrid, 1974, pp. 1 - 4 ; Mas - Latrie (L. de), *Traités de paix et de commerce concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge*, Paris, 1866, pp. 285 - 286 ; *Relations et commerce de l'Afrique septentrionale avec les nations chrétiennes au Moyen âge*, Paris, 1886, pp. 255 - 256 ; Cubells (M.), *Documentos diplomaticos aragoneses*, in *Revue Hispanique*, Paris, t. 37, 1916, p. 142; M. Capdeferr, *Historia de Cataluña*, Barcelona, 1967, pp. 69 - 77 ; *Libre dels feyts (Crónica de Don Jaime I)*, Barcelona, 1926, chapitre 81 et 92 ; F. Gazulla, *Jaime I y los estados musulmanes*, Barcelona, 1919, p. 24; Ch. E. Dufourcq, *L'espagne catalane et le magrhib aux 13e et 14e siècles*, Paris, 1966, pp. 157 - 168 ; *La question de Ceuta au 13e siècle*, in *Hesp.*, 1955, 1er et 2ème trimestre, t. XLII, pp. 73, 110 - 121 ; *Vers la mediterranée Orientale et l'Afrique*, in *X congreso de Historia de la corona de Aragon*, Zaragoza, 1976, pp. 7 - 23 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen âge*, Paris, 1986, pp. 13, 75 - 78, 83 ; A. Khaneboubi, *Les premiers sultans mérinides (1269 - 1331)*, Paris, 1987, pp. 56, 79, 161, 162 ; Ginénez Soler, *La Corona de Aragon y Granada*, in *Boletin de la real Academia de Buenas Letras de Barcelona*, 1905 - 1907, t. 3, p. 110 ; Salas (J. de), *Marina española de la edad media*, Madrid, 2e éd., 1925 - 1927, t. 1, p. 84 ; J. de Zurita, *Anales de la corona de Aragon*, Zaragoza, 1669, t. 1, pp. 205, 223.


رشيد السلامي

**خايمي الثاني** (ملك أرگون) هو حفيد خايمي الأول المعروف بالفاتح El conquistador الذي حكم أراگون معظم القرن السابع الهجري (13م)، وحاول المرينيون الاستعانة بقواته االبحرية لإخضاع سبتة في أوائل السبعينيات. وبالنسبة لخايمي الثاني (690 / 1291 ـ 727 / 1327) كانت هناك بعض العوامل في علاقته مع المرينيين، فبالإضافة إلى تزايد أهمية التجارة بين البلدين ظهرت من جديد قضية سبتة في مطلع القرن الثامن الهجري (14م)، حيث تمردت على السلطان المريني الثاني يوسف بن يعقوب، ثم سقطت بيد بني الأحمر النصريين ملوك غرناطة الذين أخذوا يشجعون على خلق الاضطراب في المغرب وتدعيم المنافسين لسلطانه المحاصر آنذاك لتلمسان حليفة غرناطة التقليدية ـ وهذا ما دفع السلطان يوسف إلى توجيه رسائل ومبعوثين من المنصورة (خارج تلمسان) إلى أرگون بحثا عن دعم بحري للتعجيل بفتح مراسي المغرب الأوسط التي لم تخضع له بعد، وكذلك لإخضاع سبتة، واستمرت الاتصالات حول سبتة في عهد خلفه أبي ثابت الذي وقع اتفاقا مع مبعوث ملك أراگون يتضمن امتيازات تجارية الهدف من ورائها أساسا بالنسبة للمرينيين الدعم البحري الأراگوني لتحرير سبتة إلى أن انتهى الأمر بعقد تحالف بين خايمي الثاني والسلطان أبي الربيع سليمان الذي خلف أخاه على السلطة المرينية، وقع الاتفاق بفاس في صيف سنة 709 / 1309، غير أن المرينيين تمكنوا من إخضاع سبتة دون تدخل مباشر للبحرية الأراگونية باستثناء تحركاتها في مياه المضيق.

وخلال العقد الثاني من القرن الثامن الهجري (14م) برز دور المرتزقة الكطلانيين (الأركونيين) في دعم السلطان أبي سعيد المريني (710 ـ 732.) ضد مناوئيه. وخلال العقد الثالث أصبح خايمي الثاني أكثر اهتماما بأمور سردينيا فبحث عن دعم لتنظيم حملة عسكرية إليها، فطلب من السلطان أبي سعيد سنة 723 / 1323 توجيه جماعة من المرتزقة الكطلان إليه مع قرض مالي لدعم الحملة التي ستتم سنة 725 / 1325 ولا يبدو أنه حصل على شيء مهم من ذلك ربما بسبب الظروف الداخلية بالمغرب سواء في الجنوب حيث وقع تمرد ابنه مرتين أو في سبتة التي كانت بين إظهار الطاعة والتمرد على السلطة المركزية، ولعل هذا ما جعل أراگون تحاول نفس المحاولة مع أمراء تلمسان الزيانيين دون نتيجة. وانشغلت أراگون بمشاغلها الداخلية بعد موت ملكها خايمي الثاني سنة 1327.

أ. عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله*، ق. 1 (ص. 80 وما بعدها)، ق. 2. *الرسائل* عدد 181، 182، 183، 190، 193 مكرر، 194، 221، 222، 233.

Mase, Latrie, *Traités de paix et de commerce...*, p. 285, 297 - 300, 315, 318 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux 13 et 14s*, 234, 355, 387, 395.

أحمد عزاوي

**بنو الخبّا**، أسرة بربرية كان لبعض أفرادها بفاس حظوة وجاه عند ملوك بني عبد المؤمن الأوائل والأواخر فعندما قامت ثورة بفاس ضد والي بني مرين عليها السعود بن خرباش الحشمي والدعوة إلى الموحدين، قام الأمير أبو بكر بن عبد الحق المريني بحصار المدينة سنة 648 / 1250 وتضييق الخناق على زعماء الثورة من الأشياخ والأشراف والرؤساء الذين اضطروا ـ في آخر المطاف، وبعد تأخر نجدة الخليفة المرتضى الموحدي ـ إلى الاستسلام وطلب الأمان من أبي بكر مقابل تعويض ما نهب من محلة بني مرين وهو ما يعادل مائة ألف مثقال. وأمام تسويف وتماطل هؤلاء الأشياخ في دفع التعويض اعتقلهم الأمير وطالبهم بالمال، فأشار عليه أحدهم وهو ابن الخبّا بإنزال العقوبة الشديدة على رؤوس الفتنة وتغريم الباقي، فحدد له ستة من الثوار وهم : الشيخ القاضي أبو عبد الرحمان المغيلي وولده، والشيخ المشرف ابن جشار وأخوه، وابن أبي طاطو وولده، فقُتلوا جميعا خارج باب الشريعة ونهبت ديارهم وأموالهم.

ولابن الخبا هذا حفيد عاش في أيام السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، وكانت له قصة مشهورة مع صاحب العلامة وكاتب السلطان أبي القاسم محمد بن أبي مدين العثماني تتعلق ببيع الروض الكائن بداخل باب بني مسافر المعروف بجرواوة بفاس.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 295، الرباط، 1972 ؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، ص. 49 ـ 50، الرباط، 1972.

رشيد السلامي

**الخبّار**، أسرة تطوانية من قبيلة أنجرة الواقعة بين مدينتي طنجة وسبتة ؛ وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 1607.

**الخبّاز**، أسرة تطاونية أصلها من الأندلس وهي التي ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسمهم العائلي بالحروف اللاتينية هكذا - Cabeza Cabeç - Cabez ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1180 / 1677 وإليها ينسب حي عين الخباز الواقع بضواحي المدينة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 603.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخباز، بوجمعة** بن علي، مقاوم ولد سنة 1914 بمدينة الدار البيضاء. انضم إلى صفوف المقاومة المغربية، وعمل ضمن منظمة (اليد السوداء) تحت مسؤولية السيد عمر الحريزي، والسيد البشير بن محمد الشرقاوي بمدينة الدار البيضاء منذ سنة 1953.

قام بتنفيذ عدة عمليات فدائية، وقد صرعه متعاون مغربي أمام منزله، فسقط شهيداً يوم 6 مارس 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 2 : 173.

ابن **الخباز، عبد الرحمان** بن محمد القصري، من مواليد القرن العاشر الهجري بمدينة القصر الكبير. تتلمذ على صفوة من علماء مدينته قبل أن يرتحل إلى فاس للأخذ عن علمائها من أمثال رضوان الجنوي وسقين والراشدي، كما أدرك هناك كلا من اليسيتني وزروق وأبي عَمَر القسطلي. وقد تميز ابن الخباز بالمشاركة في مختلف علوم عصره من نحو وفقه ولغة وتفسير وحديث ومنطق، إلا أنه انفرد بعلم القراءات. وهذا ما يؤكده الدكتور محمد حجي حين يقول "تخرج بفاس في القراءات. وغيرها على يد الراشدي وطبقته من تلاميذ الإمام ابن غادي" ( *الحركة الفكرية*، 28) ؛ كما أن الكتاني يؤكد على حسن سند ابن الخباز في القراءات لأخذه عن الراشدي الذي يعتبر آخر المقرئين والمحدثين في القرن العاشر ( *فهرس الفهارس*، 2 : 257).

وأهم ما خلفه عبد الرحمن الخباز كتاب *بذل العلم والود في شرح تفصيل العقد*، وهو شرح لأرجوزة ابن غازي في علم القراءات المعرفة باسم "تفصيل الدرر في القراءات العشر"، حيث إن الأستاذ حجي أشار إلى أن ابن الخباز اعتمد فيه على ما سمعه من شيخه الراشدي مما رواه مباشرة عن الناظم الإمام، كما ذكر نفس الأستاذ أن هذا الكتاب القيم يوجد على شكل مخطوط بالمكتبة العامة بتطوان تحت رقم 125 ( *أعلام القصر الكبير*، 61).

وبعد أن أجيز ابن الخباز بفاس من طرف الكثير من العلماء، عاد إلى القصر الكبير وقد تقدم به السن وتصدر للتدريس بالمدينة منوعا دروسه في الفقه والنحو والحديث والتفسير وعلم القراءات وقواعد اللغة بالإضافة إلى علم الأصول. ومن ضمن من أخذ عنه أبو المحاسن الفاسي، حيث إنه تعلم منه الرسم والقراءات إلى أن توفي سنة 964 / 1556 ( *نشر المثاني*، 1 : 124).

وأسرة الخباز من الأسر القصرية العريقة ذات الجذور القديمة في هذا البلد ولا تزال بقية منها في هذه المدينة وقديما انتقل منها فرع إلى فاس ( *أعلام القصر الكبير*، 62).

م. بن عبد الرحمان بن خليفة، *القصر الكبير، أعلام أدبية علمية وتاريخية*، مطبعة طنجة، 1994 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية* ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق.

الحسين البعاوي

**الخُبّازَى**، أو الخُبّيزة والبَقُّولة باللهجة الدارجة، نبتة خضراء تؤكل طرية قبل تصلب عودها، وتؤكل مطبوخة بأشكال مختلفة وقد تستعمل مخلوطة بغيرها من الأعشاب التي تؤكل، وتستعمل كخضر مع الكسكس خاصة مع جريش الشعير (الدشيشة) (*التشوف*، 202)، وتنمو هذه النبتة الطبيعية بشكل عشوائي في المناطق السهلية العارية، وبجوار المنازل في البادية في الجبال والسهول والهضاب، ويرتبط ظهورها بالأمطار الأولى التي تتساقط في فصل الخريف، ويستمر ظهورها ونموها خلال فصل الشتاء والربيع، كما تنمو بصفة دائمة على ضفاف السواقي وفي المناطق الرطبة ووسط البحائر والحقول المسقية.

والخبازى نبات أشير إلى استهلاكه في مناطق مختلفة من المغرب خلال العصور الوسطى (*التشوف*، 197، 202، 362) لكن استهلاكه في تغذية الإنسان ارتبط بالصلاح والزهد وبحياة المتصوفة بصفة عامة (*بهجة الناظرين*، 42)، وربما ترجع أصول استهلاك الإنسان للخبازى إلى أزمنة بعيدة خاصة في السنوات العجاف والظروف المصاحبة للمجاعات حيث أكل الإنسان كل ما وقعت عليه يداه من نباتات كإيرني ونوار الخروب وتامود وغيرها (*البيان*، 3 : 316). وقد استساغ الإنسان الخبازى أكثر من غيرها فاحتفظ بها والتي لم يستسغها تخلى عنها، وينبغي الرجوع إلى كتب الفلاحة الأندلسية وكتب الطب القديمة لأخذ فكرة علمية تقريبية عن استهلاك هذه النباتات.

ابن الزيات التادلي، *التشوف*، 1958 و1984 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان*، بيروت 1948 ؛ ابن عبد العظيم الأزموري، *بهجة الناظرين*، مرقون كلية الآداب الرباط، د.د.ع. 1985 - 1986 ؛ *دراسات ميدانية خاصة ورواية شفوية*.

محمد حجاج الطويل

ابن **خَبّازة، ميمون** بن علي بن عبد الخالق الخطابي الصنهاجي، يكنى أبا عمرو وأبا سعيد، اشتهر في عصره باسم خاله الشاعر ابن خبازة. ولد بمدينة فاس وأخذ العلم عن شيوخها وعلمائها، وفي مقدمتهم جده من الأم علي بن مهدي القيسي، وابن حرزهم والحجري وغيرهم، وقد أورد صاحب *مفاخر البربر* ترجمة ذاتية للشاعر بعد أن نقلها من خطه، يقول : "رأيت بخطه جوابا لمن سأله عن اسمه ونسبه : أنا ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي، وبنو خطاب في قبائل من المغرب والبربر، فبنو خطاب في صنهاجة، وفي هسكورة من ملزوزة ... وأنا من الصنهاجيين، مولدي

بمدينة فاس، قاعدة من قواعد المغرب، وأكثر قراءاتي بها على الجلة الذين لحقت، وأكبرهم جدي من الأم علي بن مهدي القيسي، وعن الفقيه العالم الفاضل أبي الحسن ابن حرزهم، وقرأت في سبتة على ابن عبيد الحجري، ولحقت في الأندلس ما لا أحصيه كثرة، وأكبرهم شأنا أبو محمد القرطبي ..." وأما سني، فما أضبط تاريخه لكني أعلم أني في السبعين حقيقة".

كان شاعراً متألقا، حاضر البديهة، تحدث عنه ابن عبد الملك المراكشي في كتابه *الذيل والتكملة* بإعجاب وتقدير، قال عنه : "من أكبر أعاجيب الدهر في سرعة البديهة، ناظما أو ناثراً، مع الإجادة التي لا يجارى فيها، والتفنن في أساليب الكلام معربه وهزله، جيد الخط، ذا مشاركة حسنة في علم الكلام وأصول الفقه".

لزم أبا العلاء بن المنصور الموحدي، وله فيه أمداح كثيرة "بلغت ثلاثة مجلدات"، من ذلك قصيدة لامية في مدحه وقد انتقل واليا على إشبيلية، مطلعها :

قد حقق الله آمال العباد فمـــذ وليت أذهبت عنها الروع والوجـــلا

وهي قصيدة طويلة انفرد بروايتها كتاب *الذيل والتكملة*، وتقع في أربعة وسبعين بيتا. وعلى الرغم من أن ابن عبد الملك لم يورد له غير هذه القصيدة في المدح، فإنه تحدث عن امتداحه الملوك، فقال : "وقطع مدداً من عمره في الارتسام بامتداح ملوك عصره، فكان يأتي في ذلك بما لم يسمع ذكره، ولا يطمع في لحاقه، سرعة ارتجال وحسن افتنان، وبراعه إنشاء"، مع أنه أورد له بعض الأشعار في موضوعات أخرى.

كما أن أغلب المصادر التي ترجمت له وأوردت بعض أشعاره لم تثبت نماذج من تلك الأشعار المدحية التي قيلت في أبي العلاء أو في غيره خاصة وقد "بلغت ثلاثة مجلدات ضخمة"، أما محمد الفاسي فقد نبه إلى احتمال يقول : "ولا شك أن شعره جُمع في ديوان خاص، لأنه كان طويل النفس".

وتنفرد *أزهار الرياض* و*ذكريات المشاهير* بإثبات قصيدة لامية صنفتها "*أزهار الرياض*" في الحنين إلى الأحباب إذ جاء في تقديمها : "ومن رائق نظمه في الحنين إلى أحبابه"، بينما صنفتها *ذكريات المشاهير* في النسيب، تقع في أربعة عشر بيتا، مطلعها :

هب النسيم ضحى ففاح المنـــدل وتأرجت منه الصبا والشمـــأل

ومن شعره قصيدة رائقة في رثاء أبي محمد عبد الله ابن أبي بكر بن الجد كان قد توفي يوم عيد الفطر، وكان توفي له أخ قبله، ويعزّي أباهما، وهو يومئذ وزير إشبيلية وعظيمها، "وهي من النمط العالي والطراز الكامل الحسن"، كما يصفها ابن عبد الملك، و "من بدائعه التي تدل على افتنانه في التعبير وحسن تصرفه في المعاني الشعرية" كما يصفها كنون، وتقع في سبعين بيتاً.

أما قصيدته الفريدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقدم لها ابن عبد الملك بالآتي : "قصيدته البارعة التي نظمها في مدح سيد البشر المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، وسماها "الميمونيّة" ليعزز جمال الرائق بكمال الفائق، ويعدل عن مجازات المجازات إلى حقائق الحقائق، نفع الله ناظمها وراسمها ومنشدها ومستجيدها وسامعها ومستعيدها"، مطلعها :

حقيق علينا أن نجيب المعاليـــا لنفني في مدح الحبيب المعانيـــا

وهي قصيدة رائقة مدح بها ابن خبازة النبي صلى الله عليه وسلم، وتحدث عن مناقبه ومآثره، وفضائله ومعجزاته، في أسلوب رصين وسرد محكم، تقع في مائة وخمسين بيتا.

ولابن خبازة وثيقة نثرية طريفة تلخص انصرافه عن الدنيا وبهرجتها، وطمعه في التمسك بالأوامر الربانية، أثبتها ابن عبد الملك في *الذيل والتكملة* وقدم لها بقوله : "وهذه وثيقة أنشأها في بيع قلبه من ربه، أثبتها عقب هذه القصائد الفرائد، لأشفع منظومه بمنثوره، وأشير بأن الصادر عنه في الفنين من أفضل محفوظ الكلام ومأثوره :

"يقول العبد الذي اعترف بما اقترف لمولاه، وأقر له بما أضاعه، لا بما أطاعه، على ما منحه من النعم وأولاه، الميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي، جبر الله بالتقوى كسره، وفك من حبائل الدنيا أسره"، وجاء في العقد أيضاً : "هذا ما اشترى المولى اللطيف الجليل، من العبد الضعيف الذليل، الميمون بن علي، اشترى منه صفقة واحدة دون استباق ولا تبعيض، ولا استثناء بتصريح ولا تعريض، جميع المنزل المعروف بمنزل القلب والفؤاد، الذي من سكانه المحبة والإخلاص والوداد ..." وأنت ترى أنها نمط من الكلام مبتكر لا هو بالخطبة ولا بالمقامة، ثم هي بأسلوبها وجوهر موضوعها، تدل على قوة عارضته أيضاً في النثر، وامتداد نفسه فيه كالشعر، كما أنها بروحها الصوفية تدل على صلاحه وتقواه".

أما الأستاذ ابن تاويت فيقول عن هذه الوثيقة : "يعتمد الخطابي في وثيقته من ناحية الصياغة اللفظية على التلاعب بالألفاظ والقرابة الصوتية فيما بينها، أما من ناحية المعاني التي تضمنتها تلك الصور التي لا تخلو من جمال، فقد وفق فيها إلى حد بعيد، ونسقها أحسن تنسيق، وقد عملت فيها شاعريته وخياله، فتشارك فيها نظمه ونثره".

وتذكر المصادر التي ترجمت له أنه تولى حسبة السوق بمدينة مراكش في آخر حياته.

كانت وفاة ابن خبازة بسلا أوائل سنة 637، كما جاء في *الذيل والتكملة* وبها دفن، وقبره معروف، بل إليه ينسب واحد من أبواب سلا المشهورة ؛ وهو باب الخباز. وفي أزهار الرياض أنه توفي بالرباط.

م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، السفر الثامن، القسم الثاني، ص. 388، رقم الترجمة 183 ؛ أ. المقري، *أزهار*

*الرياض في أخبار عياض*، 2 : 379 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 1 : 348 ؛ ابن سعيد، *رايات المبرزين*، تح. رضوان الداية، ص. 72، لمؤلف مجهول، *نبذ تاريخية في أخبار البربر*، ص. 65 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 313، حضارة الموحدين ص. 118، 139، 145، 158 ؛ ع. الله كنون، النبوغ المغربي، 1 : 170، 3 : 194، 248، 264 ؛ *ذكريات مشاهير رجال المغرب*، ج 7 ؛ خ. الزركلي، ط 7، ج 7 : 341 ؛ م. الفاسي، ابن خبازة، *رسالة المغرب*، العدد 4، السنة السادسة، دجنبر 1947.

نجاة المريني

أيت **خبّاش**، فرع من قبيل أيت أونْبْكي الذين يمثلون خمس اتحادية آيت عطا بتافيلالت. وسنقتصر في هذا التعريف الموجز على الحديث عن وصول هذا الفرع إلى واحات باني. ففي سنة 1349 / 1930 طرد فرع آيت خباش وقبائل أخرى من البْرابْر (بتسكين البائين) وهم أيت مرغاد وأيت سفول وأيت حمو بقيادة الثائر بلقاسم النگادي، من موطنهم الأصلي بعد احتلال مركز زاگورة الاستراتيجي، وبعد مقاومة الاستعمار الفرنسي لعقد من الزمن، نزل الجميع في معدر درعة مدة، ثم بمعدر إداوسْلاّم بفم الحصن نحو شهرين، ثم استضافهم القائد البشير التامنارتي وأكرم وفادة زعيمهم بأگرض ونواحيها أكثر من شهرين. ثم بعد سوء تفاهم رحلوا إلى مركز تاغجيجت ليعودوا بعد ذلك إلى إيشت وأيت وابْلّي، ولا يستبعد أن يكون لحلف تحگات - أعداء التامنارتي - يد في ما وقع بينه وبين البرابر من سوء تفاهم.

كان لهذه التنقلات تأثير واضح على صيرورة الأحداث، إذ كان عدد خيام البرابر أكثر من سبعمائة خيمة منها مائتا خيمة لفرع أيت خباش، كما كانوا طرفا في الأحداث خاصة وأن هذا الفرع عمل على تغيير معالم موازين القوى بتامنارت.

ففي أواخر سنة 1351 / 1932 وغل على مركز إيشت الذي يعد مركزاً استراتيجياً خلفياً لقيادة الكثيريين بأگرض، والذي احتله حلف تحگات منذ عشر سنوات ونيف.

لقد تمكن أيت خباش من طرد كل القاطنين بالمركز فلبثوا به أكثر من سنة إلى أن دخلته الجيوش الفرنسية سنة 1352 / 1933 فرجع الراحلون إلى مساكنهم.

نتج عن جلاء القاطنين تضرر كبير في الأمتعة والدور، كما فقدت بعض العائلات رسومها وجاهها ومركزها الاجتماعي، ومازال شيوخ البلدة يتذكرون الحدث.

وتذمر التمنارتيون من جهة أخرى والإيشتيون من أيت خباش وساءت العلاقة بين الطرفين، لذلك نجد بعض الرواة الذين عاينوا الحدث يحملونهم مسؤولية ما آلت إليه الوضعية في المنطقة، إذ كانوا سببا مباشرا - في اعتقادهم - في دخول الفرنسيين إلى واحات باني. غير أن القرائن المتوفرة تدحض هذا الزعم، فقد كانت فرنسا - على ما يبدو - تخطط لاحتلالها منذ دخولها مركز إيغرم سنة 1926 أحد منافذ الأطلس الصغير وواحات باني. لكن دخول البرابر أجّل تنفيذ ما خطط له، فانصب اهتمام الحماية على تنشيط مراكز الاستعلامات بمنافذ أخرى مختلفة هي فم الحصن، أقا على وادي صياد (أسيف أونگمار). ومن بين الأدوار المنوطة بها مراقبة تحركات القبائل خاصة البرابر. إلى جانب "سياسة الهدنة" هاته، غدت تتحين الفرص لاحتلال المنطقة.

فقد عرفت قيادة أقا صراعات داخلية وصراعات مع محيطها القبلي دفعها للتمهيد لدخول الاستعمار سنة 1348 / 1929. وبعد سنتين من الاحتلال، حاصرت قبائل البرابر مركز أقا. وقتلت قائدها، لكنها لم تتمكن من دخول المركز كما كان مقررا، بل تكبدت خسائر بشرية خاصة بين صفوف أيت خباش حيث بلغت ضحاياهم ستين ضحية حسب الرواية الشفوية المحلية.

أمام هذه الهزيمة، فسح المجال لكتيبة عسكرية فرنسية لتراقب أقا بعد ذلك نشب صراع بين حلف القائد الحسن المربيطي وبين محمد ازنگض شيخ قبيلة أيت أوبلي المدعم من لدن أيت خباش والمدني الاخصاصي والمرابطين القصبيين والمربيطيين الساحليين.

تدخلت الطائرات الفرنسية فقنبلت آيت أوبلي على مدى شهر تخلله دخول الطرفين في هدنة مؤقتة مرتين. إلا أن جحافل الجيوش الفرنسية تمكنت من احتلال أيت أوبلي ثم إيشت فواحة تامنارت بأكملها سنة 1352 / 1933.

نتج عن هذا الدخول فرار البرابر إلى وادي نون حيث استسلموا بعد حين. يستخلص من هذا أنه رغم قصر المدة، فإن وجود أيت خباش بالمنطقة من سنة 1930 إلى سنة 1934 كان له تأثير واضح على رسم معالم الخريطة السياسية لواحات باني غداة دخول الاستعمار الفرنسي إليها.

م. المختار، السوسي، *خلال جزولة*، تطوان، 3 : 22 - 30 ؛ *المعسول*، 3 : 399 - 400 ؛ 7 : 66 - 67 ؛ 16 : 305 - 306 ؛ 19 : 257 - 264 ؛ 20 : 269.

شفيق الرفاك

**خُبّان**، أسرة يقول أفرادها إن أصلهم من الشمال الشرقي للجزيرة العربية وأن اللفظ الذي تحمله أسرتهم يعني في إحدى اللهجات شمال الخليج العربي الانسان المتعقل والمتبصّر.

الثابت عن هذه الأسرة أن أحد أفرادها يسمى الشيخ محمد أبو جماعة نزل بمنطقة الشياظمة - إقليم الصويرة حالياً - في أواخر القرن السابع عشر الميلادي واستقبله الشرفاء الركراكيون الموجودة أضرحة أقطابهم في جهات شتى من هذه المنطقة. وطفق هذا الشيخ يدعو الناس إلى الاعتصام بحبل الله والتفاني في إقامة الشعائر الدينية، ثم

أخذ يطوف على الزوايا الركراكية إلى أن استقر به المقام بقبيلة مسكالة التي توجد أراضيها على بعد ما يقرب من خمسين كيلومترا من الصويرة شرقاً.

ظهرت للشيخ المذكور عدة كرامات جعلت الناس يلتفون حوله ويقصدونه للاستشارة والاستفتاء في شؤونهم الخاصة والعامة. وكان في كل عيد للمولد النبوي، يحشد القوم ويحثهم على القيام بفريضة الحج، معلنا أنه حج عدة مرات، وبقي على هذا النشاط إلى أن وافاه الأجل بأحد فروع مسكالة، وبالضبط فخذة السباهان، فبنى له الناس هناك ضريحا بقبة.

كان من بين أولاده واحد يسمى الحاج المحجوب وهو جد أولاد خبّان الذين سنقتصر على ذكر من كان لهم دور هام في حياة الشياظمة أو المغرب، نذكرهم حسب الترتيب الألفبائي :

1 ـ حسن بن مبارك بن (الحاج) سعيد بن المحجوب خبّان، ولد بمسكالة عام 1267 / 1850. بعدما انخرط في الكتاب المحلي وحفظ القرآن واستحق لقب "الطالب"، حثه والده على الذهاب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ولتعلم الشريعة الإسلامية وعلوم القرآن من مدارس مكة والمدينة. ولما عاد بقليل إلى مسقط رأسه. راح ينشط حلقات دراسية بمسكالة حينا وحينا آخر بإحدى زوايا المنطقة. وفي عام 1310 / 1892، أجمع أهل مسكالة على اختياره ليخلف أباه ـ الذي مات قبل حين ـ على رأس مشيختهم. وزكى هذا الاختيار، عامل الوقت بالصويرة، الركراكي الدبلالي.

خلال عام 1314 / 1895، صدر ظهير عزيزي يحول مشيخة مسكالة ـ التي أخذت منذ سنوات تسمى دار خبّان ـ إلى قيادة، وتم تعيين الشيخ حسن خبّان قائداً، الأمر الذي ابتهج به السكان الذين تلا عليهم الظهير قاضي الصويرة إدريس بن محمد بوعبيد العمري الفاسي، حسن خبان كان إذن أول قائد على مسكالة.

بقيت هذه الالتفاتة المولوية عالقة بذاكرة مسكالة ويعتبرها آل خبّان مفخرة اجتماعية وسياسية وتاريخية، ولا يخفى على الملاحظ ما لمثل هذا الحدث من أهمية وأثر عميق في نفوس المعنيين به، خصوصا إذا كانوا من أهل البوادي.

وزاد من أهمية هذا الحدث، أنه اكتسى ما تكتسيه كل مخاطرة وما يحمل كل رهان، لاسيما أن المغرب كان يومئذ يتجه نحو التدهور الشامل والتفكك الداخلي، إذ أعلن بعض قواد الشياظمة وحاحا كغيرهم في ربوع البلاد، عن تمردهم على السلطان المولى عبد العزيز.

إلا أن (الحاج) حسن خبّان رفض أن ينساق وراء الغاضبين ومضى بجاهد لتوحيد الكلمة والحفاظ على الشرعية العلوية القائمة. ولما تولى مولاي حفيظ العرش بدوره، كان (الحاج) حسن خبّان من بين أعيان الإقليم الذين توجهوا إلى فاس لتقديم الهدايا ـ في حفلة الهدية، حسب العرف ـ والولاء إلى السلطان الجديد، وهناك، وافاه الأجل بعد احتفالات عيد المولد، في ربيع الأول 1329، مارس 1911، وعمره يقارب ستين عاما.

2 ـ سعيد بن العربي بن الحاج مبارك خُبّان، ولد عام 1318 / 1908. حفظ القرآن بقريته، ولما بلغ سن الرشد أخذ والده يشاركه في بعض مهامه الإدارية، ويرافقه معه عبر القبائل التي كانت خاضعة لحكمه، فظهر تفهمه لمشاكل الناس وتعاطفه مع المستضعفين منهم. لهذه الأسباب اختاره والده معاونا له بصورة رسمية. فزكتّه السلطات الحاكمة بالإقليم. ولما توفي أبوه عام 1942، أصبح سعيد قائدا على مسكالة. وأظهر من الحنكة والخبرة ما لم يظهره أسلافه، فصرف اهتمامه لرعاية شؤون الناس كافة، وبدأ في تعمير مسكالة وتحسين أحوالها الاجتماعية، ومدّ إليها الاسلاك الهاتفية على نفقته، عبر مسافة طولها عشرون كيلمترا وهي المسافة الفاصلة بين سوق الخميس ـ مسكالة والطريق الرئيسية الرابطة بين الصويرة ومراكش ـ وخفف عن الناس بعض أعباء العمل الإجباري الذي كانت تفرضه سلطات الاستعمار على أهل البوادي للاشتغال بالمجان في القطاع الغابوي والمساهمة في حصاد حقول المعمرين، وزرع النبات الواقي من اكتساح الرمال بالمنطقة، مجانا. وكانت سلطات الحماية المحلية تقدر التدخلات الإنسانية التي ما فتئ يقوم بها القائد سعيد بن العربي لصالح رعاياه وهو لم يكن ليطمع في ممتلكاتهم ولا يشغل باله بمتاع الدنيا، همّه الوحيد هو حسن التدبير وتطلعه إلى رضى الملك محمد الخامس.

كان يشجع أبناء مسكالة على التعلم، وبعث أبناءه إلى المدارس العصرية بالصويرة ومراكش، فقدرت فيه سلطات الحماية خصاله الحميدة وأسندت إليه مسؤولية قبائل أخرى ومدّدت اختصاصاته إلى نصف أحواز الصويرة، فأصبح بذلك أعظم قائد بالشياظمة.

وعندما قام محمد الخامس بزيارة رسمية للصويرة عام 1946، اختار أن يقيم بقصر القائد سعيد بدار خبّان بمسكالة، وكان أول قصر بالبادية هناك يتوفر على جميع وسائل الراحة، من كهرباء، وماء عذب جار في القنوات، والهاتف، وغير ذلك. وكان لهذا الحدث صدى طيب في نفوس أهل مسكالة بالخصوص، ورأوا فيه تكريما لهم من الملك الذي لم ينس خدمات أجدادهم للعرش ووفائهم للدولة العلوية.

ربطتني صداقة حميمة بأبنائه، في أواخر الأربعينات، فسمحت لي تلك الصداقة بمجالسته معهم ونحن في عنفوان الشباب، فكنت ألاحظ تقديره وعطفه على الحركة الوطنية وهو في حديث مع بعض أصدقائه من موظفي المخزن، كما كنت ألمس مدى تفتحه على الحضارة العصرية مع تمسكه بالمبادئ والأخلاق الإسلامية. وكان في كل مناسبة تجمعني به صحبة أبنائه، يحثنا على الاجتهاد في الدراسة

للمساهمة في ازدهار المغرب وتحقيق ما ضاع للأمة. أما لفظة الاستقلال، فلم تكن يومئذ تخرج من فم أحد من الناس إذ لم يكن أحد يحلم به.

كان نبيلا في أخلاقه وسلوكه، محبّا لأهل المعرفة والعلم، يدعو إلى مائدته ـ سواء بمسكالة أو بالصويرة ـ معلّمي أبنائه، ويتذكرهم في الأعياد، كما كان يجالس فقهاء الشياظمة والصويرة مثل القاضي محمد بن إديس بنرحمون ثم بعده القاضي عبد الحفيظ الفاسي، وغيرهما من كبار موظفي المدينة. وما كان لينفرد في اتخاذ قرار هام ـ يوم لم يكن فصل بين السلطات الإدارية والقضائية والتنفيذية ـ إلا بعد استشارة ذوي الخبرة من هؤلاء الموظفين المغاربة، أو من بعض المقربين من المخزن المركزي بالرباط. وشكل هذا السلوك أحد العوامل التي جعلته طيلة حياته يحظى بالرضى المولوي طيلة حياته.

مع هذا القائد، سطع نجم آل خبّان وبلغ أوجه، ومع وفاته في أواخر عام 1952، مال إلى الأفول إلى أن احتجب نهائيا مع بداية الستينات، رغم الجهود التي بذلها مع السلطات، اثنان من أبناء القائد الراحل. وقد يعزى فشلهما المتتابع إلى قصورهما في التدبير حسب المقاييس الجديدة.

3 ـ سعيد (الحاج ـ) بن المحجوب خبّان. ولد حوالي عام 1200 / 1785 بمسكالة. حفظ القرآن واكتسب قسطاً من المعرفة بشؤون اللغة والدين عن أبيه، ثم رحل إلى الصويرة لمواصلة تعليمه خصوصا وأن علماء مشهورين ـ كان من بينهم الفقيه محمد بن أحمد الشيظمي المروري. والفقيه الحاج محمد توفلعز السوسي ـ وصادفت هذه الفترة إقامة مولاي عبد الرحمن بالصويرة. بصفته خليفة سلطانيّاً.

بعد ذلك، رحل الطالب سعيد إلى المشرق، وأدى فريضة الحج وجال في أقطار مجاورة، ثم عاد إلى المغرب بعد عامين، أكبره الناس في مسكالة وأنزلوه أقصى منزلة التقدير والاحترام، وهو في نظرهم العالم الجدير بالتبجيل، ثم أجمعوا على اختياره شيخا على قبيلتهم ومنحوه كامل ثقتهم.

مارس الحاج سعيد خبان مهامه بحكمة وتبصر. وكان معمّرا إذ عاش زهاء مائة وعشرين سنة، وتوفي وهو مالك لجميع حواسه وعلى وعي بما حوله، وذلك عام 1322 / 1904.

4 ـ العربي بن الحاج مبارك بن الحاج سعيد بن الحاج المحجوب خبّان والد القائد آتي الترجمة. ولد عام 1286 / 1869 بمسكالة (دار خبّان). حفظ القرآن في الكتاب ثم تتلمذ محليا على بعض الفقهاء المشهورين من بينهم العالم الشريف أحمد بن عمر المدني، فاغترف من علوم القرآن، كالتفسير والبلاغة والنحو والصرف والشريعة، ذلك ما جعله يعد من الفقهاء والأدباء ويتبوأ مكانة مرموقة في بيئته خاصة، والصويرة وأحوازها عامة.

وبعد خلع السلطان مولاي حفيظ وتعيين شقيقه مولاي يوسف ملكا، عام 1330 / 1912 تم كذلك تعيين العربي خبّان عاملا على الشياظمة، وأحمد السعيدي الطنجي عاملا على الصويرة.

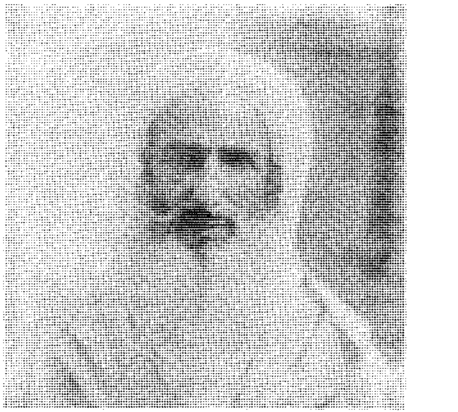

غير أن عبدالرحمن الگلولي، قائد حاحا يومها، رفض البيعة وركب مطية العصيان هو وأنصاره، بمجرد ما بلغهم نبأ توقيع الحماية وتنحية مولاي حفيظ واعتلاء مولاي يوسف كرسي العرش. وللتذكير، فإن أهل حاحا كانوا منذ القرن التاسع عشر، في خلاف عميق مع المخزن.

وصدرت الأوامر من الرباط إلى العربي خبان وعامل حاحا محمد أنفلوس بتعبئة كل ما يستطيعان من قوة ـ جنود ومؤن وذخائر حربية ـ لإعانة الجيش المخزني الذي يقوده العسكري الحسين الزعري السلاوي وجنود فرنسيون قادمون من مراكش تحت قيادة الرائد ماسوتي.

وسار العربي خبان على رأس جيشه وقامت معركة حامية بين القوات المخزنية والثوار، وسقط عدد من الضحايا في صفوف الجانبين، وأظهر العربي خبان شجاعة كبرى في المعركة التي دامت عدة أيام عبر مسافات شاسعة لا تخلو من مواقع ستراتيجية هامة، مثل موقع دار القاضي، وزاوية بنحميدة وزاوية الكرات وبوريكي وأيت السرايدي.

وأشاد المخزن ببطولة العربي خبان، فجزاه على وفائه وتضحياته بأن أضاف إلى "حكومته"، أي قيادته، زاوية بنحميدة وزاوية الكرات بمن حولهما من قبائل، وقد كانت تابعة للقائد أنفلوس الذي ارتد عن قتال ضد الگلولي واختفى هو وجنوده طيلة المعركة.

5 ـ مبارك بن (الحاج) سعيد خبّان : ولد عام 1226 / 1811، وحفظ القرآن وتلقى بعض علومه على أيدي أبرز الفقهاء الرگراكيين الموجودين وقتها بالشياظمة، مما جعله يحظى بتقدير واحترام الأهالي، ومضى يدعو إلى التمسك بالدين والوفاء للدولة العلوية ونبذ النزعات الانفصالية والفوضوية التي كان لها بعض الدعاة في المنطقة، ومن الناس من كانوا يروون ويرددون حادث نهب صاكة الصويرة بما تضمنته من أموال هامة ونفائس مستخلصة من مرسى المدينة، وقد حدث ذلك النهب الغادر عام 1238 / 1822، من

طرف ذوي بلال بتواطئ مع قائد الشياظمة يومئذ، علي بن محمد الشياظمي. وكانت خزائن الصاكة موجهة إلى مراكش تحت حراسة مخزنية، فكان لما حدث وقع سيء في نفس السلطان مولاي سليمان. ويقول صاحب الاستقصا "إن هذه الواقعة هي التي هدّت أركان مولاي سليمان، فاعتراه مرضه الذي كان سبب وفاته".

وفي عام 1260 / 1842، رحل مبارك خبّان رفقة أخويه مَحمد وعبد السلام إلى المشرق لأداء فريضة الحج، ولم يرجع مع أخويه حيث آثر البقاء هناك قصد التبحر في العلوم التي كانت تدرس في مكة والمدينة وغيرهما، ولم يرجع إلى المغرب إلا بعد عشرة أعوام، فاستقبله أهل مسكالة بحفاوة بالغة. وما هي إلا أيام قليلة حتى وقع عليه الاختيار ليكون عضواً في مجلس الشورى الجهوي الذي أحدثه المخزن عبر التراب الوطني، فازداد شرفا في أعين الناس، وسعى قواد المنطقة إلى وده، منهم القائد بوجمعة التادلاوي الذي اتخذه مستشارا خاصا، والقائد عمر البلاح الذي كلّفه بالنيابة عنه فيما يرجع لتدبير شؤون مسكالة، عندها أقام الحاج مبارك ببلاد التوابت على مقربة من زاوية سيدي عيسى بوخابية الركراكي ومضى ينظم حلقات دراسية لفقهاء المنطقة، وأمر ببناء "دار خبّان" وهي قرية صغيرة بمسكالة، غير بعيدة من سوق الخميس، لتكون مركزاً إدارياً.

غير أن الهدوء لم يكن ليستتب في هذه المنطقة المجاورة لحاحا إلا قليلا، إذ ما أن علم الناس بوفاة السلطان محمد بن عبد الرحمن حتى ثاروا على قواد شياظمة وشيوخها، وغضبوا أيضاً على عمر البلاح وخليفته الحاج مبارك خبان. فدعاهما السلطان مولاي الحسن إلى مراكش وبعدما استمع إليهما ـ كما استمع إلى غيرهما ـ استبدل قواد الشياظمة بآخرين، وعين الحاج مبارك خبان عاملا على الشياظمة برمتها، وسمح له باتخاذ "دار خبّان" قاعدة إدارية للعمالة. وبقي الحاج مبارك يمارس مهامه الإدارية ـ بتعاون مع قواد المنطقة ـ إلى جانب مهام التدريسَ إلى أن وافاه الأجل، عام 1310 / 1890.

*وثائق أسرة خبان* ؛ *مذكرات شخصية* ؛ م. بن سعيد الصديقي، *إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 8.
E. Gouvion, *A'yân al-Maghrib al-Aqsâ : Le Makhzen marocain* ; R. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*.
أحمد بنجلون

**خبريش، محمد** مقاوم من مواليد سنة 1940 بجماعة تيغزة بتزنيت، من والده الحسين بن علي ورقية بنت إبراهيم.

انخرط في صفوف جيش التحرير منذ سنة 1957 ضمن الفرقة الثالثة عشرة بمنطقة أيت باعمران بسيدي افني. شارك في العديد من الهجومات والمعارك التي خاضها جيش التحرير ضد قوات مراكز الاستعمار الاسباني خصوصا أثناء انتفاضة قبائل أيت باعمران يوم 23 / 11 / 1957 حيث لقّن المجاهدون الباعمرانيون للاستعمار أكبر درس في التضحية ونكران الذات من أجل تحرير هذه المنطقة من المستعمر الغاشم.

توفي خبريش بتاريخ 17 أكتوبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، رقم 513050.

**الـخبز** بالمغرب في العصر الوسيط أنواع تختلف باختلاف مادة صنعه : دقيق الشعير، ودقيق الحنطة أو دقيق الذرة (*وصف افريقيا*، 255، *البيان*، 3 / 316، *التشوف*، 127 ـ 296، *المقصد الشريف*، 92، *انس الفقير*، 105، *بهجة الناظرين*، 124 ـ 137). ومنه الدقيق "العادي" و"الممتاز" وقد عرف في العصر الوسيط بالدرمك والحواري (التشوف، 354، *الذيل والتكملة*، 178)، ومن حيث الشكل يبدو أن المغرب لم يعرف آنذاك إلا الخبز المستدير (قُرص ج أقراص) (*بهجة الناظرين*، 78 و 83) ويختلف الخبز كذلك باختلاف طريقة طهيه فهو إما فطائر أو (فطير) مقلية (*وصف إفريقيا*، 1 : 185). وإما مشوية على صفائح من حديد أو مواعين من طين وتختلف أسماء هذه الأنواع باختلاف المناطق في المغرب : الشيار أو بوشيار الرغايف البطبوط، المسمن، الملوي إلى غير ذلك، والخبز الناضج في القرن ـ أو كما يقال في الدارجة "المخبوز" في الفرن ـ هو أكثر الأنواع تطوراً وتقدماً وانتشاراً ويختلف الفرن باختلاف المناطق والجهات كذلك فهو في سوس والريف التنور حيث تلصق أقراص العجين بجدار التنور، أما أكثر الأنواع شيوعاً في البوادي المغربية اليوم مع اختلاف في الشكل والإتقان فهي الأفران التي تضع النار في جهة والعجين في الجهة المقابلة.

توجد طريقة أخرى لطهي الخبز ويبدو أنها طريقة بدائية، وتنتشر بين السكان الرحل وتعتمد على الرماد المحرق، بحيث يدفن العجين ويتم غمره وتغطيته بالرماد المحرق مرات عديدة حتى ينضج، وتتبع أشكال الخبز وطريقة طهية تعطينا المراحل التاريخية التي مرت منها هذه الصناعة، ويبدو أن أول هذه المراحل هي طريقة الدفن في الرماد المحرق، وآخر هذه المراحل هي الوضع المتقابل في الأفران التقليدية والمعروفة عند سكان البادية "بفران بوجيهة" سواء منه التقليدي أو العصري، المنزلي والتجاري، قبل أن تدخل الوسائل والطرق العصرية في الخَبْز.

تأثر المغاربة بالحضارات التي احتكوا بها، كالحضارة الرومانية (ففي مدينة وليلي الأثرية ما تزال تنتصب آثار المخابز الجماعية والتجارية). كما أن تأثير الأندلس واضح أكثر من غيره بخصوص بعض أنواع الخبز وخاصة الخبز

على شكل أقراص، سواء منه المعد في الفرن (ابن رزين، *فضالة الخوان*) أو المقلي بالزيت أو المشْوي فوق المقلاة الحديدية أوالطينية (الفراح ـ الرداد ...).

وتعتمد هذه التقنية على "التخمير" الذي يحتاج إلى المادة "المخمرة" وهي مادة لم تكن متوفرة فيتم استعمال مواد أولية أو مواد مجربة مثل تغطية العجين بأوراق شجر التين ( *فضالة الخوان* ...) أو تعريض العجين للتدفئة الطبيعية عن طريق تغطيته بمناديل وأغطية صوفية وما أشبه ذلك. وقد عمت اليوم الطريقة الميكانيكية لتحضير الخبز في جميع مدن المغرب وقراه.

ع. ابن خلدون، *العبر*، المقدمة، الجزء السادس، بيروت، (تـ. ؛ ابن رزين، *فضالة الخوان في طيبات الطعام الألوان*، الرباط، 1981 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 3 بيروت، 1940، وبيروت 1983، تطوان، 1960 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 و 1955 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، 1958 و 1984 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ ابن قنفذ، *انس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ ابن عبد العظيم الأزموري، *بهجة الناظرين*، مرقون كلية الآداب، د. د. ج. ع، الرباط، 1985 و 1986 ؛ ابن عبد المالك، *الذيل والتكملة*، الرباط، 1984 ؛ الجزنائي، جني *زهرة الآس*، الرباط، 1967 ؛ *دراسات ميدانية*.

محمد حجاج الطويل

أولاد **الخبز**، أسرة فاسية من قبيلة صنهاجة، كان بعض أفرادها ما يزالون بقيد الحياة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر (20 م).

**الخبزاوي، إدريس**، أصله من تلمسان حيث كان يشتغل بوظيفة العدلية لدى محكمة المدينة. وفي سنة 1904 استقدمه الفرنسيون إلى طنجة فكلفوه بتحرير جريدة "*السعادة*" التي أصدرتها المفوضية الفرنسية هناك كوسيلة للدفاع عن أغراضها الاستعمارية في المغرب. وكانت مهمة هذا الرجل تكمن في إضفاء صبغة "عربية إسلامية" على جريدة خشي أربابها أن ينفر منها القراء المغاربة.

وفي سنة 1906 حل محل إدريس الخبزاوي الصحافي الشامي المسيحي الماروني وديع كرم. ولما رجع الخبزاوي إلى الجزائر أنعمت عليه الإدارة الفرنسية بترقيته إلى درجة قاض شرفي جزاء له على الخدمة التي أسداها للمشروع الفرنسي في المغرب. وتدخل تجربة الخبزواي على رأس "*السعادة*" في إطار تسخير بعض أفراد النخبة الجزائرية المتعلمة لتحقيق مآرب فرنسا بالمغرب، وهي السياسة المسماة آنذاك بـ "التدخل السلمي" والتي دعا إليها إدمون دوتي Edmond Doutté بإلحاح في تقرير رفعه إلى الحاكم العام بالجزائر عقب مهمة قام بها في المغرب سنة 1900.

*الأرشيف الديبلوماسي الفرنسي في نانط.*

J. Bida, *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*, Rabat, 1996 ; E. Doutté, *Des moyens de développer l'influence française au Maroc, Première partie : Analyse des moyens généraux d'influence*, Paris, 1900.

جامع بيضا

**الخُبْزة** (مصطلح فلاحي) يُقصد بالخبزة أحدُ عقود المزارعة التي كانت سائدة في المجتمع الفلاحي شبيه بالخماسة وتخمّاست، إلا أن التعاقد بالخبزة، خلافا لتخمّاست (انظر هذه المادة)، يمثل في الواقع كراء الأرض من طرف صاحبها لمن يستغلها لمدة سنة، إذ أن المكتري أو الخباز هو الذي يتحمل مسؤولية كل ما يتعلق بالبذور وأدوات العمل، وذلك مقابل حصة من الإنتاج، يتفق عليها مسبقا، تعود لصاحب الأرض.

يتم التعاقد، تبعا لنوعية الأرض ـ إن كانت حاملة لأعشاب ضارة أم لا، إن سبق حرثها في الموسم الفلاحي الفارط أم لا، إن كانت خصبة أم لا ـ بالنصف (بالنُّص)، بالثلث أو الربع.

وعادة ما يلجأ إلى التعاقد بالخبزة صغار الفلاحين الذين لا يتوفرون على زوجة للحرث ولا على بذور، فيفضلون التشارك مع من يتوفر على هذه الإمكانيات ؛ أو الذين يملكون قطعا أرضية صغيرة لن تكفيهم لسد حاجياتهم، فيفضلون من ثم كراءها بالخبزة حتى يتسنى لهم العمل كخماسة عند أحد كبار الملاكين ؛ أو من يقطن بعيداً عن حقله ؛ وكذا بعض كبار الملاكين الذين يفضلون هم بدورهم، هذا النمط من الاستغلال الذي يعفيهم من مراقبة الخماسة.

وقد يحدث أن يتعاقد الخباز، هو بدوره، مع من يعينه في استغلال الأرض أو يوفر له زوجة للحرث، كأن يستعين بخماس، أو يشترك مع فلاح آخر في اقتناء زوجة للحرث، وفق شروط يتفقان عليها مسبقاً.

*دراسة ميدانية.*

عبد الجليل حليم

أولاد **الخُبْزي**، أسرة فاسية كانت لهم مصاهر مع أولاد ابن إبراهيم الدكاليين المشنزائيين العلماء. وإليهم ينسب "فندق الخُبزي". بعين علون، كما جاء في حوالة حبسية مؤرخة بعام تسعة وعشرين وتسعمائة.

ع. ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، جزء 1 : 117.

**خُبِيزة** (أولاد -) أسرة فاسية ← **اليعقوبي**

**الخبيْزي**، أسرة تطوانية اتخذت هذا الاسم لتتميز عن باقي أفراد أسرة الخباز، شأنها في ذلك شأن أسرة

العطيطر بالنسبة لأسرة العطار، وأسرة الطويلب بالنسبة لأسرة الطالب الخ ؛ وقد انقرضت أسرة الخبيزي بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 604.

محمد ابن عزوز حكيم

**الختان** والختانة في اللغة موضع القطع من الذكر، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : "إذا التقى الختانان..." وقد تُسمى الدعوة للختان ختانا. وفي الاصطلاح العرفي يطلق الختان على قطع الجلدة التي تغطي الحشفة لئلا يجتمع فيها الوسخ والإفرازات الضارة التي قد تؤدي إلى خبيث الأمراض ولتمكن من الاستبراء من البول ولئلا تنقص لذة الجماع عند الرجل.

أما ختان الأنثى فيكون بقطع الجلدة التي تكون في أعلى عضو التناسل منها، وهي تكون كالنواة أو كعرف الديك. والذي ينبغي إذا حدث الختان للأنثى هو قطع الطرف الأعلى دون استئصال الزائدة كلها.

ويُروى أن امرأة كانت تُختن النساء في المدينة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تنهكي (أي لا تستأصلي) فإن ذلك أحظى للمرأة". ولكن إذا ثبت في بعض الحالات أن خفاض الأنثى ليس في مصلحتها فلا اثم في ذلك لما قررة بعض الفقهاء.

أما بالمغرب فختان الرجال سنة مؤكدة على مذهب الإمام مالك الذي قرر أن من ترك الاختتان من غير عذر لم تجز إمامته ولا شهادته. كما ينص على كراهة الاختتان يوم الولادة ويوم السابع لأنه من فعل اليهود. ويتقصر الختان بالمغرب على الذكور دون الإناث.

وتتميز حفلات الختان في مجتمعنا المغربي بعادات وتقاليد تأخذ أبعادا فنية واجتماعية متقاربة في هدفها العام متباينة الإجراءات والوسائل، تختلف من منطقة لأخرى لكنها لا تخرج عن اتجاهات ثلاثة بمختلف جهات البلاد حاضرها وقرويها.

- الاتجاه الأول تقليدي في شكله ومضمونه.

- الاتجاه الثاني اتجاه محافظ يتأرجح بين تقاليد الماضي وأساليب العصر الحديث.

- الاتجاه الثالث يختلف تمام الاختلاف عن سابقيه خال من كل العادات والتقاليد القديمة يجرى في جو الخفاء والانفراد العائلي دون إقامة وليمة أو إحياء حفل تكريمي للمناسبة وتجرى عملية الختان تحت إشراف الطبيب المختص بعيادته ويُحمل الولد إلى بيته في تكتم وستر، وهذا هو الاتجاه الذي أصبح يطغى على فئات من المجتمع المغربي الحديث.

أما الاتجاه التقليدي فيتميز بمشاركة الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء أصحاب الحفل ليلة المبيت ويوم الحفل وصباح الختان كما يقوم أهل الحفل بتقديم الطعام للضيوف طيلة مدة الحفل، ويقوم بعملية الختان حجام تقليدي يحضر لبيت الحفل وتتم إجراءات عملية الختان في الصباح الباكر وسط جو تغمره الفرحة والابتهاج حيث تذكر الصلاة على النبي مع اطلاق الزغاريد وأنواع الغناء والرقص التقليدي المتميز بالجهوية.

وأهم ما يميز الاتجاه الثاني المحافظ قيام الوليمة في بيت الطفل وانطلاق موكب الحفل منه يتوسطه فرس مزين بوسائل تقليدية خاصة يركبه الطفل المزين بلباسه التقليدي رفقة أحد أقاربه وسط جو تطبعه الفرحة وتسيطر على أجوائه الموسيقى والزغاريد وبعض أناشيد الفرح التي ترددها النساء المشاركات في الموكب الذي يطوف ببعض الشوارع الرئيسية للمدينة أو القرية ويعود قافلا إلى بيت الفرح لاتمام الحفل وقيام السهرة التي تشارك فرحتها كل الفئات المدعوة. وفي الصباح الموالي يحمل الطفل "أو الأطفال" إلى الطبيب المختص أو الممرض التقني حيث تجرى عملية الختان بطريقة حديثة.

هذا بالنسبة للاتجاهات الانفرادية الخاصة بمختلف شرائح المجتمع المغربي. أما بالنسبة للإعذار الجماعي فإن الأمة المغربية تتميز بعاداتها الحسنة في هذا المجال هذه العادات والتقاليد لها ارتباط وثيق ببعض المناسبات الدينية والوطنية، تتجلى في الختان الجماعي لأطفال الطبقة الفقيرة وأبناء المعوزين واليتامى بمختلف عمالات وأقاليم المملكة تحت إشراف رجال السلطة في بعض الأحيان وبحضور المحسنين وأولياء الأطفال المهيئين للختان. وأهم ما يميز هذا الحفل الجماعي توزيع الهدايا الرمزية على الجماعات التي تم إعذارها تخفيفا لهم عن آلام العملية وتعبيرا لهم عن مشاركتهم هذه الفرحة التي يطبعها التكافل والتضامن الأخوي الإسلامي والمسؤولية الهادفة.

*مشاهدات ميدانية.*

محمد رمضاني

**خَتْع، محمد** بن علي من قبيلة أيت إيسمور الباعمرانية، درس الروايات القرآنية منذ صغره في قرية اطبيبن بقبيلته، واستكمل روايتي قالون وابن كثير على فتحي إبراهيم بن محند في مدرسة تانگارفا، ثم انتقل إلى مدرسة همو أُلحسن الاخصاصية عند شيخ القراء محمد بن عبد الكريم العبلاوي الباعمراني. فأتقن على يده رواية حمزة، وصار مرجعا في هذا الفن بعد وفاة شيخه العبلاوي، وشارط في مدرسة ثلاثاء أوفلاً بالاخصاص بقية حياته فتخرج على يده العديد من الطلبة. توفي محمد ختع عام 1408 / 1987. وكان آخر المحققين في هذا الفن في تلك الجهات.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، ص.23. 33 ؛ *مدارس سوس*

*العتيقة*، ص. 97 ؛ *خلال جزولة*، ج. 2، ص. 233 ؛ ح. جهادي *معلمة المغرب*، ج. 7، ص. 2226 ؛ *استجواب مع هذا الروائي*.
الحسين جهادي

**بنت خجو، آمنة** بنت علي الحسانية الصنهاجية، أخت العالمين أبي القاسم والحسين آتيي الترجمة. صالحة عالمة نشأت في زاوية أخيها أبي القاسم، وتعلمت على يده مبادئ اللغة والدين، فكانت فقيهة محدثة تهتم بشؤون نساء قريتها وتعلمهن. لذلك نصح الطلبة والمريدون الشيخ عبد الله الهبطي ـ وكان عزوفاً عن النساء ـ أن يتزوج آمنة بنت خجو لتقوم بتعليم النساء في زاويته بالجبل الأشهب ويتفرغ هو لتعليم الرجال وتربيتهم، وكان أكثر دروسها في الفقه والحديث، وبخاصة *صحيح مسلم*. وقد ذكرها ابنها العالم محمد الهبطي الصغير في أرجوزته *المعرب الفصيح* :

قالوا تزوج إن ترد ما ترجـــو    أخت أبي القاسم ابن خجـــو
فإنها في غاية الديانـــــــة    والحسب الأثيل والصيانـــة

ابن **خجو، الـحسين** بن علي الحساني الصنهاجي. ولد ونشأ في قبيلته بني حسان شمالي مدينة شفشاون، ودرس على أخيه أبي القاسم في زاويته، وعلى غيره من فقهاء جبال غمارة. تخرج فقيهاً متشبعاً بروح الإصلاح والنصح والإرشاد، وتدل فتاواه الباقية على ضلاعته الفقهية.

توفي حوالي 970 / 1562.

بنت **خجو، الـعريقة** الحسانية، امرأة متحضرة حاذقة عاشت في قصور الوطاسيين بفاس. فلما حل الشرفاء السعديون محلهم ـ وكانوا منذ بويعوا في الجنوب مشتغلين بالجهاد وتمهيد البلاد ـ ودخل محمد المهدي الشيخ إلى فاس يوم الخميس 24 شوال عام 961 / 22 ـ 9 ـ 1554 ـ وعليه هو وأهله سمة البداوة ـ جاءت العريقة بنت خجو فهذبت حريمه، وعلّمته سيرة الملوك في منازلهم وحالاتهم في الطعام واللباس، وعاداتهم مع النساء وغير ذلك، فاكتسى ملك الشيخ بذلك طلاوة بسبب جريانه على العوائد الحضرية.

ابن **خجو، علي** بن أبي القاسم الحساني، درس على والده وعمه الحسين في زاويتهم، وسار على هديهما في التربية والإرشاد. ولما مات أبو القاسم خلفه علي في القيام بالتدريس في جامع بني حسان، وإفتاء من كانوا يستفتونه من أنحاء بلاد الهبط.

توفي حوالي عام 985 / 1577.

ق. ابن خجو، *ضياء النهار*، مخطوط ؛ ع. الزياتي، *الجواهر المختارة*، مخطوط ؛ م. الهبطي، *المعرب الفصيح*، مخطوط ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية* ؛ ص. 63 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، ط. حجر فاس، د. ت. ص 28 ـ 29 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج 5 : 30 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 461 ـ 462.

محمد حجي

ابن **خجو**، أبو **القاسم** بن علي الحساني ـ نسبة إلى بني حسان ـ إحدى قبائل الجبل ـ قرب شفشاون.

تعلم في الكتاب على عادة أبناء البادية، وكان سكناه بمدشر سعادة في قنة جبل من بلاد غمارة، ولعله به ولد ونشأ ؛ ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم بالبادية : أبو عمر يوسف بن سرحان، وأخوه علي بن سرحان، وعبد الله بن القاسم، والقاسم بن فرحون، وموسى اليدوني، والحسن بن سكنان، ويوسف بن عثمان، والحسن الغراس، وعبد الله بن تاصبانت، ثم أتم دراسته بفاس، وطالت إقامت[illegible] أخذ عن كبار مشايخها، كأبي عبد الله [illegible]، وأبي الحسن على بن هارون، والشيخ أحمد زروق، وأبي العباس الحباك، ومحمد بن جمعة الهبطي ـ صاحب *وقف القرآن*، وأبي العباس أحمد الزقاق.

ولما عاد إلى بلده صحب أبا محمد الهبطي وأخذ عنه طريق التصوف ؛ وكان الشيخ يجله ويرجع إليه في الفروع الفقهية، لما يعلمه من علمه وصحة ديانته.

وتصدر للإفتاء وإرشاد العباد، وكان يعلّم باللغتين العربية والبربرية ؛ وبيتهم بيت علم وفضل، فأبوه عالم جليل، له أجوبة في الفقه، وأخوه الحسين من الفقهاء البارزين، وولده على بن أبي القاسم فقيه متضلع، له عدة فتاوى. وكان أبو القاسم على قدم شيخه الهبطي في تغيير المنكر، ومحاربة البدع، قوالا للحق، شديد الشكيمة على أهل الزيغ.

كتب رسائل إلى المسؤولين في جهات من المغرب يدعوهم فيها إلى حماية الثغور، والتعبئة العامة للجهاد، والاستعداد بالقوة والعتاد ؛ ويلفت نظرهم إلى الخطر الداهم الذي يتهدد البلاد، وعناصر الفساد المتفشية في كل جهة ومكان ...

ولما استولى محمد الشيخ على الملك، بعث إليه ـ في جملة من دعاهم لحضرته من شيوخ العلم ـ فحضر إلى فاس وأعجب به السلطان وقال : ما رأيت مثله علما وصلاحا !

توفي بفاس، ودفن بجوار روضة ابن عباد ـ داخل باب الفتوح. والذي وصلنا من مؤلفاته :

1 ـ الحكم المنتخب من عيون الحكم. (فهرس المخطوطات والوثائق لمعرض الحسن الثاني سنة (1394 ـ 1974) الرقم الترتيبي (1928) إقليم بني ملال).

ـ شرح أرجوزة الهبطي في العدة مخطوط الخزانة العامة بالرباط (958 د).

ـ شرح نظم بيوع ابن جماعة للسنوسي عرض فيه لكثير من البدع الشائعة في ذلك الوقت، ويوجد مخطوطا بالخزانة الكنونية بطنجة.

- ضياء النهار، المجلي لغمام الابصار، في نصرة الفقراء أهل السنة الاخيار، ضمنه مقدمة وثمانية فصول، دافع فيها عن متفقرة عصره، وحاول أن يجد لأعمالهم مستنداً في السنة المطهرة، وآثار السلف الصالح.

أورده بكامله المهدي الوزاني في *النوازل الكبرى* ج 11 ص (218 - 226)، ويوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع (939 د).

النصائح، فيما يحرم من الأنحكة والذبائح، مخطوط تطوان (353). وله مجموعة فتاوى أورد طائفة منها الزياتي في *الجواهر المختارة*، والعلمي في *نوازله*. وكان يرى رأي المغيلي في أن اليهود لاذمة لهم، لأنهم نقضوا العهود التي أعطوها للمسلمين.

فأبو القاسم بن خجو من العلماء العاملين، والدعاة المصلحين، يتجلى ذلك واضحا في مختلف رسائله وأكثر كتبه.

توفي عام 956 / 1549.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ص. 13 - 97 ؛ ط. حجرية بفاس (د. ت) ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 218 ؛ ط. حجرية بفاس (1309 - 1891) ؛ *درة الحجال في اسماء الرجال*، 3 / 286، مطبعة الحضارة العربية، (1394 - 1974) ؛ ع. الزياتي، *الجواهر المختارة*، مخطوط ؛ ع. العافية، *الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون ونواحيها*، 1402 - 1982 ؛ ع. العلمي على، *النوازل*، ط. حجرية بفاس، 1303 - 1885 ؛ ك. م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 - 149 ؛ ط. حجرية بفاس، 1318 - 1890 ؛ ع. گنون، *النبوغ المغربي*، ص. 252، بيروت، 1381 - 1961.

سعيد أعراب

ابن **خدّة**، أسرة فاسية من قبيلة شراگة، أهل معاش وحرفة ومال، من أقدم البيوتات ورد ذكرهم في حوالة ترجع تاريخها إلى عام ستة وستين وتسعمائة.

وهناك أسرة أخرى في بني حسن ببادية سلا كانت تتولى على بني ثور البالغ عدد خيامهم نحو ستمائة خيمة حسب إحصاء سنة 1914. وبنو ثور صفاعيون من قبيلة بني حسن. وفي مطلع القرن العشرين كانت بسلا أسرة تسمى بنخدّة، ولعلها من بقية عمال بني حسن.

ومن القواد الثوريين الصفاعيين ببني خدة : الطيب بن خدة. كان سنة 1323 / 1905 قائداً، وكان سنة 1330 / 1912 مايزال في منصبه حتى عزلته عنه سلطات الحماية أول أمرها.

ومحمد بن العربي بن خدّة الذي تولى على فرق من بني حسن سنة 1273 / 1857.

ومحمد بن علي بن خدّة كان سنة 1311 / 1894 عاملاً، واستمر كذلك إلى وفاته سنة 1321 / 1904.

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 1 : 178 ؛ م. بوشعراء، قبيلة بني حسن 1860 - 1912 ؛ مخطوط.

*Villes et tribus du Maroc, Béni Ahsen*, passim.

مصطفى بوشعراء

ابن **خدّة، مالك** أبو يشو الصبيحي من عرب صبيح ولي صالح شهير، عابد، عالم، فاضل، له مناقب مشهورة أخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع. ولقي مشايخ الصوفية وأخذ عنهم. وأخذ عنه جماعة، ومن أعيان أصحابه الشيخ أبو النجا سالم الروداني.

توفي في العشرة الثالثة من القرن العاشر ودفن على ضفة وادي سبو على مرحلة من فاس وقبره مزارة هناك.

م. ابن عسكر، *دوحة*، ص. 73 - 74 ؛ م. القادري، *الطرفة*، مخطوط ؛ *الإكليل*، مرقون، ص. 383.

مارية دادي

**خدوج السبتية**، من شهيرات الشيخات المطربات الفاسيات اللوتي نبغن في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

تحدث عنها الرحالة الفرنسي أوبان في كتابه *مغرب اليوم* الذي نشره عام 1903 فذكر أنها كانت من بين الشيخات المجيدات نادرات الوجود في فاس وممن عرفن الاقبال الكبير على حفلاتهن الغنائية. وقد لقبت بالسبتية لأنها تنتمي لعائلة أصلها من سبتة.

وقد رحلت في بداية أمرها إلى الجزائر حيث تعلمت شيئاً من اللغة الفرنسية وحذقت بعض الأغاني الجزائرية ؛ ثم عادت إلى المغرب بعد سنوات قليلة فاستقرت بمدينة فاس حيث عملت على ترويج محفوظاتها في الحفلات والأعراس. وفي سنة 1902 اعتزلت الغناء بسبب زواجها تاركة المجال حرا لمطربة أخرى كانت تنافسها في مجال الغناء هي الشيخة ابريكة بنت بنعلال التي لمع نجمها بفاس منذ أن قدمت إليها من اشراكة مع والدها وشيخها في ميدان الطرب.

وقد عادت خدوج السبتية بعد فترة قصيرة لممارسة الغناء، واستعادت شهرتها ومكانتها بين الناس. وكان لها جوق خاص يرافقها في انشاد صنعات الموسيقى الأندلسية وقصائد طرب المحلون.

ع. شقرون، *مجلة الفنون*، س. 1 ع 1 غشت 1973، ص. 38، مط. وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الخديم** (ولد سي -)، **إدريس** ولد سي لخديم بن عبد الكامل، ولد بدوار الطواهرة، فخدة الفوجان المنتمية إلى قبيلة النجدة إحدى قبائل زعير قسم المزارعة، حوالي سنة 1287 / 1870. تربّى كأقرانه في حضن الجماعة على حمل السلاح وركوب الخيل، إذ كانت عادة جماعات القبائل

أن تفرض على كل أسرة دفع واحد من أبنائها - على الأقل - للتدرب على الفروسية والرماية ؛ حفاظاً على رصيد الفرقة من الرجال واستعداداً لمواجهة الطوارئ.

اشتهر إدريس ولد سي لخديم بالاستقامة والجد والميل إلى أعمال البر والاستئناس بمعاشرة المساكين الذين كانوا يجدون في خيمته الترحاب والإكرام. كما اشتهر بالشجاعة والصدق والصرامة في معاملاته مع الناس ومع أهل بيته. وفي هذا الباب يحكى عنه أنه كان يَحْرِسُ جِنَانه الذي غرسه بيديه. وكانت به أنواع مختلفة من أشجار التين وغيرها. وعندما تنضج الثمار يستدعي الطلبة الحافظين للقرآن وبعد إكرامهم يسرحهم للجنان، حتى إذا ما فرغوا منه، سمح بعد ذلك لأبنائه وللناس بغشيان الجنان والأكل منه، ولذلك كان الناس يسمون بعض أنواع التين "كرمة الطلبة".

شارك ولد سي لخديم، في الدفاع عن فرقته ضمن أبناء الجماعة، أيام "السيبة" التي سبقت الاحتلال الفرنسي. وكان له شرف المساهمة في جهاد الفرجان ضد قوات الاحتلال الفرنسي التي زحفت من الشرق عبر المعازيز ومن الغرب عبر الرماني صيف 1329 - 1330 / 1911.

وقد جرت عدة معارك في منطقة گلتة الفيلا، وهو مكان تاريخي يقع على وادي گرو، كثيراً ما كان مشرعاً لمرور حركات السلاطين ومحلا لتخييم محلاتهم، في الطريق بين مكناس ومراكش.

فعندما زحفت الجيوش الفرنسية على قبيلة النجدة، واجهتها مقاومة عنيفة، في حوض لحناش، والقرادة، وگلتة الفيلا ومرزاگة وتيسيلي ..

ويحكي من عرف إدريس ولد سي الخديم، أن الرجل كان من بين الرجال الذين حملوا لواء الفرقة، ومعلوم أن حامل الراية (مول لعلام)، كان مفروضاً فيه الثبات والإقدام والصبر في أوقات الشدة.

هرب ولد سي الخديم مع فخذته الفرجان وأوغلوا حتى وصلوا إلى جبال زيان القريبة من ضريح الولي الشهير أبي يعزى. وهناك عقد الفرجان حلفاً مع سكان المنطقة، وكان الحلف من نوع الطاطا المشهورة في قبائل الأطلس، حيث تبادل الرجال السلاهم والأحذية (البلاغي) فمن خرج خذاؤه مع صاحبه أصبح كأخيه يربطهما رباط مقدس من الولاء المتبادل.

والجدير بالذكر أن الفرجان شاركوا زمّور وزيان المجاورين في قتال الفرنسيين قرب تيداس وولماس ومولاي بوعزة. ولما احتل الفرنسيون هذه المناطق رجعت القبيلة إلى موطنها. لتجد المعمرين قد استولوا على أجود الأراضي الجماعية. ثم عمل المحتلون على تثبيت الناس واستقرارهم بواسطة التمليك والتحفيظ العقاري للأرض ؛ وهي وسيلة كان الهدف منها - كذلك - تفويت الأراضي الجماعية للمعمرين عقاباً لمن شارك في الجهاد.

توفي إدريس ولد سي الخديم حوالي سنة 1950، ويحكي عنه من يعرفه أن يده اليمنى كانت لا تصل إلى فمه لا ختراق الرصاص لمرفقه. ولما شلت يسراه أصبح عاجزاً عن إيصال الطعام لفمه سوى بمساعدة زوجته الأخيرة. وقد ترك ستة أبناء منهم ثلاثة ذكور من زوجته الأولى العالية البركاوية، نسبة إلى أولاد بركة دوار من فخذة المراكشية المجاورين للفرجان.

*تحريات ميدانية.*

علال الخديمي

**الخرائطيّة** (بالمغرب)، حسب التعريف الذي تبنته اليونسكو، تشمل كافة الدراسات والإجراءات العلمية والفنية والتقنية التي تستند على نتائج الملاحظات المباشرة أو استغلال الوثائق، والتي تستهدف وضع الخرائط والتصاميم وأي نوع من وسائل التعبير، وكذا توطين تلك النتائج.

إن الأدوار والوظائف التي تقوم بها الخرائطية، والتي تتزايد يوماً عن يوم لا تحتاج الآن إلى برهان. فالخريطة هي قبل كل شيء أداة إخبارية ومعرفية تقوم على توطين وتمثيل الظواهر والمعالم السطحية، سواء كانت مرئية قارة أو مؤقتة، أم تجريدية أو متحولة أو افتراضية. وبذلك تكون مصدراً لعدد لامتناه من المعلومات وأرضية لا تعوّض لقياس المسافات والمساحات والأحجام والارتفاعات والأعماق. كما أنّها تعدّ وسيلة من الوسائل الأساسية للتوضيح البصري والترسيخ في الذاكرة وأيضاً وسيلة للاستدلال والتوجيه في الميدان.

فضلاً عن ذلك، فإن الخريطة تستعمل كتقنية منهجية ترتكز على مبادئ وقواعد متينة تساعد على البحث والتحرّي والتنقيب، وكذلك التحليل والمقارنة، وفي مرحلة نهائية التركيب والتأليف. من ثم فإن وظيفتها الإجرائية تتمثل اليوم بدون جدال في تحضير وتعزيز القرار، سواءً بالنسبة للإنجاز أو التخطيط والتوقعات، وسواء في علوم الأرض أو الطبيعة والاقتصاد والتهيئة والتجهزات والسكان والنقل والملاحة والتدريس وميادين أخرى لا تحصى.

بناءً على مكانتها المكتسبة هذه وكلّ المهام التي أنيطت بها، فإن مستوى الخرائطية قديماً كان على قدر متطلبات العصر، وكان طبعاً قاصراً عن تلبية جزء كبير مما يحتاجه مستعمل الخرائطية في الفترات اللاحقة، من تنوّع في المعلومات ودقة في المواقع. وعليه، يمكن ويحق اعتبار الخرائطية الدقيقة بالمغرب نتاجاً للجغرافية الحديثة، واعتبار هذه الأخيرة وليدة للاستعمار، لما للتحكم في معرفة الوسط المستهدف من ارتباط عضوي بالسلطة والتغلغل والغزو. مع العلم أنه كان للمغاربة والعرب والمسلمين باع طويل في تطوير وإرساء قواعد هذا النوع من العلوم قبل العصر

الحديث. وخير دليل هو ذلك التألق الذي أنجزوه لمدّة طويلة، ولا سيما في ثلاث محطات تاريخية رئيسية :

ـ مرحلة الصورة المأمونية أو خريطة المامون، القرن الثالث (9 م) التي تجند لوضعها سبعون عالماً، كان ضمنهم الخوارزمي، والتي تعبّر عن توجه عام يؤلف بين إرث الفرس وتأثير اليونان في تحديد الأطوال والمناطق ووضع حدود العالم المسكون، مع أوجه عديدة من الإبداع والاجتهاد، في إطار القفزة الهائلة التي شهدتها الجغرافية الرياضية والفلكية أيام المامون، بجانب الجنس الوصفي، من نوع المسالك والممالك (الجغرافيا الإقليمية) الذي ظهر في نفس الفترة (ابن خرداذبة ؛ ابن رسته، قدامة).

ـ مرحلة أطلس الإسلام، القرن الرابع (10 م) الذي يضمّ إحدى وعشرين خريطة للبلدان الإسلامية وضعت تحت إشراف أربعة جغرافيين خرائطيين (البلخي، الإصطخري، ابن حوقل، المقدسي)، وهي فترة أوج سادت فيها المدرسة التقليدية التي غلبت الجانب الخرائطي على الاعتبارات الرياضية والوصفية، كما عرفت ازدهار الجغرافية الإقليمية (اليعقوبي وأصحاب أطلس الإسلام) وكذا جغرافية الرحلات (ابن فضلان، المسعودي).

ـ مرحلة الإدريسي القرن السادس (12 م) الذي يعتبر مدرسة لوحده وأكبر خرائطي ليس فقط على المستوى المغربي الأندلسي أو العربي الإسلامي، بل على صعيد العالم الوسيط. لقد استطاع بروعة تجميع وتركيب كافة المعارف الخرائطية التي عرفتها البشرية إلى ذلك العهد، فحققها وأغناها، ثم أبدع ثلاث تحف ظلت مصدراً لا غنى

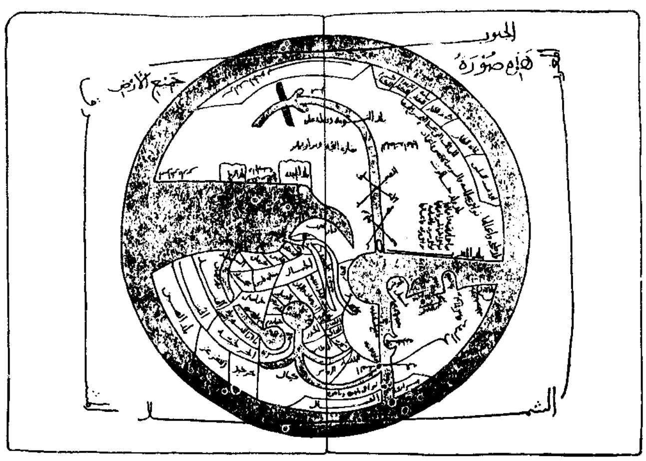

صورة الأرض لابن حوقل عام 370 هـ / 990م

عنه حتى القرن (16) على الأقل، وهي خريطة العالم المطبوعة بالألوان على الورق والمكونة من جمع 70 لوحة، والأطلس الذي سمي فيما بعد "الإدريسي الصغير"، والكرة الأرضية الفضية التي أهداها للملك الصقلي روجر.

عقب الثورة التي خلفتها أعمال الإدريسي، شهد العالم العربي الإسلامي تدهوراً جسيماً في ميدان الخرائطية، حيث قبع المشارقة في مجال الكونيات ومعاجم البلدان التي برزت ابتداءً من القرن (11)، وفي أحسن الأحوال استمر المغاربة في تتبع نهج الإدريسي، وبالتالي في التميز عن المشارقة والتفوق عليهم نسبياً. وأهم أتباعه : ابن سعيد المغربي (النصف الثاني من القرن (12) وحاجي أحمد التونسي القرن (16) وعائلة الصفاقسي (بين القرنين، 16 و18). أما التنقلات الشهيرة لابن بطوطة القرن (14) وحسن الوزان القرن (16) فلم تتوّج بوضع خرائط ولا بأي تقدم في هذا الميدان.

اعتباراً لفترة الركود الطويلة في هذا الصدد، ونظراً لطبيعة الأوضاع الداخلية في المغرب من جهةو وسيرورة العلاقات بينه وبين أوربا من جهة أخرى، فإن الخرائطية العصرية، التي تتسم قبل كل شيء بضبط القياسات ودقة تمثيل المظاهر المجالية، لم تدخل المغرب إلاّ بعد احتلال الجزائر (1830) ولم تتكثف وتتوسعّ إلاّ بعد تبلور ملامح الأطماع التوسعية الفرنسية، لما للخرائط من أهمية قصوى في توجيه الاستطلاعات وتهييء الهجمات العسكرية والاحتلال. وهكذا ينبغي التمييز بين مرحلة الخرائطية التمهيدية (1832 ـ 1883) وبين الفترة التأسيسية (1883 ـ 1905) التي كان فيها الإنتاج الخرائطي غزيراً وكان عزم فرنسا لا رجوع فيه.

لقد سعى جلّ الاستعلاميين إلى المسح الخرائطي أثناء رحلاتهم وتنقلاتهم عقب الاستيلاء على الجزائر. وحتى بعض من لم يسبق لهم زيارة المغرب قد وضعوا خرائط، مثل مولييراس الذي تم له ذلك عن طريق مخبره ابن الطيب. بل حتى الذين لم يضعوا خرائط، مثل دوتي الذي أعلن بوضوح أنه ليس جغرافياً، كانوا يدققون الوصف إلى درجة أن بعض بياناتهم جاءت عبارة عن "خرائط نصيّة"، إذ كان همهم الأول هو التحديد بمنتهى الإحكام لأهم المعالم المجالية والأحوال المجتمعية، من أسماء مواقع ومحاور دالة ونقط متميّزة ومساحات مستعصية.

ظلّ المغرب مجهولاً نسبياً إلى ما بعد أواسط القرن الثالث عشر (19 م) بسبب انغلاقه على نفسه. ذلك أن كتاب *المرآة الجغرافية والإحصائية للأمبراطورية المغربية* لصاحبه دو همسو (1832) شكّل المصدر الأساسي إلى بداية الثمانينيات من هذا القرن، كما أن *الوصف الجغرافي لأمبراطورية المغرب* لرينو (1846) ظل المرجع الثاني إلى حدود ذلك التاريخ.

في الوقت الذي ازدهرت فيه الرحلات الاستخبارية

الأوربية، على يد الانجليز والألمان بالأساس، ورغم استسلام الأمير عبد القادر (1897) وقبلها هزيمة إيسلي (1844) التي فتحت أمام فرنسا باب الفضول ودفعتها إلى الحث على التنقيب عن مكامن ضعف وتناقضات الأمبراطورية المغربية، فإن محتلة الجزئر استمرت في انكبابها على إخماد والانتفاضات الجزائرية إلى حدود الثمانينيات، وصدت وجهها عن المغرب، فاكتفت ببعض الأبحاث.

كان للمنافسة الأوربية المتعددة الأوجه الدور الكبير في الدفع بالتسابق الاستراتيجي نحو معرفة المغرب لتعويض النظرة الغرائبية إليه. وخلال ربع قرن بعد معركة إيسلي، تعرض المغرب لعدوان متكرر من النواحي العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية قد استلزم ريادات ممّهدة وخلّف استعلامات لاحقة ومتزامنة. إلا أن القضاء على الرحالة "الاستكشافي"فلاترس وبعثته (1880) بمشاركة مغاربة التوات أثناء التجول بالصحراء الجزائرية كان بمثابة الذريعة الحاسمة لتقنين ومنهجة الاستخبارات انطلاقاً من الصحراء، وخصوصاً من الواجهة الجزائرية التي كانت تحتكرها فرنسا. كما أن إطلالة دوفوكو على المغرب أثناء معركة بالجنوب الوهراني هي التي أوحت له بما ينتظره من مسؤولية جسيمة في تدشين العهد الجديد للمغامرات "الاستكشافية" الفرنسية منذ 1883.

لم تتجسّد خلفيات المطامع المقنعة في شكل مطالب ترابية معلنة تجاه المغرب إلاّ بعد احتلال تونس (1881). ومع تحسن وسائل التأطير والمزيد من تراكم الأبحاث حول المغرب، طوّعت فرنسا علماءها رسمياً بهدف التوسع العلمي والإعلامي لإشراك الرأي العام الفرنسي والجزائري في مشروع الغزو، وكذا تبرير وتحضير التدخل العسكري والسياسي والتوغل الاقتصادي، وخصوصاً بعد احتداد المنافسة بينهما وبين بريطانيا وإسبانيا وألمانيا. فأصبح تكثيف البحوث حول المغرب ضرورة حتمية خلال العقدين الأخيرين من القرن (19).

بمجرد احتلال التوات (1899) صارت فرنسا سيدة الميدان في باب الإحاطة بشؤون المغرب، وأعطت قفزة نوعية وكمية لبعثاتها الرسمية، قبل أن يختتم الصحافي أوبان هذه المرحلة بتقاريره المستفيضة (1902 ـ 1903) التي جاءت كتركيب لكل الأعمال التمهيدية، مباشرة قبيل الأحداث الثلاثة التي وقعت كلها سنة 1904، والتي تعتبر المحاولة الحقيقية الفاصلة لحماية المغرب سياسياً ولغزوه علمياً، وهي عقد الاتفاق الفرنسي ـ البريطاني وتقديم مشروع الإصلاحات الفرنسية وإنشاء البعثة العلمية الفرنسية. أما بعد مؤتمر الخزيرات (1906) فقد انتقلت الأبحاث إلى مرحلتها النهائية التي أدت إلى بسط الهيمنة الاستعمارية على المغرب.

وهكذا كان ضباط الجيش بخاصة يشتكون قبل العقدين الأخيرين من قلة الخرائط وعدم دقتها. فكان يطلب من الرحالة الاستخباريين المزيد من الضبط الخرائطي. يقول كانال في هذا الصدد بأن اتفاقية للامغنية (1845) "كانت لصالح المغاربة بسبب دهائهم ومكرهم وبسبب تغفلنا وجهلنا لطبغرافية المنطقة". فتعالت أصوات رواد الاستعمار الفرنسي منادية بتكثيف الدراسات الهادفة والموثقة، لتجنب مشكل النقل المتواتر عن المصادر الأولى والتمكّن من التسلح بالمعرفة العميقة للإنسان والأرض والمجتمع، وحتى يتم المرور من الإرتسامات المؤقتة إلى المعلومات الدقيقة ومن الوصف إلى التحليل ومن وضع الخرائط الاستراتيجية إلى المسح المعمّق.

أوّل خريطة حديثة للمغرب وضعت وفق هذه التوجهات، يرجع تاريخها إلى سنة 1846، بمقياس المليونين، أنجزها رونو اعتماداً على كل المعلومات السابقة وضمّها لكتابه سابق الذكر. وضعت بعدها "خريطة امبراطورية المغرب" للقبطان بودوان، وقد كانت أهمّ خريطة مستعملة حتى فترة 1883 ـ 1905 التي ستعرف تتويجاً للتكاثف المسح الطبغرافي. وبعد رحلة دوفوكو (1883 ـ 1884) التي زُينت بالعديد من الخرائط ورسوم المسارات البالغة الأهمية، ظهرت مجموعة من الخرائط الشاملة والممتازة أحياناً، أهمها :

- خريطة الألماني هابنيخت (1885)،
- لوحة المغرب ضمن خريطة إفريقيا (بيسي، 1887)،
- خريطة الأنجليزي دالتن (1889)،
- خريطة الألماني شنيل (1892)،
- خريطة مؤقتة للمغرب في 13 لوحة نشرتها المصلحة الجغرافية الفرنسية للجيش (1894).
- خريطة دوفلوط (1897) التي تعتبر أكثر دقة وكان لها الوقع الكبير في الأوساط العلمية والسياسية والعسكرية.

تختلف خريطة دوفلوط عن سابقاتها باعتبار أنها وضعت بمقياس أكبر من الوثائق المتداولة عند الجمهور آنذاك، ولأنها استندت على كافة المراجع، فألفت بين كل وثائق الجمعية الجغرافية لباريس ومسودات ضباط البعثات العسكرية بالمغرب، وخصوصاً منهم لوڤالوا، أحد رؤسائها السابقين، كما اعتمدت على المسارات الأولى للماركيز دوسيگونزاك ومسارات دوفوكو ومعلومات موليبراس ومسارات فريجوس ودو ڤيربي. إلا أنه نظراً لبعض الأخطاء التي تضمنها في مواقع بعض العناصر والمراكز، فقد حث برنار في مقال له على تجاوز هذه الأخطاء بإغناء رصيد دوفلوط.

أما الدكتور ڤايسجيربر، الذي لا يحصى ضمن أهم الخرائطيين خارج منطقة الشاوية، فلما وصل لأول مرة إلى الدار البيضاء (1896)، كانت لديه أحسن الخرائط الموجودة حول المغرب، وأساساً الطبعة الأولى من خريطة دوفلوط، لكنها لم تكن كافية، فأغناها وأضاف معطيات جديدة لها، مما جعله يتعاطى فيما بعد للمسح الميداني المكثف في الشمال الغربي وخصوصاً في الشاوية.

خلافاً لما تريد إخفاءه بعض الكتابات الاستعمارية تحت ستار حبّ الاستطلاع والمغامرة والمبادرة الشخصية والروح الوطنية، لم يقم أي واحد من هؤلاء العيون بمهامّـه بمعزل عن تشجيع وتأطير مختلف المؤسسات، سواءً كانت علمية وإعلامية (الجمعيات الجغرافية، لجنة المغرب، لجنة إفريقيا الفرنسية، ...) أو مصالح عسكرية (وزارة الدفاع، البعثة العسكرية، الجيش بالجزائر...) أو مدنية (وزارات التربية الوطنية والشؤون الخارجية والتجارية، ...) أو اقتصادية أو بعثات ومؤسسات دبلوماسية.

في هذا الإطار، ظلت تمثل الجمعية الجغرافية بباريس منذ نشأتها سنة 1821 المنبر الرسمي والسند الأساسي لكل "الاستكشافيين". جميع المتجولين في المغرب تقريباً، من أجل الدراسة والإخبار، قد أرسلوا في مهام تؤطرها الجمعية، أو كانو في علاقة معها. وكلهم كتبوا أو كتب عنهم في منشوراتها، "حوليات الجغرافية" و"نشرة الجمعية الجغرافية" و"الجغرافية". وقد اشتهر دو فوكو بصلته الوثيقة بالجمعية الجغرافية، وهو الذي اتفق عام 1885 مع كاتبها العام مونوار لتشجيع دوڤيريي، الذي كان نائباً لرئيسها سنة 1884 وصاحب خبرة وتجربة في الميدان، حتى يستأنف رحلاته إلى المغرب بعد أن انقطعت منذ 1860. وهما اللذان عملا أيضاً على التخفيف من خيبته بعد فشل رحلته إلى الريف (1886).

هذا دولس الذي كتب في بداية 1887 رسالة إلى الجمعية يخبرها بانطلاق جولته من جزر كناريا والصحراء، ثم بعث لها تقريراً كي تسانده في رحلته إلى سوس ومراكش، ونشر التقرير النهائي سنة 1888 في "نشرة الجمعية الجغرافية". وذاك سولر الذي زار المغرب سنة 1887 وكان على اتصال بالجمعية. والآخر دلبغل الذي أرسل بياناً في سفره الثاني (1899 - 1900). وحتى الطبيب فايسجيربر كان على علاقة مع الجمعية، ولم يتمكن من وضع شبكته الخرائطية بالشاوية والشمال الغربي إلا بتمويل جزئي منها ومن "لجنة المغرب".

تجدر الإشارة إلى أن الأعمال الخرائطية قبل الإعلان الرسمي عن الحماية، كما هو شأن الرحلات عموماً، كانت تتمّ مقابل تضحيات جسيمة تصل بعضها إلى السجن والقتل، وكانت تتطلب تهييئاً وثائقياً محكماً قد يدوم أعواماً عديدة، كما يشترط ربط اتصالات مع الأوساط الدبلوماسية والسلطات المخزنية بالمغرب إذا كانت رسمية أو علنية، لطلب الإذن بالتجول وتحضير لترتيبات المادية اللازمة.

بجانب التجار والصناع ومستخدمي الشرطة البحرية والجمركيين وآخرين، كان للسلك الدبلوماسي فعلاً النصيب الأوفر في تنظيم الرحلات الاستطلاعية وتقديم العون المادي والمعنوي. وحتى المخزن وموظفوه كانوا يسهلون عمليات البحث، سواءً بإرادة منهم في حالة السماح لهم بذلك أو بطريقة غير مباشرة عند استقبال الاستعلاميين البعثات القنصلية أو دعوتهم للمشاركة في الحركات، كما هو شأن سولر الذي اشتغل بكل حرية في "بلاد المخزن" بسوس. لكن التجسس الواضح أو الإفراط في الفضول كان يقابلان دائماً بالرفض. وهكذا سجن دلبغل أثناء تسربه في حركة تافيلالت (1893) لما كان الأوربي الوحيد الذي أذن له بالمشاركة هو الدكتور ليناريس. كما سجن دولس عندما اكتشف أنه قدم من الجنوب إلى مراكش متنكراً وباحثاً عن المزيد من الوثائق الاستخبارية (1887). وقنصل الصويرة الفرنسي لاكوست هو الذي ساعده على الفرار إلى أسفي ثم الجديدة وفرنسا عبر الجزائر بحراً، كما قدم العون لدولا مارتينيار عندما أتى من سوس وجرح قرب الصويرة.

إن المنقبين داخل التراب الوطني كانو يكشفون عادة هويتهم في المغرب الشرقي (كانال، دوميت،...) نظراً لاستئناس المغاربة بالأوربيين منذ احتلال الجزائر. وآخرون كانو يلبسون الزي المغربي دون إخفاء هويتهم الأوربية، كمثل دولامارتينيار أودوسيگونزاك وبعض أعضاء البعثة العسكرية (إيركمان، دوبروي، ليناريس،...). لكن البعض الآخر كان يعمل في سرية (القبطان لاراس) أو متستراً تماماً في شخصيات مسلمة (كايي من قبل ودولس وغولفس ودلبغل،...)، ما عدا دو فوكو الذي تنكر في زي يهودي. لقد عمل جلّهم على التهييء العملي لدخول المغرب بتعلم الحضارة العربية الإسلامية واللغة العربية واللباس المغربي والشعائر الإسلامية، أو تدرّبوا على ذلك في الجزائر (دو فوكو، دوڤيريي، دوسيگونزاك، برنار، دوشاڤانياك، دوتي،...).

إضافة إلى تمكنهم من التجول دون إثارة شعور وأحاسيس الناس واستطاعتهم العمل بحرية بسبب التنكر، كان الاستعلاميون يتخذون مرشدين يهتدون بهم للوصول إلى أعماق ما يريدون، وأصدقاء من الأعيان والأشراف والشيوخ يحتمون بهم لتأمين حياتهم. رغم ذلك فإنهم كانوا دوماً معرضين للمخاطر ومهددين بالموت، ولو كانت بعض مهامهم مرخّصاً بها. ومن الأحداث البارزة في هذا الشأن نذكر قتل داقدسن بالجنوب وتعرض غولفس لمحاولة القتل على يد مرشديه في تافيلالت، وقتل دولس على يد مرشديه الطوارق في الصحراء، وانتحار دوڤيريي (1892) بعد فشل مغامراته بصحراء الجزائر ورحلتيه إلى المغرب، والهجوم عالى دولامارتينيا غيرما مرة، وقتل فوري بالريف (1899) ومحاولات قتل دلبغل،...

إن التوقف ملياً عند الحقبتين الخرائطيتين، التمهيدية والتأسيسية، له كثير مما يبرّره، باعتبار أن التوغل العلمي يعدّ وسيلة استراتيجية حاسمة لإحكام الضغط الدبلوماسي والسيطرة الاقتصادية والإكراه العسكري. ورغم كل ما يعاب على ما توصل إليه الخرائطيون من نتائج إلى حدود القرن (20)، فإن فرنسا وجدت نفسها على أتم الاستعداد

في هذا الميدان، لما استقر الرأي الأوربي على الاحتلال.

اعتماداً على الذخيرة الموروثة التي عجلت فرنسا بإتمامها وإغنائها وتجديدها، شرعت في تدشين عهد فاصل تسود فيه خرائط القيادة العليا (الطبغرافية)، التي تعتبر قاعدة لسائر الخرائط الأخرى، والتي عرفت تحسناً سريعاً بفضل تطور الطيران وطرق التثليث والمسح والتصوير والطباعة. على أن الخرائطيين الطبغرافيين المغاربة يميزون اليوم بين ثلاث مراحل طبغرافية متدرجة، وهي الاستطلاعية (بين 1905 ـ 1920) والمنتظمة (من 1920 إلى الاستقلال أو حتى 1963) والحديثة (ابتداء من 1963).

إن التطور العاجل الذي حققته الخرائطية الطبغرافية يستمد جذوره من مختلف الأعمال الميدانية التي تراكمت في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19 ـ 20 م). وكان الكثير من رواد الاستعمار، باختلاف تخصصاتهم ومهامهم، يتحينون الفرصة للقيام بالمسح الخرائطي والاستطلاع الميداني، لا سيما أثناء الرحلات والحركات والهجمات العسكرية. على سبيل المثال، بعد الهجوم على عين الشعير (1870) لتأديب قبيلة بني گيل، نتج عنه تحري حوالي 250 كلم غرب الحدود الجزائرية. كما أن دوكاستري وضع خريطة للمغرب (1887) بسبب النزاع حول الحدود، وكلف بتسليمها للحسن الأول، فانتهز فرصة سفره لمسح الطريق الرابطة بين الدار البيضاء ومراكش، وكان ذلك أساس زحف الجيش الفرنسي بالشاوية سنة 1908 وبعدها.

استمر ڤايجيرير في مجيئه الأول إلى المغرب (ابتداء من 1896)، في مسح المسارات على حصانه إلى أن بلغت في المجموع 3000 كلم، منها 2000 كلم بالشاوية وحدها، حتى إنه أخذ يتبجّح بما أسداه بخرائطه من خدمات لتسهيل مهام الغزاة، حيث استعان الجنرال داماد بخريطة الشاوية في أحداث 1907. كما أنه حين رجع إلى المغرب في 1907 كمراسل لنشرة "الزمن" وكمكلف بمهنة لدى وزارة الشؤون الخارجية صرّح أنه "واثق من أن الأحداث لن تلبث أن تحتم علينا احتلال فاس ومراكش، فشرعت فوراً في استطلاع المنطقتين بدقة، الأولى سنة 1909 ـ 1910 والثانية سنة 1911، فجمعت عنهما كل المعلومات المجدية". خريطة فاس استعملها الجنرال موانيي في مسيرته نحو فاس، قبل أن تطبع سنة 1912، وخريطة مراكش استعملتها مصالح ما نجان في هجومها على مراكش.

لكن غالبية الاستعلاميين كانو ضباطاً عسكريين سبق لهم أن تلقوا تعليماً في المسح الخرائطي أو مارسوه في الميدان، أمثال الكومندار دوبروي (1886 ـ 1888) الذي كان رئيساً للبعثة العسكرية، والقبطان مانجان الطبغرافي الذي كان يعمل بالحدود ويتجول في المنطقة بين 1900 و1902 والقبطان طوماس (1891). غير أن في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19 ـ 20 م) كان القبطان لاراس يعدُّ أهم "استكشافي" في "بلاد المخزن"، وهو مهندس طبغرافي عسكري قام بتغطية ما يقرب من 8000 كلم من المسارات بين 1889 و1903. بالمقابل، كان الماركيز دوسيگونزاك يعتبر أهمّ شخص في "بلاد السيبة"، حيث قال عنه أحد أبرز أقطاب الاستعمار الجزائري (إتيان) إنه

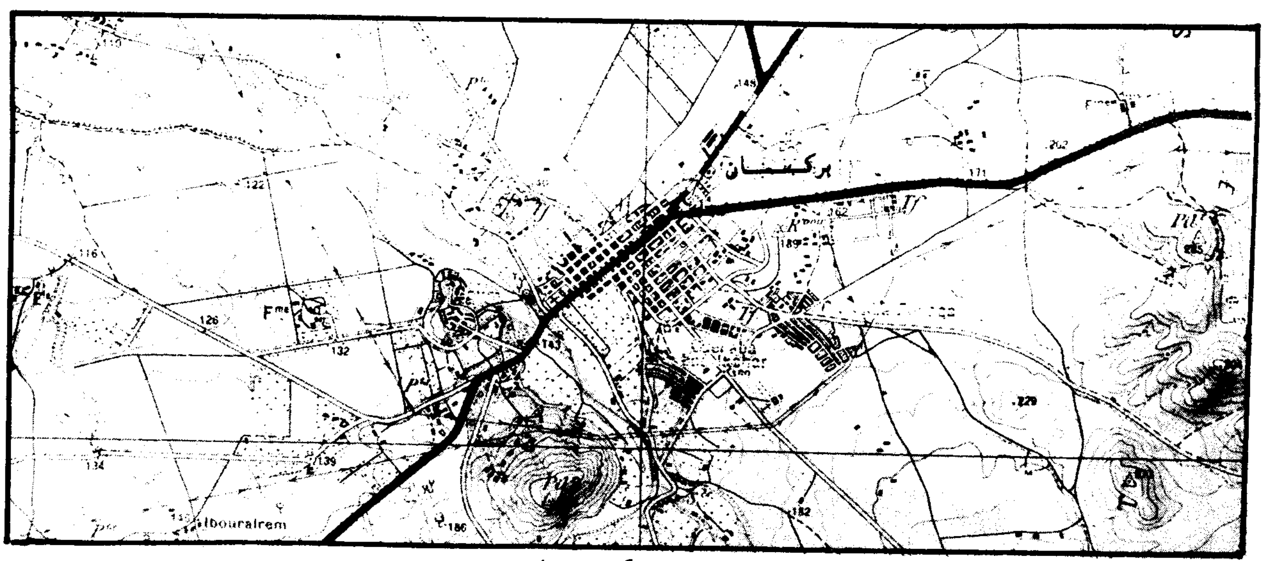


**مدينــة بركـــــان**

"خَلَفَ دو فوكو بحق". أما المؤرخ الجغرافي برنارفسوف يكبر شأنه لاحقاً.

كانت الخرائط توضع أيضاً من طرف مختصين آخرين، سواءً في علوم الأرض أو الطبيعة أو الآثار، أمثال جانتي الذي تجول ووضع عدة خرائط بين 1904 و1905 وريڤ الذي زار المغرب بين 1901 و1907 ولوموان (1904) ودولامارتينيار الذي سافر كثيراً داخل المغرب. أما بعض واضعي الخرائط فقد تعلموا المسح بالممارسة الميدانية، مثل دوڤيريي الذي قام برحلة فاشلة بالنسبة له ولكنها كانت ناجحة من الناحية العملية (1886)، حيث استطاع مسح مسار جديد بين مغنية ومليلية، طوله 118 كلم.

لقد كان المغرب مقسماً سنة 1905 إلى مجموعتين خرائطيتين متميزتين، وهما مجموعة المغرب الشرقي المعتمدة على ڤوارول المساحي الجزائري، والمجموعة الغربية، انطلاقاً من الدار البيضاء، المرتكزة من البداية على إحداثيات محلية.

فكان من اللازم ملء الفراغات جيوديزياً، وضمّ المجموعتين إلى بعضهما. ورغم أن ذلك قد تحقق بين 1905 و1913 على الخصوص بكثير من النقائص وعدم الضبط، فقد كان كافياً لوضع خرائط لا تحتاج آنذاك إلى الدقة الخالية من العيوب.

وقد تمّ وضع خرائط طبغرافية من مقياس 1/100 000 و1/200 000 ارتكازاً على شبهليلج كلارك وعلى مسقط بون المتكافئ. لكن المسح الميداني مباشرة بواسطة اللوحة التقليدية كان من شأنه تأخير تغطية المغرب بهذا النوع من الخرائط إلى حدود 1932.

إن فرنسا هي التي كانت تسهر على كل الأعمال الخرائطية عن طريق المصلحة الجغرافية للجيش أو المعهد الجغرافي الوطني، سواءً بالنسبة لهذه الفترة أو بالنسبة للمرحلة اللاحقة والمتعلقة بالطبغرافية المنتظمة. وتتميز هذه الأخيرة عن سابقتها بمجموعة من الخصائص :

- استبدال مسقط بون بمسقط لامبير المخروطي المطابق، ورسم شبكة تثليث جديدة كانت تشمل سنة 1954 كل أقاليم المغرب خارج الأطلس الصغير والصحراء والريف (الذي تمت تغطيته بين 1958 و1963) ؛

- تحديد معالم السطح إما بواسطة المسح الميداني المباشر أو اعتماداً على التصوير المسامي الضوئي والتصوير المجسم والتثليث الجوّي ؛

- اتخاذ مقياسين أساسيين يتم من خلالهما تقطيع المغرب إلى رباعي من حجم 23,5 كلم x 27,5 كلم في مقياس 1/50 000 و48 كلم x 55 كلم في مقياس 1 / 100 000 ؛

- اتخاذ فارق ارتفاع بين خطوط التسوية يتراوح بين 10م و20 م في 50 000 / 1 وبين 20 م و50 م في 1/100 000 ؛

- احترام القواعد المنمطة للهوامش والرموز الاصطلاحية واستعمال خمسة ألوان وتحسين تقنيات الرسم والطبع ابتداءً من 1922.

بعد الاستقلال، وعلى الخصوص ابتداءً من 1963، شهد المغرب تغيرات عديدة في معالمه المجالية وقطاعاته الاقتصادية، فكثر الطلب على الخرائط لاستعمالها في شتى ميادين البناء والإنجاز. وقد صادف ذلك تطوراً ملموساً وسريعاً لوسائل التصوير العمودي والتصوير المسامي الضوئي وتقنيات قياس المسافات وفنون الطباعة. فكان لزاماً أولاً (1963) تحويل صلاحيات وضع الخرائط المغربية من فرنسا (المعهد الجغرافي الوطني) إلى المغرب (مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبغرافية)، وبالتالي استرجاع تجميع الوثائق والأصول الخرائطية الوطنية ؛ علماً بأن المغرب ظل متعاقداً مع المعهد الجغرافي الوطني إلى حدود 1978 لإنجاز 270 خريطة، قبل أن تتم مغربة هذا القطاع ابتداءً من ذلك التاريخ.

كان ضرورياً كذلك أن تتجانس الشبكة الجيوديزية وأن تتكثف وتتوسع لتشمل مناطق جديدة (الأطلس الصغير بين 1964 و1967) وأن يراجع شمولياً قياس الارتفاعات (1955). وهكذا تم التعجيل بتمديد التغطية الطبغرافية الأساسية (1/50 000) وتعميم مقياس 1/100 000، علاوة على تغطية الأقاليم الصحراوية بالصور الجوية (1/60 000) وبخرائط من مقياس المليون، وإضافة العديد من تصاميم المدن والخرائط ذات مقياس 1/25000 بالنسبة لبعض المناطق كثيفة السكان والنشاط الصناعي والفلاحي.

يتبين من خلال الحصيلة، إلى حدود 1992، أن قطاع الخرائطية الطبغرافية قد أنجز 888 خريطة منذ البداية، منها 59 تصميماً حضرياً (بين 500 1/ و2/20000) و46 خريطة عامة (16 من فئة 1/500 000 و7 من فئة المليون) و783 خريطة طبغرافية ذات المقياس الكبير أو المتوسط، تتوزع على مقياس 250 000 1/ (50 خريطة) و200 000 1/ (15 خريطة) و1/100 000 (213 خريطة) و1/50 000 (425 خريطة) و1/25 000 (80 خريطة). وما يجدر ذكره على صعيد مجموع الخرائط المنجزة أن فترة 1963 - 1978 كانت أكثر إنتاجاً (43٪) من الحقبتين السابقة (25٪) واللاحقة (32٪). هذا إضافة إلى عدد قليل وحديث من الخرائط التقنية (ملاحة بحرية وجوية) وكذا الموضوعية (فلاحة، سكان،...).

تجدر الإشارة أيضاً إلى أن المعهد الجغرافي الفرنسي قام بوضع 56٪ من مجموع التراث الطبغرافي الوطني من البداية إلى سنة 1978. لذلك يتعيّن أكثر فأكثر على قسم الخرائطية أن يساير التحوّلات والمستجدات التي تطرأ على المجال الوطني، وذلك بالزيادة في وتيرة تغطية البلاد بمختلف أنواع الخرائط الأساسية والمشتقة لتعويض خصاص يتراوح بين 30٪ و50٪ حسب مختلف المقاييس، والسهر

كذلك على تدعيم وتحسين التكوين والتدبير، مع الإسراع في إيقاع مراجعة وتحيين الخرائط المتقادمة، باعتبار أن نسبة الخرائط التي نشرت قبل 20 سنة تبلغ حوالي السدس، وكذلك إدخال الوسائل الحديثة في وضع ومراجعة الخرائط من استشعار عن بعد وخرائطية رقمية.

التأكيد على سيرورة الخريطة الطبغرافية لا يتوقف هنا على ضخامة الاستثمارات المرصودة لصناعتها، من مهارات تقنية ومستلزمات مادية، وتعبئة إدارية وآجال للإنجاز، بقدرما يجد تعليلاً من جهة في الدور الجسيم الذي لعبته أثناء مصاحبتها لعمليات التغلغل، ومن جهة أخرى في قيمتها الذاتية الثابتة كمصدر للمعلومات وأداة للقياس والاستدلال. وهي خصائص تميزها إلى حد بعيد عن الخريطة الموضوعية التي تبدأ عادة حيث تنتهي الخريطة الطبغرافية.

ذلك أن واضع الخريطة الموضوعية يلجأ في أكثر الأحيان إلى تعميم الخريطة الطبغرافية، أو بالأحرى الخريطة العامة، وتصغيرها والاحتفاظ من بين معطياتها بما يفيد التوطين وتعيين الحدود. وبالتالي يكون مآلها في أقصى الأحوال هو الاختزال في شكل هيكل يحمّل فيما بعد برموز إيحائية أو اصطلاحية أو تجريدية لا علاقة لها بالأصل. بل قد لا يتم الاحتياج إليها البتة إذا كان أساس الخريطة الموضوعية يقتصر على صورة جوية أو صورة قمر صناعي.

من زاوية أخرى، إذا كانت الخريطة الطبغرافية مقيدة بقواعد مقننة ومواضيع منمطة وتقنيات معيارية، فإن الخريطة الموضوعية هي مادة في غاية الانفتاح على المواضيع والأساليب اللامتناهية، ومن ثمة تشجع على الخيار والإبداع. لذلك، ومهما تعدّدت وتوسعت استعمالاتها، فإن الخرائطية الموضوعية ظلت تعتبر إلى اليوم ركناً لا محيد عنه من أركان الجغرافية التي تضطلع دوماً وبغيرة قصوى بمشروعية احتضان هذا الميدان والوصاية عليه، لأنه من صميمها ويندرج في صلب تفكيرها، كما تغذية بالأساس روافدها التي تهتمّ على السواء بتمثيل الأرض والإنسان والمجتمع والموارد والمنشآت والحركة والعلاقات.

لاغَرْوَ إذن أن نرى الساهرين على السياسة الاستعمارية يتعاملون مع الخرائطية والتقارير الميدانية التمهيدية تعاملاً نفعياً وإجرائياً فورياً. ورغم أن الخريطة الموضوعية أقدم بكثير من الخريطة الطبغرافية، فإن هذه الأخيرة هي التي حظيت بأولى الأولويات، لأنها كانت تستخدم حالاً في تنظيم المعارك، علاوة على استعمالها للتعرف على الأقاليم وكل المعالم السطحية المساعدة على الغزو والاجتياح. لذلك وضع ليوطي على رأس قائمة مبادئه الثلاثة، التي أعطت أكلها في مستعمرات أخرى "المسح الاستعلامي للمنطقة التي يراد اقتحامها، لإفراز تناقضاتها" (إ. أبو طالب). فتأسست الجمعية الجغرافية المغربية ومنبرها مجلة جغرافية المغرب سنة 1916 بإيحاء منه وبمساندته، كما شجع الجغرافيين والخرائطيين بعد أن فطن عقب الحرب العالمية بمناطق عديدة غير محتلة كانت مجهولة، وأخرى كانت تتطلب تعميق وتكثيف الاستعلامات والمسح الميداني، حتى أن العلاقة ظلت وثيقة بين الجغرافيين والعسكريين إلى أن رحل عن المغرب (1925)، ثم أخذ يتلاشى هذا التواطؤ في بداية الثلاثينيات بالنظر إلى توطيد الاحتلال واستنفاد منافع الجغرافية الوصفية والميدانية، وبعد قطع أشواط في تنظيم القطاع الطبغرافي الذي أوكل حصراً على الجيش.

هكذا أخذ الاتجاه الجغرافي والخرائطي الميداني للعمالة والتعاون يفقد حظوته لصالح العلوم الانسانية والاجتماعية الأخرى، خصوصاً بعد ذهاب هاردي إلى الجزائر، وهو أحد أبرز أعمدة الجغرافية الاستعمارية (مع سيليريي وبرنار). فتم إطلاق العنان للخرائطية الموضوعية بعد أن انزوت الجغرافية وانعكفت على التدريس، وسخرت أعمالها لأغراض "تنموية" و "تنويمية"، تحت شعار العلم للعلم وتجرّد المعرفة عن التطبيق، اللهم ما كان صالحاً "للخير" وترقية "المغرب الجديد" واحترام "الروح الأهلية". عندها تعمق التفكير في المجال وفي سبل تنظيمه، وتمّ تنبيه السلطات بطريقة "بناءة" إلى تناقضاتها ونقط ضعفها.

لم يكن من بين الجغرافيين من يهتم نسبياً بهذه الادعاءات التشويهية والتمويهية سوى دريش الذي كان يفضل رمزياً في البداية تسليم خرائطه إلى النشرة الاقتصادية والاجتماعية على أن يسلمها لمجلة جغرافية المغرب، وكان يناهض الحماية مناهضة علمية وسياسية صريحة ومستمرة. لكنه لم يتمكن من إحاطة نفسه بأتباع وزملاء لهم نفس القناعات والاختيارات. كان سنده الوحيد هو فوج انتقالي نقدي من الجغرافيين الجدد الذين تفرّغوا للمشاغل العلمية الصرفة بعد الحرب العالمية الثانية (رينال، جولي، عياش، موريز، لوكوز). وظلّ هذا النهج سائداً حتى بعد الاستقلال. وهو المنحى الذي أدى إلى ازدهار الخرائطية الموضوعية.


ع. حميدة، أعلام *الجغرافيين العرب*، دار الفكر، دمشق، 1980 ؛ أ. الغرباوي، *البحث الجغرافي والالتزام السياسي في المغرب*، *البديل*، الرباط، 1983، عدد 4 ـ 5، ص. 54 ـ 65 ؛ إ. أبو طالب، *التاريخ المعاصر، البحث الغربي حول المجتمع المغاربي في الفترة الاستعمارية* (حصيلة وتقويم)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1986 ؛ م. عياد، *الأهداف الاستعمارية للاستعمالات الجغرافية* (1880 ـ 1904)، *الجامعة الصيفية*، وزارة التربية الوطنية، المحمدية، يوليوز 1987.

J. Canal, *Les troubles de la frontière marocaine, Bull. de la Sco. de Géo. et d'Archéo.*, tomeVI, Fasc. XXIX et XXX, Oran, Mars - avril, 1886, p. 112 - 121 ; A. Bernard, *Une nouvelle carte du Maroc, Bull. de Géo. et d'Archéo.*, t. XVII, Fasc. LXXII, Oran, 1987, p. 63 - 66; F. Weisgerber, *Contribution à l'histoire de la cartographie marocaine, R.G.M.*, t. VII, Fasc. 7, Rabat, 1928, p. 5 - 6 ; F. Gendre, *Voyageurs et géographes pionniers oubliés ou méconnus de la France, R.G.M.*, N° 1 à 4, Rabat, 1946 ; A. Hakam, *La cartographie au Maroc, le topographe*, Rabat, mars 1984, N° 4, p. 15 - 24; M. Naciri, *Déterminants et contextes de la production du*

*savoir géographique au Maroc de la fin du XIXè au milieu du XXè siècle, la recherche géographique sur le Maroc*, Rabat, 1989, p. 11 - 30 ; M. Hmam, *La cartographie au Maroc : situation et perspectives, topographe et foncier*, Rabat, juill. 1992, N° 2, p. 11 - 16 ; A. El Gharbaoui, *Cartographes et géographes arabo-musulmans aux temps de leurs splendeurs, Pub. Rev. Esp. Géo. et Soc. Ma.*, Casablanca, 1999.

مصطفى عياد

**الخراشف**، أسرة تطوانية أصلها من قرية الخراشفة من فرقة الريسانة بقبيلة الخلط ؛ وقد انقرضت بتطوان. كان منهم بها :

**الخراشف، عبد السلام** بن أحمد فقيه زاول نفس الخطة من سنة 1214 / 1799 إلى سنة 1291 / 1804.

**الخراشف، محمد** بن أحمد فقيه زوال خطة العدالة بتطاون سنة 1192 / 1778.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 608.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخرافة** أو السمكة المخيفة كما هو في المعاجم، نوع من الأسماك البحرية الغريبة المنظر. تنتمي إلى طائفة الأسماك الغضروفية ورتبة مكتملات الرؤوس Holocéphales وفصيلة الخرافيات Chimaeridae. تسمى علميا Chimaera monstrosa وبالفرنسية Chimère commune وبالأنجليزية Rabbit fish وبالاسبانية Quimera.

الإناث أكبر حجما من الذكور ولا يتعدى طولها متراً واحداً. غليظة الصدر والرأس، مستدقة الذنب السوطي الطرف. الجسم مضغوط جانبيا. العينان كبيرتان وبارزتان، الفم باطني الوضع يحمل أسنانا ملتحمة مع بعضها

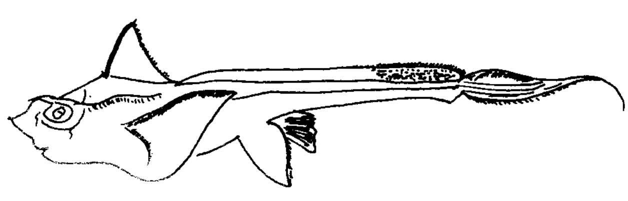

خرافة

ومتواصلة النمو. توجد على كل جانب أربع فتحات خيشومية مغطاة بغشاء جلدي. يحمل وراء رأسه شوكة قوية يصل طولها أحيانا 10 سم لها صلة بالغدة السامة. على ظهرها زعنفتان غشائيتان، الأولى منتصبة وراء الشوكة مثلثة الشكل، والثانية ممتدة على طول الظهر ولا يتعدى علوها 3 سنتمترات. الزعنفة الشرجية صغيرة جداً. الزعنفة الصدرية كبيرة ومستدقة الرأس. الزعنفة الحوضية مثلثة الشكل عند الإناث وتتحول إلى أعضاء تناسلية عند الذكور. الجسم خال من الحراشيف، فضي رمادي مخضر اللمعان على الظهر والجانبين ومصفر على البطن.

يشمل توزيعها الجغرافي السواحل الغربية للبحر المتوسط والسواحل الأطلسية الشرقية الممتدة من رأس الشمال إلى المغرب. تعيش في أعماق البحار المتراوحة ما بين 300 وألف متر وتتغدى على القشريات وصغار الأسماك والرخويات. تتوالد في الربيع والصيف وتضع الإناث البيض بداخل غشاء يلتصق بالصخور.

تُصاد بواسطة الجيَّاب Chalutier والصنانير التي ترمى في الأعماق. إنه سمك نادر في الأسواق نظراً لقلة الإقبال عليه ويحتوي كبده على زيوت تشحيمية تستعمل لتسهيل حركات آلات الصناعة المكانيكية. يعتبر الإسبان من أكبر صيادي هذا النوع في البحار المحيطة بالمغرب.

م. الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، بيروت، 1988.

W. Fischer, M. Schneider et M. L. Bauchot, *Fiches, FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche. Méditerranée et Mer Noire*, Volume II, *vertébrés*, 1987, p. 889 - 890.

محمد رمضاني

**الخرباش**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Girbes - Carbas. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

وهناك الخرْباش، عائلة جبلية تطوانية مازالت موجودة. وقف الفقيه الرهوني على رسم مؤرخ بـ 15 ربيع الأول عام 1214 مضمنه أن أولاد الخرباش شرفاء ميمونيون وذكر عمود نسبهم الذي ينتهي إلى أحمد بن إدريس ابن إدريس. وهم غير الميمونيين المشهورين بقبيلة بني بوزْرة وغيرها المنتسبين لميمون والد الفقيه الصوفي الشهير علي بن ميمون الغماري البوزراتي، بل نسبة هؤلاء إلى ميمون بن محمد بن رزق.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، 4 : 139، مخطوط خاص، م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 609.

محمد ابن عزوز حكيم و محمد بوخبزة

ابن **خرباش، السعود** الحشمي نسبة إلى جماعة الحشم أحلاف بني مرين وصنائعهم. وكان السعود هذا وزيراً للأمير أبي بكر بن عبد الحق المريني ونائباً له على مدينة فاس بعد أن استولى عليها في شهر ربيع الأول من سنة 647 / 1249. وفي شهر شوال من نفس السنة. وأثناء غياب الأمير أبي بكر في إحدى فتوحاته ببلاد فازاز اجتمع أشياخ فاس بزعامة الشيخ المشرف ابن جشار وأخوه وابن أبي طاطو وولده والقاضي أبي عبد الرحمان المغيلي وتآمروا على خلع الأمير وأغروا قائد الروم شديداً بقتل السعود فقتله واحتزت العامة رأسه ورفعوه على عصى وطافوا به في أسواق المدينة ثم انتهبوا داره واستباحوا حرمه.

وبعدوة الأندلس من فاس درب يعرف بدرب السعود حيث يعتقد البعض أنه ينسب إلى الوزير السعود بن خرباش المذكور.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، ص 396 - 397 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية* ... دالرباط، ص. 74 - 76، 1972 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 294 - 295، الرباط، 1972 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، ج 7 : 358 - 360، 1978 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 113، 1981 ؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، ص. 57، الرباط، 1972 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 174، الرباط، 1974 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 3 : 15، الدار البيضاء، 1954.

A. Khaneboubi, *Les premiers sultans merinides (1269 - 1331)*, Paris, 1987, p. 104.

ابن **خرباش، عمر** بن السعود الحشمي أبو علي استوزر للسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني ولخليفته يوسف. وفي عهد هذا الأخير قاد ابن خرباش عدة حملات عسكرية كان أشهرها منازلته لحصن تازوطة بالريف سنة 691 / 1292 بعد أن استبد به بعض المخالفين للسلطان كعمر ابن يحيى بن الوزير الوطاسي وأخيه عامر. وفي سنة 693 / 1294 حاصر ابن خرباش مدينة طريف مدة فامتنعت وأفرج عنها.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 381 - 384 - 409، الرباط، 1972؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، ج 7 : 449، 450، 452، 1978 ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*، ص. 21، الرباط، 1962 ؛ *النفحة النسرينية واللمحة المرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، ص. 37 - 39، دمشق، 1992 ؛ بيوتات فاس الكبرى، ص. 438، الرباط، 1974 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، الرباط، 1974، ص 438 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 3 : 73 - 75، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

**الخَرْبَاشِي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللتينية : Girbes - Carbas ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 610.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخرباشيون**، أو إخرباشن، إحدى التجمعات السكانية المستقرة بخُمس بني بويفرور من قبيلة قلعية، أصلهم من السجع الهلاليين، حلفاء بني مرين منذ دخولهم إلى إقليم كرط. استقروا بجانب واد خميس جزولة خلال الزحف المريني إلى الشمال الشرقي المغربي حوالي سنة 609 / 1212.

مجهول، *نسب قبيلة قلعية*، مخطوط، خ. ع. الرباط ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، العبر ؛ ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلية*، 1497 - 1859، البيضاء، 1997، تازوطا، *معلمة المغرب*.

حسن الفكيكي

**خرْبان**، حْميدُو، هو الاسم الذي اشتهر به البطل الشريف أحمد بن الحسن الدقاش العمراني الذي كان آخر مجاهد استسلم بشمال المغرب يوم 9 يوليوز 1927 حيث اعلنت القيادة العسكرية الإسبانية عن انتهاء المقاومة المسلحة بشمال المملكة.

وُلد المترجم له بمدشر ادقاشين ببني عمران من فرقة بني علي بقبيلة بني حسان في حدود سنة 1900 ؛ وفي سنة 1920 التحق بصفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني.

يقول عنه الكولونيل كباص في مذكرته بعنوان : *Cabecillas rebel des Gomara* (الزعماء الثوار بغمارة) التي أعدها لنيابة الأمور الوطنية ما يلي :

"احميدو خربان من سلالة الشرفاء العمرانيين الذين يتمتعون بنفوذ كبير في قبيلة بني حسان، وقد التحق بالمقاومة في سن مبكر وكان دائماً بجانب الزعيم احميدو السكان خليفة الريسوني الذي استشهد في المعركة الأولى بضواحي تازروت سنة 1922، وكان خربان آخر من استسلم أمام الجنرال سانخورخو بباب تازة يوم 9 يوليوز 1927".

ويقول عنه أحمد البوعياشي في كتابه *حرب الريف التحريرية* (2 : 241) ما يلي :

"المجاهد أحمد بن الحسن العمراني المعروف باحميدو خربان الذي كان له القدح المعلى في الجهاد عند الغزو الإسباني والذي كان آخر من اعتصم في جبل العلم مع ثلة

من المجاهدين، فلم ينزل إلا عندما استحال الدفاع فألقى عليه الإسبان القبض وعذبوه وسجنوه وعمر طويلاً إلى أن توفي رحمه الله سنة 1970".

ونفس هذه الشهادة نجدها عند العياشي المريني في كتابه "النضال الجبلي" الجزء الثاني، ص 6.

وأما قصة استسلامه فنجدها في تقرير أعده الكولونيل لاسكيطي بتاريخ 9 سبتمبر 1927 حيث قال :

"في أوائل شهر يوليوز 1927 كان جميع الزعماء المحليين الذين ظلوا يقاومون عملية التهدئة قد سلموا أنفسهم إلى قواتنا في جميع أنحاء المنطقة باستثناء الثائر المسمى احميدو خربان المعروف بعداوته لنا والذي ظل معتصما بجبل بوهاشم إلى آخر لحظة.

"وعندما اشتد عليه الحصار من كل جانب ونفذ ما كان لديه من زاد وبارود أرسل الثائر المذكور أحد أصدقائه يطلب الأمان من الجنرال سانخورخو بباب تازة يوم 8 يوليوز وأعطاه الجنرال الأمان بواسطة قائد المحلة القائد محمد الحرميطي الذي توجه إلى المكان الذي كان يوجد به الثائر وأخبره بذلك، وعندئذ خرج خربان من نوالته وتوجه صحبة الحرميطي إلى باب تازة صبيحة يوم 9 يوليوز".

إلا أن التقرير الإسباني لم يشر إلى ما تعرض له البطل خربان الذي ألقي عليه القبض بمجرد وصوله إلى باب تازة. وظل بالسجن لمدة طويلة، حيث كان من بين الأبطال المجاهدين الذين طالب الأستاذ الطريس بإطلاق سراحهم في مذكرة رفعها إلى المقيم العام الإسباني يوم فاتح غشت 1934.

أطلق سراح البطل خربان يوم 4 فبراير 1935 ولكنه فرضت عليه الإقامة الإجبارية بداره، وعلى إثر الحوادث التي جرت بسوق أربعاء بني حسان يوم 28 ديسمبر 1935 اتهم خربان بأنه كان له يد فيها فتم اعتقاله من جديد وظل معتقلاً إلى غاية يوم فاتح أبريل 1936.

وفي يوم 22 يوليوز 1936 ألقي عليه القبض مرة أخرى بأمر من قيادة الجيش الإسباني الذي أطاح بالنظام الجمهوري بإسبانيا، ولم يطلق سراحه إلا يوم 8 يناير 1937 وذلك بفضل تدخل الأستاذ الطريس في شأنه.

ومنذ ذلك اليوم أصبح يعمل في صفوف حزب الإصلاح الوطني، ولم تكن المخابرات الإسبانية بغافلة عن تحركاته وسكناته.

وافته المنية بتطوان سنة 1970.

Capaz Fernando, *Caberillas Nebeldy de Gomara*, 1949 ; Las quetti, *Corouel. Episodios de la campaña del Lucus*. Tetuan, 1929.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخَرْبَة**، لغةً من الخراب والتخريب، وهي في هذا السياق منطقة بمدخل مدشر أسرير الذي يبعد بحوالي عشرة كيلو مترات عن مدينة گلميم، حيث تجثم أهم البقايا للمدينة الشهيرة نول لمطة عاصمة وادي نون في العصر الوسيط، تتناثر آثار المدينة المندرسة على مساحة واسعة. وإذا كان البحث في تاريخ هاته الأخيرة يتوسع نسبيا، فإن الباحث فوق ذلك يطرح جملة من الأسئلة لاستنطاق هاته المخلفات واستغلال آفاق البحث الاركيولوجي لتغذية هذا الخصاص المعلوماتي حول نول لمطة. هذا إذا استحضرنا أن الأدب الجغرافي يزيد من غموض النصوص الواردة حول تاريخ المنطقة إن لم يكن في غالبه مجرد إعادة إنتاج يشكك في حقيقة اطلاع رواده على الأوضاع الاقتصادية والعمرانية لهاته الحاضرة.

تأتي "الخربة" في أسفل إحدى الهضاب حيث الموقع الشهير بأگويدير الذي يحتفظ بآثار أسوار متفرقة تنم عن تحصين قديم يجرنا السمك القياسي لأسواره وضخامتها إلى اعتبارها مؤشرات لدور عسكري (ناعمي، *الصحراء*، 43) يكرس ترجيحه الموقع الاستراتيجي المتمنع الذي يسمح بمراقبة كل المناطق المحيطة بالمدينة بجانب الخنادق المنجزة أسفل الأسوار، وهو ما يعطي أيضاً للباحث مشروعية التفكير في مدى ومبررات صمود نول أمام الحملات الموحدية المكثفة.

هذه المخلفات المتباينة تدل فعلاً على التوسع الكبير للمدينة التي ربما تكون فعلاً قد شملت في امتدادها التخوم الجنوبية لمدشر تغمرت بينما تبقى المواقع والأسماء الجغرافية بالغة الأهمية في ترجمة هذا الامتداد على الأراضي البورية المحيطة الآن بالمداشر حتى مشارف واعرون (اگاوس) ويفسر أيضاً هذا العمران الذي بلغ أوجه في القرن العاشر الميلادي كثافة التجمع السكاني الذي كانت تحويه المدينة والذي سبق أن عبر عنه الإدريسي حيث قال : "ومدينة نول مدينة كبيرة وعامرة" (Meunié, 246) ومع أننا واعون بالاحتياط المنهجي لاستحالة تطبيق وإسقاط المفاهيم الجغرافية المعاصرة، غير أن العلاقات البيجالية والموقع الاستراتيجي للمدينة كمحطة تجارية ومركز للعبور والتنقل السريع وفرت لها إمكانية جذب واستقطاب أعداد كبيرة من السكان مع اكتظاظها وامتدادها (ناعمي، *الصحراء*، 43).

ومن حيث إن المساءلة هنا تظل واردة ووحيدة في غياب معطيات قارة ومحددة تنقص من حدة الطابع الاستفهامي، فإن لنا أن نقارن بين حجم المقبرة التي خلفتها المدينة والتي تتجاوز قرية أسرير متركزة بشكل أضخم في منطقة "الخربة"، وبين معطى الساكنة الكبيرة (جوماني، 34) والمهم في هذا الصدد هو الحيِّز الكبير الذي تحتله الخربة في الذاكرة الجماعية بوادي نون وفي الرواية الشفوية المتعلقة بنول لمطة (مدينة لمطة) في صيغة تجعل من الإحالة عليها ممراً ضرورياً تتناقله الأجيال وتعيده محافظة على مجمل مكوناته، كاشفة عن مضمرات غيبية لفكرة الخراب وعن

تعدد الحمولات الرمزية التي تخلط فيها الرواية بين الرموز الدينية ومشاغل الاهتمام التاريخي بالحقائق، فإشعاع المدينة المعروف لا يلبث أن ينقلب إلى رغبة في تأويل وتفسير هذا الخراب الضخم والمحير، فنلتفت هنا بقوة إلى أهمية عنصر الطوفان (العرقة أو بومعروق بالتعبير المحلي) الذي تدور حوله الرواية الوحيدة، ولا ننفي هنا سيطرة المرجعية الدينية إذا نحن تذكرنا بأن العناصر الحكائية المكونة للرواية تستلهم بشكل مورفولوجي قصة سيدنا نوح مع ساكنة ناطقة بالعربية، هكذا يدفعنا هذا التنظيم الشكلي إلى التأكيد على المفاهيم الرمزية للطوفان والانتباه إلى مستويات تعريب "الذاكرة المحلية" وهي مواضيع يجب أن يطرقها ميدان الأدب الشفوي. بين الحقيقة التاريخية والرغبة في التفسير يقع عنصر "الخربة" كمهماز للمخزون الثقافي، فالطوفان يصبح مدمراً لأن درجة الايمان باتت ناقصة لكنه في نفس الوقت يكون متبوعاً بتجديد المساكنة، لأنه في الحقيقة ينتج عن أخطاء سابقة ويظل الماء في هذا الوضع دلالة على اغتسال جماعي من الذنب وعلى مستوى لاحق مطلباً لطهارة هذا الجيل اللاحق (*Dictionnaire*, 182) زيادة على كونه شهادة للاعتبار من "الخربة"، دون أن نغفل طبعا عنصر الماء وحضوره في فترة يُؤرخ لها القرنان الثالث عشر والرابع عشر للميلاد المطبوعان تدريجيا بندرة خطيرة وجفاف مميز حتى إن من بين احتمالات انقراض نول لمطة قلة الماء وقرب تاگاوست من المحور الساحلي (Naïmi, *Le pays Tekna*, 127).

إننا نؤكد هنا على نجاعة البحث والتفكير في محاور الطوبونيميا والميكروطوبونيميتا كعوامل مساعدة لتخطي الفقر المعرفي الخاص بوادي نون أولاً ولدورها في توجيه مساعي التنقيب الاركيولوجي في المنطقة من جهة ثانية.

أ. جماني، *المدينة المغربية في العصر الوسيط، نول لمطة نموذجا*، بحث لنيل شهادة الإجازة في التاريخ، جامعة ابن زهر، كلية الآداب - أگادير، 1993 - 1994 ؛ م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة : تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، عكاظ. 1988.

J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, vol. I, Paris, 1982 ; J. Chevalier et A. Gheerbrant, *Dictionnaire des symboles*, vol. I, Paris, 1974 ; M. Naïmi, *Le pays Takna : commerce et ethnicité avant la constitution conféderale*, in *Le Maroc et l'Atlantique*, Rabat, 1992.

أحمد جوماني

**الخَرّبوش**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة سهاتة ؛ وقد انقدضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 1608.

محمد اين عزوز حكيم

**خربوشة**، عيطة تُغنَّى منذ القديم وتدخل ضمن عيوط الحصبة حسب الرواية الشفوية، نسبة إلى الشاعرة الشعبية حويدّة التي تدعى أيضاً خربوشة (انظر حويدة). نظمت هذه المرأة قصيدة خربوشة التي كان مطلعها :

زيدو أولاد زيـــــد راه الحال مازال بعيـــــد

وطبعا كانت هذه المرأة تستنهض الهمم وتوقظ الحماس للدفاع، وبعد انهزام القبيلة فرت حْويدّة أوحادّة وهو اسمها الحقيقي إلى منطقة ورديغة محتميَة بقائد المنطقة، لكنه سلمها إلى القائد عيسى بن عمر الذي أمر بدوره بإعدامها وقبل ذلك طلب منها أن تغني له تلك الأغنية.

شرع أبناء قبيلتها الذين أصبحوا مشردين ومنفيين في رثاء شاعرتهم الفحلة وبذلك وضعوا لهذه العيطة هذا المطلع.

الحمرا، خربوشة، زروالة، لكريدة
باربعة محسوبات ما يدم حدّ

الحمراء لكون لونها يميل إلى السمرة، وسميت خربوشة لاصابتها بالجدري، وزروالة نظراً لأن لون عينيها ما بين الأزرق والأخضر، ولكريدة نظراً لأن شعرها كان من النوع الخشن.

وعيطة خربوشة من أقدم العيوط وأحسنها دلالة، وهي تعتبر انعكاسا للتغيير الحاصل في البنية الاقتصادية والاجتماعية لمنطقة عبدة من جهة والتنافر الذي حصل بين السلطة المخزنية والرعية من جهة أخرى. وتتكون هذه العيطة من خمسة فصول وقفل وثلاث حطات، والحطة هو البيت الذي بواسطته تنتقل من فصل إلى آخر. وعندما جاء بوشعيب البيضاوي حاول نسج عيطة أخرى على منوال عيطة خربوشة في "الحصبة" وذلك بأخذ فصلين فقط من العيطة الأصلية وإضافة عدد من الأبيات التي لها اتصال بمنطقة الشاوية والدار البيضاء وهكذا أخرج عيطة "خربوشة منانة المرساوية" أو "البيضاوية" والتي تتكون من فصلين فقط وحطة واحدة.

فهذه العيطة الجديدة هي وليدة الخمسينات وقد تناقلها الشيوخ والأجواق نظراً لسهولتها وعذوبتها. وفي بداية السبعينات أخرجتها الحاجة الحمداوية في قالب آخر جديد تحت عنوان : "أمنين أنا أو منين أنت". وقد تجاوزت في تقديمها من إطار الجوق التقليدي الضيق إلى أوركيسترا عصرية تعطيها روحا جديدة.

أما من حيث البنية اللحنية لقالبها الموسيقي. فهي وإن احتوت مجموعة كبرى من الألحان فإن جل هذه الألحان لا يكاد يخرج عن مقامين اثنين يقومان على نغمة "ضو" أو نغمة "ري" اللامقامية.

وعن طريق مقابلة للنصوص الثلاثة لهذه العيطة بمختلف تناولاتها يظهر لنا التغييرات التي لا مست جسد العيطة الأصلية :

مقطع

الحمراء، خربوشة، زروالة، لكريدة

فصل 1 الكافرة واغدرتي، أسيدي ما يدوم حد

الزمان إلْرحْ القدرة تلاقي

حطة عادا الخيل اجيبو الزين

خربوشة المرساوية أو خربوشة منانة لبوشعيب البيضاوي

خربوشة منانة الحمرة لگليلة بربعة محسوبين
أنا ركوب الخيل آمّيمتي الهوى صعيب على ربي
آه ياوين، آه ياوين، الليلة نباتو زاهين
اسيدي الهوى صعيب على ربي
يا لله يا لله انتفكرُو الحباب، الهوى يا سيدي
شدوك علي، آه يا وهيا

إ. الإدريسي، *كشف الغطاء عن سر الموسيقى ونتائج الغناء*، الرباط 1935 ؛ ع. رگوگ، *العيطة المرساوية بين الأصل والتطورات الحالية*، ندوة الثقافة الشعبية كلية الآداب ـ عين الشق. 17 / 2 / 94 ؛ *التأثر بين الحصبة والمرسى أثر الجوار الجغرافي*، الإتحاد الاشتراكي، 95 ؛ *الرواية الشفوية* ؛ *معاينات ميدانية* ؛ *كناش* مكاتب الطابع الشريف، خ. ع. رقم 39 / 79 ـ 43 / 79 ـ 10 / 79 ـ 19 / 79 ـ 30 / 79 ـ 66 / 79.

علال رگوگ

**خَرخُور**، أسرة تطوانية أصلها من قرية دار خرخور بقبيلة بني حزمر.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 611.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخراز**، أسرة فاسية على فرقتين، فرقة كان لها ذكر بفاس في القرن العاشر، من بني أمية، سكنوا أولا مدينة شريس بالأندلس ثم انتقلوا إلى فاس واستوطنوها ويوجد بأجنة المرج جنان ابن الخراز الكبير، وجنان الصغير ومنهم الشيخ إمم القراء (ت. 918) دفين باب الحمراء داخل باب فتوح له تآليف في القراءات.

والثانية شرفاء من جبل لعلم كان لهم ذكر بفاس رأيت في رسم مؤخر في عام 1111 ذكر بعضهم وحلاه الموثق : الخراز الشريف. انقرضوا، وبقي منهم جماعة في بني حزمر وبني عمران وخيرهم.

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 1 : 178.

ابن **الخراز، عبد الرحمن** بن عبد الرحمن بن عباس الجذامي من أهل سبتة عرف بابن الخراز قرأ بسبتة وبالأندلس على جلة من العلماء منهم القاضي عياض السبتي. أصبح أحد أئمة القراءات، وأقرأ بسبتة نحواً من ستين سنة وكان من تلاميذه المحدث الإمام أبو العباس العزفي. كان حيّاً سنة 579، وذكر ابن الزبير وجود ترجمته عند ابن عبد الملك في *الذيل* غير أن اسمه قد يقع في السفر السابع الذي لا يزال مفقوداً.

ابن الزبير، *صلة الصلة*، 3 : 218 ـ 219.

أحمد عزاوي

**الخراز، محمد** بن محمد الشريشي شيخ القراءات في الغرب الإسلامي. قرأ على كبار شيوخ علم القراءات والضبط فمهر فيه. ومن المعلوم أن دراسة علوم القرآن تقدمت تقدماً كبيراً في العصر المريني، باعتبار القرآن المصدر الأول للتشريع الإسلامي، كما تقدمت أيضاً العلوم المتصلة بالقرآن كعلم القراءات فكان محمد الخراز من مشاهير شيوخ هذا العلم والمبرزين فيه. وله فيه تآليف عديدة منها :

رجز بعنوان مورد *الظمآن في رسم أحرف القرآن*، أصبح هذا الرجز معتمداً لدى طلبة علم القراءات في المغرب زمناً طويلاً، أورده أبو سالم العياشي في اقتفاء الأثر كسند من أسانيده.

- نظم آخر في رسم القرآن سماه : عمدة *البيان*.
- تأليف ثالث في رسم القرآن مثل مورد الظمآن، لكنه منثور.

توفي الخراز عام 718 / 1318 ودفن بفاس.

خ. الزركلي، *الأعلام*، ج 7، ص 262 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 114.

رقية بلمقدم

**الخراط**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ولعل اسمها مأخوذ من حرفة الخراطة التي كان يتعاطاها بعض أفراد هذه الأسرة التي انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 607.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخرُّوب** أو "الخرنوب" بالعربية، "تيكيدا" أو "سْليغْوا" أو "تيسْليغْوا" بالأمازيغية، نوع نباتي يسمى علميا سيرَاتونْيا سَيليكْوا Ceratonia siliqua وهو من فصيلة القَرنيات Leguminosae. وهو شجرة ذات تاج كروي كثيف يبلغ علوها ما بين عشرة أو خمسة عشر مترا، دائمة الخضرة. جذعها رمادي أملس في الصغر ومشقق في

الكبر. لها أوراق مركبة ذات وريقات بسيطة عريضة خضراء لامعة. أزهارها وحيدة الجنس لكنها توجد مجتمعة في نفس الشجرة على شكل ازهارات هرية أنثوية وأخرى ذكرية. ثمارها قرنية طويلة مسطحة، يمكن أن يبلغ طولها عشرين سنتمترا، سمراء بنفسجية ولحمية تحتوي على بذور سمراء ملساء لامعة وشديدة الصلابة.

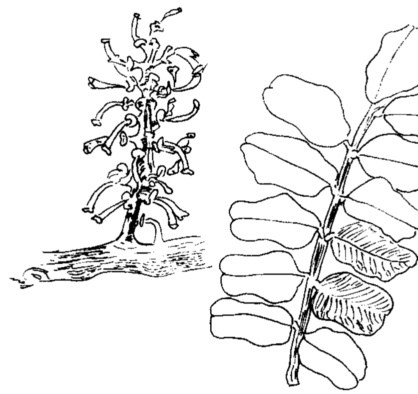

الخروب

الموطن الأصلي والطبيعي للخروب هو المنطقة المتوسطية حيث يكثر في الطابق النباتي المتوسطي الدافئ واستثنائيا تحت المتوسطي وفي المناطق البيومناخية شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة ذات الأشكال الدافئة والمعتدلة. أما من حيث التربة فإنه يحبذ الأراضي الحمراء السميكة.

بالرغم من وجوده طبيعيا بالمنطقة المتوسطية فإن الخروب غرس في أنحاء عديدة لثماره وبذوره. تستعمل القرون بعد طحنها كعلف للحيوانات نظراً لما تحتويه من قيمة غذائية كبيرة أو في صناعة الأدوية ضد الاسهال عند الأطفال.

واستعملت بذور الخروب من قبل لوزن الذهب.

*أبحاث شخصية.*

عبد المالك بنعبيد

**

ورد ذكرُ الخروب، في عدد من المصادر مثل *أخبار المهدي*، 31 و*الحلل الموشية*، 108، و*البيان*، 3 : 316. و*وصف إفريقيا*، 2 : 43. ويبدو أن ثمرة الخروب مثلها مثل البلوط استعملت كمواد تكميلية في التغذية البشرية ومواد للعلف، ومن الأشجار التي تعمر طويلاً ما استغل لأغراض أخرى تتعلق بالجانب الروحي السحري فتحظى بنوع من التقديس، ومنها شجرة الخروب على أن منافع الخروب - شجرة وثماراً وأخشاباً - كانت متعددة من ذلك ؛ ما ذكره البيدق أن الموحدين بايعوا المهدي بن تومرت تحت شجرة خروب ( *أخبار المهدي*، 34، *الحلل الموشية*، 108).

وعن توزيعه الجغرافي يظهر من إشارات المصادر أنه كان موجوداً في كل جهات المغرب الجبلية جبال غمارة (الريف) وجبل درن الأطلس الكبير الصغير والنجود العليا (جبل بني يزناسن) (*أخبار المهدي*، 34، *نزهة المشتاق*، 3 : 230، *الروض المعطار*، 235، *البيان*، 3 : 316، *اختصار الأخبار*، 92)، لكن ما نلاحظه بخصوص معظم إشارات المصادر المذكورة، هو أنها لم تذكر غابات للخروب باستثناء الحسن الوزان، فقد أنفرد بذكر غابة للخروب في جبال بني يزناسن، وأيضاً بإشارته إلى أن الخروب كان الغذاء الرئيسي للسكان (*وصف إفريقيا*، 2 : 43)، قد يكون في كلام الوزان بعض المبالغة، أو أن الأمر يتعلق باستهلاك للخروب في ظروف غير عادية مثل قلة المحاصيل الزراعية أو المجاعة حيث تصبح المواد التكميلية مواد رئيسية، أما مسألة "غابة الخروب" فمن خلال إشارات المصادر ومن المقارنة بما هو عليه الخروب اليوم فإن شجرة الخروب تنبت عادة في المناطق الرطبة وفي بطون الأودية وبجوار المياه، أما مناخ المغرب الشرقي فيتميز بجفافه النسبي كما هو معروف في أيامنا هذه، اللهم إلا إذا كانت المعطيات المناخية في عهد الحسن الوزان أكثر ملاءمة لهذه الشجرة، وفي ذلك مؤشر كبير على التحول الذي عرفته المنطقة على المستوى الايكولوجي *وصف*، 2 : 43).

لم يذكر العمري في اللائحة التي قدمها عن الفواكه في المغرب الخروب ولم يشر إليه في معرض حديثه عن الكثير من المعطيات الطبيعية من نبيت ووحيش، أما الأنصاري السبتي فقد ذكر أن في سبتة وبليونش نوعين من الخروب وصنفه ضمن الفواكه الخريفية (*اختصار*، 92) ؛ وانفرد ابن عذاري (في *البيان المغرب*، 316) بذكر استهلاك غريب في مراكش وقت المجاعة في عهد الرشيد الموحدي، فقد أشار إلى عصائد نوار الخروب ضمن المواد الجديدة التي ظهرت في السوق بمراكش.

مازال الخروب موجوداً إلى اليوم تباع فاكهته وتستهلك في مناطق إنتاجه وفي المدن والأسواق لكن بدرجة أقل، ويستخدم في تحضير الكثير من المواد الغذائية مشروبات، حلويات، شكولاته وحتى المساحيق الغذائية العالية الجودة للأطفال الرضع إلى غير ذلك... وقد كان الخروب قبل العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين من المواد المصدرة من المغرب إلى الخارج.

أ. البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت* ؛ مجهول مراكشي، *الحلل الموشية* ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب* ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ الأنصاري السبتي، *اختصار الأخبار* ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ع. المنعم الحميري، *الروض المعطار* ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار*، م. المنوني،ورقات، الرباط، 1979، ومقتطفات ثانيان، الجزائر، 1924.

محمد حجاج الطويل

**الخرّوب**، قرية وقلعة ونهر وسهل، فقرية الخروب قاعدة جبل حبيب، ببلاد الهبط عرفت بهذا الاسم منذ العهد الإسلامي الأول، حسبما أخبرنا به أبو عبيد الله البكري، إذ أنها كانت محطة تجارية بين فاس وطنجة شمالا وتطوان

وسبتة شرقا، واقعة على السفح الشمالي الغربي من جبل حبيب الفوقي، حسب التقسيم الحالي.

تأثرت القرية بالغزو البرتغالي لأصيلا وطنجة وتحصن أهلها بالقلعة المعروفة بنفس الاسم في قمة جبل حبيب، ولم يعد إليها أهلها إلا بعد الجلاء عن أصيلا سنة 957 / 1550.

ولسنا على بينة من الدور التاريخي المرتبط بالقرية إلا في إطار المحيط الجغرافي للقبيلة كلها. وكل ما نعلم عنها في الأخير سوى أنها كانت في بداية القرن العشرين تضم 46 كانونا، وعانت ما عانى منه الجبل من الغزو الاستعماري الإسباني في مستهل عهد الحماية.

ولقرية الخروب قلعة عتيقة احتفظت بشهرتها القديمة منذ الفتح الإسلامي، وبحصانتها الطبيعية المستندة إلى موقعها المرتفع بظهر جبل حبيب بعلو 900 م، عرفت من طرف البحارة الأجانب بارتفاع باسق لشجرة الخروب بأعلى جبل حبيب، اتخذوا منها منارة برية للدلالة عليه، إذ أنها كانت تشاهد من عرض بحر المضيق.

وبقلعة الخروب أنشأ حاكم طنجة وأصيلا المريني صالح ابن صالح الياباني المتوفى عام 844 / 1440 قصره قبل سنة 844 / 1440 لسكنى إحدى زوجاته وأبنائها، كما كان عميد المقدمين المجاهد أبو علي الحسن بن محمد العلمي قبل مقتله بها سنة 876 / 1471 قد زاد في تحصين القلعة وتجديدها، لتصبح معقله الذي قاد منه حملاته ضد سبتة والقصر الصغير مدة تقرب من نصف قرن.

أصبحت قلعة الخروب منذ احتلال البرتغال لأصيلا وطنجة عام 876 / 1471 العقل المدبر لحركة الجهاد بالشمال الغربي المغربي، بفضل تنظيمها للغارات على سبتة منذ احتلالها سنة 818 / 1415 وعلى أصيلا إلى إخلائها سنة 957 / 1550 وطنجة إلى استرجاعها من يد الإنجليز. كانت قلعة الخروب التي أدارتها شفشاون العَلَمية خلال القرن العاشر الهجري (16 م) مقر القيادة الجهادية لعدد من المقدمين الهبطيين المتعاقبين على تسيير شؤون الجهاد خلال هذه الفترة.

واشتهر سهل الخروب الفسيح بين شفشاون وطنجة وأصيلا كخط للمواجهة بين المجاهدين من أمراء بني راشد وغيرهم وبين البرتغاليين.

احتفظت قلعة الخروب بمكانتها إلى العهد السعدي منذ وصولهم إلى الشمال الغربي المغربي سنة 956 / 1549، وكانت القلعة بعد الجلاء البرتغالي تابعة لحاكم أصيلا الأول عبد الواحد العروسي ثم لخلفه عبد الرحمن بن تودة العمراني، حوالي سنة 1554.

غير أننا نجهل مصيرها بعد ذلك، إذ أن التاريخ يتحدث عادة عن جبل حبيب بدون الإشارة إلى القلعة. وغير بعيد أن ما تعرضت له من الإهمال أدى بها إلى الاندثار التدريجي. ولاتزال آثارها في الوقت الحاضر، بعيدة عن الأنظار، معلقة في أعلى جبل حبيب متداعية العمران، وبجوارها ضريح حبيب بن يوسف الفهري.

وارتباطا بشهرة القلعة والقرية سمي النهر المحيط بجبل حبيب من الجهة الجنوبية بواد الخروب أو الواد الكبير. وهو ينبع من بني احمايد ويتصل بواد حريشة عند نهاية جبل حبيب التحتي، ليشكلا معا رافد واد تاهدرات ويصبان شمال أصيلا.


أ. البكري، *المغرب في أخبار بلاد إفريقية والمغرب* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج. 1 ؛ أ. ابن عرضون، مقنع المحتاج في آداب الأزواج ؛ ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، د.د.ع، مرقونة، الرباط 1991 ؛ *جبل حبيب*، جمعية البحث التاريخي ؛ *جبل حبيب*، *معلمة المغرب*، ج. 10 ؛ *ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية*، تطوان 1951 ؛ *تحر ميداني*، *تقرير مجموعة بحث وتوثيق في تاريخ الشمال الغربي المغربي*، سنة 1993.

B. Rodrigues, *Anais de Arzilam* Lisboa 1915 ; Gomes Eanes de Zurara, C. *de D. Duarte* ; D. de Gois, *Cronica do rei D.* Manuel ; Luis de Sousa, *Les Portugues au Maroc* ; Martin Ruiz, *Toponimia Menor de Jibala, Cuadernos de la Bibleoteca de Tetuan 1979* ; *Geografia de Marruecos, Protectorado y Posisiones de España en Africa*, Madrid 1939.


حسن الفكيكي

**خرّوبة** (عين -) توجد في المنطقة الممتدة ما بين مدشري أسرير وتغمرت حاليا(بوادي نون) مع ميلها النسبي نحو الجنوب، وترجعها الرواية الشفوية إلى الاستغلال السقوي المبكر لمدينة نول لمطة عاصمة المنطقة في الفترة المرابطية، فالمخلفات الأثرية لنظام سقوي متطور ما تزال تشهد على الأهمية التي كان يُوليها السكان لمياه العيون، ولعل الامتداد الجغرافي للمدينة الذي تشير إليه وفرة الأنقاض سيكون قد جعل البساتين منتشرة على طول المجال الفسيح الرابط بين المدشرين حالياً، لكن الرواية الشفوية مع ذلك تتحدث عن عيون مائية بوادي صياد (وادي نون)، فهل يعني ذلك تعدداً للموارد المائية أم اختلاطا في معطيات الذاكرة الشعبية ؟ ولماذا نجد كويرة تاناست (السطلة = آنية لتوزيع حصص الماء) محاذية لضفاف وادي صياد بعيداً عن تغمرت ؟ وبالمقابل أي معنى نستنبطه من كون السواقي التي ظهرت الآن بفعل عوامل التعرية، متجهة في شكل انحنائي منحرف عن وادي صياد ومتجهة نحو عين خروبة ؟ ألم يلتفت الحميري نفسه إلى هذا التعدد إذ صرح بأن مدينة نول "ماؤها جار" ؟ (الحميري، 524).

والأكيد جداً أن علي بودميعة (أبو حسون السملالي) حين سيطرته على وادي نون والصحراء في القرن السابع عشر، قام باستغلال عين خروبة من أجل تزويد مغارسه الواسعة بالماء المنتظم، قبل أن يعمل السكان فيما بعد على

تخريب منشآته وأهمها البنيات السقوية إذ ما تزال بقايا الخطاطير (ج، خطارة) المنطلقة من عين خروبة منتصبة إلى الآن، فلماذا إذن لم يعمل بودميعة على استغلال العيون الأخرى الموجودة شرقي تغمرت ؟ ولماذا ركز على نظام الخطاطير ؟ هل كان يطمح ويبحث عن موارد تغنيه أو تجعله مستقلاً عن ملكيات جماعية من شأنها أن تفشل مساعيه الاستثمارية ؟ ثم هل فعلاً قام بإعادة استغلال عين خروبة بعد أن جفت كما تميل إلى ذلك أغلب الروايات الشفوية ؟ واضح فعلاً أن النزاعات حول الماء في القرن الثاني عشر بين أهل أسرير وأهل تغمرت والتي تتكرر أكثر في بيوغرافية الولي محمد بن عمرو الأسريري لم تكن تعني سوى العيون التي ما تزال مستثمرة إلى الآن مما يشفع لنا في إمكانية التأكد من أن عين خروبة قد أتت عليها حروب وأزمات القرن الثاني عشر أو ربما أيضاً القرن الرابع عشر، إذا نحن علمنا أن من بين أسباب اضمحلال نول لمطة نقصاً خطيراً في عنصر الماء (Meunié, 303)، غير أن مصطلح "خروبة" الذي لا نجد له تفسيراً في القاموس السوسيو اقتصادي المحلي في الوقت الذي نصادفه في موازين وأكيال السوائل في اللغتين الإسبانية والبرتغالية، خاصة في الجهات التي خضعت لسيطرة القوى الإيبيرية، يزيد من ضرورة الاستنطاق التاريخي واللساني للمعطيات الجهوية من أبعادها الواسعة، فهل تؤرخ عين خروبة فيما بعد لاستغلال فلاحي إسباني في المنطقة أو على الأقل مجرد تنظيمات تضمن منتجات من هذا الميدان ؟ الرواية الشفوية في غياب معلومات موثقة تشير إلى منشآت كثيرة متعلقة بالتخصص السقوي كانشاء سد تقليدي بوادي صياد وترميم السواقي ... حتى إن سيطرة المشاريع المرتبطة بالسقي تكاد تستحوذ على جل روايات ماضي الوجود الإسباني المبكر بوادي نون، ألم تشر وثيقة في أواخر القرن الخامس عشر (مؤرخة في سنة 1499) بتبعية تغمرت للتاج الملكي الإسباني ؟(P. Cénival - R. Ricard).

وعلى العموم فالعمليات الأركيولوجية ستجيب وحدها عن مجمل هاته التساؤلات التي تظل إلى الآن معلقة، وستسمح برفع حجاب الغموض عن طبيعة الأنشطة السقوية وعن تطورها طوال الفترة الممتدة لربما حتى ما قبل المرابطين.

الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، ط 2، بيروت، 1980.

P. Cenival et F. Lachappelle, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique*, *Hesp.*, 2 - 3 trimestre, 1935 ; J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, vol. I, Paris, 1982; M. Naïmi, *Le pays Takna, commerce, histoire et structure*, thèse du D. d'Etat (inédite), Fac. des Sci. Jur. Eco. et Soc., Univ. Med. V, Rabat, 1987.

أحمد جوماني

**الخَرُّوبي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Algarrobo وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطارن (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 612.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخَرُّوبي، محمد** بن علي، من الأعلام الذين تربطهم بأقطار المغرب العربي الأربعة روابط متميزة. فهو صفاقسي الأصل وطرابلسي النشأة ونزيل الجزائر ودفينها وسفير الخليفة العثماني سليمان القانوني لدى السلطان محمد الشيخ السعدي، بالاضافة إلى صلاته العلمية والروحية بمشايخ الصوفية والفقهاء حيث غطت إيجابيته العلمية على فشل مهمته الدبلوماسية. وعاصر ما تعرض له التجار الإسلاميون من مضايقات بكل من مكناس وفاس، فكان الفقيه الوحيد خارج المغرب الأقصى من بين الفقهاء الذين أفتوا في هذه الظاهرة سنة 934 هـ وأرسلوها إلى محمد المسعود وزير السلطان الوطاسي، وقد أشار في مقدمة رسالته بما يشعر بوجود فتاوى متقدمة تمنع الإسلاميين من الاختلاط بالتجار القدامى في أسواق معلومة. وقد أورد محمد حجي مضمن فتوى الخروبي في الجزء الأول من كتابه *الحركة الفكرية في عهد السعديين*. وهذه الفتاوى الموجهة إلى الوزير المذكور تجمع على السماح للإسلاميين أو المهاجرين بالتجارة في الأسواق بدون استثناء. ومما قال هذا الفقيه : "وإذا كان الداخل في ديننا لم يمنع من الدخول في أسواق الآخرة التي هي المساجد والأماكن المشرفة حتى روضته صلى الله عليه وسلم - التي هي أشرف البقاع - فكيف يمنع من أسواق الدنيا وتجارات البوار".

وأتيح للشيخ الخروبي زيارة المغرب مرتين، الأولى سنة 959 والثانية 961 [وقيل إن سفارته الأولى، كانت في أواخر العهد الوطاسي] فدخل مدينة فاس ومراكش. فأقبل عليه طلاب المعرفة رغبة في الإجازة. وهكذا استجازه علي البقال الأغصاوي المتوفى سنة 981. فأخذ عنه وعول عليه في الطريقة، وأخذ عنه كذلك أحمد بن قاسم الصومعي الذي كان يدرس بفاس ولم يعد منها إلى بلده الصومعة إلا سنة 964، واستجازه أيضاً محمد الحضري شيخ أحمد بن القاضي.

وخلفت زيارته ضجة علمية بسبب الرسالة التي بعث بها إلى شيخ الصوفية أبي عمرو القسطلي المراكشي المتوفى سنة 974 ينكر عليه فيها دعاويه العريضة، وقد أورد محمد بن عسكر جزءا من هذه الرسالة التي تسمى *رسالة ذي الإفلاس إلى خواص مدينة فاس* في كتابه *دوحة الناشر*، وبيّن موقف عالمين منها، وهما عبد الله الهبطي ت. 963 ومحمد اليسيثني ت. 954.

ولـمّا اطلع عليها الشيخ الهبطي أمر كاتبه أن يكتب إلى الشيخ الخروبي مبينا له هفواته بلطف، ويذكر أن تلك الهفوة إنما طغى بها القلم واعتذر له ليصلح فسادها في رسالته، ولما أتم الكاتب الرسالة أحالها بإذن الشيخ علي اليسيثني فكتب في طرتها يشنّع على الخروبي ويخطئه، غير أن هذا التحامل على هذا الشيخ أغضب عبد الله الهبطي فقال : الله أكبر أراد أن يخطئ هذا الرجل فوقع في خطأ أعظم من خطئه. أو مثلُه تصدر منه هذه الزلة ؟

وفي سنة 1000 هجرية وقف أحمد بن أبي محلى على الرسالة المذكورة وهو بأكتاوة بدرعة فثارت ثائرته وجرد قلمه للدفاع عن الشيخ أبي عمرو القسطلي الذي هو أستاذ شيخه محمد بن مبارك الزعري.

وأما مهمته السفارية فتؤرخ لفترة انفجر فيها الوضع بين المغرب وأتراك الجزائر من جراء المعارك على الحدود الشرقية المغربية ودخول محمد الشيخ السعدي إلى تلمسان مرتين ثم طرده منها. ولتهدئة الحالة وترسيم الحدود كلف الخليفة العثماني سفيره محمد الخروبي بهذه المهمة إلا أن السلطان محمد الشيخ تشدد في موقفه وقال : "لا جواب عندي حتى أكون بمصر، وعندئذ أكتب لسلطان القوارب".

وهكذا تعرفت الأوساط العلمية والصوفية والمخزنية بالمغرب على هذا الشيخ الذي وافاه أجله سنة 963 ودفن خارج مدينة الجزائر تاركاً عدة مؤلفات منها : *رسالة ذي الافلاس إلى خواص مدينة فاس وكتاب في الحكم وكتاب في التفسير ومزيل اللبس عن آداب، وأسرار القواعد الخمس وشرح الصلاة المشيشية.*

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ مؤرخ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع في منافر الجزولي والتباع ومالهما من الأتباع*، ص. 20 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 5 : 27 ؛ إ. باشا البغدادي، *إيضاح المكنون*، ج. 2 : 274 ؛ *هدية العارفين*، ج. 2 : 245 ؛ ع. بن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، 5 : 129 ؛ ع. رضى كحالة، معجم *المؤلفين*، 11 : 6 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية في عهد السعديين*، ج. 1 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج : 713 و714 ؛ م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي*، ص. 41.

محمد ماكَامان

**الـخرّيم**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سلمان الغمارية، انتقلت إلى تطوان حيث أنجبت بعض الفقهاء، تذكر الوثائق منهم العدول :

**الـخرّيم، أحمد** بن عبد الله فقيه زاول نفس خطة العدالة سنة 1203 / 1789.

**الـخرّيم، عبد الـجليل** بن الفاضل فقيه تعاطى نفس الخطة من سنة 1182 إلى سنة 1193 (1768 - 1779).

**الـخرّيم، عبد القادر** بن محمد، فقيه من قبيلة بني زجل الغمارية كان يترأس جماعة من المجاهدين الذين انضموا إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد عين الفقيه عضواً في المجلس الاستشاري للمقاومة في المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 ؛ وشارك في المؤتمر المنعقد بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 وفي المؤتمر المنعقد بقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915، وشارك في 11 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, *Calecidas*, 949.

**الـخرّيم، محمد** بن عبد الصمد فقيه زاول خطة العدالة سنة 1132 / 1720.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 615.

محمد ابن عزوز حكيم

**خرزوزة**، تقع منطقة خرزوزة جنوب شرق مدينة أزرو وتتمثل في مرتفعات الأطلس المتوسط الغربي الهضبي عند اتصاله بأعالي سهل تيكَريكَرة المنتمي إلى منخفض الهضبة الوسطى. وتعلو الكورنيش الصخرية الشامخة التي تتوسطها والتي تحمل اسم خرزوزة إلى مدى ارتفاع يفوق 1800 م إذ تصل أعلى قمة فيها إلى 1826. تمتد شرقا في اتجاه جبل هبري (2109) وجبل تهبريت (2052). وتشرف غربا على المجموعات القروية، أيت يحيى أوعلا، حشادة وأيت بن عتّو الواقعة على قدم الجبل عند مستوى ارتفاعات تتراوح بين 1100 و1200.

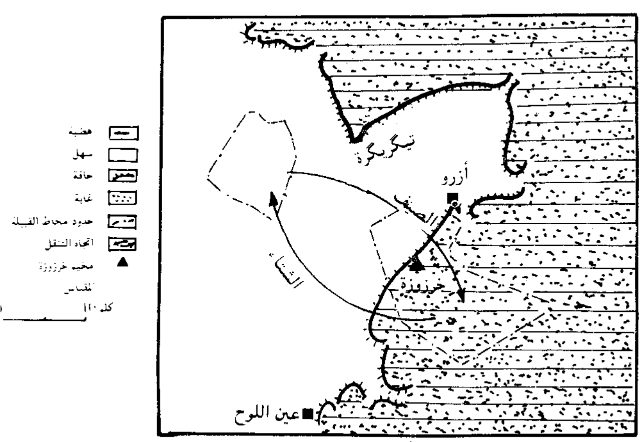


خرزوزة

يغطي أعالي السفوح والقمم كساء غابوي مكون من الفلين الأخضر أساسا وشجر الأرز المتميز، وهي قمم مكونة من صخور كلسية دولوميتية من الجوراسي توضعت فوقها فرشات من البزالت والرماد البركاني ذي اللون الفاتح.

وتتميز خرزوزة كباقي مرتفعات الأطلس المتوسط بمناخ متوسطي جبلي حيث يشتد البرد ويكثر الصقيع وتتهاطل التساقطات التي تأخذ أكثر من مرة شكل ثلوج في فصل الشتاء. ويمكن أن يفوق حجم التساقطات في السنوات العادية 1000 ملم غير أن الجفاف المتكرر خلال العقدين الأخيرين قد أدى إلى تراجع الكميات المائية التي تستقبلها المنطقة. أما فصل الصيف فيكون عادة جافاً وحاراً بيد أن ظلال الغابات تخلق جوا معتدلا يوفر المتعة والراحة للزائر والكلأ والأعشاب لقطعان الأغنام. وليس من النادر أن تزيد العواصف الرعدية خضرة للمراعي الفسيحة التي تزخر بها المنطقة.

وعلى الرغم من التساقطات الهامة التي تستقبلها خرزوزة فإنها تشكو من قلة المنابع المائية بسبب نفادية الصخور الكلسية المغطية للسطح. وباستثناء عين خرزوزة الواقعة عند قدم الكورنيش فإن معظم العيون تغذي سهل تيگريگرة.

- خرزوزة، رستاق رعوي جبلي. وتجدر الإشارة إلى أن منطقة خرزوزة تدخل ضمن المحاط التقليدي الذي تستغله قبيلة أيت يحيى أوعلا المنتمية إلى بني مگيلد الشهيرة القادمة من أعالي واد ملوية إبان القرن التاسع عشر. وهي قبيلة نصف ترحالية كانت تعيش تحت الخيام وتمارس النشاط الرعوي في إطار حركات تنقلية تدفع بها في فصل الشتاء إلى أراضي أزغار الواقعة بسهل تيگريگرة، وفي فصل الصيف إلى مرتفعات خرزوزة التي كانت تشكل مراعي جبلية صيفية، تقيم بها الأسر والأغنام ابتداءً من نهاية شهر مارس إلى نهاية شهر شتنبر. إذ ذاك ينتقل الجميع إلى بلاد أزغار حيث الطقس أكثر اعتدالا، لاستغلال المراعي الشتوية والقيام بزراعة الحبوب المتمثلة أساسا في الشعير والقمح. ويملك هؤلاء الرعاة بيوتا في إغرم أيت يحيى أوعلا لخزن المحاصيل الفلاحية من صوف وحبوب، شيدها لهم على النمط الصحراوي عمال مهاجرون يقدمون من تافيلالت إلى منطقة الأطلس المتوسط باحثين عن أشغال تكميلية في إطار هجرة فصلية. ويشكل هذا الإغرم الذي يشغل موضع عبور محطة لا تقام بها الخيام إلا في إطار الرحلات الفصلية للأسر.

غير أن التحولات التي لحقت بالبنيات الاقتصادية والاجتماعية بسبب دخول الاستعمار في النصف الأول من القرن الماضي وتوسع قاعدة النظام الرأسمالي في النصف الثاني منه قد نتج عنه تراجع نمط العيش نصف الترحالي لقبيلة أيت يحيى أوعلا وبدأت الأسر تستقر، فمنها من استقرت بالمزارع الواقعة بالسهل، ومنها من اختارت أن تلجأ إلى المراكز القروية والحضرية المجاورة مثل أيت يحيى أوعلا، حشادة، أيت بن عتو، أزرو.... وانتشرت ظاهرة الانتجاع حيث التنقلات تقام تحت حراسة الرعاة فقط وفي غالب الأحيان مستعملة الشاحنات.

- خرزوزة : مركز اصطياف جديد. اهتمت إدارة الاستعمار بموضع الكورنيش الصخرية وبجمالية طبيعته الرائعة المنعمة بالخضرة والهواء الطلق والماء العذب، وعملت على إنشاء مركز اصطياف به حيث أقيمت البنيات التحتية من كهرباء وماء وتطهير وشيدت الملاجئ الجبلية وأماكن نصب الخيام، كما بني مسبح وبناية للعلاج السريع.

ويفتح المركز في فصل الصيف نظرا لاعتدال الجو في هذه المرحلة. وتنظم المخيمات في إطار طورين : طور يونيه وطور غشت. يدوم كل واحد منهما ثلاثة أسابيع يتمتع فيها المصطافون والأطفال والشباب القادمون من مختلف المدن المغربية بصفاء السماء ونقاء الهواء واعتدال الحرارة.

استمر استغلال مخيم خرزوزة هذا من طرف مصالح الشبيبة والرياضة ومصالح الأعمال الاجتماعية للمؤسسات الاقتصادية الكبرى ومنظمات الشباب إلى حدود السنين الأخيرة. ومثل هذا المركز عقودا طوالا مدرسة تربوية من مستوى رفيع تلقن السلوك الأخلاقي المتميز المطعم بروح التطوع والمبادرة واحترام الطبيعة وحب الوطن. وكم رددت قمم خرزوزة صدى تلك الأناشيد الحاملة لهذه القيم النبيلة التي كانت تتغنى بها أفواج المصطفافين. غير أن ظروف الاصطياف أصبحت تتدهور بسبب ندرة المياه وشيخوخة بنيات الاستقبال.

*تحريات ميدانية.*

عائشة البلغيتي العلوي

**الخرْشَف** أو "خرْشُوفْ" أو "قوق" أو "قرْنِيع" أسماء عربية لنوع نباتي من الخضر يسمى علمياً سينَارا گرْدُونْكُولُوسْ Cynara cardunculus، وهو من فصيلة المركبات Compositae أو النجميات Asteraceae. ويشمل أنواعاً برية عديدة تعيش طبيعياً بالمغرب وبمنطقة البحر المتوسط وتعتبر المصدر الأصلي "للخرشوف" و "القوق". والمعلوم أن هذه الأسماء تطلق على أنواع أخرى برية تنتمي لهذا الجنس، وأجناس أخرى.

والخرشوف نبات معمر له أوراق خيطية محيطها مقسم، تنبعث مباشرة من الجذر القريب أو الموجود في مستوى سطح الأرض. محاور الأوراق غليظة ولحمية بالنسبة للخرشوف مما يجعلها قابلة للاستهلاك الآدمي بعد طهيها. سيقان أزهارها تنتهي بازهرار ملوّن بنورات صغيرة مجتمعة على شكل رأس كروي، يحاط بمحيطات من القنابات الكبيرة. لا قيمة لرويس الخرشف إلا في استعماله كمادة مُجَبِّنة للحليب الطري. أما بالنسبة للقُوق أو القرْنِيع البري أو المزروع فإن الرؤيسات غير الناضجة وكذا القواعد المنتفخة للقنابات والتخت المتضخم تؤكل نيئة أو مطهوة.

تنمو الأنواع البرية للخرشوف في البيومناخات الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة واستثنائيا الجافة، وعلى أتربة

غنية بالطين والطمي. أما فيما يخص الصنف المزروع من الخرشف أو القوق فإنه يزرع في الأراضي المسقية من السهول مثل سهل تريفة والغرب ودكالة والشاوية.

*أبحاث شخصية* ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، ترجمة، د. ع. زاهر وآخرين، المكتبة، الأنجلو مصرية، القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

**الخُرْطَال**، ينتمي الخرطال للنجيليات وقد أعطى اسمه للخرطاليات وهي ردف معروف بالمميزات النباتية التالية : الأوراق خطية هدباء، مزودة بتابع طويلة، ومغمدة القاعدة.

تنتظم الزهور على شكل عشكول مبسوط أو عناقيد منتصبة تحملها سويقات طويلة. تتوفر السنيبلات على زهرتين أو ثلاث زهرات خنثاوية، تجهض العليا منها في غالب الحالات. تتوفر كل زهرة على ثلاث أسدية ومبيض بها قلمين أريشين للسمة. الثمرة عبارة عن بُرّة طولية، مغلقة بعصافات دائمة أو نفضية.

من الوجهة النباتية، وعلى الصعيد العالمي، يمكن اعتبار أربعة أنواع أصلية من الخرطال، تفرعت عنها مختلف الضروب المزروعة حاليا :

الخرطال (نبات)

الخرطال الشائع (Avena sativa) المتميز بأزهاره المتجمعة في عشكولات مهملة، وسنابله المثناة الزهر، وحبته الطويلة الملساء، وهو النوع الذي أعطى أكبر عدد من الضروب.

الخرطال الشرقي (Avena orientalis)، عشكولاته متجمعة، حباتها محمولة من طرف عنيقات قصيرة، كلها مائلة في نفس الاتجاه.

الخرطال القصير (Avena brevis) أو خرطال أقدام الذباب، عشكولاته مهملة، خفيفة، أحادية الجانب، وذو حبات صغيرة وقصيرة.

الخرطال العاري (Avena nuda) تضم سنيبلاته أربعا إلى خمس زهرات، ملتئمة في عناقيد صغيرة. حباته عارية غير مرتبطة بالعصافة كما كان الشأن في أنواع الخرطال المكسوة السالفة الذكر.

أهم الأنواع هي الأولى والثانية.

أما من الوجهة الزراعية، فلا يخضع التمييز لنفس المعايير بل يكون على أساس فصيلتين فحسب، خرطال الشتاء وخرطال الربيع، حسب الحاجة للبرد في إخراج الحبة أو انعدامها.

المتطلبات الزراعية الإيكولوجية :

تنتمي نبتة الخرطال إلى المناخات المعتدلة، حيث لا تستطيع الإنتعاش إلا في حرارة 6 درجات. يتطلب نضجها 1500 إلى 2000 درجة / أيام، موزعة على النحو التالي : من البذر إلى التفريخ 322 درجة / أيام، ومن التفريخ إلى الإزهار 552 درجة / أيام، ومن الإزهار إلى النضخ 837 درجة / أيام، وصولا إلى مجموع 1711 درجة / أيام. وتتراوح مدة الانبات ما بين 90 إلى 150 يوما حسب قيم المقادير الحاصلة من الحرارة والإشعاع.

أهمية المزروع :

بالمغرب، يُعد الخرطال من الزروع الثانوية. حيث يحتل حوالي 54.300 هكتار من مجموع مساحات الزروع التي تبلغ 5،3 مليون هكتار تقريبا. وعلى أساس 10،7 قنطارا هكتار كمردودية وسطى للخرطال، يكون الإنتاج الوطني من حوالي 583،3 ألف قنطار بالنسبة لموسم 1988 ـ 1989.

تكون زراعته غالبا كمادة علفية، مختلطة مع البيقة من فصيلة القطاني (بيقة ـ خرطال) في العديد من الجهات بالمغرب. أما في البلاد الأوربية، خاصة ألمانيا وفرنسا وروسيا وأنگلترا والنرويج والسويد، فيزرع الخرطال وحده كمزروع علفي أو لإنتاج خبز الخرطال الذي تستحسنه فئة خاصة من المستهلكين.

الضروب المزروعة :

ضربان فقط في ذوات التبن الطويل واللون الأصفر، هما المثبتات في السجل الرسمي بالمغرب. يتمتعان بالشيوع والاستعمال على المدى الواسع. يتعلق الأمر بالبلدي والرومي الواردة خاصياتهما في الجدول التالي :

| الضرب | نطاق التكيف | الأمراض | نسبة البروتينات | عشكولات | مردودية |
|---|---|---|---|---|---|
| البلدي | البور المواتي | متأثر بالعفونة وبأنواع الدود الطفيلي وفيروس اليرقان المقزم للشعير | متوسطة | نصف منتصبة متشعبة | ضعيفة |
| الرماني | البور المواتي | | عالية | مهملة أحادية الجانب | عالية في المادة الخضراء ومتوسطة في الحبات |

التنقيبات الفلاحية

إعداد التربة والبذر

يأتي الخرطال غالبا بعد زرع سابق، فمن ذلك ضرورة إعداد التربة إما مباشرة بعد الحصاد أو القيام بحرث خلال شهر شتمبر في المغرب، يزرع الخرطال في الخريف وإن كان وظيفيا ينتمي للربيع.

تختلف مقادير البذار الواجب نشرها في الهكتار حسب حجم الحبات، وقابلية الضروب للتفريخ، وطبيعة التربة، وطريقة وفترة البذر. جل ضروب الخرطال المستحدثة، ذات الحبات الغليظة، لا تفرخ إلا قليلا، حيث يتراوح عدد الإشطاء المتوسط بكل قدم ما بين 1،35 و4،28 حسب الضروب.

إذا كان البذر بالرمي، توجب توفير حوالي 350 لتر للهكتار. أما في الأتربة الغنية، الباردة، وباستعمال الخرطال ذي الحبات الصغيرة، فإنه بالإمكان تقليل الجرعة إلى 200 لتر وبالبذر الخطي تراوحت المقادير بين 150 و275 لتر في الهكتار.

من الأولى عدم المبالغة في الاعتماد على قابلية التفريخ، ذلك أن التفرعات الثانوية تتطور دائما على حساب إثمار السيقان الرئيسية.

تتراوح كثافة الخرطال بين 40 و50 كلغ في الهيكتولتر، وكلما حصل الإبطاء في البذر إلا ولزم تصعيد مقادير المبذور في الهكتار. يخول الزرع بالـمبْذر اقتصاد البذور والحصول على إعمار منتظم.

متطلبات التسميد

ينتج عن محصول جيد من الخرطال استخلاص مقادير السماد التالية من الهكتار الواحد 75 إلى 110 كلغ من الآزوط، 50 إلى 65 كلغ من الحمض الفوسفوري و80 إلى 115 كلغ من البوطاس.

الأعداء والأخطار

يكون الخرطال في مرحلة البذر عرضة للإتلاف من الدّوري والقُبرة والغربان. كما أنه خلال التنبيت، يعاني غالبا من أضرار يساريع الدودة المقوسة (دودة رمادية) والخنافس النطاطة. يبقى تحديل الأرض بالدحرجة الماضية في بداية التنبيت أفضل وسيلة للحد من خسائر هذه الحشرات.

يتعرض الخرطال كذلك للعديد من الإصابات الفطرية السّواد (Ustilago carbo)، العفونة الحظية، العفونة المبقعة والعفونة المتوجة. وتعتبر هذه الأخيرة خاصة بهذا الصنف من النجيليات وهي تصيبه في ورقه من الجهتين معا. كما أن هناك عاهتان مشوهتان (الخرطال المبروم، والخرطال الكراثي)، أولاهما ناتجة عن قرادية صغيرة، قريبة من القُمّل (Tarsenomus spirifex)، أما الثانية فيتسبب فيها أنيقليس خاصة (أنيقليس الساق). هنا كذلك يمكن تخفيف ضرر هذه الإصابات بتحضير جيد للتربة، وبذر معجّل، وتسميد ملائم يمكن أن يتأثر الخرطال من جهة أخرى بالضجعات ولفح الحر واليرقان، شأنه في ذلك شأن القمح. كما أنه يُصاب بالقرطب الذي يعطي للأوراق لونا نازعا للحمرة. تطغى هذه الإصابة خاصة في الأراضي الحمضية، وأراضي الإجتثاث، والأتربة الميهة، وهي مثل اليرقان، ناتجة عن عطل وظيفي في الجذور.

الحصاد والجني

يجنى الخرطال في المغرب خلال النصف الثاني من شهر ماي، إما بالمنجل أو آليا بالحصادة الدارسة. تصل المردودية إلى 30 أو 50 هكتولتر / هكتار (20 إلى 25 قنطار / هكتار). تختلف مردودية الخرطال حسب خصوبة التربة، التسميد، نوع البذور المستعملة ومستوى العناية المسخرة في الفلاحة. في المعدل تعطي حزمة 100 كلغ حوالي 36 كلغ من الحبوب، 52 كلغ من التبن و12 كلغ من العصافة.

بعد الجني، يمكن فرز الخرطال بتمريره من خلال الفارزة. لكن بما أن العديد من حبات هذا الزرع خفيفة، وجب تزويد الجهاز بمروحة تهوية تقصي أخف الحبات. يمكن الفرز كذلك بالنقع في الماء حيث تغوص الحبات الثقيلة وتطفو الخفيفة. أفضل تحضير يكون إذن تمرير الخرطال عبر الفارزة ثم نقع الحبات الغليظة المحصل عليها في محلول نترات الصودا أو الملح البحري بتركز 1٪ حتى تقصى الحبات الخفيفة الكبيرة الحجم. تعالج بذور الخرطال لحمايتها من السّواد.

تركيبة الحب والتبن

هناك اختلافات كبيرة في تركيبات حبات الخرطال.

نسوق التركيبة الموالية على سبيل الإستئناس

| المواد | التركيبة المتوسطة ٪ حسب (Grandeau, Leclecc) | تفاوت التركيبة (J. Kohn) |
|---|---|---|
| الماء | 12،10 | |
| المادة الجافة | 87،90 | 79،2 إلى 93،8 |
| المواد الآزوطية | 9،80 | 6، 3 إلى 18،5 |
| المواد الدهنية | 4،58 | 2،1 إلى 10،3 |
| المادة المستخلصة | 59،9 | 48 إلى 65،7 |
| الخليوز | 11،20 | 4،1 إلى 20،2 |
| المادة المعدنية | 3،32 | - |
| الحامض الفوسفوري | 0،75 | |

أفضل الخرطال هو الأثقل والذي يضم أكبر نسبة من اللب مع قشرة نسبيا دقيقة وخفيفة. أظهرت البحوث التي أجريت على مختلف ضروب الخرطال أن معدل الوزن في 1000 حبة هو قرابة 32،2 غ، وأن نسبة اللب هي 77،7٪ ونسبة العصافة 22،3٪.

الخرطال هو غذاء الخيول بامتياز.

كما أنه مستهلك على شكل خبز من طرف الإنسان

الأوربي على الخصوص. وهو يتميز بخاصيات مغذية ومنشطة معروفة. تستصيغ المجترات تبن الخرطال بصفة جيدة. تختلف قيمته حسب التربة، والنضج والحالة التي يكون عليها عند الجني. يمثل التبن والعصافة إضافات مفيدة في تركيب الخلائط التي يتناولها الأبقار والأغنام.

وتجدر الإشارة أخيرا، إلى أن الخرطال المعلّى هو نجيلية علفية (Avena elatior). يُذكر ترتيب أزهارها بالخرطال العشكولي. قامتها عالية جدا وإنتاجها مرتفع. يبلغ علوها المتر الواحد ويزيد عليه في المنخفضات المواتية. نجد أحسن الظروف في الأتربة الرخوة، الغضة والعميقة، ذات الوجهات الدافئة والمشمسة، كما أنها تنمو بصفة مرضية كذلك في الأراضي الكلسية. وهي تخشى الرطوبة وتقاوم الجفاف.

أحمد بوعزيز

**خرطون،** كما هو في المعاجم يجمع على خرطونيات وخراطينيات، كلمة فارسية معربة تطلق على بعض أنواع ديدان الأرض. اسمه الشائع في شمال إفريقيا دود الأرض ومصران الأرض وشحم الأرض. وهو حيوان من اللافقريات ومن الديدان الأسطوانية المصنفة إلى رتبة الديدان الحلقية أو الحلقيات الأرضية Oligochètes Lumbricidae. أحصي منه في المغرب ما يزيد عن 20 نوعاً نذكر من بينها Lumbricus terrestris. يسمى بالفرنسية ver de terre، Lombric وبالإنجليزية "Earthworm".

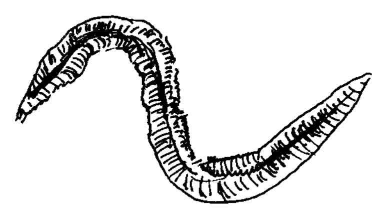

خرطن

يتكون الجسم مما يزيد عن 40 قطعة حلقية تعرف علميا بالسيات بها عضلات دائرية مستطيلة وقوية تمكن من الحركة. يبلغ طول الأنواع عادة 10 - 25 سنتمترات إلا أن هناك نماذج من بين الأنواع تتعدى مترين من الطول. وأنواع الخرطون كلها خنثى hermaphrodite يتم التوالد بالتقاء فردين في اتجاه معكوس. بعد ذلك تمتلئ القطع الحلقية الثالثة والثلاثون إلى الثامنة والثلاثين بالبيض مما يجعل حجمها يكبر. في حالة فقد بعض القطع الحلقية بمؤخرة الجسم يتم استبدالها بقطع تنمو تدريجيا.

يعيش في الأماكن الغنية بالوحل بجانب الأنهار والبحيرات العذبة وكذلك في الأراضي الرطبة. يفضل العيش بداخل التراب حيث يحفر قنوات طويلة تفوق أحيانا 150 سنتمترات. إنه يخشى النور photophobe ولا يظهر على سطح الأرض إلا ليلا وقد يبدو نهارا بعد نزول المطر الذي يعوق تنفسه عن طريق جلده وذلك لترطيبه المفرط للتربة.

يتغذى من المواد العضوية الدقيقة وخاصة منها النباتية الموجودة في التراب. كثيرا ما يبتلع كمية وافرة من الوحل ويتم امتصاص المواد العضوية بداخل الجهاز الهضمي ثم يتخلص من الأتربة بإلقائها خارجياً.

يعد الخرطون من الحيوانات النافعة للزراعة حيث يساهم في تخصيب الأرض وتهويتها بواسطة القنوات التي يحفرها.

المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، القاهرة 1932 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، الطبعة الثالثة 1988 ؛ *علم النباتات والحيوانات*، *الموسوعة الحديثة*، الجزء 7، سيلكا سويسرا، 1990.

Encarte 97, *Encyclopédie Microsoft*, 1997.

محمد رمضاني

## الخرقوم ← الزعفران

**الخرمودي، بوعزة** بن عزوز، مقاوم ولد حوالي سنة 1914 بأولاد إبراهيم إقليم خريبكة. شارك في الانتفاضة الشعبية العارمة التي نظمها أبناء الإقليم يوم 20 غشت بوادي زم أثناء تخليد ذكرى ثورة الملك والشعب، حيث هب ضمن المتظاهرين دفاعاً عن حرية المغرب واستقلاله، وعودة ملك البلاد الشرعي من المنفى. وتحت وابل من رصاص جيش الاحتلال سقط رحمه الله صريعا بعد تدخل جنود العدو الفرنسي لقمع الانتفاضة بقوة السلاح وكانت وفاته يوم 20 غشت 1955 وسط المتظاهرين والضحايا.

*شهداء الاستقلال*، ج 2.

**الخَرْواع** أو "كِرْنْك" بالعربية أو "أوْرِيُوور" أوْرِيُون" أو "ورُوري" أو "وَيْرُرْ" أو "وْرورَى" بالأمازيغية، ألفاظ

الخرواع

تطلق على نوع نباتي يسمى علميا ريسِينُوسْ كُومُونِيسْ Ricinus communis وهو من فصيلة الفربيونيات Euphorbiaceae. وهو شجرة صغيرة أو شجيرة يبلغ ارتفاعها بعض الأمتار، مستديمة الخضرة. وأوراقها بسيطة مفصصة كبيرة، معنقة أزهارها وحيدة الجنس لكنها مجتمعة في نفس الشجيرة. ثمارها علبية ومكسورة بأشواك.

الأصل الطبيعي لهذا النوع من جنوب إفريقيا ومنها انتشر في جميع أنحاء العالم الحار والمعتدل. يزرع بالمغرب في جميع المناطق التي لا يزيد ارتفاعها عن ألف متر فوق سطح البحر، وفي جميع البيومناخات وفي الطابقين النباتيين المتوسطي الدافئ وتحت المتوسطي. ويكثر الخرواع في الأماكن الغنية بالنيتروجين الموجودة بجانب الطرقات أو المساكن أو المزابل. تحتوي بذور الخرواع على مواد سامة. ومن الممكن استخراج الزيت المستعمل في الصيدلة والصناعة الكيماوية وصناعة الأثاث ...

*أبحاث شخصية.*

عبد المالك بنعبيد

**خَرُوف**، أسرة تطوانية أصلها من ناحية غمارة انتقلت إلى تطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 613.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **خروف، محمد** بن أبي الفضل التونسي الفاسي، العالم المعقولي الذي افتداه أمير فاس أحمد الوطاسي بألف أوقية ذهباً بعد أن طال أسره من قبل الإسبان سنوات - إثر استيلاء جيوش الامبراطور شار لكان على القطر التونسي - وقد تم هذا الافتداء بإلحاح من الشيخ محمد اليسيثني الذي كان قد اجتمع به في تونس وعرف قدراته العلمية. وهو موقف يفيدنا في معرفة صدى مكانة الرجل بين علماء فاس حتى قبل أن يحل بها في حدود سنة 947 / 1540 ويمكن اعتبار هذا التاريخ مرحلة تجديد واتصال لأسانيد العلوم العقلية وتعليمها داخل القرويين وخارجها بعد أن كانت إلى حدود مجيئه غريبة عن فاس.

أقام الشيخ ابن خروف زهاء ثمان عشرة سنة داخل القرويين مدرساً مشاركاً - رغم الصعوبة التي قوبلت بها عبارته المعقدة في البداية - فلقيت مجالسه إقبالاً كبيراً من الطلبة حتى عد شيخ الجماعة في المنطق والكلام وأصوله إلى جانب الفقه والبيان. وبذلك مثل حلقة في سلسلة الأسانيد المغربية، وطبع الحياة التعليمية بطابع التواصل مع المشرق الذي سبق أن أخذ عن شيوخه خلال رحلته الواسعة. ومن أشهر من تخرج على يده من علماء فاس : الشيخ محمد القصار، وأحمد المنجور، وعبد الواحد الحميدي، وعليّ الزموري وغيرهم.

توفي بفاس سنة 966 / 58 - 1559.

أ. المنجور، *فهرس* ؛ م. القصار، *فهرس* ؛ أ. ابن القاضي، *درة*، ج. 2، 208 ؛ *لقط*، 307 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 - 91 ؛ م. المحبي، *خلاصة*، ج. 4، 124 ؛ مخلوف، *شجرة*، 1 - 281 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، ج 4، 102 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج 1، 375 - 376 ؛ م. حجي، *الحركة*، ج 2، 356 - 357.

نفيسة الذهبي

**الخريب** قماش رفيع المستوى سداه من حرير وجزء من لحمته من خيوط الذهب أو الفضة، كانت تتخذ منه أعلى الطبقات الاجتماعية ملابس بذخ فارهة في حواضر المغرب وبواديه. وقد لا يستطيع ارتداء حلة واحدة منه إلا أكثرهم يسرا وثراء. أما من كان دون هؤلاء مرتبة وحاول الحصول عليه فإنه بالتأكيد قد يعجل بتخريب ميزانية تسيير أسرته وتقويض دعائمها، ومن هنا أطلق عامة الناس اسم الخريب على هذا النوع من القماش الذي يسميه بعضهم أيضاً الزردخان. والزردخان كلمة لم نقف على أصلها، لكننا نرجح أنها ذات جذر مشرقي فارسي أو تركي. ومعلوم أن صناعة الحرير والديباج نشأت في عهود تاريخية قديمة بسبب ازدهار القزازة في بلاد فارس وتركيا، ومن هذين القطرين انتقلت إلى البلدان العربية الإسلامية المجاورة في عهد الدولة الأموية والعباسية، ثم وصلت فيما بعد إلى أقصى الغرب الإسلامي بما في ذلك المغرب والأندلس.

وكانت فاس في القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين تحافظ على إنتاج هذا النوع من النسيج الرفيع تحتضن عشرين منوالا من مناول قماش الخريب نصفها كان ينتج أقمشة حريرية زاهية مزركشة تتخللها أكثر من عشرة ألوان. وقد تألقت في صناعة هذه الأقمشة عدة عائلات أشهرها عائلة بن الشريف التي توارثت أسرار حرفتها أبا عن جد ومازال أحفادها إلى اليوم ينتجون بعض أصنافها في فاس اعتماداً على نفس الطرق الموروثة عن الأجداد مع إدخال بعض التعديلات على المناول تمشيا مع التطور ومع أذواق الأسواق الحديثة.

تعرف بروسبيرريكار Prosper Ricard مفتش الصناعة التقليدية والفنون الجميلة في فاس على الأخوين عبد القادر وعثمان ابني الشريف سنة 1915 ووصف مناولهما ومكان إقامتهما في عقبة القطانين وسط المدينة قرب السجن القديم المعروف بسجن الباشا. واعترف ريكار بأن الأخوين المذكورين كانا نساجين بارعين ينتجان أقمشة راقية سواء من حيث أسلوب النسج أو الطرز أو صناعة الألوان أو دقة الإنجاز. كما أشار إلى أنه لم يقف على مثيل لما كانا ينتجانه في شمال إفريقيا بأسرها وإلى أن منسوجاتهما تذكره بما كانت تنتجه طرازات قصور السلاطين في دمشق وبغداد والقسطنطينية والقاهرة وقرطبة.

وكانت أقمشة الخريب تختلف باختلاف الطبقات العليا

نفسها، فقد يكون سداها بكامله من حرير ناعم يدعى "حرير الخم" ولحمتها من خيوط الذهب الخالص بالنسبة لأسر السلاطين وسامي الموظفين المخزنيين، كما قد يكون جزء من سداها ولحمتها من قطن رفيع وخيوط فضة. أما أكثر هذه الأقمشة جودة وغلاء ورفعة فكانت لا ترتديها إلا أكثر النساء مالاً وجاهاً من حريم السلاطين والورزاء. وكانت الطبقات الأكثر حظوة في المجتمع المغربي تتخذ من أقمشة الخريب الأحزمة النسوية الرفيعة وأغطية الرؤوس وستائر الأبواب والنوافذ وأردية الأفرشة الزاهية.

ولم يكن اتخاذ الملابس الفارهة من هذا النوع من الأقمشة خاصاً ببلد دون أخر ولا مقتصراً على عصر دون غيره لكنه كان أكثر تداولاً في فترات الازدهار في الدول العربية الاسلامية منذ القرن الثاني (8 م) في سوريا والعراق ومصر والأندلس ثم المغرب. إلا أن استهلاكه لم يكن يتعدى نخبة النخبة من الناس، لذا كان إنتاجه لا يتم على العادة إلا تحت الطلب مما جعل صناعه مرتبطين بطريقة شبه رسمية بالقصور وإقامات الأعيان والأمراء والأثرياء، فهو يزدهر بازدهار الترف والمال والجاه وينحسر بانحسارها، وهذا هو ما يفسر أسباب قلة انتشار مناسج هذه الأنواع من الأقمشة، فاقتصر وجودها على فاس وحدها في شمال إفريقيا، ولم يتجاوز عددها عدد أصابع اليد الواحدة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين.

ولما فتح المغرب أبوابه للتجارة الأجنبية بدأ تراجع إنتاج هذه الأقمشة وأصبحت الأقليات من الطبقات المترفة تتزود بما تحتاج إليه منها من المصانع الأنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية التي تتفوق بضائعها على ما تنتجه المناول الأهلية من أقمشة سواء من حيث الدقة والإتقاف أو الجودة في الألوان أو انخفاض الأثمان.


ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 1، بيروت، 1960 ؛ عادل سعيد بشتاوي، *الأندلسيون المواركة*، دمشق، 1985 ؛ ع. أمهان، *الفنون المغربية الأصيلة*، *مجلة أبعاد فكرية*، السنة الأولى، ع 2، الرباط، 1989 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، الرباط، 1961 ؛ أ. الرهوني، عمدة *الراوين في تاريخ تطاوين*، ج 1، مخطوط الخزانة العامة بتطوان، رقم 676.

L. Golvin, *Le métier à la tire des fabricants de brocart de Fès*, *Hesp.*, tome 37, 1950 ; G. Vidalenc, *L'art marocain*, Paris, 1925 ; J. Baldoui, *Les arts indigènes*, Paris s. d. ; P. Ricard, *Une lignée d'artisans : les Ben Chérif de Fès*, *Hesp.*, tome 37, 1950 ; C.M. Perigny, *Au Maroc, Fès capitale du nord*, Paris 1917 ; E. Diez, *L'art de l'Islam*, Paris s.d. ; A. Gaudio, *Fès joyau de la civilisation islamique*, Paris 1982; A. Lebouteux, *Regards sur le passé*, Paris 1974.


محمد بوسلام

**خريبكة**، مدينة يبدو أن تسميتها مشتقة من الخراب، كان يطلقها الرعاة الرحل على مكان يتميز بتجويفات وحفر طبيعية مرتبطة بالتعرية الكيماوية للكلس. وهي مشهورة بكونها مدينة الفسفاط، إلى درجة اقتران نشأتها وسيرورتها العمرانية بالمكتب الشريف للفسفاط. إلى حدود 1921 كانت الظروف السياسية والاقتصادية والقبلية والطبيعية غير سانحة لإنشاء أية مدينة بهضبة الفسفاط وسط نمط إنتاج فلاحي ورعوي خفيف يطغى عليه طابع نصف الترحال.

مع بداية العشرينيات، انطلقت عملية التجهيز المصاحبة لاستغلال أول منجم للفوسفاط، بما فيها الماء والكهرباء والمسالك والطرق، وعلى الخصوص السكة الحديدية. فكان أول مركز أنشئ بالقرب من أول نقطة استثمار هو بوجنيبة سنة 1921. لكن سرعان ما تقرر هجر هذا الموقع لصالح الموضع الحالي لمدينة خريبكة ، حيث شيدت "قرية" يقطنها المستخدمون الأوربيون، بجانبها نصبت خيام ونوالات قصبية لإيواء "الأهالي".

لكن عدم استقرار اليد العاملة المغربية، وعدم استئناسهم بالعمل المنجمي الشاق دفعا إلى تأسيس ثلاثة مراكز عمّالية أخرى دفعة واحدة، وهي بوجنيبة وبولنوار وخريبكة. من هنا أخذت هذه الأخيرة تتسع بسرعة ابتداء من 1924 سواء من حيث التجهيزات أو من حيث السكن الهامشي العمالي. في حين أن العمال النقابين و"غير المرغوب فيهم" قد أبعدوا لتوطينهم بمركز حطان الذي أنشئ سنة 1948.

مهما يكن من أمر فإن المكتب الشريف للفسفاط أصبح يتحكم في المراكز الأربعة تحكماً كلياً حتى خارج أوقات العمل. وهكذا تحوّل المكتب من مجرّد منتج معدني إلى منعش عقاري ومنظم للمجال الحضري ومسؤول عن الصحة العمومية والتعليم والتجارة والتنشيط الثقافي والخدمات الأخرى في المراكز الأربعة، في وقت كان مثل هذا الاحتكار غير ممكن في أوربا، وبالأحرى في فرنسا. منذ بداية الاستغلال المنجمي، حظيت خريبكة بأكبر وأسرع نموّ حضري من بين المراكز الأربعة، وذلك لأسباب عديدة :

- تفضيل خريبكة منذ 1924 لإقامة جلّ التجهيزات التقنية والإدارية المرتبطة بالنشاط المنجمي ؛
- استفادة خريبكة من التجهيزات الجماعية المهيكلة دون المراكز الأخرى التي لم تستفد من السكة الحديدة والطريق التي تربط تادلا بالدار البيضاء ؛
- إيواء الأطر الأوربية الذي أدّى إلى خلق أنشطة تجارية عصرية ؛
- اختيار خريبكة لتوطين الإدارات العمومية المختلفة.

مع أن عملية التمدين كانت تخضع إلى حد كبير حتى نهاية الخمسينات إلى قرارات المكتب الشريف للفسفاط، فإن الامتداد العفوي للسكن العمالي الهش حول المراكز المنجمية ظل ينمو منذ الثلاثينيات. على أن الخمسينيات ستعرف زيادة قصوى لإنتاج الفسفاط مع اكتشاف حقول

جديدة (بني إدير وسيدي الضاوي) وتشغيل معامل أخرى للمعالجة، وبالتالي سيتحول مركز ثقل الاستغلال وستفقد خريبگة حظوتها من حيث معالجة معدن الفسفاط. وهكذا ستشهد خريبگة تحوّلات هامة، بدءاً بتدمير الدواوير الهامشية سنة 1955 وإعادة إسكان العمال في المدينة الجديدة للتجفيف. وإجمالاً بلغ عدد مستخدمي المكتب الشريف سنة 1960 حوالي 9.435 شخص مقابل 40.000 نسمة في خريبگة و20.000 ن في المراكز الثلاثة الأخرى.

ما يجدر استنتاجه من هذه التوطئة التاريخية هو الدور الحاسم الذي لعبه المكتب الشريف للفسفاط في تاريخ المدينة سواء بالنسبة لطاقته الاستيعابية من حيث التشغيل أو فيما يخص الوسائل المالية المرصودة وسياسة الإسكان. لكل الأسباب السالفة الذكر ستشهد ساكنة خريبگة منذ بداية الخمسينات وتيرة ديمغرافية سريعة تفوق بكثير طاقة النشاط المعدني لإعالة كل السكان الوافدين على المدينة. وهكذا تضاعف عدد سكان خريبگة بين 1952 و1960، مسجلة بذلك أعلى نسبة نمو حضري ضمن المدن المغربية. ويرجع ذلك بالأساس إلى الاستقرار التام لسكان المنطقة، وتراجع نسبة الوفيات والزيادة في الهجرة القروية واستقرار نسبة لا يستهان بها من المتقاعدين.

أما ابتداءً من نهاية الخمسينات، فسيتغير أسلوب النمو، من نمط تتغلب فيه إمداءات الهجرة إلى نمط يتأثر أكثر بالزيادة الطبيعية نتيجة التجمع العائلي وتراجع وفيات الرضع والأطفال على الخصوص. وهكذا ارتقت خريبگة إلى صف مركز إقليم سنة 1967 بعد أن كانت مجرد بلدية منذ 1959. فأصبح عدد سكانهـــا 73.000 ن تقريباً سنة 1971، ثم 127.000 ن عام 1982، و153.000ن سنة 1994.

ما يسترعي الانتباه هو أن وتيرة التشغيل في حوض خريبگة لم تساير وتيرة النمو الحضري، ذلك أن بين 1960 و1984 ازداد عدد مستخدمي المكتب الشريف بنسبة ضعيفة جداً (24٪)، أي أن عددهم تحوّل من 9.435 فرد إلى 11.723 فرد خلال 24 سنة، في مدة تضاعف فيها حجم الإنتاج. هذا يعكس مدى التحولات العميقة التي عرفها الاقتصاد الفسفاطي المتميز بالتنافس الحاد بين المغرب والولايات المتحدة الأمريكية التي كثيراً ما تلجأ إلى سياسة الاغراق لتكسير الأثمان وزعزعة استراتيجية المكتب الشريف المبنية على الأسس الرأسمالية لمواجهة مخاطر الظرفية العالمية.

لقد اختار المكتب اتخاذ سياسة المكننة القصوى لعمليات الإنتاج والمعالجة والتفريغ والنقل، وذلك لتحقيق أعلى الأرباح والقدرة على المنافسة العالمية. كما أن الاستغلال الباطني استبدل بالاستخراج المشكوف. فقد تمكّن المكتب بالفعل من تخفيض التكاليف بنسبة تتراوح بين 35٪ و40٪، ومن تخطي إكراهات التنافس الضاري بين المغرب والسوق العالمية، علاوة على تنويع الأنشطة والمداخيل خارج قطاع الفسفاط، من هندسة وأبناك وصناعة معدنية ونقل بحري وفنادق ... على أن أهم ما يمكن تسجيله هو توصل المكتب إلى مراقبة (وامتلاك) كل فروع النشاط الفسفاطي، عقب ارتفاع الاثمان سنة 1973 التي

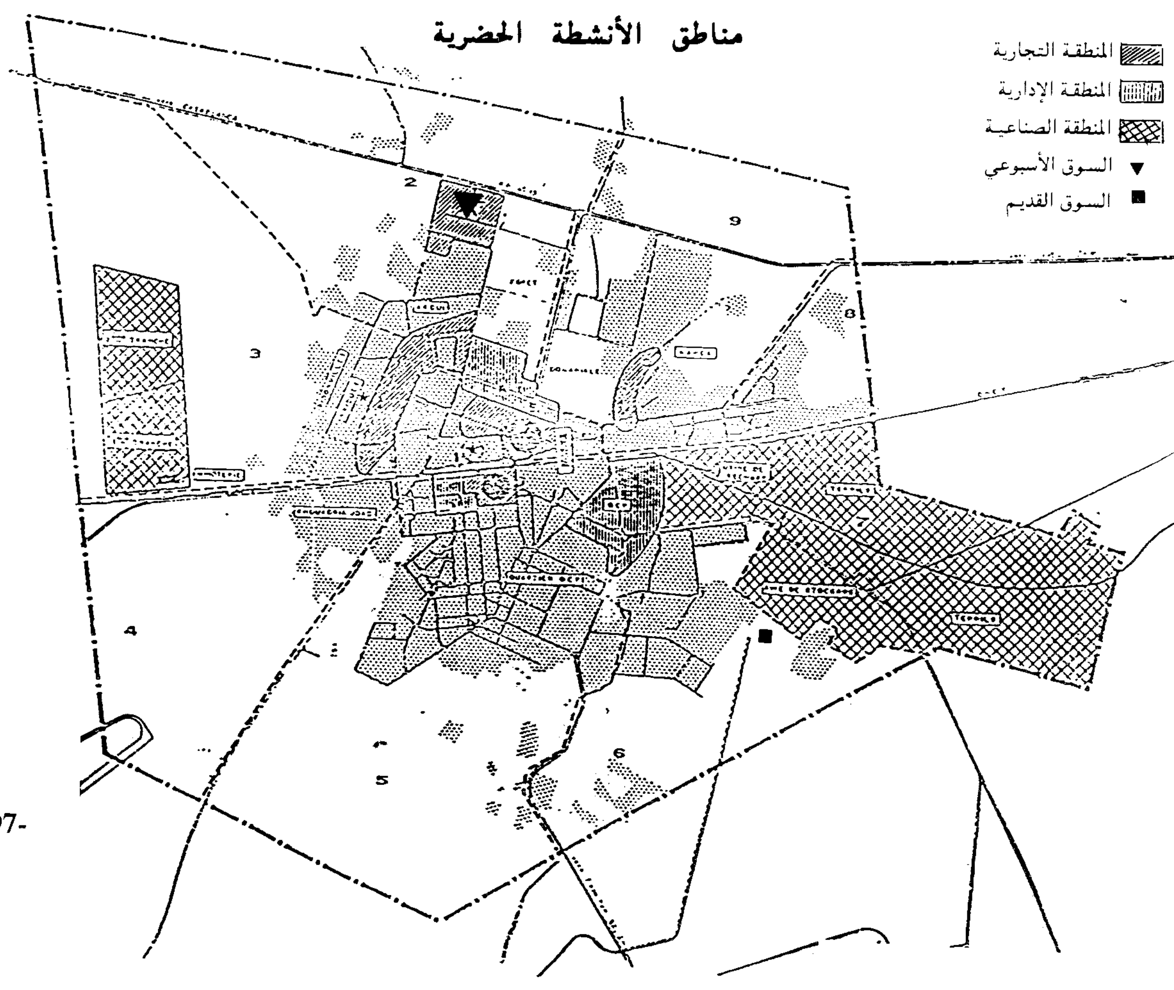

تبدأ من الاستخراج إلى الصناعة الكيماوية الثقيلة بأسفي والجرف الأصفر وتصدير الحامض الفسفوري، إضافة إلى استخدام وتوسيع مناجم أخرى ببوكراع وبنگرير.

يتبيّن إذن أن المكتب راهن على تعزيز التبعية للخارج فيما يتعلق بالجانب المالي والتكنولوجي وأن مدينة خريبگة ومنطقتها قد تضررتا من تراجع الدور الاقتصادي والاجتماعي للمكتب، نظراً لتخفيض اليد العاملة غير المتخصصة وجرف التكوينات السطحية وتحويلها إلى أراض جدباء من الناحية الفلاحية، وكذا تركيز الآثار الايجابية في الواجهة الأطلنطية (أسفي، الجديدة، الدار البيضاء) أكثر من حوض خريبگة الذي لم يشهد طيلة 70 سنة أية منشأة لتزويد المكتب بالخدمات والمنتجات التي يحتاجها. من ثمة ظهرت اختلالات بين ازدهار الاقتصاد الفسفاطي الذي تحول "ريعه" إلى قطاعات أخرى من جهة وبين الأزمات المتوالية على الصعيد الاجتماعي والعمراني التي أدت إلى تفقير وتدهور ملحوظين، من جهة أخرى.

على المستوى الديمغرافي أولا، يمكن أن نميز بين ثلاث مراحل. بين 1921 و1960 كانت الهجرة هي التي تغذي أساساً ساكنة خريبگة (أكثر من 73٪)، حيث كان عرض التشغل يلبي طلب السكان المحليين والقادمين من مناطق بعيدة (سوس الأطلس الصغير، ...) كانت المدينة تسجل آنذاك نسبة نمو دائماً أعلى من المتوسط المغربي. أما مرحلة 1960 ـ 1982 فكان الجانب الطبيعي هو المتغلب في النسبة العامة للتزايد السكاني، بسبب انخفاض نسبة الوفيات وارتفاع نسبة الولادة، وكذلك التجمع العائلي. فظلت نسبة التزايد تتراوح سنوياً بين 5٪ و5،5٪. وأخيراً المرحلة الحالية التي انطلقت مع إحصاء 1982، تتميز بفتور ملحوظ من الناحية الديمغرافية، حيث سجلت المدينة إحدى أضعف نسب النمو السنوي بين 1982 و1994 (1،5٪)، مقارنة مع المتوسط الحضري الوطني (3،6٪). ويعزى هذا التراجع إلى الحد من التزايد الطبيعي وخصوصاً إلى النزوح نحو مناطق أخرى وإلى الخارج (إيطاليا على الخصوص).

يتجلى بالتالي أن المدينة لم تقو على الحفاظ على ساكنتها الأصلية. فأخذت تنمو بفعل الساكنة غير المنجمية وباستقطاب الريفيين المجاورين الفارّين من الظروف الطبيعية والفلاحية الصعبة. حتى إن التركيبة الاجتماعية صارت منقسمة إلى شطرين : ساكنة منجمية تعتبرها الساكنة الثانية "طبقة" محظوظة ولها عدة مكاسب اجتماعية ومادية، من سكن وتغطية صحية وقدرة شرائية وإمكانية الاستفادة من التجهيزات الجماعية، الخ.. وساكنة ثانية مركبة من موظفي الدولة والبلدية والتجار وكذا النازحون بدون شغل قارّ.

أكثر من ذلك، فإن المكتب الشريف للفسفاط أخذ منذ مدة يتخلى عن التدبير الحضري وسنّ سياسة اجتماعية جديدة تنبني على تصفية إرثه العقاري ونفقاته غير الاقتصادية. فنتج عن ذلك نقصان في الساكنة المنجمية، وفقدان هذه الأخيرة لكثير من الامتيازات، حتى إن الهوة التي كانت تفصلها عن الساكنة غير المنجمية كادت تزول. ومع عجز المنجم عن تلبية مجموع طلبات الشغل، وكذلك انعدم شبه تام للأنشطة البديلة، تفاقمت ظاهرة البطالة (19،8٪) وفاقت النسبة الوطنية (19،1٪). فتضخم القطاع الاقتصادي غير المشكل وازدادت وتيرة الهجرة إلى الخارج التي أصبحت عائداتها تساهم بشكل قوي في تعمير وتنشيط اقتصاد المدينة.

على مستوى السكنى والتعمير، تبلورت الثنائية الاجتماعية في تنطيق حضري مزدوج ومتعارض تجسد لمدة طويلة في مدينتين توأمتين تفصلهما السكة الحديدية : في الجنوب مدينة منجمية شيدها المكتب الشريف للفسفاط على النمط الأوربي العصري، وفي الشمال مدينة عضوية تقريباً تطورت على نمط المدينة القديمة المغربية. هذه البنية الثنائية مازالت قائمة رغم التجانسي النسبي الذي أخذ يظهر شيئاً فشيئاً.

إن الضغط الديمغرافي في الذي تعرضت له المدينة وعدم قدرة المكتب على إسكان كافة مستخدميه عملا على إعادة توجيه تعمير المدينة خارج منطقة المكتب. مما شجع على بروز أشكال جديدة من السكن أغلبها هشة وغير صحية. ذلك شأن دوار السكة التي كان يعدّ من أكبر أحياء القصدير في المغرب، ودواوير هامشية أخرى (دوار بنجلون، دوار الزيتون، ...). في سنة 1984 كانت تمثل هذه الأحياء 17٪ من مساكن المدينة و20٪ من السكان. إضافة إلى ذلك تأثر المشهد الحضري بفعل ظهور سوق عقارية متسترة خلقت إنشاء أحياء صلبة غير قانونية. ومازال خطر إحياء هذه الأنواع الهشة من السكن قائماً، بالرغم من تراجعها الكثير بسبب برامج عديدة لإعادة الهيكلة والإسكان.

أما الاقتصاد المحلي فهو ضعيف وغير ثابت بالنظر إلى الفصل الواضح بين الاقتصاد المنجمي والاقتصاد غير

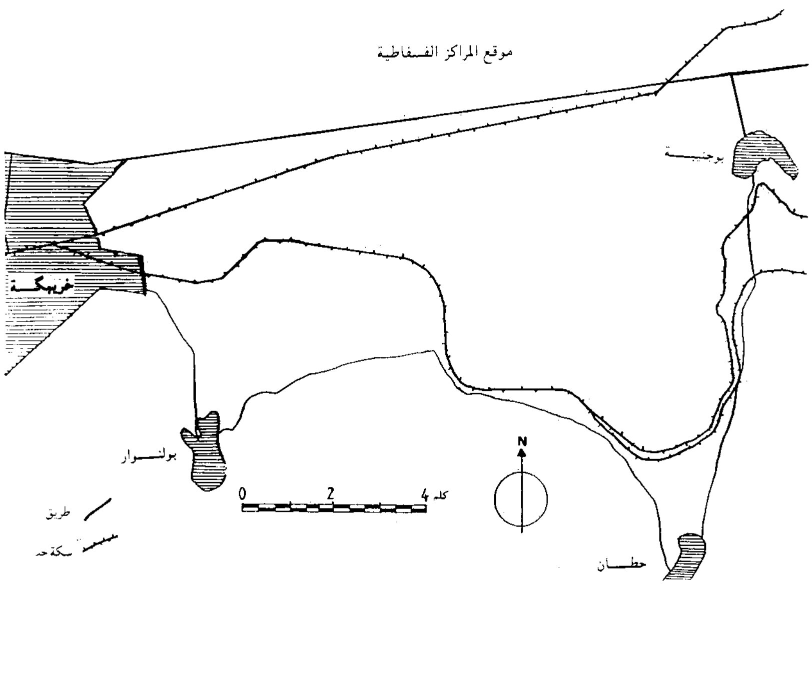

المنجمي وتأثيره السلبي على النمو المحلي. يوفر القطاع الصناعي عدداً قليلاً من مناصب الشغل لا يتعدى ألف منصب (1٪ من المشغلين في الإقليم) بما فيها البناء والأشغال العمومية. حيث لا توظف الصناعة التحويلية سوى 50 فرداً في وحداتها الثلاث (مطحنة ووحدتان للملابس الجاهزة). بالعكس من ذلك، فإن القطاع الثالث يهيمن على بنية الاقتصاد الحضري (55٪ من مناصب الشغل) عن طريق الإدارة والتجارة والنقل والخدمات المتنوعة. على ألاّ نغفل القطاع غير المشكل الذي يشغل فئات عريضة من سكان المدينة.

أخيراً على المستوى البيئي بمفهومه العام، تجدر الإشارة إلى أن تدهوراً متفاوتاً يمسُّ قطاعات عديدة :

- جرف التربة القابلة للزراعة بفعل الاستغلال المنجمي ؛
- إطلاق الغبار الكثيف من طرف معامل معالجة الفسفاط، وما ينتج عنه من مخاطر صحية مرتبطة بالتنفس؛
- تدمير مشاجر الأوكلبتوس العمومية التي أنشئت أصلا لحماية المدينة ؛
- تدهور الإطار المبني للمكتب الشريف، وخصوصاً في حي الأطر، بفعل الإهمال ؛
- تشويه الوجه المعماري للأحياء العمالية، نتيجة التغييرات التي أحدثها ملاّكو المساكن المبنية من طرف المكتب ؛
- غياب المساحات الخضراء في العديد من الأحياء، أو تدهورها وعدم الاعتناء بها.

يستخلص من كل ما سبق أن خريبگة أخذت تفقد تدريجياً خصوصيات المدينة المنجمية (التي مازالت حاضرة في بولنوار وحطان). ذلك أن المكتب الشريف للفسفاط يوجد الآن حبيس نظرتين متعارضتين : منطق اجتماعي يدفع إلى تدبير يد عاملة وساكنة حضرية وكذا إرث عقاري ضخم، ومنطق رأسمالي يحتم سياسة التقليل من نفقات الإنتاج على حساب العامل الاجتماعي. كل هذه العناصر تعتبر أعراضاً لأزمة حضرية عميقة تهمّ كل الميادين التعميرية والاقتصادية والاجتماعية والتدبيرية. وإعادةُ صياغة خطة التهيئة والنمو الاقتصادي من طرف كافة الفاعلين المحليين هي الكفيلة وحدها بالنهوض بالمدينة أمام الرهانات الحاضرة والمقبلة.

* *

إقليم خريبگة أحد أقاليم جهة الشاوية - ورديغة، تأسس سنة 1967 ليتوسط أقاليم الخميسات شمالاً وبني ملاّل جنوباً وخنيفرة شرقاً وسطات غرباً، وهو يمتد على هضبة الفسفاط التي تعد مجالاً انتقالياً بين الأطلس المتوسط والسهول الأطلنطية الوسطى.

يضم الإقليم 31 جماعة، منها خمس حضرية و26 قروية، ويسكنه حوالي 480.800 نسـمة حسب إحصاء 1994، منهم حوالي 61٪ من الحضريين وتتوزع المراكز الحضرية بالإقليم كالتالي :

- خريبگة : 090 152 نسمة
- واد زم :953 73 نسمة
- بجعد : 321 33 نسمة
- بوجنيبة : 319 14 نسمة
- حطان : 263 11 نسمة
- بولنوار : 734 9 نسمة
- المجموع : 680 294 نسمة

يتوفر الإقليم على كثافة ريفية ضعيفة نسبياً (44 نسمة / كلم2) لكن النمو الديمغرافي يظل مرتفعاً، وعلى الخصوص بالوسط الحضري الذي يمتص معظم الفائض الديمغرافي بالوسط القروي الذي يتراوح متوسط حجم الأسر به بين 6 و7 أفراد. وعلى صعيد مجموع السكان، لن يعرف أي تزايد في العشرية القادمة بسبب الانتقال الديمغرافي الذي يهمّ كافّة الأقاليم المغربية منذ بضع سنوات.

تتأثر القطاعات الاقتصادية بمجموعة من الظروف والتجهيزات التي تتفاوت أهميتها من حيث التوزيع والحجم. ويمكن إجمابها في العناصر التالية :

- انبساط التضاريس وارتفاع متواضع (600 - 1000م) وتربة غنية في الجزء الغربي ومناخ قاري شبه جاف مع قليل من التساقطات (350 ملم).

- شبكة طرقية تمتد على 935 كلم، منها 141 كلم رئيسية و71 كلم ثانوية وخط حديدي (77 كلم) يربط الإقليم بالدار البيضاء ومراكش، وكذا الجرف الأصفر فيما يخص نقل الفسفاط بالأساس.
- إنتاج أكثر من 10 ملايين متر مكعب من الماء الصالح للشرب سنة 1995 لتزويد 31 ألف مشترك، من بينهم 893 مشترك خصوصي (إدارات ومستهلكين كبار).
- 310 مليون كيلواط من الكهرباء سنة 1994 تم بيعها.

تتضافر الظروف الطبيعية والعوامل التاريخية لإفراز اقتصاد إقليمي يقوم اليوم على ثلاثة قطاعات أساسية، وهي الفلاحة والفسفاط والتجارة.

يمتد إقليم خريبگة على مساحة 000 425 هكتار، منها 000 400. تعد أراضي فلاحية تتوزع على الأراضي القابلة للزراعة (65٪) والأراضي الرعوية (13٪) والغابات (22٪). وتتميز الفلاحة بطابعها البوري وتهتم بالدرجة الأولى بزراعة الحبوب التي تغطي تقريباً كل الأراضي الصالحة للزراعة.

تجدر الإشارة إلى أن الزراعة توفّر مردودية ضعيفة بسبب التقلبات المناخية التي تؤثر كذلك على الغطاء

النباتي الطبيعي الذي يعرف تدهوراً مستمراً تزيد من حدته عوامل بشرية عديدة تضاف إلى الجفاف. إضافة إلى ذلك فإن البنيات العقارية تعيق إلى حد كبير تطوّر وعصرنة القطاع الفلاحي ؛ ذلك أن الاستغلاليات الصغيرة تنتشر بنسبة 57٪، فيما يخصّ حجم 5 هكتارات ولا تغطي سوى 32٪ تقريباً من مجموع المساحة المستعملة. بينما تشكل الاستغلاليات التي تفوق 20 هكتار حوالي 17٪ وتغطي 35٪ من المساحة الإجمالية، وبالتالي يكون معدّل مساحة الاستغلالية هو 8،8 هكتار. زد على ذلك أن القانون العقاري مازال يعطي أهمية نسبية للأراضي الجماعية.

| نظام الملكية | المساحة | |
|---|---|---|
| | هكتار | ٪ |
| الملك الخاص | 253.656 | 60 |
| أراضي الجموع | 81.344 | 19 |
| أراضي الإصلاح الزراعي | 3.230 | 1 |
| الملك الخاص للدولة | 2.870 | 1 |
| الملك الغابوي | 83.900 | 19 |
| المجموع | 425.000 | 100 |

تتغير المساحة المزروعة من سنة لأخرى بسبب مستوى التساقطات، فبحكم القحولة التي تميز إقليم خريبكة. تعتبر زراعة الحبوب النشاط الزراعي السائد، حيث تشكل في ظروف مناخية عادية 3/4 الأراضي الصالحة للزراعة. ويهم الإنتاج الشعير والقمح الطري والقمح الصلب، إذ تصل تغطية كل واحد منها على التوالي 35٪ و23٪ و17٪ من الأراضي الصالحة للزراعة. أما المردودية فتختلف من سنة لأخرى ومن منطقة لأخرى وتصل في المعدل إلى 12 قنطاراً في الهكتار بالنسبة للشعير، و10 قناطير بالنسبة للقمح الطري و8 قناطير بالنسبة للقمح الصلب.

أما زراعة القطاني فتغطي 1.250 هكتار كمعدل سنوي وتتأثر بالصقيع الليلي خلال فصل الشتاء ورياح الشركي خلال فصل الصيف. وإجمالا لا تتعدى مساحتها 1٪ من مجموع الأراضي الصالحة للزراعة، حيث يختلف الانتاج من سنة لأخرى ويتراوح بين 3.000 و7.000 قنطاراً أي بمردودية جد هزيلة تصل إلى 5 قناطر في الهكتار.

أما زراعة الخضر فتغطي حوالي 830 هكتاراً سنوياً وتختلف من منطقة إلى أخرى حسب الإمكانيات المائية ووسائل السقي. وتغلب عليها زراعة البطاطس.

أخيراً تهمّ الأعلاف حوالي 5.000 هكتار وتغطي 2.5٪ من المساحة الإجمالية الصالحة للزراعة. وبالرغم من نموها في السنوات الأخيرة، تبقى ضعيفة مقارنة بأهمية قطيع المواشي الموجود في الإقليم. كذلك الشأن بالنسبة لزراعة الأشجار المثمرة التي يبقى نشاطها هامشياً وضعيف المردودية حيث لا تغطي سوى 0،5٪ من مجموع الأراضي الزراعية تطغى عليها زراعة الزيتون، حيث تغطي 81٪ من مجموع الأراضي المخصصة لهذا النشاط الفلاحي.

أما تربية المواشي في إقليم خريبكة فمازال يغلب عليها الطابع التقليدي غير المهيكل، بالإضافة إلى كونها جد مرتبطة بتوزيع التساقطات. فالإقليم يأوي حوالي 640.000 رأس، منها 78٪ من الأغنام، و9٪ من الماعز و6٪ من الأبقار. على أن تربية الدواجن قد ظهرت خلال الثمانينات، وتهمّ خمس وحدات لإنتاج اللحوم البيضاء ووحدة لإنتاج البيض ووحدة للتفريخ.

| نوع الماشية | الإعداد سنة 94 |
|---|---|
| **ـ القطيع** | 599.218 |
| ـ الغنم | 502.535 |
| ـ الأبقار | 38.495 |
| ـ الماعز | 58.188 |
| **ـ حيوانات الجر** | 41.216 |
| ـ الخيل | 8.068 |
| ـ البغال | 5.109 |
| ـ الحمير | 26.738 |
| ـ الجمال | 1.301 |
| **المجموع** | 640.434 |

يحتل القطاع المنجمي بدوره مكانة خاصة في الاقتصاد الإقليمي، حيث يشتمل على حوالي 40٪ من حجم الرواتب ويشغل حوالي 8.000 شخص، وبالتالي فهو مصدر رزق حوالي 60.000 ساكن في إقليم خريبكة. وضمن هذا القطاع، يعتبر الفسفاط أهم ثروة منجمية إقليمية، بل وطنية، بحكم أن المغرب يتوفر على 3/4 الاحتياطي العالمي يوجد 44٪ منه بإقليم خريبكة. كما يساهم الإقليم بـ 60٪ من مجموع الإنتاج الوطني. يشرف على الإنتاج المكتب الشريف للفسفاط، وهو مؤسسة عمومية تتوفر على الاستقلال الذاتي والمالي. فالمكتب يحتكر كل الأنشطة المتعلقة بالفسفاط من تنقيب واستخراج ومعالجة ونقل وتحويل وترويج. يصل الانتاج على مستوى مناجم إقليم خريبكة إلى حوالي 12 مليون طن سنوياً. وتجدر الإشارة إلى أن النشاط المنجمي المتعلق بالفسفاط قد تعزز باستغلال مناجم سيدي شنان الموجود على حدود إقليم بني ملال.

كما يتوفر الإقليم على العديد من المقالع المختصة في إنتاج الرخام والطين ومواد البناء.

بالرغم من الهيمنة الشبه التامة لقطاعي الفلاحة والمناجم على الاقتصاد المحلي، فقد استطاع إقليم خريبگة أن ينمي نسيجا صناعيا في السنوات الأخيرة، خاصة في وادزم وخريبگة. فبغض النظر عن قطاع البناء والأشغال العمومية الذي يشكل العمود الفقري للنسيج الصناعي، ظهرت وحدات تحويلية تهم بالخصوص الصناعات الغذائية كالمطاحن، وصناعة الخيط والنسيج والأسمدة الفلاحية ومواد البناء، وصل عدد هذه الوحدات سنة 1999 إلى حوالي 31 وحدة تشغّل ما يقرب من 1.000 شخص من اليد العاملة بصفة مستمرة. وقد تعزز وتقوى النسيج الصناعي في الإقليم بفضل تهيئة منطقتين صناعيتين في كل من وادزم وخريبگة. وتوزع أهم الوحدات الصناعية بالإقليم كالتالي :

- مطحنتان، واحدة في كل من خريبگة ووادزم، تصل قدرتهما الإنتاجية إلى حوالي 2.500 قنطار في اليوم ؛
- وحدة لصناعة الخيط بوادزم تشغل حوالي 480 شخص وتنتج 3.200 طن في السنة ؛
- وحدة للنسيج بخريبگة وتشغل حوالي 300 شخص ؛
- وحدة لإنتاج الأسمدة الفلاحية تنتج سنويا 140.000 طن وتشغل 18 شخصاً ؛
- وحدة للغاز بوادزم تشغل 50 عاملاً ؛
- وحدة لإنتاج القرمود بوادزم تشغل 20 عاملاً ؛

رغم منافسة المنتجات الصناعية العصرية مازالت الصناعة التقليدية تحتل مكانة مهمة في النسيج الاقتصادي الاقليمي بفضل أصالتها. وتتمركز الصناعة التقليدية بالخصوص بمدينة أبي الجعد المعروفة بتاريخها وإشعاعها الروحي والثقافي. وتهم الصناعة التقليدية في هذه المنطقة بالخصوص : الزرابي، والتجارة والخزف وصناعة الأحدية التقليدية وصناعة "الحايك" المحلي ذي الشهرة الوطنية. ويبلغ عدد التعاونيات التي تشغل في ميدان الصناعة التقليدية أربع تعاونيات تضم 173 منخرطا. ومازالت العديد من التعاونيات في طور الإنشاء.

تقاس ديناميكية القطاع السياحي بأهمية التجهيزات الفندقية. ففي إقليم خريبگة مازالت البنية التحتية السياحية جد محدودة والسياحة الدولية تكاد تكون منعدمة، فباستثناء وحدة فندقية مصنفة من فئة أربعة نجوم يبقى القطاع الفندقي ضعيف بالإقليم.

| الفنادق | العدد | عدد الغرف | عدد الأسرة | الليالي (93) Nuitées |
|---|---|---|---|---|
| الفنادق المصنفة | 1 | 100 | 161 | 18.515 |
| الفنادق الغير المصنفة | 7 | 85 | 126 | 7.933 |
| المجموع | 8 | 185 | 287 | 26.448 |

تبرز الأرقام ضعف مردودية القطاع السياحي بالإقليم رغم وجود إمكانات مهمة، كالغابة والثقافة والمآثر التاريخية والمواسم ومناجم الفسفاط ومهرجان السينما الإفريقي وكذا مؤهلات أخرى لم تستثمر بعد.

في ظل ضعف النسيج الصناعي بالإقليم يبقى قطاع التجارة هو المشغل الأول والمحرك الأساسي للاقتصاد الاقليمي، حيث يضم إقليم خريبگة حوالي 5.200 مؤسسة تجارية، منها 3.000 تتمركز في الحواضر. وتتوزع التجهيزات التجارية الحضرية كالتالي :

- 16 قيسارية أو مركز تجاري.
- 3 أسواق للخضر والفواكه.
- 3 مساحات لبيع الحبوب والقطاني.
- 3 تعاونيات استهلاكية.
- 7 مقتصديات.
- 3 أسواق بلدية.
- 4 أسواق حضرية (مقابل 24 سوق قروي).

*الإحصاء العام للسكان والسكنى*، مديرية الاحصاء، الرباط، 1982 / 1994 ؛

Collectif, *Géographie du Maroc*, Paris, 1967 ; A. Adidi, *Espace minier et formes de croissance urbaine, le bassin phosphatier de Khouribga*, thèse 3è cycle, Université Lyon III, 1986 ; *Monographie de la province de Khouribga*. 1994 ; M. El Ghalami, *Planification urbaine et actions économiques des collectivités locales*, mémoire INAU, Rabat, 1998.

عبد العزيز عديدي

**خريتيس**، Chrétès اسم واد ورد في رحلة حنون القرطاجي، الذي قام بجولة بحرية عبر المحيط الأطلسي، في بداية القرن الخامس قبل الميلاد، حسب اتفاق معظم الدارسين. والجدير بالذكر أن نص هذه الرحلة وصلنا في ترجمته الإغريقية. وهكذا فكلمة خريتيس التي أطلقت على هذا الوادي لأول مرة، هي نقل للاسم الذي كتب بالحروف البونية في النص الأصلي للرحلة.

بعدما تعرف حانون عن جزيرة كيرني Kerné، تحدث عن الوادي في النص التالي : "انطلاقا من هذا المكان (يقصد كيرني) اخترقنا بسفننا نهرا عظيما يدعى خريتيس، ثم بلغنا إلى مرجة تحتضن ثلاث جزر أكبر من كيرني. وانطلاقا من هذه الجزر - وبعد يوم كامل من الإبحار - وصلنا إلى نهاية المرجة التي تطل عليها جبال عالية مليئة بأناس متوحشين كانوا يرتدون جلود الحيوانات، ويرموننا بالحجارة لمنعنا من الرسو" (*Périple d'Hannon*, 9).

حسب آخر الدراسات التي قام بها الباحث الفرنسي روبوفا حول جزيرة كيرني، فهو يطابقها مع جزيرة سيدي يوسف، المتصلة بوادي سبو على بعد 23 كلم من المحيط. وبذلك يظن أن خريتيس الذي اخترقه حنون هو وادي سبو نفسه، وأن المرجة التي بلغ إليها صاحب الرحلة تتكون من فيضانات سبو التي كانت تغمر مجالاً واسعاً بسهل الغرب

في القديم، قبل أن يتعمق الوادي كما هو عليه حالياً. وأن المرتفعات التي شاهدها هي جبل أوطيطة وجبل بودرعة ثم جبل حريشة.

لقد اهتدى الباحث إلى هذه الملاحظات على ضوء المعلومات التي وردت في نص الرحلة، حول المرحلة التي قطعها قبل الوصول إلى وادي خريتيس. فقبل هذا الوادي انطلق حانون وأصحابه من وادي لكسوس (اللكوس)، واستغرقوا يومين من الإبحار في اتجاه الجنوب. ثم حولوا اتجاههم نحو مشرق الشمس لمدة يوم كامل حتى وصلوا إلى كيرني (*Périple d'Hannon*, 8).

وهكذا اقتنع الدارس بأن مسافة يومين أوصلت حانون إلى مصب وادي سبو. وحينئذ استمر المكتشفون في اختراق الوادي الذي كان يبدو لهم كخليج. ثم إن اتجاههم قد تغير فعلاً من الشمال إلى الجنوب ليصبح من الغرب إلى الشرق. ولما تقدموا كثيراً وجدوه وادياً، وعلموا أن اسمه خريتيس بواسطة المترجمين الذين اصطحبوهم من أهل لكسوس.

ومن جهة أخرى يلاحظ روبوفا، كمثل الباحث الفرنسي ديزانج، أن هناك تقاربا بين اسم وادي خريتيس وآخر سماه سكولكس كراتيس Krathis أو كرابيس Périple de Scylax, Krabis : 112، وسماه أرسطو كريمتيس *Chremetes* : (Aristote, *Meteor*, 1, 13, 21) والذي هو كراتيس Crathis عند بلينيوس الشيخ (Pline l'Ancien, 37, 38) وكلها أسماء متقاربة وتطابق وادي سبو.

مسألة أخيرة حول خصائص خريتيس، هي صلاحيته للملاحة كما أكد ذلك حانون الذي اخترقه بسفنه. وهنا نشير إلى بلينيوس الشيخ، الذي تحدث عن وادي سبو وسماه مرة سبوبوس Sububus وأخرى سبوبة Sububa قد أكد أنه واد رائع وصالح للملاحة (Pline l'Ancien, 5, 5 : *Magnificus et navigabilis*). وقد أكد نفس المصدر أن وديانا أخرى تصب في البحر المتوسط، كانت صالحة للملاحة أيضاً. هي ملوشة Mulucha أو ملوان Malvane (ملوية) ثم تامودة Tamuda (واد مارتيل) وأخيراً لاود Laud (واد لاو) (Pline l'Ancien, 5, 18).

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; J. Desanges, *Recherches sur l'activité des méditerranées aux confins de l'Afrique*, Reme, 38, 1978 ; R. Rebuffat, *Recherches sur le basin de Sebou*, 2, *Le Périple d'Hannon*, B.A.M. 16, 1985 - 6, p. 253 - 83.

محمد مجدوب

**الـخـريـز**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني عروس انتقلت إلى تطوان في حدود سنة 1129 / 1717، وتدّعي أنها فرع من أسرة الـخـراز.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 614.

محمد ابن عزوز حكيم

**خْريرُو**، لقب أطلقه زعيم المقاومة المسلحة بالشمال الغربي الشريف مولاي أحمد الريسوني على المجاهد الشاب أحمد بن محمد أسْبُو الذي ولد بمدشر دار الغازي بفرقة الواديين من قبيلة بني حزمر في حدود سنة 1316 / 1898.

كان خريرو في أيام حداثته يرعى ماشية القائد الخطيطي، وفي سنة 1332 / 1914 التحق برباط دار ابن قريش حيث أصبح من خدام الشريف الريسوني يرافقه في حركاته وسكناته إلى أن فكر ذات يوم في أن يقوم بعملية اختطاف خطط لها مع جماعة من أصدقائه الشباب (دون علم الشريف الريسوني) وفي ليلة 11 نوفمبر 1921 اقتحم عرصة المدير العام للأحباس في الحكومة الخليفية علي السلاوي الواقعة خارج باب العقلة واختطفه صحبة حفيدته السيدة عشوشة بنت باشا تطوان الحاج أحمد الطريس.

وما إن علم الشريف سيدي محمد الخراز المعروف بولد حميدو السكان خليفة الشريف الريسوني الذي كان يوجد بدار بن قريش حتى تعرض لقافلة خريرو وأرغمه على تسليمه المختطفين وتوجه بهما إلى تازروت حيث أكرمها الشريف الريسوني إلى أن أعادهما إلى ذويهم.

وأما خريرو فقد توجه إلى غمارة وظل هناك إلى سنة 1342 / 1923 حيث وضع نفسه تحت تصرف أخ الأمير الخطابي الذي كلفه بعدة عمليات ضد المراكز الإسبانية الواقعة بقبائل بني زيات وبني سعيد وبني حسان ؛ وفي يوم 24 أكتوبر 1923 هاجم خريرو القطار العسكري الذي كان يربط ميناء مرتين بالمعسكر الإسباني بمدشر اللوزيين، حيث نصب له كميناً أخرجه عن سكته وأسفر الهجوم عن مقتل سبعة وجرح اثني عشر من الجنود الإسبانيين.

وقام خريرو بدور بارز في عرقلة عملية الانسحاب الإسباني عن بعض المركز الأمامية ابتداء من أواخر سنة 1924 إلى أواخر شهر فبراير 1925.

وخريرو هو الذي ترأس الحصار الشديد الذي أقيم بأمر من الأمير الخطابي على مركز كدية الطاهر (بقبيلة بني حزمر) من يوم 3 إلى يوم 12 سبتمبر 1925 ؛ وهو الذي هاجم مركز دار الغازي يومي 9 و12 سبتمبر من نفس السنة، كما هاجم مركز دار الراعي يوم 4 مارس 1926.

وعندما علم خريرو باستسلام الأمير الخطابي يوم 25 ماي 1926 ظل مع جماعة من المجاهدين معتصماً بجبال غمارة يشن من حين لآخر الهجمات ضد المراكز الإسبانية ويقطع الطريق على قوافل تمويل حامياتها.

وفي يوم 26 ربيع الثاني 1345 ونوفمبر 1926 استشهد خريرو في ساحة الشرف وعمره 28 سنة أثناء اشتباك مع كتيبة عسكرية إسبانية جرى بقبيلة بني يدر، ودفن بجوار ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش بجبل العلم.

Archivo historico militar, Madrid ; Garcia Figueras. *Miscelanea de estudios varios sobre Marruecos*, Tetuan, [s.d] ; Servicio historico militar. *Historia de las campañas de Marruecos*, T. 4, Madrid, 1981

محمد ابن عزوز حكيم

**الخريف**، يقصد بالخريف الفترة الممتدة من 23 شتنبر إلى غاية 20 دجنبر من كل سنة وهي الفترة التي تعرف فيها الظروف الكونية إحدى الوضعيات المتميزة التي تكون فيها أشعة الشمس أثناء الثانية عشرة زوالاً من يوم 23 شتنبر متعامدة مع خط الاستواء وينتج عن ذلك أن ما يسمى بدائرة الإضاءة تمر مباشرة بالقطبين فتتساوى على إثر ذلك مدة الليل والنهار عند مختلف العروض يعقبه مباشرة خلال فترة باقي الخريف تناقص مطرد ملحوظ لمدة النهار وتزايد ملموس وبالمقابل لمدة الليل وذلك طبعا بالنسبة للنصف الشمالي للكرة الأرضية. ويشكل الخريف بالنسبة للمغرب أحد الفصول ذات الأهمية الخاصة لكونه وبحكم العروض التي ينتمي إليها له خصوصية نوعية تميزه عن باقي الفصول الأخرى إن على المستوى البيوإحيائي أو على المستوى المناخي وهذا التميز إنما هو نتيجة مباشرة للظروف الإشعاعية والطاقية التي تطبع هذه الفترة عند مختلف عروض النصف الشمالي.

وتبرز هذه الوضعية العامة بالنسبة للمغرب من الوجهة المناخية إذن ببداية تحرك نظام الضغط الجوي وتزحزحه نحو الجنوب تبعا لحركة الشمس الظاهرية. وبداية التحرك هاته نحو الجنوب يصاحبها تغير هام على مستوى الدورة الهوائية العامة عند عروض المغرب بعد تحولها من حركة ذات رتابة كبيرة خلال فترة الصيف إلى حركة للهواء ذات تغايرية وتنوع كبيرين. وهذا يعني أن المغرب وكل عروض البحر الأبيض المتوسط قد أصبحت من جديد تحت تأثير جل المؤثرات الجوية للعروض الوسطى ولا سيما منها اضطرابات الجبهة القطبية المسؤولة عن التساقطات الرئيسية في المغرب بعدما كانت في منأى عنه خلال فصل الصيف الجاف والمميز للمناخ المتوسطي.

وكون أن هذا الفصل يأتي مباشرة بعد الصيف وقبل فصل الشتاء جعل عناصره المناخية تطبع بخصائص مرحلية وإنتقالية ما بين الفترتين، ويتجلى ذلك على وجه الخصوص أيضاً على الدورة الهوائية العامة بشكل عام والخصائص الحرارية لهذا الفصل بشكل خاص إذ أن التوزيع الزمني العام للحرارة عموماً يظهر تطوراً تنازلياً من بداية الفصل إلى نهايته ومرد ذلك طبعا إلى أنه مع تقدمنا الزمني داخل هذا الفصل يزداد تردد وصول الكتل الهوائية القطبية الباردة إلى عروضنا وذلك كنتيجة دوما للإنتقال التدريجي لآليات الحركة الهوائية العامة للاستقرار جنوبا تبعا لحركة الشمس الظاهرية مما يجعل في الأخير أن الحرارات الوسطى لهذا الفصل تكون مرتفعة نسبياً مع بداية الفصل ومنخفضة في نهايته.

وهذه الصفة الانتقالية نلمسها أيضاً على آليات حركة الهواء عند عروض المغرب وخاصة في المستويات العليا والتي يكون يطغى عليها خلال بداية الفصل طابع الرتابة المميز لفصل الصيف بسبب الضعف النسبي للتناقض الحراري ما بين عروض النصف الشمالي الشيء الذي يحد من سرعة التيار النفات التي تستمر نسبياً خلال بداية الخريف مما يجعل رسم هذا التيار يشكل إنعراجات ذات مدى كبير. وهذه الوضعية بالذات هي التي ستسمح بتقدم أو تعمق الهواء البارد نحو الجنوب فيساهم ذلك في تنشيط فاعل للدينامية العامة لحركة الهواء تكون من نتائجها المباشرة خلق ظروف جوية جديدة تبتدئ غالباً بما يسمى بنشوء اضطرابات محلية تهم على الخصوص السواحل المغربية من عرض أگادير إلى السواحل البرتغالية من خصائصها المميزة إعطاء تساقطات مهمة تقتصر على محيطها المباشر ويكون ذلك إيذانا ببداية الفترة الرطبة والتي سرعان ما تتأكد مع توالي تردد المسارات المختلفة لاضطرابات الجبهة القطبية والتي تهم تساقطاتها جل المناطق المغربية.

وتأتي تساقطات هذا الفصل من حيث الأهمية في المرتبة الثانية بعد التساقطات الشتوية في كل المناطق الساحلية عموماً وغزارة تساقطات هذا الفصل مرتبطة بتظافر عاملين أساسيين، أولهما الطبيعة الجد رطبة للهواء الذي يهم مناطقنا خلال الفترة لكونه يتوفر على كمية كبيرة من الرطوبة بسبب حرارته التي مازالت نسبيا مرتفعة. وثانيهما الدينامية العامة للهواء عند هذه العروض والتي تؤدي إلى وصول الاضطرابات الجوية التي يزداد نشاطها خاصة بسبب تقدم حركة الهواء الغربية نحو الجنوب من ناحية وتوالي تعمق الهواء البارد في الأجواء العليا دائماً بإتجاه الجنوب أي بإتجاه عروضنا بسبب الأودية الباردة الكبيرة التي يشكلها خلال هذا الفصل رسم التيار النفاث فتتكون على إثر ذلك ما يصطلح عليه بالقطرات الباردة التي هي عبارة عن كتلة معينة من الهواء البارد جداً الذي انفصل عن مصدره وانتقل جنوباً ليعلو منطقة تتوفر على هواء أدفأ وهي تقترن غالباً عند السطح بمنطقة الاضطراب ومنخفضها الجوي المرافق والتي هي أيضاً مكان تصاعدات قوية لهواء حار ورطب بسبب عدم الاستقرار الناجمة عن تلاقي هوائين متناقضين من حيث الحرارة والكثافة هما الهواء القطبي والهواء المداري. ووجود هذه القطرات الباردة في الأجواء العليا يزيد من عدم استقرار الهواء المتصاعد داخل منطقة الاضطراب الشيء الذي يؤدي في آخر الأمر إلى الزيادة من فاعلية الجبهات وبالتالي من غزارة الأمطار فجل حالات الأمطار القياسية المسجلة في المغرب وكذا في شمال إفريقيا غالبا ما تحدث بسبب نفس الظروف وخلال نفس الفصل.

علي البليشي

**الخزازرة**، فرقة كبيرة من فرق قبيلة الأعشاش بالشاوية (راجع مادة الأعشاش) وقد أشار الضعيف الرباطي في *تاريخه* إلى أن الأعشاش كانوا ينقسمون في

أواخر القرن الثامن عشر إلى ثلاثة أقسام أولى هذه الأقسام وهي : الخزازْرة ثم بنو يمان ثم أولاد محمد.

وقد استقلت فرقة الأعشاش بقيادتها منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وفي 1315 / 1898 وزع الوزير أحمد بن موسى البخاري الأعشاش إلى سبع قيادات كانت قيادة الخزازْرة في مقدمتها. وفي بداية القرن العشرين - خاصة عندما تم احتلال فرنسا للشاوية - أصبحت الخزازْرة تكون مع المعاريف والأولاد والخلط وأولاد شعيب وأولاد عريف ما يسمى بأعشاش السهل في مقابل أعشاش الغابة الذين يتكونون من أولاد حمامة وأولاد عبد الله وأولاد الزبرق وأولاد عطو (عتو). وأحصيت خيام الخزازْرة فوجدت ستمائة وخمساً وعشرين خيمة. تتوزعها ستة دواوير : الخمالشة، أولاد بوعزة، البرازين، أولاد بوبكر، أولاد بن يسف، أولاد العسري.

*Villes et tribu du Maroc, Casablanca et la Chaouia,* T. 2 ; Mege, *Les Mzab et les Achaches, A.B.*, 1918.

علال الخديمي

**الخزاعي، علي** بن محمد بن أحمد بن موسى بن سعود بن موسى بن أبي غفرة يُكنّى أبا الحسن. وهذا الانتساب إلى خزاعة لا نعرفه لغيره في الأندلس والمغرب، ويقول المؤرخ ابن الأحمر مؤلف كتاب *تخريج الدلالات السمعية*. إن أصل سلف الخزاعي من الأندلس من بني سعود، وبنو سعود موضع في شرق الأندلس من جهات مدينة مرسية، وفيها يقول حازم القرطاجني في *مقصورته* :

وحل في بني سعود عقدَه كلّ حبيٍّ عاقدٍ فيها الحُبا

ويبدو أن موسى بن سعود - وهو والد جد الخزاعي - انتقل من بلده في شرق الأندلس إلى مملكة غرناطة بعد استيلاء المسيحيين على مرسية وجهاتها في منتصف القرن السابع الهجري، وقد وُلّي القضاء في بلدة تدعى أدلة بمملكة غرناطة، وخلفه على القضاء بها ولده الفقيه أحمد ؛ وانتقل بعد ذلك إلى مدينة غرناطة، ووُلّي بها في الأشغال السلطانية، ثم إنه هاجر من غرناطة إلى تلمسان لسبب غيرمذكور فاستوطنها إلى أن توفي بها، وقد أورث ولده أحمد معرفة بالأشغال السلطانية والأعمال المخزنية أهلته لتولي الكتابة والوزارة لدى بني زيان ملوك "تلمسان".

أما ولده أبو الحسن علي موضوع هذه المادة فقد ولد بمدينة تلمسان عام 710 ونشأ بهذه المدينة وأخذ عن بعض علمائها أو زوارها كالخطيب أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مرزوق، والخطيب القاضي أبي البركات البلفيقي، ويبدو أنه تعلم أدوات الحساب والكتابة الديوانية على والده وبرع فيها، ولهذا استكتبه ملوك بني زيان وقلدوه خطة الأشغال السلطانية، وهي الخطة التي تقلدها والده وجده، وكما انتقل جد الخزاعي - فيما رأينا - من خدمة بني نصر إلى خدمة بني زيان انتقل حفيده أبو الحسن من خدمة هؤلاء إلى خدمة بني مرين إسوة بعدد من التلمسانيين كابن مرزوق والمقري الجد وغيرهما، وقد استكتب في الأشغال السلطانية بفاس في عهد السلطان أبي عنان وولده أبي بكر، وفي عهد أبي سالم وأبي زيان وأبي فارس والسعيد بالله. ولعل مهارته في عمله وأمانته في أدائه من أسباب استمراره في الخطة في عهود متقلبة، ولعل من أسباب ذلك أيضا أنه كان كريما سخيا كثير الصدقة والإيثار لم يكن في زمانه من يضاهيه في هذا.

لقد تفرغ الخزاعي في آخر حياته لتأليف كتابين في موضوعين متميزين :

أحدهما هو موضوع السماع أو الموسيقى، وتاليف الخزاعي في هذا الموضوع مفقود، وقد انفرد بذكره يحيى السراج في فهرسته - وقد كان صديق الخزاعي وشريكه في الأخذ عن بعض الشيوخ - قال : "سمعت من لفظه بعض تأليفه في السماع وناولني المبيضة.".

أما الموضوع الثاني فله تعلق بالخطة التي تقلدها هو وسلفه، واجتهد في أن يجد لها ولغيرها من الوظائف المخزنية أساسا سنيا وسندا شرعيا، وقد سمى تأليفه في هذا الموضوع كما يلي : *تخريج الدلالات السمعية، على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية*... وقد ذكر السراج هذا الكتاب كذلك، وقال : "وقرأت أو سمعت من لفظه بعض تأليفه المسمى *بتخريج الدلالات السمعية، على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية* وناولني جميعه وأجاز لي إجازة عامة".

وقد وصل إلينا هذا الكتاب الممتاز، وطبع أكثر من مرة، ويقول الخزاعي في الباعث له على تاليفه : "وبعد فإني لما رأيت كثيرا ممن لم ترسخ في المعارف قدمه، وليس لديه من أدوات الطلب إلا مداد وقلمه، يحسبون من دفع إلى النظر في كثير من تلك الأعمال في هذا الأوان مبتدعا لا متبعا ومتوغلا في خطة دنية، وليس عاملا في عماله سنية، استخرت الله عز وجل أن أجمع ما تأدى إليّ عمله من تلك العمالات في كتاب يضم نشرها، ويبيّن لجاهليها أمرها، فيعترف الجاهل، وينصف المتحامل، فألفت هذا الكتاب..." وذكر الخزاعي في مقدمته أنه أهداه إلى السلطان المريني أبي فارس موسى بن أبي عنان، والكتاب ينقسم إلى عشرة أجزاء فيها مائة وثمانية وسبعون بابا تشتمل على مائة وست وخمسين خطة.

وقد اختصر هذا الكتاب رفاعة الطهطاوي في كتابه نهاية الإيجاز، وتوسع فيه وأضاف إليه الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه التراتيب الإدارية.

ومما يمتاز به تأليف الخزاعي أنه جعل الباب الأخير خاصا بذكر أسماء التواليف التي خرج منها مادة كتابه وهي مائة ونيف وستون تأليفا.

توفي الخزاعي رحمه الله بفاس - وذلك كما يقول صاحبه السراج - بعد صلاة العصر من يوم الأحد الخامس من

ذي القعدة عام تسعة وثمانين وسبعمائة ودفن من غده يوم الاثنين.

*مقصورة حازم*، 1 : 193 ؛ *فهرسة السراج* (مخطوطة) ؛ ابن الأحمر، *نثير الجمان*، 249 ـ 253، مستوع العلامة له أيضا : 62 روضة النسرين له أيضاً : 31 ؛ ابن خلدون، التعريف، 43 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 247 ـ 248 ؛ *جذوة الاقتباس*، 489 ؛ *لقط الفرائد*، 224 ؛ وانظر تخريج الدلالات السمعية، تح. الدكتور إحسان عباس.

محمد بن شريفة

**خْزَامَى** (أيت –) منطقة تقع بإقليم ورزازات شرقا وفي الشمال الشرقي للكتلة الجبلية المعروفة بالسروة. ويكاد يكون شكلها مستطيلا طوله نحو 30 كلم، وعرضه نحو 15 كلم، ويوجد ضمن تراب المجموعة القبلية المسماة أيت واوزگيت، وتحد آيت خزامى آيت زينب في الشمال والشمال الشرقي وأيت مخليف غرباً مع أيت أزيلال. ولها في الجنوب حدود مع أيت تدرارت وأيت النقب، أما في الشرق، فإن أيت تماسين هي التي تحدّها.

وترتّب قرى بلاد خزامى حسب أهميتها : أماسين تأوي اليوم زهاء 400 عائلة، تعيش على ما تنتجه الحقول المجاورة من حبوب، وخاصّة الشعير وتربية الأغنام. لكن مستوى المعيشة يبقى منخفضاً هزيلاً. وبعدها تأتي تماسيرت التي تحيط بها مزارع صغيرة على المدرّجات الأرضية، كما هو حال أماسين. وكان يوجد في كليهما ملاح لطائفة يهودية انقطع اليوم دابرها. تم تأتي تشاوكشت وتليها تيفدرا وتينزلا وهي مداشر لا غير.

آيت خزامى

والجدير بالذكر أن سكان المنطقة قاطبة اعتادوا الاعتماد على أنفسهم في كل شيء. وتتساكن بتراب هذه المنطقة قبيلة قديمة أخذت اسمها من لون الخزامى الذي هو اللون الذي تتميز به الصخور البركانية القاعدية والمزيجيات منها التي تغطي معظم مساحة هذه الجهة. ولهذه الطبيعة القاسية أثر على مزاج السكان الذين عرفوا قديما بغلظتهم وحرصهم على إثبات وإقرار وفرض خصوصيتهم على القبائل التي تخرج عن نفوذ واوزگيت، ولا سيما منها القبائل السوسية التي لم تستطع قديما أيت خزامى التعايش معها.

G. Choubert, *Histoire géologique* ; L. Gentil, *Dans le Bled es-Siba* ; F. Joly et P. Birot, *Excursion...*

أحمد بنجلون

**الـخْزامِيّ**، أسرة تنتسب إلى آيت خْزامَى، القبيلة الكبيرة التي تدخل في تركيب قبيلة أيت واوزگيث بإقليم ورزازات. ويطلق هذا الاسم على إحدى أسر أسفي التي أسسها عناصر هاجرت من أيت خزامى واستوطنت أسفي في عهد لم يحدد. لكن المؤكّد – حسب ما لدينا من وثائق –، أن أحدهم يسمى محمداً قدم إلى أسفي خلال نهاية القرن الثامن عشر مرفوقا بعدد من أفراد عائلته كان من بينهم ولدان، أحدهما اسمه امحمد والثاني أحمد، وكل منهما أسس عائلته حتى إن الخزاميين يشكلون اليوم بأسفي فرعين متميزَين، تضعف العلاقات بينهما مع توالي الأيام، علما أن خيوط المودّة تربط بين عناصر قليلة من الفرعين بفضل المصاهرة.

زد على هذا انبثاق فرع ثالث ـ من الفرعين الأساسيين المذكورين سلفا ـ انقسم بدوره إلى شعبتين، إحداهما توجد بمراكش وقطعت علاقاتها بأصولها وبأسفي، والثانية توجد بالدار البيضاء، وسارت على نفس الدرب. وهذه الظاهرة ترجع أساساً إلى انقطاع الأجيال المتأخّرة عن مهد آبائها.

وعلى كل فإن ذاكرة أسفي سجّلت بعض الأسماء منهم، حظوا في حياتهم وبعد مماتهم بالاعتبار والتقدير، إما لمواقفهم المشهودة من الوقائع التي شهدتها الساحة الاجتماعية والسياسية في وقتهم، وإما لرفعتهم في المعرفة والعلوم الدينية وغيرها، أو لمكانتهم في التجارة والصناعة المحلية التي ارتقت على أيديهم. منهم من يردّد ان اسمهم دال على أصلهم العربي بانتمائهم إلى بني خزيمة. وهذا غير صحيح، إذ ورد ذكرهم في بعض الرسوم على أنهم "أولاد أخزام" بالصيغة البربرية.

**الخزامي، أحمد** بن **دحمان** لا يُعرف تاريخ ميلاده. تلقى قسطا من العلم بأسفي، ثم انتقل إلى فاس حيث درس على شيوخ القرويين. وبعد رجوعه إلى أسفي، صار عدلاً. ثم أنيطت به نيابة القضاء في عهد القاضي أحمد بن محمد بن إبراهيم عام 1908. كان من الفضلاء ووجهاء المدينة، كريما، طيب الأخلاق توفي في غضون عام 1337 / 1918.

**الخزامي، بوزيد** بن **أحمد** بن محمد تلقى تعليمه الأساسي بأسفي، ثم قضى سنتين بمراكش طلبا للعلم ثم ذهب بعد ذلك إلى فاس. ولما رجع إلى أسفي، اشتغل

بالتدريس إلى أن أسندت إليه نظارة الأوقاف سنة 1873/1290. كان من أفضل رجالات المدينة توفي سنة 1320 / 1902.

**الخزامي، دحمان** بن **محمد** تاريخ ميلاده غير معروف. هو الفقيه العالم، ذو الاخلاق السوية، الذي كان يحظى باحترام الأهالي واعتبار سلطات المدينة. مارس مهنة العدل والتدريس وكان في حينه مرجعا في مسائل الشرع في علاقته مع من تتطاول أيديهم على أملاك الغير، خصوصا في عهد القائد عيسى بن عمر. وكان دحمان مرشداً موفقا لمن خلفوا القائد الطيب بنهيمة علي عمالة أسفي. (راجع مادة *بنهيمة*، *معلمة المغرب*). توفي في غضون عام 1322 / 1904.

**الخزامي، صالح** بن **أحمد** (وهو شقيق بوزيد السالف الذكر) تاريخ ميلاده غير معروف. بعد أن تلقى تكوينه بأسفي، ذهب إلى مراكش للمزيد من المعرفة. وبعد رجوعه إلى أسفي اشتغل لتوه بالتجارة فربح في أعماله ربحاً كبيراً. وكانت له متاجر أيضاً بمراكش، وتعامل مع أهل البادية في تربية المواشي، فكانت أعماله مزدهرة.

كان من أهل الفضل والجود، وموجعا لكل ذي حاجة. توفي عام 1340 / 1921. ومازالت بعض ممتلكاته قائمة بالمدينة العتيقة لكنها توجد في حالة اهمال وانهيار.

**الخزامي، مَحمد** بن **أحمد** بن **دحمان** ولد عام 1886، تلقى تعليمه الأساسي بأحد الكتاتيب القرآنية، وكان ميالاً إلى تعلّم الصناعات اليدوية، مُحبّا أن يكون "معلما"، فأدخله أبوه إلى معمل لصناعة البلاغي للرجال والنساء تحت رئاسة صانع ماهر، يسمّى محمد بن التهامي الرباطي - الذي استقرّ بأسفي عام 1890 -، وكان عليه إقبال كبير. ولما اكتسب مَحمد ما كان يريده من المهارة، استقل بمعمل وصار له صناع يشتغلون تحت رئاسته. واشتهرت صناعته وأخذت بضاعته تروج بمراكش والصويرة والجديدة. وخصّته السلطات المحلية في عهد الاستعمار

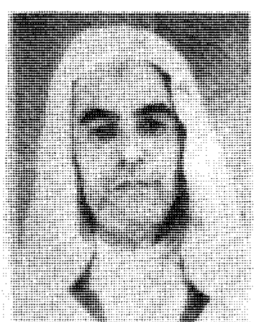

بعنايتها، فأدرجته في لائحة الأعيان. فربطته صداقة متينة باثنين من رجالاتها وهما باشا أسفي الطاهر المقري والخليفة الشهير علال الوزاني، وأصبح الأهالي يسمونه الأمين. وكان حقّاً أميناً يؤدّي عمله بإتقان ولم تبر له سلعة، وكان أميناً على كافة صناع حنطة الخرازة، وكان أميناً بطهارة أخلاقه وسلوكه وجوده وكرمه، محبّا للفقراء والمعوزين، ولم يكن يفكّر في جمع المال والثراء، وكان أميناً أيضاً بسلوكه الوطني إذ استطاع أن يأمن شرّ السلطات في عهد المحنة والأزمة فصبّ عطفه بل تعاونه السرّي مع الوطنيين، ونقل الأخبار من خلية بالدار البيضاء إلى خلية بأسفي دون أن يكتشف أحد هذا الأمر في وقته، إذ لم تكن مرتبته الاجتماعية المتميزة لتثير الشكوك حوله، فأدّى مهمته أحسن تأدية. ومات في غضون 1966 دون أن يترك شيئاً من حطام الدنيا.

أ. بنجلون، *عائلات أسفي*، مخطوط ؛ محمد بن أحمد الكانوني، *أسفي وما إليه*.

أحمد بنجلون

**الخزانة بالمغرب** أو خزانة الكتب أو المكتبة، يعتقد بعض الباحثين أن أصلها يرجع إلى رفوف المصاحف الشريفة بالمساجد التي بُنيت بالمغرب الأقصى إبان الفتح الإسلامي، حيث أقام بعض القراء من الفاتحين أو ممن جاء بعدهم يعلّمون سكان هذه البلاد القرآن الكريم حفظاً وكتابه. وبعد تأسيس جامع القرويين سنة 245 (858 م) تكاثر عدد مهاجري القيروان والأندلس إلى فاس، وفيهم فقهاء ومدرسون حملوا نواة الخزانة العلمية الأولى، التي ربما لم تكن أيضاً غير رف أو رفوف في أحد أركان الجامع قبل أن تخصص لها إحدى المقاصير حين قام الأمير أحمد بن بكر الزناتي في حدود سنة 345 (956 م) بتجديد جامع القرويين وتوسيعه، بإشارة من حليفه الخليفه الأموي عبد الرحمن الناصر الذي كان المثل يُضرب بخزانته العلمية، ولا يُعقل أن يُغفل مشروع توسيع الجامع جانبَ الخزانة فيه.

وقد عرفت الخزانة العلمية بالمغرب تطوراً مع المرابطين الذين وحّدوا العدوتين المغرب والأندلس تحت سلطتهم، وأصبحت حاضرتهم مراكش مهبط الفقهاء والعلماء والأدباء، ثم بنى ثاني ملوكهم علي بن يوسف بن تاشفين جامع ابن يوسف العظيم في حدود سنة 520 (1126م) ويُظنّ أن إحدى مقاصيره خصصت للكتب فكانت منطلق خزانة ابن يوسف المعروفة حتى اليوم. وتذكر كتب التاريخ والتراجم توافد الفقهاء والأدباء والكتاب على حاضره مراكش أيام أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، وتنافسهم في تقديم مؤلفاتهم ومنتسخاتهم إلى هذا الملك الكريم الشغوف باقتناء الكتب والحفاظ عليها، حتى إنه لما مات الطبيب زهر بن عبد الملك ابن زهر أمر أمير المسلمين

بجمع مصنفاته، فجمعت في المغرب والأندلس وانتُسخت عام 526 (1131م) ولاشك أن هذه الكتب دخلت إلى خزانة علي ابن يوسف الخاصة أو العامة.

وإذا كنا لا نتوفر، إلى جانب القرائن المذكورة، على وثائق مادية تثبت وجود خزانة القرويين في عهد الأدارسة والزناتيين، فبعكس ذلك هناك براهين قاطعة على وجود خزانة مراكش المرابطية، وذلك أجزاء من كتاب *الموطأ* في رق الغزال محفوظة بخزانة القرويين جاء في الجزء الحادي عشر : "مما كتبه لخزانة أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف أدام الله تأييده ونصره... وكان الفراغ منه بحضرة مراكش - حرسها الله - غرة شعبان من سنة اثنتين وخمسمائة" وشبه ذلك في أجزاء أخرى منه.وفي خزانة عبد الحي الكتاني المودعة اليوم في الخزانة العامة بالرباط خمسة مخطوطات كانت في حوزة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين منها مصحف شريف وكتاب مشكل *القرآن* لابن قتيبة.

ولما كان المهدي ابن تومرت أوصى الموحدين ألاّ يدخلوا مراكش إلا بعد تطهيرها، أي محو كل آثار المرابطين منها، فإن عبد المومن بن علي بعد أن تمت له الغلبة سارع إلى هدم جامع ابن يوسف وكل مرافقه، وشيّد بالمقابل جامع الكتبية الذي كان يحيط به مائتا دكان لبيع الكتب، كما أسس حفيده يعقوب المنصور "قصر الخلافة وسط المدينة التي اختطها خارج مراكش (القصبة السلطانية) خاصة به وبخواصه ... وفي رحبة القصر قصر الخلافة دار الكرامة والأضياف، وفي هذه الرحبة المدرسة، وهي مكان جليل به خزائن الكتب" (*مسالك الأبصار*، ص. 145 - 147) وأسس عمر المرتضى من متأخرى الملوك الموحدين خزانة عمومية أخرى بقصبة مراكش مازال بعض مخطوطاتها قائماً في خزانة ابن يوسف يحمل وثيقة التحبيس ( *المصدر السابق*، ص. 147 هامش 1).

وليس بسرّ نشاط المجالس العلمية للملوك الموحدين بمراكش، خاصة أيام السلطان العالم أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن صاحب "الخزانة العالية" الذي كان من الملازمين له الفيلسوفان ابن الطفيل وابن رشد الحفيد والأديب الكبير أبو العباس ابن الصقر الذي قال فيه ابن عبد الملك : "آنق أهل عصره خطاً وأجملهم فيه منزعاً، وكتب من دواوين العلم ودفاتره ما لا يحصى كثرة وجودة وضبطاً ... ألزمه خطة الخزانة العالية، وكانت عندهم من الخطط الجليلة التي لا يعيّن لتوليتها إلا علية أهل العلم وأكابرهم" ( *الذيل والتكملة*، 1 : 225 و228). وفيها طلب أبو يعقوب من ابن رشد أن يلخص كتب أرسطو ويقرّب أغراضها بعد أن يفهمها جيداً. قال ابن رشد : "فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب أرسطوطاليس".

وتمتاز مدينة سبتة بحكم موقعها الجغرافي كأقرب نقطة اتصال بين المغرب والأندلس وبحكم تاريخها السياسي والعلمي المطبوع بجاذبية قوية بين فاس ومراكش من جهة وقرطبة وإشبيلية وغرناطة من جهة أخرى، بريادتها في ميدان الخزانة العلمية. وأكثر خزائنها من إنشاء أسر نابهة توارثت العلم والجاه أجيالاً متعاقبة، كبني العجوز الكتامين الذين تخرج جدهم عبد الرحيم بن أحمد ابن العجوز (ت. 418) بالإمام ابن أبي زيد القيرواني وطبقته، وتسلسل الفقه والقضاء في أبنائه قروناً عديدة. وهم من شيوخ القاضي عياض الذين تحدث عنهم في كتابه *ترتيب المدارك*، وظلت خزانة بني العجوز أشهر الخزائن بمدينة سبتة إلى ما قبيل سقوطها.

وجاء في كتاب *اختصار الأخبار* للأنصاري السبتي أن عدد الخزائن العلمية بسبتة "اثنتان وستون خزانة كان منها في الزمن القديم بدور الأكابر وذوي الأقدار خمس وأربعون خزانة... وكان منها في زماننا (أوائل القرن التاسع (15م) سبع عشرة خزانة، تسعٌ بدور الفقهاء الصدور... وثمانٌ موقفة على طلاب العلم، أقدمها الخزانة الشهيرة ذات الأصول العتيقة والمؤلفات الغريبة خزانة الشيخ أبي الحسن الشاري المذكور التي بالمدرسة المنسوبة إليه التي ابتناها من ماله، وهي أول خزانة وُقفت بالمغرب على أهل العلم. وأعظمها إحدى خزانتي الجامع العتيق الكائنة بشرقي صحنه وبإزاء باب الشواشين" ثم تتبّع الأنصاري مواقع هذه الخزائن بمختلف مساجد سبتة ومدارسها. وبحث المهتمون بتاريخ الخزانة العلمية بالمغرب وفي مقدمتهم العالمان المرحومان محمد المنوني ومحمد العابد الفاسي، قضية أولية خزانة أبي الحسن الشاري بسبتة كخزانة عامة، ويبدو أن هذه الأوليّة إنما هي بالنسبة لسبتة. وسبقتها خزائن عامة في مدن مغربية أخرى.

كان لبني مرين سياسة متفتحة مندفعة في ميدان تأسيس المدارس والخزائن العلمية، سواء في حاضرتهم فاس أو في مدن أخرى من أقصى الشمال إلى الجنوب، وفي تلمسان والجزائر، حتى قيل إنهم أول من أنشأ هذه المعاهد العلمية بالمغرب. واستقصى الخطيب ابن مرزوق التلمساني في كتابه *المسند الصحيح الحسن* المدارس المرينية، ومنشآت أبي الحسن بصفة خاصة، وتحدث في الباب الحادي والأربعين عن نفائس الكتب المحبسة على خزائن هذه المدارس.

ولما تغلب أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق أول ملوك بني مرين على ملك قشتالة سانشو ابن الفونسو العاشر وصالحه في 20 شعبان عام 684 (21 أكتوبر 1285) على شروط جد ملائمة لصالح مسلمي الأندلس، أمره أن يبعث إليه بما يجد في بلاده بأيدي النصارى واليهود من كتب المسلمين، فبعث إليه سانشو، ثلاثة عشر حملاً فيها مصاحف وكتب في التفسير والحديث وأصول الفقه وفروعه واللغة والأدب، أمر أبو يوسف بحملها إلى فاس وحبسّها على طلبة العلم بمدرسة الحلفاويين (الصفارين) التي كان

شيّدها بجوار جامع القرويين (*القرطاس*، ص. 363 ؛ *العبر*، 7 : 434 - 435). "وقد نُقلت كتب خزانة مدرسة الحلفاويين في زمن غير محدد إلى الخزانة التي أسسها أبو عنان المريني بجامع القرويين" وتوجد بها الآن جملة من الكتب مرسوم في أول ورقة منها أنها من كتب خزانة مدرسة الحلفاويين... وأكثرها من نوادر مخطوطات الأندلس ومكتوبة في رق الغزال. كما يوجد بالخزانة (القرويين) وثائق أخرى من وقف أبي الحسن على المدرسة الحلفاوية المؤسسة من قبل جده". (*الخزانة العلمية*، ص 25).

تقع خزانة أبي عنان بأعلى مستودع الجانب الشرقي بجامع القرويين في بناية أثرية متوسطة نُقش بأعلى بابها في الخشب بحروف ناتئة : "مما أمر به... أمير المومنين أبو عنان بن الخلفاء الراشدين... إنشاء هذه الخزانة السعيدة، الجامعة للعلوم المجيدة، المشتملة على الكتب التي أنعم بها من مقامه الكريم، المحتوية على أنواع من العلوم الواجب لها التعظيم والتكريم. جعل ذلك - نصره الله - وقفاً مؤبداً لجميع المسلمين... وذلك في جمادى الأولى عام خمسين وسبعمائة" (*المصدر السابق*، ص. 27 - 28) وأضاف علي الجزنائي أن أبا عنان "أخرج لها من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأبدان والأديان، واللسان والأذهان، وغير ذلك من العلوم على اختلافها، وتنوع ضروبها وأجناسها، ووقفها ابتغاء الزلفى، ورجاء ثواب الله الأوفى، وعيّن لها قيماً لضبطها ومناولة ما فيها وتوصيلها لمن له رغبة، وأجرى له على ذلك جراية مؤبدة تكرمة وعناية" (زهرة *الآس*، ص. 79). ومازالت بقايا مخطوطات خزانة أبي عنان محفوظة بخزانة القرويين، وكلها نفائس وذخائر. وكذلك المخطوطات التي أوقفها بنو وطاس على هذه الخزانة.

ثم عرفت الخزانة العلمية بالمغرب نقلة نوعية مع الشرفاء السعديين في مطلع القرن العاشر (16م) حيث اتسعت الرقعة الجغرافية للخزائن تبعاً لاتساع المراكز العلمية وانتشارها في البوادي فضلاً عن المدن، لا سيما في جبال الأطلس وما وراءها من بلاد تافيلالت ودرعة وسوس. ودخلت كميات كثيرة من الكتب الأندلسية إلى المغرب مع الأفواج الأخيرة من المهاجرين بعد سقوط غرناطة وجلبت أخرى من الشرق والصحراء والسودان، إضافة إلى وفرة المؤلفات المغربية في هذا العصر.

لقد وُجدت في المغرب السعدي عشرات الخزائن العامة والخاصة (*الحركة الفكرية*، 1 : 182 - 194) أشهرها : خزانة القرويين التي شيدها أحمد المنصور في قبلة الجامع، وهي باقية حتى اليوم، فتح لها باب في حي الصفارين. تشتمل على أنفس الكتب القديمة والحديثة في جميع الفنون، ويتصل بقبة الكتب فيها حريم يدخله القراء من بويب قريب من المحراب.

وأسس السعديون أوجدوا في حاضرتهم مراكش عدداً من الخزائن العلمية كخزانة جامع ابن يوسف التي أحياها عبد الله الغالب وأوقف عليها كثيراً من نفائس المخطوطات مازال بعضها يحمل وثائق تحبيسه، وذلك حين شيد بجوار هذا الجامع المدرسة البديعة المنسوبة إليه وإلى الجامع بحكم الجوار (مدرسة الغالب ومدرسة ابن يوسف). وكخزانة جامع الشرفاء (المواسين) الذي أسسه نفس الملك عبد الله الغالب وأوقف على خزانته هو وآله من الكتب ما لا يحصى كثرة، وكان يتردد على هذه الخزانة أحمد باب التنبكتي خلال إقامته بمراكش، ومنها استقى مادة كتبه الشهيرة في التراجم (*نيل الابتهاج*، 53 و197 و265) ؛ وكخزانة جامع الحرة بباب دكالة الذي أنشأته مسعودة الوزرگيتية أمّ المنصور ووقفت هي وأحفادها على خزانته عدداً وافراً من الكتب القيمة ؛ وكخزانة الحرم العباسي التي أسسها الأمير أبو فارس عبد الله بن أحمد المنصور في قبلة الجامع الكبير الذي شيده بجوار ضريح أبي العباس السبتي، وقال أحمد المقري عن هذه الخزانة : "وحبّس عليها خزائن من الكتب العتيقة". (*روضة الآس*، ص. 59)،

ومن الخزائن العامة الكبرى أيضاً في العهد السعدي، خزانة الجامع الكبير بالمحمدية (تارودانت)، وهي من تأسيس محمد المهدي الشيخ عند ما جدد مدينة تارودانت بالسوس في حدود سنة 935 / 1528. وخزانة دار العدة في فگيگ من تأسيس الشيخ عبد الجبار بن أحمد الفگيگي رأس الأسرة العالمة الشهيرة آل عبد الجبار. في مطلع القرن العاشر (16م) وخزانة الزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط، من تأسيس الشيخ أبي بكر بن محمد الدلائي أواخر هذا القرن. وازداد عدد كتبها بما أمدّها به أبناء الشيخ وحفدته العلماء والأمراء حتى شبهها بعضهم بخزانة الخليفة الأموي الحكم المستنصر.

أما الخزائن الخاصة في العصر السعدي فتأتي في طليعتها خزانة أحمد المنصور وخزانة ابنه زيدان. ضمت خزانة المنصور عيون الكتب في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية. وضمنها مؤلفات علماء المغرب والمشرق المعاصرين له، كانوا يتنافسون في إهدائها إلى الخزانة المنصورية ويذكرون ذلك في مقدمات تلك الكتب. وكان المنصور يجزل لهم العطاء. وقد رتب المنصور في رحاب خزانته وراقين حاذقين بضروب الخطوط المغربية والمشرقية يكتبون إلى جانب المداد بمحلول الذهب والعنبر المسقي بماء الورد، وينشفون بالتبر بدل التراب ؛ وفنانين يقومون بالتجليد والتزويق، فضلاً عن الوراقين في القاهرة واصطنبول والحرمين الشريفين الذين لا يفترون عن إمداد خزانة المنصور بما ينتجون. وكانت رُسلُ المنصور تتردد على المشرق حاملة أوقار الذهب النضار مكافأة للمؤلفين والوراقين والشعراء، ومازلت بعض مخطوطات خزانة المنصور بتبرها محفوظة في بعض الخزانات العامة.

وكانت خزانة زيدان كذلك عامرة بنفائس المخطوطات خاصة كتب التفسير واللغة والأدب، ثم أضيفت إليها خزانة

المنصور أو بعضها بعد وفاته، غير أن قسماً منها ضاع في الفتن التي شبت بين أبناء المنصور وبينهم وبين الثوار على الحكم. ولما خرج زيدان من مراكش على إثر هزيمته أمام ابن أبي محلي أخذ معه إلى أسفي - في جملة ما حمل من ذخائر - ثلاثة آلاف كتاب بعث بها في سفينة إلى سوس، فاعترضها القراصنة الإسبان وحُملت إلى دير الإسكوريال بضاحية مدريد.

ولما آلت الخلافة إلي الشرفاء العلويين في أواخر القرن الحادي عشر (17م) أولوا اهتماماً خاصاً بالخزانات العلمية، وأهم ما استُحدث منها في هذا العصر. خزانة السلطان الرشيد بن الشريف بالجامع الأعظم من المدينة البيضاء (فاس الجديد)، وخزانة المولى إسماعيل في دار خاصة بقصره بمكناس وكان يقوم عليها الوزير العالم أحمد اليحمدي ؛ وقد أوقف محمد بن عبد الله مخطوطات خزانة جده المولى إسماعيل على طلبة العلم ووزعها على خزائن جامع القرويين بفاس والجامع الكبير بمكناس وجامع ابن يوسف بمراكش وغيرها، وكوّن هذا السلطان الخزانة الملكية بالرباط التي تعد من أغنى خزانات المخطوطات بالمغرب وأصبحت تدعى في العقود الأخيرة الخزانة الحسنية.

ومن كبريات خزانات العصر العلوي كذلك الخزانة الناصرية بتامگروت درعة أسسها الشيخ العالم الصالح مَحمد ابن ناصر الدرعي، (ت. 1085 / 1074) ووسعها وأثراها ابنه وخليفته من بعده أحمد ابن ناصر بما اقتنى أو استنسخ لها من أمهات الكتب في المغرب والمشرق ؛ والخزانة الحمزاوية بالزاوية العياشية في ملتقى الأطلسين الكبير والمتوسط، أسسها العالم الرحالة أبو سالم العياشي (ت. 1090 / 1679) وأثراها كذلك ابنه العالم حمزة وإليه تنسب ؛ والخزانة الوزانية، وهي من تأسيس حفدة الشيخ مولاي عبد الله الشريف (ت. 1089 / 1678) وكانت حتى منتصف القرن الرابع عشر (20 م) محفوظة داخل ضريح هذا الشيخ في ثمان خزائن خشبية، مشتملة "على العدد الجمّ من الدواوين العلمية من كل فن" يشرف عليها مقدمو الضريح. وخلال سنة 1368 / 1947 نقلت الخزانة إلى مقرها الحالي في قبلة المسجد الأعظم في بيت مجهز بالرفوف الخشبية، ونسبت إليه فسميت خزانة المسجد الأعظم بوزان.

ومنذ مطلع القرن الثالث عشر (19 م) أخذت المطبوعات العربية الواردة من الشرق تدخل الخزائن العلمية المغربية، وتكاثر عدد المطبوعات بعد ظهور المطبعة الحجرية بفاس في النصف الثاني من هذا القرن. ولما فُرضت الحماية على المغرب أ ُسست خزانتان كبريان، الخزانة العامة بالرباط (انظرها فيما يلي) وخزانة أخرى في مدينة تطوان، وفي كلتيهما عدة أقسام، بعضها للمخطوطات، وبعضها للمطبوعات بالعربية واللغات الأجنبية، والكتب والجرائد والدوريات والوثائق. بالإضافة إلى خزانات عمومية صغرى في الأقاليم على غرار خزانتي الرباط وتطوان.

وأشهر الخزانات الخاصة في هذه الفترة الخزانة الكتانية بفاس للشيخ عبد الحي الكتاني وهي أغناها بالمخطوطات النادرة ؛ وخزانة نقيب الأشراف عبد الرحمن ابن زيدان بمكناس، وخزانة القاضي عباس ابن إبراهيم بمراكش ؛ والخزانة الصبيحية بسلا للباشا الحاج محمد الصبيحي، وخزانة الشيخ عبد الله گنون بطنجة، وخزانة الشيخ محمد داود بتطوان الغنية برصيدها الصحفي والوثائقي.

وبعد الاستقلال فتحت جامعات ومدارس عليا ومعاهد ووزارات تقنية وظهرت فيها خزانات كبرى متخصصة مازالت تتوسع وتتنامى. وتطوع بعض المحسنين فأوقفوا خزاناتهم الخاصة وفتحوها لعموم القراء، مثل الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، وخزانة عبد الله گنون بطنجة، وخزانة محمد داود بتطوان. وقد أ ُسند قطاع الكتب والخزانات أو المكتبات إلى وزارة الشؤون الثقافية التي حرصت على توسيع شبكة الخزانات العمرمية في المدن والقرى من أقصى الشمال إلي أقصى الجنوب لتسهيل القراءة والتشجيع عليها ووضع الكتاب المناسب بين يدي القراء في كل مكان. وحسب الإحصائية الأخيرة لهذه الوزارة فإن الخزانات العمومية التابعة لها بلغ 153 خزانة. وفي إطار النهوض بالعالم القروي في الألفية الثالثة، خططت وزارة الشؤون الثقافية لفتح مائة خزانة كل سنة قصد توفير خزانتين لكل جماعة قروية.

القاضي عياض السبتي، *ترتيب المدارك*، تح. سعيد أعراب، تطوان، 1403 / 1983، الجزآن 7 و8 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. الجزنائي، *زهرة الآس*، باعتناء الفريد بيل، الجزائر، 1340 / 1922 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، السفر الأول، تح. م. بن شريفة، بيروت، د. ت ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1959، الجزء السابع ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار* (الباب 13)، تح. م. المنوني، مجلة البحث العلمي، عدد 1، 1964 ، ص. 131 - 153 ؛ م. الأنصاري، *اختصار الأخبار عمّا كان بسبتة من سني الآثار*، تح. م. ابن تاويت التطواني، *مجلة تطوان*، عدد 3 - 4 السنة 58 - 1959، ص. 73 - 95 ؛ أ. بابَ التنبكتي، *نيل الإبتهاج*، القاهرة، 1351 / 1932 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، الرباط، 1383 / 1964 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1419 / 1998 ؛ م. العابد الفاسي، *الخزانة العلمية بالمغرب*، الرباط، 1380 / 1960 ؛ م. المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، الرباط، 1977 ؛ المصادر العربية لتاريخ المغرب، المحمدية، 1410 / 1989 ؛ *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، ط 2، الدار البيضاء، 1996، دور الكتب في ماضي المغرب، مخطوط، خ. ح رقم 258 ؛ *قبس من عطاء المخطوط المغربي*، بيروت، 1999، ثلاثة أجزاء ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، المحمدية، 1396 / 1976، جزآن ؛ الصديق بن العربي، *مقدمة فهرس المخطوطات خزانة ابن يوسف*

*بمراكش*، بيروت، 1414 / 1994 ؛ فوزي، عبد الرزاق، *المطبوعات الحجرية في المغرب*، الرباط، 1989 ؛ وزارة الشؤون الثقافية، تقرير قسم الخزانات والمحفوظات عن سنة 1998 ـ 1999، الرباط، 1999 ؛ منجزات قسم الخزانات والمحفوظات في مجال القراءة العمومية، الرباط، يوليوز 1999 ؛ لائحة الخزانات العمومية التابعة لوزارة الشؤون الثقافية، الرباط. 2000.

محمد حجي

**الخزانة العامة والوثائق للحماية** أسس نظام الحماية الفرنسية بالمغرب المكتبة العمومية الكبرى القائمة بوظائف المكتبة الوطنية من جهة ووظائف مؤسسة الإداري من جهة أخرى، وسماها الخزانة العامة والوثائق للحماية Bibliothèque Générale et Archives du Protectorat ينتظر أن يتغير هذا الاسم إذا صدرت القوانين المؤسسة للمكتبة الوطنية للمملكة المغربية ولأرشيف المغرب وقد عرضتها وزارة الشؤون الثقافية على المناقشة الحكومية في شتنبر 1999 ومن المعلوم أن اسم "الحماية" لم يعد يظهر في التسمية المستعملة منذ حصول المغرب على الاستقلال.

أسس نظام الحماية هذه المنشأة للاستجابة للحاجيات الإدارية الخاصة لذلك النظام ولخطته في التعامل مع التراث والثقافة في المغرب ولمواجهة جزء من طلب الجمهور الأوربي المقيم في المغرب وفي الرباط خاصة. كانت تابعة للإدارة العامة للتعليم العمومي والفنون الجميلة والآثار (Antiquités). وقد أصدرت هذه الإدارة سنة 1930، ـ بمناسبة إقامة المعرض الدولي للمستعمرات بباريس ـ وثيقة تتضمن معلومات عن الخزانة نقتبس أهمها في هذه المادة.

في 11 يوليوز 1914 صدر ظهير بتسمية العقيد هنري دوكاستري مستشاراً تاريخياً للحكومة الشريفة وعهد إليه بإعداد تنظيم مصلحة للأرشيف، أي الوثائق التاريخية والوثائق الإدارية. وفي سنة 1921 حرر المستشار المذكور مذكرة في موضوع البحث عن الوثائق في المغرب، وقدم تعليقا عليها يوم 17 يناير من نفس السنة بمعهد الدراسات العليا المغربية بمحضر المقيم العام ليوطي. وذكر في مذكرته تلك ما أداه إليه تنقيبه في الوثائق الأجنبية بالخارج من العثور على وثائق غميسة نفيسة تتعلق بتاريخ المغرب وأواعز بأن يجرى بحث مماثل لجمع وثائق داخل المغرب علماً بأنها مشتتة عند العائلات المخزنية والعالمة.

توصل دوكاستري إلى الحصول على رصيد من الوثائق في وجدة وآخر في آسفي، ولكن مجموع ما استحق أن يصور منها لم يكن يتعدى مائتي قطعة. وتابع التنقيب فيما بعد ولا سيما بإعانة من علماء مغاربة أمثال محمد ساسي بسلا وعبد الرحمان بن زيدان بمكناس وجوستينار العارف بجهات سوس.

وقد اقتنيت مجموعتان من الرسائل الصادرة عن السلطان في القرن التاسع عشر : إحداهما اشتريت منذ 1920 ووقع إهداء الأخرى سنة 1927. واستخرجت مجموعة ثالثة أكثر أهمية من أحد القصور الملكية. وقد كلف الضابط سيكار Sicard مستعينا بأحد الطلبة بأن يضع فهرسا لهذه المجموعة الأخيرة بتنسيق مع الخزانة العامة.

وقد تنازلت بعض القنصليات عن وثائقها لإدارة الحماية ومنها قنصلية طنجة، ومن النفائس التي أودعتها جريدة القنصلية Journal du Consulat لسنة 1767.

وهكذا فإن الاهتمام بالوثائق سابق في عمل نظام الحماية عن الاهتمام بالخزانة فقد أنشئت بقرار للمقيم العام بتاريخ 2 فبراير 1917 خزانة إدارية مركزية للحماية ولكن وإلى غاية عام 1919 لم تكن هنالك خزانة عمومية للكتب من غير الخزائن الأصلية في الجوامع والمدارس والزوايا. ولكن المديرين المتعاقبين على معهد الدراسات العليا المغربية وعلى رأسهم نهليل Nehlil قد حرصوا على جمع الوثائق والكتب الضرورية لعمل مجموعات الباحثين المنضوين تحت مؤسساتهم، ومعظم الرصيد المتجمع لهم كتب تهم المغرب والغرب الإسلامي.

ولما قرر المقيم العام الجنرال ليوطي سنة 1919 إنشاء خزانة عامة كان يرى أن نواتها تكون ذلك الرصيد المتجمع في المعهد. فقد كانت فكرته هي تجميع كل أرصدة الوثائق في خزانة عمومية واحدة.

تولى بيير دوسينيفال P. De Cénival سنة 1920 إدارة المنشأة الجديدة. وهو الذي حدّد قواعد التصنيف متكيفا مع مبدإ الفهرس العام على الجذاذات بحسب المؤلفين وبحسب المواد.

وهو الذي أعطى التوجيهات التي روعيت في تشييد بناية الخزانة. وكان المقيم العام ليوطي، وقد صار مشيراً، يزور الورش ويفتخر به بمعية ضيوف مرموقين من أمثال أميلي Amélie أميرة البرتغال والكاتب الفرنسي أندري جيد André Gide وغيرهما.

وفي سنة 1924 تم المبنى ونقلت إليه الكتب والوثائق. وانضاف إلى عمل فهرسة الكتب والوثائق عمل جرد أهم الدوريات.

وجاء ظهير 24 ربيع الثاني 1345 / 1 نونبر 1926 ليحدد الوضعية القانونية للخزانة بترقيتها إلى صف مؤسسة عمومية مديرها محافظ ويخطط لها مجلس إدارة. وقد جعل الظهير مهمة هذه المؤسسة في حفظ جميع أنواع الوثائق وتقديمها إلى العموم وتلقي الإيداع القانوني، وحدد تنظيمها الإداري والمالي وعهد إليها بمقتضى المادة التاسعة بتلقي الأرشيف الإداري بعد أقدمية عشر سنوات.

حرصت الخزانة على إغناء رصيدها من الكتب والوثائق ولا سيما في ميادين دراسات المغرب وشمالي إفريقيا والإسلام. وقد استطاع مديرها الأول نهليل أن يقتني كتب خزانتين مهمتين : خزانة ماء العينين التي اعتبرت "غنيمة حرب" وخزانة الحاج المختار بن عبد الله السوسي بمكناس. وكان يساعد على الاقتناء علماء من أمثال عبد الحي الكتاني وابن زيدان، ففي سنة 1920 أضيفت إلى كتب الخزانة كتب النادي الألماني بطنجة وكتب مطبوعة ومخطوطة صودرت في طنجة في أملاك السلطان السابق مولاي عبد الحفيظ، وفي سنة 1921 دخلت إليها مجموعة مكتبة الحاكم العام كلوزيل Clozel، وفي عام 1922 مجموعة كتب الموظف السامي بالجزائر Bernard، وفي 1929 دخلت إليها كتب القنصل الفرنسي Leriche.

وكانت كتب الثقافة العامة قد بدأت تدخل إليها ابتداء من 1924، علماً بأن غنى الخزانة يكمن في تخصصها في المواد المتعلقة بالمغرب والغرب الإسلامي وذلك بالعمل الوثيق مع معهد الدراسات المغربية العليا.

تعزز رصيد الخزانة من الدوريات ولا سيما بالتبادل حيث كان معهد الدراسات العليا يمكنها من مائة وعشرين عدداً من مجلة هسبيريس Hespéris تستعملها للحصول على ما يقابلها من مجلات الاستشراق واللسانيات والاثنوغرافية والجغرافية والفنون. وبالإضافة إلى ذلك اشتركت الخزانة في 180 دورية أخرى. وتحت ضغط طلب العموم أخذت الخزانة توسع اقتناءاتها إلى الأدبيات المتتبعة للأحداث، بل وحتى إلى كتب تعميم المعارف والتسلية، وهكذا بلغ رصيد الخزانة عام 1930 إلى 30000 عنوان دون إضافة إدخال الدوريات. أما مجموعة المخطوطات فقد بلغ عدد مجلداتها إلى غاية التاريخ المذكور 1500 جاء معظمها من مقتنيات معهد الدراسات العليا المغربية. وقد عهد بإدارة قسم المخطوطات إلى مستعربين مقتدرين مثل ليفي - بروفنسال Levi Provençal وهو الذي صار مديراً لمعهد الدراسات العليا المغربية ووضع أول فهرس مطبوع للمخطوطات وجورج س. كولان Georges S. Colin الأستاذ بمدرسة اللغات الشرقية الحية.

أما مجموعة الرشمات estamps التي تكونت إلى غاية 1930 فكانت أقل غنى ومما يجذر بالذكر في هذا الصدد أن الخزانة قد اقتنت سنة 1926 قطعة نفيسة كانت التفاوض جارياً بشأنها لتنقل إلى أمريكا، وهي فريدة من نوعها وما تزال الخزانة تحتفظ بها ويتعلق الأمر بالورقات ويتعلق الأمر بالورقات الخمس المكونة لمنظر مدينة مراكش كما رسمها الهولندي أدريان ماطام Adrien Matham سنة 1641.

اقتنت الخزانة مجموعة من قطع النقود التي ضربتها مختلف الدول عبر تاريخ المغرب. مصدرها مشتريات من رولان ماريشال Rolnad Marescal بين 1922 و1924، ومن هبة استودعتها في الخزانة مصلحة الأحباس سنة 1930.

أما إيداع الأرشيف الإداري فقد قام على دراسة قام بها دو سينيغال سنة 1921. ووقع الشروع في تنفيذه سنة 1924 بمجموعة وثائق أودعتها الكتابة العامة للحماية وتضمنت النص الأصلي الموقع عليه لمعاهدة الحماية الفرنسية. ثم قام المكتب المدني بإيداع آخر سنة 1925. وانضافت إلى هذه العمليات هبات خاصة. وقد خضر في عام 1930 مشروع لإنشاء لجنة مركزية للأرشيف مهمتها الأولى تنظيم ترتيب عقلاني ومستديم للأرشيف في كل مصلحة إدارية.

ومنذ صدور ظهير 1 نونبر 1926 الذي يعهد للخزانة بتلقي الإيداع القانوني قامت بإعداد مشروع نص قانوني يرمي إلى تكييف القانون الفرنسي المتعلق بالإيداع القانوني مع مقتضيات الواقع المغربي. وقد صدر النص الضابط للإيداع القانوني المتعلق بالمطبوعات في الظهير الشريف المؤرخ في 6 جمادى الثانية 1351 الموافق 7 أكتوبر 1932 ونص على أن يودع بالخزانة العامة ضمن كل مطبوع - أيا كان نوعه - عدد من النسخ بحسب نوع المطبوع، وحدد الظهير مسؤولية الإيداع ووقته بالنسبة لوقت الصدور أو الترويج وقد غير هذا الظهير بظهيرين تناولا عدد النسخ المودعة أحدهما بتاريخ 11 جمادى الثانية / 1363 موافق 3 يونيه 1944 والثاني صدر في الجريدة الرسمية بتاريخ 25 مايو 1951.

إلى جانب تكوين أرصدة من الكتب وتلقي الإيداع القانوني وتلقي الأرشيف الإداري عملت الخزانة على أن تقوم بدور مكتب للتوثيق Office de documentation. وهكذا تعمل على إصدار بيليوغرافيا مغربية كل سنة تنشرها مجلة هسبيريس *Hespéris* وتحرر نشرة أسبوعية لاخبار العموم عن طريق الصحافة بعناوين الكتب والمقالات المجلات والصحف اليومية التي توصلت بها الخزانة مما يتعلق بالمغرب وبالقضايا التي تحظى باهتمام داخل البلد. وقامت بإعداد بيبليوغرافيا استرجاعية كاملة تشمل ما نشر حول المغرب قبل صدور مجلة هسبيريس سنة 1921 : وقد أنجز منها إلى غاية 1930 ما مجموعه 4000 جذاذة رئيسية.

وأمام تطور مؤسسات التوثيق والمكتبات تعيَّن على الخزانة العامة أن تقوم بدورها في التنسيق، فبدأت بالاستنساخ الميكانيكي لجذاذيها وتوزيعه على مختلف المراكز والمصالح والجمعيات الاقتصادية والثقافية. وفي هذا الصدد أجرت الاتصالات الضرورية مع السلطات المختصة ووقع الاتفاق معها على أن يراعي في تصميم كل مبني بلدية جديدة تخصيص مكان لخزانة بلدية، وعلى أن تقدم للخزانة العامة تصاميم تلك الخزانات قبل المصادقة عليها، كما تم الاتفاق على أن يخضع التسيير التقني في تلك الخزانات لتوجيهات الخزانة العامة. وقد وضع في سنة 1929 مشروع نص قانوني ينص على حق الخزانة العامة للحماية في تفتيش الخزانات العمومية الأخرى. وكان المارشال ليوطي قد طلب من دوسينيفال De Cénival أن يعد منذ عام 1921 تقريراً يتعلق بمراقبة الخزانات الأهلية التابعة للأحباس وقد جاء في هذا التقرير : "إن الخزانات المذكورة كانت قبل الحمايات متروكة مهملة فريسة للأرضة والرطوبة مما ألحق بها أضراراً فادحة بالرغم من كونها تحتوي على مخطوطات نفيسة. ويتعين إنقاذ ما يمكن إنقاذه والاستفادة منه. ولاشك أنها مهمة دقيقة لما لهذه الخزائن من طابع ديني يجعل ولوجها من الصعوبة بمكان. وكانت إدارة الأحباس قد اهتمت بالموضوع، حيث قام Biarnay بإصدار أوامر للنظار بوضع فهارس مختصرة لمحتويات هذه الخزائن تبين عناوين المخطوطات المحفوظة في المساجد وعددها. وقام عبد الحي الكتاني بوضع فهرس أشمل لخزانة القروين عاملاً بوصايا ألفريد بيل Alfred Bel وقد وضع باتفاق مع الطريس - مراقب الأحباس - مشروع لإعادة تنظيم خزائن الكتب الأهلية بقصد تحسين أوضاع الصيانة فيها أولاً ثم وضع فهارس أكثر تفصيلاً لها ثانياً حتى يتأتى وضع فهرس عام لها مثل الذي وضعه ليفي بروفنسال للمجموعة الأولى من مخطوطات خزانة الرباط".

بلغ عدد بطائق الانخراط في الخزانة العامة الممنوحة في النصف الأول من عام 1930 ما يزيد عن 500 بطاقة وبلغ عدد الكتب المعارة خلال نفس المدة 5000 عنوان. وهكذا تابعت الخزانة تطورها مستجيبة لحاجات نظام الحماية. وقد صدرت في منتصف الثلاثينات نصوص قانونية جردت مجلس إدارة الخزانة من اختصاصاته في تدبير الميزانية وبذلك لحق المؤسسة العمومية نوع من البتر أثر على تسييرها.

غير أن الخزانة العامة للحماية استمرت في أداء مهمتها على أحسن وجه وفي حدود الأبعاد المرسومة لها إلى عهد الاستقلال. ويتجلى ذلك في تنامي رصيدها من المطبوعات حتى وصل إلى ما يقرب من نصف مليون عنوان ومن ضمنها كل المنشورات المتعلقة بالتنظيم الإداري والمالي لنظام الحماية. كما يتجلى العمل المكتبي المتواصل الجاد في تكوين ما يسمى "بجذاذي المغرب" Fichier Maroc وقد بلغ عدد مواده سبعين ألفا أو يزيد تضم ما يهم المغرب من الكتب والمقالات المنشورة في المجلات والجرائد باللغات الأجنبية.

عرفت الخزانة العامة بعد الاستقلال ثلاث وقائع : اثنتان منهما تتعلقان بالرصيد وهما : 1) قيام الدولة الحامية فرنسا، بإحداث بتر في رصيد الأرشيف الإداري المودع بالخزانة العامة، وذلك بنقل عدد كبير من الملفات إلي مدينة نانط Nantes بفرنسا أي إلى فوع لوثائق وزارة الخارجية الفرنسية هنالك، وهي وثائق تدخل ضمن الصنف المصطلح عليه بوثائق السيادة التي حصل بشأن تهجيرها اتفاق بين الدول الاستعمارية ويدخل ضمنها الوثائق السرية والسياسية بأنواعها ووثائق الأمن. وقد نقلت معها من الرباط وثائق الشؤون الخارجية مع العلم بأن المقيم العام الفرنسي لم يكن سوى نائب عن السلطان في نظام الحماية على المغرب. ويظهر من فهارس الوثائق المغربية المنقولة إلى نانط أن النقل جرى في زحمة واستعجال فطال أموراً لم تكن تدخل في ذلك المصطلح وربما قصر عن أمور أخري تدخل فيه. والمتبقي في الرباط وثائق المصالح التقنية المدعوة بالشريفة، وأهمها مصلحة مراقبة البلديات والأشغال العمومية والتجارة والمياه والغابات والتعمير الخ

وكميتها حوالي 2200م على الرفوف وهي في المبنى الذي فيه المخطوطات، وكان تمام تشييده سنة 1945.

2) نقل عدد من مخطوطات الزوايا والمساجد إلى الخزانة العامة ولا سيما من خزانة تامگروت زاوية أيت عياش وجامع تازا وهي المصنفة تحت أعداد مسبوقة بحرف (أوقاف) ونقل عدد من مخطوطات بعض أعيان العهد السابق إلى الخزانة العامة من أمثال عبد الحي الكتاني والتوزاني ومخطوطاتها تحت أرقام مسبوقة بحرف ك. والتهامي وإبراهيم الأگلاويين ومخطوطاتهما تحت أرقام مسبوقة بحرف ج والحجوي ومخطوطاته تحت أرقام مسبوقة بحرف ح. وبهذه الإغناءات بلغ عدد مخطوطات الخزانة ما يزيد عن 12000 مجلد تضم ما لا يقل عن ثلاثين ألف عنوان وما زالت محتوياته إلى غاية عام 2000 تكتشف بفهرسة المجامع وما يزال الرصيد من حيث العدد يزيد بالإهداء حيث أضيفت إليه هبة العائلة الكتانية التي أودعت مخطوطات الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في الخزانة كما يزيد بشراء مخطوطات يقترحها أفراد ويغتني بميكروفيلمات ومخطوطات تدخل عن طريق التبادل أو عن طريق أخذ صور للمخطوطات التي تأتي للتصوير في مختبر الخزانة بعد إذن أصحابها.

3) دخول الخزانة في نوع من الركود تجلى في فقدان استقلالها الإداري والمالي إزاء الوزارات الوصية : التربية الوطنية أو الشؤون الثقافية كما تجلى في تدني مستوى التأطير التقني وتراجع نوعية المعالجة العلمية للوثائق ونوعية الخدمات للجمهور ونوعية صناعة الرصيد والحفاظ عليه وتراجع الاقتناءات سواء عن طريق الشراء أو الإيداع القانوني أو التبادل أو الهبات. استمرت هذه الحال زهاء أربعين سنة توافق العهد الذي دخلت فيه المكتبات - ولا سيما الوطنية منها - إلى عهد جديد من الرقي المعتمد على التكنولوجيات المختلفة ولا سيما تكنولوجيا المعلومات.

بعد استقلال المغرب تولى منصب محافظ الخزانة السادة : ي. س. علوش ثم عبد الله الرجراجي ثم محمد العباس القباج ثم محي الدين المشرفي ثم عبد الرحمان الفاسي ثم محمد بنشريفة ثم أحمد التوفيق منذ 29 يونيه 1995.

بالرغم من التعثر الذي أصاب الخزانة العامة فإنها ما تزال تحتفظ برصيد مهم كما وكيفا من الوثائق المتمثلة في المخطوطات والوثائق الإدارية والمطبوعات الوطنية والدولية، كما أنها ظلت تقوم بوظائف مكتبة وطنية كتلقي الإيداع القانوني وإصدار الببليوغرافيا الوطنية. وهي وكالة إعطاء الرقم الدولي الموحد للمطبوعات.

تحققت في الخزانة - في أعوام التسعين - إجراءات أعادت إليها استقلالاً جزئياً، وتحسنت ميزانيتها وفتحت أوراشا تلحقها بالركب وتؤهلها لأن تهيئ للمكتبة الوطنية الحديثة ومن هذه الأوراش :

1) ضم المركز الوطني لترميم المخطوطات وتشغيله بقائده في إطار برامج تعاون دولي من أجل صيانة مخطوطات الخزانة وصيانة مخطوطات أخرى على الصعيد الوطني ؛

2) فتح قسم خاص بالوثائق الإدارية ومعالجتها العلمية ؛

3) الأخذ بتكنولوجيا الإعلاميات في تدبير الإيداع القانوني وتحضير البيليوغرافيا الوطنية وإعداد بيبليوغرافيا للمخطوطات ؛

4) إعداد قواعد معلومات كبرى حول المغرب وللتعرف على إنتاج المؤلفين المغاربة ؛

5) إعداد تهيآت داخلية لاستغلال الفضاء المكتظ ؛

6) فتح جناح للقراءة والخدمات المكتبية خاص بالباحثين؛

7) الزيادة من نسبة المكتبيين المختصين وإتاحة فرصة التكوين المستمر لهم في الداخل والخارج.

تستقبل الخزانة العامة ما يزيد عن خمسة آلاف مستعمل في الشهر وتتوسط في الخدمات للباحثين وتتيح تصوير الوثائق على الورق وعلى الميكروفيلم، وقد ارتبطت بشبكة الإنترنيت ابتداء من عام 2000.

يتبلور حول الخزانة العامة اهتمام خاص من قبل الرأي العام الوطني سواء منه المهني أو الثقافي وذلك بغرض تحديثها وترقيتها إلى مكتبة وطنية عصرية. ومن تجليات هذا الاهتمام تنظيم الجمعية الوطنية للإعلاميين يوما دراسيا تحت شعار اليوم الوطني للمكتبة الوطنية ثم تأسيس جمعية انبثقت عن المجتمع المدني هي جمعية أصدقاء المكتبة الوطنية التي تأسست في يناير 2000، وجعلت من أهدافها مساندة مشاريع تطوير الخزانة العامة.

*النصوص القانونية المشار إليها أعلاه ؛ وثائق الخزانة العامة.*

L. Benjelloun Laroui, *Les Bibliothèques au Maroc*, Paris ; A. C. Binebine, *Histoire des Bibliothèques au Maroc*, Rabat.

أحمد التوفيق

**الخزرجي**، أسرة أندلسية مغربية عريقة، تنتسب إلى أحد فريقي الصحابة الأنصار : الأوس والخزرج، وربما كان دخول الخزرجيين أسبق إلى الأندلس – كما عند ابن حزم في *الجمهرة*–، ومن ثمَّ انتقلوا إلى المغرب لا سيما عندما توحدت العُدْوتان أيام المرابطين والموحدين. وقد أخذ بعض الخزرجيين المغاربة أسماء أخرى مثل الشاميين الخزرجيين المعروفين حتى اليوم بمدينة فاس. كان من بين الخزرجيين فقهاء ومحدِّثون وأدباء ومؤلفون في مختلف العصور. منهم :

**الخزرجي، أحمد** بن **عبد الصمد** الأنصاري الفاسي، يكنى أبا جعفر، ويعرف فريقه ببني عبد الحق نسبة

إلى أحد جدودهم الأعليين. ولد بقرطبة عام 519 / 1125 وبها نشأ وأخذ عن مشيخة الأندلس كسليمان بن محمد ابن الطراوة السبتي المالقي، وجعفر بن محمد بن محمد بن أبي طالب القيسي القرطبي، وشريح بن محمد الرعيني، والقاضي أبي بكر ابن العربي وغيرهم، وتخرج فقيهاً متمكناً ومحدثاً راوية ومقرئاً محققاً. اشتغل في مطلع حياته العلمية بالفقه واشتهر بالفتوى على مذهب الإمام مالك. ثم توقف عن ذلك وانصرف إلى الحديث والقراءات دون أن يذكر مترجموه لذلك سبباً عدا ما أشاروا إليه من أسره من طرف النصارى خلال عام 540 / 45 ـ 1146 في الفتن التي عرفتها الأندلس بسبب المواجهات بين أنصار المرابطين والموحدين والتي استغلها المسيحيون للتوغل في بلاد المسلمين. وكان أحمد الخزرجي كمعظم الفقهاء في الفئة المرابطية.

وفي أثناء أسره - الذي طال عامين - ألّف كتاب *مقامع الصُّلبان* رد فيه على قسيس طليطلة الذي حاول تنصيره. ولا تتحدث المصادر عن نشاط أحمد الخزرجي في الأندلس بعد أن استولى عليها الموحدون مع أنه بقي فيها زهاء ثلاثين سنة، إلا ما أشار إليه ابن عبد الملك في *الذيل والتكملة* من أن المترجم "تعلق بالرياسة فنال حظوة وجاها... ونُكب نكبات ـ نفعه الله ـ !" لا ندري متى نال الخزرجي الحظوة والجاه، وإن كنا نرجح أن ذلك كان مع شيعة المرابطين من بني غانية، وأن "النكبات" التي لحقته جاءته من قبل الموحدين الذين لم يُراعوا في جانب فقهاء المالكية إلاً ولا ذمّة. لا سيما من ظَاهَرَ خصومهم المرابطين.

وكيفَما كان الحال فإن أحمد الخزرجي هاجر الأندلس وأقام مدة في بجاية، ثم استوطن في النهاية مدينة فاس، وانقطع فيها لتدريس الحديث وإسماعه نحو تسعة أعوام، وكُف بصره في آخر حياته فكان خاتمة نكباته. وأدركته المنية بفاس في أواخر ذي الحجة عام اثنين وثمانين وخمسمائة / مارس 1187.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 1 : 239 ؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، 7 : 66 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج*، 50 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 141 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، 59 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 242 ؛ م. كحالة، *معجم المؤلفين*، 1 : 274 ؛ م. عز الدين المعيار الإدريسي، *مقدمة نَفَس الصباح*. المحمدية، 1 : 89، 1994.

محمد حجي

**الخزرجي، أحمد** بن **يحيى** بن أحمد بن عبد المنان الخزرجي. يُرجع ابن غازي ـ في *الروض الهتون* ـ نسبه إلى بني عبد المنان، من الأسر القديمة التي استوطنت مدائن مكناس المندثرة. وهو شيخ محمد بن أبي جابر الغساني، ذكره في شرحه *على التلمسانية* في الفرائض، وحلاه بالفقيه العالم رافع راية الشعر والأدب في عصره، القدوة الأحفل، المتفنن الاكمل.

حظي أحمد بن يحيى بمكانة رفيعة لدى السلطان المريني أبي العباس أحمد بن أبي سالم (1374 ـ 1384) ـ وكان أديباً شاعراً ـ فاستكتبه وضمه إلى ديوان الإنشاء، عرف المترجم كيف يوظف مواهبه الأدبية في جانب مخدومه، فقرّ به إليه وجعله من خاصة حاشيته وخصه بالمزايا السنية، وتحكى عنهما طرائف تدل على ما كان بينهما من مودة واستظراف، منها ما أورده ابن زيدان : حكي أن المترجم قدم مكناسة مع أبي العباس ونزل في مارستان مكناسة لكونه كان خالياً، فكتب له السلطان المذكورأبياتا يباسطه فيها، وأجاب عنها الخزرجي بأبيات أخرى لا كلفة فيها.

توفي أحمد بن يحيى سنة 792 هـ / 1389 / 1390م.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، ص 53 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص 312.

رقية بلمقدم

**الخزرجي، علي** بن عتيق القرطبي الفاسي، ولد بقرطبة عام 523 / 1129 وأخذ القراءات وعلوم اللغة والشريعة عن الأستاذ عبد الرحيم ابن الفرس وأحمد ابن زرقون وأبي جعفر البطروجي وأبي بكر ابن العربي وغيرهم، وحج فسمع من أبي طاهر السلفي، ولقي أبا جعفر الخزرجي سابق الترجمة في بجاية. قال ابن القاضي عنه في *الجذوة* : "وقرأت بخطه أن شيوخه ينيفون على مائة وخمسين، أكثرهم أعلام مشاهير، قال وقد ذكرناهم في فهارس لي صغرى وكبرى ووسطى". تسمى إحداها *بغية الراغب ومنية الطالب*. وكان مقرئاً محدثاً أديباً شاعراً ملماً بالطب، وله مؤلفات في ذلك.

توفي بفاس عام ثمانية وتسعين وخمسمائة /1201.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 1 : 256 ؛ م. الجزري، *غاية النهاية في طبقات القراء*، مصر، 1932 ؛ ش. الذهبي، *معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار*، مصر، 1969 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 2 : 482 ؛ م. عز الدين المعيار الإدريسي، *مقدمة نفس الصباح*، المحمدية، 1994، 1 : 89.

محمد حجي

**الخزرجي، محمد** بن عبدون بن قاسم الخزرجي المكناسي. يبدو أنه في دراسته انتقل بين مدينتي مكناس وفاس. ترجمته مقتضبة في كل من *الروض الهتون* لابن غازي، و*جذوة الاقتباس* لابن القاضي، وإتحاف أعلام الناس لابن زيدان. ويُجمع كلهم على أنه كان فقيهاً علامة، وأستاذاً مقرئاً، وأديباً شهيراً، وشاعراً مجيداً ذا تصانيف

حسان. وهكذا قال عنه ابن غازي : "حائز قصب السبق في الشعر والكتابة". وأطلق عليه ابن القاضي - الذي أورد شيئا من شعره - وصف "شاعر أهل العدوة". بينما نعته ابن زيدان بـ : "شاعر مجيد، نادرة نابغة، أديب وكاتب بارع".

ومن نظمه في مدينة مكناس - التي كان يعشقها - قصيدة مطلعها :

إن تفتخر فاس بما في طيهـا وبأنها في زيها حسنـاء
يكفيك من مكناس ارجاؤهـا والأطيبان هواؤها والمـاء

توفي الخزرجي عام 658 / 1260 ودفن بمدينة مكناس.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، ص 55 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ج 1، ص 284 - 285 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص 578.

رقية بلمقدم

**الـخزّ**، هكذا في اللسان المغربي الدارج وفي بلاد الشام، هو عشب مائي مختلف القد والحجم يعيش في البحار والأنهار والبحيرات الساحلية والقارية. ويسمى أيضاً الطحالب في المعاجم وفي مصر وAlgues بالفرنسية و Algae بالأنجليزية. والطحلب كما كان يسميها علماء النباتات القدامى مازالت مستخدمة كمصطلح ملائم يشمل كل الأجسام النباتية المائية اللازهرية Cryptogames التي تنتمي إلى فئة المشريات (= ثالوسيات) Thallophyta وهي أعشاب لا تتميز فيها الجذور والسيقان والأوراق كما هو الشأن بالنسبة للنباتات البرية العادية. تختلف عن الفطريات والأشنات Lichens بقدرتها على أن تصنع لنفسها اليخضور والمواد العضوية التي تحتاج إليها بواسطة التخليق الضوئي Photosynthèse.

تعتبر الطحالب من النباتات البدائية وقد وجدت حفريات منها في صخور ترسبت منذ 2700 مليون سنة. وهذه النباتات كثيرة التنوع من حيث الحجم والشكل والتركيب وتزيد الأنواع المعروفة حاليا على 18 ألف نوع، أغلبها دقيق يتطلب ميكروسكوبا قوي التكبير لدراستها، إذ يتألف الكثير منها من خلية واحدة أو من خيط طويل وخلايا مصفوفة متجاورة كما هو الشأن عند سائر أنواع جنس لَوْلَبية Spirogyra وجنس Zygnema الشائعة في الأنهار والعيون وجوانب بحيرات السدود وبداخل الضايات. كثيرا ما تكون هذه الأنواع كتلة كبيرة من الخيوط الخضراء المتراكبة تطفو على سطح الماء لتغطي مساحات كبيرة وتعرف هذه الكتلات بالخز في المغرب وفي الشام أيضا.

تعيش أنواع الطحالب طافية في الماء أو ملتصقة بالقعر أو بالصخور، وكثيرا ما تشكل براري وغابات بحرية حقيقية تمثل مصدرا قوتيا ثمينا ومخبأ آمنا لعدد كبير من الأصناف الحيوانية.

مايزال تصنيف الطحالب يطرح مشكلة بالغة التعقيد، والتصنيف الأبسط والأعم يقوم على اللون بالإضافة إلى عدة خصائص أدت إلى تقسيم هذه الأعشاب إلى خمسة أقسام، وهي الطحالب الزرق Cyanophyta والطحالب الخضر Chlorophyta والطحالب الذهبية Chrysophyta والطحالب السمراء Pheophyta والطحالب الحمر Rhodophyta.

يرجع لون الطحالب إلى لون الأصباغ التي تحتوي عليها الكنسجات الخاصة بالخلايا النباتية التي تعرف بالجبيلات القادرة على اختران المواد الملونة أو إحداثها.

- الطحالب الزرق كائنات معظمها ميكروسكوبية وحيدة الخلية تعيش في المياه العذبة وفي الأماكن الرطبة من التربة. كلها أجسام ذاتية التغذية تتميز بلون أزرق وأخضر نظرا لتوفرها على صباغ خاص يسمى الفيكوسياني. منها أشكال تعيش على الصخور البحرية المبللة تتخذ شكل صفائح أو خيوط كما أن منها عدة أجسام تعيش في جميع الظروف المناخية كالينابيع الحارة وجداول الجبال وفوق الثلوج وفي بحيرات السدود وبحيرات الجبال. من خاصيات هذه الكائنات أنها تثبت نتروجين الجو وتربطه بعناصر أخرى لبناء أجسادها.

- الطحالب الخضر إما أحادية الخلية أو متعددة الخلايا، مجهرية أو ظاهرة للعين المجردة وتعتبر من الطحالب الأكثر تطورا حيث تشبه في أغلب الحالات النباتات الراقية ويحتمل أنها أسلاف النباتات الراقية حيث تتوفر على اليخضور "أ" و"ب" بكثرة وعلى النشاء (Amidon). تعرف هذه الفئة تنوعا كبيرا من حيث الأشكال والمقاييس وذلك حسب تعدد الأنواع داخل المجموعة.

معظم الأنواع تعيش في المياه العذبة، والدقيقة منها تتكاثر بالطريقة الشقّية أو اللاشقية، لها قابلية كبيرة للتكييف تساعدها على الانتشار في جميع الأماكن المعتدلة الحرارة مما يجعلها تؤدي إلى تخاصب بحيرات السدود بالمغرب وتغيير لون الماء وطعمه بإفرازها لعدة مواد عضوية ومعدنية كثاني هيدروجين الكبريت. ولمحاربة ظاهرة التخاصب في السدود التي تستعمل مياهها للماء الصالح للشرب قامت إدارة المياه والغابات بتسميك هذه البحيرات بنوعين من الشبابيط الصينية، يتكون نظامها الغذائي بالأساس من الطحالب والنباتات الأخرى الخيطية كجنس لولبة Spirogyra.

تعتبر طائفة كاروفيتا Charophyta من الطحالب الخضر الكبيرة يبلغ طولها أحيانا 100 سم وأنواعها ذات مشرة Thalle تنقسم إلى تفرعات تشبه الجذور والسيقان والأوراق كلها هشة نتيجة وجود الكالسيوم بها. يُعرف لهذه الطائفة بالمغرب ثمانية وثلاثون نوعاً. ينتمي إلى أربعة أجناس : كارا Chara، نتيلا Nitella ولامبروطامنيوم Lamprothamnium وتوليبيلا Tolypella تعيش في البرك والأنهار والجداول والبحيرات القارية والمنابع وتلعب دورا هاما في تصفية المياه بترسيب المواد المعدنية على فروعها.

الأنواع البحرية أقل عددا على التكيف بالنسبة لأنواع المياه العذبة إلا أنها تكون في الغالب ذات مقاييس أكبر. تعرف منها 25 نوعا على الشواطئ المتوسطية والأطلنطية تعيش في القيعان المنخفضة قرب الشاطئ. ومن بين الأنواع الكثيرة الانتشار والمستهلكة من طرف الإنسان نذكر خس الماء Ulva lactuca أو خس البحر يتميز بعرض أوراقه التي يبلغ قطرها في بعض الحالات 90 سم مقابل طول لا يتعدى 25 سم. تنتشر أنواع أنتيرومرفا Enteromorpha في المياه القليلة العمق، وكثيرا ما تعيش بجانبها عدة أنواع من جنس كيتومورفا وكوديوم وكلادوفورا. ودربيزيا وبريوبسيس.

ـ الطحالب الذهبية لونها أصفر مخضر أو أصفر ذهبي أحادية الخلية في أغلبيتها وقادرة على التنقل بفضل نشاط سوطين اثنين أو ثلاثة سياط التي تتوفر عليها، وأشهرها هي الدياتومات التي تعيش في المياه العذبة والبحار بأعداد ضخمة. تشكل أحيانا ما يفوق 80٪ من علق البحر، كما تمثل أكبر كمية من الطحالب الوافرة في الشواطئ والأراضي الموحلة. تعيش في الغالب بالمناطق الأقرب إلى سطح الماء حيث تتخلص من الأوكسجين عن طريق التخليق الضوئي. من أشهر الأنواع انتشارا في المياه المغربية ناڤيكولا وأمفورا وفراجلاريا وكيتوسيروس وبدولفيا. يترتب عن تراكم هذه الأجسام ذات قوقعات صوانية بعد موتها رواسب تختلط بالرمال والمواد العضوية والمعدنية فتشكل ما يعرف بالدقيق المتحجر.

ـ الطحالب السمر هي طحالب بحرية بالأساس تعيش إما طافية وسط المياه أو ملتصقة بأنقاض الخشب والأحجار والصخور القعرية أو الشاطئية في أعماق متنوعة تبلغ أحيانا 110 متر تحت سطح البحر. يرجع لونها الأسمر إلى توفرها على صباغ خاص يسمى فيكوگزانتين يحجب اليخضور. تتكون هذه المجموعة من أجسام دقيقة وأشكال يبلغ طولها عشرات الأمتار تعيش مغمورة والقاعدة في عمق يتعدى 10 أو 20 مترا بينما تطفو سر خساتها فوق المياه. تتميز الأنواع ذات المقاييس الكبيرة بأكياس هوائية صغيرة ممتلئة بالغازات وملتصقة بالجسم أو معلقة على تفرعات الساق لتمكن هذه النباتات من الطفو وبالاحتفاظ بوضعها العمودي أو الأفقي. تعرف لهذه الفئة في الشواطئ المغربية أزيد من 36 نوعا تعيش غير بعيدة عن الشواطئ ونوع الفوقس الحويصلي Fucus vesiculosus أكثر انتشاراً في السواحل الأطلنطية وخاصة بين الرباط وأگادير. يبلغ طوله أحيانا مترا واحدا. يتميز نوع الشرجس Sargassum vulgare بأكاليل تطفو على صفحة الماء. يعد الطحلب الرقائقي Laminaria ochroleuca من الطحالب السمر المهمة في استخراج المواد الصناعية كالصودا وهدرات الكربون واليود والألجينات ويُستعمل أيضا في الطب الجراحي. موجود بكثرة ما بين الجديدة والصويرة ونادر في الشواطئ الأخرى. يلتصق بصخور القعر بواسطة قاعدة السلق الذي يشبه محجمة غليظة.

إن نوع ساكوغيزا بوليشيدس Saccorhiza polyschides كثير الشبه بالطحلب الرقائقي يتعدى طوله أحيانا مترين، يعيش في الشواطئ الصخرية القريبة من الرباط ويتميز بأنسجة غنية بالخيوط تستعمل لصناعة عجين الورق.

ـ الطحالب الحمر أعشاب بحرية متعددة الأنواع والأشكال تحتوي على صبغ أحمر فاقع وبنفسجي = فيكو إريترين. يعيش الكثير منها على أعماق أكبر من الطحالب السمر، وأغلب الأعشاب البحرية التي تؤكل تنسب إليها. يتوقف تركيز الأصباغ الذي يفسر الفوارق اللونية المختلفة، على الظروف البيئية وخاصة منها كمية ونوعية الضوء التي تتعرض له الطحالب وفي المياه الصافية يمكنها أن تعيش في أعماق تتعدى 200 متر.

تلتصق الأجسام المتعددة الخلايا بالقيعان الصخرية في أعماق تفوق المترين قرب الشواطئ ويعرف لها في المغرب أزيد من 97 نوعا أغلبها يعيش بين الرباط وأگادير. من خاصياتها أن غشاء الخلايا يكون كمية وافرة من مادة الجيلاتين يستخرج منها الأجار أجار تستخدم في أغراض صناعية كعمل الجيلي الذي تربى عليه المزارع البكتيرية في الأبحاث الطبية والبيولوجية. وتعتبر أنواع فصيلة الجيليديات Gelidiacées أكثر استغلالا لاستخراج المادة الجيلاتينية. ويُصنف المغرب في الصف الرابع العالمي بالنسبة للإنتاج يقدر بأزيد من ستة آلاف طن سنويا تُصدَّر كلها إلى الخارج. بدأت صناعة استخراج الآجار أجار في المغرب منذ سنة 1960 من طرف أربع وحدات صناعية لم يبق منها حاليا إلا وحدتان الأولى في القنيطرة والثانية في الدار البيضاء يستعملان كلّ منهما نوع جليد يوم سيسكبدال الشائع في الشواطئ الأطلنطية ما بين الجديدة وأگادير وتقدر كمية الطحالب المستعملة يوميا ما بين 6 و8 طن.

يستخدم الإنسان عدة أنواع من الطحالب الحمراء كغذاء وذلك لما تحتويه من أملاح وسكريات وزلاليات وبروتنيات، أهمها طحلب بورفيرا الذي يزرع في اليابان ومنه نوع واحد يعيش في ضواحي الرباط Porphyra umbilicalis وطحلب غوديمنيا الذي يؤكل في شمال أوروبا ومنه ثلاثة أنواع تعيش في المغرب : Rhodymenia bifida، R. caespitosa و R. palmetta.

تستعمل أنواع جگارتينا، وخاصة منها Gigastina mamillosa التي تعيش في الشواطئ الأطلنطية المغربية، لصناعة مادة شبه جيلاتينية Carragahen تضاف إلى بعض المواد الغذائية وتستخدم أيضا في بعض الصناعات، وتعتبر فرنسا من أكبر المنتجين لهذه المادة.

إلى جانب الأجسام الكبيرة هناك عدة أنواع وحيدة

الخلية تسبح في البحار بواسطة أسواطها ومنها عدة أشكال تعطي ضوءا أزرق مخضراً خافتاً كما هو الشأن بالنسبة لنوع Nociluca miliaris وعدة أنواع من فئة Euglenophyta. گونيولاكس وأنواع مشابهة لها تعدّ من الأجسام الخطيرة للحيوانات والانسان لإفرازها سموما مختلفة، وكثيرا ما تتكاثر بقوة فتحدث ما يسمى بالمياه الملونة وذلك لكثرة عددها وللونها الأحمر، وهذه الظاهرة تدوم 12 يوما على الأكثر و5 ساعات على الأقل ويؤدي ابتلاعها من طرف الأسماك أو الصدف إلى التسمم.

والطحالب اليوجلينية Euglenophyta وحيدات الخلية تتميز بأهمية كبيرة نظرا للشبه الكبير بينها وبين السوطيات Dinoflagellés التي هي حيوانات بدائية تنتمي إلى شعبة الحيوانات الأولية، فلو انتزعنا من هذه الأنواع اليخضور الذي بداخلها وزودناها بفم لما أمكن تمييزها من السوطيات، وتعتبر هذه الكائنات النقطة التي تفرعت عندها النباتات والحيوانات منفصلة عن بعضها بعضا على سلم التطور.

مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، بيروت، 1988.

P. Bougis, *Le plancton*, Paris, 1977 ; P. Gayral, *Algues de la côte atlantique marocaine. La nature au Maroc*, n° 2, Rabat, 1958 ; A. Faraj, *Contribution à une étude quantitative et qualitative des protéines de l'agarophyte Gelidium sesquipedale*. Doct. 3è cycle, Fac. Sci. Rabat, 1987, 128 p. ; N. Elkhiati, *Biotypologie et biogéographie des charophycées du Maroc. Contribution à l'étude des peuplements d'algues et de macrophytes de l'hydrosystème de Tamaris (Meseta occidentale)*. Doctorat d'Etat, Fac. Sci. Marrakech, 1995, 235 p.

نجاة الخياطي

**الخزّار**، أسرة باعمرانية من قبيلة أيت عبلاّ المنتمية إلى القبيل أيت باها أُيحيى.

**الخزّار، علي** العبلاّوي كان من جملة أشراف أيت باعمران الوافدين على السلطان الحسن الأول بأمزوز غرب تيزنيت سنة 1299 هـ فعين بظهير سلطاني كعامل على قبيلته (*إتحاف أعلام الناس*، 2 : 209) جال مع الحاحيين (حكام تيزنيت) فعرك إخوانه بالغرائم، ثم ثاروا عليه فأجلوه وهدموا داره ... (*رجالات العلم العربي في سوس* ص 178). وبسبب ثقل هذه الضرائب على قبيلته، وخروجه عن لف أيت بعمران الذين رفضوا حكم الحاحيين بتزنيت، نالته عداوة الناس، مما جعل الشهادات تختلف حوله.

فمن الناس من ينعته بالذكاء المفرط والعلم الغزير، وبفراسة لا تخطئ ولذلك سُمي خزّار، والخزّار هو من يكشف الصيد في غير مظانّه في الغابة، واللفظ مشترك بين العربية والأمازيغية (ابن منظور).

قال عنه الإگراري : ومنهم العالم الذي لا ينفعه علمه، وإن كثر ما يكتبه قلمه، القائد على الخزّار العبلاّوي (*روضة الافنان*، ص. 121).وقال عنه صاحب *المعسول* : القائد العالم الخزّار العبلاّوي.. ضيع الأمور فضاع، وقد أصابته نكبة الكيلولي، ثم استقال منها، ثم خرف أخيراً (*طاقة ريحان*، ص. 29) كما أرّخ له صاحب *المعسول* من بين رجالات العلم العربي في سوس فقال : فقيه حسن عرفت له مدارك غير ضئيلة، ثم رشحه الحسن الأول للقيادة سنة 1299 هـ ... ثم ابتُلي باختلال العقل، ويذكر عنه ما يذكر مما لا نتحمل عهدته (*رجالات العلم*، ص. 178).

ويظهر أن هؤلاء المؤرخين قد تأثروا بما أصاب قبيلة هذا القائد من جراء ثقل غرائمه لإرضاء عدو قبيلته، حاكم تيزنيت، الذي لم يترك لمن خضع له فرسا ولا بقرة، إذ لم ينج من شره إلا أيت باعمران وقال فيه شاعرهم :

إيحيحي زُودْ لْوابَا كْرَاف يكّايُوسيتْ

معناه : الحاحي حاكم تيزنيت مثل الوباء كل ما مر عليه اختطفه

وإلاّ فقد كان هذا القائد من أعيان أيت باعمران ومن قواد الحسن الأول، ووُصف بالعلم والحنكة وصدق الفراسة، لكن كل ذلك لم يراعه المؤرخون عند نكبته وإصابته باختلال العقل، بدعوى أن الأمور بخواتمها، مع العلم أن أمر الله كان قدراً مقدوراً، وليس على المريض حرجٌ.

توفي في ذي الحجة الحرام 1343.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 2، ص 209 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في سوس*، ص 178 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، مادة الخاء ؛ الأكراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، ص 121.

الحسين جهادي

**الخزف القديم** بالمغرب، من بين المنتجات الخزفية القديمة التي تم تسويقها في مختلف المدن الموريطانية القديمة، نجد الخزف المختوم ذا البرنيق الأحمر الإيطالي الذي يؤرخ إنتاجه بمنتصف القرن الأول قبل الميلاد، في الوقت الذي توقف تقريبا وصول الخزف ذي البرنيق الأسود أو ما يعرف بكمبنيان Campanienne. لقد سبق الخزف المختوم ذو البرنيق الأحمر الجيد نوع آخر هو ما يعرف بما قبل الخزم المختوم La présigillée المتميز بلونه الأحمر الجميل، غير أن هذا النوع لم يتم تسويقه بالمواقع المغربية القديمة. إن وصول الخزف ذي البرنيق الأحمر الإيطالي إلى المغرب يؤرخ بالنصف الأول من حكم الإمبراطور أغسطس. يتميز هذا الخزف بأشكاله الملساء والمزخرفة التي كان أغلبها إن لم نقل كلها تستعمل للشرب وتقديم المأكولات فوق المائدة ؛ من بين النماذج المعروضة في متاحفنا نذكر على الخصوص ذلك الكأس الجميل للصانع الأريدزي Primus P. Cornelli والمؤرخ ببداية القرن الأول بعد الميلاد وكذلك الأواني الملساء المصنوعة من طرف Primus C. Anni و L. Tettivs Samia

وCN. Teivs Zoilvs الموثقين بمجموعة من مصنوعاتهم والتي تحمل أختامهم الشخصية أو الأختام التي يشتركون فيها مع عبيدهم، والتي تأخذ أشكالا مختلفة : مربعة، ومستطيلة وعلى شكل نبتة النفل أو على شكل خاتم يُمثل رِجل إنسان In planta pedis.

مراكز إنتاج هذا الخزف متعددة، وكلها تتمركز بإيطاليا، منها مثلا مصانع يودزول في وسط إيطاليا أو وادي پو Vallée de PÖ، غير أن أشهر مركز صناعة هذا الخزف هو مركز أردزو Arezzo. إن منتجات هذه المراكز تم تسويقها في مختلف مراكز الاستقرار بالمغرب القديم، إلى حد يمكن القول إن هذا التوزيع شمل المدن والقرى أي المناطق النائية. فيما يخص تسويق ونشر هذه المنتجات الإيطالية بالمغرب، كان يتم بواسطة ميناء قادس بإسبانيا. وفي أواخر حكم الإمبراطور أغسطس بدأ وصول الخزف المختوم الإيطالي إلى الأسواق المغربية يضعف ليتوقف نهائيا في عهد حكم الإمبراطور تيبر Tibère. خلال حكم هذا الإمبراطور سيظهر إنتاج جديد مماثل للخزف الأريدزي أو الإيطالي، وهو الخزف المختوم لجنوب بلاد الغول وبالضبط ما يُسمى بمصنوعات الكروفزانك Graufesangue التي ستسيطر على جميع الأسواق في الإمبراطورية الرومانية.

إذن بمجرد توقف أفران صنع الخزف الأريتيني ستنتقل صناعة وتسويق الخزف المختوم إلى جنوب بلاد الغول، حيث سيشرع الخزفيون الغالو رومانيون في غزو مختلف الأسواق بواسطة منتجات جديدة. بالنسبة لموريطانية في هذا الوقت ستضم إلى الإمبراطورية الرومانية من طرف الإمبراطور كلود، وستصبح ولاية رومانية. انطلاقا من هذه الفترة (42 بعد الميلاد)، كل المنتجات الخزفية المتداولة في أسواق مدن المغرب القديم كان أغلبها إن لم نقل كلها منتجات مركز كروفزانك والبعض منها ينتمي لمصنع مانتاس Montans، وبنصاك Banassac ولزو Lezoux. إن منتجات هذه المصانع كانت تقلد مصنوعات الخزف الأريدزي الإيطالي، غير أن صانعي هذا الخرف الجديد قد أغدقوا عليه برنيقا لامعا جميلا أحمر اللون، وفي بعض الحالات أصفر رخامي ممزوج بلون أحمر. للإشارة فقط فإن مركز الكروفرانك وصانعيه، قد انفردوا واشتهروا بهذا النوع من الخزف الذي لم ينتج قط في مصنع آخر.نتيجة لتنظيم الإنتاج والتسويق فقد استطاعت هذه المصانع وخاصة مركز الكروفرانك أن تغزو جميع الأسواق وتنشر منتجاتها في جميع بقاع الإمبراطورية الرومانية. من بين المنتجات التي عرفت انتشارا واسعا هي الأشكال الملساء من أقداح وصحون ملساء والتي كانت تنتج بواسطة الدولب، على شاكلة المنتجات الإيطالية كانت منتوجات لكروفزانك تحمل هي كذلك أختاما بأسماء منتجيها، توضع داخل الإناء أو بمزج الخاتم بالزخرفة. وبخصوص الأشكال المزخرفة، رغم عدم تعدد الأشكال، فإن الزخرفة قد تنوعت وتعددت إلى حد أنها عالجت مختلف المواضيع : الآلهة العبيد، المصارعين، سباق العرابات، الحيوانات، النباتات...

مآت المحارف كانت تقوم بهذا الإنتاج الذي انتشر في جميع بقاع الإمبراطورية الرومانية. بالنسبة لموريطانية الطنجية يمكن تحديد أوج تسويق هذا الإنتاج انطلاقا من النصف الثاني من القرن الأول وبالتحديد خلال فترة حكم الإمبراطور نيرون وفيزبازيات Neron et Vespasien بينما يؤرخ تدهور الإنتاج والتسويق خلال حكم الإمبراطور دومسيان Domitien، أما توقف الإنتاج فيحدد في عهد الإمبراطور ترجان Trajan. مع منتصف القرن الأول بعد الميلاد، وبموازاة مع منتجات جنوب بلاد الغول أو ما يعرف بالخزف المختوم الغولي، بدأت مراكز أخرى تنشر إنتاجها، وهي مراكز الخزف المختوم ذو البرنيق الأحمر الإسباني. لقد قام المنتجون الإسبان هم كذلك بتقليد خزف جنوب بلاد الغول والخزف الإيطالي. هذا التقليد لم ينحصر في البرنيق فحسب بل شمل كذلك الأشكال والزخرفة. لقد شاركت في هذا الإنتاج وبالتالي في تسويقه مراكز كبيرة كالتي توجد بشمال إسبانية والمتعارف على تسميتها بترتيوم مكالوم Tritium magallum والتي تتكون من محارف صغيرة كبزارس وبرانشال وأرنزنة دأربيا، ومراكز صغيرة تم توطينها في جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية : كأندوخار وغرناطة. إنتاجات هذه المراكز الإسبانية سرعان ما ستغزو أسواق موريطانية الطنجية، وذلك بشكل فعال خلال النصف الثاني من القرن الأول بعد الميلاد. ولا يستبعد أن تكون هذه الإنتاجات قد دخلت في منافسة حادة مع إنتاجات جنوب بلاد الغول. حما أن هذه المنافسة قد أسرعت بتراجع إنتاجات جنوب بلاد الغول خاصة وأن الإنتاجات الجديدة تختلف عن سابقاتها في اللون والأشكال، إذ أضاف الصناع الإسبانيون أشكالاً جديدة وزخرفة خاصة بهذا النوع من الإنتاج، من بين الأشكال الجديدة أقداح وقارورات وأباريق لم يسبق أن تم إنتاجها.

نموذج من أمفورات Lamboglia 2 من متحف تطوان

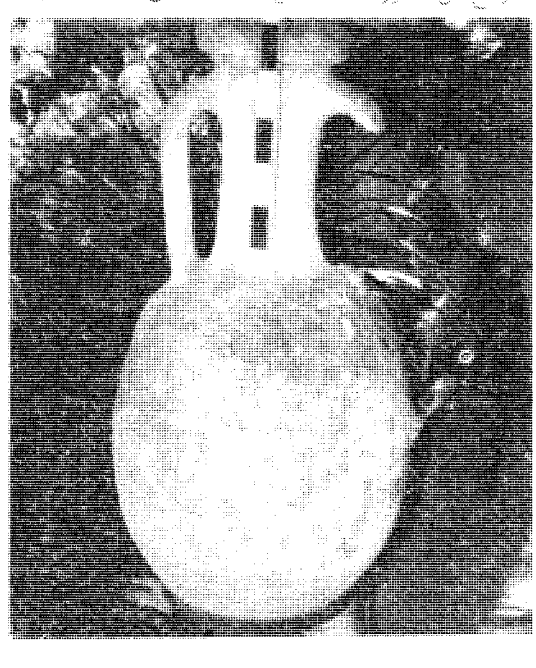

كما أنهم أنتجوا - كالمراكز الأخرى - محابر وأقماع (جمع قمع)... كما صنعوا أشكالاً مزخرفة وقوالب لهذه الأشكال تختلف زخارفها عن زخرفة أشكال إنتاجات جنوب بلاد الغول. لقد تميز إنتاج الأشكال المزخرفة بمراكز إنتاج الخزف المختوم ذي البرنيق الأحمر الإسباني بإنتاج الأقداح النصف دائرية والأسطوانية. لقد شارك في إنتاج هذا الخزف الإسباني أكثر من 120 محرفاً كلها موطنة في شبه الجزيرة الإيبيرية، شاركت وساهمت كلها تقريباً بإنتاجاتها في نشر وتوزيع الإنتاجات الإسبانية، والتي عرفت خلال نهاية القرن الأول بعد الميلاد وخلال القرن الثاني بعد الميلاد إقبالاً من طرف المستهلكين من ساكنة المدن والقرى في موريطانية الطنجية. هذه الإنتاجات الإسبانية هي كذلك كانت تحمل أسماء صانعيها على شكل أختام توضع بالقعر الداخلي للشكل المصنوع. وكما نافست هذه الإنتاجات الإسبانية الخزف المختوم لجنوب بلاد الغول، تعرضت هي بدورها لمنافسة إنتاج جديد يعرف بالخزف اللامع الإفريقي.

بالضبط حوالي سنة 70 ـ 80 بعد الميلاد ظهر في أسواق موريطانية الطنجية إنتاج جديد وهو الخزف اللامع الإفريقي والذي يتميز ببرنيق برتقالي وله نفس خاصيات الخزف المختوم.

وللتعريف بهذا الإنتاج الجديد سنتبنى التعريف الذي خصصه Lamboglia لهذا الخزف : "هو فخار روماني رقيق ذو طين وبرنيق برتقالي، عرف انتشارا في كل مناطق البحر المتوسط وكذلك انطلاقا من العشر سنوات الأخيرة من القرن الأول بعد الميلاد. فمصطلح لامع يستعمل لتميزه عن الخزف الأريدزي أو من النوع الإيطالي، وخزف جنوب بلاد الغول وكذلك الخزف الإسباني، التي لها مصدر وتاريخ وانتشار مخالف للفخار اللامع الإفريقي. هذا المصطلح : "الخزف اللامع" يشير إلى الخصوصيات الجوهرية دون الاعتماد على الحدود الجغرافية أو الكرونولوجية. نضيف إلى هذا التعريف تعريفا آخر ساهم به أحد الباحثين الإيطاليين وهو A. Carandini. وذلك لشموليته.

"أولا إن مجال صناعته تحدد في إفريقيا البروكونسيلية وكذلك في موريطانية (من الجزائر إلى ليبيا مع وجود مركز بتونس).

ثانيا : هو ينتمي إلى نفس تلك العادات التقليدية التي تطورت ما بين القرن الأول والسابع الميلادي.

ثالثا : لقد أجاب هذا الخزف عن طلب وضرورة جهوية وبالتالي انتشر ليشمل السوق الكبرى لحوض البحر المتوسط.

رابعا : إنه نوع تقريبا جيد، مطلى جزئيا أو كليا ببرنيق أحمر برتقالي أقل أو أكثر لمعانا، يحمل بين الفينة والأخرى زخارف بالدولب أو الباربوتين".

وجود هذا الخزف في المستويات الأركيولوجية، يحمل في طياته دلالات مهمة، حيث إن وجوده أولا يعني تغييراً في اتجاه الحركية والتبادل التجاري، هذا الذي كان إلى حد الآن مع مختلف الأنواع السابقة ذا اتجاه أحادي شمالي جنوبي أصبح مع هذا النوع جنوبيا شماليا وشرقيا غربيا، وإن موريطانية الطنجية في هذه الفترة كانت تزود بهذه المواد بدون وسيط.

يتكون هذا الإنتاج من مجموعة من الأشكال وهي قدح مبدنة مزخرفة بواسطة البربوتين، أقداح ذات شفاه مزخرفة كذلك بالباربوتين، وأخرى نصف دائرية، وقوارير. يتكون إنتاج هذا الخزف من ثلاثة أنواع متباينة من حيث الأشكال واللون والتاريخ.

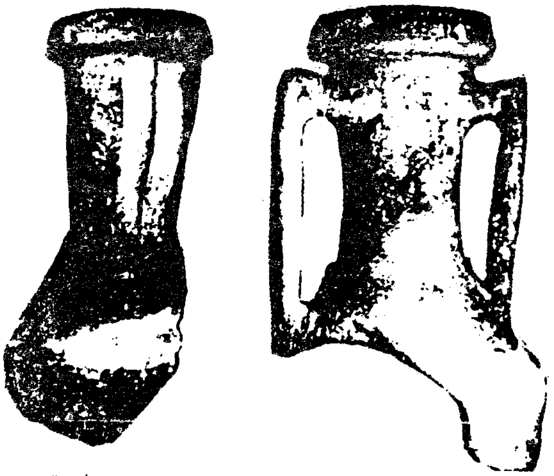

نموذج من أمفورات 4 - 2 Dressrll من متحف طنجة

النوع أ : (A) وهو نوع من هذا الخزف اللامع الإفريقي والذي يبدو أن مجال انتشاره لم يتعد المجال الغربي للبحر المتوسط. عرف انتشارا واسعا بموريطانية الطنجية، لكن قيمة إنتاجه قد ضعفت مع مرور الزمن، وتم تسويقه إلى حدود القرن الثالث بعد الميلاد.

النوع س : (C) يتميز بطين دقيق وبرنيق أحمر برتقالي، غلب على إنتاجه صناعة الأشكال المفتوحة والمزخرفة بواسطة الدويلب أو بواسطة الزخارف الملصقة (أسماك، أسود، نباتات). يتم تاريخ هذا النوع ما بين القرن الثالث إلى حدود الخامس بعد الميلاد.

أما النوع د : (D) وهو الإنتاج المتأخر والذي يغطي فترة القرن الرابع إلى السابع الميلادي، تم العثور عليه في كل المواقع المغربية التي تميزت بفترة استقرار متأخرة. يتميز هذا النوع بطين أقل دقة وبرنيق محبب. غلب على هذا النوع إنتاج أشكال مفتوحة وكبيرة الحجم، مزخرفة بواسطة الرشم (نخيلات، طغراء المسيح أشخاص وحيوانات) يتم توطين مراكز الإنتاج عادة بتونس حيث تم العثور مؤخرا على محارف لإنتاج هذا الخزف.

تضاف إلى هذه المنتجات المعروفة والمدروسة والمؤرخة، منتوجات أخرى البعض منها درس أو في طور الدراسة

وأخرى لازالت لم تدرس، للإشارة فقط، نذكر الخزف العادي، القناديل، الخزف الدقيق، والخزف الغير المدولب. كل هذه الأصناف تم تداولها من طرف ساكنة المغرب القديم، وهي ممثلة بالعديد من النماذج التي تزخر بها متاحف المغرب ومخازن المواقع الأثرية.

Ch Goudineau, La céramique aretine lisse, fouille de l'Ecole Française de Rome, Bolsena (POGGIO MOSGINI) 1962 - 1967, Paris, 1968 (B.E.F.R.AR) ; G.PUCCI, Terra sigillata Italica Enciclopedia d'ell'Arte Antica Classica e Orientale, Atlante delle Forme Ceramiche, II, Ceramica fina Romana nel Bacino Mediterraneo, Rome, 1986 ; A. Vernhet, Présentation des ateliers du sud de la Gaule, dans la Terre : sigillée gallo-romaine lieux de production du Haut Empire Implantations, produits, relations, dans Documents 6, 1986 ; F. Laubenheimer, La :d'Archéologie Française, n collection des céramiques sigillées gallo-romaines estampillées du musée de Rabat, Antiquités Africaines, 13, 1979, p. 99 - 225 ; M. A. Mesquiriz, Terra sigillata hispanica, dans Enciclopedia delle Arte Antica delle forme cramiche, II, ceramica fina romana nel Bacino Mediterraneo, Roma, 1985 ; F. Mayet, Les céramiques sigillées hispaniques contribution à l'histoire économique de la Péninsule Iberique sous l'Empire romain, I, II, Paris, 1984 ; M. Sotomayor, Sieté hornos de ceramica en Granada, con production sigilata, dans IXeme Congreso Arqueologico National, Saragosa, 1970 ; M. Sotomayor, Marcas y estillos en sigillata decorada de Andùjar, Jaen, 1977 ; T. Garabito Gomez, Los alfarevos romanos Riojanos, production y comercializcion, dans Biblioteca preahistorica hispanica, XVI, Madrid, 1978 ; A. Carandini et S. Tortorilla, Ceramica Africana, produzione A, C, D, dans Enciclopedia dell' Arte Antica Classica et Orientale, Atlante delle forme ceramiche, I, Rome, 1981 ; S. Tortorella, Ceramica de produzione Africana et tiuvenimenti archeologico sotomarini della média Tardo éta imperiale, analissi dei dati dei contrributi reciproci, dans Melange de l'Ecole Française de Rome, 93, 1981, p. 355 - 380 ; H. Limane, Contribution à l'étude des sigillées d'importation durant le ler et le IIème siècle en Maurétanie Tingitane, Etude du matériel de Lixus, Banasa, Tamuda, dactylographié, Aix-en-Provence, 1988.

حسن ليمان

* *

الخزف من عمق أسرار الطين إلى أعلى مراتب الإبداع.
عرف المغرب الخزف منذ البدايات المتوسطية السحيقة، لكن صناعته بقيت غالباً في صيغتها البدائية قبل الاستفادة من الوصفات الرفيعة على العهد الإسلامي وتطويرها وطبعها بالشخصية الإقليمية وبثها في الأمصار.

ثم جاء الخفوت التدريجي والتراجع بعد النهضة. فما هي طبيعة المسار الطويل وما هي الأسباب ؟ يمكن تعريف الخزف بأنه فن تشكيل الطين وتثبيت الأشكال الحاصلة عن طريق شيِّها بالنار. بقي هذا التعريف صحيحاً على مدى العصور وحتى أواخر النصف الأول من القرن العشرين، معتمداً على خاصية تحول خليط الطين والماء إلى عجين لدن، يجعله الطهي صلبا وغير قابل للتفسخ. لكن من الخزفيات الصناعية الحديثة ما يخالف هذا التعريف، إذ طيناً يمكن أن لاتتضمن طيناً بالمرة، بل وأن تستغني بنسبة كبيرة عن المواد الطبيعية.

لذا، أصبح تعريف الخزفيات الجديدة في صناعة الأشياء غير العضوية، غير الفلزية من خلال مسار إعدادي يتضمن معالجة حرارية عالية الحدة.

كانت شقوف الخزف على الدوام الشاهد الأمين على وجود الإنسان والتوثيق له، تقتفي عن كتب التطورات الحضارية وتعكس الخطوات الإبداعية.

فلا شك أن أولى المنعطفات في تاريخ البشرية تلك التي جعلت الإنسان قادراً على تغيير طبيعة المادة، بحيث ينقلب الطين المُطاوع إلى حجارة صلبة بفعل التسخين القوي.

فرضت أهمية الحدث أن تكون عناصر التصنيف الكلاسيكي للمواد كالتالي : الفلزات والخزفيات والزجاج والنسيج ومواد التكثيف والمواد المركبة.

يبدو أن الشرق الأوسط قد عرف صناعة الخزف قبل عشر آلاف سنة وأنها أصبحت بعد ذلك إبداعاً فنياً، يعرف التلوين في العراق وفارس وآسيا الصغرى، وأن مصر القديمة تفننت في صنع الأشكال التامة الصفاء، ذات الألوان النضرة.

مثَّلت الحضارة الإسلامية مرحلة رقي وانتشار بالنسبة للخزف الرفيع، الذي انطلق إلى الغرب عامة عن طريق إفريقيا الشمالية والأندلس.

عرفت الأرياف المغربية، قبل وصل تقنيات الخزف الحضرية، وبعد ذلك حتى الآن، مصنوعات طينية يمكن الاصطلاح عليها بأنها منتجات التراب المشوي أو الفخار. وهي متخصصة في صنع الأواني الشائعة التداول ذات الأغراض النفعية قبل الجمالية. تُعتمد فيها العمليات الأساسية الثلاث، وهي الغسل والعجن ثم التشكيل وأخيراً الكي بالنار.

يتوخى الغسل وعجن التراب إعطاء التجانس المرغوب

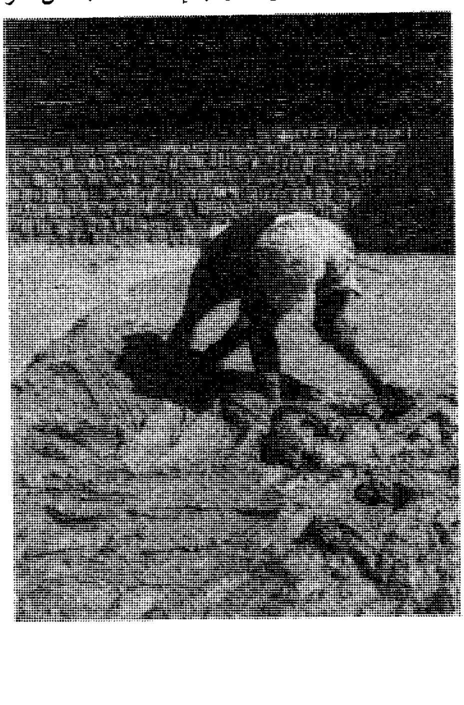

فيه بتنقية المادة من الشوائب وفقاعات الهواء، ويتم ذلك عن طريق الخبط والدعك والدوس بالأقدام.

ويحصل التشكيل يدوياً في المرحلة الأولى بتجميع مشروع العمل وتقدير حجمه، ثم يُنصَبُ بعد ذلك على الدولاب لإعطائه شكله الدائري النهائي.

يتحقق تثبيت الجسم الطيني الناتج بواسطة التجفيف والتسخين على نار حطب أو خشب في الهواء، وقليلاً ما تتعدى ذلك إلى فرن متخصصة. تدخل صناعة من هذا المستوى في ما يسمى بالخزف الهش، أو الخزف المسامي المنغذ، أو ما نصلح عليه هنا بالفخار. وهي لا تختلف كثيراً عن المعالجات البدائية التي ترجع لأواخر العصر النيوليتي وللعصر البرونزي، وقد أضيف إليها دولاب الفاخوري في فترة متقدمة كذلك، حيث إنه كان معروفاً عند السلالات الفرعونية الأولى على الأقل، إذ وصلت صناعة الخزف عند المصريين الأقدمين إلى إنتاج التحف الرائعة، كالمزدجات الزرقاء، قبل ستة آلاف سنة.

أما المادة الأولية فهي لا تستحمل النقل البعيد نظراً لوزنها ولقلة المردود النهائي، وكذلك لأن الفخار من أوليات التجهيز المنزلي الريفي، تقوم بإنتاجه النساء مباشرة عند الحاجة، قطعة قطعة، وحسب المقاس.

تكاد تكون هذه هي القاعدة في شمال المغرب.

فالفخار وليدُ بيئته بالنسبة للمادة الأولية، وهو عمل النساء لا يستعمل فيه دولاب الفاخوري إلا نادراً كما يظهر من الأواني والصحون ومجامر الشيّ الطولية.

وهو في الشمال الغربي (واد لاو) أصفر وردي شديد النعمومة، خال من أي زخرف، موسوم بجمال البساطة، تُصنع منه الصحون والطاجين الخاص بهذه الأقاليم، المتميز بعمق (التاگرة) والمستعمل في طهي الوجبات مباشرة خاصة منها طاجين السمك المتبل.

في مقدمة الريف، يصير استعمال دولاب التدوير شائعاً، ثم يُطلى المُنتَجُ بدهان ترابي أبيض تنمقه الفاخورية بريش من شعر الماعز المحزوم تخطط بها أبسط الأشكال الهندسية. تُجلب كلُّ مواد الصناعة من طبيعة الوسط المحيط.

تؤخذ كتلة الطين الأساسية من الطبقات الجيولوجية الطينية العميقة التي تجاور دائماً أهم أماكن إنتاج الفخار. أما التزويق فيكون بألوان التربة المغربية، التي يغلب عليها الحمرة والسمرة والسواد.

تقوم بدور التلوين فيها أكاسيد الحديد، التي تلون بالأحمر عندما تكون طليقة في الأتربة المتحدسلة والتّيرا رُوسَا الشائعة (الحمري) في الهضاب الشمالية والشمالية الغربية والسفوح الجبلية المغربية ؛ والتي تلون بالسمرة عندما تكون مركبة من الأتربة السمراء الكلسية والكلس - مغنيزية للهضاب والسهول التي يغلب فيها تطعيم الأتربة بكاتيونات الكالسيوم والمغنزيوم الضامن لتثبيت فلزات التلوين في القطاع الترابي. كما أنها تلون بالسواد الرمادي أو السواد القاتم أتربة التيرس في السهول الفيضية التي تتضاعف فيها ظروف الاستقرار فتتعدى السمرة إلى السواد بسبب النسب الأعلى من الحديد ومعه بعض المنغنير المضمومة داخل السلكاتات الطينية النفوخة للتربة والمنشأة في الأوساط القاعدية الحبيسة أو المرجات.

معرفةُ هذه المسارات العدانية ليست مجانية، لأنها هي التي جعلت الإنسان يستغني عن المواد الطبيعية، ويتحرر من المسافات التي يقتضيها جلبُها، ويقوم بصناعتها متحكما في المقادير والنسب وخصوصيات المادة وحدة الألوان.

نفس الأمر صحيح بالنسبة لمواد الحرق، حيث يوفر خشب العرعار والبلوط الأخضر أساساً الوقود الضروري، كما أنه ينتج القطران النباتي المستعمل كذلك في التزويق بالسواد.

توفِّر بوادي الجنوب طبيعةً أخرى وسياقات إنتاجية من نوع آخر. يحظى الفخار الصحراوي بقيمة خاصة، يتربع ولاشك على قمتها الصانع الفيلالي، إلى حد أنه استطاع تصدير صنعته إلى جهات مختلفة من جهات الشمال، ربما بمحض الصدفة. لأن الصحراويين، خاصة من الجنوب الشرقي، قد نزحوا كمزارعين أولاً، حملوا معهم دراياتهم الهائلة في ميدان البستنة الواحية واستوطنوا المجالات المجاورة للمدن، وأسهموا في إعدادها لتوفير حاجيات المدن من خضر ومواد حليبية، كما هو الشأن مثلاً في ضواحي مكناس حيث جل القبائل التي تسكن الأودية الجميلة الغنية المحيطة بالمدينة هي من أصل صحراوي. كما صادفَ أن جل فخاري مدينة زرهون المجاورة هم من أصل فيلالي كذلك.

وما زالت الفخارة نشيطةً جداً في تافيلالت ودرعة (الريصاني وتامگروت) إلى حد اختلَّ معه التوازن البيئي

بالإقليم بسبب قطع النبات الممنهج لتزويد أفران الخزف التقلدية. فبعد أن استفحل قطع أحراج الطلح الصحراوي إلى أن أبيد نهائياً في كل الجهات القريبة من الواحات، يتم الآن اقتلاع كل الجنيبيات التي تنبت في كف الكثبان الرملية والتي تقوم بتثبيتها. الشيء الذي أسهم بصفة حاسمة في زحف الرمال على الأراضي الزراعية والمساكن المتراصة على طول شبكتي زيز ودرعة. على العموم، تأتي مواد التراب المشوى شديدة المسامية، وهي مع ذلك تستعمل في صناعة الجرار لجلب الماء من الآبار والعيون، وكذلك في تخزين المرغوب منها في تبريده باعتبار أن عملية الرشحان تساعد على ذلك. كما تستعمل في إنتاج الأوعية والصحون وأواني الحفظ والتخزين من القوارير إلى الخابيات.

كما أنها مقاومةٌ آلياً، يتراوح لونُها الطبيعي ما بين الأبيض المصفر إلى الأسمر. وبقدر ما تكون أقرب من الحواضر والعمران، بقدر ما يزيد استعمالُها لأغراض البناء (الآجر والقرميد ومواد التغليف ...) لما توفره من مميزات جمالية، وظروف الراحة في الوقاية من الرطوبة والحرارة والتلوث الصوتي، كما تستعمل في الفخارة البستانية (المحابق).

أما صناعة الطاجين، فإنها القاسم المشترك بين فخارة البوادي والمدن من حيث الشغف به ومن حيث طرق صنعه. فكما يُعتبر الطاجين السلاوي معيار الجودة في الحواضر، نجد طاجين الأطلس الكبير جنوب مراكش (إيجوكاك) والطاجين السوسي، نماذج للإناء المتحمل للنار والصالح للإنضاج المباشر للطعام بعد إعداد تكميلي بالمنزل قبل التعريض للنار العنيفة.

أما من حيث أساليب الصنع، فإننا مع الطاجين نمر من أنواع الفخار الهش الاعتيادي إلى فصيلة المزدَّجات الغالبة في المدن.

خزفيات المدن، إما منفعية صرفة وجلها من المزدَّجات، أو منفعية وجمالية من المزدجات المزخرفة، ومنها التي تنزع إلى تقليد الخزف الرقيق أو البورسلانة الحقيقية، وهي لا تكتمل عندنا بسبب انعدام أو قلة مادتها الأولية وتقاليد ووسائل صناعتها النوعية الخاصة.

ظهرت أرقى المزدَّجات وازدهرت أرفع أنواع الخزف الرقيق في الشرق الإسلامي ومنه جاءتنا في صورها الفنية المكتملة.

فبعد أن استكملت تقنياتها بمصر وسوريا والعراق وفارس، وصلتْ إلى الأندلس والمغرب مع القرن الثامن، ثم بدأت بالانتشار في باقي أوروبا مع تراجع الحكم الإسلامي بالجزيرة الإيبيرية وتوقد جذوة النهضة الأوربية بإيطاليا وغيرها، وُصولاً إلى أمريكا عن طريق التأثير الإسباني والبرتغالي.

ولما كانت إيطاليا النهضة هي أول بلد استقبل المزدَّج الإسلامي وقام على نشره، فقد حمل الإنتاج منذ ذلك الوقت اسم المدينة الإيطالية التي تولت عملية الإشاعة وقعّدت للخزف الأوروبي بين القرن الرابع عشر والسادس عشر (فاينزا = فايانس)، ومازال يحمل نفس الاسم إلى الآن في جل اللغات العربية باستثناءات منها الإسبانية التي تستعمل كلمة الزليج (Azulejo) الشائعة عندنا كناية على البلاط المزدَّج. ولا أظن، كما يزعم بعضُهم، أن الكلمة من أصل إسباني لها أي ارتباط مع اللون الأزرق (Azul) الموجود في المزدَّجات، ولكن مع فعل زلّج وزجّج الذي يعني مباشرة تقنية صناعة هذا النوع من المواد . من ذلك اعتمدنا في هذا العمل عبارة الخزف المزدَّج أو المزدَّجات، الشائعة في العامية المغربية، للتعبير عما أصبح يسمى الفاينس، اجترارا لاسم فاينزا موقع عبور المزدجات الشرقية.

تجلت بدايات الشموخ الحضاري الإسلامي قبل ألف وثلاثمائة سنة بالجامع الأموي بدمشق الذي أوحى من أساليب الهندسة والتحلية إلى غير من الصروح بتركيا والهند وقرطبة...

وقد سُميت مسالك انتشار هذا النوع من الزينة من الشرق إلى الغرب، عبر الشمال الإفريقي وإيبيريا، "طريق المزدَّج" أو الزليج.

وتتلخص طريقة صناعة المزدَّج في إصلاح مشكل النفاذية الذي يعيب الفخار، بتغليفه من جهة واحدة أو من الجهتين بطلاء مركب قابل للتزجج بالتسخين، إذ يتحول إلى طبقة شفافة صائنة. ومعلوم أن الفخار المطبخي، أيا كان أصلُه الطيني، عندما يُعالَج بما يكفي ليصبح قابلاً لتحمل حرارة المجمر أو الفرن المنزلي، يعتبر خزفاً مطليا أو مبرنقاً، وهو بذلك ينتسب للمزدَّجات بمفهوم هذا العمل. فتكون المزدَّجات إذن، بالإضافة إلى المنتجات الفنية الصرفة، المزود الرئيسي للأواني المنزلية كالطاجين والطنجرة الثقيلة والطنجية وغيرها من أدوات الطهي، والصحاف والقصاع والصحون للتقديم، ومختلف الأوعية ومنها الخوابي لتخزين المؤونة وتصبير المخللات أو الزاد القابل للترقيد، وكذا الحبوب والقطاني والثمار المتنوعة واللحم المقدد، والمصبّر في الشحم، والعسل والدهون والزياتين ومختلف أنواع الحلوى...

أما الميدان الثاني الذي تصرف فيه المزدجات فهعو ميدان الزليج وهي بالأساس مربعات أو قطع تبليط الجدرات. مرت تقنيات التزديج من مراحل مختلفة.

ظهرت أولاها في الشرق الأوسط، وكان الغرض منها، منذ البداية، إسماط مسامية الفخار العادي بإحكام سدها. والإسهام في الزينة الهندسية ـ ترجع الطلاءاتُ الأولى، ذات الأصل الألقلي أو المتسعملة للرصاص، والقابلة للشي بحرارات نسبياً منخفضة، لماض يُعدُّ بآلاف السنين. لكنها تُعتَبر بُرنقاً بسيطاً وليس تزديجا حقيقياً.

يرجع التزديج المستحق للتسمية إلى استعمال الطلاء

الخزفي المنعوت بالميناء (émail) وليس مجرد البرنق الذي مَرَّ بنا، والمتضمن لأكاسيد القصدير. ظهرت التقنية أول الأمر ببابل. وهي تحتمل إضافة تلميع قوامه الفضة أو النحاس، هذه هي التقنية، بزيادة التلميع أو عدمها، التي أشاعها المسلمون إلى أن أعطت طفرة المزدَّج المورسكي (مالقة أو بلنسية)، ومنه إلى مظاهر النهضة في العصر الحديث بإيطاليا (فلورانسا، سيينا أو فاينزا)، ثم هولندا وفرنسا، كمراكز إبداع وإشاعة، فألمانيا والمجر واسكندنافيا وبلاد البلطيق ثم أنكلترا، إضافة إلى المحور الذي عبر إلى المكسيك والعديد من البلاد الأمريكية.

وكانت مدينة فاس نقطة ارتكاز الصنعة الخزفية الرقيقة بالمغرب، منذ القرن التاسع، على عهد الأدارسة، حيث نزح أفواج من سكان قرطبة ومن بينهم العديد من الصناع.

في القرن الثالث عشر، على عهد الموحدين، بلغ عدد الفخارين بها المائة والثمانين، وهم الآن حوالي الخمسين من المعلمين، يساعدهم تلة من الصناع والمتعلمين. ومثل ذلك يوجد في الحواضر الكبيرة الأخرى كمراكش وأسفي ومكناس وسلا...

طلاء التزديج تركيبة من أكاسيد الرصاص والقصدير، مخلوط بشيء من الرمل السيليسي. قد يستعمل في لون واحد وقد ينطبع بالزخرف الأزرق أو المتنوع الألوان بإضافة الأخضر والأصفر والبني على قاعدة بيضاء. وتتناول الرسوم مواضيع مختلفة أهمها الرياحين ومختلف النباتات، والأشكال الهندسية والكتابات مع امتياز للخط الكوفي.

في الواقع، من الصعب التمييز داخل الخزفيات الحضرية المغربية بين المزدجات والخزفيات الرقيقة. يمكن أن نعتبر من ضمن المزدجات المواد النفعية الصالحة للطهي وتقديم الوجبات والتخزين، والتي غالباً ما تكون سميكة، ثقيلة، عسلية اللون، بدون تنميق. ومنها كذلك بعض مواد البناء وأنواع الزليج والفسيفساء التقليدية.

ثم نمر تدريجيا إلى الخزف الرقيق المؤدي إلى البور سلانة مع تزايد دقة وصفاء المواد الأولية، وتوفير وسائل التسخين بحرارات شديدة الارتفاع، وخفة المنتوج وتناقص المسامية فيه، ونزعته إلى الشفافية. يُعتبر هذا المسار مساراً فنياً وحرفياً من النوع الرفيع أمكن للخزف المغربي أن يدخله إلى حد ما.

هناك اتجاه آخر، صناعي صرف، يستعمل الخزفيات لأغراض علمية وتكنلوجية شائعة الاستعمال إلى شديدة التطور، ويتعلق الأمر بما يسمى بالخزفيات الجديدة.

إنتاج الخزفيات الرقيقة أو الفنية، سياق معقد تعترض طريقه صعوبات جوهرية، رغم أن السوق المغربية مولعة به في صيغة الصينية المدعوة عندنا بخزف الطاووس الصيني. أهم معضلة هي الحصول على المادة الأولية الطينية التي يجب أن تكون من نوع الكاولين أي أن يكون معدن طين الكاولنيت فيها عالية النسبة جداً وأبيض اللون. والحالة أن هذه الطين، التي تتكون في الأتربة المعرضة للرطوبة والحرارة على مدد زمنية طويلة، لا توجد عندنا إلا بنسب قليلة، وحتى إذا ما وُجدت تكون حمراء في الغالب. فمثلاً خزافة فاس التي تتوفر على خبرة طويلة في الموضوع لا تجلب أطيانها إلا من طبقات النيوجين الغنية بأطيان السمكتيت، والملونة سطحياً بالأصفر وفي أعماقها السميكة بالرمادي والأرق. الخصوصيات العدانية لهذه الأطيان تجعلها نفوخة عندما تختلط بالماء، تتشقق بعد التجفيف. ولتجنب التشقق الضار بالإنتاج الخزفي وجب الدعك الطويل المتأني والتلئيم وطرد فقاعات الهواء، والتجفيف البطيء في الظل. ومع ذلك، فإن التمكن الجهيد من تجنب التشقق لا يُعفي من المسامية العالية رغم استعمال الأفران العصرية والحرارات المرتفعة.

سر النجاح إذن هو التوفر أولاً على المادة الأولية التي استعملها الصينيون والكوريون واليابانيون منذ أواسط القرن الرابع عشر، والتي لم يوجد ما يضاهي رقتها وصفاءها وكفاءاتها الفيزيوكيماوية إلا بعد أن اكتشفت مناجم الكاولين في أوروبا خاصة في أواخر القرن الثامن عشر، حيث برزت مراكز جديدة لإنتاج البورسلانة الرفيعة (ليموج بفرنسا مثلاً).

يخول معدن الكاولين صناعة ما يُسمى بالخزف الصلب أو البورسلانة الحقيقية. وهو كذلك لا نعدام المسامية المفتوحة فيه تكون شقَفة بيضاء بفضل اختيار أصفى المواد الأولية، وتعرض عند الكسر مقطعاً لا معا ذا مظهر زجاجي في صلبه وليس على أطرافه فقط كما هو الشأن في المزدَّج. نسبة امتصاصه للماء دون كره بالمائة وهو ينزع إلى الشفائية.

يمر الخزف الصلب من نفس المراحل التي يجتازها المزدَّج باستثناء المادة الأولية الأساسية، الكاولنيت. يتم الطهي على فترات. يكون الأول بحرارة 980 درجة لخليط الكاولين، يتلقى بعدها طلاء التزديج ثم الطهي الثاني بالنار الكبيرة التي تفوق 1250 درجة، يأتي التزيين عادة فوق الميناء ثم يُشوى مرة ثالثة بحرارة أقل من حوالي 850 درجة.

أهم استعمالات البورسلانة، أو الخزف الصلب أواني المائدة الرفيعة والتزيين وكذلك مختلف أنواع العوازل الكهربية.

ما هو الفرق إذن بين الأطيان الشائعة عندنا، والغنية بالمعادن الطينية من فصائل السمكتيت والإليت والكلوريت، مع نسبة متفاوتة من الكاولنيت، تكون غالباً قليلة، وأطيان الكاولين المستعملة في الخزف الصلب والتي تتوفر على نسب عالية جداً من الكاولنيت ؟

تتكون وريقات الأطيان عامة من شقين كيماويين رئيسيين : واحد سيليسي والآخر ألوميني. لذا سُميت سليكات الألولومين. كلما زادت نسبة الأول، زادت معها

القدرة على امتصاص الماء والانتفاخ واللدانة، وهي ضرورية لتوفير المطاوعة وسهولة التشكيل. لكن الألومين هو الذي يُعطي الخصوصيات النهائية الأساسية للخزف ويوفر له حظوظ الصلابة والانتساب إلى فئة الخزف الصلب. فالألومين عالي المقاومة للحرارة، لا تحصل ذوابيتُه إلا فوق 2000 درجة حرارية، وشديد الصلابة، يوجد في الدرجة التاسعة من سلم موهس المكون من عشر درجات، وقليلُ التشوه في الحرارات العليا، وهو عازل كهربي جيد ولا يتأثر بظروف الأكسدة والاختزال شديد المقاومة لعوامل التآكل والتفسخ.

لهذه الأسباب، كانت أحسن الأطيان لصناعة الخزف الصلب، تلك التي تمتلك الحد الأدنى الضروري من اللدانة المخولة لتشكيل المادة مع الماء وليس أكثر، أي أقل ما يمكن من السليس المندمج في البنية، وأقصى ما يمكن من الألومين لتوفير أكبر مميزات الكمال في البورسلانة.

في المعادن الطينية عندنا، يمكن أن تمثل نسبة السليس مقادير تصل إلى خمسة أضعاف مقادير الألومين. وهي نسبة شديدة الارتفاع ترفع اللدانة إلى حد التمطيط، وتصعب خبز الطين ودعكه، وتتطلب مقادير كبيرة من الماء، وتطيل وتعرقل عمليات التجفيف، وتعطي مادة نهائية ثقيلة، شديدة التشقق والمسامية.

في حين تصل نسبة الألومين في الكاولين رلى نصف الكتلة الاجمالية أو تزيد عليها.

صحيح أن الأتربة الأولى أخصب من الوجهة الزراعية، لكن الكاولين الصافية تعتبر من نفائس الطين المنجمي لأنها الشرط الأساسي في إنتاج البورسلانة الفنية.

أما دخول ميدان البورسلانة الصناعية أو ما يُسمى بالخزفيات الجديدة فهو رهين بالتقدم التكنولوجي. يُستعمل هذا النوع من الخزفيات في الصناعات النووية والكهربائية والالكترونية، وكذلك في صناعات الملاحة الجوية والفضائية والصناعات الغذائية الخاصة، حيث يتفوق في كل الحالات على المواد المعدنية الفلزية في مقاومة الحرارة والصّدِّ الآلي للضغوط، وعدم التفاعل الكيماوي، بالإضافة لكونه يوفر غالباً العوازل ونصف الموصلات الكهربة.

ميادين استعمال الخزفيات الجديدة في تزايد مطرد. منها الاستعمالات الطبية بسبب التوافق بينها وبين الأنسجة الحية الذي أكسبها نجاحات بينة بالنسبة للمزدرعات في ميادين جراحات العظام والأسنان والقلب وغيرها.

بالإضافة إلى استعمالات أخرى في الهندسة الكيماوية وصناعات الأسلحة وحتى في إنتاج الحلي عبر صياغة الأحجار الكريمة الاصطناعية.

الملفت في الخزفيات الجديدة أنها تستغني في صناعتها بصفة شبه تامة عن المواد الطبيعية لتعتمد في كل شيء على المواد الكيماوية والتكنولوجيات المتطورة.

حصيلة الدراسة بشأن الخزف، أن المغرب قد شكل منه حلقة وسطى بكل المواصفات. فهو تاريخياً، قد أسهم في إشاعة العلوم الخزفية الإسلامية باتجاه العالم الغربي، وفنياً نوَّع الفخار ولَوَّنه بتنوع أقاليمه البديعة الجمال، وطوَّر وحسَّن المزدَّجات، لكنه لم يُراكم الإمكانات الكافية للدخول في السياق الراقي لإنتاج الخزفيات الصلبة.

ثم بمجرد أنْ دخلت الخزفيات الجديدة ميدان الصناعات المتطورة، وتحولت من عموم الإنتاج الفني إلى خصوص الخلق العلمي، كان التعاملُ معها في أحسن الظروف من باب الاستهلاك.

موضوع الخزف كغيره من ميادين الخلق والابتكار الكبرى، يخترق كل تاريخ الوجود البشري على الأرض، جامعا بين الملكات الإبداعية للإنسان المتأرجحة بين الفنون والعلوم والتكنولوجيات.

لذا فإنه في كل حقبة من أحقاب الحضارة البشرية، يعيد ترتيبَ الأقوام بشفافية وصراحة.

استطاع المغربُ أن يشارك المشرق الإسلامي مرحلة النهضة في العصر الوسيط، في ميدان الخزف وفي غيره، فاقتحمها واضطلع بتوسيعها، عندما كانت الحركةُ الفنية فيه تنمو مواكبة للتقعيد العلمي والحضاري باعاً بباع.

ثم حصل الاختلال وتفككت حلقات المسيرة، وتحول الإبداع إلى تراث جامد. يبدو أن السر في إحياء التراث ليس هو الاكتفاء باجترار النماذج المحنطة، ولكن الأخذ بأسباب التواصل العلمي والتأصيل الحضاري.


إ. الفاسي ومحمد البدراوي، *التيرس*، *معلمة المغرب*، 1996، الجزء 8 ؛ الحمري، *معلمة المغرب*، 2000، الجزء 11.

M. Brunet, J. Giacomotti et C. Bardin, *Céramique, Céramique industrielle. Encyclopedia Universalis*, vol. 4, p. 56 - 65 ; S. Caillère, S. Hénin, M. Rautureau, *Minéralogie des argiles*, Paris, 1982, 2 tomes ; G. Frade, des matériaux, Encyclopedia Uni. vol. 6, p. 612 - 617 ; A. Sefrioui, *La poterie et la céramique*, *G.E.M.*, vol. 2, *Culture, Arts et Traditions*, Rabat, 1987, p. 97 -106.


إدريس الفاسي

**الخزيرات** (مؤتمر -) الخزيرات كلمة إسبانية محرفة عن الجزيرة الخضراء تبناها المغاربة، وهي مجاز مضيق جبل طارق في أقصى جنوب إسبانيا يقابل سبتة التي هي مجازه في أقصى شمال المغرب. وقد ذاع صيتها في تاريخ العلاقات الدولية بسبب انعقاد مؤتمر صاخب فيها من 15 يناير إلى 7 أبريل 1906 لمعالجة ما كان يسمى بالأزمة أو المسألة المغربية. وكان المؤتمر لبنة أولى من لبنات نظام الحجر الاستعماري الذي فرض على المغرب خلال النصف الأولَ من القرن العشرين، حتى صار المغاربة كلما أرادوا أن يصوروا لأية حالة من الطغيان والإجحاف بين الناس شبهوا ذلك "بشروط الخزيرات". كما كان أيضا جولة أولى من جولات الصراع الديبلوماسي بين دول أوربا الكبرى، وبخاصة منها فرنسا وإنجلترا وألمانيا وإسبانيا، التي توالت منذ 1905 حتى انتهت إلى الحرب العالمية الأولى سنة 1914. ويمكن الإلمام بأهم جوانب المؤتمر بذكر أسباب انعقاده وتلخيص مقرراته والإشارة إلى ما تخلل جلساته من أسباب التأزم والتوتر وكيف انتهى باتفاق الأقطاب على إخضاع المغرب لهيمنتهم. ثم نختم بذكر مفعول المقررات على المغرب إلى أن ألغيت جملة وتفصيلا غداة الاستقلال سنة 1956.

انعقد مؤتمر الخزيرات بدعوة من سلطان المغرب المولى عبد العزيز (1894 - 1907) الذي اشتد عليه الضغط الاستعماري الفرنسي في طليعة سنة 1905، حيث جاءه المبعوث الفرنسي سان - ريني طاياندي Saint-René Taillandier بمشروع معاهدة لا تخفي شيئاً من نوايا فرنسا الاستعمارية. فلم يكن منه إلا أن لاذ بما ظل يلوذ به أسلافه من سلاطين القرن التاسع عشر من محاولة التضريب بين الدول الأوربية واستغلال تنافسها على السوق المغربية وإفشال مساعيها بالاستعانة ببعضها على البعض الآخر. فاستشار الجانب الألماني فأثار ثائرة الامبراطور غليوم الثاني الذي كان ينقم على فرنسا وإنجلترا وإسبانيا ما كان قد حصل بينها من الاتفاق بشأن اقتسام النفوذ في المغرب منذ سنة 1904. مما استشف منه رغبة في إقصاء بلاده عن تلك السوق. وجاء رد فعله عنيفا مدويا، حيث انتهز فرصة تجوله في البحر المتوسط ليتوقف في ميناء طنجة (31 مارس 1905)، ويدلي بتصريح أعلن فيه أمام الملأ أن المغرب دولة مستقلة موحدة التراب وأن لا أسبقية فيها لدولة على أخرى. فاهتزت أركان الحكومة الفرنسية جراء ذلك. وبدا وكأن ألمانيا على وشك إشهار الحرب عليها. ووجد رئيس الحكومة الفرنسي بول روفيي Paul Rouvier نفسه مضطراً لإقالة وزير الشؤون الخارجية طيوفيل ديلكاسي Théophile Delcassé. وتحمل هو نفسه مسؤولية الشؤون الخارجية ليفتح باب التفاوض مع ألمانيا بشأن المغرب. وتم الاتفاق بين الجانبين على عقد مؤتمر دولي يدعو إليه سلطان المغرب للنظر في أوضاع البلاد وفي كيفية إصلاح شؤونها الداخلية وفيما يتصل بعلاقاتها مع باقي الدول. كما اتفق الجانبان بعد جولتين من التفاوض دارتا في شهر يوليوز وشتنبر 1905 على أن ينعقد المؤتمر في الخزيرات مثلما كان قد انعقد أول مؤتمر دولي بشأن المغرب في العاصمة الاسبانية مدريد سنة 1880، وأن يتم ذلك بناء على استقلال الدولة المغربية ووحدة ترابها وترك باب المعاملات التجارية والصناعية مفتوحا أمام جميع الدول ومراعاة الفوائد المكتسبة قديما لكل واحدة منها، بما في ذلك من مصالح خاصة بفرنسا وإسبانيا في المناطق المتاخمة لمتلكاتها الترابية مع المملكة المغربية. كما اتفق رئيس الحكومة الفرنسية وسفير ألمانيا في باريس على إلزام سلطان المغرب من خلال المؤتمر باتخاذ بعض التدابير الإصلاحية تحت المراقبة الدولية، منها تنظيم شرطة ناجعة في الموانئ التي ينزل فيها تجار أوربا، ومراقبة تجارة الأسلحة وردع أعمال التهريب بشأنها، ثم تنظيم الشؤون المالية المغربية بإقامة بنك مركزي يقوم بما تقوم به الأبناك المركزية إضافة إلى الوظائف البنكية العادية، ثم النظر في إصلاح الجهاز الجبائي المغربي كي تنتعش الخزينة السلطانية بشرط أن يلتزم السلطان بعدم تفويت الأشغال العمومية لأية جهة بالخصوص وأن يراعي المساواة بين الأجناس في إسناد الصفقات الكبرى التي كان المغرب في حاجة إلى القيام بها لإلحاق أسواقه بالسوق العالمية.

وهكذا اجتمع مندوبو ثلاث عشرة دولة في الخزيرات ابتداء من يوم 15 يناير 1906. وتلك الدول هي : فرنسا وإسبانيا وإنجلترا وألمانيا والنامسا وروسيا وبلجيكا وهولاندا والسويد والبرتغال والولايات المتحدة والمغرب. وجاء معظمها لا لحاجة ملموسة في المغرب ولكن فقط لئلا يتغيب عن محفل دولي تعلقت به الأنظار، وكان الأمل معقوداً عليه ليجعل حداً لتوتر العلاقات بين فرنسا وإنجلترا من جهة وبين ألمانيا من جهة أخرى. ولذلك قام بالأدوار الرئيسية وفد فرنسا الذي كان على رأسه بول ريفول Paul Révoil، السفير المنتدب الفرنسي لدى المغرب ووالي الجزائر سابقا الذي كان قد فرض اتفاقيات الحدود على المخزن سنتي 1901 و1902، مصحوباً بعدد من ذوي الخبرة الطويلة بشؤون المغرب، فمساعده الأول هو بول رينيو Paul Regnault بصفة كونه ممثل أصحاب قرض 1904، إلى جانبه راوول دي مار جيري Raoul De Margerie مستشار سفير فرنسا في مدريد، وإينار Aynard نيابة عن والي الجزائر، ودي بيبي De Billy عضو البعثة الفرنسية في طنجة، وهانري گايار Henri Gaillard قنصل فرنسا في فاس، وليريش Leriche قنصلها في الرباط، وقدور بن غبريط الترجمان الجزائري، إضافة إلى دوپاسور Dupasseur مدير بنك باريس والأراضي المنخفضة، ومجموعة من مبعوثي كبريات الصحف الفرنسية على اختلاف مشاربها.

وكان الوفد الألماني تحت إشراف سفير ألمانيا في مدريد

رادوفيتز Radowitz، مصحوباً بالكونط فون طاطنباخ Von Tattenbach الوزير المفوض لدى البرتغال يومئذ وممثل ألمانيا في المغرب في ما بين 1890 و1895، والمبعوث الخاص من قبل حكومته إلى السلطان المولى عبد العزيز في مطلع سنة 1905 لحثه على الصمود في وجه فرنسا. وكان الوفد الإسباني بقيادة الدوك دي ألمودفار (Almodovar) وزير الدولة في الشؤون الخارجية في حكومتها، مرفوقا ببيريس كباليبرو Perez Caballero السفير في بلجيكا، وهونطوريا Hontoria، وبينيا إي ميلييت Piña y Millet وكريسطوبال فالين Cristobal Vallin، ومجموعة من الموظفين جعلوا الوفد الإسباني ثاني الوفود - من حيث العدد - بعد الوفد الفرنسي. وكان الوفد الإنجليزي تحت نظر أرثور نيكولسن Arthur Nicolson سفير بلاده لدى المغرب في ما بين 1901 و1904 والمعين قريبا سفيراً في روسيا. وكان عدد مساعديه في المؤتمر متواضعا من حيث العدد والخبرة، مما دل على تخلي إنجلترا لفرنسا عن المغرب منذ الوفاق الودي لشهر أبريل 1904. أما باقي الدول غير المعنية مباشرة بالمسألة المغربية، فناب عنها وفود منحصرة كان عليها أن تسعى في التوفيق أكثر مما عليها أن تسعى في التفاوض والأخذ والرد، مثل الولايات المتحدة الممثلة بسفيرها في روما هانري وايط Henry White. والنامسا الممثلة بسفيرها في مدريد الكونط فون فيلسرسهايمب Von Welsersheimb، وإيطاليا الممثلة بالماركيس دي فيسكونتي - فينوسطا - Visconti - Venosta، مصحوبا بوزيرها المفوض في المغرب مالموسي Malmusi، وروسيا الممثلة بالكونط كاسيني Cassini سفيرها في مدريد، مصحوبا بوزيرها المفوض في المغرب باشراشت Bacheracht. أما الوفد المغربي فكان بقيادة الحاج محمد بن العربي الطريس مندوب السلطان لدى الأجناس في طنجة، يساعده الحاج محمد بن عبد السلام المقري وزير المالية والحاج محمد الصفار وعبد الرحمان بنيس من كتاب المخزن.

وكان مقر المنتدبين على العموم فندق رينا كريستينا Reina Cristina، باستثناء الوفود الفرنسية والانجليزية والمغربية التي أقامت في فيلات خاصة. وكان مقر الجلسات العمومية في بلدية الخزيرات. وقد طال المؤتمر أكثر مما كان متوقعا. واحتد النقاش بين الجانبين المتنازعين بسبب ما بذلته ألمانيا من جهود لفسخ التحالف بين فرنسا وإنجلترا وللتضريب بين فرنسا وإسبانيا بمعاونة الوفد المغربي، وبسبب سعي فرنسا الحثيث في إطالة تلك المحاولات وكسب مزيد من المؤازرة الدولية دعما لما كانت قد أحرزت من قصب السبق في المغرب. ومما زاد المؤتمر تعقيداً وامتداداً سقوط الحكومة الفرنسية برئاسة بول روفيي يوم 10 مارس 1906. فتأججت المناورات الألمانية لعزل فرنسا على الصعيد الديبلوماسي. لكن سرعان ما تشكلت حكومة فرنسية جديدة برئاسة جان ساريان Jean Sarrien. وأسندت الشؤون الخارجية فيها لليون بورجوا Léon Bourgeois الذي سار على نهج الحكومة السابقة. فوقع الضغط الديبلوماسي على ألمانيا حتى من قبل من كان متعاطفاً معها مثل روسيا والنامسا وبلجيكا والولايات المتحدة. وألزمت بالموافقة على الحلول الوسطى التي حصل الإجماع بشأنها بسهولة، سوى ما كان من قضية تنظيم الشرطة المغربية وإقامة البنك المركزي، فإن النقاش احتدم بشأنهما وطال لحرص الفرنسيين والألمان على عدم التنازل في إحدى القضيتين قبل الحصول على امتيازات ملموسة في الأخرى. وكانت الخطة الفرنسية الرامية إلى التنازل لألمانيا في المجال الاقتصادي، واقتسام أسهم المشاركة في البنك وترك أبواب السوق المغربية مفتوحة أمام الجميع مقابل الحصول على حق تنظيم الشرطة في الموانئ الثمانية المفتوحة للتجارة الدولية هي الراجحة، بما كانت تنطوي عليه من الإغراء لباقي الدول وبما كان لفرنسا من شديد الرغبة في التمكن من أدوات السلطة السياسية في المغرب. بينما لم تجد الديبلوماسية الألمانية فتيلا لاستعمالها "المسألة المغربية" لأغراض تتجاوز المغرب بكثير، فضلاً عن كونها عائمة مبهمة، ولمحاربة إخفاء ذلك التناقض تحت خطاب لا يخلو من غلظة وفظاظة. مما كان يزعج الأصدقاء والخصوم على حد سواء.

يضاف إلى ذلك أن الجانب المغربي كان عاجزاً عن مساندة المساعي الألمانية، ليقينه بأن الأجناس الأوربية لا تتفق إلا على ضرورة إخضاع المغرب للحجر الدولي، وأيضاً لخضوعه عن وعي أو غير وعي للضغط الفرنسي المستمر. ويوم قام الوفد المغربي بمحاولة لكسب السند الأمريكي بادر السفير الأمريكي إلى فضح ذلك لدى زملائه داعيا إلى توحيد الصفوف لفرض الإرادة الدولية عليه. والحالة هذه أن الوفد المغربي كان كالحاضر الغائب أو الغائب الحاضر، لا يملك أن يقدم رجلا أو أن يؤخر أخرى دون أمر السلطان المقيم في فاس، الذي يتطلب الاتصال به أياما متواليه، بل وأسابيع لانعدام وسائل المواصلات السريعة. وقد اختتم المؤتمر أعماله يوم السبت 7 أبريل 1906 بعد الموافقة على مقرراته المدرجة في مائة وثلاثة وعشرين فصلا مبوبة في مقدمة وسبعة أبواب وبروطكول ملحق.

تثبت المقدمة رغبة الدول في أن ينعم المغرب بالسلم والأمن والازدهار، وفي أن يقوم بما يلزمه من إصلاح شؤونه الداخلية، وعزم الجميع على احترام استقلاله ووحدة ترابه شريطة أن يتعامل مع الدول بدون حيف ولا ميز.

وأقر الباب الأول (الفصل 1 إلى 12) تنظيم شرطة مغربية في الموانئ الثمانية المفتوحة أمام تجار أوربا تحت إشراف إسبانيا في تطوان والعرائش وتحت إشراف فرنسا في الرباط والجديدة وأسفي والسويرة وتحت إشراف كليهما في طنجة والدار البيضاء، على أن تكون مراقبة تلك

الشرطة بيد ضابط سويسري تنحصر مهمته عند التفتيش دون القيادة، ويطلع سلطان المغرب ونواب الأجناس على عمله.

ووضع الباب الثاني (من الفصل 13 إلى الفصل 30) شروط التجارة في الأسلحة وكيفية ردع التهريب بشأنها الذي كان يزود القبائل من آخر ما جد في صناعة البنادق.

وأقر الباب الثالث (من الفصل 31 إلى الفصل 58) شروط إقامة بنك الدولة في المغرب من خمسة عشر سهما. لكل واحدة من الدول المشاركة في المؤتمر سهم منها، فهي ثلاث عشرة دولة، ومنح السهمان الباقيان لأصحاب قرض1904 فاحتفظ الجانب الفرنسي بالأغلبية إذ كان القرض المذكور من أموال فرنسية في الغالب. كما تقرر أن يكون مقر البنك في طنجة. واتخذت الترتيبات اللازمة بشأن إدارته ومراقبة معاملاته من الجانب الدولي ومن الجانب المغربي وكيفية الفصل في ما يقيم هو أو يقام عليه من الدعاوي فيفصل فيها محكمة قنصلية مختلطة أو محكمة لوزان بسويسرا بحسب القضايا. وأسند لهذا البنك مهام إصدار العملة المغربية والقيام لدى المخزن مقام الخزينة العمومية تستودع أمواله وتصرف منها بأمره، فضلا عن قيامه بكل ما يقوم به أي بنك خصوصي من معاملة الخواص.

وتطرق الباب الرابع (من الفصل 59 إلى الفصل 76) إلى وسائل إصلاح النظام الجبائي المغربي بأن فرض رسما استثنائيا على جميع الواردات نسبته 2,5٪، يضاف إلى التعشير (10٪) المفروض عليها منذ المعاهدة المغربية الانجليزية لسنة 1856. ويوضع الدخل من ذلك الرسم في صندوق خاص لتمويل ما كان المغرب يفتقر إليه من التجهيزات الأساسية. كما تقرر جعل ضريبة على المباني الحضرية ينفق منها على الخدمات البلدية (الفصل 61). والتزمت الدول المشاركة بإخضاع رعاياها لضريبة الترتيب على شكل ما كان وضعها السلطان المولى عبد العزيز منذ 1901 بمجرد ما يتم العمل بها على الرعية المغربية (الفصل 59). والتزم السلطان بالحد من الرسوم المفروضة على الصادرات المغربية الأساسية كالحبوب والقطاني والأنعام (الفصلان 67 و68) التي كان يجني منها أموالا ذات بال. وفي هذا الباب أيضاً فصلان جعلا تجارة التبغ حكرا على المخزن (72 و73).

ويعالج الباب الخامس (من الفصل 77 إلى الفصل 104) ترتيب شؤون الجمارك ورواج السلع في الإيراد والإصدار، وطرق تقييمها بقصد التعشير وقباضة الرسم الاستثنائي، وشروط النقل البحري بين مختلف موانئ المغرب، وزجر أعمال التدليس والتهريب مع ذكر كيفية معاقبة المخالفات ومن يستفيد من الذعائر المفروضة.

وأقر الباب السادس (من الفصل 105 إلى الفصل 119) مبدأ الباب المفتوح على قدم المساواة في كل المزايدات المقامة بشأن الصفقات العمومية في المغرب (الفصل 105)، مع إلزام السلطان بإطلاع الهيئة الديبلوماسية على دفاتر التحملات وتفاصيل المشاريع وعلى كل الوثائق الرسمية (الفصل 108) والأمر بما قد يترتب على تلك الأعمال من نزع الملكيات وما إلى ذلك من المقتضيات (الفصل 113 وما بعده).

أما الباب السابع والأخير فيتركب من أربعة فصول تحدد ثلاثة منها الأجل المضروب لمصادقة الدول المشاركة على المقررات وهو 31 دجنبر 1906، بناء على قوانينها الوطنية (من الفصل 120 إلى 122). بينما يثبت الفصل 123 كل ما كان من المعاهدات والأوفاق السابقة بين المغرب ومختلف الدول لا يتعارض مع مقررات الخزيرات ويلغي ما يتعارض معها.

وأدرك الوفد المغربي ما كان في كل ذلك من التطاول على سيادة المغرب فامتنع عن التوقيع. فقرر المؤتمر إيفاد مالموسي وزير إيطاليا المفوض في طنجة إلى فاس بقصد حمل المولى عبد العزيز على إمضاء ما بات معروفا لدى المغاربة "بشروط الخزيرات"، وذلك هو موجب البروطوكول الإيضافي. مما يعني أن المؤتمر إذا كان قد أرجأ موعد الحماية المزدوجة الفرنسية الاسبانية على المغرب، فإنه انتهى في الواقع بإثبات امتيازات تينك الدولتين بما منحهما من الهيمنة على جهاز الشرطة وعلى أموال المخزن من خلال البنك المركزي مقابل ترك أبواب السوق المغربية مفتوحة أمام جميع المقاولات الأجنبية مهما كانت جنسيتها.

ولا أدل على تفوق فرنسا في المؤتمر من إقدامها في السنة التالية فقط على الشروع في احتلال المغرب زحفا من الجزائر من جهة الشرق حيث تم احتلال مدينة وجدة (أبريل 1907)، ونزولا من البحر على مدينة الدار البيضاء وإقليم الشاوية من جهة الغرب (غشت 1907)، هذا فضلا عما كانت قد احتلت من واحات توات منذ سنة 1900 وواحات شنكيط منذ 1905 التي كانت تابعة يومئذ للدولة المغربية. ولذلك لم تكن مقررات الخزيرات سوى ممهد دولي لاستعمار المغرب من قبل فرنسا وإسبانيا. وقد باركت ألمانيا نفسها ذلك بالمعاهدة المبرمة بينها وبين فرنسا يوم 4 نونبر 1911. ففرضت الحماية الفرنسية على المغرب يوم 30 مارس 1912. ووضعت شروط نصيب إسبانيا منها في معاهدة 27 نونبر 1912.

وما أن أبرمت معاهدة الحماية حتى صار شغل فرنسا الشاغل إبطال مفعول مقررات الخزيرات لتحتكر لنفسها ما نابها من التراب المغربي وتستغل خيراته مع التشدق المستمر بسيادة السلطان ووحدة تراب المملكة. وهكذا أبطلت بالتدريج فصول وأبواب كاملة من المقررات بما أصبح لفرنسا ولإسبانيا من النفوذ المطلق في المجالات السياسية والإدارية في منطقتيهما، بل ومن النفوذ الاقتصادي

والمالي أيضاً. أما من حيث النفوذ السياسي والإداري فإن أجهزة السيادة الحكومية (وهو ما يقابل وزارات الداخلية والدفاع والشؤون الخارجية) كانت كلها بيد المقيم العام الفرنسي والمندوب السامي الاسباني. وأما من حيث النفوذ الاقتصادي والمالي فإن فرنسا استطاعت أن تقصي منافسيها عن السوق المغربية مثل ألمانيا والنامسا بمقتضى معاهدة فرساي (1919)، ومثل اليابان والمجر على إثر الحرب العالمية الثانية، ومثل إنجلترا باتفاق أبرم بينهما سنة 1938. كما استطاعت أن تستحوذ على جميع المقاولات المغربية العمومية الكبرى مثل بنك الدولة ومثل النقل والكهرباء ومناجم الفوسفاط بشتى أنواع التحايل على مبدأ الباب المفتوح. وازداد جانبها تعزيزا بإحداث الفرنك المغربي منذ 1920 وإلحاقه بالفرنك الفرنسي فأصبحت السوق المغربية حكرا على منطقة رواج العملة الفرنسية ينطبق عليه ما ينطبق عليها. ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية صدر ظهيران بتاريخ 9 و10 شتنبر 1939 يفرضان مراقبة الواردات ومراقبة الصرف. ثم استمر العمل بهما حتى بعد نهاية الحرب. فقام نزاع حاد بين فرنسا والولايات المتحدة التي تدرعت بما كانت الدولة المغربية قد أنعمت عليها به من الامتيازات التجارية منذ 1836. واحتكم الجانبان لدى محكمة لاهاي الدولية فحكمت بإمكانية ممارسة الاستيراد في المغرب دون الاعتماد على العملة الصعبة.

بيد أن احتكار فرنسا وإسبانيا للسوق المغربية تبين في نهاية المطاف الاستعماري أنه كان شراً في طيه خير. ذلك أن مجرد إعلان استقلال المغرب سنة 1956 جاء بمثابة إلغاء ضمني لما كان قد تبقى من مقتضيات الخزيرات. فإنها فرضت على المغرب يوم كانت الدول المتغلبة لا تتورع عن إعلان حقها في استغلال الدول المستضعفة. أما بعد صدور البيان العام بحقوق الإنسان من قبل هيئة الأمم المتحدة في شهر دجنبر من سنة 1948 الذي ورد في مقدمته التصريح "بمساواة الرجال والنساء وكذا الأمم الكبرى والأمم الصغرى في الحقوق" فإن مقتضيات الخزيرات باتت مخالفة للقانون الدولي لاغية دونما حاجة إلى فتح باب التفاوض والمساومة من أجل إلغائها.


*مراسلات مخزنية، النصف الثاني من سنة 1323هـ والنصف الأول من سنة 1324*، مديرية الوثائق الملكية، الرباط ؛ *مراسلات إنجليزية*، F.O. 413, *Affairs of Morocco*، ج. 30 و31 ؛ ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، 1894 - 1910*، الدار البيضاء، إفريقيا - الشرق، 1990 ؛ م. خير فارس، *المسألة المغربية، 1900 - 1912*، جامعة الدول العربية معهد الدرسات العربية، 1961.

*Documents diplomatiques* (français), 1906, *Protocoles et comptes rendus de la Conférence d'Algérisas*, Fasc., V, Paris ; Y. Famchon, *Le Maroc d'Algérisas à la souveraineté économique*, Paris, 1957 ; Hajoui, M. O., *Histoire diplomatique du Maroc, 1900 - 1912*, Paris, 1938; B. Hamdouch, *Spécialisation subie et sous-développement au Maroc ; Les effets du régime de la "Porte ouverte" et de la domination de zone*, Casablanca, 1983 ; Harris W. B., *Morocco that was* ; M. Paléologue, *Un grand tournant de la politique mondiale, 1904 - 1905* ; P. Révoil, *Journal tenu pendant la conférence d'Algérisas, 12 Janvier - 9 Avril 1906*, Paris, 1939 ; Saint-René Taillandier, G., *Les origines du Maroc français, Récit d'une mission, 1901 - 1906*, Paris, 1930 ; Tardieu, G., *La Conférence d'Algérisas, Histoire diplomatique de la crise marocaine*, Paris, 1907 ; Taylor, A.J.P., *La Conférence d'Algérisas, Revue Historique*, t. CCVIII, oct.-déc. 1952, pp. 235 - 254.


إبراهيم بوطالب

**الخزينة العامة** للمملكة المغربية تقوم بتنفيذ ميزانية الدولة وميزانيات الجماعات المحلية وذلك بتحصيل المداخيل العمومية وتنفيذ النفقات سواء منها المتعلقة بالتسيير أو التجهيز أو الدّين العمومي. وبالنظر إلى عجز الموازية العمومية وإلى استحالة حصول تناسق يومي بين المداخيل والمصاريف، تعمل الخزينة العامة على تجنيد أموال الخواص والمؤسسات العمومية عبر تدبير ودائع يتم تدبيرها وفق التقنيات البنكية المعاصرة وعبر تجنيد الادخار بواسطة سندات الخزينة وغيرها من القروض العامة.

وبهذه الصفة فإن الخزينة العامة للمملكة، تشكل إدارة أساسية تلعب دوراً حيوياً في السير اليومي للمرافق العمومية التي لا يمكن أن تضطلع بالمهام المنوطة بها إن لم تتوفر على الوسائل المالية الضرورية لهذا الغرض.

ولهذا فإن تطور هذه المؤسسة مرتبط بكيفية وثيقة بتطور الإدارة والمجتمع المغربيين مما يتطلب التعرف على التطور التاريخي لهذه المؤسسة (1) الذي يمكن من فهم دورها ووظائفها (2) التي تحدد بدورها تنظيم هياكلها (3) وعلاقاتها بمحيطها (4).

يرجع تنظيم وهيكلة المصالح العمومية المكلفة بتحصيل الموارد وصرف النفقات العمومية إلى عهد السلطان مولاي الحسن الأول حيث كانت هذه المصالح تتكون من أمناء المداخيل والذين كانوا مكلفين بتحصيل الضرائب ومداخيل الجمارك ومن الأمناء المكلفين بصرف نفقات المخزن. وكان على رأس كل هؤلاء الأمناء أمينهم الذي كان مكلفاً بمركزة حساباتهم وبمراقبتها والمصادقة عليها. وبداية من سنة 1906، أي بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء، سوف يضطلع بنك الدولة المؤسس بموجب هذه الاتفاقية، بدور قريب من دور أمين الأمناء. لكن هذا الدور سرعان ما سوف يؤول بعد دخول الحماية الفرنسية للمغرب، إلى موظف سامٍ عين من أجل هذا الغرض. وترجع كتابة القوانين والأنظمة والمساطير المتعلقة بتنفيذ عمليات الخزينة إلى هذا التاريخ، وهكذا صدرت قوانين إعادة تنظيم الترتيب (1912) وإصلاحه (1915) وقوانين التسجيل (1915 و1916) وقوانين التنبر (1917) .. الخ وصدر نظام المحاسبة العمومية في 9 يونيو

1917 ليحدد القواعد الأساسية المتعلقة بإعداد وتنفيذ الميزانية.

وبعد ذلك سوف يتم تحسين هذه النصوص قصد جعلها ملائمة لمستجدات الحركة الاقتصادية والتجارية. وبالموازاة، تطور دور الخزينة ليشمل إضافة إلى الوظائف التقليدية مهام جديدة مثل:

- النشاط البنكي
- مركزة عمليات البريد والشيكات البريدية
- تدبير مالية الجماعات المحلية
- تدبير الدين العمومي
- المساهمة في تجنيد الادخار العمومي.. الخ

يتطلب توضيح هذا الدور التذكير بالتقسيم الوظيفي الذي تعرفه الإدارات المسؤولة على تدبير المالية العمومية حيث نجد في هذه الإدارات قسمين من الموظفين : الأمرون بالصرف والمحاسبون العموميون. فالآمرون بالصرف، وهم الوزراء أو من يقوم مقامهم من مديرين عامين أو مسؤولين يفوّض لهم الوزراء سلطتهم في المجال المالي ويقومون بتحديد مبلغ النفقة واللجوء إلى المساطير الضرورية من أجل تنفيذها ثم يعدون الأمر بتنفيذ هذه النفقة. إلا أن قرارهم هذا يجب أن يصادق عليه الموظف المسؤول من مراقبة الإلتزام بنفقات الدولة.ومتى تم ذلك، يأتي دور المحاسب الذي يتحقق من احترام القوانين والمساطير المتعلقة بالنفقة المعنية ومن توفر الاعتمادات الضرورية ومن وجود جميع الوثائق الضرورية لاثبات هذه النفقة. وفي حالة توفر كل هذه الشروط فإنه يؤشر على النفقة ويقوم بأدائها. لكنه يرفعها في الحالة المعاكسة. ونجد نفس توزيع المهام في ميدان المداخيل حيث إن هناك مصالح الضرائب والتسجيل والجمارك التي تحدد مبلغ الضريبة أو المدخول المعين وتترك للمحاسب التابع للخزينة العامة للمملكة مسؤولية تحصيل المداخيل في إطار قوانين التحصيل الجاري بها العمل.

ومن أجل حث المحاسين على تدقيق مراقبتهم فإن القوانين الجاري بها العمل تجعلهم مسوولين، شخصياً ومادياً، عن كل تقصير في القيام بمهامهم. وهم مطالبون بإعداد حساباتهم من أجل مرافبتها من طرف البرلمان من جهة (قانون التصفية) ومحكمة الحسابات.

ونظراً للتنظيم الإداري للمملكة، فإن هذه المسولية تقع على الخازن العام للمملكة، وهو المحاسب المسؤول عن عمليات المصالح المركزية للدولة، والخزنة الجهويين والاقليميين، وهم المسؤولون عن عمليات المصالح الخارجية للدولة، والقباض الذين يقومون بتحصيل ضرائب الدولة في كافة مناطق المملكة، والقباض محصّلي أموال الجماعات المحلية الذين يقومون بتنفيذ ميزانيات هذه الجماعات علماً بأن الآمرين بالصرف بالنسبة لهذه الجماعات هم العمال ورؤساء المجالس الجهوية والبلدية والقروية.

ويحدد المرسوم المتعلق باختصاصات وتنظيم وزارة المالية الصادر يوم 13 دجنبر 1978 الوظائف الرئيسية للخزينة العامة للمملكة في :

- تحصيل المداخيل العمومية وأداء النفقات العمومية مع الحرص على مراقبة موافقتها للقوانين والأنظمة الجاري بها العمل وخصوصا منها المرسوم الملكي المحدد للنظام العام للمحاسبة العمومية الصادر في 21 أبريل 1967.
- تنفيذ عمليات الخزينة أي العلميات التي تهم مداخيل ونفقات عمومية لا تندرج في إطار القانون المالي مثل تدبير الودائع والدين العمومي القصير الأمد..
- مركزة محاسبة عمليات الدولة والجماعات المحلية وإعداد حسابات التسيير.
- مراقبة محاسبة الدولة والجماعات المحلية.
- تدبير محفظة الأوراق المالية للدولة.
- تصفية حسابات تسيير الجماعات المحلية.
- إعداد مشاريع النصوص القانونية والتنظيمية المتعلقة بالمحاسبة العمومية وذلك بارتباط مع المصالح المعنية لوزارة المالية، والعمل على تنفيذ النصوص التشريعية والتنظيمية في هذا المجال.

وبالإضافة إلى هذه المهام التي ينص عليها المرسوم المنظم لوزارة المالية تقوم الخزينة العامة عبر مصالحها المركزية والخارجية بأدوار أخرى مثل :

- الاستشارات التي تمنحها للجماعات المحلية حيث إن محاسبي هذه الأخيرة هم كذلك مطالبون بوضع خبرتهم المالية رهن إشارة هذه الجماعات.
- المساهمة في تحدي السياسة المالية وفي التسيير اليومي للسيولة من خلال المساهمة في اللجان المحدثة لهذا الشأن بوزارة المالية.

تطور هذا التنظيم بالموازاة مع التوزيع الذي عرفته الإدارات العمومية المغربية ومع ضرورة مواكبة هذا التطور من جهة وتغير هذا التنظيم كذلك بفعل تقنيات التسيير وخصوصاً المعلومات التي كانت الخزينة العامة من الادارات السباقة إلى الاستفادة من نتائجها الايجابية.

وتشهد الخزينة العامة حالياً مرحلة انتقالية حيث إنها شرعت منذ نهاية الثمانينات في إصلاح هيكلها التنظيمي وفي تعديل عدة قوانين وأنظمة تحكم عملها (قانون التحصيل، نظام المحاسبة العمومية، الخ ...) أو المساهمة في تحضيرها (القانون التنظيمي للمالية، المرسوم المتعلق بالصفقات العمومية..).

لكن الإطار القانوني للتنظيم الحالي للخزينة العامة يبقى هو المرسوم المشار إليه أعلاه. المتعلق باختصاصات وتنظيم وزارة المالية والذي ينص على أنها تتوفر على مديريتين :

- مديرية العمليات المتعلقة بالميزاية وذات الصبغة البنكية والتي تقوم بتنفيذ النفقات العمومية، ومتابعة تحصيل المداخيل العمومية وبتدبير الودائع البنكية

والتسيير المحاسبي للدين العمومي ولمحفظة أوراق الدولة.

- مديرية المحاسبة العمومية والمركزة والتي تقوم بمركزة حسابات الدولة والجماعات المحلية وبإعداد حسابات التسيير إضافة إلى إعداد مشاريع النصوص القانونية والمذكرات المتعلقة بالمحاسبة العمومية.

وتتوفر الخزينة العامة كذلك على :

- مفتشية مصالح المحاسبين.

- وكالة مركزية للحسابات المتعلقة بتسيير السفارات والقنصليات في الخارج.

- المصالح الخاصة بالموظفين والتكوين والمعلومات.

وإضافة إلى المصالح المركزية، تتوفر الخزينة العامة للمملكة على مصالح خارجية مكونة من :

- خزنة جهويين وإقليميين على صعيد الجهة أو الإقليم وهم يعتبرون بمثابة رؤساء مصالح المحاسبة العمومية على صعيد المصالح الخارجية.

- قباض لضرائب الدولة ولتسيير مالية الجهات والجماعات المحلية الأخرى وهم جميعاً تابعون للخزنة الجهويين والاقليميين.

علاقات الخزينة العامة للمملكة بمحيطها :

ترتبط الخزينة العامة بعلاقات يومية مع المديريات الأخرى لوزارة المالية ومع الوزارات الأخرى المشكلة للحكومة إضافة إلى المؤسسات المالية والبنكية.

وهكذا، فإن للخزينة العامة علاقات مع كل من مديرية الضرائب والإدارة العامة للجمارك والضرائب الغير المباشرة وذلك في كل ما يهم الجبايات، ومع مديرية الميزانية والالتزام بنفقات الدولة في كل ما يتعلق بالنفقات العمومية، ومع مديرية الخزينة والمالية الخارجية في ما يهم تسيير الدين العمومي وحركات الأموال العمومية وتحويل العجز الظرفي للخزينة.

وفي علاقاتها مع الوزارات الأخرى، تعمل الخزينة على تنفيذ نفقات مصالح هذه الوزارات وإصدار البيانات والجداول التي تسهل عليها تدبير الاعتمادات التي يفتحها لها القانون المالي.

أما مع المؤسسات البنكية والمالية فللخزينة العامة علاقات يومية مع بنك المغرب حيث إن الجزء الأكبر من الأموال العمومية يدفع إلى الحساب الجاري للخزينة المفتوح لدى هذه المؤسسات كما أن النفقات العمومية تؤدي في الجزء الأكبر منها بواسطة تحويلات من هذا الحساب.

وتخضع علاقات الخزينة مع المؤسسات البنكية الأخرى للقوانين العادية المنظمة لعلاقات هذه المؤسسات مع الأشخاص والمنظمات الأخرى بل إن كثيراً من البنوك تتوفر على حساب في الخزينة في حين لا تتوفر الخزينة العامة للمملكة إلا على حساب بنكي واحد، هو الحساب الجاري المفتوح لدى البنك المركزي بنك المغرب.

وبطبيعة الحال فإن زبناء الخزينة العامة وممونوها هم من جهة المستفيدون من النفقات العمومية من موظفين ومقاولين وغيرهم ومن جهة أخرى الملزمون بالضريبة والمدخرون الذين يضعون أموالهم رهن إشارة الدولة.


ل. السباعي، مراجع ديبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد ؛ ديبلوم السلك العالي للمدرسة الوطنية الإدارية ؛ وثائق الخزينة العامة بوزارة المالية.

Loi organique des finances ; Décret fixant les attributions et l'organisation de la Trésorerie Générale du Royaume, 1978 ; M. Champion, Les finances publiques au Maroc. Rabat, 1961 : M. Loze, Les finances de l'Etat, Rabat, 1971 ; M. Doghmi, Le rôle de la Banque du Maroc dans le système monétaire et bancaire, 1966 ; Al Malya, Bulletin du Ministère 23 consacré à la Trésorerie :de l'Economie et des Finances N Générale, 2000 ; Rapports, notes et études diverses de la Trésorerie Générale du Royaume.


لحبيب السباعي الإدريسي

**الخس** أو" الخص" أو "صلادة" أو "شلادة" أو "سلاطة"، كلها ألفاظ تطلق على أنواع وأصناف نباتية تتناول كمدخل لوجبات الغذاء والعشاء. تنتمي كل هذه الأنواع والأصناف لجنس لاكتوكا Lactuca وفصيلة المركبات Composition أو النجميات Asteraceae.

والخس أنواع وأصناف حولية أو ثنائية الحول عشبية. لها أوراق قاعدية تؤكل نيئة قبل أن تعطي في نهاية الموسم ساقا عنقيا يحمل الأزهار والثمار. لها عصير لبني. والاسمان الفرنسي Laitue والعلمي Lactuca يدلان عن وجود هذا العصير اللبني.

والموطن الأصلي للخس البري هو منطقة البحر المتوسط، ومنه انحدرت الأصناف المغروسة حاليا. إنه من الأعشاب التي استعملها الإنسان للاستهلاك منذ ما يزيد عن خمسة آلاف سنة. وكل الأصناف المزروعة حاليا كانت معروفة في المنطقة المتوسطية قبل العصور الوسطى.

للخس قيمة غذائية قليلة لكنه يحتوي على فيتامينات وأملاح معدنية كثيرة. تزرع عدة أصناف بالمغرب في الأراضي السقوية والبساتين القريبة من مراكز الاستهلاك.


أبحاث شخصية، ؛ ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1962.


عبد المالك بنعبيد

**الخسوف** والكسوف لا شك أن ظاهرتي الكسوف والخسوف من أكثر الحوادث السماوية إثارة وأعظمها غرابة، وقد عكف الفلكيون على دراستها وتفننوا في التنبإ بحدوثها والتنافس على حسابها ومعرفة أشكالها. وسعيا لشرح هاتين الظاهرتين والإطلاع على ما خفي منهما يتعين التذكير ببعض الحركات الفلكية للشمس والقمر وطريقة تحرك كل واحد منهما. يتعين التذكير ببعض الحركات الفلكية للشمس والقمر وطريقة تحرك كل واحد منهما.

فقد علم الفلكيون من قديم الزمن أن الأرض تدور حول الشمس في مدة تقرب من ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم. أما بالنسبة للراصد الموجود على ظهر الأرض فإنه يخيل إليه أن الشمس هي التي تتحرك بين النجوم فتقطع دائرة كاملة في سنة واحدة وقد سمى الفلكيون هذه الدائرة بخط الكسوف لأن الكسوف والخسوف لا يقعان إلا إذا كان القمر والشمس قريبين منها. وقد قسم الفلكيون هذه الدائرة إلى اثنى عشر قوسا سموها بروجا وأعطوا اسما معينا لكل واحد منها.

وعند التدقيق في حركة الشمس هذه أدرك الفلكيون أن الشمس في حركتها داخل البروج تسرع مرة وتبطئ مرة أخرى كما أن قطرها يظهر كثيرا نسبيا عندما تكون الشمس قريبة من الأرض أوائل شهر يناير ويظهر صغيرا نسبيا عندما تكون الشمس بعيدة من الأرض أوائل شهر يونيو.

أما بالنسبة للقمر فإنه يقطع كذلك خطا معينا كل شهر وهذا الخط يقرب كثيراً من شكل دائرة تنحرف عن دائرة البروج وتلتقي معها في نقطتين أطلق عليهما اسم العقدتين فالعقدة الهابطة هي ملتقى خط سير القمر عندما يتقاطع مع دائرة البروج منتقلا من نصف الكرة السماوية الشمالي إلى نصفها الجنوبي والعقدة الهابطة هي ملتقى خط سير القمر مع دائرة البروج بعد ستة أشهر قمرية منتقلا من نصف الكرة الجنوبي إلى نصفها الشمالي (الشكل 1).

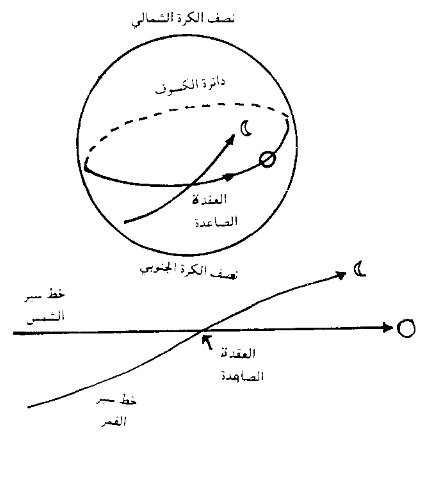


الشكل 1 سير الشمس والقمر داخل الكرة السماوية

وسرعة تحرك القمر في فلكه غير ثابتة كما أن قطره المنظور من الأرض يتغير تبعا لقربه أو بعده عن الأرض.

ويعلم الخاص والعام أن القمر يكون قريبا من الشمس في أول الشهر الهجري حيث يظهر في شكل هلال ثم ينمو ويبتعد عن الشمس شيئا فشيئا كل يوم إلى أن يبلغ الغاية في حجمه وابتعاده عن الشمس فيكون بدرا ليلة الرابع عشر من الشهر ثم يتناقص ويقرب من الشمس إلى أن يختفي تحت شعاعها ابتداء من اليوم الثامن والعشرين ولا يظهر للعيان إلا ليلة الفاتح من الشهر اللاحق.

ومن عجائب الكون أن قرصي القمر والشمس المنظورين من الأرض قريبان من بعضهما ولا يفوت أحدهما الآخر إلا قليلاً جداً.

ويحدث الكسوف متى توسط القمر بين الأرض والشمس فيحجب آنذاك ضوءها عن قسم من الكرة الأرضية ولا يحدث ذلك إلا إذا كان القمر والشمس معا قريبين من إحدى العقدتين وكان ذلك يوم الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين من الشهر الهجري ولا يمكن أن يحدث الكسوف أبدا يوم الثلاثين من الشهر.

ويصنف الفلكيون الكسوف إلى ثلاثة أنواع :

- فالكسوف الكلي يحدث إذا كان جرم القمر تبعا لموقعه وموقع الشمس كافيا لتغطية الشمس كلها فيحجبها كليا عن جزء صغير من الكرة الأرضية ولا يحدث أبدا أن يحجب القمر الشمس عن كل الأرض.

- والكسوف الجزئي يحدث عندما يحجب القمر جزءاً لا غير من الشمس يتفاوت مقداره حسب موقع الراصد وساعة الرصد وذلك كيفما كان تفاوت قطري القمر والشمس (الشكل 2).

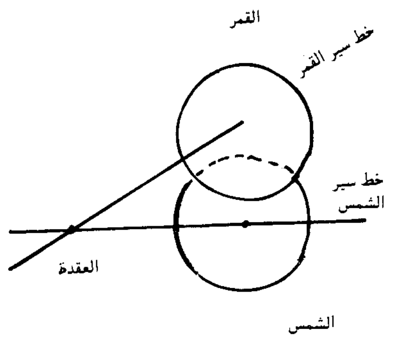


الشكل 2 الكسوف الجزئي

- والكسوف الحلقي يحدث عندما يكون مركز القمر قريبا جدا من مركز الشمس ويكون قرص القمر أقل من قرص الشمس فلا يكفي ليغطيها كلية وتبقى حلقة من الشمس مضيئة من الشمس حول القمر (الشكل 3).

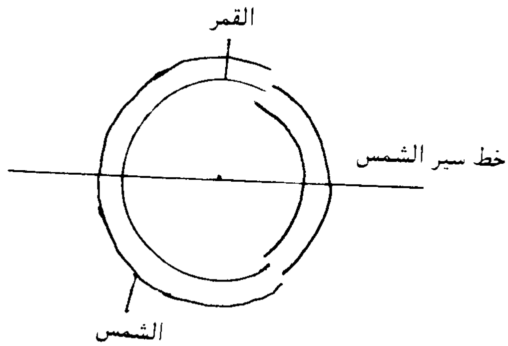


الشكل 3 الكسوف الحلقي

ـ والكسوف المزدوج وهو أندر الأنواع هو ما يبتدئ كليا ثم ينقلب جزئياً أو العكس وكيفما كان نوع الكسوف فإنه لا يرى في شكل واحد وفي لحظة واحدة من جميع الكرة الأرضية فهناك من يراه كليا وهناك من يراه جزئياً وهناك من لا يرى شيئاً.

أما الخسوف فهو يحدث عندما توجد الأرض بين الشمس والقمر فتحجب عنه أو عن بعضه كلا أو جزءا من نور الشمس ولا يحدث الخسوف إلا ليلة الرابع عشر أو الخامس عشر من الشهر.

ويصنف الفلكيون الخسوف إلى عدة أنواع :

ـ فالخسوف بالظل يحدث عندما يغطي ظل الأرض وجه القمر ويكون هذا الكسوف كليا أو جزئيا حسب درجة تغطية القمر (الشكل 4).

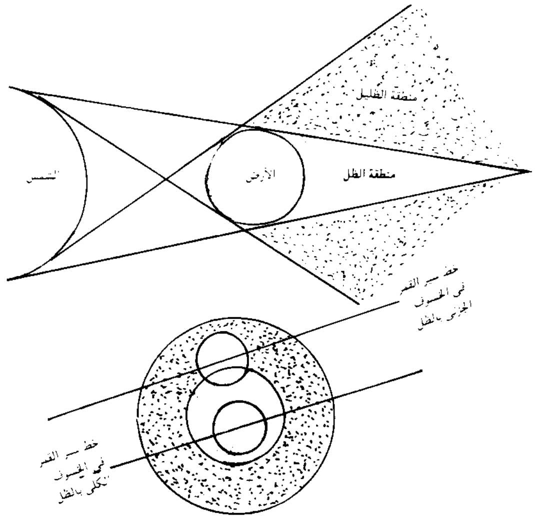


الشكل 4 الخسوف بالظل

ـ والخسوف بالظليل يحدث عندما يمر القمر في منطقة لا ينحجب عليها ظل الأرض كليا والتي تسمى منطقة الظليل ويكون هذا الخسوف كذلك جزئيا أو كليا (الشكل 5).

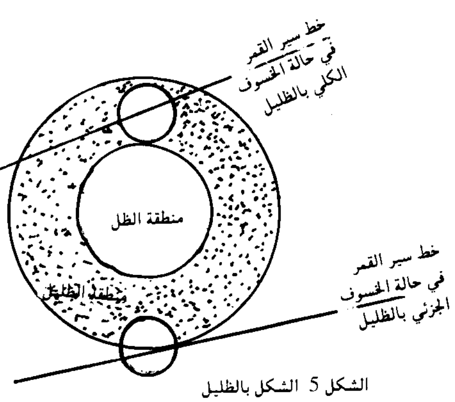


الشكل 5 الشكل بالظليل

وخلافاً للخسوف الذي لا يرى إلا من منطة محدودة من الأرض فإن الكسوف يراه جميع من وجد على نصف الكرة الأرضية المقابلة للبدر ولهذا السبب فإن ظاهرة الخسوف يراها جمهور كبير من الناس من مكان واحد وفي أزمنة متقاربة أما الكسوف الكلي فلا يتكرر في مكان واحد إلا بعدما يقرب من 370 سنة.

أما دورية الكسوف والخسوف فهي تساوي 223 شهر قمري فإذا شوهد كسوف أو خسوف في مكان ما فإن كسوفاً أو خسوفاً آ خر يرى من نفس المكان أو من مكان آخر بعد 223 شهر.

وتحتوي هذه المدة من 223 شهر على ما يقرب من 40 كسوفاً و40 خسوفاً وفي الجدول المرفق توجد توقعات حدوث الكسوف والخسوف في العقود المقبلة.

وأشهر كسوف في التاريخ الإسلامي هو الذي شوهد بالمدينة المنورة والذي صادف وفاة سيدنا إبراهيم آخر أبناء النبي صلي الله عليه وسلم فخطب عليه الصلاة والسلام على الصحابة وذكر لهم أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنخسفان لموت أحد.

وتوجد مواقع كثيرة على الأنترنيت لمن أراد زيادة الاطلاع على هذه الظواهر نخص منها بالذكر bdl.fr وsunearth.gsfc.nasa.gov/eclipse.

علي العموري

**الـخشب**، هو المادة العضوية التي تعطي الصلابة لجذوع وأغصان الأشجار، وهي تتكون من السليلوز (40ـ 50٪) وشبه السليلوز (20ـ 30 ٪) الملتصقين فيما بينهما بالخشبين (Lignine) (20ـ 32 ٪) التي تعتبر بمثابة الإسمنت الذي يضمن للخشب صلابته.

يعتبر الخشب من أقدم المواد المستعملة من طرف الإنسان منذ وجود هذا الأخير على وجه الأرض. وذلك لتلبية حاجياته من الحطب وأعمدة وركائز السكن، وأدوات الصيد والحروب كالقوس، والسهم والقذافة...

استعمل الخشب فيما قبل التاريخ كمصدر للفحم الحطبي الذي كان آنذاك ضروريا لتذويب الحديد والمعادن الأخرى.

اكتشف الفراعنة ثم اليونانيون التحويل الكيميائي للخشب بطريقة التحليل الحراري، وذلك لإنتاج سوائل هامة مثل الحامض الخلي والآسيطون...

عرفت استعمالات الخشب تطوراً تدريجياً منذ العهد الحجري، إذ زادت استعمالاته في القرون الوسطى. أما الآن فإن الخشب أصبح من المواد التي لا يمكن الاستغناء عنها في السكن والمعامل والادارات وجميع المؤسسات : ألواح وأبواب، ونوافذ، وأعمدة، وركائز، وطاقة، وأثاث وورق... بالإضافة إلى هذه المواد إنه من الممكن استخراج مواد أخرى عديدة مثل الإيثانول (Ethanol) والسكر والميثين، والكحول وفيتامين ج، والبروتينيات...

عرف استعمال الخشب تطوراً كبيراً في القرون الأربعة

الأخيرة، حيث صنعت منه العربات والسفن واستعمل في البناء. وهكذا كان استعمال خشب الأرز والعرعر من الأخشاب التي استعملت في تشييد المدن المغربية العتيقة، كفاس ومكناس ومراكش وتطوان ووجدة... وعلى سبيل المثال كانت مراكش في بداية تشييدها تحتاج إلى كميات كبيرة من أخشاب الأرز والعرعر، ولاسيما فيما يخص القصور والمساجد والمدارس... فإذا كان العرعر غير بعيد عن المدينة فإن الأرز كان ينشر محليا بالأطلس المتوسط على شكل ألواح (4 م x 0،22 م x 0،04م) ثم تنقل إلى وادي أم الربيع لينقلها مطفوة فوق الماء من ناحية خنيفرة إلى موقع دار ولد زيدوح، ثم يتم نقلها على ظهر الجمال والبغال إلى مدينة مراكش.

لكن دور الخشب في البناء بدأ يتقلص منذ بداية الخمسينات من هذا القرن وذلك يرجع إلى ظهور مواد أخرى كالحديد والإسمنت، والخرسانة...

تطورت تكنولوجية الخشب بعد الحرب العالمية الثانية لتظهر عدة مشتقات خشبية كالألواح المكونة من جزيئات (panneaux de particules) والألواح الليفية (panneaux de fibres) وورق الطباعة والورق المقوى...

تختلف أنواع الخشب حسب اختلاف الأشجار بالإضافة إلى الاختلاف في اللون والبنية والمظهر... وتشتهر الأخشاب المدارية بمظاهرها الجميلة مثل خشب الآكاجوا (Acajou) والباليستاندر (Palissandre) والمزاكوي (Mazakoe) وسابيلي (Sapelli)... ففي غالب الأحيان تنشر هذه الأخشاب على شكل صفحات (Placages) وذلك للرفع من مردودية استعمالها. وكل هذه الأنواع الخشبية مستوردة بالنسبة للمغرب، ولا ينتجها، كما هو الشأن بالنسبة للأخشاب الأوربية مثل التنوب (Sapin) والمران (Hêtre) والسنديان (Chêne).

أما الأخشاب المنتجة بالمغرب فهي قليلة جداً. أهمها أرز الأطلس والعرعر البربري والجوز، والصنوبر البحري والصنوبر الحلبي إلى جانب أنواع أخرى تستعمل بصفة تقليدية لبعض الخدمات كصناعة المحراث ومقابض أدوات أخرى.

إن استعمالات الخشب عديدة وهي مرتبطة بجودته :

1 ـ خشب ذو الجودة العالية المستعمل لصنع الأثاث الرفيع والأدوات المنقوشة (Bois d'ébénisterie).

2 ـ خشب النجارة المستعمل لصناعة الأبواب والنوافذ وبعض الأثاث العالي.

3 ـ خشب الصناعة الذي يستعمل مسحوقا لصناعة العديد من أنواع الألواح، وعجين الورق.

4 ـ خشب الخدمات المستعمل لأغراض فلاحية وفي البناء التقليدي : أعمدة، أوتاد، ركائز، سقوف...

5 ـ خشب للمعادن المستعمل داخل المناجم.

6 ـ الحطب المستعمل كوقود (انظر حطب).

7 ـ خشب الأعمدة الهاتفية والكهربائية.

أما من ناحية الإنتاج فإن المغرب لا ينتج إلا كمية قليلة ما عدا الحطب (انظر حطب) وخشب الصناعة (690.000 م3) الذي تعطيه أشجار الأوكاليبتوس والمستعمل لإنتاج حوالي 100.000 طن من عجين الورق. فإذا كانت حاجيات المغرب من خشب النجارة تقدر بـ507.000 م3، فإن الإنتاج المحلي لا يتجاوز الخمس من هذه الكمية إذ يقدر بـ91.600 م3، وهو لا يمكنه أن يرتفع بينما الاحتياجات في تزايد مستمر بسبب النمو العمراني للبلاد. وهذا يعني أن الانتاج الوطني لا يغطي حاليا إلا 18٪ فقط من الحاجيات الوطنية من هذا النوع من الخشب. يستورد المغرب أكثر من أربعة أخماس حاجياته من الخشب من الدول الافريقية الغابوية كساحل العاج، والگابون والكاميرون، وغانا وغينيا، أو الدول الآسيوية كماليزيا، أو الدول الأوربية كفرنسا والبرتغال والسويد وفنلندا...

Eero Sjöström, *Wood chemistry : Fundamentals and applications.*, 1981, London ; J. El Krari, *Le sciage du cèdre au Maroc : Etude technico-économique*, Mémoire 3° cycle I.A.V., Hassan II, Rabat, 1989 ; I.M. Kaikai, *Le commerce des bois tropicaux au Maroc : Evolution et perspective*, Mémoire de 3° cycle de l'Ecole Nationale Forestière d'Ingénieurs de Salé, 1995.

محمد هشمي

* *

لم يكن المغرب في تاريخه القديم وجلّ فترات التاريخ الوسيط مستورداً للأخشاب رغم استهلاكه الكبير لها، بل كان منتجاً ومصدراً لها إلى نهاية العهد المريني الأول، ولم تهتم المصادر بالموضوع إلا عندما يتعلق الأمر بشكل مرتبط بالأخشاب ومعظم الإشارات تأتي عرضاً.

من أكثر أنواع الأخشاب ذكراً في المصادر خشب الأرز فقد استعمل بكثرة في أغراض صناعية متعددة : صناعة السفن والقوارب وصناعة الأثاث والأواني المنزلية ؛ وأكثر استعمالاته كانت في البناء، فمنه كانت سقوف القصور والمساجد ودور الأعيان، ومنه كانت مصارع الأبواب والنوافذ، وقد كان الإقبال عليه في الحواضر الكبرى وحتى من بعض الأغنياء في البوادي، وترجع أهميته إلى عدة خصائص ومميزات منها المنظر الجميل : فلونه البني المفتوح ورائحته الطيبة تدوم ولا تتأثر بعامل الزمن، إضافة إلى شدة مقاومته للتسوس وسهولة تشكيله ؛ ذكر ابن أبي زرع في كتابه *روض القرطاس* ما يلي : "وهو (خشب الأرز) أطيب خشب الأرض، يعمر العود منه في سقف البيت ألف سنة ولا يسوس ولا يعتريه شيء ما لم يمسه الماء" (*القرطاس*، 43، *معيار الاختيار*، 143، *التشوف*، 133).

أهم مراكز استهلاك خشب الأرز مدن فاس وسبتة ومراكش وسلا، ودور صناعة السفن : سبتة والقصر الصغير والمعمورة وسلا وغيرها ؛ ويبدو أن ثمنه ارتفع بشكل كبير خلال العصر الوسيط (*وصف إفريقيا*، 1 :

250) لكثرة الطلب عليه في الداخل والخارج، ولاستنزاف خشب الأرز وتدهور غاباته بسبب الاستغلال العشوائي للغابة حتى إن القبائل التي تمتلك غابات الأرز بدأت تمنع استغلالها من قبل الغير حتى ولو كان المخزن، وقد جاء في المصادر أن السلطان المريني أبا سالم ذهب بنفسه إلى جناتة (زناتة بجبال فازاز) للوقوف على قطع الأخشاب بنفسه حسب تعبير ابن بطوطة ( *الرحلة*، ص 650 ؛ *استقصا*، ج 3).

نتيجة للاستغلال العشوائي والمكثف تضاءلت غابات الأرزوتراجعت عما كانت عليه في جبال غمارة وفازاز منذ نهاية العهد الموحدي وما هو موجود منها اليوم لا يشكل إلاّ بقايا. تدخلت القوانين الجديدة التي جاء بها الاستعمار الفرنسي والإسباني للمغرب لحمايتها.

يأتي خشب الصنوبر في الدرجة الثانية بعد الأرز من حيث الخصائص والمميزات الطبيعية، وقد كان استعماله واستغلاله مكثفاً في مختلف الصناعات، لكن غاباته كانت أكثر انتشاراً من غابات الأرز. فغابة الأرز لا تنمو وتزدهر إلا في المناطق الباردة التي تتلقى التساقطات الثلجية باستمرار، أما غابات الصنوبر فتوجد في الأماكن الرطبة بصفة عامة، فرغم التدهور الذي أصاب غابات الأرز بسبب تعسف الإنسان، فإنها ظلت تتجدد ولم يؤثر عليها إلا التغيرات المناخية والاعتداءات المتكررة للإنسان مثل اقتلاع الأشجار واحراق المساحات الغابوية قصد الحصول على الأراضي الزراعية أو المراعي المكشوفة أو لأسباب أمنية.

من الأخشاب التي استعملت بكثرة وتأتي في تقديري في الدرجة الثالثة بحسب تردد ذكرها في المصادر خشب البقس فهو يتميز عن النوعين السابقين بصلابته الشديدة، وبقلة انتشاره. فشجرة البقس لا تكون غابات مستقلة بل توجد مختلطة مع أشجار أخرى في الغابات السهلية والهضاب الرطبة، ونظراً لخصائص خشب البقس (الصلابة، المنظر الجميل، اللون البني الغامق، مقاومة التسوس والرطوبة والحرارة) فقد صنعت منها الأشياء الدقيقة كالأمشاط والدبابيس والاقفال والملاعق والشوكات، وصنعت منه المهارس ومقابض الأدوات الحديدية، وقد استعملت أخشابه بحسب توفرها حتى في صناعة الأثاث المنزلية وبعض منابر المساجد والمحاريث والأدوات الفلاحية (*معلمة المغرب*، ج 4).

تحدث البكري في كتابه *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* عن شجرة سماها تامجاثت وقال إن خشبها يصنع منه كل منحوت وتصدر أوانيه الخشبية إلى خارج المنطقة وإلى إفريقية والسودان ( *المغرب*، 156، *معلمة المغرب*، 7)؛ أما شجرة البلوط التي تاتي في المرتبة الثالثة من حيث الانتشار بعد الأرز والصنوبر فإن خشبها لا يصلح إلا لأغراض صناعية محدودة مثل الاقفال والزوايا والدعامات، والمحاريث، فهي شجرة غير مستقيمة الساق والأغصان وبالتالي فهي لا تعطى ألواحاً ولا أعمدة طويلة ومستقيمة صالحة لصناعة المراكب أو للنجارة المنزلية والأثاث، ومع ذلك فقد اضطُر المغرب في عهد بني مرين إلى الاعتماد في صناعة المراكب والسفن على خشب البلوط فكانت دار الصناعة بالمعمورة وسلا تعتمد على خشب غابات البلوط حتى إنه يتم إتلاف العديد من الأشجار للحصول على ألواح معدودة ( *الاستقصا*، ج 3، ص 22).

وما قلناه عن البلوط ينطبق على شجر أركان فهو لا يعطي ألواحاً بالواصفات التي تتطلبها النجارة أو دور الصناعة. ولكن اعتمد عليه في أخذ الدعائم لاستخراج المعادن من المناجم الباطنية واستعمل كمصدر للطاقة في صناعة السكر في العهد السعدي. فسددت هذه الصناعة ضربة قاضية لغاباته وما يوجد منها اليوم في المغرب ما هو إلاّ بقايا متخلفة عن العهد السعدي. وتشير بعض الدراسات الميدانية وتؤكد ما جاء من إشارات في بعض المصادر من أن شجرة أرگان وغاباته كانت تمتد حتى شمال وادي تانسيفت ( *أحسن التقاسيم*، 230، *المغرب*، ص 87 و90 و114 و 147 وما بعدها، *نزهة المشتاق*، 3 : 229 و 236 و 239).

وقد فسر الدارسون ظاهرة تراجع الغابات في حوض البحر المتوسط - وخاصة غابات الأرز والصنوبر والبلوط - إلى عوامل بشرية أكثر منها طبيعية فاستهلاك الأخشاب كان كبيراً إضافة إلى استهلاك الحطب في الصناعات والخدمات (أفران، حمامات وغيرها (*L'Islam dans sa première grandeur* ص. 191 و192 و193 و194).

لم يكن المغرب كما أسلفت مستورداً للأخشاب بل كان مصدراً لها إلى نهاية العصر الوسيط (*المقصد الشريف*، 74)، وفي العهد السعدي طالعتنا المصادر البرتغالية وغيرها بإشارات تفيد أن المراكب البرتغالية كانت تأتي بالأخشاب ويبيعها التجار في المدن الداخلية مثل تارودانت وغيرها، لكن ذلك لا يعني البتة نفاد الأخشاب من البلاد بقدر ما يعني انعدام الأمن والاستقرار الذي حال دون قطع الأخشاب ونقلها، إضافة إلى تكاليف نقلها براً فالمواد المنقولة بحراً أرخص. والعوامل البشرية كانت أعظم وأكبر تأثيراً على انتاج الخشب وتسويقه من العوامل الطبيعية. ولعل نص الجزنائي وهو يتحدث عن إرسال خشب الأرز والصنوبر في مياه نهر سبو بطريقة متقنة ليصل إلى المصب حيث دار الصناعة في مرسى المعمورة لخير دليل على أن الأمن والاستقرار يساعدان على الرواج والتجارة استيراداً وتصديراً. وقد كان العهد الموحدي الأول الفترة التي بلغ فيها استغلال الأخشاب في صناعة المراكب الذروة، ورغم بعد الجزنائي عن الفترة فقد أعجب بما قرأه عن طريقة نقل الأخشاب بواسطة مياه نهر سبو (جني *زهرة الآس*، ص 38).

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ ل. ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، المحمدية، 1976 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، الرباط، 1958 و 1984 ؛ ابن بطوطة، *الرحلة*، بيروت، د. ت. ؛ البكري، المغرب، الجزائر، 1911، وباريس 1965 ؛ *معلمة المغرب*، ج. 4و7 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 3 الدار البيضاء، 1954 ؛ ع. الجزنائي، *جني زهر الآس*، الرباط، 1967 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الإيطالية نابولي، د. ت.

Martin et autres, *Géographie du Maroc*, Paris, 1967 ; Michaux Bellaire, *Les Doukhala* in *villes et tribus du Maroc*, Vol. X ; M. Lombard, *L'Islam dans sa première grandeur*, 1980.

محمد حجاج الطويل

وباعتبار صناعة الخشب فإن المنتجات المستخرجة مهمة ومتعددة، وهي في تطور مستمر نتيجة الأبحاث وحيوية الصناعات التي تحول الخشب.

تشمل صناعة الخشب بالمغرب قطاعين، أحدهما تقليدي والآخر عصري.

- القطاع التقليدي : يشمل هذا القطاع صناعة نشر الأخشاب المنتجة وطنيا، وبعض التحويلات كصناعة الفحم، وصناعة الصناديق، وفن التطعيم (Marquetterie) الذي يسْتَعْمل خشب العرعر البربري.

يتم تفحيم الخشب في الأماكن التي تقطع فيها الأشجار. ويستعمل فيه الحطب الناتج عن عدة أنواع من الأشجار كالأوكاليبتوس والأرگان والبلوط الأخضر. وترتكز التقنية المستعملة على الكومة التقليدية التي لا تتعدى مردوديتها 20٪ من الفحم، ولا تمكن من استخراج بعض السوائل الهامة كحامض الخليك (Acide acétique) والقطران. وينتج المغرب 000 75 طن من الفحم.

وفي نفس الإطار، أثبتت التجارب أن استعمال الأفران الحديدية للتفحيم ستمكن من رفع المردودية بـ 25 ٪.

أما صناعة نشر الأخشاب المنتجة بالمغرب كالأرز فإنها تشمل 49 منشرة توجد في أماكن إنتاج هذا النوع من الخشب ويخص الأمر منطقتي الريف الأوسط والأطلس المتوسط. تستعمل هذه المنشرات في أغلبها آلات نشر قديمة مما يجعل مردودية النشر لا تتعدى 50٪.

الاستثمار في تجديد الآلات غير ممكن في الحالة الراهنة، لأن إنتاج خشب الأرز الذي يصل إلى 000 100م$^3$ في السنة لا يمكن من استيفاء رأس المال المستَثمَر.

تصنف قطع الخشب المنشورة حسب جودتها أربعة أصناف. يستعمل الصنف الأول ذو الجودة العالية في صناعة الإبْنُوس لصنع الأثاث الرفيع والأخشاب المنقوشة التي تستعمل في أثاث المساجد والبيوت كما هو الشأن في المدن العتيقة مثل فاس ومكناس والرباط... كما توجد عدة وحدات تقليدية تقوم بنشر أخشاب الصنوبر البحري أو

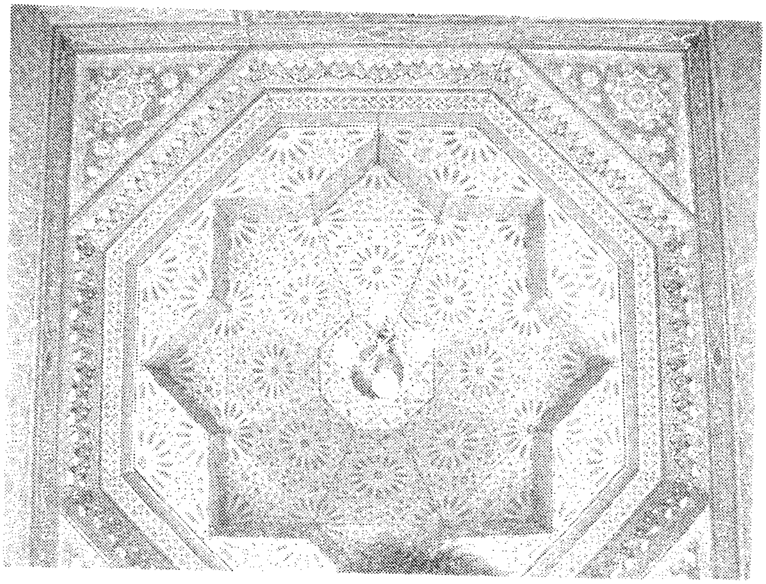

الحلبي وذلك لصناعة الصناديق المستعملة في تسويق الخضر والفواكه، وأشياء أخرى وتستهلك في هذه الصناعة أكثر من 000 25 م$^3$ في وحدات نشر توجد إما في أماكن إنتاج الخشب مثل القنيطرة وسلا وسيدي يحيى أو في أماكن الاستعمار مثل الدار البيضاء والمناطق المنتجة للخضراوات والفواكه.

تنفرد مدينة الصويرة باستعمال خشب جذوع وجذور العرعر البربري من طرف صناع تقليديين لصنع منتجات مختلفة منها المنحوتة ومنها المطعمة بأخشاب أخرى، ومنها المنقوشة... ويتعلق الأمر بأدوات وأثاث منزلية وأواني وصناديق صغيرة تستعمل للزينة. يتم بيع هذه المنتجات في أكثر من 150 متجر أو تسوق في المدن السياحية الأخرى كأگادير ومراكش والرباط... نظراً لندوة فرص الشغل في مدينة الصويرة صار السكان يتعاطون أكثر فأكثر إلى تحويل خشب العرعر. مما أدى إلى ارتفاع عدد الصناع من 1853 سنة 1992 إلى 6300 سنة 1998. الشيء الذي أدى إلى ارتفاع الطلب للمادة الأولية التي تبلغ كميتها حالياً 11700 لوحة و500 جذرة شهرياً. إضافة إلى هذا ظهرت شبكات منظمة لتهريب الخشب المقطوع بدون رخص إلي الصويرة مصدره جهات بعيدة كَأولُوزْ، وتارودانت، وإمِينْ تَاتُوتْ والخميسات... وقد استبدل بعض الحرفيين خشب العرعر البربري بأخشاب أخرى كالأرز والجوز.

أما صناعة خشب الجوز فإنها ازدهرت في مراكش وأمزميز وتارودانت وورزازات وذلك لصناعة الأثاث المنزلية الرفيعة. كان هذا الخشب في الماضي ينشر على شكل صفائح في عدة معامل موجودة في مراكش ويصدر إلى فرنسا ودول أخرى أوروبية. أمّا حالياً فلم يبق من هذه المعامل إلا معمل واحد في مراكش لإنتاج الأثاث المسوق محليا، والصيغ الأولى لأخمصة بناديق الصيد الرفيعة التي تصدر إلى الخارج.

وتجدر الإشارة إلى أن قطع أشجار الجوز تخضع لقانون خاص يخول لإدارة المياه والغابات السهر على تطبيقه. ونظراً إلى طول المسطرة التي يجب اتباعها من أجل الحصول على رخصة قطع أشجار الجوز يلجأ الملاكون إلى قطع أشجارهم خلسة مما يصعب التعرف على الكمية المنتجة من هذا الخشب في المغرب.

من جهة أخرى توجد في الموانئ المغربية أوراش لصناعة سفن وقوارب الصيد الساحلي والتقليدي. في هذا الإطار تستهلك سنوياً 000 15 م$^3$ من خشب الأوكاليبتوس و000 25 م$^3$ من خشب الأكاجو و 500 م$^3$ من خشب الصنوبر.

ـ القطاع العصري :

يشمل هذا القطاع كل الصناعات التي تستعمل الخشب كمادة أولية أو التي تقوم بتقويته.

صناعة عجين الورق والورق :

من أهم هذه الصناعات نذكر الوحدة الصناعية الموجودة بسيدي يحيى الغرب التي تقوم بتحويل خشب الأوكاليبتوس إلى عجين الورق. تقدر المادة الأولية بـ 350.000 طن من الخشب المقشر والكمية المنتجة بـ 100.00 طن عجين الورق، يصدر منها 80٪ والباقي يستهلك لصناعة الورق بالمغرب في معامل موجودة بالقنيطرة، وتطوان، وطنجة، والدار البيضاء والجديدة... تستعمل هذه الوحدات كذلك عجين الورق الناتج عن الصنوبر المتميز بأليافه الطويلة التي تعطي للورق صلابته. ويستورد هذا النوع من العجين ذي الألياف الطويلة من الدول الإسكندنافية، ليخلط مع عجين الورق المنتج محليا من خشب الأوكاليبتوس. لكن التقنيات الحديثة أصبحت تكتفي بعجين الأوكاليبتوس لصناعة ورق ذي جودة رفيعة يستعمل في الطباعة. والأنواع الأخرى من الورق والورق المقوى تصنع من الورق المستعمل الذي يجمع في المغرب أو يستورد من الخارج لإعادة استعماله.

صناعة المأطورات :

في مجال صناعة المأطورات توجد شركتان وهما CEMA و BOIS DE L'ATLAS اللتان تنتميان إلى نفس المجموعة المالية، وتقومان بصناعة المأطورات المعاكسة ومأطورات الجسيمات. تصنع مأطورات الخشب المعاكسة من صفائح الخشب الذي ينتمي إلى عدة أنواع كالأوكومي (Okoumé) وهو الخشب الأكثر استعمالا، والأزيگو (Ozigo)، والحور Peuplier. وكل هذه الأخشاب مستوردة من الدول الاستوائية كالكابون أو من أوروبا بالنسبة للحور. وقد عانت هذه الصناعة من منافسة بعض الدول الأسيوية إثر انخفاض قيمة عملتها بحيث أصبح ثمن مأطورات الخشب المعاكس المستوردة أقل بكثير من المأطورات المنتجة محلياً.

تستعمل مأطورات الجسيمات بقايا صناعة مأطورات الخشب المعاكس وخشب الأوكاليبتوس والصنوبر.

صناعة صناديق تسويق الخضر والفواكه.

ترتبط صناعة صناديق تسويق الخضر والفواكه بالكمية المنتجة من هذه المواد الفلاحية. وهكذا يتم صنع ما بين 45 مليون و 55 مليون علبة من فيئة 2 إلى 15 كلغ، وما بين 700 و800 ألف طبق تحميل تصنع العلب من خشب الحور المستورد من فرنسا بكمية 45.000 طن، ومأطورات الخشب المعاكس بكمية 70.000 طن المستورد من اسبانيا، ومأطورات الألياف بكمية 25.000 طن المستوردة من روسيا، وأخشاب الصنوبر بكمية 45.000 طن المستوردة من البرازيل.

صناعة وقاية الخشب : تتم وقاية الخشب بإدخال سوائل وقائية في الخشب من أجل تحسين ديمومته واكتسابه أطول مدة للاستعمال. يتعلق الأمر بتلك الأخشاب التي تغرس في التراب أو تلك التي تتعرض للماء والهواء كالأعمدة الكهربائية والهاتفية وعارضات السلك الحديدية.

ولهذا العرض توجد بالدار البيضاء وحدة صناعية تعالج سنوياً 40.000 عمود هاتفي و25.000 عمود كهربائي.

صناعة الأثاث.

يوجد بالمدن المغربية عدة وحدات لصنع الأثاث والنجارة الداخلية والخارجية، تستعمل الخشب المستورد أو الإنتاج محليا كالأرز وكذلك المأطورات.

يستورد سنوياً لهذا الغرض أكثر من 200.000 م$^3$ من عدة مصادر كالدول الإفريقية مثل ساحل العاج والگابون والكونگو، والدول الأوروبية كفرنسا وإسبانيا وروسيا والسويد ويوغوسلافيا وإيطاليا، وكذلك الدول الأميريكية كالبرازيل والشيلي.

*أبحاث شخصية.*

ORT, *La filière bois au Maroc, Etude de la production et la commercialisation du bois et des produits dérivés, Projet Gharb-Mamora*, 1992, 80 p. + annexes.

عبد الصادق ساسْبُو

**الـخـشّـين**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني زجل الغمارية، انتقلت إلى تطوان في حدود سنة 1010 / 1601 وقد أنجبت عدة فقهاء. تذكر الوثائق منهم :

**الـخـشّـين، عيسى** بن يوسف فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1019 / 1610. وقد تولى القضاء بالمدينة سنة 1032 / 1622.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483

إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 644.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخصاصي**، أسرتان : فاسية وتازية، أصلهما من مدينة خصاصة أو غساســة ـ حسب اختلاف النطق المحلي ـ المند ثرة في جبل قلعية بالريف الشرقي على ضفاف البحر المتوسط. وبفاس أسرة غساسية لا تعرف لها اتصالاً بالخصاصيين، وإن كانوا جميعاً ـ على ما يبدو ـ من موطن واحد. وتميز الخصاصيون الفاسيون بحذق الرياضيات والفلك والفرائض، وتسلسل فيهم ذلك أجيالاً عديدة كما سنرى. وجدهم المشهور هو الصالح قاسم الخصاصي آتي الترجمة. ويذكر النسابة عبد السلام ابن سودة أن أصلهم من الأندلس.

**الخصاصي، عبد الرحمن** بن عبد السلام بن عبد الرحمن الفاسي، عالم رياضي فلكي موقت مشارك، كسائر أقاربه، اشتغل بالنيابة عن قاضي فاس في تقدير الفرض منذ توفي والده سنة 1261، إلى أن أدركته الوفاة يوم سادس شعبان عام تسعة وثمانين ومائتين وألف / 9 أكتوبر 1872 ودفن في روضتهم بحي القباب.

**الخصاصي، عبد السلام** بن **عبد الرحمن** بن أحمد بن عبد الرحمن ابن الولي الصالح قاسم الخصاصي الفاسي. كان عالماً حيسوبياً مشاركاً عارفاً بعلم الأسماء والأوفاق. وهو أول من تولى خطة النيابة عن قاضي فاس في تقدير الفرض، أوائل دولة السلطان المولى عبد الرحمان ابن هشام إلى أن توفي يوم الجمعة ثامن محرم عام واحد وستين ومائتين وألف / 17 يناير 1845.

**الخصاصي، عبد السلام** بن **محمد** بن أحمد التازي. ولد ونشأ بتازا، وبها أخذ عن والده الفقه وغيره من العلوم الشرعية، ثم أتم دراسته بفاس ورجع إلى مسقط رأسه حيث خلف والده في مجالس التدريس والوعظ بالجامع الكبير بتازا إلى أن أدركته الوفاة في ثاني عشر صفر عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف / 23 فبراير 1911.

**الخصاصي، عبد الكبير** بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي. فرضيّ فاس في حياة والده. كان متضلعاً في الحساب والفرائض كسائر بني عمه. وتصدى للقيام بخطة تقدير الفرض نيابة عن والده الذي كبر وعجز عن القيام بهذه المهمة وأدركته الوفاة قبل والده في ثاني صفر عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف / 28 نوفبر 1916.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 و 8 و 9.

محمد حجي

**الخصاصي، قاسم** بن قاسم الفاسي. انتقل والده أبو الفضل قاسم في عهد دولة الشرفاء السعديين من خصاصة أو غساسة بالريف الشرقي إلى مدينة فاس وبها أدركته الوفاة تاركاً ولده الذي سمي باسمه في بطن أمه، وكانت ولادة المترجم بفاس في حدود سنة 1002 / 1593 وبها تربى وتعلم، ثم تعاطى لصناعة الحرير في حانوت بسوق مولاي إدريس لم يفارقه إطلاقاً طيلة حياته (*المقصد*، 266 ـ 267).

وإلى جانب الاشتغال بالتجارة والمال، كان لأهله صلة قديمة بالتصوف. وهكذا يذكر لبعض أسلافه "سهم في الولاية"، وأن هناك في "خصاصة" وليا مشهورا عليه قبة، من أسلافه، يدعى سيدي مسعود الخصاصي. كما يوصف والده الحاج أبو الفضل قاسم بأوصاف الخير والحسب. أما أمه فقد كان لها استناد إلى الشيخ الحسن الجزولي، أحد أصحاب الشيخ عبد الله الغزواني، كبير الطائفة الجزولية في أوائل القرن العاشر (16 م) (*المقصد*، 267 ؛ *الروض العطر*، 185، 190 ـ 191 ـ 201).

ومن ثَـم اقتدى قاسم الخصاصي بأهله، وسلك مثلهم طريق التصوف، بل بلغ في الولاية مكانا رفيعا، حتى حصل على مقام الجذب، وصار من الأولياء السالكين المجاذيب الكبار في فاس في زمانه. وفي هذا الصدد يأبى كتاب سير شيوخ الطريقة الفاسية ـ المجذوبية، المنسوبة إلى الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي، وشيخه عبد الرحمن المجذوب، إلا أن يربطوا "ولادته الروحانية"، وارتقاءه في مدارج السالكين برعاية شيوخ هذه الطريقة له، سواء منهم الذين ماتوا قبله أو الذين عاصرهم. وهكذا يذكر أن "توبته"، حصلت له بزاوية الشيخ أبي المحاسن، وأن هذا الأخير هو الذي أرشده إلى الشيخ المجذوب محمد بن مبارك عبابو، نزيل المدرسة المصباحية بفاس، حيث لازمه سنين عديدة، وانفرد بخدمته إلى أن فتح له على يديه. وبعد وفاة هذا الشيخ، انتقل قاسم الخصاصي إلى صحبة الشيخ العارف عبد الرحمن الفاسي، كبير الطائفة الفاسية، خلفا لأخيه أبي المحاسن. ولما توفي "*العارف*" سنة 1036 / 1626 مال قاسم الخصاصي إلى صحبة وارثه وخليفته على رأس الطائفة الفاسية الشيخ محمد بن عبد الله معن، في زاويته التي أسسها بالمخفية.

بلغ قاسم الخصاصي في صدق محبته للخليفتين أو الوارثين – كما ينعتان في سير صلحاء الطائفة الفاسية المجذوبية –، شأوا بعيدا، جعله يحظى لديهما بالعناية والاهتمام، ويرقى بفضلهما إلى المقامات العليا في الطريق، حتى لقد اعترفا له معا بتميزه عن غيره من

أصحابهما، في طريقه وعرفانه وتحققه، كما اعترفا له بتفوقه في مضمار الطريقة الفاسية، وبلوغه مقام العارفين الكمل فيها، ولا سيما من حيث "*خموله*"، وأحواله المائلة إلى الجذب والغيبة بشكل عام (*الروض العطر*، 193 ـ 194، 197 ـ 198، 200).

وبعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الله مَعَنْ سنة 1062 / 1652 بقي قاسم الخصاصي يتردد على زاويته مع من بقي بها، غير متميز عنهم بشيء نحو العامين، حتى إذا لاحت عليه مخايل الخصوصية والخلافة تصدر للتربية والتلقين (*الروض العطر*، 200 ؛ *المقصد*، 271 ـ 272). وقد تبعه جماعة من فضلاء أصحاب شيخه وغيرهم ممن أراد أن يسلك بهم في التصوف طريقه، وانحاشوا إليه، بينما انفض عنه أكثر "الناس"، تجسيدا لإشارة ابن معن، عندما ميز في أتباعه بين أهل "الظواهر الخالية من الأحوال الربانية"، أو أهل الهيئات، من جهة، وبين أهل "البواطن والجذب والأحوال..."، من جهة أخرى. وبينما وجد منه "ذوو الأحوال" فتحا على يده ومزيد مدد، اعترض "الآخرون" بقيادة "صاحب لهم"، وأنكروا عليه "أشياء بلغتهم عنه"، بعضها اعتبره أصحابه "أكاذيب ملفقة" ترتبط ولا شك، برفض خصومه الاعتراف له بالخلافة، وبعضها اعتراض وإنكار على "حاله" (*المقصد*، 42 ـ 43 ؛ *نشر المثاني*، 3 : 82).

وهذا يعني أن تيار طائفة أبي المحاسن يوسف الفاسي، عرفت بعد وفاة محمد بن عبد الله مَعَنْ، اتجاهين، تشبث الأول بالفاسية المجذوبية، بينما حاول الاتجاه الثاني الميل بالطريقة نحو السلوك بالظاهر. وبينما تزعم الشيخ قاسم الخصاصي الاتجاه المجذوبي التقليدي ظهر الشيخ عبد القادر الفاسي (ت. 1090 ـ 1679) الذي حرم من الخلافة بتولي قاسم الخصاصي للمشيخة على رأس أهل الظواهر. واشتد تضييقهم على خصومهم، معتبرين إياهم من الغلاة في الطائفة. وكان التضييق من الشدة، إلى حد اضطر قاسم الخصاصي إلى الانسحاب من الزاوية وإغلاقها، واختلى بنفسه في حانوته بقيصارية مولاي إدريس في فترة وافقت زمن المسغبة الشهيرة خلال العقد السابع من القرن الحادي عشر (17). لكنه سرعان ما نزل عند رغبة أصحابه، وأعاد فتح زاوية آل معن بالمخفية، واجتمع المريدون حوله، واستأنفوا عمارة الزاوية، وقراءة الأحزاب، وإقامة الحضرة، إلى أن مات في 19 رمضان 1083 / 9 دجبنر 1672، وعمره واحد وثمانون عاما.

ع. السلام القادري، *المقصد الأحمد*، ط. حجر بفاس، 1351 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجر بفاس، 1318 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الدار البيضاء، أربعة أجزاء، 1397 / 1977 ـ 1407 / 1986 ؛ م. ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس*، تح. ز. النظام، الدار البيضاء، 1995.

أحمد الوارث

**الخصاصي، محمد** بن أحمد التازي. من المتخرجين بفاس على كبار الشيوخ أمثال محمد بن محمد بناني فرعون، وعبد الله الوليد العراقي ومحمد بدر الدين الحمومي.

أصبح محمد الخصاصي إليه المرجع في التدريس والفتوى بتازا والمناطق المجاورة لها، وانتفع به خلق كثير. وله *رحلة إلى الحج*.

توفي بمسقط رأسه تازا في فاتح رجب عام واحد وثلاثمائة وألف / 27 أبريل 1884.

محمد حجي

**الخصاصي، محمد** (الحاج –) **الفاسي**، وُلد عام 1318 / 1900. وظهرت ميوله الموسيقية منذ طفولته، فكان يلازم حلقات السماع والمديح بالزاوية الحراقية، وفيها لقن إنشاد *البردة والهمزية* وغيرهما من قصائد المديح على شيوخ الطريقة الفاسية يومئذ، كالحسن بن العربي، والفاطمي فنجيرو، والصديق العلوي، والطاهر الكوهن، ومحمد بن إبراهيم، وعلال بن الفقيه، وعلي المنصوري، وأحمد زويتن.

وقد أجاد الخصاصي حفظ مستعملات الزاوية، وأتقن إنشاد البيتينات والمواويل، ثم تحول إلى محافل طرب الآلة، فأخذ ميازينها عن الحاج إدريس بن الفاتحي برادة، وعمر الجعيدي، وعبد القادر كريش، ومحمد البريهي، وبذلك تهيأ له الإلمام بالفنين الغنائيين معا.

تميز الاخصاصي من بين المنشدين الفاسيين بجهارة الصوت وفخامة النبرة وقوة العارضة. وظل مثال المنشد المتمسك بأصول الإنشاد المغربي سواء في البيتينات أو المواويل. إلا أنه انقطع عن الممارسة في أواخر حياته، وتوفي بفاس في عام 1410 / 1989.

ع. اللطيف بنمصور، *كراسة جمعية هواة الموسيقى الأندلسية بالرباط*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الخصاصي، محمد** بن **عبد الرحمان** بن عبد السلام الفاسي، عالم رياضي مشارك له ولوع بالتاريخ وخط حسن. تخرج على يد والده وعلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفيلالي الحجرتي ومحمد بن المدني گنون وغيرهم. وتولى النيابة عن قاضي فاس في تقدير الفرض منذ وفاة والده الذي كان يشغل هذا المنصب، ثم عين محمد الخصاصي كاتباً في حكومة المخزن، وبهذه الصفة رحل إلى أوربا في سفارة وجهت إلى ألمانيا. وله *كناشة علمية* استفاد منها عبد السلام ابن سودة في كتابه *إتحاف المطالع في* تراجم العلماء المتوفين من أواخر القرن الثالث عشر إلى قرب وفاته.

توفي بفاس عن نحو خمس وسبعين سنة صبيحة يوم الاثنين سادس وعشري ربيع الأول عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف / 27 أكتوبر 1924.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8.

**الخصاصي، محمد** بن **محمد** بن **أحمد** التازي، درس على والده في الجامع الكبير بتازا، وعلى غيره من فقهاء فاس فتخرّج "فقيهاً مشاركاً مفتياً".

توفي بتازا في شعبان من عام عشرة وثلاثمائة وألف / فبراير - مارس 1893.

**الخصاصي، مَحمد** بن **محمد التازي** ثم الطنجي، أخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه عن والده، ثم قرأ بفاس على الشيخ محمد بن المدني گنون ومن في طبقته، وولي القضاء في مسقط رأسه تازا مدة طويلة فكان نزيهاً في قضائه. ذكره محمد الحجوي في *مختصر العروة الوثقى* في جملة الشيوخ الذين أخذ عنهم وقال إنه "كان فقيهاً حيسوبياً فرضياً موقتاً واعظاً نقياً" أخذ عنه حظاً من الحساب والقلم الفاسي وذاكره كثيراً، وعده ابن سودة في جملة شيوخه الذين تبرك بهم وذكر أن له *تفسيراً للقرآن* الكريم في عدة مجلدات. كما أخذ عن الخصاصي السلطانُ عبد العزيز واتخذه إماماً وجليساً لا يفارقه حضراً ولا سفراً. ولمّا عزل عبد العزيز عن الملك استصحب الخصاصي إلى طنجة وبقي معه فيها إلى أن مات هناك في سادس صفر عام 1354 / 10 ماي 1935 وقد أناف على الثمانين سنة.

**الخصاصي، المكي** بن عبد الرحمن بن عبد السلام الفاسي حيسوبي فرضي كسائر أهله، اشتغل بتقدير الفرض في فاس نيابة عن أخيه محمد بن عبد الرحمن حين انتقل للكتابة مع المخزن والذهاب إلى الخارج في بعض السفارات.

توفي في رابع جمادى الأولى عام تسعة عشر وثلاثمائة وألف / 19 غشت 1901.

م. الحجوي، *مختصر العروة الوثقى*، سلا، 1938 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال*، / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8.

محمد حجي

ابن أبي **الخصال**، محمد بن مسعود بن الطيب الغافقي. ولد سنة 465 / 1073 بقرية فرغليط من قرى شقورة بكورة جيان بالأندلس، ينتمي إلى أسرة علمية مشهورة، لكن شهرته غطت على باقي أفرادها. أسهبت كتب التراجم الأندلسية في الحديث عن رحلاته في طلب العلم وشيوخه ومقروءاته وتلاميذه ومؤلفاته وأخباره.

يعتبر شيخ كتاب الأندلس، ومن أعظم كتاب الدولة المرابطية. انفرد بمكانة خاصة في تاريخ الأدب، ولم يؤثر أحد من الكتاب بعده في صنعة الكتابة الديوانية بالأندلس إلى نهاية العصر الإسلامي بها. وكان متقدما أيضاً في علوم اللغة والقرآن والحديث والتاريخ والسير.

تولى الكتابة للأمير علي بن يوسف بن تاشفين عندما كان والياً على غرناطة، ونال عنده مكانة وحظوة متميزة. وبعدما أصبح علي أميراً للمسلمين اختص ابن أبي الخصال بالكتابة عن أبي يحيى بن أبي عبد الله بن الحاج، وانتقل مع بني الحاج إلى فاس ثم إلى سرقسطة. وحدثت له بسببهم وحشة مع الأمير أدت إلى خموله مدة. ثم أعاده أمير المسلمين علي بن يوسف للكتابة عنه من جديد، وكان أخوه أبو مروان عبد الملك يساعده في ديوان الكتابة، وهو أيضاً ممن أسلم له الإنشاء زمامه. وقد صدرت بقلم أبي عبد الله ابن أبي الخصال رسائل عديدة عن أمير المسلمين علي بن يوسف بحاضرته مراكش في أغراض مختلفة تقوم شاهداً على أسلوبه الرائق وبلاغته. كما أن تواريخها تدل على طول مدة خدمته في ديوان الرسائل السلطانية.

وله أيضاً رسائل إخوانية عديدة برع فيها، تبادلها مع نخبة واسعة من أصدقائه ومعارفه من رجال العلم والأدب والسياسة كأبي بكر بن العربي، والشاعر أبي إسحاق ابن خفاجة، والكاتب أبي محمد بن الحاج اللورقي، وأبي محمد عبد المجيد بن عبدون، والكاتب أبي بكر بن القصيرة، والفقيه أبي الوليد بن رشد الجد وغيرهم.

تنقل ابن أبي الخصال بين عدد من مدن المغرب والأندلس، في صحبة بعض أمراء المرابطين متولياً للأعمال الإدارية أو الديوانية لهم. ومن المدن التي خدم فيها قرطبة وبلنسية وسرقسطة وفاس وسبتة، فضلاً عن مراكش التي أقام بها طويلاً.

ويُذكر أن إحدى الرسائل كانت سببا في تغير أمير المسلمين علي بن يوسف عليه، وهي رسالة كتبها هو وأخوه أبو مروان على لسان أمير المسلمين إلى الجند المرابطي على إثر انهزامهم في الوقعة المعروفة باسم قليبيرة (Callera) قرب جزيرة شقر، حينما أوقع بهم القائد النصراني ابن رذمير سنة 523 / 1129، وقد أفحشت الرسالة في لوم المنهزمين وأغلظت لهم في القول أكثر من الحاجة، حسب تعبير عبد الواحد المراكشي في *المعجب*، وكاد أهل الأندلس قاطبة أن يحفظوها لما وجدوا فيها من تنقيص بالملثمين. وقد اعتبرها أمير المسلمين دليلاً على بغض أبي مروان للمرابطين الذي لم يلبث أن توفي بعدها بمراكش، بينما استعفى أبو عبد الله من الكتابة ورجع إلى قرطبة.

لابن أبي الخصال رسائل عديدة، ديوانية وإخوانية ونبوية، اهتم بها الأدباء في عصره وبعده. وقد احتُفِظَ في

الإسكوريال بمجموع فيه 138 قطعة من رسائله وأشعاره تولى تحقيقه وطبعه الدكتور محمد رضوان الداية سنة 1987 في مجلد كبير. ولا شك أن هذا هو الديوان الكبير من وسائله الذي ذكر عبد الواحد المراكشي انه كان "يدور بأيدي أدباء أهل الأندلس، قد جعلوه مثالاً يحتذونه، ونصبوه إماماً يقتفونه" فضلاً عن 43 قطعة أخرى احتفظت بها المصادر المختلفة.

وله خطب ومقامات، وعارض بعض رسائل أبي العلاء المعري وخطب ابن نباتة السعدي. كما ألف عدة مؤلفات قيمة منها كتاب *سراج الأدب*، وهو مجموع أدبي وضعه على منوال *النوادر* لأبي علي القالي *وزهر الآداب* للحصري. ورسالة سماها *لمحة البارق وقذف المارق*، رد فيها على ابن غرسية في رسالته الشعوبية، *وظل الغمامة وطوق الحمامة في مناقب من خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكرامة*، في مناقب الصحابة. وكتاب *المنهج في معارضة المبهج*. وله أشعار كثيرة في مدح الأمير تاشفين بن علي بن يوسف وفي أغراض أخرى.

عُمِّر ابن أبي الخصال طويلاً، واستشهد سنة 540 / 1145، قتله بعض جند ابن غانية عندما دخلوا قرطبة لمحاربة ابن حمدين الذي تأمر فيها في الفتنة التي أدت إلى سقوط المرابطين. وذلك أن أبا عبد الله بن أبي الخصال ساءه ما رأى من عيث الجند واعتدائهم على الحرمات، فأراد زجرهم ثقة بمكانته وعلمه، فاقتحموا عليه داره وقتلوه، وفجع بموته أهل قرطبة والأندلس.

أ. ابن بشكوال، (ت. 578 / 1182)، كتاب *الصلة في تاريخ أئمة الأندلس*، تح. عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1955، ج 2، ص. 557 ؛ ابن الآبار القضاعي، (ت. 658 / 1260)، *المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي*، نشر كوديرا، مدريد، 1885، ص. 144 - 148 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، تح. م. سعيد العريان، م. العربي العلمي، القاهرة، 1949، ص. 173 - 176 ؛ م. ابن أبي الخصال، *رسائل ابن أبي الخصال*، تح. محمد رضوان الداية، دمشق، 1987 ؛ م. رضوان الداية، *ابن أبي الخصال رئيس كتاب الأندلس*، سلسلة أعلام الفكر، رقم 5.

محمد المغراوي

**الخص**، يُجمع على أخصاص، نوع من المساكن استعملها ابن خلدون في *العبر والمقدمة* (ج 6، ص. 206) للدلالة على سكنى الخيام بصيغة المفرد "... وتتصل قبائل جناتة منهم ظواعن يسكنون الخص..." أما ابن الخطيب في *نفاضة الجراب*، (89 - 90) فقد استعمل صيغة الجمع الأخصاص للإشارة إلى الخيام. وفي مصادر أخرى استعملت الكلمة مرادفة للأعشاش وما شابهها من المساكن المبنية بالقش والأعشاب أو أغصان الأشجار وسعف النخل.

وخص الخيمة عنصر أساسي فيها يقوم مقام الجدار لحماية ساكنها من الرياح وللفصل بين أجزائها في الداخل، وقد أطلق الجزء على الكل فأصبحت الخيمة كلها تعرف بالخص والخيام بالأخصاص ( *العبر*، 6 : 20 ؛ *نفاضة*، 3 : 90)، يحيط الخص بالخيمة من كل جوانبها وتتم إزاحة أجزاء منه بحسب الحاجة إما كمدخل أو نوافذ للخيمة.

يصنع الخص في الغالب من المواد المتوفرة محلياً، ففي المناطق السهلية وعند القبائل العربية كانت الأخصاص تصنع من القش المنتقى بعناية من حقول القمح قبل حصادها، فيتم جمع سيقان القمح دون سنابل وتجمع على شكل حزيمات صغيرة تربط إلى بعضها بحبال من الدوم فتتماسك، ويتم تدعيمها بأعواد الدفلى أو ما شابهها فيكون منظر الخص في النهاية كالحصير لكنه أكثر دراءاً للرياح والبرد، وفي مناطق أخرى يصنع الخص من الأعشاب الطويلة الشبيهة بالقش، وفي بعض الجهات من المغرب وخاصة بعد مجيء القبائل الهلالية والمعقلية واختلاطها بالقبائل البربرية المشابهة لها في نمط العيش، أدخلت تحصينات على الخيمة والخص فأصبحت الخيام المزركشة والخيام ذات الألوان (المـُطرَّقَةُ) واستبدلت خيام الأغنياء والأعيان بالخص "الكفا" أو "الحيطي" أي بجدار بنسيج سميك ملون شبيه بالزربية أو "الحنبل" وفي بعض الأحيان يكون "الكفا" من نفس مادة الخيمة "أي من نسيج" الصوف والشعر" ثم يبطن من الداخل بنسيج ناعم أو مزركش بـ "الموزونة".

وفي خيام عامة القوم نجد مستويات مختلفة في العناية بالخيمة من حيث المنظر والتجميل، فمنها الخيام الساذجة الخالية من أية إضافات، ومنها التي تدخل بعض التجميل على الخص فتلونه بما تجود به الطبيعة من أعشاب، ولذلك اختلف تلوين الخص باختلاف المناطق فنجد في المناطق السهلية الفلاحية مثلاً أو في الهضاب الأطلنتيكية وغيرها حيث تنتشر نباتات البسباس البري (*معلمة المغرب*، ج 4) و"الحميضة" يتم تزويق الأخصاص التي أساسها سيقان القمح الذهبية اللون بأعواد تلك النباتات بحيث يُصبح عندنا تتابع اللون الذهبي والأخضر والبني، وليس اللون هو المطلوب فقط بل حتى الرائحة فالبسباس البري (حبة حلاوة أو النافع) تنبعث منه رائحة طيبة.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، د.ت ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، ج. 3، الدار البيضاء، 1989 ؛ م. حجي، *معلمة المغرب*، ج. 4، الرباط، 1984 ؛ م. حجاج الطويل، *الدراسة الميدانية والرواية الشفوية ضمن مذكرات خاصة*.

محمد حجاج الطويل

**خصوبة التربة بالمغرب**، تتمثل في قدرتها على إمداد النبات بالظروف المثلى للنمو والتطور من أجل توفير محصول أقصى محتمل. ويمكن تقسيمها إلى خصوبة آلية وخصوبة كيماوية.

تقتضي الخصوبة الآلية الجيدة تهوية مناسبة ووفرة مائية مواتية وحجماً ترابيا كافيا لنمو الجذور ومسامية جيدة.

تسمح التربة الخصبة بتصرف النبتة في بيئة جيدة التهوية دون أن يصيبها الجفاف، وبامتصاص للماء دونما احتقان زائد. من الوجهة المرفلوجية، كل تربة عميقة، غير محصبة، ولا تتجمع فيها مياه المطر أو السقي لمدة طويلة، تعتبر تربة جيدة للزراعة. في حالات وجود عيوب في تصريف المياه أو وجود قشرة كلسية تحد من عمق التربة، وجب إصلاح هذه العيوب قبل الشروع في فلاحة الأرض.

أما الخصوبة الكيماوية فهي تعني مدى وفرة المواد المخصبة داخل التربة. توفر التربة الخصبة، من الوجهة الكيماوية، ما يكفي المحلولات الترابية من تركزات المواد المخصبة على مدى الدورة الزراعية. يمكن تقدير هذه الخصوبة بتحليل عينات التربة المعبرة عن كل قطعة أرضية.

يتحقق تقدير خصوبة التربة في حقل معين حسب أربع مراحل :

*التشخيص الحقلي*، وذلك يتعيين المشاكل المطروحة من الأتربة عند الإنتاج وربطها بالمجال. بالنسبة للفلاح، التربة هي قبل كل شيء قاعدة إنتاجه النباتي. من أجل تحقيق المحاصيل المحتملة حسب الظروف المناخية والتقنية، يكون لزاما على هذه القاعدة أن تقدم للنبتة وسائل النمو والتطور.

تسمح الملاحظات الميدانية بإعداد خريطة مؤهلات التربة بالنسبة لزراعات مختلفة مع تحديد التدخلات المحتملة من أجل التخفيف من الإكراهات أو إزاحتها.

في هذا المستوى بالذات، يلزم اختبار قطاعات التربة. تسمح هذه المرحلة كذلك بإعداد خطاطة لاستعمال التربة وكذا التاريخ الزراعي للحقول. على العموم، تبدي الحقول التي عرفت مسلسلات زراعية مختلفة حالات خصوبة مختلفة كذلك. حيث إن غنى التربة في لحظة ما لا يرتبط بنوع التربة.

*تجميع عينات التربة* : سمحت المرحلة السابقة بتعريف النطاقات المتجانسة داخل الحقول. يتحقق التجانس على أساس المميزات المرفلوجية والآلية وكذا الاستعمالات السالفة للتربة. تمثل هذه النطاقات المتجانسة قاعدة تجميع العينات.

يُعتبر أخذ العينات أهم مرحلة في مسار تقدير خصوبة الأتربة. على العموم، يكون أخذ العينات في بداية الموسم الفلاحي قبل إقامة المزروعات.

يتم استخلاص حوالي عشرين عينة بواسطة البريمة ومن عمق يتراوح بين الصفر و40 سنتمتر من كل نطاق متجانس. يتم خلط هذه العينات للوصول إلى عينة مركبة بوزن نصف كيلوغرام تُجرى عليها التحاليل.

*تحاليل التربة* : بالنسبة للحقول التي لم تستفد من أية تحاليل سابقة، وجب تكوين ملف متكامل. التحاليل المطلوبة هي : النسيج، نسبة الكلس، نسبة المادة العضوية، نسبة الهيدروجين (ن. هـ)، الملوحة، قدرة احتجاز الماء، قدرة التبادل الكاتيوني، الآزوط المعدني، الفوسفور المستساغ والبوطاسيوم المتبادل.

تجدر الإشارة إلى أهمية اعتماد المناهج الملائمة في كل التحاليل وهي مبدئيا تلك المستعملة في وضع معايير تأويل نتائج التحاليل.

*تأويل النتائج* : وهي المرحلة النهائية في تقدير حالة التربة من الخصوبة. من الضروري معرفة معايير التأويل الإقليمية للنتائج بالنسبة لكل نوع من التربة ولكل مجموعة زراعية. يندرج تأسيس هذه المعايير في سياق البحث الزراعي الذي يحتاج إلى النفس الطويل ويستلزم إقامة تجارب في استجابة الزراعات للإمدادات بالسماد. ويتعلق الأمر بالعثور على مستوى غنى التربة الذي تصبح النبتة عنده لا تستجيب لأي إمداد إضافي بالسماد.

في حالة توفر التربة على عنصر غذائي بنسبة زائدة على المعيار، وجب الاستغناء عن العنصر في السماد. وتكون التربة قادرة على إشباع حاجيات الزراعة انطلاقا من احتياطاتها الذاتية وحدها.

أما إذا كانت النبتة في التربة دون المعيار، توجب الإمداد بالعنصر المعتبر.

يمكن العثور على معايير تأويل تحاليل الأتربة لدى مؤسسات البحث والمختبرات المتخصصة.

يعرض الجدول والبيان التاليان، على سبيل المثال للمعايير المستعملة وتقدير خصوبة الأتربة من الفوسفور والبوطاسيوم.

معايير تأويل الفوسفور المستساغ في التربة (طريقة Olsen)

| المضمون (مغ / كلغ) | تقدير | احتمال الاستجابة | التوصية |
| --- | --- | --- | --- |
| 0 20 | ضعيف | عال | الإمداد بالخصاص والتقويم |
| 20 ـ 40 | متوسط | ممكن | الإمداد بخاص الزراعة |
| > 40 | عال | ضعيف جدا | عدم الإمداد |
| | | | |

بيان تأويل البوطاسيوم المتبادل بالنسبة للشمندر السكري في دكالة

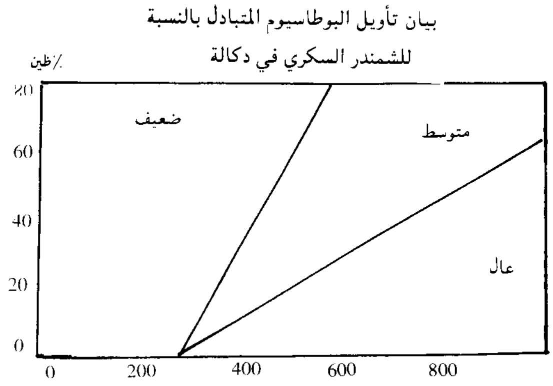


البوطاسيوم ($K_2O$) المتبادل المبدئي (مغ / كلغ)

محمد البدراوي

**الـخُضر**، (نبات) لم تكن الخضر بجميع أنواعها المعروفة اليوم متوفرة في المغرب خلال العصر الوسيط ولم تكن عادة استهلاك الخضر شائعة بين المغاربة في ذلك التاريخ بل واستمرت هامشية في التغذية الوطنية، ثم أصبحت تكميلية ما بعد العصر الوسيط، وبالتدريج ومنذ العصر الوسيط وإلى اليوم بدأت الخضر والبقول تحتل مكانة متزايدة في التغذية، بدأت بالمدن وتوسعت لتشمل البوادي وبتفاوت في الكم والنوع (قال الحسن الوزان متحدثا عن أسواق فاس : "سياج من قصب في ساحة مربعة الشكل يباع فيه الجزر واللفت اللذان يستحسنهما الناس في فاس كثيرا... وتجد هناك في كل يوم 500 حمل من الجزر واللفت).

تأتي الخضر في آخر لائحة المنتجات الغذائية عند تصنيفها سواء من حيث الكم أو النوع والتوزيع الجغرافي، ولعل قلة إنتاجها ورواجها ارتبط بمستوى معيشي وحضاري متقدم (الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 185 و186) فكان استهلاكها وزراعتها محصورة في المدن وضواحيها (الوزان، وصف، 1 : 220 ؛ *اختصار الأخبار*، 22)، لذلك كانت الإشارات عنها قليلة جدا، فقد جاء ذكر البقول عند ابن حوقل في كتابه *صورة الأرض* في معرض حديثه عن سوس دون تحديد، فلا ندري ماذا قصد بها، فالكلمة في زمانه استعملت للدلالة على الفول، أما الشريف الإدريسي والحميري فتحدثا عن الخضر في سجلماسة ومغيلة (*نزهة المشتاق*، 3 : 226 و244 ؛ الروض، 306) وعند التادلي في *التشوف* نجد إشارات متعددة عن الخضر في مدن مراكش وسلا وفي منطقة تادلا ورجراجة وزواغة (*التشوف*، 97، 186، 218 - 233، 355، 362 و422)، وقدم لنا العمري في *مسالك الأبصار* لائحة مفصلة عما كان موجودا من الخضر في المغرب في عهده (*مسالك الأبصار*، (ورقات) 299).

وأعطى صاحب *اختصار الأخبار* لائحة أخرى، مما كان موجودا منها في مدينة سبتة وضواحيها ( *اختصار الأخبار*، 87، 88، 92، 94) ونفس الشيء فعله ابن غازي بخصوص مكناسة وضواحيها (*الروض الهتون*، ٧).

لكن الحديث المفصل عن الخضر وعن كمية ما يستهلك وينتج منها في فاس وضواحيها ورد عند الحسن الوزان في *وصف افريقيا*.

وبالرجوع إلى جدول الخضر والبقول أسفله يمكن تتبع ما كان موجودا من الخضر في العصر الوسيط، ومما يؤكد أن الاستهلاك الكبير للخضر لم يكن إلا مع ارتفاع المستوى المعيشي للسكان. أن مدينة فاس قد حافظت على ازدهارها طيلة العهد المريني فأقبلت فئاتها الميسورة والمتوسطة الحال على تنويع تغذيتها و"التأنق في المأكل والملبس والمسكن" على حد تعبير ابن خلدون في *العبر* (7 : 238)، وقد أدرك الحسن الوزان - الذي عاش في مدينة فاس - بعضا مما ذكره ابن خلدون فسجله بدقة وتقصّ عند وصفه لمدينة فاس (*وصف افريقيا*، 1 : 184، 185 و201 و218).

لم يكن استهلاك الخضر على درجة واحدة بين الناس، بل كان هناك تفاوت : خضر "شعبية" أي شائعة الاستهلاك بين العامة في البادية والمدينة لانتشار زراعتها ورخص ثمنها وتعود الناس عليها، مثل البصل والثوم. امتعض الوزان من تقديم بعض السكان الفقراء ظفائر من الثوم والبصل له كهدية، (*وصف*، 1 : 110)، أما اللفت والباذنجان والجزر والكرنب والخيار والبسباس فكانت أكثر استهلاكا في الأوساط الغنية والمتوسطة، وبعضها قد يعود الإقبال عليها في بداية زراعتها ودخولها المغرب مثل الباذنجان والبسباس (*مسالك*،95، 97 ؛ *التشوف*، 97 و355).

ذكر ابن الخطيب - وهو في رحلته من مدينة فاس إلى مراكش وعند استضافته من قبل شيوخ بعض القبائل الهلالية الساكنة في المنطقة "أن بقلهم لا يخلو منه قدر" وهي إشارة إلى بداية انتشار عادة استهلاك الخضر عند القبائل البدوية المنتجعة والمعتمدة في عشيها أصلا على الرعي وتربية المواشي، وفي تغذيتها على اللحم والدقيق (*نفاضة الجراب*، 90).

ويمكن أن نضيف إلى الخضر بعض أصناف النباتات والأعشاب المعطرة للمشروبات والمأكولات مثل النعناع والمرددوش والشيبة (*اختصار*، ص. 94 ؛ ابن رزين، *فضالة الخوان*، 18) والكرفس وقد ذكر كنبات طبيعي على ضفاف وادي فاس (*القرطاس*، 35 ؛ *زهرة الآس*، 34) ثم القزبرة والمقدنوس (المعدنوس). والخس والخرشوف والفجل (*فضالة الخوان*، 9، 13، 24، 72، 135 و142)، هذه الأعشاب والأزهار تأثير الأندلس فيها على المغرب واضح.

كثير من أنواع الخضر ينسبها الدارسون إلى الخارج، أي أنها دخلت المغرب في قرون وعصور مختلفة إما من المشرق أو من الأندلس وينفي هؤلاء عن المغرب وجود بعض الأنواع، وحتى إن اعترفوا بها فيقولون إنها كانت في حالة طبيعية ولم تكن فلاحية (أي أنها كانت متوحشة ولم تدجن)، يقولون ذلك عن الخضر والفواكه وحتى عن بعض المواشي خاصة بعض أنواع الأبقار (R. Grand, *L'agriculture à travers les âges*) ؛ نحن لا نعارض مثل هذه الآراء لكننا نسجل مبالغتها، فالمغرب أعجب الذين زارهم بعضهم شبهه "بالجنة" فكيف يغيب على هذه الجنة التنوع في الخضر والفواكه وكيف لا يحاول السكان منذ ذلك العهد تدجين الكثير من الأنواع ؛ وحتى إذا نزلنا بالنقاش إلى مستوى مبسط واعتبرنا اللغة مقياسا للحكم على وجود الشيء أو عدمه وطبقنا ذلك على الخضر ؛ فبرجوعنا إلى لهجة تاشلحيت الحالية (السوسية) - والتي نعتقد أنها من بقايا لغة المصامدة وهم سكان المغرب الرطب الأصليون - قلت إذا رجعنا إلى اللغة نجد عددا من أسماء الخضر مثل أزليم، تيركمين، تاخسايت، إباون أي (الفول

واللفت والقرع) وغيرها مع الأخذ بعين الاعتبار عامل الزمن وتعاقب الأجيال الذي أسقط كثيراً من الكلمات والمصطلحات من القاموس اللغوي فلم تعد متداولة الآن، إذن المبالغة في جعل المغرب مجرد متلقّي لكثير من التأثيرات في الميدان الفلاحي واضحة ويجب تصويبها (*الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*).

| المواد | التقدير | المصادر |
|---|---|---|
| الجزر | كثير | *وصف إفريقيا*، 1 : 183 ـ 185 ؛ *مسالك الأبصار*، ص. 299. |
| اللفت | كثير | *وصف إفريقيا*، ص. 183 ـ 185 ؛ *فضالة الخوان*، 148 وص. 65. |
| الفول | رخيص | المصدر نفسه |
| الكرنب | رخيص | *وصف إفريقيا*، 1 : 185 ؛ *التشوف*، 233 ؛ *مسالك الأبصار*، 299. |
| البصل | رخيص | *وصف إفريقيا*، 1 : 110، 225 ـ 257. |
| الثوم | كثير | *وصف إفريقيا*، 1 : 110. |
| البسباس | كثير | *التشوف*، ص. 355. |
| الباذنجان | كثير | *التشوف*، ص. 97. |
| القرع | كثير | *وصف إفريقيا*، ج 1، ص 218 ؛ *مسالك الأبصار*، ص. 299. |
| البقلاء | كثير | *التشوف*، ص. 362. |
| القثاء | كثير | *التشوف*، 422. |
| الخيار | كثير | *وصف إفريقيا*، 1 : 218. |
| الخس | كثير | *وصف إفريقيا*، ج، 1 ص، 218. |
| البقول (الخضر) | كثيرة | *صورة الأرض*، ص. 91. |
| البقول | كثيرة متنوعة | *مسالك الأبصار*، ص. 299. |
| الخضر | كثيرة ومتنوعة | *نزهة المشتاق*، 3 : 266 ؛ *الروض المعطار*، ص. 306 ؛ *وصف إفريقيا*، 1 : 183 و185، 227.. |
| اللوبياء | كثيرة | *مسالك الأبصار*، ص. 299 |
| الشمار | كثيرة | *مسالك الأبصار*، ص. 299 |
| القلقاس | قليل | *مسالك الأبصار*، ص. 299 |
| المقدنوس | قليل | *فضالة الخوان*، ص. 136. |
| القزبر | قليل | *فضالة الخوان*، 13 و61 |
| السلق | قليل | *فضالة الخوان*، ص. 63. |
| الاسفراج | قليل | *فضالة الخوان*، ص. 69. |
| الخرشف | قليل | *فضالة الخوان*، ص. 72. |
| الفجل | قليل | *فضالة الخوان*، ص. 24. |

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ الأنصاري السبتي، *اختصار الاخبار*... مجلة تطوان، 1958 ـ 1959 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، طبعة نابولي بإيطاليا ؛ ح. محمد بن عبد المنعم، *الروض المعطار*.. بيروت، 1957 ؛ ابن الزيات التادلي، *كتاب التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ العمري ابن فضل الله، *مسالك الأبصار*، (ورقات المنوني مقتطفات)، الرباط، 1979 ؛ (مقتطفات Fragman)، الجزائر، 1924 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1964 ؛ ع. ابن خلدون ، *كتاب العبر*، بيروت، بدون تاريخ ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، الدار البيضاء، 1989 ؛ ابن رزين التجيبي، *فضالة الخوان*، الرباط، 1981 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ م. الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، د.د.ع مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1998.

R. Grand, *L'agriculture à travers les âges*, Paris, 1950.

محمد حجاج الطويل

ابن **الخضر**، الحاج الجيلالي، مقاوم ولد سنة 1928 بدوار أولاد الجيلالي، فخذة الخزازرة قبيلة المعاريف لعشاش ابن أحمد إقليم سطات. كان يعمل ضمن صفوف منظمة اليد السوداء، أجمعت الشهادات على أنه مات شهيداً وهو يحمل قنبلة من صنع محلي، حيث أُمر بنقلها إلى مدينة خريبكة، وفي الطريق انفجرت وأودت بحياته واستشهد في هذا الحادث وكان ذلك بزنقة الجامع بمدينة خريبكة في ليلة 18 نونبر 1954.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 2 : 192.

ابن **خضراء**، أو الخضراويون، أسرة سلوية عريقة، أصلها من الساقية الحمراء بالصحراء، كانوا ينتسبون فيها إلى آل إدريس بن إدريس الحسني. انتقلت طائفة منهم إلى الشمال واستقر بعضهم بجبال غمارة، وبعضهم بفاس ومكناس لكن لا تذكر كتب التراجم منهم سوى أحمد بن بلعيد ابن خضراء صاحب الضريح الشهير بمكناس من رجال القرن الحادي عشر (17م). وكان رجلاً بهلولاً ساقط التكليف، واستوطن فريق آخر من الخضراويين مدينة سلا في حدود منتصف القرن الثاني عشر (18 م)، وأعلى جدٍّ لهم بسلا يعرف اسمُه هو علي ابن خصراء، لكن لا تعرف له ترجمة ولا لابنه أحمد. ويذكر عن محمد بن أحمد بن علي أنه كان أستاذاً مقرئاً منتصباً لخطة العدالة بمدينة سلا عام 1219. كما كان ابنه أحمد ابن خضراء فقيهاً مشاركاً ملازماً للتدريس بالزاوية الناصرية بسلا، منتصباً لتلقي الشهادات كذلك إلى أن توفي في ثامن عشر ذي الحجة عام 1233 / 19 أكتوبر 1818. ودفن قرب ضريح سيدي ميمون بالروضة الكبرى التي وراء الجامع الأعظم.

وعُرف ابنه محمد الهاشمي بن أحمد ابن خضراء بالتمكن في القراءات وطول مدة تلقينها للطلبة السلويين،

فقد "حدّث بعض أحفاده أنه لما شاخ وضعف كان يُحمل في محمل ويوضع في المسجد الأعظم ليأخذ الناس عنه أحكام التلاوة وكيفية تجويد كتاب الله العزيز إلى أن توفاه الله" (*تقييد* ج الناصري). وكانت وفاته بعد سنة 1271 / 1854. وهو والد قاضي الجماعة الشيخ عبد الله ابن خضراء آتي الترجمة.

وقد حج رجل من آل ابن خضراء في القرن الثاني عشر (18 م) وعرج على الشام فاستوطنها وأنجب أولاداً مازال عقبهم على اتصال بأبناء عمومتهم الخضراويين السلويين.

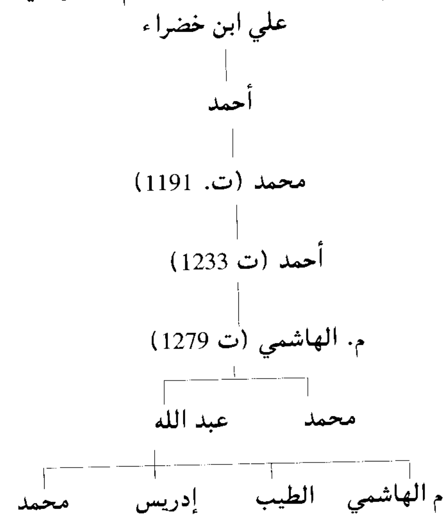


**شجرة آل ابن خضراء السلويين**

*رسوم عدلية* في خ ص. سلا ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 4 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط. 1، الرباط 1986 ؛ ج. الناصري، *تقييد في آل ابن خضراء*، مخطوط ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، الرباط، 1991، ج 2

ابن **خضراء، إدريس** بن عبد الله السلوي. ولد بسلا في مطلع القرن الرابع عشر (أواخر ق 19 م) وبها نشأ وحفظ القرآن على يد مقرئي كتاتيب المدينة، وأخذ القراءات وحفظ المتون على يد والده، ثم حضر مجالسه الفقهية والحديثية في الجامع الأعظم، كما تتلمذ للعالم الورع أحمد الجريري المعروف بابن الفقيه، وللشيخين الطيب الناصري وأحمد عواد. وصحب والدَه حين عُين قاضياً بمراكش ثم بفاس فأخذ عن فقهاء المدينتين، وأجازه منهم أحمد بن الطالب ابن سودة ومَحمد بن قاسم القادري وعبد المالك العلوي الضرير.

رجع إلى مسقط رأسه واشتغل بالتدريس والإفتاء والعدالة، ثم عين على التوالي عدلا بمرسى العدوتين، وقاضياً بالصويرة، مرتين، وبطنجة وسلا.

تُذكر له *تعليقات* على *شرح والده على البيقونية* في مصطلح الحديث، وعلى *مختصر خليل*، وختمتان *لصحيح البخاري*، وختمة *لصحيح مسلم*، و*مجموعة فتاوى*. و*خطب منبرية*.

توفي بسلا يوم الأربعاء 21 ربيع الأول عام 1398 / فاتح مارس 1978. ودفن بروضة الشيخ محمد مفضل بالطالعة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، ج 9 ؛ *تقييد* غير منسوب في ترجمة إدريس ابن خضراء في خ. ص.

ابن **خضراء، الطيب** بن عبد الله السلوي، أديب شاعر صوفي ناسك. ولد بسلا عام أربعة أو خمسة وثلاثمائة وألف، ونشأ في كنف والده العالم الكبير وعنه أخذ القراءات ومبادئ العلوم، ولازم مجالسه العلمية في سلا ثم في مراكش وفاس عندما انتقل إليهما. وقضى مدة في القرويين يأخذ عن أعلامها أيام وجود أبيه فيها قاضياً للجماعة. وبعد وفاة والده رجع إلى مسقط رأسه حيث أتم دراسته على يد أخيه الأكبر محمد الهاشمي وغيره من علماء المدينة. ولا نعرف من شيوخه من كان ذا نزعة أدبية يمكن أن يكون المترجم تأثر به. ولعل رصيده الأدبي يرجع إلى قريحته ومطالعاته الخاصة.

رحل وهو شاب إلى المشرق فزار حواضر الشام واجتمع بعلمائها وأدبائها وحجّ وجاور مدة بالمدينة المنورة وهي تعُجّ يومئذ بالعلماء والأدباء المهاجرين إليها من مختلف أرجاء العالم العربي، ومنهم الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، والأديب أحمد ابن الشمس الشنقيطي تلميذ الشيخ ماء العينين، ويوسف النبهاني فأخذ عنهم وأجازوه.

ولما رجع إلى وطنه عُين كاتباً بالحجابة في بلاط المولى يوسف إلى أن توفي هذا السلطان، فلزم بيته، وكان به نزوع إلى الخلوة إلى أن عينه محمد الخامس إماماً بالمسجد الأعظم، فقام بعمله أحسن قيام، وكان يتردد بين المسجد والزاوية التجانية بجواره، يقرأ القرآن ويذكر الأوراد، ويمدح الجناب النبوي خاصة في ليلة المولد بالزاوية التجانية وسط جموع غفيرة من المريدين بالعدوتين. وله *مولديات* كثيرة مطولة في غاية السبك والسلاسة. كما له قصائد مطولة أخرى في مدح السلطان المولى يوسف أيام عمله بالحجابة. معظمها في كتاب *اليمن الوافر الوفي*. على أن أعظم ما أنتجه شعراً في المديح النبوي هي *قصيدته الهمزية* التي عارض بها *همزية البوصيري*، استدرك فيها عدداً من أبواب السيرة التي لم ترد عند البوصيري، وخاصة غزواته صلى الله عليه وسلم وسراياه. وقد وزع الشاعر نسخاً من هذه الهمزية على المادحين بالزاوية التجانية وقرؤوها كاملة بنفس النغمات الموسيقية بعد ختم البردة والهمزية كالمعتاد، وكان الحاج الطيب يقرؤها معهم بتأثر وابتهاج لأنه كان يحفظها عن ظهر قلب. وحرص على أن يحفظها المادحون التجانيون لينشدوها باستمرار في ليالي المولد وسابعه

بزاوية سلا وضريح سيدي العربي بن السايح بالرباط.

توفي الحاج الطيب ابن خضراء بسلا يوم الخميس سابع شوال عام سبعين وثلاثمائة وألف / 12 يوليوز 1951، ودفن بمقبرة سيدي مَحمد مفضل بالطالعة.

ع. ابن زيدان، *اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب اليوسفي*، فاس، 1342 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1956، ج 9 ؛ جعفر الناصري، *تقييد في آل ابن خضراء*، مخطوط، خ. ص.

ابن **خضراء، عبد الله** بن محمد الهاشمي السلوي. العالم الكبير، والمؤلف القدير، قاضي الجماعة بمراكش وفاس، ومستشار الدولة الأمين. ولد بسلا سنة ستين ومائتين وألف / 1844. وبها نشأ وتعلم دون أن تكون له رحلة لطلب العلم خارجها. ومن أشهر شيوخه السلويين. الإمام محمد بن عبد العزيز محبوبة، والقاضي أبو بكر بن مَحمد عواد. وكان آية في الفهم والحفظ والذكاء والتحصيل.

تصدى بعد أن تم تكوينه لنشر العلم بين ذويه وبني بلدته، وكانت دروسه متنوعة تبعاً لمشاركته وسعة أفقه، في اللغة وقواعدها وآدابها، والفقه والأصلين والتفسير والحديث، وكان يعتني بتحضير دروسه وتحريرها وترتيبها وإلقائها، فكان إذا ختم الكتاب جمع تلك الكراريس وأخرج منها شرحاً أو حاشية أو تعليقاً على الكتاب المقروء.

سافر إلى الحجاز في ريعان شبابه، ودوَّن ذلك في *رحلة حجازية* مازالت مخطوطة ضمن مؤلفاته، فأبحر من مرسى العدوتين في 23 رمضان عام 1293 / 12 أكتوبر 1876 فزار الاسكندرية والقاهرة، ولقي بالجامع الأزهر أكابر شيوخه فذاكرهم وأجازوه. ولقي بمكة المكرمة والمدينة المنورة أعلام الحرمين، وفي مقدمتهم الشيخ أحمد زيني دحلان. ثم رجع إلى وطنه فوصل إلى مرسى الدار البيضاء في 18 ربيع الأول عام 1294 / 2 أبريل 1877. والرحلة مليئة بوصف المشاهد والمآثر والتراجم والأشعار، ونوادر الأخبار.

اشتغل عبد الله ابن خضراء بعد رجوعه من الحج بالتدريس والإفتاء والشهادة بمسقط رأسه، إلى أن استدعاه السلطان المولى الحسن سنة 1296 / 1879 إلى مراكش في جماعة من أعيان العدوتين وعلمائها، فمدحه بقصيدة نونية مطلعها :

لبيك لبيك يا خير السلاطين    أدامك الله في عز وتمكين

فأُعجب بها السلطان وأنعم عليه بظهير التوقير والاحترام، وعينه مفتياً ومدرساً بجامع ابن يوسف بمراكش ونفّذ له راتباً من أحباسه. وكلفه بإحصاء صائر القصور السلطانية بحاضرة مراكش. وبعد سنة رجع إلى مسقط رأسه ولم يكد يستعيد سيرته الأولى في التدريس حتى ولاه السلطان خطة القضاء بمراكش وفوّض إليه في الوكلاء والشهود والعرفاء والأوصياء بظهير خاص.

كان الشيخ ابن خضراء يقوم إلى جانب مهام القضاء بالتدريس في جامع ابن يوسف، وأخذ عنه الجمّ الغفير من طلبة الجنوب، وفي نفس الوقت كان الحسن الأول يستشيره في النوازل وتولية الموظفين في الخطط الشرعية من قضاء وفتوى وعدالة وإمامة وخطابة. وقد طال مُقامه بمراكش فحنّ إلى مسقط رأسه وأهله واستعفى فأعفاه السلطان بعد لأي. ورجع إلى سلا لكن السلطان كان يكلفه فيها بقضايا مهمة تخص بعض العمال والولاة، كما كلفه سنة 1302 / 1885 بالإشراف على إحصاء خزانته العلمية بالقصر الملكي بالرباط فكتب تقديماً مفيداً لكناش الإحصاء من إنشائه.

ولما بويع المولى عبد العزيز استدعى الشيخ عبد الله ابن خضراء إلى مراكش فسار إليها في جماعة من أهله، فاستقبله السلطان وذكّره باغتباط والده به وولاه قضاء الجماعة بفاس. استلم المترجم مهامه بمقصورة القرويين فسار فيها على نحوما كان عليه في مراكش من عدل ونزاهة وعفة، ولقي لدى علماء الحضرة الإدريسية كل إجلال وتقدير، وتسابق نجباء الطلبة إلى حلقات تدريسه بالقرويين. ولما انتقل عبد العزيز إلى فاس مع حكومة مخزنه، اتخذ القاضي ابن خضراء مستشاراً أميناً يعتمد عليه في المهمات وعند تعيين الولاة وأمناء المراسي والقضاة وسائر الوظائف الدينية والدنيوية، ثم أشركه في مجالس الشورى التي كانت تعقد بدار المخزن لدراسة مطالب الدول الأجنبية المتكالبة على المغرب، كقضية زيارة امبراطور ألمانيا غليوم إلى طنجة ومسألة "المصالح" التي أخذت تطالب بها فرنسا وغيرها، وما ترتب عن ذلك من انعقاد مؤتمر خزيرات، وللمترجم في ذلك رأي خاص مسجل في محضر بعض الجلسات التي كانت تعقد ويحضرها.

ألف الشيخ عبد الله ابن خضراء عدداً من الكتب في الفقه والأصول ومصطلح الحديث واللغة والأدب، طبع ستة منها على الحجر بفاس، و ما يزال سائرها في أصله بخط المؤلف في الخزانة الصبيحية بسلا :

المطبوعات :

- *الإتحاف بما يتعلق بالقاف*
- *تحذير عوام المسلمين* من الاغترار بكل من يتساهل في الدين
- *حاشية على الحطاب على الورقات*
- شرح *البيقونية* في مصطلح الحديث
- *مرآة الفكر والنظر في شرح فرائض المختصر*
- *منتهى الأرب في شرح بيتي العقل والأدب*

المخطوطات :

- *رحلة حجازية*
- *تقييد* في التعريف بالإمام مالك (229 صفحة)
- تعليق على شرح *لامية الزقاق* (283 صفحة)
- تعليق على شرح *تحفة الحكام* للتاودي ابن سودة نحو(300 صفحة)

- *كراسة موجهة إلى السلطان* في حكم إقطاع المعادن
- *تعليق على شرح بناني للسلّم* في المنطق وحاشية قصارة عليه نحو (50 صفحة)
- *تعليق على الرسالة البيانية* لمحمد بن علي الصبان (كراسة)
- *تعليق على الاعراب على قواعد الإعراب* لابن هشام بشرح الأزهري (كراسة)
- *السيف المسلول* على منكر افتقار الإبراء من الدّين إلى القبول (كراسة)
- ختم صحيح مسلم والتعليق على الحديث الأخير فيه (كراسة)

توفي عبد الله ابن خضراء بفاس، بعد أن مرض بالحمى، يوم الاثنين ثالث وعشري محرم عام 1324 / 19 مارس 1906. ودفن بالزاوية الناصرية من حومة السياج بفاس.

ع. الله ابن خضراء، *الرحلة الحجازية*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج 9 ؛ ج. الناصري، *تقييد عن* آل ابن خضراء السلويين، مخطوط، خ. ص ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1347، ج 3 ؛ أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، فاس ، 1924 ؛ م. ابن علي الدكالي، *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977 ؛ ع. ابن سودة ، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1985، ج 2 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988.

ابن **خضراء، محمد الهاشمي** بن عبد الله السلوي، من آخر قضاه العدل المتقين بالمغرب. ولد بسلا في حدود 1298 / 1881، ونشأ في بيت علم ودين فحفظ القرآن على المقرئين السلويين وتلقى القراءات السبع ومبادئ العربية والدين على يد والده في البيت، ثم حضر مجالسه العلمية في الجامع الأعظم، ومجالس الشيوخ أحمد الجريري المدعو ابن الفقيه والطيب الناصري وأحمد عواد. ثم أخذ بفاس أيام تولى والده خطة القضاء بها، على الشيوخ مَحمد بن قاسم القادري وأحمد ابن الخياط والتهامي گنون وغيرهم، ونال منهم إجازات عامة.

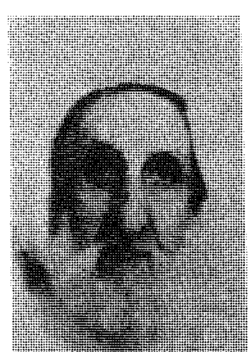

ولما رجع إلى سلا أدرج في سلك قائمة العلماء المدرسين بالدرجة الثانية ثم بالدرجة الأولى، فأبان عن تمكن واقتدار إلى أن عين عدلاً بمرسى العرائش ثم بمرسى الدار البيضاء. وبعد ذلك عين عضواً بمجلس الاستيناف الشرعي الأعلى ثم نائب الرئيس ثم أصبح رئيس المجلس بعد انتقال الشيخ عبد الرحمن بن القرشي إلى وزارة العدلية. وكان السلطان المولى يوسف يستشيره في بعض القضايا التي يعرضها عليه الفرنسيون ليتأكد من عدم مصادمتها للشرع. فكان يشير عليه بما يراه حقاً ولو أغضب المستعمرين. لذلك سعوا في إعفائه من منصب الرآسة، وتعيينه قاضياً بفاس.

وفي عام 1350 / 1931 سماه محمد الخامس قاضياً بالدار البيضاء فقام بوظيفته خير قيام، وكان يحيل عليه القضايا المستعصية من مختلف المحاكم الشرعية فيبت فيها بنزاهة وإنصاف. وظل المترجم قاضياً بالدار البيضاء نيفاً وعشرين سنة كان خلالها يزاوج بين القضاء بين الخصوم والتدريس للطلبة وعامة الناس في مسجد دار المخزن والجامع المحمدي، إلى أن أبعد محمد الخامس عن عرشه فغادر القاضي ابن خضراء الدار البيضاء ورجع إلى مسقط رأسه منعزلاً في بيته مقبلاً على عبادة ربه إلى أن أتاه اليقين. يوم الأحد رابع محرم عام 1392 / 20 فبراير 1972.

ج. الناصري، *تقييد في آل ابن خضراء السلاوين*، مخطوط. خ. ص ؛ جريدة *السعادة*، عدد 3718 في 8 غشت 1931 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9.

محمد حجي

**الخُضّار** والخضاري والخضيْراء، جنس طيور برية متوسطة القد وزاهية الألوان تسمى أيضاً الوروار في الشرق العربي وبلخضر وبليمون في المغرب. تسمى بالبربرية أگاموم وأباقزْوا وبالفرنسية Guépier وبالانجليزية Bee eater (آكل النحل) وبالاسبانية Abejaruco. ينتمي إلى رتبة الشقراقيات Coraciadiformes وإلى فصيلة الخضاريات Meropidae. منها نوعان يتوالدان في المغرب ويشتوان في ظواحي إفريقيا الاستوائية. يعيشان وسط مجموعات متعددة الأفراد ما بين 50 و 500 فرد).

الخضار الشائع أو بليمون يسمى علميا Merops apiaster يبلغ طوله 27سم ووزنه 50 ـ 60 گرام. منقاره طويل، أسود اللون ومقوس شيئاً ما إلى الأسفل، الأرجل قصيرة وبنية، في قمة رأسه وعلى ظهره حمرة وتحت عنقه طوق مصفر محفوف بالسواد سائره أخضر لامع. الذنب طويل تتوسطه ريشتان أطول من سائر ريش الذنب. الجناح مثلث الشكل ودقيق الرأس. يألف ضفاف الأنهار والغابات والسهول والهضاب ويتغذى من الحشرات الطائرة وخاصة منها النحل والزنبور يلتقطها عند الطيران ثم يعود إلى الأشجار ليستريح على أغصانها ويترقب فريسته. يتوالد

في شهر مايو وكثيراً ما يلد البيض مرتين أو 3 مرات في السنة. تضع الأنثى بيضها بداخل جحر يحفره الزوجان بمخالبيهما الطويلتين القويتين. يبلغ طول الجحر 50 ـ 200سم ينتهي بحفرة كبيرة تلد فيها الأنثى 4 ـ 8 بيضات ·كروية الشكل وبيضاء يبلغ قطرها 25،5 + 21،5 ملم وتزن 6،5 گرام. يحضنها الأبوان بالتناوب لمدة 3 أسابيع وتغادر الصغار الجحور بعد 3 أسابيع وترافق الأبوين طوال حياتها.

الخضار

يكثر الخضّار في المغرب منذ بداية فصل الربيع ومنه عدة مجموعات تتوالد في أوربا الجنوبية وآسيا الغربية ثم تعود إلى إفريقيا ابتداء من شهر شتمبر، عدة مجموعات تقضي فصل الشتاء في جنوب المغرب. كثيراً ما يخلف خسائر في الجباح مما يجعل مربي النحل يطاردون الطائر.

الخضار العراقي أو الفارسي يسمى علميا Merops superciliosus يبلغ طوله 31 سم ويختلف عن الخضار الشائع في طوقه المحمر وعدم الحمرة على رأسه وظهره، له خط رقيق من الريش الأسود يمر على عينيه وسائر ريشه أخضر زيتوني لامع.

يعيش وسط مجموعات تأتي من إفريقيا منذ بداية فصل الربيع لتتوالد في ظواحي الأطلس الصغير والكبير ولا يقطع إلى أوروبا. يتوالد في شهر مايو وتضع الأنثى 4 ـ 5 بيضات في داخل الجحر الذي تحفره مع زوجها. يبلغ قطر البيض 26 + 21 ملم لونه أبيض لامع ويحضن بالتناوب من طرف الزوجين.

يتغذى من الزنبور والنحل والذباب وشائع في ضواحي أرفود والريصاني وزاگورة وتنغير ودرعة والراشدية والمغرب الشرقي ومراكش خلال فصل الربيع والصيف من كل سنة.

مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في المصطلحات الزراعية*، مكتبة، لبنان، بيروت، 1988.

W. Read et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs nids et leurs œufs*, Paris, 1968, p. 224 - 225 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe With North Africa and the Middle East.* London, 1977, p. 188 - 189.

محمد رمضاني

ابن **الخضّار، محمد** بن محمد الكتامي السبتي الضرير، اشتهر بابن لخضار. ولد بتلمسان، واستقر بسبتة إلى أن توفي بها سنة 727 / 1327 ( *برنامج التجيبي*، ص. 135 ؛ *درة الحجال*، ص 263) أخذ السيرة النبوية والحديث عن أبي مروان الباجي. وفي محرم من عام 634 / 1237 رحل إلى المشرق بحراً صحبة شيخه أبي مروان الباجي فنزل بمرسى عكّا ومنها توجه إلى دمشق فسمع بها على أبي عمرو ابن الصلاح كتاب *علوم الحديث* وكتاب *الموطأ* علي تقي الدين أبي محمد عبد الرحمن ابن أبي الفهم بن عبد الرحمن ابن عبد المنعم الدمشقي ـ كما حضر المجالس العلمية التي كان يعقدها شيخه ورفيقه في الرحلة أبو مروان الباجي بالديار الدمشقية. وفي شهر شوال من نفس السنة حج. وفي عودته توقف بمصر لمرض أصاب شيخه ورفيقه أبا مروان فأودى بحياته ( *إفادة النصيح*، ص. 103ـ 104) وعند رجوعه إلى سبتة قعد لتدريس كتب السنة والحديث.

من تلامذته أبو القاسم التجيبي ( *برنامج التجيبي*، ص. 62 ـ 132 ـ 135 ـ 140) وابن رشيد السبتي ( *إفادة النصحيح*، ص. 98)، وأبو عبد الله محمد بن يحيى ابن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي (*الإحاطة*، 2 : 179) وأبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري (*الإحاطة*، 3 : 200). كما أجاز لابن جابر (*درة الحجال*، ص. 263).

التجيبي، *برنامج التجيبي*، تح. عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا / تونس، 1981 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الأجزاء، الثاني والثالث ؛ ابن رشيد، *إفادة النصحيح في التعريف بسند الجامع الصحيح*، تح، م. الحبيب ابن الخوجة، الدار التونسية للنشر؛ ابن القاضي، *درة الحجال* تح. م. الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة، تونس / القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الثاني.

زليخة بنرمضان

**خَضُور، أحمد** (الحاج ـ) بن **قاسم** السلوي، فقيه ومؤدب كان صاحب كتاب قرآني بسلا تخرجت عليه جماعة من أهل المدينة مثل الشيخ أحمد بن الفقيه الجريري البرهوني المتوفى سنة 1353 / 1934. وكان له خط جميل به نقل عدة كتب منها *المسلك السهل، في شرح توضيح ابن سهل* لليفرني، و*الأقنوم في مبادئ العلوم* لعبد الرحمان الفاسي وصحيح مسلم و*قوت القلوب* لأبي طالب المكي، و*صحيح البخاري*.

انقرضت اليوم أسرته من سلا، وكان سنة 1278 / 1862 مؤذناً بمسجد اللارنجة بحي الشراطين بسلا. وقد كان سنة 1294 / 1877 ما يزال بقيد الحياة.

م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، ص. 254 ؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، 53 و 55 ؛ ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 37.

مصطفى بوشعراء

**الخَضير** بن **عبد الله**، مقاوم ولد سنة 1939 بإقليم گولميم. وعنّدما احتاجه جيش التحرير المغربي البطل لكي يطعم به صفوفه لم يتأخر عن تلبية هذا الواجب المقدس، فانخرط في مقاطعة القيادة العليا لجيش التحرير حيث كان السيد فوزي الحسين مسؤولا عنه، فتدرب عل كيفية استعمال الأسلحة المختلفة وعندما أصبح قادرا على خوض المعارك شارك في إنجاز أعمال رائعة، وظل هكذا يناضل ويكافح مسترخصا حياته وشبابه إلى أن استشهد بدار حميدوش اسك بأيت باعمران في معركة مع جنود العدوان وذلك بتاريخ 26 نونبر سنة 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 2 : 155.

**الخُضَير** أو أبو خضَير وخضيري نسبة إلى لونه الأخضر وكما هو اسمه الشائع في المغرب العربي، سمك بحري من الأسماك العظيمة ومن فصيلة لابريدي Labridae. اسمه العلمي لابروس بيرجيلتا Labrus bergylta (= Labrus maculate) ويسمى بالفرنسية Vieille وبالإنجليزية Ballan wrasse وبالاسبانية Maragota. طوله شائع بين 30 و50 سم ويبلغ أحيانا 60 سم عند الكبار.

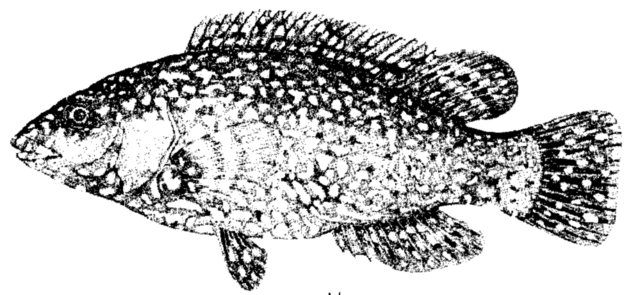

الخضير

الجسم قصير وسمين، ويختلف لونه بين الكبار والصغار إلا أن اللون الأخضر يبقى مسيطراً فوق الظهر والجوانب التي تتخللها عدة بقع بيضاء وبنية حمراء. الصغار زمردية اللون وشديدة الاخضرار. فمه حاد وشفتاه غليظتان، الأسنان حادة ومترتبة في صف واحد بكلا الفكين. زعنفته الظهرية متواصلة وتتكون من 18 ـ 21 شوكة ومن 9 ـ 13 شعاع هش. تتكون الزعنفة الذيلية من 3 شوكات ومن 8 ـ 12 شعاع هش. تكسو الجسم حراشف دائرية وكبيرة ويتكون الخط الجانبي من 41 ـ 47 حرشفة.

يعيش في المناطق الصخرية، الغنية بالأعشاب البحرية والطحالب، والقريبة من الشواطئ. يوجد في الأعماق البحرية الممتدة من متر واحد إلى 20 متراً. يتوالد طيلة فصل الربيع وتضع مجموعة من الإناث بويضاتها في عش من الطحالب تصنعه الذكور بين الصخور. يصير بالغا بعد سنتين ويعمر حوالي 18 سنة.

يتكون غذاؤه من القشريات الصغيرة والرخويات الصغيرة وخاصة منها القواقع البحرية المختلفة الأنواع. يقتصر توزيعه الجغرافي على الشواطئ الاطلنطية الشمالية الشرقية الممتدة من الدار البيضاء إلى الدول الاسكندنافية، كما أنه يوجد في بعض المناطق المتوسطية : تركيا، ليبيا، الجزائر، إيطاليا.

يتم صيده بشباك الجرف وبالشباك الخيشومية وبالصنانير. صيده تقليدي ووجوده غير منتظم في أسواق الأسماك المغربية. لحمه لذيذ ويؤكل طرياً.

م. الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزارعية*، بيروت، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932 ؛ دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب، *المنظمة العالمية للتغذية*، روما، 1998.

M. Ramdani et N. Elkhiati, *Flore et faune marines du Maroc. Biodiversité, Biologie, Ecologie et Biogéographie*. Expo. 98 Lisbonne, Rabat, 1998, 68 p.

محمد رمضاني

ابن **خطري**، سيدي **أحمد**، مقاوم ولد سنة 1936 بأسرير ناحية گلميم، لما اندلعت شرارة الكفاح التحرري بجنوب المملكة وبالخصوص في الأقاليم الصحراوية لتعلن بداية نهاية الوجود الاستعماري على التراب الوطني، كان انخراط ابن خطري في صفوف جيش التحرير بالمقاطعة الثامنة تحت قيادة ناضل الهاشمي والمرابطة بمركز الساقية الحمراء.

وقد خاض عدة هجومات ومعارك مع إخوانه المجاهدين ضد قوات الاحتلال اظهر خلالها تفانيه في خدمة المصالح العليا للوطن. وتوفي على إثر معركة مركالة سنة 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 4 : 26.

**الخط المغربي** يعتبر من أنفس الخطوط العربية وأجملها، بما يتصف به من أشكال هندسية متميزة تجسد ما أبدعته يد الخطاط في الغرب الإسلامي من مبتكرات ما تزال صامدة تزين آثار المعمار في القصور والمساجد والمدارس العلمية ودور الأعيان، كما تزين نوادر المخطوطات والوثائق التي تزخر بها خزاناتنا العامة والخاصة، ويعد بحق معلمة بارزة من معالم الحضارة العربية الإسلامية.

ولقد كُتب الكثير عن الخط العربي في المشرق، بأنواعه وأقلامه وخصائصه وقواعده وآدابه وتاريخه وأعلامه، على حين لم يقع الاهتمام بالخط المغربي إلا نادرا، ولا يتعدى ما يكتب عنه أحيانا بضعة أسطر، وندين بكامل الفضل لما كتبه محمد المنوني عن تاريخ الوراقة المغربية وصناعة المخطوط، ونقدم هنا موجزا عن تاريخ الخط المغربي كما

تذيله بما توفر عنه حتى الآن من كتابات أولية.

نشأ الخط المغربي ضمن الإطار التاريخي للغرب الإسلامي : المغرب والجزائر وتونس وليبيا والأندلس، وهو ما كان يعرف ببلاد المغرب والأندلس في رقعة جغرافية تفاعلت فيها عناصر عربية وأمازيغية وإفريقية وأوربية، وكانت فيها الريادة للثقافة العربية الإسلامية، واستفادت منها هذه الثقافات إلى أبعد الحدود.

إن وصول الخط العربي إلى الغرب الإسلامي يرجع إلى القرن الأول الهجري أثناء الفتح الإسلامي الذي تم على يد عقبة بن نافع، ومن المؤكد أن الفاتحين الأوائل استخدموا الخط الحجازي إلى جانب الخط الكوفي كما يؤكد فلس ضرب في عهد موسى بن نصير سنة 92 / 711، فكان الخط الكوفي ـ الحجازي أصلا لنشأة الخط العربي الإسلامي، ولقد انتشر الخط العربي مع انتشار مبادئ وقيم الدعوة الإسلامية وحفظ القرآن وكتابته، فتناولته أياد مغربية بالإجادة والتحسين، وكان أشهر من أجاد الخط العربي في هذه الفترة صالح بن طريف زعيم الدولة البورغواطية المتوفي سنة 127 / 744.

ولقد انتشر الخط الكوفي العراقي في بلدان الغرب الإسلامي خاصة في تونس والجزائر والمغرب، فتولد عنه الخط الكوفي القيرواني، وبعد انتقال المسلمين إلى الأندلس وقع استعمال الخط الكوفي المتفرع عن الخط الكوفي الشامي، وقد تغلبت مدرسة دمشق عاصمة الأمويين عند قيام الدولة الأموية الثانية بالأندلس، وتميز هذا الخط بأشكاله المقوسة التي أصبحت حروفه المركنة مدورة في حدود القرن الرابع الهجري، وفي هذه الأثناء تولد عن الخط الكوفي القيرواني الخط الإفريقي، ومن الخط الكوفي الأندلسي الخط الأندلسي، الذي أصبحت أغلب خطوطه مدورة (كما يذكر كتاب *أحسن التقاسيم*) فكان تيار خط القيروان قد امتد إلى المغرب الأوسط والجزائر والمغرب الأقصى قبل اتصالهما بالخط الأندلسي، فكانت السيادة لمدرستين : مدرسة الخط الإفريقي ومدرسة الخط الأندلسي، ومن هذه الفترة بدأت تتميز خطوط بلدان الغرب الإسلامي حسب شجرة أصول هذا الخط، التي يمكن رسمها مبسطة كما يلي :

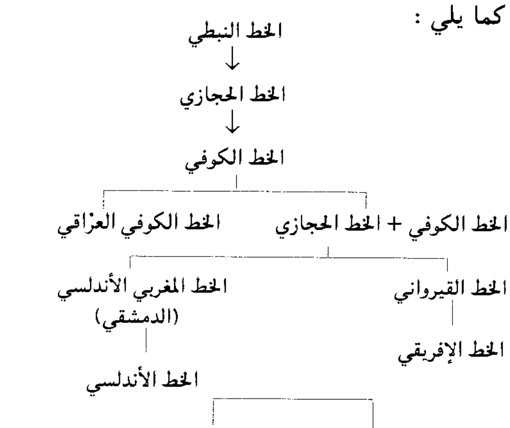


وعلى مر الزمان اتخذ كل خط من خطوط بلدان الغرب الإسلامي سماته المحلية وخصائصه الحضارية وطابعه المتميز. ويهمنا بهذا الصدد الحديث عن تاريخ الخط في المغرب الأقصى وأنواعه وبعض خصائصه الجمالية بصورة موجزة حسب عهود السلالات الحاكمة.

أولا : في عهد الأدارسة : بدأ الخط المغربي يتحسن متفرعا عن الخط الكوفي في العهد المغراوي وبني يفرن، وقد غلب عليه الطابع الشرقي بمجئ الإمام إدريس الأول وحاشيته إلى فاس ونشوء الدولة الإدريسية سنة 172 / 788، فتأثر بذلك الخط المحلي نتيجة انتشار الخط الكوفي العراقي الذي استُعمل على الدراهم الإدريسية، وكانت النقود الإدريسية قد ضربت بالخط الكوفي دون غير، وقد أولينا عناية كبيرة لذلك فدرسنا خطوط النقود الإدريسية المضروبة في خمسة وعشرين داراً لضرب السكة موزعة بين مناطق بدوية وأخرى حضرية واستنتجنا أن الخط الكوفي الشائع في العهد الإدريسي كان يغلب عليه طابع البساطة ويتميز بالجفاف وعدم الاغتناء مما يعكس حالة الدولة نفسها اقتصاديا، إذ كان الأدارسة يعيشون وضعية اقتصادية محدودة. وكانت السيادة عموما في مجال الخط لمدرستين : مدرسة الخط الإفريقي ومدرسة الخط الأندلسي.

ثانيا : في العهد المرابطي والموحدي : اكتسح الخط الأندلسي منطقة الغرب الإسلامي كلها إلى منطقة القيروان باستثناء منطقة الجريد التي حافظت على الخط الإفريقي، واستمر هذا التيار الأندلسي إلى العهد الموحدي، وتدل النماذج الخطية على إبداع أهل المغرب الأقصى وتسمح لنا بالتمييز بين الكوفي المرابطي والموحدي وأنواع أخرى من الخطوط اللينية، مثل المبسوط والثلث المغربي، وقد ازدهرت الخطاطة وبرز عدد من الخطاطين المجيدين نتيجة اهتمام الخلفاء الموحدين أنفسهم بهذا الفن، وكان منهم من يكتب بأكثر من خط أمثال الخليفة المرتضى، وتميز عهده بتأسيس أول مركز عمومي للنساخة (وهو خزانة مدرسة العلم بالجامع المرتضى من مراكش).

ثالثا : العهد المريني : في صدر الدولة المرينية حصل نوع من التقدم للخط الأندلسي الذي انتشر بالمغرب حيث أصبحت السيادة لمدرسة فاس في عموم منطقة الغرب الإسلامي ويستثني "هوداس" منطقة الجزائر التي تأثرت بالخط الإفريقي التونسي، يقول ابن خلدون عن هذا العصر أنه "حصل في دولة بني مرين بالمغرب الأقصى لون من الخط الأندلسي لقرب جوارهم، وسقوط من خرج منهم إلى فاس قريبا"، وقد أشار في هذا النص إلى ازدهار الخط في مدينة فاس، كما عرفت مدن مغربية أخرى تفوقا في الخطوط ومنها : سبتة وتازة ومكناس وسلا ومراكش، غير أن ابن خلدون يشير إلى نوع من تراجع الخط في المناطق "البعيدة عن سدة الحكم" ولعله يقصد البوادي البعيدة عن المراكز الحضرية. وقد انتقد محمد المنوني ما كان في كلام

ابن خلدون من تعميم وأن ملاحظة ابن خلدون تشير في الحقيقة إلى أن "هذا اللون من الخط" إنما هو الخط المغربي الذي استكمل شكله النهائي في هذه الفترة حيث بدا متميزا عن الخط الأندلسي سواء في موقعه وفي أصنافه. فالخط المغربي من حيث الإجادة ينقسم إلى ثلاثة أقسام : مغربي حضري في المدن المذكورة، وخط مغربي بدوي وهو خط عرف في جميع جهات جنوب المغرب وشماله تكتب به المؤلفات العربية والأمازيغية، وخط يحتفظ بالسمات الأندلسية، أما من حيث أصنافه فقد استقرت في هذه الفترة في خمسة أصناف، وهي كما يلي :

الخط الكوفي والخط المبسوط والخط المجوهر وخط الثلث المغربي والخط المسند أو الزمامي وسنعود للتعريف بهذه الأنواع بإيجاز بعد حين.

رابعا : العصر السعدي : من أهم خصائص العصر السعدي ظهور إصلاح جديد شمل مختلف مظاهر الحياة في شتى الميادين، شملت ميدان الوراقة وتعليم الخطوط وتأسيس مدارس لتعلم الخط ومن ضمنها مدرسة جامع المواسين لتعليم أصول هذا الفن، وقد نصب عليها خطاط خاص يتولى تسييرها كما كان الشأن في الشرق الإسلامي. وقد تألق في هذا الفن خطاطون لامعون، وكان الخليفة المنصور السعدي يجيد الكتابة بخط الثلث المغربي [المشرقي]، وقد ابتكر حروفا خاصة لكتابة مراسلاته السرية، وعموما فقد ازدهرت الخطوط المغربية والزخرفة الكتابية في العهد السعدي مما يتجلى في كتابة المصاحف والآثار المعمارية وفي الكتابة على القطع النقدية الذهبية منها والفضية.

خامسا : العهد العلوي : برزت معالم الخطوط المغربية واضحة منذ عهد مولاي الرشيد ومولاي إسماعيل واستمرت نفس الأنواع مع تفاوت في الجودة إلى عصر السلطان مولاي سليمان وبالخصوص في أهم الحواضر المغربية على رأسها مدينة مكناس وتخصصت معها مدن فاس ومراكش في جودة الخطوط المغربية، بينما احتفظت مدينة الرباط وسلا ببعض بقايا الخط الأندلسي. وعرفت جودة الخطوط كذلك ببعض البوادي المغربية في عدة جهات مثل دكالة وبني زيان والأخماس، وجهات أخرى من شمال المغرب وجنوبه.

ولاشك أن الخط المغربي بعد هذه الفترة عرف تراجعا في الجودة مما جعل الخطّاط المغربي أحمد ابن قاسم الرفاعي الرباطي (ت. 1841) يقوم بمبادرة إصلاحية كالتي قام بها الخطّاط ابن البواب وابن مقلة في المشرق، فألف بإيعاز من أبي علي اليوسي مؤلفا في قواعد الخط وصناعته بهدف حفظ أصوله، إذ وضع منظومة بعنوان *نظم لآلي السمط في حسن تقويم بديع الخط* ثم شرحها في كتاب بعنوان *حلية الكاتب ومنية الطالب*، وإلى جانب هذا فقد اهتم الملوك العلويون بالوراقة، وكانوا ينتقون أجود الخطاطين لنسخ الكتب وكتابة المراسلات والظهائر في أغلب جهات البلاد.

وفي أواسط القرن الثالث عشر (19 م) بدأ تطور جديد في الخطوط المغربية نتيجة ظهور الطباعة الحجرية سنة 1864 م والتي اهتمت غالبا بالخط المجوهر وجعلته أساسا لعمليات الطبع دون إهمال الخطوط الأخرى، وما تزال المطبوعات الحجرية تحتفظ إلى اليوم بخطوط مجموعة من الوراقين اللامعين. ويبدو أن هذا العصر - نتيجة انتشار المطبوعات الحجرية في عموم البلاد - يمكن وصفه بعصر التفنن في أنواع الخطوط وتجويدها، حيث تعرضت أصناف من الخطوط الأساسية إلى تنويعات أسلوبية عديدة ذات طابع محلي تفرعت إلى أنواع من الخطوط من نفس الصنف وبخصوص نماذج منها (انظر الگنساني، *في تاريخ الوراقة بمنطقة سوس*).

وبعد هذه المرحلة تأتي مرحلة الحماية الفرنسية وعهد الاستقلال، ولا بد أن نشير إلى الوضعية التي عاشها الخط في هذه الظرفية، فقد عاش الخط المغربي أزمة خانقة في هذه الفترة، إذ برزت هيمنة الحرف الأجنبي في المجال التعليمي وفي الحياة العامة على حساب الحرف العربي واللغة العربية، وبالمقابل ظهرت قوية - كرد فعل - أعمال الحركة الوطنية لتلقين الطلاب في المدارس في إطار تربوي

الخط المغربي المبسوط في المصحف المطبوع على الحجر بالقاهرة 1347

اللغة والخط العربيين، وظهرت في شمال المغرب سنة 1949 مذكرات *تعليم الخط المغربي* في خمسة كراريس من تأليف محمد بن الحسين السوسي وأنطونيو گارسيا خاين، وكان من مظاهر التشبث بالخط العربي الاحتفاظ بإصدار جميع النقود المغربية بأوربا بخط الثلث المغربي. وبعد الاستقلال بقي الخط المغربي مهتما به في الرسائل والظهائر الملكية الرسمية إلى اليوم. وقد التحق بالديوان الملكي جملة من الخطاطين المرموقين، وتم إنجاز المصحف الحسني بأمر ملكي، كما أشرفت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مؤخرا على طبع المصحف الحسني المسبع وقد قام بإنجازه سبعة من الخطاطين المغاربة بخط موحد هو خط المبسوط.

وقد برز في عصرنا الحاضر عدد كبير من أعلام الخط والنساخة ترجم محمد المنوني - رحمه الله - للعديد منهم، نذكر على سبيل المثال محمد الرفاعي (ت. 1841) ومحمد القندوسي الفاسي (ت. 1861) وعبد الكريم سكيرج (ت. 1984) وعبد السلام بناني (ت. 1997)، كما يوجد اليوم عدد هائل من الخطاطين المغاربة الشباب ممن أبدعوا في مجال الخطوط المغربية وحصلوا على إجازات في الخطوط الشرقية، بل منهم من نالوا جوائز كبرى مشرفة في الخط المغربي والشرقي في عواصم الخط في تركيا وإيران مؤخرا. ونعود بعد هذا التقديم لتعريف وجيز بأنواع الخطوط المغربية.

أنواع الخطوط المغربية خمسة :

حاول (هوداس) صاحب *محاولة في الخط المغربي* تقسيم الخطوط المغربية إلى مدارس خاصة، حسب أمكنة وجودها، وهي القيروان وفاس والأندلس والسودان، وحاول تطبيق هذا التقسيم على الكتابات المغربية عامة ولكن هذا التقسيم لم يكن مؤيدا بأدلة خطية كافية لتغطي الفوارق الموجودة بين خطوط المدارس التي ذكرها والتي وصفها بغموض.

إن المدارس التي ذكرها وقع طبع كثير من أنواع خطوطها بالطابع المحلي واستمر الحفاظ على بعض خصائصها في أنواع منها، ومع مرور الزمن تستقر بعض التقاليد الخطية لتسجيل الصور النهائية لهذه الخطوط.

وفي ظل الدول المغربية السالفة الذكر، كان الخط المغربي المتأصل من الخط الكوفي قد تغذى من إبداعات الخطاط المغربي واندمج مع روحه حتى غدا بعد ذلك خطا مغربيا أصيلا في أسلوبه وهندسته وفي أشكاله وزخرفته. فأنجب خطوطا عديدة على غرار التعدد الذي وقع في الخطوط الشرقية، وهي خمسة أنواع أساسية، لكنها تستوعب تشكيلات أخرى محلية وإبداعية كما أشرنا إلى ذلك سلفا وهذه هي الأنواع الأساسية :

1 - الكوفي المغربي : هو خط هندسي بديع يتميز بخطوط مستقيمة وزوايا حادة وهو الأصل الذي تطورت منه الأنواع المغربية الأخرى، ومن حيث الشكل فإنه لم يخضع

نماذج من الأنواع الخمسة للخط المغربي

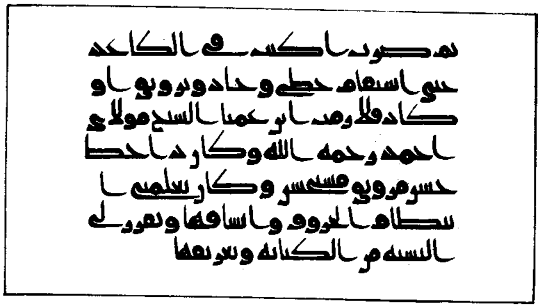

الخط الكوفي المغربي

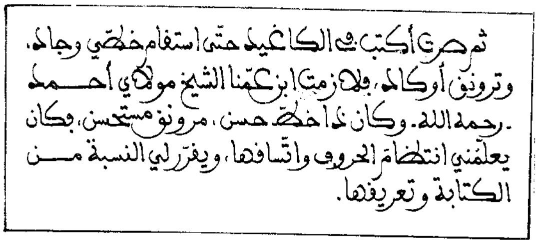

الخط المبسوط

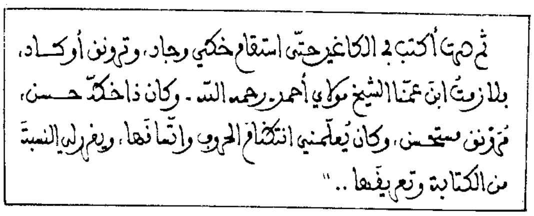

الخط المجوهر

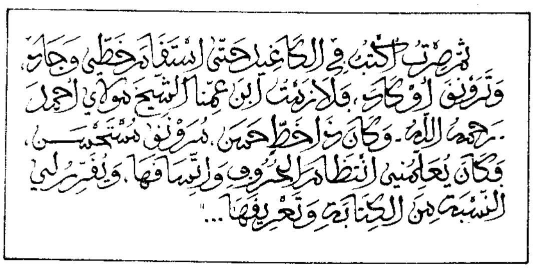

خط الثلث المغربي

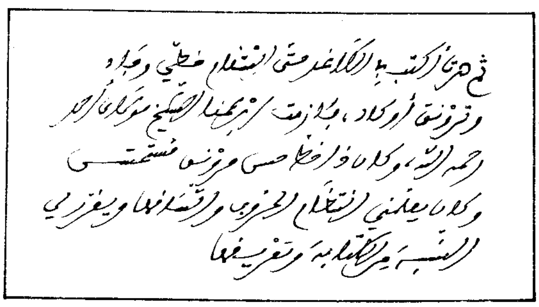

خط المسند — الزمامي

لتأثير الكوفي القيرواني بقدر ما هو استمرار للتيار المشرقي المنساب إليه عن طريق الأندلس، فكسب بعمق خصوصياته المحلية، ونتأمل نماذج منه مكتوبة في الماضي على النقود وعلى رق الغزال في المصاحف القديمة ومنقوشات في الحجر على أبواب المدن والقصبات، وفي الجبص على جدران المساجد والمدارس العتيقة وقبور الملوك وأضرحة الأولياء، أما في الوقت الراهن فلم يعد مستعملا في الحياة العملية إلا في كتابة بعض العناوين خاصة في سور القرآن الكريم في بعض المصاحف وزخاريف بعض الصناعات التقليدية وفي بعض أعمال فن التشكيل المعاصر.

2- المبسوط : يعتبر الخط المبسوط أكثر راحة للعين بأحرفه الواطئة المبسوطة ويتميز بالوضوح وبسهولة القراءة وهو أعلى مراتب الخط المغربي، ولذلك فهو يستعمل في كتابة المصاحب المخطوطة وكتب الأدعية والصلوات، وعلى أساسه يقع التعليم في الكتاتيب القرآنية، وقد كتبت به أهم المصاحف المطبوعة بالمطبعة الحجرية، طبع أول مصحف منها بالمغرب عام 1296 / 1879، خال من اسم الناسخ. وتعتبر هذه المصاحف أكثر رواجا في بلدان شمال إفريقيا عموما وفي طليعتها مصحف الوراق أحمد بن الحسين زويتن الفاسي المطبوع على الحجر عام 1347 / 1928 والمصحف الحسني 1400 / 1980 والمصحف الحسني المسبع الذي أصدرته وزارة الأوقاف أخيراً.

وعرف المبسوط عند العامة "بخط الفقهاء" أو "خط القرآن" أو "الخط العثماني" أي رسم المصحف العثماني، وكل هذه الأسماء تحيل على جانب من القدسية، ولجمالية هذا الخط فلا يزال في الوقت الراهن مستعملا في كتابة المصاحف وفي عناوين الصحف والمجلات وعناوين الإشهار في المحلات التجارية وتصدر به أحيانا بعض الرسائل الرسمية.

3 - المجوهر : تمتاز حروفه بالصغر والتقارب ويوحي تناسقها بعقد الجوهر، انحدر هذا الخط من المبسوط في حدود القرن السادس الهجري، وهو أكثر استعمالا في الحياة العامة، وخصوصا في الرسائل والظهائر السلطانية وفي جل المؤلفات المخطوطة، وهو الخط الرسمي المعتمد في المطبعة الحجرية، حيث طبعت به مختلف الكتب من عهد السلطان محمد بن عبدالرحمان سنة 1864 إلى بداية الحماية الفرنسية سنة 1912، ومن ضمنها كتاب *"التحفة* للتسولي" في مجلد وسط 260 ص. وكتاب *"شرح الخرشي على مختصر خليل"* في ستة مجلدات.

ويستعمل الخط المجوهر الآن في استنساخ بعض الوثائق المهمة وعقود النكاح الفاخرة، ولا تكتب به العناوين.

4 - الثلث المغربي : مقتبس من الثلث المشرقي وتعريفه "بالمشرقي المتمغرب" تعريف غير دقيق، ويمتاز الثلث المغربي بليونته وانسياب حروفه وإمكانياته غير المحدودة على التشكيل. وإذا كانت حروف خط الثلث المشرقي تخضع لأحجام معيارية محصورة فإن خط الثلث المغربي يجد حرية أكبر في تطويع صور الحرف الواحد في نفس الجملة تبعا لمعايير جمالية بصرية يقتضيها توزيع الفضاء وتركيب الحروف في تناغم داخلي يعبر عن إحساس شاعري بالحروف وتركيبها، وهو يتخذ شكل اللوحة الخطية، بخلفية مزخرفة بأشكال نباتية وملونة أحيانا بماء الذهب، والثلث المغربي أكثر ما يستعمل للتزيين، فبه تكتب فواتح السور وديباجة بعض الكتب كما يستعمل غالبا في العمارة في زخرفة المساجد والأضرحة والمدارس العتيقة. ويستعمل الآن في عناوين ومواضع بعض المجلات.

5 - المسند : ويعرف أيضا "بالزّمامي" وهو مشتق من الزمام وهو التقييد والتسجيل في الدارجة المغربية، ويعود استعمال هذا المصطلح إلى العصر الموحدي حيث كان بعض الموثقين يختصون بكتابة "أزمّة المجابي السلطانية" التابع لتحصيل الضرائب الشرعية، كما يسمى "خط العدول" وكان خاصا بالوثائق العدلية والعقود، وهو خط سريع يستعمل في التقاييد الشخصية، ولا يستعمل في الكتب العلمية إلا نادرا وهو صعب القراءة مقارنة بغيره من الخطوط المغربية وهو منحدر من المجوهر، ويذكرنا بتسلسل حروف خط الديواني الشرقي في تركيباته. وقل من يحتفظ بأصول هذا الخط من العدول في الوقت الراهن، وقد اختلطت بكتاباتهم السريعة حروف من الخطين (النسخي والرقعة) المتسربة إليها من التعليم المعاصر.

الخلاصة :

على الرغم من كون هذه اللمحة الموجزة عن تاريخ الخط المغربي ليست ملمة بكل الجوانب المرتبطة بالخط، مثل دراسة الخصائص الخطية، وتقنيات الخطوط وأدواتها، ومشكل القواعد والموازين، واستيفاء تاريخ أعلامها، فإن الضرورة تدعو إلى إعادة النظر في شؤون الخط وقضاياه، ومحاولة بعثه حضارياً - كأحد الوجوه التي تعبر عن هويتنا - ذلك أن خمسة عشر قرنا من تاريخ حضارتنا كلها مسجلة بهذه الخطوط، فحضارتنا حضارة مخطوطة وليست مطبوعة، وإن معظم طلابنا - وهم في مستويات متقدمة من التعليم - يجدون عسرا في قراءة الوثائق والمخطوطات، كما أن دخول الحاسوب والأنتيرنيت وآليات الكتابة السريعة إلى حياتنا الثقافية، أكسب الخدمات الكتابية سرعة، ولكنه سلب من هذا الجيل - بالتدريج - حماسا في الكتابة اليدوية والتخطيط، وجعله زاهدا في قراءة حضارته المخطوطة، وهذا يستدعي القيام بإجراءين :

على المستوى الوطني، ضرورة إدماج الخط المغربي في برامج التعليم ومدارس الفنون الجميلة وتوظيفه في الحياة العملية.

وعلى المستوى العربي هناك قضية كبرى تهم مسألة "تقعيد الخط المغربي" على غرار الخطوط العربية في

المشرق، ويجري البحث على قدم وساق لوضع قواعد وموازين مضبوطة للخطوط المغربية، تحافظ على جماليتها وتسهّل تداول استعمالها على مستوى العالم العربي والدولي، وينجز هذا العمل في إطار مجموعة من المتخصصين كان من بينهم محمد المنوني - رحمه الله - وثلة من الخطاطين المتمكنين ببلادنا، وقد أنجز "تقعيد الخط المبسوط" على أن يتم تقعيد بقية الخطوط لاحقا - بإذن الله -.

م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة*، منشورات كلية الآداب - الرباط، 1991 ؛ البشارى المقدسي، *أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم*، تح. دى خوية، ليدن، 1906، 239 ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، دار الفكر، بيروت، 1981، ص. 258 - 259 ؛ ع. أفا، *ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود*، مجلة كلية الآداب، الرباط، عدد 18 سنة 1993، ص. 71 - 91 ؛ م. شريفي، *خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة*، من القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982 ؛ *اللوحات الخطية في الفن الإسلامي*، دار ابن كثير، بيروت 1998 ؛ هوداس (O. Houdas)، *محاولة في الخط المغربي*، ترجمة عبد المجيد التركي، *مجلة حوليات الجامعة التونسية*، عدد 3 سنة 1966 ؛ أ. الرفاعي، *حلية الكتاب ومنية الطلاب*، مخطوط خ. ع، الرباط، رقم 254 ج. د ؛ *قصيدة نظم لآلي السمط في حين تقويم بديع الخط*، تح. هلال ناجي، مجلة المورد عدد 4 سنة 1986 ؛ ع. الكبير سكيرج، *الخط المغربي*، مجلة الثقافة المغربية عدد 2، سبتمبر سنة 1947 ؛ م. السجلماسي، ع. الكبير الخطيبي، *ديوان الخط العربي*، 1980 ؛ يوسف دنون، *قديم وحديث في أصل الخط*، *مجلة المورد*، عدد 4 سنة 1986 ؛ م. الصادق عبد اللطيف، *الخط العربي في المغرب العربي الكبير*، *المجلة العربية*، عدد 85 سنة 1984 ؛ معروف زريق، *موسوعة الخطوط العربية وزخارفها*، دار المعرفة، دمشق 1993 ؛ *ندوة المخطوط العربي وعلم المخطوطات*، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1994 ؛ أحمد بوزيد الكنساني، *من تاريخ الوراقة والوراقين بمنطقة سوس*، *مجلة كلية الآداب*، الرباط عدد 21 - 22 سنة 96 - 1997، ص. 97 - 142 ؛ صلاح الدين المنجد، *دراسات في تاريخ الخط العربي*، بيروت، 1972 ؛ علي بنعياش، *الخط المغربي المليح*، قراءة في جمالياته (بحث مرقون 1998) ؛ فتيحة الشقيري، *جوانب من التطور التاريخ للخط المغربي*، الدار البيضاء، 1990 ؛ م. *المغراوي*، *الخط المغربي : الإبداع والتاريخ* (بحث مرقون، 2000) ؛ م. المصلوحي، *الأثر الإسلامي في إبداع الخط العربي*، بحث للإجازة بكلية الآداب بالرباط، 1985 (بحث مرقون) ؛ م. السجلماسي، *مخطوطات الخزانة الحسنية*، طبع ACR نشر سوشبرس، 1992 ؛ م. عبد العزيز محمود، *الخط العربي الأندلسي وتطوره*، رسالة جامعية نوقشت بجامعة الاسكندرية، كلية الآداب، 1981، رقمها 3249 / 3252 س.

D. Eustache, *Corpus des Dirhams Idristes et contemporains*, Rabat, 1970 ; *Corpus des monnaies Alawites*, Rabat, 1984 ; J. D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; A. Bel, *Les inscriptions arabes de Fès*, 1919 ; G. Deverdun, *Inscriptions arabes de Marrakech*, Rabat, 1956.

عمر أفا

**خطّاب**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد استقرت بقرية بوسملال بقبيلة بني حزمر، ومنها انتقلت إلى تطوان حيث كان منهم محمد بن عبد القادر الخطاب يزاول خطة العدالة بالمدينة سنة 1129 / 1717.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 618.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخطّاب، عمر** بن عبد العزيز الزرهوني، شيخ صوفي وصاحب زاوية في زرهون خلال القرن العاشر (16م) يذكر الأهالي أنه من عرب رياح الهلاليين. (*جواهر*، 6)، بينما يرفض كتاب ترجمته هذا الزعم، ويشيرون إلى أنه ابن خالة شيخ صوفي زرهوني آخر هو عبد الله بن إبراهيم الشهير باسم عبد الله الخياط الشريف الرفاعي نسبة إلى رفاعة من عرب اليمَن، (*جواهر*، 66 - 79، *ممتع*، 48 : *ابتهاج*، 129) وأنهما انتقلا معا من وهران - حيث ولدا على ما يبدو - أواخر القرن التاسع (15م) ودخلا بلاد المغرب الأقصى أوائل القرن الموالي، وهما في سن الاحتلام (*جواهر*، 6 *ممتع*، 48).

ويضيف البعض أنهما "كانا في صغرهما يقرآن على مؤدب واحد في مكتب واحد" بمدينة مكناس. لكن المصادر لا تذكر الشيوخ الذين تتلمذ عليهم أبو حفص عمر الخطاب، لما بلغ أشده، بل الظاهر أنه لم يواصل الدراسة في مراحل ما بعد الكتّاب، حتى إن البعض يقول "إنه لا بضاعة له في العلم الظاهر" (*دوحة*، 85) في وقت يُعترف له بالريادة في عالم الزهد والصلاح.

وهذا يعني أن عمر الخطاب استهواه عالم التصوف وهو لم ينل بعدُ حظا وافراً من علوم الشريعة. وفي هذا الصدد تذكر كتب التراجم أنه لقي عدداً من مشايخ طريق القوم وأخذ عنهم وسلك على أيديهم وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز الحرار الشهير بالتباع، خليفة الشيخ المؤسس للطريقة الجزولية مَحمد بن سليمان الجزولي. وقد صحب عمر الخطاب شيخه هذا وخدمه سبع سنين متوالية (*ممتع*، 48، *ابتهاج*، 140)، أصبح بعدها ولياً صالحاً مأذوناً له في تأسيس الزاوية التي اختار لها جبل زرهون. ولذلك يصنف أبو حفص عمر الخطاب ضمن أولياء الطبقة الثانية في الطائفة الجزولية، إذ ليس بينه وبين شيخ الجزوليين جميعاً

محمد بن سليمان الجزولي سوى واسطة واحدة. ومعناه، أن أبا حفص واحد من الرعيل المؤسس لمبادئ الطريقة الجزولية والمساهم في توسيع شبكة زواياها وأتباعها.

كما يفهم من كتب المناقب أن الشيخ عمر الخطاب بلغ في عالم التصوف عموماً، وفي سلك الطائفة الجزولية بالخصوص، مقاماً عالياً. بحيث لم يتردد كتاب مناقبه في وصفه بالولي القطب (*ممتع*، 102، *ابتهاج*، 141). وقد أكد صاحب *الابتهاج* على ذلك بقوله : "أما حاله فالفناء الأكبر الناتج عن شهود العظمة الذاتية، الذي منْ وصْفه سَلْبُ النَّفْسِ من وصف البشرية، وحبس الروح عن الجولان في ملكوت الروحانية، وعقال العقل عن التقلب في ميدان الواردات الظلمانية والنورانية، ووقوف السر في الحضرة الربانية، كان لله ولا شيء معه ... وولايته على ما بلغنا ولاية الوجود، وهو تجلي الحق لعبده بقضية الوجود، حتى يكون كل شيء منه وإليه، بل كل شيء فيه ولا يخرج عنه شيء، وهذا الوصف كاف في بيان فضيلته إن شاء الله" ( *ابتهاج*، 141).

وبناء عليه لا غرابة إذا نسب إليه أتباعه الكرامات وخوارق العادات، ولا غرابة إذا كسب الوجاهة عند العامة والخاصة، (*ممتع*، 48، *دوحة*، 85) وتسابقوا للنيل من بركته، كما تسابق المريدون للأخذ عنه وسلوك طريق القوم علي يديه. وحسبنا علما أن الشيخ الشهير عبد الرحمن المجذوب كان واحداً من مريديه (*ابتهاج*، 140).

وإلى جانب هذا كله، اشتهر الشيخ عمر الخطاب بمُسَانَدَته الشديدة للوطاسيين، ووقوفه إلى جانبهم في الصراع ضَدَ الحركة السعدية المتنامية في الجنوب. وهو الموقف الذي ظل متمسكا به إلى أن توفي حوالي 943 / 1536. وحسبنا علماً أن هذا الشيخ كان واحداً من أولياء مملكة بني وطاس الذين مثلوا فاسا في مفاوضات الصلح مع الشرفاء السعديين التي تخللت معركة بوعقبة الشهيرة، التي آلت إلى هزيمة الوطاسيين، سنة 943 ـ 1536. وفي هذا الصدد تذكر المصادر قصة طريفة مفادها : أن الوفد الوطاسي وجد في خصومه "... شدة وغلظة وامتناعاً عن مساعفتهم على ما أرادوا من الصلح بين الطرفين والتراضي على قسمة البلاد، فحلف الشيخ عمر الخطاب لا دخلوها ـ يعني فاسا فيما يظهر ـ مادمت على وجة الأرض، فما دخلوها حتى مات بعد مدة" (*ممتع*، 49 *الاستقصا*، 4 : 191).

ولا داعي للجزم بصحة هذه القصة بكل تفاصيلها، فالمهم بالنسبة لنا أن خلاصتها العامة تتوافق مع ما ذهب إليه صاحب *الدوحة* في حديثه عن وجاهة عمر الخطاب (*الدوحة*، 85) لدى الأمراء الوطاسيين، كما تتوافق أيضاً مع الرواية الشائعة التي تناقلتها المصادر على لسان بعضهم "... لو أن بني مرين (بني وطاس) كانوا يعرفون شيئاً ما دفنوا سيدي عمر الخطاب يعني لتركوه في تابوت على وجه الأرض" (*ممتع*، 49 *الاستقصا*، 4 : 151).

وعلى كل حال، فقد توفي الشيخ عمر الخطاب سنة 943 / 1536، وتوالت الهزائم على حلفائه بني وطاس، إلى أن اقتحم عليهم الشرفاء السعديون عاصمتهم مدينة فاس، وانتهى حكمهم في بلاد المغرب. أما الشيخ عمر الخطاب، فقد ترك في جبل زرهون، زاوية وخلفا هو ابنه عبد العزيز ابن عمر الخطاب، الذي ورث من والده بركته ومهمة تسيير زاويته.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1397 ـ 1977 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية بفاس، 1313 / 1896، ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب*، تح. حفيظة الدازي، د.د.ع. في التاريخ، خزانة كلية الآداب، بالرباط، 1991 ـ 1992 ؛ م. الخياطي، *جواهر السماط في مناقب سيدي عبد الله الخياط*، مخطوط خ. ع الرباط، الرباط، رقم 1185 ؛ أ. الناصري *الاستقصا*، البيضاء، ج 4، 1955.

أحمد الوارث

ابن **خطّاب** الهنتاتي، وردت ترجمة في *اختصار القدح* (22 ـ 27) حيث ذكر استقرار عائلته بجيان أيام حكم الموحدين بالأندلس، وكان ابن خطاب أحد حفاظهم (عمالهم) وظلّت داره منتدى لأهل العلم والأعيان، فلما زال الحكم الموحدي من الأندلس بقيت لابن خطاب مكانته المتميزة لحسن عشرته، بل ولاه أمير غرناطة النصري محمد بن الأحمر "خطتي السيف والقلم"، ثم انتقل إلى تونس فجعله الأمير الحفصي على رأس المجموعة الهنتاتية بتونس وأصبحت له مشاركة في أمور البلاد أما عن وفاته فلم يرد ذكرها عند أبي سعيد.

ابن سعيد، *اختصار القدح المعلى*.

أحمد عزاوي

**الـخطابي**، أسرة من قبيلة بني ورياغل أقدم القبائل الريفية عهداً وأكثرها عدداً وأعظمها قوة ونفوذاً وتأثيراً (Bernard, 38). وقد سكنت أسرة الخطابي اجدير في خليج الحسيمة أمام جزيرة النكور التي يحتلها الاسبان منذ 28 غشت 1673 (Rézette, 39)، مما جلعها تعيش في منطقة تتمتع بموقع استراتيجي ظهرت أهميته القصوى أيام حرب الريف.

وقد اعتاد بعض الكتاب الذين كتبوا عن محمد بن عبد الكريم الخطابي أن ينسبوا أسرته إلى عمر بن الخطاب (Woolman, 75)، وهناك من يقول إنها من أولاد عبد الله ابن الخطاب الشريف الزياني من ذرية ملوك تلمسان وتَقْدمت بالصحراء، ومن أحفاد عمران بن مولاي إدريس الأصغر الذي خص له بلاد الريف وباديس بعد موت أبيه (البوعياشي، 1 : 447 هامش 2). إلا أن محمد بن عبد

الكريم الخطابي لم يثر على الاطلاق مسألة الانتساب إلى الأدارسة أو إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رغم أن هذا الانتساب الأخير كانت له ضجة كبيرة أثناء الحرب الريفية (بناني، 272)، وقد جاء في مخطوطة كتبها محمد بن عبد الكريم في جزيرة لارينيون وسلّمها في نهاية عام 1928 لمرافقه الضابط الفرنسي سانيي (Ayache, 347) "إننا إذا حاولنا أن نثبت لعائلة عبد الكريم نسبا حقيقياً مبنياً على رسوم تاريخية لا نجد أمامنا سوى ما نقله السيد الوالد المرحوم عن معاصريه أو رواه عن والده ووالده عن والده وهكذا. إن الوالد كتب قبل وفاته ما سمعه ورواه بعد البحث والاعتناء عن النسب، وذلك الكتاب ضاع في جملة الأشياء التي ضاعت، ولكن ملخصه أن نسبه على وجه الظن كان يتصل بسيدي زرعة دفين ينبغ (مخطوطة سانيي : 1). وفي مكان آخر، يذكر محمد بن عبد الكريم أن عائلته تنتمي إلى محمد بن عبد الكريم الحجازي الأصل، وأن أجداده جاؤوا إلى المغرب في القرن التاسع الميلادي وأقاموا في قبيلة بني ورياغل، وأن منطقة إقامتهم ظلت لمدة ألف سنة تمتد من خليج الحسيمة إلى تارگست (Mathieu, 55). هذا ما ذكره محمد بن عبد الكريم عن نسب عائلته، وهو يختلف عما كان ينشره المارشال ليوطي والسلطات لفرنسية والاسبانية عن هذا الموضوع، والذي كان يُلحُّ بصفة خاصة على أن محمد بن عبد الكريم يستغل اسمه العائلي "لادعاء انتمائه للخليفة عمر بن الخطاب مما يسمح له بالمطالبة بالسلطنة (بناني، 272).

وقد اشتهرت أسرة الخطابي بولائها لسلاطين المغرب، واعتمد عليها هؤلاء في القيام بالاشراف على مهمة الدفاع الوطني في منطقة الريف وتأمين ولاء قبيلة بني ورياغل والقبائل الريفية الأخرى للمخزن الشريف (بن جلون، 174).

امتازت أسرة الخطابي بالتفوق في الاعتناء بتربية أولادها وتعليمهم، واشتهر بعض أفرادها بالعلم والسياسة وشغلوا وظائف مختلفة مع سلاطين المغرب مثل القيادة والقضاء، وأحسنوا التصرف في مهماتهم بما كان فيهم من الإخلاص والصدق والأمانة. ومن بين هؤلاء عم عبد الكريم الخطابي زيان بن محمد الذي عينه السلطان المولى الحسن قائداً على جزء من قبيلة بني ورياغل، ثم رقّاه بسبب استقامته ونزاهته وحسن تصرفه وعيّنه قائداً عاماً على الريف الغربي. ومن بين هؤلاء أيضاً شقيق هذا الأخير مَحمد بن محمد الخطابي الذي أتم دراسته بالقرويين وأدرك شهرة كبيرة في الذكاء والعلم، فاستدعاه السلطان المولى الحسن لتعليم بعض أولاده لما فيه من زيادة العلم والتحصيل والمروءة، وظل كذلك حتى مات ودفن بفاس (مخطوطة سانيي، 2). وقد كان جد عبد الكريم الخطابي عبد الكريم فقيها، وكذلك والده محمد (البوعياشي، 1 : 425)، أما هو فقد سار على نفس الدرب، فذهب إلى فاس وأتم دراسته بالقرويين، وحصل على ثقة السلطان المولى الحسن الذي عينه قاضيا على قبيلته في 9 ماي 1883 (Ayache, 159)، وزاد السلطان المولى عبد العزيز من اعتباره فكلفه في 4 فبراير 1907 بمهمة الإشراف العام على جميع قواد بني ورياغل (Ayache, 160).

وقد أدرك الإسبان قبل احتلالهم لشمال المغرب قيمة هذه الأسرة وأهمية دورها في قبيلتها بني ورياغل، ولذلك حاولوا ربط علاقات مادية ومعنوية معها منذ بداية هذا القرن، وعملوا على فتح حوار مستمر مع رب العائلة قاضي بني ورياغل الفقيه عبد الكريم الخطابي، وعلى فتح آفاق العمل في مليلية لابنه الأكبر محمد، والدراسة في مليلية ثم في مالقة ومدريد لابنه الأصغر مَحمد، والعمل في الإدارة الإسبانية بجزيرة النكور لأخيه عبد السلام. وكانت هي الأسرة الوحيدة في الريف لتي استطاعت تحقيق ذلك مع المحافظة على نفوذها القوي في قلب قبيلة بني ورياغل. وتجب الاشارة إلى أنه في الوقت الذي كان فيه الفقيه عبد الكريم قاضياً في اجدير، وابنه الأكبر محمد قاضيا بمليلية، وابنه الأصغر مَحمد يدرس الهندسة بمدريد، كانت الأغلبية الساحقة في قبيلة بني ورياغل لا تتكلم سوى اللهجة الريفية وقليل من اللغة العربية وبعض كلمات بالاسبانية (Hart, 41)، في حين كان الأب ذا ماض حافل وصاحب علم ووعي ومعرفة بالأحوال، والأخوان ضليعان في اللغة العربية، ويعرفان الإسبانية، ويطلعان على عالم واسع أوسع كثيرا من العالم الذي كانت تعيش فيه قبيلتهما والريف بأسره. وهذا وحده يبين مستوى الوعي الذي كانت تتميز به عائلة الخطابي ليس فقط في قبيلة بني ورياغل وإنما في جميع أنحاء الريف وشمال المغرب. ولذلك لم تبق الحالة كما كانت عليه في منطقة الريف عندما قررت هذه العائلة قطع كل علاقاتها مع الإسبان، ورأت أنه لم يعد هناك سوى طريق المقاومة المسلحة لإقناع إسبانيا بتغيير سياستها الاستعمارية العنيفة وإدخال الإصلاحات الضرورية في منطقة حمايتها. وبدأت بذلك فترة حرب الريف التي كانت فيها قبيلة بني ورياغل هي الذراع القوية الطويلة، وعائلة الخطابي هي العقل المدبر رغم وفاة رئيسها في البدايات الأولى للثورة.

ومما يثير الانتباه في تاريخ عائلة عبد الكريم الخطابي هو ذلك الترابط العميق الذي كان يجمع أفراد العائلة ويلحم بعضهم ببعض. وقد ظهر واضحا أن وحدة العائلة وتلاحمها في السراء والضراء هو الذي جعلها ترتفع وتتغلب على المشاكل التي أفرزتها حياتها المليئة بالأحداث الجسيمة سواء في الريف قبل الثورة وبعدها، أو في المنفى في جزيرة لارينيون طيلة عشرين سنة وزيادة، أو في مصر ثم في المغرب بعد ذلك.

وقد دفعت عائلة عبد الكريم الخطابي ثمنا غاليا لما قامت به من كفاح ضد الاستعمار، فبعد استسلام محمد بن عبد الكريم قامت فرنسا بنفيه بعيدا عن وطنه برفقة أربعين

من أفراد عائلته (Gabrielli, 213)، وعانى هؤلاء جميعا من التغيير الكامل الذي طرأ على حياتهم، ومن الأوبئة والأمراض التي تمتلئ بها الجزيرة ومن سوء طقسها، ومن انسداد الآفاق بالنسبة للأبناء الذين كانوا في سن الدراسة أو الزواج، ومن انقطاع الرجاء في سراح قريب موعود به، وخيبة أمل تراكمت تأثيراتها عبر سنوات عديدة من المنفى. وقد انتقل بعض أفراد العائلة إلى رحمة الله في هذا المنفى البعيد، وكانت من بين هؤلاء والدة محمد بن عبد الكريم التي توفيت عام 1931.

وفي أثناء ذلك عملت إسبانيا على محو كل ما له علاقة بمحمد بن عبد الكريم الخطابي وعائلته، فهدمت منازل العائلة في أجدير واستولت على أملاكها، وشردت وطاردت كل من له علاقة بها أيام الثورة الريفية. ولم تعد عائلة عبد الكريم الخطابي مرة أخرى إلى الحرية إلا عندما تمكنت من اللجوء إلى مصر في شهر ماي 1947. وعندما وصلت العائلة إلى القاهرة، توزع أفرادها على ثلاث مساكن، وكان عددهم يبلغ حينئذ 42 فرداً. وقد كان لمحمد بن عبد الكريم زوجتان أنجب منهما خمس بنات وستة أولاد، وأنجب شقيقه مَحمد أربعة أولاد، وأنجب عمه عبد السلام ثلاث بنات وولدين، وقد دخل هؤلاء إلى مدارس وكليات القاهرة لتتميم دراستهم، وخصصت الحكومة المصرية راتباً شهرياً للعائلة مكنها من أن نعيش مطمئنة (العلمي، 72). وكما كان الوضع في العهد الملكي، ظل كذلك في العهد الجمهوري، فقد اهتم الرئيس جمال الناصر بعائلة الخطابي اهتماماً كبيراً، واعتنى بها عناية خاصة تليق بتاريخها المجيد.

وعندما استقل المغرب في سنة 1956، كان عبد السلام الخطابي قد انتقل إلى رحمة الله ودفن بالقاهرة في يوليوز 1953، وقد فضَّل محمد بن عبد الكريم وشقيقه مَحمد البقاء في مصر لأسباب سياسية، إلا أنهما سمحا لأبناء العائلة بالعودة إلى الوطن. وقد عاد بعض هؤلاء إلى المغرب والتحقوا ببعض الوظائف واتخرطوا في الحياة العامة واندمجوا في المجتمع المغربي. وفي فبراير 1963 توفي محمد بن عبد الكريم ودفن بالقاهرة، وفي دجنبر 1967 توفي شقيقه مَحمد ودُفن بأجدير بعد أن كان قد عاد إلى المغرب قبيل ذلك بقليل، وطُويت بذلك صفحة مجيدة من حياة هذه العائلة المتميزة التي تركت بصماتها واضحة في تاريخ المغرب المعاصر.

ع. بناني، *قراءة في مذكرات محمد بن عبد الكريم الخطابي انطلاقا من كتاب "جذور حرب الريف"* للأستاذ جرمان عياش، في *دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش* ؛ ع. بن جلون، *هذه مراكش* ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية ومراحل النضال* ؛ م. العلمي، *زعيم الريف محمد عبد الكريم الخطابي*، ط. 2 ؛ مخطوطة سانيي، انظر، ع. بناني في "دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش".

G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif*, Rabat, Paris, 1981 ; M. Bernard, *Les tribus de la zone nord et nord-ouest du Maroc*, Paris, 1926 ; L. Gabrielli, *Abd-El-Krim et les événements du Rif*, Casablanca, 1953 ; M. Hart, De *"Ripublik" à "République"*, in *Abd-el-Krim* et *la république du Rif*, Paris, 1976 ; R. J. Mathieu, *Mémoires d'Abd-El-Krim*, Paris, 1927 ; R. Rézette, *Les enclaves espagnoles au Maroc*, Paris, 1976 ; D. Woolman, *Rebels in the Rif*, London, 1969.

**الخطابي، الرشيد** بن مَحمد بن عبد الكريم. ابن أخي البطل الشهير محمد بن عبد الكريم الخطابي. عاش مع أبيه وعمه المجاهدين في المنفى، ثم انتقل معهما إلى القاهرة حيث مكث سنين عديدة. وقد جاء إلى المغرب في زيارة لصلة الرحم فمرض ودخل مستشفى ابن سينا بالرباط حيث وافاه الأجل يوم عاشر شوال عام ثمانية وثمانين وثلاثمائة وألف /31 دجنبر 1968.

ونقل إلى مدفن أسلافه بأجدير قرب الحسيمة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9.

**الخطابي، عبد الكريم** بن محمد بن عبد الكريم الورياغلي وُلد سنة 1860 بأجدير ودرس بالقرويين وتخرج منها (القاضي، 17). وبعد عودته إلى مسقط رأسه، عيّنه السلطان المولى الحسن قاضياً على قبيلته بني ورياغل في عام 1883 (Ayache, 159, note 11)، وظل في وظيفته تلك في عهدي السلطانيين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، وقد زاد السلطان عبد العزيز من اعتباره عندما ولأه خطة المراقبة على قواد بني ورياغل. وكما قال عنه ابنه محمد بن عبد الكريم زعيم الثورة الريفية "فقد حاول دائماً بكل قوته وأفكاره السامية إصلاح وطنه وترقية شعبه ونشر ألوية العلم في الداخلية وحمل الناس على طاعة سلاطين المغرب، وطالما قَدَّم نصائح للسلطان ولوُلاَته في مختلف البلاد" (مخطوطة سايني، 2). وبحكم مسؤولياته وعلاقاته مع المخزن وببعض خدامه كالباشا عبد الله بن سعيد السلاوي (حكيم، 45)، ونتيجة لما كان يقوم به من زيارات لفاس وتطوان وطنجة ومليلية وجزيرة النكور، فقد كان الفقيه والقاضي عبد الكريم الخطابي يتابع عن كتب تطور الأحداث في المغرب وخاصة بعد مجئ الجيلالي الزرهوني (أبي حمارة) إلى الريف، وتدهور سلطة المخزن في مناطق مختلفة من المملكة، والصراع على السلطة بين عبد العزيز وعبد الحفيظ وما نَتَج عن ذلك من فوضى واضطرابات، والمفاوضات الفرنسية الإسبانية في 3 أكتوبر 1904 والتي تضَمَّن تصريحها العلني الذي اطلع عليه المغاربة استعداد فرنسا وإسبانيا تقديم المساعدة للمغرب لإدخال ما يحتاج إليه من الإصلاحات الإدارية والاقتصادية والمالية، ثم مؤتمر الجزيرة الخضراء (يناير ـ أبريل 1906) الذي اهتم الفقيه بقراراته وبانعكاساتها على مستقبل المغرب.

كان الفقيه عبد الكريم الخطابي يؤمن بضرورة الإصلاح والتغيير، ولكنه كان يدرك أن المخزن لا يستطيع ذلك ولو أراد، لذلك كان يرى أنه لا بد من الاستعانة بدولة أوربية تساعد المغرب على إدخال الإصلاحات اللازمة. وبحكم الجوار، وبما أنه كان يناهض أي احتلال مباشر للريف من طرف الجيوش الأوربية (مرتين، 58)، فقد رأى أن إسبانيا تستطيع القيام بمهمة الاصلاحات لأنها دولة متقدمة ولكنها في نفس الوقت أضعف من أن تستطيع إخضاع منطقة الريف. وبدأ عبد الكريم الخطابي يتصل بالإسبان في جزيرة النكور ويربط علاقات وثيقة مع إسبانيا (البوعياشي، 1 : 81) باعتبارها الدولة التي انتدبتها الدول للمنطقة الشمالية من المغرب من أجل اصلاحها (Ayache, 165)، "ورأى من الحكمة والرأي السديد أن يتعاون مع إسبانيا ويساعدها فيما عهد إليها من تنفيذ قرارات مؤتمر الجزيرة" (مخطوط سانيي، 2)، خاصة وأنه كان يعتقد في البداية أن اسبانيا "عازمة على نشر نفوذها بالطريق السلمي وبالوسائل الحسنة الممدوحة" (مخطوطة سانيي، 7)، ولذلك عمل على إرسال ابنيه إلى مليلية لتعلم اللغة الإسبانية (Ayache, 164)، وكثيراً ما كانت قبيلة بني ورياغل تنتقد وجود ولديه عند النصارى، فكان يجيب بأن وجودهما عند الكفار لا يخشى عليهما لأن لهما بصيرة إسلامية (البوعياشي، 1 : 429).

وانطلاقاً من اعتقاده الخاص بفوائد قرارات مؤتمر الجزيرة واحترام مشيئة السلطان (Ayache, 165) حاول أثناء أزمة المناجم في عام 1909 أن يصلح الأحوال بين الإسبان والريفيين، ولكنه لم ينجح في ذلك، وحصل الصدام الذي أدى إلى حرب عام 1909. ولم يشترك الفقيه عبد الكريم الخطابي في الحرب التي خاضها الريفيون وعلى رأسهم الشريف محمد أمزيان ضد إسبانيا، وكان يعارض هذه الحرب ولا يوافق عليها خاصة وأن السلطان المولى عبد الحفيظ أمر بالتأني وحل القضية بالسياسة. وقد تأكد هذا الموقف بعد الاتفاق المغربي الإسباني في نوفمبر 1910، فبدأ قاضي بني ورياغل الفقيه عبد الكريم الخطابي ينصح باتباع أوامر السلطان ويدعو لعدم مقاومة إسبانيا وإن مصلحة الريفيين في الرضوخ إليها (مخطوطة سانيي، 4).

وبسبب هذا الموقف المتسامح مع الإسبان - والذي يتوافق مع إرادة السلطان والمعاهدات التي بين المغرب وإسبانيا، ولكنه يتعارض تماماً مع إرادة الشريف محمد أمزيان والمقاومة الريفية -، كان الفقيه عبد الكريم الخطابي يتعرض لمتاعب كبيرة داخل قبيلته بني ورياغل، ومنها ما حصل لعائلته في 6 نوفمبر 1911 عندما هاجم جمهور كبير منزله بأجدير وقُتل بعض أقاربه وتم نهب وتخريب وحرق بعض ممتلكاته، مما اضطره إلى اللجوء إلى جزيرة النكور، ومن هناك سافر هو وعائلته إلى تطوان - التي لم تكن قد احتُلت بعدُ - (Ayache, 190)، ولم يعد منها إلى مسقط رأسه برفقة عائلته إلا في مايو عام 1913 (S.H.A.T., Carton 3H - 262).

كانت فترة السنة والنصف التي عاشها عبد الكريم الخطابي في تطوان حافلة بالأحداث ومثيرة للتأمل، فبعد حرق منزله ونهب ممتلكاته والمهانة التي تعرض لها، وصل إلى تطوان وهي لم تحتل بعد، وقد شاهد بنفسه دخول القوات الإسبانية إلى المدينة في 19 فبراير 1913 وعلى رأسها الجنرال ألفاو (ALFAU) بعد أن دعاه أعيانها واستقبله سكانها بالهدوء والطمأنينة. كما شاهد أيضاً البلاء الذي أصاب تطوان بعد دخول الإسبان إليها، وبصفة خاصة هتك الأعراض ونهب الممتلكات ومصادرة الأموال. وقد حاول الفقيه عبد الكريم الخطابي تغيير هذا المنكر، فتدخَّل لدى السلطات الإسبانية ونصح الجنرال ألفاو بعد أن طلب منه ذلك أعيان المدينة، إلا أن الجنرال كان فظا وأجابه بجواب غير مناسب وغير مقنع (مخطوطة سانيي، 6). وفي هذه الفترة أيضاً شاهد عبد الكريم الخطابي ما أصاب أحمد الريسوني والجزاء الذي حصل عليه من اسبانيا رغم الخدمات الجليلة التي قدمها لها، ثم شاهد أخيراً مهزلة استقبال الخليفة ومحاولة تنصيبه سلطانا على المنطقة (S.H.A.T., Carton 3H - 262).

ولم تلبث أن انفجرت الحرب العالمية الأولى وانضمت تركيا لألمانيا وبدأت تنتشر - في المغرب بصفة عامة وفي المنطقة الخليفية بصفة خاصة - الدعوة لتأييد السلطان التركي والأمبراطور الألماني ضد أعداء الإسلام. وقد انتهز الألمان الفرصة وجعلوا المنطقة الخليفية مركزاً لنشاطهم من أجل إثارة المشاكل لفرنسا في منطقة نفوذها، ولذلك اتصلوا ببعض زعماء المنطقة الخليفية ومنهم الفقيه عبد الكريم الخطابي. ولم يتردد الرجل في الانضمام للمتعاونين مع تركيا وألمانيا، ولعب دوراً مهما في ربط الاتصال بين الألمان والقبائل الريفية من جهة، وعبد المالك بن محيى الدين الجزائري - الذي كان مستقراً في شمال تازا ويثير المشاكل لفرنسا - من جهة أخرى (Lyautey, III : 33 - 37).

ويظهر أن علاقة عبد المالك الجزائري بالفقيه عبد الكريم الخطابي كانت وثيقة جداً في هذه الفترة، فقد كان الفقيه عبد الكريم يقوم بنفسه بتزويد عبد المالك بما يحتاج إليه من مال (القاضي، 58)، بل إنه قام برفقة عدة مئات من الريفيين بزيارته في مقر إقامته في نهاية غشت 1916 (Ayache, 236).

وقد رأت إسبانيا - التي كانت تتابع عن قرب كل ما يجري في المناطق التي لم تستعمرها بعد -، أن نشاطات الفقيه عبد الكريم الخطابي تخفي وراءها أهدافا أخرى تتصل بإيجاد الوسائل الفعالة لتعبئة القبائل الريفية واعدادها للمحافظة على استقلالها والدفاع عنه. وبما أن الفقيه بعيد في أجدير، فقد اعتقلت السلطات الإسبانية في 6 سبتمبر 1915 ابنه محمد القاضي بمليلية وأقالته من جميع مناصبه واتهمته بالخيانة العظمى (Ayache, 221)، ثم حكمت عليه بالسجن وأن يبقى مسجونا ما دام والده عبد الكريم البعيد عن متناول يد إسبانيا ينهج سياسة تخالف السياسة الاسبانية في المنطقة.

وقد حاول الفقيه عبد الكريم الخطابي التدخل لدى السلطات الاسبانية لإطلاق سراح ابنه، وفعلا تَـمَّ له ذلك بعد ذهابه إلى جزيرة النكور وإجراء محادثات بينه وبين أحد كبار المسؤولين الإسبان أثيرت خلالها سياسة إسبانيا في المنطقة، وتم الاتفاق على إطلاق سراح الابن محمد بن عبد الكريم شرط أن يقوم الأب بتسليم ثلاثة رجال من عائلته ليكونوا رهائن لدى إسبانيا بمليلية، وذلك من أجل ضمان الاتصال والتعاون بينه وبين الإسبان، على أن تتعهد الحكومة الإسبانية بتحسين الحالة وتغيير سياستها في المنطقة (مخطوطة سانيي، 15). وهكذا أطلق سراح الابن وعاد إلى بيت عائلته في بداية غشت Ayache, 1916) .236)

وفي 15 مارس 1917 عاد الابن الأكبر محمد إلى عمله بمليلية، وأعطت إسبانيا منحه دراسية للابن الأصغر مَحمد للدراسة في مدريد، وبدا وكأن الفقيه عبد الكريم الخطابي يسير حسب ما تريده السلطات الاسبانية.

لكن إسبانيا لم تحاول أبداً إدخال الإصلاحات التي تعهدت بها، بل على العكس من ذلك بدأت في اعتماد سياسة جديدة تقوم أساساً على التغلغل العسكري العنيف في المناطق التي لم تكن قد احتلتها بعد. ولذلك حملت سنة 1918 في طياتها هيجانا عظيماً لم يسبق له مثيل في جميع أنحاء منطقة النفوذ الإسباني، ورأى عبد الكريم الخطابي في نهاية شهر نوفمبر من نفس العام، أنه لا فائدة من إسبانيا وانه قد آن الأوان لقطع العلاقات نهائيا معها بعد أن ضاعت جميع إمكانيات التعاون، إلا أنه لم يكن يستطيع ذلك قبل رجوع ابنيه القاضي محمد من مليلية والطالب مَحمد من مدريد، وقد كانا بمثابة رهينتين عند الاسبان. وفي أواسط دجنبر 1918 وصل محمد بن عبد الكريم إلى أجدير ليحتفل مع عائلته بعيد المولد النبوي الشريف، ولم يعد بعد ذلك أبداً إلى مليلية، أما الإبن الثاني مَحمد فقد عاد من مدريد في منتصف يناير 1919، وبذلك أصبحت العائلة كلها في مأمن وبعيداً عن الخطر وأصبح لرب العائلة الفقيه عبد الكريم الخطابي كامل الحرية في أن يفعل ما يوحي به إليه ضميره.

انسحب عبد الكريم الخطابي انسحابا كاملاً من العمل السياسي في نهاية يناير 1919، وانقطعت بذلك علاقاته مع إسبانيا احتجاجا على سياستها السيئة الفاشلة في المنطقة. وقد حاول في البداية البقاء على الحياد والاهتمام بشؤونه الخاصة، وظل كذلك عدة أشهر تعرض خلالها هو وأفراد عائلته لكثير من المضايقات من عملاء اسبانيا ومن أعدائها على حد سواء (مخطوطة سايني، 14). ولم يتزحزح الفقيه عبد الكريم عن موقفه هذا إلا في شهر غشت 1919 عندما شارك في تعبئة الجهود الخاصة بدعم مقاومة أحمد الريسوني ضد الإسبان، ولم يبدأ في العمل بجانب المقاومة الريفية إلا في فبراير 1920 عندما عبرت القوات الاسبانية وادي الكرت وبدأت في التغلغل غربا في اتجاه خليج الحسيمة. وبمجرد أن احتلت القوات الإسبانية دار الدريوش في 15 ماي 1920، بدأ الفقيه عبد الكريم الخطابي يتجول في أسواق قبيلة بني ورياغل لتعبئة الناس وتوحيدهم، ثم اتصل بأعيان القبائل الأخرى التي يهددها التقدم الإسباني وهي بني وليشك وبني توزين وبني سعيد وتمسمان من أجل تشكيل قوة للمقاومة تذهب فوراً للدفاع عن تفرسيت، وهي الهدف الثاني بعد دار الدريوش للقوات الإسبانية. وكان الفقيه على رأس محموعة بني ورياغل المتوجهة إلى مركز المقاومة تفرسيت في آخر يونيو 1920 (Ayache, 301). وقد ظهر واضحاً طيلة هذا الشهر أن الفقيه عبد الكريم الخطابي يلعب دوراً أساسياً في تماسك قوة المقاومة وثباتها، وذلك لما يتميز به من خبرة طويلة ومعرفة بالناس والأحداث. ولكن لم يأت منتصف يوليو 1920 حتى حدثت مفاجأة تركت حركة المقاومة في حالة من الاضطراب. ففي منتصف هذا الشهر بدأ الفقيه عبد الكريم وعمره عندئذ يقترب من الستين عاما، يعاني من ألم فظيع في بطنه، وحصل ذلك بعد وصوله إلى مركز المقاومة بتفرسيت باثنين وعشرين يوما (مخطوطة سانيي، 14)، ولم يفارقْهُ ذلك الألم قط، واضطر ابنه محمد إلى العودة به محمولاً على بغلته إلى منزله بأجدير. ولكن حالته لم تتحسن، وظل يتألم لمدة ثلاثة أسابيع إلى أن مات مساء يوم 7 غشت Ayache, 1920) .303)

وقد كان لرحيل الفقيه عبد الكريم وابتعاده عن مركز المقاومة في تفرسيت أثر كبير على تماسك وصلابة حركة المقاومة، وظهرت هذه الحركة وكأنها أصبحت بدون قيادة، ولذلك لم تواجه القوات الإسبانية أية مقاومة عندما احتلت تفرسيت في 5 غشت 1920 (Ayache, 302).

وقد أشارت بعض الكتابات إلى موت الفقيه عبد الكريم الخطابي متسمما (الوزاني، 2 : 35 ؛ البوعياشي، 1 : 426 ؛ فورنو، 44)، إلا أن ظروف موته ما تزال مجهولة وغامضة حتى الآن، وهذا ما جعل ابنه محمد الخطابي يتردد في اتخاذ رأي قاطع في الموضوع (Mathieu, 82).

لقد كان الفقيه والقاضي عبد الكريم الخطابي شخصية وطنية متميزة لعبت دوراً ملحوظاً في منطقة الريف لفترة تزيد على الثلاثين سنة، وقد سارت في نفس الدرب الذي سارت فيه بعد ذلك بسنوات شخصيات وطنية أخرى، فعبد السلام بنونة وعبد الخالق الطريس والمكي الناصري وغيرهم في منطقة الحماية الإسبانية، وعلال الفاسي وأحمد بلا فريج ومحمد اليزيدي ومحمد حسن الوزاني وغيرهم في منطقة الحماية الفرنسية، كانوا كلهم على علاقة بسلطات الحمايتين الإسبانية والفرنسية، ولم يكونوا يرون في ذلك ضرراً أو إساءة لوطنيتهم، وقد كانوا في بداية أمرهم يأملون في قيام الدولتين الحاميتين بالإصلاح وتحسين الأوضاع، ولكنهم عندما أدركوا أن الحماية والاستعمار هما شيء واحد، وفقدوا الأمل في ان تقوم سلطات الحماية بعمل شيء ما يساعد على تحسين الظروف التي يعيش فيها الشعب المغربي، غيروا مواقفهم وبدأوا يطالبون بالاستقلال من أجل إصلاح أحوال بلادهم وتغيير ظروف شعبهم. وهذا بالضبط هو ما فعله الفقيه والقاضي المستنير عبد الكريم الخطابي. فهو كالزعماء الوطنيين الآخرين، تعامل مع سلطات الحماية، وكان يعتقد أن إسبانيا تستطيع مساعدة بلاده على التطور والتقدم ومغالبة التخلف الذي يمسك بتلابيب الريف والفوضى الضاربة في جميع أنحائه، وعندما اقتنع باستحالة ذلك، انقلب مندفعا في تيار المقاومة المسلحة ضد الاحتلال ومن أجل أن يبقى الريف مستقلا، وقد كانت تلك إحدى الاندفاعات الأساسية التي أدت إلى ما حصل في شمال المغرب بقيادة ابنه زعيم الثورة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي.

وخلف الفقيه عبد الكريم الخطابي من الأولاد الذكور محمد ومَحمد، ومن الإناث أمينة وفطيمة ورحمة ورقية، وقد تزوجن رجالاً لعبوا دوراً مهما في قيادة الثورة الريفية (Gabrielli, 42)، أما زوجته، فهي ثيمونت بنت أحمد بن القاضي من الشرفاء الولقاضيين، وكان عالماً من علماء بني ورياغل (البوعياشي، 1 : 429).


أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية ومراحل النضال*، جزآن ؛ م. ابن عزوز حكيم، ومضات مضيئة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني ؛ ر. فورنو، عبد الكريم أمير الريف ؛ ت. *فؤاد أيوب* ؛ م. القاضي، أسد الريف محمد عبد الكريم الخطابي ؛ م. مارتين، الاستعمار الإسباني في المغرب (1860 - 1956) ؛ ت. عبد العزيز الودي ؛ م. ح. الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، حرب الريف ؛ مخطوطة سانيي، انظر ع. بناني، قراءة في مذكرات محمد بن عبد الكريم الخطابي انطلاقا من كتاب «*جذور حرب الريف*» لأستاذ جرمان عياش، في «دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش».

G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif*, Paris, 1981 ; L. Gabrielli, *Abd-el-Krim et les événements du Riff*, Casablanca, 1953 ; *Lyautey l'Africain*, t. III, Paris, 1956 ; Service historique de l'armée de terre - Vincennes, Carton 3H - 262 (Maroc).


**الخطّابي، مُحمد** بن عبد الكريم، المجاهد الكبير، والبطل الشهير. وُلد بأجدير عام 1882، وفيه حفظ القرآن الكريم، ثم تولى والده القاضي بأجدير تعليمه بنفسه، فدرس الدين والفقه والنحو والصرف ومبادئ التاريخ. وعندما بلغ العشرين من عمره، أرسله والده سنة 1902 إلى فاس لمتابعة الدروس الثانوية بالقرويين، وسكن في مدرسة الشراطين (البوعياشي، 1 : 77)، وبقي هناك سنتين درس خلالهما على مجموعة من العلماء منهم محمد القادري والتهامي جنون (مخطوطة سانيي، 7)، حتى عاد إلى اجدير في سنة 1904 حيث بدأ يساعد والده في أعماله الخاصة. وفي سنة 1906، أرسله والده مرة أخرى إلى فاس للاتصال بالمخزن في موضوع الجيلالي الزرهوني (بوحمارة) الذي كان في هذا الوقت يسيطر على منطقة واسعة من شرق الريف تدخل ضمنها أراضي قبيلة بني ورياغل. وانتهز محمد بن عبد الكريم الفرصة والتحق بالقروين حيث تابع بعض الدروس لمدة ستة أشهر. ويبدو أن ما كانت تغلي به مدينة فاس من رغبات في التغيير والإصلاح أثرت تأثيراً كبيراً على محمد بن عبد الكريم (الكتاني، التقديم)، خاصة وأنه ارتبط بإدريس ابن سعيد السلاوي الذي كان زميلا له في الدراسة بالقروين، وكانت صداقتهما الوثيقة امتدادا للصداقة التي كانت تربط الفقيه عبد الكريم والد محمد بن عبد الكريم بالباشا عبد الله والد إدريس ابن سعيد (حكيم، 45). وعبد الله ابن سعيد هذا. كان أحد خدام المخزن الكبار ومن أشد المقاومين للتدخل الأجنبي في المغرب، وأحد أنصار الشيخ محمد الكتاني، ومن مؤيدي الثورة الحفيظية، ومن المشاركين في إعداد مشروع دستور عام 1908 (Brown, 474). وقد لعب ابنه إدريس دورا خطيرا في تاريخ المقاومة المسلحة ضد التدخل العسكري الإسباني في شمال المغرب (حكيم، 14)، وظلت علاقته وثيقة بمحمد بن عبد الكريم إلى أن اغتاله الإسبان في 14 يونيو 1923 بقبيلة تافريست (حكيم، 43) بعد أن ظل يتوسط بينهم وبين الخطابي منذ قيام الثورة. وبعد عودته من فاس كانت فرنسا واسبانيا قد تفاهمتا على المسألة المغربية، ووقعتا اتفاقهما حول الموضوع في 3 أكتوبر 1904، كما كان مؤتمر الجزيرة الخضراء قد انعقد وانفض (يناير - أبريل 1906).

ويمكن تقسيم حياة هذا الزعيم الوطني إلى أربع فترات متميزة كل واحدة منها عن الأخرى تمام التميز :

- الفترة الأولى، من ولادته سنة 1882 إلى أواسط دجنبر 1918 عندما عاد من مليلية إلى أجدير، وهذه هي فترة الطفولة والدراسة والشباب والعمل في الإدارة الإسبانية.
الفترة الثانية، من أواسط دجنبر 1918 إلى استسلامه في 27 ماي 1926، وهذه هي فترة المقاومة المسلحة من أجل تحرير شمال المغرب.

- الفترة الثالثة، من 27 ماي 1926 إلي لجوئه إلى مصر في 31 ماي 1947، وهذه هي فترة المنفى في جزيرة لارينيون.

الفترة الرابعة، من 31 ماي 1947 إلى وفاته بالقاهرة في 6 فبراير 1963، وهذه هي فترة العودة مرة أخرى إلى ساحة النضال ضد الاستعمار (بناني، محمد زنيبر، 35).

أثار محمد بن عبد الكريم انتباه المسؤولين الإسبان، فعينوه أستاذا للغة الأمازيغية في الأكاديمية العربية بمليلية، كما بدأ يعمل محررا في جريدة تلغراف الريف *Telegrama del Rif* بمليلية، وظل يعمل بها من مارس 1907 إلى أبريل 1915 كمسؤول عن أخبار العالم العربي. وبالإضافة لمسؤولياته الأخرى، أصبح محمد بن عبد الكريم

في سنة 1908 كاتبا بمكتب الإدارة الوطنية بمليلية ثم مساعداً لمدير المكتب، وهو المكتب الذي كان يشرف ويدير العمل السياسي والإسباني في جميع أنحاء المنطقة الشرقية من شمال المغرب. وفي سنة 1910 أصبح محمد بن عبد الكريم قاضي مدينة مليلية، وحصل في دجنبر 1911 على وسام الفروسية جزاءً له على ذكائه وحماسه. وفي مارس 1912 حصل على وسام الصليب الأحمر للاستحقاق العسكري لدوره الحاسم في إطلاق سراح بعض الأسرى الإسبان الذين كانت قوات الشريف سيدي محمد أمزيان قد أسرتهم في نهاية سنة 1911. وفي شهر ماي 1912 حصل على وسام الصليب الأبيض للاستحقاق العسكري، وأعطاه هذا الحق في الحصول على مكافأة شهرية دائمة جزاء له على ما يتمتع به من علاقات طيبة مع القبائل الريفية في الأراضي المحتلة. وفي نفس السنة حصل على ميدالية إفريقيا، وأصبح في غشت 1913 القاضي الأول ورئيسا لمجلس الاستئناف لأحكام القضاء بالمنطقة المحتلة (Ayache, 194). وهذا يعني أنه كان في هذه الفترة يتمتع بسمعة طيبة عند الإسبان، ويحتل منزلة عالية في مدينة مليلية وفي شرق المنطقة الريفية، وحسب قوله فإنه - وقد كان عمره حينئذ 31 سنة - "لم يكن يألو جهداً في عمل كل ما من شأنه أن يوفق بين الإسبان والريفيين ويقضي على الضغائن والأحقاد والبغضاء (مخطوطة سانيي، 7).

ولما قامت الحرب العالمية الأولى، واشتركت تركيا البلد المسلم في الحرب بجانب ألمانيا، وامتلأ شمال المغرب بالمحرضين الألمان والأتراك (S.H.A.T., Carton 3 H - 94)، وأدي كل ذلك إلى ظهور عوامل جديدة في المنطقة ساعدت على بلورة موقف محمد بن عبد الكريم ودفعته إلى تأييد المخططات الألمانية والتركية في المغرب ضد فرنسا، وإلى التصريح للإسبان أنفسهم في نهاية غشت 1915 بأن على إسبانيا أن تقنع بما تحتله من الأراضي في منطقة نفوذها، وأن تترك الباقي لأصحابه، وأنه سيحول دون احتلالها لأراضي قبيلته بني ورياغل بجميع الوسائل (Ayache, 218). ونتيجة لهذا الموقف الجديد، لم تتردد السلطات الإسبانية في مليلية من اعتقال محمد بن عبد الكريم في 6 سبتمبر 1915 بعد أن حاكمته وأقالته من جميع مناصبه واتهمته بالخيانة العظمى (Ayache, 221). ولم يطلق سراح محمد بن عبد الكريم إلا عندما تعهد هو ووالده بأن يتراجعا عن موقفهما وأن يتعاونا من جديد مع الإدارة الإسبانية بشرط أن تتعهد حكومة إسبانيا بتحسين الحالة وتغيير سياستها في المنطقة (مخطوطة سانيي، 15). وهكذا عاد محمد بن عبد الكريم إلى بيت عائلته بأجدير في بداية غشت 1916، بعد أن ظل رهن الاعتقال أحد عشر شهراً، ولم يعد مرة أخرى إلى وظيفته في مليلية إلا في 15 مارس 1917.

لم تحاول إسبانيا إطلاقا تحسين الحالة وتغيير سياستها

في المنطقة، بل على العكس من ذلك بدأت في اعتماد سياسة جديدة تقوم أساسا على التغلغل العسكري العنيف في المناطق التي لم تكن قد احتلتها بعد. وتزامنت هذه السياسة مع رغبة إسبانيا في تصفية بعض الخلافات التي قامت بينها وبين فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، ومن أجل ذلك سلمت لفرنسا حوالي ستين من أعوان عبد الملك بن محيي الدين الجزائري (Ayache, 248). وحينئذ أدرك محمد بن عبد الكريم المقيم بمليلية والذي يتابع بحكم منصبه سياسة إسبانيا متابعة دقيقة «إن إسبانيا لن تستطيع أن تفعل شيئا في المنطقة التي تكلفت بها سواء بالسلم أو بالحرب» (مخطوطة سانيي، 12)، وتحسبا لأية مفاجأة، وخوفا من أن تسلمه إسبانيا هو نفسه للفرنسيين، فقد فضل الابتعاد عن مليلية والعودة إلى أجدير بعيدا عن يد الإسبان، وذلك ما حصل في أواسط دجنبر 1918. ولم يعد بعد ذلك إلى مليلة، وكان عمره حينئذ 36 سنة.

حاول محمد بن عبد الكريم بعد عودته إلى أجدير، الابتعاد عن السياسة والاهتمام فقط بشؤونه الخاصة (مخطوطة سانيي، 17)، وظل كذلك أكثر من سنة حتى وصل الجنرال سلفستر إلى مليلية في 30 يناير 1920 بعد أن أصبح حاكما عاما على منطقتها، وأعلن عن عزمه على عبور وادي الكرت والتغلغل غربا في اتجاه خليج الحسيمة. وفي نهاية شهر فبراير 1920، بدأت فترة جديدة من حياة محمد بن عبد الكريم تميزت بالمقاومة السياسية والعسكرية ضد التغلغل الإسباني في المنطقة الريفية. وفي بدايته هذه، كان يحتل المرتبة الثانية بعد والده القاضي عبد الكريم الخطابي الذي كان يتزعم حينئذ عملية توحيد قبيلته بني ورياغل والقبائل الأخرى في المناطق غير المحتلة، واتخاذ موقف موحد ضد العدو الإسباني المشترك. وقد ظهر واضحا في شهر يونيو 1920 أن روح المقاومة في الريف ضد التغلغل الإسباني تتركز في قبيلة بني ورياغل، وأن حولها تلتف أغلب القبائل الأخرى، وأن قبيلة بني ورياغل يلتف معظمها حول القاضي عبد الكريم الخطابي وابنه محمد بن عبد الكريم.

وعندما توفي زعيم المقاومة عبد الكريم الخطابي في 7 اغسطس 1920 (Ayache, 303)، حل محله ابنه محمد بن عبد الكريم، وحافظ على نفس الخطة التي سار عليها والده، وبدأ يفرض نفسه على قبيلته والقبائل الأخرى حتى أصبح في بداية عام 1921 الزعيم الأوحد لحركة المقاومة (S.H.A.T., Carton 3 H - 132)، وبدأت بذلك فترة قيادته الحقيقية للمقاومة الريفية ضد الاحتلال الأجنبي التي استمرت بدون منافسة أو انقطاع لمدة خمس سنوات ونصف تقريبا. وتحت قيادته، حققت المقاومة الريفية أول انتصار كبير لها على القوات الإسبانية في معركة جبل ابران القريب من أنوال بتاريخ أول يونيو 1921 (S.H.A.T., 3 H - 132)، وسقط نتيجة لذلك أول مركز إسباني بالمنطقة الشرقية، وهذا أمر لم يحدث قط بهذه المنطقة منذ أن بدأ الإسبان يتغلغلون فيها في سنة 1909. وبدأت بذلك صفحة جديدة من تاريخ المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الإسباني، كما بدأت حرب الريف التي لم تنته إلا بعد ذلك بخمس سنوات. وقد تخللت هذه الحرب انتصارات عظيمة حققتها القوات الريفية تحت قيادة زعيمها محمد بن عبد الكريم.

ونذكر هنا بصفة خاصة ما جرى في منطقة أنوال في الفترة من 17 إلى 21 يوليو 1921، وفي مركز جبل عروي في 2 غشت 1921، وفي المنطقة الغربية أثناء انسحاب القوات الإسبانية إلى الشواطئ في الفترة من 24 سبتمبر إلى 13 دجنبر 1924، ثم في نواحي وادي ورغة شمال فاس في شهر أبريل 1925. ومن القرارات الخطيرة التي اتخذها محمد بن عبد الكريم بعد هزيمة الإسبان في أنوال والتي أثارت تأويلات عديدة قراره الخاص بعدم احتلال مليلية. ويقول هو نفسه عن هذا الموضوع : "كان تنظيمنا العسكري مازال في بدايته، ولذلك رأيت من الصواب التمسك بالحرص والحذر... وقد وجهت ندائي إلى سكان الريف قاطبة وأمرت قواتي بعدم اغتيال الأسرى أو سوء معاملتهم، وإنني لست بآسف على ذلك البتة. وقد أمرتهم أيضا بالإلحاح بعدم احتلال مليلية حتى لا نساعد على خلق تعقيدات دولية. وقد ندمت على ذلك بمرارة، لأن عدم احتلال مليلية كان غلطة فادحة" (Mathieu, 105).

والواقع أن محمد بن عبد الكريم كان يأمل بعدم احتلال مليلية أن يترك الباب مفتوحا للمفاوضات مع الحكومة الإسبانية حتى يمكن حينئذ عقد اتفاق صلح وسلام ينتج عنه إجراء الاصلاحات التي نصت عليها معاهدة الحماية، إلا أن الإسبان كانوا قد اختاروا الحرب (مخطوطة سانيي، 21)، وبدأت تصل إلى مليلية قوات عسكرية إسبانية مدعمة بسلاح طيران قوي، وبدأت عملية استرجاع ما ضيعته الهزيمة في أنوال. ولهذا السبب ظل محمد بن عبد الكريم في الثلث الأخير من سنة 1921 وطيلة سنة 1922 في موقف دفاعي من الناحية العسكرية، لكنه استطاع خلال هذه الفترة أن ينظم المنطقة التي يسيطر عليها سياسيا وعسكريا وإداريا مما ساعده على عقد مؤتمر عام في أجدير حضره مندوبون عن القبائل المنضوية تحت لوائه، وقد أعلن المؤتمر بتاريخ 18 يناير 1923 (Hart, 33) استقلال الريف وقيام الجمهورية الريفية وتشكيل مجلس من ممثلي القبائل. وكان هذا نتيجة منطقية للتطور الذي تم في المنطقة التي كان يسيطر عليها محمد بن عبد الكريم، وكذلك للسياسة التي ظلت إسبانيا تسير عليها منذ هزيمة أنوال، والتي كانت تتميز بالإصرار على الحرب، وإخضاع الريفيين بالقوة، والرغبة الجامحة في عقاب محمد بن عبد الكريم والقضاء عليه. وقد قرر المؤتمر إعطاء قائد المقاومة لقب أمير بدلا من لقب الفقيه الذي كان يلقب به قبل معركة أنوال، والرئيس الذي بدأ يحمله بعد هذه المعركة، ويفوض في تأليف حكومة يقوم برئاستها (القاضي، 133).

شكّل الأمير الحكومة، واعتمد في تشكيلها على أفراد عائلته وقبيلته، ثم أصدر بيانا وجهه باسم جمهورية الريف إلى جميع الأمم دعاها فيه إلى الاعتراف باستقلال جمهورية الريف من خط الحدود مع المغرب جنوبا حتى البحر المتوسط، ومن وادي الملوية شرقا حتى المحيط الأطلسي، وإلى إقامة علاقات دبلوماسية وتجارية معها (فورنو، 77). وفي الفترة من يناير 1923 إلى يناير 1925، استطاع محمد ابن عبد الكريم تحقيق وحدة قبائل الريف، خاصة بعد قضائه على عبد المالك بن محيي الدين الجزائري في غشت 1924، كما استطاع نشر نفوذه نشرا قويا في المنطقة الغربية من شمال المغرب وخاصة بعد دخول قواته مدينة شفشاون في 14 دجنبر 1924 (البوعياشي، 2 : 269)، وأسرها لزعيم جبالة أحمد الريسوني في 24 يناير 1925 (البوعياشي، 2 : 296).

كان محمد بن عبد الكريم قد أصبح في بداية 1925 الزعيم الذي لا زعيم سواه في منطقة شمال المغرب كلها، وأصبحت دولته الريفية أقوى ثلاث مرات مما كانت عليه في بداية تأسيسها، بعد أن أصبحت لديها كميات هائلة من السلاح ورصيد معنوي ضخم، وزادت مساحتها أكثر من الضعف حتى أصبحت تُغطي معظم المنطقة الخليفية. وأصبح لهذه الدولة علم يحييه الجنود كل صباح ومساء، كما أصبح للجيش الشعبي نشيد وطني حماسي. وكان محمد بن عبد الكريم يسيطر على هذه الدولة سيطرة كاملة عن طريق شبكة تليفونات واسعة كانت تسمح بالاتصال الشريع بين القيادة المركزية والجبهات المختلفة (S.H.A.T., Carton 3H - 100)، وكذلك عن طريق إقامة شبكة من الطرق المتجهة من أجدير على شاطئ الحسيمة إلى منطقة قبائل غمارة وإلى الحدود مع منطقة النفوذ الفرنسية. وأحكم محمد بن عبد الكريم قبضته على المنطقة كلها بواسطة "المحاكم" التي أقامها في جميع أنحاء دولته بعد أن اتسع نطاقها.

استطاع محمد بن عبد الكريم بما أحدثه في الريف من نظام وتنظيم لم تعرفهما المنطقة من قبل، أن يفرض العديد من الإصلاحات في المجتمع الريفي، وقد حاول أن يحقق هدفين كانا أساسيين ولازمين لإجراء أي تغييرات اقتصادية واجتماعية وسياسية أكثر جذرية وهما وحدة شمال المغرب وتحرير المنطقة كلها. وقد كاد أن يحقق هذين الهدفين لولا التحالف الاستعماري الفرنسي الإسباني الذي لم يكن في وسع جهازه العسكري أو السياسي أن يقف ضده لفترة طويلة.

وقد اضطر محمد بن عبد الكريم إلى مخاصمة فرنسا بعد استيلاء القوات الفرنسية في يوليو 1924 على منطقة أعالي ورغة الغنية التي كانت خارج منطقة نفوذها، وكان هدفها إحكام الحصار على دولة الريف، وزيادة الضغط عليها اقتصاديا وتجويعها وخنقها غذائيا، وذلك بحرمانها من مخزن القمح ومنطقة التموين التي تتزود منها بما تحتاج إليه من المواد الغذائية. وبدأ الهجوم الريفي في 12 أبريل 1925، واكتسحت القوات الريفية القوات الفرنسية حتى أصبحت على بعد 27 كلم من فاس، ثم تراجعت بعد ذلك إلى المرتفعات على بعد 50 كلم من أهم مدينة في المغرب. وقد أدرك الفرنسيون حينئذ أنهم لا يستطيعون وحدهم القضاء على الدولة الريفية، لذلك أصبح من المحتم أن يتفاهموا مع الإسبان ويتعاونوا معهم في حرب واسعة النطاق ضد محمد بن عبد الكريم.

بدأ التعاون العسكري الفرنسي الإسباني في 17 يونيو 1925، وحل المارشال بيتان (Pétain) في 27 غشت 1925 محل المارشال ليوطي (Lyautey) في قيادة القوات الفرنسية في المغرب. وبدأت بذلك حرب من نوع جديد وأسلحة حديثة لم تكن معروفة في المغرب من قبل (S.H.A.T., Carton 3H - 100). وقد استعمل الفرنسيون والإسبان سلاح الطيران بشكل كثيف، وهاجمت الطائرات اجدير وشفشاون وترگست والأسواق والمواسم وكل المراكز الإستراتيجية في دولة الريف، وكان الهدف باستمرار هو نشر الفزع والرعب بين السكان والقضاء تماما على ما لديهم من إمكانيات للعيش (S.H.A.T., Carton 3H - 100)، كما أحكم الفرنسيون والإسبان المقاطعة الكاملة للمنطقة الريفية واتخذوا جميع الإجراءات لعزلها تماما، وبدأوا يقومون بحرب عصابات مضادة ويغيرون على القرى المجاورة لخطوطهم، ويقتلون الدواب ويحرقون المنازل والمحاصيل، ويأخذون الرهائن، ويعدمون أنصار محمد بن عبد الكريم في عين المكان (Rivet, 135)، وبفضل كل هذا، استطاعت القوات الاسبانية أن تنزل في خليج الحسيمة في 8 سبتمبر 1925 (S.H.A.T., Carton 3H - 100)، وتحتل أجدير في 2 أكتوبر من نفس العام. والحقيقة أن الإنزال الإسباني في خليج الحسيمة ثم احتلال اجدير ونهبها وإحراق معظم مساكنها - ومن ضمنها منزل محمد بن عبد الكريم - كان بداية النهاية بالنسبة للمقاومة الوطنية ضد الاستعمار الاسباني في المنطقة الخليفية. وبعد سقوط أجدير، أصبحت تارگست هي عاصمة الدولة الريفية. إلا أن محمد بن عبد الكريم اضطر في نهاية الأمر إلى الدخول في مفاوضات مع الفرنسيين والإسبان من أجل ايقاف الحرب التي كانت تدمر الريف والريفيين. واختيرت مدينة وجدة مقراً للمفاوضات، وبدأ المؤتمر يوم 22 أبريل 1926 وانتهى يوم 6 ماي 1926 بعد أن فشل فشلا ذريعا لأنه لم يكن في الإمكان التوفيق بين موقف الوفدين الفرنسي والإسباني اللذين كانا يعتبران الوفد الريفي مندوبا عن محمد بن عبد الكريم كشخص، وبين الوفد الريفي الذي كان يعتبر نفسه مندوباً وممثلاً لدولة الريف.

بدأت العمليات العسكرية من جديد يوم 7 ماي 1926، واستطاع الفرنسيون احتلال تارگست يوم 23 ماي 1926،

وأصبحت القوات الإسبانية القادمة من الشمال على بعد 15 كلم من قرية كمون التي كان محمد بن عبد الكريم قد انتقل إليها هو وعائلته. ولذلك اضطر محمد بن عبد الكريم إلى التوجه في يوم 24 ماي 1926 إلى صناده عند الشريف حميدو الوزاني، ولم يبق أمامه عندئذ سوى الاستسلام. وقد استسلم للفرنسيين فجر يوم 27 ماي 1926 بعد أربعة أيام من المفاوضات (S.H.A.T., Carton 3H - 466).

نقل الفرنسيون محمد بن عبد الكريم وأربعين من أفراد عائلته إلى تازا، ومنها إلى فاس حيث وصلوها في فاتح يونيو 1926، وظلوا فيها حوالي ثلاثة أشهر. في هذه الفترة، جرت في باريس محادثات بين فرنسا وإسبانيا لإيقاف التعاون العسكري بينهما (14 يونيو - 10 يوليو 1926)، وقد سيطرت قضية استسلام محمد بن عبد الكريم للفرنسيين على هذه المحادثات، ونقد الوفد الاسباني الموقفَ الفرنسي نقداً مريراً، واتهم الإسبان الفرنسيين «انهم تفاوضوا مع محمد بن عبد الكريم مدة أربعة أيام دون أن يكون لديهم علم بذلك، وأنه لم يتم إخبارهم إلا بعد استسلام هذا الأخير في 17 ماي 1926، مع أنه كان يجب أن يكون هناك تنسيق مشترك بين البلدين حسب ما تنص عليه اتفاقات التعاون بينهما». وقد ظل الخلاف حاداً بين إسبانيا وفرنسا حول الموقف الذي يجب أن يتخذه البلدان تجاه محمد بن عبد الكريم، فبينما كانت إسبانيا تحمله مسؤولية كل ما حصل وتطالب بمحاكمته كمجرم حرب وبعقابه عقابا شديداً ليكون عبرة للآخرين، كانت فرنسا تريد التمسك بتعهداتها له قبل استسلامه، ومعاملته معاملة طيبة تليق بمقامه. وأخيراً تدخلت بريطانيا لفض النزاع، واقترحت حلا وسطا، هو نفي الزعيم الريفي وعائلته إلى جزيرة لا رينيون بالمحيط الهندي (S.H.A.T., Carton 3H - 466).

وفي 27 غشت 1926، نُقل محمد بن عبد الكريم وعائلته بالقطار إلى الدار البيضاء، وفي 2 سبتمبر ركبوا الباخرة «عبدة» المتوجهه إلى ميناء فريول Frioul بفرنسا، ومنها إلى جزيرة لارينيون التي وصلوا إليها في 10 أكتوبر 1926 (S.H.A.T., Papiers Sauerwein 1K55).

ظل محمد بن عبد الكريم في لارينيون مدة عشرين سنة وستة أشهر. ولم يحاول خلال هذه الفترة أن يثير أية مشاكل للسلطات الفرنسية بالجزيرة، بل كان على العكس من ذلك هادئا مستسلما لمصيره. وقد عاملته السلطات الفرنسية معاملة حسنة، وكانت قد أسكنته في البداية داراً غير مجهزة تجهيزاً كافياً لاستقبال عائلة كبيرة العدد، ولكنها نقلته فيما بعد إلى قصر يليق بمقامه، كما خصصت له مرتباً شهرياً كافياً، وسهلت له ولعائلته قضاء أيام العطل في المناطق الجبلية البعيدة عن البحر. والشيء الوحيد الذي كان ينغص عليه حياته في البداية هو طقس الجزيرة السيء، وما ينتشر فيها من أوبئة وأمراض وخاصة الملاريا، الأمر الذي كان يؤذي صحته وصحة أفراد عائلته (S.H.A.T., Papiers Sauerwein 1K55). وبعد سنتين ونصف على وصوله الجزيرة، بدأ محمد بن عبد الكريم يكتب للسلطات الفرنسية من أجل التخفيف من قسوة المنفى، وفي رسائله الأولى كان يؤكد على الوعود التي قدمتها له فرنسا قبيل استسلامه، والتي كانت تنص على تحديد فترة نفيه في مدة قصيرة وفي مكان قريب من المغرب.

وعندما قامت الجمهورية في إسبانيا ووصل الاشتراكيون إلى الحكم في بداية 1931، اعتقد محمد بن عبد الكريم أن أوان الخلاص قد اقترب، ولكن كان ذلك أضغاث أحلام، لأن الإسبان رفضوا إطلاق سراحه عندما استفسرتهم الخارجية الفرنسية في الموضوع (مارتين، 110). وعندما قامت الحرب العالمية الثانية، بدأ محمد بن عبد الكريم يشتكي في رسائله من صعوبة الوضع الذي يهدد مستقبل أولاد العائلة، وبدأ يطالب الحكومة الفرنسية بدراسة حالته لأن فترة المنفى طالت والأبناء كبروا ويجب أن يتابعوا دراساتهم في مكان آخر، والبنات أصبحن في سن الزواج ويجب أن يتزوجن من مغاربة مثلهن (Papiers Sauerwein 1K55).

لم ينس المغاربة زعيم الريف في محنته إذ أنهم بمجرد أن خرجوا من محنة الظهير البربري وبدأوا ينظمون أنفسهم سياسياً، أخذوا يتحدثون عنه من جديد (حكيم، 1 : 186)، وقد طالبت كتلة العمل الوطني السلطات الفرنسية باطلاق سراحه وساعدهم شكيب أرسلان في حملتهم بنشر مقالات عن الموضوع (الفاسي، 339). وفي سنة 1937 نجح الحزب الوطني في اقناع بعض الشخصيات في مجلس الشيوخ الفرنسي بتقديم طلب إطلاق سراح محمد بن عبد الكريم وعائلته إلى لجنة الشؤون الخارجية بنفس المجلس. وأدلى مفتى فلسطين الحاج أمين الحسيني بدلوه في هذا الأمر عندما كان مقيماً في برلين وكتب في نهاية سنة 1943 رسالة للخارجية الألمانية يطلب منها تهريب الزعيم الريفي من لارينيون، ورفضت الحكومة الألمانية بدعوى الحرص على مشاعر إسبانيا، ولكنها أخبرت الحسيني أن بعض الألمان حاولوا ذلك ولكن الزعيم الريفي رفض المساعدة (Rouissi, 514). وعندما تأسست "رابطة الدفاع عن مراكش في مصر" في أواخر سنة 1943 نجح أعضاؤها في دفع مجلس الجامعة العربية في دورته المنقعدة بتاريخ 23 نوفمبر 1946، لاتخاذ قرار ينص على أن تبذل الجامعة العربية مساعيها لدى فرنسا لتحرير محمد بن عبد الكريم (الرفاعي، 142)، وبناء عليه كتب أمينها العام عبد الرحمن عزام باشا رسالة لوزير الخارجية الفرنسية حول الموضوع (الفاسي، 339). ورغم شهادات السلطات الفرنسية في لارينيون لفائدة محمد بن عبد الكريم طيلة فترة منفاه، فإن تطورات الأحداث لم تكن لصالحه. ففي

المغرب نفسه ظلت المقاومة المسلحة مشتعلة حتى بداية سنة 1934، ولذلك لم يكن من الحكمة حينئذ إطلاق سراحه أو اقترابه من المغرب، ثم قامت الحرب الأهلية في إسبانيا وجاء للسلطة الجنرال فرانكو وقد كان أعدى أعداء الزعيم الريفي ولم يكن ليسمح بعودة عدوه اللدود من منفاه البعيد، ثم قامت الحرب العالمية الثانية وانغمرت فرنسا في همومها الخاصة، ولذلك كان لابد لمحمد بن عبد الكريم أن ينتظر حتى تنتهي الحرب لكي تقرر الحكومة الفرنسية في فبراير 1947 نقله هو وعائلته إلى فرنسا (Gabrielli, 216). وحسب رأي بعض الباحثين، فإن نقله كان يرجع إمّا لرغبة الفرنسيين في استعماله ضد السلطان محمد بن يوسف الذي كان قد أصبح على رأس الوطنيين في المطالبة باستقلال المغرب، وإما من أجل استرضاء المغاربة الذين كان الزعيم الريفي يتمتع عندهم بشعبية كبيرة، وإما لخوفهم من وفاته في منفاه خاصة وأن صحته كانت سيئة في ذلك الوقت، وإما للضغط على الإسبان الذين كانت سياستهم المغربية والعربية تتناقض مع السياسة الفرنسية. وعند مغادرته جزيرة لارينيون في 3 ماي 1947، لم يكن محمد بن عبد الكريم يفكر في الهروب من الباخرة أثناء توقفها في إحدى مدن قناة السويس، فهو لم يكن محروسا، بل كان يتمتع بحريته خلال رحلته إلى فرنسا، بالإضافة إلى أن مغادرته لجزيرة لارينيون لم تتصف بطابع السرية، لأن تحريره كان أمراً محتملاً بعد أن قرر مجلس الوزراء الفرنسي نقله إلى فرنسا (ابن عبود، 46). ولكن أعضاء مكتب المغرب العربي الذي كان قد تأسس في القاهرة بتاريخ 22 فبراير 1947 (بناني، 165)، فكروا واقتنعوا - عندما علموا بأن باخرته ستمر من قناة السويس - بضرورة نزوله مع عائلته في ميناء بور سعيد وطلب اللجوء السياسي من الملك فاروق، وذلك لإفشال كل المؤامرات التي تنوي فرنسا إقحامه فيها. وفي البداية، عارض محمد بن عبد الكريم هذه الخطة معارضة شديدة حتى أثمرت مجهودات مبعوثي مكتب المغرب العربي (الحبيب بورقية، علال الفاسي، امحمد بن عبود، عبد المجيد بن جلون)، وخاصة مَحمد بن عبود (Rouissi, 516) الذي باشر العملية من بدايتها نظراً لقيمته الشخصية، ولعلاقته بالملك فاروق والمسؤولين المصريين، ولمنصبه الرسمي بالجامعة العربية.

وفي 31 ماي 1947، نزل محمد بن عبد الكريم وعائلته التي كانت تشمل اثنين وأربعين شخصاً في ميناء بور سعيد وطلب حق اللجوء السياسي. وقد لخص عبد الخالق الطريس نتائج عملية تحرير محمد بن عبد الكريم فيما يلي : "إننا أنقذنا زعيما، وأرحنا ملكا، وسفَّهنا مناورة، وكسبنا دعاية" (ابن عبود، 110). وفي اليوم التالي من وصوله، استضافه الملك فاروق بقصره في انشاص، وفي 5 يونيو تناولا الغذاء معا، ثم ذهب محمد بن عبد الكريم إلى الإسكندرية بدعوة من الملك حيث أقام عدة أسابيع في مستشفى فؤاد الأول للراحة والاستشفاء تحت عناية الأطباء (بناني، 177). وفي 18 يوليو 1947، عاد محمد بن عبد الكريم إلى القاهرة، وبدأ حينئذ نشاطه بحذر شديد في إطار مكتب المغرب العربي الذي كان يضم حزبي الاستقلال والإصلاح من المغرب، والحزب الدستوري من تونس، وحزب الشعب الجزائري.

وبسرعة بدأت تظهر الخلافات بين محمد بن عبد الكريم وزعماء الاحزاب المشتركة في مكتب المغرب العربي، وقد عبّر الحبيب بورقيبة عن ذلك بقوله : «لقد اختلفنا مع محمد بن عبد الكريم الخطابي لأنه كانت هناك مواجهة بين مرحلتين : مرحلة العمل المباشر ؛ أي مرحلة الصدام العسكري والحرب، ومرحلة الحوار، والذين اختلفوا معه كانوا وطنيين، أسسوا أحزاباً شرعية ولم تستبعد العمل المباشر، ولكن كانت لديهم استراتيجيات مختلفة. وهكذا اختلفنا لأن الاستراتيجيات كانت مختلفة». وقد كان الحبيب بورقيبة أكثر صراحة من غيره وأكثر انسجاما مع نفسه، ففضل العودة إلى تونس وترك الميدان كاملاً لمحمد بن عبد الكريم، وقد عاد فعلا في 8 سبتمبر 1949، ليبدأ من جديد في «النضال الصحيح ضد الاستعمار» كما عبّر هو بنفسه عن ذلك (Bourguiba, 244).

ومما زاد في تعقيد العلاقات بين محمد بن عبد الكريم والزعماء الوطنيين الذين كانوا يحاورونه في آرائه الخاصة بالحرب والسلام، أن الزعيم الريفي - وقد كان ذا طبع حذر وشكاك - كان يشك كثيراً في الأحزاب السياسية ولا يثق في زعمائها، وكان يرى أنهم أقرب إلى الانتهازية من أي شيء آخر، وان أحزابهم السياسية هي مجرد نسخ مشوهة للأحزاب الغربية (Rouissi, 516). وقد ظل محمد بن عبد الكريم حذراً طيلة الشهور الأخيرة من سنة 1947، وكان يشترك في نشاطات مكتب المغرب العربي عندما يرى ضرورة ذلك، كما حدث عندما أقام هذا المكتب حفلة كبرى بمقره بمناسبة عيد العرش المغربي في 17 نوفمبر 1947، وتحدث فيها زعماء المغرب العربي، وألقى محمد بن عبد الكريم كلمة بالمناسبة (مكتب، 24).

وفي نهاية سنة 1947 قرر محمد بن عبد الكريم أن يبتعد عن مكتب المغرب العربي، لذلك بدأ يعمل من أجل تأسيس «لجنة تحرير المغرب العربي» التي سوف تنضم إليها إضافة للأحزاب التي أسست "مكتب المغرب العربي"، أحزاب أخرى لم تكن تعمل في إطار هذا المكتب، وبعض الشخصيات المستقلة. وفي 5 يناير 1948 تم الإعلان عن تأسيس اللجنة، وانتخب محمد بن عبد الكريم رئيسا لها، وانتخب شقيقه مَحمد بن عبد الكريم وكيلا للرآسة، وقد انتخبا بصفة دائمة، بينما انتخب باقي أعضاء مكتب اللجنة بصفة مؤقتة (الفاسي، 349)، وكان ذلك بداية مرحلة جديدة في تاريخ نشاط الوطنيين المغاربة في المشرق العربي عامة، وفي مصر خاصة، حيث ظهر بوضوح وجود

بيعة محمد بن عبد الكريم الخطابي عن كتاب

*COUNTRY WITH A FLUG*

اتجاهين لدى المغاربة ؛ اتجاه مكتب المغرب العربي واتجاه لجنة تحرير المغرب العربي. وبدأت الخلافات تظهر شائكة بين الاتجاهين (بناني، 181)، وتقلص نشاط مكتب المغرب العربي ثم حدثت خلافات جديدة بين أعضائه في الخمسينات أدت إلى اقفاله مؤقتا، وقد أثر ذلك على نشاط لجنة تحرير المغرب العربي، لأن بعض الأعضاء كانوا منتمين إلى المنظمتين في آن واحد (ابن عبود، 55). ومهما يكن، فإن وضع مصر السياسي في أيام الملك فاروق (عودة، الفصل الرابع)، لم يكن ليسمح لمحمد بن عبد الكريم أن يتحرك حسب معتقداته وما يوحي به إليه ضميره. وكان عليه أن ينتظر لحين قيام الثورة المصرية في 23 يوليو 1952، ثم بداية تأييد جمهورية مصر تأييداً فعليا ماديا ومعنويا للكفاح المسلح ضد الاستعمار بالمغرب العربي. ونظراً لعلاقته الخاصة بجمال عبد الناصر الذي أحاطه بكل عناية واعتبره ضيف مصر العزيز المكرم (العلمي، 77)، فقد تمكن محمد بن عبد الكريم أن يلعب دوراً مهما في دعم المقاومة المسلحة ضد الاستعمار في مجمرع بلدان المغرب العربي. وقد كان يطمح في أن تتكَتَّل كل القوى السياسية في هذه البلدان، وأن تتوحد في كلمة واحدة، وتسعى لغاية واحدة هي طرد المستعمر الأجنبي وتحقيق الاستقلال التام. إلا أن أمله هذا لم يتحقق، فقد خرجب تونس من المعركة، وتبعها المغرب بعد أن حققا استقلالهما بالاتفاق مع فرنسا، ولم تبق في الساحة سوى الجزائر، لذلك كانت علاقات محمد بن عبد الكريم وثيقة بالزعماء الجزائريين طيلة فترة الكفاح المسلح، بينما كانت مقطوعة مع المسؤولين التونسيين، وسيئة مع المسؤولين المغاربة (جريدة القاهرة، 5 / 12 / 1957)، لأنه اعتبر أن استقلال تونس والمغرب ناقصا (جريدة الشباب، 20 / 2 / 1957)، وان زعماء هذين البلدين لم يكونوا أوفياء لميثاق تحرير المغرب العربي (العلمي، 81). وقد اتخذ نفس الموقف مع الجزائريين عندما اتفقوا مع الفرنسيين على الاستقلال سنة 1961. وما أن استقل المغرب، حتى أرسل الملك محمد الخامس عدة مبعوثين إلى محمد بن عبد الكريم لإقناعه بالعودة إلى الوطن المستقل، لكنه فضَّل البقاء في مصر، وكان يُصرح باستمرار أنه لن يعود إلى المغرب حتى يغادر ترابه آخر جندي أجنبي (العلمي، 87). ولم تكن العلاقات مريحة بين محمد بن عبد الكريم والمسؤولين المغاربة رغم أنهم حاولوا استرضاء ه بجميع الوسائل، وقد خصصوا له راتبا شهريا، وأدمجوا بعض أبنائه وأبناء أخيه امحمد وعمهما عبد السلام في الوظيفة العمومية، كما سعوا لاسترداد بعض أمواله التي حجزتها السلطات الفرنسية بعد لجوئه إلى مصر، كما ردُّوا له بعض أملاكه التي كان الاستعمار الإسباني قد استولى عليها (العلمي، 87). إلا أن المشكلة بالنسبة للزعيم الريفي كانت أكبر من المحافظة على مصالحه الشخصية، فقد كـان يعتقد أن المـغرب لا يسير في الطـريق الصحيح ( *آخر ساعة*، 24 / 4 / 1957)، وزاد من حدة موقفه ما حصل في الريف من اضطرابات في النصف الثاني من عام 1958 وبداية عام 1959، وهي الاضطرابات التي وصفها بـ "الثورة الشعبية العـارمـة" ثم مـا تـلا ذلك من تدخـلات عسكرية عنيفة ( *جريدة الصحافة*، 23 / 5 / 1959). إلا أن تطور الأحداث في المغرب، وانكشاف الأسباب الحقيقية التي كانت خلف الاضطرابات في الريف، جعلت محمد بن عبد الكريم يُعَدِّل بعض آرائه ويغير بعض مواقفه، خاصة بعد أن بدأت حكومة عبد الله إبراهيم تطالب بجلاء القوات الأجنبية من المغرب ( *جريدة المساء*، 15 / 10 / 1959). وقد قام عبد الله إبراهيم رئيس الحكومة ووزير الخارجية في سنة 1959 بمجهـود كبير لتطبيـع العـلاقـات مع زعيم الثورة الريفية ( *رسالة عبد الله إبراهيم*، 25 / 9 / 1959)، وخاصة عندما تقابل معه خلال زيارته للقاهرة في يونيو 1959، وكشف له عن بعض أسرار ما يجري في الساحة المغربية. ولهذا كان الوضع مُهيئاً عندما قام الملك محمد الخامس بزيارة بعض الدول العربية المشرقية وجاء للقاهرة في فبراير 1960، وذهب بنفسه لزيارة محمد بن عبد الكريم في منزله، وعبّر له عن تقديره لما قام به من نضال ضد الاستعمار (العلمي، 89). وقد كان ذلك بمثابة طي صفحة الماضي وبدء صفحة جديدة من التفهم الموضوعي لظروف المغرب المعقدة.

ورغم كبر السن وبعض العياء، فقد ظل محمد بن عبد الكريم إلى آخر أيامه على اتصال وثيق بكل ما يجري في المغرب، وساعدته على ذلك الزيارات المتكررة التي كانت تقوم بها لمنزله شخصيات مغربية مختلفة المشارب والمذاهب، وكان في مقدمة هؤلاء المهدي بن بركة الذي كان يتردد كثيراً على مصر بسبب ارتباط نشاطه بمنظمة تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية التي كان مقر سكرتاريتها الدائمة بالقاهرة.

وفي سادس فبراير 1963، انطفأت شمعة محمد بن عبد الكريم الخطابي في بيته بالقاهرة نتيجة سكتة قلبية، وذلك حوالي الساعة الثانية عشرة ليلاً (العلمي، 92)، وقد أقيمت له جنازة كبرى حضرها جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة وأعضاء الحكومة المصرية، ووفد رسمي مغربي، والسفراء العرب المعتمدون بالقاهرة، وكثير من الشخصيات، والطلبة المغاربة، وجمهور غفير، ودُفن في مقبرة الشهداء بالعباسية بالقاهرة، بعد أن رفضت أسرته نقل جثمانه إلى المغرب لدفنه هناك.

أ. ابن عبود، *مكتب المغرب العربي في القاهرة* ؛ ع. بناني، *النشاط السياسي للوطنيين المغاربة بالقاهرة في عام 1947، في النهضة والتراث* ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية* ومراحل النضال، جزآن ؛ م. ابن عزوز حكيم، *وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب*، ج 1 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *ومضات مضيئة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني* ؛ م.

الرفاعي، *الجامعة العربية وقضايا التحرير*، ط. 2 ؛ م. العلمي، *زعيم الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ط 2 ؛ م. عودة، *فاروق بداية ونهاية* ؛ ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي* ؛ ر. فورنو، *عبد الكريم أمير الريف*، ت. فؤاد أيوب ؛ م. القاضي، *أسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي* ؛ م. الكتاني، *ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد* ؛ م. مارتين، *الاستعمار الإسباني في المغرب (1860 ـ 1956)* ؛ ت. عبد العزيز الودي، مكتب *المغرب العربي، مؤتمر المغرب العربي المنعقد بالقاهرة من 15 إلى 22 فبراير 1947* ؛ *مخطوطة سانيي*، انظر، ع. بناني، *قراءة في مذكرات محمد بن عبد الكريم الخطابي* انطلاقا من كتاب "*جذور حرب الريف*" للأستاذ جرمان عياش، في دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش ؛ ع. بناني، *محمد زنيبر رائداً من رواد البحث في تاريخ الثورة الريفية*، مجلة آفاق، ع. 56، الرباط 1995؛ جريدة "*الشباب*" المصرية" جريدة "*القاهرة*" المصرية ؛ جريدة "*الصحافة*" اللبنانية ؛ مجلة "*آخر ساعة*" المصرية ؛ *رسالة عبد الله إبراهيم إلى محمد بن عبد الكريم الخطابي*، نسخة منها عند المؤلف.

K. Brown, *Résistance et nationalisme*, in *Abd-el-krim et la république du Rif*, actes du colloque international d'études historiques et sociologiques, 18 - 20 janvier 1973, Paris, 1973 ; I. M. Hart, *De "Ripublik" à "République"*, in *Abd-el-krim et la république du Rif* ; D. Rivet, *Commandement français et ses réactions vis-à-vis du mouvement rifain* (1924 - 1926), in *Abd-el-Krim et la république du Rif* ; Y. Rouissi, *Témoignage* ; H. Bourguiba, *La Tunisie et la France*, Paris, 1954 ; L. Gabrielli, *Abd-el-Krim et les événements du Rif*, Casablanca, 1953 ; A. Germain, *Les origines de la guerre du Rif*, Rabat, Paris, 1981 ; R.J. Mathieu, *Mémoires d'Abd-el-Krim*, Paris, 1927 ; Service Historique de l'Armée de Terre-Vincennes, Carton 3H-94 (Maroc), Carton 3H-100 (Maroc), Carton 3H-132 (Maroc) Carton 3H-466 (Maroc, Papiers Sauerwein 1K55.

**الخطّابي، مَحمد** بن عبد الكريم الشقيق الأصغر لزعيم الثورة الريفية مُحمد بن عبد الكريم. ولد في أجدير بخليج الحسيمة سنة 1892 (البوعياشي، 1 : 77). وعندما بلغ سن التعليم، أنشأ والده مكتبا ابتدائيا خصوصيا ليحفظ فيه القرآن الكريم، ثم علمه بنفسه مبادئ الدين والنحو والتصريف والفقه ومبادئ التاريخ ( *مخطوطة سانيي*، 7).

وقد كان من المنتظر أن يذهب مَحمد بن عبد الكريم إلى فاس لمتابعة دراسته في القرويين كما فعل أخوه الأكبر، وكما فعل والده ومن سبقوه من أفراد العائلة، إلا أن الأحوال السياسية كانت قد تبدّلت بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء (يناير ـ أبريل 1906)، لذلك رأى والده الذي كان يتمتع بحس سياسي ووعي متقدم أن من المصلحة تغيير توجيه ابنه وإرساله إلى مليلية لتعلم اللغة الاسبانية (Ayache, 165)، وقد حقّق ذلك فعليا في نهاية سنة 1906، حيث ألحقه بالمدرسة الابتدائية التي كانت الإدارة الإسبانية بمليلية قد أسستها لتعليم الأهالي وتهذيبهم ( *مخطوطة سانيي*، 7)، وكان عمره حينئذ أربع عشرة سنة. ونظراً لتفوقه، ثم لعوامل سياسية قائمة على أهمية وظيفة أخيه الأكبر في مليلية، وعلى مركز والده في قبيلته بني ورياغل، اختارته الإدارة الإسبانية للذهاب إلى مالقة للدراسة في سلك المعلمين. وبعد سنتين أحرز على شهادة معلم (Mathieur, 67)، فعاد إلى أجدير حيث أخذ يعين والده في أشغاله الشخصية، ويتعلم في نفس الوقت على يده العلوم الفقهية والنحوية ( *مخطوطة سانيي*، 10).

وفي 6 فبراير 1911، سافر مَحمد الخطابي برفقة والده وأفراد عائلته إلى تطوان حيث ظلوا فيها لغاية شهر مايو 1913 (S.H.A.T., Carton 3H - 262). وقد حاول في هذه الفترة تعلم اللغة الفرنسية، فالتحق بمدرسة الاتحاد الإسرائيلي بتطوان (Ayache, 191)، إلا أن السلطات الإسبانية استاءت من ذلك واستنكرته، فاضطر إلى قطع دراسته، ثم العودة إلى أجدير بعد أن رأى والده أن الظروف مناسبة لعودة العائلة إلى مسقط رأسها.

بعد ذلك ببضعة أشهر، سافر مَحمد الخطابي إلى مليلة لمتابعة دراسته الثانوية، وبعد عامين حصل على شهادة البكالوريا بعد إجراء الامتحان في مالقة باسبانيا، وحصل على منحة إسبانية للالتحاق بمدرسة المعادن بمدريد. إلا أن السلطات الإسبانية ألغت هذه المنحة بتعليمات مباشرة من المندوب السامي الإسباني في 20 أكتوبر 1915، وذلك بعد إلقاء القبض على أخيه القاضي محمد بمليلية في 6 سبتمبر 1915 (Ayache, 221). كان مَحمد الخطابي في هذا الوقت بالذات بأجدير، وكان عمره حينئذ حوالي 23 سنة، ويبدو أنه كان يلعب بالاتفاق مع والده دوراً مؤثراً معادياً للإسبان، وهذا هو ما جعل حاكم جزيرة النكور العسكري يسعى لاغتياله لو لا معارضة المندوب السامي الإسباني

(Ayache, 235). وبعد إطلاق سراح أخيه في بداية غشت 1916 وعودته إلى عمله بمليلية في النصف الثاني من سبتمبر من نفس العام، سافر مَحمد الخطابي إلى مدريد في أكتوبر 1917 لمتابعة دراسته بمدرسة المعادن لتخريج المهندسين، وكان يتمتع بمنحة سياسية ويقيم في إقامة الطلبة بجوار المدرسة، ويشرف عليه شخصيا سكرتير قسم المغرب في وزارة الدولة بمدريد. وبعد سنة تحضيرية نجح في نهايتها بامتياز في دورة أكتوبر 1918، بدأ مَحمد الخطابي دراسته بالمدرسة، ولكنه لم يستمر طويلا، إذ طلب منه والده العودة إلى أجدير، فقطع دراسته وعاد في منتصف يناير 1919. وبذلك بدأت بالنسبة له مرحلة جديدة بجانب والده وشقيقه محمد بن عبد الكريم. ومنذ هذا الوقت، ربط مَحمد الخطابي نفسه بأخيه ربطا محكما يثير الدهشة والإعجاب، وقد سارا في نفس الدرب، وشربا من كأس واحدة، وواجها نفس المصير.

ويبدو أن مَحمد الخطابي كان نشيطا من الناحيتين السياسية والاجتماعية أثناء وجوده بمدريد، فقد ربط علاقات وثيقة مع بعض الشخصيات العامة وأعضاء الحكومة الاسبانية (Mathieu, 68)، ويذكر أخوه محمد بن عبد الكريم أنه عندما كان في مدريد "كان يقاسي الشدائد من جهة السياسة الريفية، وقد نصح كثيراً من أعضاء الحكومة والوزارات وأرشدهم إلى الخطة التي يجب سلوكها في الريف، وخصوصا في القسم الخارجي من الوزارة الذي كان له اتصال عظيم به، فلم يلق قبولا من هاته الوجهة، ولم ير إلا التسويف والاهمال، وأنذرهم في الأخير بسوء العاقبة وصرح لهم بأنهم إن لم يرجعوا عن هاته السياسة الخرقاء فإن مصيرهم في الريف يمكن أن يكون كالمصير الأخير في كوبة" ( *مخطوطة سانبي*، 11).

أصبح مَحمد الخطابي بعد موت والده عبد الكريم في 7 غشت 1920 (Ayache, 302) اليد اليمنى لشقيقه محمد ابن عبد الكريم ومستشاره وكاتم سره ومبعوثه الخاص ونائبه في المهمات الكبرى. وبعد انتصار الريفيين في أنوال في 21 يوليو 1921 وزعامة محمد ابن عبد الكريم للقبائل الريفية المستقلة، أصبح أخوه مَحمد خليفته والرجل الثاني في الثورة وأكثر الزعماء الريفيين تأثيراً ونفوذاً بعد أخيه، وقد ظلاً معا طيلة فترة الثورة الريفية يشكلان الوحدة التي لا تتزعزع في الفكر والعمل.

ونظراً لخبرة مَحمد الخطابي وكفاءته ومعرفته بأحوال أوربا، فقد أرسله أخوه إلى فرنسا للتعريف بقضية الريف، ولإطلاع رجال حكومتها على ما يجري في شمال المغرب، ولمعرفة آراءهم وموقفهم من ذلك، ولتبليغهم رغبة الريفيين في أن تلتزم فرنسا الحياد الدقيق (ابن جلون، 189). وقد سافر مَحمد الخطابي إلى فرنسا تحت اسم مستعار وبجواز سفر جزائري عن طريق فاس ثم تلمسان (Mathieu, 114)، وعاد منها عن طريق الجزائر، وظل بها عدة شهور من نهاية أكتوبر 1922 إلى مارس 1923 (حكيم، 148 و178) دون أن يستطيع تحقيق ما كان يرمي إليه (Mathieur, 116). وبعد عودته من فرنسا، أصبح مَحمد الخطابي وعمره حينئذ 32 سنة المسؤول عن القوات الريفية يستوي في ذلك الجيش النظامي والقوات التي تعبئها القبائل. وقد كان يقود بنفسه العمليات الهجومية الكبرى للقوات الريفية (حكيم، 75، 79، 80، 198، 212)، لذلك نجده على رأس هذه القوات عندما قامت بالهجوم على غمارة وجبالة حتى دخلت مدينة الشاون في 14 دجنبر 1924 (البوعياشي، 2 : 269)، كما أنه هو الذي قاد أكبر هجوم ريفي على بني زروال في أبريل 1925، وهو الذي ظل يدافع إلى آخر لحظة عن جبهة أجدير ضد هجوم الإسبان الصاعق في شهر سبتمبر 1926 (الوزاني، 2 : 324). وعندما استسلم محمد بن عبد الكريم زعيم الثورة الريفية للفرنسيين فجر يوم 27 ماي 1926 بترگست، كان برفقته شقيقه مَحمد الخطابي، وقد نُفيا معا مع مجموعة كبيرة من أفراد عائلتهما إلى جزيرة الرينيون التي وصلوا إليها في 10 أكتوبر 1926 (S.H.A.T., Papiers Sauerwein 1K55)، وهي الجزيرة التي ظلوا فيها عشرين سنة وستة أشهر. ونظرا لإتقانه اللغة الفرنسية، فقد كان مَحمد الخطابي طيلة فترة المنفى بجزيرة الرينيون، المتحدث باسم أخيه ومترجمه الخاص وكاتب رسائله إلى السلطات الفرنسية.

وفي 31 ماي 1947 التجأ امَحمد بن عبد الكريم مع أخيه وعائلته إلى مصر، وبدأت بذلك مرحلة جديدة من حياة الأخوين تميزت بالنضال السياسي من أجل استقلال المغرب وباقي بلدان المغرب العربي. وقد كان لمَحمد الخطابي الفضل الكبير في إقناع أخيه باللجوء إلى مصر، إذ أن هذا الأخير كان رافضا للفكرة في بداية الأمر (ابن عبود، 109).

وكما حصل في المنفى أو قبل ذلك في فترة الكفاح المسلح، وجد محمد بن عبد الكريم شقيقه مَحمد بجانبه، وكالعادة، لعب هذا الأخير دور النائب والمساعد والرجل الثاني بالنسبة لأخيه، ولهذا أصبح يشغل منصب وكيل الرئيس محمد بن عبد الكريم في المكتب المؤقت للجنة تحرير المغرب العربي التي تأسست في 9 دجنبر 1947 (الفاسي، 349)، وظل يشغل نفس المنصب عندما عقدت اللجنة جمعيتها العمومية في 10 ماي 1948 وانتخبت مكتبها الجديد.

وبحكم منصبه الجديد، ونظراً لشخصيته وتاريخه الحافل، استطاع امحمد الخطابي ربط علاقات وثيقة بالعديد من الشخصيات المصرية والعربية، والتعرف من خلال ذلك على ما يجري في الجامعة العربية من نشاط سياسي وخاصة ذلك المتعلق بالمغرب العربي وفلسطين. وقد تعرف عليه في هذه الفترة وعمل معه العديد من الزعماء والشخصيات العربية والمغربية مثل الحبيب بورقيبة، علال

الفاسي، محمد بن الحسن الوزاني، عبد الخالق الطريس ومَحمد بن عبود.

وعندما بدأ الكفاح المسلح من جديد في المغرب العربي، ازداد نشاط مَحمد الخطابي، وكان له دور كبير في دعم هذا الكفاح، وهو دور لم يتوقف بحصول المغرب على استقلاله سنة 1956، وإنما استمر إلى أن حصلت الجزائر على استقلالها في سنة 1961.

وكشقيقه محمد بن عبد الكريم، كان مَحمد الخطابي غير راض ولا مقتنع بالطريقة التي تم بها حصول المغرب على استقلاله، وكان يرى أنه لا يتم استقلال بلد مّا إلا بجلاء جميع القوات الأجنبية عنه، وتحرير جميع أراضيه من الاستعمار. ولهذا السبب ولأسباب أخرى، لم يعد مَحمد الخطابي إلى المغرب بعد سنة 1956، وظل بالقاهرة إلى أن فُجع بهزيمة المغرب أمام إسرائيل في حرب يونيو 1967، فجاء إلى الرباط، إلاّ أنه لم يهنأ بعودته إلى وطنه، إذ أصيب بمجرد وصوله بأزمة قلبية حادة نُقل اثرها إلى مستشفى ابن سينا حيث أمضى فترة من العلاج سافر بعدها إلى مراكش لينتفع بهوائها الجاف. وبعد عودته إلى الرباط، عاودته الأزمة القلبية ولم تمهله هذه المرة، وتوفي رحمه الله في يوم 19 دجنبر 1967 وعمره 75 سنة دون أن يتمكن مرة أخرى من رؤية الريف والمناطق التي عاش فيها أجمل أيام حياته النضالية. وقد نُقل جثمانه طبق وصيته إلى أجدير حيث دفن بمقبرة المجاهدين وسط احتفال مهيب حضره وفد رسمي برئاسة الجنرال محمد افقير وزير الداخلية في ذلك الوقت، وزعماء بعض الأحزاب والهيئات الوطنية وفي مقدمتهم عبد الرحيم بوعبيد (العلمي، 93). وقد امتلأت أرجاء المقبرة وهوامشها بجموع غفيرة، وتخلل الاحتفال كلمات بعض رؤساء الوفود الحاضرة الذين تحدثوا عما امتلأت به حياة هذا المجاهد الكبير من كفاح مجيد ضد الاستعمار.

وكان من المنتظر إقامة مهرجان وطني يليق بمقام الفقيد بمناسة الذكرى الأربعينية لوفاته، وفعلا تمت الترتيبات لذلك في مدينة الحسيمة، وحضرت شخصيات ووفود الأحزاب والهيئات الوطنية والأجنبية، لكن المهرجان الكبير ألغي في آخر لحظة بتعليمات مباشرة لسلطات الحسيمة من وزير الداخلية الجنرال محمد أفقير (البوعياشي، 2 : 502).


أ. ابن عبود، مكتب *المغرب العربي في القاهرة* ؛ ع. ابن جلون، *هذه مراكش* ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية ومراحل النضال* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *ومضات مضيئة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني* ؛ م. العلمي، *زعيم الريف محمد عبد الكريم الخطابي*، ط. 2 ؛ ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي* ؛ م. ح. الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، حرب الريف ؛ *مخطوطة سانيي* ؛ انظر ع. بناني، قراءة في *مذكرات محمد بن عبد الكريم الخطابي* انطلاقا من كتاب "*جذور حرب الريف*" للأستاذ جرمان عياش، في "دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش".

G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif*, Rabat, Paris, 1981 ; R.J. Mathieu, *Mémoires d'Abd-El-Krim*, Paris, 1927 ; Service historique de l'armée de terre - Vincennes, Carton 3H - 262 (Maroc), Papiers Sauerwein 1K55.


عثمان بناني

**الـخطابي، المعطي** بن محمد مقاوم، ولد عام 1932 بقبيلة السماعلة وادي زم إقليم خريبكة، وكان من أفراد الحركة الوطنية حيث شارك فيها سنة 1951 وأسندت له مهمة نشر الدعاية وبث الوعي الوطني والقيام بالتجمعات، وشارك مشاركة فعالة في ثورة 20 غشت 1955 حيث شارك في عمليات الإحراق والقتل والتخريب لمنشآت المعمرين، وأصيب برصاص المستعمر في تلك الأعمال وسقط شهيدا رحمه الله.


المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 2 : 139.


**الخطارة** أو الكظامة أو الكظيمة، قناة أو مصرف باطني لسديمة مغذية. وهي شبكة أو نظام من القنوات التي تعمل على التحريك الباطني للماء ونقله على مسافات بعيدة دون تعريضه للتبخر. ذلك أنها تنتظم على شكل سلسلة خطية من الآبار، بئر بجانب بئر، يربط بينها مجرى باطني (انظر الرسم رقم 1). ولوجوده لا بد من توفر الشروط التالية :

- وجود سديمة مائية غنية غير عميقة بإبط السلاسل الجبلية التي تعتبر خزانا للمياه. ويجب أن تتكون التضاريس المشرفة من صخور قابلة لخزن الماء وتصريفه جانبيا.
- وجود منحدرات خفيفة عبارة عن حادورات تمتد عند قدم التضاريس الجبلية المشرفة، ولإنشاء الخطارة يجب أن يكون انحدارها أخف من انحنائي السديمة والسطح حتى يتمكن ماؤها من البروز والتدفق على وجه الأرض.
- أن تكون الرواسب المكونة للمنحدرات قابلة لتسرب المياه والجريان التحتي على عمق مناسب.

رابعا : يجب أن تكون في أسفل تلك الرواسب طبقات كتومة تشكل حاجزا مانعا لاستمرار تسرب المياه من نوع الطين مثلا، أي وجود ركيزة جيولوجية غير نافذة. وذلك حتى يكون مجال التصريف فعالا ويسمح بسيلان جانبي للمياه. ولكن هذا الشرط ليس بقاعدة عامة إذ نجد استثناءات كما هو الحال بمنطقة الحوز.

والملاحظ أن هذا النظام وجد بالخصوص في المناطق الجافة وشبه الجافة لحل مشكل الماء المطروح بحدة. لذا فالخطارة تحمل أسماء مختلفة حسب الجهات الجغرافية : بسهل الافلاج بالحجاز السعودي تحمل اسمل فلَج. وهو

مصطلح مشتق من فَلَجَ الأرض، أي شقها. كما نجد نظام الخطارة بإيران، بأرمينيا، بالصين، بجزيرة إيبريا حيث عُثر على شبكة من الخطارات بموضع مدريد. كما نجدها بالمغرب العربي (توات، تافيلالت، الحوز). فالطوارق يطلقون عليها اسم "إفلي"، والأمازيغ اسم "إفري". ويدعو سكان درعة الآبار بالخطاطير. وقد تطور هذا النظام بالمغرب، خاصة بمنطقتي الحوز وتافيلالت، حيث جاء كواحد من الأساليب التي استعملت لإيجاد حل لمشكلة ندرة الماء للري أو للشرب.

- الخطارة نظام عريق بمنطقة تافيلالت.

- عوامل تطور النظام الخطاراتي : يكتسي الماء بالجنوب المغربي أهمية حاسمة طيلة السنة في حياة السكان بالمجال الواحاتي، حيث كان وما زال يمثل المشكل الأساسي. لذلك لم يدخروا جهداً منذ القديم لاستغلاله بكل الوسائل الممكنة :

- استخراج مياه الآبار بواسطة الدلو "أغرور" بتافيلالت، أو بواسطة الشادوف بدرعة.

- تحويل مياه امتطاحات الوديان المخدرة من الجبال المشرفة بواسطة بناء سدود بسيطة "اگوگ" ومد السواقي.

- استعمال تقنية الخطارات لأسر مياه السديمات.

ولقد استعملت هذه التقنية الأخيرة بحوض درعة (اكتاوة، المحاميد) لكنها كانت أكثر تطورا وازدهارا واستعمالا بحوضي زيز وغريس من تدغة السفلى غربا إلى سهل تافيلالت شرقا. هناك خطارات الجرف بوادي غريس، ثم خطارات حوض المعادير جنوب جبال صاغرو والوگنات. لكن أهمها خطارات فنزة (الگفيفات) الموجودة بالشمال الغربي لتافيلالت إذ يبلغ صبيبها ألف ليتر من الماء في الثانية. ومن العوامل التي ساعدت تطور هذا النظام بمنطقة تافيلالت :

أولاً : وجود سديمة مائية غنية وقريبة من السطح بقدم كل من جبال الأطلس الكبير الكلسي الشرفي وجبال صاغرو - الوگنات. فجبال الأطلس تشكل جدارا يتلقى تساقطات هامة (400 - 800 ملم) تغذي المياه السطحية (زيز - غريس) أو المياه الباطنية للسديمات. أما جبال صاغرو - الدگنات فهي امتداد للأطلس الصغير شرقا. ورغم أن المظهر الرئيسي هو احتداد الجفاف، فإن الارتفاعات تساعد على تزايد التساقطات (أكثر من 300 ملم). كما يتكونان من صخور أولية وبلورية قابلة لخزن المياه وتصريفها جانبيا (الكلس، الحث).

ثانياً : وجود حادورات خفيفة الانحناء ممتدة عند قدم كل من جبال الأطلس والوگنات في اتجاه الجنوب والجنوب الشرقي.

ثالثاً : وجود رواسب فتاتية قابلة لتسرب المياه والجريان التحتي على عمق مناسب، بحيث تعرض السطح للردم بمواد غرينية طمرت المجاري القديمة التي تشكل الأماكن المفضلة لسريان المياه الباطنية. وهكذا توجد فرشات مائية مهمة بسيلان الوديان وبالمنخفضات الضعيفة العمق كما هو الحال جنوب الوگنات، حيث عمق السديمة ضعيف (2 - 6 م). بسهل تافيلالت الفرشة المائية عميقة نسبيا. ويتم استغلالها بجفر الخطارات أو الآبار.

رابعاً : وجود ركيزة جيولوجية غير نافذة، حيث تتوضع الرواسب السطحية فوق صخور سيشتية قليلة النفاذية. كما أنها تبرز هنا وهناك على شكل رؤوس تخترق المواد الغرينية الرباعية (تضاريس أبلاشية مبعوثة)، وتلعب هذه الرؤوس دورين رئيسيين : من جهة تعمل على رفع مستوى السديمة إلى السطح، ومن جهة ثانية غالباً ما تشكل نقط انطلاق للخطارات.

مكانة الخطارات من أساليب الري الأخرى.

بالنسبة للأساليب التقليدية : أنشأ الفيلاليون نظاما سقويا تقليديا قديما يرتكز على تحويل الامتطاحات وعلى استخراج مياه السديمة بالدلو أو بالخطارات. وقد نجحوا في تكييفه مع التقلبات التي يعرفها المجال الفيلالي العطوب. ويمثل هذا النظام 11،03٪ من عملية إفراغ السديمة، في حين يمثل التبخر 76،1٪، والانبثاقات والمنافذ بقعري زيز وغريس 7،3٪، والباقي 3،73٪ بواسطة الضخ العصري. ويحتل أسلوب الخطارة المرتبة الثانية في النظام التقليدي بعد أسلوب "الأغرور".

وإذا كانت مياه الخطارات أقل عرضة للتبخر، خاصة وأن نسبة هذا الأخير مهمة في استنزاف السديمة، فإنها تجري ليل نهار، وبالتالي قد تساهم في استنزافها أيضا إذا لم تستغل جيدا. وهكذا عكس تقنية "الأغرور" التي لا تستخرج مياه السديمة إلا عند الحاجة إليها.

بالنسبة للأساليب العصرية : أدخل نظام سقوي عصري بعد بناء سد الحسن الداخل لأهداف متعددة منها حل مشكلة الماء بالمجال الفيلالي. لكن هذا النظام لم يجد تكيفا، بل زاد من حدة مشكل الماء كميا عن طريق حرمان المنطقة من الامتطاحات التي تلعب دورا مهما في تغذية السديمة، ونوعيا عن طريق ارتفاع نسبة الملوحة. كما أن إدخال المحركات وتطور عملية الضخ العصري لتغطية النقص الحاصل في مياه الامتطاحات أدى إلى انخفاض قوي لمستوى السديمة واستنزافها بدون سابق مثل. وكان من نتائج ذلك التزايد التدريجي في عمق الآبار، مما أدى إلى التراجع الكبير لنظام "الاغرور" من جهة، وانخفاض صبيب الخطارات ونضوب بعضها من جهة ثانية.

آفاق الاستعمال والأدوار البيئية : يوجد بمنطقة تافيلالت ما يزيد عن ستين خطارة تتوزع على منطقتين رئيسيتين هما : حنابور صيفا بالضفة اليمنى لغريس، ثم تانجويت شمال شرف الريصاني. هذا بالإضافة إلى بعض الخطارات المنعزلة (تيزيمي، السفالات). وتشكل هذه المجموعات النظام الخطاراتي الذي يعرف أزمة تتمثل في نضوب العديد من الخطارات التي أصبحت مهجورة موسميا أو نهائياً. ويرجع ذلك إلى عوامل خاصة بكل مجموعة :

ـ بالنسبة لمجموعة تانجويت : نضوب الخطارات مرتبط بالانخفاض القوي في مستوى السديمة والذي يرجع لسببين هما : من جهة حرمان المنطقة من الامتطاحات المغذية للسديمة، ومن جهة ثانية استنزاف هذه الأخيرة عن طريق استخراج مياهها بالاغرور، وخاصة بالضخ العصري الذي تعددت نقطه.

ـ مجموعة جنابو ـ صيفا : تمثل الثروة المائية الوحيدة بالمجال الفيلالي لأنها تتغذى من الوكَنات حيث السديمة قوية. وتجفيف بعض الخطارات هنا مرتبط بالعوامل التالية :

ـ الإرمال حيث تتعرض بعض الخطارات للردم بالرمال.

ـ انعدام الصيانة إما بسبب قلة اليد المجانية بعد اختفاء العبودية، أو بسبب المشاكل الاجتماعية بين المستعملين حول الصيانة واستخراج النثالة.

ـ عدم إمكانية إحياء وتنشيط الخطارات بسبب القانون العرفي الذي يمنع كل زيادة في الصبيب عن طريق تمديد الخطارات نحو العالية.

ـ يضاف لكل تلك العوامل تأثير فترات الجفاف على صبيب الخطارات ـ حتى المصانة منها ـ مما يجعل بعضها يجف خلال الفترات الجافة ويجري خلال الفترات الرطبة.

وهكذا فإن الفيلاليين بذلوا مجهودات جبارة للتحكم في كمية الماء القليلة. وتترجم تلك المجهودات الأهمية الرئيسية التي يمثلها الماء في حياة السكان والتوازن البيئي بالمجال الفيلالي الهش الجاف، إذ بدون ماء تستحيل إقامة حياة فلاحية ووجود البيئة الواحاتية. وقد تمكن الفيلاليون من بناء نوع من التوازن البيئي العريق في القدم، لكن يبدو أن مجاله يعرف نوعا من التفاقم إذ أصبح معرضا للخطر والتدهور، وربما مهددا بالاختفاء ويرجع ذلك إلى الأسباب التالية :

ـ التطور البيئي : تطور ظاهرة التصحر بمعناها الواسع (تحرك الكثبان الرملية، إرمال الخطارات، نقصان الامكانيات المائية نتيجة بناء السد واستنزاف السديمة، مما أدى إلى نضوب بعض الخطارات، تراجع التخليل الذي لعب النظام الخطاراتي دورا مهما في تطوره ووجوده.

ـ التطور الديمغرافي : وكان من نتائجه الطبيعية والملازمة الاستغلال المكثف والمفرط للمجال وبالتالي التدهور البيئي.

ـ التحولات الاجتماعية والاقتصادية السريعة العنيفة : وهي ناتجة عن ادماج المجال الفيلالي في النظام الاقتصادي الجديد. ولم تفلت المجالات الخطاراتية من تلك التحولات بما فيها المناطق الحية والمستقرة نسبيا (تطور السياحة التي تستهلك ثلث المياه، شراء المواد التي كانت تنتجها الواحات، مدخول معظم السكان خارجي، هجرة السكان).

كل ذلك جعل المجال الفيلالي العطوب في أزمة، والذي ساهم نظام الخطارة في توازن ومقاومة العناصر المناهضة له. الخطارة واحدة من التقنيات السقوية الأكثر أصالة وقدما بالحوز.

عوامل تطور النظام الخطاراتي بالحوز :

يُقال إن المهندس عبيد الله، أو عبد الله بن يونس هو الذي أدخل هذا النظام إلى الحوز. وقد أتى به الأمير

الخطـــــــارة

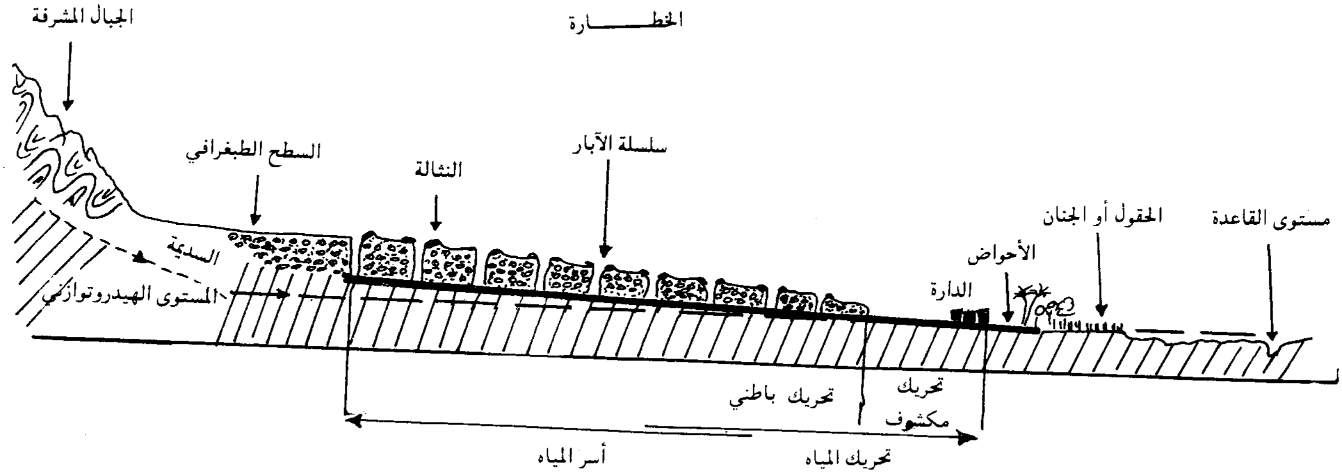


مواد قابلة لتسرب المياه والجريان التحتي

صخور كتومة تشكل جداراً مانعاً لتسرب المياه

تضاريس مشرفة مكونة من صخور قابلة لخزن المياه وتصريفها جانبيا

المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، عندما بلغت أزمة الماء حدها بسبب تحول مدينة مراكش إلى عاصمة لامبراطورية واسعة الأرجاء، وارتفاع عدد سكانها. ولم يعد أسلوب الآبار كافياً، لذا أصبح من اللازم التفكير في أسلوب آخر. ويبدو أن رجال الحرفة، أي حفاري الآبار هم الذين استعملوا مصطلح خطارة لتمييز هذا الأسلوب عن الأساليب الأخرى (الآبار، العيون، السواقي). ومن المعلوم أن حفّاري الآبار والخطارات هم من أصل جنوبي (فركلة أو تنجداد، درعة). والسعديون هم الذين أتوا بالدرعيين الذين يسمون الآبار بالخطاطير.

وهكذا جاء هذا النظام، كما هو الحال بتافيلالت، كواحد من أساليب متنوعة لحل مشكلة الماء. ومن العوامل التي ساعدت على تطوره :

- أولاً : وجود فرشة مائية باطنية غنية وغير عميقة بقدم جبال الأطلس المراكشي الذي يعتبر خزانا للمياه، إذ يتكون سفحه الشمالي من صخور متنوعة نافذة قابلة لخزن الماء وتنظيم تزويد السديمة به جانبيا. وتتمثل أساساً في الكلس من أعمار مختلفة رغم بروزاته المحدودة، ثم صخور الحث. وتقدر كمية التساقطات المغذية للسديمة بحوالي 50 م3 / ء. و التي تجري على طول السفح نحو منخفض الحوز.

- ثانياً : وجود منحدرات خفيفة عبارة عن حادورات تمتد عند قدم الأطلس، بحيث تمر تدريجيا إلى ضفاف وادي تانسيفت. ويساعد هذا الانحناء تدفق مياه الفرشة على السطح قبل الوصول إلى مستوى القاعدة (تانسيفت).

- ثالثاً : وجود رواسب قابلة لتسرب المياه والجريان الباطني على عمق مناسب، إذ تعرض منخفض الحوز خلال النيوجين والرباعي للردم من طرف مواد فتاتية قارية. وهنا مرة أخرى يظهر دور الأطلس في توفير هذه المواد، إذ يتكون سفحه الشمالي كذلك من صخور قابلة للتعرية، خاصة بحوضي أوريكة والزات، والتي تتحكم في كمية تلك المواد التي تقوم بخزن المياه الآتية من الأطلس أو المرتبطة بالأمطار التي تحدث فوق المنخفض نفسه، أو تسرب مياه السقي بالدير بعالية الخطارات.

- رابعاً : وجود جدار كتوم نسبيا. رغم أن المواد الرادمة لمنخفض الحوز عبارة عن خليط من الغرينيات المتغايرة القياس والنفاذية والمرسبة بكيفية معقدة، فإن النفاذية تقل نحو الأسفل، إذ تصبح المواد النيوجينية السميكة ذات سحنة صلصالية تزداد بها نسبة الطين، مما ساعد على سريان كلي تقريبا للسديمة في الجزء العلوي من الردم القاري.

تنظيم المجال الخطاراتي بالحوز : تختلف الخطارات بالحوز من حيث الطول وعمق الآبار. كلما ابتعدنا جانبيا عن المحاور المائية المتدفقة من جبال الأطلس المراكشي، كلما صارت الخطارات طويلة والآبار عميقة. والعكس صحيح. وهكذا يتراوح طولها بين خمسمائة متر وخمسة كيلومترات. وقد يصل عدد الآبار المكونة لها إلى ثلاثمائة بئر، وتتراوح المسافة الفاصلة بين بئر وآخر من عشرة إلى عشرين مترا. ويتكون المجال الخطاراتي من العناصر المجالية التالية.

تتكون العالية من جزئين : جزء أول : مجال أسر وتصريف المياه. ويتكون من سلسلة من الآبار المتباعدة، لأجل إزالة الردم والتهوية أثناء الانجاز أو لأجل التنظيف والصيانة بعده. عرض المصرف حوالي عشرة أمتار. ومن ثمة يصبح المنظر عبارة عن سلاسل من الآبار المتناثرة. وتتراوح المسافة الفاصلة بين سلسلة وأخرى بين مائة وثمانين (180 م) ومائتي متر (200 م) حتى لا يقع تنافس في أسر مياه السديمة. وجزء ثانٍ : مجال تحريك ونقل المياه. ويتكون بدوره من شطرين : شطر يتم فيه التحريك باطنيا وآخر يصير فيه مكشوفا.

السافلة مكونة من جزئين كذلك : جزء أول مكون من الدارة أو الرياض (سكنى ثانوية)، ومن صهريج أو حوض لتجميع المياه، لأن صبيب الخطارات ضعيف إذ أن 75٪ منها صبيبها أقل من عشرة ليترات في الثانية (10 ل / ث)، و93٪ منها أقل من عشرين ليترا في الثانية (20 ل / ث)، ولأنها عبارة عن مصاريف تجري ليل نهار. لذا لا بدّ من تخزين المياه وتجميعها. وجزء ثانٍ : مجال مكون من البساتين أو الأجنة (الجنانات)، ومن شبكة من قنوات التصريف.

- موقع الخطارات من أساليب الري الأخرى :

- بالنسبة للأساليب التقليدية : هناك ست مجموعات من الخطارات هي من غرب مدينة مراكش نحو شرقها : الوداية، تامصلوحت، أزوفيد - مراكش، أرويكة، الجنانات، ثم الويدان - زاوية بن ساسي. والملاحظ أن معظمها يتركز جنوب شرق مراكش بالخصوص. وقد تعرض عدد منها للهجر. وهناك حوالي خمسمائة خطارة نشيطة (حية) تمثل حوالي 13٪ من المساحة المروية بهذا الأسلوب وحده، هذا بالإضافة إلى 8٪ بالاشتراك مع الأساليب الأخرى.

أما نظام الري بالسواقي فهو أكثر أهمية إذ يسمح بري 75٪ من المساحة المسقية، لأنه أهم من حيث القدم، خاصة بمخارج الوديان، وأهم من حيث البساطة، ولقدرته على تحويل أضعف صبيب وبأبسط الوسائل (اگوگ). في حين تتطلب الخطارات مجهودا جبارا. لذا يتم تفضيل السواقي عندما يكون الماء دائما، لكن إذا كان موسميا فيفضل نظام الخطارة. أما استخراج مياه الآبار بالدلو والسانية فهو محدود إذ لا يمثل سوى 8٪.

- بالنسبة للأساليب العصرية : أدخلت هذه الأساليب مع الاستعمار عن طريق بناء سد للاتاكركوست، ومد سواقي بالإسمنت من وديان الزات، غيغاية وأوريكة. وذلك لسقي مجالات خارجة عن مناطق الري التقليدية. واستمر التحديث بإنجاز قناة الروكاد التي توجه مياه واد الأخضر بالحوز الشرقي إلى أراضي الحوز الغربي، وببناء سدود

صغرى (تليّة). كما أدخل نظام ضخ مياه الآبار بواسطة المحركات. وقد تكاثر هذا الأسلوب الأخير، خاصة بمنطقة الجنانات (النخيل - الويدان - زاوية بن ساسي)، ابتداء من سنة 1958 بعدما كان ممنوعا قبل هذا التاريخ، مما أثر على عمق السديمة.

وكان من نتائج ذلك تراجع نظام الخطارات، وأهمل عدد كبير منها، ونضب الكثير منها، خاصة الصغيرة التي يقل عمقها عن عشرة أمتار. وتم تعويض المتوسطة بمضخات، في حين استمرت الخطارات الكبيرة.

- آفاق الاستعمال والأدوار البيئية.

لعل النظام الخطاراتي كان من بين الأسباب التي أدت إلى ازدهار أرباض مراكش منذ عهد المرابطين، بحيث تحولت من مجال شبه صحراوي "لا أنيس به إلا الغزلان والنعام، ولا ينبت إلى السدر والحنظل" (*البيان المغرب*)، إلى بيئة خضراء مكونة من أجنة وعراصي تمد المدينة بالخضر والبقول والفواكه والحبوب. كما شكل مجال الخطارات ومازال بيئة للراحة والتنزه، والتي أضفت عليها أشجار النخيل السحر الذي تعرف وتشتهر به واحة الحوز.

لكن الخطارات تعرف حاليا وضعا متأزما إذ أصبح بعضها تحت البنايات نتيجة توسع مدينة مراكش على حساب عدد من الجنان. كما أن تطور أساليب الري الأخرى أدى إلى تراجعها. أضف إلى ذلك مشكل الصيانة التي تتطلب تكلفة أكبر من الآبار المزودة بمحركات عصرية مثلا. زد على ذلك تطور أساليب الإنتاج بالأرباض البعيدة الذي أدى إلى استعمال المواد الكيماوية، مما طرح مشكل تلوث مياه السديمة. هذا بالإضافة إلى أن الخطارات تستهلك نسبة مهمة من الأراضي الصالحة للزراعة نتيجة تعرض تلك المساحات للردم المرتبط بالنثالة المستخرجة من الآبار، أو عن طريق تخريب مجالات مهمة أثناء الحفر.

كل ذلك أدى إلى تدهور العديد من الخطارات. لذا لم يعد الباقي منها يمثل في معظمه سوى إرث تاريخي لأسلوب من أساليب حل مشكلة الماء للري أو الشرب. وهكذا فإن الخطارات الكبيرة، والتي هي في ملك الدولة، لازالت نشيطة ومستمرة لأهداف سياحية، إلى جانب بعض الخطارات المتوسطة والصغرى الخاصة المستعملة في الري.


ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب* ؛ أ. زروال، *دراسة جيومورفلوجية لدير أطلس مراكش بين وادي الزات وتساوت*، الرباط، 1987 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ح. بن محمد الوزان الفاسي (ليون الافريقي)، *وصف إفريقيا* ؛ ح. جلاب، *في تاريخ الماء وأساليب الري*، تانسيفت. مجلة جغرافية الأطلس والحوز، العدد 1، مراكش، 1992.

A. Michard, *Eléments de géologie marocaine*, Rabat 1976 ; A. Alkouffe, *Tafilalet, Etude de la nappe phréatique de Rissani*, Rapport de 15 pages ; D. Jacques-Meunié, *Le Maroc Saharien des origines au 17ème siècle*, Paris, 1982 ; De Troussi, *Les Rhétaras de Marrakech, France - Maroc* 1919 ; F. Joly, *Etude sur le relief du Sud-Est marocain*, Rabat 1962 ; F. Joly et I. Margat, *Remarques sur les bassins hydroliques du Ziz et du Chriss*, Rabat, p. 41 - 55 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912* ; Ladreit de la Charriere, *Les procédés d'irrigation dans la plaine du Haouz de Marrakech. La Nature* n° 1149, 1910 ; L. Mezzine, *Le Tafilalet, Contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIè et XVIIIe siècles*, Rabat 1987 ; My El Hassane Boubekraoui, *La Crise des palmerais de la plaine du Tafilalet (Sud - Est - Marocain)*. Toulouse 1983 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, 2 vol., Rabat 1977.


أحمد زروال

ابن **خطّاري، محمد** بن سلامة مقاوم ولد سنة 1932 بالساقية الحمراء وانخرط في صفوف جيش التحرير المغربي بالجنوب في سنة 1956، وعمل ضمن المقاطعة الثامنة تحت مسؤولية السيد اعلي بويا مبارة.

شارك في معارك في الصحراء إلى أن استشهد رحمه الله بناحية تندوف وذلك بتاريخ 1 / 2 / 1957.


المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 2 : 65.


**الخُطّاف** أو الخُطيف وخُطّاف الشعر أو الخُطّايْفَة كما هو شائع في اللسان المغربي الدارج وفي المعاجم أيضاً، جنس طيور برية صغيرة القد سريعة الطيران. تسمى في الشرق العربي سنونو والكلمة أعجمية واحدتها سنُونُوة وسنُونِية. وتسمى هذه الطيور أيضاً عصافير الجنة وعصافير الأمَانة وزوار الهند والحجَيْجيات. تسمى بالأمازيغية تفْليلْست وإفْليلْس وإبليل وبالفرنسية Hirondelle وبالأنجليزية Swallows, Martins. وبالإسبانية avión.

خطايفة

إنها طيور عارية القدمين والساقين تنتمي إلى رتبة الجواثم المشقوقات المناقر وفصيلة الخطافيات (الخطاطيف) Hirundidae. تتميز بأقدام قصيرة جداً لا تستعملها للمشي بتاتا حيث إنها لا تقف على الأرض إلا في حالة البحث عن الوحل لاستعماله في بناء العش. في حالة الاستراحة تقف على أغصان الأشجار وعلى حاشية سطوح المنازل وعلى

القضبان وخيوط الكهرباء وأحيانا تدخل أعشاشها لتنام فيها. في حالة عطشها تطير محادية لسطح مياه البحيرات والبرك لشرب الماء كما أنها تلتقط الحشرات أثناء طيرانها.

الأجنحة طويلة جداً، ومستدقة الرأس تساعد على السرعة في الطيران حيث تُقَدَّر بمعدل يتراوح بين 55 ـ 65 كلم في الساعة. الذيل طويل ومتفرع. المنقار قصير مختص في التقاط الحشرات التي تُكَوِّن القوت اليومي لهذه الطيور.

تتكون فصيلة الخطافيات من 79 نوعا في العالم منها 7 أنواع كلها من القواطع تقضي فصل الربيع والصيف في المغرب بصفة منتظمة وتشتو في ضواحي إفريقيا الاستوائية والجنوبية.

خطاف المدخنة Hirundo (Hirondelle de cheminée) يعد من الخطاطيف الشائعة في المغرب. يبلغ طوله 19 ـ 20 سم. وبسطة جناحيه 33 ـ 34 سم. يزن 13 ـ 21 گرام. يألف القرى والمدن ويبني عشه بداخل المنازل على حاشية السقوف وبين شقوق الجدران. العش كروي الشكل يتكون من الوحل ويفرش بالريش وأحياناً بشعر الحيوانات والإنسان مما أدى إلى تسميته بخطاف الشعر. يتوالد ما بين مارس ويونيو وتبيض الأنثى 4 ـ 8 بيضات يبلغ قطرها 20 + 13،7 ملم لونها أبيض منقط بالبني المحمر الخفيف. تحضن الأنثى بيضها 14 ـ 16 يوماً وتبقى الصغار بداخل العش 17 ـ 24 يوماً. يتوالد هذا النوع 3 مرات في السنة.

يتميز هذا النوع بمنقار أسود وبريش أسود أزرق اللمعان جهة الظهر وأبيض جهة البطن. الجبهة والعنق حمراء محاطة بالريش الأسود. الذيل متفرع ينتهي بريشتين طويلتين على كل جانب. يعيش هذا النوع في مختلف المناطق المغربية ويكثر عدده خلال فترة الهجرة إلى أوربا ابتداء من فبراير وأثناء العودة إلى إفريقيا خلال شهر شتنبر.

خطاف النوافذ Delichon (Hirondelle de fenêtre) urbica لا يتعدى طوله 12،5 سم. يتميز ببقعة بيضاء على ظهره بين الذيل والجناحين. ريشهُ أسود على ظهره وأبيض على بطنه وعنقه. يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد وتُبْنى الأعشاش متقاربة مع بعضها على الجدران وبين شقوق الصخور العالية تبيض الأنثى 2 ـ 6 بيضات غير منقطة في الغالب، يبلغ قطرها 19،4 + 13،4 وتدوم مدة الحضانة من طرف الزوجان بالتناوب 13 ـ 19 يوما.

الخطاف الأشقر Hirundo (Hirondelle rousseline) daurica لايتعدى طوله 18 سم وبسطة جناحيه 33 سم. يتميز ببقعة كبيرة من الريش الأشقر على مؤخرة ظهره بين الذيل والجناحين وببقعة أخرى بين الرأس والظهر. الذيل متفرع جداً. يبني عشه بداخل الكهوف وبين شقوق الصخور العالية وتحت القناطير وأحيانا على جدران المنازل. شائع في المغرب ما بين يناير وشتنبر.

خطاف الصخور Hirundo (Hirondelle des rochers) rupestris وخطاف الشواطئ (Hirondelle de rivage) Riparia riparia وخطاف الصحاري (Hirondelle du désert) Hirundo Obsoleta طيور لا تتوالد في المغرب ويكثر عددها خلال فترة الهجرة.

تتميز هذه الأنواع الثلاثة بريش بني على ظهرها. الذيل قليل التفرع وقصير.

خطاف المراعي Riparia (Hirondelle paludicole) paludicala يبيض في المغرب ويَخلتف عن الأنواع الأخرى في بناء العش حيث يقوم الزوجان بحفر جحر يصل طوله أحيانا 120 سم وذلك قرب ضفاف الأنهار أو على جانب الطرق. يتوالد ما بين دجنبر وأبريل وشائع في ظواحي مراكش وواررزات والصويرة ومناطق الغرب وفي شمال البلاد،

تحظى طيور الخطاف بعطف واحترام من طرف الإنسان حيث يعتبرها من الطيور المقدسة مما يجعله لا يؤذيها ولا يقترب من أعشاشها. وتعد من الطيور النافعة لأنها تأكل الحشرات التي في إمكانها أن تؤذي الإنسان أو الحيوانات أو النباتات.


مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلون الزراعية*، لبنان، 1988.

M. Thevenot, R.E. Baouab et P. Bergier, *Compte rendu d'ornithologie marocaine*, Docum. Inst. Sci., 1980, 1981 - 1982, Rabat ; W. Reade et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids*. Paris, 1968, p. 231 - 234 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe Withe North Africa and the Middle East*, London, 1984, p. 206 - 207.


محمد رمضاني

**الخَطُّوطْ**، قرية واتفاقية. تنتمي قرية الخطوط إلى محيط قبيلة بني گرفط الهبطية، واقعة على المنحدر الشمالي من كتلة بني گرفط، تستقر مبانيها على كدية انحدارها نحو 206 م. أشارت إليها المصادر البرتغالية والإسبانية وما تزال إلى اليوم بنفس المكان.

تأثرت القرية باحتلال البرتغال لمدينة أصيلا منذ سنة 876 / 1471 وجولات جنودهم المتكررة بحوزها طيلة تسع وسبعين سنة من احتلال المدينة، مما اضطر أهلها إلى الهجرة نحو الداخل منذ انتقاض الهدنة بين البرتغال والوطاسيين سنة 906 / 1500.

ولا نتوفر على الإشارات الدالة على عودة السكان إليها، وذلك بحكم وقوع مساكنها في المقدمة الشمالية من الجبل، تجاه مدينة أصيلا. وقد عد البرتغاليون قرية الخطوط النقطة الآمنة لهم ولغنائمهم المستحوذ عليها من جهات بني عروس، كما أشادوا بموقعها المشرف على القرى السهلية الداخلة في حوز أصيلا، مثل الأبواب وبومهدي وشرقان وقب النيش. ولاشك أن القرية استرجعت أهلها بعد الجلاء

البرتغالي عن أصيلا سنة 1550.

وفي بداية القرن العشرين كانت مندرجة ضمن فرقة الخطوط الكرفطية وشكلت آنذاك إحدى الفرق الكرفطية الأربعة، يدخل في إطارها كل من قرى عين كداخ والخطوط والحرارش والصف. وآنذاك كانت تحت نظر الشريف أحمد الريسوني إلى أن تم احتلالها من طرف الإسبان مع بداية عهد الحماية.

وبهذا الاسم عرفت اتفاقية الخطوط المنعقدة بقرية الخطوط بين الزعيم الجبلي الشريف أحمد الريسوني والمقيم العام بالمنطقة الخليفية الجنرال خوردانا، وذلك يوم 25 شتمبر 1915، بعد سلسلة من الاتصالات السابقة الجارية بينه وبين المقيمين العامين السابقين (ألفاو رتاليه الجنرال مرينا)، تدرجت بين لقاء الزينات وعين الدالية وامتدت خلال سنوات 1913 و1914 و1915 بسبب طرح الريسوني لشرطه الأساسي المتعلق بلزوم إعفاء الكلونيل سلفستري من مهمته بالشمال الغربي المغربي، وهو ما تم يوم 9 يوليوز سنة 1915. جاء هذا الانفتاح موازيا مع تعيين الجنرال خوردانا يوم 24 يوليوز من نفس السنة مكان سلفه الجنرال مرينا. ونقدم مجمل بنود الاتفاقية في سياق مختلف الغايات المتوخاة منها.

تتصدر الاتفاقية ديباجة فحواها عرض أحمد الريسوني لمختلف ما يتعهد بتنفيذه في ثلاثة عشر شرطا، إلى جانب المقابل من تعهدات الحكومة الإسبانية المبينة في سبعة عشر شرطا. وبذلك يكون مجموع عدد بنود الاتفاقية هو اثنان وثلاثون شرطا. وتبرز الغايات في العناصر التالية :

لخصت الديباجة الغايات من عقد الاتفاقية. فبالنسبة لأحمد الريسوني كانت الغاية هي رغبته في تقوية جهازه الدفاعي، بالحصول على ما احتاج إليه من البنادق وعدتها من مختلف الأصناف وعلى الخيام العسكرية، بينما تمثلت غاية الإسبان من جهة ثانية في تمكنهم بواسطة الاتفاقية من بسط نفوذهم على الشمال الغربي، وذلك بإخضاع القبائل ظاهريا لنفوذ المخزن الخليفي بواسطة مساعدة أحمد الريسوني طبقا للأسلوب الاستعماري المعروف بالتهدئة.

وتوضح الاتفاقية أن المطلوب من أحمد الريسوني هو تسهيل مهمة الاحتلال خلال مدة عامة محددة بأربعة أشهر وخمسة عشر يوماً، بدءاً من الجهة الممتدة بين سبتة وطنجة، في أجل لا يتعدى أربعة وعشرين يوما. أما باقي الجهات من القبائل الجبلية فقد حددت مهلة إخضاعها بثلاثة أشهر تالية من انتهاء المرحلة الشمالية.

وقد أسند نص الاتفاقية لكل فرقة من فرق القوات الإسبانية أدوارها، مشيراً أولاً إلى انضمام القوات المخزنية الخليفية التي يترأسها ضابط إسباني إلى محلة الريسوني. أما القوات النظامية الإسبانية وفيالق الشرطة فقد حدد لها التمركز في المواقع الخلفية المسايرة لوتيرة تقدم المناطق الخاضعة. ونصت الاتفاقية أيضاً على تقسيم الأراضي الخاضعة إلى إقليمين عسكريين مركزهما سبتة والعرائش.

حرص النص على تحديد علاقة أحمد الريسوني بالمخزن الخليفي ونظام الحماية. فبناء على المتفق عليه يصبح الزعيم الجبلي موظفا ساميا متعاونا، سواء مع المخزن الخليفي أو مع نظام الحماية وإدارتها، بدءاً من الاعتراف بالخليفة السلطاني القائم آنذاك بتطوان وبنظام الحماية وقوانينها الجارية والتنظيم الإداري المعمول به، وكذا الاعتراف بالمعاهدات الدولية الحالية واللاحقة المتعلقة بالنظام. ويشير النص إلى أن دور أحمد الريسوني سيكون استشاريا، ويسمح له بتأسيس فرقة المخازنية مكان محلته القديمة، كما يساعده موظفون، بعضهم معينون من طرف الإقامة العامة، وآخرون مرتبون من طرفه.

وأخيراً خصص الفصل الختامي من الاتفاقية لبيان داعي نقض الصلح، وهو محدد بمجرد إخلال أحد الطرفين بأحد الشروط.

وما دلت عليه السنوات الفاصلة بين شتمبر 1915 ومارس 1919 أن الاتفاقية لم تقدم ثمارها الموسومة للاسبان، بينما تقوى جانب أحمد الريسوني، وانتهى العمل بها بانتحار الجنرال خوردانا سنة 1918 وحلول بيرينكر مكانه وبداية الغزو العسكري المنظم للنواحي الشمالية الغربية.

ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، د. د. ع. مرقون، الرباط، 1991 ؛ ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، تطوان، 1951.

Bernado Rodrigues, *Arzla*; Luis de Sousa, Les *Portuguais au Maroc* ; Rafael Lopes Eienda, *Frente al fracaso Raisuni de Silvestre a Burguete ;* Ortega Manuel, *El Raisuni ; Geografia de Marruecos*, T. 2, Madrid 1939 ; B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, Lisboa 1915.

حسن الفكيكي

**الخطيب**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا :Jatib ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Jativa نسبة إلى مدينة شاطبة.

ومن الأندلس نزحت هذه الأسرة إلى ناحية بادس بالريف سنة 1017 / 1608 ثم انتقلت إلى تطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها هناك.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **الخطيب، أحمد** قائد الأسطول المريني بطنجة. كانت له مساهمات كبيرة في كثير من الحملات العسكرية البحرية التي قام بها أبو عنان، من ذلك دوره البارز

والحاسم في أحداث فتح تونس وبجاية سنة 758 / 1357 وصفه خلالها ابن الحاج النميري بـ "مبيد الأعادي، ومسعر الحروب، وقدوة الجلاد، والطنجي الذي يحرز القصب لكن قصب السبق في الجهاد" (فيض، 103) كما داع صيته في جهاد النصارى ومطاردة سفن القراصنة ببحر الزقاق، وكان ذلك موضوع مراسلتين بين السلطان المريني أبي عنان وملك أراغون بيدرو الرابع مازال أرشيف تاج أراغون ببرشلونة يحتفظ بأصولهما، الأولى مؤرخة في 28 رجب 752 الموافق لـ 20 شتنبر 1351، والثانية مؤرخة بـ 3 شعبان 752 الموافق لـ 25 شتنبر 1351 وهما تشيران إلى إحدى عمليات القائد ابن الخطيب للسيطرة على مركب لقراصنة ميورقة التابعين لمملكة أراغون. وتسجل المصادر أيضاً أهمية الدور الذي لعبه ابن الخطيب في إخماد الثورة التي قامت ضد أبي عنان بجبل الفتح سنة 756 / 1356 وأسر زعيمهما شيخ بني مرين بالجبل عيسى بن الحسن بن علي بن أبي الطلاق ونقله إلى سبتة حيث قتل.

ابن الحاج النميري، *فيض العباب وإفاضة قداح الأداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب*، إعداد محمد بن شقرون، الرباط، الطبعة الأولى، 1984، ص. 98 ـ 103 ـ 104 ـ 157 ـ 158 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج 7 : 614 ـ 615 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، منشورات، كلية الآداب، الرباط، الطبعة الأولى، 1979، ص. 74 ـ 79 ـ 80.

S.M. Alarcón, L.R. Garcia, *Los documentos arabes diplomaticos del Archivo de la corona*, Madrid - Grenade, 1940, p. 210 (N° 103) ; p. 214 (N° 105).

رشيد السلامي

ابن **الخطيب، عبد الرحمان** بن أبي القاسم بن علي يعرف بابن الخطيب الشفشاوني تمييزاً له عن لسان الدين ابن الخطيب السلماني الغرناطي. ويعرف أيضا بالشاعر الشفشاوني والزرويلي.

يتفق المؤرخون على أنه كان شاعراً هجاءً ؛ غير أن أشعاره على ما يبدو ضاعت ولم يبق منها سوى مقطوعات قصيرة، كهجوه لمدينة مراكش والقصر الكبير، وهجوه لابن عسكر الشفشاوني صاحب *الدوحة*. ففي هجاء مراكش يقول في قصيدة مطلعها :

ما كان ظني وحقِ الله فرقتكم
لو أنَ مراكشاً كانت تُواتيني

ويقول في آخرها :

لم يبق في الكيس فلسٌ أستعينُ به
أفنيتُ ماليَ في غسلٍ وتصبين

وقد رد عليه صاحب *الإعلام* بقصيدة يمدح فيها مراكش (*الإعلام*، 8 : 113).

ويبدو أن المترجم لم يهتم بأغراض الشعر الأخرى غير الهجاء، مما جعل ابن القاضي يؤكد أنه لم يمدح شخصاً قط.

كما يذكر صاحب *الإعلام* أن للمترجم تأليفا سماه *حديقة الأزهار* لم يشر إليه ابن القاضي ولعله من التآليف الضائعة.

توفي عام 993 / 1585.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1396 / 1976 ؛ م. ابن القاضي، *درة الحجال* ؛تح. م. الأحمدي أبو النور. ظ. تونس ـ القاهرة 1970، الجزء الثالث ؛ *جذوة الاقتباس*، الرباط، الجزء الثاني، 1973 / 74 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الجزء الثامن ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، 1، 1975 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، المحمدية، 1396 / 1976، الجزء الثاني ؛ ع. العافية، *الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون*، المحمدية، 1982.

المكي مربي

**الخَطيب، علي** أو علال (وبه عرف) بن الحاج محمد ابن الحاج أحمد الخطيب الأندلسي الشاطبي الزهيلي البادسي ثم التطواني، عميد أسرة آل الخطيب بتطوان وأنبغ رجالها وأحد أكابر أعيانها، الفقيه الأديب الأريب الأمين الكاتب المطلع المتنور. كانت له مشاركة في فنون مُلماً بغرائبها كالطب والأنساب والسياسة والتوقيت، أما السير والتاريخ فكان موضوع تخصصه، أكب على مطالعته منذ الصغر، وتفهم أغراضه، وعُني بدراسة أسبابه وفلسفته، ولهج *بمقدمة ابن خلدون* كما حدثني بذلك قريبه الشيخ محمد العربي الخطيب، وحدثني الأستاذ الكبير محمد داود أن السلطان الحسن الأول لما زار تطوان عام 1307 اجتمع بعلمائها وأعيانها ومنهم المترجم له، فسأله السلطان عن علم الكيمياء بالمفهوم التقليدي العامي، (ويسمى عند العامة وأشباههم بعلم النار وغايتُه عندهم صنع الذهب والفضة) فأجابه بأن النقدين عنصران ومعدنان يستخرجان من الأرض ولا يصنعان بالعقاقير، فأعرض عنه السلطان وسأل عن غيره ممن لهم معرفة بذلك، وكانت له عناية كبرى بذلك، وسعي حثيث لتحقيقه، جمع لذلك كثيراً من كتبه بالشراء والاستنساخ، واتصل بكثير ممن يتعاطى ذلك ويزاوله.

نشأ المترجم له بتطوان ولم أقف على تاريخ ميلاده ـ وحفظ القرآن وبعض المتون، ثم شرع في الدراسة على علماء بلده، فأخذ عن الفقيه محمد بن أحمد البقالي *الأجرومية والألفية ومرشد* ابن عاشر وبعض مختصر خليل والتوقيت ؛ وعن الفقيه محمد ابن الأبار : النحو والفقه والمنطق والوضع والشمائل، وعن الفقيه محمد الزواقي : (وهو شقيق شيخ الجماعة أحمد) النحو والحديث والمديح النبوي، وعن الفقيه القاضي التهامي أفيلال : *رسالة ابن أبي زيد وتحفة ابن عاصم وبعض صحيح البخاري*. وعن جده لأمه الطبيب الميقاتي محمد بن عبد الوهاب لُوقَش، وعن غيرهم، وسافر إلى مصر وأخذ عن بعض علمائها، ثم

استخدم أمينا بديوانة مرتيل عام 1314 ثم بمرسى العرائش عام 1315 ثم بمرسى طنجة 1321 ثم بمرسى الدار البيضاء، عام 1322 ثم بمرسى الجديدة عام 1327. ولكمال نزاهته وكفاءته حرص المسؤولون يومئذ على استمراره في (الأمانة) فرفض، كما رفض وظائف سامية أخرى، منها النيابة بطنجة بعد وفاة الحاج محمد بن العربي الطريس عرضها عليه السلطان عبد الحفيظ. ولما بلغه عزم السلطان على تعيينه لحقه ضجر عظيم كاد يقضي عليه على حد تعبير صديقه الفقيه الرهوني.

لعل المترجم له كان الرجل الوحيد بتطوان على عهده، الذي له اتصال مباشر بدور النشر والصحافة بالشرق، فكانت تَرِد عليه باستمرار كثير من الصحف والمجلات الكبرى كالهلال والمقتطف والمنار الخ فكان على اطلاع بواسطتها على ما يجري في العالم من أحداث وشؤون سياسته وعلى مسيرة التقدم العلمي. كما كانت ترسل إليه من مطبوعاتها ما لا يوجد عند غيره يومئذ، فلا غرو أن يكون أول من اهتم بإصلاح التعليم بتطوان. ودعا لإنشاء المدارس وتعليم البنات تعليما سليما، وشارك عمليا في إنشاء أول مدرسة حرة هي المدرسة الأهلية، بل كان المتولي لشؤونها. والمسيِّر الفعلي لما ليتها. كل ذلك خدمة لوطنه احتسابا لله تعالى. كما كان سلفيَّ العقيدة، بعيداً عن الخرافة والتقليد. مع حسن معاملة لشيوخه وأقرانه المخالفين في الرأي، فكان محل تقدير الجميع.

توفي يوم 12 محرم عام 1356 / 25 مارس 1937، ودفن بالزاوية الريسونية بتطوان.

محمد بوخبزة

ابن **الخطيب، لسان الدين** محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، كانت أسرته تعرف ببني الوزير قديما، أما اسم بني الخطيب فيرجع إلى عهد جده سعيد الفقيه المدرس، وبه عرف أبناؤه فيما بعد. ولد ابن الخطيب بلوشة في شهر رجب سنة 713 / 1313 في بيت علم وفضل وجاه. وكان أبوه من أشهر علماء وقته، كلفه السلطان أبو الوليد إسماعيل بالإشراف على مخازن الطعام بقصره، ثم ترقي في خدمة النصريين ليشتغل في ديوان الإنشاء وحمل لقب الوزارة، وبقي على هذه الحال إلى حين وفاته شهيداً في موقعة طريف.

نشأ ابن الخطيب في غرناطة وأفادته ظروف عائلته المترفة في الاتصال بثلة من علماء وقته والأخذ عنهم، ومنهم أبو عبد الله الفخَّار وأبو عبد الله بن عبد المولى العوّاد وأبو القاسم بن جزي وقاضي الجماعة أبو عبد الله بن بكر، وأبو الحسن بن الجياب وأبو البركات بن الحاج البلفيقي وأبو سعيد بن لب وابن هذيل وغيرهم. وقد أفاده الانتماء إلى الوسط المذكور في تحقيق طموحاته بحيث نجده يقترح للخدمة في البلاط النصري بعد وفاة والده وعمره لا يتجاوز ثمانا وعشرين سنة. فالتحق بدوره بكتابة السلطان أبي الحجاج مرؤوسا بالكاتب الشهير شيخه أبي الحسن بن الجياب. وهناك أبان عن موهبة حقيقية أهلته ليخلف هذا الأخير بعد وفاته بالطاعون عام 749 / 1349 في رئاسة ديوان الإنشاء، ومنحه السلطان أبو الحجاج رتبة الوزارة والقابها وهو يقول في ذلك : "قلدني السلطان كتابة سره ولما يجتمع الشباب ويستكمل السن، معززة بالقيادة ورسوم الوزارة، واستعملني في السفارة إلى الملوك، واستنابني بدار ملكه، ورمى إلى يدي بخاتمه وسيفه، وائتمنني على صوان ذخيرته وبيت ماله وسجوف حرمه ومعقل امتناعه".

والظاهر أنه بالرغم من وجود الحاجب رضوان واتساع سلطاته فإن ابن الخطيب الذي يليه في هرم الدولة، كان يتمتع لدى السلطان أبي الحجاج بالحظوة والمقام الرفيع وهو ما جعله يتدخل في تعيين العمال لقاء مبالغ هامة من المال أفاد بها خزائن السلطان وكانت وسيلة للزيادة في الإنعام عليه وتقريبه من السلطان.

وفي عهده بدأ ابن الخطيب أولى تجاربه في السفارة ببلاد العدوة. فكانت وجهته إلى فاس معزيا السلطان أبا عنان في وفاة والده أبي الحسن. فكان ذلك فرصة لربط صلات وثيقة بالمخزن المريني أسعفته فيما حل به من المصائب لاحقاً.

ولما توفي أبو الحجاج ازدادت منزلة ابن الخطيب عند ابنه أبي عبد الله محمد الغني بالله الذي بلغ معه ابن الخطيب أعلى المقامات، واستحوذ في عهديه على كل السلطات. وقد كانت له في عهده فرصة أخرى للاتصال بالبلاط المريني وبالسلطان أبي عنان. وكان الغرض هذه المرة طلب العون ضد قشتالة في سنة 755. فوفق في مسعاه ووعده السلطان المريني بالمساعدة.

وبقي ابن الخطيب على هذه الحال مشمولا برضى السلطان الغني بالله ما يزيد على خمس سنوات إلى أن كانت ثورة البلاط التي أطاحت في شهر رمضان من سنة 760 / غشت 1359 بالسلطان الغني بالله. لكنه استطاع الإفلات ورحل إلى مدينة وادي آش. وقد بويع مكانه أخوه السلطان إسماعيل وقام بدولته ابن عمه وشريكه في الانقلاب الرئيس أبو عبد الله بن أبي الوليد.

لقد حاول ابن الخطيب أن يتكيف مع ما حصل وأن يبقى في الخدمة لكن سرعان ما دارت به الدائرة وألقي به في السجن وصودرت أملاكه وأمواله. ويظهر أن الرجل كان يعيش في حال رغد وترف لا مثيل لهما.

لم تطل محنة ابن الخطيب فقد بعث السلطان أبو سالم إبراهيم المريني الشريف أبا القاسم التلمساني شفيعا في الغني بالله ووزيره ابن الخطيب. وبالفعل فقد أطلق سراح هذا الأخير وانتقل إلى المغرب. فالتحق أولاً بفاس حيث عومل معاملة تليق بمقامه، ثم استقر بسلا مستفيداً من كرم أبي سالم الذي أغدق عليه العطاء ومتعه بالإقطاعات،

فكان يصله من مجبى سلا مرتب شهري قدره خمسمائة دينار من الفضة العشرية مع إعفائه وخدمه من كل مغرم أو ضريبة، وقد أشار في مناسبة أخرى إلى أن جرايته كانت تفوق هذا القدر. وبقي هنالك مشمولاً برعاية السلطان الذي استجاب لطلبه بشأن تحرير أمواله واسترجاع ضياعه بغرناطة في سنة 761، وأرسل لهذا الغرض مبعوثين إلى السلطان النصري.

دامت إقامة ابن الخطيب بسلا زهاء عامين تحدث عنهما كثيراً في كتابه *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*. وقد ألف خلالهما بالإضافة إلى الكتاب المذكور، *اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية ورقم الحلل في نظم الدول*. بقي السلطان الغني بالله يتطلع لاسترداد عرشه معولا تارة على مساندة المرينيين وتارة أخرى على الدعم القشتالي، وتمكن سنة 763 / 61ـ 1362 من استرجاع سلطانته بفضلهما، فاستدعى ابن الخطيب من المغرب وكلفه باصطحاب أبنائه الذين بقوا بفاس.

عاد ابن الخطيب إلى غرناطة واسترجع نفوذه السابق، لكن السنة التي قضاها السلطان في استرداد ملكه (762ـ 763) سمحت لأخرين بتولي مناصب مهمة في الدولة أمثال أبي الحسن بن علي بن يوسف والفقيه أبي عبد الله بن زمرك وشيخ الغزاة عثمان بن أبي يحي. فكان ابن الخطيب يعمل جهده من أجل استرداد حظوته لدى السلطان الغني بالله. والظاهر أن ذلك ما كان ليتم دون اللجوء إلى بعض الأساليب الغير المشروعة من سعايات ووشايات للسلطان، فضلاً عن ترهيبه من النفوذ الذي أصبح لشيخ الغزاة والخطر الذي يتهدد السلطان منه ومن رجاله. فاقتنع السلطان ونكب عثمان سنة 764.

ويبدو أن نفس الحكاية قد تكررت إبان لجوء ابن خلدون إلى غرناطة وسلطانها محمد الغني بالله الذي أكرم وفادته، وعهد إليه ببعض المهام منها سفارته إلى قشتالة التي كللت بالنجاح سنة 765. وكان ذلك من أسباب حظوته لديه، لكن سرعان ما بدأ ابن خلدون يحس بجفاء من السلطان وبتغير صديقه ابن الخطيب عليه وغيرته منه. فاستغل وورد رسالة من الأمير الحفصي أبي عبد الله صاحب بجاية يستدعيه فيها لحجابته فاستأذن السلطان النصري في الرحيل عن غرناطة عام 766.

تؤكد كثير من الأحداث والآثار التي تركها ابن الخطيب أنه بقدر ما أجاد في مجال التاريخ والأدب، وبقدر ما تألق في أمور الدولة فإنه أضاف إلى هذه المحاسن بعض المثالب في السلوك ربما كانت من أهم أسباب نكبته، فنجاحات الرجل وحرصه على استمرارها جعلته إنسانا عزيز النفس شديد الكبرياء، حقوداً متقلب المزاج والوفاء ناكراً للجميل لاذعا في الهجو والسخرية مبالغا في التملق والمداهنة، كما لو كان لانقلاب الأيام وإدبار الدولة وسقوطه من علياء المجد دور في تكوين شخصيته بعد أن تعاقبت عليه المحن.

صار لابن الخطيب بعد رجوعه إلى غرناطة اليد الطولى في تسيير أمور الدولة وهو ما يبرز في ترجمته "ثم رمى إليَّ بعد ذلك مقاليد رأيه ... فتأتي بمنة الله من صلاح السلطان وعفاف الحاشية ونشر الأمن وتثمير الجباية... وإصلاح بواطن الخاصة والعامة ما الله المجازي عليه..". لكن ما أصبح له من سلطان جعله هدفا للسعايات والشرور من لدن خصومه ومناوئيه من حاشية السلطان وكل من أساء إليه نفوذ ابن الخطيب المطلق. والظاهر أن هذه الأجواء قد نالت من نفسيته وبدأ يفكر جديا في الابتعاد عن الخدمة السلطانية والاعتزال. كما أن سلطانه تأثر بدوره بسعايات خصوم ابن الخطيب الذي أحس بذلك، ومن ثم فقد بدأ يفكر في الابتعاد عن الأندلس والاستقرار بالمغرب الأقصى الذي كانت له صلات وثيقة مع أمرائه وملوكه وكان يقدم السوابق في خدمتهم تحسبا لانقلاب الأحوال. ومن بين هؤلاء السلطان المريني عبد العزيز الذي ساعد ابن الخطيب على الهرب إلى المغرب. وقد حصل ذلك سنة 772 حينما طلب ابن الخطيب من الغني بالله أن يأذن له في زيارة الثغور الغربية فأذن له. فلما وصل إلى جبل طارق الذي كان يوجد في إيالة بني مرين تلقاه قائد الموقع وأجازه إلى سبتة، ثم التحق منها بتلمسان حيث كان يوجد السلطان أبو فارس عبد العزيز الذي أحسن استقباله وجعله من صدور مجلسه وأرسل إلى غرناطة سفيراً من أجل استقدام أسرته.

لم يغفر الغني بالله لابن الخطيب صنيعه ونقم عليه أكثر لما بلغ إلى علمه أنه يحرض السلطان المريني على غزو الأندلس، فأرسل هدايا فارهة إلى فارس بقصد استرجاع ابن الخطيب، وعززها بصكوك اتهام ابن الخطيب بالخروج عن أحكام الدين وبالزندقة كانت من تحرير خصمه اللدود القاضي أبي الحسن النّباهي. لكن أبا فارس رفض تسليمه وثار لهذا الطلب. ثم أعاد الغني بالله المحاولة بعد وفاة السلطان المريني سنة 774 مع الوزير ابن غازي المستبد بالحكم آنذاك، لكنه رفض بدوره. حينئذ بدأ السلطان النصري يعمل على إثارة الاضطرابات داخل الدولة فأطلق الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن والوزير مسعود بن ماساي المعتقلين لديه، وجهز لهما جيشا نزلا به ناحية بطوية ثم تازا في أفق الاستيلاء على قاعدة الحكم. واستغل الغني بالله الفرصة ليحاصر جبل طارق، وليداخل صاحب سبتة محمد بن عثمان بن غازي بشأن مبايعة أحمد ابن أبي سالم المعتقل بطنجة ووعد بتقديم العون لهما وإمدادهما بعسكر من غزاة الأندلس.

انفتحت أمام الوزير ابن غازي حامي ابن الخطيب، جبهتان إذن كان من الصعب عليه الصمود أمامهما، خصوصاً وأن ابن الأحمر كان قد جعل الأميرين المرينين يتفقان على أن يصير لهما حكم أسلافهما أي أن فاساً وشمال المغرب سيكون من نصيب أبي العباس أحمد وما

وراء نهر أم الربيع لعبد الرحمن بن أبي يفلوسن.

هكذا تمكن أبو العباس من دخول فاس سنة 776، وقام رجاله بالاستيلاء على ضياع ابن الخطيب فهدموها وعاثوا فيها فساداً. ولم يكن مصير ابن الخطيب بأحسن من ذلك فسرعات ما ألقي عليه القبض وأودع بالسجن، وتمت مراسلة الغني بالله بالخبر، فأرسل وزيره ابن زمرك إلى فاس حيث استقبله أبو العباس وأحضر ابن الخطيب من معتقله وتليت عليه التهم المنسوبة إليه وأهمها الإلحاد والزندقة، فأفتى بعض الفقهاء فيه وامتحن بالعذاب أمام الملأ ثم أعيد إلى حبسه، وهناك تعاورته الأيدي وقتل خنقا، ثم دفن في الغد في مقبرة باب المحروق، وكما لو لم يكن ذلك كافيا فقد أخرج خصومه جثته بعد مواراتها التراب وأحرقوها إمعانا في التنكيل بصاحبها، وحصل ذلك في ربيع الأول أو ربيع الثاني عام 776 / غشت ـ شتنبر 1374.

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. م. عبد الله عنان، ج 4، القاهرة، 1977 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، ج 1، الرباط 1، 1978 ؛ *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968 ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، ج 7، بيروت، د. ت ؛ م. عبد الله عنان، *لسان الدين بن الخطيب*، حياته وتراثه الفكري، القاهرة، 1968 ؛ م. التطواني، *ابن الخطيب من خلال كتبه*، تطوان، 1954 ؛ ع. العزيز بن عبد الله، *الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب*، تطوان، 1953 ؛ ج. الناصري، *ابن الخطيب بسلا*، سلا، 1988.

محمد فتحة

**الخطيب، مَحمد** بن **عبد الله** تاجر وأمين ونائب سلطاني، ينحدر من أسرة مرموقة ونشيطة، سبق أن استوطن أبناؤها الأولون مدينة تطوان، آثرين بذلك الحفاظ على عقيدتهم الإسلامية ومروءتهم، على التنصر والتمسك بديارهم وممتلكاتهم في الأندلس.

وإذا كان أحمد الرهوني في *عمدة الراوين* ومحمد داود في *تاريخ تطوان* لا يُخامرهما أدنى شك في الانتساب الأندلسي لآل الخطيب، فإن للباحث الفرنسي أ. جولي (A. Joly) وجهة نظر مُخالفة، إذ يستبعد في الدراسة التي أفردها لمدينة تطوان ونشرها بمجلة *الوثائق المغربية* هذا الانتساب، مُتبنيا الرواية التي سبق أن التقطها الرحّالة الإنجليزي بودجت مكين (Budget Meakin)، والتي مفادها أن أصل أسرة الخطيب من منطقة الريف، لا من الأندلس كما يزعم البعض.

ومهما يكن من أمر، وسيراً على نهج أقرانه ممن كان ينتمي إلى أسر ميسورة، في مجال التربية والتعليم، تسنى لمحمد الخطيب تعلم مبادئ القراءة والكتابة على بعض الفقهاء بمسقط رأسه تطوان، ولا نعتقد أنه تعمق في تحصيله هذا، أو استغرق تعلمه سنوات طوالاً، بل سُرعان ما اجتذبه عالم المال والأعمال، فراح يتجر في المغرب وخارجه، متنقلا بين المغرب، وعدد من الحواضر التجارية الأوربية الكبرى، كجنوة، ومرسليا، وجبل طارق الذي يبدو أنه عاش به ما يقرب من سبع عشرة سنة.

ثم توالت المهام والمناصب ففي سنة 1847، نجده يُمارس مهام الأمانة بمرسى طنجة. وفي مطلع سنة 1951، بعد وفاة عامل العرائش وطنجة، بوسلهام بن علي أزطوط، عُين نائباً عن السلطان بهذه المدينة الأخيرة وعاملاً عليها.

ولاشك أن التجربة الواسعة والعميقة التي كان قد اكتسبها في مجال التجارة والمُبادلات، ومعرفته للغتين على الأقل : الاسبانية والإيطالية، واحتكاكه بالتجار الأوربيين، ووقوفه في ديارهم على أساليبهم في العيش والعمل، كلها معطيات ومؤشرات عملت على تأهيله للاضطلاع بدور الوسيط بين السلطان ورؤساء المفوضيات الأوربية بطنجة. فهو الذي فاوض سفير بريطانيا العظمى بالمغرب، جون دراموندهي مُدةً ثلاث سنوات ونيف، قبل التوصل إلى إبرام معاهدة سلم وصداقة واتفاقية تجارية وبحرية بين الجانبين، سنة 1856.

وكان النائب الخطيب هذا، يرى أن لا خير ولا فائدة للمغرب والمغاربة، في الدخول في صراعات ومواجهات مع الدول الأوربية، ناصحا بنهج سياسة الحوار والتفاوض، في حل ما قد يحدث من نزاعات ومشاكل بينها وبين المغرب، وتفادي المواجهة العسكرية مع أيّ كان، لاقتناعه الراسخ بالتفوق المادي والتقني الأوربي في شتى المجالات. وهذا ما يفسر جنوحه إلى السلم مع الإسبانيين حين نشب النزاع بين السلطات الاستعمارية الإسبانية بمدينة سبتة السليبة وأهالي قبيلة أنجرة المجاورين لها، حول ما رام الإسبانيون تشييده من بنيان في الحدود الفاصلة بين الجانبين، وقيام المغاربة بهدمه على الفور، إلاّ أن مساعيه لم تؤت أكلها، بسبب تعنت الجانب الإسباني وتشبثه بموقفه من جهة، وانقياد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (1859 ـ 1873) لوجهة نظر ثلة من مساعديه الأقربين والرامية إلى مواجهة إسبانيا عسكريا، إن اقتضى الحال من جهة أخرى، وهو الأمر الذي نتج عنه تهميش الخطيب طيلة الفترة التي استغرقتها حرب تطوان بين المغرب وإسبانيا، وتعويضه بالأمين محمد الزبدي الرباطي، قبل أن يعفيه السلطان نهائياً من منصب نائبه بطنجة، ويُعين التاجر مَحمد بركّاش الرباطي مكانه، في شهر يبراير 1861.

وبعد هذا، انصرف الخطيب طبعا إلى أعماله التجارية الخاصة، والتي تخللتها فترات كان يزاول خلالها مهام الأمانة بمرسى طنجة على الخصوص، بأمر من المخزن، كما نستشف ذلك مما ورد في وثيقة مخزنية، تحدثت عن الديون المترتبة على جماعة من التجار لفائدة المخزن بنفس المدينة، في أول محرم 1282، الموافق لشهري مايو يونيو 1865.

ومن سُخرية الأقدار وعجيب المُصادفات أنه هو نفسه، حين وافته منيتُه في 6 يناير 1872، كانت ذمته غارقة بالديون لفائدة المخزن، الأمر الذي استوجب تثقيف

ممتلكاته وعدم اقتسامها بين ورثته، إلاّ بعد استخراج المبالغ المالية التي كان التاجر المتوفى مديناً بها له.

خ. ح، *كناش*، 41، ص 1 ؛ م. و. م. ر، محفظة طنجة، رقم 1 و2؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج 2 ص 296 ؛ ج 3، ص 309 ـ 310 ، و ص 349 ؛ ج 4، ص 16، و124، و175 ؛ ج بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، الرباط، ج 1، ص 79 و 391.
J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome II, p. 279 - 290.

مصطفى الشابي

**الخطيب، محمد العربي** بن الحاج أحمد بن محمد ابن عبد الله الأندلسي الشاطبي الزهيلي البادسي ثم التطواني من ذرية الشيخ أبي يعقوب البادسي الشهير.

الفقيه العدل الرضى المدرس الواعظ الصالح الصحفي الرائد. ولد بتطوان عام 1303 وقرأ بها القرآن والمتون المعتادة وأخذ عن علمائها كابن الأبار بالزاوية الحراقية. والزواقي والرهوني وغيرهم الفقه والنحو وغيرهما، وفي عام 1322 سافر إلى فاس وأخذ عن علمائها فقرأ على محمد أقصبي الفقه والعروض والمنطق، وعلى محمد بن محمد بناني : *الألفية* لابن مالك في النحو، وعلى عبد العزيز بناني : جمع *الجوامع* للسبكي في أصول الفقه، وعلى عبد الصمد گنون، وأبي شعيب الدكالي *الصحيحين* ومصطلح الحديث، وعلى عبد السلام الهواري، وأحمد بن المامون البلغيثي، وأحمد بن الخياط، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، وعبد الرحمن بن القرشي، وعبد السلام بن محمد بناني وغيرهم. واتصل بالشيخ ذائع الصيت محمد بن عبد الكبير الكتاني وأخذ عنه طريقته، واستفاد منه وكان يبشر بأفكاره وأشعاره وتآليفه بين طلبة بلده تطوان بفاس، فيأسى لإعراضهم عنه معتذرين بأنهم لا يفهمون ذلك. ثم رجع إلى تطوان عام 1327 وفي العام التالي رحل إلى مصر فأخذ بالأزهر عن بعض علمائه، ثم اتصل بالشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة *(المنار)* ودخل دار الدعوة والإرشاد ومكث بها عامين، وتأثر بمؤسسها ومدرسيها، ونهج نهجهم في كتابته وتدريسه كما أشار إلى ذلك في *أرجوزته القرآنية* شارحاً منهجه فيها فقال :

بنهج شيخه الإمام المرتضى محمد رشيد من آل رضا

ثم عاد إلى مسقط رأسه وتعاطى التجارة والعدالة ثم انتقل إلى الدار البيضاء واستوطنها وعين عدلاً بقصبة ابن أحمد عام 1339 وعرض عليه قضاء الدار البيضاء فاعتذر وسافر للحج وعرج في رجوعه على سورية ومصر واتصل بكثير من علماء الشام ومصر وزار شيخه رشيد رضا ومكث في رحلته هذه سنة عاد بعدها إلى تطوان وتزوج واستقر وعين أستاذاً من الدرجة الأولى بالمعهد الديني بالجامع الكبير كما عين بتاريخ 1920 أستاذاً بالمدرسة العربية الإسبانية بمرسوم ملكي اسباني. وكان قبله عين محرراً للقسم العربي من جريدة *(شمال إفريقيا)* عام 1918 أوائل عهد الحماية. كما كان اختير لتحرير صحيفة *(الإصلاح)* التي كان يصدرها المجلس العلمي بتطوان وعين كاتبا له عام 1917 في 1 يناير / 6 ربيع الأول 1335 وانتهى به المطاف أستاذاً بالمعهد الديني إلى أن استقل المغرب فوجده قد جاوز سن التقاعد فأخر عن التعليم الرسمي وانقطع للوعظ والتذكير اينما حل وارتحل بصوته الجهوري وأسلوبه الواضح مخللاً كلامه دائما بما نظمه في *أرجوزته القرآنية* والإرشاد المفيد.

كتب في موضوعات عدة ووضع برنامج نظام للتعليم العام. وحرر محضر الجلسة الخامسة المخصصة لذلك وربما كان أول من حاول ذلك، وفيهما فوائد لحسن الاطلاع لمن يريد التأريخ للتعليم بالمغرب لأنها من الطلائع التنظيمية الأولى.وألف تفسير سورة البقرة سماه : *فتح الرحمن الرحيم* في مجلد، ونظم *الأرجوزة القرآنية في التوحيد والارشاد المفيد، ببعض معاني كلمة التوحيد*، وله نظم في أغراض مختلفة، عاش مقلا من الدنيا يسكن بالكراء، وحدثني أنه باع قطعة أرض ـ وهي كل ما كان يملك ـ أنفق ثمنها على طبع أرجوزته. وبعد الاستقلال عاش بصلة ملكية كريمة إلى أن وافاه الأجل زوال يوم الثلاثاء 20 ذي القعدة عام 1400 / 30 سبتمبر سنة 1980 بتطوان ودفن خارج باب المقابر رحمه الله.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، مخطوط ؛ م. الفاطمي ابن الحاج، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الرباط ؛ إ. الخطيب، *رائد الصحافة بالمغرب*، طبع تطوان.

**الخطيب، محمد** بن **محمد** بن عبد الله الأندلسي الشاطبي الزهيلي البادسي التطواني الأستاذ الكاتب الباحث الصحفي المناضل السفير المحنك.

ولد يوم الاثنين 8 جمادى الثانية عام 1332 / 2 ماي سنة 1914 بتطوان، ودرس بالمدرسة الأهلية بها، ثم انتقل ضمن وفد من الطلبة إلى مدينة نابلس بفلسطين حيث درس بمدرسة النجاح ذائعة الصيت حينئذ، ومنها انتقل إلى

القاهرة بمصر للدراسة، ثم إلى إسبانيا، ثم عاد إلى مسقط رأسه تطوان فكان من مؤسسي حزب الإصلاح الوطني، وتولى تحرير صحفه : *الحياة والحرية والأمة*. مع المشاركة في تحرير المجلات الأدبية وله فيها جولات وصولات، وامتحن على يد الاستعمار وسجن، فعاد بعد الإفراج عنه إلى النضال السياسي بالقلم واللسان إلى أن استقل المغرب، وأدمج حزب الإصلاح في حزب الاستقلال فعمل في صفوفه، وكتب في صحيفته *العلم* وملحقها الثقافي، ودخل العمل الإداري الحكومي فاختير للنيابة عن مدير التشريفات الملكية، ثم عاملاً على إقليم طنجة، وأخيراً عين سفيراً في كوبا، ثم في الأرجنتين لإتقانه اللغة الاسبانية وحنكته الدبلوماسية واستمر إلى أن أحيل على المعاش.

يمتاز بخلقه الفاضل وتدينه ونزاهته وصدق وطنيته وسيلان قلمه، وجودة تحليله لا سيما في المجال السياسي.

أصيب في آخر عمره بشلل تزايد به إلى أن أقعده عن الحركة. ورغم ذلك صمم على الحج والزيارة فأدى مناسكهما على مقعد متحرك ذهابا وإيابا من تطوان وإليها.

أسلم الروحَ لبارئها صباح يوم الخميس 10 محرم عام 1414 / 1 يوليوز سنة 1993 بتطوان ودفن بمقبرة سيدي المنظري.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين* في 3 / 77 / و80، مخطوط ؛ شكيب أرسلان، حواشي الأمير شكيب أرسلان على *حاضر العالم الإسلامي*، 2 / 47، ط. الحلبي بمصر ؛ إ. الخطيب، *محمد العربي الخطيب رائد الصحافة بالمغرب*، ص. 57 ، ط. تطوان.

**الـخطيب، موسى** الزهيلي البادسي الأندلسي ثم التطواني الفقيه العلامة القاضي، وهو خامس مَن عُرف من قضاة تطوان بعد بنائها الأخير، وربما كان أولُ قاض معروف هو أبو عبد الله محمد الرزيني الأندلسي المتوفى سنة 934 يليه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكراسي الأندلسي المتوفى سنة 964 يليه أبو الحسن علي الزياتي من تلاميذ أبي حامد العربي الفاسي يليه أبو القاسم بن عبد الكبير البادسي شارح *تحفة ابن عاصم*، *ورائية الشريشي* في التصوف.

أما المترجم له فقد عثر على وثيقة تحمل خطابه مؤرخة بعام 1038 هـ وتوفي بعد هذا التاريخ.

أ. ابن القاضي، درة *الحجال*، 2 / 152، ط. الرباط ؛ أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 6 / 174، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 / 448.

محمد بوخبزة

**الـخفـارة**، حفظ المسافر أو المتنقل عموما وحياته وضمان سلامته ومروره، والخفارة (بضم الخاء) هي ما يدفعه المار أو المسافر لمن يخفره ويحميه أثناء مروره من مناطق مخوفة بسبب قطاع الطرق ( *رحلة العبدري*، 278)، والخفارة هي ما عرف في ما بعد العصر الوسيط "بالزطاطة"، وهي حرفة كان يمتهنها أشخاص موثوق بهم وبقدراتهم وكفاءتهم. وتتم العملية بالاتفاق ما بين مسافر أو جماعة مسافرين أو قافلة وبين الخفير حول الأجرة والطريق المراد سلوكه وشروط أخرى. ويبدو من الإشارات القليلة المتناثرة في المصادر التاريخية أن الخفارة كانت باهضة، حتى إن العدد القليل من المسافرين لا يستطيع أداءها، فيضطر لتأجيل السفر إلى أن يكبر العدد وبالتالي تنخفض قيمة الخفارة بالنسبة للمسافر ؛ يقول العبدري في رحلته : ".. فألفينا قافلة تخرج وهي كثيرة تزيد على الألف وقال لنا قائل على الباب إن لهم في محاولة الخروج نحوا من ثلاثة أشهر حتى تسنى لهم بخفارة على أداء خفارة..." *(رحلة العبدري)* ؛ والغالب من قراءتنا لرحلة العبدري ولرحلات أخرى أن الخفارة ترتفع قيمتها أو تنخفض بحسب المكان والزمان ففي فترة الأمن والاستقرار وسيادة السلطة المركزية والجهوية تضعف الخفارة إن لم تختف، فالحاجة إلى الخفر والخفارة تنعدم أو تقل، ولنا في عهد يعقوب المنصور الموحدي خير مثال : إذ جاء في *البيان المغرب* القسم الموحدي إن الضعينة في عهد يعقوب المنصور كانت تسافر من قرطبة إلى برقة دون أن يتعرض لها أحد بسوء ؛ والضعينة هي المرأة المنفردة (*البيان*، 3 : 218 و 355 ؛ *الاستقصا*، 2 : 198).

أما في فترات الاضطرابات وانعدام الأمن، وهي في الغالب الأعم تعقب فترة حكم مركزي قوي فالطلب على الخفر والخفارة يرتفع وبالتالي تصبح قيمتها مرتفعة، هذا عن الزمان، أما المكان فكل مكان مضطرب ينشط فيه قطاع الطرق كالصحاري، والمسالك التجارية الكبرى والممرات والخوانق مثل الطرق الصحراوية التي تنشط فيها القوافل القادمة والذاهبة إلى السودان والمحملة بالتبر، ومثل ممر تازة، والممرات الجبلية في جبال درن وفازاز وغمارة وغيرها.

استمرت هذه الخدمة أو الحرفة إلى بداية القرن الماضي تحت اسم آخر هو "الزطاطة" أو "الزطاط" ولعلها بدأت منذ القرن العاشر (16 م) فالحسن الوزان ذكر في أكثر من مكان أن المسافرين يستأجرون أشخاصاً مسلحين لحمايتهم في تنقلاتهم واجتيازهم لأماكن معينة، إلا أنه لم يعط للعملية اسما خاصا بها، ومن قراءتنا *لوصف إفريقيا* يمكن أن نضع لائحة بأسماء الأماكن التي كان المرور بها خاضعاً لابتزاز القبائل وقطاع الطرق، ويحتاج اجتيازها للخفارة والخفر أو "الزطاطة".

توهم بعض الدارسين عندما جعل اسم مدينة سطات من الزطاطة، فكلمة الزطاطة لا نعتقد أنها عربية بل أمازيغية "أزطاط" وليس في الأمر تحريف لأن البربر ينطقون "السين" "زايا" أحيانا وليس العكس، فسطات - حسب اجتهاد

شخصي وبالمقارنة مع أسماء الأماكن المجاورة بل ومع المجال القبلي الذي توجد فيه مدينة سطات وهو "لمزامزة" - مشتقة من قبيلة سطة البربرية وقد كانت موجودة في المنطقة عند انتقالها من جنوب المغرب إلى شماله (*العبر*، 6 : 206)، ومن جهة أخرى فأماكن نشاط الزطاطة كما أسلفنا كثيرة ولم يحمل أي منها اسم الزطاطة أو حتى معناها أو تشبيهاتها.

العبدري الحيحي، *رحلة العبدري*، الرباط، 1968 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1948 ؛ *البيان المغرب*، تطوان، 1960 ؛ ع. ابن خلدون، العبر، الجزء 6، بيروت، د.ت. ؛ أ. الناصري السلاوي، كتاب *الاستقصاء*...، الدار البيضاء، 1954، الأجزاء 4 و5 و6 ؛ ع. الوهاب بنمصور، *قبائل المغرب*، الرباط، 1968، الجزء الأول ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط* (أطروحة)، مرقونة، كلية الآداب بالرباط سنة 1998.

محمد حجاج الطويل

**الخلاص**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة سُماتة الهبطية، وقد انقرضت بتطوان سنة 1270 / 1854.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 623.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **خلاص**، حسن بن أحمد السبتي. أصله من بلسنية ويذكر أنه كان واليا على إشبيلية لأبي عبد الله محمد ابن هود لكنه نقض بيعته، فرحل مع وفد إشبيلي إلى بر العدوة لتقديم البيعة لعبد الواحد بن أبي العلاء الملقب بالرشيد الخليفة الموحدي، وذلك حوالي سنة 635 / 1237 - 1238 (*العبر*، 6 : 536) فاختاره الرشيد ليتولى ديوان سبتة. وأثناء قيامه بمهمته أبان ابن خلاص عن كفاءته في ضبط أمور إدارته وعن إخلاصه وتفانيه في خدمة الخليفة الموحدي، فكان رد فعل هذا الأخير أن نصبه والياً على سبتة بدلاً من أبي العباس الموحدي والي غمارة الذي كان قد تولى أمور المدينة بدعوة من أهلها عقب ثورتهم على أميرها السابق أبي العباس الينشني. تسلم ابن خلاص إمارة سبة في سنة 635 / 37 - 1238 (*العبر*، 6 : 614 ; Ceura, 92) وفي سبتة 640 / 42 - 1243 توفي الرشيد وتولى الخلافة أبو الحسن المعتضد بالله المدعو بالسعيد، فاغتنم ابن خلاص الفرصة لإعلان تمرده وخروجه عن الدولة الموحدية التي كانت تعيش آخر فترات عمرها بعد أن فقدت الكثير من ممتلكاتها كنتيجة لفشلها في مواجهة الخطر المسيحي في الأندلس وسواحل الغرب الإسلامي وردع القوى الجديدة التي أخذت تنازع الموحدين في ممتلكاتهم شرقاً (حفصيين وزيانيين) وغرباً (بني مرين) (Ceura, 82 ...).

أمام تدهور الوضع الأمني واشتعال فتيل الفتنة - خصوصاً بعد انتشار بني مرين ومن معهم من أحلافهم العرب في سهول الغرب - استقل ابن خلاص في البداية بحكم سبتة قبل أن يعلن تبعيته للخلافة الحفصية في إفريقية في شخص الأمير أبي زكريا الحفصي الذي كان يتقلد الزعامة العسكرية والسياسية في منطقة الغرب الإسلامي خصوصاً بعد انتصاره على يغمراسن الزياني صاحب تلمسان. ولم تكن سبتة المدينة الموحدية الساحلية الوحيدة التي ارتمت في أحضان الحفصيين بحثا عن الحماية والدعم العسكري أمام تزايد شبح الخطر المسيحي، بل سبقتها إلى ذلك إشبيلية، ثم تلتها طنجة والقصر الكبير (*العبر*، 6 : 614 ؛ *البيان*، 360 ؛ La Berbérie : 1,33). ففي سنة 640 / 42 - 1243 يحدثنا ابن أبي زرع عن سقوط ستة حصون مسلمة تباعاً في الجهة الشرقية من إسبانيا (*الذخيرة*، 61).

لا ندري طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين ابن خلاص وبني مرين في سهول الهبط سوى ما يذكره ابن أبي زرع من أنه في سنة 643 / 45 - 1246 حينما اشتدت وطأة المسيحيين في تهديد إشبيلية، أراد الأمير يعقوب بن عبد الحق الجواز إلى الأندلس عبر سبتة قصد الجهاد. إلا أن أخاه أبا بكر كتب إلى ابن خلاص ليمنعه من الجواز إلى حين فتح مراكش والقضاء على دولة بني عبد المؤمن (*الذخيرة*، 67).

في خضم هذه الأحداث تحولت سبتة إلى إمارة حفصية بإدارة ابن خلاص، إلا أن هذه التبعية لم تكن تتجاوز ذكر اسم الخليفة الحفصي أبي زكريا في خطب الجمعية وتبادل الهدايا والوفود. ولعل أهم السفارات، تلك التي أرسل فيها ابنه أبا القاسم بصحبة الأديب الشاعر إبراهيم ابن سهل في أسطول أنشأه لهذه الغاية أسماه "بالميمون". إلا أن هذه السفارة لم تصل إلى مبتغاها بعد أن جرفت عاصفة هوجاء المركب فأغرقته بمن فيه. (*العبر*، 6 : 618 ؛ *البيان*، 378). ثم بعد سنين قليلة من هذا الحدث جهز ابن خلاص سفارة ثانية ترأسها بنفسه واختار لرحلته الأسطول الذي كان يقوده القائد أبو الربيع بن الغز يغير. وهي الرحلة التي لم يعد منها، بحيث توفي فجأة في مرسى وهران، أول محطة استراحة توقفت بها السفارة في طريقها إلى الحضرة الحفصية. وكانت وفاته يوم السبت من جمادى الأولى سنة 646 / 48 - 1249. ونقل إلى بجاية فدفن بها (*العبر*، 6 : 615 ؛ *الذخيرة*، 73).

عُرف ابن خلاص بتشجيعه للعلم والأدب بحيث استطاعت سبتة أن تحافظ أيام إيالته على موقعها كقبلة للعلماء والأدباء وكمركز إشعاع فكري في منطقة الغرب الإسلامي. فمن أهم الأدباء الذين وفدوا على سبتة أيام حكمه عليها الأديب الشاعر إبراهيم ابن سهل الإسرائيلي الإشبيلي الذي تبوأ منزلة خاصة لدى ابن خلاص، فولاه

كتابة ديوانه (*فوات*، 1 : 41) ويلاحظ النقاد أن لقب "الكاتب" الذي أصبح لاصقا باسم ابن سهل يرجع إلى هذه الفترة من حياته. كما اعتبرت الفترة التي قضاها في ظل ابن خلاص من أخصب حياته الإنتاجية والإبداعية. لقد أبدع في مدح ابن خلاص صاحب النعم عليه وخصه بقصائد جميلة أثارت انتباه معاصريه. كما مدح ابنه أبا القاسم ورثى أمه.

اعتنى ابن خلاص أيضاً بالعلماء واستقدم عدداً منهم - خصوصاً من الأندلس - إلى حضرته بسبتة كالراوية محمد ابن أحمد الأنصاري المعروف بابن الجنان من أهل مرسية. قدم سبتة في حدود سنة 640 / 42 - 1243، فأكرم ابن خلاص وفادته وخصه بحظوة كبيرة (*الإحاطة*، 2 : 348 ؛ *الذيل*، 4 : 236 ؛ *الحركة*، 286).

وفي أيام حكمه وصل الفيلسوف المتصوف عبد الحق ابن سبعين المرسي إلى سبتة، وألف بها كتابه *"بد العارف"* الذي لقي معارضه عنيفة من طرف مفكري عصره (*المقصد*، 69). وأثناء إقامته بسبتة أرسل الامبراطور فريديرك الثاني بأسئلته الفلسفية الأربع المعروفة "بالمسائل الصقلية" وكان قد وجهها إلى علماء في المشرق، فلم يتلق عليها ردوداً مقنعة، فأرسل بها إلى الخليفة الموحدي أبي محمد عبد الواحد الرشيد الذي أمر حاكم سبتة ابن خلاص بأن يرسل بها إلى ابن سبعين ليجيب عنها (*الإحاطة*، 4 : 34).

يقال إن الأمبراطور فريدريك الثاني أرسل سفينة بها هدايا وأموال فاستدعى ابن خلاص الفيلسوف ابن سبعين لينقد إليه المال لكن ابن سبعين رفض المال وألزم نفسه الإجابة عن الأسئلة، ثم لما بلغت الأجوبة الامبراطور رضي عنها وأرسل إليه هدايا ذات قيمة لكن ابن سبعين رفضها للمرة الثانية، وكأن ابن سبعين أراد من وراء ذلك إظهار ترفع نفسه عن الماديات وبالتالي إظهار تفوق الإسلام على النصرانية (ابن سبعين، 110).

يلاحظ النقاد أن ابن خلاص اشتم من أجوبة ابن سبعين عن المسائل الصقلية أن الرجل فيلسوف لذا أجبره على مغادرة سبتة (ابن سبعين، 46 ؛ *المقصد*، 34).


ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، تح. س. أحمد أعراب، الرباط، 1402 / 1982 ؛ ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة بن أخبار غرناطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، الجزء الثاني، 1394 / 1974، الجزء الرابع، 1397 / 1977 ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، بيروت، المجلد السادس، 1959 ؛ ابن سهل الإشبيلي، *ديوان ابن سهل*، تح. محمد قويعة، 1985 ؛ ابن شاك ر الكتبي، *فوات الوفيات*، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ، الجزء الأول ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح . إحسان عباس، بيروت، السفر الرابع ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، تح. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، بيروت، 1406 / 1985؛ إ. الخطيب، *الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع*، تطوان، 1406 / 1986.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles : Essai de reconstitution de la civilisation musulmane,* Thèse de doctorat de 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987 ; R. Brunschvig, *La Berbérie orientale sous les Hafsides,* Paris, 1947, T. I.


زليخة بنرمضان

## الخلجان البحرية ← سواحل المغرب

ابن **خَلْخال**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة وادراس بإقليم تطوان، انتقلت إلى تطوان وأنجبت بعض الفقهاء، تذكر الوثائق منهم :

ابن **خلخال، عبد الرزاق** بن المختار، زاول خطة العدالة بمدينة تطوان سنة 1123 / 1711.

ابن **خلخال، محمد** بن عبد الرزاق، زاول نفس الخطة سنة 1159 / 1746.

ابن **خلخال، المفضل** بن النادي، زاول نفس الخطة سنة 1189 / 1775.


م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 231.


محمد ابن عزوز حكيم

**الخلخال**، حلي تزين به ساق النساء ويُصنع من الفضة أو الذهب، يأخذ شكلاً دائرياً غير مكتمل ينتهي بكعبين كبيرين بينما تكون الواجهة مصفحة ومزينة بأعداد وأشكال مختلفة من النقوش، ويسمى الزوج المتشابه منها توأماً، وتضعها النساء في أرجلهن عند ملتقى الساق والقدم، يشيع استعمالها بشكل واسع في المناطق الصحراوية ومنذ زمن بعيد في إفريقيا الغربية والسودان وشمال إفريقيا عموماً.

يعتبر الخلخال من أهم مكونات وعناصر الحفول لدى المرأة في هاته المناطق (الحفول : *معلمة*) إذ يسمح بتمديد الزينة حتى أسفل السيقان ويسمح للموأة في أماكن تعتمد على الترحال خاصة بنقل هذه الملكية الهامة من الفضة دون عناء، ما دامت الفضة هي المادة الرئيسية التي يُصنع منها الحلي بالمناطق الجنوبية كما تشهد على ذلك وثائق ترجع إلى القرن الثاني عشر (18م) على الأقل، فإن الخلخال يختزن قدراً مهما من الفضة الخالصة إذ يبلغ وزن الواحد

منها 300 غرام تقريباً (A. Puigoudeau: 40).

ما تزال العديد من النساء إلى الآن يستعملن الخلخال للزينة رغم تراجع ارتدائه بسبب كثافة الاعتماد على الحلي الذهبية.

O du Puiguadeau, *Arts et coutumes des Maures, H.-T.*, 1970.

أحمد جوماني

**الـخَلْخْلِي**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة وَادْرَاسْ الواقعة بين تطوان وطنجة ؛ وقد آنقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1609.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **خلدون، عبد الرحمان** بن محمد الحضرمي، أبو زيد، رجل سياسة مؤرخ مغربي. ولد بتونس في فاتح رمضان عام 732 / 27 مايو 1332، وتوفي بالقاهرة في 25 رمضان عام 808 / 17 مارس 1406.

مافتئ ابن خلدون يستأثر باهتمام الباحثين المعاصرين من مؤرخين وعلماء اجتماع ومتخصصين في الأنطروبولوجيا. كان النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي وهو العهد الذي استغرق معظم حياته شاباً ومكتهلاً عهد تحول في تاريخ المغرب والإسلام. تميز على الصعيد الثقافي بتنامي التصوف في أوساط كانت تتسع يوماً بعد يوم لدى سكان الحواضر والبوادي على السواء، وتميز بميل العلماء إلى الموسوعية والعصامية والأسلوب المدرسي، وتميز بتقوي المذهب السنّي في سماته المالكية والحنبلية الجديدة. أما على الصعيد السياسي فقد عرف هذا العهد، من جهة آخر المحاولات التي بذلت لتكوين إمبراطورية في الشمال الإفريقي. ومن جهة، آخر تقدم زحف الترك على بلدان الشرق الأوسط، في وقت كانت فيه أوربا

قد أخذت تتجاوز تأخرها التكنولوجي والثقافي وتنطلق في مغامرة الحداثة.

تعتبر أعمال ابن خلدون، من جانبيها الأنطروبولوجي والتاريخي، واحدة من أكثر المحاولات نجاحاً في العصر الوسيط من أجل تقديم نظرة تركيبية عن المجتمع والثقافة الإسلاميين في إطار التاريخ الكوني. فابن خلدون قد تمكن، ودون أن يحدث قطيعة مع تقاليد الاسطوغرافية العربية الإسلامية، من أن يأتي بمستجدات مهمة في نظرة العلوم الاجتماعية والتاريخية، مسجلا بذلك مرحلة بارزة في تطور الفكر الأنطروبولوجي والتاريخي بين العصر القديم والعصر الحديث.

العالم ورجل السياسة : من ماجريات حياة ابن خلدون الحافلة التي قضى جزءاً منها ببلاد المغرب وجزءاً منها بمصر، نستطيع أن نبرز جانبين حاسمين كان لهما وقع على شخصيته وعلى مصيره، ولم يحظيا لحد الآن إلا بقليل من التناول. يتعلق الأمر الأول بانقراض أسرته في وباء الطاعون العظيم الذي ضرب مدينة تونس 9 - 1348، أما الحدث الثاني فله علاقة بانقطاعه عن طلب العلم في سن السادسة عشرة، ولم يتمكن بعد ذلك العودة إلى الدرس بكيفية منتظمة. فقد عانى اجتثاثاً من أصله وقاسى أحوال الغربة في القاهرة حيث لم يقبل يوماً ما أن يتجرد من لباسه المغربي ولا أن يتخذ الكتابة المشرقية، وكان قبل ذلك من قد خاب مسعاه في الاستقرار بفاس وبغرناطة وبتلمسان وبتونس. فهو لم يتمكن في شبابه من استكمال طلب العلم إلى النهاية ليتحرج في علوم الدين أو الفقه أو العلوم العقلية، ولكنه حصّل مع ذلك اطلاعا واسعاً على الثقافة بعصاميته قبل كل شيء.

إن قراءة نبيهة في ترجمته الذاتية التي ختم بها مؤلفه العظيم *كتاب العبر*، تبين بوضوح أن هذه الترجمة قد صيغت لتكون دفاعا مزدوجا عن أصوله الأرستقراطية من جهة وعن التكوين الرفيع الذي تلقاه على يد أبيه وعلى أيدي كبار الشيوخ في بلاد المغرب. وكان التكوين مع أخيه يحيى من آخر عقب أسرة عربية عريقة في المجد، هاجرت إلى الأندلس حيث كان لبعض أقاربه منازل في السياسية ومشيخة العلم، ثم هاجرت إلى إفريقية حيث كان جده الأعلى قد تولى منصب صاحب الأشغال، بمثابة وزير المالية اليوم، وهذه أمور لاشك في صحتها.

ومما لا يشك فيه أيضاً أنه بعد أن عصف الطاعون الأسود بأهله، لم يبق بتونس من آل ابن خلدون إلا هو وأخوه الأصغر يحيى وأخ بكر آخر. وبينما نجد اسم يحيى يتردد في ترجمة ابن خلدون لنفسه، فإننا لانجد ذكراً لأخيه الآخر محمد، ولعله مات قبيل هجرة عبد الرحمان إلى المغرب الأقصى. وهكذا وجد ابن خلدون نفسه في سنه الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين ممثلاً لأسرة ذات ماض مجيد ولكنها آلت إلى الانقراض. وتتعدد الشواهد

في كتابات ابن خلدون على تحمله لتبعات ذلك المصير بنحوة وإباء. ولكن ذلك الواقع وسمه بميسمين في شخصه وسلوكه : حب طاغ للعظمة حتى إنه يظهر وكأنه لا يتصور لحياته مجالاً خارج بلاطات السلاطين.

إن تحليل سيرة ابن خلدون الذاتية يبرز أن مدة طلبه كانت قصيرة لم يخرج منها في سن السادسة عشرة إلا بتكوين عام في اللغة والأدب وعلوم الفقه والدين. أما ما تلقاه من العلوم بعد ذلك، بعد غزو أبي الحسن المريني لتونس وآفاق الطاعون الأسود فإنما كان على حسب الصدف التي جمعته ببعض العلماء. ولاشك أن انتماءه لأسرة سياسية مهد له تلقي ما يروج في وسطه من المعارف، ولكنه لم يستكمل الاختصاص في ميدان من الميادين. فعلمه في الفقه محدود، وأكثر معارفه في موضوع السيرة النبوية وعلوم القرآن واللغة والأدب دون أن يكون له في أي من هذه المواضيع رسوخ. وقد قضى عامين أو ثلاثة أعوام يتتلمذ للآبلي، ولكن تلك المدة كانت غير كافية للتعمق في موضوع صعب متشعب هو ميدان الفلسفة. فاستقلال ابن عرفة لمعلومات ابن خلدون في الفقه (ع. بدوي، *مؤلفات ابن خلدون*، 292 ـ 298) وهو الذي كرس كل حياته لدراسة الفقه، والتشكك الذي كان يواجه به المصريون معارفه في علوم الدين وعلوم الفلسفة لم تكن أموراً غير مبررة. فقد لقيه في مصر عالم مغربي اسمه الركراكي وأصدر عليه حكماً قاسياً لا يخلو من أساس وإن كان مما يصدم القارئ. فقد قال إنه جاهل بأمور الدين، له بضاعة في العلوم العقلية ولكنه غير مبرز فيها. ولكن حديثه جذاب، بل إنه أطرف من حديث شمس الدين الغماري (المرجع المذكور، ص. 281).

إن المعارف الموسوعية التي أتى بها ابن خلدون في *مقدمة* تاريخه، ليست مما حصل من حلقات الدرس أو أفواه جلة الشيوخ الذين لقيهم في أسفاره الطويلة للطلب، ولكنها ثمرة مجهود شخصي ومن قراءات فردية. إن كتاباته الأولى تظهر ميله لعلوم النظر : من كلام ومنطق ورياضيات. وأول كتبه المعروفة هو *لباب المحصّل* الذي أنهاه عام 752 / 1351 في مدينة تونس، وهو حاشية على كتاب *المحصّل في الكلام* للفخر الرازي. وقد نسب إليه ابن الخطيب مختصرات لبعض كتب ابن رشد، دون أي يذكر ماهي. كما نسب له نبذاً في المنطق وكتابا في الحساب. وفي النبذة التي خصه بها ابن الأحمر في كتابه *نثير فرائد الجمال*، ذكر أن ابن خلدون كان له باع في المنطق والفلك وكل ماله علاقة بعلوم النظر. ولكنه في الحقيقة لم يكن متوغلاً في هذه العلوم.

لا نعلم الشيء الكثير عن بدايات اهتمامه بالتاريخ، إلا ما كان من إشارة عند أحد الذين ترجموا له عندما قال : كان له علم بالتواريخ قديمها وحديثها. أما ابن خلدون فلم يشر إلى أي كتاب في التاريخ ضمن مقروءاته، إلا ما كان من سيرة ابن إسحاق. وهكذا يمكن أن تفترض بشيء من الوثوق أن مشروع ابن خلدون لكتابة التاريخ كان غامضاً في البداية ثم أخذ يتبلور لديه بالتدريج في عزلة ثقافية تامة. فإلى غاية وضع الصيغة الأولى المندمعة للمقدمة في قلعة بني سلامة، وهو يذكر أنه عاش تلك المرحلة في حماس ( *التعريف*، 229 ؛ *رحلة ابن خلدون غرباً وشرقاً*، ص. 142)، لم يند عنه ما يكشف سره.

فابن خلدون إلى جانب حنينه إلى مجد أسرته الغابر، وعصاميته في التكوين، كان أيضاً فكراً متوزعاً، فنراه تارة منجذباً نحو الطموح السياسي وتارة إلى حب العلم، ولم يظهر إلى نهاية حياته ما يدل على أنه تخلى تماماً عن أحد هذين الميلين.

ومما له مغزى في هذا الشأن كونه وجد هذا التردد بين "العلم" و"السياسة" في تاريخ أسرته نفسها، ويحلو له أن يلحظ ذينك الاتجاهين. فهو يذكر تذكيراً لا يخلو من افتخار بأن بني خلدون كانوا في إشبيلية بمكانة رفيعة بين العلماء والرؤساء على السواء. فهو على سبيل المثال ( *التعريف*، ص. 3 ؛ *الرحلة*، 35 ؛ *المقدمة* ؛ *نشرة وافي*، 30 ـ 1129) يذكر غير ما مرة اسم أبي مسلم عمر ابن خلدون الذي كان على ما يبدو فيلسوفا معروفاً بالأندلس، وكان تلميذاً لمسلمة المجريطي، وأقرب من هذا الأخير إلى عهد مترجمنا كان جده بعد أن شغل مناصب مثل الحجابة وقيادة الجيش لدى الحفصيين، ولكنه قرر في أخريات أيامه أن ينقطع عن الدنيا ويتكرس لحياة الزهد. أما والده محمد فقد آثر الانقطاع إلى العلوم والعزوف عن حياة الفروسية وخدمة الأمراء ( *التعريف*، ص. 14 ؛ *الرحلة*، ص. 44).

يظهر أن ابن خلدون قد استهوته في شبابه المعالي، ولكنه لم ينفك يراود فكره ما يشكل في نظره المجد الحقيقي مثل "تزكية النفس" ولكن الطموح السياسي هو أول مأظهر لديه، على الأقل في معظم مدة إقامته ببلاد المغرب حيث نراه يتقلب في البلدان وينتقل بين الرؤساء، وحيث نجده في بعض الأحيان متورطا في بعض الانقلابات التي عرفتها البلاطات حتى إنه اتهم بالضلوع في التآمر على أمراء كان مندرجاً في خدمتهم. ومع هذا كله لم يشغل منصباً بسلطة كاملة التفويض إلا مرة واحدة. وبالرغم من أنه يتباهر في فحر بأنه كان محل الثقة الذين الأسياد الذي تقرب منهم وبأنه قام بالخدمة عندهم بالخدمة أحسن قيام، فإنه لم يكن يستمر في مقام واحد، وكان كثير الشكوى مما كان يجره عليه ذلك القرب من حسد الحساد ومكائدهم، فهو لم يتقلد مناصب رسمية إلا في مدة لا تتجاوز خمس سنوات من مجموع مدة ثلاثين سنة التي قضاها في فلك الحكام ببلاد المغرب. غير أنه في أقصى مدى ما امتدت إليه مغامرته السياسية نجده وقد غلب عليه التردد والإحجام والميل إلى الحذر، كما لو كان يتحفظ تحسبا لتقلد ما هو أخطر من المهمات وإدراك ما هو أسمى من

الغايات.

فالبرغم من الكارثة التي نزلت بأسرة ابن خلدون عندما غرقت في البحر في عرض الإسكندرية، وبالرغم في العداء الذي واجهه عندما تقلد منصب قاضي قضاة المالكية في مصر، فإن إقامته بمصر لمدة ثلاث وعشرين سنة هي بالنسبة إليه عهد الاستقرار والإثمار، فقد ذكر وكأن كل أمانيه قد تحققت، فهو إن كان بعيداً عن شؤون السياسة، كان يتمتع بتقدير الحكام وحظوتهم، ووجد في خزائن كتب مصر وثائقها ما كان بحاجة إليه لمتابعة أبحاثه، وتصدى للتعليم في معاهد عديدة بفضل شد عضده من جهة ولي نعمته السلطان الظاهر برقوق، فقد كانت المدة التي شغل فيها منصب قاضي القضاة لا تتعدى خمس سنوات. لم تكن هذه المهمة سياسية ولكنها كانت من أعظم الخطط في الدولة ومتقلدها ممن يحضرون مجلس السلطان. يذكر لنا ابن خلدون أنه لم يقبل توليها إلا بعد إلحاح السلطان المملوكي. وسواء صح هذا الزعم أم لم يصح فإن المتولى قد أخذ مهمته مأخذ الجد. فإذا كان الغالب عليه في السياسة هو الحس العملي والواقعي فإنه قد برهن في منصب القضاء على الحزم والصرامة. فخطة الأحكام في مدينة باتساع القاهرة كانت مهمة معقدة ومدخولة بالفساد. وقد وقف ابن خلدون على عيبين كبيرين من عيوبها : فساد الشهود وتلاعب المفتين الموكول لهم دور كبير في الأحكام. وقد شجب ابن خلدون ذلك الفساد وسهر على تطبيق أحكام الشرع، وهو غير عابئ بالمآخذ ضده ولا بالجاه المعروض عليه، لا يهمه إلا إحقاق الحق وإنصاف الضعيف والمظلوم، وبالرغم مما أحدثته صرامته من الحنق عليه فقد ظل صامداً لا يلين مدة عشرة أشهر التي قضاها في ممارسة الخطة التي أسندت إليه، ولم يدع لخطة جديدة إلا بعد مضي أربع عشرة سنة، وقد أعفي منها بعد ما لا يزيد إلا قليلاً عن عام واحد وذلك بسبب العداء المترتب عن مواقفه المتصلبة. ثم دعي أربع مرات أخرى لتولي المناصب إلى أن توفي وهو متقلد لخطة منها.

عندما يجري الحديث عن ابن خلدون كرجل سياسة، فقد نتصور حياة مليئة بأعمال تتصل بممارسة الحكم، بيد أننا عندما نتمعن في ما جريات حياته على تواليها فإننا نفاجأ بكونه لم يقض في ممارسة مهمات رسمية سوى عشرة أعوام من جملة أربعة وخمسين عاماً من الحياة العامة. ولعل الذي يوحي بالانطباع المذكور هو الشعور المترسخ لديه هو نفسه حول مصيره وتصوره له بناء على أمجاده وهو شعور يمرره لكل من يقرأ حكاية سيرته الذاتية. فقد ظهر وكأنه لا يتصور لنفسه حياة إلا في بحبوحة الرئاسة العليا، فكان البديلان عنده في غاية البساطة : إما حياة البلاط والقرب من الملوك وإما حياة الانقطاع والتفرغ للعلم.

وإذا كان ميله للعلم من القوة بحيث تغلب في الأخير على طموحه السياسي وهو لم يبلغ بعد سن الخمسين وأبواب السلطان ما تزال مشرعة أمامه، فهو لم يتقبل أن يكون عالماً عادياً. ففي تخصص يمكنه أن يلمع وكيف يحقق فيه التبريز في عصر كان بالأساس عصر تقليد، تهمين عليه النزعة السنية، وحيث ساد الاقتناع بأن علوم الدين والفقه قد بلغت الأوج، وحيث العلوم المسماة بـ "العقلية"، وإن لم تكن منبوذة، قد كانت محفوفة بالشبهات. كانت المحاولة الأولى التي قام بها ابن خلدون للوصول إلى الشهرة بعد محاولات في أول شبابه لم يحالفها إلا نجاح طفيف في ميدان علوم الدين والفلسفة، مرتبطة بشكل يثير الفضول، بنقاش حول التربية الصوفية، وهي من حيث المبدأ بعيدة عن كل الانشغالات الدنيوية. ويبدو أن ابن خلدون أثناء مقامه بفاس ما بين عام 774 وعام 776 (1372 - 1374)، أي ما يقرب من عامين قبل انقطاعه الشهير في قلعة ابن سلامة، قد أقدم أن يستفتيه أحد بعرض رأيه على الناس كجواب شخصي على سؤال موجه إلى شيخين من أكبر شيوخ التصوف في ذلك الوقت وهما القباب وابن عباد ويتعلق بشيخ التربية الصوفية، هل هو ضروري أم لا

بيد أن مما لا شك فيه أن النقاش حول هذه المسألة كان، في ظرفية ذلك الوقت، أساسياً. فقد انخرط فيه ابن الخطيب والقاضي النباهي، وكان نقاشا دينيا وسياسياً، ولربما كان سياسياً أكثر مما هو ديني. كتب ابن خلدون للمشاركة في هذا النقاش كتابه *شفاء السائل*، وهو نص في التصوف متين البناء، صارم الاستدلال، يبين عن اطلاع واسع على الفلسفة والفقه وأمور الدين. يظهر ابن خلدون في ما كتبه في *الشفاء* واثقا بنفسه لا يتهيب مقارنة رأيه بآراء فطاحل علوم الإسلام. متبنياً موقعاً أصيلاً دقيقاً متميزاً يرمي إلى تبني سنية نبيهة من الطراز الرفيع. وقد وضع روني بيريز لترجمته هذا الكتاب إلى الفرنسية مقدمة وافية ثاقبة، ومن رأيه فيها أن المتحصل بقوة من خلال هذا الكتاب هو فكر ابن خلدون الفقهي، وهو يطبقه حتى على أمور الحياة الباطنية والمجاهدة الروحية التي ينخرط فيها الصوفي

. إنها ملاحظة ذكية ينبغي أن يضاف إليها أمر آخر وهو أن وراء موقف الفقه يتبادى بعد من طبيعة أخرى، ذلك أن الموقف السني الذي يدافع عنه ابن خلدون بنظرة واسعة ليس موقفاً مذهبياً فحسب، بل هو ذو مرمى أعمق، سياسي واجتماعي.

ومهما يكن، فالبرغم من أن كتاب *شفاء السائل* قد كان له وقع محقق في وقته وعلى مدى القرون الأربعة التالية حيث إنه محال عليه من مؤلفين مثال أحمد زروق الفاسي (ت. 899 / 1493) وأبي سليم العياشي (ت. 1090 / 1679) وعبد القادر الفاسي (ت. 1091 / 1680) وأبي عبد الله المسناوي (ت. 1136 / 1724) وابن عجيبة (ت. 1224 / 1809)، فإنه لم يكن له ما بعده في حياة المؤلف العلمية الذي لم يستمر في نفس الاهتمام، وظهر الكتاب وكأنه دخول غير سديد لابن خلدون في حلبة العلم. فقد تبيّن أن

العلم الذي أراد أن يتكرس له هو علم من طبيعة أخرى. ويمكن تصور ذلك الاهتمام إذا ما عرفنا أن ابن خلدون عكف على امتداد سنين على قراءات واسعة، يجمع المعلومات والإشارات وهو يهيئ في الكتمان مشروعاً وفق طموحه. فهو علم يتجاوز العلوم المعروفة، بل يحتويها كلها، بكيفية ما، بل هو "علم جديد" يدعي أنه ابتكره ابتكاراً.

ليس الأمر مجرد ادعاء، فنحن نستطيع أن نؤكد اليوم دون مبالغة أن ابن خلدون هو مبتكر "علم المجتمع" في الصيغة التي يقول بها هو نفسه، واضعا نفسه في سياق الثقافات القديمة والوسيطية لحوض البحر المتوسط.

تصدى ابن خلدون لتأليف كتاب فريد في نوعه : *كتاب العبر*. قضى في تأليف هذا التاريخ الكوني الضخم ما يقرب من ثلاثين عاماً، منذ انقطاعه الإرادي في قلعة بني سلامة بتاريخ شهر ذي القعدة عام 776 / مارس 1375 إلى نهاية حياته. يتبين من النسخ المحفوظة من هذا الكتاب، وهي عديدة، أننا نستطيع تمييز ثلاثة صيغ هي :

- صيغة النسخة التي أهداها لسلطان تونس أبي العباس في أوائل عام 784 / 1382 ؛
- صيغة النسخة التي أهداها للسلطان المملوكي الظاهر برقوق وأهداها بعد ذلك للسلطان المريني بفاس ما بين 996 و799 / 1394 ـ 1397 ؛
- صيغة النسخة التي زاد ابن خلدون في تنقيحها إلى ما قبل موته بشهور، وتاريخها بين عام 806 وعام 808 / 1404 ـ 1406.

يتكون هذا التأليف من ثلاثة كتب : الكتاب الأول وهو المعروف عموما باسم *المقدمة*، وفيه يورد ابن خلدون نظريته في "الاجتماع الإنساني"، وقد اعتبرت *المقدمة* في حياة المؤلف نفسه كتاباً مستقلاً. أما الكتابان الثاني والثالث فيتناول أولهما تاريخ عرب المشرق ويتناول الثاني تاريخ العرب والبربر في المغرب وتاريخ من عاصرهم من الأمم وذوي السلطان الأكبر. ينتهي التأليف بإيراد ترجمة للمؤلف بعنوان : "ترجمة ابن خلدون، ورحلته غربا وشرقا".

يظهر ابتكار ابن خلدون، في آن واحد، في مقدمته النظرية للكتاب، وفي روايته للتاريخ، وفي مفهوم التاريخ العالمي عنده وخلافا لما دأب الدارسون على الجزم به، فليس هنالك من شقة بين المقدمة وبين بقية *كتاب العبر* ؛ وإنما يتعلق الأمر باختلاف في التناول. ومن جهة ثانية، فإن ابن خلدون وإن كان قد أتى قبل غيره بعلم استبق فيه بكيفية ماما ستأتي عليه العلوم الإنسانية الحديثة كالأنطروبولوجية والسوسيولوجية، فإن الجهل بطبيعة إنجاره. هو ما أدى بالبعض إلى أن يروا فيه "عبقرية" من فلتات الدهر بالنسبة لمجتمعه وعصره، حتى زعموا أنه أقرب إلى عصرنا هذا منه إلى خلفيته التاريخية. إن فهم أصالة ما جاء به يتوقف على تغيير مزدوج في زاوية النظر ؛ يتحقق ذلك أولاً بإعادة موقعة علم التأريخ العربي الإسلامي في مجمله داخل التراث الهلينيستي البيزنطي في مسار تطور يمتد من العصر القديم عند الإغريق والرومان إلى بيزنطة إلى الإسلام وإلى العصر الوسيط في أوربا ؛ ثم تأتي بعد ذلك موقعة أعمال ابن خلدون في سيرورة نمو علم التاريخ العربي الإسلامي نفسه.

لاشك في أن ابن خلدون قد أتى في مقدمته بما يمكن أن نرى فيه أنطروبولوجيا عامة. ولكن يبتعد بالنسبة لنقطة أساسية عن المنظور الحديث : فهو لا يتصور هذه الأنطروبولوجيا علماً مستقلاً مفتوحاً، وإنما يراها مقدمة للتاريخ. وبعمله ذلك يضع نفسه في آن واحد محققاً للاستمرارية وللقطيعة مع مؤرخين من أمثال هيرودوت ويو ليب وبروكوب والمسعودي ومسكويه. فابن خلدون يرى كالمؤرخين السابقين للعصر الحديث أن كل ما يتصل بالانطروبولوجيا يكون جزءاً لا يتجزأ من التاريخ. لكن الجديد الذي أتى به وحقق به خطوة حاسمة نحو المفهوم الحديث يكمن في كونه لم يعد يعالج مسائل الانطروبولوجيا بشكل عارض ثانوي، في صورة استطرادات إثنوغرافية وجغرافية وأوصاف للعادات والخطط الدينية والاجتماعية والسياسية والحكايات الأسطورية الغريبة والأفكار الشاردة حول طبيعة الإنسان والمجتمع، وإنما عالجها كموضوع قائم بذاته يدرسه لذاته وباستقلال عن غيره. وقد كان واعياً بأن هذا هو ما تميز به عمن سبقوه من اليونان والفرس وعلماء العرب والمسلمين. وعلى هذا الأساس فهو أقرب إلى العصر الحديث منه إلى التقاليد القديمة والوسطوية. غير أن تناوله يختلف عن التناول الحديث في الوظيفة التي يعينها لما سماه بعلم العمران الإنساني، وهو في نظره لا يفيد إلا في اتخاذه قاعدة أساسية للنقد التاريخي من حيث إنه يجعل في الإمكان كتابة "تاريخ حقيقي". لا شك أن فكرته في التاريخ صالحة نظرياً، ولكن التوصل إليها يتعذر عمليا. ثم إن ابن خلدون عندما جعل من "علم العمران" شرطا وأداة لمعرفة التاريخ، يضيق من مدى الانطروبولوجيا، ويسجنها في فكرة كمال ممكن، وربما كان ضرورياً أيضاً. بيد أن مسعاه الإجمالي يمكن تبريره وفهمه لو اعتبرنا، كما يعتبر هو، أن التاريخ في أساسه يتميز بالنهائية، حيث إن له بداية ونهاية مقررتين. في هذا السياق يكون من المشروع أن نميز بين الجوهر والعرض بين الثابت والمتغير، أو بعبارة العصر، بين ما هو بنيوي وما هو تاريخي. ومع هذا فإننا نجد ابن خلدون شديد الانتباه للتطور والتغير يرسم عند الاقتضاء المسارات التاريخية لمختلف المواضيع التي يدرسها. وهذا الموقف مكنه من أن يقدم إلينا على امتداد أبواب المقدمة تاريخا للمؤسسات الاجتماعية والسياسية الاقتصادية والثقافية للمجتمعات العربية الإسلامية ولبعض المؤسسات اليهودية والنصرانية.

غير أنه تتوجب الإشارة إلى جانبين من القصور البارز يفصح عنهما بوضوح تحليل أعمال ابن خلدون. فالبرغم من

كونه يدفع إلى أقصى ما يمكن فكرته الكونية وهو ما يظهر في استشهاده بجميع المجتمعات المعروفة في وقته، فإنه ظل متشبثا بجهاز المفاهيم الفلسفية والفقهية المشتقة من الثقافات الهلنستية والإيرانية والعربية الوسطوية. وبهذا الصدد نلاحظ على الخصوص الحضور الكثيف لعدد من المفاهيم والمصطلحات التي تنسب إلى أرسطووگاليبيني وأبو قراط وبطليموس من جهة، وحضور كل جهاز المفاهيم المتداولة عند العرب والمسلمين في ميادين التاريخ والجغرافية والفقه والأدب والدين، وكذا حضور بعض الفرضيات من قبيل القول بأن منطقة حوض البحر المتوسط باعتدال هوائها وطبائع سكانها هي المركز الطبيعي للحضارة الإنسانية والحضارة العمرانية وغاية ما وصل إليه رقي الإنسان، ومثل التقرير اليقيني بأن ديانة التوحيد هي الدين الحق وأن الإسلام أتم أديان التوحيد.

وفي آخر هذا التحليل العام لا بد أن نسجل قضية هي في ذاتها من الأشياء المدهشة : إن عدداً كبيراً من الأفكار والتحاليل والمفاهيم والنظريات التي أتى بها ابن خلدون قد تبناها بالإجماع الانطروبولوجيون والسوسيولوجيون والمؤرخون المتخصصون في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وإن ناقشوها وزادوا إغناءها. ويمكن تفسير هذه الظاهرة الاستثنائية بسببين : أولّهما أن ابن خلدون الذي اعتقد أنه يضع علماً للمجتمع الإنساني على العموم وهو علم الاجتماع الإنساني قد أدى به مسعاه إلى رسم الخطوط الكبرى لأنطروبولوجيا اجتماعية أو سياسية للمجتمعات الإسلامية ولا سيما مجتمعات العرب والبربر. وهذا ما يكون في نفس الوقت الأهمية الكبرى للمقدمة ويكشف عن محدوديتها في نفس الوقت. أما السبب الثاني فيمكن في كون الفكر الانطروبولوجي والتاريخي المعبر عنه في أعمال ابن خلدون هو بالتأكيد قريب جداً من فكرنا من حيث نزعته إلى المذهب الطبيعي ومن حيث سعيه إلى الشمولية وحرصه على دقة الملاحظة واتخاذه لأنماط الاستدلال والبحث عن الموضوعية.

إذا تأملنا تصميم *المقدمة* نجد تصديراً وتقديماً طويلاً يتطرق بكيفية منهجية إلى النقد التاريخي، ثم يدنو من موضوع الكتاب بكيفية تدريجية بسيطة وصارمة : فهو يتطرق للقواعد العامة للمجتمع الإنساني يستعرضها في ستة مداخل تتناول الحضارة الإنسانية على العموم وطبيعتها الضرورية والوسط الطبيعي وتأثيره على طبيعة الحياة ونمط عيش الناس وصيغ العلاقات بين الناس وبين ما هو غيب وغير طبيعي (الفصل 1) ؛ والعمران البدوي وتطوره الطبيعي وهو تأسيس الملك في المدن (الفصلان 2 و3) ؛ والعمران الحضري وتنظيمه وأسباب ازدهاره وانحطاطه (الفصل 4) ؛ وما يصاحب العمران الحضري من أحوال الاقتصاد وآلاته (الفصل 5) ومؤسسات الثقافة، من علوم وتربية وتعليم ولغة وأدب (الفصل 6).

يتعذر في هذه النبذة القصيرة إظهار كل ثراء *المقدمة* وما تعج من أفكار ووقائع مبنية على الملاحظة وهي ميزة هذا التأليف. ونكتفي هنا مضطرين بإعطاء نظرة وجيزة عنه من خلال التعرض لتفسير مصطلح العمران بفرعيه البدوي والحضري مع إشارة وجيزة إلى عدد من المفاهيم التي تشكل مفاتيح فكر ابن خلدون وتتكرر في تحاليله الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتكنولوجية والثقافية كما بنى عليها تأليفه.

العمران مصطلح مألوف وارد عند الجغرافيين المسلمين بمعنى الفعل الأول المتمثل في "الاستقرار" على الأرض : بالنزول فيها وسكناها والعناية بها وفلاحتها واستغلالها واستثمارها والبناء فيها وإنشاء المؤسسات فيها (Muhsin Mahdi, Ibn khaldun's Philosophy of History, 184). فالعمران وهو مرتبط أساساً بالظروف الطبيعية، هو على الخصوص من ميزات مناطق الأرض المعتدلة، فلا يدخل فيه سكان الجهات الشديدة البرودة وسكان الجهات الشديدة الحر حيث يظل أهلها على نمط من العيش أقرب إلى عيش الحيوان منه إلى عيش الإنسان.

يقدم ابن خلدون العمران بمثابة فعل إلهي، فهو يذكّر بأن الله هو الذي استعمر الإنسان في الأرض واستخلفه فيها. والله هو الذي نشر الناس وجعلهم مختلفين في بلدانهم وألسنتهم وعاداتهم وأديانهم، وهكذا وجد الإنسان في حالته وهو مدني وهو يعرف ككائن مدني، أو هو حسب فلاسفة اليونان ومن على أثرهم يعرف "كحيوان سياسي". وهكذا لا نجد عند ابن خلدون تعارضاً بين الحضارة وبين "حالة الطبيعة" المنسوبة للإنسان "البدائي" كما يرى بودان Bodin وهوبز Hobbas وروسو Rousseau. صحيح أننا نجد في مناطق الطقس المتطرف جماعات من الناس تعيش في ظروف يمكن أن توصف بأنها "غير حضارية". ولكن ابن خلدون يرى أنهم بوجودهم في وسط طبيعي غير موات قد عادوا إلى "حالة الحيوانية". فلو افترضنا أنهم قد أخرجوا من تلك الجهات ووضعوا في ظروف مواتية في المناطق المعتدلة، فإنهم سيستعيدون بالتدريج إنسانيتهم وسيسلكون كما يسلك غيرهم من الناس.

فالعمران قد افترض فيه أنه شيء ضروري. لكن ضرورته غير منظور إليها من وجهة التطور التاريخي، بل نظر إليها بالأحرى من وجهة نظر كونها منطقية. فابن خلدون ينطلق من العمران على أنه واقع قائم ويتساءل عن شروط إمكانه. وجوابه هو أن شروط الإمكان هذه تندرج في طبيعة الإنسان، كما خلقه الله وأراد له أن يكون. فقد خلقه وهو بحاجة إلى الغذاء لكي يعيش، ثم خلقه ضعيفاً في بدنه إذا ما قيس بقوة الحيوان وجعله مضطراً إلى الدفاع عن نفسه ضد العدوان المحتمل عليه من هذه الحيوانات. وقد ترتب عن سمتي الضعف هذه ضرورة تقسيم العمل وضرورة التعاون، وهذا شيء مؤهل له الإنسان بفضل

ما حباه الله من ملكة التفكير وبها تميز عن الحيوان. بيد أن ما في جبلة الإنسان من الأنانية والعدوان يميل بالناس إلى الوقوع في الحروب الدائمة ضد بعضهم البعض لو أنهم تركوا لأنفسهم، فلا بد لهم إذاً من وجود وازع، وفي ضرورة الوازع هذه أصل الملك والنظام السياسي.

يتطور العمران على هذا الأساس في اتجاهين ممكنين : إما بالتركيز على إشباع الحاجات الضرورية، أي ما هو لازم كحد أدنى للمعيشة، وهذا ما يوافق "العمران البدوي" الذي يشمل مجتمعات البدو في الصحراء وكل مجتمعات المجال المفتوح خارج المدن سواء كان أهلها من الظاعنين أو المستقرين أو أهل الزراعة أو من الرعاة، سواء كانوا في السهول أو المرتفعات أو الجبال ؛ وإما بالبحث عن البذخ والكمالي في كل مظاهر الحياة، ويصاحبه تنمية إلى أقصى ما يمكن للفنون والعلوم، وهذا ما ينطبق على "العمران الحضري" في كل مكان حيث تقوم المدن.

لا شك أن هنالك علاقة أسبقية منطقية وتاريخية بين نوعي العمران، حيث يمثل أحدهما المرحلة الجنينية للحضارة ويمثل الآخر نهايتها القصوى ونقطة أوجها الذي يبدأ منه انحدار وانحطاط لا مفر منه. فابن خلدون يقرر أن الإنسان كان في الأول فلاحا أو راعيا للماشية قبل أن يتمدن ويصير تاجراً أو صانعاً بيده أو متكرساً للعلوم. وهو يورد الخرافات التي تنسب إلى آدم ابتكار الفلاحة وتنسب إلى عدد من الأنبياء ابتكار العلوم والتقنيات، وأشهر أولئك الأنبياء إدريس الذي قيل إنه هو عزراء (Esdras) أو إينوش Enoch. ولكن هذا يعود بنا إلى مجاهيل الزمن ولا نعرف إلا القليل الذي ينعدم فيه اليقين. أما أزمنة التاريخ التي يهتم بها ابن خلدون ويستشهد بها، أي عهود تاريخ العرب والبربر وكذا عصور تاريخ الروم (اليونان والرومان والبيزنطيين)، وعصور تاريخ الترك والفرس وتاريخ العبرانيين والصينيين والهنود والفرنج والجلالقة، فإن نظام العمران يقتضي وجوداً متوازياً لنمطي العمران البدوي والحضري، المبني على الفلح والرعي والقائم على أنشطة المدن، وابن خلدون لا يحصر اهتمامه في تطور أحدهما نحو الآخر، بل يهتم بدنيامية العلاقات بينهما في إطار تاريخ عالم تزامنا فيه باستمرار منذ البدايات الأولى التي يكتنفها الغموض إلى يومنا هذا.

فالنظام البدوي هو في جوهره نظام يتميز بالاستقرار، غير أن العنصرين المكونين لجانب القوة فيه وهما اقتصاد المعاش الضروري والمساواة، يمكن أن يتحولا في بعض الظروف إلى مصادر الضعف. فاقتصاد المعاش الضروري يمكن ألا يتعدى اقتصاد قلة وعوز، وحينئذ يجد البدويون أنفسهم مضطرين إلى البحث عما هم بحاجة إليه في مناطق أغنى عند الضرورة، وذلك عن طريق الغزو والهجوم. ولكنهم في كل الأحوال يظلون عالة على التكنولوجيا (أدوات المعاش) وعلى ما تحتضنه المدينة من مدينة وثقافة راقية. تكون هذه الوضعية مصدر اختلال التوازن الاجتماعي، لأنها تتيح لبعض الأفراد في القبائل أن يتميزوا ويسيطروا على الآخرين، كما تتيح لهم توسيع مجال نفوذهم بالتدريج.

أما النظام الحضري فهو أن على العكس من ذلك، يتميز أساساً بعدم الاستقرار. فهو قائم على جماعة منشتتة متفتتة عاجزة عن ضمان حمايتها الخاصة بشكل طبيعي، ولذلك فهو بحاجة من الناحية السياسية إلى رؤساء وإلى جند يأتون من العالم البدوي، ولكن هؤلاء وأولئك يتعرضون بتقلب الأحوال للضعف لما في طبيعة حياة المدينة من إفساد، حيث يتطلب البذخ ويطغى إشباع الشهوات وتملك اللذة والهوى المتبع. ثم إن النظام البدوي بما هو تحقيق لغيابة يسير بالضرورة نحو الانحطاط والفناء. وهكذا فالنظام الحضري والنظام البدوي يتعارضان ويتكاملان، وهما مندرجان معاً في دورة من التطور الذي لا محيد عنه.

قد يصاب الباحث بخيبة أمل إذا هو بحث في *المقدمة* عن أوصاف إثنوغرافية من قبيل ما أنتجته الإثنوغرافية الاجتماعية الحديثة. فابن خلدون ليس بأي حال من الأحوال باحثاً ميدانياً أنطروبولوجيا، وإنما هو مفكر يستمد أهم معلوماته من الكتب، سواء منها كتب التاريخ أو كتب الجغرافية أو الفقه أو الفلسفة أو الكلام أو الأدب. فالوقائع التي استشهد بها بناء على ملاحظة شخصية وقائع عديدة، ولكنها لا تصدر عنده عن مسعى منشغل أساساً بالتحري، بل هي تأتي في معظم الأحيان في معرض استدلال أو بناء مفهوم أو مصطلح. وهذا واضح من السمت العام لهذا التأليف : فتقسيمات فقراته التي لا تتعدى بضع صفحات والتي منها تتكون مختلف الفصول هي بمثابة استدلالات أو توضيحات لمقترحات نظرية موضوعة كعناوين على رأس هذه الفقرات.

في النظام المزدوج للعمران كما يراه ابن خلدون بمكونيه البدوي والحضري، يظهر العمران البدوي على الخصوص، وكما رأينا ذلك، بمثابة خزان للقوات العسكرية والسياسية، بينما يظهر العمران الحضري بمثابة المجال الذي يتم فيه إخضاع هذه القوات لتصرف ملك له منطلق مركزي، وهذا الملك هو في ذات الوقت عامل رئيسي للازدهار الحضري وضامن لأمن المدن والعواصم. فالقوة السياسية (والعسكرية) تتوفر في العمران البدوي، ولكننا نستطيع أن نقول إن كل قوة سياسية على العموم تجد مصدرها في العصبية، وهي على العموم نوع من التضامن. وأصل العصبية في النُّعرة التي تعبر عن شعور عاطفي بدائي يسعى إلى التوحيد واللحمة يحمله الناس تجاه أقاربهم وجيرتهم، وهو الذي يدفعهم ليهبوا بنجدتهم عندما ينالهم الضيم أو يتعرضون للظلم والهوان.

فالتضامن في الوسط البدوي تختلف طبيعتها عن طبيعة التضامن في الوسط الحضري، وهو أقوى عند البدو.

فالذي يجعل من العصبية ضرورة مطلقة لا يمكن للناس أن يعيشوا بدونها في الوسط البدوي أمور كانعدام نظام للدفاع بسبب طبيعة نمط عيش البداوة وظروفه وكانعدام الأمن الناتج عن تلك الظروف. ففي مثل هذه الحالة يكون على جميع البالغين من الذكور أن يحملوا السلاح على الدوام. وهذا، بالإضافة إلى ظروف مواتية هي ظروف العيش في الخلاء، يجعل من البدو مقاتلين صلاباً أشداء، يشكلون جيشاً دائماً جيد التمرين. وبالعكس من ذلك فإن سكان المدن، وهم يعيشون داخل الأسوار والجدران مستندين إلى رعاية حماتهم من الحكام والحرس، ضعافا بالبذخ وحياة التنعم، تجدهم مفتقرين إلى القوة والخشونة التي تتطلبها الحرب. فإن وجدت عندهم صورة من صور التضامن فإنها لا تعدو أن تكون بعض أواصر القربى وروابط المصلحة ولا حمولة سياسية لها.

على أساس هذا التحليل لمفهوم العصبية، وهو تحليل يبرز طابعها السياسي الأساسي واختلاف تجليها بين الوسط البدوي والوسط الحضري، يبني ابن خلدون نظرية مركبة هي نظرية الملك، ويتعرض لأصله وكيف يقوم وكيف يكبر وكيف ينحط ويزول. ويدخل فيه مصطلحات كمصطلح القبيلة، وفيها تترعرع العصبية حول رئيس من الرؤساء، ومصطلح الاصطناع أي اتخاذ الرتباء، وبه يتسع التضامن إلى أبعد من عصبية الأسرة والجذم والقبيلة الأصلية، ومصطلح الحسب والنسب، وهو الظهور والرفعة المكتسبة بالاستحقاق الشخصي أو الموروثة عن مجد الأجداد، وهي أصل قيام سلطة الرؤساء في مختلف مستويات التنظيم الاجتماعي.

إن سيرورة قيام الملك واستفحاله وانحطاطه يمكن ردها إلى نموذج دائري مبسط : قيام قبيلة جديدة بالاستيلاء على الملك، ثم تعرضها للضعف بسبب البذخ وحياة النزف ثم اضمحلالها بعد ثلاثة أجيال أو أربعة لتترك المكان لقوة جديدة. فالغاية القصوى للعصبية لا تتحقق إلا في عدد محدود من الحالات وهي الاستيلاء على الحكم في أوسع مجال ممكن، وهي تعتمد على الحسب والنسب لتوسع بالتدريج سلطة جماعة صغيرة، أسرة أو فخذ، إلى مجموع اجتماعي يمتد على أراض شاسعة. وغاية هذا التغلب جمع الضرائب وفرض الجاه والتمكن من الفائض الاقتصادي للمجتمع ويتوصل إليه بوسائل السلم مثل إقامة الأحلاف أو اصطناع الزبناء وبوسائل القهر أيضاً. وفي غالب الأحيان يجد السند والحافز في الدين وذلك بتبني إيديولوجية إصلاحية. ولكن طبيعة هذا النظام تجعل الاستيلاء غير تام إذ أن بعض القبائل تنفلت وتظل خارج مجال سطوة السلطان، ويتمثل خروجها عنه في رفض أداء الضرائب. فابن خلدون، كما أدرك ذلك إرنست كيلنير، يقترح نظرية لفهم تحرك النخب القبلية في إطار بنية سياسية متكونة من ثلاث دوائر متحدة المركز : تشمل الدائرة الداخلية القبائل المنخرطة في الحكم تشدهم إليه روابط القرابة أو ما في معناها وهي عضد الحكم المشدود بالسلاح من أجل تحصيل الجبايات ؛ وتمثل الدائرة الثانية القبائل الخاضعة للضرائب، وتمثل الدائرة الخارجية القبائل التي ترفض أداء الضرائب (Gellner, *Muslim Society*, p. 31).

يحتل البعد الاقتصادي مكانة متميزة في مقدمة ابن خلدون، فهذا الجانب لا يظهر في تحليل مختلف جوانب الحياة الاجتماعية فحسب بل إن ابن خلدون يخصص له فصلاً يدرسه فيه على حدة باعتباره قائم الذات. فهو يقف أولاً عند مستوى الانطروبولوجي، وهو وسائل المعاش، يأخذ بعين الاعتبار الحالة العامة للكائن الإنساني، أي ضرورة الحصول على وسائل المعاش. ثم يقوم بقفزة نحو المستوى الاقتصادي الذي يسميه المكاسب في معنى عام مجرد عن الوظيفة المحسوسة المتمثلة في إشباع الضروري من الحاجات. فهو يميز بين الرزق والكسب، وبالرغم من الإحالة على السياق الديني فإن ذلك التمييز له طابع اقتصادي صرف لأنه قائم على التقابل بين ما يكتسب ليستهلك وبين ما ليس كذلك. وعلى هذا الأساس فالمكاسب منظور إليها على أنها تمثلات للقيمة، تقاس على أساس قدر العمل المفرغ فيها. وابن خلدون يستعمل بهذا الصدد مصطلح "العمل" في صيغة المفرد أو في كثير من الأحيان في صيغة الجمع : "أعمال". وهو يستعمله بلا شك كمفهوم مجرد يدخل في آن واحد في الأشكال المحسوسة للعمل كما تظهر في مختلف أنواع الصناعات وكذا في تشخيصها كأشياء مكتسبة ومتملكة. وهكذا يبدو العمل كمركب ذاتي للمكتسبات، ويمثل قدره قيمة هذه المكتسبات. فمفاهيم كقيمة الاستعمال وقيمة المبادلة حاضرة، لكن بكيفية ضمنية لا غير، فلم يكن ابن خلدون يتوفر على مصطلحات للتعبير عنها كما هي. فهي متضمنة من جهة في مصطلح الرزق، وهو مكتسبات ميزتها الأساسية أنها مستهلكة، ومتضمنة من جهة أخرى في مفهوم الكسب، وهو متملكات يقصد منها أن تندرج في سيرورة تبادل.

فالأنشطة الاقتصادية مستعرضة في سلسلة من المقاطع التي تناولت على التوالي الفلاحة والتجارة ومختلف الصنائع. ويؤكد ابن خلدون أن تلك الأنشطة تتنامى بحسب حال الحضارة ودرجة الرقي من جهة وتبعا للسوق من جهة أخرى.

إن مقاربة ابن خلدون للاقتصاد مقاربة جوهرية Substantive بالمعنى الذي يعطيه كارل بولانيي لهذا النعت، فأوصافه وتحليلاته للجوانب الاقتصادية في الفصول، الثالث والرابع والخامس من *المقدمة*، تجعلنا تقف على نظام اقتصادي قائم على الدمج بين نظام تبادل ونظام توزيع. فالأول واقع بكيفية مثالية تحت إشراف سوق تنظم

نفسها بنفسها، ولكنه محدد بسبب التدخلات المتكررة للدولة وبسبب نظامها في جمع الضرائب وإعادة توزيع فائض الإنتاج. أما الثاني فهو قائم على الجبايات والجاه، أي النفوذ المتأتي من ممارسة الحكم، وهو بدوره يتأثر بالعملة وبالسوق. والتوازن بين هذين النظامين هش، والاقتصاد ككل يتوقف على دورة تطور الملك (Cheddadi, *Ibn Khaldûn revisite*, 49 - 67).

أتى الفصل الرابع في *المقدمة* مزيجا من المواضيع، وقد خصصه ابن خلدون أساساً للعلم والتعليم كما يدل على ذلك عنوانه. وقد وردت فيه نظرية للمعرفة وتاريخ للعلوم الدينية والفلسفية ونظرية بيداغوجية وتاريخ للتعليم ببلاد المغرب والمشرق ونظرية لتعلم اللغات في علاقة مع الأدب وتاريخ للغات في العالم الإسلامي وعروض مهمة حول الأجناس الأدبية والإبداع الشعري. يختم هذا المجموع بمقتطفات مهمة، فريدة من نوعها، من شعر العرب البدو وأهل المدن في المغرب والمشرق.

لم يبن ابن خلدون نظرية عامة في موضوع الثقافة، وكل ما فعله هو التقدم بأفكار حول العلاقة بدرجة رقي المجتمع بين درجة رقي العلوم والفنون. أما نظريته في المعرفة فتدين بمصطلحاتها وتحليلاتها للتراث الفلسفي اليوناني - العربي، دون الإتيان بعناصر يمكن أن يقال عنها إنها جديدة كل الجدة. أما ما أتى به عن تاريخ العلوم فله أهمية لأنه يستعرض مناقشات أساسية طرحت على امتداد تطور تلك العلوم في السياق الإسلامي سواء تعلق الأمر بعلوم الدين كالكلام والتصوف أو بعلوم القدماء مثل الفلسفة والطب والرياضيات والفلك أو السيمياء، ولكن ابن خلدون يظهر فكره المجدد على الخصوص في ميدان التعليم وفي مقاربته للمشاكل المتعلقة باللغة والأدب. فهو لا يأتي بنظرية كاملة في التربية حيث إنه لا يأخذ مفهوم التربية في معناه العام كما نفعل في وقتنا هذا (Cheddadi, *Ibn khaldûn revisite*, 75 - 91)، بل هو يقترح مفهوماً أساسياً هو الملكة في مضمونها للتلقي وللتعليم. أما فيما يتعلق باستعراض لتاريخ اللغة العربية وازدهارها كلغة كلاسيكية ثم التراجع الذي أصابها بعد سقوط الدول العربية في المشرق، ثم ذكر مختلف صيغها المستعملة في أوساط البدو ومراكز الحضارة في مختلف بقاع العالم الإسلامي فهو استعراض في غاية الأهمية ويتضمن أغنى شهادة تتوفر في هذا الموضوع. وأخيراً يجدر ذكر ما جاء به ابن خلدون كإسهام أصيل في نظرية الشعرية العربية (Benchiekh, *Poétique arabe*)، ولا سيما من خلال تحليلاته لمفهوم الذوق الذي به يعرف قدر الشاعر في إحكام اللغة وصنع الشعر ومفهوم الأسلوب وهو النموذج أو الوشم الذهني للكاتب، دون وعي منه ويستقرا من معرفته الحميمية بالأدب شعراً ونثراً وهو ما يظهر في إنتاجه الخاص به.

إن تاريخ العالم الذي وضعه ابن خلدون لم يحظ لحد الآن باعتراف مماثل للذي حظيت به *المقدمة*، بل ذهب بعضهم إلى القول بأن ابن خلدون خرج في هذا التاريخ عن المبادئ المنهجية وعن المفاهيم التي بسطها في *المقدمة*. والواقع أن قراءة متمعنة نبيهة تمكن من أن نكتشف في التاريخ عرقا تجديديا مماثلا للذي في *المقدمة*.

لا شك في كون ابن خلدون قد انطلق في تاريخه من المصادر والمواد الإخبارية التي اعتمدها سابقوه من المؤرخين المسلمين، وهي الأخبار التي تعني في آن واحد "الوقائع" التاريخية و "الحكايات" المنسوجة حولها. فإذا كان ابن خلدون قد حرص على فحصها ونقدها على أساس مدى المطابقة مع قوانين المجتمع وواقع الطبيعة الخارجية، فهو لا يسعى إلى بناء تلك الوقائع بكيفية ممنهجة (إلا في *المقدمة* حيث يقوم أحياناً ببناء حقيقي للوقائع في شكل عصري جداً). ولكن جدة مقاربته تظهر جليا في فهمه للتاريخ العالمي وفي تنظيم مؤلفه الكبير في التاريخ.

إن تاريخ العالم الذي كتبه ابن خلدون يختلف عن التاريخ الذي نجده عند البيزنطيين وعند المؤرخين العرب المسلمين وعند مؤرخي أوربا في العصر الوسيط، فالتاريخ الكوني في صيغه البيزنطية أو الأوربية الوسطوية كان موضوعه العالم منذ الخليقة إلى عصر المؤلف. يقدم الأحداث عبر تاريخ غايته الخلاص حسب قدر إلهي مسطر للإنسان، وقد اتخذ المؤرخون المسلمون نفس الإطار الكرونولوجي، مع فارق وهو أنهم يتوقفون عن تقديم أي تأويل للتاريخ. أما ابن خلدون فقد اتخذ هو أيضاً الإطار الزمني داته واتبع نفس الموقف الحيادي، ولكنه أتى بأمرين مبتكرين، فهو في المقام الأول يعرّف موضوع تاريخ الكون على أنه تاريخ الأمم، وهي بالنسبة إليه العرب والبربر ومن عاصرهم من الأمم : وهي أمم الفرس واليونان والرومان والبيزنطيون والعبريون والمصريون إلخ ... ؛ وفي المقام الثاني فهو عندما يتعرض لتاريخ هذه الأمم فهو يطبق عليها معياراً جديداً : حيث يتحدث عن أصولها وأنسابها ومواطنها ونمط عيشها ومميزاتها، ويذكر على الخصوص ما كان لها من ملك وسلطان. فهو يستعمل المقولات الأرسطية المتعلقة بالصورة والمادة، وينظر إلى العلاقة بين السلطان السياسي والمجتمع على أنها علاقة الصورة بالمادة (الشكل والمضمون) كما لو أن الفصل بينهما أمر متعذر. فالملك في نظره هو القوة المنظمة والمهيكلة الأساسية للمجتمع. ففي تأريخه لمختلف الأمم يدرس أصول الحكم وأسبابه، كيف بدأ وكيف تطور وكيف انحط. وبهذا فهو يضفي على التاريخ صفة الطبيعة، ومن ثمة يحاول أن يستخرج منه قواعد نمو العمران، ويقطع بذلك مع المقاربة التأويلية للمؤرخين البيزنطيين ومؤرخي أوربا الوسطوية، كما يقطع مع التأريخ الوصفي عند العرب المسلمين، ويرجح مقاربة تأتي في خط التقليد المعروف عند توسيديد Thucydide وبوليب Polybe وتكتسي ملامح تشبه بشكل مدهش ما جاءت إليه الكتابة التاريخية الحديثة.

لا توجد طبعة نقدية مُرضية لكتاب *العبر* بكامله. الطبعات المتأخرة هي : طبعة ن. جوريني، *كتاب العبر*، 7 مجلدات، بولاق، 1284 / 1867 ؛ أعاد نشرها، ي. أ. داغر بعنوان : *تاريخ العلامة ابن خلدون*، 7 مجلدات، بيروت 1956 مع فهارس، أعيد نشر بعض أجزاء *كتاب العبر* والمقدمة منفصلة، طبعة كواتزومير، باريس، 1858 ؛ المطبعة الأدبية، *مقدمة ابن خلدون*، بيروت، 1879 ؛ نفس الناشر، مقدمة العلامة ابن خلدون، بيروت، 1900 ؛ علي عبد الواحد وافي، *مقدمة ابن خلدون*، 4 مجلدات، القاهرة، 1957 ؛ شكيب أرسلان وعلال الفاسي وعبد العزيز بن إدريس، *تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر*، 3 مجلدات، القاهرة، 1355 / 1936 ؛ و. م. دوسلان، تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، مجلدان، الجزائر، 1963 / 1847 ؛ محمد بنتاويت الطنجي، *التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً*، القاهرة، 1370 / 1951 ؛ أنهى عبد السلام الشدادي نشرة نقدية للمقدمة وسيتم نشرها عما قريب.

ع. الرحمان بدوي، *مؤلفات ابن خلدون*، القاهرة، 1962، س. الحصري، *دراسات عن مقدمة ابن خلدون*، مجلدان، بيروت، 1943 ؛ م. عابد الجابري، *العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي*، الدار البيضاء، 1971.

الترجمات الرئيسية

**Traduction principales**. En français : W.M. de Slane, *"Autobiographie d'Ibn Khaldoun"* in *Jounal Asiatique*, 4è série III (1844), 5 - 60, 187 - 210, 291 - 308, 325 - 353 ; republiée corrigée et augmentée dans *Notices et Extraits*, vol. XIX, Paris, 1863 ; le même, *Histoire des Berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionade*, 4 vol., Paris, 1852 ; rééd. P. Casanova, 3 vol., Paris, 1925 - 1934 ; le même, *Les Prolégomènes historiques d'Ibn Khaldûn*. Traduits en français et commentés. *Notices et Extraits*, vol. XIX - XXI, Paris, 1862 - 1868 ; V. Monteil, *Ibn Khaldûn, Discours sur l'Histoire Universelle*, 3 vol., Beyrouth, 1967 ; A. Cheddadi, *Ibn Khaldûn, Le Voyage d'Occident et d'Orient*, Autobiographie, Paris, 1980 (traduction du *Ta'rîf*) ; le même, I*bn Khaldûn, Peuples et nations du monde*, Extraits des *'Ibar*, 2 vol., Paris, 1986 ; R. Pérez, *Ibn Khaldûn, La Voie et la Loi ou le Maître et le Juriste*, Paris, 1991 (traduction du *Shifâ' as-sâ'il*) ; A. Cheddadi a fait une nouvelle traduction de la *Muqaddima* à paraître dans la collection de la Pléiade chez Gallimard.

Traduction en anglais : W.J. Fischel, *Ibn Khaldûn and Tamerlane, Their Historic Meeting in Damascus 1401 A. D. (803 H.A.)*, Berkeley Los Angeles, 1952 ; F. Rosenthal, *Ibn Khaldûn, The Muqaddimah, an Introduction to History*, 3 vol., Princeton, 1958 ; cette traduction a été abrégée par N. J. Dawood, *Ibn Khaldûn, The Muqaddimah*, Londres, 1967.

Etudes sur Ibn Khaldûn. Pour une vue exhaustive sur l'ensemble de la littérature consacrée à Ibn Khaldûn jusqu'en 1980, voir l'ouvrage déjà cité d'Al Azmeh ; on ne retiendra ici qu'un choix très limité : A. Abdesselam, *Ibn Khaldûn et ses lecteurs*, Paris, 1983 ; A. Al Azmeh, *Ibn Khaldûn An Essay in Reinterpretation*, Londres, 1980 ; le même, *Ibn Khaldûn in Modern Scholarship*, Londres, 1981 ; J.-E. Bencheikh, *La poétique arabe*, Parais, 1975 ; A. Cheddadi, *Ibn Khaldûn revisité*, Casablanca, 1999 ; W. J. Fischel, *Ibn Khaldûn in Egypt (1382 - 1406). His public functions and his historical research : An essay in Islamic historiography*, Berkeley, 1967 ; E. Gellner, *Muslim Society* (chapitres 1 et 2), Cambridge University Press, 1981 ; H.A.R. Gibb, *The Islamic Background of Ibn Khaldûn's Political Theory*, *BSOAS*, VII, 1933 - 5, 23 - 31, repris dans *Studies on the Civilisation of Islam*, Londres, 1962, 166 - 75 ; G. Labica, *Politique et religion chez Ibn Khaldûn*, Alger, 1968 ; Y. Lacoste, *Ibn Khaldûn, Naissance de l'histoire, passé du Tiers-Monde*, Paris, 1966 ; Bruce B. Lawrence, *Ibn Khaldûn and Islamic Ideology*, Leyde, 1984 ; Muhsin Mahdi, *Ibn Khaldûn's Philosophy of History. A Study in the Philosophic Foundations of the Science of Culture*, Londres, 1957 ; N. Nassar, *La pensée réaliste d'Ibn Khaldûn*, Paris, 1967 ; A. Oumlil, *L'histoire et son discours. Essai sur la méthodologie d'Ibn Khaldûn*, Rabat, 1979. M. Talbi, *Ibn Khaldûn et l'histoire*, Tunis, 1973.

عبد السلام الشدادي

ابن **خلصة، محمد** بن إبراهيم بن محمد الكتامي المراكشي، كان متقدماً في علوم اللسان نحواً ولغة وأدباً. ظهر تفوّقه على جماعة من أدباء عصره. عاش في القرن السابع الهجري، ولم يذكر ابن عبد الملك وفاته. وهو غير ابن خلصة البلنسي المتوفى سنة 519 المترجم له في تحفة القادم (ص. 54) بغية الوعاة (1 / 128).

م. ابن عبد الملك، *الذيل*، 8 / 268 ـ 270.

أحمد عزاوي

**الخلط** أو الخلوط، تتمثل تجمعاتهم القبلية العربية الأصل حاليا في مواطنها الحديثة بعمالة العرائش وشمال إقليم القنيطرة، بعد نزوحها عن مواطنها الجنوبية القديمة. واسم التجمع مأخوذ من التحالفات المختلطة التي يجمعها اسم قبائل جشم، تعبيراً عن التخليط في النسب. غير أن المؤرخين يعدون تجمعات الخلط من المنتفق بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيع بن عمرو، شيعة القرامطة بالبحرين. أدخلهم يعقوب المنصور الموحدي إلى المغرب ضمن القبائل العربية الأخرى من مواطن هجرتهم بإفريقية في آخر القرن السادس الهجري. وعرف للخلط عبر المراحل التاريخية موطنان :

- موطن قديم بمنطقة تامسنا، الواقعة بين نهري أم الربيع وتانسيفت. امتد بقاؤهم بها من أواخر القرن السادس الهجري (12م) مع الموحدين إلى أواخر القرن السابع الهجري (13م) مع المرينيين. تعد هذه الفترة مرحلة قوة الخلوط المنعكسة على الحياة السياسية بالبلاد.

- موطن حديث متمثل في بسائط أزغار، جنوب واد لكوس وبالهبط شماله. وهذه المرحلة الممتدة من أواخر القرن السابع الهجري إلى الوقت الراهن هي فترة استقرار الخلوط ومساندة سلاطين الدول ضد الوجود الأجنبي بالشمال الغربي المغربي.

لم يهتم الخلوط خلال المرحلة الأولى بالاستقرار في المنطقة المقطعة لهم، بل فضلوا التدخل في الأحداث

السياسية بالانحياز إلى من وافق هواهم من المتنازعين على الملك الموحدي. ارتكزت قوتهم على نظام قبلي معتمد على الإرث منذ دخولهم إلى المغرب. فكان لشيخ الخلوط وزن في الجهاز الحربي المغربي، إذ كان في وسع القبيلة أن تجند نحو 12.000 فارس وعدداً كبيراً من المشاة يتجاوز ذلك القدر.

ظهر هذا الدور بعد وفاة الناصر بن يعقوب المنصور سنة 610 هـ. بدءا من انحيازهم إلى إدريس بن يعقوب المنصور الملقب بالمامون برئاسة الخلطي هلال بن حميدان بن مقدم بن محمد بن هبيرة بن عواج، فهو الذي قاد ثورة انقلاب البيعة لصالح المامون بن المنصور سنة 625 / 1228. وظل بجانبه إلى أن هلك في حركة سبتة سنة 626.

وقد شكلت قوة الخلوط خطرا على عهد عبد الواحد الرشيد بن المامون. فبعد قتله لرئيس الخلط مسعود بن حميدان سنة 632 / 1234، تحولت بيعتهم إلى يحيى بن الناصر، بزعامة الخلطي يحيى بن هلال وطردوا الرشيد من مراكش سنة 633 / 1235. غير أنه تمكن في سنة 635 / 1237 من قتل نحو الخمسة والعشرين من أمراء الخلط وتدبير مقتل يحيى الخلطي سنة 640. وزاد على ذلك تقبض المرتضى (646 ـ 665) على أشياخهم سنة 652 وقتله لعواج ابن هلال. وآخر ما علمناه عن الخلط مساعدة شيخهم علي ابن علي الخلطي في سنة 664 / 1265 لأبي دبوس (665 ـ 667) للوصول إلى الحكم.

لا ريب أن ضعف الموحدين هو الذي حول اتجاه الخلوط نحو نصرة المرينيين. فبعد مرور ربع قرن على الاستقرار المريني أصبحوا ضمن قوة الگيش. كانت الرئاسة للخلط لأول سلطان بني مرين لمهلهل بن يحيى بن حميدان بن مقدم، الذي أصهر إليه يعقوب بن عبد الحق. وشارك في غزواته الأندلسية إلى أن توفي سنة 695 / 1295. وقد استمر ولاء الخلوط طوال العصر المريني على يد أبناء مهلهل وأحفاده، فبرز منهم سلطان بن مهلهل. ففي سنة 729 / 1330 عينه أبو سعيد عثمان الأول رئيساً على الخلوط وعاملاً على الجزيرة الخضراء، كما أصبح سنة 741 / 1340 عطية بن مهلهل بن يحيى أهم المقربين إلى السلطان وسفيره إلى مصر المملوكية.

وفي آخر القرن السابع الهجري كان الخلوط بفضل تلك الحظوة قد وسعوا مجالاتهم بالانتقال إلى منطقة الغرب. حل الخلوط بأزغار إثر إبعاد رياح المخالفين للمرينيين، فحسب الحسن الوزان أن أعراب الخلط المنتمين إلى المنتفق كانوا بأزغار، خاضعين لفاس المرينية، ولكنهم كانوا أغنياء مجهزين. وستستمر تلك الخدمة مع خلفائهم الوطاسيين.

هناك من الشهادات الدالة على امتداد خط مسارح الخلوط شمال ضفة واد لكوس في نطاق ما كان يعرف بحوزي القصر الكبير والعرائش. فمتى اتسعت مجلاتهم ؟ لا نجد الجواب في غير الظروف التي عانى منها إقليم الهبط من جراء الوجود البرتغالي بأصيلا (876 ـ 1471)، ومشاركة الخلط في الحركة الجهادية إلى جانب قواد القصر الكبير العروسيين، وربما قبل ذلك على عهد محمد الشيخ الوطاسي أثناء تكوين إمارته بالهبط بين 868 / 1463 و876 / 1471.

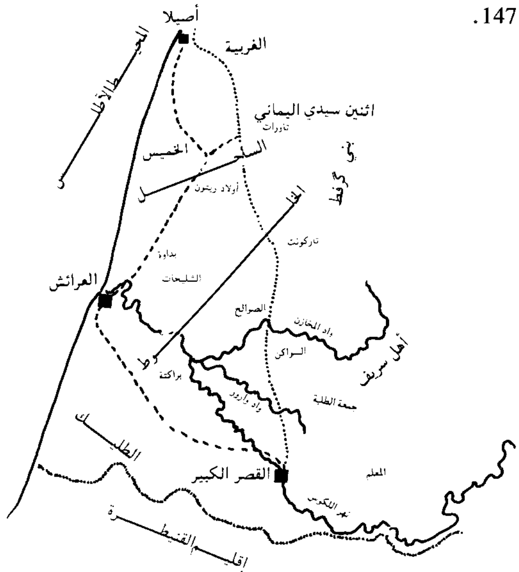


وحسب المعلومات المتوصل إليها أن محمد الشيخ الوطاسي اعتمد في بداية أمره على القبائل المجاورة الداخلة في دائرة الهبط، وهذه يمثلها جغرافيا سكان جبل حبيب وجبل بني گرفط، وسكان قرارات عرب الخلط. ومن ذلك نفهم مدى أهمية هذه الجماعة الأخيرة المحتلة للطريق العسكري الرابط بين فاس والقصر الكبير، وإحكام محمد الشيخ رباط العلاقات بينه وبين العرب عن طريق المصاهرة.

غير أن نقض الاتفاق المبرم سنة 906 / 1500 بين الوجود البرتغالي بأصيلا ومحمد الشيخ المريني اضطر الخلوط للالتجاء إلى حوز القصر الكبير، ما وراء الضفة اليسرى من وادي المخازن. ولن تعود تلك التجمعات إلا بعد انسحاب البرتغاليين من أصيلا سنة 957 / 1550.

وخلال الوجود الإسباني بأصيلا (1471 ـ 1550) اعتمد قواد القصر الكبير في زحفهم، سواء لحماية القرى الداخلة في نطاق حكمهم أو أثناء تنظيم الغارات على أصيلا، على حشود الخلط، إذ كان في وسع كل شيخ من شيوخ الخلط الخمسة المعروفين لدينا تعبئة ما يزيد على خمسمائة فارس.

لا نعرف اسم أول هؤلاء الشيوخ سوى أنه كان عامل قرية كانكان، أهم تجمعات قبيلة الساحل الجنوبي. ففي سنة 921 / 1515 قدم إلى حوز القصر الكبير بنحو مائتي فارس من محاربي قرية جزيرة المليحة وغيرها، وقد استشهد في مناوشة ضد جنود أصيلا في تاريخ نجهله.

وأحد مساعدي قائد القصر الكبير يدعى الشيخ عفان، ونفهم أنه شيخ دواوير كانكان، خلف والده في حكم تلك الدواوير واعتاد الإغارة بخمسمائة فارس. ففي سنة 934 / 1527 تظاهر مع قائد القصر الكبير أحمد العروسي بقنطرة

وادي المخازن لصد زحف برتغالي، غير أنه أسر وسيق إلى أصيلا، حيث بيع بنحو 200.000 ريال، فتوصل إلى الاتفاق مع حاكم المدينة على افتدائه بنحو 400 رأس ثور وبقرة. غير أن هذا لم يتم مثلما أراد، إذ أن الحاكم أصر على نقله إلى لشبونة، حيث مكث سنة كاملة، وقد أدركته منيته إثر رجوعه إلى أصيلا من فرط الأسى الذي لاقاه من تعنت حاكم المدينة.

واشتهر من شيوخ الخلط أربعة إخوة لا نعرف صلة القرابة بينهم وبين الشيخ عفان أو سابقه.

أو لهم الخلطي الشيخ عمر الذي كانت له صلة بقائد إزاجن المسمى محفوظ. استشهد الشيخ عمر في إحدى غزواته المنظمة بمعية القائد محفوظ ضد أصيلا سنة 934 / 1527، وكان قد رافقه من فاس ومعه ثمانون فارسا.

وثاني إخوة الشيخ عمر هو المدعو الشيخ عفو، يظهر أنه قتل في إحدى المناوشات سنة 933 / 1526.

وثالث الإخوة يسمى الشيخ سعيد Cide أو السيد، كان في سنة 949 / 1542 ما يزال على قيد الحياة وبحمايته خمسمائة فارس، تعرف عليه برناردو رودريكيس، صاحب حوليات أصيلا مثلما تعرف على رابعهم أخيه الشيخ قراوش. ربما من عين جمعة قراوش الواقعة بالقرب من تافرطاست بالغرب على مقربة من الضفة اليمنى من واد ورغة. ظهر هذا الأخير بميدان أصيلا بجانب أحمد الوطاسي سنة 941 / 1534.

هناك ما يدل على أن الخلوط كانت مجالاتهم تعم كل منطقة الهبط الممتدة على البسيط الواقع بين أصيلا والقصر الكبير. نجد المثال فيما قدمته المصادر البرتغالية عن قرية الشيخ ناصر. نسبة إلى أحد شيوخ الخلط الذي كان حاكم عدد من القرى قبل الاحتلال البرتغالي، موافق على الأقل لعدد قرى الساحل الشمالي الذي نحن بصدده. وكان مقر إقامته بجوار قرية العقبة، وتدعى وحدها بقرية الشيخ ناصر. وفي سنة 920 / 1514 كان ما يزال بالمكان تحت حماية أصيلا.

ازداد تدعيم الخلط مع السعديين بالمشاركة الفعالة في معركة وادي المخازن. كان من ذلك أن حبب المنصور إليهم الدخول في نظام الگيش، غير أن رأيه اختلف حينما عادوا إلى الإغارة على المناطق المجاورة، مثل بني حسن، مما اضطر المنصور إلى توجيه القائد موسى بن أبي حمادي العمري سنة 990 / 1584 ضدهم. ويدخل في هذا تحذير المنصور ولي العهد ابنه المامون من احتفاظ الخلوط بالسلاح الناري. وفي سنة 1011 / 1602 كانوا يمثلون فئة الرماة، إذ أن قوتهم الحربية كانت معدودة بنحو 8.000 محارب وأكثر من 50.000 مشاة. ومن المعلوم أن المجاهد محمد العياشي اعتمد عليهم في حراسة واقتحام ميدان المعمورة المحتلة من طرف الإسبان في جل الفترة الجهادية.

ورغم ضعف وزن الخلوط السياسي فإن الأحداث لم تكن لتستثني مشاركتهم في أحداث فتنة مابعد وفاة المولى إسماعيل إلى استقرار الوضع مع اعتلاء محمد بن عبد الله أريكة العرش. ويدل ما قام به المولى عبد الرحمن بن هشام من نقل جماعة من الخلوط إلى سهل سايس لتصبح ضمن فئة الگيش على شيء من ذلك. وفي سنة 1262 / 1845 ثار الخلوط على قائدهم بزعامة بوسلهام الكرتي الخلطي وهاجموا القصر الكبير. وقد تمكن القائد فرجي عامل فاس من إخضاعهم. وهذه كانت آخر تحركاتهم التاريخية.

نتساءل في الأخير عن المجال الجغرافي الذي تحتله تجمعات الخلوط إلى الوقت الراهن. وبالرجوع إلى آخر القرن الثالث عشر الهجري (19م) نجد أن أوغست مولييرا لم يحصل من مخبره على التقسيم الإداري السائد ببلد الخلوط، متعللا بالمجالات المتنقلة عبر أراضي الهبط وأزغار. فلم يذكر سوى فرقة أولاد سليمان التي لا تبرز في أي تجمع قار. ثم فرقة الفشفاش وقرية بن عودة التي قال إنها مكونة من نحو عشرين دارا. وفي ما عدا ذلك فالمساكن تظهر في تجمعات الخيام التي تشكل الدواوير. ويمكن الاستفادة من الخريطة الملحقة بكتابه، إذ أنها تقسم مواطن الخلوط إلى قسمين :

- يتمثل الأول بالبسيط الذي يحده من الشمال مجرى وادي لكوس ومن الجنوب الغربي المرجة الزرقاء وسيدي بوسلهام بالجنوب الغربي وجبال سط وأهل سريف بالجنوب الشرقي.

ويشمل القسم الثاني بدوره البسيط الممتد شمال مجرى وادي لكوس إلى أن تحده من الشمال مرتفعات وغابات قبيلة الساحل وجبال بني گرفط في الشمال الشرقي.

ومعلوماتنا عن مجالات الخلط على عهد الحماية أفضل. فحسب معطيات الفترة الاستعمارية، أن عدد فرق الخلوط وصل إلى اثنتي عشرة فرقة، بينما بلغ عدد الدواوير إلى 146 دوارا، وعدد الكوانين إلى 4916 كانون، وهو ما بينه الجدول التالي بالنسبة للفرق وعدد الدواوير :

| الفرقة | عدد الدواوير | الفرقة | عدد الدواوير |
|---|---|---|---|
| عامر | 3 | بداوة | 3 |
| بجير | 18 | شكران | 16 |
| دريسة | 10 | دوايسة | 11 |
| حرتام | 16 | صوالح | 14 |
| أولاد عمران | 13 | أولاد يعقوب | 16 |
| أولاد جلول | 21 | أولاد زيتون | 3 |

ولا يختلف الأمر كثيرا عما أبرزه إحصاء الفرق والدواوير في آخر فترة الحماية، وهو ما يزال قائما. تتألف

قبيلة الخلط من تسع فرق كبرى، ينضوي تحتها 172 دوارا. وندرج بيانا عن الفرق وتوزيع الدواوير في الجدول التالي :

| الفرقة | عدد الدواوير |
| --- | --- |
| جامع الطلبة الجنوبي | 22 |
| جامع الطلبة الشمالي | 21 |
| القصر الضواحي | 12 |
| القصر الحدودي | 28 |
| القصر الدهس | 17 |
| العوامرة الشرقية | 18 |
| العوامرة الغربية | 21 |
| ثلاثاء الريسانة الشمالية | 18 |
| ثلاثاء الريسانة الجنوبية | 15 |

وبناء على هذا التوزيع يمكن رسم حدود مجالات تجمعات الخلوط بالهبط وأزغار.

ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، المجلدان السادس والسابع ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ مارمول كرباخال، *إفريقيا*، الرباط، 1984 ؛ ع. بنمنصور، *قبائل المغرب*، الرباط، 1968 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، تطوان 1953 ؛ حسن الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، مرقون، الرباط، 1991 ؛ *معلمة المغرب*، المجلد التاسع.

Michaux-Bellaire et G., *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936 ; A. Mouliéras, *Maroc inconnu*, T. 1 et 2 ; Simons, *Les tribus arabes de la vallée du Lekus*, *A. M.*, 1974.

حسن الفكيكي

** ومن الخلط فرقة هامة من فرق قبيلة الأعشاش المنتمية لاتحادية الشاوية يظهر أنها من بقايا الخلط حيث تُكَوِّن مع المعاريف والأولاد وأولاد شعيب والخزازرة وأولاد عريف وإيصوف وأولاد الزيرق وأولاد حمامة وبني يمان قبيلة الأعشاش بالشاوية، وهي قبيلة ترجع أصولها إلى الجزيرة العربية.

*دراسة ميدانية*.

*Villes et tribus du Maroc, Casablanca et la Chaouia*, T. 2 ; Mège, *Note sur les Mzab et les Achache*, *A.B.*, 1918.

علال الخديمي

**الخُلطي،** أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الخلط الهبطية كان بعض أفرادها من العسكر النظامي بتطوان سنة 1246 / 1830.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 625.

**الخُلطي، مبارك** بن بدر الدين، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة الخلط. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف أحمد الريسوني ؛ وقد شارك في عدة معارك وفقد بصره في المعركة التي جرت باعلالش يوم ثاني أكتوبر 1919.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخُلطي، محمد** (الصحافي) وُلد سنة 1908 في مدينة فاس حيث كان والده يزاول التجارة. ترعرع بالمدينة ذاتها وتابع بها دراسته الابتدائية والثانوية (ثانوية مولاي إدريس، 1918 ـ 1922).

وبين سنتي 1927 و1929 استقر به المقام في العاصمة الفرنسية باريس حيث تردد على ثانويتي شارلمان ولوي لوكران. ولما حصل على الباكالوريا، التحق بكلية الحقوق لمتابعة دراسات قانونية. ولما أصدرت الحركة الوطنية مجلة مغرب *Maghreb* في باريس، تحت رعاية لجنة فرنسية ـ إسبانية، ساهم فيها محمد الخلطي بمقالات عديدة، كما تكلف بتنسيق نشاطها مع الوطنيين بالمغرب، خاصة بعد عودة أحمد بلافريج إلى البلاد.

وفي سنة 1934 كان أحد أعضاء النخبة الوطنية النشيطة في فاس حيث أشرف على تنظيم فرقة من الكشافة المسلمين. وفي الوقت ذاته كان يتعاون مع محمد ابن الحسن الوزاني في إصدار جريدة *L' Action du Peuple* (*عمل الشعب*) حيث نشر عدة مقالات انصب معظمها على التنديد بالنشاط الصهيوني في المغرب وإقامة جسور الحوار مع الأقلية اليهودية المغربية قصد بعث الوعي الوطني فيها. وقد أولى الخلطي هذه القضية اهتماماً كبيراً جعل منه الصحفي المغربي المتخصص دون منازع في هذا الحقل.

وخلال سنتي 1936 و1937، وجد الخلطي مجدداً في باريس حيث اشتغل، إلى جانب كل من أحمد بن المعطي بوهلال ومحمد بناني، بتسيير جمعية التضامن والدفاع عن المغاربة في فرنسا، وهي الجمعية التي حظيت بالاعتراف الرسمي من لدن الحكومة الفرنسية في 15 يناير 1937.

وابتداء من 1937 وبعد أن تولت الجبهة الشعبية زمام الأمور في فرنسا. أسندت إلى محمد الخلطي وظيفة إدارية في وكالة المغرب بباريس Office du Maroc، مما كان له أثر سيئ على علاقاته ببعض زعماء الحركة الوطنية المغربية الذين اعتبروا قبوله لهذه المهمة مؤشراً على تراجعه عن المبادئ التي كانوا يناضلون من أجلها.

مجلة، *Maghreb*، جريدة *L' Action du Peuple*، الأرشيف *الديبلوماسي في نانط*.

جامع بيضا

**الـخُلْطي الـمودّن**، بو سلهـــام بن علي من أولاد المؤذن إحدى فرق قبيلة الخلط المشهورة، كان فقيهاً وأستاذاً حيسوبياً ميقاتياً، تولى رياسة علماء الميقات في زمانه.

أشار ابن زيدان في *الإتحاف* إلى سبب تعليمه أن السلطان عبد الرحمن بن هشام - عند مقدمه لمكناس - أمر القائد محمد بن العواد الخلطي البوجنوني، باشا مكناس، بترشيح عشرة من طلبة الجيش البخاري لتعلم التوقيت والحساب، فكان بوسلهام من جملتهم، وكلف السلطان العلامة عد الرحمن بصري بتعليمهم.

كان الخلطي أنجب العشرة وأمهرهم، أحرز قصب السبق في التبريز في فنون شتى، منها الرياضيات والتعديل والتوقيت. ومكنه نبوغه العلمي من أن يحصل على ثقة السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام ويحظى لديه بالوجاهة والحظوة والمكانة. فلازمه في الحل والترحال.

كما كان السلطان يحضره ويأمره بالقراءة بحرف حمزة وهو منصت إليه، وكلما ختم ختمة - كما يقول ابن زيدان في الإتحاف - أفاض السلطان عليه سجال عطاياه الملوكية وغمره ببره وإحسانه.

توفي المترجم عام 1265 / 1848 ودفن بروضة الشيخ الكامل مَحمد بن عيسى الفهدي، من ناحية باب البرادعيين.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 2، ص 76.

رقية بلمقدم

**الخلف**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الغربية بالقرب من مدينة أصيلا ؛ وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 626.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **خلف الله**، خلوف الصنهاجي، أبو سعيد، وُصف بكونه من أهل العلم والفضل والدين المتين، لا تأخذه في الله لومة لائم. تولى قضاء غرناطة في عهد الأمير المرابطي علي بن يوسف سنة 510 ثم نقل بعد خمس سنوات إلى قضاء الجماعة بمراكش. ثم قضاء فاس حيث توفي وهو قاض بها سنة 515 أو سنة 516.

ابن الآبار، *التكملة*، 314، ص. 850 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 193.

أحمد عزاوي

**الـخلفي، أحمد** بن **علي** النجّاري الدكالي. لا يعرف تاريخ ولادته، كان من علماء دكالة وقضاتها. اشتهر بعد له وورعه وسعة علمه. حفظ القرآن الكريم في صغره ودرس مبادئ اللغة والعلوم الدينية ثم رحل إلى فاس في منتصف القرن الثاني عشر الهجري وطالت إقامته بهذه المدينة حتى سنة 1168 فأخذ بها العلم على يد الفقيه السيد عبد الله السوسي وعلى يد علماء طبقته.

ولما رجع إلى دكالة أنشأ مدرسة لنشر العلم، فكان يقوم بإيواء طلبتها وبإطعامهم وإقرائهم، و اشتهر بورعه وسعة علمه، وأسندت إليه خطة القضاء في عهد السلطان سليمان، واشتهر بعدله وإقامة ناموس الشريعة في أحكامه، غير أن وظيفه هذا لم يكن ليشغله عن الاهتمام بمدرسته وعن متابعة التدريس بها إلى آخر حياته.

توفي قتيلاً أثناء رجوعه إلى بيته من سوق الثلاثاء بأبي يَنّور (سيدي بنور) قبل سنة 1238. وكان قد حكم على أناس فلم يرضوا بحكمه فاعترضوا سبيله وقتلوه. وقد تتبّعهم السلطان المولى سليمان ونفذ فيهم الحكم بالإعدام.

ع. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرّجال*.

محمد الشياظمي

**الـخلفي، أحمد** بن **همّو** (الشيخ محند) خَلَفَ والده في المشيخة أوّلاً وعرف بكرم الضيافة، وحُبّه للعلماء، واحترام الشرفا - كعادة أيت باعمران بصفة عامة - وكأن الشريف ابن زيدان يعني هذا القائد وأمثاله بقوله : "ولأيت باعمران كرم زائد وشجاعة، وهم أباة الضيْم أهل شمم ونخوة يحبون الغريب النازل بهم ويكرمون الضيف. لا سيما رؤساؤهم، فإنهم يحبون العلماء ويجلونهم غاية..." *الاتحاف*، ج 2، ص. 210.

هذه الصفات كلها متوفرة في مترجمنا هذا وناهيك بمن لا يفارق على الدوام العلامة الحيسوبي محمد بن صالح التدرارتي والمفتي أبراهيم الباعمراني والحمزاوي سعيد بن بهي العيني الذي حرره السلطان الحسن الأول سنة 1303.

وقد استطاع المترجم أن يحافظ على القبيلة الكبرى أيْت بُوبْكر أيحيى المكوّنة من أيت النص حالياً ومن أيت خْلف، وإيمْسْتيتن وإدْ مُوسَاكنا إلى سنة 1299 عندما تسلم ظهيراً من السلطان الحسن الأول كعامل للسلطان علي قبيلة أيْت خلفْ فقط : في سياسة تقسيم كل قبيلة إلى مَثْنَى وثُلاث ورُباع، وفي نفس التاريخ عين الوجداري إبراهيم على نصف قبيلة أيت بُوبكر باسم أيت النصف، ومفر قيادة هذا الأخير بإسْگّ TSGG بينما مقر القائد أحمد بخميس أيتْ بوبكر.

لذلك أسندت إليه قيادة محلة السلطان من محطتها بإسْك إلى خميس أيت بوبكر، وفي هذا الموقع المعروف بتيغزى "أعجب السلطان بالمكان فأمر مترجمنا هذا بشراء أرض هناك من مال المخزن حيث الثكنة العسكرية قديماً وحالياً" (*معلمة المغرب*، ج 8، ص. 2713 + *الاتحاف*، ج 2، ص. 243).

وفي مقر تيغزا هذا وسط أيت باعمران كتب السلطان رسالته التي يعتز بها أيت باعمران على الدوام منها "... كتبنا لك هذا يوم حلولنا وسط خدامنا قبائل أيت بُوعمران بحبوحة مجامع قبائل سوس الأقصى ومـنـاخ الأعيـان..."

(*الإتحاف*، ج 2، ص. 246).

وبما أن قبيلة هذا القائد كانت محادية للمحيط الأطلسي فقد كان من العمال المكلفين بحراسة تلك الشوطئ، كما ورد في عقد الإشهاد ومما ورد في رسالة السلطان "... ختم العمال منهم بخواتم عمالاتهم على عقد الاشهاد تأكيداً للقصد، وتأسيساً للمراد، كما أشهد أهل السواحل منهم بالتزام جعل العَسّات في مراسي سواحلهم..." *الاتحاف*، ج 2، ص. 316. وفعلاً قام هذا القائد بأول بناء للحراسة البحرية في إفْني في موضع إدُفْقيرْ ومازال ذلك المكان محترما كرمز لوجود المخزن حتى الآن.

وما كادت القبائل هناك تسمع بموت السلطان الحسن الأول (1311) حتى انقضّت كل قبيلة على غريمها، فهدمت جميع ديار القادة بأيت باعمران وما حولهم ما عدا دار مترجمنا هذا، وكذلك القائد البشير بن القائد لحسن أصبايّو "*طاقة ريحان من روضة الأفنان*، ص. 28".

وفي تلك الفترة أصيبت سوس بجفاف تام فحدث أن ظهر التاجر كورْطيسْ بمرسى أساكا بين أيت باعمران والتكنة، فأضعفت المجاعة الروح الوطنية لدى البعض هنالك، منهم مبارك ندياگو، الذي كان يبيع ويشتري مع ذلك التاجر، إلى أن قُبض عليه صحبة الأجنبي فجرّ ذلك مع القافلة مترجمنا هذا كشاهد على عدم شرعية الاتجار هناك مع الأجانب، ولما كان كبير السن، وكان الوزير بّا أحمد بن موسى يكنّ عداوة لكل قائد نجا من فتنة القبائل أمره بالإقامة بمراكش ملازما ضريح أبي العباس السبتي حتى توفي سنة 1316 / 1898.

ع. ابن زيدان، الإتحاف، ج 2 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 10 ؛ *معلمة المغرب*، ج 8، مادة تغزى ؛ الأگراري، *روضة الأفنان*، ص 216، *ظهائر مخزنية*.

**الخلفي، الحسن** بن علي ابن الشيخ هَمّو، كان خليفة لأخيه القائد مُحنْد، وهو المكلف بتسيير أمور القبيلة، والدخول في الحروب القبلية ومقارعة الخصوم، وشارك في ثورة أحمد الهيبة، لذلك عين من طرفه قائداً إلى جانب أخيه القائد محند، ولدي رسالتان لهذا الأمير : الأولى سنة 1332. تسميه بالشبخ الحسن والثانية سنة 1333 تصفه بالقائد الحسن الخلفاوي. وقد حاولت السلطة المركزية ضم هذه الشخصية إليها، لكنه رفض، وخاصة عندما خرج ضابط ألماني مع تركي في شاطئ قبيلة أيت اخلف فأوصلهما إلى الأمير أحمد الهيبة بكاردوس.

كما قاد الحسن الخلفي معارك قبلية ضد حكام تيزنيت الموالين للحماية، وكذلك ضد الوجداري القائد إبراهيم والقائد محمد البوبكريين حتى قتلا معا، لذلك دسّ له قائد ماسّة سمّا فمات في 11 ذي الحجة عام 1333 / 21 أكتوبر 1915.

عن *مذكرات* عمه القاضي الخلفي محند بن محمد الخلفي، رسائل أحمد الهيبة ؛ ح. جهادي *من تاريخ أيت باعمران*، مرقون.

الحسين جهادي

**الخلفي، سعيد** بن عبد الله المحمدي الدكالي، أحد كبار علماء المغرب المتنورين في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر الهجري. ولد بمدينة الجديدة حيث تلقى تعليمه الأولي، ثم جال في مختلف أنحاء المغرب ورحل إلى المشرق طلباً للعلم. ودامت رحلته نحو عشرين سنة. ولقد استفاد كثيراً مما رآه من مظاهر النهضة الأوربية في سائر العلوم والتقنيات المعاصرة له، وأدرك مدى تخلف وطنه عن الركب الحضاري والعلمي الأوربي. فكتب للسلطان المولى الحسن تأليفا في السياسية المستحب اتباعها لإنقاذ البلاد من مخاطر الاستعمار الأوربي. وعنون مؤلفه هكذا *وردة الناشق وروضة العاشق*، أو *التحفة الدكالية إلى الحضرة العالية*. وقد رتبه على خمسة أبواب، بكل باب ثلاثة فصول. يبرز في هذا التأليف محور أساسي ركز فيه المؤلف على التنبيه إلى أمور الدين وإصلاح ما اختل من شؤون الثغور الساحلية في وقت استفحلت فيه دول أوربا. أما المحوران الباقيان، فالأول منهما عرف فيه بنفسه عن رحلاته واغترابه وعن محفوظاته وآثاره، وخص الثاني للتعريف بالسلطان مولاي الحسن الأول وسرد تاريخه ونسبه وحسن سيرته ومذهبه في شؤون الحكم، ومواقفه تجاه أجناس أوربا.

وكان تأليف هذا الكتاب سنة 1304 / 1886 بمصر، وعند رجوع المؤلف إلى المغرب قدمه إلى السلطان إرشاداً له وتنبيهاً.

توفي سعيد الخلفي في العشرة الأولى من القرن الرابع عشر الهجري (20 م) بمدينة أسفي.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، القسم الثاني، مخطوط.

عبد الرحيم العطاوي

**الخلفي، علي** بن الشيخ هَمّو. أخذ القرآن عن عميه لحسن بن أضرضور وعلي من بني الشيخ هَمّو الحمزاويين، ولما استكمل مراده انتقل إلى قبيلة أمّلن بالأطلس الصغير، وهناك عكف مدة طويلة عند شيخه الحاج أحمد بن عبد الرحمان التملي الذي وصفه صاحب المعسول بقوله : "كان متناهيا في الفضل والورع والزهد، جبل في المعارف على اختلاف فنونها" *رجالات العلم العربي بسوس*، ص. 107.

تحلى على الخلفي بكثير من صفات شيخه النبيلة، وحج معه سنة 1280 وهو الذي عينه قاضياً على قبيلة أيت إخلف، كما عين تلميذه الآخر أحمد بن لحسن المرسي على

قبيلة أيت النصف.

ونظراً لورع علي هذا وزهده، ونظراً لمكانة ابنيه القائد محند والحسن، فقد تخلى عن القضاء إلا قليلا، كأنه لا يريد جمع السلط كلها في عائلة واحدة، لذلك اكتفى بالتدريس والإرشاد، ومن أعماله *تحقيق العمل السوسي* لوالد شيخه عبد الرحمن، وعليه اعتمد الرحماني عبد الگوشنيْمي في إخراج ذلك العمل السوسي.

كانَ معلماً لعائلته من ذكور وإناث، وأحرار وعبيد، وأحكامه موجودة في أيدي الناس. تمتاز بدقة التوثيق، ومتانة العبارة، والسير مع القول المشهور، وقد ترك خزانة مهمة من المخطوطات في الفقهيات والروايات واللغويات.

توفي حوالي 1312 / 1895.

**الـخلفي، مبارك** بن القائد أحمد بن الشيخ هَمّو، أخذ القيادة من السلطان مولاي يوسف وكذلك من الأمير أحمد الهيبة، بعد موت ابن عمه الشيخ الحسن، ولدينا عدة رسائل من الأمير مُرَبّيه ربه منها : "خديمنا الأرضى القائد مبارك الخلفاوي رعاك الله... ويسند إليه أموراً توجد في قبيلة أيت برايّيم كالمحافظة على الخيل وجمع الإعانات الزراعية... رغم أن القبيلة خارج أيت باعمران. كما لدى لائحة أخرى بما يجمعه إنفلاس من أيت باعمران من زكاة وأعشار ومفروضات تحت رئاسة القائد مبارك هذا باسم الأمير مُرَبّيهْ ربّـهُ مما يدل على أنه عمدته هنالك.

تدخلت اليد الأجنبية في أيت باعمران. فاضطر هذا القائد إلى خوض معارك قبلية استمرت سنة كاملة من 1339 إلى 1340 وبعد عقد الصلح فرض على القبائل أداء ثمن الخيل المقتولة في الحرب، لأن أيت باعمران في الحروب يدفعون ثمن الفرس، ولا يطالبون بدية الفارس في المعركة حسب العرف، فبينما كان يجمع تلك الفريضة، وهي ثقيلة على الناس، إذ لم يستثن فيها هذه المرة لا عالم ولا شريف، وفي أثناء ذلك مات قيل بالسم، وقيل بمرض مفاجئ، وذلك سنة 1340 / 1921.

عن *مذكرات* القاضي محند بن محمد الخلفي ؛ ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران* ؛ مخطوط.

الحسين جهادي

**الـخلفي، محمد** بن **أحمد** بن الشيخ هَمّو، تولى مشيخة قبيلة أيت إخْلَفْ بعد وفاة أخيه القائد مبارك، سنة 1340 وقد اشتغل قبل ذلك بالتجارة، رابطا بالقافلة ما بين أيت باعمران والصويرة، وخلال ذلك كسب تجارب عديدة في المعاملات مع الناس، لذلك انتخبته القبيلة خلفاً لأخيه في ظروف صعبة، منها الحروب القبلية هناك، فاضطر إلى أن يقود الفرسان في المعارك. مما أدى إلى إصابته بالرصاص عدة مرات، كما حاول الإسبان الخروج في سواحل أيت باعمران، وخاصة في قبيلة هذا الشيخ.

وقد اطلعت على عدة رسائل كانت تاتي إليه من قنصل الإسبان من مدينة الصويرة، لكنه لم يقبل قطّ أن يمد لهم اليد رغم جميع الإغراءات، وإليه يرجع الفضل في المصالحة بين القبائل في تلك الفتن، حتى إن قبيلته أيت إخلف حاول الخصوم تقسيمها إلى عدة مشيخات، فكان يعالج ذلك كله بالتعقّل وبالتي هي أحسن، فحافظ على مركزه وسمعة قبيلته حتى توفي سن 1347 / 1928.

**الـخلفي، محمّد أُيحيى**، من قبيلة أيت إخلف من فخذة إدبلقاسم، أخذ القرآن وبعض الروايات في بلدته، ثم التحق مبكراً بالمدرسة التيمگدشتية حتى تخرج منها فقيها صوفيا عمليا، فرجع إلى قبيلته وصار قاضيا ومعلما ومربيا، فأضاف لعائلته شهرة على شهرة، فاشتهر بعدله بين الناس، لا تستميله ثروة غني، ولا تخيفه سلطة قوي.

وترجع أهمية هذا القاضي إلى مستوى ثقافته وتوثيقه وانتشار أحكامه بين الناس من جهة، وإلى نزاهته وعدله في ظروف قاسية بسبب مجاعة عام 1295 / 1878 من جهة أخرى، هذا وقد عثرت على عقود وبيوعات لبعض العدول هناك، كانت كلها زوراً بسبب فقر الفقهاء المضطرين إلى كتابة تلك العقود مقابل عبرة من الشعير، ومن الطريف أن يكتب الكاتب "هذا بيع قاطع لا رجعة فيه أبدا مؤبدا..." لكن في النهاية يكتب "هذا العقد من باب تدبّر المعاش فقط" أي زور مضطر كاتبه. وكم من عائلة بأيت باعمران باعت عقاراتها بكيس من الشعير فالتحقت بحاحة وأسفي ومازالت لدينا بعض العقود شاهدة على ذلك.

في تلك الظروف القاسية وقف محمد أيحيى في وجه الزور رافضاً المزورين في شؤون العدالة، وكان عارفا بالقبيلة كلها، لذلك كان يقبل شهادة شاهد واحد عدل، نظراً لقلة السكان ولتأثير المجاعة في ضعاف الفقراء. "كاد الفقر أن يكون كفراً" كما كان يرفض بيع المكره بسبب تلك المجاعة، ومازالت أحكامه محترمة لدى العدول هنالك لا يتطرق إليها الشك.

وكان القاضي محند بن محمد الخلفي، يشيد بعدالة المترجم له، ويقول أمام الناس : "إن شهادته وحده تعادل اثنى عشر شاهدا، ويرجع إليه الفضل في حماية حقوق الناس في تلك المجاعة".

اطلعت على كثير من أحكامه، وكلها تبرز مكانته الفقهية بالإضافة إلى نشر الطريقة الناصرية الصوفية بأيت إخلف.

توفي حوالي 1296 / 1878.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران* ؛ *جولة في عين المكان* سنة 1980.

**الـخلفي، محمّد** (الحاج -) بن **سعيد** بن الشيخ

علال بن الشيخ عبد المومن ابن الشيخ محند بن الشيخ علي بن علي (مكرراً) بن الشيخ بَـهَـا. وسلسلة هذه العائلة قديمة في مشيخة قبيلة أيت بوبكر الباعمرانية، وقد يتبادر إلى الذهن أن المشيخة كانت وراثية، وليس الأمر كذلك في أيت باعمران حسب عرفهم، إذ كلما توفي شيخ القبيلة أو أمغارها، إلا واجتمع إنفلاس، ويعينون بانتخاب علني من هو أهل لزعامة القبيلة.

وكلما تم الاتفاق إلا ويكتب ويلتزم به الجميع، ولدى هذه العائلة وثيقة عن نقل المشيخة من الشيخ بلقاسم المسن إلى ابن أخيه الشيخ باها وذلك في سنة 1000 / 1592 وتعلل الرواية الشفوية انتقال مشيخة القبيلة بعدة أسباب منها حيوية مترجمنا هذا وقوته الشخصية، وكذلك ظهور الكفار في شواطئ أيت باعمران، والقبيلة بحاجة إلى زعيم شجاع. ونحن إذا رجعنا إلى هذه الفترة التاريخية بسوس عامة نجد سندا لتلك الرواية الشفوية، لدى صاحب *الاستقصا* الذي ينقل بدوره عن صاحب *زهرة الشماريخ* *"أن سبب قيام أبي* عبد الله القائم أن أهل سوس أحاط بهم العدو الكافر، ونزل بجوانبهم من كل جهة، حتى أظلم الجو، واستحكمت شوكة البرتغال..." (*الاستقصا*، ج. 5، ص. 6).

فهذه العائلة إذن قامت منذ البداية على أساس الجهاد والدفاع عن الوطن، بالإضافة إلى حسن تسيير شؤون القبيلة والمحافظة على تماسكها ووحدتها كما هو مثبت لدى العائلة حتى الآن.

والذي عثرنا عليه أن والد المترجم له الشيخ سعيد عاش حتى سنة 1159 كما حجّ مترجمنا هذا سنة 1206 ولما رجع صادف في أيت باعمران ثائراً "يزعم أنه السلطان اليزيد بن سيدي محمد بن عبد الله ثـار في بعمرانة..." ( *خلال جزولة*، ج. 4، ص. 46) وهذا الثائر هو بوحلاس "مخطوط الأدوزي نسخة بخط حسن بن البريك الباعمراني".

وقد انجرف مترجمنا هذا بتيار مع الثائر، إلى أن توصلت أيت باعمران برسالة مخزنية تؤكد على موت المولى اليزيد بمراكش، كما أن رسائل الشيخ التاساكاتي الوعظية أزالت الغشاوة على أتباع بوحلاس، فانفض عنه أيت باعمران وهو محاصر في قرية العوينة قرب تيزنيت حيث قتل سنة 1207 هذا وقد جرح مترجمنا في تلك المعركة بالعوينة، وشاع عنه أنه كان يردد الحمد لله الذي نجانا من اتباع الظالمين.

توفي حوالي 1255 / 1839.

**الـخلفي، مُـحَـنْـد** بن **علي** بن الشيخ هَـمّـو البوبكري، قال عنه الأكراري "أخذ القيادة بعد عمه أحمد بن الشيخ هَمّو عند السلطان مولاي عبد العزيز فلم يساعده الوقت، ولا أكل منها ولو فلسا..." ( *روضة الأفنان*، ص. 191).

نعم تسلم القيادة على قبيلة أيت إخلف سنة 1316 / 1898 فقام بالواجب أحسن قيام، وبقدر ما كان شجاعا، بقدر ما كان متواضعا وداهية في إدارة المعارك، ولما ظهر أمر الأمير أحمد الهيبة بتزنيت سنة 1912 كان مترجمنا هذا من بين المتحمسين للجهاد والدفاع عن الوطن، ومع ذلك تريث قليلاً عن الالتحاق بالأمير المجاهد، ولدينا رسالة من الهيبة إلى هذا القائد مع أخيه الحسن بن علي يحثهما على مزيد من الحزم والتزود للجهاد.

وقد شارك هذا القائد في معركة سيدي بوعثمان 1912 ؛ فنجا بأعجوبة من مدافع العدو، ولما رجع إلى بلاده كان سدا مانعا أمام حملات الحماية إلى تلك الجهات، وهو الذي ترأس المقاومة ضد حملة الباشا حيدا بن مايس إلى أن قضى على حملته بكاملها في معركة إيگالفن 1917 م فبعث إليه الهيبة رسالة يهنئه بالنصر على الأعداء.

وفي 27 جمادى الثانية عام 1335 قدم إلى أيت باعمران الجنرال دولاموط De Lamothe بحملة مسلحة كبيرة قصد رد المدافع التي غنمها أيت باعمران في حملة حيدا، فنزل فجأة بإيسْكّ فاضطر إلى الرجوع إلى تيزنيت في أقل من أسبوع، وفي تلك المعركة استشهد هذا القائد مع أخيه الشيخ محمد وشاراباط وكثير من أبطال أيت باعمران يُعرفون بشهداء معركة تيزي 1917.

**الـخلفي، مُـحَـنْـد** بن **محمد** بن الشيخ همّو. تخرج على يد شيخه مبارك البعقيلي بمدرسة أخريب العتيقة بأشتوكن، سنة 1318 كما أخذ الروايات القرآنية عن عميه لحسن بن أضرضور وعلي، وشارط في مدرسة ميرلفت سنة 1318.

وهناك ارتضاه فريق من القبيلة كقاض ـ كما ارتضى فريق آخر فقيها آخر، ومعنى ذلك أن الحكمين سيعرضان على قاض ثالث، وسجل هذا الفقيه المحنة التي أوقعه فيها ذاك الحكم، مما اضطره إلى أن يستعين بشيخه القاضي بأشتوكن، مما جعل حكمه مقبولا وسلم به حتى القاضي الموازي له. فكان ذلك بداية شهرته.

والحق أنه كان متوسطا في الأسلوب العربي، بقدر ما كان متمكنا من الفقيهات، واستفاد من خزانة عمه سيدي علي، زاوج بين التعليم والقضاء مدة طويلة، وإليه يرجع الفضل في تعليم أجيال في تلك الجهات، وخاصة تلقين رواية المكي والبصري وقالون وورش.

كما استمر في القضاء حتى تدخل فيه الإسبان، فقدم استقالته بالانسحاب، ورفض أن يأخذ له الإسبان ولو صورة واحدة، ولا أن يسجلوه ليأخذ السكر والشاي حسب الإحصاء هناك من طرفهم.

كان محمد الخلفي دائماً يربط العلاقة بالمراسلة مع المخزن المغربي في الحماية الفرنسية بدعوى أنها باسم السلطان، وقد ساهم في تحريك الجماهير بالوعظ والإرشاد

عندما سمع بعقد الحماية على المغرب، وكان دائماً يخوف الناس من الأجانب ومن تدخلهم في الدين والوطن، وقد رزقه الله زوجة مثقفة وهي سلطانة بنت القائد أحمد، وقضيا حياتهما في المطالعة والعبادة وإرشاد العباد، وترك خزانة من المخطوطات أهمها الفقهيات. ولد سنة 1294 وتوفي رحمه الله سنة 1384 / 1964، فشهّرت السلطة قبره هناك لمكانته في تلك الجهة، وللترحم عليه، ومن آثاره عدد من الأحكام القضائية وخاصة الميراث وقسمة العقارات. بالإضافة إلى رسالة منه إلى الأديب المشهور الطاهر الإفراني. كما كتب إليه صاحب *المعسول* قائلاً : "اكتب لي عن أحداث هذا القرن هناك".

وكا يسجل في *مذكراته* كل ما يقع هناك من أحداث تستحق التسجيل، ومنه استفدت كثيراً لأنه شيخي ومن عائلتي فرحم الله تلك الهمة النادرة.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران.*

**الـخلفي، هَـمّـو** (الشيخ محند) بن محمّد بن سعيد بن علال البوبكري، من قبيلة أيت إخْلْفْ. تولى مشيخة القبيلة بعد وفاة والده ولا نعرف بالضبط متى تم ذلك، لكن لدينا رسالة مخزنية إلى هذا الشيخ بتاريخ 1202 / 1787 من السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي. وفي سنة 1240 / 1824 توصل برسالة أخرى من السلطان مولاي عبد الرحمن العلوي، يزكي فيها مشيخة الخلفي هذا، ويدعوه إلى التعلق به والزيادة في ربط العلاقة.

وقد كان هذا الشيخ عينا للسلطة المركزية في تلك النواحي، وشاعت له سمعة حميدة هنالك، حتى إن العائلة مازالت تعرف بهذه الشخصية رغم من فيها من قادة كبار، وعلماء وقراء، وذلك يرجع إلى عدله وتدينه، وحبه للعلماء.

ومع ذلك فقد حدث أن قتل شخص من عائلته، فاتهمت القبيلة الشيخ نفسه بالقتل، فهدمت داره حسب العرف، وبما أنه هو الساهر على تنفيذ العرف، فعليه أن يغادر البلاد، وفعلا رحل بعائلته قاصداً صهره بأكلو، وبينما هو نازل على أنفلوس العباوي إذا بأعيان القبيلة يعثرون على القاتل، فأرجعوا الشيخ همّو من جديد إلى مشيخته، ثم قامت القبيلة بإعادة بناء الدار التي هدمتها، فسميت بقصبة الشيخ هَمّو. وهناك نزلت محلة السلطان الحسن الأول سنة 1303.

توفي همو الخلفي بعد عمر طويل سنة 1218 / 1803 حسب قسمة تركته بخط القاضي أحمد بن إبراهيم السملالي.

*ظهائر سلطانية ورسائل من أحمد الهيبة ومربيه ربّه.*

الحسين جهادي

**خلفيات الـخيشوم**، Opithabranches هي حيوانات من مجموعة الرخويات، نفس المجموعة التي ينتمي إليها الحلَزون والأخطبوط أو بلح البحر مثلا إلا أن أهم ما يميز خلفيات الخيشوم هو - كما يدل اسمها على ذلك - هو الخياشيم التي توجد في وضع متأخر خلف وضع القلب داخل الجسم كما أنها تمتاز بالنسبة لمعديات الأرجل الأخرى بعدم تعرضها للالتواء الذي تعرضت له أماميات الخيشوم أثناء تطورها.

قد يكون من المستحيل التعرض والتطرق إلى تبيان خصوصيات هاته الحيوانات بشكل عام نظراً لتنوع أشكالها وألوانها وطريقة عيشها إلا أنه يمكن تبسيط التصنيف العلمي لهاته الرخويات، حيث إن أهم المجموعات التي تضمها خلفيات الخيشوم هي :

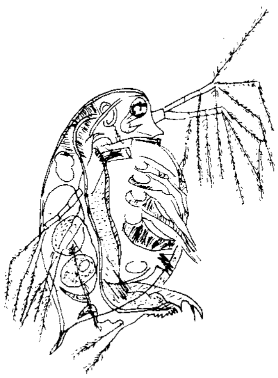

خيشوميات القوائم

1 - المجموعة الأولى ويطلق عليها Tectibraneher وتتميز بتوفرها على صدفة صغيرة قد تكون ظاهرة للعيان كما قد تكون مختفية تحت الجلد، ومن أشهر أنواع هاته المجموعة ما تطرقنا إلينا في حرف "أ" تحت اسم "أرنب البحر" التي تكثر في المياه السطحية وخاصة الغنية بالمواد العضوية والمياه الملوثة. كل أنواع هاته المجموعة قعرية ولا تحمل أية زوائد تنفسية فوق سطح الجسم.

2 - المجموعة الثانية وهي ما يعرف تحت اسم "Nudibrancha" وتتميز كما يدل اسمها اللاتيني على ذلك بجسم عام لا تحميه أية صدفة سواء كانت داخلية أو خارجية، كما تتميز بوجود زوائد تنفسية أو خياشيم كثيرة العدد موزعة في أغلب الأحيان على كل سطح الظهر. وإلى هاته المجموعة تنتمي أجمل أنواع الرخويات وأكثرها نضارة لا من حيث الأشكال فقط بل من حيث الألوان وهي كذلك رخويات قعرية.

3 - أما المجموعة الثالثة فتحوي كل الرخويات خلفيات الخيشوم التي بعد تطورها أصبحت تعيش بين العوالق. فمعظم أنواع هاته المجموعة يتوفر على جسم وعلى صدفة شفافتين يمكنانها من تمويه ماء البحر وبالتالي النجاة من مطارديها وكذلك الانقضاض بسهولة على طرائدها حيث إن كل أنواع هاته المجموعة تعتبر من اللاحمات.

تعيش خلفيات الخيشوم حسب تنوّع المواطن التي توجد بها، إلا أنه يمكن الجزم أنه على الصعيد العالمي لا يوجد أي نوع يعيش على اليابسة وأن هناك نوعين اثنين يعيشان في المياه القارية وكل الأنواع الأخرى، وعددها المئات، تعيش في مياه البحر.

هناك أنواع تعيش في منطقة المد والجزر وهناك أنواع تتحمل بكل سهولة ضغط الأعماق السحيقة ؛ وهناك أنواع تعيش فوق الصخور وهناك أنواع لا يمكنها أن تعيش إلا داخل الرمال والأوحال ؛ منها العاشبات والكثير منها لاحمات ؛ منها ما يزحف على القعر ومنها عوالق لا تصل إلى القعر أبداً.

عدد الأنواع المغربية لم يحدد حتى الآن والأبحاث جارية إلا أن آخر دراسة في سنوات السبعين أعطت حوالي عشرين نوعا ونحن نظن أن عدد خلفيات الخياشم قد يتعدى الخمسين نوعا وآخر نوع اكتشفه العلماء الإسبان على السواحل المغربية هو Tanbja ceutae اسم يرمز إلى مكان اكتشافه وهي مدينة سبتة المغربية وذلك سنة 1993.

Anonyme, Alfa sciences, 1974 ; Anonyme, Les animaux. Encyclopédie des animaux dans la nature, vol. 3, Animaux de la mer. Hachette Edit., 572 p., 1980 ; H. Boue et R. Chanton, Biologie animale. Zoologie, Invertébrés. Doin et Cie Edit., 723 p., 1962.

محمد منيوي

**الخلابي**، أسرة تطوانية أصلها من غمارة، وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 620.

**الخلادي**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة صنهاجة، انتقلت إلى تطوان في أوائل القرن الثالث عشر الهجري وكان جل أفرادها من العسكر النظامي بالمدينة من سنة 1292 إلى سنة 1295 (1875 / 1878) منهم : قدور بن مَحمد الخلادي، قائد وإليه تنسب زنقة الخلادي بحومة العيون، و محمد بن عبد الملك الخلادي جندي.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 621.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخلادي، عبد القادر** بن محمد عدُّو، ولد بمدينة مغنية بالجزائر بتاريخ 26 دجنبر 1907، وعندما بلغ الخامسة من عمره هاجر والده من الجزائر واستقر مع أسرته بمدينة وجدة بالمغرب سنة 1912 فتربى في هذه المدينة وفيها تلقى تعليمه الابتدائي، وقد انتقل إلى مدينة الرباط حيث تلقى تعليمه الثانوي في كوليج مولاي يوسف ما بين سنوات 1922 و1926 حيث نال "شهادة الدروس الثانوية الإسلامية".

بدأ مسيرته في التعليم فشغل منصب معلم بمدينة طنجة سنة 1926 ثم انتقل بنفس الصفة إلى مدينة تازة في أكتوبر سنة 1928 فاستقر بها حتى يونيو سنة 1930 فعاد إلى الرباط حيث عين كذلك معلماً في الأقسام الابتدائية التابعة لثانوية مولاي يوسف.

وكان أثناء اشتغاله بالتدريس لم يتوقف عن الدراسة وتابع تكوينه العلمي والتربوي فحصل على دبلوم اللغة العربية (D.A.C) من معهد الدراسات المغربية العليا بالرباط سنة 1931 كما أحرز على الإجازة في الأدب العربي من كلية الآداب بوهران بالجزائر سنة 1934. وبعد ذلك عين أستاذاً لتعليم الأدب العربي والترجمة في نفس مؤسسة مولاي يوسف حيث درس على يده الكثير من الأجيال ممن اشتهر اليوم في مجال الثقافة المغربية. وكان في الوقت نفسه يدرّس اللغة العربية والترجمة في معهد الدراسات المغربية العليا ومركز تكوين المعلمات بالرباط، واستمر في نفس المنصب إلى سنة 1956 حيث عين مفتشا للغة العربية حتى سنة 1972 فأحيل على التقاعد بعد أن قضى في مهنة التعليم والتاطير التربوي زهاء 47 سنة.

- ألف كتاب *صورٌ ومشاهد من الحضارة الإسلامية* في جزءين، دار الكتاب، 1961. وكتَب عدة مقالات عن شخصيات مثل دوكاسترى، وميشوبيلير وعبد الرحمان المجدوب، وعلي باي. نشرت بمجلة *دعوة الحق* بين سنة 1965 و1974. كما ألف أو شارك أو أشرف على تأليف كثير من الكتب المدرسية في التاريخ واللغة العربية وآدابها.
- ترجم كتاب *مؤرخو الشرفاء* للمؤرخ ليفي بروفينسال، وهو آخر عمل أنجزه سنة 1977، وللمترجم *مذكرات* مخطوطة باللغة الفرنسية. بالإضافة إلى كل هذا كانت للخلادي رحمه الله خزانة مهمة.

توفي بالرباط في يونيه 1977.

مؤلف عن حياة الخلادي لدى ولديه ؛ *رواية شفوية عن بنته*.

عمر أفا

**الخلادي، مرحي** بن محمد. مقاوم وُلد سنة 1915 بغراوة إقليم تازة، ومن أجل تحرير البلاد واستكمال وحدتها الترابية انخرط في صفوف جيش التحرير منذ تأسيسه بالمنطقة الشمالية حيث كان ضمن التشكيلة التي يرأسها حسن بوحتات.

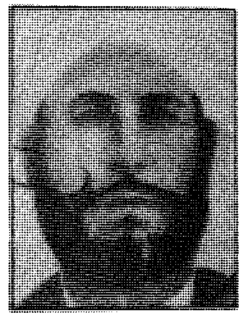

وكان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله معروفا بغيرته الوطنية متحمسا في إيمانه، شارك في عدة معارك ضد العدو أبان فيها عن شجاعة كبيرة إلى أن استشهد برصاص العدو في شهر دجنبر 1955 في مكان يدعى بزيزو.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، ص 196.

**الخلة**، عَلَم على أراضٍ شاسعة المساحة، شديدة الخصوبة، تمتد بواحات محاميد الغزلان، يميل لون تربتها إلى السواد ( *الروض الزاهر* : 167) ؛ وهي جزء من أراضي المعدر الممتدة على يمين وادي درعة، حين ينعطف في جريانه نحو الغرب.

كانت هذه الأراضي في ملكية الزاوية الناصرية. يتحدث الشيخ مَحمد بن ناصر (ت 1085 / 1674) عن كيفية انتقال ملكيتها إلى تامگروت فيقول : "وكانت ساقيتها فسدت وتعطلت، فجاءني أربابها، فقالوا : إن أحييت لنا هذه الساقية فلك نصف الأرض. فتعاقدت معهم على ذلك... قال : فخرجت أنا ونفر من الإخوان إليها فحركناها فسلمها الله، وطلعت، فكنا نحرثها.." (*طلعة المشتري*، 1 : 171).

وبسبب شدة خصوبتها، تعطي محصولاً جيداً من الحبوب متى توفر الماء ؛ حتى شاع أنه "لو كان في المغرب خلتان ما انباع [كذا] الزرع بدرهمين..". وهذا من جملة ما يستدل به على وفرة محاصيلها.

ومصداق ذلك نستجليه من قول الشيخ المذكور، حيث جاء في معرض حديثه، ردا على بعض ما شاع من أنه سخر أحباس الزاوية في قضاء بعض أغراضه الشخصية فقال : "فمن ذلك كله تزوجنا وحججنا، ومن ذلك نخص من رأينا أن نخصه بكرامة أو أعطية من الواردين علينا...".

وهكذا يكون نتاج محصولها قد غطى مصاريف الزواج والحج، ونفقات الزاوية ؛ مما يدل على شساعة المساحة المحروثة، ووفرة المحصول.

ولعل انتقال ملكية هذه الأرض إلى الناصريين، كان سببا في تطور زاوية الهناء الناصرية، التي تأسست بمحاميد الغزلان.

م. المكي الناصري، *الروض الزاهر*، تح. المهدي الغالي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1999 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ ح. اليوسي، *فهرسة* ؛ م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، ج 2، التحري الميداني.

أحمد عمالك

ابن **خَلُّو**، أسرة تطوانية أصلها من بني يدر القبيلة المجاورة لمدينة تطوان، وقد انقرضت هذه الأسرة سنة 1241 / 1825.

**خَلُّوف**، ويكتب أحيانا الخلوف، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الخلط، انقرضت بتطوان سنة 1260 / 1844.

**خَلُّوف، أحمد** بن **عبد الله** كان يرأس فرقة البحرية التابعة لحامية تطوان سنة 1242 / 1826.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 232 و1610.

محمد ابن عزوز حكيم

**خَلُّوفي، عبد القادر** مقاوم، ولد سنة 1902 ببويحيى إقليم الناظور، التحق بصفوف جيش التحرير ملبياً نداء الوطن للدفاع عن حرية وطنه وكرامته، فرابط مع وحدات جيش التحرير ضمن فرقة بوحتات بمركز بوسكور، وهو ما عرف بمثلث الموت، وذلك تحت مسؤولية السرجان الحسن وملال عبد القادر. وقد ظل خلُّوفي مرابطاً هناك إلى أن حصل المغرب على استقلاله. وأدركته الوفاة سنة 1416 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**الخلنج** جنس نباتي يسمى علميا إيريكا Erica وهو من فصيلة الخلنجيات Ericaccae اسمه بالفرنسية Bruyère يضم الجنس عدة أنواع توجد منها ثمانية بالمغرب تصادف في الشمال والشمال الغربي في المناطق البيومناخية شبه الرطبة والرطبة جداً. وأشهرها النوع الشجري إيريكا آربُوريسانْسْ Erica arborescens.

والخلنج شجيرة يمكن أن يبلغ علوّها ما بين ثلاثة أمتار

أو أربعة متفرعة، ذات فروع مورقة. الأغصان الطويلة مغطاة بزغب كثيف. أوراقها متقابلة "ثلاث ثلاث" خيطية دقيقة لا يتعدى طولها سنتيمتراً واحداً، عديمه الزغب. أزهارها على شكل عثكول كبير مورق تجتمع فيه عناقيد كثيرة أزهارها بيضاء واستثنائياً وردية.

خلنج

يصادف الخلنج الشجيري في المنطقة المتوسطية وجزيرة ما دير والجزر الخالدات وبعض الجبال المرتفعة من إفريقيا الشرقية.

يكثر الخلنج الشجيري بالمغرب في المنطقة الشمالية الرطبة وخاصة في غابات البلوط الفليني أي في البيومناخات الرطبة جداً والرطبة وشبه الرطبة وفي الطوابق النباتية للمتوسطي الدافئ والمتوسطي واستثنائيا فوق المتوسطي. أما من حيث التربة فإن أغلب أنواع الخلنج - ومنها الخلنج الشجيري - تتطلب أرضاً غير كلسية وسميكة.

يستعمل الخلنج الشجيري كحطب ولصناعة الفحم ولأغراض عديدة في التطبيب التقليدي وغيره.

*أبحاث شخصية.*

عبد المالك بنعبيد

**الخلنْجي** أو الخلانجي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bujalance وهو اسم مدينة إسبانية. هاجرت هذه الأسرة إلى مدشر بني سالم بقبيلة حوز تطوان ومنها انتقلت إلى هذه المدينة.

ومن المعلوم أن فرقة من هذه الأسرة الأندلسية كانت قد استقرت أول مرة بفرقة العنصر من قبيلة بني يدر حيث أسست المدشر الذي مازال يعرف بمدشر الخلانجيش.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999 ؛ المراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 622.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخلنْجي، محمد** بن محمد بن يعقوب، شيخ صوفي، ولد بقبيلة بني يدر بأحواز تطوان في حدود العشرة الأولى، من القرن الثالث عشر (19)، في أسرة عرفت بالفضل والعلم واشتهرت أيضا باسم ابن يعقوب.

نشأ في بلده بني يدّر فقرأ القرآن وحفظ المتون، ثم شرع في قراءة العلم على والده الشيخ محمد بن يعقوب اليدري، وكان من الشيوخ المدرسين، ولما ظهرت نجابته انتقل إلى تطوان لدراسة العلم. ويذكر من بين شيوخه التطوانيين الذين استفاد فهم الفقيه القاضي محمد بن محمد الجنوي (ت. 1271) والشيخ الصالح الشهير محمد الحراق (ت. 1261 هـ) وقد لازم هذا الأخير في دروس التفسير، واعتمده شيخاً في الطريقة الصوفية. فكان الحراق شيخه في علمي الظاهر والباطن.

وحدث أن عرض أهل بني سالم من حوز تطوان على الطالب محمد الخلنجي أن يشارط بقريتهم على اقراء أبنائهم القرآن، والإمام بمسجدهم. فوافقه شيخه محمد الحراق على ذلك، فانتقل إلى سكنى بني سالم، وظل مع ذلك وفيا لشيخه. فكان في كل جمعة يأتي إلى تطوان، يحمل ما حصل عليه من مداخيل إقرائه إلى شيخه، فيصلي صلاة الجمعة بالزاوية ثم يعود إلى عمله

وقد اعتُبر محمد الخلنجي بعد وفاة الحراق التلميذ الأقرب إليه، فكان وارث سره. لذلك تصدّر للمشيخة وتربية المريدين، فبنى زاويته ببني سالم واستقطب الأتباع وأقام العمارة الصوفية بها فكثر مريدوه من تطوان وبواديها وعمد إلى بناء زاويته بحومة السويقة حينما أحس بفتور المشرفين على زاوية شيخه الحراق بتطوان في استقباله واستقبال أتباعه، وجعلها مأوى لفقرائه المقيمين والوافدين.

هكذا استقل الخلنجي بمشيخة الطريقة الدرقاوية بعد شيخه الحراق في تطوان وبواديها وتبعه كبار تلامذة الشيخ الحراق. وعمّر وقته وهو يقيم في بني سالم بإقامة حلقات الذكر والوعظ والتدريس، وتعاطى مع ذلك التطبيب بالأعشاب فكان مقصودا لعلمه وبركته. وكتب *شرحا على تصلية الشيخ عبد السلام بن مشيش*، وألف في *تفسير القرآن الكريم*. وكانت له *أشعار زجلية*.

توفي بزاويته ببني سالم من حوز تطوان في شهر ربيع النبوي عام 1283 / يوليوز - غشت 1866. ومايزال ضريحه معروفا هناك يزار.

م. الخلنجي نفسه، *شرح الصلاة المشيشية*، مخطوط ؛ ع. العزيز الخلنجي، *تقييد في ترجمة الشيخين محمد الخلنجي وولده عبدالله*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 6 : 327 وفي غير ما موضع.

عبد الله المرابط الترغي

**الخُلُوف** (بنو -) أسرة فاسية أصلها من صنهاجة، قال في *بيوتات فاس* : "وهو بيت ثروة ونسب" (ص 48). ومنهم شيخ فقهاء فاس حسين بن خلوف.

**خُلوف** بن **خلف الله** الصنهاجي الفاسي، يكنى أبا سعيد ـ لعله الجد الذي ينتسب إليه بنو الخلوف بفاس ـ. دخل الأندلس وأخذ عن عالم قرطبة أبي بحر الأسدي وولي قضاء غرناطة للمرابطين. وأخذ عنه فيها المفسر المشهور عبد الحق ابن عطية.

رجع خلوف إلى فاس وولي قضاءها، وكان يروي *كتاب أبي إسحاق التونسي* عن الفقيه سليمان ابن الوليد عن المؤلف أبي إسحاق. ثم ولي قضاء الجماعة بمراكش .

و "كان من أهل العلم والعمل والفضل، صادعاً بالحق، ساعياً في أعمال البرّ، لا تأخذه في الله لومة لائم" (*جذوة*، ص 193).

وأخيراً رجع خلوف إلى فاس وتولى قضاءها وبقي في خطته إلى أن مات سنة 515 أو 516 / 1121 ـ 1123.

ابن الأبار، *التكملة*، 1 : 314 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، الرباط، 1973، ج 1 : 193 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 1300، ج 3: 261 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. 2 الرباط، 1975، ج 3 : 220 ـ 221.

ابن الـ**خُلوف، محمد** بن حسين الصنهاجي الفاسي، قال عنه صاحب *بيوتات فاس* : "شيخ فقهاء أهل فاس" تقلد خططاً كثيرة قبل أن يصبح ناظراً على أحباس فاس، وهو الذي اغترس لأبي الحسن المريني الزيتون الصغير المجاور للزيتون الكبير المختلط فيه المجاور للقصارين بغدير وادي الحمص. وكان عاملاً لروض المصارة حيث القصور السلطانية في الفضاء الذي أصبح يسمى اليوم المدينة الجديدة، أو دار دبيبغ.

توفي في حدود عام 730 / 1329.

إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972.

محمد حجي

**خليج تاريفيت** أنْكْرا ذيلْ كَابَايُو Angra del Caballo يعني، "خليج الفرس" وقد أطلق البرتغاليون هذا الاسم على خليج تاريفيت الذي اكتشفته البعثة البرتغالية التي أرسلها إلى شاطئ الصحراء المغربية الأمير البرتغالي إنريكي Enrique el Navegante الملقب بالبحار سنة 1434. يقع هذا الخليج شمال شبه جزيرة الداخلة.

A. Domenech, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946 p. 76 ; Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid, 1946, p. 64 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico - saharico*, Madrid, 1995, p. 19.

**خليج الداخلة** أو **أنْكْلا شيكَا**، Ancla chica وهذا معناه "المرساة الصغيرة" وقد أطلقه الإسبان على رأس امْليليك الذي يقع جنوب خليج وادي الذهب المعروف كذلك بخَليج الداخلة.

I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid 1955, p. 117.

**خليج الرأس الأكحل** أو أنكرا ذي ثينطرا، Angra de Cintra أي خليج ثينطرا يطلق هذا الاسم على خليج الرأس الأكحل، وثينطرا هو الاسم العائلي للبحار البرتغالي گونثالو ذي ثينطرا Gonzalo de Cintra الذي لقي حتفه بخليج أرگين جنوب الرأس الأبيض سنة 1445.

يقع هذا الخليج جنوب خليج الداخلة ويعرف عند الإسبان بـ "الگولفو" El Golfo (أي الخليج) ويمتد على مسافة طولها 30 كيلو مترا. وبهذا الشاطئ ركَّب الكشاف الإسباني إميليو بونيلي Emilio Bonelli الكوخ الخشبي الذي أطلق عليه پويرطو باديا Puerto Badia يوم ثالث نوفمبر 1884. (انظر في *المعلمة* : پويرطو باديا).

A. Domenech, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid 1946, p. 81 ; A. Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid 1946, p. 65 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografica-saharico*, Madrid 1955, p. 17.

محمد ابن عزوز حكيم

**الـخليعْ**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الساحل الهبطية، وقد انقرضت بتطوان. وكان بفاس أيضا أسرة بهذا الاسم انقرضت كذلك.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 627 ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

محمد ابن عزوز حكيم

**الـخليعْ**، نوع من الطعام المغربي اللذيذ، وهو "عبارة عن لحم مُشرَّق مخلوط بملح وثوم وكمون وبزر الكزبرة بعد دقّ الجميع ناعماً، ثم يجفف بالشمس ويضاف له شيء من الشحم نحو العُشر، ويطبخ في ماء وزيت إلى أن ينضج ولا يبقى به أثر للماء، فيُدَّخر للاقتيات أعواماً. كان لا يستغنى عن ادخاره العائلات الكبار، ويستغنون به عن شراء اللحم في زمن الشتاء الذي يهزل فيه ويقل ويرتفع ثمنه".

أورد هذا التعريف النقيب عبد الرحمن ابن زيدان في القسم الأخير الذي لم يطبع بعد من كتابه *الإتحاف* أثناء حديثه عن الحرفين بمكناس، ومنهم الخلاّعون الذين يصنعون الخليع ويعرضونه للبيع بالأسواق.

وتميزت مدينة فاس، علاوة على الخلاعين العموميين، بإقبال أهلها على تحضير الخليع في بيوتهم، فيذبحون ثوراً أو جملاً حتى ولو انتقلوا إلى السكنى خارج مدينتهم. ومازالت دكاكين الخلاّعين منتشرة في أسواق فاس حتى اليوم.

ع. ابن زيدان، *ذيل الإتحاف*، مخطوط خ ح رقم 1769.

محمد حجي

**الخليعي**، لقب اتخذته اسماً عائلياً لها الأسرة التطوانية التي كانت تعرف باسم الوادراسي بحكم أن أصلها من قبيلة وادراس ؛ وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 628.

محمد ابن عزوز حكيم

**خليفة** (أولاد -) قبيلة كبيرة تنتمي إلى قسم المزارعة من اتحادية زُعيْر. تنتشر في أراضي أولادخليفة حول مدينة الرماني اليوم وهي مقر الدائرة الرسمية لزعير.

تقع قبيلة أولاد خليفة بين قبائل : أولاد زيد من الغرب وأولاد عمران والمخاليف من الجنوب، وأولاد علي من الشرق والجنوب الشرقي، وأولاد كثير وأولاد ميمون من الشمال والشمال الشرقي. ويخترق أراضيها وادي خنوسة أحد روافد وادي كريفلة : كان تعداد خيام أولاد خليفة في بداية القرن العشرين حوالي 600 خيمة (Cicard, *L'organisation des Zaer*, 1910) وعلى هذا الأساس كان تعداد سكان القبيلة في أواخر القرن الماضي وبداية القرن الحالي يتراوح بين 3000 و3600 نسمة، إذا اعتبرنا أن الخيمة كانت تضم بين 5 و6 أفراد.

أهم فرق أولاد خليفة هي : الشليحيين - أولاد حد الشليحيين الأحرار - المحافظ - أولاد حمامة، أولاد بزة - أيت بروس (الحراير - ايت حمّ الصغير). عريب (الديوشة - أولاد مسعود - أولاد يحي - البزايز) البوعزاويون - الهداَهْدَة - أولاد سعيد.

من أشهر قواد أولاد خليفة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين :

حمو بن المواد الشليحي الخليفي الزعري.

حمو بن الميلودي بن قس الشليحي الخليفي الزعري.

بوعزة بن علي الهدهادي الخليفي الزعري.

حماني السعيدي الخليفي الزعري.

اشتهرت مواقع أولاد خليفة بتخييم الحركات السلطانية، وأهم هذه المواقع وادي سْبيدَة (أو زبيدة)، طالعْ عوك

- أهم أسواق القبيلة : أربعاء الرماني

ساهمت قبيلة أولاد خليفة، في حركة الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي خلال سنتي 1911 - 1912، ووقعت فوق أراضيها عدة معارك بين المجاهدين والجيوش الاستعمارية الفرنسية.

*سجل أمناء وأشياخ القبائل*، خ. ح. ؛ ابن سودة، زعير قديماً وحديثاً، الجزء الأول ؛ *تحريات ميدانية*.

Cicard, *L'organisation des Zaer, R.M.M.*, 1910.

علال الخديمي

ابن **خليفة، موسى** لعله القائد الذي أرسله السلطان عبد الله الغالب على رأس فرقة من الفرسان إلى تطوان سنة 976 / 1567 لإلقاء القبض على القائد حمو حسن المنظري وظل هو يحكم المدينة بمساعدة الأمين أحمد مفضل.

ويبدو أن القائد ابن خليفة هو الذي تشير إليه الرسالة التي وجهها الحاكم البرتغالي بأصيلا إلى الملك ضون سيباسطيان Don Sebastian بتاريخ 11 يناير 1578 يخبره فيها بأن القائد موسى "قد تم نقله من تطوان إلى فاس في الأيام الأخيرة".

وكان سيدي موسى يهتم غاية الاهتمام بأمر الجهاد البحري انطلاقا من قاعدة مرتين التي كان يرأسها كل من الرئيسين قلفاط والروشي الذين يقول عنهما المؤرخ البرتغالي كوريا ذي فرانكا Correa de Franca أنهما كانا على اتصال وثيق بالمسلمين الذين ظلوا بالأندلس وكانا يعملان على مساعدة من ثار منهم ضد النصارى بجبال رندة والبشرات سنة 976 / 1568.

ويقول نفس المؤلف إن سيدي موسى قام بهجوم برى وبحرى على مدينة سبتة سنة 984 / 1577 بمساعدة قراصنة أتراك الجزائر. ومن المحتمل جداً أن يكون موسى هو القائد الذي تشير إليه الرسالة التي وجهها السلطان عبد الملك السعدي إلى كل من قائد تطوان والأمين مفضل بتاريخ 18 مارس 1577 (28 ذي الحجة 948) يخبرهم فيها بتحركات السلطان المخلوع محمد المتركل ليكونا على حذر منه.

وخلاصة القول أن موسى ابن خليفة كان قبل تولّيه قيادة تطوان قائداً بأسفي، وفي سنة 974 / 1567 أرسلهَ السلطان عبد الله الغالب إلى تطوان وظل بها إلى أن أقره في حكمها السلطان المخلوع سنة 982 / 1574. واتبداءً من سنة 983 / 1576 سار في ركاب السلطان مولاي عبد الملك، وفي أواخر سنة 984 / 1577 عاد تطوان ليلتحق بمنصبه الجديد بفاس كقاضي القضاة، وذلك لفترة قصيرة جداً حيث غادر فاساً وفر إلى البرتغال في منتصف سنة 986 / 1578 وكان بمدينة ايفورا Evora عندما استدعاء الملك البرتغالي ضون سيباسطيان Don Sebastian لاستشارته في أمر الحملة الصليبية التي كان يجهزها لغزو المغرب، وكان رأيه مخالفاً لمخطط العاهل البرتغالي ؛ وتوفي موسى بالبرتغال في نفس سنة 986 / 1578.

مخطوط رقم 9741 بالخزانة الوطنية بمدريد ؛ مجموعة S.I.H.M. إسبانيا ج 3 ص 374 ؛ نفس المجموعة فرنسا ج 1 ص. 348 ؛ Bas Madiado. *Memori para la historia de Portugal.*، لشبونة 1751، ج. 4، ص. 149 - 157 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *الجديد في تاريخ تطاون*، تطاون، 2000، والمراجع العربية والأجنبية المذكورة هناك.

محمد ابن عزوز حكيم

**خليفت** (أيت -) (زاوية -) هي في الأصل فخدة من قبيلة أيت أوتفركال، المنضوية تحت لواء اتحادية أيت مصاض الأمازيغية. تقع مواطنها على السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط غير بعيد عن منطقة الاتصال بين هذه السلسلة وسلسلة جبال الأطلس المتوسط. وتتوسطها اليوم مدينة أزيلال.

أقدم وثيقة تعرفنا بأيت خليفت هي الظهير الرشيدي المؤرخ في 21 صفر سنة 1080 / 21 يوليوز 1669 ؛ وجهه السلطان الرشيد إلى مرابطي أيت خليفت. ومما جاء فيه : "يتعرف منه أننا أسبلنا عليهم رداء الاحترام، وألبسناهم حلية التوقير والإكرام فلا سبيل لاهتضام جانبهم بحال، وإدخالهم في مغرم ولا وظيف ولا أمر مخزني في جميع الأحوال .."

ورغم أننا لم نتبين المخاطبين بالتحديد فمن الممكن أن نرجح أن الظهير موجه إلى أحفاد الصالح أبي شعيب صاحب أزمور، كما يتضح ذلك بجلاء من الظهير الإسماعيلي المؤرخ في أواخر صفر سنة 1085 / أوائل يونيه 1674. ويتضمن تجديد "التوقير والاحترام، والرعي الجميل المستدام، بحيث لايطالبون بشيء من ملازم العوام قل أو كثر". ويضيف إلى هؤلاء المرابطين خدامهم الذين يقدر عددهم "بعشرين دارا".

يستفاد من الظهيرين السالفين أن أسرة المرابطين المذكورة يرجع أصلها إلى أبي شعيب أيوب دفين أزمور ؛ إذ لا نستبعد أن يكونوا من بين الأسر النازحة من أزمور التي كانت أحد مراكز دكالة الثقافية والصوفية على عهد بني مرين (ابن قنفد : *أنس الفقير*... 71). وقد عرف رجالها بالرحلة والانتقال، إما لأداء فريضة الحج وإما لنشر الثقافة أو طريق القوم في بعض جهات بلاد المغرب ( *دور أعلام من دكالة* ... 24ـ26) كما قد يرتبط ذلك النزوح بالاحتلال البرتغالي لمدينة أزمور التي قام المحتلون بإجلاء سكانها وطردهم.

كما يتضح من الوثيقتين السابقتين أن الأسرة كانت معروفة، حتى إنها لفتت أنظار المخزن مبكراً. فرغم أن السلطان الرشيد كان ما يزال لم يستتب له الأمر بعد، لم يفته أن يكاتب مرابطي أيت خليفت، باحثاً ربما عن موطئ قدم بالمنطقة. كما قد يدخل ذلك في سياق عمله على مواجهة أيت عياش. ولم يمض على تسنم المولى إسماعيل أريكة السلطة ثلاث سنوات حتى جدد لهم نفس الظهير. مما يدل على أن شهرة أولئك المرابطين لم تكن خافية عن المخزن العلوي منذ بداية عهده.

وبعد ذلك بحوالي أربعين سنة ارتبطت شهرة آيت خليفت بتأسيس زاوية سيدي عبد الله. فقد أخذ عبد الله الخليفتي الورد الناصري عن الشيـخ أحمد الخليفة سنة 1128 / 1716 (*الدرة الجليلة* : 292) وعهد إليه هذا الأخير بأن يتقدم على الفقراء هنالك.

بمجرد ما دخلت الطريقة الناصرية إلى المنطقة، عمل شيوخ الناصريين بتامگروت على دعم زاوية أيت خليفت في شخص مقدمها. فقد ترددوا كثيراً على المنطقة وتدخلوا لدى السكان يستحثونهم على تقدير عبد الله الخليفتي وتبجيله. وفي هذا السياق قدم الشيخ موسى الناصري إلى أيت خليفت ونزل عند مقدم الزاوية. ووجه التهديد والوعيد إلى كل من ينتهك حرمة الزاوية. ومما قال، في خطابه لأيت خليفت "هذه دارنا فمن كرهها، "أداس إرار ربي ثقار سافلا"، أي جعل ربي عاليه سافله (*الدرة الجليلة* : 141).

وفي نفس الأثناء تدخل الشيخ المذكور لعقد الصلح بين أيت مصاض وجيرانهم أيت عتاب وأيت بوگماز. وأعلن النكير على اللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا يرتادون تلك الجهات، وحين قام الشيخ نفسه بجولة لدى تلك القبائل رافقه عبد الله الخليفتي، فزارا معا أيت عتاب وتوقفا بأوزرض.

وفي أعوام الثلاثين بعد المائة والألف، زار الشيخ موسى الناصري بلاد الغرب، وفي أثناء رجوعه مر بأيت خليفت، فنزل بدار الخليفتي، وكان العام عام مسغبة، نشب على إثرها صراع بين المقدم المذكور وأخيه حول قسمة الزرع ؛ فلم ينحسم الأمر إلا بتدخل الشيخ الناصري. وتوسط هذا الشيخ أيضاً بين الباشا أحمد العتابي، وبين رجلين من أيت مصاض، حيث كان الباشا قد أهدر دم أحدهما وزار موسى الناصري أيت خليفت مرة ثالثة، وحل بدار الخليفتي، فاستضافة فقراء القبيلة وندبوه ليعقد الهدنة بينهم وبين القبائل المجاورة.

وعلى العموم فإن شيخ الناصريين لم يكن يألو جهداً في أثناء زياراته المتكررة إلى المنطقة في محاربة بعض الأمور المنكرة مثل ترك الصلاة، والسرقة وقطع الطرق ؛ والتوسط في النزاعات بين الناس. ويظهر أن زاوية أيت خليفت قد صارت ـ منذئذ ـ إحدى المراحل في طريق الناصريين، الواصلة بين الجنوب والشمال.

وقام الشيخ عبد الله بن محمد ابن ناصر ـ وهو الشيخ الرابع ـ بزيارة أيت خليفت في أثناء ذهابه إلى شمال البلاد. فنزل بدوره ضيفا على عبد الله الخليفتي، ودعا له ولأولاده. والتقى به مراراً ؛ وكانت بينهما مراسلات تنبيء عن مزيد من المودة ووثيق الصلة ؛ كما تدل على ذلك الرسالة التالية التي وجهها الشيخ إلى مقدمه : "وعلى الفاضل الأنجد، أخينا وأعز الناس لدينا، محبنا وأقرب أهل المحبة إلينا، مَن لحمُه لحمنا، ودمُه دمنا، المقدم الفاضل السيد عبد الله بن محمد واخليفت ..." ( *الدرة الجليلة* : 154).

ومن بين الناصريين الذين وفدوا أيضاً على زاوية أيت خليفت الأديب أحمد بن موسى الناصري، ومَحمد بن محمد الكبير الناصري. وقد أخذ مقدم الزاوية عن هذا الأخير دعوة الواقعة وأذن له فيها. وكانت بينهما مراسلات

نستشف منها المكانة المرموقة التي تبوأها مقدم أيت خليفت عند الناصريين، هذا علاوة على الهدايا - مثل الملابس وغيرها - التي نالها الخليفتي. وهي كلها رموز تؤكد العلاقة الوثيقة بين الفرع والمركز.

وقد علت شهرة زاوية أيت خليفت في عهد الشيخ يوسف الناصري، تبعا للنفوذ الذي اكتسبته الطائفة الناصرية في بلاد المغرب. فبعث هذا الشيخ برسالة إلى أيت خليفت يوصي خيرا بالمقدم الناصري، لدعم مكانته لدى القبيلة.

ومن بين شيوخ الناصريين الذين كانت الصلة وثيقة بينهم وبين زاوية أيت خليفت - دون اعتبار الهرم الصوفي - الحسين بن أحمد بن الحسين ابن ناصر الذي شهد للخليفتي بالرؤية، وأذن له في تلقين أوراد الناصريين ؛ وابنه عبد الله بن الحسين الضرير الذي كانت المودة عظيمة بينهما ؛ فشهد له كذلك بالرؤية. وقال له ذات مرة : "أنت بضعة منا يسوؤنا ما يسوؤك، ويسرنا ما يسرك، أسرجنا قنديلك، وأعطيناك شاقور الأشياخ، اقطع به من شئت من الظلمة...".

وهذا كلام يدل - من جهة الشيخ - على الدعْم غير المشروط، ومن جهة المقدم ؛ على الالتزام المطلق بالسلوك الصوفي. وبذلك صارت زاوية أيت خليفت حلقة قوية في سلسلة الطائفة الناصرية.

ومن بين كبار تلاميذ الناصريين الذين وردوا زاوية أيت خليفت، إبراهيم الزينبي، الذي تصدر للإمامة مدة بقصر أيت خليفت ؛ ومحمد بن أبي القاسم الهوزالي المتوفى هنالك بالوباء سنة 1155 / 1742، والذي كان جل ما نسخ من كتب برسم شيخ الزاوية، وتقاييده على يده. وزارها بعد ذلك محمد بن يوسف الناصري الذي أجاز مَحمد بن عبد الله الخليفتي، مؤلف *الدرة الجليلة*. وحين ألف هذا الأخير كتابه المشار إليه، قدمه إليه كما قدمه إلى محمد القرشي. وكلا الرجلين قرّض المؤلَّف المذكور.

وبعد وفاة عبد الله الخليفتي سنة 1196 / 1782 آل أمر زاوية أيت خليفت إلى ابنه عبد الرحمن الذي بنى الضريح المشهور هنالك. ولعل ذرية الخليفتي قد حرصت على استمرار زاوية أيت خليفت، كما يستفاد من الظهائر السلطانية الموجهة إلى بعضهم ؛ منها :

ظهير السلطان عبد الرحمن بن هشام، مؤرخ في أواخر ربيع الثاني سنة 1257 / يونية 1841، وجهه إلى : "أولاد المرابط أبي محمد عبد الله بن مَحمد في بني خليفة" ؛ في شخص أبي عبد الله محمد بن صالح بن عبد الله" ؛ الذي يدعوه السلطان *مقدم الزاوية الناصرية*. وهذه النسبة نعثر عليها لأول مرة في وثيقة رسمية. وقد عم هذا الظهير "أولاد المقدم المذكور وإخوانه وجميع من آوى إليهم. ودخل في حرمتهم". وأهم ما تضمن هذا الظهير التوقير والاحترام، والإعفاء من المغارم والوظائف المخزنية.

وظهير حسني مؤرخ في 21 شعبان عام 1304 / 1887، وجهه السلطان مولاي الحسن إلى المرابط السيد التهامي بن محمد بن صالح بن عبد الله. يُتَعرَّف منه أن السلطان المذكور خلع عليه رداء التوقير والاحترام ؛ وألحق به أولاده وإخوانه ؛ فأقرهم على عوائدهم المألوفة، "فلا يسامون بمكروه"، ويعفون من المغارم والوظائف المخزنية. وكذلك أصدر السلطان عبد الحفيظ ظهيراً مؤرخا في 16 ذي الحجة عام 1325 / 1907، وجهه إلى السيد على بن علي بن محمد بن صالح بن عبد الله، يجدد الظهير السابق، ويكرس الامتياز الذي ظلت زاوية أيت خليفت تستفيد منه، والسلطان محمد بن يوسف أصدر ظهيرين في 15 شوال عام 1352 / 1934، و4 محرم عام 1356 / 2 مارس 1937 ؛ بتجديد التوقير والاحترام.

بناء على ما سبق يظهر جليا أن الأدوار التي اضطلعت بها زاوية أيت خليفت، في تلك المنطقة النائية، جعلتها تستقطب بسرعة أنظار السكان والمخزن ؛ سواء في مرحلتها الأولى، أو بعد انخراط شيخها عبد الله الخليفتي في سلك الطريقة الناصرية. ويبدو أنها لقيت الدعم من قبل المخزن - في المرحلة الأخيرة - كما تشهد على ذلك الظهائر السلطانية التي خولتها عدة امتيازات. وصارت بذلك حلقة قوية في سلسلة الطائفة الناصرية ؛ كما يتضح من خلال الوشائج الوثيقة التي كانت تربطها بفروع تلك الطائفة، كتانغملت وويزغت وأيت وزرض وغيرها. هذا علاوة على أنها تبنت الدفاع عن الطريقة الناصرية. ونلمس ذلك بجلاء من خلال مواقفها من حنصالة الذين تنكبوا عن تلك الطريقة بعد ما كان شيخها سعيد الحنصالي أخذ الورد عن الشيخ مَحمد ابن ناصر.

فقد صرح الخليفتي عدة مرات بأن الحنصالي ليس على شيء فيما يخص أصول الطريقة. فحين سئل عن الحنصالي أجاب بالأمازيغية قائلاً : "أرْدْغنٌ يَاتٌ" . .

ومن جهة أخرى كان أيتَ عطة ومُالو - وهم أتباع حنصالة - يقلقون باستمرار راحة زاوية أيت خليفت والقبائل المجاورة لها. فبحكم موقعها في مجال عبور أيت أمالُو كانت تتعرض إلى النهب من قبلهم. فكانوا يعيثون في الممتلكات ويجوسون خلال الديار : حتى كانوا يفرضون على المستقرين - بمن فيهم الزاوية - المغارم الثقيلة ؛ الشيء الذي جعل شيوخ تامگروت يتدخلون بين الفينة والفينة لدعم الزاوية وحمايتها. وقد دفع اكتساح أيت عطة لذلك المجال، وما صاحبه من أعمال السلب والنهب، بالزوايا الفروع الموجودة هنالك إلى المزيد من الالتحام والتقارب لمدافعة الخصوم والتصدي لهم.

لعل هذه العوامل مجتمعة - دعم تامگروت ومساندة المخزن، والالتحام مع باقي الفروع الناصرية - هي التي ساعدت زاوية أيت خليفت على الاستمرار طيلة قرون.

ولذلك اشتهرت هذه الزاوية كمركز صوفي يجتمع فيه

طلبة العلم والورد ؛ إذ أن مقدمها عبد الله الخليفتي كان - بالإضافة إلى نشاطه الصوفي - شغوفا بالعلم، محبا لأهله، بل اشتهر كعالم مشارك، له تقاييد كثيرة ومؤلفات ونوازل. ويذكر ابنه أنه امتلك خزانة حافلة، وقفنا شخصياً على بعضها، عند أحد حفدته بمدينة أزيلال. وكان له نساخ ينسخون له الكتب من بينهم محمد بن أبي القاسم الهوزالي، وهو من علماء هنتيفة ؛ كانت تربطه بالخليفتي علاقات الصداقة والتلمذة للناصريين. وقد أقام عنده مدة بأيت خليفت، حيث عكف على نسخ الكتب، وكانت جل تقاييد الخليفتي بخطه. وظل هنالك حتى وفاته سنة 1155 / 1742.

كما كان للخليفتي مجلس خاص بالزاوية، يقوم فيه بالتدريس. وتخرج على يديه فقهاء كثيرون، منهم ابنه مَحمد مؤلف *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*.

لكن يبدو أن الشيخ عبد الله الخليفتي هو الوحيد الذي نبغ، من بين شيوخ زاوية أيت خليفت. أما باقي الشيوخ، فإما أن ثقافتهم ظلت محدودة، وإما أنهم لم يكترثوا بهذا الجانب بالمرة، أو أن تأثيل الأملاك وتكديس الثروة قد شغلهم عن العلم.

ومهما يكن من أمر فإن زاوية أيت خليفت قد ظلت تضطلع ببعض الأدوار الاجتماعية حتى عهد قريب، كما حظيت بثقة سكان البلدة، مدة طويلة لأنهم كانوا يهرعون إليها في أثناء الأزمات والملمات ؛ الأمر الذي أكسبها نفوذاً قوياً استطاعت بسببه أن تحتجن أملاكا واسعة بالمنطقة.

*مجموعة ظهائر* زاوية أيت خليفت ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*، مخطوط.

**الخليفتي، عبد الله** بن محمد بن محمد بن عبد الحق بن إبراهيم بن علي بن بوبكر من آل الشيخ أبي شعيب أيوب دفين أزمور. وُلد بأيت خليفت، وأخذ الورد الناصري فدُعي لذلك البوشعيبي والخليفتي والناصري.

عبد اللّه الخليفتي من الأعلام الصوفية المغمورين، لم يترجم له - حسبما نعلم - إلا ابنه مَحمد الذي خصه بكتاب *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة* (ص. 291 - 342). ولم يتعرض لسني طفولته وشبابه، لذلك فإننا نجهل كل شيء عن حياته في تلك المرحلة. ومن ذلك طلبه للعلم وتنقلاته واتصاله بالطريقة الناصرية وغير ذلك... ومن خلال الإشارات الواردة في ثنايا المصدر المذكور، يتبين أنه حافظ لكتاب الله تعالى، وأنه تلقى الورد الناصري عن الشيخ أحمد ابن ناصر في عام 1128 / 1716، فاستنابه في تلقين الورد الناصري، و"أذن له إذنا مطلقا عاما"، لذلك أسس زاوية ناصرية بأيت خليفت، ناسجا على منوال شيوخ درعة حتى صار من أبرز مقدميها في تلك المنطقة الجبلية ؛ مدافعا عنها متصديا لمعارضيها. وقد عمل الشيوخ الناصريون - من جهتهم، على دعمه، فوجهوا الرسائل إلى القبيلة التي توجد زاويته في أراضيها، يحثونها على توقيره واحترامه واتباعه فيما يأمرهم به، والإذعان إليه.

ومن ثم اضطلع عبد الله الخليفتي بدور بالغ الأهمية في تلك المنطقة النائية. فتصدر لبث تعاليم الإسلام وإطعام الطعام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لا سيما وأن تلك المنطقة - علاوة على بعدها عن المراكز العلمية الكبرى - كانت تشهد كثيرا من الاضطرابات بين القبائل مثل أيت مَحمد وأيت بوزيد الذين كانوا يغيرون على أيت خليفت، فينهبون الزروع والمواشي، ويعيثون في الحقول. وقد يتفاقم الأمر حين يكتسح أيت عطة تلك المنطقة، خاصة وأن ذلك المجال يقع على طرق عبور هؤلاء الذين كانوا آنذاك قد بلغوا عنفوانهم.

تلك هي الظروف التي مهدت السبيل أمام مترجمنا ليتدخل كلما سنحت له الفرصة، من أجل الوساطة والتحكيم، وعقد "العافية" بينهم (*الدرة الجليلة*، 303) ؛ أو ردع اللصوص وقطاع الطرق الذين يعترضون السابلة، ويغرمون الناس ؛ حتى إنه كان يقوم بخفارة الكثيرين ممن كانوا يرتادون تلك الجهات ؛ ولا سيما في زمن المجاعات التي كانت تجتاح المنطقة بصفة دورية. وقد أفاد الخليفتي من ذلك، حيث كان الناس الذين يعقد لهم العافية، أو يخفرهم يقدمون إلى الزاوية الهدايا و"الفتوحات" ؛ فصارت من جراء ذلك ملاذا للمحتاجين والمعوزين الذين يقصدونها إبان الأزمات، كما حدث أثناء مجاعة عام 1147 / 1735.

وظل الخليفتي على حاله حتى صار راسخ القدم في التصوف والعبادة. فكان كثير الصيام حتى كان يوالي صيام رجب وشعبان، بالإضافة إلى ستة أيام من شوال وأربعة أيام من الأسبوع. وكان يقوم الليل ويكثر من أعمال البر، مشتغلا بتلاوة القرآن والذكر. كما رابط بثغر أزمور مدة. وربما اندرج رباطه هذا ضمن محاولات استرجاع مدينة البريجة من أيدي البرتغاليين. يضاف إلى ما ذكر شهرته هنالك بالعلم، إذ كان يعقد مجالس لتدريس الفقه والحديث، وانتفع منه خلق كثير، وتخرج عليه طلبة عديدون.

ويمكن القول إن هذه الأعمال قد أهلت مترجمنا لأن يصير من كبار مقدمي الناصريين في تلك المنطقة، لا سيما وأنه عرف بالاستماتة في خدمة شيوخ تامگروت، ذابا عن الطريقة الناصرية قولا وفعلا ؟ حتى أصبح يتبوأ الحظوة لديهم، ويظهر أنه كان كثير التقاييد العلمية، جماعا لكتب العلم. وقد امتلك خزانة حوت كتبا في عدة فنون كالتفسير والحديث والفقه والتصوف ؛ ملك بعضها بالنسخ وبعضها بالشراء. ودفعه شغفه بالكتب إلى أنه "كان يدفع عن ظهره بعض كسائه في قيمتها"، كما عبر عن ذلك ولده. (*الدرة الجليلة*، 328). ومما يؤكد ولعه بالكتب أنه اتخذ نُساخا، من أشهرهم الفقيه مَحمد بن أبي القاسم الهوزالي، الذي كان جل كتب الخليفتي بخطه.

توفي عبدالله الخليفتي يوم الثلاثاء 29 صفر عام 1196 / 1782، مخلفا بعض الآثار في ميدان التأليف، منها ما هو مفقود، مثل : *تحفة الأسرار في ذكر الصالحين الأخيار الأبرار* ؛ *مجموع الفوائد في أحكام النوازل* ؛ *الدرر اللوامع في ذكر من لقي فيها من الأفاضل الأعلام*. من عنوانه يظهر أنه رحلة داخلية، دون فيها تنقلاته إلى تامكروت، والإجازات التي نالها من شيوخه ؛ حتى إن ابنه مَحمد يذكر أنه "أتى فيها بعجائب وغرائب... وتعداد مراحلها إلى غير ذلك.

ومن بين مؤلفاته، كتاب *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة* الذي ظهر أخيراً ؛ وقد عطفه ولده مَحمد - الذي ينسب إليه كذلك - على المؤلفات السابقة قائلا : "وكتابنا هذا *الدرة الجليلة*..."

بقي أن نشير إلى أن أسلوبه سهل، لا يتخلله سجع ولا محسنات بديعية ولغته متأثرة إلى حد بعيد ببيئته الجبلية القاسية.

وثائق زاوية أيت خليفت ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، مخطوط.

**الخليفتي، مَحمد** بن **عبد الله**، الخليفتي دارا البوشعيبي نسبا، الناصري انتسابا، السكني لقبا. نستفيد من الإشارات الواردة في ثنايا كتاب *الدرة الجليلة* أنه ولد قبل سنة 1142 / 1729 ببضع سنين. فقد أشار - في أثناء الترجمة لوالده الشيخ عبد الله المترجم سابقا - إلى أن الشيخ عبد الله بن مَحمد الكبير ابن ناصر المتوفى سنة 1143 / 1730 زار أيت خليفت. وفي أثناء ذلك قام عبد الله الخليفتي بتقديم المترجم للشيخ الناصري ليدعو له. ومعلوم أن عبد الله ابن ناصر قد ولي شؤون تامگروت سنة 1142، بعد وفاة موسى الناصري. ولم تدم ولايته سوى بضعة أشهر.

وفي سنة 1147 / 1736 بُعث مَحمد الخليفتي - من قبل والده - إلى زاوية تانغملت برسم الدراسة. إذ من الممكن أن ينتقل إليها، وقد تجاوز العشر سنين، ليتتلمذ على أيدي بعض أساتذتها، لا سيما وقد كانت تلك الزاوية - آنذاك - مركزاً ثقافياً علمياً في تلك الربوع. وارتحل بعد ذلك إلى زاوية تامگروت قبيل عام 1170 / 1757، طلبا للعلم.

نستنتج مما سبق أن مَحمد الخليفتي تلقى تعليمه الأولي على يد والده، من حفظ القرآن الكريم وبعض المتون المتداولة. ولا شك أن هذه المرحلة شملت انتقاله إلى تانغملت لتتميم حفظ ما ذكر. أما رحلته إلى تامگروت - وهي من المراكز العلمية الكبرى - فقد عبر هو نفسه عن هدفه منها حيث قال : "ومنها أني كنت أدرس العلم بالزاوية الناصرية، عند شيخنا سيدي علي بن محمد ابن ناصر..." (*الدرة الجليلة*، 308). ربما أنه توجه إليها لاستكمال تكوينه العلمي والحصول على بعض الإجازات من لدن شيوخها. ولعل مكوثه بتامگروت قد طال. كما يبدو من خلال هذه العبارات ؛ حين قال : "إلى أن توحشني سيدنا الوالد، وبعث أخي سيدي محمد بن عبد الله، إلى عندي كي يخبره بخبري وصحة جسمي..." ومعلوم أن الوحشة لا تحصل إلا بعد طول فراق ؛ وإلا لماذا هذا التفقد مع بعد الشقة وصعوبة الاتصال ؟ !

ومهما يكن من أمر فقد أفصح مَحمد الخليفتي عن أن معظم دراسته كانت على يد والده. واعترف بأن جل استفادته كانت على يد أستاذه الأول، فقال : "فهو (أي والده) أستاذي ومعلم جهلي... ومنه تلقنت الورد الناصري".

ورغم أنه قام بالرحلتين المذكورتين طلبا للعلم، فإن جل أوقاته الخاصة بالدراسة قضاها بجانبه. وفي ذلك يقول : "وكنت ملازما له، بعد ذلك، إلى أن رباني أحسن التربية، بعد أن لازمته منذ بلغني عقلي نيفا وعشرين سنة... واجتهد معي كل الاجتهاد". وبعد ذلك يذكر أنه درس عليه بعض المتون مثل *رسالة ابن أبي زيد القيرواني*، *وابن عاشر ومختصر خليل*، *والأجوبة الناصرية*، *ومساعدة الاخوان* للشيخ مَحمد ابن ناصر ؛ وبعض المنظومات كالرقعي والقرطبي وابن جماعة وابن عاصم. وعنه أخذ طريق القوم، ودرس عليه *كتاب المنن* لابن عطاء الله، *وقواعد زروق وبداية الهداية*، *والإحياء* للغزالي.

ومن كتب الحديث درس عليه *الأربعين* حديثا قدسيا للسيوطي، *وأربعين* حديثا للودعاني. وأجازه في كل ذلك وحلاه بـ"الفقيه النبيه المشارك" ويبدو أنه كان ذا حظوة لدى والده، فهو "أحب الأولاد إليه، وأقربهم مودة له...". لذلك كان يتذاكر معه وينشرح إليه فيساره بخبايا نفسه. وكان كثيراً ما يخاطبه قائلاً : "ولدي أنت كأنا، وأنا كأنت..."

وبالإجمال فإن ثقافة الخليفتي ظلت محدودة، ولا سيما في جانبها الأدبي. ويتضح من أسلوبه في *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة* أنه ظل قريبا من العامية وحتى إذا استقامت لغته أحيانا - لأنه حافظ للقرآن الكريم وبعض المتون والمنظومات - فإن تعابيره تبقى مشوبة بالعامية. ومن ثم يمكن أن نعتبر مَحمدا بن عبد الله الخليفتي نموذجا "للطالب" القروي، الذي عاش في منطقة نائية بعيداً عن تأثير المدن ؛ فعكس لنا بعض جوانب الحياة في بيئته بعفوية كبيرة.

وفي ميدان التأليف يُنسب إليه كتاب *الدرة الجليلة*، سابق الذكر. فإذا استثنينا النقول التي قام بنسخها عن كتاب *الدرر المرصعة* حذو القذة بالقذة، وما استقاه من مؤلف والده *تحفة الأسرار*..." لا نجد في ذلك المؤلف إلا بعض الإشارات الخفيفة أو التتميمات البسيطة، المتميزة ببعض الخصائص المشار إليها سابقا. أما بعض محاولات النظم التي قام بها فقد جاءت ساقطة من حيث الوزن والمعاني. (*الدرة الجليلة*، 292). لكن مَحمد الخليفتي تميز كناسخ للكتب. فخطه مغربي بدوي واضح، مقروء ؛ كما

يتضح من رسوم كتاب الدرة الجليلة، ومؤلف آخر في اللغة، عثرنا على جزء منه عند أحد أفراد أسرته بمدينة أزيلال.

وقد استمر الخليفتي بقيد الحياة حتى سنة 1203 / 1789.

م. بن عبد الله الخليفتي نفسه، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*...

**الـخليفتي، محمد** بن **يوسف**. ترجم له صاحب *الدرة الجليلة*، فقال : "كان رحمه الله تعالى ملازما لعبادة ربه من صلاة وصيام، ملازما لأوراده، مشتغلا بما يعنيه... اجتهد في أداء دين الصلاة، شهراً لكل يوم ما أيامه نحو سنة..." (ص. 344). كان من أشهر تلاميذ الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، في منطقة أيت خليفت، معروفا بالتنسك والزهد وكثرة العبادة بمختلف أنواعها.

توفي بأيت خليفت في مستهل سنة 1147 / 1735.

**الـخليفتي، يوسف** بن **منصور**، لا علاقة له بالسابق بالرغم من اشتراكهما في اسم يوسف ؛ مما قد يوحي بأن هذا والد الأول. ترجم له صاحب *الدرة الجليلة* أيضاً، فقال : "كان رحمه الله مجتهداً في دينه، ملازما لأوراده، مشتغلاً بما يعنيه، سخيا بلغ فيه الغاية، لا سيما على الإخوان. وكان يتصدق على المساكين بما استطاع من ماله، وينفع الناس من كد يده، استطاعة جهده، تاركا للفضول...".

وقد انخرط يوسف الخليفتي كذلك في سلك الطريقة الناصرية، إذ تتلمذ على الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي. ومن ثم جاءت شهرته في تلك المنطقة النائية. وكان من بين المريدين الناصريين الذين عملوا على ترسيخ السلوك الصوفي هنالك.

توفي في حدود سنة 1180 / 1767.

م. بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*.

**الـخليفتّية، رقية** بنت محمد الحاجية، هي والدة عبد الله الخليفتي سابق الترجمة. امرأة فاضلة، عرفت بالنسك والعبادة. كانت مجتهدة في دينها، من صلاة وصيام ؛ حريصة على أورادها، ملازمة للخلوة في جل أوقاتها. انخرطت في سلك الطائفة الناصرية بعدما تتلمذت بدورها على يد الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، بواسطة الشيخ محمد بن عبد العزيز البوعثماني.

تأيـمت وهي صغيرة، فاحتضنت أولادها ولم تتزوج ؛ وظلت متفرغة لتربيتهم وتنشئتهم ؛ إذ كانت كلما خوطبت في ذلك الموضوع تقول : "لا أتزوج، وأقيم على أيتامي حتى يموتوا أو يغنيهم الله". ولم ينج من أولادها إلا عبد الله، فقد ماتوا جميعا. فكفلته، وكابدت المشقة في توفير القوت له ؛ حتى كانت تشتغل لدى نساء الطلبة لتحصل على ما تنفقه على ولدها المذكور ؛ وحتى يتسنى له أن يواصل دراسته على الوجه المطلوب.

توفيت رقية الخليفتية بأيت خليفت سنة 1170 / 1765 (*الدرة الجليلة*، 342 ـ 343).

م. بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*.

أحمد عمالك

**الـخليفي**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الغربية المجاورة لمدينة أصيلا، وقد أنجبت بعض الفقهاء، تذكر الوثائق منهم :

**الـخليفي، أحمد** بن الرشيد زاول خطة العدالة سنة 1289 / 1872.

**الـخليفي، الـرشيد** بن المومن، زاول هو أيضاً خطة العدالة سنة 1261 / 1845.

**الـخليفي، محمد** بن المصطفى كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1191 / 1777.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 630.

محمد ابن عزوز حكيم

**الـخليل نعمان**، مقاوم، وُلد بطرفاية سنة 1929 انضم إلى صفوف جيش التحرير منذ سنة 1957 ضمن المقاطعة التاسعة تحت قيادة مفر الحسين حيث شارك في العديد من المعارك والهجومات، من بينها معركة الدشيرة وبوجدور وتافورارت. وحين أحرز المغرب على استقلاله انضم الفقيد إلى صفوف القوات المساعدة حتى أحيل على التقاعد. وقد وافاه الأجل سنة 1417 / 1996 بمدينة طانطان.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**الـخليلي**، إمام الدين بن محمد بن يوسف بن علاء الدين البطايحي المقدسيّ ثم المراكشي. فقيه شافعي وأديب شاعر، جال في بلاد الشام والحجاز وسكن القسطنطينية مدة ثم وفد على المنصور في مراكش في أوائل العقد الأخير من القرن العاشر، فتقبله بقبول حسن وأكرم وفادته على عادته، فلازم بلاط المنصور كأحد الشعراء اللامعين فيه ينشد بداهة، ويضمّن أو يُخمس أو يجيز. لقّبه أحمد المقري "بأديب زمانه". وأثنى عليه في *نفح الطيب* ورحلته المغربية *روضة الآس*، وأتى بعدد من قصائده ومقطعاته.

وذكر أحمد ابن القاضي في *المنتقى المقصور* أن المنصور اجتمع بحضرته يوماً ثلاثة شعراء مشارقة وفدوا عليه من بلاد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال : مكة والمدينة وبيت المقدس، فأنشد الخليلي بيتين لطيفين في ذلك نالا

إعجاب العاهل الأديب. وقد جال المترجم في أرجاء المغرب، وزار مدينة تارودانت، وفي طريق رجوعه منها إلى مراكش قتل في أسني من جبال الأطلس في شهر ربيع الأول عام 999 / دجنبر 1590 ـ يناير 1591.

أ. المقري، *روضة الآس*، ص 14 ـ 18 ؛ *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، 7 : 80 ؛ أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور*، تح. م. رزوق، الرباط، 1986، ج 1 : 252 ـ 253 ؛ ع. الرحمن التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس. د. ت. ص. 155 ؛ *نزهة*، ط. حجر فاس، د. ت. ص. 114 ـ 115. ؛ ع. ابن معصوم، *سلافة العصر*، القاهرة، 1324 هـ ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. الرباط، 3 : 54.

محمد حجي

**خمَالة**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر، وقد انقرضت الآن بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1611.

**الـخمري**، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل غمارة، وقد انقرضت بتطوان سنة 1235 / 1820.

محمد ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 633.

**الـخمسة والـخمسين** (موسيقى ـ) ← **جوق الـخمسة والـخمسين**

**الـخُمْسِي**، أسرة تطوانية لا علاقة لها بقبيلة الاخماس الواقعة شمال المغرب، ذلك لأنها تنتمي إلى مدينة الخميسي Algemesi الواقعة بناحية فليتسيا الإسبانية حيث توجد أسر مسيحية تحمل اسم Algemiz. وقد أنجبت هذه الأسرة عدة علماء وفقهاء لم نعرف عنهم شيئاً باستثناء :

**الـخُمْسِي، أحمد** بن عبد الله الذي كان من عدول تطوان من سنة 1160 إلى 1172.

**الـخُمْسِي، عبد السلام** الذي زاول خطة العدالة سنة 1200 / 1758.

**الـخُمْسِي، عبد السلام** بن **أحمد** الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1110 / 1699.

محمد ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 637.

محمد ابن عزوز حكيم

**خمسين** (أيت ـ) صنَّف المهدي بن تومرت أتباعه الموحدين إلى طبقات رتبها حسب أسبقيتها في الدخول في دعوته، فجعل أولاها طبقة العشرة أو آيت عشرة (انظر مادة : *الجماعة*) جعلها هيئة استشارية في الأمور العظام دون غيرها، ثم طبقة الخمسين أو أيت خمسين لتي جعلها استشارية في الأمور الأقل أهمية. وهناك من أضاف طبقة أدنى منها هي طبقة السبعين. وإذا كانت هيئة العشرة مكوّنة من عصبيات مختلفة، فان هيئة الخمسين تضمّ رؤساء القبائل المصمودية خاصّة على غرار ما كان مألوفا في التنظيم القبلي القديم. وبالإضافة إلى هذا التصنيف المعتمد على الأفراد، هناك تصنيف آخر للقبائل "الموحدية" يضع قبيلة هرغة التي ينتمي إليها المهدي على قمّة الطبقات القبلية، وسيجعل عبد المومن فيما بعد قبيلته گومية في الرتبة الثانية بعد هرغة.

وقد ذكر صاحب *المقتبس* أعضاء هيئة الخمسين على الترتيب الآتي : فمن قبيلة هرغة أورد ثمانية أسماء، ومن هنتاتة اسمين (أحدهما يوسف بن وانودين) واعتذر عن ذكر آخرين لم يقف على أسمائهم، ثم ذكر أربعة من گدميوة (معظمهم من أبناء تماري) ثم أربعة أسماء من گنفيسة، وثلاثة من صنهاجة ( *المقتبس*، 53 ـ 57)، وواحداً ممن سمّاهم القبائل (ورد ذكر أفخاذ هذه القبائل في ص 49 وهي : هركاكة، وريكة، ما غوصة، هناية، أهل نفيس، صادة، رگراگة، هزرجة)، ثم ذكر أربعة أسماء من هسكورة (منها أبو عبد الله بن أبي بكر بن توندوت (راجع مادة : ابن توندوت)، ثم أضاف أسماء أخرى فتجاوز المجموع خمسين رجلاً.

مجهول، *المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الأصحاب*، الرباط، 1911 (32 ـ 35) ؛ *الحلل الموشية في الأخبار المراكشية*، (108 ـ 109) ؛ ألفرد بيل، *الفرق الاسلامية*، تر. ع. الرحمن بدوي، (262 ـ 263).

أحمد عزاوي

**خُمْصَان**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر المجاورة لتطوان وقد انقرضت من هذه المدينة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 636.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخمليشي**، أسرة شريفة + أفراد ← **أخمليش**

**الخمليشي، عبد الملك** عينه أمير شفشاون إبراهيم ابن راشد مقدما برباط الخروب بقبيلة جبل حبيب، وتقول عنه المصادر البرتغالية إنه كان يهاجم مدينة أصيلا باستمرار ويجعل حامية المدينة تعيش في فزع مستمر إلى أن استشهد أثناء اشتباك وقع بضواحي أصيلا في شهر ذي القعدة عام 931 / سبتمبر 1525.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 635.

**الخمّار**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني زكار الهبطية منهم : ميمون بن عبد الرزاق الخمار، كان يزاول خطة العدالة سنة 1191 / 1777، وابنه محمد بن ميمون الخمار كان يزاول نفس الخطة سنة 1234 / 1819.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 631.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخمّار ← بوشتى** (مولاي -)

**الخمّار، العربي** التطواني، فنان لازم مجالس السيد عبد السلام بن علي ابن ريسون الحسني التي كانت بمثابة حلقات منتظمة لتعليم الموسيقى الأندلسية غناء وعزفا، وقد مهر في العزف على الكمنجة.

*رواية شفوية.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الخمار الكنوني**، محمد ولد بمدينة القصر الكبير، وتابع دراسته بها في المدرسة الأهلية إلى أن حصل على الشهادة الابتدائية سنة 1955. ثم انتقل إلى مدينة العرائش حيث حصل على الشهادة الثانوية سنة 1959. وسافر بعد ذلك إلى القاهرة حيث حصل على شهادة الباكلوريا سنة 1963 بثانوية خليل الأغا، ثم قفل راجعا إلى المغرب ليتابع دراسته الجامعية بكلية الآداب بفاس لسنوات حصل بعدها على الإجازة في الأدب العربي سنة 1966.

اشتغل الكنوني مدرساً بالتعليم الثانوي بثانوية النهضة بمدينة سلا، ثم التحق بالتدريس بكلية الآداب بفاس سنة 1968.

وفي سنة 1974 أحرز الخمار الكنوني على دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط بتحقيقه لكتاب الرندي : *الوافي في نظم القوافي*، وظل يدرس بكلية الآداب بالرباط إلى أن وافاه الأجل المحتوم.

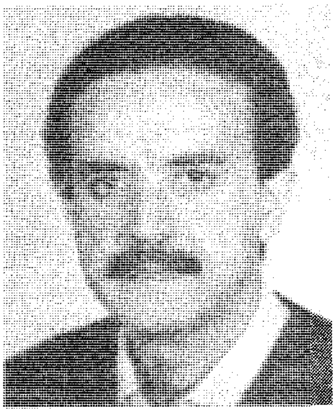

اشتهر الخمار الكنوني بنشره لأول أعماله الإبداعية في عدد كبير من المنابر الثقافية والأدبية أهمها جريدةِ *العلم* ومجلتا *آفاق وأقلام*، ولم يُفكر الشاعر الكنوني في نشر ديوان له إلا خلال سنة 1987 التي شهدت صدور عمله الفريد والوحيد *رماد هسبريس*، وهو ديوان شعري يضم عدداً من القصائد التي سبق للشاعر أن نظمها في مناسبات مختلفة خلال العقود السابقة من حياته.

وبما أن هذا الديوان هو العمل الوحيد الشعري الذي خلفه الشاعر الخمار الكنوني، فإننا نقدمه في مجموعة من الإشارات كما ياتي :

1 ـ يبدو من قراءة قصائد هذا الديوان أنها كتبت على فترات متفرقة ومتباعدة في الزمن، بحيث إن بعضها يرجع إلى الستينات بأحداثها وتقلباتها الاجتماعية والسياسية في الوطن العربي، وبعضها يرجع إلى ما بعد الستينيات ويعكس أوضاع التحول الحضاري والتطور في المجتمعات العربية في ظل الأزمات والمخاضات التي تجتازها.

2 ـ أن قصائد هذا الديوان على قلتها تعكس طول باع الشاعر في مجال النظم الشعري وتبوئه مكانة عالية بين الشعراء لمتانة ثقافته وقوة ذاكرته التاريخية ورصانة كتابته الشعرية من وجهة نظر الدقة العروضية والإيقاعية. فالشاعر الخمار الكنوني يحرص على شعر التفعيلة ويسهر على تحقيق التناسب الإيقاعي في شعره، فضلاً عن كونه يحلق بخياله الشعري في عوالم الخلق والإبداع فتراه يحيك من الكلمات صوراً ومجازات تخلق أكوانا شعرية آسرة بجمال الكلمة وروعة الصورة وتناغم الإيقاع. ولايشبه الكنوني في هذا المنحى في الشعر المغربي المعاصر غير المرحومين الشاعر عبد الله راجع والشاعر أحمد المجاطي.

3 ـ كان الشاعر الكنوني كلفاً بالتراث رواية وحفظا وتدريساً وتحقيقا، فقد كان جهدَه الفريد في تحقيق كتاب

*الوافي في نظم القوافي* دليلاً على حبه الكبير للتراث العربي من جهة وخبرته بالعلوم المساعدة على التحقيق مثل النحو والبلاغة والعروض فضلاعن حسه النقدي المتميز في المقابلة بين النسخ والاهتداء إلى النسخة الأم أو الأصل، من قرائن المتن أو طريقة الكتابة أو منهج التأليف.

ومن هذا الحب الكبير للتراث كان يعرف الگنوني في شعره بحيث نلفيه يقتبس من القرآن الكريم الآيات والمعاني والألفاظ، ويستدعى من التراث الشعري القديم ألوانا من المواقف والصور واللحظات الشعورية، ما يرصعُ به شعره تارة أو يبنيه به تارة أخرى. فتعانقت الأصالة والمعاصرة في شعر الگنوني في انسجام بديع وتناسب رائع.

تلك جملة من العلامات التي تميز شعر الخمار الگنوني الذي رسخ تقاليد الحداثة في الشعر المغربي المعاصر، بتغيير طقوس الشعرية القديمة التقليدية باستحداث إيقاعات داخلية تختلف عن الإيقاع النمطي العروضي التقليدي، وتفتيق لغة جديدة تضع للمعجم الشعري التقليدي بدائل جديدة وقاموسا حديثا من وحي الرموز والأساطير والدلالات الاستعمالية الموجهة من قبل الشاعر للتعبير عن مقاصد شعرية مستحدثة في سياقات الاستقبال النصي الحديث والمعاصر.

توفي في القصر الكبير يوم الاثنين 25 مارس 1991 بعد إصابته بمرض لم ينفعه فيه علاج.

م. الخمار الگنوني، *رماد هسبريس*، الدار البيضاء، 1987 ؛ *دليل الكتاب المغاربة، أعضاء اتحاد كتاب المغرب*، إعداد ؛ حسن الوزاني، الرباط، مطبعة المعارف، الجديدة، 1993.

محمد أديوان

**الخمّال**، أسرة نبيهة تنتسب إلى الشرف، تتوزع مواطن سكناها في حواضر شمال المغرب وقراه في طنجة وتطوان والقصر الكبير والعرائش، والقبائل المحيطة بها.

وتنتسب عائلة الخمال إلى الشرفاء العمرانيين، فيصلون بنسبهم إلى عمران حفيد عبد الله ابن المولى إدريس الأزهر حيث تجتمع فروع الشرفاء العمرانيين جميعاً.

كانوا قديما يعرفون بأولاد الرصاع، حسبما وقفت عليه في تقييد رسم شجرة أنسابهم، ولقبوا فيما بعد بالخمال واشتهروا به.

أصلهم من تَلَنْبُوط أحد مداشر قبيلة بني زجل الغمارية. رحل أحد رجالهم وهو السيد عمر بن محمد بن الفضيل في حدود النصف الأول من القرن العاشر، من موطن أجداده لينزل مدشر كموط ببني عمران، ويستقر به وينجب هناك أبناءه وأحفاده.

رحل أحد حفدته وهو عبد الله الخمال لينزل بقبيلة بني گرفط بمدشر الخطوط واستقر به فترك من ذريته هناك. ورحل منهم رجل فاستقر في قبيلة الخلط بأولاد عمران وأنجب أبناءه وأحفاده بها، حيث أبناء الخمال العمرانيُّون مشهورون هناك.

وما يكاد يطل القرن الثالث عشر للهجرة حتى نجد فروع هذه الأسرة الخمالية قد تشعبت كثيراً لتتخذ مساكن لها في عدد من حواضر شمال المغرب، زيادة على قبائله وقراه.

وإذا كنا لا ندري متى انتقل هؤلاء الخماليون لسكنى كل من تطوان وطنجة والقصر الكبير والعرائش والقبائل المحيطة بها ليتأصلوا بها ويصبحوا من أعيان البلد فيها، فإن الذي تحمله إلينا الوثائق والتقاييد على امتداد القرنين الثالث والرابع عشر للهجرة (19 ـ 20 م) أن الأسرة الخمالية ظل بريقها لامعا بين أسر هاته المنطقة، تحتفظ بنسبها الشريف، فتعامل على أنها من الأسر العمرانية الحسنية الشريفة، وأن العديد من رجالها أصبحوا وجهاء بلدهم، وأن منهم من مارس القضاء والعدالة وقراءة العلم وإقراءه. بل إن منهم من ساهم إلى حد ما في الحياة السياسية في بيئة الشمال على عهده. من أشهر فروع أسرة الخمال :

1) فرع قبيلة الخلط بأولاد عمران قرب القصر الكبير، ومنهم الوجهاء والعلماء، تسلسل فيهم قضاء قبيلتي الخلط والطليق قرابة القرن ونصف القرن، وكانت تمتد ولايتهم أحيانا لتشمل مدينة أصيلا والقبائل الواقعة بهذه الجهة، مثل بني جرفط وبني سريف، وقبائل الغربية والساحل، والبدور، وبداوة، وجبل حبيب.

ففي شجرة أنسابهم يرد اسم العالم القاضي الطاهر بن محمد الخمال العمراني، ولديه العدلين الفقيهين الهاشمي، ومحمد، وابن عمهما القاضي الطيب بن الفضيل بن محمد الخمال، وهم جميعا من رجال أواخر القرن الثاني عشر للهجرة.

ويتولى على امتداد القرن الثالث عشر أبناء القاضي الطيب الخمال وأحفاده منصب القضاء في الجهة المذكورة. فقد وقفت ضمن وثائق جائزة الحسن الثاني للمخطوطات لسنة 1998 على مجموعة ظهائر تخص هذه الأسرة الخمالية، منها :

ـ ظهير سلطاني بتولية الفقيه العربي ابن القاضي الطيب الخمال العمراني، القضاء بقبيلتي الخلط والطليق، وتاريخه عام 1207.

ـ ظهير بتولية الفقيه القاضي محمد بن التهامي محل والده القاضي التهامي بن الطيب، قضاء قبيلتي بني جرفط وبني سريف، وتاريخه عام 1269.

ـ ظهير سلطاني بإقرار الفقيه محمد بن التهامي الخمال على ولاية خطة القضاء بقبيلتي الخلط والطليق، وتاريخه عام 1281.

ـ ظهير السلطان الحسن الأول بإقرار ولاية خطة القضاء للفقيه محمد بن التهامي على قبيلتي الخلط والطليق وتاريخه عام 1290.

وضمن هذه الوثائق ظهائر سلطانية بالتوقير والاحترام لأفراد هذه الأسرة وأبناء عمومتهم، منها :

- ظهير حسني بالتوقير والاحترام للقاضي محمد بن التهامي الخمال، وأخيه عبد الله الخمال وأبناء عمومته بالقصر الكبير، وتاريخه رمضان عام 1292.

- وظهير تاريخه 1293 بإقرار القاضي المذكور محمد بن التهامي الخمال، على ما بيده ويد عائلته من الظهائر.

- وظهير عزيزي تاريخه ربيع الأول عام 1312 بالتوقير والاحترام للطالب العربي الخمال وولده الفقيه القاضي مبارك الخمال، ومن انضاف إليهم من أبناء عمومتهم.

وضمن هذه الوثائق أيضا مخاطبات وظهائر سلطانية وخليفية بشأن الفقيه القاضي مبارك الخمال الذي مارس القضاء قرابة أربعة عقود، منذ سنة 1312 وقد تولى قضاء الخلط والطليق، فسنة 1330 وقد كان قاضياً بأصيلا، إلى سنة 1348 حيث أُسند له قضاء مدينة شفشاون.

وما تزال بقية هذا الفرع في القبائل المذكورة ومدن العرائش والقصر الكبير.

2) فرع طنجة، وهو وإن لم يبرز في العلم وممارسة خطة القضاء كفرع الخلط، إلا أنه أوجد لنفسه موقعاً متميزاً بين أسر طنجة الوجيهة، فلا يرد اسم الخمال في طنجة إلا ويقترن به ذكر الوجيه الثري الشريف محمد الخمال العمراني الحسني الطنجي آتي الترجمة.

وإذا كانت قرابة العمومة ماتزال تجمع بين هذا الفرع والذي قبله لتمتد بينهما الصلات والزيارات وكان الانتساب إلى أرومة الخمال العمرانيين قائماً، فإن نزول هؤلاء الخماليين بطنجة ووفادتهم عليها وهم يمثلون عائلات كثيرة، إنما تم من بادية طنجة وفي أوقات مختلفة ومتباعدة، وبخاصة من قرى فحص طنجة حسب ما هو معروف ومتداول بين أهل طنجة اليوم.

وحسب تقييد في أسر طنجة لمؤلف غير معروف فإن أولاد الخمال الموجودين بطنجة هم من قبائل الجبل، يوجد منهم ثلاث عائلات :

إحداها : وهي المعدودة من أعيان طنجة لم يبق منها إلا فرد واحد، وهو السيد محمد الخمال، ذو سمعة طيبة عدل، ملاك، ليست له مشاركة علمية، حسن السمعة من الوجهاء. والآن عضو بالمجلس البلدي، منعزل ومشتغل بما يعنيه، ليس له اتجاه سياسي.

ثانيتها : أقل من الأولى درجة في الوجاهة والاعتبار وأظهر هذه العائلة السيد محمد بن عمر الخمال التاجر، من الوجهاء، ذو سمعة طيبة، مشتغل بما يعنيه.

ثالثتها : وهي أولاد المختار الخمال.... وقد ظهر فيها شخصان هما الأخوان السيد محمد التاجر الملاك المحمي الإسباني ذو سمعة لا بأس بها وذو كفاءة ومقدرة على الأعمال، المرشح لمنصب المحتسب . والسيد أحمد التاجر العضو بالمجلس البلدي.... وهما من الوجهاء الجدد اليوم.

ومع هذين الفرعين الكبيرين تعرف أسرة الخمال بيوتات أخرى متفرقة في بادية شمال المغرب وحواضره، منهم رجال مارسوا العديد من الوظائف العالية في القضاء والتعليم وتولوا مناصب القيادة والباشوية وغيرها.

شجرة نسب *أسرة الخمال*، مخطوطة، وثائق جائزة الحسن الثاني للمخطوطات عام 1998 ؛ نصوص ظهائر ضمن وثائق جائزة الحسن الثاني للمخطوطات لعام 1998 ؛ *منظومة* بخط المؤلف ضمن مجموع بمكتبة كنون بطنجة، لم يُرقّم بعد ؛ م. الرايس، *الرحلة المرصعة ببديع اللآل*، مخطوط خ. ع رقم ك 467 ثاني مجموع ؛ م. الفاطمي الصقلي، *النفحة الشمالية*، مخطوط خ. ع. رقم ك 467 أول مجموع ؛ مجهول، *تقييد في أسر طنجة*، أنجزه خلال العقد الرابع من القرن العشرين في شكل تقرير لفائدة بعض الجهات ؛ عدة رسوم شهد فيها محمد الخمال الطنجي، وتاريخها 1940.

عبدالله المرابط الترغي

**الخمَّال، عبد السلام** بن محمد الحسني العمراني الحوزي، الفقيه الأستاذ الحيسوبي الفرضي الميقاتي الزاهد الورع. ولد بتطوان ظنا، لأنه من مجشر (واد أكَّلاَ) بقبيلة الحوز الذي يبعد بضعة أميال عن تطوان. وكان يحكي أن والدته باعت دويرة لها للإنفاق عليه في رحلته إلى فاس لطلب العلم. وفعلاً انتقل إلى فاس في أواخر العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، ومكث فيه ما شاء الله. وأخذ العلم عن علماء القرويين المتصدرين للتدريس من أمثال ابن الخياط وابن الجيلالي الأمغاري والعلوي الضرير وأمثالهم، وكان أخذ بتطوان عن بعض علمائها ولا سيما الاستاذ عبد السلام الدهري الذي حفظ عليه القرآن وجوده وتلقن منه رواية البصري وأتقنها إلى غيرها. هذا إلى جمال الصوت وإتقان الأداء، ويذكر أنه صلى التراويح بالجامع الكبير بتطوان فكان الناس يقصدونه من الأحياء البعيدة لسماع تلاوته المتقنة والاستمتاع بجمال صوته ونغمته الشجية، على أنه امتاز بين أئمة مساجد تطوان بطريقته الخاصة في الأداء والقراءة بحرف أبي العلاء البصري، فكان طلبة الحزب يسايرونه باصوات خافته بينما يعلو صوته فترجِّعه أروقة المسجد ويسمع من خارجه.

كان مرجعا في الرياضيات خصوصاً الحساب والتوقيت والعمل في الفرائض والمناسخات إلا أنه كان لانقباضه وشدة ورعه لا يتصدر للتدريس وإنما يجتمع بطلبة مخصوصين بمسكنه بمدرسة القاضي ابن قرّيش بشارع الوطيه من حي العيون بتطوان، وحدثني تليمذه القاضي السيد عبد السلام علال البختي أنه رغب إليه وألح في دراسة *كشف الأسرار* للقلصادي فأجاب بعد تردد فسمع منه ما قل نظيره من إتفاق وتحرير في الحساب والتوقيت. وممن كان يؤم منزله لذلك السيد أحمد بن البشير الحراق حفيد الشيخ محمد الحراق الصوفي الشهير، والفقيه محمد اعميار المدرس بالمعهد الديني يومئذ والشريف مَحمد

اليعقوبي وغيرهم من نبغاء الطلبة، وكلهم انتقلوا إلى عفو الله، ففات معهم الكثير من أخبار المترجم له الذي نعرفه منقطعاً بالمدرسة المذكورة ما يزيد على ثلاثين سنة لا يغادرها إلا لضرورة، وكان تزوج في شبابه من أمة وأنجب منها ولداً توفي بعده. وظل على حالة الزهد والانقباض محمود السيرة، نقي السريرة، متبلغا بالقليل، إلى أن انتابته أمراض، وضعف بصره. وجاء استقلال المغرب فرأى من تغير الأحوال ما لم يتوقعه ولم يعهده فكثرت شكواه وشكاته إلى أن وافته المنية وحيداً بمنزله بالمدرسة في شهر جمادى الأولى عام 1377 / 1957 رحمه الله كما هو مثبت على قبره، ودفن غربي ضريح أبي الحسن المنظري خارج باب المقابر من تطوان.

*روايات شفوية*، ومخالطة شخصية.

محمد الأمين بوخبزة

**الخمّال، العياشي** ينتمي إلى عائلة الخمال ببني گرفط وهو من مشاهير فقهاء البادية وعلمائها خلال القرن الرابع عشر.

ولد في حدود عام 1900 ببني گرفط ونشأ بالبادية فقرأ بها على الشيوخ وحضر في جلسات العلم والإقراء بقبيلة بني جرفط حيث كانت مدارسها نشطة بالعلم عامرة بالشيوخ.

ثم أتم الدراسة بفاس حيث بقية المشيخة الكبيرة. وعند عودته مارس التدريس في جوامع ومساجد القرى ببادية الشمال، واستقر أخيراً بقبيلة ودراس حيث اشتهر درسه العلمي بمسجد الضاية منها فأمّه الراغبرن في العلم، وتخرج على يده عدد كبير من طلبة البادية وفقهائها.

اشتهر الرجل بصدقه، وحسن استقامته وزهده في الدنيا، فكان مقبلا على شأنه، متفانياً في الله يحب الناس ويسعى في خيرهم وإصلاحهم، ولا سيما إن كانوا من أهل العلم وطلبته.

توفي في حدود عام 1980.

**الخمّال، مبارك** بن **الطالب العربي** من عائلة الخمال العمرانيين بقبيلة الخلط، ومن فرع تعاقب أبناؤه على قضاء قبيلتهم والنواحي المجاورة.

لا أعرف تاريخ ولادته ونشأته، غير أن نجمه بدأ يسطع منذ سنة 1312 حينما صدر في حقه ظهير عزيزي بالتوقير والاحترام، له ولوالده ومن أضيف إليهما من أبناء عمومتهم. ثم في نفس السنة وفي رجب منها يحظى بظهير عزيزي أيضاً يتولى بموجبه خطة القضاء بقبيلتي الخلط والطليق.

غير أن شيئاً ما يحدث سنة 1314، فيعمد باشا أصيلا محمد بن عبد القادر الخلخالي إلى سجنه. ويتحرك الشرفاء الريسونيون ليتشفعوا فيه عند السلطان، فيقبل الشفاعة، ويأمر الباشا الخلخالي بتسريحه من السجن وإخلاء سبيله.

ولست أدري متى عاد إلى ممارسة خطة القضاء، ولكننا نعرف أنه كان قاضياً على مدينة أصيلا حينما خاطبه السلطان عبد الحفيظ بتاريخ جمادى الأولى عام 1328 في شأن شراء الأملاك للأجانب.

ويرشحه السلطان عبد الحفيظ من خلال ظهير سلطاني تاريخه شعبان 1328 ليكلفه بقضاء قبيلتي الخلط والطّليق أيضاً.

ويستمر قاضياً على مدينة أصيلا لتتوجه إليه مخاطبات السلطان المولى يوسف تخبره بتاريخ 3 ذي الحجة عام 1330 بما قرره من إدخال إصلاحات على سير القضاء بالإيالة الشريفة، وأنه رشح وزير العدلية آنذاك الشيخ شعيب الدكالي ليقوم بذلك. وتتوجه إليه مخاطبة أخرى بتاريخ 15 ذي الحجة عام 1330 تخبره بما قرره جلالته من ترشيح الوزير الطالب أحمد اللجائي لإدارة الأحباس بالإيالة الشريفة.

ورغم أن شمال المغرب سيصبح منطقة خليفية تحت الحماية الإسبانية، فان ثقة الخليفة السلطاني بالمنطقة تتجدد بترشيح الشيخ مبارك الخمال لتولي خطة القضاء. وهكذا يصدر الخليفة السلطاني مولاي المهدي بن إسماعيل ظهيراً تاريخه ربيع الثاني عام 1341 يتولى بموجبه الفقيه القاضي مبارك الخمال قضاء مدينة أصيلا وقبائل الغربية والساحل والبدور وبداوة وجبل حبيب وبني گرفط.

وآخر ما يتولاه الشيخ الفقيه مبارك الخمال هو قضاء شفشاون، فيصدر عن الخليفة السلطاني الحسن بن المهدي ظهير بتوليته قضاء شفشاون بتاريخ 27 ربيع الثاني عام 1348 موافق فاتح أكتوبر عام 1929.

ولا أعرف المدة التي قضاها الفقيه القاضي مبارك الخمال في هذه الولاية، إذ يذكر أنه توفي بعد سنة 1348 وهو ما يزال قاضياً بشفشاون حيث دفن بها.

مجموع *الظهائر* المتعلقة بعائلة الخمال، جائزة الحسن الثاني للمخطوطات سنة 1998 ؛ الجباري، *أصيلا وأعلام*، ص. 210 ؛ ع. الريسوني، *أبطال صنعوا التاريخ*، ص. 280.

عبد الله المرابط الترغي

**الخمّال، مبارك** بن **المهدي** عالم من قبيلة الخلط الهبطية كان يرأس جماعة من مجاهدي قبيلته انضم إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد انتخب عضو في المجلس الاشتشاري للمقاومة في المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية بقبيلة الفحص

يوم 11 ماي 1913، وشارك في باقي مؤتمرات الثورة وفي ستة معارك.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخمّال، محمد** بن التهامي العمراني الحسني، من أسرة تميزت بتسلسل القضاء بين أفرادها على قبيلتي الخلط والطليق. فكان أبوه التهامي ابن الطيب قاضياً على القبيلتين المذكورتين، وبعض قبائل الهبط مثل بني سريف وبني گرفط. وقد خلفه ولده صاحب الترجمة على قضائها. وكان قبله جده القاضي الطيب بن الفضيل قاضياً على بعض قبائل هذه الجهة. وتولى عمه العربي بن الطيب قضاء قبيلتي الخلط والطليق بموجب ظهير سلطاني تاريخه جمادى الأولى عام 1207.

وسيكون لأبناء صاحب الترجمة وأبناء أعمامه حظ في تولية قضاء قبائل هذه الجهة واستمرار خطته بين أيديهم.

لا أعرف شيئاً عن أولية هذا القاضي محمد بن التهامي، سواء عن تاريخ ولادته أو عن نشأته أو عن شيوخه ودراسته. ولا أشك أنها كانت في قبيلته أولاً، ثم في قبائل الهبط المجاورة حيث كثرة المدارس وحلقات شيوخ العلم، فمدينة القصر الكبير ثانياً. رغير بعيد أن يكون قد درس على علماء فاس برهة من الزمن. فالرجل لا يعرف إلا بالفقيه القاضي ولا يذكر إلا وقد وصف بهما.

تولى قضاء قبيلتي بني سريف وبني گرفط معوضاً والده في ذلك بناء على ظهير التولية الصادر عن قائد تلك الجهة بتاريخ 1269.

ويقره السلطان المولى محمد بن عبد الرحمن بظهير سلطاني تاريخه عام 1281، على ولاية خطة القضاء بقبيلتي الخلط والطليق، ثم يقره الحسن الأول على ذلك بظهير تاريخه 17 ذي القعدة عام 1290.

ويبدو أن الرجل قد حظي في آخر حياته بعطف خاص من السلطان وقائده الوالي على العرائش والقبائل المحيطة بها محمد بن علي العرائشي إذ خصه السلطان بظهير التوقير والاحترام تاريخه 10 رمضان عام 1292 ليشمله ويشمل أبناء عمومته. وتنتهي حياة هذا القاضي في إحدى سنوات العقد الأخير من القرن الثالث عشر. ومن المؤكد أن وفاته لم تتجاوز سنة 1300. ففي مخاطبة للقاضي محمد بن محمد الزرهوني الشلي تاريخها جمادى الثانية عام 1300 تأمره أن يكف عُدُوله عن الرفع والتوقيع على خطاب القاضي محمد بن التهامي الخمال المتوفى بعد أن كثرت الرسوم المزورة التي تفتعل توقيعه.

مجموع *الظهائر* المتعلقة بعائلة الخمال، جائزة الحسن الثاني للمخطوطات سنة 1998 ؛ الجباري، *أصيلا وأعلام*، ص. 210 ؛ ع. الريسوني، *أبطال صنعوا التاريخ*، ص. 280.

**الخمّال، محمد الطنجي** العمراني الحسني الوجيه المثري. ترجم له الشيخ محمد بن العياشي سكيرج في منظومته *في ذكر مزايا طنجة وتاريخها* بما نصه :

وخمال فيهم بذي تـــرف    وجيه نزيهٌ وذو سبـــب

أخذ من الشهرة والوجاهة في بلده ما جعله محط أنظار الوافدين على طنجة من العلماء والأدباء والأعيان.

وصفه الشيخ الأديب محمد بن محمد الرايس الفاسي (ت. 1324) في طالعة *الرحلة المرصعة* بأنه "من أعظم الناس في الامتثال، وأسرعهم لنيل الأفضال، الشريف المنيف، اللوذعي الغطريف، الحائز قصب السبق في مضمار الكرم والجود، وراثة عن آباء كرام وجدود، نجل الرسول، وبضعة مولانا علي وسيدتنا البتول، العاقل الماهر الذكي، الفاضل الذاكر الألمعي، الجامع لأصناف الكمال والجمال، أبي عبد الله سيدي محمد العمراني المدعو بالخمال".

ووصفه الشيخ الفاطمي الصقلي (ت. 1311) في مقدمة رحلته المسماة : *النفحة الشمالية* بأنه "الشريف المنيف، السري الغطريف، الفاعل للخير والدال عليه، المشتغل بالفضل والمرشد إليه، محب العلم وأهله، المتفق على فضله ونبله، السخي الذي أنسى معن بن زائدة، بمواهبه الزائدة : الحيي الخاشع ... الذكي الأوحد الأسمى السني، الموتقي أفق الفضائل والمعالي السامية، نجل النبي محمد خير الورى المرتضى ذو المكرمات الهامية، أبو عبد الله سيدي محمد العمراني المدعو الخمال، بلغه الله كل الآمال".

كان هذا الشريف الخمال قد أعمل الرحلة من طنجة إلى فاس عام 1300 لزيارة جده المولى إدريس الأزهر، وذلك في ركب كبير صحب معه فيه جماعة من أعيان طنجة وغيرهم من العلماء والأدباء. وحظي باستقبال كبير في الطريق التي مَرَّ منها، وفي فاس أثناء إقامته بها حيث خصه أدباء فاس بقصائد في مدحه والثناء عليه.

وفي وصف أحداث رحلته هاته ألف الشيخ الأديب محمد بن محمد الرايس الفاسي (ت. 1324) *الرحلة المرصعة ببديع اللآل في ترْحال الشريف المنيف سيدي محمد الخمال، ووفوده على حضرة فاس، لزيارة طيب الأنفاس، يتيمة الجوهر النفيس، أبي العلاء سيدنا ومولانا إدريس*. وقد ضمنها أشعاراً في مدحه.

كما كانت أحداث هذه الرحلة أيضاً هدفاً لكتابة جديدة في صياغة متأنقة من طرف الشيخ الأديب محمد الفاطمي الصقلي (ت. 1311) سماها : *النفحة الشمالية العاطرة الأنفاس، في الرحلة الخمالية لحاضرة فاس*، وقد ضمنها أشعاراً كثيرة له ولغيره مما قيل في الثناء على هذا الشريف الخمال ومدحه.

وختمها بنظم للرحلة أتى فيه على تسمية المراحل التي نزل بها والجهات التي عملت على ضيافته أثناءها.

ويعود في نفس الطريق، إنما كان مروره على مكناس، وينزل أيضاً في ضيافة قواد عصره وأعيان القبائل التي مرَّ

منها في الذهاب. ودخل طنجة في حفاوة وحسن استقبال بالغين.

كان محمد الخمال الطنجي ما يزال حياً عام 1325 حسب تاريخ فتوى تتعلق به.

م. الرايس الفاسي، *الرحلة المرصعة ببديع اللآل في ترحال الشريف سيدي محمد الخمال*، مخطوط ؛ م. الفاطمي الصقلي، *النفحة الشمالية العاطرة الأنفاس، في الرحلة الخمالية لحاضرة فاس*، مخطوط.

**الخمّال، محمد** بن **عبد السلام** من عدول تطوان في القرن الثالث عشر للهجرة. وصف بالفقيه. وذكره الفقيه محمد داود في لائحة عدول هذه المرحلة، إذ كان يشهد حسب بعض الرسوم العدلية في تاريخ 1249 و 1265. كما أورد رسماً عدلياً يشهد فيه. وفي محوّله تعريف بالعدل محمد بن عبد السلام الخمال صاحب العلاَمة به ؛ والتوقيع عليه، من طرف العدل محمد السلاسي، تاريخه عام 1280. فيذكر عنه أنه كان عدلاً يشهد بمدينة تطوان إلى أن توفي بها قبيل عام 1280.

**الخمّال، محمد** بن **محمد التطواني** من عدول تطوان في منتصف القرن الثالث عشر. وذكره الفقيه داود في تاريخ تطوان في لائحة عدول هذه الفترة، وأورد نصوص بعض الرسوم العدلية التي شهد فيها.

كان حياً عام 1267.

**الخمّال، محمد** بن **محمد الطنجي** من سلالة الشريف الخمال الثري الشهير سابق الترجمة. كان له حظ من العلم ومارس العدالة ووصف بالفقيه، وهو ممن ذكره صاحب التقييد في أسر طنجة فأثنى عليه : "ذو سمعة طيبة، عدل، ملاّك، ليست له مشاركة علمية، حسن السمعة، من الوجهاء، والآن عضو بالمجلس البلدي، منعزل ومشتغل بما يعنيه". وقفت على رسوم عدلية تحمل توقيعه بمحمد بن محمد الخمال العمراني، وتاريخها عام 1940 وقد شهد فيها مع الفقيه العدل الصادق بن المهدي ابن عجيبة الحسني (ت. 1382).

كان محمد الخمال حيّاً عام 1340.

**الخمّال، مصطفى** الطنجي من أهل طنجة وأعيالها، عمل في الحقل الوطني واشتهر بصدقه وجرأته وثباته، فكان بيته منتدى للوطنيين في تجمعاتهم واحتفالاتهم. ويعتبر من المؤسسين الأوائل لفرع حزب الاصلاح الوطني بطنجة. ساهم في تنظيم وتسيير الكشافة الإسلامية التي كان لها دور فعال ببلده. وبقي يشغل منصب خليفة عامل إقليم طنجة في مرحلة الاستقلال إلى أن أحيل على التقاعد. توفي عام 1997 وعمره 85 سنة ودفن بمقبرة مرشان بطنجة.

عبد الله المرابط الترغي

**الخُمّان** أو "تبلسان" أو "لوّاية" أسماء تطلق على ستة أنواع من الشجر من جنس لُونيصيرا Lonicera ونوعين اثنين من جنس فيبُورْنُوم Viburnum. وجميعها ينتمي إلى فصيلة الخُمّانيات أو البلسانيات Caprifoliaceae. وهو شجيرات صغيرة جد متفرعة، قائمة أو متسلقة. أوراقها تختلف حسب الأنواع رمحية أو قلبية الشكل. بعضها مستديم الخضره، والبعض الآخر له أوراق نفضية. أزهارها بيضاء أو صفراء. تتميز أزهار جنس لُونيصيرا بأنبوب طويل ينتهي بشفتين ورائحة عطرة.

خمان

تعيش أنواع الخمان في المناطق البيومناخية الرطبة جدا والرطبة وشبه الرطبة واستثنائيا شبه الجافة. بعض الأنواع تتطلب أراضي سميكة وخصبة تكون بجوانب مجاري المياه.

تستعمل بعض الأنواع لاستخراج الزيوت العطرية وأخرى في التطبيب التقليدي.

*أبحاث شخصية.*

عبد المالك بنعبيد

ابن **خَمْنُو**، أسرة تطوانية أصلها من بني خالد القبيلة الغمارية، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 233.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخميري**، (أولاد -) أسرة فاسية أصلها من الأندلس أهل معاش وحرفة وتجارة ومال. ونسبهم صاحب *المقصد*

الأحمد إلى قبيلة لمتونة. ولا تعارُضَ في ذلك مع الأصل الأندلسي. ومنهم :

**الخميري، عبد اللطيف** بن محمد بن عبد السلام الفاسي، ولد بمدينة فاس في 23 رجب 1350 / 4 دجنبر 1931. درس في مسقط رأسه بمدرسة التهذيب الحرة، ثم بجامعة القرويين، وأثناء دراسته بها التحق بخلايا الحركة الوطنية مناضلاً وصار قائداً كشفياً مما عرضه لكثير من المضايقات والسجن. وبعد تخرجه من القرويين في بداية الاستقلال شارك في طريق الوحدة، وأصبح منذ ذلك التاريخ مسؤولاً في جمعية بناة الاستقلال.

التحق بعد ذلك بجامعة السوربون في باريس لمتابعة الدراسة بها، وبعد عودته عمل في حقل التدريس بضع سنوات، ثم انتقل إلى وزارة الاقتصاد والمالية سنة 1960 فكان من الأطر الذين عملوا على تعريبها، ثم إلى وزارة الخارجية سنة 1963 فعمل قنصلا بتونس فقائماً بالأعمال في جمهورية الصين الشعبية، ثم سفيراً بالخرطوم سنة 1974، فقائماً بالأعمال في طهران. وفي سنة 1981 عين مديراً بديوان وزير التخطيط والتكوين المهني وتكوين الأطر، ثم أصبح مديراً لمكتب التعاون في نفس الوزارة حيث قام بإنشاء مئات التعاونيات في مختلف القطاعات الاقتصادية. وعمل على إصدار "ميثاق التعاونيات" الذي صادق عليه البرلمان.

اهتم المترجم إلى جانب ذلك بالصحافة، فكان من محرري جريدة *العلم* لمدة غير قصيرة ونشر فيها وفي دوريات مغربية أخرى عدة مقالات تتعلق بالقطاع الاقتصادي والاجتماعي. وتوفي بالرباط في 17 ربيع الثاني 1407 / 20 دجنبر 1986.

*وثائق عائلية وإدارية ؛ جريدة العلم.*

**الخميري، علي** فقيه صالح إمام زاوية سيدي محمد ابن عبد الله معن بالخفية، توفي قبل بفاس عام 1146 / 33 ـ 1734.

**الخميري، علي** فقيه عدل، كان يتولى الإشهاد بفاس عام 1204 / 89 ـ 1790.

**الخميري، العياشي** بن يخلف، أبو محمد، من المتصوفين الناسكين المشار إليهم بالصلاح والزهد. توفي بفاس ليلة الأربعاء ثامن عشر صفر عام أربعة وستين ومائتين وألف / 25 يناير 1848.

**الخميري، مبارك** بن محمد الفاسي، صوفي من أكبر مريدي الشيخ العربي الدرقاوي. قال عنه في *إتحاف المطالع*: "يشار إليه بالخير والصلاح، وله أتباع وتعظيم واحترام".

م. القادري، نشر المثاني / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 5 ؛ ع. السلام القادري، *المقصد الأحمد*، طبعة حجر فاس، 1937 ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 1 : 184 ؛ *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، ج. 7.

**الخميري، محمد** (الحاج ـ) بن عبد السلام الفاسي ولد بفاس عام 1325 / 1907 في أسرة حرفية محافظة اشتهرت بالمهارة في ميدان النجارة ونقش الخشب.

وقد عرف محمد الخميري بمواقفه الوطنية ومن أبرزها دوره في أحداث فاس الدامية سنة 1944 حيث سقط العديد من الشهداء في المظاهرات بساحة "كرواوة" بباب الخوخة، وقد منع الفرنسيون دفنهم حتى يقع التعرف عليهم للتنكيل بأسرهم، فبادر المترجم ليلاً إلى معمله بحي الفخارين فحمل منه ألواحاً خشبية عديدة وحفر مقبرة جماعية في أرض له قرب ساحة كرواوة (تحمل اليوم اسم حي الشهداء) وارى فيها جثث الشهداء فأفشل بذلك مخطط المستعمر، وتعرض بسبب ذلك إلى مداهمة معلمه وتفتيش بيته واستنطاقه وإيداعه سجن "برج النور".

ومن آثاره الفنية الباقية السقوف الخشبية المزخرفة في محكمة الدار البيضاء بحي الأحباس، ودار الحديث الحسنية بالرباط. ونماذج للنقش والزخرفة على سقوف خشبية شارك بها في معرض بروكسيل الدولي لسنة 1958 مازلت محفوظة معروضة هناك.

توفي بفاس عام 1396 / 1976.

*وثائق عائلية.*

محمد حجي

**خميس الزمامرة**، مركز حضري على الطريق الوطنية رقم 1، الرابطة بين الجديدة وآسفي، عند النقطة الكلمترية 80 جنوب مدينة الجديدة، وسط سهل دكالة الغني ووسط دائرة مسقية تحمل اسم هذا المركز.

رقي المركز إلى مرتبة بلدية منذ التقسيم الإداري الجديد سنة 1992، وتساوي مساحة مدارها حوالي 250 هكتارا، تحدها من الشمال والجنوب والشرق جماعة الغنادرة ومن الغرب جماعة أولاد اسبيطة.

وقد كان خميس الزمامرة مجرد تجمع لبضع عشرات من الخيام عند بداية الحماية. ولم يكن يميزه عن تجمعات الخيام الأخرى المتناثرة بمنطقة الزمامرة والتي كان مجموع خيامها يفوق التسعمائة، سوى أهمية السوق الأسبوعي الذي ينعقد بالقرب منه. ولعل موقع هذا التجمع وسط أراضي التيرس الغنية بدكالة هو الذي جعل إدارة الحماية تحول موضع السوق القروي إلى مركز استيطان فلاحي ونقطة مراقبة أساسية لقبائل المنطقة.

لكن مركز خميس الزمامرة سيعرف تطورا ملحوظا في العقدين الأخيرين، خاصة، مع تجهيز دائرتي الزمامرة والغربية السقويتين، ومع تشييد معمل لتكرير الشمندر السكري سنة 1981. فقد قفز عدد السكان من 1464 نسمة سنة 1971 إلى 4761 نسمة سنة 1982، وإلى 10310 نسمة سنة 1994، بنسبة نمو إجمالي، خلال 12 سنة الأخيرة، تصل إلى 116،6٪ ونسبة تزايد سنوي تصل إلى 6،65٪، وهي أعلى نسبة تزايد حضري سجلت بإقليم دكالة ما بين إحصائي 1982 و1994.

ارتبط هذا النمو السريع بالهجرة القروية، وخاصة من القبائل المجاورة : أولاد عمرو : 73،5٪، أولاد بوعزيز : 11،3٪، أولاد عمران : 6،7٪ وأولاد فرج : 2،8٪. وتستحوذ فخدة الغنادرة ـ أولاد عمرو على أعلى نسبة من المهاجرين إلى هذا المركز. ومن مميزات سكان هذه القبيلة احتراف التجارة كمصدر للعيش والكسب وجمع الثروة. ورجال الغنادرة يُعرفون منذ فترة طويلة بتعاطيهم للبيع والشراء، وأغلبهم، الآن، يُعمِّر الأسواق الدكالية والأسواق الوطنية، ومنهم نخبة تمارس التجارة على المستوى الوطني، الشيء الذي يفسر النسبة الهامة للسكان النشيطين في التجارة بمركز خميس الزمامرة، والغياب التام بالمنطقة للعناصر الأجنبية المعروفة بممارستها للتجارة، وهي حالة استثنائية بإقليم الجديدة.

ارتبط النمو السريع لسكان الزمامرة أيضاً، وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، بتجهيز الشطر الثاني من "المصلحة السفلى" بقطاع دكالة السقوي. ذلك أنه بعد حسم مسألة تقسيم مياه نهر أم الربيع بين أهم المستعملين، وبعد تشييد سد المسيرة، تم إعداد وتجهيز دائرة الزمامرة السقوية ما بين 1977 و1980 ومساحتها 15.410 هكتارات، مسقية بطريقة الرش، ودائرة الغربية التي تم تجهيزها وسقيها ما بين 1982 و1984، ومساحتها 13.100 هكتار مسقية أيضاً بطريقة الرش. وبتجهيز هاتين الدائرتين تم تشييد فرع للمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لدكالة بمدينة خميس الزمامرة.

كما أنه انطلاقا من سنة 1981 بدأ معمل السكر بالزمامرة في استقبال وتكرير الشمندر السكري من الدائرتين السقويتين المذكورتين. ولهذا المعمل قدره على معالجة 7000 طن من الشمندر يوميا، ويصل إنتاجه من السكر الخالص (سكر الطاووس المسحوق وقطع السكر البراد) إلى 65000 طن سنويا، إضافة إلى منتجات ثانوية أخرى كالثفل الرطب : 60000 طن والعلف المركز : 38000 طن والميلاص : 30000 طن. ويشغل معمل السكر هذا 180 من الأطر والمستخدمين الرسميين و 104 من الموسميين، مساهما بذلك في توسع المدينة. فبالإضافة إلى حي السكر الذي يأوي الأطر وبعض المستخدمين ويحتوي على نادي ومطعم خاصين بالعاملين بالمعمل، هناك تجزئة الشباب التي قامت بتجهيزها جمعية الأعمال الاجتماعية واستفاد منها المستخدمون.

وبموازاة هذا التطور السريع لمركز خميس الزمامرة اتسعت رقعة البناء على طول المحاور الطرقية المتفرعة في اتجاه الغرب والجنوب الغربي، وبالجهة اليمنى للطريق الوطنية رقم 1. فمع استقرار مصالح ومكاتب مقاطعة المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي توسع الحي الإداري نحو الشرق، يمين الطريق الوطنية وما بين الحي الإداري والحي المحمدي (بام) في الغرب تم تجهيز تجزئتين جديدتين سنتي 1983 و1985 وهما النهضة والأمل. أما في اتجاه الجنوب الغربي، أي في اتجاه السوق الأسبوعي فإن البناء يتطور بشكل عشوائي في إطار تجزئات لا تساير فيها التجهيزات الجماعية (خصوصا التطهير) وتيرة البناء السريعة.

فعلاً، فان مدينة خميس الزمامرة تعاني بحدة من مشكل التخلص من النفايات السائلة، سيّما وانها تقع بمنطقة سهلية منبسطة. يتم تجميع مياه الصرف في شبكة تمتد على طول الطريق المؤدية إلى الغربية لتصل حتى دوار أولاد ابن الشاوي، حيث هناك محطة للتصفية، غير أنه لأسباب مجهولة تم التخلي عن هذه المحطة، لتصل تلك النفايات السائلة غير معالجة إلى ضاية كبيرة تستعمل أيضاً لاستقبال المياه المستعملة في الفلاحة.

ويبقى النسيج الحضري لمدينة خميس الزمامرة عموما ضعيف التماسك رغم أن مساحة البلدية صغيرة جداً، إذا ما قورنت بباقي المدن الصغيرة. كما أن الضغط على هذا المجال قليل الحدة رغم أهمية نسبة تزايد سكان المدينة سنوياً (6.65٪)، ويتجلى ذلك في ثمن الأرض المنخفض (750 ـ 1500 درهم / م 2) مقارنة مع مركز حضرية أخرى بالاقليم كسيدي بنور وسيدي إسماعيل ...

*تحريات ميدانية* ؛ أ. بلعسري، *التحديث الفلاحي ونمو المراكز الحضرية، مثال الدائرة السقوية لدكالة*، رسالة لنيل د. د. ع، شعبة الجغرافية، الرباط، 1988 ؛ خ. إسماعيل، *تحول البنيات الفلاحية في القطاعات المسقية، نظام الأكارة في سهل دكالة المسقي*، رسالة لنيل د. د. ع، شعبة الجغرافية، الرباط، 1988 ؛ مديرية الإحصاء بالرباط، *نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى*، 1982 و1994 ؛

وزارة الداخلية والإعلام، اقليم الجديدة، دائرة الزمامرة، *مونوغرافيا جماعة خميس الزمامرة*، يوليوز، 1986.

إسماعيل الخياطي

ابن **خميس**، محمد بن أحمد الأنصاري الجزيري السبتي، أصله من الجزيرة الخضراء في الأندلس (*الإحاطة*، 3 : 184) انتقل منها بعد تغلب النصارى عليها واستوطن مدينة سبتة وامتهن الخطابة بجامعها الأعظم إلى حين وفاته بها.

تعددت مشارب ابن خميس العلمية وتنوعت اهتماماته فاكتسب مكانة علمية مرموقة وشهرة واسعة في سبتة وخارجها. عرّفه صاحب "*بلغة الأمنية*" بالمتفنن المصنف البارع الخط الشاعر (*بلغة*، 176) ووصفه ابن الخطيب بالفقيه الخطيب المقرئ القاضي. له باع طويل في مجال القضاء والخطابة والاقراء. قرأ على والده وعلى شيخه وشيخ أبيه أبي عمر. كما أخذ عن عباس ابن الطّفيل الشهير بابن عظيمة، وعن الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير، والخطيب أبي عبد الله بن رشيد بغرناطة خلال وفوده عليها. كما أخذ عن القاضي أبي المجد ابن أبي الأحوص قاضي بلدة الجزيرة الخضراء. وأجازه الوزيرأبو عبد الله بن أبي عامر ابن الربيع والخطباء الثلاثة : أبو عبد الله الطنجالي وأبو محمد الباهلي وأبو عثمان بن سعيد (*الإحاطة*، 3 : 185).

وأخذ في سبتة عن القاضي أبي عبد الله الحضرمي والإمام أبي عبد الله بن حُريث والمحدث أبي القاسم التجيبي والاستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم والأخوين أبي عبيد الله وأبي إبراهيم ابني يربُوع - كما أجازه الإمام ابن حُريث وناصر الدين المشْدالي والخطيب ابن عَزْمُون وغيرهم (*الإحاطة*، 3 : 185).

من الراجع جداً أن يكون لابن خميس مؤلفات عدة تناولت مواضيع متنوعة سيما وهو المتفنن المصنف على حد قول صاحب *بلغة الأمنية*. ولم يصلنا من هذه المؤلفات سوى بضعة عناوين منها *النفحة الأرجية في العروة المرجية* ( *الإحاطة*، 3 : 185). وكتاب *الاعلام* ( *بلغة*، 176) *وبرنامج الشيوخ* ( *الإحاطة*، 3 : 185).

توفي سنة 750 / 1349 ودفن في مقبرة أحجار السودان منها ( *اختصار*، 25 : بلغة، 176).

*بلغة الأمنية ومقصد اللبيب*، تح. محمد ابن تاويت، مجلة تطوان، ع. 9، 1964 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، المجلد الثالث ؛ ابن القاسم الأنصاري السبتي، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنيّ الآثار*، الرباط، 1403 / 1983، ط. 2.

زليخة بنرمضان

**الخميسات** مدينة بقبيلة أزمور جنوبي مكناس، إذا كان تمركز السكان في كبريات المدن المغربية متزايداً باطراد، فإن نمو المدن الصغرى عرف بدوره تقدماً ملموساً، كما يتجلى ذلك في ظهور عشرات من المراكز الحضرية التي لم تكن موجودة في الماضي القريب أو كانت عبارة عن تجمعات متواضعة يطغى على غالبيتها الطابع القروي.

وتُعتبر الخميسات نموذجاً من أهم نماذج ذلك الجيل الحضري الجديد من المراكز الفتية، الصاعدة التي أصبحت منذ وقت قريب تُثير اهتمام عدد من الباحثين من بين علماء الاجتماع والجغرافيين على الخصوص.

أصل المدينة ومراحل نموها : قُبيل الاحتلال كانت منطقة زمور تعيش أوضاعاً سياسية واقتصادية - اجتماعية في غاية الاضطراب، مما حال دون استقرار السكان وظهور السكن الثابت. ولوضع حد لما يصفه الاستعمار بـ "الفوضى" (السيبة) تدخلت جيوش الاحتلال تدخلاً عنيفاً سنة 1911 فَتَمَّ تثبيت القبائل داخل حدود مجالاتها الحالية واتخاذ موضع الخميسات كأهم وانجع موقع استراتيجي للهيمنة "المخزنية" على المنطقة كلها (انظر خريطة المنطقة).

ولقد قطعت المدينة منذ الاحتلال في تطوها السريع أربع مراحل متميزة :

1 - من الاحتلال إلى 1934. خلال سنتي ما بعد الاحتلال تكوَّنت نواة إدارية عسكرية بجانب سوق هام سياسياً واقتصادياً واجتماعياً (سوق الثلاثاء الحالي). ومنذ 1923 تمَّ نقل مقر المركز الإداري لزمور من "تيفلت" إلى "الخميسات" التي اكتسبت نهائياً وظيفتها الإدارية ؛ مما جعلها تحظى بمُبادرات رسمية في التجهيز والتعمير، خُصوصاً منذ 1926. فاجتذبت إليها عدداً هاماً من الأجانب والمغاربة قرويين وحضريين باستثناء أبناء زمور. ولما كانت إمكانيات وفرص العمل متوفرة تكونت الأحياء المغربية الأولى التقليدية البناء، بشكل مُنتظم إلى جانب الحي السكنى - الإداري الأوربي.

2 - من 1934 إلى 1945. انطلاقاً من 1930 - 1934 توفَّرت شبكة طرق مُعبدة، وانفتحت أمام الخميسات آفاق نمو سريع، حيث توطّدت وظيفتها الإدارية بعد أن صارت تلعب دور "مقر دائرة زمور" سنة 1942 وتدعّم نشاطها التجاري المحلي القار والسوقي. وعلى الرغم من ضآلة الهجرة الزمورية إليها، وتناقص عدد الأجانب واليهود على الخصوص لصالح مدن أخرى، فإنّ نموها الديموغرافي كان سريعاً إذ عرف زيادة تُعادل 71٪ ما بين 1931 و1936، وحوالي 157٪ من 1936 إلى 1944، مما نتج عنه اتساع رُقعة مجال المدينة وتعرضها لبداية انتشار السكن العشوائي الهزيل.

3 - من 1945 إلى الاستقلال. تميزت هذه المرحلة بتطور العلاقات بين المدينة ومحيطها الريفي تطوراً ملموساً وذلك لكون بلاد زمور أصبحت تعيش أوضاعاً جديدة. وعجلت

هذه الأوضاع بتفكيك البنيات التقليدية القبلية بعد رجوع قدماء المحاربين من الخارج وبانطلاق التوافُد الزموري إلى الخميسات وتيفلت.

كان لهذا الوجود انعكاسات إيجابية على الميدان الاقتصادي وانعكاسات سلبية شيئاً ما على النمو العمراني، حيث تجاوزت الرقعة الحضرية المجال المجهز نسبياً مما نتج عنه تكاثر السكن العشوائي الهزيل. ففي سنة 1952، كان السكن يتضمن نحو 1000 نوالة و16 خيمة و200 مسكن تلقائي البناء و400 دار مقبولة البناء. وهذه الحالة أثارت اهتمام السلطات التي أعدّت أول تصميم معماري صودق عليه سنة 1953.

4 ـ منذ الاستقلال. منذ الستينات على الخصوص عرفت المدينة انفجاراً ديموغرافيا :(13695 نسمة سنة 1960، 30897 سنة 1971...) تُغذيه بالأساس الهجرة من الأرياف البعيدة والمحيطة مباشرة بالمدينة ـ مما نتج عنه توسع حضري يتجاوز حدود المجال المجهز تحتياً وبالتالي تضخم الأحياء الهامشية المنتشرة في شكل "دواوير" قروية الطابع. على أنه ابتداء من 1973 ـ 1975 بعد أن تحولت المدينة إدارياً إلى مقر عمالة (إقليم الخميسات) حظيت بانتعاش ملموس خصوصاً فيما يتعلق بالتجهيزات الأساسية والمنشآت الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مما فتح أمامها آفاقاً جديدة للتطور وإعادة هيكلة المجال.

السكان. يتميز التكوين البشري للخميسات بتطور ديموغرافي سريع يطغى عليه عامل الهجرة وتنوع الأصول الجغرافية للوافدين إليها. وتتسم البنية السكانية بنوع من الاختلال ـ جنسياً وعُمرياً ـ كما يتصف التوزيع على مستوى الأحياء والسكنى بتفاوت الكثافات.

تطور عدد سكان المدينة، حسب الإحصائيات الرسمية كما يلي :

| | | | |
|---|---|---|---|
| 1926 : | 672 نسمة | 1971 : | 21.827 نسمة |
| 1936 : | 2.396 نسمة | 1982 : | 58.925 نسمة |
| 1952 : | 7.460 نسمة | 1994 : | 88.839 نسمة |
| 1960 : | 13.695 نسمة | | (30897 بالدواوير) نسمة |

يتميز النمو الديموغرافي الحضري للمدينة بسرعة تبدو مدهشة، بالنظر إلى مستوى النمو لغالبية كبريات المدن المغربية. فنسب التزايد السنوي تفوق، في معظم الحالات معدلات النمو الحضري على المستوى الوطني. فنسب التزايد السكاني للمدينة كانت على التوالي ما بين الفترات الإحصائية : 13،5٪ ـ 7،9٪ ـ 4،3٪ ـ 9،5٪ ـ 3،5٪ ؛ أي في المتوسط ما يناهز 8،5٪ سنوياً في حين أن المتوسط العام على المستوى الوطني لا يتجاوز 5،5 سنوياً ما بين الفترات الإحصائية الأكثر نمواً. وهذه السرعة تجعل المدينة يتضاعف عدد سكانها مرتين تقريباً كل عشر سنوات. ويمكن على أساس معدل التزايد السنوي الأخير توقع وصول المدينة إلى مستوى كبريات المدن المغربية (100.000 ن وأكثر) عند نهاية سنة 2000 (حوالي 107.500 نسمة).

دخلت المدينة ـ منذ إحصاء 1971 ـ ضمن فئة المدن المتوسطة وتعدُ اليوم من كبريات مدن هذه الفئة حيث إنها تحتل المرتبة التاسعة حسب إحصاء 1982 ثم المرتبة الخامسة حسب إحصاء 1994 (بعد تازة ـ سطات ـ إنزكان ـ العرائش).

أما على المستوى الإقليمي فإن الخميسات تهيمن إلى درجة كبيرة على الاستقطاب السكاني في منطقة زمور، حيث إن كثافة سكانها تمثل وحدها ـ حسب إحصاء 1994 ـ ما يعادل نصف (51٪) مجموع السكان الحضريين للإقليم (174974 ساكن) ؛ وذلك لضعف التمدن على مستوى المراكز الصغرى (نسبة التمدن : 36٪ حسب إحصاء 1994) وطغيان سمات العالم القروي "العميق" المتخلف نسبياً على مجال الإقليم. مما يفسر أهمية الهجرة إلى المدينة (حوالي 80٪ إلى 90٪ من أرباب الأسر).

الأصول الجغرافية للوافدين إلى المدينة. الهجرة من أرياف ومدن المغرب (دون منطقة زمور) : يمثل النازحون حوالي 36٪ من مجموع أرباب الأسر ـ حسب البحث الميداني : ثلاثة أرباع منهم قدموا من مختلف أرياف البلاد، خصوصاً من السهول والهضاب الوسطى والداخلية وسوس، وتافيلالت ؛ والربع الباقي من المدن التقليدية على الخصوص. ويطغى الطابع الاقتصادي على أسباب نُزوح معظمهم إلى الخميسات.

ـ الهجرة من بلاد زمور : جاء التوافد الزموري إلى "عاصمة" زمور "متأخراً" لأسباب مرتبطة بنمط عيشهم التقليدي وبغياب المجندين. ولم يشمل هذا التوافد، بصورة عامة، سوى مُهاجري القبائل المجاورة للمدينة مباشرة والذين يُمثلون أزيد من 60٪ من مجموع النازحين من المنطقة، ومن بينهم عدد هائل من الأرامل والمطلقات.

ولقد كانت هجرة واستقرار معظم هؤلاء المهاجرين "أهالي المنطقة" ـ على عكس "البرّانيين" عن زمور ـ لأسباب اجتماعية أكثر منها اقتصادية لكون المدينة تشكل بالنسبة إليهم بيئة جديدة تُوفر لهم إمكانيات حياة أفضل.

الأنشطة الحضرية : يتبين من تحليل تطور البنية المهنية للسكان النشيطين ـ حسب إحصائي 1960 و1971 وحسب نتائج الاستطلاع (1978) الميداني ـ أن المدينة تسير باستمرار في اتجاه تضخيم قطاعها الثالث : 61٪ ثم 68٪ ما بين 1961 و1978.

وتبين هذه النسب الضخمة اتجاه المدينة نحو دعم دورها الرئيسي كمركز خدمات تجارية وإدارية واجتماعية.

ضعف النشاط الصناعي الحديث : مازال النشاط الزراعي يُمارس داخل الدائرة الحضرية، بل حتى ما بين بعض الأحياء الهامشية. إلا أنه أصبح مهدداً حالياً بالزوال النهائي أمام توسع المجال الحضري.

ويرتبط بهذا النشاط الزراعي نشاط صناعي يتمثل في معمل تقطير أزهار الياسمين لإنتاج العطور الذي أصبح كذلك مهدداً بالزوال. ولقد عرفت المدينة منذ الثمانينات ظهور وحدات صناعية جديدة مرتبطة أساساً بالفلاحة (مطاحن الخ ...).

الأنشطة الحرفية : تشغل هذه الأنشطة 31٪ من أرباب الأسر رجالا ونساء على السواء. ويمتاز النشاط الحرفي بالتنوع والتوازن بين الحرف التقليدية والحرف العصرية الإنتاجية منها وغير الانتاجية (55،7٪ مقابل 44،3٪) منها أنشطة الإصلاح والصيانة وخدمات ذات طابع حرفي. وتأتي في مقدمة الحرف الإنتاجية على الإطلاق صناعة الزرابي التي تمارس داخل المنازل على الخصوص وفي "معامل" التعاونيات.

الجهاز التجاري : يشمل الجهاز التجاري بمفهومه الواسع المتاجر ومحلات الحرف والخدمات ذات الطابع التجاري. وتمتاز بنية هذا الجهاز بتوازن تام بين الأنشطة التجارية الصرفة (50،4٪) وأنشطة الحرف والخدمات (49،6٪) وكذا بعدم التضخم إلاّ في حالات نادرة. كما هو الحال مثلاً بالنسبة للمنتجات الفلاحية أهمها الحبوب.

لكن هذا الجهاز يغلب على مؤسساته طابع التفتت

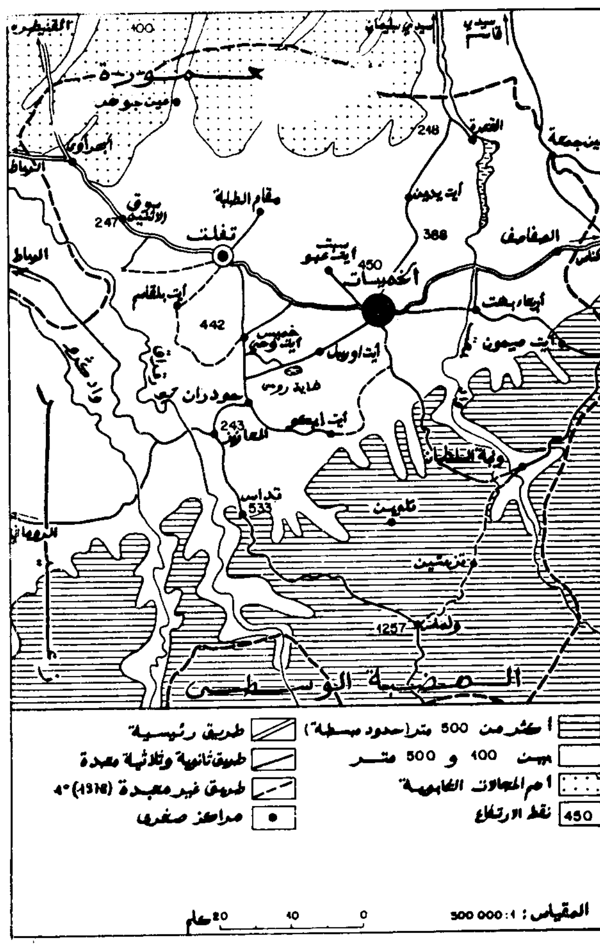


وعدم التخصص علاوة على أنه يبقى ناقصاً بالنسبة لعدد السكان (مؤسسة واحدة لكل 54 نسمة حسب البحث الميداني 1976) هذا بالإضافة إلى أنه يتسم بتركز جغرافي كبير وسط المدينة استجابة أكثر لحاجيات العابرين على أن هناك مزية هامة يمتاز بها النشاط التجاري وتتجلى بوضوح في دينامية رواجه. ويفسر هذا الرواج الدائب باعتماده على موارد متنوعة مصادرها ثلاثة : حركة المرور والسير على الطريق الرئيسية، تنوع إمكانيات نسبة مهمة من السكان المحليين وتوافر موارد متنوعة أيضاً لدى قرويّي منطقة زمور التي توسع فيها إشعاع المدينة التجاري وغيره.

أشكال النفوذ الإقليمي للمدينة. أهمية الموقع الجغرافي للمدينة (انظر خريطة المنطقة)

تحظى الخميسات بموقع جغرافي ممتاز، من جهة وسط زمور متوسطاً نطاقين طبيعيين مختلفين ومتكاملين اقتصاديا ؛ ومن جهة أخرى بين الحواضر الساحلية والداخلية وعلى طريق رئيسية من أهم المحاور الطرقية للبلاد (3000 إلى 6000 سيارة عابرة في اليوم). وهذا الموقع جعل من المدينة نقطة قوية تتفرع منها شبكة من الطرقات، وتستقطب حركة النقل الاقليمي، تحت قيادة حاضرتي مكناس وسلا بوجه خاص ؛ وبالتالي أصبحت مؤهلة للقيام بدور موصل (relai) بالغ الأهمية في جميع الآتجاهات وبأدوار قيادية إدارية وتجارية في منطقة نفوذها.

النفوذ التجاري : تمارس المدينة بوصفها مقر إقليم إداري مختلف أشكال القيادة إدارياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً. ويتجلى أهم أنواع النفوذ الاقتصادي التلقائي في إشعاعها التجاري، الذي يتداخل مع إشعاع جارتها تفلت في الجزء الغربي من زمور.

ويتم هذا النفوذ التجاري بصورة مباشرة من جهة وعن طريق الأسواق الأسبوعية بصفة خاصة وعلى نطاق واسع من جهة أخرى، حيث تتحكم الخميسات في شبكة كثيفة من الأسواق التي تتجه إليها أسبوعياً انطلاقاً من المدينة حوالي 2680 مُتسوق تاجر - حسب J.F. Troin - منهم 1780 أي 66٪ يترددون على مجموع 22 سوقاً منها 16 داخل منطقة زمور وعلى رأسها سوق الثلاثاء "العملاق" للمدينة ذاتها.

أهمية سوق الثلاثاء : يُعتبر هذا السوق الذي يحتكر حركة التسوق يوم الثلاثاء على صعيد بلاد زمور من عمالقة الأسواق المغربية، سواء من حيث التجمع البشري (20.000 في المتوسط و30.000 خلال الصيف حسب J.F. Troin) أو ضخامة الجهاز التجاري (9000 متسوق للمرتبة الثانية في المغرب أو من حيث قيمته الاقتصادية (المرتبة الرابعة) ومدى إشعاعه على مستوى المغرب الشمالي وخاصة فيما يتعلق بتجارة المواشي والأبقار على الخصوص (المرتبة الأولى). أما بالنسبة لعلاقات السوق بالمدينة فإن انعقاده يوفر لها كثيراً من الفرص تستفيد منها تجارياً

ومالياً واجتماعياً (33٪ من مداخيل البلدية) وحتى إدارياً (تقريب المواطنين القرويين من الإدارة).

المجال الحضري. يتسم التكوين العمراني للمدينة بعدم الانسجام والتماسك وبتفاوت درجة تمدن وتحضر الأحياء تفاوتاً متبايناً.

المميزات المرفلوجية العامة : تتميز مرفلوجية المدينة - في معظمها - بتفكك نسيجها وخصوصاً في الأطراف حيث تظهر متعددة النوايا (النواة).

ومما يزيدها تشويهاً امتدادها المفرط في اتجاهي الشمال والجنوب مع وجود ثغرات واسعة في جزئها الأوسط، وذلك لأسباب اقتصادية وإدارية وعقارية على الخصوص مع اعتبار العامل الطبغرافي نحو الشرق (وادي الخميس).

ويتصف المشهد الحضري بالتباين الشديد لخلايا السكن: ففي السبعينيات (إحصاء 1971) كانت أنواع السكنى تتوزع كالتالي : المباني الصلبة : 3700 (2.62٪) البراريك: 1752 (29،4٪) مساكن من الطوب : 319 (5،3٪) نوالات : 121 (2٪). مساكن من الحجارة المجردة : 53 (0،8٪) خيام : 2 (0،03) فالسكن الهزيل كان يحتل نسبة هامة (37،8٪من المساكن) ويسود طبعا بالدرجة الأولى في الأحياء الهامشية.

أنواع الأحياء : تتكون المدينة من 16 حيّاً ودواراً تم تصنيفها بصورة تركيبية على أساس مقياسين أساسيين يتعلقان بالتجهيزات الأساسية وطبيعة البناء أضيفت إليهما مؤشرات أخرى عقارية وديموغرافية واجتماعية وثقافية. وهكذا يُمكن التمييز ما بين ثلاث مجموعات من الأحياء من المركز نحو الهوامش :

- مجموعة الأحياء "الحضرية" عددها ثلاثة ويسكنها 21٪ من السكان وهي أحياء مجهزة وخالية تقريبا من العناصر الهزيلة من السكن وتقطنها فئات الموظفين والتجار والملاكين الكبار والمتوسطين.

- مجموعة الأحياء الشبه حضرية ذات اندماج متوسط. عددها ثلاثة ويسكنها حوالي 30٪ من السكان معظمهم من الفئات المتوسطة بوجه عام. وهنا تتراوح نسبة السكن الهزيل ما بين 5٪ إلى 15٪ من المساكن، حيث إن مجالها المجهز تحتياً لا يتجاوز النصف (42٪ إلى 50٪ من المساكن).

- مجموعة الأحياء الهزيلة أو "الدواوير" : عشرة دواوير هامشية جغرافياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً يقطنها ما يناهز تقريباً نصف عدد السكان 48٪ من سكان المدينة).على أن أوضاع هذه الدواوير متفاوتة نسبياً - وهي اليوم في طور إعادة إسكان سكانها في أحياء لائقة (السكن الاجتماعي) في إطار عملية "محاربة السكن غير اللائق" أو القضاء على "مدن" الصفيح.

ومهما كانت مشاكل المدينة فإن الخميسات تبقى مؤهلة جغرافياً وقيادياً للقيام بدور قطب تنمية إقليمية. ولربما تغيرت الصورة التي يعكسها هذا المقال المعتمد على معطيات وأرقام قديمة نسبياً.

م.حنيني، *الخميسات، دراسة في الجغرافيا الحضرية*، رسالة لنيل د.د.ع. في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1980.

محمد حنيني

* *

إقليم الخميسات، حديث أنشئ سنة 1981، وحسب التقسيم الإداري لإحداثه في هذا التاريخ كان يضم 35 جماعة منها ثلاث بلديات. وبناء على القانون رقم 92 - 12 المتعلق بوضع ومراجعة اللوائح الانتخابية العامة وتنظيم انتخاب مجالس الجماعات الحضرية والقروية الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 90 - 92 - 1 بتاريخ 9 ذي الحجة 1412 / 11 يونيو 1992 تمت عملية تقسيم الإقليم إدارياً على الشكل التالي : بلدية الخميسات - بلدية تيفلت - بلدية الرماني - جماعة سيدي علال البحراوي - جماعة سيدي بوخلخال - جماعة أيت مالك - جماعة عين الجوهرة - جماعة أيت بويحيى - جماعة مقام الطلبة - جماعة سيدي عبد الرزاق - جماعة الكنزرة - جماعة أيت يدين جماعة الصفاصيف - جماعة أيت سيبرن - جماعة سيدي الغندور - جماعة سيدي علال المصدّر - جماعة أيت أوريبل - جماعة مجمع الطلبة - جماعة أيت ميمون - جماعة أيت يكو - جماعة أيت إيشو - جماعة أيت بلقاسم - جماعة حُودرأن - جماعة المعازيز - جماعة تيداس جماعة أولماس - جماعة جمعة مول البلاد - جماعة عين سبيت - جماعة مولاي إدريس اغبال - جماعة خميس سيد يحيى - جماعة مرشوس - جماعة الغوالم - جماعة زحيليگة - جماعة بوقشمير - جماعة البراشوة.

تبلغ مساحة الإقليم 8305 كلم ويتوفر على أراض خصبة وجيدة تستقبل تهاطلات مطرية مهمة تسمح بتنمية فلاحية تعمل على سد حاجيات السكان.

مناخ الإقليم شبه قاري حيث تتميز المنطقة بالارتفاع خاصة كلما ابتعدنا عن المحيط معدل الحرارة يتراوح ما بين 10 و11 درجة خلال فصل الشتاء، وما بين 25 و27 درجة أثناء الصيف، كما أن المناطق العليا بالإقليم خاصة أولماس تعرف ارتفاعاً في درجة الحرارة خلال الصيف تصل أحياناً إلى 30 درجة، بينما تستقر الحرارة الدنيا في فصل الشتاء ما بين 7 و8 درجات. التساقطات المطرية في نواحي تيفلت تبلغ 528 ملم سنوياً و501 ملم في منطقة تيداس. أما المنطقة الجبلية فيَصل معدلها سنوياً إلى 655 ملم خاصة بأولماس وتعتبر المنطقة خزاناً مهماً للمياه الجوفية، ومن أهمها الفرشة المائية للمعمورة حيث تسمح التشكيلات الصخرية المكونة من حت وكلس بتسرب واختزان كمية مهمة من مياه الأمطار تصل سعتها إلى 134 مليون م$^3$ سنوياً الشيء الذي يمكن من تزويد بعض المدن الساحلية

بالماء الشروب والري من القنطرة إلى الدار البيضاء، ويعتبر واد بهت أهم مورد مائي سطحي يغذي الإقليم بالماء الصالح للشرب وسقي الأراضي الفلاحية.

تنتمي التربة في مجملها إلى نوع التيرس، وهي تربة خصبة وسميكة ونظراً للظروف الطبيعية الملائمة فإنها تسمح باستغلال فلاحي متنوع وبمردودية مناسبة أو مهمة في أراضي البور .تقدر المساحة البورية بـ 390.000 هكتار بينما تصل المساحة السقوية إلى 3800 هكتار. تزرع بهذه الأراضي الحبوب والقطاني بالأساس، كما خصص 1800 هكتار للزراعات الزيتية. وتعرف زراعة الأشجار المثمرة نمواً كبيراً بالمنطقة، أما بالنسبة للمنتجات العلفية فيبلغ محصولها 89800 وحدة علفية أي بنسبة 278 وحدة علفية للهكتار، ويتم الحصول على 33٪ من الحاجيات العلفية من الغابة خاصة المعمورة.

بلغت الكثافة السكانية بالإقليم 58،5 ن / كلم$^2$ ويعرف المجال القروي ساكنة مهمة تصل نسبتها إلى 64،6٪ من سكان الجهة يعتمد اقتصاد الإقليم بالأساس على الفلاحة وتربية الماشية والصناعة التقليدية وبعض الخدمات في المراكز الحضرية. كما تساهم بعض المناجم في تنمية اقتصاد الإقليم ومنها منجم لإنتاج البوتاس يبلغ احتياطه 97 مليون طن، ومنجم آخر لاستخراج الرخام يوجد بضاحية تيفلت وينتج سنوياً 2000 م$^3$ من الرخام.

ع. لغماري، م. البوطاهري، *جهة الرباط وسلا زمور زعير، خريطة إقليم الخميسات.*

محمد بلعربي

**الخميسي**، أسرة تطوانية لا علاقة لها بقبيلة الاخماس الواقعة شمال المغرب، وذلك لأنها تنتمي إلى مدينة الخميسي Algemici الواقعة بناحية قلبنسيا الاسبانية حيث توجد أسر مسيحية تحمل اسم Algemesi ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 638.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخميلي**، عمر بن الطاهر الرحماني المراكشي. وصفه تلميذه عبد الحفيظ الفاسي بـ "العلامة المقرئ الصالح المعمّر... كان أستاذاً مقرئاً فاضلاً كثير العبادة والتلاوة، ناصريّ الطريقة مزاراً متبركاً به" أخذ القرآن الكريم بالروايات السبع عن الأستاذ الكبير الولي الشهير أبي الفلاح محمد بن علي القضاعي الزراري المعروف بسيدي الزوين نزيل الأوداية قرب مراكش شيخ القراء بالمغرب.

وعنه أخذ عبد الحفيظ الفاسي بسنده وأجازه في كل ما تلقى عن شيخه سيدي الزوين.

توفي بمدينة مراكش في تاسع وعشري جمادى الثانية عام خمسة وأربعين وثلاثمائة وألف / 4 يناير 1927.

ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، الرباط، 1931، ج 2 : 130.

محمد حجي

**الخنابيب**، قبيلة سوسيّة عربية تمتد أراضيها على سهل ساحلي، وهو امتداد لبسيط تيزنيت بمحاذاة المحيط الاطلنتي. تنتهي القبيلة في الجنوب بحدود قبيلتي تيزنيت واكلو، بينما تنفتح على أراضي ماسة والمعدر في الشمال والشرق. يعتبر ترابها مجالاً للرعي والإنتاج وبعض أشكال الزراعة البورية.

أما دلالة التسمية، فمن المحتمل أن يكون أصل الكلمة من لفظة أغنبوب التي تفيد اللسان الداخل في البحر، ويبدو أن الاسم له علاقة بطبغرافية المنطقة.

إن مجال الخنابيب، وخاصة شاطئ المصيدة، عرف استمراراً بشرياً قديماً، ومن الشهادات الدالة على ذلك، وجود آثار صناعات ما قبل التاريخ : الأدوات الحجرية من صنف ذات الوجهين Bifaus ، الحلي المصنوعة من بيض النعام. لا نعرف إلا النزر القليل عن أصول سكان الخنابيب وظروف استقرارهم، فحسبما تحصل لدينا من إشارات من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية فإن العناصر الأولى وفدت من موطنها الأصلي أباينو بوادي نون خلال القرن الثالث (9 م)، واستطاعت أن تجد لها مكانا للاستقرار، ولا نعرف إن كان ذلك عن طريق التحمل أو بالتراضي، ولا إن كانت المنطقة مجالاً لقبيلة معينة. غير أن الوثيقة الوحيدة التي عثرنا عليها (مؤرخة بتاريخ 977 / 1569) تحدد موضع الاستقرار على الساحل بين أكّلو وماسة، أي من مجال أكبر مما هو عليه الآن. ويبدو أن أهمية موقع القبيلة السهلي، جعلها مثار مجموعة من الأحداث والنزاعات بين القبائل وخاصة أكّلو والمعدر حول امتلاك الأرض والماء. مما أدى إلى اقتطاع أراضيها وانصهار بعض وحداتها ضمن الوحدات القبلية المجاورة، وانزواء العناصر المتبقية في المجال الساحلي الحالي. ومما يدعم هذا الافتراض غياب ذكر اسم القبيلة ضمن التشكيلة القبلية التي أوردها صاحب *ديوان قبائل سوس* كما لم يشر إليها الوزان أثناء حديثه عن قبائل سوس خلال القرن العاشر (16م).

وتذكر *الروايات الشفوية* أن مجال الخنابيب، كان مكان استقرار سيدي عبد الرحمان بعد سياحته الصوفية انطلاقا من زاوية شيخه بغيغاية خلال القرن العاشر (16 م). فبنى زاوية للتعليم والوعظ فوق قاعدة صلبة بالضفة اليمنى لوادي إيصوح، إلا أنها سرعان ما تحولت إلى تجمع سكاني

يحمل اسم تمزليت. وعلى غرار ما كانت تقوم به الزوايا من أدوار مختلفة، فإن تمزليت أصبحت مركزاً دينياً تلتقي فيه القبائل، كما تؤمن القوافل التجارية المارة بالطريق التجاري الساحلي. إلا أن صيتها ومكانتها اعتراها بعض الانكماش بعد وفاة مؤسسها وتراجع نفوذها لصالح زاوية تازروالت.

ومما يبين مدى الحظوة الكبيرة التي تتمتع بها القبيلة، أن المخزن العلوي أصدر في حق الزاوية ولصالح أسرة سيدي عبد الرحمان الخنبوبي ظهائر التوقير والاحترام منذ عهد المولى الرشيد، وتجددت عدة مرات، ومازال أحفاد الشيخ يحتفظون بها. أما عن علاقتها بالقبائل المجاورة، فتتحكم فيها الشروط الاقتصادية والبشرية، وتتأكد ملامح هذه العلاقة في أن مصير الخنابيب ارتبط بمدى تبعيتها لاكّلو، لهذا تصنف دائما ضمن أراضي إيالة شيوخ وقياد هذه القبيلة.

أحمد الخنبوبي

* * تفرّعت الخنابيب إلى أفخاذ منها طائفة في الصحراء في نواحي ورززات تسمى زاوية القاضي، ومنها طائفة في الجريفات بآسفي والوالدية ومنها بعبدة أي دوار الشلوح. والخنابيب الذين استقروا بعبدة كانوا قد هاجروا مرغمين على ذلك من طرف الاستعمار الفرنسي وذلك لأن المجاهد الهيبة بن ماء العينين لما جاء هو وأتباعه إلى الخنابيب حيث حط رحاله سأل عمن يتسم بالعلم فدلوه على أحمد بن فارس الخنبوبي فصاحبه هذا الأخير إلى مراكش، ولما فشل الهيبة في هذه المدينة، أُقْصِي أحمد الخنبوبي إلى عبدة هو وعشيرته وكان تحت رعاية عِيسى بن عمر العبدي.

ويشهد الماركي دي سيكونزاك عندما زار جنوب المغرب في بداية القرن العشرين وزار الخنابيب أن دواويرها تتكون من 150 أسرة تملك 100 بندقية و 15 فرس. ويقول سيكونزاك بأنهم مرابطون.

ومن المتداول أنهم جاؤوا من غيغاية بأحواز مراكش من زاوية سيدي فارس بن لحسن وأن سلفهم عبد الرحمن الخنبوبي الذي توجد زاويته بتمزليت بالخنابيب كان قد انتدبه شيخه فارس بن لحسن *الإعلام*، ص 14، ج 10 *ممتع الأسماع*، ص 161، وأعطاه لواء للدفاع عن الثغور التي توجد بتمزليت وقد استقبلته قبائل ماسة وأكلو ورحبت به ثم أقطعت له أرضاً ووهبت له أراضي مسقية.

والغالب عن الظّنّ أن الخنابيب من أصل عربي شريف جاؤوا من فاس بل هربوا منها خوفاً من الدلائيين، ( *الزاوية الدلائية* ... ص 229). فرحلوا إلى جنوب المغرب حيث استقروا. ويؤكد ذلك مارت وإدموند گوفيون في كتابهما كتاب *أعيان المغرب الأقصى* (ص. 445 - 446 - 447) إذ يقولان بأن السلف عبد الرحمن بن أحمد الخنبوبي كان يقطن بحي الطالعة بفاس وأن جده هو أحمد بن إدريس. وقد لعب الخنابيب دوراً هاماً في إسلام عدد من القبائل السوسية.

ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 10 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية، فاس، 1989.

E. Gouvion, *Kitab Aâyane al-Maghrib 'l-Akça, Livre des Grands du Maroc*, Paris, 1939 ; D de Segonzac, *Au cœur de l'Atlas*, Paris, 1910.

أحمد بومزگو

**خناثة بنت بكار**، زوج السلطان المولى إسماعيل. تشغل المرأة المغربية حيزا ضيقا من كتب التراجم، ومع ذلك جاء هذا الحيز حافلا بالأعمال المجيدة من جهاد واحسان وتحبيس الممتلكات والقيام بأعمال عمرانية وخوض الصراعات السياسية، وهذه الخصال تجتمع في الأميرة خناثة بيت بكار بن عبد الله بن علي المغافري، فكان انتقالها من أقصى الجنوب وزواجها بالسلطان المولى إسماعيل حدثا تاريخيا وسجلا زاخرا بالمهام والعطاء.

ظلت الوحدة الترابية المغربية ثابتة ومتواصلة من أقصى الشمال إلى تخوم السودان فامتزج دم المغاربة في مختلف الأقاليم بالمصاهرة. وكان للزيارة التفقدية للسلطان المولى إسماعيل سنة 1089 / 1678 إلى أقاليم الجنوب أثر فعال وتأكيد لهذه الوحدة وتجديد للبيعة والولاء واقترانها بمصاهرة الشيخ بكار المغفري للسلطان. وقد ذكر المؤرخ أحمد الناصري هذه الزيارة فقال "فقدمت عليه وفود العرب هناك من أهل الساحل والقبلة ومن دليم وسوس والمغافرة وودي وغيرهم من قبائل معقل وأدوا طاعته، وكان في ذلك الوفد الشيخ بكار بن عبد الله والد خناثة أم السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل، فأهدى الشيخ إلى السلطان ابنته خناثة المذكورة، وكانت ذات جمال وعفة وأدب فتزوجها السلطان رحمه الله".

وهكذا دخلت القصر الملكي في اعتزاز ورفعة فهي زوج ملك وسليلة حسب ونسب، فأبوها بكار سيد قومه. وقد حلاهما المؤرخ محمد القادري في *نشر المثاني* أفضل تحلية وذلك لما طلبت الأم من ابنها الإذن لها بالتوجه إلى الحج فقال :

"السيدة الوجيهة الفاضلة بنت السيد الوجيه الفاضل الحاذق في الأخيار، ومن لاذ به يجار ولا يصل إليه عار، حتى في الفيافي والقفار، سيد قومه وعميدهم وفارسهم ومانعهم، الشيخ بكار المغفري..."

أدت الأميرة فريضة الحج سنة 1143 صحبة حفيدها الأمير سيدي محمد بن عبد الله البالغ من العمر عشر سنوات، وضم الوفد عدداً من رجالات المخزن منهم القاضي أبو القاسم العميري وشيخ الركب عبد الخالق عديل والوزير كاتب الرحالة عبد القادر الجيلالي الإسحاقي وقد أبرزت هذه الرحلة الصفات الحميدة للأميرة : تقوى وعلم وإحسان وعطاء من لا يخشى الفقر وكياسة ومظاهر حضارية تلفت

أنظار الأقاليم والبلدان التي يجتازها ركبها، فخلفت صدى طيبا في أوساط الشرفاء والعلماء والحكام وشيوخ العشائر، فأينما حلت إلاّ وكانت محط ترحيب وحسن استقبال لما لها من أياد بيضاء احتساباً لله، فتعددت عطاياها من مال وملابس وأوقاف، فقد خصت شرفاء أهل الينبع الذين وفدوا عليها لتهنئتها بسلامة قدومها بمائتي مثقال ذهبا مطبوعة وهو مبلغ كان يصلهم من زوجها المرحوم المولى إسماعيل من صرة الحج فزادت عليه مائة مثقال ذهبا مطبوعة هبة منها وشملت هداياها بعض المحتاجين ومن هم أهل للإكرام وعملت كذلك على شراء داربمكة من أولاد العلامة أبي محمد عبد الله بن سالم البصري وحبستها على الطلبة الذين يختمون *القرآن* كل يوم ويدرسون *صحيح البخاري* وعينت ناظرا لها وتضمنت رحلتها هذه وصف إقامتها بالحرمين الشريفين والثناء عليها ومدحها وإهداء الكتب لها.

نشأت خناثة في بيت علم وأدب، أسرةً وعشيرةً وحصّلت العلوم في كنف والدها ووجدت في خزانة زوجها السلطان المولى إسماعيل ما يشفي غليلها من المعارف، فاستحقت بأن توصف بالفقيهة والأديبة، فكانت قراءتها قراءة تحقيق وتطرير وإحالة على مصادر أخرى. وقد وقف المؤرخ محمد أكنسوس في كتابه *الجيش العرمرم* على خطها على هامش *الإصابة في معرفة الصحابة* لابن حجر العسقلاني. وهذه الملاحظة العلمية تتبعها عبد الهادي التازي في كتابه *أمير مغربي بطرابلس* أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي فقال : "وقد تمكنت من الوقوف فعلاً على بعض طررها على المجلد الثاني والثالث والرابع بالمكتبة الملكية بالرباط". ووجد في هذه الطرر تركيزاً وسعة اطلاع. ولعل مشاركتها الفقهية مكنتها من شراء الدار بمكة واقناع القاضي بإجراء عقد البيع والتحبيس رغم وجود مَنْ يعارض في بيع وشراء العقار بمكة. ولم يفت بعض الفقهاء المتأدبين بمكة وهو إمام المقام الخليلي محمد بن علي الحسيني الشافعي الطبري أن ينظم فيها قصيدة مطلعها :

غَنّى على عود السعود هزاري     وشدا على الأوتار بالأوطار

للأميرة خناثة من الحنكة وسعة الأفق السياسي ما يندر مثيله حتى عند كبار رجالات المخزن. وفي هذا السلوك مفخرة للمرأة المغربية فهي المستشارة لزوجها ولولدها، وهي ذات فكر ثاقب وخبرة واسعة بأمور السياسة وتقلبات أحوال السياسيين والقادة، وهي العارفة بأحوال البلاد والمطلعة على العلاقات المغربية الخارجية، فحياتها الزوجية تصل إلى نصف قرن وامتدت حياتها بعد وفاة زوجها لفترة تبلغ ست عشرة سنة بين مد وجزر وثورات ومناورات العبيد والقبائل وشيعة هذا الأمير وذاك الأمير للتسابق على الملك، فتصل تجربتها السياسية واحتكاكها بالعمل السياسي إلى ست وستين سنة تخللتها المشورة والتدخل لإصلاح ذات البين بين فريقين من الفرقاء أو إبداء النصح والتنبيه لأمر هام أو مراسلة توقير ودعم. ولعل مرتبتها العليا في الدولة المغربية احتفظت لها بمراسلات دبلوماسية ترمي لتوطيد العلاقات بين المغرب وبعض الدول الأوربية، وكذا لتحرير الأسرى. وتبرز شخصيتها الفذة في مواجهة الأحداث بعد وفاة زوجها فنراها صامدة مصرة على التمسك بمبادئها وسط الإعصار السياسي فتُكاتب العلماء وتعقد التحالف بين الأودادية والمغافرة وبعض القبائل لمناصرة ولدها المولى عبد الله، فكان تدخلها عن دراية مكتسبة باتصالها الوثيق بزوجها واطلاعها الواسع على شؤون البلاد. ولعل شهادة الوزير الإسحاقي خير شاهد على شخصيتها السياسية التي لفتت الأنظار، فقال عنها :

"وكانت له وزيرة صدق وبطانة خير تأمره بالخير وتحرضه عليه وتتوسط في حوائج الناس ويقصد بابها أهل الحياء والحشمة..."

وحتى رحلتها الحجية لم تكن تخلو من مظاهر سياسية حيث عاينت أوضاع الأقاليم المغربية التي مرت بها وهي مسافرة في ركب يجسد أبهة العظمة والملك سواء في ملابس الوصفان أو ألعاب الفروسية والبارود أو زي رجال المخزن أو العطاء بسخاء وكذلك في استقبال حفيدها مع حاشيته من طرف الشخصيات البارزة في البلدان العربية، وامتد اهتمامها للمؤسسات الدينية حيث نقف لها على مراسلة إلى الباشا موسى مؤرخة في منتصف شوال سنة 1145 تحثه على الاعتناء بالزاوية البوسُنية بقبيلة احمر..

"وإني أؤكد عليك أشد التأكيد زاوية المولى الصالح السيد محمد بوسُنة ألاّ تترك مَنْ يترامى عليها أو يطوف بساحتها، فالزاوية تركها سيدي محمد بوسنة بيدي وأنا الوصية عليها، وإياك وإياك، فاحترمها بما تُحترم به مثيلاتها ووقّرها"

ولم تزدها الأزمة بين أولاد السلطان المولى إسماعيل إلا صلابة وثباتا على المبدأ في تزكية ولدها الوحيد المولى عبد الله سلطانا على البلاد، فهذه رسالتها لأهل وجدة بتاريخ 13 محرم 1149 / 24 ماي 1736 تقول فيها :

"فلا يهمكم شيء فأنتم قد عرفنا محبتكم ونصيحتكم لمولانا أمير المؤمنين فلا يضركم فعل السفهاء، فيد الله وأيدينا فوق أيديهم، ولا تخشوا من أحد سواء غربتهم أو شرقتهم، ومن تعرض لكم فلا يلوم إلا نفسه، سواء كان قريبا أو بعيدا..."

عاشت خناثة وسط زوبعة سياسية أتت على الأخضر واليابس ومزقت البلاد شيعا ولم تراع لها الأزمة السياسية مكانتها السامية ولا شيخوختها، فظلت صامدة مناصرة لابنها السلطان المولى عبد الله الذي استطاع في النهاية أن يثبت في الحكم ويعيد الاستقرار للبلاد. واعتبارا لشخصيتها البارزة عانت من التضييق عليها والتعرض للنهب والاعتقال على يد ربيبها السلطان علي الأعرج بن إسماعيل الذي استولى على الحكم مكان ابنها سنة 1147.

فوجد في زوج أبيه الأميرة خناثة كبش فداء لما كان لها من أنصار وما تخفيه من كنوز والده وولدها حسب زعمه، فاقتحم عليها دارها واستولى على ما فيها من متاع بأمر من الباشا سالم الدكالي وزج بها في السجن مع حفيدها سيدي محمد بن عبد الله، فاستنجدت بالعلماء طالبة حكم الشرع ومستعجلة إطلاق سراح حفيدها لأنه دون الحُلُم ولم يقم بأي عمل يستوجب سجنه، فأطلق سراح الأمير وبقيت هي في السجن مدة من الزمن. "وها أنا في السجن حتى يحكم الله بيني وبينه".

ثم دارت الدائرة على السلطان علي الأعرج وعاد مولاي عبد الله إلى الحكم سنة 1149 بعدما قضى قرابة ثلاث سنوات عند أخواله بوادي نون، فاسترجعت الأم حريتها ونشاطها السياسي، وما كادت تهنأ بالاستقرار حتى خلع العبيد ولدها من جديد، فأحست بما يدبرونه لها من مكايد فخرجت من مكناسة يوم الخميس 30 ربيع الأول 1154 ونزلت بفاس وسارعت إلى مواجهتهم بتوطيد التحالف بين أقاربها الأوداية والمغافرة وأنصار ولدها من الفاسيين والقبائل المؤيدة له فكانت له خير عون حيث حقق النصر على المتمردين واسترد عرشه.

وهكذا نجد لها حضوراً علمياً واجتماعياً وسياسياً خلال عدة عقود تضمها الوثائق المغربية بخيرها ومحنها وتوجيهاتها ومراسلاتها إلى أن التحقت بالرفيق الأعلى سنة 1155 / 1742 ودفنت بمقبرة الأشراف بفاس الجديد.

*رحلة الإسحاقي*، مخطوط خ. ح. رقم 1428 ز ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج. 3 : 335 ـ 336 و4 : 38، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. أ. العماري ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، ج. 1، تح. أ. بن يوسف الكنسوسي ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 7 ؛ ع. الرحمن بن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3 و5 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، 1 : 428 و429، تح. إحسان عباس ؛ ع. الله كنون، *النبوغ المغربي* ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية في عهد العلويين*، ص. 243 ؛ ع. الهادي التازي، *أمير مغربي في طرابلس ؛ جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي ؛ مذكرات من التراث المغربي*، ج. 4 : 86 ؛ ع. الحق المريني، *دليل المرأة المغربية*، ص. 11 ـ 12.

M. Morsy, *Les Africains*, T. 1.

محمد ماكامان

**الخناشفة**، بطن من أولاد يحيى بن معبد من قبيلة بني حسن بإقليم القنيطرة. ولما أحصت سلطات الحماية دواويرهم وخيامهم جعلتهم في مطلع القرن العشرين تحت سلطة إبراهيم بن الحسن بن بوگرين الزهاني. كان عدد أسرهم أربعمائة وتسع وأربعين خيمة مفصلة كما يلي :

| | الخيام |
|---|---|
| ـ أولاد عيسى والرگاگنة والرّزازگة | 130 |
| ـ القاسميون وأولاد الطاهر وأولاد الفقيه وأولاد بلعيد وأولاد علي مَحمد والسليتات | 203 |
| ـ الحوارثة أولاد زيد والوحاحدة وأولاد مالك | 116 |

وقبل ذلك كان السلطان مولاي الحسن عين عليهم قواداً من الخناشفة وهم :

ـ الحاج رزوق تولى سنة 1290 وتوفي سنة 1300 / 1883.

ـ العربي بن الفقيه عين قبل سنة 1310 واستمر مدة.

ـ الحاج عمر بن الفقيه وكان سنة 1324 قائداً.

ـ قاسم بن جلول وكان سنة 1327 و1328.

م. بوشعراء، *قبيلة بني حسن*، 1860 ـ 1912، مخطوط ؛ *الوثائق الملكية والبنسعيدية*.

*Villes et tribus du Maroc, Béni Ahsen.*

مصطفى بوشعراء

**الخُناق** أو الدفتريا، من كلمة Diphtera بمعنى الغشاء، سماه العرب الخُناق لأنه يميت بالاختناق، ويسمى أيضاً الذُّبحة. عرفه الأطباء القدامى بأنه ورم في الحلق والمريء وعضل الحنجرة بحيث يصعب نفوذ الهواء المستنشق. وفي التعريف الحديث هو مرض خطير يتميز بوجود أغشية كاذبة ضاربة إلى البياض على مخاط الحلق والحنجرة، وأحيانا على مخاط الفم أو المنخر أو العين.

يسمى الخُناق عند المغاربة "الخنَّاگية"، وهي علة لم نتمكن من العثور على المعلومات حولها، وحول عشيانها في المغاربة خلال الفترات السابقة لسنة 1912، وان كان ذكر الخناق يتردد أحيانا لدى بعض الأخباريين أمثال ابن عذاري، ولكن تحت اسم الذُّبحة (من ذلك مثلاً ما ورد في الجزء الأول من *البيان المغرب* بصدد وفاة هشام بن عبد الملك)، وهو الاسم الذي يصفه به الطبيب بن زهر، كما لم نجد ذكراً لهذا الداء في أولى المصنفات النزولوجية التي كتبت عن المغرب في بداية القرن العشرين ككتاب الطبيب راينو Raynaud عن *الصحة والطب بالمغرب* الصادر سنة 1902، ومقال الدكتور وايزجربير Wiesgerber عن الأمراض وعلاجها بالمغرب سنة 1903، ومقال الدكتور هرزن Herzen *ملاحظات وتأملات في نزولوجيا المغرب*، سنة 1911، بل إن الرعيل الأول من الأطباء الذين باشروا مهمة التصدي للأمراض والأوبئة مع بدء الحماية لاحظوا أن داء الخناق شبه منعدم بالمغرب، واحتدم كثير من النقاش حول مسألة ما إذا كان هذا الداء متوطنا بالبلاد، أم أن طائفه ألم بالناس على إثر وصول موجات الوافدين من أوربا بعد استتباب أمر الحماية.

ودون الدخول في تفاصيل ذلك النقاش، نشير إلى أن الخناق، كان يعيث في سكان المغرب خلال فترة الحماية، حسب إحصائيات على الأقل منذ سنة 1928 فنعدد الحالات في المدن البلديات مثلاً هو 397 سنة 1928 و822 سنة 1953.

وكان المغاربة يعالجون الخناق ببعض الوصفات الواردة

عند صاحب *كتاب الرحمة* في علاج "النفخ والأورام التي في الغرجومة" أو بدهن لوزتي المريض ببعض اليابس من دم أضحية العيد بعد خلطه بالقليل من عود القماري.

إلى جانب هذه الوصفات وغيرها، حاول أطباء الحماية الفرنسية التصدي لداء الخناق، فعملوا على تشخيصه واعتبروه من الأمراض ذات الإعلان الإجباري. غير أن الحد من انتشاره ظل أمراً صعباً إلى ما بعد سنة 1924 عندما تمكن العالم البيولوجي الفرنسي Gaston Ramon من اكتشاف التلقيح بذيفان الدفتريا Anatoxine diphtérique الذي لم يكن يستفيد منه في المقام الأول سوى أبناء الأوربيين أو المحظوظين من سكان المدن البلديات، وقد أصبح التلقيح ضد الخناق اليوم منشّراً في حواضر المغرب وبواديه.

ع. السيوطي، *كتاب الرحمة في الطب والحكمة* ؛ ع. الكاديكي، *الأمراض المعدية؛ الرواية الشفوية.*

A.R. De Lens, *Pratiques des Harems marocains*, Paris 1925 ; *Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc*, T. XIV n° 1 - 2, 1954.

بوجمعة رويان

**الـخنبوبي، عبد الرحمان** صوفي صالح، وهو الجد الأعلى للشرفاء الخنابيب. لا نعرف عن حياته إلا النزر القليل الذي وصلنا عن طريق الرواية الشفوية. يقال إن أصله من مدينة فاس، وبها تلقى تعليمه، وسلك طريق التصوف على يد شيوخها وعرفت حياته منعطفاً حاسماً بعد انتقاله إلى زاوية غيغاية عند الشيخ فارس بن الحسن، وهو من تلاميذ عبد الله أمغار. فأصبح الخنبوبي من كبار مريدي الشيخ وبقي بجواره مدة تنيف عن سبع سنوات، فوجهه إلى قبيلة الخنابيب، ويحتمل أن يكون ذلك مرتبطاً بمنحى المتصوفة آنذاك من تعمير البوادي والمناطق النائية.

ومهما يكن فإن القبيلة بدأت في خدمة زاويته، وبالمقابل نالت حمايته المعنوية والرمزية. وهذه المكانة الروحية، جعلته يحظى باحترام وقبول الجميع، وذاع صيته واشتهر أمره. لذا أصبحت زاويته مجالاً مستقطباً للعديد من الطلبة والمريدين وعامة الناس، ونواة التف حولها السكان، فتكونت قرية تحمل اسم تزليت.

وبغض النظر عن الشهرة التي كان يتمتع بها، لم ترد أخباره في كتب المناقب السوسية المعروفة. ومن غير المستبعد أن يكون ذلك مرتبطاً بقصر المدة التي قضاها الشيخ بين أحضان القبيلة، وكذا تشتت أولاده في مجالات جغرافية مختلفة.

بعد وفاة الشيخ عبد الرحمان الخنبوبي آلت أمور الزاوية إلى ابنه مَحمد. إلا آن نفوذها وإشعاعها الديني والعلمي بدأ في التراجع لصالح زاوية تازروالت. وعلى مدى قرون عديدة، استمر حفدته في تسيير الأمور التنظيمية للزاوية، وأصدر المخزن في حقهم ظهائر التوقير والاحترام.

*وثيقة تحديد مجال قبيلة الخنابيب*، 977 / 1569 ؛ شجرة شرفاء الخنابيب، 943 / 1536 ؛ *ظهائر، التوقير والاحترام*، عددها 19 ؛ م. السوسي، *المعسول*، ج 16، ص. 242 ؛ *خلال جزولة*، 4، ص. 38 ؛ *تحريات ميدانية.*

L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au 19ème siècle*, *Hesp.*, 1925, p. 267 - 273 ; J.M. Gouvion, *A'ayan al Maghreb al Akça*, Paris, 1939, p. 445 - 447.

أحمد بومزكو

**الـخنبوبي، محمد** بن أحمد. وُلد بدوار الفيض بزاوية الخنابيب في شواطئ الجنوب قرب تزنيت سنة 1326 / 1908. ودرس في الكتّاب بنفس الزاوية حيث حفظ القرآن برواياته السبع. بعد ذلك هاجر مع أسرته التي نقلها الاستعمار، الفرنسي إلى عبدة بدوار الشلوح في ناحية أسفي حيث التجأ والده الذي كان قد تعرض لتعسفات الاستعمار وقد أدّى ذعيرة قدرها 52 ريالا حسنيا بعقد مؤرخ بسنة 1332، إذ كان أمين الزكوات في عسكر المجاهد الهيبة بن ماء العينين الذي كان قد رافقه إلى مراكش حيث فشل في محاولته للسيطرة على المدينة.

وفي أسفي أتمّ الفقيه الخنبوبي دراسته بحفظ القرآن الكريم وبرواية المكي وقالون والبصري كما حفظ المتون الفقهية واللغوية. ولما بلغ سنّ السادسة عشرة ذهب إلى الرباط لمتابعة دروسه على يد شيخ المحدثين أبي شعيب الدكالي، كما كان يدرّس القرآن لأولاد الشيخ. وقد اطلع على الحركة الوطنية عندما اندلعت حرب الريف حيث تحمس مع عدد من الشبان كانوا يردون على الشيخ أبي شعيب.

وفي سنة 1930 لما أصدر المستعمرون الظهير البربري تظاهر مع إخوانه الوطنيين في المسجد الكبير بالرباط حيث كانوا يذكرون اللطيف، وألقي القبض عليه مع سائر إخوانه.

وفي سنة 1944 كان من الأولين الذين حملوا وثيقة الاستقلال الذي كان يُطالَبُ به لأول مرة وطاف مع التجار

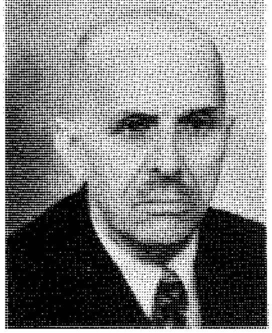

السوسيين بالرباط وساهم في الاحتجاج بالقصر الملكي وألقي القبض عليه مع أزيد من مائتي شخص.

وفي سنة 1951 ألقي عليه القبض ثانياً حيث قدم للمحاكمة بعد ذلك البحث الذي تعرض له من طرف الشرطة التي اتهمته بالمس بأمن الدولة، لكن نظراً لعدم وجود أي حجة أطلق سراحه، وبعد ذلك فرضت عليه الإقامة الاجبارية بمنزله إلى حدود 4 يناير 1954 إذ ألقي عليه القبض مرة أخرى مع ثلاثة وخمسين شخصاً من المقاومين، وذلك لأنه كان مع السي صالح مسؤولين عن مزرعة وادي اگم التي كانت مركزاً هاماً للمقاومة، وبقي في السجن إلى أن جاء الاستقلال وأطلق سراحه. وكان منزله مأوى للمقاومين والوطنيين ومنهم المقاوم الكبير عبد العزيز الماسي الذي بقي لاجئا عدة شهور في بيته.

خطرت للفقيه الخنبوبي فكرة تشييد المعهد الإسلامي بتارودانت وأدلى بها لأصحابه ومنهم عبد العزيز الماسي فطاف الفقيه الخنبوبي من جهة عبد العزيز الماسي وغيرهما من جهة أخرى لجمع التبرعات وقصدوا جميع أنحاء المغرب ووفقهم الله وبُني المعهد، وكان منطلقا لبناء فروع له في ماسة وتيزنيت وغيرهما.

كان محمد الخنبوبي عضواً في المجلس الوطني لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير وقد نظمت المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجمعية إيليغ للتنمية والتعاون حفلا تكريميا له يوم 19 يوليوز 1991 حضره جمهور غفير.

توفي رحمه الله يوم 26 يبراير 1996.

مذكرة حررها المترجم عن نفسه.

أحمد الخنبوبي

**الـخنت** أو الخنط، قماش من نسيج قطن أزرق أو أسود في الغالب، داكن أو مفتوح، سميك مدكود أو رقيق شفاف، كان سكان المناطق الصحراوية ومازالوا يتخذون منه ملابسهم الخاصة التي تميزهم عن غيرهم. ويسود استعماله في كل المناطق الصحراوية المغربية الممتدة من شرق البلاد إلى جنوبها وجنوبها الغربي من حدود عين بني مطهر وراس الماء شمالا إلى السوس الأقصى ووادي درعة ووادي نون جنوبا، ويتعدى ارتداؤه الحدود المغربية حيث يكاد يصبح هو اللباس الوحيد في موريطانيا كما يشهد على ذلك محمد المختار السوسي إذ يقول : "وأكثر لباس عرب شنگيط (موريطانيا الحالية) الخنط الأزرق من القطن".

ويستمد قماش الخنث اسمه من مدينة Gent البلجيكية الواقعة في منطقة فلاندرا الشرقية حيث تسود اللغة الفلاماندية (وتنطلق الجيم خاء مثلها في ذلك مثل اللغة الإسبانية). وتسمى هذه المدينة عند سكان بلجيكا الناطقين باللغة الفرنسية في جنوب هذه البلاد گانط Gand ويدعى أهلها Les Gantois، قال فيها إدريس الجعيدي الذي زارها يوم الأربعاء 12 يوليوز 1876 بمناسبة رحلته إلى بلجيكا ما يلي : "مدينة گانطي مشهورة بنسج الكتان في بلجيكا". ومن جملة المناطق التي كانت تصل إليها منتجاتها، يحكم قربها الجغرافي منها، بلدان حوض البحر المتوسط الشمالية منها والجنوبية بما فيها المغرب.

وقد كانت أقمشة مدينة خنت، التي اختصرها الناس في كلمة واحدة هي الخنت، توزع في شرق المغرب وجنوبه في القرن XIX عبر ميناء تطوان في الشمال والصويرة في الجنوب. وكان سكان المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية المغربية يتخذون منها أردية واسعة فضفاضة مهواة لا تنحصر على الجسم ولا تحدد ملامحه مما كان يلبسه الإناث والذكور صغاراً وكباراً على حد سواء مع اختلافات بسيطة بين هذه الفئات حسب السن ومستوى الثروة والجنس سواء في طرق التفصيل أو أشكال اللف حول الجسم. ولم يقتصر انتشار هذه الأقمشة عبر ميناء الصويرة على جنوب المغرب وجنوبه الشرقي والغربي بل تعداه إلى بلدان متعددة في غرب إفريقيا ووسطها.

وكان سكان المناطق الصحراوية من متوسطي الأصول المادية لا يملكون من قماش الخنت إلا قطعة واحدة أو اثنتين من النوع المتوسط أو الرديء مما يُلبس عادة فوق سروال قصير فضفاض ورداء داخلي ملامس للجسم. أما الموسرون فكانوا يتوفرون على أكثر من قطعتين من النوع الجيد، رغالباً ما كانت واسعة فضفاضة مرسلة الأذيال تتخذ إما من لون واحد أسود أو أزرق أو من لونين مختلفين أزرق وأبيض أو من أحد هذه الألوان مع اختلاف في مستوى المنسوج وشفافيته. وكلما تزايد عدد القطع المرسلة على الجسم عند أهل الصحراء كلما دل ذلك على الانتماء إلى مستوى معين من الرفاه والثراء.

وكانت ملابس الخنت لا تكتمل إلا بارتداء عمامة تدعى "الشاش" وهي سوداء أو زرقاء من نفس القماش تغطي شعوراً كثيفة مسدلة إلى حد الكتفين عند البعض من الرجال ولا تتعدى القفا عند السواد الأعظم من الذكور. وكانت عمائم الرجال تستعمل حينا لتغطية الرأس وحينا لتغطية الوجه، لذلك تسمى في هذه الحالة الأخيرة "الگنا" عند أهل الصحراء التي قد تكون تحريفاً لفظياً وتكييفاً محلياً لكلمة "القناع" ذات الأصل العربي. أما النساء الصحراويات فكن يجمعن شعر رؤوسهن بعد تقسيمه إلى ظفائر ثم يلففنه بأقمشة خنت سوداء قبل إسدال الطرف الأعلى من الرداء الخارجي عليه.

وتذكر المستندات التاريخية بأن ماء العينين بن محمد الفاضل زار السلطان مولاي الحسن في نهاية القرن XIX صحبة عدد من رجاله وهم يلبسون ثياباً زرقاء من خنت، وكان ماء العينين وسطهم يحجب وجهه عن الأنظار بلثام من نفس القماش ويبدو جسمه نحيلاً ملفوفاً في أردية زرقاء. ورأى الملاحظون ابنه أحمد الهبة سنة 1912، وهو

يتقدم حملته نحو الشمال وسط رجاله على نفس هيئة والده وأشاروا إلى أنه كان مستقيم القوام كث الشعر مرتدياً ملابس صحراوية على العادة. كما كان مرافقوه يرتدون ألبسة صحراوية من خنت سوداء متسخة. وكان سكان الصحراء عندما يلتحقون بمدن الشمال وبواديه يعرفون بسهولة من ملابسهم أثناء تجولهم في الأحياء والأسواق.

وقد انتقلت عدة فرق صحراوية في فترات تاريخية مختلفة إلى الرحامنة والسراغنة والمنابهة وحاحا والشياظمة واحمر وعبدة ودكالة وأولاد دليم وأولاد السباع فحافظت على عاداتها وتقاليدها وأسمائها وملابسها. كما كانت نساؤهم لا يفرطن في زيهن الذي يميزهن عن غيرهن، فكن يرتدين ملابسهن من قماش الخنت إذا كن من الفقيرات أو متوسطات الأحوال المادية، لكنهن يتخذنها من قماش قطن شفاف ذي ألوان زاهية متنوعة شبيه بالأقمشة النسوية الهندية يدعى "الخنيثة". وتختار النساء الأنيقات من الحضريات الصحراويات والفتيات المنتميات إلى الجيل الجديد أرفع أنواع الخنيثة شكلاً ولوناً لتقتطع منها أردية فارهة يسدلنها على أجسامهن عند الخروج من منازلهن.


إ. الجعايدي، *إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار*، د. د. ع. كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، تح. عز المغرب معنينو ؛ م. المختار السوسي، المعسول، ج 3، الدار البيضاء، 1960.

M. Akhmisse, *Hommes et choses de Smara*, Rabat 1987 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, Paris 1948 ; M. Barbier, *Voyages et explorations au Sahara occidental*, Paris 1985 ; M. Croizard et P. Galante, *Les hommes bleus au Maroc*, Paris 1956 ; C. Douls, *Voyages d'exploration à travers le Sahara occidental, Bull. Soc. Géogr.*, 1988, 3ème trim. ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912)*, Paris 1977 ; J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris 1982 ; F. Fabien, *Le Maroc au bout de ma seringue*, Rabat 1988 ; F. Sourdon, *Le marocain, son âme et sa ville*, Paris s.d. ; A. Adam, *Le costume dans quelques tribus de l'Anti-Atlas*, in *Hesp.*, tome 39, 1952 ; P. Lemoine, *Le royaume de Marrakech, Bull. Soc. Géogr.*, juillet 1905 ; *Dictionnaire de noms de lieux*, Montréal 1992 ; M. Abitbol, *Le Maroc et le commerce transaharien du 16ème au 19ème s., R.O.M.M.*, n° 30, 1980 ; D. Denoun, *Notice sur la tribu arabe saharienne des Aribs*, 1929, sans lieu ; E.F. Gautier, *Le Sahara*, Paris 1950.


محمد بوسلام

**خندق الذيب**، مكان يقع على بعد كيلو متر ونصف من مدينة مليلة، واسمه بالإسبانية برانكوذيل لوبو Barranco del Lobo روع الشعب الاسباني خلال شهر يوليوز من سنة 1909 حيث كان مسرحاً لأربع معارك دموية انتصر فيها المغاربة بقيادة المجاهد أمزيان ؛ هذه المقاومة التي اندلعت يوم 9 يوليوز 1909 عندما قررت الحكومة الإسبانية استعمال القوة لمساعدة الشركة الإسبانية التي حصلت على إذن الروگي بوحمارة في استغلال مناجم الحديد الواقعة بقبيلة بني بويفرور، وكانت الشركة المذكورة قد شرعت في مد السكة الحديدية لنقل المعدن من مناجمه إلى مدينة مليلة قبل أن يرغم الروگي على مغادرة قصبة سلوان.

كان رد فعل الشريف أمزيان على القرار الإسباني أنه منع الشركة من الاستمرار في مد السكة الحديدية حيث هاجم العمال يوم 9 يوليوز ووقع اشتباك اسفر عن مقتل أربعين من الجنود الإسبان ؛ وعندئذ أمرت الحكومة الإسبانية حاكمها بمليلية الجنرال مارينا Marina باستعمال القوة، وأمدته بجيش قوامُه 17.000 رجل فتكن من احتلال ثلاثة مراكز واقعة بضواحي مليلية ؛ هذه المركز إلى أصبحت محاصرة من طرف المجاهدين الذين حالوا دون تمكن قافلات التمرين من إمدادها بما تحتاج إليه من مؤونة وعدة حربية.

وقد اختار الشريف أمزيان خندق الذيب الواقع بين مليلية والمركز المذكورج لقطع الطريق على قافلات التمرين، فكان الخندق المذكور مسرحاً لأربع معارك دامية أذهلت القيادة العسكرية الإسبانية. جرت المعركة الأولى يوم 18 يوليوز وأسفرت عن مقتل 28 وجرح 35 من الجنود والضباط الإسبانيين ؛ وأسفرت المعركة الثانية التي جرت يوم 20 عن مقتل 27 وجرح 37 من الضباط والجنود. وفي المعركة الثالثة التي جرت يوم 23 من نفس الشهر قتل 10 من الضباط كان من بينهم الكولونيل Alrarez Cabrera والكولونيل Ibanèz Maria والكومندار Fernandez Cuevas، كما قتل 60 من الجنود في حين جرح 15 من الضباط و315 من الجنود.

وأما المعركة الرابعة التي جرت بخندق الذيب يوم 27 يوليوز فقد أسفرت عن مقتل الجنرال پينطوس Pintos نائب الحاكم العام بمليلية والكولونيل Palacios والكومندارات Capape وCarpena وUrbina وGarcia Ruiz و6 من القبطانات بالإضافة إلى 300 من الجنود.

وكان عدد الجرحى 1043 نفر من بينهم الحاكم العام لمليلة الجنرال Marira والكولونيل Jaramillo و41 من الضباط.

كتاب ألفه الصحفي الإسباني Enrique Lopez Alarcon وهو شاهد عيان تحت عنوان :

(Cronica de un testigo). *Diario del la guerra escrito durante las operaciones militares en el Rif.* Melilla 1909.

**خَنْسُوس**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر المجاورة لتطوان منهم :

**خَنْسُوس، أحمد** بن عبد الخالق، فقيه زاول خطة العدالة بتطوان سنة 1270 / 1854.


م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483*

إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 640.

محمد ابن عزوز حكيم

**خنسوس، محمد** الحمدوشي، الشهير بـ "بوشكال"، لأنه كان يحمل خلخالاً من شعر برجله اليسرى، مربوطاً بشدة قرب ساقه. كان حمدوشي الطريقة من أهل الأحوال والغيبة مجذوباً، أخذ عن أبي الحسن علي بن حمدوش قبل أن ينتقل إلى مدينة فاس ويقيم بها، عرف عنه الصلاح والورع والزهد والاجتهاد في العبادة. كما كان ضيق الحال لا يدعي بدعوى ولا يسأل من الناس إلا ما يسد به الرمق.

شوهدت له كما يقول ابن زيدان في *الإتحاف* كرامات وخوارق عادات، جعل لنفسه حوشا من حجارة بالساباط الكائن شرقي جامع القرويين، ثم انتقل إلى رأس الجنان بعيون أبي حرز فكان يقيل ويبيت إلى أن وافته المنية عام 1194 / 1780.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 4، ص 117.

رقية بلمقدم

**الخَنْشُوف**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حسان الواقعة بين تطوان وشفشاون ؛ وقد انقرضت بتطوان سنة 1260 / 1844.

**الخَنْشُوف**، الزبير بن عبد المومن فقيه زاول خطة العدالة بتطوان سنة 1131 / 1719.

**الخَنْشُوف**، قاسم بن سعيد من عدول تطوان شهد بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم واستغراق ذمتهم في شوال عام 1078 / مارس 1668.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 641.

**الخَنْفْري**، أسرة تطوانية شريفة عمرانية، وقد انقرضت اليوم، منهم :

**الخَنْفْري، عبد الله** بن محمد بن عبد القادر، زاول خطة العدالة سنة 1296 / 1879.

**الخَنْفْري، علال** بن ميمون، زاول نفس الخطة سنة 1214 / 1799.

**الخَنْفْري، محمد** بن أحمد فقيه زاول نفس الخطة بتطوان سنة 1292 / 1875.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 639.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخُنفساء** والخنفس والخنفوس تُجمع على خنافس، وتسمى بالأمازيغية خنف وأزكلالو وتجمع على إزكلولا، وبالفرنسية Coléoptère وبالأنجليزية Beetle. تسمى في المعاجم العجانس والجعانس وغمديات الأجنحة، ويطلق عليها في أغلب مناطق المغرب اسم بعوش وبخوش، وهي حيوانات من اللافقرات تصنف إلى طائفة الحشرات Insectes ورتبة الخنافس Coleoptera التي تتضمن فصائل عديدة. واللفظ العلمي Coleoptera يتألف من مقطعين : Ptera ومعناها الجناح، وColeo ومعناها الغمد.

الجناحان يتكونان عادة من المادة القرنية الجامدة الصلبة تسمى كيتين، يلتحمان بالجسم ويقيانه كما أنهما يغمدان الجناحين الخلفيين المكونين من غشاء أرق. يتشكل الهيكل الخارجي لأنواع الخنفساء أشكالا وأحجاما عديدة كما أن الألوان تختلف من نوع لآخر فنجد منها الأسود والأخضر والأزرق والأحمر وغير ذلك.

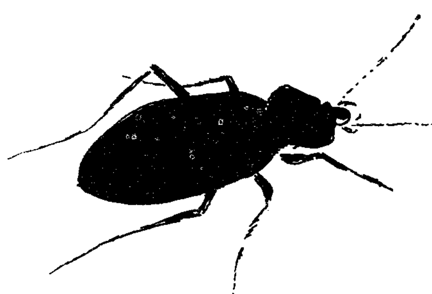

خنفساء

للخنفساء ستة أرجل ذات مفاصل تخرج من أسفل الصدر، وهي من مميزات طائفة الحشرات، كما أن الجسم ينقسم إلى رأس وصدر وبطن. يحمل الرأس قرنين يستشعر بهما. يشتمل الفم على فكوك قوية تساعد على القضم والمضغ، وتختلف حسب الأنواع باختلاف الحاجة واختلاف نظام الأكل. البطن مقسم إلى عشر حلقات تظهر منها 5 ـ 8 حلقات فقط. تحمل كل حلقة زوجين من فوهات التنفس وهي عبارة عن فتحات مرتبطة بنظام الأنبوب الهوائي التنفسي للحشرات.

يفوق عدد أنواع الخنافيس 300000 في العالم من بينها حوالي 5300 نوع في المغرب تقسم إلى 115 فصيلة وإلى 1243 جنس. نذكر من بين الفصائل الشائعة في المغرب :

ـ الخنافس الببرية Cicindelidae نعتوها بالببرية لقوة التمزيق في تأثيرها. منها Cincindela campestris خنفساء الحقول.

ـ القتعيات Scolytidae ومنها جنس القتوع Scolytus التي تفتك بأشجار الصنوبر والدردار والبلوط والزيتون وتتغذى باللحاء الداخلي لها. يعد نوع Ruguloscolytes amygdalus من أخطر الخنافس على أشجار اللوز بالمغرب، له ثلاثة أجيال في كل سنة وتعيش الكبار بداخل الجذوع بعد أن تتخذ مغاور لها وتضر بذلك الأشجار التي كثيرا ما تفرز الصمغ وتذبل أغصانها.

ـ العثيات Dermestidae تتميز بيرقانات تلحس الريش والشعر والفراء والألبسة واللحوم المقددة. ومنها عثة الثعلب Dermestes vulpinus وعثة الشحم Dermestes lardarius وعثة الفرائين Dermestes pellio.

ـ الجعليات أو الجيعلان Scarabaeidae ومنه الجعل المقدس (انظر بوجعران) Scarabaeus sacer.

ـ الذراحيات أو الذراريح Cantharidae أو النافطيات Meloidae وفيها أنواع يستعمل مسحوقها بعد تجفيفها ذراحا في الطب ومنه الذراح النافط Cantharis vesicatoria.

ـ السوسيات Curculionidae نذكر منها الأنواع المنقارية Rhynchophora وهي خنافس تتميز البالغة منها برأس مستدق وطويل على شكل منقار أو خطم يحمل قرني الاستشعار. منها نوع Cucurio nucum ونوع Calandra granaria أو ما يسمى بالكوز أو سوسة الحنطة وهي خنفساء صغيرة القد لا يتعدى طولها 4 ملم كثيراً ما تخلف خسائر كبيرة في مخزونات الحبوب. ونوع Sitona lineatus أو سوسة الجذور تتغذى يرقاناتها على جذور الفصوليات وخاصة منها الجلبان والفول والترمس (lupin) وتتغذى الكبار من أوراق هذه الفصوليات وتضع البيض على البراعم.

ـ التسوسيات أو السوسيات العاشبة Bruchidae وهي من أصغر الخنافس حجما وأخطرها على البذور والحبوب إذ تثقبها وتعيش من موادها، نذكر من بين أنواعها سوسة الفول المعروف عند العامة ببعوش الفول Bruchus rufimanus الذي يتغذى بنباتات الفول وعند ظهور قرون الفول يسرأ البيض بداخلها وبعد التفقيس تثقب اليرقانات الحبوب لتتغذى من محتوياتها الصلبة وتكتمل مراحل نموها بداخل البذرة ثم تغادرها عندما تصبح بالغة (adulte). تقضي الكبار فصل الشتاء بين فتحات وانسلاخات جذوع الأشجار وخاصة منها الاوكلبتوس، وفي فصل الربيع تتغذى من رحيق ورود الفول ولقاحه وتضع بيضها بداخل قرون الفول. كما أن لهذه الفصيلة عدة أنواع أخرى في المغرب أكبرها انتشاراً هي سوسة الحمص Bruchus tristis وسوسة الجلبان Bruchus nubilis وBruchus pisorum وسوسة الجزر Molytes.

ـ الدعسوقيات Coccinellidae ومنها الدعسوقة سباعية النقط (Coccinella septumpunctata) التي تستعمل في المقاومة البيولوجية ضد برغوثة أو قشرة النخيل (Cochenille blanche : Parlatoria blanchardi) التي تخلف أضراراً في مزارع نخيل التمر بجنوب المغرب. إن هذه الدعسوقة تلتهم يوميا العشرات من هذه الحشرات المضرة وتضع بيضها في فصل الربيع على النباتات التي توجد بها الحشرات المضرة.

ـ الحنظبيات Lucanidae ومنها الحنظب Lucanus cervus الذي يعد من أكبر الخنافس حجما في شمال إفريقيا إذ يبلغ طول الذكور 75 ملم ويتميز بفكين كبيرين على شكل قرن الأيل يعيش وسط غابات أشجار البلوط. تعد أنواع الحنظبيات من الخنافس الأكثر رغبة فيها من طرف المختصين في العلوم الطبيعية والهواة لوضعها في علب زجاجية قصد عرضها في مختلف المتاحف والمختبرات وأحيانا حتى في المنازل، الشيء الذي يشكل خطورة على حياتها قد تؤدي بها إلى الانقراض.

ـ الظلاميات Tenebrionidae ومنها خنافس الدقيق Tenebrio molitor التي تعيش في مخازن الحبوب وأحيانا تربى لتتغذى من يرقاناتها الطيور.

ـ النضاريات Chrysomelidae وفي هذه الفصيلة عدة أجناس وأنواع مضرة منها خنفساء الورق Galeruca تفتك بورق الشجر وخاصة منها الصفصاف وجار الماء. وخوذية الشمندر Cassida vittata التي تلتهم الكبار منها واليرقانات أوراق الشمندر ويوضع البيض على البراعم والأوراق خلال فصل الربيع. يتم التفقيس في مدة قصيرة وتبدو الكبار عادة بعد 3ـ4 أسابيع.

ـ القرنبيات أو طوال القرون Cerambicydae تتميز عن باقي الخنافس بقرونها الاستشعارية الطويلة وبألوان زاهية مثيرة. أغلب الأنواع تعيش على الخشب وتخلف به أضراراً، من بينها جنس : Cerambyx وRosalia وPurpuricinus.

ـ الناصعات (Buprestidae) فيها أسطع الخنافش وأزهاها ألوانا ومنها ناصعات الصنوبر والبلوط. من أخطر الناصعات على الأشجار المثمرة بالمغرب نذكر ناصعة المشمش والخوخ واللوز Capnodis tenebrionis. إن يرقاناتها تنخر جذور هذه الأشجار وتسبب هلاكها.

ـ العوميات Dytiscidae والخنافس المائية Hydrophylidae ومنها حوالي 200 نوع تعيش يرقاناتها وكبارها في المياه العذبة الجارية وفي المستنقعات والبحيرات القارية، أشهرها إلف الماء Hydrophlus والعومة Dytiscus.

ـ اليراعيات Lampyridae ومنها الحباحب Lampyrys boctiluca (انظر حباحب ص. 3303).

تختلف طريقة العيش بين أنواع الخنافش فنجد منه ما

يدافع عن نفسه بمنظره الخشن أو المخيف أو يفرز مادة كريهة تخلصه من أعدائه أو يعطي لونا شبيها بالنبتة التي هو فيها فتصعب مشاهدته.

م. الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932 ؛ ن. الخياطي، *بوجعران*، *معلمة المغرب*، ج 5، ص. 1640 ؛حباحب، ج 10، ص. 3303.

J.R. Winkler, *Coléoptères. Atlas illustré*. Paris. 2ème éd., 1973, 234 p. ; L. Kocher, *Catalogue des coléoptères du Maroc*. Rabat, 12 fascicules, 1956 - 1969.

محمد رمضاني

**الخَنْقَطرَة**، مصطلح نجده في الوثائق المغربية في القرن التاسع عشر يستعمل في وسط الصنّاع المغاربة، وكان يطلق على الآلة العجيبة التركيب مثل "آلة صنع السكة" وغيرها من الآلات التي اطّلع عليها الرحالون المغاربة الذين زارو أوربا خلال هذا القرن فاطّلعوا على مختلف الصنائع الحديثة وأنواع الآلات التي لم يسبق لهم أن شاهدوها مثل القاطرة والتلغراف وآلات الطبع وغيرها وقد ظهر ذلك نتيجة الانبهار تجاه التقدم الأوربي في الرحلات المغربية المتاخرة مثل *تحفة الملك العزيز* لإدريس العمراوي، و*رحلة محمد الصفار* و*رحلة الجعيدي* وغيرها.

غير أن هذا المصطلح أصبح بعد التعرف على هذه الآلات شيئاً فشيئاً في الوسط المغربي إنما يطلق على كل مشكلة صعبة أو حدث يؤدي إلى ورطة.

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، الدار البيضاء، 1988، ص 400 ؛ *الوثائق الملكية*، ملف دار السكة.

عمر أفا

**الخَنّوس**، أسرة تطوانية أصلها من قرية دار الخنوس الواقعة بقبيلة بني حزمر المجاورة لتطوان.

**الخَنّوس، محمد** بن محمد، مدفعي بحامية تطوان سنة 1246 / 1830.

**الخَنّوس، المكي** بن أحمد فقيه زاول خطة العدالة بتطوان سنة 1201 / 1787.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 642.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخنُّوس**، (أيت -) تعتبر هذه الكلمة اسما لفصيلة من أهم فصائل قبيلة أزوافيط التي تنتمي إلى لف أيت بلة بالتحادية تكنة (انظر مادة أزوافيط *بالمعلمة*). ويعد مقر إقامة أيت الخنوس هو مدشر تيغمرت حيث كانت تتمركز قديما نول لمطة عاصمة المرابطين بمنطقة وادي نون (انظر مادة تيغمرت *بالمعلمة*). نتساءل من هنا عن مدى ارتباط هذه الفصيلة بالغور السكاني الأقدم ؟ فتجيبنا المصادر العربية خاصة منها مصادر القرن السادس الهجري (12 م)، بوجود نفس الاسم غير ما مرة بأماكن متعددة من جبال وقبائل الأطلس والريف. نبقى من هنا أمام أكثر من تساؤل ولا يسعنا إلا أن نضيف هذا السؤال إلى غيره من الأسئلة العالقة بشأن هذه الفصيلة. مهما يكن من أمر فالغالب على أيت الخنوس هو ارتباطها اللصيق بصنهاجية الصحراء وحداثة عهدها بالحسانية كما يكشف ذلك الفحص الميداني.

من خلال أي جرد لنوعية العلاقات التحالفية بين هذه الفصيلة وباقي كبريات فصائل قبيلة أزوافيط خلال القرون الثلاثة الماضية، يتضح جيدا أن تنافسا قويا بينها قد هدد غير ما مرة الوحدة القبلية بسبب حدة التنافس من أجل مراقبة المجال وخاصة منه الحقول المسقية المحيطة بمدشري تيغمرت وأسرير. فتتضح بذلك للمدقق المقدرة الدفاعية الحربية لأيت الخنوس ومحافظتهم على استقلالية قرارهم وفرض رأيهم على باقي الفصائل.

ويعتبر الكوري الخنوسي أبرز شيوخ أيت الخنوس خلال القرن الثاني عشر (18 م). فقد كانت له من المقدرة الحربية ما أهله لحماية قوافل التجار حتى تمبكتو مرورا بتيندوف وتاودني. ماتزال أبراج قصبته بمدشر تيغمرت ترسم معالم نواة سلطوية يدل عليها عدد الحراطين وسليلي العبيد المقيمين بها إلى يومنا هذا. لم تكن يومها گلميم قد ظهرت كعاصمة تجارية لوادي نون. وهو ما تشهد به الكنانيش التجارية التي تذكرنا اليوم بأهمية أهل الكوري بقصبة تيغمرت وبحجم تجارتهم على امتداد مسالك الصحراء. ولاشك أن هذه القصبة كانت تمثل يومها آخر مظاهر الحياة ببقايا نول لمطة القديمة. بل إن الكوري الخنوسي يعتبر بمثابة آخر السلط المحلية القوية بهذه العاصمة المرابطية. ولربما كان في ذلك ما يشهد على قدم أيت الخنوس وعلى مدى تشبثهم بالأرض المسقية والمجاورة.

*معلمة المغرب*، أزوافيط ؛ تيغمرت.

مصطفى ناعمي

ابن **خَنُّوسة**، أسرة فاسية عريقة أصلها من مصمودة سوس، قال عنهم صاحب *بيوتات فاس* : "بيتهم بيت علم قديم من عهد مغراوة" أي قبل دولة المرابطين. وبقي العلم متسلسلاً فيهم إلى عهد دولة الموحدين.

ابن **خَنُّوسة، خُلوف** بن الطاهر المصمودي الفاسي، لا تعرف له ترجمة مفصلة إلاّ أنه كان ولياً صالحاً، وأنه توفي بفاس سنة 467 / 74 ـ 1075 حسب *بيوتات فاس*، أو سنة مقاربة حسب *سلوة الأنفاس*. وإليه ينسب درب خُلوف بفاس من حومة الكدان.

ابن **خَنُّوسة، عبد الخالق** بن عبد الرحمن المصمودي الفاسي، وصفه صاحب *بيوتات فاس* بـ "الفقيه القاضي الخطيب" تولّى قضاء مدينة فاس سنة 563 أيام يوسف بن عبد المومن. ومعلوم أن هذا الخليفة لم يكن يعيّن في مثل هذا المنصب من الفقهاء إلاّ من تنكّر للمذهب المالكي وأبدى استعداداً لاستخراج الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة. ولا تعرف سنة وفاة المترجم.

ابن **خَنُّوسة، عبد الرحمن** المصمودي الفاسي، حلاّه في *الجذوة* بـ "الشيخ الإمام الفاضل كان خيراً ورعاً زاهداً ديناً ذا أوصاف جميلة" نقل الكتاني عن مؤلف *المستفاد* أن عبد الرحمن هذا باع غلة جنان له بسوم وأخذ من المشتري عربوناً على أن يكون بالخيار تلك الليلة ليرى رأيه في إنفاذ البيع أورده. وفي الغد جاء من زاده ستين ديناراً أو أكثر على القيمة الأولى، فبعث ابن خنوسة للمشتري الأول يخبره أنه أُعطي زيادة وقال : إن شئت أن تمسك جنانك بالثمن الأول فافعل، وإن أردت أن تأخذ الزيادة فهي لك، لأني البارحة أنفذت لك البيع بقلبي، فأخذ المشتري الأول الزيادة وأخذ الشيخ الثمن الأول. لا يعرف تاريخ وفاة المترجم.

ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، الرباط، 1974، ج 2 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 1300، ج 3.

محمد حجي

**الخَنّوسي**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني خنوس الصنهاجية، وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 643.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخنيشات** (قرية على ضفاف ورغة) ← سيدي **قاسم** (إقليم -)

**خنيشيش**، محمد بن أحمد، كان قائداً من قواد "المسخرين" في عهد السلطان عبد الرحمن بن هشام. ثم عين في عهد ابنه السلطان محمد الرابع قائداً للمائة على فرقة الجيش البخاري التي كانت ترابط بقصبة تمارة عضداً لخليفة السلطان بمدينة الرباط. ثم عين باشا للمدينة خلفا للباشا المتوفى الحاج المجذوب بن الغنيمي، وظل بمنصبه هذا إلى أن توفي فعين مكانه ابنه إدريس، ولا يُعرف لوفاته تاريخ محدد.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص 571.

رقية بلمقدم

**الخنيف**، لباس خارجي يرتديه الذكور في مرتفعات جبال الأطلس الكبير والصغير ويسمونه "أخنيف" بالأمازيغية، وهو شبيه بالسلهام الذي يسود في جبال الأطلس المتوسط ويدعى "أخيدوس" لكنه أثقل منه وأمتن ويختلف عنه في بعض الجزئيات.

يعرّفه دوڤيردان (Deverdun) في *الموسوعة الإسلامية*، وهو بصدد الحديث عن لباس قبيلة أگلاوة، بأنه "عبارة عن برنس أسود من صوف ثقيل منسوج قطعة واحدة تتوسطه من الخلف دائرة بيضاوية الشكل ذات لون برتقالي أو أحمر".

وقد كان الخنيف رداء سميكا مخصصاً لفصل الشتاء يحتمي به الشخص من البرد والأمطار والثلوج فكان يندمج

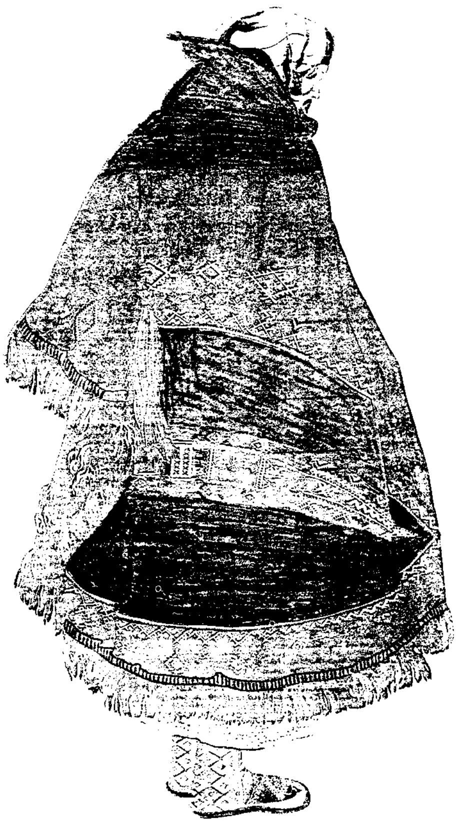

في نسجه شعر الماعز وصوف الأغنام، وكانت شدة ذلك سداه بلحمته من أكبر مقاييس جودته حتى لا تسمح خرقته للمياه والثلوج فضلاً عن البرد القارس بالتسرب من بين ثناياها واختراقها.

ويشهد المغاربة والأجانب على السواء بأن ارتداء الخنيف كان سائد الانتشار في جبال الأطلس الكبير والصغير وسوس. فقد لاحظ شارل دوفوكو (Ch. de Foucauld) أثناء تجوله بالمغرب في نهاية القرن التاسع عشر انتشار هذا النوع من اللباس ابتداء من دمنات. وبعد أن أشار الرحالة المذكور إلى أن لباسه في فصل الشتاء كان عاما، حيث كان يرتديه الذكور أطفالاً وكباراً واليهود والمسلمون، أكد عند تجاوزه لجبال الأطلس الكبير بأن ارتداءه يتعدى دمنات ليشمل كل القبائل المجاورة لها ويسود انتشاره في أكلاوة وجبال الأطلس الصغير وسوس ودرعة. وهذا أمر أدركه محمد المختار السوسي في سوس والأطلس الصغير في مُطلع القرن العشرين وسجله بقوله : "والذي أدركنا عليه الناس عام 1323 / 1905 [أنهم] كانوا يلبسون الخنيف في الشتاء، وهو يستورد من أزانيف مكان في الأطلس الكبير الموالي لسوس ... وقد لبست أنا، ما شاء الله، خنيفة غليظة محمر وراءها مما يقابل مقعدة الإنسان". ويقول الحسين التامكونسي التناني السوسي في نفس الفترة تقريباً بأنه كان على عكس ما تداوله قومه أول من لبس الجبة (الجلباب) فيهم، فقد كانوا فيما سلف "لا يلبسون إلا القمص والأردية والخنائف الغليظة السوداء في البرد في هذه البلاد". أما في قلب الأطلس الكبير فكان ارتداء الخنيف في فصل الشتاء شيئاً عادياً بالنسبة للذكور، يقول في ذلك بول شاتنيير (P. Chatinieres) بأن "سكان آيت الربع المقيمين قرب قصبة تلواث في قبيلة أكلاوة كانوا يلبسون الخنيف رجالاً وأطفالاً يتقون به البرد القارس وتهاطل الأمطار والثلوج".

وكانت أكبر مراكز إنتاج الخنيف في الأطلس الكبير والصغير وسوس هي وزكيتة وآيت سمگن وآيت وعرضة وتازناخت. في هذه المناطق كانت رحاب الأسواق الأسبوعية لا تكتمل إلا بالجناح المخصص لبيع الخنائف. وأكبر سوق لهذه الأردية كان في نهاية القرن التاسع عشر هو سوق تازناخت الذي كان ينعقد كل يوم خميس. وأكد دوفوكو بأن قرية تازناخت كانت قد تخصصت في صناعة الخنائف واشتهرت بذلك وكان سكانها في معظمهم يشتغلون بإنتاجها، فاعتبرها بالمقارنة مع غيرها أكبر موطن في المغرب لإنتاجها مضيفاً في آن واحد بأنها كانت أيضاً من أكبر مراكز إنتاج الجلباب والخيدوس وأكبر مركز للتبادل التجاري في مجال المنسوجات بالنسبة لقبائل آيت واوزگيت.


م. م. السوسي، *المعسول*، ج. 1 وج.15، الدار البيضاء، 1960.

R. Heninger, *Notes sur l'Akhnif*, *C.A.T.A.N.*, n° 7, année 1974 ; J. Mercanton, Bernard Rouget, *Maroc, terre et ciel*, Lausanne 1954 ; P. Chatinières, *Dans le Grand Atlas*, Paris, 1919 ; Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc 1883 - 1884*, Paris 1888 ; D. Madras, *Au sud de l'Atlas*, Casablanca 1950 ; G. Deverdun, *Glaoua*, *E.I.*, tome 2, p. 1142.


محمد بوسلام

**خنيفرة**، مدينة بالأطلس المتوسط. تتضارب الروايات الشفوية في أصل كلمة خنيفرة، فهناك من يزعم أنها مشتقة من اسم "مُوخَنْفور" وتعني بالأمازيغية صاحبة الأنف الضخم، وهو علم لامرأة كانت تسكن المنطقة التي أسست فيها مدينة خنيفرة، ومنها من يعتقد أنها مشتقة من فعل "خَنْفَرْ" أي خُذْ بشدة، يقال "خَنْفَرْ أركاز"، خذ الرجل بشدة.

ومهما يكن من أمر فقد أسس مدشر خنيفرة - حسب ما ذكره René d'Abré بعد بناء القنطرة على نهر أم الربيع، من قبل السلطان مولاي إسماعيل، تسهيلاً للمواصلات بين القصبات العسكرية في الأطلس المتوسط، وبين منطقة تادلا، في حين يعتقد François Berger أن المدشر كان موجوداً على الضفة الأطلنتيكية للنهر، قبل بناء القنطرة.

والمهم من هذا كله أن المدشر أسس في منطقة استراتيجية هامة، حيث يقع على ممر "طريق السلاطين" الرابطة بين عاصمتي فاس ومراكش، عبر تادلا من جهة، وبين تافيلالت والسهول الداخلية والأطلنتكية من جهة أخرى. وفضلاً عن موقع مفترق الطرق هذا، فإنه يتوسط مجموعة من القبائل المنتمية إلى اتحادية زيان، وكلها قبائل رحل تتخذه ممراً في حركاتها الانتجاعية بين الجبل و"الأزغار"، الشيء الذي جعل هذا المدشر محط أنظار أسرة موحا وحمو. ففي سنة 1860 انقض عليه أبو هذا الأخير وطرد منه أيت عفى، وفرض الرسوم على التجار والمنتجعين، وقد مكنته هذه الموارد من بناء قصبته الشهيرة على الضفة اليسرى لأم الربيع، كما مكنته من فرض نفسه أمغاراً (رئيس الجماعة) على قبائل زيان.

غير أن عمارة المدينة لم تبدأ إلا بعد تعيين موحا وحمو قائداً على قبائل زيان عام 1886، من قبل السلطان مولاي الحسن. فبعد أن عمل القائد على استتباب الأمن في المنطقة كلها، وإخضاع القبائل لسلطة المخزن، خطط لبناء خنيفرة على الضفة اليمنى للنهر وهكذا أعدَّ سوقا تجارية في مكان عال، ينعقد مرتين في الأسبوع، ثم قام ببناء مائة وثلاثين حانوتا، خصص ثلاثين منها لقيصارية تباع فيها السلع النفيسة، كالذهب والحرير، كما أنشأ ثكنة عسكرية لإسكان الجيش الذي زوده به السلطان.

وانطلاقا من هذا المركز عرفت المدينة، بسبب تزايد السكان وتوافد التجار، نمواً مطرداً حيث ظهرت أحياء تحمل أسماء الأقاليم والمدن التي جاء منها هؤلاء التجار. فهناك مثلاً حي الصحراويين الذين تخصصوا في الدباغة

وبيع التمور، وهناك الفاسيون الذين استقروا في القيصارية، والسوسيون الذين تخصصوا في البقالة ... الخ. يضاف إلى ذلك بناء فروع لمعظم الزوايا الموجودة في المغرب، كالتجانية، والشرقاوية، والعيساوية، والكتانية، والدرقاوية ... الخ.

وقد ازداد ازدهار المدينة وتعددت وظائفها بعد زيارة القائد موحا وحمو لفاس في نهاية القرن الماضي. فقد استقطب عدداً من التجار والصناع والعلماء الذين استوطنوا خنيفرة، وجعلوا منها مدينة متكاملة المرافق، بلغ عدد ساكنتها بضعة آلاف نسمة، قبل الاحتلال الفرنسي.

ولهذه المدينة ماض مجيد في مقاومة الاستعمار الفرنسي. فما أن وطئت اقدام الغزاة أرض الشاوية عام 1907 حتى تحولت خنيفرة إلى قاعدة للجهاد. فمنذ هذا التاريخ والمقاتلون الزيانيون يناوشون القوات الفرنسية على هضاب تامسنا، وفي بلاد السماعلة، وسهول تادلا، وعلى مشارف سهول سايس، ويعرقلون استثمار هذه الأراضي من قبل المعمرين الأجانب، وقد لاحظ برنار بحق "أن تنمية السهول والهضاب الواقعة على الضفة اليمنى لنهر أم الربيع غير ممكنة دون القضاء على كتلة زيان". ولهذا فكر ليوطي مبكراً في الاستيلاء على خنيفرة، لا من أجل ربط الاتصال بين جنوبي البلاد وشرقها فحسب، بل كذلك من أجل كسر شوكة المقاومة الزيانية التي كانت تحول دون إتمام "تهدئة" ما كان يسمى "بالمغرب النافع". وقد أنيط بمهمة الغزو الجنرال هنريس.

وفي بداية يونيو 1914، بعد أن فرغت الإدارة الفرنسية من السيطرة على ممر تازة (مايو 1914) تحركت الفرق المتنقلة (groupes mobiles) صوب خنيفرة.

فمن الغرب تحركت الفرقة المتنقلة لتادلا، تحت قيادة الكولونيل Garnier Duptessis (3 كتيبات، وسريتان، ومدفعيتان). ومن الشرق تحرك جيش من مكناس تحت قيادة الكولونيل Claudel (3 كتيبات ونصف و 3 سرايا و3 بطاريات مدرعة) عبر طريق وادي إفران، مريرت، تكط، خنيفرة. ومن الشمال تحركت الفرقة المتنقلة لمدينة الرباط بقيادة اليوتنان كولونيل Cros (3 كتيبات ونصف، وسريتان، ومدفعيتان).

أمام هذه القوات الهائلة التي بلغ مجموعها 13.364 جندياً و 358 ضابطاً استنفر القائد موحا وحمو قبيلته عن بكرة أبيها، وواجه الغزاة في عدة معارك : في ضاحية مولاي بوعزة (مايو 1914)، وعلى وادي إفران، وفي منخفض مريرت وضاحية خنيفرة (6 .7 .8 .9 يو نيو 1914). كما دارت معارك طاحنة على أبواب خنيفرة، وصفها الضباط الفرنسيون بأنها كانت من أعنف المعارك التي خاضوها منذ وصولهم للأطلس المتوسط. واستناداً إلى وثائق Château de Vincennes ووزارة الخارجية الفرنسية، فإن القوات الغازية تكبدت خسائر فادحة.

وفي يويم 12 جوان 1914 تمكنت الجيوش المهاجمة من دخول خنيفرة بعد أن غادرها سكانها الذين توجهوا نحو الجبال المجاورة لإعادة تنظيم المقاومة المسلحة.

René d'Abré, *Moha ou Hamou, Chef zaian*, *revue France - Maroc*, n° 81, 1923, p. 148 - 151 ; F. Berger, *Moha ou Hamou le zaiani, ou un royaume berbère contemporain au Maroc*, Marrakech, 1929 ; A. Bernard, *Le Maroc*, Paris 1932 ; J. Pichon, *El Herri*, Paris, 1936 ; *Rapport d'opération en pays zaian*, 20 juin 1914, AMG 585 ; Rapport n° 882, Lyautey à diplomatie, Tadla 7 octobre 1914, Carton n° 56, AAE 1584 - 5.

محمد بن لحسن

* * وفيما يخص الجغرافيا : تقع مدينة خنيفرة عند قدم الأطلس المتوسط الهضبي على ارتفاع حوالي 830 م، يخترقها نهر أم الربيع، وتبعد إلى الشمال الشرقي عن قصبة تادلة بحوالي 100 كلم على الطريق الرئيسية في اتجاه مكناس.

ليس لمدينة خنيفرة تاريخ عريق. ذلك أن نواتها لم تشكل إلا في القرن 17 و على شكل مدشر يقطنه "أيت بوحدو"، وبدأت عمارتها منذ 1877 حينما استقر بها حوالي 4215 من جنود السلطان المولى الحسن الأول. واكتسبت المدينة أهميتها من موقعها الاستراتيجي بين تادلة والأطلس المتوسط وعلى الطريق الرابطة بين مكناس/فاس ومراكش عبر دير الأطلس. نشأت المدينة وتوسعت حول قنطرة مهمة تربط بين ضفتي نهر أم الربيع، وخاصة في فصل الشتاء حيث يرتفع صبيب النهر. وإذا كانت المصادر المغربية الكلاسيكية لا تشير إلى هذه المدينة بقدر إشارتها إلى قبائل المنطقة كزيان وأيت إشقرن... فإن معنى كلمة "خنيفرة" غير معروف.

واكتسبت مدينة خنيفرة شهرتها من المقاومة الشرسة التي قامت بها قبائل المنطقة وخاصة "زايان" بقيادة "موحى وحمو الزاياني"، واحتلت المدينة من طرف الجيوش الفرنسية في يونيو 1914. وفي 13 نوفمبر من نفس السنة سحقت قوات قبائل المنطقة الجيوش الفرنسية بموقعة "الهري" قرب خنيفرة. خلال هذه السنة كان عدد القاطنين بخنيفرة، إضافة إلى الأسر الزيانية، 1230 أسرة من أصول جغرافية مختلفة، توزع بعضهم على الشكل التالي :

| | |
|---|---|
| فاسيون | 200 |
| سوسيون | 80 |
| صحراويون | 300 |
| تادليون | 230 |
| سراغنة | 90 |
| بني احسن | 40 |
| بواخر وشراردة | 200 |

وعرفت المدينة عدة تحولات اقتصادية واجتماعية... بفعل تأثير نظام الحماية. أما وضعيتها الإدارية فتطورت

حسب تقدم العمليات العسكرية. ففي سنة 1921 كانت خنيفرة دائرة تراقب مباشرة قبائل زيانية كأيت سعيد وأيت بومزيل وأيت حد وحمو... وتراقب في نفس الوقت مكاتب استعلامات بكل من "مزغوشن" و"سيدي لمين" و"مولاي بوعزة" و"أيت إسحاق". أما في سنة 1936، فأصبحت المدينة عاصمة لإقليم الأطلس المتوسط وتشكل في نفس الوقت عاصمة دائرة زيان، ومركز المكتب للشؤون الأهلية.
وتوزع سكانها البالغ عددهم 4850 نسمة كالتالي :

| | |
|---|---|
| مسلمون | 4.735 |
| يهود | 82 |
| أجانب | 33 |

وفي سنة 1937، كانت المدينة مركز ملحقة زيان، إقليم الأطلس المتوسط، تراقب المدينة قيادتين كبيرتين لقبائل زيان، بساكنة قدرت بـ8221 أسرة، سكنت منها مدينة خنيفرة 1069 أسرة.

خنيفرة اليوم عاصمة لإقليم تابع لجهة مكناس - تافيلالت تتوزع تنظيماته الإدارية كما يلي :
3 دوائر، و12 قيادة، و3 جماعات حضرية، و جماعة قروية.
وفيما بين 1971 و1994، عرفت المدينة والإقليم عدة تطورات على مستوى الساكنة والمساحة :

| | 1971 | 1982 | 1994 |
|---|---|---|---|
| المساحة | 11.115 كلم2 | 12.320 كلم2 | 12.320 كلم2 |
| السكان | 281.964 ن | 363.716 ن | 465.061 ن |
| الكثافة | 25،3 ن/كلم2 | 29،52 ن/كلم2 | 37،74 ن/كلم2 |
| الحضريون | 60.270 ن | 130.862 ن | 219.168 ن |
| القرويون | 221.937 ن | 232.654 ن | 245.893 ن |
| بلدية خنيفرة | - | 38.840 ن | 60.835 ن |

ويتوزع استعمال أراضي الإقليم كما يلي :

| | | |
|---|---|---|
| غابات | 526.000 هكتار | ٪39،20 |
| مراعي وأراضي غير زراعية | 495.000 هكتار | ٪36،90 |
| أراضي زراعية | 320.000 هكتار | ٪23،90 |

أما الملكيات العقارية فتتميز بالتنوع واختلاف نسبها:

| | |
|---|---|
| الملكية الخاصة | ٪39،62 |
| ملكيات جماعية | ٪14،60 |
| أراضي الدولة | ٪45،49 |

ويستغل المجال الزراعي في زراعات مختلفة حسب النوع والمساحة المخصصة لها :

| | |
|---|---|
| قمح طري | 71.200 هكتار |
| قمح صلب | 48.800 هكتار |
| شعير | 28.200 هكتار |
| بقليات | 6.130 هكتار |
| خضر | 5.350 هكتار |

ويتوفر الإقليم على عدد مهم من رؤوس المواشي :

| | |
|---|---|
| أغنام | 836.000 رأس |
| ماعز | 271.000 رأس |
| أبقار | 79.600 رأس |
| خيول وبغال | 67.831 رأس |

وتحتل الغابات مساحات مهمة، تختلف فيما بينها من حيث الموقع ونوع الأشجار :

| | |
|---|---|
| البلوط الأخضر | 256.750 هكتار |
| حلفاء | 150.000 هكتار |
| الأرز | 65.150 هكتار |
| أشجار عصفية | 11.680 هكتار |
| عرعر | 11.100 هكتار |
| البلوط الفليني | 11.380 هكتار |
| أنواع أخرى | 20.000 هكتار |

ويتوفر الإقليم على معادن متنوعة، قدمت سنة 1990، 12.000 طن من الرصاص و2.600 طن من الزنك و3.900 طن من البارتين... كما توجد بالإقليم صناعات وحرف مختلفة، تشغل عدداً مهما من الحرفيين :

| الفرع | عدد المشغلين |
|---|---|
| النسيج | 6.600 |
| الخشب | 3.300 |
| الجلود | 1.210 |
| الخزف | 600 |
| المناجم | 440 |

ونظراً لموقع الإقليم، ولما يتوفر عليه من إمكانيات سياحية، فقد زاره - مثلاً - سنة 1994، 13.890 سائحاً، توزعوا من حيث جنسياتهم كالتالي :

| مغاربة | 5.443 |
|---|---|
| فرنسيون | 1.613 |
| إيطاليون | 1.013 |
| إسبان | 949 |
| هولنديون | 425 |
| سويسريون | 394 |

وتخترق الإقليم 311 كلم من الطرق الرئيسية و116 كلم من الطرق الثانوية أما الطرق الثالثية فتصل مسافتها إلى 10.85 كلم كما يتوفر الإقليم على عدة مصالح ومؤسسات اجتماعية، ففي مجال الصحة مثلاً، بلغ عدد المراكز الصحية : 16 مركزاً بينما وصل عدد المستوصفات إلى 36. وبلغ عدد الأطباء العموميين 56 طبيباً بينما بلغ عدد العاملين في القطاع الصحي 615 موظفاً. وبلغ عدد التلاميذ الحضريين في التعليم الأساسي : 33.036 تلميذاً في حين لم يتعد عدد التلاميذ في المجال القروي : 20.291 تلميذاً.

أ. بلقاسم المنصووي الزياني، *تاريخ بلدة خنيفرة*، تح. محمد أمحزون، الدار البيضاء، 1986 ؛ فرانسوا بيرجي، موحى وحمو *الزياني*، 1877 - 1921، تر، وتعليق، محمد بوستة، فاس، 1999، *منوغرافية إقليم خنيفرة*، عمالة إقليم خنيفرة، 1997.

A. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central, 1912 - 1933*, Paris, 1946 ; S. Guennoun, *Les voix des mots, Mœurs de guerre berbères*, Rabat, 1934.

صالح شكاگ

**خنيفيس**، صيغة تُطلق على القسم الأرضي الفاصل بين الرجل البحرية والساحل الأطلسي المحاذي للصحراء الموازي للجزر الخالدات وهي بحيرة طبيعية يطلق عليها محلياً اسم "النعيلة". (انظر النعيلة).

مصطفى ناعمي

**الخواجة**، محمد بن حمادي مقاوم وُلد سنة 1933 بدوار انحناحن ملحقة أجدير دائرة أكنول بإقليم تازة.

انخرط في صفوف جيش التحرير غداة انطلاق العمليات الأولى في أكتوبر 1955. وقد عمل ضمن الوحدة التي كان يرأسها محمد بن علال وشارك في الهجوم على مركز بوريد الذي أبان فيه عن قدرة هائلة في النضال إلى أن استشهد في نفس الهجوم وذلك بتاريخ 1 أكتوبر 1955.

المندوبية السامية للمقاومين رأعصاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، ج. 4.

**الخوارج بالمغرب**، ذكر البكري سبب ظهور مذهب الخوارج بالمغرب فقال : "إن عمر بن عبيد الله المرادي عامل طنجة وما والاها أساء السيرة وتعدّى في الصدقات والعشر وأراد تخميس البربر وزعم أنهم فيء المسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله (...) فكان فعله الدميم سببا لانتقاض البلاد ووقوع الفتن العظيمة المؤدية إلى كثير القتل في العباد، نعوذ بالله من الظلم الذي هو وبال على أهله (...) فثارت البرابر بالمغرب الأقصى، فكانت أول ثورة فيه وفي افريقية في الإسلام".

قام ميسرة المضغري الملقب بـ "ميسرة الحقير"، فشكل تحالفا ضم كلا من قبائل مضغرة ومكناسة وبرغواطة، وأغلبهم على مذهب الصفرية، وقليل منهم إباضيون. واتفقوا جميعا على الخروج عن الطاعة، وقلّدوا ميسرة مسؤولية قيادة جيش لقتال عاملي طنجة وسوس.

وفي معركة دارت رحاها بأحواز طنجة عام 122 / 739، لقي عمر بن عبيد الله المرادي حتفه وتشتّت جنده بين مستسلم لميسرة وفارّ إلى الأندلس عن طريق سبتة.

عندئذ ولّى ميسرة على طنجة من قبله عبد الأعلى بن جريج الإفريقي، وهو من العلوج مولى سابق للعرب، واعتنق مذهب الصفرية.

ذاع صيت ميسرة في المغرب والمشرق، وشجّع المترددين من البربر على التمرد، وبايعه برابرة المغرب وخاطبوه بأمير المؤمنين. والمعروف أن الخوارج لا يشترطون في أمير المؤمنين أن يكون من آل بيت الرسول (صلعم) ولا من قريش ولا من أية قبيلة عربية.

كان لهذه الثورة أثر عميق في الزمان والمكان، إذ انتشرت النحلة الخارجية في جميع أرجاء المغرب وتبنتها سائر القبائل وأجمع الكل على نقض أمر خلفاء المشرق، أما عامل طنجة الجديد، ابن جريج الإفريقي، فإنه تعجل في تصفية آل المرادي، فقاد جيشا إلى سوس لمجابهة عاملها إسماعيل بن عبيد الله المرادي. وفي المعركة الحامية ذاق ابن جريج مرارة الهزيمة وعاد إلى طنجة.

انتشى ميسرة بلقب أمير المؤمنين، فاستبدّ بالأمر وطغى بدوره على الناس، وحكم السيف في أعناقهم، فتكالب القوم عليه واعتقلوه ثم قتلوه، ونصبّوا مكانه خالد بن حميد الزناتي الذي بعدما استتبّ له الأمر، ذهب إلى سوس وحارب إسماعيل بن عبيد الله، فقتله وشرّد جنوده.

انتقلت بعد ذلك ثورة الخوارج المغاربة إلى الأندلس، فتعاطفوا مع أهل العدوة وأعلنوها ثورة على حاكم الأندلس محمد بن عبد الله الأشجعي.

أرسل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، عبد الله بن الحبحاب واليا على القيروان وسائر بلاد المغرب والأندلس. وبمجرد ما نزل الوالي الجديد بالقيروان، عبّأ جيشا يضم أشراف العرب الذين رافقوه وبعثه بقيادة خالد بن حبيب الفهري، أحد أحفاد عقبة بن نافع، لقتال المتمردين وصدهم

عن الخارجية. "فالتقى خالد بالبربر، فكان بينهم قتال شديد. فبينما هم كذلك، إذ غشيهم خالد بن حميد الزناتي من خلفهم بعسكر عظيم، فتكاثرت عليهم البربر. فانهزم العرب وكره خالد بن حبيب أن يهرب. فألقى بنفسه وأصحابه إلى الموت، فقتل ابن حبيب ومن معه حتى لم يبق من أصحابه رجل واحد، فقتل في تلك المعركة حماة العرب وفرسانها وكماتها وأبطالها. فسميت الغزوة "غزوة الأشراف"، وانتقضت البلاد" (ابن عذاري).

أقال الخليفة هشام ابن الحبحاب وولّى مكانه على المغرب كلثوم بن عياض القشيري الذي امتدّت صلاحياته إلى الأندلس أيضاً، وأمدّه بجيش يتألف من مصريين وشاميين وإفريقيين وغيرهم، عدده سبعون ألف رجل على وجه التقريب.

وأقبل كلثوم إلى القيروان غازيا قامعا كل معارض وكل داع للخارجية. وكان عيونه يخطؤون ويتجاوزون حدود ما أُمروا به، فلحقت الإساءة بالعرب والبربر على السواء، لأن أغلبهم باتوا متهمين بالخروج عن الطاعة. واشتكى أهل القيروان منه إلى أحد أحفاد عقبة اسمه حبيب ابن أبي عبيدة الفهري، كان يقيم غير بعيد من وجدة، في مكان قريب مما سيصبح يسمّى تلمسان. والرجلان يعرف كل منهما الآخر، وكان حفيد عقبة يحظى بتقدير البربر واحترامهم، تمجيداً لجده وتكريما له. فكتب حبيب إلى كلثوم ينهاه عما هو عليه من استبداد، فأوهم الناس أنه تراجع عن سياسته الاضطهادية، ثم استخلف على القيروان عبد الله ابن عقبة وزحف في جموع جيشه - يساعده ابن عمه بلج بن بشر القشري - والتقى في الطريق بحبيب بن عبيدة، فوقعت بينهما مناقشة حادة وخصام، ثم أصلحا ذات بينهما، وقصدا المغرب الأقصى معاً. ولما بلغا ضفاف نهر سبو، تصدّت لهما قوات خارجية بقيادة خالد بن حميد الزناتي. فانهزم جيش كلثوم وقتل هو وحليفه حبيب بن عبيدة.وذلك عام 124 / 741. وعلى إثرها رحل بلج وعدد من الذين نجوا إلى الأندلس عن طريق سبتة في انتظار النجدة.

عين الخليفة الأموي حنظلة بن صفوان الكلبي واليا على القيروان، وما أن استقر هذا الأخير بدار إقامته، حتى هاجمته فلول من الخوارج، ينتسبون إلى هوارة - أولاد هوار ابن أوريغ بن برنس - لكنه هزم أفراد الجماعة بموقع يسمى القرن على مقربة من القيروان، بعد قتال شديد قتل فيه عدد كبير من البربر، منهم زعيم لهم اسمه عبد الواحد بن يزيد الهواري. أما رئيسهم عكاشة بن أيوب الفزاري فقد أسر ثم قتل.

وفي خضمّ هذه الاضطرابات اجتمعت قبائل مكناسة على الصفرية وأكدوا مرة أخرى رفضهم الطاعة للولاة العرب، وولّوا عليهم عيسى بن يزيد الأسود وهو من موالي العرب وأحد رؤوس الخوارج، سنة 140 / 757. فأسس مدينة سلجلماسة وأقام بها دولة بني مدرار. وبقي عيسى يسوس قومه مدة 15 سنة، ثم اعتقلوه وقتلوه سنة 155 / 771، وبايعوا شيخا منهم يدعى أبا القاسم بن سمكو بن واسول المكناسي الصفري كان أبوه سمكو قد ارتحل إلى الشرق وتتلمذ على عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس. وذكر ابن خلكان، في *تاريخه*، وابن حجر في *تهذيب التهذيب*، أن عكرمة كان بربري الأصل من أكبر الداعين للبدعة الخارجية. وكان أبو القاسم المذكور حاكما على ملسية بالمغرب الأوسط، وكان صفريا. وطالت إمارته زهاء اثنتين وعشرين سنة. وبعد وفاته، خلفه ابنه إلياس الذي كان يلقب بالوزير.

هكذا بقيت الإمارة الصفرية بيد بني مدرار إلى عام 309 / 922 حيث تسلل إلى سجلماسة مبعوث شيعي هيأ دخول جيش فاطمي بقيادة مصالة بن حبوس الكتامي وقبل أمير سجلماسة يومها، محمد بن بسادر بن ميمون، الانسلاخ عن الصفرية واعتناق التشيّع. لكنه ارتدّ عنه بعد ذهاب جيش الفاطميين واستأنف تمسكه بالصفرية، وبقي على هذه الحال زهاء عشرة أعوام، اختارخلالها لنفسه لقب المعتز بدين الله. وتعاقب أبناؤه على رأس الدولة، إلى أن آلت الأمور إلى أحدهم يدعى محمد بن الفتح بن ميمون، الملقب بالأمير، فرفض المذهب الخارجي وأعلن ولاءه لبني العباس ورجوع إمارته إلى السنة، وتلقب بالشاكر لله وضربت السكة بهذا الاسم، فأصبحت الدراهم الشاكرية هي المتداولة بسجلماسة وأعمالها.

وبعد سنوات قليلة، تدخّل الفاطميون من جديد في جميع مناطق المغرب الأقصى، لكن المغاربة أجمعوا أمرهم ورجعوا قاطبة إلى السنة، وانتهى أمر بني مدرار ومن صار على نحلتهم الخارجية.


أ. البكري، *كتاب المسالك والممالك* ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب* ؛ ابن حجر، *تهذيب التهذيب* ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة والعبر*، ج. 1 وج. 2 ؛ أ. الناصري ، *الاستقصا*، ج. 1.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, t. 1 ; G. Marçais, *L'Afrique du Nord dans l'histoire* ; H. El Wazzan, *Description de l'Afrique*, t. 2.


أحمد بنجلون

**الخواطرية**، طائفة صوفية عرفها J. Spencer Trimingham بأنها فرع من الميمونية، وأنها تأسست بالشام على يد محمد بن علي بن عراف (ت. 933 / 1526) تلميذ الشيخ علي بن ميمون الغماري الفاسي (ت. 917 / 1512)، وأنها تنسب إليه فتعرف أيضاً بالعراقية. وجعلها Louis Massignon فرعاً من المدنية، نشأت بالحجاز على يد نجله علي بن محمد بن عراق (ت. 963 / 1556). هذا ولم يشر باحث من قبل إلى الخواطرية التي عرفها تاريخ التصوف المغربي أيضاً، والتي تسللت إليه من الميمونية بالذات، وفي تاريخ مبكر من القرن العاشر (16م) واستمرت إلى هلم جراً.

ونعتقد أن الخواطرية التي ظهر بها بيت العراقيين بالشام والحجاز، والخواطرية التي دخلت المغرب كلها فروع انبثقت عن أصل واحد هو الخواطرية ـ الميمونية. ويعضد هذا الاعتقاد تشعب أسانيد الخواطرية المغاربة في هذه الطريقة، وتعدد الوسائط التي يتصلون عن طريقها بالشيخ ابن ميمون. وقوامها أعلام الطبقة الأولى من أتباعه، وهـم ـ بالإضافة إلى ابن عراق المذكور ـ علي بن علوان الحموي (ت. 936 / 9، 1530)، وعلي بن أحمد الكيزواني (ت. 955/ 8، 1549)، ووالد أيوب الأحدب. ويؤيد القول بنسبة الخواطرية إلى الشيخ الغماري رأساً، وأن الاختصاص بعلم الخواطر شكل أحد أركان الطريقة الميمونية، إشارة محمد بن عسكر (ت. 986 / 1578) في الترجمة التي عقدها لابن ميمون من فهرسته *دوحة الناشر* إلى إقباله على العبادة بالفكرة منذ خطواته الأولى على درب علم الباطن، وقبل أن يتوجه إلى المشرق. وأيضاً بعض الأقوال التي أوردها محمد نجم الدين الغزي (ت. 1061 / 1651) لابن ميمون، في الترجمة الحافلة التي خصه بها من كتابه *الكواكب السائرة* والتي تتصل اتصالاً وثيقاً بعلم الخواطر.

وعلم الخواطر علم قائم بذاته، اختلف فيه الصوفية اختلافاً كثيراً، واعتنت به مصادر التصوف وغيرها. ونذكر منها *قوت القلوب* لأبي طالب المكي، *والتعرف لمذهب أهل التصوف* للكلاباذي، *والرسالة* للقشيري، *والفتوحات المكية* لابن عربي، *والمقدمة* لابن خلدون، *وقواعد التصوف* لزروق، وغيرها. ولا نعرف أحداً قبل الشيخ ابن ميمون اتخذ من هذا العلم طريقا ومنهجا، وجمع ما تفرق من أصوله في بطون الكتب من معرفة الخواطر والكشف عنها وتمييز أقسامها والتفصيل فيها، وجعلها مذهب طائفة اختصت بالواردات من الخطاب على القلب والضمير، وما يخطر فيهما من أمر أو تدبير.

وإذا بحثنا في الممهدات التاريخية بهذا الاسهام المغربي في تاريخ التصوف الإسلامي، فلابد من اعتبار تاريخ انتقال ابن ميمون من بلدة شفشاون إلى فاس، وهو عام 887/ 2، 1483. وملاحظة قربه من تاريخ مغادرة الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1493) للحاضرة الوطاسية عام 883 / 8، 1479، وقد خلف بها كتاب *قواعد التصوف* الذي فرغ من تأليفه في العام الذي قبله، والذي يعد فاتحة عهد جديد في تاريخ التصوف المغربي، اتسم بالحيوية الفكرية ونشدان الحرية والتجديد في إطار مبدأ الاستحسان، شرط التقيد بالكتاب والسنة. ويتضمن هذا الكتاب أصول العديد من المذاهب الصوفية العريقة، والتي تم احياؤها خلال القرن العاشر (16 م) على يد مشايخ الطبقة الزروقية الأولى، مثل الملامتية والبسطامية. كما يتطرق إلى علم الخواطر، ويفرد له القاعدتين رقم (174) و(191). وفيهما يجعل زروق تمييز الخواطر من مهمات أهل المراقبة لنفي الصوارف عن القلوب ويقول بلزوم الاهتمام بالخواطر لمن له أدنى قدم في الطريق. ويحصر أقسامها في أربعة : رباني وملكي ونفساني وشيطاني، ويعرفها ويبين الفروق بينها، ومكانها من القلب، ويوضح ما يعقبها من أحوال، ويخلص إلى أن تحقيقها إنما يتم بالذوق. ولا يتسع المقام لتتبع كل ما يتصل بهذا العلم في المتوفر من التراث الضخم الذي خلفه الشيخ أحمد زروق، والذي حفل بالدعوة إلى التفكر والتدبر في أحوال الدنيا والآخرة.

ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد أيضاً هو عدم انتساب علي بن ميمون إلى أي أحد من مشايخ التصوف بالمغرب بوجه عام وبفاس بوجه خاص، على الرغم من استقراره بها أربعة عشر عاماً إلى حدود عام 901 / 5، 1496. وأنه اقتصر على الأخذ عن الإمام ابن غازي (ت. 919 / 3، 1514)، وأهل طبقته من أهل العلم الظاهر، حتى أدرك المشاركة في الفنون كلها. وأول شيخ صوفي صحبه هو عرفة القيرواني، والذي أرسله إلى الشيخ أحمد التوزري الدباسي ويقال التباسي (ت. 930 / 3، 1524). وهو الذي خرج عليه وهو عنده، فوجده ينظر في *الرسالة القشيرية*، فقال له : "اطرح كتابك، واحفر في أرض نفسك يخرج لك ينبوع، وإلاّ فاذهب عني". فطرحه وأقبل على الفكرة وطريق المحاسبة، ومن عنده توجه إلى المشرق.

وهروع ابن ميمون على أثر الشيخ زروق في حسبته على فقهاء وصوفية البلاد المشرقية واضح وضوح النهار لا يحتاج إلى دليل، وتكاد حركته أن تكون امتداداً للحركة الاصلاحية الزروقية ببلاد الشام والأناضول. وفيها بعض الأصول الزروقية من النهي عن الدخول بين العوام والحكام، والانتصار لابن عربي الذي كان لابن ميمون اعتقاد زائد فيه، وغير ذلك مما لا يسمح المجال للتوسع فيه. وتماما كما حرصت الزروقية على صلتها بالمغرب، كذلك كان دأب الميمونية. ولم يركن الشيخ ابن ميمون في هذا الشأن إلى شهرة طريقته التي اندرست بها الطريق في المشرق، وأصبحت كالشاذلية بالمغرب، ولم يقنع بمن كان يزوره بالشام من الحجاج المغاربة. بل كان يكتب إلى المشايخ الفاسيين بوجه عام، وأبناء مشايخه بوجه خاص، ومنهم عبد الواحد الونشرسي (ت. 955 / 1549) وعبد الوهاب الزقاق (ت. 961 / 1554)، ويفاتحهم بما حصل عليه من العلم الباطن، ويعرفهم بأسانيده الصوفية والعلمية.

وبعد بسط ممهدات طريق الخواطرية بالمغرب، والتي يسمى أتباعها به بأهل الخواطر أيضاً، يمكن التمييز بين ثلاث مراحل مربها تاريخها، وهي :

1 ـ يتصدر الأسانيد المغربية في الخواطرية الشيخ أبو الفضل محمد بن خروف التونسي (ت. 966 / 8، 1559)، وانها لمصادفة عجيبة أن تؤول هذه الصدارة إلى أخذ مشايخ المغرب الأدنى الذي انتسب به الشيخ علي بن ميمون الغماري أول ما انتسب إلى التصوف ورجاله. ويتصل به خروف من طريق أبي بكر الشيرازي، عن علي الكيزواني

أحد أعلام الطبقة الأولى في الميمونية. ويأتي بعد خروف تلميذه الإمام محمد بن قاسم القصار (ت. 1012 / 1604)، الذي أخذ عنه هذا السند أعلام الزاوية الفاسية، وهم عبد الرحمان بن محمد الفاسي (ت. 1036 / 1627) وأحمد بن يوسف الفاسي (ت. 1021 / 1612) وأخوه محمد العربي الفاسي (ت. 1052 / 1642). وينتهي هذا السند عند الشيخ محمد بن عبد الرحمان الفاسي (ت. 1134 / 1722) الذي أثبته في فهرسته *المنح البادية*، وهو أحد أسانيده الثلاثة في الخواطرية.

ويتصل هذا السند بجانب من جوانب تاريخ طريق الخواطرية بفاس خلال القرن العاشر (16 م)، ولم يكن هو الواسطة الوحيدة لمغاربة هذا القرن في هذه الطريقة. وإذا كانت الزاوية الفاسية تتصل بالخواطرية صلتها بالعديد من الطرق الأخرى، فقد وجدت قبلها بفاس طائفة من الفقراء مبنى طريقهم على معرفة الخواطر والكلام عليها، وعرضها على شيخهم. وكلامهم كله دائر على قولهم قال لي خاطر كذا، ثم يميزون بين تلك الخواطر، وكانوا يعرفون بأهل الخواطر. وقد أدركهم محمد العربي الفاسي، وأرخ لطائفتهم في كتابه *مرآة المحاسن*، وأكد اتصالهم بالشيخ علي بن ميمون الغماري، ولم يحدد سندهم. وسمى شيخهم إذ ذاك محمد العوني، الذي خلفه بعد موته بعض تلامذته، وعين مكان اجتماعهم بمسجد الأنوار في حومة برزخ من عدوة فاس الأندلس. وأخبر بانقراضهم قبل خروجه من فاس عام 1020 / 1611، كما هو ظاهر من عبارته. وأشار إلى أنه كان بإمكانه أن يتوسع في تاريخهم لمعرفته جملة من طريقهم ومشايخهم، لكنه أضرب عن ذلك. واعتذر باختلال حفظه، لطول العهد وعدم المذاكرة، وانعدام ما يراجع من كتاب أو صاحب، لاغترابه عن فاس وتقلبه في البلاد عقوداً ثلاثة.

ونعتقد أن محمد العربي الفاسي قد اضطر إلى التعرض لأخبار أهل الخواطر اضطراراً، وأنه لم يكن في استطاعته أن يذكر أحد كبار من صحب والده، وهو الشيخ أحمد اللوزي (ت. 1004 أو 1008 / 5 ـ 1596 أو 9 ـ 1600)، دون أن يشير إلى هذه الطائفة التي كان ينتسب إليها قبل أن يرتبط بصحبة والده أبي المحاسن (ت. 1013 / 1604) ويبدو الترابط والتلازم بين الترجمة للّوزي وذكر الخواطرية أوضح ما يكون في كتاب *ابتهاج القلوب*، المصنف من قبل عبد الرحمان الفاسي (ت. 1096 / 1685) وتعين عبارته على فهم ضَنّ محمد العربي الفاسي بعلمه بتاريخ هذه الطائفة، وتنكبه عن تدوين أخبارها والترجمة لمشايخها والتفصيل في آدابها. فنعلم أن اللّوزي قبل أن يكون من أهل الخواطر كان من صحب الشيخ أبي البقاء عبد الوارث اليالصوتي (ت. 971 / 1564)، وأن شيخه هذا "أوصاه بأمور قال في آخرها : إياك وصحبة الفقراء ! فقال له : كيف يا سيدي وأنا عليهم أدور ؟ فقال له : يا بني أخاف أن تقع على الفقراء المبطلين، فيصبغونك صبغة تحار فيمن يخرجك منها، ولو عرفت أنك تقع على المحققين لقلت لك ابسط لهم خدك. فكان الأمر كذلك كما أخبر به الشيخ، فوقع على أهل الخواطر مدة". ويستشف من هذه الترجمة فساد العلاقة بين الزاوية الفاسية وطائفة أهل الخواطر، ويتأكد هذا الأمر في الترجمة التي عقدها عبد الرحمان الفاسي لصاحب آخر من صحب جده أبي المحاسن، وهو إبراهيم الصياد (ت. 1008 / 9 ـ 1600)، الذي انتسب إليه بالقصر وانتقل معه إلى فاس. فمن الأحداث التي سجلتها هذه الترجمة أنه مر يوما برجل ينتمي لطائفة أهل الخواطر، وكان إبراهيم الصياد أجهر، فقال له ذلك الرجل : "اذهب إلى الفقراء ببرزخ يكحلون عينيك ! قاصدا التورية والتعريض باحتياجه إلى أهل الخواطر في تقوية معناه وبصيرته". وإذا كان محمد المهدي الفاسي (ت. 1109 / 1698) سيبهم عن أهل الخواطر في الترجمة التي أفردها للصياد من كتابه *ممتع الأسماع*، ويعبر عن الخواطري الذي عرّض به "ببعض المنتسبين للفقر"، ويجعل عبارة "الفقراء ببرزخ" "إخواننا الفقراء"، ويقلب "تقوية البصيرة" إلى "تقوية البصر". فذلك إنما رعيا للمكانة الخطيرة التي أصبحت للطائفة الخواطرية داخل الفضاء الروحي للحاضرة الإدريسية بوجه خاص وفي بقية البلاد بوجه عام وقت تأليفه *للممتع*، وهو قوام المرحلة الثانية من مراحل تاريخها. فبدد بذلك ذكريات خلاف الزاوية الفاسية مع هذه الطائفة، وطمس أيضا ذكرها في كل المصادر اللاحقة له، والتي اعتمدت مادته في ترجمة الصياد، من *الروض العطر الأنفاس إلى سلوة الأنفاس*.

وهكذا تكون الطريقة الخواطرية قد دخلت المغرب في تاريخ مبكر من القرن العاشر (16 م)، ومن طرق متعددة. وكان لها أتباع أسسوا طائفة بفاس عرفوا بأهل الخواطر. وكان لهم مجتمع وآداب ومشايخ، واختص مسجدهم بحومة برزخ من عدوة الأندلس بعلم الخواطر. ويؤرخ استيطان الشيخ أبي المحاسن فاس وتأسيسه لزاويته بنفس العدوة منها في حدود عام 988 / 1580، لبداية مزاحمة الزاوية الفاسية الطارئة لهذه الطائفة في اختصاصها، ومحاولة احتوائها في دائرة الشاذلية الجامعة لما تفرق في غيرها. وإذا كان أبو المحاسن لم يأخذ عن القصار واسطة الفاسيين في الطريق إلى الشيخ علي بن ميمون الغماري، فإن سيرته تحفل بالكلام عن الخواطر والواردات وتمييزها، مما لا يسمح المجال بتجميعه وإيراد مجمله، كما حرص كتّاب هذه السيرة من أبنائه وأحفاده على تأويل المتشابه من كلامه في هذا الشأن تأويلا يبرز الصبغة الخواطرية فيه. وقد علق مؤلف *ابتهاج القلوب* على قوله "ربما لم يكن عندي علم بالمسألة، فإذا سئلت عنها ارتسم جوابها في خاطري" بما يلي : "وان كان كثير من أهل البصائر يعرفون سؤال السائل عند المسؤولين بين أيديهم، بل يكاشفون به عند خطوره

عنده، ولذلك يسمون بأهل الخواطر، وقد تقدم شأن الشيوخ من كون قلوب مريديهم كأنها في أكفهم". وقد حصل السند الخواطري أخوه عبد الرحمان العارف شيخ الزاوية الفاسية الثانية التي أسسها بالقلقليين من عدوة القرويين بفاس، وابناه أحمد ومحمد العربي. وأفلح الفاسيون في استقطاب بعض مشاهير أهل الخواطر، وهو الشيخ اللوزي ضجيع الشيخ أبي المحاسن في ضريحه. ويبدو أن أتباع برزخ لم يقووا على مساورة الفاسيين ومنافستهم، فانقرضوا وخلا مسجد الأنوار من جماعتهم.

ونختم هذه المرحلة الأولى من تاريخ هذه الطائفة بالاشارة إلى الشيخ عبد الجليل المدعو جلول بن الحاج (ت. 1036 / 1627) الذي اشتهر بفاس بالكلام عن الخواطر والإنباء عن الضمائر. وقد كان شاهداً على أحداث هذه المرحلة، ومعاصراً لأبطالها المذكورين جميعاً في سيرته. وتسجل ترجمته أيضا دفاع الزاوية الفاسية لما تأسست لشيخه محمد الرامي، وتذكر أنه لما دخل الشيخ أبو المحاسن فاسا رحل شيخه المذكور إلى فاس الجديد، وأسلم له المدينة، وقال : "إنا ملّكنا فاسا سيدي يوسف، وضمنّا له كل شيء حتى ملح العجين" !

2 - شهد الربع الأخير من القرن الحادي عشر (17 م) ظهوراً وانتشاراً ملحوظاً للطريقة الخواطرية في المغرب، ويتصل جانب من هذه المرحلة الثانية من تاريخها بالمرحلة التي سبقتها، ويشذ جانب آخر عنها تمام الشذوذ، وينتمي إلى سياق جديد كل الجدة، ويلتقي الجانبان معا في كونهما من ثمار التواصل الصوفي والعلمي بين المغرب وبقية العالم الإسلامي شرقاً وغرباً.

وقد أذن لانطلاق هذه المرحلة الشيخ أبو سالم العياشي (ت. 1090 / 1677)، الذي شغف بجمع الأسانيد العلمية والصوفية. ولم يكتف بعلماء وصلحاء المغرب الذين أخذ عنهم وانتسب إليهم، فشد الرحلة إلى المشرق مراراً، باحثاً عن مشايخ العلم والتصوف، ومتشوفاً إلى تحصيل المرويات والأسانيد والاجازات. وقد لقى طائفة وافرة منهم، وأثمرت رحلته الحجازية الثالثة عام 1072 / 1661 لقاءه بمكة بمثيله في الشغف بالأسانيد، وشبيهه في السعي إلى المشايخ، الشيخ حسن بن علي العجيمي (ت. 1113 / 1، 1702)، الذي كان لا يقدم أحد من علماء الآفاق على الحرمين إلا جد في لقائه والأخذ عنه، فكثرت بذلك مروياته واتسعت مسموعاته وتعددت إجازاته. وتتلمذ العجيمي على العياشي، واستجازه مراراً، وسمع منه كثيراً، وقيد من أسانيده ما احتاج إليه. وكان قد أتم عام 1073 / 2، 1663 *رسالته في الطرق*، فبعث بها إلى شيخه العياشي الذي احتفى بها واختصرها في رحلته الشهيرة *ماء الموائد*.

ورسالة العجيمي في الطرق رسالة نفيسة جداً، استوعب فيها الطرق الموجودة في عصره، مع ذكر آدابها وأعمالها وأذكارها وأصلها، وسلسلته إلى صاحبها. واشتملت على أربعين طريقا، من بينها الخواطرية. وعرفها بأنها طريقة مبناها على الذكر بكلمتي التوحيد على كيفية مخصوصة لطرد الخواطر من القلب، حتى لا يبقى فيه إلا الله. وأن من شأن أتباعها الاشتغال بالرياضة الشاقة والتجريد، وقراءة الأوراد المذكورة في كتب الشيخين علوان وابن عراق، وأشهر مشايخ هذه السلسلة شيخها علي بن ميمون الغماري.

وقد اختصر الشيخ محمد بن علي السنوسي (ت. 1276 / 1859) رسالة العجيمي هاته في تأليفه *السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين*، وأفادنا في الوقوف على كيفية الذكر بكلمتي التوحيد عند الخواطرية، والتي أبهم عنها العياشي : وهي أن يجلس الذاكر كجلوسه للصلاة، ويغمض عينيه، ويقبض على السبحة في يده اليمنى، ثم يضعها في كف يده اليسرى إلا آلأصابع الثلاثة فيديرها على ظهرها. ثم يضعها على فخذه الأيسر، ويحبس نفسه، ثم يمد "لا" بقوة من فوق السرة من النفس التي بين الجنبين، رافعاً رأسه إلى منكبه الأيمن، ناقشاً عليه "اله"، ضارباً منه بـ "إلا الله" على قاب قوسين من القلب الكائن بين عظمي الصدر من الجانب الأيسر، متدلياً برأسه إليه. يكرر ذلك مراراً، مع ملاحظة معنى الذكر بقلبه "لا اله إلا الله" أي لا معبود الا الله، فبها يصفو قبله من الاستناد إلى الأسباب والركون إلى الخلق. ثم يلاحظ معنى لا مقصود إلا الله، فبها يطرد الخواطر الردية. ثم يلاحظ لا موجود إلا الله، فبها نفي السوى والأنانية. ثم لا مشهود إلا الله، فيها مشاهدة الحضرة الالهية والاستغراق فيها بالأنوار القدسية. وقد جمع السنوسي بين اختصار رسالة العجيمي في الطرق، والاتصال بالخواطرية من طريق الشيخ ابن عراق.

ومع *الرحلة العياشية* يتزحزح ذكر الطريقة الخواطرية من التراجم الفاسية القالية، وينفلت من دائرة فقراء برزخ المنقرضين إلى رحاب أرض الإسلام الواسعة. وتجد الخواطرية مكانتها بين الطرق الصوفية الإسلامية، وتشرف بانتساب مشايخ الحرمين إليها. وإذا كان العياشي لم يعن بتدوين أسانيد تلميذه العجيمي الصوفية في رحلته *ماء الموائد*، فانه كان ولاشك يحدث بها تلامذته المغاربة، وبالأخص أفراد البيوتات الصوفية الكبرى مثل محمد بن عبد الرحمان الفاسي من المتشوفين إلى الأسانيد العالية. وسيضطلع هذا الأخير بتحصيل هذه الأسانيد وتخليدها في فهرسته *المنح البادية* التي صنفها بعد حجه واتصاله بالعجيمي واستجازته. وقد أجازه هو وابنه عبد الله (ت. 1131 / 8، 1719) مصنف *الإعلام بمن مضى وغبر*، ومن يتولد له من الأولاد والأحفاد. ويهمنا منها سنده في الخواطرية الذي يعد أوسع أسانيد الزاوية الفاسية في هذه الطريقة، ويتصل بإمامها علي بن ميمون الغماري من طريق شيخ العجيمي ابن شعيب العدوي عن أيوب الأحدب

وأحمد الأشقندي، فالأول عن عمر العقيبي والثاني عن أبي الوفاء بن علوان، كلاهما عن والده علوان الحموي. وأخذ الأحدب أيضاً عن والده، الذي أخذ عن ابن ميمون الغماري. وللعجيمي سند آخر في الخواطرية لم يسقه صاحب *المنح البادية*، وواسطته فيه شيخه أحمد القشاشي (ت. 1071 / 60، 1661)، الذي عليه مدار روايته في رسالته المذكورة. وقد سبق القشاشي تلميذه العجيمي بتصنيف رسالة في أسانيده إلى طرق القوم، وحصل سنده في الخواطرية بالمدينة المنورة، حيث أخذ عن أحمد بن الفضل بن عبد النافع بن محمد بن عراق تلميذ علي بن ميمون الغماري.

وإدخال رسالة العجيمي في الطرق بالرواية والسند من قبل محمد بن عبد الرحمان الفاسي يفضل عن اختصارها من قبل أبي سالم العياشي، حيث مكنت مغاربة القرن الثاني عشر (18 م) ومن بعدهم من الرواية والسند في سائر الطرق الأربعين، ومنها الخواطرية. ذلك أن شيخ الزاوية الفاسية كان يجيز تلامذته بفهرسته *المنح البادية*، وممن أجازهم بها من المشاهير المؤرخ محمد الصغير الافراني (ت. 1156 أو 1157 / 1743 أو 1744)، وذلك عام 1131 / 8، 1719. وكان هذا الأخير بدوره يجيز بها تلامذته وأصحابه، ونجتزئ من رسالة بعث بها إلى الشيخ المعطي بن الصالح (ت. 1180 / 1766)، وقد آلت إليه مشيخة الزاوية الشرقاوية بعد وفاة والده المذكور (ت. 1139 / 6، 1727)، ما يلي: "وإذا كان المراد في صحة الرواية في الطريق، فلنا والحمد لله سند صحيح في سائر الطرق الصوفية في فهارسنا عن مشايخنا الفاسيين، بالسند الصحيح والإجازة منهم في ذلك... فان أحببت هذا فانسخ فهرسة شيخنا الفقيه الصوفي سيدي محمد بن عبد الرحمان الفاسي الجامعة لسند كتب العلم كلها وسائر الطريق الصوفية، ونجيزك فيها كما أجازني". وتقيم هذه الفقرة الدليل على ما ذهبنا إليه، وتعطي فكرة عن مدى شيوع أسانيد *المنح البادية*، ومنها السند الخواطري الذي يهمنا.

هذا ولم يستبد الشيخ محمد بن عبد الرحمان الفاسي بالوساطة بين العجيمي ومعاصريه من مغاربة القرن الثاني عشر (18 م) ومن بعدهم، بل شاركه فيها الشيخ محمد بن الطيب الشرگي (ت. 1170 / 6، 1757)، الذي يصفه صاحب *فهرس الفهارس* بفخر المغرب على المشرق، والذي جدد الرواية والسند في العلم ظاهره وباطنه خلال النصف الثاني من هذا القرن. واشتملت فهرستاه الكبرى *إقرار العين* والصغرى *إرسال الأسانيد* على ما يقارب المائتين من مشايخ العلم والتصوف من أهل المغرب والمشرق، ومن بينهم العجيمي. وقد حصل الشرگي الاجازة من العجيمي وعمره عامان، وذلك عام 1112 / 1700 - 1701، وكان والده هو الذي استجاز له شيخه العجيمي. ويروي السند في الميمونية وفي رسالة العجيمي في الطرق من طريق أبي سالم العياشي الذي أجاز والده إجازة عامة له ولأولاده ولمن يولد له، ومن طريق محمد بن عبد الرحمن الفاسي أيضاً.

ويبقى هذا الانتشار الواسع للسند الخواطري، خلال هذه المرحلة من تاريخ الخواطرية بالمغرب، امتداداً للمرحلة التي سبقتها. ويؤرخ بالدرجة الأولى لحيوية هذا السند الجديد للزاوية الفاسية في هذه الطريقة، والذي عززت به أسانيدها القديمة فيها، والتي تعود إلى القرن العاشر (16 م)، ووسعت بذلك طرق اتصالها بإمام هذه الطريقة الشيخ علي بن ميمون الغماري.

وقد تزامن مع هذا الانتشار لسند الخواطرية - الميمونية دخول خواطرية جديدة إلى فاس بوجه خاص والمغرب بوجه عام، عرفها محمد بن الطيب القادري (ت. 1187 / 1773) بأنها "*طريقة عزيزة الوجود غريبة لم نسمع بمثلها في كل الأغوار والنجود*". ويمكن ضبط تاريخ هذا الدخول بعام 1079 / 8 - 1669 الذي ألقى فيه الشيخ أحمد بن محمد اليمني (ت. 1113 / 1 - 1702) عصا التسيار بفاس بعد سياحة دامت أربع سنوات، حج فيها وأتى على بلاد السودان الأوسط وانتقل منها إلى سجلماسة التي أقام بها مدة. والخواطرية التي جاء بها اليمنى أخذها عن شيخه عبد الله بن عبد الجليل البرناوي (ت. 1088 / 1677) نسبة إلى مدينة برنو بالسودان، والذي تؤكد سيرته أن علومه كلها كانت وهبية، ولا تذكر له نسبة إلى شيخ تعليم، لا في علم الظاهر ولا في علم الباطن. وتقطع هذه اللدنية كل صلة للخواطرية - البرناونية بالخواطرية - الميمونية، وتصرح بتعدد الطائفتين. لكنها لا تنفي وحدة الأصل الذي انبنت عليه الطريقتان، وهو علم الخواطر. كما لا تمنع من اعتبار إشارة صاحب *مباحث الأنوار* إلى حصول المدد من طريق الغيب للبرناوي من الشيخ محمد بن عبد الله السوسي (ت. 1079 / 8 - 1669).، وأيضا ملاحظة اشتراك هذين الشيخين في الاختصاص بالنظر لأحوال الخلق من اللوح المحفوظ، واستشعار ومعرفة ما يجول في الخواطر من طريق الكشف، وظهور بعض مشاهير صَحْب السوسي بالعبادة بالفكرة، وهو الشيخ محمد بن سعيد المرغيثي (ت. 1098 - 8 - 1679). وقد جاور السوسي بالحرمين نحواً من ثمان سنين، وكثر أصحابه من أهلهما وأهل العراق والشام واليمن وغيرهم. وكان موجوداً بهما في العام الذي حج فيه أحمد اليمني، وما تسوقه سيرته من كراماته المتصلة بفتح السودان والتمهيد لظهور الشيخ البرناوي، تترجمه وقائع سيرة اليمني من التوجه إلى هذه البلاد والانتساب إلى هذا الشيخ!

وألف أحمد بن عبد الحي الحلبي (ت. 1120 / 8 - 1709) كتاب *ريحان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب*، في أوج المشيخة الصوفية لأحمد اليمني بفاس. وساهم في تخليد وروجان وانتشار أخبار الطريقة الخواطرية - البرناوية ومناقب شيخها وآدابها وسلوكها،

وهذه خلاصته : اعتبر الشيخ البرناوي الفكر من أعظم الطرق الموصلة إلى الله، وأنه رأس العبادات كلها. واشتمل على العلم بالخواطر والقلوب، وعلى الاطلاع على المقامات والدرجات لكل سالك، من مبتدئ ومنته ومتوسط، من جميع البلاد وفي جميع الأعصار، ومقدار كل واحد وحد مقامه وما قدر له. واحتوى على الاطلاعات الغيبية والمطالعات الكشفية، لاتصال روحانيته بروحانية اسرافيل المختص بالقراءة في اللوح المحفوظ. وكان دائم الفكرة في الملكوت وفي المصنوعات، ويأمر أصحابه بالفكرة على حسب مقاماتهم واستعداداتهم، فيقول لأحدهم مثلا تفكر في مخلوقات الله في الأرض ولا تتفكر في المخلوقات السماوية، أو تفكر في البحار ولا تتفكر في المخلوقات البرية، أو تفكر في ملكوت الله ولا تتفكر في ملكه، أو تفكر في لطفه ورحمته ولا تتفكر في عظمته وجلاله. وهكذا يجد لكل سالك من العبادات حداً معلوماً، ويأمره ألا يتعداه حتى يترقى منه إلى غيره. وكان من شأنه كل يوم وقت الاشراق الذهاب هو وخواص أصحابه إلى الخلاء، فإذا وصلوا إلى موضع خلوتهم من البرية تفرقوا في ذلك الموضع في أرجائه ونواحيه، كل واحد منهم يأخذ في جهة بانفراده. والشيخ يأمر بذلك، ثم يقول لهم تفكروا في ملكوت ربكم، ثم ينعزل عنهم هو أيضاً وحده في ناحية. ويرجعون وقت الزوال، ويجتمعون من مواضع تفكرهم، ويأخذون في الجلالة بذكر اللسان والقلب. ثم يسيرون على تلك الحالة إلى البلد لصلاة الظهر في الجامع، ولا يزالون كذلك بقية النهار والليل إلى الصباح فيتفرقون، وهذا دأبهم.

هذه صورة الطريقة الخواطرية شيخاً وأتباعاً ومذهباً وسلوكاً، في مهدها من بلاد السودان الأوسط، كما نقلها أحمد اليمني إلى مغاربة الربع الأخير من القرن الحادي عشر (17 م)، وخلدتها المصادر المصنفة خلال العقد الأول من القرن الذي يليه. ومنها *ريحان القلوب* الذي فرغ منه أحمد الحلبي عام 1105 / 3، 1694، *ومباحث الأنوار* الذي ألفه أحمد الولالي (ت. 1128 / 5، 1716) بعده بقليل عام 1109/ 7، 1698. وقد نيف مقام اليمني بفاس عن الثلاثة عقود، وطارت شهرته في آفاق المغرب شهرة عبّر الولالي عن مداها بقوله "ثم أطلعه الله تعالى بأن أظهره للخلق اطلاع البدر فوق الأفق، فضاءت به أركان ظلمة هذا المغرب، فلم يبق عالم ولا شريف ولا عامي إلا عرفه وتوسل به". ولاريب أن الطريقة الخواطرية قد أفادت من هذا المكث الطويل والصيت البعيد، فازدادت رسوخاً وتمكيناً وعرفت انتشاراً وتعميماً، وهذا ما أوجزه القادري بقوله "وكفى ما برز منها في غربنا من الشيخ أبي العباس اليمني المذكور".

وقد تأسى أحمد اليمني بشيخه البرناوي في مشيخته بفاس علماً وعملاً، فاشتهر بالتوكل وإسقاط خوف الخلق وهم الرزق، وأصبح المرجع في علم الخواطر، واتصلت جل كراماته بالإخبار بالمغيبات بطريق الكشف. وأوتي صاحبه أحمد بن عبد الله معن (ت. 1120 / 8، 1709) شيخ زاوية المخفية علم الخواطر أيضاً، واالإخبار بالغيوب، والعافية من خوف الخلق، وكفاية هم الرزق. ونرى أن ظهور الخواطرية - البرناوية بالمغرب خلال الربع الأخير من القرن الحادي عشر (17 م)، على يد الشيخ اليمني ومن تبعه، هو سياق بعض فصول كتاب *المحاضرات* للإمام الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102 / 1690)، وبالأخص الفصل المعقود للحديث عن "الكشف والمكاشفة عند الصوفية". وقد شرع في تأليفه عام 1095 / 1684، بعد مرور عقد ونصف على استقرار اليمني بفاس، وبعد لقائه هو وصاحبه أحمد معن ضمن من لقيهم من مشايخ العلم والتصوف، ووصفه "بمحبنا" ووصف شيخ الزاوية المعنية "بأخينا في الله". وتدور هذه الفصول حول تحذير المريدين وعوام المتوجهين من تعشق الغيب المدعى الاطلاع عليه بالموهبة، والذي كثرت فيه الدعوى، وعمت به البلوى. وتدعو الناس إلى الاهتمام بالقسم النافع من الغيب، والذي تدركه العقول بالعلم وبالتدبر في أسرار الكون.

وكما اشتهرت بفاس خلال المرحلة السابقة طائفة أهل الخواطر ومجتمعهم بجامع الأنوار بحومة برزخ من عدوة الأندلس، كذلك شهدت هذه المرحلة الثانية طائفة من الفقراء أهل الخواطر، كانوا يجتمعون بزاوية الشيخ أحمد حجي (ت. 1103 / 1، 1692) بدرب حسان من حومة البليدة من عدوة القرويين، ويظلون صامتين متفكرين في ملكوت الله. وتمتاز هذه المرحلة من تاريخ الطريقة الخواطرية بالإشارة إلى وجود هذا المسلك الصوفي بحواضر أخرى من البلاد، ومنها سلا حيث كان الشيخ أحمد حجي كثير الاستغراق والتفكر حتى لا يكاد يشعر بمن يدخل عليه بزاويته، كحال أهل الخواطر. ومنها أيضاً مراكش حيث أدرك أحمد الحلبي عام 1080 / 9، 1670 الشيخ محمد بن سعيد المرغيثي بجامع المواسين منها، ولاحظ طوال مدة إقامته بهذه الحاضرة أنه كان يعبد الله بالفكرة، بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس. ووصف درجة استغراقه بقوله : "فو الله لكنت أجلس أمامه وقبالة وجهه، ولم أرمنه شعرة تتحرك أبداً ولا طرفه، وكنت أنظر إلى حدقته ساكنة حتى كأنه ميت. ولو فرض أن الأرض انقلبت بما فيها والسماء سقطت على الأرض لم تتحرك منه شعرة حتى تطلع الشمس، فيتحرك حينئذ ويكلمني ويبدأ بالكلام، فعرفت منه ذلك ولازمته. ورأيت منه هذه الحالة سنة، وهي مدة إقامتي بمراكش، وذلك عام ثمانين وألف".

وإذا كنا اعتبرنا الرحلة العياشية معلم بداية هذه المرحلة النشيطة من تاريخ الطريقة الخواطرية بالمغرب، فإنه يمكن النظر إلى "فهرستي" الشرگي *والنشر* للقادري ليس كمعالم لنهاية هذه المرحلة، ولكن كآثار تنتمي إلى الربع الأخير من القرن الثاني عشر (18 م)، وتشهد على استمرار العناية

بالسند الخواطري ـ الميموني وبتاريخ الخواطرية ـ البرناوية على مدى قرن كامل.

3 ـ يشكل القرن الثالث عشر (19م) والنصف الأول من القرن الذي يليه قوام المرحلة الثالثة والأخيرة من تاريخ الطائفة التي تهمنا، وتعتورها فجوات واسعة في معلوماتنا عن أهل الخواطر، ويحتاج الوصل بين أطرافها إلى فلي مظان الحقبة المصطلح على تسميتها بالمعاصرة. ومجمل ما حصلناه من بعض مصادر هذه المرحلة تواتر التشوف إلى سند الخواطرية المتصل بالإمام ابن ميمون الغماري من طريق الشيخ العجيمي، واهتبال الرحلة الحجازية لأخذه عن المشايخ المشارقة. وأيضاً استمرار الاهتمام برسالة العجيمي في الطرق، والإقبال على اختصارها ونشرها. وقد اختصرها الشيخ محمد بن المدني گنون (ت. 1302 / 1884)، كما رواها الشيخ عبد الحي الكتاني (ت. 1382 / 1962) من طريق والده، ومن طريق الشيخ أحمد الجمل النهطيهي بمصر إلى الشيخ العجيمي، وعلق على سنده الثاني في هذه الرواية بقوله : "وهو مسلسل بالسماع والتلقين والمصافحة والإجازة، ولا يوجد أعلى منه اليوم مطلقاً". وإذا كان J.S. Trimingham يؤكد أن الطائفة الخواطرية لازال لها أتباع بسوريا إلى حدود عام 1359 / 1940. فإن رواية شفوية حصلناها تفيد أن بعض الأعلام المغاربة ممن عاشوا بعد هذا التاريخ كانوا من أهل الخواطر.

أ. زروق، *قواعد التصوف*، صححه ونقحه، م. ز. النجار وراجعه، م. فرغلي، بيروت، 1992، 134، 143، 144 ؛ ع. م. الغماري، *رسالة الاخوان من أهل الفقه وحملة القرآن*، مخطوط خ ع 1780، د، ضمن مجموع، 52 ـ 150 ؛ م. بن عسكر، *دوحة الناشر*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، 828 ـ 829 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية، 118 ـ 120، 235 ـ 236 ؛ م. ن. د. الغزي، *الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة*، تح. ج. س. جبور، بيروت، د. ت، 1 : 59 ـ 68، 271 ـ 278، 2 : 201 ـ 203، 206 ـ 213 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، تح. ح. الدازي، 378 ـ 382، 400 ـ 402 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، تح. ع. العمراوي و ع. مراد، 182 ـ 185 ؛ م. بن عيشون، *الروض العطر*، تح. ز. النظام، 135 ـ 138 ؛ أ. العياشي، *ماء الموائد*، ط. حجرية، 2 : 214 ـ 218 ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. م. حجي و ا.ش. إقبال، 148، 278 ـ 313، 415، 674 ؛ أ. الحلبي، *ريحان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار القلوب*، مخطوط خ ع، مصور على الشريط، جائزة الحسن الثاني، 1148 / 1983 / 18 ف ؛ أ. الولالي، *مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار*، تح. ع. بوعصاب، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1999، 285 ـ 296 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ضمن موسوعة أعلام المغرب، 1102، 1103، 1104، 1593 1597، 1875 ـ 1892، 1895 ـ 1896 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجرية، 1 : 180، 2 : 325 ـ 327، 334 ـ 339 ؛ م. الفاسي، *المنح البادية في الأسانيد العالية والمرويات الزاهية والطرق الهادية الكافية*، تح. ح. م. صقلي، أطروحة مرقونة ومحفوظة في خزانة كلية الآداب، الرباط، 171، 735 ـ 736 ؛ م. السنوسي، *السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين*، مخطوط خ ع 1521د، 85 ـ 86 ؛ نفس المؤلف، *المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق*، مخطوط خ ع 1243 ك، 9 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، بعناية إ. عباس، 1 : 444 ـ 449 ؛ ع. أبن سودة، دليل، 1 : 94، رقم 305 ؛ ع. زمامة، *علي بن ميمون الغماري*، مجلة الثقافة المغربية، تصدرها وزارة الثقافة، الجزء السادس، 1972، 103 ـ 110؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 23، 31، 142 ـ 174، 422 ؛ نفس المؤلف، *البرناوي، عبد الله بن عبد الجليل*، *معلمة المغرب*، 4 : 1196.

L. Massignon, *Tarika*, *E.I.* , Leiden 1987, 8 / 670 ; J. S. Trimingham, *The sufi orders in Islam*, London, 1971, 90.

عبد الله نجمي

تم طبع الجزء 11 من معلمة المغرب بمطابع سلا
في رجب عام 1421 / اكتوبر 2000

مطابع سلا
قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
الحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا

« sala »

IMPRIMERIE DE SALÉ

Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane
Zone Industrielle de Tabriquet
B.P. 596 SALÉ

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

11

Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé**
**"SALA"**

**2000 - 1421**

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN (Tome XI ) 9981 - 03 - 012 - 0

# Encyclopédie du Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

12

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2000 - 1421

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984/629



ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 9 - 013 - 03 - 9981 (الجزء 12)

بسم الله الرحمن الرحيم

أعد هذا الجزء من معلمة المغرب
بدعم من وزارة الثقافة والاتصال
ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق
عبارات الشكر والامتنان.

# اختصارات

تـ . = توفي
تح. = تحقيق
تر. = ترجمة
خ. تـ = خزانة تطوان
خ. ح. = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص. = الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع. = الخزانة العامة بالرباط
خ. ق. = خزانة القرويين بفاس
خ. ي. = خزانة ابن يوسف بمراكش
د. تـ = دون تاريخ
د. د. ع. = دبلوم الدراسات العليا
د. م. = دون مكان
ط. = طبعة
← = انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في تحرير هذا الجزء

محمد **أخريف**، وزارة التربية الوطنية ـ القصر الكبير
محمد **أديوان**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **أزهار**، كلية الآداب ـ المحمدية
محمد **الأسعد**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ عين الشق
أحمد **أشعبان**، باحث ـ تطوان
سعيد **أعراب**، باحث ـ تطوان
عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط
ع. العزيز **أكرير**، كلية الآداب ـ بني ملال
العربي **أكنينح**، المدرسة العليا للاساتذة ـ فاس
حسن **أميلي**، كلية الآداب ـ المحمدية
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
محمد **أيت حمزة**، كلية الآداب ـ الرباط
الهادي **بجيبجو**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
محمد **البدراوي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب ـ الرباط
منير **البصكري**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية ـ العرائش
ع. العزيز **بل فايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **بلعربي**، باحث ـ الرباط
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب ـ الرباط
رقية **بلمقدم**، كلية الآداب ـ القنيطرة
علي **البليشي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **بنجلون**، باحث ـ الرباط
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية
محمد **بنشريفة**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية ـ سلا
عثمان **بناني**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد الأمين **بوخبزة**، باحث ـ تطوان
ع. القادر **بوراس**، وزارة التربية الوطنية ـ القنيطرة
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب ـ فاس
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ عين الشق
مصطفى **بوشعراء**، باحث ـ سلا
عبد الله **بوصحابة**، كلية العلوم ـ فاس
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **بوعزيز**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب ـ مكناس
أحمد **بومزكو**، كلية الآداب ـ أگادير
جامع **بيضاء**، كلية الآداب ـ الرباط
ع. الله المرابط **الترغي**، كلية الآداب ـ تطوان
ع. العزيز **توري**، وزارة الثقافة والاتصال ـ الرباط
أحمد **التوفيق**، الخزانة العامة ـ الرباط
ع. العزيز **تيلاني**، كلية اللغة العربية ـ مراكش
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية ـ مراكش
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
أحمد **جوماني**، باحث ـ الرباط
محمد **الحاتمي**، كلية الآداب ـ أگادير
حسن **حافظي علوي**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ بنمسيك
محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط
ع. الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة
ع. الجليل **حليم**، كلية الآداب ـ فاس
محمد **حمام**، كلية الآداب ـ الرباط
العربي **الحمدي**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد **حنداين**، وزارة التربية الوطنية ـ أگادير
محمد **حنيني**، كلية الآداب ـ الرباط
علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **خربوعة**، المعهد العلمي ـ الرباط
أحمد **الخنبوبي**، كلية الآداب ـ بوردو
إسماعيل **الخياطي**، كلية الآداب ـ الجديدة
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم ـ الرباط
مارية **دادي**، كلية الآداب ـ وجدة
محمد بن عبد العزيز **الدباغ**، وزارة الثقافة ـ فاس
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب ـ مراكش
شفيق **الرفاگ**، كلية الآداب ـ أگادير
علال **رگوگ**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط
بوجمعة **رويان**، كلية الآداب ـ القنيطرة
أحمد **زروال**، باحث ـ مراكش
قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط
زكية **ازوانات**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط
ع. الفتاح **الزين**، البحث العلمي ـ الرباط
ع. الصادق **ساسبو**، المدرسة الغابوية ـ سلا
ع. العزيز **الساوري**، وزارة الثقافة والاتصال ـ الرباط
الحبيب **السباعي الإدريسي**، وزارة المالية ـ الرباط
العياشي **السربوت**، باحث ـ وزان
محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا
ع. السلام **السعيدي**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش
مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد السلام **الشدادي**، معهد البحث العلمي ـ الرباط
صالح **شكاگ**، وزارة التربية الوطنية ـ تمارة
المصطفى **شويكي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ عين الشق
محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط
ع. الرحمان **الطيبي**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا
حسن **العباسي**، كلية الآداب ـ الجديدة
ع. العزيز بن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة والاتصال ـ مكناس
ع. العزيز **عديدي**،
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط
بوشعيب **العركود**، وزارة التربية الوطنية ـ بني ملال
أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة
علي **العموري**،
الحاج موسى **عوني**، كلية الآداب ـ فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط

إدريس **الفاسي**، كلية الآداب ـ الرباط
ع. الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء ـ عين الشق
حسن **الفكيكي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
المصطفى **ڤنيتر**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد **قدور**، كلية الآداب ـ القنيطرة
مصطفى **قلوش**، كلية الحقوق ـ الرباط
محمد **كريوط**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **گلاد**، وزارة التربية الوطنية ـ أسفي
محمد بن **لحسن**، كلية الآداب ـ بني ملال
شمعون **ليڤي**، كلية الآداب ـ الرباط
حسن **ليمان**، وزارة الثقافة والاتصال ـ الرباط
محمد **ماگامان**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
أحمد **متفكر**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمدية
الحسن **المحداد**، كلية الآداب ـ أگادير
المكي **مربي**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
محمد **مرزاق**، وزارة التربية الوطنية ـ وجدة
نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط
زهور **المزگلدي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
أحمد **مزيان**، كلية الآداب ـ فاس
محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **المكاوي**، باحث ـ
محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **منيوي**، المعهد العلمي ـ الرباط
مصطفى **ناعمي**، البحث العلمي ـ الرباط
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب ـ الرباط
زهرة **النظام**، كلية الآداب ـ المحمدية
محمد **هشمي**، المدرسة الوطنية الغابوية ـ سلا
عثمان **هناكا**، كلية الآداب ـ أگادير
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة
إبراهيم **ياسين**، كلية الآداب ـ الجديدة
مصطفى **يعرف**، باحث ـ وجدة

## Liste des principales abréviations des périodiques

**A.A :** *L'Afrique et l'Asie.*
**A.A.N :** *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
**Acad. Sc. Col. :** *Académie des Sciences Coloniales.*
**A.E.S.C :** *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
**A.F :** *Afrique Française.*
**A.F : R.C :** *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
**A.I.E.A :** *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
**A.I.E.O :** *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
**A.M :** *Archives Marocaines.*
**A.M.S :** *Archives Marocaines de Sociologie.*
**And. :** *Al-Andalus*
**Ann. Rech. Forest. Maroc :** *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
**Ant. Afr. :** *Antiquités Africaines.*
**B.A.M :** *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
**B.A.R :** *British Archeological Reports.*
**B.C.T.H :** *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
**B.E.P.M :** *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
**B.E.S.M :** *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
**B.G.M :** *Bulletin de Géographie du Maroc.*
**B.I.D.M :** *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*
**B.I.F.A.N :** *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
**B.M.S.A.P :** *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
**B.L.O.A.B :** *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
**B.L.S :** *Bulletin de Liaison Saharienne.*
**B.S.G :** *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
**B.S.G.A :** *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
**B.S.G.A.O :** *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
**B.S.H.M :** *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
**B.S.O.A.S :** *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
**B.S.P.M :** *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
**Bull. Archéol. :** *Bulletin Archéologique.*
**C.A.A :** *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
**Cah. Rech. Agron. :** *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
**C.A.T.A.N :** *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
**C.B.E.T :** *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
**C.C.E.J :** *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
**C.E.A :** *Cuadernos de Estudios Africanos.*
**C.H.I :** *Cuadernos de Historia del Islam.*
**C. Méd. :** *Cahiers de la Méditerranée.*
**C.R.A.I.B.L :** *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**C.R.A.S :** *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
**C.T :** *Cahiers de Tunisie.*
**E.B :** *Encyclopédie Berbère.*

**E.I.1 :** *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
**E.I.2 :** *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
**E.T.A.M :** *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
**Et. Medit. :** *Etudes Méditerranéennes.*
**F.M :** *France - Maroc.*
**F.S.S.A.N :** *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
**G.E.M :** *Grande Encyclopédie du Maroc.*
**Hesp :** *Hespéris.*
**H-T :** *Hespéris-Tamuda.*
**H.T.E :** *Hommes, Terre et Eaux.*
**I.G :** *Information Géographique.*
**I.H.E.M :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**I.H.E.M : N-D :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. :** *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
**I.S.C :** *Institut Scientifique Chérifien.*
**Isl. Cult. :** *Islamic Culture.*
**I.S.P.M :** *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
**J.H.S.N :** *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
**M.A.I.B.L :** *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**Medit :** *Méditerranée.*
**M.E.F.R :** *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
**N.A.M.S.L :** *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
**P.I.H.E.M :** *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**P.S.A.M :** *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
**P.S.H.M :** *Publications de la Section Historique du Maroc.*
**R.A :** *Revue Africaine.*
**R.A.P :** *Revue de l'Action Populaire.*
**R.C.C :** *Revue de la Chambre de Commerce.*
**R.D.M :** *Revue des Deux Mondes.*
**R.E.A :** *Revue des Etudes Anciennes.*
**R.E.I :** *Revue des Etudes Islamiques.*
**R.E.L :** *Revue des Etudes Latines.*
**R.G.L :** *Revue de Géographie de Lyon.*
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. :** *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
**R.G.M :** *Revue de Géographie du Maroc.*
**R.H.C.M :** *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
**R.H.E :** *Revue d'Histoire Economique.*
**R.H.M.C :** *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
**R.M.D.E.D :** *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
**R.M.E :** *Revue Maroc-Europe.*
**R.M.F :** *Revue Militaire Française.*
**R.M.F.P.E :** *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
**R.M.M :** *Revue du Monde Musulman.*
**R.P.P :** *Revue Politique et Parlementaire.*
**Rev. Inst. Hist. Mil. :** *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
**S.G.L :** *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
**S.I :** *Studia Islamica.*
**S.I.H.M :** *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. :** *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

**خوافي، عبد السلام**، مقاوم ولد سنة 1920 بدوار تاغلالت ملحقة تيزي وسلي دائرة أكنول. انخرط في صفوف جيش التحرير منذ انطلاقته سنة 1955 تحت قيادة محمد العجوري الغابوشي. حيث شارك في عدة هجومات على مواقع العدو بمنطقة تيزي وسلي.

توفي عام 1416/ 1995.

المندوبية السامية للمقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**خوانا لا لوكا** Juana la Loca ملكة قشتالة خَلَفت أمها الملكية ايسابيل الكاثوليكية Isabel la Catolica سنة 911 (1505) ؛ وأصدرت عدة مراسيم تحثُّ فيها الشعب الإسباني على مواصلة الحرب ضد المغرب تنفيذاً للوصية التي أصدرتها والدتها يوم 12 أكتوبر 1504 (3 جمادي الأولى 910).

وعندما فقدت عقلها وأصبحت تعرف بـ Juana la Loca (خوانا الحمقاء) تنازلت عن العرش لفائدة ابنها الملك كارلوس الخامس Carlos V وقد توفيت سنة 962 (1555).

*Diccionario enciclopedizo Espasa* - Calpe.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخوخ**، فاكهة معروفة والاسم العلمي للشجرة هو بْرُونُوس بيرْسيكا Prunus persica وهو من فصيلة الورديات Rosaceae. وهي قصيرة ولا تعمر طويلاً. أوراقها رمحية طويلة نفضية أزهارها قرمزية جذابة تظهر قبل الأوراق. ثمارها كروية أو قلبية الشكل حسب الأصناف، مغطاة بجلد كالقطيفة ونواتها مضغوطة وبها أخاديد.

لاشك أن الموطن الأصلي هو الصين حيث عرفت غراسته منذ آلاف السنين، وطورت مما نتج عنها انتخاب عدد كبير من الأصناف يتراوح حاليا ما بين ألفين وثلاثة آلاف. وصلت هذه الشجرة منطقة البحر المتوسط منذ فجر التاريخ، زرع الرومان على الأقل ستة أصناف من الخوخ. ثم امتدت زراعته إلى معظم المناطق المعتدلة من آسيا وجنوب أوربا وافريقيا الشمالية والجنوبية وأميريكا واليابان واستراليا.

يغرس الخوخ بالمغرب في الأراضي المسقية من سايس وتريفة والحوز وتادلة ومناطق الدير وسفوح الجبال غير العالية وذلك لأن الصقيع يضره وتؤذيه الحرارة المنخفضة. أما من ناحية التربة فإن إنتاجه يكون أفضل في الأراضي الرملية.

من الفواكه الشبيهة بالخوخ نجد الشهدية أو "النقطرين" التي تظهر قرابة وثيقة بهذه الفاكهة ولكن جلدها أملس لأنها نتجت عن التهجين بين البرقوق والخوخ. المساحات المخصصة بالمغرب للشهدية تقل بكثير عن تلك التي تخصص للخوخ.

يستعمل الخوخ والشهدية للأكل : فاكهة المائدة والتعليب وصناعة المربى.

*أبحاث شخصية* ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

عبد المالك بنعبيد

**الخوخة** (باب -) بفاس، هو الباب الذي كان يعرف قديماً بباب الكنيسة، يرجع أصله إلى عهد المولى إدريس الثاني حينما سور عدوة الأندلس وفتح فيها الأبواب التالية متدرجا فيها من الجنوب إلى الشرق وهي :

باب الفوارة المعروف بباب زيتون ابن عطية ؛ باب الفرج المعروف حاليا بباب السلسلة ؛ باب الشيبوبة المقابل

لباب الفصيل من عدوة القرويين ؛ باب أبي سفيان المعروف بباب بني مسافر وهو المسمى حاليا بابا سيدي بوجيدة وكان يخرج منه إلى بلاد غمارة وإلى بلاد الريف ؛ باب الكنيسة المسامت للناحية الشرقية وكان يخرج منه إلى بلاد تلمسان.

وكانت هذه الأبواب محاطة بعناية الولاة والسكان يحرصون على مراقبتها لما لها من الدور الفعال في أمن المدينة وحمايتها من الاضطرابات التي كانت تعتريها حينا بعد حين.

وظل باب الكنيسة على حاله إلى أن هدمه عبد المومن ابن علي سنة 540/ 1145 ضمن ما هدم من الأبواب حينما ارتأى رأيه أن يهدم أكثر أسوار المدينة وقال : "إننا لا نحتاج إلى أسوار إنما أسوارنا أسيافنا وعدلنا" لكن هذا الموقف الذي تحدى به الواقع لم يرتضه بعض الخلفاء الموحدين من بعده فقد شرع المنصور الموحدي في بناء السور من جديد وكمله ابنه محمد الناصر الذي أعاد لهذا الباب وجوده وسماه بعد تجديده بباب الخوخة بدلا من باب الكنيسة.

ونظراً لمسامتة هذا الباب للناحية الشرقية فقد اقتضت مصلحة السكان أن يبنوا خارجه مستشفى لمرضى الجذام ليكونوا (كما ذكر ابن أبي زرع) تحت مجرى الريح الغربي فتحمل الرياح أبخرتهم ولا يصل إلى أهل المدينة منها شيء وليكون تصرفهم في الماء وغسلهم بعد خروجه من البلاد، إلا أنه وقعت مجاعة في أوائل القرن السابع من سنة تسع عشرة وستمائة 619 / 1222 إلى سبع وثلاثين وستمائة فانتشر نظام الأمن في البلاد وعمت الفوضى وأدى الحال إلى انتقال المرضى من مكانهم المخصص لهم فتوجهوا إلى الكهوف التي كانت موجودة بين باب الجيسة وباب الشريعة وظلوا هناك إلى أن زالت الفوضى بتأسيس الدولة المرينية وحينئذ أمر يعقوب بن عبد الحق المريني عامله على فاس أبا العلاء إدريس بن أبي قريش بنقلهم إلى برج الكوكب الذي كان يوجد بخارج باب الجيسة من أبواب عدوة القرويين.

وبرج الكوكب هذا هو الموجودة آثاره الآن بالمرتفع الذي يوجد فيه قبر سيدي علي المزالي، وهو المرتفع الذي كان أهل فاس في أوائل هذا القرن يحملون إليه أطفالهم حينما يصابون بالسعال الديكي الحاد المعروف بالعَواقَة فيعالجون من ذلك، وكان يقابله في الجهة الجنوبية برج آخر يعرف ببرج باب الزيتون وقد استُغني عن البرجين معا حينما بنى أحمد المنصور السعدي بستيون باب المحروق المعروف حاليا ببرج النور أي البرج الشمالي وبستيون باب الحمراء المعروف حاليا بالبرج الجنوبي وهو الذي تقام فيه أضواء المدينة أيام ربيع فاس، ويوجد الآن حي كبير بمدينة فاس يحمل اسم باب الخوخة مكتظ بكثير من السكان الذين وفدوا عليها في السنين الأخيرة.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، ج. 1، تح. م. الهاشمي الفيلالي ؛ الجزنائي، جنى *زهرة الآس*، الرباط، 1991 ؛ روجي لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، تر. م. حجي وم. الاخضر ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 1974 ؛ م. مزين، *فاس وباديتها*، 1986.

رقية بلمقدم

**خورخي خوان** Jorge Juan، أميرال البحر، مشهور بلقب "العالم الإسباني" (el sabio español) ، إذ شهد له الجميع بتفوقه في علم الفلك والحساب والجغرافيا.

وُلد بمدينة اوريهويلا Orihuela سنة 1714، وفي سنة 1735 كان على رأس البعثة العلمية التي وضعت صورة الكرة الأرضية بالقطر بيرو El Peru بأمريكا الجنوبية ؛ وهو الذي أنشأ المرصد الفلكي بمدينة سان فيرناندو San Fernando بالقرب من قادس بإسبانيا.

وفي سنة 1180 / 1767 عينه الملك الإسباني كارلوس الثالث Carlos III سفيراً له لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله ووقّع أول معاهدة صلح وصداقة بين إسبانيا والمغرب بمراكش يوم 29 ذي الحجة 1180 (28 ماي 1767).

توفي خورخي خوان سنة 1773.

Rodrigues Casodo. *Politica marroqui de Carlos III*, Madrid 1946.

محمد ابن عزوز حكيم

**خوصي ألباريث إي بيريث** José Alvarez y Perez

نائب قنصل إسبانيا بالدار البيضاء سنة 1278 / 1861 ثم انتقل إلى الصويرة بنفس الصفة سنة 1280 / 1863 إلى حوالي 1292 / 1875. له مقالات وكتابات بمختلف الصحف حول المغرب وتشوفات إسبانيا إلى الجنوب نشرت بمدريد.

مبيج، *المغرب وأوربا*، ج 1 ص.60 و ج 2 ص. 384 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج 2، ص. 875 و ج 3 ص. 1098.

**خوصي ألباريث كابريرا** J. Alvarez Cabrera.

ضابط، كان رئيساً للبعثة العسكرية الإسبانية بالمغرب من 1890 إلى 1901، وكان مراسلاً لصحف إسبانية كما كان يكاتب صحفاً أخرى بإمضاء عبد الله. له كتابات عن المغرب وأحواله نشرت سنة 1892 و1893 بعنوان :

- *Apuntes sobre el Imperio de Marruecos*
- *La guerra en Africa*

مبيج، *المغرب وأوربا*، ج 1 ص. 59 و60 ؛ م. بوشعراء، *الهجرة من المغرب وإليه* (مخطوط).

مصطفى بوشعراء

**خُوليو ثيبايوس فيديريكو** Federico Julio Ceballos كولونيل إسباني شارك في عدة معارك ضد المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مَحمد أمزيان

في شهر يوليوز من سنة 1909، وكان من بين الكولونيلات التسعة الذين لقوا حتفهم في المعركة التي جرت يوم 18 يوليوز 1909 بجبل سيدي أحمد الحاج بقبيلة مزوجة (إقليم الناظور).

وقد رقي بعد وفاته إلى رتبة جنرال.

*أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي (1509_1912)*، تطاون 1946.

**خُوِيّة**، ويكتب أيضا خُويَا، أسرة تطوانية أصلها من فرقة بني معدان بقبيلة بني حزمر المجاورة لتطوان، وقد انقرضت بالمدينة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 645.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخيار**، يسمى علميا كُوكُوميس ساتيفُوسْ Cucumis sativus وهو من فصيلة القرعيات Cucurbitaceae التي تشمل القرعة والبطيخ والدلاح والحنظل ... فهو نبات حولي عشبي زاحف، خشن الساق ذو أزهار إبطية صفراء وثمار ملساء أو شوكية مستطيلة تختلف أحجامها حسب الأصناف المزروعة.

يقال إن الخيار عرف بريا طبيعيا في جنوب الهند. وزرع منذ أربعة آلاف سنة. تكلم عنه العبرانيون والمصريون والإغريق والرومان. وصل إلى أوربا في القرن السابع عشر. وتتوزع أصناف الخيار في الأراضي المنخفضة المسقية في جميع أنحاء المغرب. ويستهلك الصنف الكبير منه نيئا. أما الخيار الصغير فهو يستعمل لصنع المخلل حيث يضاف إليه الماء والملح والخل وتوابل أخرى. والقسط الكبير من إنتاج الخيار الصغير المخلل يصدر إلى الخارج.

*أبحاث شخصية*، البرت هيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

عبد المالك بنعبيد

** لم يرد ذكر الخيار في المصادر الوسيطية وغيرها لا ضمن حديثها عن الخضر ولا عند جردها للفواكه. وأول إشارة عنه جاءت عند العمري في كتابه *مسالك الأبصار* بمناسبة جرده لخيرات المغرب وثرواته الطبيعية والفلاحية والمعدنية، وقد صنفه ضمن الخضر (*مسالك الأبصار ضمن ورقات* ... 299). أما الإشارة الثانية فقد وردت عند الحسن الوزان في كتابه *وصف إفريقيا* مرتين : الأولى عند حديثه عن مدينة أنفا فقال "... وكم كان فيها أيضاً من بساتين وكروم ومازالت لحد الآن تُجنَى منها كميات عظيمة من الثمار لا سيما البطيخ والخيار التي يبدأ نضجهما في منتصف أبريل وقد اعتاد الناس أن يحملو هذه الثمار إلى فاس لأن نضجها فيها يتأخر ... (*وصف إفريقيا*، 1 : 156)، والمرة الثانية عند حديثة عن أرض زواغة فذكر أنها كثيرة الخصوبة وتنتج كميات كبيرة من الخضر المتنوعة منها الخيار، وهذه الخضر تسوق في مدينة فاس (*وصف إفريقيا*، 218).

هذه الإشارات القليلة تدل على أن هذا النوع من الخضر المستعملة اليوم في "السلاطة" دخل المغرب في وقت متأخر إذا ما قارناه بأنواع أخرى، ويمكن القول إن دخول الخيار إلى المغرب يرجع إلى الفترة المتحدث عنها في المصادر أي ابتداء من القرن التاسع (15 م) إما عن طريق الأندلس أو عن طريق البرتغاليين بعدما وصلوا في رحلاتهم إلى الشرق وتحديداً إلى الهند وهو بلده الأصلي (1396 / ) ولم تذكر لنا المصادر شكله ولا نوعه.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار* ضمن ورقات عن الحضارة المغربية لمحمد المنوني، الرباط، 1979.

M. Menioui, *Diversité biologique de la faune marine du Maroc*, SEE/PNUE, 1997, 101 p. ; E. Herouard, *Holothuris de la côte atlantique du Maroc et du Mauritanie, Bul. Soc. Sci. Nat. Phys. Maroc*, 9, 1929.

محمد حجاج الطويل

**خيار البحر**، يتكون خيار البحر من أنواع عديدة تنتمي إلى "شوكيات الجلد" التي ـ وكما يدل اسمها على ذلك ـ فهي حيوانات متميزة بجهازها العظمي المتكون من شوكات صغيرة ودقيقة موزعة تحت جلد هذا السمك. فهي لا تؤدي وظيفة إعطاء الجسم شكلاً معيناً وإنما توفر له الحماية من الحيوانات الأخرى التي يمكن أن تتغذى عليه. كما أنه من خصائص شوكيات الجلد كذلك التوفر على توافق شعاعي ووجود "جهاز مائي" يمكن من انتفاخ وارتخاء الأرجل بالماء ويمكن بالتالي من حركيتها.

تختلف أنواع خيار البحر عن باقي شوكيات الجلد بجسم رخو نسبيا غير محمي لا بقوقعة ولا بقشرة كلسية كباقي أنواع فصيلته وتعيش كلها في الماء وبالأخص في مياه البحر ما بين منطقة المد والجزر إلى أعماق تمتد إلى أكثر من عشرة كيلو مترات تحت ضغط هائل.

في المناطق الساحلية وتحت أرجل المصطافين يمكن العثور على خيار البحر وطوله ما بين عشرين وثلاثين سنتيمتراً إلا أن طول تلك الحيوانات يمكن أن يتجاوز المتر الواحد في الأعماق السحيقة كما يمكن أن لا يتعدى عند بعض الأنواع بضعة مليمترات.

تُوجد أنواع خيار البحر إما سابحة بصفة مستمرة في الماء بين العوالق وإما بين القعريات زاحفة فوق الصخور والرمال أو مدفونة في الأوحال.

ورغم تعدد أشكاله وأنواعه فإن خيار البحر له ميزته

الخاصة حيث يظهر كما يدل اسمه على ذلك على شكل خيار يوجد في إحدى طرفيه الشرج كما يوجد في الطرف الآخر الفم محاطا بعشرة حتى ثلاثين من اللوامس.

تتغذى بعض أنواع خيار البحر على العوالق بتصفيتها مباشرة من مياه البحر بينما يعتمد البعض الآخر على ما تحتضنه الرمال والأوحال من مواد عضوية حيث يلتهم خيار البحر الرمل أو الوحل فتمتص خلاياه الهضمية ما تحتويه من مواد عضوية ويلقي بالباقي خارج جهازه الهضمي.

يتنفس خيار البحر بواسطة جلده كله من الرأس حتى الشرج إلا أن هناك أنواعاً تتوفر على "رئة" لكن ليست هوائية بل مائية يدخل إليها الماء المشبع بمادة الأكسجين ويقذف به إلى الوراء من بعد ذلك خاليا من تلك المادة التي تكون قد امتصتها الرئة.

أما التزاوج فيتم غالبا بالصدفة بين الخلايا المنوية للذكر والبويضات الأنثوية بعد أن تلقى في الماء من الجهاز التناسلي الذي هو مكون من مجموعة من القنوات الدقيقة عند الذكر كالأنثى.

على الصعيد الوطني، يعرف في المغرب ما يناهز العشرين نوعا من خيار البحر إلا أنه بخلاف العديد من الحيوانات البحرية، فإن خيار البحر رغم تسميته لا يدخل في عادات بلادنا المطبخية. أما بعض الشعوب الأسيوية فتعتبر بعض أنواع هذا السمك من أشهى الأطعمة كما أن البعض الآخر يستعملها بعد تجفيفها وتحضيرها كوسيلة لتقوية القدرة الجنسية.

بالإضافة للإنسان فإن لخيار البحر عدة أعداء، وللدفاع عن نفسه وسيلتان أساسيتان :

1 ـ السموم التي يفرزها جسمه وخاصة جلده والتي جعلت بفعل التجربة والعادة العديد من الحيوانات اللاحمة لا تقترب منه.

2 ـ في بعض الأحيان وعند إصرار مطارده على التهامه بإمكان العديد من أنواع خيار البحر أن يقذف بأغلبية أحشائه خارج بطنه ليشغل بها مطارده فيهرب وينجو بأعضائه الأساسية على أن يسترجع إنشاءها من جديد وفي وقت وجيز نسبياً.

M. Menioui, *Diversité biologique de la faune marine du Maroc*, SEE/PNUE, 1997, 101 p. ; E. Herouard, *Holothuries de la côte atlantique du Maroc et de Mauritanie*, *Bul. Soc. Sci. Nat. Phys. Maroc*, 1929, 9.

محمد منيوي

**ابن خيار**، علي الفاسي. فقيه مجتهد مشارك، ترجم له ابن عبد الملك وذكر أنه قرأ بفاس وتلمسان وسبتة وقرطبة ومراكش. وكان فقيهاً رافضاً للتقليد ميالا إلى النظر والاجتهاد، وله مشاركة في العربية وعلم الكلام وأصول الفقه والتصوف.

كان حيّاً سنة 601 / 1204.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 8 : 164 ـ 165.

أحمد عزاوي

**خيتون** Chiton، ينتمي إلى مجموعة الرخويات، أي نفس المجموعة التي تضم الأخطبوط والحبار والترق والحلزون وذلك رغم تباين أشكالها وأنماط عيشها. يتميز الخيتون عن باقي أفراد مجموعته بجسم بيضوي الشكل مفلطح من الأعلى إلى الأسفل ومحصن بقوقعة فريدة من نوعها تتكون من ثماني صفيحات نصف دائرية مقرمدة بعضها في البعض مما يسمح للخيتون بالتكور على نفسه كما أن هاته الصفيحات الثمانية تدمج في صفيحة وشاحية الشكل جانبية تحيط بالجسم كله.

لا يتعدى جسم الخيتون بعض السنتيمترات طولا ولا يرى من هذا الجسم سوى تلك القوقعة الثمانية الصفيحات. قد يظن المتجول على الشاطئ أنها من المكونات الصخرية نظراً لشكلها وكذلك للونها اللذين يوهمان بشكل ولون الدعامات التي يعيش فوقها. أما الجهة البطنية فهي عبارة عن عضلة بيضاء (الرجل) وقوية تمكن الخيتون من الالتصاق بالصخر على شكل محجم وقد يصعب في غالب الأحيان نزعه من دعامته دون كسر القوقعة، كما يرى من الناحية الأمامية بهاته العضلة فتحة صغيرة نصف دائرية (الفم) تُمكنه من قضم وكشط الطحالب التي يزحف فوقها.

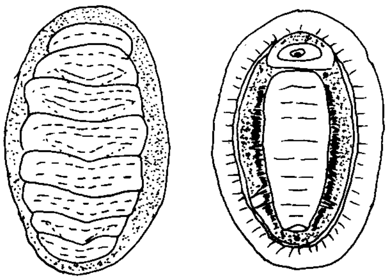

خيتون

يتغذى الخيتون إذن على الطحالب الصغيرة التي تنمو فوق الصخور. ويتنفس كمعظم الحيوانات المائية عن طريق خياشيم تمكن من امتصاص الأكسجين مباشرة من ماء البحر حيث إن أنواع الخيتون بحرية تعيش في أعماق متباينة، إلا أن معظمها يعيش على أعماق صغيرة خاصة في منطقة المد والجزر تكسوها المياه وقت المد وتكشف عنها حين الجزر. وبفعل قوة الأمواج في تلك المنطقة استطاعت الخياتين أن تتأقلم مع تلك الأمواج فتطور شكلها ليكون أكثر انسيابية وبالتالي أقل عرضة لوقع الأمواج.

طريقة التوالد والتكاثر عند الخياتين لا تختلف في

الجوهر عن معظم الرخويات حيث إن معظم الأنواع أحادية الجنس تلقي بموادها الجنسية في الماء على أمل أن تلتقي بينها عن طريق "الصدفة" فتُلقح البويضات وتعطي بالتالي أفراداً جدداً إلا أن هناك نوعاً واحداً Callistochiton viviparus لا يقذف بمواده الجنسية في الماء وتخصّب البويضة داخل الجهاز التناسلي للأنثى ويخرج بعد أيام من النمو فرداً كاملاً شبيهاً بأمه، كما أن هناك بعض الأنواع يمكن أن تحضن بيضها إلى أن تخرج الصغار.

وفيما يخص تصنيف تلك الحيوانات فإن العلماء يقسمون الخياتين إلى ثلاث مجموعات عائلية وهي :

- Lepidopleuridés يتوفر المغرب منها على تسعة أنواع
- Ischnochitonidé ويتوفر المغرب لحد الآن على خمسة أنواع
- Acanthochitonidés وهو ممثل في المغرب بنوعين اثنين

أما بالنسبة للتوزيع الجغرافي لتلك الأنواع التي توجد على السواحل المغربية فمعظمها ينتشر أساساً في منطقتي البحر المتوسط والساحل الشرقي للمحيط الأطلسي إلا أن بعض الأنواع خاصة منها Lepidochitona canariensis وLepidochitona stroemfetti لها توزيع جغرافي محدود جداً في جزر الكناري وناحية طرفاية المغربية.

M. Menioui, *Peuplements infralittoraux superficiels des côtes atlantoméditerranéeennes du Maroc. Etude faunistique, écologique et biogéographique*. Thèse d'Etat Es. sciences, Rabat, 256 p. ; *Diversité biologique de la faume marine du Maroc*, SEE/PNUE, 101 p., 1997 ; Rolan Mosquetero [et al...], *Moluscos de la ria de Vigo II, Revista de sciencia del Mar*, 276 p., 1990.

محمد منيوي

**ابن خير، أبو بكر** محمد بن خير بن عمر، الأموي الفاسي ثم الإشبيلي. ولد بفاس في رمضان سنة 502، وبها نشأ واستوطن إشبيلية وغيرها من بلاد الأندلس. يزيد عدد مشايخه على المائة كما هم مذكورون في *الفهرس* الذي ألفه، روى عنه كثيرون.

ذكر ابن عبد الملك أنه "من أئمة المقرئين المجودين ومن جملة المحدثين المسندين، متفنناً في علوم اللسان، متقدماً في النحو واللغة منها"، وهذا ما ذكره ابن الزبير أيضاً. وقال الصفدي : "كان حافظاً مقرئاً نحوياً متفنناً أديباً، وهذا ما استوجب ترجمة السيوطي له في كتاب *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة* وكتاب "*طبقات الحفاظ*" وغيرهما.

أقرأ بإشبيلية وقرطبة، وتولّى بهذه الأخيرة الخطبة والإمامة بجامعها الأعظم سنة 573 إلى وفاته في 17 ربيع الأول 575، ودفن بإشبيلية بحضور واليها السيد (الأمير) أبي علي الحسن بن عبد المومن الموحدي (انظر هذه المادة)، وهذا مما يدل على علوّ مكانته.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تر، رقم 1424، ط. القاهرة ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، ص. 8 : ص 299 - 303، تح. م. بن شريفة ؛ السيوطي، *بغية الوعاة*، 1 : ص 102، بيروت، 1979؛ م. ع. عنان، عصر المرابطين والموحدين، 2 : 661.

أحمد عزاوي

**خير الدين**، محمد. يدوي صوت خير الدين في مجال الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية صلبا كصخر الأماكن التي تردده بعدوانيتها وسخائها مقلقة وعلى قدر من الإنسانية. جاء إلى الكتابة مبكراً فكان ذلك الفتى الشديد المراس في الأدب المغربي بالفرنسية، وهو يحتل فيه مكانة متميزة مشهودا له بالمشاركة في حيوية ذلك الأدب وفي تجدده.

ولد في تافراوت سنة 1941، من والد تاجر من تجار الجنوب قضى طفولته في بيئة خشنة فخمة بين نساء ورجال من الشيوخ. وقد وافق سن تمدرسه الهجرة إلى الدار البيضاء مفارقا أمه وبيئته الجنوبية. ولكن هذا المقر الجديد أتاح له الانكباب على الأدب.

منذئذ وجهته كشوفه ولقاءاته وفتحت أمامه مساراً تتخلله كلمات - مراجع ومواضيع رئيسية. فالزلازل والبعد عن البلد والرجوع والتيه الدائم تشكل عنده تجارب عميقة. في عنصر حياته الخلاقة وعبرها تتحقق اليقظة البطيئة لموهبة كاتب.

ففي البيان الذي أصدره بعنوان *Poésie Toute* (الشعر كلية) عن مطابع الشمال، بالدار البيضاء، سنة 1964) يظهر شاعر شاب يطمح إلى النهوض بشعر مغربي باللغة الفرنسية في قطيعة مع كل الأشكال الموروثة عن عهد الاستعمار. فهو ينادي بشن "حرب عصابات لسانية"، مدشنا بذلك إبداعا يندرج منذئذ في الحركة الأدبية والثقافية الكبرى التي دشنها إصدار مجلة أنفاس *Souffles* سنة 1966، وهو كان من كتابها.

اتخذ خير الدين مثله في ذلك مثل عدد من الكتاب طريق الهجرة بحثا في المسافة عن الرباط الوحيد الممكن مع الأسرة والوطن فارا من هذا وتلك. انبنت أعماله الأدبية هنا في هذا الابتعاد الترابي والاجتماعي وحتى القبلي، وهو ابتعاد لساني وثقافي. وبهذا أصبحت حياة الكاتب حياة أعماله التي يحملها بين جنبيه، وهنا تفعل كيمياء الكتابة فعلها.

كانت المدة التي قضاها بفرنسا (1965 ـ 1980) مدة خصبة أنتج فيها *Faune détériorée* (وحيش مخرب) وقد نشرته مجلة *Encres vives* عام 1966 وحصل به على جائزة تلك المجلة وأنتج *Agadir* (أگادير) وصدر عن دار النشر Seuil. وأنتج *Enfants terribles*. وحصلت روايته *L'Enterrement* (الدفن) على جائزة La Nouvelle Maghrébine.

كان خير الدين آنذاك يكتب في تلك المجلات ويسهم في إخراجها، ومنها *Dialogues* و*Les lettres nouvelles* و*Présence africaine*.

أثار شعره الانتباه وأشادت به مجلات مثل *Les Temps modernes* و*Le Journal des poètes*.

كان يسهم في تنشيط برامج إذاعية بعضها مسائية في France culture، وقد عاش وقائع حركة أفكار شهر ماي 1968، والتقى في خضم تلك الأحداث بأشخاص مرموقين مثل مالرو وسارتر وبيكيت وسنغور وسيزير وداماس.

نشر خير الدين أهم مؤلفاته في تلك الفترة عند سوي Seuil، مثل *Corps négatif*، متبوعا بـ *Histoire d'un bon dieu* (1968)، و*Soleil arachnide* (1968)، ثم النص الذي استحق به المكافأة الثالثة للصداقة الفرنسية العربية وعنوانه *Moi l'aigre* (1970) ثم *Le déterreur* (1973) ثم *Ce Maroc* (1975)، ثم *Une odeur de mantèque* (1976)، ثم *Une vie, un rêve, un peuple toujours errants* (1978).

حين عاد إلى المغرب بين 1980 ـ 1989 نشر مجموعة شعرية بعنوان: *Résurrection des fleurs sauvages* (1981) وكتب حكاية بعنوان *Légende et vie d'Agoun'chich* (1984) وفيها جدد لقاءه الحميمي مع الجنوب وسطه الثقافي البربري، الموطن الذي طالما أحبه وطالما هرب منه. والواقع أن خير الدين رجل هجرة ومنفى لا حدود مكشوفة لديه بين السفر الحقيقي والسفر داخل النفس. فالسفران عنده صيغتان لطلب واحد، تعبران عن رغبة واحدة، لذلك نجده يعاود الذهاب في اتجاه هذا المكان الآخر المستعصي على الولوج مأخوذاً بدوره بهذا العشق الذي يحمله للمنفى والتيه كما يظهر ذلك جليا من خلال كتابه: *Légende et vie d'Agoun'chich* (p. 23).

انخرط خير الدين في هذا التيه الدائم بين 1989 و1993 واستولى على مسار لم يصل إلى نهاية قط، فكان الشاعر المدّاح لتقاليد بلاد المغرب. إنما ينبيء عن بقائه على قيد الحياة نصوص ينشرها من حين لآخر. فقد هيأ بباريس مسرحية ظلت غير منشورة بعنوان *Les cerbères*. ونشر مقالات ولا سيما في *Jeune Afrique* حول مواضيع اجتماعية كالحالة في ضواحي المدن الأوربية والهجرة (*Jeune Afrique*, n° 1554, oct. 1990). وقد رحبت مجلة *Esprit* بقصيدته الطويلة بعنوان عشتار *Ichtar* كما نشرت له قصتين قصيرتين هما La gale و*Parole élémentaire* (فبراير 1991). وصدر له عن دار نشر Cherche Midi سنة 1991 *Mémorial* وكان قد كتبه في عشرين يوماً.

وفي 1993 دخل خير الدين في صراع لاهوادة فيه ضد المرض، لكنه لم يكف يوما عن الكتابة. لقد كرس آخر تأليف قام به للرسم وقد نشرته Ed. Errabeta في سلسلتها *Silhouettes* تحت عنوان *M'seffer vu par Khaïr-Eddine* وذلك بالدار البيضاء عام 1995. وقبل نهاية أجله ببضعة شهور سلم لمجلة *Esprit* نصا رمزيا عنوانه *Testament d'un moribond*. وقد كانت أقصى وجوده ومنتهاه في عالم لم يستحضره من قبل بهذه القوة التي استحضره بها في لحظات آلام الفراق كما يعبر عنه في شعره غير المنشور بعنوان *Proses* وقد ابتدعه في الآلام حين خضوعه للعلاج بالأشعة في المعهد الوطني لأمراض السرطان بالرباط.

توفي خير الدين يوم 18 نونبر 1995 وترك أعمالاً أدبية كتبها ضد الأفكار الوثوقية ولا سيما الأدبية وهو يسخر منها من خلال نظرته إلى العالم بناء وممارسة.

اختمرت أعمال خير الدين في المهجر ولكنها كانت تنظر إلى أرض المغرب وإلى مكان مسمى "بالجنوبي" Sudique، حسب ابتداع لفظي من ابتكار الكاتب بالرغم من المهجر وبسبب المهجر. إن لكتابته علاقة ملتبسة بهذا المكان الجغرافي بجنوب المغرب، علاقة رفض ومطالبة في آن واحد. فهو فضاء بربري وهو فضاء اجتماعي تاريخي ثقافي يحتل فيه مكانة البؤرة. هنا تكشف الكتابة عن تساؤل حول المهجر الخارجي الجغرافي، بل هو على الخصوص تساؤل حول الهجرة داخل النفس، الهجرة الباطنية، وهي في آن واحد طلب معرفة عبر تجربة الكتابة. تتجلى هذه التجربة أيضاً في صورة تعبير عن الشعور بالتهميش الاجتماعي والسياسي والثقافي وتهميش الهوية، وهو شعور تولد عنه هذا التيه وهذا البحث الذي يتمثل في كل كتاب من كتب خير الدين. فالكتابة تصوغ تمردا فردانيا وجماعيا. يصرخ معبرا عن مكابدة وجود مستعص ويضمر رغبة في التغيير، ويكشف عن مطالبة بوجود أفضل.

بين تعبير عن الواقع الخارجي وتأكيد لواقعه الداخلي الخاص، تأتي الكتابة عند خير الدين لتنخرط في تجربة تشارك في التغيير وتشكل جزءاً منه، تغيير دائم للمجال الاجتماعي والثقافي وتغيير الهوية. فهي كتابة منتسبة

بخصوصية مغلقة في ما يتعلق بالرموز التي تنفرد بها، كتابة تتشبث أيضاً برموز هذا الفضاء المشترك، هذا التراث العريق الذي تحمله. فالكاتب لا يفتأ يظهر انشغاله الدائم بما هو جماعي، فهو يحلم بأن يكون صوتا للشعب.

كتابة تجتهد في شرح العالم برمته وتتوظف كفضاء لبناء صورة عن الذات وهي في نفس الوقت مكان رهان ثقافي وخطاب حول هذا الرهان ؛ فالنص مستودع تاريخ ومكان ذاكرة. إن خير الدين مثله مثل الكتاب الذين تأثروا بعقلية مجلة Souffles *(أنفاس)* يجد نفسه في تناقضات وتمزقات تميز به جيله، فهو لذلك لا يتصور أدبا خارج الالتزام، والالتزام في نظره لا يقف عند الاهتمام لآلام الجماعة والتشكك في أصول القضايا المبتورة وفي الهوية الأحادية التصور وفي الحكم بجميع أشكاله، بل ويتمثل أيضاً وعلى الخصوص في عمل يتموقع في بؤرة الكتابة.

إن تجربة الكتابة عند خير الدين تمس أساساً قضية التصريح والبحث عما يسميه "اللغة الجديدة". والذي يسند هذه اللغة يتضمن في أعماق تجلياته علامات موطنه الأصلي وموطن تأهيله، وهو ما يحيل على فضاء ثقافي ولساني وفضاء هوية في الجنوب المغربي حيث طبعت لغة الأم، البربرية، علاماته بكيفية لا تمحى. ويظهر أن تلك التجربة في الكتابة تستهوي بمسعاها الجمالي كما تستهوي بالابتعاد أو الاقتراب من المجتمع والثقافة، من المجال الواقعي والرمزي الذي تتناوله وتسائله وتحرضه وترغمه على التفتح على المكان البعيد، بإخضاعه في الأخير لمحك تناقضاته الذاتية وإسلامه لصراعاته الداخلية.

فإذا كان موطن هذا الحوار المثير هو بلاد المغرب ومن داخله عالم البربر، فلا أحد يشك في أنه ـ بعيداً عن الخصوصي ومن خلاله ـ فإن خير الدين يبحث بعمله الأدبي عن الوصول إلى ماهوكوني. فخير الدين، خلال هذا البحث وبأعمال متفرقة أشكالها ومنسجمة في وحدتها الموضوعية وفي بحثها ككتابة، يقيم حوارا مع الفن والأدب. فعمله إعادة بناء للتجربة الإنسانية وبناء للتاريخ الفردي الخاص بالكاتب وتمرير لتراث الأجداد الذي يحمله بين جناحيه. إن هذا العمل الأدبي محل لقاء بين كل مكونات الإنسان وهو يشير إلى النقص في العالم والكون.

فإذا كانت شاعرية الخواء والعنف والتدمير والفراغ المتعذر ملؤه، هي التي تخدم هذا العمل التجذري، فكل تجربة خير الدين في الكتابة لا تفتأ تصر على مواجهة قوى الخواء التي هي في آن واحد شرط تخريب وقوة خلاقة، وهي المحددة لفعل الإبداع، كتابة زلزالية مولدة للأشكال المبتكرة، فهي على طولها وعرضها مخترقة برغبة قوية في التفلت من مستقبل قدري، يحركها رفض أساسي للعدم والموت.

زهور المزكلدي

**خَيْران**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، استقرت أول مرة بقبيلة بني حسان، ثم انتقلت إلى تطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 647.

**الخيراني**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Xagran ؛ وكان بمدينة سلا منذ القرون الهجرية الأولى بنو خيرون أسرة أندلسية ماجدة. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ؛ وإلى هذه الأسرة ينتسب الفقيهان عبد الرحمن الخيراني الذي زاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1191 إلى سنة 1206 (1777 ـ 1791). وابنه محمد الخيراني الذي كان من عدول تطوان من سنة 1239 إلى سنة 1246 (1824 ـ 1830).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1613.

**الخيراني، محمد** بن حمادي بن الشرقي، مقاوم لم يكن ينتمي إلى أي تشكيلة لكنه كان من بين المشاركين في مظاهرة 20 غشت 1955 حيث قام بأعمال تخريبية لمنشآت المستعمر إلى أن اغتاله المعمر كازو برصاصتين واحدة في وجهه والأخرى في بطنه فسقط شهيداً بأيت عمار وقد اختطفه أهله ودفنوه رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، ج. 3.

**خَيْرُونْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا :

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 648.

محمد ابن عزوز حكيم

**خيرون، بارتولومي**، Gerón Bartolomé راهب إسباني من المنتمين إلى طائفة الفرانسيسكان كلفته حكومة كارلوس الثالث بمهمة دبلوماسية تمهيدية في المغرب في عهد سيدي محمد بن عبد الله، انتهت باتفاق 29 محرم 1181 / 28 مايو 1767. استهدفت تعليمات الحكومة الموجهة إليه اختبار رأي السلطان في مضمون شروط افتتاح العلاقات بين البلدين، بعد تبادل المراسلات الأولى والهدايا

والأسرى. سبق لخيرون أن قام بالمغرب خلال عدة سنوات بدور الفرانسيسكان، سواء بفاس أو بتطوان. وفي سنة 1169 / 1755 توصل إلى حل مسألة أسيرة إسبانية على عهد المولى عبد الله.

حل خيرون بسبتة يوم 28 جمدى الأولى1179 / 12 نوفمبر 1765 وعرج على باشا طنجة عبد الصادق بن أحمد الريفي برفقة قسيس دير مكناس فرانسيسكو كولودرو. واستقبله سيدي محمد يوم 21 شعبان1179 / 2 فبراير 1766، فلم يزد في خطابه عن الإشارة إلى رغبة الطرفين في عقد الهدنة في البر والبحر، ولم يطرح مثلما أوصت به التعليمات طلب تصدير القمح وإثارة المحطة الساحلية المطلوبة للصيد بجهة ساحل إفني، نتيجة إدراك السفير مدى حساسية الموضوع.

غير أن هناك تعليمات خفية جاء من أجلها خيرون كانت متشوفة إلى استدراج السلطان لقبول الفكرة الشائكة المتمثلة في توسيع حدود الثغور المحتلة، نتيجة لهذا التقارب. وكان لسيدي محمد رأي خاص في هذا الموضوع، نقله السفير الفرانسيسكاني في قوله : "إن السلطان يتصور الطريقة التي سيتم بها الصلح بين الجانبين بكيفية غريبة، ذلك أنه يعتبر من واجبه الديني والوطني استرجاع تلك الحصون التي يملكها عاهلنا بالمغرب .. وأنه من جهة أخرى لا يرى أي مانع من تحقيق تلك الأمنية باللجوء إلى القوة، دون أن يتعارض ذلك مع الصلح المزمع عقده مع إسبانيا".

لقد اكتشف خيرون أن طرح مسألة الحصون على أنظار السلطان أمر جد حساس يفوق كل التصورات، إلى حد لم يتجرأ أحد على مجرد إثارته على مسامع السلطان. وحينما ألح رئيس الحكومة الإسبانية على سفير بلاده أن يدلي له بحجة تصلب رأي السلطان في المسألة، وافاه الجواب قائلاً : "إن سيدي محمد محا الجملة الخاصة بتوسيع حدود الحصون وربح الأسواق المجاورة".

على أن هناك نقطة إيجابية أخيرة في سفارة بارتولومي خيرون. هي قبول سيدي محمد إرسال سفارة مغربية إلى مدريد برئاسة كاتبه أحمد الغزال. وفي يوم 24 ذي القعدة 1179 / 2 مايو 1766 حل بارتولومي خيرون بطنجة مرفقا بأعضاء السفارة المغربية، وهي في طريقها إلى سبتة.


ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور المغربية الشمالية المحتلة، مرقون، الرباط، 1991.

R. Lourido Diaz, *Los Misioneros Franciscanos y su participacion en el Tratado de Paz Hispano Marroqui de 1767, Archivo - Ibero - Americano,* 133 / 1974 ; *En Torno al ensanche de limites de Ceuta,* en 1782, *H.T.*, 1982 ; Vicente Palacio Atard, *Primeras negociaciones entre España y Marruecos en 1765, Hispania,* 11 / 1951 ; V. Rodrigues Casado, *Politica Marroqui de Carlos III,* Madrid, 1946.


حسن الفكيكي

**الخيروني**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا :
.وهناك أسرة أخرى شريفة تحمل نفس الاسم أنجبت عدة فقهاء مثل :

**الخيروني**، أحمد بن محمد الذي كان من بين عدول تطوان من سنة 1256 إلى سنة 1261 (1840 ـ 1845).

**الخيروني**، عبد السلام الذي كان يزاول خطة العدالة من سنة 1171 إلى سنة 1201 (1758 ـ 1787).


أ. الرهوني، *عمدة الراوين*،7 :12 ؛ م. داود، عائلات تطوان، مخطوط ؛ م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 649.


محمد ابن عزوز حكيم

**خيري** أو خيرون، أسرة تطاونية، من العلوج الأندلسيين أشار إليها گوميس إيانس دي زورارا باسم (Abengeiri). اشتهر في النصف الأول من القرن التاسع الهجري (15م) منها ثلاثة أفراد بالنشاط القرصني بساحل المضيق، هم، محمد بن خيري، كان اسمه السابق "مانويل"، وهو رئيس سفينة من فئة خمسة عشر مقعداً، ثم الرايس بدر بن خيري، كان قائد سفينة مركبة من أربعة عشر مقعداً، وهو أخو قرصان آخر يدعى حبيب بن خيري. ظهرت الأسرة البحرية بساحل المضيق المغربي إثر احتلال البرتغال لسبتة، ويعني هذا سابق وجودها بالمدينة وانتمائها إليها قبل سنة 1415. كان زمام القرصنة البحرية بيدها ومرساتها الرئيسية بني معدن تطوان، ويدعونا هذا إلى الاعتقاد أن سبتة كانت من جملة محطاتها قبل سقوطها.

ظهرت الأسرة أيضاً في بداية القرن العاشر الهجري (16م) في نطاق إحياء عمران مدينة تطوان وحركتها القرصنية على عهد حاكمها علي المنظري وخلفه الحسن المنظري. برز منها أخوان سنة 1515 وقد ركزا نشاطهما على مدينتي سبتة وجبل طارق والسواحل الإسبانية المجاورة، كما شمل عملهما القرصني اعتراض السفن المبحرة عبر مياه جبل طارق انطلاقا من مرسى بليونش وبمياه المحيط من ملجئهم بمرسى العرائش.

وبعد خمس سنوات من النشاط القرصني ضد السفن الإسبانية والبرتغالية، توفي الأخ الأكبر من أسرة خيري، خلال معركة حامية مع السفن البرتغالية السبتية جرت بعرض مياه المدينة يوم 8 مارس سنة 1520.


ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 123، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

J. Mascarenhas, *Historia de la ciudad de Ceuta*, p. 267 - 268 ; G. Enrique Cravioto, G.G. Busto, *El Desarrollo naval de Tetuan en el primer tercio del siglo* 16, p. 39.

أحمد قدور

**خيري، حدو** مقاوم ولد سنة 1922 بمدينة خنيفرة وسط عائلة متواضعة الحال. شارك في مظاهرة خنيفرة بمناسبة 20 غشت، وقام خلالها بعدة أعمال تخريبية ضد مصالح فرنسا من إحراق وإتلاف. وعند تدخل قوات الأمن الفرنسية بهدف تفريق المتظاهرين وحملهم على التراجع عن المواجهة استشهد عدد كبير من الوطنيين وكان حدو خيري من بينهم في نفس اليوم 20 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، ج 2.

**خيشوميات** القوائم Branchiopodes هي قشريات تتميز بجسم مقسم إلى عدة حلقات قد تصل إلى ستين حلقة. بالإضافة إلى الزوائد الرأسية والتي لها دور حسّي، فإن معظم الجسم مكسو بزوائد أو قوائم مصفحة الشكل التي إذا كانت تلعب دوراً مهماً في التنقل (السباحة) فهي تلعب كذلك دوراً مهماً في وظيفة التنفس حيث تمتص مادة الأكسجين مباشرة من الماء ولاشك أن هذا هو السبب الرئيسي في تسمية هاته الحيوانات "بخيشوميات القوائم". تعيش معظم خيشوميات القوائم في المياه القارية والمستنقعات إلا أن القليل منها يعيش كعوالق في البحار وكذلك في المياه الشديدة الملوحة كالملاحات.

تحت اسم "خيشوميات القوائم" تصنّف أربع مجموعات من الأنواع :

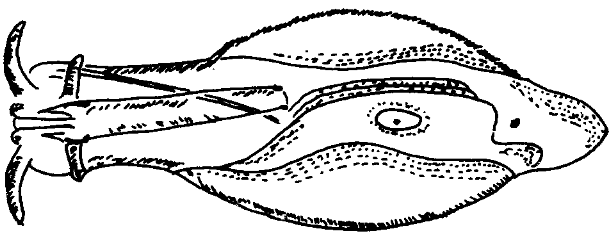

خيشوميات القوائم

1 ـ مجموعة أولى (Anostracés) تتميز بعدم وجود أية صدفة تحمي الجسم، لها أعين محمولة كل واحدة منها على رأس ذنيب كما أن لها زوائد رأسية معقدة التركيب وذات وظيفة ما سكة ولا يتعدى حجمها خمسة وعشرين ملمترا. ولاشك أن من أشهر الأنواع التي تنتمي إليها هاته المجموعة النوع Artemia salina الذي له قدرة هائلة على تحمل الملوحة والذي يمكن كذلك أن يتكاثر عن طريق التوالد العذري أي دون تدخل الحيوانات المنوية للذكر. تكمن أهمية هذا النوع كذلك في استعماله وعلى الصعيد الدولي في تغذية الحيوانات البحرية والمائية التي يمكن تربيتها كالأسماك والرخويات والقشريات مثلاً.

2 ـ أما المجموعة الثانية (Notostracés) فبخلاف المجموعة الأولى تتوفر على قوقعة على شكل ذرع ظهري يغطي ويحمي الجسم.

3 ـ يتميز أفراد المجموعة الثالثة (Conchestracés) بتوفرها على قوقعة ثنائية الصدفة تغطي الجسم كله كالمحار مثلا أو جمل البحر التي تعيش كلها في المياه القارية والساكنة.

4 ـ أما المجموعة الرابعة والأخيرة (Clodocères) فهي تشبه إلى حد ما أنواع المجموعة الثالثة نظراً لتوفرها على قوقعة ثنائية الصدفة إلا أن هاته الصدفة أو القوقعة لا تحمي الجسم كله بل هناك المنطقة الرئيسية التي تدعى حرة بالإضافة إلى قلة عدد زوائدها التي لا تتعدى أربعة أزواج وأعينها التي تنصهر نسبيا لتكون ظاهريا عينا واحدة مما أدى ببعض العلماء لتسميتها بـ"أحادية العين".

ولا شك أن تلك المجموعة الرابعة تعتبر من أهم المجموعات نظرا لكثرة أنواعها وأشكالها وأعدادها، ونظرا لاستيطانها كل أنواع المياه القارية منها والبحرية وكذلك نظراً لدورها البيئي والاقتصادي. فهاته القشريات تكون بالفعل نسبة عالية من العوالق سواء البحرية منها أو القارية وهي تكون بالتالي غذاءا للعديد من أنواع الأسماك والرخويات والقشريات ذات القيمة التجارية العالية بالنسبة للإنسان. ولهاته المجموعة ينتمي مثلا برغوث الماء (Daphries) الذي يستعمل لتغذية بعض الحيوانات المائية أثناء تربيتها نظرا لإمكانية هاته القشريات التكاثر السريع والرهيب إما عن طريق التوالد العادي وإما عن طريق التوالد العذري.

تعيش خيتومات القوائم بشكل أساسي في المياه القارية خاصة منها الراكدة في مصاب الأنهار والبحيرات إلا أن القليل منها فقط يمكنه العيش في المياه البحرية. معظم الأنواع التي تنتمي إلى هاته القشريات تعيش بين العوالق وتكون جزءا أساسيا وضروريا في السلسلة الغذائية في هاته المياه. أما الأنواع التي تعيش في مياه البحر المغربية فلا يتعدى عددها الستة، وهي ذات توزيع شاسع خاصة في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.

*Alfa Sciences*, 1974 ; *Les animaux, Encyclopédie des animaux dans la nature*, vol. 3, 1980 : *Animaux de la mer*, 575 p. ; Poue et Chantail R., *Biologie animale, Zoologie, Invertébria*. Paris, 1962.

محمد منيوي

**الـخيل** والخيول والأخيال لا واحد لها في اللغة، وهي جماعة من الأفراس واحدها الفرس للذكور وللإناث ويسمى الـذكر أيضـاً الجواد والحصـان يجمع على أحصنـة وحصن، وتسمى الأنثى حجراً تجمع على حجور وأحجار وحجورة ولا يقال حجرة. الاسم الشائع عند العامة في المغرب العربي هو الخيل والعـودان مفـرده العود والعـودة للأنثى، وفي اللغـة العود هـو المسن من الإبل، وبـاللسـان الأمـازيغـي أسردون وأييس وإييس وأسرتي.

تنتمي الخيل إلى الحيوانات الثديية اللبونة من طائفة الحافـريـات Ongulés ورتبـة مفـردات الأصـابع Perissodactyles ومن فصيلـة الخيليـات Equidés. يتميز الفرس بإصبع واحد في كل رجل ينتهي بحافر يقوم مقام مخالب أو أظافر الأصابع. وقد تكيف الحافر مع متطلبات الجري والركض ولحقت به عبر الزمن تغيرات تتعلق بأساليب التنقل المفروضـة على الفرس من طرف الإنسـان كـالمشي والجري السريع في سباق الخيل والترويض، الخ.

يتميز الفرس برأس صغير ومستطيل وعينين كبيرتين محميتين بجفون ذات أهداب متفاوتة الطول وسميكة. أذنه مقرنة وشديدة الحركة تنتبه لأدنى صوت. يوجد المنخران عند طرف قصبة الأنف الواقعة في الجزء الأمامي من الرأس ويتوفـر الفم على شفتين متحركتين غليظتين وعلى أسنان متكاملة عددها 44 سنا صيغتها كالتالي :

3 / 3 قوارض، 1/1 أنياب، 4/4 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 44 سنـا. توجد بين الأضـراس والأنيـاب فجوة كبيـرة توضع فيهـا الشكيمـة التي يعتمـد عليهـا الـراكب للتوجيه ولمراقبة السير. غالبا ما تغيب الأنياب عند الإناث (الحجر).

يتصل الرأس بـالجسم بواسطة عنق أهيف يعلوه عـرف من الشعـر الطويل الصلب مصفف جـانبيـا. الجسم مكسو بـزغب سميك وقصيـر، مختلف الألـوان يمكن التمييـز بين الخيـول عند أوصافها، نـذكر منها الكميت (bai) وهو ما يعـادل الأسود والأملس وهو ثـوب ذو لـونين اللون الأسمر للجسم والأسـود للسبيب أي الشعـر الطـويل على العنق، والأشقر وهو ثوب وحيد اللون من غير الأسود، والأشهب وهو ثـوب يختلط فيـه الشعر الأبيض والأسود، كما يلقب الفرس بالمحجل حين يكون مبرقعاً ببقع بيضاء على قوائمه، ويلقب الحصـان الأسود بـالأدهم وهـذا لـون نـادر في الخيل. أدت هذه النعوت إلى إعطاء الفرس عـدة أسماء تغنى بها الشعراء.

يبلغ وزن الفرس البربري أو المغـربي المعـاصر (cheval barbe) 450 ـ360 كيلو غـرام ويبلغ ارتفاعـه عنـد الكتف 143 ـ 153 سنتمتر، وهـو حيوان قـوي وصبـور إلا أنـه أقل رشاقـة من الفرس العـربي الأصيل . رأسه قـوي وجبهتـه محـدبـة بعض الشيء، الصـدر عـريض متنـاسق مع عـرض المؤخرة.. الظهر أقصـر من السلالات الأخـرى ولـه 23 فقرة بدل 24 فقـرة في العمـود الفقـري عنـد الفـرس الـوحشي. الرداف (croupe) مـائل وبـدايـة الذيل منحدرة مقارنـة مع بـاقي السلالات الأخـرى. القـوائم متينـة والأرجل صغيـرة تنتهي بحوافر قرنية ممتازة. يتحمل الجوع والعطش أكثر من أي سلالة أخرى ويتميز بعين سوداء واسعة ولامعة.

يتغـذى من البرسيم والعشب والشعيـر والتبن ويستهلك من كل صنف مـا بين4 ـ5 كيلـو غرام فـي اليوم، وحـفاظا على صحته لا يقدم له العلف بعد العمل مباشرة ولا يشرب الماء مباشرة بعد الجهد. يسـاعده العلف المتـزن على النمـو السريع وغالبا ما يكتمل نموه وبلوغه بعد السنة الثانية من عمره إلا أنـه لا يستعمل للنسل إلا بعـد السنة الثـالثـة أو الرابعة ويعمر ما بين 25 ـ 30 سنة.

تـدوم مـدة الحمل 11 شهـراً وتضع الأنثى مهـراً واحـداً تفطمه بعد خمسة أشهر والتوائم نادرة عند الخيل. يستطيع الصغير أن يقف على قـوائمه بعد بضع ساعـات من وضعه. ويمتاز الفرس السليم بالحيوية والنشاط والمرح.

و الفرس حيـوان عـاشب غيـر مجتر، اتخذه الإنسان من أجل لحومـه أولاً ثم دجنه ليقـوم بخدمـات مختلفة كـالفلاحة والتنقلات وحمل الأثقـال وذلك منـذ مـا يفـوق خمسـة آلاف سنة. ويعتبـر تدجين الفرس مرحلة هـامة في تـاريخ الإنسان وذلك بتقليص المسـافـات التـي كـانت حـاجزاً للمـواصلات، وجر البضـائع وحملهـا على العـربـات ونقلهـا، الشيء الـذي أدى إلى إنشـاء الطرق وتـوسيعهـا والاعتنـاء بهـا. فـالحصان كان بمثابة السيارة بالنسبة للوقت الحاضر.

تعـرف للخيـول المعـاصرة عـدة سلالات وضروب تنحدر كلهـا من نـوعين : حصـان طربـان أوكرانيـا الـوحشي Equus caballus gmelini الـذي انقرض خلال القـرن التـاسع عشـر الميلادي، وحصـان بـرجيفـالسكي Equus caballus przewalskii poliakov الذي مـا يزال يعيش بآسيـا الوسطى وسهـول منغـوليـا، وهـو حصـان سمين وقصيـر لا يتعـدى ارتفـاعـه عنـد الغـارب متـراً ونصف. ويـرجع تـاريخ إدخـال الحصان إلى الأراضي المغاربية إلى عصور ما قبل التاريخ.

تعرض الحصان الوحشي إلى عدة مضايقات من الإنسان عبر الزمن إذ بالغ في اصطيـاده قصد التـدجين وأكل لحومه مما أدى إلـى انخفـاض شديـد في عـدد أفـراده ولم تبق إلا القلة القليلة من الفرس الوحشي في العالم.

وتسمى السلالات من الخيول عروق الخيـل ومن أشهرها في العـالم نـذكر السلالـة الآسيـوية الآريـة caballus Equus asiaticus وإليهـا ينسـب الفـرس العـربي الأصيـل والفـرس المغربي اللذان يعدان من أجمل ضروب الخيل في العالم ومن أصلح الأفراس للركوب.

تقسم الخيــول فـي علم الخيل الحديث إلـى حـوالي 200 سلالة تختلف من حيث شكل أطرافها (مستقيمة، محدبة، مقعرة)، من حيث القـد وطول القـامة (كبيـرة، متـوسطة، قـزمة) ومن حيث طـولها جمعـا بين الـرأس والجسم (طـوال، متوسطة، قصار).

نـذكـر من بين هـذا التقسيم جبـابـرة الخيل أو الخيـول الثقيلة التي تتميز قطعا عن الخيول الخفيفة في أصولها، وهي خيـول غـريبـة الحجم أصلهـا في أوربـا وعلى الأخص أرض هولندا وبلجيكا وشمال فرنسا، ومنها الفرس الثقيل Ardennais منسل من آباء أوربية وله قوة في الشد عظيمة وهـو الـذي ركب آبـاءه فـرسـان القـرون الـوسطى بما على أجسامهم من دروع فولاذية ثقيلة، والفرس الإنجليـزي شاير Shire الذي يفوق علوه 180 سم، يتميـز بـوجـود خصل من الشعر عند سيقانـه ويتعدى وزنه ألف كيلو غـرام. والجواد العربي الـذي كـان لـه أكبر الأثـر وأوسعـه في تحسين أكثـر أنسال العالم من الخيل، والفرس البربري والفرس التـركي. ومن بين أقزام الخيل نـذكـر فرس بـوهيمـية وفـرس اسلانـدا وفـــرس الصين (Poney) وفـــرس فـــالابيلا Felabella الأرجنتيني الـذي يقل ارتفـاعـه عن 75 سم. وهي خيـول صغيـرة القد وخفيفة الوزن، منهـا عـدة عينات في مـرابض الخيل وفي الحدائق الحيـوانيـة العموميـة المغربية، استـوردت جلها من فرنسا.

وقد نشأت سلالة الفرس العربي الأصيل في شبه الجزيرة العـربيـة ثم في اليمن وآسيا وأتى بهـا العرب إلى أفـريقيـا وبعدها إلى أوربا وانتشرت حالياً في العالم أجمع.

ويسمى الفرس البربري أو المغربي بالانجليزية Barabary horse وبالفـرنسية Cheval barbe وهـو فـرس من العـروق الخيليـة الصـالحة للـركـوب وتحمل مشـاق الفلاحـة وصعـود الجبال والجر والحروب. من الصعب تحديد تاريخ ثبوت العرق البـربري الأصيل، ويـرجع انحـدار أصله إلى الخيـول التي كـانت تعيش قرب السواحل الليبيـة في القرن الحادي عشر قبل الميلاد و التي كـانت تستعمل خـاصـة للحـروب. ومنذ القـرن الســادس عشـر الميلادي، أطلق عليـه اسم الحصـان البربري (cheval barbe = cheval de barbarie) نسبـة إلى الشمال الأفريقي آنذاك.

وتعـد السلالات المختلفـة المعـاصـرة نتيجـة انتقـاءات وتصـالبـات بين مختلف الضـروب والأنـواع قـام الإنسـان بتحقيقها عبـر آلاف السنين. ويذكر التاريخ أن مـدينة بـابل (Babylone) عـرفت عـدداً كبيـراً من الخيـول المدجنـة خلال القرن العشـرين قبل ميلاد المسيح وبعد ذلك بحوالي ثلاثـة قـرون نقلت منهـا عــدة وحـدات إلى مصـر. ومن خلال السلالات البـابيلونيـة والمصريـة ظهـر الفرس العـربي في الشرق الأوسط وشبـه الجزيـرة العربيـة والفرس البـربري في شمال إفريقيـا والفرس التـركي في الشـرق الأوسط. وقبل ظهور الإسلام، حافظ سكان أفريقيـا الشمالية على السلالة البـربـريـة واعتنـوا بهـا وعـودوهـا على تحمل المشـاق مع استخدامها في عدة مجالات. ولما دخل العرب هذه المنطقة بعد الفتوحات الإسلامية، عرفت سلالة الفرس البربري عدة تصالبـات مع سلالـة الفرس العربي الأصيل وسلالـة الفرس التـركي مما أدى إلى ظهـور عـدة سلالات أخرى أثرت على العرق البربري الذي لعب دوراً هاماً في ميادين الحروب عبر الفتوحات الإسلاميـة وغزو الأندلس وفي مهرجـانات الفرس الشـائعـة في الشمـال الأفـريقي. لقد أكثـر العرب من هـذه السلالة ونقلوها إلى الأندلس وجنوب أوربا ابتداء من القرن الثـامن الميلادي، وإلى أوربـا الـوسطى والجزر البـريطـانيـة خلال القرن الثاني عشر. وخلال القـرن السابع عشر الميلادي بـدأت علوم الخيليـات تتطور على إثـر تجارب التصـالبـات النسليـة بين الفحول المغـربيـة والعربيـة والتـركية مع الخيـول الفرنسية والبريطانية.

وقـد أصبح العـرق الإنجليـزي الصـافي (pur - sang anglais) يكـون سلالة ثـابتـة في بدايـة القرن الثامن عشـر بعد مرور قرن من التجارب، منذ سنة 1660 إلى سنة 1760 وكـان من وراء هذا الانتقـاء العرقي مـا يزيد عن 200 فحل من أصل عـربي وتـركي وبربـري أشهرهـا الخيـول الإنـاث الإنجليـزيـة الأصيلـة والفحل البـربري الأصيل جولـدافين (Goldaphinbarb) والفحل العـربي الأصيل دارلي (Darley arabian) والفحل التـركي بيبـرلي (Beyerley turk). تعـد هذه السلالـة أسـرع السلالات فـي السبـاق وتستعمل أيضـاً في الصيـد الجمـاعـي. تلقب السلالـة الانجليـزيـة بـالفـرس الصريح أو الكريم أو العتيق وقد اعتنى بها المربون وأكثروا منهـا مما جعلهـا شـائعة في العـالم لكثـرة الإقبال عليهـا في سباق الخيل.

أدي ولع المغـاربيين وشغفهم بـالفـرس البـربـري، خلال العقـدين الأخيرين من القـرن العشرين، إلى تأسيس المنظمـة العالميـة للفرس البربري سنة 1987 بـالجزائر العـاصمـة، نتج عنهـا ارتفـاع عـدد الخيـول البربـريـة بعـد أن عـرف انخفـاضـا ملموسا على الصعيد الدولي.

ويستعمل الفـرس المغـربي في ميـاديـن الفلاحـة والجر والـركـوب والسفـر والحمل في القـوافل التجـاريـة. استعمل الفرس أيضـاً في جميع الحروب وقد ورد ذكـره في القـرآن الكريم في سورة العاديات التي تصف الخيل وهي تعدو في الغزو وتصيح وتـوري النـار بحـوافـرهـا ليلا إذا سـارت في الأرض ذات الحجـارة، وتثيـر غبـاراً بشدة حركـاتهـا. ولخص الشاعر امرؤ القيس وصف سير الفرس قائلاً :

مكر مفر مقبل مدبـر معاً     كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقال المتنبي :

أعز مكان في الدنيا ظهر سابـح     وخير جليس في الزمان كتاب

وقـال رسـول الله (صلعم) : "علموا أبنـاءكم السبـاحـة والمسايفة وركوب الخيل".

أحب المغاربة الخيل منذ فجر التاريخ وجعلوا من الفرس حيوانا في خدمة الإنسان واعتنوا به واعطوه مكانة عظيمة وقـامـوا بتـدريبـه وترويضـه، كما أن معظم الشعـراء نظمـوا أبيـاتا عـديدة تدعو إلى العنايـة والرعاية لهذا الحيوان الذي لعب دوراً هـامـاً في مختلف الميـادين لإرضـاء رغبـات الإنسان. ولعل "لعب البارود" (fantasia) الذي تمتد جذوره

إلى زمن الحروب، والذي يسعى المغاربة إلى المحافظة على طابعه الروحاني، لخير دليل على مدى تشبثهم بهذا التراث الأصيل الذي أصبح يصاحب كل الحفلات الدينية والوطنية في مختلف مناطق المغرب.

في سنة 1912، أنشأت مصالح الحماية ما يسمى آنذاك بالمؤسسات الخيلية بكل من تمارة ومكناس، وبعد ذلك بقليل، بالجديدة ووجدة ومراكش، حيث تم إيداع فحول مختارة بهذه المرافق قصد تشجيع إنتاج الخيول التي كانت تعزز صفوف الخيالة (cavalerie). وفي سنة 1947 أُدمجت هذه المؤسسات في قطاع الفلاحة حيث سميت "مرابط الخيول الوطنية" واحتفظ بهذا الاسم إلى بداية التسعينيات حيث سميت بالحريسات الوطنية (Haras nationaux). تتجلى مهام هذه المؤسسات في وضع الفحول المنتقاة رهن إشارة مربي الخيول قصد تكثيف الإنتاج وتحسينه. ومن أجل هذا الغرض فإن الحريسات الوطنية تتوفر على فحول من سلالات متعددة كالعربي الأصيل والبربري والأنجليزي الأصيل والعربي البربري وخيول الجر وكذلك الخيول البغلية (baudets). وعدد هذه الحريسات خمسة : مراكش، الجديدة، بوزنيقة، مكناس ووجدة، تؤطر ما يقرب من 80 محطة موزعة عبر التراب الوطني وهدفها تجويد النسل لعروق الخيل بالمغرب.

وتعتني هذه المؤسسات أيضاً بإحصاء ومراقبة الإنتاج وتوجيه مربي الخيول، كما أنها تسهر على مسك دفاتر الأنسال stud book وتنظم في أغلب مناطق المغرب مباريات تشجيعية للخيول المتوفرة على بطاقة النسل وتمد شركات سباق الخيل بالدعم التقني.

وتوجد بالمغرب مؤسسة تسهر على تنظيم سباق الخيول وهي الشركة الملكية لتشجيع الفرس والتي تشرف على أربع شركات مقننة لسباق الفرس مقرها في الرباط والدار البيضاء وسطات والجديدة، وعلى ثماني شركات غير مقننة توجد في كل من وجدة وفاس ومكناس وخنيفرة والقنيطرة والخميسات ومراكش وأگادير. تنظم الفئة الأولى سباقات لسلالات الفرس العربي الأصيل والانجليزي الأصيل والعربي الأنجليزي. أما الفئة الثانية فتختص في سباقات العربي البربري. وفي ما يلي جدول لعدد الخيول المشاركة في مختلف السباقات :

| السلالات | عدد الأفراد | عدد المشاركين في السباق |
|---|---|---|
| عربي أصيل | 2000 | 1000 |
| أنجليزي أصيل | 3000 | 1500 |
| عربي أنجليزي | 300 | 150 |
| سلالات أخرى | 5000 | 3000 |

وتوجد في المغرب أيضاً مؤسسة تسهر على تنظيم مباريات في الفروسية العصرية كالقفز على الحواجز والترويض. ينضوي تحت هذه الجامعة 37 نادياً للفروسية توجد بمختلف أقاليم المملكة. تشارك في هذه المباريات خيول من نوع خاص، غالباً ما تكون هجينا بين عدة سلالات معروفة باختصاصها في القفز.

يتراوح عدد الخيول في المغرب ما بين 150000 - 200000 فرداً كما يوضح ذلك جدول إحصائيات الخيل في المغرب مع المقارنة بعدد الجمال والحمير والبغال. ومن الملاحظ أن عدد البغال يفوق بكثير عدد الخيل ويرجع هذا إلى قلة استعمال الفرس واستبداله بالبغل الذي يتحمل أكبر المتاعب في البوادي والجبال.

| | 1984 | 1985 | 1986 | 1987 |
|---|---|---|---|---|
| الخيل | 152.501 | 173.230 | 172.347 | 188.615 |
| البغال | 448.835 | 474.684 | 493.898 | 523.770 |
| الحمير | 707.473 | 741.421 | 785.037 | 854.125 |
| الجمال | 41.108 | 39.951 | 37.421 | 40.778 |

| | 1988 | 1991 | 1992 | 1993 |
|---|---|---|---|---|
| الخيل | 197.600 | 191.400 | 185.622 | 162.300 |
| البغال | 511.262 | 529.100 | 528.426 | 525.900 |
| الحمير | 904.109 | 919.400 | 981.593 | 904.500 |
| الجمال | 35.597 | - | 38.845 | - |

| | 1994 | 1995 | 1996 | 1997 |
|---|---|---|---|---|
| الخيل | 165.100 | 161.600 | 155.700 | 145.100 |
| البغال | 527.000 | 539.700 | 522.800 | 515.900 |
| الحمير | 915.900 | 953.700 | 918.600 | 949.200 |
| الجمال | - | - | - | - |

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، لبنان، ط.3، 1988؛ أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة1932 ؛ أ. زكي، *في سبيل موسوعة علمية*، ط. 6، دار الشرق،1994 ؛ *علم النباتات والحيوانات*، المسوعة الحديثة، الجزا 7 سيلكا سويسرا،1990 ؛ م. رمضاني، *البغل في المغرب*. *الموسوعة المغربية*، الجزء 5، 1996.

Direction de la statistique, *Effectif du cheptel et des animaux de trait. Annuaire statistique du Maroc*, 1989, 1996 et 1998, Rabat ; *Encarta, Encyclopédie microsoft*, 1997 ; E.J. Roux, *Le cheval barbe*. 1987 ; N. de Bolomac et D. Bogros, *L'arabe, premier cheval de sang*. 1978 , Ph. Ploquin et F. Peuriot, *Les chevaux du royaume*, 1990 ; J. Kidd, *L'élevage des chevaux et des poneys*, Paris , 1977 ; E. Hartl Y Edwards, *Races et types de chevaux*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

** يعود تدجين الخيل إلى العصر الحجري، إلا أن عملية التدجين الأولى لا يعرف مكانها بالتحديد، والغالب أن الموطن الأصلي الذي دجن فيه الفرس وأصبح في خدمة الإنسان هو بلاد الرافدين وبالتحديد في عهد ازدهار الحضارة الآشورية ( *قصة الحضارة* Peuples et civilisations) ؛ على أنه لا ينبغي أن يفهم من عملية التدجين أنها عملية واحدة تمت في المشرق ومنها تناسلت الأنواع الموجودة مثلاً في العصر الوسيط، بل إن الإنسان قام بعلميات التدجين للفرس ولكثير من الحيوانات الأخرى في مناطق متفرقة وعلى امتداد تاريخ طويل، وقد يكون الفرس المدجن في بلاد الرافدين انقرض بعد العصر الحجري أو عاد إلى توحشه بعد تغير المعطيات البشرية والظروف الطبيعية. ومن المحتمل جدا أن يكون الفرس المغربي الأصيل الذي عرف في العصر الوسيط الأدنى بالبربري (*وصف افريقيا* 2 : 167، 170، 262، 263) ؛ أو بارب Barb (*افريقيا*، 1 : 71، 729) من المحتمل أن يكون منحدراً من نوع مدجن في الشام أو في شبه الجزيرة العربية، وأدخلته الهجرات الأولى التي قامت بها الشعوب القديمة نحو الشمال والغرب (p. 71 planche B, *La Grèce et l'Orient*).

إذا ما سلمنا باستيراد الخيل إلى المغرب وبباقي الحيوانات الأليفة الأخرى فإن ذلك معناه أن كل ما عرفه المغرب من أنواع الحيوانات الأليفة والنباتات كان مصدره الشرق الأوسط.

وقد ذهبت بعض الآراء التوفيقية إلى أن المغرب عرف بعض أنواع الحيوانات (دواب ومواشي). لكنها لم تكن فلاحية بمعنى أنه ليس لها مردودية اقتصادية ( *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط* L'Agriculture à travers les âges ) لكن الكثير من الاكتشافات والوقائع والنصوص تكذب هذه الآراء (*العبر*، 6 : 224، 225) فالتدجين كما أشرت آنفا ليس عملية واحدة في الزمان والمكان وليست عملية نهائية. وبناء على ذلك وعلى تجارب ملموسة فإنه لا يمكن إنكار دور المغرب في تدجين بعض الحيوانات على أرضه ومنها الخيول، بدليل أنه - وإلى يومنا هذا - يحدث في أوقات الشدة والجفاف التخلي عن الكثير من الدواب فتهيم على وجهها وتصبح متوحشة وعندئذ يحتاج تدجينها إلى مهارة الإنسان في صيدها وترويضها وتربيتها. ومن هنا يمكن القول إن الخيول التي عرفها المغرب وخاصة منها النوع البربري قد دجنت انطلاقا من المراعي والمروج الجيدة التي اجتذبت أعداداً منها ؛ وليس غريبا أن نجد تطابقا في العصر الوسيط ما بين المناطق التي اشتهرت بإنتاج الخيول وبين غناها بالمراعي والمروج الخضراء ذات المناخ الملائم لتربية الخيول وإنتاجها طيلة السنة (البكري، المغرب، ص.

90 ؛ *الاستبصار*، ص. 187 ؛ *وصف إفريقيا*،2 :166، 262، 263 ؛ *إفريقيا*، 1 : 71 و72).

لم تهتم المصادر التي أوردت أخبار المغرب الوسيط بأنواع الخيول عدا مصدر واحد هو *كتاب المغرب* للبكري، فقد ذكر خيولا سماها الخيول الحميدية نسبة إلى بني حميد وهم فرع من قبيلة بني حسان الغمارية، وذكر صاحب *الاستبصار* خيول بني فازاز ؛ وحتى إشارات كتب *المسالك والممالك* عن صادرات المغرب إلى المشرق ومنها الخيول العراب ( *الأعلاق النفيسة*، ص. 40) لا تفيدنا كثيرا في الموضوع فلا نعرف هل الأمر يتعلق بأنواع متميزة أم بتربية جيدة لأنواع معروفة خاصة وأن المنطقتين المذكورتين : بنو حسان وبنو فازاز هي المناطق الوحيدة المشهورة بإنتاج الخيول في المغرب طيلة العصر الوسيط.

ولم يذكر الحسن الوزان في كتابه *وصف إفريقيا* وهو مصدر متأخر كثيرا عن البكري وصاحب *الاستبصار* الخيول الحميدية، ولكنه ميز بين نوعين من الخيول المغربية :

- النوع البربري والذي قال إنه معروف في أوربا باسم Barb بارب.
- النوع العربي الذي دخل بشكل محدود مع الفاتحين المسلمين.

أما الوجود القوي المؤثر للنوع العربي فيرجع إلى العهد الموحدي ( *أثر القبائل العربية على الحياة المغربية*) حين نزحت القبائل العربية الهلالية وتم إنزالها في عهد يعقوب المنصور بسهول دكالة وتامسنا والغرب ؛ ورغم أن التأثيرات الهلالية والمعقلية كانت أعمق في خلق تقاليد جديدة وأساليب متطورة في تربية الخيول ومعرفة أنواعها واستعمالاتها فإن أعدادها بقيت محدودة ؛ أما البربري أو "البارب" المنتج في جبال غمارة وجبال فازاز وسهول الهبط والغرب فالحسن الوزان نفسه وفي معرض حديثه عن قبيل بني حميد في جبال غمارة (الريف) لم يذكر إنتاجا للخيول بل ولم يشر إلى وجود خيول جيدة في المنطقة مما يعني أن النوع المحلي (بارب) كان قد انتشر في المغرب وخارجه واختلط بأنواع أخرى ففقد اسمه المرتبط ببني حميد وبني فازاز (المغرب. ص. 90 ؛ *وصف افريقيا*، 1 : 262-263).

وأهم مناطق إنتاج الخيول في المغرب خلال العصر الوسيط هي جبال غمارة ومنطقة الهبط وأزغار، وبالذات عند بطن نفقاوة من فرع بني حميد من قبيلة بني حسان المصمودية (الخيل الحميدية) اشتهرت بجودتها داخل المغرب وخارجه (البكري، *المغرب*). أما جودة الإنتاج وشهرته فتعود بالأساس إلى خبرة بني حميد وإلى مجالها الطبيعي الذي كان مجالا شاسعا ومتنوع النبيت والمناخ يوفر المراعي والمروج والطقس الملائم على مدار السنة، فابن خلدون ذكر أن مجال قبيلة بني حسان الغمارية - التي من فروعها : بنو حميد - يمتد على طول الساحل الأطلنتيكي من وادي لكوس إلى نهر أبي رقراق ( *العبر*،6 :211). ومن المعروف أن الخيول لا تتحمل الطبيعة الجبلية في الشتاء، فكان الحميديون يرسلونها إلى المراعي السهلية الدافئة والمروج الدائمة الاخضرار في فصل الشتاء وفي فصل الصيف عندما ترتفع درجة الحرارة وتنتشر حمى المستنقعات يرسلون خيولهم إلى المراعي الجبلية الخصبة والمعتدلة المناخ في جبال غمارة - الريف( *الاستبصار*، ص. 187).

إنها خصائص محلية ومميزات مناخية وطبيعية جعلت شهرة تلك الخيول تطبق الآفاق (البكري، المغرب) وتصدر طيلة العصر الوسيط خارج المنطقة وخارج المغرب باتجاه الأندلس والسودان، ويرسلها الملوك هدايا إلى ملوك الأندلس وأمرائها وأمراء إفريقية وملوك مصر وغيرها.

المنطقة الثانية لإنتاج الخيول في المغرب الوسيط :جبال فازاز — الأطلس المتوسط والجزء الشرقي من الهضبة الوسطى - هذه المنطقة مشابهة في طبيعتها ومناخها لجبال غمارة فكانت قبيلة فازاز تنتجع بمواشيها وخيولها سهل أزغار في فصل الشتاء، أي أنهم زاحموا بني حسان في مشاتيهم، وتستفيد خيولهم من المراعي الجبلية الخصبة والمعتدلة صيفا ( *الاستبصار*، ص. 187 ؛ *الروض المعطار*، ص. 435) إذ أهمية الإنتاج في هاتين المنطقتين ومثيلاتها في جبال الونشريس بالمغرب الأوسط هو الذي يفسر إسراع الخليفة الموحدي عبد المومن إلى غزوها وهو في بداية أمره، وحتى قبل تثبيت حكمه، أي أن المخزن الموحدي أراد بذلك ضمان تزوده بالخيول ووضع يده على أهم مناطق إنتاجها، ولا تخفى على أحد الأهمية الإستراتيجية التي تكتسيها الخيول في أية دولة سواء وقت السلم أو الحرب ( *أخبار المهدي*، ص. 50، 51، 52 ؛ *نظم الجمان*، ص. 262).

تلك الخصائص الطبيعية والميزات البشرية في مغرب العصر الوسيط التي أعطت للإنتاج المغربي للخيول أهمية كبرى ونوعية ممتازة ستتغير في عهد الخليفة الموحدي يعقوب المنصور، فتوطينه للقبائل الهلالية في سهول دكالة وتامسنا وتادلا وأزغار والهبط أضر كثيرا بالمنطقة ؛ فبعد ضعف المخزن الموحدي لم تعد تلك القبائل منضبطة فاكتسحت أراضي القبائل البربرية وحرمتها من مشاتيها، إضافة إلى استفحال الاضطرابات وسيادة الخوف وجو الحرب ؛ فكان لهذا الوضع الجديد أثره الكبير علي إنتاج الخيول البربرية قبل أن تصبح القبائل الحسانية والفازازية عاجزة بالمرة عن الإنتاج حتى إن الأجيال اللاحقة نسيت تقاليد أسلافها وخبرتهم في ميدان إنتاج الخيول. ومما يؤكد ذلك أن المصادر المتأخرة (ق. 16 م.) لم يرد فيها أي أثر لذلك الإنتاج (*وصف إفريقيا*،1 : 252)، (*إفريقيا*،2 :255)، فأهمية المروج — (أگدال) — أساسية في تربية الخيول وإنتاجها، وسيطرة القبائل الهلالية على أزغار والهبط مكنها من هذه المعطيات فانتقل بذلك دور إنتاج الخيول وتربيتها إليها فكان ذلك من أسباب قوتها وهيبتها (*البيان*، ص. 142 و296 ؛ *القرطاس*، 395 ؛ *المن بالأمامة*،

348 ؛ ، *الاستبصار*، 2 : 143 و3 : 128).

إشارات المصادر الوسيطية إلى إنتاج الخيول قليلة، ولعل ذلك راجع لمحدودية المناطق المنتجة - كما رأينا -، لكن حديثها عن امتلاك الخيول ووفرتها كان أكبر، وبنظرة سريعة إلى أعداد الفرسان الواردة فيها والتي شاركت في مختلف الحروب، وكذا الإشارات إلى أعداد خيول الغنائم، تعطينا فكرة تقريبية عن حجم الخيول في البلاد وتقلبات أعدادها ؛ على أن ذلك لا يمنعنا من القول إن إنتاج الخيول وتربيتها وامتلاكها كان قليلا جدا إلى بداية عهد الدولة المرابطية والموحدية، فالمرابطون في بداية أمرهم حاربوا على الإبل وراجلين (*الحلل الموشية*، ص. 21 ؛ المغرب، ص. 166 ؛ *العبر*، 1 : 268)، ولم تكن للموحدين في بداية دعوتهم خيول إلا ما غنموه من الحروب والغزوات ضد خصومهم من المرابطين وغيرهم (*أخبار المهدي*، 32 ؛ *نظم الجمان*، 242 ؛ *المن*، 158 و331 و348 و349)، فحاجة الدولتين الناشئتين إلى الخيول دفعتهما للإسراع بفتح مناطق إنتاج الخيول : غمارة، فازاز في المغرب الأقصى، وادي شلف وجبال الونشريس في المغرب الأوسط.

استمر الخصاص وقلة الخيول طيلة القرون الوسطى لاستمرار تزايد الطلب وبسبب استمرار الحروب وتعدد الجبهات، فالعرض ظل دائما أقل بكثير من الطلب، ويضاف إلى هذا العامل عامل الرفه وتحسن المستوى المعاشي النسبي للسكان خاصة في العهدين المرابطي والموحدي فكانت الفئة المترفة تقتني الخيول الفارهة خاصة في فترات الازدهار والاستقرار السياسي، مما جعل أثمنتها ترتفع وتصبح أحسن هدية يقدمها المخزن المغربي لأصدقائه وضيوفه وأعوانه (*العبر*،7 : 226 ؛ *المسند*، 452 ـ 453 ؛ *الاستقصا* ، 1 : 217 و219، 3 : 128 . 128 . 129).

ورغم مجيء القبائل العربية ـ هلالية ومعقلية ـ إلى المغرب وإدخالها لأنواع جديدة من الخيول والتقاليد المتطورة في تربيتها فإن التفاوت الكبير بين العرض والطلب استمر في الاتساع، بل إن أعداد الخيول المنتجة والمرباة بالمغرب تضاءلت أكثر ابتداءً من العهد المريني المتأخر والعهد الوطاسي حتى أصبح امتلاك الفرس رمزا للقوة والجاه عند الأفراد والجماعات. فالقبيلة المتوفرة على أعداد من الخيول والفرسان تكون في مأمن من أطماع الخصوم، ولا تخضع للمخزن أو لقبيلة أخرى في هذه الفترة التاريخية.

وقد عايش الحسن الوزان هذه الوضعية وتتبعها بدقة في كتابه *وصف إفريقيا* فأشار إلى الأثمنة الخيالية التي بلغتها الخيول المصدرة من المغرب إلى السودان، وقارن بينها وبين أسعار الخيول في أوربا (*وصف إفريقيا*، 2 : 262 . 263 . 166 . 167 . 170) ؛ وبدل أن يكون هذا العامل محفزاً للزيادة في الإنتاج كان عاملا سلبيا إذ شجع على تهريب الخيول وسرقتها (*المعيار*،8 : 78 و81 ؛ *وصف إفريقيا*، 1: 170)، ولم يعد امتلاك فرس في متناول الفئات المتوسطة من الناس لما يتطلبه من عناية وتكاليف إضافة إلى ثمنه المرتفع، لذلك تركز امتلاك الخيول في أيدي القادرين عليها وفي طليعة هؤلاء المخزن والأمراء والأعيان وكبار التجار وشيوخ القبائل وأتباعهم وأعوانهم ؛ فركوب الفرس وامتلاكه والتنقل بواسطته في غير أوقات الحروب يعتبر مؤشرا على ارتفاع في المستوى الاجتماعي (*المسند*، 143 ؛ *القرطاس*، 395 ؛ *العبر*،7 : 226 ؛ *المقدمة*، 268)، وتجريد المخزن لقبيلة من خيولها يعني القضاء عليها وإذلالها إذ تنزل إلى مرتبة غمار الناس (*الاستقصا* ،5 : 97 ـ 98) ؛ وابتداء من أواخر العهد المريني أصبحت الخيول تحبس في سبيل الجهاد، وأصبح الناس يشتركون في فرس واحد أو رمكة، مما يدل على الارتفاع الكبير في أثمنتها (*المعيار*،8 : 78 . 81 ؛ *فتاوى ابن رشد*).

ونتيجة لتراجع المناطق الزراعية في السهول وانحسارها في باقي المناطق أواخر العصر الوسيط، انتشرت تربية الخيول في مناطق غير ملائمة لها، فأعطت خيولا أقل جودة إلى رديئة، فكان الحسن الوزان أكبر شاهد على هذا التقهقر وسجله بدقة في معرض حديثه عن القبائل والجهات والمدن وأشار إلى أن الخيول الجيدة كانت محتكرة من شيوخ القبائل وخاصة القبائل العربية حتى إن المخزن الوطاسي كان مضطرا للاعتماد عليها في حروبه وغزواته (*وصف إفريقيا* ، 1 : 126 و128 ؛ *الاستقصا* ، 4 : 118 ـ 119 و153 وما بعدها).

استخدمت الخيول في مجالات متعددة وأغراض مختلفة طيلة العصر الوسيط، لكن الاستغلال الأكثر شيوعا الذي اهتمت به المصادر أكثر من غيره هو استخدامها في الحروب والتنقل، فالخيول هي أحسن وسيلة للسفر البري غير أنها لم تكن في متناول الجميع، بل اقتصر هذا الاستغلال على المخزن وأعوانه، وعلى الفئات الميسورة ؛ وبحسب استغلالها واستخدامها كانت الخيول تربى وتروض، فالخيول المعدة للحروب يتم تدريبها تدريبا خاصا وإعدادها حسب فنون القتال، فخيول المبارزة غير خيول الهجوم وهذه ليست خيول الكر والفر أو الإغاثة إلى غير ذلك من فنون القتال وألوانه ؛ وهذه الخيول لا يدخل ركوبها في الصنف الذي يكسب الأبهة والمكانة الاجتماعية الراقية، إذ الشرط الوحيد لركوبها أن يكون الشخص فارسا شجاعا ومحاربا ماهرا لا يدخل في ذلك نسبه وحسبه ولا لونه، وتدرب خيول الركوب على الأسفار أو على التجوال داخل المدن وخارجها، أما الخيول الخاصة بالصيد والمطاردة وخيول السباق وخيول البريد والرسل فتدرب تدريبا خاصا.

- خيول السباق والصيد والبريد المستعجل : تعتبر هذه الأنواع من أسرع الخيول ويتم تدريبها وترويضها لهذا الغرض وتعرض على التجربة والامتحان وأصعب امتحان لها هو مسابقة حيوانات النعام واللمط ومطاردتها ؛ فإذا تمكن راكبها من صيد تلك الحيوانات على فرسه عد من أسرع الخيول وكان ثمنه مرتفعا.

ـ خيول النقل والجر وخيول الحمل : خيول النقل خاصة بركوب الأشخاص وتنقلهم من مكان إلى مكان في الأسفار القصيرة والمتوسطة وتربى لهذا الغرض وهي في ملكية أصحابها ومنها التي تكترى للسفر وفق شروط معروفة، أما خيول الجر وخاصة جر العربات فلم تكن مستعملة في المغرب الوسيطي رغم أن استعمالها كان شائعا في الكثير من الحضارات القديمة ومنها الحضارة الرومانية، وقد أستعملها الرومان في المغرب ؛ ووردت في المصادر الوسيطية إشارات قليلة عن استخدام الخيول لجر الأخشاب والصخور والأحجار الضخمة المستعملة في البناء، وجر المحاريث واستعملت الخيول لحمل المحفة وهي وسيلة خاصة بتنقل الملوك وكبار رجال الدولة في الأسفار البعيدة وخيول المحفة مدربة تدريبا خاصا، أما خيول الحمل (الحمالة) المستعملة لحمل البضائع وسائر الأثقال على ظهورها فهي خيول غير جيدة وغالبا ما تكون مسنة أو أعفيت من خدمات أخرى تعرف بالبراذين (الوزان، وصف، 185 و187).

لا تتحمل الخيول البرودة والحرارة الشديدة، فالرمال الصحراوية الحارة والأراضي الشديدة الخشونة تضر بحوافرها فتعجز عن الركض وأحيانا حتى عن السير العادي قبل أن تهلك ولا يمكنها أيضا الجري والركض بصفة متواصلة وبكامل طاقتها إلا لمسافة محدودة تتراوح في المعدل ما بين ثلاثين إلى أربعين كيلومتر في مناخ معتدل، فالعناية بالخيول وإعدادها يختلف باختلاف الخدمات المطلوبة منها، فمثلا لإعداد الخيول لمهام تبذل فيها طاقة وجهد كبير يجب أن تعلف ليلة القيام بالمهام المذكورة ؛ وتلافيا للنزاع حول الخيول وللسرقة، ولحماية مصالح المخزن والمحافظة على هيبته، اختص المخزن والفئة الحاكمة بنوع معين من الخيول الفارهة، مميزة إما بلونها أو بسلالتها، إضافة إلى وضع علامات خاصة عليها بواسطة الكي (*التشوف*، 403 ؛ *المعيار*، 7 : 958 و104 و181 ـ 182 و185 ؛ فتاوى، 1 :313 ؛ *كتاب الفلاحة لابن العوام*) واختصت الخيول المحبسة بعلامة خاصة، واتبع الخواص الطريقة نفسها فعلموا خيولهم ووسموها.


ع. ابن خلدون، *العبر*... بيروت ؛ ع. البكري، *المغرب في ذكر افريقية والمغرب*، الجزائر، 1911 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار*، الاسكندرية، 1958 ؛ حاج صادق، *صفة المغرب وأوربا في ق. 3/ 9* ...، الجزائر 1949 ؛ الحميري، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، بيروت، 1957 ؛ أ. البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين*، الرباط، 1971 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، البيضاء، 1954 و1955 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تطوان ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تطوان، 1960 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، البيضاء، 1979 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*... الجزائر 1981 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار المعرب*، بيروت، 1981 ؛ م. ابن رشد، *فتاوى*، بيروت، 1987 ؛ ابن العوام، *كتاب الفلاحة* ؛ القلقشندي، صبح *الأعشى*، القاهرة، 1919 ؛ الجاحظ، *كتاب الحيوان* ؛ الدميري، *كتاب الحيوان* ؛ ابن وحشية، *الفلاحة النبطية*، مصورة فرانكورت ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن، 1938 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، نابولي ، إيطاليا ؟ ؛ ابن صاحب الصلاة، *كتاب المن بالإمامة*... ؛ ابن عذاري، *البيان*، البيضاء، 1983؛ سسورانت، 3878ويل ديسقصة *الحضارة* (مترجم)، القاهرة، 1956 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، الرباط، 1984 ؛ م. الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، مرقون كلية الآداب بالرباط ؛ مصطفى أبو ضيف، *أثر القبائل العربية في الحياة المغربية*، البيضاء، 1986.

R. Grand, *La Grece et l'Orient*, Paris 1964 ; *L'agriculture à travers les âges...*, Paris, 1950 ; Martin, *Géographie du Maroc*, Casablanca, 1967 ; *Encylopédie peuples et civilisations.*


محمد حجاج الطويل

**الخيمة**، من أقدم أنواع المسكن في المغرب، إنها النوع الأكثر استجابة للتنقل كيفما كانت طبيعة السطح وكيفما كانت أحوال الطقس والمناخ. وهي قطعة نسيج سوداء في الغالب مكونة من عدة أفلجة متراصة ومن أطراف وركائز.

يتكون هذا النسيج في الأطلس من شعر الماعز وقليل من الصوف. وفي السهول الغربية عامة، يتكون من وبر الجمال وشعر الماعز، والليف. أما في الشرق والصحراء فإن اللون يكون فاتحا وتكون الخيام أقل حجما وأكثر انخفاضاً.

عند بناء الخيمة، لا يصل سطحها إلى الأرض، الفجوة الفارغة بين السطح والأرض (تتراوح ما بين 3 و6 أمتار) هي التي تشكل مجالها الداخلي وفناءها، حيث يقل الارتفاع وتنحصر المسافة نحو الأطراف الجانبية من الداخل (ما بين متر ومترين).

وتنقسم الخيمة إلى قسمين (ركنين)، يصل بينهما فاصل يمتد بين الركيزتين الحاملتين للحَمَّار ويدعى هذا الفاصل "بالرَّحْل"، يحتوي في الغالب على صندوق خشبي، توضع فوقه مجموعة من الأغطية. ومكحلة غالبا ما تربط بالركيزة حتى تكون في المتناول وحتى ترى لكل زائر. قسم (ركن) يكون مخصصا للرجال وللضيوف لذلك يكون الأكثر نظافة ومفروشا بأحسن الأفرشة والوسائد، أما القسم الثاني فيكون مخصصا للنساء وللطبخ، يحتوي على كانون (حفرة محاطة بثلاث قطع من الحجر : أثافي) ورحى وأواني خزفية... وفي بعض الأحيان يعنى فيه بحديثي الولادة من الغنم والبقر...

ولتفادي أي سيول مفاجئة، تحاط الخيمة بخندق صغير يحوّل المياه إلى أبعد، وغالبا ما تبنى الخيمة على تل أو أكمة. ولأسباب أمنية، كانت الخيام تبنى على شكل دائرة أو دوار، ويخصص المجال الذي تحيط به الخيام لمبيت الماشية، وغالبا مايحيط بدوار الخيام سياج (زريبة) من

الأشواك أو غيرها (سدرة ـ عصف ـ أغصان...).

وتقاس قيمة الخيمة بحجمها وبتمام أجزائها وبتناسق وحداتها وألوانها... وانطلاقا من هذه المقاييس هناك نوعان من الخيام :

ـ خيام العزيب والسكن : خيام نفعية، أقل حجما، ولاتتوفر في الغالب على كل المكونات...

ـ خيام الأفراح والمواسم : لا تستعمل إلا في المناسبات، خيام أكبر حجما، غالبا ما تتوفر على معظم الأجزاء...

وشكلت الخيام نوع السكن الأكثر إنتشاراً في المغرب إلى غاية التدخل الاستعماري، حتى إن المعطيات الاحصائية الخاصة بالسكن أو السكان غالبا ما كانت تتم بالخيمة أو بالكانون، وهو المصطلح المرتبط بركن الخيمة.

ففي سنة 1934، مثلا كان توزيع السكن بدائرة "وادي زم" على الشكل التالي :

| بيوت | مشتة | نوالة | خيام |
|---|---|---|---|
| 2.363 | 188 | 2.415 | 12.347 |

أما في "هضبة أولاد عبدون" فكان توزيع السكن سنة 1936، على الشكل التالي :

| بيوت وأكواخ | نوالات | خيام |
|---|---|---|
| 413 | 1.101 | 5.937 |

وإذا كانت الخيام قد حافظت على شكلها التقليدي، فإن وظيفتها قد تراجعت بشكل كبير، فاسحة المجال بذلك لأنواع سكنية جديدة، ويعبر هذا التراجع في نفس الوقت عن مدى التحول الذي عرفته البنيات التقليدية منذ عهد الحماية.

1 ـ الفلْجَة أو الفُليج (Flij) : شريط تنسجه النساء من الصوف والشعر، يصل عرضه إلى ستين سنتمترا تقريبا، طوله طول الخيمة (من 6 إلى 20 مترا). وتتكون الخيام المتوسطة من 7 إلى 8 فلوج، بينما تتكون الخيام الأكبر من 12 فليجاً.

ويحيط بالفليج من الأطراف (شَاربْ)، وهي طية من الحواشي سواء باتصال فلجة بفلجة أخرى أو باتصالها بالرفافه حتى لا تتمزق أو يحل نسيجها.

2 ـ المُشَلْ : خيط متين يربط بين فليج وآخر، وهو نظام للعقد أو للخياطة للربط المحكم... وعند القطرات الأولى من المطر، ينتفخ النسيج فتنغلق ثقب الربط ولا يتسرب المطر نحو الداخل.

3 ـ الرَّابْعَه (ج. رْوابَعْ) : وهي قطع طويلة، منسوجة بأشكال هندسية متناسقة، قد تكون بالأبيض والأسود أو بالألوان، وهي القطع التي تشد الخيمة إلى الأوتاد.

4 ـ العمود (Perche)، قطع من خشب مصقول، أكثر عرضا في الأعلى، تحمل أطراف الروابع نحو الأعلى، عددها بعدد الأوتاد. أما الركيزتان الداخليتان، فتكونان أكثر طولا وأكثر متانة، لأنهما تحملان الـحَمّار (poutre faitiere)، وتحافظان على رسو الخيمة وتوازنها.

5 ـ الطْرِيْكَة (Triga) : شريط منسوج بشكل مزخرف، تشبه (الرابعة)، إلا أنها أكثر متانة وعرضا (من 20 إلى 40 سنتمترا). تمتد من الوتد الخلفي إلى الوتد الأمامي، على شكل قوس مرورا وسط الخيمة فوق الحمار، ومن فوقها تمر الفلوج.

6 ـ الـمْـسَاعَـدْ (ج. مسعود) ويسمى كذلك خْـرَبْ (crochet de bois)، وهي فروع خشبية، وتصلح لربط الرابعة بالطارفة (7).

7 ـ الطَّارفَه (ج. طْوارف) حبال من صوف وشعر، تشد المسعود إلى الوتد، وفي حالة النقص في عددها تعوض بحبال عادية أو بحبال من الدوم.

8 ـ السَّهْوةْ : المكان الفارغ بين الفراش والواجهة الأمامية للخيمة أو الجوانب.

9 ـ الخالفة (ج. خْوالَفْ) : وهي الأركان (الزوايا) الأربع للخيمة.

10 ـ الرْفافَه (ج. رْفَايَفْ) (Couverture des bas-cotés) : قطع نسيج تغطي الخيمة من جانبيها. في فصل الصيف تفتح الجوانب برفع الرفايف إلى أعلى لتوليد تيار هوائي داخل الخيمة. أما في فصل الشتاء، فتضاف إلى الرفايف من الداخل ستائر من القصب البري أو من قصب القمح (الخص) لتقوية الرفايف ولحماية داخل الخيمة من تسرب الرياح.

11 ـ الأوتاد (ج. وتد) : وتكون من حديد أو من خشب، وتدق في الأرض بواسطة مطرقة كبيرة تسمى الرزامة. والأوتاد عنصر أساسي لبناء الخيمة ولشدها إلى الأرض.

12 ـ الركن : وهي الجهة الممتدة من وسط الخيمة إلى جانبها، وعليه فللخيمة ركنان : أيمن وأيسر.

13 ـ الفلْقَة أو الكْفَا (الكفاء) : وهي كساء يطرح حول الخباء كالإزار له، ولكل جهة أمامية أو خلفية من الخيمة فلقتان يُشدان إلى ثنية الفلوج بنظام محكم للعقد أو بإبر غليظة تسمى (الخْلال).

14 ـ وقد تعوّض بالـمَخْيط.

15 ـ عندما تحدث العواصف، أو تهب رياح قوية، تُشدُّ الخيمة إلى الأرض بحبلين، يشد كل واحد منهما

وسط نصف الخيمـة من الأعلى بـالموازاة مع الطـريگـة، ويحكمان إلى الأوتاد الخلفية والأمامية.

أندريه، باكار، *المغرب والحرف التقليـدية الإسلاميـة في العمارة*، مجلد I، أتوليبه 1974.

E. Laoust, *L'habitation chez les transhumants du Maroc central*, I, *La tente et le douar*, *Hesp.*, TX, 1930 ; S. Nouvel , *Nomades et sédentaires au Maroc*, Paris 1919.

صالح شگاگ

** وتطلق الخيمة، أو الكانون بالبادية المغربية على ما يصطلح عليه حالياً بالأسرة الممتدة. وتتميز أساساً بالعيش تحت نفس السقف (تعلق الأمر بخيمة في المعنى الحرفي للكلمة أو ببيت يضم كل أفراد الأسرة) وحول نفس الكانون، إذ أن رب الأسرة هو الذي يشرف من الناحية الاقتصادية على تدبير كل النفقات التي تهم مجموع أفراد الخيمة نظراً لكون أبنائه وحفدته يعملون في إطار الملكية العائلية. كما أن زوجة رب الأسرة (أكبر النساء سنا) هي التي تشرف على كل الأعمال المنزلية، تعينها في ذلك بناتها وزرجات أبنائها.

بعد وفاة رب الأسرة، يخلفه في تسيير الخيمة أكبر الأبناء سنا، ويستمر الجميع في استغلالهم أملاكهم بطريقة مشاعة. ويحق لمن شاء أن يطالب بحقه في الإرث، فينفصل عن الأسرة ليشيد خيمة جديدة. وقد أخذت هذه الظاهرة تنتشر إثر سيادة العمل المأجور والاقتصاد النقدي والتحديث القروي وما يتعلق به من تمدرس وتغير - ولو نسبي - في مستوى القيم، فنتج عن ذلك تغير على صعيد الأسرة الممتدة والقيم التي كانت تعتنقها وتنبني عليها.

J. Berque, *Structures sociales du Haut Atlas* ; E. Doutté, *L'organisation domestique et sociale chez les Haha*, in *A.F.R.C.*, janvier 1905 ; R. Jamous, *Honneur et baraka. Les structures sociales traditionnel dans le Rif*, Paris, 1981 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le sud marocain. Essai sur ls transformation politique des Berbères sédentaires (groupe Chleul)* Paris, 1930 ; G. Tillon, *Le Harem et les cousins*, Paris, 1966.

عبد الجليل حليم

**خيمة بوخلالة**، مكان معروف بقبيلة زعير، يقع إلى الجنوب من قرية مغشوش. يظهر أنه كان محطة للمسافرين تنزل به القوافل المترددة بين فاس ومراكش. كما كان هذا المكان محطة لتخييم الحركات السلطانية. وحسب بوعسرية ابن منصور أن خيمة بوخلالة تنسب إلى أحد رجال القبيلة. وقد أشار إليها في رحلته التي وصف مراحلها من الغرب إلى مراكش، في عهد السلطان محمد بن عبد الله. وتوجد الرحلة في مؤلف *الإعلام* للمراكشي. قال ابن منصور يصف المكان المشار إليه :

وهذه الجبال لا محالــــــة     تُدعى بخمية أبي خلالـــــة
كان رئيسا قائما في وقتـــه     ذا رفعة حتى ثوى في رمسه

ومَوضع الخيمة تَمّ ظاهـــر    معلماً لمن يراه باهـــر
يقول يا هذا الذي رآنـــي    إياك أن تغترّ بالزمـــان

ابن إبراهيم، الإعلام، 1 : 356.

علال الخديمي

**خيمينيث** ذي ثيسنيروس، فرانسيسكو Francisco Jimenez de Cisneros قسيس شُهر بالكردينال لينال ثيسنيروس Cardenal Cisneros ولد سنة 1436 ؛ وفي سنة 1493 عين مطراناً رئيس أساقفة مملكة قشتالة ؛ وبصفته معرفاً للملكة إيسابيل الكاثوليكية Isabel la Catolica والملك فيرناندو الكاثوليكي Fernando el Catolico عين رئيساً عاماً لمحاكم التفتيش Inquisidor general.

وهو الذي أرغم مسلمي غرناطة على اعتناق الدين المسيحي، وأحرق الكتب العربية بساحة فيفاراميلا Vivarambla بغرناطة ؛ وقاد الحملة الصليبية التي احتلت مدينة وهران سنة915 / 1599 وأشرف على طبع التوراة المتعدد اللغات *Biblica poliglota* لأول مرة.

وكانت وفاته سنة 1517.

*Diccionario enciclopedico Salvat*, Madrid, 1920, Vol. 5.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخياط**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم وهي نفس الأسرة التي ظل بعض أفرادها بالأندلس بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Alcayat. وكانت فرقة من هذه الأسرة الأندلسية قد استقرت أول مرة بفرقة الواد من قبيلة بني حزمر (بني يجم سابقا) حيث أسست المدشر الذي مازال يعرف بمدشر دار الخياط.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 646.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخَيّاط**، أو الخياطيّة بيت صوفيّ شهير في المغرب ينتسب للشيخ عبد الله الخياط مؤسس الزاوية الخياطية بزرهون خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م) وقد تـوارث أحفاده الصلاح والعلم وشرف النسب في كل من زرهون وفاس، وظلت مصنفات التراجم تعنى بذكر أعيانهم حتى منتصف القرن الرابع عشر (20 م) ومازالت جماعة سيدي عبد الله الخياط بجبل زرهون تؤوي إلى يومنا هذا أضرحة ومآثر هذا البيت.

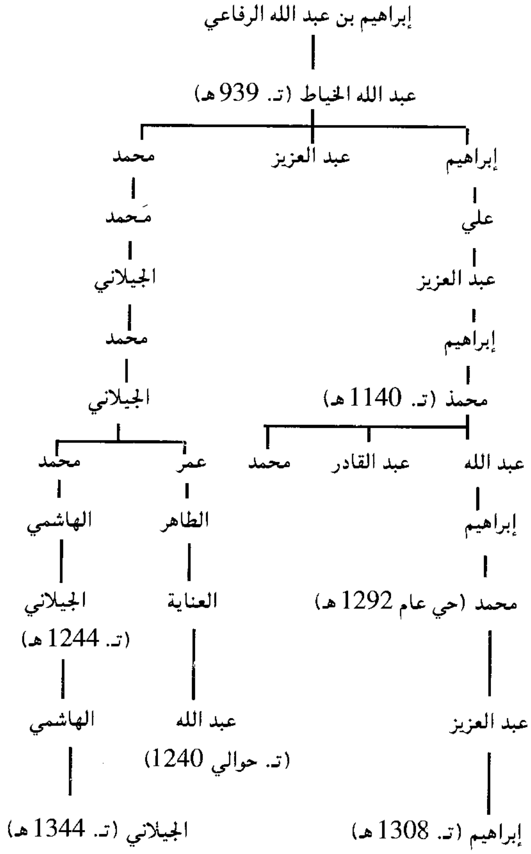


شجرة آل الشيخ عبدالله الخياط الزرهوني

**الخياط، إبراهيم** بن **عبد العزيز** من أهل القرن الحادي عشر (17 م)، دفن داخل باب الفتوح من فاس، وهو والد مَحمد فتحا (ت.1140 / 1728) واسطة عقد حفدة الشيخ عبد الله الخياط. وهناك شخص آخر متأخر باسم إبراهيم بن عبد العزيز الخياط ممن يشار إليه بالخير والصلاح. توفي سنة 1308/ 90 ـ 1891.

**الخياط، إبراهيم** بن **عبد الله** بن **أحمد** الرفاعي، اليمني مولدا الوهراني مدفنا، جد بيت الخيايطة. لا تضبط المصادر من سيرته إلا ثلاثة تواريخ : عام 859 / 4، 1455 الذي ألقى فيه عصا التسيار بالقاهرة بعد سياحة صوفية، وعام 884 / 79، 1480 الذي انتسب فيه إلى الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1493)، وعام 888 / 3. 1484 الذي أمره فيه شيخه زروق بالرحلة إلى المغرب.

وتكشف هذه الاضاءات الثلاث عن المعالم البارزة في هذه السيرة : فالقاهرة احتضت أطواراً حاسمة من الحركة الصوفية التي انخرط فيها إبراهيم الرفاعي، والتي نشأت عن التقاء حركتين صوفيتين يمنية ومغربية، تزعّم الأولى الشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي (ت.895 / 1489)، وتصدر

الثانية أحمد زروق. وإذا كنا لا نستبعد خروج إبراهيم الرفاعي من بلده من اليمن في صحبة أحمد الحضرمي ودخوله القاهرة معه، فإننا لا نشك في اتصاله به إبان استقراره بها، وقد انتشر صيته وأصبح مقصد المتشوفين من أمثاله إلى التصوف ورجاله. ولا يعكس خطورة شخصية الحضرمي الصوفية مثل الأثر الذي خلفه في تلميذه زروق الذي اعتمد في الطريق والتحقيق عليه، وصدّر به في الطبقة الأولى من طبقات المشايخ الذين صحبهم، وقال إنه مالقي أعرف بالله ولا أكبر منه، وكان لا ينقل في كتبه إلا عنه. وقد اتصل زروق بشيخه الحضرمي في القاهرة أول مرة عند عودته من الحجاز عام876 / 1471، فانتسب إليه وصحبه سبعة أشهر أو نحوها، وصار من خاصة أتباعه. وحدث هذا الاتصال والانتساب بعد يأس الحضرمي من أهل مصر، وتوجهه في دعوته إلى المغاربة الذين كان يرى أنهم المخصوصون بطريقته.فكانت أولى الكلمات التي سمعها زروق منه خلال زيارته الأولى له مع جماعة من المغاربة هي : "اخرجوا من هذه البلاد فإنها تذهب بنور الإيمان، وعلى كل من دخلها أن يتركها حتى يجدد دينه"، وتكرر نصحه لهم : "إن تربة المغرب طيبة، فإذا رجعتم إليها تطيب قلوبكم"، وحين سئل مرة : "ما بال الرسل بعثوا إلى المشرق ولم يبعثوا إلى المغرب ؟" كان جوابه : "لأن الطبيب لا يذهب إلا إلى محل العلة !".

وتفصل ثمانية أعوام بين انتساب زروق إلى الحضرمي وبين انتساب إبراهيم الرفاعي إليه عام884 / 79، 1480، وهي مدة قضى زروق السنوات الثلاث الأولى منها في التردد بين مصر والحجاز، والعمل في إطار الحركة الصوفية التي يتزعمها الحضرمي بالقاهرة، وأمضى بقيتها في بلده المغرب الذي عاد إليه، وأخرج به أنفس تصانيفه وهو كتاب "قواعد التصوف"، وقاد حركة إصلاحية صوفية وعلمية كبرى، انتهت إلى فساد العلاقة بينه وبين القائمين على الرئاسة الروحية، واضطرته إلى الخروج من فاس مغاضبا عام883 / 1478. فيسجل هذا الانتساب انخراط إبراهيم الرفاعي في المشروع الإصلاحي الزروقي الذي توضحت معالمه غداة استقرار الشيخ زروق بالمغرب، ومهد لعصر التصوف الذي سيدخله، والذي ستحقق فيه الغلبة للشاذلية من طريق الشيخين الجزولي وزروق. وفي هذا الإطار انتقل إبراهيم الرفاعي مع شيخه زروق من القاهرة إلى برقه بأهله وولده، ومكث بها إلى أن أمره بالتوجه إلى المغرب عام 888 / 3، 1484. فرحل بأولاده الثلاثة : عمر ومحمد العربي ومحمد الطيب، وولد له عبد الله بقابس في العام الذي يليه 889 / 4، 1485، وتوقف بالثغر الوهراني واستوطنه. ونفسر هذا التوقف بانسداد آفاق المغرب في وجه الزروقيين، فالشيخ زروق لم يلبث أن التحق بالمغرب الأوسط عام 891 أو 892 / 6، 1487 قصد لَمِّ شمل بيته، إذ كان خلّف بفاس زوجته فاطمة الزلاعية وابنيه الأحمدين الأكبر والأصغر.

وعلى الرغم من مرور ثماني أو تسع سنين على خلافه مع أرباب الرئاسة الصوفية من قومه، نجده يحجم عن دخول المغرب ويفضل الانتظار بين أتباعه من أهل المغرب الأوسط إلى أن يلحق به زوجه وولده. وحتى بعد وفاته (899 / 1493) فان ابنيه المذكورين غادرا مصراته متجهين غربا، لكنهما توقفا أيضاً بمدينة قسطنطينة، واستقرا بها نهائياً، ولم يصلا المغرب ولم يدخلاه.

وإذا كانت قرية "تامقرة" الواقعة عند "بني عبدل" بضواحي بجاية مركز الحركة الزروقية بالمغرب الأوسط في حياة الشيخ أحمد زروق، وقاعدتها المتقدمة في اتجاه المشرق. وفي معهدها الشهير الذي أسسه الشيخ يحيى بن محمد العبدلي ـ الذي أخذ عنه زروق ـ انتسب إلى الزروقية أحمد بن يوسف الراشدي (ت.931 / 1524) وأحمد بن خدة والصغير بن محمد الأخضري ونجله عبد الرحمان ومحمد بن علي الخروبي (ت.963 / 1556)، وغيرهم من الأعلام. فان استقرار إبراهيم الرفاعي بوهران قد هيأ للزروقية إحدى قواعدها المتقدمة في اتجاه المغرب، وأحد مراكزها النشيطة في المنطقة الغربية من المغرب الأوسط، والتي ستتعزز بحركة الشيخ أحمد بن يوسف في إقليم بني راشد، والتي ستعم هذه المنطقة برمتها، وتمهد الطريق لعودة الزروقية إلى المغرب وانتشارها به.

ولاشك أن الشيخ أحمد زروق قد أذن لإبراهيم الرفاعي بالتصدر للمشيخة في وهران، وإذا كنا لا نستطيع تحديد المدة التي قضاها بهذا الثغر، فإنها كانت كافية لاشتهاره بالصلاح بين أهلها وظهوره بينهم بالكرامات. يشهد على ذلك لقب الخياط الذي أطلقه الوهرانيون عليه اعتقاداً في قدرته الخارقة على رتق الجرح الغائر، وأيضاً ضريحه ـ الذي ثوى به رفات ابنه عمر ـ والذي أضحى حرماً ومزاراً عظيماً بهذه الحاضرة.

اتسع النفوذ الروحي لآل الخياط خارج وهران، فانتقل نجله محمد العربي إلي مازونة، ومدفنه بين المعسكر والموضع المذكور. أما ابناهُ محمد الطيب، وعبد الله الذي كان ما يزال يومئذ في سن الاحتلام فقد يمما فاس يحملان معهما المشروع الزروقي ـ الرفاعي إلى غايته ويبلغانه إلى نهايته. وإذا كنا لا نعلم هل والدهما هو الذي بعث بهما في حياته، أم أنهما قصدا المغرب بعد وفاته، فان هذا الخروج قد تم في إطار النضال الذي كرس له الشيخ إبراهيم حياته، ونشأ أولاده وشبوا في خضمه، والهادف إلى نشر الطريقة الزروقية بالمغرب. وقد آتى هذا الكفاح أُكلَه على يد عبد الله الذي أفاد من كل هذه الممهدات فأفلح في غرس البذرة الزروقية ـ الرفاعية في تربة زرهون، فأينعت دوحة انتشرت أفياؤها في البلاد شرقاً وغرباً وقدر لها البقاء إلى هلم جراً.

**الخياط، إبراهيم** بن **عبد الله** حفيد سميه المترجم له قبله، وبكر الشيخ عبد الله الخياط مؤسس الزاوية الخياطية، وخليفته عليها بعد وفاته التي حدثت عام 939/ 1533. يلقب "بصاحب سلسلة الذهب" لأن جل من اشتهر بالصلاح من حفدة الشيخ عبد الله الخياط لا نجده إلا من أولاده دون أخويه محمد وعبد العزيز، ويقول مترجموه إن ذلك بدعوة من والده. وتسكت المصادر عن أخبار مشيخته لزاوية زرهون، وربما للظروف العصيبة التي تمت فيها، والمتصلة بزوال ملك الوطاسيين الذين شايعهم والده وطائفته وانتقال الحكم إلى خصومهم السعديين. وكل ما تذكره عنه علمه وصلاحه وعنايته بنجله علي الذي أورثه مشيخه الزاوية بعده، وأنه دفن بزرهون.

**الخياط، أحمد** هو أحد أبناء عمومة مَحمد بن إبراهيم ومعاصره (لم يذكر في الجدول السابق). ذكره صاحب *نشر المثاني* ضمن الأشياخ الذين لم يحضره عامُ وفاتهم من أهل المائة الثانية عشرة (18 م)، ويبدو أن اسم والده الذي استوطن فاسا لم يحضره أيضاً، فاكتفى بالاشارة إلى أنه من عقب الشيخ عبد الله الخياط. انتسب إلى الشيخ محمد المدعو الحاج الخياط الرقعي (ت. 1115 / 1704) المتصدر لمشيخة زاويته الكائنة بالشرشور من فاس القرويين، وأخذ معه عن الشيخ محمد بن عبد الله العلمي اليملحي دفين وزان، ثم من بعد وفاته عن ولده الشيخ التهامي، ثم من بعد وفاته عن أخيه الشيخ الطيب.

واشتهر أحمد الخياط بالانتساب إلى الطائفة التهامية - الوزانية بفاس، وبملازمته لأوراده وتلاوة أحزاب أشياخه ومداولة الجلالة. وأنه كان يحترف الفلاحة وكسب الماشية، كثير الصدقة والمودة لأهل البيت والإكرام لهم. وأنه حج فأنفق بالحجاز أموالاً على الضعفاء والمساكين. وفي حدود عام1150 / 7 ، 1738 أخذ السمت إلى الزاوية الوزانية، فأدركته الوفاة من غير مرض بديار بني مالك في الغرب، ودفن بأرضهم، وخلف بفاس أولاداً.

**الخياط، الجيلاني** بن الهاشمي يوجد ضريحه بزرهون أسفل ضريح جده عبد الله الخياط. فقيه مكاشف، توفي عام 1244 / 8. 1829.

**الخياط، الجيلاني** بن الهاشمي يشترك مع المترجم قبله في الاسم والمدفن، توفي عام 1344 / 5. 1926، ووصفه صاحب *إتحاف المطالع* بالمشارك النابغة.

**الخياط، عبد العزيز** بن علي نجل الخليفة الثاني على الزاوية الخياطية بزرهون، ووالده علي بن إبرهيم هو أول من استوطن فاساً من عقب الشيخ عبد الله الخياط. ولا نعلم هل ولد بفاس أم بزرهون، ولعله مخضرم عاش طرفا من القرن العشر (16 م) وطرفاً من الذي يليه، ودفن داخل باب الفتوح.

**الخياط، عبد الله** بن إبراهيم القابسي مولدا الزرهوني مدفنا، مؤسس الزاوية الخياطية بزرهون ومعلم بداية الحقبة الثانية من تاريخ الصلاح بهذا الجبل، بعد الحقبة الأولى التي ارتبطت بضريح المولى إدريس (ت. 177 / 793). وتوهم المصادر التي تؤرخ لسيرته بالنشأة الصوفية الجزولية له وسبقها على اتصاله بالزروقية، وتصور دخوله المغرب دخول العاطل من الصلاح بالمرة، وتهون من قدمته صغيراً دون الاحتلام وتلميذا في بدايات مراحل طلب العلم ظاهره وباطنه. والحال أن هذا الطفل قد جاء يحمل إرث نضال جيل من سلفه في سبيل نشر الطريقة الزروقية، من القاهرة إلى برقة وقابس فوهران ومازونة. ويتمتع بشهرة بيته بالصلاح في المغرب الأوسط، ويتحلى بسنده الرفيع في الزروقية، وواسطته المعتبرة فيها والده وإخوته أعلام الطبقة الأولى في هذه الطريقة. ولا يستبعد أن تكون فرصة رؤية الشيخ زروق قد أتيحت له خلال العقد الأول من حياته، ووافقت وفاةُ الشيخ اكتمالَه. وزيادة على ذلك فقد دخل المغرب في صحبة أخيه محمد العربي وابن خالته عمر الخطاب ذي الخطورة في عصر التصوف هذا. ولا شك أن إخوانهم الزروقيين المغاربة كانوا في انتظارهم وهبُّوا لاستقبالهم، وعلى رأسهم إبراهيم بن علي الزرهوني المعروف "بأفحام" أو "أفهام" (ت. 926/ 1520) شيخ أهل الملامة بمغرب القرن العاشر (16 م)، وأبي إسحاق الزرهرني أيضاً، وغيرهما.

وبدأ عبد الله الخياط دراسته بمكناس مع ابن خالته عمر الخطاب، وانتقل بعدها لاستكمال تعليمه بالحاضرة الوطاسية فاس التي أدرك بها الطبقة العلمية التي عاش أفرادها معظم حياتهم في القرن التاسع (15 م)، وأدركوا العقود الأولى من القرن العاشر (16 م)، وهي طبقة الإمام محمد بن غازي المكناسي (ت. 919/ 1513). وبفاس توفي أخوه محمد العربي، ودفن بباب الفتوح. كما أدرك عبد الله وعمر أعلام الطبقة الجزولية الأولى، فبادرا إلى الانتساب لهم والأخذ عنهم. فصحب عمر الخطاب عبد العزيز التباع (ت. 914/8 ــ 1509)، واختص عبد الله الخياط بصحبة الشيخ الحسن بن عمر أجانا، وهو أحد الأربعة المشاهير من صحب الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (ت. 870/5 - 1466)، والذين تخرجت على أيديهم الشيوخ وانتشرت منهم الرجال وتفرعت بهم الطريقة

الجزولية. ولازمه عبد الله اثنتي عشرة سنة، ولا تذكر كتب الطبقات من أتباع هذا الشيخ سواه. وتخبر بأن أجانا السوسي هو الذي وجهه إلى الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524)، صدر الطبقة الزروقية الأولى، وكبير مشايخ التصوف بالمغرب الأوسط في وقته، وشيخ المشايخ والطوائف الزروقية بالمغرب الأقصى، من الربع الأول من القرن العاشر (16 م) إلى هلم جراً.

وتجديد عبد الله الخياط العهد بالزروقية واتصاله بالراشدي، وإن أوعزته المصادر إلى إشارة شيخه أجانا، فإنه لا يزيد عن كونه حلقة من حلقات الحركة الزروقية الدائبة والمناضلة من أجل الانتشار بالمغرب، واتصال بين البيتين الزروقيين الكبيرين الرفاعي والراشدي اللذين أذنا لعهد حاسم من تاريخ هذه الطريقة بالمغرب، والذي انتهى إلى تقاسمها النفوذ الروحي به مع الجزولية، وتمكين الشاذلية من أن تصبح الطريقة الرسمية به. وتردد عبد الله الخياط إلى المنطقة الغربية من المغرب الأوسط، وإن كان يسوغه لقاء الشيخ الراشدي، فإنه يمليه ويوجبه تعاهده لأهله المستوطنين والمنتشرين بهذه المنطقة. وعليه يكون لقاء الخياط بالراشدي لقاء أخذ وانتساب، وفي نفس الآن لقاء تشاور وتدبر وتنسيق، ويعضد هذا القول اصطحاب الخياط في رجوعه إلى المغرب أحمد بن عبد الله المنزولي شيخ الطائفة "اليوسفية" التي ستشتهر خلال القرن الحادي عشر (17 م) "بالعكاكزة".

وإذا علمنا بخطورة المذهب الصوفي الذي دعا إليه الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي في إطار مبدأ الاستحسان الذي بنى عليه الشيخ أحمد زروق طريقته، والذي يقر حرية الاختيار المذهبي في الطريقة شرط التقيد بالكتاب والسنة. وهو المذهب الذي اضطلع "اليوسفيون" بنشره والدعوة إليه بالمغرب، وقوامه مذهب المحبة الخالصة في صورته التي اكتملت على يد أبي يزيد البسطامي (ت. 241 / 874). وأضفنا إلى المشاكل الفكرية والصراعات الخطيرة التي ستنشأ عن هذا الاتجاه الزروقي ـ الراشدي الخلافات الحادة والموروثة من أيام فساد العلاقة بين زروق ومشايخ الطبقة الأولى في الجزولية، حق لنا أن نتساءل عن سر التوفيق الذي صادفه عبد الله الخياط رغم تاريخه الزروقي الشديد الوشائج بكل هذه المثبطات والمعوقات ؟

اختلف زروق مع الجزوليين في دفاعه عن الرئاسة والقائمين عليها من الأمراء، وتحريمه الخروج عن الإمام بقول أو فعل، لأنها وسيلة حفظ النظام، والذي يتحقق به الذب عن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وإقامة حرمتهم، والنصرة لهم في جميع أحوالهم جلبا ودفعا. ودعا إلى الحفاظ على الدولة الوطاسية الناشئة على ضعفها، والسعي في المصالح العامة تحت إمرة حكامها، وعدم إغراء الرعية بالفتنة وشق عصا طاعتهم. وعارض زروق المشروع الجزولي الداعي إلى مراعاة المصالح العامة التي قصرت عنها همم الملوك، من جهاد وتعليم وإطعام ورد المظالم. وحذر من تتبع الفضائل وطلب المنافع العامة، لما تؤدي إليه من عظيم الضرر بحسب الزمان والعقول، ولما تعرض له من الأذى والرمي بالقيام. وأوعد كل مريد مال إلى ركوب الخيل، وآثر المصالح العامة، واشتغل بتغيير المنكر في العموم، أو توجه للجهاد دون غيره من الفضائل أو معه حال كونه في فسحة منه، أو أراد استيفاء الفضائل، أو اتبع كل ناعق وقائل بحق أو باطل. ولم يفد الوطاسيون من الدعوة الزروقية التي تحمل كل مقومات الصبغة الدينية لملكهم، ربما مداهنة واستمالة لخصيمتها الحركة الجزولية القوية، وكانوا في الشيخ زروق من الزاهدين.

كان هذا قبل خلع الجزوليين بيعة بني وطاس من رقبتهم، أما بعد أن فتحوا عليهم باب الفتن، وبايعوا الشرفاء الزيدانيين على إمارة الجهاد عام 916/10 ـ 1511، فلم يبق لهم إلا الزروقيون ظهيرا ونصيرا. نعم ظل بين ظهرانيهم جزوليون، لكن من الثابتين على بيعتهم، أما الذين تشيعوا للحركة السعدية التي تزعمها جزولية الجنوب، فقد بادروا إلى هجرة السلطنة الوطاسية، والتحقوا بمراكش التي خضعت للسعديين في حدود 930/3 ــ 1524، وعلى رأس هؤلاء الشيخ عبد الله الغزواني (ت. 935/ 8 ـ 1529). وإذا اعتبرنا العلاقة الحسنة التي نظمت بين الزروقيين ـ الراشديين والأتراك بالمغرب الأوسط، منذ ظهور الآخوين عروج وخير الدين ومبايعتهما على إمارة الجهاد به، ووصل الوطاسيين حبلهم بهؤلاء الأخيرين. أمكننا الاطمئنان إلى القول برجحان كفة الزروقيين في السلطنة الوطاسية، وإفادتهم من دعم أمرائها ماديا ومعنويا، وتوفر أسباب الظهور لزواياهم والانتشار لطوائفهم.

وزيادة على هذا فإن ثقافة وعلوم الشيخ عبد الله الخياط الظاهرة والباطنة، التي حملها بعد ملازمة علماء الحاضرة الوطاسية، والاختصاص بصحبة أحد المشايخ الأربعة الكبار من صحب الإمام الجزولي، جعلته يتنكب عن الانفلات من باب الاستحسان إلى مذهب غير المذهبين اللذين أبدعهما كل من الشيخين الجزولي وزروق، ويتحرى في علمه وعمله التمسك بالسنة واجتناب البدعة. وتميز بذلك عن مشاهير الطبقة الزروقية الأولى الذين حاولوا معالجة مشاكل العصر المختلفة بأفكار تنتمي إلى مذاهب صوفية مختلف في شأنها، كالبسطامية التي أحياها الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي، والملامتية التي أحياها الشيخ إبراهيم بن علي الزرهوني المعروف بأفحام أو افهام. واستطاع الخياط بدرجته الرفيعة في الشاذلية، التي جاءته من صدارة الطبقة الثانية في الزروقية، والامتياز بالاختصاص بالشيخ أجانا من بين أفراد الطبقة الجزولية الثانية، أن يستقطب الاتجاه الذي سيطبع العصر، وينتهي بالمصالحة بين الجزوليين والزوقيين، وميل أهل العصر برمتهم إلى التصوف وبالأخص الفقهاء وعلماء الظاهر، وتحقق

الغلبة للشاذلية بالمغرب من طريق الإمامين الجزولي وزروق.

وتؤكد هذه الفرضيات خصوصية نشأة الزاوية الخياطية، المستندة أساسا إلى الجاه المعنوي المحض : فالشيخ عبد الله الخياط يمني النجار غريب الدار ليس عن زرهون فحسب بل وعن المغرب برمته، والأرض التي شيد بها زاويته الأولى ليس له فيها أجداد ولا أملاك، وليس بيده ظهائر توقير واحترام وتنزيه عن الوظائف الجارية على العامة. وأهل جماعة الخلافنة النازلون بالوجه الذي يلي وادي مكس من جبل زرهون هم الذين وهبوا له بلادا تسمى كدية التراب مع ما حولها من الأرض ليستعين بها على تأسيس زاوية يجمع فيها المريدين ويطعم بها الواردين. ولم يجتمع كل الزراهنة على المحبة في الشيخ عبد الله الخياط، وأنف أهل قلعة بني المنصور من زاويته التي نشأت بجوارهم، وكادوا له كيداً. فكانوا إذا حلت الصلاة يذهبون إلى العين التي يتوضأ فيها ويضعون فيها النجاسة، وحرضوا صغارهم فقطعوا ألسنة بقر كان يستعين به على القيام بوظائف الزاوية. ولم يكفوا إذايتهم عنه إلى أن هجر زاويته، وانتقل عنهم إلى مدشر المغاسيين من الوجه الذي يلي مكناسة. وتعفو المصادر عن تفاصيل المصاعب التي جعلت الشيخ عبد الله الخياط يتقلب بين سفوح زرهون، وتؤكد هلاك خصومه، وتعزو فناءهم إلى الوباء. وتنتهي هذه المرحلة بعودة الخياط إلى موضعه الأول، وبناء زاويته بداره الكائنة بالغابة التي في ضفة العين المسماة عين الدار، وتسمى "تالغزا".

وتخلو هذه المصادر من التطورات التي أفضت إلى الشهرة التي طارت للشيخ عبد الله الخياط وزاويته في الآفاق شرقا وغربا، وكيف أصبح له صيت بعيد، ومحفل عجيب، يأوي إليه القريب والبعيد. وتمدنا بنتف من أخبار هذه الزاوية لا يتطرق معها الشك في كونها أصبحت أكبر وأعظم زاوية في السلطنة الوطاسية : فقد بلغ مريدوها عشرين ألفا، وأحيانا يزيدون وأحيانا ينقصون، وهذا ضعف ما اجتمع على الشيخ محمد بن سليمان الجزولي من أتباع. ويعطي فكرة عن استبحار عمرانها، وتوسعها في الإطعام، وأنها لم يكن في القطر والعصر مثلها في هذا المضمار، وأنها قد توفرت فيها كل مواصفات المركز العلمي الممتاز. وقد أصبح الشيخ عبد الله الخياط موئلا لأهل العلم، وتصدر في زاويته للتدريس، وكان غالب قراءته الرسالة القيروانية والحكم العطائية. وكان تلامذته المعتمدون للتدريس في الزاوية، وقد اجتمع فيها ما ينيف على الألف من حملة القرآن، وانفردت بالطور النشيط من أطوار الحياة العلمية والصوفية بزرهون.

وقد تواتر أن عدد أصحابه من المقيمين للزوايا ثلاثمائة وستة وستون، وتحقيق تاريخ هذه الفروع يحتاج إلى بحث مستقل. وتكفي الإشارة إلى تعيين سيرته الموسومة *بجواهر السماط في مناقب سيدي عبد الله الخياط* لاسم خمسة وخمسين منهم، ينتمون إلى مختلف أصقاع المغرب من ميسور إلى سوس، وينتشرون في كبريات الحواضر فاس ومكناس ومراكش، وفي البوادي وعرها وسهلها، في الغرب وأزغار وتادلا والشاوية وزيز ودرعة. ويعد من نافلة القول أن فيهم من أذن له الشيخ عبد الله الخياط بفتح الزاوية في حياته، وفيهم من أقامها بعد وفاته. لكن يبقى أن شد الرحلة إليه من مختلف أنحاء البلاد يعبر عن المدى البعيد لصيته وشهرته، وأن الناس كانوا ينسلون إليه من كل حدب وصوب.

ولا سبيل إلى ذكر كل هؤلاء بأسمائهم، ونتحسب على التنويه بالمشاهير منهم ممن عنيت بهم كتب الطبقات. وصدرهم الشيخ أبو الطيب اليحياوي الميسوري (ت. 988/ 80 ـ1581)، الذي ظل يزور ضريح شيخه بالاركاب رأس كل سنة إلى أن مات. ومحمد بن أحمد العايدي (ت. 984/ 6 ـ 1577)، الذي أقطعه الخياط قبيلة السوالم من قبائل الشاوية لتخدمه، وقصد فاس بعد وفاة شيخه وتوفي بها. وموسى بن علي الزرهوني المعروف بذي الصخرة، ومحمد بوگرين اليازغي الذي اشتهر بمداواة الجذماء. وأبو القاسم ابن منصور الغمري (ت. حوالي970 / 1562)، وهو مؤلف أقدم سيرة مفردة في الشيخ عبد الله الخياط، والموسومة *بجواهر السماط في مناقب شيخنا الخياط*، وعليه اعتمد المتأخرون وجل ما نقلوه منه. وقد أسس زاوية رتب فيها للطلبة والمدرسين أرزاقهم، ولا ندري أكانت في زرهون أم في موطنه الأصلي بقبيلة غمرة في جوار مولاي يعقوب من أرباض مدينة فاس أم في مدفنه على ضفاف نهر ملوية. ويحيى بن بكار الغمدي، دفين جبل وبلان قرية على مرحلة من فاس. وقد اشتهر بمد الثغور بالخيل والعدة، وكان الناس يقصدونه بصدقاتهم من جميع الآفاق فيفرقها على يديه في وجوه البر وأكثرها في الجهاد وافتكاك الأسرى. وعلي بن أبي بكر السكتاني (ت. 964/ 1557) متقلد خطتي الفتيا والقضاء بمراكش أول عهد الشرفاء الزيدانيين. وقد أقام مدة بالزاوية الخياطية، واستجاز شيخها في بعض كتب التصوف.

وبالإضافة إلى كثرة أتباع الزاوية الخياطية وتعدد فروعها، فقد نظمت بينها وبين الزاوية العيساوية بمكناس علاقات ترجمتها المحبة التي كانت بين شيخيهما والمراسلة التي تمت بينهما. كما حدثت زيارة السيدة رحمة والدة الشيخ أبي عبيد الشرقي للشيخ عبد الله الخياط، كما حصل اتصال بين والده أبي القاسم الزعري والشيخ أحمد بن يوسف الراشدي. وهذه معالم في شبكة علاقة الزاوية الخياطية بغيرها من الزوايا والبيوتات الصوفية، وهي شبكة واسعة تغطي حواضر وبوادي السلطنة الوطاسية، وتمتد إلى القطر التادلي الذي يمثل حدودها الجنوبية.

وتتردّد المصادر في الإفصاح عن حقيقة الدور السياسي الذي لعبته الزاوية الخياطية، فهي تقر بأن الأمراء

الوطاسيين كانوا يمكنونها من مواردها الأساسية، ويبعثون إليها الغنم والبقر والقمح وغير ذلك. وأنهم كانوا يخدمون الشيخ عبد الله الخياط، ويشاورونه في الملمات، وإنه قال يوما إنه طلب الله ألا يخرج الملك من أيديهم مادام على وجه الأرض. وتؤكد عدم وقوفه في صفهم ضد خصومهم داخل حدود مملكتهم. فقد طلب منه أحد الأمراء أن يمده بطائفة من المريدين الذين عنده في الزاوية ليستعين بهم على قتال بعض الخارجين عليهم، فكتب إليه "ليعلم أمير المومنين أن أصحابنا ليسوا أصحاب قتال ولا مشاحنة، وإنما هم أصحاب ذكر وتلاوة قرآن وعبادة لله تعالى، وهذا كتابنا عوضا منا ومنهم". ولما وقع ما وقع بينهم وبين الشرفاء الزيدانيين من الخلاف جمع الفقراء، وقال لهم "إخواني الخلاف يهيج العداوة، ومع العداوة ينزل البلاء، وسلموا الأمر إلى الأمراء على ظاهر الأمور".

وتعرب وفاة الشيخ عبد الله الخياط التي حدثت عصر الاثنين 14 شوال 939 /9 مارس 1533، عن انغماسه في الصراع السياسي الدائر بين الوطاسيين والسعديين، والذي لقي حتفه في خضمه. وإذا كانت المصادر لا تعين من أقدم على دس السم له، فإنه لن يكون إلا من أعداء بني وطاس الذين ثبت الخياط على بيعتهم، وكان الصبغة الدينية لملكهم، وقطب الحركة الصوفية الداعمة لدولتهم والموازنة للحركة الصوفية المتشيعة لخصومهم. ولا أدل على ارتباط مصير الدولة الوطاسية بالزاوية الخياطية من ربط الرواية المتعلقة باغتيال الشيخ عبد الله الخياط بين "بقائه على وجه الأرض" وبقاء ملك بني وطاس، وذكرها أن السلطان أحمد بن محمد البرتغالي (931 ــ 955/ 1524 ــ 1548) قد بعث بعض خواصه يقفون على جنازة الشيخ، وعين لهم موضع دفنه ليستقيم له البناء عليه. وقال لهم : "اجعلوا الشيخ في تابوت من خشب، واتركوه على وجه الأرض، ولا تحفروا له قبراً، ثم اجعلوا على ذلك التابوت دربوزا، واجعلوا عليه حائلا آخرا، فعلى هذه الحالة يبقى على وجه الأرض، وإياكم ثم إياكم أن يشعر بكم أحد من أقاربه أو أصحابه". وتقول هذه الرواية إن السعديين الذين علموا بالأمر تحايلوا على أبناء الشيخ، ودفعوهم إلى دفنه وكتمان الأمر على السلطان الوطاسي.

وإنها لمصادفة عجيبة أن تاذن وفاة الشيخ عبد الله الخياط لنهاية الوطاسيين، فبعدها قريبا ستقع عليهم الهزيمة في معركة بوعقبة عام 943/6 ــ 1537، وتنتهي بخسارة تادلا وتامسنا. وعقد الصلح بينهم وبين السعديين على ذلك، ولم تلبث حاضرتهم فاس أن سقطت في أيدي الشرفاء بعد عقد ونيِّف على هذا التاريخ. وكانت الزاوية الخياطية حاضرة بقوة في هذا الصلح في شخص الشيخ عمر الخطاب ابن خالة شيخها الهالك، والذي لا تذكر المصادر من الصلحاء المفاوضين باسم الوطاسيين سوى اسمه واسم الشيخ الملامتي أحمد بن حسين العبدلي السهلي المعروف بأبي الروايين (ت. 963 / 1556)، المتصدر لمشيخة الزاوية العيساوية بمكناسة بعد وفاة مؤسسها عام 933/6 ــ 1527. وتتكرر الإشارة إلى ارتباط مصير الوطاسيين بالخياطيين، وتذكر الرواية أن الخطاب حلف - إبان هذا الصلح - لا دخل السعديون فاس مادام على وجه الأرض. ورأى بعضهم أنه كان على بني وطاس ألا يتركوه هو الآخر يدفن، وأن يرفعوه في تابوت على الأعناق. وكما كانت الزاوية الخياطية بمثابة العصبية الدينية للدولة الوطاسية، كذلك انحلت عراها بزوال ملك الوطاسيين، وتسكت المصادر عن علاقتها بالسعديين وقد خضعت لهم الحاضرة الوطاسية، ولا نعلم نصيبها من الامتحان الذي أمر به السلطان محمد الشيخ المهدي عام958/ 1551، وقصد به أرباب الزوايا مطالبا إياهم بودائع أموال بني وطاس، ومتهمهم بذلك.

وقد خلف الشيخ عبد الله الخياط ثلاثة من الأولاد هم إبراهيم الملقب "بصاحب سلسلة الذهب" ومحمد وعبد العزيز، ومات واحد في حياته، ولم يترك أنثى. وورث مشيخة الزاوية بعده ابنه إبراهيم، وحفيده علي نجل هذا الأخير، والذي قضى نحبه أواخر القرن العاشر (16 م)، وتؤرخ خلافتهما لبوادر تحول في تاريخ الزاوية الخياطية سينتهي بافتراق مشايخها بين زرهون وفسساس. وبموت الشيخ علي بفاس، وانقطاع خلافة زاوية زرهون في عقبه، وانقضاء أجل أعمامه، تنازع أحفاد الشيخ عبد الله الخياط وأولاد أحفاده على الزاوية وأخذ الصدقات وخراج القبائل التي كانت تخدمه، وحدث ذلك عام 1007/ 1598، وأفضى إلى تدخل السلطان السعدي الذي حَكَّم في قضيتهم قاضي مكناسة وناحيتها الفقيه أبا القاسم بن أبي النعيم الغساني (ت. 1032/ 2 ـ 1623). فقسم القاضي أبو النعيم خراج هذه القبائل على هؤلاء الأولاد، ووزع عليهم شهور السنة أرباعا ثلاثة أشهر لكل فريق منهم يقوم خلالها كل فريق بأمور الزاوية كلها، وجعل ما يرد على ضريح جدهم يقسم بينهم من غير اختصاص لأحد على الآخر.

وتعنى كتب التراجم الفاسية المصنفة خلال القرن الثاني عشر (18 م) وما بعده بأخبار عقب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الخياط الذين اندمجوا في نسيج الحاضرة الفاسية، وشكلوا إحدى بيوتاتها الكبيرة التي تمتعت بكل مقومات الجاه الديني والدنيوي، من علم وصلاح وشرف نسب ويسار. وتسجل المحاولة التي قام بها واسطة عقد هذا الفرع مَحمد بن إبراهيم الخياطي(ت. 1140/ 1727)، الذي أنشأ زاوية بدرب الحرة من طالعة فاس، وجمع فيها أتباع جده، ومن كان يخدمه على صلاحه وماله. وهو العلم الوحيد من أعلام الخيايطة الذي ذيلت بأخباره السيرة المفردة والمتجددة في جده عبد الله الخياط والموسومة *بجواهر السماط*. ولم ينقطع العلم والصلاح في الفرع الخياطي الذي رضي بزرهون مأوى، وتعلق بخدمة ضريح جد الخيايطة، واستمر ذكر بعض أعيانهم في كتب التراجم المصنفة في أهل القرنين الثالث عشر والرابع عشر (19 و20 م).

**الخياط، مَحمد** - فتحاً - بن إبراهيم. يفصل قرنان كاملان بين وفاة الشيخ عبد الله الخياط (ت. 939 / 1533) ووفاة حفيده مَحمد فتحا بن إبراهيم (ت. 1140 / 1727)، ويمتاز هذا الحفيد عن بقية عقب مؤسس الزاوية الخياطية بالحظوة بعناية كتاب التراجم، بل وبالتذييل بترجمته للسيرة المفردة في جده المذكور، والموسومة *بجواهر السماط*، والمؤلفة خلال القرن العاشر (16 م) من قبل تلميذه أبي القاسم بن منصور الغمري (ت. حوالي 970 / 1562). وقد تجدد الاهتمام بهذه السيرة خلال القرن الثاني عشر (18 م)، ونسب التأليف فيها إلى شيخ الجماعة بفاس محمد المسناوي الدلائي (ت. 1136 /3 ـ 1724)، وتعضد هذه النسبة محبة المسناوي في الشيخ عبد الله الخياط، وكثرة زيارته لضريحه بزرهون. ويعزو صاحب *سلوة الأنفاس* هذا التقييد إلى أحد تلاميذ المسناوي أو لبعض من تتلمذ عليهم، ولا ندري أهو محمد بن عبد الله الريفي (ت. 1196/ 1782) أم هو مصنف آخر؟ والنسختان الخطيتان والمتوفرتان من "جواهر السماط" في الخزانة العامة بالرباط منسوبتان إلى الريفي، ولحسن الحظ مذيلتان بترجمة محمد بن إبراهيم الخياط. وتخبران بأن هذه الترجمة هي لأحد تلامذة الريفي، ولا تفيدان في معرفة ما إذا كان هذا المؤلف المجهول قد أخرجها في تقييد مستقل وغيره هو الذي ذيل بها سيرة جده، أم أن هذا المؤلف هو الذي شاء لتقييده أن يكون ذيلا أو بابا أخيراً من أبواب هذه السيرة. ومهما كان الأمر، فهو جمع واع وإشارة ذكية إلى أن الزاوية الخياطية لم تنجب بعد مؤسسها مثل حفيده محمد بن إبراهيم، وأنه واسطة عقد حفدته، ومحيي رسم الخيايطة الماحل.

وإذا كانت مصادر القرنين العاشر والحدي عشر (16 و17 م) لا تفصح عن طبيعة النشاط الصوفي الذي اضطلع به أسلاف الشيخ محمد بن إبراهيم الذين استوطنوا الحاضرة الإدريسية منذ أواخر القرن العاشر، فإن مصادر القرن الثاني عشر (18 م) تجمع على انتظام الخيايطة الفاسية في سلك الطوائف الصوفية الكبرى المنتشرة بفاس. وقد رأينا ابن عمه ومعاصره أحمد الخياط المذكور قبله اشتهر بالانتساب إلى الطائفة التهامية - الوزانية، وأدركته المنية وهو في طريقه إلى وزان. وكذلك انتظم محمد بن إبراهيم في سلك الطائفة الناصرية، وذلك في حياة الشيخ محمد ابن ناصر (ت. 1085 /1674). وقد أهلته نشأته الصوفية، وعلمه واختصاصه في التصوف والحديث، وقريحته القوية في إقامة الدين، وشهرة بيته، وكثرة ماله، بأن أذن له الشيخ ابن ناصر بالخلافة على الزاوية الناصرية بفاس، والكائنة بين حومة السياج وسويقة ابن صافي، وذلك على إثر زيارته له بدرعة. ويبدو أن طموح ابن إبراهيم كان أكبر من أن يصير مقدما على الناصريين، فما لبث أن أنشأ زاويته الخاصة بإزاء داره بدرب الحرة وبقرب زاوية شيخه ابن ناصر، وهي أول زاوية يقيمها بيت الخيايطة بالحاضرة الإدريسية.

وتجمع المصادر على القبول الجسيم الذي صادفته هذه الزاوية، والصيت البعيد الذي صار لمتصدرها الشيخ ابن إبراهيم، وأنها كادت أن تكون أكبر الزوايا بفاس على عهد الدولة الإسماعيلية. وتصف توسعها في الاطعام، وكثرة الازدحام عليها، وقصد الناس لها من الأفاق البعيدة، ومنهم من يأتي بالبقر والغنم والزرع وأحمال الحطب وغير ذلك. وتتفق هذه المصادر أيضا على أن الزاوية الناصرية القريبة منها تضررت من مزاحمتها، ولم تقو على منافستها، وأن أتباعها وبالأخص ذوي القرابة لمشايخ درعة لم ينظروا لها ولشيخها بعين الرضى. وأنهم كاتبوا الشيخ محمد بن ناصر، في بداية تأسيسها، ليصرف ابن إبراهيم عما لم يأذن له به من إقامة الزاوية وتلقين الأوراد الناصرية، وكتبوا إليه بعدما ظهر من أمرها ما ظهر مطالبين بحقهم في خيراتها وسلطانها. وبعثوا إلى الشيخ أحمد بن ناصر (ت. 1129/6 ــ 1717) الخليفة من بعده، مشتكين من انشغال الشيخ ابن إبراهيم بزاويته، وإهماله لزاويتهم، وانقطاعه عن الذهاب إليها، وطالبوه بأن يعين لهم مقدما منهم.

وتختلف المصادر بصدد الموقف الذي اتخذه مشايخ درعة من زاوية درب الحرة وشيخها، فيؤكد المؤلف المجهول لترجمة الشيخ ابن إبراهيم أن هؤلاء لم يلقوا بالا إلى هذه المكاتبات، للمكانة الرفيعة التي كانت له عند الشيخ محمد ابن ناصر الذي أقره على خلافة الفرع الناصري الفاسي، وأيضا للمحبة الكبيرة التي كانت بينه وبين أحمد الخليفة، في حياة والده وبعد وفاته، والذي أجاب المعترضين بقوله زاويته زاويتنا والعكس. ولا يتفق محمد بن الطيب القادري (ت. 1187 / 1773) مع هذا المؤلف، ويقول إن الشيخ محمد ابن ناصر قد كتب إلى ابن إبراهيم ينهاه عن فعله، ويذكره بأنه لم يأذن له لا في بناء الزاوية ولا في جمع الفقراء وتلقينهم، وطلب منه أن يرجع إلى زاوية إخوانه الناصريين ويجتمع معهم. ويزيد القادري بأن ابن إبراهيم امتنع من ذلك، وأن إخوانه الناصريين قاطعوه، وأنه لم يجتمع عليه في زاويته بدرب الحرة إلا أتباع جده عبد الله الخياط ومن يخدمه على ماله. ويستشف من حديثه استمرار نشاط هذه الزاوية على عهد تأليفه "للنشر"، وأنها مازالت تقوم برجالها ومالها بمختلف الأدوار المعهودة للزوايا، وأن أحد عقب الشيخ ابن إبراهيم واسمه طاهر كان يومها هو الفقيه والمدرس بهذه الزاوية. وقد اطلع محمد بن جعفر الكتاني (ت. 1345/1926) على *جواهر السماط ونشر المثاني*، فاعتمد الأول في الترجمة التي عقدها للشيخ ابن إبراهعيم من كتابه *سلوة الأنفاس*، ولم يحتفل بالثاني مكتفيا بالإشارة إليه، ومنتقدا القادري بأنه "حاد فيه عن المرام، وسلك سبيل التعسف والملام".

ومن أولاد الشيخ محمد بن إبراهيم المدفونين معه في زاويته ابناه: عبد القادر ومحمد اللذان توفيا أواخر القرن

الثاني عشر (18 م)، ومن أتباعه أحمد الخطاب حفيد الشيخ عمر الخطاب، وهذا وجه آخر من وجوه الشبه بين سيرته وسيرة جده عبد الله الخياط الذي ارتبط به ابن خالته عمر الخطاب من الدراسة في المكتب بمكناس إلى الإقبار بزرهون. ومن حفدته سميّه محمد بن إبراهيم الذي كان حيّا عام 1292/5 ــ 1876، وهو عام الفراغ من نسخة *جواهر السماط* التي تحمل عدد 1185، والتي طلبها لنفسه.

م. الريفي، *جواهر السماط في مناقب سيدي عبد الله الخياط*، مخطوط خ ع، 1185 د،2242 د ؛ أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد* ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تنسيق وتحقيق م. حجي، 858 ـ 859، 933، 934، 944، 1897، 2257، 2260 ـ 2261، 2529، 2784، 2956 ؛ أ. ابن أبي محلي، *سلسبيل الحقيقة والحق في سبيل الشريعة للخلق*، مخطوط خ ح، 4133 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية، 224 ؛ م. ابن عيشون، *الروض العطر*، تح. ز. النظام، 180، 348 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، تح. ع. العمراوي وع. مراد، 37 ـ 38، 57 ـ 58، 66 ـ 67، 124 ـ 126 ؛ نفس المؤلف، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط خ ع، 76 ج، 26، 29، 34، 65، 68، 70، 71 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشادلي، الدار البيضاء، 1998، 56 ـ 57 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط، حجرية، 1 : 229، 230، 254 ـ 256، 2 : 162 ـ 163، 3 : 191 ـ 192، 334 ؛ ع. إبراهيم، *الإعلام*، 8: 267 ـ 275 ؛ ع. ابن سودة، دليل، 1 : 204، رقم 795 ـ 796 ؛ م. حجي، الحركة الفكرية، 494 ـ 496 ؛ ع. ف. خشيم، أحمد زروق والزروقية، منشورات المنشأة الشعبية، ط. 2، 1980، 42 ـ 53 ؛ ع. نجمي، العكاكزة، د. د. ع، مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط، 1986، 195 ـ 199 ؛ المؤلف نفسه، بين زروق ولوتر، ضمن الرباطات والزوايا، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1997، 77، 120 ـ 120.

P. Berthier, *Essai sur l'histoire du massif de My Idris*, Rabat, 1938.

عبد الله نجمي

**ابن الخياط حْسين، ـ اسما واحدا ـ عبد الرحمن** الفاسي. ليس من أولاد الخياط الحسنيين. وإنما ينسبون إلى أبيهم سيدي الخياط حْسين الذي كان محتسباً بفاس. ذكر مؤلف *تذكرة المحسنين* رواية عن أبيه أن المترجم كان أمياً محترفاً بحرفة الحرير، ذا سمت حسن ولحية طويلة، فجاءته امرأة برقعة ليقرأها لها، فقال لا أحسن القراءة فتعجبت وقالت له : يا ضيعة هذا السمت وهذه الهيئة ! ولامته على تضييع عمره بدون قراءة، فأثر فيه كلامها وأقبل على الدراسة بعزم وهمة، فكان عاقبة أمره أن أصبح من علماء وقته.

تولى الخطابة بجامع الشرابليين أول ما أقيمت به الجمعة في رابع عشر ربيع الأول عام خمسة وثمانين ومائة وألف بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الله، واستمر على ذلك إلى أن توفي عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف / 1779.

بوشتى بوعسرية

**ابن الخياط حْسين، عبد السلام** أخو من قبله، كان أيضاً من فقهاء فاس وفضلائها. تولى نظارة أوقاف القرويين فحُمدت سيرته.

توفي بفاس يوم الجمعة ثالث ربيع الثاني عام سبعة وسبعين ومائة وألف / 20 أكتوبر 1763.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ ع. الكبير الفاسي، *تذكرة المحسنين* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت،1996، ج 7.

محمد حجي

**ابن الخياط الزكاري، أحمد** بن محمد بن عمر بن عبد الهادي بن العربي بن مَحمد الحسني الفاسي. وُلد بفاس في منتصف شعبان عام 1252 وقرأ على نحو ثلاثين من كبار شيوخ المدينة، أجازه منهم ستة، ذكر إجازاتهم في فهرسته الوسطى. وقد وصل صاحب *رياض الجنة* نسب المترجم مسلسلاً إلى إدريس الأزهر صاحب فاس. وقال عنه : "الإمام العلامة النظار المحدث الأصولي الفقيه المعمر ... جوهرة عقدهم (أولاد ابن الخياط الزكاري) بل مفخرة مدينة فاس في وقته وكفى به". وذكر أنه أخذ عنه الفقه والنحو والمصطلح، وسمع عليه *صحيح البخاري والشفا لعياض*، وأجازه.

أخذ المترجم الطريقة الدرقاوية عن الشيخ عبد الواحد ابن البدوي بناني، وهو عمدته في طريق القوم، وعلى يده تزهد وتجرد ولبس المرقعة وطاف في الأسواق يسأل الناس الصدقة. وقد أنكر عليه ذلك أشياخه وأقرانه من العلماء، وكان أشدهم إنكاراً عليه شيخه محمد گنون حتى قاطعه، ونهاه قاضي فاس عمر بن عبد القادر الرندة فلم ينته فسجنه مدة. وبقي على حاله بعد خروجه من السجن إلى أن أفاق من سكرته الصوفية. فرجع إلى القرويين يدرس ويبث العلم في صدور الرجال بإخلاص وتفان، وعين رئيساً للمجلس العلمي التحسيني عندما أريد إصلاح نظام التعليم بالقرويين في بداية عهد الحماية، وبقي في منصبه إلى أن وافته المنية.

ألّف تآليف كثيرة أربت على المائة *كتاب في الفقه والحديث ومصطلحه والسير*، معظمها صغير الحجم لكن في غاية التحرير والتدقيق والإتقان، منها : *حاشية على شرح الخرشي لفرائض مختصر خليل*، وقد طبعت على الحجر مراراً ؛ *وأخرى على شرح محمد بن عبد القادر الفاسي لنظم العربي الفاسي في مصطلح الحديث*، وهي مطبوعة أيضاً ؛ *وتأليف في العقائد* على مذهب المتكلمين ؛ *ورفع اللجاج والشقاق على حكم البينونة في الطلاق عند الإطلاق* ؛

وتقديم *رسائل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي* (ط. حجر فاس، 1318 هـ) عرّف فيه تعريفا ضافيا بشيخ الطريقة الدرقاوية الذي خلف نحو أربعة آلاف مريد، عمل عدد منهم على تأسيس طرق فرعية في أرجاء المغرب والجزائر. *ورسائل في مزايا مدينة فاس*، وثلاثة *فهارس كبرى ووسطى وصغرى*. وقد عدد تآليفه في فهارسه.

توفي بفاس يوم الثلاثاء ثاني عشر رمضان عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف /7 أبريل 1925 ودفن بحي الرميلة قرب زاوية الشيخ علي الجمل.

ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، الرباط، 1931، ج.1 : 127 - 133؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت1996، ج. 8.

محمد حجي

**الخياطي**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر الجبلية. ومنهم محمد بن عبد الرزاق الخياطي كان يزاول مهنة العدالة بتطوان سنة 1202/1788.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون، 1999 ؛ المراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم1612.

محمد ابن عزيز حكيم

**الخياطي، عبد السلام** بن محمد الفاسي. ولد بمدينة فاس، وبها أخذ مستعملات الموسيقى الأندلسية عن عدة أشياخ من بينهم عبد السلام البريهي، فأتقن النوبات الإحدى عشرة وتفنن في العزف على الكمنجة والرباب.

رحل إلى مدينة الجديدة في ريعان شبابه، وأقام بها فترة قصيرة تحول على إثرها عام 1931 إلى مدينة مراكش ليقضي سبع سنوات في تدريس الموسيقى الأندلسية بدار السي سعيد. وكان من بين من أخذوا عنه هذا الفن نجلاه الغالي وعباس، والفنان محمد أوبتحار الملقب الشلح الذي برع في العزف على الكمنجة، والشريف مولاي عبد الله الوزاني.

كان خلال إقامته بمراكش يشد الرحل بين الفينة والأخرى إلى مدينة أسفي لحضور المجالس الفنية التي كانت تلتئم ببيت الفنان الحاج عبد الرحمن بلهواري بحي تراب الصيني.

وعمل عبد السلام الخياطي على تأسيس جوق لموسيقى الآلة ضم خيرة الفنانين بمراكش، وظل على رأسه إلى أن استقدمه محمد الخامس عام 1938 إلى الرباط للالتحاق بجوق القصر الملكي، فرحل رفقة أسرته، وسكن بحي تواركة، بعدما خلفه في رئاسة جوقه تلميذه الشريف مولاي عبد الله الوزاني.

توفي عبد السلام الخياطي بالرباط يوم 4 رجب1361 / 18/6/ 1942، وهو من أبرز العناصر التي مكنت لأسلوب المدرسة الفاسية بمدينة مراكش.

*مذكرات خطية*، لأحمد الوكيلي، في حوزة ابنه حاتم الوكيلي.

**الخياطي، الغالي** بن عبد السلام ولد بفاس أواخر العقد الثاني من القرن العشرين، ثم رحل إلى الجديدة حيث تلقى تعليمه الابتدائي. وفي عام 1931 رحل من جديد مع عائلته إلى مراكش، وبها لازم دروس والده في الموسيقى الأندلسية بدار السي سعيد إلى غاية 1938، وهو تاريخ تحول الأسرة إلى مدينة الرباط حيث استقدم والده من طرف السلطان محمد الخامس للالتحاق بجوق القصر الملكي للموسيقى الأندلسية. انخرط الفتى في هذا الجوق، كما انخرط في الجوق الملكي للموسيقى العصرية الذي كان يرأسه يومئذ الفنان المصري وعازف القانون مرسي بركات، وبذلك استفاد من المجموعتين، واستطاع الجمع بين التراث الموسيقي الأندلسي والموسيقى الشرقية التي لم يكن قد مضى على تسربها إلى الأوساط المغربية سوى سنوات.

كان ملازماً لمجالس الحاج بلهواري في مدينة أسفي. وعندما استقر بمراكش أسندت إليه إدارة المدرسة الموسيقية لطرب الآلة بدار السي سعيد طوال العقد الرابع.

وقد دعي الغالي الخياطي لتعليم موسيقى الآلة بمعهد مولاي رشيد بالرباط، لما اشتغل عازفاً على الكمان في جوق الإذاعة الوطنية للطرب الأندلسي الذي كان يرأسه - يومئذ - الفنان المرحوم مولاي أحمد الوكيلي. وظل يضطلع بالمهمتين إلى وفاته.

ويذكر صالح الشرقي أن الغالي الخياطي لحن مقطوعات شعرية على نسق الصنعة في النوبة الأندلسية.

توفي الغالي الخياطي يوم 23 حجة عام1382 / 27 أبريل 1963.

صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، ص. 111 ؛ *روايات شفوية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

# د

**دابار** Dabar، أمير نوميدي كان يقيم في بلاط بكوس الأول Bocchus، ملك موريطانية (المغرب القديم). لعب دورا في المفاوضات التي قامت بين بكوس والقائد الروماني سولا Sulla كممثل للقنصل ماريوس Marius، والنوميدي أصبار Aspar كممثل للملك يوغرطة. قامت هذه المفاوضات في السنة الأخيرة من الحرب التي شنتها الجيوش الرومانية ضد يوغرطة، بالتدخل في مملكته نوميدية من 111 إلى 105 ق. م.

المصدر الوحيد الذي عرّفنا بالأمير دابار هو كتاب حرب يوغرطة *Bellum Jugurthinum*، للمؤرخ الروماني سالوستيوس Sallustius، الذي عاش بين 86 و35 ق. م. وتحدث عن دوره في التأثير على مواقف الملك بكوس، وإقناعه بالاستجابة لرغبة الرومان في إلقاء القبض على يوغرطة وتقديمه أسيرا لسولا.

قال سالوست في الفصل 108 : "كان يعيش بجانب بكوس وبداخله أشد المداخلة نوميدي اسمه أصبار. وكان يوغرطة لما علم بقدوم سولا قد بعثه على جناح السرعة ليمثله ويستطلع نوايا حليفه في آن واحد. كما كان هناك أحد أبناء مسوگرادة Massugrada، واسمه دابار من عائلة ماسنيسة، ولكن مولده وضيع من ناحية جدته، لأن أم أبيه كانت محظية. وكانت أخلاق دابار المرضية قد جلبت له رضا بكوس الذي اختبر في عدة مناسبات إخلاصه لرومة، فبعثه في الحال يعلن لسولا أنه مستعد لتنفيذ إرادات الشعب الروماني، وأن ليس على سولا إلا أن يختار بنفسه اليوم والمكان والساعة لمفاوضتهما، من غير اهتمام بممثل يوغرطة، وأنه تعمد ألا يغير شيئا من علاقته مع هذا الأخير، وذلك ليستطيع التفاوض بكل حرية في مصالحهما المشتركة إذا لم تكن هناك من وسيلة أخرى لاتقاء عراقيل الملك (يقصد يوغرطة)".

إن هذا الحدث الذي برز فيه دابار يرجع إلى البعثة الثانية التي جاء فيها سولا إلى بكوس قصد إنهاء الحرب بالمفاوضة. وقد سبقت ذلك جولة أولى من التفاوض بين بكوس وكل من سولا ومانليوس Manlius، لا شك أن دابار كان له فيها إسهام فعال. ونعلم أنه بعد هذه الجولة الأولى بعث بكوس إلى رومة سفارة تتكون من خمسة أشخاص لم ترد أسماؤهم في النص، قد يكون دابار أحدهم.

أما الجولة الثانية التي برز فيها دابار، فإن الكاتب يفيدنا أن بكوس كان يتظاهر ليوغرطة ولممثله أصبار بأنه يدافع عن مصالحهما المشتركة، ويسعى إلى تحقيق السلم مع الرومان. لكن بكوس كان يجري اتصالات سرية مع سولا دون حضور أصبار، غير أن دابار كان يحضرها، وهو الذي ينقل إلى بكوس طلبات سولا وتعليماته ثم يخبر سولا بالإجراءات والترتيبات التي يتخذها بكوس.

قال سالوست في الفصل 109 : "فأجاب سولا بأن حديثه بحضور أصبار سيكون مقتضبا. أما عن الباقي فسيكون له مع الملك حديث سري لا يحضره أي شاهد، أو يجري بحضور عدد ضئيل جدا. وفي نفس الحين أملى نص الجواب الذي أراد أن يبلغ للملك. ووقع الاجتماع كما أراده فقال إنه أتى من لدن القنصل (ماريوس) يطلب إلى بكوس هل يريد السلم أو الحرب. فطلب منه الملك حسب التعليمات التي تلقاها، أن يعود بعد عشرة أيام لأنه لم يكن يومه هذا قد قرر شيئا ولكنه سيعطي الجواب في اليوم العاشر. ثم افترقا وذهب كل واحد إلى معسكره. فلما تقدم الليل بكثير استدعى الملك سولا وكان مع كل واحد مترجمون موثوق بهم، زيادة على دابار الرجل الصادق الذي نال رضا الجانبين".

يخبرنا الكاتب عن فحوى المناقشة التي دارت في هذا الاجتماع السري الذي حضره دابار، حيث التزم بكوس بالولاء والإخلاص للرومان ووعد بتقديم كامل المساعدات

من السلاح والمال والرجال. ثم أشار الكاتب إلى التبرير الذي تقدم به بكوس لتدخله السابق في الحرب لصالح يوغرطة ضد الرومان، فنسب للملك الكلام التالي في الفصل 110 : "إني لم أحارب ولم أرد قطّ أن أحارب الشعب الروماني وإنما حميت بحد السلاح حدودي التي هوجمت بحد السلاح، وإني لأتخلى عن هذه الحماية، إذا كان ذلك يرضيكم، فحاربوا يوغرطة كما تشاؤون، ولن أتخطى نهر ملوشة Mulucha الذي كان هو الحد بيني وبين ميكبسة Micipsa، كما لن أسمح ليوغرطة باجتيازه، وإذا كان لك ما تطلبه غير هذا مما يليق بي وبشعبك فلن تذهب إلا وقد نلته".

كما يخبرنا الكاتب عن رد سولا في هذا اللقاء السري بحضور دابار. وهذا كلام سولا في الفصل 111 : "إن مجلس الشيوخ الروماني نظرا لانتصار أسلحتهم، لا يعتبرون الوعود التي يحملها كافية للاعتراف لهم، فعلى الملك إذن أن يعمل شيئا يبدو وكأنما قد أوحت به المصلحة الرومانية لا مصلحته الخاصة، وهو عمل سهل حيث إن يوغرطة يوجد بين يديه، فإذا سلمه للرومان، اعترفوا أن له عليهم يدا عظيمة، ووهبوه من ذات أنفسهم الصداقة والحلف والجزء الذي يطلبه الآن من نوميدية".

أشار الكاتب إلى أن بكوس رفض في البداية طلب سولا الذي يقضي بتسليم يوغرطة. ولا شك أن دابار لعب دورا حاسما في إقناع بكوس بوجهة النظر الرومانية. ثم أخبرنا سالوستيوس عن تطور الأحداث بعد هذه المفاوضة السرية بقوله في الفصل 112 : "وفي الغد دعا الملك إليه أصبار ممثل يوغرطة، وقال إن سولا أخبره بواسطة دابار أن بالإمكان إنهاء الحرب بالمفاوضة لمعرفة الشروط، ثم رجاه أن يستخبر سيده حول نواياه. فذهب أصبار فرحا إلى معسكر يوغرطة، وأحرز على جميع التعليمات، ثم رجع مجدا في سيره فوصل عند بكوس في اليوم الثامن".

أشار الكاتب إلى أن يوغرطة اقترح بدوره على بكوس اعتقال سولا للضغط على رومة. وقد ذكر بلوتارخوس : Plutarque, *Marius*, 10, 5 نفس الخبر. وهذا كلام أصبار في الفصل 112 : "إن سيده يخضع لجميع ما يطلب منه، ولكنه يَحْذر ماريوس، وأن الصلح الذي عقد من قبل مع القادة الرومانيين عدة مرات قد بقي حبرا على ورق. وأن بكوس إذا كان يريد خدمة مصالحهما معا وكان يطمئن إلى سلم حقيقية، فعليه أن يهيئ باسم السلم اجتماعا يحضره جميع المعنيين بالأمر، وهنا يسلم له سولا. وحين يرى مجلس الشيوخ والشعب الروماني أن هذه الرهينة في حيازته فإنهم لا يتوانون في عقد المعاهدة، ولا يتركون في قبضة العدو رجلا ساميا مثله لم يقع ضحية لجبنه وإنما وقع لإخلاصه للجمهورية".

ذكر سالوستيوس التردد الذي انتاب بكوس، والغالب أن دابار وآخرين من رعاياه الموريين، الذين كانوا يميلون إلى التعامل مع الرومان، أمثال ماگدولسة Magdulsa، قد دفعوا الملك أخيرا إلى اتخاذ القرار الحاسم : إنه نصب كمين للوفد المرافق ليوغرطة وقتلهم جميعا، ثم اعتقال يوغرطة وتسليمه لسولا. الفصل 113.

بعدما تعرفنا على الجو العام الذي يحيط بوجود الأمير النوميدي دابار في بلاط الملك الموري بكوس الأول، ودوره في الجولة الثانية من المفاوضات، نتساءل عن الظروف والأسباب التي جعلت دابار يقيم في مملكة بكوس، لدرجة أنه أصبح من الأمناء على أسرار الملك.

إن إخلاص دابار للرومان هي شيمة معروفة عند الملوك والأمراء النوميديين، نظرا للتحالف الذي كان قائما بين الأسرة الملكية ورومة، منذ ماسنيسة الذي ينتمي إليه دابار. أما العلاقة بين الموريين والنوميديين قبل حرب يوغرطة، فيبدو أنها كانت هادئة، بالرغم من أن المملكة المورية كانت تلتزم سياسة الاحتراز من رومة، ولم يتورط الموريون في الصراع القرطاجي الروماني كما فعل النوميديون. لكن الملك بكوس وبعض خواصه كانوا يهيئون الجو لاتخاذ منعطف في السياسة الخارجية، بالانفتاح على رومة والتعامل معها.

هنا نفهم الظروف الداخلية في موريطانية، التي سمحت لدابار وأمثاله بالالتجاء إلى الملك الموري بكوس. ومن جهة أخرى نفهم الدور الذي لا شك أن دابار لعبه في تحول سياسة الموريين من الانغلاق على الرومان إلى الانفتاح على تجارتهم وتأثيراتهم. نعتبر أن دابار هو أحد المعارضين لسياسة يوغرطة في فترة امتدت من سنة 118 ق.م. حيث توفي ميكبسة وقتل ابنه هيمبسال Hiempsal، وسنة 108 ق. م حيث تم التحالف بين بكوس ويوغرطة.

وهناك حدثان جعلا النوميديين ينفضُّون من حول يوغرطة، ويتخذون وجهة رومة أو موريطانية في ملاجئهم. الحدث الأول هو فرار النوميديين بعد مقتل أذربعل Adherbal في عاصمته قيرطة Cirta سنة 112 ق. م. الحدث الثاني هو اكتشاف يوغرطة لمؤامرة اغتياله من تدبير القائد الروماني ميتلوس Metellus مع النوميدي بوملكار Bomilcar.

بالنسبة للحدث الأول قال سالوستيوس في الفصل 35 : "كان آنذاك في رومة نوميدي يدعى مسيفة Massiva وهو ابن گلوسة Gulussa وحفيد ماسنيسة، وكان في حرب الملوك قد انحاز ضد يوغرطة (الصالح أذربعل)، ثم فر وهجر وطنه بعد استسلام قيرطة واغتيال أذربعل. ونظرا لانحداره من ماسنيسة فإن ألبينوس Albinus قد أقنعه بأن يطالب بمملكة نوميدية من مجلس الشيوخ... إن يوغرطة أقنع بوملكار Bomilcar، أخص أصدقائه وأوفاهم بأن يعرض المال على بعض الرجال - كما فعل من قبل - لينصبوا كمينا في السر التام لمسيفة، وإذا أخفقت المحاولة

فليقتلوه كيفما أمكن. فنفذ بوملكار أوامر الملك بكل سرعة وهاجم أحد من اكتراهم لهذه الجريمة مسيفة من غير احتياط للأمر فقتله".

بالنسبة للحدث الثاني قال في الفصل 72 : "وبعد أن أعدم بوملكار وكثيرا من الناس ممن كان على علم بالمشاركة في المؤامرة، أطفأ غضبه خوفا من إثارة الفتنة" ثم أضاف في الفصل 74 : "كان يوغرطة قد فقد أصدقاءه، فكثير منهم قتل على يده هو، والآخرون الخائفون التجأوا إلى الرومانيين أو إلى الملك بكوس".

وأيا ما كان الأمر، فسواء كان الأمير دابار قد فر مع خصوم يوغرطة الموالين لأذربعل أمثال مسيفة، أو كان من المتواطئين مع بوملكار ضد ملكهم وتمكن من الفرار، فإن مقامه في موريطانية ضمن حاشية الملك الموري كواحد من أخص أصدقائه، يوضح وزنه السياسي ودهاءه وتأثيره على مواقف بكوس الذي أنهى الحرب لصالح الرومان.

وهنا نعتقد أن دور الأمير دابار في السياسة الداخلية لبكوس ظل متواصلا، علما أن الموريين قاموا بانتفاضة بعد حرب يوغرطة، وهم يرفضون سياسة التعامل مع الرومان التي نهجها عاهلهم. ولا شك أن دابار ظل من أعوان الملك في التصدي لرعاياه الناقمين على حكمه، أمثال الموري ماگدولسة الذي تحول إلى صف المعارضين للملك.

لكن بكوس تمكن من إحباط الانتفاضة سنة 91 ق. م. حيث أعدم ماگدولسة، وأرسل إلى رومة تماثيل ذهبية لإلهة النصر الرومانية تحمل شعار النصر والغلبة، ومعها تماثيل أخرى من الذهب تظهر بكوس وهو يسلم يوغرطة لسولا. وفي ظني أن بكوس عمد إلى هذه الممارسة لإبداء التشبث بالتحالف السياسي والتعامل الاقتصادي مع رومة، كما يحلو لدابار وغيره من الذين لهم مصلحة في ربط العلاقات مع رومة.


سالوست، *حرب يوغرطة*، تر. م. التازي سعود، فاس، 1982 ؛ م. مجدوب، *أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة*، *مجلة بحوث*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العددان 2 - 3، 1990، ص.61 ـ82 ؛ *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م.*، ر.د.د.ع، كلية الآداب، فاس، 1990 ؛ *المغرب القديم من خلال كتاب حرب يوغرطة لسالوست*، اليوم الوطني لمجموعة البحث في الجغرافيا التاريخية لبلاد المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1996، تحت الطبع.

M. Majdoub, *Les luttes du début du Ier s. av. J-C. au nord de la Maurétanie*, Roma, 1992, p. 235 - 8 ; Idem, *La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain jusqu'au Ier s.av. J-C., Africa Romana,* 11, 1994, sous presse.


محمد مجدوب

**الدابد**، من ألفاظ اللهجة الدارجة المغربية كان تداوله سائدا بين الصناع والحرفيين، وهو تحريف لكلمة الضابط العربية الأصل. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن تحريف نطق الكلمات عربية وأمازيغية وأجنبية كان أمرا عاديا في اللسان الدارج لاعتبارين : أولهما ميل العامة إلى تبسيط بعض الحروف الثقيلة والمفخمة والتخفيف منها بالحذف والادغام، وثانيهما أن الكلمات المحرفة كان ينطقها جمهور عامة الناس ممن لا يحسنون مبادئ القراءة والكتابة دون أن يعرفوا كيف كانت تكتب. لذلك كانت تتحول من أصولها في النطق جزءاً أو كلاً لتبرز كلمات جديدة منحوتة بدلها، وهو أمر ينطبق على سائر اللهجات في العالم.

والدابد أداة حديدية لها مرتكز وساقان قائمان على شكل ساقي مثلث قائم متساوي الأضلاع كان الحرفيون المغاربة في القرن الماضي وما سبقه، من خرازين وحدادين ونجارين وبنائين ومعماريين وغيرهم يستعملونها لتحديد الأبعاد والمقاييس ورسم الأشكال الهندسية نصف الدائرية والدائرية وتحديد الأقواس والمنحنيات على المعادن والخشب والجلود والجدران وغيرها. وقد كانت هذه الأداة معروفة في المغرب والأندلس وبلدان المشرق العربي منذ عدة قرون وذكرتها العديد من المستندات التاريخية والنصوص الأدبية والعلمية التي يزخر بها التراث العربي. وهي بذلك أداة عريقة كما يشهد على ذلك اسمها العربي، والاسم المتداول الذي يدل عليها حاليا هو البركار، وهو لفظ لا نعرف بالضبط كيف تم استعماله.


محمد الحلوي، *معجم الفصحى في العامية المغربية*، الدار البيضاء، 1988 ؛ ع. القادر زمامة، *فاس وصناعتها التقليدية*، *مجلة كلية الآداب بفاس*، العدد الرابع والخامس، السنة 1980 - 1981 ؛ مؤلف مجهول، *ورقسات في أسرار بعض الصنائع*، مخطوط مكتبة كلية الآداب بالرباط رقم 216 مكل.

Anonyme, *L'industrie marocaine des peaux*, *B.I.D.M.*, juillet 1942 ; G. Baumont, *L'avenir des corporations artisanales au Maroc*, [s.l] 1949 ; P. Bory, *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941 ; L. Brunot, *La cordonnerie indigène à Rabat*, *Hesp.*, T. 3, 3° - 4° trim., 1946.


محمد بوسلام

**الداخلة** ـ جغرافيا ـ، مدينة متوسطة الحجم (37000 نسمة عند منتصف سنة 2000)، تقع على بعد 600 كم من مدينة العيون بأقصى الجنوب الغربي للأقاليم الصحراوية المغربية. وتتميز بموضعها عند نهاية شبه الجزيرة التي تحمل نفس الاسم والتي تمتد على مسافة 40 كم طولا و2 إلى 5 كم عرضاً مُشكّلة عند التقائها بالمحيط الأطلنتي ما يسمى بخليج وادي الذهب. وتعتبر آخر نقطة حضرية جنوب البلاد وعاصمة جهة وادي الذهب الگويرة.

كانت في الأصل عبارة عن مستعمرة أنشأتها إسبانيا التي كانت تحتل هذه المنطقة إلى حدود سنة 1975، وقد استرجعها المغرب يوم 14 غشت 1979 على إثر تخلي الإدارة الموريتانية عنها.

وتفيد المعطيات الإحصائية المتوفرة حول المدينة، أن عدد سكانها تزايد بشكل سريع منذ بداية الثمانينيات، إذ مر من 17309 نسمة سنة 1982، إلى 29831 سنة 1994 ثم إلى 37000 نسمة سنة 2000، أي بزيادة إجمالية بلغت حوالي19700 نسمة في ظرف 18 سنة، أي ما يعادل نسبة تزايد سنوي يقدر بـ 431٪ وهذا يبين أن عدد السكان بالمدينة تضاعف مرة واحدة خلال العقدين الأخيرين. وبالاقتصار على فترة 1982 ـ 1994 فقط، يلاحظ أن الأصل في الزيادة المذكورة لا يعود فقط إلى الزيادة الطبيعية التي ساهمت بنسبة46.5٪، ولكنه يرتبط أيضاً وبالدرجة الأولى بالتوافد الذي يمثل نسبة53.5٪. وفي الواقع، شكلت الداخلة منذ استرجاعها على غرار بقية المدن بالأقاليم الصحراوية المغربية قبلة للتوافد ليس فقط على مستوى الأقاليم الجنوبية ولكن أيضاً على الصعيد الوطني. وتتوزع أصول الوافدين عليها طيلة العشرية الأخيرة على الشكل التالي :

- الأقاليم الجنوبية : 17٪
- السهول والهضاب الأطلنتية الوسطى : 47٪
- المناطق الداخلية : 32٪
- أقاليم أخرى : 4٪

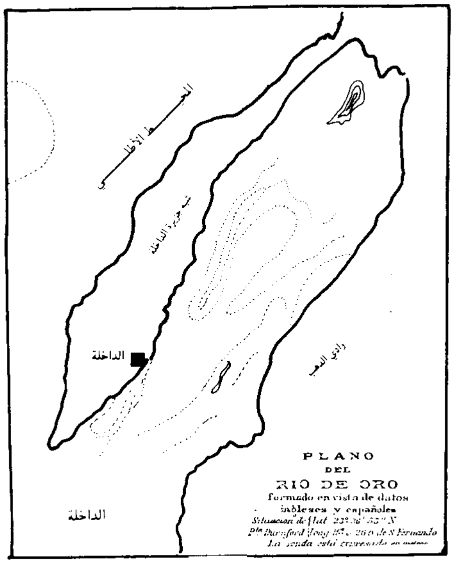


ويبلغ عدد الأسر بالمدينة 5855 سنة 1994 في مقابل 1528 سنة 1982. وهذا يبين أن الزيادة الإجمالية للأسر خلال فترة 12 سنة كانت تقدر 4327، أي أنه على عكس عدد السكان تضاعف عدد الأسر ثلاث مرات تقريبا. ويبلغ حجم الأسرة في المتوسط خمسة أفراد بدل عدد 11.83 الذي سجل بالمدينة سنة 1982. ويرتبط هذا التراجع أساساً بالتوافد الذي هم على الخصوص الأسر النووية وعنصر العزاب.

ويبرز توزيع السكان النشيطين حسب القطاعات الاقتصادية سيادة أنشطة القطاع الثالث التي تستأثر بنسبة 61٪ من المجموع. وتمثل الإدارة العمومية والجندية الفروع التي توفر أكبر عدد من مناصب الشغل (51٪). كما تعتبر التجارة أهم أنشطة هذا القطاع بدورها، خاصة وأنها تدخل في التقاليد العريقة لسكان المنطقة بصفة عامة. تستحوذ التجارة حاليا على حوالي 8٪ من مجموع النشطين، ويغلب على أنشطة المحلات التجارية بيع المواد الغذائية بنسبة 45٪، إضافة إلى الألبسة وأمتعة التجهيز المنزلي بنسبة 12٪.

كما يعتبر قطاع الصيد البحري من أهم الأنشطة الحضرية حيث يساهم في التشغيل بنسبة 22٪. ويتميز هذا القطاع بسيادة الصيد الساحلي الذي يوجه إنتاجه أساسا إلى السوق المحلية. أما الصيد في أعالي البحار فيكتسي بدوره أهمية كبيرة بساحل الداخلة، لأنه يهم أزيد من 70٪ من الأسطول الوطني. إلا أن انعكاساته على الاقتصاد الحضري المحلي منعدمة تماما. ويرتبط هذا النشاط بوجود ثروة سمكية هامة على طول الساحل الأطلسي للمنطقة وكذا بالخليج الصغير لوادي الذهب، وهي اليوم معرضة لمخاطر الاستغلال المفرط والتلوث القوي. ويرتبط بهذا القطاع نشاط صناعي جد متواضع يتمثل أساسا في بعض وحدات إنتاج الثلج الذي يستعمل لحفظ الأسماك عند الخزن والنقل.

ويتكون المجال الحضري بالداخلة من النواة التي تعود إلى الفترة الإسبانية والأحياء الجديدة التي ظهرت بعد 1979. وتنتظم المدينة حول المرفقين الأساسيين اللذين يربطانها بالخارج وهما الميناء والمطار. تمتد الأحياء الأصلية على طول شارع الحسن الثاني الذي يربط الميناء بالمطار، والذي تتفرع عنه شبكة من الطرق في اتجاه الأحياء الجنوبية والشمالية من المدينة. ويعتبر هذا المحور وامتداده الجنوبي مركز المدينة لأنه يحتضن التجهيزات السوسيوثقافية والثكنة العسكرية والمركز التجاري. أما الأحياء الجديدة فتمتد جنوب وشمال مركز المدينة وهي أساساً عبارة عن مناطق سكنية.

وتجدر الإشارة إلى أن تركّز معظم سكان جهة وادي الذهب الگويرة والخاصية السريعة التي تم بها التمدين بالداخلة قد أسفرا عن تدهور المشاهد الحضرية بشكل كبير جداً، سواء بالأنوية الحضرية الموروثة عن الفترة الاستعمارية أو بالأحياء الجديدة. وتتجلى هذه الظاهرة في تقادم البنايات بأحياء لخصيصات ولبويشات وحي الميناء وكذا حي الركيبات ... كما تتمثل أيضاً في تداخل أنواع السكن على مستوى نفس الحي ونفس الشارع وغياب أي تجانس أو تناسق معماري بالمدينة. أضف إلى ذلك أن تفكك النسيج الحضري يطرح بدوره مشكل عدم توفر نوع من التدرج في المراكز الحيوية بالمدينة، وضعف التمفصل ما بين مختلف الأحياء المكونة لها.

*أبحاث شخصية ؛ تصميم تهيئة مدينة الداخلة.*

عثمان هناكا

** يرتبط تاريخ مدينة الداخلة بالإسبانيين، فقد أسسوها بشبه جزيرة الداخلة في الصحراء (إقليم وادي الذهب حاليا) سنة 1303 /1885، وسموها بييَاثيسْنيرُوس Villa Cisneros نسبة إلى الأسقف الإسباني فرانسيسكو فيرنانديث دي ثيسنيروس Francisco Fernandez de Cisneros الذي اختارته الملكة الإسبانية إيسابيل الكاثوليكية Isabel la Católica معرفا لها.

في يوم 16 سبتمبر 1877 ترأس الملك الإسباني الفونصو الثاني عشر Alfonso XII بمدريد الجلسة التأسيسية للجمعية الإسبانية لاكتشاف الصحراء Asociacion Española para la exploracion del Sahara وبناء على مقرراتها بعثت جمعية الصيد الكنارية الإفريقية Sociedad de Pesod Canario - africanas وكيلين عنها إلى شبه جزيرة الداخلة قاما باتصال مع بعض المغاربة القاطنين بها وعادا إلى الجزر الخالدات يدعيان بأنهما اشتريا منهم شبه الجزيرة المذكورة، وكان ذلك أواخر سنة 1299/ 1881.

وفي 5 نوفمبر 1301/ 1883 انعقد بمدريد المؤتمر الإسباني للجغرافيا الاستعمارية والتجارية Conareso español de geografia colonial وكان من بين مقرراته العمل على إنشاء مركز أو مركزين إسبانيين بالشاطئ الصحراوي الموالي للجزر الخالدات، وتأسيس شركة إسبانية للمستعمرين الإفريقيين Sociedad española de Africanistas. وقامت بالفعل هذه الشركة بمدريد في شهر ديسمبر من نفس السنة. وفي يوم 30 مارس 1884 عقدت مهرجانها الأول بمسرح الحمراء بالعاصمة الإسبانية. ولما علمت شركة الصيد الكنارية الإفريقية بهذه التحركات شبه الرسمية، قامت بتفويت "حقها" في شبه جزيرة الداخلة إلى الشركة التجارية الإسبانية الافريقية المؤسسة بمدريد يوم 9 نوفمبر 1883 والتي قامت بإرساء سفينتين تجاريتين بالقرب من شاطئ الداخلة في شهر فبراير من سنة 1884.

وما أن علمت شركة المستعمرين الإفريقيين بهذه الصفقة الوهمية وبوجود السفينتين المذكورتين بالشاطئ الصحراوي حتى كلفت الملازم الاحتياطي إميليو بونيلي Emilio Bonelli بالقيام بعملية استطلاعية للشاطئ المذكور الموالي للجزر الخالدات فقام بجولة بحرية وبرية من رأس بوجدور (خط العرض 27 درجة) إلى الرأس الأبيض (خط العرض 20 درجة)، ونتج عن ذلك أن اختار يوم 3 نوفمبر من نفس السنة ثلاث بقع أقام فوق كل واحدة منها كوخا من خشب رفع عليه العلم الإسباني : الأول بشبه جزيرة الداخلة وأطلق عليها اسم بيياثيسنيروس، والثاني بخليج الرأس الأكحل وسماه بْويرْطو باديا Puerto Badia، والثالث بالگويرة (الرأس الأبيض) وسماه بْويرْطو أو مدينة گاطيي Puesta o Medina Gatell.

وعلى إثر ذلك أعلنت حكومة مدريد يوم 26 ديسمبر 1884 بلاغا أخبرت فيه الدول الأوربية بأنها قررت بسط حمايتها على الشاطئ الصحراوي الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض. وفي شهر يناير 1885 شرع بونيلي في بناء مركز الداخلة بالحجارة، فكان رد فعل المغاربة أنهم هاجموا المركز يوم 9 مارس وحطموا البناء وأحرقوا الكوخ ونهبوا الأمتعة وقتلوا بعض الإسبانيين وأسروا البعض الآخر ولم ينج منهم إلا من كان على ظهر السفينة التي كانت راسية بمياه الداخلة وتمكنوا من الفرار واللجوء إلى الجزر الخالدات.

لم يبق للإسبانيين وجود بأرض الصحراء المغربية طيلة ثلاثة أشهر أي إلى أن طلبت شركة المستعمرين الإفريقيين من الحكومة الإسبانية حماية "مصالحهم" بالداخلة، واستجابت مدريد لذلك فأذنت لبونيلي في العودة إلى الداخلة مرة ثانية معززا بكتيبة عسكرية مكونة من 20 جنديا يرأسهم القبطان خوسي شاكون José Chacon وكان ذلك يوم 8 يونيو من نفس السنة.

وفي 10 يوليوز عين بونيلي مندوبا ملكيا Comisario

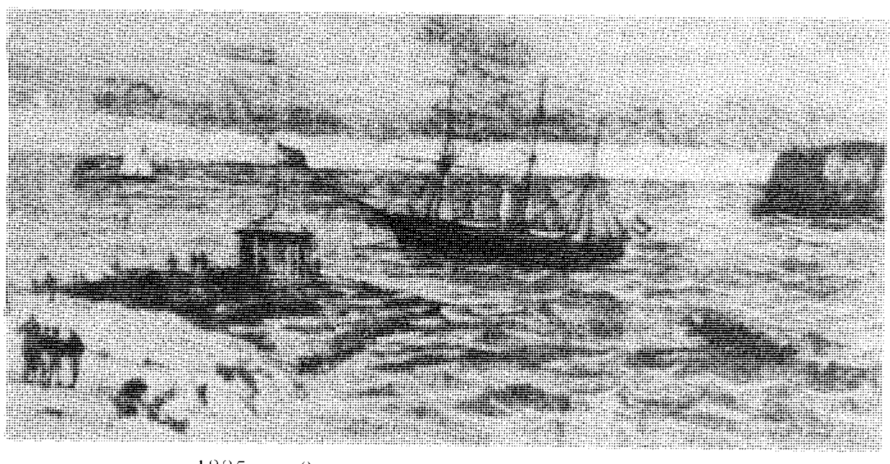

الاحتلال الاسباني الثاني لشبه جزيرة الداخلة يوم 8 يونيو 1885

regio بالشاطئ الصحراوي الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض. وفي 10 أكتوبر سلمت شركة المستعمرين الإفريقيين حصن الداخلة إلى الحكومة الإسبانية التي قامت باحتلاله عسكريا يوم 16 ديسمبر.

وفي سنة 1317/1899 م أعفي بونيلي من منصبه، وحل محله ضباط عسكريون إلى أن تم التوقيع على المعاهدة الإسبانية الفرنسية ليوم 27 يونيو 1900 والتي بمقتضاها اعترفت فرنسا بـ"حق" إسبانيا في بسط نفوذها على بيياثيسنيروس Villa Cisneros وجزء من الصحراء الغربية المغربية الممتد من خط العرض 26 درجة (جنوب رأس بوجدور) إلى خط العرض 21 درجة و20 دقيقة (شمال الرأس الأبيض) غير أن إسبانيا لم تتمكن من احتلال أية بقعة من الأرض المغربية المذكورة حيث إن وجودها بناحية الترس (وادي الذهب) اقتصر على وجودها بمدينة بييا ثيسنيروس، وهذا ما جعل التشريعات التي أصدرتها حكومة مدريد ابتداء من سنة 1901 تطبق فقط بالمدينة المذكورة، ونعني بذلك المرسوم الملكي ليوم 12 أبريل 1901 الذي بمقتضاه أصبح شاطئ الصحراء صوريا تحت نظر وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الخارجية، والمرسوم الصادر في 7 نوفمبر من نفس السنة بخصوص كيفية تسيير الشاطئ المذكور إداريا.

وفي شهر ديسمبر 1903 عين الضابط فرانثيسكو بينس Francisco Bens حاكما سياسيا وعسكريا على شاطئ الصحراء. وحل بمدينة بييا ثيسنيروس يوم 17 يناير من السنة التالية مصحوبا بواحد وثلاثين جنديا وممرض واحد، غير أنه لم يتمكن من القيام باحتلال أية بقعة أخرى بأرض الصحراء إلا يوم 29 يونيو 1916 حيث احتل رأس جوي (طرفاية)، والگويرة يوم 30 نوفمبر 1920.

وابتداء من صدور المرسوم الإسباني بتاريخ 25 يناير 1919 أصبحت مدينة بييا ثيسنيروس تابعة للإقامة العامة الإسبانية بتطوان في شمال المغرب، وفي سنة 1934 احتلت القوات الإسبانية منطقة إفني ومدينة اسمارة بالساقية الحمراء، وعندئذ أصبحت مدينة بييا ثيسنيروس عاصمة للأقاليم الصحراوية المحتلة من لدن إسبانيا إلى غاية سنة 1940 حيث انتقلت الإدارة المركزية إلى مدينة العيون.

ظلت مدينة بييا ثيسنيروس تحت الحكم الاستعماري الإسباني إلى أن تم التوقيع على اتفاقية مدريد المبرمة بين إسبانيا والمغرب وموريطانيا، فأصبحت المدينة المذكورة تابعة للنفوذ الموريطاني إلى أن تخلت عنها موريطانيا وقام سكان المدينة بمبايعة ملك المغرب يوم 13 غشت 1979 حيث أصبحت عاصمة إقليم وادي الذهب وعاد إليها اسمها الحقيقي : الداخلة.

Bonelli, E., *Nuevos territorios españoles en la costa del Sahara. Bol. Soc. Geografica*, Madrid XVIII 1885 ; *El Sahara* Madrid, 1887 ; Garcia Figueras, T, *Santa Cruz de Mar Pequeña - Ifni. - Sahara*, Madrid, 1941 ; Domenech, A., *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946 ; Bens, General. *Mis memorias (22 años en el desierto)*, Madrid, 1947 ; *Espasa-Calpe*, Madrid, t. 28, p. 2784 ; Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid, 1955 ; Ibn Azzuz Hakim, M., *Por que reivindicamos Rio de Oro*, Rabat, 1966.

محمد ابن عزوز حكيم

**دادا أيوب**، ولي صالح يوجد ضريحه بداخل مدشر أسرير (انظر مادة *أاسرير : المعلمة*) تعتبره فصيلة إدإيوب من أمازيغ جدها الأسمى كما يظهر ذلك فعلا من وجوده داخل شريط سكناها بالمدشر على اعتبار أنه الولي الوحيد المدفون داخل المدار السكني بأسرير. ونجهل الأسباب الحقيقية التي جعلت منه مزارا رئيسيا للسود في إطار ممارستهم التقليدية قبل انطلاق رقصاتهم الفولكلورية. ويبقى التناقض مع ذلك مساهما في تكريس وجه الإشكال إذ كنا نجد في إحدى وثائق عائلة أهل مبارك الحاج (من إدإيوب) مشجرا يصل الجد الأعلى إيوب بجذور شريفية وذلك عبر إوالية ربطه بالولي الشهير محمد بن عمرو اللمطي، مع الاختلاف الواضح في التصاعد السلالي داخل الوثيقة وأيضا لصعوبة تحديد نسب ضريح لمحمد بن عمرو نفسه ( *خلال جزولة*،2 : 13 - 15).

فهل يحق لنا أن نربط هذه المشاغل بالمد القبلي لأزوافيط على مدشر أسرير ؟ هل يمكن أن يكون دادا أيوب رمزا لاستمرارية فصيلة تخشى الذوبان بفعل التوسع واللااستقرار الكبيرين على مستوى المدشر طوال القرون اللاحقة للقرن السادس عشر ؟ هل يكون ذلك أيضا رغبة في إثبات أصالة الانتماء وانتزاع التمثيل في صلب التمايزات داخل فروع التشكيلة الأمازيغية بأسرير ؟ هل يجوز لنا أن نرى في أهمية امتلاك عالم القداسة طموحا لاستكمال ومراكمة العناصر الرمزية التي جعلت منها المواجهة عناصر رئيسية للمقاومة.

إن دراسة معمقة وحدها كفيلة بالإجابة عن تلك الأسئلة التي تبقى مثيرة للانتباه إلى تنوع الوثيقة وشساعة الحقل التاريخي الخاص بكل مدشر في خصوصيته ثم في انفتاحه على أحداث وادي نون في ظروف نفتقد فيها أي معلومات مؤكدة.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، الجزء الثاني، تطوان د. ت.

V. Monteil, *Notes sur Ifni et les Aït Ba-Amran*, Paris, 1948.

أحمد جوماني

**دادا عطا**، شخصية لم يصلنا عنها سوى معلومات طفيفة لا تسمح بضبط الحلقات الجوهرية من حياتها ومراحل تنقلها في الزمان والمكان، وحتى الأخبار التي وصلتنا عن دادا عطا أخذها وجمعها أصحابها بواسطة الروايات الشفوية في غالب الأحيان.

ولعل هذا يعود إلى كون القبائل الهامشية التي كانت تعيش في المناطق النائية عن العواصم الكبرى لم تنل حظها من كتب الحوليات، أضف إلى ذلك إلى كون الفقهاء المحليين لم يهتموا بالرحل. ولا يذكرون هذه القبائل إلا لوضعها في طي الكتمان، كما أن مجتمع أيت عطا مجتمع يعتمد على الروايات الشفوية أساسا ونقل الأخبار بشكل متوارث. وإلى جانب هذه العوامل فإن "دادا عطا" شخصية رمزية في المتخيل العطاوي (أيت عطا) أكثر منها شخصية عادية، ولهذا أحيط بالخوارق والكرامات والأساطير لدرجة يبدو معها "دادا عطا" وكأنه شخصية وهمية. وعلى كل فقد اعتبر بمثابة جد أيت عطا الأعلى. وحسب الروايات فإن "دادا عطا" عاش في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) على الخصوص بحيث كان هو المؤسس لاتحادية أيت عطا حوالي 1550 م. كما أنه حسب هذه الأخبار دفين واحة درعة قرب اكتاوة في مكان يدعى "إيمي ن تالث ن إلكتاون" أي "فم وادي لكتاوة".

وتقول الأخبار إن دادا عطا من أقارب الشريف الإدريسي مولاي عبد الله بن حسين المصلوحي. بل هو من تلامذته أيضا، وهذا ما جعل قبائل أيت عطا تدين بالولاء لزاوية تامصلوحت إلى يومنا هذا.

كما أن "دادا عطا" تحالف مع سعيد الحنصالي الشيء الذي جعل قسماً من أيت عطا يدين بالولاء أيضا للحنصاليين. وقد لاحظ گلنير Gellner ومن قبله سبيلمان Spillman أن قبائل أيت عطا تقوم باستحضار الانتماء إلى الجد الأعلى "دادا عطا" كمرجع رمزي تنحدر منه مجموع تلك السلالات، وذلك لكون هذا الجد عنصرا أساسا لتحقيق التماسك ووحدة قبائل أيت عطا أمام الخطر المحدق. وسمى گلنير عملية الاستحضار هذه بعملية الانصهار. ولم يقف دور استحضار "دادا عطا" على حالة الاستنفار، بل إن قبائل أيت عطا تستمد مواقفها من المخزن أحيانا من أقوال "دادا عطا" كرفضهم أداء الواجبات المخزنية اعتماداً على قولة "دادا عطا" المأثورة ومفادها :

"وحقّ دادا عطًا. ما يعطي مانين يعطَى. واخًا يولّي جبلْ صاغرو وْطا" أي معناَه : "أقسم دادا عطا أنه لَن يؤدي ما وجب، ولو أصبح جبل صاغرو سهلا".

ورغم الدور الذي لعبه الانتماء إلى جد واحد في تحقيق التماسك، وفي اختيار المواقف والسلوك فإن اعتماد الانتساب إلى جد مشترك الانتماء البيولوجي، اصطدم بتناقضات، منها : أن بعض القبائل المنضوية داخل اتحادية أيت عطا لا تمتُّ في الأصل إلى أيت عطا بصلة، وأشهر الحالات في هذا المجال تمثلها مجموعات "إملوان" التي نجد قسما منها ينتمي إلى أيت يافلمان (أيت حديدو)، وقسما ينتمي إلى أيت عطا. وقسما مستقلا عن الاتحاديتين. وهناك من جهة أخرى بعض القبائل التي التحقت باتحادية أيت عطا من أجل الاحتماء بها من قبائل بدوية أخرى، ومثال ذلك "بنو مَحمد" وهي قبيلة عربية بتافيلالت انضمت إلى أيت خباش، وهم أيت عطا القاطنون بتافيلالت، وهناك أيضا مثال أيت علوان وأيت اسفول فهم رغم كونهم من أخماس أيت عطا فإنهم في الغالب من أصل عربي.

وقد كان وجود عناصر متنوعة الأصول داخل اتحادية أيت عطا وراء اللبس الذي اكتنف مفهوم القبيلة العطاوية، إذ وجدت نفسها تعيش تناقضات داخلية تتجلى في إقصاء العناصر التي لم تستطع إثبات انتمائها إلى الجد الأعلى (دادا عطا) من الحياة السياسية، وحيث ترفض مشاركتها في الانتخابات التي تجرى لاختيار "الشيخ العام" كما يُرفض تقديم مرشح عنها لهذا المنصب. وكمثال على ذلك : أيت علوان وأيت اسفول وأيت أونير.

كما أن الانتماء إلى الجد الأعلى اصطدم باختلاف المصالح بين مختلف بطون أيت عطا التي يشك في أصولها. وهكذا اندلعت نزاعات اتخذت طابع العنف في غالب الأحيان بين أيت عطا الصحراء وأيت عطا الدير، وكان الصراع يجري حول امتلاك المراعي ومشكل تحديد الملكيات التابعة لكل طرف. هذا بالإضافة إلى ترامي أيت عطا الدير على الأراضي التي كانت خاصة بالانتجاع لاستثمارها كأراضٍ زراعية، ولم يعد الانتماء إلى جد مشترك أي "دادا عطا" بقادر على تحقيق تماسك هذه القبائل. وهذه النزاعات الظرفية حول المراعي هي التي مهدت السبيل للتغلغل الاستعماري لمناصرة طرف على الآخر خلال عملية الغزو العسكري، وبعد إتمامها استعملت هذه السلطات النزاع حول المراعي كوسيلة لفرض سلطتها عن طريق التحكيم الذي استمر طيلة العهد الاستعماري. وهكذا تلاشى دور الانتماء إلى جد مشترك كعامل مُوحِّد.


محمد أتكان وأحماد باسلام، *مناقشة كتاب سبيلمان : أيت عطا الصحراء وتهدئة درعة العليا*، بحث لنيل الإجازة، أكادير، 1989.

G. Spillman, *Districts et tribus de la Haute vallée du Draa in villes et tribus du Maroc*, tome II, Paris, 1931 ; E. Gellner, *Saints of the Atlas*, London, 1969 ; D. M. Hart, *Dadda Atta and his forty Grandsons, Transhumance, Politics and Warfare amonf the Aït Atta of South central Morocco* (Article) ; *Assu U Baslam* in *Les Africains*, tome V, Paris, 1977.


عبد القادر بوراس

**دادس**، ـ جغرافيا ـ اسم أحد الروافد الرئيسية لنهر درعة، يأخذ منابعه في الأطلس الكبير الأوسط على ارتفاع يصل إلى 3.000 م عند جبل بُويقُّولا. ينحدر النهر في اتجاه عام شمالي شرقي جنوبي غربي تحت اسم أسيف – ن – امضغوس ثم دادس حتى منطقة اتصاله بواد ورزازات حيث يكوِّنان واد درعة.

تختلف الملامح الطبغرافية لحوض دادس، حيث نصادف أعرافا محورية حادة تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال

الشرقي تتخللها هضاب مرتفعة وأحواض داخلية في العالية بينما يتميز القسم الأوسط بخوانقه الكارسطية الضيقة والمتعمقة، ثم تنفرج التضاريس بعد ذلك على شكل منخفض متسع نسبيا يفصل بين الأطلس الكبير وجبال صاغرو (شرق الأطلس الصغير). ويعزى هذا التعقيد في الطبغرافية إلى تداخل مختلف العناصر الإرسابية الرئيسية لفترات ما بعد الترياس وتعرضها لحركات تكتونية مختلفة الوقع والمدى.

بالنظر إلى موقع المنطقة القاري وانفتاحها على المؤثرات المناخية الصحراوية فإن إمكانيات الحياة البيولوجية خارج المجاري الرئيسية للأنهار محدودة جدا. ويعتبر الجريان السطحي، رغم عدم انتظامه، عنصرا محددا وأساسيا لكل الأنشطة. فالصبيب المطلق المسجل في محطة أيت موتد بلغ 36.600 لتر في الثانية بينما قد يصل صبيب الشح إلى 0 لتر في الثانية. وهذا الاختلاف جعل من تنظيم الماء وتدبيره أحد الركائز الهامة للمجتمع الدادسي.

وهناك ظروف جعلت من وادي دادس ومن الأودية الجبلية المكونة لحوض درعة الأعلى مجالا للتعمير منذ القديم، وكونت منه ممرا استراتيجيا قديما بين تافلالت ودرعة وبين هذه المناطق والمراكز الحيوية في الشمال كدمنات ومراكش وفاس.

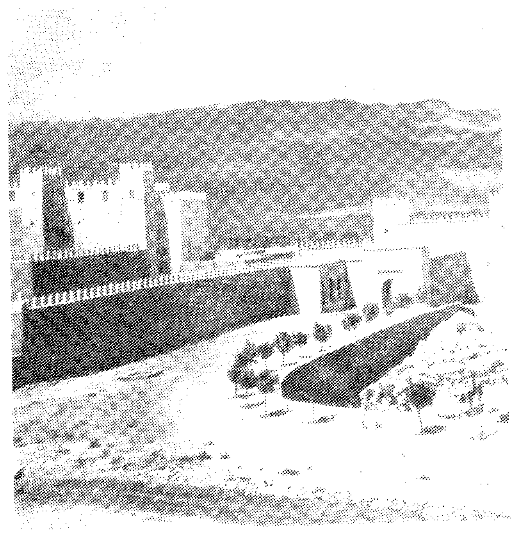

مدينة دادس

تقدر نسبة المجال المنزرع على السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط بحوالي 8٪ فقط من المساحة العامة،مما دفع السكان إلى البحث عن تكامل مجالي في إطار اقتصاد قائم على الزراعة والرعي. على أن الموقع الإستراتيجي المشار إليه، في ميدان التبادل، وقلة الأراضي المنزرعة إضافة إلى الضغط الديمغرافي، كلها عوامل تضافرت منذ القدم لتؤدي إلى التهافت على هذه المجالات، ويعتبر هذا التهافت عنصراً أساسياً في تفسير طريقة التنظيم المجالي القبلي : فمن العالية نحو السافلة نجد القبائل التالية : أيت حديدو، أيت مرغاد، أيت عطا - ن - مسمرير، أيت عطا - ن - أسكيس، أيت سدرات الجبل، أيت عطا - ن - بومالن، أهل دادس، أيت سدرات السهل ثم قبيلة مگونة على رافد من النهر يسمى باسمها وقبائل امغران فأهل اسكورة (هسكورة) على واد توندوت ثم أفخاذ من قبائل امغران وأيت بودلال قبيل مقرن واد دادس بواد ورزازات.

إن هذا التداخل في الاستيطان بين القبائل المختلفة أدى ومازال يؤدي إلى صراعات لا متناهية حول الأراضي المنزرعة ومياه السقي والمراعي الشتوية في صاغرو والصيفية على الأطلس الكبير، حيث كوّن خيوط ونسيج تاريخ المنطقة. فقبائل أيت عطا تحاول استغلال حوض دادس كممر نحو المراعي الصيفية، بينما ترغب قبائل امگونة وأيت سدرات وأيت يافلْمَان وإمغران في أن يكون لها نصيب في المراعي الشتوية بصاغرو.

ساهمت هذه الظروف إلى حد بعيد في تباين الأنشطة الاقتصادية بين أجزاء الوادي. فإذا كانت القبائل القاطنة في أعالي الأنهار تتعاطى أساسا للرعي وزراعة ضيقة للمحاصيل الموسمية فإن سكان سافلة الوادي يتعاطون بالدرجة الأولى لزراعة عمادها الحبوب كالشعير والذرة، بالإضافة إلى مغروسات قوامها أشجار التين واللوز والمشمش والخوخ والجوز.

إن ضيق المجال القابل للاستغلال الفلاحي، وتزايد حاجيات السكان كماً وكيفاً، وانفتاح المنطقة على المؤثرات الخارجية كلها عوامل أدت إلى تنامي تيار هجروي نحو المجالات الاقتصادية النشيطة بشمال المملكة أو نحو الجزائر ثم نحو أوربا الغربية منذ بداية الستينيات. وقد أدى هذا الاتصال المكثف مع الخارج إلى تحولات عميقة لكل المركب الاجتماعي المجالي والاقتصادي. فقد بدأ الرعي يتراجع واتخذت الاستثمارات في ميدان الري بالضخ وغرس التفاح والبطاطس والورود أبعاداً هامة ومتباينة. كما اتجهت بالخصوص نحو التجارة والبناء، حيث انفجرت القصور القديمة وظهر سكن جديد أجنبي في مواد بنائه وأشكاله وهندسته على جنبات الطرق. كما ظهرت تمشياً مع هذه التغيرات مراكز حضرية أصبح تضخمها يطرح عدة إشكاليات كبومالن دادس وقلعة مگونة.

إن جمالية الأشكال الطبغرافية بخوانقها وقممها وأوديتها إضافة إلى صفاء الجو واخضرار الأشرطة المجاورة للأنهار وسط مجالات قاحلة يميل لونها نحو الاصفرار أو الاحمرار، وحسن استقبال السكان، جعل من المنطقة قبلة للسيّاح خصوصا الأجانب. وقد تنامى هذا القطاع بعد إحداث موسم الورود بقلعة مگونة، وتشجيع السياحة الجبلية. لكن الضغط الممارس على الموارد الطبيعية خاصة الغطاءين النباتي والترابي ثم الموارد المائية ظل يهدّد المنطقة.

أقديم إبراهيم، *إسهام في الدراسة الهدرولوجية والمرفلوجية لحوضي دادس وتدغة (السفح الجنوبي للأطلس الكبير)*، د.د.ع. في الجغرافيا، كلية الآداب بالرباط، 1983 ؛ م. أيت حمزة، ملامح *التحولات السسيومجالية بحوض أسيف أمكون، السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط*، د.د.ع. في الجغرافيا، كلية الآداب بالرباط، 1986 ؛ وزا علي، *دراسة جغرافية لوادي دادس*، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا بكلية الآداب بالرباط، 1979.

M. Aït Hamza, *L'émigration, facteur d'intégration ou de désintégration des regions d'origine ?* Rabat, 1988; *Tinghir, Boumalne, Dadès et Kelaât Mgouna : trois petits centres au sud de l'Atlas.* 7è Colloque de Sefrou sur *"L'aménagement et gestion des petites et moyennes villes au Maroc"*, Avril 1994, (sous presse), Sefrou ; G. Couvreur, *La vie pastorale dans le Haut Atlas Central, RGM*, N° 13, 1968 ; M. El Madani, *Collectivités traditionnelles et espaces ruraux montagnards dans les zones d'arrière - pays atlasiques méridionaux : le cas des Ayt Seddrate du Dades.* DES en Géographie. Aix-en-Provence, 1986, 2 vol.

محمد أيت حمزة

** تاريخ موقع وادي دادس جعل منه منطقة اتصال وعبور بين مناطق جغرافية وبشرية مهمة، هي تدغة وتافيلالت شرقا، ودرعة (دْرا) جنوبا، وسوس غربا، والأطلس الكبير شمالا. وبالإضافة إلى ذلك فوادي دادس هو منطقة تماس وانتقال بين لهجتين أمازيغيتين هما : تمازيغت وتاشلحيت.

ورغم أن وادي دادس تشرف عليه تضاريس مرتفعة جدا، فإن ذلك لم يكن عائقا أمام المواصلات في مختلف الاتجاهات : جنوبا وشرقا وشمالا وغربا.

أما معنى اسم دادس فلا يعرف في الوقت الحالي. ولعل أول من أشار إلى دادس وأهله – حسب ما نعرفه إلى الآن – هو أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق في كتابه *المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب* خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري (12 م)، وذلك حينما تحدث عن قبائل صنهاجة القبلة وأفخاذها قائلا : "ومن صنهاجة القبلة سولينة إين سولينت معا، وهم من أهل دادس وهو قبيل مستبد بنفسه، وكذلك مزگگة أو مزگگا معا أيضا من صنهاجة القبلة، وهم من أهل دادس وهو قبيل مستبد بنفسه، وهذان القبيلان مضافان إلى اين گفو لا يُعتمد عليهم في الحضور ولا في الترتيب، وكأنهم رعية، ولكل فخذ من هذه الأفخاذ شيخ". وواضح من هذه الإشارة أن أهل دادس ربما تقاعسوا عن الانضمام إلى الدعوة الموحدية في بداية أمرها.

وهناك إشارة ثانية لدادس وردت عند التادلي المعروف بابن الزيات في الترجمة التي أفردها لأبي يحيى أبي بكر ابن ملول [الصنهاجي] الأسود في كتابه *التشوف إلى رجال التصوف*. ومما قاله عن هذا الولي الصالح إنه "من أهل قرية [تانسغرت] من بلد دادس من بلاد القبلة، وبها مات عام خمسة وستمائة وكان عبدا صالحا...". وكلمة دادس هنا تعني المجال الترابي والجغرافي. أما السكان فلم تكشف عن هويتهم القبلية. أما قرية تانسغرت المذكورة فهي لا تزال معروفة إلى اليوم، وتوجد على الصفة اليمنى لوادي دادس في تراب قبائل أيت حمّو قريبا من سوق الخميس دادس الحالي (في وسط دادس). أما ضريح أبي يحيى فهو مزارة إلى اليوم.

وتضاف إلى الإشارتين المكتوبتين السابقتين إشارة ثالثة، لكنها متأخرة تعود إلى بداية القرن العاشر (16 م)، وهي للحسن الوزان المعروف بجان ليون الافريقي، يصف فيها دادس بأنه جبل "شاهق مكسو بالغابات يبتدئ غربا عند جبل مغران وينتهي في تخوم جبل أدخسان، كما يتاخم جنوباً سهل تدغة..." ويفهم من هذه الإشارة أن منطقة دادس التي يعنيها الأمر هنا هي المنطقة الجبلية من الأطلس الكبير الأوسط المطل على إقليم تادلا. ويفهم أيضاً من نفس الإشارة أن نفوذ السعديين رُبما لم يشمل بعد دادس بمعناه الواسع إلى حدود سنة918 / 1512 ـ 1513 تاريخ قدوم الوزان إلى المنطقة متجها من مراكش نحو سجلماسة. وجدير بالملاحظة أن المعلومات التي أوردها مارمول عن دادس لا تختلف كثيراً عما أورده عنه الوزان.

وباستثناء هذه الإشارات القليلة، فإن مختلف المصادر التاريخية سكتت عن وادي دادس وتاريخه ربما لكونه مصاقباً لمنطقتين أكثر أهمية منه هما درعة وتافيلالت، ويبدو أن المؤرخين القدامى كانوا يعتبرونه جزءاً من إحداهما، فالمصادر اليهودية (مخطوط طوليدانو ومخطوط تيبْليتْ) التي تحدثت عن تاريخ اليهود بوادي درعة لم تَذكره ولا يعرف بالتالي ما إذا كان وادي دادس يندرج ضمن الكيان السياسي الذي أقامه اليهود هناك مدة إلى أن قضى عليه المرابطون. وهذا الموضوع بالذات يجرنا إلى الحديث عن استيطان اليهود بوادي دادس علماً بأن أهم تجمع يهودي في جنوب شرق المغرب كان يوجد إلى عهد قريب في هذه المنطقة وتحديداً بقصر تيبْليتْ الواقع على الضفة اليمنى لوادي دادس الأوسط في تراب قبيلة إوَرْتگينْ. ونتوفر في هذا الباب على معلومات مهمة أوردها الباحث اليهودي حاييم الزعفراني في كتابه *ألف عام من حياة اليهود بالمغرب*، وذلك اعتماداً على ما قاله يهودا بيريسْ أحد حزانات الأطلس الكبير خلال القرن السابع عشر للميلاد، عن أسرته في كتابه المسمى *زهرة لبنان* الذي طبع في برلين سنة 1712. ومما قاله في هذا المؤلف أن أجداده تم طردهم من إسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر للميلاد، فشدوا الرحلة إلى المغرب وأخلدوا إلى الاستقرار بوادي دادس بعدما اشتروا مكان إقامتهم به من عاهل مراكش. وهناك شيدوا منازلهم وتعاطوا للزراعة والرعي. وعاشوا في أمان وطمأنينة، وتجنّبوا الاختلاط بغيرهم حفاظاً على دمهم الملكي (إذ ادعوا أنهم من بيت الملك داوود). وقد فشا نسلهم إلى درجة أن الأرض التي

عمّروها ضاقت بهم فاضطروا إلى شراء أرض تيبْلِيتْ المجاورة من السلطان بثمن باهظ، وهكذا يتضحَ أن أرض تيبْلِيتْ لم تكن بها قبل هذا التاريخ ساكنة يهودية وأنها كانت ملكاً خاصاً للسلطان. وهذا الأمر أبلغ دليل على الأهمية السياسية والاقتصادية التي كانت لهذه الأرض قبل هذه الفترة وما بعدها. وهناك إشارة مصدرية واحدة تؤكد ذلك نجدها في كتاب *الاستبصار في عجائب الأمصار* في غضون القرن السادس الهجري (12 م). ومما جاء فيها : "مدينة ثيليث : هي مبسوطة بين القبائل القبلية، وعليها تمر القوافل، وفيها حصن منيع رتبت فيه الجند، وعمره الوالي، وحوله الأعناب الكثيرة والثمار، والمياه المطردة، والعمائر".

ورغم أن مؤلف *الاستبصار* لم يحدد بالضبط موقع هذه الأرض التي وصفَها بالمدينة، فإن العناصر التي تضمنها هذا الوصف تنطبق على الموقع الذي يوجد به قصر تيبْلِيتْ الحالي في وادي دادس الأوسط الذي يتسم بالانبساط (نسبيا) ووجود المياه، والأشجار المثمرة، وكثرة العمران، إضافة إلى كونه يتوسط مناطق الجنوب الشرقي أو ما اصطلح على تسميته في العصر الوسيط بمنطقة القبلة عبر الطريق الرابط بين مراكش وتافيلالت. وليس مستبعداً أن تكون مختلف هذه المعطيات وراء اتخاذه مقراً للجند وللحاكم ممثل السلطة المركزية بهذه المنطقة خلال الفترة المذكورة.

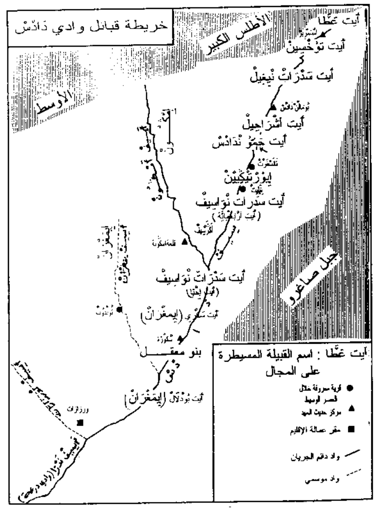


وجدير بالملاحظة أن قصر تِيبْلِيتْ أصبح بعد ذلك من أهم قصور اليهود ليس في وادي دادس وحده بل في جنوب شرق المغرب كله، فاكتسب سكانه شهرة في الميدان التجاري والاقتصادي بهذه الربوع. كما نبغ عدد منهم في الميدان الثقافي العبري. واستمر هذا الوضع إلى بداية الاستقلال حيث باع يهود تِيبْلِيتْ وغيرهم من يهود وادي دادس أملاكهم للمسلمينَ ورحلَوا إلى فلسطين وبلدان أخرى.

وبحكم الأهمية الجغرافية والاستراتيجية والتاريخية التي انفرد بها وادي دادس، فقد ظل عبر تاريخه محط أطماع كثيرة فاستهدفته أهم الاتحادات القبلية الكبرى، مثل صنهاجة ومصمودة وزناتة ومعقل، فكل هذه القبائل تنافست في السيطرة عليه، فجاء تسربها إليه متفاوت الأهميـة. وهكـذا نجد أيت عطا في أعالي دادس بامسمرير. أما في مضايقه فنجد به أيت سدرات نْيغيلْ الذين يمتد مجالهم إلى مشارف بومالن دادس. وبعدهم يأتي مجال قبائل أيت دادس الذي تراقبه قبائل أشراحيل وأيت حمو وإوْرْتيكِينْ. وللعلم فهذه القبائل هي من صنهاجة القبلة. ويلي هذا المجال مجال أيت سدرات نواسيف (أو أيت سدرات السهل) المنقسمين إلى قسمين : أيت اربعمائة (أو أيت مْعيّاش) وأيت إحيا المستقرين بجزء من وادي امگون قريبا من نقطة التقائه بوادي دادس. وعلى ذكر وادي امگون، فإن هذا الوادي تقطنه قبائل إمْگُونْ (امگونة) بفروعها الثلاثة أيت واسيف، وأيت حَمْدْ وأيت مْرَاوْ، وذلك على امتداده من العالية إلى جنوب مركز قلعة مگونة ببضعة كيلو مترات، أي قبل أن يصب في وادي دادس بتراب أيت إحيا السدراتيين قريبا من قصر تيزي على الضفة اليمنى، وقصر علْقَمْتْ على الضفة اليسرى.

أما سافلة وادي دادسَ فتقطنها تباعاً قبائل أيت سكري (أوزكري) المغرانية الهسكورية الأصل، وقبائل بني معقل بسكورة، وأخيراً قبائل أيت بودلال المغرانية التي غمرت مياه سد المنصور الذهبي أراضيها. وعلى إثر ذلك تم نقلها إلى إدلْسَانْ وهي المنطقة الموجودة بين ورزازات وسكورة.

ورغم أن قبائل أيت عطا تمكنت خلال القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19 ـ 20 م) من السيطرة على بعض الأماكن في وادي دادس، فإن تسربها كان محدوداً ولم يؤد بالتالي إلى تغيير البنية القبلية الموروثة منذ الحقبة المرينية على الأقل. فالمعطيات التاريخية المتوفرة تفيد أن الخريطة القبلية لوادي دادس ربما تكاملت عناصرها خلال هذه الحقبة.

أبو بكر البيدق، *المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب*، الرباط، 1971 ؛ يـ. التادلي (ابن الزيات)، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1404 ـ1984، 237، ص. 414 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. محمد حجي وآخرين، الرباط،1480 ـ 1409/ 19891988، ج. 2، ص. 122 ـ 123 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1400 ـ1980، ج. 1، ص. 148 ـ 150 ؛ *تحريات ميدانية*.

L. Mezzine, *Le Tafilalt. Contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIe et XVIIIe siècles*, Rabat, 1987 ; G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Dra*, Paris, 1931 ; H. Zafrani, *Mille ans de vie juive au Maroc*, Paris, 1983.

محمد حمام

**الدادسي، الحسن** بن محمد أديب متمكن في قواعد اللغة، أفاد منه طلبة منطقة درعة في علوم : النحو والصرف والبلاغة والعروض، إلى جانب مشاركته الكبيرة في تدريس كتب الفقه أصولاً وفروعاً.

أما تكوينه فقد بدأ في مسقط رأسه بدرعة واكتمل بعد تخرجه بفاس على يد الإمامين أحمد المنجور وأحمد القدومي.

توفي بعد سنة 999 / 1591.

أ. ابن القاضي، *درة*، ج. 1 : 242، رقم 361 ؛ م. الناصري، *الدرر*، تح. ذ. النوحي د. د. ع، الرباط 1988 ؛ ج. 1 : 149 ؛ م. حجي، *الحركة*، ج. 2 : 531.

**الدادسي، علي** بن محمد بن أبي القاسم، أبو الحسن، عالم فاضل، اختص في المعقولات، وعُرف بتقدمه في علمي الحساب والتوقيت، وله فيهما مؤلفات أشهرها نظمان في التوقيت، هما : *اليواقيت في المبتغى من صنعة المواقيت* : وهي أرجوزة تتألف من 435 بيتاً انتهى من نظمها سنة 1058 / 1648 (توجد منها نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد : 2057 د ضمن مجموع من ص 67 إلى 84).

ـ وله عليه شرح سماه : *فتح المغيث في شرح اليواقيت*.

ـ *المعونة* : رجز آخر في التوقيت.

ـ *العمل بالكفة الواحدة* : رجز في الحساب وشرحه. (توجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد : 930ق ضمن مجموع من ص. 85 إلى 87).

ويظهر أن الشيخ عليّا الدادسي اتسع رزقه فتمكن من الإقامة مدة في مدينة فاس، قبل أن يرتحل إلى مصر حيث أدركته الوفاة بالقاهرة. وكان قد أوصى أن تبنى من ثلث ماله قبة على فقهاء المالكية. توفي سنة 1094 / 1683.

م. الإفراني، *صفوة*، 198، م. الناصري، *الروض الزاهر*، م خ ع : 2261 ك، الفصل الأخير من الباب الثاني، ورقة 9 ظهر ؛ م. القادري، *نشر*، ج. 2 : 406 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، م خ ع : 1124 د، ورقة 163 ظهر. (وفيه وفاته سنة 1074) ؛ أ. ابن عجيبة، *أزهار البستان*، مخطوط خ ج : 11481، ص. 271 ؛ م. حجي، *الحركة*، ج. 2 ـ 532.

**الدادسي، محمد بن أحمد** بن إبراهيم المعروف بالكبير، فقيه جليل، وصوفي ورع ساهم في التربية الخلقية وفي نشر العلم بدرعة فانتفع به الطلبة، ومن جملتهم الشيخ مَحمد ابن ناصر. أصله من صنهاجة، دادس. وهو من المتخرجين على يد عالمي درعة الكبيرين محمد ابن مهدي الجراري، وأبي القاسم الشيخ. وقد ظهر مستوى تلك المشيخة في تحصيله لعلوم الدين واللغة إلى جانب تنوع مشاركاته الأخرى، فقد كان أديباً يقرض الشعر، ومؤرخاً يعتني بأحداث عصره ويحللها وينتقد منها ما يجب انتقاده كما يظهر من عناوين مصنفاته وأهمها :

ـ *تحفة الصبيان بجمل من أحكام الأديان* : في نحو ألف بيت.

ـ *رسالة في الوظائف المخزنية* التي أحدثها الولاة بدرعة، انتقد فيها "النائبة" أو "القيمة" ـ كما تسمى في المنطقة ـ التي فرضها السعديون على أهل المغرب.

ـ *رائية تاريخية* : تعرض من خلالها لأحداث عصره ومنها ذكر حملة المنصور على بلاد السودان.

توفي بدادس سنة 1029 / 1619.

م. الناصري، *الدرر*، تح. ذ. النوحي، د. د. ع، الرباط، 1988، ص 330 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، مخطوط خ ع 1124 د ورقة 112 ظهر ؛ م. حجي، *الحركة*، ج. 2، ص. 531.

نفيسة الذهبي

**الدادسي، محمد بن علي** المولود سنة 921 / 1515 بدادس، تلقى تعليمه بزاوية محمد بن مهدي قرب زاگورة مع شقيقه أحمد وابن عمته عبد الواحد السجلماسي وفي سنة 967 / 1560 أدى فريضة الحج وأقام بمصر مدة وسمع على مشايخها. فأخذ عن الشيخ إبراهيم الصفوي المقدسي والشيخ أبي عمران موسى النشائي، فأجازه، ومن إجازة الشيخ موسى النشائي له قوله : "قرأ علي محمد بن علي الدادسي قطعة من *صحيح البخاري* قراءة محررة الألفاظ صحيحة المباني معربة المعاني فاستدللت بها على فهمه ... فأجزته ..." وبعد عودته إلى وطنه أقام بمراكش فانتفع به طلبتها.

برّز الدادسي في علوم القرآن والحديث الذي له فيه سند صحيح ورواية متصلة بالحافظ ابن حجر العسقلاني وجلال الدين السيوطي، وباستثناء هذين العلمين فلم تكن له مشاركة في العلوم الأخرى حسب زعم المؤرخ الأديب أحمد ابن القاضي في كتابه *درة الحجال* حيث قال في مستهل ترجمته : "له سند صحيح وأخذ وسماع إلا أنه ليس من أهل العلم" ولعله يقصد بهذه العبارة أن العالم هو المشارك في سائر العلوم. ومع ذلك فقد استجازه فأجازه فقال : "،كانت إجازته لنا في منزله بمراكش المحروسة بأزبزط في سابع وعشرين من الحجة سنة 998".

بقي محمد الدادسي بمراكش إلى أن توفي بها بتاريخ 7 شوال 999 هجرية.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 ـ 150 تح. محمد الأحمدي أبو النور ؛ *لقط الفرائد*، ألف سنة من الوفيات، تح. د. م. حجي ؛ ع. ابن إبرهيم، *الإعلام*، 5 ـ 179 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية في عهد السعديين*، 2 : 530 ـ 531.

محمد ماگامان

**دادي**، أسرة فاسية أصلها من تلمسان، أهل معاش وحرفة ومال وتجارة ودين وخيارة، دخلوا قديماً إلى فاس. ويقال لهم ابن دادي.

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مخطوط.

**دادي، محمد الأمين التازي**، موسيقي غلب عليه لقب دادي. ولد بفاس حوالي عام 1317 / 1899 وأخذ أصول الموسيقى الأندلسية ومستعملاتها عن الفنان عبد السلام البريهي ثم انخرط في جوق الفقيه محمد البريهي. وعندما فتحت مدرسة تعليم "الآلة" بدار الجامعي بمكناس أواخر سنة 1351 / 1932 استقدمته مصلحة الفنون الأهلية للتدريس بها، فتخرج على يده ثلة من رجال هذا الفن بمكناس من بينهم مولاي إدريس الامراني ومولاي أحمد المدغري، وعبد القادر أجانا، ومحمد بناني، وعبد الكريم الوزاني، ومَحمد الصائغ، والحاج محمد بن شقرون، وغيرهم. وقد استقر بمكناس وتزوج بها.

كان محمد دادي من بين أعضاء الجوق المغربي الذي مثل المغرب في المؤتمر العربي للموسيقى الأول الذي انعقد بالقاهرة عام 1932. وبعد حياة حافلة بالعطاء توفي عام 1969 بمكناس ودفن بها.

*معرفة شخصية ورواية شفوية.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**دار البارود** بمكناس، تقع ما بين باب الحجر ـ الباب الرئيسي للقصبة الاسماعيلية، وكان هذا الباب يسمى أيضاً باب العلوج وباب المرس نسبة إلى المرس الإسماعيلي، وبين باب بوعماير وهذه الأبواب من بناء المولى إسماعيل (1672 ـ 1727)، وتواجه مدخل حديقة الحبول، وكانت عبارة عن معملين للبارود، أحدهما لصنعه والآخر لتصفية ملحه، وهما اللذان قال عنهما ابن زيدان في *الإتحاف* (1 : 51) :

"... وكلتا الدارين من فخامة العاصمة"

وتعتبر الداران معا من منشآت المولى إسماعيل الذي كان يعتني اعتناء كبيراً بتسليح جيشه البخاري بأسلحة نارية لمواجهة الأخطار الخارجية وكل ما يهدد أمن المخزن داخلياً.

وفي بداية القرن العشرين صارت دار البارود ـ المعروفة حالياً بهذا الاسم ـ من ممتلكات السلطان مولاي عبد العزيز (1894 ـ 1907) كما هو مسطر في كناش رقم 454 بالخزانة الحسنية بالرباط الحامل لعنوان : "تقييد أملاك السلطان بمكناس ونواحيها" والمؤرخ بسنة 1323 / 1905.

وبعد توقيع معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب وضعت السلطات الاستعمارية بمكناس يدها على دار البارود المحدودة بعرصة اليزيدية وساحة الجنرال دالبيز Dalbiez ـ ساحة باب بوعماير حالياً ـ وعين بوعماير وطريق المرس وكانت مساحتها 1830م$^2$ وحددت قيمتها المالية بـ 2500 فرنك، وتم كراؤها لمصالح البلدية بـ 300 فرنك شهرياً ابتداء من فاتح يونيه 1923، وتمكنت نفس المصالح من شرائها طبقاً لظهير 4 نونبر 1925 الخاص بالمنفعة العامة بثمن قدره : 15.000 فرنك فتملكتها ابتداء من فاتح يناير 1926 لمدة عام واحد حولتها فيه إلى مستوصف بلدي، فتنازلت عنها لمصلحة الأشغال العمومية طبقاً لاتفاق بين الإدارتين حسب ما جاء في المحضر الرسمي لذلك المؤرخ بـ 30 دجنبر 1926 الحامل لرقم 814.

وصارت دار البارود في بداية الاستقلال (1956) مقراً لإدارة القوات المساعدة المغربية، وأقفلت حالياً ولم تعد تؤدي أي دور.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 1، الرباط، 1929 ؛ بوشتى بوعسرية، *مكناس، المدينة الجديدة، التأسيس ـ البنيات الإدارية ـ التناقضات، 1911 ـ 1939*، أطروحة مرقونة بكلية الآداب بالرباط.

Archives du domaine de Meknès, registre n° 1, Meknès Urbain, n° 171, p. 86.

بوشتى بوعسرية

**دار الباشاوات**، تقع في الجانب الشرقي من حومة جامع الزيتونة، محاذية لشارع الحبول. بناها باشا مكناس بنعيسى بن عبد الكريم البخاري المولود بمكناس عام 1275/ 1858. وكان الشروع في بنائها إثر توليته باشا من طرف السلطان مولاي حفيظ في جمادى الثانية 1330 / يونيو 1911. واستغرق البناء بقية هذه السنة ثم سنة 1331 (1912 ـ1913). والسنتان الهجريتان معاً (1330 و1331) منقوشتان على الجبس في واجهة الجناح الجنوبي وواجهة القبة الكبرى من صحن الدار. وفيها يقع اليوم المعهد الوطني للموسيقى التابع لوزارة الشؤون الثقافية بمكناس.

يدخل بناء دار الباشاوات في إطار المخطط السكني لدور وقصور بعض رجال المخزن وأعيان المدينة التي أنشئت في الواجهة الشرقية للمدينة العتيقة في نهاية القرن الثالث عشر ومطلع الرابع عشر (19 ـ 20 م)، كبديل لمدينة الرياض التي شهدت انتكاسة عمرانية في منتصف القرن الثاني عشر، ومن ثم فهي تشكل نموذجا حياً للعمارة المغربية في العصر العلوي الثالث وما بعده.

كانت الدار من بين أملاك الباشا البخاري التي صادرتها سلطات الحماية الفرنسية بعد إلقاء القبض عليه يوم 12 دجنبر 1918 ونفيه إلى مدينة الجديدة، ومنذئذ تحولت الدار إلى الأملاك المخزنية، وأصبحت على فترات متقطعة تشغل لأغراض إدارية مختلفة كان أهمها إقامة بعض باشاوات مدينة مكناس بها كالباشا الحاج أحمد السعيدي، والباشا المختار الگرواني، ومن ثم غلب عليها اسم "دار الباشاوات".

وقد عرفت هذه الدار حدثاً فنياً هاماً في عام 1975

عندما حُولت بعض مرافقها إلى قاعات لتعليم الموسيقى الأندلسية الذي كان قد أحدث في نونبر 1932 بدار الجامعي بقرار من إدارة الشؤون الأهلية واستمر قائماً بها حتى الخمسينيات، ثم نقل تباعاً إلى قاعة السفراء المعروفة بقبة الخياطين، فالمعهد البلدي للموسيقى بالمدينة الجديدة. ومنذئذ أصبحت دار الباشاوات مقراً للمدرسة الوطنية للموسيقى واتسع نطاق التعليم الموسيقي بها ليشمل طرب الملحون وفني المديح والسماع، والمواد الموسيقية النظرية والعزف على الآلات العربية والغربية. وفي يناير 1980 أصبحت الدار ـ في ذات الوقت ـ مقراً للمندوبية الجهوية للشؤون الثقافية.

وفي موازاة هذا التحول الذي عرفته دار الباشاوات انطلقت بها أشغال الترميم والاستصلاح التي شملت سائر مرافقها بإشراف المفتشية الإقليمية للمباني التاريخية، وذلك بهدف رد الاعتبار إليها، وتوسيع الطاقة الاستيعابية لحجراتها الدراسية، ثم بغية تصنيفها ضمن المعالم الأثرية للعاصمة الإسماعيلية.

وقد تم تحويل مصالح مندوبية الشؤون الثقافية إلى مقرها الجديد بالمدينة الجديدة في يوليوز 1989، وبذلك عادت دار الباشاوات لتستقل ـ مرة أخرى ـ باحتضان المعهد الوطني للموسيقى.

م. العرائشي، *ترجمة الشاعر أبي محمد عبد القادر العرائشي المكناسي*. ص. 58، ط. مكناس،1972 ؛ بوشتى بوعسرية، *معلمة المغرب*، ج. 4، ص.1096 ؛ م. المنوني، *مكناس وماء بوفكران، سجل وثائقي يخلد الأحداث الدامية لماء بوفكران*، 2 ـ 9 ـ 1937، مهرجان خطابي نظمه المجلس البلدي لمدينة مكناس في شتنبر 1982، 1983، ص. 50 ـ51 ؛ *وثائق المدرسة الوطنية للموسيقى بمكناس*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**دار البحر** بأسفي، قصبة عظيمة على شاطئ البحر. وهي من الآثار الحربية البرتغالية القائمة حتى الآن بعد ما تم ترميمها عدة مرات خلال هذا القرن. ويعود تاريخ تشييدها إلى العقد الأول من القرن العاشر (16 م) إبان احتلال البرتغاليين للمدينة، على أنقاض دار حاكمها السابق أحمد ابن فرحون.يصفها الفقيه الكانوني في كتابه *أسفي وما إليه* ويقول : "هذه القصبة على شاطئ البحر مربعة الشكل، على كل ربع منها برج، وفي وسطها عدة دور وخزائن..."

ويوجد الآن بداخلها عدد من المدافع البرتغالية والمغربية من مختلف العصور. وبعضها مازال في حالة جيدة.

تحولت هذه القصبة حديثاً إلى متحف، وهي مفتوحة في وجه الزوار.

م. الكانوني، *أسفي وما إليه قديماً وحديثاً* ؛ *استطلاعات ميدانية*.

عبد الرحيم العطاوي

**دار بوعزة**، مركز يقع على الطريق الثانوية رقم 130 الرابطة بين الدار البيضاء وأزمور. ويتشكل من السوق الأسبوعي أربعاء أولاد جرار، نسبة إلى فرع القبيلة التي يوجد على ترابها. ورغم كونه من أصغر أسواق ضواحي الدار البيضاء فهو يشكل قطباً تجارياً مهماً بالمنطقة الساحلية. ويضم المركز بالإضافة إلى السوق عدة مرافق إدارية وخاصة دار الجماعة والقيادة والدرك والبريد... ومجموعة من المحلات التجارية والخدمات. وشهد هذا المركز توسعاً كبيراً مع تشييد تجمع للسكن الاقتصادي في إطار محاربة أحياء الصفيح وكذا تجزئة للفيلات من إنجاز الجماعة. هذا بالإضافة إلى استقرار وحدات صناعية للنسيج ولتلفيف وتكييف الخضر. ونظراً لقرب هذا المركز من البحر (حوالي 2 كلم) فقد استقطب الشاطئ الحيز الأكبر من حركة التعمير.

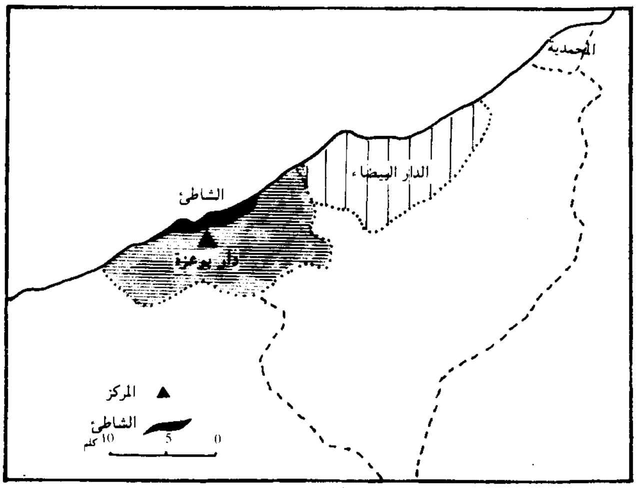


دار بوعزة

شهد شاطئ دار بوعزة، منذ بداية الثمانينيات، عدة تحولات تمثلت بالأساس في تهييء مجموعة من التجزئات السكنية من طرف مؤسسات عمومية والخواص، كانت آخرها وأكبرها تجزئة "النورس" التي أنجزتها الوكالة الحضرية للدار البيضاء. هذا بالإضافة إلى تجهيز الشاطئ بعدد من المرافق من مخيمات ومحلات تجارية ومخادع للملابس ومواقف للسيارات وأرصفة للراجلين وإنارة... وبذلك تشكلت نواة تجمع حضري وسياحي بمعزل عن مركز دار بوعزة. ويتعزز هذا التجمع بانتشار السكن في شكل فيلات حوله وعلى طول الشاطئ.

أمّا جماعة دار بوعزة فتنتمي إلى عمالة الدار البيضاء عين الشق الحي الحسني. وتمتد في غربها على مساحة 135 كلم$^2$. وهي من أكبر الجماعات القروية بالولاية ومن أكثرها سكانا 47.680 نسمة سنة 1994. وقد انتقلت بها كثافة السكان من 125 ن / كلم سنة 1960 إلى أكثر

من 350 ن كلم$^2$ سنة 1994. وفي ارتباط بتزايد حجمها الديمغرافي تشهد هذه الجماعة تحولات عديدة تتمثل بالأساس في حركة التعمير التي تكتسح العديد من أجزائها. فبالإضافة إلى التعمير بالمركز والشاطئ يكتسح التعمير الأجزاء المحاذية للمجال الحضري البيضاوي. وفي هذا الصدد سمح المخطط التوجيهي بتوسع حي "الألفة" (جماعة الحي الحسني) داخل تراب جماعة دار بوعزة. وتم تحويل عدد من تجمعات السكن غير اللائق إلى تجمع ضخم للسكن الاقتصادي بمركز "لسَاسْفة" الذي تمت ترقيته سنة 1992 إلى بلدية مستقلة عن جماعة دار بوعزة، ومرتبطة بالمجال الحضري للدار البيضاء. وبالإضافة إلى ذلك تشهد هذه الجماعة اكتساحاً واسعاً من سكن الفئات الغنية في شكل مغاني وقصور ضخمة على طول طريق أزمور والطرق الثلاثية المتفرعة عنها. ورغم هذا الاكتساح تحافظ هذه الجماعة لحد الآن على طابعها القروي سواء من حيث سيادة المشاهد الزراعية أو ارتباط أغلبية سكانها بالفلاحة وخاصة منها زراعة الخضر. ويظل السكن بها متفرقاً والطابع القروي هو السائد.

م. شويكي، *إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء*، دكتوراة مرقونة في كلية الآداب، الرباط 1995، 3 أجزاء، ص. 671.

Bahir, *Le changement spatial, économique et social dans les communes rurales de la Wilaya de Casablanca*, Montpellier, 1992.

المصطفى شويكي

**دار بوعلي** بفاس، هي دار الباشا بوعلي بن عبد الخالق بن عبد الله بن حمدون الروسي (انظر مادة الروسي) الذين قلدهم المولى إسماعيل وأبناؤه مهمة باشوية فاس، فكان من طول حكمهم وجبروتهم في عهد ذلك السلطان وخلفائه ما جعل دار بوعلي التي كانت على الطريقة المخزنية التقليدية هي دار الباشا ومقر الحكم ورمز السلطة لدى أهل فاس. واستمر الأمر على ذلك طيلة العهد العلوي إلى أن نقلت سلطات الحماية سنة 1935 مقر الباشوية إلى محكمة جديدة أقيمت بوادي الفجالين لتبعده عن أحياء المدينة العتيقة وتجعله تحت أنظارها في الحي الذي كانت توجد فيه جل الإدارات الاستعمارية، فانفصل بذلك لأول مرة مقر سكنى حاكم المدينة عن مقر حكمه. وتحولت دار بوعلي خلال الفترة الأخيرة من الحماية والسنوات الأولى من الاستقلال إلى مقر نظارة أحباس فاس، ثم أصبحت مدرسة ابتدائية في حي زقاق البغل بجوار دار عديّل التي كانت بمثابة خزينة تُجبى إليها أموال المدينة ومنها تصرف. واحتفظت دار عديل بمعالمها بعد ترميمها بينما دخل دار بوعلي ما دخلها من الإصلاح والترميم.

م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 6 : 2279 2281 ؛ *بحث ميداني*.

إبراهيم بوطالب

**الدار البيضاء** أكبر مدن المغرب وعاصمته الاقتصادية، ومن أكبر مدن القارة الإفريقية وأهم موانئها وأقطابها الاقتصادية.

أدى الاحتلال العسكري الفرنسي للمدينة سنة 1907 إلى إذكاء تهافت الأوربيين على اقتناء الأراضي وعلى البناء. وفي ظرف عقد من الزمن انتشر البناء بعيداً عن أسوار المدينة القديمة. واكتسبت المدينة الناشئة ملامحها الرئيسية قبل نهاية الحرب العالمية الأولى، وجاءت شاسعة الرقعة، وتتسع في كل الاتجاهات، وتعددت وتباينت أحياؤها. ويدل على ذلك تقسيمها إلى 23 حيا سنة 1918. وقد ارتبط اكتسابها لبعد مجالي وعمراني لم تكتسبه أية مدينة مغربية أخرى في ظرف عقد واحد من الزمن، بالدور الاقتصادي المسند لها. ويتجلى ذلك من خلال الميناء العصري الضخم الذي شيد بها وتنوع أنشطتها الاقتصادية، وازدهار قطاع المبادلات التجارية الذي أصبح يشكل المحرك الرئيسي لمعظم أنشطة المدينة. فأصبحت الدار البيضاء العاصمة الاقتصادية للمغرب في ظرف عقدين من الزمن. كما أصبحت خلال عقد الثلاثينيات أكبر مدن المغرب.

إن اكتساب الدار البيضاء لمكانة كبيرة كميناء متعدد الوظائف وكمركز اقتصادي ضخم وكأول تجمع للجاليات الأوربية جعلها تبرز منذ فجر القرن العشرين كقطب جذاب للمهاجرين من مختلف بوادي المغرب ومدنه. فاستقطبت أعداداً كبيرة من الفارين من ضراوة التغلغل الاستعماري العسكري والاقتصادي بالبوادي، وضحايا كل الأزمات والأوبئة والكوارث الطبيعية التي شهدها المغرب.

وقد تزايد عدد سكانها بسرعة كبيرة :

1907 : 25.000 نسمة — 1952 : 262.700 نسمة

1921 : 97.000 نسمة — 1982 : 2.139.200 نسمة

1994 : 2.628.660 نسمة

وبذلك فالدار البيضاء لا تشكل فقط أكبر مدن المغرب بل تستأثر بجزء هام من ساكنته، بحيث يتركز بها أكثر من 20٪ من الساكنة الحضرية للمغرب وما يزيد عن 10٪ من مجموع سكانه.

إن النشأة الحديثة للدار البيضاء التي تدخل في إطار السياسة الاستعمارية الرامية إلى تحويل مركز الثقل بالمغرب من الداخل نحو الساحل وإلى فصل العاصمة الاقتصادية عن السياسية، جعلت هذه المدينة تتخذ منذ بداية احتلالها طابع مركز اقتصادي ومجال حضري متميزين.

ظل الميناء يشكل لمدة طويلة محرك الأنشطة الاقتصادية للدار البيضاء، فقد ارتبطت به نشأة وتطور أنواع عديدة من التجارة والصناعة والخدمات. وظل يغذيها طيلة عهد الاستعمار عندما كانت الدار البيضاء تشكل

قاعدة خلفية للاقتصاد الفرنسي وخاصة أثناء الحروب والأزمات. ورغم استمراره في احتلال الرتبة الأولى من بين الموانئ المغربية فإن حصته من مجموع رواجها قد تراجعت من 76٪ سنة 1955 إلى حوالي 40٪ سنة 1992. وتراجع معها دوره في اقتصاد المدينة وفي هيكلة مجالها الحضري. ويتوقع المخطط التوجيهي للتعمير تراجع دوره في تصدير المواد المعدنية وخاصة الفوسفاط من أجل استغلال السكة الحديدية في النقل الحضري. هذا فضلاً عن تراجع دوره في تصدير العديد من المواد المصنعة مثل منتجات النسيج والجلد أمام تطور نقلها نحو أوربا بواسطة الشاحنات. ومع ذلك فهو يحافظ لحد الآن على مكانته كأول ميناء لتصدير واستيراد البضائع بالمغرب بنسبة 44٪ من الصادرات و35.5٪ من الواردات سنة 1992. وخلال نفس السنة بلغ مجموع رواجه 29 مليون طن، حوالي 52٪ منها كصادرات. هذا فضلاً عن كونه يظل لحد الآن الميناء الأكثر تنوعاً في الوظائف إذ يجمع بين تصدير المعادن والبضائع والمنتجات الفلاحية واستيراد المحروقات والمنتجات الصناعية بالإضافة إلى دوره كميناء للصيد البحري وللمسافرين.

في الميدان الصناعي تتميز الدار البيضاء باحتكارها لحوالي 50٪ من الوحدات الإنتاجية بالمغرب، و60٪ من اليد العاملة الصناعية، وبجلبها لحوالي 50٪ من مجموع الاستثمارات بهذا القطاع. وهي بذلك تشكل أول قطب صناعي بالمغرب. فقد انتقل بها عدد الوحدات الصناعية التي تشغل أكثر من 9 مأجورين من 20 وحدة سنة 1925 إلى ما يزيد عن 2.000 سنة 1990. وتنوعت فروع الصناعة بها لتشمل إلى جانب الصناعات الموروثة عن عهد الاستعمار (صناعات غذائية ومعدنية وكيماوية) فروعاً أخرى مثل النسيج والجلد والصناعات الكهربائية والإلكترونية ومواد البناء والخشب والورق... وقد ترتب عن ذلك تصاعد حجم اليد العاملة الذي انتقل من حوالي 37.000 مأجور سنة 1947 إلى ما يزيد عن 140.000 سنة 1990. فتعاظم دورها في ميدان التشغيل. وأصبحت الصناعة بمفردها تشغل خلال عقد الثمانينيات ثلثي عدد السكان النشيطين بعدما لم تكن تتعدى خلال عهد الاستعمار خمس هؤلاء السكان.

وبشكل مواز لهذا التطور دخلت الصناعة بالدار البيضاء مرحلة الارتباط العضوي بمختلف فصائل الرأسمال عن طريق اندماجها في مجموعات مالية كبرى ذات تشعبات وطنية ودولية ومتعددة الروابط بالمرافق الاقتصادية الأخرى. ويرجع ذلك إلى ارتباطها المبكر والمتزايد في آن واحد بالتصدير وبالسوق الداخلية، كما أن الصناعة بالدار البيضاء نتاج تراكم زمني طويل لم تحد من توسعه كل محاولات اللامركزية التي قامت بها الدولة. فالصناعة التي ظهرت بالدار البيضاء منذ العقد الأول من الاحتلال قد طبعت المجال الحضري بشكل قوي. ورغم تخصص الأحياء الشمالية الشرقية في الصناعة وسكن اليد العاملة، فإن ذلك لم يمنع من انتشار هذا النشاط عبر مختلف أنحاء المدينة. ولا أدل على ذلك من كون 60٪ من الوحدات الصناعية توجد خارج الأحياء الصناعية.

ويتجلى أيضاً تأثير الصناعة من خلال تعدد الأحياء الصناعية (لا جيروند وعين برجة ولافيليت والصخور السوداء وعين السبع الشمالي وعين السبع الشرقي وسيدي مومن والمعاريف...). وبذلك أصبحت الدار البيضاء تشكل محيطا صناعيا يجلب الاستثمارات وقوة العمل في آن واحد بحكم توفر كل متطلبات الصناعة من سوق للشغل وسوق للاستهلاك وللخدمات. وفضلاً عن ذلك فالدار البيضاء تشكل المدينة الوحيدة بالمغرب التي تعرف تكاملا وارتباطا متصاعدين بين مختلف فروع الصناعة بها، وهنا يكمن سر قوتها ونفوذها الذي جعلها تنافس المدن الأخرى حتى بالنسبة للصناعات الصغيرة التي يسهل استقرارها خارج الدار البيضاء. وهذا ما جعل الصناعة تشكل عنصراً حيوياً في اقتصاد المدينة وفي نشاط جزء مهم من ساكنتها.

تعتبر التجارة والخدمات (أي القطاع الثالث) من أهم المرافق الاقتصادية بالدار البيضاء. ورغم تراجع حصة هذا القطاع من السكان النشيطين أمام توسع الصناعة والبناء (القطاع الثاني) فإنه يحتفظ بمكانته وأهميته على العديد من المستويات.

| | 1960 | 1971 | 1982 |
|---|---|---|---|
| القطاع الأول | ٪2.2 | ٪2.5 | ٪2.3 |
| القطاع الثاني | ٪34.6 | ٪40 | ٪46.5 |
| القطاع الثالث | ٪63.2 | ٪57.5 | ٪51.2 |

تطور توزيع السكان النشيطين حسب القطاعات الاقتصادية

ولا ترجع هذه الأهمية فقط إلى عدد وحجم المؤسسات بهذا القطاع بل ترجع إلى تداخل فروعه بمختلف فروع القطاعات الأخرى وإلى دوره على الصعيد الوطني. فالدار البيضاء لا تحتضن فقط ما يزيد عن 2.500 تاجر للجملة، أي حوالي ثلث هؤلاء التجار بالمغرب، بل إن تجار الجملة بها هم الذين يوزعون البضائع على نظرائهم بباقي جهات المغرب. فسوق الجملة للخضر والفواكه بالدار البيضاء يغطي 40٪ من حاجيات باقي جهات المغرب. وتجارة المواد الغذائية والملابس تجعل درب عمر يشكل نقطة انطلاق

لمعدل 350 شاحنة في اليوم نحو كل جهات المغرب. وارتباط تجارة الجملة بحركة التصدير والاستيراد يجعل منها قوة اقتصادية ذات تأثير قوي على مختلف المرافق الاقتصادية بما فيها الهياكل الإنتاجية.

وترجع أيضاً أهمية التجارة إلى كون الدار البيضاء تشكل أكبر سوق استهلاكية بالمغرب من حيث الحجم وتنوع مستويات العرض والطلب بها، وإلى دورها كمحطة عبور يمر بها يومياً معدل30.000 مسافر منْ وإلى مختلف جهات البلاد. وهذا ما يجعل التجارة تستأثر بثلثي العاملين بالقطاع الثالث. وترتبط أهمية التجارة باحتضان الدار البيضاء لمقرات المؤسسات البنكية ولحوالي 30٪ من وكالاتها. هذا بالإضافة إلى احتضانها لمقر معظم باقي المؤسسات المالية من شركات المساهمة ومؤسسات القرض والتمويل والإيجار وشركات التأمين. ويؤدي هذا التركز المالي والتجاري إلى احتلال المدينة لمكانة متميزة في ميدان الخدمات سواء منها الموجهة للمقاولات أو للأفراد، وذلك من حيث تنوعها وتعددها. كما تعزز قطاع الخدمات بتطور التنظيم الإداري للدار البيضاء الذي أدى إلى إعادة هيكلة المصالح العمومية تبعا لتعدد الكيانات الإدارية.

يتأثر المجال الحضري البيضاوي بالحضور القوي للمصانع وبتعدد التجمعات التجارية ومرافق الخدمات عبر مختلف أجزاء المدنية. ويترتب عن ذلك كثافة حركة المرور وتنقلات السكان. فأصبحت المرافق الاقتصادية، وخاصة منها الصناعية، تشكل عامل ضغط قوي في ميدان حاجيات المدينة من الأراضي الصالحة للبناء. وهذا ما يجعل دينامية وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء تفرزان مشاكل عويصة على العديد من المستويات وتتطلبان تدخلا مكثفا ومستمراً للدولة.

لذلك تكون الدار البيضاء المدنية الوحيدة بالمغرب التي شهدت خلال القرن العشرين أربع محاولات للتخطيط العمراني. وأعطت المخططات العمرانية الثلاثة التي طبقت بها هيكلة عامة تستجيب لتنطيق واضح. فقد ظلت الأجزاء الشمالية الشرقية من المجال لحضري خاصة بالصناعة وما يرتبط بها من سكن لليد العاملة. وظلت الأحياء الجنوبية الغربية خاصة بسكن الفئات الغنية. وحافظت النطاقات الوسطى على ارتباطها بالتجارة والخدمات وسكن الفئات الوسطى. وبذلك ظل المجال الحضري يتهيكل وظيفيا وعمرانيا واجتماعيا وفق التنطيق الذي فرضته المبادرة الحرة عند إنشاء مدينة جديدة إلى جانب النواة القديمة في بداية هذا القرن. وظل توسع الأحياء الصناعية نحو الشمال الشرقي أي اتجاه مدينة المحمدية يشكل الاتجاه الرئيسي لدينامية المجال الحضري.

وتأثرت دينامية وهيكلة المجال الحضري بالوضع الإداري الخاص الذي أعطي للدار البيضاء، خلال وبعد عهد الاستعمار. وفي هذا الإطار دخلت الدار البيضاء ابتداء من سنة 1976 في مسلسل من التقسيم الإداري أدى إلى فقدانها لوحدتها. انطلق هذا التقسيم من 5 جماعات حضرية لتصبح 21 جماعة حضرية و7 عمالات سنة 1994. وبذلك شكلت الدار البيضاء أول مجموعة حضرية أنشئت بالمغرب وأكبر المجموعات الموجودة لحد الآن. ولم يمنع تعدد الكيانات الإدارية من تفاقم مشاكل التعمير، الشيء الذي أدى إلى إنشاء الوكالة الحضرية سنة 1984 كأداة لتطبيق المخطط التوجيهي ومن أجل الحفاظ على مركزية القرار في ميدان التعمير. ولنفس الغاية أنشئت أول ولاية على الصعيد الوطني بالدار البيضاء.

رغم كثافة تدخل الدولة وخاصة في ميدان التأطير العمراني والإداري والاجتماعي تظل الدار البيضاء تعاني من العديد من التفاوتات السوسيومجالية. ويرتبط ذلك بطبيعتها كمدينة للمبادرة الحرة وبحجمها الاقتصادي الذي يجعل منها حقلا للتحولات الاجتماعية. فهي كقطب اقتصادي تشكل مدينة للمأجورين الذين لم تنزل نسبتهم منذ عهد الاستعمار عن 75٪ من مجموع السكان النشيطين. وكمركز صناعي فهي تشكل مدينة عمالية بحيث ارتفعت بها نسبة العمال من 35٪ سنة 1951 إلى 52٪ من الساكنة النشيطة سنة 1982. وهي بذلك تشكل حقلاً لتحويل المهاجرين القرويين إلى عمال ولتوسع الفئات الوسطى من خلال توسع مرافق التجارة والخدمات والوظيفة العمومية. وفي هذا الصدد فإن عدد الموظفين الذي لم يكن يتجاوز 400 سنة 1931 قد بلغ 44.220 سنة 1992. وانتقلت نسبهم من 35٪ من السكان النشيطين سنة 1960 إلى 7٪ سنة 1982. وتظل هذه النسبة مرشحة للارتفاع مع تفكيك المدينة إلى كيانات إداية متعددة.

كما تشكل الدار البيضاء حقلا لإعادة إنتاج الفئات الغنية التي ترتبط بتطور التجارة والصناعة وميدان الأعمال. وهذا ما يجعل المجال الحضري البيضاوي يحمل بصمات كل هذه التحولات ويصبح التفاوت يشكل أبرز سماته. ولا تنحصر هذه التفاوتات في ميدان السكن بل تمتد لتشمل العديد من الميادين.ففي العاصمة الاقتصادية للمغرب لا تتعدى مساحة المجالات الخضراء 300 هكتار أي بمعدل متر مربع للفرد. غير أن تركز حوالي 65٪ من هذه المجالات بعمالة الدار البيضاء ـ أنفا يجعل سكان وسط المدينة والأحياء الغربية أوفر حظا (4م$^2$ للفرد) من سكان الهوامش (0.5م$^2$) وبالتالي يصبح العجز في هذا الميدان كبيراً جداً. وفي الواجهة العصرية للمغرب مازال ما يزيد عن 250.000 من السكان يتكدسون بأحياء الصفيح سنة 1992. فالدار البيضاء التي شهدت نشأة أحياء الصفيح بالمغرب تظل تعاني من هذا الإرث الثقيل. فرغم القضاء على العديد من هذه الأحياء ورغم تراجع عدد سكانها بحوالي50.000 نسمة ما بين 1982 و1992 فإن ذلك لم يحد من أهمية هذه الظاهرة التي اتجهت نحو اكتساح ضواحي

المدينة. ويرتبط هذا الاكتساح بالتوسع السريع للمجال الحضري.

فالدار البيضاء لتي لم تكن مساحتها الحضرية تتعدى 50 هكتاراً سنة 1907 قد أصبحت سنة 1992 تمتد على مساحة 14816 هكتار.


المصطفى شويكي، *إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء*، أطروحة دكتوراة الدولة، 3 أجزاء، ص. 671، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1995.

A. Adam, *Casablanca, Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'occident*, Paris, 1968, 2 vol. ; N. Benslimane, *Les équipements commerciaux de détail à Casablanca. Leur rôle dans l'organisation de l'espace*, thèse, 3ème cycle géo. Paris II, 2 t., 1982 ; M. Chouiki, *Système de santé et inégalités socio-spatiales à Casablanca, RGM*, vol. 13, n° 1, 1989 ; M. Ecochard, *Casablanca : le roman d'une ville*, Paris, 1955 ; A. El Mountasser, *La croissance urbaine de Casablanca, Etude des facteurs économiques et psycho - sociologiques*, thèse 3ème cycle, Paris VIII, 1980 ; K. Joumady, *Casablanca, métropole économique du Maroc*, Thèse d'Etat, Bordeaux III, 1988 ; D. Noin, *Casablanca. La Documentation française* N° 3797 - 98, 1971 ; H. Prost, *Le plan de Casablanca*, Rev. France - Maroc, n° 8, 1911.


المصطفى شويكي

* * من الناحية التاريخية كانت المدينة تسمّى قديماً "أنّفا" ورد ذكرها في كتب الإخباريين والجغرافيين والرحالة. واحتلت أنفا الصدارة بين حواضر تامسنا في عهد إمارة برغواطة وفي عهد الدولة المرينية.

وساهم موقع المدينة وأهميتها التجارية ومشاركتها في الجهاد بالأندلس في توجيه الأطماع البرتغالية إليها، فقد هاجمها أسطول برتغالي يقوده الدون فردناند أخو الملك الفونصو الخامس وخربها في سنة 1468 حين لم يتمكن المهاجمون من احتلالها. وظلت أنفا على حالتها المخربة لعجز الحكم الوطاسي، وللصراع الذي شغل المغاربة ضد الغزو البرتغالي. ووصف الحسن الوزان (ليون الإفريقي) ما بقي في أنفا المخربة من آثار عمرانية، كما وصفها مارمول.

وقد عاد البرتغاليون إلى أنفا سنة 1515 وبنوا فيها بعض البناء، وسموها منذ ذلك الحين كازا بلانكا (Casablanca). وقيل إنهم لما عادوا، شاهدوا داراً بيضاء سلمت من التخريب أو بناها المغاربة، فسموها كزا بلانكا.

وهناك رواية أخرى ترجع اسم الدار البيضاء إلى أسطورة السيدة البيضاء. وهي أسطورة مرتبطة بتطور المدينة وبأهميتها التجارية. وملخص الاسطورة أن موقع الدار البيضاء الذي كان وسط أرض كثيرة الأشجار والعيون وكان موقع تبادل تجاري بين بعض التجار والعالم الخارجي وكان البدويون يعتمدون على المركز الذي يسكنه بعض البحارة والتجار للتزود بما يحتاجونه، خاصة في أوقات الأعياد والمواسم القبلية. وقد استقر بالمرسى تاجر تونسي اسمه سيدي علال القيرواني. وكانت داره في مكان ضريحه المعروف اليوم بالمدينة القديمة. كان سيدي علال القيرواني يتعاطى للتجارة بمساعدة زوجته للا البيضاء التي كانت امرأة فاضلة وجميلة.استغنى الزوجان وكسبا ثروة كبيرة وكانا يغدقان عطاياهما على الناس. وكانت لهما دار كبيرة للسكنى ولوضع البضائع التجارية متميزة عن غيرها.

عند اقتراب الأعياد كان البدويون يقصدون الدار لشراء البضائع المستوردة، وكانوا يقولون عندما تحين مناسبة التبضّع : "هيا نَتَسوّق من دار البيضاء" ! وهذا هو الاسم الذي عرفت به دار سيدي علال القيرواني وهو أصل تسمية المدينة بالدار البيضاء .

وفي كل الأحوال، فإن الثابت هو أنّ المدينة ظلت مهملة نظراً لتخريبها واحتلالها من طرف البرتغاليين إلى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 - 1790)، الذي جدد بناءها بعد أن أتم بناء مدينة الصويرة، وأحيا مرساها في إطار توجه سياسي جديد هدف إلى توسيع علاقات المغرب مع الدول الأوربية للاستفادة من تطورها الاقتصادي.

أنفا القديمة. رسم وضع سنة 1572 (كتاب Casablanca rétro)

ومن مظاهر تجديد المدينة في هذا العهد أن السلطان وضع بها قوة عسكرية من العبيد، وأنشأ بها عدة مصالح عامة. ومنذ هذا العهد اشتهرت المدينة باسم الدار البيضاء وكان ذلك حوالي 1784.

وبالجملة، فسواء ارتبط اسم الدار البيضاء بعودة البرتغاليين للمدينة التي خربوها والبناء فيها في بداية القرن السادس عشر، أو بتجديدها خلال القرن الثامن عشر في عهد السلطان محمد بن عبد الله ؛ أو أطلق عليها اسم السيدة البيضاء ؛ فإن مرد الاسم ومنطلقه، هو تجديد بناء مرسى المدينة الذي كان نقطة تبادل تجاري نشيط مع الخارج. فبنيت فيه الدور الكبيرة والمخازن العظيمة لخزن البضائع بهدف تصديرها أو توزيعها.

وبالفعل، ازدهرت حركة التجارة والملاحة بمرسى الدار البيضاء في عهد محمد بن عبد الله الذي منح لشركتين إسبانيتين، إحداهما من مدريد والأخرى من قادس، امتياز شراء الحبوب وتصديرها من الدار البيضاء. واستقر وكلاء الشركتين بالمدينة وكذلك بمدينة فضالة المجاورة، حيث تعاطوا لاكتيال الحبوب وخاصة القمح بكميات هائلة. وقد شبه الضعيف الرباطي كثرة القوافل الحاملة للحبوب من المناطق الداخلية إلى مرسى الدار البيضاء بالسحاب في قوله : "وكانت الإبل تأتي إليها كأنها السحاب ليلا ونهاراً". كما أشار إلى أن الفلاحين كانوا يقدمون الهدايا للتجار النصارى لأجل شراء منتجاتهم الفلاحية.

استمر ازدهار الدار البيضاء بعد وفاة محمد بن عبد الله، بيد أن عهد ابنه مولاي سليمان (1792 ـ 1822)، شهد أحداثا أثرت على هذا الازدهار وأوقفته بعض الوقت. فلما ولى المولى سليمان ابن عمه عبد الملك بن إدريس عمالة الشاوية والدار البيضاء، بدأ الوالي الجديد يمنح أعيان قبائل الشاوية أموالاً من مداخيل المرسى الوفيرة تأليفاً لهم. ويبدو أنه تعدى في هذا الأمر الحدود المسموح بها من السلطان. وربما أغرته ثروة المدينة وباديتها بالتمرد عن تعليمات سيده ؛ فما كان من هذا الأخير إلا أن انتقل للشاوية، حيث قضى على بوادر التمرد في مهدها. وقد ترتبت عن هذه الحادثة قرارات أثرت في مصير مرسى الدار البيضاء. فقد عمد السلطان إلى إغلاقها في وجه التجارة الأوربية ونقل التجار الأجانب إلى مدينة الرباط.

تطور الدار البيضاء خلال القرن التاسع عشر : سرعان ما عاد مرسى الدار البيضاء لنشاطه التجاري المعتاد في عهد مولاي عبد الرحمان (1822 ـــ 1859) الذي رخص للمؤسسات التجارية الأوربية في الاستقرار بالمدينة. ومع تطور العلاقات المغربية الاوربية خلال القرن التاسع عشر، تطورت الدار البيضاء وازداد نشاطها التجاري وتزايد عدد سكانها الأوربيين والمغاربة.

والواقع، أن وتيرة التطور الاقتصادي عرفت تصاعداً لا

توقف بعده منذ أواسط القرن. ولاشك في أن ذلك التطور قد ارتبط بالتطور الصناعي والتجاري بأوربا وبالمبادلات مع المغرب. إن الثورة الصناعية وما نجم عنها من توسع في النشاط التجاري والمبادلات كانت وراء اندفاع الدول الأوربية لغزو الأسواق الخارجية. وبما أن المغرب يقع على أبواب أوربا، وبما أنه كان يتوفر على ثروات طبيعية كبيرة، فقد أصبح محط اهتمام القوى الصناعية. ومنذ احتلال الجزائر 1830، أضحى المغرب موضوع تنافس بين الدول الأوربية المعنية بقضايا البحر المتوسط.

ومما يفسر اندفاع أوربا نحو فتح المغرب للمبادلات التجارية، دخول دولها في ظرفية اقتصادية واجتماعية صعبة منذ 1848، بالإضافة إلى ظروف الصراع العسكري بين دولها. وهكذا عرفت مدينة الدار البيضاء استقرار التجار الأوربيين واتخاذها مركزاً لشراء وتصدير الحبوب والأصواف التي ازداد الطلب عليها نتيجة للظرفية المشار إليها ونتيجة لرخص أثمانها بالمغرب.

وقد كانت المؤسسات الفرنسية سباقة إلى الاستقرار بالدار البيضاء خلال القرن التاسع عشر، مثل مؤسسة "فريو" (فَرْيُولْ) P. Ferrieu ومؤسسة البارون سيلييـر B. Seillière (1847)، والشركة الفرنسية للوديفي (1852) Compagnie Française de LODEV.

اهتمت هذه المؤسسات بتصدير الأصواف الجيدة إلى مرسيليا ولندن ومدن أوربية أخرى وكانت حافزاً لاستقرار تجار أوربيين آخرين.

وقد مثل استقرار أول قنصل بريطاني بالدار البيضاء سنة 1857، أي سنة واحدة بعد توقيع المعاهدة المغربية البريطانية (1856)، مؤشراً على أهمية الدار البيضاء الاقتصادية. وبالفعل حصل التجار البريطانيون بمقتضى المعاهدة على امتيازات عديدة سواء في ميدان الجمارك أو الملاحة أو السكنى. وحددت واجبات الجمارك في 10٪ من قيمة البضاعة المستوردة وحددت واجبات معينة على الصادرات، ومنح القناصل حصانة دبلوماسية لهم ولمن يخدمهم.

وبمقتضى المعاهدات المماثلة التي عقدت مع إسبانيا (1860 ـ 1861) وفرنسا (اتفاقية السماسرة 1863)، توسعت امتيازات الأجانب إلى الميادين القضائية (محاكم قنصلية) والسياسية (الحمايات القنصلية والمخالطات). كل ذلك ساهم في تزايد توافد التجار الأجانب والرعايا الأوربيين إلى المراسي المغربية وخاصة إلى الدار البيضاء. وهذا التطور نفسه كان يساهم في تسارع وتيرة هجرة البدويين إلى المدينة لأن استقرار تاجر أجنبي بالمدينة كان يعني الحاجة إلى مستخدمين ووكلاء مشاركين في الأعمال الفلاحية.

إن هذه الأهمية التجارية المتعاظمة للدار البيضاء دفعت الباحثين الأوربين إلى تأكيد دور التجارة الأوربية ودور العامل الخارجي في تطور المدينة.

والواقع أن أصول ازدهار الدار البيضاء ينبغي البحث عنها في المزايا الطبيعية والاستراتيجية والاقتصادية لموقع المدينة. فمن حيث الموقع، كان يعتبر مرسى الدار البيضاء الميناء الوحيد الذي يستطيع استقبال السفن الكبيرة التي لم تعد الموانئ النهرية قادرة على استقبالها بعد تطور المواصلات البخارية. كما أن توسط موقع المدينة بين جنوب المغرب وشماله وفّر إمكانية جلب المحاصيل من الحوز والغرب زيادة على انفتاح المدينة على أغنى المناطق الفلاحية مثل الشاوية وتادلا حيث يتوفر الإنتاج الزراعي والحيواني. زد على ذلك أن الدار البيضاء تتحكم في الطريق الرابط بين عاصمتي المغرب مراكش وفاس وتقع على الساحل الأطلسي الذي أصبحت له أهمية استراتيجية كبيرة في زمن التوسع الأمبريالي والتنافس الاستعماري على القارة الإفريقية.

كل هذه المزايا تفسر سرعة تطور الدار البيضاء وليس الرغبة الأجنبية التي كانت في الحقيقة رهينة لتلك المزايا. وعلى كل حال، فإن تضاعف المبادلات التجارية بالمدينة بأكثر من ثلاث مرات بين سنتي 1848 ـ 1855، يبرز بوضوح التطور السريع للمدينة خلال القرن التاسع عشر. وقد احتلت الدار البيضاء الصف الأول بين الموانئ المغربية الثمانية : تطوان، طنجة، العرائش، العدوتان، الدار البيضاء، الجديدة، أسفي، الصويرة. وأهم البضائع التي كانت تصدر منها : الحبوب، الأصواف، الجلود، القطاني مثل الحمص والفول والحلبة، ثم القزبور والشمع الطبيعي والعظام ومنتجات الصناعة التقليدية. أما الواردات عبر مرسى الدار البيضاء، فكانت الصابون، السكر، الكتان، المنتجات القطنية، التوابل، الأصباغ، الشاي، الگاز (كيروسين) الزجاج ـ الكاغد (الورق).

والملاحظ أن المدينة سرعان ما تحولت مع نهاية القرن التاسع عشر، إلى مركز لتوزيع البضائع المستوردة في كل أنحاء المغرب، ومركز لتجميع المنتجات الموجهة للتصدير، ولهذا هاجر إليها تجار كثيرون من فاس والرباط وسلا وغيرها من المدن.

والجدير بالذكر أن مداخيل الجمارك بالدار البيضاء، كانت تساهم بقسط كبير في توازن بيت مال الدولة المغربية، نتيجة لانتظامها ووفرتها، زد على ذلك أن مستفادات المدينة كانت بدورها تساهم في مداخيل المخزن مثلها في ذلك مثل مستفادت المدن العريقة، فخلال القرن التاسع عشر، كان المخزن يعتمد على جبايات المدينة الموزعة على الأبواب، والجوطية، وسوق بيع الزيت، وسوق بيع الفاخر والرماد، وسوق العود والحطب، والمجزرة، وسوق البقر والغنم، ورحبة الزرع، وطابع الفضة، والكبريت، وسوق الجلد النيء، ومهراس القهوة، والصاكة، وسوق الجمال والخيل والحمير. يضاف إلى هذه المنافع مداخيل القوارب

المستعملة في شحن السفن الكبرى ونقل البضائع من الأرصفة. ثم مداخيل الجزية وأبي المواريث، وأملاك المخزن المكتراة للتجار الأجانب، زيادة على مستفادات أسواق بوادي المدينة.

وعلى كل حال، أصبحت الدار البيضاء من المراكز الحضرية والاقتصادية التي تساهم في اقتصاد البلاد، وفي توازنات بيت المال، وضمانة القروض الخارجية، مثل اقتراض 1904.

إن هذه الأهمية الاقتصادية، بالإضافة إلى أهمية الموقع، جلبت انتباه الأوساط الاستعمارية الفرنسية التي بدأت تهتم بالساحل المغربي وتراقبه منذ 1906. وقد اعتبرت كثير من التقارير الفرنسية، العلمية والعسكرية، أن مركز الدار البيضاء يعتبر أهم موقع استراتيجي يمكن لقوة أجنبية الانطلاق منه في أي عمل عسكري يستهدف عاصمتي المغرب فاس ومراكش.

فحسب التقارير العسكرية، فإن الدار البيضاء هي المدينة الوحيدة التي يمكن النزول فيها خلال أوقات السنة كلها وهي أحسن موقع يتحكم في عزل جيوب المغرب عن شماله.

وهكذا، أدى الاهتمام الفرنسي المتزايد بالمدينة إلى احتلال التجارة الفرنسية الصف الأول بها سنة 1906 بنسبة 39،99٪ أمام بريطانيا 34،01٪، في هذه السنة كذلك.


م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، 1986، *كنانيش الخزانة الحسنية، وثائق الخزانة الحسنية* ؛ العهد الحسني والعزيزي22 ـ 178 ـ 258 ـ 397 ـ 400 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 8 ـ9 ؛ م. السليماني، *اللسان المعرب عن تهافت المعمرين حول المغرب*، م. خ. ح.، 297 ؛ ع. الخديمي، *أثر استقرار الأجانب بالدار البيضاء خلال القرن التاسع عشر*. أعمال ندوة الدار البيضاء، نشر كلية الآداب، 1982،1 ؛ *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب* (حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية) 1894 ـ 1910 ـ 1904. 1906. 1908. 1991.

Archives de Guerres Vincennes, 1904 - 1906 - 1908 ; A. Adam, *Histoire de Casablanca, des origines à 1914*, Aix-en-Provence, 1968 ; A. Bernard, *Une mission au Maroc, rapport à Mr. le Gouverneur Général de l'Algérie*, Paris, 1904 ; V. Berti, *Les événements de Casablanca, 5 août 1907, France outre-mer*, Août - Sept. 1953 ; G. Bourdon, *Ce que j'ai vu au Maroc, Les journées de Casa, 1908* ; M.H.G. Conjeaud, *Histoire militaire de la Chaouia depuis 1894*, Casa, s.d. ; Flandrin, *Casablanca de 1889 à nos jours*, Casa 1948 ; J. L. Miège, *Les origines du développement de Casablanca au XIXème siècle, Hesp.*, 1953 , J.L. Miège et E. Hugues, *Les européens à Casablanca au XIXème siècle, 1856 - 1906*, Paris, 1954 ; Sans Barthelony, *Légende marocaine au sujet de Dar el Beida nom arabe de Casablanca, Bull. trim. Société de géo. et d'archéo. d'Oran*, T. XLV, 1925 ; Tarriot, *Monographie de Casablanca de 1907 à 1914*, Casa, 1924 , *Villes et tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, Paris, 1915, 2 vol.


علال الخديمي

**الدار البيضاء ـ أنفا** (عمالة ـ)، إحدى عمالات ولاية الدار البيضاء التسع، تمتد على مساحة 3.350 هكتار وتضم 523.279 نسمة، أي 22،5 من مساحة المدينة وحوالي 20٪ من ساكنتها. تغطي مركز المدينة والأحياء الجنوبية الغربية الممتدة من الميناء إلى حي أنفا وعين الذئاب. وترجع تسميتها إلى تشكلها سنة 1981 من جماعة سيدي بليوط (مركز المدينة) وجماعة أنفا ثم جماعة المعاريف. وبفصل جماعة مولاي يوسف سنة 1992 عن جماعة سيدي بليوط أصبحت العمالة تتكون من أربع جماعات حضرية. ولعمالة الدار البيضاء ـ أنفا سمات خاصة في الميدان العمراني والاقتصادي والاجتماعي.

باستثناء المدينة القديمة التي تتكون من السكن المغربي التقليدي، تتميز هذه العمالة عمرانيا بتشكل معظم أحيائها من نوعين من الإطار المبني : العمارات والفيلات. ويرجع ذلك إلى تركيبها من الأحياء التي كانت مخصصة للأوربيين خلال عهد الاستعمار. وتزداد بها أهمية أحياء العمارات من جراء التوسع العمودي الذي تشهده هذه العمالة مع تحول أحياء الفيلات إلى أحياء للعمارات انطلاقا من المركز وفي كل الاتجاهات. ولا يعبر هذا التحول فقط عن إحلال نوع من السكن محل آخر بقدر ما يجسد أيضاً توسع مركز المدينة وما يرتبط به من تزايد الحاجة إلى المكاتب ومقرات المؤسسات الاقتصادية ومحلات التجارة والخدمات.

تعتبر الدار البيضاء ـ أنفا على المستوى الاقتصادي محرك المدينة ككل، باحتضانها للقطب القيادي المتكون من مركز الأعمال، بالإضافة إلى الميناء والتجمعات التجارية الكبرى والراقية ومراكز تجارة الجملة والتصدير والاستيراد. وفي هذا الإطار تحتكر عمالة الدار البيضاء ـ أنفا 76٪ من تجار الجملة بالدار البيضاء. ويحتضن المركز بمفرده 96٪ من المؤسسات المالية و74٪ من مقرات الشركات والمقاولات

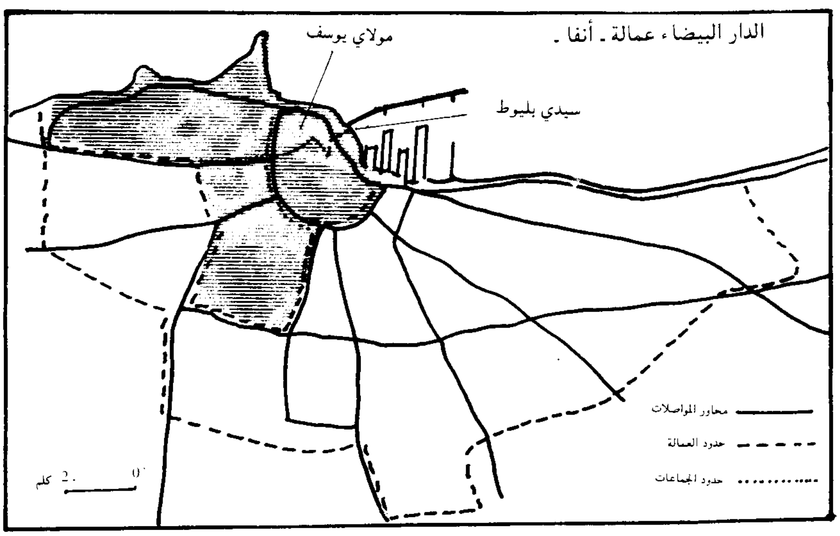

الاقتصادية. وتزداد أهمية هذا التركز الاقتصادي مع احتضان المركز لأكثر من 76٪ من الخدمات الموجهة للمقاولات الاقتصادية. ونتيجة لذلك يوفر المركز بمفرده الشغل لما يزيد عن ثلث السكان النشيطين بالمدينة ويجلب أكثر من ثلث تنقلات العمل بها. وتحتكر عمالة الدار البيضاء - أنفا حوالي ثلثي خطوط الهاتف بالمدينة ككل. وهذا ما يزكي وضعية باقي العمالات كهوامش تابعة لها، ويبرز دورها القيادي على المستوى الاقتصادي الذي ترمز إليه تسميتها التي تجمع بين مركز الأعمال وأحياء الفئات الغنية.

يتجلى الفرق أكثر بين الدار البيضاء - أنفا وعمالات الهوامش على المستوى الاجتماعي. فباستثناء عمالة عين السبع - الحي المحمدي التي تضم معظم الأحياء الصناعية بالمدينة تتشكل عمالات الهوامش من أحياء سكنية شعبية في معظمها. هذا فضلاً عن تبعيتها لعمالة الدار البيضاء - أنفا التي مازالت تحتكر معظم الخدمات والتجهيزات الاجتماعية. ولا أدل على ذلك من استمرار هذه العمالة في احتضان حوالي 75٪ من الموظفين بالمدينة، وتوفرها على 70٪ من الأطباء و67٪ من أسرة المستشفيات بالقطاع العمومي، وحوالي ثلث الثانويات بالمدينة. فالعمالة الأم مازالت تلعب دوراً كبيراً في ميدان التأطير الإداري، وتحتكر جزء مهماً من البنيات الأساسية والتجهيزات الاجتماعية، سواء منها التابعة للقطاع العمومي أو للقطاع الخاص. هكذا فعمالة الدار البيضاء - أنفا لا تعتبر فقط العمالة الأم على المستوى الإداري، ولاحتضانها لمقر الولاية، بل تشكل أم العمالات على كل المستويات. فالفرق واضح بين عمالة تضم معظم أحياء الفيلات والعمارات العصرية بالمدينة وعمالات تتشكل في معظمها من أحياء السكن الاقتصادي والشعبي.


المصطفى شويكي، *إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء*، دكتوراة الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 3 أجزاء، 671 ص.

M. Chouiki, *Système de santé et inégalités socio-spatiales à Casablanca, RGM*, vol. 13, n° 1, 1989 ; Ministère de l'Intérieur, *Schéma Directeur de Casablanca, Rapport Justificatif*, Avril, 1984.


**الدار البيضاء (جهة)** أو الدار البيضاء الكبرى. ترجع تسمية الدار البيضاء الكبري إلى نهاية عهد الحماية عندما تم التخطيط لتوسيع مدينة الدار البيضاء في إطار محيطها الجهوي المباشر. وبالتحديد عندما وضع المهندس ميشيل إكوشار (M. Ecochard) سنة 1950 مخططا للتعمير ربط فيه المدينة بالجماعات القروية المحيطة بها وجعل من المحمدية الوجهة الأساسية للتوسع الحضري. ومنذ ذلك الحين أصبح مفهوم الدار البيضاء الكبرى يستعمل للدلالة على الدار البيضاء وضواحيها المباشرة بما في ذلك مدينة المحمدية والمراكز التي تدور في فلكها. ويطابق هذا المفهوم اليوم ولاية الدار البيضاء المحدثة سنة 1981 وجهة الدار البيضاء الكبرى المحدثة سنة 1997 المكونتين حاليا من 9 عمالات و29 جماعة حضرية و6 جماعات قروية.

العمالات التسع لولاية الدار البيضاء الكبرى - جهة - :

- الدار البيضاء - أنفا
- الحي المحمدي - عين السبع
- الحي الحسني - عين الشق
- بن مسيك - سيدي عثمان (مولاي رشيد)
- بن مسيك - مديونة
- الفداء - درب السلطان
- مشور الدار البيضاء
- سيدي البرنوصي - زناتة
- المحمدية

(انظر كل عمالة على حدة في مكانها من *المعلمة*)

ملاحظة : عمالة بن مسيك - سيدي عثمان تم تقسيمها سنة 1998 إلى عمالتين :

- مولاي رشيد - سيدي عثمان
- بن مسيك - مديونة

وإلى بداية القرن العشرين لم يكن موجوداً بهذه الجهة سوى المدينة القديمة للدار البيضاء وقصبة مديونة. وخلال العقدين الأولين للحماية تشكلت نواة جهة حضرية تدور في فلك مدينة عملاقة. وهذا ما دفع إلى تأطير التوسع الحضري بواسطة مخطط جهوي. ولم يأت مخطط إكوشار كغاية في حد ذاته بقدر ما جاء من أجل خلق نواة حضرية صلبة لمشروع محور الدار البيضاء - القنيطرة. فجاء الجيل الأول من المراكز الحضرية المكونة لهذه النواة شديد الارتباط بمدينة الدار البيضاء مجاليا ووظيفيا. وخلال عقدي الأربعينيات والخمسينيات تشكل جيل ثان من التجمعات الحضرية وسع من حجم ورقعة الجهة الحضرية للدار البيضاء. وخلال النصف الثاني من القرن العشرين تطور جيل جديد من المراكز زاد من حجم ودينامية هذه الجهة. ونتيجة لذلك تراجعت مكانة مدينة الدار البيضاء داخل جهتها بحيث انتقلت نسبتها من السكان الحضريين من94.5٪ سنة 1931 إلى 93٪ سنة 1960 لتنزل إلى مستوى 89٪ سنة 1994.

إن التوسع الحضري الذي تشهده الدار البيضاء الكبرى مكنها كتجمع حضري من أن ترقى إلى مستوى جهة إدارية. ويعزى هذا التوسع إلى التراكمات التي حققتها مدينة الدار البيضاء على العديد من المستويات. فدورها كعاصمة اقتصادية للمغرب وكأكبر مدنه وأسواقه جعلها تفرخ المراكز والتجمعات السكانية وتدمجها ضمن منظومتها الإنتاجية والهياكل الضرورية لتوسع وظائفها وأدوارها. وبذلك لم تعد وظيفة العاصمة الاقتصادية حكرا على مدينة الدار البيضاء بل أصبحت وظيفة جهة الدار

البيضاء الكبرى ككل. وبالتالي فإن المنظومة الحضرية والاقتصادية للدار البيضاء الكبرى قد وسعت كما وكيفا من دور الدار البيضاء كقطب للمحور الساحلي. وبذلك حافظت الدار البيضاء الكبري على مكانتها كأكبر تجمع حضري بالمغرب إذ أن نسبتها من مجموع السكان الحضريين ظلت جد مرتفعة (14٪ سنة 1931 و30٪ سنة 1960 ثم 22٪ سنة 1994).

تشكلت جهة الدار البيضاء الكبرى من نواة الجهة المحدثة سنة 1913 والتي ظلت تحمل اسم جهة الشاوية إلى غاية 1935 لتصبح ما بين 1935 و1956 تحمل اسم جهة الدار البيضاء. وعلى إثر إحداث الجهات الاقتصادية السبع سنة 1971 أصبحت تحمل اسم الجهة الوسطى. أي أن الدار البيضاء الكبرى التي تطورت خلال القرن العشرين كعاصمة لجهة جد شاسعة أضحت اليوم جهة قائمة الذات.

تضم جهة الدار البيضاء حسب إحصاء1994 : 3 1 مليون يشكل الحضريون نسبة5٪.95 منهم. وتمثل حصة مدينة الدار البيضاء 85٪ من مجموع السكان. سنة 1994. ويرتبط ذلك بتشكل تجمعات حضرية تتزايد أعدادها وأحجامها بشكل مضطرد. ويتمثل أهمها في عين حرودة ولساسفة وسيدي معروف وبوسكورة والنواصر ومديونة وتيط مليل. وقد تجاوز الحجم الديمغرافي للثلاثة الأولى 000 20 نسمة.

تشكل الدار البيضاء الكبري الجهة الإدارية الوحيدة بالمغرب التي تطابق جهة حضرية. وفي ذلك امتداد للوضع الإداري الخاص الذي تميزت به الدار البيضاء منذ أن أصبحت عاصمة اقتصادية للمغرب في بداية عهد الحماية. ونتيجة لهذا الوضع لم تعد الدار البيضاء تظهر على مستوى الوثائق الرسمية كمدينة واحدة لأن التعامل معها كجهة أصبح يحظى بالأولوية على التعامل معها كمجرد مدينة.

إذا كانت الدار البيضاء الكبرى تتميز بكونها الجهة الوحيدة التي تتألف ساكنتها أساسا من الحضريين فإنها في ذات الوقت تمثل الجهة الوحيدة التي يرتكز اقتصادها أساساً على الصناعة والتجارة والخدمات. ويعزز ذلك اندماج الضواحي وساكنتها في المنظومة الإنتاجية للجهة. ويشكل انتشار الصناعة بضواحي الدار البيضاء ظاهرة قديمة لكنها اتخذت أبعاداً كبيرة منذ عقد السبعينيات. وواكب ذلك تحول في بنية الشغل بهذه الضواحي حيث تراجعت بها نسبة الفلاحة من حوالي 70٪ سنة 1960 إلى 33٪ سنة 1982 من مجموع السكان النشيطين. وفي مقابل ذلك تطورت نسبة الصناعة من 11٪ إلى 28 خلال نفس الفترة. ويتجلى أيضاً تراجع مكانة الفلاحة بجهة الدار البيضاء الكبرى من خلال تقلص مساحة زراعة الحبوب والخضروات على السواء.

وإزاء ذلك أصبحت مدينة الدار البيضاء تلعب دوراً متصاعداً في التوافدات السكانية بضواحيها. ويتجلى ذلك من خلال تزامن انتشار الصناعة مع تراجع نسبة المهاجرين مباشرة من البوادي نحوها من 78٪ من مجموع المهاجرين قبل 1960 إلى34.5٪ ما بين 1971 و1982. وفي المقابل انتقلت نسبة الوافدين من الدار البيضاء نحو ضواحيها من

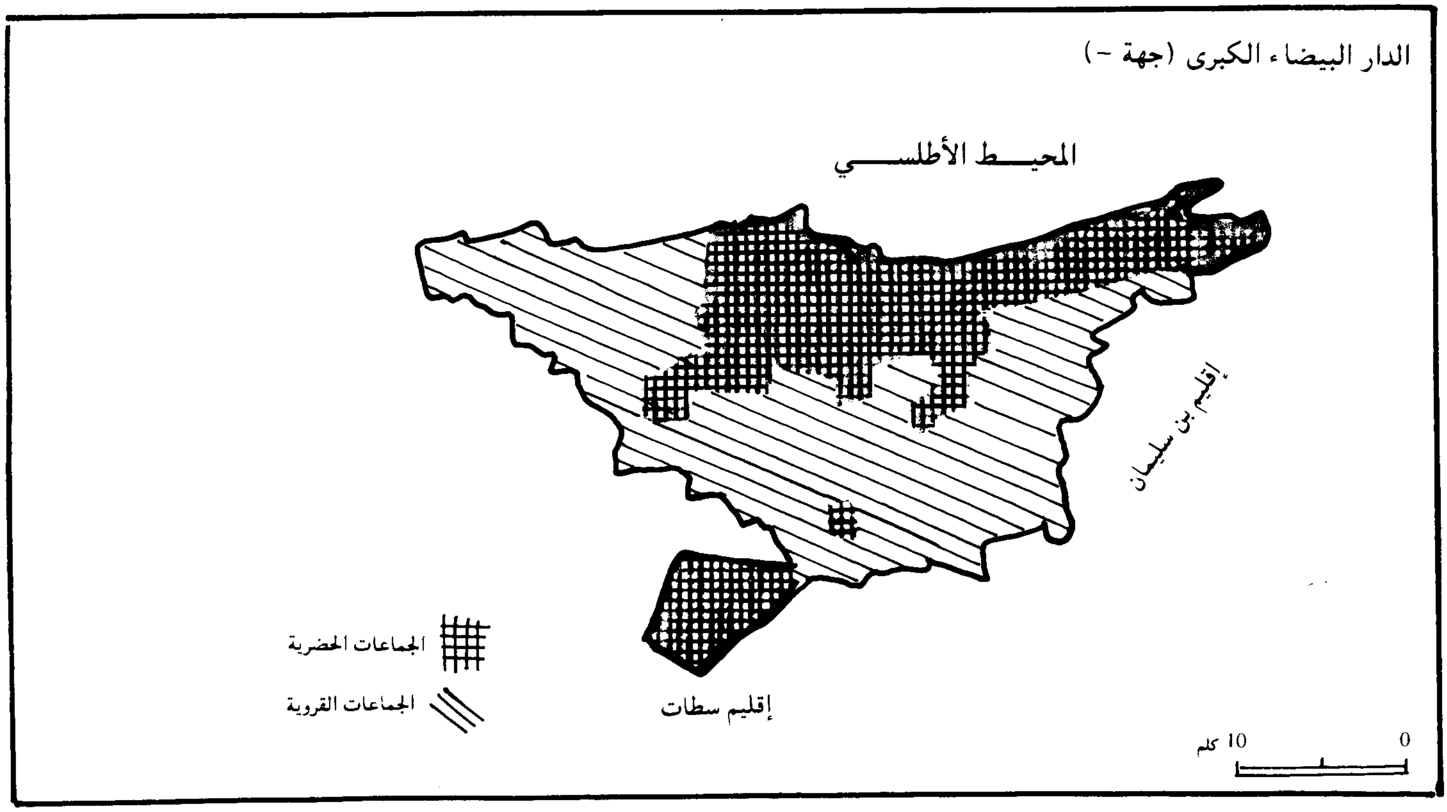

10٪ قبل 1960 إلى 49٪ من مجموع المهاجرين إلى الضواحي ما بين 1971 و1982. وبذلك تتحول الضواحي من محطة هجرة نحو الدار البيضاء إلى مجال لاستقبال قوة العمل التي تجلبها هذه المدينة. ومع استقبالها لجزء من الطاقة الإنتاجية يتضح سير جهة الدار البيضاء الكبرى نحو توزيع للأدوار بين المدينة وضواحيها لا مثيل له في سائر جهات المغرب. ويتجلى أيضاً هذا التوزيع من خلال الدور المسند للضواحي في ميدان إيواء ساكنة المدينة مع تصاعد انتشار سكن الفئات الميسورة بالضواحي الجنوبية من خلال تشييد المغاني والقصور. وتشكل التجمعات السكنية الخاصة بهذه الفئات مثل أنفا الثانية قرب بوسكورة. هكذا لم تعد الدار البيضاء تنحصر في مدارها الحضري بل تمتد في شكل ضواحي متناثرة ومتباينة ومتعددة الوظائف لكنها كلها مرتبطة بالمدينة. وبذلك يتأكد الطابع الحضري للدار البيضاء الكبرى.

إن الدار البيضاء الكبرى التي تعزز باستمرار مكانتها كقطب اقتصادي وطني وكتجمع حضري وبشري ضخم قد رسخت أدوارها ووظائفها مع ترقيتها إلى مستوى جهة قائمة الذات. فعلاقاتها بالجهات المحيطة بها وبكل أنحاء المغرب تزداد متانة وتشعبا.

المصطفى شويكي، *إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء*، أطروحة دكتوراة الدولة، 3 أجزاء، ص. 671، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1995.

A. Adam, *Casablanca, Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'occident*, Paris, 1968, 2 vol. ; N. Benslimane, *Les équipements commerciaux de détail à Casablanca. Leur rôle dans l'organisation de l'espace*, Thèse, 3ème cycle géo. Paris II, 1982, 2 t. ; M. Chouiki, *Système de santé et inégalités socio-spatiales à Casablanca, RGM*, vol. 13, n° 1, 1989 ; M. Ecochard, *Casablanca : le roman d'une ville*, Paris, 1955 ; A. El Mountasser, *La croissance urbaine de Casablanca, Etude des facteurs économiques et psycho - sociologiques*, Thèse 3ème cycle, Paris VIII, 1980 ; K. Joumady, *Casablanca, métropole économique du Maroc*, Thèse d'Etat, Bordeau III, 1988 ; D. Noin, *Casablanca. La Documentation française* N° 3797 - 98, Paris, 1971 ; H. Prost, *Le plan de Casablanca, F.M.*, n° 8, 1911.

المصطفى شويكي

**الدار البيضاء ـ قصور** ثلاثة بفاس ومراكش ومكناس. فقصر الدار البيضاء بفاس من عمل السلطان المولى الحسن الأول. وكان المقيم العام الفرنسي في عهد الحماية ينزل به كلما حل بفاس. وفي هذا الصدد يقول المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان في *الدرر الفاخرة* : "وأسس الدار البيضاء البديعة الشكل، العجيبة الصنع، مسكن المقيم العام الآن عندما يزور فاساً".

وقد وردت كلمة الدار البيضاء في *تاريخ الدولة السعدية* لمؤلف مجهول بمعنى فاس الجديد، حين تحدث عن المعركة التي نشبت بين الأمير زيدان السعدي وابن أخيه عبد الله فقال : "فقاتلهم في الدار البيضاء قتالا شديداً، انهزم فيه مولاي زيدان". وأطلق من قبلُ كذلك اسم الدار البيضاء على أحد قصور بني مرين بفاس.

وقصر الدار البيضاء بمراكش في غاية الفخامة ومن جملة القصور الملكية العلوية التي تمثل تراثا حضاريا عريقا ومعمارا تاريخيا بالمغرب. ومن المرجّح أن يكون تأسيسه من عمل السلطان محمد بن عبد الله وتجديده على يد السلطان محمد بن عبد الرحمان.

تحول هذا القصر في عهد الحماية إلى مستشفى عسكري للفرنسيين واتخذ الضباط العاملون به قببه الواقعة في الطابق العلوي سكنى وظيفية. وفي نهاية 1960 تسلمته الإدارة المغربية وجرت به حفلات رسمية بمناسبة عيد العرش. أما قصر الدار البيضاء بمكناس فهو من تأسيس سيدي محمد بن عبد الله، وهم مقر المدرسة العسكرية الآن المعدة لتعليم الضباط المغاربة.

ومن بين توابع هذا القصر مسجد يتوفر على مرفقات خاصة به، وبجهته الشرقية مدرسة، كما ضم هذا المركب الاجتماعي التعليمي الديني مربعاً فسيحاً عرف باسم أگدال، وفي وسطه قبة غاية في الإبداع والإتقان بإزائها حمام وكل ما يحتاج إليه من منافع.

وأعد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 - 1790) هذه القبة لفسحته، والجلوس لسماع مظالم رعيته - على حد قول ابن زيدان -. كما أعد البسيط المترامي الأطراف أمامها لرعي إناث الخيل لما كان له من ولع بتربية هذا النوع من الجياد. وأحاط هذا القصر وكل توابعه بمجموعة من الجنانات وهي جنان أسوفيط الكبير والصغير وجنان باب القزدرير - مكان كليتي الآداب والعلوم - وجنان ابن حليمة وعرصة السنطرجية والبحراوية - الگولف حالياً -. وأثناء احتلال القوات العسكرية الفرنسية لمدينة مكناس يوم الخميس 8 يونيه 1911، اتخذت قيادتها من قصر الدار البيضاء مقراً لها، واستقرت هذه القوات في هذا القصر الذي كان وقتئذ مربطا للأفراس والنعامات الملكية وبه بعض التحف والأسلحة كالمدافع من مختلف الأنواع.

وبعد عقد معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب يوم 30 مارس 1912، أصبحت مدينة مكناس تمثل عاصمة التمهيد لاحتلال الجيوش الاستعمارية لجبال الأطلس المتوسط ومنطقة تافيلالت، نظراً لأهميتها الاستراتيجية. فتم التركيز على المدينة عسكريا، وفي هذا الإطار تحول قصر الدار البيضاء إلى مدرسة حربية لتكوين الضباط "الأهالي" كما جاء في رسالة الجنرال ليوطي المقيم العام بالمغرب بتاريخ 18 يناير 1919 إلى السلطان مولاي يوسف الذي لبى طلبه.

وكانت هذه المدرسة خاصة بأبناء الموظفين السامين خدام حكومة الحماية والجهاز المخزني من القواد والباشوات

والأعيان والشرفاء وكل من له حظوة داخل البلاد.
ونظراً لأهمية هذه المدرسة في التكوين وإعادة التكوين للجنود القدماء، كان ليوطي يطلق عليها سان سير Saint Cyr المغرب تشبيها بالمدرسة الأم بفرنسا التي تخرج منها أقطاب الضباط العسكريين الفرنسيين. وعين على رأس إدارتها الرائد كتان Quetin أحد قدماء الحرس الشريفي، في حين عين نقيب الشرفاء العلويين بمكناس عبد الرحمان بن زيدان نائباً للمدير، أو المدير العربي للمدرسة كما كان يلقب.

فتحت أبواب المدرسة الحربية بمكناس في وجه التلاميذ الضباط ابتداء من شهر يونيه 1919، وكانت مدة الدراسة بها سنتين، لذلك تخرج أول فوج منها وعدد طلابه أحد عشر ضابطاً في شهر يونيه 1921.

وقد عين هؤلاء الضباط في إدارات مختلفة مدنية وعسكرية. والملاحظ أن عدد المقبولين في المدرسة الحربية بقصر الدار البيضاء بمكناس بقي على ما هو عليه لا يتجاوز أصابع اليدين إلا نادراً، وهكذا وصل هذا العدد سنة 1934 إلى 62 ضابطاً.

وبقي أمر المدرسة المذكورة قائماً إلى عهد الاستقلال، فتحول اسمها إلى الأكاديمية العسكرية الملكية التي مازالت لحد الآن تؤدي نفس المهمة التي نشأت من أجلها لكن بأهداف وطنية وأطر مغربية.

مجهول، *تاريخ الدولة السعدية الدرعية التاگمدرية*، ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، الدرر الفاخرة، ص. 53 و82 ؛ إتحاف ، ج 1، ط 1، المطبعة الوطنية، الرباط، 1929 ؛ دوفردان، *مراكش من التأسيس إلى سنة1912* ؛ م. المنوني، ورقات من الحضارة المغربية ؛ بوشتى بوعسرية، *مكناس المدينة الجديدة، التأسيس، البنيات الإدارية، التناقضات*، 1911 ـ 1939 ؛ أطروحة دولة، 1995، كلية الآداب بالرباط.

محمد ماگمان وبوشتى بوعسرية

**الدار البيضاء، قلعة بالريف** تُعرف أيضاً برباط سبتة، أحدثت لتكون مركزاً لقيادة الحركة الجهادية ضد المدينة المحتلة ولحراسة الحدود الغربية احترسا من اغتصاب الإسبان المزيد من التراب المغربي. تقع على بعد خمسة كيلو مترات من سبتة على سفح جبل بليونش عند المكان الذي كان يُعرف سنة الاحتلال بجبل غمارة، وهو المسمى منذ القرن الثالث عشر (19 م) لدى الإسبان بجبل التاج. اختير موضعه على ارتفاع 290 متراً، نظراً لعلوه الذي يكشف النظر لمجموع الأرض الممتدة شرقا في اتجاه سبتة. ويسميه الإسبان سيرايو Serrallo، والاسم مشتق من كلمة Sarraceno، وهي صيغة محولة عن اسم عربي يراد به لفظ "الشرقي" حسبما هو معروف في القواميس الإسبانية، يستعمل لتحقير المراد به.

تعود أولى الإشارات الصريحة لتأسيس الدار البيضاء إلى ما ذكر عن الحاجة لإيجاد سكنى الباشا علي بن عبد الله الحمامي الريفي، حاكم تطوان ورئيس الجيش الجهادي المكلف بحصار مدينة سبتة ما بين 1694 و1727، وذلك خلال السنوات الأولى من بدء الحصار. شيد الدار البيضاء ليُفهم الإسبان أنه عازم على البقاء بجوار المدينة محاصراً لها، تعبيراً على عدم رحيله إلا بعد استرجاع المدينة.

تكونت الدار البيضاء من محيط محصن يشبه القلعة، بني بجوارها مسجد، أحيطت بها مخيمات المجاهدين من عبيد البخاري والمخازنية والمتطوعين الوافدين من قبائل الشمال الغربي المغربي بطريقة النوبة المتغيرة على رأس كل شهر. وهناك خريطة تعود إلى سنة 1766 تبيّن بوضوح أن هناك محيطا عمرانيا يظهر في شكل شبه مستطيل غير منتظم، دل عليه بحرف F، وأشير في التعليق إلى أنه المكان المهم الذي تحتله الحراسة المغربية.

وبعد وفاة القائد علي استقر بها ابنه الباشا أحمد إلى سنة وفاة المولى إسماعيل، حيث غادرتها القرات المخزنية إثر تصاعد موجات الاضطرابات الأهلية. وفي 16 نوفمبر 1717 كانت قوات الباشا أحمد بن علي بلغت في الدار البيضاء نحو 1500 فارس يساعده أخوه القائد خلوف.

وقد سجلت الوثائق وجود القوات المخزنية بالدار البيضاء على عهد المولى عبد الله بن إسماعيل، إلا أن الأمر تغير بعزله وتولية أخيه مولاي علي وتشبث الباشا أحمد الريفي بطاعة المولى عبد الله، مما اضطره إلى الالتجاء إلى طنجة في مستهل سنة1149 / 1736، تاركا الميدان خاليا. وهذا هو الظرف التي أتاح لجنود سبتة التوجه إلى الدار البيضاء وهدمها في السنة الموالية.

بانتهاء هيمنة أسرة الباشا أحمد على تطوان يبدو أن الإشراف على تنظيم الحراسة انتقل إلى قبيلة أنجزة، إذ أنها هي التي كانت تديرها، تحت إشراف قائد القصر الصغير الواقع تحت إمرة باشا طنجة، باعتبار أن الأراضي التي توجد بها هي تابعة للقبيلة.

ولسنا ندري الوضع الذي كانت عليه الدار البيضاء على عهد محمد بن عبد الله، فقد أشارت الوثائق الإسبانية إليها على أنها القاعدة الأساسية للحراسة، وتشوف حكام سبتة لمد الحدود المطلوبة إليها. نعرف من قوادها سنة 1181 / 1767 محمد بن بلا، ابن باشا الشياظمة.

ويبدو أن قلعة الدار البيضاء كانت قد عجزت عن استرجاع هيكلها العمراني السالف الذكر، فهذا هو ما يفهم من الأمر الذي تلقاه قائد القصر الصغير محمد الصريدي في صيف 1199 / 1784 لإعادة بناء الدار قصد إيواء فيلق متكون من ستين مخزنيا بين فارس وراحل.

نعتقد أن قلعة الدار البيضاء كانت سليمة خلال حصار سبتة من طرف المولى اليزيد، فقد استطاعت أن تؤوي عدد الجنود المرابطين حول الحدود مدة سنتين. ولكننا لا نعلم شيئاً عنها على عهد المولى سليمان وبداية عهد المولى عبد

الرحمن على الرغم من استمرار وجود الحراسة. وسنعرف بعد ذلك أن الدار البيضاء كانت سنة1256 / 1840 في حاجة ماسة إلى إعادة البناء، إذ أن أكثرها كان متضرراً بسبب الإهمال وعرض مبانيها لتأثير الرياح والأمطار، فأكثر ما تضرر منها هي السقوف والأبواب والنوافذ وما أصاب الجدران من التهدل. هذا هو ما عبرت عنه مراسلة 27 أكتوبر سنة 1840 حينما تساءل حاكم سبتة عن الغاية من مشروع البناء الذي يقبل عليه المغاربة بجبل بليونش. وبالفعل كان الأمر في تلك السنة متعلقا بالمعاينة والدراسة والتقويم، غير أن المشروع لم ينفذ إلا في سنة 1260 / 1844.

بدت الدار البيضاء للسلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، لما كان عازما عليه من إحياء سنة الجهاد ضد الوجود الأجنبي بالثغور المغربية المحتلة، من المحطات الحيوية المستوجبة للعناية، فبناؤها بالنسبة إليه "إرغام للعدو الكافر وزيادة في الاحتراس وأخذ الأهبة والاستعداد، لأنها شجى في حلق الكفار وقذى في أعينهم".

تكلف بالإشراف على عملية البناء عامل تطوان وناحيتها محمد أشعاش لتسقيفها وعمارتها بالمجاهدين.. وهذا بدوره وضع المهمة بيد بوسلهام بن علي أزطوط، حسب مراسلة 6 ربيع الثاني 1260.

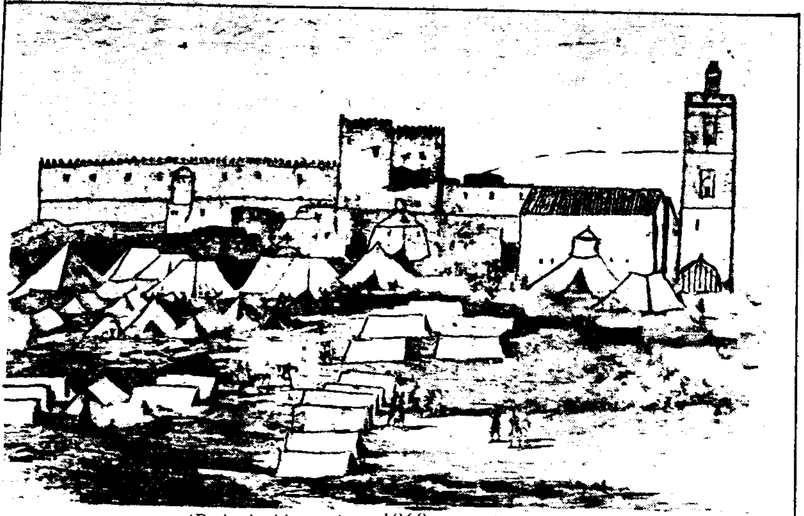
الدار البيضاء قلعة بالريف سنة 1860 عن (P. A. de Alarcon)

وأراد المولى عبد الرحمن أن يتم البناء سريعا، بدءاً من تسقيف الدار التي كانت وسط محيط السور علاوة على المسجد كمرحلة أولى، ثم الإقدام بعد ذلك على إصلاح الباقي. وكثرت المراسلات التي حثت على الإسراع في البناء، سواء من ابن علي إلى أحمد الرزيني أو من بوسلهام إلى أحمد الرزيني لتفقد إرسال العمال وإحضار الإقامة الخاصة للبناء والإصلاح، بينما تكلف أشياخ أنجرة بنقل تلك المواد إلى المكان المطلوب. ويبدو أن الإصلاح استمر إلى أن ظهرت الدار البيضاء على حالها في الرسم المرفق المعاصر لسنة احتلال مدينة تطوان 1860 مكتملة البنيان.

وفي سنة 1860 كان الإسبان قد حققوا آملهم الذي راودهم منذ زمن بعيد، فتمكنوا من حصن الدار البيضاء واتخذوا منه موقعا منيعا، يوجد في الوقت الراهن داخل الحدود المغتصبة.

*وثائق الخزانة الحسنية ومديرية الوثائق الملكية* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، الجزء التاسع ؛ *معلمة المغرب*، الجزء الأول.

*SIHM, France 2° série filalienne*, t. 6 ; Archivo General Central en Alcala de Henares ; *Cuadernos del Archivo Municipal*, Ceuta, 2 / 1988 ; R. Lourido Diaz, M. Arribas Palau, *En torno al ensanche de Ceuta, Hesp.*, 1982.

حسن الفكيكي

**دار الدّبغ** أو الدِّباغة التقليدية. تتكون دار الدبغ عادةً في مراكش مثلاً، من مساحة مكشوفة فيها أحواض تحيط بها دكاكين مكونة من طابق أو طابقين، يُستعمل سقفها لتعليق الجلود المدبوغة. من هذه الدكاكين ما هو في ملك الأحباس ومنها ما هو في الملك الخاص ولكل دكان توابع تسمى"لـمّاعَنْ" وهي عبارة عن أحواض وصهاريج صغيرة، يفصلها عن الدكاكين ممرّ، منها المستطيل والمربع والدائري. طول المستطيل منها بين 1،70م و2 م. وبعرض من 1 م إلى 1،30 م وبعمق يصل إلى 0،70م. أما المربع منها فيصل ضلعه إلى 1،20 م بعمق 0،75 م. هذان النوعان يطلق عليهما اسم مشترك هو "المجيار" لاحتوائه على خليط من الماء والجير. أما ما جاء على شكل دائري فقطره بين 1م و1،50 م وبعمق يصل إلى أكثر من 0،75 م. ويسمى بالقصْرية. "ج. لقصاري". وبها تتم مراحل الدباغة الفعلية. وتطلق القصرية أيضاً على مجموع الجلود المراد دبغها في كل مرفق من هذه المرافق. والملاحظ كذلك أن "لـمّاعَنْ" الخاصة بدباغة جلود البقر والجمال تكون أكبر حجماً. كما يتم الحرص على فصل "المجايير" عن "القصاري" لأن الجير إذا وصل إلى الجلود - وهي في قصرية

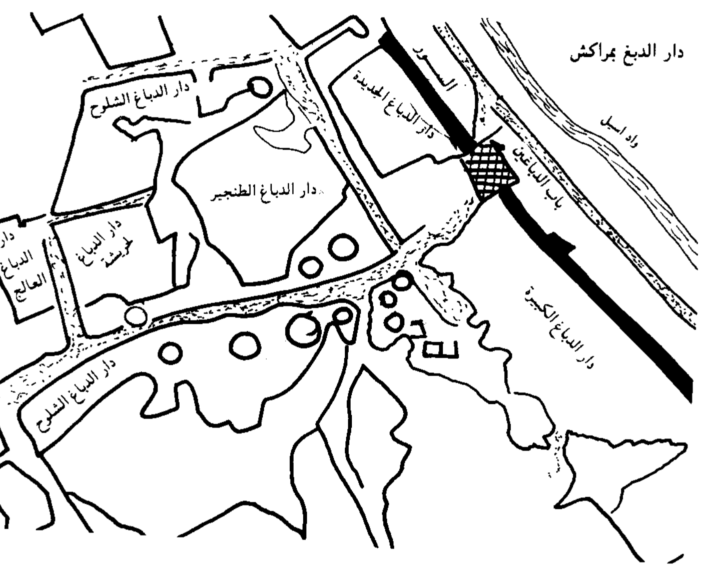

دار الدبغ بمراكش

الدباغة ـ يفسدها. فتصبح غير صالحة تماماً. وعموماً فإن كل هذه الأحواض بمختلف أنواعها، قد بنيت بشكل جعل جوانبها الداخلية وقعرها رطبة، لتسهيل تنظيفها، مع وضع عتبة على هذه الجوانب لتفادي وضع الرجلين على الجلود.

هذه المرافق الخاصة بكل دكان لا تنفي وجود أخرى عامة؛ تخضع للاستعمال المشترك بالتناوب من أهمها :

ـ إفرضْ : وهو عبارة عن حفرة أبعادها غير متساوية وبعمق يفوق المترين في الغالب يستعمل لتجميع المياه المستعملة ويستخدم كذلك لتعويم جلود الجمال والبقر والماعز. ويتم إفراغه وتنظيفه بعد مدة.

المركَلْ : حوض شكله مستطيل طوله 1,50 م وعرضه 1,20 م وعمقه 1,10 م بالتقريب. رطب الجوانب والقعر. فيه يتم ركل الجلود وغسلها من الجير، يتم إفراغه من الماء المستعمل بواسطة ثقب في جانبه الأسفل.

ـ أزكّي : صهريج صغير فيه تتم عملية "تشقيف" الجلود كما يسميها أهل الحرفة. وتهدف تسريح وإزالة ما بقي عالقا بها، من الشحم واللحم، بواسطة آلة يدوية حادة أو بالموسا.

ـ أفرْدو : عبارة عن آلة الهرس مصنوعة من الحجر ؛ ومغروسة في الأرض "مهْراز" لدق قشرة الرمان الحامض، وتحويلها إلى مسحوق بواسطة عمود خشبي صلب يسمى "أساكُوم".

ـ أسفْسَرْ : فضاء عار معزول عن مرافق الدباغة تنشر فيه الجلود المدبوغة لتجفيفها بعد تلوينها.

ـ الطنجير : أو الطنجرة قدر صنع من النحاس حجمه ضخم يستعمله الدباغون الذين لهم "النوبة" أي الحق في استعماله بالتناوب حتى ولو كانوا لا ينتمون إلى دار الدباغ التي يوجد فيها وفيه تصبغ جلود البقر المعروفة عندهم "بالعجلي" ولا يوجد إلا في "دار الدباغ الطنجير".

ـ البئر : خاضع للاستعمال المشترك وكانت بعض دور الدباغة تتوفر على بئرين حسب حجمها. وكان البئر يشكل المصدر الوحيد للمياه المستعملة وإلى حدود منتصف القرن العشرين أي قبل إدخال قنوات الماء الصالح للشرب التابع للمصالح البلدية آنذاك. وكان التزود بهذه المادة الحيوية يتم بصعوبة أي بواسطة الدلو أو السطل والحبل في مراكش مثلاً عكس ما كان عليه الحال في دور الدباغة بفاس حيث يتم الحصول على الماء بسهولة".

ومن المعلوم أن الدباغ يعد من أهم المواد الأساسية التي ترتكز عليها دباغة هذه الجلود. وهو أنواع مثل : الرباطي والبلدي وميموزا. ويتم جلبه من غابة المعمورة الواقعة شمال مدينة سلا ومن بعض مناطق الأطلس الكبير، لونه يميل إلى الحُمرة. وكانت هذه الأنواع توضع في أكياس خشنة تنقلها الجمال والحمير والبغال. هناك نوع رابع يعرف بتاكَاوُت، أو تاكوت لونه يميل إلى الاصفرار وعلى شكل حبوب أصغرها في حجم حبات الحمص وأكبرها في حجم حبات الزيتون. يؤتي بأجود هذا النوع من تافيلالت، أقله جودة من ناحية تدغة. وقبل استعمال هذه الأنواع، كانت تمر بمراحل التنقية والنشر لتسهيل طحنها في مطاحن تقليدية، كانت توجد بحي الدباغين الذي يضم أيضاً سوقا لعرضها للبيع، غير أن جل هذه الأنواع أصبحت تطحن في المطاحن الكهربائية منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين.

من المواد التي يتم الاعتماد عليها في هذه الحرفة نجد الجير، وهو من أصل حجري يُصهر في أفران تقليدية. هناك كذلك حتّى الحمام "لبْزق" الذي يمهد هو أيضاً لدباغة الجلود. يقتنيه الدباغون من الذين يقومون بجمعه من نواحي الحوز ومن دكالة وغيرها.

يلاحظ أن طريقة دباغة الجلود التي تعتمد على هذه المواد الأساسية، تختلف من نوع إلى آخر رغم وجود بعض المراحل المتشابهة التي تعد قاسما مشتركاً بينها.

1 ـ دباغة جلود الماعز : الزواني. تنطلق العملية باقتناء هذه الجلود من السوق على شكل وحدات تتألف كل واحدة من ست جلدات تسمى "الطّريحة". وقد يصل عددها إلى عشر أي 60 جلدة فأكثر. وكان ينقلها حمالون من أصل فيلالي. ويضع كل معلم علامة خاصة به على أحد أطرافها تكون معروفة عند باقي المعلمين والصناع في دار الدباغة، حتى لا يقع خلط بين الجلود التي يمتلكها كل واحد منهم. كل مجموعة تسمى عندهم قصرية يقوم المعلم بحزم جلودها بحبل. وتوضع في ماء إفرض ـ مدة يوم واحد صيفا وثلاثة أيام شتاء ـ ثم تسحب منه لتخضع "للتكعيب" بهدف تنقيتها من الطين والوحل والملح، ثم تمر بعد ذلك إلى عملية التكليط ـ وهي تبليط الوجه الخلفي للجلود بمادة لكلاطة، مكونة من خليط الرماد ونبات وماء لتسهيل عملية إزالة الشعر بالموسا يسمونها التقليع ـ ويتم بيع هذا الشعر في سوق خاص مكون من عدد من الدكاكين في قلب حي الدباغين.

بعد هذه العمليات التمهيدية تدخل جلود الماعز في مرحلة التهييئ الانتقالي وتبتدئ بوضعها في المجاييرْ أي الأحواض التي تحتوي على خليط الجير والماء، وهي أربعة أنواع.

يلقى بجلود القصرية بكاملها في النوع الأول المسمى لخضَرْ ولمدة أسبوع لضعف تأثيره وتهييء الجلود لتقبل مفعول الجير. بعد ذلك تحول إلى النوع الثاني هو أمسرّبْ لتبقى فيه مدة أربعة أيام ـ مفعوله أقوى نسبيا ـ. النوع الثالث يعرف بلحرشْ لتأثيره القوي على الجلود إذ فيه تكسب نوعاً من الصلابة وتفقد ما بقي عالقا بها من الرائحة الكريهة. وقبل نقلها إلى المجيار الموالي تخضع للتمريس وهي عملية تهدف إزالة ما بقي من الشعر الذي يسمى بوخناز يبيعه الصانع إلى النساء ليصنعن به نوعاً من الحبال.

أما النوع الرابع والأخير فهو القاطع يطلق عليه هذا

الاسم لاحتوائه على الجير الجديد بعد خلطه بالماء تنقل إليه الجلود من لحرشْ وتبقى فيه لمدة أسبوع تقريباً غير أنها تخضع للمراقبة من وقت لآخر خاصة في فصل الصيف. في هذا المرفق تكتسب الجلود لوناً يميل إلى البياض وتصبح فيه أكثر صلابة مما كانت عليه. كما أنها تخضع لعملية أوَلاَمْ، وهي إخراجها من الجير وتقطيرها وإنزالها فيه مرة ثانية، لتمكينها من امتصاص هذه المادة بالقدر الكافي. وبالاستعمال المتكرر تحول هذه المجابير من الأكثر إلى الأقل فعالية، أي من القاطع إلى لحرش وإلى امسربْ ثم إلى لخضرْ الذي يهرق محتواه في قنوات تصريف المياه عندما يصبح غير صالح للاستعمال. بعد قضاء المدة المطلوبة في القاطع تستخرج الجلود منه وتنقل إلى المركلْ حيث يتم ركلها وغسلها بالماء النقي ثلاث مرات حتى ينقطع منها أثر الجير. ويتم ذلك بتراتيل دينية مثل التهليل والتكبير. وأثناء مراحل هذا الغسل تخضع للتساوي أي إزالة الشحم وبعض بقايا اللحم من وجهها الخلفي لتدخل بعد ذلك في مرحلة تؤهلها مباشرة للدباغة، إذ يتم غمرها في قصرية تحتوي على خليط من ختّي الحمام ـ لبزق ـ والماء لتبقي فيه مدة يومين صيفاً وأسبوع شتاء. فبقاؤها في هذه المادة يعيد لها لونها ويزيل منها ما بقي فيها من رواسب الجير. ثم تعرض للغسل من جديد وتوضع في قصرية أخرى تحتوي بدورها على خليط من نخالة القمح والتين والماء لتبقى فيه أقل من أسبوع. دور هذا الخليط هو إزالة رائحة لبزقْ منها، وفتح الثقوب الدقيقة فيها ؛ الشيء الذي يجعلها تمص تاكاوْت إضافة إلى أنه يكسبها نوعاً من النعومة والطراوة. وبمجرد إخراجها من النخالة، يتم إنزالها مباشرة ودون غسلها في قصرية خاصة، تضم الماء النقي وقدراً كافياً من تاكاوْت التي سبق إعدادها بالتنقية والغسل والتجفيف والدهن بالزيت والطحن. وكانت النساء يقمن بعملية تهييء هذه المادة مقابل أجرة نقدية وذلك قبل ظهور المطاحن الكهربائية الحديثة.

تترك الجلود في تاكاوتْ لمدة ثمانية أيام خلالها تخضع لعملية أولاَمْ أي تخرج وتقطر ويتم إنزالها وغمرها من جديد في الخليط نفسه. وعندما يتأكد المعلم من جودة دباغتها يتعاون مع الصانع والمتعلم، على إخراجها من هذه المادة وعصرها إما على دفعات من طريحتين أو ثلاث أي من 12 إلى 18 جلدة، فيقومون بفتحها وتسريحها وإزالة أوساخها. ويطلق على هذه العملية ـ التشقافْ ـ بعدها يقومون بتلوينها الواحدة بعد الأخرى بخليط من مسحوق قشرة الرمان الحامض، الذي كانوا قد قاموا بدقها في "أفرْدُو" مهراز من الحجر. وأثناء عملية التلوين يدلكونها ويرشونها بقطرات من الزيت ليكتسب وجه الجلدة لمعانا وبريقا.

هذا الخليط كان مستعملا في فترات مضت أما الآن فقد حلت محله صباغة صفراء. بعد ذلك تنشر الجلود في فناء عار هو أَسَفْسَرْ وعلى غطاء من التبن وبطريقة تجعل وجهها الخلفي معرضاً لأشعة الشمس. وعندما تجف فإن المتعلم هو الذي يتولى عادة جمعها ونقلها إلى الدكان، حيث تبدأ مرحلة التهييء الأخيرة وتنطلق برشها بالخليط نفسه وطيها لمدة قصيرة، لتصبح لينة. فيقوم الصانع بتسريحها على خشبة منتصبة داخل الدكان، على ارتفاع (60 سنتم) تقريباً من الأرض تسمى لخطر لصقل وجهها الخلفي أو ما يسميه الدباغون لَبْشيرْ، ويتم بآلة حديدية تسمى بالصدرية، سُميت هكذا لأن جزءها الأعلى يوضع على الصدر والجزء الأسفل الحديدي على الجلدة، فيقبض الصانع أو المعلم الذي يباشر هذه العملية على عمود من خشب بيده اليمنى يفصل بين الجزئين الأعلى والأسفل وبيده اليسرى على الجلدة بعد شدها كذلك بفخذيه على لخطر. كل ذلك يتطلب مهارة ومجهوداً عضلياً متواصلا وشاقا. ثم تمر الجلود إلى مرحلة التمرين وهي حك ظهر كل جلدة باليد على آلة من طين تعرف بتبلاط وهي تشبه القدر، يحتوي وجهها على خطوط بارزة. وقد يستمر الحك عدة مرات بالنسبة للجلدة الواحدة إلى أن تبرز حبيبات دقيقة على وجهها تكسبها نعومة ونضارة. ثم تعلق من أحد أطرافها، في حبلين مشدودين إلى الحائطين المتقابلين في الدكان. فيقوم المعلم بمسحها بقطعة من الثوب الصوفي ليزيدها لمعانا ويقطع الأطراف الزائدة من حواشيها لإخراجها في شكل مقبول وإعطائها منظراً لائقا. تُجمع الجلود الواحدة فوق الأخرى بعد أن أصبحت جاهزة، وتسمى آنذاك الطلوع فتُحمل إلى السوق الذي كان يعقد في مكان سوق الجلد كل يوم مباشرة بعد صلاة العصر، ماعدا يوم الجمعة وبذلك تنتهي هذه السلسلة المعقدة من العمليات الصعبة. ولهذا يقولون : "والله كلْ ما لعبتْ المعزا في قرونْ الجبال حتى تخلّصُو في دار الدباغ".

2 ـ بالنسبة لدباغة جلود الأغنام فهي سهلة نسبيا فعندما يقتنيها المعلم يضعها مباشرة في الماء لغسلها ثم تمر من محطات الجير ولبزقْ والنخالة لتبقى فيها مدة تتراوح ما بين 4 إلى 6 أيام لكل مادة من هذه المواد. ثم يتم تحديد اللون الذي يجب أن تأخذه. فالجلود البيضاء توضع في تاكوت والحمراء في الدباغ البلدي وميموزا لأن ذلك يكسبها اللون الأحمر. وعندما يتحقق المعلم من جودة دباغتها يقوم بشقها وتلوينها بخليط من الماء والشب. ترش بالزيت فتنشر تحت أشعة الشمس، حتى تجف ثم ترش بالخليط نفسه دون استعمال الزيت. ثم تخضع لعملية لبشير، أي إزالة القشرة الغليظة من وجهها الخلفي. فتسرح من جديد وهو ما يسمى ـ بأفتاحْ ـ فتصبح جاهزة للبيع بعد أن تجمع الطلوع فتحمل إلى سوق النعال الذي كان يعقد ابتداء من العاشرة صباحاً طيلة أيام الأسبوع باستثناء يوم الجمعة. أما الجلود الحمراء فتستخرج من الدباغ وتشق. وترش هي أيضاً بالزيت ودون أي خليط آخر وتخضع للعمليات نفسها تقريباً.

أما دباغة جلود البقر الذي يعرف بالعجلي فبماشرة بعد وضعها في إفرضْ وانتشالها منه بعد خمسة أيام تقضيها فيـه، تحول إلى مجيـار لحرش لتبقى فيـه ثلاثـة أسـابيع لتسهيل إزالـة الـوبـر ووضعهـا في القـاطع لمدة شهـر مع مراقبتهـا ـ أولآم ـ ومنه تنقل إلى المركل لإزالة الشحم من وجهها الخلفي ـ التساوي ـ ويجدد عليها الماء لمدة ثلاثة أيام فتمر إلى ـ لبزق ـ ثم إلى النخالة لمدة شهر في كل مادة من المادتين. بعـد ذلك تـوضع في قصريـة الـدبـاغ البلـدي لمدة شهرين.

تصبغ بعدها في الطنجير باللون الـوردي فتنشر وتجفف وتمر بعملية لبشير والمسح فتصبح جاهزة للاستهلاك.

وتمر دباغـة جلود الجمال بمحطات الجيـر التي تمر منها جلود البقر وإزالـة الـوبـر والشحم والغسل. لكنهـا تنتقل مباشرة إلى النخالـة ولمدة شهرين تنقل بعدها إلى قصريـة الـدبـاغ البـارد أفضلي. ودون المرور بلبـزق ثم إلى الـدبـاغ الجديد. ثم تطلى مرة أخرى بمسحوق الدباغ من جديد لتبقى فيه ستة أشهر. يتم بعدها إخراجها منه بالتدريج حسب ما يرغب المعلم في بيعـه منها. فتتعرض للدلك بحجرة وخليط من مسحوق الصنوبر يكسبها لمعانا وحمرة زاهيـة. فتعرض للبيع في سوق "النعال".


أبو عبيد البكري، *المسالك والممالك*، بغداد، ص. 153 ؛ مجهول، *كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية*، الدار البيضاء، ص.90 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار*، الدار البيضاء، ص. 209 ؛ البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت*، الرباط، 71 ص.64 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، ص. 27 -28 ؛ علي الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، ط. الثالثة، الدار البيضاء، 91 ص44 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 4 : 342 ؛ 5 :40 ؛ 8 : 473 ؛ *البحث الميداني*.

R. Le Tourneau et L. Paye, *La corporation des Tanneurs et l'industrie de la tannerie à Fès, Hesp.* T. XX, fax. 2, 1935 ; Lagdim Soussi Moulay Brahim, *Les activités artisanales à Marrakech et leurs retombées économiques. Etude géographique*, Université François Rabelais, Tours. 1984.


عبد السلام السعيدي

**دار الدبيبغ**، هو القصر الذي بناه السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل ابتداء من سنة 1154 / 1742 جنوب مدينة فـاس العتيق. لكنه صار يطلق لدى أهل فـاس على المدينة العصرية التي أقيمت في جوار القصر ومن حوله حتى أصبح اليوم يتوسط أحياءها الجديدة (انظر مادة أولاد الدبيبغ في مكانها من هذه *المعلمة*).

أما هاهنا فنكتفي بـالحديث عن القصر أو القصبة وعن أسباب تشييـدها يوم كـان السلطان المولى عبد الله (1729 ـ 1757) يحـاول إثبـات حكمه بمسـانـدة أخـوالـه من قبـائل الأوداية القـاطنين في أحـواز فـاس. وكـان في مطلع الأربعينيات من ذلك القرن قد نفر من المقام في قصور والده في مكنـاس لما كـان بينه وبين جيش العبيـد من الصـراع. ولذلك فضل المقام بين أخواله على مقربـة من فاس دون أن يسكن القصور السلطانية الواقعة داخل أسوار المدينة. وكان أهل فاس بـايعوه أول الأمر ثم ثـاروا عليه. فكان في حاجة إلى إقـامة قصر محصن يقيه ثـورات أهل فـاس ويمكنه من مهاجمتهم كلما اقتضت الضـرورة ذلك. فـاختار بقعـة على نشز مـن الأرض غاية في التبصـر الاستراتيجي على بضعة كيلومترات من الأسـوار، تمكن السلطـان من التحصن ومن مراقبة الـوارد من فاس والقـاصد إليهـا. وبـالرغم مما يوجد عليـه قصـردار الـدبيبغ اليـوم من الخراب، إلا أن هندستـه العـامـة مـازالت مـاثلـة للعيـان تـوحي بطبيعـة القصـور السلطـانيـة من حيث شكلهـا وتـوزيع المرافق الخصـوصيـة والعمومية بداخلها.

وهي على شكل قصبـة مـربعـة متسـاويـة الأضلع بـالتقريب، طـول الضلع منهـا لا يقل عن سبعمـائـة متـر، محاطة بسور مرتفع مسنن على الطريقة التقليـدية لتمكين الرمـاة من الرمايـة والاحتماء من رصاص العدو. وهي على ربـوة تنسرح العين فيهـا في كل اتجاه في سهل سايس، يـوم كـانت مدينـة فـاس لم تزل منحصرة عنـد وهدها الـواقع في سفح جبل زلاغ. وزيـادة في تيسيـر المراقبـة أقيمت أربعـة أبـراج على علـو مرمـوق في كل ركن من الأركـان الأربعـة تتخللها منافذ كانت تطلق منها المدافع.

وتنقسم القصبـة ككل القصور السلطـانية إلى عـدة دور متصلـة وإلى ساحات وأحواش متميـزة. فهناك أولا المشـور المفضي إلى قـاعة الاستقبـالات العموميـة، بحذائـه مـن جهـة الشمـال الأروى المتصلة بما كـان حديقـة للحيوان، ومن جهـة الجنوب ساحة كانت مخيما للعساكر المكلفـة بـالدفـاع عن القصـر. وفوق تلك القاعة غرفة تنمّ رغم الدمار والخراب عن الشموخ والتأنق فـي الزخرفـة، وهي على شكل مـا يسمى عند المغـاربة "مَـنْزهاً" تـرى منها العين مفاتـن سهل سايس والجبـال. ومن هـذه الغـرفـة يطل المرء على دار الحريم بكل ملحقاته من غرف وحمـامات ومطابخ وهي في السفلي جهة الشمال.

فهـذه هي القصبـة المسمـاة بـدار الدبيبـغ التي أضحى اسمهـا يطلق على المدينة الأوربيـة التي أقـامها الفرنسيـون في جوارهـا ومن حولها ابتداء من العشرينيـات من القرن العشـرين يـوم فضلوا السكن منفصلين عن المدينـة العتيقـة. وقد كانت مقر أول معسكر لهم في فاس يوم دخلتها جيوش الجنرال موانيي في ربيع سنة 1911. ثم إنهم أسكنوا فيهـا قـدمـاء من كـان يقـاتل في صفـوفهم من الجنـود المغاربـة لتطـويع المنـاطق المستعصيـة من المغـرب. ولـذلك أصبحت القصبـة عـرضـة لكل أنـواع التآكل والتلاشي من جـراء الضغط الـديموغـرافي. مع أنهـا مفخـرة من مفاخر الهندسـة المغربيـة، واضحة المعـالم الجماليـة والعمرانيـة. وليست أكبر القصـور في العهد العلـوي ولكنهـا مـن أشدهـا وضـوحـا لمن

يريد أن يطلع من أول وهلة على شكل تلك القصور وعلى وظائفها وأساليب العيش بداخلها. وقد أقام بها المولى عبد الله إلى أن وافاه الأجل المحتوم. كما أقام بها المولى الحسن (1873 ـ1894) كلما مر بفاس، وكذلك ولي عهده وخليفته على العرش المولى عبد العزيز (1894 ـ 1907).

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الرباط، 1986 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج. 7 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 4، فاس، 1932.

D. Madras et R. Maslow, *Fès capitale artistique de l'Islam*, Casablanca, 1948 ; P. Azan, *L'expédition de Fez*, Paris, 1924.

إبراهيم بوطالب

**دار الدريوش**، مركز حضري حديث في إقليم الناظور. يوجد على الضفة اليسرى لوادي كرت، على الطريق الرئيسية التي تربط بين الناظور والحسيمة حيث يعتبر محطة طرقية مهمة في المنطقة.

عرف المركز تطورا سريعا منذ دخول الاستعمار الإسباني الذي جعل منه مقرا لثكنة عسكرية كبيرة انطلق منها لإخضاع المناطق الموجودة إلى الجنوب والغرب. وبعد الاستقلال، أخذ الدور العسكري لدار الدريوش يتقلص وتحول تدريجيا إلى مركز حضري عرف نموا مطردا، خاصة في السنوات الأخيرة نتيجة للهجرة الدولية، ويتجلى ذلك بالخصوص، في تطور عدد سكانه الذي عرف نموا كبيرا بين سنتي 1982 و1994 يقدر بـ165٪ وهي من أعلى النسب في إقليم الناظور.

يضم المركز مقر عدة مصالح إدارية (دائرة وقيادة وجماعة الدريوش)، وصحية واجتماعية تمتد صلاحيات بعضها إلى المناطق المجاورة كدائرة الريف، كما يقدم عدة خدمات إضافة إلى كونه مقر سوق أسبوعي مهم ينعقد يوم السبت، وهو من أكبر وأنشط الأسواق الأسبوعية في إقليم الناظور.

J.J. Baraton, *Bassin et littoraux du Rif oriental : Evolution morphoclimatique et tecnotique depuis le néogène supérieur,. Etudes méditerranéennes*. Poitiers, 1989 ; P.R. Bossard, *Mouvements migratoires dans le Rif oriental : le travail en Europe. Aspect contemporain majeur des migrations dans la province de Nador*. Thèse de 3ème cycle, Montpellier, 1978 ; Centre de travaux agricoles de Driuch, *Données monographiques des communes rurales de Driuch et Dar Kabdani.*

حسن العباسي

**دار السكة المغربية** يتبلور تاريخها في القطع النقدية المضروبة في إحدى تلك الدور. وحسب النقود التي وقع العثور عليها قديماً وحديثاً في مختلف المراكز المنتشرة فيما كان يسمى موريطانيا الطنجية (المغرب الأقصى) والتي توجد الآن مجموعات منها في بعض متاحفنا حيث يتجلى أن المغاربة استعملوا النقود الفينيقية والقرطاجية والرومانية والوندالية، كما استعملوا نقود الدول الأوربية المجاورة للبحر المتوسط مثل الدولة الإسبانية والغالية والإيطالية، وكلها نقود ضربت بدور السكة الأجنبية، ولا شك أنها كانت تروج إلى جانب نقود مغربية ضربت محليا بدور السكك المغربية غير أننا لا نتوفر على معلومات عن نقود محلية أقدم مما عرّف به جان مازار J. Mazard في كتابه عن *النقود المغربية* وخاصة دار السكة في ليكسوس (شماس) قرب مدينة العرائش، وقد ضربت نقوداً في عهد الملك بوكوس (45 ـ 33 ق.م) وفي عهد يوبا الثاني (25 ق.م إلى 23 م) وقد برز في تلك النقود التأثير الروماني بشكل واضح. ومع الطلائع الأولى للفتح الإسلامي بدأ المغاربة يستعملون النقود الأموية المسكوكة في الشرق والتي ضربها ولاتهم بطنجة منذ عهد موسى بن نصير كما يدل على ذلك فلس نشره حسن حسني عبد الوهاب، ثم ولاتهم في الأندلس. ولاشك أن هناك دوراً للسكة أنشأتها الإمارات الأمازيغية قبل الإسلام من قبائل مصمودة وصنهاجة وزناتة ثم بعد ذلك أصبحت دار السكة من اختصاصات الدول المغربية المتعاقبة على الحكم منذ الدولة الإدريسية إلى الآن.

وقد اجتهد كثير من الباحثين للتعريف بهذه المؤسسة التي تعتبر من المؤسسات الغامضة التي تحسبها الدولة من بين أسرارها الخاصة التي لا ينبغي إطلاع الغير عليها، زيادة على اعتبار أن السكة من أهم شارات الملك. ومن هذا الجانب تدرك الصعوبة الكبرى في التعريف بهذه المؤسسة التي كان الصناع المسلمون واليهود يضربون السكة فيها أحيانا أثناء الليل إمعانا في السرية، كما أن أغلب "المعلمين" لا يكتبون، ولذلك لم تخلّف عن هذه المؤسسات وثائق تذكر، وضاع كثير من وثائق الأمناء وسجلاتهم فانطمست بذلك كثير من المعلومات عن جوانب كثيرة من هذه المؤسسة، الأمر الذي جعل الباحثين يتجهون إلى القطع النقدية القديمة كمصدر للحصول على معلومات عن الصناعة النقدية وعن ضبط كثير من الأحداث والوقائع السياسية والاجتماعية والاقتصادية بواسطتها.

وقبل الإدلاء بلوائح دور السكة المعروفة لدى مختلف الدول المغربية المتعاقبة على حكم المغرب نورد صورة لما كان عليه العمل داخل دار السكة من حيث إدارتها، ومن حيث عمليات التصنيع الجارية بها حسب وصفها في الكتابات التاريخية.

"فدار السكة عبارة عن مبنى يقام ـ أحيانا ـ إلى جانب قصر السلطان على هيئة مكان مربع محاط ببعض الحجرات الصغيرة مخصصة لعمال دار السكة، وفي وسط هذه البناية

يقع مكان ناظر الدار مع العدول والكتاب، وبالقرب من هذه الدار توجد دكاكين الصياغين مع الأمين الذي تعرض عليه المصوغات ويضعُ طابعه على المقبول منها" فحينما عرضنا هذه الفقرة على أحد الرسامين المغاربة تفضل بالتعبير عن تصور العاملين بدار السكة أثناء عملية ضرب النقود كما يظهر في الصورة المرفقة، وتتميماً لهذه الصورة نورد وصفا للاطار البشري الذي يمكن تمييزه إلى قسمين : حيث يختص قسم بالتسيير الإداري والقسم الآخر بمباشرة عمليات الإنجاز، ومن القسم المسيّر :

- أمين دار السكة، وله السلطة المباشرة على العمال، ويقوم بتنظيم عمليات الضرب وإعداد "الإقامة"، ويحدد مقادير "الطريحة".

- ناظر الدار (المقدم) ويدعى أيضاً الأمين الثاني، يعمل على حفظ ومراقبة السبائك ودفع أجور الضرّاب وغيره من العَمَلة.

- العدول والكتاب، وهم الذين يقومون بالإشهاد وتسجيل معاملات الدار واعداد التقارير.

أما بالنسبة للإطار الذي يباشر إنجاز النقود، فيتكون من مجموعة من :

- "المعلمين" وأغلبهم من اليهود ولهم خبرة في العمليات الكيميائية ويحتفظون بأسرار الصنعة، وهم حريصون على "أن لا يُدخلوا معهم في صناعتهم أجنبيا".

- الصناع و "المتعلمين" ويعتبر "المتعلمون" دون الصناع خبرةً، ويقوم هذا الإطار بوظائف متعددة منها : وظيفة "النقاش" وهو الذي يصنع الأختام التي تضرب بها السكة الفضية بحفر كتابات عميقة مقلوبة على قطع من الحديد، كما يصنع القوالب التي تفرغ فيها الفلوس النحاسية (لوحة رقم 2). ووظيفة "السبّاك" وهو الذي يقوم بخلط المعادن بمقادير معينة وتحديد عيارها ومراقبة سبكها في "الأبواط" : (البوتقات). ووظيفة "الضراب" أي : الذي يُعدُّ صفائح الفضة أو يضرب على الخاتم. ثم وظيفة "صاحب القطع" ويعرف بصاحب المزبرة (المقص) ويقوم بإعداد قطع مستديرة من الفضة.

ويهيمن على هذا القطاع في دور السكة بالمغرب عدد كبير من "المعلمين" اليهود وهي هيمنة قديمة. وقد أوردت رسائل مديرية الوثائق الملكية المتعلقة بالقرن الثالث عشر (19 م) كثيراً من المعلومات عن كفاءتهم، وعن ممارساتهم السلبية أحيانا داخل هذه الدور، مثل القيام بالإضرابات من أجل المطالبة بزيادة الأجور، وكذا القيام بأنواع من التدليس، مما جعل تلك الرسائل تنبه على الحذر "ورد البال" تجاههم.

دار السكة المغربية

أما إنجاز القطع النقدية بدار السكة، فإنه يتطلب اجراء كثير من العمليات، خاصة منها ما يتعلق بمعالجة المعادن وبهندسة النقود وأوزانها، ونكتفي في هذه الدراسة بأن نسوق ذلك على سبيل الإجمال :

فحينما يقبل السلطان النماذج المكتوبة للدراهم والدنانير، تُدفع للنقاش، فيقوم إما بحفرها على الأختام المعدة للضرب في حالة نقود الذهب والفضة، أو بصنع قوالب الإفراغ في حالة النقود النحاسية (لوحة 2). وحينما تسبك المعادن بعد خلطها بمقادير معروفة، تدعى العيار أو العدة، وتحول إلى قضبان، ثم تُطرق لتتحول إلى صفائح، ثم تقطع على شكل قطع مستديرة، هي التي تصبح نقوداً بعد ختمها وضبط وزنها. هذا بالنسبة للنقود الفضِّية، أما بالنسبة للنقود النحاسية فإن المعدن عندما يتم سبكه بالانصهار، يصبُّ في قوالب الإفراغ، ثم يترك ليبرد، فيستخرج من القالب على هيئة قطع نقدية جاهزة. وهناك عمليات عديدة تجرى على المعادن النقدية لا نرى ضرورة تقديم شروح عنها هنا، مثل : التخليص والتشحير والتشليل والتشبيب وغيرها، ويمكن الرجوع إليها في مظانها مثل كتاب *الأصداف المنفضة* للجزنائي.

وعن التوزيع الجغرافي لدور السكة المغربية عبر عهود الأسر الحاكمة بالمغرب، فإننا نوردها بناء على ما توصلنا إليه اعتماداً على الأسماء الواردة على القطع النقدية، وإنما نورد الأهم منها فابتداء من عهد الدولة الإدريسية عرف عدد الدور انتشاراً واسعاً بلغ عشرين داراً للسكة، وهي على التوالي. طنجة وأصيلا. وتهليط والبصرة وورغة وإجرهان ووطيط ـ وليلة والعالية وسبو ورزيعة وإيكم وبهت وتاگراگرا ومريرت، وزقور ومهنا وزيز وتدغة. ولقد درسنا مجموعة من القطع النقدية، وفّرت لنا ملاحظة مدى تطور الخط الكوفي عبر هذه الدور في مستويات متفاوتة ووضعنا خريطة لمواقع هذه الدور مع ابراز حدود تلك التفاوتات. (انظر الخريطة).

وإذا كانت هذه الدور في العهد الإدريسي مركزة في مجال جغرافي محدود، فإن دور السكة في عهد الدولة

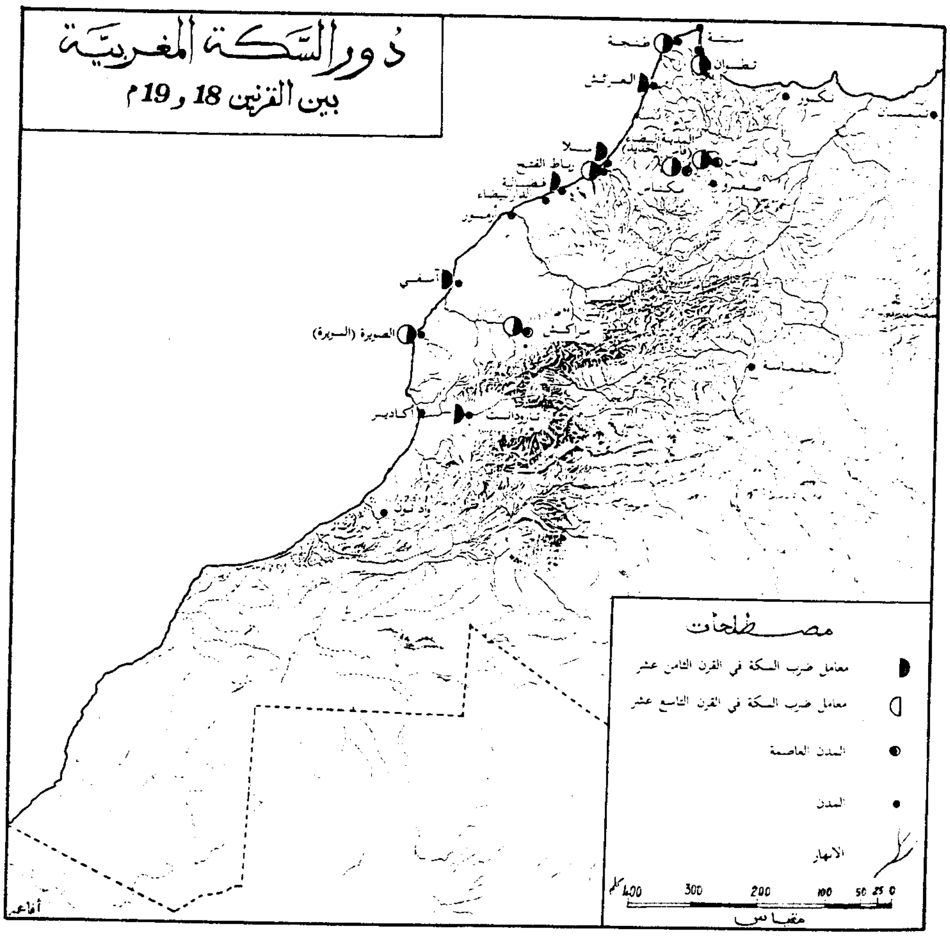


خريطة : 1

المرابطية عرفت امتداداً في مجال أوسع تبعا لاتساع الامبراطورية نحو المغرب الأوسط ونحو الأندلس يتجلى ذلك في اللائحة التالية حيث توجد دور السكة في مدن سجلماسة، مراكش أغمات، نول لمطة، فاس، سبتة، سلا، الوليجة على وادي ورغة، وفي الجزائر : تلمسان، وفي الأندلس : قرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة وبلنسية والمرية والجزيرة الخضراء ولوشة ودانية وجيان ومرسية، وهناك دور أخرى أقل أهمية.

وفي العهد الموحدي بقي نفس الاتساع، فهي في : مراكش وفاس، ومكناس وسبتة وسجلماسة ورباط الفتح، وأزمور. وفي الأندلس في اشبيلية وقرطبة وبلنسية وجيان ومرسية، وفي الجزائر في تلمسان وبجاية وكذا في تونس.

وفي العهد المريني عرفت دار السكة استمراراً من حيث الصناعة النقدية وتألقا في النقوش والخطوط، ولكن مع تراجع من حيث عدد الدور، ونذكر من بين الدور المعروفة دور سكة فاس وسجلماسة وسبتة ومراكش وتطوان ومكناس وأزمور. وفي الجزائر : تلمسان وبجاية والمنصورة والجزائر المدينة. أما في العهد السعدي فقد بلغت دار السكة أوج ازدهارها أيام أحمد المنصور الذهبي، وكانت أهم دار الضرب السكة هي سجلماسة والمحمدية : (تارودانت) ثم بعد ذلك انتشرت دور السكة هي كل من فاس ومكناس ومراكش وتافيلالت وسوس ودرعة وأكتاوة وإفران وتدعى سكة إفران بالأطلس الصغير، السكة الغيرانية أو الكهوفية (انظر الوثيقة : *بيان السكك الجارية في الغيران - مجلة تاريخ المغرب*، 1998، ص. 32).

أما في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 . 19 م) وإلى الآن فان معامل السكة تعتبر امتداداً لما كانت عليه المعامل القديمة وذلك لعراقة هذه الصناعة في المغرب، لكن المتتبع لتطور هذه المعامل - على الأقل منذ العهد السعدي - يلاحظ أن أعداد هذه المعامل تتقلص بمرور الزمن، تتقلص من الجنوب نحو الشمال ومن المراكز الصغرى إلى المدن الكبرى. فبعد اندثار المعامل القديمة الواقعة عند التخوم الصحراوية، مثل : نول لمطة وسجلماسة وتدغة... عرف هذان القرنان استمرار ضرب السكة في عدد لا يستهان به من المعامل، وكانت توجد في كل من تارودانت والصويرة ومراكش وأسفي وفضالة والرباط وسلا ومكناس وفاس والعرائش وأصيلا وطنجة وتطوان.

غير أن هذه المؤسسات لم تشتغل - في نفس الوقت - بهذا العدد، بل كان عددها يزداد وينقص تبعا لاختيارات ملوك الدولة العلوية بناء على مدى ما وصل إليه نفوذهم السياسي وتطلعاتهم الاقتصادية. وقد استخلصنا من خلال المجموعات النقدية السالفة الذكر، إحصاءً يبين عدد المؤسسات المشتغلة في عهد كل ملك، كما يبين خطوط الاستمرار والانقطاع بالنسبة لكل مؤسسة، مما نقدمه في الجدول التالي :

| السلطان | دور السكة في عهده | عددها |
|---|---|---|
| مولاي رشيد | • مراكش - فاس - رباط الفتح - سجلماسة | 4 |
| مولاي إسماعيل | • مراكش - فاس - رباط الفتح - سجلماسة - مكناس - أزمور - أسفي | 7 |
| م. أحمد بن محرز | • مراكش - سجلماسة | 2 |
| م. عبد الله بن إسماعيل | • مكناس - رباط الفتح - سلا | 3 |
| سيدي محمد بن عبد الله | • مراكش - فاس - رباط الفتح - مكناس - أسفي - تطوان - طنجة - البيضاء - العرائش - سلا - فضالة - الصويرة - ردانة | 13 |
| مولاي اليزيد | • فاس - تطوان | 2 |
| مولاي سليمان | • مراكش - فاس - رباط الفتح - مكناس - أسفي - تطوان - العرائش - الصويرة | 8 |
| مولاي هشام | • مراكش - أسفي - الصويرة - مولاي إبراهيم | 4 |
| م. عبد الرحمان بن هشام | • مراكش - فاس - رباط الفتح - مكناس - تطوان - ضا (وجدة) - سلا - أسفي | 8 |
| سيدي محمد عبد الرحمان | • مراكش - فاس - رباط الفتح - تطوان - حوز (تطوان) | 5 |
| مولاي الحسن | • مراكش - فاس | 2 |
| مولاي عبد العزيز | • مراكش - فاس | 2 |

ويتضح من خلال هذا الجدول أن عدد هذه المؤسسات بلغ أوجه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م) في فترة السلطان محمد بن عبد الله. وبحلول القرن الثالث عشر (19 م) وقع الاستغناء شيئاً فشيئاً عن الكثير من هذه الدور ولم يبق مشتغلاً سوى دار السكة بالصويرة والرباط ومكناس وفاس وطنجة وتطوان، بل تناقص هذا العدد، في النصف الثاني من هذا القرن، حين تركزت عمليات الضرب - خاصة بعد حرب تطوان - في أربعة دور

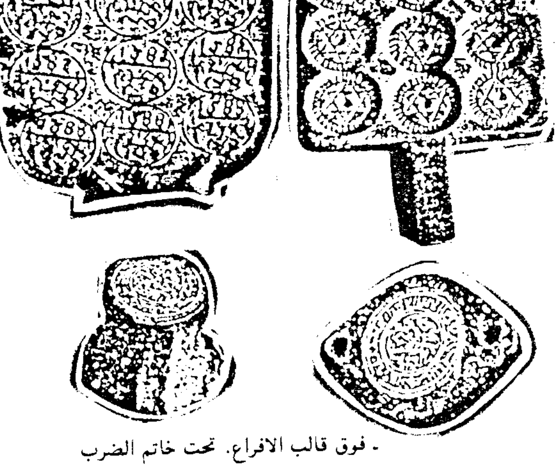

- فوق قالب الافراغ. تحت خاتم الضرب

فقط، هي : دار السكة بمراكش والرباط ومكناس وفاس. ثم توقف العمل فيها تدريجيا، بعد سنة 1881، لما اختار السلطان الحسن الأول ضرب النقود المغربية في أوروبا وبقى معملان فقط هما دار السكة بمراكش وفاس اللذان توقفا نهائياً سنة 1901. وصارت السكة المغربية تضرب بدور السكة في كل من فرنسا وأنجلترا وألمانيا.

نقود حسنية ضربت في باريس

والمتتبع لأطوار التاريخ المغربي، يجد أن هذا الضمور والتناقص ثم الاختفاء الذي عرفته مؤسسات ضرب السكة بالمغرب تتداخل أسبابه، فهو يسير موازيا لضمور النفوذ المخزني في المراكز الجنوبية، التي تتحكم في الطرق نحو إفريقيا الغربية : (السودان) التي تنتهي إليها تجارة القوافل. تلك المراكز التي كان يرتبط بها الكيان السياسي لمختلف الأسر المتعاقبة على الحكم بالمغرب.

كما يتواتر هذا الضمور مع طبيعة المخزن ووضعيته في الداخل، وأحوال المجتمع المغربي واقتصاده في هذه المراحل، بالإضافة إلى الأوضاع الخارجية، وما جد من تطورات في العالم الأوروبي، منذ القرن العاشر (16 م) إلى الثالث عشر (19 م). وهذه إشارات لسنا هنا بصدد تعميقها، ولكننا نؤكد أن التغلغل الأوربي فرض على المخزن أن يعيش مواجهة عنيفة - وليس انفتاحا - تلك المواجهة التي أدت إلى نشر الوهن في كثير من مؤسساته، بل والقضاء عليها، ولم تكن مؤسسات دار السكة سوى أمثلة من ذلك.

وهكذا فقد توقفت دار السكة بالمغرب عملياً منذ الإصلاح الحسني سنة 1887 وتكبد المغرب من جراء ضرب النقوذ بأوروبا متاعب لا حصر لها ( *مسألة النقود*، ص. 236) واستمر ضرب النقود خارج المغرب فيما بين 1881 و1987 خلال قرن كامل من الزمن، أبرم المغرب خلاله العديد من "الكنطرادات" مع دور السكة الفرنسية في باريس، والإنجليزية في لندن وبرمنگهام، والألمانية في برلين. وعلى الرغم من كون المغرب استقل سياسياً منذ سنة 1956، فان استقلال سيادته النقدية لم تتم إلا بعد ثلاثين سنة من عهد

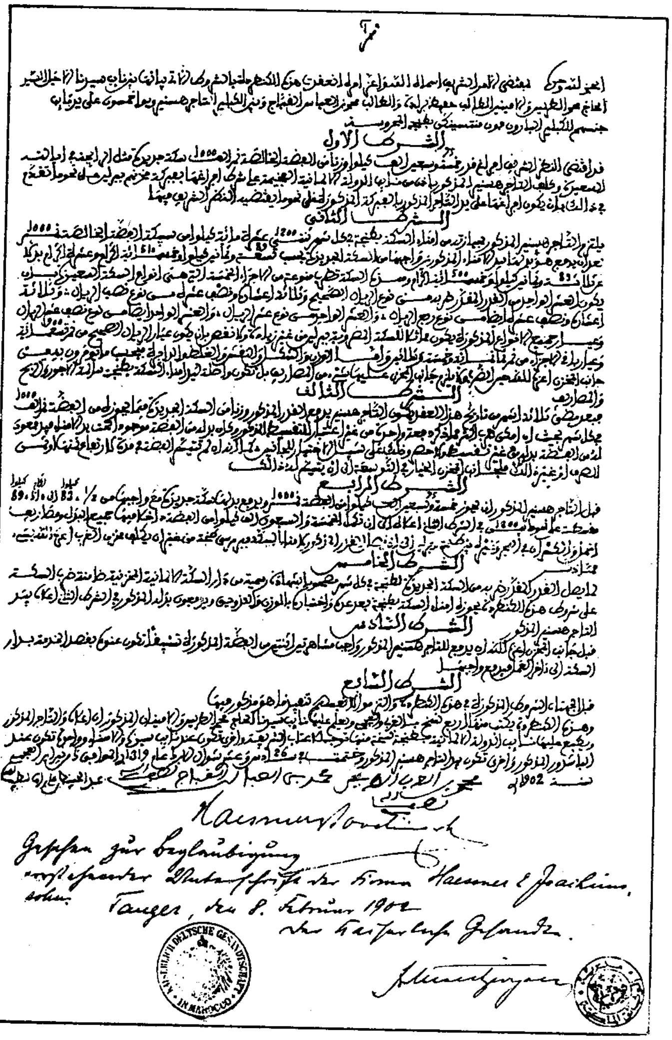

نموذج كنطرة(*) السكة في عهد مولاي عبد العزيز 1319 (1902)

الاستقلال عند ما أسس دار السكة المغربية بسلا من جديد فاضطلعت بصناعتنا النقدية منذ سنة 1987.


الكرملي أنسطاس، *النقود العربية والإسلامية وعلم النميات*، ط 2، القاهرة، 1987 ؛ حلاق حسان علي، *تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي*، بيروت، 1978 ؛ *حول تاريخ النقود المغربية في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين*، مجلة كلية الآداب، عدد 23 سنة1999، ص. 109 ـ 230 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، منشورات، كلية الآداب، أگادير، 1988 ؛ ع. أفا، *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، الدار البيضاء، 1993 ؛ ع. أفا، *النقود في العهد السعدي ـ نماذج* ببليوغرافية، مجلة *تاريخ المغرب*، عدد 7 ـ 8، سنة 1998 ؛ *ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود*، مجلة كلية الآداب بالرباط، عدد 18 سنة 1993 ؛ ابن الرفعة نجم الدين الأنصاري، *الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان*، دمشق، 1980 ؛ أ. حمدون الجزنائي، *الأصداف المنفضة في أحكام صناعة الذهب والفضة*، مخطوط ؛ ع. بن عبد العزيز الگرسيفي، *رسالة*

*في تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة*، ملحق كتاب *النقود المغربية في القرن الثامن عشر* ؛ ع. بن عبد العزيز الگرسيفي، *رسالة في تحقيق اوزان النقود سوس*، ملحق بكتاب *النقود المغربية في القرن الثامن عشر* ؛ ابن جزي، *القوانين الفقهية*، الرباط، 1962 ؛ لومبا رموريس، *الإسلام في مجده الأول*، ترجمة إسماعيل العربي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1990.

Banque du Maroc, *Caractéristiques des monnaies marocaines en argent frappées entre 1881 - 1920* (ronéotypé) ; Sidbon, B. B., *La question monétaire au Maroc*, Paris, 1921 ; Michaux-Bellaire, *Les crises monétaires au Maroc, R.M.M.*, vol. 38, mars 1920 ; Marty J. A., *Le franc marocain*, Paris, 1951 ; D. Eustache, *Corpus des monnaies alawites,* Rabat 1984 ; *Corpus des dirhams idrisites et contemporains*, Rabat, 1970 ; *Etudes numismatiques et de metrologie musulmanes, H. T.* vol. 10, fasc. 1 - 2, 1969 ; *Histoire de la monnaie et sa metrologie*, Rabat 1970 ; J.D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques,* Casablanca, 1939 ; H. Lavoix, *Catalogues de monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale*, Paris, 1891, T. II, III ; J. Mazard, *Corpus nummorum numidiae mauretaniaeque*, Paris, 1955 ; Hassan Housni Abdul - Wahab, *Un témoin de la conquête arabe de l'Espagne*, Revue Tunis d'institut de Cartage, 1932.

عمر أفا

**دار السلطان**، قصر قديم بمدينة أسفي كان معداً فيما مضى لاستقبال الملوك والأمراء. موقع هذه الدار بالقصبة العليا في مكان مرتفع، وهي مشرفة على المدينة القديمة والبحر من جهة وعلى المدينة الجديدة ومحيط أسفي البري من جهة أخرى. وعن تاريخها يقول الفقيه الكانوني : "ويظهر أنها قديمة جداً، كانت موجودة في منتصف القرن الثامن الهجري إلاّ أنها خربها البرتغال فيما خربوا من المدينة لما أخلوها وأوقدوا فيها النيران، ثم أسسها الملوك السعديون، ويغلب على الظن أن مؤسسها منهم هو أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي حوالي منتصف القرن العاشر الهجري... وكان بعد ذلك الملوك يتعهدونها بالإصلاح كالسلطان سيدي محمد بن عبد الله فإنه نزلها لما كان خليفة عن والده على الحوز، فخلّد بها آثاراً منها داره المعروفة بالباهية وأودعها من النقش والتخريم ما يجذب القلوب وتستحسنه الطباع. وله المنتزه العالي المشرف على البحر والبر. وتوجد بها أماكن عديدة ودور وأهرية مما هو من ضروريات الملوك، وفي وسطها مسجد من محدثات ذلك العصر..." لكن جل المؤرخين الأوروبيين يرجعون تاريخ بناء هذه الدار إلى عهد الاحتلال البرتغالي. وقد أعيد ترميمها ترميماً جيداً عدة مرات خلال هذا القرن. ويوجد بها الآن المتحف الوطني للخزف.

م. الكانوني، *أسفي وما إليه قديماً وحديثاً* ؛ *دراسة ميدانية*.

عبد الرحيم العطاوي

**دار الصّناعة**، مؤسسة صناعية مختصة في صنع أنواع مختلفة من السفن صغيرة وكبيرة، تجارية وعسكرية. ودار الصناعة كلمة عربية الأصل انتشر استعمالها في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط، كما استعملت بصيغ أخرى منها : دار الصَّنعة بفتح الصاد وكسرها ودار الإنشاء. ومن اللغة العربية انتقل هذا المصطلح إلى لغات البحر المتوسط اللاتينية ثم حرف إلى كلمات تفرعت عن اسم مشترك بين هذه الشعوب هو : Darse أو Arsenal، وهكذا نجد : darsena في اللغة الإيطالية والقشتالية وdarsanale وdarsena في اللغة الكطلانية وTarzana في اللغة المالطية وarsenal في اللغة الفرنسية.

وقد عرف المغرب الأقصى منذ بداية تاريخه الإسلامي إنشاء مراكز لصناعة سفن التجارة والنقل الصغيرة التي كانت تجوب عبر مسافات قصيرة بعض موانئ البحر المتوسط وكذلك المحيط الأطلسي. غير أن الانطلاقة الحقيقية لإنشاء دور الصناعة الكبيرة لم تبدأ إلا مع الدول الكبرى التي حكمت المغرب في العصر الوسيط كالمرابطين وتطورت بشكل خاص وأصبح لها صيت عالمي مع الموحدين لتعرف بعض التراجع مع بني مرين ثم لتسترجع قوتها ونشاطها مع السعديين والعلويين. وأشهر دور صناعة السفن المغربية ست أنشئت بموانئ كان لها دور رائد سواء في التجارة أو في الجهاد تجاه الأندلس وباقي موانئ السواحل الأوربية المتوسطية المشهورة.

• **دار الصناعة ببادس**، حدد الوزان موقعها خارج القصبة بجوار البحر، وهي دار صغيرة كانت تصنع فيها الزوارق والسفن الشراعية والمراكب التي كان الأهالي يعتمدونها في حملاتهم وهجوماتهم على سفن النصارى في البحر، كما كانوا يستعملونها في تنقلاتهم عبر السواحل المجاورة لمدينتهم وكذلك للتجارة خاصة في المناطق القريبة. ويذكر أن الخشب الذي كان يستخدم في صناعة السفن كان يأتي من الجبال المحيطة ببادس وهو يتميز بجودته العالية وبوفرته.

• **دار الصناعة بسبتة**، وتعتبر من أقدم دور الصناعة التي عرفها المغرب حيث تزايدت أهميتها مع تزايد حيوية المدينة وخطورة موقعها الإستراتيجي مما جعلها تتعامل مع هذا المعطى على المستويين التجاري والعسكري. ولذلك اشتهرت هذه الدار بصناعة السفن التجارية والحربية التي ذاع صيتها أيام المرابطين والموحدين والمرينيين سواء في محاربة سفن النصارى بالبحر أو في نقل الجنود إلى الأندلس. وإذا كان الزمن لم يترك أي أثر لهذه الدار يحدد موقعها في المدينة فإن كتاب *اختصار الأخبار* احتفظ لنا بإشارة فريدة تفيد بأن هذا الموقع كان بمضرب الشبكة بين ما يعرف ببحر بسول وبحر الرملة.

• **دار الصناعة بسلا**، توجد بالجانب الغربي للمدينة من جهة القبلة. لم يبق اليوم من هذه المنشأة الحضارية إلا بابان

يدلان على ضخامة البناء واتساع رقعة هذا الورش البحري.

ليس من اليسير الحسم في تاريخ بناء دار الصناعة بسلا، بسبب قلة المعلومات في المصادر، وما توحي به من اختلاف أيضا. فإذا رجعنا إلى مؤرخ سلا الفقيه ابن علي الدكالي نراه يؤكد أن هذه الدار من بناء السلطان يعقوب ابن عبد الحق المريني، وأن المشرف على بنائها هو المهندس محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج الإشبيلي المتوفى بفاس سنة 714/ 1314. وهذه الرواية صحيحة في الغالب نظرا لما اشتهر به هذا السلطان من حرص على الجهاد، وقيامه بعدة جوازات إلى الأندلس. على أن أهم ما يؤكد الرواية هو ما يتصل بحادثة استيلاء القشتاليين على المدينة سنة 658/ 1260. وما بذله السلطان المذكور من جهد من أجل تحرير المدينة وطرد النصارى. وبالرجوع إلى المصادر المعاصرة لهذا الحدث، نجدها تتفق على أن المدينة لم تكن مسورة من جهة نهر أبي رقراق منذ العهد الموحدي، وأن السلطان أبا يوسف المريني قد أمر ببناء السور وشارك بنفسه في ذلك، وأن المهندس المذكور قد قام ببناء دار الصناعة، علاوة على أن السلطان أبا سعيد الأول كان قد أمر سنة 711 ببناء المراكب الجهادية بدار الصناعة بمدينة سلا.

وفي نفس الاتجاه ذهبت بعض الأبحاث الأثرية المعاصرة إلى تأكيد الطابع المريني لبابي هذه المنشأة، اعتبارا لطبيعة النقوش الموجودة عليها والكتابات المكونة من آيات قرآنية وبسملة وتصلية، وهي من سمات الفن المريني. فضلا عن كونها كانت محرمة في العمارة الموحدية.

جميع هذه الحجج تؤكد إذن الأصل المريني لما تبقى من دار الصناعة. غير أن هذا لا يمنع من إبداء رأي مكمل في هذه المسألة يتصل بإشارة غير واضحة وردت في بعض المصادر المرينية. ذلك أنه حينما تمت الإشارة إلى بناء السور الغربي لسلا على يد السلطان أبي يوسف أشير إلى أن مبتدأ ذلك كان من دار الصناعة إلى غاية البحر : "فسار في بنائه فبناه من أول دار الصناعة إلى البحر" حسبما ذكره صاحب *القرطاس*، وهي إشارة توحي بأن دار الصناعة كانت موجودة حينها بهذا المكان، وأن بناء السور الغربي للمدينة كان مناسبة ربما لبعض الإضافات من بينها البابان المتبقيان إلى اليوم.

وما دمنا بصدد الحديث عن بابي دار الصناعة فمن المرجح أنهما يمثلان منفذي هذا المرسى الداخلي. فقد أشار الفقيه ابن علي إلى أن المياه كانت تأتي من النهر بواسطة ترعة عميقة وتدخل من الباب المقابل لجامع حسان، فإذا صنعت سفينة جديدة بهذا المحل وأريد إرسالها في الوادي فتحت الترعة المذكورة فيدخل الماء وتعوم السفينة، فتخرج من الباب القبلي سابحة على وجه الماء إلى أن تقع في الوادي ولذلك ارتفع قوس الباب القبلي جدا نحو مائة قدم (حوالي 30 مترا) ليخرج المركب منشور القلاع.

ومعلوم أن الخشب المستعمل في صنع المراكب كان يأتيها من غابة البلوط بالمعمورة، وهناك إشارات أخرى تفيد بنقل أخشاب الأرز عبر نهر سبو إلى الساحل، وحرص السلطان أبي الحسن على التوجه بنفسه إلى جبال جاناته (غرب قبيلة زمور) ليباشر قطع الخشب للإنشاء. هذا زيادة على ما كان المغاربة يحصلون عليه من لوازم وقطع غيار السفن عن طريق التجارة.

تأثرت دار الصناعة بسلا، كغيرها من أماكن صنع السفن، بفتور عمليات الجهاد وضعف الدولة منذ عهد السلطان أبي الحسن. فهجرت وتوقف الاعتناء بها مما يفسر قيام السلطان عبد المالك السعدي بترميم باب المريسة وإصلاح قوسها، لكن ذلك لا يعني عودة دار الصناعة إلى سابق نشاطها، بل الملاحظ أن هذا المرسى قد أهمل انطلاقا من القرن الحادي عشر الهجري (17 م) بسبب تحول الأنشطة البحرية الجهادية إلى الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق بعد هجرة الموريسكيين واستقرارهم بالرباط. وسيقع الاهتمام بدار الصناعة من جديد في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي أراد تجديدها بواسطة بعض أهل الخبرة من الدولة العثمانية، فلما عاينوا المكان قالوا إن ذلك يتطلب عشرين سنة من الإصلاح، فتخلى عن الفكرة وقرر بناء مدينة الصويرة.

وقد تحولت دار الصناعة ابتداء من سنة 1222 / 1808 إلى حارة لسكنى اليهود الذين تم نقلهم من ملاحهم داخل المدينة لأسباب استوجبت ذلك. ومعنى هذا أن الرمال كانت قد غمرت المكان وسمحت بالبناء.

• **دار الصناعة بطنجة**، يظهر أنها كانت زمن الموحدين من أنشط الدور في إنشاء المراكب الخاصة بنقل المسافرين والبضائع سواء في اتجاه موانئ مغربية أخرى أو في اتجاه الأندلس، وقد نبه الإدريسي إلى أهمية المدينة كمركز إقلاع وحط وإنشاء المراكب.

• **دار الصناعة بفاس**، أنشأها الخليفة عبد المومن الموحدي بالموضع المعروف بالحبالات من أرض ابن عبودة التي بقرب ملتقى وادي فاس مع وادي سبو. وقد تخصصت هذه الدار في إنشاء القوارب والسفن الصغيرة عندما كان الخليفة يستعد لفتح المهدية بأفريقية سنة 552 هـ. وقد استمرت هذه الدار في نشاطها حتى في عهد بني مرين حيث نجد السلطان أبا عنان يأمر بإنشاء جفنين أحدهما شيطي والثاني شلير. ويظهر، حسب ابن الخطيب، أن هذه الدار تعرضت سنة 762 هـ لحريق مهول أتى على جميع محتوياتها. وتجدر الإشارة إلى أن دار الصناعة هذه هي الوحيدة من نوعها التي تشير إليها مصادر العصر الوسيط كدار أنشئت على واد يخترق مدينة داخلية، في حين جرت العادة أن تكون دور الصناعة في مراسي مدن ساحلية. وتفيد نفس المصادر بأن المراكب والسفن التي كانت تصنع بهذه الدار كان يلقى بها في وادي سبو لتعبره حتى تصل إلى المعمورة عند المصب وتدخل البحر المحيط لتصبح بعد ذلك جاهزة للعمل.

• **دار الصناعة بالقصر الصغير** أو قصر مصمودة، ولعل موقع المدينة الاستراتيجي على بحر الزقاق كان له دور كبير في بناء دار لصناعة السفن خاصة المراكب والزوارق والحراريق، ويتأكد هذا إذا علمنا أن المدينة كانت خلال العصر الوسيط معبرا مهما للجيوش المغربية ومحطة إقلاع للمسافرين والبضائع نحو الأندلس. وقد اعتمد نشاط هذه الدار على خشب الغابة التي تغطي جبل أنجرة القريب من المدينة.

الإدريسي، *وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية* (مقتطف من *نزهة المشتاق*)، نشر هنري بيريس، الجزائر، 1957، ص. 108 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1973، ص. 301، 398 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، ص. 94 ؛ ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، تح. أ. أعراب، الرباط، 1982، ص. 52، 61، 74، 75، 95،96، 134 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، الجزء الثاني، ص. 273 ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، الرباط، 1991، ص. 37 ؛ ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، د. ت.، ص. 435 ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت، 1988، ص. 312 ــ 317 ؛ *العبر*، بيروت، 1978، الجزء السابع، ص. 544 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1983، ص. 51 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، بيروت، 1983، الجزء الأول، ص. 322، 325 ـ 326 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 45، 288 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1955، الجزء الثالث، ص. 22 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، الرباط، 1986، ص. 63 - 67 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1979، ص. 76، 77، 78 ؛ *العلوم والآداب والفنون*، الرباط، 1977، ص. 253 - 255 ؛ ع. الهادي التازي، *الأسطول المغربي عبر التاريخ*، *مجلة البحث العلمي*، الرباط، العدد 33، نونبر 1982، ص. 15 - 47 ؛ ع. سالم وأحمد مختار العبادي، *تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس*، بيروت، 1969.

*Encyclopédie de l'Islam*, Nouvelle édition, Leiden, 1977, T. 2, pp. 132 - 134 ; M. Lombard, *Arsenaux et bois de marine dans la Méditerranée musulmane (VIIe - XIe s.)*, dans *le navire et l'économie maritime du moyen âge au XVIII siècle*, Travaux du 2ème colloque international d'histoire maritime, Paris, 1958 ; H. Terrasse, *Les portes de l'arsenal de Salé*, *Hesp.*, 1922 ; G.S. Colin, *Fès, port de mer*, *B.E.P.M.*, n° 183, 1945 ; R. Dozy et W.H. Engelmann, *Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe*, Beirut, 1974 ; G. B. Pellegrini, *Terminologia marinara di origine araba in italiano e nelle lingue europee*, in *La navigazione mediterranea nell Alto medioevo*, Settimane di studio del centro italiano di studi sull' Alto medievo, XXV, Spoleto, 1978, Tomo secondo.

رشيد السلامي ومحمد فتحة

**دار الضمانة** لقب لمدينة وزان بعد أن اتسعت وكثر عمرانها حين استقر بها مولاي عبد الله الشريف العلمي اليملحي وأسس بها زاويته الشهيرة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م). وبذلك أصبحت مدينة وزان نقطة التقاء لقبائل بني مسارة من الشرق، ومصمودة من الغرب والجنوب، واغزاوة ورهونة من الشمال. وغدا زوار مولاي عبد السلام ابن مشيش والتجار القادمون من داخل المغرب وجنوبه في اتجاه الشمال، أو العائدون منه، يخترقون مجال زاوية وزان ويسيرون في حماية دار الضمانة.

بالإضافة إلى موقع وزان عند قدم جبل بوهلال الذي أعطاه ميزة خاصة في الامتداد السكاني وتطوره اقتصادياً وعمرانياً. وشجّع شيوخ وزان الاقتصاد بهذه المدينة، وسمح سيدي أحمد بن علي الشيخ السادس للزاوية باستقرار اليهود فيها تنشيطاً لحركة التجارة، فكان تجار اليهود يعيشون بأمان في وزان دار الضمانة.

وبمزيد انتشار نفوذ زاوية وزان في أرجاء المغرب وخارجه، اتسع مجال دار الضمانة وشمل حتى نزاعات القبائل وتمردها على المخزن، فكان اللجوء إلى شرفاء وزان (دار الضمانة) من هذا الطرف أو ذاك لإصلاح ذاك البين وإعادة المياه إلى مجاريها.

ح. الطاهري، *تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان*، ط. حجر فاس، 1324 ؛ ع. الله الوزاني، *الروض المنيف في التعريف بأولاد مولانا عبد الله الشريف*، مخطوط؛ العياشي السربوت، *دار الضمانة*، *مجلة أبعاد فكرية*، ع 2، 1989.

G. Drague, *Esquisse*, Paris.

العياشي السربوت

**دار الطراز**، أو دار الديباج، وهي مشغل ووظيفة مخزنية خاصة بالملوك، وقد كانت لعظماء الملوك منذ التاريخ القديم صناعة خاصة بملابسهم وأثوابهم ؛ وانتقلت هذه الوظيفة في العهد الإسلامي مع تعديل في زخارف الأثواب والألبسة فبدل صور الملوك أو الأشكال والصور المعينة أدخل ملوك الإسلام على منسوجاتهم وملابسهم أسماء وحكماً وكلمات مميزة، وقد كلفوا بهذه الخطة أو الوظيفة أقرب الناس إليهم أو من حظي بثقتهم وعرف في العصر الوسيط بصاحب الطراز ( *العبر*، ج. 1 ؛ *المقدمة*، 266 و267) وكانت مهامه تنحصر في الإشراف على العمال وأجورهم وصيانة الآلات والأدوات وإصلاحها وتوفير المواد التي تدخل في النسيج من صباغ وصوف وكل ما تحتاجه المهنة. عرفت الدولة الإسلامية في المشرق هذه الوظيفة وعرفتها الدولة الأموية بالأندلس وملوك الطوائف ؛ ومن الملاحظ عند استعراض الدول مشرقا ومغربا وعند النصارى أن دور الطراز كانت تحظى بعنايتها بل وتحرص على تكوينها فهي من أبهة الملك، وكما قال ابن خلدون في *المقدمة*، ص. 267 : "...كان ذلك في الدولتين من أبهة الأمور وأفخم الأحوال".

لم تتخذ الدولة الموحدية في المغرب، وهي في عظمتها، دار طراز لا لسذاجتها كما قرر ابن خلدون وتشددها

الديني، ولكنها دولة انبنت على القوة ومحاربة التبذير والبذخ (*البيان المغرب*، 144 و145) والميل إلى الخشونة في المأكل والملبس والمظاهر، ويلاحظ ذلك في آثارهم وما تركوه من مباني (الكتبية بمراكش وصومعة حسان بالرباط كنماذج).

وفي عهد بني مرين تم إحداث هذه الوظيفة خاصة في الفترة الأولى وهي فترة القوة والشموخ متأثرين في ذلك بملوك بني الأحمر في غرناطة (*المقدمة*، 267). ولأخذ فكرة عن مكونات دار الطراز أو محتوياتها فقد عاصر ابن الخطيب مثل ابن خلدون فترة من فترات قوة المرينيين وعظمتهم. ويصف ابن الخطيب حرائق نشبت في القصر السلطاني بفاس المعروف بقصر أبي قير أتت على المخازن وامتدت إلى دار الطراز. يقول ابن الخطيب في (*نفاضة الجراب*، 273) : "...اتصلت بدار الديباج فالتهمت من الحديد والأثواب وآلات النسيج وضخام المناول وألواح الرسوم وحبال التمويح وعقار الصبغ وغزل الذهب ما لا يأخذه الوصف".

ومن الأسباب الأخرى التي لم يذكرها ابن خلدون والتي جعلت كبار سلاطين بني مرين يهتمون بدار الطراز، شيوع الاحتكار التجاري وتعاطي بعض السلاطين وأشياخ بني مرين وموظفيهم الكبار له، وكانت المنسوجات الرفيعة من أهم سلع التبادل التجاري مع السودان وغيره من البلدان أي أنها كانت سلعة لجلب الذهب، إضافة إلى اهتمام المرينيين بالعلاقات الخارجية مع الدول الإسلامية وغير الإسلامية، وتوجيه هدايا فاخرة إلى حكامها ومن ضمنها المنسوجات (*القرطاس*، 387 ؛ *المسند*، 193 و452).

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 1 ؛ *المقدمة*، بيروت، د. ت. ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، بيروت، 1948 ؛ ابن الخطيب السلماني، *نفاضة الجراب*، تح. أ. مختار العبادي، القاهرة، د. ت. ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن مرزوق التلمساني، *المسند الصحيح*، الجزائر 1981.

محمد حجاج الطويل

**دار ابن العامري**، "مركز فلاحي حديث من المراكز الهامة ببني حسن في منطقة الغرب. يقع على ضفة وادي بهت على بعد 50 كلم من الخميسات و8 كلم من سيدي سليمان. تزدهر به فلاحة البساتين والحوامض، وبه عدة ضيعات نموذجية" بهذا عرّفه الصديق بن العربي في كتابه *المغرب*. واشتهر مركز دار بن العامري أكثر بمعامل تقطير الزهر (زهر الليمون) وتعليبه في قنينات مختلفة الأحجام تغطي الأسواق المغربية في جميع الجهات.

تنسب دار ابن العامري إلى القائد محمد بن العامري عامل السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام على وجدة، وهي أهم العمالات في ذلك العصر لموقعها على الحدود مع الجزائر التي احتلها الفرنسيون آنذاك. وقد ورد اسم ابن العامري في بعض المعاهدات المبرمة بين هذا السلطان وفرنسا.

ص. بن العربي، *المغرب*، ط. 2، بيروت، 1984 (ص. 129) ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 5 : 159 و228.

محمد حجي

**دار العدة** بفكيگ، عبارة عن خزانة علمية كبرى، أسسها الشيخ الإمام عبد الجبار بن أحمد بن موسى البرزوزي الذي عاش ما بين (820 ـ920 هـ). وهي خزانة علمية خصص لها داراً بجانب مسجده وجعل نواتها ما كان قد اجتمع بين يديه من مصنفات في مختلف ميادين المعرفة آنذاك، جمعها خلال مدة دراسته وجولاته بين مختلف مدن المغارب، كفاس وتلمسان وبجاية والقيروان ومن مصر وغيرها. ولم يطلق عليها اسم "دار العدة" اعتباطا بل كان يعي أن طالب العلم والباحث عن المعرفة يحتاج إلى عدة من كتب يعتد بها كما يحتاج المحارب إلى عدة السلاح والزاد للحرب والمواجهة. ولا يمكن أن تكون دار العدة في مستوى ذلك الوصف إلا إذا كانت عامرة بكل ما يروي نَـهَـم الطالب والعالم الباحث في زمانه. وقد تطورت محتويات هذه الخزانة بما أضافه أبناؤه وحفدته من بعده، سواء بما صنفوه وألفوه من كتب ومذكرات أو بما جلبوه إلى خزانتهم أثناء جولاتهم الدراسية، خاصة منهم أبناءه العلماء الثلاثة : محمد وأحمد وإبراهيم، وحفيده أبا القسم بن محمد وغيرهم.

ومن جملة المخطوطات التي ألفها الإمام عبد الجبار وبنوه وأضيفت إلى خزانتهم على سبيل المثال : *تفسير القرآن* في اثني عشر مجلدا، و*مختصر حياة الحيوان*، و*روضة السلوان* وهي *أرجوزة في علم الصيد* لابنه إبراهيم، و*نظم مختصر الشيخ خليل* لحفيده أبي القاسم بن محمد، وكتاب *الحاوي المنوط بالفتاوي* له أيضا، وكتاب *الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد* كذلك.

ومما يدل على حجم هذه الخزانة وأهميتها ليس فقط في ذلك المجال الصحراوي فحسب بل على مستوى الخزانات المغاربية، شهادات عدد من الرحالة الحجاج العارفين والعلماء الزائرين ممن قصدها للاطلاع على كنوزها العلمية، منهم مفتي الجزائر الشيخ سعيد قدورة (ت. 1066/ 1656). وأبو سالم العياشي في طريقه إلى الحج عام 1072 /1662. لكنه لم يتيسر له الدخول إليها معلقا على ذلك : "...وطلبت الدخول إلى خزانة كتبهم فلم يتيسر لغيبة الذي عنده المفتاح". كما زارها شيخ الزاوية الناصرية أحمد بن ناصر الدرعي عندما مر بفكيگ إلى الديار المقدسة عام 1096 وعام 1121 وقد أبدى إعجابه وأسفه في نفس الوقت مما رأى حيث يقول : "... ورأيت عندهم (آل عبد الجبار)

كتبا غريبة وهي إلى الاندثار قريبة". وأبدى الهشتوكي نفس الانطباع صحبة شيخه أحمد ابن ناصر بقوله : "ودخلنا إلى خزانتهم العظيمة وتبركنا بها ورأينا فيها كتبا غريبة، غير أنها لعدم من يعتني بها للاندثار قريبة".

ولم يكن نقصان ما بالخزانة من كتب بسبب الإهمال وإفساد الأرضة فحسب بل كان بعض أفراد أسرة آل عبد الجبار يأخذون منها الكتب من حين لآخر لبيعها خارج البلدة الفكيكية، وهذا ما حدا بفقيه منهم اسمه عبد القادر بن محمد بن عبد الجبار أن يطلب من القاضي محمد بن إبراهيم بن عبد الجبار الجمالي الودغيري تحرير وثيقة وقف، لما بقي من كتب الخزانة سواء ما كان باقياً بدار العدة نفسها أو ما تم جمعه من أفراد الأسرة وغيرهم وإرجاعه إلى الخزانة. وقد جاء في رسم الحبس الذي كتب في أواسط ربيع النبوي عام 1165 ما يلي :

"... هذا وإن ما جمعه الوالد المذكور (الإمام عبد الجبار) وأولاده في صدر القرن العاشر من خزانة الكتب بدار العدة المشهورة ببلاد فجيج من أجل خزائن المدن وأكبرها وليس الخبر كالعيان حبسٌ على من ينتفع بها من الذرية وغيرهم بالنظر فيها والانتساخ منها إن كان أهلا لذلك ثم ترد بعد ذلك لمحلها، معقّبٌ مؤبد ووقفٌ صحيح مخلد لايباع ولا يورث حسبما شهد به الجم الغفير (...) من أهل بلدة فجيج خلفا عن سلف".

ورغم هذا الجهد المبذول لجمع شتات هذه الخزانة العلمية العظيمة، فإن ذلك لم يمنع محمد بن عبد السلام بن ناصر شيخ الزاوية الناصرية الذي زارها في طريقه إلى الحج عام 1196/ 1781 أن يقول عنها : "كانت لهذا الإمام (العلامة عبد الجبار) وبنيه من بعده خزانة كتب عظيمة احتوت على دواوين غريبة ثم تلاعبت بها أيدي الحدثان (...) فتفرقت شَذَرَمَذَر حتى لم يبق منها إلا الأثر". وبالفعل اندثرت هذه الخزانة وتفرقت شذرمذر ولم يبق منها غير الأثر حسب تعبير ابن ناصر الدرعي، ويتمثل هذا الأثر الآن فيما يقارب الأربعين أو الخمسين مخطوطا بعضها كامل والبعض الآخر عبارة عن أضابير وأوراق متناثرة يحمل بعضها عناوين كتب مفقودة لا أثر لها. وقد تم جمع هذا الأثر منذ بضع سنين في خزانة خشبية بضريح العلامة عبد الجبار كشاهد على هذه الخزانة الجليلة المقدار التي كانت في فترة من فترات التاريخ المغربي منارة للعلم في الجنوب المغاربي.


أبو سالم العياشي، *ماء الموائد* (رحلة العياشي)، ط. حجر فاس ؛ أحمد بن ناصر الدرعي، *الرحلة الناصرية*، ط. حجر فاس ؛ أ. الهشتوكي، *هداية الملك العلام*، مخطوط خ. ح. ؛ م. بنعلي بوزيان، *واحة فكيگ*، 1987 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية*، 1977 ؛ *وثائق خاصة*.


أحمد مزيان

**دار عْديـل** بفاس، تقع بحومة المعادي في فاس القديم (فاس المدينة). ويرجع تاريخ تأسيسها إلى أواسط القرن الحادي عشر (17 م) ( *الإتحاف*، ج. 2، ص. 126). وكانت أسرة عْدِيـل التي شيدت هذه الدار تتولى عادة أمانة جباية مكوس فاس. وكانت إدارة هذه الأمانة، قبل عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 ـ 1790) تتمركز في فندق النجارين القريب من ضريح المولى إدريس الثاني (*L'organisation des finances au Maroc*, p. 223). إلا أنه بعد نكبة الحاج الخياط عْديل وإخوانه على عهد هذا السلطان صودرت أموالهم ودارهم لفائدة المخزن. ومنذ ذلك التاريخ انتقلت أمانة جباية المكوس من فندق النجارين إلى دار عديل (*L'organisation des finances au Maroc*, p. 223).

وفي عهد الحماية استغلت هذه الدار في مآرب إدارية متنوعة. فقد تحولت إلى سجن لتأديب العصاة من أهل فاس في مرحلة، ثم تمّ تحويلها في مرحلة لاحقة إلى وكالة بنكية، وبعد ذلك أصبحت مقراً ومخفراً للشرطة (رواية شفوية). وتعتزم وزارة الثقافة الآن استغلالها كمرفق لتدريس الموسيقى الأندلسية حيث بدأت الاستعدادات الأولية لتحقيق ذلك.

تتكون دار عديل من طبقين فسيحين في غاية من الجمال المعماري. وقد تم ترميمها سنة 1419 الموافق 1998 بالتعاون بين وزارة الثقافة ومنظمة اليونسكو وبتمويل من الحكومة الإيطالية، وتم تدشينها يوم فاتح ذي القعدة 1419 الموافق 18 فبراير 1999 ( *لوحة تذكارية توجد بمدخل دار عديل*).


ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الجزء الثاني، الرباط، 1930.

E. Michaux-Bellaire, *L'organisation des finances au Maroc*, *A.M.*, Vol. XI, 1905.


العربي اكنينح

**دار العسكري**، في 13 مارس 1935، أسس المارشال فرانشي Franchet d'Espérey بباريس "لجنة الصداقة الإفريقية"، ذات صبغة جمعوية على شاكلة هيئات الصليب الأحمر. وحددت أهدافها في تقديم الدعم المادي والمعنوي للمنخرطين في سلك الجندية الفرنسية سواء كانوا فرنسيين أو من أبناء المستعمرات...

واهتمت هذه اللجنة بقضية قدماء المحاربين المغاربة، فأنشأت لهذا الغرض سنة 1936 مؤسسة "دار العسكري"، وهي مؤسسة وسيطة اهتمت بقضايا هؤلاء وتابعت وضعياتهم... وكانت في نفس الوقت أداة تنفيذية للأعمال الاجتماعية على المستوى المحلي. وفي نفس السنة فتحت بعض ديار العسكري أبوابها في مدن فاس ومكناس وتازة... ثم شملت منذ سنة 1937 مدنا أخرى كالرباط والدار البيضاء والقنيطرة والصويرة ووزان وميدلت... وفي

15 دجنبر 1937، كان عدد المسجلين بهذه الديار : 4.632 عسكريا. واهتمت هذه المؤسسة بتوفير المعلومات العسكرية والإدارية والقانونية... مع تقديم الإرشادات الضرورية والإسعافات الطبية والمساعدات الغذائية والمدرسية لفائدة قدماء الجنود وعائلاتهم، دون أن تفصح في ذلك عن أغراض سياسية أو طائفية. وعملت هذه المؤسسة كذلك على تشغيل قدماء المحاربين، كلما أتيحت الفرصة، في أوراش العمل المختلفة. وفي هذا الإطار تم التنسيق مع البلديات ومكاتب المراقبة المدنية لتوفير الشغل لهذه الشريحة، وتقديم الخدمات الصحية لأعضائها بالمجان. كما ارتبطت بعلاقات تنسيق وتعاون مع بعض المصالح الاجتماعية كاللجان المحلية للصداقة الإفريقية والمكتب المغربي لقدماء المحاربين ولجنة الصليب الأحمر والمصلحة الاجتماعية للجيش... وشكلت هذه المصالح طرفا ممولا لمؤسسة "دار العسكري".

وبلغت عدد أيام العمل الممنوحة لقدماء المحاربين : 64.259 يوم عمل، بمبلغ إجمالي قدر بـ : 364.600 فرنك، مع تقديم 700 وجبة من الحساء يوميا. وفي سنة 1952، بلغ عدد قدماء المحاربين بالمغرب : 140.000 محارب. وبلغ عدد ديار العسكري 28 داراً في سنة 1954، انخرط فيها 112.000 عسكري. وفي سنة 1955 ارتفعت نفقاتها إلى 40 مليون فرنك.

كان يشرف على التسيير الإداري والمالي لكل "دار عسكري" : مدير وكاتب ومحاسب... وكانت بناياتها تتمركز بالثكنات العسكرية أو بالإدارات التابعة للمراقبة المدنية. وفتحت دار العسكري أبوابها لجميع أصناف العسكريين المغاربة بغض النظر عن رتبهم وعن نوع الجندية التي كانوا يمارسونها، وبغض النظر عن نوع تقاعدهم ومعاشهم...

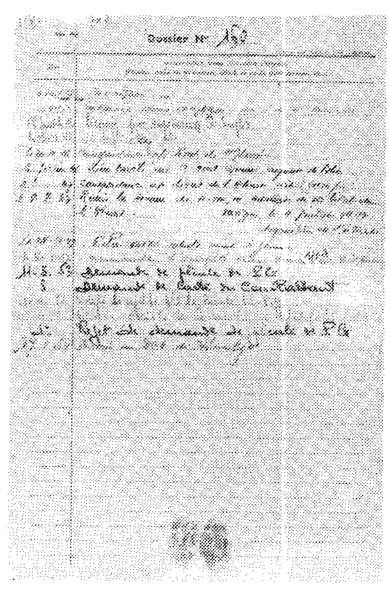

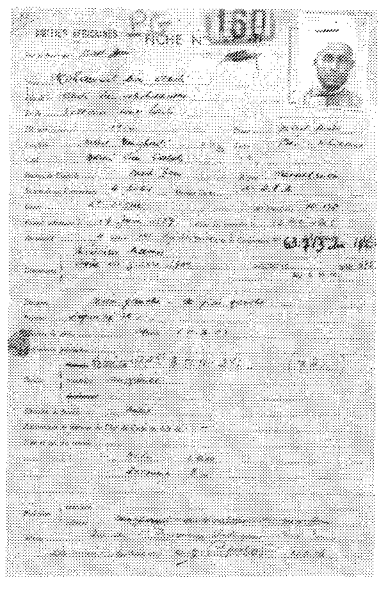

ووضعت لكل منخرط جذاذة تضمنت رقما خاصا، واسم المدينة التي تنتمي إليها دار العسكري، وصورة للمنخرط ومعلومات شخصية حوله، كالاسم والعنوان ورقم البطاقة العسكرية ونوع المعاش والحالة العائلية، ونوع الوظيفة العسكرية والأقدمية... كما منحت للمنخرط بطاقة تعريف خاصة. وكانت دار العسكري تحتفظ في أرشيفاتها بملفات هؤلاء العسكريين وتتضمن كل الوثائق التي تهم المنخرط ووضعيته وجميع مراسلاته...

وخضعت ديار العسكر المحلية لنيابة جهوية وجد مقرها المركزي بمديرية الشؤون السياسية بالرباط. ولعب النائب الجهوي دور المنسق بين هذه الديار ودور المفتش لها، وفي نفس الوقت لعب دور الوسيط بين لجنة الصداقة الافريقية بباريس وديار العسكري بالمغرب.

بعد الاستقلال، تراجع دور ديار العسكر سنوات، إلى أن توقفت سنة 1965 بسبب صعوبات مختلفة كتلك التي تتعلق بالكفالات والتعويضات.

*Bulletin d'information et de documentation du Maroc,* Mercredi 15 décembre 1937 ; P.L. Sebault, *Les amitiés africaines et les Diar el Askri du Maroc, C.H.E.A.M.*, n° 717 ; Col. Serieyx, *L'œuvre des amitiés africaines, la Nouvelle Revue Française d'outre-mer*, n° 6, Juin 1955.

صالح شكاگ

**دار الفارس**، تقع بدكالة وراء الجرف الأصفر، كانت مثل قرى سايس وتَارْتير تابعة لقبيلة مشنْزاية البربرية، وهي ميناء صغير كان يُصدر منتجات محلية، ومنه أخذ البرتغاليون قبل احتلالهم لمدينة أسفي يقتنون الحبوب، كما كانوا يفعلون ذلك في الموانئ الصغيرة الأخرى التي كانت تزدحم فيها مراكبهم. يقول الرحالة البرتغالي بَرْبرا : "يوجد هنا كثير من القمح والشعير، وغالبا ما تأتيها السفن لشرائها...". وتؤكد بعض الإيصالات هذه الحقيقة. وكان الوسطاء يدفعون سلعا مستوردة مقابل تلك الحبوب.

وفي سنة 1502 وعد يحيى الزيات الذي تم طرده من أسفي في سنة 1498 البرتغاليين بتسليمهم ميناء دار الفارس مقابل إعطائه السلطة على قبائله قرب أسفي، ولكنه خاب في مسعاه.

وبعد أن رفعت القبائل الحصار الذي ضربته على مدينة أسفي في سنة 1510، طلب سكان مدينة الغربية الأمان من القبطان البرتغالي، لكنه رفض هذا الطلب، فالتجأوا إلى الحاخام أبرهم ليشفع لهم لدى الملك، ولكنه استغل خوفهم ليطلب منهم التنازل للملك عن حصن تارتير وميناء دار الفارس.

أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*.

R. Ricard, *La côte atlantique.*

محمد الشياظمي

**دار القاضي** أو دار الحاج علي نْ القـاضـي بـحاحة، اشتهرت محلياً بـالأمازيغية (تيكمّي ن لـوضـاَ) أي دار السهل لأنهـا حصن صغيـر يقع في سهل منبسط تحيط بـه جبال عريضة بمثابـة أسـوار حول حمى الحصن الذي يشـرف على السهـول والربى المجاورة شرقي الطريق الرئيسيـة بين الصويرة وأگادير عند نقطة مـركز سميمو على بعد حوالي 40 كلم جنوب الصويرة.

هذا الحصن الشهير بحاحة الشمالية بـ (دار القاضي) أو (تكمي ن لوضـا) تعود أسباب شهرتـه إلى أنه كان مسـرحا لأحداث مؤلمة ظلت منقوشة في الذاكرة الشعبية بعضها وقع في عهـد الحسن الأول والبعض الآخـر ارتبط بـأول زحف للجيـوش الفـرنسيـة على منطقـة حـاحـة في اتجاه سـوس والجنوب.

ذلك أن هذه الدار المنيعة بأسوارها كانت من بنـاء أسرة الحاج علي نْ القاضي الـذي تـولى قيـادة قبيلـة ايداوسـارن الحاحية في أوائل عهد السلطان الحسن الأول، ولكنه سرعان ما تعرض لهجمات جاره القائد مبارك أنفلوس الطموح إلى أن يجمع كل قبـائل حاحة الاثنتي عشرة تحت نفوذه وحده دون غيره ممن وزع عليهم السلطان الجديد تركة القائد الكبير الحاج عبد الله أُبهي الحاحي الذي امتد نفوذه على حـاحة كلها وسوس فأصبح يهدد السلطة المركزية.

وعندما اشتد الصـراع بين صـاحب الدار الحاج علي نْ القـاضي ومنافسـه القـائد مبـارك أنفلـوس أمـر السلطـان بـالقبض عليهمـا والزج بهمـا في السجن إلى الأبـد، وهنـاك توفي صاحب الدار الحاج علي ن القاضي عام 1299 / 1881 وتعرضت أسرته للضيـاع والتشرد فـأصبحت الدار خـالية لا يسكنهـا إلا البـوم. وبعـد ثلث قـرن من التهميش والنسيـان قفـزت دار الحاج علي نْ القـاضـي إلى صـدارة الأحـداث التـاريخيـة في المغرب وفرنسا سنة1331 / 1912 وكتبت بأحرف بارزة في مقدمات الصحف الباريزية والدولية بعد ما تمت محاصرة قبـائل حاحة للجيـوش الفـرنسيـة الزاحفـة من مدينـة الصويرة إلى مـدينة أگادير قرب هذه الـدار الحصينـة، وعندمـا أقبل الليل واشتد الحصـار على الفـرنسيين الـذين كـانـوا ينتقلـون بعـربـات تجرهـا الخيـول، فلم يجدوا بـدا من الدخول إلى هذا الحصن كملجأ يقيهم من ضـربـات الأهـالي التي تنهال عليهم من كل الجهات بعد ما تخلى عنهم القائد محمـد أنفلـوس الـذي وعـدهم بأن يسـاعـدهم ويحميهم حتى يصلوا إلى مينـاء أگادير لوقوع سوء تفاهم بينهم. بل أرسل رسله إلى القـواد والقبـائل يحثهم على استنفـار المجاهـدين ضـد النصارى لمحاصـرتهم بـدار القـاضي. فصـار المنـادون ينادون في الأسواق لحث النـاس على الجهاد بدار الحاج علي ن القاضي. ودام هذا الحصار من يوم 17 / 12 / 1912 إلى يوم 24 / 12 / 1912. ثم استمر القتال بين المجاهدين بقيادة القـائد محمـد أنفلـوس النكنـافي والقـائـد عبـد الرحمـان الگيلولي من جهة وبين الفرنسيين بقيادة (اليوتنان البيرت) والقبطان مـا سـوتي ومن معهم من قـواد الحوز الموالين لهم كـالقـائـد عبـد المالك المتوگي والقـائـد خبّـان والأگـلاوي وغيرهم كثير.

وقد اضطرت الجيوش الفرنسية أثناء الحصار بداخل هذه الدار إلى ذبح الخيـول لأكل لحومها وامتصـاص ما تبقى في بطونها من مـاء لإطفاء جمرة عطشهم القاتل، وذلك قبل أن تقوم الطائرة بإمدادهم بما يحتاجونه من طعام وشراب ترميه من السماء فـوق الحصن المطوق من كل جهـة، وقد سقط في معـركة دار القاضي الشهيـرة عدد كثيـر من قتلى الجانبين. قدر الفرنسيون ضحـاياهم بـ 76 قتيلا وأكثـر من ذلك سقط من المجاهـدين الأهـالي. وقد حـرص الفرنسيـون على إقامـة نصب تذكاري لجندية فرنسية مـاهرة في الرمايـة تمكن أحد المجاهــدين الحاحيين من قتلهـا رميـا وهي داخـل الحصن فدفنت بمكان مصرعها وفوق قبرها على جدار الحصن رخامة بيضـاء كتب عليهـا اسمهـا. إلا أن هـذه الـرخـامـة تعـرضت للكسـر والإتلاف فلم يبق إلا مكـانهـا وأخبـارهـا يـرويهـا الرواة.

وكان حرص الشاعر الشعبي الحاحي المدعو إيشّـو قـوياً على تخليد هذه المعركة بما نظمه من أشعار نضالية تـحثُّ على الجهـاد مـازال معظمهـا متـداولاً بين النـاس بـاللسـان الأمازيغي كقوله :

1 ـ تيكمي لوضـاءا غ ئيگا وورومي تاغويّتْ
2 ـ ئيشّا مضْروسْ، ئيشّا گيسْ تيفيّ ن ئيسَانْ
3 ـ تامونت ايركازن زرع أسيف ئيمون

ترجمة لتقريب المعنى :

1 ـ في دار السهل يصرخ النصراني مستنجداً
2 ـ وفيها اضطرّ إلى أكل الجيف من الخيول
3 ـ اتحدوا يـارجال، فإني رأيت عظمة النهر في تجمُّع مياهه

محند أيت الحاج، *مظاهر الحياة الثقافية بحاحة وايداوتنان خلال القرن 14*، د. د. ع. مـرقـون ؛ *تقارير بعض الضباط الفرنسيين محفوظة بدائرة تمنار حول هذه الأحداث* ؛ م. المختـار السـوسي، *المعسول*، ج 3، ص. 407.

محند أيت الحاج

**دار القايد التونسي**، موقع بدكالة يقع على بعد 90 كلم جنوب شرق مدينة الجديدة و13 كلم جنوب مـركز أربعـاء العونات وستة كلمترات غرب الزاوية التونسية.

وقد أخذ هذا الموقع شهرته من محطة القطار التي كانت موجودة به خلال السنوات الأولى من فترة الحماية، زمن أول خط للسكك الحديدية بـالمغرب، والمعروف بالخط العسكري أو الخط الضيق. وقد بـدأت عملية تشييـد شبكـة السكك الحديـديـة العسكريـة انطلاقـا من الدار البيضـاء في اتجاه مراكش سنة 1911، حيث وصلت إلى دار القـائد التـونسي سنة 1915.

واعتبرت محطة دار القائد التونسي، آنذاك، نقطة التقاء بين الدار البيضاء ومراكش وبين الجديدة عبر سيدي بنور. ومازالت هناك، حاليا، بقايا قنطرة على وادي الفارغ انطلاقا منها كان يتفرع الخط في اتجاه سيدي بنور، إضافة إلى بقايا خزان ماء مازال تاريخ بنائه منقوشا عليه (28/ 11 / 1919). وبالقرب من هذا الخزان توجد بقايا منازل مهدمة تحمل طابعا معماريا فرنسيا، تبرز من بينها دار رئيس المحطة ودار رئيس ثكنة، وغير بعيد عنها بقايا مصنع للحَلْفاء.

إضافة إلى هذا ارتبط هذا الموقع باسم القائد سيدي أحمد التونسي الذي عينته فرنسا سنة 1912 قائدا على قبيلة العونات والذي كان، آنذاك، زعيما للزاوية التونسية، التي تأسست في بداية القرن الثاني عشر (1126/ 1714)، من طرف الشيخ التونسي بن مبارك الذي ينتسب إلى قبيلة بني سبع بمنطقة الحوز والمتلمذ على سعيد أحنصال مؤسس الزاوية الحنصالية.

*تحريات ميداينة.*

E. Bouasla, *La zaouia tunisienne des Doukkala, Histoire sociale et économique* (XVIIIe - XXe siècles), *H.T.*, vol. XXVIII, 1990 ; J. Bouquerel et F. Joly, *Chemins de fer, Atlas du Maroc, Notices explicatives, Section Géographie Economique* ; *Voies de communication, Planche n° 44a*, Comité de Géographie du Maroc, Rabat, 1955 ; M. Michaux-Bellaire, *Villes et tribus du Maroc*, Vol. 10, *Région de Doukkala*, tome 1 : *Les Doukkala*, Paris, 1932.

إسماعيل خياطي

**دار القايد الحاجي** أو قصبة الحاجي، أحد المعالم التاريخية والعمرانية بإقليم أسفي. صادف بناؤها تاريخ تعيين أول قائد من أسرة الحاجي المسمى "سليمان البيري السباعي"، الذي شغل في ذات الوقت منصب باشا مدينة الصويرة. وحسب ما توصلنا إليه، فإنها لعبت أدوارا هامة، سياسية، واجتماعية، ودينية، خلال النصف الأول من القرن الحالي.

عندما نتحدث عن دار القائد الحاجي نقصد ذلك التجمع العمراني المحصّن بسور، له مدخلان رئيسيان "النخيلة والبئر"، كما كان يطلق عليهما زمن القائد، يؤديان إلى وحدات عمرانية وتجهيزات مرفقية متميزة بأقصى الجهة الجنوبية لإقليم أسفي. وبداخل الدار يوجد المسجد وكتّاب كان يُدرس فيه القرآن للأطفال وقسم للزاوية التجانية، كان يتلو فيه المريدون الأوراد، ثم المنصة المرمرية التي كانت تتخذ مكانا للقضاء يستقبل فيه القائد شكايات سكان القبائل التي كانت تدخل في حوزته، ثم هناك مجموعة من المرافق المرتبطة بالدار، كمطبخ كبير يضم أفرنة مختلفة الأحجام كان يشتغل به حوالي ثلاثين خادمة، وحمامات تقليدية وتسعين خزانا أرضيا للحبوب، ثم رباط للخيل يسع حوالي خمسين حصانا، ومطحنة تقليدية مصنوعة من الحجر الصلب تديرها الدواب، ومخزن لزيت الزيتون. هذا فضلا عن الشكل المعماري المتميز الذي توجد عليه مجموعة الدور التي تتكون منها دار القائد الحاجي، وبإحداها تبدو الرياض التي أعد تصميمها بطريقة تتلاءم مع عاداتنا الإسلامية، وحجرة الضيوف التي تكون قريبة من المدخل، وحجرة أخرى بالداخل يظهر أنها كانت مخصصة لاستقبال الضيوف طولها عشرة أمتار وعرضها حوالي ثلاثة أمتار أحيطت "بمضرّبات" محشوة بالصوف الخالص، أغلفتها مازالت تحتفظ بألوانها الزاهية، وفي الوسطى فرشت زربية يظهر أنها من صنع محلي، وبالداخل تشكل بقية الحجرات محاطا يتوسطه فناء واسع تحيط به الأبهاء المرفوعة بالسواري المكسوة بالزليج الملون مع وجود طابقين بهذه الدار زينت بعض غرفها بنوع من النقوش المعروفة في تاريخ العمارة الإسلامية.

وقد عرفت دار القائد الحاجي قبل الحماية وبعدها بمحافظتها على الشخصية المغربية. وشاركت في الحركة الوطنية بما كانت تقدمه من مساعدات مادية ومعنوية للوطنيين مثل ما قدمه القائد أحمد الحاجي من سلاح ومؤن للثائر أنفلوس، مما تسبب في نفيه بمدينة الصويرة بعدما تبين للمستعمر الفرنسي تضامنه الوطني، كما كان الاتصال على أشده بين القائد والسلطان بواسطة الرسل، أو عن طريق الاتصال المباشر، وأعدت المواطنين للانخراط في العمل الوطني.

ومن الشخصيات العلمية التي زارت هذه الدار نذكر : محمد المختار السوسي، الذي خصها بالحديث في أحد مؤلفاته، والمؤرخ عبد الرحمان بن زيدان وشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، وفقهاء آخرين من جامع القرويين بفاس ومن جامع ابن يوسف بمراكش...

ولا يفوتنا الحديث عن الجانب الترفيهي الذي كانت تمثله هذه الدار، حيث كانت تتوفر على جوق نسوي للموسيقى الأندلسية، يقوم بإحياء الحفلات، وجدير بالذكر أن هذا الجوق كان في معظمه يتكون من النساء منهن ريحانة والطرينجة وعود الصباح الخ، وكان يرأس هذا الجوق رجل يدعى أبا هشوم من مراكش.

*تحريات ميدانية.*

علال رگوگ

**دار القيطون** بفاس، تقع بجوار جامع الشرفاء المقابل لباب الحفاة من ضريح المولى إدريس الأزهر. ذكر ابن أبي زرع في سبب بناء هذه الدار أن المولى إدريس أسس أولاً عدوة الأندلس عام اثنين وتسعين ومائة (808 م) وأدار بها السور واستقرّ بها، ثم شرع في بناء عدوة القرويين في سنة ثلاث وتسعين، وكان موضعها شعراء وغياضاً ملتفة فبقي يقطع الشجر والخشب ويبني في موضعه، وأعجبه ما رأى

من كثـرة العيـون فيهـا وتـدفق الأنهـار، فـانتقل مـن عـدوة الأندلس إليها، ونزل منها بموضع يعرف بالمقرمدة، وضرب فيه قيطونه، وأخذ في بناء الجامع وهو المسجد المعروف الآن بجامع الشرفاء وأقام فيه الخطبة ثم أخذ في بناء داره المعروفة الآن بدار القيطون التي يسكنها الشرفاء الجوطيون من أولاده" (ص. 38).

والجوطيون الذين يشير إليهم ابن أبي زرع هم الطالبيون المنسوبون إلى جدهم يحيى الثاني الجوطي حفيد إدريس الأزهر. الذي خرج في غمرة محنة الأدارسة بعد انقراض ملكهم من فاس إلى جوطة، وهي مدينة مندثرة كانت تقع على الضفة الجنوبية لوادي سبو في بلاد الخلط.

وكان الطالبيون سدنة ضريح جدهم المولى إدريس ويسكنون لذلك دار القيطون إلى أن أُجلوا عن فاس. وبعد انتهاء المحنة كان الطالبيون أول مَنْ رجع من الأدارسة إلى فاس وسكنوا دار القيطون من جديد إلى أن أخرجهم منها أبو الحسن المريني أو ابنه أبو عنان بسعي من الخطيب ابن مرزوق التلمساني صهر العمرانيين، فانتقل الطالبيون لدرب السعود والصفّاح من عدوة الأندلس وعُوضوا عن فتوحات ضريح جدهم بفتوحات ضريح سيدي علي بوغالب، وبقي فريق العمرانيّين الذين أصبحوا يُدعون الإدريسيين القيطونيين يعتمرون دار القيطون ويتولون سدانة الضريح الإدريسي إلى الآن.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. القادري، *الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني*، ط. حجر فاس، 1308؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ط 2، المحمدية، 1999، ج. 2 : 5041 ؛ م. حجي، *بوطالب أو الطالبيون الجوطيون*، *معلمة المغرب*، 5 : 1738.

محمد حجي

**دار الكبداني**، (جماعة ومركز حضري بإقليم الناظور)، تكوِّن إحدى الجماعات السبع التي يشملها تراب دائرة الدريوش وتبلغ مساحتها حوالي 97 كلم$^2$ أي ما يعادل 6٪ فقط من مجموع المساحة الإجمالية للدائرة، الشي الذي يجعل منها ثاني أصغر جماعة في الدائرة بعد جماعة تازغين.

يتميز سطحها بوجود وحدات تضاريسية متنوعة تتمثل في الجبال والهضاب ثم السهول. تحتل الجبال حوالي 27٪ من المساحة الإجمالية للجماعة وهي جبال متوسطة الارتفاع. أما الهضاب فتمتد على مساحة أوسع وتتكون أساسا من سطوح ارتبط ظهورها بتطورات الزمن الرابع، وهي عبارة عن سطوح متقطعة تتخللها مجموعة من خطوط الشبكة المائية الموسمية الجريان. وتكوّن السهول الوحدة الثالثة ممتدة أسفل السطوح السابقة على جوانب المجاري المائية الكبيرة.

عرف حوض الكبداني تطورات على مستوى بناء السطح، وتعود أهم فترات تكوينه إلى الزمن الثالث، خاصة فترة النيوجين الأعلى التي شهدت توضّع مواد طفلية سميكة انتهت بتوضع مواد خشنة عبارة عن رمال وحصى يزيد سمكها أحيانا على عشرة أمتار، كما شهدت هذه الفترة نشاطا بركانيا مهما ساهم في بناء المنطقة. وعرف الحوض خلال الزمن الرابع مجموعة من التطورات خلفت عدة أشكال سطحية يتمثل أهمها في المستويات الرباعية المنبسطة، كما تركت عدة أجيال من المواد السطحية والأتربة المتنوعة بعضها غني جدا ويلعب دورا مهما على مستوى النشاط الفلاحي.

وعلى عكس ما هو عليه الحال في بعض الجماعات (الدريوش مثلا)، فإن المواد القادرة على خزن المياه الجوفية كالكلس البحيري تكاد تنعدم في الحوض، الشيء الذي يؤثر على الموارد المائية الباطنية التي تتميز بضعف كمياتها وبعمق فرشاتها الذي يتراوح بين 25 م و80 م، ويكون هذا العنصر عائقا كبيرا أمام استغلالها. من جانب آخر ساعد وجود سحنات طفلية هشة وسميكة على نشاط التعرية التي أدت إلى إتلاف مساحات مهمة من الأراضي القابلة للاستغلال.

على المستوى المناخي، تتلقى جماعة دار الكبداني حوالي 350 ملم موزعة على 35 يوما كمتوسط، وهي غير كافية لضمان قيام نشاط فلاحي مهم، كما أنها غير منتظمة في توزيعها السنوي والبيسنوي.

يعيش على مساحة الجماعة 11.400 فرد حسب إحصاء 1994 موزعين على 2.629 أسرة. وتبلغ كثافة السكان 117،5 نسمة في كلم$^2$ وهي من أعلى الكثافات في إقليم الناظور. وقد عرف سكان الجماعة تطورا سلبيا بين سنتي 1982 و1994 حيث تراجع عددهم بنسبة 15٪ نتيجة النزوح القروي والهجرة الدولية.

يعتمد سكان الجماعة في عيشهم على مجموعة من الأنشطة أهمها الفلاحة والهجرة والتجارة. تبلغ المساحة الصالحة للزراعة حسب تقديرات مركز الأشغال الفلاحية بالدريوش حوالي 6.370 هكتار أي ما يعادل 65،6٪ من مجموع أراضي الجماعة منها 6.220 هكتار بورية وحوالي 150 هكتار مسقية. وتتوزع باقي الأراضي على الغابات بنسبة 20،6٪، والمراعي بنسبة 7،6٪ والأراضي غير الصالحة للاستغلال بنسبة 65٪.

تستغل المساحة القابلة للزراعة في إنتاج الحبوب وتعود ملكيتها إلى حوالي 2.000 فلاح (17،5٪ من مجموع السكان) يملك جلهم (حوالي 75٪) أقل من 5 هكتارات.

بالإضافة إلى الزراعة، تحتل تربية الماشية موقعا مهما في حياة السكان. غير أن هذا النشاط يعرف حاليا تراجعا مستمرا في الجماعة، مثل ما هو عليه الحال في باقي

الجماعات الأخرى في المنطقة. ويقدر عدد رؤوس الماشية بحوالي 10.500 رأس، تحتل ضمنها الأغنام المرتبة الأولى.

إلى جانب النشاط الفلاحي تعرف الجماعة هجرة دولية نشيطة حيث تشير بعض التقديرات (Bossard, 1978) إلى أن عدد المهاجرين يمثلون ما بين5 و10٪ من مجموع السكان يساهمون عن طريق تحويلاتهم المالية في الرفع من المستوى المعيشي في الجماعة وذلك من خلال تقوية القدرة الشرائية لدى سكانها. ويؤدي ذلك أيضا إلى إنعاش النشاط التجاري الذي يقوم أساسا على تداول البضائع المهربة من مدينة مليلة القريبة.

وقد ارتبط نمو دار الكبداني كمركز بالوجود الاستعماري الإسباني الذي اتخذ منه قاعدة عسكرية لإخضاع ومراقبة المناطق المجاورة. ويعرف حاليا تطورات سريعة تحوله تدريجيا إلى مركز حضري مهم. غير أن موقعه وبعده عن المحاور الطرقية المهمة يجعلان هذا النمو بطيئا، عكس ما هو عليه الحال بالنسبة للمراكز المجاورة كابن الطيب والدريوش وميضار.

يقدم المركز عدة خدمات للسكان باعتباره مقراً للعديد من المصالح الإدارية (مقر الجماعة وقيادة بني سعيد) والصحية والاجتماعية. كما يتوفر على أحد أهم الأسواق في إقليم الناظور هو سوق الثلاثاء.

*تحريات ميدانية.*

J.J. Barathon, *Bassins et littoraux du Rif oriental, Evolution morphoclimatique et tectonique depuis le Néogène supérieur, Etudes méditerranéennes.* Poitiers, 1989 ; P.R. Bossard, *Mouvements migratoires dans le Rif oriental : le travail en Europe. Aspect contemporain majeur des migrations dans la province de Nador.* Thèse 3ème cycle, Montpellier ; Centre de travaux agricoles de Driuch, *Données monographiques des communes rurales de Driuch et de Dar Kebdani.*

حسن العباسي

**الدار الكبرى** أو الكبيرة بمكناس، عبارة عن قصور إسماعيلية، كُتب على بابها الأصلي تاريخ الفراغ من بنائها سنة 1090 (1680 م) وتحتوي على قصور عديدة، تتخللها أزقة ذات شكل مستطيل مقبوة السقوف بها نوافذ للإضاءة.

تمتد الدار الكبرى من قصر الستينية المحاذي لساحة لالة عودة وتنعطف يسار الحي الإسماعيلي وحي سيدي النجار ثم تذهب موازية لمر الدربية حتى قصر النصر المجاور للستينية. وأشار الزياني في كتابه *الترجمان* إلى هذه الدار فقال : "ثم أسس الدار الكبرى بجوار ضريح الشيخ المجذوب".

ومن بين قصور الدار الكبيرة، قصر الستينية الفسيح الذي يزيد طوله على مائة متر وعرضه على خمسين، وقصر النصر الذي بناه المولى إسماعيل أيام خلافته لأخيه مولاي رشيد بمكناس (1664 ـ 1672) وعرف هذا القصر فيما بعد بدار لالة باني، ثم هناك قصر مولاي زيدان، وقصر الشعشاع، وكلها ذات طراز هندسي رفيع ولا يخلو أي منها من مسجد وأهمها مسجد الرخام أو مسجد القصبة والجامع الأخضر.

ومن قصور الدار الكبرى ذات الأهمية، قصر الكشاشين وكان معداً للطبخ وشؤونه وخزن لوازمه وسكنى القيمات بمباشرة ذلك. وأحاط السلطان مولاي إسماعيل (1672 ـ 1727) هذه الدار بأسوار ضخمة وأبراج عالية، حتى صارت كأنها قلعة حربية، وكانت تسمى دار الخلافة، وقد استغرقت مدة بنائها ثمانية أعوام 1672 ـ 1680، وتغيرت معالمها حاليا بفعل الهدم الذي لحق بعض قصورها والإضافات المعمارية التي شوهت المعالم الأثرية الأصلية.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط 1929، الجزء الأول ؛ م. المنوني، *دليل القصبة الإسماعيلية*، مجلة *دعوة الحق*، العدد 4، السنة 1967 ؛ تحريات ميدانية.

بوشتى بوعسرية

**دار المرابطين** وردت في النصوص الوسيطية بهذا الاسم وباسم انقال (*نزهة المشتاق*3 : 237 ) وأنكال (*الروض المعطار*، 35)، وحاول الدارسون لهذه النصوص وللآثار الأركيولوجية توطين الموقع (القرية) لكن محاولاتهم بقيت مجرد اجتهاد وتخمين. ورسم ماسينيون في كتابه *المغرب في السنوات الأولى من القرن السادس* عشر خريطة في موقع قصبة مديونة (خارطة تامسنا (الشاوية) ونظن أن موقع دار المرابطين قريب من مدينة الگارة الحالة وسط سهول الشاوية.

وإذا رجعنا إلى النصوص الأصلية وقرأنا بإمعان استبعدنا هذا الافتراض فالشريف الإدريسي يقول في *نزهة المشتاق* (3 : 237 ) "... من أم ربيع إلى قرية إيغيسيل مرحلة [عيون كثيرة دفاقة بالماء بين صخور صلدة وهذا الماء يتصرف في سقي كثير من زروعهم] ومنها إلى قرية أنقال مرحلة ويقال لها دار المرابطين أيضاً..."

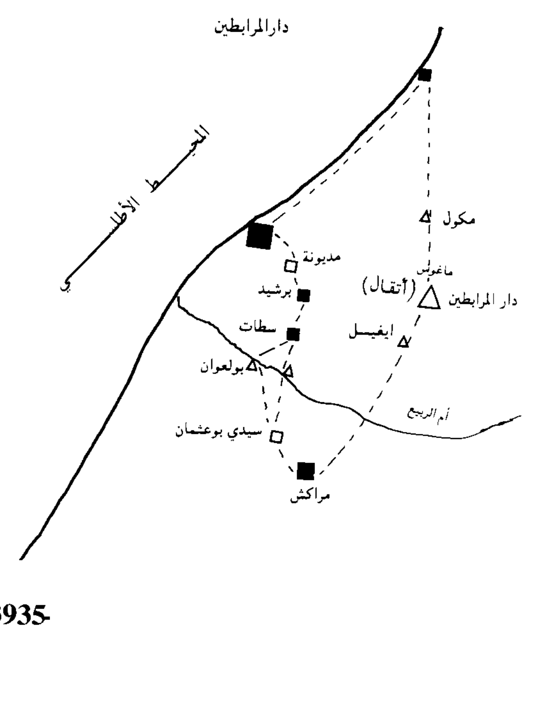

يتبين من هذا النص أن دار المرابطين (أنقال) تبعد عن إيغيسيل ـ التي هي گيسر الحالية ـ حسب محقق كتاب *التشوف* ـ بحوالي 30 كلم، وإذا تتبعنا الإدريسي منذ خروجه من مدينة مراكش نلاحظ أن دار المرابطين شكلت المرحلة السادسة بعد تونين وتقطين وغفسيق وقرية أم ربيع وايغيسيل وقرية انقال (دار المرابطين) ثم مكول وإكسس فسلا.

إن دار المرابطين واقعة ما بين إيغيسيل : گيسر الحالية، وهي مقر جماعة قروية تابعة لإقليم سطات (على الطريق الثانوي سطات - قلعة السراغنة) وما بين مكول وهو مكان معروف إلى اليوم على مقربة من جمعة مليلة وهي مقر جماعة قروية تابعة لإقليم بنسلمان وواقعة على الطريق الثلاثية الرابطة ما بين مدينة بنسليمان ومدينة الگارة. أي أننا نسير حسب الشريف الإدريسي في خط شبه مستقيم ابتداء من قرية أم ربيع، أما القول بأنها مديونة فبعيد جداً لأن مدينة مديونة منحرفة كثيراً عن الطريق التاريخي.

ومن القرائن التي تقربنا من التحديد الصحيح لموقع دار المرابطين كون نص الإدريسي دقّق في مسألة المراحل فجعل قرية دار المرابطين (أنقال) وقرية مكول في مرحلة واحدة مما يعني أن القريتين كانتا متقاربتين، ونقدر بناء على نص الإدريسي الذي قد تؤكده التنقيبات الأثرية لو توفرت الإمكانيات، وبنسبة كبيرة من اليقين أن قرية انقال (دار المرابطين) هي قرية ماغوس التي وردت أوصافها في *رحلة* لسان الدين ابن الخطيب من فاس إلى مراكش مروراً بتامسنا وبمراعاة الفارق الزمني بين رحلتي الشريف الإدريسي (ت. 548 ـ 1154) ولسان الدين ابن الخطيب (ت. 776 ـ 1379) الذي يزيد على قرنين غيّر كثيراً من معالم القرية، فتطورت حتى أصبحت حاضرة ثم بدأت تتدهور حتى أصبحت كما وصفها ابن الخطيب : "... وعند الصباح شرعنا في الارتحال، وعين الشمس بمرض الضباب مفتقرة إلى الاكتحال، فسلكنا خندق هارون، فحص خراز، ومأزق براز، ومظان احتراز، إلى دشر مكول، وهو إلى الفناء موكول، وبرجل الخراب من الأعراب مركول. ولما رأينا جنابه غير مأنوس، وقد امتاز بلبوس البوس، جزناه إلى ماغوس، دشار الزاوية، ومركز الخطوط المتوازية، ومناخ الرفق السارية، وحاضرة تامسنا حيث مجلس قاضيها، وتشاجر ساخطها وراضيها، وحمام متوضيها، دشاركبير، يأكل من هري ويشرب من بير، فقد النضارة، وعدم مرافق الحضارة، إلا أنه على الاختزان أمين، ولحفظ الحبوب ضمين، ما لم تعث شمال للفساد ويمين، فاتخذ به مسجد شان النقصُ من مناره، لقصور درهمه وديناره، فمنظره شنيع، وحماه غير منيع..." (*نفاضة الجراب*، 89).

أما الشريف الإدريسي قبله فقال عنها "... بها عين عليها أقباء وماؤها معين، كثيرة الزرع والمواشي والإبل والبقر، وقبالتها فحص طويل قد انحشرت إليه طيور النعام..."( *نزهة المشتاق*).

حسب الوصفين ونص الرحلتين والدراسات الطوبونيمية فالمكان المقصود موجود ما بين مكول ومدينة الگارة إن لم يكن الگارة نفسها، والفحص المذكور عند الشريف الإدريسي هو سهل المذاكرة من سهول الشاوية الخصبة.

أما الإشكال والالتباس الذي أوقعنا فيه اجتهاد ماسينيون وسواه فيتعلق بالخلط ما بين طريقين أو مسلكين مختلفين ربطاً ما بين مدينة مراكش ومدينة سلا : الطريق التاريخي (الخليفي الذي بقي مسلوكاً حتى عهد المرينيين ؛ والطريق المعدل الذي أصبح أكثر أهمية في العهد السعدي والعلوي. فالطريق الأول ينطلق من مراكش إلى تونين (سيدي بوعثمان) ومن هذا المفترق يسير باتجاه نهر أم ربيع حيث يتم قطع النهر قرب قرية أم ربيع ثم يسير باتجاه ايغيسيل (گيسر) فأنقال (دار المرابطين) فمكول ... وهكذا.

أما الثاني فينطلق من مفترق تونين (سيدي بوعثمان) لكنه يسير باتجاه بولعوان حيث يقطع وادي أم ربيع ثم يتجه نحو سطات فبرشيد ثم مديونة وهو الطريق الرئيسية الحالية (مراكش - الدار البيضاء - سلا.

بقي أن نشير في الختام إلى أن الاسم الأصلي للقرية (أنقال أنكال) اسم بربري، أما دار المرابطين التي ذكرها الإدريسي فمحدثة، وهذا يحيلنا على فترة الصراع ما بين المرابطين والموحدين من جهة والبرغواطيين من جهة أخرى ؛ وقد أدرك الشريف الإدريسي بقايا الأزدهار الفلاحي الذي كانت عليه تامسنا في العهد البرغواطي، ولاشك أن الصراع أفرز تهجير العناصر الأصلية من موطنها (أنقال) واجتمعت فيه العناصر المحاربة للبرغواطيين من المجندين والمتطوعين (المرابطين) فاتخذوا من القرية معسكراً ورباطاً لهم.


الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الايطالية، المعهد الشرقي بنابولي، د. ت. الجزء الثالث ؛ ع. المنعم الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، الدار البيضاء، 1989 ؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ م. حجاج الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*، أطروحة، مرقونة، بكلية الآداب بالرباط، 1998 ؛ *تحريات ودراسة ميدانية*.

L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du 16ème siècle*, Alger, 1906 ; Martin [et al], *Géographie du Maroc*, Paris - Casa, 1967 ; Allain, *Une organisation agricole Almohade*, *Hesp*., 2è - 3è trim., 1954.


محمد حجاج الطويل

**دار ابن مشعل**، قرية كانت توجد بجبال بني يزناسن على بعد عشرة كيلو مترات غرب بركان وسبعين كيلو مترا جنوب شرق مليلة، بأراضي قبيلة بني اورمش، ظلت قائمة

البنيان إلى حدود سنة 1690 حيث اندثرت معالمها الحضارية في ظروف غامضة فتضاربت الأقوال بشأنها وسيطر الخيال القصصي على الواقع التاريخي، فلا مناص لاستجلاء حقيقة الأمور من استعراض ما نتوفر عليه من الثوابت.

ورد ذكر دار ابن مشعل، أول مرة، في رسالة للكونت دي ألكوديتي (Comte de Alcaudete) الوالي الإسباني على وهران في ما بين 1534 و1558، يخبر فيها بوصول قائد من لدن الشريف السعدي إلى دار ابن مشعل من أراضي تلمسان، وورد ذكرها أيضاً في رسالة إسبانية أخرى بتاريخ 15 شتنبر من سنة 1595 تخبر بثورة المولى الناصر ضداً على عمه المنصور الذهبي وتفيد أن الأمير الثائر اعتصم بجبال بني يزناسن بعد انهزامه، وتثبت أن دار ابن مشعل قرية كبيرة بين تلمسان ومليلة على بعد عشرين فرسخا من مليلة، وجاء أيضاً في وثائق إسبانية يتراوح تاريخها بين 1609 و1614، أن الحروب التي قامت، غداة وفاة المنصور الذهبي بين أولاده وحفدته، كانت قد ألزمت ولده أبا فارس وحفيده عبد الله ابن الشيخ المامون بالاعتصام بدار ابن مشعل، وذلك بعد انهزامهما على يد المولى زيدان.

ولما انقرضت الدولة السعدية وبزغ فجر الدولة العلوية، تحركت الأقلام الأجنبية لنقل بعض ما كان قد بلغ إلى علم أصحابها من صدى الأحداث، فجاء في تقرير لمجهول انجليزي، سنة 1669، أن المولى الرشيد بطش بشيخ يهودي كان من الأغنياء، نزل ضيفاً عليه، ثم قتله واستولى على كنوزه، ويتأكد من رسالة لبعض أعضاء سفارة أنجليزية لدى المولى الرشيد سنة 1670 أن هذه الواقعة جرت بدار ابن مشعل.

أما الفرنسي مويت (Mouette) الذي كان أسيراً لدى المولى الرشيد والمولى إسماعيل، والذي نشر كتاباً عن تاريخ قيام دولتيهما صدر سنة 1683، فإنه قال عن المولى الرشيد إنه أراد أول الأمر أن يتحصن ببعض الحصون فباغت قلعة دار مشعل (كذا) بحجة زيارة عاملها، ثم أمر بتعذيبه ليقر له بمخابئ كنوزه، وانتزع من يهودي كان يسكن بنفس القلعة أزيد من مائتي مثقال، وهو ما يساوي المليون من سكتنا، مما كان قد تجمع لديه من تجارة تلك الجهات التي كانت كلها بيده. كما ذكر مويت هذا دار ابن مشعل بصفة كونها قرية منيعة، لدى تعرضه لثورات المولى أحمد بن محرز على عمه المولى إسماعيل.

وفيما يرجع للمصادر العربية يبدو أن المؤلف المجهول صاحب *تاريخ الدولة السعدية*، هو أول من ذكر دار ابن مشعل، علماً بأن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قد وضع قبل اعتلاء آخر الملوك السعديين عرش المغرب سنة 1654 ولا بعد وفاة المؤرخ اليفرني في حدود سنة 1740، ولقد قال هذا المؤلف المجهول عن المولى عبد الله بن الشيخ المامون إنه هرب إلى دار ابن مشعل مع عمه مولاي أبي فارس، وقال أيضاً : "ولما استقر مولاي عبد الله وعمه أبو فارس بدار ابن مشعل، اجتمعت عليه رؤساء العرب مع محلة شراقة"، وهو ما يثبت أقوال الوثائق الإسبانية السابق ذكرها.

وحيث إن اليفرني نهل مباشرة من هذا المؤلف، فإنه ثاني من ذكر دار ابن مشعل من المؤرخين المغاربة، قال في *نزهة الحادي* عن المولى الرشيد : "ولم يزل يجول في البلدان طمعاً في اقتناص الملك إلى أن أدته خاتمة الجولان إلى قصبة ابن مشعل، فوجد فيها يهودياً من أهل الذمة، له أموال طائلة وذخائر نفيسة، وله على المسلمين صولة واستهزاء بالدين، فلم يزل مولانا الرشيد ينظر في كيفية اغتيال ذلك اليهودي إلى أن مكنه الله منه في قضية يطول جلبها، فقتله وأخذ أمواله وذخائره، وفرقها فيمن تبعه وانضاف إليه، فتقوّى بذلك عضده".

ثم كتب محمد بن الطيب القادري صاحب *نشر المثاني* فقال عن المولى الرشيد إنه خرج من تافيلالت ثاني وعشرين من شوال سنة 1069 إلى تدغة، ثم إلى الزاوية، ثم إلى دار ابن مشعل، هكذا وجدت مقيداً عن الحافظ الفاسي، وقال لدى ذكر اتصال المولى الرشيد بالشيخ اللواتي : "فبينما هو مقيم عنده، إذ رأى رجلاً بهيئة من خيل وأتباع ومماليك، وهو يصطاد كهيئة الملوك، فسأل عنه من هو، فقيل ابن مشعل من يهود تازا"، فثارت لدى الأمير الناهض ثائرة الغيرة على الإسلام، واستعان بطلبة زاوية الشيخ اللواتي لإنقاذ الإقليم من طغيان ذلك الذمي. إلا أن القادري عاد ليثبت، وهو يلخص أحداث قيام الدولة العلوية، أن المولى الرشيد بويع ببلاد أنگاد والضهرة وتافرطة ومسول وزناتة، وملك دبدو ودار ابن مشعل وكارت والريف، كما أثبت أن المعركة بين مولاي مَحمد ومولاي الرشيد دارت في دار ابن مشعل وأن مولاي مَحمد دفن في دار ابن مشعل بعد مقتله.

وهذه الرواية هي الراجحة لدى أبي القاسم الزياني الذي كتب في *الترجمان* عن مقتل المولى مَحمد قائلاً : "ولما وقف الرشيد على أخيه حمله وتوجه به ليدفنه ببني يزناسن، فطرق دار ابن مشعل ببني يزناسن فقتله وأخذ ماله وما عنده وتقوى به ... ودفن أخاه في دار ابن مشعل ورجع لوجدة". مما يجوز أن يفهم منه أن دار ابن مشعل كانت وحدة حضرية أو أنها لم تكن سوى منزل يهودي يحمل ذلك الاسم، وكلا القولين لهما ما يبررهما لدى هذا المؤرخ، فإنه ذكر في معرض حديثه عن حركات المولى أحمد بن محرز في *الترجمان*، أن المولى إسماعيل بلغه أن الترك جاؤوا بمحلتهم واستولوا على بني يزناسن وعلى دار ابن مشعل وأن كلامهم مع ابن أخيه أحمد بن محرز، لكنه في *البستان الظريف* وفي *الروضة السليمانية* عاد فقال عن المولى الرشيد إنه احتاج إلى مال وكان أخذ ولد الذمي ابن مشعل معه فجاءت أمه تطلب فداءه، فتعلل عليها وتفرس فيها وقال لها لا أعطيه إليك حتى تدليني على مال زوجك أو أقتل هذا الولد، فأنعمت له بذلك وركب معها إلى الدار

فدلته على خزانة في بيت، فنقب عليها فوجد فيها خوابي مالا ذهبا وفضة. والذي يدعو إلى أخذ أقوال الزياني بعين الاعتبار أنه استُعمل على تلك الأقاليم في دولتي سيدي محمد بن عبد الله وولده المولى سليمان، كما أنه أقام برهة من الزمان بمدينة تلمسان. وبالرغم من تدوينه لتلك الأحداث بعد مرور أزيد من قرن كامل عليها، فإنه ذكر بتفاصيل مثيرة للانتباه مجهودات المولى إسماعيل للتمكن من بني يزناسن إذ كانوا شيعة للاتراك وفي ولايتهم، ونقله لقبائل الشبانات وزرارة من الحوز، للتضييق عليهم، وإقامته لثلاث قصبات حول تلك السلسلة الجبلية لمحاصرتها، وهي قصبات الرقادة وسلوان والعيون. وجرى كل هذا خلال الثمانينيات من القرن السابع عشر الميلادي، وكان ولاشك من وقائعه الحاسمة أمر المولى إسماعيل بدك قلعة دار ابن مشعل على الإطلاق، وذلك في حدود سنة 1690، حسبما جاء في تقييد للرِّبي السموئل بن دانان الذي كان معاصراً للأحداث وذكر أن سكان دار ابن مشعل من اليهود انتقلوا إلى دبدو.

خلاصة القول إذن، أن دار ابن مشعل كانت قرية أو قلعة منيعة بداخل أوعار جبال بني يزناسن، وأنها كانت كجميع القرى المغربية تضم جالية يهودية وافرة، ولاشك أن أشهر تجار تلك الجالية هو الذي قتله المولى الرشيد وحاز أمواله. ولما آلت الأمور إلى المولى إسماعيل، وتوالت عليه ثورات بعض إخوته وابن أخيه المولى أحمد بن محرز، وكانت جبال بني يزناسن لمناعتها واتصالها بالإيالة الجزائرية، ملجأ للثوار، فإنه أمر بهدم قلعة دار ابن مشعل وعوضها بقصبات مخزنية تراقب المنطقة. ولا سبيل إلى إثبات كون اليهودي الذي قتل على يد المولى الرشيد كان يسمى أو لا يسمى بابن مشعل.


مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*، تح. كولان (Colin) ؛ م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي*، ط. فاس الحجرية، 1307 ؛ م. بن الطيب القادري، نشر المثاني، تح. م. حجي و أ. التوفيق ؛ أبو القاسم الزياني، *الترجمان*، ط. باريس،1888 ؛ *البستان الظريف*، مخطوط خ ع1577 ؛ مجهول، *الروضة السليمانية*، مخطوط خ ع 1275 ؛ م. أكنسوس، الجيش العرمرم، ط. فاس الحجرية، 1336 ؛ أ. أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956.

*Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc*, 1ère série, *Espagne*, T. I, p. 208 ; 2ème série, *France*, T. II, p. 1-200 *(Relation de Mouette)* ; L.Chenier, *Recherches sur l'histoire des maures*, Paris, 1787 ; Slousch, *Les juifs de Debdou, R.M.M.*, 1913 ; Cenival, *La légende du juif Ibn Mechaal et la fête du sultan des Tolba à Fès, Hesp.* 1925 ; H. Hirschberg, *A history of the jews in North Africa,* 2ème éd., Leiden, 1974.


إبراهيم بوطالب

**دار النيابة** بطنجة، كانت بمثابة وزارة للشؤون الخارجية في مغرب ما قبل الاستعمار. تأسست في عهد المولى عبد الرحمان بن هشام (1822 ـ 1859)، واختيرت طنجة مقرا لها لبعدها عن العاصمتين السياسيتين (فاس ومراكش)، ولكونها المقر الدائم لرؤساء البعثات الدبلوماسية الأجنبية المعتمدين سابقا في المغرب. كان على رأس دار النيابة موظف سام يلقب بنائب السلطان، تنحصر اختصاصاته في القيام بدور الوسيط بين السلطان والهيئة الدبلوماسية، فيتولى باسمه، ونيابة عنه مهمة التفاوض معها في كل ما يتعلق بالعلاقات المغربية الخارجية. ويعتبر محمد الخطيب التطواني أول نائب استقل بأشغالها. وكان في بداية تعيينه سنة / 1851 يجمع بين وظيفتي النيابة وباشوية طنجة ؛ وبناء على طلبه، تم فصل الوظيفتين سنة 1854، فعين محمد بن عبد المالك باشا على المدينة، واستقل الخطيب بمنصب النيابة، واكتملت بذلك معالم المؤسسة الجديدة التي أصبحت تعرف بـ"دار النيابة السعيدة بطنجة". وكان مقرها في حي القنصليات الذي عرف فيما بعد بـ"السوق الداخل".

تعاقب على رأس المؤسسة، بعد محمد الخطيب، أربعة نواب آخرون : محمد بركاش (1862 ـ 1886) ؛ الحاج محمد ابن العربي الطريس (1886 ـ 1908) ؛ محمد الجباص (1908 ـ 1913)، ثم في الأخير الحاج محمد التازي الذي تولى مهامها في عهد الحماية إلى أن تم إلغاؤها سنة 1942.

أما المهام التي اضطلعت بها، فهي صفحة مثيرة من المواجهة الدبلوماسية بين بلد مغلوب على أمره، وهو المغرب، وبين ممثلي الدول الأجنبية الطامعة في غزوه. ففيها جرت المفاوضات للتوقيع على المعاهدات الثنائية (معاهدة 1856 مع بريطانيا، ومعاهدة 1861 مع إسبانيا، ومعاهدة 1863 مع فرنسا) ؛ وفيها جرت المفاوضات التمهيدية لمؤتمر مدريد المنعقد في العام 1880. بالإضافة إلى ذلك، كانت "دار النيابة" على اتصال مستمر بممثلي الدول الأجنبية، سواء لتبليغهم احتجاجات المخزن على الانتهاكات الترابية للحدود المغربية، أو للنظر في القضايا التي كانوا يطرحونها.

لم يكن النائب السلطاني يتمتع بأي تفويض لاتخاذ القرارات، وكان عليه الرجوع إلى المخزن في كل قضية مهما كانت أهميتها. لكنه أصبح ـ تحت ضغط الظروف ـ يعالج مباشرة كثيرا من القضايا ؛ وبذلك لم يعد يتراسل مع السلطة المركزية فحسب، وإنما أيضا مع مختلف الموظفين والولاة.

باتساع مهام "دار النيابة"، تحولت من جهاز بسيط إلى جهاز إداري معقد يضم الكتاب والعدول والمترجمين. وفي عام 1896 عين اللّبادي خليفة للنائب، وتم تعويضه في عام 1898 بأحمد الطريس (الابن). وأمام تزايد الحاجيات، أصدر المولى عبد العزيز ظهيرا في 24 جمادى الأولى 1318/ 30 غشت 1900 أدخل بمقتضاه إصلاحا جذريا على المؤسسة، يتلخص في تشكيل مجلس لإدارة أشغالها بكيفية جماعية، يتكون من الحاج محمد الطريس "كبير المقام ورئيسه"، ومن خمسة نواب مساعدين له ؛ كما تم تعيين قاض بها، وعدلين، ومترجمين، وثمانية كتاب.

كـان الغرض مـن هذا الإصلاح جعل "دار النيـابـة" في مستوى الدور المنوط بها. إلا أنها كانت في الواقع شبحا هزيلا أمام تزايد نفوذ الهيئة الدبلوماسية التي تمكنت، في شتى المناسبات، من أن تنتزع منها كثيرا من الامتيازات بدون إذن السلطان أو إشعاره.

*مجلة دار النيابة*، طنجة، المطابع المغربية والدولية، الأعداد 1 إلى 28 (صدر أول عدد منها في العام 1984).

محمد الأمين البزاز

**دار ولد زيدوح** في تادلا، من بين أقدم المراكز الموجودة في قبيلة بني وجين التي تشكل جزءا من قبيلة بني موسى المستوطنة للضفة اليسرى لنهر أم الربيع. تقع دار ولد زيدوح غرب قطاع بني موسى على بعد نحو خمسين كيلومترا جنوب غرب بني ملال في موضع محاذ لنهر أم الربيع.

يتشكل سكانها في أغلبيتهم الساحقة من العنصر العربي الذي استوطن المنطقة بشكل مكثف منذ القرن السادس (12 م). وبناء على ذلك فإن سكان دار ولد زيدوح ينسبون أصلا إلى بني جابر المتفرعين عن بني جشم المنحدرين من بني هلال الوافدين من إفريقية. غير أن المركز بحكم انفتاحه تلقى عناصر بشرية متنوعة الأصول، إلا أن الطابع الغالب هو الطابع العربي.

ويبدو أن النمط الذي كان مهيمنا على حياة السكان، في أوائل تعميرهم للمنطقة هو الخيمة والشاة. حيث "تحيزوا إلى سفح الجبل بتادلا وما والاها يجاورون هناك صناكة من البربر فيُسهلون إلى البسيط تارة ويأوون إلى الجبل في حلف البربر وجوارهم أخرى..."

كان الطابع الغالب على سكان المنطقة قديما هو التنقل حسب ما يوفره لهم مجال استقرارهم من سبل العيش التي كانت ترتكز بالأساس على الترحال بحثا عن التكامل الرعوي بين السهول والجبال المجاورة لها. وقد ظل مجال تنقلهم هذا في بداية الأمر يمتد من قدم سلسلة الأطلس المتوسط إلى الحدود الشمالية والغربية لسهل تادلة قبل أن تقتسم مختلف فرقهم ــ بما فيهم قبيلة دار ولد زيدوح والمسماة أيضا بأولاد إبراهيم ــ هذا المجال فيما بينها وتستقر كل فرقة في حيز محدود أصبح بحكم التطور الزمني خاصا بها.

وكنتيجة لذلك ظل السكن يغلب عليه طابع التنقل ويتجسد ذلك في الخيام حيث يسهل معها التنقل والانتجاع بالقطعان. ومما يدعم هذا أن الأهالي في البوادي مازالوا إلى اليوم ينعتون الدار بـ"الخيمة" فكانت المساكن المشيدة تمثل جزرا وسط محيط من الخيام، يشار إليها بالبنان، وتقتصر على الأغنياء والأعيان.

اشتهر من بين هؤلاء محمد بن أحمد زيدوح المعروف بولد زيدوح آتي الترجمة وهو من أكبر "الكسابة" الأغنياء بالمنطقة.

غير أن التحول الحاسم في حياة هذا المركز اقترن بأحد أبناء محمد بن أحمد وهو بوعبيد. حيث ظهر أول مرة ككاتب لدى ولد الراضي قائد أولاد عزوز (بين الفقيه بن صالح وخريبگة). ثم تمكن بنباهته وسمعة والده أن يتقرب من أحد وزراء السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام فتم تعيينه قائدا على دار ولد زيدوح ليتحول بذلك من "قصر" إلى قصبة فقيادة كبيرة يشمل نفوذها بالإضافة إلى بني موسى، بني مسكين وورديغة.

كما أن أهمية دار ولد زيدوح تُعزى أيضا لعامل الموقع الجغرافي، فهو يقع في الوسط بين شمال المغرب وجنوبه بدليل أن المعركة التي دارت بين الوطاسيين والسعديين عام 943/ 1536 نصت على اقتسام المغرب بينهما جاعلين نهر أم الربيع حدا فاصلا بين مملكتيهما، هذا النهر الذي يمر بمحاذاة دار ولد زيدوح. والمعركة دارت رحاها في نفوذ هذا المركز : أبي عقبة حوالي 10 كلم من دارولد زيدوح.

وفي نفس المكان، على مقربة من دار ولد زيدوح دارت معركة أخرى بين محمد الحاج الدلائي وبين السلطان محمد الشيخ بن زيدان السعدي انقشع غبارها عن هزيمة هذا الأخير سنة 1048/ 1638.

وفي سنة 1085 / 1674 وقع بمشرع أبي عقبة بدار ولد زيدوح صدام بين السلطان المولى إسماعيل وابن أخيه مولاي أحمد بن محرز كانت فيها الهزيمة على ابن محرز.

لكل هذه الاعتبارات أصبح مركز دار ولد زيدوح محطة من محطات الطريق الرابط بين فاس ومراكش بدليل أن كثيرا من السلاطين العلويين تعودوا النزول به أثناء تنقلاتهم بين الشمال والجنوب، ومن أشهر هؤلاء السلطان الحسن الأول الذي نزل به وهو في طريقه من مراكش في اتجاه جبال فازاز ففاس. وكان ينوي التنكيل بأيت سخمان ومن تحالف معهم من أيت إسري غير أن المنية وافت الحسن الأول بدار ولد زيدوح ليلة الخميس 3 حجة عام 1311 / 7 يونيو 1894.

ومما لا شك فيه أن أهمية موقع وموضع دار ولد زيدوح هي التي دفعت الفرنسيين عندما سيطروا على المنطقة ابتداء من 13 ـ3 ـ 1914 أن يتخذوا من هذه القرية مركز إدارتهم المدنية والعسكرية والتي شمل نفوذها مساحة شاسعة من بني موسى وبني عمير وأجزاء أخرى من تادلا حتى مشارف بني ملال وخريبگة. فمنها كانت الأوامر الاستعمارية تصدر إلى إحدى عشرة قيادة.

ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 6 ؛ ع. العزيز بن عبد الله، *معلمة المدن والقبائل* ؛ ع. الوهاب بن منصور، *قبائل المغرب*، الجزء الأول ؛ م. بن البشير بوسلام، *تاريخ قبيلة بني ملال 1854، 1916* ؛ *تحريات ميدانية*.

بوشعيب العكرود

**ابن دافال، عيسى** بن عمران المكناسي من قبيلة مكناسة تازا من بني وردميش، حلاه صاحب التكملة بقوله : (كان من الراسخين في العلم، قائماً على الأصول الفروع، أديباً شاعراً خطيباً فصيحاً مفوهاً مدركاً، من رجال الكمال..).

ولد عام 512 / 1215، روى ببلده عن الحسن بن عبد الله بن الخراز وغيره، وقدم الأندلس طالباً للعلم، فأخذ بالمرية عن أبي القاسم بن ورد، واختص به وأكثر عنه، ولقي بأغمات وريكة قاضيها أبا محمد سبط بن عبد البر فسمع منه، وبمراكش عن حجاج بن يوسف وتفقه به. فكان فقيهاً أديباً شاعراً.

استقضى باشبيلية مدة، ثم ولي قضاء الجماعة بعد موت أبي الحسن بن أبي جنون، فكان في ولايته مشكور السيرة، جزلاً في تنفيذ الأحكام، معروفاً بالعدالة والنزاهة، ولم تطل مدته في قضاء الجماعة، إذ توفي وهو يتولى هذا المنصب عام 578 / 1182.

التكملة 17، قسم الغرباء ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 9 : 399، *الجذوة*، 503، بغية الملتمس، 404.

أحمد متفكر

**دالبيز** Dalbiez, Denis، (جنرال فرنسي)، ولد يوم 18 يونيه 1852 في بيوانيون Peyoignon بمقاطعة البيريني الشرقية التحق بفيلق المشاة 82 كجندي بتاريخ 23 نونبر 1870 بعد تخرجه من مدرسة سان سير Saint Cyr وتقلب في عدة مناصب عسكرية بفرنسا والجزائر إلى أن سمي جنرال اللواء سنة 1911.

وفي يوم 2 ماي من نفس السنة انتقل دالبيز إلى المغرب، حيث التحق بمحلة موانيي التي فكت الحصار عن فاس واحتلت مكناس. ثم عينه الجنرال موانيي قائدا عاما للجيوش المرابطة في مكناس وفاس وبوتي جان - وبقي في هذا المنصب يسهر على العمليات العسكرية والمعارك التي جرت في إقليم مكناس إلى تاريخ 5 نوفمبر 1913، فخلفه في نفس المهمة الجنرال هنريس Henrys، والتحق دالبيز بفرنسا حيث شارك في الحرب العالمية الأولى. وفي يوم 31 مارس 1915 وضع رهن إشارة المقيم العام بالمغرب لأن عطاءاته العسكرية في أوربا لم تكن في المستوى المطلوب، فعاد إلى المغرب الذي كانت له دراية بوضعيته.

وبعد تسلم دالبيز قيادة مركز مكناس، واتخاذه للإجراءات التنظيمية الأولى بالمدينة الأهلية التي ضاقت رحابها بالقوات العسكرية التي نزلت بداية بقصر الدار البيضاء وجامع الأنوار، اتجه نظره إلى الانتقال للضفة اليمنى لوادي بوعماير على هضبة حمرية لإقامة النواة الأساسية للثكنات العسكرية الفرنسية بمكناس التي أصبحت منذئذ مركزاً لتمهيد احتلال البلاد تحت قيادة الجنرال دالبيز.

توفي الجنرال دالبيز في المستشفى المختلط بمدينة نيس يوم 10 غشت 1929.

بوشتى بوعسرية، *مكناس المدينة : التأسيس - البنيات الإدارية - التناقضات*، 1911 ـــ 1939، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، مرقونة بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

Service historique de l'armée de terre. (S.H.A.T.), Château de Vincennes, Paris, n° F217. Etat des services de Mr. Dalbiez.

بوشتى بوعسرية

**دالوين**، إيرنيست Ernest Dalwin، كان أول أمره نائباً قنصلياً لبلجيكا بمدينة قادس بإسبانيا. وقد قام برحلة استطلاعية إلى المغرب دوّن خلالها مشاهداته و نُشرت نتائجها سنة 1855. وفي السنة الموالية عين قنصلا لبلاده في طنجة، ثم سمي قنصلا عاماً بشاطئ إفريقيا الغربية سنة 1866. وفي سنة 1877 رقي إلى رتبة وزير مقيم للملكة البلجيكية.

كان ديبلوماسيا نشيطا وذكيا فاستطاع أن تكون له علاقة طيبة مع المخزن إلى أن ظفر في يونيو 1862 بإبرام معاهدة مع المخزن حصلت بلاده بموجبها على الامتيازات المخولة لبريطانيا العظمى سنة 1856 ولإسبانيا سنة 1861، وعمل على أن يكون لبلكيجا وزن دولي ونشاط تجاري، فعين في الكثير من الثغور الشاطئية قناصل ووكلاء أصالة أو نيابة.

جمع ثروة طائلة من تجارته مع المخزن فكان يبيع له أسلحة قديمة وفاسدة في بعض الأحيان، وكان يملك في طنجة وحدها تسعة منازل. وقد أحيل على المعاش ومات بأوربا سنة 1884 وخلفه البارون فيطنال Whetnall.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج. 2 ص. 640 ؛ *وثائق مخزنية*.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome I, p. 96 ; Tome II, p. 275 ; Tome III, p. 454 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc : 1870 - 1905*, p. 16 et 29.

مصطفى بوشعراء

**الدالية** "شجرة العنب" الكرْم بالعربية أو "ادليلت" أو "أضيل" بالأمازيغية، أسماء لنبات فيتيس فِيَتيفَيرا Vitis vinifera الذي ينتمي إلى فصيلة الكرميات Vitaccae وAmpelidaceae. وهي شجرة خشبية متسلقة، من الممكن أن تمتد امتدادا كبيرا أفقيا وعموديا، أو شجيرة صغيرة بسبب التقليم الجائر الذي يجعل قطر ساقها ينمو بشكل كبير. لها محاليق تمكنها من التسلق. أوراقها كبيرة راحية، نفضية. أزهارها صغيرة غير واضحة، ذات رائحة طيبة. ثمارها متجمعة في عناقيد كبيرة وجد متفرعة. ثمار

العنب بيضية أو كروية الشكل، ومختلفة الألوان حسب الأصناف. فهي إما سوداء، أو بيضاء (خضراء) أو حمراء. مذاقها حلو.

وُجدت الدالية طبيعية في المغرب بجانب الأودية الرطبة ومجاري المياه في المناطق المنخفضة كما هو الشأن في جميع الأنحاء المعتدلة من حوض البحر المتوسط من المحيط إلى بلاد الفرس. وفي أمريكا كذلك. ومن المحتمل جدا أن تكون الدالية قد انتشرت انتشارا واسعا بواسطة الطيور قبل أو بعد ظهور الإنسان.

تعتبر الدالية من أقدم النباتات التي زرعت على وجه الأرض. ومن المحتمل أن تكون بداية زراعتها في شرق حوض البحر المتوسط. وقد ورد ذكرها في كل الكتب السماوية. من المعروف أن زراعتها في مصر نشأت منذ ستة آلاف سنة. ثم تطورت وتحسنت وتوسعت بدرجة كبيرة بواسطة الحضارات الإغريقية والرومانية والعربية وما بعدها حتى أصبحت حاليا زراعة العنب معروفة في كل المناطق المعتدلة من القارات الخمس.

استنبطت أصناف العنب المزروعة اليوم من الأصناف الأوربية والمتوسطية والأمريكية. لكن الأصناف الأوربية والمتوسطية المحسنة تتعرض بسهولة للإصابات بأنواع مختلفة من الفطريات والحشرات خاصة قملة الجذر "فِلُوكْسيرا". ولهذا تستخدم الأصناف الأمريكية كأصول أو جذور تطعم عليها الأصناف الأوربية والمتوسطية.

أشهر أصناف العنب المغربية المستعملة في الزراعة التقليدية في الحدائق والبساتين القريبة من المنازل هوصنف "أحْمَرْ بُوعْمَرْ" الذي له نكهة ومذاق يجعلانه من أحب أصناف العنب لدى المغاربة.

عرفت زراعة الكروم تطورا كبيرا منذ دخول الفرنسيين لصناعة الخمر بالإضافة إلى إنتاج عنب المائدة والزبيب.

وهكذا انتشرت زراعة أصناف ونماذج عديدة من الدالية في جميع السهول والسفوح الجبلية المغربية. وأشهر السهول المغربية التي تنتج كميات كبيرة من العنب هي تريفة وسايس والشاوية ودكالة حيث تغرس الكروم بدون سقي إلا استثنائيا، فوق أتربة مفككة خفيفة وجيدة الصرف. والبيومناخات المطابقة لزراعة العنب بدون سقي هي البيومناخ شبه الرطب وشبه الجاف. أما في المناطق الأكثر جفافا فإن الدالية تسقى كما هو الشأن في سوس أو في الواحات.

ينتج المغرب كميات كثيرة جدا من العنب وأكبر قسط منه يُعصرخمراً، وذلك من بقايا الاستعمار الفرنسي. يصدر القسط الكبير من الخمور إلى أوربا وآسيا. لكن المساحات الشاسعة من كروم النبيذ أصبحت تتقلص منذ بداية الاستقلال لتترك المجال لزراعة كروم العنب الطري للمائدة أو كمصدر للزبيب الذي يؤكل نيئا أو مطهواً في شتى المأكولات المغربية.


ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962 ؛ *أبحاث شخصية*.

Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.


عبد المالك بنعبيد

**الدالية** (عين –) موقع أثري يوجد في الشمال الغربي لشبه الجزيرة الطنجية على هضبة جنوب مدينة طنجة، بمحاذاة جبل "زهيرو". وتبعد عن هذه المدينة ببضعة كيلومترات. وقد اكتشفت فيها وفي أماكن متفرقة أخرى بمنطقة طنجة مدافن لعصور مختلفة.

وبعد دراسة وتحليل ما عثر عليه بداخل هذه المدافن من أدوات فلاحية وأخرى منزلية وأسلحة وحلي وغيرها، اتضح أنه بين القرن السابع والخامس قبل الميلاد كان يعيش في هذه المنطقة سكان اختلط بهم الفنيقيون وساهموا في تحويل طريقة عيشهم وتوسيع آفاقهم. وفي هذا الصدد يقول الباحث الأركيولوجي "م. پونسيش" M. Ponsich : "إنه لمن المستحيل، إذا كانت استنتاجاتنا عن العهد البرونزي صحيحة، أن لا يكون البحارة الفنيقيون، الذين كانوا يجوبون السواحل الأطلنتية، قد أغفلوا هذه الأرض الخصبة وهذه القرى المزدهرة التي وصل أهلها قدراً لا يستهان به من التطور، فلم يدخلوا معهم في مفاوضات ولم يؤسسوا [ببلادهم] مراكز للتبادل التجاري".

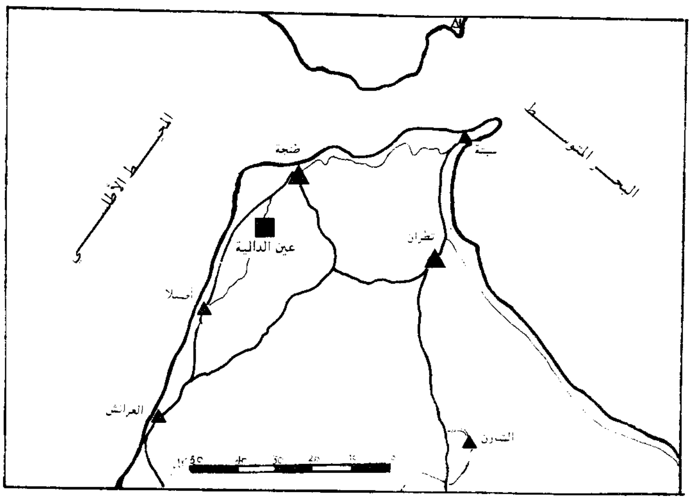


وعن طريق هذه المدافن أيضاً استطاع العلماء أن يؤرخوا بداية فترة القرطاجنيين مع القرن السابع قبل الميلاد وأن يتأكدوا من وجودهم بالمنطقة ومن أن المغاربة كانوا يتعاملون معهم في جو يطبعه التفاهم، حتى إنهم تبنوا لغتهم وديانتهم دون اندماج كلي معهم. وانتهت فترتهم في آخر حكم "بتوليمي "Ptolemée. يقول "ج. كركوبينو J. Carcopino في سيطرة الرومان على المغرب : "ابتداء من 146 قبل الميلاد انتقلت ممـاليك الأهالي دون أن تعلم إلى الهيمنة الرومانية التي عوضت بكل بساطة ووضوح

الوصاية القرطاجنية".

ولا نجد دليلاً على إنشاء مدينة طنجة، إلا أربع طرق قديمة تنطلق من المكان المعتقد أنه طنجة القديمة في اتجاه باديتها. واحدة من هذه الطرق توجد في الجنوب، تحاذي مقبرة "بوكشكاش" تؤدي إلى عين الدالية.

وفي الترجمة الحالية لمراحل المسالك الرومانية التي وردت في "نهج أنطونان" *L'itinéraire d'Antonin* للباحث المصطفى مولاي رشيد في مقاله *طنجة والمسالك الرومانية*، يقول : "فيما يخص المسافة طنجيس - سلا، عند مغادرة المدينة الأولى، تتخذ الطريق نفس اتجاه المسار الحالي الفاصل بين طنجة وأصيلة، عابرة وادي المهرهر، الرافد الشمالي لوادي تاهدارت قرب عين الدالية... "ومن هنا تتأكد أهمية هذا الموقع، فالطريق الرئيسية التي تتجه من طنجة إلى المستعمرات الرومانية بالجنوب تمر بعين الدالية، ومن هذه الطريق كانت تمر خيرات سهل لوكسوس وسهل الغرب متجهة نحو طنجة. فكان لابد من وضع نقط حراسة عليها لتسهيل مرور المنتجات، فربما كانت عين الدالية إحدى هذه النقط.

وإذا بحثنا في معرفة بداية نشأة عين الدالية فإن الخزف الموجود بها يدل على قدم المكان والاستيطان به منذ مدة زمنية بعيدة تمتد من القرن الأول قبل الميلاد إلى السابع عشر بعده. وحسب "ش. تيسو" Ch. Tissot يظهر أنها كانت دون شك معسكراً محصنا. ويرى "م. بونسيش" رغم أن الاطلال لا تقدم الشكل التقليدي للنقط العسكرية، ورغم عدم وجود ما يثبت ذلك، فإن هناك أسواراً عريضة وكثيرة إضافة إلى قاعدة عمود وأجزاء لرؤوس أعمدة وبقايا جرات وأدوات منزلية وقبور يرجع تاريخها إلى العصر الروماني، وأنها كانت منشأة بدوية أسست منذ القرن الأول قبل الميلاد، وأن المنطقة كانت منذ ذلك الوقت مستغلة ومحروسة، ويستشهد بضيعة "الضاية" القريبة جداً منها والتي كانت محصنة وموجودة قبل القرن الأول بعد الميلاد، وهي الفترة التي أحرقت فيها. ويضيف فيقول : "ومن الممكن أن "ش. تيسو" قد وجد خلال اكتشافه للمكان آثاراً محفوظة بكيفية جيدة سمحت له أن يؤكد أن عين الدالية كانت معسكراً محصناً، ويغلب الاعتقاد بأن الأمر كان يتعلق بمنشأة فلاحية مهمة، تحولت بعد قانون "ديوكليتيان Diocletien إلى نقطة تعزيز للدفاع العسكري في ناحية طنجة، الشيء الذي يفسر بسرعة تحويلها بصفة استعجالية..." وهذا ما يذهب إليه "ش. تيسو" الذي يرى كما سبق ذكره أن عين الدالية كانت معسكراً محصناً.


المصطفى مولاي رشيد، *طنجة والمسالك الرومانية*، في مجلة *دار النيابة*، العدد العاشر، ربيع 1986، ص. 31.

Ch. Tissot, *Itinéraire de Tanger à Rabat, Bul. de la Soc. de Géographie*, Paris, 1876 ; *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane, mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, IX, 1878 ; *Sur les monuments mégalithiques et les populations blondes du Maroc, revue anthropologique*, V, 1876 ; M. Ponsich, *Exploitations agricoles romaines de la région de Tanger, B.A.M.*, V, 1964 ; *Le Musée Michaux-Bellaire à Tanger, B.A.M.*, IV, 1960 ; *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région*, Paris, VIIè, 1970.


الهادي بجيبجو

**داماد** هوبير Hubert Damade جنرال فرنسي وُلد بمدينة تولوز في 24 دجنبر 1856. وعمل في الهند الصينية وإفريقيا الجنوبية.

وفي 26 دجنبر 1907 عينته الحكومة الفرنسية خلفا للجنرال درود Drude في قيادة جيش الاحتلال الفرنسي بالشاوية. وتولى مهمته في المغرب ابتداء من 6 يناير 1908، وظل في تلك المهمة إلى بداية 1909.

وبالرغم من الإمدادات التي عززت قوات الاحتلال ورفعت عدد رجالها إلى 15.000 جندي، وبالرغم من التفوق الساحق لجيش الاحتلال في الإمكانيات والعتاد الحديث، أمام قبائل لا تملك إلا بنادق خفيفة، فإن داماد لم يتمكن من حسم المعركة لصالحه بسرعة، بل نجد المغاربة يُفشلون خططه في معركتي برابح وفخفاخة يناير - فبراير 1908.

ويبدو أنه نتيجة لاستمرار القتال مع المغاربة في سهول الشاوية، بدأت الشكوك تساور الحكومة الفرنسية في كفاءة القائد الجديد لقواتها بالمغرب، لذلك تقرر إرسال بعثة عسكرية للتفتيش بالشاوية ولتقرير الخطة التي ينبغي اتباعها ترأسها الجنرال ليوطي.

وقبيل وصول البعثة، بذل قائد قوات احتلال الشاوية أقصى جهده للقضاء على مقاومة المغاربة فارْتكب أعمالا إرهابية شنيعة ليثبت تفوق القوات الفرنسية.

توفي في ضيعته Pontus à Fronsac. وفي 1951 نقل رفاته إلى مدفن الانڤليد Les invalides بباريز.


ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، الطبعة الثانية، 1994.

Archives de guerre, Vincennes, Paris ; *La Koumia*, n0 108, Mars 1988 ; *Afrique Française* (bull. de L') 1908 - 1909 ; A.G.P. Martin, *Le Maroc et l'Europe*, 1927.


علال الخديمي

**الدّامُوسْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Zdemug-Adamuz وهو اسم مدينة إسبانية.


م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 652.


**الدّامُون، محمد** بن عبد القادر قائد كان يرأس

جماعة من المجاهدين من قبيلته أهل سريف. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها مولاي أحمد الريسوني. شارك في المؤتمرات التي عقدتها الثورة في عين الدالية يوم 11 ماي 1913 وبضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 وفي قرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915 ؛ كما شارك في 23 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدانق**، وحدة من وحدات الوزن وهو لفظ معرب عن اللغة الفارسية القديمة يجوز فيه فتح النون وكسرها جمع دوانق، وهناك إِجماع علي أنه سدس الدرهم الشرعي وذلك نظراً لأن 50 4 -6 =84 ) وعليه فمقدار الدانق هو ثمان حبات من الشعير وخمسا حبة ووزنه 0.4853غ مما ينطبق على وزن سدس الدرهم النقدي الشرعي، وتتفاوت أوزان الدانق حسب الدنانير والدراهم العرفية التي أصدرتها دور السكة المغربية خلال العهود التاريخية المختلفة (انظر الدرهم والدينار من *المعلمة*). كما يختلف الدانق من وزن النقود على الدانق من الأوزان الطبية المتداولة.

ع. أفا، *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، ص. 152 ؛ ع. بن عبد العزيز الكرسيفي، *رسالة في تحرير أوزان النقود في سوس*، تح. عمر أفا، أنظر ملحق 2 من كتاب *النقود المغربية في القرن 18* م)، ص. 137 - 152 ؛ ح. ابن الجزائري، *كشف الرموز في بيان الأعشاب*، الجزائر، 1928، ص. 5.

عمر أفا

**الدانمارك والمغرب**. يرجع تاريخ العلاقات بينهما إلى الربع الأول من القرن السابع عشر عندما كانت الدانمارك تخوض مع غيرها من الدول الأوربية غمار تلك الحرب الدينية المعروفة بحرب الثلاثين سنة بين البروتستانتيين والكاثوليكيين.

ففي سنة 1037 / 1627 قامت جماعة كبيرة من المجاهدين البحريين السلاويين والرباطيين على متن ثلاث سفن حربية وتحت إمرة مغامر هولاندي يدعى مراد الرايس ويسمى في الأصل يان انس Jan Jansz بغزو جزيرة إيسلاندا الواقعة إلى الجنوب الشرقي من البسيط الجليدي گروينلاندا بالقطب الشمالي، تلك الجزيرة التي كانت تابعة للمملكة الدانماركية قبل أن تصبح سنة 1918 جمهورية مستقلة.

وأثناء تلك الغارة على بعض الأماكن المنعزلة منها أسروا أربعمائة من الأطفال والنساء والرجال ونهبوا العاصمة ريكيافيك واستولوا على مؤن وبضائع مثل الفراء والجلود والأسماك المبخرة وساقوا الجميع إلى مرسى العدوتين الرباط وسلا.

كان لهاته الواقعة الجريئة صدى واسع لدى الدول الأوربية التي كانت ماتزال تتذكر انتصار المغرب في معركة وادي المخازن وانهزام البرتغال سنة 1578 وفتوحات أحمد المنصور السعدي بالسودان بعد ذلك.

أسماء هؤلاء الأسارى مازالت محفوظة بجامعة هاسكولي Haskoli بالعاصمة الإسلاندية حسبما أخبرني بذلك بسلا يوم 10 مارس 1999 الأستاذ بتلك الجامعة وهو أولفار طورمودسن Thormodsson الذي جاء للبحث عنهم، وأفادني أن ثلاثين منهم فقط هم الذين رجعوا إلى بلادهم بعد سنوات من الأسر، طالباً مني إعانته في الكشف عنهم. وقد تبين من الاستقراء الذي أجريته أن هؤلاء الإيسلانديين أرسلوا إلى الجزائر للتبادل بآخرين مع قراصنتها، وذلك بقصد تضخيم مال الافتداء بتعدد الوسائط، حتى إذا لم يظهر مطالب بهم بيع الأسارى بيع القنّ في أسواق النخاسة، فاستخدم الأطفال والنساء في المنازل وعهد للرجال بالأشغال الشاقة أو اللينة في البحر أو في البر. وعلى هذا يكون مصيرهم الانصهار وسط المجتمعات الإسلامية بشمال إفريقيا.

فماذا كان موقف المملكة الدانماركية من هذه الحادثة الأليمة ؟ مما لاشك فيه أن فكرة افتكاكهم كانت تراود الدانماركيين والإيسلانديين، لكن الذي ثنى عزم الحكومة الدانماركية هو ما علمته من وعورة الطريق ومخاطرها بحراً وما ستعلمه أو ما قد علمته من انهيار كيان الدولة السعدية بموت آخر سلاطينها في الثلث الأول من القرن السابع عشر، فلا تجد مخاطباً لها، فطويت الصحف عن هاته القضية.

وبعد نحو 120 سنة تقوت دولة الدانمارك بعلاقات مع الدولة المغربية، وذلك أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، فقد كانت الوثائق المغربية تسمي الدانمارك : الدّين مَارك وأهلها : الماركيين، فدخلت سجل التاريخ المغربي من أجل ذلك.

ربط السلطان سيدي محمد بن عبد الله أثناء خلافته علائق وطيدة مع الدول الأجنبية ومنها الدانمارك، وتبادل مع ملكيْها فريدريك الخامس ثم كريستيان السابع رسائل وسفارات وهدايا، وسمح لها باستيطان تجارها وتعيين قناصلها ونوابها في شتى الموانئ المغربية.

يوم 13 يوليوز 1751 وصلت إلى مرسى آسفي بعثة عينها الملك فرديريك الخامس برئاسة ي ب ده لونكفيل J.B. de Longueville. فأقام بالمدينة مدة. لكنه لما رفع راية بلاده فوق مقر عمله ساءت علاقتُه بالمخزن فوقع عزله لعدم استئذانه في ذلك.

ولم تلبث الأمور أن عادت إلى نصابها باستيطان تجار دانماركيين مدناً مغربية ووصول خبراء دانماركيين في الهندسة وفي الفنون الحربية والبحرية إلى حضرة السلطان، واكتست التجارة نوعاً من الأهمية خلال عهد سيدي محمد

ابن عبد الله ولا سيما عند عقد معاهدة صداقة وتجارة واستيطان يوم 16 شعبان1166 / 18 يوليوز 1753 تنص على تأمين السفن الدانماركية القادمة للمراسي المغربية ومديد المعونة إليها. وكان الذي تفاوض من أجلها هو إيتيان ري E. Rey والذي بدأ تنفيذ بنودها هو القنصل الدانماركي الجديد لوتزوف Lützuw.

بدأت التجارة والمبادلات تعرف نمواً وازدهاراً على يد الشركة الدانماركية الإفريقية برئاسة شالتنبراند. ولكنها انتكست بإفلاسها، ولا سيما عند ما قرر السلطان بعد بناء الصويرة نقل التجارة لهاته المدينة سنة 1767، لكن في 26 يوليوز منها (28 صفر 1181) تجددت المعاهدة المغربية الدانماركية، فوصل يانس كوسطروب J. Kaustrup وشرع في تطبيق فصولها التي يقضي أحدها بتجديد مبلغ الإتاوة التي بدأت تدفعها الدانمارك مثل دول أروبية أخرى بالشمال، ولم تكف عن ذلك إلا بعد ثمانين سنة وذلك بمعاهدة إلغائها سنة 1845. وسلمت حكومة الدانمارك عدداً من البواخر الحربية بمقتضى هاته المعاهدة أيضاً. وقد لبث كوسطروب سنتين، إذ في سنة 1769 انتقل إلى خارج المغرب. وكانت الدانمارك تدفع سنوياً للمغرب في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله 51.000 ويكسدال، أي أزيد من ربع مليون فرنك، (*المعجم التاريخي*، ص. 26).

أما السلطان فقد عين سنة 1759 القائد الحاج التهامي ابن علي أمَدُّون (= مَدُّون) سفيراً لدى الملك فريدريك الخامس حاملاً مطالب المغرب المثلة احتمالاً في بعث سفن حربية وعتاد إليه، فاستقبله أحسن استقبال وعين كاس Kass لمفاوضته.

كما أنه أوفد في صفر 1203 / نونبر 1788 سفيراً آخر إلى ملك السويد ـ النرويج وملك الدانمارك يحمل رسالتين إلى كل منهما ومعه هدايا إليهما. وكان هذا السفير هو الحاج الطاهر بن عبد الحق فنيش السلاوي الذي توفي سنة 1215 والذي كان عاملا على الصويرة وغيرها مثل طنجة وسلا.

ولا بد أن أشير إلى نائب قنصلي مشهور بكتابته عن المغرب وهو جورج هوست George Höst الذي كان صديقاً للسلطان ومرافقاً له طيلة حياته، بحيث أصدر في حقه ظهيراً في 2 قعدة1179 /12 أبريل 1766 بتوقيره وإيصاء الولاة به خيراً. فقد ألف هوست عدة كتب ترجم بعضها من الدانماركية إلى لغات أخرى مثل الفرنسية التي عرب منها مؤخراً أحد كتبه عن السلطان.

وبوفاة سيدي محمد ضعفت العلاقة بين البلدين، واستمرت كذلك طيلة القرن التاسع عشر، فكانت المملكة الدانماركية ممثلة بغيرها من نواب الدول كالمملكة المتحدة. ولم يكن لها دور بارز في أحداث المغرب، فحضرت بالنيابة لا بالأصالة في مؤتمر الجزيرة الخضراء لسنة 1906، وذلك لقلة مصالحها بالمغرب حيث لم يكن لها من المحميين طيلة القرن التاسع عشر سوى سبعة أشخاص، ولم يكن لها تجار ومستوطنون، لكن يشار إلي ورود سائح دانماركي سنة 1885 اسمه غير مضبوط كتبته الوثائق المغربية هكذا : خورخي يريگط الريط، فسكن فاساً بعد أن "تزيّا بزي المسلمين وصار يدخل المساجد والأضرحة والحُرم، فوقع بينه وبين الصبيان مشاجرة في حال تزييه بزي المسلمين وتخلله المساجد".

هذا، وبعد استقلال المغرب اتفق البلدان على ربط علاقات ديبلوماسية واقتصادية وثقافية مازالت سارية المفعول إلى الآن.

جورج هوست، *تاريخ إمبراطور المغرب سيدي محمد بن عبد الله*، عربه عن الفرنسية عبد الرحيم حُزَل ونشر تباعاً في جريدة "العلم"، ابتداءً من 4 أبريل، 1990 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *المعجم التاريخي*، آخر كتاب تاريخ المغرب، الدار البيضاء، د. ت. ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج. 2 و ج. 3 صفحات مختلفة، وج 4، ص.1543 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الديبلوماسي للمغرب*، ج9 ص. 243 وما بعدها ؛ *مجلة الوثائق*، ج. 4 ص. 133 وما بعدها ؛ مذاكرة مع أولفار طورمودسن الإسلاندي يوم 10 مارس 1999 بسلا بواسطة ترجمانه عبد السلام بنين الحسناوي أصلا السلاوي منشأ المقيم منذ 36 سنة رفقة أولاده بعاصمة إسلاندا إلى الآن.

R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé* ; B. Bennassar et L. Bennassar, *Les Chrétiens d'Allah - L'histoire extraorinnaire des renégats. XVIe et XVIIe siècles* ; *Villes et tribus du Maroc*, Rabat, tome I, p. 127 ; *Lettre du Ministère des Affaires Etrangères et de la Coopération*, Rabat (Direction de la Coopération Culturelle et Scientifique), en date du 26 février 1999, adressée à la Bibliothéque Sbihi de Salé.

مصطفى بوشعراء

**داهية** أو ديهيا (Dihya)، أو الكاهنة، ملكة حكمت المغرب الأوسط خلال نهاية القرن الأول الهجري (7 م) ويلاحظ الباحث في تاريخ هذه الشخصية نقصاً كبيراً في المصادر والمراجع التي تحدثت عن هذه الفترة. ويشكل ابن عذاري وابن خلدون والرقيق القيرواني أهم المصادر التي أشارت إلى هذه الشخصية إشارة مقتضبة وتقريباً متشابهة، وذلك في إطار حديثهم عن الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا. هذه المصادر صورت ديهيا ككاهنة وساحرة يهودية استطاعت بسحرها أن تهزم جيوش حسان بن النعمان. وجاءت صورتها، في مجلمها، أقرب إلى الأساطير منها إلى الواقع. أما المراجع الأجنبية فقد صورت ديهيا كبطلة وزعيمة القومية الأمازيغية في شمال إفريقيا، واعتبرت نهايتها بمثابة نهاية المقاومة المسلحة الأمازيغية ضد العرب (G. Camps, 132).

وما بين الرواية الشرقية والكتابات الغربية، نجد الداهية كشخصية تاريخية، ظهرت على مسرح التاريخ بعد مقتل كسيلة في خضم الحروب التي وقعت أثناء فتح شمال إفريقيا سنة 686، وانتقل إليها حكم الأمازيغ بعد ذلك

التـاريخ. واتخـذت منطقـة الأوراس المحصنـة مقـراً لهـا. وحسب ابن خلدون فإن داهيـة قـد تكـون يهـوديـة الديـانـة، ولكن ليس هنـالـك مـا يـؤكـد ذلك. وتـذهـب بعض المراجع الأخرى إلى أنها مسيحيـة. وتشير الـروايـات العربيـة إلى أنها امـرأة شجاعـة مقدامـة في الحروب رغم تقدمهـا في السن. وعنهـا يقـول ابـن عـذاري : ".. لما دخل حسـان القيـروان أراح بها أيـامـاً ثم سأل أهلهـا عمن بقي من أعظم ملوك افريقيا ليسير إليـه فيبيده أو يسلم. فدلوه على امرأة يقال لها الكاهنة، وجميع من بإفـريقيا (...) منها خائفون" (ابن عذاري، *البيان*، 28). وفي خلال الحروب التي خاضتها ضد القـائد حسـان بن النعمان، انتصرت في معـارك كثيرة، منهـا معركـة واد نيني على بعد 16 كلم من عين البيضـاء، ويطلق المسلمون على هذا الوادي "واد البلاء". (Haddadou, 87). وبعـد ذلك استطـاعت أن تحكم إفـريقيـا لمدة خمس سنـوات قبـل أن تصل الإمـدادات العسكـريـة لحسـان من الشـرق، بأمـر من الخليفـة الأمـوي مـروان بن الحكم. ثم بعد ذلك عـاد حسـان إلى محاربـة ديهيـا سنـة 78، فلم تجد بـداً أمـام جيـوش حسـان التي قـدرت بأربعين ألف جنـدي، إلا التحصن في معقلهـا بجبـال الأوراس حيث انتهت حـركتهـا بموتها سنة 78 / 701. وبخصوص نهايتهـا، فإن الروايات لا تتفق حولهـا، فمنها ما ذهب إلى أن الكاهنة انتحرت، بعد أن أعطت الأوامـر لأبنـائهـا بـالانضمـام إلى الجيـوش الإسلامية، ومنهـا ما ذهب إلى أنها قُتلت من قِبَـل حسان ابن النعمـان، وأرسل رأسهـا إلى الخليفـة في دمشق، وعين أبناءها قواداً لجيشه.

اشتهـرت ديهيـا بسيـاسـة الأرض المحروقـة حسب مـا أشـارت إليـه معظم تلك المصـادر. ويـذكـر القيـرواني أن الكاهنة قد ملكت افـريقيـة خمس سنين منذ هزمت حسـان، فلما أبطأ العرب عنها قالت للبربر إن العرب إنما يطلبون من إفـريقيـة المدائن والـذهب والفضـة ونحـن نطلب منهـا المزارع والمراعي فأحرقوا كل شيء. هذه القولـة كررها ابـن خلدون. وأصبحت ديهيـة مشهـورة بسيـاسـة "الأرض المحروقة". غير أن هنالك من شكك في وجود هذه السيـاسة، واعتبر ما جاء عنـد المؤرخين العـرب شيئـاً مبـالغـاً فيـه، لأن المنـاطق التي حكمتها ديهيـا، كانت قد تعرضت للتفقير منذ وقت سابق بسبب حروب الفتوحات. (M. A. Haddadou, *Guide de la culture*, 87).

وهنـالك من ربط ذلك التخـريب بعـوامل أخـرى تتعلق بالظروف الاجتماعية التي عـرفتها المنطقة آنذاك، والصراع بين الحواضر والبوادي (J. Brignon, *Histoire du Maroc*, 50) ومـهـمـا يكن مـن أمـر غـمـوض هـذه الشخـصـيـة، فإن تـاريخ شمـال إفـريقيـا أدخل هـذه المرأة في تـاريخ المرأة المغاربية.

ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، الجزء الأول، تح. كولان وليفي بروفانسال، الطبعة الثانية،1980، بيروت ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1979.

J. Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Casa, 1994 ; G. Camps, *Berbères aux marges de l'histoire*, Paris, 1980; M. A. Haddadou, *Guide de la culture et de la langue berbères*, Alger, s.d.

محمد حنداين

ابن **داود**، أسرة تطوانيـة أصلها من الأنـدلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عـائلتهـم بـالحروف اللاتينيـة هكـذا Benavit، وقـد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ابن **داود، أحمد** قـائد شـارك في معركـة وادي المخارن بجـانب السلطـان عبد الملك السعـدي، ويقـول عنـه الطبيب اليهودي (الذي كان يعالج السلطان المذكور) إنه كان قائداً بجيش السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 234.

Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica de El Rei don Sebastian*, Lisboa, 1837 - y 1903.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **داود، سليمان** بن أعـراب العسكري، كـان كبيـراً في قـومـه بني عسكـر حلفـاء بني مـريـن، قـاد عـدة حملات عسكرية لقمع المتمردين على المخزن المريني وشغل مناصب هـامة كمـا تعـرض لنكبات كثيـرة أثرت على مجرى حياتـه السيـاسيـة خـاصة فـي الفتـرة الممتـدة بـين سنـة760 / 778 بسبب مواقفه المنحازة أثناء انتقال الحكم من أمير إلى آخر. لكن قبل ذلك بـرز نجم ابـن داود كقـائـد عسكـري وسيـاسي محنك مما جعل السلطان أبا عنان يقر به إلى حاشيته ويعينه عاملاً على مدينة رُندة بالأندلس ثم بعد ذلك - أي سنة 756 - على جبل الفتـح وسـائـر ثغور الأنـدلـس مكـان عيسـى بن الحسن الثـائـر على السلطـان. وعنـد رجوع أبي عنـان من حملتـه علـى إفـريقيـة استـدعـى ابن داود من الأنـدلس فـاستـوزره وجعلـه قـائـداً على الجيش المريني العـائـد إلى إفريقية سنة 759 لوضـع حد لهجومات عرب الدواودة على ضواحي قسطنطينة. لكن ذيوع خبر وفاة السلطان أبي عنان المفاجئ أثر في معنويات الجيش المريني مما اضطر سليمان للانسحاب من قسطنطينة والعودة إلى المغرب.

عرف المغرب بعد وفاة أبي عنان مرحلة سياسية متقلبة استمرت حتى نهاية دولة بني مرين سنة 868، ولعل أبرز ما يميز هذه المرحلة تولية ملوك وأمراء ضعاف إما لصغر سنهم أو لقلـة درايتهم بشـؤون الحكم، واستبـداد الـوزراء الـذين كـانوا الحكـام الفعليين. فبعد وفاة أبي عنـان استبد الوزير الحسن بن عمر بالأمر وحجر على ولي العهد الأمير السعيد وهو مـا يزال صبيـاً فنصبه للملك وحتى يعطي لهذا الاجراء

بعض المشروعية استقدم أبناء السلطان أبي عنان من كل جهات المغرب للمبايعة. غير أن صاحب مراكش الأمير محمد المعتمد بن أبي عنان رفض القدوم إلى فاس تحت ضغط وتشجيع شيخ هنتاتة عامر بن محمد بن علي، وقد دفع هذا الموقف بالوزير الحسن بن عمر إلى تجهيز حملة عسكرية بقيادة سليمان بن داود وبعثه سنة 760 إلى مراكش فحاصرها بينما فر أميرها هو وعامر إلى جبل هنتاتة ليتحصنا فيه. غير أن تحول الأوضاع بفاس وخروج منصور بن سليمان على السلطان المريني بها اضطر ابن داود لرفع الحصار عن مراكش والعودة إلى فاس لمشايعة منصور ابن سليمان ومساندته في حركته التمردية ضد السلطان السعيد، فكافأه بتعيينه وزيراً للجند. ولما استولى أبو سالم على الملك سنة 760 استقدم ابن أخيه محمد المعتمد ووزيره عامر شيخ هنتاتة من الجبل الذي كانا لاجئين إليه ورد لهما اعتبارهما، كما عين سليمان بن داود وزيراً له إلى حدود سنة 762 عندما ثار عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الياباني على السلطان أبي سالم ونادى بخلعه وتنصيب الأمير تاشفين بن أبي الحسن مكانه سلطاناً جديداً على المغرب يأتمر بأوامره ويخضع لاستبداده، وقد حاول أبو سالم ووزيره ابن داود وبعض حاشيته وخاصته حصار فاس الجديد بهدف استعادة زمام الأمر إلى يده. غير أن محاولته تلك باءت بالفشل الذريع فسقط قتيلاً بينما اعتقل وزيره سليمان بن داود ومن كان معه. وقد أمر الوزير الثائر عمر بن عبد الله بأن يكون معتقل ابن داود بدار قائد النصارى غرسية بن انطوان ثم نقل بعد ذلك إلى بعض دور فاس الجديد إلى أن عفى عنه وقربه من حاشيته وعينه والياً على مدينتي سبتة وطنجة، إلا أن الأمور لم تستقر على هذا الحال، إذ سرعان ما انقلبت الأوضاع وتمكن مرشح جديد هو الأمير عبد العزيز من حسم الصراع على السلطة لصالحه، فبويع سنة 768 وبادر باعتقال الوزير المستبد وخصمه اللدود عمر بن عبد الله وثلة من خاصته ومؤيدي حركته كان على رأسهم سليمان بن داود ومحمد بن موسى ابن إبراهيم الملقب بالسبيع، فقتل عمر وأودع الأخرين السجن حتى عفا عنهما بفضل وساطة لسان الدين ابن الخطيب وزير ابن الأحمر.

ويستفاد من المصادر أن سليمان بن داود كان حاضراً مرة أخرى وبقوة في الأحداث التي أدت إلى بروز شخصية الأمير أبي العباس أحمد بن أبي سالم كمرشح قوى للحكم، كما شارك مشاركة فعالة إلى جانب الوزير محمد بن عثمان ابن الكاس في استيلاء الأمير على السلطة وليصبح سلطانا على المغرب. وقد حفظ الملك الجديد لابن داود هذه المساعدة فعينه سنة 776 في منصب صاحب الشورى ورئيس مشيخة بني مرين. وفي عهد هذا السلطان بلغ سليمان شأوا كبيراً فكان إلى جانب الوزير ابن الكاس الآمر والناهي، فاستغل سلطته ونفوذه لينتقم من عدوه اللدود لسان الدين بن الخطيب. وقد اتفقت المصادر على أن سبب العداوة بين الرجلين يعود إلى موقف صارم كان ابن الخطيب قد اتخذه من سليمان عندما وعد ابن الأحمر هذا الأخير بأن يوليه على مشيخة الغزاة بالأندلس متى أعيد إلى ملكه وعرشه الذي ضاع منه. وعندما استعاد ابن الأحمر حكم غرناطة ذكّره سليمان بن داود بما قطع له من وعد لكن ابن الخطيب عارض بشدة تنفيذ الوعد معللاً موقفه بأن منصب شيخ الغزاة بالأندلس موكول وموروث لأعياص الملك من آل عبد الحق، لأنهم يعسوب زناتة، فتذمر سليمان من ذلك ورجع خائباً وأسرّها في نفسه إلى أن حانت فرصة للانتقام من غريمه ابن الخطيب، فتربص به وحاك حوله مؤامرة دنيئة انتهت بقتله. بدأت تفاصيل هذه المؤامرة عندما تمكن السلطان أحمد بن أبي سالم من السيطرة على الحكم فاتح سنة 776 واستقر في دار ملكه فاس الجديد، في هذه الأثناء استغل الوزير سليمان بن داود مكانته وحظوته لدى السلطان فأغراه بالقبض على لسان الدين ابن الخطيب تلبية لرغبة سلطان غرناطة ابن الأحمر ووزيره أبي عبد الله ابن زمرك. وبعد اعتقال لسان الدين سافر ابن زمرك إلى فاس واستقبله سلطانها ثم أحضروا ابن الخطيب وأقاموا له محاكمة في مجلس الخاصة وأهل الشورى الذي كان يرأسه ابن داود، واتهموه بأفكار خطيرة وردت في بعض ما كتبه فامتحن وعذب في سجنه، فتشاور المجلس في شأنه وأفتى الفقهاء بقتله غير أن سليمان بن داود ولشدة كراهيته لابن الخطيب أراد التخلص منه بأسرع ما يمكن والانتقام منه شخصياً فدس إليه من قتله في سجنه خنقا ثم أحرق و"عجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته، وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته" ( *العبر*، ج. 7، ص. 709) وأمام تزايد غضب الناس من فعلة سليمان اضطر إلى الفرار بجلده إلى الأندلس عند ابن الأحمر سنة 778 واستقر بغرناطة حيث عين في مجلس الشورى إلى أن توفي هناك سنة 781.

ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، د. ت، ص. 437 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، الجزء الثاني، ص. 274، 278، 304 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، الجزء السابع، ص. 614ـ 615ـ 620ـ 621ـ 625ـ 631ـ 651ـ 654ـ 672ـ 707ـ 711 ؛ *يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، نشر، ألفريد بيل، الجزائر، 1903 ـ 1910 ـ الجزء الثاني، ص. 21 ـ24 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين في دولة بني مرين*، الرباط، 1962، ص. 28 ـ 31 ؛ *النفحة النسرينية واللمحة المرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 52 56 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، الرباط، 1978، الجزء الأول، ص. 229 ـ 231 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1955، الجزء الثالث، ص. 200 ـ 203 ـ 204، الجزء الرابع، ص. 3 ـ 6 ـ38 ـ42 ـ 62 ـ 64 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1979، ص. 60.

رشيد السلامي

**داود** بن **عبد المومن** بن محمد الشيخ أمير سعدي أو كل إليه عمه مولاي عبد الملك قيادة جيش الغرب ووجهه لمراقبة تحركات البرتغاليين بمدينة الجديدة (التي كانت آنداك بيد البرتغال)، ثم شارك في معركة وادي المخازن بجانب عمه المذكور، وبعد المعركة عينه عمه مولاي أحمد المنصور الذهبي عاملاً بمكناس لمدة قصيرة ؛ وفي شهر صفر 988 / أبريل 1580 ثار ضد عمه بسوس، وقد توفي سنة 997 / 1589.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا*، تح. كريم، الرباط، 1972، ص. 48 و55.

Ojeda, Luis de, *Comentario que trata de la infolice jornada del Rey Don Sebastian* (*S.I.H.M., France* I, p. 575 - 627) ; J. Franchi Consetaggio, *L'union du Royaume de Portugal a la Couronne de Castille*, (*S.I.H.M.*), *France*, p. 506 - 574 ; Lope de Vega, *Tragedia del Rey Don Sebastian*, Madrid 1618 y 1898 ; Medico Judio, *Carta a su hermano*, (*S.I.H.M.* , Angleterre, t. I, p. 312 - 321).

محمد ابن عزوز حكيم

**داود، محمد** بن أحمد (الحاج -) بن محمد التطواني، الأستاذ الأديب المؤرخ. ولد بتطوان ليلة الاثنين 12 ذي الحجة 1318 / 1.4.1901 من أم من عائلة داود أيضاً. حفظ القرآن وما تيسر من المتون العلمية على العادة الجارية وهو دون البلوغ، وفي عام 1330 / 1912 شرع في الأخذ عن علماء هذه البلدة إلى عام 1338 / 1920 حيث انتقل إلى فاس فأتم على علمائها دراسته وقضى بها سنتين. ثم عاد إلى مسقط رأسه فزاول التدريس والعدالة والكتابة في الصحف خصوصاً جريدة الأهرام المصرية الذائعة الصيت في العالم، فكان مراسلها الخاص نشر بها تفاصيل عن حرب التحرير التي تزعمها البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي باسم مستعار.

وفي عام 1342 / 1923 نال جائزة التاريخ في الأسواق الأدبية التي أقيمت في سبتة لأدباء اللغتين العربية والإسبانية.

وبتاريخ 1343 / 1925 أسس مع رفقائه : المدرسة الأهلية وتولى إدارتها والتدريس بها نحو اثنتي عشرة سنة. وكانت أول مدرسة عربية إسلامية حرة أسست بشمال المغرب في عهد الحماية. فكانت النواة الأولى للحركة العلمية الحديثة والوطنية الاستقلالية بهذه البلاد ومن تلاميذها مؤسسو حزب الإصلاح الوطني.

وفي عام 1347 / 1928 أسس شركة المطبعة المهدية وانتخب رئيساً لمجلس إدراتها. وكانت أول مطبعة عربية كبرى في الشمال. وفي نفس السنة نال الجائزة لأولى في الأسواق الأدبية بسبتة أيضاً مع الزهرتين الطبيعية والأدبية. وكانت مشاركته بقصيدة نونية في الوصايا والحكم نشرت بمجلة *الاتحاد* سنة 2 عدد 17.

وفي عام 1350 / 1931 انتخب عضواً بالمجلس البلدي بتطوان باقتراع حر في عهد الجمهورية الإسبانية. وصدر بذلك قرار وزيري مؤرخ في 22 جمدى الأولى 1350 / 5.10 - 1931.

وفي عام 1352 / 1933 أسس مجلة *السلام* وتولى إدارتها وتحريرها، وهي أول صحيفة حرة وطنية. صدر منها عشرة أعداد، وقد مَنَعت الإدارة الفرنسية دخولها لمنطقة حمايتها بقرار نشر بالجريدة الرسمية عدد 1125 بتاريخ 18 / 5 / 1934. وقد احتال الأستاذ داود لدخولها المنطقة الممنوعة بتغيير اسمها باسم "العزيمة" فنجحت الحيلة.

وفي عام 1353 / 1934 أصدرت مندوبية طنجة وحاكمها قراراً بنفيه من طنجة ومنطقتها معتبراً وجوده بها خطراً على الأمن العام. وظل ممنوعاً من دخول طنجة بضع عشرة سنة.

ثم نفته الإدارة الفرنسية من الرباط وأصدرت أمراً بمنعه من دخول المنطقة كلها. وفي نفس السنة أيضاً عين عضواً في المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي بشمال المغرب.

وحج في نفس السنة وزار نجداً والعراق وشرق الأردن وفلسطين ومصر ومنعته فرنسا من دخول سورية ولبنان لكونهما تحت انتدابها يومئذ. واستغرقت هذه الرحلة ستة أشهر.

وفي عام 1354 / 1936 أصدر جريدة *الأخبار* وكانت أول جريدة حرة وطنية تصدر بالمغرب. وقد أصدرت الإدارة الفرنسية أمراً بمنعها من دخول منطقة حمايتها. وفي عام 1355 / 1937 عين مفتشاً عاماً للتعليم الإسلامي بشمال المغرب بظهير خليفي. وهو أول وظيف حكومي تولاه في حياته. وبمجهوداته أسست سبعة معاهد دينية وكثير من المدارس العصرية التي ما تزال قائمة إلى اليوم. ووضع مناهجها العربية الإسلامية.

ثم عين نائباً لرئيس المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي وعضواً بالمجلس الأعلى للأوقاف الإسلامية بشمال المغرب، ثم مديراً للمعارف بالشمال.

وبعد الاستقلال عين عضواً في اللجنة الملكية لإصلاح التعليم بالمغرب، وعضوا بالمجلس الوطني الاستشاري، وفي لجنة مدونة الأحوال الشخصية.

وللمترجم ولَع بالتدوين وجَلَد على الكتابة والتقييد نسخ كثيراً من الكتب وملأ الدفاتر والكنانيش، ثم توجه للعناية بالتاريخ متأثراً بشيخه الفقيه الرهوني مؤرخ تطوان. وكان له به مزيد اختصاص، وله عليه دالّة ونسخ لنفسه كثيراً من مؤلفاته وعلى رأسها تاريخه : *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، وهو في خزانته معظمه بخطه. وأهم مؤلفاته *تاريخ تطوان* في عشرة أجزاء طبع منها ثمانية. في الخمسينيات بعد الحرب الكونية الثانية. ومنها كتاب *المجتمع التطواني من خلال الأمثال المغربية*. مقارنة بالأمثال العربية والمحلية من العالم العربي. وقد أتمه في نحو أربع مجلدات، ومنها *مذكراته* (على رأس الأربعين) وفيها التاريخ المفصل لحياته وما أحراه بالنشر ! ولتاريخه لتطوان مختصر أحرز على جائزة المعهد الحسني بتطوان فطبع بها في مجلد، *والعملة المغربية خلال أربعة عشر قرناً*. أما أبحاثه ومقالاته ومحاضراته فلا تحصر، ولو جمعت لجاءت في عدة أجزاء. وكان معنياً بالتحف والنوادر فجمع مجموعات من طوابع البريد ومن العُملات المختلفة. ومن صُور البلاد والأشخاص الشيء الكثير. وقد وُفق رحمه الله في شيخوخته لبناء مسجد لصقَ داره، وبجواره وفوقه مكتبة حبسها على طلبة العلم وأهله. كان يعتكف فيها للتسجيل والتنظيم واستقبال الزوار. وظل كذلك إلى أن أسندت إليه مديرية المكتبة الحسنية بالرباط. فسَار فيها مرضي المعاملة مثنيا عليه إلى أن هاجمه المرض فعاد لمسقط رأسه متأثراً. زرتُه وهو مريض فوجدته يعمل في انجاز ما كان ناقصاً من مشاريعه العلمية. فأظهرت له الإشفاق مما هو فيه فاستغفر - رحمه الله - وألح علي في الدعاء له. فدعوتُ ودعوتُ ونحن نبكي معاً. وبعد هذه الجلسة بأيام معدودة لبى داعي ربه في رابع عشر رمضان عام1404 / 4 / 6 / 1984 ودفن بمصلى الجنائز بمدخل باب المقابر بتطوان رحمه الله تعالى.

م. داود نفسه، *ترجمته الشخصية* بقلمه بآخر المجلد الأول من *تاريخ تطوان*، طبع تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين، في تاريخ تطاوين*، ج 6 مخطوط ؛ محمد أرسلان، *حاضر العالم الإسلامي*، حواشي الأمير شكيب،2 / 45 /47 ؛ *أستاذ الجيل الرائد الكبير المرحوم محمد داود في مهرجان التأبين*، ط تطوان الكتاب كله.

محمد الأمين بوخبزة

ابن **داود**، **محمد** بن **قاسم** الفخار الصديقي السلامي. كان عالماً جليلاً وفقيهاً محدثاً وشاعراً مكثراً، وكان خلا وصديقاً للسان الدين ابن الخطيب السلماني لما كان مقيماً بسلا، ونوه به في إحدى قصائده العينية. وقد عين للتدريس بالمدرسة المرينية التي بطالعة سلا. خلف بعض التآليف ومنها *ديوان في السيرة النبوية* في أكثر من ثلاثة آلاف بيت، محفوظ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 360 ك، وعنوانه : *نوادر الظلام في شرف سيد الأنام* وكانت وفاته بمسقط رأسه سنة800 للهجرة / 1397 م.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، ج 3، ص. 281 ؛ م. ابن علي الدكالي، *تقييد عن المدرسة المرينية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 4، ص. 378 ؛ جعفر الناصري، *ابن الخطيب بسلا*، ص. 66 ؛ *كناشة محمد التطواني*، مخطوط، الورقة، 34.

مصطفى بوشعراء

أيت **داود**، مدينة تاريخية عريقة في القدم، تقع بقبيلة إداو بوزيا الجبلية قي قبيلة حاحة بعيدا عن البحر، تنسب إلى داود بن خالد بن يحيى بن زكرياء الذي يقال إنه أول نزيل في ذلك المحل وأنه جاء من (منى) بالحجاز في القرن السادس وهو الجد الخامس للشيخ الصوفي سعيد بن عبد النعيم صاحب الزاوية المشهورة هناك.

وقد ذكر صاحب *وصف إفريقيا* مدينة أيت داود من بين مدن حاحة العامرة في مطلع القرن العاشر (16 م) بقوله : (أيت داود مدينة عتيقة بناها الأفارقة على جبل شامخ، إلا أن بقمته سهلا في غاية الجمال... وفي وسطه عيون جارية كثيرة ماؤها بارد جدا. وليست ضواحيها سوى صخور وغابات غريبة موحشة، وتنبت بين هذه الصخور كمية وافرة من الأشجار. في هذه المدينة عدد كثير من الصناع اليهود من حدادين وإسكافيين وصائغين. يقال إن السكان الأقدمين لهذه المدينة يهود من سلالة داود، أسلموا بعد أن فتح المسلمون هذه البلاد).

وقد لاحظ الوزان أثناء مروره بهذه المدينة في مطلع القرن العاشر أن سكانها يكثر فيهم المتضلعون في الفقه ويستظهر معظمهم النوازل والأحكام، لذلك أصبحت هذه المدينة في حاحة بمثابة محكمة شرعية ترفع إليها جميع الخصومات، فتسوى فيها المطالبات القضائية والاستدعاءات والاتفاقات والعقود... ولذلك يقصدها جميع الناس من الأماكن المجاورة. وقد نوه الحسن الوزان بغزارة علم شيخين جالسهما في هذه المدينة حوالي عام 919، ولا نستبعد أن يكون أحدهما هو العالم المتصوف المشهور سعيد بن عبد المنعم الحاحي المتوفي سنة 935 هـ، إذ قال عن الأول (وقد عرفت منهم شيخا يحفظ كتاب *المدونة* عن ظهر قلب، يعني مجموع القوانين ويشتمل على ثلاثة أجزاء تتناول بالدرس أصعب المسائل الفقهية، وتبين رأي الإمام مالك فيها).

وثانيهما التقى به الوزان بدار وكيل شرعي في هذه المدينة حيث اجتمع عدد من فقهائها ذات مساء وبعد تناول العشاء بدأت المناقشة حول معرفة ما إذا كان يجوز بيع

ملك الخواص إذا احتاجت الأمة واقتضته المصلحة العامة، وكان من بين الحاضرين شيخ كبير حاز شرف الفصل في المسألة وحسم الخلاف فيها، وكان يدعى الجزار، لأنه يمتاز بإصابة مفاصل النوازل الشرعية.

وكل هذا يدل على ما لهذه المدينة العتيقة من أهمية حضارية كمركز إشعاع علمي وديني، وكرباط حصين بالجبال يحتمي به المجاهدون ضد التغلغل البرتغالي الذي استهدف عددا من القرى والمدن الحاحية فقتل وشرد أهلها وخرب ديارها، ودك أسوارها كما ذكر المؤلف، فلم يبق منها اليوم إلا هذه المدينة ومدينة تفضنا الواقعة غربها على المحيط الأطلسي. وأيت داود اليوم عبارة عن مركز لقيادة وجماعة وقبيلة إيداو بوزيا القروية يعمر فيه سوق أسبوعي يوم الجمعة وبه مدرسة علمية إزاء زاوية أحفاد الشيخ المذكور سيدي سعيد بن عبد المنعم (تـ. 935) والذين يتمتعون بنفوذ روحي وعلمي بين سكان قبائل حاحة وسوس إلى اليوم.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج. 1، ص. 83 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 19 :72 ؛ *تحريات ميدانية*.

محند أيت الحاج

**الداودي**، أسرة فاسية كبرى تشتمل على خمس فرق : الفرقة الأولى ـ كما جاء في *رفع الالتباس* ـ : أصلها من تلمسان يدعون الشرف. أول قادم منهم على فاس الشيخ الجليل الحاج الداودي ـ اسماً ـ بن العربي التلمساني المتوفى سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف شارح الهمزية ومحشي السعد إلى غير ذلك من التآليف، ومنهم حفيده القاضي الحسن بن ناصر بن الشيخ الداودي المذكور، المتوفى سنة ست وستين وثلاثمائة وألف المشارك الأديب الشاعر.

والفرقة الثانية كان لها ذكر بفاس، شرفاء يعرفون بأولاد ابن العياشي. قال في *الدرر البهية* (2 : 55) "كان سكناهم بنواحي الشرابليين وكانت لهم هناك رباع كثيرة والآن قد انقرضوا وإليهم ينسب جنان بالمرج باب الخوخة".

والفرقة الثالثة شرفاء أيضاً ويُعرفون بالهرغيين نسبة إلى هرغة قبيلة عظيمة من قبائل المصامدة من السوس الأقصى، أهل معاش وحرفة وطلب، وآخرُ من أدركنا منهم ـ يقول عبد السلام ابن سودة ـ يشار إليه بالطلب العلامة الموثق الطاهر بن إدريس الداودي المتوفى أواسط العشرة السادسة وثلاثمائة وألف.

والفرقة الرابعة من الجبل من قبيلة متيوة وليسوا من الأشراف وان صار البعض منهم يدعي ذلك الآن. أهل تجارة ومال وطلب ومعاش وحرفة ظهر بالعلم منهم الآن عبد الله ابن عبد الرحمان الداودي من أكبر المدرسين بالقرويين وله اليد الطولى في الافتاء ؛ وابنه عبد الكريم آتي الترجمة.

والفرقة الخامسة من بلاد الريف مرابطون من نسل الداودي المجاهد دفين بلاد النكور في الريف. ظهر منهم أخيراً الشيخ الوقور المهدي بن الحسن الداودي المتوفى عام 1360 كان يُعد من العلماء، وتولى أخيراً قيادة قبيلة الحياينة.

ع. السلام ابن سودة، *رفع الالتباس*، مرقون.

محمد حجي

**الداودي** أو أولاد داود أو الداوديون، أسرة قلعية قديمة الاستطيان بهضبة تازوطا، تدل أولى الوثائق المعروفة لدينا وهي مؤرخة بربيع الثاني عام 730 على أنهم كانوا مستقرين بالمكان منذ وقت سابق يصعب تحديده، ويمكن الرجوع به على الأقل إلى دخول بني مرين ناحية قلوع كرط (قلعية) سنة 610.

تعلقت الوثيقة بالمدعو الجروم أو أيروم الوغمراني الذي احتاج إلى رسم يثبت به ملكيته على الأرض الكائنة بهضبة تازوطا، مبدؤها من باب الحصن لتعود إليه بعد الاستدارة، إذ أن الداوديين كانوا سند قائد تازوطا في الجهاد ضد مليلة خلال القرن العاشر (16 م) وما بعده . وقد أعيدت المصادقة على نفس الوثيقة بتاريخ تاسع شوال عام 1158 ثم بتاريخ أول ذي القعدة عام 1286.

واعتماداً على ما بيد الداوديين من وثائق، فإن الأسر الداودية المتفرعة ما بين 730 و1295 هي المعروفة بكنيات أيروم وبومزوغ وأينار والداودي.

*وثائق القائد الحاج محمد بن الهادي الداودي ؛ وثائق السيد الوردة ؛ وثائق الخال الطاهر محمد عالوش ؛ وثائق ميمون المختار الداودي* ؛ وثائق خ. ح. ومديرية الوثائق الملكية ؛ *معلمة المغرب*، تحر ميداني.

حسن الفكيكي

**الداودي، أحمد** بن حدو، مقاوم كان يرأس جماعة من المهاجرين من قبيلته كبدانة انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مَحمد أمزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور ؛ وقد شارك في عدة معارك وسقط أسيراً في المعركة التي جرت يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912) والتي استشهد فيها زعيم المقاومة الشريف مَحمد أمزيان.

محمد ابن عزوز حكيم

**الداودي، البشير**، مقاوم من مواليد سنة 1926 بمدينة العيون. شب على مبادئ الوطنية والكفاح، وكان من الرعيل الأول للمقاومة والمؤسسين لفرق جيش التحرير بالصحراء المغربية برتبة قائد. شارك في عدة معارك منها : معركة الدشيرة، وتافودارت والعيون ولبلاية وغيرها من

المعارك التي دارت رحاها بالصحراء.

توفي في شهر أبريل 1995 بمدينة العيون.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**الداودي، التقي** بن عمر، مقاوم ولد سنة 1928 بطانطان. نشأ في أسرة متواضعة وعرف عنه كرهه الشديد للاستعمار الشيء الذي دفعه بعد اشتداد عوده إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير بالمقاطعة الثالثة عشرة قيادة قاضي ملال وذلك بتاريخ 12 / 11 / 1957، امتاز بإخلاصه وتفانيه في العمل حيث كان مثالا حسنا بالنسبة لباقي إخوانه المجاهدين، شارك في عدة معارك خاضها جيش التحرير ضد المستعمرين : الإسباني والفرنسي، نذكر منها معركة تيلوين واصضر وابريغيت وأخيرا معركة افران، وكانت مشاركته فعالة ومثمرة طيلة الفترة التي قضاها في صفوف جيش التحرير إلى أن استشهد في المعركة الأخيرة بتاريخ 20/11/1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين، *شهداء الاستقلال*، 4 :24.

**الداودي، الجيلالي** بن الرغاي، من قبيلة أولاد سيدي بنداود، إحدى قبائل الشاوية الجنوبية المكونة لقسم أولاد بورزق. تولى القيادة على قبيلته في عهد مولاي الحسن الأول، وشمل نفوذه بعض فرق أولاد بوزيري المجاورين. وقد استمر الجيلالي الداودي في القيادة إلى عهد الاحتلال الفرنسي.

لم يتعرض القائد الجيلالي بن الرغاي الداودي لأي أذى عندما انتفضت قبائل الشاوية ورفضت قوادها منذ 1903. ويظهر أن القائد انغمر مع أسرته ضمن الانتفاضة حيث كان أخوه وخليفته القرشي بن الرغاي من زعماء الانتفاضة ومقدمي جماعاتها.

حارب القائد الجيلالي الفرنسيين، ولما تمت سيطرة المحتلين هاجر بلاده. وقد عدته استخبارات جيش الاحتلال من زعماء المقاومة.

وقد اتصل القائد الجيلالي بالألمان ونال حمايتهم. وبتلك الحماية أراد الرجوع لبلاده. الأمر الذي أثار خلافات بين قيادة جيش الاحتلال في شخص الجنرال مواني Moinier الذي رغب في أن يقدم له المجاهد المغربي طلب الأمان، وبين السلطات الدبلوماسية الفرنسية بالمغرب التي قبلت الأمر الواقع. وقد عاد الجيلالي الداودي لقبيلته دون أن يطلب الأمان من الجنرال قائد جيش الاحتلال.

علال الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، 1894 ـ 1910*، الدار البيضاء،1994 ؛ *وثائق الحربية الفرنسي*.

**الداودي، حمامو** الشاوي من أبطال الجهاد الذين ذاع صيتهم أثناء مقاومة قبائل الشاوية للاحتلال الفرنسي خلال سنة 1907 ـ 1908. ينتمي لقبيلة أولاد سيدي بنداود التي خرج منها كثير من الأبطال الذين اشتهروا بالشجاعة والفروسية.

خاض معارك الجهاد، حول الدار البيضاء وسطات ضد جيش الاحتلال الفرنسي وكان يتقدم الصفوف حاملا لواء قبيلته، مثله في ذلك مثل القرشي بن الرغاي الداودي.

لما تغلبت القوة العسكرية، وخضعت كل قبائل الشاوية للسيطرة الفرنسية، ألقي القبض على حمامو الداودي كغيره ممن عارض الاحتلال ودافع عن بلاده من مجاهدي الشاوية. وأبقته القوة الغاشمة حبيس السجن إلى أن وافاه أجله في تاريخ غيرمحدود.

العربي العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية المشاهير*، مخطوط.

علال الخديمي

**الداودي، سعيد**، مقاوم ولد سنة 1916 بدوار أيت بوجو فوم أودي دائرة واويزغت إقليم أزيلال. اختار الكفاح المسلح في صفوف الحركة الوطنية حيث نفذ العديد من العمليات الفدائية فألقي عليه القبض في شهر يونيو سنة 1951، وعند خروجه استمر في كفاحه بصفوف المقاومة المسلحة ليلقى عليه القبض للمرة الثانية حيث تم نقله من سجن تونفيت بإقليم أزيلال إلى سجن سيدي سعيد بمكناس ومنه إلى سجن الدار البيضاء فمراكش وأخيراً سجن بويزكارن بالصحراء المغربية وبه استشهد داخل زنزانته خلال شهر نوفمبر سنة 1953.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 3 : 116.

**الداودي، عبد الكريم** بن محمد بن عبد السلام. ولد بمدينة فاس عام 1334 / 1916 وأدخله والده في سن السابعة إلى الكتّاب بحي سيدي أحمد الشاوي قرب سكناه، فقضى فيه نحو سبعة أعوام وانتقل بعد ذلك إلى المدرسة الناصرية الحرة التي كان يديرها الفقيه محمد غازي

بتوجيه من عمه أحمد الذي كان يسكن مدينة مراكش. وقد تلقى في هذه المدرسة دروساً في النحو والفقه والسيرة والحساب والجغرافيا، انتقل منها إلى جامعة القرويين التي تأسس فيها آنذاك التعليم النظمي المكون من ثلاثة مراحل : ابتدائية وثانوية ونهائية، فانخرط في النظام وأخذ عن الشيوخ : عبد العزيز العراقي، وأحمد العمراني ومحمد بن العربي أشرقي وغيرهم، كما أخذ خارج النظام عن عبد الرحمن الغريسي ومَحمد بن عبد المجيد أقصبي ومحمد بن عبد الكبير ابن الحاج.

يمثل هؤلاء الأساتذة مختلف مراحل تعليمه كما يمثلون جوانب شتى من أخلاقه وسلوكاته، وكان أكثرهم غير راض على الوضع الاستعماري الذي فرضته الحماية على المغاربة وكذلك على الوضع الفكري الذي يسود بعض الفئات في المجتمع، فنشأ عبد الكريم الداودي متحمساً للفكر الإصلاحي، وظهر ذلك في مواقفه الوطنية حيث دخل إلى السجن مرات، كما ظهر في خطبه أيام الجمعة وفي خلايا حزب الاستقلال الذي كان ينتمي إليه.

ومن أبرز مواقفه الإصلاحية دعوته إلى إدماج المرأة في المجتمع وإلى وجوب تعليمها وتوعيتها، وكان يعقد جلسات خاصة في منزل الوطني أحمد مكوار يحضرها نساء واعيات يقدم إليهنّ الأصول الشرعية في وجوب مشاركة المرأة في المجال التربوي ويحمِّلهن مسؤوليتهن في تعميم هذه الأفكار داخل المجتمع المغربي.

وكانت أفكاره هذه واضحة أثناء تكليفه بتقديم الدروس النهائية لقسم البنات بجامعة القروين، حيث تخرج على يده الفوج الأول من العالمات المكون من السيدات حبيبة البورقادي وفطومة القباج، وزهور الزرقاء، وعائشة بنت مَحمد السقاط والسعدية الحمياني.

ومنذ تخرج عبد الكريم الدودي وهو يعمل في إطار التعليم، فكان أستاذاً بجامعة القرويين وببعض المدارس الحرة بفاس، وحظي بشعبية كبيرة في المجتمع الفاسي إذ كان الناس يُقبلون عليه لاستفتائه في كثير من قضاياهم الدينية وللاستماع إلى خطبه أيام الجمعة سواء أثناء قيامه بها بمسجد سيدي أحمد الشاوي أو بعد أن انتقل إلى جامع القروين. وكان يجيب في كثير من الأحيان عن أسئلتهم في ركن المفتي بالتلفزة المغربية.

ويعدّ عبد الكريم الداودي أحد أعضاء المجلس العلمي بفاس، اختير لإلقاء بعض الدروس الحسنية الرمضانية، منها درس بعنوان *فضيلة الغرس والزرع في الإسلام* انطلاقا من حديث البخاري (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة) ؛ ودرس في *فضيلة العلم والحكمة والبذل من أجل الصالح العام* انطلاقا من حديث البخاري في كتاب العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة.

التزم رحمه الله بالقيام بواجبه دون أن يستسلم لعجز أو مرض لأنه كان يرى أن الإنسان مسؤول عن أعماله ما دام حياً، ولهذا نجده منذ نشأته إلى آخر يوم من حياته منكباً على التعلّم والتعليم وعلى الاستفادة والإفادة، ويكفينا دليل على ذلك أنه توفي يوم الجمعة عشرين ذي القعدة عام 1415 / 21 أبريل 1995 بنوبة قلبية وهو عائد من الرباط إلى مدينة فاس بعد أن سجل بدار التلفزيون حصة من حصص ركن المفتي.

وقد أقامت له كلية الشريعة بفاس في اليوم التاسع من يونيه 1995 حفلا تابينيا شارك فيه عدد من العلماء والأدباء. ومما ينبغي ملاحظته أن عبد الكريم الداودي رغم نشاطه العلمي الدؤوب ومشاركته في شتى ضروب المعرفة الإسلامية لم يشتغل بالتأليف والتدوين بحيث لم أقف له إلا على *كناشة علمية* بها تقاييد تتعلق بالأحكام الشرعية وبقواعد الأصول، وفيها بعض القصص والنتف الشعرية وتاريخ حوادث شخصية ووطنية.

وذكر له ابن الحاج في ترجمته مجموعة من التآليف لم يتيسر لي الاطلاع عليها منها *شرح على لامية الأفعال* لابن مالك قال : إنه مازال في مسودته، و*تعليقات على كتاب مفتاح السنة* للشيخ محمد عبد العزيز الخولي في الحديث، وعلى كتاب *لباب اللباب* في الفقه، و*تلخيصات في تاريخ المغرب*.

ع. الكريم الداودي نفسه، *كناشة علمية* تحتوي على تسع وأربعين ورقة في ترجمته الذاتية ؛ م. ابن الحاج، *إتحاف ذوي العلم والرسوخ*، الدار البيضاء، 1978 ؛ *دعوة الحق*، العددان 305 ـ 306، عام 1394.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

**الداودي، القرشي** بن الرغاي، مجاهد شهير بقبائل الشاوية، ينتمي لقبيلة أولاد سيدي بنداود، المجاورة لأولاد بوزيري إلى الجنوب من مدينة سطات.

ينتمي القرشي إلى أسرة تولت القيادة بقبيلته، ويبدو أنه كان خليفة لأخيه القائد الجيلالي بن الرغاي. ويظهر أن أسرة القرشي بن الرغاي كانت مرتبطة بالجماعة ارتباط تقديم وزعامة، ولهذا انخرط القرشي بن الرغاي في انفتاضة 1903 بالشاوية وتزعم جماعة قبيلته التي واجهت الاستغلال الرأسمالي للتجار الأجانب واليهود وسيطرة قواد المخزن.

وظل القرشي يتزعم إخوانه، إلى أن تحولت الانتفاضة إلى جهاد ضد الاحتلال الفرنسي لمدينة الدار البيضاء إثر حوادث 1907.

اشتهر القرشي بن الرغاي كقائد حربي شارك في معسارك الدار البيضاء والشاوية وخاصة في المعارك التي دارت في الشاوية الجنوبية، وقد استشهد في إحدى هذه المعارك التي جرت بمدينة سطات في 15 يناير 1908.

ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، 1894 ـ 1910، الدار البيضاء، 1994 ؛ *وثائق الحربية الفرنسية*.

علال الخديمي

**الداودي محمد** بن **لخضر**، مقاوم ولد سنة 1930 بمدينة وجدة. دفعت به أفكاره الوطنية إلى العمل ضمن صفوف المقاومة السرية المغربية بوجدة وفاس، وشارك في تنفيذ عدة عمليات فدائية مع أحمد عمر والحاج بوبو من سنة 1953 إلى غاية سنة 1954.

ومن جملة الأعمال التي نفذها اغتيال بعض الخونة المتعاملين مع سلطات الاستعمار الفرنسي.

ألقي عليه القبض وسجن بمدينة فاس وحاولت الشرطة استنطاقه إلا أنه فضل الانتحار بدل البوح بأسرار المقاومة واستشهد رحمه الله سنة 1954 بفاس.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 2 : 178.

**الداودي، محمد** بن **الهادي** الشكري القلعي، قائد المولى الحسن على خمس بني شكر القلعي. كان في بداية أمره شيخ فرقة بني بوغمارن المندرجة في خمس بني شكر، ثم أصبح أول قائد للقبيلة على عهد المولى الحسن بعد تفكيك نظام القيادة الموحدة التي كانت بيد المختار ألغم منذ عهد محمد بن عبد الرحمن ( *المعلمة*، 10 / 3193 ). ومن هناك جاءت نزاعاته مع المختار ألغم والسعي للإطاحة به.

تولى القيادة على بني شكر حوالي سنة 1291. وهي السنة التي قرر فيها المولى الحسن أثناء زيارته لقبيلة قلعية اعتماد النظام الجديد القاضي بتطبيق نظام تعدد القيادات داخل القبيلة الواحدة، تلافيا لكثرة النزاعات وضبطا لاستخلاص الواجبات المخزنية.

تكونت قبيلة بني شكر آنذاك من تجمعات واد المدور من أعلاه إلى أدناه ومن أهل كتلة شبه جزيرة هرك. وفرقة بني بوغمارن من الفرق الرئيسية بالقبيلة، قاعدتها قلعة تازوطا. وإذا أخذنا على سبيل المثال ما جاء في مراسلتين، الأولى بتاريخ 12 شعبان عام 1291 والثانية بتاريخ فاتح صفر 1297، فإن القائد الحاج محمد بن الهادي وجب عليه من الأعشار ما تراوح بين 2.800 ريال في السنة الأولى و1484 ريال في السنة الثانية.

ودار القائد محمد بن الهادي الداودي كائنة بمدشر أولاد داود، من فرقة بني بوغمارن، المستقر على السفح الجنوبي من كتلة جبل أكركور القلعي بجوار إحدادن السبت، حيث ما يزال أحد أحفاده يسكن هذه الدار، وهو المدعو الطويلي الداودي.

كانت قبيلة بني شكر الخمس الأول المنفصل عن القائد المختار ألغم الجواوي، سابق الترجمة وأصبحت مثالا يحتذى لباقي أخماس قبيلة قلعية. كان مدبر الحركة ضده هو بنو شكر بقيادة محمد بن الهادي الداودي، الأمر الذي أدى إلى استمرار النزاع معه إلى أن تم القبض على المختار الغم وإيداعه في سجن العرائش.

شارك الحاج محمد بن الهادي الداودي بأمر من المولى الحسن قواد قلعية في حل مشاكل حدود مليلة التي كان يثيرها عادة رجال حامية مليلة مع أهل قبيلة مزوجة. وكان منها المشكل البارز منذ 23 رجب 1300 : المترتب عن شكاية عسكر مليلة بقتل أحد الجنود، اتهم به المسمى حمو بن الطاهر النصري المزوجي، مضافا إلى دعاوي أخرى.

ولتلك الغاية وجه المولى الحسن القائد الرحالي العمري الذي بقي بقصبة جنادة سبعة عشر يوماً للإشراف على فض دعاوي الحدود، وهي مثلما أبرزتها الوثائق : دعوى حم بن الطاهر النصراوي المتهم بقتل جندي إسباني وسرقة أهل خمس مزوجة الحلاليف والزروع ودعوى قتل الإسبان لأحد الشكريين بالحدادة. وحينما قدر ما ضاع من الخسائر بنحو مائتي وسبعين ريالاً، تم توزيع هذا المقدار على الأخماس، فكان المطلوب من بني شكر هو دفع سبعين ريالا، تكلف الحاج محمد بن الهادي الداودي بجمعها وتسديدها. تم هذا الفصل في مستهل رئاسة مبارك بن علي الدويلالي، المعين في 21 شوال 1300 قائداً على الحدود وواسطة بين قلعية وحاكم مليلة فيما يرجع لمشاكل الحدادة، بدل القائد حميدة ابن علي الشركي المنقول إلى قصبة عيون سيدي ملوك.

لم ينج محمد بن الهادي الداودي من النزاعات التي كانت تشب بين القواد وأمناء القبائل، ونعرف أن أمين بني شكر هو المسمى الحاج محمد بن عبد الله الشكري. والخلاف بين الأمناء والقواد كان في العادة مركزاً حول الاستقلال بشؤون مالية القبيلة وعدم تدخل القائد في أمرها.

هذا هو ما علمناه من خلال مراسلة 29 جمادى الأولى 1305 مما وقع بينه وبين بني شكر من البارود ومقتل بعض إخوانه وإخراجه من داره وهروبه إلى مزوجة. ولم تكن هذه نهاية الحاج محمد بن الهادي الداودي بل استمر علمنا بوجوده على رأس القبيلة إلى 26 جمادى الأولى 1307/ 18 يونيه 1890، وهو التاريخ الذي أمر به للتدخل في الصلح بين مسطاسة وبني كميل من قبائل الريف الغربي، وإلى متم شوال 1307 / 18 يونيه 1890 حين أخبر القائد السلطان

المولى الحسن بمقتل المقدم الحضري، ثم أخفت عنا الوثائق أخباره ابتداء من هذا التاريخ.

*وثائق القائد الحاج محمد بن الهادي الداودي ؛ وثائق السيد الوردة ؛ وثائق الخال الطاهر محمد عالوش ؛ وثائق ميمون المختار الداودي ؛ وثائق خ. ح. ومديرية الوثائق الملكية ؛ معلمة المغرب، تحر ميداني.*

حسن الفكيكي

**الداورة** (واد -)، هو أحد الأنظمة الهيدروغرافية المغربية الرئيسية ذات الجريان الحبيس، النازلة عبر سفوح الأطلس الكبير الأوسط، والمخترقة لوحدة هضاب وحمادات المغرب الجنوب الشرقي، وتغطي أراضيه مساحة واسعة من الدائرة الترابية لإقليم الرشيدية.

يشكل واد الداورة حاليا المجرى الأسفل لثلاثة أحواض نهرية كبرى هي حوضا زيز وغريس المنطلقان من السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط المعروف بالأطلس الكبير الكلسي، وكذلك حوض المعيدر الذي يقوم بتصريف مياه التخوم الشرقية للأطلس الصغير. ينطلق واد الداورة من نقطة التقاء هذه الأودية الثلاثة عند حاسي الرملة ليستمر نحو الجنوب مخترقا حمادة الكمكم ثم حمادة كير قبل أن تتلاشى وتختفي معالمه عند حمادة توناسين المترامية الأطراف.

على الرغم من أهمية التغذية المائية التي تتميز بها أحواضه العليا المنطلقة من الأطلس الكبير الأوسط، فإن واد الداورة بسبب امتداده الواسع نحو الجنوب في اتجاه العروض الصحراوية الجافة، وبسبب اختراقه للحمادات الشاسعة المكونة من صخور كاربوتانية في الغالب تتميز بنفاذية عالية، وبسبب الحقول والعروق الرملية التي تتخلل عناصره الهيدروغرافية وتنهك مجراه الرئيسي، لا يعرف إلا جرياناً متقطعا ولحظياً يرتبط في الغالب بالأمطار العاصفية المحلية، ولا تصله مياه العالية إلا نادراً على النحو الذي حدث سنة 1965 بسبب فيضانات أحواض العالية. وحتى هذه الأتاوات المائية الفيضية الممكنة فقد تضاءلت إمكانية وصولها خصوصا بعد تشييد سد الحسن الداخل عند الراشيدية على واد زير أحد الروافد الرئيسية لواد الداروة. وفي حالة حدوث الجريان فإن المياه التي يتم تصريفها سرعان ما تجد طريقها نحو السبخات التي تتخلل سطح الحمادات مثل سبخة الداورة، أو نحو الجرف لتغذي الفرشات الجوفية المختلفة التي يستغل رحل المنطقة مياهها عبر سلسلة من الأبار المتفرقة، مثل حاسي تماسنت وحاسي محرز وغيرها.

إن الظروف المناخية الحالية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تفسر تطور هذا النظام الهيدروغرافي المغربي الواسع الامتداد. فإن تطوره في الواقع يعود إلى فترات مناخية رطبة قديمة كانت تسمح بتوفير المياه الكافية وبشكل مستمر لتنشيط الجريان واشتغال التعرية المائية النهرية، التي مكنت من تشكيل حوض هيدروغرافي مترامي الأطراف، يمتد وسط حوضين كبيرين مماثلين هما حوض درعة الممتد عند الطرف الغربي وحوض الساورة الممتد عند الجانب الشرقي والذي يتميز حاليا بنفس خصائص حوض الداورة.

من الناحية البشرية، فإن امتداد واد الداورة عند المجال الصحراوي القاحل يجعل منه منطقة فراغ سكاني حقيقي، لا تتجاوز عنده الكثافات السكانية 5 نسمة/ كلم في أحسن الأحوال، تتركز فيه الحياة البشرية المعتمدة على الترحال المرتكز على نمط الرعي الخفيف حول نقط الماء التي تختفي تدريجيا في اتجاه الجنوب بسبب تزايد درجة شح المياه وتقدم تدهور جودتها.

الحسن المحداد

**داوينة** Davina، واد ذكره الجغرافي الرافيني *La Géographie de Ravenne*، الذي وضع كتابه في أواخر القرن السابع أو بداية القرن الثامن الميلادي. وهو آخر ما وصلنا من المصادر اللاتينية حول جغرافية المغرب القديم. إن الكاتب يسمي المغرب القديم أحيانا بموريطانية الطنجية، وأخرى يدعوه موريطانية الگاديسية Mauretania Gaditana، نسبة إلى مضيق جبل طارق الذي يدعوه Septem Gaditanum، وهو بدوره ينتسب إلى مدينة گاديرة Gadera أو گاديس Gades في إسبانيا.

تحدث الكاتب عن وادي داوينة في مجال موريطانية الطنجية (الفقرة التاسعة من الفصل الثالث). فبعد إحصاء المدن التي أدرجها في هذا السياق وعددها 18 موقعا، أضاف ما يلي : "إن هذا البلد تسقيه وديان من بينها توربولنتا Turbulenta، الذي يدعى أيضا داوينة". والملاحظ أن ما أورده الكاتب في هذا السياق من المدن والنهر، لا نجد له ذكرا في بقية المصادر المعروفة حول تاريخ المغرب القديم باستثناء مدينة طنجيس Tingis.

والكاتب نفسه تحدث في سياق آخر عن المغرب القديم (الفقرة الحادية عشرة من الفصل الثالث والفقرة الرابعة من الفصل الخامس)، وذكر بعضا من وديانها المعروفة في مصادر أخرى، وبعض المدن التي وردت في مسالك أنطونينوس *Itinéraire d'Antonin*، حيث نتعرف على المحطات والمدن التي تخترقها الطرق الرومانية في القرن الثالث الميلادي.

وأغلب الظن أن الكاتب أخطأ في إدراج الوادي المذكور بموريطانية الطنجية. وهذا ما لاحظه الباحث موريس أوزينا عن المدن الثمانية عشرة التي وردت في المصدر، في السياق الذي ورد فيه واد داوينة (انظر مادة دراكونيس).

وأيا ما كان الأمر، فهناك ملاحظة حول هذا الوادي الذي يحمل اسمين : توربولنتا ـ داوينة. إن هذه الظاهرة

معروفة في نصوص أخرى قديمة بالنسبة لبعض الوديان. يتعلق الأمر بواد ديريس Dyris، وهو غير معروف حاليا، قيل إنه ينبع من جبال الأطلس ويدعى أيضا أكير Agger (Vitruve, 8, 2, 6). ثم وادي دارا Dara (هو درعة الحالي) الذي يدعى أيضا نهول Nuhul (Orose, 1, 2, 13).

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; M. Euzennat, *Remarques sur la description de la Maurétanie Tingitane dans Pline, H.N.*, V. 2 - 18, *Antiquités africains*, 25, 1989.

محمد مجدوب

**دايْ** مدينة قديمة بوسط المغرب اندثرت وقامت على أنقاضها مدينة بني ملال الحالية. والمعروف عند الرحالة والمؤرخين العرب في تسميتها أنها مثل "داء" وزناً ومعنى، لما عُرفت به من وخم الهواء وتعدد الأمراض لكثرة ما بها من عيون وشلالات، وما يتبع ذلك من مستنقعات. مثل ما نجده عند الحسن اليوسي في *المحاضرات* من قصص وإنشادات، كقوله :

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بسهب الشنين أو بسهب بني وَرَا
وهل تعبُرَنْ نهرَ العبيد ركائبي ... وهل تتركُنْ داياً وأدواءَ هـــا وَرَا

إلى أن جاء أخيرا المستشرق گوتيي Gauthier ونشر سنة 1926 في مجلة هسبريس مقالا بعنوان *مدينة أوداي* أي مدينة اليهودي، وراج هذا الافتراض على ما به من تمحل.

أما عن تاريخ "داي" فالمشهور أنها من إنشاء المرابطين في القرن الخامس (11 م) إلا ما ذكره البكري في *المسالك والممالك* أن يحيى بن إدريس اختص بداي وما حولها من البلاد بعد وفاة إدريس الثاني وتوزيع الأقاليم على أبنائه سنة 213 وإذا صحت هذه الرواية فيكون المرابطون قد جددوا داياً حتى لَكأنهم أنشؤوها إنشاء. وهناك مَن يخلط بين داي ومؤسسة عمرانية مرابطيّة أخرى في تادَلا هي تاكرارت القريبة منها. حسبهما بعضهم شيئاً واحداً، وزعم آخرون - اعتماداً على رواية شفوية عاميّة - أن يوسف بن تاشفين خرّب داياً وبنى على أنقاضها تاكرارت. والواقع أن مدينة داي وقلعة تاكرارت عمارتان متجاورتان مستقلتان كانتا معاً قائمتين في عهد المرابطين والموحدين. فداي كما وصفها الشريف الإدريسي في *نزهة المشتاق* واقعة "في أسفل جبل خارج من جبل درن... وهي صغيرة لكنها كثيرة العامر، والقوافل عنها واردة صادرة" ويبدو أنها التي يعني صاحب *الاستبصار* بقوله : "وبنى فيها - تادلا - الملثمون حصنا عظيما منيفا وهو الآن معمور فيه الأسواق والجامع"، في حين كانت تاكرارت قلعة عسكرية أقرب إلى الجبل كما تقتضيه طبيعتها. وهناك نص البيذق في *أخبار المهدي* الذي لا يدع مجالا للشك في وجود المؤسستين معاً، إذ وصف عن مشاهدة استيلاءَ الموحدين على تاكرارتْ ثم على دايْ.

وعن نهاية مدينة داي يحدِّدها نص *التشوف* في سنة 559 / 1163 ويقول إنه طرأ على أهلها في هذه السنة ما طرأ وافترقوا في البلدان. وإذا كان سبب خراب داي غير معروف فقد افترض الأستاذ أحمد التوفيق - أخذاً من إشارات متناثرة في *التشوف* - أن يكون ذلك بسبب ثورة المريدين المتوافرين في تادلا وتأييدهم للمسمى "عتاب" الذي قد يكون رام انتزاع السلطة من يد الموحدين بعد موت عبد المومن في السنة السابقة. وأُضيفُ تأييداً لهذا الافتراض أمرين : الأول ما عُرف من كراهة أهل دادي لنحلة الموحدين وخروجهم عليهم المرة تلو الأخرى، وذلك ما يُفهم من تكرر فتح تادلا وداي في عبارات ابن القطان في *نظم الجمان*، كقوله في أنباء سنة ست وعشرين وخمسمائة : "ثم تحرك رضي الله عنه إلى داي مرة ثانية وردّ سرية إلى بلد هزرجة وهم غافلون، فقتلهم قتلا ذريعا". الثاني ما يُستشفُّ من مختلف المصادر التاريخية أن السنتين المواليتين لوفاة عبد المومن يحيط بهما الغموض لشدة الاضطرابات وتوالي المؤامرات حتى من طرف أبناء عبد المومن أنفسهم، بحيث لم يبايع أبو يعقوب يوسف بيعة الجماعة إلا يومَ الجمعة ثامن ربيع الأول عام560 / 22 يناير 1165.

هكذا تكون داي عاشت كحاضرة لتادلا نحو مائة وسبعين سنة، تمتعت خلالها برفاهية العيش بسبب موقعها الاستراتيجي وسط البلاد، وعلى الطريق الرئيسية بين الشمال والجنوب وحاضرتيهما فاس ومراكش، وبسبب خصب تربة أراضيها ووفرة مياهها، كما امتازت بوفرة علمائها وصلحائها، فغدت بذلك المركز الثقافي اللامع في منطقة تادلا، واشتهر أعلامها بنسبتهم التادلية، ولم يُنسبوا إلى داي مباشرة، ربما لما يُشعر به هذا الاسم من داء ووباء، فيقال للواحد منهم تادليّ من دادي، أو تادليّ أصلُه من داي. وقد عم إشعاع مدينة داي الفكري والديني كل مراكز تادلا المحيطة بها كمدينة تادلا العتيقة على مرحلة منها، وعين الحوت في شمالها الغربي، وقلعة تاكرارت التي تدعى أيضاً محلة داود نسبة إلى القائد المرابطي داود بن عائشة، ويسميها البيذق تاكرارت متاعْ داود. وقرية نضير المعروفة اليوم بدوار أولاد عبد الله. كل هذه المراكز وغيرها من مواقع التجمعات السكنية في تادلا كانت على صلة قوية أو ضعيفة بداي، تستمد منها وتلتجئ إليها في التعليم والتربية الروحية والأحكام الشرعية.

قد تكون داي هي مسقط رأس الصوفي الكبير يوسف بن يحيى التادلي ابن الزيات مؤلف *التشوف*، فوالده العالم الصالح يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التادلي قضى حياته في داي، ولم يغادرها إلا عندما وقعت الواقعة التي شتتت شمل أهلها، وتدل رواياته وأخباره وإنشاداته في *التشوف* على معرفة واطلاع ودقة ملاحظة لمدينة داي. ثم التحق مع من التحق من أهلها بمراكش حيث تجمّعوا في

جانبها الشرقي، ومعهم علماؤهم وصلحاؤهم أمثال أبي يعقوب يوسف بن عبد الله بن مصباح التادلي، ومحمد بن تميم الزناتي التادلي، ويحيى بن أبي بكر عبد الله التادلي الذي قرأ عليه هناك الصبيُّ المهاجرُ يوسفُ بن يحيى التادلي الذي سيخلّد في *تشوفه* أخبار الصالحين في داي وتادلا ودكالة ومراكش وسائر الجنوب المغربي.

أ. البكري، *المسالك والممالك*، بيروت، 1992 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ليدن ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ مجهول، *الاستبصار*، تح. سعد زغلول عبد الحميد الاسكندرية، 1958 ؛ ي. التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، ط 2، الدار البيضاء ؛ م. الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1978 ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. م. حجي وأ. الشرقاوي إقبال، بيروت، 1982 ؛ الملتقى العلمي لمنطقة تادلا، *تادلا، التاريخ، المجال، الثقافة*، أبريل، 1992، منشورات كلية الآداب بني ملال، الدار البيضاء، 1993.

E.F. Gautier, *Medinat - ou - Daï, Hesp.*, 1926.

محمد حجي

**الداي ولد سيدي بابا**، ولد في مدينة أطار بموريتانيا سنة 1340 /1921 ، وبها تعلم وتربى في بيت صلاح وعلم وأدب، فدرس القرآن الكريم ومختلف العلوم السائدة في ذلك الوقت على يد علماء أجلاء، كما درس اللغة الفرنسية والعلوم العصرية بالمدارس التي كان الاستعمار قد أنشأها. وكان شغوفا بالمطالعة لا يفتر عنها ليل نهار، وخصوصا فيما يتعلق بكتب التاريخ. ولما أصبح شاباً يافعاً، دفعته غيرته الوطنية إلى المساهمة في النضال الوطني الشاق الذي كان يخوضه أبناء موريتانيا من أجل

التحرير من الاستعمار وتحقيق الوحدة مع المغرب.

وكان الداي ولد سيدي بابا يؤمن إيماناً قاطعاً بوحدة المغرب من طنجة إلى نهر السينغال، لذا فهو بعد عودة محمد الخامس من المنفى والتوقيع على وثيقة الاستقلال، كان متيقنا، كما أكدّ لي ذلك، أن باقي أطراف المغرب في الجنوب لا محالة ستلتحق بشماله، فكان ذلك سببا في وفوده إلى الرباط سنة 1958، لمتابعة الكفاح، بعيدا عن المناورات الاستعمارية.

وبمجرد قدومه، عينه محمد الخامس مستشاراً بوزارة الخارجية، ولم يمض عليه في هذا المنصب سوى سنة واحدة حتى رُقي إلى رتبة مدير لقسم إفريقيا سنة 1959 بنفس الوزارة ؛ ثم عين سفيراً للمغرب بغينيا سنة 1961 وظل يشغل هذا المنصب إلى أن تمّ تعيينه سنة 1963 سفيراً مساعداً للمندوب الدائم لدى الأمم المتحدة ومُمثلاً للمغرب بمجلس الأمن الذي أسند له سنة 1964 رئاسة لجنة التحقيق في حوادث الحدود بين الفيتنام والكامبودج، ثم عُيّن، بعد ذلك، من قبل نفس المجلس، عضوا في لجنة الخبراء المكلفة بالتحقيق في مشكلة العنصرية بإفريقيا الجنوبية ؛ ثم رُقيّ ابتداء من 1965 إلى منصب ممثل دائم للمغرب لدى الأمم المتحدة، بينما قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة في السنة التالية بانتخابه نائباً لرئيسها.

بعد ذلك، عاد السيد الداي إلى المغرب حيث عُيّن وزيراً بالديوان الملكي، وبقي يشغل هذا المنصب إلى أن وقع تعيينه سنة 1971 سفيراً لبلاده بالمملكة العربية السعودية، ثم عاد إثر ذلك إلى المغرب سنة 1972 ليتقلد منصب مدير للديوان الملكي.

وفي شهر ماي 1973، أسندت إليه وزارة التربية الوطنية، ثم في سنة 1974، عين وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية، وظل يعمل بها إلى غاية سنة 1977، حيث تقدم للانتخابات البرلمانية بصفته عضواً في اللجنة التنفيذية للتجمع الوطني للأحرار، فانتخب نائباً برلمانياً، ثم انتخب رئيساً للبرلمان، وظل يشغل هذه الرئاسة طيلة ست سنوات.

كان السيد الداي بذكائه وطيبوبته واستقامته محطّ إعجاب كل من عاشروه أو عملوا معه، كما كان يُشهد له بالباع الطويل في الميدان الديبلوماسي، وبالإخلاص للواجب الملقى على عاتقه في جميع المناصب العليا التي شغلها.

ومما قاله المرحوم الحسن الثاني لأبناء السيد الداي حينما جاؤوا يعزونه في فقدان والدهم : "إن المثال الذي ضربه السيد الداي يعزّ نظيره سواء حينما اختار المجيئ للمغرب وسمح في الشيء الذي كان يمكنه أن ينتظره في مكان آخر، أو بعد التحاقه بالمغرب من خلال سيرته التي بقي محافظاً عليها عشرات السنين، والحقيقة أن السيد الداي كان يحظى باحترام الجميع... لقد كانت له بالفعل

مكانة فريدة من حيث النزاهة الفكرية والمادية، وكان قبل كل شيء رجلا لا يسعى إلا وراء الفضيلة...".

توفي السيد الداي ولد سيدي بابا إثر مرض طويل يوم 21 ربيع الأول عام 1413/ 19 سبتمبر عام 1992 ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

*بحث ميداني ومعرفة شخصية ؛ جريدة الميثاق الوطني.*

محمد الشياظمي

**الدايْري**، ويكتب الدّيري. أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Aldeire ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون من سنة 1483 إلى سنة 1900*، تطاون 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 655.

**الدايز** أو ابن الدايز، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث ما زال هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Adaiz ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ولم يبق منها إلا زقاق يعرف بالسماط الدايز يقع بحومة السويقة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون من سنة 1483 إلى سنة 1900*، تطاون 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 656.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدب الأسمر** بالمغرب، حيوان ثديي لاحم من فصيلة الدبيات Ursidae، كبير وثقيل يزن 250 ـ 300 كيلوغرام، ويبلغ ارتفاعه عند الغارب 125 سم. يمشي على أخمص أقدامه. يُجمع على دببة وأدباب. يسمى علميا أورسوس آركتوس Ursus arctos Linneaus, 1758. كان يعيش في مغارات جبال الريف وجبال الأطلس ويُحتمل انقراضه في المغرب خلال القرن الثالث عشر (19 م)، الناتج عن شدة مضايقته من طرف الإنسان. يسمى بالأمازيغية أبوبّاز وأبابّاز وبالفرنسية Ours brun وبالإنجليزية Grizzly bear

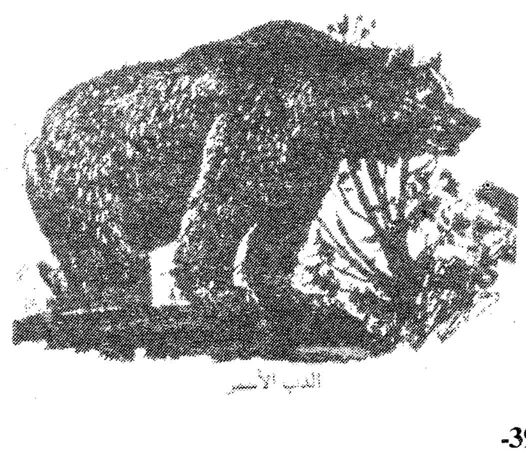

الدب الأسمر

وBrown bear وبالإيطالية Orso bruno.

ذُكر الدب الأسمر من بين وحيش المناطق المغاربية لأول مرة في التاريخ من طرف الباحث شاو Shaw سنة 1800. وقد أعطى Blyth سنة 1941 وصفا علميا دقيقا لهذا الدب من خلال جثة عثر عليها في سفوح جبال تطوان ولم يحتفظ بجلده. وقد أدت مراجعة هذا الوصف بالعالم Schinz سنة 1844 إلى تمييز ضرب جديد للدب الأسمر وأطلق عليه الاسم العلمي Ursus arctos crowtheri. يبقى هذا المقال الدليل الوحيد لوجود الدب الأسمر بالمغرب يتعامل به بعض الباحثين في مجال علوم الحيوانات، إلا أن العالم Lataste يشك في هذا المقال ويسانده في ذلك Cabrera (1932) الذي ينفي قطعا وجود الدب على التراب الوطني خلال القرون الأخيرة بعد أن تيقن من عدم ذكر هذا الحيوان في تقاليد المغاربة ولا في مذكرات الصيادين المعاصرين للقرن الثالث عشر.

وقد أكدت علوم الحفريات وجود الدب الأسمر في المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ، وخاصة منها أواخر عهد الحجر المنحوت Paléolithique supérieur ويحتمل انقراضه في عهد الحجر المصقول Néolithique.

يوجد بحدائق الحيوانات العمومية الوطنية بعض العينات من الدب الأسمر الأوربي الأصل.

S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*. Rabat, 1986 ; A. Cabrera, *Los Mamiferos de Marruecos*. Trab. *Mus. Nac. Cien. Nat., Série Zoolog.*, 57 ; E. Ennouchi, *Les Ursidés marocains. Bull. Soc. Sc. Nat. Maroc*, 37 ; E. Blyth, *Letter from...*, Poc. Zool. Soc. London, 9 ; G. Shaw, *General zoology or systematic natural history, Mammalia*, 1 : 311 - 312.

نجاة الخياطي ومحمد رمضاني

**الدبّاغ**، أسرتان شريفتان حسنيتان يتصل نسب كل منهما بإدريس بن إدريس. تتصل الأولى به عن طريق ولده داود، ولعلها اتسمت بهذا اللقب عن طريق احتراف أحد أبنائها بحرفة الدباغة فلصقت به وبأولاده من بعده، وإليها ينتمي الشيخ عبد الواحد الدباغ المتوفى سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف، المنتسب إلى الطائفة الدرقاوية، وصاحب الزاوية بحي السياج إزاء درب ابن زيان بفاس قبالة سيدي أحمد ابن ناصر قريبا من سويقة ابن صافي.

أما الثانية فيرتفع نسبها إلى عيسى بن إدريس بن إدريس الذي كان واليا على شالة وسلا وأزمور وتامسنا وما يتصل بها.

قدم هؤلاء الدباغون من غرناطة إلى مدينة سلا في أواخر المائة السابعة، وكان أول قادم منهم هو جدهم أبو العباس أحمد بن أبي القاسم محمد بن إبراهيم بن عمر.

وأبو القاسم محمد المذكور هو الذي تصدرت به شجرتهم المقيدة في أواسط القرن السابع والمتسلسلة على

النحو التالي : فهي مبدوءة بمحمد بن أبي إسحق إبراهيم بن عمر ابن عبد الرحيم بن عبد العزيز بن هرون بن حيون (أو جنون) بالكاف المعقودة بن علوش بن منديل بن علي بن عبد الرحمن بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن إدريس بن إدريس.

ولما قدم أبو العباس إلى مدينة سلا لقي ترحاباً كبيراً من لدن أهلها ومن أمراء الدولة المرينية وأكرموه وبنيه إكراما جزيلا، ووفروا لهم الإقامة ومنحوهم بعض الجرايات التي يستعينون بها على مواجهة الزمان ومقاومة الغربة. وكان من بينها مستفاد دار الدبغ بهاته المدينة فنسبوا إليها منذ ذلك الحين وأصبحوا يعرفون بالدباغين، ولما ارتحلوا من مدينة سلا إلى مدينة فاس ومدينة مراكش صاروا يعرفون بالشرفاء الدباغين والشرفاء السلاويين، وكانوا حريصين على تقديم الوثائق الكفيلة بإثبات نسبتهم وحصر أفراد أسرتهم معتمدين في ذلك على ما نقلوه من الشهادات والاعترافات المضبوطة ضبطا توثيقيا، ومجددين لها من لدن أهل المعرفة والعدالة، ولقد أشار سليمان الحوات في كتابه الذي خصه للتعريف بالدباغين الذين سكنوا حي العيون بمدينة فاس المسمى *بقرة العيون في الشرفاء الدباغين القاطنين بالعيون* إلى أنه رأى بأيديهم رسما مؤرخا بزمن إقامتهم في سلا شهد لهم فيه بالنسب الشريف جماعة من أعيان المغرب وخصوصا عدول طنجة وفيه تسجيل قاضي طنجة وإعلامه بإعماله لقضاة الوقت وهو الشيخ الفقيه العالم علي بن عبد الله بن طاهر، وتسجيلات أخرى تتضمن إعلامات بالاستقلال والإعمال وحق الخطاب لقضاة الوقت من أهل بلدان متعددة.

والشرفاء الدباغيون حينما خرجوا من سلا توجه بعضهم إلى مدينة مراكش وبعضهم إلى مدينة فاس ويتعلق الأمر بأحد حفدة أحمد بن أبي القاسم العائد وهو عبد الرحمن بن القاسم بن القاسم، مرتين، بن محمد بن أحمد المذكور. فإنه خلف ولدين أحدهما يسمى القاسم وهو جد الشرفاء الدباغين الذين ارتحلوا إلى مدينة مراكش والآخر يسمى أحمد وهو جد الشرفاء الدباغين المتوجهين إلى مدينة فاس، وتفرعت عن هذه الشجرة شجرة أخرى ذات فروع مختلفة واكتسبت شهرتها من كون القطب الصوفي عبد العزيز بن مسعود ينتمي إلى أحد أفرادها، خصوصا بعد أن ألف أحمد بن مبارك السجلماسي حوله كتابه المشهور *"الابريز في مناقب المولى عبد العزيز"* وبعد أن ألف فيه أيضا الفقيه محمد بن محمد بن عبد العزيز المرابطي السجلماسي كتابه *"تيسير المواهب في ذكر بعض ما للشيخ أبي فارس من المناقب"*.

وكان للشيخ عبد العزيز أخ اسمه العربي يعتبر الجد الأعلى للأسرة الدباغية التي توجهت إلى الحجاز فإليه يرجع نسب السيد مسعود بن الطيب بن الحسن بن الطيب ابن العربي الذي توجه هو وأولاده إلى الحجاز فأقاموا هناك وتناسلوا وصاروا ذوي جاه وهيبة، وهم الآن يمثلون أسرة من الأسر الشريفة ذات الشأن. ففي المجالات العلمية والسياسية والاقتصادية، نذكر منهم على سبيل المثال السيد عبد الله محمد علي وزير الزراعة سابقا ورئيس مجلس عائلة الدباغ والسيد اللواء الطبيب الدكتور محمد طاهر مسعود الدباغ والسيد العقيد مصطفى الدباغ، أحد المسؤولين عن الأمن في المدينة المنورة، والسيد محمد الطيب بن حسن عبد الله الدباغ المكلف بالأوقاف المغربية هناك، وهو الذي جمع الشجرة الموجودة عندهم المنقولة عن وثيقة النسب الأصلية المكتوبة بالخط المغربي المحفوظة لدى السيد محمد مهدي بن عبد العزيز الدباغ.

ولهؤلاء الدباغين الحجازيين مجلس عائلي يتداولون فيه شؤون الأسرة ويتكلفون بحل مشاكلها وإعانة محتاجيها ويجددون فيه الربط مع أقاربهم وأصهارهم، وصاروا في الوقت الحاضر يفكرون في توسيع اختصاص هذا المجلس وذلك بإدخال بعض أبناء عمومتهم بالمغرب فيه، وإحياء الروابط الأسرية الجامعة بين الدباغين بالمغرب والدباغين بالمملكة العربية السعودية. ولا يفرقون في ذلك بين من كان

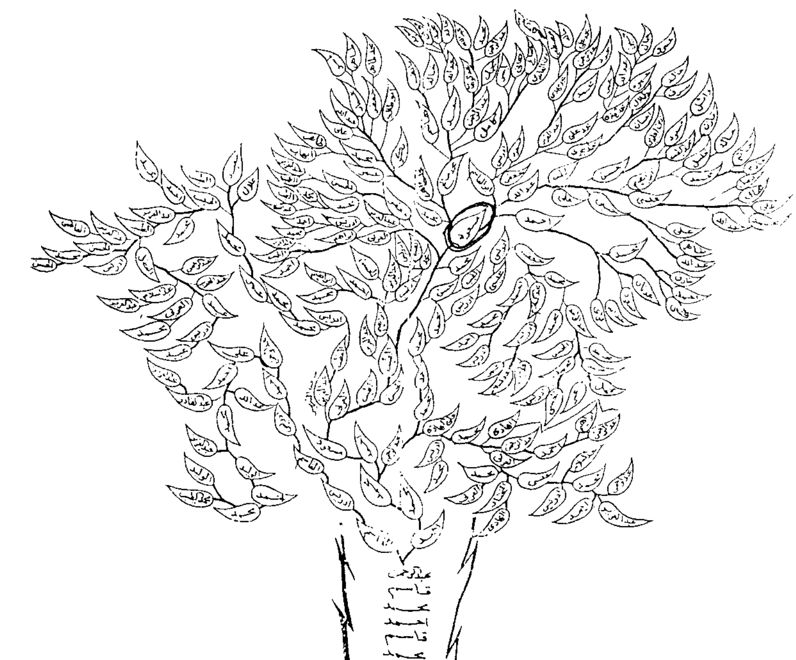


شجرة آل الدباغ الشرفاء الحسنيين. التنسيق محمد الطيب بن حسن الدباغ

ينتمي من الدباغيين إلى داود بن إدريس، أو بين من كان ينتمي منهم إلى عيسى بن إدريس، وتلك ميزة كبرى تهدف إلى تحقيق الدور الأساسي من التكافل الاجتماعي الذي ينبغي أن تتحمله كل أسرة على حدة للتخفيف من الأعباء التي تلقى عادة على المسؤولين، وقد كتب رئيس ملجس العائلة الشريف عبد الله محمد علي في 4 مارس سنة 1992 رسالة إلى كاتب هذا البحث أقتطف منها ما يلي : "إن أسرة آل الدباغ في السعودية انحدروا من الجد السيد مسعود بن الطيب بن الحسن بن الطيب الدباغ الذي انتقل إلى الحجاز واستقر بها إلى أن توفاه الله، ويبلغ عدد أفراد هذه الأسرة وأقاربهم ما يقرب من أربعمائة نسمة يتم لقاؤهم في اجتماع سنوي عام يعقد عادة في اليوم الثاني من شهر شوال خلال إجازة عيد الفطر ليتمكن أكبر عدد منهم حضور هذا الاجتماع الذي يهدف في المقام الأول إلى صلة الرحم وتبادل الرأي في كل ما يعود على الأسرة بالخير، وحيث إننا نرغب في توثيق الاتصال ودعم الأواصر بين أفراد الأسرة بالمملكة العربية السعودية وبين أقربائهم في المغرب فإنه يسعدنا أن نستضيفهم لاجتماع الأسرة هذا العام" الخ...

وهناك شرفاء دباغيون نزحوا من المغرب واستقروا في شرق الأردن وفي فلسطين وفي الكويت وفي مصر وهم أيضا يحنون إلى ربط صلتهم بأصولهم، يوجد منهم الأستاذ حسن علي الذي وجه إليّ سنة 1958 رسالة أبدى فيها رغبته في تمتين الأواصر بينه وبين أصوله في المغرب وهذا الشريف كان يعمل أستاذاً محاضراً مساعداً للغة العربية في معهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة درم (The Durham college).

وعلى كل حال فإن الأسرة الدباغية اشتهرت في المشرق والمغرب، إذ أنها كانت قدوة في العلم والصلاح، أذكر منها على سبيل المثال الفقيه عبد القادر الدباغ مفتي الديار المراكشية الذي كان أستاذا للملك محمد بن عبد الرحمن، وأخاه السيد عبد الخالق الذي توجه إلى الصحراء في وفد خاص للاتصال بأحمد البكاي رئيس الطائفة المختارية، والشريف محمد بن عبد الحفيظ بوطربوش الذي كان له كرسي بضريح المولى إدريس بفاس لسرد *الشفا* والتعليق عليه، وغيرهم ممن سنخصص لهم ذكرا أثناء التعرض للتعريف بهم في هذه *المعلمة*.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجر فاس، 1300 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ج. 2 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 1، ص. 222 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، تح. م. الهاشمي الفيلالي، الرباط ؛ *معلمة المغرب*، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ج. 1، ص. 217 مادة *الأدارسة* ؛ *قرة العيون في الشرفاء الدباغيين القاطنين بالعيون*، مخطوط ؛ أ. السجلماسي، *الإبريز* ؛ ل. بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. عبد القادر الخلادي ؛ أ. الشباني، *مصابيح البشرية في أبناء خير البرية* ؛ عيسى العربي، *قبيلة أيت* عتاب، البيضاء ؛ م. م. بن عبد العزيز المرابطي السجلماسي، *تيسير المواهب في ذكر بعض ما للشيخ أبي فارس من المناقب*، مخطوط.

محمدع. العزيز الدباغ

**ابن الدبّاغ**، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر وكان جل أفرادها بحارة بحامية تطوان سنة 1246 / 1830 وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 236.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدبّاغ، أحمد** بن علي من الشرفاء الدباغيين المراكشيين، اعتقده السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام جريا على عادته في التبرك ببعض أهل الخصوصية والانتساب، كما هو الحال بالنسبة إلى اعتقاده في الشريف الدباغ المعروف بمحمد البركة المتوفى بالوبّاء في يوم واحد مع أحمد بن علي المذكور.

دفن أحمد بن علي بباب أغمات أحد أبواب حمراء مراكش ودفن محمد البركة بروضة باب الدباغ قبلة العين الجارية هناك.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 2، ص. 409 ؛ ج. 6، ص. 294.

**الدبّاغ** بوطربوش، **إبراهيم** بن الشيخ محمد بوطربوش الدباغ آتي الترجمة قال عنه في *إتحاف المطالع* : "كان علامة مشاركاً محدثاً، له *فهرسة* جمع فيها أشياخه".

توفي رابع قعدة عام 1329 / 27 أكتوبر 1911. ودفن بروضتهم بالقباب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2864.

**الدباغ** بوطربوش، **محمد** بن **عبد الحفيظ** اشتهر بلقبه بوطربوش، علم من أعلام التصوف أواخر القرن الثالث عشر (19 م)، اشتهر بأخذه عن الشيخ عبد القادر العلمي دفين مكناس، كان حادّ الذكاء، كثير العبادة، قادرا على توليد المعاني من النصوص رغم كونه كان أميا، وهذه ظاهرة يسجلها المؤرخون عن عدد من أفراد أسرة الدباغ.

قال عنه محمد بن جعفر الكتاني في *سلوة الأنفاس* : "إنه كان رحمه الله أميا، وكان مع ذلك يتكلم في حقائق التصوف وأسرار الكتاب، فياتي في ذلك بما يدهش العقول ويحير الألباب. "وقال عنه إدريس الفضيلي في *الدرر*

*البهية* : "إنه كان آية باهرة في المذاكرة وحسن المحاضرة وله فهم ثاقب في الحديث، على أنه لم يلازم في صغره مجالس علم، ولا عانى تعلم نحو ولا غيره مما يعين على تحصيل ذلك، إلا أنه لازم سرد الحديث والسير وكتب القوم حتى صار له في ذلك رسوخ قدم وطول باع، مع الإكثار من الأذكار والأوراد، آناء الليل والنهار".

ورغم كونه كان قدوة حسنة في سلوكه، ومربيا مرشدا لكثير من أصحابه فإنه لم يرد أن يجعل لنفسه زاوية خاصة، وإنما كان يلتقي بمريديه في المساجد والدور والبساتين، ويكثر الجلوس بمسجد القرويين والضريح الإدريسي وزاوية سيدي عبد القادر الفاسي. وأخذ عنه جماعة من العلماء والفضلاء منهم من أخذ الجانب الصوفي كمولاي الكامل بن عبد الله الأمراني الذي استمد منه الطريقة الناصرية ومنهم من أخذ عنه دروسا موضوعية في التفسير والحديث وقد نبه إلى بعض هذه الدروس العلمية الشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني.

ومن المجالس العلمية التي كان يقوم بها مجلس للبخاري يسرد عليه بزاوية عبد القادر الفاسي أشار إليه محمد بن جعفر الكتاني في *السلوة* وقال بعد ذكره : "وكنا نجالسه فنسمع من الكلام على الأحاديث وآيات القرآن وكلام القوم ما يبهر العقول". ومن المجالس التي كان يقوم بها مجلس لتدريس *موطا* الإمام مالك وقد استفاد من هذا المجلس الفقيه محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي.

توفي يوم الثلاثاء سابع محرم عام 1291 / 24 فبراير 1874 ودفن بضريح عبد القادر الفاسي، ولم يودع الحياة إلا بعد أن خلف ستة أبناء اشتغلوا بتحصيل علمي الظاهر والباطن. ومازال عقبه حتى الآن بفاس يعرفون بأولاد بوطربوش الدباغ حسب ما هو مدون في سجلات الحالة المدنية.

م. الكتاني، *سلوة*، ج. 1، ص. 329 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ج. 1، ص. 152 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 7، ص. 142 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2650 ؛ م. المنوني، مجلة *المناهل*، العدد 36.

**الدبّاغ، عبد الخالق** بن أحمد، من أفراد الأسرة الدباغية القاطنين بمدينة مراكش، كان فقيها صالحا ومدرسا نافعا، انتسب إلى الطريقة المختارية الكنتية وترأس زاويتها بهذه المدينة، وكانت بينه وبين أحمد البكاي حفيد المختار الكنتي الجد علاقة وطيدة زادت رسوخا حينما توجه إلى الصحراء، واستمد منه الورد وأتى به إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بن هشام.

كان في غالب الأحيان يتولى نشر آراء صاحبه أحمد البكاي في مختلف المجالات، ويتلقى منه الرسائل المتعلقة بالتصوف وغيره، ومنها رسالة تشتمل على إظهار موقف أحمد البكاي من الكتاب الذي ألفه محمد بن أحمد أكنسوس في تاريخ العلويين المسمى *بالجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولاي علي السجلماسي*، فقد لاحظ فيه وجود بعض الهفوات، وارتأى تسجيلها في وريقات وأرسلها إلى السيد عبد الخالق ليتولى تقديمها للمؤلف، ولما بلغه أن المؤلف لم يستسغها كتب ردا آخر سماه *فتح القدوس في الرد على الكنسوس*.

والظاهر من هذا العنوان أن البكاي لم يكن عنيفا في رده بخلاف ما جاء في بعض الردود التي قام بها بعض المعارضين للمؤلف، فإنها كانت تتسم بالعنف كالرد المسمى *الطالع المنحوس في الرد على الكنسوس* وكالرد المسمى *الحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجروفي، الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس*.

والغالب أن السيد عبد الخالق الدباغ لم يكن يحمل عداء لأكنسوس في إبراز بعض ما جاء في رد أحمد البكاي من الجزئيات العلمية الخالصة التي لا تصل إلى حد الإضرار بشخصية المؤلف.

ومن هذه الجزئيات كونُ المؤلف كان يخطئ أحيانا في تحديد أسماء بعض المؤلفات أو في تحديد مضمونها. فمن النوع الأول ما ذكر من أن محمد الصغير اليفرني ألف كتابا في تاريخ المولى إسماعيل سماه *الظل الظليل في مفاخر مولانا إسماعيل* في حين أن الاسم الذي سماه به مؤلفه هو *الظل الوريف في مفاخر مولانا إسماعيل الشريف* أو *روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف* ومن النوع الثاني عده كتاب *صفوة الأدب* لأبي العباس الجراوي من كتب التاريخ، في حين أنه كتاب أدب جامع لمنتخبات من الأشعار على نسق كتاب *الحماسة* لأبي تمام.

والواقع أن مثل هذه الهفوات يمكن معالجتها بالنقد النزيه دون أن يصل إلى حد السباب والتجريح، ولعل السيد عبد القادر الدباغ كان من أنصار هذا الاتجاه نظراً لما عرف به من سداد الرأي وحب النصيحة ونشر الأخوة بين الناس، وليس له يد فيما قام به أولئك المعارضون الأشداء الذين واجهوا المؤلف بالشتم والسباب.

وكان للمترجم أخ عالم شهير يعرف بسيدي عبد القادر الدباغ حدد المؤرخون وفاته سنة 1265 / 1848 ، أما مترجمنا هذا فلم تحدد المصادر التي اطلعت عليها تاريخ وفاته.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 7، ص. 11 ؛ ج، 8، ص. 53 ؛ ج. 89، ص. 266 ؛ *ندوة البيعة والخلافة في الإسلام*، ج. 2، إعداد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص. 534.

محمدع. العزيز الدباغ

**الدباغ، عبد العزيز** بن مسعود الفاسي، الشيخ الصالح الشهير عُرف بالصلاح والنسبة إلى التصوف

والمشيخة، شريف إدريسي حسني، ذكر مؤلف *الدر السني* أن شهرة أهله بالدباغين ليست نسبة إلى حرفة صنع الدّباغ، أو دبغ الجلود، وإنما السبب هو كون أجداده قد عين لهم أمراء من بني مرين مرتبا من دار الدباغ لما كانوا بسلا بحسب ما ورد في ظهير ينص على ذلك مؤرخ بعام 790 / 1388. ويذكر نفس المصدر أن قدوم هذه الأسرة على فاس كان أول المائة التاسعة. (نشر، 3 : 245).

كتب أحمد بن مبارك اللمطي (ت. 1156 / 1743) من كبار علماء فاس في النصف الأول من القرن الثاني عشر (18 م) كتاباً عنوانه *الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز* أو *الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز* أورد فيه معلومات عن نشأة هذا الشيخ وعن مشيخته وعلاقته معه كمريد له بصفة خاصة، والأسئلة التي ألقاها عليه والأجوبة التي تلقاها عن تلك الأسئلة فيما يتعلق بمواضيع حيّرت علماء "الظاهر" مما يتصل بالحديث والقرآن وكلام شيوخ التصوف والأخرة وقضايا تتعلق بالظلمانية والنورانية الباطنيتين ولا سيما دور الباطن النبوي والمقام المحمدي في احتواء أسرار الأحوال والمقامات التي يتحدث عنها الصوفية.

أراد العالم اللمطي أن يبين أن شيخه الدباغ وهو الرجل الأمّيُّ قد أوتي علما لدنيّا، وذلك من خلال آراء إما أنها توافقَ ما ذهب إليه كبار العلماء أو أنها تأتي بتفسير ظواهر لم يصل بشأنها العلماء إلى توضيحات مقنعة. فجاء هذا التأليف سجلا فريداً من نوعه لقضايا قلّما صرح بمثلها الصوفية السابقون أو المتأخرون أو قلما تناولوها بأسلوب عادي مثل الأسلوب المباشر الخالي من الألغاز كما في كتاب *الإبريز*.

يظهر الشيخ الدباغ من خلال *الإبريز* ودودا لطيفا فطريا فياض الخاطر واثقاً بما يتكلم عنه. وقد تضمنت مقدمة الكتاب إشارات إلى بداية تعلقه بعالم الروحانية على يد شيخ دبّر تزوج أمّه فارحة بوالده متنبّئاً لهما بمولود توفي هو قبل مجيئه، وهو عبد العزيز هذا الذي تلقى تركة من الشيخ المذكور هي عبارة عن شاشية وحذاء سنة 1109. بحث الدباغ عن الشيوخ واتصل بعدد منهم إلى أن لقي شخصاً لقنه سنة 1121، وعرف فيما بعد أنه الرجل المعروف عند الصوفية بالخضر. وبعد أربع سنوات وقع له الفتح، أي في سنة 1125. وفي نفس السنة اجتمع به ابن مبارك اللمطي. وفي عام 1129 بدأ هذا التلميذ العالم في وضع تقاييد عن محاوراته وعلاقته مع الشيخ فحصل منها كتاب *الإبريز*.

يذكر الدباغ من شيوخه أسماء أشخاص لقيهم بطريقة غير عادية، ومنهم رجل اسمه عبد الله البرنوي ليس هو شيخ أحمد اليمني المتقدم عنه.

يظل الأثر النفيس للدباغ هو كتاب *الإبريز*، وإن كان له مريدون في وقته، فهو لم يخلف طريقة مشهورة. ولكن الكتاب نموذج لمحتوى شفوي يتحول إلى نص مكتوب، كما أن علاقة اللمطي بالدباغ علاقة تتلمذ عالم اصطلاحي على رجل أمي، لا تتلمذ باطن فحسب بل في أمور تتصل بالمعرفة الاصطلاحية. لذلك فالاعتناء بهذا الكتاب اعتناء واضح يظهر في تعدد مخطوطاته وطبعاته.

توفي عبد العزيز الدباغ بفاس عام 1132 / 1720 ودفن خارج باب الفتوح قرب روضة الأنوار بين دراس بن إسماعيل وعلي صالح. وبنيت عليه قبة.

أ. اللمطي، *الإبريزمن كلام سيدي عبد العزيز الدباغ*، بيروت، لبنان؛ نشر أيضاً بتحقيق ؛ م. عدنان الشماع، في جزأين، دمشق، 1984 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج 3، 245 ـ 246 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج 2، 197 ـ 204.

زكية ازوانات

**الدبّاغ، عبد القادر** بن أحمد الحسني، من علماء مراكش في القرن الثالث عشر الهجري، كان مدرسا بارعا، وموجها موفقا، له خبرة بالفقه وقدرة على الإفتاء، وكان من أشياخ السلطان محمد بن عبد الرحمن في قراءة *الصحيح* في الأشهر الثلاثة الفاضلة وقت خلافته الصغرى.

استفاد طلبة العلم من مجالسه التي كان يدرس في بعضها التفسير والفقه، ويحلل في بعضها حكم *ابن عطاء الله*. أخذ عن جماعة، منهم علي بن الفاضل بن مريدة السرغيني المنتمي للزاوية الدرقاوية المتوفى عام 1304 / 1886 دفين بباب أغمات.

ومما يذكر في ترجمته أن القاضي مَحمد بن محمد بن عاشور قاضي الجماعة بمراكش كان رغم ما اشتهر به من اعتداده بنفسه يتوجه إليه ويستفهمه في بعض القضايا النازلة ويحكم بمقتضاها.

توفي عام خمسة وستين ومائتين وألف / 48 — 1849 ودفن يمين قبة سيدي يوسف بن علي خارج باب أغمات.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 8، ص. 456 ؛ ج، 6، ص. 255+381 ؛ ج. 9، ص. 297 ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، ج. 1، ص. 48.

محمدع. العزيز الدباغ

**الدباغ، عبد الله** بن **عبد الواحد** بن علال ابن إدريس الحسني الفاسي. ولد في حدود عام 1190 / 1776 واشتغل بتحصيل العلم الظاهر والباطن "كان عالماً ولياً صالحاً خيّراً ديناً، له كرامات وأتباع". أخذ عن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وكان من أشهر تلاميذه الذين نشروا الطريقة الدروقاوية من بعده. وأخذ عنه كبار علماء هذه الطريقة، وألّف فيه وفي شيخه مولاي العربي الدرقاوي منهم المهدي بن عبد الواحد ابن القاضي الفاسي كتاب *النور القوي في ذكر شيخنا المولى ابن عبد الواحد*

وشيخه *المولى العربي الدرقاوي* ؛ وأبو بكر بناني الرباطي كتاب *الفتح الوهبي في التعريف بشيخنا مولاي ابن عبد الواحد وشيخه مولاي العربي.*

توفي بفاس عند طلوع فجر يوم السبت ثامن عشر ربيع الأول عام 1271 / 9 دجنبر 1854. ودفن أولاً بزاوية الشيخ الجمل العمراني ثم نقل بعد عامين إلى محل اتخذت له فيه زاوية بحومته السياج قريباً من سويقة ابن صافي.

المهدي ابن القاضي، *النور القوي في ذكر شيخنا المولى ابن عبد الواحد وشيخه المولى العربي الدرقاوي*، مخطوط ؛ أبو بكر بناني، *الفتح الوهبي في التعريف بشيخنا مولاي ابن عبد الواحد وشيخه مولاي العربي* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 : 2601.

محمد حجي

**الدبّاغ، عبد الهادي** بن عبد الرحمان، من فرع أولاد عيسى بن إدريس، كان من أعيان مدينة فاس وصلحائها. انتدبه محمد بن عبد الله ليكون أحد النقباء الاثني عشر الذين عينهم بمدينة فاس لمراجعة الوثائق والظهائر المتعلقة بإثبات النسب الشريف لمن يدلي به، ليكون ذلك سبيلا إلى تصحيح النسبة أو إبطالها. وقد رسم لهم الملك في ظهير تعيينهم الخطة لتي يسيرون عليها، وأمرهم بالتثبت واتباع الشريعة ونبذ الشهوات وإمعان النظر فيما يرجع للخطة المذكورة من الجزئيات والكليات، وجعل قرارهم إلزاميا. وأرخ هذا الظهير بأواخر جمادى الأولى من عام واحد وسبعين ومائة وألف.

وعلى كل حال فإن السيد عبد الهادي كان موفقا في مهمته وهو لم يُختر لها اعتباطاً وإنما كان اختياره مبنيا على دراية دقيقة لسلوكه وأخلاقه ونزاهته ومعرفته بأنساب الناس.

توفي في حدود عام 1200 / 1785.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 3، ص. 234، ص. 349 ؛ أ. الشبيهي، *مصابيح البشرية في أبناء خير البرية*، ص. 156.

**الدباغ، عبد الواحد** بن علال الحسني، كان من أهل المعرفة والصلاح، حريصا على الإفادة، راغبا في تربية المريدين. ولد في حدود التسعين ومائة وألف، ذكره محمد بن جعفر الكتاني في *سلوة الأنفاس* وقال عنه إنه أخذ عن الشيخ محمد بن بكار تلميذ أخيه أبي العلاء إدريس، وبعد وفاته أخذ عن عبد القادر بن أبي جيدة الفاسي تلميذ أخيه المذكور أيضا، وبعد وفاته عن محمد بن إبراهيم تلميذ العارف العربي الدرقاوي وخليفته على فقرائه بفاس. ولم يزل في صحبته وخدمته إلى أن قدم لفاس مولاي العربي من بني زروال فجدد عليه الورد وسلبه الإرادة.

وبعد اتصاله بمولاي العربي صار حجة في الطريقة الدرقاوية، وأصبح له من المريدين العدد الكثير، منهم أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد السلام بناني الفاسي أصلا الرباطي دارا ومولدا، المعروف بالدباغي نسبة إلى عبد الواحد المذكور.

وقد كان هذا الفقيه متفانيا في حب شيخه متمسكا بطريقته، ملبيا لرغباته. شرح بأمر منه الصلاة المشيشية في كتاب سماه *الفتوحات الغيبية في شرح ألفاظ الصلاة المشيشية* وقد طبع بمصر عام 1331 / 1912 بهامش كتابه *مدارج السلوك إلى مالك الملوك.*

ومن المعروف عن عبد الواحد أنه كان يربي مريديه على أساس من الشرع متين، بحيث يرى أن الالتزامات الشرعية ضرورية لا مجال لأحد في إهمالها أو تحويرها أو التكاسل في تطبيقها، وكان يرى أن المسلم مطالب بنصيحة أخيه امتثالا لقول رسول الله ﷺ الدين النصيحة، وكان يكثر من ذكر هذا الحديث ويقول لمريديه : "الفقير إما ذاكر أو مذكر أو متفكر وإلا فهو غافل".

توفي في شهر ربيع النبوي من سنة 1271 / نونبر - دجنبر 1855، ودفن بالرميلة بضريح سيدي علي الجمل، ثم نقل منه بعد عشرين شهراً من موته إلى المحل الذي جُعل له زاوية بحي السياج، وبه يوجد قبره الآن وعليه دربوز، وفوق ضريحه نقش يبين نسبه ويحدد تاريخ وفاته.

ونظراً لارتباطه بشيخه مولاي العربي مؤسس الطريقة الدرقاوية فإن أتباع هذه الطريقة كانوا يجعلونه في نفس درجة شيخه، وقد ألف في هذا الشأن تلميذه محمد بن المهدي بن محمد ابن القاضي كتاباً سماه *النور القوي في ذكر شيخنا عبد الواحد الدباغ وشيخه مولاي العربي الدرقاوي*، وهو كتاب اعتمد عليه الذين ترجموا لهذين الصوفيين المغربيين.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج. 1، ص. 258 ؛ ج. 3، ص. 361 ؛ ليفي بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. ع. الخلادي، ص. 246 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 1، ص. 222 ؛ النقش الموجود على ضريحه ؛ أ. ابن الخياط، *مقدمة رسائل الشيخ محمد بن العربي الدرقاوي*، 1318.

**الدباغ، علي** بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن عبد العزيز، من أشهر قراء مدينة فاس وصلحائها، له دراية بالقراءات القرآنية، أخذها عن المقرئ أحمد المدعو حا بن عبد العزيز بن عمر الصديقي السوسي المتوفى بالمدرسة المصباحية بفاس عام 1285 / 1868. وكان له حظ من النظر في أسرار الحروف كوالده واعتقده الناس كثيرا وهاموا في محبته وتقربوا إليه وتبركوا به.

حج في آخر عمره وتبادل المعرفة مع جماعة من علماء الحجاز واستجاز بعض من لقيهم هناك كمحدث المدينة الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الهندي وابن أخيه الشيخ محمد مظهر بن أحمد سعد شيخ الطريقة النقشبندية والعارف أحمد بن منصور الرفاعي ومحمد حسين بن الشيخ محمد صالح جمل الليل الشافعي المكي النقشبندي.

وافته المنية بالمدينة المنورة عام 1290 / 1873 ودفن بالبقيع.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 9، ص. 240.

**الدبّاغ، عمر** بن محمد بن إدريس ابن عبد العزيز، من علماء فاس في القرن الثالث عشر (19 م) عاش في حقبة كان فيها علماء الدين في المغرب ينالون تقديرا كبيرا من الملك العلوي مولاي سليمان، يجالسهم ويستمع إليهم ويمنحهم من عطاياه ما يعينهم على مواجهة مشاق الحياة.

كان حريصا على المعرفة جاداً في الطلب، له خبرة بالفقه واللغة، أخذ عن أشهر علماء عصره كأبي محمد عبد القادر ابن شقرون، وحمدون ابن الحاج فنال بسبب ذلك جاها كبيرا، تولى الخطابة والإمامة بمسجد الديوان فكان المصلون يعجبون بأسلوبه الجذاب، وبصدق لهجته وسعة علمه وقوة تاثيره في نفوسهم وسلوكهم.

اشتهر بحسن أخلاقه وسلامة طويته، ورغبته في توجيه الخلق إلى طريق الحق. كان يتلقى أذكاره وأوراده من بعض أهل الصلاح إلى أن بلغ إلى مسمعه أمر الدعوة السنية التي يدعو إليها الشيخ أحمد التيجاني فكتب إليه يطلب الورد فأذن له فيه.

وقد أشار أحمد سكيرج في كتاب *كشف الحجاب* إلى أن المترجم له يعد من خواص أصحاب الشيخ التيجاني فهو ممن حضر معه نقش الاسم الأعظم بزاوية فاس بالسارية المعروفة بالسارية الميمونة أو سارية الذهب وهي الثانية من الجهة اليسرى من ضريح الشيخ، دلني عليها مقدم الزاوية المذكورة كما أشار إليه أيضا في الربع الرابع من كتابه *رفع النقاب بعد كشف الحجاب* ووصفه فيه بالتواضع وعدم الأنانية وعدم الاتكال على ما كان له من الفضل والجاه في مجتمعه.

وعلى كل حال فإن هذا الفقيه الصوفي يمثل صورة من صور الاتجاه الفكري السائد في المغرب أثناء هاته الحقبة التي عاشها، وظل وفيا لأفكاره وسلوكه إلى أن توفاه الله في رابع عشر رجب عام 1260 / 30 يوليوز1844 ودفن بضريح جده الشيخ عبد العزيز بالقباب خارج باب الفتوح.

أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، ص. 420 ؛ *رفع النقاب*، الربع الرابع، ص. 165 ؛ سليمان الحوات، *قرة العيون في الشرفاء الدباغيين القاطنين بالعيون*، مخطوط ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ج. 2 : 150، (مطبعة حجرية) ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجر فاس، 1300، ج. 2 : 205.

**الدبّاغ، محمد** بن **إدريس** بن عبد الهادي الحسني الفاسي، قال عنه الفضيلي في *الدرر البهية* "إنه من خيار جنسه وأهل المروءة فيهم، ملازم لشأنه، مقبل على نفسه وما يدنيه من ربه، وأنه لا ولد له". تنبئ هذه الأوصاف عن حقيقة هذا الرجل الذي كانت الحياة بالنسبة إليه لا قيمة لها إلا بالعمل الصالح والسلوك الطيب، وهو يعد من الأفراد القلائل الذين تلقوا تربيتهم عن طريق الاتصال المباشر بأهل المعرفة الربانية، كما يعدُّ من الأفراد الذين استمدوا بعض العلوم الدينية عن طريق المخالطة

والمصاحبة للعلماء والفقهاء، وإلاّ فهو لم يتلق دراسة رسمية، ولم تكن له دراية بقواعد اللغة، بحيث إذا كتب بخطه شيئا ظهرت عليه مخايل الضعف في الصورة وفي الرسم، إلاّ أنه حينما يعبر عن خواطره وابتهالاته ومكنون محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه ينطلق لسانه بالتعبير الرائع والأسلوب الجذاب، ويتجلى ذلك في كتاب صغير ألفه على شكل *دلائل الخيرات* وقسمه إلى سبعة أحزاب سماه *مفتاح الأسرار فيما يتعلق بالصلاة على سيد الأبرار*، ومهّد له بمقدمة في فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، واعتمد في محتواه على آيات قرآنية، وأحاديث نبوية صحيحة، ونسخته الأصلية مكتوبة بخط جميل هو خط الشريف مولاي إدريس الدباغ الأعرج، وقع الفراغ منها في أواخر ربيع الثاني عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف. وقامت جماعة من المحسنين المغاربة بطبعه سنة 1983 ومهد له محرر هذه الترجمة بمقدمة صغيرة ذكر فيها أن المؤلف رغم قدرته على التاليف فإنه كان لا يحسن القراءة والكتابة. إلاّ أنني بعد ذلك تبيّن لي من خلال الاطلاع على كتاب مخطوط كان في ملكه قبل أن ينتقل إلى ورثته أنه ليس أميا بالمعنى المعروف المتداول، فهو قد سجل في بعض أوراقه المضافة بخطه المهلهل ما يدل على أنه لم يكن على خبرة بقواعد اللغة ولكنه لم يصل إلى حد الأمية.

ومن خلال ما كان يسجله يتبين لنا أنه كان متتبعا

للأحداث ويحرص على عدم تفويت الفرص من أجل تقييد الفوائد، فمن ذلك مثلا إشارته إلى وقوع زلزال عظيم يوم الجمعة ثامن ربيع الثاني عام 1324 بعد طلوع الفجر بخمسة أقسام وقع بسببه هرج عظيم وارتفعت الأرض من محلها وتكلمت خراص دفة البيت ووقع لطف كثير.

ومن ذلك إشارته إلى اليوم الذي خلع فيه المولى عبد العزيز وبويع أخوه عبد الحفيظ فقد قال : "عزل المولى عبد العزيز في يوم الجمعة قبل الصلاة في 28 ذي القعدة عام 1325 وخطب الناس بالصحابة رضي الله عنهم وفي ويوم السبت 29 من الشهر المذكور نُصر مولاي عبد الحفيظ بعد صلاة الظهر وأرسلت له البيعة.

ومن ذلك ما سجله في الصفحة الأخيرة من أنه منّ الله عليه بسبحة الولي الصالح والغوث الواضح مولانا عبد العزيز بن مسعود الدباغ، على يد الفقيه عبد الغني بن المدني بنيس في تاسع رجب عام 1323.

وكان من الموهوبين في نظم قصائد الشعر الملحون، يتغنى المنشدون بشعره، ويتنافسون في حفظه، ومن أشهر قصائده القصيدة المسماة (الغزال زهيرو) التي يقول فيها :

ما لك على الارسام غافلة يا لغزال زهيرو غيثني يا راية النصر
شرع الله معك واش العشير يدوز عشيرو ؟ والفايت يحصيه ما صدر

توفي بفاس بعد أن عمر طويلا حوالي عام 1350 / 1931. ودفن بالقباب خارج باب الفتوح بجوار قبة القطب المولى عبد العزيز الدباغ رحمه الله.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ج. 2، ص. 153 ؛ م. الدباغ، *مفتاح الأسرار فيما يتعلق بالصلاة على سيد الابرار*، الدار البيضاء، 1989 ؛ م. المرابطي السجلماسي، *تيسير المواهب في ذكر بعض ما لأبي فارس من المناقب*، مخطوط ؛ الفوائد والإشارات المكتوبة بخط المؤلف في آخر هذا الكتاب.

**الدبّاغ، محمد** ← **بَلْحسن** (الفقيه -)

**محمد** بن محمد المراكشي

**الدباغ، محمد** بن **الحسن** الحسني، من فقهاء فاس، درس بمصر، وتولى الإمامة والخطابة والافتاء بمسجد باريس بعد تأسيسه على يد السلطان المولى يوسف، وكانت له معرفة بعلوم البلاغة والتوقيت علاوة على الفقه والحديث، اختير ليكون شيخ الجماعة بمدينة مراكش وحمل الأمانة بصدق وإخلاص وجهر بالمعارضة لما كان يقوم به الفرنسيون من محاولة التضييق على الحريات والتقليل من شان الشريعة الإسلامية، فألقوا القبض عليه سنة 1937 وسقطت سن من أسنانه إثر ركلة من أحد جنود المستعمرين ولم يحترموا سنه التي كانت قد بلغت التاسعة والسبعين ونفوه بعد ذلك إلى تارودانت ومازال ذكره يتردد بين مؤرخي الحركة الوطنية.

توفي في حدود عام 1360 / 1941.

عبد الله إبراهيم، *نداء الحرية بين المغرب العتيق والمغرب الحديث* (نونبر 1995) ؛ *دعوة الحق*، عدد 268 مارس 1988، مقال تحت عنوان فكرة *تأسيس مسجد باريس بين اقتراح المولى محمد بن عبد الله وتنفيذ المولى يوسف* للأديب الباحث محمد بنعبد الله.

**الدباغ، محمد** بن **عمر** بن محمد بن إدريس بن القطب المولى عبد العزيز. كان من فقهاء فاس إلا أنه كان يتوجه إلى مدينة مراكش ويقضي بها مع أبناء عمومته أكثر أيامه.

غلب عليه الاهتمام بأسرار الحروف وعلم الأسماء وكتابة الزيارج فكان مقصد الراغبين في معرفة هذه العلوم التي يعسر تعليلها ويصعب تحديدها لأن التصرف فيها غالبا ما لا يعود إلى قوانين ثابتة وإنما يرجع إلى قوى نفسية خارقة للعادة يهبها الله لمن يشاء من عباده. وقد حاول ابن خلدون في مقدمته أن يحدد موضوعها ويبين الفرق بينها وبين السحر فكان تحديده صعب المنال رغم الدقة التي عرف بها في تعريفاته وحدوده ومقابلاته.

ورغم صعوبة تناول هذه العلوم من الناحية الموضوعية فقد تلقاها عنه الفقيه عبد السلام ابن ريسون واستعملها أيضا ومزج بعض قوانينها بشخصيته الذاتية القابلة لذلك.

توفي صبيحة يوم السبت خامس عشر محرم من عام 1285 / 8 ماي 1868 ودفن مع والده داخل قبة جده المولى عبد العزيز خارج باب الفتوح بفاس.

ع ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 6، ص. 320.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

**الدباغ، محمد المراكشي**، ولد بمراكش ونشأ بها وتعلم، فتخرج فقيها محدثاً، حلاه في *إتحاف المطالع* : "بالفقيه الأجل، العلامة الأفضل، القاضي الأعدل، المحدث الأكمل، الحاج الأبر، الناسك المعتمر. مَنْ محبتُه امتزجت في الجسد والرأس والدماغ، سيدي محمد الدباغ، قاضي ثغر أجدير وغيره". ولم يترجم له العباس بن إبراهيم المراكشي في *الإعلام*.

توفي في حدود عام 1210 / 1795.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 : 2456.

**الدباغ، محمد** بن **مسعود** الحسني الفاسي، الفقيه الصوفي الخير الذاكر المتعبد الصالح الوقور بقية السلف. أخذ عن مشيخة فاس في عصره كمحمد بن المدني گنون، وأحمد بن أحمد بناني كلاً، وعبد المالك العلوي الضرير.

ترك علم الظاهر وانغمر في علم الباطن، وله في ذلك أنظام وأزجال، أشهرها *منظومة في الطرق الصوفية* شرحها

الشيخ أحمد بن محمد بن الخضير العمراني بشرح سماه *سعد الشموس في مكارم الأخلاق وقمع النفوس*. تتلمذ له بعض أعلام فاس، ومنهم عبد السلام ابن سودة الذي خصه بترجمة في فهرسة شيوخه.

توفي بفاس عام 1340 / 1921 ودفن بروضتهم بالقباب.

م. العمراني، *سعد الشموس في مكارم الأخلاق وقمع النفوس*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 8 : 2928.

محمد حجي

**الدباغ، محمد بن الهادي** الحسني، من أولاد عيسى بن إدريس، كان من أتباع الطريقة المختارية الكنتية الصحراوية التي كان لها ذيوع وانتشار في عهد الملك العلوي مولاي عبد الرحمان وولده محمد الرابع.

وكانت هذه الطريقة من أقوى عوامل الربط بين شمال المغرب وجنوبه، وعمل المنتسبون إليها على لم شتات البلاد، وتأليف قلوب العباد، وكانت تتوفر على زوايا في مختلف المدن المغربية، ولعل من أكبر رؤسائها الشيخ محمد بن أحمد بن دحو الأزموري، فهو الذي سافر إلى الصحراء وأخذ الإذن مباشرة من السيد المختار بن محمد بن المختار الكنتي، وعند رجوعه بنى زاوية أزمور، وأعطى الإذن لمريديه في بناء زوايا أخرى داخل البلاد المغربية، ومن بين هؤلاء المريدين محمد بن الهادي الدباغ المترجم، فقد التحق بهذه الطريقة وشرع في بناء زاوية بفاس في حي العيون قرب ضريح سيدي علي بن أبي الذئاب، وهي الزاوية التي دفن فيها بعد موته في حدود عشري جمادى الثانية عام 1284 / 19 أكتوبر 1867 واتخذها الناس مقبرة فيما بعد.

م. الكتاني، *سلوة*، ج. 1، ص. 283 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 2، ص. 242 ؛ ج. 6، ص. 317 ؛ م. المنوني، *ندوة البيعة والخلافة في الإسلام*، ج. 2، ص. 543 ؛ الشنقيطي، *الوسيط*، ص. 361.

**الدبّاغ، مسعود بن الطيب** بن الحسن بن الطيب بن العربي، من أولاد عيسى بن إدريس القاطنين بمدينة مراكش، تلقى دراسته أولا بمدينة مراكش وأخذ فيها عن الشريف مولاي محمد العلوي الصفريوي، وعن الحاج الهاشمي بن عبد الله الدرقاوي، تشوق إلى البقاع المقدسة فقرر الهجرة إليها هو وأبناؤه وأهله، وسكن أولاً بالمدينة المنورة ثم انتقل إلى مكة.

استأنس بالصوفي محمد بن علي السنوسي وليد مستغانم وأخذ عنه بالزاوية التي أقامها بأبي قبيس.

وهكذا فالدباغيّون الموجودون بالمملكة العربية السعودية أصلهم من المغرب وهم من سلالة مسعود الدباغ المترجم.

توفي بمكة المكرمة في شهر شعبان عام 1311 / فبراير - مارس 1894.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ج. 2، ص. 151 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 7، ص. 267 ؛ م. الطيب الدباغ، *شجرة الأسرة الدباغية* ؛ *دائرة المعارف الإسلامية*، ج. 12، ص. 292 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، ج. 3، ص. 1040 تحت رقم 589 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 2796.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

**الدباغ، يعقوب** بن عبد الله بن علي. ترجم له ابن عيشون في *الروض* لكنه لم يورد ما يفيد في تحقيق شخصيته، بل ذكر فقط أنه مدفون خارج باب الجيسة. وذكره المدرع في *منظومته* في صلحاء فاس، وعنهما نقل الكتاني ترجمته في *سلوة الأنفاس* وأضاف إليها معلومات ذكر أنه عثر عليها بهامش بعض الكتب وجاء فيها أن اسمه يعقوب الدباغي بن عبد الله بن علي بن عبد الرحمان بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن إدريس، وأن ضريحه بفاس وله ابن يدعى محمد بن يعقوب وضريحه بتادلة. ونسبه الكتامي للقرن الخامس أو السادس وأوضح أن لقب الدباغي يفيد أنه من الشرفاء الدباغيين بفاس، إلا أن انتماءه للقرن المذكور يطرح إشكالاً.

ذكر الكتاني، اعتمادا على ما أورده القادري في *الدر السني* حين تعرض لنسب الشرفاء الأدارسة، وعد منهم الشرفاء الدباغيين القاطنين بحومة العيون من فاس، أن هؤلاء الشرفاء كانوا من جملة الأدارسة الذين غادروا فاسا في اتجاه الأندلس حين انقرضت دولتهم بالمغرب وذلك سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ومكثوا بها إلى أن قدموا لسلا في المائة الثامنة ومنها انتقلوا لفاس أول المائة التاسعة أو قرب وسطها، ولذلك استبعد أن يوجد واحد منهم بفاس خلال القرن المذكور إلا أن يكون قد رجع إليها في ذلك الوقت أو لم يحصل له أصلا انتقال منها، وهذا ما جعله يتردد بينه وبين شخص آخر يدعى أبا يوسف يعقوب الشريف دفين خارج باب الشريعة الذي يعتقد أيضا أنه من الشرفاء الدباغيين بفاس.

ويقربنا من هذه الحقيقة ما ذكره الكتاني حول اطلاعه على ظهير للسلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الوطاسي المتوفى عام عشرة وتسعمائة (910 هـ) مؤرخ بشهر رجب من نفس السنة، وينص على تولية أحد الشرفاء الدباغيين ويدعى أحمد بن علي بن عبد الرحمان الشريف الإشراف على روضة الولي يعقوب الدباغ والنظر في مصالحها جريا على عادة أسلافه من الدباغيين، مما قد يفيد على أن المقصود به صاحب الترجمة ويؤكد على صحة انتسابه

للشرفاء الدباغيين بفاس وليس لأهل حرفة الدباغة بفاس مثلما تردد على ألسنة البعض من أصحاب هذه الحرفة.

ويستفاد من التاريخين المذكورين كذلك أن صاحب الترجمة عاش خلال القرن التاسع (15 م).

ع. ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 292 ؛ ع. السلام القادري، *الدر السني*، ص. 414 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 211 ؛ ابن عيشون، *الروض العطر الأنفاس*، ص. 285 وص. 361 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج. 1 ص، 105.

زهراء النظام

باب **الدّباغين** بمراكش أو "باب الدباغ" ويرجع أصل التسمية إلى مجاورة الباب لدور الدباغة منذ تأسيسه.

يقع باب الدباغين وسط الواجهة الشرقية من سور مراكش، وهو واحد من الأبواب الثلاثة لهذه الواجهة : باب أيلان وباب ينتان ويرجع تاريخ تأسيسه إلى زمن بناء سور المدينة على عهد حكم المرابطين حيث وردت إشارات متعددة عنه ضمن أخبار ترجع إلى هذه الفترة ( *أخبار المهدي*، 40/ 60 ؛ نظم الجمان، 159). ويمكن إجمال الجانب التاريخي لهذا الباب في محورين هما :

1 ـ محور سياسي ـ عسكري : لعل من بين أبرز الأحداث السياسية العسكرية التي كان لها ارتباط بباب الدباغين هي :

أ ـ عمليات البحيرة : 524 / 1130 : جرت هذه العمليات بما فيها الحصار والمواجهات خارج شرق سور المدينة على ميدان تمتد رقعته بين باب الدباغين وباب ايلان ( *نظم الجمان*، 159).

ب ـ حصار 541 / 1145 : كان باب الدباغين واحداً من بين ثلاثة أبواب اختار قادة جيش الموحدين المكلفين بتدبير عمليات الحصار اقتحام المدينة منها وهي باب دكالة في الغرب وباب ينتان وباب الدباغين في الشرق وأسندت مهمة الاقتحام من هذا الباب بالذات إلى فريق من الجند، يبدو أنه كان يتمتع بخبرة عسكرية عالية ويتعلق الأمر بعبيد المخزن مدعوما بجند من صنهاجة ( *أخبار المهدي*، 64).

ج ـ تصفية عام 548 / 1154 : أمر عبد المومن في سياق هذه التصفية للمناوئين والمعادين للمخزن الجديد بقتل عيسى أخي المهدي بن تومرت كواحد ممن شملتهم حملة تصفية الناكثين وجرى تنفيذ الأمر قرب باب الدباغين ( *البيان* : قسم الموحدين، 50 ـ 51).

2 ـ محور ديني :

يمكن اختزال بعض عناصره البارزة في الجوانب الأربعة التالية :

أ ـ الجانب الشرقي : يقع باب الدباغين ضمن مجال الجانب الشرقي الذي عُرف بكثافة النشاط الصوفي به في العاصمة الموحدية.

ب ـ الاستسقاء : أورد ابن الزيات أخباراً تهم موضوع صلاة الاستسقاء بمراكش، وضمنها حدد مكان أداء هذه الصلاة مرة خارج باب الدباغين ( *أخبار أبي العباس*، 467) ومرة خارج باب اغمات، ( *أخبار أبي العباس*، 474) ولعل في هذا التحديد ما يوحي بأفضلية المكان، وقيمته الخاصة عند السكان.

حـ ـ الكرامات : يستفاد من كتابات ابن الزيات أن عدد الكرامات التي جرت وقائعها في أبواب مراكش، بلغ تسع كرامات موزعة بين أربعة أبواب هي : باب فاس ( *التشوف*، 304 ـ 305) باب ينتان ( *أخبار أبي العباس*، 470) باب أغمات ( *التشوف*، 306) وباب الدباغين ( *التشوف*، 300 ـ 341 ـ 346 ـ 442 ـ 446 ؛ *أخبار أبي العباس السبتي*، 469 ـ 470) ومن هذا المجموع كان باب الدباغين مجالا لثلثي الكرامات المشار إليها.

د ـ مقبرة الباب : تقع خارج الباب وتحده من الشمال وفيها دفن عدد من صوفية المدينة.

**لوحة لمتصوفة دفنوا بمقبرة باب الدباغين من خلال *التشوف***

| المتصوف | أحواله | تاريخ الوفاة |
|---|---|---|
| أبو إبراهيم إسحاق بن محمد المزوجي | من الأفراد | 1189 / 585 |
| أبو يعقوب يوسف بن عبد الله بن مصباح التادلي المعلم | كان عبدا صالحا ورعا | 1196 / 592 |
| أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم التينملي | كان زاهدا في الدنيا وأهلها | 1196 / 592 |
| أبو عمران موسى بن عيسى الدرعي الأسود | جمع القرآن في مدة يسيرة | 1198 / 594 |
| هنية بنت ميون الدكالي | من الأفراد | 1199 / 595 |
| أبو هارون عبد السلام بن وجوط العزفي فاضل | حزين دائم البكاء | 1205 / 601 |
| أبوعبد الله محمد بن تميم الزناتي | كان عبدا صالحا مجاب الدعوة | 1211 / 607 |
| أبو العباس أحمد بن خالص الأنصاري | من أهل المجاهدة والتجرد والزهد | قبل عام 601 / 1209 |
| أبو الحسن علي بن يسمور الدكالي المعروف بالعربي | كان عبدا صالحا | 1216 / 612 |
| أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الزناتي | كان عبدا صالحا | 1218 / 614 |

الخصوصيات المعمارية : يعتبر باب الدباغين واحداً من بين مجموعة أبواب سور المدينة التي تتوفر على بابين أحدهما خارجي والآخر داخلي ويلاحظ بالنسبة لهذا الباب وجود تباين واضح بين بابيه في التصميم والحجم والزخرفة يمكن إجماله في المقارنة التالية :

| عناصر المقارنة | | الباب الداخلي | الباب الخارجي |
|---|---|---|---|
| المقاييس | العلو | أكبر | أصغر |
| | العرض | أكبر | أصغر |
| المدخل | | أكبر | أصغر |
| الواجهة | | ذات مستويات خمسة متدرجة | ذات مستوى واحد |
| الزخارف | | موجودة ومتنوعة | غير موجودة |
| النوافذ | | غير موجودة | نافذة واحد وفتحات |

لعل تأمل عناصر هذه المقارنة يقدم الانطباع بقوة حضور المشاغل الأمنية في هندسة الباب الخارجي والملاحظة تدعمها عدة مؤشرات يمكن حصرها في أربعة هي :

1 - عدم انفتاح الباب على نفس الاتجاه الذي يقابل السور، وبالمقابل انفتح على الاتجاه الموازي للسور في اتجاه الشمال، ولعل مما يسهم في فهم هذا التوطين ووظيفته الأمنية كون باب الدباغين يعتبر الباب الشمالي للواجهة الشرقية من سور المدينة، وببعد موقعه عن النهاية الشمالية لهذه الواجهة بما يقرب من نصف مسافة الواجهة كلها، ولعل مراقبة ما يجرى خارج هذه المسافة الطويلة، وأمام عدم وجود باب فيها يقتضي توجيه مدخل الباب نحو الشمال.

2 - إحاطته ببرجين الأول شمال الباب والثاني في جنوبه تعلوهما شبكة فتحات صغيرة، منها المربعة ومنها الطويلة تسمح فقط بالرؤية ومن خلالها المراقبة الكلية للمحيط الخارجي للباب شمالاً وغرباً وجنوباً.

3 - ضيق مدخل الباب الخارجي مقارنة بمدخل الباب الداخلي ودعمه بباب آخر يغلق ويفتح يقع مباشرة بعد الدخول من الباب الخارجي. وبوابة ذات مدخل ضيق وبسقف منحدر في شكل قوس لا تسمح بالمرور المريح.

4 - تتميز المسافة الفاصلة بين الباب الخارجي والباب الداخلي بمجموعة من العناصر المعمارية تلتقي في تكامل وظيفتها الامنية المشركة وهي :

أ - يتم المرور من الداخل إلى الخارج أو العكس، بطريقة ملتوية عبر منعرجات ستة وهذه الخاصية جعلت من باب الدباغين نموذجاً فريداً بين باقي أبواب سور المدينة، وأعقدها في تصميمه وأصعبها في اقتحامه.

ب - وجود ساحة مستطيلة الشكل مكشوفة، يشرف عليهــا من الأعلى سطح بــه ستــارة، لعل من بين استخداماته، استعماله كمركز للهجوم المباغت ضد كل من أمكنه الإفلات من الباب الأول والآخر المجاور له ولبوابته، وهو آخر نقطة دفاعية داخل باب الدباغين قبل دخول المدينة.


ي. ابن الزيات، *التشوف وأخبار أبي العباس السبتي*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي، بيروت، 1990 ؛ البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت*، الرباط، 1971 ؛ ابن عذاري، *البيان*، قسم الموحدين، تح. محمد إبراهيم الكتاني، محمد زنيبر، محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1985 ؛ *التحري الميداني*.

C. Allain et G. Deverdun, *Les portes anciennes de Marrakech*, *Hesp.*, XLIV, 1957.


محمد رابطة الدين

ابن **دبّوس**، أسرة فاسية أصلها من بني يفرن الزناتيين. استوطنت مدينة فاس عند ما كون بنو يفرن إمارتهم فيها. واشتهرت بالثروة والنباهة والعلم خلال عصري المرابطين والموحدين. وكان أحد أزقة مدينة فاس يعرف بها هو "عقبة ابن دبوس" ومازال إلى اليوم. أنجبت عدداً من العلماء تولى بعضهم قضاء مدينة فاس خلال عصر المرابطين. ثم انقرضت أواخر العصر الموحدي. منهم :

ابن **دبّوس، أحمد** بن عبد الله اليفرني الفاسي فقيه مشارك، لم تورد له كتب التراجم ترجمة مستقلة، ومن النبذ المتفرقة عنه نعرف أنه كان أول قضاة أسرته، ولي قضاء مدينة فاس في العصر المرابطي بعد وفاة قاضيها العالم الورع أبي يعقوب يوسف بن عيسى ابن الملجوم الازدي سنة 498، لكنه ما لبث أن عزل بعد مدة قصيرة سنة 500، وولي مكانه الفقيه المحدث أبو القاسم هشام بن يوسف ابن الملجوم.

توفي أحمد ابن دبوس بفاس سنة 507 / 1113.

ابن **دبوس، عبد الله** بن أحمد بن عبد الله اليفرني الفاسي، لم تفرد له كتب التراجم القديمة ترجمة مستقلة، وترجم له من المتأخرين الكتاني في *سلوة الأنفاس* وعبد السلام بنسودة في *قضاة فاس*. ومنهما ومن مجموع الأخبار المتناثرة عنه يستفاد أنه كان قاضياً بمدينة فاس وإماما بجامع القرويين. ونقف في ترجمة الصوفي الشهير أبي الفضل ابن النحوي (تـ. 513) على إشارة إلى خصومة وقعت بينه وبين قاضي فاس ابن دبوس الذي منعه من تدريس علم الكلام بجامع القرويين، فاضطر إلى مغادرة المدينة بسبب ذلك. لكن القاضي ابن دبوس نفسه كان من مريدي الشيخ ابن النحوي.

ألف عبد الله ابن دبوس كتاب *الإعلام بالمحاضر والأحكام وما يتصل بذلك مما ينزل عند القضاة والحكام*، وهو في أدب القضاء واختصاصات القاضي، وحل بعض الإشكالات الفقهية التي تعترض القضاة في المسائل العويصة، اعتمد فيه على مصادر الفقه المالكي المشهورة *كموطإ* الإمام مالك *وواضحة* ابن حبيب *ومدونة* سحنون *والعتبية والموازية ونوادر* ابن أبي زيد القيرواني *ومنتخبة* ابن لبابة *ومنتخب الأحكام* لابن زمنين *وتبصرة اللخمي ووثائق ابن العطار*.

وكان له ولد يسمى عبد الحق ابن دبوس، كان عالماً جليلا من علماء فاس توفي سنة 557 أو 578، وكذا عبد الخالق بن عبد الحق كان من علماء المدينة، وتوفي سنة

597، ولم يكن له عقب، وبوفاته انقرضت أسرة بني دبوس.

ع. الله، ابن دبوس، *الإعلام بالمحاضر والأحكام وما يتصل بذلك مما ينزل عند القضاة والحكام*، تح. إدريس السفياني، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط، 1994، مرقونة ؛ القاضي عياض، *مذاهب الحكام في نوازل الأحكام*، تح. م. بنشريفة، بيروت، 1990، ص. 12 ؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1984، ص. 99 ؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 26 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، 2 : 388 ـ 390 ؛ ع. السلام ابن سودة، *قضاة فاس*، نسخة مرقونة على الآلة الكاتبة ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، طبعة حجرية، 1316، 3 : 294 ـ 295 ؛ مجهول، *نبذة من تاريخ المغرب الأقصى*، مخطوط، خ. ع، رقم 2152د، ص. 119.

محمد المغراوي

أبو **دبوس** (آخر ملوك الموحدين) ← **إدريس** بن **محمد** بن **عبد المومن**

**دبدو**، مدينة جبلية صغيرة تقع في الجهة الشرقية من المغرب على بعد 160 كلم جنوب غرب مدينة وجدة و52 كلم جنوب مدينة تاوريرت، وهي إحدى الباشويات الثلاث التي تشكل إقليم تاوريرت وتضم أربع جماعات قروية (سيدي لحسن والعطف وأولاد مَحمد وسيدي علي بلقاسم) إضافة إلى الجماعة الحضرية لدبدو.

تعتبر هذه المدينة لدى الكثيرين قديمة مع أنها لم يُذكر اسمها قبل القرن الثامن (14 م) حيث ذكر ابن خلدون أنه لجأ إلى جبل دبدو سنة 774 وقد يفهم من هذا عدم وجود المدينة آنذاك إذ لم يشر إليها كثير من الكتاب الذين سبقوه رغم أن الوزان ذكر في كتابه *وصف إفريقيا* أنها مدينة قديمة أسسها الأفارقة، كما أشارت بعض المراجع إلى ظهورها أيام عبد الحق المريني. فهذا الاسم يطلق أيضاً على جبل يشرف عليها من الناحية الغربية وعلى الوادي الذي يمر بجوارها. ونسبة إلى الكلمة يقال "دبدوبي" و "دبادبة" مما قد يرجح أن يكون أصلها "دبدوب" التي تعني مكانا يصدر دبدبة وهي كل صوت أشبه صوت وقع الحافر على الأرض الصلبة وهو المكان الذي بنيت فيه إمارة بأمر من الحكام المرينيين بفاس، إلا أن هناك ميلاً إلى الاعتقاد بأن أصل كلمة "دبدو" أمازيغي قد يرتبط بكلمة "بادو" أو أبادو" وتعني الحاجز بين حوضين مسقيين أو بكلمة "ربدو" التي تطلق على نوع من الكثبان، وكلتا الكلمتين تدلان على شكل يوحي به "جبل دبدو" وامتداده الذي يفصل بين وادي دبدو وسهول تفراطة.

وتذكر بعض الروايات الشفوية المتوارثة والمتداولة بقوة أن "فاطمة بنت عبد الحق المريني مولت بناء القصبة (إمارة دبدو) بمال صداقها !" حسب كتابات وجدت على أحد الأسوار، وقد تكون هذه الرواية عارية عن الصحة لغياب ذكرها في أي من المصادر، إلا أن المؤكد هو تأسيس دبدو إبان قيام عبد الحق المريني (592 ـ 614 / 1196 ـ 1218) بتقسيم مجال دولته بين فروع قبيلته الكبرى، فكانت دبدو معقلا من نصيب بني ورتاجن (قبيلة زناتية) لصد هجمات بني عبد الواد التلمسانيين والحد من أطماعهم، وهذا ما عرَّضها للاجتياح والتدمير على يد ملك تلمسان سنة 766/ 64 ـ 1365. بينما تذكر المصادر أيضاً أن أحد زعماء بني ورتاجن تمكن من تأسيس إمارة صغيرة بدبدو حوالي سنة 833 / 1430 بلغت ذروة ازدهارها خلال هذا القرن حيث استطاعت أن تبسط نفوذها وأن تفرض نفسها على امتدادات محيطها رغم المناوشات التي كانت تقودها ضدها القبائل المجاورة لها، بل إنها استطاعت أن تثبت استقلالها عن سلطة الوطاسيين بعد أفول نجم المرينيين وحاولت انتزاع تازا من مَلِك فاس مما عرضها لمتاعب أعادتها إلى فلك العاصمة نفسها، ومع استتباب الأمر للسعديين بفاس حوَّل عبد الله الغالب دبدو إلى مجرد باشوية سنة 970 / 1563 تؤوي محلة عسكرية لمواجهة أي زحف محتمل للأتراك من الناحية الشرقية. وبهذا انكمشت دبدو على نفسها وتعاطى أهلها للتجارة بين البدو والحضر محليا، ومع فاس ومليلية وتلمسان ووهران والواحات الصحراوية جهويا لتسويق الصوف والزرابي والزيت والزيتون والحبوب، واستقرت فيها طائفة من اليهود أصبحوا يملكون ضيعا وبساتين وأراضي ومواشي كسائر مواطنيهم من المسلمين.

قد يكون تزامنُ ازدهار إمارة دبدو مع بداية تهجير يهود الأندلس مفسراً لاستقطاب طائفة منهم تشير بعض المراجع إلى أصولها الإشبيلية المهجرة منذ سنة 1391 وتذكر أنه بين سنتي 1440 و1470 تم استقرار العائلات اليهودية الأولى في دبدو التي سميت أيضاً "إشبيلية"، ومازالت بها حاليا عين تحمل اسم "اشبيلية"، غير أن بعض المراجع الأخرى تتحدث عن وجود قديم لجالية يهودية مغربية في هذه المدينة كانت لبعض عناصرها منافسة مع اليهود الأندلسيين، كما تحدثت عن هجرة مبكرة لليهود في اتجاه فلسطين نشطت منذ مجاعات فترة 1779 ـ 1807. تفجرت هذه المنافسة مع اندلاع ثورة بوحمارة التي انقسمت حول مساندتها مختلف قبائل وطرائف المنطقة إذ انضم إليها سنة 1904 أحد اليهود الذي كان قد عين قائداً على دبدو ويدعى دودو بن حيدا بعد أن حاول أن يستقل بها أحد السكان الأمازيغ وهو المسمى بوحصيرة، فعمت الفوضى وهاجر بعض اليهود إلى تلمسان ووجدة ومليلة سنة 1894 إثر وفاة الحسن الأول وتولي عبد العزيز زمام الأمور وقيام ثورة بوعمامة على الزحف الفرنسي في التخوم المغربية الجزائرية وانقطاع القوافل، ولم يعد "الهدوء" إلى المنطقة إلا مع الاحتلال الفرنسي سنة 1911 إثر زحف عسكري عنيف واجهته مقاومة شديدة برزت فيها قبيلتا علوانة وبني

ريّس.

يتعذر إذن إثبات ظهور دبدو خارج السياق الذي تأسست فيه إمارة تم بناؤها في شكل قصبة لازالت بقاياها قائمة إلى الآن في موقع استراتيجي بين فاس غربا وتلمسان شرقا وعلى الطريق التي تصل مليلة شمالا بالواحات الصحراوية جنوبا، وفي موضع حصين يبلغ ارتفاعه 1260م. فوق درجة صلبة بين مسيلين على سفح وعر ينساب إليه الماء من عين دافقة عالية تسمى "تافرنت" بينما تنبثق عين أخرى تدعى "اشبيلية" في قدم السفح على ارتفاع 1000 حيث يمتد مركز دبدو فوق حادور ضيق على الضفة اليمنى من الوادي الذي يحمل الاسم نفسه. يصرف هذا الوادي منخفضا يبلغ عمقه حوالي 700 م من الجنوب الغربي في اتجاه الشمال الشرقي حيث ينفرج على سهول تفراطة الشاسعة التي يخترقها قبل أن يترافد مع وادي ملوية في الشمال الغربي. ويعتبر هذا المنخفض من بين أودية التعرية التراجعية التي وجهتها انكسارات انطلاقا من تفراطة في اتجاه الهامش الشمالي الغربي للهضاب العليا الذي يقترب ارتفاعه من 1700 م. بينما لا يزيد ارتفاع هذه السهول عن 650 م.

يضم مركز دبدو عدة أحياء قديمة تصنف تقليديا إلى : الكياديد وأولاد يوسف وأولاد عمارة وقبيين إضافة إلى الملاح (الحي اليهودي) وحي القصبة (حي يمتد داخل بقايا أسوار الإمارة القديمة) وكذلك الحوش وهو حي حديث ارتبط ظهوره بانتشار التوسع نحو السافلة حول بعض البنايات التي شيدتها الإدارة الفرنسية خلال فترة الحماية وقبالته ينفرد حي المصلى بموضع على الضفة اليسرى في قدم سفح وعر ضيق.

وتتميز الأحياء القديمة بسكن تقليدي يغلب فيه الطابع القروي ويلتف حول أزقة ضيقة لا تخضع لأي تصميم أو تخطيط، وهو مبني بالحجارة والطين المضغوط (التابية أو اللوح) على أرضية من القشرة الكلسية والشيست ومسقوف بأخشاب العرعر المجنح (الطاكًا) وجذوعه، وقد يحتوي أحيانا على أكثر من طابق. أما المباني الحديثة فلا تنتظم بدورها في أي تصميم أو تجزئة، وتستعمل فيها المواد العصرية من إسمنت مسلح وغيره مع الآجرّ والحجارة، وهي مواد يعتمد عليها أيضاً في ترميم السكن القديم وتجديده. فالقصبة المرينية لم يبق منها سوى المسجد وبعض ملحقاته وأجزاء من سورها والخندق المحيط به إضافة إلى السكن ذي الطابع الريفي الذي يبدو أنه أقيم على أنقاض معمار القصبة وهو مأهول جزئيا. أما دبدو فما زالت تحتفظ بالكثير من المباني القديمة ذات الخصوصيات التي تمتزج فيها النفحات المغربية والأندلسية الإسلامية واليهودية.

تعتبر دبدو من المدن القديمة الصغيرة ذات النمو البطئ إذ بلغ عدد سكانها 1751 نسمة سنة 1936 بأغلبية يهودية بلغت 917 نسمة (52٪) وانتقل العدد الاجماعي للسكان إلى 2213 سنة 1952 ثم ارتفع إلى 3564 سنة 1960 وبعدها انخفض إلى 2644 (26٪) سنة 1971 بسبب هجرة اليهود إلى فلسطين إثر الحرب العربية الاسرائية (يونيو 1967). ورغم أن هدد السكان ارتفع من جديد إلى 4013 نسمة سنة 1982 (52٪) فالنمو بقي بطيئا مع إحصاء سنة

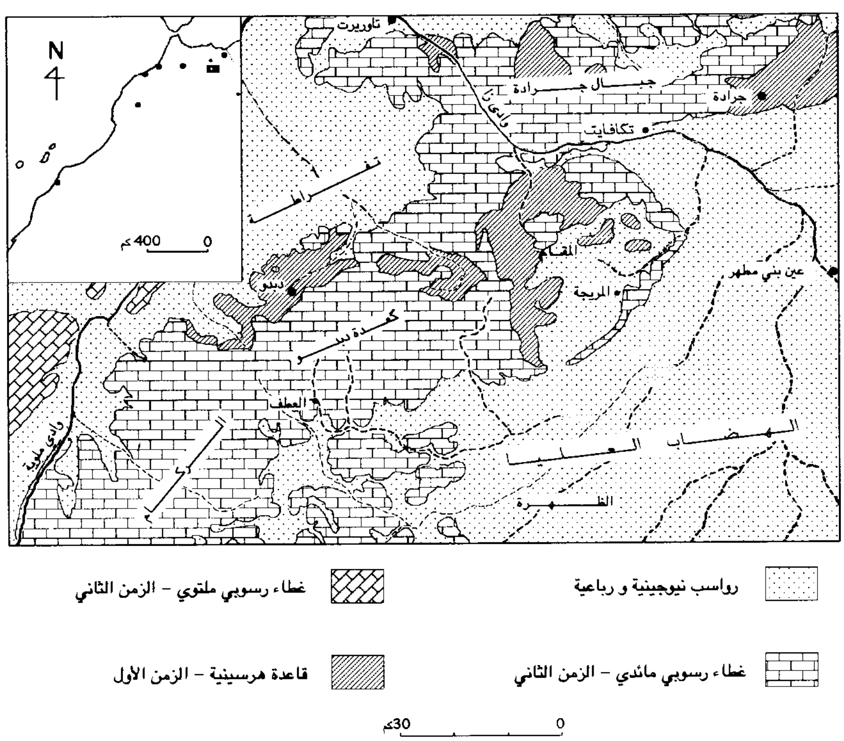

1994 إد لم يتجاوز 12٪ مع 4477 نسمة، أما اليهود فقد غادر آخرهم المدينة قبل نهاية القرن العشرين بعد أن تقلص عددهم إلى 5 أسر فقط في سنة 1978. لا يمثل سكان بلدية دبدو سوى نسبة 14٪ من مجموع سكان الدائرة التي بلغ عدد سكانها 31990 نسمة سنة 1994 والتي تضم أيضاً قيادتين (الگعدة والزوي) تشمل كل منهما جماعتين قرويتين وهما على التوالي العطف وأولاد مَحمد ثم سيدي لحسن وسيدي علي بلقاسم. وتعدو أصول سكان دبدو ومحيطها إلى قبائل عربية وأخرى أمازيغية معربة. وعرف سكان دبدو أنشطة دينية إسلامية كانت تؤطرها مختلف الزوايا والطوائف وأخرى يهودية وقد اضمحلت مع مرور الزمن ولم يعد هناك أي نشاط يذكر حاليا.

يتضح إذن أن دبدو لا تستقطب سكان باديتها إلا مرحليا ولا تحقق نموا ذاتيا مهمّاً بسبب النزوح المستمر منها نحو المدن. وتنتج هذه الهجرة عن انعدام تنمية تواجه العزلة ومحدودية الموارد وضعف البنية التجهيزية وتقلص وظيفتها التجارية والحرفية التقليدية التي أصبحت لا تنتعش سوى أيام الأربعاء مع انعقاد السوق الأسبوعية. تتوفر دبدو على شبكة جزئية للواد الحار وعلى شبكة للتزويد بالماء الشروب عانت كثيراً مع استفحال ظاهرة الجفاف قبل أن يتم إنقاذها بالتزود من تفراطة. ويخترق المركز شارع وحيد ينتظم على جانبيه عدد من الدكاكين جلها مغلق إضافة إلى بعض مشاغل الحرفيين. وقد اشتهرت دبدو بنسيج الأغطية الصوفية المعروفة "الدبدوبي" والخياطة وصناعة الحصائر وبعض الأواني من الحلفاء وبصناعة الأدوات الفلاحية التقليدية والحدادة والخرازة والخزف والصياغة وإنتاج الزيتون وزيته.

تربطُ دبدو بمحيطه طريقٌ وحيدة جهوية (605) تنطلق من مدِينة تاوريرت شمالا إلى دبدو جنوبا لتستمر عبر منعرجات منحدرة وعرة في اتجاه قرية العطف جنوبا وبعدها تصبح عبارة عن مسلك يوصل إلى تندرارة، وتتفرع منها طريق سيدي لحسن وعين بني مطهر وعدد من المسالة غير المعبدة. ويتوفر مركز دبدو على ثلاث مدارس وثانوية ومستوصف ومركز بريدي ووكالة بنكية، وأصبح مؤخراً يتوفر على بيوت حديثة للإيواء السياحي أقيمت بجوار "عين تافرنت" على درْجة مشرفة على مشاهد طبيعية جميلة. وقد عُرفت دبدو أيضاً بغاباتها الوارفة الظلال (البلوط والعرعار والعتم والصنوبر) وما تؤويه من وحيش ونباتات طبية تعاني كلها من التدهور. أما الفلاحة فيعتمد عليها غالبية السكان بمن فيهم ساكنة المركز وتقوم أساسا على تربية الماشية خاصة منها الماعز نظراً للطبيعة الغابوية الجبلية إلى جانب قطع الأخشاب والزراعات البورية الاحتمالية، إذ أن الزراعات المسقية محدودة في المكان والزمان، وقد لا تتعدى الفصل المطير والمثلج أحيانا بسبب معاناتها مع طول فترات الجفاف الذي يقلص من انصباب العيون.

دبدو (كتلة) : اصطلح على إطلاق هذا الاسم على وحدة مرفوبنيوية تمثل الجزء الأكثر ارتفاعا في الهضاب العليا (1691 م) تنتصب شامخة في حافتها الشمالية الغربية المشرفة على سهول تفراطة الممتدة بحوض گرسيف. وتتشكل هذه الكتلة التي تقع مدينة دبدو في قلبها من أعراف جبلية متصلة بهضبة متماسكة، وقد جزءتها أودية عميقة نتجت عن الحت التراجعي الذي انطلق من جرف انكساري يتجاوز مداه الأقصى 1000 م.

وتتكون هذه الكتلة من غطاء رسوبي تسود فيه الصخور الكلسية والدولوميتية الجوراسية (الزمن الجيولوجي الثاني) وهي قليلة السمك نسبيا، توضعت فرق أساس تشكله القاعدة الهرسينية (الزمن الجيولوجي الأول) المكونة من صخور حولّها الاختراق الغرانيتي إلى شست وكوارتزيت. وبسبب الميل المبكر لهذه الكتلة نحو الارتفاع شكلت قعراً مرتفعا لم يغمره البحر خلال الزمن الجيولوجي الثاني إلا في مرحلة متأخرة وتراجع عنها في وقت مبكر.

تعتبر هذه الكتلة حاجزاً تضاريسياً وعراً يفرض تصاعداً اضطراريا للكتل الهوائية مما يجعل الرطبة منها تُمطر وتثلج بمعدل يفوق 500 مم في الأجزاء المرتفعة (الگعدة) مما جعلها مكسوة بغابة متوسطية تتدرج فيها المستويات البيومناخية من شبه القاحلة إلى شبه الرطبة تشمل البطم والعُتم والعرعار والصنوبر والبلوط والضرو، تكتسحها الحلفاء باستمرار بسبب التدهور. ورغم أن هذه الكتلة تُشكّل جزيرة خضراء برطوبتها في وسط يتميز

بالقحولة فإنها لا تتوفر على وديان دائمة الجريان نظرا لضعف سمك الغطاء الرسوبي النفيذ وضخامة القاعدة غير النفيذة إضافة إلى طول الفصل الجاف.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، ج 7، ص 546، طبعة، 1992 ؛ أ. شحلان، 1998، "*مدن مغربية في كتابات عبرية، صفرو ومكناس ودبدو*" ؛ *متنوعات محمد حجي*، بيروت، مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. محمد حجي وآخرين، الرباط، 1984، ص. 270. 272 ؛ ح. الوزان الفاسي (ليون الافريقي)، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي وم. الأخضر، بيروت، 1983، ج 1، ط، ص. 351 ـ 354 ؛ ع. الرحمان الحرادجي، 1986، *ملاحظات حول البيئة الجغرافية لكتلة دبدو* "ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر" وجدة، ص 29 ـ 33.

Ch. De Foucault, *Reconnaissance du Maroc*, Paris, 1988 ; J. Desnottes et J. Celerier, *La vallée de Debdou, La Géographie*, Paris, T. 50 ; A. El Harradji, *Le Massif de Debdou, Etude géodémographique*, Thèse Doct. 3° cycle, Univ. Paris I, Panthéon-Sorbonne, Inst. Géogr., Paris, 1985 ; *Morphodynamique, activité anthropique et environnement dans le massif de Debdou-Mekkam, (Maroc Oriental)*, actes du symposium, *Dynamique de l'environnement en Afrique*, 2° congrès des Géographes Africains, Rabat, 19 - 25 avril 1993, pp. 103 - 112 ; *Structure géologique et évolution géomorphologique du massif de Debdou (Maroc Oriental)*, *R.G.M.*, 1996 ; *Dubdu, E.I.*, vol. 2.

عبد الرحمان الحرادجي

**الدّبْدي**، أسرة تطوانية أصلها من غمارة وقد انقرضت بتطوان حيث كانت بالمدينة دار بحومة الطرانكات تعرف بدار الدبدي سنة 1257 / 1841.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1614.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدّبْس**، لغةً : عسل التّمر وعصارته والعامّة تُطلقه على عسل الزبيب. وجاء في كتاب *المقصد الشريف* في معرض حديثه عن يحيى بن مخلوف من فخذ بني يغمراسن من قبيلة بقوية : "فخرجت لأسوق شيئاً من الدبس في الجبل الذي فوق داري المشرف على الوادي الهابط إلى أبي سكور" ( *المقصد*، 122) ويتحدث الحسن الوزان عن الدّبس في : "جبل بني گرير يسكنه فرع من غمارة فيه غابات وكروم وبساتين الزيتون وسكانه فقراء مذقعون يلبسون الثياب الحقيرة ولا يملكون من الماشية إلا القليل ويصنعون كثيراً من الخمر والدبس..."، وعن جبل بني بوشيبت قال بعد أن وصف مزايا الجبل الطبيعية وخصائصه المناخية ونشاط السكان الفلاحي : "... ويقتات الناس بالدبس المطبوخ وحساء الفول ويعتبرونها أحسن قوت، ويأكلون هذا الدبس مع الخبز..." (*وصف إفريقيا*، 1 : 259، 260).

برجوعنا إلى النصوص التاريخية الموحدية ومقارنة ما جاء فيها عن شراب الرُّب نستطيع القول إن الدبس هو الرُّبّ نفسه مع تغيير طفيف يتعلق باللزوجة، فالرّب وهو الأصل يتخذ من عصير العنب المطبوخ ويترك على النار إلى أن يتبخر أكثر من نصفه، أما الدبس فهو الناتج عن تبخر ما يحتويه العنب من الماء حتى يصبح لَزجاً مثل العسل، وربما جُفف أكثر حتى يصبح صلباً يقضَم.

الاختلاف الكبير بين الرُّب والدِّبس يتعلق بالغاية من تناول المادتين وكلتاهما تستهلك في المناطق الجبلية الشديدة البرودة (*الاستبصار*، *وصف إفريقيا*، 259 ـ 260) إلا أن الرُّب مادة مُسكرة إذا بولغ في استهلاكها وانتشر في المغرب كله وتشرب عادة بعد الأكل والشبع ( *المن بالامامة*، 433).

أما الدّبس وكما جاء عند البادسي والحسن الوزان فهو مادة غذائية أساسية إلى جانب الخبز أو حساء الفول، إلا أن الاكثار من تناوله يؤدي إلى نفس السكر والتخدير الذي يعطيه شراب الرب.

بقي أن أشير في الختام إلى أن كلمة دبْس المستعملة إلى اليوم في الدارجة المغربية تعني اللون الأسمر العسلي، وقد أخذت المادة المتحدث عنها اسمها من هذه الخاصية. ويُعرف الرّبّ باسم "الصامت".

ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ مجهول، *الاستبصار*، 1958 ؛ ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن *بالإمامة على المستضعفين*، بيروت، 1964.

محمد حجاج الطويل

**الدبلوماسية المغربية**، دبلوماسية قطر من الأقطار هي ارتباطه بغيره وشبكة علاقاته مع العالم، وهي التعبير عن المنزلة التي يتبوؤها في هذا المضمار حيث لا غنى لأمة ولا لقطر عن الاتصال بما حولهما من الأمم والأقطار ولا عن الاتصال بالعالم أجمع في عصرنا هذا، عصر التواصل والتقدم التقني. والتاريخ الدبلوماسي بهذا المنظور مرآة تعكس تحرك قطر مّا ودرجة تفاعله مع أنداده سلباً وإيجاباً وما يحققه في مجال الحضارة الإنسانية عبر العصور.

والباحث في التاريخ الدبلوماسي أو بعبارة أخرى في السياسة الخارجية لأمة من الأمم كالواقف أمام جبل جليدي أربعة أخماسه تحت الماء، فلا تُرى إلا قمته. وكذلك الدبلوماسية أو السياسة الخارجية فإنها عادة ما تتسم بالتكتم عن الخفايا والخلفيات. فعدة عوامل تتخللها، منها طبائع صانعي القرار والفاعلين، وتأثير من حولهم من

القوى الضاغطة على اختلاف أنواعها، وتأثير الرأي العام، والظروف السائدة في الداخل والخارج الخ.. وقد لا تتجلى كل هذه العوامل بوضوح فيضطر الباحث في الدبلوماسية إلى الافتراض والتأويل في كثير من الأحيان. وبالتالي فإن علم التاريخ ليس من العلوم الدقيقة.

الجهاز المكلف بتسيير الدبلوماسية هو وزارة الشؤون الخارجية وهو من أهم أجهزة الدولة وأكثرها حساسية. لهذا كثيراً ما تكون هذه الوزارة تابعة لرؤساء الدول الذين بيدهم الحل والعقد أو لرؤساء الحكومات في الدول الراسخة القدم في الديمقراطية.

هذا الجهاز في المغرب كان يسمى "وزارة البحر" خاصة بعد قيام الدولة السعدية لأنه الجهاز الذي كان يعالج شؤون المغرب لما وراء البحار أي "المفاهمة مع الدول وعقد المعاهدات والاستصدار والاستيراد وفض المشاكل التي تعرض في بعض الظروف" كما جاء في كتاب *الإتحاف* للنقيب عبد الرحمن بن زيدان.

الدبلوماسية المغربية وإن كانت نشأت منذ قيام الدول والممالك التي تعاقبت على الحكم قبل الفتح الإسلامي، إلا أنها لعبت دوراً لا يستهان به في عهد المرابطين والموحدين ونشطت أكثر منذ العهد السعدي إلى أن بلغت الأوج في عهد الدولة العلوية وسلاطينها العظام بدءاً من المولى إسماعيل ومحمد بن عبد الله والحسن الأول.

وقد احتفظ التاريخ ببعض أسماء "وزراء البحر" إذ ذاك وأسماء بعض السفراء في شتى أقطار العالم. منهم من كانوا مقيمين في البلاد التي كانوا معتمدين بها ومنهم من أسندت لهم مهام ظرفية. وهكذا كان للمغرب اتصالات بالباب العالي وبلاد الشرق وأوربا بما فيها إسبانيا والمقاطعات التي تكونت منها ايطاليا فيما بعد وفرنسا وانجلترا وروسيا وكثير من أقطار أمريكا وآسيا. وإذا كان قليل من سفراء الدولة المغربية كتبوا مذكراتهم عما شاهدوه، فقد ترك بعضهم كتابات عن ارتساماتهم في ما وقفوا عليه بفرنسا والولايات المتحدة أثناء حرب انفصالها عن بريطانيا وغيرها. يضاف إلى ذلك ما كتبه ممثلو الدول الذين كانوا معتمدين في المغرب، وكان أغلبهم قناصل تركوا مؤلفات مهمة عن بلادنا وأحوالها.

منذ اعتلاء الدولة العلوية الحكم وفي عهد المولى إسماعيل (1674 ــ 1727) شهدت الدبلوماسية المغربية نشاطاً متنامياً بسبب الأخطار التي كانت تتعرض لها البلاد من حدودها الشرقية من لدن الأتراك، ومن الشمال بسبب الغارات الإسبانية والبرتغالية ونشاط القرصنة البحرية وما كان يترتب عليها من مشاكل الأسرى، وغير ذلك. وهكذا تبادل المغرب السفراء مع انجلترا (أحمد بن حدو) ومع فرنسا (الحاج محمد تميم وبالأخص عبد الله بن عائشة) على سبيل المثال. وقد بلغ الأمر بمولاي إسماعيل أن فاوض لويس الرابع عشر على عقد حلف ضد إسبانيا. لكنه لم يتم بسبب انتماء الدولتين للعقيدة المسيحية بالرغم من نزاعهما إذ ذاك.

خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17 و18 م) أبرمت الدبلوماسية المغربية على سبيل المثال معاهدات لا تحصي مع انجلترا في (1030 ــ 1760) ومع الدانمارك (1757) ومع إسبانيا (1767 و1780 و1799) ومع الولايات المتحدة الأمريكية (1787) ومع فرنسا (1630 و1682 و1767) ومع هولندة (1600 و1651 و1683) ومع إيطاليا (1762 و1765) ومع البرتغال (1772 و1799) ومع السويد (1763).

لكن الدبلوماسية المغربية اضطرت إلى مراجعة أساليبها وإعادة تنظيمها بعد الأزمات الداخلية التي وقعت بعد وفاة مولاي إسماعيل وبسبب تغير الظروف الناشئة عن احتلال فرنسا للجزائر (1830) وتطلع الدول المسيحية إلى غزو المغرب بعد هزيمته في إيسلي (1844) ضد فرنسا و(1860) ضد إسبانيا. وقد أفاد المغرب اتفاقه مع انجلترا التي كانت تمتلك مضيق جيل طارق منذ (1704) وتحرص على بقاء توازن القوى في البحر المتوسط.

وبلغت الدبلوماسية المغربية ذروتها على عهد المولى محمد بن عبد الله، فأصبحت طنجة مقر الدبلوماسيين الأجانب وكانوا يتصلون بوزير الخارجية المغربي من عاصمة المملكة بفاس بواسطة ممثله بطنجة. وتوثقت العلاقات مع تركيا والحجاز والدول الأوروبية الآنفة الذكر والولايات المتحدة الأمريكية.

وقضى على سياسة الاستيطان والحمايات القنصلية للرعايا المغاربة من لدن الدول الأجنبية وان كانت استؤنفت من بعد نظراً لضعف الدولة، وافتكاك الأسرى المسلمين إلى غير ذلك. وقد اقتفى أثر محمد بن عبد لله حفيده السلطان مولاي الحسن الأول فزاد في تحسين العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأجنبية وحفظ التوازن في ظروف بدأت تلك الدول تشره خلالها لانتقاص المملكة من أطرافها والاستيلاء عليها. وقد أبرم اتفاقية في مدريد (1880) مع ثلاث عشرة دولة عقدت هناك مؤتمراً يتعلق بالمغرب، فنجحت الدبلوماسية المغربية في الحد من أطماع بعض تلك الدول وما كانت تتطلع إليه من تجاوزات وامتيازات على حساب المغرب.

لكن نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين شهدت امتداد الاستعمار الغربي وبالتالي تآمر الدول الاستعمارية خاصة فرنسا وإسبانيا على المغرب وتحالف بقية الدول الغربية المجاورة وضعف المملكة لمغربية وعزلتها على عهد السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحفيظ. فلم تستطع الدبلوماسية المغربية رد المد الاستعماري على الرغم من انعقاد مؤتمر الجزيرة (1906) الذي نص على المبادئ الثلاثة : سيادة واستقلال المغرب. ووحدته الترابية والمساواة في الاتجار معه بين الدول لممثلة في المؤتمر.

سعياً وراء الاستيلاء على المغرب أبرمت فرنسا سلسلة من الاتفاقات مع إيطاليا (1902) مقابل إطلاق يد هذه في طرابلس، ومع انجلترا (1906) مقابل التسليم لها باحتلال مصر، ومع إسبانيا (1904) مقابل التنازل لها على المنطقة الشمالية من المغرب، وأخيراً مع ألمانيا (1911) مقابل التغاضي عن موطئ قدم لها في الكونغو وقطعة من إقليم تشاد. فكانت الضربة القاضية بالرغم عما كان بين ألمانيا والمغرب من علاقات ود طوال عهود، ورغم ما بذلته الدبلوماسية المغربية في هذا السبيل لاتقاء مطامع فرنسا. وكان من نتائجها زيارة الامبراطور غليوم الثاني لطنجة في مايو 1905 مؤكداً استقلال المغرب، وانبعاث سفينة حربية "بانطير" بعد ذلك.

قضي الأمر وأمكن لفرنسا فرض حمايتها على المغرب في 30 مارس 1912. وكان من نتائج غياب الدبلوماسية المغربية طوال أربع وأربعين سنة إلي إعلان الاستقلال سنة 1956، تلك الدبلوماسية التي شهد لها أحد خبراء وزارة الخارجية الفرنسية إذ ذاك السيد شوڤي Chouvet في كتابه *Notion d'Etat et de nationalité au Maroc* حين قال : "تاريخ المغرب الدبلوماسي يدل على أن سيادة سلاطين المغرب كانت لهم منذ زمن طويل فرصة البروز في المحافل الدولية".

وفي غياب الدبلوماسية المغربية أثناء الحماية أصبح المقيم العام الفرنسي في منطقة الجنوب ملكفاً بعلاقات لمغرب مع الخارج، وكذلك الشأن في المنطقة الشمالية التي أصبحت تحت الحماية الإسبانية. لكن محمد الخامس بعد خروجه من الحجر ما فتئ ينادي بعودة الدبلوماسية المغربية إلى سالف عهدها وهو القائل : "منذ الآن لن يضيع حق من حقوق البلاد، بل سأسعى لاسترجاع ما ضاع". فكان يركز في خطبه بمناسبة عيد العرش كل سنة وفي تصريحاته على استعادة السيادة المغربية، خاصة في خطاب طنجة بمناسبة رحلته التاريخية في أبريل 1947 وفي خطابه الأخير سنة 1952 بمناسبة عيد العرش الفضى قبل خلعه ونفيه.

دبلوماسية المغرب كما كان يراها بطل التحرير ترتكز على دعائم أربع : وفاق وتعاون مع جميع الدول، علاقات متميزة مع الدول الصديقة، ارتباط متين مع الدول العربية، تعاون وثيق مع الدول الإسلامية. ففي تصريح للصحافة بطنجة أعلن محمد الخامس : "أن المغرب حريص على أن يكون له في المستقبل علاقة ودية مع كل الأقطار التي دافعت عن الحرية والتي تواصل الدفاع عنها.. ولنا أمل وطيد في بلوغ كل ما نطمح إليه". وعند مقابلته للسلك الدبلوماسي بطنجة صرح قائلاً : "إن مساهمة المغرب في الحرب تعطيه الحق في المطالبة بنصيبه في الانتصار واسترجاعه حقوقه التي هي حقوق جميع الشعوب". وصرح على لسان ولى العهد الحسن الثاني الذي تولى الملك بعده: "إن العالم العربي وطننا، وإن اللغة العربية لغتنا وإحدى ركائز شخصيتنا، وإن العرب أشقاؤنا وسنسعى لتوثيق عرى الروابط التي توحدنا مع أشقائنا يجب أن تتجلى الوحدة والتعاون بين جميع ذوي النيات الحسنة".

ثم أكد الحسن الثاني عند اعتلائه العرش في إحدى خطبه مرجعية الدبلوماسية المغربية مصرحا : "أن موقع لمغرب الجغرافي وتاريخه الحافل يجعله مطوقاً بمسؤوليات وأمان جسام. إنه يقع في ملتقى البحرين، فعليه إذاً أن يفكر في السياسة الأطلسية وسياسية البحر المتوسط. إن المغرب جاء قريباً من أوربا، فعليه أن يفكر في سياسته بالنسبة إليها وللقارة الإفريقية التي هو منها. وإن المغرب بلد عربي، فعليه أن يفكر في سياسة تجاه العرب، وأخيراً إن المغرب دولة إسلامية، فعليه أن يفكر في سياسة تجاه الدول الإسلامية". وقد ذكَّر الحسن الثاني مراراً بأن جذور المغرب توجد بإفريقيا وأن أغصانه تمتد إلى أوربا.

على هذا الأساس خطط الملك الراحل سياسة خارجية للمغرب المستقل وظل مشرفاً عليها موجها لها خلال ثمان وثلاثين سنة قضاها على العرش، ولم يكن وزراء الخارجية رغم وفرة عددهم في تلك الفترة إلا منفذين للنهج الذي وضعه هو ووالده من قبل.

لقد سبق أن نص التصريح المشترك في 2 مارس 1956 بين محمد الخامس وحكومة الجمهورية الفرنسية الخاص بإعلان استقلال المغرب وسيادته على "أن حكومة الجمهورية الفرنسية تؤكد علانية اعترافها باستقلال المغرب الذي يقتضى بالأخص دبلوماسية.. كما تؤكد عزمها على احترام وحدة المغرب المضمونة بالمعاهدات الدولية وتعمل على احترامها". وفي 4 أبريل 1956 توجه محمد لخامس إلى مدريد وصدر في أعقاب محادثاته مع الجنرال فرانكو تصريح مشترك تعترف فيه الحكومة الإسبانية باستقلال المغرب ووحدة ترابه كذلك.

ولم تكن الحكومة المغربية الأولى التي تألفت يوم 7 دجنبر 1955 تشتمل على وزير للشؤون الخارجية حيث لم تحدث الوزارة إلا في 26 أبريل 1956 وأسندت إلى الحاج أحمد بلافريج الأمين العام لحزب الاستقلال في الحكومة الثانية بعد الاستقلال، فتحملت أكبر الأعباء في التأسيس والتدبير حيث نشأت من فراغ بخلاف الوزارات الأخري التي تأسست خلفاً لإدارات الحماية في المناطق الثلاث وتوسعت تبعاً لمقتضيات الظروف وضرورة الحاجة.

أصبحت القضايا المطروحة بإلحاح على الوزارة الناشئة كثيرة تتعلق بتثبيت وترسيخ السيادة المغربية بجميع مظاهرها بعد التصريحين المشتركين اللذين ألمحنا إليهما. فكان أول عمل قامت به الدبلوماسية المغربية في عهد الاستقلال إلغاء النظام الدولي علي طنجة في 29 أكتوبر 1956 على يد محمد الخامس الذي قام برحلة إليها وحطم بيده الحاجز الذي كان يفصلها عن بقية أجزاء المغرب. وكانت الدبلوماسية المغربية تحرص في كل الاتفاقيات على

تضمين وجوب تحرير جميع الأجزاء المغتصبة ووحدة التراب المغربي والتحفظ في شأنها. فلا يخفى أن فرنسا سبق أن اقتطعت مناطق بكاملها في الجنوب الشرقي وجنوب المغرب ووضعت يدها عليها في غيبة السيادة المغربية. ومثل ذلك فعلت إسبانيا بموجب تواطئها مع فرنسا حيث وضعت يدها على أقاليم كثيرة : الصحراء المغربية (الساقية الحمراء ووادي الذهب وبوجدور وإيفني وطانطان) بالإضافة إلى سبتة ومليلية والجزر الجعفرية التي احتلتها في القرن السادس عشر.

وقد شخص محمد الخامس إلي محاميد الغزلان بوابة الصحراء الغربية في فبراير 1958 ومنها وجه الخطاب إلى سكانها معلناً أن الإقليم جزء لا يتجزأ من المغرب ومؤكداً أنه سيعمل كل ما في وسعه لتحرير أجزاء الصحرء وإعادتها إلى الوطن. وقد كان لهذا الخطاب صدى بعيد في الصحراء حيث تحرك أبناؤها لتحريرها.

كما اهتمت الدبلوماسية المغربية بحدود المغرب الشرقية والأجزاء التي كانت تحت قبضة الاستعمار الفرنسي، وكانت حرب ضارية تجري بين جبهة التحرير الجزائرية وفرنسا فأرجأت الحكومة المغربية التفاوض في شأنها إلى ما بعد استقلال الجزائر مع حكومتها إذ ذاك، وأبرمت في هذا الشأن اتفاقية مع الحكومة لجزائرية المؤقتة التي كان يرأسها فرحت عباس.

استرجعت الدبلوماسية المغربية بعد جهد جهيد طرفاية وطانطان في أبريل 1958 وإفني في يونيو 1969 من يد الاستعمار الإسباني. ثم جاء دور الصحراء المغربية، فبعد مفاوضات طويلة ومضنية مع الحكومة الإسبانية واتفاق مع موريتانيا ومحادثات مع الحكومة الجزائرية التي دخلت طرفاً في النزاع على الصحراء المغربية وقرار محكمة العدل الدولية التي أصدرت قرارها بوجود "علاقات ولاء بين المغرب والصحراء لمغربية" أعطى الحسن الثاني انطلاقة المسيرة الخضراء في 6 نوفمبر 1975 والتي ضمت ثلاثمائة وخمسين ألف شخص للمسير إلى الصحراء التي دان شيوخها له بالولاء. وهكذا ضم هذا الإقليم إلى المغرب. ولم يبق تحت احتلال إسبانيا إلا سبتة ومليلية والجزر الجعفرية. وقد جرت اتصالات ومساع في شأنها، واقترح الحسن الثاني تكوين خلية تفكير مزدوجة لحل مشكلتها. لكن الحكومة الإسبانية لم تستجب لهذا الاقتراح. ومن القضايا الكبرى التي اهتمت بها الدبلوماسية قضية جلاء القوات العسكرية الفرنسية وتصفية القواعد الأمريكية. وقد جرت مفاوضات مع فرنسا استمرت نحو خمس سنوات، وكانت حكومة باريس تصر على عقد حلف عسكري. لكن الأمر انتهى بالجلاء التام في مارس 1961. واستنكر لمغرب استعمال الحكومة الفرنسية للصحراء التي كانت ألحقتها بالجزائر في غياب الدبلوماسية المغربية في تفجير قنابلها النووية، فسحبت تجهيزاتها. أما القواعد الأمريكية فقد سبق أن صفيت في 22 دجنبر 1959 بموجب اتفاقية وقعها محمد الخامس والرئيس إيزنهاور بمناسبة الزيارة التي قام بها هذا الأخير للمغرب. ومعلوم أن تلك القواعد كانت من رواسب عهد الحماية حيث وقع الاتفاق على إقامتها بين حكومتي باريس وواشنطن.

نشطت الدبلوماسية المغربية في هيئة الأمم المتحدة والمؤسسات التابعة لها وأخذ المغرب مقعده بين دول عدم الانحياز، وكان من مؤسسي هذه الحركة بحضور الحركة الوطنية في مؤتمر باندونغ دجنبر 1954. وقد مثل الحسن الثاني المغرب على رأس وفد كبير في المؤتمر التاريخي الذي عقدته الحركة ببلغراد وحضره سبعة وعشرون رئيس دولة في سبتمبر 1961.

وكان بناء وحدة المغرب العربي من أولويات اهتمام الدبلوماسية المغربية انطلاقاً من مؤتمر طنجة الذي انعقد في أبريل 1958 وحضره ممثلو دول شمال إفريقيا بمن فيهم وفد عن ليبيا وآخر عن منظمة التحرير الجزائرية التي كانت تخوض الحرب ضد فرنسا.

كما كان اهتمام الدبلوماسية المغربية منصباً منذ البداية على وحدة الدول الإفريقية وشؤون القارة السوداء بوجه عام. وقد دعا محمد الخامس إلى عقد مؤتمر حضره رؤساء أغلب الدول الإفريقية المستقلة بالدار البيضاء في يوليوز 1958 وأسفر عن الميثاق المعروف بميثاق الدار البيضاء الذي كان له صدى بعيد. وحصلت انقسامات في صفوف الدول الإفريقية، نشأ عنها فريق تقدمي وفريق محافظ. ومع ذلك فقد برزت إلى الوجود منظمة الوحدة الافريقية في مايو 1963 وكان المغرب من مؤسسيها. وترأس الحسن الثاني وفد بلاده في أول مؤتمر لقمة الوحدة الافريقية انعقد بالقاهرة في يوليوز 1963.

وفي طليعة اهتمامات الدبلوماسية المغربية تضامن الدول العربية. فمنذ انخراط المغرب في الجامعة العربية غبّ استقلاله، بذل جهداً كبيراً لمراجعة ميثاقها، ولم يدخر الحسن الثاني وسعاً في السعي لتوحيد كلمة العرب أثناء المؤتمرات التي دعا إليها في المغرب والدفاع بالأخص عن القضية الفلسطينية التي كانت وما تزال القضية المركزية للدول لعربية. وكان للمغرب دور كبير في الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد في مؤتمر القمة الذي انعقد بالدار البيضاء 1974.

كما قامت الدبلوماسية بدور كبير في تأسيس وتفعيل منظمة المؤتمر الإسلامي حيث كان الحسن الثاني الداعي لعقد القمة الأولى سنة 1969. وتعددت بعد ذلك اجتماعات القمة ودورات وزراء خارجية الدول الإسلامية في المغرب، وكان العاهل الراحل من أكبر المشرفين عليها. وبمناسبة نهاية العشرية الأولى وانعقاد مؤتمر القمة بالمغرب الذي حضره أغلب رؤساء الدول الإسلامية الخمسين أسندت للحسن الثاني رئاسة لجنة القدس تقديراً واعتباراً.

هذه بإيجاز كبير بعض المهام التي اضطلعت ومازالت الدبلوماسية المغربية ممثلة في زارة الشؤون الخارجية والتي أضيفت إليها مهمة التعاون.

وللمغرب كذلك تمثيل واسع في الخارج يبلغ :

1) 148 سفارة

2) 76 قنصلية

80 من الممثلين الدبلوماسيين مقيمون في الأقطار التي هم معتمدون فيها و68 يمثل كل واحد منهم المغرب في عدة أقطار ويقيم كل واحد منهم في أحد تلك الأقطار.

أما القنصليات فكلها مفتوحة في القارات الخمس. وكل القناصل المغاربة مقيمون في البلاد التي هم معتمدون فيها.

وللمغرب تمثيل في مآت المنظمات الدولية والحكومية.

ويجدر أن نشير إلى أن للمغرب علاقات صداقة وأخوة وتعاون وحسن جوار مع مائة وخمس عشرة دولة ممثلة بسفراء أغلبهم مقيمون بالرباط. وهم موزعون على القارات الخمس : 33 سفارة إفريقية و30 سفارة آسيوية و30 سفارة أوربية و20 سفارة من أمريكا و2 من الأقيانوس بالإضافة إلى 29 قنصلية و20 منظمة دولية وتمثيلية للمفوضية الأوربية.

كما تجدر الإشارة إلى أن عدد الوزراء الذين تعاقبوا على وزارة الشؤون الخارجية منذ الاستقلال ومن ضمن 24 حكومة تولّى مقاليد الأمور ثلاثة عشر وزيراً وهم على التوالي : الحاج أحمد بلافريج، عبد لله إبراهيم، إدريس المحمدي، أحمد رضا أكديرة، أحمد الطيبي بنهيمة، محمد الشرقاوي، أحمد العراقي، عبد الهادي بوطالب، يوسف بن العباس، عبد اللطيف الفيلالي، مَحمد بوستة، عبد الواحد بلقزيز، محمد بنعيسى.

كما توالى على الوزارة تسعة كتاب دولة وهم :

مَحمد بوستة، محمد بن العربي العلمي، عبد الله الشرفي، أحمد الشرقاوي، عبد الرحمن بادو، عبد الحق التازي، الطيب الفاسي الفهري، عبد السلام زنيند، عائشة بلعربي.

ومن المتوقع أن يزيد نشاط الدبلوماسية المغربية في عهد محمد السادس نظراً للتحولات التي تعرفها بلادنا والظروف العالمية والتحديات التي تواجهها الأقطار التي هي في مثل وضعها.

ق. الزهيري، *الدبلوماسية المغربية في خدمة الاستقلال*، تقرير في 26 صفحة (من أرشيف وزارة الخارجية والتعاون) ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم*، (عشرة أجزاء) ؛ إصدار إدارة البروتوكول في وزارة الخارجية والتعاون بالمغرب.

*Le Maroc : avant le protectorat, sous la protectorat, faillite du protectorat* ; C. A Julien, *Le Maroc face aux impérialismes 1415 - 1956* ; *Annuaire du corps diplomatique et consulaire et des organisations internationales.*

قاسم الزهيري

**الدبْلُون**، قطعة ذهبية إسبانية Doblon ضربت في إسبانيا بعد نهاية الدولة المرابطية وقد انتشر الدبلون في المغرب وفي بلدان شمال إفريقيا كما انتشر في بلدان الشرق في مصر والعراق وسوريا.

ففي المغرب كان يصرف الدبلون في القرن الثالث عشر (19 م) بمقتضى التسعيرة الواردة في ظهير السلطان عبد الرحمان ابن هشام سنة 1288 / 1852 بـ 32 مثقالاً فضياً مغربياً أي ما يعادل 16 ريالا فضياً إسبانياً. ورغم ما استنتجناه من رسالة السلطان الحسن الأول من أن الدبلون بعد ثلاثين سنة أي في سنة 1882 كان يصرف بنفس التسعيرة وهي 16 ريالاً إسبانياً. فإن ذلك لا يعني - كما قد يُتوهم - جمود صرف الدبلون الذهبي الإسباني، وإنما يعني استقراراً في العلاقة بين العملة الإسبانية الذهبية وعملتها الفضية. ونفهم هذا إذا علمنا أن الدبلون الذي كان يساوي 16 ريالاً إسبانيا كان يمثل 32 مثقالاً مغربيا أي 320 أوقية فضية مغربية في الوقت الذي كان يصرف الريال الإسباني بـ 20 أوقية على حين ارتفعت قيمة الدبلون من 32 مثقالاً مغربياً إلى 143 مثقالاً سنة 1882 حيث بلغ صرف الريال الإسباني حوالي 89,5 أوقية مغربية. وهذا يفسر مدى تصاعد قيمة صرف العملة الإسبانية واستمرار تدهور العملة المغربية منذ حرب تطوان والديون المترتبة عنها وكذا عواقب التدخل الأجنبي وعوامل أخرى متعددة جعلت العملة المغربية أقل أهمية، وتهافت الناس على العملة الإسبانية الدبلون والفرنسية بعدها وهي اللويز التي حجبت الدبلون عن التداول فلم يكد يظهر الدبلون إلا قليلاً بعد الثمانينيات من القرن الثالث عشر (19 م) بالمغرب.

ع. أفا، مسألة *النقود في القرن التاسع عشر*، ص. 136 - 401 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج. 9، ص. 64 ؛ *رسالة السلطان مولان الحسن إلى محمد بركاش*، فاتح جمادى الثانية 1299 / 20 أبريل 1882، انظر ملف السكة بمديرية الوثائق الملكية ؛ ع. أفا، *الوثائق المخزنية الخاصة بمسألة النقود في القرن التاسع عشر*، ملف مديرية الوثائق الملكية، *مجلة كلية الآداب بالرباط*، عدد 13 سنة 1987 ؛ الكرملي أسطاش، *النقود العربية وعلم النميات*، ص. 183 - 256.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1830 - 1894*, Paris, 1961, T. 3.

عمر أفا

أولاد **الدبيبغ** ذكرهم ابن سودة ضمن سكان مدينة فاس في كتابه *إزلة الالتباس* قائلاً : "كان لهم ذكر بفاس وعز ومال وإليهم تُنسب دار الدّبيبغ ببلاد زواغة محل المدينة الجديدة الآن بفاس وقد انقرضوا. وقفت على رسم في رق غزال مؤرخ بعام سبعة وستين *وتسعمائة* ذكر فيه الموثق أن المرأة عائشة بنت الحاج عبد الرحمن الدبيبغ

توفيت فورثها زوجها محمد الصنهاجي وعصَّبها جماعة المسلمين، فعلى هذا انقرضت أولاد الدبيبغ في هذه السنة وقد بقي ذكر هذه العائلة بسبب البقعة الأرضية الكبرى التي ما زالت تُنسب إليهم إلى الآن المدينة الجديدة بفاس.

ع. ابن سودة، *رفع الالتباس*، مرقون.

محمد حجي

**دْبيلة، علال** بن الحاج محمد بن التهامي، أحد أعلام مدينة أسفي صدر القرن الرابع عشر (20 م) وهو ينحدر من أسرة دبيلة الأسفية العريقة. تولى الخلافة عن عامل المدينة وكان يخطب بالجامع الفوقاني نيابة عن الفقيه عبد الرحمان بن الحسين المطاعي.

توفي عام 1350 / 1931.

م. الكانوني، *أسفي وما إليه*.

عبد الرحيم العطاوي

**الدجاج** كما هو في الدارج والمعاجم، جنس طير أهلي من رتبة الدجاجيات (Gallianceae, Galliformes) والفصيلة التدرجية Phasianidés فيها سلالات كثيرة نتجت عن تجانسات كان الإنسان من ورائها. يسمى علمياً Gallus gallus ويسمى الذكر الديك والأنثى دجاجة والصغار كتاكيت وفلاليس. وفي هذا الجنس أنواع كدجاج بنخيوه ودجاج جاوي ودجاج سرنديب ودجاج براهما ودجاج كوشين ولونشان brahma, cochin et langshan وكل هذه السلالات تلد قليلاً من البيض وقامتها كبيرة. أما الدجاج الأهلي فمجهول الأصل ويعتقد أن سلالته المعروفة تولدت من تسافد أنواع وحشية عديدة وكان الإنسان من وراء انتشارها في جميع القارات.

تعتبر السلالات المتوسطية التي تضم انكونا Ancona والأندلسية andalouse ومنوركا ولوغورن Leghorn البيضاء White leghorn à crête simple من بين الدجاج الاهلي الأكثر شعبية في المغرب. تتميز هذه السلالات باستهلاك كمية قليلة من الأكل وببيض أبيض كبير مقارنة مع أجسامها الصغيرة.

ويرجع تدجين الدجاج الأهلي المعاصر ابتداءً من الدجاج الوحشي الأسيوي الاشقر Gallus gallus ويرجع ذلك ما بين 2000 و3500 قبل الميلاد. ومع مرور العصور انتشر هذا الطائر في جميع بقاع العالم وتغير لون ريشه وحجمه بواسطة التجانس والانتقاءات العرقية التي كان الإنسان يسعى إليها بحثاً عن مزيد من الإنتاج والتكاثر.

يربى الدجاج لأكل بيضه ولحومه، وفي زمننا هذا تطورت تقنيات التربية وأسس ما يفوق 500 وحدة إنتاج صناعية بداخل الوطن تنتمي إلى القطاع الخاص وتنتج سنوياً 650 مليون بيضة مما يشكل 44٪ من الإنتاج الوطني ويشكل الإنتاج التقليدي حوالي 56٪. تنتج الوحدات الصناعية حوالي أربعة ملايين من فراخ الدجاج.

الدجاج الأصلي الذي تولد منه الدجاج الأهلي مجهول، ويظن أن مهد هذا الدجاج الأصلي في آسيا الاستوائية الجنوبية كجاوى وسيلان حيث توجد أنواع وحشية من الدجاج كنوع الدجاج الوحشي الأشقر. ريش الديك من هذا النوع ناعم ولامع يشبه ريش التدرج. يكثر صياحه في بداية الصباح الباكر مما جعل سكان البدو يستعملونه كمؤشر للوقت. غالباً ما يكون ديك وسط مجموعة من الإناث.

يتكون غذاؤه من الحبوب والديدان والحشرات والأعشاب. يعرف الدجاج توزيعاً شاملاً على بقاع اليابسة حيث دجنه الإنسان وتوسع في تطوير إنتاجه فنجد منتجين مختصين في إنتاج بيض التفريخ ومنتجين مختصين في إنتاج بيض الاستهلاك اليومي وعدة مؤسسات مختصة في انتاج لحوم الدجاج إلى جانب الإنتاج التقليدي المعروف في البوادي المغربية.

عدد البيض غير محدود عند الدجاج ويختلف حسب السلالات فهناك السلالة التي تبيض طول السنة، تزن البيضة 60 ـــ 80 غرام ويختلف لونها وحجمها حسب السلالات. ينحصر وزن الدجاج ما بين 1 ـ 4 كيلو غرام تدوم مدة الحضانة 21 يوماً.

مصطفى يعرف والشيخ النواني، *البيض، معلمة المغرب*، ج. 6، ص. 1949 ـ 1950، 1998 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

محمد رمضاني

* * تقل الإشارات التاريخية إلى الدجاج، لذلك نتساءل عن الأسباب، فهل كان الدجاج موجوداً بكثرة حتى إنه لا يستحق الاهتمام أم العكس أن ندرته جعلت الملاحظين لا ينتبهون إليه ؟ وكيف ما كان الجواب فالدجاج ـ حسب العديد من الإشارات في المصادر الوسيطية ـ إنتاجاً واستهلاكاً ارتبط بعوامل عديدة بعضها طبيعي وبعضها بشري ؛ فمن العوامل الطبيعية انتشار الأمراض والأوبئة، والدجاج من الحيوانات السريعة التأثر بها، ومنها كذلك الجفاف والقحط الشديد مما يجعل الإقبال على الدجاج أمراً لا مفر منه عند الموسرين والمعسرين على السواء. وهذا العامل الطبيعي البشري نجده في فترات الخصب ينعكس فيصبح الإقبال على الدجاج من أجل بيضه أكثر سواء في التغذية أو في التجميل والعناية بالشعر. يقول الشريف الإدريسي متحدثاً عن أهل السوس : "... وعلى رؤوسهم الشعور الكثيرة ولهم بها اهتمام وحفظ وذلك أنهم يصبغونها في كل جمعة بالحناء ويغسلونها في كل جمعة مرتين برقيق البيض والطين الأندلسي..." (نزهة، 3 : 228).

استهلاك البيض في التغذية في الظروف العادية عند المصامدة كان قليلاً، بل ويكره إن لم نقل يمنع أكله في الفطور، وهذه عادة ما تزال موجودة عند السوسيين. تفسر كثيراً من الجوانب المتعلقة بالدجاج والبيض الواردة في القوانين والديانة البرغواطية، فالبرغواطيون من صميم المصامدة ( *العبر*، 1 : 659 . 14 ).

ويستنتج من قراءة تحليلية للديانة البرغواطية وقوانينها التي ركز عليها البكري في *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* (139) وكذا الدراسات اللاحقة سواء منها الاركيولوجية في منطقة تامسنا (المجال برغواطة) أو الانطربولوجية في منطقة سوس (مصامدة منحدرين من العهد البرغواطي) يستنتج أن البرغواطيين حرموا أكل الدجاج لأغراض تاكتيكية حربية. يقول البكري : "والبيض عندهم حرام والدجاج والدجاجة مكروهة"

فإذا كان تحريم أكل الديكة واضحاً ومعللاً عند البكري فإن تحريم أو تكريه أكل الدجاج لا يفسر إلا بما ذكرت ؛ فمعروف أن البرغواطيين منذ نشأتهم وهم في حروب ولم تستطع الإمارات المتعاقبة على حكم بلاد الغرب الإسلامي ولا الدول العظمى آنذاك (فاطميين وأمويين في الأندلس) لم يتمكنوا من هزيمة البرغواطيين لأسباب متعددة ما تزال حسب تقديري لم تدرس بعد، ومنها استغلالهم للمجال الترابي استغلالاً دقيقاً ومنه استغلال الدجاج لاستدراج العدو إلى الكمائن والأراضي الوعرة للقضاء عليه، إذ يربى الدجاج وينقل في أخمام ليوضع في أماكن محددة ومداخل وممرات وسط الغابات فيعتقد العدو أن المكان مأهول ومسكون ودليله في ذلك زقاء الديوك والدجاج السارح بكتاكيته فيتوغل في المكان وهو على يقين بأنه سائر إلى تجمع سكني.

ما عدا ذلك وجدت في المصادر إشارات عن استهلاك الدجاج إلا أنه استهلاك غير عادي فأهل البوادي يقدمونه هدية غالية لضيوفهم عند انصرافهم، وذبح الدجاج سواء في البادية أو المدينة يعتبر ترحيباً واحتفاءً بالضيف، وهذه عادة بدأت ربما منذ العصر الوسيط (*نفاضة الجراب*، 43 ؛ *وصف إفريقيا*، 1 : 110 ) لتتسع بعد ذلك عمودياً وافقياً ولكنها بقيت عادة تتعلق بمستوى معاشي متوسط وعال، ويستدل على ذلك بأثمنة الدجاج المرتفعة، فقد أشار صاحب *مسالك الأبصار* إلى أن ثمن "طائر الدجاج ثلاثة دراهم صغيرة".

ومن الطريف أن مرق صغار الدجاج (فلوس، عتوكة) (أي الأنثي التي لم تبض بعد) يستعمل للتداوي من بعض الأمراض، وهي عادة منحدرة إلينا من العصر الوسيط (*المقصد*، 124)، إضافة إلى الدجاج كدواء ارتبطت به عدة أمثلة وطرائف، من ذلك قولهم عن بلد جنيارة (ما بين فاس وطنجة) : مثلها : "مثل الدجاجة أن أصابها ديك أتت بالديك وأن لم يصبها ديك اتت بالبيض، تحتك بالغبار وتلد". ( *الاستبصار*، 188)، ومن طرائف سكان المناطق المنتجة للتين المجفف (الشريحة) أن الدجاج يُعيق عملية التجفيف التي تتم عادة على السطوح القصديرية الثنائية الميل في المناطق الشمالية (بلاد جبالة) ولمنع الدجاج من تسلق هذه السطوح والعبث بالتين، تضع النساء على أرجل الدجاج شبه أحذية من قشور اليقطين اليابس (القرع السلاوي) مشدودة بخيوط فلا يستطيع الدجاج الصعود ولا العبث بأرجله بالمواد المراد تجفيفها زبيب العنب وزبيب التين وزبيب الصبار (الهندي).

الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الإيطالية المعهد الجامعي الشرقي بنابولي، د. ت. ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، د. ت.؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب الجزائر*، 1911 ؛ ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، تح. سعيد أعراب، الرباط، 1982؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أحمد مختار العبادي، القاهرة، د. ت. ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980 ؛ ع. ابن فضل الله، *مسالك الأبصار*، الجزائر، 1924، ضمن مقتطفات (بالفرنسية) ومقتطفات كودفرى دومومبين، *شمال إفريقيا بدون مصر* (بالفرنسية)، باريس، 1928 ؛ م. المنوني، وورقات عن حضارة المغرب في عهد بني مرين، الرباط، 1979 ؛ مجهول، *الاستبصار*، 1958 ؛ م. حجاج الطويل، *مذكرات خاصة عن زيارات ميدانية للريف وجبالة.*

محمد حجاج الطويل

**دحّان، إبراهيم** بن محمد بن أحمد بن الفقيه لحسن بن لحسن مكرراً من شرفاء بوگرفة من قبيلة أيت إعْـزّا الباعمرانية المنفصلة عن قبيلة أيت عبلاً بظهير حسني سنة 1299. عُرف هذا الرجل بالشجاعة إلى حد التهور، فصار من أعيان القبيلة وفرسانها، وكان يعتز بالعرف القبلي ويسهر على تطبيقه، ولطموحاته قام ضده أعيان القبيلة تنفيذاً للعرف الذي يؤمن به فحورب بنفس سلاحه.

لذلك صار شبه منفصل عن قبيلته أيت إعْزّا، فأعلن أنه مع قبيلة أيت الخمسْ القوية، وأنه محمي من طرفها، فحدث أن عثر على رجلين من خصومه في بستانه فقتلهما، فرحل عن البلاد فباعت القبيلة ممتلكاته حسب العرف لعمه لحسن، وما كاد يسمع بذلك حتى استنفر قبيلة أيت الخمس بقيادة الشيخ بريك بن سعيد السيموري، فقامت الفتنة بين القبيلتين وانتهت بمعاقبة المشتري وردّ الأملاك إلى مترجمنا هذا بقوة السلاح ضاربا عرض الحائط بالعرف والشرع معا.

وقد شارك في معركة إيكالْفن ضد حملة الباشا حيدا ابن مايْس سنة 1917 وغنم منها بغلة في حملها عدة بندقيات ودراهم صحبة ملازمه أوحَاميدُون من أيت الخمس، كما شارك في معركة تيزي الأولى 1917 ضد

الجنرال دولاموط وقد حفظ عنه الناس قوله "تْگيسْ فرانسا وُخْسان نايتْ باعمران = إنّ فرنسا أزالت أسنان الباعمرانيين بقتلها شجعانهم في معركة تيزي وقد ساهم مترجمنا هذا في دفن شهداء تلك المعركة لقربها من منزله وذكر أن عددهم حوالي ستمائة شهيد، بينما ذكر الإگراري في *روضة الأفنان* (ص. 102)، فقال "فقتل منهم نحو ثلاثمائة رجل على ما قيل منهم القائد محند بن بي نالشيخ همّو..."

ونظراً لاستشهاد أصدقائه الشجعان في تلك المعركة ولخوفه على نفسه هاجر إلى مدينة فضالة سنة 1934 وتوفي بعد ذلك بقليل.

*معلمة المغرب*، ج ص. 1837 ؛ تعيين القائد أحمد أصواب على قبيلة أيت إعزا سنة 1299 ؛ استجواب مع عائلة دحان، سنة 1989.

الحسين جهادي

**دحّو، محمد** بن محمد مقاوم ولد سنة 1926 بقصر زناكة إقليم فيگيگ انضم إلى منظمة الهلال الأسود بالدار البيضاء في أواخر غشت 1953.

وقد عرف بين رفاقه في المنظمة بإخلاصه وغيرته الوطنية فقام بعدة أعمال فدائية تستهدف مصالح المستعمر، كما كان يقوم بصنع القنابل التي كانت سببا في استشهاده إذ انفجرت فيه إحداها أثناء تركيبها وذلك بتاريخ 4 يناير 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

ابن **دحمان**، أسرة موجودة في أنحاء شتى من المغرب، وكان منها بسلا عدول وفقهاء وحرفيون وموظفون في المصالح الإدارية والمخزنية.منهم :

ابن **دحمان، الطاهر** كان سنة 1292 / 1875 من رجال الطبجية بمدينة سلا، وصار سنة 1318 / 1901 رئيساً لهم.

م. بوشعراء، *التعريف*، ج 2، ص. 149 و260.

ابن **دحمان، الطيب** بن **محمد**، كان سنة 1206 من عدول سلا القائمين بالشهادة وكان سنة 1232 ما يزال بقيد الحياة.

ابن **دحمان، الطيب** ـ آخر ـ من عدول سلا سنة 1271، وكان فقيهاً مدرساً، وولي قضاء الدار البيضاء قبل 1294. وكانت وفاته سنة 1302.

م. بوشعراء، *التعريف*، ج 2، ص. 57 و164، ورسوم الخزانة الصبيحية.

ابن **دحمان، العربي** من أهل طنجة، كان موظفاً بدار النيابة حوالي 1312 / 1895 وبعدها، وكان يشتغل بالترجمة، ويكلف بأعمال خارج طنجة.

*وثائق مكتبة تطوان*.

ابن **دحمان، العربي** بن **الطيب**، وكان من عدول سلا سنة 1305.

*وثائق آل بنسعيد*.

ابن **دحمان، محمد** (الحاج -) كان سنة 1184 بقيد الحياة وكان من عدول سلا.

*رسوم الخزانة الصبيحية*.

ابن **دحمان، محمد** بن **الطيب** بن **محمد** وهو من فقهاء مدينة سلا، احترف خطة العدالة، وكان سنة 1307 بقيد الحياة.

*رسوم الخزانة الصبيحية ووثائق شخصية* ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، ج 1، ص. 45.

مصطفى بوشعراء

ابن **دحمان، محمد** بن **محمد** السلوي، قال عنه ابن علي الدكالي في الإتحاف : "كان أديباً شاعراً متقناً" وقف له على قصائد في أغراض مختلفة وأثبت مقتطفات من قصيدة طويلة من روى الزاي في مدح الشيخ أبي يعزى. وفي الخزانة العلمية الصبيحية رسوم عدلية فيها شهادات للحاج محمد بن دحمان. آخر سنة 1184 توفي بعد سنة 1184.

م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996 ؛ رسوم عدلية في خ. ص.

محمد حجي

**الدحماني، بلقاسم** بن المعطي، مقاوم ولد سنة 1905 بدوار الدحامنة قبيلة بني سمير ناحية وادي زم. شارك في المظاهرة الشعبية يوم 20 غشت 1955 واستشهد في نفس اليوم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

ابن **دحية، عثمان** بن حسن الكلبي السبتي يكنّى أبا عمرو ويعرف أيضاً بابن وجيه أخو أبي الخطاب ابن دحية (*لسان*، 4، 133 ؛ *بغية*، 2، 133). أخذ عن علماء بلدته سبتة ورحل إلى الأندلس طالباً العلم فتتلمذ عن أبي عبيد الله وعن غيره من العلماء الوافدين على

سبتة وأخذ بقرطبة عن ابن بشكوال، وبإشبيلية عن أبي بكر بن الجد أبي عبد الله ابن زرقون (*صلة*، 82). يُذكر أن الحافظ ابن الجد كان يبره ويحسن إليه رفقا بزهده (*لسان*، 4، 133). رحل إلى الشرق حاجاً إما بصحبة أخيه (*صلة*، 82 ؛ *التكلمة*، 446) أو منفرداً لاحقاً به (*وفيات*، 3، 450 ؛ *لسان*، 4، 133). انتهت رحلته الشرقية بأن حط رحاله بالقاهرة حيث عينه الملك الكامل مدرسا في دار الحديث الكاملية محل أخيه أبي الخطاب المعزول (*وفيات*، 3، 450 ؛ *نفح*، 2، 94 ؛ *لسان*، 4، 133).

صُنِّف أبو عمرو ضمن طبقة اللغويين النحاة، وهو الميدان الذي نبغ فيه. كما عرف كفقيه محدث، ذاكر للجرح والتعديل والأسانيد والرجال(*صلة*، 82) يذكر ابن حجر العسقلاني نقلاً عن ابن نقطة في إطار مقارنته مع أخيه أبي الخطاب أنه "أربى على أخيه بكثرة السماع كما أربى أخوه عليه بالفطنة" (*لسان*، 4، 133 ؛ *بغية*، 2، 133). شهد له الذهبي وغيره بإمامته في الحديث وبالعدالة والمعرفة لكن يؤخذ عليه ولوعه بالتقعير في كلامه (*بغية*، 2، 133 ؛ *صلة*، 82). كما كان يحدث دون اعتماده على الأصل. يذكر ابن نقطة أنه رآه بالأسكندرية عند قدومه عليها في حلقة علمية والناس مجتمعون حوله يوم جمعة وكان يقرئهم *جامع الترمذي*. فسئل عن الأصل، فأجاب إنه لا يحتاج إلى أصل لأنه يحفظه. وقال إنه يمكنهم أن يقرأوا من أية نسخة شاؤوا، وتطاول في كلامه على أئمة الفقه والحديث مثل مالك بن أنس والشافعي - يضيف ابن نقطة أنه عند ذلك الحين لم يجتمع به. يؤكد ابن الآبار من جهته أن أبا عمرو أصاب في تهجمه حتى بعض أساتذته مثل ابن بشكوال. ويذكر ابن واصل أنه كان يُستثقل لما كان يستعمله من حوشي اللغة في رسائله (*وفيات*، 3، 450 ؛ *لسان*، 4، 133 ؛ *صلة*، 82).

ألف أبو عمرو كتباً عدة يذكر ابن حجر العسقلاني أنه وقف على واحد منها في (*الجهر والبسملة*) ويلاحظ عليه عدم معرفته بهذا الفن (*لسان*، 4، 133). كما له منتخب في الأحكام لقد ظل يمارس الأستاذية بدار الحديث الكاملية إلى أن توفي يوم الثلاثاء 13 جمادى الأولى من سنة 634/ 12 يناير 1237 عن سن تناهز 88 سنة، ودفن بسفح المقطم بالقاهرة (*وفيات*، 3، 450 ؛ *لسان*، 4، 133 ؛ *نفح*، 2، 94).

ابن الآبار، *التكملة* ؛ ابن حجر العسقلاني، *لسان الميزان*، طبعة حجرية، (د. ت.) الجزء الرابع ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، تح. إحسان عباس، بيروت، المجلد الثالث ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، القسم الرابع، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، فضالة، 1414 / 1994 ؛ ع. السيوطي، *بغية الوعاة*، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، 1399 / 1979، الطبعة الثانية ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1408 / 1988، المجلد الثاني.

ابن **دحْيَة**، عمر بن الحسين بن علي السبتي يكنى أبا الخطاب، وهو إحدى الشخصيات الفكرية التي عاصرت الفترة الموحدية في القرن السادس وبداية السابع (12 - 13م). لهذا كان يُعرِّف نفسه "بذي النسبين دحية والحسين". كما كان يكتب عن نفسه "سبط أبي البسام" (*وفيات*، 3 : 449).

ولد في مستهل ذي القعدة من سنة 546. ويعتبر أبو الخطاب من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء الذين أنجبتهم مدينة سبتة، كان متقنا للحديث وفروعه (*برنامج*، 20) ظاهريّ المذهب، عالماً باللغة والنحو وأيام العرب وأشعارهم. برهن في مناسبات عدة عن كفاءته العروضية ومقدرته البيانية. لكنه اختص في طلب الحديث وتدريسه بالمغرب والمشرق في رحلته العلمية الطويلة التي لم يعد منها والتي لم يخلف لنا آثارها على غرار ما فعله بنو جلدته من العلماء السبتيين من أمثال التجيبي وابن رشيد.

روى بسبتة عن أبي محمد بن عبد الله ورحل إلى الأندلسي وأخذ بها عن عدد من الأشياخ منهم الحافظ أبو بكر بن الجدّ وأبو عبد الله بن زرقون وأبو العبّاس بن خليل. كما أخذ عن ابن بشكوال (*صلة*، 73 ؛ *عنوان*، 160) وتولى قضاء دانية مرتين، ثم صُرف عنها - يقول المقري لسيرة نعتت عليه (*نفح*، 2 : 104) ثم عاد إلى بر العدوة. ونزل بمراكش والتقى بعلمائها (*صلة*، 73) رحل إلى بجاية وأقام بها أيام حكم أبي عبد الله ابن حوشتي يرمور (*عنوان*، 228). ثم نزل بافريقية سنة 595 / 1199 واشتغل بها محدثا قبل أن ينتقل إلى الديار المصرية حيث سمع عن البوصيري (*عنوان*، 160). ومنها تابع رحلته إلى الشام والحجاز والعراق. فأخذ في بغداد عن بعض أصحاب ابن الحصين. وقرأ بواسط على أبي الفتح محمد بن أحمد ابن الميدائي. وواصل رحلته إلى "عراق العجم" وخراسان ومازندران وغيرها. وأخذ بأصبهان عن أبي جعفر الصيدلاني وبنيسابور عن منصور بن عبد المنعم الفراوي وأبي سعيد ابن الصفار والمؤيد الطوسي. كل ذلك طلباً في علم الحديث وبهدف الاستماع والاجتماع بأئمته (*نفح*، 2، 104 ؛ *وفيات*، 3 : 449).

وعند وصوله إلى مدينة إربل في سنة 604 / 1208 وهو في طريقه إلى خراسان استقبله صاحبها الملك مظفر الدين بن زين الدين، وقد كان مولعا بتخليد ذكرى المولد النبوي عظيم الاحتفال به، فأنجز له أبو الخطاب مؤلفا سماه *التنوير في مولد السراج المنير* ختمه بقصيدة طويلة.

يقال إنه كان للكتاب وقع طيب لدى الملك الذي كافأ صاحبه بألف دينار. إذ يذكر ابن خلكان أنه سمعه عليه الملك مظفر الدين في ست مجالس في جمادى الآخرة من سنة 625 / 1228 (*وفيات*، 3، 449).

وبالديار المصرية ذاع صيت أبي الخطاب وعظمت شهرته فاقتربت منه العامة والخاصة. فتبوأ منزلة خاصة لدى ملكها الأيوبي الكامل ناصر الدين عينه كأول أستاذ لدار الحديث

الكاملية التي أقام بنيانها سنة 622 / 1225 بالقاهرة. وفي ظل بني أيوب ارتقى إلى أحسن المراتب. وقد رد أبو الخطاب الجميل بأن نظم في الكامل ابن العادل قصائد رنانة تنم عن المحبة والعطف اللذين كان يكنهما لصاحب النعم عليه.

يذكر المقري أنه كانت له مع الملك الكامل مخاطبات نثرية وشعرية تعكس مشاعر الود التي كانت تربط بين الرجلين (*نفح*، 2، 100 ؛ *وفيات*، 3، 450 ؛ *صلة*، 73) إلا أن جفوة حدثت فيما بعد بين الرجلين : يذكر أبو العباس الغبريني أن أبا الخطاب كان مثل ابن عنين في الشعراء يتطاول على علماء المسلمين ويقع في أئمة الدين، ففقد أنصاره وانفض الجمع حوله. ولما انكشف أمره لدى الكامل عزله عن دار الحديث (*عنوان*، 160) وعين مكانه أخاه أبا عمرو الأكبر منه سنا (*وفيات*، 3، 450). يضيف أبو العباس الغبريني أن أبا الخطاب عقب الإهانة التي لحقته من ملك مصر - رحل إلى دمشق. فتقرب إليه الوزير ابن شكر. وبدمشق أجرى مناظرة مع الشيخ تاج الدين الكندي انتهت بطعن الكندي في نسب أبي الخطاب وتشكيك الحضور في نسبه إلى دحية الكلبي مستعينا بشعر ابن عنين.

صنف أبو الخطاب مؤلفات كثيرة منها كتاب *التنوير في مولد السراج المنير* بمدينة إربل بمناسبة المولد النبوي سنة 604 / 1208. كما ألف *العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور و الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات* وله أيضاً كتاب *شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم* وكتاب *النبراس في أخبار خلفاء بني العباس* وكتاب *الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفين* (*نفح*، 2، 104). كما له كتاب آخر بعنوان *المطرب* خصه للتعريف بالأدباء الأندلسيين (*نفح*، 2، 104، إحالة 1). ولعل أهم ما تميز به أبو الخطاب في كتاباته هو اعتماده حوشيّ اللغة إذ أن معظم كتاباته مغلقات مقفلات، وربما تعمد ذلك - يقول المقري - حتى ينفرد بنوع يشتهر به دون غيره على النحو الذي سار عليه كثير من الأدباء حين تركوا طريق المعرب وانفردوا بالطريق الآخر (*نفح*، 2، 99).

يبدو أن أبا الخطاب عاد إلى القاهرة حيث قضى بقية حياته إلى أن توفي بها يوم الثلاثاء 14 ربيع الأول من سنة 633 / 27 نونبر 1235 عن عمر يُناهز سبعاً وثمانين سنة ودفن بسفح المقطم (*عنوان*، 161 ؛ *وفيات*، 3، 450 ؛ *نفح*، 2، 103).


التجيبي، *برنامج التجيبي*، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا - تونس، 1981 ؛ أبو جعفر ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. عبد الحي الكتاني، 1937 ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء الزمان*، تح. إحسان عباس، بيروت، المجلد الثالث ؛ أبو العباس الغبريني، *كتاب عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية*، تح. رابح بونار، الجزائر ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1388 / 1968، الجزء الثاني.


زليخة بنرمضان

**دخيسة**، قبيلة تنحدر من عرب بني معقل. وقد تحدثت المصادر التاريخية لأول مرة عن دخيسة منذ وصولها إلى المغرب في أواسط القرن الحادي عشر (17 م). وكانت تنتجع في هذا التاريخ في الصحراء الجزائرية الحالية، قرب الأغواط وعين ماضي، فعندما خرج مولاي مَحمد الشريف في عام 1060 / 1650 إلى نواحي تلمسان فاتحاً وعرج على طريق الصحراء، قدمت إليه قبيلة دخيسة ورحبت به ثم بايعته ودلته على مواطن قبائل تلك النواحي وقراها (*الاستقصا*، ج 7، ص. 21). وقد رحب مولاي مَحمد الشريف بهؤلاء الأعراب وأكرم وفادتهم. ويظهر أن هذه القبيلة في ذلك الوقت لم تكن تشكل سوى فرقة صغيرة من عرب معقل. فتاريخ ابن خلدون الذي أتى بالوصف على جميع فصائل عرب بني معقل، وتحدث بتفصيل، عن أماكن استقرارها في القرن الثامن (14 م)، لم يذكر دخيسة في بيانه (*العبر*، ج. 6، ص. 118 وما يليها). ويبدو أيضاً أن تسابق هذه القبيلة إلى مبايعة مولاي مَحمد بن الشريف والدخول في طاعته كان يستهدف حماية جلدها وتعزيز مكانتها وسط القبائل القوية المحيطة بها والتي كانت لا تخضع لأي سلطان، في الوقت الذي اضطربت فيه أحوال المغرب الأوسط وتطلعت بعض قبائله إلى خلع بيعة الأتراك من عنقها والانتقاض عليهم. (*الاستقصا*، ج. 7، ص. 21). وعندما عاد مولاي مَحمد ابن الشريف إلى سجلماسة التحقت به دخيسة وأولاد نصير وعززوا جانبه والتفوا حوله في واحات تافلالت (Arnaud Louis (commandant), *Monographie de la région de Meknès*, p. 66).

وقد استقر هؤلاء القوم مدة طويلة في هذه المنطقة ولم ينزلوا إلى هضبة سايس إلا في مطلع القرن الثالث عشر (19 م) في عهد مولاي سليمان (1792 - 1822)، وبأمر منه لمواجهة خطر القبائل البربرية التي كانت تهدد مدينة مكناس وحكم الأسرة العلوية نفسها، بعد ظهور حركة أبي بكر امهاوش في الأطلس المتوسط، وخروج الكثير من القبائل عن نفوذ السلطة المركزية (*Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc*, 1942, p. 43).

وقد تعرضت قبيلة دخيسة منذ استقرارها في سايس لضغوطات كثيرة من قبل القبائل المجاورة. كما خضعت لإجراءات تأديبية من قبل المخزن المركزي الذي كان يسعى إلى إيجاد حالة من التوازن السياسي والبشري في المنطقة. ففي سنة 1850، كان هؤلاء الناس يحتلون جزءاً مهماً من هضبة سايس (*Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc*, 1942, p. 43) وعند ما جاء سيدي محمد بن عبد

الرحمان (1859ـــ1873)، نقلهم إلى منطقـــة الحوز (*Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc*, 1942, p. 43).

وبعد مدة من الزمن عادوا خفية إلى ناحية الغرب (*Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc*, 1942, p. 43) وعندما تولى الحسن الأول السلطة في البلاد (1873 ـ 1894) أنزلهم في سنة 1874، في بلاد مجاط بعد نفي هؤلاء إلى منطقة الغرب (*Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc*, 1942, p. 43) وفي سنة 1905 اضطرت دخيسة وأولاد نصير إلى إخلاء المجال لمجاط الذين عادوا إلى موطنهم الأول، واضطروا على إثر ذلك، إلى الاستقرار شمال غرب مكناس، على قدم جبل زرهون حيث ما زالوا يقيمون في هذه المنطقة إلى الآن (*Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc*, 1942, p. 43).

أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء السابع، الدار البيضاء، 1956 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1956. 1959.

L. Arnaud (commandant), *Monographie de la région de Meknès, Bulletin de la Société de Géographie du Maroc*, n° 2, 1916 ; (*Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc*), Nouvelle Série, Tome II, Année 1942 (rapport anonyme).

العربي اكنينح

**الدخيسي، محمد**، من عدول مدينة سلا القائمين بالإشهاد بين الناس، وكان سنة 1219 بقيد الحياة.

*رسوم الخزانة الصبيحية.*

**الدخيسي، محمد** بن **عبد القادر** مقاوم ولد سنة 1916 بدوار تنيسان عين الصفا إقليم وجدة كان من العناصر الفاعلة في صفوف الحركة الوطنية بالمنطقة الشرقية، شارك في عدة عمليات فدائية ضد المستعمر الغاشم الأمر الذي عرضه للاعتقال والتعذيب حيث حكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة أشهر.

توفي بتاريخ 2 فبراير 1996 بمدينة احفير.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال.*

**الدخيل، عـزاز** محمد، مقاوم من مواليد سنة 1929 انخرط في صفوف المقاومة السرية منذ سنة 1953 ضمن فرقة عباس القباج بمدينة گولمين، ثم بعد ذلك انضم إلى صفوف جيش التحرير تحت مسؤولية إدريس بن بوبكر بدرسان. وقد كانت مشاركته مشاركة فعالة في عدد من المعارك التي دارت رحاها سواء ضد السلطات الإسبانية أو الفرنسية كأم العشار ومركالة وغيرها إلى أن احرز المغرب على استقلاله.

وقد توفي خلال شهر ذي القعدة عام 1415 / أبريل 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال.*

**الدخيلة** (سد -) هذا هو السد الثاني في مركب عبد المومن المائي المشيد على واد إسن أحد روافد حوض سوس المنحدر عبر سفوح الأطلس الكبير. وقد شيد عند الموضع المعروف بالدخيلة (جمعة الدخيلة، دائرة أولاد تايمة، إقليم تارودانت) على بعد 20 كلم عند سافلة سد عبد المومن الرئيسي المشيد عند موقع تامزاورت، قبيل خروج واد إسن إلى سهل سوس.

سد الدخيلة عبارة عن سد صغير خطط له لتنظيم وتحويل المياه المعبأة عند سد عبد المومن الكبير نحو مختلف القطاعات الفلاحية الواقعة بسهل سوس الأسفل على مساحة 13 ألف هكتار. وقد أنجزت هذه المنشأة لتوفير مياه السقي لقطاعات فلاحية مستحدثة ولإنقاذ قطاع الحمضيات بأولاد تايمة الذي ظل لفترة طويلة يعاني من خصاص حاد في مياه السقي بسبب الاستغلال المفرط للمصادر المائية الجوفية وما ترتب عنه من نزول حرج لمستوى سطح الفرشة المائية المحلية.

وقد تم اختيار موضع الدخيلة لبناء هذا السد نظراً لكونه يشرف بفارق ارتفاعي مهم على القطاعات السقوية التي ستستفيد من مياهه، مما سيساعد على نقل المياه بشكل طبيعي عن طريق الجاذبية وضغطها داخل شبكة الري المعتمدة على الرش. وفي ذلك توفير مهم لتكاليف ضخ المياه وضغطها في شبكة التوزيع.

بُني هذ السد بين سنتي 1983 و1986، على شكل حاجز مركب من 9 دعامات خرسانية بعلو 32 متر، ويحصر حقينة تمتد على مساحة 18،5 هكتار قابلة لحجز حوالي 750 ألف متر مكعب من المياه. الطلاقا من قاعدة السد ينطلق رواق باطني على مسافة 2000 متر يقوم بدور تحويل المياه إلى القناة المتوجهة القطاعات السقوية.

ومنذ سنة 1985، وبسبب تزايد حاجيات مدينة أگادير الكبرى واشتداد الضغط على حقولها المائية الجوفية، تم التحول نحو سد الدخيلة الذي أصبح يزود محطة سيدي بوسحاب المعالجة المياه الصالحة للشرب بحوالي 10 مليون مكعب في السنة، وذلك قصد توجيهها نحو مختلف مراكز أگادير الكبرى.

ح. المحدد، 1999، *الماء بحوض سوس : إسهام في دراسة نظام هيدلوجي مغربي جنوب ـ أطلسي*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، 740 صفحة.

الحسن المحداد

ابن **دَدّاه، عثمان** بن طالب مَحمد، مقاوم ولد سنة 1913 بالساقية الحمراء وانخرط في صفوف جيش التحرير

بالصحراء المغربية سنة 1956 ضمن فرقة المقاطعة الثامنة مركز الساقية الحمراء تحت قيادة ابا الشيخ بن السالك.

وقدعرف عثمان بن دداه بإخلاصه وتفانيه في الدفاع عن حوزة بلاده حيث شارك في عدة معارك أبلى فيها البلاء الحسن إلى أن استشهد في معركة وادي الصفا بتاريخ 9 شعبان عام 1376 / 11 مارس 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال.*

**دَدُّوش، محمد** بن عمر، مقاوم ولد سنة 1920 بتمسمان ـ إقليم الناضور ـ انضم إلى صفوف جيش التحرير وكافح ضمن الوحدة التي كانت مرابطة بتيزي وسلي ونواحيها، تحت مسؤولية السيد الغابوشي محمد لجدان (كزناية).

شارك في عدة اشتباكات مسلحة ضد العدو وحضر في بسكور، سيدي علي بورقبة، تيزي انتيذي تيزي اذان، أزرو، اقشار، وبقي يدافع حتى استشهد أثناء هجوم على العدو بتايناست بضواحي تازة يوم 28 / 3 / 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال.*

**الدراجني** عزوز ← **تيلزارْتْ**

**الدّرادر**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسرة إسبانية تحمل نفس الاسم : Adradas وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 662.

محمد ابن عزوز حكيم

أبو **دْرَارْ، محمد**، موسيقي من مواليد مدينة سلا عام 1937 التحق بمدارس محمد الخامس حيث تابع دراسته الابتدائية والثانوية. كما التحق بالمعهد الوطني للموسيقى بالرباط، فتابع دروس الصولفيج والعزف على البيانو.

وفي بداية استقلال المغرب انقطع عن متابعة الدراسة العامة ليتفرغ للعمل في مجال الموسيقى، فاشتغل محرراً ومسؤولاً عن الصفحة الفنية التي كانت تصدرها جريدة العلم كل يوم أربعاء، وعمل مساعداً بقسم الموسيقى التابع لمصلحة الشباب والرياضة، فشارك في التأطير المحلي للتداريب التي أقامتها هذه المصلحة لفائدة الشباب الموسيقي، كما شارك في البعثات التي أوفدتها إلى الخارج لحضور اللقاءات والتداريب والمؤتمرات الموسيقية : التدريب على طريقة مارتُونو بباريز في شتنبر 1957 اللقاء الدولي للمجموعات الصوتية الكورالية في فيزون لارومين Vision La Romaine غشت 1959 مؤتمر الشبيبة الموسيقية في برلين صيف 1960.

وفي عام 1961 انتقل إلى فرنسا ممنوحا من طرف البعثة الثقافية الفرنسية لاستكمال تعليمه الموسيقي، فانخرط في المدرسة الوطنية العليا للموسيقى بباريز حيث درس قيادة الاركسترا على يد الأستاذ جان فورني Jean Fournier والتحق بلاسكالا كانتوروم La Scala Cantorom بباريز حيث درس علم التطابق على يد دانيال لوسور Daniel Lesur، كما انخرط في المعهد الوطني العالي للموسيقى بباريز حيث قضى ثلاث سنوات في دراسة الهارموني مع جورج هوگون Georges Hugon، وقيادة الاركسترا مع روبير بلوت Robert Blot.

ومن جهة أخرى عزز أبو درار دراسته الموسيقية بحضور مجموعة من التداريب، خاصة في مجال تلقين التحليل الموسيقي بواسطة السماع (المعهد التربوي في مارلي لوروا)، والتدريب على منهاج كارل اورف Carl Orff في برلين، ودروس التخصص في قيادة الاركسترا ومسابقات في القيادة الموسيقية بمدينتي بوزاسُون وهيلڤيرسوم بهولاندا.

وبعد تخرجه أسندت إليه عدة وظائف تربوية وثقافية، فعمل منتجاً ومحرراً لبرامج موسيقية بدار الإذاعة والتلفزة الفرنسية بباريز واشتغل مدرساً للتأهيل الموسيقي للأطفال حسب الطرق الحية، وأستاذاً للايقاع والناي والأركسترا بكل من المعهد البلدي للدائرة السادسة بباريز، ومعهد فيتري سورسين Vitry-sur Seine. وعهدت إليه الإدارة التقنية لتدريب موسيقي مخصص للأطفال المعوقين والمرضى بباريز بسالبتريير Salpetrière.

وبالإضافة إلى هذه المهام، اشتغل أبو درار أستاذاً لقيادة الأركسترا في الشعبة الخاصة بالأجانب التابعة للمعهد الوطني العالي للموسيقى بباريز، وقدم دروساً في التقنية الموسيقية (69 ـ 72).

وقد عاد أبو درار إلى المغرب عام 1974، فالتحق بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية في شتنبر من هذه

السنة، وتعاقب على عدة مسؤوليات تتراوح بين التدريس بالمعهد الوطني للموسيقى بالرباط والمعهد الموسيقي بالقنيطرة، وإدارة الجوق السنفوني للوزارة، ورئاسة مكتب الموسيقى بمصلحة التعليم الفني.

وقد وافته المنية بعد مرض عضال في 16 جمادى الثانية عام 1402/ 11 أبريل 1982.

وللمترجم إنتاجات موسيقية، هي على ندرتها تكشف عن ذوق جميل ودراية عميقة بقواعد التأليف والهارموني. ومن أجمل أعماله توزيعه الموسيقي للنشيد الوطني الذي مطلعه :

نحن إخوان الصفـــا        نحن أصحاب الحميّـــة

قسم الأرشيف بوزارة الشؤون الثقافية، الرباط، *بطاقة معلومات عن المترجم.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الدْرّاس**، يقصد بـه المرحلة الأخيـرة في الموسم الفلاحي التقليدي. فبعد مرحلة الحصاد يتم تجميع المحصول الزارعي في البيادر على شكل أكوام مصففة. كل كومة تحوي محصـول استغلاليـة معينـة حتى يضبط الفلاح مردودها مقارنة مع المصاريف. أو يكوم المحصول حسب نوع الحبوب : شعير، قمح صلب...

يستغل المكان الفاصل بين الأكوام كي يكون حيز الدراس (الگاعة، ج، گيع)، فيتم دكه جيداً حتى لا يتأثر بحوافر الدواب. ويطلى أكثر من مرة بخثي (روث) الأبقار المذاب في الماء (الخضار) كل صباح يقوم الفلاح بدفع قسم من المحصول إلى البيدر، ويتم تقليبه بالمذراة بين الفينة والأخرى حتى يمتص أكبر قدر ممكن من أشعة الشمس بعد ذلك يشرع في الدراس عن طريق دواب مختلفة (الروْى) وخاصة من الخيول والحمير... فيتم شدها بحبل إلى عمود مدقوق في الوسط، أو يقف الدّرّاس في الوسط ويشد

الحبل ليتحكم في دوران الدواب. وتسمى الدابة المجاورة له بـ"بوگيْدى" لأنها تقيد وتشد باقي الدواب نحو الداخل، أما الدابة التي توجد في الطرف الخارجي فتسمى "الطرّادْ" لأنها تجر باقي الدواب نحو المزيد من السرعة. وإذا كانت الدواب تتكون فقط من الخيول فإن الدرّاس يغير مجرى اتجاهها كل حين، فيصبح الطراد مكان بوگيدى ليأخذ قسطا من الراحة والعكس صحيح. وكلما تبين أن الجزء الأعلى من "الدرسة" قد أصبح دقيقا، تخرج الدواب خارج البيدر، وتقلب الدرسة رأسا على عقب، وتتم هذه العملية بمعدل ثلاث مرات في اليوم.

تكون الكمية المداسة قد أصبحت دقيقة مع العصر تقريبا . وإذا توفرت الرياح "الغربي" اللازمة يشرع في التذرية ليفرز الحب عن التبن. وعندما يصبح الحب هو الغالب يشرع في التصفية النهائية عن طريق الرفش (البالة، بتفخيم الباء واللام)، ومكنسة خاصة تصنع من نبات محلي (زمّـورَة). في النهاية توضع الحبوب في أكياس، وتضبط كمياتها بمقاييس محلية تتوحد في القنطار. وعندما تجمع الكمية اللازمة من التبن أو في نهاية عمليات الدرس، يُـجمع التبن حسب النوع في أكوام (نوادر، مفرد نادرْ) تدك جيداً وتطلى بالسياع (الوحل الممزوج بالتبن).

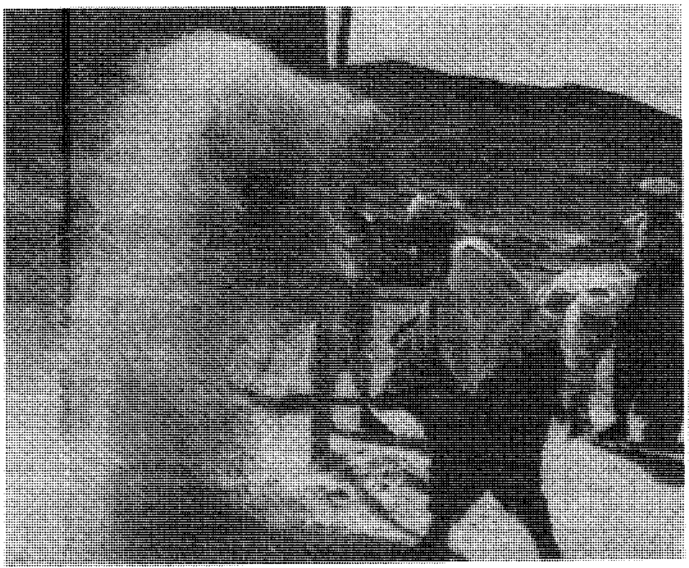

إلا أن كلمة الدرّاسْ تعني كذلك في العامية المغربية نوعاً من عقال الغنم. ولا يتم ذلك إلا في حالتين، أثناء حلب الشياه، بحيت تربط مجموع النعاج المراد حلبها بشكل متقابل، متعاكسة الرؤوس والأعناق حتى يسهل حلبها. أو في الحالة التي ينوي فيها الكساب بيع عدد من رؤوس الغنم، فيقوم بدرس قطيعه حتى يسهل عليه ضبطها ومراقبتها أثناء البيع، وفي نفس الوقت يسهل على المشتري التأكد من جودة العرض وحرية الاختيار دون إزعاج للقطيع أو انزعاج من دفع وجر. وقد تكون لهذه

الكلمة علاقة بالكلمة الفرنسية (Dressage) وتنطق في جهات أخرى بـ "الدْراز".

Georges S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953; V. Loubignac, *Textes arabes des Zaër*, Paris, 1952.

صالح شگاگ

**دراكونيس** Dracones، مدينة ذكرها الجغرافي الرافيني Le Géographe de Ravenne، ضمن مواقع أخرى ثم أشار إلى أن الكتّاب الذين نقل عنهم ينسبون هذه المدن لموريطانية الطنجية. يعد هذا المصدر آخر ما وصلنا حول تاريخ المغرب القديم قبيل الفتح الإسلامي، حيث إن الكتاب وُضع في أواخر القرن السابع أو بداية القرن الثامن للميلاد.

يتضح أن الكاتب اعتمد أساساً على مسالك أنطوننوس *Itinéraire d'Antonin* الذي يرجع إلى القرن الثالث للميلاد، ويتضمن جرداً للمواقع التي تخترقها الطرق الرومانية في موريطانية الطنجية انطلاقا من مدينة طنجيس. والجغرافي الرافيني انطلق أيضاً من طنجيس في الحديث عن المواقع التي وردت معها مدينة "دراكونيس"، في الفقرة التاسعة من الفصل الثالث وعددها 18 مدينة. لكن هذه المواقع لم يرد لها ذكر في بقية المصادر القديمة التي وصلتنا حول المغرب القديم، باستثناء طنجيس. أما المدن التي نقلها عن مسالك أنطونينوس فقد وردت في الفقرة الحادية عشرة من الكتاب الثالث. ومدينة دراكونيس وردت عند الرافيني في الرتبة الخامسة بعد مدينة طنجيس الواردة في الرتبة الأولى (انظر مادة داوينة).

إن الكاتب حسب الباحث موريس أوزينا، وقع في خلط بالنسبة للمدن التي تحدث عنها في هذا السياق. وأعطى الدارس مثال المدن الخمسة الأولى، على أنها مواقع معروفة في موريطانية القيصرية (في غرب الجزائر). يتعلق الأمر بالأسماء التالية : أولاً Tingis ثم Cadum Castra ثم Castra Nova وبعدها Tasacora وأخيراً Dracones.

ويعرفنا أوزينا بالمواقع التي تطابق في موريطانية القيصرية تلك المدن التي نسبها الجغرافي الرافيني للمغرب القديم وهي : أولاً Castellum Tingitanum ثم Gadaum Castra ثم Castra noua وبعدها Tasacura وأخيراً Ad Dracones.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; M. Euzennat, *Remarques sur la description de la Maurétanie Tingitane, dans Pline*, H.N., V. 2 - 18, *Antiquités Africaines*, 25, 1989.

محمد مجدوب

**الدراوي، علال** من القواد الرئيسيين في عهد سيدي محمد بن عبد الله تميز بتكليف السلطان إياه بسفارة دبلوماسية بمعية قدور البرنوصي وعبد السلام عديّل إلى مالطا سنة 1777 بمهمة التفاوض من أجل افتكاك الأسرى الأتراك، محملاً بمبلغ 274.000 ريال لاستعماله في ذلك.

إلا أن رفض السلطات المالطية الاستجابة للعرض المغربي، ورغبة من السلطان سيدي محمد في مواصلة عمليات افتكاك الأسرى الأتراك، طلب من قائده التوجه بسفارته إلى القسطنطينية، وتسليم المبلغ المذكور إلى السلطان العثماني عبد الحميد الأول. وجريا على عادة رجال الدولة بالقسطنطينية، في طلب "البقشيش" اضطر القائد الدراوي إلى صرف 14.000 ريال لتسهيل مهمته، إلا أن ذلك سيجعله يتعرض لمساءلة وزير البحر العثماني حسن باشا، بخصوص بقية المبلغ الموجه من قبل سيدي محمد بن عبد الله، ولطرده هو وبقية الوفد من القسطنطينية. وقد فضل القائد المذكور ومرافقوه التوجه إلى المشرق بدل العودة إلى المغرب خوفاً من رد فعل سيدي محمد بن عبد الله.

أ. الزياني، *الترجمانةالكبرى*، ص. 83.

حسن أميلي

## الدراوي، علي ← الدرعي، علي بن عبد الرحمن

**الدراوي، مسعود** بن محمد ولي شهير وعارف كبير، له أصحاب كثيرون.

أخذ أولاً عن أبي المحاسن يوسف الفاسي، ثم أوصله لشيخه عبد الرحمان المجذوب فأخذ عنه واشتهرت نسبته إليه، وكان لا يفتر لسانه عن الصلاة على النبي ـ عليه السلام ـــ وفي *المتع* أن الشيخ كان يستأجر الأجراء ويجلسون ويصلون عن النبي (ص) وهو يشاهد ذلك ويسمعه.

توفي سنة 1011 / 1602 ـــ 1603 ودفن خارج باب فتوح بمقبرة سدي حماموش وبجوارهما مصلّى تقام به صلاة العيدين بالنسبة لعدوة فاس الأندلس.

م. العربي الفاسي، *مرآة*، ع. الرحمان الفاسي، *ابتهاج*، 265 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع*، م 19، ص. 8 ؛ ابن عيشون الشراط، ص. 226 (د. د.ع مرقونة) ؛ م. *الإفراني*، *صفوة*، ص. 56 ؛ م. القادري، نشر، 1 : 78 ـ 85 ؛ *الاكليل*، ص. 384 (د. د.ع مرقونة) ؛ *التقاط*، ص. 39 ؛ *الزهر الباسم*، مخطوط، 33 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 235.

ماريةدادي

**الدراوي، موسى** بن سعيد كان أسود اللون. من أهل الولاية، ذا حال قوي وشوكة، شديد الشكيمة على الظلمة، ظهرت له في ذلك كرامات وآيات. اشتغل في أول أمره ربّاعا عند شيخه أحمد الشاوي لمدة ثلاث سنين. وكانت

له زاوية في حياة شيخه عن إذنه بمدشر تاغزوت بموضع قرب صفرو له أتباع وأصحاب من قبيلتي أولاد ثاير وأولاد عباد. ذكره محمد بن الطيب القادري في كتابه *نشر المثاني* ضمن من توفوا سنة 1014، ودفن بروضة شيخه أحمد الشاوي بحومة الجرف بعدوة القرويين من فاس.

م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 133 ؛ م. ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، ص. 258 ؛ م. جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 281.

زهراء النظام

**الدربوز**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الغربية الواقعة قرب مدينة أصيلا. ومنهم محمد بن أحمد الدربوز الذي زاول خطة العدالة سنة 1261 / 1845.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1616.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدربوكة**، آلة موسيقية تستخدم لضبط الإيقاع بواسطة النقر عليها باليد. وتصنع غالباً من الفخار، وأحياناً من المعدن، على شكل كأس مفتوح الطرفين، غلف أوسعهما بقطعة مشدودة من الجلد.

وقد جاء ذكر هذه الآلة في *ألف ليلة وليلة* مما يدل على شيوع استخدامها في المشّرق العربي منذ عهد مبكر.

أما بالنسبة للمغرب فالظاهر أن استعمالها حديث لعله يرجع إلى فترتين متفاوتتين :

أولاهما كانت على عهد الاحتلال العثماني للجزائر. وفيها تسرب استعمالها إلى بعض المجموعات الشعبية بالمغرب، وثانيتهما كانت في العقد الثالث من هذا القرن، وذلك عن طريق مجموعات الموسيقى العصرية بتأثير من الأجواق الشرقية. وفي هذه الفترة بدأ استخدام الدربوكة يتسرب أيضاً إلى حظيرة أجواق الموسيقى الأندلسية.

وقد واكب استخدام الأجواق الأندلسية للدربوكة تبني المصطلحات الشرقية للتدليل على المفاهيم الإيقاعية،

الدربوكة

فشاع استخدام الدمة والتكة والاس كبدائل للندف والزنج والفاصلة، وخاصة بين رواد الأجواق العصرية.

ويعتبر دور الدربوكة ثانويا بالنسبة للطر، فهي تساعده على ضبط الايقاع، وذلك بواسطة نقرها باليد على إحدى الطرائق التالية :

الدم، وهو نقرة بكف اليد اليمنى في وسط الجلد. ويرمز للزمن القوي.

التك وهو نقرة باليمنى في طرف الجلد ويرمز للزمن الضعيف.

الاس، أو السكتة، وهو نقرة باليسرى في جانب الجلد ويعرف أيضاً بالفاصلة.

ح. نصار، *الموسيقى والغناء في ألف ليلة وليلة*، منشورات اقرأ، ص. 56 ؛ *بحث ميداني*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الدُّرْبي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازال هناك أسرة إسبانية تحمل نفس الاسم : Adarbe ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 665.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدَّرْج** في موسيقى الآلة له مفهومان : الأول : يراد به أحد الميازين الخمسة التي تتكون منها النوبة، وهي البسيط، والقائم ونصف، والبطايحي، والدرج، والقدام. وهو عبارة عن مجموعة من المعزوفات الآلية والمقطعات الغنائية، يجري أداؤها على نسق لحني وإيقاعي معين. وقد أكد الباحثون أن أهل الأندلس حصروا النوبة في أربعة ميازين، فلما كان عهد السعديين أضاف المغاربة ميزانا خامسا هو "الدرج".

وقد كان لرجال الزاوية المغربية الفضل في ابتكار الأدراج، فكانوا يتغنون بصنعاتها ضمن ميازين البطايحي، ومن ثم قيل : إن الدرج اكتسب تسميته من كون صنعاته أدرجت في ميزان البطايحي. وقد عبر عن هذه الحقيقة أحمد بن العربي أحضري في مقدمة كتابه عندما أدرج الدرج في ميزان البطايحي "لأنه محسوب عليه".

غير أن أرباب الموسيقى الأندلسية وقفوا من الأدراج موقف الرفض، وذلك بحكم وفائهم لتقاليد المدرسة الغرناطية الأصيلة. وانعكس هذا الموقف على كناش محمد بن الحسين الحايك، فجاء خالياً منها.

وعندما أقدمت لجنة الوزير محمد بن العربي الجامعي عام 1303 / 1885 على مراجعة *كناش الحايك* كان من جملة ما أنجزته تبني الصنعات المدرجة في البطايحيات وتنسيقها في ميازين مستقلة عرفت منذئذ بالأدراج،

وإضافتُـها إلى النوبـات الاحـدى عشـرة، غيـر أن صنيع اللجنة ظل ـ فيما يبدو ـ منحصراً تداولُه في أوساط المدرسة الفـاسية ردحا من الزمن قبـل أن تتبناه ـ بدورهـا ـ المدرسـة التطوانيـة الشفشاونيـة. ويدل على هذا أن حواضـر الشمال ظلت وفيـة حتى العقـد الرابع مـن هذا القـرن لمستعملات كنـاش الحايك الأصلي، من خلال اعتمـادهـا علـى النسخ الأصلية كنسخة ورثـة الرقيوق الطنجي، وكـان قد تم الفراغ من نسخها عام 1325 / 1907 والتي مـازالـت حتى اليـوم معتمـد فناني الشمـال ومرجعهم كلما طرأ خلاف أو إشكـال حول بنية صنعة من الصنعات.

ويبدو هذا الوفـاء في مدونـة الأصبهان التي أنجزها في بـداية الأربعينيـات المستشرق الإسباني أركـاديو دي لاريـا بـالاثين بمسـاعدة الفنـان الشفشـاوني الأصل عبد السلام بن الأمين العلمي مديـر القسم العربي بالمعهد الإسباني المغربي بتطوان، والعياشي الوريـاغلي رئيس الجوق وعازف الرباب، وأحمـد البـردعي عـازف الكمـان، وغيـرهم، فقـد وضعت صنعـات الدرج التسعـة في مقدمـة القسم المهزوز من ميـزان البطايحي.

الثـاني : يراد بـه أحد أصنـاف الإيقـاعات الخمسـة التي تضبط حركـة الصنعات المتعـاقبة فـي ميـازين النوبة. ويُعبّر عنه بـ"الدور" الـذي هـو بمثـابـة الوحدة الأسـاسيـة للهيكل الإيقاعي الذي يتحكم في ميزان النوبة.

لم يهتم الحايك بذكر الدرج ولا ببيان إيقاعه لموقفه الذي أوضحنـاه. وقـد اعتبره أحضـري في كتـابـه *"ديوان الأمـداح النبـويـة وذكـر النغمـات والطبـوع وبيـان تعلقهـا بـالطبـائع الأربعة"* متفرعا عن ميزان البطايحي أما الدراسات الحديثة فهي تقابله بميزان 4/4 في صورتيه الموسعة والمهزوزة :

الصورة الموسعة :

الصورة المهزوزة :

أ. أحضـري، *ديوان الأمـداح النبـويـة وذكـر النغمـات والطبـوع*، مخطوط، ص. 12 ـ 13 ؛ أركاديودي لريا، *نوبة الصبهان*، دار الطباعة المغربية، تطوان، 1956، ص. 29 ـ 31 ؛ ع. ابن سـودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 446، 2061.

عبد العزيز بن عبد الجليل

## الدرحم، احماد ← الدرهم، احماد

**الدردار**، اسم فـارسي تعـرَّب فـاستعمل في المغـرب والمشرق العربي ليدل على أشجار تسمى بالأمازيغية "اسلّن أو "توزّلت"، وتخص هذه الأسمـاء أنـواعـاً نباتيـة شجريـة، منهـا اثنـان طبيعيـان بـالمغـرب وهمـا فراكسينُـوسْ أنكواستيفـوليـا Fraxinus angustifolia وفـراكسينـوس ديمورفـا Fraxinus dimorpha. بـالإضـافة إلى أنـواع أخرى أدخلت للزينة. تنتمي هذه الأنواع إلى فصيلـة الزيتـونيات Oleaceae. مواقع عديدة بالمغرب توجد بها "دردارة" سميت بهذا الاسم.

يتراوح علو شجرة فراكسينُوسْ أنكوستيفوليا ما بين 10 و20 م. تـاجهـا كبيـر وكـروي الشكل. قشـرة جـذعهـا ملسـاء ورمـاديـة في الصغـر، ثـم تشقق وتسـودّ في الكبـر. براعمهـا سمراء وصغيـرة. أوراقهـا نفضيـة، معنقة، مركبـة ريشية مكونة من 5 إلى 13 زوجا من الوريقات الطويلة الشكل والمسننة، إزهراراتها عنقوديـة تظهـر قبل الأوراق. ثمـارهـا يـابسـة وحيـدة البـذرة، لا تتفتـح، ولهـا جنـاح رقيق وطـويل يشبه لسـان العصافيـر كمـا جاء عن ابن سينـاء في وصفه لهذه الشجرة.

الدردار

يصـادف هـذا النـوع بحـوض البحر المتـوسط. أمـا في المغرب فنجده ينمـو طبيعياً بجانب مجاري الميـاه في جميع المناطق المغربيـة في البيومنـاخات الرطبـة جداً والرطبة وشبه الـرطبـة واستثنـائيـا شبـه الجافـة. وفي الطـوابق النبـاتيـة للمتـوسطي الـدافـئ والمتـوسطي وفـوق المتـوسطي والجبلي المتوسطي. أمـا من حيث التربـة فإنه يتطلب أراضـي خصبة وسميكة. أما النوع الثاني فراكسينوس ديمورفا فهو يختلف عن الأول بعلـوه المتـواضع الـذي يتـراوح مـا بين 8 و12م، وغـالبـاً مـا يكـون علـى هيئـة شجيـرة أو شجـرة صغيـرة، وبأوراقـه غيـر المعنقـة والتي تختلف فيمـا بينهـا : أوراق الأغصان الصغيـرة والسفلى تتركب من 2 إلى 4 أزواج من الوريقـات الصغيرة الحجم. أمـا أوراق الأغصـان العليـا فإنها تتركب من 3 إلى 5 أزواج من الوريقات الكبيرة نسبياً.

يصادف النـوع الثاني في إفريقيـا الشماليـة مـن المغرب إلى تونس وكذلك في أفغانستان وجبـال الهيمالايا الغربيـة. أما في المغرب فهو يعيش في الغابات والأحراج الجبليـة من الأطلس المتـــوسط والأطلس الكبيـــر وقليلاً فـي الأطلس الصغيـر. إنـه يتلاءم مع أقصى البـرودة وأقصى الجفـاف. ولهذا نجده يقطن المناطق البيـومناخيـة الرطبـة وشبه الرطبة وشبـه الجافة والجافـة، والطوابق النباتيـة للمتـوسطي الدافـئ والمتـوسطي، وفـوق المتـوسطي، والجبلي المتـوسطي وفـوق الجبلي المتوسطي. إنـه لا يبالي من حيث النوعيـة الصخـرية أو التـرابيـة إذ نجده يعيش علـى أراض مختلفـة كلسيـة أو غير كلسية سميكة أو سطحية.

يعطي الدردار خشب الصناعة ذا القيمة الرفيعة نظراً لمرونته وانطوائه وصلادته ومتانته وجموده وثقله، وقوة تحمله، وذا اللون الأبيض المائل إلى الوردي. كما يستعمل لصناعة الأثاث الرفيع التي تصنع من خشب الأشجار المعمرة ذات الأخشاب التي تتميز بجمال تعريقها وجودتها. تصنع من خشب الدردار الآلات الزراعية مثل المحاريث الخشبية والعربات ومقابض الأدوات وموائد الجزارة والرقائق والآلات الموسيقية. من جهة أخرى تعتبر أوراق الدردار من أحسن الأعلاف للحيوانات إضافة إلى كل هذه المزايا يستعمل الدردار للزينة وبجانب الطرق والشوارع وفي شتى المجالات من التطبيب التقليدي.

*أبحاث شخصية* ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، المكتبة الأنجلو مصرية القاهرة.

Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaitre*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

## الدرحم، احماد ← الدرهم، احماد

**دردورة**، (باب وقنطرة بمكناس) يعدّ باب دردوة أحد أبواب مدينة مكناس الستة التي تحدث عنها ابن غازي حين ذكر أن السور المرابطي المحيط بالمدينة ينفتح على الخارج بواسطة ستة أبواب من بينها باب دردورة الذي كان يقع في الشمال الشرقي للقلعة المرابطية (تاگرارت)، وكان يعرف أيضاً بباب الصفا" ( *الروض الهتون*، ص. 31).

وقد طالته التغييرات التي أحدثها المولى إسماعيل في مدينة مكناس حيث هدم وشيد إلى القرب من موصعه باب تيزمي وأما قنطرة دردورة، فهي التي تربط بين المدينة القديمة وحمرية من ناحية الفخارين.

وقد أمر المولى إسماعيل بإقامتها خارج باب دردورة على الطريق المؤدية إلى تطوان في إطار القناطر التي أقامها على مختلف المحاور المنطلقة من مدينة مكناس لتنشيط الحركة التجارية، وكانت تعرف أيضاً بقنطرة ابن يشُّو لإشرافه على بنائها سنة 1101 / 1689. وهو علي ابن يشُو اليازغي قائد أهل ديوان مولاي إسماعيل وعامله على البربر ورئيس عماله - وأنشئت بهذه القنطرة سقاية كانت مثار عناية السلطان لدرجة أنه حبس عليها عدة أوقاف من رباع وعقار، وكانت تعرف بسقاية الذهب، كما حبس عليها القائد ابن يشو أوقافا أخرى، واندثرت السقاية المذكورة ولم يعد لها أثر.

والظاهر أن قنطرة دردورة هي التي أصبحت تعرف في عهد الحماية الفرنسية بقنطرة البرتغال أمام - باب تيزيمي - الرابطة بين المدينتين القديمة والجديدة من جهة الفخارين.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*. . ، ص. 31 ؛ *حوالة أحباس المساكين*، رقم 3 ص 10 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1، ص. 158.

رقية بلمقدم وبوشتى بوعسرية

**الدردوري، أحمد** ولد سنة 1349 / 1930 في قرية نائية داخل جبال سوس تدعى أنوز في منطقة سيدي عمرو، وهو صالح مدفون هناك.

دخل الكتاب وعمره سبع سنوات، وفي نفس الوقت كان يساعد أخاه الأكبر في العمل داخل الحقل. وتشاء الأقدار أن يرحل والده إلى مدينة مراكش صحبة القائد الدردوري الذي كان يحكم منطقة أولوز، ليستقر مقام الأسرة بحي للاعويش، فيلتحق الطفل بكتاب سيدي اليمنى بحي القصور.

وبعد وفاة والده لم تسمح له ظروفه المادية بمتابعة دروسه، وتلبية طموحه، فالتحق للعمل عند إسكافي بحي الصباغين مع ملازمة الدروس بجامع ابن يوسف.

وفي سنة 1378 / 1958 حصل على شهادة أهلته للاشتغال في التعليم. فعين معلما بمنطقة ابن جرير لكن طموحه دفعه لإتمام دراسته بالقرويين، فعين أستاذاً للسلك الثاني بثانوية المنصور الذهبي بمراكش. وتقلب في عدة وظائف إدارية وتعليمية بناحيتي مراكش وأگادير وكانت له موهبة في نظم الشعر فساهم في كثير من التظاهرات الثقافية والأمسيات الشعرية، متحديا معاناته وآلامه، وترك نتاجا شعرياً موزعاً بين أصدقائه، لم تتمكن أسرته من جمعه. إذ كان يشكو من مرض القلب الذي لم يمهله كثيراً.

توفي يوم 26 جمادى الثانية عام 1404 / 28 مارس 1984، وأقبر بمقبرة الإمام السهيلي.

أ. متفكر، *أعلام مراكش*، (ذيل)، مخطوط.

أحمد متفكر

ابن **الدرّاج، محمد** بن عمر بن محمد بن عمر الأنصاري السبتي، من أبرز الشخصيات العلمية في العصر المريني بالمغرب، الأستاذ المتفنن الفقيه المحدث الصوفي الأديب الكاتب الشاعر ذو الخط البارع تولى الكتابة الخاصة للملك أبي يعقوب المريني بفاس، ثم ولاه بعدها قضاء مدينة سلا. قال القادري : وهؤلاء ينسبون إلى الفقيه الخطيب الولي الصالح أبي محمد عبد الله الدراج الأنصاري، وقد عرّف به أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي في تأليفه *الكواكب الوقادة والسلسل العذب الأصلي*، ووصفه فيه بالأنصاري ورأيت بخط عم والدنا أن الدراج المذكور من أهل سبتة، ومن ذرية عبادة بن الصامت.

ولد محمد ابن الدراج ونشأ بمدينة سبتة التي كانت يومئذ من ألمع مراكز العلم والمعرفة لا في المغرب وحده بل

في العالم العربي بما أنجبت من أعلام في مختلف فروع المعرفة ولا نعرف تاريخ ولادته بالضبط. وأخذ عن أهل بلده وعلى رأسهم الأمير العالم أبو القاسم العزفي ووالده أبو العباس. فعليهما تخرج، وبهما سما قدره ولمع نجمه ولاسيما الأول الذي رشحه لتولي منصب الكتابة الخاصة بالبلاط المريني وقضاء سلا. ومن شيوخه اللامعين في علوم اللسان أبو الحسين عبد الله بن أبي الربيع النحوي الشهير، وأبو الحسن علي بن عبد الله المتيوي، وأبو يعقوب بن موسى الغماري الحساني، وأبو بكر الفهري، وأبو القاسم ابن الزبير، وأبو العباس أحمد ابن فرتون السلمي وغيرهم. ولا شك أن مشيخة الرجل طويلة، لكننا لم نجد له ترجمة كافية، ولولا تلميذه الأثير القاسم التجيبي وبرنامجه الذي طبع مؤخراً بتونس بعد أن اكتشفه الأستاذ إبراهيم الكتاني، لبقي الرجل مطوي الذكر في عالم النسيان والإهمال، فقد زودنا التجيبي بمعلومات قيمة عن أستاذه المترجم له، وكذلك ابن رُشيد السبتي الذي استجاز ابن الدراج ونقل عنه في رحلته *ملء العيبة* قصيدة طويلة. ومن تلاميذه الكبار كاتب العلامة في الدولة المرينية عبد المهيمن الحضرمي، وأبو الحسن علي بن عتيق وغيرهم. ولم نجد في النتف القليلة التي وقفنا عليها ما يشير إلى رحلته إلى الأندلس لطلب العلم أو غير ذلك. وإن كنا نستبعد عدمها فقد كانت من السهل الميسور لقرب الدار، واستمرارها من لدن الفتح من الطلبة والمجاهدين والتجار، كما لم نعرف إن كان طلب العلم بفاس أو غيرها من مدن المغرب. أما التدريس والإقراء فلم ينفك عنه في معظم أطواره، فكان يعقد المجالس بسبتة وفاس وغيرهما كان مقصودا لتدريس *تهذيب المدونة* للبرادعي *ومختصر الطليطلي*. وإسماع الحديث وروايته، وله به مزيد اهتبال، وبأسانيده ورجاله جرحا وتعديلا وضبطاً وتحقيقاً كامل العناية والاحتفال، ويتجلى بعض هذا في تسمية مروياته وأسانيده، ومناقشة أدلة تحريم الغناء في كتابه *الامتاع والانتفاع*.

كان ابن الدراج يطمح إلى الرحلة للحج والرواية كبلديه ابن رشيد والتجيبي إلا أن هذين نالا بغيتهما، ولم ينل هو أمنيته. ولاشك أن للمترجم له تآليف إلا أننا لم نعرف منها إلا اثنين : *الامتاع والانتفاع، في مسألة سماع السماع* أو *الكفاية والغناء في إحكام أحكام الغناء*. والرد على من نغص على المسلمين بتحريم ما أبيح لهم منه في مظان المسرة والهناء أو حال اجتماع أرباب التهمم بالسماع ليتبعوا أحسنه أحسن الاتباع وأولي الاعتناء) وقد طبع هذا الكتاب بعنوان مختصر هو : *كتاب الإمتاع والانتفاع، بمسألة سماع السماع*. بتحقيق محمد ابن شقرون. والكتاب الثاني في الخيل ويسمى : *نيل الأمل المؤمل النيل، في معرفة ما يجب من أمور الخيل*، وهو من مسموعات التجيبي عن شيخه المترجم له، ولاندري مصير الكتاب.

والرجل أشعري العقيدة مالكي المذهب كمعظم أهل عصره صوفي عارف في المواجيد ينحو نحو أهل الوحدة ويردد أنغامها، ومن صريحها قوله من مخلع البسيط.

كل مكان بـه اراكــــا　　　والله لا أشتكي هواكــــا
وكيف أشكو وكل شــيء　　　تراه عيني فأنت ذاكــــا

وكان مستهتراً بالسماع قائلاً بإباحة آلاته عارفا بأنواعها ولا يبعد أن يكون ماهراً في استنطاقها، يستروح إلى الرقص ويؤثره.

وبعد حياة حافلة بالمتع بلغ النهاية فأسلم الروح بمسقط رأسه عام 693 / 1293 ودفن بمقبرة المنارة.

م. ابن الدراج نفسه، *الإمتاع والانتفاع في مسألة سماع السماع*، تح. م. ابن شقرون ؛ م. الحضرمي، *الكواكب الوقادة* ؛ السلسل العذب ، سلا ؛ أ. التجيبي، *برنامج الشيوخ*، تونس ؛ م. ابن رشيد، *ملء العيبة*، تح. بلخوجة.

محمد الأمين بوخبزة

**درّاس** بن **إسماعيل** الجراوي الفاسي، أبو ميمونة، فقيه حافظ نظار محدث من أهل فاس، من أحفظ أهل زمانه لمذهب مالك وأصحابه. واشتهر إضافة إلى علمه بصلاحه وورعه ودينه المتين. ذكره القاضي عياض في *المدارك* في الطبقة الأولى من علماء فاس. وبدأ به التميمي كتابه *المستفاد* ونسب له بعض الكرامات. درس ببلده وسمع من شيوخه الذين لم تحتفظ المصادر باسم أي منهم. ورحل إلى الأندلس طالباً فزار قرطبة ولقي فقهاءها.

خرج في رحلة إلى الحج فزار الإسكندرية ولقي فقهاءها، وسمع من علي بن عبد الله بن أبي مطر (ت. 339 / 950 ) *كتاب ابن المواز* في الفقه المالكي. ولا نملك معلومات أكثر عن البلدان التي زارها وعن العلماء الذين لقيهم في رحلته المشرقية هذه التي اتصل فيها بكبار علماء المذهبين : المالكي والأشعري في وقت كان حاسما في تاريخ تطور المذاهب السنية. ودخل القيروان وسمع من ابن اللباد وغيره. كما حدث بها بكتاب *ابن المواز* فأخذه عنه من علمائها أبو الحسن القابسي (ت. 403 / 1013) وأبو محمد ابن أبي زيد القيرواني (ت. 386 / 996 ) الذي كان نزوله بالقيروان عنده.

نقل القاضي عياض عن المالكي القيرواني قوله : "كان أبو ميمونة من الحفاظ المعدودين والأئمة المبرزين، من أهل الفضل والدين، ولما طرأ إلى القيروان اطلع الناس من حفظه على أمر عظيم، حتى كان يقال : ليس في وقته أحفظ منه... وظهر تقصيره بعلماء القيروان وشفوفه على كثير منهم". وقد شعر علماء القيروان بتفوقه في الفقه فحدثت له بسبب ذلك أحداث مع شيخه أبي بكر بن اللباد ومع الشيخ أبي سعيد خلف بن عمر.

دخل الشيخ دراس سبتة فحدث عنه عدد من علمائها كأبي عبدالله محمد بن علي ابن الشيخ، وأخيه حسن بن

علي، وعمر بن ميمون بن بكر القيسي، وحمود بن غالب الهمداني، وعبد الرحمن بن العجوز الكتامي.

وكان من فئة العلماء العاملين، الذين جمعوا بين العلم والورع والجهاد، فقد كان يتردد إلى الأندلس متطوعا للجهاد في سبيل الله بالثغر الأعلى منها. وكان يساهم في نفس الوقت في نشر فقه المذهب، فسمع منه *كتاب ابن المواز* من الأندلسيين أبو الفرج عبدوس بن محمد الثغري وخلف ابن أبي جعفر، وغيرهما.

ارتبط اسم دراس بن إسماعيل بالجهود التي بذلها في نشر وتركيز مذهب مالك بفاس، إلى درجة أن بعض المصادر بالغت حينما نسبت له الدور الحاسم في ذلك. وعلى كل حال فإن دوره كان متميزا في ترسيخ الثقافة المذهبية المالكية، فقد اعتبر أول من أدخل *مدونة* سحنون إليها. وساهم أيضا في التمهيد للمذهب الأشعري، حيث كان أشعريا متحمسا، تنسب له *رسالة في الدفاع عن الأشعرية*.

وتفرغ لتدريس الفقه بفاس، فكان له بحومة مصمودة بعدوة الأندلس مسجد يعرف به، يجتمع عليه الطلبة فيه للدراسة كل يوم بعد صلاة الصبح.

توفي في ذي الحجة سنة 357 / أكتوبر - نونبر 968 ودفن خارج باب الفتوح. وقد جدد السلطان أبو عنان المريني قبره سنة 754 / 1353، ووضع عليه مربعة رخام منقوشة باسمه وتاريخه. واعتبر من أولياء مدينة فاس، وظل الناس يزورون ضريحه ولهم اعتقاد في أن الدعاء عنده مستجاب.

أبو الوليد ابن الفرضي، *تاريخ علماء الأندلس*، القاهرة، 1966، ص. 146 ؛ القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تح. سعيد أعراب، المحمدية، 1981، 6 : 81 ـ 82 ؛ ابن عميرة الضبي، *بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس*، القاهرة، 1967، ص. 292 ؛ أبو زيد الدباغ، *معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان*، ج. 3، تح. محمد ماضور، تونس، ط. 2، 1993، ص. 100 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، دار المنصور، 1973، ج. 1، ص. 194 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طرابلس، 1989، ص. 175 ؛ ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، تح. ز. النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط، ص. 49 ــ 55 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، القاهرة، مكتبة دار التراث، 1396، ج. 2، ص. 111 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، بيروت، ص. 103.

محمد المغراوي

**الدراعة**، يأخذ البحث في تاريخ العادات والتقاليد كل أهميته من داخل حقل المناهج السوسيولوجية دون أن يبعد نفسه طبعا من إجراءات الخضوع للبعد الزمني الذي تجري فيه الظاهرة، ومن ثمة ضرورة تطبيق التداخل المفاهيمي الذي تهيمن عليه خصوصيات وإجراءات العمل الانثروبولوجي، وهكذا يعتبر اقتحام وولوج ميدان الملابس مثلا شاهدا على هاته المشاغل مع التذكير مبدئيا بالإشكالات الواضحة التي يطرحها هذا الموضوع ليس فقط من حيث حداثته وتشتت النتف المعلوماتية الخاصة به، ولكن أيضا باعتبار أن الإمساك بمركباته يرسم ويشخص تعقد معطيات المواد الأولية ومراحل التحضير والانجاز اليدوي، مع التركيز بالمقابل على تداخل ذلك مع بنيات وواقع التراتبية الاجتماعية والأنماط الثقافية المرتبطة بهيكل الذهنيات والسلوكات (Braudel, 271).

ونأخذ هنا نموذج الدراعة الذي يتطلب ما في ذلك شك محاولة الانفصال والتجرد الآنيين والكشف عن أهم الإشارات التاريخية والدلالات الانثرومجالية لهذا اللباس الصحراوي الشهير، وتسعفنا المعلومات التي أوردها الإخباريون والرحالة نسبيا في رصد هذا المسعى واستكماله إذ معهم نصادف بواكر أولى واضحة لهذا التشابه مادامت المقاييس التي يتم إيرادها تأتي لتزكية الاعتبار بأن الدراعة تنتصب بقوة كلباس صنهاجي قديم، على الرغم من التمايز الطبيعي للقبائل والفصائل الصنهاجية في أشكال الملابس، فلقد سبق أن ذكر الإدريسي مثلا صناعة نسيجية مبكرة بنول لمطة في القرن الثاني عشر الميلادي حيث "تباع بها الأكسية المسماة بالسفسارية والبراس التي يساوي الزوج منها خمسين دينارا وأقل وأكثر" (الإدريسي، 66)، بينما يلبس أهل أزكى أردية تميل إلى الكندورة مع إشارات إلى قبائل أخرى تعتمد في أرديتها على الجلود. تلك الصناعات الصوفية تحيلنا للالتفات إلى ضرورة جرد جغرافية للأنسجة، يحتل القطن فيها مكانة بارزة منذ العصر الوسيط على الأقل في حين يتم توريد المنسوجات الصوفية إلى إفريقيا الغربية مع التوسع التجاري القافلي لتتحول مصنوعاته إلى سلع وامتيازات نخبوية، وفي القرن السادس عشر تصلنا مدونات الحسن الوزان لتحدد المعالم الأخيرة المبكرة للدراعة حين تحدث عن اللباس ذي الأكمام

العريضة المصنوعة من نسيج أزرق اللون والتي تأخذ مراحلها النهائية بمنطقة السودان الغربي، في وقت تستورد قطع الثوب من المغرب (Puigaudeau, 415). مادام نفس الإخباري قد أوضح الأهمية التجرية التي حظيت بها مدينة تاگاوست عاصمة وادي نون آنذاك في إنتاج قطع النسيج لتغطية الطلب عليه بما أن نفس التخصص قد نتجت عنه أسواق متخصصة للنساجين بمالي على سبيل المثال (الوزان، 165).

وتتكون الدراعة من قطعة واسعة من الثوب، شُكلت بوسطها [من ناحية القمة] فتحة كبيرة وضيقة لإيلاج الرأس، بينما تمتد من ناحية الكتفين بأكمام واسعة متدلية إلى ما وراء أصابع اليدين. تنفتح باتجاه الأسفل حيث يتم جمع طرفي النسيج من جهة الكعبين، تتوسطها قطعة مثلثة الشكل تقريبا ومن نفس الثوب تناهز العشرين سنتمتراً على مستوى العرض تمثل الجيب الوحيد الذي يميز الدراعة، على أن الرسومات والنقوش التي تزينه تنجز مستقلة ومن مواد خاصة يتخصص فيها أهل السودان والنيجر إلى حد الآن، مما يشهد بجلاء على التطور الكبير الذي يشهده هذا الرداء بدءاً من تنوع واختيار تطابق المواد الأولية (Mauss, 70)، ويختلف طول الدراعة باختلاف قامة الحامل لها مع تحول ملموس إذ تميل حاليا إلى أن تكون متجاوزة للكعبين مع ضرورة التصريح ضمنيا إلى تداخل هاته الميزة مع الانتماءات الاجتماعية والوظيفية لحاملها فنجدها قصيرة لدى الرجل أو المشتغلين مع احتفاظها بطابع نخبوي طويل لدى المستقرين أو الفئات العليا في الهرم الاجتماعي، ويتم طيها من عند الكتفين بشكل آلة الأكورديون أو ربطها في بعض الحالات بحزام من الوسط (Puigaudeau, 417).

ثم إن الدراعة انطلاقا من لونها وشكلها لا يتأتى فهمها خارج المعطى الإيكولوجي المحدد طبعا للاختيارات التي لا تترك مجالا للصدفة أو العشوائية، فما دامت الصحراء تتسم بطابع الحرارة المفرطة (الوزان، 148) فإن التقطيع والرسم المورفولوجي للدراعة البينة الاتساع والمفتوحة من الجانبين تسمح بضمان التهوية أي تنقل ومرور دورة هوائية كما يقي امتداد الأكمام وتحركها المستمر من لسعات الحشرات التي تكثر بالمناطق الحارة، على أن اللون الأزرق الذي يطبع هذا اللباس لا ينفلت بدوره من الاستجابة لهذا المعطى، فالأبيض مثلا إن كان يلائم المناخ الصحراوي فإن اعتماده يظل هامشيا لكونه عاكساً قوياً للأشعة في حين يمتاز اللون الأزرق بتصدره للألوان من خلال اعتباره الأكثرها برودة (*Dictionnaire*, 209) أي أحد المتطلبات الضرورية وسط المناطق الصحراوية.

ونحن إن أكدنا على أقدمية هذا الرداء وتجذره بالصحارى الصهناجية فأن اعتباره الآن أحد خصوصيات الانتماء العربي لا يأخذ إطلاقا قيمته من أية مرتكزات أو حقائق تاريخية، وإنما يبين أهمية التوسع والامتداد الأعرابي على المحاور الجنوبية والتخوم الشمالية للصحراء الأطلسية، كما يعد احتكار بعض المحاور التجارية الممتدة على طول المنطقة توفيرا لامتياز حقيقي للاستحواذ على السلع التي تأتي على رأسها الدراريع (ج. دراعة).

وبالتالي فإن المتغيرات السياسية كما حصل هنا تبين بوضوح خلخلة المجتمعات المستقرة لصالح التشكيلات الاجتماعية الجديدة أو الصائرة في طريق التشكل على امتداد القرون الأخيرة الماضية ليس فقط بموريطانيا بل حتى ببلاد تكنة، ويصبح اللباس في مثل هاته الحالات شاهدا على نسبة هامة من درجات التراتب الاجتماعي (Braudel, 272)، ثم وضوح سيطرة كبار الرحل والتجار أو بشكل آخر فصائلهم على مستوى عام أو أيضا داخل القبيلة ذاتها بامتلاك آليات التمايز كاللباس إلى جانب اللغة، وفوق هاته الوظائف المصغرة للدراعة فإنها تأخذ كينونتها بتمييزها للإنسان الصحراوي بل ولأن حضورها أيضا يتعالى على التخصيص ليصب في جوهر الطقوس والممارسات المجتمعية الخاصة بالمنطقة، فمادامت العلاقات بين الرجال والنساء تشكل الخلايا الجوهرية المؤسسة للمجتمع فإن الفصل بينهما مع ذلك يظهر انطلاقا من الاستقلالية النسبية التي يحظى بها كل طرف وتكون الملابس إحدى الآليات البارزة لهذا الفصل (Haulotte, 165). فالدراعة مثلا يختص بها الرجال لذلك يعتبر إلباسها لامرأة في مناسبة أو أثناء الرقص ترجمة رمزية ممهدة للعلاقة تملك المرأة فيها إمكانية رفضها أو قبولها كما قد يعني ذلك التحاما بين الجنسين في شكل يُعيد الفصل بين الملابس إنتاج بعده الجنسي (Westermarck, 190) على أن ارتداء الدراعة في حفلات الزفاف في وادي نون والصحراء يأتي ليزكي هذا الطرح باعتبارها تحيل في مثل هاته المناسبة على مفاهيم الرجولة (تورگزة) كما أنها تحظى داخل الحقل الثقافي الشعبي برصيد هام من الأشعار والأحاديث المروية.

إننا هنا نود لفت الانتباه إلى توسع التخصص وأهمية التنقيب في الخصائص والمكونات الثقافية لحقل وفضاء الموقع الصحراوي حيث يُمكِّن ذلك لا محالة من استكشاف المتغيرات التاريخية بتنويع مفهوم الوثيقة ذاته وتجاوز الضعف والفقر المعلوماتي اللذين يعيقان البحث المونوغرافي الضيق.


ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، ط. I، الرباط، 1982.

Al-Idrissi, *Le Maghreb au 6° siècle de l'hégire*, Trad. M. Sadok, Paris, 1983 ; F. Braudel, *Civilisation materielle, économique et capitalisme XV-XVIIIè siècles*, Tome I, Paris 1979 ; J. Chevalier, *Dictionnaire des symboles*, Vol. I,6° éd., Paris, 1973 ; E. Haulotte, *Symbolique des vêtements*, Lugduni, 1964 ; M. Mauss, *Manuel d'ethnographie*, Paris, 1967 ; A. de Puigaudeau,

*Arts et coutumes des Maures*, *H.T.*, fasc. 3, 1968 ; E. Westermarck, *Histoire du mariage*, vol. IV, Trad. A.V. Gennep, Paris, (sans date).

أحمد جوماني

**الدّرّاق**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الأخماس، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عروز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1615.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدّرّاق** (أسرة سوسية ـ فاسية) ← **أدراق**

**الدّريج**، أسرة تطوانية تنتمي إلى الأنصار من أصل أندلسي. انتقلت أولا إلى برّ العدوة لتتخذ من سبتة سكناً لها. وتستقر أخيراً في تطوان بعد سقوط سبتة في يد النصارى عام 818.

ومن تطوان انتقل بعض أفرادها إلى فاس، ليصبح لأسرة الدريج حضور بين الأسر الأندلسية بكل من حاضرتي فاس وتطوان.

ويتفق الذين تحدثوا عن هذه الأسرة، بأن سلسلة نسبها يتصل بجدهم الأعلى، الشيخ أبي يعلى طلحة بن عبد الله الدريّج، السبتي النشأة، دفين تطوان، وصاحب الضريح المشهور بها (كان حيا عام 832).

وقد ثبت هذا النسب حسب سليمان الحوات "في الكثير من صدقاتهم، التي هي بخط جملة من أعيان العدول، بالحضرتين الفاسية والتطوانية، أهل الضبط والتحري من العلماء الموثقين بهما". ولذلك أورد الحوات في *تقييد* سلسلة هذا النسب، بتسمية رجاله إلى حدود الجد الأعلى لأسرة الدريّج، الشيخ أبي يعلى طلحة الدريج.

غير أن الذين تحدثوا عن هذه الأسرة يذكرون أن الشيخ سيدي طلحة من نسل قاضي سبتة وخطيبها العلامة المحدث ولي الله أبي محمد عبد الله الدراج الأنصاري دون تحديد علاقة هذه القرابة إن كان طلحة ينزل فيها ابناً للمذكور أو حفيداً من أحفاده.

وقد اجتهد الحوات في تفسير التحول الذي حدث في اللقب وانتقاله من صيغة الدراج إلى الدريج.

وفي تقييد بخط المؤرخ عبد السلام بنسودة نقلا عن بعض الطرر الموثقة، يرد لقب هذه الأسرة منذ البداية بصيغة الدّرِّيج. وهي تقييدة تعرف بهذا القاضي وتذكر أحواله بما نصه : "قاضي مدينة سبتة وديار جبالها السبعة الشيخ الإمام الفقيه المالكي النوازلي الخطيب البالغ الصوت المحدث الوِلي الصالح والذرية الصالحة أبو محمد عبد الله المعروف بالدِّريج، من عقب عبادة بن الصامت، أحد النقباء، الخزرجي الأنصاري، الغرناطي الأصل، الأندلسي ثم السبتي، المتوفى بها قاضيا في أوائل المائة الثامنة، ودفن بخارجها. وقبره بها مشهور يتبرك به". من خط محمد بن علال القادري.

ومعلوم أن القاضي أبا محمد عبد الله الدريج الذي تعنيه هذه التقييدة هو غير القاضي أبي عبد الله محمد بن عمر ابن الدراج السبتي الأنصاري (ت. 693) الكاتب الأديب المؤلف لكتاب *الكفاية والغناء في أحكام الغناء*، وغيره من المؤلفات الأخرى. فهذا الأخير وإن كان سبتيا وأنصاريا، فأصوله ترجع إلى تلمسان، وليس إلى الأندلس كسابقه، وقد تولى في مرحلة من عمره قضاء سلا، واشتهر بكنية سلفه ابن الدراج، كما اشتهر بهذه الكنية أبناؤه من العلماء بعده. (انظر ابن الدراج).

ويتبين مما سبق أن الولاية والصلاح كانتا الميزة التي عرفت بها أسرة الدريج، وهي ما تزال في سبتة مع قاضي سبتة الشيخ عبد الله الدريج الذي وصف بالولاية والصلاح ؛ أو حين استقرارها بضاحية تطوان، مع الشيخ سيدي طلحة، الذي جمع بين الولاية والصلاح والعلم والجهاد. وقد تسلسل بعض هذه الصفات في عقبه المستقر بكل من حاضرتي تطوان وفاس.

ولفضل هذه الأسرة، وجلالة موقعها العلمي والاجتماعي، ألّف الشيخ سليمان الحوات، تقييده الشهير في بني الدريج، اعترافا لما أحرزوا عليه من "جلالة المنصب، علماً وولاية، بكل من عدوتي المغرب [والأندلس، إذ] لهم فيها الزوايا الواسعة الحرمة، والمزارات التي تنكشف عندها عن الزائر الغمّة".

فأصل هذه الأسرة كما ألمعنا قبل، من الأندلس، وبالضبط من حمراء غرناطة. نزحت إلى سبتة من برّ العدوة لتستقر بها إلى حين. وقد ظل انتماؤها الأندلسي ثابتاً يذكر في أنساب المتأخرين من أبنائها، بل إن أسرة الدريج بعد تشييد مدينة تطوان، تصبح ضمن الأسر الأندلسية الشهيرة بها، فتحتل بذلك، وبما ورثته من علم وولاية، مركزا مهما في بيئة تطوان الاجتماعية، وبين أسرها، " فصاروا في عداد البيوتات الأندلسية بتطوان المحروسة، ومن أهل الحرمة التي أبقاها السلف للخلف، مع التخلق بالعلم والعمل، والتعلق بعوامل الحسب والنسب".

ومما يلاحظ أن هذه الأسرة رغم فضلها لم تتسع فتكثر بيوتها. بل ظلت محدودة الأفراد، حتى إن الشيخ أبا الربيع الحوات وهو يجمع تقييده في هذه الأسرة، يعدد حسب علمه الموجودين من أبناء الدريّج على عهده في تسعة أنفار. اثنان منهم بتطوان، هما : الفقيه أبو حامد العربي بن عبد السلام الدريج، وابن أخيه الطالب محمد ابن الفقيه الأجل أبي الحسن علي بن عبد السلام الدريج. وسبعة منهم بحضرة فاس، وهم من عقب الفقيه الأديب محمد بن محمد الدريج (ت. 1126) الذي انتقل إلى سكنى فاس أواخر

القرن الحادي عشر للهجرة.

ويذكر محمد داود أن أسرة الدريج قد انقرضت من تطوان، وأن الموجود منهم الآن بتطوان، إنما هم ممن ورد عليها من فاس حوالي منتصف القرن الرابع عشر (20 م).

س. الحوات، *تقييد في بني الدريج*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 3 : 217 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 77 ؛ 3 : 14 ؛ ع. ابن سودة، *كناشة عبد السلام بنسودة*، مخطوطة ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، 3 : 43 ؛ التجيبي، *برنامج التجيبي*، 167 ؛ *برنامج الوادي آشي*، 130 ؛ *الوافي بالوفيات*، 2 : 141 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 248 ؛ م. المنوني، *ورقات*، 345 ؛ ابن الحاج النميري، *مذكرات*، [نسخة مرقونة] ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 298 ؛ 3 : 14 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، 4 : 53.

**الدُّرَّيج، طلحة** بن عبد الله السبتي، يكنى أبا يعلى، الأندلسي الأصل، السبتي النشأة، دفين تطوان وصاحب الضريح المشهور بها. أصل سلفه من غرناطة. ثم انتقلوا إلى سبتة حيث نشأ بها الشيخ أبو يعلى طلحة الدريج.

لا يعرف له بالضبط تاريخ ولادة ولا تاريخ وفاة، غير أنه كان حياً في النصف الأول من القرن التاسع (15 م).

فيرد ذكره بشكل صريح سنوات 830 و831 و832 وهو يتزعم المجاهدين فيقود الحملات ضد النصارى لمحاصرة بلده سبتة المحتلة، والعمل على تحريرها.

ولاشك أن الشيخ طلحة كان ممن شاهد مأساة سقوط بلده سبتة في يد النصارى عام 818.

وقد تحدث الذين ترجموا له عن نشأته بسبتة واستفادته من شيوخها وعلمائها، حتى إذا ما ظهر فضله، وبان علمه، انتقل إلى بعض البوادي القريبة من سبتة بطلب من أهلها، وباستئذان من أمير سبتة العزفي آنذاك.

وحسب سليمان الحوات في التأليف الذي خصّ به أولاد الدريج، فإن البادية التي انتقل إليها الشيخ طلحة هي نفس المدشر الذي كان به استقراره، ومدفنه، حيث يوجد اليوم ضريحه بتطون من أعلاها.

وعندي أن انتقال الشيخ طلحة إلى مستقره الجديد يكون في الأغلب غداة سقوط بلده سبتة في يد النصارى. ففي أسلوب الحوات وقد نقل عمن سبقه بالترجمة للشيخ المذكور ما يفيد أن نزول الشيخ بهذا المحل حيث مدفنه الآن - كان بهدف تنظيم العملية الجهادية بتعبئة المجاهدين والإغارة على النصارى المحتلين لسبتة. "..ثم لما ظهر أمره... وكانت بادية سبتة القريبة منها خالية من أمثاله، لا جرم طلبوه من بعض أمرائها العزفيين ليهتدوا بأنواره ويستجيروا بجواره، فأجابهم إلى ذلك في الحين رغبة في إصلاح حالهم بالعلم والدين وإعلاء كلمة الله بالاستعداد إلى قوة الرباط في ثغور الجهاد. وأنزله رضي الله عنه في محلتهم بمجشر واسع العمارة يقال له خندق الفرجة، فيه عين من الماء الغزير. وكان قويا، شهما، كميا، قرنا، طويل القامة، أسمر اللون، يلبس جبة خضراء، له فرس يركبه للجهاد ويقتحم به أعداء الله في كل واد. وتخلق أهل المنزل بأخلاقه من النجدة والبأس ورباط الخيل لإرهاب عدو الله وعدوهم. فكانوا يركبون معه في خمسين فارسا، كل منهم في الحرب أسد هصور... إلى أن توفي رحمه الله ودفن بمتعبده من المجشر المذكور حيث روضته الآن".

أما المقصود بالأمير العزفي الوارد في هذا النص فهو القائد صالح بن صالح العزفي، وهو الذي كان يتولى سبتة عند سقوطها في يد النصارى. وقد ظل فيما بعد يتزعم قيادة المجاهدين لأجل تحريرها. وسيصبح فيما بعد أيضا واليا على طنجة من قبل السلطان المريني وسيكون له تأثير في هزيمة البرتغال عند محاصرتهم طنجة عام 841، والتفاوض معهم لأجل التنازل عن سبتة، مقابل السراح للأمير البرتغالي الأسير دون فيرناندو، الذي كان قد نقل رهينة إلى فاس.

يؤكد هذا ما ورد في نقول وتقاييد جمعت في كتيب أسماه صاحبه *" الاستبصار والتفكر والاعتبار، في أهم ما ورد من الاخبار، عن كفاح المجاهدين الأبرار، من أجل مطاردة النصارى الكفار، عن جميع المدن والأمصار"*. عند الحديث عن السنوات التي أعقبت سقوط سبتة ومحاولات المجاهدين لاسترجاعها بما نصه : "... ثم قال صاحب *الكناشة* : إنه وجد بتقييد مجهول صاحبه بأنه عند انسحاب جيوش السلطان لم يرتفع الحصار البري على المدينة، بل واصله أهل القرى المجاورة لها طيلة سنة 822 ، وأنه في سنة 823 تزعم هذا الحصار القائد صالح بن صالح العزفي، وهو الذي كان يحكم سبتة عند سقوطها بأيدي النصارى. واستمر الحصار إلى منتصف سنة 829 بدون انقطاع رغم الإمدادات التي كانت تصل إلى النصارى من البرتغال".

وقد ظن محمد داود حين اطلاعه على قول أبي الربيع الحوات السابق الذكر أن المقصود بالأمير العزفي هو أحد العزفيين ممن حكموا سبتة في دولتهم خلال النصف الثاني من القرن السابع (13 م)، وتبعا لذلك رجح كون الشيخ أبي يعلى طلحة الدريج هو من رجال القرن السابع. والواقع أن الرجل من رجال القرن التاسع (15 م).

وينفرد الكتيب المذكور وفي نفس السياق بنقل تقاييد تاريخية على جانب كبير من الأهمية، تلقي مزيدا من الأضواء على شخصية أبي يعلى طلحة الدريج ونشاطه في الجهاد فيقول : "... ونقلا عن نفس المصادر يقول صاحب *الكناشة* : إنه في سنة 860 تزعم الرباط على سبتة الولي الصالح الشريف البركة سيدي طلحة الدريج صاحب الضريح المشهور بتطاون، ويقول : إن هذا الرباط ابتدأ في شهر ربيع الأول من سنة 830، وكان عدد المرابطين يفوق الأربعمائة رجل. ويقول إن أهم العمليات التي قام بها

سيدي طلحة، كان الهجوم الذي قام به ضد المدينة في شهر ذي القعدة سنة 831، وآخر وقع في شهر شوال سنة 832".

ورغم أن هذه التقاييد استمرت تتحدث عن نشاط المجاهدين بعد هذا التاريخ فإنه غاب عنها ذكر سيدي طلحة مما يترجح معه أن وفاة الرجل حدثت في وقت قريب من ذلك.

والملاحظ أن الذين ترجموا للمجاهد طلحة نوهوا بولايته وصلاحه وبركته. ولا يذكر اليوم إلا بهذه الصفة، فيثار فضله في ذلك وتذكر كراماته، ولا سيما حين يصبح ضريحه مقصد الزيارة والانتفاع، حتى إن الشيخ أحمد الرهوني حين يترجم له بين صلحاء تطوان في كتاب عمدة *الراوين*، يركز على كرامته في مداواة زائري ضريحه من المرض بالحمى.

س. الحوات، *تقييد في أولاد الدريج*، مخطوط ؛ الفقيه الشراط، *الاستبصار*، 30 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 53، مخطوط ؛ محمد داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 77 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 95 ؛ م. ابن عـزوز حكيم، *لماذا نطالب باسترجاع مدينتي سبتة ومليلية*، تطوان، 1979.

عبد الله المرابط الترغي

**الدرِّيج، محمد بن مَحمد** (الحاج -)

الأندلسي التطواني ثم الفاسي، الفقيه النزيه النبيه الصالح العابد الناسك المقرئ المجوّد. ينتسب إلى الولي الصالح الشهير طلحة الدريج. من حفدة الفقيه القاضي المحدث أبي عبد الله الدراج الأنصاري السبتي من ذرية الصحابي الجليل عبادة بن الصامت.

ولد بتطوان ونشأ بها وأخذ عن علمائها. وكان من مريدي الشيخ أحمد بن عبد الله مَعن الأندلسي وحج معه، كما صحب أحمد اليمني حتى صار من أهل التثبت والإتقان في طريق العرفان.

توفي عام 1126 / 1714 بفاس، ودفن قرب قبة سيدي مَحمد بن عبد الله معن خارج باب الفتوح.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 298 ؛ القادري، *نشر المثاني*، 2 : 110 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 53 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 14.

محمد الأمين بوخبزة

**درسة** (جبل يشرف على تطوان) ← **درقة**

**درعة** (نهر ومدينة وإقليم)، اكتسبت كلمة درعة من خلال كتابات مؤرخي العصور الوسطى وجغرافيي ورجالاتهم المدلولات الثلاث الآتية :

أ ـ مدلول النهر : كانت كلمة درعة، تطلق في عرف كتاب العصور الوسطى، على النهر الكبير، الذي تنبع روافده الأساسية (نهر دادس، نهر ورزازات) من جبال الأطلس وجبل سيروا، وبعد رحلة طويلة عبر سلسلة من الواحات بالأطلس الصغير يصب في المحيط الأطلسي شمال مدينة طان طان الحالية. وأقدم إشارة مكتوبة بهذا المعنى وردت في جغرافية الفزاري، أحد كتاب البلاط العباسي في أواخر القرن الثاني (8 م)، فقد صنف هذا الجغرافي نهر درعة ضمن أنهار "سوس وأعظمها وأكبرها.. يخرج من جبل البقرة ويمر على سجلماسة ثم درعة قبل أن يصب في البحر الأعظم" (*جغرافية الفزاري*، 4) ولاشك أن قول الفزاري إن نهر درعة يمر على سجلماسة خطأ بين، مرجعه اعتماد صاحب الكتاب على السماع من الغرباء ورواد الآفاق في تدوين الأخبار. وفي القرن الخامس (11 م) باتت المعلومات عن نهر درعة أكثر دقة مع أبي عبيد البكري الذي ذكر بأن منبعث نهر درعة من جبل درن وجريته من الشرق إلى الغرب (*المغرب*، 155).

وبالرغم من هذه الدقة في معلومات البكري عن نهر درعة فإن الشريف الإدريسي في القرن السادس (12 م) يقع في نفس خطأ الفزاري حيث ذكر أن نهر درعة يمر على سجلماسة (*وصف إفريقيا الشمالية*، 38). وقد نقل صاحب *الاستبصار* معلوماته عن درعة عن أبي عبيد البكري دون أن يضيف أي جديد (*الاستبصار*، 206).

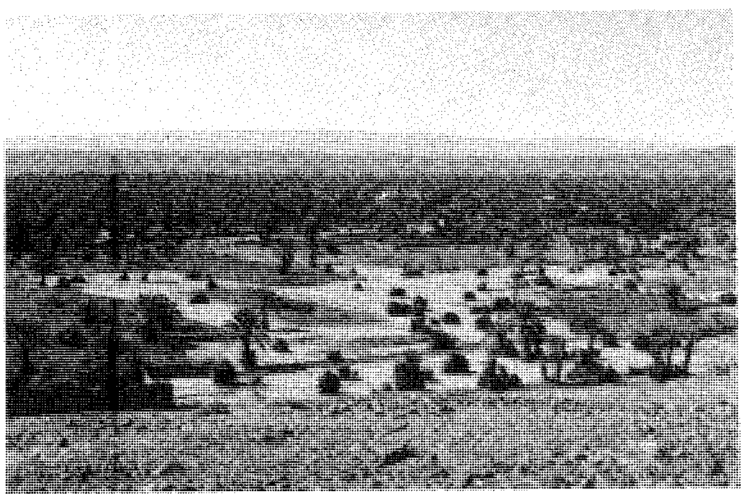

وأصبحت معلومات ابن خلدون عن نهر درعة أكثر وضوحا ودقة، حيث ذكر بأنه النهر الأعظم المنحدر من جبل درن إلى القبلة (الجنوب) مغربا إلى الصحراء والرمال ويمتد إلى أن يصب في البحر ما بين نون وودان (شمال موريطانيا الحالية) وحفا فيه قصور لا تحصى، شجرتها النخيل (ابن خلدون، 6 : 88). وبنفس المعنى ورد وصف نهر درعة عند الحسن الوزان في مطلع القرن العاشر (16 م). إذ يؤكد أن هذا النهر يفيض في فصل الشتاء حتى كأنه بحر، ثم يجف طوراً آخر حتى يمكن عبوره على الأقدام (*وصف إفريقيا*،

2 : 118) أما مارمول الغرناطي في أواسط القرن العاشر. فقد جاء بنفس المعلومات التي وردت عند الوزان، وعوَّض كلمة درن بكلمة جبال الأطلس عند إشارته إلى منبع نهر درعة ( *إفريقيا*، 3 : 144).

ب : مدلول المدينة : وردت كلمة درعة كمدينة عند مؤرخي وجغرافيي العصور الوسطى الإسلامية، إلا أن هؤلاء لم يتفقوا على اسم هذه المدينة وموقعها، وأقدم إشارة مكتوبة عن مدينة درعة ترجع إلى القرن الخامس (11 م)، فقد ورد عند البكري "بأن مدينة درعة يقال لها تيُومتينْ وهي قاعدة درعة.. آهلة عامرة بها جامع وأسواق جامعة ومتاجر رابحة وهي في شرف من الأرض ( *المغرب*، 155. 156).

وقد علق صاحب *طليعة الدعة* في القرن الثاني عشر (18 م)، على ما ذكره البكري فقال : إن مدينة تيومتين، لا أظنها الآن في عرفنا والله أعلم إلا بلد تمتيك، ويدل على ذلك آثار مدينة خالية بها، في شرف من الأرض لم يبق إلا أساس سورها وأبراجها وهي في نهاية من الكبر ومقبرتين عظيمتين قد اندثرتا، تدلان على عمارة المدينة وكثرة الناس بها" ( *طليعة الدعة*، 3).

أما الشريف الإدريسي فذكر أن درعة ليست مدينة يحوطها سور، وإنما هي قرى متصلة وعمارات متقاربة.. وهي على نهر سجلماسة (*وصف إفريقيا الشمالية*، 38).

ويذكر ابن القطان في القرن السادس (12 م) أيضاً، أن مدينة درعة في زمنه هي حصن تزاگورت ( *الجمان*، 93) أما صاحب *الاستبصار* في أواخر نفس القرن، فقد اكتفى بذكر مدينة درعة، ليتكلم لنا عن درعة ككل ( *الاستبصار*، 206).

وفي القرن السابع (13 م) يذكر ياقوت الحموي في *معجم البلدان* أن درعة مدينة صغيرة بالمغرب بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ أكثر تجارها اليهود (*معجم البلدان*، 2 : 451) أما ابن خلدون الذي عاش في القرن التالي فذكر بأن مدينة درعة هي تادنست، بلد كبير يقصده التجار للسلم في النيلج وانتظار خروجه بالصناعة (*ابن خلدون*، 6 : 89) وعلق صاحب *طليعة الدعة* بأن مدينة تدنست قد تكون هي تيدري بالمدخل الشمالي لواحة اكتاوة، أو تيدسي وسط واحة ترناتة، لأن في هاتين البلدتين من درعة من الخراب ما يدل على عمارتها وحضارتها سابقا (*طليعة الدعة*، 2).

ونرجح أن تكون مدينة درعة في عصر ابن خلدون هي تيدسي القديمة وسط واحة ترناتة، وما تزال أطلال هذه المدينة قائمة إلى اليوم بالقرب من قصر تيدسي الجديد، وتعرف هذه الأطلال بالقصر الخالي، ولعل ما يؤكد ما ذهبنا إليه أن اسم تيدسي قد ورد في بعض نسخ تاريخ ابن خلدون (*حضارة وادي درعة*، 132) كما أننا عثرنا على وثيقة بزاوية سيدي أحمد بن علي جبار المكسور بترناتة، تؤكد على أنه في القرن التاسع (11 م) كان يوجد بالقرب من أطلال تيدسي سوق كبير، تلتقي فيه القوافل التجارية من كل الجهات، ومايزال مكان هذا السوق في براح من الأرض يعرف اليوم بحدبْ سيدي الحاج عبد الله.

وقد غاب الحديث عن مدينة "درعة" في مصادر ما بعد ابن خلدون، مما يؤكد أن كتاب العصور الوسطى كانوا يعتمدون على السماع من الغرباء ورواد الآفاق لجمع معلوماتهم عن هذه الجهة أو تلك، وتدوينها في مصنفاتهم دون التدقيق في صحتها.

وفي مطلع القرن العاشر (16 م) تحدث الحسن الوزان عن القرى الكبيرة المبنية على حفافي نهر درعة (*وصف إفريقيا*، 2 : 118) وتحدث مارمول الغرناطي في أواسط نفس القرن، عن أكثر من ثماني مدن بدرعة تتجاوز ساكنة كل مدينة منها أربعة الآف نسمة (*إفريقيا*، 3 : 146 ـ 151) فهل ازداد عدد سكان هذه القرى، بفضل جهود السعديين في توفير ظروف الأمن والاستقرار بدرعة حتى تحولت إلى مدن صغيرة بمفهوم ذلك العصر ؟ خاصة أن مارمول كان شاهد عيان حيث زار بلاد درعة غير ما مرة على ما يبدو، في عهد السلطان محمد الشيخ وابنه عبد الله الغالب.

ج : المدلول الثالث : ويتركب من ثنائية تجمع كلمة درعة إلى ما أسندت إليه مثل بلاد درعة، إقليم درعة أو عمالة درعة نصادف هذه الثنائية في كتب الإخباريين الذين كانوا يدونون أخبار سلاطين الدول التي تعاقبت على حكم المغرب أثناء عملياتهم العسكرية بالمنطقة، كما نصادفها في المراسلات الرسمية والخاصة وفي الظهائر السلطانية وأحياناً في بعض الوثائق المحلية، كما نصادفها في كتب الرحلات السفارية والحجية وكتب المناقب والتراجم، حيث كان أصحابها يرصدون أخبار الفقهاء وأهل الصلاح ببلاد درعة. وقد أصبح هذا المدلول يطلق في عرف المؤرخين الرسميين. والمخزن المغربي منذ العهد المرابطي إلى مطلع القرن العشرين على المنطقة التي تمتد من أفَلاً ندري (أعلى درعة) بالمدخل الشمالي لواحة مزگيطة إلى المدخل الجنوبي لواحة المحاميد على مشارف الصحراء الكبرى.

معطيات جغرافية : تتشكل بلاد درعة من ست واحات تمتد بشكل مسترسل على حفافي نهر درعة على طول يقدر بحوالي 200 كيلو متر، وهي من الشمال إلى الجنوب : مزگيطة، تينزولين، ترناتة فزواطة، اكتاوة ثم المحاميد. وتحتل هذه الواحات موقعاً متميزاً في الجنوب الأوسط من المغرب ضمن مجال الأطلس المتوسط. تجاورها غرباً بلاد سوس ومن الناحية الشرقية وادي تازرين وتاغبالت وحمادة قم ـ قم وزگدو، ومن الناحية الشمالية بلاد دادس وهسكورة ووزازات وتنفتح جنوبا على الصحراء الكبرى وبلاد إفريقيا الغربية. وتكتنف بلاد درعة جبيلات متوسطة الارتفاع أهمها جبل كيسانْ الذي يشرف على واحة مزگيطة وجبل

بوزروال وتودما بواحة تينزولين. ويشرف جبل باني على كل الواحات الجنوبية من ترناتة إلى المحاميد، ويمتد هذا الجبل على شكل قوس كبير يحتضن هذه الواحات، وتتخلله مجموعة من المسالك والممرات الطبيعية يطلق عليها محليا اسم "فم" أو تيزي (ثنية) مثل فم تانسيخت الذي يفصل بين واحتي تينزولين ومزگيطة، وفم تيدري الذي يفصل بين واحتي محاميد الغزلان واكتاوة، وفم ورتي الذي يربط بين بلاد درعة وبلاد دادس وتيزنتا فيلالت التي تربط بين درعة وبلاد تازرين... الخ

وتكتنف بلاد درعة هضاب شاسعة وقاحلة من جهات الغرب والجنوب ومن أهم هذه الهضاب هضبة لگرارة وكدية أولاد يحيى في مستوى واحتي تينزولين ومزگيطة وتشرف كدية الفانجية وحمادة درعة وقم وقم على باقي الواحات الجنوبية من جهات الغرب، والجنوب والجنوب الشرقي.

وقد تشكلت على شاطئ نهر درعة سلسلة من السهول الرسوبية الضيقة، وهذه السهول عبارة عن شريط زراعي يساير نهر درعة في منعرجاته من أفلاندرى جنوباً إلى أقصى نقطة بواحة المحاميد على مشارف الصحراء. وبفضل هذا الشريط الرسوبي الخصب ووفرة المياه بنهر درعة اشتهرت بلاد درعة خلال العصور الوسطى بمنتجاتها الزراعية الوفيرة. ومن أهمها الحنا والكمون والتمور والكرويا والنيلة وغيرها من المنتجات التجارية التي يتجهز بها إلى كل الجهات (*وصف إفريقيا الشمالية*، 38).

ولن نبالغ في شيء إذا قلنا إن هذه المنتجات الزراعية كانت وراء ارتياد تجار الآفاق للمنطقة، حيث كانت الأسواق تعقد على مدار الأسبوع بمختلف القصور المتناثرة على شاطئ الوادي (*المغرب*، 152 - 155).

ويظهر من إشارات الشريف الإدريسي أن الحركة العمرانية كانت مزدهرة بدرعة خلال العصور الوسطى، إلا أن المنطقة قد تعرضت في عصور لاحقة لخراب هذه العمارة نتيجة تعاقب دورات الجفاف الحادة، وتعرض المنطقة للأوبئة والأمراض الفتاكة، التي لا تكاد ترفع عن جهة، حتى تنزل ضيفا ثقيلا على جهات أخرى من البلاد (*الدرر المرصعة*، 121) ولعل ما يؤكد خراب عمران بلاد درعة هو وجود الأطلال المتعددة في غير ما واحة من واحات درعة (*طليعة الدعة*، 5 - 6).

السكان الأصليون بدرعة : تفيدنا بعض المصادر التاريخية أن السكان الأقدمين ببلاد درعة، كانوا من الكوشيين أو الإثيوبيين لسواد لون بشرتهم (Les recherches, 34) وكان هذا النعت يطلق في العصور القديمة على المجموعات البشرية السوداء التي كانت تنتشر بالأطراف الشمالية للصحراء الكبرى وبمناطق الواحات التي تمتد جنوب جبال الأطلس من توات شرقاً إلى وادي نون غربا (*Le Maroc Saharien*, 2 : 160 - 188). ويلاحظ أن هذه العناصر السوداء ببلاد درعة، قد امتزجت ببعض الطارئين على المنطقة من البيض، فنتج عن هذا الامتزاج عنصر مولد يجمع بين خصائص العنصرين، وهذا العنصر الخلاسي يعتبر أهم عنصر بشري استوطن بلاد درعة على مر العصور ليس من حيث العدد فحسب وإنما أيضاً من حيث الارتباط بالأرض وقدرته العالية على التكيف مع كل المستجدات التي كانت تطرأ على المنطقة بوصول موجات من قبائل البدو الصحراويين أو الجبليين، ويرى عدد من الباحثين بأن هذه المجموعات البشرية الخلاسية هي أسلاف الحراطين الذين لا يزالون يشكلون إلى اليوم أهم التجمعات السكانية بوادي درعة، ويعللون ذلك بشكل البناء الجسماني للحراطين وبالسمات العامة لملامح الوجه ونوعية شعر الرأس، ومجمل العادات والتقاليد التي تضرب بجذورها في عمق الصحراء وإفريقيا الغربية (*Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 1 : 294)

تعتبر القبائل الأمازيغية من الصنهاجيين والزناتيين من أهم المجموعات البشرية التي استوطنت بلاد درعة في العصور التاريخية واستبدت بالمجموعات السوداء أو الخلاسية، وقد وصل الأمازيغيون، إلي واحات درعة على دفعات متتالية :

الصنهاجيون : ينحدر الصنهاجيون من أصول غامضة ومبهمة، ويرى عدد من الباحثين مثل كاسريل كامبس (G. Camps) وسطيفان گزل (Gsell) أن الصنهاجيين ينحدرون من قبائل المازيك التاريخية، وقد كانت هذه القبائل تنتشر في عدة مناطق جنوب جبال الأطلس الكبير إلى التخوم الصحراوية (*Libyca*, 27) ولعل ما يؤكد أن قبائل المازيك هي أسلاف القبائل الصنهاجية أن هذه الأخيرة تؤكد وبنوع من السند المتواتر أن جدها الأعلى هو مازيغ بن كنعان (*الترجمانة الكبرى*، 58) وماتزال قبائل أيت عطا التي تعتبر من صميم صنهاجة الصحراء تفتخر على أندادها من القبائل الأخرى أنها تنحدر من الأمازيغيين (*Les Aït Atta du Sahara*, 30) وتدل كل المعطيات التاريخية على مجالات انتشار القبائل الصنهاجية خلال العصور الإسلامية هي نفس المناطق التي كانت تنتشر فيها في العصور القديمة (*قبائل المغرب*، 1 : 329) حيث ما تزال آثار هذه القبائل مطبوعة على أسماء الأعلام والمواقع الجغرافية.

الزناتيون : كانت القبائل الزناتية تتجاور مع القبائل الصنهاجية من الناحية الشرقية (الصحاري الشرقية بشكل خاص) وتعتبر القبائل الزناتية هي المنافس التاريخي والتقليدي" للقبائل الصنهاجية، حيث كانت المجموعتان تتغالبان على مواطن الكلأ والرعي وتتبادلان السيطرة على المسالك التجارية الصحراوية، وكان من نتائج هذا التدافع بين الصنهاجيين والزناتيين تداخل مجالات انتشارها في الجنوب الأوسط والجنوب الشرقي من البلاد إلى درجة أن جل الباحثين كانوا يرتبكون في العودة ببعض البطون الأمازيغية الصغرى بمناطق الواحات إلى أصولها الكبرى.

ونستفيد من بعض الإشارات التاريخية أن الرومان قد تقدموا بقواتهم في بداية العقد الخامس من القرن الميلادي الأول إلى منطقة گير جنوب الأطلس الكبير (Histoire du Maroc, 1 : 51) فشردت القبائل الزناتية المنتشرة بهذه الجهات أمام القوات الرومانية، وتقدمت نحو بلاد درعة، إلا أن هذه الدفعة من الزناتيين ما لبثت أن ذابت في القبائل الصنهاجية واندمج بعضها في القبائل الدراوية من المستقرين.

وفي القرن الثالث الميلادي قام الرومان على عهد أسرة سيڤر (Severe) بعمليات الترحيل القسري والطرد الجماعي للقبائل الزناتية من رعاة الإبل من الأراضي الزراعية الخصبة والدفع بها نحو المناطق الصحراوية القاحلة فوصلت أعداد كبيرة من هذه القبائل إلى واحات درعة (*تاريخ إفريقيا الشمالية*، 1 : 219).

كانت القبائل الزناتية الطارئة على وادي درعة في أوج عنفوانها البدوي، فاستبدت بقبائل المستقرين ودفعت بالقبائل الصنهاجية نحو التخوم الصحراوية (*Esquisse d'une histoire du Sahara*, 43 - 46) ويعزى إلى القبائل الزناتية إدخال مجموعة من المؤثرات الحضارية إلى وادي درعة، حيث ما تزال آثار هذه الموثرات قائمة إلى اليوم في الأساليب الزراعية وأسماء النباتات وطرق الري.

ولما وصل الإسلام إلى الجنوب المغربي في العقود الأخيرة من القرن الهجري الأول، وجد القبائل الزناتية في أوج قوتها ويظهر أن سابقة هذه القبائل بالشمال الإفريقي وانتظام عدد من رجالها ضمن جيش الفاتحين (*فجر الإسلام بالأندلس*، 40 ـ 50). قد لطف من غلواء الروح البدوية لهذه القبائل وبات شيوخها وأهل السابقة منهم في الإسلام يتطلعون إلى تعزيز وتقوية دور قبائل زناتة بواحات زيز ودرعة، وقد تحقق للزناتيين ما أردوا بعد قيام إمارة الخوارج الصفرية بتافيلالت سنة 140. اضطلعت القبائل الزناتية بدور أساسي في بسط نفوذ هذه الإمارة على بلاد درعة، وفرض أمراء سجلماسة الخمس على ما يستخرج من معادن بالوادي (*الخوارج في بلاد المغرب*، 124) وظلت القبائل الزناتية مستبدة بكل مرافق بلاد درعة إلى أن فاجأتهم حركة المرابطين بقيادة عبد الله بن ياسين في أواسط القرن الخامس الهجري. وقد أنهت الحركة المرابطية هيمنة القبائل الزناتية ببلاد درعة لتحل محلها القبائل الصنهاجية من جديد.

بلاد درعة في العهدين المرابطي والموحدي : خرجت مناطق الواحات بزيز ودرعة، منهوكة القوى من الحروب الطاحنة والصراعات السياسية التي دارت بهذه الجهات طيلة القرن الرابع (10 م) (*أعمال الأعلام*، 145 ـ 151) وكانت القبائل بهذه المناطق هي التي أدت ثمن هذه الصراعات من أموالها وأرواح رجالها، فلما تمكن بنو خزرون المغراويون، من بسط سيادة القبائل الزناتية على سجلماسة وبلاد درعة أساؤوا السيرة مع السكان وأفرطوا في استحلاب الأموال.

وكانت قبائل مسوفة وسرتة وتارگة الصنهاجية من أكثر القبائل المتضررة من السياسة الجبائية لمسعود بن وانودين المغراوي، الذي تولى الحكم مع بداية العقد الثاني من القرن الخامس الهجري، وبلغ به عسفه أنه احتكر مراعي بلاد درعة لإبله ومنع قبائل الرعاة الصنهاجية من ارتيادها، فاستصرخوا عبد الله بن ياسين الذي وجدها فرصة سانحة للزحف على درعة وإنهاء هيمنة القبائل الزناتية بها.

لاشك أن بلاد درعة، نظراً لموقعها الجغرافي المتميز بين المجال الجبلي والمجال الصحراوي، كانت تشكل محطة أساسية في الخريطة السياسية للمشروع المرابطي، خاصة أن عوامل الزمن لم تستطع أن تقضي نهائياً على الروح العصبية والوشائج الدموية والعرقية لبقايا القبائل الصنهاجية بدرعة، وتعلقها بأخواتها بالمجالات الصحراوية، لذلك نلاحظ أن الدولة المرابطية بعد تمكنها، كانت تخص بلاد درعة بحكام من خلص القبائل الصنهاجية وكبار القادة في سلم مسؤولي الدولة مثل داود بن عائشة اللمتوني (*روض القرطاس*، 142).

ويتضح من خلال التطورات الاجتماعية والاقتصادية التي طرات على واحات درعة خلال النصف الثاني من القرن الخامس (11 م)، أن الدولة المرابطية، قد أولت عناية خاصة لهذه المنطقة، ويرجع ذلك في اعتقادنا إلى أهمية المنافذ التجارية بالوادي ولما ينتج فيه من مزروعات مثل التمور والحنا والنيلة وغيرها، وهي مواد مطلوبة في التبادل التجاري بإفريقيا جنوبي الصحراء.

ونستشف من إشارات أبي عبيد البكري، أن سكان درعة قد ارتفع عددهم بشكل ملموس إبان العهد المرابطي فانتشر العمران لمسافة سبعة أيام وازدهرت الزراعة على حفافي النهر وعم الرخاء، وكانت الأسواق تعقد على مدار الأسبوع (*المغرب*، 155).

وإذا كان من شيء يستخلص من إشارات البكري، فإن ذلك يتجلى في نجاح الدولة المرابطية في توفير ظروف الأمن والاستقرار ببلاد درعة، وأن هذا الاستقرار ساهم في الرفع من المنتجات الزراعية خاصة المنتجات المطلوبة في التبادل التجاري محلياً وجهوياً.

وما كاد المهدي بن تومرت يعلن عن دعوته ويكشف عن مشروعه السياسي في أواسط العقد الثاني من القرن السادس (12 م) حتى قاد بنفسه الغزاة الثامنة إلى بلاد درعة فاستولى على حصن إسليمْ بواحة مزگيطة، ثم توجه إلى تزاگورت بالمدخل الجنوبي بواحة ترناتة فدخلها وسبى بها عدداً من العبيد ضمّهم إلى العبيد الذين أسرهم بأسليم وأسماهم عبيد المخزن (*أخبار المهدي*، 70) ويظهر أن المرابطين قد تمكنوا من استرجاع تزاگورت من الموحدين فأحاطوها بسور خارجي، إلا أن هذا السور لم يمنع عبد المومن بن علي الگومي من اقتحام تزاگورت سنة 526

وقتل عاملها يدربن وبجوط. وقد غابت عنا أخبار بلاد درعة بعد هذه العملية لما يزيد على عقد ونصف من الزمن، حيث وجه عبد المومن بن علي الگومي حملة عسكرية إلى وادي درعة والمناطق الجنوبية بقيادة أبي حفص الهنتاتي لوضع حد لتشغيب قبائل درعة سنة 541 وبعد انتهاء هذه العملية التمهيدية عين عبد المومن بن علي موسى بن عبد الصمد عاملاً على درعة، فاتخذ من تزاگورت مقراً لولايته، وبالرغم من الشدة التي سلكها في إرغام قبائل المنطقة على الخضوع لظل الدولة، فإن عمليات التشغيب ما لبثت أن تجددت فاضطر عبد المومن إلى أن يقود بنفسه حملة ردعية سنة 544 فأعدم حوالي ستمائة رجل من أعيان القبائل ورؤوس الفتنة بدرعة (*Le Maroc Saharien*, 1 : 257).

ويظهر أن الموحدين نجحوا بعد هذه الحملة في توفير ظروف الأمن والاستقرار ببلاد درعة، ذلك أن الشريف الإدريسي الذي كان معاصراً للدولة الموحدية، يؤكد على انتشار العمران على حفافي نهر درعة من خلال سلسلة من القرى المتصلة والعمارات المتقاربة والمزارع الكثيرة التي تنتج بعض المزروعات التي يتجهز بها إلى كل الجهات (الإدريسي، 38).

ويؤكد صاحب *الاستبصار* نفس المعلومات، فيشير إلى وجود الجنات الكبرى، التي يستنبت فيها جميع الفواكه، خاصة التمور والزيتون، وحبّات التاكوت التي تستخدم في دباغة الجلود، إضافة إلى استخراج بعض المعادن بالمنطقة (*الاستبصار*، 206 - 208).

الهجرات العربية إلى بلاد درعة : تعتبر القبائل العربية آخر موجة بشرية عمرت بلاد درعة وأثرت بشكل كبير في الأرضاع الاجتماعية والاقتصادية بالوادي. ويسود الاعتقاد أن القبائل العربية وصلت إلى وادي درعة في موجتين :

أ - الموجة الأولى : قد تكون من المهاجرين العرب وصلت إلى وادي درعة خلال القرن الثاني (8 م) خاصة بعد قيام دولة بني مدرار بسجلماسة، ويرجح أن تكون هذه العناصر وراء محاولة تأسيس إمارة محلية بدرعة على غرار إمارة سجلماسة (*الخوارج في بلاد المغرب*، 124) وبعد فشل هذه المحاولة ذابت العناصر العربية المهاجرة في النسيج القبلي المحلي، ولم يكن لها أي تأثير يذكر.

ب : الموجة الثانية : وتتشكل من قبائل بني معقل التي ظلت تتدفق على واحات درعة منذ وقت مبكر من القرن السابع إلى غاية مطلع القرن العاشر (16 م). وتعتبر قبائل بني معقل أهم تجمع بشري من القبائل العربية نزح إلى بلاد درعة، وساهم في تعمير المنطقة إلى جانب قبائل الخلاسيين (قبائل دراوة) والمجموعات الأمازيغية.

بدأت طلائع القبائل المعقلية تتدفق من الصحاري الشرقية إلى واحات زيز ودرعة منذ مطلع القرن السابع (13 م) ويظهر أن سواد بني معقل قد وجدوا في هذه الواحات ما يغري على التوسع والانتشار وممارسة الغزو. الذي يعتبر من السلوك اليومي عند هذه القبائل البدوية، وقد نتج عن هذا التدفق المعقلي صدام عنيف بين القبائل الصنهاجية والقبائل المعقلية التي كانت تتطلع إلى انتزاع المراعي الشاسعة بين تافيلالت ودرعة من يد القبائل الصنهاجية التي كانت تهيمن على المنطقة منذ العهد المرابطي، وقد أيقظ هذا الصدام المعلقي الصنهاجي ما كان كامنا في نفوس فلول القبائل الزناتية بمناطق الواحات، فانحاشت إلى بني معقل لتثأر من الصنهاجيين. وقد تمكن التحالف المعقلي - الزناتي من دحر العصبية الصنهاجية.

انشطر التجمع الصنهاجي إلى شطرين، تراجع أحدهما إلى المجابة الكبرى مشكلاً صنهاجة الصحراء في حين أن الشطر الآخر التحق بالمناطق الجبلية (*Esquisse d'une histoire du Sahara*, 68 - 69) أما بقايا الفلول الصنهاجية التي عجزت عن الظعن، فقد تحولت إلى الاستقرار والارتباط بالأرض ثم ما لبثت أن اندمجت بدورها في المجتمع المحلي شأنها في ذلك شأن فلول كل القبائل التي عبرت بلاد درعة في مختلف العصور.

ونستفيد من إشارات ابن خلدون، أن قبيلة أولاد حسين من فرع ذوي منصور المعاقلة، كان لها شفوف وظهور بوادي درعة، وقد كانت هذه القبيلة منذ أواسط القرن السابع (13 م)، تستغل بُعد واحات درعة عن عاصمة الدولة فتنطلق في عمليات تشغيب على سلاطين الدولة المرينية حيث تمارس غزو القصور والاستيلاء عليها بالقوة، ويذكر ابن أبي زرع أن السلطان أبا يوسف يعقوب المريني خرج سنة 669 / 1271 إلى بلاد درعة لغزو عرب المعقل الذين ملكوا حصونها وقلاعها وأبادوا بالنهب والقتل أهلها وأموالها (*القرطاس*، 307) ورغم هذه الحملة الردعية فإن بني معقل لا يكادون يخضعون حتى يثوروا من جديد. فقد ذكر ابن خلدون أن السلطان أبا يعقوب يوسف اضطر سنة 686 / 1287 إلى أن يقود بنفسه حملة ردعية قوية ضد بني معقل ببلاد درعة لما أضروا بالعُمران وأفسدوا السابلة فاستكثر من قطع رؤوس المشاغبين، وقد عُلقت هذه الرؤوس بشرفات مراكش وفاس وسجلماسة (*تاريخ ابن خلدون*، 7 : 290).

وبالرغم من هذه الحملات الردعية التي كان سلاطين الدولة المرينية ينظمونها ضد قبيلة أولاد حسين بدرعة، لإرغامها على الانضباط والدخول تحت ظل الدولة، فإنها لا تكاد تستقيم على الطاعة حتى تثور من جديد. وقد ظلت هذه القبيلة مصدر تشغيب على الدولة، ومصدر تعب ومشقة بالنسبة للمستقرين بدرعة.

وفي أواسط القرن الثامن (14 م) عين السلطان أبو عنان عبد الله بن مسلم الزردالي عاملاً على وادي درعة، فأدرك بحنكته السياسية وخبرته بتدبير شؤون القبائل أن معالجة مسألة قبيلة أولاد حسين ببلاد درعة، تكمن في

إشراك شيوخ هذه القبيلة في تدبير شؤون هذه الواحات، فاستصدر أمراً سلطانيا من أبي عنان يفوض لشيوخ هذه القبيلة أمر تحصيل اللوازم الجبائية من سكان الوادي، وأقطعهم بعض الأراضي بواحتي أكتاوة ومحاميد الغزلان. إلا أن سياسة إشراك قبيلة أولاد حسين في تسيير أمور الوادي، كانت له عواقب وخيمة على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ذلك أن تشدد شيوخ أولاد حسين في استجلاب الأموال دفع بعدد كبير من المستقرين إلى التخلي عن الإنتاج الزراعي أو الهجرة من المنطقة.

ونستشف من إشارات ابن خلدون أن الجنوب المغربي، خلال النصف الثاني من القرن الثامن (14 م)، قد انفلت كلية من ربقة الأحكام، فاشتعلت الفتن بمناطق الواحات، وكان لقبيلة أولاد حسين دور بارز في هذه الفتن (*تاريخ ابن خلدون*، 7 : 424).

وتدل كل القرائن على أن قبيلة أولاد حسين نجحت إلى حد كبير في فرض مراقبتها على بلاد درعة، وباتت تتحكم في الأسواق المحلية والمسالك التجارية التي كانت تربط بين واحات وادي درعة وبلاد السودان، حيث كانت تفرض على قبائل الواحات المزيد من الإتاوات والوضائع، وعلى قوافل التجار التي تجوب المسالك الصحراوية وتطرق أسواق درعة ما كان يعرف في حينه بحق المرور أو حق الطريق.

وفي بحر القرن التاسع (15 م)، خاضت قبيلة أولاد حسين والقبائل المتحالفة معها حروباً طاحنة ضد حلف قبائل أيت واوزگيت التي بدأت تفرض وجودها بواحتي مزگيطة وتينزولين، وقد نجحت قبائل أيت واوزگيت في كبح جماح قبيلة أولاد حسين ومن على شاكلتها.

كان من عواقب هذه الحروب غياب سلطة الدولة المركزية بدرعةخلال القرن التاسع (15 م) وظهور المشيخات الكبرى بمختلف واحات درعة، وكانت مشيخة المزوارين بتينزولين من أهم وأبرز المشيخات الكبرى بدرعة على الإطلاق (*معلمة المغرب*، 7 : 2214) ولن نبالغ إذا قلنا إن مشيخة المزوارين قد تحولت في نهاية القرن التاسع (15 م) ومطلع العاشر (16 م) إلى إمارة حقيقية تمكنت بفضل ما توفر لها من أموال وقوة عسكرية من بسط هيمنتها على المنطقة الممتدة من أفلاً ندري بعالية مزگيطة إلى إيمي نتزاگورت جنوب واحة ترناتة.

وبعد نجاح الأشراف السعديين في اقتطاع المناطق الجنوبية من مملكة الوطاسيين (*استقصاء*، 4 : 151) انزعَجَ المزوار بن عمرو شيخ المزوارين بتينزولين في إبانه من استقلال السعديين بالجنوب وعول على محاربتهم ومنعهم من السيطرة على درعة، إلا أن أحمد الأعرج وبعزيمة أشد صلابة عول بدوره على إخضاع وادي درعة لسلطته مهما كلفه ذلك من ثمن، وهكذا اجتاز أحمد الأعرج جبال الأطلس سنة 944 / 1537 فجاس بخيله بلاد تافيلالت ثم عرج إلى درعة وأناخ بجيشه على مشيخة المزوارين، ولم يغادر الوادي إلا بعد استسلام المزوارين وإعلان بيعتهم للأشراف السعديين (*Le Maroc Saharien*, 1 : 457).

درعة على عهد السعديين والعلويين : بالرغم من أن الأشراف السعديين ينحدرون من وادي درعة فإن اهتمامهم العملي بهذه المنطقة لم يتحقق إلا بعد إخضاعهم للمزوارين سنة 944 / 1537، ومنذ هذا التاريخ أصبح وادي درعة يشكل محطة أساسية في المشروع السعدي.

وبعدما تمكن محمد الشيخ من أخيه أحمد الأعرج وأصبح سيد المغرب الأول ابتداء من سنة 951 / 1544 (*الاستقصا*، 5 : 17). عيّن ابنه عبد الله عاملاً على وادي درعة، فقرب إليه شيوخ قبيلة أيت واوزگيتْ، وركز كل جهوده على توفير ظروف الأمن والاستقرار بالوادي، فارغم قبيلة أولاد حسين ومن في لفها على الخضوع والانصياع لأوامر الدولة.

ولما تولّى أحمد المنصور السعدي أمر السلطنة بعد معركة وادي المخازن سنة 986 / 1578 وجه عنايته للمناطق الجنوبية بصفة عامة وواحات درعة بصفة خاصة، فأعاد تنظيم هذه العمالة وجدد تحصيناتها العسكرية واستحدث قصبات أخرى شحنها بالجيش والعتاد الحربي كما تشدد في معاملة القبائل المترحلة التي دأبت على التشغيب بهذه الجهات، وفي إطار هذه العناية الخاصة بدرعة كان السلطان يعهد بحكم المنطقة إلى أقربائه أو الخلص من رجال دولته.

وبعد فتح السودان سنة 998 / 1591، ازدادت أهمية وادي درعة وأصبحت طرقها تعج بقوافل التجار التي كانت ترتاد أسواق المنطقة من سوس وتافيلالت وشمال المغرب كما تحولت واحة محاميد الغزلان إلى مركز تجاري تتجمع فيه القوافل التجارية قبل توجهها إلى بلاد السودان تحت حماية جيش الدولة السعدية.

وبعد وفاة السلطان أحمد المنصور السعدي سنة 1012 / 1603 دخلت واحات درعة مرحلة من الصراعات السياسية والاضطرابات الاجتماعية استمرت ما يزيد على خمسين سنة انهار خلالها كل ما بناه أحمد المنصور. وهكذا انطلق الثائر أحمد بن أبي محلي من تافيلالت فاستولى على وادي درعة بعد ما هزم جيش زيدان السعدي بقيادة عبد الله الزيدة (*الاستقصاء*، 5 : 30).

وبعد مقتل ابن أبي محلي بمراكش سنة 1022 / 1613 تطلع يحيى الحاحي إلى الاستيلاء على وادي درعة بتنظيم غارات خاطفة على سكان الوادي، ورغم كثافة غارات قوات يحيى الحاحي على درعة، فإن الحاحي لم يتمكن من تحقيق هدفه في إخضاع الوادي إلى نفوذه.

وبعد وفاة يحيى الحاحي سنة 1035 / 1625 أصبحت طريق درعة عبر تارودانت مفتوحة أمام أمير تزروالت أبي حسون السملالي الذي كلف قائد جيشه عبد الله بن سعيد المراكشي بالهجوم على درعة والاستيلاء عليها، ولم يتمكن عبد الله بن سعيد من الاستيلاء على قصبة المخزن بواحة تينزولين إلا بعد ثلاث سنوات من الحصار وبعد نفاد

الأقوات عند الحامية السعدية بالقصبة (*إيليغ*، 59) ويظهر أن سيطرة أبي حسون السملالي على وادي درعة، قد الحقت أضراراً كبيرة بالحركة التجارية وبعدد من القبائل التي كانت تستفيد من تجارة القوافل بين درعة وبلاد السودان، لذلك كانت القبائل تنظم غارات خاطفة على قوات السملاليين وترغمها على الاحتماء وراء أسوار القصبات التي تسيطر عليها (*ايليغ*، 86).

كان أبو حسون السملالي بعد تمكنه من السيطرة على الطرق التجارية بوادي درعة يتطلع إلى بسط نفوذه على محور تافيلالت فاستغل المماحكات التي ظهرت بين الأشراف السجلماسيين ومنافسيهم أولاد ابن الزبير بقصر تابوعصامت، ليتدخل في شؤؤن المنطقة، وبالرغم من أن السملالي جاء إلى تافيلالت لنجدة الأشراف العلويين، إلا أنه انقلب عليهم واعتقل عميد الأسرة إبانه الشريف بن علي وساقه أسيراً إلى إيليغ.

ومهما كانت الأسباب التي جعلت السملالي يعتقل الشريف بن علي فإن هذا الحادث قد أتاح الفرصة لمولاي مَحمد بن الشريف ليعلن عن رغبته في الإعلان عن ميلاد الإمارة العلوية.وقد استجابت قبائل تافيلالت والمناطق المجاورة لها لدعوة مَحمد بن الشريف (*إيليغ* ، 149) فتمكن من بسط نفوذه على واحات وادي زيز وإنهاء نفوذ السملاليين بها.

انزعج أبو حسون السملالي لهذا التطور الذي عرفته الإمارة العلوية مع مولاي مَحمد بن الشريف، وأدرك أنها باتت تشكل خطراً على نفوذه بدرعة، خاصة أن الأخبار التي بدأت تصل إلى إيليغ تؤكد على الاستعدادات الجارية بتافيلالت للانقضاض على وادي درعة، لذلك نلاحظ أن أبا حسون السملالي شكل في نهاية سنة 1049 / 1639 قوة عسكرية وأرسلها إلى وادي درعة لحماية المنطقة من أي هجوم علوي محتمل، وقد أحجم مولاي مَحمد بن الشريف على الدخول في مواجهة مباشرة مع السملاليين بدرعة، واكتفى بإرسال وفد عنه إلى إيليغ للتفاوض، وكان الوفد المشكل من بعض الأشراف العلويين قد حدد مسبقا النتائج التي ستنتهي إليها المفاوضات في انسحاب السملاليين من درعة، وألا يفكّروا في العودة إلى تافيلالت لأن العلويين قد أخذوها قهراً بحد السيف.

تأكد لأبي حسون السملالي ما كان يتوقعه من إمارة تافيلالت، وفي الوقت الذي كان فيه السملالي يخطط للمواجهة مع مولاي مَحمد بن الشريف كان هذا الأخير يحرك بعض أنصاره بدرعة لتأليب القبائل على السملاليين، وهكذا قامت قبائل أهل مزگيطة وحلفائها سنة 1050 / 1640 بالهجوم على قوات السملاليين بدرعة وألحقوا بها خسائر فادحة (*إيليغ*، 117).

اهتزت إمارة إيليغ لهذا الحدث، فشكل أبو حسون السملالي قوة عسكرية توجه بها إلى واحة مزگيطة لتأديب القبائل المشاغبة، فهدم عدداً من القصور وخرب السواقي، واستنفر أهل مزگيطة حُلفاء هم من قبائل إمغران وألحقوا خسائر فادحة بالسملاليين في معركة تمنوگالت، وأرغم أبو حسون السملالي على الرجوع إلى إيليغ وهو شبه مهزوم وذلك في الشهور الأولى من سنة 1051 / 1641.

كان المستفيد الأول من هذه الأحداث هو مولاي مَحمد ابن الشريف الذي استغل تراجع نفوذ السملاليين بدرعة، فوجه قواته التي اشتبكت مع السملاليين في معركتي بُودهيرْ وزاگورة بواحة ترناتة، ونستشف من بعض الرسائل الموجهة من مولاي مَحمد بن الشريف إلى أبي حسون السملالي أن معارك أخرى وقعت بين الإمارتين (*إيليغ*، 123) ورغم أننا لم نتمكن من تحديد تواريخ هذه المعارك، فإن كل الدلائل تؤكد أن أبا حسون السملالي خسر وادي درعة وأن المنطقة أصبحت منذ سنة 1061 / 1650 وبصفة نهائية ضمن مجال نفوذ إمارة العلويين بدون منازع.

تولى السلطان مولاي إسماعيل الأمر بعد وفاة أخيه الرشيد سنة1082 / 1675 ، وقد ظل طيلة العقدين الأخيرين من القرن الحادي عشر (17 م) منشغلاً بمشاكل الثوار والخارجين على سلطة الدولة، وكان يكتفي بتعيين خليفة له بسجلماسة، ومنها تتوجه الأوامر إلى جهات الجنوب مثل توات وتيگورارين ووادي درعة وهذا يعني أن الوادي كان خاضعاً إدارياً لنفوذ الخليفة السلطاني بسجلماسة. ويظهر أن خليفة السلطان مولاي المامون بن إسماعيل قد عجز عن ضبط حركة القبائل من بقايا بني معقل وأيت عطّا، فاضطر السلطان في مطلع القرن الثاني عشر (18 م) إلى إحداث "محلاّت" عسكرية متنقلة لشد عضد الخليفة السلطاني ومد العون له لردع قبائل الرحل وحماية المسالك التجارية (*إلى ولدي المامون*، 12، 18، 21). إلا أن أسلوب المحلات العسكرية فشل في توفير ظروف الأمن والاسقرار لسكان وادي درعة فقرر السلطان استحداث عمالة خاصة بالوادي وذلك سنة 1111 / 1699 وعين على رأس هذه العمالة ابنه عبد الملك الذي استقر بقصبة أغلان بواحة ترناتة ورتب معه ثلاثة آلاف من الخيل (*الاستقصا* ، 7 : 89).

لم تمض إلا ثلاث سنوات على ولاية مولاي عبد الملك بدرعة حتى فوجئ بثورة أخيه مولاي أبي النصر الذي هزم أخاه واستولى على درعة ونواحيها ( *الحلل البهية*، 109)، فعين السلطان ابنه مولاي الشريف على درعة وزوده بجيش قوي، فتمكن من هزيمة أبي النصر واسترجاع المنطقة إلى حظيرة الدولة بعد فرار أخيه الثائر إلى الفيافي الصحراوية. إلا أن السلطان لم يكن راضياً عن الطريقة التي سمح بها مولاي الشريف لأخيه الثائر بالانفلات من عقاب السلطان، فعزله عن عمالة درعة سنة 1114 / 1702.

وغابت عنا أخبار وادي درعة طيلة عشر سنوات تقريبا عادت فيها القبائل إلى ممارسة اللصوصية وقطع الطريق

على السابلة كما يشير إلى ذلك صاحب *رحلة الوافد* الذي زار بلاد درعة في عام 1121 / 1710 (*رحلة الوافد*، 166) وفي سنة 1124 / 1712 عين السلطان كاتبه الخياط بن منصور عاملا على درعة، ولأسباب غير واضحة أمر السلطان بقتل الخياط بن منصور في نفس السنة وعين مولاي الشريف للمرة الثانية على وادي درعة، فنجح مولاي الشريف إلى حد كبير في ضبط أحوال الوادي وتوفير ظروف الأمن والاستقرار بالمنطقة. إلا أنه فوجئ سنة 1135/ 1722 بثورة قبلية عارمة بواحة محاميد الغزلان كرد فعل لتشدد عبيد المخزن في استحلاب أموال السكان، وقد اضطر مولاي الشريف إلى الاستنجاد بالجيش السلطاني لإخضاع القبائل وإنهاء ثورتهم بعد سبعة أشهر من المواجهات العنيفة ذهب ضحيتها آلاف القتلى من الجانبين (*Relation de Th. Pellow*, 118 - 120). وقد كانت لهذه الثورة عواقب اجتماعية واقتصادية وخيمة نتيجة الانهيار الدمغرافي، وتوقف الإنتاج الزراعي واضطراب الحركة التجارية، الأمر الذي سمح لقبائل الرحل التي كانت تجوب هوامش بلاد درعة بالقيام بعمليات غزو واسعة للواحات، خاصة أن المنطقة باتت تعاني من الفراغ السلطوي بعد وفاة مولاي إسماعيل سنة 1139 / 1727.

كانت وفاة السلطان مولاي إسماعيل إيذانا بدخول واحات درعة مرحلة حرجة من تاريخها ما فتئت تلقي بظلالها القاتمة على سكان الوادي لمدة تزيد على قرن ونصف من الزمن، ذلك أن فترة وفاة مولاي إسماعيل، قد تزامنت مع انطلاق قبائل أيت عطا في عمليات غزو واسعة للواحات الممتدة جنوب جبال الأطلس، ورغم الحركات العسكرية التي كان سلاطين الدولة العلوية يرسلونها إلى درعة لردع قبائل أيت عطا، فإن هذه القبائل لا تكاد تنصاع لأوامر الدولة حتى تثور من جديد، وهكذا لم تمض على وفاة مولاي إسماعيل إلا ثلاث سنوات حتى وجه السلطان مولاي عبد الله حملة عسكرية بقيادة موسى الجراري إلى وادي درعة سنة 1142 / 1730، لمعاقبة قبائل أيت عطا التي كانت تهجم على المستقرين وتقطع الطريق على القوافل التجارية، إلا أن الحملة باءت بالفشل الذريع وقتل عدد من رجالها واضطر الناجون للعودة إلى الشمال دون تحقيق أهداف الحملة، الأمر الذي جعل مولاي عبد الله يعاقب عدداً من المسؤولين العسكريين عن الحملة (*Districts et tribus*, 66).

وفي خضم الصراع على السلطة بين المتطلعين للسلطنة من أبناء مولاي إسماعيل ما بين 1142 و1170 / 1730 - 1757، تُركت بلاد درعة لمصيرها وظلت تعاني من الفراغ السلطوي. ويستفاد من بعض إشارات محمد المكي بن موسى الناصري، الذي عايش أحوال وادي درعة إبان هذه الفترة، أن واحات درعة كانت تعيش حالة من الاضطرابات الاجتماعية حيث كانت القبائل من أيت عطا والروحة وأولاد يحيى تتغالب على الأراضي الرعوية ومصادر المياه، وتستولي على قصور المستقرين من دراوة وغيرهم، ومن العواقب الوخيمة لهذا الوضع السياسي والاجتماعي المضطرب تراجع خطير في الإنتاج، فانتشر الجوع بين السكان وتخربت العمارة "وبلغ السعر مبلغا عظيما، فالمدّ من التمر بخمسة مثاقيل، والمدّ من القمح بأربعة وعشرين مثقالا، والمد من الشعير باثني عشر مثقالا... وكثرت الأموات في الطرقات والله غالب على أمره" (*طليعة الدعة*، 18) وتؤكد لنا الوثائق المحلية كبطائق المداينة ورسوم الأملاك العقارية هذه الحقيقة حيث كان الناس بدرعة يبيعون ممتلكاتهم بحفنات قليلة من الشعير أو التمر للتغلب عل ظروف المجاعة (*وثائق محلية*).

وفي سنة 1172 / 1758 وجه السلطان سيدي محمد بن عبد الله في إطار إعادة هيبة الدولة بمناطق الأطراف إلى وادي درعة القائد أحمد التينغراسي على رأس حركة عسكرية لردع قبائل أيت عطا وإرغامها على مغادرة القصور التي احتلتها بالقوة إلا أن الحركة كسابقاتها لم تحقق أهدافها المرسومة لها فعاد التينغراسي أدراجه إلى الشمال بعد ما ترك قبائل أيت عطا وغيرها تعيث فساداً في الوادي.

ويظهر أن سكان القصور ملوا من هذا الفراغ السلطوي لذلك نرى وفداً من أهل درعة يتوجه إلى العاصمة حيث طلب من السلطان سيدي محمد بن عبد الله أن يبعث معهم من يتولى أمرهم ويقوم بأمور المخزن فوجه معهم سنة 1183 / 1770 الباشا سعيد بن العياشي، فنزل بقصبة المخزن بأغلان بواحة ترناتة، ودشن عمله باعتقال رؤوس الفتنة مثل محمد الحيوني الگراوي وعلي الأكتاوي. إلا أن زوجة محمد الحيوني ذبحت على قبائل أيت عطا والروحة وأولاد يحيى، فقامت هذه القبائل بمحاصرة قصبة أغلان، ولم يستطع سعيد بن العياشي التخلص من الحصار إلا بتدخل شيخ زاوية تامگروت في وقته يوسف الناصري فرجع إلى عاصمة الدولة (*الضعيف*، 92).

ثم غابت عنا أخبار بلاد درعة لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن تمكنت خلالها قبائل أيت عطا من التحكم بقوة في الواحات الجنوبية (المحاميد، أكتاوة، فزواطة) وفي سنة 1216 / 1801 وجه السلطان مولاي سليمان كاتبه أبا العباس التينغراسي إلى وادي درعة فأخرج قبائل أيت عطا والروحة وأولاد يحيى من القصور التي اغتصبوها ومهد تلك النواحي حتى صار ما بين درعة وسوس والفايجة مجالا للتجارة وممرا آمنا لأبناء السبيل (*استقصاء*، 8 : 108) وبعث التينغراسي إلى السلطان ثلاثين قنطاراً من المال وست عشرة من الإماء وأربعة عبيد وحملين من التمر ومثلهما من الحناء.

وفي إطار تأكيد هيبة الدولة بوادي درعة عين السلطان مولاي سليمان سنة 1218 / 1803 ابنه مولاي محمد عاملاً

على درعة ووجه إلى المنطقة صحبته مفرزة عسكرية بقيادة محمد الزعري، ثم وجه رسالة إلى عامل سجلماسة في وقته القائد حمان الصريدي للتوجه إلى درعة صحبة الأمير مولاي محمد، وكانت مهمة الصريدي تنحصر في إرهاب القبائل واشعارها بأن حضور مولاي محمد إلى درعة هو تأكيد المخزن على استعادة نفوذه بالمنطقة وإلزام القبائل على دفع مستحقاتها من اللوازم الجبائية للمخزن.

وقبل أن ينهي حمان الصريدي مهمته بمختلف واحات درعة غادر مولاي محمد المنطقة بشكل مفاجئ والتحق بمراكش في ظروف غامضة سكتت عنها المصادر التاريخية.

وهكذا ما كاد خبر مغادرة مولاي محمد لدرعة ينتشر بين السكان حتى أعلنت القبائل العصيان وامتنعت عن دفع ما تبقي من الجبايات، إلا أن حمان الصريدي واجه هذا العصيان بحزم وقوة فاعتقل عدداً كبيراً من شيوخ وأعيان القبائل ووجههم مكبلين بالأصفاد إلى سجون تافيلالت ثم رحل في إثرهم. وفي ثنية تافيلالت نصبت قبائل أيت عطا عدة كمائن لحمان الصريدي، فاضطر إلى التخلي عن المدافع والأثقال، والإفلات بأموال المخزن وماخف من متاع حيث تمكن من الوصول سالماً إلى سجلماسة.

وبعد فشل كل المحاولات التي قام بها المخزن في ردع القبائل عامة بدرعة وقبائل أيت عطا بصفة خاصة، عمد مولاي سليمان إلى تدشين سياسة القواد المحليين، فعين القائد إبراهيم الستوري قائداً على واحتي فزواطة وترناتة *(وثائق محلية)*.

في حين ثبت الشيوخ التقليديين في مراكزهم تحت نظر المخزن في باقي الواحات الأخرى. وقد عمل السلاطين العلويون بعد مولاي سليمان على تطوير هذه السياسة المحلية التي أثبتت فعاليتها ووفرت على السلطة المركزية الكثير من الرجال والأموال، فبرزت خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) بعض العائلات المخزنية مثل عائلة القائد التمنوگالي بمزگيطة، والقائد العربي اليحياوي، ودار المزواريين بتنزولين، والقائد الحمدوني والقائد الباردي بواحة ترناتة وهكذا. وقد كان المخزن المركزي خاصة في عهد السلطانين سيدي محمد بن عبد الرحمان ومولاي الحسن يسهر على تنسيق الأمور المخزنية بالوادي بين هؤلاء القواد والحيلولة دون تدهور العلاقات فيما بينهم، ويتدخل بقوة كلما دعت الضرورة إلى ذلك. وموازاة مع دعم القواد المحليين، كان المخزن العلوي يجد في شيوخ الزوايا الصوفية خاصة شيوخ زوايا تامگروت وتينمسلا وسيدي صالح المساند القوي لتلطيف العلاقات بين المخزن والقبائل، وكان هؤلاء الشيوخ يمارسون نوعاً من المراقبة على سلوك القواد المحليين ويبلغون السلطان نصائحهم بذلك مقابل حصولهم على ظهائر التوقير والاحترام التي تجعلهم في منأى عن سلطات القواد المحليين.

بالرغم من أن أسرة الأگلاوي تطلعت إلى حكم منطقة الأودية (وادي دادس، وادي تودغة، وادي درعة) منذ أواسط القرن الثالث عشر (19 م) فإن حلم هذه العائلة لم يتحقق إلا في السنوات الأخيرة من حكم السلطان الحسن الأول، فقد كان السلطان عائداً من إحدى رحلاته من تافيلالت إلى مراكش سنة 1311 / 1893، فأدركه الثلج

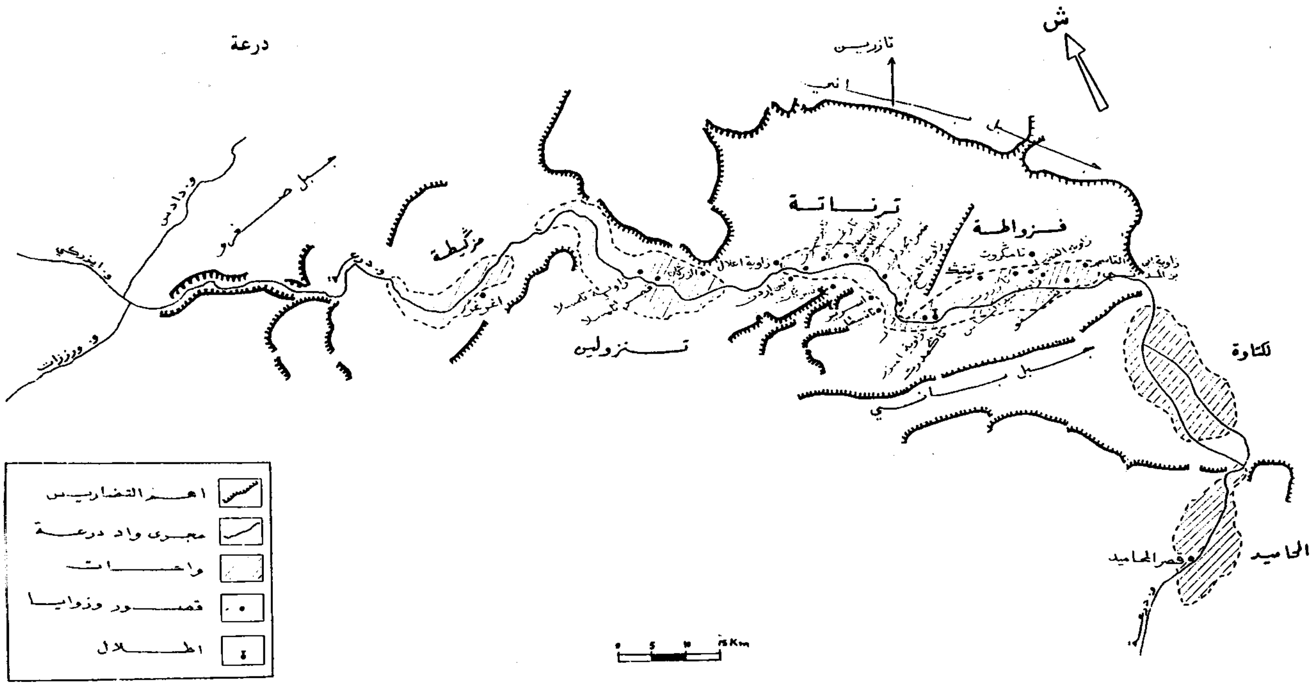

بثنية تيشكا بالأطلس الكبير فهب قائد تلوات إبانئذ المدني الأكلاوي لإسعاف المحلة السلطانية، ويذكر صاحب *الإعلام* أن المدني الأكلاوي "أظهر على القيام بالمحلة ما لم يكن يترقب منه.. فحصلت له بذلك التفاتة من جانب السلطان، ومن هناك طنت حصاته وطار له طائر الاشتهار ( *الإعلام*، 7: 236) ويتضح من هذه الإشارة أن المدني الأكلاوي عرف كيف يستغل هذه الفرصة لصالح آل الأكلاوي، فقد نجح في اقناع السلطان بالالتحاق بقصبة تلوات حيث وفر له ولحاشيته كل لوازم الراحة والضيافة، ولم يغادر السلطان قصبة تلوات حتى سلم للمدني الأكلاوي ظهير تعيينه خليفة للسلطان على الإيالات الجنوبية *Kitab A'yæne Al Maghrib*) وهذا يعني إطلاق أيدي آل الأكلاوي بمناطق الواحات.

قوبل تعيين المدني الأكلاوي خليفة للسلطان على الجنوب بمعارضة قوية بوادي درعة، فقد قام القائد عبد الرحمان التامنوگالي بإحياء التحالفات التقليدية بين أهل مزگيطة وقبائل إمغران وأيت عطا في محاولة للتصدي لنفوذ المدني الأكلاوي بالوادي. وقد تجنب المدني الأكلاوي المواجهة المباشرة مع قبائل هذا الحلف وفضل الاعتماد على سياسة فرق تسد لإضعاف موقف عبد الرحمان التامنوگالي وحرمانه من أي سند محلي، فقرب إليه شيوخ المزواريين بواحة تينزولين، وربط اتصالات سرية مع القائد محمد بن العربي (الجد) شيخ قبيلة أولاد يحيى، ثم عمل على تأجيج نوازع العداوة التقليدية بين قبائل أهل مزگيطة وأولاد يحيى، ولم يمض وقت طويل حتى وجد القائد عبد الرحمان التامنوگالي نفسه وحيداً في مواجهة آل الأكلاوي، فقرر مراجعة موقفه قبل فوات الأوان إلا أن المنية عاجلته سنة1322 / 1904 ، وقد عمل خلفه القائد محمد التامنوگالي على فتح صفحة جديدة مع المدني الأكلاوي، فأرسل كتيبة من أهل مزگيطة لتنضم إلى قوات المدني الأكلاوي لمناصرة مولاي عبد الحفيظ في مواجهته مع أخيه مولاي عبد العزيز.

وفي سنة 1327 / 1909 استغل المدني الأكلاوي منصبه كصدر أعظم في السلطنة الحفيظية، فعين ربيبه وابن أخيه، القائد حمّو الأكلاوي خليفة على الجنوب كله من تلوات إلى محاميد العزلان.

وبالرغم من السطوة التي كان يتمتع بها آل الأكلاوي، فإن القائد حمّو لم يجرؤ على الدخول بقواته في مناطق الواحات تحاشيا لمواجهة مباشرة مع قبائل أيت عطا وغيرها من القبائل الصحراوية المتمرسة بالحروب الخاطفة، وكانت هذه القبائل ترفض الانصياع لأوامر آل الأكلاوي، لتشدُّدهم في استحلاب الأموال، وتعارض نفوذهم إلى حد الكراهة والتحالف مع الشيطان ضدهم.

فوجئت فرنسا بعد توقيع معاهدة الحماية بالمغرب بالإعلان عن الحرب العالمية الأولى سنة 1333 / 1914، وكانت سياسة اليوطي المقيم العام الفرنسي إبانه بالمغرب، الحفاظ على موقع فرنسا بالبلاد اعتماداً على القواد الموالين وعلى رأس هؤلاء التهامي الأكلاوي، باشا مراكش، الذي أصبح سيد الجنوب المغربي دون منازع، خاصة أن فرنسا فتحت أمامه مخازن الأسلحة بمراكش ووضعت رهن إشارته عدة قطع مدفعية وبعض الضباط، لضمان التفوق الميداني على القبائل بالجنوب بعد ظهور الحسين التوزونيني بناحية تافيلالت وبدأت حركته تهدد نفوذ الأكلاوي بمناطق دادس وتودغة ودرعة ( *المعسول*، 16 : 262). وبفضل هذا الدعم العسكري نظم الباشا التهامي الأكلاوي وابن أخيه القائد حمّو حملة عسكرية إلى وادي درعة سنة 1337 / 1919 فأناخ بجيشه على قصبة تامنوگالت بواحة مزگيطة، فهب لاستقباله أعيان بعض القبائل من فزواطة وترناتة وتينزولين وتخلف عن لقائه أعيان قبائل أكتاوة ومحاميد العزلان.

وبالرغم من أن الحملة لم تواجه بأية مقاومة، فإن التهامي الأكلاوي قنع في هذه الحملة بتعيين عدد من الشيوخ الموالين له مثل عبد الرحمان المزواري بتينزولين، والقائد اليحياوي على قبيلة أولاد يحيى، وعيّن الحاج محمد العسري خليفة بواحة ترناتة. وقد تشدد الحاج العسري في استحلاب أموال القبائل وألزم السكان بدفع "ألف مد من الشعير، وستمائة مد من القمح ومائة كبش، وستة قناطر من السكر، وقنطار من الأتاي وقنطار من الشمع وستمائة مد من التمر، وثلاثين صاعا من السمن وألف غرارة من التبن" (*تاريخ بن لحبيب*، 23)، وقد أدت هذه المطالب المجحفة إلي ثورة القبائل وبدأت الاستعدادات لمواجهة مسلحة محتملة مع آل الأكلاوي.

حاول القائد حمو باعتباره الحاكم العام للجنوب، تدارك هذا الموقف الذي خلفته سياسة العسري، فعزله وعين مكانه أحمد بن لحسن أمزدو خليفة بترناتة، فاعتقل الحاج محمد العسري، وأركبه على بغل أعرج مبالغة في التشنيع ورغبة في تهدئة الخواطر ولو إلى حين. إلا أن أمزدو ما كاد يستقر به المقام حتى ألزم أهل ترناتة بدفع حوالي سبعة عشر ألف ريال حسنية على الفور (*تاريخ ابن لحبيب*، 24). هذه السياسة التفقيرية التي سلكها آل الأكلاوي وخلفاؤهم بالجنوب، دفعت بقبائل وادي درعة أن تعلن عصيانها العام ضد المخزن وآل الأكلاوي، فنشطت أسواق الأسلحة وبدأ الناس يعدون العدة لمواجهة قد تطول مع آل الأكلاوي ويذكر الطيب بن لحبيب أن أهل توغمار (بواحة تينزولين) طردوا خليفة الأكلاوي، وأن قبائل ترناتة خرجوا عن طاعة الشيوخ الموالين للأكلاوي، وجعلوا ذعائر ثقيلة على كل من يصل إلى دار خليفة الأكلاوي أو ضيف مخزني (*تاريخ ابن لحبيب*، 20). انشغل الفرنسيون وآل الأكلاوي لهذا التطور الخطير الذي عرفته الحركة الاحتجاجية للقبائل، لذلك قرر الأكلاوي تنظيم حملة جديدة إلى وادي درعة، وزودته فرنسا بمائتي ألف ريال

وستة مدافع ميداينة وعشرة صناديق من الذخائر الحربية (*Le Glaoui*, 117). وفي يوم 22 محرم عام 1343 / 23 أكتوبر 1924 وصلت حركة القائد حمو الأگلاوي إلى مشارف قصبة تامنوگالت بواحة مزگيطة، وأمام الضغط النفسي والمعنوي الذي كانت تمارسه الحركة على سكان قصر تامنوگالت خرجت السيدة عائشة بنت الشيخ أحمد الورزازي، زوجة القائد علي التمنوگالي إلى فسطاط القائد حمو الأگلاوي الذي هو ابن اختها "وطرحت له صبيا كان عندها في حجره وتشفعت به (*تاريخ بن لحبيب*، 45). وبالرغم من أن القائد حمو قد قبل شفاعة خالته وأعرض عن تهديم قصر تامنوگالت، فقد ألزم سكان القصر بتوفير المؤونة لرجال الحركة وقد حددها الطيب بن لحبيب كما يلي : "كل يوم ألف مد من الشعير، أربعمائة شليف من التبن لعلف الخيل والجمال، وأربعمائة كبش، وأربعمائة مائدة من الخبز ومائة صاع من السمن، ومائة صاع من الزيت ومائة كاغد من الشمع وما يكفي من الحطب والفحم (*ابن لحبيب*، 46). ولم يكتف القائد حمو بما فرض على السكان كل يوم بل أطلق أيدي رجال الحركة في البلد فنهبوا المزروعات وتحولوا إلي لصوص حقيقيين في الطرقات وكل من غفَّلوه أكلوا ثيابه على حد تعبير الفقيه الطيب بن لحبيب. وقبل أن تتحرك الحركة جنوبا ألزم القائد حمو أهل مزگيطة بدفع مائة ألف ريال ذعيرة لعصيانهم، ثم نزع خيلهم وبغالهم وكل ما يملكون.

وبمنطقة أيت سدرات (المدخل الجنوبي لمزكيطة) اعتقل القائد حمو بعض أعيان أيت سدرات وهدم دورهم ثم توجه جنوبا إلى تينزولين فأمر باعتقال حوالي سبعين من الروحة خاصة من قصور أخلوف وبوناتة والدويرات، وبعث بهم مكبلين في الأصفاد إلى زنازن تلوات واغبالو بالأطلس الكبير. ويذكر الفقيه الطيب بن لحبيب الذي كان حاضرا ضمن حاشية القائد اليحياوي إلى جانب حمو الأگلاوي أن هذا الأخير فرق المخازنية على ديار قبائل الروحة فنهبوا ما بها من الغلة والأثاث وحملوا كل ذلك إلى فسطاط القائد حمو، ثم أطلق أيدي رجال الحركة في بلادهم واستولوا على ما فيها من الخرثي والنفيس (*ابن لحبيب*، 48) ولم يتركوا لهم إلا جدراناً تبكي بأغزر دمعة (*رحلة الناصري*، 16). وبعدما جمع القائد حمو كل ما وصلت إليه يد رجاله من الغنائم والأسلاب شكل عدة فرق من المخازنية المقربين، ومع كل فرقة لوائح محددة بمستحقات كل قبيلة من الذعائر والغرامات، وعين أحمد بن لحسن أمزدو منسقا للفرق ومشرفا على تجميع الأموال وحملها إلى قصبة تلوات. فكان نصيب قبائل ترناتة ثمانية وعشرين ألف ريال حسني، ومثل ذلك لكل من قبائل واحتي أكتاوة وفزواطة، وعشرين ألف ريال فقط لواحة محاميد الغزلان، وإذا كانت قبائل ترناتة قد عجلت بدفع الأموال تحت طائلة التهديد بإرسال رجال الحركة على قصورها. فإن قبائل فزواطة انقسمت على نفسها، فمنها من أدى ومنها من لم يؤد. أما قبائل أكتاوة ومحاميد الغزلان فقد رفضت رفضا تاما أن تؤدي ولو فلسا واحداً وهددت المخازنية بعد اعتقالهم بالقتل إن هم عادوا للمنطقة بعد إطلاق سراحهم. انزعج القائد حمّو لعصيان قبائل أكتاوة ومحاميد الغزلان واكتفى بالتهديد والوعيد وأنذرهم بالعقاب الشديد. ودون سابق إعلان قرر القائد حمو مغادرة واحة تينزولين على رأس حركته عائداً إلى تلوات، وإذا كان الفقهاء المرافقون لهذه الحركة مثل الطيب بن لحبيب والمهدي الناصري قد سكتوا كلية عن الأسباب الحقيقية التي جعلت حمو الأگلاوي يغادر فجأة واحة تينزولين، فإن الروايات الشفوية التي التقطناها بدرعة تفيد وبنوع من التواتر، أن القائد حمو أصيب بمرض خطير أرغمه على التعجيل بالعودة إلى تلوات.

وتعتبر حركة القائد حمو إلى درعة آخر حركة قادها آل الأگلاوي إلى الوادي قبيل التدخل الفرنسي. فهل كانت الحركة في الواقع عملية تمهيد لوصول القوات الفرنسية ؟ وهل كانت سلطة الحماية تريد جس نبض القبائل قبل التدخل المباشر ؟

على كل فإن أسرة الأگلاوي لم تتمكن رغم ما توفر لها من عتاد حربي ودعم مادي ومعنوي من سلطة الحماية من توفير ظروف الأمن والاستقرار، إذ لم يكد القائد حمو يغادر الوادي، حتى تفجرت الصراعات القبلية بشكل خطير وعانت القبائل التي تعاونت مع آل الأگلاووي الأمرين سواء داخل وادي درعة أو في المناطق المجاورة، حيث كانت القبائل الثائرة تتصيد كل من يمت بصلة لآل الأگلاوي وأنصارهم في الطرقات ما بين دادس ودرعة، وما بين هذا الأخير وورزازات، ولم ينته هذا الوضع إلا مع وصول طلائع الاحتلال الفرنسي إلى وادي درعة حوالي 1929 ـ 1930.


م. المكي بن موسى الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط : *طليعة الدعة*، مخطوط : *الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية*، مخطوط، خ. ع رقم د، 1864 : المشرفي، *الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية*، مخطوط، خ. ع رقم د، 1463 : م. الضعيف الرباطي، *تاريخ*، مخطوط، خ. ع د، 660 : الطيب بن لحبيب الملولي، *تاريخ درعة*، مخطوط : *دار القائد اليحياوي* : الفزاري، *كتاب جغرافية الفزازي*، مخطوط : *قصبة تامنوگالت* : ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 6 ـ 7، بيروت، 1981 : ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 : ابن القطان، *نظم الجمان*، تطوان، د. ت. : البكري، *المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب*، جزء من مسالك البكري، 1957 : الزياني أبو القاسم، *الترجمانة الكبرى*، تح. ع. الفيلالي، الرباط، 1967 : البيدق الصنهاجي، *أخبار المهدي بن تومرت*، الجزائر، 1974 : إيف لاگوست، *العلامة بن خلدون*، ترجمة، ميشل سلمان، بيروت، 1974 : ش. الإدريسي، *وصف إفريقيا الشمالية والصحراء* (جزء من *نزهة المشتاق*، الجزائر، 1957) : حسين مؤنس، *فجر الأندلس*، القاهرة، 1959 : الناصري، *الاستقصا*، ج 4، 5 ـ 6 ـ 7 ـ 8، الدار البيضاء، 1954 :

مولاي إسماعيل، *إلى ولدي المامون*، الرباط، 1967 ؛ م. المختار السوسي، *إيليغ قديماً وحديثاً*، الرباط، 1966 ؛ *المعسول*، ج 16، الدار البيضاء، 1961 ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا*، ج 3، الرباط، 1984 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج. 2، الرباط، 1980 ؛ م. الزهوني، *رحلة الوافد*، 1992 ؛ محمود إسماعيل، *الخوارج في بلاد المغرب*، الدار البيضاء، 1976 ؛ ع. الوهاب بنمنصور، *قبائل المغرب*، ج. 1، الرباط، 1968 ؛ ع. ابن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، ج. 4، الرباط، 1977 ؛ شارل اندري جوليان، *تاريخ إفريقيا الشمالية*، تر. محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس، 1952 ؛ مجهول، *الاستبصار*، الدار البيضاء، 1984 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، ج. 2، بيروت، 1955 ؛ *معلمة المغرب*، المجلد السابع ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة من خلال الوثائق والآثار*، دعوة الحق، ع. 1973.

E. et M. Gouvion, *Kitab Ayane El Maghreb*, Paris, 1939 ; D.J. Meunié, *Le Maroc Saharien des origines au 16s*, Paris, 1982 ; G. Camps, *Libyca*, Tome VIII, Paris, 1960 ; *Recherches sur les origines des cultivateurs noirs du Sahara*, *R.O.M.M.*, T. 3, 1970 ; J. Leprévost, *El Glaoui*, Paris, 1968 ; Spillmann, *Districts et tribus du la haute vallée du Draa, A.M.*, V. 9, Paris, 1931 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1948 ; F. de la Chapelle, *Esquisse d'une histoire du Sahara Occidental, Hesp.*, XI, 1930 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. 1, Paris, 1921.

أحمد البوزيدي

** وفي( التاريخ القديم)، تدخل منطقة درعة ضمن ما يسميه الكتاب الإغريق والرومان بليبيا الداخلية ؛ وهو المجال الممتد جنوب الأطلس الكبير، ونظرا لبعد هاته المنطقة عن متناول هؤلاء الكتاب، ولعدم تمكنهم من زيارتها، اكتفوا بما كان يصلهم عنها شفويا من معلومات، ولهذا السبب لا نجد عندهم إلا إشارات مقتضبة وقليلة، ولكنها مفيدة ؛ إذ تمكننا من معرفة أسماء أنهار المنطقة وموانئها الطبيعية، وأسماء ساكنتها، وتعطينا كذلك فكرة عن نمط عيش هاته الساكنة، وعن الحيوانات الموجودة بها.

فانطلاقا من القرن الثاني ق. م. نجد لدى المؤرخ الإغريقي بوليب Polybe إشارة لنهري ماسة Masasat ودرعة Darat، احتفظ بها بلين الشيخ (Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 5, 10).

وخلال حكم الإمبراطور الروماني أوكتافيوس أغسطس، وضع الجغرافي أگريبا Agrippa خريطة لـ"المغرب" سيعدّلها في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي الجغرافي المدعو بحار صور (P. Schmitt, *La plus ancienne carte*..., pp. 80 - 81). وهاته الخريطة المعدلة هي التي اعتمدها الجغرافي كلود بطوليمي Ptolemée، الذي وصلت معه المعارف الجغرافية حول منطقة درعة قديما أوجَها ؛ بحيث يشير في الفقرة المخصصة لليبيا الداخلية إلى أسماء سبعة أودية ما بين الأطلس الكبير ورأس جوبي، ومن بينها نهر نويوس Nouios، وهو وادي نول، ونهر درعة. كما يشير إلى أسماء أربعة موانئ طبيعية بالمنطقة : ميناءين بين نهري نويوس وماسة ؛ وهما بگزاس Bagzas شمالا ويرزيطاس Iarzithas جنوبا. وميناءين جنوب نهر درعة ؛ وهما الميناء الكبير، وميناء بابا (Ptolemée, Baba *Géographie*, IV, 6).

وفي القرن الخامس الميلادي ؛ حوالي 417 م ؛ يتطرق بول أوروز بدوره لنهري درعة Dara ونول (P. Orose, Nuhul *Contre les paiens*, I, 2, 29 - 31).

بالإضافة إلى هاته الأسماء احتفظت الكتابات القديمة ببعض أسماء سكان المنطقة ؛ إذ يشير بوليب عند كلامه عن المنطقة الممتدة جنوب الأطلس الكبير ؛ وبالضبط بعد روسادير، إلى الماسيين Masates، والإثيوبيين البيرورسيين Ethiopiens Perorses، والفاروسيين Pharusiens، والجيتوليين الدرعيين Gétules Dariens، والإثيوبيين الدرعيين. ونفس هاته الأسماء، مع اختلافات طفيفة، نجدها لدى أغلب الكتاب الذين عاشوا بعد بوليب، ومنهم الجغرافي بطوليمي الذي يوطن الدرعيين بمصب النهر الذي يحمل نفس الاسم، ويشير لهم باعتبارهم أكبر شعوب ليبيا الداخلية (Ptolemée, IV, 6, 6).

أما سترابون Strabon وبومبونيوس ميلا Pomponius Méla فيضيفان إلى الشعوب سابقة الذكر مجموعة النگريتيين Nigrètes، وهم جيران الإثيوبيين ويؤكد سترابون أن بعضهم كان يعيش في المغارات Troglodytes (Strabon, *Géographie*, XVII, 3, 7).

وما يثير الانتباه بخصوص أسماء شعوب منطقة درعة هو ذاك التمييز بين الدرعيين الإثيوبيين والدرعيين الجيتوليين. وهو تمييز مرتبط باختلاف نمط عيش المجموعتين الدرعيتين ؛ فهو تمييز بين المستقر والمترحل.

فبالنسبة للإثيوبيين فهم ليسوا بزنوج ولا بسود، فالكلمة، وأصلها إغريقي، تعني الوجوه التي لفحتها الشمس، أي ذوي البشرة السمراء. بل أكثر من هذا فبطوليمي يتكلم في جغرافيته عن إثيوبيين بيض (Ptolemée, IV, 6, 6). أضف إلى ما سبق أن الصورة التي يقدمها نص بسودوسكيلاكس Pseudo-Scylax - الذي يرجع إلى القرن الرابع ق. م. - عن إثيوبيي جنوب المغرب وأنشطتهم، لا تمت بصلة إلى الإنسان الأسود البشرة أو الزنجي، بحيث يظهرون فيه بشعور طويلة، ويركبون الخيول، ويغرسون الكرمة (P. Scylax, 112). فعبارة الإثيوبيين بالنسبة لمنطقة درعة تتعلق أساسا بنمط عيش مرتبط بالزراع الصحراويين، الذين كانوا يتعاطون الزراعة، ويهتمون بتربية الخيول، ويستعملون العربات. ويتقنون استخدام النبال (Strabon, XVII, 3, 5)، وخصوصا سكان الواحات (P. Trousset, *L'image de nomade*..., p. 98 ; G. Camps, *Berberes*..., p. 112). وهاته الجماعة هي التي كانت تتاجر مع الفنيقيين حسب نص بسودوسكلاكس المذكور أعلاه.

أما الجيتوليون فهم شديدو الصلة بمجال شاسع شبه صحراوي يمتد من تونس إلى المغرب (S. Gsell, *H.A.A.N.*, t. V, pp. 109 - 110)، يميزهم الترحال والعيش في السباسب (P. Trousset, *L'image*..., p. 98). وهكذا

فالجيتوليون الدرعيون هم الرحل الذين كانوا يعيشون بهاته المنطقة، ويرجّح أنهم كانوا صلة وصل بين منطقة درعة وجنوب الصحراء.

كانت توجد داخل هذا المجال كذلك مجموعة مهمة من الحيوانات التي انقرض أغلبها ؛ بحيث لم تبخل المصادر القديمة بالإشارة إلى بعضها، مثل الزرافات والأسود والفيلة... (Strabon, XVII, 3, 5).

هاته الصورة التي تقدمها لنا المصادر الأدبية تعززها التحريات الميدانية التي عرفتها المنطقة ؛ بحيث تم رصد عدد مهم من النقوش الصخرية Gravures rupestres ؛ التي أُرخت بالألف الأول قبل الميلاد (R. Mauny, *Au tout...*, p. 742) ؛ بكل من فم الحصن، وجبل باني (A. Ruhlman, *Les recherches...*, p. 52)، وإيشت تمنارت (A. Jodin, *Les gravures...*, p. 78)، وأقا وطاطا، وأسيف توانددال ونجد فيها صوراً لصيادين ونبالة، ورسوما لعربات وخيول ولطائر النعام، وللفيلة والأسود والظباء.

كما أكدت هاته التحريات التي أجريت في صحراء كل من موريطانيا ومالي والنيجر، أن درعة شكلت قديما منطقة عبور لا محيد عنها بين المغرب وجنوب الصحراء، وصلة وصل بين الثقافة المتوسطية والثقافة الصحراوية ؛ فقد أكد علم الآثار بما لا يدع مجالا للشك وجود طريق صحراوية قديمة استعملها الإنسان منذ أقدم العصور في تحركاته، تربط بين جنوب المغرب وحوض النيجر مرورا بموريطانيا، تابعة لقط الماء. وكانت هاته الطريق بعد وصولها إلى درعة تعرج غربا في اتجاه المحيط نحو مصب نهر درعة ونول، ونحو سوس.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. 5, 1928 ; A. Ruhlman, *Les recherches de préhistoire dans l'extrême sud marocain*, *Pub. de Ser. d'Ant. Mar.*, fas. 5, 1939 ; R. Mauny, *Autour de la répartition des chars rupestres du Nord-Ouest Africaine*, *Congrès paramfricaine de préhistoire, Actes de la 2ème session, 1952 ; A. Jodin, Les gravures rupestres du Yagour (Haute Atlas), Analyse stylistique et thématique*, *B.A.M.* T. 5, 1964 ; P. Schmitt, *La plus ancienne carte géographique du Maroc*, *B.A.M.*, T. 11, 1977 - 78 ; G. Camps, *Berbères aux marges de l'histoire*, 1982 ; P. Trousset, *L'image de nomade saharien dans l'historiographie antique*, *Bul. de l'équipe de l'écologie et anthropologie des sociétés pastorales*, C.N.R.S., n° 10, 1982.

عبد العزيز أكَرير

**الدرعي، أحمد** بن **حمّو**، قائد شارك في معركة الركن التي جرت بالقرب من فاس يوم 16 ذي الحجة 983/ 17 مارس 1576 بجانب السلطان المتوكل، ويقول عنه كل من الإفراني والناصري إنه كان حاجبا للسلطان المذكور.

م. الإفراني، نزهة، ط. 2، الرباط، د. ت.، ص. 59 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج. 5، ص. 58.

Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica de El Rei don Sebastian*, Lisboa 1837 - y 1903.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدرعي، أحمد** بن **محمد** الكاملي الضرير، ينحدر من أسرة تنتسب إلى جعفر بن أبي طالب (*العقود الجوهرية*، 77)، وقد اشتهرت هذه الأسرة التي استوطنت منطقة أفلاً ندرى (أعلا درعة) شمال واحة مزكَيطة بالعلم والصلاح وممارسة القضاء.

ولد أحمد الضرير في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) ودرج في أول مدارج العلم بين يدي بني قومه بمزكَيطة، فحفظ القرآن الكريم برعاية والده مُحمد بن مَحمد الكاملي، وأخذ مبادئ اللغة العربية وأوليات المتون الفقهية على علماء وفقهاء مزكَيطة. وقد كشف أحمد الضرير عن ذكاء وقاد وحافظة قوية ونجابة لا تطال بين الأقران وهو لا يزال غضا طريا فأرسله والده إلى زاوية تامكَروت بفزواطة (*أعلام درعة*، 80) فأخذ عن عدد من علماء هذه الزاوية أمثال محمد بن علي السملالي، وأحمد بن طلحة الناصري وقريبه مَحمد بن علي الناصري.

ثم رحل أحمد الضرير لإتمام تعليمه إلى مراكش، حيث أخذ عن الفقيه محمد بن المدني السرغيني، والفقيه محمد بن أحمد أكَنسوس (*الإعلام*، 2 : 429). ويظهر أن شهرة أحمد الضرير كشاعر مفلق وأديب بارع، وصلت إلى مسامع خليفة السلطان بمراكش، الأمير مولاي علي بن عبد الرحمان، الذي كانت تربطه علاقات خاصة بأهل درعة (*وثائق آل ابن حاجي*)، فضمه إلى مجالسه العلمية ومسامراته الليلية (*الإعلام*، 9 : 249).

قضى أحمد الضرير مدة من الزمن رحل بعدها إلى مدينة فاس للأخذ عن علماء القرويين لكن دون تحديد الفترة الزمنية التي قضاها بالعاصمة العلمية.

وبعد هذه الرحلة العلمية إلى مراكش وفاس عاد أحمد الضرير إلى مسقط رأسه بمزكَيطة، إلا أن الظروف السياسية والاجتماعية المضطربة آنذاك بوادي درعة، وفتور الهمم في طلب العلم وتقدير أهله، دفعته إلى مغادرة وادي درعة والتوجه إلى سوس، وانتهت وجهته إلى أكَلميم، وكانت هذه القرية تعتبر بوابة الصحراء وملتقى القوافل التجارية الصحراوية المختصة في جلب الذهب والجلود ومنسوجات بلاد السودان.

وبالرغم من أن أحمد الضرير أملى أخبار سياحاته خارج المغرب، فإن أخبار هذه الرحلات قد ضاعت، وربما ما يزال بعضها في رحم الزمان بدرعة أو مراكش. فقد انطلقت سياحته من أكَلميم نحو بلاد السودان، أو ما يعرف اليوم بأفريقيا الغربية، ويُرجح أن يكون وقت هذه الرحلة خلال العشر الأواخر من القرن الثالث عشر (19 م).

كان أحمد الضرير يُستقبل بحفاوة من لدن علماء

إفريقيا الغربية، وكانت مجالسه العلمية معهم مجالس إفادة واستفادة، وقد منحه الله قبولا في القلوب وإقبالا للأخذ عنه، وقد طارت شهرته بهذه الأصقاع التي كانت آنذاك تضطرم بالحركة التجديدية التي قادها الحاج عمر الفوتي، وقد احتفى الحاج عمر وأبناؤه بأحمد الضرير، ونفحه ملوك بلاد السودان بأموال كثيرة سمحت له بالتوجه إلى المشرق، وبعد ما أدى مناسك الحج تجول في بلدان الشرق العربي فكان يقيم في كل بلدة أياما ثم يرحل عنها (*الإعلام*، 2 : 430). ثم توجه إلى الهند والتقى بالشيخ داود الكلكتي، شيخ الطريقة التجانية بالهند وجدد على يده عهد الطريقة التجانية. ثم رجع إلى المغرب فاستقر بين ظهراني قبيلة تجاكنت بتيندوف وقضى هناك حوالي عشر سنوات من سنة 1299 إلى سنة 1309، ولم نتمكن من تحديد المكان الذي رحل إليه أو استقر به بعد رحيله من تيندوف سنة 1309 وبعدها يظهر بمراكش سنة 1313 حيث وافته المنية سنة 1315 ودفن بزاوية شرقاوة بحومة بنّاهض.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 2 و9 ؛ م. ابن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*، مخطوط ؛ المهدي الصالحي، *أعلام درعة* ؛ *وثائق محلية* في حوزة الكاتب.

**الدرعي، الحسن** بن محمد بن مسعود الهراجي الشهير بين أهل فاس بالدراوي. علامة جليل وصوفي كبير موصوف بالصلاح والولاية، ينحدر من قبيلة الهراج من ذوي عبيد الله المعقلية، ولد في مكان غير معروف بدرعة سنة 943 هجرية ( *الدرر المرصعة*، 117)، أخذ مبادئ القراءة والكتابة بمسقط رأسه، ثم تجول بمختلف المدارس العلمية التي كانت تزخر بها واحات درعة خلال القرن العاشر (16 م)، فتخرج عالما متبحرا لا يجارى في العقائد وأصول الفقه متضلعا في علوم العربية، وله شفوف على الأقران في المنطق والقراءات مع كمال التحقيق والفهم والتدقيق ( *الزاوية الدلائية*، 94). تصدر الحسن الدرعي بعد تخرجه لإفادة المتعلمين فنفع الله به كل من جلس بين يديه لنيته الصالحة ورغبته الصادقة في نشر العلم الشريف.

ولأسباب غير معروفة غادر وادي درعة حيث حط الرحال بالزاوية الدلائية وهي ما تزال في بداية أمرها، ولا مبالغة إذا قلنا بأنه من المؤسسين الأوائل للحركة العلمية بهذه الزاوية، خاصة أن أبا بكر الدلائي قد اعتنى به عناية خاصة وقدره حق قدره، كما كان يلاحظه بعين التجلة والاحترام تقديراً لعلمه ومكانته الدينية ( *الحركة الفكرية*، 2 : 503). ويظهر أن الفقيه الحسن الدرعي وجد الاستقرار النفسي والروحي بين جدران الزاوية الدلائية، فشمر عن ساعد الجد لإفادة رواد حلقاته التدريسية من أبناء الشيخ أبي بكر وطلاب العلم الآخرين، فكان يلقي دروسا عالية في العقائد وأصول الفقه وعلوم العربية والمنطق والبيان والقراءات، وكان من أبرز من تخرج عليه من أبناء الزاوية مَحمد بن أبي بكر الدلائي ( *الزاوية الدلائية*، 76).

رحل الفقيه الحسن الدرعي من الزاوية الدلائية في أواخر أيامه إلى مدينة فاس، ويذكر صاحب *الدرر المرصعة* أنه كان يحضر مجالس العلم بجامع القرويين حيث أخذ عن أحمد المنجور وأبي الحسن بن آبهلول ورضوان الجنوي وغيرهم ( *الدرر المرصعة*، 118). وتصدر بعد ذلك للتدريس بجامع القرويين فأخذ عنه الجم الغفير من العلماء من أمثال أبي مهدي عيسى السجتاني ومحمد بن يوسف التملي، وأبي الحسن البطيوي وأحمد بن محمد بن جلال وعبد الوهاب الحميدي ( *نشر المثاني*، 1 : 64).

أخذ الحسن الدرعي طريق القوم عن أبي المحاسن الفاسي، وتقديرا لصلاحه وزهده وعلمه، اقترح عليه الشيخ الفاسي عقد الأخوة في الله، فتعاقدا على ذلك، وقد كان الشيخ كثيرا ما يباسط الفقيه الدرعي ويقول له مرحبا بشريكي (*مرآة المحاسن*، 12). ومن الآثار العلمية للفقيه الدرعي *شرح حسن على صغرى السنوسي وشرح على متن لامية الإمام المجراد* السلوي في قواعد الجمل ( *الحركة*، 2 : 503).

ظل الحسن الدرعي مواظبا على التدريس بفاس دؤوبا على إفادة المتعلمين، لا يُرى إلا قارئا أو مجودا للقرآن الكريم إلى أن وافاه الأجل بالطاعون في أواسط شعبان سنة 1006/ أواسط مارس 1598، ودفن بباب فتوح وعلى قبره قبة ما تزال قائمة إلى اليوم.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ م. ابن الطيب القادري، *نشر المثاني*، ج. 1 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 9 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية بفاس ؛ م. حجي، الحركة الفكرية، ج. 2 ؛ الزاوية الدلائة، (ط. 1).

أحمد البوزيدي

**الدرعي، علي** بن **إبراهيم**، سماه ابن المؤقت ـ خطأ ـ بأبي علي إبراهيم الدرعي، وسماه العباس بن إبراهيم ـ تبعاً لذلك ـ بالحسن بن علي بن إبراهيم الدرعي، والذي في شاهد قبره الماثل إلى اليوم في قاعة الصلاة التي أحدثت مؤخرا في صحن ضريح سيدي ابن سليمان الجزولي، وهي التي اعتمدها كل من ابن المؤقت والعباس بن إبراهيم فيما كتباه عن المترجم له، "أبا الحسن سيدي علي بن إبراهيم".

أخذ عن أبي عمر الفلالي المعروف بالعناية ( *السعادة الأبدية*، 2 : 38 ؛ *الإعلام*، 3 : 148). حلي في شاهدة قبره بما يلي : "الولي الصالح، الزاهد الورع". ثم جاء فيها : والسيد المذكور مشغول الهمة لملازمته الصلاة على النبي ﷺ مدة ثلاث وسبعين سنة، وقد رأى رسول الله ﷺ غير ما مرة، وأكثر ما يجري على لسانه (قل الله ثم ذَرْهُم في خوضهم يلعبون).

ويقصد الزوار إلى اليوم قبر المترجم له للتبرك به، وقد أحدثت في رخامة قبره ثلاثة ثقوب أطمست بعض الكلمات المنقوشة عليها.

قال ابن المؤقت : "توفي رحمه الله يوم عرفة سنة تسع وسبعين وتسعمائة ودفن بصحن ضريح الإمام الجزولي بإزاء قبة الإمام اليقوري، وقبره مزدج في حائطه رخامة وفاته" ونقل عنه هذا الكلام العباس بن إبراهيم ( *السعادة الأبدية*، 2 : 39 ؛ *الإعلام*، 3 : 148 ). غير أن الذي في شاهدة قبر المترجم له هو : "توفي في ثلاثة وسبعين من الهجرة بعد تسعمائة في شهر الله ذي قعدة يوم الخميس ووري في قبره ليلة الجمعة".

*شاهدة قبر المترجم له* ؛ م. ابن المؤقت، *السعادة الأبدية*، ج. 2، طبعة فاس، 1335 هـ ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 3، الرباط، 1980.

حسن حافظي علوي

**الدرعي، علي** بن **بار** بن الحسين، مقاوم بوادي درعة، انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 بالمقاطعة الثامنة بمركز تافودارت تحت قيادة فاضل الهاشمي وشارك في عدة معارك بالصحراء المغربية ووادي الذهب إلى أن استشهد بمعركة واد الصفا، بتاريخ 11 مارس 1958.

المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**الدرعي، علي** بن **عبد الرحمان** الملقب بالدراوي. ولد في ثاني عشر جمادى الثانية عام 1018/ 1609 بإحدى قرى خمس مزگيطة من وادي درعة (*مباحث الأنوار*، 187). نقل صاحب *الإعلام* 9 : 208 ) وصفه فقال : "كان ربعة للطول، معتدل القامة، جميل الوجه، أكحل العينين، كث اللحية وافرها، يعلوها شيب، معتدل الأعضاء، عذب المنطق، لين الجانب، حسن الهيئة كريم الأخلاق...". ويصفه الولالي قائلا : "وكان ـ رضي الله عنه ـ واسع الأخلاق، حسن المعاملة، لا يعاشره أحد إلا ألفه، وكان إذا وعظ بكى..." (*مباحث*، 192).

نشأ علي بن عبد الرحمان وتربى في درعة حيث قرأ القرآن الكريم (*دوحة البستان*، 14). والتقى بشيوخها آنذك، أمثال عبد الله بن حسين الرقي، وأحمد بن إبراهيم الأنصاري، ومحمد بن ناصر الدرعي (*مباحث*، 188 ؛ *نشر المثاني*، 2 : 290). بعد ذلك غادر درعة، وانطلق سائحا ؛ فألقى عصى التسيار أولا ببلاد سوس، حيث لقي الشيخ الزاهد محمد السوداني، فلازمه مدة وأخذ عنه ما تيسر من العلوم ( *الإعلام*، 2 : 208 و218).

ولما نما خبره إلى أبي حسون السملالي استقدمه إلى إيليغ "وأسند إليه النظر في أمور خزائنه" ( *التقاط الدرر*، 219 ؛ *الإعلام*، 9 : 218 ). وبعد مدة ارتحل مواصلا سياحته، فزار ضريح الشيخ أبي يعزى ؛ ثم انتقل إلى الزاوية الدلائية، حيث مكث فيها ما شاء الله، وانتهى به الأمر إلى "المشارطة" عند أهل أگرض. فلبث فيهم مدة يقرئ الطلبة ويعلم الصبيان، ويصلي بالناس. ومن أگرض انتقل إلى تانغملت حيث لقي الشيخ عبد العزيز بن موسى البوگمازي ( *الإعلام*، 9 : 221 ) بعد ذلك طرق سمعه خبر الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي صاحب واوزغت، فتاقت نفسه إلى زيارته والأخذ عنه، فقصده وأخذ عنه الطريقة الجزولية، ولازمه مدة طويلة. فكان ذلك الشيخ عمدته في السلوك الصوفي. ولم يزل في خدمته حتى توفي عام 1062 /1651 (*ممتع الأسماع*، 84). فتصدر بعده للتربية الصوفية بزاوية واوزغت قبل الانتقال إلى تامجوت. ولعله في هذه الزاوية أخذ عنه كبير إحنصالن، الشيخ أبو عثمان سعيد (*الإعلام*، 9 : 213)، الشيء الذي يجعلنا نطرح التساؤل حول العلاقة بين تامجوت وإحنصالن.

وبالرغم عن ذلك فإن شهرة الشيخ علي بن عبد الرحمان ظلت محدودة حتى انتقل إلى تامجوت، وأسس بها زاويته (*المعلمة*). "فتصدر لتربية المريدين ورفع الراية للزائرين" ( *النشر*، 2 : 290).

وكانت طريقته الصوفية شاذلية من الطريقين المشهورين : طريق الجزولي عن أبي بكر الدلائي ومحمد بن محمد الدادسي، عن عبد الله بن حسين صاحب تامصلوحت، ثم طريق أحمد زروق عن عبد الله بن حسين الرقي. وبذلك تكون طريقته شاذلية ـ جزولية ـ زروقية ( *الإعلام*، 9 : 211)، "وله ـ رضي الله عنه ـ أوراد وأحزاب وأذكار... فزاوية مكناس يقرأ فيها أصحابه وظيفة الشيخ زروق، وزاوية فاس يقرأون فيها أوراد سيدي رضوان الجنوي، ومن أوراده الحزب الكبير، والمسبعات، ووظيفة المغرب عنده أولها حزب الفلاح للشيخ الجزولي، ثم سيد الاستغفار، ثم ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني، ثم صلاة حضرة الأسرار، ثم الصلاة المشيشية، ثم الفاتحة مرتين... ووظيفة الصبح، حزب الفلاح أيضا ثم المسبعات العشر ثم الحزب الكبير..." ( *الإعلام*، 9 : 211).

يتضح من هذه الفقرة أن وظيفة الشيخ علي بن عبد الرحمان الدرعي كانت تتضمن بعض الأوراد القادرية بالإضافة إلى الشاذلية. لذلك كله ترادفت على أبوابه الركاب من الحواضر والبوادي، "فقصده الناس بالهدايا الجليلة والعطايا الجزيلة، فجمع من ذلك أموالا عريضة، وعبيدا وإماء وحرثا ونسلا ونساء..." ( *النشر*، 2 : 290). كما اشتهر بكثرة إطعام الطعام (*مباحث*، 192) ؛ حتى كان يطعم الألوف في المرة الواحدة، كما ينقل ذلك صاحب *الإعلام* (9 : 219، 220)، قائلا : "وقد بات عنده ليلة سبعة عشرة ألفا". بل لقد أفرد "داراً لليتامى والأرامل"، حتى انقطع بزاويته عدد كبير من حملة القرآن والعلماء، من بينهم محمد بن أحمد المغزازي، ويعقوب التواتي، وعلي الملقب بالجب. وهؤلاء مدفونون بتامجوت ( *الإعلام*، 9 : 214). أما تلاميذه فيعدّون بالآلاف، منهم علماء كبار،

كالأخوين العكاريين محمد والحسن الرباطيين، والحسن بن مسعود اليوسي، وسعيد بن محمد البوزيدي، وعبد الله شكلانطو الرباطي، ومحمد بن عبد العزيز التواتي، ومحمد بن عطية السلاوي، وغيرهم. ومنهم المتصوفة كأبي عثمان سعيد أحنصال (*دوحة*، 97 ؛ *الإعلام*، 9 : 214 ــ 215 .M ؛ Morsy, 56).

وخصه محمد بن علي الزبادي بتأليف سماه *دوحة البستان ونزهة الاخوان في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمان*" عرف به وبابتداء أمره وسيرته، وطريقته وشيوخه، وجمع بعض كلامه (*دوحة* ؛ *المقدمة*).

وقد عرفت طريقته انتشارا واسعا في المدن والبوادي، وتأسست زوايا تابعة له في كل من مراكش والرباط ومكناس وتطوان والتسول وفاس (*النشر*،2 :292 ؛ *الإعلام*، 9 : 211).

وبسبب انتشار أمر الشيخ علي بن عبد الرحمان، واجتماع الناس عليه، امتُحن من قبل سلاطين الوقت. فقد أمر السلطان الرشيد بنهب زاويته مرارا، واستقدمه إلى مراكش، حيث فرض عليه شبه إقامة إجبارية، حسب الإفراني (*صفوة*، 184). ولعله ظل على تلك الحال حتى وفاة ذلك السلطان سنة 1082/1672.

أما الزبادي فإنه يؤكد أن السلطان أودعه السجن، حيث مكث "أياما قلائل" ثم أخرجه وأمر بطرحه "في بئر خارج باب الجديد، قرب الصالح سيدي عبد الرحمن القرشي". ويدخل ذلك كله في إطار المحنة التي لاقتها الزوايا في ذلك العهد.

ومهما يكن من أمر فالمؤكد أن عليا بن عبد الرحمان الدرعي امتحن من قبل السلطان وأن زاويته نهبت. لكن من المحتمل أنه واصل نشاطه الصوفي بعد ذلك. ذلك أن القادري (*النشر*، 2 :292) أشار إلى أن السلطان إسماعيل أمر "بأخذ داره...". وأغلب الظن أنه ينفرد بهذا الخبر. كما يشير الولالي (*مباحث*، 195) الذي تردد إلى زاوية تامجوت عدة مرات، أنه : "وقعت له فتنة مع ملك من ملوك الوقت، فانتقص تقصف الناس عليه، ثم أنجاه الله تعالى منه، فعاد الأمر كما كان أولا من ترادف الناس عليه للأخذ والزيارة إلى أن توفي..."

توفي علي بن عبد الرحمان الدرعي، بالوباء في منتصف شهر ربيع الأول، حسب الضعيف (*تاريخ*، 63)، وفي 21 منه حسب الإفراني، (*الصفوة*، 184) عام 1091 / 1680، ودفن بزاويته الموسومة بتامجوت من بلاد تادلا.


أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، تح. عبد العزيز بوعصاب، 1987 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، طبعة حجرية ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تح. محمد الحبيب نوحي،1988 ؛ م. الزبادي، *دوحة البستان*، مخطوط، خع 390 د ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1980، الجزء 9 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية...*، الرباط، 1964 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، الرباط،1986 ؛ *التحري الميداني*.

De La Chapelle, *Le Sultan My Ismaïl, A.M*, 1927 ; G. Grague, *Esquisse*, Paris, 1951 ; M. Morsy, *Les Ahansal*, Paris, 1972.


أحمد عمالك

**الدرعي، علي بن عمر**، تتلمذ على أبي الحسن علي ابن العطار، ثم قدم إلى مراكش، وتوجه إلى مكة، فأدى الفريضة، وعاد إلى بلده بوادي درعة (*التشوف*، 411 ؛ *الدرر المرصعة*، 216). كان عبدا صالحا صاحب مجاهدة وأحوال، وكان يواظب على الصيام طيلة أيام الأسبوع، لا يفطر إلا من يوم الجمعة إلى يوم الجمعة (*التشوف*، 411 ؛ *الإعلام*، 9 :62). وكان إذا غلب عليه الحال سال دمه من أنفه لشدة وجده.

توفي بدرعة عام 608 / 1211 (*التشوف*، 411 ؛ *الإعلام*،9 :62 ؛ *الدرر المرصعة*، 216). قال المكي الناصري : "قلت وقبره شهير بالزاوية بقرية اغرغر من مزگيطة، وقد زرته مرات، ويعرف الآن عند العامة بل وبعض الخاصة بسيدي لحسن" (*الدرر المرصعة*، 216).


ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ.د التوفيق، الرباط، 1984 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 9، الرباط، 1980.


حسن حافظي علوي

**الدرعي، علي بن المقدم المحمودي**، ينتسب إلى إحدى القبائل العربية التي كانت تستوطن الواحات الجنوبية من درعة الوسطى (*العقود الجوهرية*، 74)، ولد على الترجيح في السنوات الأولى من القرن الثالث عشر (19 م).

وبالرغم من أننا لا نتوفر على ما يفيدنا حول تكوينه العلمي فلاشك أنه حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ الفقه واللغة العربية بمسقط رأسه، وبعد ذلك رحل في طلب العلم بمختلف قصور الوادي فلازم مجالس أهل العلم بفزواطة ومزگيطة حتى تخرج مقرئاً بالعشر وفقيهاً مبرزاً لا يطار تحت جناحه. وعلى عادة جل علماء وادي درعة توجه علي ابن المقدم في زمن غير معروف إلى المشرق فأدى فريضة الحج، وأثناء عودته جاور بالأزهر الشريف حيث أخذ عن ثلة من علماء مصر مثل الباجوري وطبقته (*الإعلام*، 9 :254) وبعد عودته إلى المغرب عينه السلطان مولاي عبد الرحمان ابن هشام قاضياً على وادي درعة، فكان يمارس وظيفته أولا بزاوية شرقاوة بواحة مزگيطة ثم بقصر تارغليل بواحة ترناتة. ويظهر أن الكفاءة العلمية التي كان يتمتع بها علي ابن المقدم جعلت السلطان يفوض له أمر تعيين نواب عنه لممارسة القضاء بمختلف واحات درعة والمناطق المجاورة (*وثائق محلية*) ونستشف من خلال جملة من الوثائق

المهمورة بتوقيع الفقيه علي بن المقدم، أن مدة ولايته كقاض بدرعة قد استمرت أكثر من عقدين من الزمن، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ما كان يتمع به هذا الفقيه من ثقة سواء بالنسبة للمخزن أو بالنسبة للسكان بالمنطقة. وماتزال جملة من الوثائق ورسوم الأملاك العقارية تزخر بتعاليق وتوقيعات الفقيه علي ابن المقدم، حيث كانت أحكامه لا ترد لقوة الدلائل والحجج الفقهية التي كان يسوقها لإفحام بعض الفقهاء المتصدرين للإفتاء ونقض الأحكام، خاصة فقهاء قصر استور، وفقهاء قصر أولاد أوشاح من آل حاجي (*وثائق محلية*).

وفي سنة 1286 عين السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان الفقيه على بن المقدم قاضياً بمدينة أسفي، ولم تطل مدته بهذه المدينة حيث أعفى سنة 1287 ( *الإعلام*،9 : 254).

استقر علي بن المقدم أخيراً بمدينة مراكش، وقد أحيى الله به قراءة العشر بهذه المدينة، كما أقبل على تدريس الفقه حيث أخذ عنه الجم الغفير من علماء المدينة، ومن آثاره : *حاشية على شرح المرشد الصغير* وصفه صاحب *الإعلام* بأنه يشتمل على أبحاث حسنة وفقه كثير. وقد توفي سيدي علي بن المقدم عن سن عالية بمدينة مراكش مع بداية العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر / أوائل سنة 1875.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 9 ؛ م. بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ *وثائق محلية* في حوزة الكاتب.

أحمد البوزيدي

**الدرعي، علي** بن **يوسف** بن أحمد بن عبد الحليم التمازري أصلا، الأگتاوي داراً ومولداً. قال الجزولي في *إنارة البصائر* : "وخروج أسلافه من سوس من بلدة نبي الله أو ولي الله تعالى سيدنا دانيال المسماة تاگمت المنسوبة لبني يعقوب الآن ( *الدرر المرصعة*، 222).

تتلمذ على الشيخ مَحمد بن أبي بكر الدلائي، وحضر مجالس العلماء المتوافرين في الزاوية الدلائية، ثم عاد إلى درعة واشتغل بالتدريس في أكتاوة وتسرگات حيث لازمه الشيخ مَحمد ابن ناصر ( *الحركة الفكرية*،2 : 544 *والزاوية الدلائية*، 55 و59 *والروض الزاهر*، 193).

كان لتتلمذ مَحمد ابن ناصر على علي بن يوسف أثر كبير في شهرة هذا الأخير وحفظ أخباره في كتب التراجم التي اعتنت بأعلام الزاوية الناصرية كـ*الدرر المرصعة والروض الزاهر وطلعة المشتري*.

استقر المقام بالمترجم له بعد عودته من الزاوية الدلائية في زاوية سيد الناس بتامگروت ( *الحركة الفكرية*، 2 : 544 و542) واشتغل بالتدريس بها، وكان يستعين بأعمال أخرى على معاشه. ذكر أحمد بن خالد الناصري أن محمد بن ناصر ابتدأ بتعلم العربية واللسان والفقه وما التحق به على أبي الحسن علي بن يوسف الدرعي ولازمه مدة مديدة إلى أن نال منه مراده، مع ما كان عليه الفقيه المذكور من عدم المداومة على القراءة لاشتغاله بمعاشه، فربما قرأ في بعض الأيام بيتاً أو بيتين من *الخلاصة* وربما لم يقرأ، وكان ذلك كله لا يصد سيدي مَحمد عن التعلم عليه (*طلعة المشتري*، 1 : 127).

وقال محمد حجي : "وكان أبو الحسن هذا كثيراً ما يضيق ذرعا بضنك عيش تامگروت، ويقصد شيخه أبا بكر في الدلاء فينال من عطاياه وهداياه ما ينقلب به إلى أهله مسرورا".

احتفظت مؤلفات الناصريين بأخبار تؤكد ما عاني منه المترجم له من ضيق سعة ذات اليد، ومن تلك الأخبار القصة التي جرت له مع تلميذه مَحمد بن ناصر ودونها أبو العباس الجزولي في *إنارة البصائر* ثم نقلها عنه المكي الناصري في *الدرر المرصعة والروض الزاهر* وأحمد الناصري في *طلعة المشتري*. ذلك أن أم الشيخ مَحمد بن ناصر نسجت له ثوباً جديداً جيداً واسعاً سابغاً، فآثر به شيخه علي بن يوسف على نفسه، رصده إلى أن دخل بيت الاغتسال فوضع ثوبه الجديد مكان ثوب شيخه وأخذ هو البالي. ولما علم الشيخ بذلك استعظم ذلك منه ودعا له. قال المكي الناصري : "فنال به الشيخ رضي الله عنه ما اشتهر عنه من علم ودين وعمل صالح ودنيا وافرة وذرية صالحة والجاه والاستقامة وإقبال الخلق عليه للنفع والعلم والبركة ( *الدرر المرصعة*، 222 و223 *وطلعة المشتري*، 1 : 127 و128). ومنها أيضاً أنه كان يرغب في ضيافة طلبته له. قال الشيخ محمد بن ناصر قال سيدي علي بن يوسف : قول الطلبة ليس على الفقيه من ضيافة هو عذر يقيمونه. ثم قال بعد ذكر كلام شيخه سيدي علي : بل الفقيه أولى بالضيافة والكرم لأنه هو الذي يرى فضل ذلك ( *الروض الزاهر*، 192).

كان أبو الحسن علي بن يوسف مبرزاً في جملة من العلوم العقلية والنقلية قال أحمد في *فهرسته* : وجل استفادته ـ الشيخ ابن ناصر ـ في العلوم الظاهرة عن العالم المتواضع الأبرك الولي الصالح الأكبر سيدي علي بن يوسف (*الدرر المرصعة*، 226 *والروض الزاهر*،111 *واقتفاء الأثر*، 117 *ونشر المثاني*،2 : 211 ). وقد كثر الآخذون عنه في مختلف جهات تامگروت وبذلك عد إمام المعقول والمنقول في هذه البقعة من درعة ( *الحركة الفكرية*، 2 :544).

لم نقف على تاريخ وفاة علي بن يوسف فيما اعتمدناه من مصادر وذكر محمد حجي أنه توفي حوالي 1045 / 1635 ( *الحركة الفكرية*،2 :544 ) ودفن باركّو ( *الزاوية الدلائية*، 54).

م. المكي الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط ؛ الروض الزاهر، تح. المهدي الغالي، د. د.ع. في التاريخ، كلية الآداب، الرباط، 1998 ـ 1999 ؛ أبو سالم العياشي، اقتفاء الأثر، تح. نفيسة الذهبي،

الرباط 1996 ؛ م. ابن الطيب القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط 1982 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، ج. 1، الدار البيضاء 1978 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج. 2، فضالة، 1978 ؛ *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

حسن حافظي علوي

**الدرعي، أبو القاسم** بن عبد الرزاق المصدياني. عاش هذا الشيخ الجليل خلال القرن العاشر (16 م)، وهو مؤسس زاوية تينمسلا بواحة تينزولين بدرعة. ويذكر عن نفسه أنه هبت عليه نفحة صوفية، فانطلق في رحلة البحث عن شيخ يأخذ بيده ويتخذه قدوة له، وحدد في قرارة نفسه بعض الضوابط التي يجب أن تتوفر في شيخه، فلم يجد هذه المواصفات في كل الشيوخ الذين زارهم وانتهت به الرحلة إلى زاوية تازروالت حيث وجد ضالته في الشيخ سيدي أحمد بن موسى السملالي ( *الدرر المرصعة*، 115). ويفهم من إحدى رسائل شيخ زاوية تينمسلاً في مطلع القرن العشرين الحسن بن عبد العزيز إلى مقدمي ومريدي زاوية تينمسلا بمختلف جهات المغرب، أن جده أبا القاسم بن عبد الرزاق المصدياني الدرعي، من ذرية محمود بن عبد القادر الجيلاني نزيل بغداد، ثم ذكر صاحب الرسالة سلسلة نسب أبي القاسم بن عبد الرزاق إلى أن ربطه بالشيخ عبد القادر الجيلاني (*من وثائق زاوية تينمسلا*) وهذا ما جعل أحفاد الشيخ أبي القاسم بن عبد الرزاق يحملون اسم القادري في أوراقهم الرسمية حالياً.

جاء أسلاف أبي القاسم بن عبد الرزاق من جهة الساحل (الصحراء المغربية الحالية) في زمن غير مدقق إلى درعة. وأول من وصل منهم إلى الوادي هو الشيخ عمرو بن داود المصدياني، حيث نزل بقصر تيگيت وما يزال بعض حفدته وضريحه إلى اليوم على جانب الطريق الرابط بين أگدز وزاگورة (*وثيقة محلية*).

كان الشيخ أبو القاسم مؤسس زاوية تينمسلا من أهل الصلاح والدين يشار إليهم بالولاية ( *المعسول*، 19 : 120).

وبالرغم من أننا لا نعرف أي شيء عن مستواه العلمي، وهل هو من الفقهاء المتصوفة أم لا، فإن صاحب *الدرر المرصعة* يذكر أن لأبي القاسم بن عبد الرزاق كلاماً عالياً يحذو فيه حذو الشيخ الجزولي في مناجاته، بل فيه ما تشمئز منه النفس وتمجه الفطرة السليمة ( *الدرر*، 115).

توفي أبو القاسم بن عبد الرزاق في زمن غير محدود من القرن العاشر (16 م) وخلفه على زاويته ابنه عمرو بن أبي القاسم، وسلك نهج والده في تربية المريدين والإكثار من الزاويا سواء بوادي درعة أو المناطق المجاورة لها مثل بلاد تازرين ودادس وفم زگيط وخاصة إفريقيا الغربية، وقد ظلت زاوية تينمسلا تعتبر أكبر زاوية بدرعة من حيث عدد الفروع وكثرة الأتباع حتى نبغت زاوية تامگروت الناصرية وما تزال زاوية أبي القاسم بن عبد الرزاق إلى يومنا هذا تحتل الدرجة الثانية بعد الزاوية الناصرية، ببلاد درعة والمناطق المجاورة.

مجهول، *هدية السرور من الملك الخلاق في كرامة أبي القاسم بن عبد الرزاق*، مخطوط، *وثائق زاوية تينمسلا بحوزة الكاتب* ؛ م. المكي بن الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط، م. بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 19.

أحمد البوزيدي

**الدرعي، محماد** بن الحبيب الرگراگي الغنيمي التامنوگالي المزگيطي التيوسوتي الشهير عند علماء مراكش بالدرعي. ولد عام 1323 / 1905.

قرأ القرن بكتاب قصبة تامنوگالت على يد صهره الفقيه السيد محماد بن علي الغرغري، ثم انتقل عند الفقيه المدرس الشهير السيد محماد بن المكي بن محمد الناصري. ثم تاقت نفسه إلى الاستزادة من العلم فانتقل إلى مدينة مراكش ودرس على شيوخ العلم بجامع ابن يوسف، وأجازه بعض الشيوخ لأهليته وتمكنه من شتى العلوم. بعدها تفرغ للتدريس والوعظ بمساجد مختلفة وفي مناطق متعددة، ابتداء من مسجد الشرفاء بالمواسين، ومنه إلى زاوية مولاي عبد الملك بمنطقة قلعة مگونة ودادس، ثم إماماً مدرساً ومحدثاً بالجامع الكبير بزاوية سيدي صالح بمنطقة أكتاوة. وكان من المتمسكين بأصول الشريعة الإسلامية معاديا للبدعة وأهلها، محبباً عند الخاص والعام.

ترك ـ رحمه الله ـ مجموعة من المؤلفات نذكر منها :

1) *العقود اللؤلئية في الأخبار الدرعية*، ذكره ابن سودة باسم (تاريخ درعة).

2) *تأليف في ترتيب ما أورده السيوطي في كتابه (اللآئي المصنوعة على الأحاديث الموضوعة)* ويحتوي التأليف على 1612 حديثاً ألفه سنة 1353 / 1934.

3) تأليف صغير في ترتيب رجال الكتاب المسمى *وسيلة الفريق بأئمة الطريق* على عدد حروف الهجاء.

4) *أرجوزة حول بيان الرضاع* والقدر الذي تحصل به الحرمة.

5) *شرح مختصر الزواجرفي اقتراف الكبائر* للإمام العسقلاني لم يتمه.

6) *منظومة في العقائد التوحيدية* أبياتها 30.

7) *نظم فرائض الشيخ خليل* أبياتها 382.

8) *منظومة تحتوي على أنواع شتى من العلوم* أبياتها 424.

9) *الهمزية في مدح الرسول* ﷺ أبياتها 410.

10) *رثاء شيخه محمد المكي الناصري* أبياتها 93.

11) قصيدة لامية أبياتها 1096.

توفي عام 1362 / 1943 ودفن بمقبرة قصبة تامنوگالت.

أ. متفكر، *ذيل إعلام مراكش*، مخطوط ؛ روايات شفوية.

أحمد متفكر

**الدرعي** (سمك) أو الذيب "لولو" (Le loup)، أوتحرش كما هو شائع في الأسواق السمكية في كل من العرائش وطنجة ومولاي بوسلهام ومهدية، أو بوشوك في الجديدة وأسفي والصويرة وأگادير وطرفاية والداخلة والحسيمة، جنس من الأسماك البحرية يسمى بسمك القاروس أو القاروص في كل من تونس وليبيا ومصر ولبنان وفلسطين وسوريا. والدرعي يطلق في المغرب على نوعين من الأسماك البحرية العظمية من فصيلة مرونيدي Moronidae ومن جنس ديسونترارکس Dicentrarchus : الدرعي العادي والدرعي المنقط.

الدرعي العادي يسمى علميا (Morone labrax) Dicentrarchus labrax وبالفرنسية Bar européen وبالإنجليزية European seabass وبالإسبانية Lubina. طوله شائع بين 20 و55 سم ويبلغ أحيانا 100 سم عند الكبار.

جسمه طويل فضي اللون ورمادي على الجوانب وأزرق جهة الظهر، غالبا ما يكون البطن مصفراً. تعرف الكبار ببقعة سوداء على الجهة العليا من غطاء الفتحة الخيشومية. الزعنفتان الظهريتان مفترقتان، تتكون الأولى من8 ــ 10 شوكات والثانية من شوكة واحدة ومن 12 ــ 13 شعاعات هشة.، تتكون الزعنفة الذيلية من ثلاث شوكات ومن10 ـ 12 شعاع هش. الحراشف دائرية وصغيرة ويتكون الخط الجانبي من 62 ــ 80 حرشفة. فمه حاد وشفتاه رقيقتان، الأسنان هلالية الشكل ومترتبة في صفوف بداخل كل فك.

يعيش الدرعي في مختلف المناطق الساحلية الدافئة المياه وذلك في أعماق لا تتعدى 100 متر. شائع في المياه البحرية الوطنية الغير العميقة، ويوجد أيضا في البحيرات الساحلية كبحيرة الناظور والوليدية وسيدي موسى ومولاي بوسلهام وخنيفيس وشرم الداخلة. كثيرا ما يدخل معظم

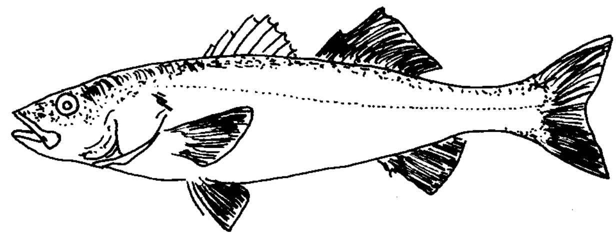

الدرعي

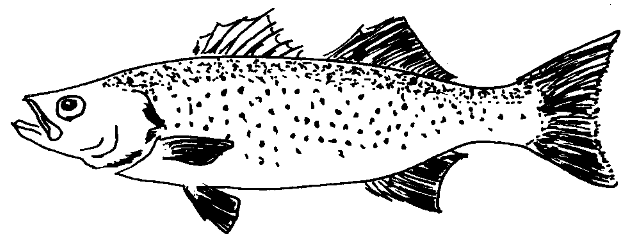

مصبات الأنهار الوطنية (سبو، بورقراق، أم الربيع، تاهدارت، اللكوس) ويقطع مسافات طويلة بداخل الأنهار بحثا عن الأكل. يتكون من مجموعات متعددة الأفراد خلال فترة التوالد التي تمتد من شهر يناير إلى بداية مارس. تصير الذكور بالغة بعد سنتين والإناث بعد ثلاث سنوت يصل طولها إلى 31 ـ 40 سم.

الدرعي سمك لاحم، يتكون غذاؤه من اللافقريات الصغيرة وخاصة منها الرخويات والقواقع ومختلف أنواع القشريات كالإربيان والسرطانات وصغار الأسماك. ينتشر توزيعه الجغرافي على كل الشواطئ المغربية الأطلنطية والمتوسطية ويوجد أيضا في البحر المتوسط والبحر الأسود والشواطئ الأطلنطية الأوربية والموريتانية والسنغالية.

الدرعي المنقط يسمى علميا (Morone punctatus) Dicentrarchus punctatus وبالفرنسية Bar tacheté وبالإنجليزية Spotted seabass وبالإسبانية Baila. طوله شائع بين 20 و40 سم يبلغ أحيانا 70 سم عند الكبار. يعرف في سوريا ولبنان ومصر بالقروس والقاروس المنقط ونقطة وأوب نقطة. وفي تونس وليبيا القاروس المنقط. ويعرف بالدرعي المنقط أو بونقطة في كل من مولاي بوسلهام ومهدية والرباط وطرفاية والعيون والداخلة. ويلقب بـ"لوبير" و:نوبير" في كل من طنجة والعرائش وأصيلا.

جسمه طويل فضي اللون ورمادي على الجوانب وأزرق جهة الظهر، الجوانب والظهر مبرقعة ببقع سوداء متفاوتة الحجم. تعرف الكبار ببقعة كبيرة سوداء داكنة في مؤخرة غطاء الفتحة الخيشومية. الزعنفتان الظهريتان مفترقتان، تتكون الأولى من 8 ـ9 شوكات والثانية من شوكة واحدة ومن 10 ـ 12 شعاع هش. تتكون الزعنفة الشرجية من ثلاث شوكات ومن 10 ـ12 شعاع هش. الحراشف دائرية وصغيرة ويتكون الخط الجانبي من 57 ـ 65 حرشفة. فمه حاد وشفتاه رقيقتان، الأسنان هلالية الشكل ومترتبة في صفوف بداخل الفكين.

يعيش في المناطق الساحلية الدافئة المياه، وشائع في المياه البحرية الوطنية الغير العميقة الرملية والوحلية والصخرية، ويوجد أيضا في البحيرات الساحلية القليلة الملوحة كبحيرة الناظور والوليدية وسيدي موسى ومولاي بوسلهام وخنيفس وشرم الداخلة. كثيراً ما يدخل معظم مصبات الأنهار الوطنية (سبو، بورقرار، أم الربيع، تاهدارت، اللكوس) ويقطع مسافات طويلة في أعالي الأنهار بحثاً عن الأكل في المياه العذبة. تمتد فترة التوالد من شهر يناير إلى غاية شهر أبريل. تصير الصغار بالغة بعد ثلاث سنوات يصل طولها 25 سم. نموه أقل سرعة من نوع الدرعي الغير المنقط إذ لا يبلغ طوله 41 سم إلا بعد سبع سنوات.

يتكون غذاؤه من اللافقريات الصغيرة وخاصة منها الرخويات والقواقع والإربيان والأسماك الصغيرة

والسرطانات. يقتصر توزيعه الجغرافي على كل الشواطئ المغربية الأطلنطية والمتوسطية ويوجد أيضا في البحر المتوسط وخاصة في الضفة الجنوبية منه كما يوجد في السواحل الأطلنطية الأوربية والمريتانية والسنغالية.

صيد أنواع سمك الدرعي بالمغرب تقليدي ورياضي ويتم بشباك الجرف وبشباك الإحاطة أو التحليق وبالشباك الخيشومية وبالصنانير. يوجد في أسواق الأسماك المغربية بصفة غير منتظمة. لحمه لذيذ ويؤكل طرياً.

تتم تربية سمك الدرعي العادي في المزارع البحرية بكيفية ناجحة في كثير من الدول الأوربية. بدأت تربيته في المغرب سنة 1986 في بحيرة الناظور وقد عرفت هذه التربية نجاحا من طرف شركة ماروست وشركة صام حيث يتراوح الإنتاج ما بين 24 ـ 530 طن سنويا يُصدّر أغلبها إلى الأسواق الأوربية.

يعطي الجدول التالي الكمية المنتجة سنويا لسمك الدرعي العادي في بعض أحواض التربية المائية بالبحيرات الساحلية المغربية :

| السنة | 1990 | 1991 | 1992 | 1993 | 1994 | 1995 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الكمية بالطن | 24 | 96 | 119 | 193 | 332 | 533 |

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة،1988 ؛ أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة،1932 ؛ *دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب*، المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

M. Ramdani et N. Elkhiati, *Flore et faune marines du Maroc. Biodiversité, Biologie, Ecologie et Biogéographie.* Expo. 98, Lisbonne, Rabat, 68 p., 1998 ; Ministère des Pêches Maritimes, *La mer en chiffre, synthèse de l'activité du Ministère des Pêches Maritimes et de la Marine Marchande*, Rabat, 1995.

محمد رمضاني

**درغوث باشا**، يطلق عليه المسيحيون لفظ Dargut، وDragutte، والأتراك Dorgut ودرغوتشه بالتصغير. ولد بقرب الأناضول حوالي سنة890 / 1485. وشارك منذ شبابه في الملاحة العسكرية العثمانية إلى أن أصبح من الرياس المرموقين في بحر إيجه منذ سنة940 / 1533 ؛ قبل أن ينتقل للعمل تحت قيادة خير الدين باربروس في مياه الحوض المتوسطي الغربي، متعاونا مع اسطول الجهاد التطواني في المياه الإسبانية أثناء فترة حكم السيدة الحرة، وقد أكسبته جسارته وجرأته عدة ألقاب كان يفتخر بها مثل "الشيطان" و "سيف الإسلام"، ومكنته عملياته الناجحة من امتلاك مجموعة سفن تحت إمرته وفي يونيو947 / 1540 وقع أسيراً في يد القوات المسيحية حيث استخدم في التجديف إلى سنة951 / 1544، حيث تم افتداؤه من طرف أمير البحر خير الدين باربروس. في هذه السنة كان محمد الشيخ السعدي في مسعاه إلى مضايقة الإسبان والبرتغال بالمياه المغربية يتقرب درغوث بالهدايا محاولا استقطابه بمعية الرياس المرافقين له لتخذوا من الموانئ المغربية الأطلنتيكية مراكز لعملياتهم الجهادية.

وبعد ذلك نسجل غيابا لسيرة درغوث في المياه المغربية، لانتقاله إلى جزيرة جَرْبَة بتونس التي اتخذها قاعدة لعملياته، واهتمامه بالمساهمة في فتح ولاية طرابلس سنة 959 / 1551 ، ثم تنصيبه بايلرباي عليها سنة 961 / 1553، ولن يعود اسمه إلى الظهور في أقصى الغرب الإسلامي إلا في سنة965 / 1557 ، أثناء توتر العلاقات المغربية العثمانية، حيث راجت إشاعة في قيامه على رأس اسطول مكون من أزيد من مائة وخمسين سفينة بمهمة تفحص موانئ المغرب واحتلالها، بعد أن قامت بعض السفن العثمانية بجولات استطلاعية همت أساساً ميناءي بادس وسلا. وهو ما أقضّ مضاجع السلطات المغربية والإسبانية والبرتغالية.

لكن هذه الإشاعة لم تتحقق نتيجة تمكن سليمان القانوني من القضاء على خصمه محمد الشيخ، واهتمام درغوث بتثبيت السلطة العثمانية في ولاية طرابلس التي ظل على رأسها إلى حين استشهاده في حصار مالطا سنة 973 / 1565.

أندري روسي، *طرابلس تحت حكم الإسبان*، ص. 58-59.

حسن أميلي

**الدرفوفي، محمد** بن محمد الوجدي. ولد سنة 1336/ 1917 وكان من المجاهدين الذين ذاع صيتهم خاصة بمدينة وجدة حيث تعرض للاعتقال والنفي العديد من المرات.

وغداة اندلاع المقاومة المسلحة بالمدينة لعب محمد الدرفوفي دوراً كبيراً حيث قام بتأسيس خلايا للمقاومة وتوجيه أفرادها للقيام بالعمليات الفدائية والتنسيق بينها وبين خلايا المدن المجاورة. وقد أفزع نشاطه هذا المستعمر الذي حاول الإيقاع به ومساومته دون جدوى وهو الوطني الغيور الفدائي البطل.

فلم يبق أمام الإدارة الاستعمارية إلا القضاء عليه بأية وسيلة، فقامت بتسميمه وهو في السجن بواسطة عملية تلقيح مشبوهة نقل على إثرها إلى مستشفى كوكار بفاس. "وذكر لي بعض من كان معه في السجن أن الدرفوفي المذكور كان هو المكلف بجميع الأشياء في السجن وأن من طلبه يستجيب له كأنه خادم لهم ولا يترك أحداً منهم يتناول شيئاً، وهو آخر من ينام وأول من يستيقظ منهم ولا تسمع من فيه إلا نعم" (*موسوعة*، 6 : 3297) ـ.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع النبوي عام 1374 / 8 نونبر 1954 توفي محمد الدرفوفي وهو في طريقة من

المستشفى بفاس إلى وجدة (على بعد نحو 30 كلم منها)، ودفن في غده، في مشهد حافل بالوطنيين.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 4 : 185 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع/موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، ج. 9، 1996.

**الدرقاني، محمد**، مقاوم ولد سنة 1937 بأيت محمد وعلي الحمام إقليم خنيفرة.

انخرط في صفوف جيش التحرير بالشمال منذ انطلاقته ضمن فرقة المنطقة الشرقية بمركز بوعنان تحت مسؤولية منير أحمد بن بوشعيب. وقد شارك في عدة معارك بإيموزار مرموشة والراشيدية، توفي بتاريخ 7 غشت 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، بطاقة 44 / 506.

**الدرقاوي**، أسرة شريفة تتصل سلسلة نسبهم بإدريس الأزهر باني فاس عن طريق ابنه أحمد، وجدهم القريب الذي ينتسبون إليه هو الشيخ أبو درقة محمد بن يوسف بن گنون دفين قبيلة بني ياگرين من أولاد بني رزگ في الشاوية. "كانت ديارهم الأولى قرب أسفي ومنها انتقلوا إلى شراگة قرب فاس ثم إلى بني زروال ومازالوا بها إلى الآن" (*رياض الجنة*، 2 : 71).

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ط 2، فضالة،1999، 2 : 158 ـ 160 ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، فاس، 1931، 2 : 71.

**الدرقاوي، رشيد** بن علي بن الطيب بن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. ولد بفاس عام 1327 / 1909 وبها نشأ وتعلّم على يد والده ومن في طبقته من علماء القرويين، وحصل على شهادة العالمية من القسم الشرعي صحبة رفيقه الشهيد محمد القري من القسم الأدبي في 22 حجة عام 1351 / 18 أبريل 1933 فكانا أول فوج تخرج من القرويين بعد إحداث النظام الدراسي بها.

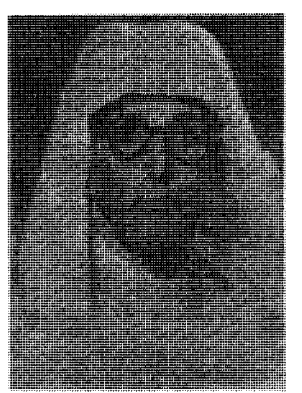

اشتغل رشيد الدرقاوي بالتدريس متطوعاً في القرويين، وعمل في صفوف رجال الحركة الوطنية في عهودها الأولى وعرف السجن والتعذيب والنفي. وكان من بين معتقلي گوليمة بالصحراء في رمضان عام1356 / نونبر 1937 بعد المظاهرات العنيفة ضد السيطرة الاستعمارية ونفي الزعماء واعتقال العديد من الوطنيين في مختلف أنحاء المغرب.

وقد اتهمه الفرنسيون هو ورفيقه محمد إبراهيم الكتاني بالتعاون مع دول المحور وقُدما للمحكمة العسكرية بمكناس فحكت عليهما بالسجن لمدة عامين، والنفي خمسة أعوام، ومصادرة أملاكهما. ذكره أكثرَ من مرة رفيقُه في سجن گوليمة المجاهد المرحوم محمد إبراهيم الكتاني في كتابه من *ذكريات سجين مكافح*، ووصف ما لقي المترجم له من تعذيب مُميت على يد السجانين الجلادين الذين كانوا يزعجون السجناء الوطنيين قبل الفجر للخروج إلى الأعمال الشاقة، وينهالون عليهم بهراويهم الغليظة ضرباً وشدخاً طوال اليوم تحت الشمس المحرقة. ويوم الجمعة 22 رمضان 1356 / 26 نونبر 1937، كان رشيد الدرقاوي قد أصيبت رجله "بفكاك" لا يستطيع الوقوف عليها، ومع ذلك اقتاده الجلادون في جملة السجناء بنفس السرعة والعنف "فسقط للأرض على بعد نحو مائة ميتر... واجتمع عليه مَنْ وَجَدَهُ الحالُ بالقرب منه من (الگوم) والكرسيكي فضربوه حسبما قَدَّر هو فيما أخبر به بعد ذلك أكثر من ثلاثمائة ضربة، وتكسرت اثناءها عظام رأسه وسالت دماؤه حتى أغمي عليه. ثم جعلوا يقفزون فوق بطنه وصدره، متوخين بلكماتهم القلب والكلى حتى لم يبق به حراك، وانقطع نفسه. فتركوه مكبوبا لوجهه، ورجعوا لمواصلة المذبحة".

انخرط المترجم بعد الاستقلال في سلك القضاء بالدار البيضاء، حيث ظل يزاول عمله إلى أن تقاعد وتوفى بها ليلة الاثنين 18 حجة عام 1411 / فاتح يوليوز 1991.

م. إبراهيم الكتاني، من *ذكريات سجين مكافح*، الرباط، 1977 ؛ م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدار البيضاء، 1992.

محمد حجي

**الدرقاوي، الطيب** ابن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، أصغر أبناء الشيخ. عينه أبوه قبل وفاته ليخلفه على رأس الطريقة الدرقاوية.

قضى مولاي الطيب حياة هادئة محترما من الجميع ومتجنبا كل ما من شأنه أن يقلق بال المخزن إلى أن لقي ربه. وهو الذي أخذ عنه الورد الدرقاوي عمّنا الفقيه المقدم محمد بن الطاهر بن الحبيب الشياظمي الحاجي السباعي،

حين كان طالباً للعلم بالقرويين بفاس. ويقول الناصري في *الاستقصا* : "في فجر يوم الجمعة الثامن من جمادى الأولى من سنة 1287 / 10 غشت 1870، توفي الولي الصالح الناسك السني أبو عبد الله محمد الطيب ابن الشيخ الأشهر مولاي العربي الدرقاوي ودفن بمحل زاويته بأمجّوط من بلاد بني زروال، وكان من خيار عباد الله على غاية من التقوى والورع والتواضع مع الناس، يركب الحمار ويلبس الجبّة ولا يتميز عن أصحابه بشيء، مع السكينة والوقار وعدم الخوض فيما لا يعني والإعراض عن زهرة الدنيا وأهلها".

أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ *سلسلة مدن وقبائل المغرب*، ج. 10، دكالة، تر. م. الشياظمي.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

محمد الشياظمي

**الدرقاوي، عبد الرحمن** بن الطيب ابن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. عالم صوفي وأستاذ مقري. من أهل المجد والفضل والتواضع والكرم. استوطن الزاوية الدرقاوية بسلا في حي باب حساين منقطعاً لأخذ العلم، فقرأ على العلماء السلويين محمد العربي بن سعيد، ومحمد المكي الصبيحي وأحمد بن خالد الناصري وعبد الله ابن خضراء وغيرهم.

ثم رجع إلى مسقط رأسه في أمجّوط حيث عاش معلماً ومربياً، "ساعياً في قضاء حوائج الناس وإصلاح ذات البين وإخماد الفتن وجمع الكلمة على طاعة المخزن مع نباهة القدر والجاه العريض وتعظيم الخاصة والعامة" (*رياض الجنة*، 2 : 72).

توفي بمسقط رأسه أمجّوط ببني زروال يوم الأربعاء 27 جمادى الأولى عام 1346 / 23 نونبر 1927.

ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، فاس، 1931، ج 2، 71 ـ 72 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال / موسوعة المغرب*، بيروت، 1996، ج 8، 2967 ـ 2969.

محمد حجي

**الدرقاوي، العربي** (مولاي -) الشيخ أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد بن الحسن بن سعيد الحسني، المعروف بمولاي العربي الدرقاوي. شيخ الطريقة الدرقاوية الشهيرة ومؤسسها. ولد ببني زروال في بلاد جبالة عام 1150 / 1737 ويذكر البعض أن أحد أجداده المعروف ببودرقة مدفون في بني ازگ ببلاد الشاوية.

ينتمي مولاي العربي إلى الشرفاء الأدارسة. أخذ التصوف عن أستاذه الصوفي الكبير مولاي علي بن عبد الرحمان العمراني الفاسي، المدعو بالجَمَل، المشهور بسعة اطلاعه وحميد خصاله والمتوفى سنة 1239 / 1823.

وبعد ذلك أسس مولاي العربي طريقة صوفية جديدة ببوبريح من بلاد جبالة، وهي الطريقة الدرقاوية التي تستمد مذهبها من تعاليم الإمام الشاذلي. ولم تلبث هذه الطريقة أن نالت نجاحاً باهراً في الحواضر والبوادي على السواء، وانخرط فيها عدد كثير من المريدين في المغرب والجزائر.

ولم يلبث نشاط مولاي العربي أن تجاوز بسرعة الميدان الروحي لينفذ إلى الميدان الدنيوي، رغم كونه كان يقول : "ما طلب أحد السلطة الدنيوية إلا هلك !"

وعمل السلطان مولاي سليمان على توجيه هذه القوة الصاعدة واستخدامها لصالحه، فبالغ في مجاملة مولاي العربي وكلفه ببعض المهام، فأرسله في المرة الأولى في بعثة إلى أخيه مولاي مسلمة الذي كانت قد تمت بيعته سلطاناً على المغرب في سنة 1207 / 1792 أثناء التمرد الذي شنّه شرفاء جبل العَلَم وبعض قبائل جبالة.

وبعد ذلك بعدة سنوات، دعت الظروف السلطانية مولاي سليمان إلى استخدام درقاوة من جديد في إنجاز قضية بالغة الأهمية، وهي أن بعض القبائل العربية ثارت على باي وهران بتحريض من المقدم الدرقاوي المحلي المدعو أبا محمد عبد القادر بن الشريف *البليتي*، احتجاجاً على تنفيذ حكم الإعدام في أحد أتباع الطريقة، وكان ذلك في عام 1217 / 1802 وتغلب الثوار في العديد من المعارك على الجيوش التركية إلى حدّ أن داي الجزائر طلب من السلطان مولاي سليمان أن يستخدم مولاي العربي في تهدئة أتباعه، فأسرع السلطان إلى تلبية هذه الرغبة، خصوصاً وأنه كان قد حصل في سنة 1795 على انسحاب الأتراك من وجدة وكان يتحيّنُ الفرص لتقوية الثغور الشرقية للإيالة الشريفة.

ذهب مولاي العربي إلى تلمسان واستمع لشكاوى أتباعه، لكنه بدل أن يساعد باي وهران على بلوغ مراده، انحاز إلى الثوار ودافع عنهم، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فأخذ البيعة لمولاي سليمان من سكان مدينة تلمسان وسمح لهم بقراءة خطبة الجمعة في مساجد المدينة باسم سلطان المغرب، ولما أطلع مولاي العربي السلطان على هذه الأحداث لم يستنكرها بل بعث إلى الشيخ مولاي العربي برسالة يشكره على عمله، وفي تبك الأثناء بعث أهل تلمسان وفداً إلي المولى سليمان غير أن الأتراك ثارت ثائرتهم وأخفوا يهددون، فاضطرّ السلطان لمقتضيات سياسية إلى استنكار العمل الذي قام به مبعوثه مولاي العربي، وأرسل مبعوثاً آخر إلى تلمسان لإعادة المياه إلى مجاريها. وهكذا تخلى عن ناحية وهران حيث كان في استطاعة الأتراك التدخل بقوة ليتمكن من المحافظة على الواحات الصحراوية. وأمام إلحاح السلطان الشديد، اضطر مولاي العربي إلى التنديد بأعمال المقدم أبي محمد عبد القادر بن الشريف البليتي، وقيل إن مولاي العربي الذي أزعجه طموح هذا المقدم وميله للأبهة والبذخ أشار إلى

السلطان بسحب الرعاية التي كان قد أسبلها عليه...

ومهما يكن من أمر فإن العلاقات التي كانت قائمة بين السلطان وبين شيخ الطريقة الدرقاوية أخذت تفتر بعد هذه الأحداث. ومما لا شك فيه أن التغيّر المفاجئ الذي ظهر على السلطان كان له تأثير على نفسية مولاي العربي، ثم أصبحت العلاقات بين المخزن والشريف الدرقاوي سيئة للغاية حينما شرع السلطان في شن حملة على المتصوفة والتنديد علنيا بالأعمال التي تقوم بها الطوائف...

اتخذ بعد ذلك مولاي العربي موقفا معاديا للسلطان وثار أتباعه من البربر وكبّدوا جيوش المخزن الهزيمة تلو الهزيمة، كما أسروا سنة 1234 / 1818 في معركة زيان السلطان مولاي سليمان لعدة أيام وجرحوا فيها جروحاً مميتة ابنه الأمير مولاي إبراهيم.

وفي السنة التالية حاصرت حشود البربر مدينة مكناس تحت قيادة أبي بكر أمهاوش من أتباع الطائفة الدرقاوية. وفي سنة 1236 /1820 ، وقّع مولاي العربي والحاج العربي الوزاني شيخ طائفة وزان بفاس مع جماعة من أعيان هذه المدينة على وثيقة قرروا بمقتضاها خلع السلطان مولاي سليمان ومبايعة مولاي إبراهيم ابن السلطان السابق مولاي اليزيد.

لقد كان هذا التواطؤ الذي حصل بين أهل فاس وبربر الأطلس المتوسط وأتباع طريقتين دينيتين كبيرتين من الخطورة بمكان على السلطان، الشيء الذي جعل الكثير من الناس لا يشكون لحظة في انتصار المتمردين ؛ غير أن حدثاً لم يكن في الحسبان أنقذ بأعجوبة السلطان مولاي سليمان، وهو أن مولاي العربي الدرقاوي كانت قد أخذته نشوة الانتصار فذهب بنفسه، دون اتخاذ الاحتياطات اللازمة، إلى جيش عرب الأودايا الذين كانوا يمثلون بعض ما تبقّى من الجيوش التي ظلت وفيّة للسلطان المخلوع، بقصد استمالتهم وضمّهم إلى الحركة التي كان يتزعمها، غير أن هؤلاء العرب قبضوا على مولاي العربي وسلّموه لمولاي سليمان فأودعه السجن.

ومنذ ذلك الحين، ظل أبناء مولاي العربي الصغار يتردّدون على السلطان مولاي سليمان ساعين في خلاص والدهم من الأسر دون جدوى. يقول الناصري في *الاستقصا* : "وقدم على مولاي سليمان أولاد الشيخ أبي عبد الله سيدي العربي الدرقاوي صبية صغاراً يشفعون في أبيهم ليسرحه لهم، فوصلهم وكساهم وقال لهم : والله ما سجنتُه ولا أمرت بسجنه، ولكن اتركوه، فسيُسرّحه الله الذي سجنه !"

وظل مولاي العربي سجيناً إلى ما بعد وفاة المولى سليمان، وكان قد بلغ من الكبر عتيا وأنهكه المرض فأطلق سراحه السلطان مولاي عبد الرحمان، فقضى نحبه سنة 1239 /1823 . ولم يخلف سوى *رسائل في التصوف*، قدم لها الشيخ أحمد ابن الخياط وطبعت على الحجر بفاس.

العربي الدرقاوي، *رسائل*، ط. حجر فاس، 132 ؛ تقديم أحمد ابن الخياط الزكاري ؛ *سلسلة مدن وقبائل المغرب*، ج10، *دكالة*، تر. م. الشياظمي ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956.

G. Dragué, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

محمدالشياظمي

**الدرقاوي، عزيز** محمد بن علي بن الطيب بن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. اشتهر بلقبه عزيز. وهو أكبر أولاد شيخ القرويين علي الدرقاوي آتي الترجمة. كان حافظاً للقرآن الكريم عارفاً برسمه وتجويده. ولما أسست كتلة العمل الوطني في أعوام الثلاثين "كان من أول رجالها ودافع بماله وقوته وإيمانه. ولـمّا سجن الوطنيون المرة الأولى بمدينة تازا سنة1349 / 1930 ، كان من أولهم مع الزعيم محمد بن الحسن الوزاني والزعيم علال الفاسي..." (*إتحاف المطالع*).

توفي بفاس في عشري شوال عام 1377 / 10 ماي 1958 ودفن بالقباب فوق الطريق المحدثة بنحو ثلاثة أو أربعة أمتار.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9، 3332.

محمد حجي

**الدرقاوي، علي** بن **أحمد** بن محمد السوسي الإلغي من أساطين الطريقة الدرقاوية بسوس، انتشرت على يديه انتشاراً واسعاً في ربوع تلك البلاد فكثر أتباعها ومريدوها بفضل همة هذا الشيخ وتفانيه في سبيلها.

كان والد المترجم له رجلاً أمياً بينما كان جده حافظا لكتاب الله، ولهذا تولى الجد العناية بالحفيد، فأدخله إلى الكتّاب ليحفظ القرآن. وقد كان الجد يراجع معه سور القرآن في البيت إلى أن استكمل حفظ القرآن الكريم. ثم أرسله إلى مدرسة تنالت عند الأستاذ محمد بن بلقاسم اليزيدي فقرأ عليه المبادئ الأولية في العلوم العربية والشرعية، ثم إلى مدرسة تانْكرْت بإفران، فمكث بها أربع سنين. ولما زار الشيخ سعيد المعدري مقدّم الطريقة الدرقاوية بسوس، تانكرت، اتصل به المترجم وأعجب به فأخذ عنه الورد الدرقاوي، ولزمه أياماً ثلاثة تمكنت فيها الدرقاوية من عقله وقبله، مما جعله يصاحب الشيخ المعدري في سياحاته تاركاً الدراسة وهو في وسط الطريق.

رجع المترجم إلى ميدان الدراسة بإلحاح من أهله فالتحق بمدرسة أدوز عند الأستاذ محمد بن العربي الأدوزي.

لم تنقطع صلة المترجم بشيخه سعيد المعدري طوال الفترة السابقة، فقد كان يزوره بين الفينة والأخرى، ويجد في نفسه حنيناً إلى التصوف، وبقي على هذه الحال إلى أن

جاءته رسالة من الفقيه الحسن التاموديزتي الذي تجرد وانقطع بزاوية المعدر، يدعوه فيها إلى الالتحاق به لينخرط في سلك الفقراء الدرقاويين.

استقر المترجم أخيراً في إلغ - بعدما رفضت أمه السماح له بالاستقرار بالمعدر - فشرع في تأسيس زاويته هناك بدءاً من أواسط شوال 1302 وتصدر فيها للمشيخة وتربية المريدين الدرقاويين، وتزوّج للمرة الأولى.

إن العوامل الثلاثة السابقة : بناء الزاوية، والتصدر للمشيخة، والزواج، جعلت الشيخ عليا الإلغي ينصرف كلية إلى الطريقة الدرقاوية، فأعطاها كل وقته وكل جهده وطاقته. وبهذا سيدخل الشيخ مرحلة جديدة من مراحل حياته. سينفض عنه أردية الخمول، ويقوم بأمر الزاوية والفقراء بهمة عالية لا تعرف الكلل، وبجد واجتهاد لا يعرفان الملل. كما كان بين الفينة والأخرى يقوم بالسياحة لتفقد أحوال الفقراء الدرقاويين المنتسشرين بمختلف نواحي سوس : تانكرت، مجاط، تامانارت، أقّا. وتاقت نفس الشيخ إلى بيت الله الحرام ومقام النبي صلى الله عليه وسلم فأعمل الرحلة إلى هناك سنة 1305. وقد مكنه هذا السفر إلى المشرق من لقاء كثير من العلماء والشيوخ والمتصوفة في مختلف المناطق التي مرَّ بها واستفاد منهم كثيراً ما يروج هناك من أفكار وقضايا، كما اطّلع على ممّا كان يروج في العالم العربي من أفكار ودعوات إصلاحية. ووقف على مدى التقدم الهائل الذي تعرفه بعض المدن الأوربية التي عرج عليها. وهذا كله سيزيد من معارف الشيخ بقضايا أمته ودينه.

ونظراً لأهمية هذه الرحلة فإنه قد خلّدها بنظم تجاوز 1800 بيت عرض فيه لمراحل الرحلة، والمدن التي مرَّ بها، والعلماء الذين لقيهم، كما استرجع فيها جوانب من مراحل حياته السابقة. وقد هذب ابنه محمد المختار السوسي هذا النظم ونشره تحت عنوان : *أصفى الموارد في تهذيب نظم الرحلة الحجازية للوالد.*

لما رجع الشيخ من حجته استمر على حالته السابقة، بين إقامة بالزاوية متفقداً أحوال الفقراء المستقرين والزائرين، وبين سياحات يعملها إلى مختلف ربوع سوس مرشداً وناصحاً ومعلماً وملقناً الورد الدرقاوي. كما أنه في هذه المرحلة تزوج بزوجتيه الأخريين كانت ثانيتهما هي رقية بنت شيخه محمد ابن العربي الأدوزي التي قامت بتعليم البنات والنساء بالدار.

تعد هذه المرحلة أخصب مراحل حياة المترجم ففيها تم تألق نجمه، وذيوع صيته، فكثر أتباعه، وانتشرت الطريقة على يديه انتشاراً واسعاً. وألف عدداً من الكتب ذكرها ابنه محمد المختار السوسي هكذا :

- ترجمة *ربع العبادات* من مجموع الشيخ الأمير إلى اللسان الشلحي.
- *عقد الجمان في آداب الطريق.*
- ترجمة *الحكم العطائية* نظما باللسان الشلحي.
- *المبدئ والمعيد في أخبار الشيخ سيدي سعيد.*
- *مؤلف في الطب.*
- *رحلته الحجازية المنظومة.*

توفي الشيخ علي الدرقاوي في نهاية سنة 1328 / آخر 1910.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج1 ؛ *الترياق المداوي في أحوال الشيخ سيدي علي الدرقاوي* ؛ الأكراري، *روضة الأفنان*، تح. حمدي أنوش.

محمد الحاتمي

**الدرقاوي، علي بن الطيب** بن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. ولد بأمجوط ببني زروال، ومات أبوه وهو صغير فانتقل بعد أن حفظ القرآن إلى مدينة فاس ودخلها عام 1301 / 1883 طلباً للعلم، فأخذ عن كبارشيوخ القرويين أمثال الحاج صالح التادلي، وعبد الله بن حمدون بناني فرعون، ومحمد بن التهامي الوزاني وعبد المالك العلوي الضرير، ومَحمد بن قاسم القادري، وأحمد ابن الخياط الزكاري وأحمد ابن الجيلالي الأمغاري وغيرهم.

ثم رحل إلى المشرق سنة 1314 / 1896 لأداء فريضة الحج، وأخذ عن أعلام مصر والحرمين الشريفين. وبعد رجوعه استقر بمدينة فاس متصدراً للتدريس، فأخذ عنه جم غفير من الطلبة. ولم يكن يذهب إلى أمجوط لصلة لرحم بأقاربه إلاّ أيام المواسم التي تقام هناك في فصل الخريف من كل سنة "وقد رزقه الله حلاوة في التدريس وعبارة يقرب بها الفهم لكل طالب كيفما كان، وكان في جل دروسه يختار الأمور العالية.... وأعزُّ ما عنده المذاكرة، فكان يذاكر أهل كل فن في فنهم، فإذا ذاكرته في أي فن تجده كأنه متخصص فيه" (*سل النصال*).

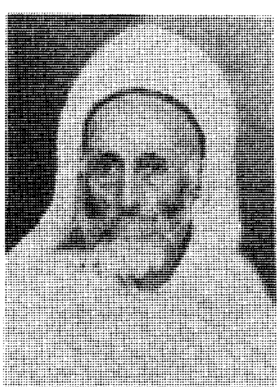

أُدرج على الدرقاوي في طبقة العلماء بفاس من غير طلب منه، وأسندت إليه الإمامة بأحد مساجد حومة العيون، وكان يعيش باقتصاد من ربع أصول ورثها عن أبيه وجده. ولما أدخل النظام إلى القرويين عام1350 / 1931 عُيِّن المترجم له بالقسم الأول الأدبي، فلم يقبل ذلك

إلا بإلحاح من أقرانه وطلبته، وبقي قائماً على التدريس داخل النظام إلى ما قبيل وفاته بنحو سبعة أشهر، حيث ذهب إلى مسقط رأسه أمجوط، وكان يحب أن يدفن بين أهله بالقرب من والده، ومكث هناك إلى أن وافته المنية بعد أذان العشاء من يوم الاثنين رابع ذي القعدة عام 1365 / 30 شتنبر 1946.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9، 3211ـ3213.

محمد حجي

**الدرقاوي، محمد** بن **عبد الرحمان** الحاحي، فقيه صوفي ينحدر من أسرة مشهورة في قبيلة ايداوتغما الحاحية بدراسة وتدريس العلوم العربية بعد حفظ كتاب الله العزيز.

بعثه عمه القاضي مبارك إلى سوس لينهل من حياض العلم والتصوف والأدب عند فطاحل علمائه المشهورين آنذاك أمثال محمد بن العربي الأدوزي الذي أخذ عليه علوم اللغة والفقه والتفسير والتصوف، كما أخذ عن قطب عصره السيد الحاج الحسين بن مبارك التمدوزتي التربية الصوفية سلوكا وكان يستعين به عند ترجمته للشيخ (خليل) إلى الأمازيغية لتكوين المريدين، وعندما عاد الفقيه الصوفي محمد بن عبد الرحمان إلى قبيلته ايداوتغما الحاحية تصدر للتدريس والإفتاء وفض الخصومات بين الناس وتلقين المريدين الطريقة الدرقاوية الصوفية التي اشتهر بالنسب إليها، فاستكتبه القائد سعيد الگيلولي بتمنار واتخذه مستشاره في حله وترحاله واصطحبه في غزوه لسوس إلى تزنيت، كما أرسله القائد سعيد الگيلولي نيابة عنه في حركة أحمد الهيبة إلى مراكش (1331 / 1912).

وبعد عودته من حركة أحمد الهيبة تفرغ للتدريس وتربية المريدين تربية صوفية على الطريقة الدرقاوية. ومازالت رسائله متداولة بين المهتمين العارفين بقيمتها الفنية، وتمتاز بجودة الخط وجزالة اللفظ والإيجاز في التعبير كما في النماذج المتوفرة لدينا وقد لزم الفقيه محمد ابن عبد الرحمان مدرسة قبيلة أيت أمر العلمية طيلة العقد الأخير من حياته ونال حظوة لدى رئيسها سعيد تيكزيرين واشترى أملاكاً بجوار المدرسة فأصبح تامريا بالسكن، ورزق أولاداً نجباء اشهرهم السيد الحسين الدرقاوي الذي خلف بدوره عدداً من الأساتذة شاركوا في مختلف أسلاك التعليم الثانوي والعالي مما يدل على أن هذه الأسرة أعطت وما زالت تعطي في ميادين العلم والعرفان، وان فات روادها أن يؤلفوا الكتب فانهم قد ساهموا في تأليف القلوب والعقول.

م. المختار السوسي، *رحلة من الحمراء إلى إيليغ*، مخطوط، ص. 60 ؛ الحسين بن محمد الدرقاوي، *ترجمة الوالد* في حوالي 24 صفحة، مخطوط.

محند أيت الحاج

**الدرقاويّة** (الطريقة -) تأسست في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م) على يد الشيخ محمد العربي بن أحمد بن الحسن الدرقاوي، الشريف الإدريسي المعروف بمولاي العربي الدرقاوي، المولود في قرية بوبريح ببني زروال من بلاد جبالة سنة 1150/ 1737.

تستمد الطريقة الدرقاوية مبادئها من تعاليم الإمام الشاذلي. وقد تلقى مولاي العربي الدرقاوي، علم التصوف على يد شيوخ عديدين، معتمدُه منهم الصوفي الكبير مولاي علي بن عبد الرحمان العمراني الفاسي، المدعو الـجَمَـل، المشهور بسعة إطلاعه وحميد خصاله والمتوفى بفاس سنة 1239/ 1823.

نالت الطريقة الدرقاوية نجاحا باهرافي مختلف الأوساط في الحواضر والبوادي على السواء، وعلى الخصوص في القبائل البربرية، وأخذت تنتشر على حساب الطريقة الناصرية التي ظل الإقبال عليها شديداً طيلة أزيد من قرن كامل. وانخرط في الطريقة الدرقاوية عدد كثير من الناس من المغرب ومن الأقاليم الجزائرية التي كانت خاضعة لسلطة البايات الأتراك. وأخذت أفواج الأتباع تتوافد على بوبريح لتلقي الورد من مولاي العربي الولي الجديد. وكان من بين الأتباع أشخاص صلحاء أذكياء يتحرقون شوقا ليصبحوا بدورهم شيوخا، فكانوا حينما يعودون إلى ديارهم يؤسسون زوايا تابعة لزاوية بوبريح الأم.

كان مولاي العربي قد عين قبل وفاته أصغر أبنائه وهو مولاي الطيب ليخلفه على رأس الطريقة الدرقاوية. وقضى مولاي الطيب حياة هادئة محترما من الجميع ومتجنبا كل ما من شأنه أن يقلق بال المخزن إلى أن توفي سنة 1287 / 1870 فخلفه على رأس الزاوية الدرقاوية ابنه عبد الرحمن ثم محمد بن عبد الرحمن ثم ابنه أبو بكر.

تفرعت عن الطريقة الدرقاوية طرق كثيرة أسسها مريدو الشيخ مولاي العربي الدرقاوي الآخذون عنه مباشرة أو بواسطة، وأشهرها :

- الطريقة الدرقاوية البدوية بفاس، أسسها الشيخ أحمد البدوي زويتن الفاسي (انظر البدوي) وتفرعت عنها بدورها زوايا كثيرة، خاصة بتافيلالت كزاوية كوز، وزاوية رحمة الله، وزاوية ايماسين دادس، وزاوية فركلة، وزاوية گدارة، وزاوية فضل الله.
- الطريقة الدرقاوية البوزيدية أسسها محمد بن أحمد البوزيدي (انظر البوزيدي) بتيكيست على حدود بني زيات وبني زرع، ببلاد غمارة. ويعتبر محمد البوزيدي أول من تتلمذ للشيخ مولاي العربي الدرقاوي، ولم يخلف ذرية فأوصى قبل وفاته بريع زاويته للزاوية الأم ببوبريح، وأشهر أتباعه الشيخ أحمد بن محمد بن عجيبة من أهل أنجرة وحفيده أحمد بن الحاج عبد القادر بن عجيبة.
- الطريقة الدرقاوية الحراقية أسسها الشيخ محمد بن محمد الحراق بتطوان (انظر الحراق) المشهور بأشعاره

وموشحاته وأزجاله الصوفية التي تنشد بأنغام الطبوع الموسيقية. ولهذه الطريقة زوايا في كثير من المدن المغربية، ومن أشهر أتباعها محمد العربي الدلائي دفين الدار البيضاء.

• الطريقة الدرقاوية الدباغية بفاس، أسسها الشريف الإدريسي عبد الواحد الدباغ (انظر الدباغ عبد الواحد) من كبار تلامذة الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. ومن أشهر أتباع الدباغ الشيوخ أبو بكر بناني بالرباط وعبد السلام الفكيگي بفاس، ومحمد المهدي بن محمد ابن القاضي.

• الطريقة الدرقاوية الغمارية بالريف، قام بتأسيس هذا الفرع بتوشكان ببلاد بني منصور في غمارة الحاج أحمد بن عبد المومن الغماري، أحد تلامذة مولاي العربي الدرقاوي. ومن أشهر أتباع هذه الطريقة أحمد أيوب الفاسي شيخ عبد الواحد بناني الفاسي، والحاج محمد الربيع الفاسي شيخ سيدي أحمد بن الخياط الزكاري ومحمد برادة. وكان لسيدي الحاج أحمد بن عبد المومن ولد هو الحاج الصديق توفي بتوشكان سنة1334 / 1915 وخلفه ولده الحاج محمد الذي كان مقدما للزاوية الدرقاوية بطنجة إلى أن توفي سنة 1936 وخلفه ابنه أحمد بن محمد الصديق.

• الطريقة الدرقاوية الفاسية أسسها الشيخ محمد الفاسي الذي توفي بمكة المكرمة. وهو من تلاميذ الشيخ محمد بن الحسن بن حمزة الظافر الذي تتلمذ بدوره على الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وأسس الطريقة المدكانية.

• الطريقة الدرقاوية الزرهونية أسسها مالك الزرهوني تلميذ مولاي العربي الدرقاوي، وأشهر مريديه محمد بن علي كرمات بزرهون، والحسين الزرهوني الذي استقر بدكالة، والعياشي أبو شمامة بمكناس.

• الطريقة الدرقاوية المهاجية بالجزائر، أسسها الشيخ بوعزة المهاجي الذي تكون على يده الشريف الوكيلي محمد القدور من قبيلة كركر بالمغرب الشرقي . وتتلمذ لهذا الشريف الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمان الهبري من عائلة أولاد بوعزة المرابطية القاطنة بضفة وادي گيسر من قبيلة بني خالد ببني يزناسن. وللهبري أتباع كثيرون بالجزائر، أشهرهم محمد البودالي مؤسس زاوية العيون بالبرانيس، وحمو البوزيدي شيخ ابن عليوة مؤسس الزاوية الجديدة بناحية وهران زاوية العليويين. ومحمد بن يَلّس التلمساني، شيخ الغوتي التلمساني. وتأسست كذلك في الجزائر فروع أخرى للطريقة الدرقاوية، منها :

زاوية بوشنتوف بن عبد الله.
وزاوية غيلان أحمد ولد عدة من أولاد الأكرد بتيارت
وزاوية ابن إبراهيم الحاج مصطفى بن محمد
وزاوية عبد القادر بن علي بكاشرو
وزاوية محمد بن أحمد الحرشاوي بتلمسان
وزاوية سليمان بن جنان بسيدي بلعباس.

• الطريقة الدرقاوية السوسية، أسسها الشيوخ سعيد المعدري مقدم زاوية المعدر، والحسن التاموديزتي، والشيخ علي بن أحمد الدرقاوي والد الشيخ محمد المختار السوسي، ومحمد بن عبد الرحمن الدرقاوي في قبيلته إداوتُغما الحاحية، وغيرهم.

• الطريقة الدرقاوية الشياظمية بدكالة، أسسها المقدم محمد الشياظمي بعد رجوعه من فاس إلى مدينة الجديدة حوالي سنة 1293 / 1876 فكان يجتمع بالفقراء الدرقاويين كل مساء قي زاوية درب الطويل، وهي من تأسيس الشيخ محمد الزوين العبدي (ت. 1281 / 1864) فكانت شخصية المقدم محمد الشياظمي القوية والثقة التامة كان يتمتع بهما لدى شيوخ الطائفة الدرقاوية من العوامل التي ساعدت على النهوض بهذه الطريقة، وجعلتها تنتشر في نواحي دكالة انتشاراً واسعاً لم يسبق له مثيل، حتى دُعيت بالطريقة الدرقاوية الشياظمية.

أ. ابن الخياط الزكاري، *تقديم رسائل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي*، ط. حجر فاس،1318؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء،1956 ؛ *سلسلة مدن وقبائل المغرب*، الجزء 10، *قبائل دكالة* ؛ م. الشياظمي، تر. الفقيه المقدم سيدي محمد الشياظمي الحاجي السباعي، مخطوط.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

محمد الشياظمي

**دَرْقَة**، كتلة جبلية تقع شمال تطوان، وهي منتمية إلى ما كان يعرف بجبال مجسكة الممتدة من جبل موسى شمالا إلي جبل أيشقار أو جبل دَرْسَة المشرف على مدينة تطوان جنوبا، وكتلة الدرقة على العموم هي القسم الهضبي المرتفع (بين 400 و632 م) المتصل من جهة الشمال بكتلة جبل الفتح المهر.

يعود أول علمنا بهذا الاسم إلى ما ذكره أبو عبيد الله البكري في القرن الخامس (11 م) فقد جعل حدوده الجنوبية منتهية بإشراف جبل أيشقار، وهو نفس المكان المعروف حالياً بجبل دَرْسَة (مركز البث لإذاعة تطوان الجهوية). وأشار من جهة أخرى أن جبل درقة متصل ببلاد غمارة، يسكن آخره من غمارة بنو حسين بن نصر. والمسافة بينه وبين مدينة تطاوين لا تتجاوز حسب مصطلحات الوقت "السكة الواحدة". وهو في نظره في غاية المناعة، وتنبسط في أعلاه مسارح واسعة ومروج خصبة للماشية. وفي القرن الخامس (11 م) كان جبل درقة قاعدة بني مرزوق بن عون المصامدة، المستقرين بقرية صدينة، الغنية بالمياه والمزارع.

ويمثل جبل الدرقة القديم على عهد الحماية الفرقة المسماة في السجلات الإدارية بالحوز الصديني، ويبدو أن عدد كوانين الحوز بلغ حوالي سنة 1930 نحو 557 كانون، تمثلها تجمعات قرى العلوية، وبني عمران والكدان وترانتث وسمسة وواد أكلا وجعابق وصدينة. أما في الوقت الراهن فهي محددة بشريا بقرى العلوية والمسحر وسمسة والواديين

ومرزوقة وأسرور وبني عمران وأبو نزال وفندلاوة وصدينة.

ولجبل درقة تاريخ في حركة مقاومة الوجود البرتغالي بسبتة منذ استقراره بالمدينة، إذ أنه كان مركز الحملات الجهادية المنطلقة نحو سبتة خلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري (15 م)، قبل تجديد مدينة تطوان من لدن الأندلسيين المهاجرين بمساعدة باقي قرى مجسكة العليا. فالجبل كان مستقر رئيس المجاهدين عب (عبد الله) محمد المترعم لحركة الجهاد بين 1415 و1420، وهو نفس موطن أحمد بن سلام بن مرزوق الصديني المتزعم لغزوات 1429 و1430.

ولجبل الدرقة وأهله فضلُ أول انتصار بارز على القوات البرتغالية التي قادهاَ العاهل البرتغالي ألفونصو الخامس (1438 ـ 1483) حين غزا الجبل في مستهل سنة 1464 بنحو ثمانمائة من فرسانه في إطار ما سمي لديهم بحملة بني كوف أو النزعة العسكرية. كان القواد قد أعلنوا لملكهم عن تجمع سكان جبل الدرقة، بمجرد تجاوزهم واد أليلي إلى قرية العلوية، ولا حظوا إثر ذلك تزايد عددهم كلما تقدموا نحو الداخل. وحينما وصلوا إلى قرية صدينة شعروا بخطر الموقف.

ويشير الإخباري كومس إيانس دي زورارا في هذا الصدد إلى الجماعة المغربية التي اقتربت من موكب الملك متظاهرة بالمسالمة، وغايتها متر كزة على استطلاع أحوال القوات الغازية. وحينما عرض عليها الفونصو الخامس الخضوع أجابت بأنها ستبحث الأمر مع باقي القرى الأخرى. ويستطرد زورارا قائلاً : "وبعد مرور برهة ظهرت جماعة منهم بإزاء قرية صدينة، فقالت أخبروا ملككم أننا لا نريد معه إلا الحرب، ورجالها المرافقون يجذبون شعر لحاهم بأيديهم ثم يضعونها على رؤوسهم، وكأنهم بتلك الإشارة يحلفون بالانتقام في ذلك اليوم لما لحقهم منهم من الظلم وما أصابتهم على يدهم من أضرار".

ولم ينتظر أهل جبل الدرقة كثيراً، إذ أن الفرصة كانت مواتية حينما بدأ الفرسان البرتغاليون في الانحدار على مسالك السفح الجنوبي سيراً في اتجاه مدينة تطوان لقضاء الليلة هناك. فمن بين ثمانمائة فارس المرافقين للعاهل البرتغالي لم ينج منهم سوى النصف. وكانت اللحظة الحاسمة هي التي أوقعت ضون ضوارتي دي منيسيس، حاكم القصر الصغير في قبضة المغاربة، وبمقتله أفرغوا من صدورهم أعظم النقم على البرتغاليين. وفي يوم 21 يناير 1464 عاد الملك إلى سبتة متحسراً بنصف القوة التي زحف بها.


أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، باريس، 1965 ؛ ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبري بالثغور الشمالية المغربية، الرباط، 1991، أطروحة مرقونة.

Azurara, *Cronica de D. Duarte de Meneses ; Geografia de Marruecos, Protectorados y Posesiones de España en Africa*, t. 2, Madrid, 1936


حسن الفكيكي

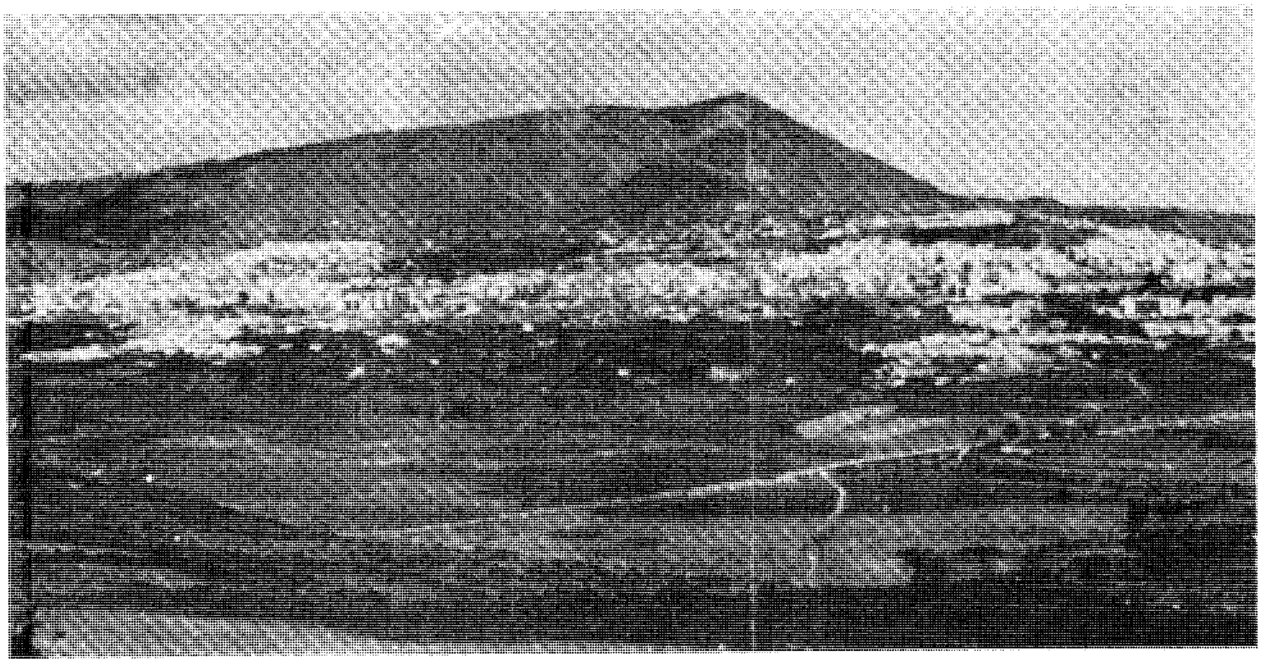

ـ جبل درسة المشرف على تطوان وهو من كتلة جبال درقة

أبو **درقة** الإدريسي ← **الدرقاوي** أسرة

**الدرهم**، قطعة فضية معلومة الوزن تسلسل استعمالها في عهود الرومان البيزنطيين والفرس الساسانين. وفي صدر الإسلام وقع تحقيق وزنها بناء على إصلاح الخليفة عمر بن الخطاب ومن بعده إصلاح عبد الملك ابن مروان الأموي لوجود نوعين من الدراهم الكبيرة والصغيرة من ثمانية دوانق وأربعة دوانق، واتُّخذ الدرهم الشرعي أوسطها من ستة دوانق، وتساوي خمسة عشر قيراطا، وحُدد القيراط بعدد من حبات الشعير، كما وقع تحديد العلاقة بين الدرهم الفضي والدينار الذهبي في هذا الإصلاح بكون "الدرهم يزن سبعة أعشار الدينار" ونعود لتوضيح مضمون هذا الإصلاح في إطار الدرهم المغربي لا حقاً.

وقد بدأ المغاربة يستعملون الدرهم وبقية النقود الإسلامية منذ مجيء الطلائع الأولى للفتح الإسلامي في منتصف القرن الأول للهجرة (7 م) سواء منها المسكوكات الأموية المضروبة في الشرق أو المسكوكات التي ضربها ولا تُهم بطنجة والأندلس، ثم بعد ذلك استعملوا الدرهم في مسكوكات الدول المغربية بدءاً من الدولة الإدريسية وسائر الدول المتعاقبة على عرش المغرب إلى اليوم، بما تخلل ذلك من استعمال نقود الدول الأجنبية ومعادلتها بالدرهم والمثقال والدينار.

إن تعدّد السكك وتداخلها واختلافها في الوزن والصفة والعيار جعل وزن الدرهم يعرف تضارباً في الزمان والمكان، بالنقص والزيادة في وزنه مما جعل سلاطين الدول المغربية يسعون دائماً إلى إصلاح هذا الوزن وتحسين هيئته وصفاء فضته.

ومعلوم أن ارتباط قيمة النقود المعدنية بوزنها تعتبر قاعدة قديمة للعملة لأن المعادن النفيسة، خاصة الذهب والفضة، تحمل قيمتها في ذاتها. فالوزن أساس في تحديد القيم.

كان تحديد الدرهم والدينار من حيث الوزن مسألة خصصها الفقه الإسلامي باهتمام بالغ نتيجة اتخاذهما وسيلة للتبادل من جهة، وارتباطهما بالأحكام الشرعية وأداء الحقوق مثل الزكاة والدية والصداق والكفارة وغيرها، فاستوعب من أجل ذلك مجال الوزن نقاشاً واسعاً بين الباحثين.

وكان تحديد وزن الدرهم ـ كما أسلفنا ـ يساوي ستة دوانق أو خمسة عشر قيراطاً، فالدانق من اللغة الفارسية وهو سدس الدرهم، والقيراط من اللغة اليونانية من وحدات الوزن وهو جزء من 24 جزءاً من أي كتلة معدنية. وكانت العلاقة بين الدرهم والدينار بحيث يزن الدرهم 15 قيراطا والدينار 22 قيراطا، فالعلاقة بين 15 و22 هي نفسها التي وقع تحديدها مِن قِبل الفقهاء بأن "الدرهم يزن سبعة أعشار الدينار".

ولما كان وزن. القيراط يساوي بين ثلاث حبات وأربع حبات من الشعير مع وجود اختلاف بين أوزان نفس الحبات بسبب اختلاف أحجامها، فقد اتفق جميع فقهاء المذاهب المالكية والحنابلة والشافعية على أن وزن الدرهم الشرعي يساوي خمسين حبة وخُمُسي حبة من الشعير الوسط (=50,4 ح) والدينار 72 حبة، ويختلف عنهم فقهاء الحنفية الذين يجعلون الدرهم سبعين حبة والدينار 100 حبة فكانت الوحدة الأساسية للوزن هي حبة الشعير في الاستعمالات الفقهية. إلى هذا الحد تعتبر المسألة غير ذات إشكال لأن الفقهاء والتجار وغيرهم وقفوا بالوزن عند حدود استعمال حبات الشعير، واتخذوا عيارات وصنوجا خاصة لمراقبة أوزان الدراهم.

وفي الفترة المعاصرة حينما أراد العالم الإسلامي توظيف وزن الكرام في تحقيق أوزان النقود بدلاً من الاعتماد على وزن حبات الشعير، صادف عسراً شديداً ابتداء من منتصف القرن الثالث عشر (19 م) وقد وقفنا على أن البلاد العربية تستعمل أوزاناً مختلفة للدرهم الشرعي على الرغم من أن الضرورة تدعو المجتمع العربي والإسلامي إلى توحيد مثل هذه المقاييس والأوزان، وخاصة تلك التي تتعلق بها الأحكام الشرعية، ففي مصر - مثلاً - حددت لجنة علمية بأمر محمد علي باشا سنة 1845 أي وزن الدرهم الشرعي في 3,0898 كرام، وفي الجزائر شاع استعمال وزن يساوي 3,125 كرام، وفي تونس استعمل وزن 2,975 كرام وفي المغرب استعملت عدة أوزان نذكر منها 2,931 كرام، وفي خضم هذه الأوزان المتباينة للدرهم الشرعي حاولنا إيجاد حل لهذا التباين والارتباك الحاصل في عدد من الوثائق والوقائع.

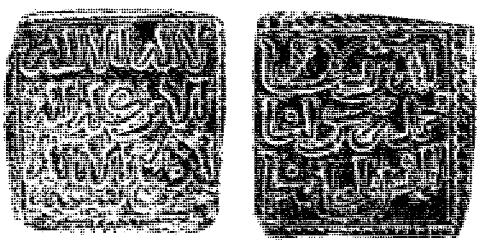

درهم موحدي مربع الشكل ضرب بسبتة

وقبل ذلك قمنا بوزن عينات من الدراهم الشرعية المنتمية لعدة عهود من مجموعات نقدية مختلفة باستعمال أحدث الموازين الإليكترونية، وكانت النتيجة غير ذات قيمة لأن المسكوكات القديمة لم تتوفر لها الدقة المتناهية في الوزن وان أي قطعة لا تحافظ على وزنها الأصلي بسبب النقص أثناء التداول . كما أخضعنا عدداً من أصناف حبات الشعير للوزن لمجرد الاستئناس.

ولما كان الأمر يتعلق بالنقود المغربية فقد عمدنا إلى ترجيح وزن الدرهم الشرعي الحسني الذي حققه السلطان مولاي الحسن أثناء إصلاح النقدي سنة1298 / 1881 حققه بناء على مبدإ الإسناد، حيث اعتمد على الوزن الشرعي المتسلسل بالإسناد عن وزن السلطان محمد بن عبد الله في إصلاحه لسنة 1766 عن وزن السلطان مولاي إسماعيل عن وزن درهم الشرفاء السعديين عن وزن السلاطين المرينيين وغيرهم من ملوك دول المغرب. ويتأكدا هذا في الظهير الحسني الصادر لمحمد بركاش ( *الإتحاف*، ج. 2، ص. 431) وقد صمم المهندسون والصاغة المغاربة بناء على هذا الإسناد "أمثلة" أولى للوزن المحقق، وما أن بدأت دار السكة في باريس تضرب القطع الأولى من النقود المغربية سنة 1881 ووصلت الدفعة الأولى من الدراهم الجديدة حتى اكتشف الأمناء خطأ تقنيا يتعلق بفساد وزن النماذج الأولى لأسباب لم تفصح عنها الوثائق، فتوقف الإصدار فوراً وجمع السلطان العديد من كبار الفقهاء والقضاة والأمناء والصاغة لتصحيح الوزن الشرعي وإصلاح النماذج الفاسدة، فصنعوا الدرهم الشرعي المحقق بكميات كبيرة أرسل منها السلطان 120 نسخة لمحمد بركاش بطنجة وعلى أساسها ضبط وزن الدرهم المغربي بدار السكة بباريس بما توفر له من وسائل ضبط الوزن الحقيق البالغ : 2,9116 غ، وقد تتبعنا كيف وقع الاعتماد على هذا الوزن والالتزام به بالمغرب بصرامة من خلال مراقبة الأمناء للسكك التي ترد من باريس، وفحص حسابات لوائح المراقبة، وكذلك بفحص القطع المضروبة بدار السكة في ماكينة فاس، وقد التزم بهذا الوزن جميع الكتّاب الأوربيين الذين أرّخوا للنقود المغربية، أمثال سيدبون Sidbon وميشوبيلير Michaux-Bellaire ومارتي Marty ودنيل أسطاش D. Eustache.

ولقد تمكنا بفضل الوزن الشرعي للدرهم الحسني وهو (2,9116غ) من تحديد ثلاثة عناصر أخرى تعتبر ضرورية لمعالجة الجوانب المبهمة من المنظومة النقدية حيث استنتجنا منه بالطرق الرياضية وزن القيراط =0,1941 غ ووزن حبة الشعير المتوسط = 0,05777، ووزن حبة الشعير المحلية (السوسية) = 0,04412 غ ( *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، ص. 13)، وعلى أساس هذه الأوزان أمكن حل كثير من مبهمات النصوص والوثائق.

ومن الوجهة التاريخية استعمل المغاربة الدرهم وحدة أساسية للعملة المغربية منذ عهد الأدارسة عبر عهود الدول التي تعاقبت على عرش المغرب. وابتدع الموحدون الشكل الهندسي المتميز "الدرهم المربع" كما ابتدعوا أوزاناً نقدية مخالفة للأوزان المعروفة بالغرب الإسلامي، وعرف المغرب منذ هذا العهد، أنواعاً من الدراهم من حيث الوزن، واستمر شكل الدرهم المربع إلى أن ألغاه السلطان مولاي رشيد العلوي في إصلاحه النقدي سنة 1666. أما من حيث الوزن فقد خضع الدرهم لتغييرات كبيرة خلال المراحل التاريخية، ففي العهد المريني عُرفت الدراهم الكبيرة والصغيرة أو الدراهم الشرعية والعرفية حتى لم يعد الدرهم وحدة للعملة في مجال الحسابات النقدية الفضية، وتخلف عن العهد السعدي استعمال المثقال وبالخصوص "المثقال الأحمدي" المنسوب لأحمد المنصور الذهبي من 2000 حبة والدرهم الأحمدي من 5 حبات، ومند العهد العلوي، وإن كان الدرهم الشرعي يحظى بإصلاحات أهمها في عهد السلطان مولاي رشيد. 1666 وفي عهد السلطان محمد بن عبد الله 1766 وفي عهد السلطان مولاي الحسن 1881، فالوحدة الأساسية المستعملة هي المثقال الفضي من عشرة دراهم شرعية، ومنذ إصلاح 1766، لم تعرف سجلات المخزن في مختلف الحسابات إلا هذه المثاقيل مصروفة بالأواقي والموزونات والفلوس النحاسية، واستمر استعمال وحدة المثقال إلى نهاية القرن التاسع عشر. وقد تعرض الدرهم في هذه الحقب إلى اختلاف هائل في الوزن والصفة والعيار ممّا جعل التجار والفقهاء والقضاة منذ القرن التاسع (15 م) يعتمدون على الوزن لفض النزاعات بين الناس في جميع السكك، فكان الدرهم يدعى درهم التعامل أو درهم العرف، أو الدرهم الصغير أو درهم الموزونة أو الدرهم المنسوب : مثل الدرهم الأحمدي والدرهم الرحماني وأحيانا يقال درهم تاريخه كل ذلك لأنه أقل وزناً من الدرهم الشرعي الذي يوصف بأنه الدرهم الكبير أحيانا أو درهم الكيل أو درهم السنة وهو قليل. ويلخص عمر الگرسيفي أسباب هذا الاختلاف بقوله "إن درهم التعامل بالبيع والشراء في الأسواق (...) غير محصور بحد، فمنه صغير وكبير ومتوسط، وسبب ذلك اختلاف أغراض الأمراء ومقاصدهم، (...) وضاربي السكة في ذلك" مما يتعلق بعض أسبابه الأخرى بقله المعادن النقدية وخاصة الفضة. وقد عرف المغرب نوعين من الدراهم : الدرهم الشرعي

الدرهم الاسماعيلي

والدرهم العرفي، وكان الدرهم العرفي أودرهم التعامل ينقسم إلى قسمين درهم التعامل بالعدد ودرهم التعامل بالوزن. كما يوضح الجدول التالي :

أنواع الدرهم
- الدرهم الشرعي (=50,4 حبة)
- الدرهم العرفي
  - درهم التعامل بالعدد (درهم / الموزونة)
  - درعم التعامل بالوزن) (درهم الصنجة) (=5 حبات)

وقد استُعملت كلمة الموزونة الفضية والقصد منها في الأصل هو ربع الدرهم الشرعي، ثم أصبحت تطلق كل قطعة فضية تنقص عن وزن الدرهم الشرعي، وبقيت كذلك إلى أن قام السلطان مولاي الحسن بجعل الموزونة عبارة عن قطعة نحاسية تساوي جزءاً واحداً من مائة جزء من الفرنك الفرنسي في بداية القرن العشرين في عهد السلطان مولاي عبد العزيز حيث يساوي المثقال المغربي 500 سنتيماً قياساً على الريال الفرنسي من خمس فرنكات.

الدرهم الحسني وربعه (الموزونة)

والتطورات الأخرى التي عرفها الدرهم المغربي الذي بقي مستعملاً كوحدة أساسية للعملة بعد الإصلاح الحسني 1881، وفي عهد الحماية استعملت العملة الفضية التي ضُربت في العهود الحسنية والعزيزية والحفيظية، وكان الدرهم قد غلب عليه اسم "البسيطة الحسنية" في تقدير صرف العملات لدى الأبناك الأجنبية لارتباطه بالريال الإسباني قبل الحماية.

ومنذ تأسيس البنك المخزني المنبثق عن مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 وقع ربط الدرهم برأسمال البلدان المتمثلة في المؤتمر المذكور، وبما أن إدارة البنك المخزني عهد بتسيرها إلى بنك باريس والبلاد المنخفضة، فأنشأ فروعاً في طنجة والدار البيضاء والصويرة وسك نقوداً سنة 1911. وفي بداية الحماية عرفت الفضة ارتفاعاً حاداً تضاعفت أثمانه نتيجة اندلاع الحرب العالمية الأولى مما جعل سلطة الحماية بالمغرب تسحب العملة الحسنية الفضية من التبادل نهائياً وأصدرت ظهير 19 مارس 1920 بإلغاء الدرهم المغربي وإحلال الفرنك المغربي كله ابتداءً من دجنبر 1921 واستمر خلال فترة الحماية إلى ما بعد الاستقلال حيث ثم التصريح لصندوق النقد الدولي بالوحدة النقدية الجديدة وهي الدرهم في أكتوبر سنة 1959. وفي سنة 1960 وعلى أساس الوحدة النقدية "الدرهم" وضع الإطار التأسيسي للسياسة النقدية المغربية المعاصرة. وتعززت سيادة المغرب وخاصة بعد تأسيس دار السكة المباشرة لعمليات الإصدار بضاحية مدينة سلا سنة 1987. وعرف الدرهم المغربي من الناحية الاقتصادية والمالية عدة تطورات خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين.


الكرملي أنسطاس، *النقود العربية والإسلامية وعلم النميات*، ط 2، القاهرة، 1987 ؛ حلاق حسان علي، *تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي*، بيروت، 1978 ؛ *حول تاريخ النقود المغربية في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين*، مجلة كلية الآداب، الرباط، عدد 23 سنة 1999، ص. 109 ـ 230 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، أگادير، 1988 ؛ *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، الدار البيضاء، 1993 ؛ ملامح من *تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود*، مجلة كلية الآداب بالرباط، عدد 18 سنة 1993 ؛ ابن الرفعة نجم الدين الأنصاري، *الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان*، دمشق، 1980 ؛ ع. الگرسيفي، *رسالة في تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة*، ملحق كتاب *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*؛ *رسالة في تحقيق أوزان النقود بسوس*، ملحق بكتاب *النقود المغربية في القرن الثامن عشر* ؛ ابن جزي، *القوانين الفقهية*، الرباط، 1962 ؛ لومبا رموريس، *الإسلام في مجده الأول*، تر. إسماعيل العربي، الدار البيضاء، 1990.

Banque du Maroc, *Caractéristiques des monnaies marocaines en argent frappées entre 1881 - 1920* (ronéotypé) ; Sidbon, B. B., *La question monétaire au Maroc*, Paris, 1921 ; Michaux-Bellaire, *Les crises monétaires au Maroc*, *R.M.M.*, vol. 38, mars 1920 ; Marty J. André, *Le franc marocain*, Paris, 1951 ; D. Eustache, *Corpus des monnaies alawites*, Rabat 1884 ; *Corpus des dirhams idrisites et contemporains*, Rabat, 1970 ; *Etudes numismatiques et de metrologie musulmanes H.T.*, vol. 10, fasc. 1 - 2, 1969 ; *Histoire de la monnaie et sa métrologie*, Rabat 1970 ; J.D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; H. Lavoix, *Catalogues de monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale*, Paris, 1891, T. II, III ; J. Mazard, *Corpus nummorum numidiae mauretanique*, Paris, 1955 ; Hassane Housni Abdul - Wahab, *Un témoin de la conquête arabe de l'Espagne*, Revue de l'Institut de Cartage, 1932, p. 145.


عمر أفا

**الدرهم**، أو الدرحم احماد الباعمراني، يعرف بالسي احماد الدرحم.

يعود سبب حرصنا على جرد أهم محطات هذه الشخصية المتميزة بسلسة جبال أيت باعمران و الصحراء الأطلسية إلى سببين أساسيين : أولهما إقرار الفاعلين الدينيين بقيمة السي احماد التاريخية كأكبر وجه للجهاد خلال القرن العشرين بهذه المنطقة بعد الشيخ ماء العينين. ثانيهما تشبث الفاعلين السياسيين وقدماء جيش التحرير بضرورة اعتباره نموذج المقاوم الذي سخر حياته لمحاربة الوجود الفرنسي والإسباني.

إذا كان مفهوم الجهاد حسب المبادئ الفقهية يختلف شكلا ومضموناً عن مفهوم المقاومة كما تحدده سوسيولوجيا المجابهة السياسية والحربية، فإننا نكون أمام مشكل نظري يزيد من القيمة المختبرية لهذه الشخصية ويجعلها مرجعاً للمهتمين بتحديد المفاهيم في هذا المضمار. لقد أوضحنا غير ما مرة أن الجهاد والمقاومة مفهومان يختلفان لفظا ومعنى (م. ناعمي، *مفهوما الجهاد والمقاومة، المقاومة المغربية* 1904 ـ 1935، أگادير، 52 ـ 60). وهو سبب كاف للانكباب على خصوصيات الأسباب الحقيقية التي جعلت من السي احماد ذاتية متميزة ارتبطت في ممارستها بكل الفاعلين الدينيين والمقاومين على اختلافهم إلى أن خرجت الدولة الإسبانية من الصحراء سنة 1974. فمن يكون السي احماد ؟ وهل استطاع إرساء نهج جديد وأسلوب يجمع بين الجهاد كمرابطة دينية يومية بمعناها ولفظها والمقاومة كمبرر سياسي دنيوي يستهدف التسيير والإدارة بعد طرد الاستعمار ؟

للإجابة عن السؤالين لا بد في البداية من التعريف بالمؤهلات الفطرية التي كونت شخصية السي احماد طفلاً وثبتت مساره رجلا. ولكي نبدأ بانعكاسات بيئته ومجتمعه على تربيته الأولى، يجب أن ننطلق بما يكفي من التفصيل من الهيكل المجتمعي أبا مگدول أيت اعلي حيث ولد سنة 1327 (1909).

ما يميز سلسلة جبال أيت باعمران على الساحل الأطلسي شمال الصحراء هو موقعها القريب من جزر كناريا. أهمية الموقع هذه تجعل منه مجالا أصلح ما يكون للتحصينات الجبلية المنيعة. هذا ما يفسر تهافت مجاهدي الغور السكاني الجزولي اللمطي الكوشي على التمركز بقمم أيت باعمران، شأنهم في ذلك شأن المد الإسباني الذي سعى منذ القرن التاسع (15 م) لتحصين مواقعه. وبذلك تكون هذه السلسلة الجبلية قد شكلت جبهة متقدمة لاصطدام الجهاد بالمد الصليبي وفي نفس الوقت قاعدة لتسرب الحملات الإسبانية نحو مدن وقرى وادي نون وباني وتمنارت. يتجلى بذلك دور مراقبة أيت باعمران في حصر الدلالة الفعلية لفصائل ووحدات سخرت نفسها للمجابهة والجهاد. لا أدلّ على ذلك من كون جل الأولياء والصلحاء المدفونين على امتداد جبال أيت باعمران والصحراء ينتمون إما إلى أيت إيعزَى أُهدِّي ( *المعلمة*، 2 : 517 ـ 518) أو إلى أولاد بو السبع أو رگراگة. هذه القبائل كانت تمثل خلال القرن العاشر (16 م) رموزا للمرابطة الدينية المسلحة انطلاقا من حوز مراكش في اتجاه رباطي أسفي والبريجة وغيرهما من جبهات مواجهة المد الصليبي. كان الفقه التقليدي يعالج يومها موضوع الجهاد كمنهج وسلوك معياريين سائدين يحثان على اتباع أساليب تحالفية لصيقة بمدى تجانس الوحدات والفصائل السلالية. نكون من هذا المنطلق قد وصلنا إلى نوعية العلاقة التي تربط أسلاف السي احماد بمجاهدي أيت باعمران.

إذا نحن حاولنا دراسة السلوك المميز لشخصية السي احماد وجدناه ينتمي إلى فصيلة إيد وارحمان المقيمين بتالوست ـ ن ـ أيت أيوب بأيت باعمران. وإذا نحن تساءلنا عمن يكون احماد وارحمان الجد الفعلي للفصيلة، فإن الوثائق العائلية تكشف عن قدومه من زاوية عبد الله بن ساسي السباعي بحوز مراكش في فترة تنحصر في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري. وسيلتنا الوحيدة للتأكد من صلاحية هذه المقولة هي أقدم وثيقة يتوفرعليها إيد وارحمان المؤرخة بسنة 1077 (1666). نقرأ خلالها أن افقير عيسى بن احماد وارحمان الأيوبي الباعمراني قد اشترى قطعة أرضية مسقية تندرج في سياق توزيع تركة فاطمة بنت محمد الهشتوكي. فنتساءل إلى أي مدى لعبت هنا قاعدة السكنى مع الأخوال والمصاهرة في تحديد علاقة حفيد احماد وارحمان هذا بأيت أيوب ؟

جواباً على هذا السؤال، تثبت وثيقة مزامنة اقتسام أفقير عيسى وأخويه اللود واحماد وأختهم تركة المسماة فاطمة بنت محمد الهشتوكية. مهما يكن من أمر علاقة هؤلاء الورثة بهذه الموروثة، فإننا نتأكد بتلك الوثيقة من قدرة احماد وارحمان وأبنائه على تجنيد قدراتهم التحالفية وإمكاناتهم الذاتية في تحصيل قطع مسقية بعين المكان منذ القرن الحادي عشر (17 م). فنتساءل إلى أي مدى لعبت قاعدة السكنى مع الأصهار في تحديد انتماء أبناء احماد وارحمان إلى فصيلة أيت أيوب ؟ ما يشد الانتباه هنا هو دور قواعد السكنى مع الأصهار في تحديد قواعد الانتماء القبلي. على أن المركز الاجتماعي لأفقير عيسى ونوعية الوظيفة التي كانت تميزه اجتماعيا تبدو أنها سهلت بشكل حاسم اندماجه في أيت أيوب. فما هي هذه الوظيفة ؟

إذا نحن ركزنا على دور زاوية عبد الله بن ساسي على المستويين السياسي والديني وعلى دور السباعيين ورگراگة في مجابهة المد الصليبي بدعم من قطبي سوس سيدي احماد أوموسى وسيدي امحند أو براهيم الشيخ، نكون قد وصلنا عمليا إلى الأسباب التي هيأت اندماج أفقير عيسى السريع في أيت أيوب. ذلك أن الرواية الشفوية المحلية تنسب أبناء احماد وارحمان إلى هؤلاء السباعيين الذين ما تزال كثرة قبورهم على امتداد سلسلة جبال أيت باعمران مدعاة للتبجيل والاحترام. تفيض الرواية الشفوية في

وجوب اعتبار أفقير عيسى وجها صوفياً يتجلى دوره الأساسي في كل ما تحيطه به الممارسات المحلية من قدسية. فما تزال خلوته وبيته وقبره وموسمه السنوي المصادف لموسم سيدي احماد أو موسى كل صيف بتازروالت، تمثل دلالات واضحة على حجم ممارساته الصوفية. هذا المعطى الوظيفي يكشف بما لا يدع مجالا للشك أهمية العامل الديني في دمج أبناء احماد وارحمان في فصيلة أيت أيوب.

يصبح بإمكاننا نهج مقاربة استنباطية حول مغزى شراء أفقير عيسى قطعتين أرضيتين مسقيتين بتالوست. من شأن هذا السؤال أن يقودنا إلى العوامل التي أهلت أبناءه محماد وعمرو ومحند وإبراهيم ومريم لتصدر الوظيفتين الدينية والاجتماعية بعد وفاة أبيهم. ذلك أن لدينا ما يكفي من الأدلة الموثقة التي تثبت أن عمرو قد جسد امتداداً فعلياً لموروث أبيه القيمي في مجتمع لم يعد في حاجة ماسة إلى صد الهجمات الإيبيرية. كما أن لدينا ما يكفي من أدلة الإثبات للتأكد من دور إبراهيم وامحند في توسيع دائرة ممتلكات إيد وارحمان من حيازة للقطع المسقية. من هذا المنطلق تبدو حيازة الأراضي أكثر فاعلية للاستجابة لمتطلبات الانسجام بين الزاوية ومستلزماتها.

إذا ما نحن اقتصرنا على الوثائق العائلية، فإن مسعى أبناء أفقير عيسى وخاصة منهم إبراهيم، يتمثل في استقلالهم بمجال محدد بتراب تالوست. ذلك أن الانطلاق من وحدة مجالية يبدو ضروريا لتحقيق الانسجام بين الممارسة الدينية ومستلزماتها المادية. فنكون بذلك قد وقفنا على دور العامل الصوفي في تأسيس خلية تتمتع بحيازة قدر من القطع الأرضية موروثة أو مشتراة. هذا ما نستخلصه من وثائق إبراهيم بن أفقير عيسى ابتداء من سنة1113 / 1701 . هذه التعبئة ستجعل من المرابط سيدي علي بن إبراهيم بن أفقير عيسى نموذجاً للسلطة المحلية التي تحولت تدريجيا إلى سلطة تجمع الدين والدنيا. فعلاوة عن امتهانه للقضاء، نجده بمثابة سلطة مرجعية من المنظورين الاقتصادي والاجتماعي. ذلك أن عدد رسوم تملكه الأراضي البورية والمسقية ينضاف إلى مقولة سائدة تجعل منه مشتري الأراضي الشاسعة الممتدة من كدية الحجل بفم فست إلى أساكا. فتتجلى بذلك ممارسته كتمفصل لأشكال مجالية فرعية متزايدة من الهيمنة السياسية والاقتصادية طبعت تاريخ أيت أيوب. من هذا المنطلق تبدو مصاهرة المرابط سيدي علي لكبير إزركين حمو سعيد قائد المولى إسماعيل على حامية تكنة المتوجهة يومها إلى إمارة الترارزة قصد حماية علي شندورة بمثابة كشف لأهميته السياسية بجبال أيت باعمران. تزوج المرابط سيدي علي من الزهرة أو سعيد التي كانت تقيم مع باقي أفراك إزركين المقيمين يومها بازربويلة وآوزرولت وآوريورة قريباً من فم فست وأساكا. وبذلك يكون المرابط سيدي علي قد عمل على ترصيص أسس الصورة الفعلية للعلاقات بين إيد وارحمان وحلفائهم من تكنة. كانت فصائل إزركين تمثل يومها قسما هاما من أيت بوليد أزوافيط. وهو ما سهل على المرابط سيدي علي مهمة الظهور بمظهر الحليف الفعلي لجيرانه ووسيطهم لدى أيت باعمران. كان منطلقه في صياغة علاقة التحالف هو مبدأ التعايش والتساكن كما تدل على ذلك وفرة المشاكل التي أسهم في حلها كتابة. فالوثائق تفترض حداً أدنى من الانضباط والتسامح المتبادلة بينه وبين المتداعين لديه.

ذلك كان التزام المرابط سيدي علي أو براهيم بمجموعة من الأعراف والاتفاقيات الضمنية التي تنظم وتؤطر الحركة الاجتماعية بتالوست. أما الضوابط التي كانت تتحكم يومها في العلاقات داخل إيد وارحمان، فأهمها نمط السلوك القرابي الذي يقتضي : أ ـ أفضلية الزواج من ابنة العم أو بنت ابن العم. ب ـ تمرير الإرث إلى أحد أبناء العم كرئيس متميز لإيدوارحمان.

تنقلنا إحدى الوثائق المؤرخة بتاريخ 7 ذي الحجة 1242 / 14 ـ 7 ـ 1827 إلى وضعية خاصة تجعل من الفقير احماد مصدراً لبيع الزرع بالسلف. وهي مرحلة جديدة يدخل على إثرها الفقير احماد في توجه يجعل منه مروج السلفات المربحة. هذا التوجه التجاري سيزيد من أهمية الفقير احماد الاجتماعية والسياسية. يؤكد ذلك ما نقرأه في وثيقة مؤرخة بتاريخ 11 ربيع الثاني 1244 / 24 ـ 11 ـ 1825. فقد أخذت بعض العائلات تلتجئ إلى الفقير احماد كوكيل لكي يقوم مقامها وبدلاً عنها حتى تسترجع ما ضاع من إرثها معتبرة إياه كتابة بمثابة ولي أمرها. بل وتزيد الوثيقة لتؤكد أن هذه العائلة قد كلفته "تكلفة صحيحة تامة عامة تجمع أبواب الوكالة كلها على الإطلاق من المخاصمة والمحاكمة وعلى الإقرار والإنكار واليمين إن وجب والصلح إن ظهر وقلب اليمين إن أمكن ..."

تكمن أهمية هذه الوثيقة في معالجتها بما يكفي من الوضوح لدور الفقير احماد على المدى الطويل من حيث هو كسلطة مرجعية من المنظورين الاجتماعي والسياسي علاوة عن دوره الاقتصادي. والوثيقة تعكس سعة معارفه القضائية وقدرته على تناول قواعد المعاملات بما فيها الطارئة. إن اعتباره الشخص القيم على الشؤون الشرعية والمسؤول لنصوصها ترسم طريقا معلوما يجعل منه القادر الفعلي على تكييف الأحكام الشرعية مع النوازل الطارئة تعاملاً يحكمه التحدي الذي يفرزه الاجتماع البشري في هذه الحقبة بالذات.

توفي افقير احماد بن عبد الرحمان بن المرابط سيدي علي في حركة (معركة) 1847 بعد أن تزوج عدداً من النساء مخلفا من اثنتين منهن الجدود الحقيقيين لإدوارحمان الحاليين. فقد استند إلى واقع أسرته المندثرة بفعل الأمراض والأوبئة، مربيا أبنائه انطلاقامن موروثه الاجتماعي والأخلاقي الذي يقتضي الجمع بين علمي الظاهر والباطن

واكتناز ما تأتي من الأموال. وهي منهجية تترجم فهما صحيحا لما كان يتوخاه المرابط سيدي علي. هذه المنهجة تبدو واقعية بما فيه الكفاية إذ تحقق التوازن بين المطالب الروحية والدينية والمادية وتزكي المرتبة الاجتماعية والسياسية للفصيلة. لم يعد الزواج الداخلي أمراً ممكنا ولا الارتباط بالسلوك القرابي القديم يفلح في تثبيت دعائم الفصيلة وفق المنظومة التطورية المتنامية. الجديد في هذه المرحلة هو ضرورة اعتماد التحالفات المحلية مع مختلف الفصائل كمنهجية لترصيص دعائم البنيان العائلي على جميع الأصعدة والمستويات.

هكذا تكونت من جديد نواة إيدوارحمان مقيمة علاقة عن طريق الزواج والمصاهرة. وجهت اهتمامها إلى سعة معارفها الفقهية والاجتماعية لترسم طرقاً أشبه ما تكون بتلك التي أتقنها أسلافهم بعين المكان. ونكون بذلك قد وصلنا إلى السي احماد كنموذج محلي يلخص تجربة أسلافه البعيدين منهم والقريبين. فمن يكون السي احماد بن علي ابن إبراهيم بن أفقير احماد ؟

لا يختلف اثنان من الذين يعرفون السي احماد في أنه من الوجوه التاريخية التي يحق لنا أن نوليها ما تستحقه من العناية والاعتبار. فقد تجلى السي احماد كرمز من رموز الجهاد ومجابهة الوجود الإسباني بالصحراء وأيت باعمران. وتحديداً فإنه يعد في نظر رجالات التحرير أكبر وجه للجهاد الديني المقدس ضد المد الإسباني خلال فترة ما بعد عشرينيات القرن العشرين.

إذا ما نحن حاولنا التأمل في مواقفه الجهادية من خلال *مذكراته* الهامة، وجدناه يبدأ مسيرته الذاتية بسرد نوعية الصراعات التي كانت تربطه بالوجود الإسباني. فبدل أن ينطلق من سرد تاريخ أسرته الديني والتجاري والسياسي، نجده ينطلق من استشهادات موثقة حول صراعاته مع الإسبان بطرفاية ابتداءً من سنة 1933. فهو يذكرنا بسلسلة أحداث أدت إلى اضطرابات يطلعنا على تفاصيلها وجزئياتها شكلا ومضمونا. كما نجده حاضراً في جوهر الصراعات التي واجه من خلالها أيت باعمران الدخول الفرنسي سنة 1934 حين استعمل الطيران لمواجهة المجاهدين برقبة تيزي. يسجل في عبارات أخاذة المآل الذي آلت إليه المنطقة بعد أن قسمتها الجيوش الفرنسية والإسبانية. ينتهي به السرد إلى عبارة تحمل أكثر من دلالة حول منظوره للصراع القائم : "لا أعدى على الإسلام من إسبانيا".

هنا يفيدنا السيد إبراهيم الجماني الزفاطي الذي يعترف له مجمل رجالات جيش التحرير الذين مارسوا بالمنطقة بدور بطولي حاسم، بأن السي احماد قد تصدر الأحداث السياسية متفرغا للجهاد بشتى الوسائل التجارية منها والإجرائية المتعددة. وهو ما نستشفه بوضوح تام من *مذكرات* السي احماد حين يعتبر وصول الضباط الإسبان بتاريخ 6 أبريل 1934 بمثابة تحول نوعي في تاريخ المنطقة يستلزم ترسيخ مفهوم الجهاد وتكريس كل وسائله الممكنة.

يسجل السي احماد أن انخراط أيت باعمران وأهل وادي نون والصحراء في صفوف جيش الجنرال فرانكو سنة 1936 كان لسببين : أ ـ البحث عن سبيل من سبل العيش في ظرفية تميزت بشدة الأزمات. ب ـ وضع الجنرال فرانكو أمام التزامات بالخروج من المغرب بعد انتصاره. غير أن اندلاع الحرب الأهلية وبعدها مباشرة الحرب العالمية الثانية قد أسهمتا في تعقيد الأمور. فقد تملص الجنرال من وعوده بحجة أن الحلفاء قد بدأوا يسجلون الانتصارات تلو الانتصارات. وهنا يبدو السي احماد منشغلاً أشد ما يكون الانشغال بضرورة التأكيد على أهلية الروابط البنيوية بين منطقة أيت باعمران ووادي نون والصحراء. فهو يؤكد أن القمع العسكري لن يأتي بأية نتيجة لأن تشبث الناس بجوهرهم هو الدافع الأساسي إلى ظهور فكرة التحالف مع ما أخذ يعرف يومها بالحركة الوطنية. تسربت هذه الفكرة خاصة عبر أولئك الفقهاء والمتعلمين الذين كانوا يتابعون تفاعلات الحرب العالمية الثانية ويربطون اتصالات ظرفية مع بعض الوطنيين.

اختلطت الرؤى تدريجيا وتجلت صعوبة الفصل بين مفهومي الجهاد والمقاومة في غياب رؤية واضحة لم يعمل منظرو الحركة الوطنية على تلميعها. بل إنهم قد اجتهدوا في الربط بين صورة الزوايا والتحالف مع الاستعمار اعتماداً على بعض الحالات الاستثنائية آنذاك. هذه الإشكالية تعكس قدرة السي احماد على تناول مستجدات الحياة السياسية المعاصرة نظراً لسعة حجم معارفه وقدرته على تتبع أحداث الأربعينيات والخمسينيات.

على أنه ظل خلال هذه الفترة، وبالرغم على حضور والده علي بن إبراهيم بن احماد، القيم الأمين على أمور أسرته الشرعية والمؤوِّل لنصوصها والراسم لطرقها الاقتصادية والاجتماعية. يبدو ذلك من خلال التزامه الصارم بقواعد علاقات الجوار وقدرته الفعلية على حسم توجهات عائلته نحو مسار صحيح. لا أدل على ذلك من قدرته الفعلية على تصحيح مسار والده. فقد أدى شح موارد العيش المتاحة بسكان تالوست أيت أيوب إلى الرغبة في بيع ممتلكاتهم وأراضيهم المسقية إلى علي والد السي احماد. وإذا كان هذا الأخير قد توجه كلية نحو شراء هذه الأراضي، فإن السي احماد قد تعرض لهذه الممارسة مؤكداً ضرورة عدم سحق الجيران والمحافظة على ممتلكاتهم. ويبدو من خلال تفحص هذه الممارسة أن السي احماد كان منذ صغره يجسد وريثا شرعيا للمرابط سيدي علي أو إبراهيم القيم على الأمور الشرعية لإيدوارحمان والمكيف لتعاقداتهم المجالية والسياسية. وظل يعتمد في الأساس على تقليد ما درج عليه إيدوارحمان من تحالف مع الجيران ومراعاة دواعيهم واقتضاءاتهم البينة.

من هذا المنظور، يمكن أن نستجلي صورة شبه متكاملة

لشخص السي احماد الذي كان يستهدف صيانة إيدوارحمان وأيت أيوب كافة من التصدع والانحلال والتفاسخ إعمالا لقاعدة سد الذرائع. كما أنه كان يضفي على تكييفه مع تحديات فترته سمتين شرعيتين هما : عمل السلف وتلقي الناس لهذا العمل بالقبول. يمكن إذن أن نتفهم قدرته على الربط بين ممارسته الدينية والدنيوية. فقد كان من بين أول مهنئي السلطان محمد بن يوسف بسلامة العودة من المنفى. وقد اهتم أساساً بتدعيم سلطة الدولة المركزية الفتية خاصة بهذه المناطق البعيدة عن المركز. هذا ما يتضح جليا من خلال معاينة كنانيشه الكثيرة عن هذه الفترة من تاريخ المغرب. فقد بادر إلى حث الملك على الدفاع عن عودة الصحراء إلى باقي المغرب. ولعل أكثر ما يثير الانتباه في هذا المضمار التماسه من الملك الحرص واليقظة تجاه المخططات الإسبانية مركزاً على ضرورة تحرير شمال البلاد وجنوبها من الوجود الإسباني. تتضح بذلك عناية السي احماد بتدقيق الأخبار في هذا الباب من خلال نشاطه المكثف داخل صفوف أيت باعمران ضد الإسبان.

يدرك المتتبع لأحداث 1956 ـ 1959 كما يوردها السي احماد، أنها تحدد التوجه الجهادي لهذه الشخصية المتميزة التي عانت بشكل خاص من تآمر الضباط الإسبان. فقد عمل بشكل حاسم على تحسيس الرأي العام المحلي والجهوي على ضرورة الرفع من مستوى المواجهة. فكان طبيعيا أن تتوج هذه الممارسة بنفيه من الصحراء سنة 1965.

هناك أسباب خاصة تحملنا على القول بأن نفي السي احماد ومصادرة ممتلكاته قد أفاده في استخلاص العبرة الأخيرة التي رافقته إلى مثواه الأخير سنة 1982. فقد وثق لكل الأحداث بحيثياتها كمجاهد أراد أن يرفع الخبر التاريخي إلى مستوى وثوق الخبر الشرعي. ولذلك فهو يبدو كمن شيد صروحا كاملة من الحقائق كشف فيها بما لا يدع مجالا للشك صلابة عقيدته الدينية والسياسية واستماتته في تأهيل ذويه لغد أفضل.

كانت للسي احماد أدوار لا يمكن لأي كان من المتتبعين أن يستهين بها في توجيه الأحداث قبل وبعد استرجاع الصحراء. وقد تجسدت هذه الأدوار في قدرته الفعلية على تطويق الأحداث وتوجيهها كوجه من أكبر وجوه جيش التحرير. يسجل رجالات هذا الجيش أنه لم يكن يناديهم إلا بلقب المجاهدين وأنه قد سخر داره وأرزاقه في خدمة الجهاد مبرزين حجم تضحياته الفعلية. وإذا كانت إسبانيا قد صادرت ممتلكاته، فإن دوره الفعلي في إنجاح عودة الصحراء إلى المغرب قد أثبتت استرخاصه لكل نفيس من أجل نصرة البلد والدين.

هل بعد هذا نكون في حاجة إلى تحديد الفوارق التي تميز هنا بين مفهومي المقاومة والجهاد ؟ مهما يكن من أمر فإن شخصية السي احماد الدرهم قد استطاعت الجمع بين تجانس القيم المتداولة بشأن هذين المفهومين.

مصطفى ناعمي

**درود** (الجنرال -) Drude، ولد يوم 27 ماي 1853 من أبوين من أصل مرسيليا. دخل ميدان الجندية في 7 نونبر 1872 وترقى بسرعة في سلم الجندية حيث أصبح ملازماً في 1880. ورقي إلى رتبة قبطان في 1886.

في سنة 1907، رقي درود إلى رتبة جنرال فرقة Général de Brigade، وعين قائداً للفرقة العسكرية الثانية للمشاة قسم وهران بالجزائر. وفي 3 غشت 1907 كلف بقيادة الحملة الفرنسية الموجهة للمغرب بهدف احتلال الدار البيضاء والشاوية. كانت حملة الشاوية مهمة صعبة. لأن ميدانها كان هو المغرب، وهو بلد مستقل بضمانة دولية يكفلها ميثاق الجزيرة الخضراء الموقع سنة 1906.

زد على ذلك أن التدخل الفرنسي بالشاوية كان منسقاً مع الإسبان، تبعاً لما ادعته الحكومة الفرنسية من أن عملها يهدف إلى تنظيم البوليس بالدار البيضاء حسبما تقرر في ميثاق الجزيرة.

والواقع أن أن قوات الاحتلال التي نزلت بالدار البيضاء بقيادة درود في 7 عشت 1907، واجهت منذ البداية مقاومة شديدة. حصرتها بالدار البيضاء، حيث قرر الجنرال درود التخندق بالمدينة. والاعتماد على مدفعية الأسطول الحربي بقيادة الأميرال فيليبير Philibert.

ولقد خاضت قوات الاحتلال بقيادة الجنرال درود معارك شديدة حول الدار البيضاء، مثل معركة سيدي مؤمن ومعركة دار بوعزة، وكانت اشتباكات المجاهدين مع قوات الجنرال درود تحدث يومياً، الأمر الذي جمد قوات درود في خنادق حفرتها حول الدار البيضاء. وجعل الجنرال يطالب باستمرار، بإرسال إمدادات جديدة لما تبين له أن القوات الفرنسية لا تواجه جماعات من "قطاع الطرق" كما أشيع في البداية، بل تواجه شعباً مصمماً على الدفاع عن أرضه وعقيدته مهما بذل من تضحيات.

وعلى الرغم من الإمدادات التي رفعت قوات الجنرال درود من 3000 جندي إلى 7000 رجل، فإنه لم يغامر بالهجوم على قبائل الشاوية بعيداً عن الدار البيضاء الأمر الذي أثار حوله كثيراً من التعليقات.

زد على ذلك أن تكتيك الجنرال درود في مواجهة المجاهدين المغاربة أثار بدوره عدة تعليقات. إذ سلك درود خطة الرمي العشوائي الكثيف وبمختلف الأسلحة. وكان الهدف من ذلك السلوك العسكري هو إبعاد المهاجمين المغاربة والتقليل من خسائر جيش الاحتلال. وقد علق أحد الصحفيين المرافقين لجيش الاحتلال على ذلك الاستهلاك الغريب للذخائر الحربية بقوله : "بالتأكيد إن ذلك لا يرجع لخشية الجنرال من حدوث التحام بين جنوده وبين المغاربة ... ولكن مثل هذا الالتحام سيكون أكثر فتكاً بجنودنا. وهو يفضل اقتصاد الأرواح البشرية بدل اقتصاد الرصاص" (جورج بوردون، *ما رأيته في الدار البيضاء*).

ظلت خطة درود تعتمد الدفاع، وكانت قواته تتحرك

على شكل مربع. ولكن عدم فعالية خطة درود كانت سبباً في عزله في آخر دجنبر 1907 وتعويضه بالجنرال داماد. وقد بررت الحكومة الفرنسية عزله، بأنه جاء نتيجة لمرض الجنرال. لكن هذه الذريعة لم تنطل على أحد في حينها.

والواقع أن عزل درود كان مناسبة لمناقشات وتعليقات في البرلمان والصحافة. حول من يتحمل مسؤولية الفشل لمهمة الجنرال درود بالمغرب. فالمدافعون عن الجنرال قالوا : إنه خضع لتعليمات الحكومة. في حين ردت الحكومة في شخص رئيسها كليمنصو : إن الأوامر صدرت للجنرال في أكثر من "ثلاثين برقية تأمره بالتقدم للإمام".

وبالجملة، إن الحكومة الفرنسية ضحت بالجنرال درود لتبرير فشل خطتها الأولى بالشاوية. وهي خطة كانت تعرض على الرأي العام الدولي وكأنها عملية بوليس بسيطة في الدار البيضاء. أما عندما صمد المغاربة في مواجهة الاحتلال. فقد أصبح لا مفر من تدشين خطة جديدة مع قائد جديد بهدف توسيع الاحتلال ليشمل كل بلاد الشاوية.

ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة*، الدار البيضاء، 1994.

Arch. G-v., 3H76 ; G. Bourdon, *Ce que j'ai vu à Casablanca*, 1908 ; A. Tardieu, *La conférence d'Algesiras*, 1909 ; *Koumia* n° 108, 1988 ; *B.C.A.F.*,1908 - 1909.

علال الخديمي

**الدروق اللمطية**، عبارة عن دروق بيضاوية الشكل تتميز بصلابتها وقدرتها على رد ضربات السيوف والنبال والحراب. يتكون سمكها من مجموعة من الطبقات الجلدية ملتحمة فيما بينها بتقنية متميزة تجعل منها أداة حربية بالغة الأهمية. وهي تقنية تشهد على التطور الملحوظ لصناعة الجلود بالضفة الشمالية للصحراء حيث تقع مدينة نول لمطة. استعملت هذه الدروق كأسلحة وقائية خلال المعارك بين الجيوش خلال قرون طويلة.

على أن تسميه *الدروق اللمطية* تطرح إشكالاً من حيث تحديد معنى كلمة *اللمطية*. فهل المقصود بهذه الكلمة انتماء هذه الدروق إلى مدينة نول لمطة التي عرفت بإتقانها لهذه الصناعة ؟ أم المقصود بها جلد اللمط (اللمث) الذي تصنع منه هذه الدروق ؟ مهما يكن من أمر، فإن مدينة لمطة قد عُرفت تاريخياً بدورها كعاصمة لبعض فصائل قبيلة لمطة الكبيرة. كما عُرفت أيضاً بدورها الريادي المتميز في إنتاج هذه الدروق من جلود ظباء اللمط وخاصة منها الإناث المسنة.

تعتبر مدينة نول لمطة رأس المحور التجاري الرابط بينها وبين مدن منطقة أدرار التمر كأزوكي وأطار وشنقيط أو ملاحة إيجيل جنوب الصحراء. وتُفيض المصادر في وجوب اعتبارها عاصمة الضفة الشمالية للصحراء من حيث إنتاج الدروق ومراقبة التجارة العابرة للصحراء عبر المحور الساحلي المحادي للمحيط الأطلسي. كانت فصائل لمطة الشمالية تنتقل على امتداد هذا المحور مراقبة تحرك القوافل وأمن وسلامة عاصمتها نول. وهو ما أهل هذه المدينة لتطوير مرافقها التجارية والإنتاجية وبنياتها الدفاعية. ولعل هذا ما ساعدها على أن تصبح عاصمة لإنتاج الدروق المصنوعة من جلود اللمط المتوفرة بكثرة في محيطها.

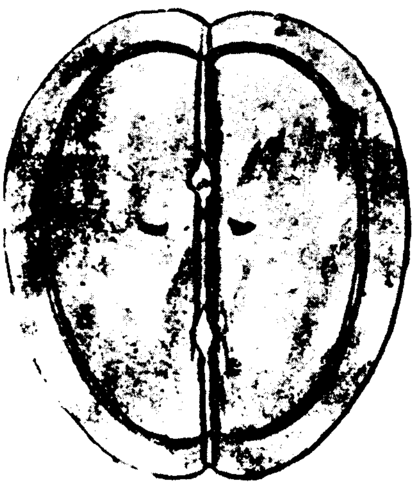

تعتبر ظباء اللمط (اللمث) عينة عاشبة من أصل إثيوبي مرتبطة بالوسط الصحراوي المحادي لضفتي الصحراء الجنوبية والشمالية. فهي عادة ما تضطر للإقامة بمحطات نباتية أو مائية توفر لها الغذاء اللازم مما يجعلها تتجمع على شكل قطعان تسهل مطاردتها. هذا ما يمكن أن نستشفه من كتابات الجغرافيين مؤلفي كتب المسالك كاليعقوبي وابن حوقل والإصطخري والبكري والإدريسي وابن سعيد والعمري والدمشقي وابن بطوطة وابن خلدون والوزان. فمجمل هؤلاء يركزون على دور نول لمطة كعاصمة متخصصة في إنتاج الدروق نظراً لوفرة ظباء اللمط في محيطها القريب والبعيد. على أن المصادر الإيبيرية قد ركزت بدورها على أهمية هذه الأسلحة إلى حدود القرن الحادي عشر (17 م) عندما أصبحت مدينة فاس هي

عاصمة إنتاجها في فترة ما بعد اضمحلال نول لمطة.

ما تؤكد عليه حفريات مدينة أودغست بالضفة الجنوبية للصحراء هو أهمية الاصطياد التلقائي لهذه الظباء قصد استهلاك لحومها وتصدير جلودها إلى نول لمطة حيث صناعة الدروق. نفهم من ذلك أن هذه الجلود قد كانت تجمع بمجمل مناطق الصحراء قصد إرسالها إلى المعالجة والتصنيع بمدينة نول لمطة إلى حدود اضمحلال هذه الأخيرة.

تؤكد معلومة واردة لدى ابن عذاري على استعمال كميات كبيرة من هذه الدروق اللمطية كهدايا من المعز بن زيري بن عطية إلى عبد الرحمان بن أبي عامر أحد ملوك الأندلس ( *البيان*، 253 : 1 ) على أن المصادر الإيبيرية تؤكد بما لا يدع مجالا للشك الاستعمال الكبير لهذه الأسلحة حتى أواخر القرن الحادي عشر (17 م). فقد سجلت معركة وادي المخازن الأهمية الفعلية لهذه الدروق في ترجيح كفة المغاربة. وقد أورد الباحث الفرنسي افرانسوا بيتان وثيقة من المنجد الذي ألفته الأكاديمية الإسبانية سنة 1726 تؤكد الاستعمال المتأخر لهذه الأسلحة. وتعتبر الدراسة الهامة التي قام بها هذا الباحث حول دروق مدينة فاس من أهم الدراسات التي أنجزت في هذا الباب.

ركزت قبل ذلك جل الإشارات الواردة بالمصادر على دور مدينة نول لمطة في إنتاج مواد أخرى كالسفسريات الغالية الثمن التي هي أثواب من الصوف تميزت بجودتها العالية وكثرة الطلب عليها. وإذا كانت هذه المواد على تنوعها قد زادت من أهمية المدينة مقارنة مع غيرها من المدن التجارية الكبرى، فإن إنتاج الدروق جعل منها إحدى كبريات عواصم التجارة ومنتجات ضفتي الصحراء. ولا شك أن قلة هذه المعطيات التاريخية المجسدة لتاريخ المدينة يدعو إلى كثير من الجهد لاستحضاره وإعادة اكتشافه من جديد.

*كتاب الأنساب*، مخطوط، خ. ع. رقم ك 1275 ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، تح. مصطفى أبو ضيف ؛ أبو عبيد الله البكري، كتاب *المسالك* ؛ شمس الدين عبد الله الدمشقي، *نخبة الدهر في عجائب البر والبحر*، بغداد، 1923؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب* ؛ م. ابن بطوطة، *تحفة النظار*، ابن حوقل، *صورة الأرض*، أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، الشريف الإدريسي، *وصف إفريقيا*، أبو إسحاق الفارسي الإصطخري، *كتاب المسالك والممالك*، 1927 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، 1866 ؛ اليعقوبي، *كتاب البلدان*، ع. ابن خلدون، *العبر*، ح. الوزان، *وصف إفريقيا*.

F. Buttin, *Les adarques de Fès, H.T.*, vol. I, Fasc. III, 1960, 409 - 456 ; Aly ben Abderrahman ben Hodeil el Andalusy, *La parure des cavaliers et l'insigne des preux*, traduction Louis Mercier, Paris, 1924 ; H. de Castries, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc de 1530 à 1845*, première série - *Dynastie saadienne 1530 - 1660*, t. I, p. 594, n° 2, Paris, 1905 ; P. de Cenival et Th. Monod, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal par Valentin Fernandès 1506 - 1507*, Paris, 1938, I. S. Allouche, *"La vie économique et sociale à Grenade au XIVè siècle"*, in *Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman*, Alger, 1957 ; Napoléon Louis Bonaparte, *Etudes sur le passé et l'avenir de l'artillerie*, Paris, 1845, vol. I ; H. Peres, *La poésie andalouse en arabe classique*, Paris, 1953 ; Demmin, *Guide des amateurs d'armes et armures*, Paris, 1879 ; M. Leloir, *Dictionnaire du Costume et de ses accessoires, des armes et des étoffes des origines à nos jours*, Paris, 1951.

مصطفى ناعمي

**الدرويش، أحمد** بن الفقيه محند بن عمر الباعمراني، ولد حوالي 1288 / 1871 وأخذ القرآن على يد والده حفظاً ورسماً، فالتحق مبكراً بالمدرسة العلمية العتيقة سيدي بوعبدلي بقبيلة أيت برايّيمْ، فأخذ الأمهات العربية والفقهية حتى ارتوى على يد الأستاذ عبد العزيز الأدُوزي المشهور ( *رجالات العلم العربي بسوس*، ص. 124) ولما أنهى دراسته رجع إلى أيت باعمران يشارط في المدارس العتيقة، ومر في مدرسة بوگرفا لمدة ثلاث سنوات معتكفا ـ حسب تعبيره ـ على تعليم وتثقيف ابنه الطيب، كما شارط في مدرسة أيت بوبكر الباعمرانية سنة 1332 / 1913 (عن تلميذه السيد الطاهر عامري من نفس العائلة).

ولدينا نماذج من أحكامه القضائية ترجع إلى سنة 1327 / 1909 ولم تنقطع أحكامه إلا بخروج الإسبان سنة 1934، قنّن الاستعمار مهنة القضاء، وذلك بتعيين العدول والقضاة في كل قبيلة، بدلاً من اختيار المتقاضين لمن يرونه شخصياً حسب العرف القديم.

تخرج على يده عدد مهم من الطلبة، ويعد ابنه القاضي الطيب الدرويش نموذجا من ذلك الجيل الذي يعتمد على الذاكرة ويحفظ كل شيء عن ظهر قلب.وكان أحمد الدرويش هذا معروفاً بالتقوى والعدل، متصوفاً دون أن ينتسب إلى أية طريقة ،عاش طويلاً حتى كف بصره وتوفي في 13 رمضان سنة 1376 / 13 أبريل 1957.

جاسوس إيطالي يسمى الحاج يونس المصري عن *سلسلة الألف كتاب* ؛ *معلمة المغرب*، ج 6، ص. 2001 ؛ م. المختار السوسي، *مدارس سوس العتيقة*، ص.97 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس*، ص. 124 ؛ *استجواب مع السيد الطاهر عامري من نفس العائلة.*

الحسين جهادي

**الدريدكة**، في شعر الملحون، تطلق على القسم الأخير من أقسام القصيدة، ويتضمن في العادة اسم ناظم القصيدة، كما قد يتضمن تاريخ نظمها.

ويطلق أهل مراكش على الدريدكة اسم التريتكة، بتحويل حرف الدال تاء، كما قد يطلقون عليها لفظ "السارحة".

والكلمة من فعل "دردك" في لغة العامة، بمعنى ضرب برجله سريعاً على الأرض. وتأتي أبياتها - في العادة - على بحر عروض المبيّت أحد البحور الأربعة التي يقوم عليها شعر الملحون : المبيّت، ومكسور الجناح، والمشتب، والسوسي.

يتميز إنشاد الدريدكة من الوجهة الموسيقية بكونه حثيثا توحي حركته السريعة بإشراف الشدّادة ـ وهم مجموعة المنشدين والعازفين - على نهاية القصيدة.

م. الفاسي، *معلمة الملحون*، القسم الأول من الجزء الأول، ص. 88 ؛ ع. الجراري، القصيدة، ص. 167 ؛ ع. ابن عبد الجليل، *مجلة التراث الشعبي*، العدد، 10، السنة 1980، ص. 112، العراق.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الدريدي، محمد** من بني دريد إحدى الفصائل الهلالية العاملة في الجند السعدي. كان رئيساً في قومه في خدمة الدولة إلى حين دخول فاس في طاعة الدلائيين، فانخرط الدريدي وقومه في جندهم كفرقة عسكرية مرابطة في فاس وظل على ولائه لهم حتى سنة 1070 / 1660 التي عرفت تمرده على محمد الحاج، متحالفا بالمصاهرة مع رئيس عدوة الأندلس أحمد بن صالح الليريني، الذي تآمر معه على اغتيال الأمير محمد بن محمد الحاج في نفس السنة.

وقد كان الانتقام الشنيع لمحمد الحاج وتصفيته لجماعة من أعيان المدينة، فرصة سانحة للدريدي للاستئثار بحكم فاس الجديد، مؤازراً بصهره الليريني في عدوة الأندلس، وابن الصغير في عدوة القرويين، معلنين بذلك خروج فاس عن سلطة الدلائيين، وتعزز ذلك بعدم استطاعة الأمير الصغير أحمد بن عبد الله الدلائي النائب الجديد لمحمد الحاج على فاس المكوث فيها، مما جعل الدريدي يقف حائلا دون استرجاع الدلائيين للمدينة رغم حصارهم لها في رمضان 1072 / 1662.

وقد تميز الدريدي وحلفاؤه بضعف تكوينهم السياسي والعسكري، مما جعلهم غير قادرين على تسيير شؤون المدينة وضبط أمنها، فدخلت خلال عهدهم في دوامة من الفوضى والاضطراب، سهلت على الدلائيين بسط نفوذهم عليها مجدداً سنة 1073 / 1663 إثر زحف محمد الحاج على ضواحيها دون الدخول إليها.

وبمجرد ارتحال محمد الحاج إلى مدينة الدلاء في السنة الموالية، تجددت نعرة الانفصال لدى القائد الدريدي بفاس الجديد، إلا أن حليفه السابق الليريني واجهه رفقة سكان فاس، الأمر الذي دفع بالمتمرد إلى اتباع أسلوب اللصوصية وقطع الطريق مغيراً على قبائل سهل سايس ومداشرها، وبلغت عملياته زرهون ومكناس، متاجراً بمغانمه في فاس الجديد مستقطباً بذلك سكانها، وسينجم عن ذلك تطور الخلاف بينهم وبين سكان فاس البالي إلى حد الاقتتال الذي لن يتوقف إلا بتدخل جديد لمحمد الحاج وفرسان قبيلة مجاط الذين قضوا على نفوذ الدريدي في بلاد سايس، وحاصروا بقية أتباعه داخل فاس الجديد، التي ظلت معقلاً منيعاً له إلى أن قضى عليه السلطان مولاي الرشيد العلوي عليه حين دخل إلى فاس سنة 1076 / 1666.

م. القادري، *نشر المثاني/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 4 :1488 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1985.

حسن أميلي

**دْرِيس**، أو بودْريس طائر من الجواثم أو العصفوريات Passeriformes ومن فصيلة Emberizidae المعروفة بالإنجليزية بـWarblers وهو طائر صغير القد يشبه تيبيبط ويألف المزارع والحقول الفلاحية.

اسمه الشائع في شمال إفريقيا هو الدريس وبودريس وبودرس وبودريسة. اسمه العلمي Emberiza (Miliaria) calandra وبالفرنسية bruant proyer وبالإنجليزية Corn bunting وبالأساسية Triguero وبالإيطالية Strilozzo.

يتميز هذا الطائر بريش بني تتخلله بقع داكنة على شكل خطوط متلاشية وبمنقار قصير وقوي يساعده على أكل الحبوب والديدان. الإناث شبيهة بالذكور ويبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 40 سم وطول الجسم 17 ـ 18 سم

ويعتبر من أكبر أنواع طيور جنس الدريس Emberiza ومنه تيبيبط. تبقى الارجل عمودية ومتدلية أثناء الطيران الشيء الذي يميزه عن باقي الطيور التي تجعلها أفقية خلفها.

يعيش وسط مجموعات صغيرة وأحياناً منعزلا في الحقول حيث يتغذى غالبا من الحبوب مما يجعله غير مرغوب فيه من طرف المزارعين. يستريح أحيانا فوق الخيوط الكهربائية وعلى الأعمدة الخشبية ويقضي معظم أوقاته بين الأعشاب والنباتات الصغيرة بحثاً عن الأكل.

يتوالد منذ بداية شهر أبريل إلى غاية شهر يونيو وتحضن الإناث بيضها غالباً مرتين في السنة ونادراً ثلاث مرات. ينصب العش على الأرض بين الأعشاب في الحقول والمزارع ويتكون العش من الحشائش اليابسة ومن قطع التبن الصغيرة. تلدُ الإناث 3 ـ 6 بيضات ونادراً 1 ـ 2 أو سبعة وهي بيضويّة الشكل ملساء وبيضاء تميل أحيانا إلى اللون الأزرق المصفر، تتخللها بقع صغيرة رمادية وخطوط بنية مسودة. يبلغ طول القطر الكبير 13،3 ملم وطول القطر الصغير 17،8 ملم. تدوم مدة الحضانة 12 ـ 14 يوماً وذلك من طرف الأم فقط بينما يقوم الزوج بالحراسة. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتبقى بداخل العش 9 ـ 10 أيام قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا بعد أسبوعين على الأكثر.

يوجد هذا النوع في جميع المناطق الزراعية المغربية ويعيش أيضاً في شمال أفريقيا وأوربا الجنوبية والوسطى وفي بلدان الشرق الأوسط. معظم المجموعات التي تعيش في المغرب لا تهاجر إلى أوربا إلا نادراً.

م. رمضاني، *تيبيبط*، *معلمة المغرب*، ج. 8، ص. 2655 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with north Africa and the Middle east*, 1979 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

**دْريش** جان إيمانويل Dresch, Jean Emmanuel ولد بباريس يوم 30 نونبر 1905، كان أبوه جوزيف أستاذاً جامعياً، اندرج الطفل جان إيمانويل في سلك التعليم الابتدائي لكنه رحل مع أسرته إلى بوردو، حيث نُقل والده إلى كلية الآداب المحلية. وهناك تابع الشاب التعليم بسلكيه، وكان ميالاً إلى الفلسفة، وقد استهوته بموضوعاتها ومذاهبها الجدلية المتناقضة وأفكارها التي تقبل النقاش مهما كانت اتجاهاتها. إلا أنه رأى في الفلسفة ميدانا للدفاع عن كرامة الإنسان وتفسير العالم.

واتفق أن انتقل أبوه مرّة أخرى من بوردو إلى تولوز، فسار الشاب مع أسرته مرّة أخرى وكان ذلك عام 1923 وحرب الريف بالمغرب على أشدّها والمقاومة المسلّحة في أوجها بمناطق أخرى من البلاد ـ وكانت أصداء الجهاد المغربي تتردّد في كل المحافل الفرنسية وتدعو المعارضة الشيوعية والاشتراكية في فرنسا إلى إجلاء قوات الاحتلال عن المغرب.

تشبّع دريش بهذه الآراء ونزع إلى الشيوعية والماركسية وراح يستعدّ للتسجيل بشعبة الفلسفة. إلا أن بعض أصدقائه صدوه عنها وأفلحوا في توجيه عنايته نحو الجغرافيا والتاريخ. وأدرك أن هذا الميدان هو إلى واقع الإنسان أقرب، فانساق في هذا المنحى وما كاد يتلقّى الدروس الأولى ويعكف على الخرائط وتحليل النصوص حتى اقتنع بأن لهذا الميدان صلات وثيقة بالحياة البشرية فضاءً وعملاً.

واتضح له أيضاً أن الجغرافيا لا تدرك في العمق إلا إذا كان للمتعلم إلمام بعلوم الأرض، أي الجيولوجيا، فانكبّ على تحصيل قدر منها ساعده على فهم تطور طبقات الأرض وسطحها.

وبتولوز استأثرت جبال البرانيس باهتمامه، ففكّر في أن يخصص لها كل عنايته مستقبلاً ـ غير أنه عندما حصل على الإجازة عام 1927، وجهه أحد أساتذته، يدعى دومانجون Demangeon نحو المدرسة العليا للأساتذة قصد تحضير دبلوم الدراسات العليا الذي يسمح بالترشيح بعد عامين إلى مباراة التبريز في الجغرافيا، وقد أخبره دومانجون أن أثرى البلدان معطيات كمّا وكيفا وتنوعاً في الميدان الجغرافي والبشري هو المغرب حسب ما يتوفّر من

معلومات، وأشار عليه بربط الاتصال بأحد الجغرافيين الفرنسيين يدعى صيليريي (Célérier J.) يوجد في عين المكان حيث يترأس قسم الجغرافيا في المعهد العلمي الشريف بالرباط.

وأقبل دريش إلى المغرب عام 1926، فنزل بميناء الدارالبيضاء. وأول ما شدّ انتباهه في الحين، ما كان يضرب أهالي المدينة من فقر وفاقة في مقابل ما يتطلّع إليه الفرنسيون المعمرون من غنى عن طريق مشاريعهم الاقتصادية والعمرانية، فرأى في مذهبه الشيوعي ما يبرّر ويدعّم نظريات ماركس وأنصاره.

ولما استقبله صيليريي بالرباط واستشعر آراءه العلمية والجغرافية، نبّأه بأن مديرية التعليم العمومي خصّصت برسم سنة 1928 ـ1927 منحة واحدة لمدّة سنة واحدة لباحث فرنسي إذا ترشح للبحث الجغرافي عبر الجبال المغربية، تحت إشراف المعهد العلمي الشريف، فوجدها دريش فرصة ذهبية للتعرّف على المغرب من عمق طبيعته وفوّض أمره إلى صيليريي.

شرع دريش في أبحاثه الأولى بجبل زرهون الذي يقارب من بعض الجوانب جبال البرانيس الفرنسية، فاستقى منه ومن محيطه مستجدّات علمية لم يسبق إلى كشفها أحد من قبله. فصبّها في ما بعد في دبلوم الدراسات العليا المؤهل للترشيح لمباراة التبريز.

وإلى جانب الاستحقاقات العلمية، راح دْريش يفضح على صفحات جريدة فرنسية مظاهر الاستغلال البشري عن طريق استغلال المغرب عن طريق ثرواته الطبيعية من طرف المعمِّرين، كما مضى يفضح أساليب العسكريتارية عموماً، ذلك ما دفع بسلطات بلاده إلى اعتباره عنصراً يجب الاحتياط منه.

وعاد دْريش إلى فرنسا لاتمام مسيرته في التكوين على أمل أن يرجع إلى المغرب لمواصلة أبحاثه الجغرافية بكيفية أوسع نطاقاً. ولما فاز في مباراة التبريز في الجغرافيا والتاريخ آثر التدريس بالمغرب، فتمّ تعيينه بثانوية مولاي إدريس عام 1931، ثم نقلوه بعد أربعة أعوام إلى ليسي گورو بالرباط (الحسن الثاني حالياً) حيث درس إلى عام 1939. وفيه تعرّف عليه عدد من شبان الرباط منهم المهدي بنبركة.

أثناء هذه الأعوام الثمانية ربطته صداقة متينة مع شخصيات فرنسية متحرِّرة، منها ريجيس بْلاشير (R. Blachère) الذي كان يدرس الترجمة بمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط، ولوسيان پاي (Lucien Paye) الذي انيطت به مديرية التعليم العمومي بالمغرب، وإيف لاكوسط (Yves Lacoste) الباحث الاجتماعي لدى الإقامة العامّة، ومهندسين وجيولوجيين من مديرية الطاقة والمعادن، علاوة على أطر ذوي اختصاص عال من مديرية الفلاحة والمياه والغابات، وكانوا كلهم ممن يدينون بالأفكار الاشتراكية.

وأثناء هذه المرحلة الثانية بالمغرب والتي استغرقت ثمانية أعوام، أنفق كل عطله الفصلية والسنوية في الأبحاث الجغرافية بجبال الأطلس الكبير من ناحية مراكش، فعرّف بتضاريسه وقممه ونجوده وسهوله وأنهاره وجداوله. وترجم ذلك إلى مقالات قيمّة نشرتها كبريات المجلات العلمية الفرنسية والأنگليزية، تارة بتوقيعه الفردي، وتارة بتوقيع مشترك مع كبار الباحثين في الجغرافيا مثل جولي (Joly, F.) وموري (E. Mory) وآخرين. إلى هذه الأعمال أضاف دريش ما هو أهم بالنسبة للمغرب : خرائط الأطلس الكبير بمسالكه، والفلاحة في منحدراته، والمواشي، والسكن، والاقتصاد والاجتماع. وتألّق معه في هذا الميدان ألبير عياش وصيليريي وآخرون، ويبقى اسمه المهيمن في هذه الكوكبة من الباحثين، إذ كثيراً ما كان ينشر كذلك بعض المقالات ذات الطابع الإنساني والمجتمعي في الجريدة الاشتراكية التي كانت تصدر بالمغرب عنوانها "Espoir" (أمَل) وطبعاً فإن أصحابها كانوا فرنسيين، ولم يتردّدوا في مساندته كلما فضح سياسة الاستعمار التي نجحت في تفقير المغاربة. وكان من دعاة ربط القارة الافريقية بأوربا اقتصاديا وعلميا لتشكل القارتان وحدة متماسكة يسودها العدل الاجتماعي والرفاه.

إلا أن نشوب الحرب العالمية الثانية عام 1939 استوجب عودته إلى فرنسا لأداء الخدمة العسكرية. وفي أوائل سنة 1941، ناقش أطروحة الدكتوراه في الجغرافيا بجامعة تور Tours، عنوانها : *"أبحاث في تطور تضاريس الكتلة الوسطى بالأطلس الكبير، الحوز وسوس"*.

ثم عاد إلى المغرب في شهر غشت من نفس السنة لاستئناف عمله التربوي، إلا أن الجنرال نوگيس، المقيم العام وقتها استدعاه ليخبره بأنه غير مرغوب فيه بالمغرب، مما يعني أنه مطرود من هذا البلد.

رجع دريش إلى فرنسا حيث تم تعيينه بليسي فولطير بباريز، واغتنمها فرصة، وانخرط في صفوف المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال الألماني، ومنح درجة ضابط، فساهم في تحرير إقليم باريس.

أثناء فترة المقاومة تألّق نجمه فعيّن أستاذاً بكلية كان، ثم بكلية ستراسبورج (1946 ـ1947) ثم بكلية السوربون. وموازاة مع ذلك، أناط به أندري جوليان (Ch. A. Julien) مهمّة التدريس بالمدرسة الوطنية الفرنسية لما وراء البحار (1947 - 1948) وهي المدرسة التي كانت تسمى من قبل بـ "مدرسة العلوم الاستعمارية"، ثم شغل منصب أستاذ بمعهد الجغرافيا بباريس حيث درّس الجيومورفولوجيا ثم جغرافيا شمال إفريقيا، وهي المادة التي حظيت بإشعاع كبير وقتئذ.

وأثناء هذه الفترة واصل علاقاته بالمغرب وطائفة من النخبة المثقفة المغاربية سواء بفرنسا أو في أقطار شمال إفريقيا، وواصل تعريفه بالمغرب، فألف في هذا الموضوع : الخرائط الطبوغرافية الموجودة حالياً، خرائط الطرق والمياه

والغابات خرائط المناخ والساكنة، وخرائط استغلتها مديرية السياحة في عهد الاستعمار، ولاسيما السياحة الجبلية عبر جبال المغرب من الشمال إلى الجنوب، ويرجع له الفضل كذلك في إبراز "مميزات المغارب والعالم البربري ـ العربي"، هذا زيادة على أطروحته التي جعلت الأطلس الكبير مفتوحاً للمتطلعين إلي معرفة خصائصه وخباياه الطبيعية والاجتماعية، وكتاب جغرافيا *المغرب* الذي لا يخلو من إشارات رمزية إلى فعل الاستعمار الذي لم يبن "سدّ بين الودان" إلا لتلبية حاجات المعمّرين بتادلا وسدوداً ثانوية أخرى لنفس الغاية. وقد صدر هذا الكتاب بباريس عام 1949.

وبالجملة، كتب دريش ما يربو عن 350 مقالاً أو محاضرة أغلبها عن المغرب، من أقصى شماله إلى أقصى جنوبه، وبعضُها عن الجزائر وتونس وبعض أقطار إفريقيا السوداء.

وعارض بشدة الحرب بالهند الصينية كما عارض بعد ذلك الحرب الاستعمارية في الجزائر.

وبعد استقلال المغرب بقليل دُعي إلى الرباط قصد المساهمة في تنظيم شعبة الجغرافيا بكلية الآداب، وساهم في تكوين نخبة من أساتذتها المغاربة الذين يدينون له بالكثير.

وجملة القول، فان دْريش ترك في المغرب وفي موضوع المغرب بصمات خالدة لن تنمحي، شأنه شان جولي وريناك وقليل من أمثالهم. ذلك لأنهم خلّدوا أسماءهم بأبحاثهم النيرة، فما من معلمة جغرافية في هذا البلد إلا وتحمل أثرهم.

وبقي دْريش مناضلاً سياسياً طيلة حياته، فكان من الذين شاركوا في المظاهرة العارمة يوم 8 ماي 1968 بباريس للتعبير عن رفضهم لسياسة الجنرال دوگول الفرنسية وشجب هتك حقوق الإنسان عبر العالم.

توفي جان إيمانويل دريش بباريس يوم 4 مارس 1994.

A. Ayache, *Dictionnaire bibliographique du mouvement ouvrier au Maghreb* - Galissot, *Oved*, *R.O.M.M.*, n° 41 - 42, France ; Ministère de l'Energie et des Mines, *listes bibliographiques d'auteurs et de chercheurs*, Rabat.

أحمد بنجلون

**درِيناويا**، هو الاسم القديم الذي عرفت به جزيرة البرهان (Ile d'Alboran) (انظر *المعلمة*، 4 : 1203) وقد أشار إليها سكيلاكس الزائف في رحلته المعروفة (P de pseudo - scylax).

هي جزيرة خلاء توجد في البحر المتوسط، ويرى الباحث "تيسو" أن الرحلة تشير إلى الجزيرة بعد الإشارة إلى الأعمدة. وهذا الترتيب هو نفسه الذي يصادفه البحارة المتجهون إلى قادس حيث نرى على التتابع مليلة. جزيرة البرهان ثم جبل هاكسو الذي يشكل المدخل إلى المضيق.

Tissot, *Géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, p. 151 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc, PSAM*, 1938, p. 36.

عبد العزيز بل الفايدة

**درينورة**، Drinaura جزيرة ذكرها المدعو سكولكس في الرحلة المنسوبة إليه Périple de Scylax، والتي يرجع تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد حسب إجماع الدارسين. وصاحب الرحلة من أصل فارسي.

أشار سكولكس إلى هذه الجزيرة ضمن المواقع التي تتضمنها واجهة البحر المتوسط، من مجال المغرب القديم الذي كان يعرف باسم موروسية Maurusia أو موريطانية Mauretania.

في سرد المواقع التي تندرج فيها جزيرة درينورة، تتبع الكاتب الاتجاه من الشرق إلى الغرب. فبعدما انتهى من إحصاء المواقع التي توجد في نوميدة حتى مدينة سيگة Sige، التي كانت عاصمة الملك الماسيسولي سيفاكس Syphax في القرن الثالث قبل الميلاد، انتقل إلى بعض مواقع المغرب القديم قائلاً : "هناك مدينة هامة وميناء، المدينة تدعى أكروس Akros وكذلك الخليج الذي يحد، بها. ثم هناك جزيرة مهجورة تدعى درينورة، ثم العمود ا بيي لهرقل هو أبيلة ".

يعتقد شارل تيسو، أن صاحب الرحلة تعرف على هذه الجزيرة، في اختراقه للبحر بين مدينة روسادير Russadir (مليلة) التي لم يذكرها النص، ومضيق جبل طارق الذي كان يدعى بأعمدة هرقل. ويتفق تيسو مع الباحث موليـر Müller على اعتبار مدينة أكروس هي روسادسر Russadir التي ذكرتها مصادر متأخرة في تلك الجهة. ثم اقترح تيسو أن درينورة هي جزيرة "ألبوران" Alboran وهي مهجورة أيضاً كما كانت في القديم حسب الدارس.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1978 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Idem, *Index de topographie antique du Maroc, P.S.A.M.*, 4, 1939.

محمد مجدوب

**دْرِيهَم** أو ابن دريهم، وسماهم في *إزالة الالتباس* : أولاد بودريهَم، من أهل فاس، أصلهم من قبيلة مطاع، أهل معاش وحرفة، وكان لهم مدشر خارج باب عجيسة خاص بهم.

ويوجدون أيضاً بسلا حيث كانوا يشتغلون بالتجارة في العطور ونحوها. منهم الحاج محمد دْريهَم، ورد اسمه في *تقييد مَنْ أنعم عليهم الحسن الأول من السلاويين سكان* حومة باب سنة بتاريخ خامس حجة عام 1290 / 21 يناير 1874. كان دريهم ـ حسب التقييد ـ يكفل ستة أفراد، ونال أوقيتين ومثقالاً.

ابن **دْرِيهَمْ أحمد** الفاسي، قال عنه في *سلوة الأنفاس* "ممن أخذ عن الشيخ سيدي مسعود الدراوي المترجم في *مرآة المحاسن*، وانتفع به.

توفي عام1044 / 1634 ودفن بروضة شيخه المذكور القريبة من روضة الشيخ المحاسن الفاسي خارج باب الفتوح.

ابن **دْرِيهَمْ**، علي الفاسي، شيخ صوفي صالح ترجم له كذلك صاحب *السلوة والتنبية*، وذكره المدرع في منظومة المتعلقة بصلحاء فاس. لم يذكر تاريخ وفاته وإنما أشار إلى وجود ضريحه بدرب بن بوحاج.

م. الكتاني، *سلوة*،2 :236 ؛ 3 :331 ؛ ع. ابن سودة، *رفع الالتباس*، مرقون ؛ م. بوشعراء، *التعريف بني سعد السلويين*، 2 : 138.

محمد حجي

**الدريوش**، إحدى الدوائر الأربع التي تُكوِّن إقليم الناظور حاليا وإحدى الجماعات السبع التي يضمها تراب الدائرة. ظهرت هذه الدائرة كوحدة إدارية على مستوى إقليم الناظور سنة 1979. تغطي مساحتها حوالي 1602 كلم$^2$، تتقاسمها سبع جماعات قروية هي حسب أهمية مساحاتها : الدريوش، أولاد بوبكر، عين الزهرة، أمجاو، أيت مايت، دار الكبداني، تازغين.

يبلغ عدد سكان الدائرة 7.508 نسمة حسب إحصاء 1994 أي حوالي11٪ من مجموع سكان إقليم الناظور. أما كثافة السكان فتصل في الدائرة إلى حوالي 47 نسمة في الكلم$^2$. ويستفاد من مقارنة نتائج هذا الإحصاء بنتائج إحصاء 1982 أن عدد سكان الدائرة عرف تراجعا يقدر بحوالي 10٪ بسبب النزوح القروي والهجرة الدولية. وتعد الجماعات التي تتوفر على مؤهلات طبيعية محدودة أكثر عرضة لهذه الظاهرة.

ينتمي تراب الدائرة إلى منطقة انتقالية تفصل بين مرتفعات وأحواض الريف الشرقي وحوض ملوية. يتميز سطحها بتنوع تضاريسه التي تتكون من جبال ذات تركيب بنيوي معقد في بعض الأحيان، وسهول وهضاب واسعة الآفاق تحتل المنخفضات الممتدة بين المناطق المرتفعة. تتخلل هذا السطح مجموعة من الأودية الموسمية الجريان يشكل واد كرت أهم محور فيها.

يتميز مناخ الدائرة بالجفاف حيث تقل الكميات المطرية المسجلة في بعض محطاته عن 300 ملم، الشيء الذي يؤثر سلبا على طبيعة الغطاء النباتي الذي يتكون في أغلب الأحيان من أنواع متأقلمة مع الجفاف كالحلفاء، كما تحد هذه الظروف المناخية القاسية من ممارسة النشاط الزراعي، الشيء الذي يفسر تعاطي السكان للرعي وتربية الماشية منذ أمد طويل.

تمتد الجماعة القروية لدار الدريوش على مساحة تقدر بحوالي 432 كلم$^2$ أي 27٪ من مجموع تراب الدائرة التي تنتمي إليها، وهي بذلك أكبر جماعات دائرة الدريوش مساحة.

يتكون سطح الجماعة من جبال وهضاب وسهول. تمتد الجبال على مساحة محدودة من تراب الجماعة تمثل حوالي 23٪ من المساحة الإجمالية وتنتشر بشكل رئيسي في أطرافها الجنوبية، وهي عبارة عن مجموعة من خطوط أعراف تأخذ اتجاها عاما من الشرق إلى الغرب تتميز بتقطعها وبضعف علوها الذي لا يتجاوز متوسطه 600 م إلا نادرا. كما تتخللها مجموعة من الفجاج والمنخفضات التي تكون ممرات تسهل عملية الاتصال بين أطراف الجماعة من جهة وبينها وبين العالم الخارجي من جهة أخرى. أما السهول والهضاب فتغطي أغلب مساحة الجماعة، وهي أراضي منبسطة تتخللها مجموعة من الأودية الموسمية الجريان.

ترتبط هذه التضاريس بتطورات جيولوجية وجيومورفلوجية معقدة شهدتها المنطقة، فالوحدة الجبلية تنتمي إلى سلسلة الدريوش Sierra de Driuch التي تكون جزءاً من الهوامش الشرقية للمجال الريفي وتتميز على مستوى التركيب الصخري بسيادة مواد حثية شستية وكلس ـ طفلية ترجع في مجملها إلى الزمن الثاني. أما الأجزاء المنبسطة فإن توزيعها يوافق توزيع مجموعة من المنخفضات التي امتلأت بالمواد الرسوبية عبر فترات الزمنين الثالث والرابع. ويتمثل أهم هذه المواد في الطفل النيوجيني وفي الرصيص والكلس البحيري الرباعيين.

ويُكوِّن الكلس البحيري خزانا مائيا مهما في المنطقة حيث يحتوي على مستويات غنية بالماء يتراوح عمقها بين 15 م و70 م.

خلال فترات الرباعي تعرضت المنطقة لتطورات مختلفة أدت إلى ظهور مجموعة من الأشكال تطبع سطح تراب الجماعة ويتمثل أهمها في المستويات الرباعية (مصطبات نهرية) وفي أشكال أقدام الجبال، كما تخلفت عن هذه الفترات عدة أجيال من المواد المختلفة كالقشرات الكلسية التي تغلف بعض السطوح بالإضافة إلى أتربة متنوعة. وتلعب هذه المواد دورا مهما في حياة السكان.

أما على المستوى المناخي فإن الجماعة تعرف مناخا جافا نظرا لموقعها القاري ولوقوعها خلف مجموعة من المرتفعات التي تحجب عنها وصول التأثيرات البحرية الرطبة. يصل المتوسط السنوي للتساقطات إلى حوالي 281 ملم في محطة الدريوش وهي إلى جانب ضعفها تتميز بعدم انتظام توزيعها داخل السنة الواحدة ومن سنة لأخرى. أما الحرارات فيصل متوسطها السنوي إلى 17° في حين تبلغ

المتوسطات السنوية للحرارات العليا 24,9° و10,9° بالنسبة للحرارات الدنيا، وتصل كميات المياه المتبخرة إلى حوالي 735 ملم. هذه الظروف المناخية القاسية تؤثر سلبا على الحياة الاقتصادية في المنطقة، خاصة على النشاط الفلاحي الذي يلعب دورا مهما في حياة السكان.

عرفت المنطقة استقرارا بشريا قديما. ويبلغ عدد سكان الجماعة حسب إحصاء 1994 حوالي 26.329 فردا، منهم 19.445 قرويا. ويمثل هذا العدد حوالي 35٪ من مجموع سكان الدائرة، الشيء الذي يجعل من الجماعة أكثر جماعات الدائرة سكانا، أما الكثافة السكانية على مستوى الجماعة فتصل إلى حوالي 61 نسمة/ كلم$^2$. كما يستفاد من مقارنة إحصاءي 1982 و1994 أن مجموع سكان الجماعة عرف نموا تقدر نسبته بـ26٪.

تعتمد هذه الساكنة في حياتها على أنشطة مختلفة كالفلاحة والهجرة الدولية.

تشير تقديرات مركز الأشغال الفلاحية بدريوش إلى أن استعمال أراضي الجماعة يتم على النحو التالي :

- الأراضي الفلاحية 30.000 هكتار. منها 27.360 هكتار بورية و2.640 هكتار مسقية.
- المراعي 1.430 هكتار.
- الغابات 8.500 هكتار.
- أراضي غير قابلة للاستغلال 3.270 هكتار.

كما تشير هذه التقديرات إلى أن مجموع الفلاحين بالجماعة يصل إلى حوالي 3.800 فلاح يملك حوالي 55٪ منهم أقل من 5 هكتارات. إلا أن الظروف المناخية القاسية ووجود مساحات غير صالحة للاستغلال (سطوح مكسوة بالقشرات الكلسية وأخرى معراة من المواد السطحية) وغير القابلة للحرث يحدان بشكل كبير من أهمية النشاط الزراعي. وفي محاولاتهم للتغلب على هذه الصعاب، وبصفة خاصة على ندرة الماء، يعمد الفلاحون إلى استغلال المياه الجوفية عن طريف حفر الآبار التي يصل عددها في الجماعة إلى 1.400 بئر حسب تقديرات مركز الأشغال الفلاحية. وقد بدأت ظاهرة استغلال المياه الجوفية مع دخول الاستعمار إلى المنطقة وحصول المعمرين على أجود أراضيها. وتتوفر الجماعة على عدد مهم من رؤوس الماشية خاصة الأغنام والماعز وهو ما يعكس استمرار السكان في التعاطي للنشاط الرعوي الذي كون لمدة طويلة عماد حياتهم الاقتصادية.

إلى جانب الفلاحة تعرف الجماعة كباقي المناطق المجاورة هجرة دولية مهمة، غير أن هذه الظاهرة أقل أهمية مما هي عليه في الجماعات المجاورة، خاصة تلك التي تنتمي إلى دائرة الريف. وقد قدرت نسبة المهاجرين في الجماعة بين 4 و8٪ من مجموع السكان (Bossar, 78). ويقوم هؤلاء بتحويل مبالغ مالية مهمة نحو ذويهم، الشيء الذي يعمل على الرفع من مستوى العيش وعلى تطور الجماعة خاصة مركزها الحضري. (انظر دار الدريوش).

J.J. Barathon, *Bassins et littoraux du Rif oriental : Evolution morphoclimatique et tectotique depuis le néogène supérieur,*. *Etudes méditerranéennes*. Fasc. N° 13, 1989 ; P.R. Bossard, *Mouvements migratoires dans le Rif oriental : le travail en Europe. Aspect contemporain majeur des migrations dans la province de Nador*. Thèse de 3ème cycle, Monpellier, 1978 ; Centre de travaux agricoles de Driuch, *Données monographiques des communes rurales de Driuch et Dar Kabdani.*

حسن العباسي

**الدستور**، كلمة فارسية مركبة من "دست" وتعني القاعدة، ومن كلمة "ور" بمعنى صاحب، فيكون معناها صاحب القاعدة. كما تعني في مجموعها أيضاً القاعدة التي يعمل بمقتضاها، أو الدفتر الذي تجمع فيه قوانين الملك وضوابطه (*محيط المحيط*، ج. 1، ص. 650 ؛ *أقرب الموارد في فصيح لعربية والشوارد*، ج. 1، ص. 392).

وإذا كان الأصل اللغوي لكلمة الدستور فارسيّ الأصل والمنبت، وكان معناها يفيد الأساس أو القاعدة، فالراجح أنها قد دخلت إلى اللغة العربية عن طريق اللغة التركية، ثم شاعت في اللغة العربية (*القاموس السياسي*، ص. 521).

وجل الدساتير العربية تطلق على وثائقها الأساسية تسمية الدستور، من ذلك : دستور موريتانيا لسنة 1991 - دستور المغرب لسنة 1996 - دستور الجزائر لسنة 1996 - دستور تونس لسنة 1959 - دستور مصر لسنة 1971 - دستور الأردن لسنة 1952 - دستور سوريا لسنة 1973 - دستور الكويت لسنة 1962 - دستور الإمارات العربية المتحدة لسنة 1971 - دستور قطر لسنة 1972.

ويقابل اصطلاح الدستور في اللغة الانجليزية والفرنسية Constitution وفي الإسبانية Constitución.

الدستور في الاصطلاح القانوني تعبير يراد به معنيان متغايران أحدهما موضوعي والآخر شكلي :

فوفق المعنى الموضوعي يقصد بالدستور مجموعة القواعد التي تعتبر في جوهرها دستورية، كالقواعد التي تبين شكل الدولة ونظام الحكم فيها وسلطاتها وما إلى ذلك من المواضيع التي لها علاقة بنظام الحكم في الدولة من الناحية السياسية، بصرف النظر عما إذا كانت هذه القواعد مدونة في وثيقة دستورية أو تقررت أحكامها في قوانين عادية أو بمقتضى العرف الدستوري. وينجم عن هذا المعنى لمؤدى الدستور أن يكون لكل دولة بلا استثناء دستور يبين الأسس العامة التي تسير عليها من أجل القيام بمهامها وتأدية وظائفها، يستوي في ذلك أن يكون الدستور مكتوباً أو عرفياً.

ومن مجموع المواضيع التي تعتبر دستورية بطبيعتها وجوهرها تتشكل مادة القانون الدستوري التي تدرس في كليات الحقوق باعتبارها فرعاً من فروع القانون العام الداخلي.

أما الدستور وفق المعنى الشكلي فيراد به الوثيقة المدونة المتضمنة لمجموعة من المقتضيات والأحكام الصادرة من السلطة المختصة، وهي السلطة التأسيسية الأصلية التي يختلف تكوينها باختلاف الدساتير. وتبعاً لهذا المعنى فإن الدستور لا يكون له وجود إلا بالنسبة للدول التي تأخذ بفكرة الدساتير المكتوبة، أما الدول التي لا تعرف الدستور المكتوب كإنجلترا فإنه لا يتصور أن يوجد بها دستور ما دام هذا الأخير وفق المدلول الشكلي لمعنى الدستور يصدر فقط عن السلطة التأسيسية.

وينصرف مصطلح الدستور أساساً إلى الوثيقة الدستورية التي تتضمن القواعد الأساسية المتعلقة بنظام الحكم في الدولة كالدستور الفرنسي والإسباني والمغربي الخ..، وذلك من حيث تنظيم السلطات العامة وتحديد اختصاصاتها وبيان الحقوق والحريات المقررة للأفراد وكذلك الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مع اختلاف الدساتير فيما تتضمنها من مقتضيات وأحكام.

والوثيقة الدستورية التي تشكل المصدر الهام للقانون الدستوري قد تكون واحدة وهذه هي القاعدة والأصل ؛ وقد تكون متعددة كما هو الحال بالنسبة لدستور الجمهورية الثالثة في فرنسا، حيث صدرت ثلاثة قوانين دستورية : الأول صدر بتاريخ 24 فبراير 1875 من أجل تنظيم مجلس الشيوخ، ويتضمن إحدى عشرة مادة، والثاني صدر في 25 فبراير 1875 وهو متعلق بتنظيم السلطات العامة ويتضمن تسع مواد، والثالث صدر في 16 يوليوز 1875 ويحتوي على أربع عشرة مادة متعلقة بتنظيم العلاقة بين السلطات. وهذه القوانين الثلاثة هي التي تشكل في مجموعها دستور 1875 أو ما يسمى بدستور الجمهورية الثالثة الذي ظل قائماً إلى تاريخ اندحار فرنسا أمام ألمانيا النازية سنة 1940.

كما أن الوثيقة الدستورية من حيث عدد فصولها قد تكون طويلة مثل دستور الهند لسنة 1949 الذي يتضمن 395 مادة بالإضافة إلى جداول مرفقة بالدستور، ودستور يوغوسلافيا لسنة 1963 الذي كان يحتوي على 259 مادة، ودستور المملكة الليبية لسنة 1951 الذي كان يحتوي على 204 مادة. وعلى خلاف ما سبق، توجد دساتير عدد موادها ليس بالكثير كما هو الحال بالنسبة لدستور الولايات المتحدة الأمريكية الذي كان وقت صدوره سنة 1787 متضمناً لسبع مواد فقط، وكذلك الأمر بالنسبة لدستور فرنسا لسنة 1875 الذي كان يتضمن 34 مادة. أما الدساتير المغربية المتعاقبة فتتضمن مجموعة من الفصول محددة تبعاً لتسلسل الدساتير من الناحية الزمنية على النحو التالي : دستور 1962 : 110 فصل، دستور 1970 : 101 فصل، دستور 1972 : 103 فصل، دستور 1992 : 102 فصل، دستور 1996 : 108 فصل.

تنقسم الدساتير من حيث مصدر القاعدة الدستورية إلى دساتير مكتوبة ودساتير عرفية :

ـ الدستور المكتوب هو الذي يضع أحكامه المشرع الدستوري ويدون قواعده في وثيقة رسمية واحدة أو عدة وثائق. وأول الدساتير المكتوبة هي التي وضعتها لنفسها المستعمرات الانجليزية بأمريكا الشمالية وقت أن أعلنت انفصالها عن التاج البريطاني سنة 1776، ثم تلا ذلك في سنة 1781 صدور دستور الاتحاد التعاهدي، وفي سنة 1787 صدر الدستور الاتحادي للولايات المتحدة الأمريكية الذي لا يزال ساري النفاذ مع ما أدخل عليه من تعديلات وصلت إلى 26 تعديلاً.

ثم انتقلت فكرة الدساتير المكتوبة من أمريكا الشمالية إلى فرنسا التي وضعت أول دستور مكتوب لها سنة 1791 في عهد الملك لويس السادس عشر. ثم توالى بعد ذلك صدور بقية الدساتير المكتوبة (1793 ـ 1795 ـ 1799 ـ 1814 ـ 1830 ـ 1848 ـ 1852 ـ 1875 ـ 1946) والذي كان آخرها دستور 1958 (دستور ديغول أو دستور الجمهورية الخامسة) مع ما أدخل عليه من تعديلات وخاصة التعديل الذي تم سنة 1962.

ومن فرنسا انتقلت فكرة الدساتير المكتوبة إلى بقية دول العالم، حيث تم وضع دستور بلجيكا سنة 1831 وإيطاليا سنة 1848 وفنلندا سنة 1919 وتركيا سنة 1924 والعراق 1925 والأردن سنة 1928 والمغرب سنة 1962 الخ...

وفكرة الدساتير المكتوبةأصبحت تشكل جزءاً من كيان الدولة الحديثة بحيث أصبح من المتعذر العدول عن هذه الوسيلة والرجوع إلى فكرة الدساتير العرفية التي آل مصيرها إلى الزوال والأفول.

ـ الدستور العرفي هو ذلك الدستور الذي يستمد أحكامه عن غير طريق التشريع، أي ذلك الذي تتكون أحكامه وقواعده ومقتضياته عن طريق العرف الذي ينشأ تلقائيا من أجل معالجة أمور ومسائل تتعلق بنظام الحكم، دون تدخل من المشرع الوضعي.

ويثبت التاريخ الدستوري أن دساتير الدول القديمة بدأت في شكل قواعد عرفية وظلت كذلك إلى ما بعد منتصف القرن الثامن عشر، حيث افتتحت الثورتان : الأمريكية والفرنسية عهد الدساتير المكتوبة.

والمثال التقليدي للدساتير العرفية هو دستور المملكة المتحدة. فانجلترا لا تملك وثيقة مكتوبة تسمى الدستور الانجليزي تحوي بين دفتيها القواعد الدستورية. ذلك أن جل القواعد المتعلقة بنظام الحكم تكونت في هذا القطر على مر الزمن بالعادة والتكرار حتى استقر في ذهن الجماعة وجوب احترامها والعمل بمقتضياتها.

وإذا كانت المملكة المتحدة ذات دستور عرفي، فإنه توجد بها وثائق مكتوبة تشكل جانبا هاماً من مصادر النظام الدستوري الأنجليزي في الوقت الحاضر، من غير أن يترتب عن ذلك إخراج بريطانيا من إطار الدول ذات الدساتير العرفية.

ومن أمثلة هذه الوثائق المكتوبة في انجلترا ما يلي : العهد الأعظم - ملتمس الحقوق - وثيقة الهابياس كوربوس - قرار التثبيت أو قانون توارث العرش - قانون البرلمان.

وإذا كان الدستور العرفي يرتبط بالدول التي لا تأخذ بفكرة الدساتير المكتوبة، فإن العرف الدستوري كمصطلح يطلق على القواعد العرفية التي تنشأ في إطار دولة لها دستور مكتوب. فإسبانيا والمغرب والجزائر وسائر الدول ذات الدساتير المكتوبة لا توجد بها دساتير عرفية، ولكنها تعرف قواعد عرفية تظهر بجوار الدستور المكتوب من أجل تفسير نص دستوري أو تكملته أو تعديله، بل وحتى إيجاد قواعد دستورية غير منصوص عليها في الوثيقة الدستورية.

وتنقسم الدساتير بالنظر إلى كيفية تعديلها إلى دساتير مرنة ودساتير جامدة.

الدستور المرن : هو ذلك الدستور الذي يمكن تعديله بقانون عادي تصدره السلطة التشريعية، دون حاجة إلى اتباع أي إجراء آخر يختلف عن الإجراء المتبع في وضع وتعديل القانون العادي ؛ أي أن الدستور المرن تعدل أحكامه بواسطة السلطة المختصة بالتشريع.

وفي إطار هذا النمط من الدساتير تتساوى القوانين الدستورية مع القوانين العادية، وتحتل نفس المرتبة والدرجة. وإذا حدث تعارض بين نص دستوري ونص عادي، فإن اللاحق يلغي السابق، دون أن تثار مسألة الرقابة على دستورية القوانين العادية.

ومن أمثلة الدساتير العرفية المرنة، دستور أنجلترا، حيث يستطيع البرلمان أن يغير القواعد الدستورية بنفس الطريقة التي يعدل بها القوانين العادية.

ومن أمثلة الدساتير المكتوبة المرنة : دستور فرنسا لسنة 1814 و1830، دستور إيطاليا لسنة 1848، دستور قطر لسنة 1972. وكون هذه الدساتير المكتوبة اتصفت بالمرونة، فمرد ذلك خلو الوثيقة الدستورية من الاجراءات المتعلقة بالتعديل، الأمر الذي جعل هذا النمط من الدساتير يندرج في إطار الدساتير المرنة.

- الدستور الجامد هو ذلك الذي لا يمكن تعديله وتغييره بقانون عادي، وإنما يتحتم من أجل تعديله اتباع الاجراءات التي حددها الدستور وبينها في نصوصه.

والإجراءات المتبعة لتعديل الدساتير الجامدة ليست واحدة، نظراً لاختلاف الدساتير في هذا المضمار. فقد يشترط الدستور اجتماع مجلسي البرلمان في هيئة مؤتمر عندما يكون البرلمان مكونا من مجلسين، وقد يشترط إسناد التعديل إلى جمعية يختار أعضاؤها خصيصاً لهذا الغرض، وقد يشترط لإتمام التعديل أغلبية موصوفة، وقد يشترط موافقة الشعب على التعديل.

والهدف من تقرير جمود الدستور، هو إعطاؤه نوعاً من الثبات والاستقرار. ولتحقيق هذه الغاية فإن قواعده ومقتضياته تحاط بسياج متين يضمن لها قدراً من السمو والعلو، للحيلولة دون التغييرات التي تتم دون روية وتدبر وتفكير. ولهذا، فإن جمود الدستور لا يعني مطلقاً عدم المساس به، لأن ذلك يتنافى مع طبيعة الأشياء ويتجافى مع سنة الحياة التي لا تقبل الجمود المطلق.

وتأسيساً على ما سبق، فإنه إذا كان الدستور المرن يتميز بإمكان تعديله باتباع ذات الإجراءات المتطلبة لتعديل القوانين العادية، فإن الدستور الجامد ليس كذلك. ولهذا حينما تختلف الإجراءات المتبعة في تعديل القوانين الدستورية عن تلك المتطلبة لتعديل القوانين العادية، فإن الدستور يكون جامداً، مهما بلغت درجة هذا الاختلاف من الضآلة، كأن يشترط في تعديل القواعد الدستورية توافر أغلبية الثلثين، ويتطلب في تعديل القوانين العادية تحقق الأغلبية المطلقة.

ويترتب على اتصاف الدستور بصفة الجمود سريان هذا الجمود على كل المقتضيات التي تتضمنها الوثيقة الدستورية، بما في ذلك تلك المقتضيات التي تعالج بأداة قانونية أدنى من الدستور، والتي تعتبر دستورية من الناحية الشكلية دون الناحية الموضوعية، الأمر الذي يجعل الوثيقة الدستورية لا تعدل إلا بعد اتباع الإجراءات المنصوص عليها في الدستور ذاته. وإذا حدث تعارض بين نص دستوري ونص عادي، فإنه في هذه الحالة تثار مسألة الرقابة على دستورية القوانين.

مظاهر جمود الدستور : يلجأ واضعو الدساتير الجامدة للحيلولة دون تعديل أحكام الوثيقة الدستورية إلى منع التعديل خلال فترة زمنية (الحظر الزمني)، أو منع تعديل بعض النصوص بصفة دائمة (الحظر الموضوعي).

أ - الحظر الزمني القصد من هذا الحظر هو حماية الدستور فترة من الزمن لا يجوز خلالها اقتراح تعديل أحكامه، بهدف ضمان نفاذ قواعده فترة تكفي لتثبيتها وترسيخها قبل أن يسمح باقتراح تعديلها، ومن ذلك دستور الكويت (المادة 174)، البحرين (المادة الأولى، بند "و")، المغرب (الفصل 21، الفقرة الأولى).

ب - الحظر الموضوعي يتوخى هذا الحظر حماية أحكام معينة في الدستور على نحو يحول دون إمكانية تعديلها، نظراً لكونها تشكل الحجر الأساسي في النظام السياسي الذي يقيمه الدستور. ومن أمثلة الدساتير التي نصت على الحظر الموضوعي المؤبد لبعض النصوص، دستور فرنسا لسنة 1958 (المادة 89، الفقرة الثانية)، دستور ألمانيا الاتحادية (المادة 79، الفقرة الأخيرة)، دستور الكويت (المادة 175)، دستور المغرب لسنة 1996 (الفصل 106).

تختلف طرق وضع الدساتير المكتوبة باختلاف الدول، وتباين أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتفاوتها في مضمار الحضارة والمدنية، ومدى النضج السياسي لدى الرأي العام فيها ؛ كما تتأثر طريقة الوضع بنوعية نظام الحكم الذي يراد الأخذ به.

والطرق المتبعة في وضع الدساتير هي التالية :

ـ أسلوب المنحه وفق هذا الأسلوب ينفرد الحاكم بوضع الوثيقة الدستورية دون مشاركة أو مساهمة من الشعب. لهذا يعتبر الدستور الممنوح هبة أو منحة من طرف الحاكم الذي تكرم وتفضل بالتنازل عن جزء من اختصاصاته المطلقة لصالح المحكومين من أفراد رعيته.

ويمثل هذا الأسلوب في وضع الدساتير الانتقال من الحكم المطلق الذي تتجسد فيه السيادة في شخص الحاكم إلى الحكم المقيد الذي من خصائصه تقييد سلطات الحاكم، نتيجة تحديد الدستور لسلطات الدولة واختصاصاتها وبيان ما يتمتع به الشعب من حقوق وحريات.

من أمثلة الدساتير الممنوحة دستور فرنسا لسنة 1814 ودستور إيطاليا لسنة 1848 ودستور اليابان لسنة 1889 ودستور مصر لسنة 1923 ودستور قطر لسنة 1972 ودستور السعودية لسنة 1992 الذي جاء فيه ما يلي :

"بعون الله تعالى : نحن فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية. بناء على ما تقتضيه المصلحة العامة ونظراً لتطور الدولة في مختلف المجالات ورغبة في تحقيق الأهداف التي نسعى إليها. أمرنا بما هوآت..."

ـ أسلوب التعاقد بمقتضى هذه الوسيلة ينشأ الدستور باتفاق بين الحاكم وممثلي الشعب، حيث يتعذر على أي طرف أن يستأثر بعملية إقرار الدستور إلا بعد تلاقي إرادة كل من رئيس الدولة وأعضاء البرلمان الذين يمثلون الشعب.

ويتبين من هذا الأسلوب في وضع الوثيقة الدستورية أن نظام الحكم الفردي بدأ في الضعف وسائر إلى الأفول والزوال، وأن إرادة الشعب آخذة في الظهور والصعود، وفارضة وجودها عبر من يمثلها في البرلمان. ولهذا تعتبر هذه الوسيلة خطوة إلى الأمام في طريق الديمقراطية، مما يجعلها أفضل من أسلوب المنحة.

ومن أمثلة الدساتير التي وضعت بأسلوب التعاقد ما يلي : دستور فرنسا لسنة 1830 ـ دستور العراق لسنة 1925 ـ دستور الأردن لسنة 1946 و1952 ـ دستور الكويت لسنة 1962 ـ دستور البحرين لسنة 1973.

ـ أسلوب الجمعية التأسيسية المنتخبة وفق هذا الأسلوب يتولى الشعب وضع الوثيقة الدستورية بطريق غير مباشر عبر ممثلين ينتخبهم من أجل ممارسة السلطة التأسيسية ووضع دستور للبلاد.

وترجع هذه الوسيلة في أصلها وبداية ظهورها إلى أمريكا، حيث تم بواسطتها وضع دساتير أغلب الولايات الأمريكية عقب إعلان استقلالها عن انجلترا سنة 1776، وبذات الوسيلة صدر الدستور الاتحادي سنة 1787.

ومن أمريكا انتقلت هذه الوسيلة إلى فرنسا، حيث وضعت دساتير 1791 و1848 و1875 عن طريق جمعية نيابية منتخبة.

ومن فرنسا انتقلت هذه الوسيلة إلى دول عديدة منها :

ـ دستور ألمانيا لسنة 1919 ـ دستور إسبانيا لسنة 1931
ـ دستور تركيا لسنة 1924 ـ دستور سوريا لسنة 1950
ـ دستور تونس لسنة 1959 ـ دستور البرتغال لسنة 1976.

والدستور الصادر وفق هذا الأسلوب يصبح نافذاً من تلقاء ذاته بمجرد إقراره من طرف الجمعية المنتخبة دون حاجة إلى عرضه على الشعب للحصول على موافقته ومن غير حاجة أيضاً إلى موافقة جهة من الجهات بما في ذلك رئيس الدولة.

ـ أسلوب الاستفتاء الدستوري قد يتم إعداد الدستور من طرف جمعية منتخبة أو لجنة حكومية وقد ينفرد رئيس الدولة بإعداد صياغته، ومع ذلك يعتبر الدستور صادراً وفق أسلوب الاستفتاء الدستوري، ما دام الدستور لا يمكن إصداره إلا بعد موافقة الشعب عليه عن طريق الاستفتاء.

ومن أمثلة الدساتير التي وضعت من طرف جمعية منتخبة ووافق عليها الشعب دستور فرنسا لسنة 1946.

ومن أمثلة الدساتير التي أعدت من طرف لجنة حكومية وأقرها الشعب دستور مصر لسنة 1956 ودستور فرنسا لسنة 1958.

ومن أمثلة الدساتير التي انفرد رئيس الدولة بصياغتها ووافق عليها الشعب في استفتاء عام دساتير المغرب لسنة 1962 ـ 1970 ـ 1972 ـ 1992 ـ 1996.

ويعد أسلوب الاستفتاء الدستوري تطبيقا لفكرة الديمقراطية المباشرة، لأن الشعب هو الذي يختار دستوره بنفسه دون إنابة أو تفويض.

ولما كان أسلوب الاستفتاء الدستوري في وضع الوثائق الدستورية يمكن الشعب بصورة مباشرة من الاستئثار بعملية الإقرار النهائي للدستور، فإنه من أجل ذلك يعتبر من أكثر الوسائل ديمقواطية، لكونه يأخذ من الديمقراطية بأكبر نصيب ويبلغ منها أقصى درجة وأبعد مدى.

وقد اتبعت طريقة الاستفتاء الدستوري العديد من الدساتير منها : دستور فرنسا لسنة 1793 ـ 1795 ـ 1946 ـ 1958. دستور مصر لسنة 1956 و1971، دستور إسبانيا لسنة 1978، دساتير المغرب (1962 ـ 1970 ـ 1972 ـ 1992 ـ 1996) وإذا كان أسلوب الاستفتاء الدستوري يفضل الأساليب السابقة، فإنه من الناحية الواقعية والفعلية لا يعتبر كذلك، إلا إذا كان الشعب على درجة من الوعي السياسي، وكان في إمكانه رفض الدستور إذا تبين له أنه لا يساير روح العصر أولاً يستجيب لآ ماله وتطلعاته في كيفية تدبير الشأن العام.

تعديل الدساتير : إن الدستور في واقع أمره وحقيقة حاله هو تخطيط للنظام السياسي في بلد معين. ونتيجة لذلك فهو يظهر إلى حيز الوجود متضمنا للقواعد الأساسية للدولة وفق أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة وقت صدوره.

ولما كانت الحياة الاجتماعية متغيرة، على خلاف الوضع

بالنسبة للدستور الذي يتسم بالسكون، فإنه كان لزاما من أجل مسايرة الحياة المتغيرة، أن يتطور الدستور حتى يواكب هذه المتغيرات ويغطي المستجدات التي تطرأ على حياة الدولة لكي لا تظهر الفجوة بين التنظيم القانوني القائم وبين الواقع الفعلي.

ولتحقيق هذه الغاية قد يقتصر الأمر على تعديل بعض النصوص الدستورية، وقد يتطلب الأمر إلغاء الوثيقة الدستورية برمتها وإستبدالها بغيرها.

والقاعدة في جل الدساتير الجامدة أنها لا تنظم إلا طريقة تعديلها تعديلاً جزئياً، في حين أن البعض الآخر يتصدى لبيان طريقة التعديل الجزئي ويحدد في ذات الوقت كيفية التعديل الكلي للوثيقة الدستورية، من ذلك دستور إسبانيا لسنة 1978 الذي أفرد المادة 166 و167 للتعديل الجزئي وخصص المادة 168 للتعديل الشامل للوثيقة الدستورية ولمسائل أخرى. وهذه المادة تقرر ما يلي :

ـ وقت اقترح المراجعة الشاملة للدستور أو مراجعة تمس الباب التمهيدي أو الفصل الثاني أو الفرع الأول من الباب الأول أو الباب الثاني، سيتم اللجوء إلى الموافقة على المبدأ بأغلبية ثلثي أعضاء كل مجلس ثم يحل الكورتس مباشرة.

ـ يتوجب على المجلسين المنتخبين التصديق على قرار المراجعة والشروع في دراسة النص الدستوري الجديد ويتحتم التصديق عليه بأغلبية الثلثين في كل مجلس

ـ بعد مصادقة الكورتس تعرض المراجعة على الاستفتاء لإقراره".

فتعديل الدستور بأكمله يراد به انتهاء العمل بالوثيقة الدستورية برمتها، في حين أن التعديل الجزئي يراد به تعديل بعض أحكام الدستور فقط، وهو ما تخصص له جميع الدساتير الجامدة عنواناً مستقلاً توضح فيه الإجراءات الواجب إتباعها من أجل تغيير بعض مواد الدستور.

وفي النظام الدستوري المغربي حينما يتم انتهاء سريان الدستور بأكمله ويصدر دستور جديد، فإن هذا الأخير قد يخصص فصلاً خاصا يشير فيه إلى انتهاء العمل بالدستور السابق. وهذا ما نجده في الدستور الثالث لسنة 1972 الذي ينص في الفصل 103 منه على ما يلي : "يلغى الدستور الصادر الأمر بتنفيذه بمقتضى الظهير الشريف رقم 1.70.177 بتاريخ 31 يوليوز 1970". بيد أن عدم ورود نص مماثل في أي دستور جديد (1992 ـ 1996) لا يعني أن الدستور القديم يظل قائماً ومنتجا لآثاره. ذلك أن الدولة لا يمكن أن يكون لها في ذات الوقت سوى دستور واحد يتم العمل بمقتضياته. وعلى هذا الأساس فإن الدستور اللاحق والصادر الأمر بتنفيذه يؤدي بصفة تلقائية إلى إلغاء الدستور السابق عليه.

والوضع يختلف حينما يكون الأمر متعلقاً بالتعديل الجزئي، حيث إن الذي يلغي أو يعدل في هذه الحالة ليس هو الدستور بأجمعه، وإنما بعض المقتضيات التي تتضمنها الوثيقة الدستورية، دون إلغاء للدستور الذي يبقى ساري النفاذ مادام التعديل قد انصب على بعض الفصول فقط.

والمثال على التعديل الجزئي ما حدث في المغرب سنة 1980، حيث تم في 21 و30 ماي ذات السنة تعديل الفصل 21 و43 و95، من غير أن يترتب على ذلك أي مساس بباقي فصول الوثيقة الدستورية. ذلك أنه بالرغم من المراجعة التي تمت في ظل دستور 1972، فإن هذا الدستور ظل قائماً ومطبقاً إلى أن ألغي بمقتضى الدستور الرابع لسنة 1992. وكذلك الأمر بالنسبة للمراجعة الجزئية التي تمت في 15 سبتمبر 1995 بغاية تعديل الفقرة الثالثة من الفصل 49 من دستور 1992، حيث تمخض عن الاستفتاء مجرد تعديل تلك الفقرة، مع بقاء الدستور منتجا لآثاره إلى أن ألغي بمقتضى الدستور الخامس لسنة 1996.

والدستور المغربي لسنة 1996 نظم موضوع تعديل الوثيقة الدستورية من حيث إجراءاته ونطاقه على النحو التالي :

الفصل 103 : "للملك ولمجلس النواب ولمجلس المستشارين حق اتخاذ المبادرة قصد مراجعة الدستور.

للملك أن يستفتي شعبه مباشرة في شأن المشروع الذي يستهدف به مراجعة الدستور.

الفصل 104 : " إن اقتراح مراجعة الدستور الذي يتقدم به عضو أو أكثر من أعضاء مجلس النواب أو مجلس المستشارين لا تصح الموافقة عليه إلا بتصويت ثلثي الأعضاء الذين يتألف منهم المجلس المعروض عليه الاقتراح، ويحال الاقتراح بعد ذلك إلى المجلس الآخر ولا تصح موافقته عليه إلا بأغلبية ثلثي الأعضاء الذين يتألف منهم".

الفصل 105 : "تعرض مشاريع واقتراحات مراجعة الدستور بمقتضى ظهير شريف على الشعب قصد الاستفتاء.

تصير المراجعة نهائية بعد إقرارها بالاستفتاء".

الفصل 106 : "النظام الملكي للدولة وكذلك النصوص المتعلقة بالدين الإسلامي لا يمكن أن تتناولها المراجعة".


بطرس البستاني، *محيط المحيط*، بيروت، السعيد سعيد الخوري الشرتوني، *أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد* ؛ أ. عطية، *القاموس السياسي*، بيروت،1974 ؛ *الدساتير الدولية* المشار إليها في النص أعلاه ؛ *الدساتير المغربية الخمسة*.


مصطفى قلوش

**دستور** جماعة لسان المغرب (1908) : إنه مشروع دستور نشرته جريدة *"لسان المغرب"* التي كان يحررها في طنجة ما بين 1907 و1909 الأخوان الشاميان المسيحيان فرج الله نمور وارتون نمور. ظهرت منه ثلاث وتسعون مادة في أربعة أعداد متتالية من الجريدة وهي مؤرخة في 11 و18 و25 أكتوبر وفاتح نونبر 1908. وتعتبر هذه المواد التي

تم الفراغ من تحريرها يوم الأحد 15 رمضان 1326 / 11 أكتوبر 1908 بمثابة الفصل الأول من المشروع، وهو "الدستور الأساسي المغربي"، وأعلن أنه سيتبع لاحقا بفصلين آخرين واحد منهما يبحث في "نظام منتدى الشورى الداخلي"، والثاني يتناول كيفية "الانتخابات العمومية". غير أن هذين الفصلين لم يريا النور.

تتوزع مواد الفصل الأول المنشور بين المواضيع التالية :

- الدولة والدين والسلطان (من المادة 1 حتى المادة 11).
- أبناء الدولة الشريفة : حقوقهم وواجباتهم العامة (من المادة 12 حتى المادة 50).
- مجلس الشرفاء (من المادة 51 حتى المادة 56).
- كبار الموظفين (من المادة 57 إلى المادة 66).
- مالية الدولة (من المادة 67 إلى المادة 70).
- رواتب الموظفين (من المادة 71 إلى المادة 74).
- الحمايات الأجنبية (من المادة 75 إلى المادة 82).
- المدارس الوطنية (من المادة 83 إلى المادة 90).
- ملحق وهو عبارة عن تحديد لصلاحيات منتدى الشورى (من المادة 91 إلى المادة 93).

تضع مقتضيات هذا المشروع لبنات نظام ملكي دستوري متطور جاءت في وقت حفلت فيه الساحة السياسية المغربية بمبادرات إصلاحية تصب في نفس الاتجاه تقريبا (مذكرة عبد الله بن سعيد - مذكرة علي زنيبر - بيعة أهل فاس المشروطة لمولاي عبد الحفيظ - مذكرة عبد الكريم مراد...) وفي زمن اشرأبت فيه الأعناق إلى التجربة العثمانية في مجال الحركة الدستورية. لكن "دستور لسان المغرب" يتميز عن غيره من التجارب التي عرفتها الساحة المغربية بكونه قد نشر على الملإ على أعمدة جريدة ليطلع عليها السلطان والرعية على السواء. وهذه الجرأة هي التي تفسر أن واضعيه الحقيقيين فضلوا عدم الكشف عن أسمائهم ريثما يتبين مآل مشروعهم. وقد أشار بعض الكتاب، خاصة منهم علال الفاسي، إلى أسماء بعض المغاربة المنتمين إلى "جريدة الاتحاد والترقي" في فاس والذين قد يكونون ساهموا في وضع مواد هذا الدستور. وهم : المهدي بن الطالب الفاسي، وسعيد الفاسي، وعبد الحفيظ الفاسي، وأحمد بن المواز، وأحمد الزبدي (*الحركات الاستقلالية*، ص. 97).

غير أن من يمعن النظر في الأسلوب اللغوي وفي المفردات والمصطلحات المستعملة في تحرير مواد هذا المشروع تساوره شكوك في نسبته إلى أقلام مغربية. لذا دأب الباحثون على نسبته إلى "جماعة لسان المغرب" التي ربما ضمت في صفوفها، بالإضافة إلى نخبة متنورة من المغاربة، بعض المشارقة نزلاء المغرب وفي مقدمتهم الأخوان نمور. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذين الصحافيين كانا في نزاع مع المخزن في شأن نفقات الجريدة التي يحررانها، وكان من مصلحتهما العمل على إحراج السلطان المولى عبد الحفيظ بنشر مشروع دستور يقيد سلطاته الأوطوقراطية ويفرض عليه الاحتكام إلى "منتدى الشورى" في سياسته. وتأتي هذه المبادرة بعد سلسلة من "الرسائل المفتوحة" وجهها الشاميان إلى السلطان على أعمدة جريدتهما قصد فضح عورات المخزن.

تعوزنا الوثائق لتبيان رد فعل المخزن والسلطان على مشروع دستور جماعة "لسان المغرب". ولكن، على العكس من ذلك، نعلم أن المخزن الحفيظي ضاق ذرعا بانتقادات الجريدة، فبادر إلى إصدار أوامره إلى النائب محمد الجباص بتوقيفها وطرد صاحبيها من المغرب. وفعلا، توقفت الجريدة بعد صدور عددها الرابع والثمانين المؤرخ في 2 ماي 1909، ورُحل الشاميان عن البلاد ليستقر بهما المقام في البرازيل.

إذا كان الستار قد أسدل على مشروع دستور جماعة لسان المغرب بتوقف الجريدة الطنجوية في ماي 1909 ثم بدخول البلاد تحت الهيمنة الاستعمارية في مارس 1912، فإن الحركة الوطنية قد حاولت أن تعيد إليه الاعتبار ابتداء من الثلاثينيات وتتبناه كجزء من تراثها. وكان الهدف من ذلك هو إبراز كون المغاربة قد اعتنقوا الفكر الدستوري قبل أن يجهض الاستعمار طموحاتهم. ومن الوطنيين الذين دافعوا عن وجهة النظر هذه كل من محمد المكي الناصري وعلال الفاسي.

أبو الفداء [المكي الناصري]، *"الدستور المغربي، آخر مشروع قومي قبل الاستقلال"* في *المغرب الجديد*، تطوان، العدد 6، 1935، ص. 1 - 8 ؛ علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية*،ط. 4، الرباط، 1980، ص. 97 - 101 ؛ علال الفاسي، *الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها*، نشر مؤسسة علال الفاسي، الرباط، 1990، ص. 29 - 38 ؛ محمد بن الحسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد : التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية*، ج. 1 : طور المخاض والنشوء، بيروت، 1982، ص.75 - 116 ؛ محمد المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ط. 2، الرباط، 1985 ؛ ج. 2، ص. 283 - 292 ؛ *صور من تطلع المغرب للحياة الدستورية*، في *المناهل*، العدد 41، الرباط، فبراير، 1993، 115 - 139 ؛ ع. الكريم غلاب، *التطور الدستوري والنيابي بالمغرب : 1908 — 1992*، 1993، البيضاء، ص. 120 - 126.

J. Cagne, *Nation et nationalisme au Maroc. Aux racines de la nation marocaine*, Rabat, 1988.

جامع بيضا

**الدسة، أحمد**، مطرب طنجي، نسب إليه ابتكار أسلوب في العزف على العود والكمان يعرف بالدسة، وهو إعادة الجملة اللحنية في الجوابات على الأوكتاف الأعلى مع الميل إلى ضغط النغمات وتعمير الفراغات المديدة.

A. Chottin, *Corpus de musique marocaine*, Fasc. 1, *Nouba de Ochchâk*, p. 17, Paris, 1931 - 1932, 2 vol.

عبد العزيز بن عبد الجليل

## الدشر ← الدوّار

**الدشيرة** وتسمى منذ سنة 1992، "الدشيرة الجهادية" مدينة تحتضن عند منتصف سنة 2000 حوالي 97395 نسمة وتتوسط الكوكبة الحضرية لأگادير الكبير حيث تشكل أحد أهم مراكزه التجارية والصناعية.

كانت في الأصل عبارة عن مجموعة من الدواوير الصغرى المتقاربة (الدشيرة، تگمي أو فلا، إرحالن، تبارين، إگي إفرضن)، المتناثرة على طول الضفة اليمنى لواد سوس قبالة مدينة إنزكان في اتجاه الشمال، والتي كانت تمتد على طول نتوء ضخري، مستفيدة في ذلك من المميزات التي يوفرها هذا الموضع حيث الأراضي الواطئة التي تكونها المصطبات النهرية العليا لسوس وفرة المياه التي تأتي بها ساقية الجهاد.

شهدت الدشيرة بعد زلزال أگادير إقبالا سكانيا كبيراً على غرار إنزكان، ارتبط في البداية باستقرار جزء من الأسر المنكوبة والذين أقيم لهم مخيم في عين المكان، وبقدوم أعداد هامة من المغاربة فيما بعد من مختلف جهات البلاد وخاصة منهم الجنود نظراً لقربها من القاعدة العسكرية، والذين غالبا ما يختارون الإقامة بها نهائيا بعد إحالتهم على التقاعد، إضافة للتجار الصغار والعاملين بسوق الجملة وممتهني الحرف المختلفة الغير المهيكلة والذين يفضلون الاستقرار بها نظراً لموقعها المركزي بأگادير الكبير ولما توفره من فرص الحصول على مسكن بثمن زهيد، ونفس الشيء بالنسبة لأسر المتقاعدين من عناصر الجالية المغربية العاملة بالخارج والمنحدرين من منطقة سوس.

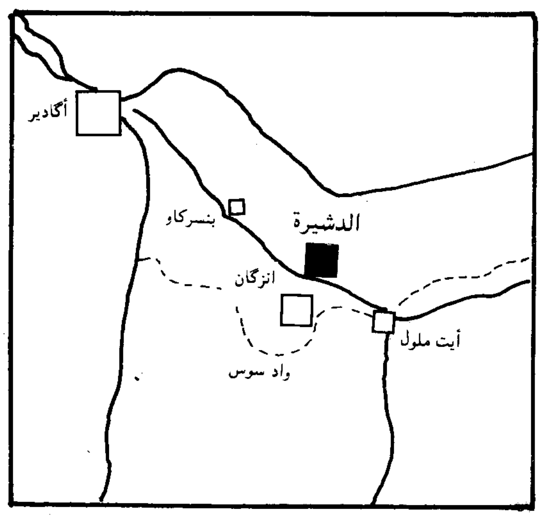


وقد أسفر هذا الإقبال عن توسع مجالي هام، اقترن في الستينيات بظهور مجموعة من الدواوير (لمرس، أيت داود، لمعلم إبراهيم، لجديد، إگرو معي ...) على جوانب النوى الأصلية، وانعكس فيما بعد منذ منتصف السبعينيات في نشوء حي البرگولا وانطلاقة البناء بالحي الصناعي تسيلا وتجهيز حي الجهادية منذ نهاية الثمانينيات.

تزايد عدد سكان الدشيرة بشكل سريع جداً منذ الثلاثينيات حيث مر عددهم من 1818 سنة 1936 إلى قرابة 100000 نسمة اليوم، كما يبرز ذلك الجدول أسفله.

**تطور عدد السكان الدشيرة ووزنها الديمغرافي بأگادير الكبير ما بين 1936و2000.**

| السكان | 1936 | 1960 | 1971 | 1982 |
|---|---|---|---|---|
| العدد | 1818 | 6589 | 18960 | 41009 |
| ٪ التزايد السنوي | - | 5.51 | 10.09 | 7.27 |
| الوزن بأگادير الكبير | 4.08 | 5.87 | 8.32 | 9.21 |

| السكان | 1994 | 2000 |
|---|---|---|
| العدد | 72409 | 97365 |
| ٪ التزايد السنوي | 4.85 | 5.06 |
| الوزن بأگادير الكبير | 9.19 | 9.79 |

ويقدر معدل نسبة التزايد السنوي ب 6.56٪ ما بين 1936 و2000 وذلك في مقابل 3.81٪ المعدل الحضري المسجل على الصعيد الوطني بالنسبة لنفس الفترة. وقد تميز إيقاع التزايد بنوع من التفاوت من فترة إلى أخرى. فإذا كانت وتيرته قد سجلت تصاعدا قويا ما بين 1960 و1971، فإنها أخذت في التراجع خلال العقود التالية، وإن كانت قيمتها قد بقيت مع ذلك أعلى من المعدل الحضري الوطني. ولم يؤثر ذلك على وزنها الديمغرافي بأگادير الكبير الذي ما فتئ يتعزز من عشرية لأخرى، إذ مر من 40.8٪ سنة 1936إلى 832٪ سنة 1982 ثم إلى حوالي 10٪ اليوم عند منتصف سنة 2000.

وتعزى زيادة السكان أساساً إلى التوافد الذي ساهم بقسط وافر في تكوين السكان الحضريين بالدشيرة. فقد بلغ عدد الوافدين على المدينة إلى حدود سنة 1994 ما يعادل 44081 نسمة أي ما يمثل 60.82٪ من مجموع السكان. وهذا يعني أن نسبة المولودين بعين المكان لم تكن تتجاوز 39.19٪. وكان عدد الوافدين لا يتجاوز 15126 نسمة سنة 1982، 36.88٪. وتعتبر بذلك ثالث مدينة بأگادير الكبير من حيث حجم الوافدين بعد مدينتي أگادير وأيت ملول بعدما كانت تحتل المرتبة الثانية سنة 1982.

وينحدر معظم المهاجرين الذين وفدوا على الدشيرة منذ نشأتها إلى حدود سنة 1994 من خارج سوس، وذلك بنسبة 57.43٪ في مقابل 42.57٪ بالنسبة للمنحدرين من داخل سوس. وتجدر الإشارة إلى أن غالبية الوافدين من المولودين

بالوسط الحضري، وذلك بنسبة 76.12٪ من مجموع المهاجرين.

**أعداد الوافدين بمدينة الدشيرة حسب مكان الولادة**

| الوافدون | الحضريون | القرويون | المجموع |
|---|---|---|---|
| من داخل سوس | 5400 | 13363 | 18763 |
| من خارج سوس | 17212 | 8106 | 25318 |
| المجموع | 22612 | 27949 | 44081 |

وقد أثر هذا التوافد بشكل كبير على البنية الديمغرافية للمدينة والأوضاع المهنية للسكان وظروف سكناهم وكذا على تكوين النسيج الحضري للمدينة، وخاصة أنها إلى حدود 1992 كانت من الناحية الإدارية عبارة عن مركز تابع للجماعة القروية لأيت ملول، ولم تحظ بأية تهيئة مجالية تؤهلها لاستقبال الحشود البشرية التي وفدت عليها وخاصة ما بين 1960 و1982.

هكذا نلاحظ من خلال نتائج إحصاء 1994، وجود عدة اختلالات في البنية الديمغرافية للمدينة، تظهر أولاً في ارتفاع نسبة الذكورة بالمدينة حيث يستأثر عنصر الذكور بحصة الأسد في المجتمع الدشيري، وذلك بنسبة 52.09٪ في مقابل 47.91٪ بالنسبة للإناث. وتتجلى ثانيا في نسبة العزوبة التي تبلغ 41٪ من المجموع، 26.05 أزيد من ربعهم ذكور. وتتمثل ثالثا في نسبة التمدرس التي لم تتعد بعد 87.21٪ من مجموع الأطفال الذين هم في سن الدراسة (94.13٪ لدى الذكور و80.46٪ فقط لدي الإناث، ونفس الشيء أيضاً بالنسبة للأمية التي ما زالت نسبتها مرتفعة

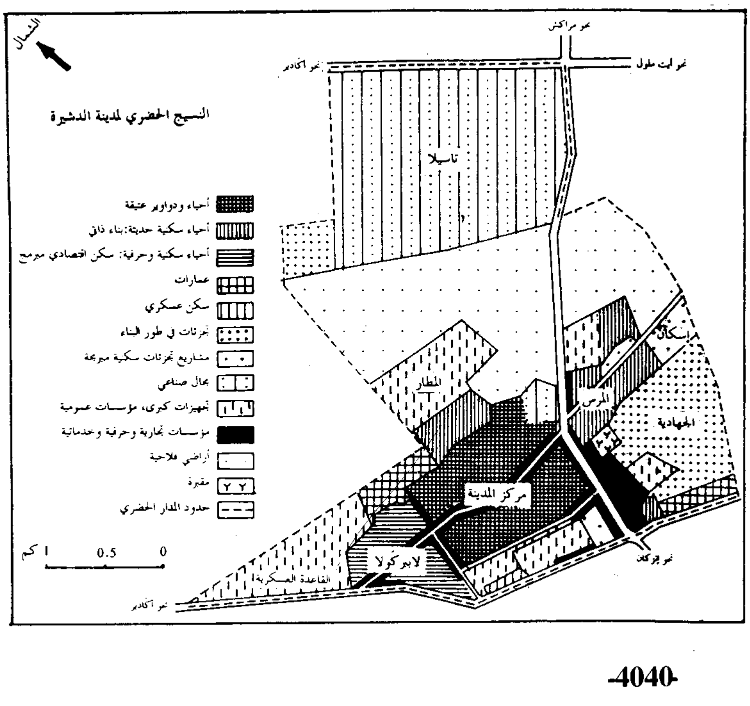


حيث تبلغ 39.06٪ من مجموع السكان الذين يزيد عمرهم عن عشر سنوات، وخاصة لدى الإناث حيث تقدر ب 52٪. وتتجلى مظاهر الاختلال بالمدينة في الظروف السكنية للأسر حيث نجد أن 48٪ منهم يقطنون بمنازل من غرفة إلى غرفتين فقط، إضافة إلى ارتفاع نسبة الكراء التي تهم قرابة نسف الأسر (49٪)، والنقص الملاحظ على مستوى التجهيز المنزلي حيث إن نسبة المنازل المرتبطة بشبكة الماء الشروب والكهرباء لا تتعدى على التوالي 71٪ و86.12٪ من مجموع المنازل بالمدينة.

ولم تَخْلُ كيفية تكوين سكان الدشيرة من تأثير أيضاً على بنية النشاط بالمدينة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن نسبة النشاط بها تقدر سنة 1994 ب 10. 34٪ في مقابل 24.6٪ سنة 1982 و22.6٪ سنة 1971. والمثير هنا أن هذه النسبة ترتفع لدى الذكور إلى 55.26٪ من مجموعهم، بينما لا تتجاوز لدى الإناث 11.15٪. ونفس الشيء بالنسبة للبطالة التي وإن كانت دون المعدل الحضري الوطني لسنة 1994 (20.3٪) فإنها تبقى مع ذلك مرتفعة تقدر ب 17٪.

لقد مر عدد النشطين المشتغلين بالدشيرة من 3632 فرد سنة 1971 إلى 9932 سنة 1982 ثم إلى 20519 فرد سنة 1994. وتتميز البنية المهنية لهؤلاء النشطين بتضخم أنشطة القطاع الثالث الذي سجل تقدما كبيرا منذ بداية السبعينيات، إذ مر من 44.77٪ سنة 1971 إلى 62.08٪ سنة 1994. وهذا في وقت نمت فيه أيضاً قطاعات الصيد البحري والبناء والأشغال العمومية. كما ينفرد بضعف الفلاحة والقطاع الصناعي والحرفي وتراجعت فيه بشكل ملموس من حيث نسبة المساهمة في التشغيل الفلاحة والثناعة والحرف.

**توزيع السكان النشيطين حسب فروع النشاط الاقتصادي (٪)**

| السنة | 1971 | 1982 | 1994 |
|---|---|---|---|
| القطاع الأول | 9،17 | 5،34 | 7،41 |
| القطاع الثاني | 42،51 | 34،69 | 29،02 |
| القطاع الثالث | 48،32 | 59،97 | 63،57 |
| المجموع | 100 | 100 | 100 |

وتعتبر الصناعة والتجارة أهم الوظائف الحضرية بالمدينة. فمن حيث الصناعة يحتضن المجال الحضري إحدى أقدم الوحدات الصناعية بأكادير الكبير وتتمثل في معمل فنتازيا الموجود بالمركز القديم والمتخصص في إنتاج الصناديق الخشبية الموجهة لقطاع التلفيف والتصبير والذي يشغل حوالي 350 عاملا. يضاف إلى ذلك الوحدات الصناعية الأخرى المستحدثة بالحي الصناعي تاسيلا الذي

تم إلحاقه إدارياً بالدشيرة سنة 1992، والتي بلغ عـــددها اليـوم 28 وتشغــل 2508 من العمـــال : 5 وحدات منهـا متخصصـة في الصنـاعـة الغـذائيـة و7 في الصنـاعـة الميكانيكية والكهربائية و10 في مـواد البناء، 2 منهـا في صناعة الرخام، والباقي يتوزع ما بين الصناعة الكيماوية والشبه كيماوية والنسيج والجلد والخشب ...

أما بالنسبة للتجارة، فتمتاز بكونها تشغل 23.52٪ مــن النشطين 1994 وبـوجـود حـوالي 1250 محلا تجاريــا متخصصا في مختلف الفروع التجارية وخاصة منها المواد الغذائية والألبسة والتجهيـز المنزلي. إلا أن أهم ما يميـز الوظيفة التجارية للمدينة هو احتضانها ل 110 مؤسسة متخصصـة في التجهيـز الحرفي الموجه أساسـا لقطـاعي النجـارة والبناء والتي يمتد نفـوذهـا على نطـاق واسع من منطقة سوس.

وبالنسبة لمورفلوجية المدينة فتتميز بوجود نسيج حضري يتكون أساسا من وجود نواتين منعزلتين يفصل بينهما من جهة أراضي فارغة ومن جهة ثانية المطار العسكري، وهما المدينة الأصلية والمنطقة الصناعية تاسيلا. وتقع هذه الأخيرة شمال المدينة، وتمتد على مساحة 261 هكتـار. وقد أعـدت من طرف الدولة منذ أواخر الثمانينيات. استقبلت إلى حد اليوم حوالي 44 وحدة صناعية وخدماتية من مجموع 326 مـؤسسـة المقـررة في هـذا المشـروع، بمعنى أن نسبـة تثمين الأراضي لم تتجاوز بعد13.5٪ بهذه التجزئة الصناعية.

أما النواة الأصلية فتوجد في الجنوب وتتكون من المركز القديم الذي هو عبارة عن مجموعة من الدواوير المتجاورة والتي تلاحمت فيما بينها مؤخراً، بالإضافة إلى الأحياء الحديثة لابيركولا غربا بجوار الثكنة العسكرية والمرس والجهادية شرقا على الضفة اليمنى لوادي سوس، واللذين لازالا في طور البناء.

وتجدر الإشـارة إلى أن معظم أحيـاء مـركـز المدينـة ولابيزكولا والمرس كذلك تتميز بوجود شوارع وأزقة مكتظة بالمحلات المهنية حيث تتداخل على مستوى الزقاق الواحد الأنشطة التجارية الراقية والحرفية والخدماتية الملوثة الشيء الذي ينتج مشاهد حضرية جد متدهورة.

التصميم التوجيهي للمجموعة الحضرية لأگادير الكبير ؛ بحوث شخصية.

A. Hnaka, *Taoudant et Ouled Teima, bipôle urbain du Souss*, Agadir, 1995 ; B. Kidou, *Contribution à l'étude démogréphique de la population urbaine du Grand-Agadir*, Thèse de doctorat, Université des Sciences et Technologies de Lille, 1994.

عثمان هناكا

**الدشيّش**، سيدي علي بن محمد الزرهوني، صالح له ضريح شهير بزقاق الرمان بفاس، لا تعرف له ترجمة عدا ما ذكره محمد بن الطيب القادري في *نشر المثاني*، نقلا عن علي البطوئي، حيث وصف بالتصوف والزهد والورع، وقال غيره.

أخذ عن سيدي رضوان الجنوي وانتفع به، كما أخذ عن غيره. وأخذ عنه سيدي أحمد بن علي بن يوسف الفاسي وغيره. وتوفي بفاس عام 1021/1612.

م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*،3 : 196 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 455.

رقية بلمقدم

**الدعادع** أو الدعدعة. (بسهـول الغرب) اسم ارتبط في النصوص العربية بمكان دفن الولي الصالح الحسن بن عيسى المصباحي وابنه عيسى بن الحسن، وهو في وقتنا هذا اسم يدل على مقبرة سيدي عيسى والأرض المنخفضة شمالها وتقعان شمال مدينة سوق أربعاء الغرب أو سوق أربعاء سيدي عيسى نسبة إلى قبة سيدي عيسى بن الحسن المصباحي. وتقع المدينة على الطريق الرئيسية الرابطة بين الرباط وطنجة : 117 كلم و164 كلم.

اشتق اسم الدعادع من صفه سطح الأرض أي السطح غير القار الذي تقع به زعزعة، وحول حرف الزاي في الكلمة إلى حرف الدال فأصبحت دعدعة، ودعادع. ويُوافق هذا التفسير طبيعة الأرض المنخفضة التي يشرف عليها من جهة الجنوب موقع قبة سيدي عيسى. وهي عبارة عن أرض فارغة تغطيها تربة "الترس" السوداء. وتذكر ساكنة الدعادع أن هذا السطح كان مرجة يغطيها الماء شتاءً ولا يمكن المرور فوقه صيفاً فهو سطح غير ثابت مادام سمك التربة المكتنزة للماء كبيراً جداً.

أما قبة سيدي عيسى المرتبطة بهذا الاسم فتقع بالجزء الشمالي من المقبرة المحاطة بسور، فوق ارتفاع خفيف عن أرض الدعادع المنخفضة. وهي قبة ثُمانية الأضلاع ترتكز على قاعة مربعة الشكل تحيط بها القبور وتحتض وسطها قبر سيدي عيسى وقبر أبيه الحسن وأخيه، مجهول الاسم،

حسب الرواية الشفوية، وهناك قبور أخرى لبعض أعلام منطقة الغرب ومدينة سوق أربعاء الغرب.

م. ابن عسكر الشفشاوني، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1977، ص.85 ؛ بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1977، ج. I : 151 وIII :194 ؛ محمد المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، تح. ع. الحي العمري وعبد الكريم مراد، فاس1989، ص. 126 ــ 127 ؛ عبد اللطيف الشاذلي، *التصوف والمجتمع*، نماذج من القرن العاشر الهجري، سلا، 1989، ص. 191.

E. Michaux-Bellaire et G. Salmon, *El-Qçar el-Kebir, une ville de province du Maroc septentrional*, *A.M.*, Vol. I, n° 2, 1904.

أحمد أشعبان

**الدعباجي مَحمد**، مُغنٍّ ولد حوالي سنة 1910 بدوار الدعابجة بمنطقة الحصبة. (بلاد عبدة) تتلمذ على يد الشيخ إدريس بندحان الذي لم يحترف الغناء. يعد من فحول وشيوخ الحصبة. فقد كان يدعى أبا العيطة القديمة الحصباوية خلال مطلع القرن العشرين. ولا يمكن حاليا الحديث عن أي شخص له دراية بعيوط الحصبة وموازينها دون ذكر الشيخ الدعباجي. أقام حفلات وسهرات بعيوط الحصبة في حوز أسفي وناحية مراكش والشاوية ودكالة.

لقد انقطع نشاطه الفني منذ حوالي عشر سنوات بسبب مرضه. ويرجع له الفضل في تسجيل عيوط الحصبة على الأشرطة باستثناء عيطتي ـ كاسي فريد ه ــ و ـ والبني والبني.

للدعباجي أسلوب خاص في العزف والأداء يعتمد الطرق القديمة التي تعزف على وترين دون هرمونيا. وترتكز على الأصوات الخشنة والعالية. ومازالت الخزانات الخاصة تزخر بهذا اللون من العيوط.

رافق هذا الفنانَ طاقمٌ قديم جدا مثل أصحاب التعارج كعبد السلام الذي توفي حوالي 1972 وكالشهب الذي توفي سنة 1978. وبوفاة هؤلاء ورحيل جيله بدأ نشاطه يقل شيئا فشيئا. أما عن الشيخات فشيخات الدعباجي من أحسن وأمهر الشيخات بحيث يتقن الحصبة والمرسى والزعري وأغلبهن الآن لهن فرق خاصة مثل عيدة. وشامة اسكندرية، الخ.

وبوفاة هذا الشيخ حوالي سنة1415 / 1995 جُمّدت مجموعة من عيوط الحصبة مثل عيطة سيدي حسان وغيرها.

ع. رگوگ، *الحدث التاريخي من خلال النصوص الشفاهية المقاومة وبعض أوجه التاريخ الاجتماعي* 1890 ــ1956، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة،1998 ؛ *الرواية الشفوية من منطقة عبدة*.

علال رگوگ

**دَغْنُونْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازال هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Danon ؛ وهي نفس الأسرة التي ظل بعض أفرادها بالأندلس بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Danun - Danon.

وهناك أسرة أخرى شريفة تحمل نفس الاسم.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 676.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدغالي، سعيد** بن فرج الأندلسي، قائد أصله من قرية نطيش (بالجبل المطل على غرناطة) حسب الفشتالي، أو من أورخيفا Orgiva حسب مارمول كابخال Marmol Carvajal أو من مطريل Motril حسب رسالة الجاسوس الإسباني لويس ذي هريرا Luis de Herrera الذي كان يوجد بتطوان في دجنبر 1573.

غادر سعيد الدغالي بلدته صحبة ابن أخيه محمد واستقر بتطوان حيث تعاطى الجهاد البحري إلى أن اتصل بالسلطان عبد الله الغالب بالله الذي أوكل إليه مهمة تنظيم فرقة من الجيش مكونة من الأندلسيين سنة 970/ 1562.

وهو الذي قضى صحبة القائد ابن خليفة على حكم آل المنظري بتطوان سنة975/ 1567 حيث أصبحت المدينة تحت حكم السلطان عبد الله الغالب السعدي.

ويستفاد مما جاء به مارمول أن الدغالي هو الذي سن سنة الجهاد البحري بمدينة سلا حيث كان ينطلق منها لمهاجمة الجزر الخالدات ابتداء من سنة 1571 حيث تمكن من احتلال جزيرة لانثروطي Lanzarote من يوم 21 سبتمبر إلى يوم 7 أكتوبر من السنة المذكورة وعاد إلى سلا يحمل في سفنه 115 من الأسرى النصارى.

وفي يوم 28 نوفمبر 1573 وانطلاقا من تطوان قام بهجوم على مدينة كويفاس ذي المنصورة Cuevas de Almanazora بمقاطعة المريّة حيث تمكن من أخذ 200 أسير نصراني.

وفي يوم 11 ذي الحجة 983/ 17 مارس 1576 جرت معركة الركن بالقرب من فاس، كان الدغالي بجانب السلطان المتوكل لكنه فرّ إلى معسكر عبد الملك فانتصر هذا الأخير على ابن أخيه المتوكل.

وبجانب عبد الملك شارك الدغالي في معركة خندق الريحان التي جرت بالقرب من وادي الشراط يوم 12 ربيع الثاني 984/9 يوليوز 1576، كما شارك مع أحمد المنصور في جميع المعارك التي جرت بناحية سوس وانهزم فيها المتوكل سنتي 984 و985/ 1576 ـ 1577.

وعندما غادر عبد الملك مدينة مراكش متوجها إلى

الشمال بعث القائد الدغالي إلى رأس غير ليحول دون تمكن الأسطول البرتغالي من احتلاله.

وهناك من يشك فيما جاءت به بعض المصادر البرتغالية التي تقول إن الدغالي كان يقود جيش الخيالة الأندلسيين في معركة وادي المخازن ؛ ومن المؤكد أنه قتل بأمر من السلطان أحمد المنصور الذهبي في شهر رجب عام 986/ شتنبر - أكتوبر 1578.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، الرباط، 1972، ص. 33 و41 و43 ؛ م. الأفراني، *نزهة الحادي*، ط 2، الرباط، د.ت، ص. 62.

Archivo General de Simancas, España ; Ojeda, L. de, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian, S.I.H.M., France* I, pp. 575 - 627 ; Nieto, Fr. Luis de, *Relación de las guerras de Berberia y del Succeso y muerte del Rey Don Sebastian, Codoin*, t. 100, p. 411 - 458 ; J. Franchi Consetaggio, *L'union du Royaume de Portugak à la Couronne de Castille, S.I.H.M., France*, pp. 506 - 574 ; Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica del Rey Don Sebastian*, Lisboa 1837 - y 1903, vol. 30, 31, 32 et 34 ; Rumen de Armas, *España en el Africa Atlantica*. Madrid, 1957, t. I ; B. Vincent, *Un ejemplo de corso berberisco - morisco : el ataque de Cuevas de Almazora (1573). En Andalucia en la Edad Moderna*. 1985.

**الدغالي، محمد** قائد أصله من الأندلس هاجر إلى تطوان صحبة عمه القائد سعيد بن فرج الدغالي. سابق الترجمة وتقول بعض المصادر إنه كان مع عمه بجانب المتوكل في معركة الركن التي جرت بالقرب من فاس يوم 17 مارس 1576. وفر إلى معسكر عبد الملك، وشارك بجانب عمه في جميع المعارك التي جرت ضد المتوكل بناحية سوس. ويبدو أنه قتل في نفس اليوم الذي اغتيل فيه عمه في شهر رجب 986/ سبتمبر - أكتوبر 1578.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، الرباط، 1972، ص.44 و47 ؛ الزياني، الترجمان المعرب، الترجمة الفرنسية، ص. 26.

Nieto, Fr. Luis de, *Relación de las guerras de Berberia y del suceso y muert del Rey Don Sebastian. Codoin*, t. 100, p. 411 - 458 ; Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica de El Rei Don Sebastian*, Lisboa 1837 - y 1903.

**الدَّغَّايْ**، أسرة تطوانية أصلها من ناحية الهبط وقد انقرضت بتطوان وإلى غاية سنة 1257 / 1841 كانت توجد بحومة الطرانكات دار الدغاي.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1617.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدَّغَّمَة**، آلة نقرية صحراوية ذات شكل مستطيل، يبلغ طولها حوالي 50 سم. يستخدمها الزنوج المقيمون ضمن قبائل الرقيبات في الأقاليم الجنوبية المغربية. وتعتمد صناعة هذه الآلة على نبات القرع، وطريقة ذلك أن تؤخذ القرعة من فصيلة اليقطين، فتجفف ويفرغ ما في جوفها، ثم تحدث فتحة بكل من طرفيها.

وطريقة استخدام هذه الآلة أن يوجه الناقر بيده اليسرى طرفها الأسفل المنتفخ، فيصدمه بشحمة فخذة أو ربلة ساقه، بينما تقوم اليد اليمنى بضرب الثقب الأعلى من القرعة بواسطة راحة الكف، وهي تناوب بين إغلاقه وفتحه. ونتيجة ذلك تنبعث من الآلة أصوات صماء تمتزج بها جلجلة الخواتم والأساور التي تحملها يد الناقر.

A. Leriche, Bul. de l'Institut Français, Juillet 1950, p. 747, B.G., Rabat, J 13.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**دَغْمُوس**، أنواع نباتية عصارية لحمية تشبه الصباريات وتكاد تنعدم أوراقها الصغيرة جدا. وتنتمي إلى جنسين على الأقل : جنس إوْفُورْبْيَا Euphorbia وبالضبط أنواعه الصبارية، وهي من فصيلة الفربيونيات Euphorbiaceae. وجنس كَرالُومَا Caralluma الذي ينتمي إلى فصيلة الصقلابيات Asclepiadaceae.

1 - أنواع جنس الفربيون :

يصادف بالمغرب ثلاثة أنواع قبسية من جنس الفربيون، وهي كلها صبارية، ولهذا سميت تيكّيوْت بالأمازيغية، وينسب لها كذلك اسم الزقوم المذكور في القرآن ! وجود هذه الأنواع يدل على ظروف مناخية شبه مدارية لكنها توجد حاليا بالمنطقة المتوسطية المغربية.

والأنواع الثلاثة صبارية الشكل، يتراوح علوها ما بين 40 أو 60 سم، مشوكة بكثافة، وتحتوي على عصارة لبنية مؤلمة للإنسان عند لمسها. أوراقها صغيرة جدا، ونفضية. أزهارها صفراء عديمة العنق.

والأنواع الثلاث هي :

- إوْفُورْبْيا ريزينيفيرا Euphorbia resinifera، المصادفة تشكيلاتها في السفوح المنخفضة وقدم الجبل لمنطقة الأطلس الكبير المتواجدة بين بني ملال ودمنات، وذلك في

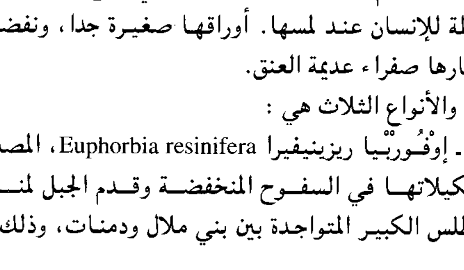

الدغموس

البيومناخ شبه الجاف والطابقين النباتيين لتحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ.

- إوْفُورْبْيا بُوميرْيَانَا Euphorbia beaumeriana. التي تكون تشكيلا تصادف منتشرة على السفوح وقدم الجبل وفي السهول الموجودة في أقصى الجهة الغربية من الأطلس الكبير، شمال مدينة أگادير. تعيش في البيومناخين شبه الجاف واستثنائيا الجاف وفي الطابق النباتي تحت المتوسطي.

- إوْفُورْبْيا إيكينُوس Euphorbia echnus. التي تغطي مساحات شاسعةَ ابتداء من مدينة تيزنيت إلى منطقة الساقية الحمراء مرورا بالقسط الكبير من سفوح الجهة الغربية من الأطلس الصغير. من حيث الظروف البيئية يعيش هذا النوع في البيومناخات شبه الجافة والجافة والصحراوية.

الاستعمالات الشعبية لهذه الأنواع الثلاثة كثيرة، إذ تستخدم ضد السموم والاكزيما، والبرد وأمراض الكليتين، وفي حالة أمواض الجمال. وكذلك لإنتاج العسل ذي المذاق الحار والمستعمل في التطبيب التقليدي.

كما أجريت محاولات في الماضي لاستخدام العصارة اللبنية في صناعة المطاط.

أنواع جنس كَارالُومَا : أنواع هذا الجنس بالمغرب أربعة، منها القبسية الخاصة بالمغرب والبعض الآخر موجود في بلدان أخرى من المنطقة المتوسطية. يتراوح علو هذه الأنواع ما بين10 و20 سم، منعدمة الأشواك، ولها جلد أملس ناعم. وهي لا تكون تشكيلات كأنواع الجنس الأول بل تصادف بصفة منفردة في غابات العرعر البربري أو العرعر الأحمر أو أرگان وغيرها، خاصة في بيومناخات شبه جافة وجافة. بعض هذه الأنواع تؤكل من طرف الإنسان.

أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

**الدغمي، عبد الرزاق** السلوي. أصله من قبيلة دغمة العربية المستقرة بضواحي العدوتين، ديبلوماسي عصامي من مواليد مدينة سلا في 22 صفر عام 1355 / 15 ماي /1936 حيث نشأ ودرس في المدارس الحديثة

بالعدوتين، والتحق مبكراً بوزارة الخارجية سنة / 1957 وتقلد عدة مهام داخل الوزارة وفي الخارج، ومات وهو سفير للمغرب في الجزائر. وقد أثنى عليه الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقه في برقية التعزية التي بعث بها إلى جلالة الملك محمد السادس. وقال : "إن فقدان سفير من طراز المرحوم الدغمي خسارة للمغرب وللجزائر بل ولكل المغرب العربي... كان نعم السفير متقانيا في أداء مهمته النبيلة أحسن أداء، ولم نره إلا وهو يمثل ملكه وبلاده أحسن تمثيل، ويدلي بدلوه مخلصاً في سبيل إعادة بناء العلاقات الأخوية المثمرة التي يصبو إليها البلدان الشقيقان المغرب والجزائر".

توفي بالرباط بعد مرض عضال، يوم الجمعة 24 جمادى الأولى عام 1421 / 25 غشت 2000.

*رواية شفوية*، جريدة *العلم*، في28 ـ 8 ـ2000 ؛ جريد *سلا الغد* العدد

A. Stouky, *Un pro de la diplomatie, Le Matin du Sahara*, 28 - 8 - 2000.

**الدغمي، العربي** بن المفضل. ولد بالرباط سنة 1350 / 1931 **حفظ القرآن** الكريم في صغره ودرس في بعض المدارس الحرة. ثم انخرط في سلك التعليم بالمدرسة المحمدية الحرة بالرباط، وفي سنة 1948 بدأت حياته الفنية بمزاولة هوايته المسرحية في أوقات معينة مع فرقة المسرح

المغربي برآسة المرحوم عبد الكريم الفلوس. والتحق سنة 1952 بمعهد الأبحاث المسرحية بالرباط التابع للشبيبة والرياضة، وفي السنة التالية دخل فرقة المسرح الوطني المغربي، وشارك في أربع مسرحيات مثّل دور البطل في اثنتين منها : مسرحية سكابّان (جحا)، ومسرحية "عمي الزلط". ثم التحق سنة 1954 بفرقة الإذاعة المغربية للتمثيل بطلب من عبد الله شقرون. وفي السنة الموالية انتقل مع بعض الممثلين بالإذاعة إلى التدريب بمعهد الميم (الإيماء) بباريز. وبعد رجوعه إلى المغرب شارك في شريط سينمائي بالسكوب والألوان تحت عنوان *الطبيب بالعافية*، مقتبس عن *الطبيب رغم أنفه* لموليير.

توالت أعمال العربي الدغمي الفنية بفرقة الشبيبة والرياضة وفرقة الإذاعة ثم التلفزة المغربية، والسينما العالمية بصفة عامة. وآخر عمل مسرحي للمترجم مشاركته مع عدد من الممثلين المغاربة والأجانب سنة 1990 في شريط فرنسي جيل بيهات.

توفي بداره في حي السلام بمدينة سلا صباح يوم الجمعة 22 جمادى الأولى عام1415 / 28 أكتوبر 1994 على إثر مرض لم ينفع فيه علاج.

جماعة من الكتاب والفنانين، *كتاب العربي الدغمي إبداع مغربي أصيل*، الرباط، 1996.

محمد حجي

**الدغمي، موسى** بن محمد الراحل السلوي، فقيه مشارك نوازلي. كان قاضيا بتالغت وبني مسكين ثم أصبح خليفة للقضاة بسلا.

تتلمذ على يد شيوخ كبار أبرزهم أحمد بن عبد القادر التستاوتي، وعنه أخذ طريق التصوف. وقد دارت بينه وبين شيخه هذا مساجلات شعرية وردت في كتاب نزهة الناظر لهذا الأخير، وفي *فهرس أحمد بن عاشر الحافي* السلوي.

ألف الدغمي عدة مؤلفات منها *المسلك السديد، في تفسير القرآن المجيد* وحاشية *على شفا عياض* جمعها من طرر شيخه مسعود جموع الفاسي وعدة نوازل وغيرها. تخرج على يده عدد من الطلبة السلويين وغيرهم.

توفي موسى الدغمي في 7 ربيع الثاني عام 1140 / 22 نونبر 1727، ودفن بزاوية سيدي أحمد حجي بسلا.

أ. بن عبد القادر التستاوتي، *نزهة الناظر*، مخطوط، خ. ع، 1302 د، ص. 130 و230 ؛ أ. ابن عاشر الحافي، *الفهرس*، تح. محمد السعديين، د. د. ع، الرباط، 90 ـ 1991، ص. 243 ؛ علي العكاري (الحفيد)، *البدور الضاوية، في ذكر الشيخ وأصحابه وتلامذته وبناء الزاوية*، خ. ع، 88 د، ص. 13 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، 1986، ص. 112 ؛ *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط. خ. ع، 11 د، ص. 67 ؛ م. ابن أبي بكر التطواني، *كناشة*، خ. ص، رقم 407، ص. 27 ؛ م. المنوني، *الوراقة المغربية في العصر العلوي الأول*، دعوة الحق 1395 /1975، العدد 10، ص. 88 ـ89 ؛ ع. العزيزبنعبد الله، سلا *أولى حاضرتي أبي رقراق*، سلا، 1989، ص. 20.

محمد السعديين

**الدغوغي، أبو إبراهيم**، جد آل تانوت الوجانيين، من قبيلة إيداوبعقيل، صوفي زاهد، عاش خلال القرن السادس (12 م).

أسس أبو إبراهيم زاويته بقرية تانوت على بعد خمسة كلمترات من إيغرم الموطن الأصلي لأسرة الدغوغيين، فعاش، كما يظهر من خلال شهادة الرسموكي، عيشة الزاهد الورع، وذاع صيته وشهرته، كما أقبل عليه الوفود من جميع الآفاق. ومازالت زاويته تحافظ على أدوارها داخل مجال إيداوبعقيل.

وعلى الرغم من التضارب حول مكان وفاته، فمن المرجح أنه مدفون بويجان حسب شهادات كتب المناقب السوسية.

م. الرسموكي، *وفيات الرسموكي*، تح. م. المختار السوسي، الرباط، 1988، ص.50 ؛ داود بن علي الكرامي، *بشارة الزائرين*، مخطوط ؛ م. الحضيكي، *كتاب الطبقات*، تح. أ. بومزگو، الرباط، 1994، رقم الترجمة 120 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 11 : 91 ؛ *رجالات العلم*، ص. 11.

**الدغوغي، أحمد الزرهوني**. لم تحدد المصادر التي اطلعنا عليها مكان ولادته، وتبدأ حديثها عنه عندما ظهر أمره بزرهون باعتباره من الصلحاء. وفي هذا الصدد يجعله بعض أصحاب السير ضمن طائفة الأولياء الكبار والشيوخ الكاملين (*روض الأنفاس*، 264)، بينما يصنفه بعضهم الآخر في لائحة العوام من أولئك الأولياء (*إتحاف أعلام*، 5 : 460).

والمتفق عليه بينهم جميعا هو أن أحمد الدغوغي دخل عالم التصوف على يد الشيخ الشهير أبي الحسن علي بن محمد بن عمران العلمي العروسي المدعو بسيدي علي بن حمدوش، دفين زاويته بجبل زرهون (*روض الأنفاس*، 265، *إتحاف*، 5 : 474). مما يعني أن الدغوغي حمدوشي السند. وإذا علمنا أن ابن حمدوش من أتباع الطائفة الشرقاوية، فمن تحصيل الحاصل القول بأن أحمد الدغوغي شرقاوي في سنده كذلك، مثل شيخه، فهو أخذ عن ابن حمدوش، وهذا أخذ عن محمد الحفيان بن المفضل بن أحمد المرسي بن بوعبيد الشرقي، دفين أبي الجعد (*سلوة الأنفاس*، 1 : 354).

والظاهر أن الشيخ الدغوغي لم يكن حمدوشيّاً أو شرقاوي السند فحسب، بل كان كذلك في النحلة أيضاً. ونعني هنا اعتماد أحمد الدغوغي في حياته الروحية أساساً

على ما يعرف عند الصوفية بالتربية الروحية. بل لقد بلغ في روحانيته مدى قصياً جداً تجاوز مدى سائر أتباع الطريقة الحمدوشية، وكل تيارات الطريقة الشرقاوية نفسها. ولنا دلائل وعلامات واضحة على هذا الغلو، رغم ندرتها. وأوضحها وصفه بالجذب الكامل والغيبة المطلقة (*روض الأنفاس*، 265، *إتحاف*، 5 : 461)، من جهة، واعتماده الحضرة الصاخبة، عكس سائر حمادشة، من جهة أخرى، وذلك بحكم الإضافات التي أدخلها على شعائر حلقة الحضرة. وفي هذا الصدد كتب عبد الكبير الكتاني، قائلاً : "تابع (أحمد الدغوغي) شيخه (علي بن حمدوش) في ... اعتمار الحلقة بالآلة المسماة بأكوال والتعريجة، ... والفرق بينه وبين أتباع شيخه في حالة اعتمار الحلقة هو زيادة آلات من حديد وغيره، وهي كرات من حديد، منها ذات خرصة وسلسلة ومنها بدونها، وشاقورات من حديد، متنوعة على أصناف، وزرواطات ذات مسامير وبدونها، وغيرما ذكر، وكل من هذه الآلات في حال اعتمارهم في الحلقة يضربون بها رؤوسهم (*روض الأنفاس*، 265).

وهذا يعني أن الحضرة شكلت عنصراً أساسياً في سلوك الشيخ أحمد الدغوغي وأتباعه، على غرار سائرشرقاوة وحمادشة، لكن الشيخ أحمد الدغوغي بلغ في حضرته مستوى قصيا في الغلو، أدى به وبأتباعه إلى استعمال الأدوات الحديدية الحادة في شدخ الرؤوس، وإسالة الدماء. نريد القول بأن هذه السلوكات لم يكن معمولاً بها لدى حمادشة زمن شيخهم ابن حمدوش المتوفى عام 1135 / 1722، وأن مبتدعها هو تلميذه أحمد الدغوغي. وقد ساق عبد الرحمن بن زيدان بهذه المناسبة رواية تشرح سبب تعاطي الدغوغي ومن تبعه تلك السلوكات، وقال : إن هذا الأخير، وكان "... من العوام الصرف، لم يحضر وفاة متبوعه (علي بن حمدوش)، فلما آب من سفره، وعلم بوفاته، صار يضرب رأسه مع الجدران وبالأحجار أسفا على فقد شيخه، وتحسراً على عدم حضوره لوفاته، واغتنامه صالح دعواته، فاتخذ الأخلاط من أصحابه ذلك عادة" (*إتحاف*، 5 : 460).

وسواء كان الدغوغي صدر عنه ذلك الفعل بحال اعتراه، وصاحب الحال، عند الصوفية، يُسلّم له حاله، لأنه فاقد التكليف، أو أنه تعمد ذلك الفعل، فالمهم بالنسبة لنا أنه سن في الحضرة الحمدوشية "سنة" جديدة، هي التي جعلت طائفته الدغوغيةمميزة عن غيرها من الطوائف الحمدوشية الأخرى خصوصاً والشرقاوية عموماً.

بقي أن نشير إلى أن الشيخ الدغوغي توفي يزرهون بعد سنة 1135 / 1722 ودفن قرب شيخه علي بن حمدوش (*إتحاف*،5 : 474). ويعد المرابط الفقير بوعزة الحسناوي الفاسي من كبار شيوخ الطائفة، بعد وفاة شيخه أحمد الدغوغي (*سلوك الطريق*، ص. 358).

ع. الرحمن بن زيان، *إتحاف*، الجزء الخامس، ع. الكبير الكتاني، *روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية*، مخطوط، ع. الرباط، رقم1264 ك ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، طبعة حجرية بفاس،1318 ؛ م. بن علي المنالي الزبادي، *سلوك الطريق الوارية في التلميذ والشيخ والزاوية*، مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم 247 ك.

أحمد الوارث

**الدغوغي، أحمد** من موالي الدلائيين ـ حسب تعبير الإفراني ـ نشأ فيهم فبرع في الأدب، وقيل إن أصله من القصر الكبير، وكان هجاءً لا يكاد يسلم من هجوه أحد يقال إنه كان يجلس عند موضع معد لطرح الكناسات خارج زاوية الدلاء فلا يمر به ذكر ولا أنثى إلاّ هجاه شعراً أو نثراً. وهجا عدداً من الشعراء فتحاموه، ولم يفحمه إلا رجل إسلامي برع في الأدب بالزاوية الدلائية فقال فيه بيتين جسدا بشاعة خلقه وخُلقه.

كان أحمد الدغوغي ينظم مولديات يلقيها بانتظام في الحفلات المشهودة التي تقام في الزاوية الدلائية لليالي سابع المولد النبوي الشريف ويذيّلها بمدح الشيخ مَحمد بن أبي بكر الدلائي والدعاء له فيرتاح الشيخ لذلك وتطيب نفسه.

وبعد قيام الإمارة الدلائية انقطع أحمد الدغوغي عن زاوية الدلاء، وهجا محمداً الحاج هجاء مقذعاً (*نزهة*، 253) ثم رثي المجاهد العياشي لما اغتاله أعراب الخلط أيضاً ومحمد الحاج الدلائي.

كم شاد كم ساد كم سدّ الثغور وكم
أودى وأعدى غياث الغيث مقتصد
(*الوافي*، 3 : 734).

م. الإفراني، *نزهة*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ م. ابن تاويت التطواني، *الوافي بالأدب العربي*، الدار البيضاء، 1984، ج 3 : 734 735 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988، ص. 49 ـ50.

محمد حجي

**الدغوغي، داود** بن **عبد المنعم** القصري ينتسب إلى الأسرة الدغوغية الشهيرة بمدينة القصر الكبير. ويظهر أن هذا الشاعر عايش وشارك في معركة وادي المخازن الشهيرة لأنه وصفها وصفاً دقيقاً، وربما كان من الشعراء القلائل الذين سجلوا هذه المعركة (*القصر الكبير*، أعلام : 103). وابن تاويت في *الوافي* يشير إلى تلك القصيدة الرائعة التي قالها داود بن عبد المنعم بمناسبة الظفر العظيم الذي أحرزه المغاربة على الصليبية في وقعة وادي المخازن، كما يشير ابن تاويت، بل يجزم أن قصائد غيرها قد قيلت في موضوعها ولكن التاريخ لم يحتفظ لنا بها، وربما كان ذلك نتيجة إهمال أو ضياع، كما يرى صاحب *الوافي* أن

الأسرة الدغوغية القصرية قد عرفت بالجهاد (*الوافي*، 3 : 670).

م. بن تاويت، *الوافي بالأدب العربي بالمغرب الأقصى*، الجزء الثالث، 1981 ؛ م. بن عبد الرحمان بن خليفة، *القصر الكبير أعلام فكرية*، أدبية وتاريخية، مطبعة طنجة، ش. م. 1994.

الحسين البعاوي

**الدغوغي، عبد الله** بن داود، صالح متنسك، وعلامة مشارك، تصدر للتعليم والإرشاد، أقبل عليه الطلبة، وغدت مدرسته قبلة للزيارة. تخرج عليه كثير من العلماء، وكان ذا عناية بالتصوف، مكثراً من زيارة متصوفة عصره خاصة الشيخ سعيد بن عبد المنعم الحاحي، توفي أواخر القرن العاشر (16 م).

م. البعقيلي، *مناقب البعقيلي*، تح. المختار السوسي، الرباط، 1987 ؛ م. الحضيگي، *كتاب الطبقات*، رقم الترجمة 584 ؛ رجالات العلم، ص.18 ؛ م. حجي، الحركة الفكرية، ص. 590.

أحمد بومزگو

**الدغوغيّة** (طائفة صوفية) تتكوّن من أتباع الولي الصالح أحمد الدغوغي دفين جبل زرهون سابق الترجمة.

يقيم الدغوغيون في كل سنة موسما بمناسبة المولد النبوي، وذلك في موازاة موسم أتباع الطائفة الحمدوشية في موقع يعرف اليوم بـ "سيدي علي" على مقربة من مدينة زرهون، كما يقيمون موسمهم في زاويتهم بمدينة فاس، حيث تختلط الطقوس الصوفية بالموسيقى والرقص.

فإذا اجتمع أتباع الطائفتين حول ضريح سيدي علي بن حمدوش تصدر الساحة حمادشة وأمامهم ثور تغطيه مناديل ملونة، ثم انبرى الغياطون وضاربو التعارج، وتحلق الأتباع في دوائر يرقصون على إيقاع الطبول وهم يرددون : الله الله، دايم الله، المعبود الله، وبعد ذلك تبدو أعلام الدغوغيين قادمة نحو الساحة، فينسحب حمادشة تحت غطاء زغاريد النساء وهم يرددون : يا محمد، قدمنا يارسول الله، تاركين الساحة لأتباع أحمد الدغوغي، فينخرط هؤلاء بدورهم في الرقص والغناء على أصوات الغيطات، ثم يمتطون البغال ويغادرون موقع الحفل مثنى مثنى متوجهين نحو المدينة ومن حولهم جموع الزائرين. فإذا بلغوا باب الحجر توقفوا هنيهة وأمامهم حمادشة ثم انطلقوا جميعاً في مسيرة احتفالية كبرى تخترق مدينة زرهون نحو بني راشد وبني وراد.

والعادة أن الرجال هم الذين يمارسون الرقص في الساحة العامة. أما النساء فلا يشاركن إلا نادراً. ومن هذا النادر أن تقوم إحداهن بالرقص في بني راشد بالقرب من القبة وشعرها مرسل، وهي في رقصها لاتفتأ تحرك رأسها بشكل لا يخلو من عنف.

يعتبر الدغوغيون من الفرق المتفرعة عن طائفة حمادشة، ولذلك ارتبطت ممارساتهم الفنية الخاصة بممارسات أتباع الزاوية الحمدوشية، بل هي بمثابة حلقة من حلقاتها. وتقوم هذه الممارسات على برنامج يحتوي على الذكر وتلاوة حزب سيدي علي بن حمدوش. ويقتصر فيهما على الإنشاد والشطح، يتلو ذلك الحضرة. وبها يختم العرض. وتشكل المرحلة الفنية المتميزة في البرنامج بتدخّل الآلات الموسيقية : الغيطة والتعريجة والهراز والطبل.

تستمد ألحان حمادشة والدغوغيين طبيعتها ونسيبها من ألحان وطبوع الموسيقى الأندلسية، وخاصة طبع الحجاز الذي يبرز في إنشاد الذكر.

أما الإيقاعات فتخضع لأنساق جد معقدة أبرزها ثلاثة :

1 ـ الوزن الخماسي الضربات 4/5. وتتضافر من أجل إحداثه الآت الطبل والهرّاز والتعريجة. وهو يشبه ميزان الگباحي في الملحون مع اختلاف مواقع النقرات القوية والضعيفة.

2 ـ الوزن الثنائي ويشبه ميزان القائم ونصف في موسيقى الآلة 4/8.

3 ـ الوزن الثلاثي : ويشبه ميزان القدام في موسيقى الآلة أيضاً 4/3.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5. ص. 459 . 460 ؛ *دراسة ميدنية*.

J. Herber, *Les Hmadcha et les Dghoughiyyin*, *Hespéris*, T. III, 1923, 2e trim., pp. 217 - 236, Rabat.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الدغوغيون** أو بني دغوغ إحدى القبائل المصمودية الخمس التي كانت توجد بدكالة الكبرى قبل الفتح الإسلامي. ورد ذكرها عند كثير من المؤلفين، وعلى الخصوص عند ابن الزيات الذي أشار إلى أعلامها وبعض قراها دون أن يحدد موقعها. ونحن نجد اليوم جزءاً من هذه القبيلة مستقراً شمال شرقي سهل قبيلة سحيْم، كما نجد جزءاً آخر قد أصبح مندمجاً في قبيلة أولاد عمران تحت اسم بني دغوغ تامْدة وبني دغوغ المرجة.

لقد تعربت هذه القبيلة تعريباً تاماً وأنجبت عدداً كثيراً من العلماء والشيوخ المرشدين الذين أنشأوا رباطات ومدارس لتلقين العلوم الدينية، ومن هؤلاء العلماء والشيوخ : الإمام أبو حفص عمر الدغوغي والشيخ الواعظ الخطيب أبو محمد تليجي ابن موسى الدغوغي والشيخ أبو مهدي الدغوغي والشيخ أبو الأنوار والشيخ الفقيه الإمام أبو محمد عبد الخالق بن ياسين وكلهم من القرن السادس (12 م).

وتوجد اليوم مجموعة مرابطية صغيرة بالقرب من بلدة امْطَلْ بدكالة تعيش حول زاوية تحمل اسم زاوية بني دغوغ.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 ؛ ابن عذاري، *البيان*، ل. ابن الخطيب،

*المعيار* ؛ أ. بوشرب، *دكالة*،ي. ابن الزيات، *التشوف*، *مدن وقبائل المغرب*، *دكالة*، ج10، تر. م. الشياظمي، مخطوط.
*Répertoire alphabétique des tribus et confédérations du Maroc*, Rabat, 1939.

محمد الشياظمي

**الدغيمر**، أسرة رباطية شريفة أصلها من سجلماسة، انتقلوا إلى الرباط بعد تجديدها من طرف الأندلسيين المهاجرين في القرن الحادي عشر (17 م) منهم :

الدغيمر، محمد الحسني الرباطي فقيه صالح، أخذ عن الشيخ علي العكاري لما انتقل من الزاوية الدلائية إلى سلا الرباط، ولازمه في جملة طلبة العدوتين. وكان متميزاً في العلوم العقلية. وكانت وفاته في أوائل القرن الثاني عشر (18 م).

م. العكاري، البدور الضاوية، مخطوط ؛ م. بوجندار، الاغتباط، الرباط،1987، ص. 100.

محمد حجي

**الدّف**، آلة إيقاعية تعتقد بعض الجماعات الدينية في المشرق أنها وجدت منذ أن خلق الإنسان. وقد نقل أن أول من ضرب بها في الإسلام فتيات بني النجار حينما استقبلن الرسول صلى الله عليه وسلم عند هجرته من مكة إلى المدينة.

تعددت أسماء هذه الآلة : فقيل المزهر، والمربع، والدف المركن. وقد حفلت كثير من المصادر المغربية بذكر الدف ووصفه : ففي *بغية الرائد* أنه مربع بوجهين ؛ وهو عند ابن الدراج من آلات النقر التي كانت على عهده شائعة، فهو العربي المدور بوجه واحد، ويسميه الناس الطار. أما الشقندي المتوفى سنة 629 فقد حصر استخدامه في عدوة المغرب دون الأندلس، وأمّا أبو الحسن الخزاعي أنه كان يستعمل على عهده في الأعراس، وقد ركبت في جوانبه قطع من الصفر مستديرة يسمع لها عند تحريكه وقرع بعضها بعضا تصويت وجلجلة.

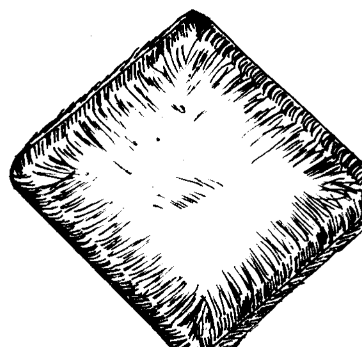

الدف

ويستفاد من هذه التعريفات أن الدف عند القدماء كان يتأرجح بين مفهوم "الطر" ذي الوجه الواحد و "المربع" ذي الوجهين.

والدف في الاصطلاح المغربي الحديث عبارة عن مربع صغير مغلق ومغلف بالجلد من جهتيه. ويبدو أن أشياخ الملحون كانوا يستخدمون الدف في مصاحبة الإنشاد، وذلك لتأكيد الطابع الإيقاعي الذي واكب الابتكارات المنجزة في مجال أوزان الشعر الملحون.

ومن جهة أخرى ظل استخدامه حتى عهد قريب شائعاً بين "الشيخات" في أجواق النساء الحضرية، ثم انحصر تداوله اليوم في بعض المجموعات الأمازيغية الممارسة لرقصات أحواش. ومما يدل على سابق استعماله في الأوساط الشعبية إشارة الفقيه عبد الله بن محمد الهبطي المتوفى سنة 963 في *ألفيته* الشهيرة حيث ذكره تحت اسم "المزهر" وهو بصدد الرد على ما كان يصنعه الناس في حفلات الأعراس وأعمال الزفاف قال :

قد جوَّزُوا الكفوف والمزهارا والشطح والغنا إذن جهـــارا

وتلتحق بشهادة الفقيه الهبطي شهادة معاينة سجلها في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) المؤرخ البرتغالي مارمول في كتابه *إفريقيا* عندما ذكر "أن أعراب منطقة نوميديا ... كانوا يتغنون بقصائدهم المقفاة الموزونة على أنغام الدف والعود".

وتتميز طريقة استخدام الدف بأن يمكسه الناقر بيديه معا بين راحتي كفيه في وضع مواز لصدره، ثم يحرك أنامله التي تنقر على الجانبين دون أن ينفصل الكفان عن الآلة.

شهر زاد قاسم حسن، *دور الآلات الموسيقية في المجتمع التقليدي في العراق*، ص. 334 ؛ القاضي عياض، *غنية الرائد*، ص. 114 ؛ *الإمتاع والانتفاع*، تح. محمد ابن شقرون، ص. 33 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، الجزء الثاني، ص. 151، المطبعة الأزهرية بمصر ؛ علي الخزاعي، *تخريج الدلالات السمعية*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1985 ؛ *مجلة التراث الشعبي العراقية*، السنة 11 ع. 10، ص. 138 ؛ م. الهبطي، *الألفية السنيّة*، *مخطوط* ؛ ، مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. م. حجي وآخرين، 1 : 110.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الدفلة** أو الدفلى أو أليلي بالأمازيغية أسماء تطلق على نوع نباتي يسمى علميا نيريوم أوليانديرNerium oleander وهو من فصيلة الدفليات Apocynaceae.

الدفلة شجرة صغيرة أو شجيرة مستديمة الخضرة. أوراقها حلقيّة متجمعة ثلاثة بثلاثة، رمحية الشكل قصيرة العنق أزهارها كبيرة وردية اللون في الصنف البري، أو مختلفة الألوان في الأصناف المنزرعة للزينة. ثمارها علبية الشكل طويلة جداً (حتى 15سم)، ومنتهية بمنقار طويل. ومحتوية على بذور مكسوة بزغب طويل يسهل لها الانتشار بواسطة الرياح أو المجاري المائية.

تتوطن الدفلة حوض البحر المتوسط. أما في المغرب فإنها تعيش على ضفاف الأودية وفي الأماكن الرطبة في جميع المناطق البيومناخية ابتداء من سطح البحر إلى حوالي 2000م.

الدفلة

تستعمل الدفلة كنبات زينة، يغرس في الحدائق والبساتين وبجوانب الشوارع والطرق. ولهذا الغرض استنبطت من الصنف البري عدة أصناف ذات أزهار مختلفة الألوان، وردية أو حمراء أو بيضاء أو صفراء أو مختلطة هذه الألوان.

تعتبر الدفلة من النباتات السامة. تدخل في بعض التحضيرات للتطبيب التقليدي. كما يُستعمل خشبها لصناعة بعض الأثاث الخفيف مثل الكراسي ...

*أبحاث شخصية.*

Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris.

عبد المالك بنعبيد

**الدفينة** ← **الزراعة المغطاة**

**الدقاق**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الغربية بناحية أصيلا وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1618.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدقاق، أحمد** السبتي من صلحاء سبتة ومتصوفتها المشهورين، صاحب المكاشفات والكرامات. اشتهر في الوسط السبتي بالزاهد المتعبد، صاحب بركة لا تنضب وتنبؤ لا يخطئ وبعد مماته تحول قبره الكائن في المقبرة الكبرى من أسفل جبل المينا إلى مزار يقصده كل ذوي مطلب أو حاجة (*اختصار*، 15) لا نجد له ترجمة سوى ما ذكره ابن عبد الملك من أن المسمى أحمد بن إبراهيم بن مسلم الدقاق المعروف بأبي العباس الإشبيلي الأصل أخذ عن أبي عبد الله بن شريح الرعيني المتوفى عام 563 / 1168 (*الذيل*، 63) لذا لا يمكن أن يكون أحمد الدقاق السبتي المتوفى في حدود سنة 748 / 47 ـ 1348 (اختصار، 15).

م. ابن عبد الملك *الذيل والتكملة*، القسم الأول من السفر الأول، تح. محمد بن شريفة، بيروت ؛ ابن القاسم الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1403 / 1983، ط. الثانية.

زليخة بن رمضان

**الدقاق، محمد** بن مَحمد الدغمي السلوي فقيه أديب وشاعر فصيح. كان والده عدلاً بمدينة سلا. لازم الدقاق مجالس الشيخ علي العكاري، وكان يرفع إليه نوازله ومعضلاته، كما قرأ على شيوخ مدينة فاس كمحمد بن عبد القادر الفاسي، ومحمد بن أحمد القسمطيني الگماد، والعربي بن أحمد بردلة وغيرهم. وأخذ طريق التصوف عن الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي، وكان يتمتع بمكانة علمية مرموقة بالمجتمع السلوي. تخرج على يده عدد وافر من الطلبة السلويين، أبرزهم أحمد بن عاشر الحافي السلوي الذي قرأ عليه *مختصر خليل*، وبعض *تلخيص المفتاح* وغيرها. سافر الدقاق لحج الفريضة وقام بتدريس الحديث بالمسجد النبوي في المدينة المنورة أكثر من عشر سنين. وكان السلطان العثماني محمود الأول يصرف له كل سنة جائزة سنية، الأمر الذي يبرز مكانة هذا العالم السلوي بالمشرق. ولصاحب الترجمة مراسلات بينه وبين طلبته السلويين.

توفي بالمدينة المنورة، ودفن بها عام 1158 / 45 ـ 1746.

ع. العكاري، (الحفيد)، *البدور الضاوية الزاوية*، خ. ع، 88 د، ص. 26. 27 ؛ أ. ابن عاشر الحافي، *الفهرس*، تح. م. السعديين، د. د. ع. الرباط، 90 ـ 1991، ص. 230 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط، 1987، ص. 106 ـ 110 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعرا 1986، ص. 113، *إتحاف أشراف الملا*، مخ. خ. ع. 11د، ص. 63 ـ64 ؛ العباس ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974، 6 :60 ؛ ع. بنعبد الله، سلا *أولى حاضرتي أبي رقراق*، سلا، 1989، ص. 87.

محمد السعديين

**الدقة المراكشية**، المعلومات المتداولة عن أصل "الدقة المراكشية" تتسم بكثير من التناقض، وتفتقر للوثائق والحجج : فمن قائل بالأصول الإفريقية للدقة لمجرد وجود "القراقب" الحديدية ضمن آلاتها، إلى قائل بأصولها البربرية لوجود بعض العبارات الأمازيغية مثل "افوس" اعراج و"اگوال" ويدعم هذا الرأي وجود فن شعبي شبيه بالدقة في مدينة تارودانت.

أما تاريخ الدقة فمن الصعب تحديده لأنه كباقي الفنون

الشعبية يرتبط وجوده بوجود الإنسان نفسه، إلا أنه على أي حال فن إسلامي، لارتباطه زمنياً بمناسبة دينية إسلامية وهي الاحتفال بعاشوراء. ومن هنا جاءت فكرة نشأته في ظل حكم يعادي الشيعة (يبدون الحزن الشديد في هذه المناسبة).

إضافة إلى أن في زجله دعوة إلى التوسل بالأولياء واحترامهم واتباع الطريق السوي.

وتردُ كثير من الأقوال تاريخ الدقة إلى عصر المنصور السعدي، ولعل السبب في ذلك عائد إلى ما عُرف عن هذا السلطان من تشجيع للألعاب في المناسبات الدينية تخليداً لانتصاره في معركة وادي المخازن فقد تحدث المؤرخون عن احتفالاته بموكب الشموع الذي شاهده أثناء زيارته لإسطمبول. وإقامته لحلقات الذكر والأمداح النبوية بهذه المناسبة. (*مناهل الصفا*، 235 ـ 238 ؛ *روضة الآس*، 13 ـ 14).

إلا أن انعدام الوثائق يجعلنا غير مطمئنين لهذا الرأي وحتى "العيط" (الزجل المعتمد في الدقة) لا يساعدنا على ذلك لأنه كما سنرى، غير قار، يتغير بتغير العصور فلا يبقى إلاّ جوهره.

وللدقة زمان : هو ليلة عاشوراء، ومكان : هو كافة أحياء المدينة، وتقوم على ترديد زجل شعبي يسمى "العيط".

وتنقسم الجوقة المردِّدة إلى قسمين : يردد الأول الشطر من البيت والثاني الشطر الثاني منه. مع النقر على "التعاريج" وينسق بين القسمين شخص يدعى "العرّاج" في حين يقود الجوقة حامل "البندير" ويتبعه في تحركاته وإيقاعه حامل "القراقب الحديدية".

ولإيقاع الدقة أربعة موازين :

1) ميزان رباعي، توحي دقاته الأربع بعدم استقامته مع تجاوب القراقب والبندير.

2) ميزان رباعي متعادل الضرب تتداخل فيه نقرات البندير والقراقب، جماعة تضرب إيقاعاً رباعيا معتدلا، وأخرى تحدث إيقاعا ثلاثيا سريعاً، وثالثة تحدث إيقاعاً ثنائياً مؤجل النبر.

3) ميزان ثلاثي ذو إيقاع سريع حثيث.

4) ميزان رباعي تشتد حمأته من فرط سرعته، وتصحب إيقاعاته الصاخبة تهليلات وصيحات من طرف العازفين (*الموسيقى الشعبية المغربية*، *الفنون*،8 : 1978، ص. 48 ـ 71).

وتكون الدقة ناجحة في مرحلة "افوس" (كلمة أمازيغية معناها "اليد" ولليد الفضل الأول في حدوث الانسجام، أي الانتقال إلى الميزان السريع، والمفروض أن يقع الانسجام في الانتقال بين كافة المشاركين : صاحب البندير، والقراقب وأصحاب التعاريج. وهو أمر يحتاج إلى دربة وممارسة، إذ أن بقاء تعريجة واحدة في الميزان الثقيل أو خروجها قبل الوقت المناسب إلى السريع يفسد "افوس".

بعد هذا التقديم الضروري نركز حديثنا على أهم شيء في الدقة وهو الزجل الشعبي الذي تردده الفرقة في مرحلة الضرب الثقيل، ويسمى لذلك "العيط" (من عَيَّط القوم أي صاحوا وأجلبوا). وتكون لهم بالفعل صيحات وجلبة، سواء أثناء الترديد المزدوج أو عند الإعلان عن نجاح "افوس". ويسمح لنا التدبر في نصوص "العيط" ورواياته بإبداء الملاحظات التالية : (*الحركة الصوفية بمراكش*، ج3، 70 : 78) :

1) أنه تراث شعبي أصيل لا يُعرف قائله أو ناظمه، وإنما هو منسوب للفئات الشعبية بكاملها على امتداد زمن وجود هذا الفن.

2) نص العيط طويل يختلف من راو إلى آخر، ويتفق الرواة على أن أغلبه ضاع وأنه أطول مما يحفظون ويتناقلون، وقد قدمت لنا تقديرات في الموضوع أقلها مائة وعشرون بيتا واقصاها أربعمائة بيت غير أن المتداول حالياً أقل من ذلك بكثير، ويمكن رد هذا الاختلاف إلى الفترة

التي يُذكر فيها الأولياء فانها تطول أو تقصر بحسب الأسماء الواردة فيها.

وتكون الجوقة بأمسِّ الحاجة إلى العيط الطويل حتى لا يحدث السأم بالاستمرار في ترديد نفس البيت زمناً طويلاً، فالمفروض أن يستمر "جر العيط" حسب اصطلاحهم من بدء الدقة (بعد صلاة العشاء) إلى "دخول أفوس" (قبيل الصبح) وخاصة إذا صادفت المناسبة فصل الشتاء.

3) عيط الدقة مفتوح ومَرِنٌ يزاد فيه وينقص منه بحسب الظروف والأحوال، تتغير الفقرة المخصصة للسلطان بتغيره، ويسجل الأحداث التي تعرفها المدينة أو التي تعرفها البلاد، ويتم تناسي فقرات لم تعد لها أهمية لفائدة المضاف ذي الأهمية. فقد روى لنا الشيوخ أبياتاً في ذم الاستعمار ومساندة الوطنيين أثناء الحماية، كانت الفرق تدخلها بين سطور التوسل داعية الأولياء أن يخففوا عن البلاد مصابها.

كما يحفظون أبياتا في الغزل بالمذكر، حذفتها الفرق من مردداتها لأن الذوق العام لايستسيغها، من مثل قولهم :

يشير اصغير خويا خويا واعطيه درهمو

مجدول احرير خويا خويا دلا اكمايمو

4) عيط متغير كذلك أي أنه لايحتفظ بنفس التسلسل : تقدم وتؤخر الأقسام بحسب الحومات والأحياء كل واحدة تقدم الأولياء المدفونين فيها وتخصص لهم فقرة أطول، وتهتم باستعراض أسماء أعلام الدقة بها، ثم تاتي على ذكر باقي أسماء الأولياء المشاهير وبعض مظاهر الحياة الاجتماعية في الحومة والمدينة على العموم.

ويلاحظ التغيير في النطق ببعض الالفاظ وفي مواقعها داخل البيت وهذا راجع إلى الاعتماد في العيط على الرواية الشفوية وإهمال كتابته، وهذا ما تسبب كذلك في ضياع أغلبه.

أما الاقسام الثابتة في العيط فهي :

1) المقدمة : في ذكر اسم الله والصلاة والسلام على نبيه المرسل الشفيع :

نبدَوْ باسم الرحمن * باسم العالي

الصلاة على زين الزين * طه وياسين

الشفاعة يا سيد المرسلين يانبينا * سعدي بالشافع فينا

2) الدخول في الدعوة إلى التمتع بمشاهدة هذا الفن وما يواكبه من فرحة وسرور، مع ذكر أعلامه المشاهير :

يا الله أو اتشوف بساط لفراجا * نبكي وننوح على فراق سيدي ماجا

شوف الدقة وصوتها معلي * غابوا ناسها ما حضرو شي ليها

ويبدو أن الفرق كانت تقوم بتمثيل بعض الأدوار المسرحية كما يبدو من البيت الأول (بساط فراجا، وبداية القصة في الشطر الثاني) قبل الشروع في "جر العيط" ومن أعلام الدقة الذين تذكرهم الأحياء كلها بإجلال "ولد اسميرس" ولا يعرف العصر الذي عاش فيه وتضيف بعض الأحياء أعلامها مثل : بحير بابا...

ويتم تنبيه المبتدئين أو "العسريين" (الذين لا يستطيعون الضرب والإنشاد معا) إلى ترك الگور (أي دائرة المنشدين) لما سيترتب عن مشاركتهم من نتائج قد يكون ثمنها الضرب المبرح.

ويسمون العسري "بالفزعي" أي العديم التجربة الثقيل الظل. ويكون المشاركون في الدقة من كبار السن ذوي التجربة. أما دقة الأطفال والأحداث فلهم مجال أرحب يبتدئ من مطلع محرم إلى ما بعد عاشوراء كل يوم.

3) القسم الأول في ذكر الأولياء والتوسل بهم : يدعو زجل العيط إلى زيارة أشهر أولياء المدينة والتوسل بهم والدخول في حماهم وتعطي سبعة رجال الأسبقية :

للغزواني جيت انزورْ * الولي مول القصورْ ...

وهذا القسم مفتوح ومتغير - أكثر من غيره - فمن خلاله يمكن أن يطول العيط حتى يبلغ الأرقام التي يسوقها الرواة، خاصة وان تركيب الأبيات مرن وطيع ومتكرر فبدل البيت :

ارواح اتزور شيخ الحضرا * مولاي بوعمرو

نجد روايات مثل :

ارواح اتزور شيخ الحضرا * مولاي الكامل

وهكذا يمكن توظيف هذه الصيغ والتراكيب لذكر كاف أو معظم أولياء المدينة والتوسل بهم، ولما كان عددهم كبيراً (كلُّ قدمٍ بوليّ) فإن نص العيط سيطول لا محالة وفي هذا مساعدة على قضاء الليل الطويل دون ترديد نفس الأبيات.

4) يتناول القسم الثاني من العيط الحديث عن مظاهر الحياة الاجتماعية في المدينة وبعض عادات سكانها والدعاء للسلطان الحاكم.

يبدأ الحديث عن هذه المظاهر من "الحضار" أو المسيد الذي يحفظ فيه الأطفال القرآن الكريم، ويتعلمون القراءة والكتابة، فهو الأساس وعليه الاعتماد في تكوين العلماء ويرتبط المسيد بحي الزاوية زاوية الحْضَر، رمز التمدن والعطاء، والفهم والأناقة عند سكان المدينة حيث المساجد والزوايا والمدارس وعلى رأسها جامع ابن يوسف ومدرسته :

أهل الزاوية جيتْ انزور * تلقى حرش العينين

فم باب احضارو * أو عدي تا يعرضْ أسوارو

ولا ينسى المراكشي عادة من العادات التي جُبل عليها وهي الخروج إلى النزهة في الحدائق والعرصات التي تزخر بها المدينة وضواحيها وما أكثر أسماء العراصي التي يذكرها العيط. فلكل حي عرصته المفضلة القريبة من بابه الرئيسي. ويذكر العيط بساط سليمان وعرصة احريللي (معجم *عراصي مدينة مراكش*،5 : 1981، ص. 79 - 98).

الشبّانْ را العام أزيان * نمشيو للنزاها ونگيمُو

فبساط سليمان

والدعاء للحوز بالخصب له دلالته عند المراكشيين، فبه

تنخفض أثمان الحبوب، ويعم الرخاء وتنشط التجارة بالمدينة وتزدهر لأنها سوق قبائل الحوز، ومنها يتزودون بحاجاتهم.

وفي العيط الإشادة بالجمال وذكر معاناة الحب :

وهناك أبيات تتحدث في ظاهرها عن اللقاء والفراق والحب، ولكنها في العمق ترمز للحياة والموت وحتميته (وقت الرواح ما فيه امْقَالاَ) وللزمان وغدره وتقلبه، لذا فعلى الإنسان أن يتشبث بالدين ويلتزم بأحكام الباري تعالى وشريعته، وأن يقدم الخير ويسعى في سبيله، ومما احتفظ به العيط من هذه الحكم :

راحت راحت شمس لَعْشِـــي * راحت فَحْكَام الباري تعالـــى

قال الزين أنا بِيتْ نمشـــي * وقتْ الرواحْ هذا ما فيه مقالا

اللي ماسار يسير غيرْ يمشـي * لِيامْ فايتا والسوايعْ بـــدالا

وهذه الأبيات كثيرة التردد على لسان الصناع التقليديين بالمدينة يترنمون بها في أوراشهم ومعاملهم، وبخاصة "الجصاصين" أثناء تجصيص سقوف المنازل وفي البيت الثاني منها كلمة خاصة بأهل مراكش وهي "بِيت" التي تستعمل عندهم بدل "ابْغيت" أي أردت.

وآخر فقرات هذا القسم الدعاء للسلطان الحاكم بالنصر والتوفيق والإعلان عن رخاء المدينة وازدهارها تحت ظل حكمه. والقالب المستعمل في هذه الفقرة هو :

سيدي ربي نرجاك يا العالـي * تكون في عون (السلطان الحاكـم)

شف البهجا الحمراكا تشالـي * بعنايت الهمام (السلطان الحاكـم)

5) الخاتمة : يشير العيط إلى النهاية (امشينا) ويؤكد التوسل بالأولياء والاحتماء بالزاوية زاوية المؤمنين، ثم يدخل مباشرة في الإيقاع السريع ليخلص إلى "أفوس" والنهاية.

عيشا عيشا يا بـودلالْ * تلقايْ الخير امْشينَـــا

أنا في عارْ الزاويــــةْ * زاويـــةْ المومنَــــين

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، د. ت ؛ أ. المقري، *روضة الآس* ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *الموسيقى الشعبية المغربية*، *مجلة الفنون*، غشت، 1978 ؛ ح. جلاب، *الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب*، ج 3، ط. مراكش،1994 ؛ *معجم عراصي مدينة مراكش*، مجلة *التراث الشعبي*، 5 : 1981.

حسن جلاب

**الدڤون** ويكتب أيضاً الدگون أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وكان من بين أفرادها عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرزاق الذي تولى مهنة خبير في الفلاحة سنة 1217 /1802).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 680.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدڤون، أحمد** بن محمد بن يوسف الصنهاجي الأندلسي الفاسي. ولد ونشأ بغرناطة ودرس بها قبل أن يحتلها الإسبانيون، ثم انتقل مع أبيه إلى فاس، أخذ عن جماعة من علمائها منهم محمد المواق والأستاذ الصغير، وأخذ عنه جماعة من طلبة المدينة الإدريسية الفقه وقواعد اللغة. أخذ عنه منهم : أبو القاسم بن إبراهيم، وأحمد التسولي وأبو عبد الله بن شريف، وشقرون بن أبي جمعة المغراوي.

كان الدقون فقيهاً شاعراً، أديباً نحوياً، محدثاً وراوية، كثير المزح. روى عنه تلامذته كتابه *بداية التعريف بشرح شواهد الشريف* (مخطوط).

تولى خطابة جامع القرويين وبعد وفاته خلفه محمد بن محمد ابن غازي.

توفي بفاس في مهل شعبان عام واحد وعشرين وتسعمائة921 / 1515.

د. القرافي، *توشيح*، بيروت، 64،1983 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 132، *درة*، 1 : 92 ؛ أ. بابا، *نيل*، ص. 88 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج*، 384 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 71، *الإكليل*، ص. 136 (د. د. د. ع. مرقون) ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 248 ؛ م. مخلوف، *شجرة*، 1 : 276، خ. الزركلي، *الإعلام*،1 :232 ؛ م. حجي، *الحركسة*، 2 : 348 ؛ م. ابن تاويت، *الوافي بالأدب المغربي*، ص. 287.

مارية دادي

**الدُّكّ**، أسرة رباطية صاحبة مال وسعة، ينتسب إليها المسجد الذي يحمل اسمها والكائن بين سقاية القاضي البريبري ودرب الجراري. عرفت هذه الأسرة بالجاه ولذلك حملت إحدى الأزقة اسمها أيضاً. فزنقة الدك هي الموجودة بين الخرازين وزنقة وقاصة جوار درب البرناني.

م. الأمين بلگناوي، *رواية شفوية*، في30 / 10 / 1995.

عبد الإله الفاسي

**دكالة**، كانت بلاد دكالة إلى حدود القرن الثاني عشر (18 م) تشمل مساحة أكبر مما هي عليه الآن، إذ كانت تمتد من أم الربيع شمالاً إلى ما وراء نهر تانسيفت جنوباً، أي ما يعرف اليوم بمنطقتي دكالة وعبدة والشياظمة. وقد تغير استعمال الاسم كثيراً خلال القرون الوسطى، إذ كان يطلق أحياناً على مجموع القبائل البربرية التي كانت تقطن الرقعة المذكورة، وكان يطلق في أحيان أخرى على المنطقة نفسها. وقد نجد الاستعمالين معا عند المؤلف الواحد.

لا نعرف للفظ "دكالة" معنى، ونجهل بداية استعماله. ولعله لفظ بربري طرأ عليه، على غرار ألفاظ كثيرة (مشنزاية مثلا) تحوير وتعريب لاحق. فمن الأكيد أن الاسم

لم يكن يطلق لا على السكان ولا على المنطقة قبل الإسلام، ولم يرد بين الأسماء التي ذكرها المؤلفون الإغريق والرومان. ولم يذكر البكري هذا الاسم، بينما جعل ابن خلدون المنطقة إلى حدود أسفي تابعة لبرغواطة. وأعطى آخرون لتامسنا حدوداً تشمل ما يعرف اليوم بدكالة وعبدة. ويفهم من إشارة أخرى لابن خلدون ـ وللإدريسي كذلك ـ أن انتشار القبائل الدكالية كان يشمل الرقعة التي غطتها المنطقة حتى بداية العصور الحديثة، أي فيما بين أم الربيع وتانسيفت.

ومن جهة أخرى، أطلق الاسم على المنطقة وسكانها، إلى حد أننا نجد عند المؤلف الواحد الاستعمالين معاً. ويتجلى ذلك بوضوح في عبر ابن خلدون الذي يطلق "دكالة" على قبائل مصمودة السهل مرة، وعلى الإقليم مرة أخرى. ونفس الازدواجية نقف عليها في كتابات من تعرض للمنطقة قبل القرن العاشر (16م). إلا أن تتبع إشارات تلك المؤلفات، واعتبار التطورات التي عرفتها المنطقة، خصوصاً بعد دخول القبائل العربية إليها، قد يمكنان من تصور مراحل تحول استعمال الاسم.

نقرأ في *بهجة الناظرين* أن أحد الأمغاريين بقي بتيط إلى أن اندلعت حرب برغواطة "فخرج بأمه إلى بلاد دكالة". ثم أشار المؤلف في محل آخر إلى أن "أيير بساحة دكالة". وبذلك يجعل تيط، التي كانت تابعة لـ "صنهاجة أزمور"، خارج دكالة.

وقد نحا ابن قنفذ ـ الذي زار المنطقة سنة 769 نحو ابن عبد العظيم الأزموري. فحين تكلم عن الأمغاريين، نعتهم ب "الصنهاجيين"، وحين أشار إلى "الماجريين"، قال : "وهم طائفة أبي محمد صالح، ومنهم الدكاليون". ومما يؤكد هذا التقسيم إلى جزءين لدى ابن قنفذ، أنه حين تحدث عن اجتماع الصوفيين والفقهاء بإحدى قرى ساحل المحيط قال عن المكان : إنه "جوف إقليم دكالة، بين أسفي وبلد تيط نفطر". وبذلك تكون "دكالة" هي ما يناسب مصمودة السهل، وبلاد "صنهاجة أزمور" ما يناسب هذه القبيلة وهو ما نقف عليه كذلك عند ابن الزيات الذي يستثني من دكالة قبيلة صنهاجة، ويعني بدكالة ما لاحظناه عند ابن عبد العظيم الأزموري وابن قنفذ.

وقام ابن خلدون، بدوره، بنفس التمييز وإن أدمج صنهاجة أزمور في أماكن مختلفة من *العبر* ضمن قبائل دكالة.

وقد اختفى استعمال اللفظ للدلالة على القبائل تدريجياً، خصوصاً بعد الغزو البرتغالي للمنطقة، وما نتج عنه من تقلبات واضطرابات وتحركات اضطرارية للسكان. وبذلك عوضت المنطقة القبائل في حمل الاسم، خصوصاً وأن قبائل جديدة ظهرت بها : غربية، عبدة وشرقية بفروعها الكثيرة. وهكذا، وابتداء من القرن العاشر (19 م)، لم يعد للفظ إلاّ استعمال واحد، ويعني المنطقة التي كانت تقطنها القبائل البربرية الست. وهكذا لم أقف في المصادر البرتغالية إلا على استعمالين اثنين للدلالة على القبائل، فيهما إشارة لقبيلة دكالة، مع ذكر عبدة ورجراجة ورتنانة.

وهكذا استعمل كل من الوزان ومارمول والإخباري البرتغالي (دو كويش) اللفظ للدلالة على الاقليم. فقد كتب هذا الأخير وهو يتحدث عن أسفي بأنها توجد "بالإقليم الذي نسميه بطريقة غير دقيقة إقليم دكالة".

واختلط الأمر على الوزان في ضبط حدود المنطقة، إذ جعلها تحد بوادي العبيد جنوباً وبتانسيفت غرباً. وعلى كل، تجمع المصادر أن منطقتنا كانت تحد في بداية القرن العاشر (16 م) شمالاً بأم الربيع، وجنوباً بتانسيفت، وغرباً بالمحيط، وشرقاً بالمرتفعات : الجبل الأخضر وجبال بني ماگر، ومرتفعات الكنتور.

وضمن الحدود المشار إليها أعلاه، كانت المنطقة مقسمة باستمرار إلى قسمين متميزين. فقبل دخول القبائل العربية إليها، كانت النصوص تميز بين بلاد "صنهاجة" وبلاد المصامدة. وخلال الغزو البرتغالي قسمت إلى "شرقية" و "غربية". وابتداء من القرن الثاني عشر (18 م)، قسمت إلى "دكالة حمراء"، وهي عبدة الحالية، و"دكالة بيضاء"، وهي ما يناسب دكالة الحالية. وقد بدأت ملامح قبائل القسم الشمالي للاسم تتعزز تدريجياً خلال الغزو البرتغالي. وبذلك يصبح الاسم الذي كان حكراً على قبائل القسم الجنوبي خاصاً هذه المرة بسكان قسمها الشمالي، وذلك بعد أن تعزز وجود قبيلة عبدة بالمنطقة، بعد تحرير أسفي. وبهذا نفهم التقسيم الذي خص به القنصل الفرنسي شونيي دكالة حين كتب : "كانت هذه المنطقة تمتد قديماً من ضفة تانسيفت، إلا أن منطقة عبدة اقتطعت منها ليتم التقسيم بين أخوين متنافسين على حكمها". وأضاف "أن دكالة كانت تمتد إلى أبواب أسفي"، وأن "إقليم عبدة، الذي كان يكوّن قسماً من دكالة، يبدأ من أسفي ويمتد إلى نهر تانسيفت". وبذلك أعطى القنصل المذكور منطقة دكالة الحدود الجديدة التالية : من ناحية الشرق : هسكورة والرحامنة، من ناحية الجنوب : عبدة، ومن الشمال : تامسنا.

وهكذا أصبح إقليم دكالة ابتداء من القرن الثاني عشر (18م) يشمل رقعة أضيق مما كان عليه من قبل، ولم تعد المنطقة التي استوطنتها عبدة تنسب إليها، وأصبحت تشكل إقليماً خاصاً بها.

اعتاد الجغرافيون تقسيم دكالة إلى ثلاث وحدات طبغرافية : الساحل، السهل، المرتفعات. وتختلف الوحدات المذكورة عن بعضها البعض من ناحية الأشكال الطبيعية، والغطاء الطبيعي ونوعية الاستغلال الزاعي. وعلى الرغم من هذا الاختلاف، يغلب على دكالة طابع الانبساط الذي يجعل منها سهلاً من أكبر وأغنى سهول المغرب. غير أن المنطقة كانت تعاني من قلة المياه بشكل كبير ودائم نظراً لقلة الأنهار والعيون بداخلها، ولمحدودية استفادتها من النهرين اللذين يحدانها. لذا كاد السكان يقتصرون في

شربهم على ما كانوا يدخرونه من مياه المطر. وقد أثر هذا المشكل على نوعية الاستغلال الزراعي وعلى نمط عيش السكان، وكانت له في بعض المناسبات انعكاسات سياسية خطيرة عليهم.

فإذا كانت كمية التساقطات تسمح للمنطقة بزراعة بورية في حالة توزيع منتظم للتساقطات خلال السنة الفلاحية، فإن المشكل الذي عانى منه الدكاليون كثيراً تمثل في ندرة المياه الصالحة للشرب، وهو المشكل الذي أكدته المصادر. وتكاد تنعدم الآبار في أجزاء كثيرة من المنطقة، الأمر الذي حتم على السكان اعتماد ما يدخرونه في النطافي من مياه المطر. فقد ذكر ابن الخطيب عن جبال بني ماگر بشرق أسفي : "سقيه من نطاف عذبة تُختزن بها بركاتُ الأمطار فيقع بها أمنهم والاجتزاء إلى زمن المطر". وكانت مدينة أسفي لا تعتمد في شربها إلا على النطافي. لذا كان الجفاف يكتسي بدكالة طابع الكارثة بالنسبة للسكان ومواشيهم. فكلما تأخر نزول المطر أو انعدم إلا واضطر السكان إلى الرحيل نحو المناطق المتوفرة على الآبار والعيون كما ورد ذلك في *التشوف* حين الحديث عن أبي وكيل الدكالي. وقد تركت لنا المصادر البرتغالية صورة واضحة عن خطورة قلة هذه المادة على السكان إلى حد أنها استعملت كسلاح لإرغامهم على الرضوخ لمشيئة الغزاة. وذكر الإخباري (دو سوزا) أن الملك البرتغالي اضطر مرة إلى إرسال سفينة محملة ماء إلى أسفي لتفادي موت حاميتها من العطش بسبب حصار المغاربة للمدينة. وكاد أحد النبلاء البرتغاليين "أن يغرق نفسه في ذلك الماء، لأننا إذا كنا هنا (البرتغال) لا نعير أي اهتمام لذلك [الماء]، فإنه كان في أسفي كثير الفائدة".

تجمع النصوص على أن قبائل دكالة كانت تضم ست مجموعات، واحدة صنهاجية، توجد حول مدينة أزمور، وسائرها مصمودية، مكونة من مشنزاية وبني دغوغ ورگراگة وبني ماگر وهزميرة.

كانت صنهاجة "تسغيرت" على الضفة الجنوبية لأم الربيع وحول أزمور. وبلغ انتشارها جنوباً إلى منطقة أيير التي كانت بالتأكيد مصمودية. أما في اتجاه الشرق، فكانت تنتشر على طول أم الربيع حيث بقيت منها مجموعات صغيرة في قرى محصنة إلى حدود القرن العاشر (16 م) على الأقل.

واعتماداً على رواية ابن الزيات، كان انتشار مشنزاية حول قرية إلسكاون والجبل الأخضر، بسهل سيدي بنور، ولا يستبعد أن يكون الامتداد وصل إلى الساحل، وهو الملجأ الذي احتمت به بعد دخول القبائل العربية إلى المنطقة. فقد كانت المدينة الغربية في مطلع القرن العاشر الهجري تابعة لها.

وكانت قبيلة بني ماگر مستقرة بين أسفي، التي نسبها ابن خلدون إليها، والمرتفعات التي تحمل اسمها. أما رگراگة، فكانت تمتد من وادي شيشاوة شرقاً، إلى قرية گوز غرباً.

وإذا كان ابن الزيات قد ذكر قبيلة بني دغوغ عدة مرات، وأشار إلى أعلامها وبعض قراها، فإن تلك الإشارات لا تسمح بتحديد دقيق لمكان استقرارها. ويبدو أنها كانت تنتشر فيما بين قبيلتي بني ماگر ومشنزاية، أي فيما يعرف اليوم بسهل سحيم، وهو الموقع الذي بقيت فيه إلى اليوم ـ مع تقلص كبير ـ بعد اندماجها ضمن أولاد عمران العربية.

ولم نعثر في المصادر التي اعتمدناها على ما يسمح بتحديد موقع انتشار هزميرة داخل الحدود التي ذكرناها لدكالة.

وكانت دكالة خلال المرحلة البربرية تابعة لمراكش، يشرف عليها عامل، وكانت لرگراگة إدارة خاصة، وكانت عاصمتها گوز، على نهر تانسيفت. وفي العهد المرابطي، تقلص النفوذ البرغواطي، وانتُزعت دكالة من أيديهم. وبخلاف باقي المصامدة، واجه الدكاليون الدولة الموحدية الناشئة بمقاومة عنيفة ردت عليها مراكش بقمع شديد نتج عنه فراغ بشري كبير دعيت القبائل العربية لملئه.

ففي مطلع القرن السابع (13 م) عرفت المنطقة زحفاً للقبائل العربية انطلاقا من تامسنا بهدف الاستقرار. وكان هؤلاء الهلاليون ينقسمون إلى قسمين : خلط وسفيان. وإذا كان لسفيان السبق في الدخول، فإنهم اضطروا إثر حروب كثيرة مع أعدائهم الخلط إلى الانسحاب من المنطقة بعد أن لم ينفعهم تراجعهم صوب الجنوب، ولم يبق منها إلا قسم احتمى بنهر تانسيفت، مكونٌ من قبيلة الحرث أو الحارث التي تفرعت عنها قبيلة أولاد مطاع.

وانعكس دخول القبائل العربية على وزن المنطقة السياسي وعلى ساكنتها وتوزيعهم ونمط عيشهم.

فمن الناحية السياسية، نلاحظ تزايد الاضطرابات داخل المنطقة بسبب العداء بين الخلط وسفيان من جهة، وموقف كل واحدة منهما من الدولة الموحدية المنهارة من جهة ثانية. كما أن الدولة المنهارة اعتادت ضرب الفريق الثائر عليها بالفريق الآخر. ثم إن تلك الدولة لم تحرك ساكنا وهي تراهم "يعيثون في الناس يمينا وشمالا" (ابن الزيات). وقد أصبح للقبائل العربية وزن سياسي كبير، إلى حد أن شيوخها أصبحوا يتطاولون على السلاطين. ومع ذلك، نتج عن تلك الحروب المستمرة، وعن انتقام الملوك من القبيلتين بالتتالي، إضعاف كل من الخلط وسفيان واضطرارهم إلى مغادرة المنطقة. ويبدو أن قبائل عربية أخرى حلت محلهم، نزحت من الشرق، واحتفظت بتلك الصفة التي كانت تميزها عن غيرها من قبائل المنطقة : الغربية، عبدة، مشنزاية.

وعلى إثر دخول القبائل العربية إلى المنطقة اندمجت قبائل بربرية ضمن النازحين الجدد، كما هو الشأن بالنسبة لصنهاجة أزمور أو بني دغوغ، أو انسحبت إلى الهوامش والأطراف كما هو الشأن بالنسبة لمشنزاية ورگراگة وبني

مـاكـر. وبـذلك تشيـر المصـادر البرتغـاليـة في مطلع القـرن العاشر (16 م) إلى وجـود العنصـرين معـا، مع اختلاف واضح في الموقع ونمط العيش. فهي تذكر أن القبائل العربية كـانت تعيش في دواويـر وتتبنى التـرحـال، في حين استقـر البرابرة في قرى محصنة.

ويمكن تقسيم القبائل العـربية المستقرة بدكـالة في مطلع القرن العشر (16 م) إلى ثلاث مجموعات :

- الشرقيـة التي كـانت تتفرع عنها ست قبـائل مستقرة بشرق المنطقة : أولاد فـرج، أولاد عمـران إلسكـاون، أولاد سبيطـة، أولاد بـوعـزيـز، أولاد عمـران التحـتيـة، أولاد يعقوب.
- الغربية
- عبدة

أما القبائل البربرية فكانت ثلاثا : مشنزاية وبني ماگر وركراكة.

ومما لا شك فيه أن الفتن والحروب التي عـرفتها المنطقة، وهجرة سفيـان والخلط أدت إلى تراجع أعداد الدكاليين. إلا أن إمكـانات المنطقـة وقـدرتها على الانتعاش جعلتهـا حتى في فتـرة الأزمات التي عـرفهـا المغرب تشهـد كثـافة سكنيـة مهمـة أثـارت انتبـاه المؤلفين. فقـد شـدد ابـن الخطيب على كثـافة سـاكنة بني مـاكـر، ووصف عمـران السهـل الممتـد بين أسفي وأزمـور بقولـه : "هذا الوطـن المتكاثف العمـارة، أجم الماشيـة، المنبت الخلل، الغـاص على انفسـاح مـداه بـالـراغيـة والثاغية"، وهـو ما شدد عليه ابن قنفذ بـدوره. وذكر الوزان أن دكـالـة كـانت في بـدايـة القـرن العـاشر الهجـري كثيـرة السكـــان إلى حـــد أنهم تجرأوا على رفض دفع الضــرائب للـوطـاسيين، وأشـار إلى أن محـاربيهم بلغـوا حوالي مـائـة ألف، علما بأنه لم يخص بالذكر إلا العناصر العربية.

غيـر أن ساكنـة دكالـة عرفت تراجعاً كبيراً بسبب الحروب التي أشعلها البرتغاليون بـالمنطقة، ومـا نتج عنها من ردود فعل وطـاسيـــة، وكـذا بسبب النـزوح الاضطـراري لبعض قبـائلها، خصوصاً بعد المجاعـة الكبرى التي عرفتهـا المنطقة سنة 1521 والتي اضطر فيها الدكاليون إلى بيع ذويهم قبل بيع أنفسهم لتجـار الـرقيق البـرتغـاليين والإسبـان بأثمـان بخسة إلى حد أن بعضهم أعطى نفسـه مقابل تعهد المشتري بضمان القوت. ومع ذلك كانت دكـالة دوما من أكثر مناطق المغـرب كثـافـة، وكـانت بـاستمـرار منطقـة هجـرة في اتجاه المناطق المغربية الأخرى.

لم تزدهر حركـة العمران بـدكـالـة التي بقيت لمدة طويلـة منطقـة رعي وزراعـة. ولم تعـرف دكـالة إلا ثلاث حـواضـر : أسفـي، أزمـور، والمدينـة الغـربيـة. وتـوجـد كل المدن على الساحل، أو على مقربة منه. فكـانت القرى قليلة، لم يـذكر الـوزان منهـا إلا ثمـاني، كـانت اثنتـان منهـا تـوجدان خـارج حدودها : مـرامير بالشياظمـة، وتمرتكوشت بالشـاوية، وكان من القرى الباقية ما كان مخربا (تيط) أو صغيراً (مائة بئر وبئر). وبقيت مـازيغن خربة لقرون طويلة، ولم تنتعش بعد احتلال البرتغـاليين لهـا سنـة 1514، وبقيت مجـرد ثكنـة ثـانويـة إلى حين إخلاء أزمور وأسفي سنة 1541 واحتفاظ البرتغاليين بها إلى سنة 1769.

وظهـرت بدكـالـة أولى الزوايا المنظمـة في المغـرب. فمن الطوائف الست التي عدها ابن قنفذ، كانت ثلاث بمنطقتنا : الشعيبيـون المنتسبـون إلى أبي شعيب أيـوب السـاريـة دفين أزمـور، والأمغـاريـون المستقـرون بتيـط، والـذين كـان رئيس طـائفتهم هـو أبـو عبـد اللـه أمغـار، والماجـريـون بأسفي المنتسبـون إلى أبـي محمـد صـالح. وكثـر الأوليـاء والفقـراء ومريدوهم، وكانوا يجتمعون بالمئـات برباط شاكر أو بساحل المحيط، بين تيط وأسفي حسب شهادة ابن قنفذ. وباستثنـاء طـائفة أبي شعيب الـذي لم يخلف من يرث طريقته، عـرفت طـائفتـا أبي محمـد صـالح والأمغـاريين انتشـاراً واسعـاً وسـريعـاً. فقـد وصل نفـوذ الـزاويـة الأولى إلى السـوس وورزازات، إلى حد أن فتوحها كـانت كلها من خـارج أسفي حسب شهادة أبي محمد صـالح نفسه. وينطبق الشيء نفسه على الأمغـاريين الـذين راكمـوا الثـروات وظهـائر التقـديـر والاحترام وكثر مريدوهم والمنتسبون إليهم.

تسيطـر بدكـالـة زراعة الحبـوب وتـربية المواشي. وتفتقـر المنطقة للزراعـات السقـوية ذات المردود العـالي التي كـانت منتشـرة بجـاراتهـا (السـوس وهسكـورة مثلاً)، فقـد بقيت دكـالة قليلة الاهتمام بالجنات والبساتين إلى حد أن الوزان اعتبر ذلك دليلاً على كسل سكانها.

كـانت المنطقة كثيـرة الإنتـاج للحبوب التي اعتـادت تصـديـرهـا للأندلس حتى أن هذه الأخيرة اعتمـدت عليهـا اعتماداً كبيراً كما يدل على ذلك مثل من أمثالها العامية. وكـانت كثـرة الحبوب في المنطقـة، واحتيـاج البرتغـال الـدائم لهـا من أهم عـوامل اهتمـام ذلك البلـد بـالمنطقـة، وحـرصـه المبكر على التحكم فيهـا واحتكار إنتـاجها وأسواقهـا. فقد أصبح البرتغـال يجلب من دكـالة كميـات كبيرة من الحبـوب بَـيَّـنَّـا أهميتهـا في محل آخر، وطرق ووسـائل الحصـول عليهـا. وحافظت المنطقة على صفتهـا هذه وبقيت إلى يومنا هذا من أكثر المناطق المغربية إنتاجا للحبوب.

اعتاد الدكـاليون، حسب إشارات لابن الزيات، احتراف التجـارة ونقل فـائض منتجـات منطقتهم بحـراً إلى مـالقـة والبرتغـال. وكانوا يعـرضون القمح على الخصـوص ويجلبون الفـواكـه. وسرعـان مـا أصبحت أزمور أولا، وتيط وأسفي ثـانيـا، محـج التجـار الإيطـاليين والفـرنسيين والكطلنيين والبرتغـاليين، وهـو مـا جعل تلك المرافئ تستفيـد من الطرق التجـارية الـداخليـة، وأصبحت نهـاية إحدى الطرق المرتبطـة بتجـارة السـودان. ونتج عن تـزايـد المبـادلات، وتـراكم التجارب والثروات، بروز كل خصائص الطبقة التجارية من تسابق نحو السلع واحتكار، ومحاولة تنحية المنافسين كما عـاينهـا ابـن الخطيب بأزمـور. كمـا وصف المؤلف نفســه

التحسن الذي طرأ على مستوى عيش سكانها. وقد تعززت هذه العلقية وتقوت أكثر بعد تزايد أعداد التجار الأوربيين خلال النصف الثاني من القرن التسع (15 م). فقد ذكر الإخباري البرتغالي (دو كويش) أن الأزموريين أصبحوا يقلدون البرتغاليين في اللباس وبناء الدور. وأشار الوزان إلى انعكاس الاتجار مع البرتغاليين على مستوى عيش الأزموريين وسكان تيط مع أنها كانت خربة.

وتعرضت دكالة لغزو برتغالي كان له الأثر السيء على تطورها اللاحق. وقد مر تحكم البرتغاليين في المنطقة عبر مرحلتين : مرحلة ولاء أولا، ثم احتلال مباشر لأهم حواضرها ثانيا.

تمت المرحلة الأولى خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع (15 م) : أسفي قبل موت الملك البرتغالي ألفونصو الخامس (28 غشت 1481)، أزمور : 1486. وكادت المدينة الغربية أن تعرف نفس المصير في مطلع القرن العاشر (16 م). وتميزت هذه المرحلة باقتصار البرتغاليين على ولاء اسمي لحكام الحاضرتين، واحتفاظهم بالهياكل السياسية القائمة. وكانت الغاية من هذا النوع من التحكم الذي لم يعتمد بالثغور المغربية الشمالية إبعاد العسكريين عن أسواق الحاضرتين الدكالية وعن المناطق الدكالية المرتبطة بها حفاظا على رواج أسواقها و ما كانت دكالة توفره للبرتغال ومراكزه التجارية بغرب أفريقيا من سلع.

أما المرحلة الثانية فتمت سنة 1508 بالنسبة لأسفي، و1513 بالنسبة لأزمور، و1514 بالنسبة لمازيغن وتيط. ونتج عن احتلال تلك الثغور انطلاق عمليات عسكرية استهدفت القرى والدواوير الدكالية. وعرف النفوذ البرتغالي بالمنطقة إشعاعاً سياسياً وعسكرياً لم تعرفه أية منطقة مغربية أخرى، وذلك لاستفادة الغزاة من عدة عوامل : سهولة التضاريس وانبساطها، ضعف الدولة الوطاسية وبعدها عن المنطقة، تناحر الشيوخ والأعيان والمساعدة الكبيرة التي قدمها بعضهم ــ كيحيى أو تعفوفت ـ للمسيحيين. وبذلك وصلت الغارات المنطلقة من أسفي إلى مشارف السوس جنوبا، وإلى منابع تانسيفت ومنطقة زمران الحالية شرقا. وعرّضت حامية أزمور منطقة الشاوية لغارات متتالية وصل مداها أحيانا إلى ضواحي الرباط. ونتج عن تلك العمليات العسكرية، وعن ردود فعل الوطاسيين، خراب المنطقة وتحطيم بنياتها الأساسية كالآبار مثلاً. وتقدر بعض الدراسات النتائج الديموغرافية للغزو بدكالة بنسبة تتراوح بين 34 و44٪ من الساكنة.

ولم تستطع المنطقة الانتعاش بعد تحرير آسفي وأزمور سنة 1541 لبقاء البرتغاليين كعنصر اضطراب وفتنة استمرارهم في احتلال مازيغن حتى سنة 1769 وكذا لعجز الدولة السعدية عن ضمان استقرار دائم للمنطقة. لذلك استمرت دكالة في معاناتها من المجاعات والأوبئة كما يؤكد ذلك تقييد يخص أسفي سنوات 1060 / 1062 هـ. وبتوالي سنوات الاضطراب والفتن، سيطر نمط الترحال على الاستقرار في سهل من أغنى سهول البلاد.

أ. بوشرب، *دكالة والغزو البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور*، الدار البيضاء، 1984 ؛ *والمصادر والمراجع* المذكورة في آخر الكتاب.

أحمد بوشرب

**دكالة ـ عبدة** (جهة -) تقع جهة دكالة ـ عبدة في المنطقة الاطلنتية الوسطى للمغرب. يحدها شمالا وغربا المحيط الاطلنتي. ويحدها شرقاً، إقليما قلعة السراغنة وسطات ومن الجنوب والجنوب الشرقي ولاية مراكش. ومن الجنوب والجنوب الغربي إقليم الصويرة. تمتد جهة دكالة ـ عبدة على مساحة 13285 كيلو متر مربع، مما يمثل 1.86 بالمائة من المساحة الاجمالية للتراب الوطني، وتتكون من إقليمين هما : إقليم الجديدة بالشمال وإقليم أسفي بالجنوب. يصل عدد الجماعات الحضرية والقروية بجهة دكالة ـ عبدة إلى 89 جماعة، يوجد 37 منها بإقليم أسفي و52 بإقليم الجديدة، وتعتبر مدينة أسفي مقر الجهة.

تطور التنظيم الترابي لهجة دكالة عبدة. عرف التنظيم الترابي لجهة دكالة ـ عبدة، تطوراً يمكن إجماله في ثلاثة أنماط، هي التنظيم المتجانس، والتنظيم الإستراتيجي، والتنظيم السياسي.

أولاً : التنظيم المتجانس قبل التدخل الاستعماري (قبل سنة 1912) لم تعرف جهة دكالة ـ عبدة تنظيماً جهوياً بالمفهوم الحديث، كان التنظيم الترابي يستند على الانتشار المجالي للقبائل وهي قبيلة دكالة شمالا وقبيلة عبدة في الجنوب الغربي وقبيلة احمر في الجنوب الشرقي. وعرف المجال الذي انتشرت فيه هذه القبائل إجمالاً بدكالة وذلك إلى حدود بداية القرن لعاشر (16 م) حيث استقرت قبيلتا عبدة وأحمر في الجهات التي توجد بها حاليا. كانت القبيلة وحدة ترابية واقتصادية أيضاً، لأن مبدأ التماسك لدى أفرادها ساهم في الدفاع عن المجال الرعي ـ زراعي والحفاظ على الحدود الترابية المتعارف عليها. ولا بد من الإشارة إلى أن دكالة ـ عبدة كانت تنتمي قبل التدخل الاستعماري إلى جهة مراكش التي كانت تمثل إحدى الجهات الكبرى لبلاد المخزن.

ثانياً : التنظيم الاستراتيجي لمنطقة دكالة ـ عبدة في العهد الاستعماري (1912 ـ1956). خضع التنظيم الترابي لمنطقة دكالة ـ عبدة في هذا العهد إلى نفوذ جهتين : الأولى عسكرية والثانية مدينة. أما الجهة العسكرية فهي جهة مراكش التي كانت تشمل تراب قبيلتي عبدة واحمر (إقليم أسفي حالياً). أما الجهة المدنية فهي جهة الدار البيضاء التي ضمت إليها تراب قبيلة دكالة (إقليم الجديدة حالياً). كان هاجس الأمن والمراقبة هو الدافع إلى التنظيم الجهوي في العهد الاستعماري. لهذا عمد المستعمر إلى تفتيت جهة

دكالة ـ عبدة.

ثالثاً : التنظيم السياسي في عهد الاستقلال (منذ سنة 1971). عرف التنظيم الترابي لمنطقة دكالة ـ عبدة تطوراً متباينا يمكن إجماله في فترتين :

الفترة الأولى : 1971 ـ 1996 : أصحبت منطقة دكالة ـ عبدة تنتمي إلى جهتين اقتصاديتين. أصبح إقليم الجديدة منذ سنة 1971 ينتمي إلى الجهة الاقتصادية الوسطى التي يوجد مركزها بمدينة الدار البيضاء. أما إقليم أسفي فأصبح ينتمي إلى الجهة الاقتصادية لتانسيفت. يلاحظ أنه لم يطرأ تحول في التنظيم الترابي بالنظر إلى الفترة الاستعمارية إذ أن الجهة الوسطى حلت محل جهة الدار البيضاء المدنية. كما أن جهة تانسيفت حلت محل جهة مراكش العسكرية. وقد ظل التنظيم الجهوي لدكالة ـ عبدة في هذه الفترة جامداً، إذ انحصر التنظيم في ترسيم الوحدات الترابية، في حين ظلت الهياكل السياسية جامدة.

الفترة الثانية : منذ سنة 1997 : أصبحت جهة دكالة ـ عبدة إحدى الجهات الست عشرة التي أحدثت بظهير شريف صدر بالجريدة الرسمية في شهر أبريل 1997 تحت عدد 4470. اعتماداً على مقاييس محددة، وأصبحت هذه الجهة تحمل اسم جهة دكالة ـ عبدة (مرسوم 9 أبريل 1997). وقد خضع منطق تقسيم جهة دكالة ـ عبدة إلى مقاييس تاريخية وجغرافية. استندت المقاييس التاريخية إلى التاريخ الجهوي المشترك، إذ كانت الجهة قبل القرن العاشر (16 م)، مجالا لنفوذ قبيلة دكالة، وهو المجال الذي كان يوجد بين نهري أم الربيع وتانسيفت. كما خضعت معظم المدن الساحلية لهذه المنطقة للاحتلال البرتغالي وخاصة مدن أسفي ومازاغان (الجديدة حاليا) وأزمور. أما المقاييس الجغرافية للتقسيم الترابي للجهة فاستندت على البعد الاطلنتي، إذ تحظى الجهة بواجهة بحرية على المحيط الأطلنتي، يبلغ طولها ثلاثمائة كيلومتر من السواحل، وهو ما يمثل زهاء 12٪ من سواحل المملكة.

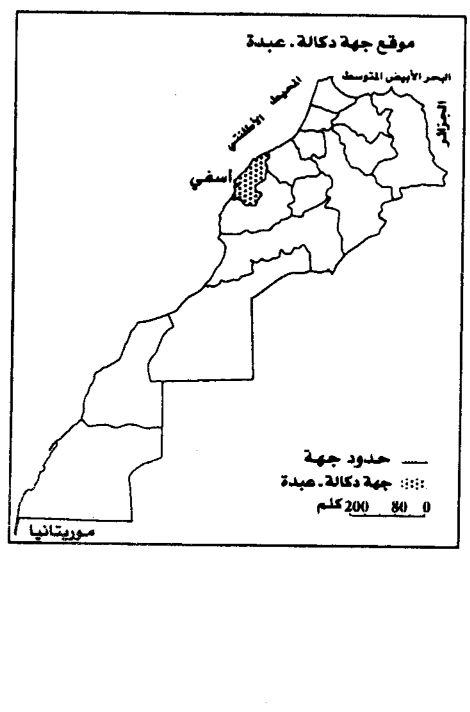


2 ـ المؤهلات والاختلالات الكبرى :

أولاً : مؤهلات جهة دكالة ـ عبدة يبلغ عدد السكان بجهة دكالة ـ عبدة، مليوناً وثمانمائة ألف نسمة (1.793458 نسمة) حسب إحصاء 1994 مما يمثل سبعة بالمائة (7٪) من سكان المغرب. وتصل الكثافة السكانية بالجهة إلى 135 نسمة في الكيلومتر المربع. يمثل السكان القرويون 65.6٪ من سكان الجهة بينما يتوزع الباقي على الحواضر، وأهمها مدينة أسفي الحاضرة الأولى بالجهة ومركزها الإداري، حيث يصل عدد سكانها إلى أزيد من 260 ألف نسمة، متبوعة بمدينة الجديدة، إذ لا يتعدى عدد سكانها 120 ألف نسمة. أما باقي الحواضر فهي إما متوسطة أو صغرى وهي اليوسفية وجمعة سحيم والشماعية وسبت جزولة بإقليم أسفي ؛ ومدن أزمور والبئر الجديد وسيدي بنور وخميس الزمامرة بإقليم الجديدة. يستفيد سكان جهة دكالة ـ عبدة من المؤهلات التي تزخر بها وخاصة الفلاحة والصيد البحري والموارد المنجمية والتجهيزات الأساسية والأنشطة الصناعية.

تتوفر الجهة على زهاء مليون هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة وهو ما يمثل 70٪ من تراب الجهة. وتزيد المساحات المسقية على 87 ألف هكتار. تحتل الحبوب 70 بالمائة من الإنتاج الفلاحي. أما المزروعات المروية فأهمها الشمندر السكري والبواكر، زيادة على إنتاج الكروم. يعتمد النشاط الفلاحي على تربية الماشية أيضاً (غنم وبقر ومعز) علما بأن الغطاء الغابوي لا يتعدى 40 ألف هكتار. تعد الفلاحة عصب الحياة لدى السكان القرويين إذ يشتغل بها زهاء 59٪ من السكان النشيطين بالجهة. أما الصيد البحري فيعد نشاطا أساسيا إذ تتوفر الجهة على زهاء 300 كيلومتر من السواحل أهمها سواحل أسفي التي اشتهرت بصيد السردين، إذ كانت أول منتج له بالمغرب.

تتوفر جهة دكالة ـ عبدة على موارد منجمية خاصة منها الفوسفاط الموجود بمناجم الكنتور قرب مدينة اليوسفية شرق مدينة أسفي، علاوة على توفر مدخرات هامة من الجبس شرق وجنوب شرق مدينة أسفي، وإنتاج الملح بكل من بحيرة زيمة شرق مدينة أسفي وبالسواحل الجنوبية لمدينة الجديدة.

تحظى الجهة بصناعات تحويلية هامة على الصعيد الوطني وهي الصناعات الكيماوية والفوسفورية بكل من مدينة أسفي وميناء الجرف الأصفر جنوب مدينة الجديدة. هذا علاوة على صناعات كهربائية وإليكترونية وغذائية. ويفوق عدد الوحدات الصناعية بها 240 وحدة، زيادة على الصناعة التقليدية التي تشتهر بها الجهة وخاصة صناعة الجلباب بإقليم الجديدة وصناعة الخزف بمدينة أسفي.

وتحظى جهة دكالة ـ عبدة بتجهيزات أساسية مساعدة على ازدهار النشاط الاقتصادي إذ تتوفر على موانئ هامة على الصعيد الوطني مثل ميناء الجرف الأصفر جنوب

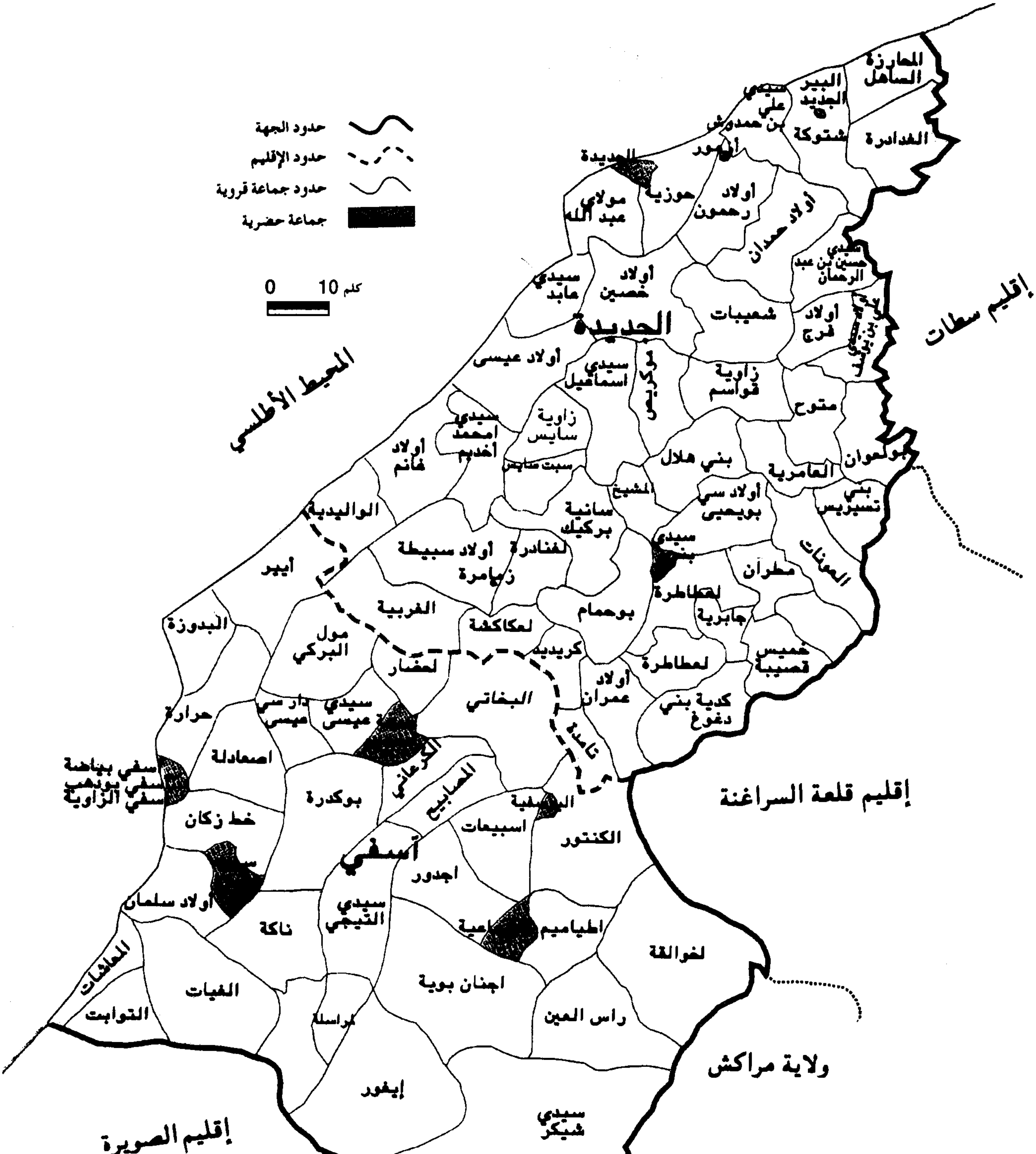


**التقسيم الاداري لجهة دكالة ـ عبدة**

المصدر : المديرية الخرائطية
مديرية الإحصاء

مدينة الجديدة وميناء أسفي، الذي يختص في تصدير المواد الفوسفاطية الخام أو المحولة. وترتبط هذه الموانئ بشبكة السكك الحديدية الوطنية بخطين : خط الدار البيضاء الجرف الأصفر وخط ابن جرير اليوسفية أسفي.

ثانياً : الاختلالات الكبرى بجهة دكالة ـ عبدة. تعاني هذه الجهة دكالة ـ عبدة من عدة اختلالات تؤثر على مستقبل التنمية الجهوية، يمكن إجمالها في ثلاثة أصناف كبرى هي : اختلالات بيئية واختلالات في التجهيزات الأساسية واختلالات في التنمية البشرية.

أ ـ تتمثل الاختلالات البيئة الكبرى في ظاهرة الجفاف والضغط على السدم المائية والتلوث الصناعي : يتمثل الاختلال الأول في ظاهرة الجفاف وخاصة بإقليم أسفي بالجزء الجنوبي من الجهة، حيث تبين من رصد محطة أسفي لمدة تزيد عن خمسين سنة أن كمية التساقط المطرية تتناقص كل سنة بمعدل يفوق 1,5 (دراسة شخصية). والاختلال الثاني يتمثل في الضغط على السدم المائية ولا سيما بساحل جهة دكالة ـ عبدة مما تسبب في تزايد نسبة ملوحتها. أما الاختلال البيئي الثالث فهو التلوث الصناعي وخاصة بمدينة أسفي والجرف الأصفر حيث تتسبب المركبات الصناعية لتحويل الفوسفاط (مركبات كيماوية وفوسفورية) في قذف النفايات الصناعية السامة في البحر علاوة على الانبعاثات الكيماوية في الجو.

ب ـ الاختلالات في التجهيزات الأساسية، وتتمثل أساساً في تعثر تجهيز الأراضي السقوية وسوء وضعية الطرق وانعدام المطارات. إن برمجة سقي 64 ألف هكتار بقطاع دكالة ـ عبدة لم يكتمل، إذ من شأنه التخفيف من آثار الجفاف وخاصة بسهل عبدة. وقد شرع هذه السنة في تجهيز الشطر الأول الذي يقدر بحوالي 17300 ألف هكتار (*استراتيجية تنمية الري*). أما وضعية الطرق بجهة دكالة ـ عبدة فهي سيئة ؛ ومازال تنفيذ مشروع الطريق السيار الرابط بين مدينتي الدار البيضاء والجرف الأصفر قيد الانتظار رغم كثافة مرور السيارات بالطريق الرابطة بينهما. وأما الاختلال الثالث في التجهيزات الأساسية فهو انعدام المطارات بالجهة وخاصة بمدينتي أسفي والجديدة باعتبارهما مركزين صناعيين.

ج ـ الاختلالات في التنمية البشرية : تعاني جهة دكالة ـ عبدة من اختلالات اجتماعية نعبر عنها بضعف مستوى التنمية البشرية وخاصة على مستوى التمدرس والأمية ومستوى الصحة. فتمدرس الأطفال في سن (8 ـ 13 سنة) تقل نسبة عن 45٪ مع تفاوتات بين الذكور والإناث. ومازالت الأمية متفشية تصل إلى 46,4٪ حسب إحصاء 1994، بل تصل بالوسط القروي إلى 80 بالمائة. أما الصحة بجهة دكالة ـ عبدة، فتعاني من خلل في توزيع التجهيزات بين الوسط القروي والحضري، علماً بأن المعدل العام للجهة هو مستوصف لكل 15 ألف نسمة (*الحوار الوطني حول إعداد التراب*).

م. الأسعد، 2000، *تكون الشخصية المجالية لإقليم أسفي*، من الحقبة القديمة إلى الفترة المعاصرة، نشر في كتاب *تاريخ إقليم أسفي، من الحقبة القديمة إلى الفترة المعاصرة*، إعداد محمد الأسعد، *دفاتر دكالة ـ عبدة*، رقم 1، سلسلة بحوث ودراسات منشورات مؤسسة دكالة ـ عبدة للثقافة والتنمية، ص. 17 ـ 33، الدار البيضاء، مرسوم 9 *أبريل من سنة 1997* حددت فيه مقاييس تقسيم الجهات وكذا أسماؤها النهائية ؛ وزارة الفلاحة والتنمية القروية والصيد البحري، *استراتيجية تنمية الري في أفق 2020*، المناظرة الوطنية للفلاحة والتنمية القروية، 19 و20 يوليوز 2000 سلا ؛ وزارة إعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والاسكان، جهة دكالة ـ عبدة، *الحوار الوطني حول إعداد التراب، عناصر تمهيدية*، ص. 33، 27 فبراير، 2000.

محمد الأسعد

باب **دكالة** بمراكش، يقع وسط الواجهة الغربية من سوق مراكش، يحده شمالا باب الرخا وجنوبا باب مسوفة (*مسالك الأبصار*، 134) يرجع تاريخ تأسيسه إلى زمن حكم المرابطين، حيث ورد ذكره في سياق أحداث تعود إلى هذه الفترة. فمنه دخل علي بن يوسف عقب تراجع جيوشه أمام قوات الموحدين أثناء عمليات البحيرة (*نظم الجمان* : 166). ومنه تمكن جيش عبد المومن خلال حصار 541 / 1147 من اقتحام المدينة من جهة الغرب (*أخبار المهدي* : 63). وفي زمن حكم الموحدين كان منه الخروج الرسمي للجيش من العاصمة من أجل الجواز إلى الأندلس (*المن بالإمامة* : 349 ـ *البيان* : ق. م. 157). وعُلقت عليه رؤوس بعض زعماء عرب الخلط عام 659 / 1260 (*البيان* : ق. م. 427).

لتسمية الباب علاقة بالاتجاه الذي يؤدي إليه خارج مراكش، وهو جهة دكالة. ومن المرجّح أن الموطن الجغرافي لهذه الباب جعل منه بوابة المدينة المؤدية إلى المحيط، ونهاية مسلك تجاري بينها وجهة دكالة. فهذه الأخيرة كانت تؤمن حاجيات مراكش من الجنوب (*أخبار المهدي* : 63 ـ *البيان*، 4 / 19)، وشكلت واجهتها البحرية منفذاً للمدينة على الأطلس عبر مازيغان (*البيان* : ق. م. 344) وأزمور (*البيان* : ق. م. 46) إلى جانب أسفي ( *البيان* : ق. م. 465) وأگوز ( *التشوف* : 355 و*مقدمة المحقق* : 24).

يتكون باب دكالة من باب خارجي وآخر داخلي، بينهما منعرجان وفضاء مكشوف. يحيط بالباب الخارجي برجان غير متساويين (*Les portes*, 107)، الزخارف محدودة، منعدمة في الباب الخارجي، وبسيطة في الباب الداخلي.

كان يوجد بالقرب من باب دكالة مسجد درس فيه العالم اللغوي أبو موسى الجزولي في بداية إقامته بمراكش (*الذيل والتكملة*، 8 / 1 / 249)، ومنذ عهد السعديين أصبح أقرب باب إلى حارة الجَذْماء بعد ما تحولت من

خارج باب اغمات إلى خارج باب دكالة : (Marrakech, 1 589 - 590).

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، تح. ع. الهادي التازي، بيروت، 1987 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ *البيدق*، *أخبار المهدي بن تومرت*، الرباط، 1971 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي، بيروت، 1990 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة، السفر الثامن*، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1984 ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار*، تح. مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء، 1988 ؛ ابن عذاري، *البيان*، الجزء الرابع، تح. إحسان عباس، بيروت، 1967 ؛ ابن عذاري، *البيان*، ق. م. تح.، الكتاني، زنيبر، ابن تاويت، زمامة، الدار البيضاء، 1985.

Ch. Allain et G. Deverdun, *Les portes anciennes de Marrakech*, *Hesp.*, T. XLIV, 1957 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, 2 tomes, Rabat, 1959.

محمد رابطة الدين

**الدكالي**، الرباطي **مصطفى** بن الجيلالي، وردت إشارات عديدة في وثائق القرن الثالث عشر (19م)، وبالخصوص التي ترجع إلى عهدي السلطانين : مولاي عبد الرحمن بن هشام (1822 ـ 1859)، وخلفه سيدي مُحمد (1859 ـ 1873)، إلى أسرة الدكالي الرباطية، وعلى رأسها المصطفى بن الجيلالي الدكالي الذي يُعتبر بحق نموذج رجل الأعمال المغربي الذي عرف كيف يستفيد من دور الوسيط بين المغرب وأوربا للإثراء والتدرج في الهرم الاجتماعي.

ولئن ورد كذلك ذكر أفراد آخرين من هذه الأسرة في مصادرنا الوطنية والأجنبية، كابنه مُحمد بن مصطفى الذي آل إليه أمر تسيير شؤون وأعمال والده التجارية، بعد وفاته أواخر شهر دجنبر 1863، وأخيه أحمد بن الجيلالي الدكالي، فلا أحد من الرجلين استطاع تبوُّأ المكانة الرفيعة والمتميزة التي كانت لمصطفى الدكالي لدى العاهلين المذكورين، بل إنهما لم يقتديا بسلوكة وتعقله ورصانته، إذ انغمسا في مُغامرات وحبك دسائس ضد الغير والسطو على مملكاته، وهو ما أفقد هما كُلاً مصداقية وحرمهما من ثقة السلطان إلى درجة صدرت الأوامر، في آخر المطاف بإلقاء القبض عليهما، ومن ثَـمَّ تعرض المخزن وأعوانه الكبار إلى ضغوط وانتقادات عديدة من طرف رؤساء بعض المفوضيات الأوربية بطنجة، وبالخصوص الإيطالية والألمانية، حيث كان مُحمد الدكالي المذكور حاملاً للحماية الإيطالية، قبل أن يحصل على الجنسية الإيطالية فيما بعد، بينما جنح عمه أحمد إلى الاحتماء بألمانيا أول الأمر، ثم بأمريكا فيما بعد، علماً بأن مصطفى الدكالي نفسه كان قد دلّهم على الطريق باتخاذه الحماية الإيطالية.

ومعلوم أنه كان من شأن نجاح الدكالي وأمثاله في عالم التجارة والمال وتبوئهم مكانة مرموقة ومتميزة في المجتمع، والاضطلاع بمهام سامية في الجهاز المخزني، أن استلفت أنظار معاصريه، واستأثر باهتمامهم، بل أذكى مشاعر الحسرة والأسف والحقد والامتعاض في نفس بعض الكُتاب والفقهاء وأعوان المخزن، ونلمس ذلك بوضوح من كلام صاحب كتاب *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط* في سياق حديثه عن عهد السلطان المولى الحسن (1873 ـ 1894)، حيث كتب يقول :

"... ومع ذلك ففي عهده تأكّدت الـمُـواصلة بدول أوربا، وعظمت التجارة، وكثرت الأموال بين الناس، فتأنقوا في المصانع والأبنية، وبلغ أهل المغرب من الرفاهية مبلغا لم يبلغه أسلافهم. وكانت تلك الأيام على ما فيها من كثرة الغزوات والحركات كلها خيرات ومبرات وبركات، لم يكدر صفوها إلاّ تسرب أقوام من التجار للمناصب السامية والمراتب العالية، فارتفعت منزلتهم، ونفذت كلمتهم، وصار بيدهم الحل والعقد، والأخذ والرد..."

ويتراءى لنا من هذه الوثائق كذلك أن ازدهار أعمال مصطفى الدكالي، قد اقترن أساساً بسياسة الاحتكارات التي كان ينهجها المولى عبد الرحمن بن هشام، في مجال تجارة المغرب الخارجية، وبالخصوص في فترة ما قبل سنة 1856 أي تاريخ إبرام معاهدة السلم والصداقة. المشفوعة باتفاقية تجارية وبحرية، والتي اضطر السلطان المذكور إلى عقدها مع بريطانيا العظمى، تحت ضغوط وتهديدات مختلفة. ومما ينبغي ذكره هنا، أن جان لوي مييج (Jean-Louis Miège) أفرد في مُـؤلفه "*أوربا والمغرب*، 1830 ـ 1994"، صفحات للحديث عن سياسة المولى عبد الرحمن الاقتصادية هذه، وعمن كان يستفيد منها من أفراد حاشيته، كالوزير المختار بن عبد المالك الجامعي مثلاً، وكذلك عن شخصية التاجر مصطفى الدكالي اللامعة، وما كان يمثله هذا الرجل ويرمز إليه اجتماعيا واقتصاديا، في مغرب أواسط القرن الماضي، مسهبا القول في الجوانب والعواقب السلبية لهذه السياسة، بالنسبة لعموم المغاربة من جهة، وللتجار الأوربيين وشركائهم ومُخالطيهم من المغاربة من جهة أخرى، مُتغافلا عن ذكر المرامي الحقيقية للمخزن التي كان يسعى إلى تحقيقها، وتتمثل قبل كل شيء في ضمان موارد قارّة ومنتظمة لبيت المال بهدف تمويل الخُطط والمشاريع التي كان المولى عبد الرحمن بن هشام، ثم ولده سيدي محمد، قد عقدا العزم على إنجازها في عدد من الميادين، وبالخصوص في قطاعات الجيش والإدارة والتجهيزات التحتية.

وأمّا مجال نشاط كل من مصطفى الدكالي وابنه محمد على الخصوص، فكان يشمل قطاع المناجم، وتصدير مواد أولية وفلاحية : كالعلف، والفرشي، والدبغ، والجلود، والأصواف، والحبوب... وكان يتم لهما الاتجار في هذه المواد كلها أو في بعضها، بعد الحصول على ترخيص خاص من السلطان طبعا، علاوة على ما كانا يستفيدانه من

التسهيلات والمساعدات التي تُقدم إلى مجموعة من التجار الكبار مسلمين ويهو كإسقاط أداء بعض الواجبات على عددمن صادراتهم، أو التوسعة عليهم في أداء ما يكون قد ترتّب عليهم من الضرائب، والسماح لهم بتقسيط مبلغها على عدد من الشهور.

وحول هذا الجانب، تُحدثنا رسالة السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام إلى عامل العرائش وطنجة، بوسلهام بن علي أزطوط، بتاريخ 21 مايو 1847، عن السماح للتاجر مصطفى الدكالي وشريكه المكي بن عبد الرحمن القباج، باستغلال منجمين كانت تكتنزهما جبال غُمارة : الأول بتراب قبيلة وادراس، والثاني بقبيلة أنجرة، قرب مدينة تطوان، مُدّة عشرين سنة، مع الإعفاء من أداء الرسوم الجمركية على كميات المعدن المستخرجة عند تصديرها، على أن يتسلم المخزن قيمة رُبُع الإنتاج، ويحتفظان بالثلاثة أرباع الباقية. وفي هذا الصدد، تفيد رسالة مماثلة للسابقة، وجهها العاهل المذكور إلى نفس العامل، مفادها أنه بعد مُضي سنة ونصف بالتقريب على هذا التاريخ، كان المنجمان المذكوران قد دخلا مرحلة الإنتاج منذ مدة، حيث ورد فيها ما يلي :

"... ثمّ إن خديمنا أشعاش كتب لنا بأنه ورد على الأمين الذي أمرناه بتعيينه مع مخزنيين، للوقوف على وسق حجر معدن مصطفى والقباج أمين من طنجة، ومخزني من الجيش الريفي، وخليفة شيخ أنجرة..."

وذكرت وثيقة حُررت في آخر شهر شعبان من سنة 1271، الموافق 17 مايو 1855، أي أياماً معدودات بعد وفاة التاجر المكي القباج المذكور، أن الديون المترتبة عليه وعلى شريكه مصطفى الدكالي، في الفترة المتراوحة ما بين رجب 1262 وشعبان 1271، أي خلال تسع سنوات ونيف، وذلك مما سبق أن اشتريا به "كنطردة العلف، والبقري، ودار الضرب، والدبغ، والدجاج، والأعشار..." قد بلغت ما قدره 758846 مثقال في مرسى طنجة وحدها، دون اعتبار ما كان بذمتهما من مثل هذه الديون لفائدة المخزن، في مراسي ومدن أخرى، كتطوان، والعرائش والعُدوتين الرباط وسلا، والدار البيضاء، والجديدة....، الشيء الذي يعطينا فكرة ولو تقريبية عن حجم وأهمية مدى اتساع تجارة وأعمال هذين الرجلين.

على أن وثيقة مماثلة لهذه قد تضمنت مجموعة من الملاحظات السلبية، أبداها مهندس إنجليزي استقدمه المخزن من مدينة جبل طارق على يد التاجر سعيد جسوس، قنصل المغرب بها، لإجراء خبرة على أجزاء وآلات معمل السكر الذي كان السلطان سيدي مُحمد بن عبد الرحمن قد عهد بإنشائه بجوار القصر السلطاني بمراكش، إلى التاجر محمد الدكالي، حيث أثبت في تقريره عيوبا ونقائص عدة في أجزائه وقطعه، وفي طريقة تركيبها وتشغيلها. وهذا يعني أمرين اثنين لا ثالث لهما : فإما أن تكون الشركة الأوربية التي زودت الدكالي المذكور قد سلمته آلات وتجهيزات مُعيبة وغير متقنة الصنع، وأنه لم يكن على بينة من المسألة، وإما أن يكون هو نفسه قد شارك وخاض في الغش والتدليس.

وأيا كان الأمر، فإنه من الواضح والمُحقق أن المصطفى الدكالي، وابنه محمد، وأخاه أحمد، قد عرفوا كيف يستغلون الظروف والمناسبات التي أتاحها لهم ولأمثالهم من التجار انفتاح البلاد تدريجياً على الخارج، على امتداد القرن التاسع عشر، وكيف يتكيفون مع الأوضاع المستجدة للإثراء من جهة، وللاضطلاع بدور نشيط وبارز في مساعي ومشاريع المخزن الرامية إلى تجهيز البلاد بمنشآت صناعية حديثة : مدينة وعسكرية من جهة أخرى علماً أنّ هؤلاء الدكاليين لم ينخرطوا في الوظائف المخزنية، إذ ظلوا بمعزل عنها، مكتفين بدور الوسيط التجاري النشيط وغيره مما كان يكلفهم به السلطان من مهام وأغراض من حين لآخر، خلافا لما حدث لعدد كبير من أقرانهم : كآل الزبدي، وبركاش، وفرج، وبريشة، والطريس مثلاً والذين زاوجوا بين المنصب المخزني والعمل التجاري.

خ، ح، *محفظة مولاي عبد الرحمن بن هشام*، رقم 21 / 20 45 ؛

م. و. م. ر، محفظة طنجة ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج. 3، ص 313.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europr (1830 - 1894)*, Paris, 1963, t. 2.

مصطفى الشابي

**الدكالي، سالم باشا**، من عبيد البخاري، يحتل صدارة الأحداث بعد موت المولى إسماعيل ويخوض مغامرات سياسية ومعارك دموية مغيراً ولاءه من أمير إلى آخر، فاستغل بذلك مركزه القيادي لاثنين وعشرين الف فارس من العبيد ليحوك دسائسه إرضاء لمزاجه ورغبته في الاستحواذ على السلطة الفعلية باحثاً عن سلطان ضعيف لا يترك له إلا الاسم والخطبة ويجعله ينفذ مخططه السياسي وما يحمله من وبال وهلاك للبلاد والعباد. وما كادت تمضي سنتان على وفاة المولى إسماعيل حتى نراه يقوم بالوساطة بين السلطان أحمد الذهبي وأخيه المخلوع عبد المالك المحتمي بضريح المولى إدريس بفاس وذلك بتاريخ 21 جمادى الأولى عام 1141 وفي هذا الموضوع يروي المؤرخ أحمد الناصري الحدث التالي : "فقدم عليه الباشا سالم الدكالي في خمسين من القواد وعاهدوه بالحرم الإدريسي أن لا يصيبه مكروه فخرجوا به حتى قدموا به على أخيه" ...

والغريب في الأمر أنه بعد لقاء الأخوين بمدة وجيزة لقي كل منهما حتفه. فالأول كما قيل مات مسموماً ولما اشتد به المرض أوصى بقتل أخيه عبد المالك وهذا ما تم فعلاً بعد يومين من وفاة أحمد الذهبي وبعد وفاة هذين الأميرين بويع لأخيهما، المولى عبد الله، غير أن سالم الدكالي تجرأ على

التمـرد وأعلن خلع السلطـان والمنـاداة بعلي الأعـرج بن إسماعيل ملكاً على البلاد في ربيع الثاني سنة 1147 ولما عزم السلطان الجديد على محاصـرة فـاس في رمضـان من نفس السنـة أشار عليـه سـالم الـدكالي بـأن حصار فـاس سيسفر عن نتائج سلبية وينبغي العدول عنه. وهذا ما ذكره القادري في *نشر المثاني* : "وقال له رئيسهم سالم الدكالي : إن حصار فاس ينهض الفتن بالمغرب ويكثر النهب والغارات بين القبائل فتقطع الطرق ويشتد الغلاء وتكون الكرة لأخيك مولانا عبد الله فرجع عن ذلك" ...

ودسـائس سـالم الـدكالي متعددة لم تسلم منهـا حتى السيدة الحرة خناثة بنت بكار زوجة المولى إسمـاعيل والـدة السلطان المولى عبد الله فقد زين للسلطان علي الأعـرج إساءة معاملتها والتضييق على حفيدها محمد بن عبد الله وأوهمه بأنها تختزن الأموال.

وفي ربيع الأول سنـة 1148 ترأس سالم الدكالي حركة من عبيد البخاري لمحاربة السلطان المخلوع المولى عبد الله المقيم بتـارودانت عقب عودتـه من وادي نـون غير أنـه أوقف حركته لما وصل إلى حاحا ولم يجرؤ على اقتحام تارودانت.

وفي أواخر سنة 1148 وصل المولى عبد الله إلى تـادلا فـانقلب ميـزان القـوى لصـالحه وتخلى العبيـد عن سـالم الـدكـالي ففـر المولى علي ولجا البـاشـا إلى ضـريح المولى إدريس بـزرهـون. ومن هنـا سـولت لـه نفسـه رغم هـزيمتـه الاستمـرار في بث الفتن وإعلان البيعـة غيـر الشـرعيـة ومخالفة الجماعة. ومن هذه المدينة كتب إلى أهل فاس باسم الديوان يخبرهم ببيعة السلطان محمد بن إسماعيل المعروف بولد عربية ويقول لهم بأن المشورة لعلمائهم. فأجابوه بأنهم تبع للديوان معتقدين بأن كتابـه لهم صحيح ولما علم قـادة الـديـوان كذبـة سـالم الدكـالي عليهم بأنهم بـايعـوا محمـداً دخلوا عليـه الضـريح وأخرجوه مكبلا مع صحبـه ووجهـوهم إلى تادلا مع ألف من الوصفان ليقضي السلطان المولى عبد الله في أمرهم، فاستفتى فيهم القاضي أبا عنان فأصدر في حقهم حكم الموت.

ويحكي الضعيف أن حكم الإعدام نفذ فيهم بـالطريقـة التالية : وضع كل معتقل في كيس من الكتـان وشُدّ وثاقه وألقي في نهر أم الربيع في شهر محرم 1149 / ماي ـ جوان 1736. ولكن مـوت سـالم الـدكـالي وجمـاعتـه لـم يضع حدا للفتن ولم يحد من مغامرات بـاشاوات العبيـد والصراع على الحكم زهاء عقدين من الزمن.

م. القادري، *نشر المثاني*، ج 3، م. القـادري، تح، م. حجي وأ. التوفيق، م. الضعيف *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العمـاري ؛ م. أكنسـوس، *الجيش العرمرم لأبي عبد الله محمد*، ج 1، تح. أحمد الكنسوسي ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *الإتحاف*، ج 3 و4 و5.

محمد ماكمان

**الدكّالي السلوي** ← ابن **علي** (أحمد ومحمد)

**الدكالي، السبتي** يحيى أبـو زكرياء من كبـار فقهـاء سبتـة خلال النصف الأول من القـرن الثـامن (14 م). كـان حـافظاً نـاقـداً ذكيـاً عالما بـالأصـول ذاكراً للمسائل الفقهيـة واشتهـر أيضاً بجمـال خطه ورونقـه إلى درجـة أنه لا يحتـاج لمقابلة ولا لتصحيح. يعتقد أنه استمر على قيد الحياة حتى سنة723 / 1323.

أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، ص. 543 ـ 544 ؛ درة الحجال، تح. م. الأحمدي أبـو النور، 1971، القاهرة، 1971، الجزء الثالث، ص. 332 ـ 333 ؛ أ. بَـابَ التنبكتي، *نيل الابتهاج*، بدون تاريخ، ص. 356.

رشيد السلامي

**الدكالي السلوي** ← ابن **علي الدكالي** (أحمد ومحمد)

**الدكـالي الـسلوي،** أبـو **موسى**، من كبار أولياء مدينة سلا اشتهـر بـزهـده وكـرامـاتـه المتعـددة، كـان يسكن بفنـدق الزيت المعروف بفندق أسكور بحومة باب حساين وهو المحل الذي سيتخذه أبو عنان المريني مارستانا ـ المحكمة الشرعية حـاليـاً ـ. كـان أبو مـوسى الـدكـالي (سيـدي مـوسى) مثـال الاستقـامة والنـزاهة لكل السلويين. ومن كرامـاته اختصـار الطريق وطيها. فكـان إذا أقبلت أيام الحج تغيب عن الناس متعللا بزيـارة أهله، وبقي على هذا الحال اثنتي عشـرة سنة احتل خلالهـا مكـانـة متميـزة عند أتباعه وعند السلـويين عمـومـاً. وتجلى ذلك عند مـوتـه حيث ازدحم النـاس على نعشه، وتنافست الطوائف فيما بينها من أجل الظفر بدفنه. وهكذا دفن أولا بـروضة بني القـاسم بن عشرة ثم نقـل منها بعد سبعة أيام لقبره الحالي، نقلته امرأة موسرة تدعى ملالة بنت زيـادة اللـه، وبنت عليــه قبـة. وقـد جـددهـا المولى إسماعيل بعد بناء قصبة عسكرية بجوارها عام 1742، وهي المعروفة بقصبة اكناوة وفي عام 1159 / 46. 1747 نظم أحمد بن عـاشر الحافي قصيـدة نـونيـة نقشت في دربـوز الشيخ الـدكـالي، وكنـاه بـأبي عمـران، وجعل اسمه مـوسى كمـا هـو مشهـور كـان لسـان عـامـة أهل المدينـة. ونشيــر إلى أن السلويين وقبائل بني حسن، والسهول وغيرهم كانوا يقيمون في صيف كل سنة مـوسمـاً كثيـراً بازاء ضـريح أبي مـوسى، يحضـره جمهـور التجـار ووفـود القبـائـل المجاورة طـوائف حمـادشة واكنـاوة وعيسـاوة. وقد كتب أحمد التـوفيق قبل سنتين رواية نـاجحة استوحاها من بعض مـواقف هذا الشيـخ بعنوان : *جارات أبي موسى*.

توفي أبو موسي الدكالي بعد عام550 / 55 ـ 1156.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الرباط 1404 / 1984؛ ابن علي الدكالي السلوي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، 1406 / 1986 / ص. 84 ؛ أ. الصبيحي، أنموذج في تاريخ سلا، مخ. ص. خ. بسلا، رقم 435 ص. 22.

I. Alaoui [et al...], *Salé cité millenaire*, 1997 ; N. G Salmon, *Notes sur Salé*, *A. M.* III, 1905.

محمد السعدين

**الدكالي الصّديكي، أبو شعيب** بن عبد الرحمان، شيخ السلفية بالمغرب يعرف في دكالة بيته بالصديقات، وهو من أولاد عمروالمستوطنين قرب مدينة الغربية المعروفة قديماً بمدينة مشنزاية، كثر فيهم العلم والصلاح ومن بين علماء هذا البيت جد أبي شعيب، أبو فارس عبد العزيز وعماه أبو شعيب ومحمد ابنا عبد العزيز وغيرهم.

ولد المترجم في رجب 1295 / 1876 بالصديقات، وتلقى تعليمه الأول بقبيلته على يد عدد من العلماء أمثال ابن عزوز ومحمد الصديقي ومحمد الطاهر الصديقي قاضي مراكش. انتقل إلى الريف وطنجة حيث أقبل على دروس الفقه والحديث والقراءات. وقد أظهر في طفولته نبوغاً مبكراً، وكان السلطان الحسن الأول قد أدخله إلى حضرته وهو لا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره واجرى له اختباراً لما سمع عن حفظه وذكائه، سنة 1308 / 1891، وقد أعجب به وأجزل له العطاء وأمضى له توقيعاً مع صلتيْن وكسوتين هذا نصه : "يضاعف لأبي شعيب لصغر سنه وكبر فنه".

في سنة 1315 / 1897 رحل إلى مصر ودرس على علماء الأزهر أمثال سليم البشرى ومحمد بخيت ومحمد محمود الشنجيطي، وأحمد الرفاعي وغيرهم. وقصد مكة المكرمة بطلب من أميرها وأخذ عن جل علمائها واستجاز هناك كثيراً من شيوخ العلم ومن بعض البلاد العربية الأخرى من : يمنيين وعراقيين وشاميين وهنود، وأحرز هناك على مكانة هامة عند أمير مكة الشريف عون الرفيق الذي كان يقدمه في مجالس العلماء وتولى هناك وظيفة الخطابة في الحرم المكي والإفتاء على المذاهب الأربعة.

وفي سنة 1325 / 1907 رجع الشيخ أبو شعيب إلى المغرب وفي العاصمة فاس حظي بإكرام السلطان المولى عبد الحفيظ وتهافت عليه العلماء والطلبة في الوقت الذي أخذ على نفسه الشروع في محاربة البدع ونصر السنة ومقاومة الخرافات والاباطيل السائدة في ذلك الوقت. وفي سنة 1328 / 1910 أرسله السلطان المولى عبد الحفيظ إلى الحجاز ليشتري أملاكا تحبّس على الحرمين فقام بذلك وأحرز على شهرة كبيرة في مجموع البلاد العربية، ولما عاد إلى المغرب ولاه المولى عبد الحفيظ قضاء مراكش فبرهن عن كفاءة وصدق وأمانة مما أهله لأن يتقلد منصب وزير العدل والمعارف في الوقت الذي أنشئت هذه الوزارة في أولى سنوات الحماية سنة 1331 / 1912 ، ثم أضيف إليه الاستئناف فيما بعد.

وكان ليوطى قد انتدبه لإعطاء دروس دينية في الحديث والفقه يلقنها لفئة من الطلبة النجباء الذين تكونوا في اللغة الفرنسية كجعفر ومحمد الناصري وأحمد بن عبد الرحمان برگاش وإدريس بن الجيلاني.

وعندما عيّن الشيخ أبو شعيب وزيراً للعدل أظهر مراقف صارمة في الحق سواء إزاء بعض أعضاء المخزن أو ضد سلطات الحماية، وكان اعتراضه على التوقيع على قرار وزاري مضمونه إحداث مكان للبغاء بمدينة القنيطرة سبباً في فصله عن وظيفته.

أحرز على الرياسة العلمية في الدروس التي كانت تلقى أمام السلطان مولاي يوسف وأخيه من قبله المولى عبد الحفيظ، وكذلك محمد بن يوسف في السنوات الأولى من ملكه، وقد أنعم عليه هذا الأخير بوسام علوي من درجة ضابط كبير.

اشتهرت دروسه الحديثية سواء في فاس التي ندر من علمائها من لم يحضرها. وكانت دروساً تشهد على طاقة واطلاع نادرين، وفي الجامعات التي ألقاها فيها كالازهر والزيتونة حيث كان لدروسه وقع كبير. وظل يلقي دروسه السلفية بالرباط مدة خمس وعشرين سنة، في الزاوية الناصرية وفي المسجد الأعظم وضريح سيدي فاتح ومسجد القبة فانتشرت أفكار السلفية بين الشبان وانفتح الصراع بين الشباب والشيوخ، امتد ذلك التأثير إلى الجزائر أثناء العشرينيات الميلادية وأخذ الشبان الملتفون حوله يوزعون الكتب التي كان يطبعها السلفيون بمصر ويطوفون معه لقطع الأشجار المتبرك بها وإزالة الأحجار المعتقد فيها.

كانت الأفكار السلفية من العوامل الفكرية الأساسية التي أدت إلى نشوء الحركة الوطنية المغربية إذ تأثر الوطنيون بها ولم تلبث أن طعّمت وتقوت بظهور شخصية سلفية أخرى هي شخصية الشيخ محمد بن العربي العلوي.

عانى الشيخ أبو شعيب الدكالي من داء شديد لزمه مدة طويلة إلى أن توفي ليلة السبت 8 جمادى الأولى 1356 / 17 يوليوز 1937 بالرباط، ودفن بضريح مولاي المكي.

ع. اللــه الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، الرباط، 1969 ؛ *المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي*، سلسلة شخصيات مغربية، طبعة 1396 / 1976، الدار البيضاء ؛ ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب*، الرباط، 1980، الطبعة الرابعة.

عبد الإله الفاسي

**الدكالي الصديكي، عبد الرحمن** ابن الشيخ أبي شعيب الدكالي سابق الترجمة. وُلد حوالي سنة 1327 / 1909 بمكة المكرمة من أمّ من الجزيرة العربية، وتربّى ونشأ في أحضان والده الشيخ أبي شعيب وتلقّى تعليمه الأول على يده، فأخذ عنه علوم اللغة العربية وآدابها والشعر والخطابة وعلوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكان أنجب تلاميذه. ثم تتلمذ على علماء مدينة الرباط قبل أن ينتقل إلى مصر ليدرس في كلية دار العلوم. وقد حرر المترجم له يوم كان طالباً بمصر نداء موجهاً للعالم الإسلامي للتنديد بالظهير البربري (1930) نشرته الصحف الشرقية في ذلك الوقت ونقله في تفسيره الشيخ طنطاوي الجوهري. انحاز عبد الرحمان الدكالي منذ صباه إلى الحركة الوطنية. ويقول عنه عبد العزيز بن عبد الله : "أشهد الله أني عرفت الشيخ عبد الرحمان الدكالي معرفة وُثوق وخبرة

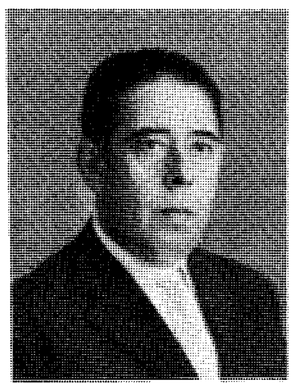

منذ الصبا وأيام الطلب يوم كان الشعب المغربي يقصد هذا البيت الرحيب بيت أبي شعيب الدكالي الذي كان معقلا للوطنية الصادقة أيام الاستعمار وخصوصاً أيام الاحتفال بعيد العرش يوم 18 نونبر، فكانت قصائد الأستاذ عبد الرحمان النارية بهذه المناسبة الوطنية الكبري تُلهب الحماس وتثير كوامن الوطنية الصادقة في النفوس". لقد كافح الاستعمار بلسانه وقلمه ولا سيما بشعره البليغ المؤثر وساير ركب الحركة الوطنية فناله من الأذى مال لم ينج منه مغربي آمن بالحرية (عبد الله گنون).

ولما أنهى عبد الرحمن الدكالي دراسته ببلاد الكنانة وعاد إلى المغرب كان من أوائل الشبان المغاربة الذين تـمّ تعيينهم في سلك القضاء داخل دار المخزن بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى، كما عين قاضياً بمنطقة الغرب.

وبالإضافة إلى ذلك أصبح يقوم بتلقين علوم اللغة العربية وآدابها من شعر ونثر وخطابة وعلوم القرآن والحديث بمدينة الرباط في جامع مولاي سليمان وفي مسجد السنة، وبمدينة مراكش بمسجد المواسين ومسجد باب دكالة وجامع ابن يوسف، فاستفاد من تلك الدروس عدد كثير من الطلاب الذين كانوا يترددون على تلك المساجد فقد كان رحمه الله فصيح اللسان قوي البيان.

ولم يلبث الشاب عبد الرحمان الدكالي أن حظي بإعجاب المغفور له محمد الخامس فضمّه إلى مجلس الحديث العالي الذي كان ينعقد تحت رئاسته داخل القصر بحضور علماء العدوتين وموظفي دار المخزن، بحيث أصبح أصغر المحدثين في ذلك المجلس إلى جانب الشيوخ الكبار. وبعد الاستقلال، عينه محمد الخامس تقديراً لموقفه من العرش أثناء المنفى، مرشداً عامّاً للقوات الملكية المسلحة، ووضع تحت تصرفه جهازاً خاصاً للإرشاد يقوم بإصدار نشرة دورية لتوجيه الجيش وإرشاده، ومنحه بتلك الصفة درجة رائد في سلك الجيش مع ما يترتب على ذلك من زيّ عسكريّ وامتيازات خاصة وخدمات إضافية (المكي الناصري، *دعوة الحق*).

وبالإضافة إلى ذلك تَـمَّ تعيينه مديراً لديوان وزير الأوقاف، ثم كاتبا عاما للشؤون الإسلامية بنفس الوزارة. ولما اعتلى العرش الحسن الثاني أقرّه في المنصب الذي كان يحتله في الجيش كمرشد عام وفي المنصب الذي كان يحتله في وزارة الأوقاف ككاتب عام للشؤون الإسلامية.

وعندما أسست الدروس الحسنية، كان عبد الرحمان الدكالي في طليعة المتحدثين في تلك المجالس، وفي نفس الوقت أصبح شاعر العرش يسجل مآثره ويصف مفاخره ويحضر الاستقبالات التي تخصص لضيوف القصر الكبار من الملوك والرؤساء العرب فيلقي القصائد للترحيب بهم، كما يلقي القصائد الحماسية في المناسبات التاريخية والوطنية.

ولما بعث المغرب، تلبية لطلب الأمم المتحدة، فرقة من القوات الملكية لنصرة الكونگو، كان المرشد العام عبد الرحمان الدكالي بجانب الجنرال الكتاني. وكافأته الأمم المتحدة على الخدمات التي أداها بوسامها العسكري وبوسام الشجاعة والتضحية، كما أنعم عليه الحسن الثاني بوسام العرش وترقيته إلى رتبة عقيد.

وآخر منصب شغله عبد الرحمن الدكالي قبل وفاته رئيس المجلس العلمي بالجديدة، فقام بتحبيس مكتبته الغنيّة على هذا المجلس.

توفي بالمدينة المنورة فجر يوم الأربعاء 15 جمادى الثانية عام 1403 / 30 مارس سنة 1983 ودفن في البقيع كما كان يتمنى.

*الذكرى الأربعينية لوفاة الشيخ عبد الرحمان الدكالي، دعوة الحق*، العدد 230.

محمد الشياظمي

**الدكالي العوني، عبد الرحمان** بن **أبي شعيب** الفرجاني الأصل، المراكشي سكنا ومدفنا. لُقب زين العابدين واشتهر بالدكالي.

ولد عام1321 / 1903 بالرحامنة الوسطى، مركز ابن جرير وبه نشأ وتعلم على يد والده أبي شعيب الذي كان إماماً بهذا المركز فحفظ على يده القرآن الكريم، ودرس عليه مجموعة من المتون مثل : الشيخ خليل، وابن عاشر بشرح ميارة، والاجرومية بشرح الأزهري، وألفية ابن مالك بشرح المكودي وغير ذلك من المتون.

ثم انتقل إلى مدرسة الفقيه السيد محمد بن الحاج ابريك العوني اليوسفي بالعونات، ومكث عنده نحو العامين، فتوسع في دراسة : النحو والفقه والفرائض.

وفي سنة 1341 / 1922 رحل إلى مدينة مراكش فسكن بالمدرسة اليوسفية، ولازم حلقات شيوخ العلم بالجامعة اليوسفية فدرس على السادة : محمد بن عمر السرغيني السملالي، محمد بن التاودي السرغيني، المعطي السرغيني السملالي، الحاج العربي الرحماني البربوشي، أحمد ولد الحاج المحجوب، وأحمد أكرام.

وفي ثامن محرم الحرام عام 1358 تولى وظيفة العدالة بقبيلة الرحامنة بتوصية من الشيخ أبي شعيب الدكالي الصديقي، وقضى في هذه الوظيفة ثماني عشرة سنة. انتقل بعدها إلى مراكش الثلاث حيث تابع نفس لعمل في القيام بالشهادات. وفي سنة انخرط في سلك المدرسين بجامع ابن يوسف بمراكش في أقسامه النظامية إلى أن أحيل على المعاش. وكان في نفس يمارس مهنة الإفتاء.

توفي يوم 12 ربيع الأول عام 1396 / 14 مارس 1976.

واقبر بمقبرة الشيخ أبي العباس السبتي تاركا مجموعة من الفتاوى الشرعية، اسماها : *الفتاوي الشرعية على النوازل القضائية بالإيالة المغربية*.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

**الدكالي الفرجي، محمد** بن **عبد الصادق** فقيه متضلع اشتغل بالتدريس والإفتاء مدة ثلاثين سنة وكان من المقربين إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان يستثيرهم في شؤون الرعية والسياسة المالية للدولة، كما كان يجالسهم للبحث في القضايا الدينية. وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمان بن زيدان : "وانتقى من أعيان فحول دولته لسهره ومجالسته فكان يملي عليهم الحديث النبوي ويؤلفون على مقتضي ما يشير به عليهم منهم : الحجة أبو عبد الله محمد الغربي وأبو عبد الله محمد بن المير السلاوي وأبو زيد عبد الرحمان المنجرة وأبو محمد التهامي ابن عمرو الرباطي وأبو عبد الله محمد بن عبد الصادق"...

ولما فرض السلطان المكس على أبواب المدن استفتى كبار علماء البلاد وكان من ضمنهم محمد بن عبد الصادق الدكالي فافتوا بجوازه في حالة افتقار بيت مال المسلمين وأجازوا للسلطان أن يقبض من الرعية ما يستخدم به الجند.

وفي ترجمته نبه ابن زيدان إلى نسبة المترجم لقبيلة دكالة ومن فخذة أولاد فرج فهو دكالي فرجي وليست له نسبة لمدينة طرابلس كما ورد في كتاب *الاستقصا* للمؤرخ أحمد الناصري. وأما الطرابلسي معاصره فهو علي بن عبد الصادق شارح صغرى السنوسي والمرشد المعين. وقد اعتبر نسبه الطرابلسي سبق قلم من الناصري.

وأما محمد بن الطيب القادري فقد قال عن المترجم : بأنه ذو سيرة حسنة وأخلاق مستحسنة ولابأس بهديه ومروءته ودينه.

ويعتبر محمد بن عبد الصادق من تلاميذ الشيخ الحسن بن رحال المعدني. وهكذا قضى حياته بين التدريس والفتاوي إلى حين وفاته في2 شعبان 1175 /

م. الطيب القادري، *نشر المثاني*، ج 4 / 143، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ ع. بن زيدان، *الإتحاف*، ج3 / 8، 156، 184 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 / 7 ؛ م. اكنسوس، الجيش العرموم، تح. أ. الكنسوسي، ص. 222 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية* ؛ ع. رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، ج10 / 172 ؛ إ. باشا، *هدية العارفين*، 2 / 333 ؛ *إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون*، 2 / 450.

**الدكالي، محمد المكي** فقيه ومقرئ وهو شيخ السيدة الحرة خناثة بنت بكار زوج السلطان المولى إسماعيل، أخذت عنه رسم المصحف حيث كانت تسلك عليه اللوح الذي تقرأ فيه القرآن فترسله له مع إحدى جواريها لتصحيحه لأنها كانت تكتبه بنفسها. ولما عزمت على أداء فريضة الحج سنة 1143 كان محمد المكي من بين أعضاء الوفد المرافق لها في حجتها. وسرعان ما تدرج في خدمة الدولة ليصبح أحد كتّاب المخزن في عهد السلطان محمد بن عبد الله إلى أن أدركته الوفاة حوالي 1180 / 1766. وقد حلاه المؤرخ محمد القادري في نشر المثاني بقوله :

"الفقيه الأستاذ المقرئ الكاتب ثقة الكتاب وأمينهم."

م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، 4 / 219.

محمد ماكامان

**الدكالي المشنزائي** ← ابن **إبراهيم**

**الدكالية، مينَة** بنت ميمون، مشهورة عند عامة المراكشيين بميمونةَ تاگنوت. مكناسية الأصل لا يُعرف متى

ولـمَ رحلت إلى مـراكش، حيث نـزلت في الجانب الشـرقي منها. ولية صالحة زاهدة كثيرة التعبد، قال عنها صاحب *التشوف* : "كانت من الأفراد، زرتها ورأيتها عجوزاً قد اسودت من الاجتهاد، ولصق جلدها بعظمها :"

وقفت مينة بنت ميمون نفسها على الدعوة لإصلاح المجتمع ومناهضة السلوك غير الشرعي في سبيل جمع الثروة، وعلى الحث على القناعة والزهد في المال. وجاء أيضاً في *التشوف* عن محمد بن يحيى بن علي : "وكانت مينة تحدثني قالت : دعاني رجل من التجار إلى طعام فأجبته كارهة، فلما قدم القصعة بالطعام كلّمني الطعام وقال لي لا تأكليني فإني حرام، فاستحييت من صاحبها ورفعت بضعة لحم إلى فمي ثم وضعتها، فحُرِمْتُ أورادي والنوافل ثلاثة أيام، والهواتف تهتف بي عن يميني وعن شمالي هكذا يفعل بالكلاب على بطونهم يهجرون. قالت : وصليت الضحى يوما إلى أن رأيت الحصير الذي أصلي عليه كأنه يرفعه شيء من تحته، فقلت في نفسي لعله حيوان، فلما سلمت رفعته فإذا الذي تحته دراهم طرية، فخررت ساجدة أبكي وأقول : أنت مطلوبي لا سواك، فأقل عشرتي، إلى أن عاد الحصير كما كان، فرفعته فلم أجد شيئاً".

توفيت مينة بنت ميمون عام595 / 1198 ودفنت خارج باب الدباغين بمراكش.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1984، ص. 315 - 316 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، 7 : 332 - 333.

رقية بلمقدم

ابن **دگون، عبد السلام** قائد ملقب بـ "ولد الفار" كان يرأس فرقة من المجاهدين من قبيلته الأخماس انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة. بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913 وفي عين الدالية يوم 11 ماي من نفس السنة بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش ويوم 20 - 7 - 1913 حيث انتخب عضواً بالقيادة المركزية للثورة. شارك في 23 معركة واستشهد في معركة تاگزارت بقبيلة بني عروس يوم 15 أبريل 1915.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، الرباط، 1981.

ابن **دگون، محمد** بن أحمد شيخ الجماعة بقبيلة الأخماس، كان إلى جانب علمه يرأس جماعة مجاهدي قبيلته. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وشارك في جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة وفي المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 انتخب عضواً بالمجلس الاستشاري للمقاومة، وقد شارك في 16 معركة ؛ وتقول عنه الوثائق الإسبانية إنه كان من ألدِّ أعداء النصارى فكان يذبح الأسرى الإسبان الذين يسقطون بالمكان الذي كان يوجد ابن دگون به.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, *Cabecillas de Gonara*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدلاء**، اسم للمنطقة الجبلية التي أسس فيها المجاطيون الصنهاجيون زوايتهم بالجنوب الغربي للأطلس المتوسط المشرف على سهول تادلا. ولفظ الدلاء عربي (جمع دلو) استعمله بهذا المعنى مقصوراً وممدوداً كتاب عاشوا في الزاوية الدلائية مثل محمد المرابط الدلائي والحسن اليوسي. وهو أمر مستغرب أن يطلق اسم عربي على بقعة تقع في وسط أمازيغي قح إلا ما يبدو من تقارب لفظي بين الدلا وتادلا البسيط الأفيح الذي تقطنه قبائل عربية. و(يُبربر) المؤرخ أبو القاسم الزياني لفظ الدلا فيكتبه "يدلاّ" وذلك ما نجده جاريا على ألسنة سكان تلك الناحية حتى اليوم. ويغلب على هذه المنطقة اسم *الزاوية الدلائية*.

تقع الزاوية الدلائية، وتدعى أيضاً الزاوية البكرية نسبة لمؤسسها الشيخ أبي بكر بن محمد بن سعيد الدلائي، بناها بإشارة من شيخه أبي عمر القسطلي المراكشي حوالي سنة 974 / 1566 على ربوة في سفح جبل بوتور بينه وبين جبل تاغوليت، وتنحدر في شرقيها أقا إيزم أي شعبة الأسد، بالسفح الجنوبي الغربي للأطلس المتوسط. وتنفجر بالقرب منها عين جارية تخترق المسجد وتضيع في الشعاب.

يرى زائر أطلال الزاوية الدلائية اليوم بقايا المسجد الذي أسسه أبو بكر الدلائي : صفين من السواري والحنايا قائمين بجهة القبلة، والمنار المتهدم الذي لم يبق منه سوى الجدار الداخلي الذي تلتف حوله الدرج على ارتفاع بضعة أمتار، وجدران القبتين المشيدتين على ضريحي الشيخين الدلائيين أبي بكر وابنه مَحمد، وقد نبتت أشجار التين والعليق والشوك وتشابكت في جوانب المسجد حتى غطته وجعلت التنقل في رحابه متعذراً.

اجتهد الشيخ أبو بكر كثيراً في تكثير العمارة من حول زاويته حتى صارت من أحسن المدن وأكثرها سكانا وأشهرها ذكرا، يقصدها الناس من مختلف الجهات. بعدما قامت الفتنة بين أبناء المنصور الذهبي وانقطعت السبل وكثر السلب والنهب وتعطلت الدروس أو كادت في فاس ومراكش وسائر الحواضر، فكانت الدلاء المنطقة الآمنة التي يأوي إليها العلماء والطلبة من مختلف أنحاء البلاد فينالون من التعظيم والإكرام ما يحبب إليهم المُقام فيها. وقد حرص أبو بكر على تربية أبنائه الكثيرين وتعليمهم

في الدلاء وخارجها فنشأوا علماء صلحاء انقطعوا بعد تكوينهم للتدريس في زاويتهم فنفقت فيها سوق العلم.

وكان الدلائيون يملكون من حقول الحبوب وقطعان الغنم والبقر ما لا يكاد يحصى، يحرثها ويرعاها مريدو الزاوية في جبال الأطلس وسهول واحات تافيلالت، فكانوا - لكرمهم الواسع - يصرفونها جملة وتفصيلاً لإطعام ساكنة زاويتهم من علماء وطلبة وعامة الناس، وهي ظاهرة لم يعرف لها نظير في تاريخ المغرب. وقد حاول محمد الحاج عندما آل إليه أمر زاوية الدلاء أن يستأثر بحكم المغرب بعد أن انحلت دولة السعديين وقام أمراء الزويا في مختلف الجهات باقتطاع السلطة في مناطقهم. ولما ضاقت رحاب الزاوية القديمة بالوفود بنى في السهل المجاور للدلاء سنة 1048 / 1638 مدينة دعيت الزاوية الدلائية الحديثة ومدينة محمد الحاج وهي التي تقوم على أنقاضها زاوية أيت إسحاق الحالية على الطريق التي تربط بين خنيفرة وقصبة تادلا، بعيدة عن الأولى بنحو 35 كلم، وعن الثانية بنحو 64 كلم.

امتد نفوذ إمارة الدلائيين على شمال المغرب وثغوره، من وادي أم الربيع إلى تطوان وكان عبد الله ينوب عن والده محمد الحاج في قيادة مدن سلا (سلا والرباط والقصبة) والاتصال بأسطول الجهاد البحري (القرصنة) وممثلي الدول الأوربية التي تتردد أساطيلها التجارية والحربية على مرسى العدوتين كفرنسا وإنجلترا وهولاندا، إلى أن بدأت الأطراف تنتفض على الدلائيين بثورة الخضر غيلان في الشمال. وكانت نهاية الزاوية الدلائية على يد السلطان الرشيد بن الشريف العلوي الذي هزم الدلائيين في معركة بطن الرمان واقتحم عليهم زاويتهم الحديثة فخربها ثم خرب الزاوية القديمة وغرب سكانهما إلى فاس وتلمسان سنة 1079 / 1669. وبغض النظر عن الدور السياسي الذي قام به محمد الحاج يتفق المؤرخون على أن زاوية الدلاء قامت خلال القرن الحادي عشر (17م) بدور عظيم في احتضان العلوم الإسلامية والحفاظ على اللغة العربية وقواعدها وآدابها، وبقي طابع الدلائيين ظاهراً على هذه العلوم والآداب خلال القرون التالية.

**الدلائي**، أسرة عالمة ماجدة، أصلها من مجاط جذم من قبيلة لمتونة الصنهاجية، لهم علاقة قرابة بالملثمين المرابطين، وفصيلتهم القربى هي بنو الطالب، وبلسان قومهم (أيت يتيدر) في عداد قبائل الأطلس المتوسط. وكانت مساكن مجاط قبل انتقالهم إلى الدلاء، على ضفاف نهر ملوية العليا فيما بين تونفيت وميدلت. وأول من استوطن منهم أرض الدلاء الشيخ الصالح أبو حفص عمر المجاطي، ثالث أجداد الشيخ أبي بكر مؤسس الزاوية الدلائية، وذلك في حدود نهاية القرن الثامن (14م). ولا يعرف للشيخ عمر المجاطي ولا لابنه أحمد تاريخ ولادة ولا وفاة. أما سعيد بن أحمد بن عمر فقد كان حيا عام953 / 1546 وذكر في حقه القادري في *نزهة الفكر* أنه "كان طالبا قارئا فاضلا خيرا دينا فائقا مكثرا للصلاة على النبي (ص) مولعا بها... وكان له عند أمراء وقته التعظيم التام. والتوقير الكثير والاحترام، لما كان عليه من الاشتغال بالعلم والدين، وما سلف من العلوم والصلاح في آبائه الأقدمين" وهناك ظهير للسلطان محمد المهدي الشيخ السعدي يوصي بتعظيم سعيد بن أحمد الدلائي، ويشير إلى وجود ظهائر قديمة عنده ويقره على التصرف في إقطاعاته. ولا نعرف عن الشيخ محمد بن سعيد المدعو حمِّي إلا أنه كان موسر الحال سنيا تقيا خلَّف ولدين هما إبراهيم وأبو بكر مؤسس الزاوية.

تكاثر عدد الدلائيين من أبناء الشيخ أبي بكر وأحفاده في زاويتهم التي أصبحت مدينة كبيرة كما رأينا، وعمروها طوال ثلاثة أجيال متعاقبة. ثم انتقلوا إلى فاس ومراكش وتلمسان حين خربت زاويتهم. فازداد إشعاع الدلائيين الفكري، وشغلوا وظائف دينية سامية من قضاء وإمامة وخطابة وتدريس، وبقي العلم والأدب والصلاح متوارثا فيهم حتى أواخر القرن الثالث عشر (19م). وألّفوا عشرات الكتب في مختلف الفنون، وألف الناس كتبا في فضائلهم ومناقبهم وتراجم أعيانهم وأسانيدهم العلمية والصوفية.

وبالجملة تعتبر الأسرة الدلائية من أكبر الأسر العلمية بالمغرب في القرون الأربعة الأخيرة وأكثرها إنتاجا فكريا. اشتهر منهم نحو أربعين عالما وأديبا. ولكن لم يبق منها اليوم إلا أسر قليلة في فاس والرباط لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة.

ح. اليوسي، *فهرس الشيوخ*، مخطوط ؛ *القصيدة الرائية في رثاء الزاوية الدلائية* ؛ وشروحها للدلائيين وابن سودة ؛ *المحاضرات*، تح. م. حجي وأ. الشرقاوي إقبال، بيروت، 1982، جزآن ؛ أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجر فاس، 1906 ؛ ع. الله العياشي، الإحيا والانتعاش، مخطوط ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2. الدار البيضاء، 1988 والمصادر المذكورة في آخرها.

R. Henry, *Où se trouvait la Zaouia de Dilæ ?, Hesp.*, T. 36, 1944 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

**الدلائي، أحمد الحارثي** بن أبي بكر. ولد بالدلاء وبها نشأ وتعلم على يد علماء قومه والوافديت على زاويتهم مثل أحمد ابن القاضي وأبي حامد العربي الفاسي الذي أجازه إجازة عامة. من أول المتصدرين للتدريس بزاوية الدلاء. "وكانت له اليد الطولى في التاريخ والحساب واللغة والبيان والأدب والأصول والفقه والحديث" (*البدور*،102 /

ب) غير أن النحو واللغة غلبا عليه فكان يُقرئ *كتاب سيبويه*، مع الإشارة أن هذا الكتاب لم يدرّس في القرويين منذ القرن الثامن الهجري إذ كان عبد الرحمن المكودي (ت. 807 / 1405) أخر من درسه بفاس.

ألف أحمد الحارثي في *الأصول شرحا على مختصر ابن الحاجب*، وخلف *تقاييد* كثيرة في التفسير والحديث.

توفي بالدلاء عام 1051 / 1641.

س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. القادري ؛ نشر *المثاني/ موسوعة أعلا م المغرب*، بيروت، 1996، ج. 4 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2. الدار البيضاء، 1988.

**الدلائي، أحمد** بن **عبد الله** بن محمد الحاج، آخر أبطال الدلاء وفرسانها الشجعان. بدت كفايته الحربية في وقت مبكر من عمره فولاه جده السلطان محمد الحاج أمر فاس. وتقول بعض الروايات إنه الذي قاد الدلائيين في معركة بطن الرمان الحاسمة ضد جيوش المولى الرشيد بن الشريف.

كان أحمد الدلائي في نفس الوقت عالما كبيرا وأديبا ممتازا وبطلا مغوارا، أشجع الدلائيين وأشعرهم على الإطلاق. قارنته بأبي فراس الحمداني، ووجدت في قصائده التلمسانيات ما يضاهي روميات أبي فراس.

بعد إخلاء الزاوية سبق أحمد أهله إلى تلمسان فمهد لهم سبل المقام بها، ولم يلتحق بالدلائيين الذين دخلوا إلى فاس متعللا بالقيام على شؤون عيال أبيه المتغيب في الشرق. ولما بدأت الشائعات تتحدث عن الثورة خاف أحمد الدلائي على أهله المقيمين بفاس فكتب إلى السلطان إسماعيل رسالة بليغة يطريه ويطمئنه. وقد أكدت الأحداث أن أحمد الدلائي لم يكن صادقا في اعتذاره وإنما رام ربح الوقت اللازم لتهييء شؤون الثورة وتنظيمها بمساعدة أتراك الجزائر.

استغل أحمد الدلائي فرصة خروج المولى إسماعيل من العاصمة واشتغاله بحرب ابن أخيه أحمد بن محرز في مراكش، فدخل إلى المغرب في أوائل عام 1088 / 1677 وقصد الدلاء، فالتف حوله برابرة الأطلس المتوسط وملكوا بلاد تادلا، وهزموا ثلاثة جيوش بعث بها المولى إسماعيل متوالية لقتالهم "ووقعت معركة رابعة بحوز مكناسة بين جيش فاس والبربر، مات فيها من كبراء الجيش عدد كثير ولجؤوا إلى مدينة مكناس، وحدث الخوف بأحوازها" (*البدور*، 215 / ب).

رأى المولى إسماعيل حينئذ أن ينازل خصمه بنفسه فهيأ حركة كبرى دام تجهيزها ستة أشهر ثم زحف إلى تادلا في 5 صفر 1089 / 30 مارس 1678، فوجد أحمد الدلائي ينتظره على الضفة الجنوبية لواد العبيد "فكانت الحرب بينهما سجالا، وأظهر كل فريق قوته وما هو له مريد، ووقعت حروب بين الفريقين لم يُسمع بمثلها في المغرب، ولا خبر بها من ورخ من أمره كل أمر عجيب" (*الدر المنتخب*، ج. 6، ورقة 43 / أ).

وأخيراً انتصر المولى إسماعيل، والتجأ أحمد الدلائي إلى جبال أيت يسري الوعرة في الأطلس المتوسط، وبقي بين أظهرهم مسموع الكلمة فيهم إلى أن توفي يوم الخميس 21 محرن عام 1091 / 23 فبراير 1680. ويقال إنه مات مسموما من قبل بعض رؤساء قبائل جبال هسكورة.

س. الحوات، *البدور الضاوية*، 215 ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب المستحسن*، مخطوط، ج. 6 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2. ص. 261 ـ 263.

**الدلائي**، أبو **بكر** بن محمد المدعو حمِّي بن سعيد بن أحمد بن عمر الصنهاجي المجاطي، الجد الأعلى الجامع للدلائيين، ولد بالدلاء في حدود عام 943 / 1536. وهو عام "بوعقبة" لوقعة حربية فاصلة بين السعديين والوطاسيين على مشرع بوعقبة من وادي العبيد بتادلا.

حفظ القرآن في كتّاب قريته، وارتحل إلى مدشر بوعيّاد ـ بين الدلاء وبوجعد ـ لتعلم المتون والمبادئ العلمية، ثم طلب العلم في مكناس وفاس "حتى بلغ في أقصر مدة أقصى الأمنية، فتضلع في قواعد الشريعة وتبحر في موارد الحقيقة" (*البدور*، 9 /أ). ولم يكن إقباله على علم الظاهر يوازي شغفه بعلم الباطن، وكان اتصاله بالشيخ أبي عَمَر القسطلي المراكشي (ت. 974 / 66 ـ 1567) نقطة تحول في حياته، انصرف بعدها عن الاشتغال بالثروة الطائلة التي خلفها له والده منقطعا إلى الدعوة إلى الله.

أخذ أبو بكر عهد الشاذلية عن الشيخ أبي عَمَر القسطلي الذي أمره ببناء زاوية الدلاء، يسير فيها على نهجه في تربية المريدين وإطعام الطعام للفقراء والطلبة والزائرين. أسس أبو بكر زاوية الدلاء حوالي سنة 974 / 1566، وأخذ يعقد فيها مجالس للوعظ والإرشاد يفتتحها بقوله : "روى الحسن عن أبيه الحسن عن جده الحسن أن أحسن الحسن الخلق الحسن"، وقد اتفق مترجموه على أنه كان نقي الظاهر والباطن، نظيف الملابس، شديد بياض الثياب جميل الهدى كثير السلام، خافض الطرف قليل الكلام، حسن العشرة شديد المحافظة على العهد، كريم الأخلاق داعيا إلى المحبة والتسامح والتصافي.

رزق أبو بكر ستة أولاد سهر على تربيتهم وتعليمهم وكان يستدعي العلماء من مراكش وفاس للتدريس في زاويته ليأخذ عنهم أبناؤه وغيرهم من الطلبة المجاورين. وبذلك تخرج في الدلاء عدد من الفقهاء على رأسهم مَحمد بن أبي بكر الدلائي آتي الترجمة الذي سيعد من كبار علماء المغرب ومحدثيه عمرما ويتولى أمر الزاوية بعد وفاة أبيه.

كانت وفاة الشيخ أبي بكر الدلائي يوم السبت ثالث

شعبان عام واحد وعشرين وألف / 29 شتنبر 1612 ودفن في مسجده بالدلاء.

ع. السلام القادري، *نزهة الفكر في مناقب الشيخين سيد مَحمد ووالده سيد أبي بكر*، مخطوط ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، فاس1906 ؛ أبو سالم العياشي، *اقتفاء الاثر*، تح. ن. الذهبي، الدار البيضاء،1996 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ *نزهة الحادي*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ م. المكلاتي، *المقاومة الزهرية في مدح المكارم البكرية*، *النبوغ المغربي*، ط. 2، ج. 2 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، 3 : بيروت، 1996، ج 3 ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. ابن عجيبة، *أزهار البستان*، مخطوط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2. الدار البيضاء،1988 ؛ *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، ج. 2.

**الدلائي، الطيب** بن المسناوي بن مَحمد بن أبي بكر. ولد بالدلاء ونشأ بها وتعلم على يد أبيه وأعمامه وغيرهم من العلماء المقيمين بالزاوية ؛ ثم شد الرحلة إلى فاس وهي يومئذ خاضعة لنفوذ الدلائيين، فأقام فيها سنوات يأخذ عن شيخ الجماعة بها عبد القادر الفاسي وغيره.

رجع الطيب الدلائي إلى مسقط رأسه وتصدر للتدريس إلى جانب بني عمه. ولم تقتصر براعته على الجانب الفقهي، وإنما كان إلى ذلك أديبا متمكنا جيد الإنشاء طويل النفس في الشعر، تبلغ إحدى قصائده خمسة وسبعين ومائة بيت، مع متانة لغة، وسلامة تعبير.

توفي الطيب بالدلاء عام 1077 / 1666، ورثاه رفيقه أحمد بن عبد القادر التستتاوي بقصيدة مطلعها :

اليوم آن لمدمعي أن يهمعا * ولمهجتي بالوجد أن تتقطعا

س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. القادري ؛ *نشر المثاني / موسوعة أعلا م المغرب*، بيروت،1996، ج. 4 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2. الدار البيضاء، 1988.

**الدلائي، عبد الله** بن محمد الحاج، أحد الأدباء الشجعان. ولد في الدلاء ونشأ وتعلم على يد أعمامه وغيرهم من العلماء المقيمين بالزاوية. ويعد ثاني شخصية سياسية في الإمارة الدلائية، عينه والده وهو ما يزال في مقتبل العمر نائبا عنه في مدن سلا والرباط والقصبة أهم ثغر عند الدلائيين، فكان حاكم منطقة الغرب الممتدة إلى تطوان يقوم مقام وزير الخارجية للإمارة الدلائية.

استقر عبد الله الدلائي في قصر الإمارة بالقصبة، وقرب إليه العامل السابق سعيد الجنوي وجعله خليفته وأمين سرده، وأخذ يرجع في مهام الأمور إلى أعيان العدوتين لا يقطع أمراً دون مشورتهم، واتخذ الفقيه الأديب عبد المالك التاجموعتي كاتبا خاصا له، فكان يحبر الرسائل البليغة الصادرة عن أمير سلا إلى الدلاء وغيرها، بل حتى المراسلات الموجهة إلى الأعاجم في أوربا لم تخل من جناس وسجع وغير ذلك من المحسنات البديعية. وكان مجلس عبد الله لا يخلو من علماء يذاكرهم على نحو ما درج عليه في الدلاء، ويساجل إخوانه وأقرانه نثرا وشعرا بحيث لم تنقطع صلته بالعلم والأدب بالرغم على أشغاله السياسية والحربية.

كان عبد الله يستقبل ممثلي الدول الأجنبية ويعقد معهم المعاهدات التجارية وغيرها، ويراسل رؤساء الدول باسم والده ويتلقى خطاباتهم، فكانت المصادر الأوربية تلقبه أمير سلا أو سيد سلا .

كما كان يتولى قيادة الجيوش في تحركاتها بمختلف الأقاليم الخاضعة للدلائيين، فينوب عنه عندما يتغيب عن سلا خليفته الأمين سعيد الجنوي. وكان عبد الله مفرط الرزانة كثير التأني والتريث، يبطئ بالجواب عن المراسلات الإخوانية والرسمية. وقد أنّبه على ذلك والده، ورماه بعض أهله بالترفع والتكبر، وكاد هذا التريث الغريب يجر عليه شرورا كثيرة في علاقاته مع ممثلي الدول الأجنبية.

واشتهر عبد الله أيضا بالغيرة الدينية، فكان يزن أعماله بميزان الشرع ولا يتساهل في شيء خالف أصول الدين. من ذلك رفضه معاهدة أبرمها رؤساء مدن سلا قبل مجيئه إليها مع هولاندا لأن الفصل الرابع منها نص على مجافاة طائفة من المسلمين (الأتراك)، وظلت المخابرات جارية بشأنها نحو سبع سنوات فلم يمضها حتى خذف هذا الفصل.

بدأ انتقاض الأطراف على الدلائيين في الشمال بزعامة الخضر غيلان الذي استولى على مدينة القصر الكبير سنة 1052 / 1652 وهزم جيوش الدلائيين بقيادة محمد الحاج بالقرب من المرجة الزرقاء عام 1070 / 1660 ثم هاجم غيلان عبد الله وأخذت مدافع العدوتين تقصف القصبة من الشمال والجنوب، ودام حصار عبد الله ومن معه من الجنود ثمانية عشر شهراً، تمكن عبد الله بعدها من مغادرة القصبة خلسة إلى تامسنا على ظهر سفينة أنجليزية بعد أن أسند القيادة إلى أحمد الجنوي الذي ظل يقاوم الحصار إلى فصل الربيع من عام1074 / 1664 حيث فُتحت القصبة صلحا للخضر غيلان.

التحق عبد الله بالدلاء، وقاد سنة 1078 / 1668 جيوش أبيه في معركة بطن الرمان الحاسمة. فانهزموا أمام قوات المولى الرشيد بن الشريف الذي قضى بإخراج الدلائيين إلى فاس وتلمسان، وخرّب الزاويتين القديمة والحديثة.

صحب عبد الله أباه محمداً الحاج إلى تلمسان، وساكنه فيها خمس سنين إلى أن توفي محمد الحاج، فخرج إلى الشرق وحج ثم رجع إلى تلمسان. وفيها أدركته الوفاة أواخر عام 1086 / أوائل 1676 ودفن بالعبّاد إلى جانب والده.

س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2. الدار البيضاء، 1988.

De Castries, *Les Sources Inédites*, France, 1, Pays-Bas, 5 et 6.

**الدلائي، مَحمد** بن **أبي بكر**، واسطة عقد هذه الأسرة الماجدة. ولد في الدلاء حوالي عام 967 / 1559 وحفظ القرآن الكريم وأتقن رسمه وتجويده في العقد الأول من عمره، وقرأ على والده مبادئ العربية والدين، ثم أخذ عن العلماء الوافدين على الزاوية البكرية، كأحمد بن القاضي، أخذ عنه الحساب والفلك والأدب، والحسن الدرعي (الدراوي) أخذ عنه الفقه والأصلين والمنطق والبيان. وأخذ في فاس عن محمد بن قاسم القصار التفسير والحديث وأجازه إجازة عامة، وعن أبي المحاسن يوسف الفاسي عهد الشاذلية. وقام برحلة صوفية طويلة لقي خلالها الشيوخ عبد الله ابن حسون بسلا، وعبد الله الملواني في تاغيا، وأبا عبيد محمد الشرقي بأبي الجعد. ولما حج عام 1005 / 96 ـــ 1597 لقي بالقاهرة الشيخ محمد زين العابدين البكري ولازمه مدة، وأخذ عنه فيما أخذ *صلاة الفاتح*.

رجع مَحمد بن أبي بكر إلى الدلاء عام 1012 / 1604. مكتمل التربية والتكوين في علمي الظاهر والباطن، وتصدر للتدريس إلى جانب إخوته الخمسة وغيرهم من العلماء الوافدين، ثم خلف أباه بعد موته عام 1021 / 1612 في القيام بشؤون الزاوية، فسار على نهجه في إطعام الطعام وإكرام العلماء والمتعلمين، وسعى مثله في تهذيب الأخلاق، وترقية الأذواق، مجتهدا في إصلاح الأحوال والانتصار للمستضعفين من قومه وجيرته، فلقي من الظلمة عنتاً كبيراً، وظل يستعمل طرق الترغيب والترهيب، ملتجئا إلى حد السيف أحيانا، إلى أن سادت الطمأنينة منطقة تادلا والأطلس المتوسط.

إذا كان مَحمد بن أبي بكر عالما مشاركا فإنه برّز في التفسير والحديث حتى كادت مجالسه العلمية تقتصر عليهما. وكان يحفظ صحيحي *البخاري* و*مسلم* وكتب *السنن* ويعرف الروايات المختلفة ورجال الأسانيد، مع كثير من الضبط والتحري، ويمتاز بفصاحة العبارة والاستمرار في الإملاء والتقرير حتى كان درسه أحيانا يستغرق نصف يوم دون كلل أو ملل، ويحضر هذه الدروس ويستفيد منها علماء كبار أمثال أحمد المقري، ومحمد العربي الفاسي وعبد الواحد ابن عاشر، وعلي بن عبد الواحد الأنصاري ومحمد المرابط الدلائي.

ولعل أوجز عبارة تشخص صفات الشيخ مَحمد بن أبي بكر الخلقية والعلمية ما قاله عنه تلميذه محمد العربي الفاسي في *مرآة المحاسن* (ص. 225) : "خاتمة مشايخ المغرب انتهت إليه رياسة الدين والدنيا، واستقل بسياسة الأمور الجليلة والرتب العليا، عالم حافظ دراك متوسع في علم التفسير ومعاني الحديث وعلم الكلام حسن المشاركة فيها وفي غيرها، رصين العقل سديد الرأي جميل المعاشرة مراع لحقوق الصحبة كريم النفس عالي الهمّة فيّاض العطا واسع المعروف، لو تفرغ متفرغ لجمع فضائله في ديوان مستقل، لم يجمع منها إلا ما يندر ويقل، ولو صنف من أنواعها أصنافاً، وألف من أعدادها آلافاً".

ورغم سعة علم المترجم لم يؤلف سوى *أربعين حديثا*، ذكر بعد كل حديث قصة مناسبة له مما سمعه من شيوخه، و*فهرس مختصر* لشيوخه.

توفي مَحمد بن أبي بكر في الدلاء يوم الأربعاء حادي عشر رجب عام ستة وأربعين وألف / 9 دجنبر 1636 عن نحو ثمانين سنة، ودفن ضحى الغد قرب روضة والده، وبنى عليهما محمد الشيخ بن زيدان السعدي قبتين حسنتين لم يبق قائما منها اليوم غير الجدران. وقد قيل الكثير في مدح المترجم ورثائه نثرا وشعرا.

أ. الفاسي الحافظ، *تأليف في أسانيد الشيخ محمد بن أبي الدلائي*، مخطوط ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. الحجر بفاس، 1324 ؛ أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ أبو سالم العياشي، *اقتفاء الأثر*، تح. ن. الذهبي، الدار البيضاء، 1996 ؛ مجهول، *ديوان في أمداح الشيخ مَحمد بن أبي بكر الدلائي*، مخطوط ؛ م. *الإفراني*، *صفوة*، ط. حجر فاس د. ت ؛ *نزهة الحادي*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 3 ؛ م. ابن أحمد الفاسي، شرح *درة التيجان*، مخطوط ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، 1982، ج. 1 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، 1988.

**الدلائي، محمد البكري** بن محمد بن الشادلي. ولد بفاس في أواخر القرن الحادي عشر (17 م) وبها نشأ وتعلم على يد ابن عمه محمد المسناوي الدلائي شيخ الجماعة بفاس أتي الترجمة. وعلى الحسن بن رحال المعداني، ومحمد الگندوز وغيرهم، وقد حلاه تلميذه القادري في *نشر المثاني* بـ "الفقيه النجيب، القاضي العالم المفتي الخطيب، النوازلي الأديب الأريب، شيخنا أبو عبد الله. له سجية في صناعة الإنشاء، وبراعة وإتقان ناظما ناثرا، يقال في شعره إنه كمن ينظم الياقوت والجوهر والدر والعقيان. وله لسان طلق ومعرفة بسياسة العامة والخاصة عجب العجاب في ذلك، فقُصد بذلك في تلقي الشهادات وحصّل منها مالا وأصولا.

انتصب محمد البكري للشهادة في سماط العدول بفاس مدة، كان يقوم خلالها بالتدريس في القرويين، ثم ولي قضاء الجماعة بها، وخطبة جامع القرويين، وولي قبل ذلك الخطبة بمسجد الشرفاء (الضريح الإدريسي). ولما أُخر عن القضاء اشتغل بالإفتاء، فطالت يده في الفتوى وأدرك فيها شهرة واسعة، وكانت فتاواه محررة بالنقل الصحيح،

والنص الصريح، وامتلك خزانة كتب عامرة، اقتناها عام المسغبة إذ كانت الكتب تباع بثمن بخس، وكان هو من أهل المال فاشتراها.

ألف عدة كتب في الفقه والقضاء والنوادر والآداب، منها :

- شرح *رائية اليوسي* في الحنين إلى الزاوية الدلائية، وهي طويلة بدأ شرحها قبله ابن عمه محمد بن أحمد بن الشادلي، وأتمها محمد البكري في جزءين وطرّزها بما يناسبها من النحو واللغة والأمثال والحكم والأدب.
- *واضح الدليل في اشتراط التبريز في التجريح والتعديل.*
- *القول المنثور ببيع الحبس في المسغبة ليس بمشهور.*
- *إثمد العينين في بعض مسائل ذات الوليين.*
- *إسقاط النصيف على وجه المعرفة والتعريف.*
- *التقاط زهر الفضا من رياض عين القضا.*
- *الرياض الزاهر في عيون مسائل التصيير.*
- منتهى سؤلي وأشواقي في مسايرة الشريف العراقي.
- تقاييد في نوازل الأحكام.

توفي بفاس ليلة الخميس سابع عشر رجب عام أربعة ومائة وألف / 9 يونيه. ودفن بمطرح الجنة خارج باب الفتوح من عدوة فاس الأندلس.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 6 : 2170.2171 ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1988، ص. 266.

**الدلائي، محمد الحاج** أكبر أبناء الشيخ مَحمد بن أبي بكر سابق الترجمة. ولد في الدلاء عام 997 / 88 - 1589، ونشأ فيها كسائر إخوته وبني عمه مكبا على الدرس والتحصيل فنال إجازات عامة من شيوخه أحمد بن القاضي وأحمد بن عمر السلاسي والعربي بن يوسف الفاسي، "وكان ذا وجه حسن، وذلاقة لسان، حسن الشارة، بارع الفهم والعبارة، موصوفا بالرجولة والمروءة الفائقة" (*البدور*، 109 ب).

حج عام 1041 / 31 - 1632 في موكب حافل ضم كثيراً من رجال العلم والفضل والدين من جهات مختلفة حتى من بلاد توات، ولقي في رحلته كثيراً من مظاهر العناية، فخطب الناس في عرفات، ودرّس في المدينة المنورة، وقُدم فيها إماماً وخطيبا، ولقي بالقاهرة أحمد المقري فأقام عنده وعند شيخ المالكية بمصر علي الاجهوري مدة كان يلقي خلالها دروسا بالأزهر في التفسير والحديث.

ظهرت كفاية محمد الحاج السياسية والحربية في حياة والده، فكان يرسله على رأس جبش الدلاء إلى ما وراء نهر ملوية وإلى منطقة الغرب فيرجع ظافرا منتصرا. وقد شذ أبو القاسم الزياني فذكر أخباراً غريبة عن نشأة محمد الحاج وأنه كان صعلوكا فطرده والده لاشتغاله بما لا يعنيه. زعم أنه نقل ذلك عن الحسن اليوسي. لكن كتب اليوسي خالية من ذلك، بل خصص اليوسي له فصلا طويلا في *المحاضرات* روى عنه أخباراً علمية وأدبية وتحدث عنه بكامل التعظيم والتقدير.

لما طمح محمد الحاج إلى الاستئثار بالسلطة وأسس الزاوية الدلائية الحديثة أسكن معه فيها خمس قبائل من أكثر سكان الأطلس المتوسط عصبية وحمية، فتكونت لديه أهم قوة حربية بالبلاد سيصول بها ويجول ويمتلك عددا من الأقاليم مدة تنيف عن ثلث قرن.

تبع محمداً الحاج كثيرٌ من قبائل المغرب ومدنه وقراه، "وبايعه أهل فاس الإدريسية والعليا بالخلافة، وكتبوا له البيعة بجامع القرويين وحضرها من هو أهل لذلك من الأعيان، والجم الغفير من أهل الديوان، في مهل ربيع الثاني عام 1061 وقدموا عليه بها للزاوية الدلائية فقرئت على منبر مسجدها ووضعت في صندوق مع غيرها من بيعات أهل نواحي المغرب" ( *البدور الضاوية*، 111 / ب).

وقام محمد الحاج بأعمال حربية لتوطيد الأمن في المناطق الخاضعة له وكان في البداية يساعد المجاهد العياشي السلاوي ثم انقلب عليه ودبر اغتياله، وغزا شرفاء سجلماسة في تافيلالت، وحاصر البرتغاليين في المهدية. وامتلأت خزينته بمداخل أعشار مرسي مصب أبي رقراق وغنائم الجهاد البحري.

خارت قوى محمد الحاج في آخر ولايته وضعف بصره بداء السادّة فلم يستطع مواجهة جيش الرشيد بن الشريف في معركة بطن الرمان حتى إذا اقتحم عليه الرشيد حاضرته سلم إليه مقاليد الأمور قائلاً : "الملك اليوم في محله". ورحل إلى تلمسان وبقي فيها مجاوراً بالعبّاد حرم الشيخ أبي مدين الغوث سنين إلى أن أدركته الوفاة يوم الخميس خامس محرم عام 1082 / 14 ماي 1671 ودفن بالعباد قرب ضريح الإمام محمد السنوسي.

ح. اليوسي، *المحاضرات*، ط. 2، تح. م. حجي وأ. الشرقاوي إقبال، بيروت، 1982، ج.1 ؛ أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *نزهة*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1956، ج. 4 ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ ع. الودود التازي، *نزهة الأخيار المرضيين*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1955، ج. 6 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

**الدلائي، محمد الشرقي** بن أبي بكر. أستاذ فقيه أديب مشارك دَرَس في زاوية أبيه ودرَّس بها، واختص من بين علماء قومه بتدريس علم القراءات والتجويد، وكان يتقن إلى ذلك الحديث والسير، والفقه وأصوله، واللغة

والنحو والبلاغة والأدب، وله عارضة قوية في النظم والنثر، ومنها مساجلة أدبية رفيعة مع شيخه أبي حامد العربي الفاسي (موسوعة، 4 : 1713 ـ 1715).

ألف محمد الشرقي كتابا *في الأصول وشرح الشفا للقاضي عياض وحاشية على المطول* في البلاغة.

توفي بالزاوية الدلائية قبيل سقوطها في أوائل عام 1079 / 1668.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 4 ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

**الدلائي، محمد** بن **عبد الرحمن** ينتسب إلى جده عبد الرحمن بن أبي بكر، واسمه الكامل محمد بن محمد ابن محمد (ثلاث مرات) بن عبد الرحمن. ولد ونشأ في فاس، حلاه معاصره القادري في *نشر المثاني* بـ "الفقيه العالم العلامة الشهير، الخطيب البليغ الواعظ المحقق الكبير، الفصيح البليغ الحافظ المؤرخ النسابة الأثير... أحد أعلام الزمان علما وديانة، وعلو شأن ومنزلة في اللغة ومكانة، ممن يحرر العلم ويفيده، ويحسن النظم والنثر ويجيده. وممن إليه المرجع وعليه في وقته التعويل، في علوم الإنشاء والبلاغة والترسيل..." (موسوعة، 5 : 2015).

أخذ عن ابن عمه محمد المسناوي، وغيره من علماء فاس، وتخرج فقيها كبيرا وأديبا متمكنا. اشتغل بالتدريس في القرويين وتخرج على يده عدد من فقهاء المدينة وأدبائها. وكان إلى جانب التدريس يقدم للخطابة والإمامة في أهم مساجد المدينة، لفصاحته وبلاغة أسلوبه وجهورية صوته. خطب أولا في المدرسة المتوكلية (البوعنانية) بحي الطالعة، ثم خطب في مسجد الشرفاء (ضريح المولى إدريس) بعد موت خطيبه محمد المسناوي الدلائي وبقي به خطيبا إلى آخر حياته.

ألف عدة تآليف في موضوعات مختلفة، منها :

ـ *درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان*. وهي منظومة ذكر فيها مشاهير شرفاء المغرب، أثنى الناس عليها كثيراً واعتمدها النقباء وعلماء الأنساب.

ـ *حاشية على الكلاعي في السيرة*.

ـ *زهر الحدائق وخلاصة الحقائق من تحفة سيرة سيد الخلائق*.

ـ *الزهر الندى، في الخلق المحمدي*.

ـ *شرح الشفا* للقاضي عياض.

ـ *فخر الثري بسيد الوري*.

ـ *مجموعة خطب منبرية*.

ـ *تحريك الساكن، ومهيج الشوق الكامن إلى زيارة طيبة ومن بها ساكن* (رحلة حجازية منظومة).

ـ *رسالتان إلى المجاهدين المحاضرين لسبتة عام 1132* (بالاشتراك مع شيخه محمد المسناوي الدلائي).

ـ *كواعب الحسان في جوارح الإنسان*. منظومة في 500 بيت.

ـ *منظومة في مناسك الحج* (نحو 200 بيت).

ولما دنا أجله أزعجه الشوق فرحل من المغرب يقصد الحج وباع داره بسرعة وخرج مع الركب، فأدركته الوفاة بفور طواف الوداع. امتقع لونه وجعل يدعو ويقول : اللهم كما أبلغتني بيتك فلا تطردني عنه. اللهم احبسني عنده أو اقبض روحي معه. وقد حمله أهل عشيرته على الدابة لإزعاج الركب بالخروج، فلم ينفصل عن البيت الحرام حتى قُبضت روحه في ذي الحجة عام 1141 / يوليوز 1729 ودفن بوادي فاطمة.

م. الفاسي، *المنح البادية*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ ع. الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت1996، ج. 5 ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

**تنبيه** : هناك عالم دلائي آخر بنفس الاسم تأخرت وفاته إلى عام 1197. يختلف عن المترجم أعلاه بأنه محمد بن مَحمد ـ بفتح الميم ـ بن محمد بن عبد الرحمن. وهو أيضا له اليد الطولى في التدريس. دفن بروضة الدلائيين بباب الحمراء بفاس. انظر عبد السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*.

**الدلائي، محمد** بن **العربي** الرباطي، آخر الأدباء المتصوفة من الأسرة الدلائية، ويظن أن أباه أو أحد جدوده انتقل في أواسط القرن الثالث عشر (19م) إلى السكنى برباط الفتح، فولد فيه المترجم ونشأ ودرس على أعلامه مثل الشيخ أحمد دنية. كان يحضر مجالسه الحديثية والفقهية ويشتغل في نفس الوقت بالتجارة في سوق العطارين، وقد مدح محمد بن العربي الشيخ دنية بقصيدتين، إحداهما عينية لما ختم *صحيح البخاري*، والأخرى تائية عند ختمه *مختصر الشيخ خليل*، مطلعها :

خليليّ حدثني حديث أحبتـي * فذكرهم أنس لأهل المحبـة

وصحب محمد العربي الدلائي بعد ذلك الشيخين الشهيرين العربي الدرقاوي ومحمد الحراق، وسلك على يدهما طريق القوم إلى أن بلغ درجة المشيخة فأسس فرع الطريقة الحراقية بالرباط.

وبرع في معرفة الطبوع الموسيقية الأندلسية وحفظ الأشعار والأزجال المتعلقة بالأمداح النبوية التي تنشد وفق هذه الطبوع، ونظم هو أزجالا كثيرة عرفت شهرة إلى جانب أزجال شيخه الحراق. ألف محمد بن العربي الدلائي كتابين :

ـ *فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار*، وهو عبارة عن أمداح نبوية بطريقة السماع والألحان الموسيقية، ذكر فيها أن أركان "السماع" ثلاثة : الشعر

المغنى بـه، والطبع المترنم بلحنه، والوزن المفروغ ذلك الترنم في قالبه. ثم أتى بالبحور الشعرية وتفاعيلها مختصرة، والطبوع الموسيقية مجملة ثم مفصلة.

ــ ترجمة الشيخ محمد الحراق. ذكر نسب الشيخ ومشاركته في العلوم ولا سيما علم الباطن، ورسائله إلى إخوانه ومريديه، وخصص في الأخير بابا لقصائد الحراق وموشحاتة ومقطعانه مرتبة على البحور، مبتدئا بالطويل :

أتطلب ليلي وهي فيك تجلـت * وتحسبها غيرا وغيرك ليست

وأخيراً انتقل الشيخ محمد العربي الدلائي إلى الدر البيضاء وأسس فيها زاويته المشهورة على بقعة أرضية كانت وُهبت للشيخ الحراق غير بعيدة عن المسجد العتيق بطريق دار المخزن في المدينة القديمة، وأخذ يلقن فيها الأوراد ويعمر حلق الذكر بالسماع، والدار البيضاء يومئذ تكاد تكون خالية، فتزوج هناك وبقي على حاله من العبادة وتربية المريدين إلى أن توفي في صبيحة يوم الجمعة خامس عشر شوال عام 1285 / 29 يناير 1869، ودفن بركن الصحن الأول عن يمين المستقبل داخل زاويته في الدار البيضاء.

وخلفه في القيام بشؤون الزاوية ابنه الصالح عبد السلام الدلائي إلى أن توفي عام 1310 / 92 ــ 1893 ودفن بجوار أبيه. ولا يعرف له عقبٌ إلا أقرباء يعرفون بنسبتهم الدلائية في الرباط والدار البيضاء.

م. دنية، *النسمات الندية من نشر ترجمة أبي العباس أحمد دنية*، الرباط، 1355 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، الرباط، 1987 ؛ أ. المكناسي، *أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب*، تطوان، 1963 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت 1996، ج. 7 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

**الدلائي، محمد المرابط** بن مَحمد بن أبي بكر. ولد بالدلاء عام أحد عشر وألف. ودرس في زاويتهم على والده وأعمامه وإخوته والعلماء الوافدين على الزاوية كأبي حامد محمد العربي الفاسي وأحمد بن عمران السلاسي إلى أن تخرج فقيها محدثا نحويا أديبا مشاركا في مختلف العلوم، واشتغل في الدلاء بالتدريس إلى جانب أهله. وكانت مجالسه النحوية العالية ملتقى نجباء الطلبة أمثال الحسن اليوسي. وغلب عليه لقب المرابط لتقشفه في الملبس وزهده في مباهج الحياة التي كان ينعم بها إخوانه الرؤساء.

كان محمد لمرابط إمام المسجد الكبير بالدلاء وخطيبه ومدرسه واشتهر بفصاحته ومتانة مادة خطبه. ذكره تلميذه الحسن اليوسي في *فهرس* شيوخه، وفي عدة مواضع من كتابه *المحاضرات*، ونقل عنه مناظرات لغوية وأدبية، وقال : "كان إماما في علم النحو ومشاركا في كل الفنون... وله القلم البارع في الإنشاء نظما ونثرا، مع سمت ونزاهة وحلم ومروءة". وقد أجاز المرابط الحسن اليوسي إجازة عامة، بين فيها روايته لما اشتملت عليه فهرسة ابن غازي : *التعلل برسوم الاسناد*، *وفهرسة أحمد المنجور* عن شيوخه من طرق عديدة.

ألف محمد المرابط عدة كتب في النحو وغيره منها :

ـ *فتح اللطيف بشرح البسط والتعريف في علم التصريف* لعبد الرحمان المكودي.

ـ *المعارج المرتقاة إلى معاني الورقات*، شرح به ورقات إمام الحرمين في الأصول.

ـ *شرح ألفية ابن مالك في جزءين*.

ـ *نتائج التحصيل في شرح التسهيل* لابن مالك، في أربعة أجزاء، طارت شهرته بالمغرب والمشرق وتغالى الناس في أثمانه.

ـ *البركة البكرية في الخطب الوعظية*، نحا فيها منحى ابن نباته.

ـ *الدرة الدرية، في محاسن الشعر وغرائب العربية*.

ـ *ديوان شعر (كان موضوع رسالة جامعة في العقد الأخير)*.

ـ *زهرة الوسائل في المدح والرسائل*.

خرج المرابط مع قومه من الدلاء إلى فاس بعد تخريب زاويتهم، وتابع رسالته العلمية والأدبية بحاضرة المولى إدريس مقبلاً على التدريس والخطابة في المدرسة المتوكلية (البوعنانية) ثم توجه إلى الحج وأقام مدة في مصر لقي فيها كثيراً من مظاهر الإعزاز والإكرام، ومدحه أدباؤها بقصائد تنم عن إعجابهم بهذا العالم المغربي الكبير الذي سبق أن عرفوه عن طريق مؤلفاته.

توفي محمد المرابط بفاس يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الأخيرة عام 1089 / 13 غشت 1678. ودفن بروضة أهله بضفة وادي الزيتون من عدوة فاس الأندلس.

ح. اليوسي، *فهرس*، مخطوط ؛ *المحاضرات*، ط. 2، تح. م. حجي وأ. الشرقاوي إقبال، بيروت، 1982، الجزآن معاً ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس. د. ت ؛ *نزهة الحادي*، ط.حجر فاس. د. ت؛ م. الصغير الفاسي، *المنح البادية*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج.4 ؛ م. الفاسي، *المورد الهنى*، مخطوط ؛ م. المحبي، *خلاصة الأثر*، مصر، 1284، ج. 4 ؛ م. الحضيكي، طبقات، رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب الرباط ؛ أ. الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجرية فاس، 1300 ؛ أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، فاس، 1924 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988 ؛ سركيس، *معجم المطبوعات*، مصر، 1928، ج.2 ؛ خ. الدين الزركلي، *الأعلام*، ط. 4، بيروت، 1979، ج .7 ؛ كحالة، *معجم المؤلفين*، دمشق، 1957، ج. 11 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

**الدلائي، محمد المسناوي** بن أحمد بن محمد المسناوي بن مَحمد بن أبي بكر. ولد في الدلاء عام

1072 / 61 ـ 1662، وخرج به والده إلى فاس وهو ابن سبع سنين، فدرس بها على علماء قومه المُغرّبين وغيرهم من القادريين والفاسيين، كما أخذ عن الإمامين الحسن اليوسي وعبد الملك التجموعتي إلى أن تخرج عالما مشاركا بارعا "وقد أُعطي ملكة التدريس والفتيا، وسلّم له أعيان عصره مرتبتهما العليا، ولم يزل منذ بلغ ذلك مقصوداً للمشكلات، ومعتمدا في النوازل والمعضلات. تتلمذ له جميع أهل عصره، وانفرد برآسة العلم في وقته ومصره" (موسوعة، 5 : 1980).

أخذ محمد المسناوي عن نحو عشرين من كبار علماء فاس، وأجازه منهم إجازة عامة الشيخ عبد القادر الفاسي، وعبد المالك التجموعتي. واشتغل بالتدريس في القرويين وغيره من مساجد المدينة. ولما تم بناء مسجد المولى إدريس أمر السلطان أن تعاد إليه صلاة الجمعة، وولى محمد المسناوي الإمامة والخطابة والتدريس فيه. ولم يكد يوجد في عصره عالم كبير إلا أخذ عن المسناوي وعدّ من تلاميذه.

كان "نظيف الثياب، جميل المعاشرة، حسن الأخلاق، عالي الهمة، لا يستطيع الكلام في مجلسه الأكابر لهيبته وعظيم سمته. يحب آل البيت ويعظمهم ويبحث في أنسابهم أصولها وفروعها. وكان في تدريسه إذا أخذ في تقرير مسألة ياتي على وجوه احتمالاتها... مع اختصار في العبارة، وسرعة في بيان الإشارة، يفهمه الحاضر والبادي ومن هو مغبون، وجميع من بالمغرب من اللسون" (موسوعة، 5 : 1986) ولعل الجملة الأخيرة تعني أنه كان يشرح أحيانا للأمازيغيين بلسانهم.

كاد الإمام المسناوي يتعرض لمحنة شديدة على يد السلطان إسماعيل لولا تدخل بعض رجال الدولة لصالحه. إذ كان محمد العالم ابن إسماعيل الذي ثار على أبيه في سوس من أخص تلاميذ المسناوي، فأوغر خصومه قلب السلطان عليه، واتهموه بالتواطؤ معه. وكان مما اطلع عليه السلطان قطعة شعرية للمسناوي كان بعث بها لمحمد العالم ينهاه عن الخروج، منها :

فالبدر ليس يلوح ساطع نوره * والشمس ظاهرة السنافي الحال

ألف المسناوي عددا من الكتب في غاية التحقيق والتدقيق منها :

ـ *صرف الهمة إلى تحقيق معنى الذمة*، استعرض فيه تعاريف الفقهاء المالكية للذمة وناقشها، ثم بين شروط الذمة والفرق بينها وبين أهلية المعاملة والتصرف قبل أن يحلل عناصر السؤال المرفوع إليه في الموضوع.

ـ *القول الكاشف عن أحكام الاستنابة في الوظائف*، بين فيه ما تصح فيه النيابة وما لا تصح، والفرق بين النيابة والاستنابة والوكالة، وخصص المبحث الثاني للمقصود بالذات من حكم الاستنابة في الوظائف التي عليها مرتب معلوم، وختم بمقارنة كلام فقهاء المذاهب الأخرى غير المالكية في موضوع الاستنابة.

ـ *كتاب نصرة القبض والرد على من أنكر مشروعيته في صلاتي النفل والفرض*، خالف فيه مذهب مالك وانتقده دون أن يراعي أن جميع أهل فاس بل المغرب كله مالكيون يسدلون.

ـ *جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر*، بيّن فيه مكانة الشيخ عبد القادر الجيلالي وأنه كان من المجتهدين.

ـ *رسالة في كتب الحديث التي تجوز الرواية منها والتي لا تجوز*.

ـ *نوازل فقهية* جمعها بعض تلاميذه في مجلد كبير، طبعت على الحجر بفاس وظلت مرجعا أساسيا لرجال القضاء والفتيا إلى الوقت الحاضر.

ـ *نتيجة التحقيق في بعض أهل الشرف الوثيق*، طبع بتونس ثم بفاس.

ـ *ديوان شعر* في المديح النبوي والإشادة بآل البيت.

ـ *المقامة الفكرية في محاسن الزاوية البكرية* (الدلائية).

ـ *مناقب الشيخ عبد الله الخياط* دفين زرهون.

ـ *التعريف بالأشراف الأدارسة الجوطيين*.

ـ *التعريف بالشيخ أبي العباس اليمني*.

ـ *تعليق على القاموس المحيط*، استفاد منه الشيخ مرتضى الزبيدي في شرحه الكبير.

ـ *تقييد في الأشراف الذين لهم شهرة بفاس*.

ـ *تقييد مشتمل على فروع بني عمران الأدراسة*.

ـ وله رسائل أخرى عديدة في مواضيع متنوعة.

توفي بفاس يوم السبت سادس عشر شوال عام 1136 / 8 يوليوز 1724، فكان موته مأتما للمدينة كلها، وشيعه جميع السكان إلى مدفنه في قبة سيدي العايدي خارج باب الفتوح، ألفت عدة كتب في ترجمته ومناقبه ورثاه تلميذه وابن عمه محمد البكري بقصيدة مطلعها :

أبى القلب أن يسلو ودمعي تحدرا * فكفكفته أبغي بذاك تسترا

م. حمزة العياشي، تأليف في ترجمة محمد *المسناوي الدلائي*، مخطوط ؛ مؤلف مجهول، *بغية الراوي في مناقب المسناوي*، مخطوط ؛ الحسن بن رحال المعدني، تأليف ثالث في *ترجمة المسناوي*، مخطوط ؛ أ. ابن عبد الوهاب الوزير الغساني، *رسالة في التعريف بالشيخ محمد المسناوي*، مخطوط ؛ م. بن الطيب العلمي، *الأنيس المطرب*، ط. حجر فاس، 1315 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ *نزهة*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 5 ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. اليازغي، *حدائق الأزهار الندية*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس1300، ج. 3 ؛ أ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ط. حجر فاس، ج. 2 ؛ ل. بروڤنسال، مؤرخو الشرفاء، تر. ع. القادر الخلادي ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

**الدلائي، محمد** بن **محمد** المكي من الدلائيين الذين ولدوا ونشأوا في فاس. درس أكثر ما درس على والده الفقيه الأديب الصوفي محمد المكي وسار على نهجه في كفاف العيش عن طريق الاشتغال بالعدالة والإمامة والتدريس. ولا يعرف من إنتاجه الفكري سوى كتاب *بغية الرائي في التعريف بالشيخ أبي عبد الله محمد المكي الدلائي*، أسلوبه فيه سليم شيق غير مثقل بالمحسنات البديعية اللفظية.

توفي بفاس عام 1264 / 1848.

م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس،1300، ج. 3 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت،1996، ج. 7 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

**الدلائي، محمد المكي** بن محمد (مرتين) بن أحمد ابن الشادلي. ولد في فاس أوائل ربيع الثاني عام 1200 / أوائل فبراير 1788. ودرس على أبناء عمه وهم يومئذ كثيرون بفاس، كما درس على غيرهم من أعلام المدينة أمثال الطيب ابن كيران وسليمانيّ الحوات. قال عنه ولده وتلميذ محمد : "كان إماماً في المعقول والمنقول، محصلا من العلوم ما تقصر عنه المدارك والعقول... ذا قدم راسخ في الإنشاء نظما ونثرا".

كان منتصبا لتقلي الشهادات في سماط العدول بفاس، ينوب عن قضاتها في الأحكام، ويقول إلى جانب ذلك بالإمام والتدريس في جامع زقاق الرواح، وكان مسندا إليه بظهير سليماني مؤرخ في ثالث صغر عام 1221 / 22 أبريل 1806 وفيه إشارة إلى ظهائر سابقة بيد المترجم للتوقير والاحترام.

أخذ محمد المكي الدلائي الطريقة الشادلية عن الشيخ الشهير أحمد بن سالم التجاني، ولازمه طوال حياته. وفي اتصال محمد المكي الدلائي بالشيخ أحمد التجاني جانبٌ لم تشر إليه كتب التراجم والتصوف، وهو جانب التأثر والتأثير، فالورد التجاني هو نفس الورد الذي كان يلقنه الشيخ مَحمد بن أبي بكر الدلائي إلى المريدين في الزاوية الدلائية. مع العلم أن "صلاة الفاتح لما أغلق" أخذها الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي عن الشيخ محمد البكري الصديقي في مصر. ويُذكر أن الشيخ أحمد التجاني أخذها أيضاً عن حفيد الشيخ البكري. ومع هذا يبقى السؤال مطروحا : هل أخذ الشيخ التجاني عن تلميذه الدلائي بقية عناصر الورد : مائة من الاستغفار، ومائة من الهيللة ؟

وبعد وفاة الشيخ التجاني أصبح محمد المكي على صلة وثيقة بعلماء زاوية بجعد، وبخاصة الشيخ محمد المعطي بن الصالح الشرقي مؤلف *الذخيرة*، وله معهم مراسلات عديدة أثبتها ولده في *بغية الرائي*، كما أورد له أشعاراً في موضوعات شتى.

توفي محمد المكي الدلائي بفاس عشية يوم الخميس سابع صفر 1247 / 14 يوليوز 1831 ودفن بروضة الشيخ العايدي.

م. بن محمد المكي، *بغية الرائي في التعريف بالشيخ أبي عبد الله محمد المكي الدلائي*، مخطوط ؛ أ. العياشي، *كشف الحجاب*، ط. حجر فاس1325 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت،1996، ج. 7 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس1300، ج. 3 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء،1988.

محمد حجي

**الدلاح** أو الدلّيع أو الكَوَّار بالمغرب العربي، أو البطيخ بالمشرق العربي، أسماء لنبات يسمى علمياً سيترولوسْ فولكاريس Citrullus vulgaris وهو ينتمي إلى فصيلة القرعيات Cucurbitaceae التي تشمل الخيار والقرعة وما يسمى بالبطيخ في المغرب أو الشمام بالمشرق العربي.

إنه نبات حولي عشبي زاحف، يمكنه أن يمتد امتداداً كبيراً، وقد يغطي مساحات كبيرة من الحقل. أوراقه كبيرة مفصصة أو مقسمة. ثماره كبيرة قد يبلغ أو يتجاوز وزنها 20 كلغ للواحدة. تختلف أشكالها وألوانها حسب الأصناف. فهي إما كروية وإما مستطيلة، خضراء داكنة أو خضراء مزركشة بالأبيض أو ذات لون أخضر فاتح يميل إلى البياض. لحمها أحمر أو قرمزي حلو جداً وعصيري، وبذورها سوداء.

يقال إن الموطن الأصلي للدلاح هو المناطق الحارة من إفريقيا ربما في جنوبها وشرقها. لكن زراعته عُرفت منذ آماد طويلة حيث وصلت إلى مصر والهند قديماً جداً في فجر التاريخ. ويدل على ذلك التصويرات والنقوش الحجرية لقدماء المصريين.

ولا يزال الدلاح حتى اليوم ذا أهمية كبيرة في هذه الدول ودول جنوب وشمال إفريقيا وجنوب أوربا وأمريكا الحارة والمعتدلة، وآسيا. أما في المغرب فتخصص لزراعته مساحات شاسعة في جميع السهول المنخفضة كتريفة. وسايس والغرب والشاوية ودكالة وتادلة وعبدة والشياظمة وسوس، حيث يحتاج النبات إلى تربة ذات قوام رملي أو طميي أو قليل الطين، وشمس وفيرة. يزرع الدلاح في أواسط فصل الربيع مسقياً أو بورياً، وتنضج ثماره في الصيف. ففي هذا الفصل يكثر إنتاج الدلاح ليسود الأسواق وجوانب الطرق التي تشق السهول التي يزرع بها.

تستعمل ثمار الدلاح للاستهلاك الآدمي كفاكهة مائدة جد محببة عند المغاربة وذلك بعد تناول الطعام أو في أي وقت من النهار.

*أبحاث شخصية* ؛ ألبيرت هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، المكتبة الأنجلو مصرية ـ القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

**الـدلّـيرُو**، أسرة أندلسية استوطنت تطوان قديماً وما زالت وافرة العدد، وربما قيل لهم : أولاد المسوس الذين كانوا بقبيلة بني سعيد القريبة من تطوان. نبغ منهم أفراد منهم أطباء وأدباء وأساتذة وأمناء وغيرهم :

اشتهر منهم الحاج عبد الله الدلّـيرو الذي استخدمه السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشامَ أمينا على صائره مدة ثم أمينا وعاملاً بثغر الصويرة سنة 1256/ 1840. وعاد إلى تطوان وبها توفي بعد عام 1300/ 82 ــ 1883 وأبوه الحاج مَحمد كان يتجر إلى الشام. ومنهم السيد العربي الذي ناب عن عامل تطوان مدة وغيرهم.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، ج. 3، حرف د، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، نسخة المؤلف بخطه في خزانته ؛ *حواشي الأمير شكيب أرسلان على حاضر العالم الإسلامي*، 2 : 47 ظ لمصر.

محمد الأمين بوخبزة

**الدليـل** في الأسفـار، مهنـة أسـاسيـة في ميـدان المواصلات منذ التاريخ القديم يحترفها الأشخاص المؤهلون من ذوي الخبرات المتعددة للقيام بهذا الدور ؛ وهذه المهمة التي كان يتوقف عليها سفر الأفراد والجماعات، وتنقُّلهم عبر المسالك والطرقات سواء في المسافات البعيدة أو المتوسطة، وكانت توكل إلى أشخاص وعائلات مشهورة وموثُوق بها، وتصبح مهمة الدليل مصيرية خاصة في المسالك العابرة للقارات والطرق المخترقة للجبال الوعرة، فوجود الدليل في المحطات الكبرى وصحبة المحلات والركبان وفي المنازل والمدن ضروري ؛ ويمكن اعتباره أهم تجهيز كان يجب أن تتوفر عليه الطرق في العصور الوسطى وما بعدها.

عمل المخزن الموحدي على ضبط هذه الحرفة وتنظيمها وجعل المتعاطين لها رهن إشارة المسافرين، فالدليل يستأجر عادة من المدن الكبرى مثل فاس ومراكش وغيرها وأيضاً في المدن المتاخمة للصحراء مثل سجلماسة وتامدولت ونول ؛ وحتى من بعض القرى ؛ وفي الطرق والمسالك القليلة النشاط والحركة يصبح الدليل المحلي ضرورياً لاجتيازها (*المغرب*، 48)، فالمسافر العادي وكذا الأسفار الجماعية لا يمكنها أن تتم إلا بالاعتماد على الدليل والتكشيف ولذلك كانت القوافل العابرة للصحراء الكبرى تستأجر الدليل من المدن المتاخمة للصحراء.

كانت حرفة الدليل في العصر الوسيط شبه متوارثة في عائلات شهيرة وتختص بها قبائل معينة تكونت لديها خبرة بالمجال ومتطلباته ؛ وغالباً ما كانت الأسفار البعيدة تحتاج إلى أكثر من دليل بسبب تعدد المجالات وتنوعها ؛ وأهم مركز لوجود الأدلاء بالنسبة للمتجهين إلى السودان في ذلك العهد هو مدينة سجلماسة (*رحلة ابن بطوطة*، 661).

وفي غير هذا المحور يتم استئجار أدلاء لمسافة معينة يتم استبدالهم بعدها، أو كلما دعت الضرورة إلى ذلك ؛ ولا يعود اختيار الدليل إلى المسافر بل يعود إلى الأعراف المنظمة للمهنة، فقبيلة مسوفة المستوطنة بوسط الصحراء الكبرى كان لها احتكار هذه المهنة في المحاور العابرة لأراضيها، وفي المسالك والسبل العابرة لمجالات قبائل أخرى تشترط بعضها أن يكون الدليل منها خاصة عندما لا تكون هذه القبائل في توافق مع جيرانها أولا تربطها بها اتفاقيات أو تحالفات وأعراف، ويجد هذا الموقف مبرره في كون القبيلة تريد الاستفادة من المسالك المارة بها ؛ ولتتعرف على حركة السير والبضائع وتلتقط بواسطة الدليل المعلومات والأخبار التي تستثمرها عند الحاجة من جهة، ومن جهة ثانية فالدليل المحلي أكثر دراية بالمنطقة من غيره.

الدليل شخصية معروفة تحظى بثقة المخزن أو القبيلة، وبثقة المسافرين ويستعين في عمله بمجموعة من الأعوان والخدم والعبيد وأهم أعوانه في المسالك العابرة للصحراء باتجاه السودان التكشيف، ولهل النظام الكشفي الذي ابتدعه الإنجليزي بادن باول والذي من أعلى رتبه :*Les éclaireurs et les guides* راجع إلى تقليد العرب والبربر في هذا الميدان (*Route nouvelle* n° 46)، ومهنة التكشيف ودوره أساسي فهو يسبق الركب أو القافلة أو المسافر بصفة عامة يتحرى الطريق ويتفقد أماكن المياه والمراعي والحطب والأماكن الملائمة للنزول والاستراحة أو للمبيت ؛ ويهتم كذلك بسلامة الطريق والسير عليها إلى غير ذلك من المهام التي تدخل في التعاقد وضمان السفر وتأمين المسافر وطمأنته (*رحلة ابن بطوطة*، 661 ؛ *المغرب*، 48 ,R. Mauny *Tableau*).

يعتبر الدليل ـ بعد عملية التكشيف ـ صاحب القرار في اختيار الطريق وتغيير الاتجاه أو التوقف عن السير، ويقدم رأيه ونصحه للمسافر أو لقائد القافلة أو أمير الركب فالتكشيف ـ كما ذكرت ـ مهمة بسيطة، تقنية يقوم بها أشخاص عاديون مدربون ؛ أما الدليل فليس شخصاً عادياً، بل له تكوين علمي ومعرفي عام إضافة إلى الحنكة والتجربة، فله إلمام بوسائل الاهتداء بالليل والنهار، وله دراية باقتفاء الأثر وتمييزه ومعرفة بالمناخ وأحوال الطقس وتقلباته والتنبؤ به ومعرفة بالنجوم، إضافة إلى اطلاعه على أحوال القبائل وأخبارها وتحركاتها إلى غير ذلك من المعارف التي يحتاجها في مهنته، وهي متشعبة ومعقدة وذات مسؤولية، وهذا ما يفسر غلاء أجر الدليل من سجلماسة إلى السودان مثلا، ويفسر كذلك إعجاب ابن بطوطة بأحد أدلائه الذي كان أعور ( *الرحلة*659 و660 و661، *صورة الأرض*، 98 و99).

يطلب الدليل في الغالب أجرة مرتفعة مقابل خدماته لكن الثمن خاضع لتقلبات الظروف وفي العادة تختلف أجرته باختلاف الطرق واختلاف حجم القوافل أو الركب،

وأيضاً باختلاف أوقات السفر وفصولها وظروفها، وحتى حسب البضائع والسلع المحمولة، فالمسافر المستعجل مثلاً قد يضطر لتأجير دليل خاص، وهذا ما وقع للرحالة ابن بطوطة عند توجهه للسودان، ومن جهة ثانية فالاتفاق مع الدليل يكون موضوع عقد مكتوب أو شفويّ عرفيّ.

في المحلات الرسمية والمواكب السلطانية والتحركات المخزنية بصفة عامة يكون للخليفة أو السلطان أو الأمير موظفون يثق فيهم مكلفون بمهمة الدليل والتكشيف ؛ وتندرج هذه الوظيفة تحت خطة الراية أو العلم في بعض الدول ( *البيان*، 158، *إفريقيا* ، 171)، وقد يلجأ المخزن في بعض أسفاره وتحركاته إلى الاستعانة بالادلاء المحليين عند اجتياز مناطق وعرة.

البكري، *المغرب، الجزائر*،1911 ؛ م. ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت ، د. ت ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن، 1938 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* القسم المحقق ؛ مارمول، *إفريقيا*، الرباط، 1984 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط 1980 ؛ م. حجاج الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط* (أطروحة) مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1998.

R. Mauny, *Tableau géographique*, Dakar, 1966 ; J. Meunié, *Le Maroc Saharien*, Paris, 1982.

محمد حجاج الطويل

**الدليمي**، أسرة هشتوكية أصلها من قبيلة أولاد الدليم (الديلم) الصحراوية. لا نعرف وقت استقرار الأسرة بتراب أشتوكن، كما نجهل كيف انتقلت إليها زعامة القبيلة. اشتهر آل الدليمي بالرياسة، وكان لهم نفوذ كبير داخل قبيلتهم، وتوالى أفرادها على تسيير الأمور التنظيمية للقبيلة بإيعاز من المخزن.

**الدليمي، إبراهيم** تولى قيادة بعض وحدات قبيلة اشتوكن (هشتوكة) بظهير حسني 1299 / 1882. لم يكن نفوذه يقتصر على المجالات التي عين عليها سابقاً فحسب وإنما يمتد حتى حدود أيت بوالطيب وأيت بلفاع وأيت أوكران، مما يؤدي إلى تجدد الصراع والخلاف. فباستثناء علاقته السيئة مع تاسيلا ضمن قبيلة ماسة، فإنه كان على صلة حسنة مع أعيان القبائل المجاورة (تامجلوجت، ماسة، أيت جرار، گسيمة) ونهج تجاههم سياسة المصاهرة، مما سهل له الاستمرار في مهمته، وكانت حجابا لإيالته، وجعلته يحافظ على مركزه بين هؤلاء.

اكتسب القائد إبراهيم حسن الاطلاع بشؤون قبيلته، وكان يتمتع بخصال حربية وقدرة خارقة في التأثير على الجماعة. مما مكنه من جمع شمل قبيلة اشتوكن من أجل الحد من الانقسامات التي تنخر جسم وحدتها، وسبيله في ذلك استعماله سياسة الليونة تارة والعنف تارة أخرى حسب الظروف. وكان ذلك سبباً في استفحال أمره واتساع نفوذه، وتحصلت لديه عدة أملاك، كما تمكن من مراكمة ثروات مهمة. ويبدو أن هذا التصرف كان حافزاً لبعض وحدات قبيلته (أيت بلفاع، أيت بوالطيب) لتهديم داره مما جعلها مثار انتقام الجيش المخزني.

توفي القائد إبراهيم سنة 1307 / 1889 عن سن تناهز أكثر من 70 سنة.

**الدليمي، أحمد** مقاوم ولد سنة 1930 بوادي الذهب. انضم إلى فرقة جيش التحرير سنة 1951 تحت قيادة الخطاط محمد فاضل بالمقاطعة التاسعة مركز تافودارت. وشارك في عدة هجومات ضد الاستعمار الإسباني نذكر منها معركة : المسيد ومعركة الشاطئ بالعيون إلى أن استشهد في معركة الدشيرة بتاريخ 3 نوفمبر 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**الدليمي، الحسين** بن إبراهيم القائد سابق الترجمة، ورث عن والده شؤون قبيلة اشتوكن في ظروف تتميز بالتعقيد، وحدثت متغيرات جديدة، فكان عليه أن يشارك في البعض منها. فعلى سبيل المثال : لما ثارت القبائل على قوادها عقب وفاة السلطان الحسن الأول 1894، اضطر إلى الجلاء عن قبيلته بعد تهديم داره، واستقر به المقام بقرية أيت أومريبط بأرض قبيلة المعدر المجاورة إلا أن جلاءه لم يدم طويلا، بحيث تمكن من العودة إلى قيادة القبيلة بعد تدخل أعيان لف تاگوزولت. وفي سنة 1896، عندما تحرك القائد المخزني سعيد الگيلولي نحو منطقة سوس بإيعاز من الوزير أحمد بن موسى، تم القبض على القائد الحسين وأرسل إلى اگدير. فمما لا شك فيه أن ما أوجب عزله هي علاقته المتميزة مع إيليغ. وكذا تماطله في القدوم على محلة الگيلولي بقرية تبوحنايكت. مهما يكن من أمر، بادر الهشتوكيون إلى الهجوم على محلة الگيلولي للمطالبة بعودة قائدهم، مما يؤكد عزمهم على استرجاع مجد الأسرة.

انحاز القائد الحسين إلى حيدة بن ميس في حربه ضد أحمد الهيبة بعد نكسة سيدي بوعثمان، وكانت نهاية حياته ثمنا لهذا الموقف، حيث قُتل في معركة ويجان ضد البعقيليين 1332 / 1913.

**الدليمي، محمد** بن أحمد أول زعيم لأسرة الدليمي تذكره المصادر، كان مضرب الأمثال في الشجاعة. ويبدو أن شهرته ونفوذه داخل القبيلة، جعلته يحظى بثقة السلطان سيدي محمد بن عبد الله. ويظهر أن قيادته كانت ممتدة من گسيمة إلى جنوب وادي والغاس، وذلك رغبة من المخزن

في تدعيم وجوده بالبسيط ومراقبة الممرات الجبلية وخاصة الطريق التجارية المارة بأرض إشتوكن نحو الصويرة. وفي هذا الإطار تسجل الوثائق المحلية هيمنة القائد محمد بن أحمد الدليمي على أزغار تيزنيت، بإيعاز من خليفة السلطان عبد السلام بتارودانت. وقد استعمل بلدة تيزنيت كقاعدة لتوجيه واستقبال الحملات التي كان يبعث بها "لقبائل جزولة من هلتيتة وأيت باعمران ومجاطة وأولاد جرار وآيت برابيم" والمعروف عن القائد أنه كثيراً ما "يكلف القبائل بكثرة المطالب المخزنية في لُوطا والجبال حتى ترك الناس مهموسين" لذا أبدت القبائل معارضتها وامتناعها من "امتثال أمره حتى لا يعطوه شيئاً من مؤونة جيشه فضلاً عن ضيافتهم ولو ليلة واحدة" (*وثيقة خاصة*).

ولما ظهرت حركة بوحلايس انحاز إلي الفقيه محمد بن أحمد التاسكاتي، ولعب دوراً كبيراً في عملية أحتواء الحركة. ويبدو أن قساوته وتعسفه تجاه القبائل حَدَتْ بالسلطان سليمان إلى إعفائه من مهامه، وبالتالي سجنه بالصويرة.

م. الأگراري، *روضة الأفنان*، تح. ح. أنوش، بحث لنيل د. د. ع. الرباط. 1989، ص. 62 ـ63 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 14 : 108 ؛ *وثيقة خاصة عن حركة القائد محمد بن أحمد*.

أحمد بومزگو

**دم الأخوين**، (نبات) أو دم التّـنينية أو التينية أو Dragonnier بالفرنسية أو Dragon blood tree بالإنجليزية أنواع شجرية تسمى علميا "دراسينا" Dracaena، وتنتمي إلى الفصيلة المحدثة مؤخراً التنينيات Dracaenaceae، وهي من فرع وحيدة الفلقة.

تصادف هذه الأنواع على العموم في مناطق مدارية أو شبه مدارية خاصة مثل المنطقة الماكارونيزية (جنوب غرب المغرب والجزر الخالدات وجزيرة ماديرا وجزر الرأس الأخضر) ومنطقة القرن الإفريقي وجنوب شبه الجزيرة العربية، وجزيرة سومطرة، وجنوب إفريقيا وجنوب شرق آسيا.

عرف وجود نوع دراسينا دراكو Dracaena draco بالجزر الخالدات منذ أقدم العصور نظراً لكونه كان يستعمل لعدة أغراض منها مادة دم الأخوين المعروفة عالميا. أدخل هذا الصنف الكناري إلى عدة بلدان دافئة كشجرة زينة، ومنها المغرب حيث زينت به حدائق المدن الساحلية. ولم يكن معروفاً وجوده الطبيعي بالمغرب حتى اكتشفناه بالأطلس الصغير سنة 1996، فصنفناه تحت نوع قبسي جديد سميناه علميا باسمه المحلي الأمازيغي "أجگال" دراسينا دراكو تحت نوع أجگال Dracaena draco ssp ajgal.

أجگال شجيرة معمرة يتراوح علوها ما بين5 و15م. لها جذع واحد مستقيم وضخم، يتفرع من الأعلى إلى ثلاثة أفرع أو أكثر، وكل سرع يتفرع إلى فرعين أو ثلاثة أفرع. وهكذا يتم التفرع تدريجيا مع التقدم في العمر. تاجها الخضري مظلي الشكل. تنمو الأوراق متزاحمة على أطراف الغصون. الأوراق سيفية الشكل، طولها يبلغ حوالي 60 سم، وعرضها 3 سم. أزهارها صغيرة الحجم بيضاء مصفرة، توجد في نورات طرفية وكثيرة التفرع وطويلة إذ يبلغ طولها 50 سم أو يتعداها. ثمارها طرية مستديرة الشكل، قطرها حوالي8 أو 10 مم.

ينحصر وجود تشكيلات أجگال في الجهة الغربية للأطلس الصغير شرق مدينة تيزنيت، وبالضبط في منطقة يقطعها أسيف أو مغُوز الذي هو في الواقع وادي ماسة عند خروجه من المضايق الجبلية وخاصة تلك التي يشرف عليها جبلا إيمزي وأضاض مدني اللذان يأويان على أجرافهما العالية النظام البيئي المشكل من طرف أجگال، هذا الصنف الشجري الفريد الذي مازال ممثلاً ببضعة آلاف من الأفراد. وتتميز هذه الأجراف العالية بمناظرها الخلابة وبوعورتها إذلا يمكن للإنسان أن يتسلقها. الشيء الذي حال دون تدهور هذه التشكيلات الثمينة، التي تضم عدة أنواع نباتية أخرى جد نادرة قبسية أو غير قبسية.

تصادف تشكيلات أجگال في البيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب الدافئين، ما بين250 و1500م فوق سطح البحر أي في الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ. وهي تغطي مساحة أفقية تقدر بـ 500 هكتار.

دم الأخوين مادة رانتجية حمراء اللون يفرزها جذع الشجرة عند جرحه. تستخدم المادة على نطاق واسع في العالم كصبغة حمراء في تلوين الورنيشات وفي صناعة

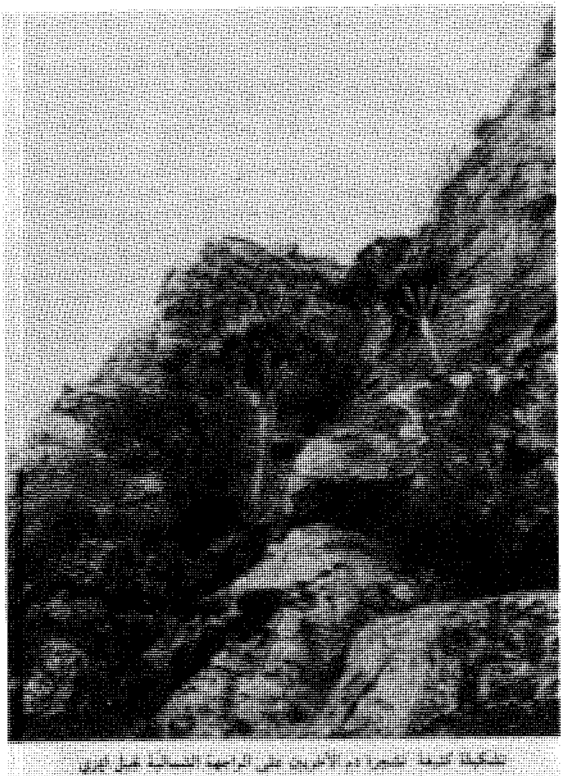

تشكيلة كثيفة لشجيرة دم الأخوين على الواجهة الشمالية لجبل إيمزي

الأصباغ والألوان المستعملة في الرسوم وزخرفة المصنوعات الفخارية وواجهات المنازل، كما هو الشأن في اليمن. كما تستعمل كمادة قابضة لإيقاف نزيف الجروح.

أما الاستعمالات المحلية لأجگال في المغرب فهي تنحصر في استخدام سيقان الشجرة بعد قطعها وتجويفها كأجباح لتربية النحل. كما تستعمل المادة الراتنجية والثمار في التطبيب التقليدي. وكانت المادة قد استخدمت في ما قبل التاريخ من طرف سكان المنطقة الموجودين بها ـ آنذاك ـ لإنجاز بعض الرسومات الصباغية للأنواع الحيوانية. وما زالت هذه الرسوم بارزة بوضوح للزائر على صخور الأجراف الملساء.

A. Benabid et F. Cuzin, *Population de dragonniers (Dracaena draco ssp ajgal, Benabid et Cuzin) au Maroc, valeurs taxinomique, biogéographique et phytosociologique, C.R. Académie des Sciences de Paris, Sciences de la vie*, 1997.

عبد المالك بنعبيد

**دمنات**، نطقها بتسكين الدال والميم والتاء. مدينة تاريخية عند قدم الأطلس الكبير الأوسط على بعد 120 كلم، شرقي مدينة مراكش، على ارتفاع 960 كلم، وسط بساتين أكثر مغروساتها الزيتون. يفهم موقعها ويُدرك دورها التاريخي من وجودها وسط كتلة قبلية كبيرة كانت تحمل اسما جامعا هو هسكورة، وفروعها القريبة من دمنات اليوم، قبيلة إينولتان التي توجد في وسطها دمنات، وقبيلة فطواكة وقبيلة غجدامة على يسارها، وكلاهما مذكورتان عند ابن خلدون مثل هسكورة، ثم قبيلة إمغران في السفح الآخر الذي يطل إلى جهات وادي درعة والصحراء. أما شمالي دمنات، فالسهل قد استوطنته قبائل عربية ابتداء من القرن السابع (13 م). تقع في الخريطة اللغوية بين مجال تاشلحيت غربا ومجال تامزيغت شرقا.

فدمنات بين السهل والجبل وبين العرب والبربر وعلى طريق تاريخية تعبر ممرات جبلية إلى ما وراء الأطلس أشهرها ممر فدعات الواقع شرق ممر تلوات، وعبر فدعات كان تبادل تجارة الصحراء مع الداخل لا سيما إذا كان الممر الآخر مأموناً أو كان عليه مراقبون مستبدون أومغالون أو كانت القبائل المجاورة له ثائرة على المخزن (الدولة).

يذكر أهل دمنات أن مدينتهم تأسست قبل تأسيس مراكش بأربعمائة سنة. ولا يخلو من فائدة ربط هذه الذاكرة بأمرين : أولهما تسمية فرقة من أهم الفرقتين المكونتين للمدينة وهم أيت يحيى الذين يرتبطون في الرواية الشفوية بيحيى بن إدريس صاحب تادلا، والأمر الثاني هو تسمية الفرقة المجاورة لدمنات : تاودنوست، وهي فرقة لعلها من اللاجئين الأندلسيين في فتنة ربض قرطبة. ويذكر البكري ربضيِّين آخرين في جهات بْزُو وغيرها. وأيت يحيى وأيت تاودنوست هما المتقاسمتان لمياه الري للساقية المشتقة من وادي أمهاصر، فهما عتيقتان.

ورد أول ذكر في الكتب لدمنات عند البيذق، مؤرخ الموحدين، وهو يتحدث عن تعقب عبد المومن لتاشفين بن علي. ولم تذكر بعد ذلك إلا في كتب مناقب صلحاء العصر المريني التي كُتبت حول أبي محمد صالح أو أبي يعزى، وكان لهما أتباع حول دمنات، كسيدي واگريان أو سيدي أبي يخلف. ولكن دمنات تنطبق على ما يبدو على حصن هسكورة المذكور تكراراً في صراع تني واقاريض الهساكرة مع بني هلال أو تحالفهم معهم في بعض الأحيان.

يرتبط الموقع الذي أشرنا إليه بالنسبة لدمنات بالتجارة مع كتل قبلية مهمة متكاملة الإنتاج، وبقيام صناعات ولا سيما صناعة الجلود، وبوجود طائفة يهودية نشيطة في التجارة والصناعة، وبمطامع المخزن في استعمال دمنات كمركز لحكم القبائل المجاورة، وكمكان لجباية ما يجب على المعاملات الجارية في عين المكان. لهذه الاعتبارات وفي سياق الأحداث المرتبطة بها قامت بالمدينة سوق وبنيت قصبة مخزنية قديمة يظهر من خندق مليء بالماء يحميها أنها من فكرة أندلسية قديمة، والأندلسيون بها مذكورون كما أشرنا. وقد نزل بها الحسن الوزان عند غرناطيّ مثله حرفتُه الخفارة لأهل التجارة والأموال والأعيان. وفي هذا السياق أيضاً هاجمتها القبائل وخربتها غيرما مرة واضطرت إلى إعادة عمارتها.

ذكر الوزان أن تعدادسكان دمنات ألفان من الكوانين وهي بالحساب ما بين ستة آلاف وعشرة آلاف شخص. وذكر أنها عامرة بالصناع والتجار من المسلمين واليهود. وأنّ

بقربها مدينةً أخرى تسمى المدين عدد سكانها على نصف سكان دمنات. ما تزال خرائب المدين معروفة، ولعلها من ارتحال قبائل فطواكة وغجدامة في مدة غياب المخزن على العهد الوطاسي، وكان بين أحزاب المدينتين تطاحن على فوائد التجارة. فقد كان أهل دمنات يعطون في هذا العهد إتاوة للعرب مقابل حراثة أراضٍ انحسر عنها هسكورة في سهول السراغنة اليوم، ولكن الوزان يعلق على ذلك بالقول إن أهل هذه المدينة يربحون مع أولئك العرب في التجارة أضعاف تلك الإتاوات.

كان لمدينة دمنات في عهد غياب المخزن الوطاسي مجلس أعيان يجبي الرسوم ويصرفها في حاجات الجماعة، وهذا التقليد تكرر في ظروف مماثلة، إلى غاية بداية القرن العشرين.

كان للسعديين عمال في دمنات منهم كبير الدولة في عهد المنصور إبراهيم السفياني. ومرَّ بها المولى الرشيد العلوي قبل حلوله بالدلاء، وجمع منها المولى إسماعيل عبيداً بواسطة عماله، وبعض جدران القصبة إسماعيلية، وكان غازي بوحفرة نائب أحمد الذهبي العامل في تادلا أنزل بأهلها عقوبات فادحة في ظروف غامضة بالنسبة لنا. ووصفها الرحالون الأجانب في نهاية القرن الثاني عشر (18 م) بنفس الملامح : مركز متمولين مضاربين مرابين جباة يثيرون حفيظة الجبليين فيثورون من فترة إلى فترة، وكان أهل دمنات قد بايعوا المولى عبد الله ثم ولده سيدي محمد الذي عيّن عليهم قائده سعيد بن العياشي ثم محمد بن أحمد الدكالي البوزراري ثم مَحمد الصغير السرغيني من أولاد مبارك. وقد نقل هذا السلطان العبيد الذين كانوا بدمنات إلى تيط نفطر. وبعد محمد الصغير حكم دمنات ابنه الجيلالي ثم ولده محمد بن الجيلالي في عهد المولى سليمان. وكان لمحمد بن الجيلالي خليفة بدمنات يسمى عبد الخالق بنهزيط ثم محمد بن علي الخلوفي. وقد ألح أحمد ابن القائد السرغيني في المطالب فثارت عليه القبائل زمن المجاعة عام 1832.

وقد تدخّل المولى سليمان في نزاع على الماء بين أهل دمنات وتادونوست. عندما وضعت الحوالة الحبسية لدمنات في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان ظهر منها عمارة خربة وفنادق معطلة، وكان كرابر دي همسو قبل ذلك قد ذكر أن سكانها ثمانية آلاف نسمة.

أرسل المولى عبد الرحمان قائده عَلاً الإيمُوري لضمان طاعة دمنات والقبائل المجاورة فهزمه أهلها. ولما تدخل الإيموري في عملية ضد بومهدي في تارودانت عاد من

صورة تقريبية
لعمارة دمنات في النصف الثاني من القرن XIX

هنالك وفي ركابه عدل من عدول عسكر السلطان يسمى علي أوحدّو، كانت أسرته قد هاجرت من تيغرمين قرب دمنات قبل ذلك بعشرين سنة وكان جده إمام مسجد.

قرر السلطان عبد الرحمان أن يعين أوحدو عاملاً على دمنات لأنه ليس أجنبياً كالإيموري وليس بشخص يُخاف استبداده كالشيوخ المحليين، كان ذلك التعيين على يد الخليفة سيدي محمد سنة 1848.

ظلت لدمنات أهمية خاصة في القرن الثالث عشر (19 م) فيما يتعلق بتطويع قبائل الأطلس المجاور وفي ضمان وصول بريد تافيلالت وتموين الدار السلطانية هناك نظراً لعدم أمن الطريق المارة بالأطلس المتوسط.

في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان صدر الأمر ببناء سور لمجموع دمنات، وكان من قبل يحيط بالقصبة وحدها، وفي هذا العهد أيضاً عين على دمنات قاضٍ مستقل من قبل السلطان وهو محمد بن حمو كرداس وذلك باقتراح من القائد علي أوحدو سنة 1866. وفي هذا العهد أيضاً وبتحريض من منظمات أجنبية كانت على اتصال بيهود دمنات توترت العلائق بين هؤلاء وبين السكان المسلمين، فوافق السلطان على طلب الأعيان المسلمين بنقل اليهود من وسط أحياء المسلمين حيث عاشوا طوال قرون، وتخصيص ملاح لهم. ولكن اليهود أعطوا رشوة للعامل فلم ينفذ الأمر السلطاني. وفي أوصاف الرحالين الذين زاروا دمنات من أمثال الوزان ولوي دي مارمول ودجاكسون وهوكر وطومسون ودوفوكو ودوتي أوصاف لهذا الملاح ولعيش سكانه. وفي *التسلي* للغجدامي سرد وقائع هذا النزاع، وفي كتاب فلامان Flamand، ظهائر تتعلق بنقل الملاح.

في عهد السلطان مولاي الحسن تم بناء الملاح الخاص باليهود قرب باب العرب، وأصدر هذا السلطان ظهيراً برفع دمنات إلى مصاف المدن وذلك بإعفاء مَنْ بداخل أسوارها مما يُطالب به أهل القبائل، وازدحم عليها من أجل ذلك السكان، وكان مولاي الحسن قد عرج في طريقه بين فاس ومراكش فزار دمنات ووقف على مشاكلها ولا سيما قضية ملاح اليهود الذين تدخلت لهم جهات أجنبية للضغط على المخزن.

بعد وفاة القائد علي أوحدو تولى القيادة ابنه الحاج الجيلاني (انظر الدمناتي الجيلاني) وكان من كبار قواد المخزن، ولم تقف سلطته عند حدود ولاية أبيه وهي ولتانة وفطواكة وغجدامة، بل امتدت إلى دادس وعدد من قبائل شرقي إينولتان الذين تجتذبهم تجارة دمنات. لكن بالغ في التعلق بالهيئة المخزنية وجمع الأموال وتحويل محكوميه إلى رعية ورعاة. فقامت ضده ثورة عند وفاة مولاي الحسن والتجأ إلى حرم زاوية تانغملت، وبعد المصالحة مع إينولتان حاول الانتقام فدبر بعضُ الأعيان اغتياله، ودخلت دمنات في حكم أشياخ بالتناوب، ثم حكمها محمد أبلاغ إلى أن امتد إليها حكم الأكلاويين بتواطؤ بعض أعيانها، وتزامن ذلك مع وصول الفرنسيين إليها.

م. الغجدامي، *التسلي عن الآفات بذكر الأحوال ومافات*، مخطوط عند أسرة المؤلف بمراكش؛ نجيب الدمناتي، الحاج أحمد، *القول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع*، مخطوط، خ. ع؛ أ. التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إينولتان*، الدار البيضاء، 1978.

S. Boulifa, *Textes berbères en dialecte de l'Atlas marocain*, Paris, 1909 ; P. Flamand, *Demnat, un mellah en pays berbère*, Paris, 1952.

أحمد التوفيق

**الدمناتي،** أحمد (مؤلف) ← **نجيب**

**الدمناتي، أحمد** بن الحسين بوفلوس، ولد بسلا سنة 1344/1926 وبعد ثلاث سنوات انتقل مع أسرته إلى مدينة القنيطرة حيث اشتغل والده بالتجارة حتى أصبح من أبرز تجار الأثواب بها.

ولقد انطلقت حياته وفكرته النضالية من المدرسة الوطنية التي كان من أول التلاميذ فيها وعرفت مدينة القنيطرة على غرار المدن المغربية الأخرى مظاهرات صاخبة في أكتوبر 1937. وشارك أطفال المدرسة في هذه المظاهرة. فقامت سلطات الحماية بالمدينة باغلاق مدرسة الوطنيين وتم الزج بمعلميها في السجن ونفيهم عن مدينة القنيطرة. ودفع معظم تلاميذ المدرسة إلى الالتحاق بمدرسة "كوجي" الاستعمارية التي يتلقون التعليم المهني إلى جانب التعليم العام، وحصل أحمد الدمناتي على الشهادة الابتدائية سنة 1943. سعى "كوجي" إلى إبعاده عن العمل الوطني بأن وظفه في إدارة البريد - إلا أنه بحلول سنة 1944 وانتقال الحركة الوطنية إلى المطالبة بالاستقلال غادر أحمد الدمناتي الوظيفة في البريد بايعاز من والده والتحق بالوطني محمد الديوري الذي وظفه في إدارة أعماله التجارية. وأصبح عضواً نشيطاً في تنظيمات حزب الاستقلال ولعب دوراً في تكوين اللجن الفرعية للحزب كلجنة المسيرين ولجنة الاسعافات ولجنة الشعب الخ..

شارك أحمد الدمناتي في الإعداد للمظاهرة الاحتجاجية التي نظمت بمدينة القنيطرة أمام الباشوية يوم 15 غشت 1953 احتجاجاً ضد النوايا العدوانية للاستعمار ازاء السلطان وأسرته – وبعد هذه المظاهرة انطلقت الاعتقالات التي امتدت إلى السيد أحمد الدمناتي (غشت 1953)، وبعد خروجه من السجن شارك في أعمال المقاومة والفداء.

توفي في حدود سنة 1417 / 1996.

مصطفى مشيش العلمي، *القنيطرة ميلاد المدينة والحركة الوطنية*، 1913 — 1937، منشورات مؤسسة سيدي مشيش العلمي،

القنيطرة، 1998 ؛ جـون جيمس دافيسن، *حركة المدارس الحرة بالمغرب*، 1919 ـ 1970، الدار البيضاء، 1991 ؛ ع. القادر بوراس، *مجلة جسور تربوية*، أكاديمية وزارة التربية الوطنية القنيطرة، العدد 1،1996، ص. 100 ـ 106 ؛ أ. الدمناتي بوفلوس، *جريدة القنيطرة المحلية*، العدد، 14 مارس1996، ص. 2 ـ 3.

عبد القادر بوراس

**الدمناتي، إدريس** بن الهاشمي، من مواليد مدينة مكناس في أوائل القرن. التحق بدار الجامعي عام 1937، وهو في مقتبل عمره حيث أخذ مستعملات الموسيقى الأندلسية : صنعة وعزفا عن الفنانين الفاسيين الذين كانوا يلقنون بها هذا الفن، وهؤلاء هم على التوالي : محمد الأمين دادي، وعزوز بناني، وعبد السلام بن عزوز بناني. وكان إلى معرفته بموسيقى الآلة يمارس طرب الملحون : إنشاداً وعزفاً. وفي سنة 1956 كلف بتدريس العزف على الكمنجة بدار الجامعي، وظل يضطلع بهذه المهمة إلى أن وافته المنية يوم 21 جمادى الأولى عام 1391 / 15 يوليوز 1971.

*وثائق المعهد الموسيقى* بدار الباشاوات بمكناس ؛ *معرفة شخصية ورواية شفوية.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الدّمناتي، أمين** فنّان تشكيلي يعتبر من بين الفنانين الشباب المتميزين في الستينيات وبداية السبعينيات، ولد بمراكش سنة 1323/ 1942 من أسرة موسرة، وتوفي وهو في ريعان شبابه أثناء أحداث الصخيرات المأساوية.

لقد كان مساره الفني قصيراً لكنه كان واعداً بالتأكيد، مراعاة لتكريس حياة كلها إبداع وعطاء وللإسهام الفعلي بجانب أقرانه والذين سبقوه في تطوير الحركة التشكيلية الحديثة العهد بالمغرب، متجنباً في ذلك أي إكراه وظيفي وأية ارتباطات تصرفه عما أخذ على نفسه تحقيقه في الميدان الذي ولع به. لم يشغفه هوى خارج المرسم سوى القراءة وتتبع بعض روائع الأعمال الأدبية والفنية سواءً أثناء دراسته أو في حياته العملية.

مع بداية فترة الاستقلال وفي بيئة اجتماعية وثقافية مختلفة عن سابقتها، ظهر جيل جديد من الفنانين الشباب أصبح بإمكانهم الاستفادة من المنح التي دأبت بعض البلدان الأوربية على تخصيصها للطلبة المغاربة قصد الدراسة بالخارج. فكان أمين الدمناتي في عداد الفوج الثاني من الذين اختاروا وجهة فرنسا، بعد أن قضى طفولته ومراهقته في الدار البيضاء، حيث تلقى تعليمه الفني الأول بمدرسة الفنون التطبيقية. فقصد بعزم باريس سنة 1961، وهي السنة التي شرع يعرض فيها، للالتحاق أولاً بمدرسة حرف الفن، ثم مدرسة الفنون الزخرفية ومدرسة اللوفر.

وعلى الرغم من استقراره بفرنسا نهائياً منذ ذلك التاريخ كان الدمناتي يتردّد على المغرب بين الفنية والأخرى حتى إن أغلب المعارض التي شارك فيها سواء مع المجموعات أو بمفرده كانت تقام بالأساس في الرباط وباريس، أكثر من الدار البيضاء أو بعض البلدان، مثل إسبانيا وألمانيا والدانمارك والسويد والأرجنتين والولايات المتحدة. كان المغرب يمثل بالنسبة إليه المرجعية الأولى والأكيدة التي يستلهم منها ومن خلالها جوهر القيمة الإبداعية ومادتها الخام، وهو المغرب الذي كانت مراكش، مع ساحتها جامع الفنا، تمثل في رأيه صورة مصغرة له ونموذجا لفضاءاته.

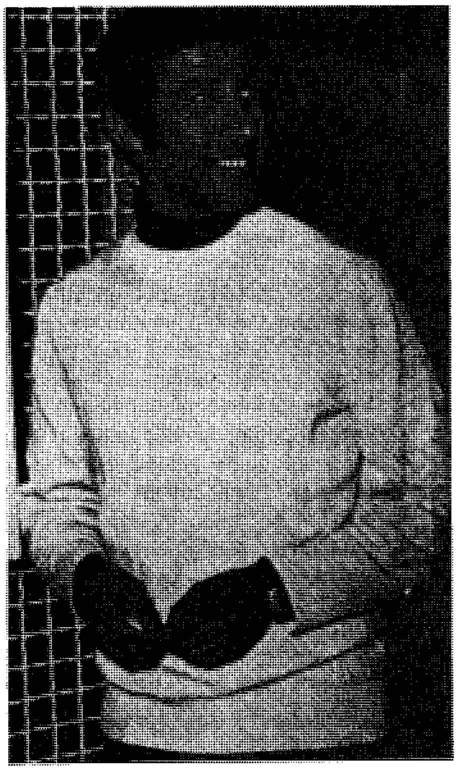

لذلك يمكن اعتبار أمين الدمناتي فنان الحنين والشوق إلى بلد ومدينة أنجباه وغادرهما مبكراً، ولكنهما ظلاّ حاضرين بدون انقطاع في مخيلته وفي ريشته. كما يمكن اعتباره فنان الحزن المتأثر بمشاهد الفقر والبؤس التي يحفل بها الواقع المغربي والتي صارت تمثل لازمة رسمه وتصويره. إلا أنه بفضل وعيه الجمالي يتحاشى التعبير عنها مثلما هي، ويحسن امتصاصها ـ بعيداً عن العنف ـ بقيمة تعبيرية قوامها التناسق والشفافية، مراعياً في ذلك شعار "الحبّ والجمال هما غاية الفنّ". بل كان نفسه واثقاً من قدراته ومؤمناً برسالته بكثير من الحماس، لكنه كان يتحلى بالرزانة والتواضع والكلام القليل والاعتدال في المطالب. على أن تجربته الفنية تنقسمُ إلى شطرين متدرجين من حيث الأسلوب التقني وتصورّ المضامين، نوجزهما كالتالي :

في بداية مساره الفني كان الدمناتي ينهج أسلوباً تجسيدياً يتصف بالتسجيل المباشر للحياة اليومية في شتى تجلياتها وجزئياتها وزخارفها، من طبيعة ميتة وعُرية ثيران وأبحاث حول المنظور والألوان إلى الوجوه (الأطلسية في الغالب) ثم بعض المناظر الطبيعية وبخاصة المشاهد الحضرية. وكان يستخدم لترجمة ذلك صيغاً وتقنيات بسيطة أساسها الفرشاة والصباغة المائية، الغُواش. غير أنه كثيراً ما كان يتعامل مع إنجازاته بتعميم متقدم لمضامينها وللملامح المميزة للأشياء والناس والحيوانات، وبالاكتفاء بخطوطها العريضة، إلى درجة تحولت معها الشخوص إلى أشباح والجدران إلى مساحات ملونة محفوفة بخطوط غليظة داكنة. وفي ظروف معينة كان بمجرد توزيعه الألوان يغطس اللوحة في الماء بحثاً عن آثار تشكيلية محتملة.

أخيراً وتحت تأثير أحمد الشرقاوي في أواسط الستينيات، ولعله هو الفنان المغربي الوحيد الذي كانت تربطه وإياه علاقة حميمية، انسلخ الدمناتي عن نظرته الحكائية وتخلى عن مسعاه التشخيصي الصرف، لينتقل من ترجمة العالم الخارجي كما هو وكذا تصوير ما يرى إلى التعبير عما يحس به نتيجة التوغل في دواخل ذلك الواقع. لقد ظل بالتأكيد وفياً لعامله الحضري ومتشبثاً بمرجعيته التي لا محيد له عنها، حتى إنه ما فتيء يعيد إنتاج ما بقي عالقاً بذاكرته من وطن بناسه وحشود شبابه وفقرائه،... ومراكش على وجه الخصوص، بفضاءاتها وأزقتها وساحتها وألوانها وحرارتها وجموعها المتحركة أو الهامدة... بالمقابل، أخذ يعمق رؤيته الموضوعية إلى حد بعيد، ليفضي في النهاية إلى نوع من الإيحاء الذي يشبه التجريد الوجداني. ذلك هو المنحى الأسلوبي الجديد الذي نبع من اختزال أشباح الدمناتي ومن طمس معالمها، لفسح المجال أمام كائنات متلاشية وبقع كثيفة متطابقة صيغت ألوانها الموحدة تارة بلون الرسم وتارة أخرى بطريقة الرشم.

توفي أمين الدمناتي في أحداث الصخيرات يوم السبت 16 جمادى الأولى عام 1391 / 10 يوليوز 1971.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 6، ص. 3434 ؛ *معلومات شفوية* ؛ م. أ. السباعي، *برنامج شخصيات من بلادي*، الإذاعة الوطنية، الرباط، بداية يوليوز 1971، نشر بالفنون، عدد 1 ـ2، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، أبريل، يوليوز، 1976، ص. 75 ـ76.

Z. Daoud, *Amine Demnati*, *Lamalif*, n° 18, mars, 1968, pp. 52 - 55 ; K. M'rabet, *Peinture et identité, l'expérience marocaine*, Paris, 1987 ; M. Sijelmassi, *L'art contemporain au Maroc*, Paris, 1989 ; T. Maraini, *Ecrits sur l'art*, Rabat, 1990, p. 96.

مصطفى عياد

**الدمناتي، الجيلالي** بن علي أوحدّو قائد دمنات المسمى أيضاً في الرسائل المخزنية بالعامل وذلك في المدة (1292 / 1875 ـ 1322 / 1904). خلف والده في حكم دمنات والقبائل المجاورة بالجبل نيابة عن المخزن، وكان من أهم عمال السلطان مولاي الحسن. كان الجيلاني بخلاف أبيه حريصا على تكثير الأملاك والأموال بكل الوسائل، صادف حكمه رواجا متزايداً في دمنات بسبب ازدياد رواج البضائع الأجنبية وازدياد استعمال النقود وقوة مخزن مولاي الحسن.

عند وفاة علي أوحدو سار أعيان إينولتان مع الجيلالي حتى طلبوا له القيادة ووافق عليها السلطان. أمسك أمرهم بيد من حديد وعدَّد الشيوخ واصطنع معاونين في فطواكة ووسع سجنه، فكان المالك الأول والتاجر الأول في المنطقة. جدد رياض أبيه في القصبة وزخرفها واتخذ أبهة تُقلد أبهة الملوك وكثَّر الحريم من الحرائر والإماء، وكانت له مراسيم للخروج والدخول والتحية. استخلص من محكوميه كل ما طولب به من طرف المخزن أو احتاج إليه لنفسه وشد عضد أمناء السلطان القائمين على أخذ مستفاد أسواق دمنات والقبائل المجاورة.

كان له متعلمون من المسلمين ومن اليهود، وكان له صراع مع هذه الطائفة وقع فيه الاحتكام إلى السلطان ولعبت في عهده دمنات دور منطلق لتطويع قبائل لم تخضع قبل للمخزن في الأطلس وأذن له في مد اليد إلى قبائل سائبة في أيت بوكماز وتدغة وأيت عطة وإيمغران ودادس، وقد شارك في عدد من الحركات السلطانية في العهدين الحسني والعزيزي.

كان السلطان مولاي الحسن خرج سنة 1312 / 1894 لغزو قبائل ثائرة في فازاز، وكان في ركبه عمّال الحوز، ومنهم الجيلالي الدمناتي. وقد وافت المنية السلطان بدار ولد زيدوح، ولما دفن بالرباط عاد العمال ووجد عدد منهم القبائل قد ثارت ضدهم، ومنها إيالة الجيلالي الدمناتي، وقد نهبت داره وتشتت عياله.

لجأ الجيلالي إلى زاوية تانغملت الواقعة بين هنتيفة وأيت عتاب، وعمل بالوسائل المختلفة من أجل الرجوع وإحداث الخلاف بين الثوار الذين نصبوا مشيخة بالتناوب على دمنات وأفلح في ذلك، ودفع له المخزن عدة حربية يستعين بها، وجدد له السلطان الجديد تعيينا مؤرخا بسابع عشر رمضان 1313 / 2 مارس 1896 على إينولتان وفطواكة لا غير، بينما دخلت تگانة وغجدامة في حكم الأگلاويين.

عمل الجيلالي بعد رجوعه على الانتقام من الثوار. ولكن إصلاحات مولاي عبد العزيز التي أسقطت الفروض والعطاءات وضعت حداً لتعسفاته وصار الفارون من دمنات خوفا يرجعون إليها. وفي ذلك الجو دبّر اغتياله بعضُ الأعيان الذين جردهم من أملاكهم وأهانهم، وكان لهم ذلك باغتياله في صلاة الجمعة ساجداً، وذلك في شهر ربيع عام 1322/ يونيه 1904.

أ. التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إينولتان، 1850 ـ1912*، الدار البيضاء، 1978.

**الدمناتي، الحسين** رجل أعمال عصامي ولد حوالي 1318 / 1895 بدمنات (دار بوحلو) كانت عائلته معروفة بدمنات بلقب أيت الحسين. عندما كان صغيراً شارك صحبة أبيه وأعمامه إلى جانب الدمناتيين لذين كانوا يناصرون السلطان المولى عبد العزيز، في الحروب ضد أكلاوة المناصرين لأخيه المولى عبد الحفيظ، وبعد هزيمة الدمناتيين نُفي أبوه إلى جزيرة الصويرة وصودرت أملاكه.

ولمّا بلغ الحسين نحو عشرين سنة من عمره، ذهب إلى فرنسا وهناك تعلم اللغة الفرنسية وأتقنها. وعاد إلى المغرب ليستقر بمراكش ويتعاطى فيها التجارة. ثم اتجه نحو ميدان التنقيب عن المعادن (الرصاص، المنغنيز...).

ويرجع له الفضل في اكتشاف منجم الكوبالط في بوازار، وبسببه ذلك تصادم مع القائد حمّو الأكلاوي، شقيق الحاج التهامي الأكلاوي، إذ رفضت إدارة الحماية الترخيص له باستغلال المنجم بدعوى أن المنطقة مازالت غير خاضعة، فهي غير مفتوحة للاستكشافات المعدنية.

اكتفى الحسين الدمناتي بأخذ أسهم في شركة المناجم التي أسستها شركة "أونا". ونتيجة لهذا الصراع الجديد مع حكام أكلاوة، اتجه الحسين الدمناتي إلى سهل سوس واستقر به في سنة 1932. ونظراً للروابط التي عقدها مع ج. إبينا صاحب شركة أونا، اهتم الحسين الدمناتي بالاستثمار في سهل سوس، وإقامة المزارع الأولى للخضر وإنتاج الموز في الضيعات المسيجة. ثم ركز أنشطته على إنتاج الخضروات وساهم في اهتمام المستثمرين بهذا القطاع وتطوره. وبما أن أكادير هي المنفذ الطبيعي لمنتجاته، فقد ساهم الدمناتي بنشاط كبير في تشييد الميناء.

وساهم أيضاً في ولوج العديد من مواطنيه ميدان الأعمال. ولهذا الغرض أسس في نهاية الأربعينيات شركة مساهمة داخل شركات (هولنيگ) سماها أيت سوس، التي يمكن اعتبارها مدرسة تخرّج فيها العديد من رجال الأعمال السوسيين، بعضهم أسس العديد من المقاولات بعد ذلك.

ووعيا من الحسين الدمناتي بأهمية القطاع البنكي في التنمية والاستقلال الاقتصادي للمغاربة، فكر في تأسيس بنك وطني ابتداءً من عام 1936، لكنه لم ير النور آنذاك بسبب العديد من العوائق، وأعاد الكرة من جديد في منتصف الأربعينيات، خلال انتداب إريك لابون في الإقامة العامة بالمغرب الذي لم يدم طويلاً، مما حدا بالدمناتي إلى نسيان مشروعه. ولم يتمكن من إظهار فكرته من جديد إلا في بداية الاستقلال بدعم من رجال المقاومة. وقد تمكن الدمناتي من جمع المساهمين المغاربة، لكن لم يتمكن من الحصول على حصص مساهمين أجانب، بسبب معارضة البنوك الموجودة في المغرب وتحرك حكوماتها تجاه الدول

المفترض مساهمة رأسمالييها في بنك الدمناتي. وبوصول عبد الرحيم بوعبيد إلى الحكومة كوزير للاقتصاد، تمكن الدمناتي من تحقيق مشروعه بخلق البنك الوطني للإنماء الاقتصادي.

خلال مرحلة النضال من أجل الاستقلال، لم يتخلف الحسين الدمناتي عن دعم المقاومين الذين كان على اتصال مباشر بهم، وساهم أيضاً في هذا العمل من خلال علاقاته المتعددة الأشكال مع الليبراليين الفرنسيين. في هذا السياق نشر الدمناتي مقالا في جريدة لوموند وفي المجلة السياسية والبرلمانية (L. Demnati, *Esquisse d'une politique franco-marocaine. - la double nationalité -*, *Revue Politique et Parlementaire*, 56ème année, n° 639, juin 1954) فكرة الجنسية المزدوجة، أي أن الفرنسيين المقيمين في المغرب (المستقل) لهم الحق في الجنسية المغربية، والمغاربة المقيمين في فرنسا لهم الحق في الجنسية الفرنسية، وهذا بدون فقدان الجنسية الأصلية. هذه الرؤيا تنطبق بعد مضي أربعين سنة على فكرة طلب المغرب الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، وهذا ما يدل على الرؤيا العولمية التي تتماشى والرؤيا الاقتصادية عند الدمناتي.

لم يتردد أندري آدم الذي ألف كتاباً عن الدار البيضاء، في تشبيه الحسين الدمناتي بروكفلير في أفكاره (كان الدمناتي بعيداً عن أن يساوي ثروة روكفلير) وكان لمحمد الخامس الكثير من العطف على الحسين الدمناتي. ففي سنة 1947، عند زيارة محمد الخامس لتارودانت نزل ضيفا هو وأفراد عائلته عند الحسين الدمناتي بدل باشا المدينة، وبعد الاستقلال كان محمد الخامس يستقبله باستمرار في القصر الملكي، وكان أيضاً على وشك النظر في ملف البنك الوطني، عندما فاجأت الدمناتي نوبة قلبية توفي على إثرها في 22 ربيع الأول عام 1380 / 14 شتنبر 1960 بالدار البيضاء.

**الدمناتي، علي أوحدُّو** قائد دمنات (1264 / 1848 - 1292 ـ 1875) أصله من قرية تعرمين القريبة من دمنات، هاجرت أسرته إلى جهات تارودانت وكان عليّ ملما بنصيب من التعليم أهله لأن يكون عدلاً في عسكر السلطان مولاي عبد الرحمان المرابط في تلك الجهات. تعرف عليه أحد قواد السلطان المذكور وهو علي الإيموري وكان مكلفا بمهمة إخماد فتن هناك.

قبل السلطان تولية عليّ أوحدو على دمنات بعد استقلالها عن قيادة السراغنة التي ثارت عليها قبائل دمنات عدة مرات، وذلك لأن القائد الجديد ليس غريباً عن المنطقة وليس من شيوخها الميالين إلى الاستبداد.

امتد حكمه على إنيولتان المحيطة بدمنات وعلى القبائل المجاورة ولكنه تجنب التدخل العنيف وآثر اجتذاب فلاحي تلك الجبال إلى إمغران ودرعة نحو سوق دمنات بدل الاستيلاء عليهم وتنفيرهم.

قضى علي أوحدو شيئاً فشيئاً على رؤوس الفتنة في الجبال الخاضعة له وكانوا استضعفوه في البداية. قام عليه أحماد أو سالم الفطواكي فقمعه بمساعدة الخليفة السلطاني مولاي الحسن سنة 1862. وثار عليه كطيوة وأخمد فتنتهم عند وفاة محمد ابن عبد الرحمان. وسبب هذه الفتن أن القبائل لم تتعود على قرب شديد لممثلي المخزن ومطالبة ملحة بالواجبات. وثار عليه الحاج إبراهيم شيخ تودنوست فقبض عليه وأهله وأرسلوا إلى سجن العرائش والصويرة.

في عهد عليّ أوحدو بُني سور دمنات من أوقاف المسجد وإسهام السكان. وبالإضافة إلى تركيز سلطة المخزن في ولتانة وفطواكة وغجدامة فإن أوحدو أوقف أو أخر تنفيذ أطماع قواد اكلاوة في دمنات.

أ. التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، إنيولتان، الدار البيضاء، 1978.

أحمد التوفيق

**الدمناتي علي** بن **سليمان** ← **البُوجمعويّ**

**الدمناتي، محمد** بن **عبد الكبير**، يعرف بابن كبور رجل دولة اشتهر في عهد مولاي عبد العزيز (1894 - 1908) وفي عهد أخيه مولاي عبد الحفيظ (1908 ـ1912). وقد ترقى في خدمة المخزن إلى أن عين وزيراً أكبر.

ينتمي محمد بن عبد الكبير إلى أسرة من مدينة دمنات، حيث كان أبوه متولياً لخطة الحسبة. ويظهر أنه انتقل إلى مراكش بعد وفاة والده في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859 ـ 1873). وبمدينة مراكش خطا ابن كبور كما كان يلقب خطواته الأولى في ميدان الحياة السياسية والثقافية.

كانت لابن كبور معرفة كافية بالعربية وآدابها، كما تميز بحسن الخط وإتقان فن الكتابة والترسل ؛ زيادة على ما وعاه من ثقافة عامة. الأمر الذي أهله لدخول خدمة المخزن التي ظل فيها إلى وفاته سنة 1911.

كانت أولى خطوات ابن كبور نحو الخدمة المخزنية، على يد القائد إبراهيم الأجراوي باشا قصبة مراكش. فقد عينه الباشا أولاً ضمن حرسه، ثم ما لبث أن رقاه إلى كتابته الخاصة. ويبدو أن ثقافة ابن كبور التي طعمها بمعرفة صوفية كافية وحذقه لمهنة الكتابة الديوانية، قد أهلته ليزوجه الباشا ربيبته الباتول، ثم بنته بعد وفاتها.

وبعد وفاة الباشا إبراهيم الأجراوي، خدم ابن كبور مع الحاجب أحمد بن موسى البخاري في الكتابة ثم في أمانة الصائر على مطبخ السلطان. وسرعان مارقاه إلى الكتابة في بنيقة الصدارة ثم في كتابة وزارة الحربية.

ثم عين محمد بن عبد الكبير على باشوية القصبة وأعمالها وبذلك عاد للعش الذي شهد فيه أيام عزه الأولى. وبذلك كسب الرجل ثروة عريضة. وبفضل الوظائف التي تولاها، تدرب على أمور السياسة المخزنية ودسائس البلاط، وأصبح من أهل الحل والعقد، الذين عليهم مدار سياسة مراكش وأحوازها. بعد أن كان قد جاءها هارباً من دمنات خائفاً يترقب.

وبما أن مراكش كانت هي العاصمة الثانية ومقر حكم خليفة السلطان بالجنوب. وبما أن باشا القصبة كان مكلفاً بمراقبة الخليفة، حسبما جرت به العادة المخزنية "من أن الباشا يكون على الخليفة عيناً وأذناً". ولا يساعده فيما لم يعط فيه "رخصة وإذناً" فإن علاقة ابن كبور لم تكن على ما يرام مع الخليفة السلطاني مولاي عبد الحفيظ الذي تولى الخلافة عن أخيه بين 1902 ـ 1907.

كان الخليفة عالماً وأديباً وشاعراً وسياسياً ذا طموح كبير، وقد اصطدم مع ابن كبور الذي رفض مسايرته، خاصة لما ساءت علاقات الخليفة مع السلطان، وبدأت عقارب الوشايات والدسائس تتمشى بين الطرفين.

والواقع أن باشا القصبة التي تحوى القصور السلطانية، ومخازن السلاح وثكنات الجند، لم يكن غريباً عن توصيل الأخبار التي لا ترضي الخليفة إلى بلاط فاس، ولا عن معاكسة سياسته. والملاحظ أن الخليفة ـ بالرغم من ذلك ـ لم يبادر إلى مقاطعة الباشا، بل صمم على سلوك كل السبل التي توقعه في حبائله والتي تجره إلى جانبه وولائه.

وهكذا ففي الوقت الذي أحكم فيه عبد الحفيظ سلطته على الحوز وروابطه مع زعمائه. وتأكد تطلعه للملك بتأييد كبار القواد، نجد محمد بن عبد الكبير يميل مع التيار وينحاز للجانب الحفيظي ويقبل التعاون معه.

وبدون شك، فقد حرص الخليفة على كسب ولاء الرجل، لمعرفته بشؤون المخزن ولاطلاعه على عوائده. ولأنه كان القائد الأعلى لجيوش المخزن بمراكش. كما يبدو أن حالة الاضطراب والفوضى التي أصبح عليها المغرب دلت على عجز السلطان بفاس وأقنعت ابن كبور بالبحث عن سند داخل السلطة الجديدة.

بايع ابن كبور مثله مثل غيره من أهل الحل والعقد بمراكش عبد الحفيظ بالملك سنة 1907. وفي مقابل هذا الانحياز عين وزيراً أول في المخزن الجديد كما عين ابنه في حجابة السلطان الجديد.

ونظراً للشروط التي تحكمت في موالاة ابن كبور للسلطان الجديد، ونظراً كذلك، لعدم وجود عصبية يستند إليها، لم يكن لابن كبور من الوزارة إلا الاسم. إذ اكتفى بالأمور البروتوكولية وبأمور المراسلات مع الرعية ومع الخارج. وتؤكد مراسلاته ـ بالفعل ـ ما ذكرناه من امتلاك الرجل لناصية الإنشاء والترسل ومعرفته بقواعد الملك وعوائده.

ولقد بدأ نفوذ محمد بن عبد الكبير في التراجع، ونجمه في الأفول، حالما حل المخزن الجديد بفاس في أواسط 1908. إذ سرعان ما أخر ابن كبور إلى وزارة الشكايات، ثم نزلت رتبته إلى أمانة الصائر، حيث تجرع المرائر. فاستعفى من المنصب متعللا بالشيخوخة والعجز فسوعد على طلبه سنة 1910.

ويظهر أن نزاهة الرجل أو قل ورعه، ساعده على حيازة ظهير سلطاني طويل. نوه فيه عبد الحفيظ بخدمات ابن كبور ومنحه التوقير والاحترام لشخصه ولمن تعلق به وفي 13 محرم عام 1329 /14 يناير 1911 وافاه الأجل المحتوم بمدينة مراكش موطن استقراره.

ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج 7 ؛ م. غريط، *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، 1346.

Archives diplomatiques de Nantes (France).

علال الخديمي

**الدمناتي، محمد** بن علي المسفيوي ولد بمدينة أسفي حوالي سنة 1280/ 1863 في بيت لم تكن له علاقة بالذكر أو المحلون، إذ كان أبوه حداداً. ابتدأ بحفظ القرآن ثم أخذ مبادئ اللغة والدين. كان ملازماً لحلقات الذكر العيساوية فحفظ قصائد كثيرة من هذا النوع وانطلق ينظم قصائد في الذكر تحت رعاية شيخه المبدع الطالب بنسعيد الروداني.

أثناء أدائه لفريضة الحج اتصل بشخصيات راقية من الدولة التركية. رافقهم إلى بلدهم قصد معالجة مصابة بمرض الأعصاب نجح في مهمته فذاع صيته وأصبح يعرف عندهم بالطبيب النفساني.

عاد الدمناتي إلى المغرب حاملاً معه توصية باسم رجال الدولة التركية لسفارة انجلترا بطنجة. فدخل في عداد رعايا الأتراك. وبذلك استفاد من الامتيازات الأجنبية. ولما عاد إلى أسفي احترف التجارة. غير أن علاقته بالسلطات الفرنسية لم تكن علاقة طيبة. فمع بداية الحرب العالمية الأولى سنة 1914. بدأ الفرنسيون يلقون القبض على رعايا الألمان والأتراك. ولما وصل الخبر إلى الدمناتي فر خفية إلى مراكش. ورغم جهود سلطات الحماية لم يتمكنوا من القبض عليه، فألقوا القبض على صهره وعائلته مقابل استسلامه، فسلم نفسه إلى حاكم مراكش وجيء به إلى أسفي ومثل أمام محكمة عسكرية. حكمت عليه بالسجن مدى الحياة. فنقل على إثر ذلك إلى سجن العادر بالجديدة حيث ذاق العذاب الشديد.

ولما علم بأن المارشال ليوطى المقيم العام آنذاك سيزور السجن نظم قصيدة يمدح فيها الجنرال ويرجو عفوه. وفعلاً أطلق الجنرال سراحه شريطة الإقامة الإجبارية في الرباط وسلا وعدم العودة إلى آسفي.

استقر الدمناتي بسلا وأقام بدار شيخ شيوخ الملحون الحاج إبراهيم الطرابلسي. الذي كان له ناد يلتقي فيه

الأعضاء لمناقشة أمور الدين والملحون والقضية الوطنية وغيرها.

عاد إلى أسفي سنة 1928 لزيارة أهله وأصدقائه ثم رجع إلى سلا متابعا مسيرته الإبداعية وسط تلاميذه ورفقائه إلى أن توفي سنة 1350/ 31 ـ 1932 عن سن تناهز 70 سنة.

اشتهر الدمناتي بنظمه لقصائد فريدة أدخلت الجديد إلى فن الملحون وذلك بطرقه لأبواب ومواضيع لم تكن متداولة بين رجالات الملحون. تميزت بدقة في فن التصوير وبالاجادة فيه. وأصبحت لشاعرنا مكانة خاصة عند رجال سلا. إذ كثر حفاظه وتلاميذه مثل الشيخ أحمد بن غانم الذي كان ينعت بديوان المسفيوي المتنقل، والمعلم بن عيسى وغيرهم.

أما آثاره فهي غزيزة ومتميزة منها قصائد كثيرة خالدة في الذكر العيساوي، وقصائد غنية في الملحون تعد نوعاً جديداً في الإبداع والتجديد وأهمها قصيدة الطوموبيل التي مطلعها :

سعدي زارتني خليلتي الغزال أم دلال
وزهينا بعد الفراق وركبنا طوموبيـــل
وتسارينا بالجميع فالدنيا عرض وطول

طاف بهذه القصيدة القارات الخمس ؟ وزار قبة النبي ومناطق أخرى من العالم.

ومن قصائده الجميلة، قصيدة خدوج المنارة والخال وغيرها.

أ. معنينو، *الشيخ الدمناتي المجدد المبدع في فن الملحون*، مجلة *البحث العلمي*، عدد 28، 1977، ص. 346 ـ 365.

علال ركوك

**الدندون** (بلاد ـ)، تعني كلمة "الدندون" بالعامية المغربية، الأرض الثقيلة، أي الأرض المرتفعة الأطراف مع ما جاورها من أشكال تضاريسية. ومن مميزاتها الانبساط وسمك التربة وخصوبتها، وهي إما سوداء اللون "التيرس" أو بيضاء "بياضي". كما تتميز بكثرة الأوحال خلال فصل الشتاء الممطر. وتسمى كذلك في بعض الجهات بـ "الكعدة". إلا أن هذا المصطلح يتعدى هذا المفهوم ليعني منطقة معينة وساكنة بذاتها.

فبلاد الدندون، تجمع سكني صغير، تابع لجماعة سيدي الطيبي، إقليم القنيطرة، وهي مركز غابوي، بلغ عدد سكانه سنة 1936 : 14 ساكنا، 8 منهم فرنسيين و6 مسلمين.

وأورد الحسن الوزان في كتابه *وصف إفريقيا*، ج1، وصفا لمدينة أدندون، "مدينة صغيرة، مبنية بين تلال على بعد نحو خمسة عشر ميلاً من الأطلس وخمسة وعشرين ميلاً من (مدينة النخيلة)، كل هذه التلال صالحة لزراعة القمح، وتنبع من سور المدينة عين ماء في غاية الجودة [...] ويمر ماء العين بين صخور ليجري في واد يقال إن فيه مناجم كان يستخرج منها الحديد بكثرة [...]" وإذا كانت هذه المدينة غير معروفة الآن فهناك من يعتقد أنها آيت عمار الحالية باعتبار وجود عين ماء ومنجم حديد ؟ !.

وجاء في *يتيمة العقود الوسطى*... لمحمد بن عبد الكريم العبدوي (المتوفي سنة1187 / 1775) عن أبي العباس أحمد بن القاسم التادلي الصومعي : "وإن دكالة دار صلاح وولاية وأن الأجداد أول ما نزلوا بها في المغرب واستوطنوا أرضها [...] وأما وطن هؤلاء السادات الذين نزلوا من تادلا فاستوطنوه وتمرغوا في تربته وسكنوه فهو أدندون ببلد ورديغة". ويقصد بذلك الجزء الشمالي من تادلة العليا أو ما عرف بتادلة الرسمية. ويعني قبيلة بني خيران الشرقية ومجموعة بني منصور ومجموعة شرفاء أيت عمار. وقدر عدد سكان هذا الإقليم إبان التدخل الفرنسي بـ 1316 خيمة موزعة على الشكل التالي :

| | | |
|---|---|---|
| بني خيران الشرقية | أولاد بوغادي | 700 خيمة |
| | أولاد فتاتة | 20 خيمة |
| | بني منصور | 256 خيمة |
| | شرفاء أيت عمار | 160 خيمة |

وشكلت هذه المنطقة خلال فترة الحماية قيادة قائمة بذاتها، تابعة لدائرة وادي زم. مجاورة لقبيلة "السماعلة" شرقاً ولزعير شمالاً ولورديغة من الجنوب أما من الغرب فامتدت بنو خيران الغربية والشاوية، واشتهرت المنطقة بزراعة الحبوب وتربية الأغنام واستغلال منجم الحديد بآيت عمار.

ح. بن محمد الوزان، *وصف إفريقيا*، ج. 1 ؛ م. بن عبد الكريم العبدوني، *يتيمة العقود الوسطى*..، مخطوط.

R. Peyronnet, *Tadla, pays Zaïan, Moyen Atlas*, Alger, 1923.

صالح شكاك

**الدندون**، (في الموسيقى) طبل كبير الحجم تستخدمه فئة الحراطين الذين يستوطنون مناطق من الأقاليم المغربية الجنوبية، خاصة منها منطقة تكنة التي تمتد من الهضاب السفلى لجنوب الأطلس الصغير وحتى الحدود الجنوبية للساقية الحمراء.

يعرف الدندون أيضاً بطبل الكونتا ويجري استخدامه كآلة إيقاعية في مصاحبة العروض الموسيقية ومرافقة رقصات الحراطين كرقصة "تاونة" التي يحيونها في تامكروت عند غروب اليوم الذي يختم فيه سرد "سيدي البخاري" بالزاوية الناصرية.

ع. العزيز بن عبد الجليل، مجلة *المناهل*، عدد خاص بالأقاليم المغربية الجنوبية، رقم58 مارس1998، ص. 416 و423.

Odètte de Pigadeau, H. T., vol. IX, Fas. 3, p. 347, 1968.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**ابن الدّنيا**، أسرة تطوانية أصلها من مدينة دانية Denia بالأندلس وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ؛ غير أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت توجد بحومة الطرانكات دار تعرف بدار ابن الدّنيا.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1571.

محمد ابن عزوز حكيم

**دنْيان** (سيدي -)، قبر كبير يبلغ طوله أزيد من عشرة أمتار ويعرف كذلك تحت اسم "قبر النبي". موقعه بالقرب من شاطئ المحيط جنوب مدينة أسفي بالمكان المعروف بجرف اليهودي. تروى حكايات غريبة حول دفينه العملاق الذي يعتقد سكان المنطقة أنه نبي الله "دنيال"... ويتفق جل الباحثين على أن هذا القبر (أو ما يشبه القبر) قديم جدا وربما شكل بقايا أحد معابد أهل المنطقة قبل اعتناقهم الدين الإسلامي. ويدعم هذا الافتراض أنه يوجد بجواره عدد من الأحجار الضخمة التي ربما كانت قطعاً من بنايات بعض المعابد... وكان بعض الباحثين الفرنسيين قد اكتشفوا بالقبر بقايا تمثال حجري في شكل إنسان، ربما كان تمثالا لأحد الآلهة في هذه الناحية قبل انتشار الإسلام بها.

وحسب ما يمكن استنتاجه من مختلف الروايات الشفوية فإن تاريخ "سيدي دنيان" يعود إلى عهد البرغواطيين الذين ينعتون في جميع الحكايات باليهود. فحسب بعض هذه الروايات "إن سكان هذه المنطقة كانوا يدينون باليهودية، وكان معبدهم الرئيسي يوجد بجرف اليهودي". ولما طغى كبير كهنتهم ونشر في الأرض الفساد أرسل الله من مكة نبيه "دنيال" وكان عملاقا. فجاء لمحاربته... ولقد استطاع بالفعل القضاء عليه ونشر الدين الإسلامي في هذه الربوع... .

ومما لا شك فيه أن هذه المنطقة عرفت في القديم تعاقب عدة حضارات وديانات وأنها كانت مسرحا لكثير من الأحداث المهمة... غير أن تاريخها يبقى مجهولا. وتبقى المراجع تنحصر في عدد من الخرافات والحكايات الممتعة والعجيبة.... ولن يُعرف ماضي هذه الناحية إلا باللجوء إلى وسائل أخرى للبحث كالتنقيب الأركيولوجي مثلا...

*بحث ميداني، روايات شفوية.*

E. Doutté, *En tribu*, Paris, 1914.

عبد الرحيم العطاوي

**دنْيَة**، أو دينْيَة أسرة رباطية أصلها من الأندلس من مدينة دانية، وأول من ذُكر منها حسب المصادر المتوفرة هو محمد دينية الذي عاش أوائل القرن الثاني عشر أواخر (17 م) الذي تفرعت عنه أسرة برز منها العديد من العلماء والفقهاء تقلدوا خطة القضاء و الإمامة والعدالة، وكان منهم أهل صلاح ومتصوفة. ولم تذكر المصادر ذاتها أفراداً آخرين غير محمد المذكور إما لأنهم لم يبرزوا بعلم أو بوظيفة هامة وإما لأنهم لم يوجدوا أصلا. فيكون محمد حينئذ هو الجد الوحيد لهذه الأسرة بالرباط، وقد عاصر المولى إسماعيل وربما عاصر من قبله ومن بعده إذ لا تعرف سنة وفاته.

وبرز من أسرة دنية بعد ذلك بالإضافة إلى من سيذكرون عدد من الفقهاء والامناء أمثال : محمد اليابوري بن المختار دنية المتوفى عام 1363/ 1944 والذي تردد على دروس العلم وحلقاته في المساجد والمدارس وتعاطى الموسيقى الأندلسية والعزف على بعض آلاتها. وتولى الكتابة والأمانة في مرسى أسفي وانتقل إلى الصويرة كأمين بها وإلى أگادير كناظر.

ومثل التاجر العدل عبد العزيز بن عمر دنية المتوفى سنة 1373/ 1956 ؛ والمعطي بن محمد دينية، المتوفى سنة 1351 /1932 وكان من نبغاء الطلبة، ومثل العباس بن التهامي دينية وهو من فقهاء الرباط وعدوله الموثقين وقد توفي بالدار البيضاء سنة 1350 / 1931 ودفن بالزاوية الفتحية التي كان من فقراء طائفتها.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص ص. 98- 51- 50- 232- 233- 372 ؛ ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، ص ص. 429. 454 - 458 - 463 - 182 ؛ م. بن علي دينية، *مجالس الانبساط*، ص ص. 93- 184- 234- 253- 260- 269- 273- 287- 301- 306- 322.

**دنية، أبو بكر** بن أحمد، عم صاحب *مجالس الأنبساط* تعاطى في أول أمره للتجارة واستخدم أمينا بمرسى الصويرة فأمينا بمراكش - كان درقاويّ الطريقة، توفي في 13 ربيع الأول 1331 /20 فبراير 1913 ودفن بضريح مولاي المكّي بالرباط.

**دنية، أحمد** بن علي آتي الترجمة : ولد بالرباط وبه نشأ وحفظ القرآن، ودرس مبادئ العلوم، ثم رحل إلى فاس وأخذ عن علمائها مثل عبد الرحمان السجلماسي وعبد القادر الكوهن بالقرويين. اشتغل بالتدريس وكانت له دروس بمسجد القبة في الأشهر الحرم بأمر من الخليفة السلطاني مولاي أحمد العلوي الذي كان يحضرها والخليفة من بعده مولاي رشيد. وكان أيضاً مفتياً وأسندت إليه الخطبة بجامع السوق - وانخرط في الطريقة المختارية، وكان في بدايته يتعيش من نساخة الكتب، وكان يفصل في عدة قضايا تصله من المخزن بأمر سلطاني مما كان يغيظ القاضي عبد الرحمان البريبري. عمل مستشاراً لعامل الرباط محمد السويسي ثم كابنه عبد السلام السويسي وترك عدة تآليف، منها ختمة على *مختصر خليل وشرح همزية المديح*،

وفتاوي. وفيه ألّف حفيده محمد بن علي بن أحمد دنية كتاب *النسمات الندية من نشر ترجمة أبي العباس أحمد دنية*.

توفي يوم الجمعة6 صفر 1282 / 30 يونيه 1865.

**دنية، علي** بن أحمد والد مؤلف كتاب *مجالس الانبساط*، وأعلم شخصيات هذه الأسرة. كان مدرساً خطيباً متضلعاً في علوم وقته من نحو ولغة وحساب وحديث وفقه. أخذ العلم عن أحمد بن العربي الغربي وأحمد بن الغازي والطاهر ضاكة وغيرهم. ومن تلامذته أخوه محمد والجيلاني بن إبراهيم وأحمد جسوس وأحمد الزعيمي وعبد القادر لبريس وأحمد القادري والحاج محمد بن عبد الله قديرة وغيرهم كثير.

كان ولوعا بالنساخة تعيش منها في البداية كذلك. تقلد الخطابة بجامع السوق، رشح للكتابة مع القائد عبد السلام السويسي عوض والده وعدلاً بالمرسى، كما اشتغل بالشهادة والتوثيق. وترك تآليف عديدة، مثل *شرح على الهمزية*، وخت*مة للألفية*، ورحل*ته الأندلسية*، ومجموعة *خطب جمعية*، لم يرغب في إعطاء الفتوى في أول أمره، ولم يتعاطا إلا بأمر سلطاني. سافر مع القائد عبد السلام السويسي الذي توجه سفيراً إلى إسبانيا سنة1294 / 877 وبعد رجوعه رشح بعد وفاة القائد عدلاً بمرسى طنجة. وفي سنة 1316 / 1899 تولى القضاء بالرباط فكان يخرج لمقصورة الأحكام مرتين في اليوم.

توفي بالرباط سنة1325 / 1907 ودفن بالزاوية الدرقاوية.

**دنية، محمد الصوفي** العالم، درس في مسقط رأسه على الشيوخ إبراهيم التادلي وعمر عاشور وعلي دينية والمكي البطاوري وزين العابدين بناني، ثم رحل إلى فاس وأخذ عن علمائها قبل أن يشتغل بالتدريس. ويتعاطى الشهادة مدة طويلة.

رشح عدلاً بمرسى الجديدة، ثم انتقل في آخر عمره إلى الدار البيضاء وتوفي بها في أوائل ربيع الأول 1332 / أوائل فبراير 1914. ونقل إلى الرباط حيث دفن خارج باب لعلو بمقبرة سيدي الخطاب. وله تآليف منها *حاشية على بعض شروح شيخه إبراهيم التادلي*، *تأليف في سيرة النبي* (ص) *ختم على الأجرومية*.

**دنية، محمد** بن **علي** أشهر أفراد هذه الأسرة، تلقى تعليمه الأولي على يد والده ثم على يد مشايخ الرباط أمثال: المكي البطاوري ومحمد بربيش والمهدي متجينوش والجيلاني بن أحمد بن إبراهيم وأحمد بن قاسم جسوس والهاشمي الحجوي وغيرهم. وحج سنة1327 / 1909 وسنة 1335 / 1917 فالتقى بشخصيات علمية بالحجاز ومصر وبلدان عربية أخرى فأخذ عن البعض أمثال الشيخ فاتح بن محمد الطاهر.

وعندما آنس منه والده مقدرة ودراية وسنه لم يتجاوز الثامنة عشرة، عام1317 / 1899 دفعه إلى مزاولة التدريس، وفي سنة1323 / 1905 رشحه لخطة العدالة والتوثيق بموافقه شيخه القاضي البطاوري. وكلف بخطه الجمعة بجامع السوق، فبرهن على فصاحة وشجاعة أدبية وبيان مما جعل أحد أغنياء الرباط من أصدقاء أبيه يهب له عقاراً مكافأة له. في سنة 1333 / 1314 رشح لمزاولة العمل بالمجلس الجنائي بصفة نائب عضو تم عضواً في المحكمة العليا بقسم الاستئناف تم نائبا عن الرئيس بها. عرف بالتواضع في اللباس وبالإحسان إلى الضعفاء، وقد رزئ بوفاة ابنه المعطي الذي لم يتجاوز الخامسة والعشرين سنة 1933 مما أثر فيه غاية التأثير فضعف بدنه وزاد في ذلك فقدانه زوجته القائمة على خدمته وذلك بعد أربع سنوات فقط على فجيعته الأولى فازداد أسىً وانهياراً.

له مؤلفات عديدة طبع معظمها في حياته:

- *اختصار القول المحرر التام في الكلام على سنة السلام*، الرباط، 1355 هـ.
- *الاسرار الممتزجة بغاية المنفرجة*، الرباط، 1347 هـ.
- *الأقوال الحسان الراقية في الأجوبة المختارة السامية*، الرباط، 1356 هـ.
- *بهجة الأرواح بذكر خطاب النكاح*، الرباط، 1955 هـ.
- *تحرير المناط والمسالك في أن التصوف بالمعنى المصطلح عليه كان زمن الإمام مالك*، الرباط، 1355 هـ.
- *تحفة ذوي الاختصاص في مواقع الباء بعد مادة الاختصاص*، الرباط، 1347 هـ.
- *الذخر الأخروي في الكلام على السهو النبوي*، الرباط، د. ت.
- *ذرة المجد ومنهل الورد ودليل السعد لمن يريد تحقيق التكلمين في المهد*، الرباط، د. ت.
- *السر الساري من ثلاثيات صحيح الإمام البخاري*، الرباط، 1350 هـ.
- *السلسلة الذهبية من الحديث المسلسل بالأولية*، الرباط، 1356 هـ.
- *العقد المنظم في ذكر اسم الله الأعظم*، الرباط، د. ت.
- *القول المحمود في المسائل التي تنعقد فيه الركعة بالسجود*، الرباط، 1348 هـ.
- *كمال العطية بإعراب كلمات من العربية*، الرباط، د.ت.
- *منن المتعال في ختم لامية الأفعال*، الرباط، 1349 هـ.
- *النسمات الندية من نشر ترجمة أبي العباس أحمد دنية*، الرباط، 1355 هـ.
- *النور المستبين من أحاديث سيد المرسلين*، الرباط، 1354 هـ.

- *واسطة العقد النضيد في شرح حديث التجديد*، الرباط، 1347 هـ.

وترك مؤلفات أخرى مخطوطة في اللغة والنحو والرحلات، منها : "*نشر الأعلام بإتمام المرام في ذكر مراحلنا إلى مصر والحجاز والشام*" و"*التحفة العنبرية في الالغاز الفرضية*"... وأوصى بطبع كتابه *مجالس الانبساط في تراجم علماء الرباط* وخصص لطبعه مبلغاً من المال، لكن طبع هذا الكتاب تعذر بسبب قلة الورق وقت الحرب العالمية الثانية إلى أن تحقق مؤخراً سنة 1986 على يد قريبه مصطفى الغربي.

توفي زوال يوم الأربعاء 16 شوال1358 / 29 نونبر 1939 ودفن بالزاوية الدرقاوية بمنحدر الحرارين.

**دنية، محمد الفقيه** الخطيب الشاعر، اشتغل في البداية بالنساخة ليتعيش منها، ثم تعاطى للتجارة بعد ذلك وأصبح عدلاً أيام نائب القاضي محمد بن إبراهيم الذي ألزمه بعدها بالتدريس، وهو أستاذ الشيخ محمد المكي البطاوري. تولى الخطابة بجامع مولاي سليمان. وله اشعار ومقطعات وكان العلامة الصوفي فتح الله بناني يسرد بين يديه *صحيح البخاري* بالمسجد الأعظم بين الظهرين. اشتغل عدلاً بمرسى الدار البيضاء وطنجة والرباط وبدار عديّل بفاس. وكان يرافق غالباً في هذه الخدمات القاضي العلامة عبد الله بن خضراء السلاوي.

توفي في فاتح محرم عام 1326 / فبراير 1908 ودفن بالزاوية المختارية :

الإدريسي، إدريس بن الماحي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 3070، وقد سماه - خطأً - محمد بن أحمد.

عبد الإله الفاسي

**الدُّهري، عبد السلام** بن عبد الرحمان التطواني، الفقيه العلامة العدل المقرئ المجود الخطيب الميقاتي الموسيقي. ولد بتطوان حوالي عام 1247 ونشأ في حفظ وصون، وحفظ القرآن والمتون المعتادة وأخذ عن أشهر علماء بلده : كالفقيه القاضي الشهير محمد بن علي عزيمان، والعلامة المفتي أحمد بن محمد السلاوي، والعلامة الورع محمد النجار، والعلامة الشريف أحمد البقالي، وكان يحب المترجم له كثيرا، وغيرهم. ومن الجدير بالذكر أن شيخه السلاوي أخذ عنه فن القراءات.

ولما استشار شيوخه في السفر إلى فاس للمزيد من طلب العلم، أشاروا عليه بالتخلي عن السفر، وقال له شيخه السلاوي : لقد أدركت من العلم ما كان لك أن تدركه، وخير لك أن تتزوج وتنقطع للإقراء، فاشترى داره المعروفة بوطية ابن قريش بحي العيون، وتزوج امرأة من عائلة (الطرمو) الجزائرية كانت قدمت مع قومها مهاجرة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وتولى الخطابة والإمامة بجامع الباشا بتطوان، والتدريس بمدرسة القاضي ابن قريش القريبة من دار سكناه (وهي ثاني مدرسة بتطوان) فأخذ عنه كثيرون خصوصاً القراءات والتجويد والنحو والصرف والتوقيت.

ولما ورد تطوان السيد أحمد الخضر السلاوي عاملا عليها عام 1283 اختار المترجم له لمجالسته وسرد الحديث بين يديه، وظل معه على الوسم المذكور إلى أن توفي، ثم صحب ولده كذلك القائد محمد السلاوي إلى أن سافر من تطوان عام 1315 وخلفه القائد إدريس بن يعيش فاختاره مؤدبا لأولاده إلى أن سافر عام 1319 ثم خلفه القائد قدور بن الغازي فصار معه كذلك، وهو مع هذا عدل رضى يتعاطى الشهادة إلى أن عجز عن القيام بتلك المهام كلها بعد أن ابتلي بمرض التهاب البروستات فقضى حميدا طيب الذكر، لما كان يمتاز به علاوة على ما ذكر من خفة الروح، وطيب النكتة وحلو النادرة مازال الناس يتناقلون نوادره.

كانت وفاته في شهر شوال عام 1322/ دجنبر 1904 - يناير 1905 وخلف ولدين وبنتين. أحد الولدين شيخنا الفقيه المجود السيد الحاج أحمد. رحم الله الجميع.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 6 :15 — 147 ؛ *معلومات خاصة* من حفيده الأستاذ عبد السلام الدهري.

محمد الأمين بوخبزة

**الدهس**، نوع من أنواع التربة حسب التصنيف الأهلي المغربي للأتربة. لا يوجد له مقابل يميزه بالذات في التصانيف العلمية الرائجة رغم أنه من أجود الأتربة في سياقه المجالي، يقدم خدمات نوعية تامة التكامل مع الأتربة المرافقة له. وهو في ذلك، شأنه شأن التيرس مثلا، يؤكد حاجة البلاد المغاربية إلى تصنيف ترابي علمي خاص بها يثمن مقوماتها المتميزة.

الدهس معروف على الخصوص في سهل الغرب.

يدخل في المتوالية الترابية التي تنطلق من محاور الأنهار إلى عمق السهول البينهرية. حيث إنه، في وضعه النموذجي، يشكل الشريط الموازي للمجاري. يزيد عرضه بقدر أهمية النهر ونشاطه في تحريك الغرين.

يتميز عن باقي الأتربة المجاورة بخشونته النسبية، حيث إن غالبية قوامه النسيجي تتكون من الطمي، وكذلك باللون الرمادي المصفر الذي يطبع مجالاته الواسعة ويسهل عملية التعرف عليها بمجرد المعاينة البسيطة.

بقدر الابتعاد عن المجاري المائية والاقتراب من جوف المنخفضات البينهرية، تصبح عناصر القوام النسيجي أكثر دقة، ويزيد الطين، وتدكن الألوان إلى الرمادي ثم إلى الأسود، ويتحول الدهس، بتدرج بطيء، إلى دهس متزايد

الترس، ثم إلى تيرس حقيقية وأخيرا إلى المروج الغدقة ذات الأتربة الميهة.

يمثل سهل الغرب الوضعية النموذجية لهذا النوع من المتواليات الترابية المرتبطة بحركية المجاري النهرية داخل السهول الفيضية التي يحكمها التهدل.

فمعلوم أن الأراضي من حول مركز التهدل، في وسط المنخفضات، تغلب عليها الميهة التي تتحكم في تطورها فتجعلها صالحة لاستنبات الكلإ، توفر العلف للمجترات الكبيرة.

أما المجالات التيرسية البينية، الواسعة الامتداد، فهي بامتياز أراضي الزروع الخصبة.

ولو لم تكن الدهوس في عالية هاذين المجالين، لبقيت السهول الفيضية فضاءات عراء صرف، لا شجر فيها، متخصصة في إنتاج الحبوب وفي تربية الماشية الكبيرة.

الدهس وحده يسمح بقطع الآفاق وتنويع المشاهد الزراعية، حيث يعطي النباتات الشجيرية والبخيليات الكبيرة ذات التجذر العميق ومن ضمنها حقول قصب السكر فوق أنواع الدهوس المختلطة. أما في صيغته النموذجية الصافية، فإن الدهس يحمل جنان الأشجار من حوامض وزياتين ووورديات.

في صيغته الصافية، المخففة من الأطيان، يتميز الدهس بنسبة طينية تقل عن الثلث، ونسبة كلس بمقدار العشر تقريبا، وهو طمي في ما عدا ذلك قليل الترمل.

لكن على طول الأنهار، تصير المسكات العلوية من الدهس أكثر غنى بالرمال. يتزايد نصيب هذا الدهس الأخشن في الأطناف المرافقة لضفاف نهر سبو وكذلك في وسط السهل حيث يُصطلح على وجود الدلتا الداخلية لنهر بهت.

محاولة التصنيف العلمي، حسب النموذج الفرنسي مثلا، لن تعطي أكثر من أنها أتربة ضعيفة التطور ذات أصل ثقيل غريني. وهي كناية باهتة لا تعبر عن القيمة الحقيقية للدهس.

والواقع أن الدهس مادة جيومرفلوجية أكثر من أنها مادة ترابية تخضع لمقاييس التطور الترابي المتعارف عليها. فهي نتاج تغرين وتحديث مستمرين للقطاعات. تحملها الأنهار من الجبال المكتنفة، وخاصة من الريف الأوسط، تنشئ بواسطتها سلائل للأنهار العابرة للسهل الفيضي. ونظرا للتواكب الحاصل بين تهدل السهل وغزارة المنقولات التي تستوردها الأنهار إليه، فإن سلائل الأنهار جاءت معلقة بالمقارنة مع المنخفضات البينهرية الرحبة.

يشكل الدهس مادة التراكم الأساسية التي تسند الأنهار وتجعلها، على خلاف الأوضاع المورفلوجية المتعارف عليها، تجري في أسرة غرينية توجد على ارتفاع أعلى من السهول التي تعبرها. من ذلك ضراوة الفيضانات التي تغمر البينأنهار، ولا تستطيع العودة إلى مجاريها بعد انقطاع أسبابها نظرا لهذا التشكيل الذي يبدو شاذا.

التشكيل هنا ليس شاذا بقدر ما هو نوعي يخص السهول الفيضية النشيطة، ويسمح في الواقع بتطورها تطورا إيجابيا. فلولاه لأفضى التهدل البنائي إلى هبوط مستمر للسهل من شأنه أن يحول منطقة الغرب الغنية إلى أراضي وطيئة، أدنى من مستوى سطح البحر، مؤذنة بغمر بحري يأتي على السهل ليجعل منه أعمق وأوسع خليج في الساحل المغربي.

حدوث أمر كهذا ليس في الواقع إلا رجوعا للوضع الأصلي للمنطقة قبل أن تقوم الأنهار بعمليات الإطار الغريني، التي عبأت الخليج البحري وحولته إلى مجال قاري سهلي ذي نزعة تهدلية بشيطة. وفي الوضع الراهن. عملية التعبئة الغرينية لازالت مستمرة، هي التي تسمح بتعويض الهبوط البنائي. وهي بالذات آليات تلئيم السهل الفيضي بواسطة المواد الدهسية التي تحملها الأنهار.

إطماء السلائل النهرية وتعليقها هو السر في أهمية الفيضانات وعموميتها واتساع رقعتها إلى حدّ ظهورها بمظهر البحار المتوسطة للقارة. هذه الفيضانات، المتفاوتة الأهمية، تحمل دائماً مقادير هائلة من الطمي ترسبها في المنخفضات البينهرية معوضة النقص في الارتفاع الذي يُحدثه التهدلُ.

الآلية العامة الموصوفة هي آلية الرأب الغريني للتهدل، المنطقة من سرير الأنهار والمتجلية في التزويد المتواصل لأطنافها بمواد الدهس والدهس الرملي، والعاملة على التطعيم الواسع لسطوح المنخفضات.

ومع ذلك، فإن المنخفضات، التي تستفيد من أطماء الفيضان في تدارك التهدل البنائي، لا تتحول إلى مجالات طميية دهسية، بل تبقى في معظمها أراضي التيرس.

ومرد الأمر لاشك إلى عمليات التحريك والتحويل الدائبة التي تصوغ السهول الفيضية. فبعد كل فيضان وحسب أهميته، تصفرُّ سطوح التيرس بالدهس المغلف لها. لكن عمليات القلب التي تميز أراضي التيرس تسمح بقلب القطاعات وهضم الطمي واستيعابه من ضمن التربة التي كانت تحمله.

من ذلك أن النشور الدهسية ليست فقط من أهم عناصر آليات التوازن البنائي ـ الرسوبي التي تحافظ على سلامة المنطقة. ولكنها كذلك أساس التطعيم الترابي الذي يسمح بتنويع الأنشطة الزراعية والاقتصادية إجمالاً بإعطاء أتربة نوعية، هي الدهس النموذجي، وتخفيف الأتربة الطينية الأخرى حسب موقعها الطبوغرافي من المجال العام. إذ تتعدد أنواع الأتربة وكفاءاتُها بالتدرج من الدهس الرملي إلى النموذجي إلى الترسي وغيرها.

واضحٌ إذن أن مادة الدهس هي رسوبية، جيومرفلوجية بالأساس، ناتجة عن الإزالة في العاليات والتركيم والتطعيم

في الأسافل. وأنها أحدث مادة حملتها الأنهار تُخوِّلُ التغليف الواسع المنتشر في سهول الفيض التهدلية. إنها بالتالي نتائجُ الدور الأحدث والأخير للترابيتة الرسوبية للحُقب الرابع القاري المغربي. ومادامت تعرف أبهى وأوسع تجلياتها في سهل الغرب فإن كناية "الغربي".

أصبحت تسمية تقنية تعني في التصنيف السُّداسي للستراتغرافية القارية المغربية آخر أدوارها على الإطلاق.

لكن بقدر ما يُعتبر كل دهس، بمواصفاته السالفة، مادة غربية، بمعنى أنها منتمية للدور الغربي من الترابية الرباعية، بقدر ما أصبح "الغربي" في مضمونه المرفلوجي والتأريخي أوسع وأشمل، يعني كل توضع أو تشكيل أو تطور حديث مختتم للرباعي.

الدهس كغيره من مصطلحات "العلوم الشعبية الموهوبة"، يضرب جذوره في قواعد الأصالة الطبيعية والحضارية للبلاد. لا يوجد أي تصنيف أكاديمي يستطيع أن يوفيه حقه بما يكفي من الشمولية. بل هو معلمة من معالم بيئتنا، يُمثِّلُ التعريف الرصين بها إغناء مستمراً للتراث العلمي العالمي.

*تحريات ميدانية.*

إدريس الفاسي

ابن **دَهَّاق**، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر انقرضت بالمدينة سنة 1308 (1890).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 238.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدواجن ← اللحوم البيضاء**

**الدوالي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Dalias وهو اسم مدينة إسبانية.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 683.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدوايري، عبد العزيز** (الحاج -)، مقاوم ولد سنة 1880 بدوار الزاوية ملحقة اجدير دائرة اكنول إقليم تازا، انخرط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالمنطقة الشمالية بمركز اسويل تحت قيادة اشتاتو عمر. وقد عرف بين رفاقه بالشجاعة والإقدام، نشيطا في عمله، متحمسا في إيمانه. شارك في عدة معارك أبلى فيها البلاء الحسن رغم كبر سنه إلى أن استشهد في معركة إخواننا بضواحي بوزيد وذلك بتاريخ 20 أكتوبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 4 : 70.

**الدويلالي، مبارك** بن علي، أصله من قبيلة إدا وبلال المنتجعة بجنبات وادي درعة الأوسط، جنوب شرق أكادير نتيسنت. وهو من الراسخين في الخدمة المخزنية العسكرية بقصبة فاس، ومنها تم اختياره ونقله إلى قبيلة قلعية.

عين الدويلالي على رأس إدالة قصبة جنادة بفرخانة يوم 21 شوال1300 / 24 غشت 1883، خلفا لسابقه الطالب حميدة الشرگي، للسهر على ضبط الحدود الفاصلة بين المساحة الممنوحة لحماية مليلة وأراضي خمسي بني شكر ومزوجة، وليكون من جهة أخرى واسطة بين أهل قلعية وجنود مليلة فيما يرجع لأمور الحدود ومشاكلها، ويضاف إلى ذلك العمل على مكافحة التهريب، وقد كلف أيضاً بتسيير أملاك المخزن المرتبطة بكل من جنادة وفرخانة وقصبة سلوان.

ويعود سبب انتدابه لجنادة ليكون كبير العسكر بها إلى الأزمة التي كانت تعاني منها الحدود من جراء تجاسر الإسبان للاقتراب من الحدود والتصرف في جنباتها بالزرع والرعي، مما لم يمكن لأهل الحدود من مزوجة وبني شكر السكوت عنه.

اصطدم مبارك الدويلالي بعدة دعاوي معلقة بين الإسبان والمخزن وقد سبق الأمر السلطاني إلى أمين الديوانة الطالب محمد العسكري لتبصيره بالدعاوي القائمة المتمثلة في عدة نقط معجلة، منها دعوى المدعو حم بن الطاهر النصراوي، المتهم بقتل جندي إسباني، ودعوى سرقة أهل خمس مزوجة الحلاليف والزروع، إلى جانب دعوى قتل الإسبان لأحد الشكريين، انتهى الفصل فيها بالنسبة للخسائر المادية بغرامة مالية قدرت بنحو مائتي وسبعين ريالاً، تم توزيع هذا المقدار على بني شكر (70 ريالا)، تكلف القائد الحاج محمد بن الهادي الداودي بجمعها وتسديدها. ووجب مثلها على مزوجة وعلى قائدها لحسن المزوجي، أما الباقي وهو 130 ريالا فقد وقع أداؤه على المقبوض عليهم بالحدود. تم هذا الفصل في مستهل رئاسة مبارك الدويلالي. بينما بقي ملف الجنايات معلقا إلى ما بعد ذلك.

وأهم حدث تصدى له الدويلالي خلال شهري ربيع الأول والثاني من سنة 1301 هو الاضطراب الذي أحدثه الإسبان أثناء مواجهة القائد لحسن المزوجي مع حاكم مليلة بالاقتتال

على الحدود، مما أدى أخيراً إلى القبض على القائد المذكور وبعض رجاله وإيداع الجميع سجن العرائش.

ومن الصعوبات التي واجهها مبارك الدوبلالي محاولة التوفيق في النزاعات المحلية القائمة بين قواد قلعية، كان منها نزاع محمد بن العربي البوكافري مع أهل إيالته، والمختار ألغم قائد الكعدة مع جاره محمد بن الخضر قائد بني سيدال، وحميدة، قائد بني بويفرور المنازع للأمين محمد المحرق، وذلك ما بين صفر ورجب 1301.

ولما كانت حراسة السواحل من مهام مبارك الدوبلالي فإن حمايتها من التهريب كان من أوجب واجباته التي يظهر أنه لم يكن منها على بال، أو أنها كانت مهمة جسيمة، لا سيما وأنه كان مكلفا بمراقبة كافة ساحل الريف، بدءاً من قبيلة كبدانة شرقا إلى ناحية بادس غربا. وقد تعرض لغضب السلطان الحسن الأول حينما تبين له أنه لم يحسن المراقبة أثناء تهريب أحد الفرنسيين سنة 1303 نبات الحلفا من مرسى كبدانة.

وعلى الرغم من أن مبارك الدوبلالي احتفظ بمنصبه بجنادة فرخانة أو بقصبة سلوان طوال سنة 1305 فإن اسمه لم يظهر في مراسلات 1306، وإذا كان هذا ليس بحجة على انتهاء مهمته، إلا أننا وجدنا اسم مبارك بن الطاهر الرحماني بقلعية على رأس المحلة المخزنية مستقراً بقصبة سلوان، ومنها بعث بأول مراسلة له يوم 5 ربيع الثاني 1306، تحدث فيها عن طاعة أهل قلعية، وعن تكليفه بها وليست هناك إشارة إلى مبارك الدوبلالي، ثم ثبت لنا أنه كان قد أعفي من مهمته، إما لكبر سنه أو لمرضه الذي توفي منه في مدينة فاس، حسبما أعلنته مراسلة أحمد بن موسى بن أحمد إلى سعيد فرجي بتاريخ 13 جمادى الثانية 1306/ 14 فبراير 1889.

*وثائق الخزانة الحسنية ومديرية الوثائق الملكية* ما بين سنوات 1301 و1306 ؛ *كنانيش الخزانة الحسنية* في نفس الفترة ؛ كناش خ. ح. ر. ك رقم 117 ؛ أ. التوفيق، *إد وبلال*، *معلمة المغرب*، 1 : 212 ؛ ح. الفكيكي، *محمد بن العربي البكافري*، *معلمة المغرب*، 6 : 1833 ؛ *جنادة قصبة فرخانة*، *معلمة المغرب*، 10 : 3096 ؛ *الجواوي المختار ألغم، البويفروري*، *معلمة المغرب*، 10 : 3192 ؛ ح. بنشلال، والبويفروري، محمد المحرق، *معلمة المغرب*، 6 : 1906.

حسن الفكيكي

**الدّوْدَارْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان، وتجدر الإشارة إلى أنه كانت بأحواز غرناطة المسلمة قرية اسمها ذوذر وأطلق عليها الإسبان اسم
وإلى هذه الأسرة ينتمي :

- **الدّوْدَارْ علي** بن محمد الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1269 (1853).

- **الدّوْدَارْ قاسم** بن سعيد من وجهاء مدينة تطوان الذين وقعوا شهادة بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم في 22 شوال 1078 (مارس 1668) ؛

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 684.

محمد ابن عزوز حكيم

**دودة القز** من الحيوانات اللافقرية تصنف إلى طائفة الحشرات ورتبة الفراشات ـــ حرشفيات الأجنحة - Lepidoptera وفصيلة القزيات Bombycidae التي تشتمل على دود الحرير المعروف بدود القز والمسمى باليونانية Bombux. ويتكون جنس قزية Bombyx من عدة أنواع تصنع صلجات أو أكياسا حريرية cocons أشهرها وأحسنها جودة في إنتاج الحرير قزية التوت Bombyx mori (Sericaria mori =) تسمى بالفرنسية magnan وBombyx de mûrier وبالإنجليزية Silkwarm.

ودودة القز اسم شائع يطلق على يرقات الفراشات المنتجة للحرير بواسطة لوزتي الرضاب - الغدد اللعابية - تسمى الغدد القزية (glandes séricigènes) التي تفرز سائلا صافياً ولزجاً يحرج من أنابيب الفم، وعند احتكاكه بالهواء يصبح صلبا على شكل خيط حريري تصنع به الصلجات لتعيش بداخلها الحوريات (Chrysalides). يتعلق سمك قطر خيط الحرير بفتحة الأنابيب المكونة لأعضاء فم الدودة وقد يتعدى أحيانا طول كل خيط 1000 متر.

الموطن الأصلي لقزية التوت هو الصين وبعض المناطق

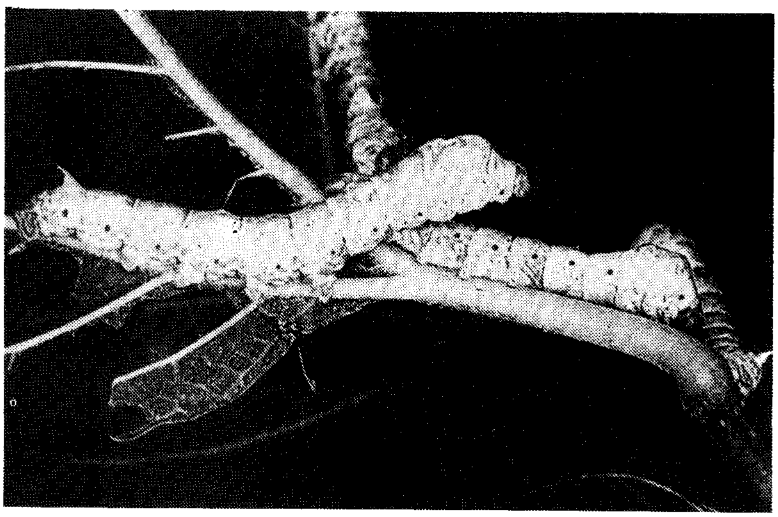

المجاورة لها. ومن المحتمل آن الصينيين عرفوا صناعة الحرير عن طريق تربية دودة التوت خلال العصور الممتدة ما بين3000 ـ4000 سنة ق. م (Gomez Bustillo & Mendez Garnica, 1985, Viola Sylvestre n° 55, p. 170-179). وقد تطورت هذه التربية خلال العصور وانتشرت في شمال أفريقيا وأوروبا منذ القرن السادس بعد الميلاد. ومن بين المراكز المغربية التي عرفت ازدهاراً لإنتاج الحرير بواسطة تربية دودة القز نذكر مدينة تطوان والشاون ونواحي جبالة ومكناس وفاس والرباط وسلا ومنطقة مسفيوة وبعض الجهات المسقية في الحوز وفي عرصات مراكش وضواحيها. وقد ازدهرت القزازة بالخصوص في تطوان وفاس أكثر من غيرهما، وساد الاعتناء بها لعدة قرون من طرف القزازين إلى مطلع القرن الثالث عشر (19 م) ( *معلمة المغرب*، ج. 10 ص. 3389 ـ 3390).

عرفت دودة التوت تربية مكثفة عبر قرون عديدة ولا توجد منها حالياً وحدات طليقة في الطبيعة. وقد فكر المربون في فرز واختيار أجود الضروب عن طريق التجانس، أشهرها الضرب الذي يعطي ثلاثة أجيال في السنة.

تتميز الفراشة بلون أبيض مصفر وأحيانا أصفر وبجسم أشعث وأهلب، قصير ومكثف. تبلغ بسطة الجناحين حوالي 4 سم. يتكون الفم من أعضاء فطرية وتدوم مدة مرحلة الفراشة بضعة أيام فقط لا تتغذى خلالها، وغالبا ما تموت الإناث مباشرة بعد وضع البيض. تبيض الأنثى ما بين300 ـ 400 بيضة زرقاء اللون وغالباً ما توضع في أماكن مسطحة مرتبطة ما بينها بمادة لزجة. تخرج الدودة من البيضة بعد عشرة أيام بطول لا يتعدى 6 مليمترات وتتغذى من أوراق شجر التوت وشجر الليمون ومن أوراق الخص. إلا أن الديدان التي تقدم إليها أوراق التوت تعطي أجود خيوط الحرير. تدوم مرحلة الدود حوالي ستة أسابيع ويبلغ طولها حوالي 75 ملم ولونها رمادي مصفر وأحيانا رمادي مسود. بعد ذلك تتوقف الديدان عن الأكل وتشرع في إفراز خيط الحرير لتلفه حولها ثم تتحول إلى حورية (Chrysalide). تفرز كل دودة خيطاً واحداً يتراوح طوله في الغالب ما بين 300 ـ900 متر. تدوم مدة مرحلة الحورية أسبوعين لتتحول إلى فراشة بعد تقطيع الخيط الملتف حول الصلجة مما يجعل هذا الحرير غير صالح لصناعة النسيج. ولهذا السبب يلتجئ المربون إلى قتل الحوريات بداخل الصلجات وذلك بوضعها في الماء الساخن أو تجفف بداخل الفرن. يحتفظ المربون بعدد قليل من الحوريات لتكتمل دورتها الحيوية وتعطي فراشات تبيض ثم تموت.

تشتغرق مدة القزازة Sériciculture – إنتاج الحرير الخام بتربية دود القز – حوالي شهرين تتطلب حضانة البيض بداخل خص وهي عبارة عن سقيفة من قصب (Magnanerie) لمدة أسبوعين تحت حرارة ترتفع تدريجيا وبانتظام خلال هذه المدة من 6 درجات مئوية إلى 25 درجة، وبعد التفقيس تقدم للديدان أوراق التوت بصفة متواصلة طيلة شهر تقريبا. بعد ذلك تصبح الديدان مستعدة لفرز خيوط الحرير فيضع المربون بداخل الخص أغصانا وبراعم من الأشجار لتصعد عليها الديدان وتتخذ مكانا لها لتنسج خيوطها وتصنع الكيس الحريري لمدة لا تتعدى أسبوعاً واحداً. من أجل تحقيق كلغم واحد من الحرير الخام يجب 5500 دودة.

يتطلب استخراج خيط الحرير من الأكياس (cocons) مهارة قوية. بعد تسخين الأكياس لقتل الحوريات ولتحليل المادة اللزجة التي تجمع لفات الخيط حول الصلجات، غالباً ما تجمع 4 ـ8 صلجات لإدماجها في خيط واحد يلف باعتناء كبير. ويعتبر فتل الحرير من التقنيات المتطورة، إذ تقسم طريقة الفتل إلى أربعة أنواع : الكريب حريري رقيق (crêpe) ويتميز بفتل مكثف بمعدل يتراوح بين 16 ـ 32 دورة في كل سم، المفتول الحريري organsin، الخيط الوحيد الملتوي (fil unique tordue) والحبكة أو النيرة (trame).

يقدر منتوج الحرير على الصعيد الدولي بـ59.000 طن سنة 1940 و19.000 طن سنة 1950 و68.000 خلال الثمانينيات.


م. بوسلام، *معلمة المغرب*، ج. 10، ص. 3389 ـ 3390 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان ـ الطبعة الثالثة، 1988.

*Encarta 79, Encyclopédie Microsoft*, 1997 ; G. Bustillo & M. Garnica, *El gusano que fabrica la seda. Viola Sylvestre* n° 55, (1985).


محمد خربوعة ومحمد رمضاني

* * ارتبط بتربية دودة القز إنتاج الحرير الطبيعي كما ارتبط بغراسة شجر التوت، وارتبط إنتاج الحرير أساساً بارتفاع الطلب عليه من قبل فئة الأعيان ورجال المخزن وبعد ارتفاع المستوى المعيشي للسكان. بصفة عامة ابتداءً من العصر المرابطي والموحدي. وقد وردت في المصادر التاريخية إشارات مفادها أن مادة الحرير انتشر استهلاكها والإقبال عليها أكثر في العهد الموحدي الذي اعتبر شطره الأول بحق عهد ارتفاع في المستوى المعيشي للسكان. ومن أبرز مؤشرات هذا الارتفاع تنوع الملابس والمنسوجات لدرجة أن الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف وابنه من بعده منع التمادي في لباس الحرير وغيره من مظاهر التأنق والبذخ بالنسبة للرجال (*البيان*، 3 : 144 و145).

منع الخليفة ذاك جاء على المستوى الرسمي بإصدار المراسيم والتعليمات، وعلى المستوى المباشر بتوبيخ وزجر المترددين على بلاطه من الرجال المتأنقين الرافلين في ثياب الحرير، ولعله أراد بذلك تحقيق هدفين : أولهما الحد من الفوارق بين الناس على الأقل على مستوى المظهر، وثانيهما وقف العبء المالي المكلف لبيت المال وللاقتصاد المغربي. فقد كان الحرير يستورد بالعملة الصعبة (دنانير الذهب)، ولم يكن المغرب في هذه الفترة منتجاً للحرير ولم

يكن المخزن الموحدي صاحب المبادرات الفلاحية مهتماً بالموضوع إذ لم تكن له معامل رسمية للنسيج (دور الطراز) (ابن خلدون، *العبر*، 1 : 266 و267)، فالمنسوجات والأثواب الحريرية كانت تستورد من المشرق ومن الأندلس وإفريقية.

لما جاء بنو مرين واستولوا على السلطة في المغرب، تأثروا كثيراً بإمارة غرناطة، فأحدثوا معملاً للنسيج المخزني (دار الطراز)، واعتمدوا في كثير من المواد المستعملة في المشغل ومنها الحرير على الخارج ؛ أما دخول غراسة شجر التوت وتربية دودة القز فلم تدخل المغرب إلا في القرن التاسع الهجري (15 الميلادي)، وقد أثار دخولها كثيراً من المشاكل والمنازعات بين المزارعين والمنتجين للحرير سجلتها كتب النوازل الفقهية (*المعيار*، 5 : 36 ـ37 ـ59 ـ60 ـ62 ـ 241 ـ238 وج. 6 : 73 و178 ؛ 7 : 150 ؛ 8 : 130).

تركزت غراسة أشجار التوت وتربية دود القز في ضواحي مدينة فاس. وقد تحدث الحسن الوزان في كتابه *وصف إفريقيا* عن مدينة خميس مطغرة التي خربت في الحروب المرينية فأعاد الغرناطيون النازحون إلى المغرب تعميرها ؛ فغرسوا التوت الأبيض لإنتاج الحرير، ونفس التجربة جرت في جبل أزگان (*وصف إفريقيا*، 1 : 281)، ونظراً لمحدودية الأشجار وقلتها، كانت أوراق شجرة التوت تباع في الأسواق المحلية (*المعيار*، 5 : 238 و241 ؛ 6 : 73)، ووجد أشخاص يمتلكون أشجار التوت وليست لهم خبرة بدودة القز ويطلبون الشراكة فيه (*المعيار*، م. س). وجاء عند ابن البناء في *رسالة في الأنواء* ص. 5 قوله : "وفي شهر فبراير تبدأ النساء بتحضين بيض دود الحرير في نحورهن"، وهي عادة معروفة عند البلدان ذات التقاليد العريقة في هذه الفلاحة. ويُظهر النص إحدى التقنيات الدقيقة والمعقدة التي كانت تربية دودة القز تتطلبها، ولعل ذلك التعقيد هو الذي جعلها لا تنتشر في المغرب منذئذ، فأشجار التوت انتشرت بشكل كبير ونجدها في كل جهات المغرب اليوم، لكن هذا الانتشار لم يوازه انتشار في تربية دودة القز ولا في انتاج الحرير بل ولم يوازه حتى انتشار استهلاك فاكهة التوت الشجري.

إضافة إلى هذه العوائق، نشير إلى عائق أساسي كان أكثر تحكماً في الإنتاج أو عدمه، وهو الاستهلاك، الطلب والعرض. فهذا القانون الاقتصادي تحكمت فيه بصفة خاصة حياة الأعيان من رجال المخزن وعلية القوم، وبمستوى عيش مرتفع، وهذه شروط افتقدها المغرب منذ نهاية الفترة الوسيطية الثانية. وتجدر الإشارة إلى أن تربية دودة القز وتصنيع الحرير ونسجه كان من اختصاص النساء (*المعيار*، الأنوار م. س).

ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، بيروت، 1948 وتطوان1960 ؛ ع. الرحمن بن خلدون، *العبر*، ج. 1 و6 و7 (المقدمة) دار البيان بيروت بدون تاريخ ؛ الونشريسي، *المعيار المعرب*، الطبعة الحجرية، فاس، طبعة وزارة الأوقاف الرباط، بيروت، *دار الغرب الإسلامي*، 1981 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط،1980 ؛ ابن البناء المراكشي، *رسالة في الأنواء*، نشر وتصحيح Renaud باريس، 1948 ؛ م. حجاج الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، د. د. ع مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1988.

محمد حجاج الطويل

**دودوم**، Dudum مدينة مندثرة تكتب في الاغريقية تحت شكل Dou Thoum أو Dou Doum. هي إحدى مدن موريطانيا الطنجية، يحددها بطليموس حسب الإحداثيات التالية : خط عرض 15 وخط طول 31، وهذه الأخيرة تمكننا من تحديد موقعها بالتقريب.

حسب الباحث MC. Cathy قد يكون موقعها في إقليم نظيفة حيث قبائل "أيت مدجدن" قرب وادي لخضر أحد روافد تساوت الذي هو أيضاً من روافد أم الربيع. ويبقى موقعها مع ذلك مجهولاً لدينا ونجهل أيضاً ما إذا كانت قد تركت بقايا أثرية.

Mc. Carthy, *Lexique de géographie comparée de l'ancienne Afrique, R.A.*, 1887, p. 257.

عبد العزيز بلفايدة

**الدَّوْر**، (مصطلح صوفي) جماعة من الخدام والمريدين يجتمعون مرة كل سنتين لزيارة أضرحة وزوايا أوليائهم. ولعل أهم دور مازال مستمراً في المغرب هو دور رجراجة بمنطقة الشياظمة، حيث توجد بالمنطقة مدافن الرجال الرجراجيين السبعة وعدد كبير من الزوايا سواء الكبرى منها أو الصغرى.

يستمر هذا الدور قرابة أربعين يوماً، وبالضبط تسعة وثلاثين يوما، انطلاقا من مدينة (أسفي) ومرورا بمنطقة (الشياظمة)، إلى (الصويرة) ثم العودة إلى نقطة الانطلاقة.

لكل يوم من هذه الأيام محطته، أي زاويته أو ضريحه، ولكل زاويته أو ضريح مظاهر احتفالية خاصة ومتنقلة عبر أربع عشرة زاوية وخمسة وعشرين وليا.

ويكون اليوم الذي يحل به الدور عبارة عن ملتقى للفرجة واللقاء بين أفراد القبائل الذين يأتون من خارج هذه القبائل وكذلك فرصة للتبرك من الشرفاء.

وإذا رجعنا إلى الأصول، نجد أن هذه الطائفة، أي (رجراجة)، كانت سباقة إلى نشر الإسلام. بل هناك من المصادر ما يذهب أبعد من ذلك ويؤكد أنه حين ظهر الإسلام بالمشرق سافر رجال رجراجة إلى الرسول ﷺ وأمرهم بنشر الإسلام وحمايته بالمغرب.

ومن أهم رجالاتهم نجد سبعة رجال، ولا نعني بذلك سبعة رجال الموجودين بمراكش، المنتسبين أصلا إلى أربعة

من رجالات "ركراكة" الذين قدموا إلى حاحة من الأندلس، وهم أ"ضخ" و"عقليمة" و"أردون" و"أرثون". وقد تناسل من هؤلاء الأربعة سبعة رجال وهم :

"سيدي واسمين بن يعزى بن مهدي بن إسماعيل بن مروان بن علقمة" (سلطان رجراجة).

"سيدي أبو بكر المسمى إشماس بن عكرمة بن غيثن بن أبي خابية بن أمج"

"سيدي صالح بن أبي بكر إسماس".

"سيدي عبد الله الملقب بأدناس بن عامر بن دائم بن مجاهد بن أردن".

"سيدي عيسى بوخابية بن كويهل بن حارث بن زياد بن أرثن"

"سيدي يعلا بن واصل بن إسماعيل بن مروان بن علقمة"

ولعل هذا ما يذهب إليه الكانوني حين يقول : "وهذه القبيلة كانت لها فضيلة السبق لتلقي الإسلام بالمغرب. نبغ فيها رجال سبعة لهم ذكر في اعتناق الإسلام والدفاع عن حوزته. رئيسهم السيد واسمين دفين جبل الحديد..."

إجمالا تكون الأضرحة خمسة وعشرين والزوايا أربع عشرة وهي : (إكراث) (تالمست) (أقرمود) (وتنانة) (أيت بوطرطيش) (توريرت) (أيت بوالاعلام أغيسى) (مرامر) (تكتنت) (مرزوق) (أمزيلات) (سكياط) (أيت ياعزي).

أما عن الأضرحة، فنجد من أهمها ضريح "سيدي عبد الجليل" أو ما يسمونه (مول الواد الاخضر) الذي يوجد في (سبت تالمست) ويمر به واد يقصده الناس للتبرك والسياحة نظرا لموقعه في مناطق جبلية تجذب إليها الزوار. ويكون موسمه مناسبة كذلك لتلاقي أبناء المنطقة وحضور طرقي وطني وما يرافقهما من طقوس احتفالية ودينية معينة. نجد كذلك من أهم الأضرحة، ضريح سيدي أحسين مول الباب الذي عاش في القرن العاشر (16 م)، وإليه يرجع الفضل في تحرير مدينة أكوز من يد البرتغال، ويوجد هذا الضريح عند مصب واد تانسيفت.

مجمل القول فإن معظم أصحاب هذه الأضرحة هم أولياء وعلماء ومجاهدون ساهموا في حركات الجهاد ضد التسلط المسيحي. ولعل ما يلفت الانتباه في هذا الدور هو التبرك أو اقتناء "الباروك" الذي قد يكون عبارة عن شراء بعض المقتنيات، أو زيارة الشرفاء والشيوخ في خيمتهم وتقديم الهدية أو الفتوح أو "المرفودة" ثم بعد الدعاء، يتسلم "الباروك" الذي هو عبارة عن تمر أو سكر...

وبعد خمسة وثلاثين يوما من التنقل، يعود الدور إلى مرحلة انطلاقه لاقتسام الفتوحات والدعوات للجميع من أجل الحضور في الدور المقبل في ظروف جيدة.

مراحل الدور : يبدأ الدور "بسيدي علي بن أبي علي" غالبا يوم الخميس، حيث تلتقي الطائفة بالمقدمين، وكذا يوم الجمعة. أما ليلة السبت فيكون الدور بزاوية (كرات) ويوم الأحد بسيدي "محمد بن عبد الجليل". أما الاثنين فينتقل الدور إلى "سيدي إبراهيم"، ويوم الثلاثاء يحط الدور بزاوية سيدي "عيسى أبي خابية". ثم يقصدون "سيدي أبي القاسم" يوم الأربعاء ويبيتون بدار "القائد الحاجي" أما يوم الخميس فيقصدون زاوية (رتنانة) ويزورون سيدي "إسحاق". أما يوم الأحد فيكون دور "سيدي منصور"، ويوم الاثنين "سيدي عبد البطاش" والمبيت يكون بزاوية "أقرمود" التي يكون دورها يوم الثلاثاء. ويبيتون يوم الأربعاء "بالجامع الأبيض". ثم يقصدون مدينة (الصويرة) يوم الخميس، حيث يزورون "سيدي مگدول" ويمكثون يوم الجمعة والسبت. أما يوم الأحد فيصل الدور إلى سيدي "محمد واسمين" بقبيلة (الحنشان) ويصل يوم الاثنين إلى (لا لا توريدت) وأختها (لا لا البهية).

أما يوم الثلاثاء فيكون "سيدي أبي الامان" و"سيدي عبد الرحمان بن سعيد" و"سيدي سعيد بوغنبور" و"سيدي يعلى بن واطل". ثم يصل يوم الخميس إلى "سيدي عيسى مول الوتد". ويوم الجمعة يكون موعد الدور عند "أبي العلم" ويوم السبت (بزاورية مرزرق). ويوم الأحد رباط (سكياط) المعروف بلا لا بيت الله. أما يوم الاثنين فيزورون "لا مزلات". ويوم الثلاثاء يصلون إلى سيدي "أحمد الشنتوف". ويوم الأربعاء يصل الدور إلى (صويرة أمرام) بقبيلة الحارث. أما يوم الخميس فيصل الدور إلى سيدي عبد الله "مول الغيران" بقبيلة (المدارعة). ويقصد يوم الجمعة سيدي "محمد بن إبراهيم". ويوم السبت "سيدي العربي". ويوم الأحد يصل إلى سيدي "سعيد" السابق. ويوم الاثنين يذهبون إلى (مسكالة) ومنها يقصدون "سيدي عبد الله بن سعيد" يوم الثلاثاء، ثم إلى "سيدي عبد الله بن واسمين". ويصلون يوم الجمعة إلى "سيدي علي المعاش" بسوق الأحد وفيه تلتقي الجموع وتتوزع الفتوحات.

البشير عبد الله بن محمد، *السيف المسلول فيمن أنكر على الركراكيين صحبة الرسول #*، مطبوعات معهد الشعب الإسلامي، الصويرة،1987 ؛ محمد الصديقي، *إيقاظ السريرة بتاريخ الصويرة* ؛ أحمد الرجراجي، *الشموس المنضيرة في أخبار مدينة الصويرة* ؛ محمد بن أحمد العبدي الكانوني، *أسفي وما إليه قديما وحديثا*.

علال ركوگ

**الدور** (في الموسيقى)، مجموعة من النقرات الموقعة بالكف أو بإحدى الآلات النقدية، تلتئم على نحو متين لتشكل وحدة زمانية أساسية للهيكل الإيقاعي الذي تقوم عليه الجملة الموسيقية في طرب الآلة، يتوالى أداؤها وفق أنساق تتعدد وتختلف بتعدد الميازين واختلافها، فتأتي منفصلة أو متصلة أو ساكتة، كما تأتي قوية آنا وضعيفة آنا آخر، بطيئة طورا وسريعة آخر، ومن توالي الأدوار تستقيم الجملة الموسيقية الواحدة.

ولأهميـة الأدوار في أداء ألحان الموسيقى الأنـدلسيـة وضبط ميـازينهـا عمد محمد بن الحسين الحايك في *كناشه* إلى وضع أرقـام في مستهـل كل بيت من أبيـات الضمـات يـرمز إلى عـدد أدواره، فكنت تـرى الموسيقيين إذا تنـازعـوا في عـدد أدوار شغل ـ مثلا ـ تـرافعـوا لذلـك الكتاب حكما بينهم، على حد تعبير عالم الرباط سيدي إبراهيم التادلي.

وعناصـر الـدور ثلاثة تختلف أسمـاؤها بـاختلاف الأداة المستعملة لإحداثهـا. فهي بالنسبة للدربوكة : الدمة والتكة والسكتة، وهذه مصطلحات شرقية أصبح تداولها شائعاً بين أربـاب طـرب الآلـة في السنين الأخيـرة، وهي بـالنسبـة للطرالندفة والزنج والفاصلة، وبـالنسبـة للتـوسيـد اليـدوي النـدفـة والـدفـة والفـاصلـة. وتعني على التـوالي : النقـرة القدية، والنقرة في حاشية الطر باليمنى، والنقرة في حاشيته باليسرى.

ع. العـزيـز بن عبـد الجليل، *مدخل إلى تـاريخ الموسيقى المغربيـة*، سلسلـة عـالم المعـرفـة،1983، ص. 212، الكـــويـت ؛ معجم *مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية*، منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب، الرباط، ص. 22.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**دُورات** Dorath، إحـدى المدن الـداخليـة بموريطـانيـا الطنجية، يوطنهـا بطليموس (IV, 1, 15) بين خطي عـرض '31°.15 وخط طول '1. °9. وبالتالي فهي توجد بين وادي أم الربيع وتانسيفت. ويبقى مكانها مجهولا بالنسبة إلينا وإذا كانت قد تركت بعض البقايا الأثرية فيجب البحث عنها في هذا الاتجاه.

Ptolemée, *Géographie*, IV, 1, 15 ; Denau, *Dorath, R.E.*, col. 1551 ; R. Roget, *PSAM*, 1938, p. 36 ; O. Mac Carthy, *Africa Antiqua, Lexique de géographie comparée de l'Afrique ancienne, R.A.*, 1887, p. 255.

عبد العزيز بلفايدة

**الدَّورات** (سد ـ)، شُيِّـد مـا بين سنتي 1946 و1950 على نهـر أم الـربيع الـذي يعـدّ أطول وأهم الأنهـار المغربيـة انتظاماً وتهيئـة، ويقع بين سد إمْفوت (1939 ـ1944) الذي يبعـد عنـه بخمسين كيلـو متـر، وسد سيـدي سعيـد معـاشـو (1925 ـ 1929) في السـافلـة، أي عنـد نقطـة التقـاء أربع وحدات طبيعيـة، وهي سهل دكـالـة وكتلة الـرحـامنـة وسهـل الشاوية وهضبة الفوسفاط.

تتمثل أهم خصـائص سـد الـدوات في كـونـه مبنيّـاً بـالخرسـانـة ومجهـزاً بثلاثـة أسكـار لتفـريغ 3500 م$^3$ كحد أقصى، وكذا في امتـداده على مسافـة 125 م طـولاً و40 م ارتفـاعـاً، واتسـاع بحيرتـه على مسـاحـة 28 كلم$^2$. ويتميـز موقع الدورات بانعدام أي رافد يذكر أو أي فرشة مائية لها أهميـــة على نطـــاق واسع. بـل يتعلق الـــوادي وتـــتواتر منعطفـاته (دوراتـه) على مسـافات طويلـة. كما أن وجوده في وسط المجرى الأدنى من النهر لم يؤهله لري سهـل دكـالة الـذي استـأثـر بـه سدّ إمفوت في الأول ثم سدّ المسيرة فيمـا بعد.

لقد كـان الهـدف من بنـاء سـد الـدورات إمـداد الجديـدة على الخصـوص بـالمـاء الصـالح للشـرب، ولا سيمـا إنتـاج الكهـربـاء، طبقاً لسيـاسـة التصنيع وعقب التمدين السـريع الـذي شهـدتـه الأقـاليم المجاورة بعد الحرب العـالميـة الثانيـة. فكان يحظى بمكانة أكيدة وسط السدود المغربية وفي حوض أم الـربيع، لكنـه ابتـداء مـن نهـايـة السبعينيـات أخذ يفقـد أهميتـه، حيث نـزل إنتـاج الكهـربـاء مـن حـوالي 100 مليون كيلـواط في السـاعـة سنـويـاً إلى حجم متـواضع يقل عن 10 ملايين كيلـواط. بـذلـك فـرق كبيـر بينـه وبين إنتـاج سـدّي إيـمفوت والقصبة الزيـدانية، حتى إن التصميم المديري لنهر أم الـربيـع (1976) جعـل منـه بالأسـاس مصـدر تـزويـد سـاحـل الجديدة بالماء المنزلي والصناعي.

ومنذ أواسط الثمـانينيـات تم بـالفعل مد قنـاة من طرف المكتب الوطني للماء الصالح للشرب، قطرها 800 ملم تربط بحيـرة السد بـالجرف الأصفـر لسـد حـاجيـات الميـنـاء والمركب الصنـاعي ثم بعض القرى الموجودة في الطريق وكذا مـولاي عبد الله ثم سيدي بوزيد والجديدة.

م. عسـاد، *أم الربيع* (نهـر ـ)، *إمفوت* (سـد ـ)، *معلمة المغرب*، جزء 3، 1991.

J. Coup, *L'Oum ErRbia*, Trav. Ins. Sci. Cher., N° 9, Rabat, 1960 ; A.N.A.F.I.D., *Spécificités de l'aménagement hydro-agricole au Maroc*, Rabat, 1979 ; SDAR du Groupement du Grand El Jadida, *Rapport de synthèse*, 1983.

مصطفى عياد

**دوردوس** Dourdous جبل ذكره الجغرافي يطليموس : Ptolémée, 4, 1, 6. واعتبـره مـن بين الجبـال الهـامـة في موريطانية الطنجية، قائلاً : "ويوجد فيها القسم الغربي من دوردوس حسب الإحداثيـات التـاليـة : الطـول 10 درجة والعرض 29 درجة و30".

ظن شـارل تيسـو أن الأمـر يتعلق بـالقسم الشـرقي من سلسلة جبال الأطلس المتوسط، حيث ينبع نهر ملويـة. ولا حظ أن هـذه المرتفعـات تمتد فـي غـرب الجزائـر، حسب مـا يوحي به وصف بطليموس لجبل دوردوس.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878.

محمد مجدوب

**الدورو** Duro، كلمـة إسبـانيـة تـدل فـي الاستعمـال الإسباني في مجال العملة على القطعة الفضية الكبيرة من خمس بسيطـات، بينمـا يطلقـون اسم الـريـال على قطعـة

صغيرة هي البليون، وهو جزء واحد من عشرين جزءاً من الدورو، فالريال يساوي عشرين بليوناً، لكن في الاستعمال المغربي لا يوجد فرق بين الدورو والريال، ونتيجة لهذا الفرق في الاستعمال وقعت مناقشة هذا الاختلاف أثناء تحديد غرامة حرب تطوان سنة 1860 وقد نُص في معاهدة الصلح على مختلف المصطلحات لتحديد قيمة الدورو، فجاء في البند التاسع "أن عشرين مليون دورو هي أربعمائة مليون من الريال البليون" وما يزال المغاربة إلى اليوم يستعملون كلمة الدورو لقطعة خمس سنتيمات في مناطق الريف والمغرب الشرقي، بينما يستعملون كلمة الريال في مختلف جهات المغرب بعد استعمال الدرهم كوحدة أساسية للعملة المغربية.

م. داود، تاريخ تطوان، المطبعة المهدية، تطوان، 1964، ج. 12، ص. 284 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في القرن التاسع عشر*، ص. 138 و402.

F. Mateu Y Llopis, *Nota para estudio de los origènes del sistema monetario Espanol, Numisma*, Madrid, ano. 14, n° 67, Marzo - Abril, 1964.

عمر أفا

**دوري**، پول Doury Paul، ضابط فرنسي كانت له أدوار ريادية في غزو المغرب من جهة واحات الجنوب الشرقي، ولد سنة 1867 وتخرج من مدرسة سانسير العسكرية سنة 1889 وحصل على رتبة ملازم سنة 1891. ثم التحق بمصلحة الشؤون الأهلية بالجزائر فاشتغل في جلفة والعريشة وأولاد جلال ابتداء من 1895. وفي سنة 1897 أسندت إليه قيادة فرقة من الگوم على الحدود الجزائرية المغربية. وفي أبريل 1902 حصل على رتبة قبطان وحرر مقالا عن المغرب أثار انتباه الأوساط المعنية. ثم إنه اشتغل مع ليوطي ابتداء من سنة 1904 فكلفه بقيادة ملحقة بني عباس مع قيادة الفرقة الصحراوية لوادي الساورة، ثم عينه على رأس مكتب بشار مع المسؤولية عن نفس الفرقة العسكرية التي أصبحت بمثابة سن الرمح في غزو التراب المغربي من تلك الجهات، فكانت هي المسؤولة عن هجوم گارة الضويفة (31 دجنبر 1904) وغزوة تافلالت (نونبر 1906) ومعركة المنابهة (16 أبريل 1908) والجرف (7 شتنبر 1908) والهجوم على بني جيل (دجنبر 1908) مما أنال دوري ترقية سريعة وأكسبه معرفة موثقة بتضاريس المنطقة وبشؤونها. وتجلى ذلك في ما نشر له في مجة لجنة إفريقيا الفرنسية عن سكان ناحية بشار، وفي المقال الذي كتبه عن المسالك من "چير إلى موريطانيا" بناء على ما كان قد استقى من المعلومات من رُحَّال أولاد جرير وذوي منيع. وكان ذلك إشارة إلى ما كانت الجيوش الفرنسية تروم إليه من تطويق المغرب من جهة الجنوب.

ثم إن دوري عين قائدا على دائرة مشرية في مارس 1914 إلى أن ألح ليوطي ليُلحق بالمغرب فأسند إليه قيادة منطقة بوذنيب في 11 يونيه 1915 وبعد ذلك بقليل حصل دوري على رتبة ليوطنان كولونيل (أبريل 1916). ومنذ أن أمسك بزمام الأمور هناك وهولا يفكر إلا في أمرين : الربط بين بوذنيب ومكناس عبر الأطلس المتوسط واحتلال واحة تافلالت بكاملها. فبخصوص الأمر الأول، استطاع دوري أن يحدث مراكز احتلالية ثابتة في بني تاجيت وتالسينت والريش وقصر السوق، مما مكنه من ربط الاتصال بجيوش مكناس التي زحفت في اتجاهه بقيادة الجنرال پويميرو (Poemyreau) فأحدث مركز ميدلت بالمناسبة. وسهر على ربط الاتصال أيضا بمنطقة وجدة عبر ميسور والنجود الشرقية، وكل ذلك في غضون 1917 أما بخصوص تافلالت فإنه بادر إلى مهاجمتها، لكن المجاهدين الفيلاليين تصدوا له بكل قوة في معركتي مسكي (9 يوليوز 1916). والمعاضيد (16 نونبر 1916) ولما تم الربط مع مكناس ظن دوري أن تافلالت هان أمرها فأقام مركزا ثابتا بتيغمارت غير بعيد عن الريصاني وأسند مهمة التجسس فيه للترجمان أوسطري (Oustry)، إلا أن المقاومة سرعان ما تصدت لذلك حيث قتل أوسطري وانتظمت صفوف الجهاد بقيادة مُحَا نيفروتن وبلقاسم النگادي، وكيلت ضربات موجعة لجيوش الاحتلال في معركتي الگاور (9 غشت 1918) والدار البيضاء قرب تيغمارت (دجنبر 1918) فلما علم ليوطي بتلك الهزائم أدرك أن تحركات دوري كان من شأنها أن تنتهي بالحماية الفتية إلى ما لا تحمد عقباه فقرر الجلاء عن تافلالت، وأبعد دوري عن المسؤولية في المغرب. وهكذا عاد هذا الضابط إلى الجزائر حيث عين قائدا لبعض فرق الرماة الجزائريين بمستغانم ثم بعد حين من ذلك فضل التقاعد المبكر وأقام في الجزائر يشتغل بالكتابة عن عمليات التمهيد.

*Bulletin de Comité de l'Afrique Française (B.C.A.F.)*, 1916 - 1917 - 1918 - 1919 ; *Les opérations militaires au Maroc*, Paris, 1931 ; R. Peyronnet, *Livre d'or des officiers des affaires indigènes*, Alger, 1930.

إبراهيم بوطالب

**دوريزة** Douriza، اسم مرجة Lac أو Lacum في اللغة اللاتينية. إن مرجة دوريزة هي من بين الأسماء القلية التي تعرفنا على المعالم الجغرافية في المغرب القديم، الذي كان يدعى موروسية Maurusia عند الكتاب الإغريقيين، أو موريطانية Mauretania عند اللاتينيين.

إن الشاعر هوميروس Homère في القرن التاسع قبل الميلاد، وبعده الشاعر هيسيودوس Hésiode في القرن الثامن أو بداية القرن السابع قبل الميلاد، قد تحدثا في روايات أسطورية عن الأطلس كمعلمة جغرافية أو على أنه كائن بشري. لكن المواقع الجغرافية الدقيقة التي وردت ضمنها مرجة دوريزة، مثل تينگي Thingué (طنجة

الحالية)، نجدها عند الكاتب الإغريقي هيكاتي الميلتي Hécatée de Milet الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد. ينتسب إلى مدينة ميليتة الواقعة في إقليم إيونية Ionia في آسيا الصغرى، حيث تستوطن جاليات إغريقية. حسب هذا الكاتب إن مرجة دوريزة تقع في ليبية (الاسم القديم لقارة أفريقية)، بجوار نهر لكسوس Lixos وهو واد اللكوس حاليا.

إن الباحث ديزانج في إحدى مقالاته الأخيرة (Desanges, *Lixus*, p. 3) يرى تطابقا بين كلمة دوريزة وأسماء قديمة لمعالم جغرافية وردت عند بعض الكتاب المتأخرين عن هيكاتي الميلتي. يتعلق الأمر باسم "ديريس" Dyris أو "دورين" Durin أو "أديريس" Addiris أو "ديور" Diour. (انظر مادة ديريس Dyris). ويرى الباحث نفسه، في تعاليقه وشروحه للكتاب الخامس لبلينيوس الذي قام بتحقيقه وترجمته، أن هناك تقاربا بين هذه الأسماء القديمة، وكلمة "أدرار" التي تجمع على "إدرارن" ومعناها الجبل Desanges, *Commentaire de Pline*, p. 133.

بعد هيكاتي الميلتي تواترت الأخبار عن عدة مرجات بأسماء أخرى في المغرب القديم، في مجال يتضمن الجهة التي ذكرت فيها مرجة دوريزة، وذلك بين رأس صوليس Soleis (رأس سبارطيل) وحوض واد سبو. أغلب المعلومات حول هذه المرجات تجعلها في مصبات الوديان حيث تتحول إلى مرجات، أو هي مرجات تخترقها الوديان أو تنطلق منها في المنبع.

إن حانون القرطاجي في *رحلته* حول السواحل الأطلسية من المغرب القديم، تحدث عن مرجة لم يذكر اسمها قائلا : "بعد رأس صوليس، حيث أقمنا مذبحا لبوسدونيوس Poseidonius، أبحرنا مدة نصف يوم حتى وصلنا إلى مرجة قريبة من البحر، يغمرها قصب كثير وشديد العلو". وفي سياق آخر ذكر ما يلي : "انطلاقا من جزيرة كيرني Kerné أبحرنا بسفننا في نهر يدعى خرتيس Chrétis، ثم وصلنا إلى مرجة تطل عليها مرتفعات يجوبها أناس متوحشون، كانوا يضربوننا بالحجارة لمنعنا من الرسو" *Périple d'Hannon*, 4 et 9.

حسب إحدى الدراسات الأخيرة حول جزيرة كيرني، يرى روبوفا أن واد خرتيس هو سبو، وأن المرجة المشار إليها تتكون من فيضانات واد سبو، التي كانت تغمر مجراه قديما في سهل الغرب قبل مصبه Rebuffat, *Recherches*, p. 263 - 66.

وفي رحلة أخرى ذُكرت مرجة تدعى كيفسياس Kêphêsias بجوار مدينة بونتيون Pontion، فيها أعشاب من بينها القصب، وتعيش فيها طيور تدعى Méléagrides وهي لا توجد في أية بقعة أخرى من العالم حسب الكاتب. وفي ذكر صاحب الرحلة لواد أنيديس Anides، قال إنه يصب في مرجة كبيرة وذلك قبل واد لكسوس، *Périple de Scylax*, 112. وفي ظني أن هذه المرجة التي ذكرها سكولكس، والمرجة الأولى التي ذكرها حنون قبل واد لكسوس، كلاهما ينطبق مع مرجة دوريزة.

تصدى تيسو في تحرياته الميدانية، لفكرة كُتاب سبقوه ظنوا أن مرجة كيفسياس هي مرجة رأس الداورة. واعتبر أن الوصف الجغرافي في رحلة سكولكس جد دقيق، لكونه حصر موقع المرجة بين رأس سبارطيل وواد لكسوس. ولذلك اقترح أن المرجة تتكون من أحواض المجاري المائية بين تاهدارت ولمحرحر : Tissot, *Recherches*, p. 193 - 200. إن الباحث گراس : (Gras, *La Mémoire de Lixus*, p. 39) اهتدى مؤخراً برأي تيسو، فجعل المرجة في مصب واد تاهدارت والمنخفضات المتصلة بها، ثم اعتبر واد أنيديس هو واد گاريفة، مؤيدا في ذلك رأي ديزانج في الكتاب الذي خصصه لدراسة مصادر الرحلات القديمة حول إفريقيا : (*Activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique*).

أما الجغرافي سترابون، فقد أشار إلى أن موروسية تكثر فيها المرجات، دون ذكر أسمائها : Strabon, 17, 3, 4. ثم تحدث بلينيوس الشيخ بدوره عن مرجة كيفسياس قرب المحيط، مبينا أن المورين يدعونها باسم Electrum، وهي مادة تتكون طبيعيا وتتجمع فوق مياه المرجة حسب الكاتب: Pline l'Ancien, 37, 78.

خلاصة القول، إن التساقطات المطرية الغزيرة التي اشتهرت بها موريطانية، كانت تتجمع في أحواض الوديان بالشمال الغربي من المغرب، خاصة بين مصب تاهدارت وسبو. ولقد لفت ذلك نظر القدماء المهتمين بجغرافية المغرب القديم. ويتضح أن العلم بمرجة دوريزة منذ القرن السادس قبل الميلاد، يدل على أن للمغرب القديم حضوراً في الحقل المعرفي، للحضارات التي تكونت في بلدان البحر الأبيض المتوسط.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; J. Desanges, *Activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique*, Rome, 1978 ; Idem, *Commentaire de Pline l'Ancien*, Livre 5, Paris, 1980 ; *Lixus dans les sources grecques et latines*, 1992 ; R. Rebuffat, *Recherches sur le bassin du Sébou, 2, le Périple d'Hannon, B.A.M.* 16, 1985 - 6 ; M. Gras, *La mémoire de Lixus, de la fondation de Lixus aux premiers rapports entre Grecs et Phéniciens*, Rome, 166, 1992.

محمد مجدوب

**دوشلار**، پ ـ پ (Priam - P.) Du Chalars وُلد سنة 1590 بإحدى القرى بضاحية بوردو الفرنسية، من والدين كانا ذوي صلة بالأسرة المكلية الحاكمة وقتئذ، مما جعلهما يتبوّءان مكانة شرف ونبل وتقدير بفرنسا ـ ذلك ما أتاح للابن بريام ـ بترس ولوج المدرسة الابتدائية التي كانت الكنيسة تهيمن عليها، ثم بعد ذلك اندرج في سلك التكوين العسكري الذي لم يكن مفتوحاً إلا في وجه أبناء

أعيان البلد من المصطفيْن ممّن يحظون بعطف الحكّام.

وتخرج دوشلار ضابطاً في البحرية الحربية سنة 1626، فأسندت له قيادة سفينة تابعة للأسطول الفرنسي الذي كان بدوره تحت القيادة العامة للأخوين : إسحاق وجبريل رَازيلي.

كانت العلاقات يومئذ متوتّرة للغاية بين النظام المغربي الرسمي وبين فرنسا بسبب أعمال القرصنة في مياه سلا من جهة، وأسر العديد من الفرنسيين، ومن بينهم أفراد من كبريات العائلات الفرنسية ـ الذين تَمّ اعتقالهم على اثر "اختطاف" السفينة الفرنسية التي كانت تحمل خزانة زيدان من أسفي إلى أكَادير من جهة أخرى.

واتفق أن قرّر الوزير الأول الفرنسي، المطران ريشوليو (Richilien) ـ في عهد الملك لويس 13 ـ إرسال أسطول بحري حربي إلى المغرب للضّغط على القراصنة السلاويين وعلى عبد المالك السعدي ـ الذي تولّى الحكم بعد وفاة والده زيدان ـ في يونيو 1629، وكانت ضمن الأسطول سفينة "لارونومي" تحت قيادة الضابط دوشلار (بريام ـ بترس).

ووصل الأسطول إلى سلا يوم 20 يوليوز، فبعث رازيلي بإنذار شديد اللهجة إلى العياشي الذي لما يمض على تأسيس ديوانه الحاكم بحوض أبي رقراق وتامسنة إلا عام ونيف ـ فَرَدَّ العياشي على الانذار بخطاب توعّد فيه النصارى بالويل والثبور، وذلك ما دفع قائد الأسطول الفرنسي إلى ضرب الحصار البحري على سلا، ثم ابتعد عن المكان متوجّها إلى المعمورة التي كانت وقتئذ تحت الاحتلال الإسباني، وأوفد دوشلار إلى أسفي حيث يقيم عبد المالك بن زيدان خلال الصيف، وكان الهدف من هذه البعثة مفاوضة السلطان في تبادل الاسرى بين الجانبين وعقد معاهدة سلم.

غير أن عبد المالك لم يبد أية رغبة في التفاوض والحصار مضروب على سلا، فراح ينتهج سياسة التسويف إلى أن عَرض على ديوان سلا هدنة ستّة أشهر ابتداء من مستهل أكتوبر من نفس السنة واقلعت السفن الفرنسية راجعة إلى فرنسا خوفاً من مغبة تمديد رسوها بالمياه المغربية علماً أن أصعب الفصول ملاحة كان الخريف والشتاء وقبل أن يرحل دوشلار عن أسفي أبى إلا أن يقدّم هدايا إلى عبد المالك بن زيدان فقبلها على مضض.

وبالفعل، عاد دوشلار إلى المغرب في مهمّة ثانية حيث رست سفينته الحربية "لارونومي" يوم 23 يوليوز 1630 أمام سلا ضمن أسطول حربي تمكّن بسرعة من الاستيلاء على ثلاثة مراكب في ملك مجاهدي سلا، وذلك ما حملهم على التفاوض، وكان دوشلار هو الذي يقود المفاوضات من جانت الطرف الفرنسي. وقد أحرز تقدّماً كبيراً وتوصّل الجانبان إلى اتفاق في عدة قضايا وأبرما معاهدة هدنة بينهما لمدّة سنتين، وذلك بدءً من 3 شتنبر 1630.

بعد ذلك، رحل دوشلار إلى أسفي آملا في التوصل إلى اتفاق حول الأسرى الفرنسيين. لكن عبد المالك كان يماطل، فأقدم الأسطول الفرنسي على حجز سفينة كانت في ملك اليهود أولاد بلياش (انظر بلياش، معلمة المغرب، ج 4، ص. ص 1372 ـ 1373). وأذكّر أنه كان لهذه الأسرة اليهودية حظوة كبرى لدى الملوك السعديين، انطلاقاً من زيدان بن أحمد المنصور.

قام أولاد بلياش بمساع كبرى لدى عبد المالك الذي تنازل للتفاوض بدون مقابل في موضوع الأسرى الفرنسيين. واستغرقت المفاوضات عدة أسابيع لم تسفر معها على نتائج ترضى الجانب الفرنسي. وكان الخريف على الأبواب، فقرّر قائد الأسطول الفرنسي العودة إلى قواعده. إلا أن عبد المالك أطلق سراح هؤلاء الأسرى الذين قادهم من مراكش إلى أسفي القائد يحيى الجناتي، الذي لما وصل إلى أسفي، وجد أن سفن البعثة الفرنسية قد أبحرت قبل ذلك بثلاثة أيام.

واغتاظ عبد المالك وهو يحمّل المسؤولية دوشلار وقائد الأسطول الفرنسي وأعرب عن احتجاجه وسخطه إلى ملك فرنسا ملتمساً منه اتخاذ الإجراءات الضرورية ضدّ الذين "لم يقيموا وزناً لملك المغرب وزاغوا عن أوامر ملك فرنسا".

وفي مستهل صيف عام 1631 أوفد لويس 13 بعثة ثالثة لتهنئة الوليد الذي اعتلى عرش المغرب خلفا لشقيقه عبد المالك الذي قُتل قبل ذلك بأشهر ـ ولمواصلة المفاوضات حول الأسرى وإبرام معاهدة صلح بين البلدين. وضمّت البعثة مرّة ثالثة دوشلار ودومولير الذي كانت له تجارب وخبرة في الحقل الدبلوماسي.

وتوصل دوشلار ورفيقه إلى حلول مرضية مع الوليد، حيث تـمّ تسليم الاسرى المغاربة الذين كان الفرنسيون يشغلـونهم عبيداً في التجديف لسفنهم، وتسلّم دوشلار الأسرى الفرنسيين الذين أخذ الوليد يشغّلهم عبيداً في ورش قصر له بأيير التي حملت فيما بعد اسم "الوليدية" إضافة إلى ذلك، أبرم الطرفان معاهدة صلح وحسن المعاملة بينهما.

واغتنم دوشلار هذه الرحلة فأنزل كمّيات هامّة من البضائع، باتفاق مع داود بلياش الذي سَلّمَه وثيقة ترخّص بترويج تلك البضائع. وللتذكير فإن داود بلياش كان وكيل الملك في التجارة ومُدبّراً لشؤون الميناء والديوانة علماً أن التجارة الخارجة كانت حكراً على الملوك. ومن يريد من الأجانب أن يتجّر في المغرب، لم يكن له غنى عن إذن الملك. أمّا دوشلار فإنّه أمّن قنصل فرنسا بأسفي بترس مازى (P. Mazet) على متابعة ترويج البضائع واختزان ريعها إلى أن يوفد له مبعوثاً لاستخلاصه.

وبالفعل، في غضون سنة 1632 حل بأسفي المبعوث لهذه الغاية وطالب أو وطلب من القنصل الفرنسي أن يسلّمه ما حصل من المبيعات وقد نفدت البضائع كلها. هنالك وقع خلاف بين المبعوث الفرنسي المسمى Du Puy

وبين بلياش من جهة ـ لأن اليهودي لم يستخلص نصيبه من الصفقة مقابل الترخيص ـ وبين القنصل الفرنسي من جهة أخرى الذي لم يكن على علم بارتشاء اليهودي بلياش ـ وبلغ صدى هذا الخلاف إلى الوليد الذي اكتشف أن داود بلياش زوّر الترخيص وانتحل إمضاءه، واتّهم القنصل الفرنسي بالخيانة لأمانته ومهمته وتجاوز اختصاصاته والتلاعب بالأوفاق الدولية. مشيراً إلى ما تنص عليه الاتفاقية المبرمة قبل سنة بين المغرب وفرنسا والتي ساهم دوشلار في صياغتها وتوقيعها.

وبسبب هذه الاتهامات أمر الوليد باعتقال القنصل الفرنسي ومبعوث دوشلار وإيداعهما السجن، فحُبسا بمنزل كبير داخل المدينة العتيقة بأسفي بزقاق أخذ يسمّى منذ ذلك العهد إلي يومنا بـ "درب الحبس" كما أن المنزل المذكور تحوّل إلى سجن قام بوظيفة الحبس إلى أن استرجع المغرب استقلاله إلا أن البناء هرم واهترى وانهارت جدرانه ولا تزال ركاما حيث وقعت. وزيادة على اعتقال الفرنسيَّيْن المذكوريْن، رخّص الوليد باستئناف أعمال القرصنة ضدّ المراكب الفرنسية. أمّا داود بلياش فإنه اختفى.

إلا أن الحكومة الفرنسية لم تطق هذه الأوضاع الجديدة فأرسلت إلى الوليد سنة 1634 سفارة أخرى برئاسة دوشلار الذي اكتسب خبرة في العلاقات الدولية خصوصاً مع المغرب. فحمل هدايا إلى الملك وفوجاً من الأسرى المغاربة كان بحارّة فرنسيون ـ وغيرهم ـ يختطفونهم من الشواطئ، كما حمل في حقائبه أموالاً لافتداء فرنسيين آخرين كانوا في قبضة تجار سلاويين وفاسيين، وسمَحَت له حكومته باقتراض أموال أخرى بالمغرب عند الضرورة لتحرير كل الفرنسيين حتى لا يبقى منهم أحد عبداً أو أسيراً.

وطالت المفاوضات لأن الجانب المغربي لم يكن راغباً في التعجيل بانهائها لا سيما وأن الظروف السياسة والاقتصادية المحلية كانت تمرّ بمرحلة صعبة ذلك لأن الانفصاليين، على اختلاف مذاهبهم ومقاصدهم، انفردوا بالسلطة هنا وهناك عبر التراب المغربي وكأنّي بالوليد الذي كان يمثل السلطة الشرعية داخلياً وخارجياً، لم يكن يتوفّر على كامل الصلاحيات للتفاوض مع النصارى والتنازل لهم عن شيء.

وأطل عام 1635 على دوشلار وهو يتنقل بين أسفي ومراكش وسلا. وفي شهر يونيو من هذه السنة، رسّت سفينة انجليزية بأسفي وبقيت رايتها مرفوعة ترفرف على الميناء. عندها تدخل دوشلار وطالب "القبطان" الانجليزي بانزال رايته فأبَى، فبعث إليه بإنذار فرفضه. عندئذ قصف دوشلار السفينة الانجليزية، فألحق بها أضراراً وقتل ربّانها.

ربما كان لهذا العمل تأثير على الوليد. وما من أحد يتذكّر أن معركة بحرية بين أجانب وقعت في المياه المغربية. واستُؤنفت المفاوضات ونجح دوشلار في افتداء الأسرى الفرنسيين، وتساهل الدلائيون والسلاويون، وكل طرف حقق مقصده وعادت الأمور إلى حالة هادئة بين المغرب وفرنسا، وذاع صيت دوشلار في الأوساط الأوربية الرسمية ولدى أصحاب المراكب التجارية.

اهتمت بريطانيا العظمى بموضوع دوشلار، فغفرت له مَا صنعَه بأسفي ضد إحدى سفنها، واستدرجته لتحرير رعاياها الأسرى المحتجزين لدى الدلائيين وأصحاب العياشي بسلا، ووعدت بأنها ستوافيه بعشرة آلاف ابرة من الذهب لصرفها في افتداء الأسرى، إلا أن ذلك لن يتم قبل موافقة مجلس اللوردات على هذا المبلغ، وأن عليه، إن شاء، ان يقدّم تسبيقا من خزائنه ريثما يتوصّل بالمال الموعود.

وأسكرت نشوة الفوز والشهرة الضابط ـ الدبلوماسي دوشلار، فاقترض المال الضروري من إحدى المؤسسات الفرنسية وحرّر الأسرى الانجليز في غضون أربعة أشهر من المفاوضات والمزايدات حتى إن السلاويين وغيرهم ظنوا أن صاحبهم يتوفّر على ما كان لقارون من الكنوز، وكان صاحبهم هذا، يتباهى بحظوته لدى ملك فرنسا وبلاط بريطانيا العظمى.

غير أن دوشلار لم يتوصّل بشيء من الحكومة البريطانية لأن تركيبتها تغيّرت أثناء عمليات الافتداء ولم يصوت مجلس اللوردات على المشروع.

وولّى دوشلار عائداً إلى فرنسا في نونبر 1635، فتقدّم إلى البلاط الفرنسي بتقرير عن رحلاته كلها، مطالبا باسترداد الأموال التي اقترضها بالمغرب، طبقاً لتعليمات الحكومة الفرنسية، قصد افتداء كل الأسرى الفرنسيين. فما كان جواب لويس : 13 إلا أن وَجّه إليه تهمتين خطيرتين، الأولى أنه انتهك سيادة المغرب عندما هاجم سفينة أجنبية في أحد موانئه (أسفي)، وحيثما كانت المهمة التي أنيطت به هي تحرير الأسرى الفرنسيين لا غير وتطبيع العلاقات بين القطرين. أما الجنحة الثانية فانها تتجسّم في تعاونه مع بلد بينه وبين فرنسا عداوة تقليدية مُتجَذّرة في الزمان. من أجل ذلك اقتضى أمر الملك أن يُودع دوشلار في السجن لمدّة غير محدودة.

وعلى إثر تدخّلات لدى الملك نظرت محكمة في أمره بعد شهرين من السجن، وحكمت عليه بعدم الإقامة في باريس وما جاورها لمدة سنة، ووجوب أداء ما عليه من ديون مقدّرة بأربعين ألف ابرة ذهب لمستحقيها من التجار الذين أقرَضوه هذه الأموال لتحرير الأسرى الفرنسيين والبريطانيين معاً لأنه ارتكب تجاوزات وخروقات.


أ. الناصري، *الاستقصا*، ج6 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ أ. بنجلون، *من تاريخ أسفي*، مخطوط.

*Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, France - Saâdiens*, T. III ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, T. 2 ; A. Cour, *L'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc.*


أحمد بنجلون

**دوطي** أو دوتي إدمون E. Doutté من أبرز من تخرج من "المدرسة الإدارية الجزائرية" فهو واضع هذه العبارة التي تشير إلى كل أولئك الذين التحقوا بإدارة الجزائر المحتلة من الموظفين الفرنسيين فتعلموا العربية والأمازيغية وخبروا شؤون المجتمع الإسلامي هنالك حتى إذا جاء دور المغرب ليلحق بالامبراطورية الفرنسية أندس عدد منهم عبر البلاد يستخبر ويجمع المعلومات ويقترح ويقترح الخطط التوسعية على المسؤولين في تقارير مستفيضة تنقح فيما بعد فتنشر على صفحات الدوريات أو تصدر في كتب ضخمة. وكان إدمون دوطي خير مثال عن هذا الصنف من المتجسسين الذين رفعتهم الخبرة الميدانية إلى مستوى العلم والتنظير.

فإنه ولد سنة 1867 في فرنسا واتجه أول الأمر إلى دراسة العلوم الطبيعية إلى أن كتب له أن يزور الجزائر فاستقر بها ودخل سلك الإدارة المحلية فاشتغل كاهية مدير القرى المختلطة شمال مقاطعة قسنطينة فتعلم العربية وتعود على سبر أغوار المجتمع القروي الجزائري، ثم لما أتقن العربية انتقل إلى سلك التعليم في مدرسة تلمسان حيث تعرف على موليراس (Moulière) صاحب كتاب "المغرب المجهول" وصار من ثم فصاعداً يهتم بالمغرب فزار بعض جهاته بأمر من والي الجزائر وبتجهيز من "لجنة المغرب" حيث طاف عبر البلاد في أربع رحلات سنة 1900 ثم سنة 1904 ثم 1906 ثم 1907 وجمع من المعلومات والارتسامات ما بوأه مركز الصدارة من بين الخبراء بشؤون المغرب إلى جانب لي شاطليه (Le Châtelier) وميشوبلير (Michaux-Bellaire) ودي سيكونزاگ (De Segonzac) وآخرين وكتب بذلك التقارير المتعددة ونشر بعضها في المجلات أو في مؤلفات منفصلة مما جعله جديراً بأن ينضم إلى هيئة التدريس في كلية الآداب بالجزائر العاصمة ويلحق بهيئة تحرير "المجلة الافريقية" *(La Revue Africaine)* الصادرة هنالك فكان نموذجا لتوظيف العلم لصالح الاستعمار.

وكان من أشد المتحمسين لإسناد أمر احتلال المغرب للمسؤولين الفرنسيين عن الجزائر بحكم الجوار وطول الخبرة بشؤون الإسلام والمسلمين. ولقد رفع في هذا الصدد تقريراً مطولاً لوالي الجزائر نشره سنة 1900 تحت عنوان "أسباب النهوض بالنفوذ الفرنسي في المغرب" جعله على ثمانية أبواب :

الباب الأول عن ضرورة انتقاء الموظفين الفرنسيين المكلفين بالمصالح الفرنسية في المغرب ليكونوا من سلك القناصلة وأيضاً من سلك الشؤون الأهلية الجزائرية على أن يتعاونوا فيما بينهم ويكونوا يتكلمون بالعربية.

والباب الثاني عن كيفية ممارسة التاثير السياسي الفرنسي على المغرب باستعمال الحماية القنصلية وتوزيع الهبات المرتبة على كبار المسؤولين والشخصيات المرموقة وتمتين الروابط بأرباب الزوايا وإظهار القوة الفرنسية بممارسة حق المطاردة على الحدود المغربية وإبداء الأساطيل الفرنسية على الشواطئ المغربية وإلحاق ما يمكن إلحاقه من التراب المغربي بالممتلكات الفرنسية ومعاكسة ذلك كلما حصل من جهات أخرى (إسبانيا مثلاً) وتوظيف الصحافة للتنويه بكل ما تقوم به فرنسا.

والباب الثالث في كيفية التدخل في شؤون المغرب مباشرة بواسطة البعثات العسكرية وطقومة الأساطيل السلطانية والمجلس الصحي واللجن الصحية على اعتبار أنها نواة المجالس البلدية يوم يتم الاستعمار وإدخال موظفين فرنسيين في جهاز المخزن نفسه.

والباب الرابع عن الوسطاء بين فرنسا والمجتمع المغربي فهم اليهود المغاربة أو الجزائريون والمسلمون الجزائريون والعلوج والمهاجرة من مسلمي الجزائر الذين مضت عقود على إقامتهم في المغرب.

والباب الخامس عن تكثيف الوجود العددي الفرنسي في البلاد وتشجيع المهاجرين ومساعدتهم على امتلاك العقار والنهوض باستغلال الأرض والباب السادس عن وسائل إثبات الوجود الفرنسي بتشييع المقاولات الصناعية وتنمية التجارة بتنمية الخطوط الملاحية واجتذاب الطرق التجارية نحو الجزائر وتمديد الشبكة البريدية والتلغرافية والحث على بناء السكة الحديدية وفرض العملة الفرنسية وإحداث المصارف والأبناك الفرنسية.

والباب السابع عن كيفية تقوية الغزو المعنوي بالنهوض بالأعمال الصحية والخيرية ومساعدة البعثات الدينية والتربوية مع إحداث مدارس فرنسية عربية واجتذاب الطلبة المغاربة إلى المدارس الجزائرية ونشر الكتب والصحافة العربية من الطابع الفرنسية واستقدام أكثر ما يمكن من المغاربة للجزائر ليطلعوا على محاسن الحكم الفرنسي.

أما الباب الثامن والأخير فإن دوطي ألح فيه على لزوم النهوض بأعمال المسح العلمي للمغرب والاكثار من البعثات العلمية مع نشر نتائجها والترويج لها من خلال الدوريات والمحاضرات.

وقد استفاد هو من ذلك فتنقل عبر المغرب ونتج عن ذلك أجود ما كان من تآليفه ومنشوراته، فإنه جمع ملاحظاته وارتساماته في مجلدين ضخمين أولهما نشره تحت عنوان *"مراكش"* وهو ما رأى وما التقط من الأخبار في رحلة من الدار البيضاء إلى مراكش عبر الجديدة وأسفي ثم بلاد عبدة والرحامنة، والثاني نشر تحت عنوان *"من خلال القبائل"* وهو رحلة من مراكش إلى الدار البيضاء عبر قبائل گندافة وسفوح الأطلس الغربي الشمالية والأودية الخارجة منها. بما في ذلك أغمات وزاوية سيدي رحال وقبيلة أبي السبع وقبيلة حاحة فالصويرة ثم نحو أسفي والدار البيضاء ومنها إلى الرباط ثم ذهب إلى مكناس وفاس وعاد ليغادر البلاد وفي هذين الكتابين يتجاوز دوطي مستويات المتجسس الاستعماري الراغب في كشف الستار عن

عورات البلاد ليرقى إلى مستويات العالم السوسيولوجي الذي يروم الترفع عن الأغراض الآنية ليسبر أغوار الأمور بشيء من الموضوعية ففيما تجده يتبنى بعض الأوهام الاستعمارية مثل الظن بأن البربر هم مستقبل الإستعمار في المغرب أو أو ابداء منتهى التقزز من القبائل العربية لشيء إلا لأنها رحلية فإنك تجده من جهة أخرى يتناولُ بعض الأمور بتمام الحيطة والموضوعية فيقارن مثلاً ما وقف عليه من الخرافات والطقوس في المغرب بما كان يوجد منها في أوربا عامة وفي بادية فرنسا على وجه التخصيص كما ينوه بنبل المغاربة وحسن سريرتهم على بساطة عيشهم ويتأسف سلفاً على ما قد يتلاشى من ذلك يوم تدخل عليه المدينة الصناعية فله في هذا الباب فقرات كأنها مستوحاة من الفيلسوف روسو (Rousseau) مباشرة.

ومن أفيد ما جاء به ما كتبه عن البنيات الاجتماعية والسياسية للقبائل التي زارها كأوصافه لقبيلة الرحامنة في كتاب *"مراكش"* وأوصافه لقبيلة حاحة في مقال أصدره سنة 1905 في مجلة *"الاستعلامات الاستعمارية"* وأيضاً وصفه للسلطنة المغربية في مجلة *السياسة البرلمانية* (ستنبر 1909) ففي هذه الأبحاث يبدو دوطي عالماً بكل ما في الكلمة من معنى. وله إشارات واستخلاصات تدل على أنه أحسن استكناه المجتمع المغربي وأدرك منه ما لم يدركه آخرون فمن ذلك قوله عن الملكية في المغرب إنها "ليست مؤسسة سطحية أو مما يمكن عدم أخذه بعين الاعتبار" وترتبط هذه الملاحظة بأخرى اعم منها وهي أن النظام السياسي المغربي مختلف كل الاختلاف عن الفيودالية لأن الملك فيه أمير للمؤمنين مبايع له من قبل ممثلي الأمة، وهو في آن واحد شريف بركة يتبرك بشرف نسبه، والقواد إزاءه لا يتميزون عن باقي الخدم والحشم. وقال عن النظام الحكومي المحلي بأنه قائم على الروابط القبلية العريقة أكثر مما هو قائم على الوجود المخزني قال : "ينحصر التمثيل المخزني محلياً في القواد وفي عدد من المخازنية والفرسان [...] ولذلك لا غرابة أن لا يقع الإقليم في الفوضى إذا هم انسحبوا وتلك هي المفارقة السوسيولوجية التي تعترض أنظار الملاحظ في أكثر من جهة من جهات المغرب وبخاصة في الجهة التي تشغلنا منذ ما يقرب من أربع سنوات (حاحة) فمنذ ما يقرب من أربع سنوات ومنذ وضع الترتيب الشهير لم يعد أحد يؤدي الضرائب وأضحى عدد القواد يتقلص يوماً عن يوم [...] وحيث إن السلطة قد اختفت فالمنتظر أن نجد البلاد في فوضى رهيبة والأسواق خالية والتجارة متوقفة والطرق غير مأمونة والحقول غير مزروعة [...] لكن العكس هو الذي حصل الفلاحة أزهى من أي وقت مضى والمبادلات مزدهرة والسبل سالكة، على المسلمين على الأقل، والسكان مغتبطون وفي بحبوحة من العيش" مما ينفي ما كانت تروِّج له الدعاية الاستعمارية من أن الفوضى هي ما كان يطبع الحكم في المغرب ولذلك ألح دوطي على ضرورة التعامل مع الواقع المغربي بمنتهى الحذر وبأكثر ما يمكن من التجرد فقال : "من الصعب على المسيحي أن يقوِّم المسلم حق قيمته وذلك لأن الحوافز العنصرية تعمينا رغماً عنا فنجعل ورعهم تعصباً وزهدهم كسلا وتعاضدهم عصبية [...] وهكذا فإننا كثيراً ما لا نرى لدى المسلمين ما في بساطة عيشهم من الروعة وما في كلامهم من التمييز وما في وسواسهم من الحشمة وهو ما يطلقون عليه اسما لا سبيل إلى ترجمته وهو "الحياء" [...] وإن الحضارة الإسلامية في المغرب تخفي تحت غطاء التوحش ملاطفات لا نظير لها..." ثم ذهب دوطي بعد ذلك يتساءل عن مصير كل تلك الفصائل بعد الغزو الفرنسي متمنيا أن لا ينحصر هذا الغزو عند إقحام المغرب في مدنيات الصناعة والتصنيع واضعاً بذلك معنى الاستعمار في ميزان التاريخ.

أما آخر ما صدر من أهم مؤلفاته فهو كتابه عن *"السحر والعقيدة في إفريقيا الشمالية"* ذكر فيه كل ما وقف عليه مما كان يشوب العقيدة الإسلامية يومئذ في البلاد من الشوائب في مختلف الميادين ومبديا مدى ما كان من التفاعل بين المعنويات والمستويات المادية التي كان يوجد عليها المجتمع المغاربي في طليعة هذا القرن.

توفي دوطي سنة 1926.


J. Berque, *Cent vingt-cinq ans de sociologie maghrébine, Annales, Economie - Société, Civilisations*, Juillet-Septembre, 1956 ; D. Rivet, *Lyautey et l'institution du Protectorat*, T. I, Paris, 1988 ; E. Doutté, *L'Islam algérien en l'an 1900*, Alger, 1900 ; *Notes sur l'Islam Maghrébin : les Marabouts*, Paris, 1900 ; *Enquête sur la dispersion de la langue berbère en Algérie*, Alger, 1913 ; *Les Djebalas du Maroc d'après les travaux de M. A. Moulièras*, Oran, 1899 ; *Des moyens de développer l'influence française au Maroc*, Paris, 1900 ; *Marrakech*, Paris, 1905 ; *En* [illegible] Paris, 1914 ; *Magie et religion dans l'Afrique du Nor*[illegible] 1909


إبراهيم بوطالب

**دوفوكو**، ف. شارل V. Charles De Foucauld رحالة مستكشف ومبشر فرنسي ولد بمدينة سترازبورغ Strasbourg بفرنسا سنة 1858 تلقى تربية دينية في وسط مسيحي محافظ.

قام برحلات استكشافية في بلدان عربية منها فلسطين وسوريا والجزائر التي أقام بها مدة طويلة، كما قام برحلة إلى المغرب استغرقت سنة كاملة استطاع خلالها أن يتعرف على المناطق الشمالية والجنوبية من البلاد رغم صعوبة مسالكها وخطورة أوضاعها.

ففي سنة 1883 انطلق دوفوكو من مدينة طنجة قادما من الجزائر ومتنكراً في زي يهودي، ورغم قصر المدة التي قضاها بالمغرب فإنه استطاع أن يصف مجالاته الجغرافية والطبيعية من جبال وهضاب وسهول وأنهار كما خص حيزاً وافراً لوصف المدن والقرى والسكان وأنشطتهم وإنتاجهم

وعاداتهم وتقاليدهم واعرافهم ولهجاتهم وقد أتى هذا الوصف في غاية الدقة والاتقان والموضوعية.

كان اهتمام دوفوكو بالدرجة الأولى في هذه الرحلة هو الوقوف والتعرف على المناطق التي لم يحظ سابقوه من الأوربيين باستكشافها، فقد تحدى وعورة ومخاطر هذه المناطق حيث سلكها مشيا على الأقدام أو ممتطيا الدواب مصحوبا بخفر من الأهالي ووحيداً في المناطق الآمنة. زار دوفوكو في رحلته علاوة على المناطق الشمالية بلاد تادلا وسوس ودرعة والصحراء المغربية وتعرف على معالمها الطبيعية والعمرانية والبشرية، كما رسم خرائط للمسالك التي اجتازها والمواقع التي شاهدها، ولم يكن بحوزته طوال هذه الرحلة سوى دفتر صغير الحجم وقلم رصاص لا يتعدى طول الأصبع بالإضافة إلى آلة دقيقة لرصد وقياس المرتفعات التي رسمها بدقة متناهية.

انتهت رحلة دوفوكو إلى المغرب يوم 23 ماي 1884 حيث غادر مدينة وجدة عائداً إلى للامغنية بالجزائر. وفي سنة 1901 انضم دوفوكو إلى الكنيسة وأصبح قسا واعتكف بالصحراء بمنطقة بني عباس. ثم بعد ذلك بتمانراست. وتعرض لمحاولة اغتيال سنة 1905 من طرف السنوسيين إلا أنه نجا باعجوبة وظل في خلوته بتمانراست إلى سنة 1916 حيث قتل هناك.

خلف دوفوكو عدة مؤلفات من أهمها رحلته إلى المغرب التي دونها وطبعها في فرنسا بمساعدة دوڤيري Duverier والتي سماها *Reconnaissance du Maroc 1883 - 1884* التعرف على المغرب. كما ألف *قاموسا باللغة الفرنسية في لهجة الطوارق* وكذا *ديوان شعر بلهجة الطوارق*.

Ch. Eugene, *Vicomte de Foucauld, Robert II*, p. 670 ;
Ch. de Foucauld, *Reconnaissance du Maroc 1883 - 1884*, p. 140 - 142.

محمد بلعربي

**الدوقات**، أو الدوكات اسم للدينار الذهبي المضروب بإيطاليا في القرن الرابع عشر للميلاد واسمه Ducat آتٍ من لقب الملك وهو "دوق" وقد استعملت الدوقات في المغرب بكثرة في القرن العاشر (16 م) أواخر العهد السعدي، وفي عهد الإمارة السملالية بسوس. وتعتبر سكة الدوقات من الذهب الخالص، ويقابل وزن الدينار منها 15 قيراطا من التبر يساوي 2,9 غ. وكانت هذه الدوقات تصرف في المعاملات التجارية بأوقيتين وثمن الأوقية للدينار إلى غشت سنة 1561 فأصبحت بعشرين قيراطاً من التبر وتزن 3,88 غ، وكان الدينار منها يروج بسعر ثلاث أواقي، وتطور سعر سكة الدوقات هذا كان على حساب الدينار المغربي، فلم يبلغ سعر الدينار العشري بسبب بخس عياره إلا 16 قيراطاً ووزنه 3غ والدينار السباعي لم يبلغ إلا 15 قيراطا ووزنه 29 غ. وقد بلغ دينار الدوقات أقصى ما بلغه في الارتفاع في يوليوز 1588 حيث بلغ رواجه ست أواق وكان ذلك أوائل عهد السلطان أحمد المنصور، ثم تناقص في عهد الإمارة السملالية فاستعمل بدله ميزان التبر، ولكن استعمال الدوقات ظل موجوداً في المعاملات التجارية مع الأوروبيين إلى جانب قطعة البندقي والدبلون إلى نهاية القرن الثاني عشر (18 م).

ع. أفا، *مسألة النقود في القرن التاسع عشر*، ص. 402 ؛ *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، الرباط، ص. 46 ؛ الكرملي أسطاش، *النقود العربية وعلم النميات*، ص. 111 ؛ *النقود في العهد السعدي*، نماذج ببليوغرافية، مجلة تاريخ المغرب، عدد 7 ـ 8 سنة 1998، ص. 30 ـ35.

عمر أفا

## دوكاستر ← دي كاستر

**دوكور** أنطوان A. Ducors تسميه الوثائق المغربية نينُو ـ بنون ممدودة أو دون مدّ : نينُ صيغة مختصرة لأنطوان. وهو تاجر فرنسي استوطن الرباط منذ ما قبل 1280 / 1864 حتى توفي فيه في صدر القرن العشرين. ولي النيابة القنصلية عن بلاده وعن إيطاليا في أول الأمر. وكان من جملة نشاطه الوكالة عن السفن التجارية القادمة أو الراحلة من مرسى العدوتين، ولا سيما مراكب المُساحلة التي كانت تنقل البضائع والنتوجات من مختلف المراسي واليها.

وقد اتخذ بوصفه وكيلاً قنصلياً محميين وسماسرة وخلطاء بالمدن والبوادي المحيطة بسلا شمالاً مثل قبائل بني أحسن وسفيان وبني مالك أو المجاورة للرباط جنوباً كزعير وعرب الصبّاح والحوزية والأوداية وحتى زمور والشاوية. كان في كل ذلك يدافع عن مصالحه ومصالح بلاده في شيء غير يسير من الحدة والتعسف أحياناً.

وإضافة إلى ذلك أسند إليه تسْيير البريد الفرنسي بالرباط والنواحي. وكان في بعض الأوقات ولاسيما سنة 1311 / 1893 يشتكي من بعض النهاب بناحية الغرب الذين سطوا على حقائب البريد (رسالة إلي أحمد الطالبي في 29 صفر 1311 / 11 شتنبر 1893، وثائق بنسعيد). وقد فكر سنة 1317 / 1899 في إنشاء مركز للبريد بسلا وكلف أخا مُحمد بن الحاج مُحمد بن دحمان السلاوي بأن يتخذ متجره مقراً له، لكن السلطة المحلية لم تساعده في ذلك الوقت (م. بوشعراء، *التعريف*، ج. 2، ص. 254).

تردد ذكره في الوثائق المغربية طيلة ثلث قرن، وكانت مراسلاته في أواخر القرن الماضي مختومة بطابع مستدير وصغير وبداخله نقش ما يلي فيه : "أنطوان دكور الفرانسيسي، لطف الله به". ولربما كان يعرف العربية أو الدارجة على الأقل لطول مقامه. كانت له مع السلطات الإدارية والحبسية والقضائية والمالية مشاكل متنوعة، وكانت له مع السكان معاملات مختلفة.

ففي سنة 1280 / 1864 استرعت السلطات المغربية على خروجه إلى البوادي للصيد وغيره وحملته هو وقنصل الانجليز بالرباط وهو جيمس درامونـد هي شقيق سفير انجلترا بطنجة مغبة هاته المغامرة.

وسمع السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان عنه الكثير فقال سنة 1285 / 1868 إن دوكور "يحاول أن يكون نائباً عن جنسه هناك، وهو معروف بالطيش والتعدي، كما هو معروف بالعدوتين".

وفي سنة 1884 / 1301 كتب عنه العامل السويسي إلى مَحمد بركّاش قائلاً : "فقد أجبتك عن شكوى بولنوار في غير هذا، ولم نبالغ في الجواب اتقاء لشرّ نينُ".

واستمر في هاته المعاملة مع محمد بن الحاج محمد السويسي الذي خلف أخاه بعد وفاته في الولاية على الرباط فقال عنه سنة 1306 / 1889 : "خليفة نائب الفرانصيص هنا المسمى أنطوان دكور المعروف نينو قد ضيق بنا غاية الضيق، وحاد عن سلوك القوانين، وطال ما ساعدنا وباشتنا، وأمره كل يوم يتزايد"، ثم عدد أمثلة من تصرفاته.

وحتى مع السلطات المحلية الأخرى في البوادي كان يشتكي ويحتج. ومن ذلك مثلاً ما قاله سنة 1870 في رسالة بعث بها إلى فرانك ولدريدج F. Wooldridge قنصل انجلترا وفرنسا بالرباط : إن محمد بن العربي ابن خدة الثورى الصفاعي الذي كان أحد قواد بني حسن حتى سنة 1872 ( *قبيلة بني أحسن*) سجن خماسيه ورعاته أكثر من 15 يوماً حتى تعطلت أشغاله، ثم طالب بتعويض عن الخسارة التي لحقته من ذلك ( *الاستيطان*، ج. 2، ص. 791).

ولئن كانت هاته التصرفات من لدن القواد إزاء إخوانهم مذمومة فإن ذلك لا يعني أن دكور كان مبالغاً.

وفي هذا الصدد وقفت في وثائق وزارة الخارجية الفرسية على نص رسالة وجهها نينو إلى أوگوست ده فيرنويي A. de Vernouillet الوزير المفوض لفرنسا بطنجة مؤرخة في 11 ماي 1880 يتّهم فيها أحد قواد التوازيط الذين هم فرقة من أولاد نعيم من قبيلة بني حسن وهو العربي بن محمد التازرطي.

وكان دوكور على أسوإ حال مع قاضي الرباط ملين سنة 1302 / 1885 ، فقد نسبت له الوثائق "سبه القاضي في محل حكمه، وهجومه على السجن "فُورْصَة"، وإخراج مسجون من رعية هذه الإيالة لاحماية له، وكان مسجوناً في قضية شرعية" ( *الاستيطان*، ج. 2، ص. 793).

وقد تبرأ دوكور من هاته التهمة الواردة في رسالة مَحمد بركّاش إلى الطريس فقال الوكيل القنصلي المذكور : إنه وقع لنا كلام مع القاضي السيد أحمد ملين في شأن رجل غرباوي كنا وجهناه له مع رجل آخر غرباوي أيضاً، وكلهم أصحاب الحمايات ليعمل لهم الشرع ويحكم عليهم بما أنزله الله، وفشت من ذلك أخبار بروايات مختلفة لا أصل لها : يريدون بذلك التخليط والخوض بين الناس. ومقامك لا بدله من التحقيق للدعوى ليقف على تصحيحها ويكون على بال منها (المصدر نفسه).

وتكذيباً لدوكور وضعت مواجب عدلية تشهد بأنه هجم عنوة على السجن، وشهد بذلك القائمان عليه وهما : الحاج محمد روديـاس والحاج التـهامي بن الـزيـاني (أيضاً، الصحفة نفسها).

أما أمينا مرسى العدوتين فقد ذكرا عنه ما هو أفظع. ذلك أنه في سنة 1304 / 1887 وجه دوكور عونه محمد بن الشرقي الأوديي "ليخرج صندرقاً، زاعماً أن بداخله مكينة آلة الخياطة، فوجدنا مكتوباً على ظهر الصندوق : أحمد فرج" فامتنع الأمينان من تسليمه للمخزني "بدون قانون، فتلاحي مع حمال عاب عليه الشتم الصادر منه". وفي ذلك الوقت آتى نينو" وبيده عصى فجعل يضرب الحمال المذكور بباب الديوانة" وختم الأمينان وهماا :الصديق بركّاش وعبد السلام بن يحيى رسالتهما إلى الطريس منددين بـ "طيش هذا النصراني باليد واللسان" (المصدر المذكور، ص. 793 - 794).

وقد أكد محمد السويسي في رسالة إلى الطريس في اليوم ذاته ما وقع من دوكور الذي "تشاجر مع خدمة المرسى" وضرب أحدهم "ضرباً بالغاً على ملإ من الناس، وما قصر من الشتم والسب على الأمناء ومن القول الخارج على الموضوع" (نفسه).

وإلى جانب العامل والقاضي والامينين كان ناظر الأحباس قد اشتكى بأنه امتنع من أداء واجب 46 شهراً آخرها غشت 1890 عن كراء ثلاثة أمكنة حبسية بالرباط معلقاً بلاريب تسديد الواجب على فصال دعاويه. أولاً : وعلى ذكر ذلك كان الأمناء قد بنوا له بسوق الغزل مطحنة سنة 1292 وأكروه أياها لمدة 16 سنة.

وهاته المماطلة كانت تحصل له مع الناس أيضاً فقبل سنة 1302 / 1885 اشترى دوكور من الحاج محمد بن علي الدكالي (عمّ المؤرخ السلاوي محمد بن علي) عدداً من جزات الصوف بـ 1300 ريال، لكن المشتري لم يؤد لسبب ما المبلغ المذكور، فضاق به الحال وتوجه مشتكياً إلى سلطات طنجة مرتين دون جدرى. فتدخل عامل سلا في حقه لدى برگاش النائب السلطاني قائلاً : إن الدكالي "اشتكى على نائبك الحاج محمد الطريس، وكلم الباشدور الذي سافر، وكتب لقونصو الدار البيضاء، وجاوب الباشدور، وهو أخبر الحاج محمد الطريس بأن أنطوان المذكور سيفلس.

"وما صح لابن علي الدور وسط الغرماء، وأنطوان غاني (= غني) بالقدر الذي بذمته. فالمروم من سيادتك : خذ بيده، وكن له واسطة خير حتى يتوصل بحقه. وتعلم : وأن القضايا التي تكون لرعيتهم ـ ولو كانت لا حقيقة لها ـ يقبضونها. وهذا الرجل حقه ظاهر لاريب فيه.. (أيضاً).

ومرت سنتان على هذا حتى مات الدكالي ولما يقبض ورثته مانابهم في موروثهم (*وثائق بنسعيد*).

ولم يكن دوكور خليطا مع عامة الناس، فقد عقد مخالطة مع أحد قواد آيت علي والأحسن من قبيلة زمور الشمالية وهو حمادي والأحسن المقروط المهطمي (الذي كان سنة 1294 / 1877 قائداً على هاته العشيرة) وهكذا وضع دوكور عدداً من رؤوس البقر عند حمادي المذكور سنة 1299 / 1882، فقام أفراد من فرقة عامر من قبيلة بني أحسن بالسطو على ثلاثة عشر رأساً منها من دوار المقروط الزموري، وذلك رداً للثار مما كان بين زمور وبني أحسن من الصراع على المراعي وعلى الأراضي (م. بوشعراء، *قبيلة بني حسن، 1860 ـ 1912، مخطوط*).

وأخيراً في باب المعاملات أشير إلى أن دوكور كان شبه محام ووكيل في قبض ديون الناس مُقابل أدائهم 10٪ منها له. (وثائق الخزانة الصبيحية 28 رمضان 1313).

ومهما يكن من أمره مع الناس فقد لبث بعضهم مصراً على معاداته إن كان في ذلك ضرر عليهم. إذ في سنة 1886 مثلاً لما بنى مكاناً بحي اللوبيرة من رباط الفتح وأراد بعد ذلك أن يتخذه طاحونة له قام جيرانه بوضع موجب بالضرر والضوضاء (*الاستطان*، ج. 2، ص. 794).

ولا ينبغي أن يفهم من جميع ما تقدم ذكره أنه كان عدواً لدوداً للمغاربة، حقاً كانت فيه جرأة وجسارة، لكن مصالحه وحالة الإدارة المغربية دفعته إلى اتخاذ موقف مما كان يواجهه من مصاعب. ولا يخامرني شك في أن بعض الرباطيين كانوا على أحسن علاقة معه مثل آل برگاش الذين تزوج أحدهم وهو الحاج المكي نجل النائب السلطاني مَحمد بن عبد الرحمان بنت دوكورو اسمها إيميلي Emilie، وذلك سنة 1890. وقد أسفر هذا الزواج عن ولد واحد وبنتين. ولما مات الحاج المكي المذكور حوالي 1324 / 1906 طلبت حقها في متروك زوجها، فامتنع القاضي من ذلك ما لم يثبت لديه إسلامها. فكتبت رسالة إلى الحاج محمد الطريس تخبره فيها بأنها أسلمت قبل ذلك بست عشرة سنة وأنها صامت، وختمتها بأنها "أمة ربها فاطمة المنون عليها بدين الاسلام" وبنت القونصول الفرانصاوي الذي كان بالرباط" (رسالتها مؤرخة بـ 24 رمضان 1324 / 11 نونبر 1906، م وم). فما كان من النائب السلطاني إلا أن أحال الأمر على القاضي المكي البطاوري الذي أجابه بأنها حضرت لدى عدلين وأسلمت وأنها بعد مدة يسيرة تزوجت بنصراني وصارت تخرج معه سافرة ويدها في يده وأنها بعد مدة أخرى رجعت إلى الإسلام ولبست ثياب المسلمين. فتوقف القاضي عند الإشكالية المطروحة : هل هي مسلمة فعلاً أم أنها ارتدت، وفي هاته الحالة تجب استتابتها ثم إقامة الحد عليها. غير أنها لما أسلمت ثانية بدون استتابة خففت شيئاً ما من الموقف الحرج. وختم رسالته إلى الطريس ذاكراً أنه سلمها الصك المبرهن عن إسلامها.

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أن حفيدة دوكور تزوجت بالفقيه محمد بن إبراهيم بلگناوي المعروف بالبيضاوي والمتوفى سنة 1380 / 1960 حسبما رواه لي المرحوم الفقيه الحاج العربي بنسعيد. وهذا يبدو لي قريباً من الصواب، وهو على كل حال خلاف ما ورد في معلمة المغرب، ج. 4، ص. 1359 ـ 1360 من أن بلگناوي المذكور تزوج بنت دوكور، وذلك لوجود فارق كبير في السن بين المرأة بنت النائب القنصلي وبين بلگناوي. ولا يجوز قبوله إلا إذا كان هذا الزوج قد عقد على امرأة أكبر منه سناً وتزوجت به بعد برگاش وبعد النصراني المومإ إليه في رسالة القاضي البطاوري.

ويظهر لي أنه في سنة 1326 / 1908 كان دوكور قد عجز وشاخ أو أنه مات حوالي ذلك الوقت فعين لوي لريش قنصلاً لفرنسا بالرباط خلفاً له (رسالة القنصل إلى الحاج الطيب الصبيحي في 28 قعدة 1326 / 23 دجنبر 1908، خ ص. 804، السلسلة الأولى).

هذا ولم يكن دوكور بدعاً بين هؤلاء المستوطنين المتصلبين، إذ كانت هناك أمثلة أخرى لهم في نواح شتى من المغرب.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج. 2، لدى ترجمة دوكور، ص. 789 ـ 795 ؛ *والتعريف بني سعيد*، ج. 2، ص. 64 و254 ؛ *وقبيلة بني أحسن*، 1860 1912، مخطوط ومحمد حجي، *معلمة المغرب*، ج 4، ص. 1359، ووثائق آل بنسعيد ووثائق الخزانة الصبيحية ومستندات مديرية الوثائق الملكية ووثائق مكتبة تطوان ووثائق الخزانة العامة بالرباط ووثائق آل برگاش ورواية المرحوم الحاج العربي بن عبد الله بنسعيد السلاوي.

مصطفى بوشعراء

**دوگول** (الجنرال) ← **دي گول**

**دولاكروا**، أوجين Delacroix Eugène رسام تشكيلي فرنسي ولد سنة 1798 بسان موريس قرب باريس ونشأ في عائلة جل أفرادها يستهويهم عالم الإبداع فتأثر منذ صغره بأفكار وأعمال فنانين وأدباء كبار أمثال بيرون Byron وشكسبير Shakespeare وغوتة Goth وغيرهم. وبارشاد من طرف أحد أقاربه التحق بمرسم گيران Gerin حيث اكتسب تجربة كبيرة مكنته من ولوج باب الشهرة.

وفي سنة 1832 حل بالمغرب مرافقا للدوق شارل دومارناي Ch. De Marnays في سفارة للسلطان المولى عبد الرحمان.

خلد دولاكروا رحلته إلى المغرب في لوحاته وتقاييده وقد استغرقت الرحلة ستة أشهر وامتدت من طنجة إلى مكناس، أعجب دولاكروا بالمغرب وبساطة أهله التي تتجلى في ملبسهم ومأكلهم ومجالسهم وخاصة سكان البوادي، كما استهوته الوان الطبيعة العذراء التي لم تدنسها المدنية حسب تعبيره. طيلة الستة أشهر التي قضاها دولاكروا بالمغرب رسم العديد من اللوحات تشخص الطبيعة والخيول التي كان مولعا برسمها، وكذا وجوه الأشخاص وبعض المراسيم والاحتفالات الملكية كما رسم العديد من اللوحات الخاصة بالسلطان المولى عبد الرحمان.

ومن أشهر لوحاته نزهة قنص ـ العرس اليهودي ـ سلطان المغرب ـ نساء الجزائر.

استفاد دولاكروا من رحلته إلى المغرب وإثر عودته إلى فرنسا غير أسلوبه التشكيلي حيث تأثر بما شاهده وعاشه بالمغرب. وقد بدا ذلك واضحا في لوحاته التي رسمها بعد رجوعه إلى فرنسا والتي كانت تحمل نفحة استشراقية.

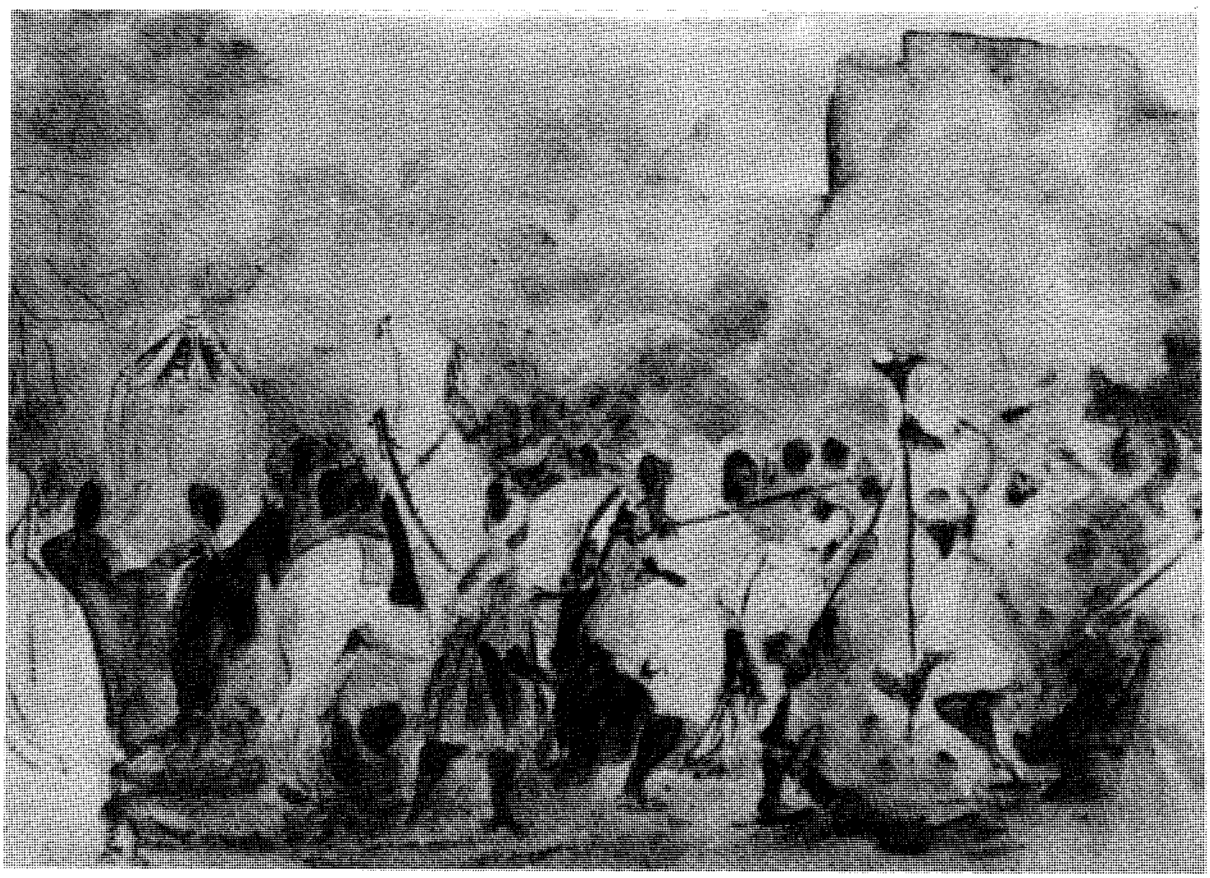

-4107-

توفي دولاكروا بفرنسا سنة 1863.

وبمناسبة تنظيم مهرجان سنة المغرب بفرنسا في نهاية القرن العشرين أقيم معرض لهذا الفنان عرضت فيه كل اللوحات التي شخصها حول المغرب.

B. Rouget, *Voyages à travers l'histoire du Maroc*, p. 92 - 93 - 95 ; *Petit Robert*, p. 517.

محمد بلعربي

**دُولانُـوي** گي (Guy Delanoë) طبيب فرنسي ولد بالجديدة في غضون 1916، بمنزل مغربي يحادي المسجد الملقب "بالدخلاني"، أي داخل الحي البرتغالي الذي كان يسمى إلى سنوات قليلة بالملاح.

تلقى تعليمه الابتدائي بالجديدة والثانوي بليسي گورو بالرباط، ثم التحق بمدينة استراسبورغ بفرنسا حيث تخرج هناك في كلية الطب بعد سبع سنوات، ثم ذهب إلى باريز للتخصص في أمراض القلب.

رجع الدكتور گي دولانوي إلى المغرب عام 1951 فتمّ تعيينه طبيبا بمؤسسة تابعة لميناء الدار البيضاء "المناولة المغربية" التي كانت تشغل وقتئذ ما يزيد عن 1800 عامل يفتقرون إلى العناية الصحية. لاحظ دولانوي الفوارق الكثيرة التي ظلّت في عهد الحماية تميّز العمال المغاربة عن "الأطر" الأوربية العاملة بالميناء، ذلك أن الأجور والتعويضات التي كانت تمنح لهذه الطائفة الأخيرة تفوق بكثير أجور المغاربة الزهيدة.

وبعد مظاهرات دجنبر 1952 بالدار البيضاء والاعتداء على محمد الخامس في 20 غشت 1953، شكل جماعة من المغاربة الوطنين والفرنسيين الأحرار جمعية سمّوها "الصداقات المغربية وشكل فرنسيون متطرفون وإرهابيون جمعية سموها "الحضور الفرنسي" (Présence française) فردّ عليهم أحرار آخرون، كان عددهم خمسة وسبعين من بينهم أرباب مصانع. وصحافيون وأساتذة، بتحرير عريضة "الـ 75" من الاقطاب الفرنسيين مطالبين الحكومة الفرنسية بإلغاء كل الاجراءات التي اتخذتها الإقامة العامة منذ 1950، وإلغاء حالة الطوارئ المفروضة على المغرب منذ 1912، ثم شكّلوا جمعية سموها "الضمير الفرنسي" (Consciences française) وانتخبوا گي دولانوي رئيسا لها.

فراح دولانوي يدعو إلى السلم بين الفرنسيين والمغاربة ويحث الأولين على التحلي بسمو الاخلاق والفضيلة المسيحية التي تلتقي الفضيلة الإسلامية وتدعو هي الأخرى، كما صرّح بذلك إلى التسامح. وأخذ ينتقل بين الحين والآخر إلى كبريات المدن المغربية، يجتمع فيها ببعض الفرنسيين المتحرّرين، وأذكر على سبيل المثال گيلّوم (Guilaume) أستاذ الفلسفة بمراكش، ودونيز ماسون (Denis Masson) المستعربة التي ترجمت القرآن، وبأگادير الدكتور دوماكون (Demacon) والدكتور شارل بوڤري (Ch. Bouveret) بالصويرة وغيرهم بالرباط وفاس، إلى آخره وامتدّت دعوة دولانوي إلى أصحاب القرار وأصحاب النفوذ في الميادين الاجتماعية دون إغفال رجال الكنيسة بفرنسا - فهذا فرنسوا مورياك (F. Mauriac) يسخّر قلمه على أعمدة الفيگارو (*le Figaro*)، وهذا جان دانييل (J. Daniel) يثري القراء بمقالاته على أعمدة لونوفيل ابسرفتو (*Le Nouvel Observateur*) ثم روبير بارا على صفحات تيموناج كريتْيان (*Témoignage Chrétien*) وبوف ميري (Hubert Beuve-Méry) صاحب جريدة لوموند (*Le Monde*) كلهم تجنّدوا وجعلوا من الكلمة سلاحاً لتقويم السياسة الفرنسية تجاه المغرب.

ورغم هذا السند المعنوي والمادّي لما صار يسمى في الدوائر السياسية الفرنسية والعالمية بـ "القضية المغربية" فان گي دولانوي بات يتعرّض للمضايقات حينا ولمحاولات الاغتيال أحيانا أخرى بالدار البيضاء على ايدي جماعات ارهابية فرنسية أجرمت في مقتل أقطاب من المواطنين المغاربة مثل عمر السبتي، وآخرين فرنسيين مثل لومگر ديبروي J. Ch. Le Maigre - Dubreuil في أواخر يونيو 1955. وقد تمّت هذه الاغتيالات في عهد المقيم فرانسيس لاكوست (Francis Lacoste).

وتظافرت الجهود لإقناع الحكومة الفرنسية - التي كان يرأسها حينئذ الراحل إدگارفور، أحد أصدقاء المغرب - فنحّت ف. لاگوست وعوّضته بالجنرال جيلبير گرانڤال، المتحرّر بأفكاره وسلوكه تجاه قادة الاستعمار، فحلّ بالدار البيضاء يوم 7 يوليوز 1955 في جوّ من الاضطرابات والاغتيالات وانفجار القنابل. فلم يجد في استقباله إلا عدداً قليلاً من المسؤولين الرسميين وعدداً كبيراً من أنصار "الصداقات المغربية" و "الضمير الفرنسي" ذلك لأن "الحضور الفرنسي" سبق إلى معاداته من أجل أفكاره ومن أجل أصوله اليهودية.

وعندما استقرّ گرانڤال في مكاتبه بالرباط، شرع في اجراء مشاورات مع "أصحاب الرأي العام" المحليين بدون استثناء، فكان گي دولانوي من بين الذين أدلوا بما يفرضه الضمير المتفتّح على آفاق مستقبلية، ملحّا على ضرورة إصلاح ما أفسدته سياسة الإقامة العامة.

إلا أن الأمور أخذت تتفاقم داخليا، بين اشتداد التطرف الفرنسي وبين اشتداد أعمال المقاومة في مجموع التراب الوطني، وأخذت رياح عاصفة تهزّ أركان الحكومة الفرنسية. وتعالت أصوات الأحرار من الفرنسيين لتحذر من عواقب التمادي في سياسة الاستعمار، وكان گي دولانوي يواصل الجهود مع أصدقائه المغاربة للتعجيل برحيل ابن عرفة. وقدّم گرانڤال استقالته احتجاجا على غموض السياسة الفرنسية وذلك في متمّ غشت 1955، مما جعل ولايته اقصر ولاية في عهد الحماية إذ لم تعمّر إلا سبعة

أسابيع، وهو ما بدا في وقته مؤشراً لبداية النهاية.

استمرّ دولانوي في عمله المهني بعد الاستقلال وقد توطّدت علاقاته الوديّة بالمغاربة وأصبح المغرب همّه الوحيد واعتبر أنه أنهى مرحلة وعليه أن يشرع في انجاز عمل آخر، يتطلب التفرّغ الكامل، فأرجأه إلى حين مؤات.

وما كانت هذه الانشغالات لتنسيه مسقط رأسه، الجديدة إذ كتب على نفسه وجوب الحج إليها لإحياء الذاكرة، فيترحّم على والديْه وعلى من توفي هناك من أصدقاء أسرته، ثم يعرّج على المستشفى المركزي حيث اشتغل والداه بعد أن قامت أمه بالإشراف على تشييده، ثم يطل على زقاق يحاديه فيرى الصفيحه الرصاصية التي ألصقت عليه وهي تحمل اسم "زنقة الدكتورة ماري دولانوي" ولا زالت قائمة إلى الآن. وقبل أن يبرح المدينة يختم حجه إليها بزيارة إلى الحي البرتغالي، ويقف لحظات أمام المنزل الذي وُلد فيه فيتذكّر أسرته وجيرانها ويتذكر أذان المؤذّن في صمت وخشوع.

وعندما حصل على التقاعد بقي فترة في الدار البيضاء يخطط لعمل تأليفي يضمّنه من المعلومات ما غاب عن الأذهان. وشرع يبحث وينقّب في وثائق الحماية من بدايتها إلى نهايتها. وحظي باستقبال من طرف جلالة الملك الحسن الثاني - رحمه الله - الذي أعرب له عن شكره وشكر الشعب المغربي لما أسداه هو ووالداه من قبل لهذا البلد من خدمات، ثم وشّح صدره بالوسام العلوي من درجة ضابط، ورخّص له بالبحث عما يريد في ذخائر الخزانة الحسنية.

ورغبة منه في تعميق البحث عن أسرار الأسرار للوقوف على ما يفسّر بعض سلوكيات المسؤولين بالإقامة العامة ومن لفّ لفهم، لم يجد دولانوي ما يغنيه عن التوجّه إلى باريس. فطرق أبواب الخزانات المدنية الخاصّة والعمومية، المدنية والعسكرية، فتارة يفوز بغنيمة ما وتارة توصد الأبواب في وجهه وكأنهم ضربوا عليها أسواراً من حديد. فيمنعوا الوصول إلى مكنوناتها رغم تقادمها الذي يرفع عنها الحظر بحكم القانون.

وظل خلال ذلك يتردد على المغرب لتكملة مبتغاه، فمضى يبحث في كثير من الخزائن العامة والخاصة. وبعد عشر سنوات من التنقيب والفحص والتحليل، جمع ما استقاه من معلومات نفيسة في كتاب قيّم عنوانه : "ليوطي، جوان ومحمد الخامس"، كتاب صدر عام 1993، بالمغرب، بعد ثلاثة أعوام من وفاة المؤلف بفرنسا.

وفي ربيع 1994، تذكّرت نلسية وصية أبيها، فجاءت إلى المغرب برفات أبيها، فوضعته في مثواه بتربة الجديدة مسقط رأسه، ليرقد الراحل دولانوي كي بجانب والديه. وحضر مراسيم الدفن ممثلون عن سلطات المدينة فأبّنه في عين المكان أحد أصدقائه المغاربة عبد السلام الحراق وطني وسفير سابق.

ذكريات خاصة.

G. Grandval, *Ma mission au Maroc* ; F. Nataf, *L'indépendance du Maroc* ; G. Delanoé, *Lyautey, Les Juifs, Mohamed V* ; Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes.*

أحمد بنجلون

**دولة البقر**، اصطلاح فلاحي يعني جماعة البقر، وتقال كذلك عن الغنم والماعز ولا تستعمل في الإبل والدواب، ولا علاقة لها بما يقال عن النحل أو النمل مملكة النحل وجمهورية النمل، فتلك خصائص طبعية منحها الله لهذه المخلوفات وميزها عن غيرها من حيث دقة التنظيم وتوزيع العمل والأدوار التراتبية.

لاشك أن عبارة "دولة البقر" ارتبطت بفترة الأزدهار الفلاحي عامة والرعي وتربية المواشي خاصة سواء في الأندلس أو المغرب (الفلاحة المغربية، 108 - 124) ؛ فكلمة دولة تعني المناوبة والتداول سواء في الكلام أو الأدوار وتعني كذلك تحول الشيء وانتقاله من يد إلى يد ومن حال إلى حال، جاء في القرآن الكريم : ("ما أفاء اللهُ على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربَى واليتامَى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دُولَةً بين الاغنياء منكم") (سورة الحشر آية 6).

أما علاقة هذا كله بالبقر فترجع كما أسلفنا إلى فترة تطورت فيها الفلاحة وتربية المواشي والأبقار منها بصفة خاصة (*التشوف*، 80 .115 وما بعدها) (البكري، *المغرب*، 153) وصاحب هذا الأزدهار تطور في أساليب الرعي وتقنياته ومصطلحاته التي سجلت المصادر بعضها مثل : دولة البقر - مجمع الدول - راعي الدولة - (*المعيار*، 7 : 138، 139، 8 : 176-179-186).

وتعكس هذه المصطلحات والتعابير تقاليد وأعراف نشأت وتطورت مع تطور تربية المواشي والأزدهار الفلاحي خاصة في العصر الوسيط الأوسط ؛ فرعي الأبقار والأغنام والماعز والدواب كان يتم وفق نظام خاص سواء في المدن أو في البوادي والقرى، فإذا كان الكساب ميسوراً وله قطعان من المواشي فإنه في الغالب مستقل بنفسه ويشغل رعاة لحسابه، أما إذا لم يكن كذلك وخاصة في المدن والقرى حيث لا يتعدي ما يكسبه الشخص بقرة أو بضع بقرات، أو شياهاً معدودة فإنه يعهد بمهمة الرعي إلى راع مشترك مأجور من قبل مجموعة من الكسابة أو يكون لكل واحد منهم راع خاص لكنه يتولى بالتناوب رعي أبقار وأغنام الأخرين يسمى راعي الدولة أي يكون متخصصاً إما في رعي الأغنام أو الأبقار أو الماعز فيكون راعي دولة البقر وراعي الغنم وهكذا (الفلاحة).

تخصص داخل المدن الكبيرة مثل مدينة فاس أمكنة لتجميع الأبقار أو الأغنام قبل انطلاقها في الصباح نحو المراعي أو لتوزيعها وتسليمها إلى أصحابها المنتظرين عند العودة مساءً وعرف هذا المكان في المصادر الوسيطية بمجمع الدول وغالباً ما يكون رحبة المواشي في السوق الأسبوعية

( *القرطاس*، 302 و375 و395 وما بعدها وجنى *زهرة الآس*، 43، 44، 46، 61 وما بعدها ).

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط،1972 ؛ ع. الجزنائي، جنى زهرة *الآس*، الرباط، 1967 ؛ التادلي ابن الزيات، *كتاب التشوف إلى رجال التصوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر،1911 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1981 ؛ م. حجاج الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1988.

محمد حجاج الطويل

**الدولة الشريفة** (جريدة -)، اسم الجريدة الرسمية التي رغب المخزن العزيزي في إصدارها بطنجة عام 1907. وقد تعاقد، لتحقيق ذلك، مع الأخوين نمور صاحبي "لسان المغرب". غير أن مشاكل ثارت بين الطرفين المتعاقدين حول أداء رواتب الصحفيين، فحال ذلك دون تحقيق المشروع.

*لسان المغرب*، 14، فبراير 1908 ؛ *وثائق وزارة الخارجية الفرنسية* بنانط.

جامع بيضا

**دولس**، كميي Douls Camille مغامر فرنسي، ولد سنة 1837، تلقى تكوينه بفرنسا حيث تخرّج مهندساً في الجيولوجيا. بعد ذلك التحق بالجزائر ليعمل بإدارة الجيولوجيا. ولما أخذت حركة الاستكشاف التي تستهدف معرفة جغرافيا القارة الافريقية تنمو وتتطور وتتواصل على جميع الجهات، أبدى دولس رغبته في التسرّب إلى المغرب قصد مواصلة الاستكشافات التي قام بها سلفه شارك دوفوكو. لذا تلقى دولس في مدرسة الدراسات الاستعمارية بفرنسا تكوينا نظريا، وبالجزائر تكوينا عمليا تعلم خلاله اللغة العربية وشيئاً من تاريخ الإسلام وإلماما بأركانه وفرائض الصلاة وشيئاً من تاريخ المغرب وجغرافيته. وبعدما استكمل هذه الخبرة عن التراب الوطني شرق المغرب حيث عاش شهوراً في استخفاء تام، انتقل إلى الجزر الخالدات. وبعد إقامة قصيرة هناك، توصل إلى اتفاق مع صيادين إسبان فأنزلوه فجر ذات يوم من سنة 1887 شمال بوجدور بالصحراء الغربية وبزيّ صحراوي. ولم تمض إلا ساعات قليلة حتى وقع بين أيدي جماعة من أولاد الدليم. فحاول الانفلات من قبضتهم مُدّعيا أنه مسلم عربي ويسمّى عبد الملك، يمارس التجارة متنقلاً بمفرده أو ضمن قوافل. فلم يصدقوه وأسرُوه واصطحبوه معهم في تنقلاتهم.

ما كان دولس لينزعج من الأسر، بل رأى فيه أحسن وسيلة وأكثرها أمنا للتعرّف على هذه الجهات من المغرب، وإن كان يخشى أن يفتضح أمرُه فيلقى مصير الذين قتلوا بسبب مغامرات مماثلة. إلا أنه أخذ يكسب بعض الثقة لدى آسريه، وذلك بتكيفه مع المناخ، وبحرصه على أداء الصلوات، وبحديثه عن أماجد المغرب من أبناء الصحراء.

وبات أولاد دليم في حيرة من أمر هذا الرجل، لكنهم مالوا إلى تصديقه بعدما اظهره من انتماء إلى العروبة والإسلام. فرافقهم في تنقلاتهم وحطّ معهم بتراب قبائل زمور ثم سار في ركبهم إلى تندوف وهي مغربية وقتئذ.

مضى دولس يسجّل في ذاكرته ما يرقبه نهاراً من معطيات الجغرافيا، التي تتشخّص في المسالك والأودية والجبال وما تحتوي عليه من نقط ذات الأهمية الاستراتيجية.

وأمسى دولس لا يثير شكوكا حوله ولا يستلزم حراسة خاصّة وهو في صحاري لحمادة. وذات ليلة بات كعادته مع أصحابه، لكنه لم يصبح. وشاع نبأ فراره ولم يلاحقه أحد إذ لم يكن أحد يعرف في أي اتجاه سار...

وبعدما يقرب من ستة أشهر على هذا الاختفاء، ظهر دولس بالصويرة التي وصل إليها، كما قال مروراً بكلميم وتزنيت وأگادير، وهو يحمل على ورقات تحت ملابسه معلومات قيّمة عن جغرافيا جنوب وغرب الأطلس الصغير، كما حمل في رحله بعض العيّنات من الأحجار البركانية، وفي قلبه تعلق كبير بالمنطقة رغم الأخطار التي واجهها خلال تجواله منفرداً بين أودية سوس وهضباته وجباله.

وفي سنة 1889، عزم دولس على تحدّي الأخطار مرّة ثانية، فدخل إلى المغرب عن طريق الجزائر وتوجّه توا إلى تفيلالت، فاطلع على نمط عيش سكانها ومعاناتهم مع الطبيعة والطقس، كما راقب عاداتهم وأعرافهم وأوضاعهم السياسية. ومن ثم تسرّب إلى توات ومنها إلى الصحراء الغربية مرّة أخرى.

وجاءت الأخبار بنبإ مقتله بمنطقة تيديكلت، في نفس هذا المكان. وقد أفاد مصطفى ماء العينين حفيد الشيخ مربيه ربّه والذي كان يتولّى منصب قائد بتنالت التي كانت يومها تابعة لإقليم تزنيت، عام 1962، أفاد في شهادة أدلى بها إلى أحد الباحثين الفرنسين بالمغرب اسمه روبير شوبير، أنه كان في تلك السنة، أي 1962، يتذكّر دوليس ومأساته.

L. Gentil, *Voyage au sud du Maroc*, pp. 64 - 65 ; R. Choubert, *Histoire géologique de l'Anti-Atlas*, p. 9, *Bulletin de la Société de Géographie*, T. IX, p. 437, Paris, 1888.

أحمد بنجلون

**الدّوم** أو "نخيل المروحة" بالعربية أو "إيكزدان" أو "تيگزدانت" بالأمازيغية، أسماء لنوع نباتي يسمى علميا كاميرُوبْس Chamaerops humilis أو النخيل القزمي أو Palmier nain بالفرنسية، وهو من فصيلة النخيليات Palmaceae.

الدوم شجرة من الممكن أن يبلغ علوها عشرة أمتار

وقطر جذعها خمسة وعشرين سنتمترا. وتظهر هذه الأشجار من الدوم في الأضرحة حيث تحترم النباتات ولا تقطع. لكن عـادة ما يُـصادف الـدوم على هيئـة أجمات أو شجيـرات صغيـرة قـزميـة لا يتعـدى ارتفـاعهـا أربعين سنتمتـرا، ومتجمّعة على شكل باقات.

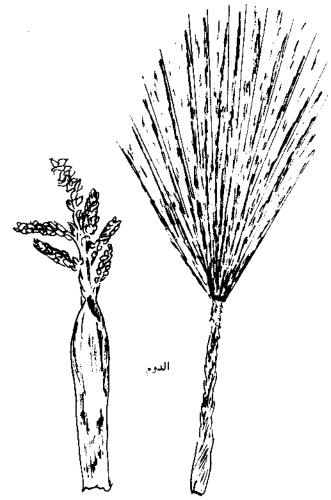


أسباب وجود الدوم على هذا الشكل الشجيري ترجع إلى الـرعي المتواصل والقطع من طرق الإنسـان لأكل قلب النبـات أو استعمـال الأوراق لصنـاعـة الحبـال والكـرينـة النبـاتيـة. أوراقـه كبيـرة، مطويـة على شكل مـرْوحيـة. في فصل الربيع تخرج الازهرارات من أغشيـة بيضويـة الشكل صفراء أو تميل إلى الاحمرار.

يوجد الدوم طبيعيا بالجزء الغربي لحوض البحر المتوسط إنه يكثر بشمال إفريقيا وخاصة بالمغرب حيث يصادف في المناطق البيومناخية الرطبة جداً والرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة وفي الطوابق النباتية للمتوسطي الدافئ والمتوسطي واستثنائيا تحت المتوسطي إنـه لا يتحمل أقصى البرودة ولا أقصى الجفاف. ويتطلب أتربة حمراء غنية بالطين.

كـانت أوراق الدوم في الماضي القريب جداً، تقطع على مساحـات شـاسعـة في المنـاطق التـي يـوجد بهـا لتستعمل لإنتـاج الگرينـة النبـاتيـة وهي أليـاف تستخدم في صنـاعـة الحبـال والأفرشة وبعض المنسوجـات. وكـانت توجد بـالمغرب معـامل عـديدة لانتـاج هذه الكرينـة النـاتجة عن أدقّ أوراق الدوم. فكـانت تصدر كميات هائلة لأوربا وأمريكا من هذا المنتـوج الطبيعي الـذي كـان يلعب دوراً مهمـا في اقتصـاد البلاد. وربما يرجع سبب انـدثار هذه الصناعة إلى مزاحمتها بضاعة المواد القطنية والبلاستيكية.

*أبحاث شخصية.*

Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

**دوماكون**، هنـري Henré Demacon من مواليـد سنة 1900 بفرنسـا، قدم هنـري دومـاكـون إلى المغـرب واستقرّ بأگـادير في مطلع الثلاثينيـات. كان لـه اختصاص بأمـراض الفم والأسنـان، علاوة على تخصصـه في العلاج النفسي. إلى جانب ذلك كان يتقن كثيـراً من فنون الموسيقي مما أهّله في وقتـه لقيـادة الجوق السـامفونـي بأگـادير وجوق الغنـاء الجماعي (la chorale) بالمعبد البـروتيستانتي بنفس المدينة، وامتاز أيضاً بثقافته الكلاسيكية الموسوعية حيث كان يتقن بعض اللغات الأوربيـة واللاتينيـة واليـونـانيـة. ويحفظ عن ظهر قلب بعض المؤلفات الكبرى.

أخذ دوماكون يكنّ العطف والتقدير للمواطنين المغاربة، يشجب من يعـاديهم ومن يتجـاوز حـدود اللبـاقـة معهم، فـاختـار السكن بجـوارهم ووسطهم، كبعض الفرنسيين بحي "تـالبـورجت"، وسيكـون لـه إعجاب بمقدّسات الإسلام وهـو يسمع، حسب قـولـه، المؤذّن ينـادي للصلاة، فيصغـى إلى عبارات لم يكن في بداية الأمر يفهمها ولكن يدرك معناها ومغزاها، وهو المتشبع بالروح الدينية المتفتحة، كما أنه بات ينفعل بنغمات التهليل والتشفيع، وهـو الشغوف والممارس لفنـون الموسيقى الدينيـة وغير الدينيـة ويصـرّح علانيـة بأن للإسلام، دين التوحيد، مكانةً كبيـرة في عقله وقلبه، مبرزاً مـا يقـرّب الـديـانـات الثلاث وخصـوصـا مـا يقـرّب المذهب البـروتيستـانتي من الإسلام. كـان يكره الأنظمـة الجمهوريـة ويفضـل عليهـا الأنظمـة الملكيـة، ولـم يكن يتـردّد في القول إنه فرنسي من رعايا سلطان المغرب.

ظل المغـاربـة على مختلف مستـويـاتهم، يتـردّدون على عيـادته قصد العلاج، فيسـدي النصائح، بل يـرفض اقتلاع الأسنـان السليمـة واستبدالهـا بأسنـان اصطناعيـة مغشـاة بـالذهب، لا سيمـا بعد ظهور هذه "الموضـة" لـدى النسـاء بالخصوص غداة انتهـاء الحرب العالميـة الثانيـة. كان يعـالج الفقـراء يـوم الجمعـة بالمجّـان. ويتسـاهل في استخلاص مستحقـاتـه من المغـاربـة الموظفين. زد على ذلك أنـه اعتنى اجتماعيا بمسـاعدة المغربي، الحسن آيت ترومـا، فبنى لـه غـرفتين في حديقـة منزلـه بعدمـا انتقل إلى السكن بشـارع بـاستور، بل أكثر من ذلك أوصى لهُ بملكية المنزل كله بعـد وفـاتـه، وعند مـدخل هذا المنزل نصب جـابيـة للمـاء الطهور، كتب عليهـا بـالعربيـة "مـاء للسبيل" و"اللـه يشوف"، وكـان المساعد المذكور يجدّد الماء كل يوم.

شجب دومـاكـون بشـدّة الأحداث الـداميـة التي كـانت الرباط مسرحاً لها في يناير 1944 غداة الإعلان عن عريضة الاستقلال، واستنكر بدون هوادة تمرّد القيـاد والباشوات عـام 1952 وعـام 1953 على السلطـان، وانضم إلى "جمـاعـة 75" التي شكّلـت جمعيـة فـرنسيـة اسمهـا "الضمير الفـرنسي" بـرئـاسـة طبيب آخـر اسمـه گي دولانـوي (Guy Delanoyé) اطلبه وشكل دوماكون خلية بأكادير لهذه الجمعية.

وبعـدمـا أقـدمت فـرنسـا على خلع السلطـان محمـد بن يـوسف كتب دومـاكـون رسـائـل احتجـاج إلى قـادة الـدول الخمس العُـظمى بمن فيهم الرئيس الفرنسي فـانسـان أوريول (Vincent Auriol) ورئيس حكـومتـه گي مـولي وإلى شخصيات عـالمية أخرى.

كان لهذا الحدث أثر عميق في نفسه فوطّد العزم على مناصرة الحق، معلنا موقفه من عملية 20 غشت 1953. وكسب عطف المواطنين المغاربة بأگادير وراح يعمل، في إطار صداقاته على إقرار حوار مع من كانوا يسمون بـ "الأحرار والمعتدلين" في المجتمع المغربي المحلي ومراكش والدار البيضاء. وعن طريق فرنسي شاب يُسمّى كوفيل (J.P. Koffel) كان وقتئذ يقيم بمراكش - ويعد نفسه مواطنا مغربيا ولا يزال يقيم بالمغرب - دعاني دوماكون إلى الإقامة عنده بضعة أيام للاجتماع بنفر من الفرنسيين ممن يساندون المشروعية ويرغبون في إقامة الجسور مع مختلف شرائح المجتمع المغربي.

كان دوماكون وهؤلاء الفرنسيون يمثلون القيم الغرنسية ويؤمنون بالرسالة الحضارية الانسانية مهما كان البلد الذي يحمل لواءها، بعيدة عن الامبريالية والظلم والقهر، يعبرون عن تقديرهم للمغاربة عموماً - وهم أصحاب حضارة - وخاصة الشباب الذي تلقى تكوينه بالمعاهد الفرنسية والذي أضحى مثلهم متشبعا بروح "البيان العالمي لحقوق الانسان" الذي أعلنت عنه ثورة 1789 الفرنسية التي فتحت آفاقا جديدة في تطور الأفكار.

ظل دوماكون وفيا للمبادئ والقيم السامية ولصداقاته المغربية، ولم ينفكّ عن الحفاظ على علاقاته الودية مع فئة من "الوطنيين" خصوصا الشوريين منهم، إلى أن اختطفته المنية عام 1958 على إثر نزيف دموي في الدماغ أصابه وهو بفرنسا - أما زوجته فإنها رحلت إلى انكلترا وتركت المنزل بما فيه إلى "لحسن آيت تروما"، ومازال شيوخ أگادير يذكرون دوماكون بخير ويتذكرون أعماله الإنسانية والسياسية.

مراسلات خاصة، شهادات شفوية، جريدة *"La Gazette d'Agadir"* التي كانت تصدر أيام الاستعمار بأگادير.

أحمد بنجلون

**دوميرگ** گاسطون Gaston Doumergue رئيس الجمهورية الفرنسية من 1924 إلى 1931 وثاني من زار المغرب زيارة رسمية من رؤسائها إبان الحماية وذلك من 15 إلى 22 أكتوبر 1930، ولد وتوفي بإقليم الگار (Gard) وكان من رجالات الجمهورية الثالثة المرموقين حيث تقلب على كراسي الوزارة عدة مرات فكان وزيراً للشؤون الاستعمارية من 1902 إلى 1905 ثم مرة أخرى من 1914 إلى 1917 وكان وزيراً للتجارة والصناعة والشغل بضعة شهور سنة 1906 ووزيراً للتجارة والصناعة من 1906 إلى 1908 ووزيراً للتربية العمومية والفنون الجميلة من 1908 إلى 1910 ووزيراً للخارجية بضعة أسابيع في غشت 1914 ورئيساً للحكومة مكلفا بالشؤون الخارجية من دجنبر 1913 إلى يونيه 1914 ومن فبراير إلى نونبر 1934. فكان مساره السياسي حافلاً بالمسؤوليات وكان له عناية خاصة بقضايا الاستعمار لأنه كان من القضاة أول الأمر فعمل قاضيا في الهند الصينية وفي الجزائر، ولما انتخب نائبا في البرلمان سنة 1893 انخرط في التيار الرادكالي الاشتراكي، وكان حريصا على عظمة فرنسا من خلال مستعمراتها كما كان شديد التمسك بالسياسة العلمانية وله أدوار في تحرير التعليم الفرنسي من هيمنة الكهنوت وكان باختصار من تلك الشخصيات التي قام نظام الجمهورية الثالثة على كاهلها ولذلك انتخب رئيساً للجمهورية سنة 1924 وحتى لما انتهت رئاسته سنة 1931 لم تجد البلاد الفرنسية غنىً عنه حيث تحمل رئاسة الحكومة من جديد سنة 1934 بقصد فك أسباب الأزمة الخانقة التي صار النظام يعاني منها، لكن الأمور كانت قد استفحلت فتجاوزت قدرات أمثال دوميرك ممن كانوا يمثلون العهد الزاهر من الجمهورية الثالثة.

والذي يعني المغرب من هذه الشخصية أن أوساط الإقامة بالرباط بعد أن أقدمت على إصدار الظهير البربري يوم 16 ماي 1930 وترتب عليه ما ترتب من احتجاجات الشعب المغربي، فإنها ظنت أن زيارة رسمية لرئيس الجمهورية قد تجعل حداً للغضب المغربي أو إن لم تفلح في ذلك فإنها تغطي عليه وتموّهه حيال الرأي العام الدولي وهكذا جاء گاسطون دوميرك إلى المغرب رفقة بعض الوزراء كوزير الدفاع أندرى ماجينو (A. Maginot) ووزير الملاحة جاگ ضومنيل (J. D'Aumenil) ووزير الملاحة التجارية لويس رولان (L. Rollin) ونزل الوفد في الدار البيضاء حيث استقبله السلطان سيدي محمد بن يوسف ثم زار العاصمة الرباط ومن الرباط توجه إلى فاس عبر القنيطرة ومكناس وفي فاس أقيمت له ضيافة رسمية في غابة الأرز بالأطلس المتوسط لدى القبائل البربرية، ثم بعد ذلك انتقل إلى مراكش فالتقى بباشاها التهامي الگلاوي ومن هناك كانت العودة إلى الدار البيضاء عبر فضالة (المحمدية) للابحار منها .وامتدت الزيارة من 15 أكتوبر إلى 22 منه سنة 1930 ولم تختلف عن الجولة التي كان ليوطي قد نظمها لسلف دوميرگ في الرئاسة وهو الكسندر ميران(A. Milleraud) في ربيع سنة 1922.

وغني عن البيان أن الزيارة لم تغير شيئاً من مجرى أحداث الحماية لا من جهة السلطات الحاكمة ولا من جهة الحركة الوطنية بالأحرى التي لم تكن لتنبهر بذلك، على أنها لا تخلو من فوائد من جهة ما كانت عليه "السياسة الأهلية" في ظل الحماية، فقد جاء في جريدة السعادة يوم السبت 4 أكتوبر 1930 قولها مفردة : "ما أجدر هذا الشهر أن يسمى شهر الاحتفال الأكبر والاجلال وحلول اليمن والاسعاد في برج الاقبال وما أجدره أن يشمخ بأنفه فخراً على بقية شهور عامة مواسيم أيامه بالأفراح والمسرات وإقامة الزينات والمهرجانات [...] يوم النصف من أكتوبر إنك ليوم في التاريخ عظيم شأنه جليل ومكانه راجح في

كفة الميزان لأنك أرحت أمة بأسرها وأطلقت ألسنة المدائح من أسرها وحظيت بالوصال وحققت الآمال وجمعت في المغرب وبالرباط والبلاط بين رئيس الرؤساء وسيد الأمراء [...] حضرة رئيس الجمهورية الفرنساوية والدولة وبطل الحول والصول والصولة الذي لا يرد أحد قوله ولا تحوم الشكوك والريب حوله المسيو گاسطون دوميرگ دامت فخامته وضخامته".

وجاء في رسالة للجنرال نوجيس وهو يومئذ رئيس الديوان العسكري للمقيم ومدير الشؤون الأهلية بعث بها للمراقبين المدنيين قوله : "مما لاشك فيه أن الزيارة المرتقبة لرئيس الدولة الفرنسية سيكون لها وقع كبير في الأوساط الأهلية التي ستجد فيها برهاناً على مالفرنسا من العناية بالأمة المحمية، وحتى يكون دليل هذه العناية الكريمة أكثر جلاء فمن المصلح أن تتبلور بإشارات ملموسة يتأثر بها ذهن المغاربة وفي هذا الصدد يبدو من المفيد أن يتقدم السيد رئيس الجمهورية ببعض الهبات لبعض الأعمال الخيرية مما يعتني به محميونا بوجه خاص كديار الشريفات [...] والطلبة المدرسين في المدارس القرآنية وطلبة جامعة القرويين والجمعيات الخيرية الأهلية والأيتام الأهليين في الدار البيضاء وفاس. ولاشك أن هذه الانعامات وهي تصدر من ممثل الأمة الفرنسية الأعلى سيكون لها صدى كبير ولاشك أن استقبال سكان المدن سيزداد حرارة إذا ما أبلغت الهبات إلى أصحابها يوما أو يومين قبل دخول الوفد الرئاسي لكل مدينة".

وتشير وثائق الرحلة إلى أن المراقب المدني للدار البيضاء اقترح 3000 فرنك هبة للجمعية الخيرية وذلك لأن السلطان كان قد وهبها قبل ذلك 2000 فرنك، لكن رسالة للمقيم العام لوسيان سان (L. Saint) بتاريخ 30 نوفمبر 1930 تثبت أن الهبة لم تتجاوز 2000 فرنك.

جريدة *السعادة* يوم السبت 4 أكتوبر 1930 ؛ *وثائق الخزانة العامة: ملف رحلة كاسطون دوميرگ*.

B. Yvert, *Dictionnaire des Ministres 1789 - 1989*, Paris, 1990.

إبراهيم بوطالب

**دون بيدرو الرابع** Don Pedro IV أو Don Petri IV ، هكذا تسمية المصادر الاسبانية التي تنعته أيضاً بـ "Don Pedro El Ceremonioso" أي دون بيدرو العادل، أما المصادر العربية فتشير إليه باسم دون بطْرُه. ولد سنة 1320 ثم تولى حكم منطقة كطلونيا ـ أرغون في سن مبكرة لا تتجاوز السادسة عشرة من عمره ولفترة تمتد من سنة 736 / 1336 إلى سنة 787 / 1387 . وهي فترة طويلة جعلت من هذا الملك عنصراً بارزاً في الأحداث التي عرفتها منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، الشيء الذي سمح له بربط اتصالات وعلاقات هامة مع كبار ملوك المغرب من بني مرين : كأبي الحسن وأبي عنان وأبي سالم. وتجمع المصادر الاسبانية على أن علاقة الكطلان مع ملوك المغرب وغرناطة كانت تعرف في عهد دون بيدرو تحسنا ملموسا لم تشهده المنطقة من قبل. ولعل ما يشهد على ذلك تعدد الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمت بين الطرفين والتي تركز على ضرورة تطوير العلاقات السياسية والتجارية وتنظيمها، كما تبين الرسائل والبعثات والسفارات حرص الطرفين على توفير السلم والأمن واستمرار التشاور والحوار لتعزيز العلاقات وخلق الظروف الملائمة لإنجاحها. ومن حسن الحظ فإن نصوص هذه الوثائق في أصولها العربية والكطلانية مازالت موجودة ومحفوظة في أرشيف أرغون بمدينة برشلونة ويمكن رصد الخطوط العريضة للعلاقات بين بيدرو الرابع وبعض ملوك بني مرين من خلال متابعة مواضيع هذه الوثائق :

ـ اتفاقية سلام بين دون بيدرو الرابع ومبعوثين عن كل من ملك المغرب أبي الحسن المريني وملك غرناطة أبي الحجاج يوسف، عُقدت هذه الاتفاقية بقصر بيربينيان Pérpignan في 27 رمضان 745 الموافق لـ 1 فبراير 1345 وتدوم صلاحيتها مدة عشر سنوات.

ـ رسالة من أبي الحسن المريني إلى دون بيدرو يؤكد فيها موافقته بالامضاء والمصادقة على الاتفاقية التي عقدها ملك غرناطة أبو الحجاج يوسف مع نظيره الأرغوني دون بيدرو، والرسالة مؤرخة في 15 صفر 746 الموافق لـ17 يونيو 1345 (*Los documentos...*, pp. 194 - 195).

ـ رسالة لأبي الحسن بعثها من تلمسان إلى ملك أراغون يخبره فيها بوصول مبعوث عن هذا الأخير وهو التاجر أرناوْدي قادراس Arnau de Cadiras وناقش معه مجموعة من القضايا التي تهم العلاقات بين المغرب وأرغون والرسالة مؤرخة في يوم 24 ذي الحجة من عام 746 الموافق ليوم 17 أبريل من عام 1346 (*Los documentos...*, pp. 191 - 192).

ـ رسالة من أبي الحسن إلى دون بيدرو كُتبت بظاهر مليانه (المغرب الأوسط) في الوقت لذي فقد فيه أبو الحسن عرشه بعد انقلاب ابنه أبي عنان عليه. وفي هذه الرسالة يحيط السلطان المريني ملك أرغون علماً بما تعرضت له سفينة مغربية من قرصنة ونهب لمحتوياتها وأسر لركابها المغاربة على يد رعايا دون بيدرو من أهل ميورقة. الرسالة مؤرخة في 29 رجب من سنة 751 المواقف 14 شتنبر 1350 (*Los documentos...*, pp. 196 - 198).

ـ رسالة من أبي عنان المريني إلى دون بيدرو الرابع يشير فيها إلى تحركات سفراء الطرفين ونشاط البعثات الدبلوماسية في إطار التفاوض حول إمكانية عقد معاهدة سلام بين المغرب وأرغون. ومن أعضاء هذه البعثات في الجانب المغربي منصور بن علي بن سليمان اليباني وإبراهيم ابن محفوظ وفي الجانب الأرغوني مگيل الكطلاني Miguel

El Catalan وجيل ألبيرْطْ Gil Albert. والرسالة مؤرخة في 28 ذي القعدة من عام750 الموافق لـ 27 دجنبر 1349 (*Los documentos...*, pp. 205 - 206).

- رسالة من السلطان أبي عنان إلى دون بيدرو وتتعلق باستمرار المفاوضات التي تمت الإشارة إليها في الرسالة السابقة وذلك من أجل عقد معاهدة سلام بين الطرفين الرسالة مؤرخة في 11 ربيع الثاني من عام 751 الموافق لـ18 يونيو من عام 1350 (*Los documentos...*, p. 208).

- معاهدة سلم وتجارة بين أبي عنان المريني ودون بيدرو الرابع وقد جاءت نتيجة لمفاوضات مكثفة وطويلة كما ورد في الرسالتين السابقتين. تنص بنود هذه المعاهدة المبرمة لمدة أربعة عشر شهراً، على المهادنة والأمان في جميع المناطق التي توجد تحت نفوذ الملكين وعلى أن لا يتعرض للرعايا المقيمين والمسافرين من البلدين : المغرب وأرغون، وأن لا يُطلب منهم الوظائف والتكاليف باستثناء الجباية المعلومة. تم توقيع هذه المعاهدة في 25 رمضان 751 الموافق لـ 26 نونبر 1350 (*Los documentos...*, p. 216).

- رسالة من أبي عنان إلى دون بيدرو تتضمن الإشارة إلى إمضاء ومصادقة الملكين على بنود المعاهدة المذكورة آنفا. والرسالة مؤرخة في يوم 7 شوال من عام 751 الموافق ليوم8 دجنبر من عام 1350 (*Los documentos...*, pp. 212 - 213).

- رسالة من أبي عنان إلى دون بيدرو يدور موضوعها حول القرصنة البحرية التي تطال رعايا الملكين من المغاربة والكطلانيين في عرض البحر الأبيض المتوسط، ويؤكد الطرفان على أن المعاهدة المنعقدة بين الطرفين مازالت سارية المفعول بالرغم من المشاكل المذكورة. الرسالة مؤرخة في 28 رجب من عام752 الموافق لـ 20 شتنبر من عام 1351 (*Los documentos...*, p. 210).

- رسالة من أبي عنان إلى دون بيدرو تتابع تناول موضوع الرسالة السابقة وتقدم تفاصيل حول ما خلفته عمليات القراصنة المسيحيين من انعكاسات سلبية على رعايا ملك المغرب الذي لازال يعتبر نفسه ملتزما بتنفيذ بنود المعاهدة السابقة بالرغم من تصرفات القراصنة الكطلان الرسالة مؤرخة في 3 شعبان 752 الموافق لـ 25 شتنبر 1351 (*Los documentos...*, p. 214).

- رسالة من دون بيدرو إلى أبي عنان يعرب فيها عن رغبته في تجديد اتفاقية سلام وصداقة كانت قد عُقدت بين الطرفين حوالي سنة753 / 1352. والأمر هنا يتعلق بتمديد الاتفاقية لخمس سنوات أخرى. الرسالة مؤرخة في 22 شعبان من سنة758 الموافق لـ 10 غشت 1357 (*Traités...*, pp. 325 - 326).

- اتفاقية سلام وصداقة بين دون بيدرو ملك أركون. ملك أرغون وأبي عنان سلطان المغرب، اتفق الطرفان على تنفيذ مقتضيات بنودها مدة خمس سنوات تبدأ من تاريخ التوقيع وهو 20 يوليوز 1357. ويلاحظ أن تاريخ هذه الاتفاقية سابق على تاريخ الرسالة الآنفة الذكر والتي تشير إلى استعدادات الطرفين لعقد اتفاقية تؤكد المعطيات أنها هي المنوه بها هنا.

وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد بوقوع خطأ في تحديد إما تاريخ الرسالة أو تاريخ توقيع الاتفاقية خاصة وأن هذه الأخيرة خالية من ذكر التاريخ الهجري (*Antiguos...*, pp. 18 - 25).

- رسالة من دون بيدرو إلى أبي عنان تتضمن معلومات عن إرساله سفارة أرغونية إلى ملك المغرب في مهمة سياسية تتعلق بحياد المغرب في الحرب الدائرة بين أرغون وقشتالة. الرسالة مؤرخة في 22 جمادى الثانية من عام 759 الموافق لفاتح يونيو من عام 1358 (*Traités...*, pp. 327 - 329).

- مرسوم ملكي يمنح بموجبه دون بيدرو الرابع مجموعة من الصلاحيات للفارس برناطْ دي كابْريرا Bernard de Cabrera وكذلك لمستشاره من أجل عقد معاهدة سلام مع ملك المغرب لفترة محددة ومتفق عليها (*Traités...*, pp. 329 - 330).

- رسالة من السلطان المريني أبي سالم إلى دون بيدرو يطلعه فيها على أخبار فتحه لعاصمة بني عبد الواد تلمسان وكذلك عملية القرصنة البحرية التي تعرض لها أحد خدام أبي سالم وهو أبو عمران موسى بن إبراهيم وغيره من رعايا المسلمين. وقد طالب ملك المغرب صاحب أرغون بالعمل على إطلاق سراح الأسرى المغاربة والالتزام بالاتفاقيات والمعاهدات التي سبق أن أبرمت مع السلطان أبي عنان الرسالة مؤرخة في 7 شعبان 761 الموافق لـ 24 يونيو 1360 (*Los documentos...*, pp. 224 - 225).

- رسالة من أبي سالم إلى برناط دي كابريرا مستشار ملك أرغون يعلمه فيها بتوجه بعثة رسمية مغربية بقيادة يعقوب الرقاني في مأمورية محددة إلى دون بيدرو داعيا إياه لمساعدته وتسهيل مهمته. الرسالة مؤرخة في 10 شعبان 761 الموافق لـ 27 يونيو 1360 (*Los documentos...*, p. 231).

- مجموعة هامة من الوثائق رسائل واتفاقيات، تخص العلاقات بين ملك أرغون دون بيدرو الرابع وبعض ملوك المغرب الذين حكموا الفترة ما بين 1361 و1386 وهم أبو سالم وأبو زيان محمد الثاني وعبد العزيز بن أبي الحسن وعبد الرحمن بن أبي يفلوسن وأبو العباس أحمد وأبو فارس موسى. وتتناول هذه الوثائق التي كتبت جميعها باللغة الكطلانية، مواضيع وقضايا شتى مثل : عمليات القرصنة البحرية وما ينتج عنها من أسر للرعايا المسيحيين والمسلمين الشيء الذي يحتم على الطرفين اللجوء إلى العمل الدبلوماسي ومباشرة المفاوضات وتنشيط حركة تنقل السفراء والمبعوثين لحل تلك المشاكل. وتعكس هذه الوثائق

أيضاً الإلحاح المستمر الذي كان يبديه الطرف الارغوني للضغط على ملوك المغرب بهدف السماح للرعايا الكطلان بالتجارة في الموانئ المغربية وتمتيعهم بالحماية اللازمة لهم أثناء تنقلهم خاصة في المناطق الداخلية. ثم رغبة دون بيدرو في عقد تحالفات مع بني مرين لمواجهة الخصم اللدود ملك قشتالة.

ـ رسالة من الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن إلى دون بيدرو الرابع يطلعه فيها على حركته إلى فاس وحصاره للبلد الجديد ويعبر له كذلك عن رغبته في تحسين وضعية تجار مملكته في المغرب. الرسالة مؤرخة في 21 ذي الحجة من عام 775 الموافق لـ3 يونيو 1374 (*Los documentos...*, pp. 201 - 202).

ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1973ـ 1975، ج.1، ص. 531 ؛ نفسه، *أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام*، تح. ليڤي بروڤنسال، دار الكشوف، ط. 2، بيروت، 1956، القسم الثاني، ص. 337 ؛ نفسه، *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978، ص. 119 ؛ نفسه، *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، تح. أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربي، الدار البيضاء، الجزء الثاني، ص. 184 ـ 185 ؛ النميري، *فيض العباب وافاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسطنطينة والزاب*، تح. محمد بن شقرون، الرباط، 1984، ص. 31 ـ 34 ؛ ابن خلدون، *العبر*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، الجزء السابع، ص. 542 ـ 546 و628 و633 ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، نشر ألفرد بيل، مطبعة فونطانا، الجزائر، 1903 ـ 1910، ج. 2، ص. 37 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الانشا*، المطبعة الأميرية، القاهرة، بدون تاريخ، ج. 5، ص. 270 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، مطابع فضالة، المحمدية 1988، ج. 7، ص. 133 ـ 135 ـ 137 ـ 139 ـ 141 ـ 143 ـ 151 ـ 183 ـ 185 ؛ ر. السلامي، *وثائق مرينية*، دراسة وتحقيق، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا نوقشت بالرباط سنة 1989، ص. 171 ـ 214 وص. 257 ـ 268 وص. 310 ـ 318 وص. 385 ـ 392.

A. Capmany y de Montpalau, *Antiguos tratados de Paces y alianzas entre algunos reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde el siglo XIII Hasta el XV*, Madrid, 1974 ; L. de Mas-Latrie, *Traités de paix et de commerce concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen-âge*, Paris, 1866 ; S.M. Alarcón, L.R. Garcia, *Los documentos arabes diplomaticos del archivo de la corona de Aragón*, Madrid - Granada, 1940; *Crónica de Don Pedro IV de Aragón*, éd. Amédée Pagès, Toulouse - Paris, 1942 ; V. Salavert y Raca, *La corona de Aragón en el mundo mediterrãneo del siglo XIV*, Valencia, 1967 ; Ch.-E. Dufourcq, *Catalogue chronologique et analytique du registre 1389 de la chancellerie de la couronne d'Aragón, intitule Guerre Sarracenorum 1367 - 1386* in *Miscelánea de Textos Medievales*, T. 2, Barcelona, 1974 ; L. Perez, *La corona de Aragón y el Maghreb en el siglo XIV (1331 - 1410)*, Barcelona, 1955 ; M. Capdeferro, *Historia de Cataluña*, Barcelona, 1967.

رشيد السلامي

**دوناس** بن **حمامة** المغراوي، عندما مات حمامة تولى الحكم من بعده ولده دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي فورث جميع ما كان بيد أبيه من مناطق المغرب ومدنه واستقر بالعاصمة فاس، ولكنه سيلقى عنتا من ابن عمه معنصر المسمى حماد. حيث خرج عن طاعته وجمع لقتاله منافسا له في الحكم ودامت الحرب بينهما إلى أن بدأ ملك دوناس يتقلص حتى أصبح محصورا في العاصمة وحدها ؛ ولم يمنع معنصر من دخولها إلا الخندق الذي حفره حولها دوناس وأسماه سياج حماد. ومن أخطر وسائل الحصار التي استعملها حماد هي قطعه لماء الوادي عن عدوة القرويين، ولولا موت حماد سنة 435، وهو مشدد الخناق على دوناس لسقطت المدينة، ولكن الحصار فك مباشرة بعد موت حماد وانفسح الأمل أمام دوناس، وعاد إلى الحكم مرفوع الراس، وعمل على الدفع بالعاصمة نحو الرفاهية والازدهار. فبنى المصانع والفنادق والحمامات والمساجد وأدار بها السور، وكثر عمران المدينة وقصدها التجار من جميع النواحي لرواج التجارة بها. وعرف عن دوناس طول اشتغاله بالبناء والتعمير إلى أن مات سنة 451. فولي من بعده ابنه الفتوح ونزل بعدوة الأندلس ولكن أخاه الصغير عجيسة تحصن بعدوة القرويين، وطالب بحقه في الحكم. وهكذا افترقت مملكة مغراوة بافتراقهما وضعفت بفعل الحروب والخطوب الجارية بينهما.

ابن عذاري، *البيان*، 1 : 254 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 48 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، ص. 111.

العربي الحمدي

**الدوار، أحمد** بن علي الصنهاجي ثم الفاسي، انطبعت صفة هذا الشيخ في ذاكرة الفاسيين ردحاً طويلاً، وعلى الرغم من وفاته خلال العقد الخامس من القرن العاشر (16 م)، فإن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (ت. 1096 / 1685) الذي عاش إلى أواخر القرن الحادي عشر (17 م) يصفه كما لو كان ينظر إليه : معتدل القامة، كبير الرأس، مدور الوجه، دقيق الساقين، حلو الكلام، حسن اللون. وتواتر حرص الفاسيين على ادخار لبائسه، ودأبهم على التبرك بها والتوسل بها في الملمات. ويخبرنا محمد بن الطيب القادري (ت. 1187 /1773) الذي عاش إلى أواخر القرن الثاني عشر (18 م) أن نعل الدوار مازال مدخراً عند بعض بلدييه، وأنه وقف عليه، واستدل بسواد لونه على لباس المغاربة للنعال السود قبل دخول الإسبانيين إلى العرائش عام 1019/1610.

وتتصل هذه العناية بذكرى الشيخ الدوار بالأثر العميق الذي كان له في الحياة الروحية بفاس، في حياته وبعد

مماتـه. وقد استقطبت مشيختـه جل العناصر الفـاعلة في تـاريخ الحركـة الصوفيـة بـالحاضرة الوطاسيـة، خلال النصف الأول من القرن العـاشر (16 م)، من الانتسـاب للـزروقيـة الداعمة للأمـراء الوطـاسيين، وموافقـة البهل والحال والجذب والملامة، والظهور بالمكاشفة والاخبار بالمغيبات، مما يتعشقه الناس ويذعن له الجمهور.

وينحو متـرجموه المتأخـرون إلى القول بسبق الـولايـة والصلاح في سلفـه بصنهـاجة الحجر، ويـذكـرون من أجداده الشيخ أحمد بن عبد الرحمان الصنهاجي. ويجعلون خروجه من بلده إبان حداثته، ودخوله فاس بعد مدة، وبقاءه بها إلى أن مات. ويمكن حصر الخصائص التي ميزت مشيختـه بها، وكمنت وراء خطورة شأنه حيا وميتا في ثلاث، وهي :

1 ـ التفـرد بسنـد الشيخ إبـراهيـم بـن علي الـزرهـوني المعروف بأفحام أو أفهام (ت. 926/ 1520) صدر الزروقيين المغاربة، وكبير الآخذين عن الشيخ أحمد زروق (ت. 899/ 1493) على عهـد استقـراره بفـاس في صـدر الـدولـة الوطاسية، وصاحب الطريق الثاني والكبير في الزروقية إلى جانب الطريقة الراشدية، إذ لا يعرف من الآخذين عن الشيخ أفحـام سواه. ويعـد الـدوار بذلك الـواسطـة الوحيـدة في السلسلة الزروقيـة ـ الأفحاميـة، والعلم الوحيد المعروف من أعلامهـا في الطبقـة الزروقيـة الثـانيـة. ويمكن تـرجمـة هذا التفرد على مستوى السند إلى مشيخة الطريقة الزروقية ـ الأفحامية بعد وفاة الشيخ أفحام في العام المذكور، وزعامة القـوة الصوفيـة الداعمة للدولة الوطاسيـة في صراعهـا مع الحركة السعدية التي اكتمل العقد على انطلاقها في جنوب البلاد. ويؤيـد هذا الزعم المكانـة الرفيعة التي كـانت للشيخ الدوار لـدى الـوطاسيين، الذين كـان يـدخل ديـارهم فيتلقـاه النساء والأولاد ويقبلون يديه وقدميه ويدفعون إليه الحوائج النفيسـة، ويلبسـه السلطان من أشرف لبـاسـه. وقـد نقل صاحب ابتهاج القلوب خبراً منسـوبـاً إلى المؤرخ أحمـد ابن القاضي (ت. 1025/ 1616) مفـاده أن الشيخ الـدوار وقف يوما بقنطرة الصباغين وهو ينادي : "اخرجوا بني مرين والله مـا نتـركـكم ببلادنـا، وكـان ذلك آخـر انقـراض دولتهم". ويتصل هذا الخبر بتحول موقف مشايخ الملامتية من الصراع الدائر على الرئاسة بين الوطاسيين والسعديين، وانحيـازهم إلى صف الأخيرين. لكن حضور السلطان الوطاسي وأرباب دولتـه جنـازة الدوار، كمـا سيـأتي ذلك، يفيـد تأخـر طـروء الفساد بين الملامتية والوطاسيين إلى ما بعد وفاته.

2 ـ الظهور بـالاتجاه الصوفي للزروقية ـ الأفحامية التي اقتفت أثر المدرسـة الصوفيـة الملامتية التي نشأت بخـراسان خلال القرن الثـالث (9 م)، وبـالضبط بنيسـابـور على يـد حمدون بن أحمد القصـار (ت. 271/ 884). وإذا كـانت ملامتيـة الشيخ أفحام أقـرب إلى جـوهر الطـريق الملامتي الـذي قصد بـه مشـايخـه الأوائل إلى مجـاهـدة النفس ورياضتها، والحرص على ألا ينم الظاهر عن الباطن، وألا تظهر الأسرار في الأقوال والأفعال، وكتمان المعاملة مع الخالق.

وجاءت تـرجمته عـاطلة بـالمرة مما يفيد ظهوره بما يجلب عليـه الملامـة من الغيـر أ ويأخـذه النفس بـاللـوم والبخع والتأنيب. بـل إن متـرجميـه يجعلـون طـريقتـه محمـديـة، ويقـولون إنـه كان قـد رأى الرسـول ﷺ في النـوم ففـتح لـه على يـده الكـريمة وأخذ عنـه ﷺ، ثم انضـاف إلى الشيخ زروق وصحبه وانتسب إليه بقصد التربيـة والتهذيب. فإنـه مع تلميذه الأوحد صاحب الترجمة ستخرج الملامتية من طور الخمـول والكتمـان إلى طـور الظهـور والإعلان، ويتعمـد أتبـاعهـا الظهـور في النـاس بـالأمـور الموحشـة التي تجلب لـومهم وتـؤدي إلى تنـافـرهم عنهم. بـل إن الشيخ الـدوار سينفلت من باب ترك التزين للخلق وترك طلب رضاهم إلى ضـروب البهل والجذب والحال، ويـؤكـد الصلـة بينهـا وبين الملامة. ويوافق ضروباً من السلوك غير جارية على الشروط الشرعيـة، ويخرج في العبادات والعـادات عما هو معروف من ظاهر الشريعة. وهكذا اشتهر بإراقة الزيوت على نفسه، واتخاذه خديمات من محصنـات الحاضرة الفـاسية، واقتحـام البيوت من غيـر استئذان أهلها، وإمعـانه في عـدم الالتفات إلى أحد، وإعراضه عن الحظوظ الدنيوية، وزهده في الأهل والمأوى، وعدم الركون إلى قرار.

3 ـ تصـدر المشـايخ الـذين انتسب إليهم الشيخ عبـد الرحمان بن عيـاد المشهور بالمجذوب (ت. 976/8 ـ 1569)، إذ كـان الـدوار أول من اعتمد عليـه المجذوب وانتسب إليـه في الطريق. وقد عني بهذه الصدارة مصنفو التراجم من أهل الـزاويـة الفـاسيـة غـايـة العنـايـة، رعيـاً لمكانة المجذوب الذي خدمه ولازمه جدهم أبو المحاسن يوسف الفاسي (ت. 1013/ 1604) وعده عمدتـه في الطريق واعترف لـه بـالمنة فيمـا حصل لـه من فتح. فأعلـوا درجـة الـدوار في التـراتبيـة الصـوفية، ورأوا في بعض كلامـه ما يـدل على أنه كـان من الأبدال.

وأولوا لقب الدوار الذي كـان يكره اللقب به على وجه يجعلـه من أهل الخصـوصيـة وممن أوتي القـدرة على سلب الأحوال، والتصـرف في المريـدين بـالنفع والضـر. وإذا كـان محمد بن عسكـر (ت. 986/ 1578) قد أشار في الترجمة التي أفردها لـه من فهرستـه دوحة الناشر إلى كثرة دورانـه في الأمـاكن والأسـواق، وصـراخـه بـاسم الجـلالة، دون أن يصرح بأنه لقب بالدوار لذلك. فإن التراجم الفاسية تقول إن تسميـة الـدوار قـد جرت عليـه أولا لـذلك، وأنـه قـد حدث بعدها تأويل من قبل أرباب البصائر والخبرة، وتوجيه بالندم في العطيـة للأسرار والأحوال، وأنـه كـان يـدور في عطيتـه فيستردها، وأنه كثيرا مـا كان يسلب الأحوال الخارجة على يديه لأدنى سبب يقع من المـريد أو دونـه. ولا يخـلـو هـذا المعنى الثاني من اشكال لاختصاص الشاذلية بـالتأميـن من

سلب الموهوب، وأن من وصل منهم على طريقهم لا يحصل له رجوع، ومن حصلت له نعمة على أيديهم لا يخشى عليها زوالا ولا نقصا. وقد كانت للشيخ عبد القادر بن علي الفاسي (ت. 1091 /1680) عناية بهذا الاشكال، وبسطه نجله عبد الرحمان في الفصل الذي عقده لمشايخ المجذوب من كتابه "ابتهاج القلوب". وجاء بالمقالات الشاذلية التي يقوم عليها، واجتهد في التأويلات التي يحتملها، ومثل بحالات سلب وقعت لبعض مشايخ القرن العاشر.

ويبقى مرام بني الجد اكساب زاويتهم من جاه الدوار الذي لا تزيده كتاباتهم إلا تواتراً، وقد سبقهم ابن عسكر إلى ذكر الاعتقاد الكبير الذي كان لأهل فاس في هذا الشيخ، وأن ولايته كانت عندهم قطعية كفلق الصبح، كما كان شأنه عندهم عظيماً. وإذا كنا قد اهتبلنا بتفرد الشيخ الدوار بالسند الزروقي - الأفحامي، واعتنى أهل الزاوية الفاسية بتصدره لمشايخ المجذوب، فإن محمد بن عيشون الشراط (ت. 1109/ 1697) قد توسع في سنده، وبسطه في صفحات عديدة ختم بها الترجمة التي أفردها له من كتابه الروض العطر الأنفاس، ورفعه إلى كبار التابعين والصحابة والرسول ﷺ.

ولم ينافس المجذوب في الأخذ والإراثة عن الدوار سوى السيدة آمنة بنت أحمد بن علي بن القاضي المتوفى عام 955/ 1548، جد المؤرخ أحمد بن القاضي المذكور، ومتولي خطة القضاء والتدريس بمكناس. وإذا كان انتقال أبيها إلى فاس بأهله واتخاذها داراً يفسر باللحاق بأستاذه الإمام محمد بن غازي (ت. 919/ 1513) الذي أبعده بنو وطاس عن مكناس، فإن شيخها الدوار كان يقول إنه ما جيء بأولاد ابن القاضي كلهم من مكناس إلى فاس إلا لأجلها. وكانت تخدمه وتتبعه ولا تفارقها آنية الزيت، إذا أتاها وجدها عندها ليريقها على نفسه، لأنه كان يحب ذلك. وتذكر كتب التراجم أن الشيخ المجذوب اقتسم معها الإراثة الروحية لشيخهما الدوار على الوجه الشرعي للذكر مثل خط الأنثيين، وأنه لم تكتمل له هذه الإراثة إلا بعد وفاتها التي حدثت عام 963/ 1556، وقد دفنت بروضة شيخها وراء ظهره. وممن اشتهر من أتباع الدوار أيضا الشيخ محمد بن منصور (ت. 997/ 1589) دفين فاس الجديد على مقربة من وادي فاس، وقد كان له كلام في الإشارات والمعاني على لسان القوم.

وعلى الرغم من سكوت مترجمي الدوار عما إذا كان قد أوتي حظّاً من العلم أم لا، إلا أنهم يذكرون أبياتا تنسب إليه، وهي :

| | |
|---|---|
| الموت أفنى من مضى | والموت يفني من بقي |
| والموت يجمع في الثرى | بين المنعم والشقي |
| يا من أساء فيما مضى | كن محسناً فيما بقي |

وقد سمع صاحب ابتهاج القلوب والده ينشدها، وسأله عن نسبتها إليه، فأكد له أنه سمع الناس ينسبونها إليه. كما وجد بخط الشيخ عبد الرحمان بن محمد الفاسي (ت. 1036 /1626) كلاماً معزوا إلى الدوار في معاني حروف الهجاء وأسرارها. ولا يتسع المقام لجلبه، ويشهد لصاحبه بعلو الكعب في العلم ظاهره وباطنه، ويراجع في ابتهاج القلوب و"الروض العطر الأنفاس" لابن عيشون.

وقد اختلف في تحديد تاريخ وفاة الشيخ الدوار، فجعلها ابن عسكر في آخر العشرة الخامسة من القرن العاشر، وهذا يتفق مع ما قيده بعضهم من أنه توفي في جمادى الثانية عام 947/ أكتوبر 1540، وهو التاريخ الذي اعتمده ابن عيشون. في حين يعود عبد الرحمان الفاسي بتاريخ هذه الوفاة إلى بداية هذه العشرة، ويقول إن الأقرب: الذي يصح أنه توفي في أول سنة 941 /1534، أو في تمام السنة التي قبلها. وقد حضر السلطان وخاصة دولته وفقهاء الحاضرة الفاسية جنازته، وتساقط الناس عليها، وتقاسموا أعواد نعشه وسجادته ولباسه. ودفن خارج باب الفتوح من فاس، وبني عليه بناء حسن، وجدد عليه البناء عام 1067/ 6 - 1657 الفقيه الصغير ابن القاضي (ت. 1089/ 1678) بمال ورثه، ثم جدد البناء عليه السلطان المولى الحسن الأول (1290 - 1312/ 1873 - 1894).

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، 2 : 865 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية، 190 - 191 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، تح. ح. الدازي، 124 — 139 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، تح. ع. العمراوي وع. مراد، 110 - 113 ؛ *تحفة أهل الصديقية*، مخ. خ. ع. 76 ج، 69، 72 ؛ م. ابن عيشون، *الروض العطر الأنفاس*، تح. ز. النظام، 73 -85، 86 - 87، 323 — 324 ؛ م. الصغير الافراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشادلي، 71 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، 5 :1795 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجرية، 2 : 219 -223 ؛ ع. نجمي، *من تاريخ التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري : الملامتية*، مجلة تاريخ المغرب، السنة الأولى، 1401 / 1981، العدد الأول، 15 -57.

عبد الله نجمي

**الدوّار** أو الدّشر وحدة الاجتماعية والإدارية الأساسية في المجتمع القروي. (ويسمى كذا - حسب المناطق - الخروبة أو القصر أوتيگمي أو أشون)، ويتعلق الأمر بجماعة بشرية تتكون من مجموعة من الخيم (انظر مادة خيمة) أو الكوانين (20 إلى 30 حسب دراسة روبير مونطاني لسوس)، ينحدر أعضاؤها، مبدئيا، من نفس الجد. ورغم هذه القرابة العصبية، التي تلعب دورا أساسيا في التحام أفراد الدوار، فإن هذا الأخير يضم أحيانا أشخاصا يلجؤون إليه هروبا من ثأر أو غيره، ويتم تبنيهم عادة عبر مؤسسة الزواج.

بالإضافة إلى هذا العنصر السوسيولوجي، يتميز الدوار

باحتلاله مجالا جغرافيا معينا ذا حدود قارة، وبوجود نشاط اقتصادي يعتمد أساسا على الفلاحة والرعي (وبعض الصناعات الحرفية المحلية)، الشيء الذي يفرز تمايزا سوسيو - اقتصاديا رغم التجانس الذي تتسم به مظهريا ساكنة الدوار.

وعلى مستوى الملكية العقارية، نجد إلى جانب الملكية العائلية ملكية جماعية تتعلق بالمراعي والغابات والطرقات، وذلك في إطار الانتماء إلى وحدة أكبر (الفخذة أو الفرقة، انظر هاتين المادتين).

يمثل الدوار كذلك وحدة ثقافية لها عاداتها وتقاليدها وقوانينها، التي تكون تارة مكتوبة وتارة عبارة عن أعراف شفوية، وتعتمد لتدبير ما هو محلي. وفي هذا الصدد يعين أو ينتخب الدوار جماعة تمثله وتسهر على تسيير شؤونه. هذه الجماعة التي يفترض فيها أن تمثل كل أفراد المجتمع المحلي، لا يشارك فيها فعلا إلا الرجال المتزوجون والقادرون على حمل السلاح، مما يقصي العزاب والخماسة والعبيد (إن وجدوا)؛ كما توجد عمليا بين أيدي الأعيان الذين يتناوبون على إدارة مجلس الجماعة.

من الناحية الإدارية، يوجد على رأس الدوار مقدم يسهر على تنفيذ قرارات الجماعة، أو القرارات الصادرة عن السلطات المخزنية.

تحت تأثير تنفيذ الحياة الاقتصادية، ونزع الأراضي من أصحابها وتكديحهم - أثناء الفترة الاستعمارية - سيفقد الدوار وحدته، إذ سيضطر عدد من أفراده إلى الهجرة (داخل المغرب أو خارجه)، وستحل الفردانية، الناجمة عن تحول عدد من القرويين إلى عمال زراعيين، محل التآزر الذي كان يطبع المجتمع التقليدي، كما سيفقد الدوار كذلك وحدته القرابية إذ سيزداد عدد الغرباء الذين سيصبحون من المالكين العقاريين. وستتفاقم هذه الوضعية بعد الاستقلال، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار التقطيعات الجديدة المرتبطة برهانات انتخابية وبتدخل الدولة في إطار التحديث الزراعي وما ينتج عن كل هذا بالنسبة للدوار الذي يصبح مجرد تجمع سكني آخذ في فقدان هويته الاجتماعية والثقافية.

عبد الجليل حليم

**الدَّوَّاس**، الحاج **محمد** بن أحمد قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني كرفط أنظم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني؛ وقد مثل قبيلته في مؤتمر التورة المنعقد بضريح مولاي عبد السلام يوم 20 يوليوز 1913 حيث عين عضو في القيادة المركزية للثورة كما شارك في 11 معركة، وعلى إثر جروحه في معركة بني صالح يوم 25 مارس 1919 وقع أسيرا بيد الجيش الاسباني ومكث بسجن "الهاشو" El Hacho بسبتة السليبة من سنة 1919 إلى أن توفاه الله سنة 1934.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، الرباط، 481.

محمد ابن عزوز حكيم

**دينية** (أسرة رباطية) ← **دنِّية**

**دوُّوس** Duous وادٍ انفرد بذكره الجغرافي بطليموس: Ptolémée, 4, 1, 2. وقد رتبه بين مدينة سلا ومكان سماه بالأطلس الصغير. وحدد للوادي المذكور الإحداثيات التالية: الطول6 درجة و10، العرض 33 درجة و20.

ظن شارل تيسو أنه هو وادي المالح الذي يصب جنوب مدينة فضالة - المحمدية خالياً - وقد وافقه روجي والأستاذ مولاي رشيد في هذا الرأي.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878 ; R. Roget, *Index de topographie ancienne du Maroc*, Rabat, 1939 ; E.M Moulay Rchid, *Le Maroc septentrional selon Claude Ptolémée*, *R.G.M.*, Nouvelle série, 3, 1979.

محمد مجدوب

**الدّويري**، أسرة فاسية تشتمل حسب *رفع الالتباس* على فرقتين: فرقة شرفاء من جبل العلم لهم شهرة أهل معاش حرفة وجاه؛ وفرقة من سجلماسة من محل هناك يقال له الدويرة، وهم أمويون من نسل أمير المؤمنين عثمان بن عفان كما رأيت ذلك في حجج بيدهم" منهم: الحاج المدني الدويري الذي كان أميناً بمرسى الدر البيضاء أيام الحسن الأول. والحاج قاسم الدويري من أمناء بيت المال (الأقواس) بمكناس أعوام 1305 - 1308.

**الدويري، محمد** بن **عبد الواحد** العثماني الفاسي. كان فقيهاً مشاركاً مطلعاً، تولى قضاء صفرو ثم نقل إلى قضاء مراكش وبعده أعفي من منصبه، وكان قد قُضي عليه أيام السلطان محمد بن عبد الرحمن بالسجن والذعيرة ثم عفي عنه. وولاه الحسن الأول قضاء مدينة أسفي.

مرض محمد الدويري بأسفي فرجع إلى فاس وبها أدركته منيته في ثامن ربيع الأول عام1302 / 28 دجنبر 1884 ودفن بزاوية بدرب الحرة.

**الدويري، محمد** بن **محمد** بن عبد الواحد العثماني ولد بفاس عام 1273 / 56 - 1857 وبها نشأ ودرس على والده وعلماء عصره، فتخرج فقيهاً متمكناً في الأصول والفروع. أسند إليه قضاء مدينة صفرو ثم القصر الكبير فالدار البيضاء فالجديدة فأسفي.

توفي بفاس عشية يوم السبت ثامن وعشرى رجب عام 1349 / 20 دجنبر 1930.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط 1933، ج. 2 : 460 ـ 461، ج.3 : 462، ج. 5 : 368 ؛ ع. السلام ابن سـودة، *رفع الالتباس*، مرقون ؛ *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 2763 و2996.

محمد حجي

**الدويـمـلالنيون** من الأسر السوسية الركراكية موطنها قرية دُويمْلالْن (تحت الرمال) بقبيلة أملن شمال تفراوت.

اشتهرت في خطط القضاء والفتوى والتدريس، إذ تولى أفراد الأسرة قضاء تفراوت منذ القرن العاشر الهجري، وشارطوا في مدارس أملن. بالإضافة إلى ذلك، منهم من كان مقصوداً للتربية الصوفية، بل منهم من نسبت لهم كرامات.

استطاع المختار السوسي بعد مناقشة نسب الركراكيين بسوس وما يطرحه من شكوك، أن يحصي أربعة عشر علماً من أعلام الأسرة، وذكر أن لهم اتصالاً بالشيوخ الإيلغيين والجشتيميّين والتمگدّشتيين مما كان له تأثير في صقل معارف الأسرة وتهذيب سلوك أفرادها الصوفي.

م. بن أحمد الحضيگي، *طبقات الحضيگي*، تح. أ. بومزگو، بحث لنيل د. د. ع الرباط، 1994، التراجم 54 ـ 404 ـ 760 ـ 761 ـ 819 ـ 820 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي*، 1989، ص. 22 ـ 45 ـ 111 ؛ *المعسول*، 1 : 369، 3 : 110 ـ 112، 4 : 5 ـ 25، 6 : 194 ـ 198 ـ 255 ـ 303 ـ 317، 9 : 150 ـ 212 ؛ داوود بن علي الگرامي، *بشارة الزائرين*، مخطوط خزانة الإگراري ؛ *وفيات الرسموكي*، تح. م. المختار السوسي، الرباط، 1988، ص. 26 ـ 27 ـ 30 ـ 33 ـ 42.

شفيق أرفاگ

الدوق **دي براگاش** بحار برتغالي عين قائداً للحملة البرتغالية الثانية لاحتلال أزمور، على رأس أسطول يتألف من مائتي سفينة ولم يطلع ضباطه على هذه الحملة إلا يوم 20 غشت 1513. وبعدما بلغت الحملة قبالة أزمور يوم 25 غشت وجه المراكب للجوء إلى منطقة مازگان نتيجة رداءة أحوال الطقس ولم يتعرض لها سكان المنطقة، مما شجع الدوق على نصب المخيم بالساحل من يوم 27 غشت إلى فاتح شتنبر وهي في حالة استنفار، ولم يحل ذلك دون تعرضها لاغتيال بعض رجالها (اثنين أو ثلاثة) وفقدان بضعة خيول من طرف بعض الأهالي المناوئين للاحتلال البرتغالي وأنصاره من المحليين.

وفي صباح يوم الخميس فاتح سبتمبر انطلقت الحملة نحو أزمور التي بلغتها في المساء، والتحم أحد قواد الدوق دوبراگاس جواودي مينيسيس Joao de Meneses مع فرقة من الأهالي الذين أظهروا قوة في الصراع معاً دفع بالكويت دي بوربا Le Comte de Borba إلى أمر القوات البرتغالية بالتراجع. ولم يتم نصب المخيم على مشارف أزمور إلا ليلاً.

وفي يوم الجمعة سبتمبر تم انزال المدفعية، وبعد الزوال ظهرت قوات مغربية مكونة من حوالي أربعة إلى خمسة آلاف فارس. وقد توجه بعض البرتغاليين نحو أسوار المدنية مصحوبين بواقيتين خفيفتين يقود إحداهما جورجي بارطر Jorge Barreto، واجههم المدافعون عن المدينة برشقهم من أعلى الأسوار بجباح النحل والنار الذي أحرق الواقيتين، وبالسهام، وبطلقات نارية ضعيفة.

وفي المقابل كانت قوات الفرسان المغربية تتقدم بانتظام وكأنها تستعد للمواجهة، مما دفع البرتغاليين إلى الاستعداد من جهتهم ؛ وأمام توقف المغاربة فكر الكونت دي بوربا في أخذ مبادرة الهجوم لكن انسدال الظلام حال دون ذلك، حيث تظاهرت المسلمون بالانسجاب ثم كروا فجأة حاملين على البرتغاليين مستغلين انسحابهم، ملتحمين معهم في معارك لم تتوقف إلا مع حلول الليل.

وخلال الليل انشغل السكان في مغادرة المدينة وقام بعض اليهود إلى المعسكر البرتغالي لإخبار الدوق دي براگاس بذلك وفي صباح اليوم الموالي دخل الغزاة، وقد عين حامل روي بارّطو دخلت قواة برتغالية النهر بستين زورقاً لإحراق منجنيقات الأهالي التي حاولوا بها إتلاف الأسطول البرتغالي.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الجزء 1، ص. 158.

*S.I.H.M.*, *Portugal*, T. I, p. 405 - 09.

حسن أميلي

**دي جـوانڤيل** (François Ferdinand Philippe d'Orléans, Prince de Joinville). هو الابن الثالث للملك الفرنسي لويس فيليب، ولد عام 1818 في نويي ـ سور ـ سين (Neuilly - Sur - Seine). وبعد إتمام دراسته في المدرسة البحرية عين قبطاناً لبارجة. وقد حضر احتلال مدينة قسطنطينة عام 1837 بعد غزو الجزائر.

وفي المغرب ارتبط اسم الأمير دي جوانڤيل بقنبلة الأسطول الفرنسي لمدينتي طنجة والصويرة، وعقد معاهدة طنجة عام 1844. فعلى إثر الاشتباكات التي شهدتها منطقة الحدود الشرقية في نهاية شهر مايو 1844 بين المغاربة والفرنسيين، والتي نتجت عن إقدام القوات الفرنسية على إقامة مركز في للالة مغنية غرب نهر تافنا - وكان المغرب يعتبره حدا بينه وبين الجزائر - ؛ تحركت فرنسا للضغط على المغرب دبلوماسيا وعسكريا.

وفي هذا الإطار قررت الحكومة الفرنسية بتاريخ 11 يونيو 1844 إرسال أسطول حربي إلى شواطئ المغرب، وأسندت قيادته إلى الأمير دي جوانڤيل. وكانت غاية

الحكومة الفرنسية من اختياره، هي "تأكيد الأهمية التي كانت تعلقها على مهمته". وقد زودته بتعليمات تقضي باستعمال الضغط أو بتوجيه ضربة عسكرية "حاسمة وسريعة"، من أجل إجبار المغرب على قبول الشروط الفرنسية، التي يمكن إجمالها في أربعة رئيسية :

1 ـ معاقبة المسؤولين المغاربة في ناحية وجدة.

2 ـ إخلاء المنطقة الشرقية من الجيش المغربي.

3 ـ طرد الأمير عبد القادر الجزائري من المغرب.

4 ـ عقد معاهدة جديدة لرسم الحدود بين المغرب والجزائر.

وقد أقلع الأسطول الفرنسي من طولون (Toulon)، ووصل إلى وهران في أوائل شهر يوليوز، حيث كان على دي جوانڤيل أن يضع نفسه تحت إمرة الجنرال بوجو (Bugeaud) وينسق معه.

وفي يوم 9 يوليوز وصل الأمير إلى شاطئ طنجة، حيث كان القنصل الفرنسي دي نيون (de Nyon) قد حصل من باشا العرائش بوسلهام بن علي على الإذن بالصعود إلى سفينة دي جوانڤيل، الذي وجه إنذارا إلى السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، يطلب الموافقة العاجلة على الشروط الفرنسية. وفي انتظار الجواب، قرر إبقاء أسطوله في قادس، غير بعيد عن الأسطول الذي أرسلته الحكومة البريطانية لمراقبة تحركات السفن الفرنسية، بينما كان القنصل الأنجليزي دراموند هاي (D. Hay). يحاول إيجاد تسوية للنزاع تحول دون وقوع أعمال حربية.

وكان الجنرال بوجو يحث دي جوانڤيل على الشروع في القتال دون انتظار، مبررا ذلك بأنه ـ وهو في داخل المغرب ـ لا يستطيع البقاء في مكانه أكثر من عشرة أيام. وقد أبلغ دي جوانڤيل إلى القنصل دي نيون، أنه رغم عدم اتفاقه مع بوجو، فهو مضطر إلى النزول عند رغبته وبدء القتال. وقد توجه فعلا إلى شاطئ طنجة يوم 23 يوليوز ؛ غير أن قائد هذه المدينة ابن عبو، الذي لاحظ الاستعدادات الجارية في القنصلية الفرنسية لمغادرة المدينة ؛ منع الأجانب من الخروج باستثناء قنصلي بريطانيا ونابولي، فاضطر دي جوانڤيل إلى تأخير بدء القتال، خاصة وأن القنصل دي نيون كان مقتنعا بنجاح مهمة هاي لدى السلطان. ولتبرير هذا التأخير، وجه الأمير إنذاراً جديدا وأخيرا إلى باشا العرائش، اشترط فيه السماح للفرنسيين بمغادرة طنجة، إضافة إلى الشروط المذكورة أعلاه، ومنحه مهلة ثمانية أيام تنتهي يوم 2 غشت.

وقد وافق باشا العرائش على خروج الفرنسيين من طنجة، لكن الجواب على الإنذار لم يأت في اليوم المحدد. وقد أنذر الأنجليز دي جوانڤيل بتحمل عواقب مقتل قنصلهم إذا بدأوا القتال قبل عودته. فاضطر الأمير إلى الانتظار مرة أخرى حتى وصل جواب الإنذار يوم 4 غشت.

وقد أثار هذا الجواب خلافا حادا بين دي جوانڤيل والقنصل دي نيون. فقد اعتبره الأول غير مرض، لأنه يطالب بمعاقبة الجنرال بوجو في مقابل معاقبة عامل وجدة، ولا يقدم شيئا بالنسبة لبقية المطالب. أما دي نيون، فقد رأى أن مضمون جواب السلطان يخالف ما فهمه دي جوانڤيل، واعتبره مستجيبا للمطالب الفرنسية. وقد تدخلت الحكومة الفرنسية في هذا الخلاف لصالح الأمير، وأمرته يوم 5 غشت ببدء القتال إذا لم يكن هو راضياً عن جواب المغاربة. فقرر بدء الأعمال الحربية في اليوم التالي، وكان القنصل الأنجليزي قد غادر الصويرة في تلك الأثناء.

مهاجمة طنجة : ورد في يوميات ترجمان الأسطول الفرنسي ڤارني (Warnier)، أن دي جوانڤيل أعطى الأوامر للشروع في قنبلة مدينة طنجة في الساعة السابعة من صباح يوم 6 غشت، وأكد أن قذائف المدافع انطلقت في نفس الوقت من الأسطول الفرنسي، ومن أسوار وأبراج طنجة. ولاحظ أن المغاربة أظهروا استماتة في القتال، حيث كانوا "يموتون فوق مدافعهم" وأنهم ركزوا قصفهم على سفينة القيادة التي كان فيها دي جوانڤيل، وقد سقطت عليها تسع وأربعون قديفة. وذكر ڤارني أن القصف توقف عند الساعة الثانية عشرة زوالاً، بعد أن تم تدمير أغلبية مدافع طنجة. وقدر خسائر الفرنسيين بقتيلين وخمسة عشر جريحاً. أما خسائر المغاربة فقد قدرها ربان مركب إسباني بمائتي قتيل وأربعمائة جريح، ودمر الحي المجاور للأسوار، وكان دي جوانڤيل يزعم أن الهجوم كان مركزاً على التحصينات وحدها.

وقد شارك في قصف طنجة حوالي ثمانية وعشرين مركبا فرنسيا بحضور مراكب أنجليزية وسويدية ودانماركية وإسبانية كانت تراقب العمليات الحربية.

أما معلومات الإنجليز التي أبلغوها للسلطان، فقد أفادت بأن الفرنسيين خسروا ستة وعشرين قتيلاً وسبعة وثلاثين جريحاً، مع إصابة عدة مراكب فرنسية. وأكد المولى سليمان، ابن السلطان، في إحدى رسائله، أن إصلاح ما دمره القصف "متيسر في وقت قريب... لأن رمي العدو لم يعم جميعها". وأخبر كذلك بأنه تم جمع ثلاثة آلاف قذيفة مدفع داخل المدينة صالحة لإعادة استعمالها، وذكر بعض القناصل أن مجموع ما ألقي على المدينة من القذائف يزيد عن ستة آلاف.

وبعد انتهاء القصف، أقلع الأسطو ل الفرنسي في اتجاه الجنوب، نحو الصويرة يوم 9 غشت، وقد سبقته إلى هناك سفينة أنجليزية لتحذير المغاربة.

مهاجمة الصويرة : وصل الأسطول الفرنسي المكون من سبع عشرة سفينة إلى شاطئ الصويرة يوم 11 غشت. إلا أن هيجان البحر أجبر الأمير دي جوانڤيل على تأخير الهجوم.

وقد جاء في مذكراته : إن اختيار الصويرة كهدف للضرب، كان ناتجا عن أهمية مداخيلها بالنسبة لسلطان المغرب، وقال : "لقد بددنا أوهامه في طنجة، في حين سيقوم الجنرال (بوجو) بإسقاط كبريائه في ساحة معركة إيسلي، وأقوم أنا بفتح ثغرة في خزينته". ولاحظ ترجمانه

ڤارني، أن المؤسسات التجارية الفرنسية في السنغال ستستفيد من تدمير الصويرة.

وفي يوم 15 غشت بعد الظهر بدأ قصف المدينة بمدافع الأسطول، واستمر ذلك أربع ساعات. وقد لاحظ دي جوانڤيل أن دفاع الصويرة كان أكثر جدية من دفاع طنجة. وبعد إسكات مدافع المدينة، أمر بإنزال خمسمائة جندي إلى الجزيرة لاحتلالها. لكنهم وجدوا مقاومة شديدة من حاميتها التي كانت تتكون من أربعمائة مقاتل، واستمرت المقاومة إلى اليوم التالي، حيث تم للفرنسيين الاستيلاء على الجزيرة فأسروا حوالي مائة وخمسين من المدافعين المغاربة، نقل مائة وسبعة وعشرون منهم بعد ذلك إلى وهران، أما الباقون، فقد قتل أغلبهم وفر قليل منهم سباحة إلى المدينة. وقدر الفرنسيون خسائرهم بأحد عشر قتيلا واثنين وخمسين جريحا مع إعطاب بعض السفن. وفي اليوم نفسه (16 غشت)، بعث دي جوانڤيل إنذاراً إلى باشا الصويرة، عبد الله الرزيني، أبلغه فيه بأنه سيقوم بإعدام الأسرى المغاربة إذا لم يسمح للقنصل الإنجليزي بالصويرة وللأوربيين بها، بمغادرتها. وبعد خروج القنصل الإنجليزي وصعوده إلى سفينة إنجليزية كانت تراقب الأحداث ؛ بعث دي جوانڤيل بقوة تتشكل من ستمائة رجل إلى المدينة لإتمام تخريب ما بقي صالحاً بها من المدافع ؛ واعتقد السكان أن غايته كانت احتلال المدينة، ففروا ومعهم الباشا إلى خارجها فعمت حالة الفوضى.

وفي 23 غشت غادرت أكثرية سفن الأسطول الفرنسي شواطئ الصويرة في اتجاه قادس، بعد أن ترك دي جوانڤيل حامية بالجزيرة مع مؤن تكفي لمدة شهرين، وبعض السفن الحربية لإحكام الحصار حول المرسى. غير أن نيران المدافع أطلقت من المدينة على الأسطول الفرنسي عند إقلاعه، فعاد دي جوانڤيل وأنزل قوة لتدمير المدافع المهاجمة قبل أن يتابع سفره.

وقد اعتبر الفرنسيون أن حملة دي جوانڤيل البحرية على طنجة والصويرة، كانت أكثر تأثيراً على السلطان من هزيمة إيسلي، لأنها حرمته من موارده الأساسية : مداخيل ديوانة طنجة والصويرة.

معاهدة 10 شتنبر : وبسبب سوء التفاهم المشار إليه أعلاه، بين دي جوانڤيل والقنصل دي نيون، عينت الحكومة الفرنسية الدوق گلو كسبورغ وهو كاتب السفارة الفرنسية بمدريد، لقيادة المفاوضات بين الفرنسيين والمغاربة، عقب انتهاء الأعمال الحربية.

وفي هذه المفاوضات، تخلى دي جوانڤيل عن رغبته في فرض غرامة حربية على المغرب مقدارها عشرة ملايين فرنك، مبرراً ذلك في رسالة منه إلى وزير الحرب، بالحاجة إلى الوصول إلى صلح سريع، وبعجز قوات الجنرال بوجو عن التقدم إلى فاس، ونفاد موارد الأسطول بعد معارك طنجة وتطوان، هذا إضافة إلى أن القنصل دي نيون كان يعارض هذه الغرامة.

وبعد أن تأكد المفاوضون الفرنسيون من أن الباشا بوسلهام بن علي يحمل التفويض اللازم من السلطان للتباحث حول معاهدة الصلح والتوقيع عليها ؛ توجهت ثماني سفن إلى طنجة مع دي جوانڤيل وكلو كسبورغ ودي نيون، حاملين معهم نص معاهدة صلح لكي يوقع عليها بوسلهام دون تعديل أو يرفضها. وبعد أن تلقى دي جوانڤيل إشارة من قنصل ناپولي - الذي كان يقوم بتمثيل مصالح فرنسا في طنجة بعد خروج القنصل الفرنسي منها - بأن الباشا قد وافق على المعاهدة المقترحة ؛ نزل الثلاثة إلى طنجة، وتوجهوا لمقابلة بوسلهام بن علي الذي وضع خط يده على الوثيقة يوم 10 شتنبر بعد أن "حصل على عدد من التوضيحات وأجرى عدداً من التدقيقات". وقد وقعت نسختان بالعربية ونسختان بالفرنسية، واحتفظ كل طرف بنسخة عربية وأخرى فرنسية.

وبعد إتمام التوقيع كتب دي جوانڤيل إلى وزير الحرب الفرنسي معبراً له عن تقييمه للمعاهدة قائلاً : "في هذا اليوم حصلت الحكومة على أكثر مما كانت تطلبه، وأكثر مما لم نكن قد حصلنا عليه في أي يوم من المغرب. كل هذا بدون مساعدة أي نفوذ أجنبي وفي ظل مدافع سفننا".

وفي يوم 11 شتنبر تلقى بوسلهام هدايا من دي جوانڤيل رداً على ما كان بعثه إليه من مؤن لسفنه في صباح نفس اليوم. وقد التحق القنصل الفرنسي بقنصليته ورفع العلم الفرنسي عليها وتم تبادل التحية بطلقات المدفعية من أبراج المدينة والأسطول الفرنسي، وأرسل الأمر برفع الحصار عن الصويرة وإخلاء جزيرتها ثم كان تسريح الأسرى المغاربة المحتجزين بوهران.

وقد استفاد دي جوانڤيل من تلك العمليات إذ ذاع صيته فشارك في الحياة السياسية الفرنسية بنشاط، إلى حدوث ثورة 1848 التي أجبرته على الهجرة مع أسرته إلى انجلترا ثم إلى الولايات المتحدة. وفي عام 1870 عاد إلى فرنسا وشارك في الحرب ضد بروسيا، وفي عام 1871 انتخب عضواً في الجمعية الوطنية، ثم أعيدت له رتبة "نائب أميرال" عام 1872 وقد توفي عام 1900.

*وثائق من الخزانة الحسنية بالرباط ؛ وثائق من أرشيف وزارة الخارجية بباريس.*

Ph. De Cossé-Brissac, *Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie* ; De Joinville, *Vieux souvenirs ; Histoire générale de la marine* ; M. Emerit, *Le conflit franco-marocain de 1844* ; Guizot, *Mémoire pour servir à l'histoire de mon temps*, T. 7 ; L. Roches, *32 ans à travers l'Islam*, T. 2 ; A. H. Warnier, *Compagne du Maroc* ; *Le Robert, Dictionnaire universel des noms propores*, T. 2, 1995 - 9 -18.

إبراهيم ياسين

الدوكي **دي ريپردا** El Duque de Riperda سياسي

هولاندي مغامر من عائلة نبيلة تحمل لقب بارون. ولد بهولاندا سنة 1091 / 1680 وبها نشأ وتعلم وعُيّن سفيراً لبلاده ببلاط مدريد، ثم شغل عدة وزارات إلى وظيف سكرتير الدولة للملك فيليب الخامس من آل بوربون بإسبانيا. ونال بذلك دنيا عريضة وجاها كبيرا وصيتا جميلا.

لجأ الدوكي إلى المغرب بعد أن سقطت مكانته في البلاط الإسباني ولاكت الألسن سمعته واكتوى بنار العنصرية والتعصب الديني لأنه أجنبي لا يحسن أن يتولى رئاسة الوزارة بإسبانيا كما أنه حديث عهد بالكاثوليكية، وانتهى به المطاف إلى السجن، فهرب منه بوسائله الخاصة ولجأ إلى لندن فأقام بها مكرما من ملكها ونبلائها، لكن سرعان ما تحركت دسائس خصومه فشعر بالخطر وذهب إلى بلده هولاندا، فتابعه خصومه ولا سيما سفراء إسبانيا لم يكفوا عن تتبع حركاته وإشاعة السوء عنه، وعرف أن هناك مساومات لتسليمه إلى إسبانيا التي تطالب بمحاكمته، فتأكد أنه لم يبق له مكان بأوربا، وانتهز وجود سفير مولاي عبد الله بن إسماعيل ملك المغرب بلاهاي فاتصل به وأبدى رغبته في الالتجاء إلى المغرب بشرط المحافظة على دينه وماله وأن يمنح حرية التنقل والتصرف، فسوعد على ذلك بعد الاستشارة، وقدم إلى المغرب مع السفير راكباً إحدى قطع الأسطول المغربي ونزل بميناء طنجة في جمادى الأولى عام 1144/ نوفمبر 1731.

زار الدوكي السلطان بمكناس فأكرمه واستمر اتصاله به سراً وعمل بنصائحه وإشاراته في أمور شتى، وكان الدوكي جلب من أوربا أسلحة حديثة سأعد بها السلطان فكان لها أثر ملموس في انتصاره على خصومه، ثم عاد إلى طنجة فأكرمه عاملها بأمر السلطان، وبعد مدة استأذن في الانتقال إلى تطوان التي كانت وقته من أجمل مدن المغرب فسكنها وأقطعه حاكمها الحاج عمر لوقش داراً وروضاً وأراضي اعتنى بها الدوكي وغرس بها أنواعاً من أشجار الفواكه والأزهار والورود وأنقها على الطراز الأوربي، وتوطدت الصلة بينه وبين أعيان البلد فأحبهم وامتزج بهم وتعلم العربية، لكنه ما لبث أن استُدعي من طرف السلطان للقيام بمهمة سياسية إلى تونس، فسافر إليها واتصل بالباي ورجال دولته غير أنه لم ينجح في مهمته وعاد إلى المغرب، فوجد الإشاعات والدسائس عادت إلى الالتفاف حوله فاستأذن في السفر إلى أوربا فلم يؤذن له، وعاد إلى الاستئذان وانتظر وطال انتظاره، فأخبره الحاكم بأن لديه أمراً سلطانيا بعدم السماح له بمغادرة البلد فأدرك أنه سجين.

أمضى الدوكي سنوات من أجمل أيام حياته في تطوان، وتأثّل بها دوراً وعقاراً حبّس منها أملاكاً على ضريح الشيخ سيدي السعيدي حتى ذكرت مصادر إفرنجية أنه أسلم وتسمى بعثمان، ولكي يبرهن على حسن إسلامه حبّس أملاكا عل ضريح ولي يقدسه أهل تطوان ويُعتبر حاميها. وقد استبعد الشيخ داود إسلامه بحجة أن العدول وصفوه في صكوك شهاداتهم بأنه فلان النصراني قال : ولو كان اعتنق الإسلام لما وصفوه بالنصراني خصوصاً في شهادة وقعت عليه قبل وفاته بشهر واحد.

توفي الدوكي بتطوان مفلوجاً في 14 رجب عام 1150 / 5 نونبر 1737 وحيداً غريباً عن 57 سنة.

, Madrid,*El Duque de Riperda* Don Luciano de Taxonera, 1945 ؛ ترجمة وتلخيص التهامي الوزاني، تطوان ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، تطوان، د. ت. ج. 3، 35 -41 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 285.

محمد الأمين بوخبزة

**دي كاستر** الكونت هانري C. H. De Castries ينتمي إلى بيت من أكبر البيوتات النبيلة في فرنسا. انخرط باكرا في الجيش الفرنسي إذ دخل صفوف القتال في الحرب بين فرنسا وبروسيا (أو ألمانيا الناشئة) سنة 1870، ليلج بعد الحرب مدرسة سانسير ويتخرج منها برتبة ملازم سنة 1873 ويلتحق بجيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر، فهو نموذج آخر من نماذج شباب الطبقة النبيلة الفرنسية التي التزمت يومئذ بخدمة النظام الجمهوري المنتصر في فرنسا على أن يكون ذلك بعيداً عن التراب الفرنسي فيما وراء البحار، مثله في ذلك مثل شارل دي فوكو وهوبير ليوطي على سبيل المثال لا الحصر.

اشتغل هانري دي كاستر في الجنوب الجزائري. وتأثر بما يهيمن في المناطق الصحراوية من أجواء الفطرة الأولى فتعلم العربية، وصار يشتغل برسم الخرائط وضبط التضاريس عن طريق الاستعمالات. وهكذا استطاع أن يرسم خريطة أولى عن منطقة درعة وأخرى عن واحة فجيج بمجرد استقصاء كل من كان يلتقي بهم من أبناء تلك الجهات لدى تنقلهم عبر الجزائر. واجتمع لديه من المعلومات الطوبو غرافية عن المغرب ما مكنه من وضع أول خريطة عن البلاد رسمها باللغة العربية أجمل رسم وزينها بما يليق من التزين، وجاء المغرب لإهدائها إلى السلطان المولى حسن الأول سنة 1887، فكان ذلك أول ما وطئت قدماه تراب

البلاد. وانتهز الفرصة ليرسم تضاريس الطريق من الدار البيضاء إلى مراكش عبر سطات. وهذا الرسم الطوبوغرافي، هو الذي اعتمده الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال مانجان للزحف نحو مراكش واقتحامها في صيف سنة 1912.

استقال دي كاستر من الوظيفة العسكرية غداة رحلته إلى المغرب، ذلك بأنه كان قد تزوج بنت الجنرال لامورسيير Lamoricière منذ سنة 1880، وفضل العودة إلى الحياة المدنية والاشتغال بتدبير شؤون ضيعاته والشؤون السياسية المحلية في أقاليم أنجو Anjou ومصب نهر اللوارLoire. بيد أنه لم يتغافل عن قضايا التوسع الاستعماري الفرنسي، إذ انخرط في جل الجمعيات التي كانت تعنى بها، مثل الجمعية الجغرافية والجمعية الأسيوية والاتحاد الاستعماري ولجنة إفريقيا الفرنسية وأسيا الفرنسية ولجنة المغرب التي كان من الأعضاء المتحمسين لتأسيسها. وصار المغرب شيئاً فشيئاً يستقطب باهتمامه، فأصبح من دعاة إلحاقه بالمستعمرات الفرنسية. وانكب على سبر أغوار تاريخه بعد أن كان قد تضلع في دراسة جغرافية. وصار ينقب عن المخطوطات وعن كتب التاريخ العربية. مما أوقفه على ما كان مودعا من الوثائق الغميسة ومن المراسلات والرحلات والتقارير الرسمية وغير الرسمية في مختلف رباند الدول الأوربية. فاكتشف من الكنوز الوثائقية ما لم يكن أحد يلتفت إليه. وقرر من توه إصدار كل ذلك في سلسلة تحت عنوان *Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc* أو الوثائق غير المنشورة من تاريخ المغرب، صدر أول مجلد منها سنة 1905 على نفقته وصدرت المجلدات اللآحقة بمنح من الجمعيات الاستعمارية.

ويوم أبرم عقد الحماية على المغرب، جاء دي كاستر إلى طنجة ودخل فاساً إلى جانب ليوطي الذي يعتبر من جيله. وقد اعتمد عليه ليوطي لينهض بتنظيم شؤون لخزانات المغربية وترتيب أرشيف الإدارة الفرنسية الناشئة في المغرب وخزانة الحماية. وانتهى التعاون بين الرجلين بإحداث القسم التاريخي الملحق بمكتب السياحة المغربي في باريس سنة 1919، الذي تكفل من ثم فصاعدا بنشر باقي مجلدات الوثائق غير المنشورة. وتأتّى بذلك متابعة نشرها بعد وفاة الكونت هانري دي كاستر على يد بيير دي سينفال (Pierre de Cénival) ثم روبير ريكار (Robert Ricard) ثم فيليب دي كوسي بريساك (Philippe de Cossé-Brissac) ثم شانطال دي لافرون (Chantal de la Véronne)، فهي مجموعة من سبعة وعشرين مجلدا، عشرة منها تحتوي ما يوجد في الربائد الفرنسية من الوثائق المغربية (ثلاثة مجلدات عن الدولة السعدية وسبعة عن الدولة العلوية)، وستة مجلدات تحتوي ما هو مودع منها في الربائد الهولاندية، وثلاثة مجلدات ما هو مودع في الربائد الانجليزية، وثلاثة ما في الربائد الاسبانية، وخمسة ما في الربائد البرتغالية. والسلسلة كنز مرجعي لا غنى عنه لمن يريد استكناه تاريخ المغرب منذ منتصف القرن السادس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر، في العصر الذي مهد لتقهقر الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط منذراً بتفوق الضفة الشمالية عليها، وصار الأوربيون يتشوفون إلى إماطة اللثام عن أسرار الخصم الإسلامي وعوراته، وإلى تعميم الفائدة من ذلك في صفوفهم، مستفيدين مما عم بينهم من انتشار الطباعة وسرعة التواصل العلمي والاعلامي.

وللكونت دي كاستر العديد من المؤلفات فضلا عن السلسلة المذكورة من بين كتب مطولة وكراسات ومقالات عن قضايا الإسلام ومشاكل الاستعمار، أورد جل عناوينها بيير دي سينفال في المقال الرثائي الذي خص به صديقه الراحل بعد وفاته في العاشر من شهر ماي سنة 1927.

Pierre de Cénival, *Le Comte Henry de Castries, 1851 - 1927, Hesp.*, T. VIII, 3e trim., pp. 267 - 285.

إبراهيم بوطالب

**دي گول** والمغرب DE GAULLE، ولد شارل دي گول في ليل (Lille) إحدى حواضر الشمال الفرنسي يوم 22 نونبر 1890 من أسرة بورجوازية على جانب كبير من روح المحافظة استقرت في باريس حيث كان والده أستاذاً في التعليم الكاثوليكي الحر وكانت والدته شديدة التمسك بعقيدتها وبالتقاليد. فنشأ شارل دي گول في وسط متميز بحب الوطن وبروح الاستقامة محدود الإمكانيات مترفع عن الماديات. نشأ شغوفا بتاريخ فرنسا معتزاً بأمجادها. ولذلك مال إلى الوظيفة العسكرية فتخرج ضابطا من مدرسة سانسير (Saint-Cyr) سنة 1912. وكان أول قادته في الجيش الكولونيل بيطان (Pétain) الذي رعاه برعايته الخاصة إلى أن وقع النزاع بينهما أواخر الثلاثينيات، فإن بيطان بعد أن أصبح مارشالا غداة الحرب العالمية الأولى تدخل ليلقي دي گول محاضرات في المدرسة العليا للحرب

سنة 1927، كما أنه أذن بالتحاقه كاتباً للمجلس الأعلى للدفاع سنة 1933 مما أتاح له فرصة التفكير في أساليب الجيش الفرنسي. فأصدر كتابه الأول سنة 1932 بعنوان "حد السيف" وهو سلسلة من المحاضرات عن تاريخ فرنسا العسكري. ثم أصدر كتابهُ الثاني سنة 1934 بعنوان "من أجل جيش محترف" ألح فيه على وجوب مراجعة الاستراتيجية الفرنسية لاعتماد الآليات الجديدة كالدبابات والمصفحات والطائرات لسرعتها في التنقل وقوتها على كسر شوكة العدو، مما أثار انتباه بعض رجال السياسة والصحافة إليه وأثار عليه نقمة الأوساط العسكرية المسؤولة التي كانت ماتزال متمسكة بالأساليب السابقة، ولكن دى گول أعاد الكرة بإصدار كتابه الثالث سنة 1938 تحت عنوان "فرنسا وجيشها" يدعو إلى نفس الاتجاه فكان ذلك من أسباب فساد العلاقة بينه وبين بيطان.

ثم اندلعت الحرب، وانهزمت الجيوش الفرنسية شر هزيمة أمام المدرعات الالمانية في ربيع 1940. وكان دى گول من القلة القليلة من الضباط الفرنسيين الذين أبدوا شيئاً من القدرة على الصمود والمناورة. ولذلك ألحق بالحكومة الجديدة التي تشكلت لتدارك الموقف إذ أسندت إليه كتابة الدولة في الدفاع، لكن المعركة كانت قد خسرت جملة وتفصيلاً ولم يبق من سبل لجعل حد للنكسة إلا سبيلان، اقتسم الرأي العام الفرنسي بشأنهما إلى حزبين، أولهما يدعو إلى التفاوض مع الألمان لجعل حَدٍّ لمآسي الشعب وإيقاف الزحف الألماني قبل أن يكتسح مجموع التراب الفرنسي فيمتد إلى المستعمرات، وذلك ما كان يدعو إليه بيطان ومال إليه يومئذ الأغلبية الساحقة من مواطنيه فأسندت إليه مهام رئاسة الدولة بعد انقلاب أبيض، أما السبيل الثاني فهو سبيل متابعة المقاومة إلى جانب انجلترا إما من ترابها وإما من تراب المستعمرات الفرنسية التي كان من الصعب على الألمان أن ينالوا منها شيئاً، وهو ما دعا إليه دى گول حيث لجأ إلى لندن وأذاع إعلانه الشهير ليوم 18 يونيه 1940 منبها فيه إلى أن الهزيمة في المعركة الواحدة لا يعني الهزيمة في الحرب كلها، وأن فرنسا لها من الخيرات والرجال في مستعمراتها ولها في انجلترا من السند ما يمكنها من تحمّل من الانتقام من الخصم ورد الاعتبار لسلاحها. ولكن هذه الدعوة لم تقنع يومئذ سوى ثلة محصورة من الوطنيين الفرنسيين، على أن فرنسا أصبحت من جراء ذلك في حالة حرب أهلية داخل الحرب العالمية، مما كان له أثر مباشر على مصير المستعمرات عامة وعلى مصير المغرب خاصة الذي كان تحت الحماية الفرنسية فوجب التساؤل عن تأثير دى گول على بلادنا من يوم تزعم حزب "فرنسا الحرة" إلى أن اعتزل الحكم سنة 1946، ثم عن علاقته مع المغرب بعد أن عاد إلى الحكم سنة 1958، وكان المغرب قد استرجع استقلاله إلى أن اعتزل الحكم بصفة نهائية سنة 1969 وقد وافاه الأجل المحتوم في خريف 1970.

- دى گول والمغرب من 1940 إلى 1946 : لم يكن لدى گول أي خبرة بشؤون المستعمرات يوم دفعت به الأحداث إلى الصدارة فباستثناء زيارة خاطفة لسوريا ولبنان سنة 1929 لم يكن يعرف عن الامبراطورية الفرنسية إلا ما كان يمكن أن يدركه كل مسؤول فرنسي له غيرة حادة على مصالح وطنه وهو أن فرنسا بلا مستعمرات كالجسد بلا أعضاء. ولذلك كان مصير تلك الممتلكات في صلب النزاع بينه وبين بيطان، إذ كان بيطان يزعم أن سعيه في الهدنة مع الألمان كان بدافع الحرص على الحيلولة بينهم وبين الوصول إلى أراضي فرنسا ما وراء البحار وأن انحياز دى گول إلى إنجلترا كان ينذر بتسليم تلك المستعمرات إليها، بينما كان دى گول يرى أن الامبراطورية الفرنسية بما تزخر به من الممكنات والمقدرات هي خير قاعدة لمتابعة الحرب وعدم الاستسلام وأن الهدنة تفتح أبواب ما وراء البحار لفرنسا أمام التوسع الألماني وذلك في رأيه منتهى الخذلان والخيانة، وكان لا ينوي إطالة المقام في لندن وسعى من توه لاستقطاب ولاة المستعمرات لمتابعة القتال من هناك وأول من فاتح بذلك الجنرال نوگيس (Noguès) المقيم العام بالمغرب الذي كان أعلى رتبة عسكرية منه، وكان قد أسندت إليه منذ اللحظات الأولى من الحرب القيادة العليا للعمليات الحربية في مجموع الشمال الافريقي، فإن دى گول أبرق إليه مرتين في أواخر شهر يونيه 1940 يعرض عليه تزعم المقاومة الفرنسية من مقر مسؤوليته، ولكن نوگيس لم يكن ليمتثل لاقتراحات ضابط مغمور متواضع مثل دى گول يخاطبه من إنجلترا، واشتد التنافر بينهما بعد إقدام الأسطول الانجليزي على تحطيم الأسطول الفرنسي الذي كان منزويا في المرسى الكبير غربي الجزائر حتى لا يقع في قبضة الألمان، لكن جمهور الضباط الفرنسيين لم يغفروا ذلك في حينه لا لإنجلترا ولا لدى گول الذي كان يبدو لهم مجرد صنيعة من صنائعها. وهكذا كان الصراع على المستعمرات سبب تعميق الهوة بين الحزبين، ولما فشل دى گول من جهة المغرب حاول النزول على شواطئ السينغال بمساعدة الإنجليز (شتنبر 1940) مما جاء دليلاً آخر في أعين أنصار بيطان على ميله لتسليم ممتلكات فرنسا لخصومها، ثم في ربيع 1941 كان الصراع بين الحزبين بشأن سوريا ولبنان حيث سمح بيطان للطيران الألماني باستعمال القواعد الجوية هنالك فتدخلت انجلترا للحيلولة دون ذلك وأبى دى گول إلا أن يتدخل إلى جانبها بعض جيوش "فرنسا الحرة" على قلتها وضعفها، وأبدى من الغيرة على حماية مستعمرات فرنسا ما كان سببا متجدداً لتوتير العلاقات بينه وبين حلفائه. فأما إنجلترا بزعامة ونسطن تشورشيل (Winston Churchill) فإنها كانت تتغاضى عن ذلك ولم تواخذ دى گول على ما أبدى حيالها من الحدة في الحيلولة بينهما وبين احتلال مدغشقر مثلاً، وأما الرئيس الاميركي فرانكلين روزڤيلت Franklin

(Roosevelt) ،فإنه بعد دخوله الحرب ظل متحفظاً بل ونافراً من دي گول ومن عناده وعجرفته لدرجة أنه كتم عنه خبر عملية النزول على شواطئ المغرب يوم 8 نونبر 1942. ولما سمع دي گول بها وبلغه ما أبداه الجنرال نوگيس من المقاومة أمام الجيوش الأميركية لم يتمالك أن صرح قائلاً : "نعْمَ المقاومة، فإن أراضي فرنسا لا تُدخل نقبا" وذهب الحال بتحفظ الأمريكان من دي گول إلى حد البحث عن رجل ثالث لرئاسة فرنسا فمالوا جهة الاميرال درلان (Darlan) وزير بيطان في الملاحة لكنه اغتيل في نونبر 1942 ثم فكروا في الجنرال جيرو (Giraud) الذي كان سجينا في ألمانيا إلى أن استطاع الفرار فلما انعقد مؤتمر آنفا (يناير 1943) حضر من الجانب الفرنسي كل من دي گول وجيرو لكن تنافسهما على الحكم أو قفهما في المؤتمر موقف التهميش، على أن المؤتمر كان أول مناسبة يتصل فيها دي گول مباشرة بالمغرب وبسلطانه سيدي محمد بن يوسف ولعله أدرك منذ ذلك الحين أن عاهل المغرب كان يتزعم معركة شبيهة بالمعركة التي كان هو يتزعمها لفائدة فرنسا ولكن الكبرياء الاستعمارية والمصالح الملموسة ما كانت إلا لتحول بينه وبين أن يعترف للمغرب بمثل ما كان يسعى في أن يعترف به لفرنسا، ودليل ذلك أنه لما توحدت صفوف المقاومة الفرنسية حول قيادته في ربيع 1943 وتنحى له عمليا جيرو عن الحكم فإن بادر إلى إقالة نوگيس من الرقامة العامة وجعل مكانه گابريل پووه (Gabriel Puaux) الذي كان سابقاً مندوب فرنسا السامي في سوريا ولبنان وظل مخلصا لبيطان إلى أن سمح بيطان لألمانيا باستعمال مطارات القطرين فعندئذ استقال ولجأ إلى تونس (1941) ولذلك اختاره دي گول للإشراف على المغرب علما منه بأنه سيكون خير صائن للوجود الفرنسي فيه لأن الذي كان يعني دي گول من المغرب هو مصلحة فرنسا. ومنذ نداء يونيه 1940 لم يسجل في أقواله ولا فيما كانت تذيعه "فرنسا الحرة" أي خطاب مباشر للشعب المغربي. ويوم جاء في أول زيارة رسمية للبلاد (غشت 1943) فإن طاف في أقاليمها واجتمع بالسلطان وحيته الجماهير من فرنسيين ومغاربة، إلا أنه اكتفى في خطاب الدار البيضاء (7 غشت بذكر المغرب ليس كأمة قائمة الذات ولكن كمجرد جزء لا يتجزأ من الامبراطورية الفرنسية "ملحق بمصير بلادنا (فرنسا) منذ خمس وثلاثين سنة فقط ومرتبط معنا بقيود لا شيء استطاع أو يستطيع أن يكسرها"، كما أنه لما ألقى خطابه الشهير في قسنطينة في الجزائر يوم 13 دجنبر 1943 لحث إفريقيا الشمالية على بذل مزيد من الجهد لانتزاع التراب الفرنسي من الألمان فإنه قال : "إن فرنسا بعد الاتفاق مع عاهل المغرب وتونس من خلال المعاهدات المبرمة معهما أتاحت أبواب النمو أمامهما وعليها أن تسرسل في ذلك بإشراك المزيد من أعضاء النخبة الاجتماعية المحلية في تسيير الأمور" وهذا أقصى ما كان دي گول مستعداً للسير فيه جزاء للمغاربة على ما أبدوه من الإخلاص لفرنسا يوم نكبتها الكبرى وهي الخطة التي سار فيها المقيم گابريل پووه وكل ما سوى ذلك كان يبدو لدى گول تطاولا على حقوق بلاده إن لم يعتبره خيانة صارخة. ولذلك لما صدر بيان المطالبة بالاستقلال (11 يناير 1944) ظن دي گول أن المبادرة ربما كانت بإيعاز من الحلفاء وبلورة للقاء عاهل المغرب بالرئيس الامريكي في مؤتمر آنفا، فأبى إلا أن يتأكد من الأمر بنفسه فجاء من الجزائر وقد أصبحت مقر حكومة فرنسا الحرة إلى مراكش لملاقاة تشورشيل الذي كان يقضي بها أياماً من الراحة ولما تأكد أن لا دخل لا لإنجلترا ولا للولايات المتحدة في ما أقدمت عليه الحركة الوطنية بقيادةسلطان البلاد أطلق العنان لسلطات الحماية لتقمع بمنتهى الشراسة تلك الخطوة فألزم العاهل بإقالة وزيرين من وزرائه متهمين بمعاضدة الوطنيين وهما أحمد بركاش وعبد السلام الفاسي كما اضطر إلى إصدار بلاغ ينفي فيه أي مشاركة في بيان المطالبة بالاستقلال وألقي القبض على من ألقى عليه القبض واستشهدمن استشهد من الوطنيين بتهمة ملفقة رمتهم بالتعامل مع الألمان وبطعن فرنسا من الخلف.

وفي الوقت الذي كانت تجرى فيه هذه الأحداث في المغرب كان دي گول يترأس ملتقى برازفيل في الكونگو بين كبار المسؤولين الفرنسيين عن شؤون المستعمرات بقصد إعداد ما كان يراه ضرورياً من الإصلاح لفائدتها وقال في خطاب الافتتاح : "للأمة الفرنسية ولها دون سواها أن تشرع في الوقت المناسب في الإصلاحات الامبريالية البنيوية التي سوف تقرها بمحض سيادتها". وذلك اعتراف بضرورة الانتقال إلى طور آخر من العلاقات بين فرنسا ومستعمراتها على أن يكون الإصلاح من إملاء فرنسا وبدون أدنى ضغط عليها، ويصور لهذه السياسة أن المغرب كان ممثلاً في لقاء برازفيل بالمراقب المدني جاك بيرك بينما كان علال الفاسي منفيا في الگابون بل اشتدت ظروف نفيه لمجرد أن الحلفاء تدخلوا لدى دي گول الإطلاق سراحه، مما يدل على أن زعيم فرنسا الحرة لم يكن مستعداً يومئذ للاعتراف للمغرب بأدنى حق من حقوقه وكل ما طاب له أن يتنازل عنه هو ما أدرجه المقيم العام پووه في مقترحات الإصلاح التي عرضها على السلطان غداة قمع مظاهرات يناير 1944 وكانت كلها متجاوزة في نظر الوطنين. ولم يفت دي گول مع ذلك أن يعترف علانية للمغرب بما قدم لفرنسا من المساعدات في محنتها، فاستدعى السلطان لزيارة فرنسا زيارة رسمية في يونيه 1945 فكان أول رئيس دولة أجنبية يزور البلاد غداه تحريرها ومنحه وسام رفيق التحرير الذي لم يمنح إلا له ولونسطن تشورشيل من الأجانب كما أمر بأن يمد المغرب بما كان في أشد الحاجة إليه من المساعدات الغذائية والطبية نظراً لما كانت عليه تلك السنة من القحط والجفاف والوباء. وانتهز السلطان الفرصة لمطالبة دي گول بتعويض گابريل پووه بمقيم أكثر أدباء

ولباقة فلبى ذلك وعين السفير إيريك لابون (Erik Labonne) قبل أن يعتزل الحكم في طليعة سنة 1946 لما اشتد بينه وبين الأحزاب من الخلاف حول مشروع الدستور الفرنسي الجديد المؤسس للجمهورية الرابعة.

وكان اعتزال دى گول مجرد مناورة إذ كان على يقين من أن الأحزاب سرعان ما سيؤدي التطاحن بينها إلى الاحتكام إلى سلطته، إلا أن رجال السياسة الفرنسية كانوا قد سئموا كبرياءه وميولاته للاستبداد بالقرار. هذا مع العلم أن فرنسا خرجت شيئاً فشيئاً من الوضعية التي كانت تضطرها إلى من ينقذها فعادت إلى سابق عهدها من الرخاء والطمانينة. ومرت الأيام والشهور ثم السنوات ولم يناد أحد على دى گول فأسس هو بدوره حزبا من أنصاره تحت اسم "تجمع الشعب الفرنسي". وانحصرت مهامه في إبداء رأيه فيما كان يتخذ من القرارات وأيضاً في تدوين مذكراته وفي تلك المذكرات قال عن الملك محمد الخامس : "هذا العاهل الشاب الأبي النفس القوي الشخصية كان لا يخفي ما يطمح إليه من قيادة شعبه على درب الرقي والاستقلال في يوم من الأيام وعندما ينظر المرء إليه ويُصغي وهو تارة مشتعل حماسا وتارة في تمام الحذر وإن كان دائماً في تمام اللباقة فإنه يدرك أنه كان مستعداً للتفاهم مع كل من يساعده على القيام بتلك الأدوار قادراً في ذات الوقت على إبداء منتهى الإصرار حيال كل من يروم معاكسته في ذلك" وقد استنكر دى گول عزله سنة 1953 وعندما تجددت التهمة على لسان بعض الملفقين بأن سيدي محمد كان قد اتصل بالألمان سنة 1941 وسئل دى گول في الأمر في ندوة صحفية (يونيه 1955) أجاب مستهزئا : "اسمحوا بأن أهز كتفي فإن ذلك قد التمس من السلطان كما التمس مثله من العديد من الفرنسيين، لكنه امتنع عنه امتناعا"، ثم أضاف قائلاً : "هذا مع العلم أنه رفيق التحرير" مما يوحي بأن امتحانات الحرب كانت قد وطدت الصداقة بين الرجلين على أساس من التقدير المتبادل وتفانى كل واحد منهما في خدمة مصالح وطنه. وكان لاشيء ينذر سنة 1955 وقد استرجع المغرب استقلاله باحتمال عودة دى گول إلى الحكم حتى إذا تأججت حرب التحرير في الجزائر عندئذ تزعزت أركان الدولة الفرنسية من جراء ذلك فأصبحت من جديد في حاجة إلى من ينقذها سنة 1958.

دى گول والمغرب 1958 ـ 1969 : ما أن تربع دى گول على كرسي الحكم حتى بعث له محمد الخامس ببرقية جاء فيها : "لنا اليقين بأن وجودكم على رأس الجمهورية الفرنسية سيساعد على توثيق أواصر الصداقة التي تجمع بلدينا وسيمكن من إيجاد حلول لمشاكلنا تستجيب لمصالحنا" وفي هذه العبارة إشارة مجملة لطيفة لما كانت علية العلاقات بين المغرب ودى گول خلال الفترة التي قضاها على رأس الدولة الفرنسية وهي علاقات الند للند والصديق مع الصديق أساسها الاحترام والتمسك بالمصالح الوطنية، وقد أشار دى گول من جهته إلى ذلك في خطاب تلفزي ألقاه يوم 4 نونبر 1960 حيث قال مشيراً إلى تونس والمغرب : "لقد استرجعت هاتان الدولتان بعد الاتفاق معنا كامل سيادتهما ونرجو أن تتصرفا بها لخير شعبيهما ونأمل أن تستعملاها للشروع في تعاون مع فرنسا ضروري لنموهما على ما يبدو من طبيعة الأمور، على أنه من هنا فصاعداً لا تعني قضاياهما إلا إياهما" وفي هذه العبارات مع ما فيها مما يثبت مواقف دي غول في السابق واللاحق ويوحي بما اعترض صلات المغرب بدى گول من العقبات نظراً لما كان في طور الانتقال من طور التبعية الاستعمارية إلى طور التعاون الثنائي على أساس المساواة من الصعوبة، ولذلك يمكن أن نميز بين ثلاث مراحل في هدة الحقبة على قصرها.

فمن 1958 إلى 1962 كانت العلاقات مهذبة لكنها متوترة وذلك لأن صداقة دى گول ومحمد الخامس لم تكن لتلغي تعارض المصالح الوطنية لكل واحد منهما. ومن القضايا الشائكة قضية جلاء الجيوش الفرنسية من التراب المغربي، فكان الملك يلح بشأنها وكان دى گول لا يقترح إلا تخفيض أعدادها فكاتبه الملك قائلاً : "استغربنا كل الاستغراب أن تعرض فخامتكم علينا تخفيض عدد القوات الفرنسية المرابطة بترابنا في حين أن جلاء هذه القوات هو الحل الوحيد الذي يمكن قبوله من طرفنا"، وكان لهذه القضية ارتباط بقضايا أخرى لاتقل عنها خطورة، وهي قضية التجارب النووية الفرنسية في الصحراء، وقضية مصير الجزائر المناضلة عن استقلالها، وقضية استقلال موريطانيا. أما بخصوص التجارب النووية فإن محمد الخامس لم يفتأ يطالب دى گول بالكف عنها مع العلم أن الأمر كان من الأهمية بمكان في نظر الجنرال لسعيه الحثيث في تمكين فرنسا من سلاح نووي يبوؤها مركز المساواة مع روسيا والولايات المتحدة، وقد جاء في رسالة من الملك إليه يوم 19 أبريل 1960 : "ومهما كانت قوة التجارب المجراة والدولة التي تقوم بها فإننا نستنكرها سيما إذا أجريت في ناحية مأهولة وفي أرض نعتبرها جزءاً لا يتجزأ من مملكتنا". أما قضية الجزائر فإنها ما كانت إلا لتظهر تعارض مصالح المغرب وفرنسا، وذهب الحال بدى گول إلى عرض صريح سنة 1960 برد ما كان قد انتزع من صحراء المغرب الشرقية شريطة الكف عن مساعدة المجاهدين الجزائريين، ولكن محمد الخامس لم يكن ليتخلى عن ذلك، كما أن دى گول لم يقبل أي مساومة في أمر موريطانيا لأن التراب الموريطاني كان بمثابة الدرع الواقي لإفريقيا السوداء الغربية مما قد يلحقها من الأخطار من جهة الشمال. لكن المغرب من جهته لم يبال بمصالح فرنسا عندما أقدم على إخراج عملته من منطقة الفرنك الفرنسي سنة 1959 وعندما شرع في استرجاع أراضي المعمرين ابتداء من سنة 1960 مما جعل أسباب الجدل تطغى في تلك الحقبة حتى بات من غير

الممكن عقد لقاء رسمي بين دى گول ومحمد الخامس. وسئل دى گـول في هذا الصدد فأجاب : "حالما تنتهي القضية الجزائرية إلى التسوية، وسوف تنتهي، إنني أكون سعيداً بملاقاة ملك المغرب"، لكن الأقدار حالت دون ذلك بما كان من وفاة محمد الخامس فجأة في فبراير 1961 وتربع الحسن الثاني على العرش فافتتحت مرحلة جديدة تمتد من 1962 إلى 1965.

إن استقلال الجزائر سنة 1962 وما ترتب عليه من جلاء الجيوش الفرنسية عن المغرب واعتراف المجتمع الدولي بالدولة الموريطانية كل ذلك مهد السبيل لإقامة العلاقات بين دى گول والمغرب على أسس مجددة. وجاءت زيارة الحسن الثاني الرسمية إلى فرنسا في يونيه 1963 خير مؤشر عن حسن الاستعداد من الجانبين، فقد قال الملك في بعض خطبه بالمناسبة : "لقد أردتم يا فخامة رئيس الجمهورية أن تشيدوا بالدولة المغربية والشعب المغربي وإنه لتكريم ثمين لأنه يصدر عن رجل جعل مدلول الدولة واستمرار تقاليدها وخلود مؤسساتها فوق جميع الاعتبارات، لذلك يسرنا كثيراً أن نعبر لكم باسم شعبنا وباسمنا الخاص بمنتهى الخشوع والصدق لا عن تشكراتنا لكلمات التبجيل والود التي عبر تم لنا عنها فحسب بل أيضاً عن الاستقبال الذي خصصتم به منذ الآن إقامتنا، ذلك الاستقبال الذي لاحظنا ولاحظ شعبنا فيه استثناءات خارجة عن الأعراف المتبعة والتي هي مصداق آخر للصداقة والتقدير والاحترام الذي تولونه للمغرب...". وسعى القائدان يومئذ في التخفيف من كل ما من شأنه أن يفسد تلك الأجواء من الصداقة، وخير ما يمكن الاستدلال به على ما كان من التفاهم والوئام مقارنة دستور فرنسا لسنة 1958 ودستور المغرب لسنة 1962، فلا مبالغة إذا قلنا إن الدستور الفرنسي المؤسس للجمهورية الخامسة قد استلهم شيئاً من النظام الملكي بما جعل لرئيس الجمهورية من النفوذ ومن سلطات التحكيم بين الهيئات والأحزاب سيما بعد أن تقرر انتخابه بالاقتراع العام وذلك على إثر استفتاء أجري سنة 1962. كما أن الدستور المغربي لسنة 1962 المؤسس لقواعد الملكية الدستورية قد استلهم من الجمهورية الخامسة عدداً من المقتضيات كسيادة الشعب وممارستها من خلال المجالس المنتخبة بالاقتراع العام وفصل السلط وكل ما يتقى به استبداد الأشخاص من سلطان القانون.

ثم حلت المرحلة الثالثة ابتداء من خريف 1965 على إثر اختطاف الزعيم المهدي ابن بركة وسط باريس واختفائه بما أبدى أنه قد اغتيل في ظروف غامضة، فترتب على ذلك تبادل التهم بين الجانبين وانسحب سفير المغرب من فرنسا لتصريح دى گول بأن العملية كانت من تدبير مدير الشرطة المغربية يومئذ وهو الجنرال أحمد الدليمي وأمره بأن يتابع أمام المحاكم. فما كان من هذا الضابط إلا أن سلم نفسه للقضاء الفرنسي الذي لم يلبث أن برأ ساحته لانعدام الحجج، مما أفسد العلاقات بين دى گول والملك إلى أن اعتزل الحكم نهائيا سنة 1969 ووافاه الأجل المحتوم سنة 1970. والواقع أن نازلة اختطاف الشهيد المهدي ابن بركة لم تكن سوى مؤشر على طبيعة العلاقات التي كان من شأن دى گول أن يقيمها مع مستعمرات فرنسا السابقة، فإنه ككل الدهاة في السياسة كان لا يعتبر إلا بالمصالح الملموسة. فإذا ما أقيمت المقارنة بين علاقات فرنسا وكل من المغرب والجزائر في تلك الحقبة تبين أن العلاقات الفرنسية الجزائرية كانت يومئذ أغزر وأرقى من العلاقات الفرنسية المغربية، وسبب ذلك يتبادر إلى الذهن إذ كان لدى الجزائر ما تحتاج إليه فرنسا من الغاز والنفط ولم يكن للمغرب نصيب من ذلك.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب*، نشر عبد السلام جسوس، *طنجة* بدون تاريخ ؛ م. بن الحسن الوزاني، *حياة وجهاد*، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحررية المغربية، مؤسسة محمد حسن الوزاني، بيروت،1982، 6 مجلدات ؛ *انبعاث أمة*، محمد الخامس ملك المغرب، الجزء الخامس، 1959 ـ 1960 ؛ الحسن الثاني ملك المغرب، الجزء الثامن، 1963، مطبوعات القصر الملكي ؛ الحسن الثاني، *التحدي*، المطبعة الملكية، 1983.

C. de Gaulle, *Mémoires de guerre*, Paris, 1958 - 1959; J. Lacouture, *Cinq hommes et la France*, Paris, 1961 ; C.-A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978 ; *Colloque de Gaulle et le tiers-monde*, Paris, 1984 ; W. Hoisington, *The Casablanca connection, French colonial policy 1936 - 1943*, The University of North Carolina Press, 1984 ; Actes du colloque de Brazzaville, Janvier - Fevrier 1944, *aux sources de la colonisation*, Paris, 1988 ; *De Gaulle et le Maroc,* ouvrage collectif, Textes recueillis par M. Sehimi, Paris - Rabat, 1990.

إبراهيم بوطالب

**الديابات،** قرية تقع جنوب الصويرة لا تبعد عنها إلا بنحو ثلاثة كيلو مترات تطل على البحر المحيط ولا تبعد عن الشاطئ إلا بمسافة ثلاثمائة متر على وجه التقريب وتكاد تحادي مصب واد القصب. تحيط بها أشجار الميموزا وغيرها من جانب، فتقيها سوء الرياح التي تهب باستمرار على المنطقة وشرّ الرمال الزاحفة من الغرب. إنه موقع طبيعي هادئ. إلا أنه لا أحد يعرف أصل كلمة "الديابات" وإذا تجرّأ عليه أحد من أهل الصويرة فإنه يؤوّله "بكثرة الذئاب" التي قد تكون وُجدت في وقت ما بهذه الجهة، مع الإشارة إلى أن الثعلب أو ابن آوى يسمى الذئب على العموم، والفرق بين الاثنين شاسع ـ وهناك كلام آخر يفتقر هو أيضاً إلى ما يؤيّدُه من برهان، علاوة على أن تحديد تأسيس هذه القرية وظروفه، أمر غير مضبوط.

هناك مع ذلك روايتان في موضوع إنشاء القرية وتعميرها :

تقول الرواية الأولى إن أحد الملوك السعديين ـ ولربما كان عبد المالك بن زيدان (1627 ـ 1630) الذي كان يقيم بين الحين والآخر في القلعة البرتغالية التي كانت قائمة بالجزيرة الصغيرة المحادية لميناء الصويرة حالياً وعلى يمينه ـ وانتبه الملك إلى النهر القريب الذي كان صبيبه مهما في ذلك الوقت، فأمر باستغلال مياهه وضفافه لإنتاج قصب السكر، ومن ثم صار النهر يسمى "وادي القصب"، تسمية غير واردة في الكتابات العربية وغيرها التي يرجع تاريخها إلى ما قبل عهد السعديين. وفي هذه الحال يكون العمّال الفلاحيون هم الذين انشأوا التجمع السكني المسمى "الديابات".

أما الرواية الثانية فإنها ترجع تأسيس القرية إلي باني الصويرة سيدي محمد بن عبد الله، عام 1768، أي بعد مضي مائة وثلاثين سنة على عهد عبد المالك بن زيدان السعدي. ذلك أن السلطان العلوي بنى أيضاً قصراً له خارج الصويرة على مقربة من مصب وادي القصب مازال أثره قائماً، وجله تحت الرمال التي تزحف عليه، في غياب أي انتباه أو اهتمام ممن وكّل لهم أمر صيانة الآثار ـ وقد يرجع إليه تأسيس قرية "الديابات" لإسكان العاملين بالقصر وحراسه. والجدير بالذكر أن "الديابات" تتوفّر على مسجد عتيق بمنارته التي تشبه إلى حدّ كبير المنارات الصغرى بالصويرة.

ظلت قرية "الديابات" معزولة عن الصويرة خلال الأجيال ولو أن نظام الحماية ألحقها إداريا بالمدينة تاركا بينهما حاجزا رمليا وإنسانيا وحضاريا واجتماعيا : لا ماء ولا كهرباء ولا مدرسة ولا شيء ينبّه الزائر إلى أنه في مكان يلتقط ولو ذرات من التقدم الحضاري الذي أصبح يغزو المغرب منذ عقود.

كانت القرية تأوي في الأربعينيات أقل من عشرين كانونا يشتغل رجالها في المهام الرعوية أو في الغابة مع حارسها الملقّب محليا "عرّوگ" وهو أجنبي بالطبع. أما النساء، فقد كان شغل بعضهن جمع الأغصان اليابسة فيذهبن بها إلى الصويرة لبيعها حطبا ويبقى الأطفال في القرية، يذهب الذكور إلى الكتاب بمسجد القرية، وتشتغل البنات برعي عدد قليل من البقر أو المعز.

وظلت الأمور على هذه الحال خلال ثلاثين سنة بعد الاستقلال، وكأن "الديابات" في معزل عن العالم في منأى عن كل شيء لولا أن ظهور الحركة الهيبّية في الغرب جعلت أفواجا وأفواجا من الشبان والشابات الأجانب يتقاطرون على الصويرة، فاكتسحوا الأماكن الفارغة وبعض سطوح المنازل في حين أن معظمهم لجأوا إلى الديابات، منهم من نصب خيمة في فضائها ومنهم من فضّل الإقامة بالعراء تحت الشجر. والجدير بالملاحظة أن هؤلاء الذين أحسّوا بالاشمئزاز من الحضارة المادية في أوطانهم وجدوا السكينة في الديابات والأمن والصداقة لدى سكانها وسكان الصويرة. واستفادت منهم المدينة والديابات إذ ارتفع استهلاك المواد الغذائية وارتفعت الأكرية وتدعمت الحركة التجارية وتضاعف دخل أصحاب المقاهي والمطاعم الشعبية.

وتراجع بعد ذلك تدفّق الهيبيّين إلى أن ولّى نهائيا مع انتهاء نزعته في العالم الغربي. وعادت الصويرة إلى كسادها والديابات إلى هدوئها. إلا أن أصواتا أخذت ترتفع وتدعو إلى تغيير أوضاع الديابات، فأعارتها جماعة الصويرة الحضرية بعض الاهتمام، خصوصا في بداية هذا العقد الأخير من القرن العشرين، فمدّت إليها الأسلاك الكهربائية وقنوات الماء الصالح للشرب وبنت زهاء ثلاثين منزلا حديثا لبعض موظفي الجماعة وطريقاً ثانوياً معبّداً متفرّعا عن الطريق الوطنية الرابطة بين الصويرة وأگادير، ثم شيدت مدرسة ابتدائية. وفكّت عزلتها جزئيا بإدخالها في شبكة النقل الحضري إلى تلك المنازل أضيفت أخرى لكن مجالها الفضائي لا يمكنه أن يتوسّع أكثر لأسباب بيئية خصوصا وأن الخنزير الوحشي موجود في المنطقة ويتكاثر بدرجة تضرّ بالفلاحة، ولا يمكن قتله لأنه يحظى بالحصانة الإيكولوجية والبيئية ولو كان ذلك على حساب هؤلاء الفلاحين. ما عدا هذا التطور الطفيف، فلم تخرج الديابات من تخلفها الذي يتعمّق مع تعاقب السنوات رغم إمكاناتها السياحية ولربما أريد لها أن تبقى نموذجا حيا للمجتمع المتوغّل في العصور الماضية.

*أبحاث ميدانية غير منشورة.*

أحمد بنجلون

**ديانا** (Diana) تطابق الربة ديانا الرومانية الربة ارقيسن (Artemis) عند الإغريق، فهي ابنة جوبتير ولاطون واخت الإله أپولون.

لها وظائف متعددة عندهم، فهي ربة النور وربة الطبيعة بالإضافة إلى كونها ربة القنص والغابة التي هي من خاصياتها الرسمية.

وهذه الخاصية نجدها حاضرة في كثير من الأشكال الفنية (لوحات فسيفساء، نقائش..) حيث يرمز لها بأدوات القنص كالسهم وجعبة الكنانة.

ويبدو أنها كانت أكثر شعبية من أخيها أپولون في العالم الروماني، فليس هناك شك في كون ديانا عند الإغريق هي ربة الغابة Nemorum Comes وهي قاهرة الوحوش (Victrix Ferrarum) كما بينت ذلك إحدى النقائش التي عثر عليها بمدينة ألطاقا في موريطانيا القيصرية (*CIL* VIII, 9831) وأضفت عليها ألقاباً أخرى مثل المنتصرة (Victrix) (*CIL* VIII, 9790) وربة النور (Lucifera) (*AE*, 1957, 73) وديانا النمورية (Diana Nemorensis) أي من مواليد Nemi (*AE*, 1932, 31).

يضاف إلى كل هذه الألقاب، لقبها الكلاسيكي ألاوهو

ديانا الأوغسطية Diana Augusta وإذا كانت ديانا بالنسبة للمتعبدين هي غالباً ربة الغابة فان هذا لا يعني أنها لم تنفرد بخاصيات أخرى، يكفينا ذكر لقب ربة النور الذي يجعلها تتشابه مع الربة القمرية Luna.

إن كل هذه الألقاب تطابق صورتها الكلاسيكية كربة اغريقية لاتينية ولكن حينما نصادف ألقاباً أخرى مثل ديانا السمارية "Diana caelestis" أو ديانا ربة الماورين Diana Maurorum فإن ذلك يدل على أن الربة ديانا تمت مطابقتها بربة محلية كما تشهد على ذلك النقائش التي عثر عليها بكل من قرطاج (*CIL* VIII, 999) وسطيف (*CIL* VIII, 8436). يبدو أن عبادتها لم تنتشر بشكل واسع في مختلف الولايات الرومانية ففي إفريقيا كانت أقل شعبية، ونفس الأمر ينطبق على المغرب القديم حيث لم يعثر لحد الآن إلا على نقيشه واحدة بوليلي وهي عبارة عن تقدمة على شرف الربة، أهداها أحد العبيد المعتقين (*IAM*, 2, 345).

إلى جانب هذه التقدمة عثر أيضاً على تمثال صغير بنفس الموقع، وبالضبط في (منزل الفتى الجميل) وهو نموذج كلاسيكي يطابق النماذج الإغريقية التي أنجزها النحات الإغريقي خلال القرن الرابع قبل الميلاد، وبالتالي فهذا التمثال يجب أن يضاف إلى الفسيفساء الوليلية التي تجسد الربة في الحمام وقد باغتها اكتيون (Actéon) إن هذا المشهد ألهم عدداً من الكتاب الإغريق والرومان وعدداً من الفنانين خلال الفترة الرومانية.

الخلاصة التي يمكن أن نكونها على ضوء هذا الجرد لبعض الآثار المادية التي احتوت صورة الربة ديانا، هي أننا أمام ربة ظهرت بصورتين : الصورة الأولى مستوردة من روما ولا يشوبها أي تأثير من الولايات. والصورة الثانية ذات مصدر محلي وأولت على الطريقة الرومانية.

*L'année epigraphique* ; *Corpus des inscriptions latines (CIL)* ; *Inscriptions antiques du Maroc (IAM)* ; M. Euzennat, *Volubilis, nouveaux documents, BAM* II, R. Rebuffat, *La mosaïque du bain de Diana à Volubilis* ; J. Toutain, *Les cultes païens dans l'empire romain*, I.

عبد العزيز بل الفايدة

ابن **ديّان**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Benadiva ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

والشخص الوحيد الذي تذكره الوثائق هو :

ابن **ديّان، عبد العزيز** بن عبد الرحمن الذي كان أسيراً بفرنسا ويحمل رقم 7193 وقد أطلق سراحه يوم 6 ذي القعدة 1123 (16 ديسمبر 1711) بطلب من قائد تطوان علي بن عبد الله الحمامي.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 239.

ابن **ديبيّة** ويكتب أيضاً بَنْديبْيَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Valdivia ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتوطان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 237.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدِّيَة**، قدر المال الذي يجب إعطاؤه على من قتل غيرَه ظلماً، فهي تعويض حلَّ محل الثأر، تطلبها التنظيم الاجتماعي لقبائل العرب قبل الإسلام حيث لا سلطة سياسية عُليا ولكن نظام يتم فيه الاحتكام المتفق عليه بالتراضي، وكان يحدد تعويض القتل وهو الدية داخل كل قبيلة بعدد من رؤوس الإبل. وكان هذا التضامن يقتضي التضامن في دفع الدية.

أقر الإسلام الدية في حالة القتل غير العمد وأوجبها وأوجب قبولها في هذه الحالة. وقد حدد قدرها حسب نوع الضرر : القتل أو إلحاق الضرر الجسدي الموجب للقصاص، ولا تجب إلا للمسلم وتختلف بين الرجل والمرأة. وقد جاز فيما بعد أداؤها بماشية عدا الإبل وجاز أداؤها بالمال. ويتلقاها الضحية في حالة الأعطاب وورثته في حالة القتل، وكانت تتلقاها من قبلُ قبيلة الضحية.

لم تلتزم كل القبائل بالتوجيهات الشرعية في مجال الدية ولم تصرف عنها النظر حتى بعد غلبة الدولة التي تفرض أنواعاً أخرى من العقوبات. يتبين من بعض أعراف القبائل المدروسة مثل زمور وقصور تافيلالت أن دية القتيل تفرضها جماعة القبيلة على شكل مال يدفع منه قدر للجماعة وقدر لأهل القتيل، ويميزون في بعض الحالات بين دية المقتول الذي من أهل البلد والمقتول الطارئ على البلد، فقد جاء في نص من نصوص هذه الأعراف : "وأما من قتل أحدا من أهل البلد، يعطي ثلاثين مثقالاً (في آخر القرن الثالث عشر (19 م) ) للشيخ، ولعائلة المقتول خمسين مثقالا، ويُرحل عن البلد". وينصّ العرف على الضمانات التي تجب لمن يعطي الدية وعلى الحدود الترابية التي يمكن أن يتحرك فيها وعلى ما يجب على من غدره في العافية أي أثناء تمتيعه بالضمانات قبل الرحيل. وقاتلُ البرّاني يعطي للقبيلة مائة مثقال وإن قَتَل براني برانيا يعطي خمسين مثقالا. وقد تزيد المرأة عن دية الرجل في العرف إلى ثمانية أضعاف. ويتعامل العرف مع الجراحات بمنطق تعويضي مماثل.

أ. التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، الدار البيضاء 1978.

W. Marcy, *Droit coutumier zemmour* ; L. Mezzine, *Le Tafilalet*, Rabat, 1987.

أحمد التوفيق

**الدِّيدْبان**، كلمة دخيلة في اللغة العربية، ولعلها من أصل فارسي انتقلت إلى اللهجة العامية في المغرب فهي منطوقة إلى اليوم ومتداولة في لهجة الشاوية والريف، ويقصد بها تلك العشة المنصوبة وسط البحائر والبساتين والفدادين قصد حراستها خاصة إبان صلاحها ونضج غلاتها حتى لا تتعرض للسرقة والنهب من قبل اللصوص، أو التخريب والتدمير من قبل الحيوانات.

ذكر البادسي حواراً بين بعض صلحاء الريف كان أحدهم يحرس فدانه بنفسه : "... قال له وما شغلك ؟ فقلت له إن لي فداناً من قمح قد أضرني فيه الخنزير فأنا أبيت فيه في ديدبان صنعته أطرده منه..." ( *المقصد*، 123) ؛ وللديدبان وظيفة أخرى كحراسة الطرق لمعرفة القادم منها عن بعد وحراسة المحلات والمعسكرات حتى لا تفاجأ بالغرباء عنها أو بهجمهات مباغتة، وتتخذ لاتقاء مخاطر الحيوانات المداهمة ليلاً أو مخافة مداهمة الأعداء لشخصية بارزة "لما انهزم الجند الذين أرسلهم كلثوم لغزو البربر ليلاً وهو على وادي سبو رجعوا إليه "فأمر بديدبان فنُصب له وقعد عليه، ثم نشب القتال، وقعدت البربر تحت الدرق" ( *البيان*، ج 551).

والديدبان اليوم أنواع، منها النوع المشار إليه في المصادر والذي يبنى فوق قوائم طويلة حتى يشرف منه الشخص المكلف بالحراسة على البستان أو الفدان وحتى يمكنه أن يرى القادم عن بعد، ويصلح هذا النوع كما بيّنا آنفا للابتعاد عن خطر المداهمة والمباغتة، ويوضع هذا النوع في مكان استراتيجي ويُبنى من أعواد وقوائم وقش أو من أغصان الأشجار والحشائش ويصعد إاليه بسلم بسيط من حبال أو من أعواد يتم سحبها وإنزالها عند الصعود والهبوط. وفي بعض الأحيان ينصب الديدبان وسط البساتين أو الحقول وليس بداخله أحد فيعتقد المهاجم أنه مأهول. وبذلك يقوم الديدبان في هذه الحالة مقام الفزاعة بالنسبة للطيور.

وهناك نوع من الديدبان بدون قوائم ينصب عادة وسط البحائر المكشوفة للخضر والفواكه الصيفية مثل البطيخ والدلاح والفقوس وما شابهها فيقوم بالدور نفسه وبالتمويه المشار إليه.

ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، بيروت، 1948.

محمد حجاج الطويل

**الدِّير**، اسم جغرافي متداول عند سكان الحوز بالمغرب للحديث عن قدم جبال الأطلس الكبير، وعند سكان تادلاً للحديث عن قدم الأطلس المتوسط أطلس بني ملال، وعند سكان الواجهة الشمالية للأطلس المتوسط للحديث عن منطقة اتصال هذه الجبال بالهضبة الوسطى وبالسّايس، وعند مجموعة بني علاهم بإقليم صفرو وللحديث عن إحدى فرقهم الثلاثة حيث يميزون بين بني علاهم الدّير وبني علاهم الواد وبني علاهم الجبل، وعند سكان ممر تاوريرت - وجدة وسلسلة الهُورست للحديث عن منطقة الاتصال بين هذه السلسلة وسهول الممر المذكور... وأخيراً نجد المصطلح متداولاً عند بني يزناسن للحديث عن منطقة اتصال جبلهم بسهول ملوية السفلى.

وهكذا يظهر بأن الدِّير يعني مناطق اتصال الجبال بمناطق مجاورة غالبا ما تكون سهولا أو هضابا أقل ارتفاعاً. لكن لا يبدُو أن كل مناطق الاتصال هذه تحمل اسم الدير وإن كانت كثيرة ومتنوعة (الشكل 1). بل يبقى المفهوم إلى حَدٍّ مّا خاصاً بمقدمات الجبال الواقعة بالشمال والشمال الغربي بالنسبة للوحدات الجبلية وعلى وجه الخصوص مقدمة الأطلس الكبير جنوب مراكش ومقدمة الأطلس المتوسط من دمنات في الجنوب الغربي إلى تازا في الشمال الشرقي مروراً ببني ملال وزاوية الشيخ وأكوراي وصفرو.

ورد مصطلحا الدير والديارة أو الديرة (سكان الدير) عند عدد كثير من الدارسين والباحثين.

وتبقى الإشكالية في تناولنا لهذا الموضوع في معرفة ما يميز هذا المجال عن غيره لدرجة استئثاره بتسمية متميزة، وهل هناك في الوقت الراهن ما يبرر الإبقاء على هذا المفهوم خاصة وأن التحولات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية التي يعيشها كل من السهل ومن الجبل والدير نفسه قد غيرت الأوضاع وأزالت لهذا المجال ما كان يُميزه ؟

نستنتج من الأدبيات التي وردت بها معلومات حول الموضوع وكذلك من ملاحظات الميدانية أن الدّير اسم يُطلق على المقدمات الشمالية الغربية للسلاسل والكتل الجبلية التي تتوفر بها مجموعة من الشروط الطبيعية والبشرية تجعل منها أحزمة أو سبيحات فاصلة وواصلة بين مجالين مختلفين طبيعيا وبشريا لكنهما متعاملان ومتفاعلان : الجبل و"السهل".

- الدّير كمفهوم طبيعي ؛

لا يوجد تشابه تام بين "الأديار" فيما يخص معطياتها الطبيعية ورسم حدودها.

فالاختلافات واردة من دير لدير بل داخل الدّير الواحد فيما يخص الارتفاعات وأشكال التضاريس وطبيعة السحنات وأهمية وطبيعة التشكيلة النباتية وأهمية وطبيعة الموارد المائية.

فإذا كان دير الأطلس الكبير يتميز بانتشار كبير لمخاريط الانصباب وبأهمية كبيرة لمياه الوديان الآتية من داخل الجبل، فدير بني ملال تضعف به أهمية هذه المخاريط وتزداد به أهمية مياه العيون.

أما الدّير المتقطع Dir égrené فلا وجود لمخاريط

الانصباب به وتكاد كل المياه الدائمة على السطح تكون من مصدر عيون.

وبديهي أن تكون هناك اختلافات لأن الخصائص الطبيعية للمناطق التي تشكل الإطار الطبيعي للدير متباينة.

ومما يساهم في هذا التباين نجد ضبابية رسم حدود هذا المجال لا من جهة الجبل ولا من جهة "السهل". فلا أحد يمكنه وضع هذه الحدود لأن "الدّير" إذا كان يعني حزاماً فهذا لا يعني أن هذا الحزام متواصل وعمقه واحد وموحد بين الأديار.

إن الاختلافات بين الأديار وبين أجزاء الدير الواحد لا تمنع وجود قواسم مشتركة بين هذه المجالات نذكر منها :

- ضبابية رسم الحدود
- التدريج في الارتفاعات من حوالي 600 م كحد أسفل إلى حوالي 1500 م كحد أعلى
- التنوع في التضاريس والأشكال والسحنات الصخرية... (فالاتصال يأتي على طرق مختلفة على شكل سفح خارجي. أو حافة أي بشكل مفاجئ وقد ياتي على شكل تلال ومتون تتخللها حويضات أو على شكل درجات وأحيانا مخاريط انصباب تنتهي بحادورات...)
- وجود نقط مائية دائمة الجريان بكثافة أكبر على شكل عيون أو مجاري تزودها مياه الجبل المتجهه نحو "السهل".
- انتشار كبير للرصاصة مرتبط بمياه عيون جفت أو لازالت موجودة (بني ملال، إيموزاركندر، صفرو، تازا...)
- انتشار واسع للكلس بالجبل مما يساعد على تسرب وخزن مياه الأمطار
- مناخ أكثر رطوبة من "السهل" وأقل حرارة منه في الصيف وألطف من الجبل شتاء (350 مم إلى 700 مم سنويا)
- تربة غنية لكنها محصورة الانتشار
- ضيق الأراضي المكسوة بالغابة بالمقارنة مع الأراضي ذات التشكيلات النباتية غير الغابوية (الدوم، الوزال والضرو والزبوج والخروب والعرعر)
- تنوع في الموارد الرعيزراعية بفضل التنوع في الظروف الطبيعية أفقيا وحسب الارتفاع
- منطقة اتصال وانتقال لأنها تربط بين وحدات تضاريسية مختلفة ولأنها محطة عبور لعناصر طبيعية قادمة من الجبل ومتجهة نحو السهل (مثل التربة والمياه والبذور...) ولكونها طابقا بيومناخيا بين طوابق السهل والجبل.

عملت كل هذه الخصائص الطبيعية لمناطق الدير منذ القديم على توفير ظروف عيش أسهل وأوفر أمناً للمجموعات البشرية التي لم تكن تتوفر على وسائل للصمود في الجبال وللبقاء في السهول. ومع الاستقرار واستغلال هذه الظروف الطبيعية وما نتج عن ذلك من تنظيم متميز للمجال برز الدير كمجال جغرافي مستقل. وهذا ما جعل الدير مفهوماً بشرياً.

الدير : مفهوم بشري أكثر مما هو طبيعي

إن ما يتميز به الدير من معطيات وموارد طبيعية تحتاج إليها حياة الإنسان جعلته مجال استيطان واستقرار لمجموعات بشرية منذ زمن بعيد من دون شك. وإذا كنا لا نعرف الكثير عن السكان القدامى بالأديار وعن ظروف

شكل رقم 1 ـ مناطق مقدمات الجبال بالمغرب

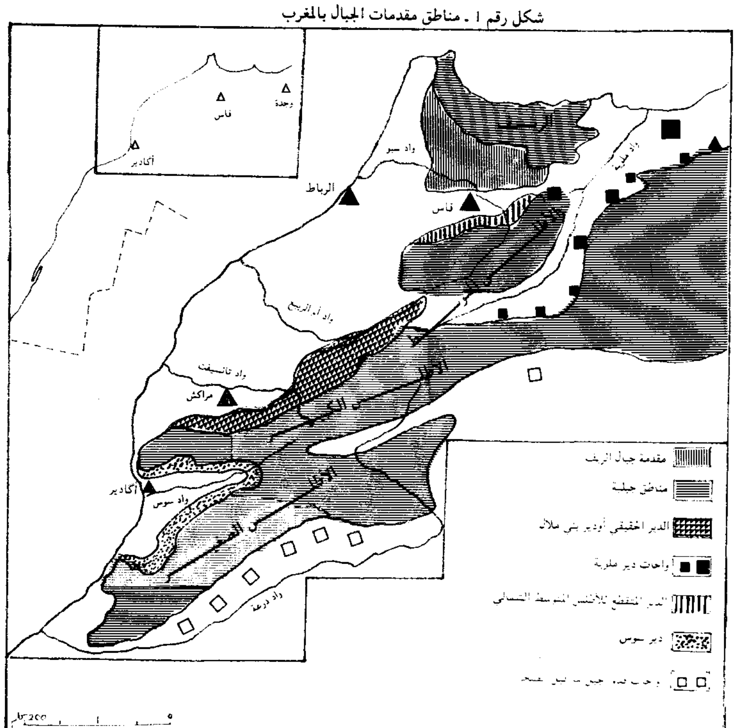

استقرارهم وعيشهم بها، فمنذ القرون الوسطى الأولى بدأنا نعثر عن طريق الأدبيات التي تركها المؤرخون والجغرافيون والرحالة والمكتشفون والمبشرون على معلومات تزداد كمّاً وكيفا مع القرون تفيدنا في فهم الجانب البشري. وسنقتصر فيما يأتي على حالتي الدير الحقيقي للأطلس الكبير ولأطلس بني ملال والدير المتقطع.

اهتمت هذه المصادر بالمجموعات البشرية ومواطنها وبالتجمعات السكنية، وبموارد وظروف عيش السكان. وإذا كان من الصعب علينا ضبط هوية المجموعات البشرية التي عاشت بالديرين وتتبع حركيتها عبر التاريخ بحيث كانت هناك قبائل تظهر ثم تختفي لتخلفها قبائل أخرى... بعد صراعات أو مجاعات وأوبئة، فلا بأس من الإشارة إلى بعض هذه القبائل التي كانت بالمكان في مطلع القرن العشرين ومازالت به إلى يومنا. فبالنسبة لدير الأطلس الكبير من إيمي نتانوت إلى دمنات تستوطن المنطقة مجموعات تنتسبُ بصفة عامة إلى البرابرة المصامدة وهم عموماً سكان مستقرون ؛ نذكر منهم : النتيفة، سقصاوة، گدميوة، وزكيتة، سكتانة، مسفيوة، أگلاوة، فطواكة، ولتانة، أيت عتاب.

يوجد الجزء الأكبر من "محاطات" هذه المجموعات بالجبل وتتخذ هذه المحاطات شكلا ممدداً في اتجاه ج ـ ش أي من الأجزاء العليا نحو السهل (الحوز) وهو ما يدل على وجود حركة بين الجبل والسهل على الأقل في الماضي.

أما بالنسبة لدير الأطلس المتوسط من دمنات إلى تازا مروراً ببني ملال وزاوية الشيخ وأزرو وأگوراي وصفرو، فالمجموعات البشرية كثيرة العدد نذكر أهمها وهي : بني ملال، أيت سري زيان، أيت سگوگو، بني مگيلد، بني مطير، أيت سغروشن كندر، البهاليل، أيت يوسي أمكلا، بني يازغة، أيت سغروشن حريرة، بني وراين، غياثة.

وعلى خلاف مجموعات دير الأطلس الكبير التي استوطنت المنطقة قديماً، فمجموعات دير الأطلس المتوسط تبقى متباينة في أصولها وتاريخ استيطانها. فمن جهة نجد مجموعات قد تكون من أصل زناتي مثل غياثة وبني يازغة والبهاليل وربما بعض بني وراين أو الذين ورينو، وهي الأقدم استقراراً بالمنطقة (قبل القرن العاشر). وينتشرون بالأساس بين البهاليل غربا وتازا شرقاً.

ثم هناك مجموعات كثيرة من أصل صنهاجي وتتشكل من القبائل التي وصلت إلى الأطلس المتوسط منذ القرن العاشر (16 م) والتي كانت تنتمي لإحدى الاتحاديتين : أيت إدراسن وأيت أومالو.

ويتعلق الأمر هنا بقبائل ظلت معتمدة في حياتها على تربية الماشية والانتجاع إلى القرن العشرين الشيء الذي كان يتسبب لها في نزاعات مع سكان السهل ويجرُّ تدخل المخزن. وهذا وضع عرفته كذلك قبائل دير الأطلس الكبير قبل استقرارها، كما تؤكد ذلك دراسة أحمد التوفيق (1983) حول المجتمع المغربي في القرن الثالث عشر (19 م) (إينولتان..)

تعايشت مع هذه المجموعات القبلية مجموعات بشرية أخرى متميزة بمحدودية عدد سكانها وبأنشطتها ووضعها الاجتماعي مثل الزوايا و القصبات والقصور... وهي التي كان لها الدور الكبير في بروز الدير كمجال متميز عن السهل وعن الجبل.

اتخذت التجمعات السكنية لهذا الصنف من المجموعات مواضع لها عند الأفمام وعلى الطرق الرابطة بين الجبل والسهل والمؤدية أحيانا إلى الصحراء وبالقرب من العيون، وهذا ما جعلها تقوم بأدوار مختلفة يتعدى مفعولها الدير. منها الإشعاع الثقافي الذي كان من اختصاص الزوايا، ومنها تنشيط التجارة والصناعة التقليدية؛ فعدد كبير من هذه التجمعات كان يمثل سوقاً يشمل إشعاعه أكثر من قبيلة مجاورة، أو كان محطة على طريق القوافل بين العاصمتين فاس ومراكش والصحراء. ونقطة تجمع عدد من الصناع التقليديين والحرفيين.

ومنها الدور العسكري، بحيث علاوة على ضرورة ضمان أمن السكان المتجمعين كان دور عدد من التجمعات هو السهر على سلامة وأمن الطرق ومنع نزول بعض القبائل الجبلية بالقوة نحو السهل.

نشأت هذه الأدوار وتطورت لكن بمعية تطوير النشاط الرعيزراعي. وساهم الجمع بين هذه الأنشطة أو البعض منها في تطور بعض التجمعات من قرى عادية إلى حواضر مثل ما هو الحال بالنسبة لدمنات ولبني ملال (داي) ولصفرو ولتازا.

وبفضل هذه الأدوار يمكن نعت الدير بأنه مجال اتصال بين أهل الجبل وأهل السهل تُجسدُه الأسواق وبأنه مجال انتقال (مراكزه تمثل نقط ربط على الطرق)، وهو حدود بين "القبائل المخزنة بالسهل والقبائل "الضعيفة التمخزن" بالجبل تجسدها سبيحات القصبات المخزنية.

أن توالي هذه التجمعات على طول منطقة اتصال الجبل بالسهل في وقت لم توجد به مراكز بالجبل ولا بالسهل (باستثناء العواصم الكبرى) أعطى ميزة أخرى لهذا المجال خاصة وأنه علاوة على منظر السبيحة سيساهم ذلك في وجود كثافة سكانية مرتفعة نسبيا وهي خاصية أخرى للدير أثارتها كل الدراسات.

لا يكفي كل ما ورد من مميزات لاكتمال صورة الدير من دون تقديم لنظامه الرعيزراعي والتنظيم المجالي المرتبط به.

فتساقط كميّات كبيرة من الأمطار كافية لقيام زراعة بعلية وتوفر مياه سطحية وباطنية يمكن تعبئتها بسهولة للري، علاوة على الامتداد الكبير للمراعي إما على شكل أراضي عارية أو على شكل غابات جعل مجال الدير يوفر إمكانيات متنوعة للاستغلال الرعيزراعي كيفتها

المجموعات البشرية مع نمط عيشها في إطار تضامني واقتصاد قليل الانفتاح على الخارج.

فالأدبيات التي اطلعنا عليها تتفق على الغنى الزراعي للدير مشيرة إلى التنوع في الإنتاج وإلى أهمية الأشجار والسقي.

لكن إذا كانت أوصاف ومعلومات هذه المصادر مفيدة فهي قد تكون مضللة بسبب إيحائها بأن الدير مجال متجانس استغلالاً وغني (كله أرض مسقية وأشجار..." وهو شيء مغاير للواقع لأسباب طبيعية أولاً وأخرى ثقافية؛ وما تمييز جولي F. Joly بين الدّير الحقيقي (Le vrai dir) والدّير المتقطع (Le dir haché) باعتبار كثافة وتواصل الاستغلال والسكان إلاّ إشارة إلى تجنب الوقوع في هذا التصور الخاطئ.

فالدّير سواء تعلق الأمر بدير الأطلس الكبير أو بدير الأطلس المتوسط يبقى مختلفاً على مستوى ظروف استغلال أراضيه كما هو مختلف على مستوى مقوماته الطبيعية وذلك بارتباط واضح مع هذه المقومات ومع تاريخ وتنظيم المجموعات البشرية التي تسكنه كما ورد أعلاه.

ونظراً لكون هذه المجموعات متباينة فيما يخص : أصولها وتاريخ استيطانها للمنطقة ونمط عيشها، فطبيعة استعمال الأرض والماء... وتنظيم المجال سيخضعان لإطارين : سمّينا أولهما بإطار التنظيم المتراكز النطاقات وثانيهما بإطار التنظيم المتدرج النطاقات (محمد كربوط، 1987) (أنظر الشكل رقم 2).

أما التنظيم الأول فهي بصفة خاصة المجموعات البشرية التي يعود استقرارها إلى ما قبل القرن الحادي عشر (17 م) والتي أصبح سلوكها وإحساسها سلوك ما يصطلح على تسميته بجماعات المكان (Groupements de localité). وتدخل التجمعات السكانية قرى كانت أو مدنا بصفة عامة في هذا الصنف.

يتميز النظام الزراعي في هذا الإطار بكونه يُشركُ بين الزراعة بقطاعيها : السقوي والبوري من جهة وبين تربية الماشية من جهة ثانية في إطار نسق يتوخى التوازن وإذا كانت الأراضي المسقية تصلح لمزروعات متنوعة حولية وشجرية يتعذر القيام بها بالقطاع البوري وتبقى بفضل المياه مخضرة على مدار السنة، فإن أراضي البور التي غالباً ما تأتي بجوار القطاع المسقي وتكون أوسع مساحة منهُ لا تؤمن سوى محصول واحد في السنة يتمثل في الحبوب أو القطاني وجزء ضيق منها كان مغروسا بالزياتين أو اللوز أساساً. وكثيراً ما كان جزء منها يترك للراحة ويفتح أمام الماشية، كما كانت تفتح الأراضي الأخرى أمامها بعد جمع المحاصيل.

خارج الأراضي المتروكة - بورية كانت أم سقوية - والتي يسميها البعض بالمزرعة تنتشر الأراضي الرعوية التي تتخذ أشكالاً مختلفة من حيث غطاؤها النباتي طبيعة وتشكيلة. وهي أراضي مفتوحة للجميع لكن دخولها قد يكون منظما من طرف الجماعة - نظام أگدال - أو حُراً.

وأما التنظيم الثاني

فكان ينطبق أكثر على الجماعات ذات الاستيطان المتأخر ونمط العيش المطبوع بنصف الترحال. وهو نظام يشرك كذلك بين تربية الماشية والزراعة مع مكانة أكبر للقطاع الأول. وكان ذلك يتم في إطار نظام نصف ترحال مرتبط بالفصلية داخل السنة الفلاحية وباختلاف المعطيات البيومناخية بين السهل والجبل والدير الفاصل بينهما.

فمحاطات هذه المجموعات كانت متميزة إما بتمددها بين الجبل والسهل. وإما بتفككها إلى رُستاقين : واحد جبلي والثاني سهلي أو بالدير. وكيفما كان الأمر، كان النزول إلى السهل (أزغار) أو إلى الدير يتم تدريجيا عبر محطات في منتصف الخريف ويتم الصعود منهما تدريجيا كذلك ابتداء من الربيع. وعند الصعود أو النزول بالقطيع كانت تتم عملية حرث بعض الأراضي وجمع بعض المحاصيل بها. وهي أراضٍ غالبا ما كانت ضيقة وتستغل في زراعة الحبوب بالأساس وعلى رأسها الذرة في القطاعات المسقية. أما الأشجار فكانت نادرة جداً.

نتج عن هذا النظام تنظيم مجالي على شكل محطات متدرجة من السهل إلى الجبل يستعملها السكان حسب فصول السنة وبارتباط مع الحركتين : الصاعدة خلال الربيع والصيف والنازلة خلال الخريف والشتاء. طبق هذا النظام عند المستويات الانقسامية السفلى (الدوار والفخدة (تيغست) لكن وجوده واستمراره كانا في حاجة إلى إطار تنظيمي أوسع (القبيلة أو اتحادية قبائل) كعمق استراتيجي يؤمن حركة الانتجاع.

اكتسب الدير شخصيته الجغرافية ليس بمقوماته الطبيعية فحسب بل بمقوماته البشرية كذلك. وإذا كانت الأولى ثابتة نسبيا، فإن الثانية في تحول متواصل ناتج عن تفاعل عوامل محلية وأخرى خارجية صاحبه تحول في كل ما ميزة عن الجبل وعن السهل لدرجة لم تعد صورة الدير الراهنة معبرة عن مضمون المفهوم.

فمجالات الدير لم تعش بمعزل عن التحولات التي عاشتها البوادي المغربية خلال القرن العشرين والمرتبطة بالسياسات المتبعة منذ دخول الاستعمار إلى اليوم إزاء الجماعات الريفية وفي ميدان تنمية الأرياف.

فقد خضعت هذه المجالات للاستعمار مبكراً (قبل 1916) وهو ماساهم في عزلها عن الجبل الذي كانت دائماً جزءاً منه. واتخذت مراكزها كثكنات أو تم خلق ثكنات جديدة تحولت إلى مراكز إدارية، وهو ما سيساهم في تركيز السكان والتمدين. ومما لاشك فيه أن استتباب الأمن بهذه المجالات قبل الجبل الذي قاوم طويلا قد ساهم في النمو الديموغرافي على غرار ما حدث بالسهل.

أما فتح الطرق فتأثيره وارد في تقوية الروابط بين

الدير والسهل وتشجيع الحركة وفي الاستغناء عن وظائف كانت تقوم بها مراكز الدير مثل تجميع السلع ونقلها وتنقل الأشخاص ونقط عبور لها وللأشخاص.

وفي الميدان الرعيزراعي عمل استيلاء المعمرين على الأراضي بالسهل (بل حتى بالدير نفسه) على تطوير الزراعة وإدماجها منذ البداية. فقد لجأ هؤلاء المعمرون إلى تعبئة المياه (من مصادر بالدير أو من الفرشة الباطنية وأكثر من ذلك عن طريق السدود كما حدث بسهل تادلا) من أجل ذلك.

ونتج عن ذلك انتشار زراعة مغلالة ومتنوعة المحاصيل ليس بالسهل فقط بل بجوار المساحات المسقية بالدير، وهو ما شوه شخصية الدير على هذا المستوى وذلك بالمساهمة في إفقاده إحدى مميزاته.

تكرست كل هذه النزعات بعد الاستقلال كنتيجة لانتشار الأمن، وتحسن التأطير الصحي وتراجع الآثار السلبية للمجاعات، وهو ماساهم في زيادة عدد السكان، الشيء الذي يفرض تأطيرهم إدارياً وخدماتيا. نتج عن هذا تقوية إشعاع عدد من المراكز وتحولها إلى إحدى قبلات المرشحين للنزوح من الأرياف. أما نتائج هذا التطور بالنسبة للدير فهي تركز للسكان وارتفاع نسبة التمدين. وهو ما يوحي بتقوية مميزة من مميزاته الموروثة التي تعزله عن السهل وعن الجبل إلاّ أن تركز السلطات بالسهل ونسبة التمدين به كانا أهم مما حدث بالدير. ويكفي أن ننظر إلى خريطتي الكثافة السكانية لـ 1971 ولـ 1982 لنلمس بأن كثافة السكان بمجالات الدير حيث كانت تتراوح ما بين 40 و80 ن / كلم2في 1971، وما بين 60 إلى 80 ن / كلم$^2$ في 1982 ظلت أعلى من كثافة سكان الجبل التي كان دون 40 ن / كلم2في 1971 ودون 60 ن / كلم$^2$ 1982. لكنها دون كثافة السهل (الحوز وتادلا والسايس) التي كانت دائماً تفوق 80 ن / كلم$^2$.

ومع هذا التطور تكون صورة الدير كمجال كثافة سكانية مرتفعة قد زالت ومرت لصالح السهل.

أما فيما يخص التمدين، فمن الأكيد أن الدير ظل معموراً من طرف ساكنة سوادها الأعظم من الريفيين وإن كانت هناك مدن قديمة مثل تازا وصفرو ودمنات وبني ملال. لكن تحولات القرن العشرين عملت على زيادة أهمية الساكنة الحضرية. وهو ما يعكسه ارتفاع عدد المدن إلى 25 (وذلك بين إيمي نتانوت وتازا) أرتقى أكثر من نصفها إلى بلديات في 1996. وتدخل من ضمنها اثنتان في فئة المدن الكبرى (أزيد من 100 ألف نسمة) : تازا وبني ملال.

عمل اعتبار عدد من المراكز كمدن ونسبة النمو الديموغرافي المرتفعة بمعظمها على جعل نسبة التمدين ترتفع بصفة عامة لكن من دون أن تصل بعد إلى مستوى المعدل الوطني 51.4٪ في 1994). وهي نسبة جد متفاوتة من دير الأطلس الكبير إلى دير الأطلس المتوسط الشمالي.

ففي إقليم الحوز مثلاً لم يمثل سكان المدن سنة 1994 سوى 7.7٪

وفي دائرة دمنات 11.2٪

وفي دائرة القصيبة 31.2٪

وفي دائرة أگوراي 21.9٪

وفي دائرة الحاجب 52.3 ٪

وفي إقليم صفرو 43.2٪

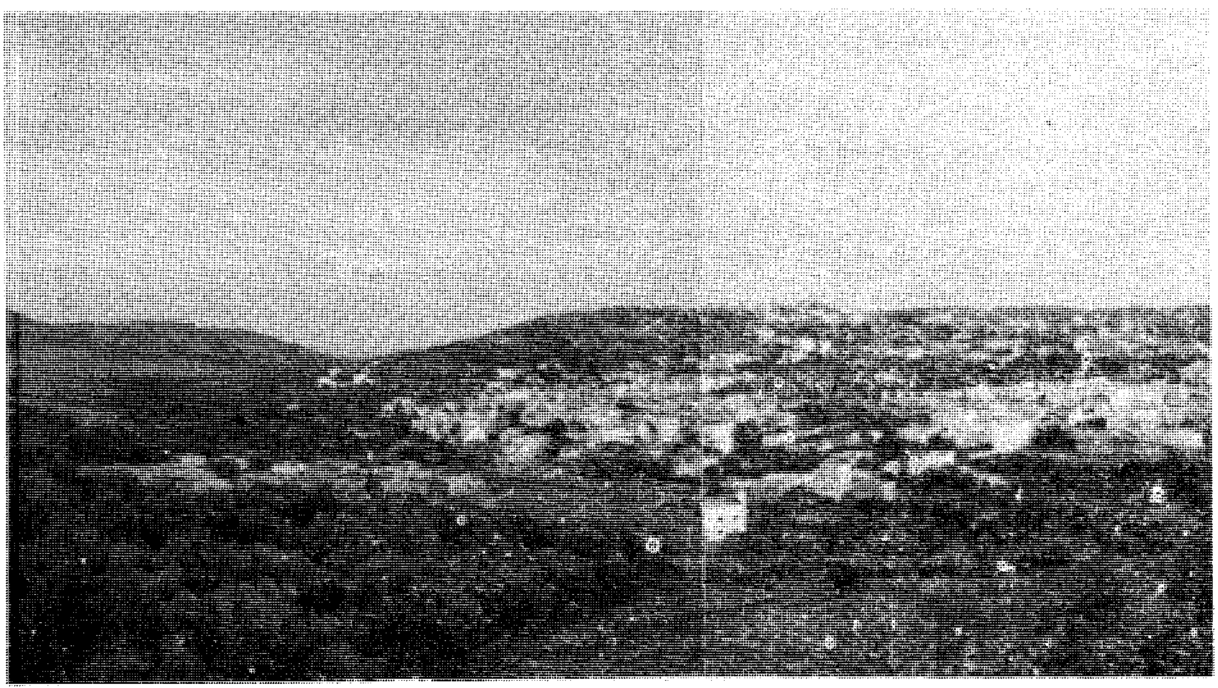

وفي دائرة تاهلة 29.7٪

فالأول مازال ضعيف التمدين

إن تركز السكان بالدير والتمدين الناتجين جزئياً عن النزوح من الجبل ليقويان من مميزة قديمة لهذا المجال لكن ذلك يبقى دون ما حدث بالسهل حيث الظاهرتان أهم. وهو ما يزيل للدير مميزة أخرى ساهمت في بلورة شخصيته الجغرافية ويحوله إلى امتداد للأول كثافة وجهازاً حضرياً، وإلى مجال انتقال عوض مجال قائم بذاته.

في القطاع الرعيزراعي، تتواصل التحولات تحت تأثير حركية السكان وما ينجم عنها من تركز لهم ومن تمدين وتأثير انتشار الزراعة المندمجة بفضل مستثمرين من خارج المنطقة وتأثير تدخل الدولة بواسطة مختلف مشاريعها التنموية وتقسيماتها الترابية والإدارية. وهي تحولات متضمنة لعدة تناقضات مما يجعل تحقيقها للتنمية المستديمة مسألة تناقش.

أكيد أن المستثمرين الجدد يحولون أراضي بورية كانت خاضعة لاستغلال واسع (حبوب أورعي) إلى مغارس للورديات ومبقلات مسيجة ومسقية عن طريق الضخ من السديمة، وصحيح أن عدداً منهم قد شيد إسطبلات ضخمة لتربية الماشية والدجاج الصناعي... وهي مؤشرات تُرسخ صورة الدير كمجال فلاحي غني وكمجال للزراعة الشجرية دائم الاخضرار.

لكن في الوقت الذي يحدث فيه هذا نسجل أن الظاهرة عمت السهل منذ الاستعمار وتهم في الوقت الراهن الجبل والدير وهو ما يزيل خاصية الانفراد بالزراعة المسقية والشجرية عن هذا المجال.

ونسجل تدهوراً كبيراً وتراجعا للزراعة المسقية التقليدية التي صنعت شهرة الدير بسبب التمدين الذي يزحف على الأرض ويحول ويلوث المياه من جهة، وبسبب الضخ المتزايد لإرضاء حاجيات الزراعة المندمجة المتوسعة والذي ثبت تأثيره على مصادر مياه السقي التقليدية التي يؤدي نقصانها إلى تبوير الأرض.

ونسجل نهاية حركات نصف الترحال التي كانت تستغل الأراضي الفارغة بين هوامش محاطات السكان المستقرين للرعي أو للمرور بسبب انتصاب ضيعات المستثمرين الجدد بها كحواجز يمنع الاقتراب منها.

إن مجرد اعتبار الدير كمفهوم جغرافي طبيعي - بمعنى التقاء بين الجبل والسهل - لا يستجيب لصفة الحزام نظراً لغياب التجانس طبوغرافيا وجيومرفلرجيا لكنه كمجال انتقال بينهما وكدرجة من حيث الارتفاعات والمناخ يبقى حقيقة وإن كانت كل مناطق أقدام الجبال لا تسمى ديراً.

ويبدو أن صفة الحزام - متصلاً كان أم على شكل حبيسة

**شكل رقم 2 - رسم مبسط للتنظيم المجالي القديم بالدير**

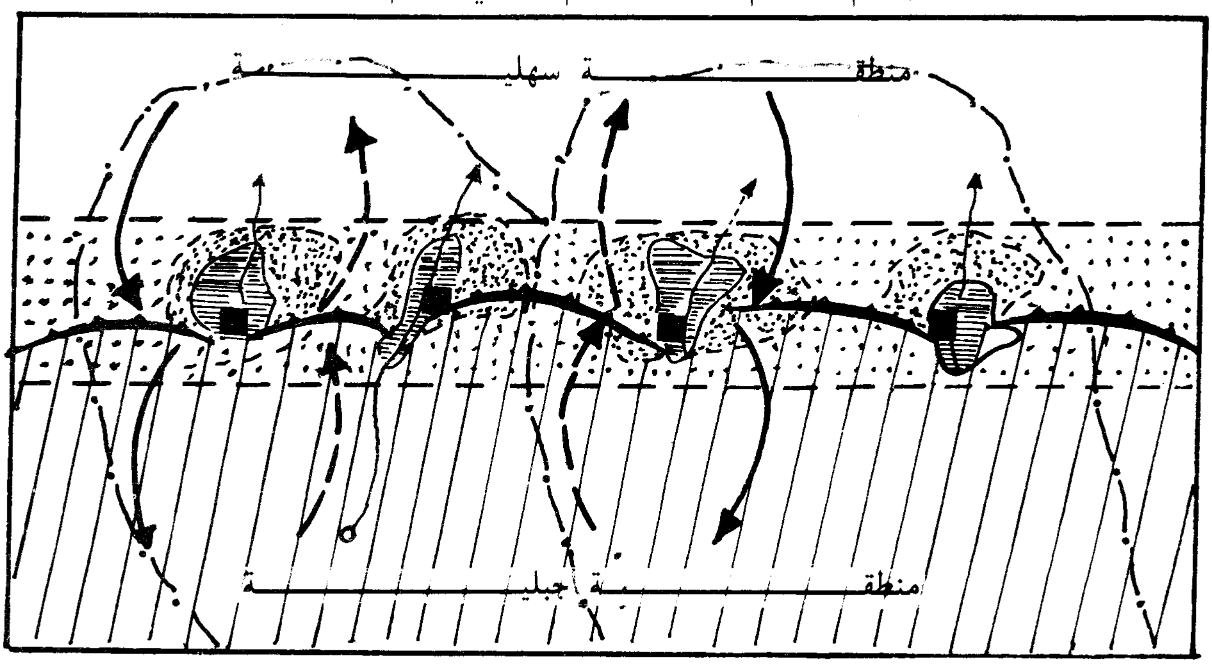


مجال زراعي مسقي

مجال زراعي بوري

مراعي

حركة انتجاع (نزول في الخريف)

حركة انتجاع (صعود في الصيف)

حافة او سفح خارجي

عين ومجرى مائي

حدود مجال الدير

حدود مجالات قبائل نصف - رحل

تجمعات سكنية

تميزت بها بعض مناطق أقدام الجبال دون أخرى - ناتجة عن عوامل ومظاهر بشرية أهمها : تركز السكان وانتشار التجمعات السكنية والزراعة المسقية والقيام بأدوار الوصل والفصل والمراقبة. وهذا ما أعطى هذه المناطق شخصية متميزة من الناحية الجغرافية لدرجة استئثارها بتسمية الدير أي الحزام.

لكن منذ مطلع القرن العشرين عملت التحولات الاجتماعية والاقتصادية والمجالية... الناتجة عن عوامل محلية وأخرى خارجية على تجريد الدير من صفاته وأدواره مفقدة إيّاهُ صورة الحزام وذلك بجعل السهل أكثر غنى وتركزاً للسكان وتمديناً، ومدمجة إياه فيه كهامش كثير التناقضات وكمجال مهيمن عليه. وهكذا يكون الدير قد مر من وضعية الانتساب إلى الجبل إلى وضعية الاندماج في السهل.

أ. التوفيق، 1983، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، اينولتان، 1850 ـ 1912*، الرباط ؛ ع. العزيز مونير، 1999، *الجهاز الحضري لدير أطلس دمنات ـ بني ملال، مدن صغيرة في تحول بطيء*، د. د. ع ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط.

H. Benhalima, *Sefrou, de la tradition du dir à l'intégration économique moderne, Etude de géographie urbaine*, Thèse de 3ème cycle, Montpellier, 1977 ; A. Bellaoui, *Le Dir septetrional à l'Adrar N'Dern, un espace de transition en pleine mutation*. In *Les régions de piémont au Maghreb : Ressources et aménagement...*", *Etudes méditerranéennes* n° 18 et fascicule de recherche n° 26 d'URBAMA, Tours, 1994 ; M. Bossavy, *l'économie montagnarde chez les Ait Seri du Tadla, R. G. M*, n° 1, 1939 ; J. Célérier, *La montagne au Maroc, essai de définition et de classification, Hesp*, 1938 ; *L'économie montagnarde dans le Moyen Atlas, R. G. M* , n° 1, 1939 ; *Le Maroc*, (Le dir de l'Atlas à la page 61), Paris 1946 ; J. Despois, *L'utilisation du sol dans les montagnes du* Maghreb, *Acta Geographica*, 2ème et 3ème trimestre, 1963 ; S. Guennoun, *La montagne berbère : Les Aït Oumalou et le pays Zaïan*.. Paris, 1929 ; F. Joly, *Les régions géographiques du Maroc*, I.G, n° 2, 1950 ; *Place des pays de piémont dans la vie économique et humaine du Maroc, Notes marocaines*, n° 13, 1960 ; M. Kerbout, *Les périmètres irrigués du dir moyen atlasique septentrional d'Agouraï à Al Manzal, Etude géographique*, Thèse de 3ème cycle, 2 tomes, Tours, 1981 ; *Originalité des zones de piémont : le cas du dir du Moyen Atlas, G.E.M. géographie humaine*, Ralat, 1987 ; L'eau dans *le dir, de l'irrigation sociale à l'inigation économique : la pénurie, ses conséquences et les stratégies d'adaptation*, in *Les régions de piémont au Maghreb : Ressources et ménagement..., Etudes méditerranéennes n° 18 et / fasc. de recherches n°* 26 d'URBAMA, Tours, 1994 ; J. Martini, *Les Potentialités agro-pastorales du Moyen Atlas Central : première approche cartographique, R.G.M.*, vol. 10, n° 1 et 2, pp. 217 - 233, 1986 ; Dr. Miègeville, *La situation économique de la région de Beni Mellal, R.G. M*, Tome 4, 1927 ; S. *Nouvel, Nomades et sédentaires au Maroc,* Paris, 1919 ; D. Noin, *La population rurale au Maroc*, Paris, 1970 ; 2 tomes, Planhol X. (de), *Caractères généraux de la vie montagnarde dans le Proche Orient et dans l'Afrique du Nord, A.G.* n° 384, vol. LXXI, 1962 ; R. Roblès, *Implantation humaine dans le dir de Beni Mellal, R.G.M.* n° 8, 1965 ; J. Saulnier, *Beni Mellal, BSGM* n° 2, pp. 34 - 41, 1916.

محمد كربوط

**ديرلانجي** البارون رودولف D'Erlanger le Baron Redelphe مستشرق فرنسي ينحدر من أسرة فرنسية نبيلة ذات أصل ألماني حازت ثراء واسعا. درس الرسم والموسيقى في باريس ولندن. رحل إلى تونس للاستشفاد من مرض ألم به، واختار الإقامة في ضاحية سيدي بوسعيد شمال العاصمة التونسية حيث ابتنى قصراً فخماً.

اختص ديرلانجي بالبحث في الموسيقى العربية. ومن ثمرات جهوده في هذا المجال تأليف موسوعة علمية تحت عنوان "الموسيقى العربية أساليبها وتاريخها" أنجزه في ستة مجلدات.

وقد كانت شهرته كباحث في الموسيقى العربية من وراء الدعوة التي وجهها إليه ملك مصر فؤاد الأول لاعداد المؤتمر الأول للموسيقى العربية الذي انعقد بالقاهرة من 28 مارس إلى 3 أبريل 1932. إلا أنه وافته المنية قبل انعقاد المؤتمر بأسابيع قليلة.

ترجع علاقة البارون ديرلانجي بالمغرب إلى البحوث العلمية التي كان قد أعدها حول الموسيقى الأندلسية المغربية قصد عرضها على لجن مؤتمر القاهرة وتتعلق هذه البحوث بالقضايا الفنية التالية :

- جدول المقامات (الطبوع) المستعملة بمراكش ومقارنتها بمقامات الموسيقى المصرية. وقد عرض الجدول على لجنة المقامات والإيقاع والتأليف التي رأسها رؤوفيكتا أستاذ بمعهد الموسيقى باستنبول، فأقرته اللجنة بالرغم من مجافاته للحقيقة، مما يدل على أنها غفلت عن استشارة المجموعة الموسيقية التي كانت تمثل المغرب في المؤتمر.

- تقرير حول النوبة وترتيب أقسامها في المغرب الأقصى "وكان ذلك بحضور رئيس جوقة مراكش فوافق على ما جاء بالتقرير المذكور، وقد أكد التقرير على "أن ظهور آثار الحضارة الأندلسية في المغرب الأقصى أوضح من ظهورها في الجزائر وتونس" ومن ثم "يجوز أن نعتبر الالحان الأثرية التي نسمعها الآن في المغرب الأقصى والأساليب الموسيقية التي يتتبعها موسيقيّو مدنه وحواضره ممثلة لروح الموسيقى الأندلسية".

- جدول الايقاعات المستعملة في مراكش ويسجل هنا أن المؤتمر تبنى في تعيين مواقع القوة والضعف في أدوار الموازين الأندلسية المغربية مصطلحي "الدم والتك" الشرقيين.

*كتاب مؤتمر الموسيقى العربية المنعقد في القاهرة*، القسم الفني، 1350/ 1932، ص. 157 و180 و189.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**ديريس** Dyris ديريس أو دوريس، كلمة وردت في المصادر الإغريقية واللاتينية على أنها اسم واد أو اسم جبل في لغة الموريين، سكان المغرب القديم الذي كان يدعى موريطانية. أول كاتب تحدث في هذا الشأن هو اللاتيني فتروفيوس قائلاً : "في موروسية Maurusia التي يدعوها كتابنا باسم موريطانية Mauretania، هناك ديريس Dyris الذي ينبع من السفوح الشمالية لجبال الأطلس، وفي اتجاه الغرب يصل إلى مرجة تدعى إبتاكنْوم Eptagonum، حيث يتغير اسمه فيدعى أكّير Agger ويضيف موضحا أن منابع نهر النيل تتصل بهذا الواد، لأن مياهه تخترق جوف الصحراء وتصل إلى أقصى جنوب مصر حيث ينطلق النيل: Vitruve, 8, 2, 6.

حسب ديزانج في تعاليقه على الكتاب الخامس لبلينيوس الذي قام بترجمته وتحقيقه، إن الأمر يتعلق بواد كْير Ger (واد غير) الذي ذكره بلينيوس الشيخ، في مناطق قاحلة وراء السفوح الشرقية لجبال الأطلس، التي اخترقها القائد الروماني سويتونيوس باولينيوس Suetonius Paulenius، في حملته ضد الثوار الموريين حوالي سنة 42 م Pline l'Ancien, 3, 15. ثم ذكره الجغرافي بطوليمايوس : Ptolomée, 4, 6, 4. انظر: Desanges, *Commentaire* de *Pline, p.* 139.

الكاتب الثاني بعد فتروفيوس هو الجغرافي الإغريقي سترابون. استعمل صيغة دورين في النص التالي : "عند تجاوزنا لمضيق أعمدة هرقل Colonne d'Héraklès وعلى شمالنا ليبية (قارة أفريقية)، نجد جبلا يدعوه الإغريقيون باسم أطلس بينما يدعوه البارباريون (يقصد الموريين) دورين "Durin" : Strabon, 17, 3, 2. وأغب الظن أن الصيغة التي استعملها سترابون هي الأقدم، لأن أهم مصادره حول المغرب القديم تمتد من القرن الثالث قبل الميلاد مع إراتوستين Eratosthene. حتى بداية القرن الأول قبل الميلاد مع بوسدونيوس Poseidon. بعد ذلك خضع الاسم لتحوير قليل عند بلينيوس الشيخ في قوله : "هناك واد يدعى فوت Fut يبعد بنحو200 قدم عن أديريس Addiris، وهو الاسم الذي يدعى به أطلس في لغتهم يقصد الموريين)" : Pline l'Ancien, 5, 13. لقد أوضح الباحث ديزانج أن الكاتب استعمل أيضاً صيغة ديريس Diris :Desanges, *Commentaires de Pline*. أما صولان الذي ينقل في الغالب عن بلينيوس الشيخ فقال بدوره : "إن جبل الأطلس يسميه الموريون أديريس" : Solin, 24, 15.

أما الجغرافي بطولمايوس، فقد استعمل كلمة من عائلة هذه الأسماء، لواد ولجبل في مجالين مختلفين. يتعلق الأمر أولا بواد يدعى عنده باسم ديور Diour، على أنه يصب في المحيط بعد أسانة Asana، في خط الطول 7 وخط العرض Ptolémée, 4, 1, 2 : 32.

بما أن أسانة هو نهر أم الربيع بإجماع الدارسين، فإن شارل تيسو قام بتحريات ميدانية لمغرفة ما يطابق ديور جنوب نهر أم الربيع. ونظراً لانعدام الوديان حتى رأس كونتان، فإنه رجّح أن الأمر يتعلق بضاية الواليدية، التي تغمرها مياه البحر وتبدو كالواد : Tissot, *Recherches*, p. 238 - 241.

أما ديزانج فقد حاول مقاربة واد ديور الذي ذكره بطولمايوس مع واد إيور Ivor، الذي ذكره بلينيوس الشيخ بين واد فوت والأطلس، مرجحا أنه هو واد كسوب جنوب موگادور Desanges, op. cit, p. 133 - 4.

ومن جهة أخرى أطلق بطولمايوس اسم ديور على جبل، ضمن حديثه عن الواجهة المتوسطية من موريطانية الطنجية، فقال : "إن سلسلة الجبال التي توجد في هذه الناحية هي ديور Diour، حيث إن وسطها يتحدد حسب الإحداثيات الجغرافية التالية : خط الطول 8 و30، خط العرض 34" Ptolémée, 4, 1, 6.

وفي الختام نشير إلى أن الباحث گسيل Gsell, T. 1, p. 315 - 6 انتبه إلى التقارب بين هذه الأسماء القديمة : (ديريس ـ دورين ـ أديريس)، والكلمة الأمازيغية الحالية "أدرار" التي تجمع على "إدرارن"، على أنها تعني الجبل. وقد تبعه ديزانج في هذا الرأي : Desanges, op. cit., p. 133. الواقع أن هذه الأسماء القديمة لجبال ووديان هي متقاربة فعلا كلمة أدرار، التي لاشك أنها كانت مستعملة في القديم بنفس المعنى الحالي. واسم أدرار القديم والمعاصر هو الذي تحول اسم "درن"، الذي أطلق على جبال الأطلس في العصر الوسيط.

من جهتنا نلاحظ تقاربا بين اسم "درن" في التاريخ الوسيط واسم "دورين" كما ورد عند الجغرافي سترابون. والاسمان معا يمكن إيجاد تشابه بينهما وبين الكلمة الأمازيغية "أدرن" وجمعه "إدرارن"، مؤنثة "تادرنت" والجمع "تيدرنين"، هو اسم شجر البلوط. فإلى أي حد نعتت جبال الأطلس منذ القديم بهذه الصفة، التي تعبر عليها كلمة قريبة من "أدرن"، نظراً لكثرة أشجار البلوط فيها.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, Paris, 1912 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Idem, *Index de topographie antique du Maroc*, P.S.A.M., 4, 1939 ; J. Desanges, *Commentaire de Pline l'Ancien*, Livre 5, 1 - 46, Paris, 1980.

محمد مجدوب

**ديزة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Deza وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 689.

محمد ابن عزوز حكيم

**الديس**، نبات نجيلي عشبي يسمى علماً أمبيلوديسما موريضانيكا Ampelodesma mauritanica وهو من فصيلة النجيليات Graminae أو Poaceae.

الديس نبات معمر وعشبي لكنه يشكل أجمات يبلغ علوها المتر الواحد. له أوراق طويلة جداً وخشنة عند اللمس. سيقان أزهار ترتفع إلى حوالي المترين فوق سطح الأرض. أزهاره تشبه أزهار الخلفاء في الشكل، مجتمعة في عثكول كبير.

يعيش الديس بالجزء الغربي من حوض البحر المتوسط ويكثر في المنطقة الشمالية من المغرب حيث نجده بالريف والأطلس المتوسط وجبال المغرب الشرقي وقليلاً بالأطلس الكبير الشرقي. وفي هذه المناطق لا يخرج الديس عن نطاق البيومناخات الرطبة وشبه الرطبة والأراضي الغنية بالطين.

يلعب الديس دوراً مهما في المحافظة على التربة المهددة بالانجراف.

يستعمل الديس في بعض الحالات في أنبحار أسقف المنازل.

*أبحاث شخصية.*

عبد المالك بنعبيد

**ديسولتي** Desaulty لقب عرف به جاسوس من الجواسيس الذين جندتهم السفارة الفرنسية بالمغرب لخدمة أغراض الاستعمار.

ينتمي ديسولتي أو محمد المراكشي، كما وجد مكتوباً على ظهر بعض الأوراق في الأرشيف الدبلوسي الفرنسي بمدينة نانت إلى مدينة مراكش. كان يسكن مدينة طنجة وفيها ربط خيوطه مع المفوضية الفرنسية التي جندته في شخص رئيسها رينيو Renault لإمدادها بأخبار ما يجرى في الحوز عامة ومراكش على الخصوص في السنوات الحرجة التي سبقت إعلان بيعة الحفيظ (غشت 1907).

لا ندري بالضبط سر ديسولتي Desaulty وهو الاسم الذي كان يوقع به الرجل مراسلاته سنة 1906. ولم تساعدنا المستندات المتوفرة على معرفة حقيقة انتهاء الرجل أي على معرفة أسرته بمراكش.

والذي لاشك فيه أن أسرة ديسولتي كانت من الأسر المخزنية أو المقربة من المخزن. فحسب ما جاء في إحدى المراسلات أن أهله كلهم كانوا يخدمون في بلاط الخليفة عبد الحفيظ بمراكش سنة 1906. ومع ذلك يمكننا أن نتساءل عن علاقة Desaulty بالضابط الفرنسي الذي أسلم في عهد مولاي عبد الرحمان De sorty ؟

يشير K. de Chiny إلى أن Desaulty وهو ضابط فرنسي في الهندسة هو الذي علم مولاي أحمد الصويري مهنة المدفعية وقد أسلم وخدم في بلاط مولاي عبد الرحمان. وحسب كامبون H. Cambon فإن عبد الرحمان ديسولتي ضابط هندسة فرنسي دفعته المغامرة إلى التخلي عن الزي الفرنسي، وذهب لتونس ثم استقر بمراكش وساهم في بناء عدة قصور سلطانية. وتوفي بفاس سنة 1879.

وأمام هذه المعطيات فهل، ديسولتي أو محمد المراكشي هو من أبناء أو أحفاد الضابط الفرنسي De Sorty لا نستطيع تأكيد العلاقة وإن كانت القرائن تثبتها. وفي حالة الإثبات يكون الجانب الفرنسي قد لجأ إلى خدمات فرنسي تخلى عن خدمة بلاده واعتنق الدين الإسلامي، على عكس ما ذكره كامبون من أن فرنسا لم تهتم باللجوء إلى خدمات الضابط الفرنسي (*Histoire du Maroc*, p. 442).

وعلى أي حال لم يكن الجاسوس ديسولتي وحيد نوعه. فقد كان لكل الدول الأوربية جواسيسها بالمغرب وفي البلاط السلطاني نفسه. ولهذا عمدت السفارة الفرنسية إلى إرسال ديسولتي إلى مراكش صيف 1906 لما تأزمت أوضاع المخزن واضطربت أحوال المغرب.

وصل ديسولتي إلى مراكش يوم 22 ماي 1906 عبر الصويرة، وشرع حالاً في بعث رسائله يوماً بيوم. واهتم فيها خاصة بكل شاذة وفاذة من أمور المدينة والحوز وخاصة أمور الخليفة عبد الحفيظ وتطلعاته نحو الملك. واستمرت مراسلات الرجل إلى شهر غشت 1906. ثم توقفت حسبما يستفاد من الوثائق الدبلوماسية بنانت ولا يُعرف ماذا كان سبب التوقف أو المصير الذي انتهى إليه ديسولتي. هل توجد مراسلاته كاملة في جهة أخرى غير مركز نانت الدبلوماسي أم هل توقف بأمر من السفارة الفرنسية أم نتيجة لطارئ آخر ؟ ذلك ما نتمنى أن تبرزه أبحاث أخرى في الموضوع.

Archives diplomatiques (Nantes) ; Kerdek de Chiny, *Un boulevard de l'Islam* (244) ; H. Cambon, *Histoire du Maroc*. (442).

علال الخديمي

**ديفيدسن ج.** J. Davidson طبيب إنجليزي تجول سنة 1830 بوادي درعة ووصل إلى تنبكتو. وكانت له علاقة مع أولاد بيروك. كان يريد إنشاء مركز تجاري بالجنوب سنة 1835 يربط بين جبل طارق والمغرب. وتوفي سنة 1836 مغتالا بنواحي طاطة بالجنوب.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، ص. 1508.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome I, p. 97, Tome III, p. 80.

مصطفى بوشعراء

**ديكوجيس** Décugis طبيب فرنسي من أطباء البحرية رافق ده فيرنويي A. de Vernouillet سفير فرنسا لدى السلطان مولاي الحسن سنة 1877، فخرج مع الوفد من طنجة إلى فاس ماراً بالغرب وزگوطة. وكان رجوعه عن طريق مكناس. كان هذا الطبيب يقرأ خلال الطريق كتاب

روض القرطاس. وخلف أبحاثاً ودراسات نشرتها الجمعية الجغرافية الفرنسية بباريس سنة 1886 و1887. كما أنه وضع عن رحلته كتاباً نشر سنة 1878 بعنوان : *قصة رحلة إلى داخل المغرب* :(*Relation d'un voyage à l'intérieur du Maroc*").

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، ص. 1527.
J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome I, p. 98.

مصطفى بوشعراء

**ديلبْريل**، جبرائيل Delbrel Gabriel ولد بفرنسا عام 1872، وكان في طفولته وشبابه متأثراً بما كان يسمعه حينا ويقرؤه حينا آخر من أخبار عن البلدان "الغريبة" الواقعة وراء البحار. وأقرب هذه البلدان إليه أمصار شمال إفريقيا التي تبثت في اثنين منها أقدام الاستعمار الفرنسي، ونشطت الحركة التجارية معها وبدأت أفواج من الفرنسيين تتوجه إليها قصد الاستيطان أو للعمل في الخدمة العسكرية.

وفي إطار هذه الخدمة نزل ديلبريل بالجزائر جندياً مبتدئاً، تعلّم اللغة العربية واهتم بتقاليد الأهالي وأعرافهم ودينهم الذي تعلم منه بعض المبادئ، ولما صار له إلمام بهذه الأمور، وأنهى خدمته العسكرية، أقبل على مغامرة ولوج المغرب عن طريق وجدة عام 1891 وأخذ يتجوّل بين القرى والمداشر، مدعيا أنه تركي مسلم، فكان يلقي الترحاب وحسن الضيافة لدى بعض الأسر الميسورة من أهل الأرياف، ويدخل معهم في أحاديث سياسية، واكتسب مودّة مضيفيه. الذين كان يتحفهم بصور عنهم يرسمها بقلم الرصاص، فيعجبون بفنه حتى مضى بعضهم يتوددون إليه للحصول على صورة لهم.

واتفق أن تجواله في قبائل أنگاد جاء متزامنا مع وجود الأمير عمر بن مولاي الحسن الذي حلّ بتلك الجهة لعقاب القبائل التي عتَتْ عن أمر المخزن وغدت تجنح إلى الاستقلال بذاتها، وكان السلطان يومئذ يعلم أن جيش الاحتلال الفرنسي بالجزائر بث عيونه في مختلف جهات الامبراطورية الشريفة يدعون أهلها إلى طلب الحماية الفرنسية.

استطاع ديلبريل أن يلتحق متنكراً في زيّ مغربي، بمحلة الأمير عمر. ملقيا أذنا صاغية إلى الأخبار التي يتداولها الجنود والأهالي، فيسجل محاورها في مذكراته كما بات يرسم المسالك التي يمرّ بها ويكتب بعض انطباعاته عن مشاهداته.

غير أن ظهور عصاة هنا وهناك في المنطقة الشرقية وما رافق هذه الظاهرة من فتن، جعل ديلبريل يخشى على حياته، فولّى أعقابه نحو وجدة ومنها رحل إلى الجزائر.

وهناك رتّب أموره وعاد إلى المغرب وحصل على مساعدة أشخاص مغاربة وأجانب، مكنوه من الوصول إلى فاس. وفي هذه المدينة، تقرب من الأمير الشاب عبد العزيز، واستطاع أن يكسب مودّته وصداقته وعطفه.

ومكث بجانبه في زمرة أصدقائه الفرنسيين، بإيحاء من الطبيب الفرنسي المعروف بالدكتور ليناريس (Dr. Linarès) الذي كان الطبيب الخاص للسلطان مولاي الحسن، وهو يومئذ أكبر جواسيس فرنسا بالمغرب.

انبهر الأمير عبد العزيز بمواهب ديلبريل في الرسم، وكانت علاقاتهما تتطور من حسن إلى أحسن. وكان السلطان على علم بذلك، فلم يمانع، وإنما عندما قرّر أن يقوم برحلة إلى تافلالت في مستهل صيف عام 1892، أصدر أوامره بإبعاد كل الأجانب عن القصر ومنعهم من مرافقة الحاشية السلطانية ورجال المحلة المخزنية في هذه الرحلة، مهدِدا بالويل والثبور كل أجنبي تجرأ على تعقب تنقلات السلطان المقبلة، باستثناء أجنبي واحد، ليناريس، طبيبه الخاص .

لكن الأمير عبد العزيز تدبر الأمر متجاوزاً أوامر والده، فساعد صديقه ديلبريل على الانضمام إلى رجال المحلة، متنكراً في زي مغربي، مسايراً كل تقاليد المغاربة، ومن موقع في مؤخرة المحلة لا يثير أي انتباه، وهو واع كل الوعي بعاقبة خرق التعليمات السلطانية.

مضى ديلبريل يختبئ من حين لأخر ليرسم معالم القصبات والقرى وتحصيناتها ومنازلها والطرق التي يمر منها الموكب السلطاني والجنود، فلاحظ أن السلطان غيّر مسار الرحلة من فاس إلى تافلالت، حيث لم ير الجاسوس الشاب المواقع المعتادة التي ورد ذكرها في أكثر من تقرير مما كتبه المستكشفون والجواسين المتقدّمون. وجاء في تقرير ديلبريل أن السلطان برح فاساً في أوائل يونيو 1892 ووصل إلى تافلالت بعد ثلاثة أسابيع. ثم أقام هناك إلى يوم 25 نونبر 1892.

وكذلك رافق المحلة في عودتها إلى مراكش، ونبه إلى أن بعض الجنود كانوا يفرون من المحلة فلم يعد يظهر لهم أثر، فوصل السلطان إلى مراكش يوم 20 دجنبر.

لكن، في مراكش، غدت الشكوك تحوم حول ديلبريل، وأقيمت عليه حراسة غير شديدة حتى لا يفطن بما يدور في شأنه، ولكنه علم، ولم يذكر من نبأه أنه أضحى متهما بما لن تحمد عقباه.

وأثناء آخر ليلة من شهر دجنبر 1892، خرج ديلبريل تحت ستار الظلام من غرفته بأحد الفنادق، متنكراً كذلك، ولم يعثر له بعد على أثر في مراكش، فغضب السلطان وأمر بالبحث عنه في دائرة حول مراكش تشمل الجديدة وأسفي والصويرة وطريق فاس وطريق الدار البيضاء وقيل للمخزن إن الاحتمال هو ذهاب ديلبريل إلى الجديدة للالتحاق بالقنصل الفرنسي آبريدو الذي نظم أول بريد حرّ حديث بين الجديدة ومراكش.

وبالفعل، حلّ ديلبريل بالجديدة بعد يومين من فراره وكان يتبع خطوات الرقاص الذي وظفه آبريدو لنقل الرسائل

بين المدينتين. وأمر السلطان بإلقاء القبض عليه وتقديمه إلى المحاكمة ليدوق وبال أمره، لولا أن ابريدو استقبله قبل ذلك وأخفاه في مكان ما ولم يكتشفه أحد.

أثناء هذا الحدث كانت سفينة فرنسية راسية بمرسى الجديدة، فأخرج ابريدو مواطنه في هيئة لا تتفق أوصافها مع تلك التي ذكرها رسل السلطان. وتمكن الهارب من الصعود إلى السفينة بأوراق مزورة وفي صورة لم يكتشف أحد من موظفي المخزن وشرطة المرسى من اختفى من ورائها، وكان الإبحار في العاشر من يناير 1893، والوصول إلى مرسيليا بعد سبعة أيام. كانت تقارير ديلبريل مفيدة إلى حدما للمخابرات العسكرية الفرنسية التي تعرّفت من خلالها على بعض جوانب الريف والجو السياسي المحلي الذي تميز بمؤشرات لم تكن في صالح التوسع الاستعماري الفرنسي.

ثم رجع إلى طنجة في ثاني يناير 1899، وفي حقيبته تكليف بمهمة تتعلق باستكشاف حوض وادي انّاون شمالا بين فاس وتازا وبعض الجهات الواقعة جنوب جبالة وغمارة والريف. وكان في استقباله بالمرسى ماليبيرتوي قنصل فرنسا الذي اعتنى به وأوصله سالما إلى فاس. وهناك مكث بضعة أيام إلى أن أقبل عليه مرشد مغربي فتوجه إلى تازا ومناطق أخرى مجاورة. إلى أن وصل يوم الاثنين 10 فبراير إلى قصبة سيدي ملوك، ومنها دخل رفقة مرشده الشيخ سعيد إلي مغنية حيث لقيا استقبالاً فاخراً من طرف السلطات الفرنسية.

استفادت هذه المرة الاستعلامات الفرنسية من نتائج رحلة ديلبريل التي لم تستغرق أكثر من شهر، فوقفت على أسرار مواقع استراتيجية جديدة، وعلى معلومات اجتماعية وسياسية تصب أهميتها فيما يخططه منظرو الاستعمار الفرنسي للمغرب. وأشاد كل من لامارتينيير والدكتور ليناريس بما أنجزه ديلبريل في ظرف وجيز لحساب فرنسا، مما يسر توغلها في المنطقة، تمهيداً لما يسمى بالحماية.

A Laroui, *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912)* ; De La Martinière, *Souvenirs du Maroc* ; Commandant F. Gendre, *Voyageurs et géographes, pionniers oubliés* ; H Terrasse, *Histoire du Maroc*, t. II.

أحمد بنجلون

**ديلكاسي** طيوفيل Théophile Delcassé سياسي فرنسي قام بأدوار طلائعية في التمهيد لعقد الحماية الفرنسية على المغرب، ولد في فاتح مارس 1852 بمقاطعة الآريج (Ariège) بالجنوب الشرقي من فرنسا من أسرة فلاحية، حصل على الإجازة في الأدب وانضم إلى حزب الزعيم گامبيطا (Gambetta) الذي كلفه بالإشراف على قسم الشؤون الدولية في جريدته *"الجمهورية الفرنسية"* فاشتغل في الصحافة عدة سنوات إلى أن انتخب نائباً في مجلس النواب في صفوف الحزب الردكالي وتجلت خبرته بالعلاقات الدولية مما أهله لدخول الحكومة كنائب لكاتب الدولة في التجارة والصناعة والمستعمرات (17 يناير 1893 إلى 2 دجنبر 1893) ثم أسندت له وزارة المستعمرات وكان ذلك أول مرة تحدث فيها وزارة لتلك القضايا مستقلة الذات (30 ماي 1894 إلى 25 يناير 1895) فاشتغل بتعزيز الممتلكات الفرنسية وتشجيع المقاولات الحرة بها مع تقوية الوجود الفرنسي بالطونكين وكوط ديڤوار، ثم إنه تربع على كرسي وزارة الشؤون الخارجية يوم 28 يونيه 1898 فذاع صيته لما كان له من التأثير الحاسم في وطنه وفي المغرب وعلى الساحة الدولية، ذلك أنه بادر إلى نهج خطة معاكسة لما كانت عليه الديبلوماسية الفرنسية قبل أن تمسك هو بزمامها. فإنه تخلى عن مسالمة ألمانيا وسعى في تذليل أسباب النزاع مع انجلترا التي كانت هي المنافس الأول لفرنسا في مجال الاستعمار، فقبل أن يتخلى لها عن السودان الشرقي وعن منطقة بحر الغزل بعد حادثة فاشودا التي كادت أن تؤدى إلى الحرب بين الدولتين سنة 1898، ثم اجتهد في التفاهم معها ومع إيطاليا وإسبانيا لاقتسام النفوذ في إفريقيا فأبرم اتفاقية مع إيطاليا سنة 1900 مطلقاً لها اليد في ليبيا مقابل تنازلها لفرنسا عن المغرب، كما أبرم اتفاقية أولى مع إسبانيا تفك أسباب النزاع معها بخصوص الصحراء المغربية الغربية وبخصوص غينيا الاستوائية وما إليهما (يونيه 1900). كما اهتم ديلكاسي في نفس الوقت بالتقرب من روسيا فأبرم معها اتفاقية عسكرية سرية، لكن أكبر إنجازاته وأخطرها شأنا إبرامه الاتفاق الودي مع انجلترا وساعده في ذلك وفاة الملكة ڤيكتوريا (Victoria) سنة 1903 وجلوس إدوارد السابع على العرش، وكان أكثر تعاطفاً مع فرنسا من والدته، وأيضاً شروع ألمانيا في تنمية أسطولها مما أقلق الحكومة الأنجليزية وجعلها تصغى إلى مفاتحات ديلكاسي وانتهى الأمر إلى الاتفاق الودى بين الدولتين (8 أبريل 1904) الذي تخلت فرنسا بمقتضاه لأنجلترا عن امتيازاتها في مصر مقابل تخلي انجلترا لها عن امتيازاتها في المغرب شريطة أن تكون شواطئ المغرب الشمالي وما وراءها من الأرض من نصيب إسبانيا، أما طنجة فتقرر أن تبقى منطقة دولية وأدركت ألمانيا على التو ما كان في مبادرات ديلكاسي من التآمر عليها ومن المضايقة لها في أوربا وفي المجال الاستعماري، وكان رد فعلها عنيفا حيث أبى الامبراطور غليوم الثاني إلا أن يزور مدينة طنجة ليعلن من هناك تمسكه بسيادة المغرب وبوحدة ترابه وأمر حكومته بأن تمارس كل الضغوط الديبلوماسية على الحكومة الفرنسية لإرغامها على إقالة ديلكاسي وذلك ما حصل في يونيه 1905.

وهكذا كان لهذا الرجل أبلغ الوقع على مصير المغرب، فإنه هو الذي وضع الخطوط العريضة الأولى للحماية الفرنسية عليه، ودليل ذلك منبسط في مراسلاته المنشورة

حيث تبدو منها خطة واضحة ثابتة وإصرار في التنفيذ امتد على مدى سبع سنوات فإنه قال في رسالة بتاريخ 9 يوليوز 1903 : "ليس من العبث أن نذكر بعدم جدوى مارمناه منذ نصف قرن لتسريب نفوذنا إلى المغرب من خلال حدود الجزائر بالرغم مما كان يفترض أن يعود علينا من الفوائد لمجاور تناله، وذلك أن قبائل مغربية ذات بال ظلت تقوم بين الجزائر والمغرب مقام حجاب لا يخترق [...] فلما أبرمت الحكومة مع السلطان أوفاق 1901 و1902 كان غرضها من ذلك تغيير هذه الأوضاع التي ما كانت لتدوم دون أن يترتب عليها أضرار كبرى علينا، وإذا ما تتبعنا تطبيق ما لابد أن يترتب على تلك الأوفاق من التدابير السياسية فإنه يجوز أن نتشوف في ظرف وجيز وبموافقة المخزن إلى إقامة العديد من مراكز الاتصال مع الإمبراطورية المجاورة من خلال أراضي تلك القبائل بعد تمهيدها، ومن ثم تتحسن علاقاتنا مع السلطان في أقرب الآجال".

وجاء في رسالة يوم 27 أبريل 1904 قوله : "على السيد سانت أولير (Saint - Aulaire) والسيد گايار (Gaillard) أن لا ينيا في ترديد القول بأننا نتقدم إلى المغرب كأصدقاء يسعون في ازدهاره لأن ازدهارنا رهين بذلك وأننا لانرمي إلى النيل من نفوذ السلطان بل إننا على العكس منشغلون بالرفع من جاهه [...] وأننا ننتظر في المقابل أن يتفهم المخزن مجهوداتنا وأن يسعى مخلصا في مؤازرتنا" ثم قال في رسالة يوم 3 ماي 1905 : "قل لابن سليمان بلسان الصرامة إنه لا يمكن أن يتوسط بين الحكومة الفرنسية والحكومة المغربية أية قوة أخرى مثلما أنه لا يوجد أي بلد يتوسط بين المغرب وبين فرنسا الجزائرية فانه لايحد المغرب إلا فرنسا" وهو الذي وضع برنامج الحماية الأول وكلف سان ريني طايانديه (Saint-René Taillandier) بفرضه على المولى عبد العزيز. ومما جاء في ذلك البرنامج قوله : "مهمتنا تكمن من أجل مصلحتنا الذاتية في السعي في مصلحة المغرب ومن أجل سلامتنا الذاتية في العمل على مساعدته على إرساء الأمن والنظام في ترابه ومن أجل ازدهارنا الذاتي في تزويده من أدوات استثمار ما يزخر به من الخيرات بحيث يبقى على ما كان عليه من أشكال العيش ويحتفظ بأعرافه وقوانينه وروسائه تحت إمرة السلطان بعد تقوية نفوذه وإمداده فلا يشعر بقوتنا إلا من جهة ما سيترتب عليها من النعم".

وامتد تأثير ديلكاسي على الأحداث في المغرب حتى بعد انفصاله عن وزارة الشؤون الخارجية فإنه ظل يعمل من أجل إنجاح سياسته سواء من خلال مجلس النواب أو من داخل الحكومة حيث كان وزيراً للملاحة البحرية من مارس 1911 إلى يناير 1913 ثم كان سفيراً في روسيا تلك السنة وعاد إلى الحكومة كوزير للحرب بضعة أيام في شهر يونيه 1914 ثم وزيراً للشؤون الخارجية مرة أخرى في غشت 1914 إلى أكتوبر 1915 وهي السنة الأولى من الحرب العالمية.

وبعد ذلك اعتزل السياسة وإن ظل يوثر على مصير المغرب بصفة غير مباشرة، إذ تزوجت بنته سوزان سنة 1920 من الضابط شارل نوجيس (Ch. Noguès) الذي كانت له أدوار مرموقة في التمهيد العسكري وفي إدارة الحماية العليا إلى أن أسندت له الإقامة العامة. فكان مصير المغرب بيده من سنة 1936 إلى 1943.

توفي طيوفيل ديلكاسي يوم 21 فبراير 1932 بمدينة نيس.

*Documents diplomatiques français* ; B Yvert, *Dictionnaire des ministres 1789 - 1989*, Paris, 1990.

إبراهيم بوطالب

**الدَّيْمَان،** أسرة تطوانية أشار إليها عمر لوقش في قصيدته المشهورة : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1621.

محمد ابن عزوز حكيم

**الديماني، علي** بن الحسن، أو الدوماني كما في بعض الوثائق. لا يبعد أن يكون أصله من عائلة بني ديمان الصحراوية، وهي من الأسر التي نبغ فيها عدد من رجالات العلم والأدب. لم يحظ الديماني بعناية أصحاب التراجم فيما رجعنا إليه من المظان، وتكاد المعلومات عنه لا تخرج عما أورده عن نسبه في مستهل كتابه *"روضة التحقيق في ذكر مناقب آل الصديق"* الذي ألفه للحديث عن مناقب وأخبار الشيخ الصوفي محمد بن إبراهيم التمنارتي (ت. 971 ـ1563 ) لا يذكر لنا الديماني شيئا عن طبيعة علاقته بمنطقة تمنارت، ولا عن دواعي تأليفه هذا. وكل ما نعلم هو أن هناك مريدين وتلاميذ من أصل صحراوي يرتادون باستمرار زاوية تمنارت. وكان للبعض منهم مكانة خاصة لدى الشيخ التنمارتي كخديمه علي بن أبي العباس بن أبي زكرياء الديماني، ويحيى بن موسى الديماني الصحراوي. والظاهر في سياق ما يورده الديماني عن التمنارتي، أنه إستقى معلوماته اعتماداً على روايات من أخذ عن هاتين الشخصتين. وهذا ما يقودنا إلى تأكيد كون الديماني لم يعاصر التمنارتي وإنما ألف كتابه في مرحلة متأخرة قد تكون القرن السادس (12 م) "بعدما مضى من أخبار الشيخ الصحيحة ما ذهب وبقي ما يبقى في الأسمار عند العوام والعجائز". ويبدو من خلال مؤلفه بعض ملامح شخصيته المتسمة بالصبغة الصوفية الصرفة، وتتراءى هذه الصورة حينما يبالغ في تعداد مناقب وكرامات الشيخ التمنارتي بأسلوب بسيط يغلب عليه الاستطراد.

علي بن الحسين الديماني أو الدوماني : *روضة التحقيق في ذكر بعض مناقب آل الصديق*، مخطوط ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*

*مؤرخ المغرب*، دار الكتب، الدار البيضاء، ج 1، ص. 83 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، ج 7، ص. 35 -45، سوس العالمة، ص. 219 ؛ أ. بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، القاهرة، 1989.

أحمد بومزگو

**الديموقراطية** كلمة يونانية Démocratia تعني حكم الشعب بالشعب، وتقتضي توسيع مجال الحريات العامة، ومشاركة المواطنين في تسيير شؤون البلاد عن طريق ممثليهم في البرلمان. للنظام الديموقراطي جذور تاريخية بالمغرب فيما يسمى بنظام الجماعات خصوصاً في المناطق القروية التي كانت تتمتع بالاستقلال الإدراي بالنسبة للحكومة، وتحتوي على هياكل إدارية وقضائية تمكنها من تسيير شؤونها المحلية.

ومنذ 1912 إلى 1956، أي طيلة عهد الحماية، وقع تهميش الهياكل الجماعية، ولم يبق للجماعة أية سلطة فعلية، الشيء الذي أدى برجال الحركة الوطنية آنذاك إلى أن ينتقدوا بشدة هذه السياسة الاستعمارية معتبرين أنّ نظام الجماعات يمثل مبدءاً ديمقراطيا يجب احترامه.

ولما أحرز المغرب على استقلاله انكبت جهود المغاربة بقيادة محمد الخامس على وضع الركائز الأساسية للديمقراطية في البلاد، فصدرت ظهائر وقوانين في مجال الحريات العامة والنقابية والوظيفة العمومية. كما شملت أيضاً هذه التوجهات الديمقراطية ميدان الانتخابات وتنظيم الجماعات المحلية.

كان المجلس الوطني الاستشاري أول تجربة ديمقراطية فعالة بعد الاستقلال، مَـثَـلَ الرأي - العام الوطني في تلك الظروف تمثيلاً واسعاً بقدر الإمكان، وشارك فيه ممثلون عن الحزبين الوطنيين : الاستقلال والشورى والاستقلال، والمنظمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنقابية، ومنظمات الشباب والرياضة.

تأسس المجلس الوطني الاستشاري بمقتضى ظهير شريف مؤرخ في خامس وعشرى ذي الحجة عام 1375 / 3 أغسطس 1956 واستمرت جلساته منتظمة إلى نهاية دورة 1959. وصدر في هذه الأثناء ظهير الحريات العامة سنة 1958 الذي حرّم نظام الحزب الوحيد بالمغرب وفتح الباب مشرعاً للحياة الديمقراطية.

وفي شهر شتنبر 1959 صدر الظهير الشريف المتعلق بانتخابات المجالس الجماعية، كما صدر في 23 يونيو 1960 الظهير الشريف المتعلق بالنظام الجماعي. وفي 21 شتنبر 1963 صدر ظهير بشأن تنظيم العمالات والأقاليم مازال ساري المفعول مع ما أدخل عليه من التغييرات.

وقد ركزت هذه النصوص على تنظيم الجماعات المحلية بصفة قانونية فيما يخص مجال الانتخابات بالنسبة للمجالس الجماعية، وفيما يخص التسيير الإداري اليومي بالنسبة للجماعات كلها. ومن هنا عرفت بلادنا أول تجربة لنظام اللامركزية الذي يعد بمثابة الديمقراطية المطبقة على الإدارة كما عرًفه بعض الفقهاء. وتعتبر الجماعات المحلية كأداة لتدعيم هذا النظام الديمقراطي اللامركزي.

اعترف هذا النظام بوجود قضايا محلية يسند أمر إدارتها إلى هيئات محلية منتخبة تتمتع بالشخصية المعنوية وبالاستقلال المالي في إطار خضوعها لوصاية إدارية تمارس عليها من طرف السلطات المركزية. وخصص دستور 1962 للجماعات المحلية باباً خاصاً نجده كذلك في دستور 1970 ودستور 1972 وفي الدستور الحالي. واعترف الدستور بوجود قضايا محلية يُسند تدبيرُ شؤونها إلى جماعات منتخبة، يقول الدستور : "تنتخب الجماعات المحلية مجالس تتكلف بتدبير شؤونها تدبيراً ديمقراطياً طبق شروط يحددها القانون".

وفي شهر يوليوز 1975 أعلن عن تنظيم انتخابات محلية كما أُعلن عن توسيع اختصاصات الجماعات التي ستنبثق عن هذه الانتخابات. ثم أتى خطاب 8 يوليوز 1976 الذي أوضح فيه جلالة الملك فلسلة النظام الجماعي الجديد. وفعلاً ذهب المغرب بعيداً في المسلسل الديمقراطي المحلي إذا ما قارنا النظام الجماعي الحالي مع ما يوجد في بعض الدول التي تسير في طريق النمو.

وقد تعزز هذا الاختيار الديمقراطي بجعل الجهة جماعة محلية كباقي الجماعات الأخرى تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي يتولى تدبير شؤونها بحرية مجلس ينتخب بطريقة ديمقراطية لمدة ست سنوات. وهكذا بعد خضوع الجهة للتجربة في إطار ظهير 16 يونيو 1971 المتعلق بإحداث المناطق الاقتصادية تَمَّ الارتقاءُ بالجهة إلى مستوى الجماعة المحلية بمقتضى دستور 1992.

وبعد المصادقة على مراجعة الدستور في استفتاء 13 شتنبر 1996، أصبح للجهات إطار قانوني جديد يضع أسسه القانون رقم96 / 47 المتعلق بتنظيم الجهات والذي صدر بتنفيذه ظهير شريف مؤرخ في 12 أبريل 1997. والجديد في الإصلاح الدستوري الأخير هو توسيع اختصاصات البرلمان مع إنشاء غرفتين : مجلس النواب ومجلس المستشارين، الشيء الذي يدعم الركيزة الثانية للنظام الديمقراطي أي مشاركة المواطنين في تسيير شؤون الدولة.

وبالجملة ركز المغرب جهوده طيلة السنوات الأخيرة على إرساء قواعد الديمقراطية سواء على الصعيد الوطني بالنسبة للمؤسسات الدستورية أو على الصعيد المحلي، وعلى ترسيخ دولة الحق والقانون التي تعد الركيزة الأولى في إرساء الديمقراطية وذلك بإنشاء محاكم إدارية في جل جهات المملكة وإنشاء مجلس استشاري لحقوق الإنسان. وبهذا يكون المغرب قد دعم ركائز النظام الديمقراطي بتوسيع مجال الحريات العامة وحماية حقوق الإنسان.

الجريدة الرسمية، الرباط، 1956 ـ1999 ؛ *المدونة القانونية للجماعات المحلية بالمغرب*، مراكش، 1997 ؛ ع. الرحمان جمجامة، اللامركزية مع اللاتمركز والديموقراطية المحلية في الخطاب الملكي - من إرسال التجربة إلى إعلان الإصلاح الجهوي، 1955 ـ 1995، الرباط، 1996.

S. Ben Bachir, *L'Organisation administrative du Maroc*, Rabat, 1968 ; A. Sedjari , *Le système d'administration territoriale au Marov* in *L'administration territoriale au Maghreb*, Rabat ; E. De Laubadaire [etal...] Traité de *Droit Administratif*, Paris, 1992 ; H. Ouazzani Chahdi, équation ? in *Décentralisation et pratiques locales de développement*, Casablanca, 1996 ; *Droit de l'homme* et *Administrations Publiques : le cas du Maroc*, Bruxelles, 1997 ; *Droit Admimistratif*, Rabat, 1997.

الحسن الوزاني الشاهدي

**الدينار**، كلمة لاتينية Denarius وهو قطعة نقدية ذهبية، وخلال العهود القديمة كان المغاربة يستعملون النقود الذهبية الأجنبية، وقد حملت الطلائع الأولى للفتح الإسلامي لشمال إفريقيا الدينار الذهبي الإسلامي، ونظراً لوضعية الدولة الإدريسية التي كانت تعيش وضعية اقتصادية محدودة، فلم تقم بضرب النقود الذهبية واكتفت بسك النقود الفضية، لعدم توسع الدولة الإدريسية تجارياً نحو مناجم الذهب الإفريقية، وظل سك النقود الذهبية من الحقوق التقليدية للخلافة العباسية في الشرق، ولم يقع تجاوز هذا التقليد في الغرب الإسلامي إلاّ في عهد الأمير عبد الرحمان الثالث بالأندلس حيث سك الدينار الذهبي في بداية القرن الرابع (10 م).

وفي العهد المرابطي ظهرت الدنانير الذهبية المغربية بوفرة بفضل نموّ تجارة القوافل مع إفريقيا واتسعت الامبراطورية المرابطية نحو الأندلس، كان الخط الكوفي سائداً في العهد الإدريسي وفي العهد المرابطي ظهر الخط اللين "خط الثلث المغربي" على الدنانير، وفي العهد الموحدي اختفى الخط الكوفي وظهر خط الثلث المغربي على جميع القطع، وكما ضرب الموحدون الدرهم الفضي المربع رسموا الشكل الرباعي على الدنانير الذهبية المستديرة، ولعل ذلك راجع إلى التعارض السياسي والمذهبي الذي كان سائداً بين الموحدين والمرابطين، فسعوا لإظهاره على النقود، وشمل هذا التعارض أيضاً الأوزانَ النقدية فجاء الموحدون بوزن مخالف للدنانير المعروفة في الغرب الإسلامي فأصبح الدينار المغربي أكبر وزناً من الدينار الشرعي إذ كان الدينار الشرعي يزن 72 حبة من الشعير الوسط (= 4,1594غ) بينما يزن الدينار الموحدي 84 حبة من الشعير الوسط (4,8526 غ).

ولقد استفاد المرابطون والموحدون من كميات الذهب التي تراكمت في المغرب نظراً للتوسع في مجال التجارة الصحراوية، شكل ذهب السودان المزوّد الرئيسي لِدُور السكة المغربية حتى القرن السابع (13 م) لكن تحول المسالك التجارية في عهد بني مرين في القرنين الثامن والتاسع (14 و15 م) في اتجاه المغرب الأوسط وإفريقية ومصر انعكس سلباً على دور السكة المغربية التي افتقدت ذهب السودان ومع ذلك ظلت الدولة المرينية تستفيد من الأرصدة الذهبية للعهد الموحدي وما كانت تحصل عليه من الغنائم.

وقد ارتبط عهد السعديين بفتح المنصور الذهبي للسودان واستفاد هذا العهد من الذهب الإفريقي الذي كان يغذي التيار التجاري المتجه نحو البحر المتوسط بعد أن تصل القوافل إلى المراكز المغربية القديمة المتاخمة للصحراء مثل نول لمطة وسجلماسة. ورغم ما أكده لومبار وهو من المهتمين بحركة المعادن النقدية ومناجمها من كون "الذهب لا يبقى في المغرب وإنما يمرّ به فقط" فقد استفادت دور السكة المغربية من ذهب إفريقيا، ولدينار صيد في مختلف المتاحف من الدنانير الذهبية التي كانت تضرب في معامل السكة بنول لمطة وسجلماسة ومعامل تارودانت ودرعة ومراكش وفاس.

لم تستمر هذه الوضعية بعد العهد السعدي إلا قليلاً، ففي العهد العلوي ونتيجة لتحول الطرق التجارية نحو سواحل السودان بعد تقدم الكشوف الجغرافية، تضآلت هذه الاستفادة تدريجياً حتى انقطعت بعد منتصف القرن الثالث عشر (19 م) بقليل، فقد كانت الكمية القليلة من الدنانير التي ضربت بدار السكة بفاس سنة 1868 من أواخر الدنانير التي ضُربت في القرن الثالث عشر (19 م) وقد انسحبت من التداول نهائياً في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان تأخر استعمال دينار التبر في الجنوب المغربي، وذلك نظراً لندرة الدنانير المضروبة واختفائها، وكان التعامل بها جارياً في المناطق المتاخمة للصحراء التي لا تزال القوافل التجارية تحمل إليها كميات من التبر (مسحوق الذهب) وقد وقع التعامل بتعويض قطعة الدينار بوزن مضبوط يدعى المثقال الذهبي أو دينار التبر ويزن 4,50 غ وقد استعملت هذه الوحدة في منطقة توات ودرعة وسوس، ويلاحظ أن وزن هذا الدينار في هذه المناطق يفوق وزن الدينار الشرعي البالغ 4,25 غ، وقد استغرب مارتان من

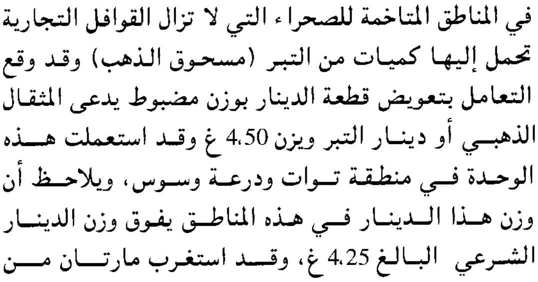

دينار مرابطي ضرب بإشبيلية

ذلك دون أن يعطي تعليلاً واضحاً، غير أن السنوات الأولى من القرن العشرين عرفت اختفاء الدينار الذهبي بالمغرب، فلم تبق منه إلا قطع محفوظة للذكرى عند بعض الخواص.

إن الأسباب التي أدت إلى تدهور القاعدة الذهبية للعملة المغربية وزوال الدينار المغربي من الرواج متعددة أشرنا إلى بعضها مما يتعلق بالتيارات التجارية، ولكن هناك ظروف أخرى داخلية تتعلق بالقحوط والطواعين التي عرفتها بداية القرن الثالث عشر (19 م)، وما استجد على المغرب من التدخل الأجنبي الذي واجهته البلاد في معركة إسلي وحرب تطوان، هذه الحرب التي استنزفت عسكرياً واقتصادياً طاقات البلاد وأفقدتها الغرامة الناتجة عنها وتوابعها كل الأرصدة الذهبية والفضية وما كان يتمتع به المغرب من توازن في مختلف المجالات.

دينار بني مدرار بسجلماسة

وقد عرف المغرب في عهوده التاريخية المختلفة أنواعاً من الدنانير تحمل سمات حضارية متميزة تعتبر مجالاً للبحث والدراسة في هندستها وأحجامها ونقش أشكال الحروف وأنواع الخطوط، وتقسيم فضاءات القطعة في المركز والهامش على الوجهين، إلى ما ذكرناه من اختلاف الأوزان وتحديد عيار الدينار ومقدار صفائه. إلى المدلولات الدينية والمذهبية والشحنات السياسية التي تحملها العبارات الكتابية المنقوشة عليها والتي تعتبر كل دولة دنانيرها مجالاً لإعلان مذهبها لتخليد أفكارها ويمكن الرجوع إلى كل ذلك في بعض مظانّه الخاصة.

وفي مجال الرواج النقدي عرف الدينار بالمغرب أنظمة وأسماء خاصة في الرواج والحساب تستقي أصولها أحيانا من الخصائص والمعطيات المذكورة آنفاً وتستقيها أحيانا أخرى من عمليات الصرف ونظام التداول.

من هذه الأنظمة أن الدينار يشكل وحدة أساسية مبنية على القاعدة الذهبية، حسب الشريعة الإسلامية التي تعتبر الذهب القاعدة النقدية الأساسية في كل المعاملات، وقد استمرت هذه القاعدة منذ العهد المرابطي والموحدي إلى العهد العلوي حتى القرن الثاني عشر (18 م) عندما قام السلطان محمد بن عبد الله بإصلاحه النقدي سنة 1766 فبناه على القاعدة النقدية الفضية ووقع التراجع شيئاً فشيئاً عن القاعدة الذهبية، ويفسر هذا التراجع في بعض جوانبه بضمور كميات الذهب التي كانت ترد على المغرب من السودان وانعكاسها سلباً على موارد بيت المال، ولم يُطل استقرار النقود على القاعدة الفضية إذ سرعان ما تحولت نحو القاعدة المزدوجة من الفضة والنحاس عند حلول القرن الثالث عشر (19 م)، ثم تحولت الأهمية إلى معدن النحاس نتيجة التدخل الأوروبي وما صاحبه من عوامل.

الدينار الاسماعيلي

ونورد هنا نموذج النظام المتعامل به في القرن الثاني عشر (18 م) قبل انقطاع التعامل بالدينار في النصف الثاني من القرن الموالي كما توصلنا إليه من عدة وثائق وتقاييد المعاملات. فقد تعامل الناس بنوعين من الدنانير : الدينار السني "الشرعي" والدينار السوقي "العرفي". فكان الدينار السوقي إما حسب عياره وإما حسب وزنه، وهذا ما نوضحه في الجدول التالي :

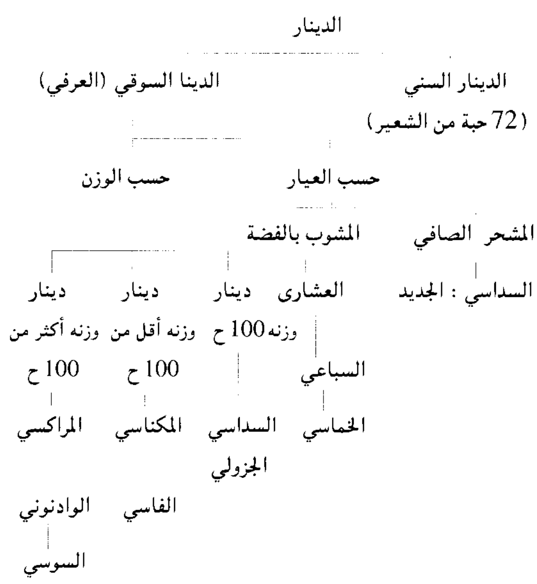

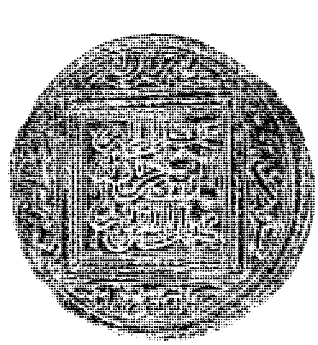

دينار مريني ضرب بأزمور

امتد هذا النظام من العصر السعدي إلى العصر العلوي حتى نهاية القرن الثالث عشر (19 م) فكان هذا التعدد في أوزان الدنانير وعياراتها يثبت وجود تعدد في صرفها، ولكل دينار أنصاف وأرباع وغيرها من الأجزاء، وقد كانت عمليات الصرف تمارس بأجزاء تلك الدنانير أو بعدد من الدراهم الفضية المعادلة لها. وكان التجار والصيارفة والفقهاء ممن يتقنون حسابات هذا الصرف، وخاصة عند إجراء المعاملات التي تحتاج في ضبطها إلى كتابة العقود والرسوم مما كان الناس يرجعون إليه حتى بعد انقطاع التعامل بالدينار لفض النزاعات الموروثة.

الكرملي أنسطاس، *النقود العربية والإسلامية وعلم النميات*، ط 2، القاهرة، 1987 ؛ حلاق حسان علي، *تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي*، بيروت، 1978 ؛ *حول تاريخ النقود المغربية في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين*، مجلة كلية الآداب، الرباط، عدد 23 سنة1999، ص. 109 ـ 230 ؛ *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، أكادير، 1988 ؛ *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، الدار البيضاء، 1993 ؛ *ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود*، مجلة كلية الآداب بالرباط، عدد 18 سنة1993 ؛ ابن الرفعة نجم الدين الأنصاري، *الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان*، دمشق،1980 ؛ ع. الگرسيفي، *رسالة في تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة*، ملحق كتاب *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*؛ *رسالة في تحقيق اوزان النقود* بسوس، ملحق كتاب *النقود المغربية في القرن الثامن عشر* ؛ ابن جزي، *القوانين الفقهية*، الرباط، 1962 ؛ لومبا رموريس، *الإسلام في مجده الأول*، تر. إسماعيل العربي، الدار البيضاء، 1990.

Banque du Maroc, *Caractéristiques des monnaies marocaines en argent frappées entre 1881 - 1920* (roméotypé) ; Sidbon, Beyda B., *La question monétaire au Maroc*, Paris, 1921 ; Michaux Bellaire, Les crises monétaires au Maroc, *R. M. M* vol. 38, mars 1920 ; Marty J. André, *Le franc marocain*, Paris, 1951 ; D. Eustache, *Corpus des monnaies alawites*, Rabat, 1884 ; Corpus des Dirhams *Idrisites et contemporains*, Rabat, 1970 ; Etudes *numismatiques et de metrologie musulmanes H. T*, vol. 10, fasc. 1 - 2, 1969 ; *Histoire de la monnaie arabe et sa metrolpgie*, Rabat, 1970 (roneotype) ; J.D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; H. Lavoix, *Catalogues de monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale*, Paris, 1891, T. II, III.

عمر أفا

**دينْيَا** ويكتب الدّنْيا أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Denia وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1180 / 1767.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 688.

محمد ابن عزوز حكيم

**دينية** (أسرة رباطية) ← **دنّية**

ابن **ديهاج**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الخلوط، وقد انقرضت بهذه المدينة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 240.

محمد ابن عزوز حكيم

**ديودور** Diodore ملك أشار بلوترخوس إلى انتمائه لناحية طنجة في غابر الزمان Plutarque, Sertorius. وردت هذه الإشارة عند الكاتب المذكور بمناسبة حديثه عن التدخل العسكري للقائد الرومانيSertorius في شمال موريطانية قادما إليها من إسبانيا، وذلك حوالي سنة 82.

أفاد الكاتب أن القائد الروماني المذكور جاء إلى موريطانية لمساعدة الثوار الموريين الذين انتفضوا ضد الملك أسكاليس Ascalis، في طنجة وناحيتها. وفي هذا السياق شاء الكاتب أن يستطرد في حديثه لإثارة أمجاد الملك يوبا الثاني الذي سبق له أن حكم هذه البلاد. وهكذا ساق رواية تتعلق بالملك الأسطوري أنتايوس Antaeus، فأكدا أنه دفن في ناحية طنجة، وأن سرطويوس فتح قبره للتأكد مما يحكيه السكان حول طول قامته، فتبين للشخص المذكور أن جثة أنتايوس تقدر فعلاً بستين ذراعا.

ثم أورد الكاتب الإشارة التي تتضمن الملك ديودور قائلاً : "يحكي أهل طنجة أنه بعد وفاة أنتايوس، اقترنت زوجته تنكي Tingé بهرقل. ثم أنجبا ولداً يدعى صوفاكس Sophax. ولما صار هذا الأخير ملكا، أطلق اسم والدته على المدينة. ويضيف السكان أن ولد صوفاكس المدعو ديودور قد تمكن من السيطرة على عدة شعوب في ليبيا، بواسطة جيش يتكون من الألبيين Olbiens والموكينيين Mucéniens، وقد أتى هؤلاء مع هرقل إلى هذه البلاد. وإني أسوق هذا الحديث تكريما ليوبا. إنه أكبر المؤرخين من بين الملوك. وهو الذي يقال إن أجداده انحدروا من صوفاكس وديودور".

وأهم ما يعكيه هذا النص هو العلاقة الراسخة في القدم بين بلاد الموريين والعالم الاغريقي قبل العهد الفنيقي. وهو موضوع مازال لم يحظ بالعناية اللازمة.

والملاحظ أن ديودور اسم إغريقي، اشتهر به مؤرخ عاش في القرن الأخير قبل الميلاد يدعى ديودور الصقلي.

م. المجدوب، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، أطروحة لنيل دكتورة الدولة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، المحمدية،1998، مرقونة ؛ *نفسه أضواء حول تاريخ المغرب قبل العهد الفنيقي*، النشرة الأثرية المغربية، العدد، 20، تحت الطبع.

محمد مجدوب

**ديور** (Diur ou Diour) نهر وجبل هو أحد أنهار موريطانيا الطنجية يحدد بطليموس مصبه عند خط عرض 40 31 وخط طول 720، بين نهر إسبان (أم الربيع) في الشمال وجبل الشمس في الجنوب (أي رأس كانتان).

لكن لا يوجد أي نهر بين أم الربيع ورأس كانتان، بل نجد فقط عدداص من السنجات الممتدة على طول الشاطئ والمنفتحة على البحر إلا أن مياهها غير راكدة الشيء الذي يظفي عليها مظهر مجرى مائي وهذا ما يفسر ارتباط اسم بوطا موسى بنهر ديور.

إن الباحثين Tissot وVivien de St. Martin متفقان على مطابقة ديور بوطاموسى بضاية الوليدية والتي تسميها أيضاً ضاية Ivor وهذه الأخيرة تتطابق بشكل جيد مع ديور الذي يتحدث عنه بطليموس.

أما ديور الجبل فيحدد بطليموس إحداثياته فقط : 34 خط طول و830 خط عرض.

R. Roget, *PSAM*, 1938, p. 36 ; O. Mac Carthy, *Lexique de géographie comparée de l'ancienne Afrique*, *R. A*, 1887.

عبد العزيز بل الفايدة

ابن **ديوْرَان، محمد** بن أحمد بن ديوران الغالمي السهلي أحد قواد فرقة السهول من قبيلة بني حسن، ويقع تراب السهول في الجنوب الشرقي لمدينة سلا. ويظهر من نسبه أنه زعري من بطن الغوالم، ربما انتقل أجداده من زعير من قديم إلى السهول. وتدعوه الوثائق المغربية : محمد بن أحمد السهلي فقط.

تولى على إخوانه نحواً من عشر سنوات. ففي سنة 1303 / 1885 وجه إليه المخزن طابع القيادة، وكان سنة 1311 / 1894 لا يزال عاملا على طرف من السهول.

م. بوشعراء، *قبيلة بني حسن*، 1860 ـ 1912، مخطوط ؛ *الوثائق الملكية* ؛ وثائق بنسعيد.

مصطفى بوشعراء

**الديوري**، أسرة فاسية أصلها من السوس الأقصى اطّلع مؤلف كتاب رفع الالتباس على وثيقة تذكرهم في فاس مؤرخة بعام أربعة وثمانين وألف. قال :"وادعى بعضهم في هذه الأزمان الشرف وأفتى علماء الوقت ببطلانه ... ودارُ الديوري الكبرى كانت بدرب بورجوع حُبساً على بعضهم وقد صارت الآن بناءً".

ع. السلام ابن سودة، *رفع الالتباس*، مرقون.

**الديوري، محمد** بن أحمد الفاسي ثم القنيطري ولد بفاس سنة 1314 / 1895 وبها تلقي تعليمه حتى حصل على شهادة الدروس الثانوية سنة 1918، وعين في نفس السنة أمينا للصندوق بالبنك "كريدي فونصيي"، ثم انتقل إلى مدينة القنيطرة سنة 1922 للأشتغال بالتجارة ولم تكد تصل سنة 1930 حتى أصبح من كبار تجار المدينة. وبموازاة مع نمو ثروته عرف وعيه الوطني كذلك نمواً سريعا، فانتقل إلى مقدمة الأحداث التاريخية بمدينة القنيطرة.

وأخذ يعد العدة للانخراط في النضال الوطني بعدما هيأ لذلك الظروف المادية وحتى الفكرية حيث إن زوجته المغربية الأصل والتي استغلت إقامة أسرتها بالسينغال للحصول على الجنسية الفرنسية الشيء الذي هيأ لها الظروف لإدارة جريدة بالفرنسية بإيعاز من زوجها محمد الديوري وكانت لسان الحركة الوطنية الناشئة.

ومنذ صدور الظهير البربري (16 ماي 1930) شرع محمد الديوري في نشر الوعي بين ساكنة القنيطرة متخذاً الزاوية التجانية مركزاً لعمله التنظيمي، وظهرت نتائج هذا العمل يوم 16 ماي 1933 بمناسبة الذكرى الثالثة لإعلان الظهير البربري، إذ دعا الديوري إلى تنظيم مظاهرة احتجاجية، انطلقت من رحاب الزاوية التيجانية، وبموازاة مع هذه المظاهرة التي عرفت إقبالا جماهيريا كبيراً، دعا محمد الديوري التجار والحرفيين لإغلاق الدكاكين فاستجابوا لندائه، بالرغم من تهديدات باشا المدينة وسلطات الحماية، ويمكن اعتبار 16 ماي 1933 تاريخ ميلاد الحركة الوطنية بمدينة القنيطرة بشكل عملي وعلني.

كان محمد الديوري من الأعضاء المشاركين في "كتلة العمل الوطني" وساهم في تحرير وتقديم المطالب الاصلاحية للإدارة الفرنسية سنة 1934. كما شارك في نفس السنة وفد مدينة القنيطرة الذي قدم عريضة احتجاج للمقيم العام وللسلطان، ضد تصرفات سلطات الحماية التي رفضت السماح ببناء مسجد بمدينة القنيطرة فلقيت العريضة صدى واسعا ونشر مضمونها يوم 5 أبريل 1934 في جريدة *"الحياة"* التي كانت يُصدرها بتطوان عبد الخالق الطريس.

واتجه الديوري كذلك إلى التعليم ـ وذلك لعلمه بدور حركة المدارس الحرة التي عرفت نهضة في مختلف المدن في نشر الوعي الوطني ـ ولهذا قام رفقة بعض تجار المدينة أمثال سيدي مشيش العلمي والجيلالي بناني ـ بإنشاء مدرسة أطلق عليها "مدرسة الوطنيين" أو مدرسة :سيدي يوشتي" نسبة إلى مديرها الأول أبي الشتاء الجامعي فساهمت هذه المدرسة على امتداد السنوات اللاحقة في تكوين جبل من الوطنيين، لعبوا دوراً طلائعيا في الحركة الوطنية بالمدينة وكان من أبرزهم السيد أحمد الدمناتي بوفلوس.

وتميزت سنة 1937 باشتداد الخناق على الحركة الوطنية بعد رفض الاستعمار للمطالب الاصلاحية والأحداث الدامية التي عرفتها مدينة مكناس على إثر تحويل مياه وادي بوفكران لصالح المعمرين. واقتداءً بجميع المدن المغربية دعا محمد الديوري في أواخر أكتوبر 1937 إلى مظاهرة كبرى انطلقت من رحاب الزاوية التيجانية بعد الاستماع إلى خطبة حماسية ألقاها محمد الديوري، فواجهتها سلطات الحماية بعنف وتم إغلاق مدرسة الوطنيين والزاوية التيجانية، كما تم اعتقال الوطنيين بالمدينة ومنهم محمد الديوري وأبو الشتاء الجامعي والفقيه محمد برادة وأحمد بندلة الإدريسي والجيلالي بناني والصديق المكنيسي بحيث بلغ عدد المعتقلين حوالي 72 معتقلا، حكم عليهم بالأعمال الشاقة، ونقلوا إلى الريش ثم إلى كلميمة. وعند خروج الديوري من السجن نُفي إلى مدينة الصويرة سنة 1939 ثم أطلق سراحه فيما بعد. وكان من الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944.

وفي سنة 1946 أشرف على تكوين مدرسة التقدم بالقنيطرة. لتقوم مقام مدرسة الوطنيين كما شجع تكوين الجمعيات الرياضية والكشفية لتأطير الشباب، بالإضافة إلى تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية لتقديم المساعدات للمحتاجين واليتامى.

وقد نفي محمد الديوري مرة أخرى إلى أيت أورير بضواحي مراكش وبقي هناك بعيداً عن أهله وأسرته حتى سنة 1953 حيث نقلت أخبار وفاته في ظروف غامضة وذلك يوم الثلاثاء 19 محرم1373 / 28 شتنبر 1953 ومنعت السلطات الفرنسية دفنه بالقنيطرة حيث توجد أسرته، فنقل إلى فاس وفيها دفن بمقبرة القباب خارج باب الفتوح.


ق. الزهيري، محمد الخامس الملك البطل، مطبعة أكدال، 1984 ؛ م. مشيش العلمي، القنيطرة ميلاد المدينة والحركة الوطنية، 1913 - 1937، دار البوكيلي للطبع والنشر، 1998 ؛ ح. بوعياد، *الحركة الوطنية والظهير البربري*، الدار البيضاء، 1979 ؛ *وثيقة المطالبة بالاستقلال* 11 يناير، 1944، *منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين*، وأعضاء جيش التحرير، 1996 ؛ ع. القادر بوراس، مداخلة في ندوة كلية الآداب والعلوم الانسانية بالقنيطرة حول الحركة الوطنية، أبريل، 1998 ؛ أ. الدمناتي بوفلوس، *محاضرة خلال اليوم الدراسي حول المقاومة جريدة القنطرة*، العدد، 14، 1996 ؛ أعمال الندوة ؛ القنيطرة في أفق سنة 2000، مطبعة دار البوكيلي، 1994.

C. A. Juline, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978.


عبد القادر بوراس

**ديوس** (Dyos) النهر يحدد بطليموس مصبه جنوب سلا وبالتالي فهو يطابق المجرى المائي الذي يصب ترب فضالة ويحمل اليوم اسم وادي المالح أو وادي القنطرة وما يثبت ذلك هي إشارة بطليموس إلى جزيرة باينا التي تمت مطابقتها بفضالة وإذا كانت الخرائط الحديثة لم تتحدث عن هذه الجزيرة قلأن مدينة فضالة (المحمدية) قد غطت اثارها وآثار الجزر المجاورة.

أن وادي المالح أو ديوس عند القدماء يصب في منطقة غمرتها مستنقعات وهي تشكل ربما ما تبقى من ميناء مغمور كان يوجد بين الفصبة وجزر فضالة.


Schmidt, *La plus ancienne carte géographique du Maroc* ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Tingitane*, Paris, 1978 ; Mc. Carthy, *R. A*, 1887.


عبد العزيز بلفايدة

**دِيُوسْدادو إي كاسْتيُو، خوصي** José Diosdado y Castillo أحد الديبلوماسيين الاسبانيين كان سنة 1871 وقبلها معيناً للقنصل الإسباني بطنجة مبري إي كولوم F. de P. Merry y Colom. وبعد عزل إيدواردوروميا يانگوس E. Roméa Yangos عن القنصلية العامة بطنجة حوالي 1878 عين ديوسدادو مكانه، ورقي بعد ذلك إلى رتبة وزير مقيم. ومكث في منصبه نحو العشر سنوات إلى أن عين سنة 1889 سفيراً بالسويد. غير أنه بعد سنتين طلب الإعفاء من منصبه بالسويد وطلب "الرجوع للخدمة بطنجة" حيث كانت له عرصة بها، فالتمس "الانعام عليه يُطريّف من مرسان ليكمل استواء جهة من عرصته. وهذا الطريف تافه الاضرر فيه على الطريق" حسبما جاء في رسالة

السلطان إلى الطريس سنة 1308 / 1891، وأذن السلطان له في ذلك إن لم يكن فيه ضرر على الطريق.

كانت سياسته معتدلة، وتولى منصبه في وقت كان المغرب وإسبانيا يبحثان عن التفاهم والوئام.

وقد خلفه سنة 1889 فرانسيكو رفائيل فيگيرة F.R. Figuera.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 2، ص. 552 ـ 554 ؛ وثائق مكتبة تطوان ؛ *الوثائق الملكية*.

مصطفى بوشعراء

**دِيّازْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Diaz وDiez ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 686.

محمد ابن عزوز حكيم

# ذ

**الذباب** ويسمى بالفرنسية Mouche وبالانجليزية Fly وفي المعاجم ذبابة، ويطلق عليه في أغلب مناطق المغرب العربي اسم "ذبانة"، وهي حيوانات من اللافقريات تصنف إلى طائفة الحشرات Insectes ورتبة مزدوجات الأجنحة أو ذوات الجناحين Diptera ومن فصيلة الذبابيات Muscidia التي تتكون من 31 جنسا و76 نوعا في المغرب. نذكر من بينها الأنواع الشائعة : Musca domestica وهي الذبابة الأهلية وMusca corvina, Musca sorbens, Musca vitripennis, Musca stabulans.

وتشمل الذباب أيضاً عدة فصيلات من الحشرات المزدوجات الجناحين نذكر من بينها Musidoridae, Oestridae, Dixidae, Cecidomyidae, Drosophilidae الجناحان الأماميان عند الذباب مكونان من غشاء رقيق وشفاف تتخلله خطوط يعتمد عليها في تصنيف الأنواع. الجناحان الخلفيان تحولا إلى عضو التوازن Balancier. يتشكل الهيكل الخارجي لأنواع الذباب أشكالا وأحجاما عديدة كما أن الألوان تختلف من نوع لآخر فنجد منها الأسود والأخضر والأزرق والأبيض وغير ذلك.

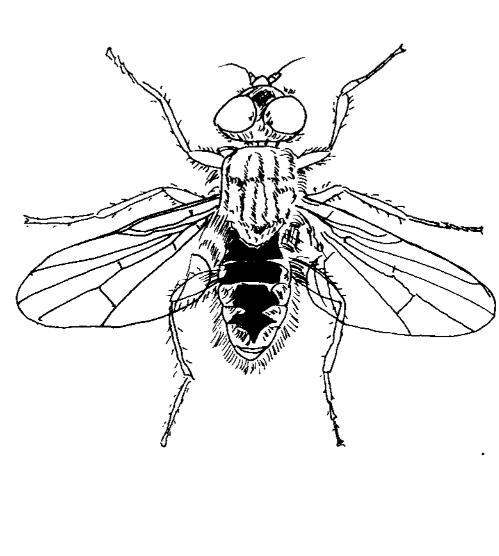

لا يتعدى طول الذبابة 0.5 سنتمتر والجسم خفيف غاية الخفة حيث إن ألف ذبابة تزن حوالي 20 غراما. وللذبابة ثلاث زوجات من الأرجل ذات مفاصل تخرج من أسفل الصدر، وبكل رجل مخلبان ووسادتان تفرزان سائلا لزجا. يساعد الذبابة على التعلق وعلى المشي بأي سطح كان. فهي تمشي على الأرض وتمشي على زجاج النوافذ وعلى الجدران وظهرها رأسي، وتمشي على السقف وظهرها إلى أسفل.

فم الذبابة من الصنف اللاعق الماص وتتكون أعضاؤه من خرطوم إسفنجي قصير. تتنقل الذبابة بسرعة وتحط باستمرار على جثث الحيوانات وفضلاتها وعلى الأزبال والقاذورات فتشحن على شعيراتها كمية كبيرة من الجراثيم والميكروبات ثم تحط على وجه الانسان وعلى أغذيته كاللحم والحليب والسكر والخبز وغيرها مما ينتج عنه نقل أمراض عديدة كالرمد والإسهال والتفوئيد وغيرها. يمتص ويلعق الذباب المواد السائلة الناتجة عن تفسخ المواد الغذائية وتحللها، فإذا صادف طعاما صلبا صب عليه من ريقه فيذوب وبعد ذلك يمتصه. وذبابة المنزل لا تعض إذ ليس في فمها شيء متهيئ لهذا.

للذبابة عينان كبيرتان تملآن الرأس، وهما من النوع المركب تشتملان على عدسات كثيرة وبين هاتين العينين ثلاث أعين صغيرة. كما أن الجسم ينقسم إلى رأس وصدر وبطن. تكسو الجسم شعيرات عديدة لا ترى بالعين المجردة. كثيراً ما تجمع هذه الشعيرات كمية كبيرة من الجراثيم والميكروبات مصدرها البيئات القذرة وفضلات الإنسان والحيوان.

يختفي الذباب شتاء وكلما برد الجو ولا يبقى منه إلا القليل، ينام نومة الشتاء فإذا ما حل الصيف استيقظ ليتم دورته الحيوية. يتوالد الذباب طوال فصل الصيف ويضع البيض في الأماكن الرطبة وهو بيض في شكل بذور

القمح. تبيض الأنثى في المرة الواحدة حوالي 150 بيضة وقد يبلغ عدد البيض خلال شهر واحد 2000 بيضة للأنثى الواحدة. يتم تفقيس البيض بعد عشرين ساعة من وضعه تخرج منه الدودة التي تتغذى على القاذورات طوال خمسة أيام ثم تتحول إلى عروس تمتنع عن الأكل لمدة خمسة أيام أخرى، وبعد ذلك تتحول إلى ذبابة كاملة بالغة تبيض بدورها بعد أسبوعين وتعمر حوالي شهرين.

الذبابة الأهلية أو البيتية تسمى علميا Musca domestica وتسمى بالانجليزية Housefly وهي منتشرة في مختلف مناطق العالم وخاصة منها المناطق الحارة والمعتدلة الحرارة.

الذبابة السوداء أو ذبابة الحبوب تسمى علميا Phorbia securis شائعة في المناطق الزراعية. تضع الإناث بويضاتها على جذور نبتات القمح والشعير والخرطال وتعيش اليرقانات بداخل سيقان هذه النباتات مما يجعلها تخلف أضراراً بالمنتجات الفلاحية.

ذبابة الثمار أو ذبابة الزيتون Dacus oleae هي ذبابة تتطفل يرقاناتها على عدة أنواع من الأشجار المثمرة وخاصة منها ثمار الزيتون. ولهذه الذبابة ثلاثة أجيال في السنة، اثنان يعيشان على ثمار الزيتون قبل نضجها، بينما يعيش الجيل الثالث بداخل الثمار السوداء الناضجة. وهذا النوع من الذباب شائع في مناطق الحوز وبني ملال وسهول الغرب وسايس وسهول تريفة وغيرها من المناطق المشجرة بالزيتون، كما أنها شائعة أيضاً في مناطق حوض البحر المتوسط. تخلف هذه الذبابة خسائر فادحة في منتجات ثمار الزيتون مما يجعل المزارعين يستعملون عدة مواد سامة لمحاربتها.


الأمير مصطفى الشهابي، معجم *الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة،1988 ؛ أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

A. Maarouf et M. Ramdani, *Sur la mouche noire des céréales au Maroc : Phorbia securis Tiensuu (Diptera Anthomyiidae)*, *L'Entomologiste* (14).


محمد خربوعة ومحمد رمضاني

**الذُّرَة** (نبات –) بالعربية أو الدْرَى بالعامية المغربية هو نبات زيامايسُ Zea maïs الذي ينتمي إلى فصيلة النجيليات Graminae أو Poaceae.

إنه نبات حولي حشيشي لكنه يعتبر أكبر الحبوب النجيلية إذ يتراوح ارتفاعه ما بين متر واحد وأربعة أمتار. ساقه مقسم إلى عُقد. أوراقه كبيرة وذات حواف متموجة. أزهاره ثنائية المسكن : المذكرة على شكل عثكول يوجد بأعلى الساق، الأنثوية تصادف على القولحة أو الكوز وتحميها الأوراق في مستوى سفلي على الساق. لكل مبيض قلم زغبي طويل وحريري، تكون في مجموعها شرابة حريرية ناعمة، تيبس بعد نضج القولحة.

إن الموطن الأصلي للذرة هي الأراضي المنخفضة الحارة من جنوب أمريكا. ومنها انتشرت إلى الشمال والجنوب. عرفت زراعتها قبل عهد الآنكا في بيرو، وتطورت في عهد المايا والأستك. وزرعت من طرف الهنود في جنوب الولايات المتحدة في حدودها الحالية منذ ألفي سنة قبل الميلاد. وقبل أن تنتقل الذرة إلى العالم القديم من طرف الأوربيين بعد اكتشافهم لأمريكا كانت زراعتها قد امتدت امتداداً كبيراً ما بين البحيرات العظمى ووادي سانت لوران شمالا، والشيلي والأرجنتين جنوبا.

وقد انتشرت الذرة حاليا في جميع أنحاء العالم. واستنبطت أصناف عديدة لا يوجد منها بالمغرب إلا العدد القليل.

تزرع الذّرة في المغرب بورية في المناطق البيومناخية الرطبة جداً والرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة، ومسقية في البيومناخات أكثر جفافا أو في السنوات القليلة الأمطار. وأفضل تربة هي الخصبة الهشة. الطميية، جيدة الصرف كالتربة الترسية والحمرية المصادفة بالسهول والهضاب المغربية، حيث تطورت زراعة الذرة بفضل التقنيات الحديثة كالأذرعة المحورية المستعملة للري من طرف بعض الفلاحين في الشاوية والحوز حيث يبلغ إنتاج بعضهم 80 قنطاراً من حبوب الذرة في الهكتار الواحد.

أهم استعمالات الذرة بالمغرب هي استخدامها كغذاء للحيوانات المستأنسة مثل الخيول والأبقار والأغنام والدواجن. كما يستعمل النبات كذلك كعلف أخضر أو جافّاً أو مكموراً.

أما استعمالها كغذاء للإنسان في المغرب فهو ينحصر في شوي القولحة (أو الكبال بالعامية المغربية) التي يتم تمليحها بماء مالح قبل تناول حبوبها المشوية. وقد انتشرت هذه الظاهرة في السنوات الأخيرة إذ غزت الأسواق والشوارع وبعض المحاور الطرقية.

كما تستعمل كميات قليلة نسبيا من ذرة الفشار لصنع البُوبْ كُورْن Pop corn الذي يستهلكه الإنسان في منزله أو في الحدائق والمنتزهات والشوارع.

والجدير بالذكر أن الذرة لا تستعمل في المغرب لصناعة الخبز إلا استثنائيا لأن هذا الخبز سهل التفتت جداً وذلك نظراً لغياب الگلوتين.


*أبحاث شخصية* ؛ ألبرت هيل : *النبات الاقتصادي*، 1962 تر. د. ع زاهر وآخرين، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.


عبد المالك بنعبيد

* * زراعة الذرة قديمة بآلاف السنين. يرجع أصلها لجهات ما بين المكسيك والأراضي العالية في البيرو وبوليفيا. وقد دخلت إسبانيا عبر رحلات كريستوبال كولوب في 1519 وانتشرت في مجالات واسعة من أوربا وشمال إفريقيا، حيث وصلت المغرب في أواخر القرن السادس عشر.

تحتل الذرة المرتبة الثالثة من ضمن أهم الحبوب في العالم بعد القمح والأرز. وهي كذلك بالمغرب في الترتيب الثالث بعد القمح والشعير، بحوالي 350.000 هكتار، تتوزع خاصة بالأقاليم شبه الجافة على الشكل التالي :

**جدول الأراضي المنزرعة بالذرة (بآلاف الهكتار)**

| منطقة / سنة | 95 ـ 1994 | 96 ـ 1995 | 97 ـ 1996 | 98 ـ 1997 | 99 ـ 1998 |
|---|---|---|---|---|---|
| مُلائمة | 35.4 | 20.5 | 25.9 | 21.9 | 24.2 |
| متوسطة | 186.6 | 98.7 | 149.6 | 119.0 | 140.1 |
| ضعيفة ـ جنوبية | 153.7 | 120.5 | 154.3 | 158.9 | 162.9 |
| ضعيفة ـ شرقية | 1.3 | 1.5 | 2.7 | 1.4 | 0.9 |
| جبلية | 2.5 | 3.2 | 0.6 | 1.5 | 0.4 |
| صحراوية | 7.9 | 9.1 | 7.8 | 5.7 | 0.5 |
| المجموع | 387.4 | 253.5 | 340.9 | 309.4 | 331.0 |

وقد حصل تراجع بالأراضي المنزرعة بالذرة مقارنة بسنة 1979 حيث بلغت المساحة الإجمالية 461.000 هكتار.

معدل المردودية ضعيف جداً، يتراوح بين 1.3 و11 قنطار/ هكتار. وتعود التفاوتات الكبيرة أساساً إلى الخصاص المائي، واستعمال الأصناف المحلية وضعف مستوى التقنيات الزراعية الرائجة.

الإنتاج كما هو الشأن في 1977 و2000.

يقتضي الرفعُ من مردودية الذرة التحكم في التقنيات الزراعية في أراضي البور وتحت السقي على السواء مع استعمال أصناف أكثر إنتاجا.

1 ـ موقع الذرة من التناوب الزراعي.

تصلح الذرة لأن تكون سابقا مقبولا للعديد من الزراعات. فهي من أجود السوابق للقمح والبرسيم والشمندر. لكن تكرارها مرة بعد أخرى كزراعة أحادية غير مقبول، إلا إذا كان بالذرة العلفية بعد الذرة الحبية.

ومن نماذج الدورات تحت السقي :

في الدورة الثلاثية : البرسيم ـ الذرة ـ القمح ؛ الشمندر ـ الذرة ـ القمح ؛ الذرة العلفية ـ القطن ـ القمح.

وفي الدورة الرباعية : الشمندر ـ القمح ـ القطن ـ الذرة.

2 ـ تحضير التربة وتطهيرها.

تأتي الذرة في أتربة سليمة، عميقة، طرية وغنية بمواد التخصيب.

2 ـ 1 ـ التحضير. يوفر الإعداد الجيد للتربة المواصفات التالية :

- تخزين أقصى للمياه،
- نمو جيد لنظام الجذور،
- اتصال أفضل بين البذرة والتربة.

**جدول مردودية (قنطار / هكتار وإنتاج الذرة (ألف قنطار)**

| منطقة / سنة | 95 ـ 1994 | | 96 ـ 1995 | | 97 ـ 1996 | | 98 ـ 1997 | | 999 ـ 1998 | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | مردود | إنتاج | مردود | إنتاج | مردود | إنتاج | مردود | إنتاج | مردود | إنتاج |
| مُلائمة | 1.7 | 60.6 | 8.6 | 177.2 | 10.5 | 271.6 | 10.2 | 223.0 | 7.3 | 176.5 |
| متوسطة | 0.9 | 189.6 | 11.1 | 1092.3 | 13.1 | 1980.5 | 6.4 | 765.4 | 4.9 | 688.5 |
| ضعيفة ـ جنوبية | 0.9 | 145.5 | 7.5 | 903.9 | 9.0 | 1392.2 | 5.6 | 895.4 | 2.8 | 400.4 |
| ضعيفة ـ شرقية | 7.8 | 10.2 | 10.3 | 15.5 | 10.3 | 27.7 | - | - | - | - |
| جبلية | 9.3 | 23.3 | 10.4 | 33.1 | 10.5 | 5.3 | 19.5 | 29.4 | 4.0 | 1.6 |
| صحراوية | 12.1 | 95.7 | 14.2 | 128.8 | 11.0 | 96.1 | 13.7 | 78.2 | 11.8 | 29.6 |
| المجموع | 1.3 | 504.9 | 9.3 | 2350.8 | 11.0 | 3744.3 | 6.5 | 2005.2 | 4.1 | 1363.8 |

الإنتاج الوطني متفاوت جداً، بين 05 و37 مليون قنطار. وهو مخصص أساسا للاستهلاك الداخلي. لكن الحاجيات في تغذية الماشية مستمرة التزايد حيث مرت من 35.000 قنطار سنة 1971 إلى 1.290.000 قنطار في 1979. أما صناعات الذرة ومشتقاتها فإنها تجد صعوبات في التزود.

لذا فقد تحول المغرب من مُصدِّر للذرة إلى مستورد لها مع تزايد في حدة النقص يستفحل في سنوات ضعف

على العموم، يمكن الحصول على بيئة زرع مواتية بواسطة الحرث العميق خلال فصل الشتاء أو مباشرة قبل البذر المتبوع بعملية أو عمليتين للقلب وحركة تمشيط للأرض

في حالة الزرع العابر للذرة، بعد القمح مثلا، يُطلب شحب الأرض قبل الحرث.

2 ـ 2 ـ التطهير. لأجل الوقاية من اعتداءات الديدان الرمادية والسلكية ويرقات الظلاميات يكون لزاما معالجة

التربة بواسطة الألدين بمقدار كيلو غرام واحد في الهكتار قرابة شهر قبل البذر.

3 ـ التخصيب. تخصيب الأرض أمر ضروري من أجل الحصول على نمو عادي للذرة لأنها شديدة الطلب للمواد المغذية. ويأخذ التخصيب في الاعتبار :

- الصنف
- السابق الزراعي
- النظام الزراعي بين البور والمسقي
- المردودية المتوقعة

في حال الأتربة التي تعاني من خصاص في الضروريات، يكون من الضروري تقديم تسميد التصحيح للرفع من المردودية. يُطْمَر مع الحرث السماد العضوي إذا أمكن والسماد الفوسفاطي البوطاسي، أخذا في الاعتبار المقاييس التالية :

ـ التسميد العضوي : 20 إلى 30 طن / هكتار في الأتربة الرملية. 10 إلى 20 طن / هكتار في الأتربة الثقيلة.

4 ـ اختيار الصنف. يتماشى اختيار الصنف مع نوع الزراعة بين بورية ومسقية، وتاريخ البذر وطبيعة المنطقة. يقترح المعهد الوطني للبحث الزراعي الوصفة التالية :

- في البور الضعيف : الأصناف المبكرة جداً
- في البور الملائم : هجائن مبكرة جداً
- في المسقي، نُصادف حالتين :

. بذر مارس : هجائن مبكرة، نصف مبكرة ومتأخرة.

. بذر الخلسة : هجائن مبكرة جداً.

5 ـ كثافة الإعمار

ترتبط الكثافة بالصنف ونوع الزراعة.

. الصنف : (مراجعة الجدول اللاحق) ويلزم بذر الأصناف المتأخرة بكثافة أقل من المبكرة بسبب أهمية نموها النبّوتي.

. النوع الزراعي : في البور، حيث يُشكل الماء أهم الإكراهات، يُنصح استعمال الأصناف المبكرة المقاومة للجفاف.

**جدول التسميد المعدني المنصوح به**

| منطقة | أزوط بالوحدة / هكتار | $P_2O_5$ بالوحدة / هكتار | $K_2O$ بالوحدة / هكتار |
|---|---|---|---|
| شبه جافة : 250 ـ 400 مم | 20 إلى 40 عند البذر | 0 إلى 40 | 0 إلى 30 |
| بور مناسب : أكثر من 400 مم | 40 إلى 80 | 40 إلى 60 | 30 إلى 50 |
| مسقية | 100 إلى 150 (100 للذرة الباكرة و150 للذرة المتأخرة) | 60 إلى 80 | 60 إلى 80 |

ـ التسميد المعدني : تقترح تجارب البحث الزراعي الصيغ التالية :

يُقدم الآزوط عند البذر في صيغة سُلفات الأمونياك وعند التغطية في شكل الأمور نترات أو الأوريا. وبالطبع كلما زاد استعمال السماد العضوي أمكن تقليل جرعات التسميد المعدني بالتناسب.

يتم تقديم الأزوط على مراحل، وتكون المعالجة في الأراضي المسقية ذات التربة الرملية على النمط التالي :

- 1/3 عند البذر
- 1/3 في مرحلة 6 إلى 7 أوراق
- 1/3 قُبيل الإزهار

وفي الأتربة الثقيلة (دكالة، الغرب وتادلا)، يأتي تقديم الأزوط مجزءاً بين 1/3 عند البذر و2/3 في مرحلة 7 إلى 8 أوراق.

**جدول الإعمار حسب الانفراج والتباعد**

| هجائن | زراعة بورية (ساق / هكتار) | زراعة مسقية (ساق / هكتار) |
|---|---|---|
| مبكرة | 32 إلى 45.000 | 60 إلى 70.000 |
| نصف مبكرة | 37 إلى 35.000 | 50 إلى 60.000 |
| متأخرة | 30 إلى 35.000 | 45 إلى 50.000 |

وقد سبق تجريب وتطبيق هذه الكثافات من طرف المحطة المركزية للحبوب الربيعية للمعهد الوطني للبحث الزراعي بالمغرب.

6 ـ البذر

1.6 ـ فترة البذر

ـ في البور، ومن أجل الاستفادة الكاملة من الذخيرة المائية للتربة واتقاء رياح الشرقي، وجب البذر المبكر شريطة أن لا يزيد معدل حرارة التربة على 8 درجات.

ـ في المسقي، بالنسبة لمزروعات الربيع، يكون الأولى هو اعتماد البذر المبكر اتقاء لهجمات السمسمية من الجيل الثالث وبخاصة تحسبا للشرقي.

تختلف فترات البذر المقترحة من منطقة إلي أخرى :

. دكالة وسوس ماسة : بداية فبراير.

. تادلاو الغرب وملوية : بداية مارس.

ـ في زراعة الخلسة، وبالنسبة للذرة العلفية، وجب التبكير بالبذر ما أمكن، بمجرد الانتهاء من إعداد التربة.

وبالنسبة للذرة الحبية، يلزم استيفاء شرطين للحصول على إنتاج مناسب وحبات تتوفر على نسبة رطوبة مقبولة. الأول، تقصير الوقت الفاصل ما أمكن بين نهاية الزراعة السابقة وزراعة الخلسة. والثاني، اختيار صنف مبكر جداً.

2.6 ـ عمق البذر.

على العموم، تودع الحبات في عمق يتراوح بين 3 و5 سنتمترات، ويزيد العمق إلى 5 أو 6 سنتم في التربة الرملية الخفيفة. مع الإشارة إلى أنه بقدر التبكير بالبذر حيث تكون التربة ما زالت باردة، بقدر ما يكون عمق البذر ضحلاً.

3.6 ـ جرعة البذر

يكون مقدار البذور الكافية للهكتار متناسبا مع كثافة الإعمار المرغوب فيها، بوزن 1000 حبة.ويوخذ في الاعتبار عند احتساب المقادير النسبة المائوية للإنبات والكفاءة التفريخية للبذور ـ لذا، وجب في الغالب تضخيم الكثافة المرغوب فيها بنسبة 25 إلى 30٪.

مثال هجين مبكر

من زراعية بورية، كثافة الإعمار المطلوبة منه 35.000 شتلة في الهكتار. وترد الألف حبة هو 300غ. يناسب تضخيم العدد النظري بـ 25 إلى 30٪ :000 35 + (000 35 × 30) / 1000 =45 000.

مقدار البذور اللازمة للهكتار : (000 45 ×300 ) / 1000 =650 13غ، أي قرابة 14 كلغ / الهكتار.

4.6 ـ طريقة البذر.

يكون البذر خطيا، وينجز باليد أو بالمبذر، بصفة مسطحة أو على جُذيرات. ويتحقق البذر بتحديد الانفراج بين الخطوط الذي يمكن أن يكون من فئات 60، 70 أو80 سم حسب الأدوات المستعملة للبذر أو لإزالة الأعشاب.

**جدول الإعمار حسب الانفراج والتباعد**

| الانفراج بين الشتائل على الخط (سم) | الانفراج بين الخطوط (سم) | | | |
|---|---|---|---|---|
| | 100سم | 80 سم | 70 سم | 60سم |
| | كثافة | الإعمار في الهكتار بالآلاف | | |
| 10 | 100.0 | 125.0 | 142.9 | 166.7 |
| 15 | 66.7 | 83.3 | 85.2 | 111.1 |
| 20 | 50.0 | 62.5 | 71.4 | 83.3 |
| 25 | 40.0 | 50.5 | 57.1 | 66.7 |
| 30 | 33.3 | 41.7 | 57.6 | 55.5 |
| 35 | 28.0 | 35.7 | 40.8 | 47.7 |
| 40 | 25.0 | 31.2 | 35.7 | 41.7 |

ملاحظة : إذا حصل البذر على الأرض المسطحة، يكون من باب الحيطة الحسنة إجراء الدحرجة عليها بُعيد البذر حيث إن اندكاك التربة يوفر الاتصال الجيد بين الحبة والتربة ويوفر إنباتا متجانسا.

لكن إن كانت التربة رطبة، بليلة، فلا حاجة إذن للتحديل بالدحرجة، بل ولربما أصبحت ضارة.

أما في حال البذر على الجديرات، فإن البذور توضع إلي الثلث من جانب الجدير، مباشرة إلى الأعلى من مستوى السقي، ذلك أن التصاعد الشعري للماء يتولى توفير الرطوبة للبذور.

7 ـ السقي

تتفاوتُ حاجيات الذرة من الماء حسب مراحل الدورة الإنباتية. فهي ضعيفة من بداية الإنبات إلى مرحلة 6 أو7 أوراق (اليومْ الخمسين)، ثم تصبح مهمة بوتيرة متسارعة من مرحلة 6 أو 7 أوراق إلى المرحلة العجينية للحبة. فأي نقص أو خصاص في التزويد المائي بهذه المرحلة الحرجة يمكن أن يسبب هبوطاً في المردودية يصل إلى 60٪ أو يتعداها.

1.7 ـ وتيرة السقي

يكون السقي على رأس كل عشرة أيام من مرحلة 6 أو 7 أوراق إلى الإزهار، ثم يصبح الإيقاع كل ستة أيام من الإزهار حتى المرحلة العجينية للحبة.

2.7 ـ احتياطات نافعة

إذا كان المتوفر المائي محدوداً، فمن الأولى تركيز الريات في فترة 10 إلى 15 يوماً قبل الإزهار ومثلها بعد الإزهار.

أما إذا صادف الشرقي فترة الإزهار ذاتها، أصبح من الضروري إذ ذاك تغزير السقي تجنبا لإتلاف الزهور.

8 ـ إبادة الأعشاب

من الضرورة تحطيم الأعشاب الضارة لأن للذرة حساسية كبيرة إزاءها. وتتم هذه الإبادة إما آلياً كلما دعت الحاجة إلى ذلك، أو بواسطة المبيدات الكيماوية.

9 ـ مكافحة عوامل التخريب

أخطر أعداء الذرة : السمسمية والسُّواد.

السمسمية (Sesamiea monagrioïdes lef.). عندما تبلغ الذرة ست أوراق تقريبا، تُلاحظ على حواشي الأوراق تقوب أحدثتها اليساريع الفتية. بعد ذلك بحين، تظهر أروقة وتجويفات بالساق والسنبلة يمكن العثور بداخلها على اليساريع الوردية الفاتحة، والبراز والنّغفات ونفاياتها.

تعتبر السمسمية عامل تخريب شائع في مجموع البلاد، يمكن أن تتسبب في حالات الاعتداءات القوية على الذرة الفتية في إتلافات كاسحة يمكن أن تأتي على نسبة من المحصول تتراوح بين 50 و100٪.

يجتاز هذا النوع فترة الإشتاء في وضعه اليرقاني ضمن الحبوب الشتوية وقصب السكر والنجيليات البرية. وتعرض دورته الإحيائية التي تقررت أخيراً (1972 ـ 1978) أربعة

أجيال متراكبة في السنة، بإضافة خامس ممكن بإقليم الحوز.

في الغرب، تتوالى انطلاقات البالغين كما يلي :

الانطلاق الأول : بداية فبراير ـ نهاية مارس

الانطلاق الثاني : منتصف ماي ـ منتصف يونيو

الانطلاق الثالث : منتصف يوليوز ـ بداية غشت

الانطلاق الرابع : بداية شتنبر ـ بداية أكتوبر

في الحوز، تكون المتوالية على الشكل التالي :

الانطلاق الأول : منتصف فبراير ـ منتصف مارس

الانطلاق الثاني : في يونيو

الانطلاق الثالث : نهاية يوليوز ـ منتصف غشت

الانطلاق الرابع : نهاية شتنبر ـ بداية أكتوبر

10 ـ الأصناف المحلية

وهي ضروب تحمل عادة اسم الجهة أو الموقع الذي تزرع فيه جل حباتها من النوع القرني الأصفر. هناك ضروب حباتها قرنية بيضاء، وأخرى حباتها مسننة بيضاء أو صفراء.

من مميزاتها حسن تكيفها مع الظروف المناخية، وكفاءتها في مقاومة الطفيليات. لكنها في الغالب تخشى الضجعان وتوفر منتجات محدودة.

هناك ملاحظة هامة يجب الوقوف عندها، مُفادُها عدم التوافق بالضرورة بين الإنتاج المحلي والمردودية، ذلك أن المردودية لا تعبّر عن الطاقة الكلية للإنتاج إلا في الظروف الزراعية المثلى. وقد دلت تجاربنا على أن مردودية الضروب المحلية يمكن أن تتضاعف مرتين أو ثلاثاً إذا ما تحسنت الظروف الزراعية وبالتالي، فإن بالإمكان الجزم بأن أصنافنا المحلية تعاني من سوء الاستغلال وان المجهود كل المجهود الذي نحتاج إلى بذله على الصعيد الوطني هو قبل كل شيء تحسين التقنيات الزراعية وتعميم استعمال الأسمدة.

11 ـ هجائن الذرة

يمثل هجين الذرة نهاية المطاف بالنسبة لجهود طويلة المدى في الانتخاب والتحسين. وهو يتميز بتجانسه الكبير وبقدرته الإنتاجية العالية، لكنها لا تعطي كل إمكاناتها إلا داخل مجالها الزراعي وحين توفير قيادة زراعية جيدة.

11 ـ 1 ـ الهجائن البسيطة : وهي حصيلة سلالتين، إحداهما مستعملة كأصل أنثوي والأخرى كأصل ذكر. مثال DRA ـ 350:.

11 ـ 2 ـ هجين طوب ـ كروس (tob - cross) : حصيلة هجين بسيط مستعمل كأصل أنثوي. وضرب محلي مستعمل كأصل ذكر مثال : 21 × t:

11 ـ 3 ـ هجين ثلاثة مسالك : حصيلة هجين بسيط كأصل أنثوي وسلالة كأصل ذكر. مثال : DRA . 560.

11 ـ 4 ـ هجين مثنى : مكون ابتداء من هجينين بسيطين مثال : DRA . 400.

بالنسبة لوسط معلوم، الهجين البسيط هو الذي يوفر أفضل مردودية. لكن ثمن هذا النوع من الهجائن يفرض الالتجاء إلى الهجائن الأخرى لأن إنتاج البذور منها أسهل وبالتالي أرخص، ولأن مجال تكيفها أوسع شيئاً ما منه في الهجين البسيط.

12 ـ البذور.

في ما يخص الضروب المحلية، يمكن للفلاح أن يخصص للبذر حبات أفضل السنابل من المحصول. وقد استطاع البحث الزراعي أن يضبط تركيب ضروب تأليفية. يمكن اعتبار هذه الضروب ذات البذور المناسبة الأثمان كتحسين أولي للأصناف المحلية.

أما بالنسبة لهجائن الذرة، فإن شراء بذور الهجائن إلزامي كل سنة كشرط للحصول على الهجائن.

*بحث ميداني.*

أحمد بوعزيز

## الذرة ← الطاقة النووية

**الذهب**، معدن ثمين وأصل الكلمة لاتيني (أوروم) ؛ وزنه الذري 197.2، نظامه البلوري مكعب، صلابته 2.5 ـ 3، كثافته 15.5 19.3، رمزه الكيميائي $A_4$ ؛ أصفر إلى أصفر مائل للبياض عندما يكون ملوثا بالفضة، ويسمى هذا الفلز إليكتروم إذا ما كانت كمية الفضة تتجاوز 20٪. قليلاً ما نجد الذهب الخاص على شكل مكعب، ولكن غالبا ما يكون إما على شكل إشباعات أو شذور أو تبرات الذهب.

من بين خصائص الذهب الطروقية، اللدانة، قابليته الجيدة لتوصيل الكهرباء، كونه لا يصدأ (لا يؤكسد) ولا يتبدل في الأحوال العادية. رغم كثافته، فإن الذهب سهل الانكسار ؛ ولهذا السبب ومن أجل إمكانية إستعمال الذهب في الحياة العادية كنقود، أو من أجل الزينة فلابُد من خلطه بمعادن أخرى أكثر صلابة كالنحاس والفضة، والبلاتين، والنيكل. يستخدم الذهب في الصياغة كعملة للأبناك كما يستخدم في الطب والحفر.

نجد الذهب في الأركز المروتية الحرمائية المرتبطة بكتل الصخور الصهارية (الا عبل الكرانوديوريت والديوريت) ؛ وكذلك في الصخور الرسوبية الفتاتية، وبعض مناطق الغرين (الرواسب السطحية) والتي يفرز بها الذهب عن باقي المعادن. تحت عملية القرض الجوي خلال الجرف والنقل، ليؤدي به هذا إلى التجمع.

بالمغرب يتجمع الذهب إلى الفضة، والبيريت، والكالكوبيريت والبلاند والجالينا، والارسينيو بيريت، والنحاس الرمادي، في المناطق الآتية :

+ شمال الأطلس الصغير (سيروا، شرق جبل صغرو، وأوگنات) : تتكون هذه المنطقة من قاعدة تنتمي إلى الحقبة الزمنية المنتمية لما قبل الكمبري الأول والثاني ؛ ومن غلاف ينتمي إلى حقبة لما قبل الكمبري الثالث. ونجد في هذه المنطقة مكامن تيويت وجمعة النوحولزي. تتراوح نسبة الذهب في العروق المحصورة في صخور الكرانيت التابع لعهد ما قبل الكمبري العلوي ما بين 10 و20 جراما للطن.

+ في بوازر، الموجود على بعد 80 كلم جنوب مدينة ورزازات بالأطلس الصغير ؛ يظهر الذهب في حالة تشرب في صخور الديوريت، أو في الشوائب المعدنية من المرو، والكربونات (تمعدن عادي من الكوبالت والنيكل) حيث استخرج 50 طنا منذ بداية استغلال المكمن.

+ منطقة مولاي بوعزة (المغرب الأوسط الهرسيني) جوار كتلة أعبل مولاي بوعزة، في صخور الشيست الجوتلاندي.

+ سفح إغرام لما قبل الكمبري يقع على بعد 130 كلم شرق أكادير ويشتمل على مركزات التبر، المحتوية على حبات ذهب (0,2 إلى 157 جزءاً في المليون من الذهب).

+ سفح عقا لما قبل الكمبري : ويقع هذا الأخير على بعد 260 كلم من أكادير. ومن بين البنيات المعيرة (عروق المرو، مناطق السحق والمناطق الصوانية) أبانت بعضها عن محتويات تصل إلى 13 غراما من الذهب للطن.

+ سفح كردوس لما قبل الكمبري المكون من قاعدة تنتسب إلى البروتيروزوي السفلي المكون من الكرانيت، الميجماتين، النضيد الميكائي ونسق طيني حصبي. وتعلو هذه القاعدة ويتنافر كوارتزيت البروتيروزويك الأوسط، وبعده الصخور البركانية فتاتي للبروتيروزويك العلوي الأخير. ويقطع الكل بأعابيل دخيلة تحقشرية. إن أشهر منطقة متمعدنة في سفح كردوس هي تيبوت، حيث نجد فيها الذهب في مستويات محببة مسلكتة داخل مركبات طبقية نضيدية.

+ سفح تزكا : يوجد هذا الأخير على بعد 45 كلم جنوب غرب مدينة تازا. ويكون سفح تزكا من قاعدة الأودوفيسي ونضيدية بنفسجية إلى خضراء داكنة، يقطعها اعبولان إندساسيان (تزكا وولجمة) ذات حلقات تحولية.

*بحث ميداني.*

عبد الله بوصحابة

**الذهب** (سقاية -) بمكناس. أنشأ المولى إسماعيل هذه السقاية على قنطرة دردورة سنة 1101 / 1690، واهتم بها على حد قول ابن زيدان اهتماماً زائداً حتى حبس عليها عدة أوقاف من رباع وعقار (حوالة 4، ص 214) لإصلاح الماء المجلوب لها واقتفى أثره في التحبيس عليها غير واحد من أنجاله وكبار ولاته.

ع. الرحمن، ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج1، ص. 158 - 159 - 162 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 345 ؛ *حوالة الأحباس الصغرى*، رقم 4، ص. 214.

رقية بلمقدم

**الذهبي، أحمد** بن **إسماعيل** بن الشريف العلوي. لقب بذلك بسبب بسط يده بالعطاء، وكرمه الزائد عن الحد. ويذهب القادري إلى أنه لقب بالذهبي على لقب أحمد المنصور السعدي، كنيته أبو العباس. (نشر المثاني، 3 : 293). وهو ليس أكبر أبناء السلطان المولى إسماعيل، كما زعم الأمير الإسباني خوصي دوليون (Ch. De la Veronne, 15)، ليبرر بذلك ولايته بعد وفاة والده.

أمه هي عائشة مباركة الرحمانية البربوشية، المرأة التي كان لها نفوذ كبير داخل البلاط الإسماعيلي حتى إن المصادر الأجنبية تدعوها السلطانة زيدانة (م. س : 5).

لا نعرف شيئاً عن مستواه العلمي، لكن يظهر أن بضاعته كانت مزجاة، على عكس أخيه محمد العالم، مثلا والرسائل الموقعة بيده تدل على ذلك. فهي موجزة جداً، تتخلل أسلوبها العامية، ولغتها ساقطة (رسائل زاوية كرول). ولعل ذلك قد جاء انعكاسا لسلوكه، حيث اشتهر بالانحلال الخلقي والميل إلى اللهو والعكوف على الملذات.

ورغم ذلك فقد عينه والده واليا علي إقليم تادلا سنة 1111 / 1700 ؛ حين وزع أعمال المغرب على أولاده الكهال. فنزل بقصبة تادلا بمعية ثلاثة آلاف جندي. ودامت ولايته بها نحو عشرين سنة (*المنزع اللطيف* : 229). وإذا كانت المصادر لا تحدثنا عن سيرته في رعايا ذلك الإقليم، فمن الراجح أنه وجد المنطقة ممهدة نتيجة السياسة العسكرية المحكمة التي انتهجها والده هنالك. لذلك فمن الممكن أن يكون سكوت الإخباريين دليلا على الاستقرار الذي عرفته المنطقة في ذلك العهد.

كما أن أحمد الذهبي لم يكن يألو جهداً في مد أواصر العلاقات مع بعض الشخصيات ذات النفوذ هنالك. وتشهد بعض الوثائق على أنه عقد اتصالات مع الشيخ يوسف بن سعيد الحنصالي، فسعى من وراء تلك العلاقة إلى الحد من نزوح أيت عطا إلي السهل (*وثائق زاوية كرول*).

ولعل الاستقرار الذي نعم به إقليم تادلا في أثناء ولاية أحمد الذهبي، هوما جعل السلطان المولى إسماعيل يبقي عليه في تلك الولاية، في الوقت الذي عزل فيه مختلف أولاده عن الأعمال سنة 1130 / 1718 (*الترجمان* : 28). ويظهر أن الزياني قد ربط العلاقة بين الإبقاء على أحمد الذهبي في ولايته، دون سائر إخوته، وبين إسناد ولاية العهد إليه.

ورغم أن هذا المؤرخ يصر على أن المولى إسماعيل قد عهد بالخلافة لأحمد الذهبي ـ اعتماداً عما نقله عن السلطان سليمان ـ فإننا نستبعد هذا الأمر ؛ ذلك لأن معظم المصادر العربية تجزم بأنه ليس بوصي، وإنما هو صنيعة عبيد البخاري. كما يميل الأسير الانجليزي إلي القول بأن المولى إسماعيل لم يوص لأحد. فقد ذكر أن أحمد الذهبي انتقل إلى مكناس فور علمه بمرض والده. فاستقبله هذا الأخير ببرودة، وأمره بالاعتدال في إلحاحه. هنالك حاول إخفاء نواياه، وطمأن والده بأنه لا يرغب إلا في رؤيته. لكنه لم يكن صادقا فقد بذل كل ما في وسعه لتنحية منافسيه، وعمل على استقطاب عدد كبير من عبيد

البخاري، فأدخلهم ليلا إلى مكناس ليحتلوا بعض المواقع الحساسة في المدينة. واستمال الباشا مساهل الذي كان من كبار ضباط الجيش فتولى كبر ذلك (T. Pellow, 139).

وهكذا ما أن لفظ المولى إسماعيل آخر أنفاسه في يوم السبت 28 رجب 1139 / 21 مارس 1727 ؛ حتى قام الباشا مساهل بتسليم مفاتيح المدينة لأحمد الذهبي الذي هب على التو، لاحتلال دار المخزن (*البستان الظريف*، 189).

وبناء على ذلك يبدو من المستبعد أن يكون المولى إسماعيل قد عهد بالخلافة لأحمد الذهبي. نستوضح ذلك من خلال عدة قرائن نجملها فيما يلي :

أ ـ أن أحمد الذهبي كان ضعيف الشخصية، غارقا في شهواته، طافحا على الدوام، فكيف يرشحه والده لتولي أمور الناس مع علمه بأنه "لم يكن ينفع حتى نفسه لعدم صحوه" ؟ (*الإعلام*، 2 : 369).

ب ـ اتفاق كل المصادر العربية ـ باستثناء الزياني ـ والأعجمية على كون المولى إسماعيل لم يوص لأحد من أبنائه بولاية العهد.

ج ـ أن التناقض الذي وقع فيه پيللو لا يقلل من قيمة القرينة السابقة. فقد قرر أن أحمد الذهبي هو ولي العهد، ثم أشار بعد ذلك إلى أنه قد بادر إلى مطالبة والده ـ وبإلحاح شديد ـ بالعهد إليه. ومن أجل انتزاع ولاية العهد انتقل من تادلا إلى مكناس على وجه السرعة، لما علم بمرض والده. هذا علاوة على التدابير التي اتخذها لإبعاد منافسيه، المولى عبد الملك والمولى عبد الله، والمكر الذي سلكه للسيطرة على السلطة بواسطة الباشا مساهل (Pellow, 138 - 139).

د ـ أن أعوان الباشا مساهل هم الذين أشاعوا بأن المولى إسماعيل قد عهد بالخلافة إلى أحمد الذهبي، حتى لا تتشوف نفوس إخوته لمنازعته الملك، ويحظى بالمشروعية لدى الجميع.

ومهما يكن فإن المولى إسماعيل لم يوص لأحد من أبنائه. رغم أنه استشار بعض العلماء، اقتناعا منه بعدم كفاءة أي واحد منهم ؛ وأن أحمد الذهبي هو الذي بويع سلطانا من بعده من قبل جيش العبيد أولا، ثم الأوداية وسائر قبائل الجيش بعد ذلك. وحذا حذوهم خاصة الناس وعامتهم في سائر الآفاق. فترادفت على أبواب مكناس الوفود حاملة بيعاتها. ويُجمل ابن زيدان الكيفية التي تمت بها بيعة أحمد الذهبي قائلاً : "أشاعوا [أي عبيد البخاري] أن والده عهد إليه كي لا تتشوف نفوس إخوته لمنازعته الأمر واختلقوا له طابعا باسمه، وكتبوا عدة مكاتب لسائر البقاع المغربية وطبعوها بطابعه مظهرين أن والده عهد إليه بالخلافة من بعده" (*الإتحاف*، 1 : 266).

والملاحظ أن سكان فاس قد تخلفوا بضعة أيام عن بيعته لأنهم كانوا قد فتكوا بالقائد أبي علي الروسي وجماعة من أصحابه. فأوجسوا في أنفسهم خيفة من كيد السلطان ( *زهر الأكم* : 204، *نشر المثاني*، 3 : 297 ). لكنهم سرعان ما بعثوا إليه ببيعتهم مع وفد منهم ؛ واشتغلوا ـ في نفس الوقت ـ بتحصين مدينتهم، تحسبا للحصار، لأنهم لم يأمنوا غائلة العبيد.

ولما تربع أحمد الذهبي على أريكة الملك طاف على بيوت المال ومخازن السلاح والكسوة، ففرق المال على الجيش، وعمَّ نواله العلماء والشرفاء والطلبة، وخص كبار الضباط بجزيل العطاء ؛ ثم قام بتصفية عدد من كبار موظفي المخزن مثل علي بايشي زعيم البربر وعامل العمال، وأحمد بن علي اليازغي الذي كانت عمالته تمتد من جبال مرموشة وبين وراين وغياثة إلى الحياينة، وإلى بلاد الهبط مع فاس وماوالاها. كما قتل الباشا ابن الأشقر عامل زرهون الذي كان إلى نظره سائر أعشار قبائل الغرب، ومرجان الكبير صاحب بيوت المال، الذي كان له النظر في أمور المداخيل والنفقات (*البستان الظريف*، 215).

وتتفق مختلف المصادر على أن قتل هؤلاء الموظفين كان إيذانا بتقويض أركان الدولة ؛ إذ بعد موتهم استخف الرعايا بأمر الملك لأنهم لم يعودوا يتهيبون ممن يحول بينهم وبين الزيغ والفساد ؛ وخاصة قبائل الجبال التي كانت منكبسة وراء القلاع المخزنية ؛ فاشتغلت بشراء الخيل واقتناء السلاح (م. س. ن : 216).

وفي نفس الوقت اضطرم أوار الفتنة بفاس بين المدينة الإدريسية والأوداية النازلين بفاس الجديد. فكانت الحرب سجالا بين الطرفين طيلة دولة أحمد الذهبي الأولى. وعوض أن يتدخل السلطان لحسم مادة الخلاف بين الجانبين، فقد انساق في المؤامرات والدسائس التي حاكها العبيد. ومن ثم صار كاللعبة بين أيديهم، فاستبدوا عليه في معظم الأحوال. فكثر القتل، وفشا النهب واستشرى الجور، وانتهكت الأعراض، وتدنست الحرمات، والسلطان مقبل على لهوه وملذاته.. من أكل وشراب وسماع..، الشيء الذي جعل لهيب الفتنة يسري في مختلف جهات البلاد. فكثرت الغارات بين القبائل وعم النهب، وانقطعت السبل، وانتشر الخوف، وأكل القوي الضعيف (*نشر المثاني*،3 : 298).

ولما استيقن جيش العبيد بأن السيل قد بلغ الزبى، وأن الأمور إذا استمرت على ذلك المنوال، قد يفلت منهم زمام الأمر ائتمروا بالسلطان، واتفقوا على عزله. فخلعوه في 8 شعبان 1140 / 1728، وأرغموه على مغادرة دار الملك ؛ بل فرضوا عليه إقامة إجبارية في داره "بالهديم" خارج القصبة المكناسية. فكانت مدة دولته الأولى عاما وستة أيام (*زهر الأكم*، 220 ـ221 *والترجمان المعرب* : 31). وفي نفس الوقت بعثوا برسلهم إلى أخيه عبد الملك الذي كان ما يزال منتفضا بالسوس، فعقدوا له البيعة. ولما تولى الملك قبض على أحمد الذهبي وبعث به إلى تافيلالت، وكتب إلى العامل بها أن يسمل عينيه بفور وصوله. لكن ذلك الخبر

نما إلى السلطان المخلوع، فعمل على التخلص من حراسه والفرار إلى زاوية أحنصال واستحرم بها في 28 رمضان 1140 /8 ماي 1728 (*نشر المثاني*،3 : 301 و*الاستقصا* ، 7 : 120).

وقد أشرنا إلى أنه كان قد اتصل بالشيخ الحنصالي في أثناء ولايته على إقليم تادلا. وفي أثناء نزوله عند ذلك الشيخ تنبأ له بالعودة إلى الملك، لأنه كان يشتغل بعلم الحدثان، يربط بعض الإخباريين بين هذا التنبؤ وبين مبادرة العبيد إلى حمله ثانية إلى سدة الملك. والحقيقة أن عبد الملك لم يستطع الاستجابة إلى شطط العبيد، ولم يزدهم في العطاء، كما أن الوضع السياسي في البلاد عامة لم يكن قابلا للرتق بسبب ثقل أوضاع العهد السابق.

وهذا ما جعل العبيد ـ الذين لم يكونوا يفكرون إلا في البقاء في مراتع جشعهم وتلاعبهم ـ يقلبون ظهر المجن لعبد الملك، لا سيما وأنه قد حاول أن يتملص من ضغطهم، فعمل على استمالة البربر والتقرب منهم لكسر شوكة العبيد. لذلك ركب هؤلاء من مشرع الرمل وقصدوا قاعدة الملك، فنهبوا الممتلكات وجاسوا خلال الديار، ونادوا في المدينة بعزله ونصر أحمد الذهبي.

قدم المترجم له عليهم، وفي طريق عودته من زاوية أحنصال التقى بطوما پيللو مع رجاله من العبيد، بالقرب من تاساوت، فرافقوه حتى مدينة مكناس (*T. Pellow*, 145). وبعدما عرج على قبيلة بني حسن والتف حوله الأوداية، دخل دار الملك بمكناس، فبايعه ـ من جديد ـ من حضر من القواد والقضاة والعلماء والأشراف، وذلك يوم الاثنين 24 من ذي الحجة 1140 (*نشر المثاني*3 : 316 ، *الترجمان* : 33). وهنالك قدمت عليه بعض الوفود من الحواضر والبوادي.

وفي 2 محرم 1141 زحف إلى مدينة فاس لأن أهلها ـ وخاصة اللمطيين ـ ظلوا متمسكين ببيعة أخيه عبد الملك (*زهر الأكم*، 223) ؛ بل لقد فتكوا ببعض رجاله، مثل صالح اللريني والخياط عديل. ونهبوا ممتلكات أنصاره الأوداية، الشيء الذي دفعه إلى أن يضرب عليهم الحصار ؛ فحمي الوطيس واستحرت الحرب من جديد. ويصف الزياني هذا الحصار قائلاً : "ونزل على فاس بجميع العساكر، وركب عليها المدافع والمهاريس والمجانيق، وأمر العسكر بالعيث في أجنتها وبحائرها، ونسف ثمارها، وأمر الطبجية بإرسال صواعق البومبة والكور وحجارة المجانيق عليها ليلاً ونهاراً فأرسلوها إلى أن عمها الخراب وانهدم كثير من دورها" (*الترجمان*، 34) كما يشير القادري في نفس السياق إلى أن العبيد "قطعوا الماء عن عدوة القرويين" (*نشر المثاني*، 3 : 319).

وقد امتد هذا الحصار طيلة خمسة أشهر متوالية حتى ضاق الحال بالسكان. وكانت تلك الفترة من أحلك الفترات التي عاشها سكان فاس. ورغم أنهم أعدوا عدتهم لمواجهة الحصار فقد قلت الأقوات، وارتفعت الأسعار، بسبب النهب الذي تعرضت إليه أمراس المدينة ومواشيها.

كما امتدت الفتنة إلى أحواز المدينة لأن جيوش أحمد الذهبي تعقبت الفارين من أهل فاس، وفلول القبائل المساندين لهم في مختلف الجهات (م. س. ن).

ورغم الأزمة التي حلت بأهل فاس، فقد لاقت الجيوش المحاصرة هولاً كبيراً في خَضْد شوكتهم طوال تلك المدة. وحين لم تغن عنهم كثرتهم، ولم يستطيعوا اقتحامها عنوة عمدوا إلى تدبير مكيدة ؛ إذ تظاهروا بالرغبة في إبرام الصلح مع عبد الملك. فغرروا به حتى التقى بأحمد الذهبي، في يوم الخميس 21 جمادى الأولى سنة 1141.

وفي نفس الوقت قبل أهل فاس عقد البيعة للسلطان أحمد الذهبي وبشروط اشترطوها عليه. فتظاهر لأخيه بالبشر والبرور، زاعما أن أهل فاس تشفعوا فيه، الأمر الذي جعل عبد الملك يشهد على نفسه بالتنازل عن الملك (*الإتحاف*، 1 : 292). ثم قبض أحمد الذهبي عليه وأرسله إلى سجن مكناس ليسجن بدار الباشا مساهل. وفي يوم الجمعة 22 من الشهر صلى أهل فاس مع السلطان، وأهدوا إليه وشكروا صنيعه ؛ فسرح مساجينهم، وانعقد الصلح كذلك بينهم وبين الأوداية، وبذلك توقفت الحرب ورفع الحصار (*الإتحاف*، 1 : 293ـ294).

وكان العقد والحل طوال هذه المدة بأيدي العبيد. أما السلطان أحمد الذهبي فلم يكن له من الملك إلا الاسم، لا يقطع أمراً إلا بما يأمرونه ؛ لا سيما وقد اختلت صحته بسبب إصابته بمرض الْحَبَن. فظل يعاني من الوهن، حتى إذا أحس بدنو أجله حمله العبيد إلى مكناس. وبفور وصوله أمر أخويه محمد بن عربية وسليمان بن الجامعية وبعض العبيد من أهل مشورته بقتل أخيه عبد الملك، فخنقوه ليلة الثلاثاء الموفي 30 رجب 1141 / فاتح مارس 1729 (م. س. ن : 294).

وبعد ثلاثة أيام لفظ أحمد الذهبي أنفاسه في يوم السبت 4 شعبان من السنة /4 مارس 1729 وقيل إنه مات مسموماً، إذ دس إليه السم من قبل إحدى زوجات والده. (*زهر الأكم*، J. De Léon, 15, 225) فكانت مدة دولته الثانية عشرة أشهر و21 يوماً.

ومن بين الأعلام الذين قامت عليهم دولة أحمد الذهبي، يمكن أن نذكر أخاه مولاي علي الذي كان خليفة له على مدينة مراكش ؛ وابنه أبا فارس وأخاه المستضيء، والباشا مساهل الذي كان صاحب التدبير والسياسة، وموسى الجراري وكروم بن رحمون ومحمد بن علي ويشى، والباشا علي بوشفرة وأحمد بن علي الريفي والمحجوب العلج.

ومن قضاته محمد بن أحمد التماق.

ومن منشآته المعمارية قصبة تادلا التي اتخذ بها داراً ومسجداً (*الإتحاف*، 1 : 296).

أما على الصعيد الخارجي، ففي أثناء حصار مدينة فاس قدم إلى المغرب القنصل الانجليزي راسل مرتين،

مستغلاً فرصة ولاية السلطان الجديد ليطالبه بفداء الأسرى الانجليز، وتجديد معاهدة 1721. وفعلاً أنعم عليه أحمد الذهبي بفداء كل الأسرى الأنجليز الذين كانوا في سجن مكناس. وللإشارة، فقد رافق البعثة الانجليزية الكاتب برايطوايت الذي خلف عن تلك الرحلة كتاباً مشهوراً يصف حالة المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل، وعهد أحمد الذهبي بصفة خاصة (T. Pellow, 142. n. 333).

م. القادري، *نشر المثاني*، ج3، *التقاط الدرر* ؛ الريفي، *زهر الأكم*؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ الزياني، *الترجمان* ... والبستان ؛ أكنسوس، *الجيش*، ج 2 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7 ؛ المشرفي، *الحلل* ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، ج 1، *والمنزع اللطيف* ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج 2، *معلمة المغرب*، ج 6.

Braithwaite, *Histoire des révolutions*, J. De Léon, *Vie de My Ismaïl* ; T. Pellow, *Relation*... ; A.G.P. Martin, *Quatre siècles*... ; M. Morsy, *Les Ahansalas*... ; G. Drague, *Esquisse*.

أحمد عمالك

## الذهبي ← أحمد المنصور السعدي

**الذهبي**، أبو **جعفر** أحمد بن عتيق بن الحسين بن جرج البلنسي (554 ـ 601 / 1156 ـ 1204) ينتسب إلى بيت بني جرج، البيت المشهور بقرطبة، وعرف بالذهبي لأن جده كان مولعا بالكُتْبِ بالذهب والتصوير به، فجرى ذلك على عائلته.

ولد ببلنسية سنة 554 / 1159 وكان من أعيانها، واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية والآداب على عدد من كبار علماء الأندلس كابن مضاء اللخمي وأبي القاسم ابن حبيس وأبي عبد الله بن حميد وغيرهم، حتى أصبح مشاركاً في العلوم متحققا بأصول الفقه، ماهراً في اللغة العربية، ذا حظ من نظم الشعر، وكان مع هذا طبيباً ماهراً.

تؤكد شهادات معاصريه أنه كان ذا شخصية فريدة في أخلاقه وعلمه الواسع وتوقد خاطره وذكائه، لذلك بالغ بعضهم في تعظيمه وتقديمه على علماء عصره، حتى قال فيه أحد أصدقائه وملازميه وهو أبو الوليد الشقندي : "إن الكمال الإنساني إن جمع لإنسان فإنه لم يعد ثلاثة : أرسطو وابن سينا وأبا جعفر الذهبي" (*الغصون اليانعة*، 36).

وإلى جانب ما سبق، تفنن الذهبي في العلوم النظرية القديمة، وأحاط بكثير من الفلسفة، حتى مهر في كل فن منها. وساعده على ذلك ذكاؤه وحسن استنباطه، فاعتبر أعلم أهل زمانه فيها. وقد استفاد من إتقانه للعلوم النظرية في حسن الاستنباط والغوص على دقائق المعاني لآيات القرآن الكريم.

وبسبب اشتغاله بالفلسفة وصحبته للفيلسوف أبي الوليد بن رشد، كادت أن تلحق به المحنة التي لحقت بأبي الوليد وأبي عبد الله بن إبراهيم وجماعة من أصحابهما على يد الخليفة الموحدي يعقوب المنصور، لكن الذهبي نجا من ذلك بفضل خدمته للأمير أبي الحسن علي بن أبي جعفر ابن عبد المؤمن بغرناطة، ولم ينله منها سوى "لعنات" وجهها له مجلس من الخاصة بمحضر الأمير، وبأمر من السلطان. ومع ذلك فقد توارى عن الأنظار ولحق بقرية قاشرة مختفيا حتى مرت سحابة تلك المحنة، ثم عفا عنه الخليفة وقربه منه وصار طبيباً له ومن جلسائه.

اشتغل الذهبي أول أمره بالعلم ببلنسية، إلى أن ذاع صيته وجل قدره بين العلماء، وكانت أصداء ذلك تصل إلى الخليفة المنصور الذي كان حريصا مثل أبيه على تزيين مجلسه بخيرة أهل العلم في المغرب والأندلس، فاستدعاه إلى حضرته مراكش وصار من أعضاء مجلسه، ولم تزل مكانته ترتفع ببلاط الخليفة بفضل علمه ومواهبه حتى قدمه على هيئة "طلبة الحضر" فأصبح شيخاً أو مزواراً لها، ولم ينل هذه الرتبة في عصر الموحدين إلا قلة من كبار العلماء أمثال أبي محمد المالقي وأبي الحسن بن القطان.

ثم قدمه المنصور للشورى والفتوى في القضايا الشرعية، وقد بلغ الغاية في إجاباته في المسائل والفتاوى الفقهية والنوازل. وبلغ من حذره من الموحدين وولائه لسياستهم الدينية أنه كان يراعي في أجوبته الفقهية أصول مذهب الإمام مالك دون أن يسند كل قول إلى صاحبه من فقهاء المذهب نظراً لموقف يعقوب المنصور من الرأي وفقه الفروع. وفعلاً كان الذهبي من أجلّ من يحضر مجالس الخليفتين يعقوب المنصور وابنه محمد الناصر من العلماء. وبسبب قربه منهما نال جاها عريضا أسنده ثراء واسع بما كان يصله منهما من إحسان وعطايا، فقد وصله المنصور مرة بألف دينار ذهبية مكافأة له على إلقائه لمسألة فلسفية بين يديه تمكن الخليفة من فهمها واستيعابها.

استوطن الذهبي مدينة مراكش مدة طويلة، وبها لقيه ابن حموية السرخسي رسول صلاح الدين الأيوبي إلى يعقوب المنصور، فأعجب به وأشاد بعلمه ومعارفه وأخلاقه، وأثنى عليه في كتابه "*الرحلة المغربية*". وكان احتفاظ الموحدين به وبأمثاله من العلماء بالعاصمة مراكش يعكس متانة الثقافة العربية الإسلامية بالمغرب وعلو كعب أبنائه فيها، وذلك ما لا حظه عدد من المترددين على مراكش في العصر الموحدي.

وتعبيراً عن ولائه للموحدين ألف الذهبي كتباً ضاع منها *كتاب الإعلام بفوائد مسلم للمهدي الإمام*، وكتاب *حسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة*، كما قيدت عنه في الفقه وغيره فتاوى بديعة وجوابات حسنة" (*التكملة*، 1 : 95).

ورغم إتقانه للفلسفة واشتغاله الطويل بها، فإننا لم نقف على شيء من المقولات الفلسفية التي كان يتبناها، ربما لأنه لم يؤلف في الموضوع كما فعل ابن رشد، إضافة إلى أن كل من كتب عنه لم يُعر هذا الجانب اهتماماً.

وقد بقي الذهبي مقدما محتفى به إلى أن توفي بمدينة

تلمسان وهو يرافق محلة الخليفة محمد الناصر في حملته إلى إفريقية سنة607 / 1204.

ابن الأبار، *التكملة*، تح. د. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، د.ت.، 1 :85 ؛ ابن سعيد، *المغرب في حلى المغرب*، تح. شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط 3 ـــ1978، 2 : 321 ؛ *الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة*، تح. إبراهيم الأبياري، القاهرة، ط 3، 1977، ص.36 ؛ *رايات المبرزين وغايات المميزين*، القاهرة، ص. 115 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بنشريفة، بيروت، د. ت.، 1 : 279 ؛ ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، بيروت، دار الثقافة، ط 4،1987، 3 : 132 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج المذهب*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، ط2، 1972، 1 : 217 ؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، تح. د. رينغ وآخرين، فيسبادن، 62 ،1974، 7 : 176 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968، 3 : 206 ،411 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 74ـــ1984، 2 : 107.

محمد المغراوي

**الذهبي، علي** بن أحمد بن علي الزكّاري الحسني (نسبةً إلى قبيلة بني زكّار قرب قبيلة رهونة بناحية وزان) انتقل أسلافه منها إلى شفشاون ومنها إلى تطوان.

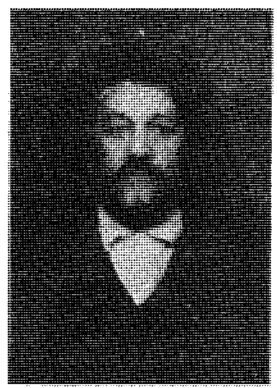

ولد في عام 1322 / 1904 وحفظ القرآن على الفقيه المدرر محمد بن المهدي داود الودراسي بكتّابه المقابل لجامع الرزيني بدرب الصفار من حومة الربض الأسفل من تطوان. وأخذ عام 1334 المتون المعهودة : *الجرومية* و*الألفية* و*المرشد المعين* و*مختصر خليل* و*السنوسية* و*التحفة* و*الرسالة* على الفقهاء : أحمد الزواقي وأحمد الرهوني ومحمد الفرطاخ، ومحمد المرير ومحمد بن التهامي أفيلال وغيرهم، ثم انتقل إلى فاس عام 1338 فأخذ عن الشيوخ : عبد الله الفضيلي وأحمد بن الجيلالي الأمغاري والفاطمي الشرادي ومَحمد النميشي ومحمد بناني والحسن مزور ومحمد ابن السلمي وأبي شعيب الدكالي والطايع ابن الحاج وأحمد بن الخياط والمهدي الوزاني العمراني ومَحمد ابن الحاج ومَحمد العلمي وأحمد بن المامون البلغيثي.

وحصل على شهادة العالية بتوقيع رئيس المجلس العلمي السيد أحمد بن الجيلالي وأعضائه، وقد حصل على هذه الميزة الخاصة لتفوقه وشدة ذكائه ونبوغه. وكانت هذه الشهادة لا تعطى يومئذ إلا للمقيمين بفاس بعد تخرجهم ولا تعطى للأغراب. وكان هذا عام 1344 / 1925 رجع بعده لمسقط رأسه تطوان وشرع في التدريس بالجامع الكبير بصفة رسمية ثم تعاطى العدالة والإفتاء. قبل أن يعين قاضياً بقبيلة بني حزمر قرب تطوان عام 1346 ومنها نقل عضواً لمجلس الاستئناف الشرعي بتطوان ثم مستشاراً شرعياً بالمحاكم القانونية بنفس المدينة. وبعد استقلال المغرب عين عضواً بالمحكمة الإقليمية بتطوان إلى أن توفي.

امتاز بهدوء الطبع وشدة الذكاء وحذق القضاء، فكان مرجعا لحل المشكلات والقضايا العويصة. كما كان مشاراً إليه بإتقان التدريس وجودة الفهم وقوة الحافظة يُجهد نبغاء الطلبة أنفسهم في إيراد الإشكالات عليه رغبة في إرباكه فسرعان ما يحل الإشكال ويبطل الإيراد.

لقيته في عرفات في موسم حج عام 1382 وعلامات الإجهاد والتعب والمرض بادية عليه، وهو راض مسرور داع مستغفر مستعبر، ثم عاد إلى تطوان مزاولاً عمله بالمحكمة إلى أن لقي ربه يوم الأربعاء 11 شعبان عام1384 / 16 دجنبر 1964 ودفن خارج باب المقابر.

م. ابن الحاج، *إسعاف الإخوان الراغبين*، ص. 486 ؛ *معلومات شخصية*.

محمد بوخبزة

**الذيب**، كحيوان مفترس لا يوجد بالمغرب، وإنما يوجد به ابن آوَى الذي يشبهه (انظر ابن آوى). ومع ذلك نجد للذيب صدى واسعاً في المناطق التي يهيمن فيها نمط الترحال ويعتمد أهلها بشكل خاص على تربية قطعان الماشية، فإن ذلك يقود إلى تأسيس علاقة متميزة مع حيوان يرتبط خاصة بهذا النشاط، ففي وادي نون مثلاً الذي ينطبق عليه هذا الوصف نلمس كثافة ترداده في الأشعار والحكي (الأدب الشفوي) كما يختفي حضوره أيضاً ضمن نسق من الاستعارات بإدماجه (كرمز) داخل بنية العلاقات الاجتماعية، فوجود بعض الفئات تحت اسم "الذويبات" (تصغير ذئب) يظهر انتماء هاته الأخيرة بشكل خاص إلى المستويات الدنيا في سلم التقسيم أو اعتبارها فئات غير مالكة أو لا تنتمي إلى نفس الجينالوجيا مع الفئة المهيمنة التي أطلقت الرمز كتصنيف، فالذئاب معروفة بسرقة القطيع وهو الرأسمال الجماعي أو الفردي، وهم في هذه الحالة لا ينتمون للفصيلة ولا يتمتعون بالتصرف في هذا الرأسمال المتحرك، بل إن الإنسان في المجموعة يشبه

الخوف في القطيع مما يحتم درجة من التماسك وحضور الآخرين، فالقطيع يقدم كجماعة وكدرجة من الالتحام تنفي غير المنتمين (Chevalier, 343) وهذا ما يدفعنا إلى التأكيد على أهمية التراتبية داخل القبائل خلافاً للفكرة التي روجتها الأطروحة الانقسامية (الحمودي : 68 .69) ويدفعنا بالمقابل إلى التنبيه إلى أن هاته اللامساواة مثلما يجب البحث عنها في الأحداث التاريخية فانها أيضاً تجري بشكل أهم في اللغة والممارسات والمعتقد.

ع. اللـه الحمـودي، *الانقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداسة* ملاحظات حول أطروحات گلنز، ضمن الانتروبولوجيا والتاريخ، تر. عبد الأحد السبتي، ط1 ، الدار البيضاء، 1988.

*Encyclopédie des animaux*, éd. Alberto Perruzzo, Rome, 1980 ; J. Chevalier et A. Gheerbrant, *Dictionnaire des symboles*, Paris, 1974 ; *Revue Historia*, Mars 1983, n° 436, 1 - J. Emmanuel, *Les loups*, p. 16 - 19, 2 - D. Bernanrd, *Ce que cache l'histoire du loup*, p. 20 - 22.

أحمد جوماني

**الذيب**، أسرة يهودية بأزمور حين كانت أزمور تضم عشية احتلالها من قبل البرتغاليين جالية يهودية لا نعرف أهميتها. وقد أرجع الوزان سقوط المدينة في أيدي الغزاة إلى خيانة أفراد تلك الجالية، في حين أن المصادر البرتغالية، وتقارير المشرفين على الحملة، تذكر أن دور أحد أفراد أسرة أولاد الذيب، وهو يعقوب، اقتصر على إشعار قائد المحلة بتوقف المغاربة عن المقاومة وإخلائهم لمدينتهم.

وعلى غرار ما فعله الملك البرتغالي بعد احتلال أسفي، قرر يوم 18 يونيو 1514 فرض جزية على كل أسرة يهودية، وعين يوسف بن الذيب حاخاما أكبر لتلك الجالية (23 يونيو 1514).

ينحدر يوسف بن الذيب من أسرة نزحت إلى المغرب من البرتغال فراراً من الاضطهاد. ولعل ذلك تم بعد إلزام كل يهود البلاد بالتنصر أو مغادرة البلاد (1496). ولعب أفراد هذه الأسرة دوراً كبيراً في التوسع البرتغالي بداخل دكالة والشاوية انطلاقا من أزمور، وفي المفاوضات التي أجراها المسؤولون عن تلك المدينة مع القبائل والسلطات المغربية القائمة آنذاك.

لقد كان يوسف يشرك في كل القضايا التي تهم النفوذ البرتغالي بالمنطقة، وكان على اتصال مستمر بالبلاط البرتغالي، يرفع تقارير إلى الملك نفسه أو يرحل إليه لإطلاعه شفويا على الأوضاع بدكالة. فقد طلب يحيى بن بلصباع، شيخ الشاوية، من الملك البرتغالي في رسالة بعثها له في ربيع 1517 أن يطلعه عن طريق يوسف بن الذيب، الذي كان آنذاك بلشبونة، على شروط السلم مع قبيلته. كما كان هذا اليهودي مكلفا باستضافة الأعيان الذين يقبلون على المدينة بغاية التفاوض، وكان يتقاضى تعويضا عن ذلك من الخزينة البرتغالية.

وتوصلت محكمة تفتيش لشبونة بتبليغ مؤرخ في 18 يناير 1537 مفاده أن يوسف هذا تنصر، وأنه كان قليل التمسك بدينه الجديد. وسرعان ما اصطدم هؤلاء الوسطاء اليهود مع الأعيان المسلمين الذين كانوا مكلفين بنفس الأدوار. وعلى غرار ما حدث بأسفي بين كبير يهودها، أبراهم بن زميرو، وكبير الوسطاء والقواد المسلمين، يحيى أوتعفوفت، تآمر أبناء الذيب بأزمور ضد قائد الشرقية، عبد الرحمن بن حدو، وألصقوا به تهما جعلته يخاف على نفسه ويفر من المدينة.

وتزايدت مكانة أولاد الذيب بعد تغير ميزان القوة لصالح القبائل المغربية وبداية مشاكل البرتغاليين في المنطقة. فقد اتهم برتغالي في رسالة موجهة إلى الملك يوحنا الثالث (10 أبريل 1530) القبطان بكونه لا يستشير إلا اليهود الذين أصبحوا يحرضونه على طلب السلم من السلطان أحمد الأعرج، وأخبر المراسل الملك بالتحاق أحد أبناء الذيب فعلا بمحلة السلطان وبتسليمه هدية.

وعُين يحيى الذيب، وهو ابن يوسف المذكور، يوم 9 شتنبر 1514 ترجمانا بأزمور، وهو المنصب الذي احتفظ به بقرارين ملكيين لاحقين (1520 .1524). وكان مكلفا تبعا لذلك بحضور المفاوضات بين المسؤولين البرتغاليين وأعيان القبائل بخصوص السلم وشروط الخضوع للتاج البرتغالي. ففي رسالة أعيان أولاد عمران إلى قبطان أزمور (صيف 1516) نقف على الجهود التي بذلها يحيى المذكور لإقناع تلك القبيلة بالخضوع. كما نفهم من الرسالتين اللتين بعثهما من تادلا أن القبطان كلفه بالتفاوض مع القائد أحمد العطار (1529). وهي نفس المهمة التي أنيط بها مرة أخرى لدى مساعدي السلطان أحمد الأعرج. ففي رسالة من محمد بن لحسن زنبق "وصيف مولاي أحمد"، (ربيع 1530) نعلم أن يحيى هذا فاوض الشريف في شأن هدنة مع أزمور، وحاول دفعه إلى إيقاف الغارات التي كانت تستهدف تلك المدينة انطلاقا من سلا : "فقد وصل إلينا الشيخ يحيى بن الذيب والتقينا معه فيما ذكرت لنا من حجة الصلح ...". كما أرسله قبطان أزمور (يونيو 1530) إلى فاس للتفاوض مع السلطان الوطاسي. وفي طريق العودة، مر بسلا واقترح السلم على قائدها. وبهذا لم يخطئ قبطان أزمور السابق، الذي اعتبر في تقرير مؤرخ في أكتوبر 1516 أن يحيى الذيب من "الخدام الأوفياء لجلالتكم وأعتبرُه شخصيا رجلا مخلصا".

ونجهل مآل أفراد هذه الأسرة بعد تحرير أزمور سنة 1541.

أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور*، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1984.

P. de Cenival [et al ...], *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc*, 1ère série, Portugal, 5 volumes ; G. S. Colin, *Des Juifs nomades retrouvés dans le Sahara marocain au XVIème siècle*, dans *Mélanges d'études luso-marocaines dédiées à la mémoire de David Lopes et Pierre de Cenival*,

Lisbonne-Paris, 1945, p. 53 - 66.

أحمد بوشرب

**الذيب، علي** (الحاج -) أول حاكم لمدينة تطاون في بنائها الأخير بعد القائد المنظري الأندلسي الحفيد، ولا يعرف عنه أكثر من هذا، قال الرهوني : "ولازال أولاد الذيب إلى الآن بتطوان". قلت : هذا كان قديما وقد انقرضوا الآن. نعم بقيت أسرة تعرف بالذويب بالتصغير ولا علاقة لها بالأولى.

وقد بقي الحاج علي الذيب عاملاً على تطوان مدة إلى أن ثار عليه سكان البلد برئاسة مقدمهم القائد حسين، وعزلوه وطردوه، فانتقل إلى أعلا البلد وشرع في بناء الحي المتصل بها من جهة الشمال الغربي، وهو المعروف الآن بحومة الطالعة (طالعة السوق الفوقي) ولم يكن في تلك الناحية بناء قبل ذلك، وبنى الناس هناك حتى بلغ عدد الدور في مدة يسيرة نحو خمسمائة دار، وبنى القائد الذيب بأعلا ذلك الحي قصبة نسبت إليه ولازالت معروفة بهذا الاسم إلى الآن (قصبة الذيب) وقد سقط قسم منها في انفجار للبارود وجُدد، وكانت هناك على باب القصبة كتابة، وبها مسجد ومن أعلاها تطلق المدافع في الأعياد وللإفطار في رمضان.

ولتقريب تحديد تاريخ تولية الذيب على تطوان نشير إلى أن المؤرخ الإسباني مارمول - وكان حياً في ذلك العصر - ذكر في *إفريقية* (2 : 242 ــ 244) أن أهل تطوان انقسموا فرقتين فكانت كل واحدة تقاتل الأخرى، وان إحدى الفرقتين طردت الأخرى من المدينة وأنه في سنة 1567 (وهي توافق عام 974 ــ 975) دخل قائد المطرودين إلى البلد في غيبة حاكمها وقتل كل من وجد بها من الفرقة المعادية له ولأصحابه : فقامت بسبب ذلك ثورة اضطرت السلطان لإرسال قوة لقمعها، وكانت تلك القوة مؤلفة من ألف فارس وألفي راجل، وأن جند السلطان قصد تطوان وقبض على رئيس الثوار وأرسله سجينا إلى فاس، ثم طارد أنصاره، وأن قائد أولئك الفرسان بقي بالمدينة. أما قائد المشاة فقد رجع إلى فاس ليبلغ الخبر إلى السلطان، ولم يذكر مرمول أسماء المعنيين بالأمر إلا أن ابن القاضي ذكر في *لقط الفرائد* أنه في تاسع محرم عام 975 أخرج الأمير أبو محمد عبد الله الشريف الحسني (يعني السلطان الغالب عبد الله بن محمد الشيخ السعدي المتولي من عام 965 إلى 981) القائد (حسين) من قيادة تيطاون، واستنتج الأستاذ داود من هذه النقول أن بعض سكان تطوان من الأغمار كما وصفهم الأستاذ التهامي الوزاني في مقابلة الأخيار الكرام من مهاجري الأندلس وهم أصحاب المنظري، في هامش صفحة 128 من الجزء الأول من *تاريخ تطوان* لداود) يرأسهم القائد (حسين) ثاروا على القائد الذيب وطردوه، فصعد إلى أعلا البلد وبنى حي الطالعة واجتمع إليه الناس، فعاد الذيب بأنصاره وانتقموا من جماعة القائد (حسين) وغلبوهم وعزلوا قائدهم وطردوه، فعاد بعد ذلك في غيبة القائد الذيب وقتل من قتل حتى جاء الجيش السلطاني وتغلب عليه وأسره وأرسل إلى فاس كما قال ابن القاضي.

قلت : ولم يرد ذكر لهذا القائد (حسين) في هذه المصادر إلاّ هنا ولم يعرف من هو ولعل الصواب إنه (حَسَن) لا حسين، وقد عثر مؤخراً على رخامة قبر لقائد تطوان قاسم بن محمد حسن من عائلة (حسن) الأندلسية التي ما زالت موجودة المتوفى عام 954 فلعل هذا القائد من هذه الأسرة، ولم تذكر المصادر تاريخ وفاة الحاج علي الذيب ولا شك أنها كانت في العقود الأخيرة من القرن العاشر (16م).

أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج 1، ص. 124، طبع تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 18 ، مخطوط ؛ ع. السلام سكيرج، *نزهة الإخوان*، ص 4، مخطوط ؛ مارمول كرباخ، *إفريقيا*، تر. محمد حجي وآخرين، الرباط، 1984.

محمد بوخبزة

**الذيب، محمد** بن عبد القادر التلمساني الوجدي، مقاوم ولد سنة 1923، استقر بمدينة وجدة ومارس بها مهنة الدرازة إلى غاية شهر غشت 1953 وغداة اندلاع الثورة في 16 غشت 1953 بوجدة ضد ما كان يحاك ضد السيادة المغربية، شارك بغيرة وطنية صادقة إلى جانب الثوار وقد ألقي عليه القبض خلال هذه المظاهرة وتم إيداعه السجن رفقة من ألقي عليهم القبض من رفاقه في الكفاح أثناء أحداث وجدة الشهيرة، ونظرا لما لاقاه هذا المجاهد من أنواع التعذيب والتنكيل التي تعرض لها مع باقي المتظاهرين المسجونين وبسبب ضيق الزنزانة من جهة وكثرة المعتقلين وشدة الحرارة بها من جهة ثانية لفظ الشهيد أنفاسه الأخيرة يوم 18 غشت 1953.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 3 : 101.

**ذيبُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس انقرضت بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 693.

محمد ابن عزوز حكيم

# ر

**رابطة** الجهاد ← **الرباط**

**رابطة الغار**، وحدة صوفية تقع خارج الواجهة الجنوبية ( *التشوف*، من السور المرابطي لمراكش بجوار باب أغمات 312) وهو الموقع الوحيد خارج مراكش الذي ذُكر مقرونا باسم رابطة في خريطة مواقع التصوف بسهل الحوز في العصر الوسيط.

لا نعرف بدقةتاريخ ظهور هذه الرابطة، والإشارة الوحيدة التي ذُكرت فيها وهي مؤرخة، ترجع إلى عام593 / 1197، كمكان دفن أبي يعقوب يوسف المبتلى ( *التشوف*، 312) وهذا يفيد وجودها قبل هذا التاريخ. وقد أورد ابن الزيات أيضاً تاريخاً آخر ذُكرت فيه حارة الجذماء التي كانت توجد بها رابطة الغار وهو عام583 / 1187 الذي توفي فيه الشيخ الصوفي السابق الذكر أبو عصفور بنفس الحارة دون تحديد مكان دفنه (*التشوف*، 268). فهل يفهم من هذا السكوت ظهور رابطة الغار بعد هذا التاريخ ؟

يعتبر الصوفي أبو عصفور يعلى بن وين يوفن الأجذم (التشوف، 268) وتلميذه أبو يعقوب يوسف بن علي المبتلى (*التشوف*، 312) اللذان جمعت بينهما علاقة المشيخة الصوفية أبرز رجالات أهل الطريق بهذا الموقع. وشكلت حارة الجذماء مركز ثقل النشاط الصوفي به. ولعل ما كان يجمع بين هذه الحارة والصوفيين المذكورين، خاصيتها الوقائية والاستشفائية كمكان خاص بإقامة مرضى الجذام، وهي علة يبدو أنها كانت في الشيخ وتلميذه حسبما يستفاد من نعت الأجذم والمبتلى الذين ينتهي بالأول منهما اسم أبي عصفور، وبالثاني اسم أبي يعقوب.

وتمثل رابطة الغار بداية مسلك الترتيب الخاص بزيارة الرجال السبعة بمراكش.

ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984.

محمد رابطة الدين

**الرابوز** أو الرابوزة نسبة لشكله، وكما هو اسمه الشائع في الأسواق السمكية المغربية، سمك بحري من الأسماك العظيمة ومن فصيلة ماكرو غامفوزيدي Macrorhamphosidae . اسمه العلمي Macrorhamphus scolopax ويسمى بالفرنسية Bécasse de mer وبالإنجليزية Longspine snipefish وبالإسبانية Trompetero

الجسم مضغوط جانبيا، الرأس طويل يتقدمه خرطوم أنبوبي يبلغ طوله 4 ـ 6 سم وينتهي بفم صغير. العينان جانبيتان وواسعتان. يشتمل الظهر على زعنفتين، تتكون الأولى من 4 ـ8 ـ شوكات، الثانية منها قوية وطويلة تبرز فوق ظهره من الجهة الخلفية. الشوكات الأخرى قصيرة وسميكة. تتكون الزعانف الأخرى من شعاعات قصيرة وهشة. الحراشف دائرية، صغيرة ومسننة في غاية الدقة تعطي لمظهر هذا النوع من الأسماك شكل ورقة زجاجية. يختلف لونه بين الكبار والصغار، فاللون الوردي المحمر والمذهب أحيانا يسيطر على ظهر الكبار والبطن فضي، الصغار شديدة السواد الأزرق جهة الظهر. الخط الجانبي منعدم لدى هذا النوع. طوله شائع بين7 ــ 14 سم ولا يتعدى 20 سم.

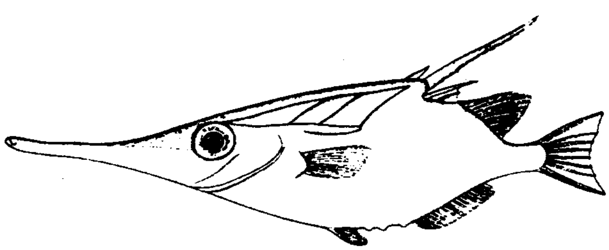

يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد في المناطق البحرية العميقة المتراوحة بين 50 ـ500 متر. تفضل الكبار

العيش في أعماق البحار وخاصة منها 50 ـ 200 متر، بينما توجد الصغار في المياه القريبة من سطح البحر. يتوالد طول فصل الشتاء.

يتكون غذاؤه من القشريات الصغيرة ومن الحيوانات الهائمة الصغيرة الدقيقة وخاصة منها مجدافيات الأرجل. يقتصر توزيعه الجغرافي على الشواطئ الأطلنتية الشرقية، كما أنه يوجد في البحر المتوسط وفي المحيط الهادي والهندي وذلك في المناطق المعتدلة الحرارة.

يتم صيده بشباك الجرف وبالشباك المخصصة لصيد الإربيان. صيده تقليدي وشبه صناعي. وجوده غير منتظم في أسواق الأسماك المغربية وتستعمل أغلب الكميات المصطادة من هذا النوع في صناعة دقيق الأسماك. ويتميز هذا الدقيق بجودة عالية.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزارعية*، لبنان - ط.3 1988 ؛ أ، ألمعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة،1932 ؛ *دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب*، المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

محمد رمضاني

**رات** (جبل -) في الأطلس الكبير في قسمه الأوسط وبالتحديد ضمن إقليم أزيلال في تراب قبيلة أيت بوولي. ويكتب ـ خطأً ـ "غات" بتأثير الفرنسية، والصحيح هو رات براء غير مُفخمة.

تتميز قمة هذا الجبل البالغ من الارتفاع 3788 م بحدتها وشدة انحدار سفوحها، غير أنها تشرف على منطقة أقل تعقيداً : منطقة "أعزيب إزوم" التي تتميز بسطح يغلب عليه الانبساط مع بعض التحدبات الخفيفة حيث تتناثر صخور مفككة هنا وهناك. وتتخلل هذه الأشكال نباتات متفرقة وقصيرة أغلبها من الدوم، أما الغابة فيظهر أنها اندثرت منذ وقت بعيد. لذلك اتخذ الأهالي هذه المنطقة كمرعى جماعي ضمن ظاهرة "ألمو" خلال فصل الصيف، ثم ينحدر الرعاة بمواشيهم إلى المنخفضات والأودية خلال فصل الشتاء البارد. والممر الذي يخترق جبال هذه المنطقة مُتيحا الاتصال بين الجنوب والشمال هوتيزي نْ تيزغيست.

غير أن شهرة جبل رات ترتبط بشئ آخر على جانب كبير من الأهمية، تلك هي الكتابات القديمة الموجودة عند قدم هذا الجبل :

سطح صخري مستوٍ مع ميلان خفيف في اتجاه جبل رات يتكون من صفائح حجرية تتخللها تشققات وانكسارات متعددة نتيجة لعوامل التجوية والتعرية.

والحقيقة أن هذا الموضع يعتبر كتابا ثمينا سجل فيه أصحابه أفكارهم وهواجسهم واهتماماتهم، وجاء ذلك على شكل رموز ورسوم إنسانية وحيوانية وأخرى مبهمة متعددة : رسوم تمثل معارك فرسان حاملين لأسلحة معدنية، ورسوم تمثل حيوانات مختلفة بأشكال متباينة.

وقد اختلف المؤرخون في تفسير هذه الرسوم، فهناك من ردها إلى غزاة من البربر اختاروا تيزي ن تيرفيست الواقعة على ارتفاع 2500 م والقريبة من الممرات الواصلة بين الصحراء والداخل لتخليد معركة خاضوها من أجل الحصول على المراعي كانت في صالحهم. وان وجود الحجل والنعامة في الصور، يجعلنا نقتنع بوقوع الحدث في السهل.

وقد عزا مهتمُّ غيره بالموضوع هذه الرسوم إلى رعاة محاربين التجأوا إلى الجبال عند اشتداد جفاف الصحراء فيما بين 2500 و1200 ق. م.

ورأى مؤرخ آخر أن هذه الرسوم ترجع إلى العصر الحجري الحديث في المغرب، وهي من وضع عبّاد الطبيعة مارست عليهم قمم الجبال الشاهقة وعيونها المائية نوعا من الجاذبية.

وأعتقد أن جميع هذه الآراء متكاملة وكل منها تلامس جزءاً من الحقيقة، فما ذهب إليه كلوري في الرأي الأول

وسيمونو في الرأي الثاني يلتقيان في مزاولة السكان النازحين من الصحراء (بربر على الأرجح) للرعي، وهذا شيء يتطابق مع طبيعة المنطقة الرعوية ومع أنشطة سكانها حتى في الوقت الراهن بدليل أن تسميتهم تؤكد ذلك : فآيت بوولي تعني "أصحاب الغنم".

أما الرأي الثالث (سيمونو نفسه) وَالذي يرد هذه الكتابات إلى عباد الطبيعة، فإن الذي يعاين هذه الرسوم لا شك أنه سيحار في فهم كثير من الأشكال الهندسية المربعة والمستديرة وبداخلها أشكال أخرى وكلها مبهمة، من المؤكد أنها - بالفعل - تدل على مشاغل دينية.

أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، الدار البيضاء، 198 ؛ *تحريات ميدانية ومعاينة* ؛ خرائط ومراجع جغرافية متنوعة.

بوشعيب العكرود

**راديو المغرب** ← **الإذاعة**
**الرأس الأبيض** ← **بدوزة**
**رأس سبارتيل** ← **أمپلوسيا**

**رأس العين**، (عين بني مطهر، بركنت في فترة الحماية) تقع جنوب مدينة وجدة على بعد حوالي 80 كلم بالقرب من الحدود بين المغرب والجزائر، اشتهرت بوفرة مياهها في مجال يغلب عليه الجفاف، فاستقرت بها قبيلة بني مطهر التي طغى اسمها على اسم الموقع المذكور حتى صار يُنعت في أغلب الأحيان بعين بني مطهر. (انظر بني مطهر في *المعلمة*)، وإذا كان الموقع المذكور قد نما في عهد الاستقلال إلى أن أصبح مركزا حضريا بالجهة الشرقية في نهاية القرن الرابع عشر (20 م)، فإنه كان خلال القرن السابق موطنا مغمورا لبعض الأسر المستقرة من قبيلة بني مطهر، لكن بعد احتلال الجزائر وخصوصا بعد توقيع اتفاقية مغنية حول الحدود سنة 1845 كثُر تداول اسم الموقع المذكور في الوثائق المغربية وفي الرسائل المتبادلة بين المغرب وفرنسا بشأن الحدود.

وقد ورد ذكر رأس العين لأول مرة في البند الثالث من الاتفاقية المشار إليها أعلاه معززا برسم توضيحي يحدد موقع عين بني مطهر، ( *إتحاف*، 5 : 168 ) وأشير إليه بالعبارة التالية "بني مطهر أهل رأس العين". وترتب عن رسم خط الحدود استقرار عدد من الأسر المنتمية لأولاد سيدي الشيخ برأس العين، التي صارت ملتقى وسوقا للقبائل الرحل بمنطقة الظهرا، وكان قائد قبيلة المهاية الحاج بوبكر قد شيد بها دارا على شكل قصبة مخزنية منذ منتصف القرن الثالث عشر (19 م)، إلا أنها تلاشت في نهاية القرن، فأمر السلطان مولاي الحسن سنة 1310/ 1892 بتجديد البناء وتوسيعه تعزيزاً للحضور المخزني بالمنطقة ولمراقبة تهريب الماشية نحو الأسواق الجزائرية، غير أن المشروع لم يتحقق إلا في سنة 1899. وقد استغلت السلطات الفرنسية بالجزائر فتنة الروگي بوحمارة (انظر بوحمارة في *المعلمة*) بعد انتقاله إلى الجهة الشرقية وتحالفه مع الشيخ بوعمامة فبسطت نفوذها على أهل بني مطهر.

وتجدد الحديث عن رأس العين في اتفاق الجزائر الموقع في 20 أبريل 1902، حيث أشير في البند الثالث منه إلى إحداث سوق مشتركة في التراب المغربي بالمكان المسمى رأس العين بقبيلة بني مطهر ؛ ثم صارت مبعث توتر بين المغرب والسلطات الفرنسية بالجزائر عقب احتلال الجيوش الفرنسية الموقع المذكور في منتصف شهر يونيو 1904 بدعوى مساعدة المخزن بمقتضى الاتفاقيات الموقعة معه، وقد لعب القائد علال البوشيخي (من أسرة أولاد سيدي الشيخ) دورا كبيرا في تسهيل عملية الاحتلال بإيعاز من الجنرال ليوطي، الذي كان آنذاك حاكما لمنطقة العين الصفراء بجنوب غرب الجزائر، فغُرِّر بالحاجب أحمد الركينة الذي كان متوليا رئاسة القوات المخزنية بشرق المغرب، حيث طلب المساعدة الفرنسية لحماية عين بني مطهر من أنصار الروگي وبوعمامة، فكان ذلك سببا لإعفائه من منصبه بأمر من السلطان عبد العزيز، الذي احتج بشدة على الاحتلال الفرنسي، واعتبره خرقا للاتفاقيات الموقعة بين الجانبين وطالب بالجلاء عن الموقع المحتل. إلا أن فرنسا اشترطت مقابل ذلك إرسال قوات نظامية مغربية تتولى الحفاظ على الأمن والنظام، وهو ما عجز عنه المخزن آنذاك.

وأثيرت مسألة احتلال رأس العين في مفاوضات فاس سنة 1909 بين السلطان عبد الحفيظ والوزير المفوض الفرنسي بالمغرب (رينيو)، حيث جدد طلب انسحاب القوات الفرنسية من مناطق شرق المغرب وفي مقدمتها رأس العين، مستدلا بمغربية الموقع بموجب الفصل الثالث من اتفاقية مغنية (1845) والفصل الثالث من اتفاق الجزائر الموقع بتاريخ 20 أبريل 1902، فاقترح المفاوض الفرنسي دفع تعويض للمغرب نظير احتلال هذا المركز على أن تقدر قيمته في مفاوضات لاحقة بباريس. وتطبيقا لذلك تضمّن اتفاق باريس الموقع بتاريخ 14 يناير 1910 ما يؤكد مغربية رأس العين، حيث نص البند الثاني على أن : مركز رأس عين بني مطهر - بركنت - الموجود بتراب الإيالة المغربية يعدّ نقطة حيوية لحماية حدود الإيالة الجزائرية، وحسما لمادة الخلاف في هذا الشأن تدفع الدولة الفرنسوية (كذا) للدولة الشريفة معاوضة تُبيَّن بالتوافق بينهما في المستقبل".

وكان الدافع وراء المطلب المغربي ما أقدمت عليه السلطات الفرنسية بالجزائر، حيث ضمت رأس العين إلى التراب الجزائري منذ شهر غشت 1905، بعد أن عمد ليوطي عن قصد إلى إطلاق اسم بركنت (Berguent) على رأس العين، إذ أمر بتشييد ثكنة عسكرية قرب القصبة المخزنية، وحاول إيهام الرأي العام الفرنسي أن هذا الموقع لا يوجد

بالتراب المغربي، فأصبح بذلك المركز المذكور تابعا لدائرة العين الصفراء ضمن التراب الجزائري، بناء على تأويل مغرض للبند الثاني من اتفاق 1910، فأصدر الوالي العام للجزائر (جونار) مرسوما بتاريخ 22 يوليوز 1910 أكد إلحاق عين بني مطهر بالتراب الجزائري، ويُعد تطبيق المرسوم المذكور مسا بالوحدة الترابية المغربية كما أقرها ميثاق الجزيرة الخضراء سنة 1906، مما أثار جدلا حاداً بين وزارة الخارجية ووزارة الحربية الفرنسيتين، حيث اعترف وزير الخارجية الفرنسية آنذاك ستيفان پيشون (Stéphen Pichon) بمغربية رأس عين بني مطهر المثبتة في وثائق دولية، واعتبر أن كل موقف مخالف لهذا الواقع قد يحرج الحكومة الفرنسية أمام الدول الموقعة على ميثاق الجزيرة الخضراء، وخصوصا ألمانيا التي كانت فرنسا بصدد ترضيتها لرفع يدها نهائيا عن المغرب، وبناء على ذلك لم تعد رأس العين تخضع للسلطة المباشرة للحكومة العامة للجزائر، بل صارت تابعة لسلطات الاحتلال بوجدة، مما أكد مغربيتها رغم وقوعها تحت الاحتلال.

إلا أن استبدال الاسم الأصلي باسم برگنت أصبح طاغيا أثناء فترة الحماية، إلى حد أن الذاكرة الشعبية لأكثر من جيل تشبّعت بالاسم الدخيل، فأصبح شائعا لدى عامة الناس في المنطقة الشرقية اسم برگم وهو تحريف لاسم برگنت. وترسخ الاسم الاستعماري في أذهان الناس باستعماله في الوثائق الرسمية، وكان ليوطي قد شجع البحث في كل ما من شأنه إثبات الاسم الدخيل، فسخّر أقلام بعض الضباط الفرنسين لتحقيق هذا المبتغى، فتفتقت عبقرية البعض منهم عن تفسير مفاده أن برگنت كانت تطلق على وادي الشارف في مجراه المحاذي لرأس العين، وأن الحوض الأوسط لهذا الوادي يحمل بالتتابع الأسماء التالية : وادي الشارف، ثم واد برگنت، ثم وادي الحيّ وأخيراً وادي زا الذي يصب في نهر ملوية. ووقع تحديد موقع برگنت على بعد 3 كلم من ينابيع الماء التي تتكون منها عين بني مطهر. إلا أن هذا التفسير تدحضه الاتفاقيات التي سبقت ذلك ومنها اتفاق مغنية سنة 1845 ثم اتفاق الجزائر (20 أبريل 1902)، حيث أشير إلى الموقع باسم رأس العين أو عين بني مطهر، بل إن الوثائق والمصادر الفرنسية نفسها السابقة لاحتلال الموقع المذكور لا تشير إلى التسمية التي أشاعها ليوطي منذ سنة 1904، ونذكر من بينها لامرتينيير ولاكروا، حيث أكد المؤلفان على أن أهم القصور والقرى التي صادفاها بالمجرى الأعلى لوادي زا هي قصبة رأس العين. ومن جانبه أشار علي السوسي السملالي في كتابه *منتهى النقول ومشتهى العقول* (ص. 135 من المخطوط) ما ينفي ادعاءات ليوطي، وكان السلطان مولاي الحسن قد أوفده إلى شرق المغرب سنة 1884 ضمن بعثة مخزنية بهدف إشهار معالم الحدود وحل النزاعات بين القبائل، وقد سجل في رحلته ما يلي : "خرجنا من وجدة ليلا بعد صلاة العشاء، وسرنا الليل كله إلى زوال الغد ووصلنا إلى بني يعلا...، وعند الزوال قمنا من عندهم وبتنا في عين بني مطهر". وفي موضع آخر من الكتاب يصف المؤلف عين بني مطهر بما يلي (ص. 150 من المخطوط) : "... ويوم السبت نهضنا منه (جبل بني يعلا) إلى عين بني مطهر، وهي بلدة كثيرة العيون وفيها نهر كبير يجري على الدوام، ولكن لا ينتفعون به لغرقه جدا وينتفع به من غير بلدهم، وقطعنا تلك المسافة في ست سوائع ونزلنا بواد يسمى الشرف...". تثبت هذه المعطيات بما لا يدع مجالا للشك أن الاسم الأصلي للموقع المدروس هو رأس العين المنسوب لبني مطهر. وهو ما تزكيه الوثائق المغربية الصادرة قبل الاحتلال الفرنسي، وهذا ما أدى في نهاية المطاف بعد حصول المغرب على الاستقلال إلى العودة إلى الاسم الأصلي للموقع بعد أن حاول ليوطي استبداله باسم برگنت، وهذه سياسة اتبعها ليوطي في عدة مواقع بالمنطقة الحدودية، نذكر منها على سبيل المثال بشّار الذي صار يدعى كلونب بشار وأحفير الذي أصبح يسمى أثناء فترة الحماية مارطنبري دو كيس.

ملف وجدة بمديرية الوثائق الملكية بالرباط ؛ علي السوسي السملالي، *منتهى العقول ومشتهى العقول*، مخطوط، رقم D 633، خ. ع. الرباط ؛ ابن زيدان، إتحاف، ج. 5 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي - الدولة المغربية ومشكلة الأطراف الشرقية في مطلع القرن العشرين* (أطروحة غير منشورة).

A. Cour, *Notes sur la région de Berguent, B.S.G.A. d'Oran*, 1909 ; Lt. Gaquière, *Berguent (Ras el-Aïn), 1904 - 1906, B.S.G.A. d'Oran*, 1913 ; C. Galinier, *Les Béni Mathar de Ras El-Aïn (Berguent), B.S.G.A. d'Oran*, 1917; P. Venier, *Lyautey avant Lyautey*, Paris, 1997.

عكاشة برحاب

**راس الواد**، يمتد مجال رأس الواد بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير على مسافة مائتي كلم. ويقصد بالوادي واد سوس. وأهم قبائله رحالة، جزء من أنيْن، أيت سمك، تاكجونت، تالامت، أسيف نايت تامنت، أيت إيگاس، إندوزال، إيرازان، أرغن - مسقط رأس المهدي بن تومرت، إداو قيس، تيوت، گطيوة، المنابهة، أولاد يحيى، تارودانت، هوارة.

تعد منطقة رأس الواد جزءاً مهماً من السوس الأدنى، وهي "صرة سوس ثروة وقوة". فإمكاناتها الفلاحية متنوعة بين البسيط والجبل، لكن حسب دوفوكو لم يستغل منها إلا النزر القليل، وتُرك الباقي للرعي وللغابة.

بالمقابل كانت إمكانياتها الدفاعية تفوق إمكانيات الجهات الأخرى من سوس. وقد ذكرها الرحالة المذكور بتفصيل. ولا نوافقه في حديثه عنها سياسيا بتأكيده أنها كانت غير خاضعة للسلطة المخزنية.

إن قبائلها الجبلية كانت في الأرجوحة، بينما تلك الواقعة في البسيط فهي خاضعة للمخزن باستمرار باستثناء قبيلة أولاد يحيى وأجزاء من هوارة. وكانتا محط قلاقل أقلقت السلطة المركزية أكثر من مرة، وأرسلت إليهما حملات تأديبية كان أخطرها على يد الباشا حمُّ الجيلالي المكناسي.

وقد لا حظنا من خلال المحلات المخزنية النازلة بسوس أنها تعتمد أكثر في تموينها ومدها بالكلف على أهل رأس الواد. فضلاً عن أن مدينة تارودانت كانت على الدوام قاعدة للمخزن المغربي، فهي مقر العمال ومعظمهم من الأسرة المالكة.

وحظيت قبائل رأس الواد بنفس الأهمية على عهد أحمد الهيبة، إذ بدخول أهلها في حركته الجهادية تقوى نفوذه، وبخروجهم عن طاعته أمسى مجالها فاتحة الهزائم التي تقلب فيها.

وفي عهد الحماية كانت منطلقا لاحتلال بقية السوس الجبلي "جزولة" بدعم قيادات محلية وعلى رأسها التيوتي والضرضوري وأيت بازي. كما كانت مدارس رأس الواد وزواياه منذ القديم محجة الجبليين الأفاقيين، واشتهرت كمثيلاتها الهشتوكية بعلم القراآت. واشتهرت كذلك بزاوية تمگدشت وبزوايا ناصرية، أنبتت متصوفة طبعوا التصوف السوسي، ومنهم من وقف ندا ضد شطط القواد والشيوخ.

*وثائق الخزانة الحسنية، وثائق خزانات سوسية خاصة*، بودميعة، أگرض بتمنارت... ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 167 ـ 169 ؛ *المعسول*، 4 : 121 ـ 122 ـ 160 ـ 164 ـ 180 ـ 196 ـ 268 ؛ 6 : 171 ـ 182 ؛ 34،10 ـ 180 ـ 185 ؛ 13، 200 ؛ 18 و 20 صفحات مختلفة.

شفيق أرفاگ

**الراسكاس** (سمك) هذا هو اسمه الشائع في أسواق الأسماك المغربية، ويدعى العقرب في مصر والشرق العربي، وسكروف في الجزائر وبوكشاش الأحمر في تونس. هو سمك بحري من الأسماك العظمية ومن فصيلة سكوربينيدي Scorpaenidae. منه عشرة أنواع شائعه في سواحل بالمغرب، أهمها في الجانب الاقتصادي :

ـ الراسكاس الأحمر Scorpaena scrofa يسمى بالفرنسية Rascasse rouge وبالإنجليزية Red scorpionfich وبالإسبانية Cabracho.

ـ راسكاس الصخور اسمه العلمي Helicolenus dactylopterus (maderenis) ويسمى بالفرنسية Rascasse de fond وبالإنجليزية Rockfich وبالإسبانية Gallineta.

ـ الراسكاس الوردي Scorpaena elongata يسمى بالفرنسية Rascasse rose وبالإنجليزية Slender rockfich وبالإسبانية Gallineta rosada.

ـ الراسكاس الصغير Scorpaena notada يسمى بالفرنسية Petite Rascasse وبالإنجليزية Small red scorpionfich وبالأسبانية Escorpora.

ـ الراسكاس الأسود Scorpaena porcus يسمى بالفرنسية Rascasse brune وبالإنجليزية Black scorpionfich وبالأسبانية Rascacio.

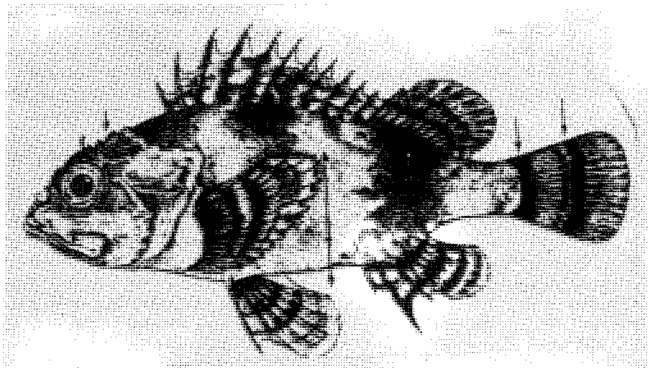

الراسكاس الأحمر قبيح المظهر، الرأس ضخم جدا، كثيف التجاعيد، مزين بعدة أشواك وقنزعات وينتهي بفم واسع ومائل. يشتمل الظهر على زعنفتين متواصلتين، تتكون الأولى من 11 ـ 12 شوكة و 9 شعاعات، الزعنفة الشرجية مكونة من 3 شوكات و5 شعاعات. الأشواك الأخرى قصيرة وسمكية. تتكون الزعانف الصدرية والذيلية من أشعة قصيرة ولينة. الحراشف دائرية، صغيرة ومسننة في غاية الدقة تعطي لمظهر هذا النوع شكل ورقة رجاجية. يختلف لونه بين الكبار والصغار، فاللون الوردي المحمر والمذهب أحيانا يسيطر على ظهر الكبار مع وجود بقع سوداء على الزعانف وأحيانا على الظهر، البطن فضي، الصغار شديدة السواد الأزرق جهة الظهر. الخط الجانبي غير موجود ـ طول الراسكاس الأحمر شائع بين20 ـ30 سم ولا يتعدى 60 سم لدى الكبار.

يعيش في الأعماق المتراوحة بين0ـ 370 متر، سواء منها الصخرية أو الوحلية بالجرف القاري، وكذلك في الأعماق الغنية بعشب پوزيدونيا Posidonia ويصعد أحيانا إلى البحيرات الشاطئية ومصبات الأنهار. موجود بالأخص في الأعماق المتراوحة بين 20 ـ 200 متر على الواجهتين المتوسطية والأطلسية وتستقر الصغار في الأعماق الصخرية. يتوالد من مايو إلى غاية شهر غشت.

يتكون غذاؤه من القشريات والأسماك الصغيرة ومن الرخويات الصدفية. يقتصر توزيعه الجغرافي على الشواطئ الأطلسية والمتوسطية.

يتم صيده بشباك الجر العميقة وشباك الصنانير العميقة وبصنارة اليد ـ صيده تقليدي وشبه صناعي. موجود باستمرار في أسواق الأسماك المغربية ويباع طرياً ومبرداً ومجمداً.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم*

*الزراعية*، مكتبة لبنان ـ ط. 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، معجم *الحيوان*، القاهرة، 1932 ؛ *دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب*. المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

محمد رمضاني

## الرأسمالية ← الليبيرالية

ابن **راشد**، أسرة شفشاونية من شرفاء جبل العلم، تنسب لراشد بن علي بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال بن القطب مولاي عبد السلام ابن مشيشي حفيد إدريس بن إدريس. وأول من اشتهر منهم القائد المجاهد علي بن موسى بن راشد مؤسس شفشاون آتي الترجمة.

ابن **راشد، إبراهيم** بن الأمير علي بن موسى العلمي الحسني، ولد بشفشاون سنة 895 / 1490 وتزوج لأول مرة بالسيدة يطو بنت قائد القصر الكبير طلحة بن عبد الحميد العروسي سنة 916 / 1510 فأنجبت له ابنه الوحيد علياً ؛ ثم تزوج بالسيدة يامنة بنت القائد أحمد بن طلحة العروسي سنة 926 / 1520، ثم بعائشة بنت السلطان محمد الوطاسي البرتغالي سنة 934 / 1528).

كان إبراهيم خليفة لأبيه الأمير علي من سنة 914 / 1508) إلى سنة 922 / 1516 ثم أصبح على رأس الإمارة إلى سنة 946 / 1539 ؛ وتولى حكم تطوان مباشرة من سنة 925 / 1519 إلى سنة 931 / 1525، ونظم عدة هجمات ضد البرتغاليين المحتلين لمدينة أصيلا ؛ وفي سنة 935 / 28 ـ 1529 أصبح الوزير الأول للملك أحمد الوطاسي بفاس إلى أن وافته المنية سنة 946 / 39 ـ 1540.

ابن **راشد، أحمد** بن محمد بن الأمير علي ابن راشد، كان خليفة لأبيه الأمير محمد وناب عنه عندما كان والده أسيراً بفاس من سنة 961 / 1554 إلى سنة 962 / 1555 ؛ وفي سنة 969 / 1562 فرّ مع والده إلى المشرق حيث مات قتيلاً بمصر.

ابن **راشد، إدريس** بن علي بن إبراهيم بن الأمير علي العلمي الحسني. كان له ذكر في مراكش على عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي بصفته أديباً شاعراً ؛ وقد ذكره أحمد المقري في *روضة الآس* من بين الأدباء والشعراء الذين لقيهم بالمدينة المذكورة أثناء زيارته لها سنة 1009 / 1600 كما ترجم له ابن القاضي في *درة الحجال* ويبدو من كلامه أنه كان على قيد الحياة سنة 1025 / 1616.

ابن **راشد، عبد السلام** بن علي العلمي الحسني كان خليفة أخيه إبراهيم بشفشاون، من سنة 937 / 1531 إلى سنة 945 / 1538.

ابن **راشد، علال** بن **سعيد** بن موسى العلمي الحسني كان خليفة لابن عمه الأمير إبراهيم بن علي من سنة 922 / 1516 إلى سنة 937 / 1531.

ابن **راشد، علي** بن **إبراهيم** العلمي الحسني. ولد بمدنية شفشاون سنة 917 / 1511 وكان يرافق والده الأمير إبراهيم في الغزوات التي كان يقوم بها ضد البرتغاليين بمدينة أصيلا ؛ وقّع مع والده وعمّه محمد المعاهدة المبرمة مع البرتغال في 8 دي الحجة 945 / 8 ماي 1538.

ابن **راشد، علي** بن **موسى** العلمي الحسني الأمير المجاهد واسطة عقد هذه الأسرة الماجدة ومؤسس مدينة شفشاون. ولد بقرية إيناروزيم بقبيلة الأخماس الغمارية سنة 844 / 1440 وذهب إلى الأندلس سنة 864 / 1460 حيث حارب هناك بجانب ملك غرناطة، ثم عاد إلى مسقط رأسه سنة فاختاره ابن عمه ابن جمعة العلمي خليفة له كأمير للجهاد. وقد أسس علي ابن راشد مدينة شفشاون سنة 876 / 1471 وجعل منها دار الإمارة الراشدية وظل على راسها إلى سنة 922 / 1516.

وفي سنة 888 / 1481 أعاد الأمير علي بناء مدينة تطوان المخربة. ـ على أحد الأقوال ـ فكان أول حاكم لها إلى سنة 898 / 1493.

وتذكر له المصادر عشرين غزوة قام بها ضد البرتغاليين المحتلين لمدن أصيلا وطنجة وسبتة.

وكانت زوجته الأولى إسبانية اعتنقت الإسلام واتخذت اسم الزهراء وأنجبت له إبراهيم والست الحرة ؛ ونجهل اسم زوجته الثانية التي أنجبت له عبد السلام وعمر، وأما زوجته الثالثة فكانت شريفة علمية أنجبت له أحمد وفاطمة ومحمداً.

توفي الأمير علي ابن راشد بحاضرته شفشاون سنة 922/ 516 وخلفه ابنه الأكبر إبراهيم على رأس الإمارة.

ابن **راشد، عمر** بن راشد بن علي بن سعيد العلمي الحسني، عم الأمير علي بن موسى وخليفته من سنة 876 / 1471 إلى سنة 892 / 1487، شارك في عدة معارك ضد البرتغاليين واستشهد في المعركة التي جرت بضواحي طنجة يوم 22 شوال 892 / 11 أكتوبر 1487 في حين سقط ابن أخيه الأمير علي أسيراً بيد البرتغاليين.

ابن **راشد، محمد** بن الأمير علي بن موسى. كان خليفة لأخيه إبراهيم من سنة 945 / 1538 إلى سنة 946 / 1538 وفي يوم 8 ذي الحجة 945 (8 ماي 1538) وقّع معه المعاهدة المبرمة مع البرتغاليين.

تولى المترجم له شؤون الإمارة الراشدية من سنة 946 (1539) إلى سنة 960 / 1553، وسجن بفاس سنتين عاد بعدهما إلى إمارته بشفشاون سنة 962 / 1555. وقد حاصره جيش السلطان عبد الله الغالب سنة 969 / 1562 وتمكن محمد من الفرار إلى مرسى ترغة ومنها أبحر إلى المشرق حيث كانت وفاته بالمدينة المنورة في تاريخ غير محدد.

ابن **راشد، موسى** بن علي بن سعيد العلمي الحسني، والد الأمير علي ابن راشد مؤسس شفشاون، كان يرافقه في الغزوات التي يقوم بها ضد البرتغاليين المحتلين لمدن أصيلا وطنجة وسبتة ؛ وقد جرح في المعركة التي جرت بضواحي طنجة وسقط فيها ابنه الأمير أسيراً يوم 22 شوال 892 / 11 أكتوبر 1487.

ابن **راشد، موسى** بن **سعيد** العلمي الحسني، مجاهد عمل خليفة لعمه الأمير علي بن موسى، وجاهد إلى جانبه ضد البرتغاليين، وشارك في المعركة التي جرت بضواحي طنجة يوم 22 شوال عام 892 / 11 أكتوبر 1487 حيث سقط أسيراً بيد البرتغاليين صحبة عمه، وظل هناك رهينةً عندما أطلق سراح الأمير ؛ كما شارك في المعركة التي جرت بنفس المكان يوم فاتح ربيع الأول عام 901 / 19 نونبر 1495.

ابن **راشد، يعقوب** بن سعيد بن موسى العلمي الحسني، مجاهد شارك في الغزوات التي كان يقوم بها عمه الأمير علي وسقط أسيراً في المعركة التي جرت بضواحي طنجة يوم 22 شوال 892 / 11 أكتوبر 1487 وظلّ هناك رهينة عندما أطلق سراح عمه ؛ كما شارك في المعركة التي جرت بنفس المكان يوم فاتح ربيع الأول 901 / 19 نونبر 1495.

وفي شهر ذي الحجة 895 / أكتوبر ـ نونبر 1490 عينه عمه الأمير قائداً على فرقة بني ومراس بقبيلة بني عروس ليراقب عن كثب تحركات البرتغاليين في أصيلا.

م. ابن عزوز حكيم، *مولاي علي بن راشد مؤسس شفشاون*، تطوان، 1998، والمراجع المذكورة في هذا الكتاب.

محمد ابن عزوز حكيم

**الراشدي** (أولاد –) أسرة فاسية ذكر صاحب كتاب *إزالة الالتباس* (1 : 216) أنهم على فرقتين : فرقة من الرواشد من أولاد جامع، أهل ثروة ومال وجاه قديم ومعاش وحرفة. ويقال إنهم سكنوا أولاد جامع قريباً وإن أصلهم من ملوية، ولكن رأيت ذكرهم بفاس في وثيقة مؤرخة بعام 1167 / 1753. وقبلها أخري بتاريخ 916 / 1510. والفرقة الثانية شرفاء من جبل العلم كانوا بفاس، والآن انقرضوا لا ذكر لهم بها.

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، ج 1، مرقون.

محمد حجي

**الراشدي، أحمد** بن **يوسف** دفين مليانة، تُحله مصادر التصوف المغربي صدارة الطبقة الزروقية الأولى، وتحليه "بشيخ المشايخ" و "شيخ الطوائف المغربية". وهي تحلية تترجم منزلته الرفيعة في تاريخ الطريقة الشاذلية بالمغرب، والتي ينزِّل من فرعها الزروقي منزلة الشيخ محمد الصغير السهلي (ت. 918 /2 : 1513) من فرعها الجزولي. ذلك أن طريقته الراشدية تعتبر الواسطة التي أوصلت حبل الزروقية بالمغرب، والقناة التي تفرعت عنها به طوائف وزوايا ستعمل إلى جانب مثيلاتها الجزولية على غلبة الشاذلية بالمغرب، حتى أصبحت تعد الطريقة الرسمية به.

ولد في دوار "راس الماء" الواقع في قسم الهضاب الشمالي من وطن بني راشد بالمغرب الأوسط، في تاريخ غير محدد من النصف الثاني من القرن التاسع (15 م). وانتسب إلى الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1493) خلال العقد الأخير من هذا القرن، قريباً من ثغر بجاية، وبالضبط بقرية "تامقرة" التي كانت تأوي المعهد العلمي والصوفي الشهير الذي أسسه يحيى بن محمد العبدلي شيخ زروق.

ظهر أحمد الراشدي في أوليته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين عشيرته، فالإمامة والوعظ في مسجد سوق "أم العساكر" أهم التجمعات القروية بالقسم الشمالي من وطنه، والتي تبعد عن دواره بنحو ستة كيلو مترات. ثم بَنَى أول زواياه بدواره المذكور، بعد إقبال الناس عليه وحصول التعريف به وبمذهبه.

وأزعجته الدولة الزيانية عن زوايته في تاريخ قريب من عام 911 / 1505، فهجرها نهائيا وقضى العقدين المتبقيين من عمره في التنقل بين مختلف جهات المنطقة الغربية من المغرب الأوسط، من سهل شلف شرقاً إلى ندرومة غرباً، ومن السواحل المتوسطية شمالاً إلى التخوم الصحراوية جنوباً. وأسس زوايا متعددة تصدَّر لمشيختها في مواضع مختلفة من هذه المنطقة الشاسعة، قبل أن يلقي عصا التسيار في سهل شلف. واضطلعت زواياه بالأدوار المألوفة للزوايا المغربية، مع ما تفرضه الخصوصيات المحلية والتاريخية من الامتياز أو التخصص في بعض الوظائف والأدوار : من إطعام وإيواء وتعليم وإشفاء، ومواجهة القبائل الهلالية، وإغاثة منكوبي فيضان نهر شلف، ورد المسروق لأهله، وغير ذلك. وقد مر الحسن بن محمد الوزان

(تـ. بعد934 / 1528) بهذه المنطقة مع ركب الحجيج الفاسي أواخر عام 921 / 1516، فنزل في ضيافة الزاوية الراشدية، ونال قِراها، وحظي برعاية شيخها. وخلّف لنا وصفا شافيا عن يسر حاله وكثرة حرثه وماشيته، ووفرة أتباعه، وتوقير الأمراء الزيّانيين له، ومراعاة قبائل الأعراب لجانبه، وذلك في رحلته الشهيرة *وصف إفريقيا*.

كانت للشيخ أحمد بن يوسف يد في الأحداث السياسية التي عرفها المغرب الأوسط خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م)، في خضم تنافس الإمبراطورتين العثمانية والإسبانية على مملكة تلمسان. ويعود لقاؤه بعروج ماهد دولة الأتراك بالمغرب الأوسط إلى تاريخ سابق لسقوط ثغر وهران في يد الإسبانيين عام915 / 1509، ولقيامه هو وأخوه خير الدين بوظيفة الجهاد التي أهملها الأمراء الزيّانيون، ابتداء من عام918 / 1512. وتأكد هذا الاتصال عام923 / 1517 الذي تحرك فيه الجيش التركي بقيادة عروج لنصرة التلمسانيين على أميرهم الزياني وشيعته من المسيحيين. وقد استشهد عروج في معمعة تلمسان عام 924 / 1518، ودخل الشيخ أحمد بن يوسف سجنها، ولم يطلق سراحه إلا بعد سقوطها في يد الأمير الزيّاني المحمول على أكتاف الأتراك. وقد توطدت علاقة الزاوية الراشدية بالأتراك بعد قيام دولتهم بالمغرب الأوسط، ودامت حتى الحملة الفرنسية على الجزائر عام1245 / 1830. وذهب البعض إلى القول باستعانة أتراك إيالة الجزائر بإخوان الطريقة الراشدية في حربهم ضد الدولة السعدية الناشئة التي نافستهم على تلمسان، وأنهم استخدموهم في الدسائس والمؤامرات التي كانوا يمهدون بها لاستكمال نفوذهم على كل بلاد المغرب الإسلامي.

ولم يكتمل نصف العقد على خضوع تلمسان لآل عثمان، حتى وافى الشيخ أحمد ابن يوسف الأجل المحترم في شهر صفر عام931 / 28 نونبر ـ 26 دجنبر 1524. وتذكر سيرته أنه قد أوصى في حياته بأن يشد نعشه إلى ظهر بغلة، ولا يدفن إلا بالموضع الذي تقف فيه. فيممت الدابة مليانة، وهناك قام ضريحه، وظهر لقب الملياني الذي سيغلب عليه ويشتهر حفدته به. ولا يستبعد أن تكون لخير الدين يد في إقامة ضريحه بمليانة لأهميته، وحتى تسهل مراقبة نشاط أتباعه.

ويؤول الفضل في نشاط ذكر الشيخ الراشدي من عقال المحلية المحصور في غرب المغرب الأوسط، وانفلاته إلى مجال أرحب وأوسع، وهو مجال التصوف ببلاد المغربين الأوسط والأقصى، إلى صورته كعارف وكصاحب مذهب صوفي له نظرته الخاصة إلى أهم قضايا المعرفة الصوفية المتعلقة بالله والوجود والإنسان. وقد هرع فيه على أثر مذهب أبي يزيد البسطامي (تـ. 261 / 874)، في صورته المتأثرة برواد الحب الالهي الخالص الذين سبقوه، وبِغُلاة التصوف الذين مهد لهم وجاؤوا من بعده.

واتباع الراشدي للبسطامية لا يتناقض مع نسبته الزروقية، بل يتفق مع ركن من أهم أركانها، وهو مبدأ الاستحسان الذي أكد عليه الشيخ زروق، وأقر أن كل فرد له الحق في اتباع الأحسن من المذاهب الصوفية، والاختصاص بالضرب الصوفي الذي يتفق مع قدرته واستعداده الطبيعي، شرط الرجوع إلى الكتاب والسنة، والتقيد بقواعد الإسلام. فالتصوف في الطريقة الزروقية علم الفضائل والخلائق، والأعمال والحقائق. وقد شجع الشيخ زروق تلامذته من المتعلقين بالحقائق على الإقبال والنهل من مختلف المشارب والتيارات التي عرفها تاريخ الفكر الصوفي الإسلامي، بما في ذلك المذاهب الفلسفية الرقيقة. وذلك في إطار مفهوم للتصوف يراه طريقاً فرديّاً ومنهجاً شخصياً، مقصوراً على الخاصة دون العامة والجهلة ممن لاقدرة لهم على فهم دقائقه.

وهكذا إذا كان الطريق إلى الله، في الطريقتين الزروقية والراشدية، يسلك منهجاً معرفياً واحداً. حيث يتفق الأستاذ والتلميذ في كيفية التفكير في الله، وأدوات هذا التفكير، ودور العقل فيه، والنظرة إلى العالم وأقسامه. وتسير الطريقتان بالسالك على نفس الخريطة التي رسم زروق وسطر عليها معالم الطريق إلى الله، وتقطعان به نفس المنازل والمراحل. فإنه حين تبلغان به قمة المراتب الصوفية، وأعلى الدرجات دنواً من الله، حيث يستحوذ على العارف جمال الله وجلاله، ويستغرق بالكلية في شهود وجوده من خلال صفاته. هنا تنشأ نقطة الخلاف الحاسمة التي باعدت بين الطريقتين. فينتفي التمييز لدى الراشدي بين الموقف بين الألوهية والربوبية، ولا يبقى إلا موقف الحب الخالص الذي يصرف القلب عن مشاهدة تجليات الجمال والجلال في الكونين الدنيوي والأخروي، ويصونه عن الافتراق بين مختلف العوالم. فتضمحل أسباب الخشية والرجاء، وتزول دواعي العمل طمعاً في الجنة وخوفاً من النار.

وقد وافق ميلاد الطريقة الراشدية فجر المائة العاشرة للهجرة، التي وقر في اعتقاد أهلها عدم مجاوزة عامها الألف، الذي سينتهي بفناء الدنيا ونهاية دولة الإسلام. وشهد هذا الفجر عصوف رياح هوج بالبلاد المغربية: فالدول القائمة بها فشلت ريحها، وتفرقت سلطتها أيدي سبأ. وحملة الصليب تمكنوا من أكنافها، والقحوط جف لها ضرع وزرع أرضها، والمجاعات ذوى لها أهلها. فترتب عن هذا الواقع الحالك عواقب استقرت بأذهان أهل القرن العاشر، وأدواء ثوت بأفئدتهم ونفوسهم. وكان الخوف على رأس هذه العواقب والأدواء. وهو خوف لا يزداد ـ مع كرور السنين ـ إلا حدة، ولا تزداد وطأته إلا شدة، بفعل الترقب والانتظار، ترقب القيامة وانتظار يوم النشور! وقد استوى في الاعتقاد بصدق هذا الخبر الخاص والعام من أهل هذا القرن، فالشيخ زروق كان يدعو ربه أن يقبضه إليه قبل أن يشهد هذا القرن، وقد استجاب له وتوفاه في آخر القرن

التاسع (15 م). وتلميذه الراشدي الذي ظهر في أولية القرن العاشر (16 م)، كان يصرح بأنه آخر القرون مع فساده وفساد أهله، إلا أنه كان يرى في ذلك ميزة تعلي من شأن سلطانه الروحي، ويعتقد أن في الأمر حكمة ربانية تختصه دون سواه بسلطنة هذا الوقت.

وهكذا إذا كانت مدرسة المحبين في تاريخ التصوف الإسلامي قد نشأت كرد فعل ضد مدرسة الخائفين، فإن المذهب الصوفي الذي دعا إليه الراشدي، خلال الربع الأول من القرن العاشر، قد جاء كرد فعل ضد الخوف من النار الذي أصبح سمة العبادة على عهده. ولاشك أن الصورة التي قدمها هذا المذهب، والتي تهم العلاقة بين الله والوجود والإنسان، والقائمة على المحبة الخالصة بالأساس، قد ركنت إليها نفوس معاصريه لاختلافها عن بقية الصور التي روجتها المذاهب الصوفية المعاصرة. وهذا الركون هو الذي يفسر لنا القبول الجسيم والانتشار الواسع اللذين حظي بهما هذا المذهب، والذي طارت شهرة مبدعه في حياته شرقا وغربا، وتقاطرت عليه وفود الآخذين والمنتسبين من كل حدب وصوب.

ومن الحق أن التصوف الذي دعا الشيخ أحمد بن يوسف إلى الكروع من حياضه يعد من المشارب الصوفية غير المرغوب فيها من قبل غالبية مشايخ التصوف المغاربة على هذا العهد، لأنهم كانوا يرون فيه أصل شبوب الفتن، والطريق المباشر إلى الانحراف. فكانوا يحذرون الناس من مشايخه ويصرفونهم عن مصنفاته، ويقولون إنها تسد باب الفتح. فرنقت الشبهات فوق الراشدي ومذهبه، منذ خطا خطواته الأولى على درب المشيخة إلى أن شاع نعيه في الناس، وجُوبه أتباعُه بالمكافحة في كل من المغربين الأوسط والأقصى. وألف علماء القرنين العاشر والحادي عشر (16، 17 م) في الرد عليهم والتحذير منهم، وامتُحنت بعض طوائفهم على عهد كل من الوطاسيين والسعديين والعلويين.

ونَسبَت الأجيال المتعاقبة من أهل المغرب الأوسط إلى الشيخ أحمد بن يوسف أدعية مدقعة ومرسلة باللسان الدراج، تهم معظم بوادي وحواضر هذا الصقع. ونسج المتأخرون قصصاً، سدُّوا بها الثلمة الحادثة في المرحلة السابقة من ترجمته لأخذه عن الشيخ أحمد زروق. وابتدأ الاهتمام بالراشدي والراشدية في الأسطوغرافية الكولونيالية مباشرة بعد احتلال الجزائر عام 1245 / 1830، وتم تجميع كل هذه الأدعية والقصص ونشرها. وحصلت العناية بالسير المبكرة والمتأخرة والمفردة في الشيخ أحمد بن يوسف، وتمت قراءتها على ضوء أحداث التاريخ الديني والاجتماعي والسياسي للمغرب الأوسط خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م). وتنكبت الدراسات التي اهتمت بالراشدي والراشدية تمام التنكب عن مذهبه الثاوي في ثنايا سيرته المدونة من قبل محمد الصباغ القلعي، ما بين أعوام 952ـ962 / 1545 ـــ 1555، والموسومة *ببستان العارفين الأزهار*، فافتقدت بذلك مفتاح الإشكال الذي ظل يعتور هذه السيرة طيلة أربعة قرون، وقوامه تأرجحها بين التسنين والتبديع. ولم تزدها هذه الدراسات إلا غموضاً، ولم تفلح سوى في تحويلها إلى أغرب وأعقد سيرة في تاريخ التصوف المغربي.

م. الصباغ القلعي، *بستان العارفين الأزهار، في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار*، مخطوط، خ. ع. 243 ك ؛ مؤلف مجهول، *التعريف بنسب الشيخ الإمام قدوة السالكين وإمام العارفين وتاج الموحدين وترجمان المتكلمين قطب الأقطاب وغوث الأغواث وجرس الأجراس سيدي أحمد بن يوسف*، مخطوط خ. ع. 1457 د ـ 1471 د ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، ط. 2، بيروت، 1983، 2 : 26ـ29 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، الرباط1977، 125 ؛ أ. بن القاضي، *درة الحجال*، I :165 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية، 224 ؛ م. الحفناوي، *تعريف الخلف برجال السلف*، ط. بييرفونتانة الشرقية في الجزائر، 1909، 972ـ100 ؛ ع. نجمي، *طائفة العكاكزة*، 1 : 1ـ265.

R. Basset, *Notice biographique sur Sidi Ahmed ben Youssef, J.A.*, 1889 ; *Dictons satiriques attribués à Sidi Ahmed ben Youssef, J.A.*, 1890 ; S. Biarnay, *Notes d'ethnographie et de linguistique Nord Africaines*, Paris, 1924, 117 - 122 ; M. Bodin, *Notes et questions sur Sidi Ahmed ben Youssef, R.A.*, n°323 - 324, 1925 ; E. Dermenghem, L*e culte des saints dans l'Islam Maghrébin*, Paris, 1954 ; J. Berque, *Les Arabes par leurs archives, XVI - XX siècles*, Paris, 1976 ; *L'intérieur du Maghreb*, Paris,1978.

عبد الله نجمي

**الراشدي، عبد القادر الرباطي** موسيقي ولد بالرباط عام 1348 / 1929 بدأ مسيرته الفنية وهو لم يتم العقد الثاني من عمره فتكشفت موهبته الفنية، وأقبل في عصامية متناهية على دراسة أصول الموسيقى العربية اعتماداً على بعض الكتب الشرقية، وعُني بتعلم أصول الآلة الأندلسية وحفظ صنعاتها على يد عميدي هذا الفن بالرباط الحاج عبد السلام بنيوسف والفقيه الحاج محمد

السبيع، وكان إلى ذلك مولعا بحفظ الموشحات والأدوار الشرقية، مواظبا على سماع قصائد الملحون والأهازيج الشعبية، ومستعملات أرباب الزوايا وأمداح الطوائف الطرقية كالعيساوية والحراقية والجيلالية.

دخل الراشدي دنيا الاحتراف الموسيقي في مطلع عام 1364 / 1944 عندما انضم إلى جوق الاتحاد الرباطي الذي كان يرأسه عبد النبي الجراري. وبعد ذلك بنحو عامين استقل الراشدي بنفسه ليلم من حوله مجموعة من المطربين أطلق عليها اسم "جوق التقدم" الذي أصبح يحتل موقع المنافس الشديد لجوق الجراري، كما أصبح يقاسمه حظوة الاضطلاع بإحياء حفلات الأعراس في الأوساط الرباطية بعدما كان ذلك موكولا إلى أجواق الآلة الأندلسية.

ويذكر شاهد عيان، عبد الله شقرون، أن البرنامج الفني لجوق التقدم كان يقوم على أهازيج مصرية وموشحات جزائرية أندلسية، إضافة إلى بعض الأغاني التي لحنها رئيس الجوق نفسه".

وقد كان الراشدي من السباقين إلى العمل في الجوق الذي أسسته إذاعة (راديو ماروك) عام 1371 / 1952. غير أن الظروف السياسية التي سادت البلاد بسبب نفي الملك محمد الخامس قلصت من نشاط هذا الجوق، فانتابه التعثر ثم توقفت عناصره عن العمل فيه، ومن بينهم عبد القادر الراشدي.

وفي هذه الأثناء دعاه زملاؤه في الحركة الوطنية إلى تلحين بعض الأناشيد، فكان شبان الرباط يتغنون بها في المخيمات ورحاب المدارس الحرة، وكان مما أبدعه في هذه الفترة رائعته الموسيقية "رقصة الأطلس"، التي لحنها في مخيم خرزوزة بالقرب من مدينة أزرو مع تلامذة مدرسة مَحمد حيسوس وأساتذتها.

وفي هذا الصدد يقول الراشدي في استجواب أجري معه عام 1395 / 1975 كنا نتصل بالتلاميذ والطلبة سواء في المدارس أو في المخيمات وبالعمال في المعامل لإحياء حفلات موسيقية والتغني بأناشيد وطنية، هدفنا من ذلك التعريف بالوطنية المغربية وبعث الشعور الوطني في نفوس المغاربة.

وكان لرجوع محمد الخامس من المنفى الأثر الأكبر في عودة الحياة إلى جوق الإذاعة الذي أصبح يعرف باسم الجوق العصري لدار الإذاعة الوطنية، وعاد الراشدي وزملاؤه يتربعون مقاعدهم بقيادة المرحوم أحمد البيضاوي، فكان الراشدي من خيرة أعضائه عازفاً على الكمان وملحناً، أتحف جمهور المستمعين بروائع الألحان، وفي مقدمة ذلك نشيده الوطني الخالد : "عُدْتَ ياخير إمام" الذي وضع كلماته محمد بلحسين، ومنذئذ انهالت أناشيده الوطنية غزيرة مدرارة كان من بينها : حبّ الوطن من الإيمان - أنشودة الاستقلال - أمير الشباب، شارك بهذا النشيد الأخير في مباراة نظمتها الإذاعة الوطنية، مطلعه :

ولي العهد ياولي العهد أمير الشباب عليك السلام
ودمت عظيما رفيع المقام أمير الشباب عليك السلام

ومنها نشيد التجمع الكشفي العربي الخامس الذي انعقد بالمعمورة في صيف 1962. وهو من كلمات الشاعر أحمد عبد السلام البقالي ومطلعه :

مرحبا بالعرب في ديار العرب

وسيتحول الجوق العصري عام 1379 / 1959 في عهد مدير الإذاعة المهدي المنجزة إلى جوق ضخم يحتضن عناصر "جوق المتنوعات" الذي كان يرأسه محمد بن عبد السلام من جهة، ويستقبل من جهة أخرى مجموعة من الفنانين القادمين من الدار البيضاء وعلى رأسهم عازف العود عمرو الطنطاوي، الأمر الذي أفضى إلى تسميته باسم جديد هو "الجوق الوطني لدار الإذاعة" غير أن رحيل المدير المنجرة عن الإذاعة كان إيذانا بتسرب النزاع إلى صفوف أعضاء الجوق بسبب منافسة الراشدي وأحمد الشجعي ومحمد بن عبد السلام لأحمد البيضاوي على منصب الرئاسة. وانتهى هذا النزاع بتعيين الثلاثة على رأس أجواق جهوية، فعين الراشدي على رأس جوق إذاعة طنجة، ونال مثلَ ذلك الشجعي بإذاعة فاس، ومحمد بن عبد السلام بمدينة مكناس.

استطاع الراشدي خلال فترة إقامته بطنجة أن يخلق جوقا قويا، غير أن تمسكه بإبداعاته وشغفه بأسلوبه الخاص في الأداء والتسجيل كان مما عجل بانفضاض أعضاء الجوق من حوله، فلم يجدبداً من مغادرة طنجة والعودة إلى الرباط عام 1384 / 1964، ليتقلد مسؤولية رئاسة الجوق الوطني خلفا لأحمد البيضاوي الذي تسلم رئاسة قسم الموسيقى بدار الإذاعة الوطنية. واستمر الراشدي على رأس الجوق الوطني إلى أن أحيل على التقاعد عام 1410 / 1989.

تعددت مجالات إبداعات الراشدي وتنوعت مواضيعها، فلحن الأغاني العاطفية والأناشيد الوطنية والابتهالات الدينية، وألف مقطوعات في قالب الموشح الشرقي، كما ألف معزوفات آلية متعددة، فناهز ما وضعه ثلاثمائة مقطوعة موسيقية موزعة ما بين الشعر الفصيح والزجل المغربي، ولم يقل عدد المعزوفات الآلية عن العشرة، من أروعها "رقصة الأطلس"، و"فرحة غانا" التي وضعها بمناسبة زيارة الرئيس قوامي نكرومة للمغرب، و"تحية العرش"، و"مهرجان" و"الربيع"، و"بستان".

تعامل الراشدي مع جل الأصوات المغربية الناجحة، وأكثر أغانيه مما أداه الفنان الراحل إسماعيل أحمد الذي غنّى له زهاء خمسين أغنية من أروعها : زينة - هجرك قاسي - ياللي جاهك عالي - المثل العالي - حبيبي لما عاد - عيدك نُورُه شاعْ وبان - ناديني يا مليكي - مراكش بين النخيل.

ويأتي بعد إسماعيل أحمد من المطربين المعطي بلقاسم، وعبد الهادي بلخياط، وعبد الوهاب الدكالي، ومحمود

الإدريسي، ومحمـد الحيـاني، وعبـد المنعم الجامعي، ومن المطربـات سميرة بنسعيـد. ولطيفة رأفت، ورجاء بلمليح، ونعيمة سميح، وعزيزة جلال...

أما الشعـراء الذيـن تعـامل معهم الـراشدي فأشهـرهم محمـــد بلحسين، وأحمـــد الطيب العلج، وعلي الحداني، والطاهر سباطة، وحمادي التونسي، وعلى الصقلي، كما تعامل مع شعر ابن زيدون، واقتبس من *كناش الحايك* بعض أشعار الآلة الأندلسية.

وقد شكل الشاعر محمد بلحسين والمطرب إسماعيل أحمد إلى جانب الراشدي ـ ملحنا ـ "الثـالوث المتكامل" الذي وفق إلى إبداع جملة من الأغاني الناجحة.

عايش الواشدي فترة نشوء الأغنية العصرية، وكان له دور كبير في إرساء قواعدها الأولى وفي تطويرها على امتداد أربعة عقود من حياته، ومنذ أن وضع أول ألحانه عام 1367 / 1947 وهو في سن السابعة عشرة من عمره.

وتميز الراشدي من بين الملحنين المغاربة بامتلاك أسلوب خاص في التلحين كان يتسم بالتجديد والابتكار ويتمسك في ذات الوقت بالحفاظ على خصوصيات الهوية الوطنية.

وفي سياق هذين التوجهين انطبعت أعماله بخصائص أبرزها :

* إعادة تلحين بعض أشعار "الآلة الأندلسية" على نمط الموشح الشرقي، وظف في بعضها الايقاعات المستمدة من هذه الموسيقى من قبيل ميزان انصراف البـطايحي، إلى جانب تـوظيف المقامـات الشـرقيـة. ومـن نمـاذج هـذه الموشحـات : مـوشح "سقاني" القـائم على إيـقاع سمـاعي ثقيل الشرقي، ومـوشح نعشق الشمـائل"، ومـوشح "يـاليل طُل"، وهما من أداء المطرب محمود الإدريسي.

* توظيف مقامات وإيقاعات الآلة الأندلسية في تلحين بعض الأغـاني. ومن قبيل ذلك أغنيـة "غـاب علي الهلال" التي تـؤديهـا المطربـة نعيمـة سميح على ميـزان انصـراف البطايحي، وأغنيـة "جاري يـا جاري" التي تـؤديهـا نفس المطربة على طبع الرصد.

* استخـدام المقـامـات الشـرقيـة في تلحين أغـانيـه الزجلية.

* استخدام تعددية المقامات في تلحين الأغنية الواحدة. ومن أمثلة هذا أغنية "طايع راضي نموت شهيد" التي أداها إسمـاعيل أحمـد على مقـامـات البيـاتي والعجم والصبا والسيكا.

* استخدام إيقاعات شعبية محضة من قبيل الإيقاع الخماسي في أغنيته الدينية "يا محمد يا شفيعنا الهادي".

لقد كان عبد القادر الراشدي نموذجا حيا للفنان الذي نجح في التوفيق بين خصائص الموسيقى المغربية والشرقية، والذي عرف كيف يقدم التراث الموسيقي الوطني في صيغ تجمع بين الأصـالـة والابتكـار. وكـان يصـدر فـي ذلك عن قنـاعـة تـرسخت لـديـه ولم يفتأ يعبر عنهـا في اللقـاءات والمناظرات التي نظمتها وزارة الشؤون الثقافية أونقابة الموسيقيين المغـاربـة، وهي ضـرورة تلقين الألـوان الموسيقيـة التراثيـة وتشجيع البحث فيها بين طلاب مؤسسات التعليم الموسيقي.

وتقديراً لجهود الراشدي في خدمة الأغنية المغربية تم تكريمه في حفل خاص أقيم بمدينة المحمدية عام 1412 / 1991 حيث نصب عميداً للموسيقى المغربيـة، كمـا تم ترشيحه لنيل جائزة المجمع العربي للموسيقى في مؤتمره الخامس عشر المنعقد بلبنان ـ بيروت ـ في ماي 1999.

تـوفي عبد القادر الراشدي بالرباط يـوم الخميس 12 جمادى الثانية 1420 / 23 سبتمبر 1999.

جريدة *التحرير*، عدد 24 ـ 12 ـ 1961 ؛ ع. اللطيف جبرو، جريدة *الأحداث المغربية*، ع. 2 ـ 3 أكتوبر، 1999 ؛ ع. الله شقرون، مجلة *الفنون*، س 2، ع 5 و6، محرم وصفر 1395 يبراير ـ مارس 1995، ص. 31، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية؛ صالح الشرقي، *جُلْ تَر المعاني*، ص. 19 ـ 20، الدار البيضاء ؛ مصطفى بنريسول، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، ع. 2 ـ 2 ـ 1997.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الراشدي، عبد القادر المراكشي** الحشمي ويدعى أيضاً الشرگاوي، فقيه أديب مشارك من علماء المغرب الأوسط، ولد ونشأ بتلمسان، ودرس فيها وفي وهران، ثم هاجر إلى فاس في جملة من هاجر إليها بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1246 / 1830، واشتغل بالتدريس في القرويين، ومنها انتقل إلى مراكش في حدود سنة 1268 / 1852 حيث عينه السلطان عبد الرحمن بن هشام قاضيا بها، بتـوصيـة من الشيخ الصـالح الحاج محمـد البـركـة المراكشي.

حلّى صاحبُ *الإعلام* المترجم بقوله : "كان آية في الذكاء ومعرفة الفقه والفروع، ممن أتى بالجواهر من معادنها وامترى الضروع، لا يشق غباره، ولا يبارى مضماره، وأخذ من العربية والحديث بأوفر نصيب، وتمسك من الفطنة بعقل راجح مصيب، كان جامعا مانعا، وإماما جليلا بارعا، أحلى الناس نظما ونثرا، وكتابه وشعراً".

وأشار صاحب *اللؤلؤ المكنون* إلى سعة أفق المترجم في ميدان المعرفة ومشاركته "في علوم شتى من نحو ومنطق وبيان وحساب وتنجيم وفقه وحديث وعروض وفرائض وأصول".

توفي بمراكش يوم الخميس منتصف جمادى الأولى عام 1272 / 23 يناير 1856.

م. بن المعطي السـرغيني، *حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من*

*الأخيار*، مخطوط ؛ العربي المشرفي، *الحسام المشرفي*، مخطوط ؛ م. التاشفيني، *اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط،1977، 8 : 463 ــ 465 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 : 2605.

محمد حجي

**الراشدي، علي بن الجيلالي** الجامعي الطريي، ينتمي إلى بيت مرموق من بيوتات قبيلة أولاد جامع المُجاورة لمدينة فاس. لا ندري على وجه التحديد تاريخ ميلاده، ولكن وثيقة بتاريخ ثاني جمدى الأولى عام 1311 / 11 نونبر 1893، وصفته بأنه "من العمال الملحوظين (عند السلطان)، ولا سيما مع كبر سنة..."، الأمر الذي يحملنا على الاعتقاد أن مولد الرجل قد يرجع إلى العقد الثاني أو الثالث من القرن الثالث عشر (19 م).

وأيّاً كان الأمر، فإننا نجده فيما بعد إلى جانب القائد العربي ولد ابّ محمد الشرگي باشا گيش شراگة وأولاد جامع وفاس الجديد، في منصب النائب عنه، مكلفا بأحواز هذه المدينة، قبل أن تسند إليه مهام باشوية مدينة تارودانت في صيف سنة1304 / 1886 ، حين قدم السلطان المولى الحسن إلى منطقة سوس للمرة الثانية.

ومعلوم أن مناصب من هذا المستوى وهذا النوع، في مناطق نائية لم يكن أهلها دوماً طوع اليد، كان المخزن يُسندها إلى ذوي الخبرة والتجربة من أعوانه الكبار الذين يحظون بكامل ثقته. والدليل على ذلك، أن صاحبنا قبل مجيئه إلى الأصقاع السوسية، كانت تُزاول هذه المهام شخصية بارزة في الجهاز المخزني وقتئذ، ويتعلق الأمر بالقائد بوشتى بن البغدادي الجامعي. ومن غريب الصدف أن يتولى الراشدي بعده، مرة أخرى، عاملاً على فاس العتيق، على إثر وفاة ابن البغدادي بها في 30 يناير 1893.

بيد أنه لم تدم مدة حكمه للحاضرة الإدريسية طويلا، إذ كان من بين الأشخاص الذين شملتهم الحملة الانتقامية التطهيرية التي دشنها الوزير الصدر احماد بن موسى البخاري ضد آل الجامعي ومن عدّ من "حزبهم" على إثر وفاة السلطان المولى الحسن سنة 1312 / 1894، بصفته واحداً من أصهارهم المرموقين في الجهاز المخزني، إذ كان متزوجاً بواحدة من أخوات الوزير الصدر محمد بن العربي الجامعي، على عهد السلطان المولى الحسن، فعزله احماد بن موسى عن فاس وعينه عاملاً على العرائش. وظل محتفظاً بهذا المنصب إلى أن وافته منيته في سادس وعشري جمادى الثانية عام 1313 / 14 دجنبر 1895. بمدينة الرباط، حيث مرقده الأخير بمقبرة العلو، تاركا تسعة أبناء ذكور، يتصدرهم عبد الرحمن بن علي بن الجيلالي الراشدي، خليفته وساعده الأيمن في السنوات الأخيرة من عمره.

ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، مخطوط، خ. ع، ك 1281، ص. 512 ؛ الخزانة الحسنية بالرباط، *الوثائق الزيدانية*، مجلد 30، وثيقة رقم30 بتاريخ 12 ذي القعدة 1301 / 3 سبتمبر 1883 ؛ مجلد 29، وثيقة رقم13 بتاريخ 2 جمدى الأولى 1311، الموافق لـ 11 نونبر 1893 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت،1986، ج 9 : 2804.

Archives Ministère Guerre - Vincennes, Carton 3h7, Rapport n° 99 du Cap. Thomas, Janvier 1893, p. 5.

مصطفى الشابي

**الراشدي، علي بن عيسى** التلمساني الفاسي، من علماء المغرب الأوسط الذين هاجروا إلى فاس بعد الاحتلال الإسباني للمرسى الكبير ومدينة وهران.

جاء علي الراشدي إلى فاس سنة 911 / 1506 وهو لا يتجاوز العشرين سنة، فكان يحضر مجالس كبار علماء المدينة الإدريسية كالمقرئ محمد الهبطي السماتي مؤلف كتاب الوقف في القرآن، والفقيه أحمد الدقون وأضرابهما. وكان في نفس الوقت يلقي دروساً في مبادئ النحو والقراءات قبل أن ترسخ قدمه ويستد ساعده فيسند إليه كرسي القراءات والسيرة النبوية بمسجد الشرفاء ويأخذ عنه نجباء الطلبة أمثال أحمد المنجور الذي خصه بترجمة حافلة في *فهرسه*.

توفي بفاس سنة961 / 1554.

أ. المنجور، *فهرس*، الرباط، 1977، ص. 69 ـ 71 ؛ م. القصار، فهرس، مخطوط ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، الرباط، 1973، 2 : 491 ؛ *درة الحجال*، تح. م. الاحمدي أبو النور، القاهرة، 1970، 3 : 256. م. حجي، *الحركة الفكرية*، فضالة،1978، 2 : 356.

محمد حجي

**الراشدية، إمارة** بشمال المغرب. تأسست على إثر سقوط مدينتي أصيلا وطنجة بيد البرتغال سنة 876 / 1471 م)، على يد الشريف علي ابن راشد مؤسس مدينة شفشاون، وكان نفوذ هذه الإمارة يشمل القبائل التالية : الأخماس - بني زكار - بني يسف - سماتة - بني گرفط - بني عروس ـ جبل حبيب ـ بني مصور ـ بني يدر ـ بني حزمر (التي كانت تعرف أيضاً ببني يجم) بني ليث - بني حسان ـ بني سعيد ـ بني زجل ـ بني زيات ـ بني بوزرة ـ بني سليمان.

وقد عمّرت الإمارة الراشدية ثلاثاً وتسعين سنة (876 - 969 - 1471 - 1561). واشتهر أمراء بني راشد بالجهاد ضد البرتغاليين، وتعاقب على حكمها بعد الأمير المؤسس علي ابن راشد، ابنه إبراهيم بن علي، ثم ابنه الثاني محمد بن علي، ثم حفيده أحمد بن محمد بن علي بصفته نائباً عن والده السجين بفاس الذي لم يطلق سراحه إلا سنة962 /

1555 فعاد إلى إمارته بشفشاون لكن قوات السلطان عبد الله الغالب هاجمته في شهر صفر عام969 / أكتوبر 1561. وقضت على الإمارة الراشدية في نطاق إعادة توحيد البلاد تحت سلطة السعديين.

م. ابن عزوز حكيم، *مولاي علي ابن راشد مؤسس مدينة شفشاون*، تطوان، 1998.

محمد ابن عزوز حكيم

**الراشدية طريقة صوفية** أسسها الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي متقدم الترجمة، بالمغرب الأوسط، خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م). ووسمها محمد بن علي السنوسي (ت. 1276 / 1858) "باليوسفية" و"الراشدية ـ الزروقية"، وذلك في كتابه *المنهل الروي الرائق*. وكل هذه التسميات نشأت عن الحاجة إلى التصنيف، وتتصل بوطن بني راشد نجار الشيخ أحمد بن يوسف وداره، وبوالده، وبطريقة شيخه. وتبقى "الراشدية" التسمية التي ينبغي وضع اليد عليها وترك مادونها، لدلالتها على خصوصية هذه الطريقة، واستقلالها عن الزروقية في عدد من أصولها وتعاليمها. وتمييزاً لها كذلك عن الطائفة "اليوسفية" التي هي واحدة من الطوائف التي تفرعت عنها بالمغرب الأقصى، في حياة الراشدي، وبالغت في التأسي بها إلى درجة القناعة بإحدى تسمياتها والتعفف عن اتخاذ اسم يخصها.

والطريقة الراشدية عدت دائماً حلقة من السلسلة الشاذلية ـ الزروقية، وأنها على هذا الأساس نشأت وانتشرت في الآفاق. واعتبرت الواسطة التي أوصلت حبل الزروقية بالمغرب، والقناة التي تفرعت عنها به طوائف وزوايا ستعمل إلى جانب مثيلاتها الجزولية على غلبة الشاذلية بالمغرب، خلال عصر التصوف هذا، حتى أصبحت تعد الطريقة الرسمية به. هذا من حيث السند، أما من حيث النحلة فقد اقتفى الشيخ الراشدي أثر أبي يزيد البسطامي (ت. 261 / 874)، وجعل مذهبه إحساناً بلا علل، وقال بالمحبة الخالصة، والتساهل في تحقيق الرجاء والخشية. وهذا لا يتناقض مع النسبة الزروقية، بل يتفق مع مبدأ الاستحسان الذي يعد من أهم مبادئها.

وافق ميلاد الطريقة الراشدية فجر القرن العاشر الهجري، الذي اعتقد خاصة وعامة أهله عدم مجاوزة عامه الألف، فأقبلوا على شيخها ومذهبه يزفون. ويذكر محمد المهدي الفاسي (ت. 1109 / 1698) من الآخذين عن الراشدي من المشايخ وأرباب الطوائف والزوايا من المغاربة : عبد الله الخياط (ت.939 / 1533،2) دفين زرهون، ومحمد بن عبد الرحمن السهيلي (ت. 936 / 1530) دفين السهل من بلاد گير، ومحمد الحاج الشطيبي (ت.981 / 1574) دفين تازغدرة من قبيلة بني زروال، ومحمد بن عبد الرحمن ابن جلال (ت. 981 / 1574) دفين فاس، ومحمد بن عبد الجبار (ت. 956 / 1549) دفين فجيج، وعلي بن عبد الله الفيلالي دفين سجلماسة، ومحمد بن عبد الله أمغار والزبير بن محمد المحمدي دفينا فاس، ومحمد بن قاسم الجوزاتي التازي دفين هسكورة، وأحمد المجذوب الحمياني، وأبو سعيد الدخيسي، ويعقوب الدخيسي، وغيرهم.

هكذا فتح الراشدي عهداً جديداً في تاريخ الطريقة الزروقية بالمغرب بوجه خاص والطريقة الشاذلية بوجه عام : فعن طريقه ستتفرع طوائف مغربية عديدة، وستنتسب إليها زوايا شتى، بالإضافة إلى كبار صحبه من المغاربة ممن لا يعرف أنهم أسسوا طريقة أو أقاموا زاوية. وسيصبح الشيخ أحمد زروق (ت.899 / 1493) عن طريقه الواسطة في الشاذلية بالنسبة للخياطية والغازية والسهيلية والصادقية والكرازازية والشيخية والناصرية والحنصالية والزيانية، وغيرها من الطرائف والزوايا المغربية.

وإذ يتفق أعلام الطبقة الراشدية الأولى هؤلاء في السند الراشدي ـ الزروقي، فإنهم يختلفون في الاتجاهات الفكرية والمذهبية التي ساروا فيها، وقوامها ثلاثة :

الاتجاه الأول، وهو الغالب ويضم المشايخ الذين نظمت علاقات سابقة ومختلفة بينهم وبين الزروقية، وإنما انتسبوا إلي الراشدي قصد الحصول على سنده الرفيع في الزروقية باعتباره صدر طبقتها الأولى. وهذه حال الشيخ عبد الله الخياط الذي ولد في بيت صوفي زروقي، وشب في خضم نضال أهله في سبيل نشر الزروقية بالمغرب، من القاهرة إلى برقة وقابس فوهران ومازونة. وتمتع بشهرة بيته بالصلاح في المغرب الأوسط، وتحلى بسند عال في الزروقية، وواسطته فيه والده إبراهيم وإخوته عمر ومحمد العربي ومحمد الطيب، وكلهم أفراد الطبقة الأولى الزروقية. ولا يستبعد أن تكون فرصة رؤية الشيخ زروق قد أتيحت له خلال العقد الأول من حياته، والذي وافقت وفاة الشيخ اكتماله. وهذه أيضاً حال الشيخ الشطيبي الذي انتسب إلي الزروقية بالبلاد المشرقية، والتقى بعدد من مشايخها المشارقة. واستقر في طريق أوبته من هذه البلاد بضريح الشيخ زروق بمسراتة، وذلك لمدة ثلاثة أعوام كاملة عكف خلالها على دراسة الزروقية في أصولها المكتوبة بخط مبدعها، ونسخ ما استطاع من تراثه الضخم، وتباحث في مسائلها مع كبار صحب زروق من المستقرين بضريحه أو المترددين إليه من المشرق والمغرب، وهذا قبل أن يدخل المغرب الأوسط، ويأخذ عن الشيخ الراشدي.

الاتجاه الثاني، وقوامه تلامذة الراشدي الذين دخلوا المغرب لنشر الطريقة الراشدية به، وأنشأوا على هذا الأساس طوائف وزوايا به. وقد تزعمتهم الطائفة "اليوسفية" التي بالغت في التأسي بالراشدية التي تسللت منها إلى درجة انتحال أحد أسمائها والتعفف عن اتخاذ اسم يخصها ويميزها عنها، وظلت تعرف بهذا الاسم طوال

القرن العاشر (16 م). وستدعى من بعده، وعلى مدى تاريخها الطويل الممتد إلى القرن الرابع عشر (20 م)، بتسميات متعددة. منها ما ارتضاها أتباعها لأنفسهم كالأحمدية والملاينة نسبة إلى الشيخ أحمد بن يوسف وضريحه بمليانة، ومنها أطلقها خصومهم عليهم كالبضاضوة نسبة إلى الإباضية، والشراكة نسبة إلى القبائل التي طرأت على المغرب من المغرب الأوسط، والعكاكزة نسبة إلى العكاز أحد شعارات الفقر، وهي التسمية التي اشتهرت بها هذه الطائفة أواخر الدولة السعدية وصدر الدولة العلوية، وطغت على كافة تسمياتها السابقة. بالإضافة إلى القبائل التي ظلت على هذه النحلة إلى مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، والتي لم تعد تعرف إلا بأسمائها كالزكارة وبني محسن والغنانمة والملاينة. وتعبر تسميات خصوم اليوسفيين عن رغبتهم في قطع صلتهم بالراشدية، واخراجهم من سلك التصوف بالمرة، والزج بهم في دائرة أهل الملل والنحل.

الاتجاه الثالث، وقوامه الطوائف والزوايا المتصلة السند بالشيخ أحمد بن يوسف، والتي حدث مشايخها بسندهم إليه بمقالة "من رأى من رآني إلى سبعة ضمنت له الجنة". وهي مقالة سابقة في تاريخ التصوف الإسلامي والمغاربي لتأسيس الطريقة الراشدية، ومتسلسلة في سندها إلى الشيخين عبد القادر الجيلاني (ت.561 / 1167) وعبد الرحمن الثعالبي (ت.875 / 1470). وقد قال الشيخ الراشدي بهذه المقالة التي تنسجم مع موقف الإنسان من الوجود في مذهبه، والمنبني على تجاوز الكون الأخروي نعيمه وجحيمه إلى مبدع الكون وخالقه. ويبدو أن المقصودين بها هم العوام من الأتباع ممن لا قدرة لهم على فهم مذهبه في صورته النظرية والمجردة. والمشايخ الذين تواردوا على نقل هذه المقالة واشاعتها بين مغاربة القرنين العاشر والحادي عشر (16 و17 م) هم شيوخ الغازية والناصرية والشرقاوية.

وقد تزامنت هذه الاتجاهات الثلاثة التي تفرعت إليها الراشدية، بعد دخولها إلى المغرب في حياة الشيخ أحمد بن يوسف، خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م). وصادفت الأيام المعتمة للمتأخرين من بني وطاس، والمتسمة بكساد سوق العلم، وتعطل الاشتغال بالفكر. فلم يميز بينها معاصروها من الفقهاء والصوفية المغاربة، وبادروا إلى معارضتها، وأغروا المخزن الوطاسي بمكافحتها. وامتحن الجيل الراشدي الأول من قبل السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتغالي، الذي تسنم عرش مملكة فاس ما بين 911 ـ 931 / 1505 ـ 1524. وفرغ الشيخ أبو البقاء عبد الوارث اليالصوتي (ت. 971 / 3، 1564) يوم 17 رمضان942 / 10 مارس 1536 من رسالته الموسومة *المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب*، التي حمل في مواضع متفرقة منها، على الطريقة الراشدية شيخاً ومذهباً وأتباعاً.

ويؤرخ عهد السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي (965 ـ982 / 1557 ـ 1574) لذوبان الطوائف والزوايا الراشدية بالمغرب في النسيج العام للحياة الصوفية السائدة في البلاد، واستعصاء اليوسفيين عن هذا التحول والانقلاب. وتسجل المصادر انتقال بدعتهم من بدايتها وقوامها النحلة الراشدية إلى متوسطها وهو الغلو في محبة الشيخ أحمد بن يوسف، وإشارة الفقهاء على هذا السلطان بحسم مادة طائفتهم، فقاد جماعة منهم إلى السجن وقتل آخرين.

وبلغت البدعة اليوسفية نهايتها، وهي الظهور بالإباحة، وذلك في المصادر المصنفة أواخر القرن العاشر (16 م). وأفاد اليوسفيون من زمان الفترة الطويل الذي امتد من وفاة السلطان أحمد المنصور (ت. 1012 / 1603) إلى قيام الدولة العلوية، وجرأهم تهاون الحكام في شأنهم على استحكام بدعتهم، وظهورها ظهوراً خطيراً. وبادر السلطان المولى وشيد عام1080 / 9، 1670 إلى استفتاء العلماء في قضيتهم، فأفتاه ثلاثة من أعيان علماء العصر. وهم قاضي الجماعة بالحضرة الفاسية محمد بن الحسن المجاصي (ت. 1103 / 1691) الذي حرر ثلاثة أجوبة في نازلتهم، والفقيه عبد المالك التجموعتي (ت.1118 / 6، 1707)، والإمام الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102 / 1690) الذي صنف فيهم فتواه الشهيرة برسالة العكاكزة.

وأدى اختلاف العلماء في نازلة اليوسفيين إلى تشعب مسألتهم، وطول مرحلة التفاوض والتشاور في شأنهم. وعلى الرغم من قول كل من اليوسي والتجموعتي بزندقتهم، فقد عمل السلطان برأي المجاصي قاضي الجماعة، ونفذ فيهم حكم الردة والاستتابة، وسجن جماعة من مشايخهم في فاس شهوراً، ثم أطلقهم بعد تحقق توبتهم. وسيعمد السلطان المولى إسماعيل بعد مضي عقدين من حكمه إلى نكبة اليوسفيين عام1102 / 1691، فخرب أنشط وأهم مراكزهم الواقعة في تادلا وزمور، ونفذ حكم الزندقة في مشايخهم ولم يستتبهم، وقتل ثلاثة وستين منهم. وبدد تراثهم، وفرق شمل عوامهم وأجلاهم عن مطاعنهم إلى حيث لا شيعة لهم، ونفاهم خلال القبائل التي لا تدين بنحلتهم.

وقريباً من محاكمة اليوسفيين في خلافة السلطان المولى رشيد تبرأ نفر من الناصريين من الشيخ مَحمد ابن ناصر (ت. 1085 .4/ ،1675) لقوله بمقالة "من رأى من رآني إلى سبعة ضمنت له الجنة"، وكتبوا في ذلك كراسة، وأضرموا على الزاوية الناصرية نار الفتنة بسجلماسة. وقالوا إن هذه المقالة توقع الناس في الأمن وفي الإعراض عن علم التوحيد، زيادة على أنها لا وثوق بها ولا يعول عليها بحال. وانبرى الإمام اليوسي للرد على خصوم شيخه ابن ناصر هؤلاء في كتابه *المحاضرات*، واجتهد في تأويل هذه المقالة، وذهب إلى القول إنها تذكر على طريق الرجاء، وأن

الأمر جائز لا يمنعه عقل ولا شرع. وتكرر التأليف بعده في قضية ضمان الجنة هاته التي أصبحت من بين القضايا الصوفية الحيوية التي أثارت جدلا كثيراً. واختلف الناس في أمرها، وانقسموا ما بين محبذين منتصرين ومنكرين معترضين. فكتب فيها أحمد بن محمد بن السيد الحسني (كان حياً عام1095 /3، 1684) رسالة تكلم فيها على الكراسة الموقعة من قبل أولئك المعترضين على الشيخ ابن ناصر، ونقض ما جاء بها عروة عروة. وأفرد فيها المؤرخ محمد الصغير الإفراني(تـ. ما بين 1156 ، 1157 / 1743 و 1744) تأليفاً مستقلاً يعد من ضمن تآليفه الضائعة والمنسية.

وخبا ذكر اليوسفيين في المصادر المغربية خبواً يكاد يكون تامّاً، بعد خضد شوكتهم على يد المولى إسماعيل في مطلع القرن الثاني عشر (18 م)، وظلت بعض المجموعات الناجية من فرقتهم تحافظ على ذبالة نحلتهم. واهتدى إليهم الرعيل الأول من الإتنوغرافيين الفرنسيين في مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، ولم يعرفوهم إلا بأسمائهم من زكراوين ومحسانيين وغنانمين ومليانيي. ولم يأبهوا بصلتهم بضريح مليانة ومحبتهم في دفينه، وأركابهم التي تشد إلى مواسمه وخدمتهم لحفدته، وانتظام "أولاد سيدي أحمد بن يوسف" في المجموعات المشكلة لبعض قبائلهم. ولم يخلصوا من ذلك إلى انتسابهم إلى الطريقة الراشدية، أو اتصال أمرهم بتاريخ التصوف المغربي. وعدوا ذلك من ضمن عناصر الحياة الدينية لهذه القبائل، وهو عنصر تبجيل الصلحاء. بل إن معظمهم كان يشك في تغلغل الإسلام خلال هذه القبائل، ولا يخامره ريب في قدم نحلتهم، واتصالها بالمعتقدات البدائية والشعائر الوثنية الطبيعية.

ع. الوارث اليالصوتي، *المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب*، مخطوط خ ح5723 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 237 ـ 240 ؛ ع. نجمي، طائفة العكاكزة، 2 : 265 ـ 438.

L. Rinn, *Marabouts et Khouans*, Alger, 1884, 40, 271- 273 ; X. Coppolani et O. Depont, *Les confréfies religieuses musulmanes*, Alger, 1897, 461 - 467.

عبد الله نجمي

**الراضي** (أولاد -) أسرة فاسية ذكر في *إزالة الالتباس* أنهم أهل معاش وحرفة. ويوجد بالرباط أيضاً أولا ابن الراضي، ولا يعرف إن كانت لهم قرابة بالفاسيين. على أن أكثر آل الراضي يوجدون في قبيلة بني حسن المستقرة شمال مدينة سلا، وهم من الصفافعة الغربيين المشتملين على ثلاثة بطون : أولاد حَنُّون وبنو ثوْر والدواغر. وإلى هذا البطن الأخير ينتمي أولاد الراضي، فهم من فخذة أولاد خَدْلة المنقسمين إلى ستة دواوير حسناوية أصيلة، هي أولاد الراضي وأولاد ابن عائشة والشياطبة وأولاد سعيد والخيايطة والمراونة بإضافة دوار الفقراء الدرقاويين إليهم.

وكان القواد من أولاد الراضي في وقت مّا يحكمون جميع الصفافعة الذين كانت خيامهم تبلغ نحو 1765 وحدة.

وقد صمتت المصادر عن الجد الأول لآل الراضي وهو الطاهر ابن الراضي الذي يظهر أنه كان قائداً قبل سنة 1262 / 1846 . وتولى قيادة القبيلة بعده بعض أبنائه وأحفاده.

**الراضي، أحمد بنعبد الله** بن الطاهر، كان قائداً على قبيلته الحسناوية سنة 1311 / 1894، اعتباراً لجانب أبيه وجده. ومكث في القيادة إلى عهد الحماية. كان سنة 1350 / 1930، يسكن مع أولاده بمدينة سلا، لأنه تزوج من بعض بنات السلاويين، وبها توفي بعد هذا التاريخ.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، ص. 155 ـ 116 ؛ *كناشة الحاج أبي بكر الصبيحي* ؛ *وثائق الخزانة الصبيحية*.

مصطفى بوشعراء

**الراضي، أحمد** بن **المنتصر** من قبيلة بني حزمر الغمارية في الشمال، كان قائداً يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته وانضمّ إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف أحمد الريسوني وشارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة بضريح سيدي يسف التليدي يوم 28 ربيع الأول عام 1331 / 7 ماي 1913، وبعين الدالية يوم 2 ربيع الثاني / 11 ماي نفس الشهر، وضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 15 شعبان عام 1331 / 20 يوليوز 1913 وبقرية الزوة يوم 24 صفر 1333 / 11 يناير 1915.

كان أحمد الراضي بطلامغواراً شارك في إحدى وعشرين معركة، وتوفي في تاريخ غير محدد.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**الراضي، التهامي** الحسناوي. كان سنة 1324 / 1906 قائداً على الدواغر، دون الفقراء الدرقاويين القاطنين بدوار أولاد خدلة الذين أسندت ولايتهم إلى عامل سلا الحاج الطيب الصبيحي الذي كان يبعد عنهم بنحو ثمانين كيلو متراً. فأمره السلطان بالتخلي عنهم للتهامي الراضي. ومكث هذا في الولاية نحو سنتين حتى عزل سنة1326 / 1908 وولي بوشعيب بن الجيلالي الثوري على الدواغر، فقبض على التهامي الراضي وحاز أمتعته وفتك به وما قصر، حسبما جاء في رسالة إلى الحاج الطيب الصبيحي في 23 رمضان 1326 / 26 أكتوبر 1908.

**الراضي بن الطاهر** بن الراضي الحسناوي، أشهر قواد هذه الأسرة وأحد ولاة بني حسن الكبار في القرن الثالث عشر (19 م). كان سنة 1279 / 1862 قائداً على الصفافعة، حسبما جاء في رسالة الطيب بن اليماني بوعشرين في 9 ربيع الأول 1279 / 4 شتنبر 1862، وفيها أنه منع إخوانه من حمل القمح والشعير إلى مدينة سلا. وذكرت رسالة السلطان إلى الراضي في 16 شوال 1280 / 25 مارس 1864 أن علي بن إبراهيم الوزاني كتب إليه يقول إن الراضي أضر بأولاد ابن العربي النازلين في عزيب زاويته، واعتقل واحداً منهم، وقبض منه 200 مثقال، وحبس آخر بسجن مهدية، فأمره السلطان أن يبقيهم على حالهم ويبين سبب السجن وأخذ المال من أحدهم.

مكث الراضي عاملاً إلى حدود سنة 1283 / 1868، حيث عُزل وسجن وعُين مكانه محمد بن العربي بن خدة الثوري. وقد تبعت نكبةَ العزل والسجن مصيبةُ القبض على أقاربه، ومنهم عمّه التهامي ابن الراضي الذي سجن مرتين في ظرف عشرين سنة (1847 ـ 1867).

وبعد عزل الراضي صدر أمرُ السلطان سنة 1284 / 1867 إلى عامل سلا ليحوز لجانب المخزن داره وديار أبناء عمه الفارين إلى زمور لأن بقاءها بأيديهم مع فرارهم وفسادهم تجرى على مثل فعلهم، ولكون ذمتهم عامرة بمال بيت المال حسب رسالة السلطان في 12 ربيع الثاني 1284 / 13 غشت 1867. فنفّذ العامل بنسعيد ما أُمر به.

كان الراضي مديناً، وكأنّ دوره المستصفاة منه لم تكف في تسديد ما عليه، فاستأذن السلطان "في بيع دوره التي بسلا، فإذا سُمسرت ـ كما يقول السلطان ـ ووقفت على آخر زائد، فلا يُمْضَ البيع فيها إلا عن إذننا ومشورتنا وإعلامنا بما تقف عليه، لنأمر بما يقتضيه نظرنا".

وحتى ديْنه على الناس ظل محتجزاً، وهذا ما يفهم من رسالة العاهل إلى عامل سلا في 8 رمضان 1286 / 12 دجنبر 1869 من أن قاضي سلا أبا بكر عواد "أخبر أن أهل الراضي الصفاعي الذي كان قائداً قبلُ استظهروا برسم دين على متروك الهالك الصحراوي وقدره نحو الألف مثقال صغير. ولما أردوا حوزه ورفعت له القضية أمرهم بالإتيان بالوكالة ويمين القضاء والإذن من جانبنا العالي بالله لكونه مستغرف الذمة".

كان الراضي سجيناً بمراكش سنة 1285 / 1868 فأوصى الحاجب عليه الخليفة الأمير مولاي الحسن حتى ينعم بتمام التسريح، وقبلها أوصى أيضاً عامل سلا على ولده المسمى بنعبد الله. وكان الأمل قوياً في الإفراج عن الراضي سنة 1287 / 1870، حتى إن قائد عبدة عيسى بن عمر طلب أنه "إذا سرح الراضي الصفاعي أن يتوجه عنده ليستريح أياماً نحو الشهر من غم السجن وتضرره به". لكن العفوْ لم يصدر وظلت وصاية موسى بن أحمد متصلة فطلبه أيضاً من الخليفة مولاي عثمان سنة 1290 / 1873.

لم تنصرم السنة الأخيرة حتى اعتلى العرش مولاي الحسن فأمر بإشخاصه إليه، ثم عينه مرة أخرى قائداً، وأمر أن ترد له دوره التي كانت محجوزة بسلا، فمكث في منصبه خمس سنوات من سنة 1290 إلى 1296.

وفي السنة الأخيرة حلّ عليه غضب السلطان وامتحن أقاربه كذلك، فسجن هو بفاس ثم بمراكش إلى أن أرجع إلى حبس سلا.

ويظهر أن ولده المقبوض بسلا هو عبد السلام الذي كان من قبل سجيناً بمراكش وصدر أمر السلطان للإفراج عنه سنة 1302 / 1884. وسنجده بعد ذلك قائداً عسكرياً سنة 1306 / 1889، وسيلعب عند وفاة مولاي الحسن دوراً آخر. فيروي المختار السوسي أن الجامعيين أمروا القائد العسكري عبد السلام باغتيال السلطان وحاجبه ابّا احماد أثناء صلاة الجمعة، لكنه أخبرهما بالمؤامرة عليهما.

كما أُفرج عن أخيه الحاج بنعبد الله الذي كان سنة 1303 / 1886 سجينا وبعدها نجده منخرطاً في الجيش برتبة أغا.

وقد سُرح الراضي وولداه ورد إليهما وإليه بعض الاعتبار. ولم أقف على مكان إقامة القائد المعزول بعد تسريحه مباشرة لكنه كان سنة 1304 / 1887 مرحلا إلى إيالة بوسلهام بن المصطفى الرمُوش قائد سفيان، بعد أن أصحب معه عدداً كثيراً من الصفافعة الذين تركوا محلهم بقبيلتهم فارغاً، والطريق المارة عليهم خالية. ولذلك أمر السلطان القائد الرّمُوش المذكور بردهم جميعاً لعمارة بلادهم، وبأن لا يترك مع الراضي إلا أربع خيام لأقاربه : حمو بن الحسن، وولده التهامي بن الراضي وابن عمه، وولد ابن محمد، وعبد السلام وبعث العاهل لقائد سفيان خمسة من المخازنية لرد الباقين إلى أرضهم.

وقد التمس الراضي الرجوع لأرضه والتزم بعدم الدخول في أمر القبيلة، وذلك لعدم موافقة أرض الغرب له في الحرث، ولكثرة العيال. فعلق السلطان : "له ذلك إن وافق عليه عامله"، عبد الكبير الثوري الذي كان يخاف من الراضي وشيعته.

توفي الراضي بمسقط رأسه بعد سنة 1309 / 1891.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، قبيلة بني احسن، 1860 ـ 1912، ص. 104 إلى 110 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 20، ص.19 ؛ وثائق بنسعيد ؛ *الوثائق الملكية*.

مصطفى بوشعراء

**الراضي، عبد السلام**، رياضي كبير من أبطال ألعاب القوى على المتسوى المغربي والعربي والأوربي. ولد في أواخر العقد الثالث من القرن الرابع عشر (20 م) بأحواز مدينة فاس ونشأ في وسط فقير.

كان مولعا منذ صغره بالعَدْو ومنافسة أترابه إلى حين

استد عوده، فانخرط في إحدى الأندية الرياضية. بدأ يبرز على الساحة العالمية كعداء من العيار الثقيل حين شارك في سباق الأمم بالبرتغال سنة 1959 فدخل ثامنا في الترتيب العام، وفي سنة 1960 أحرز على بطولة العالم بإسكتلندا باحتلاله الصف الأول. كما شارك في سباق الأمم بنانط بفرنسا وشيفيلد بانجلترا وسان سبتيان بإسبانيا، كما أحرز على أول ميدالية أولمپية مغربية (عربية إسلامية) في تاريخ الأولمپياد وكانت فضية في سباق الماراطون بروما سنة 1960. وعقب إنجازاته الباهرة تقاطرت طلبات العديد من الأندية الأوربية لينضم إليها فانخرط في أحد الأندية الفرنسية وكانت بعض البلدان ترغب في أن تمنحه جنسيتها لكنه كان يرفض.

ظل عبد السلام الراضي يحقق الإنجازات الرياضية على الصعيد المحلي والعالمي إلى أواخر الستينيات حيث اعتزل الميدان الرياضي ليعود إلى الظل.

قضى هذا البطل الرياضي بقية حياته مهمشا معدما حتى سقط طريح فراش المرض وظل يعاني إلى أن وافاه الأجل يوم الأربعاء 6 رجب عام 1421 / 4 أكتوبر سنة 2000 عن عمر يناهز 75 سنة، ووري جثمانه بمدينة فاس وسط المعجبين به من الرياضيين وعشاق ألعاب القوى.

وثائق خاصة، *رواية شفوية*.

محمد بلعربي

**الراضي، المحجوب** مقاوم. ولد سنة 1348 / 1929 بمدينة العيون والتحق بصفوف جيش التحرير منذ الانطلاقة ضمن المقاطعة التاسعة بمركز تافودارت تحت إمرة صالح الجزائري، حيث شارك في عدة معارك ضد جيش الاحتلال الإسباني، منها معركة المسيد ومعركة طريق السدرة.

وبعد أن أحرز المغرب على استقلاله عمل الراضي في حقل التجارة إلى أن مات في 11 شوال 1415 / 13 / 3 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**راغون، العربي** بن محمد الأندلسي التطواني، تولى منصب خليفة أول عامل على تطوان الحاج أحمد الطريس، بعد قيام الحماية وظل في منصبه قائماً بمهامه أحسن قيام إلى أن توفي في 13 ربيع الأول عام 1338 / 6 دجنبر 1919.

أ. الرهوني، مختصر *عمدة الراوين*، مخطوط، ص. 95.

**راغون، محمد** بن محمد بن الحاج العربي الأندلسي التطواني. ولد بتطوان عام 1289 / 1872 ونشأ نشأة صالحة، قرأ القرآن وحفظ بعض المتون العلمية على العادة المتبعة، وبدأ في تلقي العلم عن علماء بلده المشايخ الزواقي، وابن الأبار، والبقالي، والمؤذن، وغيرهم. ولما رشح والده لأمانة (دار عْديل) بفاس توجه معه إليها أوائل شوال عام 1309 حيث درس على المشايخ : محمد بن التهامي الوزاني ومحمد بن جعفر الكتاني وغيرهما. كما درس على بلديِّه أحمد الرهوني الذي كان ما يزال طالباً بفاس.

استُخدم محمد راغون كاتبا بدار النيابة مع خال أمه النائب الحاج محمد الطريس، وبعد وفاة الطريس عين راغون كاتباً أول للصدارة في الحكومة الخليفية أيام مولاي المهدي ابن إسماعيل، وكان ضمن الوفد المعين من قبل السلطان مولاي عبد العزيز برئاسة الحاج أحمد الطريس لحضور تتويج الملك الفونسو الثالث عشر، فكتب *رحلة* وصف فيها إسبانيا وحفلة التتويج وما شاهد فيهما مما ينبغي الوقوف عليه، ثم حج مع والده عام 1306. ولما كان كاتبا بالصدارة كتب تقارير سياسية مهمة، منها تقرير عن ثورة أبي حمارة وغيره، أفاد منها محمد داود في كتابه *تاريخ تطوان*، وكان له نظم وسط ذكر جملة منه الرهوني في *العمدة*.

توفي محمد راغون في 27 صفر عام 1337 / نوفمبر 1918 ودفن بحومتهم بجبل المقابر.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، ص. (7 / 14) ؛ م. داود، مختصر *تاريخ تطوان*، ص. 221 - 297.

محمد بوخبزة

**رافع** (أولاد -) أسرة فاسية ذكرهم صاحب كتاب *إزالة الالتباس عن قبائل سكان مدينة فاس* وأنهم أهل علم وطلب وخيارة. وذكر منهم ـ نقلا عن كتاب *الإعلام بمن غبر* ـ أبا محمد عبد الواحد رافع الفقيه الزاهد الذي كان لا يقتات إلاّ من عمل يده، المتوفي سنة ثلاث وخمسين وألف، دفين خارج باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

**الرافعي، مَحمد بن أحمد** الأزموري ثم الجديدي "صاعقة العلم، المتكلم الفيلسوف" بهذا حلاه صديقه القاضي عبد السلام السائح في الترجمة العلمية التي كتبها له عقب وفاته ونشرتها مجلة الثقافة المغربية الصادرة بسلا.

ولد مَحمد الرافعي سنة 1303 / 58 ــ 1886 بأزمور، ودرس على القاضي أبي النعايم أبي شعيب الأزموري، ولم يأخذ عن غيره من الشيوخ إلا قليلاً "حرّك قريحته وأنبط ينابيع فكره الدفاق بما أوتي من كمال القابلية والاستعداد الفكري بالاستغراق في المطالعة اكتسب ذلك العلم الواسع، وإن الحصول على ذلك الخصب العلمي برشاش قليل من الأخذ والتلقي عزيز نادر الوجود لا يكاد يتفق إلاّ لعقل جبار كعقل الرافعي".

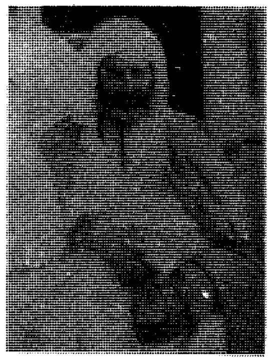

ساعده على ذلك خلوّ ذهنه من كل علاقة تمتص من قوة فكره، وراحةٌ مستمرة إذ عاش عزباً لا تلتقى صفحة خده إلا بصحيفة كتاب عزوفاً عن الولايات والمناصب، قضى حياته منهمكاً في المطالعة والبحث والنظر يستغرق في ذلك الليل كله حتى يغشاه النهار، عاش على ذلك دهراً طويلاً.

"درس الرافعي الفلسفة دراسة عميقة وتشبع من مذاهبها وآرائها فتكيف بها فكره واصطبغ بها ذهنه، فكان يُفرغ ما يُلقى عليه من المعلومات على قالبها، ويكسوه بحلتها، فلا يرى إلاّ بعين النقد والتحليل، والفحص والتعليل... لا يتهيب الأفكار ولا يتردد في مطاولة الأقران، بل يهجم على ما يخالف نظرياته هجوماً لأول وقوع الطرف... إلاّ أن كتابته مشتبكة معقدة لا يتمكن من حلها إلاّ مَنْ عاقرها طويلاً. وما أخوفني أن تكون سبباً لضياع علمه".

كان الرافعي مثار إعجاب كلّ من اتصل به من المفكرين الكهول والشيوخ، وحتى المثقفين الشباب الذين درسوا دراسة حديثة كانوا يحاورونه ويستفيدون من معارفه وغوصه في المباحث العلمية الدقيقة.

من مؤلفاته :

*رسالة في شرح وحدة الوجود*.

*رسالة في تحقيق معنى العقل والنفس الكلية*.

*رسالة صغيرة في تفسير الهيولي*.

*رسالة في الأطوال*.

*شرح قول القطب ابن مشيش : واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي*...

أصيب الرافعي قبل وفاته بضعف عصبي وبجفاف في الدماغ نشأ عن كثرة النظر والسهر. وتوفي بالجديدة يوم الجمعة رابع عشر رجب عام 1360 / 8 غشت 1941.

ع. السلام السايح، *ترجمة مَحمد الرافعي*، مجلة الثقافة، العدد 3، فاتح أكتوبر، سلا، 1941 ؛ ع. ابن سودة ، *إتحاف المطالع*، *سل النضال/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 3082 ـ 3083.

محمد حجي

**الرافعي، محمد بن علي** بن محمد الأندلسي التطواني، ولد في حدود سنة1040 / 1630 ودرس بمسقط رأسه على الشيخ الحاج علي بن محمد بركة التطواني والقاضي محمد بن قَرِّيش وأقرانهما. كما قرأ على أبي علي الحسن اليوسي والشيخ محمد ابن ناصر الدرعي وغيرهما.

كان الرافعي صوفيا معتقداً سليم الصدر كثير النظم في المديح النبوي ومدح الصالحين والأولياء والتعلق بهم. جمع شعره في *ديوان*، وله أيضاً رحلة إلى الحج سماها : *المعارج المرقية، في الرحلة المشرقية* ؛ *وتأليف في الترسل* والرسائل سماه *غرر المقاصد والمطالب*، *ودرر الرسائل لكل طالب* ؛ ومجموع *في الأدعية والأذكار*، ضم هذه المؤلفات الثلاثة مجلد في نحو خمسمائة صفحة كبيرة يوجد بخزانة محمد داود بتطوان.

وقد لخص هذه الرحلة الفقيه الرهوني في *عمدة الراوين* في ترجمة مؤلفها الرافعي وجلب من أنظامه في مدح رجال تطوان كالسعيدي ـ ويعبر عنه بالصعيدي بالصاد، وعلي ابن مسعود الجعيدي، وعلي الفحل، وطلحة الدريج، والمصيمدي. ورحلته لا تخلو من فوائد لأنه يصف المنازل والمدن التي مر منها هو وولده أحمد بعد خروجهما من تطوان ظهر ثامن جمدى الأولى عام1096 / 12 أبريل 1685. وما ورد في *مختصر تاريخ تطوان* لمحمد داود من أن الرحلة كانت عام 1196 فسبق قلم. ويذكر كذلك مَن اجتمع بهم من الفقهاء، ومن زار أضرحتهم من العلماء والأولياء،

على أغلاط وقعت له في ذلك، منها ذكره أنه زار قبر الإمام عبد الحق الإشبيلي بالجزائر، وهو مدفون ببجاية. ومنها زيارته لقبر الششتري بالقاهرة، وهو انما مات بقرية الطينة قرب دمياط، كما ذكر زيارته لقبر البوصيري بالقاهرة وهو دفين الأسكندرية.

وذكر الرافعي أنه حضر دروس المشايخ عبد الباقي الزرقاني، والخرشي والشبراخيتي شراح مختصر خليل، وهكذا استمر في رحلته واصفا المراحل والأماكن مُسمياً من يأخذ عنه أو يجتمع به، وقد أورد المهمَّ من رحلته ونظمه ورسائله محمد داود في *تاريخ تطوان*.

ومما يجدر ذكره أن *رحلة الرافعي* و*ديوانه* في نسختهما المشار إليها قد اطلع عليها عدد من علماء عصره وأدبائه فقرظوها له، منهم شيخه علي بركة التطواني، وأحمد بن عبد الحي الحلبي الفاسي، والوزير الغساني، والأديب محمد المفضل الأندلسي ومحمد بن زاكور الفاسي، وهذه التقاريظ مثبتة بآخر المجلد بخطوطهم.

لا يعرف تاريخ وفاة المترجم إلا أنه عاش إلى عام 1125 / 1713.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، مخطوط، ص. (7 / 45) ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، تطوان، د. ت.(1 /390) ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، طبع تطوان، ص. 283 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، (6 / 295) ط. رابعة ؛ م. ماگامان، *الرحلات المغربية في القرنين 11 و12 للهجرة*، د د ع ، مرقون بكلية الآداب الرباط.

محمد بوخبزة

**الرامُون**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ramon ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1162 / 1749.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 694.

محمد ابن عزوز حكيم

**الراموش** (أولاد -) أسرة فاسية عريقة، ذكرها صاحب *إزالة الالتباس* وعدّ منهم المجذوب حمُّ الراموش (ت. 1123 / 1117) الذي ينسب إليه مسجد الراموش بفاس. ورأى ذكرهم بفاس في وثيقة مؤرخة بعام اثنين وعشرين وألف، وأنّ عين الراموش توجد بجانب المسرة قرب زواغة خارج فاس الجديد. ولا يعرف إن كان أولاد الراموش ما تزال منهم بقية بفاس.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، ج 1، مرقون.

**الرامي** (أولاد -) أسرة فاسية نبيلة أصلها من بلاد توات، بين حسب ونسب وثروة. عرفوا منذ أجيال بسدانة جرم المولى إدريس الأزهر، فمنهم يكون مقدّم الضريح ونقيب الشرفاء الأدارسة أصحاب الإراثة بفاس السبعة عشر ما عدا العلميين منهم المذكورين في الظهير الأول للسلطان سيدي محمد بن عبد الله.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

**الرامي، الحسن** بن أحمد الفاسي من المتخرجين الأولين من ثانوية مولاي إدريس بفاس المثقفين ثقافة عصرية مزدوجة الذين اهتموا بالتأليف المدرسي باللغة العربية أيام الحماية، فقد نشر بالاشتراك مع زميله في الطلب محمد بن الحسن التازي كتاب *مجمل جغرافية المغرب* في مطبعة النهضة بفاس سنة1353 / 1935 فكان فتحاً جديداً في بابه أفاد منه كثيراً طلبة القرويين وتلاميذ روافدها من المدارس العربية الحرة.

تولى الحسن الرامي نظارة أوقاف ضريح المولى إدريس بعد وفاة والده، واستمر في عمله إلى وفاته عام 1365 / 1946 ودفن بروضة الأدارسة ببني مسافر.

إ. الإدريسي، معجم *المطبوعات المغربية*، سلا، 1988 ؛ ص 55 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 3220 ؛ *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، ط. 2، 1960، ص. 55.

**الرامي، محمد** الفاسي، فقيه أديب من أصحاب الشيخ المهدي ابن سودة الذين ذكوهم في *تقييده*. لم يقف له مؤلف *إتحاف المطالع* على ترجمة في كتاب إلا أنه اطلع على بعض آثاره الأدبية، وهي تدل على أنه كان مشاركاً مطلعاً يقول الشعر. وعثر له على مقطوعة يمدح بها قائد فاس الطيب البياز (ت. 1259).

توفي محمد الرامي بفاس في تاسع وعشري شعبان عام 1261 / 2 شتنبر 1845.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2575.

محمد حجي

**الرامي، محمد** مقاوم من مواليد سنة 1916 بگزناية إقليم تازا، ومن الرعيل الأول من المجاهدين الذين كافحوا في سبيل استقلال البلاد وعودة محمد الخامس إلى عرشه.

انخرط في صفوف جيش التحرير بالمنطقة الشمالية بنواحي إقليم تازا تحت قيادة عبد الله الزكريتي بمركز بوردا وشارك في عدة معارك شهدتها المنطقة ضد الاحتلال الأجنبي إلى أن أحرز المغرب على استقلاله.

توفي بمدينة مكناس في 13 جمادى الأولى عام 1416 / 8 أكتوبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، رقم 1941.

**الرّاميرس** ويكتب الرّاميريسْ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Ramirez وRemirez ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1200 / 1786.

ومن أفرادها الذين تذكرهم الوثائق :

**الراميرس، علي** بن محمد وأبناؤه قاسم وعبد السلام والصافية، كلهم كانوا على قيد الحياة سنة1088 / 1677).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون1999، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 695.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرايس** (أولاد –) أسرتان كبيرتان بفاس وتطوان. ويوجد أولاد الرايس كذلك في العدوتين سلا والرباط وربما في غيرهما أيضاً لكن بقلة.

أولاد الرايس بفاس فرقتان : إحداهما من قبيلة بني حسن، وهم أهل معاش وحرفة ومال ؛ وفرقة من سوس أهل معاش وحرفة وثروة كذلك. ولعل من هذه الفرقة المقرئ عبد الرحمن الرايس آتي الترجمة. وينسب إلى أولاد الرايس مسجد بأسفل راس الشراطين حتى الآن.

وأولاد الرايس بتطوان أصلهم من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Arraez وArraiz ؛ وقد أرغم مَن بقي بالأندلس من أفراد هذه الأسرة بعد سقوط غرناطة على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Arraiz - Arraliez - Arraez.

وكانت بتطوان أسر أخرى تحمل نفس الاسم، إحداها من قبيلة بني حسان، وأخرى من قبيلة حوز تطوان، وثالثة من الجزائر.

**الرايس، أحمد** بن **عبد الرحمن** الفاسي، إداري محنك تقلب في عدة مناصب على عهد الحسن الأول. فكان خليفة لعامل فاس الباشا بوشتى ابن البغدادي، واختلف معه ورفع أمره إلى السلطان، فوجهه إلى مراكش وبقي بها إلى أن استدعاه مرة أخرى إلى فاس ليضطلع بمهمة الحسبة بعد وفاة المحتسب المهدي بناني وظل يقوم بأعماله إلى أن توفي فجأة مساء يوم الخميس سابع وعشري رمضان عام 1305 / 7 يونيه 1888.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2774.

**الرايس، أحمد** بن **محمد** التطواني فقيه زاول خطة العدالة في تطوان من سنة 1201 إلى سنة 1221.

**الرايس، عبد الرحمن** بن محمد الفاسي، أستاذ مقرئ متمكن من علوم القرآن والتجويد والقراءات السبع جمعها على شيخ جماعة المقرئين في عصره الإمام عبد الرحمن ابن القاضي الفاسي وغيره، كما درس علوم اللغة وقواعدها والفقه فروعه وأصوله علي الشيخين أحمد الفاسي وأحمد ابن الحاج وغيرهما.

كان محل إقرائه بمدرسة العطارين يلقن الطلبة القراءات بالروايات، ويدرس لهم *الألفية والشاطبية والرسالة والكراريس* وغيرها، فكثر تلاميذه وعظم الإقبال عليه. وكان إماماً بمسجد الفاصين من عدوة فاس القرويين، لم يؤخذ عليه إلا مبالغته في الجمع بين العشاءين لأدنى سبب.

توفي بفاس عام 1109 / 1697.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 5 : 1844-1845.

محمد حجي

**الرايس، عبد الكريم** (الحاج –) موسيقيّ شهير. ولد بمدينة فاس عام1331 / 1912، وتربى في أسرة مولعة بموسيقى الآلة فنهل من نبعها، وهو حفيد أحد رجالات

الأستاذ الحاج عبد الكريم الرايس

الفن في القرن السابق العالم الفنان محمد بن محمد الرايس آتي الترجمة.

وقد كانت الظروف مواتية لتنشئة الحاج عبد الكريم الرايس تنشئة فنية مكتملة، فإلى جانب ما أوتي من موهبة تبدت معالمها منذ طفولته ثم تفتحت في ريعان شبابه، أسعفه الحظ إذ هيأ له أن يتتلمذ على ثلة من أعلام طرب الآلة في فاس وإلى جانبه نحبة من الزملاء الذين أصبحوا فيما بعد من حذاق هذا الفن بالمغرب مثل أحمد الوكيلي، وليرور التازي، والحاج محمد الاخصاصي، ومحمد دادي، والغالي الشرايبي، وإدريس اسميرس ومحمد التويزي، ومحمد العراقي، ومصانو التازي، وغير هؤلاء. ففي رفقة هذه الزمرة أقبل على دراسة الموسيقى الأندلسية، فأتقن العزف على سائر آلات جوق هذه الموسقى، وحفظ النوبات الإحدى عشرة. و كان في مقدمة شيوخه الفنان التطواني الأصل الفاسي المقام عبد القادر كريش، ثم صهره محمد بن عبد السلام البريهي رئيس الجوق الفاسي. وما أن حلت سنة 1933 حتى فتح له البريهي المجال ليلتحق بالجوق عازفا على آلة العود.

لازم عبد الكريم الرايس شيخه البريهي أحد عشر عاما، حتى إذا وافاه الأجل عام 1364 / 1944 خلفه في رئاسة الجوق. ثم آلت إليه إدارة المعهد الموسيقي التابع لوزارة الثقافة سنة 1960، وبذلك تجمعت لديه مسؤولية جوق البريهي ومهمة الاضطلاع بتكوين الأجيال الناشئة المتطلعة إلى تعلم "طرب الآلة". وأنجز عدة أعمال فنية يمكن إجمالها في الآتي :

– شارك في الجمع التأسيسي لجمعية هواة الموسيقى الأندلسية عام 1378 / 1958.

- شارك في تسجيل نوبات الموسيقى الأندلسية بإشراف منظمة اليونيسكو في الستينيات ؛ وكان إلى جانبه في هذه العملية أحمد الوكيلي، والحاج إدريس بن جلون التويمي، ومحمد العربي التمسماني، وآخرون منهم لبزور التازي، ومحمد التويزي، ومحمد بوزوبع، ومحمد الشافعي. وكانت هذه العملية تتوخى تقريب أنماط الأداء وتذويب الفوارق بين روايات شيوخ الآلة. وشمل التسجيل - يومئذ - ثماني نوبات ظلت أشرطتها بعيدة عن التداول، فلم تتحقق الغايات المتوخاة منها.

وقد عاود عبد الكريم الرايس الكرة في هذا المجال من جديد في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، فسجل أربع نوبات بكاملها هي الماية، والحجاز الكبير، والاستهلال، والحجاز المشرقي، وذلك في نطاق خطة شاملة أقرتها وزارة الثقافة، وهي خطة أفضت إلى انجاز انطولوجية الآلة بكامل نوباتها الاحدى عشرة بتعاون مع دار ثقافات العالم.

ولعل أعظم إنجاز حققه الحاج عبد الكريم الرايس هو طبعه في بحر سنة 1982 *المستعملات ومختصر الجامعي* في كتاب سماه *من وحي الرباب*، وتكمن أهمية هذا الكتاب في كونه يجسم خلاصة أعمال اللجنة الفنية التي شكلها وزير العهد الحسني محمد بن العربي الجامعي عام 1303 بغية مراجعة *كناش* محمد بن الحسن الحايك وتنقيح بعض صنعاته واستبدال بعضها الآخر.

– إنجاز *مدونة* نوبة غريبة الحسين بتعاون مع السيد محمد ابريول أستاذ مادة الصولفيج بمعهد الموسيقى بفاس. وقدم لهذه *المدونة* المرحوم محمد زنيبر، كما حظي هذا العمل الصادر سنة 1985 بجائزة المغرب الكبرى للعلوم الإنسانية والاجتماعية.

وإلى ذلك شارك الحاج عبد الكريم الرايس بجوقه في عدة مهرجانات وطنية وعربية ودولية، وكان موضع تكريم من طرف معهد العالم العربي بباريس، وحظي بوسام الجمهورية الفرنسية في الفنون والآداب. وما تزال التسجيلات التي تحتفظ بها إذاعة فرنسا وشركة هارمونياموندي ومدينة بال السويسرية والعاصمة البريطانية موضع تقدير وتنويه.

وبعد حياة حافلة بالعطاء مديراً ومدرساً وموجها ورئيساً لجوق المرحوم البريهي أسلم الحاج عبد الكريم روحه لخالقه بعد مرض ألزمه الفراش وكان ذلك زوال يوم الثلاثاء 12 ربيع الثاني 1417 / 27 غشت 1996.

ع. الكريم الرايس، *من وحي الرباب : روايات شفوية ومعرفة شخصية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

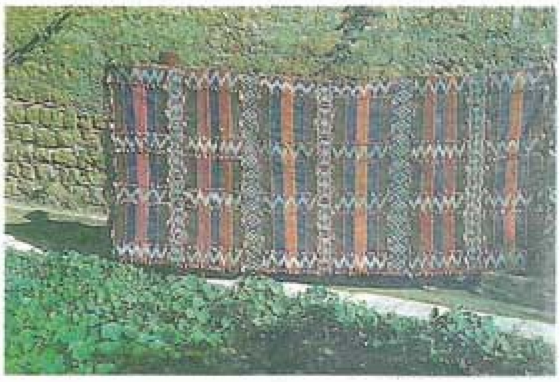

حنبل زمور
انظر صفحة 3618

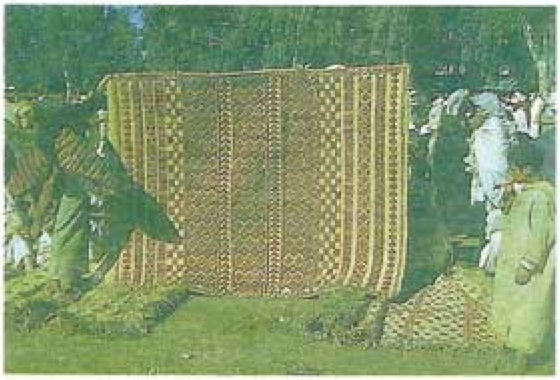

حنبل زيان
انظر صفحة 3618

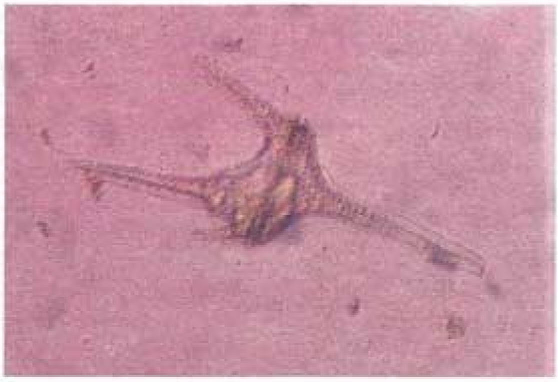

الخز البحري
انظر صفحة 3714

الخزّ القارّي
انظر صفحة 3715

خلنج أبيض
انظر صفحة 3803

خلنج برانس
انظر صفحة 3803

خلنج زغبي

انظر صفحة 3803

الخنفساء

انظر صفحة 3831

الخيل

انظر صفحة 3872

الخيمة

انظر صفحة 3878

باب الدباغين بمراكش

(من داخل)

انظر صفحة 3965

باب الدباغين بمراكش

(من خارج)

انظر صفحة 3965

دغموس [illegible]

انظر صفحة 404[illegible]

دغموس أصفر

انظر صفحة 4043

دفلة بيضاء

انظر صفحة 4048

دفلة حمراء

انظر صفحة 4049

دم الأخوين في قمة جبل

انظر صفحة 4078

دم الأخوين في إفريز منيع

انظر صفحة 4078

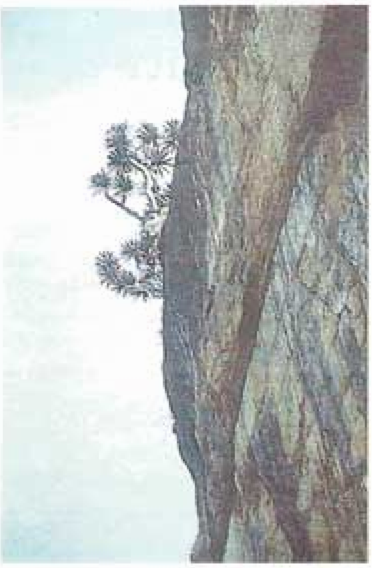

الـدِّير

(منطقة البهاليل)

انظر صفحة 4132

الـدِّير

(منطقة بولمان)

انظر سفحة 4134

دودة ذبابة الزيتون

انظر صفحة 4152

علامة ذبابة الزيتون

انظر صفحة 4152

الدقة المراكشية

انظر صفحة 4050

سمك الرابوز

انظر صفحة 4167

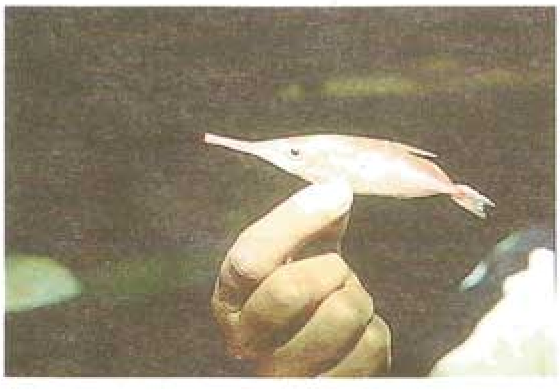

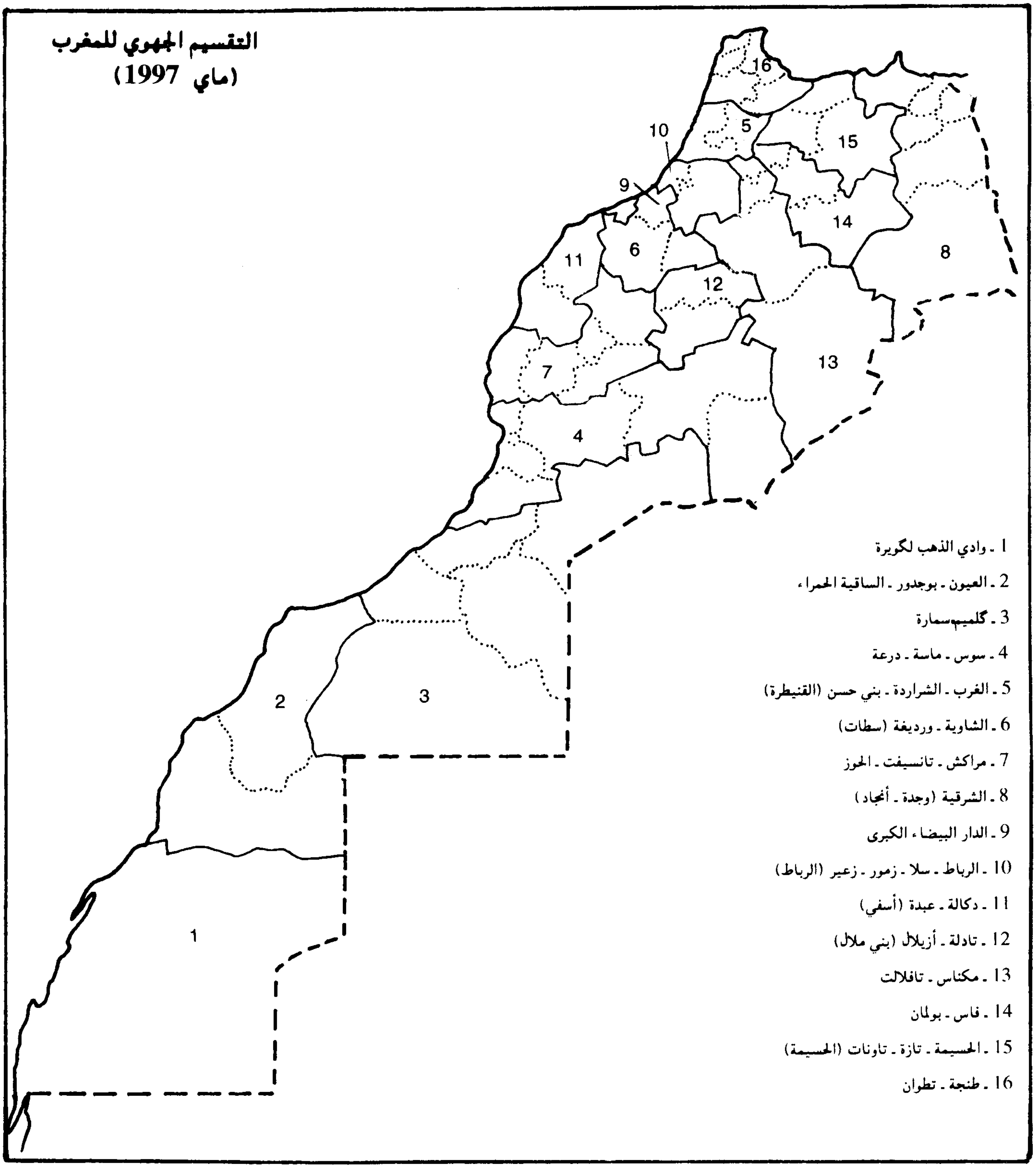


تصحيح أسماء بعض الجهات

كتبت مختصرة في الجزء التاسع قبل صدور المرسوم في الجريدة الرسمية

**E.I.1 :** *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
**E.I.2 :** *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
**E.T.A.M :** *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
**Et. Medit. :** *Etudes Méditerranéennes.*
**F.M :** *France - Maroc.*
**F.S.S.A.N :** *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
**G.E.M :** *Grande Encyclopédie du Maroc.*
**Hesp :** *Hespéris.*
**H-T :** *Hespéris-Tamuda.*
**H.T.E :** *Hommes, Terre et Eaux.*
**I.G :** *Information Géographique.*
**I.H.E.M :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**I.H.E.M : N-D :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. :** *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
**I.S.C :** *Institut Scientifique Chérifien.*
**Isl. Cult. :** *Islamic Culture.*
**I.S.P.M :** *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
**J.H.S.N :** *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
**M.A.I.B.L :** *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**Medit :** *Méditerranée.*
**M.E.F.R :** *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
**N.A.M.S.L :** *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
**P.I.H.E.M :** *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**P.S.A.M :** *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
**P.S.H.M :** *Publications de la Section Historique du Maroc.*
**R.A :** *Revue Africaine.*
**R.A.P :** *Revue de l'Action Populaire.*
**R.C.C :** *Revue de la Chambre de Commerce.*
**R.D.M :** *Revue des Deux Mondes.*
**R.E.A :** *Revue des Etudes Anciennes.*
**R.E.I :** *Revue des Etudes Islamiques.*
**R.E.L :** *Revue des Etudes Latines.*
**R.G.L :** *Revue de Géographie de Lyon.*
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. :** *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
**R.G.M :** *Revue de Géographie du Maroc.*
**R.H.C.M :** *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
**R.H.E :** *Revue d'Histoire Economique.*
**R.H.M.C :** *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
**R.M.D.E.D :** *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
**R.M.E :** *Revue Maroc-Europe.*
**R.M.F :** *Revue Militaire Française.*
**R.M.F.P.E :** *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
**R.M.M :** *Revue du Monde Musulman.*
**R.P.P :** *Revue Politique et Parlementaire.*
**Rev. Inst. Hist. Mil. :** *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
**S.G.L :** *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
**S.I :** *Studia Islamica.*
**S.I.H.M :** *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. :** *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

# Liste des principales abréviations des périodiques

**A.A :** *L'Afrique et l'Asie.*
**A.A.N :** *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
**Acad. Sc. Col. :** *Académie des Sciences Coloniales.*
**A.E.S.C :** *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
**A.F :** *Afrique Française.*
**A.F : R.C :** *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
**A.I.E.A :** *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
**A.I.E.O :** *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
**A.M :** *Archives Marocaines.*
**A.M.S :** *Archives Marocaines de Sociologie.*
**And. :** *Al-Andalus*
**Ann. Rech. Forest. Maroc :** *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
**Ant. Afr. :** *Antiquités Africaines.*
**B.A.M :** *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
**B.A.R :** *British Archeological Reports.*
**B.C.T.H :** *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
**B.E.P.M :** *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
**B.E.S.M :** *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
**B.G.M :** *Bulletin de Géographie du Maroc.*
**B.I.D.M :** *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*
**B.I.F.A.N :** *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
**B.M.S.A.P :** *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
**B.L.O.A.B :** *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
**B.L.S :** *Bulletin de Liaison Saharienne.*
**B.S.G :** *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
**B.S.G.A :** *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
**B.S.G.A.O :** *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
**B.S.H.M :** *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
**B.S.O.A.S :** *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
**B.S.P.M :** *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
**Bull. Archéol. :** *Bulletin Archéologique.*
**C.A.A :** *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
**Cah. Rech. Agron. :** *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
**C.A.T.A.N :** *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
**C.B.E.T :** *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
**C.C.E.J :** *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
**C.E.A :** *Cuadernos de Estudios Africanos.*
**C.H.I :** *Cuadernos de Historia del Islam.*
**C. Méd. :** *Cahiers de la Méditerranée.*
**C.R.A.I.B.L :** *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**C.R.A.S :** *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
**C.T :** *Cahiers de Tunisie.*
**E.B :** *Encyclopédie Berbère.*

تم طبع الجزء 12 من معلمة المغرب بمطابع سلا
في شعبان عام 1421 / نونبر 2000

مطابع سلا
قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
الحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا

IMPRIMERIE DE SALÉ

**Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane**
**Zone Industrielle de Tabriquet**
**B.P. 596 SALÉ**

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

12

Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé "SALA"**

**2000 - 1421**

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN (Tome XII) 9981 - 03 - 013 - 9

Encyclopédie

du

Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

13

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2001 - 1422

# معلمة المغرب

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984/629



ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 8 - 019 - 03 - 9981 (الجزء 13)

بسم الله الرحمن الرحيم

تم إعداد هذا الجزء من معلمة المغرب
بدعم من وزارة الثقافة والاتصال
ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق
عبارات الشكر والامتنان

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ . | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في تحرير هذا الجزء

ميلود **احمَنّ**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **أخريف**، باحث ـ القصر الكبير
محمد **الأخضر**، باحث ـ الرباط
الفقيه **الإدريسي**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد **أديوان**، كلية الآداب ـ الرباط
شفيق **أرفاك**، كلية الآداب ـ أگادير
عبد الرزاق **ازريكم**، كلية الآداب ـ مراكش
سعيد **أعراب**، باحث ـ تطوان
عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط
المختار **الأكحل**، كلية الآداب ـ المحمدية
العربي **اكنينح**، المدرسة العليا للأساتذة ـ فاس
حسن **أميلي**، كلية الآداب ـ المحمدية
خالد **أوشن**، باحث ـ أگادير
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية ـ البيضاء
محمد **أيت حمزة**، كلية الآداب ـ الرباط
لحسن **أيت لفقيه**، كلية الآداب ـ بني ملال
أحمد **إيشرخان**، باحث ـ الرباط
عيسى **إيكن**، وزارة الثقافة ـ الرباط
محمد **البايك**، باحث ـ مراكش
محمد **البدراوي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب ـ المحمدية
محمد **براص**، باحث ـ الرباط
محمد **البركة**، باحث
الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية ـ العرائش
محمد **بلعربي**، باحث ـ الرباط
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة
رقية **بلمقدم**، كلية الآداب ـ القنيطرة
علي **البليشي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **بنجلون**، باحث ـ الرباط
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية
زينب **بنرحمون**، أستاذة باحثة بالرباط
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب ـ مراكش

حليمة **بنگرعي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عبد الإله **بنمليح**، كلية الآداب ـ فاس
عثمان **بناني**، كلية الآداب ـ الرباط
رحال **بوبريك**، كلية الآداب ـ أگادير
محمد الأمين **بوخبزة**، باحث ـ تطوان
عبد القادر **بوراس**، المركز الجهوي التربوي ـ القنيطرة
سعيد **البوزيدي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عيسى **البوزيدي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
فاطمة **بوستة**، باحثة ـ الرباط
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
مصطفى **بوشعراء**، باحث ـ سلا
عبد الله **بوصحابة**، كلية العلوم ـ فاس
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **بوعزيز**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية ـ تيزنيت
جامع **بيضا**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد العزيز **توري**، وزارة الثقافة ـ الرباط
أحمد **التوفيق**، محافظ الخزانة العامة ـ الرباط
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية ـ مراكش
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
محمد **الحاتمي**، كلية الآداب ـ أگادير
حسن **حافظي علوي**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد الفتاح **الحجمري**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
موحى **حدوش**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب ـ فاس
**نجيب خداري**، صحافي ـ الرباط
علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **خربوعة**، المعهد العلمي ـ الرباط
خالد **الخضري**، وزارة الثقافة ـ الرباط
**نجاة الخياطي**، كلية العلوم ـ الرباط
عبد الإله **الدحاني**، كلية علوم التربية ـ الرباط

نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب ـ مراكش
علال **ركوك**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط
محمد **الرمضاني**، باحث ـ وجدة
بوجمعة **رويان**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **رياض**، باحث ـ مراكش
الميلود **زروقي**، كلية الآداب ـ وجدة
عبد الخالق **الزرواطي**، المعهد العلمي ـ الرباط
أحمد **زروال**، كلية الآداب ـ مراكش
قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط
عبد الفتاح **الزين**، معهد البحث العلمي ـ الرباط
خليل **السعداني**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا
عبد السلام **السعيدي**، باحث ـ مراكش
المهدي **السعيدي**، كلية الآداب ـ أگادير
رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **السمار**، باحث ـ الرباط
مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط
خالد **شاوش**، باحث ـ تطوان
محمد **الشريف**، باحث ـ تطوان
محمد عزيز **الشفشاوني**، باحث ـ الرباط
صالح **شكاك**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
الحسين **شوقي**، وزارة التربية الوطنية ـ قلعة السراغنة
حمادي **شيمي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
عبد الرزاق **الصديقي**، كلية الآداب ـ المحمدية
خالد بن **الصغير**، كلية الآداب ـ المحمدية
أحمد **الطاهري**، كلية الآداب ـ المحمدية
محمد **الطليسان**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **الظريف**، كلية الآداب ـ المحمدية
عبد العزيز بن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة ـ مكناس
إسماعيل **العثماني**، مديرية الوثائق الملكية ـ الرباط
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان
عدّي **عزّي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش

صافية **العمراني**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
عبد العلي **العمراني جمال**، بالمركز الجامعي للبحث العلمي ـ باريز
محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **عيدون**، وزارة الثقافة ـ الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **العيوض**، المدرسة العليا للأساتذة ـ الرباط
إدريس **الفاسي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
حسن **الفگيگي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
بوشتى **الفلاح**، المعهد العلمي ـ الرباط
محمد **القادري**، كلية العلوم ـ الرباط
محمد **كريوط**، كلية الآداب ـ الرباط
**ليڤي شمعون**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **ماگامان**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
أحمد **متفكر**، باحث ـ مراكش
محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمدية
ثريا **المرابط**، المركز الوطني للتنسيق وتخطيط البحث ـ الرباط
محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **منيوي**، المعهد العلمي ـ الرباط
أحمد **مهدرها**، كلية الآداب ـ مراكش
مصطفى **مولاي ارشيد**، كلية الآداب ـ الرباط
شاكر **ميلودي**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **ناجي بن عمر**، باحث ـ أگادير
مصطفى **ناعمي**، معهد البحث العلمي ـ الرباط
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة
إبراهيم **الوافي**، كلية الآداب ـ أگادير
محمد **وحيد**، باحث ـ الدار البيضاء
محمد عزيز **الوكيلي**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
أحمد **اليبوري**، كلية الآداب ـ الرباط
مصطفى **اليزيدي**، كلية الآداب ـ وجدة
خديجة **اليملحي**، كلية علوم التربية ـ الرباط

# ببيليوغرافيا إضافية
# إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة


محمد ابن **إبراهيم الدكالي**،

- *تقاليد تاريخية*، مخطوط مكتبة بودليان - اكسفورد C79.

**اتحاد كتّاب المغربي**،

- *دليل الكتّاب المغاربة*، الرباط، 1993.

**إحسان عباس**،

- *ابن رضوان وكتابه في السياسة*، كتاب العيد، بيروت، 1967.
- *نوازل ابن رشد*، مجلة الأبحاث للجامعة الأميركية، بيروت.

أحمد **أحوزيْ**،

- هداية الملك العلام، مخطوط

الهادي - روجي **إدريس**،

- *الدولة الصنهاجية : تاريخ إفريقية في عهد بني زيري*، تر. حمادي الساحلي، بيروت، 1992.

محمد **أديب السلاوي**،

- *أعلام الفن التشكيلي العربي بالمغرب*، بغداد، 1982.

ابن **الأزرق**،

- *بدائع السلك*، تح. م. ابن عبد الكريم، ليبيا - تونس، 1977.

عبد الله **أزيطان**،

- *كتيب في الرماية وفضائلها*، مخطوط.

يوسف **أشباخ**،

- *تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين*. تر. ع عنان، القاهرة، 1958.

عمر **أفـــا**،

- *نظام المقاييس والأوزان المغربية وتطورها نحو النظام الميتري*، ضمن كتاب فكر وتاريخ، الرباط، 1998.

محمد **الإفراني**،

- *الإفادات والانشادات*، مخطوط.
- *درر الحجال في سبعة رجال*، مخطوط.

أحمد **أمين**،

- *ابن رشد : تلخيص مبادئ الطبيعة*، القاهر، 1958.

خالد **أوشّن**،

- *الوعي الاجتماعي بالمقاومة الوطنية* (نموذج أگادير) بحث الاجازة مرقون كلية الآداب، أگادير، 1987.

خوسي **أليماني**،

- *الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة*، تر. أحمد مدينة، دعوة الحق، ع 5، 1978.

أ. ف **الأهواني**،

- *ابن رشد : تلخيص كتاب النفس*، القاهرة، 1950.

محمد **أوني**،

- *مفهوم الريف المغربي*، *حوليات الريف*، عدد 1، سنة 1998.

محمد أحمد **باهي**،

- *الليث سيدي أحمد الركيبي*، ط 2، الرباط، 1999.

عبد الرحمن **بدوي**،

- *أرسطو في الشعر، الترجمة العربية القديمة مع شروح الفارابي وابن سينا وابن رشد*، القاهرة، 1954.
- *ابن رشد*، الكويت، 1984.
- *الخاص والمخصوص*، ط. 2، بيروت، 1980.

يحيى ابن **البراء**،

- *الفقه والمجتمع والسلطة*، نواكشوط، 1993.

جون **بربشويت**،

- *تاريخ الثورات في امبراطورية المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل*، تر. منية مادني د. د. ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط، 2000.

عكاشة **برحاب**،

- *مفهوم الحدود في الوثائق الغربية منذ احتلال الجزائر*، أعمال ندوة المحمدية، 1998.

محمد **بريان** و عبد الله **العوينة**،

- *تهيئة الساحل وتَطَـوُرُهُ*، الدار البيضاء، 1993.

ابن **بصال**،

- *كتاب الفلاحة*، نشر خوسي مارية و م. عزيمان.

محمد المكي **البطاوري**،

- *شرح أرجوزة الاتاي*، الرباط، 1946.

الحاج الحسن **البعقيلي**،

- *تبيين الأشراف أهل دائرة الوسائل*، وقبلة توجه كل سائل، الدار البيضاء، 1358 هـ.

أبو عبيد **البكري**،

- *معجم ما استعجم*، بيروت، 1403 هـ.

محمد **بلفقيه** و ع. **فضل الله**،

- *آليات وأشكال التوسع الحضري*، حالة الرباط سلا، الرباط، 1986.

عبد الله ابن **بلقين**،

- *التبيان*، الرباط، 1995.
- *مذكرات الأمير ابن بلقين*، تح. أمين توفيق الطيبي، الرباط.

محمد بلموزونة،

- *التوضعات السطحية بمنطقة مشرع بلقصيري*، د.د.ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1993.

سعيد **بنسعيد العلوي**،

- *صورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر*، ضمن كتاب الوطنية والتحديث، بيروت، 1997.

محمد **بنشريفة**،

- *كيف ظهر ضريح القاضي عياض*، مجلة كلية الآداب، مراكش، ع 6، 1990.
- *ملعبة الكفيف الزرهوني*، الرباط، 1987.

عبد العزيز، **بنعبد الله**،

- *السفارة والسفراء بالمغرب عبر التاريخ*، الرباط، 1985.
- *معلمة المغرب*، القنيطرة، 2000.

شوقي **بنعزو**،

- الماء التحدي المستمر، منشورات بانوراما، 1994.

عبد اللطيف **بنمصور**،

- *مجموعة أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحايك*، الدار البيضاء، 1977.

عبد الوهاب **بنمصور**،

- *مع جلالة الملك الحسن الثاني في فاس وتازة ووجدة وتلمسان*، الرباط، 1970.

أحمد **بناني**،

- *تحلية الآذان والمسامع*، مخطوط.

محمد **بنهاشم**،

- *السياسة الخارجية المغربية في عهد السلطان المولى سليمان*، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب، فاس، 1987.

محمد العربي ابن **البهلول**،

- *منهج الارتحال إلى معرفة الشيخ سيدي رحال*، الرباط، 1952.

مصطفى **بوشعراء**،
- *ذيل الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 199 ؟
ميمون **بوشلاغم**،
- الزاوية الرمضانية، وثائق من بني يزناسن، د.د.ع. مرقون، كلية الآداب، فاس، 1985.
عبد الهادي **بوطالب**،
- *ذكريات ... شهادات ...* ووجوه، الدار البيضاء، 1993، جزآن.
أحمد بن مبارك **بـو الطعام**،
- *كناشة*، مخطوطة.
المهدي، **البوعبدلي**،
- *الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها*، مجلة *الأصالة*.
- *عبد الرحمن الأخصري وأطوار السلفية في الجزائر*، *الأصالة*، سنة 1978، ع 53.
محمد **بويغ**،
- *تلخيص كتاب المقدمة /ابن رشد*، بيروت، 1932.
- *تفسير ما بعد الطبيعة /ابن رشد*، بيروت، 1938.
- *تهافت التهافت /ابن رشد*، بيروت، 1930.
بروس **بولت**،
- *الزلازل*، تر. سهل السنوي وآخر، بغداد، 1988.
فرانسوا **بيرجي**،
- *موحى وحمّو الزياني*، تر. م. بوستة، فاس، 1999.
شارل **بّيلا**،
- *مقدمة الناقعة على الآلة الجامعة لابن سليمان الروداني*، مجلة *الدراسات الشرقية* بدمشق، جزء 27، سنة 1973.
الطيب **البياز**،
- *الكناشة*، مخطوط، خ. ح 36652.
موساتوفا **تاتيانا**،
- *العلاقة الروسية المغربية*، تر. ع. الرحيم العطاوي، مجلة *دار النيابة*، عدد 18، سنة 1988.
عبد الهادي **التازي**،
- *التاريخ الدبلوماسي*، 1988، ج 9.
عبد الله بن إبراهيم **التاسافتي**،
- *رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد*. تح. ع صدقي أزايكو، القنيطرة، 1992.
علي **التامكروتي**،
- *النفحة المسكية في السفارة التركية*، مطبوع بالتصوير على مخطوط، باريس، د. ت.
محمد ابن **تاويت التطواني**،
- *الوافي بالأداب العربي في المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1982، ثلاثة أجزاء.
محمد ابن **تاويت التطواني** و**عفيفي**،
- *الأدب المغربي*، بيروت، الطبعة الأولى، 1960.
محمد **التطواني السلوي**،
- *ابن أبي زرع وكتاب القرطاس*، مجلة *الثقافة المغربية*، جوان جويي، 1945.

نعيمة **التوزاني**،
- *الأمناء بالمغرب على عهد المولى الحسن*، الرباط، 1979.
أحمد **التوفيق**،
- *أبو الحسن علي بن سليمان الدمناتي البوجمعوي ورسالته إلى الآفاق*، ضمن كتاب في *النهضة والتراكم*، الدار البيضاء، 1986.
أحمد **التيفاشي**،
- *متعة الأسماع في علم السماع*، مخطوط.

عباس **الجراري**، سعيد **بنسعيد**، أحمد **التوفيق**،

- *عبد الرحمن ابن زيدان*. *سلسلة أعلام المغرب*، الدار البيضاء، 1998.

عبد الله **الجراري**،

- *الغاية من رفع الراية*، الرباط، 1953.

حسن **جلاب**،

- *عراصي مراكش ودورها في تكوين الشباب*، دعوة الحق، عدد 352.

**جماعة من الباحثين**،

- *أعمال الدورة الثالثة لجمعية الجامعات الصيفية بأكادير*، الدار البيضاء، 1990.
- *أعمال الملتقى الثقافي الرابع حول صفرو ومنطقتها*، 1990.
- *أعمال الملتقى الفكري الأول لمدينة أسفي*، الدار البيضاء، 1988.
- *أعمال ندوة أكادير الكبرى، المحور التاريخي*، أكادير، 1990.
- *أعمال ندوة أبي محمد صالح المناقب والتاريخ*، الدار البيضاء، 1990.
- *أعمال ندوة حول مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي*، الرياض - السعودية، 1999.
- *أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي*، تطوان، 1996.
- *البادية المغربية عبر التاريخ*، ندوة كلية الآداب، الرباط، رقم 77.
- *تاريخ إقليم أسفي*، الدار البيضاء، 2000.
- *التاريخ وأدب النوازل*، مهدى للفقيد محمد زنيبر، الرباط، 1995.
- *تراث الأندلس، بإشراف محمد حجي*، الدار البيضاء، 1984.
- *الشاوية : التاريخ والمجال*، (ندوة) الدار البيضاء، 1997.
- جامعة مولاي علي *الشريف الخريفية* (وزارة الثقافة)، عشرة أجزاء، الرباط، 1989 حتى 2001.
- *حصيلة وآفاق العلاقات المغربية السوفياتية* (ندوة قدماء خريجي الجامعات السوفياتية)، مرقون، 1988.
- *طنجة في التاريخ المعاصر* (ندوة)، الرباط، 1991.
- *عروض ودراسات علمية حول القردة*، ندوة جامعة الأخوين، إفران، 1999.
- *الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى* (ندوة)، الرباط، 1995.
- *فكر وتاريخ*، الرباط، 1998.
- *في النهضة والتراكم*، مهداة لمحمد المنوني، الدار البيضاء، 1986.
- متنوعات محمد حجي، بيروت، 1998.
- *مجلة الاعتصام*، عدد خاص بتكريم الشيخ الرحالي الفاروقي.
- *المختار السوسي الذاكرة المستعادة*، (ندوة)، الدار البيضاء، 1984.
- *مذكرات التراث المغربي*، (الترجمة العربية)، الدار البيضاء ؟
- *المنطقة الشمالية والكفاح الوطني*، الرباط، 1998.
- *الموسوعة الحديثة : علم النباتات والحيوانات*، سلكا - سويسرا، 1990.
- *ندوة أعمال المجالات الحدودية في الوثائق المغربية منذ احتلال الجزائر*، المحمدية، 1998.
- *ندوة الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في الشمال الغربي المغربي*، الرباط، 1995.
- *ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار*، المندوبية السامية للمقاومة، 1991.
- *وثيقة المطالبة بالاستقلال، تراجم الموقعين (المندوبية السامية لقدماء المقاومين)*، الرباط، 1996.
- *وحيش المغرب*، (مكتب تنسيق التعريب)، الرباط، 1976.
- *الوطنية والتحديثية في المغرب*، بيروت، 1997.
- *مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المومنية، جمع ل. بروفنسال*، الرباط، 1941.
- *مجموع جديد من رسائل موحدية*، تح. عزاوي، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1986.

أحمد ابن **الحاج**،

- *الدرر الجوهرية*، مخطوط، خ. ح 512ج.

م. حسين الأعلمي **الحائري**،

- *دائرة المعارف الشيعية العامة*، 10 / 159 ؟

محمد بن الحسن **الحايك**،

- *مقدمة كتاب الحايك*، تح. مالك بنونة، الرباط، 1999.

ابن **حجاج الأندلسي**،

- *الفلاحة*، مخطوط.

محمد **الحجاري** وآخرون،

- *المغرب في حلى المغرب*، تح. شوقي ضيف، القاهرة، د. ت.

محمد **حجي**،

- *جولات تاريخية*، بيروت، 1995، جزآن.
- *ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب*، الرباط، 1976.

محمد ابن **حجر** العسقلاني،

- *أنباء الغمر في أبناء العمر*، ط. الهند.

إبراهيم **حركات**،

- *السياسة والمجتمع*، الدار البيضاء، 1987.

م. **الحضرمي**،

- *السلسل العذب*، تح. مصطفى البخار، سلا، 1988.

محمد **الحضيكي**،

- *طبقات*، تح. أ. بومزكو، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط.

محمد **حمادة**،

- *الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقيا*، ط. 2، بيروت، 1986.

ابن **حمادة السبتي**،

- *مختصر المدارك*، ملحق بكتاب *ترتب المدارك* للقاضي عياض، ج 8، تح. س. أعراب، المحمدية، 1983.

ج. ف. **حوراني**،

- *كتاب فصل المقال /ابن رشد*، بيروت، 1968.

سليمان **الحوات**،

- *الروضة المقصودة في مآثر بني سودة*، تح. ع. العزيز تيلاني، الدار البيضاء، 1994.

محمد **الحياني**،

- *الرياضة المغربية، شواهد وأسرار*، الرباط، 1992.

علال **الخديمي**،

- *أخبار الجهاد والمجاهدين بالمنطقة الشمالية خلال الحرب العالمية الأولى*، ضمن كتاب المنطقة الشمالية والكفاح الوطني، الرباط، 1998.

محمد **الخروبي**،

- *رسالة الخروبي إلى علماء فاس*، مخطوط.

خالد **الخضري**،

- *دليل المخرجين السينمائين المغاربة*.

- لسان الدين ابن **الخطيب**،

- *ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب*، تح. ع الله عنان، القاهرة، 1980.
- *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، بيروت، 1978.
- *أوصاف الناس في التواريخ والصلات*، تح. م كمال شبانة، المحمدية، د. ت.
- *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار*، المحمدية، 1976.
- *تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط* (أعمال الأعلام)، تح. أ. مختار العبادي وإبراهيم الكتاني، الدارالبيضاء، 1964.

إدريس **خليفة**،

- *الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال*، المحمدية، 1994.

ابن **خليل**،

- *اختصار القدح المعلّى*، تح. إبراهيم الأبياري، القاهرة، 1959.

أبو بكر محمد ابن **خير الإشبيلي**،
- *فهرس ابن خير*، باشراف زهير فتح الله، ط. 2، القاهرة، 1963.
عبد الغني **الدالي**،
- *محاضرات في النقود والبنوك*، الرباط، 1972.
محمد **دحمان**،
- *إسماعيل ولد الباردي*، الرباط، 1999.
ابن **دراج** القسطلي،
- *ديوان*، تح. محمود علي مكي، القاهرة، 1389 هـ.
- أبو مدين **الدرعي**،
- *رحلة*، مخطوطة.
س. **دنيا**،
- *تهافت التهافت لابن رشد*، القاهرة، 1964- 1965.
عبد الصمد **الديالمي**،
- *المرأة والجنس في المغرب*، الدار البيضاء، 1985.
اليزيد **الراضي**،
- *شعر داود الرسموكي*، أگادير، 1992.
عبد الله بن أبي **الربيع السبتي**،
- *برنامج*، تح. ع. العزيز الأهواني، مجلة المخطوطات العربية، مجلد، 1 ج 1- 2، 1955.
التهامي ابن **رحمون**،
- *مجموعة إرجازات أشياخه*، مخطوط.
ع. **رشيد**،
- *تاريخ الرياضة بالمغرب*، ط. 3، الدار البيضاء، 1998.
محمد ابن **رشد الجد**،
- *البيان والتحصيل*، تح. م. حجي وآخرين، بيروت، 1988، عشرون جزءاً.
محمد ابن **رشيد السبتي**،
- *ملء العيبة*، تح. م. الحبيب ابن الخوجة، تونس، 1982، جزآن.
ابن **رضوان**،
- *الشهب اللامعة*، تح. علي سامي النشار، الدار البيضاء، 1984.
محمد **الرقيق القيرواني**،
- *تاريخ إفريقية والمغرب*، 1990.
محمد السعيد **الرگراگي**،
- *الفقيه محمد بن أحمد العبدي الكانوني : حياته وفكره ومؤلفاته*، مراكش، 2000.
علال **رگوگ**،
- *نماذج من الزعري*، جريدة *بيان اليوم الثقافي*، رقم 17.
محمد **الرهوني الوزاني**،
- *أوضح المسالك وأسهل المراقي إلى سبك إبريز الشيخ عبد الباقي*، ط. حجر فاس، 1290، ثمانية أجزاء.
محمد بن سليمان **الروداني**،
- *صلة الخلف بموصول السلف*، تح. م. حجي، بيروت، 1988.
محمد **رياض**،
- *أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي*، الدار البيضاء، 1996.
أمين **الريحاني**،
- *المغرب الأقصى*، بيروت، 1975.
محمد الصادق ابن **ريسون**،
- *الدر المكنون في ترجمة الزعيم ابن ريسون*، شفشاون، 1415 هـ.
- موجز *تاريخ شفشاون*، شفشاون، 1986.

أحمد بن الأمين **الريسوني**،
- *حقائق تاريخية عن زاوية تازروت*، تطوان، د. ت.
الغالي **الريسوني**،
- *رجل ومواقف دفاعاً عن وحدة الأمة*، تطوان، 1982.
**عزو الريطب**،
- *الزاوية الرحالية بأنماي خلال القرن 16*، بحث جامعي للاجازة مرقون، كلية الآداب، الجديدة، 1992.
- عبد المجيد **الزبادي**،
*الرحلة الحجازية*، مخطوط.
الحبيب **الزلماطي**،
- *مقالات أحمد زياد الأدبية*، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، وجدة، 1996.
محمد **زاكي**،
- *منطقة تافرانت، الحوض الأوسط لوادي ورغة*، د.د.ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1996.
مبارك **زكي**،
- *تاريخ المقاومة وجيش التحرير من أفواه رجالها* .
عبد السلام **الزموري**،
- *إزالة البُوس*، مخطوط.
عبد الغني **الزموري**،
- *القانون المفيد في علاج الحصى بقول سديد*، (مقدمة)، مخطوط.
محمد **الزناتي**،
- *الفصل في أصول علم الرمل*، القاهرة، ؟
أبو بكر بن الطاهر **زنيبر**،
- *نظرات في تطور التعليم بالمغرب*، مخطوط.
- جهود *الإسلام في ترقية الأنام*، تح. فائزة البوكيلي، مرقون.
علي **زنيبر**،
- *حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال*، مخطوط، خ. ص.
أبو القاسم **الزياني**،
- جمهرة *مَن حكم فاس*، مخطوط خ. ع.
عبد الرحمن ابن **زيدان**،
- *المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف*، تح. ع الهادي التازي، الدار البيضاء، 1993.
ي. ابن **الزيات التادلي**،
- *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984.
إبراهيم محمد **الساسي العوام**،
- *الصروف في تاريخ الصحراء وسوف*، تونس، 1977.
م. س. **سالم**،
- *تلخيص الخطابة /ابن رشد*، القاهرة، 1979.
- *تلخيص كتاب أرسطو في الشعر /ابن رشد*، القاهرة، 1971.
- *تلخيص كتاب الجدل /ابن رشد*، القاهرة، 1979.
عبد الأحد **السبتي** ومحمد **الخصاصي**،
- *من الشاي إلى الأتاي*، الدار البيضاء، 1999.
إلياس **سركيس**،
- *معجم المطبوعات العربية والمعربة*، القاهرة، 1928.
عبد الكبير ابن **سعيد**،
- *العيون المرضية في ذكر بعض مناقب الطائفة الركراكية*، مخطوط.
- *حول أصول الركراكيين وأنسابهم*، مخطوط، تخريج عمر أفا.

عبد الملك ابن **سعيد المغربي**،

- *كتاب الجغرافيا*، بيروت، د. ت.
- *بسط الأرض*، تطوان، 1958.

رشيد **السلامي**،

- *رسائل سياسية غير منشورة لابن عباد الرندي*، متنوعات محمد حجي، بيروت، 1998.
- *وثائق مرينية*، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1989.

داوود بن علي **السملالي**،

- *بشارة الزائرين الباحثين في الصالحين*، مخطوط.

أبو عبد الله **السنوسي**،

- *نصرة الفقير في الرد علي أبي الحسن الصغير*، مخطوط.

عصام سالم **سيسالم**،

- *جزر الأندلس المنسية، التاريخ الإسلامي لجزر البليار*، بيروت، 1984.

لويس **سيكودي لوثينا**،

- *الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء*، تر. ع. طعمة، دمشق، 1992.

الحسن **الشاهدي**،

- *أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني*، الرباط، 1990.

**شاهر جمال أغـا**،

- *الزلازل وتطور وتبدل الأرض في القرآن*، 1996.

محمد رضى **شرف الدين**،

- *لباس الرأس في المغرب*، د. د. ع مرقون.

إسكندر **رشلفون**،

- *دائرة المعارف الموسيقية وقاموس المعهد*، ق 1، 1927.

مصطفى **الشليح** وآخرون،

- *محمد المختار السوسي (سلسلة أعلام المغرب)*، الدار البيضاء، 1996.

محمد الإمام **الشنقيطي**،

- *الجأش الربيط في النضال عن مغربية شنقيط*، الرباط، 1957.

الحسن **شوقي**،

- *قبيلة السراغنة خلال القرن 19*. د. د. ع، مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1991.

فاطمة **الشويخ**،

- *التكوينات السطحية والدينامية الحالية بمنطقة تروال*، د.د.ع. مرقون كلية الآداب، الرباط، 1996.

جمال الدين ابن **الصابوني**،

- *تكميل إكمال الإكمال في الأسماء والأنساب والألقاب*، بيروت، 1986.

م. **الصباغ** القلعي،

- *لسان العارفين الأزهار في مناقب زمزم الأخيار*، مخطوط.

أبو بكر **الصبيحي**،

- *كناشة*، مخطوط، خ ص. بسلا.

عبد القادر **الصحراوي**،

- *جولات في تاريخ المغرب*، الدار البيضاء، 1961.

محمد **صدقي**،

- *الأدارسة من النشأة إلى التجزئة*. د. د. ع مرقون، كلية الآداب، فاس - ظهر المهراز، 1991.

عبد الرزاق **الصديقي**،

- *الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن 1850- 1900*، الرباط، 1977.

أبو الحسن **الصغير** المكناسي،

- *تأليف في البدع*، مخطوط.

محمد **الصمدي**،
- *الشيخ أحمد زروق وطريقته الزروقية بالمغرب*، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، الرباط.
**طاش كبـرى زاده**،
- *مفتاح السعادة ومصباح السيادة*، حيدر أباد الدكن، 1328 هـ.
م. **الظريف**،
- *الحياة الأدبية في الزاوية المعينية*، د.د.ع مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1986.
توفيق ابن **عامر**،
- *الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين 3 ـ 4هـ*، 1998.
الحسن **العبادي**،
- *فقه النوازل في سوس*، الدار البيضاء، 1999.
محمد المختار **العبادي**،
- *دراسات في تاريخ المغرب والأندلس*، بيروت، 1978.
عبد العزيز ابن **عبد الجليل**،
- *معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية*، الرباط، 1992.
ابن **عبد الحكم**،
- *فتوح مصر والمغرب*، تح. ع. المنعم عامر، القاهرة، 1961.
ابن **عبد الحليم** الأيلاني،
- *رسالة في اتجاه القبلة*، مخطوط.
سعد زغلول **عبد الحميد**،
- *تاريخ المغرب العربي*، 1979.
الصديق ابن **العربي**،
- *طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب*، *مجلة تطوان*، العدد الأول، 1956.
عبد الله **العروي**،
- *مجمل تاريخ المغرب*، بيروت، 1994.
محمد ابن **عزوز حكيم**،
- *الجديد في تاريخ تطاون*، تطوان، 2000.
- *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب*، الرباط، 1981.
- *معركة وادي المخازن*، تطوان، 1950.
- *المقاومة المسلحة في شمال المغرب*، تطوان، 1984.
إدريس **عزوزي**،
- *الشيخ أحمد زروق آراؤه الاصلاحية*، المحمدية، 1998.
عبد الرحيم **العطاوي**،
- *اهتمامات روسية بالمغرب في عهد مولاي عبد الرحمن*، ضمن جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، 1993.
- *كتابات روسية حول طنجة*، ضمن كتاب *طنجة في التاريخ المعاصر*، الرباط، 1991.
جمال الدين **العلوي**،
- *مقالات في المنطق والطبيعيات /ابن رشد*، الدار البيضاء، 1983.
- *تلخيص السماء والعالم /ابن رشد*، فاس، 1984.
هاشم **العلوي القاسمي**،
- *مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري*، المحمدية، 1995.
محمد ابن **علي الدكالي** السلوي،
- *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط.
- *تقييد في الرباطات*، مخطوط.
- *كناشة*، مخطوط، خ. ع. رقم 4257د.
م. **عمارة**،
- *فصل المقال /ابن رشد*، القاهرة، 1959.

**عمالة تازا**،
- *منوغرافيا عمالة تازا*، 1982.
إبراهيم بن محمد **العمراني**،
- *تحفة الملك العزيز بمملكة باريز*، طنجة، 1989.
صافية **العمراني**،
- *المقاومة ضد الاستعمار من خلال نصوص شعرية أمازيغية ضمن ندوة المقاومة المسلحة*.
محمد **عمراني**،
- *الشرف والمجتمع والسلطة السياسية*، أطروحة مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 2001.
عبد الله **عنان**،
- *دولة الإسلام في الأندلس*، القاهرة، 1964.
- *ملوك الطوائف ـ العصر الثاني*، ط 2، القاهرة، 1969.
محمد ابن **عياض**،
- *التعريف بالقاضي عياض*، تح. م. بن شريفة، الرباط.
أحمد **الغزالي**،
- *مساهمة في البحث عن زوايا بني يزناسن، القادرية البودشيشية نموذجا*، 1996.
أ. ح. **الغزالي**،
- *كتاب الطب الروماني للجسم الإنساني في علم الحرف*، مصر ؟
ع. الرحمان **الفاسي**،
- *أزهار البستان*، مخطوط.
- *بستان الأذهان*، مخطوط.
- *زهرة الشماريخ في علم التاريخ*، طبعة حجر فاس، 1922.
محمد **الفاسي**،
- *رسائل السلطان المولى إسماعيل*، مجلة تطوان، عدد خاص، 1962.
محمد الطيب **الفاسي**،
- *فهرس*، مخطوط.
حسن **فتحي**،
- *المنزل العربي في الوسط الحضري في الماضي والحاضر والمستقبل*، مجلة الفكر العربي، عدد 30.
**الفزكاري**،
- شرح *روضة السلوان*، مخطوط، خ. ع 1598د.
بوشتى **الفلاح**،
- *حركات السفوح والمخاطر المرتبطة بها في الريف الأوسط*، أطروحة مرقونة، كلية الآداب، الرباط.
عبد القادر بن الخياط **القادري**،
- *التحفة القادرية*، مخطوط.
محمد **قاسم**،
- *ابن رشد : تلخيص المقولات*، القاهرة، 1980.
- *ابن رشد : العبارة*، القاهرة، 1981.
- *ابن رشد : تلخيصات كتاب البرهان*، القاهرة، 1982.
- *ابن رشد : كتاب كشف مناهج الأدلة*، ط 2، القاهرة، 1964.
أحمد ابن **القاضي**،
- *رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح*، تح. م البوعناني، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، الرباط.
أ. ابن **القاضي الكعداوي**،
*تقيد*، مخطوط.
قاسم ابن **القاضي**،
- *تنوير الزمان بقدوم مولانا زيدان*، مخطوط.

م. **القباني**،
- ابن رشد : *تلخيص مبادئ الطبيعة*، القاهرة، 1907.
**القبتوري**،
*رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي*، تح. م. الحبيب الهيلة، الرباط، 1979.
فاطمة خليل **القبلي**،
- *رسائل اليوسي*، الدار البيضاء، 1981.
محمد **القبلي**،
- *مراجعات حول الثقافة والمجتمع بالمغرب الوسيط*، الدار البيضاء، 1987.
كلود **كاهن**،
- *تاريخ العرب والشعوب الإسلامية*، 1977.
محمد **الكتاني**،
- *زايد أوحماد ومقاومون للاحتلال الفرنسي في جنوب الأطلس الكبير الشرقي*، مجلة *تاريخ المغرب*، الرباط، ع 5. نونبر، 1994.
محمد بن جعفر **الكتاني**،
- *الأزهار العاطرة الأنفاس*، مخطوط.
- *هداية الضال المشتغل بالقيل والقال*، مخطوط.
**كتلة العمل الوطني**،
- *مطالب الشعب المغربي*، القاهرة، 1934.
ابن **كثير**،
- *البداية والنهاية*، بيروت، د. ت.
نور الدين **گديرة**،
- *كرة القدم المغربية*، وثائق وأرقام، 956- 1990، الدار البيضاء، 1997.
أحمد **الكردودي**،
- *التحفة السنية*، مخطوط.
إبراهيم **كريدية**،
- *الفقيه محمد الهسكوري سلفياً ووطنياً ورائداً للتعليم الوطني*، مراكش، 2000.
عبد الله **گنون**،
- *ترجمة الواعظ البغدادي صاحب الوتريات*، مجلة البحث العلمي، ع 7، 1966.
- *ذكريات مشاهير رجال المغرب*، أحمد زروق، العدد ، 8، بيروت.
روجي **لوتورنو**،
- *فاس في عصر بني مرين*، تر. نيقولا زيادة، بيروت، 1967.
الحسن **اللويزي**،
- *أحمد بن سليمان الجزولي الرسموكي، حياته وآثاره*، د. د. ع. مرقون، دار الحديث الحسنية، الرباط، 1995.
**ليڤي بروڤنسال**،
- *فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة*، بالرباط، ط. 2، الرباط، 1998.
حمداتي شبيهنا **ماء العينين**،
- *قبائل الصحراء المغربية*، أصولها جهادها ثقافتها، الرباط، 1998.
محمد **ماكامان**،
- *الرحلات المغربية في القرن 11 و12*، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط.
أحمد **الماگري**،
- *المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح*، القاهرة، 1932.
حسن **المباركي**،
- *تعبئة المياه لأجل الري في المناطق شبه الجافة*، حالة حوز مراكش، مجلة *المزارع المغربي*، عدد 11، مارس 2001.

أحمد **متفكر**،
- *مقالات ومحاضرات الشيخ الرحالي الفاروق*، مراكش، 1999.

محمد **مجذوب**،
- *أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة*، مجلة بحوث، ع 2 ـ 3، سنة 1990.
- *العملة الملكية في المغرب القديم*، مجلة بحوث، عدد 5، المحمدية.

**مجهول**،
- *الاستبصار*، الأسكندرية، 1958.
- *تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين*. مخطوط.
- *التعريف بالشيخ أحمد زروق*، مخطوط، خ. ع. 2100د.
- *تقاييد عن قبائل قلعية*، مخطوط، خ. ع.
- ذكر مشاهير *أعيان فاس في القديم*، مخطوط.
- *الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب*، مخطوط.
- *كتاب الأنساب ومفاخر البربر*، تح. مصطفى يعلى، أطروحة، مرقونة، مدريد.
- *كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين*، تح. هوداس، مدريد، 1961.

أحمد ابن أبي **محلي**،
- *إصليت الخريت*، مخطوط.
- *رسالة في الردّ على الخروبي*، مخطوط.

**مديرية الإحصاء**،
- *الاحصاءات العامة للسكان والسكنى ( 1960ـ 1971ـ 1982ـ 1994)* .

ابن **المرابط**،
- *زواهر الفكر*، مخطوط الاسكوريال.

ثريا **المرابط**،
- *تاريخ الزلازل بالمغرب من سنة 846 إلى 1960*. د. د. ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1991.

عبد الحق **المريني**،
- *الجيش المغربي عبر التاريخ*، الرباط، 1997.

محمد بن المكي **المريني**،
- *كناشة*، مخطوط، خ. ص. سلا.

رشيد **المصلوت**،
- *الفهرس العلمي*، الدار البيضاء، 1985.

هاشم بن الحسن **المعزوزي**،
- *الكفاح المغربي المسلح في حلقات*، الرباط، 1987.

- أحمد (الحاج) **معنينو**،
- *مذكرة طالب مغربي أرسل في بعثة إلى إيطاليا منذ ثمانين سنة*، دعوة الحق، عدد نونبر، 1968.

محمد **مفتاح**،
- *الخطاب الصوفي، مقاربة وظيفية*، الدار البيضاء، 1997.

عبد الرحمن **الملحوني**،
- *الشعر الوطني في الأدب الشعبي المغربي الملحون*، الدار البيضاء، 1990.

أحمد **المنصوري الزياني**،
- *الأبحاث الرشيدة عن الأدب بين تاوريرت وجبل دبدو ورشيدة*، مخطوط.
- *كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر*، مخطوط.

محمد **المنوني**،
- *أبحاث مختارة*، نشر وزارة الشؤون الثقافية، الدار البيضاء، 2000.
- *تاريخ المصحف الشريف بالمغرب*، دعوة الحق، ع 3، السنة 11 يناير، 1968.
- قبس من *عطاء المخطوط المغربي*، بيروت، 2000.
- ورقات عن *حضارة المرينيين*، الرباط، 1996.

فاطمة **موديكيري**،
- مظاهر السطح والتشكيل لمجال تاونات، د.د.ع. مرقون، كلية الآداب ـ الرباط، 1996.
عبد الرحمن **المؤذن**،
- *البوادي المغربية قبل الاستعمار : قبائل إيناون والمخزن*، الدار البيضاء، 1995.
عز الدين عمر **موسى**،
- *الموحدون في المغرب الإسلامي*، بيروت، 1991.
مصطفى **مولاي رشيد**،
- *مضيف الأعمدة والجوار الموري ـ الإيبري حسب المصادر الأوربية القديمة*، الدار البيضاء، 2001.
حسين **مونس**،
- *أطلس تاريخ الإسلام*، القاهرة، 1987.
- *فتح العرب للمغرب*، القاهرة، 1947.
م. **ميموني**،
- *الجهاز الحضري بتادلا مراكز قديمة في تحول*، د. د. ع. كلية الآداب، الرباط.
ابن **ناصر**، الحسين،
- *فهرس*، مخطوط.
جعفر **الناصري**،
- *سلا ورباط الفتح*، مرقون، خ. ص بسلا.
مَحمد بن أحمد بن خالد **الناصري**،
- *من فارس إلى مراكش*، مرقون.
محمد بن عبد السلام **الناصري**،
- *المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا* ، مخطوط.
م. المكي **الناصري**،
- *فتح الملك الناصر في إجازات مرويات بني ناصر*، مخطوط.
عبد الله **نجمي**،
- *التصوف والبدعة بالمغرب : طائفة العكاكزة*، الدار البيضاء، 2000.
- *المغرب من خلال كتب الرحلات الفرنسية 1880- 1912*، ضمن ندوة *مصادر المعلومات*، الرياض، 1999.
مصطفى **نشاط**،
- *الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية*، ضمن أعمال ندوة *الغرب الإسلامي والغرب المسيحي*، الرباط، 1985.
أحمد بن عبد الوهاب **النويري**،
- *نهاية الأرب في فنون الأدب*، القاهرة، 1955.
م. **الهسكوري**،
- *ماضي التعليم في أسفي*، مخطوط.
أ. **الهشتوكي**،
- *هداية الملك العلام إلى حج بيت الله الحرام*، مخطوط.
إبراهيم **الهلالي**،
- *مذكرات في الفقه الإسلامي*، مراكش، 1987.
محمد بن عبد الملك **الهمداني**،
- *تكملة تاريخ الطبري*، بيوت، 1961.
**هويكنز**،
- *النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى*، تر. أمين توفيق الطيبي، ليبيا ـ تونس، 1980.
علي **واحدي**،
- *الزيت والزيتون في المغرب القديم نموذج وليلي*، أطروحة دكتوراة، فاس ظهر المهراز، مرقونة، فاس، 1995.
محمد **واحي**،
- *مكانة وليلي الاقتصادية في عهد الرومان*، فاس، ظهر المهراز، 1985.

عبد الرحيم **الورديغي**،
- *المقاومة المغربية ضد الحماية الفرنسية*، الرباط.
قدور **الورطاسي**،
- *بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني*، الرباط، 1976.
ح. **الورتيلاني**،
- *نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار*، تح. م ابن أبي شنب، ط 2، بيروت، 1974.
علي ابن **الوزان القرطبي**،
- *خاتمة نوازل ابن رشد*، مخطوط.
عز العرب **الوزاني**،
- *حدثني والدي*، بيروت، 1990.
حاتم **الوكيلي**،
- *الموسيقى الأندلسية من خلال مسيرة الفنان م. أحمد الوكيلي*، 1999.
محمد عزيز **الوكيلي**،
- *المدارس الباطنية بين العلم والفلسفة والعقيدة والدين*، أطروحة دكتوراه مرقونة، كلية الآداب الرباط، 1998.
محمد المختار **ولد السعد**،
- *حرب شريبة التباري أو أزمة القرن 17 في الجنوب الغربي الموريتاني*، نواكشوط، 1992.
جون **وندوس**،
- *رحلة إلى مكناس*، تر. زهراء إخوان، مكناس، 1993.
عبد الله **اليافعي**،
- *مرآة الجنان*، حيدر أباد الدكن، 1337 هـ.
إدريس **اليحياوي**،
- *العلاقات المغربية السوفياتية*، د.د.ع. مرقون، كلية الحقوق، الرباط.

## Supplément
## à
## la bibliographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie


ABES, M., *Les Izayan d'Oulmès, A.B.*, 1915.

ACKERMAN, G. M., *Les orientalistes de l'école britannique*, Paris, 1991.

*Actes du 14e Congrès international des orientalistes, Alger 1905*, Paris, 1905, vol. 1.

ADOLPHE, J. P., BILLY, C., *Biosynthèse de calate par une association bactérienne aerobie, C.R.A.S*, (Paris), T. 278, 1974.

AGERON, C.R., *Histoire de l'Algérie contemporaine, 1871 - 1954*, Paris, 1979.

AIT BRAHIM, L., CHOTIN, P., *Mise en évidence d'un épisode compressif dans les calcaires plio-quatenaires du Bassin de Saïs, C.R.A.S*, T. 296, 1983.

AKERRAZ, A, [et al...], *Patrimoine culturel et territoire de la région du Gharb*, Rabat, 1996.

ALEMANY, J., *Milicias cristianas al servicio de los sultanes musulmanes del Almaghreb*, in *Homenaje a D. Francisco Codera*, Zaragoza, 1904.

ARCELIN, P., CAYOT, A., *Réflexions sur l'abandon de l'agglomération héllénistique de Saint-Blaise (Saint-Mitre-les-Remparts), Rev. Archéol. de Narbonnaise*, 17, 1984.

AYME, V., *Lettre à Mr Mouliéras à propos d'ethnologie berbère, B.S.G.A. Oran*, 1904.

BABIN, G., *Au Maroc par les camps et par les villes*, Paris, 1912.

BADAWI, A., *Averroes : paraphrases*, in *Libros Rhetoricorum Anstolelis*, Le Caire, 1960.

BASSET, H., LEVI-PROVENÇAL, E., *Chella : une nécropole mérinide*, Paris, 1923.

BASSET, R., *Recherches sur la religion des Berbères, Revue de l'Histoire des Religions*, vol. 41, n° 3.

BEL, A., *Le 14e Congrès international des orientalistes d'Alger 1905, Bull. trim. Soc. Géo. Archéo. Oran*, vol. 25, Fasc. 103, Avr.-Juin 1905.

BELARBI, M., *Zerhoun : population et structures agraires : étude de géographie rurale*. Th. 3ème cycle : Géo, Bordeau I, 1980.

BELLAKHDAR, J., *La pharmacopée marocaine traditionnelle : médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

BENABDELJALIL, A., *Le chant et la musique, G.E.M : Civilisation marocaine*, Casablanca, 1996.

BENABID, A., *Flore et écosystèmes du Maroc*, Paris, 1999.

BENABOUD, M., *Problems of American Protection in Morocco*, in *The Atlantic conncetion 200 years of Moroccan - American Relations, 1786 - 1986*, Rabat, 1990.

BEN BOUAZZA, T., *La Naissance du syndicalisme ouvrier au Maroc*, Casablanca.

BENCHENEB, M., *3e [Troisième] section langues musulmanes dans le congrès d'Avril 1905 à Alger, R.A*, 2e - 3e trim., 1905.

BENCHERIFA, A., *Le Monde rural marocain : diversité spatiale et culturelle, G.E.M. : géographie humaine*, Rabat, 1989.

BENDAOU, K., *Impact des accords du GATT sur les exportations agricoles du Maroc*, Rabat, 1997.

BEN JELLOUN, T., *L'Enfant de sable*, Paris, 1981.

BEN JELLOUN, T., *La Nuit sacrée*, Paris, 1987.

BEN YOUNES, H., *La Nécropole punique d'El-Khayma, mai 1984, Reppal*, 2, 1993.

BERGGREN, W. A, VAN COUVERING, J. A., *The Late Neogene : biostratigraphy, geochronology and paleoclimatology of the last 15 million years marine and continental sequences, Palaeogeography, palaeoclimatology*, vol. 16, n° 1 - 2, 1974.

BERNARD, A., *Les Confins algéro-marocains*, Paris, 1911.

BERQUE, J., *L'Intérieur du Maghreb*, Paris, 1978.

BERRAHO, A., *Ressources halieutiques et potentialités aquacoles au Maroc*, Lisbonne, 1998.

BERTHIER, P., *Les Anciennes sucreries du Maroc et leurs réseaux hydrauliques*, Paris, Rabat, 1965, 2 vol.

BISI, A. M., *Le Commerce des amphores puniques : quelques remarques à propos des découvertes de Mellita (Sabrata), B.C.T.H.*, N.S 19 B, 1985.

BLANCARD, L., *Documents inédits sur le commerce de Marseille au Moyen Age*, Marseille, 1884, 2 vol.

BLUMBERG, H., *Epitome of Pana Naturalis*, transl. from the original arabic and the hebra and latin version with notes and introd., 1961.

BORSON, L., *Aperçu de l'élevage bovin dans l'antiquité, ethnozootechnie*, 32, 1983.
BOUBE, J., *Les Amphores de Sala à l'époque préromaine, B.A.M.*, 17, 1987 - 1988.
BOUBE, J., *La Circulation monétaire à Sala à l'époque préromaine*, Rome, 1992.
BOUBE, J., *Introduction à l'étude de la céramique à vernis noir de Sala, B.A.M*, 16, 1985, 1986.
BOUBRIK, R., *Saints et société en Islam : une confrérie ouest saharienne, la Fadiliyya*, Paris, 1999.
BOUCHET CHANTON, R., *Zoologie 1, Invertébrés*, Paris, 1962.
BOUDERBALA, N. [et al...], *La Question agraire au Maroc, B.E.S.M*, n° 123 / 125.
BOUDY, P., *Economie forestière nord africaine*, Paris, 1950.
BOUGHALI, M., *Espaces d'écriture au Maroc*, Casablanca, 1987.
BREBION, Ph., *Etude biostratigraphique et paléoécologique du quaternaire marocain, Ann. Paléont.*, 65, 1979.
BRUNHES, J., *L'Irrigation : ses conditions géographiques, ses modes d'organisation dans la péninsul ibérique et dans l'Afrique du Nord*, Paris, 1902.
BUKKALI, M.M., *Contribution à l'étude de la transhumance au Maroc*, Toulouse, 1972.
BURKE, E., *Prelude to Protectorate in Morocco*, Chicago, 1976.
BUTTERWORTH, C.E., *Averroes three short commentaries on Aristotele : Topics, Rhetoric, and Poetic*, Albany, 1977.
CAILLE, J., *La Petite histoire du Maroc : 3e série, 1850 - 1912*, Rabat, 1954.
CAMPS, G., *Les Berbères : mémoire et identité*, Paris, 1987.
CAPMANY, *Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunos Reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde el siglo XIII hasta el XV*, Madrid, 1974.
CARO BAROJA, J., *Un santon sahariano y su familia, Estudios saharianos*, 1955.
CASANOVA, J., *Morphologie et biolithogenèse des barrages de travertins*, Paris, 1981.
CASTRIES, H. de., *Les Sept patrons de Marrakech, Hesp.*, IV, 1924.
CASTRO Y PEDRERA, F. de, *Melilla préhispanica*, Madrid, 1945.
CAUTIER, D. J., *Monnaies et économie dans l'Espagne du nord et du centre, H.T*, 1962.
CELERIER, J., *L'Atlas et la circulation au Maroc, Hesp.*, vol. 7, 4e trim., 1927.
CELERIER, J., *La Dépression du Serou (Moyen Atlas Central), R.G.M*, VI, 1928 - 1929.
CENIVAL, P. de, *L'Eglise chrétienne de Marrakech au 13e S., Hesp.*, vol. 8, 1927.
CHARLES-ROUX, F., CAILLE, J., *Missions diplomatiques à Fès*, Paris, 1955.
CHATER, K., *Dépendance et mutations précoloniales : la Régence de Tunis de 1815 à 1857*, Tunis, 1984.
CHEBBI, J., *Ribât, E.I*, Nlle éd., Leiden, vol. 8.
CHEIKHA, J., *Les Ribats d'après les livres de Tabaqat, La Rapita islamica : historia institucional I altres Estudis Regionals. I Congres de les rapites de l'Estat Espanyol, 7 - 10 sept. 1989*, 1993.
CHELBI, F., *La Céramique à vernis de Carthage*, Tunis, 1992.
CHOUBERT, G., *Essai de chronologie hercynienne, N.S.G.M*, vol. 4, n° 83, 1951.
CHRAIBI, D., *Le Passé simple*, Paris, 1954.
CICARD, *L'Organisation des Zaers, R.M.M*, 1910.
CINTAS, P., *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Paris, 1954.
COLIN, G. S., *Massa, E.I*, Nlle éd., vol. 5.
COLIN, G. S., *La Noria marocaine et les machines hydrauliques dans le monde arabe, Hesp.*, 1er trim., 1932.
COLIN, G. S., RICARD, R., *Tanger et Ceuta dans un boniment de jongleur espagnol du 15e S., Bull. Hispanique*, 48, 1946.
CONTAMINE, Ph., *La Guerre au Moyen Age*, Paris, 1980.
CORNELL, V.J., *Ribat Tit - n - Fitr and the origine of Morroccan maraboutism islamic studies, Islamic studies*, XXVII, 1988.
CORREA DE FRANCA, A., *Historia de la muy noble y fidelisima ciudad de Ceuta, Transfretana*, n° 3, 1983.
CORRIERAS, J., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara, A.F. : R. C.*, 1906.
COSSE - BRISSAC, Ph. de, *Les Rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie, 1830 - 1847*, Paris, 1931.
COURTOIS, C., *Les Vandales et l'Afrique*, Paris, 1955.
CRAWFORD, F. S., *Averroes Cordubensis Commentarum Magnum in Aristotelis de Anima libros*, Cambridge (Mass.), 1953.
CRESSUER, *De un ribat a otro : una hipotesis sobre los ribat-s del Magrib al-aqsa (A paraître).*
*Cultures protégées en climat méditerranéen, Bull. de la F.AO.*, n° 90, 1988.
CUNNINGHAME, R., *Maghreb el-Acksa : A journey in Morocco*, Evanston (Illinois), 1997.
CUSSANE BALIN, *Un raid au sud de Sefrou, L'Illustration*, n° 3600, 24 fev. 1912.

DAGUIN, F., *Contribution à l'étude géologique de la région prérifaine*, Rabat, 1927.
DAKHLIA, J., *L'Oubli de la cité*, Paris, 1990.
DAN, Père F., *Histoire de Barbarie et de ses corsaires...*, Paris, 1637.
DAPPER, O., *Description de l'Afrique*, Amsterdam, 1686.
DEJEUX, J., *Littérature maghrébine de langue française*, Québec, 1978.
DESANGES, J., *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962.
DESCOLA, J., *Histoire de l'Espagne*, Paris, 1959.
DHINA, A, *Les Etats de l'Occident musulman aux 13è, 14è et 15è siècles*, Alger, 1984.
DIEHL, C., *L'Afrique byzantine*, Paris, 1896.
DIRECTION DE LA STATISTIQUE, *Résultats des R.G.P.H, 1960 - 1971, 1982, 1994*, Rabat, 1995.
DOZY, R., *Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age*, 3e éd., Paris, 1881.
DRACH, P., *Embranchement du cephalocorbie*, in Grasse, PP, *Traité de Zoologie*, Paris.
DUBREUIL, B, *Les Pavillons des Etats musulmans, H.T*, vol. 1, fasc. 3, 1960.
DUFOURCQ, Ch. E., *Les Relations de la péinsule ibérique et de l'Afrique du Nord au 14e S. Annuario estudios medievales*, 1970 - 1971, vol. 7.
DUFOURCQ, Ch. E., *Les Relations du Maroc et de la Castille pendant la première moitié du 13e S, R.H.C.M*, n° 5, 1968.
DUFOURCQ, Ch. E., *Un projet castillan du 13e S : la croisade de l'Afrique, R.H.C.M*, n° 1, 1966.
DUNLOP, D. M., *Averroes on the modality of proposition. Islamic Studies*, (Karachi), I, 1962.
EL-BADISI, *El Maqsad ash-sharif*, trad. G.S Colin, *A.M.*, vol. 26, 1926.
EL BOUZIDI, A., *Vallée moyenne de l'Oued Lebène (Prérif, Maroc) : étude de cartographie géomorphologique*, Th. 3e cycle, Poitiers, 1987.
EL FASSI, M., *La Littérature marocaine*, in *Maroc. L'Encyclopédie coloniale et maritime*, Paris, 1948.
EL MASOR, B., *Les Problèmes de l'eau dans la vallée moyenne du Ziz et la plaine du Tafilalet*. Th. Doct. Nancy II, 1988.
EL MANSOUR, M., *Urban Society in Fez : The Rumat during the modern period, 17th - 19th centuries, Maghreb Review*, vol. 22, n° 1, 1997.
ELSNER, J., *Musique arabe : congrès du Caire 1932*, Le Caire, 1992.
EMBERGER, L., *Les Limites naturelles de la forêt de Mamora, Bull. Sté. Sc. Nat. Maroc*, 9, 1929.
EMPEREUR, J. Y, HESNARD, A., *Les Amphores hellénistiques du bassin occidental de la Méditerranée, in Céramique Hellénistique et Romaine*, 2, 1987.
ENNAJI, M., *Soldats, domestiques et concubines: l'esclavage au Maroc au 19e S*, Casablanca, 1994.
ENNAJI, M., BEN SRHIR, K., *La Grande Bretagne et l'esclavage au Maroc au 19e S, H.T*, vol. XXIV; Fasc. 2, 1991.
ESCALIER, R., *Citadins et espace urbain au Maroc*, Tours, 1981, 2 vol.
EUZENNAT, M., *Le Limes de Tingitane : la frontière méridionale*, Paris, 1989.
FAGNAN, *Un chant algérien du 18e S. à l'occasion du bonbardement d'Alger par les danois, R.A.*, vol. 38.
FASSI, D., *La Forêt dans l'histoire de la terre*, in *Le Grand livre de la forêt marocaine*, Belgique, 1999.
FASSI, D., *Les Formations carbonatées secondaires : croûtes et travertins, R.G.M.*, 1994.
FAUGERES, J. C., *Les Rides sud-rifaines : évolutions sédimentaire et structure d'un bassin atlantico mésogéen de la marge africaine*, Th : Bordeau I, 1978.
FEINBERG et LORENZ, G., *Nouvelles données stratigraphiques sur le miocène supérieur et le pliocène du Maroc nord-occidental, Notes Mem. Serv. Geol., Maroc*, T. 30, n° 225, 1970.
FERHAT, H., *Ab$^{\underline{u}}$l-'Abbas : contestation et sainteté, Al-Qantara*, vol. 13, Fasc. 1, 1992.
FERHAT, H., *Littérature eschatologique et espace sacré au Maroc : le cas de Massa, S.I*, 80, 1994.
FRIANG, E., *Les Zkara et leur évolution devant l'Islam*, Mém. fin de stage des contrôleurs civils, 1946.
GAILLARD, H., *Une ville de l'Islam, Fès*, Paris, 1905.
GALLOTI, J., *Le Jardin et la maison au Maroc*, Paris, 1925, 2 vol.
GASPAR REMIRO, M., *El Negocio de Ceuta entre Jaime II de Aragon y Aburrebia Sulaiman, sultan de Fez contra Muhammed III de Granada, in Relaciones de la Corona de Aragon con los estados musulmanes de Occidente*, Madrid, 1925.
GATJE, H., *Die Epitome der Pane Naturalia des Averroes*, Wiesbaden, 1961.
GAUDEFROY - DEMONBYNES, M., *Masalik el -absar*, Paris, 1927.
GAUTIER, E. F., *Mœurs et coûtumes des musulmans*, Paris, 1931.
GHANEM, H., *Contribution à la connaissance des sols du Maroc*, Th. Agr. 1981, 2 vol.
GIMENEZ SOLER A., *Caballeros españoles en Africa y Africanos en España, Revue Hispanique*, 1905.

GONTARD, M., *Violence du texte*, Paris, Rabat, 1979.
GOUBERT, P., *Ceuta byzantine ou Wizigothique ? in Misc. Lania Puig I Cadalach*, Barcelone, 1947 - 1951 ?
GOUBERT, P., *L'Espagne byzantine, rev. et. byz.*, IV, 1946.
GRILLON, P., *La Correspondance du Consul Louis Chénier, 1767 - 1782*, Paris, 1970.
GUERRERO AYUSO,V. H., *Una aportacion al estudio de las anforas Mana C., Archaeo-Nautica*, 6, 1988.
GUILLEN, P., *Les Emprunts marocains, 1902 - 1904*, Paris, 1972.
GUITARD, C., *Recherches sur Saturne : des origines à la Réforme de 217 Av. J.C, in Recherches sur les religions de l'Italie antique*, Genève, 1976.
HALIM, A., *Le Capitalisme agraire au Maroc*, Th. Paris VII, 1986.
HAMDI, A, LACIRIGNOLA, C., *An overview of protected agriculture in the mediterrnean region*, Agadir, 1993.
HART, D.M., *Notes on the Rifain community of Tangier, The Middle East Journal*, 1957.
HESNARD, A. [et al...], *Aires de production des gréco-italiques et un Dr 1, Collection de l'Ecole française de Rome*, 114, 1989.
HESNARD, [et al...], *Les Négociants italiens en Maurétanie avant l'annexion, B.C.T.H*, NS 19B, 1983.
HORIEN, M., *Metaphysie de Averroes, 1197, nache dern Arabischien übersetzt und erlantert*, Halle, 1912.
HUICI MIRANDA, A., *El Reinado del califa almohade al Rachid hijo de Al-Mamun, Hesp.*, 1er-2e trim, 1954.
HUREAU, J.C., MONOD, Th., *Check list of the North Eastern Atlantic and of the Mediterranean*, Paris, 1973, 2 vol.
IBN MARZUQ, *Le Musnad : extraits* / ed. et trad. Levi-Provençal, *Hesp.*, vol.5, 1er trim., 1925.
INSTITUT AGRONOMIQUE ET VETERINAIRE HASSAN II, UTAH STATE UNIVERSITY, *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc, phases I, II, et III*, Rabat, 1993.
JAAIDI, B., *Les Environnements sédimentaires actuels et pléistocènes du plateau continental atlantique marocain entre Larache et Agadir*, Th. 3e cycle, 1981.
JAMOUS, R., *La Segmentation et le mariage arabe. Annales Marocaines de Sociologie*, 1963.
JARIR, M., *Errachidia et l'organisation régionale de la vallée du Ziz*, Th. 3e cycle, Tours, 1983.
JEHAMY, G., *Averroes : Paraphrase de la logique d'Aristote*, Beyrouth, 1982, 3 vol.
JODIN, A., *L'Exploitation forestière du Maroc antique, Act. du 93e Congr. Nat. des Stés. Sav., Tours, 1968*, Paris, 1980.
KEHOE, D. P., *Pastoralism and agriculture, J.R.A*, 3, 1990.
KHATIBI, A., *Tryptique de Rabat*, Paris.
KHATIBI, A., *Un été à Stockholm*, Paris, 1990.
KHATIBI, A., EL MALEH, E.A., MARAINI, T., *La Peinture d'Ahmed Cherkaoui*, Casablanca, 1976.
KHETTOUCH, M., *Zaïd ou Hmad, Lamalif*, n° 128, Sept. 1981.
KHUSAIM, A. F., *Zarruq the Sufi*, Tripoli, 1976.
KRANDEL BEN YOUNES, A., *La Nécropole rurale de Thigibba Bure, Djebla, Reppal*, 7 - 8, 1992 - 1993.
LAFUENTE, M., *La Vie humaine dans un groupement berbère du Haut Atlas de Marrakech : les Aït Oucheg, R.G.M.*, n° 14, 1968.
LAHJOMRI, A., *L'Image du Maroc dans la littérature française : de Loti à Montherlant*, Alger, 1973.
LAKHDAR, M., *La Vie littéraire au Maroc sous la dynastie Alawide, 1075 - 1311 H / 1664 - 1894*, Rabat, 1971.
LAMB, H. F., EICHER, U., SWITSUR, V.R., *An 18000 years record of vegetation : lakelevel and climatic change from Tiguelmamine, Middle Atlas Journ. biogeogr.*, 16, 1989.
LANCEL, S., *Tipasitana - II : la nécropole préromaine occidentale de Tipasa, rapport préliminaire, campagne de 1966 - 1967, B.A.A*, 3, 1968.
LAOUST, E., *Le Mariage chez les berbères du Maroc, A.B.*, I, 1915.
LASINIO, F., *Il commento medio di Averroes alla Poetica di Aristotele*, Pise, 1872.
LASINIO, F., *Il Commento medio di Averroes alla Retorica di Aristotele*, Florence, 1877.
LATHAM, J. D., *The Strategic position and defence of Ceuta in the later muslim period. Islamic Quaterly*, XV, 1971.
LEBEL, R., *Les Voyageurs français du Maroc*, Paris, 1936.
LEFEBURE, C., *Accès aux ressources collectives et structure sociale : l'estivage chez les Aït Atta (Maroc)*, in *Production Pastorale et société*, Cambridge, Paris, 1979.
LEGLAY, M., *A la recherche d'Icosium, Antiquités Africaines*, 2, 1968.
LEGLAY, M., *Les Dieux de l'Afrique romaine, Archeologie*, n° 40, Mai-Juin 1976.
LEGLAY, M., *Saturne africain : histoire*, Paris, 1966.
LEVY, R., DRUDERER, W., *Considération sur la nappe prérifaine d'après les travaux de la société chérifienne des pétroles*, in *C.R 19e Congr. géol. int.*, Alger, 1952.

LEVI-PROVENÇAL, E., *Maghrawa, E.I*, 1ere éd., 1936, vol. 3.
LEWIS, W., *Journey into Barbary : Morocco writting and drawrings*, Santa Barbara, 1983.
LLORIS, D., RUCABADO, J., *Guide d'identification des ressources marines du Maroc*, Rome, 1998.
LOUBIGNAC, V., *Textes arabes des Zaer*, Paris, 1952.
LOZET, J., MATHIEU, G., *Dictionnaire de science du sol : technique et documentation*, Paris, 1990.
LUCAS, J., *La Transformation des minéraux argileux dans la sédimentation : étude sur les argiles du trias. Mem. Serv. de la carte géol. Als et Lorr.*, n° 23, 1962.
MACKENZIE, D., *The Khalifate of West*, London, 1911.
MADELUNG, W., *Al-Mahdi, E.I.*, Nlle éd., vol. 5.
MAHJOUBI, A., *Les Origines du mouvement national tunisien, 1904 - 1934*, Tunis, 1982.
MAJDOUB, M., *La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain, Africa Romana*, 11, 1996.
MAJDOUB, M., *Nouvelles données sur la datation du Temple C à Volubilis, Africa Romana*, 10, 1994.
MAJDOUB, M., *Octavius et la Maurétanie, Africa Romana*, 13, 2000.
MAJDOUB, M., *Pompeus Magnus et les rois maures, Africa Romana*, 12, 1998.
MANEVILLE, *Les Problèmes de l'eau dans la région de Berkine, B.S.G.M.*, n° 3 - 4, Juil.-oct., 1936.
MARÇAIS, G., *Note sur le ribat en Berbérie, Mélanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident musulman*, Alger, 1957, vol. 1.
MARÇAIS, G., *Oujda, E.I*, 1ere éd., 1936, vol. 3.
MARGAT, J., *Note sur la morphologie du site de Sigilmassa, Hesp.*, 1959.
MARIN, M., *El Ribat en al-Andalus y en Norte de Africa, la Rapita Islamica*, San Carles de la Rapita, 1993.
MARION, J., *Note sur la contribution de la numismatique à la connaissance de la Maurétanie Tingitane, Antiquités Africaines*, I, 1967.
MARION, J., *Les Trésors monétaires de Volubilis et de Banasa, Antiquités Africaines*, 12, 1978.
MARION, J., *Les séries monétaires de Tingitane, B.A.M*, 4, 1960.
MARTY, P., *Zaouia de Sidi Ben Achir à Salé, R.E.I*, I, 1933.
MASCARENHAS, D. J. de., *Histoire de la ciudad de Ceuta*, Coimbra, 1918.
MATHIEU, L., *La Géomorphologie et la géologie quaternaire comme bases fondamentales pour une juste définition et une cartographie rapide des sols et des milieux : application dans la province de Taza (Maroc), et dans la cuvette d'Andapa (Madagascar)*, Thèse Fac. Sc. Agro, Gembloux, Belgique, 1977.
MATHIEU, R., *Les Sédiments du plateau contimental du Maroc atlantique entre Dar Bouazza et Mohammadia, Bull. Inst., Pêches Marit.*, n° 16, 1986.
MAURAN, Dr., *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1909.
MAYNE, P., *A Year in Marrakech*, London, 1990.
MEMMES, A., *Signification et interculturalité*, Rabat, 1992.
MICHAUX-BELLAIRE, E., *Conférence sur les confréries religieuses du Maroc, A.M*, vol. 27, 1917.
MICHAUX-BELLAIRE, E., SALMON, G., *Quelques tribus arabes de montagnes de la région du Habt, A.M.*, 17, 1911.
MILIAVSKAYA, S.T., *Connaissance sur l'Afrique en Russie au 18e S.*, in *Russie et Afrique*, Moscou, 1966.
MINISTERE DES PECHES MARITIMES, *La Mer en chiffres*, Rabat, 1999.
MINISTERE DE L'AGRICULTURE, DU DEVELOPPEMENT RURAL ET DES PECHES MARITIMES, *Colloque national de l'agriculture et du développement rural, Rabat, 19 - 20 Juillet 2000*, Rabat, 2000.
MINISTERE DE L'AGRICULTURE, ET DE MISE EN VALEUR AGRICOLE, *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc : Schéma directeur d'aménagement des parcours*, Rabat, 1995.
MIRANDA, F. de., *Diario*, Madrid, 1939.
MONARION, F., *Exploracion ocenografica del Africa occidental desde el Cabo Ghir y Cabo Juby, Inst. Esp. Ocasnavy*, n° 20, 1947.
MONSEMPES, *Contribution à la connaissance d'une tribu : les Zkara, C.H.E.A.M.*, Paris, 1955.
MONTAGNE, R., *La Civilisation du désert*, Paris, 1947.
MONTAGNE, R., *Coutumes et légendes de la côte berbère du Maroc, Hesp.*, IV, 1924.
MONTET, E., *L'Histoire des religions au congrès des orientalistes d'Alger, Revue de l'Histoire des Religions*, vol. 52, 1905.
MONTET, E., *Les Zkara du Maroc : un problème religieux, Revue de l'Histoire des Religons*, vol. 52, 1905.
MORALES, B., *Jormada de Africa del Rey Don Sebastian de Portugal*, Sevilla, 1622, Madrid, 1889.
MORCHID, A., *Potentialités de développement des cultures sous abris serres dans la zône cotière du périmètre du Gharb*, Mem. 3e cycle, I.A.V. Hassan II, Rabat, 1999.
MOREL, J. P., *Céramiques d'Hippone, B.A.A*, I, 1967.

MOREL, J. P., *Les Céramiques à vernis noir du Maroc, Antiquités Africaines*, 2, 1968.
MOREL, J. P., *Kerkoine ville punique du Cap Bon, Antiquités Africaines*, 1969.
MOREL, J. P., *Les Niveaux préromains, Thamusida 1, Collection de l'Ecole française de Rome, Supplément 2*, 1965.
MORESTIN, P. M., *Le Dieu au chef cornu de Banasa, H.*T, II, fasc. 2. 3, 1961.
MORSY, M., *Le Coût d'une ambassade anglaise au Maroc au 18e S. Cahiers de la Méditerranée*, n° 11, déc. 1975.
MORSY, M., *Moulay Ismail, 1673 - 1727 ou l'instauration de l'état alawite*, in *Les Africains*, Paris, 1977, vol. 4.
MOULIERAS, A., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara, B.S.G.A. Oran*, vol. 23, Fasc. 97, Oct.-Déc. 1903 ; vol. 24, Fasc. 100, Juil-Sept. 1904 ; vol. 25, Fasc. 102, Janv.-mars, 1905.
MOULIERAS, A., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara*, Paris, 1905.
MOUZOUNI, L., *Le Roman marocain de langue française*, Paris, 1987.
MURRAY, G., *L'Esclavage dans le monde arabe, VII - XXe* S, Paris, 1987.
NAAMOUNI, K., *Le Culte de Bouya Omar*, Casablanca, 1993.
NACIRI, G., *Etude géomorphologique de la cuvette Romani et ses bordures nord et sud*. Th. 3e cycle, Rabat, 1987.
NICOD, J., *Facteurs physico - chimiques de l'accumulation des formations travertineuses : essai de synthèse, Médit*., 1 - 2, 1986.
NOGALES, G., *Averroes : Epitome de anima*, Madrid, 1985.
OUHAJJOU, L., *Espace hydraulique et société : les systèmes d'irrigation dans la vallée du Draa Moyen (Maroc)*. Th. 3e cycle, Géo, Montpellier III.
PASCON, P., *Théorie générale de la distribution des eaux et de l'occupation des terres dans le Haouz de Marrakech, R.G.*M., n° 18, 1970.
PASCON, P., CHICHE, J., *La Question hydraulique. 1. Petite et moyenne hydraulique au Maroc*, Rabat, 1984.
PERENNES, J., *Le Maroc à porté du million d'hectares irrigué. Monde arabe, Maghreb, Machrek*, n° 173, 1992.
PERES, M., *Précis d'océanographie hydrologique*, Paris, 1976.
PONSICH, M., *Le Temple dit de Saturne à Volubilis, B.A.M.*, 10, 1976.
POSACMON, C., *Monedas punicas e hispano - romanas halladas en Ceuta, Tamuda*, V, 1958.
POSACMON, C., *Monedas romanas imperialas halladas en Ceuta, Tamuda*, V, 1957.
POURTAUBORDE, *Documents politiques et sociaux : l'Office de l'Irrigation au Bani Amir et Bani Moussa. Encyclopédie mensuelle d'Outre-Mer*, Juin 1954.
PUIG, J., *Averroes : Epitome in physicorum libros*, Madrid, 1983.
QAROUACH, M., *La Croissance de l'agriculture marocaine*, Casablanca, 1988.
QUEIROZ VELLOSO, I. M. DE, *Don Sebastian*, Madrid, 1943.
REBUFFAT, R., *Histoire de l'identification des sites antiques du Maroc, Africa Romana*, 13, 2000.
REFFAS, A., *L'Organisation urbaine de la péninsule Tingitane*, Doct. Etat : Paris I : 1993.
REVAULT, J. [et al...], *Palais et demeures de Fès*, Paris, 1992, 3 vol.
RICARD, R., *La Côte atlantique du Maroc au début du 16e S., d'après les instructions nautiques portugaises, Hesp.*, 1927.
RIVIERE, P.L., *Traités, codes et lois du Maroc*, Paris, 1924.
ROBAUX, A., *L'Eau et la vie dans le sud marocain, R.G.*M, n° 1 et 2.
ROBET, J. T., *Dictionnaire des villes et localités du Maroc*, Rabat, 1936.
ROCHES, L., *Trente deux ans à travers l'Islam, 1832 - 1864*, Paris, 1885.
ROUGIER, C., *Alteration pédogenèse et paléo-pédogenèse sur massif granique des Zaer (Maroc central)*, Th. 3e cycle : Bordeaux I : 1985.
ROUSSELLE, M., *Médecins, chirurgiens et apothicaires français au Maroc, 1577 - 1907*, Paris, 1996.
SALVADOR, *Guia de los anfibios y reptiles españoles*, Madrid, 1974.
SAINT-AULAIRE, C., *Confession d'un vieux diplomate*, Paris, 1953.
SAN ROMAN, Fr. A. de, *Jornada y muerte del Rey Don Sebastian*, Valladolid, 1603.
SASSON, A., *Recherches écophysiologiques sur la flore bacterienne de sol des régions arides du Maroc*, Tanger, 1937.
SCHMITT, P., *Le Maroc d'après la géographie de Claude Ptolémée*, Th. 3e cycle : Tours : 1973.
SESTON, W, EUZENNAT, M., *La Citoyenneté romaine au temps de Marc - Aurele et de commande d'après la Tabula Banasitana, C.R.A.*I, 1961.
SESTON, W., EUZENNAT, M., *Le Dossier de la chancellerie romaine : la Tabula Banasitana : étude de diplomatique, C.R.A.*I, 1971.

SIJILMASSI, M., *La Peinture marocaine*, Paris, 1972.
SIRAJ, A., *L'Image de la Tingitane : l'historiographie arabe médiévale et l'antiquité nord-africaine*, Rome, 1995.
SPILLMANN, G., *Du protectorat à l'indépendance, Maroc, 1912 - 1962*, Paris, 1967.
SIRJACOBS, M., *Les Cultures protégées au Maroc : choix des régions climatiquement favorables, H.T.E.*, 1986.
STOUKY, A., *Baghdad Benas*, Rabat, 1980.
TARRADELL, M., *La Necropolis punico-mauritana de San Lorenzo en Melilla, Congr. Arch. de Marruecos, esp.* Tetuan, 1954.
TAILASSANE, M., *Le Massif du Zerhoun et ses bordures est et nord-est au nord du Saïs, Fès et Meknès : étude géomorphologique*, Th. 3e cycle, Rabat, 1986.
TAUXIER, H., *Les Variations de sens des mots Berber, Roum, Afarek, Béranés, Botr, Mazigh et Frank, R.A.*, n° 133, 1879.
TENKOUL, A., *Littérature marocaine d'écriture française*, Casablanca, 1985.
TERMIER, H. et G., *Mode de gisement des basaltes, permo-triasiques au Maroc, B.S.S.G.*, vol. XIX, 1949.
THOUVENOT, R., *Le Culte de Saturne en Maurétanie Tingitane, R.E.A.*, 56, 1954.
TORRELLA, M. G. DE, *Milicias cristianas en Berberia, Bol. de la Soc. Arqueol. Lusitana*, vol. 34, 1973.
TORRES BALBAS, L., *Ribatas hispano - musulmanas, al-Andalus*, XIII.
TOUTAIN, *Les Cultes paiens dans l'Empire Romain*, Paris, 1967, T. 3.
VAJDA, G., *L'Aventure tragique d'un cadi maghrébin en Egypte fatimide, Arabica*, T. XV, Fasc. 1, Fév. 1968.
VAN BERCHEM, *Titres califiens d'Occident, J.A.*, 1907, T. 9.
VAUDOUR, J., *Travertins et croûtes calcaires, Bull. Assoc. Geog. Fran.*, 1981.
VIDAL, J. C., *Strucure actuelle et évolution depuis le miocène de la chaine rifaine (Partis Sud de l'Arc de Gibraltar), Bull. Soc. geol. Fr.*, T. 19, n° 4, 1977.
VILLARD, F., *Céramique grecque du Maroc, B.A.M.*, 4, 1960.
VOINOT, L., *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912.
WEISROCK, A., *Géomorphologie et paléoenvironnement de l'Atlas atlantique*, Th. : Paris : 1986.
YEOMAN, R. S., *A Catalog of modern wored coin, 1850 - 1960*, USA, 1972.
ZAANOUN, E., *La Confédération des tribus Aït Warain : étude géographique de l'évolution d'une tribu berbère*. Th. 3e cycle : Geo. : Paris VII.
ZERYOUMI, I., *Systèmes et pratiques de captage traditionnels des eaux au Maroc* (Ronéot.), 1983.

**راسيات الأقدام**، من نفس شعبة بلح البحر أو الحلزون أو البزاق إلا أنها تختلف كثيراً عن هاته الأخيرة في العديد من المميزات خاصة منطقتها الرأسية الجد متطورة التي تحمل، خلافا للرخويات الأخرى، قمعا وأذرعا ومجسات وعينين قد تضاهي في تطورها أعين الجنس البشري. كل هاته المميزات الحسية وهي نتيجة تطور نمط عيش راسيات الأقدام التي تعد من أكثر اللافقريات شراسة، حيث إنها لا تتغذى إلا على الفرائس الحية من قشريات وأسماك تسعى لمطاردتها تحت سطح البحر وذلك في أعماق قد تعد بآلاف الأمتار.

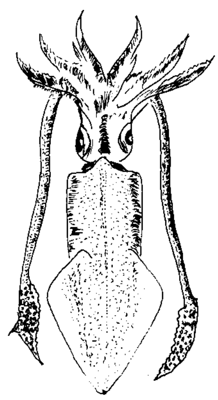

راسيات الاقدام

من بين راسيات الأقدام أنواع لا تتعدى 2 ملمتر لدى الفرد البالغ لكن من بين راسيات الأقدام كذلك أكبر وأضخم اللافقريات الموجودة على كوكبنا. إنه الجنس Architeuthis الذي قد يتعدى طول الواحد منه 15 مترا ويزن عدة أطنان وهو حبار يعيش في أعماق تفوق 400 متر تحت سطح البحر ويُعد بنفسه فريسة لحوت العنبر. كل راسيات الأقدام مائية وكلها بحرية، قد تدخل إلى مصبات الأنهار أو البحيرات المالحة لكن لا تعدو أن تخرج منها إذا ما انخفضت الملوحة إلى حد أدنى وهي بالتالي حيوانات تمتص مادة الأكسجين مباشرة من الماء عبر خياشيم.

تنقسم راسيات الأرجل إلى مجموعتين أساسيتين هي:

- رباعية الخياشيم وتتميز بتوفرها على أربعة خياشيم وأربعة كلى وأهمها الجنس Nautitus المشهور بكونه من المستحثات الحية.
- ثنائية الخياشيم ولها اثنان من الخياشيم وكليتان فقط وتضم باقي رأسيات الأرجل المعروفة لدينا كالأخطبوط والحبارة والحبار إلى غير ذلك. ويمكن التعرف في هذا القسم على مجموعتين اثنتين :

• ثُمانية اللواحق وتتميز بتوفرها على ثمانية أذرع، والأخطبوط مثال على ذلك.

• عشارية اللواحق وتتوفر بالإضافة إلى الأذرع الثمانية على محستين اثنتين، والحبار مثال على ذلك.

يوجد في المغرب 23 نوعا من راسيات الأقدام لكن هناك ثلاثة أنواع فقط (الحبارة، الحبار، الأخطبوط) هي التي توجد بوفرة وتكتسي طابعا اقتصاديا واجتماعيا على الصعيدين الجهوي والوطني حيث تكون، خاصة الأخطبوط، أهم المصايد جنوب المغرب وأهم المصايد بالنسبة للصيد في أعالي البحار ويذهب مجملها إلى الأسواق الخارجية خاصة اليابانية.

Ministère des Pêches Maritimes, *La mer en chiffre*, 1999, 57 p.

**راسيات الحبل**، وتسمى كذلك عديمات الجمجمة، وهي تشبه في شكلها الأسماك الصغيرة إلا أن حجمها لا يتعدى ستة إلى سبعة سنتميترات، كالعديد من الفقريات لها حبل ظهري يمثل النخاع الشوكي عند هاته الأخيرة إلا أن تطورها ليس بالمتكامل حتى ترقى إلى شعبة الفقريات حيث إن المنطقة الأمامية للجهاز العصبي (الدماغ) غير مغطاة بجمجمة عظمية. وعن الحبل غير ملفوف بهيكل "الفقرات" عظمي.

كل راسيات الحبل بحرية تعيش داخل الرمال في أعماق منخفضة نسبيا تتميز بجسم صغير جدا ذوي لون شفاف يميل إلى الاصفرار تعلوه، ظهريا، زعنفة طويلة تمتد على طول الجسم. لها خيشومة تحمل العديد من الثقب أو الفتحات الخيشومية (حوالي 180 زوجا) تمكنها من امتصاص الأكسجين الذائب في الماء بل حتى التقاط المواد العضوية العالقة في الماء والتي تكون الغذاء الأساسي لراسيات الحبل.

راسيات الحبل

أما الجنسان فهما مفترقان عند راسيات الحبل لكن لا تجانس بينهما بل عند مرحلة التكاثر يلقي كل من الذكر والأنثى بمواده التناسلية في الماء ليتم التخصيب عن طريق الصدفة فتعطي البويضة الملقحة يرقة تبقى عالقة في الماء حوالي ثلاثة أشهر قبل أن تسقط في القعر لتكمل دورتها الحياتية. تعيش راسيات الحبل في كل بحار ومحيطات العالم تقريبا في أعماق منخفضة إلا أن عدد أجناسها لا يتعدى الاثنين Asymetron وBranchiostoma، أما في المغرب فلم يعثر لحد الآن إلا على نوعين اثنين ينتميان إلى الجنس Branchiostoma يعيشان على حد سواء على الساحلين المتوسطي والأطلسي.

تجب الإشارة في الأخير إلى أن التشابه الكبير بين أنواع راسيات الحبل الموجودة في العالم وتشابه الأوساط التي تعيش فيها دفعت العديد من الاختصاصيين إلى الاعتقاد أن هاته الحيوانات هي من أقدم الحيوانات الموجودة في العالم وهي بالتالي مستحثات حية.

P. Drach, *Embranchement du céphalocorbie* in Grasse P.P. *Traité de zoologie*, Paris.

محمد منيوي

**راغون، عبد الكريم** هو أحد سفراء السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى الدولة العثمانية. ينتسب إلى أسرة أندلسية استقرت في تطوان في تاريخ مجهول بعد هجرة أوطانها. وأوطانها على ما يوحي به لقبها أقاليم أرگون Aragon في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الإيبيرية. وكانت الأسرة من ذوات الغنى والجاه في المدينة، بدليل ما جاء في القصيدة المنسوبة إلى الفقيه عمر لوقاش يفتخر فيها بما نال من العزة والنفوذ في تطوان أيام ولايته عليها في بداية عهد السلطان المولى عبد الله، فيقول :

ففرطوط والرهون والكوط عصبتي وراغون كنزي والصغير به القهر

وهل راغون المذكور في هذا البيت هو السفير عبد الكريم أم لا ؟ لا سبيل إلى الجزم. ولكن أفراد الأسرة كانوا من الوجهاء، مما حمل سيدي محمد بن عبد الله على انتقاء سفير له منها، تذكره المصادر بالحاج عبد الكريم. فكان إذن قد رحل إلى الديار المشرقية للفريضة. وورد في رسالة السلطان المذكور إلى الصدر الأعظم العثماني قوله : "ها نحن وجهنا خديمنا الحاج عبد الكريم راغون لتلكم الناحية، فالمؤكد عليك أن تقف معه في جميع ما يحتاجك إليه وقوف الكرام من غير تقصير إلى أن توجهه لحضرتنا على أحسن حال". وكانت تلك السفارة هي ثالث سفارة يبعث بها سيدي محمد بن عبد الله إلى استنبول، بعد سفارة الحاج الخياط عديل الفاسي، فهي الأولى، وسفارة الطاهر بناني الرباطي والطاهر بن عبد السلام السلوي فهي الثانية، وسفارة الحاج عبد الكريم راغون التطواني فهي الثالثة، حرصا من هذا السلطان على العمل يدا في يد مع الدولة العثمانية في الوقت التي أصبحت معالم ضعف دار الإسلام تتجلى بالنظر إلي ما علا من شأن أوربا. ولا أدل على ذلك من تلكؤ النصارى المتزايد في بيع العتاد الحربي ومواد إقامة السفن للمسلمين، رغبة منهم في القضاء علي الأساطيل الإسلامية جملة وتفصيلا. ولذلك أوفد سيدي محمد بن عبد الله الحاج عبد الكريم راغون بقصد التزوّد من كل ما يحتاج إليه لتجديد صرح الأسطول المغربي وحماية الثغور المغربية وشواطئها الممتدة من غارات النصارى. ولقد أفلح السفير في كل ما كلف به. وعاد إلى المغرب بالعدد والعدة المنشودة، هذا فضلا عما حمله من الهدايا الملوكية في الذهاب والإياب. والمثير للانتباه أن هذه السفارة جرت بضعة أسابيع فقط من هجوم روسيا على الممتلكات التركية في خريف سنة 1768، فانتزعت منها أقاليم شاسعة. وكانت عودة السفير في مطلع سنة 1769. مما لا يوافق ما تتناقله المصادر المغربية من أن السفارة جرت في نهاية سنة 1180 وبداية 1181 من الهجرة. أما عن شخصية الحاج عبد الكريم راغون فحسبنا أن نردد ما أقر به محمد داود مؤرخ تطوان من أنه لم يقف لا على تاريخ ميلاده ولا على تاريخ وفاته.

أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1960، 9 أجزاء، الجزء الثامن ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 5 أجزاء، الجزء الثالث ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، تطوان، 10 أجزاء، الجزء الثالث.

Grillon Pierre, *La correspondance du consul Louis Chénier*, 1767 - 1782, Paris, 1970.

إبراهيم بوطالب

**رافعي، سعيد**، مقاوم ولد سنة 1924 بهوارة

الواقعة بأحواز مدينة أگادير، وكان يعمل كسائق بهذه المدينة الأخيرة، كما كان يقطن بأحد أحيائها القديمة (تالبرجت)، ولم يكن متزوجا. وقد انخرط في حزب الاستقلال منذ سنة 1947، واقتصر نشاطه فيه على حضور الاجتماعات التي يعقدها الحزب. ثم انتقل إلى العمل الفدائي، فانخرط في منظمة عرفت باسم "الفرقة المتطوعة" التابعة لـ"المنظمة السرية"، وكان الناشيدي عبد الله وعبد القادر الجزائري من بين مسيريها، وكان منزل المقاوم الأول والكائن بتالبرجت القديمة مقر اجتماعات عناصر المنظمة.

وقد شارك في تدبير عدة عمليات فدائية استهدفت مصالح المستعمرين الفرنسيين بأگادير فيما بين سنتي 1953 و1954 منها :

- إشعال النار في مزرعة أحد المستعمرين التي كانت تقع على الطريق المؤدية من مدينة إنزگان إلى تيكوينْ.

- إشعال النار في مزرعة الدكتور غُوسال الواقعة في أولاد دحُو بالكلومتر 33 بين أولاد تايمة وأگادير.

- توزيع المناشير بمناسبة عيد الأضحى لسنة 1954، كانت تتضمن بلاغا بعدم شراء أضحية العيد، وذلك في أگادير وإنزگان وأنْزا وأولاد تايمة.

- توزيع المناشير بأگادير لمطالبة السكان بمقاطعة الدخان.

- إشعال النار في مزرعة أحد المستعمرين. ويسمى كامبي، وكانت مقر الاجتماعات الأسبوعية للمستعمرين الموجودين في منطقة أحواز مدينة أگادير، وكانت تلك المزرعة تقع بين هذه المدينة وأولاد تايمة بالكلومتر 24.

وقد تبنت المنظمة المذكورة مسؤوليتها عن هذه العمليات، وتمكنت الشرطة الفرنسية من التعرف على عناصرها إثر سلسلة من التحريات والتحقيقات، ونجحت في إلقاء القبض عليها، وأدى ذلك إلى توقف نشاط المنظمة.

وقد حكمت المحكمة الابتدائية بأگادير على سعيد بالسجن بتهمة توزيع المناشير ورسائل التهديد وإشعال النيران، وأمضى فيه شهرين وأطلق سراحه، وقد تزوج بعد ذلك، وأنجب ستة أبناء.

*معلومات عن قدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير مسجلة بسجلات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير* - نيابة الرباط ؛ تقرير عن الأعمال الفدائية التي قامت بها الفرقة المتطوعة التابعة للمنظمة السرية، من إنجاز السيد رباني محمد ؛ *شهادة عبد الله النوصيري* (أوشن) على شكل استجواب محرر بتاريخ 25 و26 نونبر من سنة 1986.

خالد أوشن

**الرأي العام**، جريدة صدر عددها الأول بتاريخ 16 أبريل 1947 بمطبعة الأمنية بالرباط. كانت أسبوعية ناطقة باسم حزب الشورى والاستقلال وأسندت إدارة تحريرها لأحمد بن سودة. لم يمر على صدورها إلا أمد قصير حتى انتقلت إلى الدار البيضاء التي كانت توفر ظروفا أحسن.

كان عنوان الجريدة مكتوبا في وسط رسم يمثل مجلسا برلمانيا. وتحت العنوان الآية القرآنية "وأمرهم شورى بينهم"، وقول عمر بن الخطاب "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟". وكلها إشارات واضحة للتوجه النضالي ولفكرة كرست الصحيفة حياتها للدفاع عنها ألا وهي ضرورة إيجاد دستور ينظم الحياة السياسية بالبلاد. وانتقدت الجريدة بشدة السياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب في مجالات مختلفة كالتعليم والقضاء والحريات العامة وغيرها، مما عرضها لتعسف مصالح الرقابة مرات عديدة، فحذفت مقالاتها أحيانا ومثل مسؤولوها أمام المحاكم أحيانا أخرى وحجبت عن قرائها أكثر من مرة. ومن الكتاب الذين ساهموا في تحرير هذه الصحيفة محمد بن الحسن الوزاني (وهو صاحب الافتتاحيات تحت عنوان "الغمرات") وأحمد بن سودة (ركن "حديث المفتي") وعبد الهادي بوطالب وعبد الهادي الشرايبي وعبد القادر بنجلون وأحمد معنينو ومحمد المنوني ومصطفى القصري وإدريس الكتاني...

كان إصدار "الرأي العام" يتراوح بين 8.000 و10.000 نسخة، وكان صداها لدى قرائها يقلق راحة الإدارة الفرنسية. وبعد أحداث الكاريان سانطرال التي شهدتها الدار البيضاء في دجنبر 1952، تعرضت للتوقيف وأقفلت مطبعتها، شأنها في ذلك شأن الصحف الوطنية الأخرى. ولم تستأنف نشاطها إلا في 19 نونبر 1955 مع إطلالة عهد الاستقلال. فصدرت مرتين في الأسبوع، ثم ثلاث مرات، ثم أربع، قبل أن تتحول إلى جريدة يومية ابتداء من 11 دجنبر 1956.

في سنة 1959 انشق أحمد بن سودة وعبد الهادي

من مناظر مجلس شورى الحكومة

تعليق (الرقابة) حذفته

بوطالب عن حزبهما ليلتحقا بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية، فنقلا معهما جريدة "الرأي العام" إلى الحزب الحديث العهد بالتأسيس. وتبعا لذلك اضطر حزب محمد بن الحسن الوزاني إلى إصدار جريدة أخرى تحل محل السابقة وعنوانها "شورى الرأي العام" (أكتوبر 1959).

عبد الهادي بوطالب، *ذكريات... شهادات... ووجوه*. نشر الشركة السعودية للأبحاث والنشر، طبع الشركة المغربية للطباعة والنشر، الجزء الثاني، 1993 ؛ عز العرب محمد حسن الوزاني، *حدثني والدي*، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، 1990.

جامع بيضا

**الراية**، جنس أسماك غضروفية بحرية متوسطة وكبيرة القد يتراوح طولها حسب الأنواع بين 30 ـ 230 سم. تسمى في أقطار المغرب هكذا : "الراية" وفي الشرق العربي شفنين ولياء. تصنف إلي رتبة الأشلاق أو الشلقيات Raji-formes وفصيلة اللياثيات أو الشفنينيات Rajidae منها أنواع كثيرة تعيش في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. تدعى بالفرنسية Raie وبالإسبانية Raja وبالإنجليزية Skate.

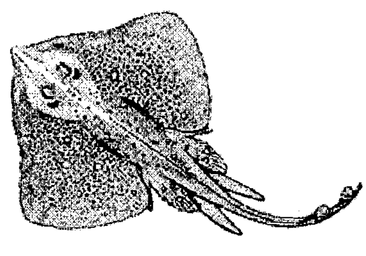

الراية

تعد أنواع الراية من الأسماك البدائية الموجودة حاليا. الجسم خال من الهيكل العظمي ومسطح ظهراً وبطنا ؛ الرأس والجسد والصدريتان مندمجة على شكل معين أو قرص شبه دائري. الذيل رقيق وبارز تتخلله ثنية طويلة ضيقة على كل جانب، طوله أقل مرتين من عرض الجسد. العينان والفوهات التنفسية على قمة الرأس ؛ الفوهات التنفسية مباشرة خلف العينين. الخطم مستدق الرأس شيئا ما أو دائري ورخو شيئا ما أو صلب حسب تمدد غضروف المتك والأشعة الأمامية للصدريتين. الفم سفلي مستعرض ومقوس قليلا، يحمل عدة أسنان وحيدة الناب ومنفرجة إلي مستدقة الرأس وغالبا مختلفة عند الجنسين. الفتحات المنخارية صغيرة أمام الفم، جانبها الوسطي ممتد جهة الخلف إلى فص منخاري مرتبط بالفص المتماثل معه بمضيق مستعرض أمام الفم. الصدريتان عريضتان وملتحمتان كليا بجوانب الرأس والجسم، من الخطم إلى قاعدة الحوضيتين ؛ الحوضيتان فصان مفصولان بفجوة على الجانب الخارجي. تقع الزعنفتان الظهريتان على الجزء الخلفي للذيل، الذيلية ضيقة خلف الظهرية الثانية. الواجهة الظهرية خشنة اللمس، تتخللها أسنان جلدية صغيرة مستدقة الرأس وأشواك أو حلقات على شكل بقع أو صفوف. الواجهة البطنية ملساء تحمل أحيانا بضعة أشواك منتظمة.

يختلف لون الواجهة الظهرية حسب الأنواع وحسب الأعماق وطبيعة الأتربة وتختلف أصناف البقع والرخاميات من نوع لآخر ؛ الواجهة البطنية ناصعة أو داكنة أو رخامية. تتميز الأنواع التي تعيش في القيعان العميقة بلون داكن موحد على الواجهتين.

يعيش في المياه المغربية 16 نوعا من الراية أسماؤها العلمية كالتالي :

Raja (Dipturus) batis, Raja (Dipturus) oxyrinchus, Raja (Leuroraja) circularis, Raja (Leucoraja) fullonica, Raja (Leucoraja) naevus, Raja alba, Raja asterias, Raja brachyura, Raja clavata, Raja maderensis, Raja maroccana, Raja microocellata, Raja miraletus, Raja montaguim, Raja radula, Raja undultat.

وهي موزعة على كل الأعماق منذ المياه الساحلية إلى الجرف القاري وتدخل عن طريق الصدفة إلى المياه القليلة الملوحة لكنها لا تصعد إلى المياه العذبة. معظم الأنواع قاعية مستقرة تتغذى من كل أصناف الحيوانات الصغيرة القاعية، في حين هناك بعض الأنواع تقوم بهجرات طويلة المسافة.

تصاد بالجيبيات والشباك المستقيمة وحبال الصنانير العمقية. تستهلك منها "الأجنحة" فقط وتباع طرية ونادراً مملحة أو مجففة. توجد باستمرار في الأسواق السمكية المغربية.

من بين الأنواع الشائعة في المغرب رايا استيرياس Raja asterias Delaroche, 1809، ظهرها أسمر زيتوني تتخلله عدة بقع داكنة لا تبلغ جوانب القرص ؛ البقع الصفراء محاطة بنقط سوداء موزعة بغير انتظام ؛ توجد على طول العنق إلى الظهرية الأولى حوالي 50 ـ 60 حلقة صغيرة على صف واحد وسطي غير منتظم. يبلغ طولها الأقصى 80 سم. تعيش في أعماق تتراوح بين 10 و300 متر وتفضل العيش في القيعان الرملية الوحلية وعلى الأعشاب البحرية. تصير الذكور بالغة عندما يبلغ طولها الكلي 54 سنتمترا والإناث عندما يبلغ طولها 61 سنتمترا. يتراوح عدد حويصلات البيض ما بين 34 و112 في السنة. يتغذى من القشريات والأسماك العظمية الصغيرة والرخويات.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*. FAO, 1998, 263.

محمد رمضاني

**الراية المغربية**، أو العلَم أو اللواء أو البند، هي علامة مصنوعة من قماش تتقدم الفرق العسكرية لتمييزها عن غيرها، أو تعلو الأبراج والقلاع أو ترفع على القوارب في البحر لإثارة الانتباه إليها، أو يُلوح بها عند مقدم موكب مهم احتفاء به. وقد عرفت الرايات في التاريخ المغربي الإسلامي منذ عهد الأدارسة الذين كانت راياتهم بيضاء. أما المرابطون فاختلفت ألوان راياتهم بين أبيض وأسود (سواد الراية العباسية) وأحمر. وجاء الموحدون فجعلوا راياتهم الرسمية بيضاء مكتوباً عليها عبارات "لا إله إلا الله. محمد رسول الله. لا غالب إلا الله"، غير أن رايات أخرى من ألوان مختلفة وُجدت في العهد نفسه، إذ تحدثت المصادر عن "موكب الراية" وعن "الرايات السبع". أما المرينيون، فقد عرفوا "العلم المنصور" المرصع بآيات قرآنية والذي يحمل في المواكب السلطانية، وكان من الحرير ولونه أبيض في الغالب، ولكن عادة ما تلتف حوله رايات ذات ألوان مختلفة دونه مرتبة. وتختلف أعلام الجند في البر والبحر باختلاف الفرق العسكرية. أما "اللواء المنصور" السعدي فكان أبيض اللون، غير أن أعلاما حمراء كانت مزامنة له.

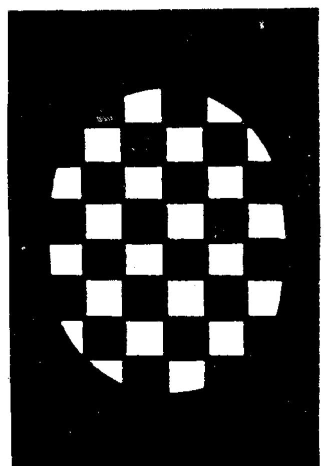

**أقدم راية مغربية عرفت في القرن الثامن (14 م)**
مستطيل أحمر بداخله شكل بيضوي ذو مربعات
صغيرة بيضاء وزرقاء، عن H.T

وفي العصر العلوي، عرف المغرب رايات مختلفة الألوان، ولكن أكثرها شيوعا هو اللون الأحمر القاني، وهو لون شاع فيما مضى في الأندلس الإسلامية. وفي أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وأوائل القرن الذي يليه، أصبحت الراية الحمراء رمزاً للوحدة الوطنية وشعاراً مبجلا لدى النخبة الوطنية المثقفة. وهكذا نجد صدى لذلك في المشاريع الإصلاحية التي عرفتها هذه الحقبة. ففي المقدمة التي وضعها الحاج علي زنيبر لمشروعه الإصلاحي غداة مؤتمر الجزيرة الخضراء (*"حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال"*) المرفوع إلى السلطان المولى عبد العزيز، تحدث عن "وثوق عوامل الارتباط الجامع بين أفراد الوطنية من شريف ووضيع ونزيل تحت الراية الحمراء الدالة على وحدة الاستقلال الذي هو الأصل". وفي النقطة الرابعة من المذكرة ذاتها، يؤكد المؤلف على ضرورة "توحيد نظام البوليس وما كان في مصافه تحت الزي الوطني والراية الحمراء (...)".

استمر استعمال العلَم الأحمر لزمن قصير في ظل الاستعمار الفرنسي. وفي سنة 1915، ارتأى المقيم العام ليوطي تغيير شكله بترصيعه بنجمة خماسية خضراء وسطه. ومما برر به مبادرته هذه كون العلم الأحمر اللون يشبه بعض الرايات المستعملة في الإشارات البحرية، كما أنه اعُتمد شعارا في بعض البلدان لحركات سياسية متطرفة (شيوعية). وهكذا صدر ظهير في شأن الراية الجديدة بالجريدة الرسمية (نونبر 1915) أتبع سنوات قليلة بعد ذلك بظهير آخر يحدث علما خاصا بالملاحة التجارية (31 مارس 1919). وهذه الراية الأخيرة هي نفسها الراية المحدثة سنة 1915 غير أنه أضيفت إليها في ركنها العلوي الأيسر ألوان العلم الفرنسي (الأزرق والأبيض والأحمر). وقد حذت إسبانيا حذو فرنسا في هذا الشأن فسنت في المنطقة الرازحة تحت احتلالها علما للمحلة الخليفية وهو أخضر اللون تتوسطه نجمة سداسية صفراء سنة 1930، كما أحدثت راية للملاحة التجارية احتفظت فيها بنفس المواصفات مضيفة إليها في ركنها العلوي الأيسر ألوان العلم الإسباني (الأحمر والأصفر). أما في منطقة طنجة، فقد تأخر إحداث راية الأسطول التجاري البحري حتى سنة 1953، وهي نفس الراية المعمول بها في المنطقة السلطانية، مع إضافة شعار المدينة في أحد أركانها (وفيه إحالة عل طنجيس الفينيقية).

لم نقف على ما يفيد كون الحركة الوطنية في المنطقة السلطانية قد جحدت التغيير الذي أقدم عليه الجنرال ليوطي عام 1915 في شكل الراية المغربية. ففي دفتر **"مطالب الشعب المغربي" الذي تقدمت به كتلة العمل الوطني للسلطات الفرنسية سنة 1934 هناك مطلبان متعلقان بالعلم المغربي ينصان فقط على ضرورة** "احترام العلم المغربي الاحترام الواجب له، ورفعه أيام الجمعة والأحد والأعياد الرسمية فوق جميع الإدارات والمحاكم الموجودة في النواحي المدنية والعسكرية"، و"سن قانون لمعاقبة كل من أهان العلم المغربي". أما في الريف والمنطقة الخليفية، فالأمر غير ذلك. فبعد معركة أنوال، أحدث محمد بن عبد الكريم الخطابي راية خاصة بحكومته، وهي حمراء تتوسطها رقعة بيضاء وبداخلها نجمة سداسية خضراء ضمن هلال. أما الحركة الوطنية في تطوان، فقد طالبت في

الثلاثينيات بالرجوع إلى العلم المغربي التقليدي الأحمر الموحد اللون (جريدة *الحياة*، تطوان، 7 يناير 1935).

خفتت أصوات الاحتجاج على هذه الراية بعد أن أضفى عليها السلطان سيدي محمد بن يوسف المشروعية علنا يوم الاثنين 19 ماي 1947 عندما قام برفعها على قصره بالرباط بمناسبة الاحتفال بتدشين إحدى أجنحته. وقد استجابت الحركة الوطنية لهذه الإشارة الرمزية فنوهت بها وباركتها (جريدة *الرأي العام*، نونبر ودجنبر 1947). وبعد حصول المغرب على استقلاله، تم توحيد المناطق السلطانية والخليفية والدولية تحت راية وطنية واحدة ذات اللون الأحمر والنجمة الخماسية الخضراء، كما احتفظ بالعلم نفسه للأسطول التجاري البحري المغربي.

الكتلة العاملة الوطنية، *مطالب الشعب المغربي*، مطبعة الإخوان المسلمين، القاهرة، 1934. ص. 78 ؛ م. المنوني، *"على هامش حادث رفع الراية المغربية فوق القصر الملكي العامر : رايات العرش المغربي"* في جريدة *الرأي العام*، الأعداد 31 و34 و35 (نونبر - دجنبر 1947). أعيد نشر هذه المقالات في كتاب "الفقيه المنوني - *أبحاث مختارة*"، منشورات وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، 2000، ص. 171 - 182 ؛ *ورقات عن حضارة المرينيين*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1996، ص. 156 - 160 ؛ ع. الله الجراري، كتاب *الغاية من رفع الراية*، *مطبعة الأمنية*، الرباط، 1953، 36 ص. ؛ علي زنيبر السلاوي الدرقاوي، *حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال*، مذكرة دستورية مخطوطة، خ. ص. بسلا. أورد محمد المنوني نصها الكامل في *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، نشر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، بالاشتراك مع شركة النشر والتوزيع "المدارس" (الدار البيضاء) ودار الغرب الإسلامي (بيروت)، 1985، ج. 2، ص. 408-421 ؛ *وثائق من مركز الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي بنانط* (فرنسا).

B. Dubreuil, *Les pavillons des Etats musulmans*, *H.T*, vol. I, fasc. III, 1960.

جامع بيضا

**الرايس، محمد** بن **الطاهر** العمراني الحسّاني (نسبة إلى قبيلة بني حسان إحدى قبائل الجبل القريبة من تطوان، وبها ضريح سيدي عمران جد هؤلاء العمرانيين الموجودين إلى الآن بالقبيلة المذكورة وغيرها، وهم غير عمرانيي فاس وبني عروس وبني يدر وجبل حبيب) ثم التطواني منشأ وداراً ووفاة.

الفقيه المفتي الكاتب نائب القاضي الصوفي العابد الذاكر، من أكبر فقهاء تطوان وعدولها، تلقى العلم بها وبفاس، له اطلاع على النوازل ومعرفة تامة بالوثائق وفقهها، كان ذا هيئة حسنة وشيبة منورة، وسمت رفيع وصيانة ونزاهة، تعاطى العدالة حينا، واستُفتي فأفتى وتولى الإمامة بضريح سيدي الحاج على بركة بالسوق الفوقي من تطوان إلى أن توفي.

أول ما عرف من نشاط المترجم له في ميدان الوظيفة توليته الكتابة لقائد تطوان الحاج أحمد الحداد عام 1267، ثم نيابته عن القاضي عزيمان عام 1290 في بعض الأحيان، وأورد له محمد داود في *تاريخ تطوان* رسالة مهمة تتضمن فتوى شرعية تتعلق بالجهاد وأحوال المجاهدين مؤرخة في 3 جمادى الأولى عام 1276 كتبها إلى مقدم المجاهدين بقبيلة واد راس الشريف سيدي التهامي بن محمد الوزاني. وكان المترجم له أحد شهود بيعة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن التي كتبت بماء الذهب بتاريخ 12 صفر عام 1276 والتي أورد نصها محمد داود.

ظل الفقيه محمد الرايس مقبلا على شأنه بعد أن عُمر واعتزل الأعمال إلا النسك والعبادة فقضى راضيا مرضيا عام 1301 / 1892.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، مخطوط، (6 / 184) ؛ م. داود، *تاريخ تطوان* (3 / 335 - 368 و 4 / 144) طبع تطوان ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، صفحة 260.

محمد بوخبزة

**الرايس، محمد** بن **محمد** الفاسي أديب حلاه في *إتحاف المطالع* "بالعلامة الأديب الشاعر المتفنن... كان وعظه بكرسي ظهر الصومعة من جامع القرويين قبل صلاة العصر، وكان الناس يزدحمون لسماع وعظه لما رزقه الله من حسن الصوت".

ألف كتاب *الرحلة المرصعة ببدائع اللآل*، في ترجمة *الشيخ المنيف سيدي محمد الخمال*، *ووفوده على حضرة فاس، لزيارة طيّب الأنفاس، يتيمة الجوهر النفيس*، أبي العلاء إدريس. (انظر ترجمة محمد الخمال ورحلته في *المعلمة*).

توفي محمد الرايس بفاس عام 1324 / 1906. ودفن بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 2845.

محمد حجي

**الرايس، محمد** بن **محمد** الفاسي موسيقي من مواليد فاس عام 1262 والد الفنان الشهير عبد االكريم الرايس سابق الترجمة "كان بارعا في علوم الأدب عارفا بالنغم... وكان له صوت حسن ربما يدعى للإنشاد عند بعض الكبراء".

وقد قام محمد الرايس بإعانة معاصره محمد بن الغالي العراقي بنسخ كتاب *الأنيس المطرب* لمحمد بن الطيب العلمي، ووضع على حاشيته ترجمة للفنان الأديب محمد البوعصامي وتعليقات وتعقيبات لا تخلو من أهمية فنية وعلمية تكشف عن سعة معرفته بمستعملات الموسيقى الأندلسية ومنهاج تدريسها في مغرب القرن الثالث عشر. وقد انتهى من هذا العمل عام 1305.

وياتي ذلك في موازاة أعمال لجنة الوزير الجامعي التي قامت بمراجعة مستعملات *كناش* محمد بن الحسن الحايك عام 1303، الأمر الذي يقوي احتمال أن تكون وفاة محمد الرايس في العقد الثالث أو الرابع من القرن الرابع عشر.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 ص. 123 ؛ م. العلمي، *الأنيس المطرب...*" عند ترجمته لمحمد البوعصامي الموسيقي، هامش ص 175 ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، سلسلة عالم المعرفة، عدد 65، 1983، ص. 205.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الرايسي**، أسرة رباطية وقصرية لعل أصلها من قبيلة بني حسن المستقرة في أزغار بين الرباط والقصر الكبير. اشتهر من الرايسيين الرباطيين في القرن الثالث عشر (19م) الحاج محمد الرايسي الذي استخدمه السلطان المولى الحسن أمينا بمرسى الجديدة ابتداء من عام 1280 / 1863. وبنعيسى الرايسي المولود بالرباط حوالي سنة 1900، الذي اشتغل بالتجارة في شارع القناصل، ورشحته سلطات الحماية لعضوية اللجنة البلدية الرباطية لسنة 1934 بعد أن وضعت له - كعادتها بالنسبة لكل مرشح للعضوية - بطاقة معلومات شخصية. وكان لبنعيسى الرايسي كلمة مسموعة في الوسط التجاري بالرباط.

محمد داود، *تاريخ تطوان*، ج. 6، الرباط، 1399، ص. 134 ؛ عبد الإله الفاسي، *مدينة الرباط وأعيانها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين*، منشورات جمعية رباط الفتح، 1996 ؛ وثائق الحماية، *أرشيف خ. ع*، الرباط، ملف 622، *اللجن البلدية*.

عبد الإله الفاسي

**الرايسي، محمد** القصري، ولد سنة 1948 بالقصر الكبير في وسط عائلي محافظ. والتحق في صغره بالمدرسة لكن الظروف لم تسعفه لاستكمال دراسته إلا أنه كان يتحلى بروح عصامية جعلت منه شخصا واسع المعرفة بفضل قراءاته الكثيرة المتنوعة وشغفه بحفظ روائع الشعر العربي القديم والحديث.

ولع بالموسيقى منذ طفولته، فأقبل وهو ابن أربع عشرة سنة على تعلمها، فكان يتنقل بشكل منتظم بين القصر الكبير ومدينة الرباط حيث تابع دراسته الفنية بالمعهد الوطني للموسيقى والرقص وحصل سنة 1969 على الجائزة الأولى في الصولفيج. واهتم - إلى جانب ذلك - بدراسة أصول الموسيقى الأندلسية وحفظ ميازينها، وكان في سبيل ذلك لا ينقطع عن مجالسة شيوخ هذا الفن أمثال المعلمين المرحومين محمد الجعيدي وأحمد الوكيلي بالرباط والحاج عبد الكريم الرايس بفاس، ومحمد العربي التمسماني بتطوان. ومن أجل تعميق معارفه بالموسيقى وجه اهتمامه إلى دراسة تاريخ الموسيقى العالمية.

وقد أهله تكوينه ليضطلع بمهام تربوية وإدارية بدءاً من عام 1387 / 1967 حين كلف بتدريس الموسيقى بمعهدي فاس ومكناس، ليتحول بعد ذلك إلى معهد القصر الكبير معلما في 1973، ومديراً عام 1979. ثم دعي للعمل بوزارة الثقافة رئيسا لمكتب الموسيقي والامتحانات ثم عين مديراً لمعهد طنجة. وفي السنوات الأخيرة من عمره كلف بتفتيش أساتذة التعليم الموسيقي العاملين بمعاهد الرباط ونواحيها.

عُرف محمد الرايسي بكتاباته المتخصصة في مجال الموسيقى المغربية، فكان ينشر على أعمدة الصحف خاصة منها *العلم*، والاتحاد *الاشتراكي*، *وأنوال*، مقالات تحليلية ودراسات نقدية تتسم بالجرأة والعمق، وتنم عن معرفة واسعة بواقع الموسيقى في بلادنا والبلاد العربية. وإلى ذلك شارك في عدة تظاهرات ثقافية وفنية. وإليه يرجع الفضل في تنشيط الندوات التي كانت تنظم على هامش المهرجانات الموسيقية بمدن فاس وشفشاون وأسفي وغيرها.

شارك الرايسي أكثر من مرة في المؤتمرات الفنية التي احتضنتها العواصم العربية، وخاصة بغداد حيث انتخب عام 1986 نائبا للأمين العام لاتحاد الموسيقيين العرب، وحيث حضر مهرجان بابل، وشغل عضوية اللجنة التنفيذية للمجمع العربي للموسيقى لفترة طويلة.

أسس محمد الرايسي مجموعات موسيقية عدة أهمها جوق معهد طنجة للموسيقى الأندلسية برآسة الفنان الشيخ أحمد الزيتوني، ومجموعة صوتية كورالية للأطفال. وقام - علي مستوى الإبداع - بالتوزيع الأركسترالي لبعض ميازين الآلة الأندلسية، إضافة إلى تلحين "أنشودة المطر" للشاعر العراقي بدر شاكر السياب.

ومن أبرز الأبحاث والمقالات التي أنجزها :

- *الأهازيج الشعبية بحوض سبو* : المؤتمر الخامس للمجمع العربي للموسيقى أكتوبر 1977 بالمغرب.
- *منهجية تلقين الأنماط الموسيقية التراثية بالمغرب وآفاق مستقبلها* : بمشاركة ع. العزيز بن عبد الجليل : المؤتمر الثامن للمجمع العربي للموسيقى المنعقد في بغداد في فبراير 1983.
- *المسألة النظرية في الموسيقى الأندلسية* : المهرجان الوطني الثالث للموسيقى الأندلسية بشفشاون - مايو 1983.
- *الوحدة العضوية للميزان في النوبة الأندلسية المغربية*: الندوة الدولية حول تاريخ الموسيقى العربية بالرباط في نونبر 1984.
- *الأغنية العصرية ولدت في الأغنية الرومنتيكية المصرية* : جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 3 يناير 1993.
- *إشكالية المصطلح في الموسيقى الأندلسية* : المهرجان

الوطني التاسع للموسيقى الأندلسية - شفشاون - ماي 1994.

وساهم الرايسي في تأليف كتاب مغرب *الطاقات*، وعاش وهو يحمل بين ضلوعه الأمل في إحداث شعبة للتربية الموسيقية، وفي أن يخرج إلى الوجود مشروعه الرائد حول تجديد مناهج التعليم الموسيقي في المغرب.

لقد عانى محمد الرايسي لسنوات طويلة من اختناق في شرايين القلب، وبعد صراع مرير مع المرض أسلم روحه للخالق تعالى يوم الأربعاء 21 شعبان عام 1417/ فاتح يناير 1997 بالقصر الكبير.

*وثائق خاصة ومعلومات شخصية.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الرَّبَاب،** من الآلات الوترية شاع استعماله في سائر البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً. انتقل إلى المغرب والأندلس مع الفتح الإسلامي، ثم شق طريقه إلى البلاد الأوروبية تحت اسم الريبيك Rebec منذ القرن الخامس (11 م)، فاستخدمته فرق المنيستريل المتجولة والبهلوانيون (Les Menestrels et les jongleurs) بثلاثة أوتار في مصاحبة أغانيها.

وقد ساهم الرباب العربي عن طريق الأندلس في ظهور آلة الڤيولا (Viole) التي شكلت الصورة المتطورة لكل من الروبيلا (Rebella) والروبيك (Rubéc) بفرنسا، أو الروبيكا (Rubeca) بإيطاليا والتي لم تفتأ أن عرفت ضروبا من التعديلات انتهت إلى اتخاذ هيئة الكمان (Violon) ابتداء من القرن الحادي عشر (17 م).

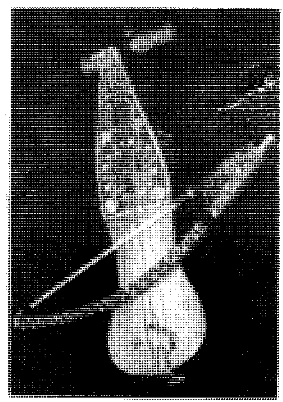

الرباب

يستخدم الرباب في المغرب على صورتين :

- صورة الرباب ذي الوتر الواحد، ومجال استخدامه أغاني الروايس بسوس. ومن أشهر عازفيه المعاصرين الرايس الحاج بلعيد، والرايس الدمسيري.

- صورة الرباب ذي الوترين ومجال استخدامه أجواق الموسيقى الأندلسية. ومن أشهر عازفيه المعاصرين : عمر الجعيدي المتوفى عام 1371 / 1952 ، والفقيه محمد البريهي المتوفى عام 1663 / 1944 ، والفنان احبيبي امبيركو المتوفى عام 1382 / 62 - 1963، والفنان عبد السلام الخياطي المتوفى عام 1316 / 98 - 1899 والشريف مولاي أحمد الوزاني المتوفى بطنجة عام 1965، والمرحوم التازي لبزور المتوفى عام 1403 / 1983 ، والفنان المرحوم الحاج عبد الكريم الرايس المتوفى بفاس عام 1417 / 1996.

يجري العزف على الرباب في صورتيه معاً بواسطة قوس ذي خيوط من وبر وشكل نصف دائري.

د. الحفني محمود، *علم الآلات الموسيقية*، ص. 219 ؛ ع. العزيز ابن عبد الجليل، *الموسيقى الأندلسية المغربية فنون الأداء*، سلسلة *عالم المعرفة*، 1989، ص. 244 - 246 ؛ *معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية*، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ص. 26، الرباط، 1992.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الرباح** (سمك) ← **البجّ**

**الرباط** (مصطلح) : ترد كلمة رباط عند دارسي الآثار الإسلامية، كلفظ تقني للدلالة على بناءات ظهرت وارتبطت بالثغور المواجهة لغير المسلمين، كانت بمثابة نقط حساسة أو ينظر إليها كأماكن على الحدود قد يتسرب منها براً أو بحراً، الخطر المحذق بالديار الإسلامية، خصوصاً في بداية الدولة الإسلامية، وطيلة قرون انتشار الدين الحنيف.

وبهذا المعنى وما يحيط به وردت الكلمة في *لسان العرب* حيث نجد أن الرباط هو "ملازمة ثغر العدو" وأنه "في الأصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب، وارتباط الخيل وإعدادها" (ابن منظور، *لسان*، ج. 7، حرف الطاء، ص. 302). وبهذا يكون اللفظ قد أحاط بالمكان أو الإقامة، وبغرض الجهاد والعدة التي تعد له. وما يهمنا نحن هو مكان الإقامة تلك.

لقد أطلق الاسم في بداية أمره على نوع من البنايات العسكرية، لم يكن لها بالضرورة تصميم موحد، ولا عناصر معمارية خاصة، ولا حتى مجال طبيعي مميز، اللهم إلاّ ما تعلق بالوظيفة (الجهاد والدفاع ورد الخطر) والمواجهة (الثغر). فكل معسكر محصن يرابط به المجاهدون والمتطوعة الذين يهبون أنفسهم للجهاد في سبيل الله دفاعا عن دينه ونشره، هو رباط. لكن اللفظ دلّ كذلك وفي مناطق من بلاد الإسلام، كبلاد فارس مثلا، على الخانقات المحصنة التي انتشرت خارج المدن على طول الطرق التجارية، كما أطلق على بعض المآوي التي كان العُباد والمتصوفة يختلون بها للتعبد داخل المدن وخارجها، والتي انتشرت خاصة منذ القرن السادس (12 م).

انتشرت الرباطات بمفهومها العسكري، وتعددت باتساع رقعة الدولة الإسلامية عند كل خط فاصل بينها وبين ما

دونها من الدول المواجهة لها سواء كانت الخطوط برية داخلية أو ساحلية ؛ وتشير كتب الأخبار إلى أن الكثير منها ظهر أولاً على طول خط المواجهة مع الروم والبيزنطيين، ثم على طول خطوط المواجهة مع قبائل وتجمعات شمال إفريقيا والأندلس بعده. وبمتابعة هذه الإشارات يتحدد تطور اتساع الدولة الإسلامية وتتجلى مراحله، انسياقا مع تغلغل الدعوة وتثبيتها في كل الجهات التي قصدتها.

إلا أن الأغلبية الساحقة من رباطات الشرق الإسلامي انقرضت اليوم ولم يبق لها أثر يدل على نوعية بناءاتها ولا الأشكال الهندسية التي امتازت بها، وهو عكس ما نجده ببلاد الغرب الإسلامي، وإن كانت الرباطات الكثيرة فيها قد اختفت بدورها. ذلك أن بلاد المغرب الكبير احتفظت وخاصة في قسمها التونسي، برباطات مهمة، أشهرها رباط سوسة الذي شيد سنة 171 / 788 م ورباط المنستير الذي بني سنة 180 / 796 م، تعكس عمارتهما ما وصل إليه هذا النوع من التشييدات الإسلامية من تطور في بنيته ومكوناته.

أما المغرب الأقصى فقد عرف ظهور الرباطات مع قدوم الفاتحين ؛ ومن أول هذه الربط رباط شاكر، على وادي تانسيفت غربي مدينة آسفي في مواجهة مبتدعي برغواطة.

وتعود أولى الإشارات للربط المغربية إلى نهاية القرن الثالث (9 م) وهي التي نجدها عند المسعودي في ذكره لرباط ماسة الذي يظهر أنه كان مكانا للتعبد والتبادل الاقتصادي. بعد ذلك نجد ابن حوقل في القرن الرابع (10م) يذكر رباط سلا المنتصب في مواجهة مبتدعي برغواطة، كما كان الشأن لرباط شاكر السالف الذكر.

لكن ذكر الربط بتفاصيل أكثر نجده عند البكري الذي يذكر رباطات أصيلا، والعرائش، وأكوز، ونكور، وتيط مشيرا في غير ما مكان إلى طبيعتها ومواطن الشبه فيها من كونها على الخصوص كلها نقط لقاء للتبادل التجاري في شكل سوق أو موسم، وموضع يتوسطه مسجد أو رابطة وهما الدالان على وظيفة العبادة والتعبد، وكون أغلبها لم يعرف تحصينات في البداية وإنما عرفها لاحقا (كما هو الشأن بالنسبة لأصيلا أو رباط الفتح)، وكونها أخيرا أساسا لظهور مدن بموقعها أو حواليها.

ومما يؤسف له كون الرباطات المغربية الأولى وخاصة تلك التي كانت وظيفتها الأساسية الجهاد، اندثرت كلية أو تغيرت تصاميمها ومكوناتها تغييرا جذريا أو حلت محلها منشآت أخرى. ولذلك لا نتوفر في المغرب على مثال يعرفنا بعمارة الربط - إن كانت لها عمارة خاصة - في بداية عهودها وحتى في مختلف عصورها اللاحقة.

ويعتبر رباط الفتح، أصل مدينة الرباط الحالية، بقسميه "قصبة الأوداية" و"المعسكر - المدينة" الذي أنشئ بمحاداتها، نموذجا فريدا ومتميزا يمكن أن نرى فيه صورة مكتملة للرباط، بمقاييس جديدة. فهو إنجاز رسمي مخزني، جاء نتيجة قرار من الخليفة نفسه، واعتمد الجمع ما بين وظيفة الجهاد ووظيفة الإقامة الأميرية بما تفرضه هذه الأخيرة من تجهيزات ومعالم رسمية وعمومية.

وإذا كان عبد المومن بن علي قد اختار لرباطه موقع رباط تاشفين المرابطي، الذي كان بدوره قد أخذ مكان رباط أقدم، وحصنه بأسوار قوية من جهة البر، وضمنه مرافق هامة كقصره الخليفي ومسجده العتيق، تاركا ما تبقى من الهكتارات الأربعة التي هي مساحة الرباط لحاشيته وجيشه، فإن حفيده أبا يوسف يعقوب المنصور عمد إلى إنشاء رباطه في شكل معسكر شاسع الأطراف (418 هكتار) محاط بأسوار منيعة عظيمة، تتوسطه منشآت مختلفة، أهمها على الإطلاق جامع حسان ومنارته الشهيرة.

ويبقى رباط الفتح هذا، كما تدل على ذلك كلمة "الفتح" التي ارتبطت به، رباطا مواجها لغير المسلمين، لكن ليس على نقطة تماس الديار الإسلامية بما دونها، وإنما على موضع استراتيجي يتوسط خارطة الامبراطورية الموحدية، ويُطل على المحيط كنقطة انطلاق الفيالق والجيوش في حركة يراد منها نصرة الإسلام والمسلمين بالأندلس.

أ. البكري، *المسالك والممالك*، باريس، 1965 ؛ أ. البيدق، *أخبار المهدي* ؛ ابن حوقل، *كتاب صورة الأرض*، بيروت، 1979 ؛ الإدريسي، *نزهة*، بيروت، 1989 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر* ؛ المراكشي، *المغرب* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ اليعقوبي، *البلدان*.

J. Caille, *Rabat des origines à 1912* ; G. Marçais, *Architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954 ; J. Cheikha, *Les ribats d'après les livres des Tabaqat*, *La Rapita islamica : Historia Institucional I altres Estudis Regionals. I Congrès de les Rapites de l'Estat Espanyol* (7 - 10 sept. 1989), 1993, pp. 187 - 190 ; G.S. Colin, *Massa*, *E.I.*, V, pp. 773 - 774 ; V.J. Cornell, *Ribat Tit-n-Fitr and the origine of Morroccan Maraboutism*, *Islamic Studies*, XXVII, 1988, pp. 23 - 36 ; P. Cressuer, *De un ribat.. a otro. Una hipotesis sobre los ribat-s del Magrib al-Aqsa (siglo IX - incios siglo XI)*, à paraître ; H. Ferhat, *Littérature eschatologique et espace sacré au Maroc : le cas de Massa*, *Studia Islamica*, 80, 1994, pp. 47 - 56 ; G. Marçais, *Note sur le ribat en Berberie*, *Mélanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident musulman*, I, 1957, pp. 23 - 36 ; M. Marin, *El Ribat en al-Andalus y en Norte de Africa*, en *la Rapita Islamica : Historia Institucional, altres Estudis Regionals. I. Congres de les Rapites de l'Estat Espanyol (7 - 10 Sep. 1986)*, San Carles de la Rapita, 1993, pp. 121 - 130 ; B. Rosenberger, *Note sur Kouz, un ancien port à l'embouchure de l'oued Tensift*, *H.T*, VIII, pp. 23 - 66 ; L. Torrès Balbas, *Ribatas hispano-musulmanas*, *Al-Andalus*, XIII, pp. 475 - 491.

عبد العزيز توري

** عرف المغرب الربُط مع الفتح الإسلامي، وورد ذكر "رباط ماسة" بالسوس الأقصى في أخبار الفاتح عقبة بن نافع وموسى بن نصير وإدريس الأول و "رباط شاكر" على

ضفة وادي نفيس بحوز مراكش، وهو مدفن المجاهد العربي شاكر من أصحاب عقبة، تخلف عن الجيش ليعلم الناس القرآن وأمور دينهم. ويُذكر أن الذي بنى هذا الرباط هو يعلى بن مصلين أحد رجال رگراگة السبعة الذين يقال إنهم وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وأسلموا ورجعوا إلى بلادهم دعاة للدين الحنيف.

كان يعلى الرگراگي يقيم بهذا الرباط لقتال البرغواطيين في تامسنا، ثم صار رباط شاكر مجمعاً للصالحين ولا سيما في رمضان يفدون إليه من كل حدب كما أقيم رباط آخر في شمال تامسنا على الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق لقتال البرغواطيين. وكانت مدينة سلا القديمة قد خربت في أوائل القرن الرابع (10 م) "والناس يسكنون ويرابطون برباط وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان يزيدون وينقصون ورباطهم على برغواطة" (*المسالك والممالك*) هذا الرباط الذي يتحدث عنه ابن حوقل هو الذي وسعه الموحدون في القرن السابع (13 م) وجعلوا منه مدينة كبيرة سموها "رباط الفتح". وتكاثرت الربُط في المغرب لا سيما على السواحل حتى أصبحت تعد بالعشرات.

وخص الخطيب ابن مرزوق (ت. 781 / 1379) الباب التاسع والثلاثين من كتابه *المسند الصحيح الحسن* للكلام على الربط التي أنشأها السلطان أبو الحسن المريني على السواحل المغربية والجزائرية لمدافعة القراصنة الأوربيين الذين كانوا كثيراً ما يهاجمون هذه السواحل ويختطفون من يباغـتونه من السكان ليستعبدوهم في بلادهم، فكانت هذه الربُط التي أنشأها أبو الحسن الممتدة من أسفي إلى أول بلاد إفريقية تونس "إذا وقعت النيران في أعلاها تتصل في الليلة الواحدة أو في بعض ليلة. وذلك في مسافة تسير فيها القوافل نحواً من شهرين، وفي كل محرس منها رجال مرتبون نظار وطلاع يكشفون البحر فلا تظهر في البحر قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين إلا والتنيير يبدو في المحارس فأمنت السواحل في أيامه السعيدة ...".

وقد سمي الرباط أولاً "رابطة"، كرابطة عبد الله بن ياسين في إحدى الجزر الساحلية بأقصى الجنوب المغربي وذكر يوسف ابن الزيات التادلي في *التشوف* (ت. 1627 / 1230) أحد عشر رباطاً وتسع رابطات أكثر أسمائها أمازيغي مثل "رباط تيطنفطر" : عين الفطر على ساحل المحيط الأطلنتي جنوبي مدينة الجديدة ؛ و"رباط تينمل" بالأطلس الكبير الذي هو دار المهدي ابن تومرت، و"رباط تانُوتَن" في بلاد دكالة، و"رباط ياسماطت" في ضواحي مراكش و"رابطة أنبدور" خارج سجلماسة، و"رابطة تامنغاطت" بالقرب من ساحل أنفا الدار البيضاء.

لم يقتصر تأسيس الربط على عمل الدولة، وإنما شارك فيه صالحو المومنين، مثل "رباط أبي داوود" على البحر المتوسط بالقرب من الحسيمة الذي بناه الشيخ أبو داوود مزاحم بن علي بن جعفر البطيوي التمسماني (ت. 578 / 1182م) من مريدي أبي مدين الغرث. وكان مكان هذا الرباط مخوفاً اعتاد القراصنة المسيحيون أن يهاجمونه من حين لآخر ويسترقوا من أمكنهم اشترقاقه من الرجال والنساء والصبيان. وقد رابط فيه الشيخ ثم أبناؤه وأحفاده ومريدوه ومازال قائماً حتى اليوم معدوداً من المزارات المقصودة. وكرباط الشيخ أبي محمد صالح ابن ينصارن الدكالي الماگري (ت. 632 / 1234) بناه خارج مدينة أسفي (أصبح اليوم داخل الأسوار بعد اتساع عمران المدينة). وكان الشيخ يدعو الناس إلى الحج ويحثهم عليه، بعد أن أفتى بعض الفقهاء بسقوط الحج عن المغاربة والأندلسيين لعدم سلامة الطريق، وقد صار رباط أسفي ملتقى الحجاج، إضافة إلى المجاهدين والعبّاد. وقد حجّ أبو محمد صالح وأسس مراكز على طول طريق ركب الحاجّ إلى القاهرة والأسكندرية، كانت كفروع لرباط أسفي تستقبل الحجاج وتأخذ بأيديهم وتذلل لهم الصعوبات المادية ولدى الحكام والرؤساء.

ولما تطورت وسائل الدفاع في العصر الحديث تضاءل أمر الربط وقلت العناية بها، ولم يصمد منها لعوادي الزمن أو يجدَّدْ إلا القليل.

م. ابن حوقل، *المسالك والممالك*، ليدن، 1873 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، ط 2، الدار البيضاء، 1984 ؛ م. ابن مرزوق الخطيب، *المسند الصحيح الحسن*، تح. م. خ بيغيرا، الجزائر، 1981 ؛ ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط 1982 ؛ م. ابن علي الدكالي، *تقييد في الرباطات*، مخطوط ؛ أ. الماگري، *المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي صالح*، القاهرة، 1932.

محمد حجي

**الرباط**، (جغرافيا) عاصمة المملكة المغربية، نموذج حي للعواصم التي تزخر بتراث تاريخي فريد، ومشاهد طبيعية نفيسة، ونشاط اقتصادي حقيقي ومتنوع. وتحظى إلى جانب ذلك بتجهيزات حضرية متوازية نسبيا. كما أن لها وزناً سياسياً ودوراً اقتصادياً متميزاً.

مدينة الرباط جزء من المجموعة الحضرية التي تتكون من الرباط، وسلا وتمارة، وجزء من الجهة : الرباط، سلا زمور زعير. وهي تتألف من خمس جماعات حضرية هي حسان، أگدال ـ الرياض، اليوسفية ويعقوب المنصور وتوارگة. وتغطي المدينة مساحة 146 كلم، محدودة شمالا بسلا، وجنوبا بتمارة.

ساكنة المدينة حسب إحصاء 1994، 623.457 ساكنا، بينما كانت لا تمثل سوى 227.445 نسمة سنة 1960. إلا أن وتيرة نمو المدينة تضاءلت منذ السبعينيات (1.42٪ سنويا خلال المدة 82 ـ 94).

وقد عرفت المدينة بعض التحسن في توفر السكن، رغم

الاحتفاظ بتفاوتات هامة بين الأحياء. ويشير حجم الأسر إلى هذا التفاوت حيث حجم الأسرة في اليوسفية ويعقوب المنصور بين 5 و8 فرداً، ومقداره 4,4 نسمة في حي أكدال ـ الرياض. وهذا يبين بكل وضوح التفاوت الاقتصادي والاجتماعي بين جماعات المدينة.

وتمثل الجماعات الحضرية نسبا مختلفة من ساكنة المدينة : 24٪ في جماعة الرباط ـ حسان، 12٪ في أكدال الرياض و1٪ في توارگة. وتستأثر اليوسفية ويعقوب المنصور بالتساوي بما قدره 63٪ من ساكنة المدينة.

وتتميز كثافة السكان بارتفاعها عامة (4270 ن / كلم2)، وخاصة في جماعة الرباط ـ حسان (19400 ن / كم2). وفي هذا الضغط المجالي تكمن صعوبة تطهير المدينة ومشاكل تدهور المباني.

ويمتاز تجهيز المدينة بجودة نسبية مقارنة مع باقي مدن البلاد : فراش استشفاء واحد بالنسبة لكل 177 نسمة، وطبيب لكل 660 ساكنا، كما تتميز بتجهيز مدرسي يفوق المتوسط الوطني.

لقد تواترت في الرباط المخططات والمشاريع، إلا أن تلك العمليات كثيرا ما واجهتها ضغوطات من أصل قانوني وعقاري وعوائق سياسية واقتصادية الشيء الذي حال دون تحقيقها، والمطلوب تنمية عاصمة المملكة من أجل رفعها إلى مستوى عواصم العالم بعد تخطي العقبات والتناقضات عبر تحكيم نزيه يتلافى التجربة المعهودة إلى الآن، ويخطط العمليات بشكل شمولي مع تهيء كل الضروريات اللازمة من أجل تحقيقها على أساس برنامج دقيق في الزمان والمكان.

هناك عدة عمليات إعداد حضرية، تمت برمجتها منذ القديم، لكن لم تنفذ ومن اللازم بعثها، ومعالجتها بطريقة جديدة من أجل تحقيقها. فلقد تم وضع التصميم المديري للاعداد الحضري سنة 1987، ذلك التصميم الذي يعتمد على فكرة التنمية الخطية على طول الساحل وداخل المجالات الوحيدة التي مازالت متوفرة في هضبة عكراش وحي الرياض. من بين المقترحات مشروع ترميم المدينة العتيقة وإعداد الكرنيش الساحلي، وضفاف وادي بورقراق، وتهيئة شارع النصر وحي لعلو وشارع الحسن الثاني واحياء حدائق الأوداية، وتأهيل حي الأوداية ليصبح بمثابة متحف حي وإعادة هيكلة مساحة السوق المركزي.

وتحتوي المدينة العتيقة على تراث تاريخي وهندسي من الواجب ترميمه وحمايته مع تهيء للأنشطة التي ستسمح مداخيلها من استثماره وتطويره.

وتبقى المدينة العتيقة مركز استقطاب وإشعاع وذلك عبر تجهيزاتها الخاصة ونشاطها التجاري المتنوع ووظائفها المتعددة، إلا أنها تعيش وضع اكتظاظ سكاني وتفقير اجتماعي وتدهور للمباني على منوال ما تعرفه كثير من المدن العتيقة المغربية (بلفقيه وفضل الله، 1986). هذا الوضع المتردي يتوجب تدخلا جريئا من أجل تخفيف الكثافة في السكن ومن أجل إعادة التأهيل بالنسبة للمباني في إطار تصميم هندسي يحدد الموقع التي تحتله المسالك الرئيسية (مثل شارع السويقة ـ والقناصل وسيدي فاتح وبوقرون) كمواقع استقبال لوظائف خاصة تستدعي تجهيزات متكيفة. وتؤدي هذه المسالك إلى أبواب المدينة تعالج بشكل متميز مع تنظيم للمرور ولمواقف السيارات.

أما السكن غير المنتظم (مثال دور الصفيح والأحياء الهامشية) فهو يمثل أسبقية تتطلب معالجة سريعة من أجل حل هذه المعضلة الحضارية والاجتماعية. ذلك أن الوضع الرديء لهذا السكن الاقتصادي يلزم بالقيام بعمليات تهدف إلى التجديد العقاري والهندسي، وهي عمليات تتمثل في تحويل السكان وإعداد الأحياء والمباني الشيء الذي يتطلب توفير قاعدة عقارية غير موجودة حاليا، مما يقتضي العمل على التخفيف من المضاربات العقارية ومنع احتجاز الأراضي وخلق الظروف لتسهيل عمليات التشييد السكني. وهذا يعني كذلك تجديدا في الأنماط الهندسية وتنويع أشكالها كما يتطلب العمل على تلافي الزيادة المفرطة في كثافة السكن وذلك بمنع الإضافات غير المبرمجة للطوابق الجديدة في المباني وتجنب التحول غير المخطط للمساكن الفردية "فيلات ـ أو دور أرضية" إلى مساكن جماعية من نوع العمارات.

وتتميز مدينة الرباط بنسبة نشاط مرتفعة بالرغم من أنها تشكو من نوع من التأخير في نمو وظيفتها الاقتصادية والسياحية. فإلى جانب هاتين الوظيفتين، تلعب الصناعة التقليدية والقطاع الإداري والسياسي والدبلوماسي الدور الأساسي الذي تنبني عليه قواعد النمو الاقتصادي المستمر.

أما تجهيزات المدينة من وسائل عصرية للنقل وتصريف صحي متكامل للسوائل والأزبال، ومن مساحات خضراء فهي تتطلب إعادة هيكلة شمولية للرفع بها إلى مستوى عاصمة للمملكة.

ومن بين الميادين التي يجب الاهتمام بها إحياء المقترحات الشجاعة التي هيأت تصميما مجددا لهيكلة المركز وذلك بتخفيف كثافة السير وخلق أزقة خاصة بالراجلين وإعادة تشكيل ملتقيات الطرق واستعمال أدوات جديدة مثل السكة الحديدية أو المترو مع إيجاد الحلول اللازمة لمواقف السيارات.

وتتطلب تنمية العاصمة تخطي الوضع الحالي والخصاص في ميدان جمع ومعالجة النفايات، والصرف الصحي، مما يترتب عنه تدهور مواقع متعددة على طول وادي بورقراق وعلى الخط الساحلي. هذا يقتضي إيجاد حلول هادفة تم عبر تحقيق توصيات وبرامج المخطط المديري للتصريف ومعالجة المياه وذلك بإقامة محطة لتنقية السوائل في موقع بعيد نسبيا عن المباني رغم العوائق والصعوبات التي حالت حتى الآن دون ذلك.

كما يجب مراجعة الوضع الحالي الذي يتميز بالتجزئ المتناهي للمباني الإدارية والوحدات الجامعية، وجمع شمل هذه المؤسسات وتنظيمها ضمن أحياء مخصصة، منها الحي الإداري الموروث عن مرحلة التعمير الأوربي، وكذلك أحياء مجهزة بوسائل النقل مثل حي الرياض. أما تكاثر المصالح الإدارية في عمارات حي أكدال وسط بنايات مخصصة للسكن، فهو يطرح مشاكل كثيرة أمام النقل، بسبب ضيق الأزقة، وعدم إعداد مواقف كافية للسيارات. وتتطلب جامعة محمد الخامس، المجزأة حاليا إلى كليات مركزية ومرافق ملحقة بها بحي السويسي، إعادة التنظيم ضمن حرم جامعي موحد، وذلك على أساس استثمارات هامة ترفع الجامعة المغربية إلى مستوى عصري.

وتضم مدينة الرباط مشاهد ومواقع طبيعية من مستوى رفيع، من الواجب الحفاظ عليها واستثمارها. فعلى الساحل توجد الكثير من المواقع المتميزة بمناظرها الفريدة، والواجب، اعتمادا على دراسات دقيقة، العمل على استثمار البعض منها، وبالنسبة للبعض الآخر، الحفاظ عليها في شكلها كرواشم لأصلها الطبيعي. وبجوار المدينة توجد غابات هامة وممتدة، منها غابة تمارة، وغابة سيدي يحي زعير، وغابة سيدي بطاش، وغابة كريفلة، وهي تختص بالتنوع النباتي وتميز مشاهدها، وتصلح للاستجمام، وبعضها للقنص، وتمثل على كل حال متنفسا رائعا بالنسبة للمدينة. والتخطيط الحضري مطالب باعتبار هذه الثروة النباتية والحفاظ عليها.

وفي هضبة الرباط، وكذا على طول وادي بورقرار، تم حفر مقالع في مواقع طبيعية نادرة، الشيء الذي كان السبب في ضياع جودة تلك المواقع وترتبت عنه مظاهر تلوث عديدة. والجدير بالذكر أن بعض هذه المقالع لم يحصل على الترخيص اللازم، بعد القيام بالدراسات اللازمة لإثبات مدى الخسارات البيئية المترتبة عن الاستغلال.

ولذا فإنه صار من اللازم تعميم هذه الدراسات القبلية، السابقة لأي فتح للمحاجر، وكذا تعميم مسطرة لإعادة تهيء المواقع وقت وبعد الانتهاء من استغلالها.

ويتقدم التمدين بخطى سريعة على طول الشريط الساحلي وتتسع معه الآثار السلبية الناجمة عن التلوث، من دون أن تنجح الاختيارات الأساسية لإعداد التراب من التخفيف من هذه السلبيات (بريان والعوينة، 1993).

أصلا يمكن القول بأن الوضع غير المضياف للساحل، الراجع إلى كثرة الأجراف الصخرية، وعنف الأمواج، كان السبب في عدم انفتاح المدينة عليه، ما عدا عند مصب بورقراق، لذا نجد المدينة العتيقة مفصولة عن البحر بمساحة من المقابر تكسو منحدرا يطل على المحيط. وجنوب غرب المدينة القديمة، تكونت أحياء سكنية متواضعة في حي المحيط وحي العكاري ويعقوب المنصور. كما اتسعت في نفس المجال الأراضي العسكرية. كل هذا يجعل من الصعب إعادة هيكلة المجال الساحلي من أجل إقامة أنشطة سياحية وترفيهية.

ذلك أن إمكانيات الاستثمار الساحلي في هذا المجال المكتظ تبقى محدودة، بسبب التوجهات غير الموفقة للأعداد في السابق، وتبقى الكثير من الأحياء تشكو من رداءة السكن بها وكثافته المفرطة، الشيء الذي ينتج عنه تشويه في المنظر، إضافة إلى تراكم غير منظم للأزبال المنزلية وكسارات البناء، تستدعي مصاريف باهضة من أجل تهييئها.

وتعرف البيئة الساحلية العديد من مظاهر التدهور :

- الإلقاء المباشر لمجاري المياه المستعملة يساهم في تلويث الساحل القريب، بل كذلك سواحل جنوب العاصمة. وهكذا فإن مياه الساحل، من مصب بورقراق حتى الهرهورة، تشكو من تسممها وارتفاع نسبة تلوثها البيولوجي، وتمتد هذه الآثار جنوبا في الأوقات التي ينشط فيها التيار الساحلي، مما يهدد الشواطئ الآهلة صيفا، مثل شاطئ تمارة والرمال الذهبية، وسهب الذهب. إلا أن أخطر أوضاع التلوث تضمها الخلجان الصخرية الصغيرة لحي يعقوب المنصور، التي تمثل حقا خطرا صحيا فائقا، بسبب قربها من مخارج مجاري المياه، وبسبب الاستقرار النسبي للماء في حويضات صغيرة، يستعملها أطفال هذه الأحياء كمسابح طبيعية.

- يساهم السكن المكتظ وغير اللائق في تشويه مشهد عديد من المواقع الطبيعية الفريدة. وتعمل السلطات والمجالس الحضرية مجهودات عديدة لإصلاح هذا الوضع. وذلك بسن مخطط عمراني وتصاميم تهيئة من جهة، واقتراح برنامج للصرف الصحي وتطهير السوائل من جهة أخرى. ويستخلص بأن الساحل لم يمثل مركز اهتمام ولا عنصرا أساسيا في اختيارات التخطيط والبرمجة العمرانية للمدينة، وذلك منذ بداية التخطيط أي منذ التعمير الفرنسي. ولذا نجد المجال الساحلي النادر، يهدر من طرف السكن القار، والبيئة الساحلية تتدهور نتيجة التلوث.

لذا فإن التهيئة العقلانية تقتضي حلولا سريعة ومدمجة، تقوم على أساس تحديد دقيق للمجال العمومي الذي تستحيل خوصصته، والنوافذ الطبيعية التي يجب الحفاظ عليها، وكذا على التدبير الجيد لشبكة التطهير السائل ومعالجة مياه المجاري قبل إلقائها في البحر. كما يتطلب ادماج العنصر الساحلي ضمن مشاريع العمران، بتلافي السكن الدائم في مواقع السياحة، والتشييد الثقيل والعشوائي في مجالات يجب أن تحافظ على طابعها كمواقع استجمام ورياضة لفائدة الجميع.

يمثل مصب بورقراق مجالا مشتركا بين الحاضرتين المتجاورتين، الرباط وسلا. وهو مجال يتميز بغناه البيولوجي، وتنوع مظاهره الطبيعية وقاعدة يمكن أن

ينبني عليها التطور العمراني والبيئي، واستمراراً طبيعيا للمدينتين، تتمركز فيه بعض الأنشطة الخاصة.

إلا أنه حاليا مازال يشكو من الاختيارات السلبية التي نهجها المعمر، وذلك بالسماح بامتداد أحياء هامشية على سفوح الوادي في حي اليوسفية، بينما كان من الواجب الحفاظ عليها كمواقع محمية من البناء، لما تمثله من تراث تاريخي (موقع شالة الفينيقي) وبيئي. وحاليا، يستقبل الوادي العديد من أسباب التلوث، من مجاري المياه، وأزبال حضرية، وكسارات البناء ترمى تلقائيا من الأحياء المجاورة.

وقد ساهم تشييد سد سيدي محمد بن عبد الله على بعد 20 كلم من الساحل في تحول جذري للمصب، ذلك أنه، حتى ذلك التاريخ ظل المصب مجالا صحيا، تنقيه مياه النهر، وقت الفيض وكذا مياه البحر خلال أقصى مراحل المد. وظلت التركيبة الاحيائية متنوعة. إلا أن بناء السد وتنامي المدينة، غير من هذه المعطيات، وذلك على إثر توقف ذاك التجابه الطبيعي بين مياه النهر ومياه البحر. فصار المصب ذراعا بحريا فقط، لا يعرف أبدا الفيض النهري إلا في حالات خاصة جدا. وارتفعت الملوحة، وتناقصت حركة المياه. الشيء الذي نتج عنه تفقير احيائي عددا وتنوعا. وأصاب التلوث ما تبقى من الاحياء، خاصة بعد تشييد حي صناعي على الضفاف في اليوسفية.

وهكذا نجد المصب، الذي كان قاعدة لنمو الحاضرة، يصبح مجالا متخلى عنه، يتم الاحساس بأن أراضيه الرطبة مجال غير صالح يجب القضاء عليها، بتغطيتها بالتربة وكسارات البناء، من أجل استغلالها. وهكذا نجد ذاك المجال الفريد، يتراجع يوما بعد يوم، دون أن تبرز اختيارات واضحة فيما يخص التجهيز والاعداد، وذلك رغم أن هذا الوسط يمثل بالنسبة للمضاربين العقاريين والمقاولين، أرضا خصبة للربح والاستثمار.

ومشروع بورقراق، الذي تم الحديث عنه منذ الستينات، إلى الآن لم ير الوجود، ولذا صار من اللازم تصور مشروع مندمج يبرمج لما سينجز منه على المدى القصير لكن دون إغفال النظرة الشمولية للمشروع على المدى الطويل، مع مراعاة ضرورة اشراك الحاضرتين المتجاورتين في هذا التصور وباعتبار لزوم جعل هذا المحور قاعدة لاتحادهما وازدهارهما.

التنمية المتوازنة لمدينة الرباط، لا يمكن أن تكون هادفة إلا إذا راعت عدة اعتبارات متشابكة ومتداخلة، تخص منها :

- الانطلاق من منظور شامل يدمج داخله المظهر الحضري، الهندسي، البيئي، الاقتصادي، والاجتماعي.
- الأخذ بعين الاعتبار الجانب المجالي المحيط بالعاصمة وذلك بما فيه المدن والأرياف القريبة، والمتفاعلة معها.
- الاعتماد على العقلنة واستمرارية الموارد المالية، ضمن اقتراحات إعداد حضري من أجل حماية البيئة والحفاظ على التراث، وتكون في نفس الوقت اقتراحات طموحة ومجددة، لكن بإمكانيات معقولة.
- إشراك مختلف الفاعلين في المدينة، والتشاور معهم، والأخذ برأيهم، ويتلخص كل ذلك في مجموعة من العمليات التوافقية، ينخرط ويشارك ضمنها المجتمع بمنظور يهدف إلى إنجاح هذه العمليات واستمرارها.

م. بلفقيه وع. فضل الله، *آليات وأشكال التوسع الحضري، حالة الرباط ـ سلا*، مكتبة المعارف، الرباط، 1986 ؛ م. بريان وع. العوينة، *تهيئة الساحل وتطوره*، منشورات اللجنة الوطنية للجغرافيا، 1993، 120 ص.

عبد الله العوينة

** أما تاريخ مدينة الرباط كمدينة عسكرية وحاضرة وعاصمة، فإن سر هذه الوظائف الثلاث يكمن في الأدوار الهامة والبارزة التي لعبتها هذه المدينة عبر المراحل التاريخية المختلفة، الممتدة من تأسيسها على مصب نهر أبي رقراق إلى اليوم. ويعزى هذا التعدد في الوظائف إلى عنصرين أساسيين : أولهما موقعها الإستراتيجي الهام، بحيث إنها تتوسط المغرب الأقصى على الطريق الساحلي. وعلى مصب نهر أبي رقراق عند المحيط الأطلسي. أما العنصر الثاني فهو توفر منطقة مصب نهر أبي رقراق على ثروات طبيعية غنية ومتنوعة (وفرة المياه، الغابات ـ الرعي ـ المجال الزراعي الخصب ـ الثروة السمكية ـ المعادن ...).

ورغم التاريخ العمراني الطويل والحافل الذي عرفته مدينة مصب نهر أبي رقراق قبل الفترة الموحدية والمتمثل في المدينة الرومانية سلا وشالة"Sala"، والرباط المرابطي ـ المعروف في المصادر برباط تاشفين أو رباط بني ترگة ـ فإن الحاضرة الموحدية رباط الفتح، لم تر النور إلا خلال النصف الثاني من القرن السادس (12 م). حيث إن هذه المدينة الموحدية احتضنت داخل أسوارها العظيمة المجالات الحضرية الإسلامية ـ التي سبقتها في المنطقة.

ويوحي اسم المدينة ـ رباط الفتح ـ بدورها العسكري المطبوع بالطابع الديني. فكلمة رباط تطلق على مكان التقاء وتجمع المجاهدين المتوجهين إلى الأندلس، قصد إيقاف المد الإيبيري.

وعن دور الحاضرة كانت الغاية منه هي إثبات الذات، وإبراز العبقرية الهندسية في تأسيس الحواضر، والتخطيط على غرار الإرث الحضري والحضاري الذي ورثه الموحدون، سواء بالمغرب الأقصى كفاس الإدريسية ومراكش المرابطية، أو بالمدن الأموية كقرطبة وإشبيلية وطليطلة وسرقسطة بالأندلس.

وفيما يخص العاصمة فقد اتخذ الموحدون عاصمة المرابطين مراكش قاعدة لحكمهم، واتخذوا من إشبيليا عاصمة ثانية لامبراطوريتهم. ونظراً للتباعد الجغرافي

الكبير بين العاصمتين مراكش وإشبيلية من جهة، ووجودهما بالنطاق القاري من جهة ثانية أوجبت الضرورة اختيار عاصمة ثالثة للربط بينهما. فوقع الاختيار على مصب نهر أبي رقراق لموقعه الاستراتيجي البالغ الأهمية، ولوقوعه على الساحل الأطلسي. فقرر الخلفاء الموحدون الثلاثة الأوائل، وأولهم عبد المؤمن تأسيس عاصمتهم الثالثة رباط الفتح على مصب نهر أبي رقراق.

وقد زودتنا المصادر الموحدية ـ التي عاصرت تأسيس مدينة رباط الفتح ـ بأدق المعلومات حول المدة التي استغرقها بناء مقوماتها الحضرية الرئيسية، وعن مراحل التأسيس المتتالية التي استمرت زهاء نصف قرن (545 ـ 593 / 1150 ـ 1196).

مواكبة لفترة حكم الخلفاء الثلاثة الموحدين الأوائل (عبد المؤمن ويوسف ويعقوب المنصور). كما ذكرت المصادر أيضاً أو صافا دقيقة لأنواع البنايات الموحدية، ومواد بنائها من أسوار وأبواب وقناطر وسقايات وحمامات وصهاريج وقناة مائية ومساجد وقيساريات ومدارس وقصور ودور السكن...

أخبرنا ابن صاحب الصلاة أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن لما وصل إلى سلا عام (545 / 1150)، أمر ببناء قصبة المهدية وزودها بقناة مائية "عين غبولة" (*المن بالإمامة*، ص. 446 ـ 447)، بعد أن هدم أسوار رباط تاشفين المرابطي، وأقام قصبته المذكورة على أنقاضه. كما ذهب ابن خلدون إلى أن الخليفة عبد المؤمن قام بهدم أسوار مدينة سلا الزناتية، التي كانت تقع على الضفة الشمالية لمصب نهر أبي رقراق، ثم أعاد بناءها من جديد باستثناء الواجهة النهرية. (*العبر*، ج. 2، ص. 180).

وجاء بعده الخليفة الموحدي الثاني يوسف فشرع في بناء أسوار المجال الحضري الجديد بالضفة الجنوبية من جهة الجوف والغرب. كما قام بإصلاح قناة عين غبولة التي بناها أبوه. وبنى بداخل قصبة المهدية صهريجا لجمع الماء وتوزيعه على السقايات وباقي المرافق العمومية. وبني جسراً للرباط بين ضفتي المدينة إلى جانب الجسر الأول ـ الذي تعرض للهدم ـ والذي بناه والده (*المن بالإمامة*، ص. 449).

وعن نفس منجزات الخليفة يوسف يتحدث صاحب كتاب *الاستبصار* في إشارة مقتضبة قائلاً : "وأمر الخليفة أبو يعقوب ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التي أحدثها الإمام أمير المؤمنين..." (*الاستبصار*، ص. 127). وأكد المراكشي في كتابه *المعجب* ما جاء عند ابن صاحب الصلاة وما ورد في كتاب *الاستبصار*، وذلك بخصوص مراحل تأسيس مدينة رباط الفتح الموحدية قائلاً : "ثم شرع في بنيان المدينة العظمى وكان أبو يعقوب هو الذي اختطها ورسم حدودها وابتدأ بنيانها" (*المعجب*، ص. 384).

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة والأخيرة لتأسيس مدينة رباط الفتح التي تواكب عهد خلافة يعقوب المنصور الموحدي، ثالث الخلفاء الموحدين. وعن منجزات هذا الأخير يقول المراكشي : "فشرع أبو يوسف كما ذكرنا في بنيانها إلى أن أتم سورها وبنى فيها مسجداً كبير المساحة..."

لكن بعد وفاة يعقوب المنصور، عرفت مدينة رباط الفتح تراجعا حضريا ملموسا، وتوقفت أهم أوراشها العمومية، وخاصة بعد سنة 8 ـ 609 / 1212، إثر انهزام الموحدين في معركة العقاب بالأندلس. وبما أن بناء مدينة رباط الفتح، كما ذكرنا سابقا، مرتبط بحركة الجهاد في الأندلس، فإن انتهاء هذه الحركة جعلها تفقد أهميتها الاستراتيجية بالنسبة للدولة الموحدية. فانعكس ذلك سلبا على المجالات العمرانية والاقتصادية والاجتماعية بالمدينة.

وعلى الرغم من المحاولات التي بذلها بعض الخلفاء الموحدين الرامية إلى إنقاذ رباط الفتح من هذه الانتكاسة، فإنها باءت بالفشل جميعها. ونذكر من أهم هذه المحاولات إصدار الخليفة الرشيد للظهير المؤرخ في 21 شعبان 637 / 17 مارس 1240، القاضي بإنزال الجاليات الأندلسية المهاجرة قصد الاستقرار برباط الفتح وتعميرها. (م. *الإسكريال*، 520 ورقة 116).

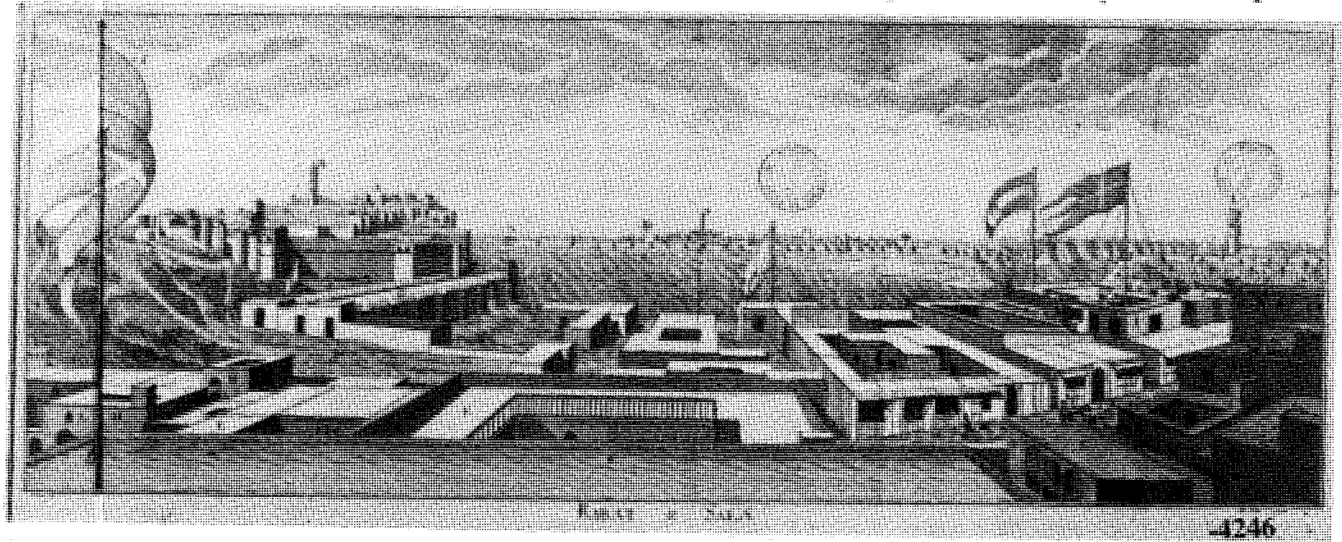

وإبان العصر المريني عرفت مدينة رباط الفتح الموحدية خللاً كبيراً في تصميمها العام، بسبب محاولات السلاطين المرينيين الهادفة إلى طمس معالمها، وخاصة الموجود منها بقصبة المهدية، وبالمجال الحضري الموحدي الجديد الواقع بالضفة الجنوبية. حيث تم التركيز على الضفة الشمالية، فأحاطها السلطان يعقوب بن عبد الحق بسور على الواجهة النهرية سنة 1260، إثر هجوم القشتاليين على مدينة سلا. وقام كل من أبي الحسن وأبي عنان ببناء عدة منشآت في هذه المدينة أهمها : المدرسة المرينية المحادية للمسجد الجامع، وقناة عين بركة، والمدرسة البوعنانية التي تعرف اليوم بفندق أسكور. ودار الصناعة ببابها الشهير (باب المريسة)، وزاوية النساك ...

وخلافا للعناية المتميزة التي حظيت بها الضفة الشمالية، فإن الماثر المرينية بمدينة رباط الفتح الموحدية بالضفة الجنوبية، تعد على رؤوس الأصابع ؛ كالحمام الجديد أو حمام لعلو، وهو من مخلفات أبي عنان، والمارستان العزيزي، للسلطان عبد العزيز المريني، وسقايته المشهورة باسمه أيضا والمجاورة له.

ومما زاد في حدة عدم التوازن الحاصل بشكل ملحوظ بين الضفتين بسبب الاهتمام المريني بالضفة الشمالية دون الجنوبية ـ قيام السلطان أبي الحسن ببناء رباط جديد بمحاذاة الأسوار الموحدية المحيطة بالمجال الحضري الجديد، وسماه الرباط المبارك المعروف اليوم "بشالة". وقد ضم هذا الأخير القصر السلطاني وحماماً وفندقاً ومدرسة ومسجداً ومرافق أخرى دينية ومدنية. وتميز هذا الرباط كذلك باحتضانه للمقبرة الملكية المرينية، التي تم فيها دفن السلطان أبي الحسن، وبعض السلاطين والأمراء المرينيين، وشهداء الجهاد بالأندس وبعض الأولياء الصالحين.

أما في العصر السعدي فقد عرفت مدينة الرباط استقرار ساكنة جديدة بها، وأقصد هنا وفود الجاليات المورسكية عليها. وذلك مع بداية القرن الحادي عشر (17 م). وقد كان لهذا الحدث التاريخي وقع كبير على التاريخ العام للمدينة، وعلى تاريخها العمراني بوجه خاص ؛ إذ قام المورسكيون ببناء أسوار جديدة لتحصين مدينتهم "سلا الجديدة وقصبتها". كما شيدوا المساجد، وأحياء جديدة سكنية وحرفية وتجارية. وحولوا الميناء إلى الضفة الجنوبية.

وتعد المرحلة المورسكية بمثابة عصر النهضة العمرانية والحضارية بالنسبة لرباط الفتح عامة. وبذلك استطاع المورسكيون إنقاذ هذه المدينة الموحدية من الخراب التام، وإخراجها من أزمتها التي دامت زهاء أربعة قرون، وإن كان هذا الإنقاذ لم يشمل سوى جزء من المجال الحضري الموحدي الجديد.

وبعد نشوء الدولة العلوية الشريفة، ووصول السلطان المولى الرشيد إلى منطقة مصب نهر أبي رقراق، قام هذا الأخير بتشييد قلعة عسكرية بالقرب من قصبة المهدية، تعرف بحصن المولى الرشيد (سجن لعلو سابقا).

ثم شرع في بناء أسوار جديدة متصلة بالزاوية الجنوبية الغربية للقصبة الموحدية (المهدية). وكانت الغاية من هذه الأسوار هو حماية مجال حضري جديد، محاد للقصبة الذي سيستغله فيما بعد أخوه السلطان المولى إسماعيل، فبنى به داراً لسكنى ابنه محمد الذي كان يشغل منصب نائب السلطان على المدينة.

وفي عهد سيدي محمد بن عبد الله حظيت مدينة رباط الفتح بعناية خاصة، حيث اتخذها عاصمة ثالثة بعد مدينتي فاس ومراكش. وبنى بها قصراً لإقامته بالموقع الذي يوجد فيه القصر الملكي العامر حاليا داخل المشور السعيد بتواركة.

وأضاف سيدي محمد بن عبد الله مجالا حضريا جديداً شاسعا بالجهة الغربية للضفة الجنوبية، وأحاطه بسور له أربعة أبواب تاريخية وهي : باب القبيبات، وباب تامسنة أو باب تمارة، وباب مراكش وباب المصلّى. وقد تم تقسيم هذا المجال الحضري العلوي الجديد إلى قسمين رئيسيين : القسم الأول الواقع على الواجهة الجنوبية الشرقية، بمحاذاة المشور السعيد. وقد تم توظيفه كحدائق وسواني خاصة بالقصر الملكي (أكدال). أما القسم الثاني الجنوبي الغربي، فقد خصص لإقامة أحياء سكنية جديدة مثل (ديور الجامع، والسانية الغربية والعكاري، والقبيبات...).

ومن المنجزات الأخرى لسيدي محمد بن عبد الله بناؤه لمساجد مدينة رباط الفتح، داخل المجال الحضري الموحدي، وتحديداً خارج السور الأندلسي. وهذه المساجد هي : مسجد السنة ومسجد أهل فاس ومسجد مولينة.

واهتم سيدي محمد بن عبد الله بالواجهة البحرية لمدينة رباط الفتح. فعمل على تحصينها ببناء سور على امتداد الواجهة البحرية للمجال الحضري الموحدي ؛ وشيد أبراجاً وسقالات بأهم زواياه لتقوية فعاليته الدفاعية، لمواجهة الأخطار المحتملة الآتية عبر المحيط الأطلسي، المتمثلة في هجومات الأساطيل الأوربية. ومن منجزاته أيضا، بناؤه لقناة مائية جديدة لتزويد الضفة الجنوبية بالماء. تم جلب مياهها من عين عتيق بمنطقة تمارة.

وفي عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن تم بناء سور القصبة المخزنية الجديدة (تواركة) التي تحتضن المشور السعيد، ومسجد أهل فاس، وباقي المرافق التابعة للقصر الملكي حاليا ـ كما شيد هذا السلطان قصراً جديداً بمحاذاة قصر سيدي محمد بن عبد الله داخل نفس المجال. وفتح بالسور الجديد ثلاثة أبواب وهي : (الباب التحتية، والباب الفوقية، وباب جامع السنة).

وعرفت المدينة في عهد المولى سليمان بناء عدة منشآت من أهمها : الحيان اليهديان (الملاحان)، ومسجد المولى سليمان الواقع عند ملتقى شارع السويقة وشارع سيدي

فاتح بالضفة الجنوبية، ومسجد القبة بزنقة حمام لعلو، وقصر القبيبات وبعض السقايات العمومية مثل سقاية "سوق لغزل"، وسقاية "سيدي فاتح" وسقاية "بوقرون".

ولما جاء بعده المولى الحسن الأول قام بتجديد بناية القصر الملكي بتوارگة. كما أمر بترميم القناة المائية عين غبولة الموحدية التي كانت تزود القصر الملكي بالماء.

وبعد دخول الحماية الفرنسية سنة 1912، قررت سلطات هذه الأخيرة - وعلى رأسها المقيم العام" المارشال ليوطي - نقل العاصمة من فاس إلى "الرباط". وقد اتخذ هذا القرار بناء على عدة اعتبارات نذكر منها :

الابتعاد عن مدينة فاس لما تشكله من مخاطر على أمن سلطات الاحتلال الفرنسي من جهة، ولتفادي عدم تحمل الأوربيين (المعمرين) لصعوبة مناخها الحار، وخاصة في فصل الصيف من جهة أخرى.

أهمية الموقع الاستراتيجي لمدينة "الرباط" لوقوعها على الساحل الأطلسي، وتوفرها على ميناء نهري؛ وتوسطها للمجال الحيوي الذي أطلق عليه "اليوطي" اسم المغرب النافع.

الأهمية التاريخية الكبيرة لمدينة رباط الفتح والمتميزة بالمعالم العمرانية الموحدية. وتتميز كمدينة ساحلية بمناخ معتدل يناسب ساكنتها الأوربية الجديدة.

وأخيراً تتوفر مدينة "الرباط" على مجالات حضرية فارغة محمية بأسوار موحدية وعلوية. وقد استغلت سلطات الحماية هذه المجالات لبناء أحيائها العصرية، والمرافق العمومية (بنك المغرب، الخزينة العامة، البريد، قصر العدالة، محطة القطار، مقر الإقامة العامة، مقر الوزارات، الخ...).

وبعد أن تم تعمير المجالات الواقعة داخل الأسوار التاريخية انكبت سلطات الحماية على توسيع المجال الحضري لمدينة "الرباط". وذلك بإقامة أحياء سكنية جديدة خارج الأسوار (كحي السويسي، وحي الطيارات، وأگدال العالي، الخ...).

وفي عهد الاستقلال عرفت مدينة رباط الفتح توسعا حضريا كبيراً على حساب مدارها الحيوي الطبيعي (أراضي زراعية خصبة، مجالات خضراء...) فنتج عن ذلك ظهور أحياء سكنية عديدة منها ما هو منظم ومنها ما هو عشوائي.

أما من حيث التنظيم الإداري فقد عرفت مدينة رباط الفتح تدرجا في الوظائف منذ فجر الاستقلال إلى اليوم. ففي بداية الاستقلال كانت على رأس الضفة الجنوبية عمالة تسهر على تسيير شؤون المدينة، أما مدينة سلا فكانت على رأسها باشوية. ثم انضمتا من حيث التسيير الإداري في إطار ولاية الرباط وسلا منذ سنة 1983، مع تحول سلا إلى عمالة.

وأخيراً وفي إطار التنظيم الجهوي الجديد أصبحت "الرباط" مقراً لرآسة جهة الرباط سلا زمور زعير.

يتضح من خلال هذه الخلاصة التاريخية والأثرية لمدينة رباط الفتح، مدى أهمية الأدوار التي لعبتها هذه الحاضرة المغربية المتجذرة في التاريخ، والتي برزت بوضوح في مختلف المجالات العمرانية، والعسكرية، والسياسية، والدينية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية. ومازالت هذه المدينة العاصمة رباط الفتح تتبوّأ مكانة مرموقة في مختلف هذه المجالات حاليا، ونأمل أن يتحقق ضم شطري هذه المدينة الشمالي والجنوبي - العدوتين - في إطار مجال حضري واحد وموحد، متناسق ومتوازن على صعيد مختلف المجالات العمرانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... وأن تكتمل صورة العاصمة التاريخية والعريقة للمملكة المغربية وقد اندمجت ضفتها الشمالية بالجنوبية، في تكامل وتناغم وتطلع إلى مستقبل مشرق أكثر نمواً وازدهاراً.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، العبر ؛ المراكشي، *المعجب* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ ابن المرابط، *زواهر الفكر*، مخطوط الاسكريال ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. بوجندار، الاغتباط ؛ *مقدمة الفتح* ؛ م. بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*.

G. Mouette, *Histoire des conquêtes* ; P. Dan, *Histoire de la Barbarie* ; O. Dapper, *Description de l'Afrique* ; J. Caillé, *La ville de Rabat* ; H. De Castries, *S.I.H.M.* ; H. Basset, E. Levi-Provençal, *Chella* ; J. Boube, *Sala*.

محمد السمار

**الرباط - سلا - زعير - زمور**، جهة تغطي الجزء الأطلنتي من الهضبة الوسطى وموقعها جنوب سهل الغرب، وشمال أقاليم خريبكة وخنيفرة والشاوية. مساحتها 9.580 كم$^2$ (1,3٪ من مساحة المغرب). وتنقسم إلى ثلاث وحدات جغرافية، حاضرة الرباط - سلا - تمارة، على الشريط الساحلي، هضبة زمور شرقا وهضبة زعير جنوبا، وهاتان الوحدتان تتوافقان تقريبا مع إقليم الخميسات (8.305 كم$^2$).

يتميز هذا المجال الأطلنتي بتأثير واضح للمحيط، مع تغايرات حرارية جد محدودة، ترتفع كلما توغلنا داخل الجهة. والحرارات الدنيا تدور معدلاتها حول 10° بينما القصوى متوسطها 26°. كما ترتفع التهاطلات في المجالات العليا التي تتخذ صبغة جبال وسطى شبه رطبة (655 مم في ولماس).

والمياه الباطنية حاضرة فقط في الشريط الساحلي لهضبتي معمورة وتمارة. بينما المياه السطحية مهمة، تشكل الحوض النهري لبورقراق. وقد شيد سد سيدي محمد

ابن عبد الله في سافلة هذا الحوض، الشيء الذي يسمح بتنظيم 245 مليون متر مكعب، منها ثمانون موجهة لحاجيات الحاضرة. كما شيدت سدود أصغر لضمان ماء الشرب بالنسبة للرماني والخميسات.

تقدر ساكنة الجهة بحوالي 2 مليون نسمة، 75٪ منهم حضر وبذلك تكون الجهة كثيفة السكن، بفضل الحاضرة التي تضم ثلثي السكان فوق 6٪ من مساحة الجهة بينما كثافة إقليم الخميسات تبقى متوسطة (60 ن كم$^2$). والتزايد السكاني مهم بالجهة (2،8٪ سنويا بين 1982 و94)، الشيء الذي يدل على استقبال وافدين على الجهة من خارجها. إلا أن مدينتي سلا وتمارة (4،4٪ سنويا) هما اللتان تسجلان أعلى نسبة نمو، بينما تزايد السكان في الخميسات مساو للمعدل الوطني.

مقدار نشاط السكان في الجهة مرتفع، رغم التأخر في النمو الصناعي والسياحي. ويبقى هذان النشاطان، إضافة إلى الحرف التقليدية والوظيفة السياسية والإدارية، الركائز التي يعتمد عليها تطور الجهة.

فالقطاع الثالث مهيمن بوضوح على النشاط الاقتصادي (56٪ من الساكنة النشيطة). بينما الفلاحة لا تشغل سوى 17٪ من السكان، رغم أن زراعة المنطقة غنية ومتنوعة. كما أن الغابة تلعب دورا هاما بفضل امتدادها على 36٪ من المساحة (جنوب المعمورة، غابات زعير على شراط وكريفلة، وغابات زمور جنوب المعازير). والمساحة الزراعية (50٪ من الأراضي) مكونة أساسا من أراضي بور، بينما السقي محدود في الشريط الساحلي، على شكل حدائق لإنتاج الخضروات. والتدجين الكثيف مهم جدا، حيث تنتج الجهة 35٪ من الدجاج الصناعي الوطني. أما الصيد البحري فهو هزيل جدا.

تلعب الصناعة دورا هاما (8٪ من المصانع الوطنية و9٪ من العاملين في الصناعة). كما أن قيمة الصناعة الجهوية مرتفعة المردود. وجل هذه المصانع في عمالة الرباط (48٪ منها) وتعرف تطويرا هاما من حيث النشاط والتحول التكنولوجي والتشغيل. كما أن الجهة ذات جاذبية عالية بالنسبة للسياحة، لما تحتويه من آثار، وبسبب دور الرباط كعاصمة للإدارة والمصالح.

ترتكز التجارة أساسا في الرباط وسلا (4 / 3 المجموع الإجمالي) وتغلب تجارة التوزيع (قطاعات اللباس والتغذية والتجهيز المنزلي). ويشغل هذا القطاع يدا عاملة هامة. وينضاف إلى هذا القطاع قطاع الأموال والخدمات الذي يتميز بكثرة مصالحه ومؤسساته.

إلا أن أهم ما يميز الجهة، الوظيفة الإدارية والتسييرية لكثير من قطاعات النماء الوطني. وتتركز هذه الوظائف أساسا في مدينة الرباط.

تستجيب الجهة عموما لحاجيات السكان من حيث التجهيزات الأساسية : أكثر من 80٪ منهم يتوفرون على الماء الشروب، و78٪ منهم على الكهرباء في الوسط الحضري، وجمع الأزبال المنزلية، منظم عامة إضافة إلى توفر كثير من المجالات على أجهزة للصرف الصحي، رغم تفاوت هام، تشكو منه خاصة المدن الصغرى بإقليم الخميسات. أما الشبكة الطرقية فهي كثيفة، والنقل يتميز بجودة متوسطة، رغم مشاكل اكتظاظ تهم خاصة مدينة الرباط (15٪ من مجموع سيارات البلد). والتجهيز الصحي متقدم مقارنة مع جهات أخرى من المغرب، رغم أن جل الوحدات مركزة في العاصمة.

تبرز المشاكل عند فحص توجهات النمو الحضري. أولها التركز المفرط على الساحل، ثم تنامي الأحياء الهامشية، وتدهور السكن والمآثر بالمدن العتيقة، كما أن الحاضرة تتلوث بيئتها بسبب ارتفاع مقادير ما تنتجه يوميا من مياه الصرف الصحي والنفايات. فالفرشة الباطنية لمعمورة وتمارة مرتفعة التلوث. وكذا مياه المصب ومياه الساحل. وتساهم المدن الصغيرة مثل الخميسات والرماني في تلويث محيطها هي كذلك.

يعرف ساحل الجهة مجموعة من مظاهر التدهور. أولها المياه المقذوفة من الأحياء التي تشرف على المصب (اليوسفية بالرباط وحي القرية بسلا)، وثانيها مياه القنوات الكبرى للرباط وحي الرياض ويعقوب المنصور وسلا. وهذا ما جعل شواطئ المصب، وكذا الشواطئ الجنوبية في وضع صحي يزيد تأزما أوقات تحرك المياه جنوبا بفعل التيار الساحلي. وهو ما يجعل الصيد خطيرا على الصحة في المياه المجاورة للمصب وفي السواحل القريبة من الحاضرة. من مظاهر التدهور كذلك، التشوه الذي يصيب المواقع الطبيعية الساحلية ومواقع المصب، والتي تتميز أصلا بجماليتها الخاصة المرتفعة. والمسؤول عن هذا التشويه، التعمير العشوائي، وكذا التلوث الناتج عن تراكم النفايات وأزبال البناء. وينتج هذا عن كون الساحل لم يمثل قط اختيارا أساسيا لسياسة التمدين والتعمير بالمنطقة، بل اعتبر غير مؤهل وبذا تم التخلي عن أي توجه من أجل اعداده.

ويمثل مصب بورقراق وسطا خاصا، بيئته ممتازة، إلا أنها تحولت كليا منذ تشيدد سد سيدي محمد بن عبد الله. فالتجابه الطبيعي بين مياه البحر والنهر، لم يعد متاحا، فتحول المصب إلى ذراع بحري لا تسقيه إلا مياه التراقص أوقات المد (دخول مياه البحر إلى عمق بضع كلمترات). ولا يتم تحرير المياه العذبة من بحيرة السد، إلا في بعض السنوات القليلة عندما يرتفع مستوى هذه الأخيرة إلى ما فوق المتوسط. ومنذ توقف الصبيب العادي للنهر، ارتفعت الملوحة وتضاءلت الحركية المسؤولة عن النشاط الحيوي، مما تسبب في تناقص التنوع الاحيائي. هذا المجال، صعب الاستعمال أخيرا بسبب تلويثه المتقدم، وبسبب انتشار منشآت وأحياء سكنية عشوائية على جانبيه. وهو مازال

ينتظر الأنشطة والمشاريع التي من المزمع إقامتها من أجل تحويل هذا المجال إلى منطقة استجمام عمومية، تنبني على فكرة جودة المحيط البيئي وتنوع المشاهد والأنشطة الثقافية والترفيهية.

إلا أن المساحات القابلة لاستقبال المشاريع في مجال الحاضرة صارت محدودة بفعل الخصاص العقاري الذي تشكو منه المجموعة الحضرية. وقد كان هذا أساسا في تحويل أحياء سكنية للفيلات، مثل أكدال، وحي المحيط وحسان، إلى أحياء من العمارت، الشيء الذي أضرب ببيئة هذه الأحياء ضيقة الأزقة، وخلق مظاهر اكتظاظ هامة. كما أن هذا كان سببا في هجرة العديد من العائلات إلى سلا أو تمارة. وتسبب أخيرا في تقدم أحياء الفيلات في اتجاه عين العودة والصخيرات، على حساب الأراضي الزراعية.

أما على الساحل، فإن انتشار الأحياء السكنية الفقيرة، يمنع من تصور إعداد متوازن لهذا الشريط، يراعي التكامل بين بيئة متنوعة، وأنشطة اقتصادية وخدمات، يكون لها النفع الاقتصادي المطلوب. فمن الصعب تحويل هذا الشريط إلى مجال للاستجمام والترفيه، في ظل الكثافة السكانية الحالية، والتلوث المرتفع. ولا ينطلق المجال السياحي إلا ما وراء هرهورة، حيث تنتشر العديد من المساكن الرفيعة، بعضها مساكن أساسية وأخرى ثانوية (صيفية). ويمتد هذا الشريط السياحي بموازاة مع تقدم العمران في تمارة - الصخيرات الداخلية، وبينها أراضي فلاحية هي في طور الانقراض.

أما المدينة العتيقة فهي في مواجهة أزمة الحرف التقليدية والكثافة المفرطة للسكن، الذي يؤدي إلى تدهور المباني، والمآثر التاريخية. فالكثافة تصل فيها إلى ما بين 650 و700 ن في الهكتار. والكثير من المباني تتطلب التدعيم أو التجديد. إلا أن المدينة ظلت رغم ذلك موقع اجتذاب، بسبب نشاطها التجاري المتطور.

وينتشر السكن غير اللائق على مساحات هامة داخل الحاضرة. فقد تم إحصاء ما مقداره 36.000 أسرة تعيش في مدن القصدير، و87.000 عائلة تسكن في سكن غير قانوني. وعمالة تمارة تضم أعلى نسبة لهذا السكن غير اللائق الذي يتطلب تدخلا عاجلا من أجل إصلاح أوضاعه.

عبد الله العوينة

**جهة الرباط - سلا - زمور - زعير**

**رباط أگوز**، وردت الإشارة إليه بنعوت مختلفة ورسم متباين كما يلي :

| النعت | الرسم | المصدر |
|---|---|---|
| رباط | قوز | *المغرب*...، 153. 154 |
| مرسى | جوز هرتنانة | *الاستبصار*، 207 |
| قرية | اوجوز | *التشوف*، 355 |
| | اوجوز = أگوْز | *التشوف*، هامش 101 |

هو واحد من حلقات سلسلة رباطات رگراگة المحاذية لمجال بورغواطة، كرباط شاكر ورباط عقبة ( *التشوف*، 51 . 126 . 218 . 262 . 316 . 354 . 365 . 374 . 385 . 394 . 402 . 425 . 401). كان يقع عند مصب وادي تانسيفت ( *كتاب الجغرافيا*، 25) اختفى ولم تبق له آثار. ويستفاد من التشوف ان قاعدة رگراگة في عهد التادلي كانت هي أگوز وكانت مرسى على البحر وقد نعتها المؤلف بقرية أگوز ولكنه أشار إلى أنها كانت مقر العامل وبها يجبى الخراج وكان بها سجن ومسجد جامع... ( *التشوف*، 24).

لا نعرف شيئاً عن طبيعة حركة التصوف التي كانت قائمة به، وابن الزيات هو الوحيد الذي قدم إشارتين في الموضوع عبارة عن كرامتين للصوفي أبي إبراهيم إسماعيل بن وجماتي الرگراگي وقعتا في أگوز ( *التشوف*، 355 . 356). وعلى الرغم من عدم إشارة جورج مارسي لأية وظيفة جهادية لهذا الرباط ضد بورغواطة (*Note sur les ribats*, 30). فقد استبعد روزنبزجي اعتبار ذلك نفيا لها لسببين مترابطين أولهما : تزامن نشاط الرباط مع وجود بورغواطة، ثانيهما كون وظيفة الجهاد ضد هذه الإمارة كانت من بين المشاغل المميزة للرباطات المجاورة لها من الجنوب والشمال (*Note sur Kouz*, 43 - 46) وهو اجتهاد تعززه الإشارات التي احتفظ بها ابن عبد الحليم في رسالته على الأقل بالنسبة لرباطات رگراگة (*رسالة في اتجاه القبلة*، 15 . 16) والدلالة المحلية لاسم أگوز بالذات التي تفيد الرباط كمكان للمواجهة العسكرية الدفاعية بالخصوص (أ. التوفيق، من *رباط شاكر*، 48).


البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، القاهرة، د. ت. ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار*، تح. سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ ابن سعيد المغربي، *كتاب الجغرافيا*، تح. إسماعيل العربي، بيروت، 1970 ؛ ابن عبد الحليم، *رسالة في اتجاه القبلة*، مخطوط ؛ أ. التوفيق، من *رباط شاكر إلى رباط أسفي*، ضمن أعمال : *أبو محمد صالح، المناقب والتاريخ*، الرباط، 1990.
G. Marçais, *Notes sur les ribats en Berbérie, mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman*, Tome I, Alger, 1957 ; B. Rosemberger, *Note sur Kouz*, *H.T.* 1967.


محمد رابطة الدين

**رباط الجويمع**، أحد الربط الجهادية الحديثة المقامة للحراسة المغربية بميدان سبتة المحتلة، ظهر هذا الرباط أول مرة نتيجة التغيير الطارئ على موقع الحراسة المغربية، بإبعادها من موضعها القديم بقصر أفراك الذي حلت به حامية سبتة نحو الغرب في اتجاه جبل بنيونش، وذلك بناء على قرار تعيين الحدود المعبر عنه في اتفاق 1260 / 1844.

وقع اختيار الجانب المغربي المرة الأولى على نقطة واقعة في الضفة اليسرى من مجرى واد فاس بجوار قالة الرمل المعروفة لدى الإسبان بقالة بينيتيس. غير أن أهل أنجرة القائمين بالحراسة أشاروا بعدم صلاحية المكان المختار، نظرا لانخفاض سطحه وعدم وضو ح الرؤية في اتجاه محطة الحراسة الإسبانية، لهذا السبب تقدموا بطلب تغيير الموقع ونقله إلى المكان المعروف لديهم بالجويمع، باعتباره أكثر ارتفاعا، يسمح بامتداد البصر إلى كل من أفراك القصر المريني، موقع الحراسة الإسبانية وإلى مباني وأسوار سبتة.

وبالاستفادة من البيانات المقدمة من طرف الوثائق الإسبانية عن موقع الرباط الجديد، يتبين أنه واقع بجوار شاطئ بحر الرمل، مما يقابل قصر أفراك المريني، حيث سبق وجود مسجد صغير تم بناؤه على ما يبدو خلال فترة الحصار الإسماعيلي للمدينة المحتلة على يد الباشا علي بن عد الله الحمامي. وباعتبار المعلومات المتوفرة عن الموقع نجد أنه موافق لما سبق للإسبان أن أشاروا إليه في خريطة سنة 1767 بحرف L. المخصص لمرابطة فرقة عبيد البخاري خلال الحصار المذكور.

ظهرت الحراسة بإزاء الجويمع في موقعين اثنين، الأول منهما خصص لمرابطة المشاة، يبعد عن خط الحدود بمسافة أربعة وثلاثين مترا، وبالتالي فهو بمحاذاة الجويمع مما يلي الشرق. وخصص الموضع الثاني لمرابطة الفرسان يوجد مكانه متأخراً عن المشاة وعلى بعد أربعين مترا من خط الحدود.

كان رباط الجويمع النقطة المتقدمة للقيادة العليا المرابطة بقلعة الدار البيضاء سابقة الترجمة. وإلى هذا الرباط كانت تأتي مساهمة قبيلة أنجزة لحراسة الحدود الجديدة ومنع الإسبان تجاوزها بقطعان الأغنام، وكانت الحراسة التي جرْت العادة باستبدالها كل خمسة عشر يوما بما يساوي عشرين نفرا هي مقررة ما يجري من أحداث الميدان، وموضع الاستشارة من طرف رئيس الحراسة، قائد الدار البيضاء. وسيبقى الرباط قائما إلى أن يحتله الإسبان سنة احتلال تطوان في 1860.

*وثائق خ. ح ومديرية الوثائق الملكية ؛ ح. الفكيكي، مشروع كتاب ثغورنا المحتلة، جولة عبر المراحل التاريخية.*

حسن الفكيكي

**رباط الخير**، اسم ظهر في أوائل السبعينيات من القرن العشرين، وحلّ محل اسم أهرْمُومُو. ويطلق على تجمع سكني ظل كمركز صغير إلى 1992 حيث أصبح بلدية.

يقع رباط الخير بدائرة المنزل، إقليم صفرو، جهة فاس - بولمان بعدما ظل طيلة فترة الاستعمار وبعد الاستقلال تابعا لدائرة تاهلة بإقليم تازة.

يستقرّ بأقصى جنوب شرق هضبة رباط الخير المنزل (كوس Causse) على ارتفاع 1100 م. وهو بموضعه هذا يشرف على وادي زلول حيث تبقى الارتفاعات في حدود 800 - 900 م والذي يشكل مجال فصل بين جزئي الأطلس المتوسط الشمالي : المنضدي شمالا والملتوي جنوباً وشرقاً الذي تصل به الارتفاعات إلى 3190 بجبل بويبلان و3326 م بجبل بوناصر وتقسو به الطبيعة تضاريسا ومناخاً.

يشكل رباط الخير بفضل موقعه هذا نقطة وصل واتصال بين الجبل من جهة والهضبة والسهل من جهة أخرى، شأنه شأن مراكز أخرى مثل المنزل وصفرو والحاجب، وقطبا تلتقي به مجموعات بشرية متعددة تقطن المنطقة مثل بني علاهم وبني وراين الغربيين وبني يازغة وآيت سغروسن حريرة بالإضافة إلى إغزران للتبادل منذ القديم.

ومن دون شك عمل فتح وبناء مجموعة من الطرق المعبّدة والمسالك التي تربط المركز بظهيره وبمدن وأقاليم بعيدة على تقوية هذا الدور.

ويبدو أن لهذا المركز تاريخاً طويلاً وظروف نشأة مشابهة لما عرفناه بالنسبة لعدد كبير من المراكز والمدن المغربية. فقد يكون ظهر على شكل قصبة في عهد السلطان مولاي إسماعيل (ق 17) انضاف إليها فيما بعد زاوية تجانية وسوق تنعقد يوم الاثنين.

إلاّ أن تطوره ظل بطيئاً إلى مجيء الاستعمار بسبب غياب الأمن والاستقرار بالمنطقة المرتبط بزحف بني وراين نزولا من الجبل (تاتكرارمت) نحو واد إيناون وما صاحب ذلك من صراعات أشار إلى بعضها عبد الرحمان المودن واستمعنا بنفسنا إلى الحديث عن الكثير منها من طرف المسنين بالمنطقة.

تقوى دور المركز كقطب محلي أيام الاستعمار بسبب اختياره كنقطة عسكرية متقدمة أمام الجبل العاصي والرافض للاستعمار وكمقر لمكتب شؤون السكان المحليين (Bureau des Affaires Indigènes) وهو ما دفع إلى بناء ثكنة وبعض المحلات الإدارية على مقربة من السوق شكلت النواة الأولى.

لكن كل ذلك لم يطور كثيراً من وضع التجمع الذي لم تحظ به في 1936 سوى 498 نسمة منهم 26 أجنبي و4 إسرائيليين مغاربة.

وطيلة فترة الاستعمار لم يتطور التجمع كثيراً باستثناء بناء مدرسة ومستوصف ومحطة للبنزين، وبعض المتاجر في ملكية اليهود : وظهور بعض منازل الأعيان.

غداة الاستقلال ستعمل ظروف مختلفة ومتفاعلة على جعل هذا المركز يتأرجح بين فترات انتعاش وفترات رُكود.

فخلق مدرسة عسكرية (1956) لتكوين ضباط الصف به وما صاحب ذلك من توسع في الحاجيات المختلفة ساهم في توسع الأنشطة في قطاع الخدمات والبناء وفي الرواج.

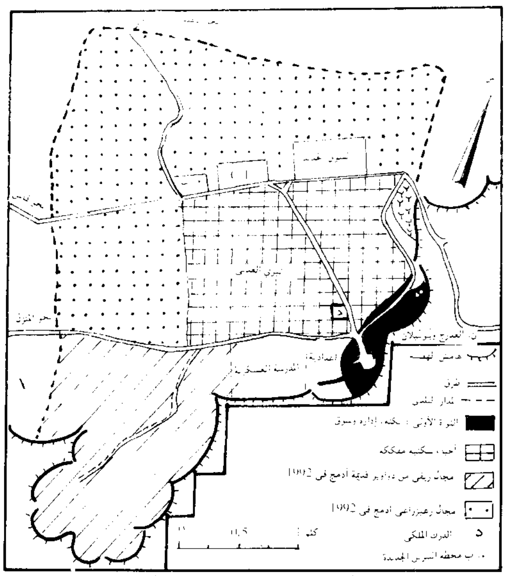

مرفلوجيـــة رباط الخير في 2001

أما عودة عدد كبير من قدماء المحاربين "الكوم" وتطلعهم إلى العيش في ظروف أفضل من التي يوفرها لهم الدوار مما دفع بالكثير منهم إلى الاستقرار بالمركز "الفلاج Village" حسب تعبيرهم فقد ساهمت بدورها في تطور هذا الأخير. كما ساهم فيه بعض أبناء المنطقة "القبيلة" الذين ساعهم الحظ لولوج المدرسة أيام الاستعمار والوصول إلى مناصب محترمة.

وأخيراً لابد من التذكير بمجهودات الدولة من أجل تطوير المنطقة وتحريك عجلة التنمية بها. وهو ما انعكس محليا في خلق جماعة إغزران القروية التي يوجد مقرها برباط الخير، والإبقاء على القيادة به وخلف مقر للدرك الملكي، ومكتب للبريد ومركز للأشغال الفلاحية ... وإدخال الكهرباء والماء الشروب.

صاحَبَ هذا التطور ارتفاعٌ في عدد السكان الذي مرّ من 498 نسمة في 1936 إلى 996 ن في 1960 ثم 2020 نسمة في 1971. والملاحظ أن تضاعف العدد بعدما تطلب ربع القرن بين 1936 و1960 لم يتطلب سوى 11 سنة بين 1960 و1971 وهي فترة ذهبية.

لكن توقف نشاط المدرسة العسكرية منذ بداية السبعينيات وتراجع الكتلة النقدية التي كانت تروج بها عملت على تباطئ النمو والتوسع العشوائي وما يصاحبه من مشاكل. ففقدان الوظيفة العسكرية كان من وراء عدم تسجيل ساكنة المركز لزيادة كبيرة منذ السبعينيات بحيث لم يزدد عدد السكان بين 1971 و1982 سوى ب 430 نسمة. أي بنسبة نمو ضعيفة لا تتعدى 21،3٪ في الوقت الذي عرفت فيه مراكز مجاورة نسبة نمو مرتفعة وصلت إلى 40،2 بالمنزل مثلا و255،4٪ بتاهلة.

ورغبة في إنعاش المركز وجعله قطب تنمية وإشعاع بالنسبة لظهيره تم إحداث إعدادية به وتحويل مكان السوق (1981) وخلق دار للشباب وخلق ثانوية (1995) وتجهيزات أخرى.

وفي التقسيم الترابي لسنة 1992 ارتقى رباط الخير إلى مستوى بلدية تضم في مدارها مجموعة من الدواوير ومن جزر المنازل المتفرقة وكذلك أراضي لازالت زراعية. وهذا الإقحام لمجموعة من السكان الريفيين في المدار البلدي هو الذي يفسر قفزة ساكنة رباط الخير من 2450 نسمة في 1982 إلى 8373 نسمة في 1994. وبقدر ما ساهم هذا الإقحام في الرفع غير العادي لسكان المركز بقدرما تسبب في انخفاض سكان الجماعة القروية الذين لم يتطور ظاهريا بالرغم من إضافة سكان دواوير بني مكود من جماعة الزراردة المجاورة لهم.

انطلاقا من هذه المعطيات يمكننا القول بأن رباط الخير بالرغم من قدمه لم يتطور كثيراً ويكتسب الطابع الحضري بعد. وهو ما يلمسه المرء من خلال أنشطة سكانه ومن مرفلوجيته. فسكان المركز حاليا يتشكلون في حدود ضيقه من الموظفين (في الإدارة والتعليم والصحة...) ونسبة كبيرة جداً منهم مازالو فلاحين. يضاف إليهم نسبة من المتقاعدين الذين استقروا به رغبة في ظروف عيش أفضل من التي توفرها الدواوير. أما العاملون في التجارة والحرف فعددهم قليل إذا نحن اعتبرنا المحلات القارة. وكثير من الأسر تعيش على موارد خارجية (حوالات، معاشات...).

من الناحية المرفلوجية أهم ما يفتقر إليه المحيط البلدي هو التجانس والتماسك. فالأحياء مفككة وأحيانا متباعدة ومتجاهلة. ويجوز الحديث عن وضع فوضوي.

فعلاوة على المساحة الواسعة التي تشغلها المدرسة العسكرية وملحقاتها والتي تشكل بواراً فاصلاً بين أحياء سكنية وعلى النواة القديمة المجاورة لها من الجهة الشمالية الشرقية حيث مقر القيادة وثكنة ومساكن القوة المساعدة (المخازنية) ومكان السوق القديم والتي تعاني من مظاهر التدهور هناك أحياء ودواوير مشتتة جنوب غرب المدرسة العسكرية وعلى طول طريق تاهلة شمالا ويتيزي العدني وعلى طريق المنزل زاوية بوكرين (الرسم)

وهي أحياء وجزر ودواوير مفصولة عن بعضها بمسافة كبيرة نقدرها مثلاً بين أحياء عين أغبال في الجنوب الغربي وأحياء كدية المهرس في الشمال الشرقي بـ 3 كلم. وهذا الوضع يطرح مشكلا كبيراً للمجلس البلدي.

بالرغم من مزايا موقع رباط الخير ومن ارتباطه بالظهير وبالمدن والأقاليم المغربية الأخرى بسهولة لايبدو أن تطور رباط الخير وانتعاشه اقتصاديا أمراين سهلان بعدما فقد وظيفته العسكرية التي أوجدته والتي رفعت شأنه بعد الاستقلال. فتهميشه لمدة طويلة جعل ساكنته شبه راكدة من الناحية الديمغرافية ونواته الأصلية متدهورة. ومجال مدرسته العسكرية الذي كان يُهاب بواراً. ونسيجه متقطعاً ومتنافراً.

وإعطاؤه صفة بلدية يبقى إجراءً غير كاف لحل مشاكله الكثيرة خاصة توفير البنى التحتية وهيكلة المجال البلدي الشاسع وضمان فرص الشغل بدون ركائز اقتصادية قوية. فموارد البلدية محدودة وهو ما لا يسمح بحل هذه المشاكل بسرعة.

وكيفما كان الحال فالحل لن يتم بدون تنمية ظهيرة وبدون اعتباره في خريطة الأقطاب بالمنطقة. وانتعاشه قد يكون في إعادة فتح المدرسة العسكرية لأغراض تكوينية عسكرية كانت أو مدنية وفي تنميته السياحة بالجزء الجبلي إنطلاقا منه وربما في الاعتناء به بما فيه الكفاية من طرف أبنائه الذين درسوا به منذ أيام ومنه وصلوا إلى وضعهم كمسؤولين اليوم. فانتعاش المركز وعودة شهرته وإشعاعه هو أمانة في عنقهم كذلك وحق له عليهم.

ع. الرحمن، المودن، *البوادي المغربية قبل الاستعمار، قبائل إيناون والمخزن بين القرن 16 و19*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 25، الرباط، 1995 ؛ أ. القدميري، *إطلالة على دائرة تاهلة، منوغرافيا*، عمالة تازا، 1982.

M. Kerbout, *Quelques aspects de l'urbanisation des régions marginales au Maroc et leur signification, cas du Moyen Atlas et du bassin de la Moulouya*, in *La ville moyenne au Maghreb. Enjeu de la décentralisation et du développement local*, Actes de la Vème rencontre culturelle de Sefrou, pp. 45 - 58, Sefrou, 1991 ; E. Zaanoun, *La confédération des tribus Aït Waraïn. Etude géographique de l'évolution d'une tribu berbère*, Thèse de troisième cycle, Géographie de l'aménagement, Université de Paris VII, 1982 - 1983 ; Direction de la Statistique, *Résultats des R.G.P.H., 1960, 1971, 1982 et 1994*.

محمد كربوط

**رباط شاكر**، نسبة إلى شاكر بن عبد الله الأزدي أحد التابعين، دخل مع عقبة بن نافع الفهري الفاتح للمغرب سنة 62 / 681 الذي أوغل في الغرب سائراً وساحل البحر حتى صار بأحواز طنجة ثم واصل السير حتى بلغ البحر عند ماسة، وقبل عودته إلى الشرق خلف شاكراً هذا بصفته أحد مشاهير التابعين ليعلم المصامدة القرآن وأمور دينهم بهذا الرباط الذي يبعد عن مدينة مراكش حالياً بحوالي 85 كلم على طريق الصويرة، وهو أقدم رباط عرف بالمغرب، وقد شارك رجاله بنصيب كبير في قتال برغواطة عند ظهورهم بمنطقة تامسنا في أوائل القرن الثاني، منهم يعلى بن مصلين الرگراگي الذي قاد حروبا عديدة ضد البرغواطيين والذي جدد رباط شاكر تخليداً لذكراه وتمسكا بمذهبه ( *التشوف*، ص 26).

وقد ظل هذا الرباط مركزاً للجهاد والمجاهدين وملتقى للعلم والعلماء المتصوفين إلى القرن السابع (13 م) وما بعده حيث ذكر ابن الزيات (ت. 627 / 1229) أن من عادة عدد كثير من علماء المغرب وأوليائه وصلحائه أن يسافروا في كل رمضان إلى هذا الرباط من أجل ختم القرآن، وكانت منابر الوعظ تقام وحلقات الدرس تعقد من أجل نشر الإسلام وتثبيت تعاليمه في نفوس المصامدة وغيرهم(*التشوف*، ص. 51).

وقد جدد السلطان محمد بن عبد الله العلوي بناء رباط شاكر سنة 1178 / 1764 أثناء بنائه لمدينة الصويرة، ومازال ضريح هذا المجاهد الكبير يتراءى شامخا مزهوا بأعماله الخالدة يلحظه الزوار والمارون وسط قبيلة احمر على الضفة اليمنى لوادي تانسيفت إلى اليوم.

ع. ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، ص. 63 ؛ ابن الزيات، *التشوف إلى رجال التصوف*، ص. 26 ـ 51 ؛ الصديق بن العربي، *كتاب المغرب*، ص. 143.

محند أيت الحاج

**رباط عقبة**، يقع ضمن مجال قبائل مصامدة الأطلس الكبير الغربي في بلد نفيس الذي كان من عمل مراكش ( *التشوف*، 400 ـ 401). ولعله المقصود أيضاً عند ابن الزيات بمسجد عقبة الذي بعدوة وادي نفيس ( *التشوف*، 315). واستخلص ابن عبد الحليم من تسمية المسجد نسبته إلى عقبة بن نافع الفهري (*رسالة في اتجاه القبلة*، 14) مستندا في ذلك إلى الإشارة التالية للبكري : "مدينة نفيس... غزاها عقبة بن نافع... وبنى بها مسجداً إلى اليوم" ( *المغرب*، 160) وقد ورد ما يقرب من نفس المعنى عند ابن عذاري كما يلي : "قال الإشبيلي في كتابه *المسالك* : إن المسجد الذي على وادي نفيس بناه عقبة" ( *البيان*، 27).

يرجع تاريخ تأسيس المسجد حسب رواية البكري إلى عام 62 هجرية / 681 ميلادية ( *المغرب*، 160) بينما يظل مجهولا تاريخ ظهور الرباط، أو تحول المسجد إلى رباط، وإطلاق اسم الرباط. ومع ذلك فإن افتراض تاريخ مبكر لظهوره يبدو وارداً لأنه نشأ في سياق ظرفية دخول الإسلام إلى المغرب، ضمن شبكة المساجد الأولى التي أنيطت بها مهمة تركيز ونشر الدين الجديد في إطار جغرافي عرف فيما بعد الجوار مع مجال نفوذ بورغواطة من الجنوب وما ترتب عن ذلك من تحول حدود الجوار إلى خط للمواجهة ضد أهل النحلة البورغواطية (*رسالة*، 15) لكونهم كفارا في نظر السكان المحليين ( *التشوف*، 52).

لم تقدم المصادر المتداولة اسم أي موقع صوفي آخر ينتمي إلى نفيس : البلد أو المدينة أو العدوة، وعليه يصبح رباط عقبة إمّا الرباط الوحيد بالمجال أو الأكثر شهرة به، ولعل مما يُسْتَأْنَسُ به بالنسبة للاحتمال الأول ما يبدو كحضور خافت لأهل الولاية والصلاح، تستشف بعض مؤشراته من جهة في توجه أهل نفيس إلى السوس عند واجاج بن زلو اللمطي لطلب الاستسقاء بعدما أصاب بلدهم الجدب ( *التشوف*، 89 ـ 90) ومن جهة ثانية في تلمذة مريدين من أهل نفيس على شيوخ من خارج نفيس كأبي محمد عبد الحليم الأيلاني من أهل قرية تاووتي، شمال مراكش ( *التشوف*، 33). أما الاحتمال الثاني فتلاحظ بعض مؤشراته في شهرة الرباط خارج نفيس، وبالذات في العاصمة الموحدية، مما جعل منه إطاراً جغرافياً لبعض كرامات الصوفي أبي العباس أحمد الصنهاجي الجباب، نزيل الجانب الشرقي من مراكش ( *التشوف*، 314 ـ 315) وفي اعتباره كان مركز نشاط الصوفي الوحيد المعروف بمجال نفيس أبي ولجوط تونارت بن واجُرّام الهزميري ( *التشوف*، 400 ـ 401).

أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، القاهرة، د. ت.؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ ابن سعيد المغربي، *كتاب الجغرافيا*، تح. إسماعيل العربي، بيروت، 1970 ؛ ابن عبد الحليم الايلاني، *رسالة في اتجاه القبلة*، مخطوط ؛ ابن عذاري، البيان، الجزء الأول، تح. جورج كولان وليڤي بروڤنسال، بيروت، د. ت.

محمد رابطة الدين

**رباط ماسة**، من أشهر مواقع المغرب المقدمة على مستوى ما حفظت لنا النصوص المكتوبة أو الذاكرة الشعبية والشفوية التي مازال يغذّيها الخيال الجمعي. وإضافة إلى البعد الديني لهذا الرباط، نجد بعداً سياسيا واجتماعيا تجلى في ظاهرة المهدوية لرصد العناصر المؤسسة لهذه الهالة الروحانية والدور التاريخي لهذا المكان، ستقوم بمسائله بعض النصوص المتوفرة حول الموضوع.

يربط ابن عذاري ماسة ببداية أسلمة المغرب، وخصوصا

بتلك اللحظة التاريخية التي وصل فيها عقبة بن نافع إلى المحيط : "قال أبو علي [أبو علي صالح بن أبي صالح] ثم سار عقبة من إيجلي حتى وصل ماسة فادخل فرسه في البحر حتى وصل الماء تلابيبه وقال : "السلام عليكم ! يا أولياء الله، فقال له أصحابه : على من تسلم ؟ قال : على قوم يونس عَم ! ثم قال : "اللهم إنك تعلم أني لم أطلب إلا ما طلب عبدك ووليك ذو القرنين ألا يعبد في الأرض غيرك" (ابن عذاري، ص. 27).

يشير اليعقوبي في "كتابه *البلدان*" لمسجد ورباط ماسة : "وماسة قرية على البحر تحمل إليها التجارة وفيها المسجد المعروف بمسجد بهلول وفيه الرباط على ساحل" (اليعقوبي، ص. 360).

وفي سنة 542 سيقودمحمد بن عبد الله بن هود الماسي ببلاد سوس الأقصى حركة مهدوية ذاع صيتها ( *الحلل الموشية*، ص. 146). وأكد ابن خلدون أن العامة في سوس يعتقدون أن المهدي المنتظر سيخرج من رباط ماسة.

لقد كانت منطقة سوس، موطن العديد من الثائرين على السلطة المركزية أو الباحثين عن تأسيس سلطة بديلة، مؤسسين خطابهم التحريضي على توظيف خطاب ديني صوفي ذي نبرة مهدوية قوية. وشكل رباط ماسة بتاريخه المترسخ في القداسة، مع ما يحاك حوله من أساطير، مركزاً لانطلاق مشاريع هؤلاء الثائرين، لقد كان شائعا أن كل مشروع سياسي يراد أن يكتب له النجاح، يجب أن ينطلق من ماسة، واستمر مفعول هذه المعتقد حتى بداية القرن الرابع عشر (20 م) حيث نجد الهبة يبدأ حركته سنة 1912 بقرب رباط ماسة وسارع أنصاره "يستخرجون مسجدا مردوما هناك بالرمل، وفي الملاحم إن ذاك المسجد لا يستخرجه إلا مهدي" ( *المعسول*، ج. 4، ص. 123).

إضافة إلى ما نقلت لنا المصادر التاريخية، فإن الرواية المحلية بحكاياتها الأسطورية وما أنتجته كذلك من أدبيات مكتوبة زادت من هيبة المكان. هذه الرواية ركزت بالأساس على مسجد رباط ماسة بإظهار بركته وفضائله استناداً إلى أحاديث منسوجة من مخيلة واضعيها وهو ما يدل على عمق التأثير الذي مارسه (ومازال) هذا الرباط، الذي لن يكشف عن بعض أسراره إلا بإنجاز أبحاث ميدانية أركيولوجية خاصة في موقع المسجد الذي ردمته الرمال.

ع. الرحمن ابن خلدون، مقدمة، بيروت، 1993 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، تح. ج س. كولان وليڤي بروڤنسال، بيروت ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، 1965؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء، 1979 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، 1983 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1961 ؛ أ. اليعقوبي، *كتاب البلدان*، ليدن، 1891.

J. Chebbi, *Ribât, E.I.*, Nlle éd., VIII, pp. 511-523 ; H. Ferhat, *Littérature eschatologique et espace sacré au Maroc : le cas de Massa, S.I.*, 80, 1994, pp. 47 - 56 ; W. Madelung, *al-Mahdi, E.I.*, Nlle éd., V, 1221-1228 ; R. Montagne, *Coutumes et légendes de la côte berbère du Maroc, Hesp.*, tome IV, 1924, p. 101- 102.

رحال بوبريك

**رباط** أبي **محمد صالح**، يقع اليوم وسط مدينة أسفي وكان قبلُ خارج الأسوار. له شهرة كبيرة في المغرب والمشرق منذ تأسيسه على يد الشيخ أبي محمد صالح الماجري المتوفى عام (631 / 1238). وقد اشتهر بطريقته القائمة على الدعوة إلى حج بيت الله الحرام مهما كانت الصعوبات والمخاطر التي تعترض الحجاج آنذاك، وجاءت مبادرته للقضاء على البلبلة التي أثارتها الفتاوى المضادة مثل ما جاء في جواب ابن رشد الكبير الذي استفتاه علي ابن يوسف المرابطي في شأن المفاضلة بين الحج والجهاد من الأندلسيين وأهل العدوة وذلك عام 515 / 1121 فكان جوابه : (بأن الحج ساقط عنهم باعتبار انعدام أمن الطريق وأن الجهاد أفضل). وفي هذا الاتجاه سار فقهاء دكالة الذين أفتوا بسقوط الحج عن أهل المغرب ( *المنهاج الواضح*، 351). وفي مواجهة هذه الفتاوى جاءت دعوة صاحب هذا الرباط الشيخ أبي محمد صالح للحث على الحج والزيارة، وسنَّ لذلك طريقة جعل من بين أركانها الأساسية : حث المنخرطين فيها على البدار بالمسير لأداء فريضة الحج وسنة الزيارة دون أن يقبل من أحد عذرافي التأخير وبالأحرى التخلف عن هذه الشعيرة المكملة لإسلام المريدين، ثم لم يزل ذلك سيرة من جاء بعد الشيخ من مقدمي تلاميذه الذين حملوا لواء هذه الطريقة فأسسوا مراكز لنزول المسافرين انطلاقا من رباط أسفي وانتهاءً عند الحرمين الشريفين تطبيقاً للتنظيمات التي سنّها الشيخ لطريقته والتي منها :

1 ـ نصب مقدَّمين للحجاج موزعين بين الجهات التي بها مريدوه.

2 ـ توصية الحجاج بالسفر على طريق البر، ومنع ركوب البحر عليهم تفاديا لأخطار القرصنة البحرية.

3 ـ تنظيم مراكز نزول المسافرين ـ كما ذكرنا ـ من رباط أبي محمد صالح بأسفي إلى الحرمين الشريفين ويرد اسمها في المصادر التاريخية باسم (رباط الحجاج) أو زاوية دكالة أو ما يدل على ذلك.

4 ـ تجهيز هذه المراكز بالقائمين عليها من خيرة تلاميذ الشيخ ومريديه.

ولهذا كله أصبح لرباط أبي محمد صالح بأسفي صيت كبير في أنحاء العالم الإسلامي كمؤسسة دينية سياسية لها فروع تمتد من المغرب إلى المشرق. وهي مدعمة بطريقة روحية عالية النفس لا تزال نفحاتها تسوق المومنين من المغاربة للتضحية بالغالي والنفيس من أجل أداء فريضة الحج والقيام بسنة الزيارة مرة أو عدة مرات.

وعن تصميم رباط أبي محمد صالح الماجري يحدثنا ابن مرزوق في القرن الثامن (13 م) حيث يقول عنه وعن المشرفين عليه : "وقد كان تصميم بنائه ونظام أصحابه يتميز عن الرباطات المغربية، ويقلد نمط رباطات المشرق التي لم ير في المغرب على سبيلها ونمطها إلا رباط أبي محمد صالح هذا وزاوية أبي زكرياء بسلا ولا ثالث لهما في ملازمة السكان وصفاتهم وشبههم بمن ذكر في المشرق".

وبذلك حققت دعوة أبي محمد صالح للحج والزيارة هدفها في حياته وبعد مماته، فأصبح رباطه مركزاً ومنطلقا لطريقته التي امتد إشعاعها في الزمان والمكان لينير المغرب والمشرق عبر التاريخ الإسلامي.

م. الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ *أعمال الملتقى الفكري الأول لمدينة أسفي*، 1988 ؛ أ. الماجري، *المنهاج الواضح* ؛ ص. ابن العربي، كتاب *المغرب*، بيروت، 1984.

محند أيت الحاج

**رباط مليلة**، أو رباط الكرمة، هو مركز الحراسة والجهاد الذي أنشأه علي العطار الأندلسي، قائد المجاهدين بقلعية خلال العقد الأول من القرن العاشر (16 م). تحتم إنشاؤه رغبة في إحداث مركز لحراسة دائمة تجاه تحصينات مليلة المحتلة، وهو تابع لتنظيمات جهاز المراقبة الذي كانت قيادته العليا بقلعة تازوطا. وقد تعرفنا على موقع الرباط من خلال رسم فرانسيسكو دي ميراندا، صاحب *المذكرات* الخاصة بحصار سيدي محمد بن عبد الله لمليلة خلال سنتي 1774 و1775.

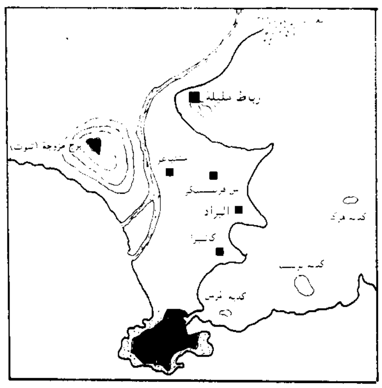


يقع رباط مليلة على ما يقرب من ألف وأربعمائة متر داخل الحدود المحتلة في الوقت الراهن عند آخر منحدرات كدية المعازيز السفلى، وهو يحتل حاليا المكان المعروف باسم Parque Eventual، غير بعيد عن مجرى واد المدور أثناء مروره بقنطرة تيسوريو Tasorio القائمة على طريق فرخانة. ويعلو مكان الرباط على كدية يصل ارتفاعها نحو عشرين مترا عن سطح البحر. أختير الموقع لإشرافه على فحص المدينة المنبسط بينها وبين كدية الرباط. وقد وافق هذا الاختيار أيضا وجود مجرى واد المدور الذي يصب عند قدم المدينة وما يحيط بضفتيه من غابة القصب، حسب تعبير وثائق القرن العاشر (16 م) وما بعده.

ورغم اختفاء معالم الرباط في الوقت الحالي بسبب التخريب الذي تعرض له بعد احتلال موقعه سنة 1863 من طرف حامية مليلة، فقد دلنا التجول بالمكان على وجود سور صغير مربع الشكل، أبعاده التقريبية 36 x 40 مترا (1440 م$^2$)، تبرز منه شجرة باسقة. ونعلم أن المساحة كانت متوفرة على مسجد.

سلك القلعيون للقيام بوظيفة الحراسة بالرباط والجهاد طريقة النوبة. وكانت للحراسة بالرباط أطرها الممثلة في شخص رئيس المجاهدين المدعو بالمقدم، وهو في نفس الوقت رئيس الفرقة التي يمثلها ضمن التقسيمات القلعية الأربع المعروفة. وقد قدم لنا أحمد بن القاضي الگعداوي القلعي أسماء بعض رؤساء رباط مليلة، وكذا الوثائق الإسبانية، أمثال محمد الشاوي أيام المولى الرشيد ومحمد بن مسعود القيطوني الكعداوي خلال العهد الإسماعيلي وابنه عمر والطاهر بن عمر القيطوني خلال حرب الثلاثين سنة التالية لوفاة المولى إسماعيل، وأحمد الرتبي وابنه محمد المشار إليهما في مكانه.

اعتمد رباط مليلة على السلاح التقليدي فلم يعرف السلاح الناري المتمثل في البنادق إلا في سنة 1558، ولم يستغل القطع المدفعية إلا أثناء حصار مليلة خلال سنتي 1774 و1775. وقد توقف استعمال المدافع بين مليلة والرباط بناء على اتفاق 1785، ثم أعيد إلى استعماله. وقد أمد المولى عبد الرحمن بن هشام بناء على طلب القلعيين رباط مليلة بقطعة مدفعية حسب مراسلة مؤرخة في13 جمادى الأولى عام 1258 بمناسبة إحياء سنّة الجهاد. غير أن الإسبان كانوا قد أعدوا ما استطاعوا من القوة والمؤامرات لغزو الميدان والقضاء على الرباط.

عُرف رباط مليلة منذ عهد المولى عبد الرحمن بن هشام برباط الكرمة، وذلك لارتفاع شجرة التين بساحته، وهو الذي يدعوه القلعيون "جنادة للا ثورثوت"، ومن ذلك جاء اسم رباط الكرمة. وقد ظل الرباط يؤدي مهمته الجهادية إلى أن توالت سلسلة الاتفاقيات المبرمة كنتيجة لحرب تطوان، بدءا من اتفاق 28 مايو 1859. وتبعا لذلك يؤكد اتفاق حدود مليلة الموقع يوم 12 نوفمبر 1863 (متم جمادى الأولى 1280) في شرطه الثالث ضرورة هدم جامع رباط الكرمة على يد رجال المخزن بعد تسليم الحدود المعرفة إلى الوقت الراهن. وهذا هو ما تم بالفعل، وبذلك انتهى دور رباط مليلة وانتقلت الحراسة التي أصبحت مخزنية صرفة إلى جنادة أو دار المخزن بفرخانة.

أ. ابن القاضي الگعداوي، *تقاييد*، مخطوطة في خ ح ؛ *وثائق الأرشيف التاريخي الإسباني* ؛ م. الفكيگي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلة*، الرباط، 1997 ؛ *سيدي محمد بن عبد الله وحصار مليلة*، الرباط، 1996.

Jan A. Estrada, *Poblacion General de Espana*, t. 3 ; Francisco de Miranda, *Diario*.

حسن الفگيگي

**الـرباطي** الرسام ← ابن **علي**

**الـرباطي** الفقيه ← **السجلماسي**

**الـرباطي، قاسم**(الحاج -) المشهور بنعسلْ، من مشهوري الفنانين الموسيقيين بالرباط في أواخر القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19 ـ 20 م).

ذكره عالم الرباط إبراهيم التادلي في كتاب *السقا*، وهو بصدد استعراض آلات الطرب وأسماء البارعين في استخدامها على عهده، فقال : ثم لضرب القانون صاحبنا الحاج قاسم بنعسل الرباطي. كان يضرب به مرارا أمامي. وأوتاره نحو سبعين. كان يسويه بحلقات في أصابعه. وكان يأخذه حال يهتر برأسه عند ضربه. وقلّ من يحسن ضربه اليوم.

إ. التادلي، *أغاني السقا ومغاني الموسيقى*. الباب السابع، ص. 77، ط. حجرية، فاس.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الرباعي المغربي**، يأتي الرباعي كناية عن الحقب الجيولوجي الرابع. وبما أنه يخص المراحل الأخيرة من تطور القشرة الأرضية، فإنه إذن يتعامل مع القشرة في تطوراتها الحديثة ومظاهرها السطحية، وبالتالي فهو يعني أساساً الدراسة الجيومرفلوجية للموقع المعتبر.

يدرس الرباعي المغربي مختلف التطورات التي طرأت على البنيات الأرضية، وعلى تشكيل ونحث سطح الأرض، وتطعيمه بالرواسب القارية والساحلية عموما والأدفاق البركانية محليا، وكذا على أنماط تكوين الأتربة، وبالتالي تأليف النسق الطبيعي المرئي بكل مكوناته، وذلك في حدود التراب الوطني، أو على الأكثر باعتبار الإقليم الطبيعي الكبير الملابس أو النطاق البيومناخي الذي ينتمي إليه المغرب.

أما الإطار الزمني الداخل في الاعتبار فإنه يهم مبدئيا المليوني سنة الأخيرتين من التاريخ الجيولوجي، وهي فترة تعتبر متناهية في القصر مقارنة بعمر الأرض الذي يزيد على الأربعة ملايير ونصف من السنين والذي تتقاسمه الأحقاب الثلاثة الأولى، إضافة إلى الحقب البدءي، السابق للأول، المغفول المعالم في جل مراحله، والمدعو بما قبل الكمبري والذي يستحوذ على أكثر من أربعة أخماسه.

1) مدخل إلى الرباعي العام

هناك قواسم مشتركة للرباعي أينما كان، كما أن لجهتنا خصوصيات تميزها بل وترفعها إلى مستوي تأسيس مرجعية ذات اعتبار رفيع في دراسة الرباعي العالمي.

يتميز الرباعي العام في كل أنحاء المعمور، عن الأحقاب السابقة، بخاصيتين أساسيتين تبرران الترقية إلى الحقب القائم الذات، رغم قصر أمده، وهي : التبرد المناخي العام، من جهة، وظهور الجنس البشري، من جهة أخرى.

وقد تبين بعد حين من تبرير التصنيف أنه لا يوجد التوافق التام بين استهلال هاتين الظاهرتين والبداية الفعلية للرباعي. ومع ذلك بقي التقسيم على حاله، على أن يعتبر الرباعي حقب الاستتباب إن لم يكن بالفعل حقب البدايات، إذ من المؤكد أنه وافق انتظام البرودة المناخية في العالم واشتدادها وتجذر الحضور البشري وتصاعد تأثيره.

تعتبر مسألة التبريد حادثا بالغ الأهمية. ذلك أن المناخات الباردة، المتجلية في حدوث وتوالي ظاهرة العصور الجليدية، كانت قد انقطعت عن العالم منذ أواخر النظام الفحمي، أي منذ حوالي 300 مليون سنة، لم تأت بعدها إلا مناخات حارة متفاوتة الرطوبة خلال كل الحقب الثاني وقرابة كل الثالث. وقد ترتب عن انبعاث البرودة من جديد تغاير كبير لأصناف المناخات هو الذي يفسر في الأساس التمايز النطاقي البيومناخي الذي يعرفه العالم حاليا، على شكل أحزمة عرضية بادية التوازي، كما ينظم الاتجاهات الكبرى للكتل الهوائية التي أصبحت تأخذ كذلك مسارات طولية بين القطبين والاستواء، تسمح بالزيادة في تلاقح النطاقات وتغاير الفصول.

تغيير بهذا الحجم له وقع كبير عل صنع البيئات. فبعدها كانت المناخات، لملايين عديدة من السنين، شبيهة بما نصطلح عليه اليوم بالمناخ المداري، انزوى هذا الأخير في العروض الدنيا دون غيرها، واستحدثت بيئات جديدة لها وزنها الخاص من بينها البيومناخات المتوسطية والمعتدلة، مع تمديد ملحوظ للباردة. وبديهي ما تولد عن ذلك من اختلافات في وفرة المياه وفي تركيب وغنى الغلاف الأحيائي وفي أنماط التشكيل والترب.

ربما لم يعرف التاريخ الجيولوجي لتطور الأرض عهدا أزهي وأسنح من أواخر الثلاثي ومستهل الرباعي لاستقبال العصر البشري !

وقد توالت مع وجود الانسان الحضارات المتعاقبة، إلى أن أصبحت فعالة بما يكفي لتغيير معالم الطبيعة، فأضحى لزاما اعتبار التدخلات البشرية كعامل من عوامل تطور سطح الأرض سلبا وإيجابا. ولما تأكد الجانب السلبي من هذه التدخلات على التوازنات البيئية، ظهر في الأوساط العلمية والإعلامية هاجس جديد يسمى "علوم البيئة"، في انتظار أن يأخذ حظه الكافي من التقعيد العلمي.

ومن جملة القواعد العلمية لدراسات الرباعي والبيئة الطبيعية معا، أن لكل بقعة من سطح الأرض توازناتها الخاصة هي نتاج تداخل محكم بين ملابسات الوضع الحالي وتركات النيوجين أو الرباعي كلا أو جزءا. ضبط هذا النوع من التوازنات أساسي في تحديد التدخلات البشرية

التي يمكن أن يتحملها الموقع، من حيث النوع والحدة، قبل أن تظهر عليه أعراض الاختلال والتراجع. تفيد المقاربة إذن في تقويم أساليب وحدود استعمال الموارد المائية والترابية والأحيائية في إطار ما يصطلح عليه بالمشاريع التنموية ودراسات الوقع المرافقة.

لذا كانت لدراسة الرباعي المغربي أبعاد معرفية عامة وأبعاد تطبيقية. نكتفي من وجهة التطبيق بالإشارات الواردة في هده المقدمة، ونعرض في ما يلي للقواعد المعرفية في خطوطها العريضة.

2) الملامح العامة للرباعي المغربي

إذا كانت البرودة أولى المعايير في دراسة الرباعي العام، فإنه لن يستعمل عندنا إلا بصفة غير مباشرة. ذلك أن التجليد الصريح لم يعد أن لامس القمم العليا ومنها كتلة التوبقال وجبل العياشي بالأطلس الكبير. في ما عدا ذلك، تدخل الصقيع وتشكيل التراكمات الثلجية، وبصفة أكثر حسما ظهرت تفاوتات واضحة لأهمية الرطوبة، لكن في إطار مناخي عام لم يحد عن طبعيته المتوسطية التي يبدو أنها استقرت بالمغرب ابتداء من البليوسين الأوسط أي منذ حوالي 5 ـ 3 مليون سنة.

ومن المؤكد إنه، على غرار الذبذبات الجليدية التي تخللت الرباعي في بلدان الشمال، عرف المغرب والبلاد المنتمية للنطاق، تفاوتات ترطيب دورية تدعى الذبذبات المطيرة والبيمطيرة.

لم يكن مغرب الرباعي أقل تعقيداً من مغرب اليوم من الناحية البيومناخية. وجوده في منطقة اتصال بين التأثيرات المحيطية المعتدلة وضد إعصارات النطاق المداري الجاف، إضافة إلى هياكله الجبلية القوية المتوسطة للبلاد وانفتاحه على البحر والمحيط، يسمح بتحصيل كل المتغيرات المعبرة للمناخ المتوسطي ومعها التدرج إلى الجاف والصحراوي. وقد عرف هذا النسق تغيرات محسوسة في سياق التقلبات العالمية. فخلال الفترات البيجليدية، يكون التنطيق الكوكبي، كما هو الآن، أكثر تنوعا، يتوسطه مجال معتدل واسع ذو رطوبة جيدة شديدة الانتظام، وأقاليم متوسطية وشبه مدارية نظامها التساقطي متقلب ضعيف. وعلى النقيض، تأتي الفترات الجليدية بانكماش الجهات شبه المدارية وهبوط محسوس في درجات الحرارة شمال عرض الثلاثين درجة بالنصف الشمالي من الكرة الأرضية. في الواقع، هذه معطيات توافق التصور التطوري القائل بزحف النطاقات البيومناخية بين القطبين والاستواء، ذهابا وإيابا، في ركاب التمدد والتقلص الدوريين للعمامات الجليدية القطبية.

تأسس الرباعي المغربي، والقاري منه على الخصوص، على تركات يوافق جلها الرواسب النهرية، مادة وشكلا ومضمونا. عموما تعتبر السلائل النهرية وقيعان الأودية المستوى القاعدي لكل التطوات التي تعرفها القارة معدنية كانت أو عضوية. توجد من ضمن الرواسب والغرين شواهد عن الأتربة الحاضرة في الحوض النهري، وكذلك عينات من العناصر البيئية الموافقة، ومنها بقايا نباتية وحيوانية وإنسية، وأدوات الصناعات البشرية. كما تدل طبيعة الغرين على نظام الجريان وفرة وتوزيعا. وكلها عناصر تسمح باستشقاف وتمثل النسق الطبيعي العام السائد. يمثل كل مستوى نهري مرحلة من مراحل التطور. أما الأدوار الحاسمة للتاريخ الطبيعي للإقليم فقد تركت على هوامش المجاري مصاطب متدرجة أو طبقات مطمورة تعتبر تركات لاستجلاء الملامح الرئيسية للرباعي الاقليمي. يستكمل التحقيق بإضافة التأريخ المطلق لبعض المواد المستخلصة من المواقع المعتبرة باستعمال مناهج مختلفة. يفيد تقاطعها في الاقتراب من الصواب، ومنها قياس النظائر المشعة.

سمح تعقب مختلف التركات بالوصول إلى بناء طبقاتية رباعية أصيلة. ومن المعلوم أن للرباعي تصانيف مرجعية، هي امتداد لسلم التأريخ الجيولوجي. أهمها التصنيف الأوروبي الذي يعتمد على الطبقاتية الآلبية، في شقه القاري، وعلى تكامل بين الشواهد الأطلنتية والمتوسطية، في شقه البحري الساحلي. يعتمد الرباعي الآلبي بصفة مباشرة الفترات الجليدية الكبرى التي يبلغ عددها الستة، بدأت في الواقع مع البليوسين الأوسط، وهي : البيبر، الضوناو، الكونتس، الميندل، الريس والفورم. أما المرحلة البيجليدية الحالية التي جاءت مباشرة بعد الفورم، والتي بلغ عمرها حتى الآن حوالي العشرة آلاف سنة فتسمى الهولوسين (وتكتب بالأحرف الاتينية على لتوالي : Würm, Riss, Mindel, Güntz, Donau, Biber وHolocène.

أما طبقاتية الرباعي المغربي القاري فتتكون من ستة أدوار كذلك، تنطبق على التدرج الأقصى لنظام التركات المصطبية المشرفة على السلائل في الأودية الكافية التعمق، تحمل أسماء مواقعها المرجعية وهي : الملوياتي، السلاوي، العميري، التانسفتي، السلطاني والغربي، ويجوز جمعها حسب المراحل الثلاثة للرباعي، القديم والمتوسط والحديث بإضافة الهولوسين. التقسيم إلى شطرين فقط، الوارد فيما يلي، لا يخلو من وجاهة بالإضافة إلى التبسيط والتلخيص الناتجين. فالأدوار الثلاثة الأولى والأقدم، تعرض لجل الأحوال البيومناخية التي عرفها الرباعي المغربي إجمالا. أما الأدوار الثلاثة الباقية فقد تبدو كما لو كانت نوعا من التكرار المركز والملخص. كما يوافق هذا التبويب الثنائي حركة حدة التجليد في العروض العليا والوسطى، التي زادت حدتها مع الزمن، متخطية عتبة محسوسة من حوالي ثماني مائة ألف سنة قبل الحاضر (ق. ح.).

3) الأدوار الأولى من الرباعي المغربي

تحتل أدوار الملوياتي والسلاوي والعميري أربعة

أخماس المدة الاجماعية للرباعي، مقابلة الضوناو والكونتس والميندل في التصنيف الآلبي.

ـ نستشف من مظاهر التفسخ المتحفظة في الملوياتي، وجود مطير معتدل الرطوبة، نقدر له أكثر من 600 مم في الثلث الشمالي الغربي من البلاد، دون ما برودة محسوسة. على أن البيمطير عرف جفافا قويا وصل إلى تركيز الكاربوناتات في القطاعات الترابية. تساقطات مطرية من فئة 300 إلى 100 مم من شأنها أن تثبت الكلس الترابي دون أن تجليه إلي خارج القطاعات. كانت النباتات ضعيفة التجذر، لا شك أنها تطورت من سبسب يبقعه الشجر إلى سهوب هزيلة.

ومن جهة أخرى، لن تأت البنائية الملوياتية، وكل الحركات الأرضية الرباعية التي تلتها، إلا بعد تلاحم الصفيحتين الإفرقية والأوروبية الذي وضع حداً لأية حركة جانبية، كل نشاط بنائي كان يترجم بشخوص واضح أو تراكب. وقد أعطت الأدفاق البركانية المرافقة لحركة الرباعي القديم عمراً من حوالي مليون واحد ونصف مليون سنة قبل الحاضر.

ـ عرف الدور السلاوي رطوبة باردة سمحت بتحريك الغرين الخشن دون إنتاج أتربة حمراء ولا قشرة كلسية. وقد أرغم هبوط الحرارة العديد من الأحياء المدارية، التي كانت ما تزال مستوطنة، على الهجرة النهائية. اضطلع الماموث (Elephas primigenius) بدور الريادة من ضمن الوحيش، في طريق العبور من إفريقيا إلى أوراسيا خلال البليوسين والرباعي القديم.

ـ العميري هو أقصر الأدوات الثلاث وأزهاها. عم فيه مناخ معتدل ورطب وتعمقت الأتربة حاملة أجمل الغابات. تدفقت العيون تغذي شبكة أنهار غزيرة، وتسيل على سفوح ظليلة، غنية بالحياة، تغلفها تراكمات ندية من اللبيد والرصاصة (الرصاصة، الجزء : 13). ظهرت البحيرات من جديد، تذكر بالمشاهد الطبيعية للبليوسين الأوسط، متوسطة السهول الداخلية ومتخللة أهوار السواحل. وقبل حوالي خمس مائة ألف سنة من الحاضر، حدثت أزمة تكتونية ذات بال، زادت في حجم الجبال وألهبت أحدث نشاط بركاني واسع الانتشار عرفته البلاد، مضخمة العاليات ومعددة الحواجز الأرضية والشقوق، ومغدقة الموارد المائية السطحية.

لم يكن العميري متجانسا في البداية، كان المشهد الطبيعي أشبه بأوضاع الرباعي القديم، عبارة عن مجالات لازالت منفرجة، ترعى بها قطعان الأرخص والأفراس والجواميس الأثرية (Bos primigenius, Equus mauritanicus, Alcelaphus bubalis) من ضمن كبار الثدييات. ثم جاءت بعد ذلك ثدييات كبرى مختلفة الانتماء : منها أصناف حائلة من الفيلة والكركدن والبرانيق والدببة Elephas iolensis, Rhinocerossimus, Hippopotamus amphibius, Ursus arctos) الدالة عن أوساط معتدلة أكثر رطوبة وأحكم إغلاقا لغلافها النباتي.

عرف الإنسان إبان دوري الرباعي القديم، الملوياتي والسلاوي، مراحله الحضارية الأكثر بدائية على الإطلاق، حيث لم تتعد صناعته استعمال الحصى المنحوث في اتجاه واحد. ثم دخل الإنسان العميري بدايات العصر الأشولي، الذي طبع الرباعي الأوسط، بنحت الأدوات الثنائية الوجه. وكلها حضارات لم تحدث على البيئة الأحيائية والغلاف النباتي على الخصوص إلا تأثيراً محدوداً.

4) أدوار المرحلة الأخيرة من الرباعي المغربي

تتكرر فيها النزعتان الغالبتان على المرحلة الأولى : يعيد التانسفتي الأنساق الشبيهة بالمداري التي طبعت الملوياتي. ويتميز السلطاني باقترابه الشديد من المناخ المعتدل، محاكيا في ذلك العميري. أما الغربي فتجاوز البليستوسين إلى ما بعد الجليديات وإلى الحالي، ومن ضمنه أشواط قصيرة متفاوتة الرطوبة. المقابلات الآلبية المقترحة لهذه الأدوار هي على التوالي الريس والفورم والهولوسين.

ـ أظهر التانسفتي أول الأمر بعض الشبه بالعميري لكن في مجالات متزايدة الانفتاح، اختفى عنها تدريجيا الوحيش الغابوي. بدت المراعي المشمسة، بأنهارها المحصبة، مسارح للثدييات الضخمة كالفيلة Elaphas atlanticus marocanus) والكركدن وحمار الوحش. ثم أقحل الجو، وبترت الأتربة فكشفت عن قشور كلسية صلداء لا تأتي عليها إلا سهوب فقيرة، يقتات عليها النعام والظباء والغزلان.

ـ قضى السلطاني بعودة الغابات وطراوة الجو. حيث من المثير للاهتمام عمق الأتربة وتوفرها على طين الفرميكوليت (Vermiculite) وهو راشم عداني فعال لأنواع التترب في المناخ المعتدل. ينسجم السلطاني بدقة مع الفورم الذي يعتبر العصر الجليدي الأقسى في مجالات العروض الوسطى، بداية من ثمانين ألف سنة ق. ح. هاجرت خلاله، تحت تأثير البرد القارس فلول من الوحيش الأوراسيوي من الشمال، لتلتجئ بأجواء المغرب الأرحم آنذاك. فاستوطن كركدن مركي (Rhinoceros mercki) وغيره من الخنازير البرية والوعول والدببة.. في أزهى غابات الرباعي المغربي وأكملها تنوعا.

عرفت بداية الدور آخر أهم الأزمات البنائية، معطية للجبال والهضاب حجمها النهائي، فاكتملت بذلك الطوابق البيومناخية المعروفة مع زيادة في الرطوبة والبرودة، حيث توسعت من بينها نسبة النفضيات، وعظمت مساحاتها على السهول وصوب الجنوب.

وفرت الحضارات الأشولية المتطورة والموستيرية أدوات حجرية أرقى وأدق لإنسان العصر من النموذج المدعو بالإنسي الأطلسي للدار البيضاء والرباط، ثم لأناس

منتسبة لنياندرتان وللهوموسابينس (الإنسان العارف) من طراز كرومانيون، لكن دور أن نحتسب على أي تدخل منهم التدهور الذي حصل في نهاية الدور. حيث إن التكنلوجيا بقيت بدائية والكثافات السكانية دون الكتلة الحرجة بكثير. لقد تأكد أن تقلبات مناخية طبيعية نازعة إلى القحولة هي المسؤولة عما يمكن أن ينعت بآخر أكبر انفصام للتوازن البيئي في التاريخ الرباعي، أدى إلى تصحر صريح في النصف الثاني من السلطاني، واضح في السايس والمعمورة مثلا، مصحوب بتحطيم النبات وانسحاب الوحيش الأوراسيوي وتعرية الأتربة على مساحات هائلة.

أبانت الدراسات الميدانية الحديثة بأن الدور الغربي أطول مما كان يعتبر، وأنه يبدأ بصفة طبيعية مباشرة بعد مرحلة التجفيف والاختلال التي مثلت البيمطير السلطاني. وهو على هذا الأساس يتحول إلى دور متكامل له مكانة متوازنة بين الأدوار الأخرى، تخرجه من وضعية نصف الدور التي أحله إياها ثلة من المصنفين. يتعلق الأمر بالثلاثين ألف سنة الأخيرة، الجامعة بين آخر قمة جليدية تخلفت بالفورم وكل الفترة بعد الجليدية حيث تضاعفت فعالية التدخل البشري لتصبح حاسمة في مصير المحيط الحيوي. بدأ الدور أرطب من الوضع الحالي، ثم جاء تجفيف تدريجي فاقم من حدته الإنسان في الخمسة آلاف سنة الأخيرة.

يمكن حصر القمة الجليدية بدقة بين 20 و16 ألف سنة ق. ح.، تراجعت خلالها بوضوح الأوساط الأحيائية المتوسطية بأوربا التي توسعت مرة أخرى بالشمال الإفريقي وخاصة بالمغرب حيث نزحت بعض أنواع وسط أوربا وحتى شمالها. وفي انسجام تام مع نفس الحركة، توغلت إلى الجنوب تشكيلات غابوية قبل سهبية متوسطية إلى حدود الكتل الكبرى المتوسطة للصحراء. وقد عم المغرب حينئذ مطير بهي، أعدت فيه السهول والهضاب أتربة سيدبالية ومتقلبة تيرسية على حساب الأتربة الحمراء السلطانية، وسمحت السطوح القشرية العقيمة بتطور أتربة سمراء كلسية جيدة.

انتهت الفترة الجليدية في أوربا على حركة تسخين أذابت الجليد المتقدم من حوالي أحد عشر ألف سنة ق. ح. وقد حصل من جرائها تدهور مناخي بالمغرب، شحن بعض الأتربة بالكاربونات وبتر أخرى بفعل السيلان المتفرق.

نتج عن الإضرار بالأتربة مشروع مصاطب غربية رمادية ظهرت بقيعان الأودية، لكنها لم تعظم وتتقوى إلا مؤخرا، بعد فترة الازدهار النيوليتي.

يعتبر النيوليتي شوط رطوبة قصير، استغرق جل الهولوسين إلى حدود ثلاثة آلاف أو ألفين وخمس مائة سنة ق. ح. حصلت فيه تذبذبات جلبت بعض الرطوبة إلى الصحراء التي عرفت تساقطات بلغت 150 إلى 250 مم. وقد أمكن، خاصة في الجهة الموالية للأطلنتي من الصحراء، تلاقي التشكيلات النباتية المنتمية للنطاقين المتوسطي والساحلي.

والنيوليتي هو بامتياز مرحلة إبداع الإنسان لكل قواعد الحضارة الحديثة، اكتشفها وطبقها ونشرها إنسان الشرق الأدنى، الذي وضع حدا لوجود طويل طبعه سلوك الاستهلاك السلبي، ودشن عهد الإنتاج المسؤول داخل خلايا اجتماعية مهيكلة. قامت شعوب الهلال الخصيب بعمليات تدجين كل أنواع الماشية وانتخاب المزروعات الأساسية التي لازلت تعتمد عليها تغذية الإنسان إلى الآن.

وتبعا لذلك، اختفت من مصاطبنا الغربية الأنواع المعتدلة وعمت بها بقايا الحيوانات الداجنة والنباتات المزروعة.

4 - اعتبارات في الربط بين الرباعي المغربي والعام.

استخلصنا العديد من المعلومات المعتمدة في تمثل البيئات القديمة من عناصر الرباعي القاري، نظرا لأمانته في التحصيل المباشر للآثار البيومناخية والبشرية. لكن سلسلات الرخويات التي لعبت الأدوار الأولى في التأريخ الدقيق لمستويات الحقب الثالث البحري قد افتقدت في ضبط التسلسل الرباعي القاري. فحسب الملاحظات القائمة، يبدو أن رخويات المياه العذبة، والمجال القاري عموما، بقيت على حالها بدون تغيير معبر منذ نظام الميوسين وحتى الآن. في المقابل، نجد مستويات الرباعي البحري غاية في الترتيب، لكن البحار منفتحة تعطي توزيعات أوسع للأحياء، والتأثيرات المناخية تصل مؤجلة وملطفة في وقعها على الكائنات البحرية. وهي مع ذلك لا غنى عنها في وضع الرباعي إجمالا في مسار التطور الأحيائي العام، الذي يخضع للمرجعية البحرية بالمستوى الأول، وفي ربط الرباعي المحلي أو الإقليمي بالأحداث الكبرى التي عرفها الحقب على الصعيد العالمي.

يتم الربط مع الذبذبات المناخية الكوكبية بفعل انفتاح المحيطات على تمدد وتقلص العمامات الجليدية القارية الكبرى وتأثير ذلك على تغير منسوب الماء على السواحل، من خلال الآلية المعروفة بالهزهزة الجليدية. يتسبب التجليد في احتجاز مناسب مياه المحيطات وهبوط لمستوى سطح البحر وتراجع للسواحل، كما يسمح التسخين البيجليدي بغمر متفاوت على حساب القارات. ولهذه الحركية علاقة من نفس القبيل من الذبذبات المطيرة والبيمطيرة التي حصلت في عروضنا.

مثلما يكون كل دور رباعي من مطير وبيمطير لهما آثار مباشرة على البيومناخات يعرف بها، تتمفصل المصطبة الساحلية إلى مستوى غمري ومستوى تراجعي دالين عن المناخ الكوني. تكون مواد الغمر بحرية خشنة ومواد الانحسار قارية يغلب عليها التشكيل الكثيبي، وتقاس أهمية الأدوار بقياس العناصر ومدى انتشار المستويات ومدلول المستحاثات، مع احتساب وخصم التشوهات التي تحدثها البنائية على السواحل.

تنتسب جل أدوار الرباعي الساحلي المغربي إلى مواقع مرجعية في نواحي الدار البيضاء، التي تعتبر من أهم المواطن في الموضوع على الصعيد العالمي. تقليديا، يوافق الدوران الساحليان : المغربي والفواراتي، البليوسين الأوسط والأعلى، ويتجزأ الرباعي البحري ذاته إلى : المسعودي، المعارفي، الآنفاتي، الهاروني، الولجي ثم الملاحي. وقد صنفت كلها على أساس مجموعات كثيرة ومتنوعة الغنى من القواقع المنتمية أساسا إلى صف معديات الأرجل من شعبة الرخويات.

لازال للبحث مستقبل خصب في قضايا طبيعة التزامن بين ثنائيات الفترات الجليدية - بيجليدية في العروض العليا والمطيرة - بيمطيرة عندنا، وفي قواعد الربط بين مستويات الرباعي القاري والساحلي، وفي صيغة التجفيف والترطيب داخل الصحراء وعلى هوامشها المتوسطية والمدارية عبر الرباعي...

وإن كانت ملامح الربط والتقاطع عديدة، مثلا بين شقي الرباعي القاري والبحري.

إذ يبدو أن عموم قواقع الغمر تدل على أوساط حارة، الأمر الذي يؤكد التوافق بين الغمر البيجليدي الكوكبي، الدال على بعض التسخين المفضي إلى الاعتدال في العروض العليا، وطغيان المناخات الحارة بالمغرب. كما أن الحرارة هنا لا تعني أكثر من شبيه الجو السائد حاليا، بتفاوت ضئيل، حيث نخلص آخر الأمر إلى المعادلة القابلة للتعميم :

المناخ الحالي (بالمغرب) = مناخ الغمر = البيجليدي الكوكبي

وبما أن المناخ الحالي يوجد في موقع البيمطير عندنا، تصبح المعادلة :

البيمطير المغربي (حار وجاف نسبيا) = البيجليدي الأوربي (المعتدل) وعليه يأتي :

المطير المغربي (معتدل) = جليدي العروض الوسطى (جمدي)

وذلك ليس فقط بالإسقاط والتوافق الطردي فحسب، ولكن كذلك لأن المسألة قد حظيت بنصيبها من البحث. فقواقع الأوساط الباردة قد برزت بصفة متميزة عقب المغربي والمعارفي والهاروني، وجاءت موافقة على التوالي لفترة ازدهار البحيرات بمغرب البليوسين الأوسط، وللمطيرين العميري والسلطاني اللذين سبق أن عرضنا لتميز جزالة الأحياء ورخاء الطبيعة فيهما.

ومع توالي تجميع القواقع، حصل التدقيق في مفهوم سخونة وبرودة الأوساط وانتهى بالإحجام عن التأويلات المتطرفة. فكما كان التخلي عن تأويل السخونة بالاعتماد على الوحيش المزعوم "الشيلي - البيرواني" البعيد عن أوساطنا، تأتت مراجعة قواقع البرودة التي كان يعتبر أصلها مغرقا في الشمالية (ربما نرويجيا)، والعودة إلى إقرار برودة نسبية، من قبيل الموجودة حاليا في النطاق المعتدل، نعتت بكونها شبيهة بالإقليم الفرنسي - الإيبيري. وكلها استنتاجات تامة التوافق مع الخلاصات المحصل عليها في المجال القاري للسايس مثلا، ثم جاءت على غرارها العديد من النماذج الإقليمية في جهات أخرى من بلاد المغارب.

عرف الحقب الرابع، على قصره، تسارعا مهولا في التاريخ الطبيعي لسطح الأرض. بلغ التطور الأحيائي، في فجر الرباعي، ذروة التنوع تحت تأثير أكبر صيغ التشعب المناخي من القمم الجليدية إلى النهايات الصحراوية. اكتسبت الجبال الحالية، على مداه، أكبر قسط من أحجامها التضاريسية، معددة الطبقات البيومناخية وموفرة مقادير متزايدة من الموارد المائية. ثم تدخل العقل البشري في تدبير الموارد وإعداد التراب. لكن رغم الوفرة والتنوع في المؤهلات، يوجد العالم حاليا على حافة انهيار التوازنات الطبيعية بفعل الجشع الطاغي على المشاريع البشرية انطلاقا من الكيانات الكبرى في المعمور. وصلت تكنولوجيا الصناعات جدا من التأثير أصبحت معه قادرة على التدخل في التوازنات الغازية والحرارية المهيكلة للغلاف الجوي والحاسمة في توازن الأرض إجمالا، دون مراعاة للحدود ولا تمييز بين المذنب أو المأخوذ في الشراك. بل إن البلاد الموجودة على الهوامش الجغرافية الهشة، والراكبة منها حدود الصحراء على الخصوص كالمغرب، هي التي تؤدي الثمن الأغلى في عملية الاختلال الملم بالكوكب.

لا شك أن عالمنا الآن، المتشابك المصالح أكثر من أي وقت مضى، في حاجة إلى استراتيجيات إعادة تأهيل الطبيعة وفك الضغوط عنها، بعيدا عن هواجس الكسب السريع وحرب النجوم، واستثمارا للمؤهلات الخيرة الهائلة التي وضعها الرباعي أمانة بين أيدينا.


G. Beaudet, *Le quaternaire marocain : état des études, R.G.M.*, Rabat, 1971, 3 - 56 ; W.A. Berggren and J.A. Van Couvering, *The Late Neogene : Biostratigraphy, Geochronology and Paleoclimatology of the last 15 million years in marine and continental sequences. Palaeogeography, Palaeoclimatology, Palaeoecology*, vol. 16, n° 1/2, 1974 ; P. Biberson, *Le cadre paléogéographique de la préhistoire du Maroc atlantique*. Rabat, 1961, 235 p. ; Ph. Brébion, *Etude biostratigraphique et paléoécologique du quaternaire marocain. Ann. Paléont.*, 65, 1979, 1 - 42 ; H.F. Lamb, U. Eicher et V.R. Switsur, *An 18000 - year record of vegetation, lakelevel and climatic change from Tiguelmamine, Middle Atlas. Jour. Biogeog.*, 16, 1989, 65 - 74 ; D. Fassi, *Les formations superficielles du Saïs de Fès et de Meknès : du temps géologique à l'utilisation actuelle des sols.* Rabat, 1999, 527 p. ; *La forêt dans l'histoire de la terre. In : Le grand livre de la forêt marocaine.* Belgique, 1999, 10 - 23.


إدريس الفاسي

**الرباعيّ** (نقد) أو الرباعية الدرهم الرباعي هو خاص الدرهم الموحدي، وقد استمر إصداره على الشكل المربع منذ عهد الموحدين إلى العهد العلوي حتى ألغاه السلطان مولاي رشيد العلوي (انظر الدرهم في المعلمة) والرباعية (عملة) وهي تصغير الرباعي في الدارجة المغربية استعملت كمصطلح نقدي بمختلف الجهات فيختلف نطقه وينطق في سوس (رباع) بسكون الراء أو (ربا) بحذف العين جمعه "أربيع" كما ينطق (رباعية) في جهات أخرى من البلاد، ولا يقصد به في المجال النقدي جزء من أربعة، وإنما يقصد به واحد من خمسة، فالريال في سوس من خمسة (أربيع)، فيطلق (رباع) على البسيطة في صرف الريال الإسباني، كما يطلق على الفرنك في صرف الريال الفرنسي، ويعبر على القطعتين في الظهائر السلطانية، بحيث تسمى البسيطة "بسيطة ذات المدافع" والفرنك (بسيطة بدون مدافع) (*الاستقصا*، 9 : 64) كما عرف الريال الحسني في سوس بأنه من خمس بساسيط أو من خمسة "أربيع" (*المعسول*، ج. 3 : 275، هامش 2) والربع أو رباعية في هذه الحالة عملية حسابية تتكون من درهمين شرعيين، باعتبار أن الريال الحسني من عشرة دراهم وهو مايوازي فرنكاً فرنسياً أو البسيطة الإسبانية في النظام اللاثيني.

ولم تعد كلمة رباعية مستعملة في المجال النقدي اليوم، وإنما تستعمل في الكلام للتندر، للتقليل من قيمة الشيء يقال : "لا يساوي رباعية" وعرفت رباعية كنوع من المدافع التقليدية، أما لفظة الرباعي، فقد استعملت في الأشعار، يقال جاء "بكلام رباعي" أي موزون مثل الرباعيات كما في رباعيات الخيام.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9، ص. 64 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 3، ص. 275؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، ص. 403.

عمر أفا

**رباعيات الأشعة**، تنتمي رباعيات الأشعة إلى الإسفنجيات وهي حيوانات بدائية رغم تعدد خلاياها. فهي في مراحلها البدائية على شكل كيس مخاط بغشائين اثنين، مفتوح في إحدى نهايتيه بفتحة يدخل منها الماء إلى داخل الجسم بينما باقي الجسم يظهر ثقوباً صغيرة عديدة وهي فتيحات يخرج منها الماء بعد ما يمتص منه الاسفنج ما هو في حاجة إليه من مواد غذائية وأكسجين.

وكباقي الإسفنجيات تتوفر رباعيات الأشعة على هيكل متكون من أشواك زجاجية ذات أربعة رؤوس ليس لها أعضاء متميزة وإنما تعتمد في وظائف حياتها على هجرة بعض الخلايا التي تقوم بدور الأعضاء المختصة في تلك الوظائف. يمكن لرباعيات الأشعة أن تتكاثر إما بطريقة جنسية أو لاجنسية. ففي الحالة الأولى فإن معظم هاته الاسفنجيات أُحادية الجنس يحمل نفس الفرد منها حيوانات منوية وبويضات يلقي بها في الماء خارج الكيس الإسفنجي ليتم الاخصاب في الماء. في حالة التكاثر اللاجنسي تظهر على جسم الإسفنج براعم صغيرة تحمل تقريبا كل الأنواع والخلايا الموجودة لدى الاسفنج الأم، لتنفصل فيما بعد عن هاته الأخيرة وتعطي أفرادا أخرى.

تنتشر رباعيات الأشعة في كل بحار ومحيطات العالم في الساحل حتى أكبر الأعماق فوق دعامات صلبة أو مدفونة جزئيا في الرمال. ورباعيات الأشعة من أقدم الحيوانات المعروفة حيث إن هناك مستحاثات تشهد على حقبة الكمبري للعصر الجيولوجي الأول.

تجدر الإشارة إلى أن السواحل المغربية تتوفر على أكثر من 300 نوع من الإسفنجيات يعيش معظمها في الجرف القاري إلا أن بعضها عثر عليه على أعماق تتعدى ألفي متر.

Anonyme, *Les spongisiens n° 25*, 1973 ; R. Bouchet Chanton, *Zoologie I, invertébrés*, Paris, 1962.

محمد منيوي

**الرُبّ**، شراب لَزِجٌ مستخرج من عصير العنب ؛ ورد ذكره عند الشريف الإدريسي باسم أمازيغي "آنزيز" وفي مصادر أخرى "أنريز" (*نزهة المشتاق*، 3 : 228 ؛ *الروض المعطار*، 330)، وترجع بداية إنتاجه واستهلاكه إلى فترة حضارات التاريخ القديمة كالحضارة الرومانية. أما أماكن الإنتاج والاستهلال ودوافعه في المغرب فتفيد النصوص التاريخية الوسيطية في ذلك كثيراً : فصاحب *الاستبصار* (ص. 211) قال عن مصامدة جبل درن : وهم لا يستغنون عن شربه لشدة برد الجبل وثلجه".

واهتم الشريف الإدريسي بطريقة صنعه واستهلاكه فقال : "... وهو حلو يسكر سكراً عظيماً... ذلك أنهم يأخذون من عصير العنب الحلو فيطبخونه بالنار إلى أن يذهب منه الثلث ويزال عن النار ويشرب ... وأهل السوس الأقصى يرون شربه حلالا ما لم يتعد به إلى حد السكر (*نزهة*، 3 : 228). ومن المعلوم أن طبيعة جبل درن في التاريخ القديم ومعظم فترات العصر الوسيط كانت في البرودة شبيهة بالمناطق القطبية (*Géographie du Maroc*, 16, 17, 18...).

تعدّى استهلاك الرُّب الدوافع والأسباب التي أشرنا إليها فأصبح يُستهلك كمادة منشطة ومسكرة بل ومادة غالية الثمن ومن الكماليات التي لا تتوفر للجميع في معظم الأوقات ؛ وقد حدثنا عن ذلك وعن مدى حجم الاستهلاك في إحدى المناسبات ابن صاحب الصلاة الذي يتكلم عن مشاهدة فقال : "خرج الخليفة (أبو يعقوب يوسف الموحدي) يوم الجمعة 22 ربيع من نفس السنة

(566) إلى البحيرة خارج حضرة مراكش فأطعم العرب والناس الوافدين وميزهم مدة 15 يوماً يدخل كل يوم في البحيرة أزيد من 3000 رجل وقد صنع ما تقدمت العادة به : نهر من رُبّ كلما زالت طائفة وقامت مشتت إلى موضع الخليفة وسلمت عليه ودعا لها نهضت إلى ساقية الرُّب تشرب وتطرب ..." ( *المن بالإمامة*، 433).

هكذا أصبح استهلاك الرب رسمياً أي أن بيعه وإنتاجه أصبح معترفا به من لدن المخزن الموحدي، مما جعل المبالغة في الإنتاج والاستهلاك والانتشار تحدث أضراراً بالمجتمع وبالمخزن نفسه وهيبته فبدأ يعمل على ضبط الإنتاج والاستهلاك والتسويق، وهذا لا يعني أن المخزن الموحدي شجع على تناول الرُّب وإنتاجه بل ارتبط ذلك في تقديري بالازدهار النسبي الذي عرفته الفلاحة بصفة خاصة والمستوى المعيشي الرفيع في عهد الخلفاء الثلاثة الأوائل.

وتفيدنا الطبونيميا لمدينة مراكش في اتجاه ضبط المخزن للرُّب، فأحد أبواب مدينة مراكش يحمل اسم "باب الرُّب" مما يعني أن المخزن خصص لدخول هذه المادة إلى المدينة بابا عليه حراس محتسبون وغيرهم من الأعوان حتى يتم التحكم فيه ؛ لكن هذا الإجراء وحدهُ لم يحد من انتشار تجارة الرب واستهلاكه، فقد تعدت جبل درن والمصامدة إلى سائر أنحاء الأمبراطورية الموحدية وبخاصة إلى الأندلس (*مجموع رسائل موحدية*، 164 ـ 165)، فجاءت التعليمات والقوانين الصارمة بعد ذلك، وقد روعي فيها منهج التدرج على غرار ما ورد في القرآن الكريم من النهي عن الخمر وعدم الإفراط إلى التحريم التام. فهذا الخليفة الأول عبد المومن يُصدر أوامره في الموضوع : "... الله الله في البحث على الخمور... ومروهم بالتعهد لمواضع بيع الرب واعتصاره وخذوهم موقف حدهم على ذلك واقتصاره، فما حل منه أباحوه وما كان غير ذلك قطعوه أصلا" (*مجموعة جديدة من الرسائل*، 18).

ثم جاءت تعليمات الخليفة عبد المومن متشددة بخصوص ثلاث مشاكل كانت تظهر في بعض حواضر الأمبراطورية وبواديها (الصلاة والزكاة والرُّب) : "... فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة يقتل ... بائع الرب ... يقتل" (*مجموع رسائل موحدية*، 133)، ويبدو من خلال المصادر التي تناولت العهود اللاحقة أن الناس استغلوا الغموض الحاصل في تحديد المسكر وغير المسكر من الرب أي الحلال والحرام منه فتمادوا في استهلاكه وما ترتب عن ذلك من مشاكل وتناقضات، فجاءت أوامر الخليفة الثالث يعقوب المنصور للحسم في الموضوع :

جاء في الرسالة 28 من أمير المومنين يعقوب إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة بإشبيلية : "... فإن الناس تجوزوا في أمر الرب تجوزاً أغفلوا فيه فرتعوا حول حماه رتعاً أوقعهم فيه أوكاد وتسامحوا فيه تسامحاً خرق المتعارف من المأذون فيه والمعتاد، وحاول اتخاذه وبيعه مَن لا يتوقف على احترام، ولا يتخوف بما يكتسب من آثام... والذي أطلقه هذا الأمر العزيز منه وأجاز فيه مباح البيع والشراء ما أنهي طبخه غاية الإنهاء وميز جرمه في قوام الطلاء... ولما تقرر عندنا من الالتباس في ذلك ما تقرر، وتردد على أسماعنا ما استرسل فيه وتكرر، وعلمنا أن الذي وسع على الناس من اتخاذه لم يتبين لهم الحق فيه على وجهه ولم يتحرر، وأن ذلك مما يصعب عليهم بسبب ما تساهلوا فيه ويتعذر، رأينا... أن قطعه بالكلية أخلق بالاحتياط لديهم وأجدر... فإذا وافاكم كتابنا هذا فاقطعوه جملة وتفصيلا، ولا توجدوا أحداً إلى بيعه سبيلا" (*مجموعة رسائل موحدية*، 164 و165 و166 و167).

وبعد العهد الموحدي استمر إنتاج الرُّب واستهلاكه لكن بكيفية متقطعة تبعاً لسنوات الرخاء والسنوات العجاف، وتحول شكله والغرض منه فأصبح يدخل في التغذية في البوادي الفقيرة. ومن الأسماء التي ظهر بها منذئذ وإلى اليوم الدِّبس والصامت وغيرها من الأسماء التي اختلفت عبر التاريخ والجهات، وكلها مشتقات من العنب ( *المقصد*، 122).


ل. بروفنصال، *مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المومنية*، الرباط، 1941 ؛ أ. عزاوي، *مجموع جديد من رسائل موحدية*، تح. ودراسة مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1986 ؛ الإدريسي الشريف، *نزهة المشتاق*، نابولي إيطاليا، د. ت، الجزء 3 ؛ ابن عبد المنعم الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار*، الاسكندرية، 1958 ؛ ابن صاحب الصلاة، *كتاب المن بالإمامة*، بيروت، 1964 ؛ ع. الحق بن إسماعيل البادسي، *المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف*، الرباط، 1982.

Martin [et al.], *Géographie du Maroc*, Paris, Casablanca 1967.


محمد حجاج الطويل

**الـرُّبّ** (باب –) ويسمى أيضاً باب القصر ( *الذيل والتكملة*، 8 ـ 1 ـ 251) يقع في أقصى غرب الواجهة الجنوبية للسور المرابطي بين باب الصالحة شرقاً وباب الشريعة غرباً (*مسالك الأبصار*، 133).

ينسب الباب في تسميته إلى شراب الرُّب، وهو الباب الوحيد بين أبواب المدينة الذي ينسب إلى منتوج غذائي. وليس الرّب بالضرورة خمراً لم يتحول إلى مسكر. ولذلك فهنالك الرُّب المباح مثل رب التوت ورب السفرجل وربّ الرمان. (*كتاب الطبيخ*، 255 ـ 256) والرُّب الحرام وهو "الشراب المسكر المتخذ من عصير العنب والتمر أو غيرهما ويترك حتى يختمر" ( *المعجم الوجيز*، 599). ودون شك فإن النوعين معا كانا معروفين والتمييز بينهما لم يكن مستعصياً على سكان المدينة ( *المن بالإمامة*، 113) خاصة

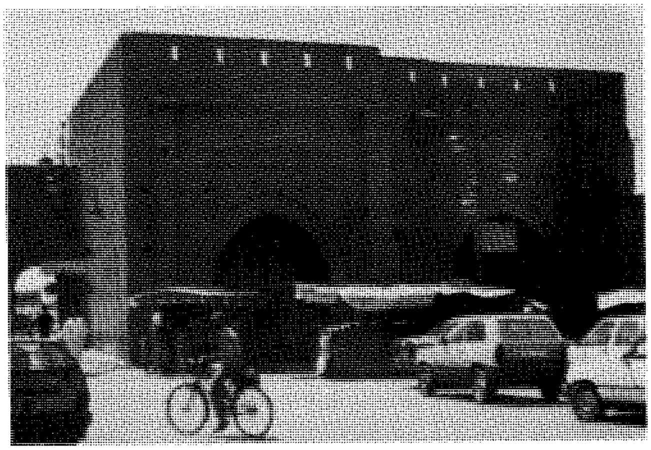

وأن له قواعد فقهية ضابطة له، وإطاراً مخزنياً ينظم رواجه بالمدينة. يشرف عليه أمناء مكلفون بالمراقبة، من مؤهلاتهم القدرة الكافية على التمييز بين الحلال من والحرام ومعرفة ما يجوز شربه وما لا يجوز... ومن مهامهم إباحة الأول ومنع الثاني (رسائل موحدية جديدة، رسالة رقم : 26 ـ *نظم الجمان*، 197 ـ 198).

وبديهي أن اسم الباب ينسب إلى الصنف المسموح برواجه، ولدعم ذلك نكتفي بإبداء ملاحظتين، أولاهما : أن غالبية سكان المدينة الجدد من مصامدة الجبل، ومن تقاليد تغذية هؤلاء أن "أكثر عيشهم إنما هو من العنب والزبيب والرّب، وهم لا يستغنون عن شربه لشدة برد الجبل" (*الاستبصار*، 211). ثانيهما استهلاكه على نطاق واسع وبشكل رسمي في المدينة على الأقل قبل خلافة المنصور. يقول ابن صاحب الصلاة : "فأطعم ـ أبو يعقوب يوسف ـ العرب والناس الوافدين وغيرهم، مدة خمسة عشر يوماً... وقد صنع ما تقدمت العادة به نهراً من رُبّ ممزوج بالماء، كلما أكلت طائفة وقامت مَشَتْ إلى موضع الخليفة... وسلمت عليه ودعا لها ونهضت إلى ساقية الرّب تشرب وتطرب" (*المن بالإمامة*، 344).

ومن الملاحظتين قد لا يستبعد أن الجبل كان نقطة من نقط الإنتاج، ومراكش كسوق وباب الرّب نقطة عبور للإنتاج، خلاصة يُقوي منها موقع الباب نفسه الذي يجعله مفتوحاً على الجبل.

لا يعرف بالتدقيق تاريخ تأسيس هذا الباب، هل هو بالذات تاريخ بناء السور ؟ أم بعده ؟ والمؤكد أنه كان موجوداً على الأقل منذ القرن السادس (12 م) من حكم الموحدين، حيث أشار ابن عبد الملك إلى أن العالم اللغوي أبا موسى الجزولي قد مرَّ منه صُحبة أبي القاسم بن المالقي رئيس طلبة العلم في عهد حكم المنصور (*الذيل والتكملة*، 8 ـ 1 ـ 249 ـ 251). وقد رجّح دوڤردان هذا العهد بالذات كتاريخ لتأسيس باب الرّب (*Marrakech*, 1 : 242 - 243).

من الوظائف التي أدّاها باب الرّب، يمكن تسجيل الوظيفة المجالية حيث كان يمثل نقطة التقاء بين المدينة المرابطية وحومة أگادير وحومة الصالحة، ومحطة من محطات العبور بينها والمصلى وسوق بيع البقر والغنم والأطلس الغربي، ثم الوظيفة الأمنية كباب له مهام دفاعية سمحت بجعل باب أگناو المجاور له باباً فنّياً أكثر منه باباً وظيفياً (*Marrakech*, 1 : 231) وموقعاً لإرسال خطاب الترهيب والترغيب من خلال تعليق رؤوس الخارجين عن الطاعة فوقه (*روض القرطاس*، 391)، ومركزاً لمراقبة التحركات البشرية من وإلى المدينة واستخلاص مستحقات الجباية (*إثمد العينين*، 1 : 229).

لبناية الباب شكل يشبه المستطيل، وتتكون من باب خارجي وآخر داخلي، يربط بينهما ممر منعرج وفضاء مكشوف وقاعة مغطاة بقبة ذات زاوية بارزة يفصل بين نصفيها قوس نصف دائري تجاورها قاعة صغيرة ذات شكل يقرب من المستطيل (*Les portes*, 124).

*رسائل موحدية*، تح. أحمد العزاوي، ج. 1، الدار البيضاء، 1995؛ مجهول، *كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين*، تح. هويثي ميراندا، مدريد، 1961ـ 1962 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، تح. عبد الهادي التازي، بيروت، 1987 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار*، تح. سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي، بيروت، 1990 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، السفر الثاني، تح. محمد بنشريفة، الرباط، 1984 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1973 ؛ ابن فضل الله العمري، *الاستبصار في مسالك الأبصار*، تح. مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء، 1984 ؛ ابن تكلات، *إثمد العينين*، تح. م. رابطة الدين، د.د.ع. كلية الآداب، الرباط، 1986 ؛ مجمع *اللغة العربية*، المعجم الوجيز، 1995.

C. Allain et G. Deverdun, *Les portes anciennes de Marrakech*, *Hesp.*, T. XLIX, 1957 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1959.

محمد رابطة الدين

## الربّاع (أجير) ← تاربّاعت

**الربّاع**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة جبل حبيب وقد انقرضت بهذه المدينة، مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت توجد بحومة الطرانكات دار تحمل اسم هذه الأسرة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون والمراجع العربية والأجنبية* في الرقم 1622.

محمد ابن عزوز حكيم

**رباني، محمد**، مقاوم ولد سنة 1935 بأگادير، وأثناء فترة شبابه تشبع بأفكار الحركة الوطنية، وانخرط في صفوف المقاومة المغربية، وانضم إلى المنظمة المعروفة بـ"الفرقة المتطوعة" التابعة "للمنظمة السرية" بأگادير، لمقاومة الاحتلال الفرنسي، وذلك سنة 1953. وكانت مشاركته فيها فعالة، إذ ساهم في تدبير عدة أعمال فدائية، وتبنت منظمته كامل مسؤوليتها عنها، ومنها :

ـ إشعال النار في مزرعة أحد المستعمرين، الواقعة على الطريق المؤدي من إنزكان إلى تيكوينْ سنة 1953.

ـ تحرير المناشر ورسائل التهديد التي وزعت على أرباب السفن الخاصة بالصيد البحري، وعلى أرباب المتاجر الكائنة بأگادير وإنزگان.

ـ إشعال النار في مزرعة الدكتور غُوسال الواقعة في أولاد دحُو بالكلومتر 33 بين أولاد تايمة وأگادير.

ـ الإشراف على شراء الأسلحة من تندوف، بواسطة المقاوم السيد إدبُويا الخليل.

وكان هذا المقاوم يقوم بأنشطته الفدائية بتنسيق مستمر وتام مع رفاقه في الكفاح، وبصفة خاصة مع المقاومين : رافعي سعيد، عبد القادر الجزائري، ناشيدي عبد الله والنوصيري محمد (أوشن).

وقد تمكنت الشرطة الفرنسية من إلقاء القبض عليه وعلى بعض رفاقه، وقدمتهم إلى المحكمة الابتدائية بأگادير التي نظرت في قضيتهم، وأصدرت في حقهم عدة أحكام. حكمت على المقارم رباني محمد بالسجن بتهمة الإخلال بالأمن العام وتحرير وتوزيع المناشر وإشعال النار. وسُجن بسجن الصويرة إلى أن أطلق سراحه، وانضم إلى جيش التحرير بعد ذلك. وبعد الاستقلال، تفرغ للقيام بأعمال حرة ولشؤون أسرته، وهو متزوج وأب لأربعة أبناء.

*معلومات عن قدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير*، بسجلات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير ـ نيابة الرباط ؛ *تقرير عن الأعمال الفدائية* التي قامت بها الفرقة المتطوعة التابعة للمنظمة السرية، من إنجاز السيد رباني محمد، وقُدِّم أمام لجنة التصفية المكلفة بمنح صفة مقاوم بأگادير ؛ *شهادة عبد الله النوصيري* (أوشن) على شكل استجواب محرر بتاريخ 25 و26 نونبر من سنة 1986 ؛ نبذ عن حياة قدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، وهي على شكل وثائق مرقونة، توجد بالمندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، نيابة أگادير.

خاليد أوشن

**الرَّبُّوسُو** El Raposo، قائد من العلوج البرتغاليين كان عاملاً على تازا من طرف السلطان مولاي عبد الملك، وفي ليلة 3 غشت 1578 فر من معسكر السلطان المذكور صحبة الأمير مولاي الناصر بن عبد الله الغالب والتحق بمدينة أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال.

B. Morales, *Jornada de Africa del Rey Don Sebastian de Portugal*, Sevilla 1622 y Madrid 1889 ; I.M. de Queiroz Velloso, *Don Sebastian* (Traduccion Española por Ramon de Garcia Soler), Madrid, 1943, p. 260.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرِّبُّون**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ripol ؛ وأما أفراد هذه الأسرة الذين مكثوا بالأندلس بعد سقوط غرناطة فقد أرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ripoli - Ripoll ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية* في الرقم 705.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرِّبَرْتير**، فارس وقومْط من نبلاء وقواد إمارة برشلونة وأرغون، تسميه المصادر الإسبانية El Reverter أو رُوبِرْتُو القَطَلوني. تختلف الأخبار بشأن انتقاله إلى المغرب، فهناك من يذكر أنه لجأ إلى المرابطين على إثر نزاع بينه وبين أمير برشلونة رامون برنجر الذي نزع منه ألقابه النبيلة وأمواله. بينما نجد في خبر آخر أن أمير البحر المرابطي علي بن ميمون أسره سنة 511 / 1117 في حملة بحرية ضد برشلونة، ووجهه إلى مراكش، فاعتنق الإسلام ولزم خدمة أمير المسلمين علي بن يوسف، الذي أسند إليه قيادة فرقة الروم في الجيش المرابطي فعرف بـ "قائد الروم)". وكانت هذه الفرقة مكونة من مرتزقة وأسرى مسيحيين، وأرقاء حصل عليهم المرابطون بالشراء من شواطئ جليقية وقطالونيا وغيرها.

ظهر نشاط هذا القائد في مواجهة حركة الموحدين بقيادة عبد المومن بن علي الگومي بعد وفاة المهدي بن تومرت، حينما طاردها الأمير تاشفين بن علي والربرتير في منطقة جزولة. وقاد الربرتير حملات متعددة لمحاربة الثوار الموحدين، وتمكن من التغلب عليهم عدة مرات بنواحي مراكش. وتسميه المصادر الموحدية بأسماء مختلفة، فهو عند البيدق الشنيور (Señor) أو الأبرتير، بينما تسميه رسالة رسمية موحدية بالعلج الأعرج.

تفرغ الربرتير ابتداء من سنة 533 / 1139 لمطاردة جيش عبد المومن في معارك طويلة متتالية، بنواحي حاحة في نفس السنة، وبأمزميز سنة 534 / 1140، وبأكطرور سنة 535 / 1141، فهزم المرابطون وجرح الربرتير ورجع إلى مراكش، ثم قاد حملة جديدة ضدهم بغيغاية والسوس. ولما أحس الموحدون بأن انتصاراتهم في هذا المنطقة المحدودة لم تترتب عليها نتائج حاسمة، نقلوا تحركاتهم إلى مناطق شمال المغرب، فأتبعهم أمير المسلمين تاشفين بن علي بعسكره ومعه قائده الربرتير، فاستقروا مدة بفاس لمراقبة تحركات الموحدين الذين يطوفون جبال فازاز وغياثة ويخضعون قبائلها. ثم انتقلت المطاردات إلى جبل لجاية وصنهاجة شمالي فاس، وقد هاجم الربرتير جيش عبد المومن في نواحي تازغدرا وقتل في الهجوم من الطرفين عدد كبير، ثم كر إلى نواحي بني تاودة. فسار الموحدون إلى بني مزگلدة ونواحي قصر عبد الكريم، وتبعهم المرابطون فعسكروا بتهليط قرب القصر. وكان المرابطون في كل ذلك

يريدون اعتراض طريق الموحدين ليوقعوا بهم في معركة يحددون ساحتها، في الوقت الذي كان فيه الموحدون يتلافون المواجهة، لذلك خططوا من جانبهم لجر الجيش المرابطي في مسيرة جبلية صعبة سنة 536 / 1142 امتدت إلى قبائل غمارة وتيكساس والمزمة. ثم اتخذت وجهتها شرقا نحو تمسمان وبني يزناسن، ومن هناك إلى نواحي وهران وتلمسان. ثم رجعت الحملة المرابطية إلى مدينة فاس عند حلول فصل الشتاء، ووصلهم خبر وفاة أمير المسلمين علي بن يوسف سنة 537 / 1143. وفي هذه الأثناء نجح عبد المومن في إخضاع نواحي تلمسان، فلما قصدها المرابطون لاسترجاعها دارت بين الطرفين معارك في تراب بني سنوس، في غارات متبادلة بين الربرتير وبين عبد المومن للسيطرة على غنائم زناتة قتل فيها الربرتير سنة 539 / 1144 قبيل مقتل تاشفين بن علي في نفس المنطقة. وترك هذا القائد ابنا هو أبو الحسن علي بن الربرتير الذي أصبح فيما بعد من قادة الجيش الموحدي المرموقين.

البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت*، تح. عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ط 2، 1986، ص. 135 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي، بيروت، 1990، ص. 140 ـ 215 ـ 237 ـ 238 263 ؛ ابن الأبار، *الحلة السيراء*، تح. حسين مؤنس، القاهرة، 1963، ج. 2، ص. 13، 222 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1985، ص. 18 ـ 19 ـ 20 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1981، ج. 6، ص. 476 ؛ م. عبد الله عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، القاهرة، ط 1، ص. 232 ـ 248.
A. Huici Miranda, *Historia politica del imperio Almohade*, Tetùan, T. I, p. 112.

محمد المغراوي

ابن **الرُبَرْتير**، أبو **الحسن** علي ولد الفارس الرُبرتير Reverter سابق الترجمة. اعتنق الإسلام كذلك، وتحول إلى خدمة الموحدين وصار من قادة جندهم وأحد رجالات دولتهم. أرسله الخليفة يوسف بن عبد المومن رسولا إلى صاحب ميورقة محمد بن إسحاق ابن غانية سنة 580 / 1184 على إثر وفاة أبيه إسحاق بن محمد ابن غانية يدعوه وإخوته إلى الطاعة. وقد رحب محمد بن غانية برسول الموحدين وأبدى الاستعداد للدخول في طاعتهم، لكن إخوته رفضوا هذا الأمر واعتقلوه، واعتقلوا أيضاً ابن الربرتير ومن كان معه من بحارة السفينة الموحدية. فظل رهن الاعتقال إلى أن توجه أمراء بني غانية وقوادهم لمواجهة ضغط الموحدين على جيشهم بإفريقية سنة 581 / 1185، فانتهز فرصة غيابهم وداخل بعض مواليهم وجنودهم الأعلاج الذين علم برغبتهم في الرجوع إلى بلادهم، ووعدهم بمساعدتهم إذا هم سهلوا له الخروج من السجن، وفعلا أخرجوه وساعدوه على القيام بانقلاب في الجزيرة ضد حكم بني غانية، فسيطر على قصبة مدينة ميورقة وانتزعها منهم أواخر سنة 581 / 1185. وأطلق سراح حاكم الجزيرة السابق محمد ابن إسحاق بن غانية انضم إليه، فأقامه الثوار حاكما عليها باسم الموحدين وعزلوا أخاه حاكم ميورقة طلحة بن إسحاق بن غانية. ثم عاد القائد علي بن الربرتير إلى مراكش بعد أن سرح الجنود المسحيين بأموالهم وأهليهم وأعادهم إلى بلدانهم وفاء بوعده لهم. وشارك بعد ذلك في معارك قفصة ضد بني غانية وقراقوش الغزي والأعراب سنة 583 / 1187 فأسر، وسلم لعبد الله بن إسحاق ابن غانية الذي أمر بتعذيبه حتى الموت.

ع. ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1985، ص. 175 ـ 183 ـ 184 ـ 188 ـ 189 ـ 240 ؛ م. عبد الله عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، القاهرة، ط 1، 1964، ج. 2، ص. 147 ـ 148 ـ 156 ـ 157 ـ 161 ـ 257 ؛ عصام سالم سيسالم، *جزر الأندلس المنسية، التاريخ الإسلامي لجزر البليار*، بيروت، ط 1، 1984، ص. 349 ـ 353 ـ 367.

محمد المغراوي

**الربَض البرّاني** بسبتة، أحد الأرباض الستة التي كانت تشكل أحياء مدينة سبتة في عصرها الإسلامي المغربي والربض البراني يصنف حتى الأرباض الثلاثة الموجودة على هوامش المدينة. ربما كان يحتل الجزء الأقصى من القسم الغربي للمدينة يحده غربا افراگ المتحدث في الفترة العربية (*معلمة*، 2 : 547).

فاصطلاح "البراني" يعني في العامية المغربية ما هو خارج عن المدار المركزي للمدينة. كان يشكل وحدة حضرية منغلقة محصنة بشكل قوي. كان يحيط بهذا الربض سور صلب البناء تتوسطه خمسة أبواب (*اختصار*، 45). كما يفصله عن باقي الأحياء عدد من الحفائر. وكان يشكل مجالا حضريا مغلقا يصعب اقتحامه وذلك إلى حدود بداية القرن الثامن (14 م) حين أمر السلطان المريني أبو سعيد بهدم سوره الممتد من حافة الغدار إلى مضرب الشبكة (*اختصار*، 44).

من الصعب حاليا وفي غياب وثائق تاريخية جديدة ـ معرفة الخصائص العمرانية والبشرية التي كان يتميز بها هذا الحي. ومع ذلك نميل إلى القول إن الحي بحكم موقعه الجغرافي المطل على بادية سبتة كان أكثر الأحياء استقبالا للهجرة القروية. يقول ابن القاسم الأنصاري إنه كانت توجد به الحارة والكسابون أي مربو الماشية. وللحارة مدلولان في العامية المغربية ولا ندري أيهما المقصود في النص. فهي تدل على حفير تلقى فيه الجيف ونفايات النقدية. كما تدل أيضاً على معنى الحي أو "الحومة" حسب الدراجة المغربية (*اختصار*، 43، إحالة رقم 87). وقد نميل إلى الاعتقاد أن المقصود هو المعنى الثاني، إذ أن الحفير يكون عادة خارج أسوار المدينة حتى لا يؤذي نتنها السكان، لذا لا يصح أن يكون داخل الربض. قد يكون الحي أكثر اكتظاظا بالساكنة من عامة الناس وهنا يمكن أن نجد جواباً للأسباب التي دعت

أبا سعيد المريني إلى هدم أسوار هذا الربض ربما لما كانت تشكله من خطر على السلطة القائمة. فثورات الأرباض معروفة في تاريخ الأندلس والمغرب ضد الجور والظلم وسوء التدبير. وقد سجل التاريخ للسبتين ثورات عديدة ضد قادتها نذكر من بينها ثورتهم ضد الينشتي (*Ceuta*, 92). ومن الثابت أن عامية السكان في سبتة شكلت عنصراً إيجابيا في الدفاع عن المدينة ضد الغزاة الأجانب كما حدث مثلاً سنة 632 / 1235 حينما حاول الجنويون اقتحام سبتة عنوة ( *البيان*، 350).

أما المجال الحضري فالظاهر أنه كان أكثر بساطة من حيث طبيعة العمران.

ويبدو أن اختفاء هذا الحي حدث بشكل سريع جداً بعد سنة 818 / 1415 ، أي بعد الاحتلال البرتغالي للمدينة، بحيث لا نجد له ذكراً في المصادر المتأخرة.

ابن القاسم الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1403 / 1983 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، تح. محمد إبراهيم التازي وآخرين، بيروت ـ لبنان، 1406 / 1985 ؛ *معلمة المغرب*، مطابع سلا، 1410 / 1985، المجلد الثاني.

زليخة بنرمضان

**ربض فاس**، يقع غربها وقرب القصبة الموحدية، على أرض صخرية صلبة عارية. وكانت تقيم عليها مجموعات من الدور، تشبه الأكواخ، وتضم ساكنة هامة.

وصفها لوطورنو بالقرى. وحدد الوزان عددها في خمس. الربض الثاني منها اعتبر كحارة للمجذومين، وكان يضم مائتي دار ؛ ويقع بين باب محروق وهضبة المرينيين، وقرب باب عجيسة، غير أن عدد دوره قد تقلص إلى الستين، في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م).

أما الأول من هذه الأرباض، حسب تصنيف الوزان ؛ فهو أكبرها حجما وأكثرها سكانا حيث كان يضم خمسمائة عائلة ؛ ويقع ناحية مطامير المرابطين. والثالث والرابع كانا يضمان على التوالي مائة وخمسين ؛ وأربعمائة عائلة، ويقعان شمال فاس الجديد. أما الخامس فقد وصف لُوطُورنُو دوره التي تبلغ نحو المائة بالأكواخ.

وإذا كانت فترة نشأة هذه الأرباض وبداية تدميرها مجهولة التحديد، فمن المرجح،أن بداية ظهورها، قد انطلقت، منذ فترة الحكم المرابطي، على اعتبار أن حراس مطامير القمح التي كانت موجودة بها هم الذين وضعوا نواة المساكن الأولى بها. ويفترض لوطورنو أن مباني قد شيدت خارج أسوار فاس منذ العهد المرابطي ولا يستبعد أن تكون من بينها هذه المجموعات من الدور التي تشكلت منها هذه الأرباض بعد تكاثرها مع مرور الزمن، ليصل عددها إلى الحجم الذي شاهده الحسن الوزان في بداية القرن العاشر (16 م). ويبدو أن بناءها كان قد تم بشكل عشوائي، حيث كان مجالها الجغرافي يفتقر إلى التخطيط والتنظيم. وتكثر الحفر في أزقتها وأسواقها.

وإذا حصرنا معدل عدد السكان في كل دار أو مسكن في ستة أشخاص فنصل إلى الأعداد التالية انطلاقا من المعطيات الإحصائية التي قدمها الوزان نفسه :

الربض الأول : 500 × 6 = 3000
الربض الثاني : 200 × 6 = 1200
الربض الثالث : 150 × 6 = 900
الربض الرابع : 400 × 6 = 2400
الربض الخامس : 100 × 6 = 600
المجمـــوع : 8100

فهذه الأرقام تبين أن تلك الأرباض كانت تحتضن تجمعا سكانيا هاماً، بالقياس مع الفترة المتحدث عنها. ومن المعلوم، أن هؤلاء السكان كانوا منحدرين من أصول مختلفة، مصمودية وصنهاجية وهلالية كانت قبائلها تكتسح نواحي فاس وجهاته، يضاف إلى ذلك فائض تلك الأعداد التي كانت تفد على المغرب، سواء من بلدان المغرب الكبير، أو من الأندلس مثل أهل قرطبة الذين حلوا بفاس ونواحيها فراراً من بطش الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الأموي أثناء معركة ربض قرطبة سنة 202 / 817 ، ثم إن ناحية فاس مثل باقي المناطق المغربية كانت تتعرض طوال العصور إلى هجرات بشرية متتابعة حُكم عليها بالتنقل والبحث الدائم عن الكلإ والمراعي. وقد عرف العهد السعدي وبداية فترة الحكم العلوي تحركات لهذه القبائل، كان أشد نشاطها في فترة المولى إسماعيل. وبذلك اقتربت عناصر القبائل من المدينة فأدمجت ضمن جماعات أخرى فتلاحمت وتلاقحت. ولا يستبعد أن تكون من أهم أسباب إقامة العديد من هؤلاء السكان بعد تكاثرهم في هذه الأرباض، ناتجة إما عن عدم توفر مدينة فاس على دور لإيوائهم لأنها كانت تضيق ذرعا بكثرة سكانها ؛ أو أنهم من أولئك الذين فقدوا أرضهم وأصبحوا يشكلون فائض اليد العاملة، في الحقول والمراعي. يقول الوزان : "... والفلاحون الذين لا يريدون البقاء في البادية ولا يستطيعون ذلك" فهاجروا إلى المدينة لاحتراف الأعمال. ولم يكن لهم من اختيار سوى الاستقرار في هوامشها، خاصة في جو الغليان السياسي الذي كانت تعرفه المنطقة في القرن العاشر (16 م). وكان سكان هذه الأرباض يتألفون، اجتماعياً، من فئات ثلاث :

أولاً : الفلاحون الفقراء الذين كانوا يعملون في الأراضي المجاورة التي كان أعيان المدينة يملكونها.

ثانياً : الحرفيون والصناع المتواضعون كالبنائين وخدام القصر والنقالين.

ثالثاً : تجار صغار في دكاكين متواضعة. والتجار المتنقلون في أسواق المنطقة كسوق الخميس الأسبوعي الذي كان حافلاً بالمنتجات الفلاحية التي كانت تنتجها حقول وبساتين المنطقة.

ولتأمين وضمان مستوى عيش متواضع، كان سكان هذه الأرباض يربطون علاقة إنتاج وعمل مع الجارة فاس.

فكانوا يقومون بخدمة أهلها. وقد فرض مجال تبادل المصالح على فاس، تزويدهم بالخدمات وإنتاج الحرف، والإشراف على إدراة شؤونهم، وتنظيم حاجياتهم. وبالمقابل كان كثير من سكان الأرباض يشكلون يداً عاملة، كانت تشتغل في مختلف الخدمات والإنتاج الحرفي، داخل المدينة. وبذلك كانت فاس وبما تقدمه من مناصب شغل، تقوم بامتصاص جزء هام من السواعد القادرة على العمل في تلك القرى.

ومع ذلك لم يكن بإمكان تلك الفئات من الحرفيين، والتجار والعمال خلق ظروف اقتصادية، تساعدهم على تحسين مستوى عيشهم أو تغييره ؛ ولذلك ظلت حاجاتهم البسيطة، بساطة مساكنهم، مرتبطة بقانون البقاء. فقد كانوا يشكلون "فقراء القوم" حسب تعبير الوزان. وحسب ما نستنتجه من المعطيات التي قدمها صاحب *وصف إفريقيا*، فإن عيشهم ظل مطبوعا على الدوام بالتقشف المستمر، وأن أغلبيتهم كانت تواجه بطالة مذلة وفراغا قاتلا. وحتى لو توفرت فرص الشغل لبعضهم، فهي إما مؤقتة أو موسمية مثل ما كانت تقدمه الحقول والضيعات الفلاحية المجاورة أو منجم وأفران الجير التي تستخدم الصخور المحلية أو القليل من الخدمات البسيطة التي تقدمها حارة المجذومين لمرضاها".

وكانت أوضاعهم الاجتماعية تزداد سوءاً إبان حدوث القحط والمجاعات كالذي حدث في المغرب في الفترة المرينية سواء سنة 678 / 1279 أو سنة 693 / 1293 أو كالذي حدث في الفترة السعدية "حيث عرفت فاس وناحيتها طوال العصر السعدي فترات مظلمة تسببت فيها قلة الإنتاج الناتجة عن الجفاف والفيضان... فأدى ذلك إلى مجاعات مهولة" أو في فترة حكم العلويين حيث توالت سنوات الغلاء والقحط من 1721 إلى 1724 ثم في سنوات 1776 - 1779 ؛ 1782 - 1800 - 1818 - 1820 وما كانت تسببه من مجاعات وانتشار الطاعون في مثل هذه الظروف أو في ظروف التقشف والفقر والحاجة كان يعيش سكان الأرباض بفاس وهو ما كان يؤثر سلبا على حياتهم الاجتماعية خاصة عندما يضعف الحضور المخزني، أو يتوارى داخل المدينة ؛ أو يصبح متقطعا، فيقل الأمن ويفسح المجال أمام تدني السلوك السوي وانحطاط الفضائل وانتشار المفاسد، والرذائل واللجوء إلى الشعوذة ولكل مظاهر الانحراف. قال الحسن الوزان موضحا ذلك أثناء حديثه عن أحد هذه الأرباض : "بحيث يمكن القول إن هذا الربض هو ظرف لجميع أقذار المدينة" من هنا يمكن القول إن سكان هذه القرى كانوا يبذلون جهداً جهيداً، وعناء شديداً، لسد حاجياتهم اليومية المتواضعة، ونتيجة لذلك، فقد ظلوا أُسارى دائرة اقتصادية واجتماعية مغلقة لم يستطيعوا اختراقها. ومع هذا كله فقد استمرت عندهم شروط وضوابط تقليدية موروثة هي التي كانت تنظم حياتهم العامة واليومية، رغم ما كان يطبع حياتهم من هشاشة الاستقرار وقلة الأمن حسب ما أكده الوزان بقوله :

"... ولا يرى به (أي بالربض) أحد في الدكاكين بعد الساعة الثامنة مساء..."

وعلى اعتبار أن هؤلاء السكان كانوا يشكلون وحدات اجتماعية ؛ فإن تكيف عناصرهم وانسجامهم، جاء على ما يبدو، كنتيجة لتفاعلهم مع المعطيات غير الملائمة لوسطهم الاجتماعي والاقتصادي.

ج. ابن منظور، *لسان العرب*، 7 ج ص. 152 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980، ج. 1 ص. 215 ؛ روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، تر. م. حجي وم. الأخضر، ج. 1، ص. 110 ؛ م. حجي، حارة المجذومين بفاس، *معلمة المغرب*، ج 1، 10، ص. 3272 - 3273 ؛ *إحالة في وصف إفريقيا* ؛ ابن عذاري، *البيان*، تح. كولان وبرڤانسال، ج. 2، ص. 77 ؛ ابن الأبار، *كتاب الحلة السيراء*، تح. مؤنس، ج 1، ص. 44، وراجع كذلك *العبر*، ج. 4، 274 و*نفح الطيب*، ج 1، ص. 339 ؛ م. مزين، *فاس وباديتها* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 405 - 409، الرباط ؛ م. الأمين البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب*، الرباط.

عبد السلام السعيدي

**الربضيون** أصحاب الثورة العارمة بقرطبة يوم 13 رمضان سنة 202 / 25 مارس 818. المعروفة بثروة الربض، نسبة إلى ربض شقندة بالعدوة القصوى لقرطبة، وذلك على عهد الأمير الحكم الأول بن هشام بن عبد الرحمن الأموي (180 - 206 / 796 - 822) احتجاجا على توظيفه بعض المكوس، وعلى أشياء تتعلق بذاته من بطالة وإخلاد لحياة اللهو والخمر، فنادوا بخلعه، وكان فيهم عدد من أهل العلم والورع من فقهاد قرطبة كيحيى بن يحيى الليثي وأخيه، وطالوت بن عبد الجبار وغيرهم. وقد قمعت هذه الثورة بقسوة بالغة، فانهزم الثوار وقُتل منهم أعداد كثيرة قدرت بعشرة آلاف رجل، وصلب على وادي قرطبة حوالي 300 من زعمائهم "فلم ير مُمثَّلون أكثر منهم عدداً ولا أهول منظرا" *(الحلة السيراء)*، وأُسرت أعداد أخرى واستُبيح حيهم ثلاثة أيام، فنهبت دورهم وأحرقت، ثم هدم الربض عن آخره فأصبح أثرا بعد عين وتحول إلى أرض زراعية. ولقب الأمير الحكم بسبب هذه البطشة الكبرى بالحكم الربضي، وبعد انقشاع غيوم الأزمة تنبه إلى العنف غير المبرر الذي ارتكبه فظل بقية حياته يعاني من الندم على تصرفه ذاك إلى وفاته سنة 206.

وبعد إخماد الثورة أمهل الربضيون من الثوار وغيرهم ثلاثة أيام لمغادرة الأندلس، تحت طائلة التعرض للقتل، فأجلى عدد كبير منهم عن قرطبة وتفرقوا في البلاد، ففضل عدد من العلماء والصلحاء التوجه شمالا إلى مدينة طليطلة التي كان أهلها مخالفين للحكم، وحصلوا بعد ذلك على أمان من الأمير الحكم يسمح لهم بالتوجه أنّى شاءوا

من الأندلس سوى قرطبة. وتوجهت جماعات أخرى من الربضيين إلى المشرق، قدر ابن القوطية عددهم بـ 15000 شخص، انتهى بهم المطاف إلى الأسكندرية، وبعد صراعات ومواجهات مع أهلها نقلوا إلى جزيرة اقريطش (كريت) في بداية حكم الخليفة المأمون العباسي فعمروها.

أما أغلب جالية الربض فقد حلوا بسواحل المغرب الأقصى، والتحق عدد كبير منهم بمدينة فاس التي كان أميرها الشاب الإمام إدريس الثاني (ت. 213) منشغلا في إتمام بناء الدولة المغربية الأولى في حماس شديد بدعم من القبائل المغربية، وممن كان يلتحق به من حين لآخر من المهاجرين العرب من المشرق والأندلس، وقد أحسن الأمير إدريس استقبال اللاجئين الجدد وواساهم في محنتهم وأكرمهم. وأقطعهم أرضا بالمدينة كان قد اشتراها من بني الودون الزواغيين بستة آلاف درهم، فأنشؤوا عليها عدوة الأندلسيين التي تنسب إليهم، "فاحتلوا بعدوة فاس، فهم عدوة الأندلس منها، فصيروها مدينة" (ابن عذاري)، وساهموا بذلك في تعمير المدينة وتوسيعها، خاصة وأن أعدادهم كانت كبيرة، فقد قدر المؤرخ ابن أبي زرع الفاسي عدد من استقر منهم بفاس بثمانية آلاف بيت. وقد ساكنوا في عدوة الأندلس برير المنطقة من مصمودة وكرواوة وزناتة ولواتة وصنهاجة دون أن يقع بينهم تنافر يذكر. وقد بنوا أحياء العدوة الجديدة على طراز أندلسي، كما أنهم نقلوا عاداتهم الاجتماعية القرطبية وتقنياتهم في الصناعة والفلاحة. وقد أدمجت العدوة في مشروع العاصمة الإدريسية الحديثة، فأحيطت بسور ربطها بعدوة القرويين التي كان سورها قد بني سنة 193.

وفي غضون الأحداث التي تعرضت لها الدولة الإدريسية في مرحلة ضعفها في أوائل القرن الرابع (10 م) تفرق عدد كبير من أهل فاس، خاصة من الموالين للأدارسة، وكان منهم مجموعات من هؤلاء الأندلسيين توجهوا إلى بعض جهات تادلا، على الطريق بين فاس وأغمات، مثل موضع أوزقور، الذي سكنه "قوم يعرفون ببني موسى من ربضية الأندلس، فاستفسدوا إلى من جاورهم، وأساؤوا عشرتهم فحاربوهم، فغلب الأندلسيون وقُتل منهم كثير، وافترق باقيهم ببلاد أغمات، وبقي منهم بأوزقور يسير بالأمان، فهم بها إلى اليوم" (البكري). وقامت مجموعة من الربضيين ببناء مدينة أغيغى قرب ورزيغة على نفس الطريق، وسكنوها مدة، ثم أجلاهم عنها برير المنطقة، فأخلوها وانتقلوا إلى مدينة وليلي، وبذلك تمزقت عصبتهم وتفرقوا جماعات صغيرة في مناطق متعددة، لذلك لم نجد بين أسر فاس التي ذكرها ابن الأحمر في *بيوتات فاس الكبرى* من ينسب إلى ربضية الأندلس. وقد لاحظ ابن عذاري أن الربضيين" لم يخرج منهم طائفة بناحية من نواحي الدنيا إلا وتغلبوا عليها، واستوطنوها على قهر من أهلها".

وبقيت فرقة من إينولتان المجاورين لدمنات، تسمى آيت واودانوس، ينتسب أهلها إلى الأندلس أيضاً، ولا يبعد أن يكونوا من بقية الربضيين. مما يؤكد امتزاج هؤلاء الأندلسيين بمرور الوقت مع سكان المناطق التي سكنوا بها، وغلبت الأمازيغية عليهم بمرور الزمن، ولم يعودوا يذكرون عن أصلهم سوى روايات بعيدة.

م. ابن الأبار، *الحلة السيراء*، تح. حسين مؤنس، القاهرة، ط 1، 1963، ج. 1، ص. 44 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، نشر دي سلان، باريس، 1911، ص. 155 ؛ ابن حيان الأندلسي، *المقتبس*، القسم الثاني، مخطوط، طبعة فكسملية، مدريد، الأكاديمية الملكية التاريخية، 1999، ص. 103 ـ 103 ـ 109 ـ 109 ؛ ل. ابن الخطيب، *كتاب أعمال الأعلام، قسم الأندلس*، تح. ليفي بروفنصال، بيروت، ط 2، 1956، ص. 15 ـ 16 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973، ص. 47 ؛ م. ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، تح. كولان وليفي بروفنثال، تونس، ط 3، 1983، ص. 75 ـ 77 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1988، ج. 1، ص. 339 ؛ أ. النويري، *تاريخ المغرب الإسلامي من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب*، تح. مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، 1985، ص. 89 ـ 90 ؛ لوطورنو، روجي، *فاس قبل الحماية*، تر. م. حجي، م. الأخضر، بيروت، 1986، ج. 1، ص. 76 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، إينولتان، 1850 ـ 1912، الرباط، 1983، ص. 57 ؛ هـ. العلوي القاسمي، *مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري*، الرباط، 1995، ج. 2، ص. 383.

محمد المغراوي

**الربعي، عتيق** بن عمران بن محمد بن عبد الله النفزاوي يكنّى أبا بكر، فقيه من أهل سبتة، كان محققا بفقه المذهب المالكي مع مشاركة في غيره من العلوم، كما كان من أهل الورع والأمانة. صحب أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين، وولاه قضاء سبتة مدة، ثم وجهه فيما يبدو برسالة إلى الخليفة العباسي ببغداد. وكتب في رحلته المشرقية هذه الحديث هو والعالم الشهير أبو علي بن سكرة الصدفي (ت. 511) عن أبي الفضل بن خيرون وأبي الحسن العاصمي وأبي عبد الله بن فتوح الحميدي الأندلسي (ت. 488) في حدود سنة 482. أقام المترجم بالعراق عدة سنوات تعمق فيها في الفقه والأدب، وسمع بها الحديث أيضاً عن أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الطيوري (ت. 500). وفي نفس الوقت أخذ عنه بعض علماء بغداد روايته عن شيخه الحسن بن محمد بن عمران الإشبيلي، وقد سمع منه أبو البركات هبة الله بن المبارك السقطي، وروى عنه في معجم شيوخه. ثم انتقل إلى البصرة فسمع من أبي يعلى أحمد بن محمد المالكي (ت. 490) وأبي القاسم عبد الملك ابن علي الأنصاري (ت. 484).

وبعد سنوات إقامته بالعراق قفل راجعا إلى المغرب، فردت الريح مركبه إلى الأسكندرية، وهناك ألقى الفاطميون عليه القبض ووجدوا معه كتب الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله إلى الأمير يوسف بن تاشفين، فرفع إلى أمير الجيوش بدر الجمالي الذي قتله سنة 484. ويبدو أن فشل هذه السفارة هو الذي دعا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى تكليف سفارة أخرى بمهمة مماثلة لدى خليفة بغداد قام بها العالم الإشبيلي أبو محمد عبد الله بن العربي المعافري وابنه أبو بكر ابتداء من سنة 485 / 1092.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، د. ت. ج. 4، ص. 26 (ترجمة 65).

G. Vajda, *L'aventure tragique d'un cadi maghrébin en Egypte fatimide, Arabica*, T. XV, fasc. 1, Fév. 1968, p. 1 - 5.

محمدالمغراوي

## **ربعين** (أيت -) ← **أربعين** (أيت -)

ابن **الربيب**، أبو **الفضل**، كان واليا للخراج في عهد السلطان أبي سالم المريني. وقد ارتبط ذكره في المصادر التاريخية المغربية بحادثة وقعت له مع لسان الدين بن الخطيب. فابن الربيب هذا كان مكلفا من طرف السلطان المريني بصرف جراية ابن الخطيب وغيره من أعيان الأندلس الذين قدموا إلى المغرب، ويظهر أن ابن الربيب لم يكن سخيا مع ابن الخطيب في الإيفاء بحقوقه الأمر الذي جعله يشتكيه إلى الحاجب أبي عبد الله بن مرزوق الخطيب بنظم مشهور وصفه فيه بالجهل والرعونة والخيانة. كما ألف ابن الخطيب رسالة في شخص ابن الربيب سماها قَطْعُ الفَلاَةِ بأخبار الولاة.

ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 129، 151، 159 ؛ المقري، *أزهار الرياض*، الرباط، 1978، ج. 1، ص. 274، 275.

ابن **الربيب، محمد** بن أحمد الكتامي، الفقيه صاحب القلم الأعلى وكاتب علامة السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني.

مجهول، *الدخيرة السنية*، الرباط، 1972، ص. 87 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973، ص. 299 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 18 ؛ مستودع *العلامة*، تح. التركي ومحمد بن تاويت الطنجي، تطوان، 1964، ص. 49 ؛ *نثير الجمان*، تح: محمد رضوان الداية، بيروت، 1976، ص. 454 ؛ *النفحة النسرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 38.

رشيد السلامي

**الربيع**، هي الفترة الممتدة من 21 مارس إلى غاية 20 يونيو من كل سنة وهي الفترة التي تعرف عودة تركيز الطاقة الشمسية للنصف الشمالي عقب تعامد الأشعة خلال الثانية عشرة زوالا من يوم 21 مارس مع خط الاستواء مما يترتب عنه طبعا مرور دائرة الإضاءة بالقطبين فتتساوى إثر ذلك مدة الليل والنهار عند جميع العروض، يعقبه مباشرة زيادة متنامية لمدة النهار ونقصان في مدة الليل في كل النصف الشمالي ويحدث العكس تماما في النصف الجنوبي.

وهذا التحول في الظروف الكونية الخاصة بهذا الفصل والمتمثلة في تركيز أكبر للطاقة الواصلة إلى سطح مختلف عروض النصف الشمالي بحكم أن زوايا سقوط الأشعة أصبحت هي الأخرى أكبر مما كانت عليه خلال فصل الشتاء سينتج عنه تغير مهم في الظروف الإشعاعية والحرارية لهذا الفصل ولخصائصه النوعية.

بالنسبة للمغرب يمثل فصل الربيع من الناحية المناخية وبحكم موقعه من العرض بداية تغيرات هامة تهم بالأساس الحركة الهوائية العامة عند عروض المغرب والتي تتمثل على وجه الخصوص في بداية تزحزح نظام الضغط الجوي نحو الشمال من عروضه تبعا لحركة الشمس الظاهرة مما سيؤدي إلى بداية الابتعاد التدريجي لمؤثرات العروض الوسطى عن المنطقة المغربية بوجه خاص والمنطقة المتوسطية بوجه عام. ولعل أبرز مظهر لهذا التغير يتجلى في بداية انتقال مسارات اضطرابات الجبهة القطبية هي الأخرى نحو الشمال مما يجعل هذا الفصل يحتل من حيث أهمية التساقطات المرتبة الثالثة بعد الشتاء والخريف.

ويرسم معالم الوضعية الجوية العامة خلال هذا الفصل بالنسبة للمغرب تظافر فعل عاملين أساسين، أولهما تحرك نظام الضغط شيئا فشيئا باتجاه الشمال كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وثانيهما أن التركيز الطاقي الذي أصبح يهم النصف الشمالي والتسخين العام الذي يبدأ يعرفه هذا النصف سيؤدي إلى تقليص التناقض الحراري ما بين العروض العليا والدنيا لهذا النصف على وجه الخصوص فتنخفض على إثر ذلك قوة الممال الضغطي ومعها سرعة التيارات الهوائية النطاقية ولاسيما سرعة التيار النفاث في الأجواء العليا مما يجعل رسمه يشكل انعراجات ذات مدى كبير تجعل حقل الضغط بالقرب من عرض المغرب تغلب عليه الوضعيات الطولانية (حسب خط الطول) أو شبه طولانية والتي تجعل الاضطرابات التي تهم المغرب خلال هذا الفصل تتخذ عموما مسارات شمالية غربية. كما أن من نتائج هذه الانعراجات الكبيرة للتيار النفاث حدوث تدفق مهم للهواء البارد في الأجواء العليا نحو عروض أكثر فأكثر جنوبية عبر ما يسمى بالأودية الباردة تتسبب في تكوين حالات نشوء اضطرابات محلية ذات أهمية من حيث كمية الأمطار بالنسبة للمغرب.

أمطار هذا الفصل تعرف تغايرية مجالية وزمانية

كبيرة، وهي عموما إن كانت ذات أهمية أقل من أمطار الشتاء والخريف فإنها تبرز بشكل متميز في المناطق الداخلية حيث تزداد نسبة الأمطار العاصفية في الكميات الإجمالية المتلقاة خلال هذا الفصل والناتجة عن التصاعدات الحرارية التي تبدأ تظهر خلال هذا الفصل موازاة مع الزيادة المطردة للحرارة. لذلك يلاحظ أن التركيز الأقصى للتساقطات الشهرية تحدث في كثير من المحطات الداخلية المغربية خلال شهر مارس وأبريل عوض شهري نونبر أو دجنبر كما هو الحال في المناطق الساحلية. فتصبح بنية الكميات المتلقاة خلال هذا الفصل في المناطق الأولى هي الأمطار الجبهية والمترتبة عن الاضطرابات والأمطار ذات الأصل الحراري التصاعدي بينما بينة أمطار المناطق الثانية تقتصر على النوع الجبهي. أما حرارة هذا الفصل فلها طابع انتقالي جد متميز حيث تبقى نسبيا منخفضة في بداية الفصل ومرتفعة نوعا ما في نهايته وذلك طبعا موازاة مع تنامي وتيرة الوضعيات الجوية القارية الممهدة لحلول فترة الصيف.

علي البليشي

ابن أبي **الربيع السبتي**، أبو الحسين عبيد الله بن أحمد القرشي، ولد بإشبيلية في نهاية القرن السادس (12م) وبها درس النحو على طبقة عالية من نحاة الأندلس أمثال الأستاذ أبي عمر محمد التميمي والأستاذ أبي الحسين علي بن جابر الدباج والإمام أبي علي عمر الشلوبين وهو عمدته في النحو عموماً وفي *كتاب سيبويه* خصوصاً، وتصدر ابن أبي الربيع لتدريس النحو وهو ما يزال غلاماً يافعاً بأمر شيخه الشلوبين الذي كان يبعث إليه بصغار الطلبة. ولما مات الشلوبين خلفه ابن أبي الربيع في كراسيه النحوية بالجامع الأعظم بإشبيلية. فاشرأبت إليه الاعناق إلى أن سقطت إشبيلية في يد المسيحيين (5 شعبان 646 / 23 نونبر 1248) فنزح عنها ابن أبي الربيع في حملة من نزح إلى مدينة سبتة واستوطنها إلى الوفاة.

وصلة ابن أبي الربيع بسبتة قديمة ترجع إلى عهد الطلب، فقد أخذ عن إمامها الشهير أبي العباس العزفي (ت. 633 / 1235) ومن حسن حظ علماء إشبيلية أن كانت أيامَ نكبتهم دولةُ الأمراء العزفيين العلماء الكرماء قائمة مزدهرة بسبتة وطنجة، فأووا إلى حمى الرئيس العالم أبي القاسم العزفي، ونال ابن أبي الربيع حظوة خاصة عند هذا الأمير وبنيه، وعاش في كنفهم مكفي المؤونة متفرغاً للتدريس والتأليف، يذكرهم في مقدمة مؤلفاته ويشيد بفضلهم وجودهم، ككتابي البسيط والكافي في الإفصاح.

اشتهر ابن أبي الربيع بالتبريز والإمامة في النحو، ومع ذلك كانت ثقافته متنوعة متينة على نموذج ثقافة عصره التي تغلب عليها "المشاركة" في مختلف العلوم النقلية والعقلية، بحيث لم يقلّ تحصيله لعلوم القرآن والحديث والفقه والأصول والفرائض عن تحصيله في النحو واللغة والأدب، بل نجده يحلى في بعض الكتب بإمام الفرضيين، وترجمه ابن الجزري في *طبقات القراء*.

وذكر ابن أبي الربيع في *برنامجه* أنه درس أربعين كتاباً سماها من أمهات هذه العلوم فضلاً عن أبعاض كتب أخرى لم يذكر أسماءها، قرأها على اثني عشر شيخاً من شيوخ إشبيلية وسبتة وفاس، أجازوه إجازات عامة بأسانيد متصلة بمؤلفي تلك الكتب. ولم تقتصر دراسة ابن أبي الربيع للكتب المذكورة علي مجرد الفهم، بل كان يحفظ بعضها عن ظهر قلب ويعرضه على شيوخه كما يعرض عليهم سور القرآن. ومن جملة محفوظاته : *فصيح ثعلب*، *وإصلاح المنطق* لابن السكيب، *والحماسة الأعلمية*، *وأشعار الستة* بترتيب الأعلم الشنتمري أيضاً، *وأدب الكتّاب* لابن قتيبة.

وقرأ أبو الحسين ابن أبي الربيع وحمل، في جملة ما قرأ وحمل، من الأمهات : *كتاب سيبويه*، أخذه عن الإمامين أبي الحسن اللخمي الدباج، وأبي علي الشلوبين، وحمله عنهما بسند متصل بأبي العباس المبرد، عن أبي عثمان المازني، عن أبي الحسن الأخفش، عن المؤلف سيبويه.

وقرأ كتاب *الإيضاح* لأبي علي الفارسي على الإمامين أبي القاسم ابن بقي بن مخلد، وأبي علي الشلوبين، ورواه عنهما بسند متصل بالقاضي أبي بكر بن العربي، عن أبي الفوارس شجاع الذهلي، عن أبي الحسين هلال بن الحسن، عن المؤلف أبي علي الفارسي.

وقرأ كتاب *الجمل* لأبي القاسم الزجاجي، عن الإمامين محمد بن خلفون الأونبي، وأبي علي الشلوبين، وحمله عنهما بسند متصل بأبي الحسن الأنطاكي، عن المؤلف أبي القاسم الزجاجي.

ألف ابن أبي الربيع كتباً أمهات في مختلف العلوم الشرعية واللسانية والأدبية هي في الواقع تسجيل حي أمين للدروس التي ظل يلقيها على طلبة إشبيلية وسبتة طوال زهاء سبعين سنة، وذكر بروكلمان أسماء أربعة كتب على أنها كل ما وصل إلينا من تآليف أبي الحسين بن أبي الربيع - حسبما بلغ إليه علمه - وهي *البرنامج* الذي كتبه تلميذه أبو القاسم ابن الشاط، *والمختصر* في النحو المخطوط بالأسكوريال، *والقوانين النحوية* المخطوط بالقرويين، وشرح *الإيضاح* المخطوط بالقرويين أيضاً. وفات بروكلمان من تآليف ابن أبي الربيع التي أبقى عليها الدهر كتابه *البسيط*، وهو شرح الجمل للزجاجي المخطوط بالخزانة العامة بالرباط، *وتفسير القرآن الكريم* المخطوط أيضاً بالخزانة العامة، ولم يصل إلينا - للأسف - أهم كتاب ألفه ابن أبي الربيع وهو شرحه *لكتاب سيبويه*، إذ بذكره سارت الركبان في حياة المؤلف وبعد وفاته، ونال إعجاب نحاة المشرق والمغرب على السواء.

ومن مميزات مؤلفات ابن أبي الربيع أنها في مجملها

ضخمة، يبلغ بعضها عشرة أجزاء مثل *البسيط في شرح جمل الزجاجي*، ويقدر بعضها بما ينيف عن ثلاثين جزءاً مثل *تفسير القرآن الكريم*، في حين لا يوجد منها أو بالأحرى لم نطلع منها إلا على أجزاء قليلة مبعثرة هنا وهناك، ولا شك أن المكتبات العامة والخاصة في الشرق والغرب تحتوي على سائر الأجزاء تامة أو ناقصة أو مكررة، منسوبة إليه أو غير منسوبة. ومن السهل على من يوفقه الله للبحث عن بقايا آثار ابن أبي الربيع وجمع شتاتها أن يكتشفها ويميزها عن غيرها متى عرف أسلوب هذا الرجل وتمرس بطريقته في العرض والشرح والتمثيل.

وتصطبغ مؤلفات ابن أبي الربيع في الظاهر بصبغة مؤلفات عصر الانحطاط، إذ هي في معظمها شروح لكتب قديمة، لكن من قرأها وأمعن النظر فيها وجدها أقرب إلى مؤلفات عصر الأصالة في القرون الأولى منها إلى كتب المتأخرين، ذلك أن ابن أبي الربيع لا يتقيد في شروحه بألفاظ المتن يؤولها ويوضحها ويمثل لها كما يفعل جمهرة الشراح، وإنما يتخذ المتن كأساس وتصميم لما يكتب، فتراه يبدأ الباب بمقدمة تعطي فكرة عامة عن الموضوع، وترسم خطوطه العريضة ـ كما يقال ـ ثم يشرع في أخذ عبارات المتن واحدة واحدة، سائراً في عرضه حسب التصميم المرسوم، مفضلاً القول في الجزئيات تفصيلاً متناسقاً، لا تشعر معه بلفظ المتن إلا عندما يأتي بعبارة "قوله ..." دونما تقطع في التعبير أو تعثر في السياق. على أن لابن أبي الربيع كتباً مستقلة قائمة بذاتها، مثل *القوانين النحوية*، و*تفسير القرآن الكريم*.

على أن أهم ما يمتاز به أسلوب ابن أبي الربيع هو الوضوح والسلاسة والعفوية، فلا تعقيد ولا غموض ولا سجع ولا تورية ـ في غير المقدمة ـ ولا ما يحتاج إلى شرح أو تعليق أو رجوع إلى مصادر أخرى، بل إن أسلوبه وهو يكتب أسلوب من يتكلم ويخاطب الطلبة ويحاورهم ليرفع عن أذهانهم كل لبس. إن الخبرة المتواضعة التي لنا بطرق التدريس دلتنا على أن أبا الحسين ابن أبي الربيع كان حقاً مدرساً موهوباً، يعرف بحكم إحساسه المرهف وتجربته الواسعة، طرق التدريس الناجعة، ويراعي ـ عملياً ـ المبادئ التربوية التي اهتدى إليها بعده ابن خلدون في *المقدمة*، ويطبق ـ عفوياً ـ النظريات التعليمية الأساسية لتحصيل المعرفة وتكوين الملكة على نحو ما توصل إليه المربون الغربيون المحدثون. ولا أدل على ذلك من أنه بإمكانك اليوم، وقد مضى على وفاة ابن أبي الربيع أكثر من سبعة قرون، أن تأخذ فصلاً أي فصل من أي كتاب من كتبه وتلقيه على طلبتك في التعليم العالي دون أن تزيد فيه أو تنقص أو تضيف مثالاً أو نغير عبارة، ويكون درسك ناجحا مشوقاً مفهوماً تمام الفهم.

وكأني بأبي الحسين ابن أبي الربيع ـ رحمه الله ـ لم يقنعه ذلك العمر الطويل الذي قضاه في التعليم، منقبضاً عن الناس مباعداً أهل الدنيا، فأبى إلا أن يسجل على طروس كتبه دروساً جاهزة نافعة لكل من يقرؤها من الأساتذة والطلبة في كل عصر ومصر.

وأشهر تلاميذ ابن أبي الربيع في سبتة ثلاثة، أبو القاسم ابن الشاط السبتي (ت. 723 / 1323) شارح *أنوار البروق* للقرافي، ومحرر *برنامج* شيخه ابن أبي الربيع ؛ وعبد المهيمن الحضرمي السبتي (ت. 749 / 1348) رئيس كتاب بلاط العزفيين أمراء سبتة، وبني الأحمر ملوك غرناطة، والمرينيين ملوك فاس وشمال إفريقيا. ومازال النحو هجيراه كشيخه ابن أبي الربيع حتى قال فيه ابن الأحمر في *نثير الجمان* : "وأما *كتاب سيبويه* فكان بمسائله عارفاً، وعلى إقرائه بطول عمره مداوماً وعاكفاً، ولم يكن له في المعرفة به قرين، ولقد تصدر لإقرائه وهو ابن عشرين".

ـ وأبو عبد الله بن رشيد الفهري السبتي (ت. 721 / 1321) المؤلف المكثر، صاحب *ملء العيبة* التي جمع فيها أخبار رحلتيه إلى الشرق وما أخذه عن المشايخ، وهو شيء كثير، وفيها يقول عن شيخه ابن أبي الربيع مردداً ما وجد له من صدى واسع في المشرق :

"لما وصلت إلى مصر ذهبت إلى مسجدها الأعظم فجلست إلى حلقة من حلق العلم، فوجدت الشيخ يتكلم في علم العربية، فأخذت معهم طرفاً مما كانوا يتكلمون فيه، فالتفت إلي الشيخ فقال : من أين قدومك ؟ قلت من الغرب. قال أمن الاسكندرية ؟ قلت من أبعد. قال أمن تونس ؟ قلت من أبعد. قال : إذن من جو المغرب. يعني من داخله. قلت نعم. قال : من أي بلاده ؟ فقلت من سبتة. فكان أول ما فاتحني به أن قال : أيعيش سيدنا أبو الحسين بن الربيع ؟ قلت نعم. فقال : ذلك شيخنا إفادة بوصول كتابه إلينا أو بوفادته علينا أو معنى هذا، يريد شرحه لكتاب إيضاح الفارسي المسمى *بالكافي في الإفصاح*، ثم قال لي : أقرأت عليه ؟ قلت نعم. قال وما قرأت عليه ؟ فقلت : ما يقرأ طلاب العلم والعربية. فاستفسرني فقلت : قرأت *الجمل*، و*الإيضاح*، و*الكتاب*، فلما ذكرت *الكتاب* قال : اعبر إلى جانبي، فامتنعت، فعزم علي وأقعدني إلى جانبه، فجلست منضماً حياءً منه، فقال : اجلس متسعاً، فجلست وتمادى على الإقراء، فاختلست الكلام أثناء إقباله على من بين يديه من التلاميذ للإلقاء عليهم مع الذي كان عن يميني اختلاساً، وقلت : من الشيخ ؟ فقال بهاء الدين ابن النحاس، فالتفت الشيخ وقد وثبت بين يديه. فقال : لم ؟ ارجع إلى موضعك. فقلت له يا مولانا لم يعرف المملوك بين يدي من هو، ولو علم ما جلس هذا المجلس ولا تكلم، فعزم علي في العودة إلى مجلسي فقعدت، وأشار بالاطمئنانفاطمأننت. . .

لقد دقق ابن رشيد في تحديد تاريخ هذا الحادث الذي جرى يوم الأحد سابع رجب عام 684. وحق لابن النحاس أن

يسأل عما إذا كان ابن أبي الربيع ما يزال حياً يرزق، لأنه كان يومئذ في متصف العقد التاسع من عمره، وسيموت بعد ذلك بأربع سنوات.

أما ابن النحاس فهو إمام نحاة المشرق في عصره، شارح *المقرّب* لابن عصفور، وتلميذ ابن يعيش شارح *المفصل للزمخشري*. وقد صدق ابن رشيد في صفات هذا الإمام وإنصافه وسعة خلقه وعنايته بالطلبة، إذ نجد مثل ذلك عند الصفدي في الترجمة الحافلة التي عقدها لابن النحاس في كتابه *الوافي بالوفيات*.

توفي أبو الحسين بن أبي الربيع بمدينة سبتة صبيحة يوم الجمعة 16 صفر عام 688 / 11 مارس 1289 ودفن عصر هذا اليوم بالمقبرة الكبرى التي بسفح جبل الميناء شرقي المدينة.

ابن أبي الربيع نفسه، *برنامجه* التي كتبه تلميذه ابن الشاط وحققه ونشره ع العزيز الأهواني *بمجلة معهد المخطوطات العربية*، المجلد 1، ج 1 و2 سنة 1955 ؛ *مقدمات كتبه المخطوطة* المشار إليها آنفاً : *المختصر في النحو* ؛ *القوانين النحوية* ؛ *شرح الإيضاح* ؛ *البسيط* ؛ وتفسير *القرآن الكريم* ؛ م. ابن رشيد السبتي، *ملء العيبة*، تح. م. الحبيب ابن الخوجة، تونس، 1982 ؛ أ. ابن قنفذ، *شرف الطالب / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 1 : 433 ؛ م. ابن الجزري، *غاية النهاية*،1 : 484 ـ 485 ؛ م. الأنصاري السبتي، *اختصار الأخبار*، تح. م. ابن تاويت، *مجلة تطوان*، العدد 3 ـ 4، ص. 77 ؛ ج. السيوطي، *بغية الوعاة*، 2 : 125، رقم الترجمة 1606 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 70 ـ 72، رقم الترجمة 990 ؛ د. بروكلمان، *الذيل*، 1 : 547 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 4 : 344 ؛ ع. العزيز الأهواني، *كتب برامج العلماء في الأندلس*، ص. 22 وما بعدها ؛ م. حجي، *جولات تاريخية*، بيروت، 1995، ج. 1 : 379 ـ 395.

محمد حجي

أبو **الربيع سليمان** بن عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، رابع ملوك بني مرين. تولى حكم المغرب الأقصى بعد وفاة أخيه أبي ثابت عامر سنة 708 / 1309 واستمر في الملك حتى وفاته سنة 710 / 1311. وقد بويع له بقصبة طنجة يوم الإثنين التاسع من شهر صفر من السنة المذكورة وهو لم يتجاوز بعد سن العشرين. ونظرا لصغر سنه قام كاتب أخيه الفقيه عبد الله ابن أبي مدين بدور كبير في تدبير بيعته بمشاركة وزارئه إبراهيم بن عيسى الياباني وعبد الرحمان بن يعقوب الوطاسي.

تميزت بداية عهد سليمان باندلاع انتفاضات بمناطق الشمال هدفت إلى تقويض دولته وزعزعة أركانها. وكانت أخطر هذه الثورات ثورة عمه علي بن السلطان أبي يعقوب المعروف بابن أبي زريحة أو ابن زريقاء أو ابن زريكة الذي كان قد دعا لنفسه وبايعه كثير من الناس في جهة تطوان، لكن أبا الربيع تمكن من القبض عليه واعتقاله إلى أن هلك سنة 710 / 1311. ثم ثورة عثمان بن أبي العلاء الذي خرج من سبتة في حملته العسكرية نحو طنجة، إلا أن أبا الربيع علم بتحرك هذا الثائر واستطاع إخماد فتنته.

من المعلوم أن محاولة سليمان استرجاع سبتة إلى حظيرة الدولة المرينية شكلت قضية كبرى في عهد هذا السلطان. فقد ظلت هذه المدينة مدة طويلة تحت نفوذ بني الأحمر منذ سنة 703 / 1304 أو 705 / 1306 عندما قام أحد أمراء بني مرين، وهو عثمان بن أبي العلا بن عبد الحق بالثورة على السلطان أبي يعقوب يوسف وبمشاركة أبي سعيد صاحب مالقة. واستمرت محاولات استرداد المدينة مع كل من السلطان يوسف وخلفه عامر. وقد واكبت هذه المحاولات العسكرية تحركات دبلوماسية كثيفة بين السلطانين وبني الأحمر من جهة وبين ملك أرغون من جهة أخرى وصلت نهايتها في عهد أبي الربيع. وقد احتفظ أرشيف تاج أرغون ببرشلونة بمجموعة من المراسلات التي تُجمع على الرغبة الأكيدة لدى المخزن المريني بضرورة تحرير المدينة بشتى الوسائل الديبلوماسية والعسكرية ولو أدى الأمر إلى طلب مساعدة عسكرية من النصارى. وتشير بعض هذه المراسلات أن أبا الربيع قد طلب فعلا من ملك أرغون خايمي الثاني مساعدة عسكرية لحصار المدينة الثائرة من جهة البحر. إلا أن هذه المساعدة لم يتم تنفيذها واستطاع الجيش المريني بقيادة تاشفين بن يعقوب الوطاسي محاصرة المدينة والتغلب عليها سنة 709 / 1310 وتم اعتقال رؤوس الفتنة بها وهم قائد القصبة أبو زكرياء يحيى ابن مليلة وقائد البحر أبو الحسن بن كماشة وقائد الحرب عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق، منهيا بذلك كل ما له صلة بالوجود الأندلسي بسبتة.

يبدو أن المشاكل والأزمات السياسية لم تفارق عصر سليمان، إذ ما تكاد تنتهي ثورة هنا حتى تندلع أخرى في مكان آخر من المغرب. فإذا كان عهده قد دشن باندلاع ثورات المعارضين والمناوئين فإن نهايته شهدت أيضا ثورة خطيرة تزعمها بعض رجالات المخزن المريني كالوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي والقائد أبي علي عمر بن رحو ابن عبد الحق وشيخ بني مرين الحسن بن علي بن أبي الطلاق وقائد الكتيبة المسيحية في الجيش المريني غنصالو. وكان هؤلاء قد اتفقوا مع جماعة من بني مرين على خلع السلطان أبي الربيع وتنصيب أحد الأمراء مكانه هو عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق، واجتمعوا على هذا الأمر برباط تازة شهر جمادى الأولى من عام 710 / شتنبر ـ أكتوبر 1311. غير أن السلطان تفطن إلى المؤامرة وتمكن من أن يستجمع قواته ويتحرك في جيش كثيف مع قائديه يوسف بن عيسى الحشمي وعمر بن موسى الفودودي. وأمام هذه الحملة اضطربت جموع المتمردين بتازة وتبينوا عدم قدرتهم على مواجهة جيش أبي الربيع ففضلوا الهروب

إلى تلمسان ومن هناك إلى الأندلس. وبعد دخول السلطان إلى مدينة تازة ظافرا استقر فيها فترة أصابه فيهامرض (أو سم حسب رواية أخرى) ومات على إثره ليلة الأربعاء في نهاية جمادى الثانية من سنة 710 / 21 أكتوبر 1311 ثم دفن بصحن جامعها. وبالرغم من قصر فترة حكم أبي الربيع التي لم تدم أكثر من عامين وخمسة أشهر قضاها في تهدئة البلاد ومواجهة الفتن والثورات، فإن المصادر تسجل مع ذلك أن أبا الربيع قد تمكن من الحفاظ على السلم وعدم الدخول في حروب مع جيرانه بني عبد الواد، وترتيب المصالحة مع ابن الأحمر الذي سلم بموجبها لأبي الربيع بعض المدن الأندلسية الحساسة كالجزيرة الخضراء ورندة وأحوازها. إضافة إلى ذلك اعتبرت فترة حكم هذا السلطان متميزة على المستوى الاجتماعي إذ تغالى فيها الناس في أثمان العقار وتنافسوا في البناء بالزليج والرخام والنقوش (*القرطاس*، 395).

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973، ص. 392، 395 ؛ ابن الخطيب، *اللمحة البدرية*، بيروت، 1978، ص. 72، 74 ؛ ابن الأحمر، *النفحة النسرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 42 ؛ *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 23 ؛ *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 58، 59 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 494، 502 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973،ص. 514 ؛ أ. الناصري. *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج. 3، ص. 97، 103 ؛ ع. الله العروي، *مجمل تاريخ المغرب*، بيروت، 994، ج. 2، ص. 201 ؛ رشيد السلامي، *وثائق مرينية، دراسة وتحقيق*، كلية الآداب، الرباط، 1989 (بحث مرقون)، ص. 76، 84.

Mas-Latrie, *Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique Septentrionale du moyen âge*, Paris, 1866, pp. 297-300 ; *Relations et commerce de l'Afrique Septentrionale au Maghreb avec les nations chretiennes au moyen âge*, Paris, 1886, pp. 302-304, 325 ; Van Berchem, *Titres califiens d'occident*, *J.A.*, 1907, T. IX pp. 297-300 ; M. Gaspar Remiro, *El negocio de Ceuta entre Jaime II de Aragon y Aburrebia Sulaiman, sultan de Fez, contra Muhamed III de Granada*, in *Relaciones de la Corona de Aragon con los estados musulmanes de Occidente*, Madrid, 1925 ; S. M. Alarcon y R. Garcia Limares, *Los documentos arabes diplomaticos del archivo de la Corona de Aragon*, Madrid - Grenade, 194o, pp. 164-166 ; Ch. E.Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siecles*, Paris, 1966, pp. 397; 401-404, 456-457; 541-542 ; R. Arié, *L'espagne musulmane au temps des Nasrides (1232-1492)*, Paris, 1973, pp. 90-9; Capmany, *Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunos Reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa,desde el siglo XIII hasta el XV*, Madrid, 1974, pp. 5-17 ; A. Dhina, *Les Etats de l'occident musulman aux XIIIe, XIV et XV siecles*, Alger, 1984, pp. 492-501; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen - âge*, Paris, 1986, pp. 118-120, 294-295 ; A. Khaneboubi, *Les Premiers sultans mérinides (1269-1311), Histoire politique et sociale*, Paris, 1987, pp. 70-73, 99-100 ; H. Ferhat, *Sabta des origines au XIVe siecle*, Rabat, 1993.

رشيد السلامي

ابن أبي **الربيع الكتامي، أحمد** بن سليمان ابن أحمد، أبو جعفر، من أهل طنجة وعلمائها. رحل إلى المشرق، وأخذ القراءات عن أبي أحمد السامري وأبي بكر الأذفوي وأبي الطيب ابن غلبون. ثم عاد إلى المغرب وانتقل إلى سكنى الأندلس، وتصدر للإقراء بكل من بجانة وألمرية.

توفي قبل سنة 440 / 1048 عن سن تناهز 90 سنة.

ابن بشكوال، *الصلة*، القاهرة، 1955، ج. 1، ص. 88.

محمدالمغراوي

**رتابة** أو إرتبون (أسرة وقصبة)، أسرة قلعية كانت في العقد الثالث من القرن العاشر الهجري حسب المجهول صاحب الوثيقة العائدة إلى سنة 939 / 1532 بخمس الكعدة أو بني سيدال، ومنه انتقلت إلى حيث وجدت في القرن الثاني عشر (18 م) بموطنها الراهن بجماعة بني انصار من خمس مزوجة، ربما كانت الهجرة ذات علاقة بالحركة الجهادية، خاصة أثناء حصار مليلة من طرف سيدي

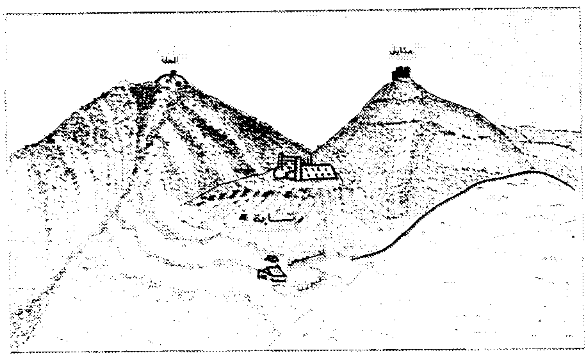

رسم قصبة بني انصار مستخلص من رسم لميراندا ومن زيارة ميدانية

محمد بن عبد الله العلوي (1774 ـ 1775)، حسبما يدل عليه إيواء الأسرة في قصبة خاصة بها. ونتساءل في الأخير، بناء على تشابه الأسماء، عن علاقة رتابة بقبيلة الرتب الفيلالية.

أما قصبة رتابة فتدعى أيضا قصبة بني انصار نسبة إلى الفرقة التي توجد بتراب قبيلة مزوجة القلعية. غير أن الاسم المرتبط بها تاريخيا هو رتابة، إذ أنها كانت مقر الأسرة الرتابية وزعيمها المجاهد محمد الرتبي القلعي آتي الترجمة.

ويعود الفضل في إبراز موقع القصبة إلى رسم قدمته مذكرات فرانسيسكو دي ميراندا التي بينت في آخر ديسمبر 1774 مبنى القصبة المميز برقم 24. وحسب إشارة مرافقنا الرتبي أثناء الزيارة الميدانية أن القصبة كانت مقر أفراد الأسرة، منذ بداية أمرها، ربما كانت البداية على يد

مقدم مزوجة محمد بن أحمد الرتبي المزوجي. تألفت القصبة من خرائب دالة على وجود عدة مرافق موزعة على مدرجين اثنين :

- المدرج العُلْوي، نتصور فيه وجود ثماني غرف متوسطة الحجم، موزعة على استدارة المدرج الصخري من الجهات الثلاث. وقد أحيطت المساحة بسور خارجي ينفتح من جانبه الغربي باب المدخل الوحيد إلى المدرج.

- المدرج السفلي : تؤلفه خرائب قائمة على القاعدة الصخرية المشرفة على السفح بحافة شديدة الانحدار. وتظهر الأنقاض الحالية وجود عدد من المرافق صغيرة المساحة.

حسن الفكيكي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلة*، الرباط، 1997 ؛ *زيارة ميدانية بمعية محند الرتبي*.

Francisco de Miranda, *Diario*, Madrid, 1939.

حسن الفكيكي

**الرتاج**، خشبة أُفقية في أعلى الإطار المثبت فيه الباب. وفي البادية - كما هو الشأن في المدينة - كان الناس يلصقون فوق الرتاج بعض الكتابات يسمونها طلاسم وهي عبارة عن جداول أو ثقاف تمنع دخول الهوام السامة إلى الغرف، كما يعتقد البعض. وفي القصور والدور الفخمة في فاس وغيرها من الحواضر يكون رتاج الباب كبيراً مزخرفاً، زخرفة مزدوجة بالنقش والأدهان الملونة، وحتى بمحلول ماء الذهب. ويطلق الرتاج كذلك على الباب العظيم من الخشب الذي يوضع على الأسوار والجوامع وغيرها من البنايات والمنافذ الكبيرة. يكون مغلقاً في الغالب وعليه باب صغير هو الذي يفتح، ونجده في الفنادق القديمة بمراكش وفاس، وأيضاً بالرياضات والجوامع، حيث يغلق الباب الكبير بعد الصلاة ويستعمل الصغير لدخول أو خروج المسبوقين. وهي إشارة لقرب إغلاق المسجد. ونوع الخشب المستعمل في صناعة الرتاج هو الأرز. لأنه يعمر طويلا في البيوت، و"لا يعفن ولا يسوس ولا يعتريه شيء" (*القرطاس*، ص. 43).

البكري، *معجم ما استعجم*، بيروت، 1403 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، بيروت، (د. ت) ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، بيروت (د. ت) ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972.

عبد الرزاق ازريكم

**الرُّتَب** - بضم الراء وفتح التاء - كلمة تطلق على الرسوم التي كانت تفرض على المسافرين في الطرقات زمن بني مرين وخاصة في الفترة الأخيرة من حكمهم. ويصعب وضع تعريف دقيق لمعنى هذا المصطلح في غياب معلومات كافية في المصادر المرينية. فغالبا ما ترافق هذه الكلمة عبارات مثل الألقاب أو القبالات أو الرسوم، وهي وإن كانت تدخل جميعا في باب الجبايات فإنها مع ذلك تختلف في بعض الجزئيات. لكن الشيء الأكيد هو أن رسوم الرتب ارتبطت دائما بالمسافرين والطرق. ولهذا تعتبر إشارة ابن مرزوق التي وردت في كتابه *المسند* فريدة وغاية في الأهمية. ويفهم منها أن الأصل في هذا المصطلح هو "الخيام" التي كانت تقام في مواضع معينة، مثلاً بين فاس ومراكش، أو بين فاس وسبتة، أو بين فاس وتلمسان وهكذا، ويكون الفاصل بين موضع وآخر في كل مرحلة لا يتجاوز 12 ميلا، أي حوالي 20 كلم. وقد أراد ملوك بني مرين من خلال إقامتهم لهذه الرتب / الخيام أن يمهدوا طرق المسافرين وأن يجعلوا منها مرافق ومحطات توفر للواردين عليها الراحة والمأكل لهم ولدوابهم. ويشرف على هذه الخيام موظفون تقتطع لهم أراض بالموقع للسكنى مقابل إشرافهم على تلك الخيام ويلزمون ببيع الشعير والطعام وما يحتاج إليه المسافرون من إقامة ومأكل، كما يكلفون بحراستهم وحراسة متاعهم (*المسند*، 429). ويظهر أن هذه الرتب / الخيام تحولت، خاصة في فترات الاضطرابات واستبداد ممثلي المخزن المريني، إلى مراكز ومحطات للمراقبة واقتطاع ضرائب ورسوم من المسافرين والتجار من طرف الجباة والجند هي التي أصبحت تعرف برسوم الرتب. ويستنتج من بعض الإشارات أن هذه الضريبة غير الشرعية ذات المجبى العظيم لم تكن تدخل بيت المال، بل كان العساكر الذين يتمركزون في هذه المحطات ينتزعونها كرواتب لهم دون انتظار صاحب تنفيذ الجيش ليمدهم برواتبهم الشهرية المعتادة. وإذا كنا لا نعرف بالتحديد زمن ظهور هذه الرسوم فإنها كانت موجودة على الأقل منذ بداية الدولة المرينية واستمرت حتى بداية الدولة السعدية (*المنتقى*، 2، 828.827). فالمصادر المرينية ما فتئت تشير إلى محاولات بعض ملوك بني مرين رفع المكوس ومحو رسوم الرتب خاصة في عهد كل من أبي يعقوب يوسف (*القرطاس*، 375) وأبي الحسن (*رسائل*، 506) وأبي عنان (*تحفة*، 663)، إلا أنها كانت تعود للظهور من جديد، ففي عهد السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن المريني استشرى داء هذه الرسوم واستفحل أمرها إلى درجة أن ندّد بها الفقيه خطيب جامع القرويين ابن عباد الرندي (ت. 792 / 1390) في رسالتين بعثهما إلى هذا السلطان يستعرض فيهما ما أصاب الناس من مظالم وتعسفات على يد العمال والولاة وتجاوزات جباة الضرائب في التعرض للمسافرين وابتزازهم وفرض ضرائب غير شرعية عليهم مثل ضريبة الرتب.

وقد ألح ابن عبّاد على السلطان بالعمل على إزالة هذه المظلمة اقتداء بما كان يفعله والده السلطان أبو الحسن وشقيقه أبو عنان وجده أبو يعقوب من إزالة المكوس عن رقاب الناس ومعاقبة العمال.

يبدو أن انتشار كلمة الرتب أو رسوم الرتب لم تكن مقتصرة على مجال جغرافي محدد كالمغرب الأقصى بل كانت موجودة أيضا في شبه الجزيرة الإيبيرية بنفس المعنى.

فدوزي (Dozy) يفيد في معجميه بأن الكلمة الإسبانية retova أو recova تعني الرسم أو المقابل المادي الذي كان يدفعه المسافرون والتجار للجنود المكلفين بحماية الطرق والمسافرين والبضائع، أي حماية ومراقبة أمن الطرق مقابل أداء رسوم الرتب. وهذا يؤكد على أن المعنى الذي تحمله الكلمة العربية هو الأصل والمصدر في اشتقاق الكلمة الإسبانية.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973، ص. 375 ؛ م. ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، 1985، ص. 663 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 282ـ286، 429 ؛ رشيد السلامي (محقق)، *رسائل سياسية غير منشورة لابن عباد الرندي*، ضمن كتاب "*متنوعات محمد حجي*"، بيروت، 1998، ص. 505ـ525 ؛ ع، الرحمن ابن خلدون، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 436 ؛ أ. ابن القاضي، المنتقى المقصور، تح. م. زروق، الرباط، 1986، ج. 2، ص. 827ـ828 ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*، تح. عبد الرحيم بنحادة، مراكش، 1994، ص. 64 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية*، الرباط، 1979، ص. 90ـ91، 227.

R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, Beirut, 1968, T. 1, p. 507 ; R. Dozy et W.H Engelman, *Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe*, Beirut, nouvelle édition, 1974, pp. 335-338 ; Kably (M.), *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986, pp. 225-226 ; A. Khaneboubi, *Les Premiers sultants mérinides, Histoire politique et sociale*, Paris, 1987, p. 123.

رشيد السلامي

**الرتبي أحمد**، عاش السيد المقدم عميد الرتبيين، أول من نعرف من المستقرين في قصبة رتابة ببني انصار من خمس مزوجة القلعي. كان معاصرا للحركة المجاهدية التي نظمها القيطونيون القلعيون ضد مليلة على عهدي المولى الرشيد والمولى إسماعيل، وفي أغلب الاعتقاد أنه كان مقدم مجاهدي مزوجة المشاركين في حراسة رباط مليلة، لارتباط كنية المقدم باسمه. كان سنة 1738 قد توفي. وقد خلف المقدم ثمانية أولاد، كان منهم خلفه محمد.

**الرتبي محمد** بن **أحمد**، المجاهد نقدر أنه من مواليد حدود الثلاثينيات. شارك في حصار مليلة 1774 - 1775 بصفته مقدم رجال مزوجة، ولكن ظهوره في ميدان الجهاد كان بعد ذلك إلى حين وفاته حوالي سنة 1802.

كان محمد الرتبي من أقوى مجاهدي قبيلة قلعية الثابتين على مبدأ مواصلة الجهاد، بعد التوقف الطارئ على ساحته من طرف الجهاز الرسمي إثر فشل محاولة الحصار المغربي لمدينة مليلة بقيادة السلطان محمد بن عبد الله. كان محمد الرتبي من الرافضين الرضوخ لسياسة التحكيم التي حاول السلطان بعد سنة 1775 فرضها على المجاهدين، احتراسا للوقوع في مشاكل الاصطدامات بالحدود بين الإسبان ومجاهدي قلعية.

عمل محمد الرتبي وبجانبه المقدم علي الشكري والمرابط البشير الكبداني، ولم ينصع لطلبات المخزن المركزي منذ سنة 1785، رغم الوفود الأربعة التي جاءت تارة لترهيبه وأخرى لترغيبه. وقد داوم الهجوم على المدينة المحتلة من رباط مليلة طيلة حياة محمد بن عبد الله. ورغم ما تلقاه من رسائل الترغيب والتهديد من سيدي محمد بن عبد الله فقد ظل وفيا لمبدأ ضرب مليلة بالقطع المدفعية الخاصة التي توفرت لديه وقت الحصار أو التي انتشلها من السفن التركية الغارقة بساحل البحر المتوسط.

وقد ابتهل محمد الرتبي لعودة سياسة الجهاد الرسمية على يد المولى اليزيد، وساهم ببعض القطع المدفعية والرجال في حصار سبتة (1791 ـ 1792)، تلبية للدعوة الموجهة إليه. ولم يثنه عن عزمه عودة المخزن إلى الالتزام بسياسة الهدوء بالحدود مع مليلة والاكتفاء بمهمة الحراسة على عهد المولى سليمان، فظل يجاهد متى سنحت له الفرصة، وخاصة وقت حراسة مزوجة برباط مليلة أو الكرمة.

اختفت عنا أخبار محمد الرتبي منذ بداية يونيه 1797، وهو تاريخ آخر حراسته. ولا بد أن مكانته قد تضررت إثر وصل حركة المولى سليمان إلى قلعية سنة 1231 / 1799، وتبين وثائق رتابة التي بأيدينا أنه كان سنة 1217 / 1802 قد توفي.

*وثائق رتابة بيد السيد محند بن حدو بن المختار بن أحمد المقدم الرتبي* ؛ حسن الفكيكي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلية*، الرباط، 1997 ؛ *تقييد 939* لمجهول عن قبائل قلعية، مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط ؛ *وثائق الأرشيف التاريخي الإسباني*.

حسن الفكيكي

**رَتْم** أو علميا ريتَامَا Retama جنس نباتي ينتمي إلى فصيلة الفوليات (الفراشيات) ويشمل بالمغرب أربعة أنواع من بينها نوع واحد قبسي مغربي.

إنها أنواع شجيرية أو جنْبية، غير مشوكة، جد متفرعة وذات أغصان خضراء. أوراقها بسيطة، صغيرة الحجم، طويلة أو بيضوية الشكل، سريعة التساقط إذ تبقى الأغصان بدون أوراق لفترة طويلة من السنة. ازهارها يظهر على أطراف الأغصان أو في إبطها في شكل عناقيد. أزهارها ذات لون أبيض أو أصفر، وكأس جريسي منقسم إلى شفتين. ثمارها كروية الشكل أو تكاد. تحوي كل ثمرة بذرة واحدة أو بذرتين.

تستعمل بعض أنواع الريتاما لتثبيت الكثبان الرملية. فهي إما تغرس أو تنثر بذاراتها لتكوين غطاء نباتي، أو توضع أغصانها على الرمال لتوقفها عن الزحف.

وتجدر الإشارة إلى أن لأنواع ريتاما دوراً هاماً في تحسين المراعي.

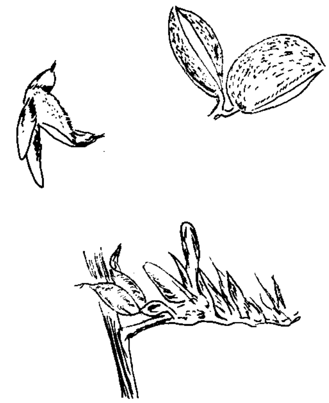

الرتم

الأنواع الأربعة المغربية هي :

- ريتاما وحيدة البذرة أو ريتاما مُوتُو سْمِيرْمَا Monosperma : شجرة صغيرة، جد متفرعة. أزهارها في عناقيد مفتوحة، بيضاء، طولها ما بين 9 و13 مم. بذورها سمراء أو سوداء.

يصادف النوع في جل البيومناخات وفي الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافيء. يعيش على الأتربة الرملية الساحلية من السعيدية إلى جنوب سيدي إفني كما يظهر استثنائيا في الحوز وسوس.

- ريتاما كروية الثمرة أو ريتاما سفيروكاربا Retama sphoerocarpa وهي جنبة جد متفرعة. أغصانها قائمة غير متدلية وعديمة الزغب. أزهارها صفراء، طولها يتراوح ما بين 6 و8 مم، مجتمعة في ازهرارات كثيفة. ثمارها بيضوية إلى كروية الشكل بذورها كروية الشكل.

ينمو النوع في البيومناخات شبه الجافة والجافة والصحراوية الدافئة والمعتدلة والباردة، وفي الطابقين المتوسطي الدافيء والمتوسطي. ويصادف على أتربة صخرية على العموم في المناطق الجبلية والسهبية والصحراوية جنوب الأطلس المتوسط وشمال وجنوب الأطلس المتوسط وشمال وجنوب الأطلس الكبير الشرقي. والأطلس الصحراوي في المغرب الشرقي الجنوبي.

- ريتاما رتمية أو ريتاما ريتام Retama raetam يختلف هذا النوع عن النوع الأول بازهراره الذي يظهر على شكل عناقيد جد مكدسة، حاملة أزهاراً بيضاء ذات طول يتراوح ما بين 10 و17 مم، وكذلك بثماره ذات المنقار المنعرج وببذوره الصفراء اللون في بعض الحالات.

يعيش النوع على أتربة صخرية أو رملية في المناطق الصحراوية والجافة في الحمادة والأطلس الصحراوي، وفي الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافيء.

نوع قبسي مغربي يقطن في الجبال الصخرية من الأطلسين الكبير والصغير في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة المعتدلة والباردة، وفي الطوابق المتوسطي الدافيء والمتوسطي وفوق المتوسطي.

A. Benabid, *Flore et écosystémes du Maroc, évaluation et présentation de la biodiversité*. Paris, 1999, 370 p. ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

## رتم رقيق ← سكوم الجمل

**الرتميون**، قبائل عربية قاطنة بتادلا العليا أو ما كان يعرف بتادلا رتمة أو تادلا الرتمية نسبة إلى قاطنيها. وهي قبائل : بني خيران، السماعلة، ورديغة. سميت كذلك نسبة إلى جدها الأعلى جابر الرتمي. فهذا الاسم تحدثت عنها الكثير من المصادر، وبه خاطبتها المراسلات المخزنية... إلا أن هذا الاسم يتضمن كذلك مجموعات بشرية تقطن نفس المجال الجغرافي دون أن تكون لها نفس الأصول كالـفُقْرَا وبني منصور وشرفاء أيت عمار وبني زمعر...

جابر الرتمي

|

ورديغ علي

|

ورديغة

بحر كبير (أولاد بحر كبار) — بحر صغير (أولاد بحر صغار) — إسماعيل/السماعلا (السماعلة) — خيران /خير الله (بني خيران)

*الوثائق الملكية.*

M. et E. Gouvion, *Kitab Aayane Almaghreb L'Aakasa* ; Raymond Peyronnet, *Le problème Nord-African*, T. I.

صالح شكاگ

**الرثُّـوث**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس أنجبت عدة فقهاء تذكر الوثائق من بينهم : محمد بن أحمد الرثوث كان قاضياً بتطوان سنة1126 (1714) وسنة 1143 (1730) ؛ ومحمد بن محمد الرثوث تولى خطة العدالة من سنة 1176 إلى سنة 1189 (1762 - 1775) ؛ والرثوث عبد السلام بن محمد زاول خطة العدالة من سنة 1113 (1701) إلى سنة 1116 (1704). وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1190 (1776).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 706.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرثوث، عبد الله** (الحاج -) بن يوسف التطواني الأندلسي الأصل الفقيه العلامة العدل من عائلة كريمة عالمة اشتهرت بالتوثيق والعدالة والوراقة. ذكر منها الفقهاء محمد بن أحمد وقد تولى القضاء كما في صكوك شرعية عليها خطابه عام 1143، ومحمد بن يوسف الفقيه الفرضي الحيسوبي، ومحمد بن محمد ويوسف بن محمد.

انتقل المترجم من مسقط رأسه تطوان إلى فاس للدراسة وأخذ عن علمائها ولا سيما أبي السعود عبد القادر الفاسي الفهري، فقد أخذ عنه التفسير والحديث وغير ذلك.

توفي المترجم له بالطاعون العام سنة 1087 / 1676.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 280 ؛ *تاريخ تطوان*، 2، ص. 288. 298. 296. 313، طبع تطوان.

**الرثوث، محمد** بن يوسف التطواني. العلامة الفقيه الحيسوبي الفرضي الوراق المحقق من عائلة أندلسية نبيلة انقرضت منذ مدة ولم يبق من اسمها إلا غرسة الرثوث بمنتزه كيتان خارج تطوان صارت بعده إلى الرزيني.

هذا الرجل كان كأكثر أهل بيته من العدول المنتصبين لتحمل الشهادة وأدائها بتطوان، وقف الفقيه الرهوني على خطه وعلامته بذلك من عام 1171 إلى 1188 وكان منهم من تولى القضاء فترة وجيزة، ثم يضاف إلى ذلك أن المترجم له كان ذا ولوع بالنسخ والتقييد والوراقة ذا خط مليح محقق دقيق ولم يقتصر على النسخ فقط بل كان يعلق على بعض منسوخاته بما يعن له فيجيد ويحقق، وقفت من منسوخاته - مما كنت أملكه، وهو الآن بالخزانة العامة بتطوان - على مجموع تآليف في القراءات والتجويد فرغ منه عام 1131 وبخزانة الفقيه محمد المرير بتطوان نسخة من *التلمسانية* في الفرائض وبعدها فصل مركز محقق من عمل المناسخات. جاء في آخر النسخة : نجز والحمد لله على إكماله، وقد أكملها لنفسه ولمن قدر بعده تصحيحاً وتطريراً وقراءة عبد ربه محمد بن يوسف الرثوث خار الله له ولطف به، ومنّ عليه بغفران ذنبه.

توفي المترجم له بتطوان بعد عام 1188 / 1774.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، (7 / 5)، مخطوط.

**الرثوث، يوسف** بن محمد الأندلسي التطواني، الفقيه العلامة الوراق المحقق، أحد نبغاء الأسرة الأندلسية النبيلة المنقرضة التي عرف أفراد منها بالعلم والتوثيق والعدالة. ذكره العلامة محمد بن عبد الهادي المنوني رحمه الله كما في كتابه *تاريخ الوراقة المغربية (صفحة 96* تحت رقم 100) فقال : يوسف بن محمد الرثوث التطاوني، ونقدم من منتسخاته اثنين (أ) *شرح البردة* البوصيرية للألبيري، فرغ منه أوائل ربيع النبوي عام 1055 بالمكتبة الملكية تحت رقم 9845 (ب) نسخة من (صحيح مسلم) ثُمانية التجزئة من الحجم الصغير مكتوبة ومقابلة من أصل ابن عُفَير بواسطة، وفرغ من انتساخها عشية الثلاثاء الموافي ثلاثين من شوال عام 1082 وهي محفوظة في مكتبة القرويين تحت رقم 977 على بتر في أول الجزء الأول مع كتابة الجزء الخامس بخط مغاير.

قلت : وقف على هذه النسخة قبل الفقيه المنوني شيخنا أحمد الرهوني. قال في *العمدة* : وقد رأينا بخزانة القرويين نسخة من *صحيح مسلم* بخط الفقيه الرثوث التطواني. وهو خط رقيق جيد غاية، وعلى تلك النسخة تصحيحات لعدد من الأئمة. وهي عندهم بفاس نظيرة نسخة الشيخ الأكبر سيدي عبد القادر بن علي الفاسي رضي الله عنه *لصحيح البخاري*، ونسخة ابن سعادة عند المغاربة والأندلسيين للصحيح أيضاً، وقد سردنا من هذه النسخة على شيخنا شمس الدين مولانا محمد بن جعفر الكتاني الحسني رضي الله عنه قدراً غير قليل وتبركنا بالجميع، ويغلب على ظنى أن محمد بن يوسف الرثوث المتوفى بعد عام 1188 هو صاحب تلك النسخة والله أعلم.

وهذه غفلة من الشيخ رحمه الله ولو انتبه لتاريخ الفراغ من النسخة لعلم أنها لا يمكن أن تكون له، وانها ليوسف بن محمد الرثوث المتوفى بعد عام 1082 ويظهر أنه أبوه.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط (7 / 5) ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، الرباط.

محمد بوخبزة

**رجال المطافئ**، شكّل اكتشاف النار عنصرا هاما في تحديد مراحل تطور الإنسانية، لكن بالموازاة مع ذلك، فقد كان عليه أن يعمل على التفكير في وسائل ناجعة تقيه الأخطار التي يمكن أن تنجم عن انفلات تحكمه في هذا الاكتشاف. وعليه عرف الإنسان ظاهرة التصدي لحرائق منذ العصور القديمة.

ولم يكن العالم الإسلامي بعيدا عن هذا التطور، فقد ارتبطت عملية التصدي للحرائق بالجانب الديني، فعملية مكافحتها تندرج ضمن شروط التضامن الذي يجب أن يسود بين أفراد الأمة. أما عملية العقاب فقد كانت هي الأخرى تخضع للحكم الديني. والمغرب وبحكم انتمائه الديني عرف هو الآخر نفس المبادئ. إذ تكشف بعض النوازل عن مجموعة من القضايا الاجتماعية المرتبطة بمسألة الحرائق وسبل التصدي لها. بالفعل تكشف لنا إحدى نوازل الونشريسي عن أسلوب التضامن الذي كان سائدا بين الأهالي في حالة اندلاع الحريق. فلم تكن المهمة منوطة بشخص أو مجموعة محددة، بل إن الأمر يشمل كلا من أفراد الأسرة والجيران وأهل الحي.

مع بداية التوسع العمراني، وازدياد السكان أصبحت عملية إطفاء النيران توكل إلى «الكرّاب»، أي السقاء،

الذي كان ملزما بإفراغ ما لديه من ماء في حالة الضرورة في أوعية مختلفة بأقصى سرعة ممكنة لمكان البيوت المحترقة. إلى جانب الدور المنوط بـ«الگراب»، استمر أفراد الحي في أداء مهمتهم التضامنية التي جبلوا عليها وأصبحت عنصرا ينسجم مع روح التقاليد المغربية.

مع التقدم الذي أصبحت تعرفه المدن المغربية واتساع مجالها الجغرافي بدأ التفكير في تنظيم فرق خاصة تحرص على التصدي للحرائق والمخاطر بشكل أكثر تنظيما من السابق. وتتمتع بإطار قانوني يضمن لها الاستمرارية ويخضع في نفس الوقت لمراقبة إدارة الحماية. هكذا ظهر ظهير 9 مارس من العام 1917 مأخوذ عن القانون الفرنسي الصادر في نوفمبر من العام 1903 الذي ينظم لأول مرة مهنة رجال المطافئ ويضع مسألة الإشراف تحت مسؤولية الباشا بساعدة مجلس إداري.

يعرف الظهير رجال المطافئ «بأنهم المكلفون بإطفاء الحريق في كل مدينة يستلزم حالها ذلك قصد مقاومة البلايا العمومية وخصوصا الحريق» (*الجريدة الرسمية*، عدد 505 في 2ـ4ـ17).

يتضمن الظهير خمسة أبواب، يتعلق الباب الأول بالتنظيمات العمومية، أما الباب الثاني فيحدد التنظيم والترشيح لولوج وظيفة رجال المطافئ، بينما يحدد الباب الثالث اختصاصات الضابط قائد فرقة رجال المطافئ، أما الباب الرابع فقد اهتم بتحديد الإجراءات التأديبية، بالإضافة إلى الباب الخامس الذي اهتم بتحديد طابع الأسلحة والزي الخاص برجل المطافئ. هكذا فبموجب ظهير 9 مارس 1971 أصبح جهاز إدارة المطافئ حاضراً بشكل رسمي ضمن مكونات إدارة الحماية الفرنسية.

تم تشكيل الفرق الأولى في المدن الأكثر كثافة واتساعا، فقد تم في البداية تأسيس فرقتين لرجال المطافئ. الأولى بمدينة الدار البيضاء، وقد جاءت وفق المرسوم الوزاري الصادر في 2 يونيو من العام 1917. والثانية بمدينة الرباط وفق المرسوم الصادر في 14 يوليو من نفس السنة. كانت عناصر فرع الرباط تتكون من سبعة وأربعين رجلا تشمل ضابطاً برتبة ملازم ثانٍ وثلاثة نواب، مقدم كبير ومقدم فرنسي ومقدم من «الأهالي»، كما ينضاف إليهم ثلاثة متعاونين اثنان منهم فرنسيون وفرد من الأهالي، يساعدهم أربعون نفرا نصفهم من الفرنسيين والنصف الثاني من «الأهالي». في هذه الفترة اقتصر العمل في بقية المدن المغربية على الطرق التقليدية السابقة، وعلى عمل بعض المتطوعين من السكان.

على إثر الحريق المهول الذي اندلع بمدينة فاس في 22 جوان من العام 1918، وهو الحريق الذي اكتسح مساحة هامة من ضريح مولاي إدريس وجزءا مهما من المدينة القديمة ـ فاس البالي ـ تم تأسيس فرقة لرجال المطافئ بالمدينة وفق القرار الوزاري الصادر في 20 يوليو 1921. بلغ عدد أفرادها خمسة وسبعين رجلا، تضم ملازما وأربعة نواب وثمانية متعاونين والباقي من الأنفار. في نفس السنة سوف تعرف مدينة وجدة تأسيس فرقة مماثلة، إلا أنها أقل عددا بالمقارنة مع الفرق التي تم تكوينها في كل من مدن الدار البيضاء والرباط وفاس. فقد ضمت فرقة وجدة لرجال المطافئ خمسة وثلاثين رجلا منهم الضباط وملازم ونواب الضباط. استمرت عملية تكوين فرق رجال المطافئ وفق الحاجيات واستجابة للتوسع الذي كانت تعرفه المدن المغربية. ففي العام 1935 تم تأسيس فرقة جديدة لرجال المطافئ بمدينة آسفي حدد عدد أفرادها في خمسة عشر نفرا.

بموازاة للتطور السريع الذي كانت تعرفه مدينة الدار البيضاء، عرف فرع رجال المطافئ بالمدينة عمليات تجديد متكررة، تخص إعادة التنظيم والهيكلة مع توسع دائرة الاختصاصات. ففي العام 1943 أصبح عدد رجال المطافئ بالمدينة يضم ما يزيد عن المائة نفر، كما أصبحت التجهيزات أكثر تقدما مقارنة مع المرحلة الأولى. بل إنها في العام 1948 اقتطعت أرضا بمدينة الدار البيضاء خصصتها لبناء ثكنة لرجال المطافئ. هذه الثكنة التي تم توسيعها من جديد بعد مرور أربع سنوات. وفي نفس السنة تم بناء ثكنة بمدينة آسفي. انتظم عمل رجال المطافئ في فترة الحماية وفق النظام العسكري، فبالرغم من طابع الإشراف الذي كان مخولا لباشا المدينة والمجالس البلدية، فإن طرق التنظيم والتسيير والانضمام إلى صفوف رجال المطافئ كانت ذات طابع عسكري. بحكم الاختصاصات الممنوحة للضباط الذين كانوا في غالبيتهم من الفرنسيين، بينما اقتصر عمل المجلس البلدي على توفير الدعم المالي المتعلق بالتسيير والتجهيز.

بعد حصول المغرب على الاستقلال وفي إطار مغربة أطر الإدارة عرف قطاع رجال المطافئ إعادة في التنظيم والهيكلة، فقد دخلت المؤسسة في عملية المغربة والتشبيب. بتنظيم عدد من المباريات كان يتم الإعلان عنها عبر الجرائد الوطنية وعبر أجهزة المذياع، تفتح في وجه الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 21 و35 سنة. كما كانت تقدم مجموعة من البرامج التشجيعية، التي تم تحديد مهمتها في توضيح أهمية المهنة للمواطنين ونبل أهدافها. في نفس الإطار تم تزويد الإدارة بمجموعة من الأجهزة العصرية والتقنيات المتطورة بهدف مواكبة المستجدات والتمكن من التغلب على المشاكل التي أصبحت تزداد تعقيدا يوما عن يوم. كما تم النظر إلى وضعية الموظفين في القطاع، فقد أعطى ظهير 8 يوليوز من العام 1957 الحق لرجال المطافئ في الحصول على التعويض عن الحريق يحدد مبلغه في 8 % من الراتب الأساسي.

عرف قطاع رجال المطافئ في السنوات الأخيرة تقدما ملحوظا سواء من حيث عدد الثكنات، إذ أصبحت جل المدن المغربية تتوفر على ثكنات خاصة وأجهزة متنوعة،

كما أصبح القطاع يتوفر على جمعية للأعمال الاجتماعية تم تأسيسها وفق المرسوم الوزاري الصادر في 7 يناير من العام 1998، يوجد مقرها بمدينة الرباط بل أكثر من ذلك فقد عرفت مهمة رجال المطافئ هي الأخرى تنوعا ملحوظا، فلم يعد عملها يقتصر على مجرد إطفاء الحرائق، بل اتسع ليشمل مجالات عدة منها ما هو مرتبط بالأفراد داخل البلد الواحد، ومنها ما يرتبط بالقطاع الدولي بحكم ظهور منظمة عالمية تندرج تحتها معظم الفروع في العالم.

*الجريدة الرسمية*، سنوات 1917 - 1921 - 1935 - 1943 - 1948 - 1953 - 1957 و 1958 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار المعرب*، بيروت، 1981.

H. de la Casiniére, *Les Municipalités marocaines, leurs développement, leur législation*, Casablanca, 1924 p.179.

محمد براص

**الرجالي**، أبو **محمد** من أهل تازا وأحد فضلاء المغرب في العصر المريني، تتلمذ عليه كثير من العلماء من أشهرهم الشيخ الفقيه قاضي الجماعة بمراكش أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الهرغي الزكندري المتوفى سنة 768 / 1367.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجواب*، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 63 ؛ م. حجي، محقق، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 84- 125.

رشيد السلامي

**رجراجة ← ركراكة**

**رجراجي ← ركراكي**

**الرِّجْلة** أو الرَّجيلَة بالمغرب، أو الفرْفَخ أو البقْلة الحمقاء بالمشرق العربي هي بُورتُولاكَا أوليرَاسيا Portulaca oleracea وهي نبات من فصيلة الرِّجْليات Portulacaceae نبات عشبي حولي لحمي أو شبه عصاري، ينمو مفترشا الأرض. أوراقه ملساء لامعة، بيضوية الشكل. أزهاره محاطة بأوراق زهرية. ثماره علبية تحوي بذوراً دقيقة.

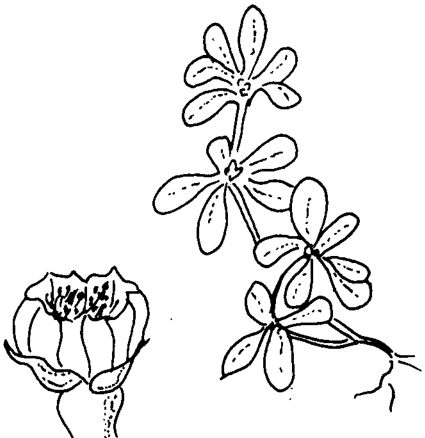

الرجلة

تصادف الرجيلة في الحقول والبساتين والحدائق كنبات طبيعي مرافق للمزروعات المروية، وذلك في كل المناطق المغربية، وفي كل بيومناخاتها. في بعض البلدان تزرع كبقلة.

تجمع الرجيلة من الحقول لتغذية الماشية لأنها شديدة الاستساغة من القنيات والأغنام والأبقار. وكذلك لتهييئ بعض المأكولات المخللة أوالمطبوخة، أو على شكل سلطة، وكلها أطعمة لذيذة ومحببة لدى الإنسان.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 1999, 370 p.

عبد المالك بنعبيد

**الرجم**، ضرب من السحر معروف عند طلبة سوس، يكتبون في طرف خَزَفة سورة الفيل كلها، ويقومون بتمتمات لتوجيه الرجم ضد الشخص أو المكان المراد رجمه، فتنطلق عمليات الرجم بالأحجار والأخشاب من مختلف الأحجام لكنها وإن كانت تزعج وتُخوِّف، فإنها لا تكسّر شيئاً ولا تؤذي أحداً.

ذكر المختار السوسي في كتابه *خلال جزولة* أثناء كلامه عن رجوعه من أكادير إيزري بالأطلس الصغير إلى إلغ : قال : "دخلت مع رفيقي الأستاذ في حكايات طابت لنا، فحكى غريبة وقعت في حاحة بمركز تمانار في الأيام الأخيرة، وذلك أن مدرِّرا في مسجد بينه وبين طالب آخر سوسي هناك شنآن، فسحره بالرجم المعروف، فبينما المدرِّر جالس مع تلاميذه في المسجد، إذا بدواة من يد أحدهم اندفعت بكل قوة إلى وجه المدرر، ثم توالت ألواح الصبيان عليه، وكل ذلك يراه المدرر ويعلم أن لا يَد َفيه للصبيان، ثم توالت عليه خشب وأحجار أخرى، إلا أنها إنما تقع عليه المركز المراقب الأوربي فتثبّتا في ذلك ومعهما الفقيه سيدي محمد بن أحمد أخو هذا الحاكي، فذكر لهم الطالبَ السوسي الذي اتهم بفعل ذلك. فأتى به الأعوان، فراودوه حتى أزال السحر، ثم توعده المراقب بالسجن إن عاد لمثل ذلك.

ثم حكينا - أنا وهو - حكايات صحيحة ثابتة من هذا النوع، إحداها وقعت في إمنتاذوت، وثانيتها في إيشت، وثالثتها عندنا نحن في دارنا (إلغ) عام 1352 هـ فقد وقع أن الأحجار صارت تتوالى على السطوح وعلى الساحات الداخلية في العشايا وفي كل الليل لا تفتر، وقد فتش لعل فاعلا يفعل ذلك فإذا به لا شيء هناك، ولكن العمل لا يزال مسترسلا، إلا أن الأحجار لا تكسر إناء ولا تؤذي أحداً مع كبرها وكونها بصدد الكسر والإذاية، وقد بقي ذلك أياما إلى أن ذهب الموذن اليوم في الزواية سيدي محمد أبو

الركيك فأذن جهارا وآذن فاعلي ذلك بالانكفاف، وإلاّ فلا يلومُنَّ إلا أنفسهم، فانقطع ذلك".

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*،2 : 255 ـ 256 ؛ *روايات شفوية*.

محمد حجي

**الـرَّحَـى**، وفي الأمازيغية (أزَرْگ) تعتبر تقنية متطورة لطحن الحبوب، فالإنسان القديم عند اكتشافه الحبوب وحتى بعد زرعها وتحصيلها كان يأكلها كما هي حباً لفترة طويلة قبل أن يهتدي إلى سحقها بواسطة الحجارة إلى أن وصل إلى ما عُرف بالرحى النائمة أو المستلقية، وهي طريقة بدائية تعتمد على لوح من الحجر الصلد أو صخرة منضدة أو مقعرة قليلا توضع فيها كمية قليلة من الحبوب ويتم سحقها عن طريق حجارة ملساء تمسك باليدين معاً وتمرّر بقوة فوق الحبوب جيئة وذهاباً حتى يتم الحصول على دقيق وجريش ؛ أو عن طريق حجارة منحوتة على شكل أسطواني (BAM).

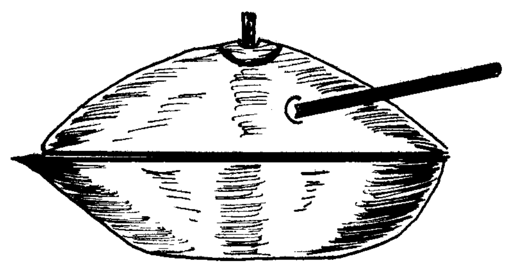

بعد هذه التقنية جاء المهراس الذي كان في الأصل عبارة عن حفرة منحوتة في صخرة منضدة صلبة تملأ بالحبوب المراد سحقها وتدق بمدق من الحجارة الصلبة المنحوتة ؛ ويعرف هذا النوع من المهراس في الأمازيغية بـ "تانوت" "وأزدوز" وقد وقع تطور في المهراس إذ أصبح متنقلا، سواء من الحجارة المنحوتة أو من الخشب دون أن يتم الاستغناء عن المهراس الثابت، وهذه التقنية ما تزال مستعملة في العديد من الأماكن عند القبائل الإفريقية الاستوائية في شرق إفريقيا وعند الشعوب البدائية عموماً، ويمكن الوقوف على المهراس الحجري في جنوب المغرب خاصة في المناطق الشبه الجافة (*Hespéris*, 1955, t. XL)، لكن دورها لم يعد رئيسياً في طحن الحبوب بل تستعمل لسحق مواد تكميلية مثل نوى التمر لتحويله إلى علف للبهائم والنبق والحناء وغيرها *(زيارات ميدانية)*.

أما عملية طحن الحبوب بواسطة الرحى فهي تقنية أكثر تقدماً وتطوراً، ونعتقد أنها دخلت المغرب عن طريق الفينيقيين والرومان (BAM) وتتكون الرحى من شقين من الحجارة الصلبة المنحوتة يُوضع أحدهما فوق الآخر : الشق السفلي (القاعدة) يتوسطه محور (وتد) من خشب أو حديد، والشق العلوي به ثقب (لهوة) في وسطه ينزل فوق القاعدة ويدور حول المحور. واللهوة نفسها تستعمل لإدخال الحبوب لتقع بين الحجرين، وتتم إدارة الشق العلوي حول المحور بواسطة مقبض خشبي مثبت في جانب الشق العلوي في الأرحاء اليدوية الصغيرة والتي تعتبر من مستلزمات البيوت ؛ وتعتمد الأرحاء المحركة بواسطة الطاقة المائية أو الحيوانية على مبدأ الثقل والخشونة والحركة الدائرية".

هذا هو المبدأ أو القاسم المشترك بين الأرحاء المخصصة لطحن الحبوب، لكنها تختلف من حيث الشكل والحجم والطاقة المحركة، فمن الأشكال التي كشفت عنها التنقيبات الأثرية في المجال الذي احتلته الدولة الرومانية في المغرب (موريطانيا الطنجية) : شكل مكون من حجارتين مخروطيتين الشق العلوي مجوف وبه ثقب في الأعلى، والشق السفلي محدب، وتتم عملية الطحن بإلقاء الحبوب من الثقب العلوي "اللهوة" ويدار المجوف أو المقعر حول المحدب بواسطة مقبض خشبي مثبت في الشق العلوي المقعر ؛ وهو شكل لا وجود له اليوم إلا في بعض المتاحف (BAM)، أما أكثر الأشكال شيوعاً واستعمالا فهي التي ما تزال بقاياها موجودة في العديد من البيوت في البادية وعند القبائل الرحل بصفة خاصة ويتكون من حجارتين مُخروطتين، الشق العلوي تتوسطة لهوة ثقب يخرج منه طرف المحور (الوتد) وتلقى منه الحبوب، أما الشق السفلي (القاعدة) فهو مخروط قمته مسطحة وقاعدة يتوسطها المحور (الوتد) أي أن قاعدتي المخروط هما اللتان تقع الحبوب بينها فتطحن، هذا الشكل هو الأكثر انتشاراً في البادية المغربية ويختلف الشكل قليلاً في المنطقة الشمالية عن الأول، فبدلا من الشكل المخروطي نجد الرحى عبارة عن قرصين ثقيلين من الحجارة المنحوتة يوضع أحدهما فوق الأخر ويدار بنفس الطريقة بمقبض خشبي أو حديدي حول محور مماثل.

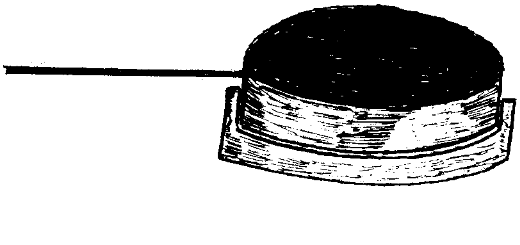

تتم عملية الطحن بإلقاء الحبوب قبضةً قبضة من خلال اللهوة، باليد اليسرى وتتم إدارة الشق العلوي بالمقبض يمنة ويسرة ويفترش حصير أو قطعة من قماش ليسقط عليها الدقيق تعرف في اللغة العربية بالتفال. وهناك أشكال أخرى للرحى مختلفة من حيث الحجم والاستعمال والشكل مثل الرحى المستعملة لطحن الزيتون أو قصب السكر فهي تختلف كثيراً عن النوع المخصص للحبوب بحيث تعتمد على قرص ضخم منحوت من صخر صلب يتم تثبيته بشكل عمودي على محور قائم مثبت وسط جفنة كبيرة منحوتة من صخرة واحدة أو مبنية ومرصفة بالواح الحجارة الصلبة وتتم إدارتها بواسطة الطاقة البشرية أو الحيوانية أو المائية، وقد دخلت فيها التقنيات الحديثة اليوم سواء في الحركة أو الطاقة المحركة لكن المبدأ الأصلي مازال موجوداً : قرص أو عجلة من الحجارة الصلبة (*تحريات ميدانية*).

ومن الأنواع اليدوية المستعملة في البيوت وخاصة في الجنوب المغربي رحى زيت أرگان التي تعتمد على المبدإ الميكانيكي نفسه لكنها تختلف شكلا : فالشق العلوي أصغر من الشق السفلي الذي ينتهي بثلمة يسلكها السائل المستخلص من عملية الطحن وهو زيت أرگان ليتجمع في الإناء الذي يوضع أسفل الرحى.

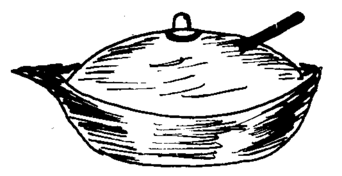

أعجب المؤرخون وكتاب الحوليات في العصر الوسيط خاصة بكثرة الأرحاء المائية في المغرب المنتشرة في كل أرجائه في مدنه وقراه وبواديه، وتتبع بعضهم وجودها وقدّم إحصائيات حولها ؛ والأرحاء المائية مثلها مثل الأرحاء التي وصفناها إلا أنها تختلف من حيث الحجم والطاقة المحركة لها، ومن هنا جاء اهتمام المصادر بها. لأن استعمال الطاقة المائية في تحريك الأرحاء يعتبر ثورة في الميدان وهذه الثورة تأثر فيها المغرب ولاشك بالحضارات التي سبق أن استغلت المياه بشكل مماثل، فبعض الدارسين أشار إلى أن الرومان في موريطانيا الطنجية وتحديداً في وادي خومان الذي كان يجري أسفل العاصمة وليلي استخدمت مياهه لإدارة الأرحاء (BAM).

يتطلب استخدام المياه كطاقة لإدارة الأرحاء كمية كبيرة من المياه وصبيباً دائماً وانحداراً قوياً بحيث تنزل المياه المنحدرة بقوة أو الساقطة من أعلى بثقلها على عجلة من أعواد تدير الشق العلوي من الرحى المعدة لطحن الحبوب، أو تدير العجلة الصخرية العمودية الحركة المعدة لطحن الزيتون وقصب السكر وغيره (الصور المرفقة) (*Histoire du Maroc*).

أما اهتمام المصادر بالأرحاء المائية وتتبعها في مختلف جهات المغرب فيمكن اعتباره مؤشراً نستخلص منه استنتاجات متعددة :

1 ـ انتشار الوعي باستخدام الطاقة المائية في تحريك الأرحاء في الأماكن التي تتوفر فيها المياه الجارية.

2 ـ كثرة الأرحاء المشار إليها في المصادر تعني فيما تعنيه كثرة استهلاك السكان للحبوب، وفي ذلك إشارة إلى تطور المجتمع المغربي الذي أصبح اعتماده على دقيق القمح والشعير في غذائه يتزايد (*العبر*، 88).

3 ـ كثرة الأرحاء تعني من جهة أخرى كثرة الجداول والسواقي والمساقط المائية أي شبكة مائية سطحية كثيفة، ناتجة عن مناخ رطب (التساقطات الثلجية والمطرية منتظمة).

وردت في المصادر إشارات متعددة إلى الطواحين (جمع طاحونة) ويقصد بها البناية التي تجمع عدداً من الأرحاء سواء كانت مائية أو تحرك بالطاقة البشرية أو الحيوانية، وهي طواحين عمومية، وفي بعض المصادر، وهي قليلة، إشارات إلى بيت الأرحاء ويعني الطاحونة بالمفهوم المذكور (*اختصار الأخبار*، 87 و92 و94 ؛ *وصف*، 183 ـ 184).

استحوذت مدينة فاس على معظم الإشارات في المصادر عن الأرحاء فلا يخلو من ذكرها مصدر حتى إنهم ذكروا أن لكل بيت فيها جدول مائه ورحاه، وتفاوتت الأرقام المقدمة ما بين 300 و3.000 رحى، وميزت المصادر ما بين الأرحاء الدائمة الاشتغال والأرحاء التي تشتغل في فصل دون آخر فأشارت إلى الأرحاء الشتوية أي التي تعمل وقد تزايد منسوب المياه في الجداول والأنهار والسواقي ؛ وعند صاحب *اختصار الأخبار* إشارة تفيد أن من الأرحاء ما تعمل بمياه ومساقط مائية مصطنعة بحث يتم ملء الصهاريج وإحداث قوة محركة للأرحاء.

تعود ملكية الأرحاء المائية في البوادي إلى الجماعات والقبائل والمداشر، وتعمل ليل نهار دون انقطاع، وتقام عند المنحدرات والمساقط المائية الطبيعية أو تهيأ لها منحدرات ومساقط اصطناعية يتم التحكم فيها بتحويل المياه عنها وإعادتها إليها عند الحاجة ويقوم على حراستها وتشغيلها وصيانتها شخص تعينه الجماعة يتعاطى من المستفيدين منها أجرة عينية وهي في غالب الأحيان (نصيب محدد من الطحين) ؛ لكن الأرحاء في المدن الكبيرة كانت في ملكية الخواص سواء منها التي في البيوت مثل فاس (*المغرب*، 115) أو الطواحين الكبيرة العمومية التي يكثر بها أحياناً الدقاقون وأصحاب المخابز، ويطحن فيها عموم الناس، وقد

فصل الحديث في هذا النوع من الطواحين صاحب *اختصار الأخبار* فوصف أبنيتها ومخازنها وعدد أرحيتها وحجارتها وملكيتها (*اختصار*، 87 و92 و94) وتبعه الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* (132 و183 و184) فأطنب في الحديث عن طواحين فاس وأضاف أن كراء هذه الطواحين مرتفع : مثقالين لكل رحى. وأما ما يدفعه الشخص مقابل طحن حبوبه فهو (رودجيو) أي 15 سنتيم ذهب لكل كيل ؛ في زمن الشريف الإدريسي (نزهة، 3 : 241 و243) كانت أرخص : "فاس مدينتان بينهما نهر كبير يأتي من عيون صنهاجة عليه داخل المدينة أرحاء كثيرة لطحن الحنطة بلاثمن له خطر..."

هذه الأرحاء المائية يتهددها ويحد من نشاطها عنصران أساسيان :

أ ـ العامل البشري ونقصد الاستقرار والأمن أو عدمه : ففي الحالة الأولى تزدهر الأنشطة البشرية الفلاحية والتجارية والصناعية، وفي الحالة الثانية يتوقف التطور ويعود المجتمع إلى الرعي والترحال، وتتعرض المنشآت العمرانية والصناعية والزراعية للتخريب ومنها الطواحين.

ب ـ العامل الثاني بشرى أيضاً ويتعلق بالمنازعات بين القبائل والمداشر والجماعات حول المياه الجارية وكذلك النزاع ما بين الفلاحين وسكان المدن : الفلاحون يريدون تحويل الماء للسقي وأصحاب الطواحين يريدونها لأغراضهم ويتم الاتفاق أحيانا حول تقسيم المياه أو استغلالها مناوبة (*نزهة*، 232 ؛ *وصف إفريقيا*، 276).

ج ـ العامل الثالث وهو أخطر من العوامل البشرية وهو الجفاف : فقلة التساقطات المطرية والثلجية أو انعدامها في بعض السنوات تسدد ضربة قاضية لهذا النشاط : طحن الحبوب عن طريق الأرحاء المائية.

منذ التاريخ القديم وإلى اليوم عوف المغرب الأرحاء المائية بل كانت أكثر الأرحاء استعمالا واستغلالا. أما في الوقت الحاضر فيمكن القول إن هذه الأرحاء المائية الموجودة معدودة على رؤوس الأصابع وما لم تتدخل الجهات المعنية بالتراث فقد يضيع هذا الكنز الذي يذكّر المغاربة بعهد مزدهر مضى ؛ ومعظم هذه الأرحاء موجودة في المجاري المائية ذات المساقط القوية خاصة في الأطلس الكبير : في أوريكا ومولاي إبراهيم ووادي غيغاية وإيمليل وغيرها (فإنقاذها والحفاظ عليها مسألة وطنية.

تغيرت مصطلحات الرحى والطاحونة بعد دخول الطاحونات الآلية المحركة بالطاقة الحيوانية أو بالبنزين ثم الكهرباء في عهد الحماية الفرنسية على المغرب وقبلها بقليل، فأصبحت الطاحونة تعني تلك الآلة والبناية في نفس الوقت ؛ أما الرحى أو الأرحاء فبقيت منذئذ وإلى الآن تعني الرحى المائية واليدوية المعتمدة على شقين أو فردتين من الحجارة ؛ وإذا كانت رحى الحبوب قد أصبحت من التحف الأثرية فإن رحى عصر الزيتون ورحى زيت أرگان مازالت منذ العصر الوسيط وإلى اليوم الأكثر استعمالاً في البادية رغم ظهور التكنولوجيات الحديثة في هذا الميدان.

أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر، 1911 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الإيطالية، 5 أجزاء نابولي، د. ت ؛ الجزنائي، *جني زهرة الآس*، الرباط، 1967 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب*، الدار البيضاء، 1978 ؛ إ. العمري، *مسالك الأبصار*، م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عهد بني مرين*، ومقتطفات، فانيان ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1964 ؛ ي. الحموي، معجم *البلدان*، مصر، 1906 ؛ ابن سعيد المغربي، *بسط الأرض*، تطوان، 1958 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار*، الإسكندرية، 1958؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ أبو الفداء، *تقويم البلدان*، باريس، 1960 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، د. ت ؛ السبتي الأنصاري، *اختصار الأخبار*، مجلة تطوان، العدد3 : 1958 . 1959 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980.

محمد حجاج الطويل

**الرحامنة**، قبيلة حوزية يحد موطنها مجرى وادي أم الربيع شمالا، ومجرى وادي تانسيفت وسلسلة الجبيلات وبلاد مسفيوة جنوبا، ومن الناحية الشرقية قبائل السراغنة وزمران، ومن الجهة الغربية دكالة واحمر وأراضي الگيش. وتتبع قبيلة الرحامنة إدارياً إقليم قلعة السراغنة. من مراكزها بن گرير، صخور الرحامنة، سيدي بوعثمان، وراس العين. ومن أهم عشائرها : الحشاشدة، والحشاشدة البورية، واللواتة البورية، واللواتة الحوزية، وسلام العرب، وسلام الغرابة، ويگوت العرب، ويگوت الغرابة، وعزيب المرابطين، والعطاية، والعطاية الحوزية، وبرابيش بني حسن، وبرابيش الجعافرة، وبرابيش أولاد عبد الله، والشياظمة، والشياظمة الحوزية، وأولاد عقيل، وأولاد الزعرية، وزاوية ابن ساسي، وأولاد عبو، وأولاد حصين، وأولاد مطاعية، وأولاد تميم، والسكان.

تعتبر قبيلة الرحامنة من المجموعات المعقلية، اليمنية الأصل، التي استقرت بالصحراء ـ قبل أن تنزح نحو الشمال ـ حيث كانت تنتشر على أطرافها الشمالية. وكان فرنانديس أول من أشار إليهم في مستهل القرن العاشر (16 م). وكانوا يحملون هذا الاسم منذ أن كانوا في اليمن قبل نزوحهم إلى بلاد المغرب. والملاحظ أنهم تركوا في طريقهم نحو الغرب بصمات هذه التسمية في كل من الأردن وليبيا.

وتشير المصادر إلى أن الرحامنة في الصحراء كانوا أكبر المجموعات المعقلية سكانا يحاربون بأكثر من عشرة آلاف مقاتل من بينهم سبعمائة فارس. ويعيشون حياة ترحال ونصف ترحال مقرونة بزراعة محدودة للحبوب. وتفيد وثائق دوكاستر أن حياتهم في الصحراء لم تكن تقتصر على الرعي والزراعة فحسب، بل كانوا يتعاطون كذلك

لتجارة واسعة. وتتوافق هذه الإشارة مع ما جاء لدى فرنانديس عن التجارة عبر الصحراء ونصيب الرحامنة منها مع أولاد دليم في مرحلة أولى بين بلاد السود زناغة والجنوب الغربي للبلاد. ومن المعلوم أن المغرب في القرن العاشر (16 م) كان يحاول التمسك بدور الوساطة الذي كان يقوم به بين إفريقيا وأوربا في وقت مازالت فيه بعض الكميات من الذهب تصل إلى موانئه الصحراوية وهذا ما جعل الرحامنة خلال مقامهم في الصحراء يساهمون في حركة الجهاد سنة 932 / 1525 إلى جانب الشرفاء السعديين لصد الغزو المسيحي للسواحل الجنوبية الغربية بعد أن أخل الوجود البرتغالي على الساحل الأطلسي بهذا التوازن وما لحق سكان المنطقة من أضرار بسبب تحويل النصارى للتيار التجاري التقليدي.

بعد أن استتب الحكم للسعديين نزح الرحامنة نحو التل، أي شمال سلاسل الأطلس، حيث أشار مرمول سنة 1565 إلى هيمنتهم على كل المنطقة الممتدة من أسفي إلى مراكش. ويجب التأكيد هنا على أن الرحامنة لم يكونوا گيشا منظما في خدمة السعديين عكس ما سار إليه مارمول وقد شاطره دوتي نفس الرأي. كما أنهم لم يكونوا من قبائل الگيش على العهد العلوي بل كانوا خداماً يعدون من قبائل النايبة التي كانت تسهم بالجيش وتدفع العيش.

كان مجال الرحامنة إلى القرن الحادي عشر (17 م) يمتد من أم الربيع شمالا إلى أعراف الأطلس جنوبا نظرا لتعاطيهم الرعي الواسع وما يتطلبه هذا النشاط من ضرورة النجعة، فكانوا مرتبطين بمجموعة من التحالفات "أمقون" التي كانت تعطي حق الرعي والحماية للرحامنة بـ"ألمو" وكان هذا التعاقد يعطي نفس الامتيازات لغيغاية، ومسفيوة، وگندافة في منخفض البحيرة بقبيلة الرحامنة إلى أن تعرض هذا التوازن لانكسارات في نهاية القرن السابع عشر بسبب استقرار الگيش الإسماعيلي حول وادي نفيس. واستمر تراجع نفوذ الرحامنة في منطقة الدير في عهد مولاي عبد الرحمان لما استقدم أيت "يمور" سنة 1845 من الغرب إلى الحوز وأنزلهم وراء وادي نفيس وقبلته، ثم نقل "رحى المغافر الودايا" من فاس الجديد سنة 1852 وأنزلهم بأحواز دائرة مراكش بزاوية الشرادي وما والاها خلف ضفة وادي نفيس وقبلته. وهكذا ضرب الگيش العلوي الحصار على الرحامنة من جهة الجنوب فكان يمنعهم من التردد على مراعي الدير وأصبحت ممتلكاتهم حول نهر تانسيفت تشكل الحدود الجنوبية لمجال قبيلتهم على العهد الرحماني. وبعد تمردهم على العهد الرحماني، ثم على العهد المحمدي غداة حرب تطوان، انتزع منهم المخزن كل الأراضي السقوية الخصبة جنوب وادي تانسيفت نذكر منها تبهنيت، وأغاطيم، وسعادة، وعين دادة، والسويهلة... وبذلك أصبحت الحدود الجنوبية للقبيلة هي مجرى الوادي المذكور.

كان للرحامنة مصاهرة مع السعديين حيث إن سحابة الرحمانية كانت الزوج الثانية لأبي عبد الله محمد الشيخ المهدي. وقد خلف معها أبا سعدة عبد المومن، ولالة عائشة، ولالة فاطمة، وأبا مروان عبد الملك الذي مات في معركة وادي المخازن. وقد رافقت سحابة الرحمانية ابنها عبد المالك إلى القسطنطينية في بلاط السلطان مراد بن سليم من أجل الحصول على دعم الأتراك لاستقراره على عرش المغرب.

منذ القرن الثاني عشر (18 م) طفت أخبار الرحامنة على السطح في تاريخ المغرب، وتناولتهم المصادر كمجموعة قوية تشكل أكبر تجمع سكاني في الحوز كانت لهم هيمنة على كافة قبائله في القرنين الثاني عشر والتاسع عشر. وتُرجع المصادر كثرة جموع الرحامنة وتزايد ساكنتها المطرد إلى توالي الهجرات السوسية التي كانت تُسهم في سرعة التجدد السكاني رغم توالي الانتكاسات الديموغرافية على مغرب ما قبل الحماية. ومن الملاحظ أن أثر هذه الهجرة مازال قائما إلى اليوم. فإذا كانت مجموعات "الغرابة"، وهم النازحون القدامى، قد فسخوا "الخنت" وأقلموا اللسان بعد مرور الحقب وتعاقب الأزمان، فإن التوافد المطرد للقادمين الجدد ظل يعضد ارتداء الخنت والتواصل باللهجة الحسانية بين مجموعات "لَعْرب". وعلى هذا الأساس كان السلاطين يخاطبونهم بعبارة "أعراب الرحامنة". اعتبارا لما تقدم من وفرة في السكان كانت القبيلة على العهد الحسني يتوزع حُكمها ثمانية قواد، ثم قسمت في ضحى الفترة العزيزية إلى عشر إيالات.

قام الرحامنة بثلاثة تمردات هامة في القرن الثالث عشر (19 م) : أولها بعد حرب تطوان، وثانيها بعد وفاة سيدي محمد بن عبد الرحمن، وثالثها بعد وفاة مولاي الحسن. وقد كان عنف التمردات المذكورة يستمد قوته وطول نفسه من وفرة أعدادهم وقوة شوكتهم. ولعل عامل الوفرة هذا هو الذي جعل السلاطين العلويين يعتمدون عليهم في ضبط باقي القبائل الحوزية ويستشيرون عمالهم وفقهاءهم في تعيين قواد الحوز. فقد خاطبهم المولى سليمان في رسالة بتاريخ شوال 1235 بقوله : "... لما ولاني الله نوهت بكم، وعملتكم بسوس ودرعة، ووليتكم مراكش، وخيرتكم على جميع القبائل، وجعلت الزوين على جميع أهل الحوز، وجعلته وزيراً ومشيراً... أنتم قبة الحوز وقلبه... فما عندي أعز منكم.." ووصفهم ظهير سلطاني بأنهم "مميزون بزيادة المحبة وخصوص الأثرة، مذكورون بالخدمة والنصيحة والجد...". وورد في رسالة مخزنية بتاريخ قعدة 1290 هجرية أن سيدي محمد بن عبد الله كان "يعتمد عليهم ويميزهم ويستخدمهم من جملة جيشه فيغنون ويكفون..." ولعل قوة الشوكة هذه كانت تميز أخبارهم هي الكفيلة بتفسير الحظوة والمكانة اللتين كانتا لهم لدى السلطان المذكور حيث اتخذ من محمد بنعمران الرحماني وزيراً له، وعينه خليفة على مراكش ونواحيها. وتزوج بالسيدة البتول

ابنة القائد عبد الله الرحماني وأرسل أخاها محمد الزوين سفيراً لدى السلطان عبد الحميد خان العثماني.

أنجبت قبيلة الرحامنة عدداً من الرجال من أصحاب القلم والسيف نذكر منهم :

- الفقيه العلامة أحمد بن مبارك الكرني الذي كان يقرئ أولاد المولى عبد الرحمان كمولاي أبو عزة، ومولاي رشيد، ومولاي علي، ومولاي العباس، وقد كان هذا الفقيه معروفاً بفصاحة اللسان له اختصاص بعلم النحو، توفي عام 1304 / 1887.

- الفقيه البهلول بن علي بوسلهام، ولد في العشرة الأخيرة من القرن الثاني عشر للهجرة. كان فقيها فاضلا ماهرا درس بجامع ابن يوسف بمراكش. ولما رأى مولاي عبد الرحمان من علمه ما بهره ألزمه سكنى الحاضرة المراكشية. وكانت له كلمة مسموعة في قبيلته ومكانة رفيعة عند السلطان فكان يستشيره في تولية عمال الحوز وولاه جمع زكاة الرحامنة فتضايق عاملا القبيلة من حظوته ووشيا به لدى السلطان زاعمين أنه مادام بينهم لا يستقيم لهم أمر فقبض عليه عام 1270 / 1854، ثم رُحل لفاس وبقي بها إلى أن مات سنة 1272 هجرية ودفن بروضة العلماء هناك.

- الفقيه العلامة محمد بن حمو البربوشي كان قاضي القبيلة ومفتيها، نسب له العاملان المذكوران نفس التهمة فقبض عليه سنة 1270 هجرية ورُحل بدوره إلى فاس.

- عبد الحميد بن الفاطمي الرحماني عامل مجموعة البرابيش. كان مولاي الحسن يستنهضه للمهمات الصعبة وقد بعثه في سفارة إلى إسبانيا.

- مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحماني عمل قائداً في القبيلة من 1884 إلى 1889 ثم بعثه مولاي الحسن إلى الريف فَوُلي على قبيلة گلعية ثم عينه على تازة فوادي درعة. كان مبارك الطاهر ضابطاً حازماً يعتمد عليه المخزن في قضاء المهمات. وبعد وفاة مولاي الحسن رجع القائد المذكور من درعة إلى قبيلة الرحامنة حيث تزعم التمرد الشهير 1894 - 1896 الذي دوخ الحوز في بداية العهد العزيزي.

*وثائق الخزانة الحسنية*، الرباط ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، الجزء الأول، الرباط، 1984 (مترجم عن الفرنسية) ؛ ع. العزيز بن عبد الله، *الموسوعة البشرية والحضارية*، ملحق رقم 2، 1977 ؛ ع. الرزاق الصديقي، *الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن*، 1850 - 1900، الرباط، 1977.

عبد الرزاق الصديقي

**الرحامنة** منطقة تأخذ اسمها من الاتحاد القبلي الذي استوطن بها، وكانت تكوّن دائرة تابعة لإقليم مراكش قبل أن ينشق عن هذا الأخير إقليم قلعة السراغنة سنة 1973 والذي انقسمت بموجبه إلى شطرين (دائرة الرحمانية ودائرة سيدي بوعثمان)، كما تتطابق الآن مع مجال نفوذ المديرية الإقليمية للفلاحة، بالإضافة إلى الجماعات القروية الأربع المجاورة لدائرة العطاوية والتي تنتسب إلى مجال نفوذ المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز. في حين أن الاعتبارات الطبيعية تختزل هذه المنطقة في الجزء الواقع شمال خط عرضي يمر مباشرة جنوب مدينة بن گرير والمعروف بالكتلة القديمة للرحامنة. وعليه فإن التسمية الحالية، بمفهومها الواسع وحسب محتواها البشري والاجتماعي، تشمل كافة أرجاء المحاط القبلي المعاصر، أي تراب الدائرتين الإداريتين السالفتي الذكر.

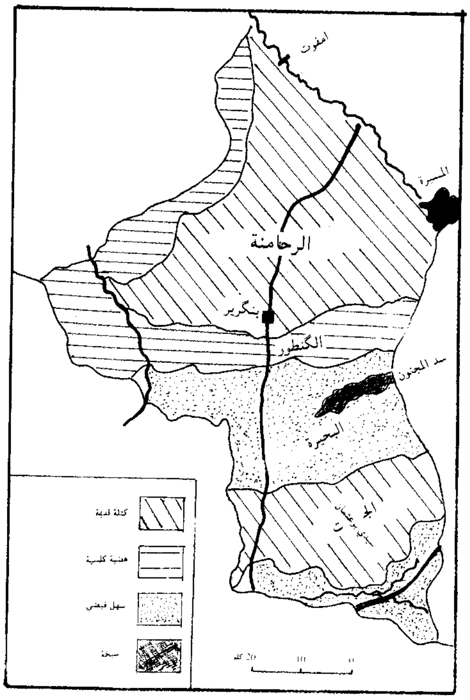


إن موقع الرحامنة الوسط داخل المغرب الأطلنطي هو في الواقع مجرد مركزية هندسية تخفف أهميتها تلك الوضعية الطبيعية المتميزة بالعزلة والتقطيع والتي تتضاعف بنوع من التهميش الاقتصادي والاجتماعي، ذلك أن المنطقة هي الآن مفصولة عن الوحدات الإقليمية المتاخمة الدينامية بواسطة حواجز حاسمة تفرزها عن الشاوية (نهر أم الربيع) والحوز (كتلة الجبيلات) ودكالة (حدود كتلة الرحامنة وهضبة الگنطور) أو تباعد بينها والعاصمة الإقليمية وقطاع تاساوت المسقي. وفضلاً عن تأرجح الحياة البشرية والاقتصادية الكثيفة بالإقليم لصالح منطقتي قلعة السراغنة والحوز الشرقي، تعرف الرحامنة انطواء وضيقاً ناتجين عن تظافر عدة عوامل غير ملائمة، منها التجزئ إلى مجموعة من الوحدات المتباينة وشيوع نمط العيش الرعوي واستمرار تحرك السكان وضعف ظاهرة التمدين.

مساحة الرحامنة، التي تنقسم إلى 23 جماعة قروية ومركزين وبلدية، تبلغ حوالي 5800 كلم2، وهو ما يساوي

تقريباً 3/5 المساحة الاجمالية لإقليم قلعة السراغنة. غير أن عدد سكانها لا يمثل على الصعيد الإقليمي سوى 2/5 من الحضريين (53480 ن) وأقل من 2/5 من الريفيين (213.050 ن). ومع ذلك، فإن الكثافة الريفية (37 ن / كلم2) تعادل ضعف مثيلتها على المستوى الوطني، حتى ولو كانت تتوزع بكيفية متباينة، تتعارض فيها بضع جماعات مركزة في الغرب والجنوب الشرقي والمعروفة بكثافتها المتوسطة أو المرتفعة، مع باقي المجال المحلي الذي تسود فيه هنا وهناك فراغات سكانية شاسعة، وبخاصة في الجزء الشمالي.

**تطور عدد السكان بمنطقة الرحامنة**

| | 1971 | 1982 | 1994 |
|---|---|---|---|
| بلدية بن گرير | 6.941 | 22.354 | 47.080 |
| مركز سيدي بوعثمان | - | - | 2.872 |
| مركز صخور الرحامنة | 1.550 | 2.400 | 3.526 |
| الوسط الريفي | 216.964 | 208.486 | 213.053 |
| المجموع | 225.45 | 233.240 | 266.531 |

عن هذا الوضع الديمغرافي المتسم بضعف نسبة التمدين التي لا تتجاوز 20٪ (مقابل 65٪ وطنيا)، يتبين أن الحياة الريفية ظلت جد متجذرة في الرحامنة وأن الطابع الجوهري الريفي اضطر 9 أفراد من 10 إلى العيش على الفلاحة التي تستأثر تربية المواشي بأكثر من نصف مواردها، بل وعلى ثلاثة أرباعها. فغني عن البيان إذن أن مصير الأنشطة الرعي - فلاحية رهين عضوياً بالمؤهلات والإكراهات الطبيعية التي يبدو جلياً أنها لا تمتع المنطقة حتى بالحد الأدنى من الامتيازات.

تترتب تضاريس المنطقة وفق تعاقب منتظم لوحدات مرفلوجية واضحة المعالم. في القطاع الشمالي تنتصب الكتلة القديمة للرحامنة لتشرف قليلاً على الهضاب المجاورة. وقد أدّى تناوب صخورها الصلبة والهشة إلى نحت انتقائي أفرز تراصفات ممتدة على عدة كيلو مترات من العوارض الكوارتزية (الصْخور) البالغة علو 700 م والتي تفصل بين مساحات شيستية عريضة سطحتها التعرية.

أما هضبة الگنطور التي تحف جنوباً قاعدة الرحامنة، والتي تمثل الطرف الغربي لهضاب الفوسفاط، فهي عبارة عن شريط مستعرض شبه مستو، يتراوح عرضه بين 10 و20 كلم ويتألف من كلس الكريتاسي والأيوسين. ونظراً للبنية العامة المنضدية فإن تدرج التضاريس لا يظهر بسهولة، إذ أن الحاشية الشمالية وحدها تنتهي بجرف بارز، بينما الحدّ الجنوبي ينحدر تدريجياً نحو سهل البحيرة الذي هو في الأصل أخدود بنيوي مطمور تحت الحصباء والطمي ومختلف التكوينات الرباعية القديمة التي تغوص تحت غطاء من الإرسابات الحديثة والحالية.

أخيراً في الزاوية الجنوبية، نجد سلسلة الجبيلات الوسطى التي يتراوح عرضها بين 10 و20 كلم والتي تعتبر نسخة غير مطابقة تماماً لكتلة الرحامنة. هي كذلك تعرف تعرية انتقائية قد خلفت ممرات واسعة تخترق هذا الحاجز من الشمال إلى الجنوب، لكن طياتها العميقة مرفوعة بحركات بنائية حديثة نسبياً كانت وراء ذلك الطابع الجبلي الحقيقي، حيث تتعدى بعض القمم ارتفاع 1000م.

على مرتفعات الكتلتين القديمتين تنتشر تربات كثيراً ما تكون هزيلة، تتداخل مع تربات غير تامة التطور والمنحوتة، التي يشوبها العديد من البروزات الصخرية. فهي قسطلية داكنة في الرحامنة وقسطلية حمراء في الجبيلات. في حين أن هضبة الگنطور وامتداداتها تكسوها تربات قسطلية حمراء هزيلة بجانب تربات طينية جد داكنة أو حمراء كلسية ذات تكوينات حجرية ومتحجرة على السطح. أما أغنى تربة وأسمكها فهي التي تغطي سهل البحيرة إذا استثنينا التربة المالحة المرتبطة بسبخة سد المجنون. إنها قسطلية حمراء ذات مسكة قوية التركز الكلسي ومتفاوتة التصلب، تتطور على أساس غريني مكوّن من الرمل والطين.

من بين كل العوامل الطبيعية ، لعل الماء هو السبب الموجب الذي يعوق بأكثر شدة جل أوجه الحياة الاقتصادية والبشرية، ما دامت المنطقة مدرجة بأكملها في المستوى البيومناخي القاحل ذي الشتاء المعتدل، وهو عبارة عن جيب قحولة يتسع من أم الربيع الأوسط إلى أقدام الأطلس الكبير. مما يترتب عنه خصاص مزمن في التساقطات وتقلص في عدد الأيام المطرة (40 يوماً في السنة)، ما عدا نسبياً حول بعض أعراف مرتفعات الرحامنة والجبيلات التي تتلقى أكثر بقليل من 300 ملم في السنة. زد على ذلك أن منطقة الرحامنة محرومة من أي تصريف مائي سطحي منتظم خارج القطاع القصير جداً لتانسيفت في أقصى الجنوب وأم الربيع الذي يعد فوق ذلك نهراً دخيلاً وحداً فاصلاً، والذي شيد عليه سدان عند مروره بالرحامنة : المسيرة في العالية، وهو ثاني أكبر سد في المغرب (1976)، وإمفوت في السافلة، وهو أحد أقدم السدود المغربية (1944).

هذا ويتميز الاحتياطي المائي الباطني بتباين واضح يرجع إلى نوعية التضاريس وطبيعة الصخور، وقبل ذلك إلى ندرة الموادر المطرية. مرتفعات الرحامنة والجبيلات، ذات الصخور غير النافذة، تحتوي على سديمات متقطعة وزهيدة، وحتى هضبة الگنطور الكلسية تعاني نفس القلة، نظراً لشكلها الضيق والمديد. وحده سهل البحيرة حبته التكوينات الحثية والرملية بأهم المدخرات المائية وأكثرها اتصالا، ولو أنها تقتصر على الحقول الجوفية العلوية لا غير. على أن سبخة سد المجنون تتموقع على المحور

المركزي لتصريف السهل الذي يوافق أضعف مستوى سديمي. فهي تعرف تبخراً حاداً بالرشح يؤدي إلى نسبة جد مرتفعة من الملوحة على مساحة واسعة نسبياً يصبح معها استعمال الماء غير ممكن، كما يتسبب في تركيز مياه الفرشة بنسبة غرامين من الملح في اللتر على نطاق أكثر اتساعاً، يمتد تقريبا من وادي تاساوت الأسفل إلى الطريق الوطنية بن گرير - سيدي بوعثمان.

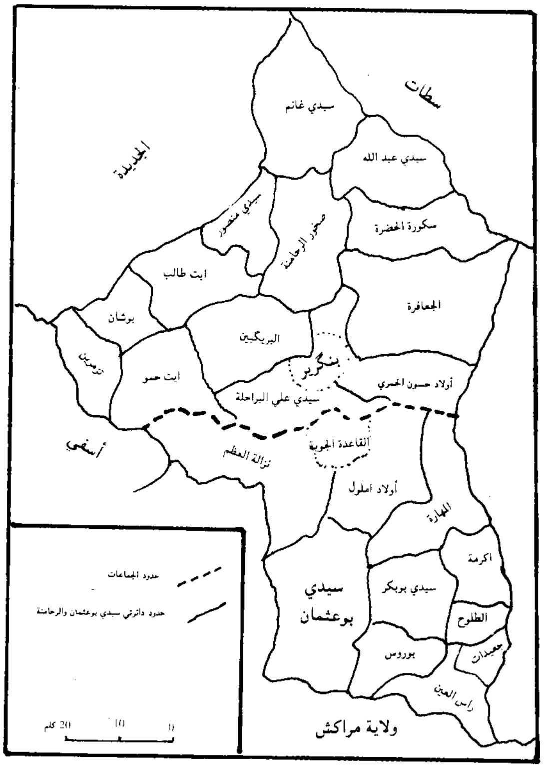


إذا كانت الظروف الطبيعية تعتبر معطيات يصعب تفاديها، وجب الانتفاع بها أو حسن تدبيرها والتأقلم معها، فإن التجهيزات التحتية والجماعية تعد في آن واحد كقاعدة لتنظيم المجال والتنمية الشاملة وبمثابة مؤشر يعكس مدى تجاوز المعيقات وتلبية الحاجيات ودينامية الاقتصاد والمجتمع ودرجة التمدين. ولعل أهم العناصر التجهيزية الجماعية تتمثل في البنيات التحتية، بما فيها الماء والكهرباء وطرق المواصلات، وكذا التجهيزات الاجتماعية والثقافية (الصحة والتعليم على الخصوص).

بالنظر إلى حجم سكان الأرياف الذي يبلغ حوالي 80٪ من المجموع حسب إحصاء 1994 يمكن استنتاج أن الغالبية العظمى من الأسر لا تستفيد من قنوات الماء الصالح للشرب ولا من الربط بشبكة الكهرباء، ولا سيما في دائرة الرحامنة، بينماهما عنصران يأتيان على رأس قائمة متطلبات الحياة المنزلية ومستلزمات الأنشطة الاقتصادية. وهكذا فإن الجماعات التي ينعدم فيها الكهرباء والماء الشروب أو يكاد من 0 إلى أقل من 1٪ من الأسر) يبلغ عددها 14، وعدد التي تتوفر على 1 إلى 3،4٪ من الأسر المستفيدة 7 جماعات. جماعة واحدة فقط لها نسبة 2 . 6٪ وأخرى لها 25.5٪ وهي نزالة العظم التي تضم تجمعاً سكنيا مجهزاً نسبياً تابعاً للقاعدة الجوية العسكرية.

أما نسب تغطية الأسر بالكهرباء التي تعرف نفس المستوى الهزيل فهي كالتالي : من 0 إلى 1٪ (16 جماعة) ومن 1 إلى 4 . 3٪ (4 جماعات) و9٪ (جماعة واحدة) و12.5٪ (جماعة واحدة) و3 . 31٪ (جماعة نزالة العظم). من الواضح إذن أن هناك بوناً شاسعاً بين الوسطين الريفي والحضري فيما يتعلق بالتجهيزات الكهربائية والمائية حتى ولو أن مدينة بن گرير ومركزي سيدي بوعثمان وصخور الرحامنة لم تدرك بعد المستوى المطلوب.

**النسبة المائوية للأسر المستفيدة من شبكة الماء والكهرباء ( 1994).**

| | الماء | الكهرباء |
|---|---|---|
| بلدية بن گرير | 64 | 78 |
| مركز سيدي بوعثمان | 61 | 51 |
| مركز صخور الرحامنة | 48 | 74 |
| الجماعة القروية نزالة العظم | 26 | 31 |

للحد من هذا الحرمان المزمن والمقلق قد وضع البرنامج الوطني لتزويد الوسط القروي بالماء الصالح للشرب مشروعاً طموحاً لمدة 8 سنوات هو اليوم في طريق الإنجاز، ويقضي بإنشاء وإعداد المئات من نقط الماء وآلات الضخ والخزانات وسبول الماء في المئات من الدواوير، وذلك قصد تغطية 70٪ من الأسر في السنوات القليلة القادمة. من جانب آخر هناك العديد من مشاريع كهربة الأرياف بواسطة الطاقة الاصطلاحية وبصفة خاصة عن طريق الطاقة المتجددة، باعتبار أن المنطقة مشهورة بنسبة التشميس العالية جداً، والتي تشكل مؤهلاً بالغ الأهمية في هذا الباب. ويتم تنفيذ هذه الخطط المكثفة منذ 1996 في إطار كل من التعاون الوطني وبرامج المكتب الوطني للكهرباء وكذا البرنامج الوطني للكهربة القروية، والميزانية الإقليمية بالأساس، وذلك بغية التوصل مبدئياً إلى توفير الكهرباء بنسبة 73٪ من الأسر القروية في حدود سنة 2000.

بالمقابل تحظى المنطقة بكثافة متوسطة لشبكة المواصلات التي تعد الشريان الضروري لتكثيف علاقاتها الداخلية وفك العزلة عنها وانفتاحها على المجالات المجاورة. والسكة الحديدية تعزز بشكل ملموس الحركة الطرقية،

حيث تحتل مدينة بن گرير موقع ملتقى كمحطة أساسية على محور مراكش ـ النواصر وكنقطة انطلاق لنقل الفوسفاط إلى اليوسفية وأسفي. غير أن تخطيط الشبكة الطرقية يدعو إلى ملاحظة أن المنطقة تبدو وكأنها مجال عبور أكثر مما هي مجال ربط داخلي، بالنظر إلى تفرع الطريقين الوطنيين من مراكش نحو سطات من جهة واليوسفية ـ سيدي بنور من جهة أخرى، مع وجود طريق مستعرضة واحدة، وهي الطريق الجهوية التي تربط بين قلعة السراغنة وبن گرير واليوسفية. كما أن شمال هذا المحور تنعدم فيه أية طريق جهوية أو إقليمية، كيفما كان اتجاهها.

أما في الميدان الاجتماعي فكانت تحصى منطقة الرحامنة في عداد أفقر المجالات المغربية إلى حدود 1994، تاريخ انطلاق مجموعة من المشاريع على الصعيد الوطني أو في إطار التعاون الخارجي لتدارك النواقص المهولة، وعلى رأسها برنامج الأولويات الاجتماعية الممول من طرف البنك الدولي، فتحسنت وسائل العرض بسرعة نسبيا، حتى أن في القطاع الصحي أصبح معدل عدد سكان الأرياف بالنسبة لكل وحدة صحية يساوي 8.880 فرد سنة 1998 وهو رقم دون المعدل الوطني (9.930 نسمة). ويعزى ذلك إلى تغطية تتكون في الوسط الريفي من 4 مستوصفات و17 مركزاً صحياً جماعياً و3 مراكز صحية جماعية تحتوي على قاعة للولادة، بدون اعتبار الوحدات المبرمجة أو في طريق الإنجاز (مستوصف و3 مراكز صحية جماعية ومركزان صحيان جماعيان مجهزان بقاعة للولادة ومستشفى محلي). بينما تتوفر مدينة بن گرير على مركز صحي حضري ومستشفى محلي تحول إلى مصحة عمومية متعددة التخصصات سعتها 30 سريراً.

ولعل القطاع التعليمي هو الميدان الاجتماعي الذي سجل مؤخراً أكبر قدر من التحسن النسبي في شتى مؤشرات العرض والطلب وكذا الجودة والفعالية. إذ حتى أواسط التسعينيات كانت كل الظروف تبعث على إدراج إقليم قلعة السراغنة ضمن الأقاليم الأكثر تخلفاً في مجال التمدرس، ولا سيما منطقة الرحامنة التي تتضافر فيها عدة عوامل غير ملائمة : تفوق سكان الأرياف بنسبة 4/5، استمرار النزوح إلى المدن، ضعف الكثافة السكانية، اتساع تراب الجماعات، تفرق السكن، كبر حجم الأسر والعائلات، سيادة النمط الرعي ـ فلاحي، استمرار تشغيل الأطفال، عزوف الآباء عن تمدرس الفتاة على الخصوص، استفحال ظاهرة الفقر، هشاشة البنيات التحتية، خصاص في البنيات والتجهيزات المدرسية... فكان من شأن ذلك تفشي مسألة الأمية وانخفاض مهول في مستويات التغطية المدرسية، إلى درجة بلوغ الحضيض في نسبة تمدرس الفتاة بجماعة سيدي غانم (2٪).

**نسبة التمدرس (بين 7و 12 سنة) ونسبة الأمية (10 سنوات فأكثر) في منطقة الرحامنة سنة 1994 (بالنسبة المائوية)**

| | نسبة التمدرس | | نسبة الأمية | |
|---|---|---|---|---|
| | ذكور | إناث | ذكور | إناث |
| دائرة سيدي بوعثمان (وسط ريفي) | 49 | 24 | 68 | 89 |
| دائرة الرحامنة (وسط ريفي) | 34 | 13 | 75 | 93 |
| بن گرير | 86 | 73 | 31 | 58 |
| صخور الرحامنة | 89 | 83 | 28 | 53 |
| سيدي بوعثمان | 79 | 66 | 33 | 61 |

لهذه الأسباب تم اختيار قلعة السراغنة من بين الأقاليم 13 الأقل تحولاً إلى مختبر لتجريب الخطط الكفيلة بتحسين التمدرس في الأرياف وإدماجه في ذلك الوسط قبل تعميمها على الصعيد الوطني. و"المشروع النموذجي للتربية بالوسط القروي بإقليم قلعة السراغنة" الذي انطلق في موسم 95 ـ 1994 والذي يهم 36 وحدة مدرسية (من بينها 20 وحدة بمنطقة الرحامنة) يقوم على 5 مكونات أساسية : تكييف المناهج مع الوسط الريفي، تجهيز الوحدات المدرسية، الزيادة في نسبة التمدرس وخصوصا لدى الفتاة، تكوين المكونين والمعلمين، الاعتماد على المشراكة المحلية.

عند انتهاء المشروع سنة 99 ـ 1998 كانت الحصيلة مطابقة على العموم لما كان ينتظر من المشروع تحقيقه. فأصبحت المدارس أكثر قابلية لاستقبال الأطفال والاحتفاظ بهم وتلقينهم تعليماً مندمجاً، وتحسنت المردودية بالملموس، وفيما يخص الفتيات تضاعفت نسبة تسجيل التلميذات الجديدات في السنة الأولى ونسبة تمدرس الفتيات بالسلك الأول أساسي بأكثر من مرتين، وتجاوزتا نفس النسبتين على صعيد كل الإقليم. على أنه رغم كل هذا التطور لازال الإقليم ومنطقة الرحامنة كذلك لم يرقيا إلى المستوى المرغوب بالنسبة لكافة المؤشرات المدرسية. على سبيل المثال لا تحظى الجماعات القروية الثلاث والعشرون إلا بوجود أربع إعداديات فقط.

جميع هذه الأحوال الطبيعية والاجتماعية والتجهيزية ستؤثر إلى حد بعيد في تنظيم المجال وسيرورة الأنشطة الاقتصادية التي تتقابل فيها بنوع من الاستقلالية أدوار المدينة والأرياف. إن سيادة النمط الرعي ـ فلاحي في الحياة اليومية لهي دلالة على أهميته كقطاع حيوي بالنسبة لغالبية السكان وكسند أيضاً لتشكيل المشاهد ونسج العلاقات والسلوكات وأساليب العيش. إلى حد الآن لا

زالت الفلاحة تعاني وطأة الطبيعة الشحيحة وترتكز على الأنظمة الموروثة والكسب الاحتمالي وقلة المردود، كما ظلت تتأقلم بمشقة مع التقلبات البيئية والمستلزمات الآنية. بالتالي، فإن النظام الزراعي والرعوي المقلال والخفيف هو الذي يسيطر على كافة أجزاء المنطقة.

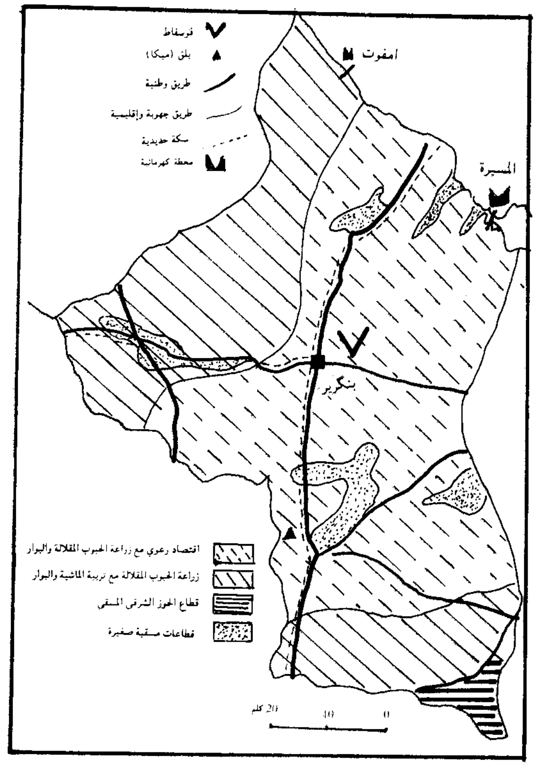


إذا كانت المساحة القابلة للزراعة لا تتعدى في أحسن الأحوال نسبة 40٪ وتنحصر بالأساس في شريطين بأقصى الجنوب وأقصى الشمال الغربي، فإن المراعي والأراضي البائرة وغير القابلة للزراعة تحتل تقريبا كل ما تبقى من المساحة الإجمالية والتي تنتشر بدرجة أوسع أساساً بكتلتي الرحامنة والجبيلات. علاوة على ذلك فإن قانون الأرض الذي تمثل فيه الأراضي الجماعية نسبة 45٪، لا يسمح بسهولة تحديث وتطوير الزراعة، خصوصاً وأن 70٪ من الفلاحين يستغلون 20٪ فقط من مجموع الأراضي (أي بمعدل 10 هكتارات للحيازة الواحدة)، و8،5٪ من الفلاحين يستغلون 50٪ من المساحة الاجمالية (بمعدل 50 هكتاراً للحيازة).

ومهما يكن فإن تربية الماشية، وليست المزروعات هي التي اشتهرت بها منطقة الرحامنة. يبلغ حجم الماشية 25.000 رأس بقر و130.000 رأس ماعز و440.000 رأس غنم، وهو ما يساوي نصف قطيع الأغنام بإقليم قلعة السراغنة. أما أسلوب تربية الماشية الذي كان سائداً إلى حدود العشريات الخمس الأخيرة فكان يعتمد على الإرعاء الحر ونمط نصف الترحال أو الانتجاع، سواءً داخل المراعي الإقليمية التي كانت كلها تقريباً جماعية، أو في مراعي الأقاليم المجاورة وحتى البعيدة. لكن تحت أعباء النمو الديمغرافي وبسبب تدهور الغطاء النباتي، تراجعت الحياة الرعوية المتنقلة وحل محلها نظام رعي - زراعي مبني على زراعة الحبوب المقلالة وتربية الماشية التي رغم ضعف مردودها، تساهم اليوم بحوالي 3/4 من المداخيل الفلاحية.

مع ذلك عندما تتوفر بعض الظروف الطبيعية الأقل قساوة، قد نجد بعض المجالات الانتقالية تتميز في آن واحد بخصائص النظام الرعي - فلاحي الخفيف وكذا النظام السقوي الكثيف. هي مجالات تشترك فيها الزراعات المسقية، بما فيها العصرية والتقليدية، والزراعات البعلية وتربية المواشي. تلك حالة عدد كبير من الجزيرات التي تتناثر في الحاشية الغربية لكتلة الرحامنة وفي الحد الجنوبي للجبيلات وكذلك المساحات الأكثر اتساعاً على طول وادي بوشان في الغرب والمنخفضات المديدة شمال كتلة الرحامنة وخصوصا البحيرة الوسطى التي تستأثر بأكبر القطاعات المسقية. وتغطي مساحة الري الصغير في المجموع 21.100 هكتار جلها ملك خاص، وتتوزع على أربعة أنواع من الري :

- 2300 هـ : بسواقي مستمدة من واد تانسيفت
- 7000 هـ : نشر مياه الفيض المطري (على الجبيلات بالخصوص)
- 600 هـ : (ري موقعي) و5200 هـ (ري خطي) بواسطة الضخ
- 6000 هـ : ري بالمراكز المحورية (من بينها 5000 بالبحيرة الوسطى)

أما الأنشطة غير الفلاحية فيستحوذ عليها الوسط الحضري الذي لم يتمكن إلى اليوم مع باقي مدن إقليم قلعة السراغنة من إنشاء شبكة مكتملة ومتراتبة الحلقات ومتماسكة العلاقات والوظائف، من شأنها تنويع وتوزيع الأنشطة والمنشآت الاقتصادية. ذلك أن العاصمة التاريخية مراكش قد خلفت فراغاً حضرياً حولها لمدة قرون، وبسطت نفوذها المباشر على كافة المجالات المجاورة، حتى إنها حالت دون البروز العادي للمراكز الناشئة أو المنبعثة. والجدير بالملاحظة أن ضمن هذا الوسط الحضري المتقلص والحديث العهد، تحتكر العاصمة الإقليمية جل المؤسسات الإنتاجية، وداخل منطقة الرحامنة، تستولي مدينة بن گرير على القسط الأوفر مما تبقى منها إذا تم مراعاة النشاط الفوسفاطي.

حالياً تكشف بنية المؤسسات الاقتصادية عن هيمنة القطاع الثالث بنسبة جد عالية تفوق 80٪ من المقاولات، وضمن هذا القطاع تحتل مختلف الخدمات المكانة الأولى (خدمات غذائية، إصلاح الآلات والأدوات، إدارة ترابية وتقنية، تعليم،...) أما الصناعة والبناء والأشغال العمومية فحظها ضئيل للغاية، إذ تتميز بتشكيلة متقلصة، وبمقاولات صغيرة الحجم لا من حيث عدد المشتغلين ولا من حيث الرساميل ومجموع المبيعات.

يتوفر مركز سيدي بوعثمان على أربع وحدات صناعية للنجارة والآجر ومواد البناء وأبراج الأسلاك الكهربائية. وتحتضن مدينة بن گرير مؤسستين فقط (وحدة لإنتاج البيض ومطحنة)، والحال أن منطقتها الصناعية تبلغ 20 هكتاراً موزعة إلى 97 قطعة. وحتى المشاريع المزمع تحقيقها في المستقبل القريب عددها قليل : 5 إلى 6 وحدات في بن گرير و4 وحدات بسيدي بوعثمان.

في نهاية الأمر، ليس هناك ما يخفي ضعف النشاط الصناعي سوى القطاع المعدني الذي يأخذ أهمية خاصة في الرحامنة التي تحتكر تقريباً كل الاحتياطي المعدني بإقليم قلعة السراغنة، ولو أنه ظل بدون عناية (5 رخص للاستغلال و53 رخصة للتنقيب في المجموع). فبالإضافة إلى مجموعة متناثرة من مقالع مواد البناء، توجد منطقتان تتجمع حولهما جل المعادن والمناجم : سيدي بوعثمان (بيرطوس، نحاس، بلق وخصوصاً الرصاص والزنك) وبن گرير (رصاص ولفرام، زنك، نحاس والأحجار التزيينية). لكن النشاط المعدني الكيماوي الأكثر انتشاراً والذي يتبوأ المكانة الأولى من حيث الهيمنة التجارية هو المرتبط بالفوسفاط.

يقع المنجم المكشوف الذي شرع في استغلاله سنة 1980 على بعد 17 كلم شرق مدينة بن گرير، أي في الجهة الوسطى من أوسع منطقة فوسفاطية بهضبة الگنطور. وتجدر الإشارة إلى أنه في الوقت الذي يتراجع فيه الإنتاج باليوسفية تدريجياً خلال هذه العشرية، يزداد حجم الاستخلاص في بن گرير بطريقة منتظمة ليصل إلى حوالي 3,5 ملايين طن سنوياً، توجه كلياً إلى التحويل بمعمل فوسفور II بأسفي، علماً أن الاحتياطي العام يقدر بنسبة 9٪ من الذخائر المغربية من هذه المادة. بل سيتضاعف الإنتاج بعد توسيع المنجم الحالي ليبلغ 6 ملايين طن. أما المرحلة الثالثة والأخيرة لا ستخراج ما بقي كامناً فتتعدى سنة 2015. بعبارة أخرى فإن القوة الجاذبة لمدينة بن گرير في ميادين التجهيز والخدمات والشغل لن تتبدل لا محالة في العشريات القليلة القادمة.

M. Ayad - A. Zouggari, *Projet pilote d'éducation en milieu rural dans la province d'El Kelâa des Sraghna, Etude d'impact*, PNUD / Ministère de l'Education Nationale, Rabat, Septembre 2000 ; J. Pégurier, *Espaces urbains en formation dans le Tensift*, Rabat, 1981 ; Direction de la Statistique, *Données communales de 1992* ; *Résultats des recensements de 1971, 1982, 1994*, Rabat.

مصطفى عياد

**الرحبة**، المكان الذي تباع فيه الحبوب بالأسواق الأسبوعية أو بالمدن. ويُدعى رحبة الزرع. وتقام بها أنشطة اقتصادية موسمية متنوعة كالرحبة القديمة التي أكمل بناء مسجدها السلطان المولى سليمان بمدينة مراكش (*الاستقصا*، ج. 3 : 173) والرحبة تعني أيضاً المكان الفسيح المتسع الذي يتوسط الدور ويسمى بتاشلحيت أسراك، وتقام به الاحتفالات الجماعية في المناسبات الخاصة والعامة. كما هو الشأن بالنسبة لمناطق ورزازات وزاكورة ومحاميد الغزلان وغيرها من المناطق المجاورة لها. وبمدينة تارودانت رحبة كبيرة تتوسط المدينة يطلق عليها اسم أسراك، وهي مكان تجمع العامة. ويقابلها من الناحية الرسمية ساحة المشور المخزنية.

ابن منظور، *لسان العرب*، بيروت، (د. ت) ؛ ابن تجلات، *إتمد العينين*، الرباط، 1986 ؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، بيروت، (د. ت) ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1997.

عبد الرزاق ازريكم

**رحال** (سيدي -) ← **البُدالي**

**الرحَّال**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Arrahal.

وقد أنجبت هذه الأسرة عدة فقهاء لم نعرف عنهم شيئاً باستثناء محمد بن محمد الرحال الذي كان بقيد الحياة سنة 1076 (1666). وعبد السلام بن محمد الرحال كان يزاول خطة العدالة سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 707.

محمد ابن عزوز حكيم

**رحال** بن **أحمد**، مقاوم ولد سنة 1912 بناحية مراكش. وانضم إلى صفوف المقاومة السرية وعمل تحت مسؤولية السادة حمان الفطواكي، ومبارك بن بوبكر وعلال الرحماني.

كان من الوطنيين الذين جاهدوا وقاوموا الاستعمار. شارك في حوادث 21 غشت 1953 وناضل وقاوم بشدة إلى أن ألقي عليه القبض وحكم عليه بالإعدام الذي نفذ في حقه يوم الخميس 13 رمضان عام 1374 / 5 ماي 1955 بمراكش.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 620 ـ 405.

**الرحالي، عيسى** (الحاج -) بن المحجوب، ولد حوالي سنة 1890. حفظ القرآن في تاخُورْبيشْت = الكتّاب القرآني، ثم تتلمذ على معظم فقهاء آل الشيخ ماء العينين، وخاصة منهم الفقيه ابن عبد العزيز، وابن العتيق والأمير أحمد الهيبة وأخيه مربّيه ربّه، وكان يتكلم العربية الفصحى سليقة لذلك كثيراً ما ينعت بأعراب.

قال عيسى الرحالي : "شاركت لأول مرة في معركة مديونة قرب الدار البيضاء سنة 1907 ومازلت شاباً على مهر بدون سرج، صحبة ابن عمّي الرحالي رحّال بن

العياشي، كما شاركتُ في معركة سيدي بوعثمان سنة 1912 فانضممنا إلى فرقة الأمير مربّيه ربّه، ومن ثم صرت من أقرب الناس إلى الهيبة ومن حراسه ثم من تلامذته ونحن ستة لا نفارقه، وكنا نعده والدنا وشيخنا الصوفي فانقطعنا عن الأهل والإخوان" (استجواب معه سنة 1974).

وقال : وهؤلاء الستة المنقطعون إلى الهيبة هم أنا عيسى الرحالي وابن عمّي القائد الرحالي رحال بن العياشي - المعروف بِبَابْحَا -، وبوستة الهواري، وحنّد الهواري، وعباس الحمري، وعبلاّ المراكشي، وقد انخرطنا في جيش المجاهدين تحت قيادة مربه ربّيه وأخيراً مع القائد الناجم الأخصاصي.

وقال : "وقد عشت جميع المحن مع الأمير الهيبة من تارودانت حتى أغبالُو نكاردُوس، وبما أن الرحالي رحال (ابن عمي) له عائلة بالصحراء وسبق له أن عرف تلك المناطق، ولثقة الأمير الهيبة فينا، فقد كنتُ من رسله الذين استقبلوا الضابط الألماني - بأركسيسْ - فصاحبناه إلى كاردوس، فأعطاني وساما بقي عندي حتى أخذته مني السلطة الإسبانية بسيدي إفني حوالي 1936، وهذه هي الخرجة الأولى للألمانيين. كما استقبلناهم مرة ثانية عندما خرجوا من - الگزيرة - بأيت إخلف". وقد كان مترجمنا هذا شاهداً على وصول الألمان إلى جنوب المغرب واتصالهم بالهيبة، كما ظهر الألمان هناك سنة 1917 حيث قتل ثلاثة منهم في جبل أيت إخلف في معركة معهم تسمى معركة جبل بُوشَارْبْ.

وقد أكد مترجمنا هذا علاقة الهيبة والألمان والأتراك، وذلك ما أشار إليه صاحب *المعسول*، مما ينفي مزاعم الجنرال اليوطي في عدم وصول الألمان إلى هنالك إذ قال : "منذ ثلاث سنين نرى الألمان والأتراك يملأون المغرب رسائل وجرائد كاذبة، ومنذ ثلاث سنوات يقصّون عليكم أخبار انتصاراتهم الوهمية براً وبحراً... فهل تظنون أنكم تجاهدون وأنتم تحت العلم الألماني. (خطاب اليوطي 15 غشت 1918 عن صاحب *الجأش الربيط*، ص. 44).

قال مترجمنا هذا : "لما توفي الأمير الهيبة ألحقنا مربه ربّه بالقائد المدني نحن الستة، ثم أقطعنا هذا الأخير أعشار إفران بالأطلس الصغير من زرع وتمر نتعيش به، والأمور تسير نحو النهاية، ثم صرنا نحن الستة من المدني الأخصاصي إلى الزعيم السي أحمد نْ طالبْ العبدلاوي الباعمراني، ومنه انتقلنا إلى سيدي محند بن عيسى البوجرفاوي بقبيلة أيت يعزّا، وأخيراً أرسلنا إلى عائلة آل الشيخ همّو الخلفيين بتابلكوكتْ عند الشيخ إبراهيم بن محمد بن الشيخ همو" حيث تزوج الرحاليان من نفس العائلة الخلفية.

وقد صار مترجمنا هذا من أعيان القبيلة، وشارك هو وأولاده في نقل السلاح إلى البيضاء، إذ كان ابنه الحاج الحسين هو أول ميكانيكي باعمراني في ثكنة الإسبان بإفني، وهناك كان يشتري الذخيرة وينقلها إلى الشيخ محند بن علي من تاعنديت وهو في جهة الحماية الفرنسية وبين الشخصين واد فقط، وقد اكتشف الاستعماران ذلك في خبر طويل، مما جعل الرحالي يغير لقبه إلى البالكوكي ويغادر الوطن.

وفي ثورة أيت باعمران التحريرية ضد الإسبان سنة 1957 كان مترجمنا هذا وعائلته في مقدمة المجاهدين. ولما انتهت ثورة أيت باعمران بانضمام إقليمهم إلى الوطن الأم، شارك أفراد عائلة الرحالي في معارك الصحراء المغربية منذ البداية. ولا ننس الحاج علي الرحالي الذي شارك كضابط في ثورة فرانكو بإسبانيا سنة 1936 مما جعله يكسب تجربة مهمة.

فالعائلة إذن عائلة مجاهدة متدينة كريمة. فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر. تقبل الله منهم.

*معلمة المغرب*، ص. 1988 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج. 2، ص. 57 ؛ *المعسول*، ج. 20، ص. 5 ؛ ح. الجهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، استجواب سنة 1974 ؛ عندي نسخة منه عينه الهيبة على السراغنة لكن لم تظهره قط ؛ محمد الإمام، *الجأش الربيط*، ص. 44.

الحسين جهادي

**الرحّالي، الفاروق** بن رحال الحمومي السرغيني المراكشي. اشتهر باسمه الرحالي على صورة النسب تيمنا من والده باسم أحد الصالحين من أسرة سيدي رحال الكوش. ويقال إن صاحب الترجمة ذو أصول سوسية من ذرية الصالح الشهير أحمد بن موسى الجزولي التزروالتي (أحمد متفكر، *مقالات*، 12).

وقع تردد كبير في تاريخ ولادته بين سنوات 1315 / 1897 وسنة 1325 / 1907 وسنة 1327 / 1909 ؛ وذلك بسبب عدم ضبط ولادته من قبله كما يبدو من ترجماته لنفسه ومن بعض أوراقه (عز الدين المعيار، *مجلة الاعتصام*، 112).

بعد أن حفظ المترجم القرآن بالقراءات السبع أخذ عن بعض علماء سوس ببلدته ثم رحل إلى الجامعة اليوسفية بمراكش فأخذ عن جلة شيوخها الرحمانيين والدكاليين والسرغينيين وفيهم من جمع بين الصلاح والعلم وفيهم شيخه ابن الرامي الذي أذن له بعد سبع سنوات من الدراسة بأن يرحل إلى القرويين بفاس قصد التبرك بها حيث تيسّر وأخذ عن جلة شيوخها الاعلام وفيهم عمدته وسنده العلامة ابن الحاج السلمي وكان يقربه ويزلفه. كما أخذ عن الشيخ الشهير أبي شعيب الدكالي بفاس ومراكش والرباط ملازما له بهذه المدينة نحوا من ثلاث سنوات ثم رجع إلى مسقط رأسه بـ"قلعة السراغنة" فابتنى له والده مدرسة عتيقة

للتدريس بها سرعان ما غادرها إلى مراكش بعد وفاته بعد أربعة أعوام من التدريس، وحل بمساجد مراكش مدرسا فتعرف عليه طلاب وعامة أهل مراكش بعد محاولات لمعرفة ما عنده ولما اشتهر بطريقته وسمته طلب منه الانتقال إلى الدروس النظامية بالجامع اليوسفي، فعقد به وبمسجد الكتبيين ومسجد روض الزيتون وقبل ذلك بمسجد أبي الفضائل دروسا غلب عليها الفقه وأصوله أولا ثم تفرعت إلى دروس في المواد اللغوية وفي التفسير والحديث بعد ذلك. وأقبل عليه الطلبة والجمهور لسمته الخاص الجذاب ولفصاحته البدوية ولتميزه في الإلقاء وحسن بيانه ولصوغه المتوازن المتجدد وجودة فهمه وقوة حفظه وظهور الورع والزهادة على محياه وأحواله.

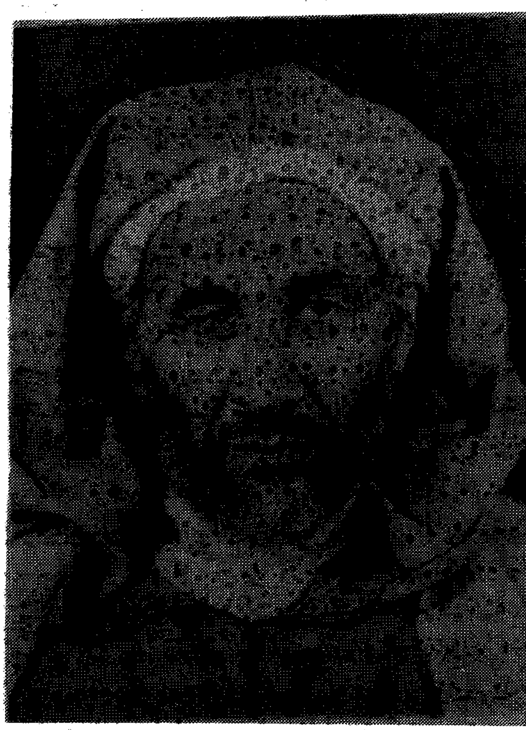

وقد امتحن أثناء هذا في قضية بيعة محمد بن عرفة صنيعة الاستعمار الفرنسي بعد نفي المجاهد محمد الخامس الملك الشرعي مع ثلة من علماء مراكش فحمد موقفه وله في ذلك أسوة بجده ووالده وموقفهما من المستعمر.

وقد تولى الخطابة قبل ذلك بجامع "بريمة" ثم اعتزل حتى جاء الاستقلال فأسندت له خطابة جامع الكتبيين كما عين رئيسا للجامعة اليوسفية وللمجلس العلمي بمراكش والنواحي.

وقد شهد له الخاص والعام بسعة علمه وبشجاعته الأدبية وقدرته على الحفظ والاستحضار. وله خطب *مرتجلة* في مختلف المناسبات وفي مواقف مع طلبة ابن يوسف حاسمة وذلك قبل أن يشتهر بدروسه الحسنية في شهر رمضان وبختم *البخاري* ليلة السابع والعشرين بحضرة الحسن الثاني ؛ وامتاز أسلوبه في ذلك بالسجع الحسن وبحسن الاستشهاد بالنصوص وبتناول الأسانيد والرجال باستفاضة على طريقة المحدثين مع إلقاء جيد وحفظ دقيق وإشارات بديعة.

كما ألقى دروسا في الحديث بدار الحديث الحسنية مدة خمس سنوات وأشرف على بعض الرسائل والأطروحات بها. وترأس عمادة كلية اللغة العربية بعد إنشائها منذ 1962 إلى وفاته مع تولّي كرسي مادة التفسير. وكان تدريسه يجمع بين الأمالي وبين الاشراقات التي قد تنسيه أحيانا نفسه فيغادر كرسيه ملتحما بطلبته في موقف عاطفي متوحد.

وحافظ أثناء هذا كله على دروسه الشعبية الرمضانية بجامع ابن يوسف غالبا بعد صلاة الصبح سنوات وأبدع فيها ودلف إليه في الظلمة أفواج الرواد للتملي بطلعته والإنصات إلى نغمته والإعجاب بإشراقاته وإشاراته وانتقاداته في سبيل الإصلاح وإن ضايقت البعض.

وأسندت إليه سنة 1401 / 1980 عضوية أكاديمية المملكة، كما عين ثانية رئيسا للمجلس العلمي بظهير سنة 1402 / 1981. وله مواقف وخطب بديعة برابطة علماء المغرب باعتباره مستشاراً لرئيسها الشيخ عبد الله كنون ؛ وشارك في المسيرة الخضراء لاسترجاع صحراء المغرب. وأنتج رحمه الله جملة وافرة من المقالات والأبحاث والمحاضرات والخطب والفتاوى جمعت في ثلاث مجلدات في موضوعات الدراسات القرآنية والسيرة والحديث والإسلاميات والوطنيات والاجتماعيات والفتاوى والإعلام واللغة والتربية وغيرها.

كما أسهم في تحقيق أطراف من تفسير *المحرر الوجيز* لابن عطية المطبوع بالإمارات العربية. وله في شبابه شعر في العرش العلوي. وقد حج واعتمر صحبة محمد الخامس رحمه الله وألقى هناك درسا نال إعجاب الملك كما شارك في لقاءات فقهية خارج المملكة. وكان يجلل شخصه بالوقار والحياء ولكنه مع ذلك ذو روح مرحة ونكتة فطرية نادرة مع أخص خلصائه لم تفارقه فطرته الأولى رغم تقلبه في البلاد؛ وله عزمات وانجذابات قلما ترد. وكان يلتمس لديه صالح الدعاء ويختلط بالصالحين أحياء وأمواتا.

توفي بمراكش سنة 1405 / 1985 وأقبر بمقبرة العلماء والصالحين بباب اغمات في مشهد عظيم ورثي وأكرمت ذكراه بعد وفاته مرات.


أ. متفكر، *مقالات ومحاضرات الشيخ الرحالي الفاروق*، مراكش، 1999 ؛ *حوليات كلية اللغة العربية* بمراكش في ذكراه ؛ مجلة *الاعتصام*، عدد خاص بتكريم الشيخ الرحالي الفاروقي


محمد البايك

**الرحّالية**، طريقة صوفية تُنسب إلى الشيخ سيدي رحال الكوش المدعو البدالي (ت. 949 / 1543). ويعد هذا الرجل من كبار شيوخ التصوف في القرن العاشر (16 م)، ومن رواد الطريقة الصوفية الجزولية في زمانه، باعتباره من أهل الطبقة الثانية فيها، إذ ليس بينه وبين مؤسسها سوى واسطة واحدة، هو عبد العزيز التباع، خليفة محمد بن سليمان الجزولي. كما يعتبر سيدي رحال البدالي من الشيوخ الجزوليين الذين بلغوا مستوى رفيعا في مقامات هذه الطريقة، مما حدا بكتّاب التراجم إلى تصنيفه ضمن طبقة الأبدال، بل رفعه بعضهم إلى مقام الأقطاب.

إنها طريقة سلوكية تربوية، تفرض الصحبة والخدمة ومجاهدة النفس، باعتبارها السبيل إلى "معرفة الله" والقرب منه عز وجل، على غرار سائر طرق أهل الله. بيد أن المجاهدة في الرحالية لها صفاتها الخاصة. ومن أبرز الصفات حضوراً في وصف هذه الطريقة لدى سائر كتاب التراجم صفة الزهد (*دوحة*، 101 ؛ *ممتع*، 42 ؛ *الإعلام*، 3 : 223 - 224).

ومرد ذلك إلى عناية سيدي رحال بالزهد كثيراً في نشاطه الصوفي. وقد اعترف له بهذا الاهتمام كبير الطائفة الجزولية في زمانه الشيخ عبد الله الغزواني، عندما ميزه عن سائر رفاقه في الطائفة الجزولية بهذه الميزة، بل لقد اعتبره زاهد رجال الطائفة على الإطلاق (*ممتع*، 37 - 38). وكان ابن عسكر، وهو من أهل القرن العاشر (16 م)، أشار إلى ذلك، وحدد بعض طبائع الزهد في سلوك الشيخ سيدي رحال، وقال إنه كان يعيش على نبات البرية، ويدخر زريعة الخردل لقوته، وأنه تعود ذلك في سياحته (*دوحة*، 101).

وإلى ذلك كان سيدي رحال من كبار العُباد في زمانه. ومما قيل عن تعبده أنه كان قليل النوم، يختم القرآن في ركعتين. وقيل أيضاً إنه كان يغلق باب النوم ويفتح باب التهجد ( *الزاوية*، 19).

أما ثالث عناصر الطريقة الرحالية بروزا، إلى جانب الزهد والتعبد، فهو الذكر أعني أن سيدي رحال كان من أهل السبحة والذكر. وقد احتفظت لنا بعض المصادر بنصوص بعض الأذكار والأدعية والأحزاب التي عكف مريدو الزاوية الرحالية على حفظها وترتيلها، في عهد شيخهم، وتسمى في مجموعها باسم وظيفة سيدي رحال (*منهج الارتحال*، 132). وتتضمن هذه الوظيفة" ... آيات قرآنية وأحاديث نبوية، ومنها ما أصله من حزب *الفلاح* للإمام أبي الحسن الشاذلي، ومنها ما أصله للشيخ سيدي أحمد زروق، ومنها ما أصله لتلميذه الخروبي، ... ومنها ما لم أقف له على أصل منقول منه، فيحتمل أن يكون الشيخ قد أخذه عن بعض الشيوخ الذين كان معهم في عصر واحد، ويحتمل أن يكون قد رتبه لنفسه"، فصار مجموع ذلك هو الوظيفة، التي تسمى أيضاً *بحزب الشيخ سيدي رحال* ( *منهج الارتحال*، 133 - 134).

ومما ينبغي التعرض لذكره هنا أن الشيخ سيدي رحال راعى في وضع ألفاظ حزبه إعطاء الوصل حكم الوقف، ومد المقصور وقصر الممدود وما شاكل ذلك. كما راعى في قراءته الطبوع والأوزان، وتوافق الأصوات في الألحان (منهج، 135). مما يعني أنه كان يذكر مع أصحابه جماعة وجهرا، والظاهر أنه قلد الجزوليين في استعمال السماع أيضا، كما يفهم من الأشعار التي أعتاد سيدي رحال أن يختم بها وظيفته (*منهج*، 142 - 242).

وقد ورث الرحاليون عن شيخهم طريقته في التصوف، وأضافوا إليها من عنديتهم إضافات. كما صارت أفعال وأحوال سيدي رحال من السنن المؤكدة في الطريقة الرحالية، ولا سيما فيما يتعلق بشعائر الحضرة، بما في ذلك تقليد الشيخ في أحواله. إنما الظاهر أن الحضرة في عهد الأبناء والأحفاد صارت أكثر صخبا، مما جعل أحوال أهلها تتعدى أحوال الجذب إلى القيام ببعض السلوكات والشعائر التي يعتبرها أهلها أحوالا خارقة، ويعتبرها غيرهم زندقة باعتبارها مخالفة للسنة، مثل أكل الثعابين المسمومة، ودخول بيوت النار، ووضع الحديد المحمي في أفواههم (*منهج الارتحال*، 54، 8). كما صارت الحضرة مناسبة للتأكيد على حصول بركة الشيخ في أتباعه وأبنائه، من خلال القيام بعمليات صرع المصابين بالأرواح. بل لقد صارت هذه "الشعائر" أهم ما يميز "طريقة" سيدي رحال، ونشاط أبنائه وأحفاده، أو قل الطريقة الرحالية الجديدة.


م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط، 1977 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية بفاس، 1313 / 1892 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ح 3، 1975 ؛ م. العربي ابن البهلول، *منهج الارتحال إلى معرفة الشيخ سيدي رحال*، الرباط، 1952 ؛ الحسن شوقي، *قبيلة السراغنة خلال القرن 19 م*)، رسالة جامعية في التاريخ، 9 : 1991، مرقونة، خزانة كلية الآداب بالرباط ؛ أ. الوارث، مادة *البدالي رحال*، *معلمة المغرب*، م.4 : 1991 ؛ عزو الريطب، *الزاوية الرحالية بأنماي خلال القرن السادس عشر*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، 90 - 1992، مرقون، خزانة كلية الآداب بالجديدة.

Kh. Naamouni, *Le culte de Bouya Omar*, Casablanca, 1993.


أحمدالوارث

**الرُّحَّل**، تجمعات بشرية تتنقل من مكان إلى آخر بسبب الوسط الطبيعي المتميز بقلة الموارد والإنتاجية فيما يخص سطح الأرض. وتتحكم فيه عوامل مناخية (تقلبات الجو - كثافة الغطاء النباتي...) حيث تشكل نقط الماء (العيون - الآبار...) والتضاريس (الجبال - السفوح...) معالم مجالية تتحكم في حركة التنقل.

يعتمد الرحل على الثروة الحيوانية حيث يعد الرعي النشاط الأساسي الذي يضبط نمط الحياة ذات الإنتاجية

الاقتصادية المرتفعة باستعمال التمايزات المناخية الكافية كما كان الحال في شمال الصحراء، في المناطق المتوسطية شبه استوائية، حيث تقضي قبائل الرحل الشتاء في الصحراء ثم تتنقل صيفا نحو الشمال. ويضمن هذا الترحال الرعوي في هذه الأراضي القابلة للفلاحة - لتهاطل أمطار الشتاء وأيضا لسقوط أمطار صيفية في الجهات المكونة من سهوب هامشية، وخاصة عندما كانت الظروف مساعدة على تنقل حرّ - مردودية عالية أكثر من الاستغلال الزراعي وإنتاجية مرتفعة بالنظر إلى وحدة العمل الإنساني. غير أن هذا المستوى المعيشي يظل محكوما بمدى فعالية آليات الضبط الديمغرافي والاجتماعي في عدد الأطراف الفاعلة.

ونظرا لطبيعة العيش (انتشار القبائل داخل المجال) وصحية المجال الصحراوي فقد ظلت تجمعات الرحل بمنأى عن الأوبئة التي كانت تضرب المدن وتجتاح مناطق المستقرين، وهذا ما جعل هذه المجالات بمثابة خزان بشري ظل يملأ الفراغات عبر التاريخ ويساهم في تجديد المجتمع المغربي (غالبية الدول جاءت من هذه المناطق الجنوبية).

وقد انحسرت حياة الترحال في الجنوب بفعل عوائق جغرافية (حاجز جبال الأطلس الكبير) أو عوائق مناخية (مناطق لا تلائم النظام الحياتي للجمل). ولهذا سنجد الانتجاع كبديل للترحال كلما توغلنا نحو الشمال. وما يشترك فيه الترحال مع الانتجاع هو عدم اعتماد الرعي على البقر في مقابل اقتصار الانتجاع على قطعان الغنم والتي يتراوح حجمها الأدنى بين 30 و50 رأسا والتي قد تضم الماعز. ويخضع حجم القطيع للموارد العلفية للمنطقة. ولئن كان الرحل يعيشون تحت خيام منسوجة من الحلفاء أو شعر الماعز أو وبر الإبل، فإن المنتجعين قد يكون لهم سكن قار يشكل منطلقهم، كما أنه في حالة صغر حجم القطيع قد يؤجرون راعيا لمجموعة من القطعان أو يتناوب مجموعة من الملاكين على اصطحابها إلى المنتجع. ويتعاطى المنتجعون إلى الفلاحة كنشاط تكميلي للكفاف أو لتوفير علف الماشية، في حين تقوم حياة الرحل على القطيع حيث يعتبر حجمه عنصرا أساسيا في الوجاهة. كما يشكل الصوف مع الوبر مادة قابلة للتخزين والتحويل وصرفها في السوق مضمون. ورغم ارتباط الرحل بقطعانهم فإن استهلاك اللحم ليس ذا بال في عاداتهم الاستهلاكية.

ويتجاور الانتجاع مع الترحال خاصة في مناطق الحدود المغربية الجزائرية (أوطاط الحاج - نواحي دبدو وتاسلينت). وهكذا نجد الانتجاع يتحول تدريجيا إلى ترحال كلما ابتعدنا من المغرب الشرقي نحو الصحراء، وذلك لأن الرحل، في إطار بحثهم الحثيث عن مراعي طبيعية لقطعانهم، لا يمكنهم الاستقرار بنفس المجال إما لكون الغطاء النباتي كثيفا ولكن مدة الاستفادة منه قصيرة أو أن النباتات شحيحة وسريعة الاستهلاك. يضاف إلى هذا البحث عن الماء وما يطرحه من تعقيد للوجود بالمراعي. وإذا أخذنا بعين الاعتبار مسألة تنويع تغذية الماشية استطعنا فهم ضرورة عدم الاستقرار لمدة أطول لدى الرحل.

أما فيما يخص الانتجاع فيختلف بحسب تضاريس المنطقة. فهناك انتجاع السهل والذي قد يتعلق بنزوح القطعان الجبلية نحو السهل عند بداية تساقط الثلوج (الأزغار)، أو يهم زحف القطعان نحو أراضي الحرث بعد موسم الحصاد حتى سقوط الأمطار الأولى لتعود الماشية إلى أراضي الرعي. وهناك أيضا انتجاع الجبل الذي تعود فيه القطعان إلى أعالي الجبال مع بداية ذوبان الثلوج وترافقها قطعان السهل، وذلك ما تقدمه الجبال من كلأ خلال فصل الصيف. وتدعى هذه المراعي الجبلية "أكدال"، وتخضع لنظام استغلال عرفي مثلها مثل "الأزغار".

ومع تطور تربية الماشية والرعي، وما رافق ذلك من توجه لفرض نظام الاستقرار، عرف الترحال تقهقرا واندثارا مضطردين، في حين أخذ الانتجاع حظه من الاهتمام فيما يخص إعادة إنتاج الثروة الحيوانية وإخضاعه لحاجيات تربية الماشية والفلاحة.

إن اهتمام الدولة انصب على الجوانب الاقتصادية دون اهتمام كبير بالجوانب البيئية وبالقضايا الاجتماعية، إذ الترحال والانتجاع ليسا نشاطين اقتصاديين فحسب بل هما نظام سوسيوثقافي أيضا.


R. Montagne, *La civilisation du désert*, Paris, 1947; M. M. Bukkali, *Contribution à l'étude de la transhumance au Maroc*, Toulouse, 1972.


عبد الفتاح الزين

**رَحُّو** (بنو -) **المرينيون**، شيوخ الغزاة بالأندلس هم الأمراء المرينيون الذين تولوا في الأندلس مشيخة المجاهدين من القبائل المغربية خاصة من زناتة المغربين الأقصى والأوسط وعلى الأخص من القبائل المرينية، وسميت هذه الفرقة المجاهدة بفرقة الغزاة. وقد تناوب على المشيخة مع بني رحو بنو عمهم أبي العلاء إدريس (راجع في *المعلمة*، بنو أبي العلاء شيوخ الغزاة في الأندلس). وقد استمرت المشيخة المرينية قرناً من الزمان من سنة 673 إلى سنة 770.

ورحّو المذكور هو أحد أبناء عبد الله بن عبد الحق، أخ الأمير أبي يحيى بن أبي بكر مؤسس الإمارة المرينية بفاس وأخ السلطان المريني أبي يوسف يعقوب. فأبناء رحو من عصبية الأسرة الحاكمة التي يمكنها مزاحمة السلاطين على السلطة أو إثارة الفتنة ضدهم، وقد انتقلوا إلى الأندلس بعد فشلهم في بعض المحاولات ضد السلطان يعقوب وفي عرقلة إسناد ولاية العهد لأحد أبنائه ( *القرطاس*، 308 - 309 ؛ *الذخيرة*، 125)، ولذلك استعملهم سلاطين غرناطة كورقة ضغط لتهديد السلطة المرينية في أوقات التوتر بين الطرفين، كما استعملوهم لتثبيت سلطانهم ضد معارضيهم داخل الأندلس، وكذلك في العمل العسكري ضد الإسبان بعدما اكتشفوا قدرتهم القتالية.

كانت رئاسة الغزاة صنفين : صنف شيوخ مجاهدي الثغور ويستقرون في وادي آش وألمرية وخاصة في مالقة، وصنف الشيوخ العامين الذين يستقرون في العاصمة ويشتركون في مجلس السلطان خصوصا المجلس الحربي، إلى جانب رئيس فرقة الأندلسيين، ونقصر الاهتمام هنا على الصنف الأخير.

كان "فاتح رئاسة الغزاة" كما عبّر بذلك ابن خلدون هو موسى بن رحو الذي عيّنه السلطان النصري سنة 673 في هذه المهمة نكاية في السلطان يعقوب المريني الذي دخل الأندلس في البداية غازياً بناء على طلب من النصريين ثم أقحمه المنافسون من قرابة سلطان غرناطة في الشؤون الداخلية النصرية عندما أقدم هؤلاء على تقديم البيعة له في مالقة، فقاد الشيخ موسى إحدى المعارك ضد قريبه السلطان المريني. وبعد وفاته خلفه في المشيخة أخوه عبد الحق بن رحو الذي وُصف بكونه ميمون النقيبة، إذ فُتحت على يده مدينة قيجاطة Quesada في الثغور القشتالية سنة 695، وتوالت غزوات المجاهدين برئاسته في هذه الثغور ففتحوا مدينة القبذاق Alcudete في نواحي قرطبة سنة 699، ووصلوا إلى نواحي مدينة جيان وغيرها (*اللمحة البدرية*، 54)، وكانت هذه المدن سقطت في يد القشتاليين خلال فترة ضعف الحكم الموحدي وتراجعه عن الأندلس، وفي إحدى غزوات السنة المذكورة استُشهد عبد الحق بن رحو.

تولى المشيخة بعد عبد الحق ابنه حمو فاستمر فيها إلى سنة 714، وكانت العلاقات سيئة عموما في هذه الفترة بين المرينيين والنصريين، فقد دفع الحصار المريني الطويل لتلمسان (698 ـ 706) ـ التي كانت حليفاً طبيعياً ودائما لغرناطة ـ إلى دعم الاضطراب في شمال المغرب، فحدث أولا تمرّد سبتة العزفية سنة 703، ثم قيام النصريين باحتلالها فيما بين سنتي 705 و709 وتوجيه شيخ غزاة مالقة إلى بلاد غمارة للتحرك منها للمطالبة بالعرش، وهذا الشيخ هو عثمان بن أبي العلاء إدريس أخ رحو المذكور سابقا. وبعد انهزامه أمام جيوش السلطان المريني أبي الربيع سليمان سنة 708 تراجع إلى جنوب الأندلس ودعّم حركة انفصالية هناك انتهت سنة 713 بارتقاء أبي الوليد إسماعيل بن فرج إلى عرش غرناطة وهو الفرع الثاني من سلالة ملوك بني نصر، وهذا ما جعل السلطان الجديد يرفع إلى مشيخة الغزاة عثمان بن أبي العلاء المذكور، أي أن انتقال السلطنة إلى فرع آخر من النصريين صاحبه انتقال المشيخة إلى فرع آخر من بني مرين.

استمر عثمان وبنوه في مشيخة الغزاة إلى حين نكبتهم سنة 741 في عهد السلطان النصري أبي الحجاج يوسف حيث أعاد المشيخة إلى بني رحو من جديد في شخص يحيى بن عمر بن رحو، وقد تميزت فترة مشيخته بحسن العلاقة عموما بين السلطانين النصريين أبي الحجاج يوسف ثم ولده محمد والسلطانين المرينيين أبي الحسن وأبي عنان، وعندما وقع الانقلاب على سلطان غرناطة محمد (الغني بالله) سنة 761 ولجأ إلى المغرب التحق به شيخ الغزاة أيضاً، إلى أن تمكن الغني بالله من استعادة عرشه بدعم من المرينيين والقشتاليين سنة 763 فأعيد الشيخ يحيى إلى منصبه القديم أي مشيخة الغزاة، وتولى إخماد ثورة ضد الغني بالله في ذي الحجة من نفس العام. غير أن مدة مشيخته لم تتجاوز السنة (764) حيث اقترح الوزير ابن الخطيب على سلطانه إلغاء منصب شيخ الغزاة باعتباره يمتص قسطا مهما من الميزانية التي كانت تعاني في هذا الوقت من الانهيار. إلا أن ضعف معنوية المجاهدين المغاربة تحت قيادات غريبة عنهم فرض على سلطان غرناطة أن يعيد إلى مشيختهم أحد أبناء عمومة الشيخ السابق وهو علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو سنة 767 إلى وفاته في أواخر محرم 769 (*الإحاطة*، 2 : 38)، (راجع مادة علي بن بدر الدين)، فعُوِّض بواحد من أقارب السلطان المريني المباشرين وهو الأمير عبد الرحمن بن علي بن عمر (راجع هذه المادة في المعلمة)، وكان عمر هذا قد تمرد على أخيه السلطان أبي الحسن بسجلماسة في أول حكمه. ثم ألغي منصب شيخ الغزاة نهائيا سنة 770 بعدما استمر مدة قرن من الزمان.

وهكذا فإن مشيخة الغزاة كانت تلعب دوراً مهماً في نوعية العلاقات المرينية النصرية سلباً أو إيجاباً، كما ارتبط بعض الشيوخ بعلاقات خاصة مع ملوك أرگون، ومن جهة أخرى كان لهم دور أساسي في مسألة توجيه السياسة الداخلية وحماية الأمن العام. غير أن المهمة الأساسية المنوطة بهم كانت تتعلق بالدفاع عن الإمارة النصرية من الاعتداءات الإسبانية خصوصا القشتالية، وعندما ضعف دور هؤلاء المجاهدين ازداد ضغط الإسبان على ما بقي من دولة الإسلام شمال البوغاز إلى أن انتهت في أواخر القرن التاسع (15 م).

**شيوخ الغزاة بالأندلس**

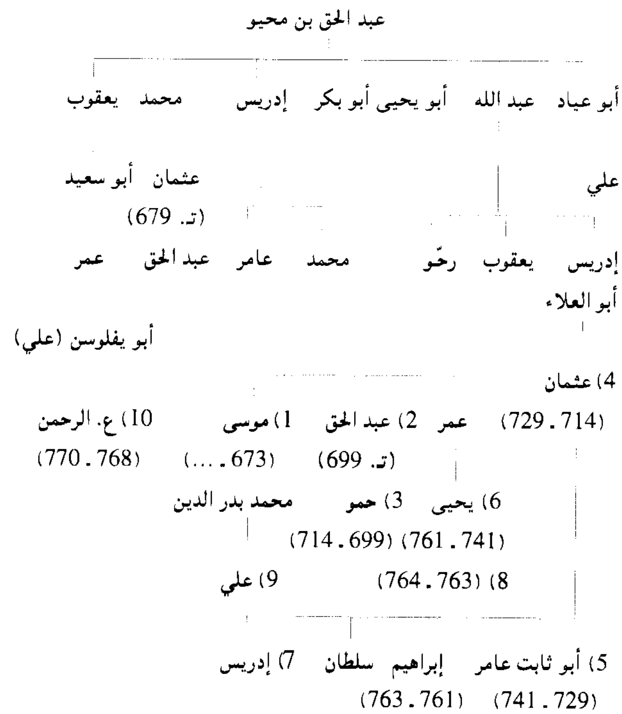

ابن أبي زرع، *القرطاس*، 308 ـ 309، 393 ؛ *الذخيرة السنية*، 125 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 491 ـ 494، 766 ـ 777 ؛ ابن الخطيب، *اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية*، 54، 80، 105، 116 ـ 117، 130 ؛ *الإحاطة*، 2 : 38 ـ 39، 4 : 365 ـ 371، تح. عنان ؛ *الإحاطة*، 202، نصوص لم تنشر، تح. ع. السلام شقور ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 6 : 386 ـ 387، بيروت، 1968 ؛ مارمول، *إفريقيا*، 1 : 398، تر. حجي... ؛ عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله*، رقم 173، 174، 272، 273، 367، 441، 442، 464، أطروحة مرقونة.

أحمد عزاوي

**رَحُّو** (سيدي ـ)، أحد الوجوه الوضاءة الوطنية وأكبر زعيم للمقاومة ضد التدخل الفرنسي الاستعماري في النصف الشمالي للأطلس المتوسط من سنة 1911 إلى 1926. ينتمي سيدي رحو إلى قبيلة أيت حلي إحدى قبائل أيت يوسي حيث رأى النور بقصبة اعوين علي بعد 30 كلم إلى الجنوب الشرقي لمدينة صفرو، وتعتبر أيت حلي من أكبر قبائل أيت يوسي نفوذا وعظمة وقوة، وقد أعطت عددا من أهم القواد الذين عرفتهم المنطقة كالطالب الحسين بربرة في عهد المولى عبد الرحمان، والقائد محند وسعيد بربرة في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمن إبان القرن التاسع عشر. ولم يتراجع نفوذها إلا في أواخر القرن 19 أمام تصاعد نفوذ قبيلة أيت مسعود وعلي التي أعطت أيضا قوادا كبارا من أسرة أيت بن عامر التجاميين الذين بسطوا

نفوذهم على جزء كبير من أسرة أيت الأطلس المتوسط ومدينة صفرو وأبرزهم القائد محند اوالطالب في عهد المولى الحسن الأول (1873 ـ 1894) وخاصة ابنه القائد عمر اليوسي ابن محند او الطالب الذي بسط نفوذه على مدينة صفرو من 1891 إلى 1904 (*مقاومة صفرو*، 88).

وقد كان والده عالما تقيا قوي الشخصية يتمتع بهيبة ووقار لين فقط وسط قبائل أيت يوسي وإنما لدى قبائل أيت سغروش. حيث كان يقوم بمهام مقدم زاوية أيت عرفة. ولذلك حظي ابنه سيدي رحو باحترام وتقدير قبائل كل من أيت يوسي وأيت سغروشن مما ساعده على البروز منذ انطلاق المقاومة بمظهر الزعيم الوطني الموحد لجميع قوى المقاومة.

ومما زاده هيبة وعزة لدى كل القبائل كونه ينتمي إلى أسرة وطنية غيورة فقدت العديد من الشهداء، وقد استشهد إخوانه الثلاثة وهم يقاومون المستعمر والسلاح بيدهم الأول في شتنبر 1911 والآخران (حسن وسعيد) في معارك ثكنة بريينو في يناير 1912. (*L'Illustration* n° 3600, 141).

وقد تزعم سيدي رحو حركة المقاومة وعمره يناهز الثلاثين وشارك في جل العمليات العسكرية ضد الجيوش الفرنسية منذ استقرارها بفاس سنة 1911. ورغم تكرر الإغراءات الفرنسية له بمختلف مناصب السلطة والنفوذ، فقد فضل الاستمرار في المقاومة بل وضحى بكل ما كان يملك من أراض ومواش، كما استولت إدارة الحماية على كل أملاكه بحي القلعة بمدينة صفرو. (*مقاومة صفرو*، 88).

وقد كان زعيما رائدا وقائدا رزينا وبارعا لحركة المقاومة بالمنطقة، وواجه قوات الاستعمار بشراسة ناردة. وتأقلم في كل مرة مع تغير المعطيات وتطور الأحوال، فقد استقر في بداية الأمر بصفرو والبهاليل، ثم انتقل إلى قلعة مزدو التي حطمها الباشا ابن البغدادي في يناير 1912. ومنها انتقل إلى مزدغة الجرف التي حطمت بدورها من قبل Mazillier في أبريل 1912، وتلقى التهاني من السلطات العليا على ذلك حتى انتهى به المآل إلى جبال تيشوكت وبويبلان دون أن تتمكن القوات الاستعمارية من الإيقاع به رغم الجروح البليغة التي أصيب بها سنة 1917، ولم يستسلم إلا بعد نفاد قوته وجميع إمكانياته سنة 1926. (*مقاومة صفرو*، 89).

كما بحث عن حلفاء وتعاون مع جل زعماء المقاومة في الأطلس المتوسط وجبال الريف أمثال مولاي مَحمد السغروشني وبونوالا المرموشي وموحى أوحمو الزياني بالأطلس المتوسط وعبد المالك ومحمد بن عبد الكريم الخطابي بجبال الريف، وحصل بينه وبين مولاي مَحمد السغروشني سوء تفاهم بعد التقارب الذي حصل بين هذا الأخير وسلطات المخزن والحماية. وقد تمكن سيدي رحو في السنوات الأولى لفترة الحماية من قيادة عدة آلاف من

المقاومين ينتمون لقبائل مختلفة من أيت يوسي وأيت سغروشن وبني علاهم وبني مطير وبني وراين وبني سادن وغيرهم ضد القوات الفرنكفونية كما تشهد على ذلك الأحداث التي تلت بمدينة فاس العنيفة والدامية أيام 17 ـ 18 ـ 19 أبريل 1912 حيث إن مقاومة سيدي رحو لم تهدأ قط بل زادت قوة وشراسة فاقترب مقامون من جديد من مدينة صفرو التي لم تحرك ساكنا خلال هذه الأحداث واشتبكوا مرارا مع حامية ثكنة Priaux قرب سيدي بوسرغين، كما ارتبطت مقاومة سيدي رحو بالثورة الفرنسية التي عمت جميع أنحاء البلاد حيث شارك رجاله في عمليات المحاصرة والهجوم على العاصمة مدينة فاس التي أوشكت على السقوط في يدهم يوم 25 ماي 1912 لولا الحنكة والتجربة الكبيرة التي كان يتمتع بها الجنرال اليوطي Général Lyautey في مجال الحروب الاستعمارية.

وقد عملت المخابرات الألمانية في بداية الحرب العالمية الأولى على الاتصال بسيدي رحو ومساعدته بهدف إضعاف القوات الفرنسية، وتلقى منها مساعدات مادية وبعض الأسلحة ورسائل تشجيع، وبين 1921 و1926 شارك بفعالية كبرى في عمليات المقاومة ضد القوات المشتركة الفرنسية ـ الإسبانية إلى جانب الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي وتبادل معه عدة مراسلات، كما قام بمساعٍ لدى باقي الزعماء في الأطلس المتوسط من أجل مؤازرة زعيم حرب الريف التحريرية. (*مقاومة صفرو*، 89).

اعترف جميع الضباط الفرنسيين الذين حاربوه بقوة شوكته وعزيمته وبأسه، وقال عنه الجنرال دالبيي Dalbiez : "...يعتبر روح المقاومة في المنطقة وأهم شخصية بها والزعيم المثالي لكل الثوار..." وقال عنه كذلك : "...إنه في كل مكان من الأطلس المتوسط وفي كل الحركات وهو معارض شديد لا يقبل أي مفاوضة ولا تغريه مقترحاتنا ولا تنال من عزمه..." (*L'Illustration* n° 3600, 143).

واشتهر بشجاعته النادرة وقتاليته، فقد نجا من موت محقق في معركة 1 يناير 1912 ضد ثكنة بريبو Priaux بعد أن قُتلت دابته التي كان يمتطيها.

وأصيب بجروح وخدوش كانت أخطرها الجروح التي أصيب بها سنة 1917 حيث اضطر للخلود إلى الراحة عدة أشهر قبل استرجاع قواه ومتابعة المقاومة، وبعد ما يفوق خمس عشرة سنة من المقاومة اضطر إلى الاستسلام بعد نفاد كل إمكانياته واستسلام أهم حلفائه الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي في 27 ماي 1926، وقد استسلم سيدي رحو يوم 16 يوليوز 1926 للجنرال Meregdenberg بمدينة تازة جاعلا حدا لإحدى أمجد صفحات المقاومة المغربية الوضاءة ضد التدخل الاستعماري في الأطلس المتوسط وناحية صفرو. (*مقاومة صفرو*). وقد عومل بما يليق بمقامه من احترام وتقدير لدى سلطات الحماية حيث أطلق سراحه بعد حين واسترجع أملاكه وأراضيه واستقر بمنطقة العنوصر ومدينة صفرو ابتداءً من سنة 1927، والتقطت له صورة يظهر فيها بلحية كثيفة يرتدي سلهاما أبيض وعمامة نشرت بمجلة (Cussane Balin, *L'Illustration*).

الحسن الشافعي العلوي، *مقاومة صفرو ومنطقتها للاحتلال الفرنسي*، ضمن صفرو ومنطقتها : بيئة ـ تاريخ ـ مجتمع ـ فكر، الجزء الثاني، الملتقى الثقافي الرابع، 1990.

Cussane Balin, *Un raid au sud de Sefrou*, *L'Illustration* n° 3600 du 24 février 1912.

الحسين البعاوي

**الرحلات الأوربية** إلى المغرب. شارك فيها بريطانيون وفرنسيون وإسبانيون وألمانيون وإيطاليون وروس. ولعل الريادة كانت للبريطانيين، فقد توافد الرحالة الأنجليز على المغرب منذ القرن العاشر (16 م). واختلفت أهدافهم ودوافعهم ؛ فكان منهم التاجر والسفير والمغامر والجاسوس والمستكشف والمبشر والأسير والرسام والباحث. وكيفما كانت أحوالهم فإن أغلبهم سجلوا ملاحظاتهم ومشاهداتهم وانطباعاتهم على شكل كتب ومذكرات ورسائل وتقارير مطولة. وكيفما كان حظ هذه الكتابات من الموضوعية والدقة، فإنها لعبت دورا مهما في استصدار كثير من المواقف والأحكام التي اتخذتها انجلترا والإنجليز إزاء المغرب عبر التاريخ. كما أنها تمثل مصدرا لا غنى للباحث والدارس عنه في معرفة الكثير من الجوانب المختلفة لتاريخ المغرب. وهذه لائحة بأسماء هؤلاء الرحالة :

جيمس ألدي Jame Aldy : قام برحلتين إلى المغرب، الأولى بصحبة القبطان طوماس ويندهام Thomas Windham سنة 1551 والثانية سنة 1552. وقام رحالة آخر يدعى جيمس طوماس James Thomas، بوصف لرحلته إلى المغرب سنة 1552 عندما كان خادما للقبطان طوماس ويندهام. وفي كلتا الرحلتين يوجد وصف لأحوال التجارة في مدينتي أسفي وأگادير.

إدموند هوجان Edmond Hogan : قام برحلة سفارية إلى المغرب موفدا من قبل الملكة إليزابيث الأولى إلى بلاد السلطان مولاي عبد الملك السعدي سنة 1577. وصف فيها وصوله إلى أسفي واستقباله من طرف السلطان في مراكش.

روجر بودنهام Roger Bodenham : رحالة وتاجر جاء إلى المغرب قبل أن يقوم برحلته إلى المكسيك سنة 1564. وقد اقترح في مذكراته عن رحلاته على الساسة الإنجليز إبرام معاهدات سرية مع المغرب كوسيلة لمضايقة إسبانيا، وذلك في إطار الصراع الذي كان دائرا آنذاك على أشده بين المعسكر الكاثوليكي والمعسكر البروتستانتي.

جون ويليامز John Williams : قام برحلة تجارية وسفارية إلى المغرب سنة 1577. حيث تباحث في سياقها

مع المسؤولين المغاربة حول إمكانية استيراد ملح البارود والسكر من المغرب مقابل كور المدافع وذخائر انجليزية أخرى. كما سلم في نفس المناسبة جواب الملكة إليزابيث على رسالة مولاي عبد الملك بخصوص ربط علاقات ودية بين البلدين.

فرانسيس فليتشر Francis Fletcher : رحالة ومغامر ومبشر، صحب فرانسيس دريك Francis Drake في رحلته البحرية حول الأرض. وتتضمن هذه الرحلة وصفا لمدينة تيط (بالقرب من آزمور) وأسفي والصويرة، بالإضافة إلى بعض الخصوصيات التي تميز مجال الأطلس.

هنري روبرتس Henry Roberts : قام برحلة سفارية سنة 1585 مبعوثا من طرف الملكة إليزابيث إلى مولاي أحمد المنصور السعدي ؛ قضى خلالها ثلاث سنوات ونصفاً بالمغرب. وقد قدم في سنة 1603 مشروعا للملك الأنجليزي جميس الأول James I يحثه فيه على غزو المغرب وتنصير أهله والاستفادة من خيراته.

طوماس بيرنهير Thomas Bernhere : بعد رحلته إلى المغرب سنة 1600، بعث رسالة إلى الفلكي الإنجليزي إدوارد رايت Edward Wright، يحثه فيها على صنع آلات فلكية لفائدة الملك المغربي.

جون سميث John Smith : قام بعدة رحلات في بلدان أوربا وأمريكا. جاء إلى المغرب سنة 1604. وصف مدن سبتة، طنجة، أسفي، مراكش وفاس.

أنطوني شيرلي Anthony Sherley : رحالة ومغامر مشهور. جاء إلى المغرب سنة 1605، فمكث خمسة أشهر في أسفي، ثم انتقل إلى مراكش. وقد كان مبعوثا من طرف الإمبراطور الألماني لحث الملك المغربي على قتال الأتراك بالجزائر.

جون هاريسون John Harrison : قام بثمان رحلات سفارية إلى المغرب ما بين سنتي 1610 و1632.

روبرت بليك Robert Blake : قام برحلات تجارية وسفارية إلى المغرب (1638 ـ 1639). وقد أصبح فيما بعد أميرالا بارزا أثناء الحكم الجمهوري لأوليفر كرومويل.

ستفين سكوت Stephen Scot : تجول لمدة سبع سنوات في منطقة سوس. ثم كتب مذكراته سنة 1638 وبعثها للساسة الإنجليز راجيا منهم أخذها بعين الاعتبار في علاقاتهم مع المغرب آنذاك.

جورج كارتري George Carteret : قام برحلته سنة 1638، وسجل عنها تقريرا مهما عن المغرب آنذاك. (أعيد نشره كاملا سنة 1929).

جون ويندوس John Windus : قام سنة 1721 برحلة إلى مكناس عبر مدن تطوان والقصر الكبير وسيدي قاسم ومولاي إدريس زرهون. وقد كان ضمن البعثة السفارية الإنجليزية التي كان يرأسها تشارلز ستيوارت Charles Stewart لدى السلطان مولاي إسماعيل بخصوص الأسرى الإنجليز في مكناس. وقد ترجم نص رحلته إلى العربية من طرف زهراء إخوان، جامعة المولى إسماعيل، مكناس، 1993.

طوماس شو Thomas Shaw : قام برحلات إلى عدد من مقاطعات شمالي إفريقيا والمشرق. ثم نشر كتابا عن رحلته سنة 1738.

طوماس بيلو Thomas Pellow : قضي معظم حياته في المغرب، أولا كأسير حرب (سنة 1721)، ثم كمجند في جيش المولى إسماعيل. تمكن من العودة إلى وطنه سنة 1738 وكتب رسالة طويلة عن حياته ومغامراته بالمغرب. ويعتبر كتابه هذا وثيقة مهمة عن تاريخ المغرب أثناء القرن الثامن عشر.

جون بريثويت Captain John Braithwaite : صحب القنصل العام البريطاني جون راسل John Russel في رحلة سفارية إلى المغرب سنة 1727. وقد سجل ملاحظاته ومشاهداته في كتاب نشر سنة 1729. وترجم نص الرحلة إلى العربية من طرف مينة مادني، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2000.

ويليام آلن William Allan : جاء إلى المغرب سنة 1834 أثناء إحدى رحلاته العديدة حول البحر المتوسط.

جون دراموند هاي John Drummond Hay : قام برحلة إلى المناطق الشمالية بالمغربة سنة 1838، ثم تولى منصب ممثل إنجلترا بطنجة من 1844 إلى 1886. كان يقيم نفسه كصديق للمغرب ولكن مواقفه فندت هذا الزعم أكثر من مرة.

إليزابيث موري Elisabeth Murray : قامت برحلة إلى طنجة، ودونت انطباعاتها حول المدينة وأهلها في كتابها الذي نشر سنة 1859.

ج. د. هوكر J.D. Hooker : عالم نباتي ومدير لحدائق كيو Kew Gardens بلندن. قام برحلة إلى المغرب وجمع خلالها عينات نباتية مهمة ونقلها إلى الحديقة المذكورة. نشر كتابا عن هذه الرحلة سنة 1878.

كيتن وودفيل Caton Woodville : في سنة 1886 شارك في مهمة استكشافية جماعية عبر كامل التراب المغربي. وكان المستكشفون يتكونون من 16 ضابطا بريطانيا و800 رجل من ضمنهم حراس مغاربة. وقد نشر وودفيل مذكراته عن هذه الرحلة سنة 1914.

والتر هاريس Walter B. Harris : قام برحلة استكشافية لمنطقة تافيلالت والأطلس وشمال شرق الصحراء. نشر كتابه عن هاته الرحلة سنة 1895.

كانجهام جراهام R. B. Cunninghame Graham : قام برحلة إلى المغرب في نهاية القرن التاسع عشر، زار خلالها كلا من أسفي، الصويرة، مراكش، أمزميز، وغيرها. وألف كتابا عن هذه الرحلة بعنوان *المغرب الأقصى. رحلة إلى المغرب* *Magreb el-Acksa. A Journey in Morocco* (سنة 1898).

إديث وارطن Edith Wharton : قامت سنة 1919 برحلة في المغرب، من طنجة إلى مراكش عبر مدن الرباط، ووليلي، مكناس وفاس. ونشرت سنة 1920 كتابها عن المغرب كما شاهدته في هذه الرحلة، وأهدته للمقيم العام الفرنسي آنذاك الجنرال ليوطي.

وورد برايس Word Price : صحافي إنجليزي قام سنة 1924 برحلة خطيرة أثناء حرب الريف ليلتقي بالزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي. وقد ساهم في تقديم صورة جيدة عن هذا القائد المغربي لجمهور القراء الإنجليز والأمريكان.

ويندهام لويس Windham Lewis : كاتب ورسام قام برحلة إلى المغرب سنة 1931. سجل ملاحظاته عن المغرب والمغاربة من الشمال الشرقي إلى الساقية الحمراء. إلا أنه اعتمد في كتابيه عن هذه الرحلة على ما كتبه سابقوه ؛ فجاءت نظرته مشحونة بالخلفيات والأحكام المسبقة.

بيتر مين Peter Mayne : جاء إلى المغرب كرحالة، ثم استقر في إحدى أزقة مراكش. ألف سنة 1953 كتابة *The Alleys of Marrakesh* عن سكان مراكش وعاداتهم وأحوالهم.

يضاف إلى هؤلاء الرحالة جملة من الرحالة الرسامين الذين جاؤوا إلى المغرب لأخذ صور ولوحات فنية. إلا أن رحلاتهم لم تخل من ملاحظات وكتابات عن المغرب والمغاربة. وهذه لائحة بأسماء بعضهم :

ديفيد روبرت (1796 - 1864) David Roberts : من أشهر الرسامين المستشرقين. قام بعدة رحلات إلى مصر وفلسطين والمغرب. أنجز رحلة من تطوان إلى طنجة، كان يرتدي خلالها لباسا عربيا ويمتطي فرسا عربيا ويقضي الليل في خيمة عربية.

فرانك برانغوين (1867 - 1956) Frank Brangwyn : رسام جاء إلى المغرب سنة 1894 وأقام بطنجة عدة أشهر. وله لوحات مشهورة عن طنجة والعرب.

جوزيف كراوهول (1861 - 1913) Joseph Crawhall : قضى عشر سنوات في شمال إفريقيا، معظمها في المغرب. كان يدرس سلوك الحيوانات لأخذ لوحات عنها.

أوجستوس لامبلو (1877 - 1930) Augustus Lamplough : أستاذ بمدرسة الفنون بمدينة ليدز Leeds. قام برحلة إلى أقطار شمال إفريقيا سنة 1904 ؛ ومنذ ذلك الحين كان يستوحي مواضيع لوحاته مما شاهده بالمغرب والجزائر ومصر.

جيمس ماكبي (1883 - 1959) James McBey : في سنة 1932 استقر بطنجة، ثم قام برحلة عبر المغرب العربي قاطعا جبال الأطلس. عاد بعد الحرب العالمية الثانية إلى طنجة حيث أقام ورشة للرسم.


جون بريثويت، تاريخ الثورات في إمبراطورية المغرب بعد وفاة السلطان الراحل مولاي إسماعيل، ترجمة ودراسة مينة مادني (دبلوم الدراسات العليا)، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2000 ؛ م. بنهاشم، السياسة الخارجية المغربية في عهد السلطان المولى سليمان. (بحث دبلوم الدراسات العليا)، جامعة محمد بن عبد الله، فاس، 1987 ؛ جون وندوس، رحلة إلى مكناس، ترجمة زهراء إخوان. منشورات جامعة المولى إسماعيل، مكناس، 1993.

G. M. Ackerman, *Les orientalistes de l'école britannique*. Paris, 1991 : H. De Castries [et al.], *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, Première série ; *Angleterre*, Tomes I, II et III. Paris, 1935 ; R. Cunninghame Graham, *Magreb-el-Acksa. A Journey in Morocco*. Evanston, Illinois, 1997 ; W. Lewis, *Journey into Barbary. Morocco Writtings and Drawings*. Santa Barbara, 1983 ; P. Mayne, *A Year in Marrakesh*. London, 1990 ; M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow. Une lecture du Maroc au 18è siècle*. Paris, 1983.


خالد شاوش

** أما الرحلات الفرنسية إلى المغرب فهي أكثر كمّاً وكيفاً، ينطلق تاريخها كذلك من القرن العاشر سنة 1556، لكنها اتسعت وأخذت أبعادا خاصة ابتداء من القرن الثالث عشر (19 م). فإن رحلة E. Delacroix التي تمت عام 1832 تؤرخ لفاتحة هذه الرحلات بعد زمان الفترة في العلاقات بين فرنسا والمغرب، والذي أعقب الثورة الفرنسية 1789 واستمر إلى احتلال الجزائر 1830.

وتندرج هذه الرحلة في إطار الرحلات السفارية، التي تنتظم في سلكها غالبية الرحلات الفرنسية إلى المغرب، وهذا إلى حدود عام 1880. ولا بأس من الإشارة إلى أن السفارة الأوربية في مغرب القرن التاسع عشر تختلف عن مثيلتها المعروفة اليوم، فممثلو الدول الأوربية كانوا يقيمون في مدينة طنجة، حيث يوجد وزير "الأجناس". ومتى دعت حاجتهم إلى الاتصال بالسلطان لتقديم أوراق الاعتماد أو التفاوض والتشاور في شأن من الشؤون، وجب عليهم شد الرحال إلى إحدى عواصم البلاد الكبرى الثلاث فاس ومكناس ومراكش حيث يمكث السلطان. وتسلك الرحلات السفارية طريقين : طريق بري من طنجة إلى فاس أو مكناس عبر العرائش وسهل الغرب، وطريق بحري من طنجة إلى أحد الثغور الأطلسية ومنه إلى مراكش. وكما جرت العادة اليوم بتمكين السفارات من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، كذلك كان أوربيو القرن التاسع عشر يعينون في سفارات بلادهم علماء وأدباء ورسامين ومصورين. وهؤلاء هم مؤلفو الرحلات التي تهمنا، والتي دونوا فيها مشاهداتهم وأودعوها لوحاتهم ورسومهم وصورهم. فكانت هذه السفارات تقطع طريقا واحدا ذهابا وإيابا، وتسافر تسبقها راية السلطان، وتتكفل القبائل التي تمر بها بقراها وضيافتها، وابداء مظاهر الاحتفاء بمقدمها، وتنظيم الفرجة وحفلات الفروسية في طريقها.

وتنتهي هذه السفارات إلى إحدى حواضر البلاد المذكورة، وتحظى بالاستقبال من قبل السلطان استقبالا رسميا، ثم تعود أدراجها من حيث جاءت.

ومع رحلة Ch. E. De Foucauld (1883 . 1884) تنتقل الرحلات الفرنسية إلى المغرب من طور الرحلات السفارية إلى طور الرحلات الاستكشافية و"العلمية" خلال القبائل والصحاري والجبال، فتغيرت وجهتها من السهل إلى الوعر ومن الخصب إلى القفر، وانتقلت من العلن إلى السر. وتنكر العديد من الرحالة الفرنسيين في لبوس شتى : تزيا De Foucauld بزي اليهود، ولبس Le Marquis de Seconzac أسمال الفقراء ومشى حافي القدمين طورا وتخفى في جبة الزهاد السائحين طورا آخر، وسار L. Gentil بين الناس بلباس عامة المسلمين. وتنكبت هذه الرحلات عن السبل المطروقة والمأهولة والمأمونة، وقصدت الطرق الموحشة والخطرة. وتجنبت الحواضر والقرى العامرة، ويممت المداشر والأحياء النائية والمعزولة.

ولم تتم جميع الرحلات الفرنسية إلى المغرب خلال هذا الطور من أطوارها بلبوس متنكرة ومستترة، فهناك لبوس أجنبية ورسمية فتحت آفاقا جديدة في وجه الرحلة الفرنسية، وقد ارتداها ضباط "البعثة العسكرية" الذين استقدمهم المخزن المغربي لتدريب الجيش منذ عام 1877، ومن معهم من الأطباء. ودور الأطباء معلوم في تاريخ العلاقات بين المغرب وفرنسا وقديم، وقد تعاظم في نهاية القرن التاسع عشر : وقد عمل الطبيب Linarés بهذه البعثة من عام 1878 إلى عام 1901، وهو صاحب "الرحلة إلى تافيلالت" (1893)، وتلقبه الكتابات الفرنسية "بفاتح المغرب الأول". وفي نفس الإطار رافق الضابط J. Erckmann السلطان المولى الحسن ما بين 1877 و1883، ودون رحلته الموسومة *المغرب الحديث*. وكانت فاتحة رحلات A. Brives الخمس إلى المغرب دعوة تلقاها في شهر أكتوبر عام 1901 من صديقه النقيب Larras الذي ينتسب إلى نفس البعثة.

وقد حظيت الرحلات الفرنسية إلى المغرب بعناية الدارسين منذ استقرار نظام الحماية بالمغرب، وكانت قوام أحد الدروس الأدبية المقررة بمعهد الدراسات العليا المغربية (كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط حاليا)، وهو الدرس الذي جمعه صاحبه R. Lebel وأخرجه في كتاب عام 1936، تحت عنوان *الرحالة الفرنسيون إلى المغرب : أغرابية المغرب في أدب الرحلة*.

ويندرج هذا التأليف ضمن مشروع التأريخ "للأدب الكولونيالي / الاستعماري"، الذي يعد مؤلفه من كبار المنافحين عن فكرة وجود هذا الأدب، ومن المصنفين المكثرين في بابه. ولا يهمنا هنا التفصيل في هذه القضية وما راج حولها من أنظار، وكيف انتهى هذا الأدب إلى الفشل ونسجت عليه عناكب الإهمال، وما اعتوره من هنات وسقطات. والذي يعنينا هو التأكيد على القيمة المصدرية / البيبليوغرافية لهذا العمل، الذي يؤرخ للرحلات الفرنسية إلى المغرب على مدى أربعة قرون، من منتصف القرن السادس عشر إلى مطلع العقد الرابع من القرن العشرين. وقد عُني مؤلف بترتيب هذه الرحلات ترتيباً زمانياً / كرونولوجياً، مفرداً للمهمات منها فصولا مستقلة، وجامعاً المتشابهات في فصول تركيبية. ولخص مضامينها، وأورد من بعضها نصوصاً أحياناً، واستطرد عليها بتعليقات وشروح أحياناً أخرى.

ويصدر R. Lebel في تأليفه هذا عن نزعة استعمارية واضحة وضوح النهار لا يحتاج إلى دليل : فلا أحد أجبره على التصدير في تأريخه للرحلات الفرنسية إلى المغرب بكتاب *وصف إفريقيا*، واعتبار عام صدور ترجمته الفرنسية 1556 فاتحة هذا التأريخ ومنطلقه. ولا أكرهه أحد على القول في هذا الكتاب إنه أول الأعمال الجغرافية العظيمة المتعلقة بالمغرب والتي وجدت بلسان قومه، والتأكيد على اعتماد مادته في كل التآليف الجغرافية التي صنفت بعده. وكان بإمكانه أن ينطلق من عام 1617 الذي يؤرخ حقيقة لبداية ومنطلق الكتابات الفرنسية عن المغرب، والذي صدرت فيه رحلة J. Mocquet إلى المغرب التي تمت ما بين أعوام 1601 و1605. ونعتقد أنه ربما اختار التاريخ والتأليف السابقين ليكسب بداية اهتمام بلده المغرب تقادما، ويعود به إلى منتصف القرن السادس عشر وليس بداية القرن الذي يليه.

ولو وضعنا أنفسنا مكان الطلبة الذين كانوا يجلسون إلى حلقة درسه هذا، وسألناه من هو صاحب *وصف إفريقيا* ؟ لأجابنا ـ كما كتب ـ بكلمة واحدة "إنه أجنبي" وكفي ! إجابة عجيبة لا نظير لها في كتب تاريخ الأدب، وورطة كان الأجدر به أن يتلافاها. ويبطل عجبنا ما دمنا نعلم أنه لم يكن في استطاعته أن يذكر الحسن الوزان الفاسي المدعو ليون الإفريقي (ت. بعد 934 / 1598) صاحب هذه الرحلة الشهيرة، وهو ينعت المغاربة بكل أوصاف التخلف والهمجية. ولا يسمح المقام بتعداد سقطات R. Lebel وإيراد مواقفه العدائية من المغرب وأهله، فلنكتف بالإشارة إلى وصفه لمعركة وادي المخازن (1579) بالكارثة، و كانت كذلك على البرتغاليين وشيعتهم من حملة الصليب، ونصراً عظيماً للمغاربة الذين شبهوها بغزوة بدر، وحين حديثه عن ثغر سلا ينعته بالكريه، ولا أدل على افتقاده الموضوعية من ختمه لتأليفه هذا بفصل مفرد في مديح الماريشال Lyautey وتمجيد سياسته الاستعمارية في المغرب.

والدراسة الثانية التي اهتمت بالرحلات الفرنسية إلى المغرب هي الأطروحة التي أنجزها عبد الجليل الحجمري، وعنوانها *صورة المغرب في الأدب الفرنسي : من Loti إلى Montherlant* (1973). وتندرج هذه الدراسة في إطار

مقاربة حديثة متفرعة عن الأدب المقارن (imagologie)، وتطمح إلى رسم صورة المغرب من خلال المؤلفات الأدبية الفرنسية ومن بينها الرحلات التي تهمنا، في إطار تاريخي محصور ما بين 1890 و1968.

وتعود هذه الدراسة في بحثها عن جذور صورة المغرب في الأدب الفرنسي إلى زمان بعيد جداً عن التاريخ المؤطر للمادة التي اعتمدتها والموافق لنهاية القرن التاسع عشر. وترى بأن هذه الصورة قد نشأت في أحضان الخرافة التي كونها الغرب المسيحي عن المشرق الإسلامي، والتي تعود إلى أيام الحروب الصليبية والصدام مع العثمانيين. وخلاصة تتبعها لتطور نظرة الغرب إلى المشرق، من العصور الوسطى إلى بداية الحقبة المعاصرة، حدوث ازدواجية تمتزج فيها الأحقاد والمخاوف القديمة باستخفاف عصر الأنوار ورومانسية القرن التاسع عشر. ويرى المؤلف أن هذه الازدواجية هي التي تحكمت في كل ما كتب حول المغرب حتى منتصف القرن العشرين، ويولي ثورة اليونان التي اندلعت عام 1821 نفس الأهمية التي يوليها لاحتلال الجزائر عام 1830 ولمعركة إيسلي التي انهزم فيها الجيش المغربي أمام الفرنسيين عام 1844، فكلها أحداث تؤرخ للحظات اتصال الغرب بالمشرق في خضم الصراع والتقتيل والحقد، وقد أججت الأحقاد القديمة والموروثة عن الحروب الصليبية عند فريق من الرمانسيين، وظل فريق آخر يحلم بالشرق مصدر النشوة والأسرار.

وتصدق هذا الازدواجية على الرحلات التي تهمنا، وعلى صورة المغرب المستخلصة من خلالها، فاتصال الرحالة الفرنسيين بأرض المغرب وأهله، كان بالامكان أن تنشأ عنه معرفة حقيقية ومضبوطة بجغرافيته ومجتمعه، لولا تلك الصورة القائمة والموروثة عن العهود السالفة التي ظلت جاثمة على القلوب والعقول. وهكذا إذا أمكن الركون إلى سلامة وصف الأمور الطبيعية والمادية بهذه الرحلات، فإنه يتعين الحذر من وصف الأمور الدينية والاجتماعية والسياسية بها، والذي لم يسلم من الخلل والشطط، وظل مرتعاً للأحكام المسبقة والزائفة. وعلاوة على ذلك فقد تمت هذه الرحلات وشمس الحضارة ببلاد المغرب على أطراف النخيل، فتعارضت فيها معاينة الواقع البئيس مع استحضار الماضي المجيد، وحفلت بنعوت التحقير ومشاعر النفور والتسليم بعثرة الجد واليقين بالخراب المبين.

وتخلص هذه الدراسة إلى قصور الصورة الأدبية عن تغطية حقل ما يتمثله الوعي الجمعي الفرنسي عن المجتمع المغربي، وأنها لا تشكل إلا مظهرا من مظاهر هذا التمثل الذي لا يمكن الإلمام بشموليته إلا باعتماد الإنتاج الكولونيالي برمته، وتناوله في أوفق مقاربات متعددة. وتنتهي إلى زيف وخرافية هذه الصورة الأدبية، ومجانبتها الصدق وابتعادها عن الواقع بعداً لا يمكن تقدير مسافته، لعدم توفر شروط المقارنة بينها وبين الصورة الداخلية صورة المغاربة عن أنفسهم، لفراغ يد المؤلف من الدراسات التاريخية والاجتماعية التي تعين على هذا القصد، ولما كان يعتور الثقافة الوطنية على عهده من خمول وضعف.

ولم تمض هلى صدور هذه الدراسة سنوات أربع حتى أخرج عبد الله العروي كتابه *الأصول الاجتماعية والثقافية للحركة الوطنية المغربية : 1830 ـ 1912* (1977)، وانتقلت معه الرحلات التي تهمنا من حقل الدراسات الأدبية إلى حقل المقاربة التاريخية، وإن لم يقصد بها أصحابها إلى التاريخ ولا إلى المؤرخين. واعتمدت اعتمادا يكاد يكون تاما في الفصل الأول من فصول هذا الكتاب، والمفرد في البحث عن "أسس المجتمع المغربي".

ويهدف هذا الفصل إلى الوقوف على الكيفية التي كان المغرب يبدو بها في مفهومه الجغرافي لأهل القرن التاسع عشر، ومادام المغرب قد خضع طوال هذا القرن وإلى غاية فرض الحماية عليه لحركة استكشافية منهجية بحق، فإن هذه الحركة قد أثمرت مصادر لا غنى عنها في معرفة أحوال المغرب على هذا العهد، وإن قصد بها أصحابها إلى خدمة توجهات استعمارية. ولاحظ العروي تطورا في هذه المعرفة : فإلى حدود عام 1840 لم يتجاوز الرحالة الأوربيون مثلث طنجة ـ تطوان ـ العرائش مع دخول مدينة الرباط دخولا عابراً في بعض الرحلات، وتمت معرفة كل البلاد عدا مناطقها الجبلية والصحراوية وهذا إلى عام 1880، وبعده بدأ استكشاف الجهات الصحراوية مع بعض الجولات القصيرة في الجبال، وشرع في استطلاع هذه الأخيرة مع مطلع القرن العشرين. هذا من حيث تطور جغرافية ومجال هذه المعرفة، أما من حيث درجة فلاحها في معرفة مؤسسات المغرب وأهله، فلا أدل على ذلك من النجاعة التي استخدمت بها من قبل السياسة الأوربية ابتداء من مطلع القرن العشرين.

وقبد انتقى العروي من بين الرحلات الأوربية إلى المغرب خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أحسنها وأجودها، مراعياً تسلسلها وتعاقبها في المكان والزمان. واختار بالنسبة للفترة المحصورة ما بين 1831 و1877 ثلاث رحلات بريطانية قام بها كل من A. Brooke وJ. Drummond Hay وH.E. Colville. واقتصر بالنسبة للفترة الممتدة ما بين 1883 و1908 على ست رحلات فرنسية، وأصحابها هم : Ch. E. De Foucauld وM. De Seconzac وA. Mouliéras وE. Aubin وE. Doutté وA. Brives.

وعلى غرار الحجمري كان بود العروي أن يقابل هذه الرحلات بمثيلاتها المغربية حتى يقابل نظرة الأوربيين إلى المغرب خلال التاريخ الذي يهمنا بنظرة أهله إليه، ويقارن بين الصورة الخارجية والصورة الداخلية. لكن أدب الرحلة اضمحل بالمغرب على هذا العهد، لانسداد طرق الحج البرية والتقليدية في وجه المغاربة مع استقرار الفرنسيين بالجزائر،

وتحولها شمالا صوب طنجة ثم منها بحراً. أما "الحركات" السلطانية، وبالأخص أيام السلطان المولى الحسن (1873 - 1894) فوصف الأدباء والشعراء المغاربة لها لا يعادل وصف الأوربيين الذين شاركوا فيها. وهكذا عمد العروي إلى الإفادة من الرحلات الأوربية في غالب هذا الفصل، على الرغم من هناتها. ونبه إلى أنه لا يبحث فيها عما يفيد التاريخ الاجتماعي، بقدر ما يروم استخلاص ما كان يبدو للأوربيين غريبا وغير متوقع ويحملهم على عدم إنصاف المغرب وأهله.

ويعد من نافلة القول أن الرحلات الحجازية وإن أعوزت مؤرخ مغرب القرن التاسع عشر، فإن مصادر مغربية وأجنبية متنوعة وعديدة تعينه على نخل مادة الرحلات الأوربية، وتمكنه من الوقوف على مواطن ضعفها. وهذا ما انتهى بالعروي إلى التحذير مما هو أخطر مما ذهب إليه الحجمري في أطروحته السالفة الذكر، وبيان أن الأوصاف الطبيعية والمادية الواردة بهذه الرحلات لا تسلم هي الأخرى من مجانبة الصدق وافتقاد الموضوعية : فحين نقف على صورة الغنى والازدهار التي رسمها De Foucauld للمغرب، ألا نعجب لها والبلاد خارجة لتوها من خمس أو سبع سنوات عجاف ! ألا نتساءل هي هي مجرد أحكام سياسية يقصد بها صاحبها إغراء بلده بغنيمة أقرب إليها من الفم لليد ؟ وكذلك الشأن بالنسبة لأوصاف الرحالة لأحوال المغرب عام أزمة 1908، فهي توهم بصورة بلد مزدهر في حين تصف الصحافة بلداً على حافة الخراب ! ويضع العروي يده على الخلل الذي يعتور هذه الرحلات، وقوامه تعميم ملاحظات لا تهم إلا منطقة معينة أو لا تصدق إلا على فترة محدودة، وينبه إلى تفاقم هذا الخلل بفعل ظروف الأزمة العامة التي كان عليها المغرب خلال القرن التاسع عشر.

ونختم هذا التأريخ للكتابات التي همت الرحلات الفرنسية إلى المغرب خلال التاريخ الذي يهمنا بالدراسة التي صدر بها سعيد بنسعيد العلوي كتابه *الوطنية والتحديثية في المغرب : مجموعة دراسات حول الفكر الوطني وسيرورة التحديث في المغرب المعاصر* (1997)، وعنوانها *صورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر*. وهي مقاربة تندرج في أفق تاريخ الفكر، وتعالج أفكار وأدبيات هذا الاستشراق وأثرها في الثقافة المغربية المعاصرة.

وتروم هذه الدراسة رسم صورة المغرب دولة ومجتمعاً وثقافة في الوعي الثقافي الفرنسي في العقود الثلاثة الأولى من القرن الحالي، وتحدد ثلاثة مكونات ساهمت في إبراز ملامح هذه الصورة وهي : الموروث الثقافي، وأدب الرحلة الفرنسية، وعمل سياسة التغلغل السلمي. ولا شك أن الجديد في هذا العرض الاسطوغرافي (التأريخي) Historiographique هو المكون الثالث، مادامت أطروحة الحجمري السالفة الذكر قد دارت حول المكون الأول، واستأثرت رحلة De Foucauld بقوام المكون الثاني.

ويتخلص المكون الثالث في الخلاف الذي نشب بين الأوساط الاستعمارية في كل من باريس والجزائر حول كيفية "التغلغل السلمي"، وهل يعتمد فيه على المخزن أم على القبائل. وحملت الجزائر لواء الدفاع عن القبائل واعتبارها القوة الفعلية في المغرب، ودافعت باريس عن المخزن واعتباره القوة الشرعية به. ولجأ الفريقان واحتكما إلى المعرفة لإقامة الدليل على حصافة الرأي وسداده، وتمت الاستعانة بالعلوم الاجتماعية الناشئة في فرنسا، واستلهام الفكر الوضعي السائد في أوساطها العلمية، وذلك في سبيل الاطلاع على أحوال المغرب دولة ومجتمعا وثقافة، ونشأت عن هذه المنافسة العلمية مدرستان متغايرتان في الاستشراق الفرنسي المعاصر. وتعنى هذه الدراسة بممثلين بارزين لهاتين المدرستين : الأول هو E. Michaux-Bellaire أبرز أعضاء "البعثة العلمية في البحث" التي أنشئت بطنجة من قبل الأوساط الاستعمارية الباريسية، والثاني هو E. Doutté أنشط العاملين في "لجنة إفريقيا الفرنسية" المعبرة عن مطامح الاستعماريين المقيمين بالجزائر.

وتحدد هذه الدراسة مستويين لصورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر : مستوى الملامح البارزة وقوامها انعدام مقومات الدولة به، وضمور الشعور الوطني لدى أهله، وافتراق عقائدهم بين تعاليم الإسلام وبقايا الوثنية السابقة عليه، وجمود مجتمعهم على الحالة التي كان عليها منذ أزمان غابرة. ومستوى المكونات الباطنة والبنى العميقة وقوامها بنيتا القبيلة والمخزن، وتفصل الدراسة فيهما من خلال مجمل ما كتب E. Michaux-Bellaire ومن بعض ما كتب E. Doutté.

وتعدد هذه الدراسة في خاتمتها العوائق المعرفية والموانع الذاتية التي اعتورت الاستشراق الفرنسي المعاصر، وقدحت في الصورة التي جاء بها عن المغرب دولة ومجتمعا وثقافة، وكانت وراء ما شابها من شطط في الرؤية وخلل في الفهم وفساد في التأويل.


سعيد بنسعيد العلوي، *صورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر*، ضمن الوطنية والتحديثية في المغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، 9 ـ 36 ؛ عبد الله نجمي، *المغرب من خلال كتب الرحلات الفرنسية 1880 ـ 1912*، ضمن مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي، ندوة نظمتها مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1999، 7 ـ 15.

R. Lebel, *Les voyageurs français du Maroc : l'exotisme marocain dans la littérature de voyage*, Paris, 1936 ; A. Lahjomri, *L'image du Maroc dans la littérature française, de Loti à Montherlant*, Alger, 1973 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, 1830 - 1912*, Paris, 1977.


عبد الله نجمي

** في الوقت الذي كانت تجري فيه الاتصالات الرسمية المباشرة بين روسيا والمغرب زارت سفينتان روسيتان مدينة طنجة وبقيت بعرضها أزيد من شهرين واستغل الضباط الروسيون هذه المدة الطويلة لوضع خرائط للميناء والساحل المحيط به، كما أنهم زاروا المدينة وكتبوا وصفا لها ودونوا ما شاهدوه بها. وتعتبر هذه الخرائط والتدوينات أقدم الوثائق الروسية حول مغرب الربع الأخير من القرن الثامن عشر. ولازالت هذه الوثائق مخطوطة وهي محفوظة في المكتب الحكومي المركزي للبحرية العسكرية الروسية بموسكو.

انطلاقا من أربعينيات القرن التاسع عشر بدأ يزور المغرب عدد من الروسيين نذكر من أبرزهم الأديب "بوتْكين" الذي قام برحلة إلى طنجة عام 1854 وكتب عنها مقالا عنوانه *طنجة* على صفحات إحدى المجلات المعروفة، كما أنه خصص لنفس المدينة فصلا كاملا في مذكراته *رسائل من إسبانيا* التي نُشرت في سان بيترسبورگ سنة 1857. وأعيد طبع هذا الكتاب بموسكو ولينگراد عام 1876. ويمكن القول أن بوتْكين لم يكن مجرد سائح يتنقل من بلد لآخر قصد الاستمتاع بجمال الطبيعة، فهو كان يهتم ويبحث في تاريخ الشعوب ويحاول التعرف على عاداتهم وفهم ثقافتهم، ولم يكن كذلك يكتفي بنظرة السياح السطحية إلى الناس والأشياء. ومن هذا المنطلق فإنه جاء إلى المغرب، كما يقول في إحدى كتاباته، "قصد الالتقاء بأحفاد صانعي تلك الحضارة الأندلسية العظيمة في إسبانيا التي لازالت معالمها واقفة شامخة في عصرنا هذا".

في عام 1847 زار طنجة وسبتة "ديميدوف" وأعطى وصفا جميلا للشاطئ الشمالي للمغرب في مؤلفه المكتوب أصلا باللغة الفرنسية الذي يحمل عنوان *محطات بحرية على الساحل الإسباني من كاتالونيا إلى الأندلس*. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب يحتوي على عدد من الرسوم التي تمثل بعض الأماكن في طنجة وساحلها.

ازداد اهتمام الرأي العام الروسي بالمغرب خلال الستينات من القرن التاسع عشر بمناسبة الحرب بين المغرب وإسبانيا. واهتم بهذا الحدث جل الجرائد والمجلات التي نشرت عددا من المقالات التي دونها أصحابها إثر زياراتهم لمدينة طنجة ولموانئ مغربية أخرى. وهكذا أصدر السيد "سوما روكوف" كتابا عنوانه *رحلة إلى الصويرة ومراكش*. ولقد دون هذا الرحالة في مؤلفه هذا ذكرياته عن السفر الذي قام به من جبل طارق إلى الصويرة حيث استغل توقف الباخرة التي كانت تقله إلى الجزر الخالدات للتوغل بداخل المغرب حتى مراكش. وأعطى "سوما روكوف" في كتابه أوصافاً لمدينة الصويرة وناحيتها كما تحدث بإسهاب عن السكان المسلمين واليهود بداخل المدينة وخارجها. ولا بد من الإشارة هنا إلى إحدى ملاحظاته حول ما كان شائعا في أوربا عن تطرف المغربة وتعصبهم، فالكاتب ينفي هذه الشائعات ويقول: "إن الشعب هنا ليس متعصبا كما يقال عنه في أوربا، وبصفة عامة فإنني لم أر قط في إفريقيا كلها... شعبا يبدي الصداقة للأوربيين مثل الشعب المغربي".

قام أحد النبلاء الروسيين وهو العالم والأمير "ڤيازيمسكي" بسفر إلى المغرب عام 1881 زار خلاله المناطق الساحلية والداخلية للبلاد منطلقا من طنجة ومارا بالعرائش والرباط والجديدة ثم مراكش حيث استقبله السلطان مولاي الحسن بحفاوة كبيرة. وتابع "ڤيازيمسكي" طريقه بعد ذلك في اتجاه الجزائر عبر مكناس وفاس ووجدة. وترك العالم مذكرات هامة عن رحلته وكذلك أبحاثا علمية ثمينة ذات طابع جغرافي وإحصائي وإثنوغرافي. غير أن هذه الكتابات بقيت مخطوطة ولم تنشر إلا عام 1973 في موسكو تحت عنوان "مسائل الجغرافية التاريخية وتاريخ الجغرافية".

زار المغرب الصحفي والأديب "دانْتْشينْكو" مرتين، الأولى في عهد السلطان مولاي الحسن والثانية في عهد مولاي عبد العزيز. ولقد دوّن بأسلوب فني رائع انطباعاته وذكرياته ومختلف علاقاته مع المغاربة في عدد كبير من المناطق والمدن المغربية كطنجة والرباط والجديدة وفاس ومكناس ووزان والعرائش وتطوان وتافيلالت... ويعد كتاب *قطر الغروب الذهبي* (دراسات حول المغرب الخفي) الذي طُبع عام 1896 بسان بيترسبورگ أهم مؤلف لـ"دانْتْشينْكو". ويتكون هذا الكتاب الذي جاء في حوالي 400 صفحة من تسعة فصول هي :

- في مملكة الأسود
- زاوية الحكاية الشرقية
- في المملكة البعيدة
- في قطر الغروب الذهبي
- الفقير الحاكم
- مفتاح العدو الرحيم
- البئر المردوم
- الجدّ الثعبان
- أثينا الإفريقية

ويحتوي كل فصل على عدد كبير من القصص والحكايات الشعبية المغربية، وهو بالتالي يمثل مصدرا مهما لدراسة الأدب الشعبي المغربي. ويضم الكتاب كذلك ما يقرب من 80 رسما رائعا تمثل الطبيعة والأشخاص والحيوانات والمباني... ولقد كان لكتاب قطر الغروب الذهبي... ومؤلفات دانْتْشينْكو الأخرى دور أساسي في التعريف بالمغرب والمغاربة وبتاريخهم وحضارتهم في مختلف الأوساط الثقافية الروسية.

لقد كان المغرب طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين محطة محبوبة عند عدد كبير من الرحالة الروسيين الذين دون بعضهم ذكرياتهم عنه وانطباعاتهم حول طبيعته وحالته السياسية والاجتماعية

والثقافية والاقتصادية، كما أن قلة منهم استطاعت طبع تلك المذكرات، ومن هؤلاء الأسماء التي سبق ذكرها وكذلك السيد "دميتريبف" الذي قضى أربع سنوات في شمال إفريقيا (من 1907 إلى 1911) وألف كتاب طُبع عام 1917 في سان بيترسبورگ وعنوانه *بعض من رحلاتي في شمال إفريقيا*. يقول "دميتريّيف" في الصفحات الأخيرة من مؤلفه : "...علينا، عندما نكون ننظر إلى مدينة طنجة، أن لا ننسى أن بلدين اثنين فقط في إفريقيا كلها استطاعا الحفاظ على استقلالهما. هذان البلدان هما المغرب والحبشة. وفي هذه المدينة يستطيع السكان أن يرفعوا بدون خوف فوق بيوتهم العلم الأحمر الذي هو العلم الرسمي المغربي، لذا فإن البواخر ترفع هذا العلم كلما اقتربت من المدينة...".

إن موضوع الرحالة الروسيين في المغرب غير معروف، وتبقى مع الأسف الشديد كتابات هؤلاء الرحالة غير معروفة كذلك لأنها غير مترجمة. غير أن بريق الأمل بدأ ينقشع في السنوات الأخيرة، ذلك أن بعض المؤسسات الجامعية المغربية بدأت تهتم بهذا الموضوع ووجهت بعضا من طلبتها الذين يدرسون اللغة الروسية إلى تكريس بحوثهم لنيل الإجازة إلى ترجمة مقالات أو فصول من هذه الكتابات إلى اللغة العربية.

تاتيانا موساتوفا، *روسيا والمغرب في الماضي البعيد والقريب*، دار النشر "ناووكا"، موسكو، 1990 (بالروسية) ؛ فاسيلي دانْتْشينْكو، *قطر الغروب الذهبي* (دراسات حول المغرب الخفي)، دار النشر "پْروسْفيشينْيا"، سان بيترسبورگ، 1896 (بالروسية).

عبد الرحيم العطاوي

**الرحلات المغربية،** تعني الرحلة الهجرة والانتقال والسياحة والاستكشاف ومذكرات السفر؛ نتج عنها فنّ أدبي ثري بظواهر الحياة وتنوع الثقافات والبحث في أحوال البلدان، وقد ازدهرت الرحلة المغربية في المغرب الوسيط، ثم توقفت فيما بعد وفاة السلطان أبي عنان المريني إلى معركة وادي المخازن حيث استردت الرحلة المغربية نشاطها بعد قيام الدولة السعدية وعرفت طريقها إلى المشرق والقسطنطينية وبعض العواصم الأروبية. وحسب كتب التراجم يمكن تصنيف الرحالين إلى ثلاثة أصناف :

1) الفئة الأولى وهي أكثرهم عددا اختلفت جهات سفرها باختلاف أهدافها سواء تعلق الأمر بأداء فريضة الحج أو طلب العلم أو السياحة لكنها عادت إلى بلدها ولم تكتب عن سفرها وتميز بعضهم بحمل إجازات علماء المشرق أو الأندلس وأدخلت طائفة منهم كتب علماء المشرق منها ما اختص بالأدب ومنها ما اهتم بالفقه أو الحديث أو الدراسات الإسلامية التي تشمل علم الكلام والمناظرة.

2) الفئة الثانية وتضم أعلاماً غادروا المغرب وطاب لهم المقام بالمهجر فاستقروا به إلى الوفاة واشتهر أمرهم بتلك البلاد وتولى بعضهم مناصب سامية من فتوى وقضاء وتدريس في حين اشتغل بعضهم بالتربية والتعليم، ومن هؤلاء أبوالحسن الشاذلي وأحمد زروق وعلي بن ميمون الغماري ومحمد بن سليمان الروداني.

3) الفئة الثالثة غادروا المغرب وعادوا إليه وقد سجلوا مشاهداتهم في رحلات لم يصلنا منها إلا القليل. ويعتبر المرحوم محمد الفاسي رائد البحث والتحقيق في فن الرحلة بالمغرب. وفي العقدين الأخيرين من هذا القرن أدرك الباحثون أهمية ما تزخر به كتب الرحلات من تراث في شتى المعارف فأولوه عناية فائقة وقدموا فيه رسائل وأطروحات ووجد فيه كذلك الباحثون في الخطاب السردي موضوعا خصبا فتناولوه من منظور مناهجهم المستجدة، وبذلك تكون دراسة الرحلة قد تناولت المرجعية التاريخية والمرجعية الأدبية والتقى الفريقان في إغناء المكتبة المغربية بفن أدبي متشعب الاختصاصات يجد فيه الأديب ضالته المنشودة من صناعة نثرية وشعر ومساجلات أدبية ويرى فيه المؤرخ وعالم الاجتماع ما تفتقده الوثائق الرسمية. وبصفة مجملة فإن كتب الرحلات وخصوصا الحجازية منها، متعددة المواضيع وإن كانت رهينة بالمشاهدة والاتصال، ولكن ابن رشيد السبتي حولها إلى ديوان علم وخرج عن النهج الذي رسمه الرحالة قبله. وأما الرحلات السفارية فتنقل إلينا صورة أروبا بأخلاقها ونظمها وقوتها العسكرية.

وهكذا نجد الرحلات المغربية أصنافاً متعددة :

1) رحلات حجازية وهي أكثرها عدداً، ومن أشهرها رحلة العبدري، ورحلة أبي القاسم التجيبي المعروفة *بمستفاد الرحلة والاغتراب*، ورحلة محمد بن عمر بن رُشيد السبتي المتوفى سنة 721 المسماة *ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين مكة وطيبة* ؛ ورحلة ابن مليح المراكشي (ت. 1042) وتعرف *بأنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعاريب*. ويشتهر أبو سالم لعياشي برحلته ماء الموائد وكذلك الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، ومحمد بن عبد السلام الناصري صاحب *الرحلة الكبرى*.

2) الرحلات العامة وأهمها رحلة ابن بطوطة الطنجي التي طاف فيها أهم أقسام المعمور المعروف آنذاك.

3) الرحلات العلمية كرحلة أبي بكر بن العربي المعافري وأحمد المقري صاحب "روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته بالحضرتين مراكش وفاس. ومحمد بن زاكور الفاسي المتوفى سنة 1120 نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان.

4) الرحلات السفارية وهي كثيرة، منها *رحلة الوزير في فكاك الأسير*، للوزير العساني، ورحلات أحمد بن

عثمان المكناسي إلى القسطنطينة ومدريد ومالطة ونابولي، ورحلة الوزير ابن إدريس العمراوي، *تحفة الملك العزيز بمملكة باريز*، *والرحلة الإبريزية إلى الديار الأنكليزية*، لمحمد الطاهر الفاسي.

5) الرحلات المقامية والخيالية وهي صغيرة الحجم يغلب عليها الطابع الأدبي وتحمل آراء صاحبها في مجالات متعددة من أمن وسياسة وتجارة ومناجاة وابتهال.

كراتشكوفسكي، *تاريخ الأدب الجغرافي*، مترجم ؛ م. الفاسي، *مقدمات الرحلات التي نشرها* ؛ الحسن الشاهدي، *أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني* ؛ م. ماكامان، *الرحلات المغربية في القرنين 11و12 للهجرة* ؛ عبد العزيز بنعبد الله، *السفارة والسفراء بالمغرب عبر التاريخ* ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*.

محمد ماكامان

**الرحماني، أحمد** بن مبارك الجوني المراكشي الفقيه العلامة، أخذ عن سيدي الحسن الفيلالي وسيدي أحمد بن الطاهر المراكشي. كان له اختصاص بعلم النحو وله لسان فصيح وهمة عالية. وكان أحد العلماء الذين درسوا لأولاد المولى عبد الرحمان : مولاي أبي عزة ومولاي رشيد ومولاي علي ومولاي العباس.

توفي عام 1304 / 86 ـ 1887 عن نحو ثمانين سنة ودفن بروضة باب أغمات بمراكش.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 424، الرباط، 1974، 2 : 424 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 2771.

**الرحماني، البهلول** بن علي بن بوسلهام البوبكري المحمدي، أخذ العلم عن سيدي محمد بن خدي السرغيني الزرادي وعن غيره، وكان عالما مدرسا فاضلا يسكن بالمحمديين من قبيلته ولما التقى بالمولى عبد الرحمان ألزمه سكنى الحاضرة مراكش، وكانت له عنده منزلة خاصة. درس بجامع سيدي أبي العباس السبتي وأخذ عنه أولاده الثلاثة مدة : عبد الرحمان وعبد الوهاب وعمر الفقيه وغيرهم. وُشي به عند السلطان فسجن مدة ثم رحل إلى فاس حيث توفي عن نيف وثمانين سنة عام 1272 / 55 ـ 1856. ودفن بروضة العلماء هناك.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 78، الرباط، 1975.

محمد ناجي بن عمر

**الرحماني، عبد الحميد** بن الفاطمي بن العباس، أحد قواد قبيلة الرحامنة البارزين في الربع الأخير من القرن الثالث عشر (19 م)، إن لم يكن أبرزهم على الإطلاق وأعظمهم شأنا ونفوذاً في الدوائر المخزنية وقتئذ. فإذا كان كل من القائدين العربي بن الشرقي ومُحمد بن بلّة الرحمانيين قد تبوّءا مكانة متميزة لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (1276 ـ 1290 / 1859 ـ 1873) إذ لا ذكر في مصادرنا إلاّ لهذين القائدين، كما نتبيّن ذلك من الوثائق المخزنية ذات الصلة ببيعة السلطان المولى الحسن من قبل قبيلة الرحامنة، فإن مترجمنا سرعان ما حجب الأنظار عن غيره من القواد، وأبان عن مؤهلات وصفات كان المخزن يستحسنها ويثمنها فيمن قلده من أعوانه مهام مخزنية، في الحاضرة كما في البادية.

وهكذا، صار عبد الحميد الرحماني موضع ثقة العاهل الجديد ومخاطبه المفضل والمعول عليه قبل غيره، في تنفيذ الأوامر والتعليمات المخزنية وعلى مستوى قبيلة الرحامنة بكاملها.

وأيّاً كان الأمر، ففي عهد السلطان المولى الحسن (1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1894) تألق نجم القائد عبد الحميد، وأقبلت عليه الدنيا وابتسمت له الأيام إلى درجة كاد أن يلتحق بركب ثلة من كبار أعوان المخزن، كالباشا مَحمد وأخيه العربي ولد أبَّ مُحمد الشرگي، أو سعيد بن فرجي عامل مدينة فاس، أو حمُّ بن الجيلالي البخاري باشا مكناس، أو قائدي قصبة منشية مراكش أحمد أمالك ومحمد ويدة السوسي. وهؤلاء جميعا كان السلطان يكلفهم بمهام خارج إيالاتهم، بين الفينة والأخرى، كان يعهد إليهم مثلا بالإشراف على عمليات خرص الحبوب في القبائل المجاورة لهم، أو قيادة حملات عسكرية هنا وهناك، كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وهذه أمثلة وحالات نلمس من خلالها ما ذهبنا إليه من القول. فأثناء تخييم المحلة السلطانية بمنطقة سوس سنة 1882، وقع الاختيار على القائد عبد الحميد للانضمام إلى الوفد المخزني الذي تقرَّر إرساله إلى ناحية وادي نون، بقيادة الأمير مولاي الأمين بن عبد الرحمن بن هشام، وعضوية كل من الفقيه علي المسفيوي، وزير الشكايات وقتئذ، ومبارك بن الشليح، قائد گيش شراردة أزغار، وحمّان الأوديي، قائد گيش الأوداية، فضلا عن أعوان مخزنيين آخرين، مدنيين وعسكريين، للوقوف في عين المكان واتخاذ التدابير اللاّزمة لوضع حد لتجارة التهريب التي كان قد استفحل أمرها في هذه الربوع، وبالخصوص قرب مصب الوادي المذكور، على يد شرذمة من المغامرين الإنجليزيين.

وفي سنة 1884 وعلى إثر نشوب نزاعات وخصومات خطيرة بين قواد قبائل هشتوكة، وهوارة، و "رأس الوادي" أي منبع وادي سوس وأتباعهم، نودي هذه المرة أيضاً، على عبد الحميد الرحماني وحُمل مسؤولية إطفاء نيران الفتنة في هذه النواحي السوسية، والاجتهاد في إيجاد صيغ وحلول توفيقية بين الأطراف المتنازعة، حيث خاطبه السلطان المولى الحسن قائلاً : "... فقد رشحناك، لما نعهده

منك، ونعلمه فيك من النجدة والنصح والخدمة ومزيد التثبت والحزم واليقظة.."

ومن علامات ثقة السلطان بقائده، واستحسان رجاحة عقله، وقدرته على التفاوض والإسهام في حل الأزمات، إيفادُه سفيراً لدى حكومة مدريد سنة 1892، وبمعيته الفقيه عباس الفاسي كاتبا، والعربي بريشة التطواني أمينا، سعيا إلى إطفاء فتيل النزاع الذي كاد أن يشتعل في جوار مدينة مليلية السليبة، بين سلطات الاحتلال الإسبانية وأهالي قبيلة بني شيگر على الخصوص، فضلاً عن الاستماع إلى ما قد يعرضه الجانب الإسباني من قضايا ومطالب.

وأما المرحلة الثانية من مدة قيادته وما تحمله من مسؤوليات مخزنية أخرى، كباشوية مراكش ما بين 1900 و1902، على إثر عزل الباشا عباس بن داود، صهر الوزير الصدر أحمد بن موسى المتوفى ونفيه إلى مدينة تيزنيت، وذلك بتدبير ومبادرة من وزير الحرب المهدي بن العربي المنبهي، فقد وافقت الثماني سنوات الأولى من عهد السلطان المولى عبد العزيز، واندرجت في سياق تاريخي مغاير تماما لسياق الفترة السابقة.

فعلى الصعيد المحلي، كان انتفاض قبيلة الرحامنة سنة 1312 / 1894، احتجاجا على اختيار المولى عبد العزيز سلطانا للمغرب، عوض أخيه الأكبر الأمير مولاي محمد بن الحسن. وبالمناسبة، وجد القائد عبد الحميد نفسه في واجهة الأحداث وفي طليعة من طالهم غضب وهيجان الأهالي من القواد، حيث تعرضت ممتلكاتهم وأمتعتهم إلى النهب والإتلاف، فلم ينفعهم إلا الفرار والاحتماء داخل أسوار مدينة مراكش.

وعلى صعيد المخزن المركزي، سطا على الحكم الحاجب أحمد بن موسى، بعد أن نجح في التخلص من منافسيه وخصومه آل الجامعي، ونصب نفسه وزيراً صدراً، فصفاله الجو، وطأطأت له الرؤوس، وأذعن الجميع لأوامره ونواهيه.

وبالرغم من هذا وذاك، فإن صاحبنا قد خرج سالما من فتنة الرحامنة، وتنكر، وذلك منذ الوهلة الأولى للمنتفضين وعلى رأسهم زعيمهم القائد مبارك بن الطاهر الرحماني، وحاربهم، وتولى إحصاء ممتلكاتهم وعقاراتهم بمدينة مراكش، على إثر انهزامهم وصدور الأوامر بمصادرتها. آنذاك، تنفس الصعداء، واستعاد مكانته ونفوذه كاملين في الجهاز المخزني ولكن إلى حين، إذ بوفاة أحمد بن موسى في شهر محرم عام 1318 / مايو 1900، دشنت صفحة جديدة في حياة قائدنا، ولم تمثل مهام باشوية مدينة مراكش التي أسندت إليه إلا بارقة خاطفة.

فمن جهة، تغير المشهد المخزني مرة أخرى، وتمكن رجال جدد من أمثال المهدي بن العربي المنبهي من الوصول إلى الحكم، وجميعهم لم تكن تشدهم إلى القائد عبد الحميد أوامر وثيقة، ولا علاقات خدمة ومصلحة، على غرار ما كان يربطه من صلات وطيدة مع آل الجامعي، أو آل موسى بن أحمد، ومن جهة أخرى، كانت حالته الصحية وقتئذ قد تدهورت، إذ وافته منيته بغتة في خريف سنة 1320 / 1902، علماً بأنه كان يُعاني من مرض القلب منذ مدة، كما نلمس ذلك مما ورد في رسالة السلطان إليه، وهي بتاريخ 10 ذي الحجة 1310، الموافق ل 25 يونيو 1893، حيث نقرأ ما يلي : "... وصل كتابك بأنك منذ سافرت من أعتابنا الشريفة أنك مريض بمرض خفقان القلب..." والأدهى في الأمر أن نهاية المترجم قد شهدت حدثا مأساوياً، تمثل في اغتيال ابنه البكر العربي على يد ابن أخ له يدعى المهدي، وذلك في نفس اليوم الذي كان يجهز فيه إلى مثواه الأخير. وكان هذا القتيل رابع أبنائه الذكور وهم المختار، وعبد القادر، وإدريس، فضلا عن ابنتيه زينب وأم كلثوم المتوفيتين قبل وفاة والدهما.

*وثائق خ. ح*، مح. ح رقم، 81 ـ 136 ؛ مح. م. ع. ع، 6/402، 6/404، 6/409، 7/410، 6، ك : 162 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929ـ 1933، ج. 2، ص. 210، 337، 494، ج. 5، ص. 81 ؛ ع. الرزاق الصديقي، *الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن*، 1850ـ 1900، الرباط، 1997.

Paul Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Tanger, 1977, t. 1, pp. 186 - 215.

مصطفى الشابي

**الرحماني، عبد الرحمان** بن محمد البوبكري المحمدي البهلولي، كان علامة متقنا جميل الهيأة والملبس. أخذ العلم عن سيدي الطالب بن الحاج بمراكش، وخلفه في التدريس بإذن منه، وهو أخو عبد الوهاب بن البهلول والسيد عمر بن البهلول لكنه كان أعلم منهما. وقد كاد له محمد بن بلة السوسي عند سيدي محمد بن عبد الرحمان فسجنه، فلما تشفع له طلبة المدارس أطلق سراحه، لكن توفي مسموما بإيعاز من ابن بلة في أواسط العشرة الثامنة من القرن الهجري الثالث عشر.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8: 43، ط. 1977.

محمد ناجي بن عمر

**الرحماني، عبد الله** بن محمد، يعكس مسار نخبة من قواد القرن الثاني عشر (18 م) ويرسم تقلباتهم في المناصب المخزنية السامية مع احتمال ما قد تجره على بعضهم من نكبات إما عن طريق خصومهم أو الوشاة أو غضب السلطان أو تمرد القبائل. وقد تتخلل هذه التقلبات حظوة وترقية عند ولاة الأمور. فهذه الظواهر بمآساتها ورفعتها طبعت سيرة عبد الله بن محمد الرحماني، فهو إن كان صهر السلطان محمد بن عبد الله على بنته الباتول الرحمانية، فإنه ذاق مرارة السجن بأسفي ولم يطلق سراحه إلا عام 1199 / 1784، فأغدق عليه السلطان النعم وقلده

عمالة تامسنا وقيادة رباط الفتح وعينه كذلك قائداً من قواد جيوشه وأمره ببناء داره بالدار البيضاء. وشملت هذه النعم ولده محمد الزوين شقيق زوجة السلطان، فعينه قائداً وسفيراً لدى الخليفة العثماني عبد الحميد سنة 1203 / 1788.

لم تكن قيادة عبد الله الرحماني على تامسنا لتنال رضى قبائلها فظهر منها التمرد وتعرضت لحركة مخزنية أسفرت عن مقتل سبعمائة رجل منها. وفي هذا الصدد يسوق المؤرخ الضعيف هذا الحدث قائلاً : "أحس نصره الله بأهل تامسنا خرجوا عن كلمة صهره القائد عبد الله الرحماني ولا سيما مزاب والبعض من قبائل الشاوية وكانوا لا يأتون الرحماني بالدار البيضاء..."

في رجب سنة 1204 عزم السلطان سيدي محمد بن عبد الله على تأديب ابنه اليزيد المعتصم بضريح المولى عبد السلام بن مشيش، فاستقدم القائد عبد الرحمان بن ناصر العبدي والحاج الهاشمي بن العروسي الدكالي بجيوشهما، فخرج عبد الله الرحماني للقائهما وقام نحوهما بالتكاليف المعهودة في هذا الشأن. وفي الغد خرج معهما ومعه عبيد المراسي و2000 من مجندي الشاوية وبلغ مجموع عدد الجنود في هذه الحركة عشرين ألفا، غير أن الظروف الصحية للسلطان تدهورت أثناء السفر وأدت إلى وفاته في 25 رجب. وبمجرد ما انتشر نعيه دبت الفوضى في المحلة وهي بوادي كريفلة فتشتت شملها بدون قتال وتعرضت للنهب من قبيلة الصباح وأشرف الرحماني على الهلاك وانتزع المتمردون ما بحوزته من متاع وثروة تقدر بثلاثين بغلة وخمسين جملاً محملة بالمؤونة والملف والحرير والأكياس المملوءة بالنقود الذهبية والريال والدبلون والأواني الذهبية المرصعة وأحجار الياقوت. وقد ساق المؤرخ الضعيف خبر هذه الواقعة بتفصيل مع بيان ما تعرض له من إهانة وخسارة ولم يتنفس الصعداء إلا بعد دخوله الرباط وهو يتضرع لأعيانه : "ما أنا إلا منكم وفي عاركم".

تزامنت وفاة السلطان مع وجود أربعة قواد كبار في حركته هذه، وهم : عبد الرحمان بن ناصر العبدي والهاشمي ابن العروسي الدكالي وعلال بوگرين وعبد الله الرحماني وكلهم يدركون شجاعة وبطش الأمير اليزيد فتم قرارهم على بيعته بتاريخ فاتح شعبان سنة 1204 / 1789. ولما كان الرحماني شخصية بارزة في الوسط المخزني فقد كلفه اليزيد بالتوجه إلى مراكش رفقة أخيه المولى سليمان الذي عينه خليفته بهذه المدينة. ويخبرنا الضعيف عن هذه المهمة المسندة إليه : "ثم وجه أخاه للأب وهو مولانا سليمان خليفة بمراكش وبعث معه شقيقه مولانا الطيب ووجه معهما القائد عبد الله الرحماني.."

وفي سنة 1206 / 1791 عرفت هذه المدينة معارك بين الإخوة الأمراء وانتهت بمقتل السلطان اليزيد ولم يجد الرحماني مناصا من مبايعة المولى هشام فظل في خدمته متألقا حيث وصفه المؤرخ أحمد الناصري بأنه مدبر أمر دولته والقائم بأمره.

وسرعان ما دبت الفرقة في قبيلته الرحمانية التي انقسمت بين مؤيدين للقائد الرحماني وخصوم له. وأدى الشنآن بين الجانبين إلى اغتيال الرحماني فأذاع انصاره أن السلطان هو الذي أوعز لخصمه بقتله حوالي سنة 1209 / 1794. وفند السلطان مزاعمهم ونسب قتله إلى المنشقين عنه من الرحمانية. ومما زاد شكوك الرحمانيين في مسؤولية المخزن عن هذا الاغتيال، اغتيال آخر تعرض له عمر بن الداودي الرحماني قائد الصويرة، فخرجت قبيلة الرحامنة عن طاعة السلطان. وقد أشار المؤرخ محمد اكنسوس إلى هذه الحادثة قائلاً : "والذي تحدث به السلطان مولانا سليمان وأنا أسمع هو أن الطائفة المبغضة لعبد الله قتلوه وأظهروا أن مولانا هشام هو الذي أمرهم بذلك مع أنه لا علم له بذلك حتى وقع".

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري ؛ م. اكنسوس، *الجيش العرمرم*، تح. أ. الكنسوسي ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 97 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، الجزء 3.

مصطفى الشابي

**الرحماني، عبد الوهاب** بن محمد البهلولي المحمدي، فقيه علامة ولد عام 1242 / 26 ـ 1827. أخذ عن عدة علماء منهم أبوه الذي صاحبه إلى فاس في حدود السبعين. وعن الفقيه محمد بن عبد الرحمان الحجرتي وغيره من أهل طبقته. وكان جميل الوجه حسن الخلق مدرساً مفتياً ومحققاً وجيهاً محترماً، وله خط جيد. درس الفقه والأصول والبيان، وكان عاملا على فخذ المحمديين من قبيلته الرحامنة حج عام 1280 / 1864. وتوفي في الخامس والعشرين من جمادى الثانية أو في الشهر الذي بعدها من عام 1308 / 5 فبراير 1891.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 544، الرباط، 1977 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 2784.

محمد ناجي بن عمر

**الرحماني، مبارك** بن الطاهر بن سليمان القائد، اقترن اسمه بانتفاضة قبيلة الرحامنة سنة 1312 / 1894 في حوز مدينة مراكش، احتجاجاً على عقد البيعة للمولى عبد العزيز بن الحسن، وتنصيبه سلطانا للمغرب وهو وقتئذ دون البلوغ، عوض أخيه الأكبر الأمير مولاي محمد الذي ظل يشغل مهام الخليفة السلطاني حتى الشهور الأخيرة من عهد والده.

والرجل هو قبل كل شيء واحد من هؤلاء القواد

العاديين الذين شهدهم القرن الثالث عشر (19 م)، إذ لولا تزعمه لحركة العصيان هذه ضد المخزن، لما اشتهر شأنه وتردد ذكره في مصادرنا.

وبالرغم من هذا وذاك، فإننا لا نعرف عنه أشياء كثيرة ودقيقة، حيث إن الوثائق المخزنية التي أمكن الوصول إليها في شأنه، وتغطي الفترة ما بين سنة 1883 و1896، لا تقدم لنا معلومات كافية، ولا تفاصيل وافية عن أسرته، ووسطه الاجتماعي، ونشأته وتعلمه، وظروف وملابسات التحاقه بالخدمة المخزنية مثلاً.

ومن الشهادات النادرة حول الرجل، ما كتبه عنه الرائد شلومبرجي (Le commandant Schlumberger)، قائد البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب، ما بين 1893 و1897 حيث وصفه في العبارات الآتية: "... كان متزعم أمر الثوار رجلا في الخمسين من عمره تقريبا، طويل القامة، قوي البنية، أسمر اللون، في لحيته شذب من الشعر..."

ومهما يكن من أمر، فإننا نجد الرجل، سنة 1883، قائداً بقبيلة الرحامنة، ثم بعد ذلك أسندت إليه نفس المهام في جبال الريف، حيث تولى قيادة قبائل بني شيگر، وبني بويفرور، وبوگافر، كما نتبين ذلك من الوثائق التي ترجع إلى سنة 1888، مع قيامه بدور الوسيط والمنسق بين المخزن وقبائل هذه المنطقة، فضلا عن إشراكه، من حين لآخر في قيادة عدد من الحملات العسكرية في القبائل المجاورة، كگلعية، وكبدانة، وبني إزناسن، وأنجاد، والمهاية، وهوارة الأحلاف، والتسول...

ونفهم مما تضمنته رسالة بتاريخ 13 رمضان 1307 / 3 مايو 1890، وجهها هذا القائد إلى نائب الوزير محمد بن أحمد الصنهاجي أنه وقتئذ، كان قد عيّن على رأس مدينة تازة والقبائل التابعة لها، خلفاً للقائد محمد بن الفقيه البخاري، إنه قبل الالتحاق بمقر عمله الجديد، كان عليه أولا إصلاح ذات البين، وفض النزاع المندلع بين أهل المدينة وغياثة، الأمر الذي نجح في تحقيقه فعلا، حيث عادت المياه إلى مجاريها، ورفع الحصار عن المدينة، كما أخذت المياه تتدفق في سواقي وصهاريج المدينة بعد انقطاعها عنها عدة أيام.

بيد أن ولايته على هذه المدينة لم تعمّر طويلاً، إذ ما كادت تنقضي السبعة شهور الأولى على استقراره بها، حتى أمر بالنهوض منها "مجموعاً"، والتوجه لمدينة فاس، مقر عمله الجديد، في مصالح الخليفة السلطاني بها المولى إسماعيل، وهي طريقة مؤدبة كان يلجأ إليها المخزن، كلما دعت الضرورة إلى عزل وتهميش أحد الأعوان من منصبه. ولا ندري كم من وقت بقي في الخدمة مع المولى إسماعيل المذكور، قبل تعيينه عاملاً في ناحية وادي درعة الأوسط، والتي كان يزاول مهامه هذه بها في سنة 1309 / 1891 على الأقل.

يتبين مما سبق ذكره حول مترجمنا، حرص المخزن على استخدامه في مناطق الأطراف، أو في الجهات التي اعتاد سكانها عدم الانقياد إلى أوامر ونواهي المخزن، لأن الرجل ولاشك كان شجاعاً مقداماً، شديد المراس، وما هو في قيادة الرجال في السلم، كما هو وقت الاقتتال، وهي خصال وصفات كان المخزن يأخذها بعين الاعتبار، فيمن كان يختاره من أعوانه للعمل في مثل هذه الجهات.

ويتراءى لنا كذلك من مجموعة من الوثائق نوع من التضارب والتباين في الشهادات والأحكام الصادرة في حق هذا الرجل. فإذا كان السلطان المولى الحسن في أكثر من رسالة موجهة إلى قائده بالريف، قد توجه إليه باللوم وعاتبه، وتوعده بأشد العقاب وأقساه، إذا ما تمادى في إذاية جيرانه من القواد، واستمر في التدخل في شؤونهم ولم يقلع عن الإجحاف بأتباعه وابتزاز ممتلكاتهم، فإن عدداً من قواد الريف، كانوا لا يترددون في التنويه بسلوك هذا الرجل، وبتفانيه في الخدمة المخزنية. فقد قال أحدهم، وهو القائد حم بن بوشعيب التمسماني، في إحدى رسائله إلى السلطان ما يلي: "... فإنه أجزل جهده في نصحنا..." وذهب القائد العربي الوليشكي، وهو من القواد المرموقين والملحوظين عند السلطان في منطقة الريف، إلي أبعد من هذا، حيث قال عنه: "... ولا يسمع سيدنا كلام في ابن الطاهر الرحماني لأنه نصوح، ويجد ويعمل بتفان ووفاء، وأنه سوف ما يُقال فيه، إنما نابع من عواطف خبيثة...".

ويبدو لنا من هذا كله، أن جرأة الرجل، وشخصيته القوية، وطموحه وميله إلى الاستبداد بالأمر، وتصدر الأحداث، كلها مؤهلات وصفات تدل على أننا لسنا أمام قائد مخزني عاد، ولكن أمام رجل متميز، وغريب الأطوار، الأمر الذي أهله، ولاشك لقيادة انتفاضة قبيلة الرحامنة سنة 1312 / 1894، بعد أن غادر مقر عمله، هاربا بنفسه وبذويه من غضب ونقمة محكوميه من أهل وادي درعة، المنتفضين هم كذلك ضد المخزن.

ومعلوم كذلك أن السلطان الجديد الذي صادف اندلاع فورة الرحامنة حلوله بمدينة فاس، قادماً لها من مدينة مكناس، على رأس كتائب الگيش والعسكر، وبمعيته الهيئة الوزارية والمخزنية بكاملها، قد ظل هناك حوالي أحد عشر شهراً، حيث لم يتحرك من ثمة إلا أواخر شهر ربيع الأول 1313 / حوالي 20 سبتمبر 1895، متوجها إلى ناحية حوز مراكش.

وقد استغل القائد المتمرد غياب السلطان عن المنطقة لاستمالة القبائل المجاورة كالسراغنة، وزمران، ومسفيوة على الخصوص إلى دعوته، وإشراك عدد من أبنائها في شن هجمات ضد مدينة مراكش والقوى التي رفضت الالتحاق بصفوفه.

وغني عن البيان أن الفرق كان شاسعا وهائلا بين الإمكانات البشرية، والمادية، والعسكرية، والتنظيمية لدولة قائمة الذات بسلطانها، ومخزنها، وجيوشها، وبيوت

أموالها، وبين ما كان بيد جماعات من البائسين، والساخطين المستائين، حيث لا مال ولا سلاح ولا ذخيرة ولا تموين، ولالباس، سوى إقدامهم، وشجاعتهم، وجرأتهم، وسط محيط قبلي مناوىء، لم يكن رجاله قط مستعدين للانضمام إلي صفوفهم وعصيانهم، مضحين بذلك بأنفسهم، وذويهم، وممتلكاتهم، في سبيل نصرة دعوة ومشروع محكوم عليهما بالإخفاق والفشل مسبقاً. ومن ثمة اضطرارهم إلى القيام بأعمال اللصوصية والسطو، وإرهاب السكان العزل في قراهم ومداشرهم، للحصول على الزروع والضروع، والحلي والمال وتنظيم هجمات، من حين لآخر، ضد مدينة مراكش نفسها علهم يظفرون بها.

ومهما يكن من أمر، فقد أسفرت أهم المواجهات التي دارت بين مقاتلي المخزن ومتمردي الرحامنة، في الفترة الممتدة ما بين 14 أكتوبر 1894 و6 مارس 1896، إما في الضاحية القريبة من مدينة مراكش، وفي بعض الأحيان تحت أسوارها، وإما بعيداً عنها، عن ضحايا في الأرواح، وخسائر في الدواب، وخراب في البيوت والأكواخ، ونهب في الزروع والضروع. على أن عدد القتلى والجرحى في صفوف الرحامنة وأنصارهم من قبيلة حمير، وبالخصوص جماعات الخوالقة، والشهاونة، والفطانسة، واجنادغة، ونصف جماعة المصابح، ومسفيوة، وغجدامة، وتُگّانة، وفطواكة، وبعض الجماعات من دكالة كالغوانم من أولاد عمران مثلا، هم الذين تكبدوا أفدح الخسائر البشرية والمادية، إذ كان أبناؤها يسقطون قتلى وجرحى بالعشرات في ميادين القتال، أمام عناصر الكتائب والتجريدات المخزنية التي كانت خيولها وأسلحة رجالها النارية العصرية، تخلف الدمار والخراب في الأنعام، والدواب، والمغروسات على السواء ناهيك عن عشرات الأسرى والمحتجزين الذين كان يتم اقتناصهم، دون أدنى تمييز أو اعتبار لأعمارهم، أو لحالتهم الصحية، حيث كان منهم، في بعض الأحيان، الشيوخ العجزة والأطفال الصغار دون البلوغ ويساق الجميع، كما تساق الأبقار إلى زرائبها، بعد أن يربط بعضهم بعضا بالحبال، والقيود، و"العنايق".

وفي الوقت الذي اقتربت فيه المحلة السلطانية من مجال قبيلة الرحامنة أواخر سنة 1895، كان كل شيء قد انتهى عمليا بالنسبة لمبارك بن الطاهر الرحماني ورفاقه في المغامرة. فقبل هذا التاريخ وبشهور عديدة، تمكنت الكتائب والتجريدات العسكرية المخزنية من إعيائهم، واستنزاف قواتهم، ودك أرضهم دكا، ونهب وحرق مزروعاتهم ومغروساتهم، فتدهورت أحوالهم، وتلاشت قواتهم، وأخذت الجموع تنفضّ من حول قائدها. ثم أبلغ قواد الرحامنة وأعيانهم شروط المخزن لقبول توبتهم وإنابتهم، والعفو عنهم، والصفح عما صدر من بعض إخوانهم، ملزماً إياهم بدفع وأداء ما يلي :

- ذعيرة مالية قدرها 400.000 ريال
- 1.000 فرس بلوازمها
- 2.000 من رجالهم للخدمة في الجندية

وانضافت إلى هذه الشروط إجراءات زجرية أخرى اتخذها المخزن دون الإعلان عنها، ولكنها نفذت في نفس الوقت، وهي أولا اعتقال ما بين 1.500 و2.000 من رجالهم والزج بهم في سجون مراكش، وثانيا مصادرة الأملاك العقارية التي كان يملكها قوادهم وأعيانهم بنفس المدينة.

بعد ذلك، شرعت الكتائب والسرايا المكونة من عناصر الگيش والعسكر وحراك القبائل، تحت قيادة شخصيات من قرابة السلطان في الانتشار والإحاطة بأرضهم للحيلولة دون فوارهم وتشتتهم في القبائل المجاورة، وفي نفس الوقت، كلفت تجريدات أخرى من الجيش، بمساعدة قواد القبائل، بالبحث عن متزعم التمرد وأنصاره والإتيان بهم إلى المخيم السلطاني. وهكذا جيء بمحمد بن الطاهر بن سليمان الرحماني، صنو متزعم التمرد والمتورط إلى جانبه في المغامرة، وبعلي ولد الغوات الذي كان قد التجأ في مدينة دمنات، وأخيراً بمبارك بن الطاهر الرحماني الذي أُخرج بالقوة من حرم الولي سيدي علي بن إبراهيم بتادلة، ووُضع في قفص صنعت قضبانه من جعاب البنادق، ثم طوّف في أرجاء مخيم المحلة ليراه الجميع، حيث أوجع ضربا وخدشا، مع إسماعه كل أنواع السّب، والقذف، والشتم، ليزجّ به بعد ذلك في غياهب سجن مصباح بمدينة مراكش، حيث لفظ أنفاسه الأخيرة ثمة في 30 قعدة عام 1314 / 2 مايو 1897.

*وثائق خ. ح*، مخ. ح رقم 183 . 200 . 242 . 261 . 296 ؛ مخ. م. ع. ع. رقم ؛ كنانيش رقم 152 . 162 . 224 . 347 . 422 . 639 . 694 . 776 ؛ *وثائق وزارة الحرب* بفانسـس ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929. 1933، ج. 1، ص 372 . 396 ؛ *العز والصولة*...، الرباط، ج. 1، ص. 252 وما بعدها؛ ع. الرزاق الصديقي، *الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن*، الرباط، 1997، ص. 253 وما بعدها.

A.G.V., 3h8, *Rapport du mois d'octobre 1894*, p. 3 et svuiv. ; 3h9, *Rapport n° 5, n° 56 du 5 février1896*, p. 3 et siuv., *n° 66 du mois de mars 1896*, p. 5 et suiv., *n° 91 du 1er nov. 1896*, p. 4 et suiv. ; L. Arnaud, *Au temps des Mehallas*.., Casa, 1952, pp. 91 - 121 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Tanger, 1977, t. 1, pp. 186 - 215.

مصطفى الشابي

**الرحماني، محمد الزوين** بن القائد عبد الله الرحماني صهر السلطان محمد بن عبد الله على أخته البتول الرحمانية وأحد القواد والسفراء المغاربة البارزين في فترة ممتدة من أواخر عهد السلطان المذكور إلى عهد ابنه المولى سليمان. وهكذا ارتبط اسمه بأحداث سياسية داخلية

وخارجية حيث قام بالمهام السفارية، وعاش الصراعات الدموية بين الإخوة الأمراء الأعداء فشق طريقه السياسي في خضم الدسائس وعصيان القبائل وحركات المحلات المخزنية، منقلا ولاءه بين الأمراء حسب قواهم وضعفهم، فمن الأمير اليزيد إلى هشام والحسين وأخيراً المولى سليمان حيث ورد عليه وهو بالرباط في جم غفير من الرحامنة أواخر ذي القعدة 1209. وفي هذه الفترة سطع نجم محمد الزوين وذاع صيته في الوسط المخزني وازداد جاها وثروة. ولعل أول مهمة سفارية قام بها كانت في شعبان سنة 1203 حيث انتدبه السلطان محمد بن عبد الله سفيراً له لدى الخليفة العثماني عبد الحميد. وتكتسي بعثته هذه أهمية بالغة في تاريخ العلاقات المغربية العثمانية وتعبر عن سخاء المغرب وحرصه على التضامن الإسلامي. وقد أوضح السلطان هذا الإحساس الديني والدعم المادي لنصرة المسلمين والمودة مع الخلافة الإسلامية في رسالته التي حملها معه محمد الزوين ونقف على مضمونها التالي : 30 وصيفاً وفرسين من عتاق الخيل بسرجيهما المزركشين بالذهب والمرصعين بالجوهر و536 أسير منّ الله عليه بافتدائهم من النصارى وأربع سفن جهادية. وهذه المراكب قادها رؤساء البحر المغاربة من سلا إلى القسطنطينية.

وفي أثناء مقامه باستنبول اهتم بشراء الجواري العلجات لإهدائهن إلى السلطان عند عودته. وقد ساق المؤرخ محمد الضعيف حالة وقعت للزوين في سوق النخاسة وهذا نصها : "وحين كان يشتري العلجات أتته امرأة لها علجة حسنة ومغنية أرادت بيعها وهي تحفظ خمسة عشر طبعا من طبوع الآلة التركية وتضرب الكمنجة، فقال لها اتركيها عندي لأقلبها فتركتها، فأمرها بضرب الكمنجة وأمرها بأن تغني فلما سمع ذلك منها أعجبته وفي الغد أتته مولاتها المرأة التركية فقال لها كم قيمتها فقالت أربعمائة مثقال فاستقلها وردها. فقال له صاحبه محمد التليتي التطواني اشترها فإن هذه الجارية لا تكاد توجد في جواري الملوك فأبى لعدم رقته ولكونه بدويا".

ولما رجع من سفارته ونزل بالرباط في 18 شوال عام 1204 / 1789 وجد الوضع السياسي بالمغرب قد تغير بعد وفاة السلطان محمد بن عبد الله فانضم إلى الأمير اليزيد وتابع الأحداث السياسية بتقلباتها ومناوراتها. وهكذا نراه يشد أزر السلطان المولى سليمان في حركاته لتأديب بني مطهر حيث قدم عليه من مراكش بمحلة الحوز والرحامنة بالرباط في 13 حجة 1216 ... والتقت المحلة المخزنية بفاس فتعززت مكانة محمد الزوين لدى السلطان وأصبحت الرحامنة من القبائل المفضلة حسب ما نسب إلى المولى سليمان في خطاب له بتاريخ 8 شوال 1235 / 1819.

"لما ولاني الله نوهت بكم وعملتكم بسوس ودرعة ووليتكم مراكش وخيرتكم على جميع القبائل وجعلت الزوين على جميع أهل الحوز وجعلته وزيراً ومشيراً وأنتم قبة الحوز وقلبه ووالله لو كنتم على الحق وظلمكم أحد لأقاتلن من ظلمكم بيدي فما عندي أعز منكم".

وإذا كانت جل المراجع تحدثت عن مهام محمد الزوين المخزنية والسياسية فانها لم تشر إلى تاريخ وفاته.

أبو القاسم الزياني، *الترجمانةالكبرى*، ص. 132 ـ 167 ؛ نشر عبد الكريم الفيلالي، الرباط ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، 193 ـ 195 ـ 213 ـ 215 ـ 261 ـ 285 ـ 324، تح. أحمد العماري؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، 3 : 183 ـ 306 ـ 307 ـ 347 ؛ ع. العزيز بن عبد الله، *السفارة والسفراء بالمغرب*، ص. 33 و47 ؛ ع. الرزاق الصديقي، *الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن*، ص. 47.

محمدماكامان

**الرحماني، محمد بن عمران** كان وزيراً وخليفة عند السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، حضر معه فتح البريجة 1182 / 1768 وكان خليفته على مراكش ونواحيها. ودرُبه إلى الآن يعرف بدرب ابن عمران في رياض الزيتون القديم (بمراكش).

توفي عام 1200 / 1786.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، 6 : 77 ـ 78 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 : 2433.

محمد ناجي بن عمر

**الرحمانية، سحابة**، إحدى زوجات السلطان السعدي محمد المهدي الشيخ، أنجبت منه عدة أمراء كان للبعض منهم شأن عظيم في تاريخ المغرب السياسي وهم : عثمان وعبد المومن وعمر وعبد الملك. وتنسب بعض الكتابات الأجنبية إلى نفس الأم الأمير أحمد (معركة، 301 ؛ *S.I.H.M.*, F, T. I, pp. 382- 83) مع أن نسبته إلى السيدة الحرة مسعودة بنت الشيخ أبي العباس أحمد الوزكيتي حقيقة يؤكدها بصفة إجمالية جل مؤرخي دولة الأشراف السعديين كابن القاضي (*المنتقى*، 1، 256) وأحمد المقري (*روضة*، 64) والافراني (نزهة، 146). وقد ارتبط ذكر السيدة سحابة الرحمانية في الاستغرافيا السعدية بوجه خاص بقضية الأمير عبد الملك وأخيه أحمد حينما لجأ إلى إيالة الترك بالجزائر لطلب مساعدة الباب العالي بهدف استرجاع حقهما المغتصب في السلطة سيما بعد أن أسند أخوهما عبد الله الغالب بالله ولاية العهد لابنه محمد المتوكل خارقا بذلك قاعدة وراثة الحكم التي استنها، أول مرة، مؤسس الإمارة السعدية محمد القائم بأمر الله لتقنين نظام تداول السلطة، وهي قاعدة تخول شرعية تقلد الملك للأمير الأكبر سنا داخل الأسرة الحاكمة (*S.I.H.M.*, F, T. I, p. 346) ويفيد الكاتب الإنجليزي بوفيل في هذا السياق، أن السيدة سحابة الرحمانية قد

لعبت دوراً حاسماً في تربية ورعاية الأميرين عبد الملك ابنها وأخيه أحمد طوال المدة التي استغرقها وجودهما في المنفى في كنف الحماية التركية بإيالة الجزائر. وبحكم ما تمتعت به السيدة سحابة من فطنة وبعد نظر وقوة عزيمة، فإن حرصها، كامرأة مسلمة، كان شديداً على توجيه الأميرين التوجيه السديد وتعليمهما ما هو أفيد في التقاليد التركية حتى لا يكون اندماجهما في منظومة المجتمع العثماني اندماجاً يبعدهما كلية عن خصوصيات وثوابت المحيط الحضاري المغربي (*معركة*، 301). وتتجسد بكيفية ملموسة قوة شخصية السيدة سحابة وثقلها في السياق الدبلوماسي للدولة السعدية، في الدور المميز الذي اضطلعت به حينما انتقلت صحبة ابنها عبد الملك وأخيه أحمد من الجزائر إلى ديار القسطنطينية، عاصمة السلطنة العثمانية، بعد وفاة الملك عبد الله الغالب لإقناع السلطان العثماني مراد الثالث بهدف تقديم المساعدة العسكرية اللازمة للأمير عبد الملك قصد انتزاع الملك في المغرب من يد ابن أخيه المتوكل (*نزهة*، 123). ولئن كانت أغلب الأدبيات التاريخية لا تسمح، بأي حال، بالإحاطة ولو جزئيا، بتفاصيل ذلك الدور ورصد ملامحه بدقة، فإنها مع ذلك، تجمع بنوع من الإشادة بحذاقتها وذكائها وحسن تدبرها (*تاريخ الدولة*، 46)، وهي صفات ساهمت مجتمعة مساهمة فعالة، فيما يبدو، في تعزيز دورها الإقناعي وتيسير سبل عملها التفاوضي مع الباب العالي. على أن نجاح السيدة سحابة في مهمتها هاته، لم يكن البتة، مفصولا عن سياق الأدوار الأمرى الموازية التي قام بها ابنها عبد الملك. فقد صادف سعي هذا الأمير إلى الحصول على مساعدة السلطنة العثمانية، توجه الجيوش التركية من استانبول لإجلاء القوات الإسبانية عن تونس، فكان أن رافق عبد الملك هذه الجيوش في إطار هذه الحملة العسكرية المشهورة في تاريخ الحوض الغربي من البحر المتوسط، وإن كانت المظان التاريخية قد اختلفت في تحديد الوجهة التي انطلق منها عبد الملك للمشاركة في هذه الحملة، حيث جعلها التمكروتي من العاصمة التركية بينما جعلها المؤرخ المجهول من الجزائر.

ومهما يكن من أمر، فقد أسفرت هذه الحملة العسكرية الكاسحة عن سحق قوات الأسطول الإسباني بحلق الوادي (981 / 1574) والسيطرة على تونس التي استتبعت بصفة نهائية بمجال السيادة العثمانية (*La méditerranée*, pp. 425 - 26). وعلى إثر هذا النصر المحقق، بادر عبد الملك إلى إرسال "البشارة" رفقة ثلة من رفقائه على متن "برقاطة" (مركب) إلى أمه سحابة بمعية مركبين آخرين أرسلهما من تونس "رئيس العمارة العثمانية" لزف بشرى الفتح لدى السلطان العثماني. وقد شاءت الصدف، أن يسبق مركب أصحاب عبد الملك إلى استانبول المركبين الآخرين نتيجة لسوء أحوال البحر، وهنا، طبعا، قامت السيدة سحابة بدور على جانب كبير من الأهمية لكسب الرهان المطلوب لصالح قضية ابنها عبد الملك. فقد استغلت فور توصلها بهذه "البشارة" أجواء الترقب والتوجس التي كانت تخيم على البلاط العثماني، لتعلن للسلطان مراد الثالث على وجه المفاجأة والسرعة خبر الفتح، مما كان له وقع بالغ الأهمية على الباب العالي بعد طول لحظات الانتظار والتطلع إلى الخبر اليقين. وفي الوقت ذاته، وكمقابل لهذه البشارة، التمست السيدة سحابة من السلطان العثماني أن يقدم لابنها عبد الملك العون العسكري الكافي للدخول إلى المغرب واستعادة السلطة الآيلة إلى ابن أخيه محمد المتوكل بدون وجه حق (أخذا بعين الاعتبار طبعا مقتضى قانون توارث السلطة الآنفة الذكر). ولم يكن من السلطان مراد الثالث لحظة اطلاعه على "كتاب الفتح" مع مبعوثي المركبين المتأخرين، إلا أن يكتب فرمانا للدولاتي صاحب الجزائر رمضان باشا يقرر فيه منح عبد الملك وأخيه أحمد ما يحتاجانه من جند وعتاد حربي لاقتحام المغرب. وبالفعل، فقد حصل الأمير عبد الملك بعد اتفاقات مع والي الجزائر حول شروط وترتيبات خطة التدخل على القوة العسكرية اللازمة، وتمكن من الدخول إلى المغرب سنة 1576 م والاستيلاء على السلطة السياسية بعد فصول من المعارك الطاحنة التي خاضها بدون هوادة ضد ابن أخيه محمد المتوكل في أكثر من موضع داخل المجال المغربي.

أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور*، 1، 256 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، 64 ؛ م. الأفراني، *نزهة الحادي*، 146 ؛ ع. التمكروتي، *النفحة المسكية*، مخطوط خ.ع. ؛ م. مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*، 42.47 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5، 61. 63 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7، 261 ؛ أ. و. بوفيل، *معركة القصر الكبير*، 286 . 301 ؛ إ. حركات، *السياسة والمجتمع*، 66 ؛ ع. العروي، *مجمل تاريخ المغرب*، 3، 49 ؛ س. ألتير، *الأتراك العثمانيون*، 235 - 240 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي*، 8، 43. 44.

F. Braudel, *La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II*, Neuvième édit., Paris, 1990, pp. 422 - 27 ; A. Cour, *L'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc*. Paris, 1904, p. 142 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*. Casablanca, 1950, T. II, pp. 184- 86 ; *S.I.H.M.*, *France*. T. 1, pp. 346, 350, 382, 452, 456 ; *S.I.H.M.*, *Angleterre*, T.I, p. 153.

الفقيه الإدريسي

**الرحمانية**، طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحمن الدرعي أصلا، التمجتي التادلي دارا وزاوية وإقبارا. ينتسب هذا الشيخ في الطريق إلى الولي الشهير عبد الله بن حسون، دفين سلا (ت. 1013 . 1604). ويعد ولي سلا من معاصري أبي المحاسن يوسف الفاسي وبوعبيد الشرقي، وأحد ورثة وخلفاء هذا الأخير في الطائفة الموصوفة بأهل الجمال في عالم التصوف

المغربي في بداية القرن الحادي عشر (17 م)، تمييزاً لهم عن أهل الظاهر أو أهل الجلال. ويرتبط علي بن عبد الرحمن بالشيخ ابن حسون بواسطة تلميذ هذا الأخير، الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي (ت. 1062 / 1652)، نزيل واوزغت، ودفينها. وعن الدادسي الواوزغتي أخذ علي بن عبد الرحمن التادلي مبادئ الطريق الصوفي، و"...ورث... السيادة الدينية والأستاذية العرفانية، وظهرت له أحوال وإمدادات" (*مباحث*، 192، *دوحة البستان*، 9 ب)، وبفضله أيضاً صار شيخا لزاوية شهيرة بمدشر تمجت بدير أطلس تادلا (*بشارة الزائرين*، 52). وقد اشتهر الدادسي، في حياته الروحية، بأنه من أهل المحبة والعشق والحضرة والأحوال، وغيرها من الأمور القلبية في التصوف (*مباحث الأنوار*، 191 ؛ *دوحة البستان*، 20 ب، 22 أ، 36 ب ـ 37 أ)، على غرار شيخه ابن حسون.

ومن ثم، كان طبيعيا أن يتأثر المريد علي بن عبد الرحمان بشيخه الدادسي، وبشيخ شيخه ابن حسون. لكن الظاهر أن التادلي تجاوز شيخيه، عندما جعل من سلوكهما الخاص طريقة اعتمدها في تربية مريديه. بل لعل هذا ما جعل اسمه يطغى على اسم شيخيه، فأخذنا نسمع بالطريقة الرحمانية بدل الدادسية أو الحسونية. فبماذا تميزت هذه الطريقة ؟

في هذا الصدد يذكر أن علي بن عبد الرحمن التادلي اعتمد أسلوب الهمة في تربية بعض المريدين (*دوحة البستان*، 130 ب)، على غرار سائر أهل السلوك بالمحبة. في حين رتب لغير هؤلاء أورادا، وأمرهم بقراءتها في وقتين : أولهما بعد المغرب، وكان يذكر فيه مع أصحابه حزب *الفلاح* للشيخ الجزولي، وسيد الاستغفار، وذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني، وصلاة حضرة الأسرار، *والصلاة المشيشية*، ثم الفاتحة مرتين. وثانيهما في الصبح، وكانوا يذكرون فيه : *حزب الفلاح* أيضاً، *والمسبعات العشر*، ثم *الحزب الكبير* للجزولي ( *الإعلام*، 9 : 211) فضلا عن اسم الجلالة، وغيره من الأسماء الحسنى، وباسم الله الرحمن الرحيم، والتصلية، وغيرها من الأذكار المجردة (*دوحة البستان*، 48أ).

والملاحظ من خلال هذه الأوراد أن علي بن عبد الرحمن التادلي أضاف إلى الأحزاب التي كان يلقنها شيخه الدادسي لمريديه أذكاراً مجردة (*دوحة البستان*، 50 أ ـ 54 ب). والظاهر من خلال هذا الجمع، أنه يلتقي مع اختيارات أمثاله من شيوخ التصوف المعاصرين له، ممن يصنفون ضمن خانة أهل الجمال / أو الباطن، بل لقد شابههم في إيلاء الحضرة أهمية كبرى في التربية الصوفية. وفي هذا الصدد يؤثر عنه قوله لأصحابه : "... إخواني : اجتهدوا في ملازمة الأوقات... إخواني : حسنوا الظن بالله وبعباد الله... إخواني : السنة تجمعنا والبدعة تفرقنا *والحضرة سيرتنا*، من قام بموجب سلمنا له، ومن قام اختيارا فلا يلومن إلا نفسه... إخواني : أكثروا من ذكر الله، وأفضله لا إله إلا الله... *طريقتنا* هذه مخيورة، فطابعنا يطبع كل طابع ولا يطبع عليها" (*دوحة البستان*، 36 ب).

وجاء في رسالة بعث بها إلى أصحابه بتطوان "... وأما ما ذكرتم لنا من *طريقة الحضرة*، فإنها طريقة أشياخنا وأسلافنا لكن بشروطها، وهو مكان وزمان وأصول، وعدم حضور النساء والصبيان، فإن كانت هذه الشروط، فقد أذنا لكم فيها ولا يقوم أحد إلا إذا قام مغلوبا. وأما القيام بالاختيار فلا، وكذلك لا يصفق إلا إذا كان مغلوبا، كما نص على ذلك أرباب الطريقة" (*رسالة*، 20 أ).

وهذا يعني أن الحضرة بالأذكار والأسماء، شكلت محور النشاط الصوفي في الطريقة الرحمانية، أو قل إن طريقة شيخها مبنية على الذكر والحضرة، حسب تعبير محمد المنالي (*سلوك الطريق*، 223)، على غرار الطريقة المعنية ـ الفاسية، والطريقة الشرقاوية، والطريقة العيساوية، وغيرها من طرق الحضرة في التيار الصوفي الجمالي المغربي. ومن ثم، لعله ليس من المصادفات أن يتبادل آل معن والرحمانيون في فاس الثناء والتقدير (*دوحة البستان*، 15 أ ـ ب). ولعله ليس من المصادفات أيضاً، وهذا هو المهم، أن تتعرض الحضرة في زاوية الرحمانيين بفاس، للطعون والانتقادات من تلامذة الشيخ عبد القادر الفاسي (*رسالة*، 18 أ ـ ب)، على غرار ما فعلوه مع الشيخ المجذوب قاسم الخصاصي وأصحابه من أتباع الطائفة المعنية، وعيساوة وحمادشة، كما هو مشهور. لكن هل شابه الرحمانيون أهل الطوائف المذكورة في أحوالهم أيضاً ؟

نجيب بالإيجاب، ولا نؤسس رأينا على اعتماد الحضرة من لدن هؤلاء وأولئك، فحسب، بل لأننا نملك شواهد أخرى تعززه. ففي حديثه عن شيخ هذه الطريقة، وصفه أحمد الولالي، بقوله : "... ذو الأخلاق المسكية، والطبائع الدينية، والأحوال العرفانية... ظهرت له كرامات وأحوال وإمدادات... لا تلقى واحداً من أصحابه إلا ظهر لك أثر المدد اليقيني والعلمي عليه ... " (*مباحث الأنوار*، 187 ـ 192). ونُقل عن الشيخ علي بن عبد الرحمن التادلي قوله : "... يعتريني حال يكاد قلبي أن يتصدع منه، ففهمت منه أن الحال هو المحبة" ( *الدرر المرصعة*، 298).

وتفيد هذه الشهادات في التأكيد، بلاشك، على أن محبة وأحوال الرحانيين كانت عنيفة، وأنه لعنفها صار مباحا الوقوف، في حلقة الحضرة الرحمانية، والتصفيق والرقص (*سلوك الطريق*، 223)، على غرار ما يحصل في حضرة أهل الجمال جميعا. والأهم من ذلك أن الشيخ علي ابن عبد الرحمن التادلي كان من الشطاحين باللسان كذلك. فقد كتب محمد بن الطيب القادري يقول إنه قرأ "له كلاما كبيرا" ( *التقاط الدرر*، 219)، لعله من باب الشطح. ونعتقد بالتالي، أن شطحاته سببت له مشاكل جمة، ولا سيما مع الصوفية الذين يصنفون ضمن خانة أهل الجلال.

فقد روى بعضهم أن علي بن عبد الرحمن التادلي : "كان له في مقام الولاية دعوى عريضة، وكان أهل البصائر، من أهل وقته، لا يسلمون له ذلك، ولا يقبلونه..." (*كراسة*، 285)، ومنهم "بعض إخوانه في الشيخ..."، بحكم، "...أنه خالف شيخه في أشياء كان أوصاه بها، وتكلم معه في ذلك مواجهة فلم يرجع عنها، فتركه ونبذ معرفته..." (*كراسة*، 285).

توفي بتادلا سنة 1091 / 1680.

أ. ابن يعقوب الولالي، *مباحث الأنوار*، تح. ع. العزيز بوعصاب، 1989، مرقونة، خزانة كلية الآداب بالرباط ؛ داود بن علي السملالي السوسي، *بشارة الزائرين الباحثين في الصالحين*، مخطوط ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ج. 9 ؛ ع. بن عبد الرحمن الدرعي، *رسالة بعث بها إلى عبد القادر الفاسي*، مخطوط خ. ع. الرباط، رقم 1418 ك، ضمن مجموع، ص. 18 ؛ *رسالة* أخرى بعث بها إلى تطوان، مخطوط خ. ع. الرباط، رقم 1418، ضمن مجموع ؛ ع. المجيد الزبادي، *دوحة البستان ونزهة الإخوان في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمن*، مخطوط خ. ح. الرباط، رقم 2339 ؛ *سلوك الطريق الوارية في التلميذ والشيخ والزاوية*، مخطوط خ. ح. الرباط، رقم 247 ع ؛ م. العربي القادري، *كراسة*، مخطوط خ. ع. الرباط، رقم 370 د ؛ م. المكي ابن ناصر الدرعي، *الدرر المرصعة*، تح. م. الحبيب نوحي، رسالة جامعية مرقونة، 1988، خزانة كلية الآداب بالرباط.

أحمد الوارث

**الرحمة والأمان** (زاوية -) بسوس، تقع بقرية أمان مـلّولنين (الماء الأبيض) بأيت تاكن من قبيلة إيزناكن (صنهاجة) على مقربة من تازناخت على الطريق الرئيسية الرابطة بين تارودانت وورزازات.

أسس هذه الزاوية أحد أقطاب الطريقة الناصرية وهو حسين بن محمد بن علي بن شرحبيل البوسعيدي الدرعي (انظر ترجمته في *المعلمة*)، ويرتبط تأسيسها بالمنافسة على خلافة شيخ زاوية تامگروت أحمد بن مَحمد ابن ناصر الدرعي والصراع الذي نشب بين العلامة الشرحبيلي والشيخ موسى بن محمد الكبير ابن أخ الشيخ أحمد الخليفة.

ولعل الصلة الوثيقة التي كانت بين الشيخ أحمد بن ناصر والشرحبيلي هي التي حفزته إلى التطلع للمشيخة وتلقين الأوراد بعد وفاة شيخه. غير أن ذلك لم يتم مباشرة بعد وفاة الشيخ أحمد ابن ناصر، فقد شهد الشرحبيلي مع غيره من العلماء المقيمين بتامگروت بأن الشيخ أوصى برآسة الزاوية لابني أخيه موسى ثم عبد الله وسجل تلك الشهادة وعطف عليها القاضي أبو محمد عبد الكبير بن أحمد الدرعي وذلك في 25 ربيع الثاني 1229، كما يذكر صاحب *الدرر المرصعة* أن أحمد الهوزالي وهو أحد أصحاب الشيخ أحمد ابن ناصر سأل الشرحبيلي بعيد وفاة الشيخ إن كان أوصاه بشيء بخصوص الخلافة فأجابه بالنفي، مما يدل على تأخر فكرة رئاسة الزاوية لديه.

استمر استقرار الشرحبيلي بتامگروت، وتصدر للتدريس، فظهر شفوفه العلمي وأقبل عليه الطلبة والمريدون يتلقون عنه العلوم والأوراد ببيته، وتجاوز ذلك إلى اتخاذ مراسيم لا يتخذها عادة سوى شيخ الزاوية مثل سرد *صحيح البخاري* في رمضان وختمه في الليلة السابعة والعشرين منه (*المعسول*، 18 : 242) فزاد نفوذه وزاحم المتصدر لمشيخة الزاوية، ولم يلبث أن ادعى أنه وصيّ الشيخ، مما أثار غضب موسى بن محمد الناصري وطائفة من أصحاب الشيخ أحمد بن ناصر الذين تصدوا لإنكار مزاعم الشرحبيلي مثل محمد بن موسى الإسحاقي الذي ألف رسالة بعنوان *زجر المدعي القاصر عن معارضة الشيخ أبي عمران بن ناصر* وفيها يقول مشيرا إلى ما قام به الشرحبيلي : "...ولئن شرح الله صدره وظهر له من أمره ما يسرُه وازداد الظهور وانتفاع الناس به، فعليه بالاستقلال والانفراد عن آل الشيخ ويبني زاوية بأي بلد أراد..."

اشتد النزاع والخصام حول سرد *صحيح البخاري* خاصة، وقد استعان شيخ الزاوية بخليفة السلطان المولى إسماعيل بدرعة لمنع الشرحبيلي من ذلك، ولما لم ينفع التهديد ووُجه الشرحبيلي بشهادته السابقة وأرغم على توقيع وثيقة تبيح دمه إن لم يتبرأ من الزاوية والورد الناصري (*المعسول*، 18: 242).

هكذا تآزرت السلطتان الزمنية والدينية بدرعة لإخراج الشرحبيلي من تامگروت فانتقل إلى أغلان سنة 1132 حيث استقر سنتين ثم إلى فاس التي اتصل بعلمائها خاصة الشيخ التاودي (*المعسول*، 13 : 104)، وهناك قرر الانتقال إلى سوس فألقى عصا التسيار بقبيلة إيزناكن (صنهاجة) وبنى زاويته بقرية أمان ملولنين، وقد اختار الشرحبيلي موقع زاويته بدقة حيث بناها على طريق الطلبة والمريدين السوسيين المتجهين إلى تامگروت، فكأنه أراد قطع إشعاع زاوية تامگروت على سوس، وإحلال زاويته مكانها.

نافست زاوية الرحمة والأمان تامگروت في وظائفها باجتهاد الشيخ الشرحبيلي وأصحابه وكبار تلامذته في التدريس ونشر العلوم، وفي نشر الطريقة الناصرية وإرشاد عامة الناس وتلقين الأوراد والتدخل لفض النزاعات بين الأفراد والقبائل، وضبط الأنشطة الاقتصادية بعقد الأسواق وضمان أمنها وأمن المتسوقين، فاستطاعت الزاوية أن تندمج بسرعة في محيطها القبلي وأن تستقطب كثيرا من الزوايا الناصرية الفرعية في سوس، فصارت تابعة لها، وانثال المريدون على زيارتها واستعاضوا بها عن الزاوية الأم بتامگروت، وصاروا يصرفون لها هداياهم وصدقاتهم

وأحباسهم، وحُرمت زاوية تامگروت من مداخيلها السوسية، مما أدى إلى بروز الصراع بين الزاويتين وانقسام المريدين ومقدمي الزوايا بينهما (مقدمة تحقيق كتاب *الدرر المرصعة*، ص. 64) غير أن غالب هذه الزوايا الفرعية انضوت تحت نفوذ زاوية صنهاجة، قال محمد المختار السوسي عن الشرحبيلي وزاويته : "أقبل عليه السوسيون إقبالا عظيما حتى كانت يده لا يعلى عليها في الطريقة" ( *المعسول*، 18 : 245 ). فصار الشرحبيلي عند السوسيين، كما وصفه الحضيكي : "شيخ الطريقة الشاذلية ووارث الطريقة الصديقية العظمى وأسرار الطريقة الغازية. وكان رضي الله عنه من العلماء العاملين والأئمة الزاهدين المتقين وأولياء الله الصالحين المهتدين. فقصده الناس من كل وجه للتبرك وأخذ العلم والزيارة". (*طبقات الحضيكي*، ص. 167). وحاول الناصريون إقناع الشرحبيلي بالتنازل لهم فأبى.

قام الشرحبيلي برحلة واسعة في سوس. خرج من زاوية الرحمة والأمان يوم الخميس 18 رمضان 1141 / 17 أبريل 1729 قاصدا زيارة قبر الشيخ أحمد بن موسى السملالي في جمع من طلبته وأصحابه فصار : "يدرس فيهم ويرشد العامة ويصالح بين المتحاربين ويسعى في المصالح العامة، فأقام أسواقا، وفصل قضايا كثرت الحروب حواليها" ( *المعسول*، 18 : 245). وطاف في رحلته مناطق سوس المختلفة من مدينة تارودانت إلى جبال جزولة مرورا بأيت باعمران وتاغجيجت وأكلميم، وأسس خلال ذلك عدة زوايا تثبيتا لنفوذه بالمنطقة، منها زاوية المنابهة وزاوية هوارة وزاوية تارودانت كما أنشأ عدة أسواق منها خميس أيت بوبكر بأيت باعمران وجمعة تيمولاي بإفران وخميس تاغجيجت.

خلفت هذه الجولة الكبرى صيتا عظيما ونفوذا كبيرا لزاوية الرحمة والأمان، ويبرز وصف الحضيكي لأعمال الشيخ الشرحبيلي إبان جولته الكبرى رأي السوسيين فيه وإقبالهم العظيم عليه وانبهارهم بشخصه واهتمامهم بمكانته واعتقادهم الكبير فيه، حيث قال : "بنى مدارس وزوايا ورباطات، وأطعم الطعام، واشتهر بعناية الله وفضله، فقصده الناس من كل وجه للتبرك وأخذ العلم والزيارة. ولقيناه مرة تبركنا به، فرأينا بحمد الله لذلك بركة وقد انتفع به الناس، وعمت بركته العباد والبلاد، وأحيا الله به سنن الدين، وأمات البدع المضلة، وردع الظلمة والجبابرة وأنصف منهم، ويؤثر عنه بعض خواص أصحابه الفضلاء العلماء الثقات، كرامات ومكاشفات باهرة، وأسرارا عظيمة عجيبة، تدل على العناية الإلهية والخصوصية الربانية..." (*طبقات الحضيكي*، ص. 168).

ولم تكن شهرة شيخ زاوية الرحمة والأمان لتنتشر بهذه السرعة لولا أن مهد له تلامذته الطريق، فرفعوا قدره باعتباره صاحب شيخ الطريقة الناصرية زاوية أحمد بن ناصر الدرعي وأقرب المقربين إليه، وباعتباره أحد كبار مشايخ الطريقة ( *المعسول*، 6 : 298 ) بل تجاوزوا ذلك واعتبروه خليفة شيخ الناصرية، كأحمد بن إبراهيم الركني في بعض قصائده المديحية ( *المعسول*، 16 : 6 ) وإبراهيم بن محمد التاكوشتي الظريفي الذي قال في قصيدة مرحبا بشيخه الشرحبيلي لما زار سوس، مشيرا إلى مكانة زاوية الرحمة والأمان :

وهذا الخليفة الحسين له يد علىّ ولا تنسى لدي أو أُقبرا
يهذبني في كل وقت بعلمه بزاوية منها المعين تفجرا

استمرت جولة الشرحبيلي عشرة أشهر لم يلبث بعد نهايتها ووصوله إلى زاويته في الأربعاء الأولى من جمادى الثانية 1142 / 29 دجنبر 1729 بثمانية أيام أن توفي تاركا لزاوية الرحمة والأمان نفوذا واسعا وسط طلبة ومريدين كثيرين، ولا تسعف المصادر التاريخية في تحديد حال الزاوية بعد وفاة مؤسسها إذ إنه لم يترك أولادا ذكورا يحلّون محله، غير أنه يبدو أن الزاوية كانت مزدهرة في هذه المرحلة، ولا شك أن تلاميذ الشرحبيلي حافظوا على مكانتها، فصارت تجتذب إليها الطلبة والعلماء والمريدين. ومما يدل على ذلك ما أشار إليه عبد الرحمان الجشتيمي من أن والده عبد الله بن محمد الجشتيمي (ت. 1198 هـ) عزم على الاستقرار والسكنى بزاوية الرحمة والأمان وهجر بلده الذي لا يصلح برأيه للسكنى ( *الحضيكيون*، ص. 73). ثم تولى أمر الزاوية أسباطه الثلاثة من إحدى بناته وهم محمد - فتحا - ومحمد وأحمد وهم علماء كبار جالوا لأخذ العلوم في سوس عن تلاميذ جدهم وتلاميذهم كالحضيكي ورحل بعضهم إلى فاس وإلى المشرق حيث تتلمذ للزبيدي شارح *القاموس المحيط*، كما أن أحدهم كان ماهرا في علم التصريف منكبا على تدريسه، وقد استقروا بزاوية الرحمة والأمان وعكفوا على التدريس وعلى تلقين الورد الناصري لمن كان يفد عليها زائرا ضريح جدهم الشرحبيلي حتى وفاتهم ( *الحضيكيون*، ص. 53 ؛ *المعسول*، 9 : 281) بعد سنة 1214 ( *المعسول*، 16 : 247) وحافظ أبناؤهم من بعدهم على إشعاع الزاوية في العلوم والتصوف وإن بدا أن ذلك الإشعاع أخذ يخفت شيئا فشيئا.

ففي القرن الثالث عشر (19 م) كانت الزاوية مقصودة يؤمها المريدون لأخذ الورد الناصري والإذن بتلقينها كما فعل أحمد بن إبراهيم الإيلالني (ت. 1290) الذي نقل عنه قوله : "سافرت إلى ناحية إيزناكن بقصد التجارة... فلقيت فيها وليا من أولياء الله من ذرية الشيخ الرباني سيدي حسين الشرحبيلي، فأعطاني عصا وقال لي هذه نوبتك ترعى البقر، يعني الناس" ( *المعسول*، 9 : 281) ومن رجالات الأسرة المنتصبين بالزاوية خلال هذا القرن علي بن عبد الله بن أحمد ثم ابنه أحمد بن علي ثم حفيده حامد بن أحمد بن علي الآخذ من فاس وقد اشتهروا بالتدريس والقضاء والإفتاء. أما في القرن الرابع عشر (20 م) فهناك

علي بن أحمد بن علي (ت. نحو 1320 هـ) وابنه محمد تلميذ محمد بن عبد المالك اليزيدي والحاج أحمد الجشتيمي (ت. 1355 هـ) ثم الحسين بن محمد بن أحمد آخر علماء هذه الأسرة وكان كأسلافه مشتغلا بالإرشاد والإفتاء والقضاء والتعليم (*المعسول*، 18 : 247 ـ 249). ثم ضعف نفوذ زاوية الرحمة والأمان أخيراً فعادت زاوية تامكروت الناصرية لبسط نفوذها على مناطق إشعاعها في القرن الرابع عشر (20 م) مستعينة بظهائر سلطانية.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 6 ـ 8 ـ 9 ـ 13 ـ 16 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تح. م. الحبيب نوحي، د.د.ع، كلية الآداب ـ الرباط، 1998 ؛ م. الحضيكي، *طبقات الحضيكي*، تح.أحمد بومزكو، د.د.ع.، كلية الآداب، الرباط، 1994 ؛ *وثائق الأستاذ أحمد بوزيد* ؛ ع. الرحمن الجشتيمي، *الحضيكيون*، مخطوط.

المهدي السعيدي

ابن رَحْمون، أسرة شريفة ـ يتصل نسبها بالعلميين اليونسيين ـ ؛ قال في *الدرر البهية* : هم بالعَلَم ببوزيري وتازروت وتطوان وقبيلة رهونة وشفشاون وبأزمور وفاس، وهم أهل مروءة ظاهرة ودين متين، والذي من جبل العلم إلى فاس واستوطنها منهم هو الفقيه سيدي علي بن الحسن بن علي الحسني العلمي، وكذلك الفقيه التهامي بن المكي من عدول فاس المبرزين، أسندت إليه الحسبة فأباها... وقد وقفنا ـ يقول إدريس الفضيلي ـ على ما بأيديهم من الظهائر الملوكية من صنيع الدولة السعدية وهذه الدولة الشريفة العلوية تشهد لهم بجلالة القدر وعلو المكانة وشرف النسب وكرم الحسب.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، المحمدية، 1999، ج. 2 : 70 ـ 71 ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *كشف أسماء عائلات تطوان*، تطوان، 1999 والمراجع المذكورة هناك.

ابن رَحْمون، **إدريس** بن الطايع بن التهامي آتي الترجمة. ولد بفاس حوالي عام 1260 / 1844 ودرس على الشيوخ : محمد بن المدني گنون، والمهدي ابن الحاج وعبد السلام بوغالب والمهدي بن الطالب ابن سودة وغيرهم، ... حلاّه تليمذه عبد السلام ابن سودة في *سل النصال* بـ"العلامة المشارك العدل الموثق الخير الذاكر المتبتل" وله اتصال بما رواه جده الشيخ التهامي بن المكي ابن رحمون... وبذلك صار سنده عندنا أعلى سند بين الأشياخ".

اتصل به ابن سودة وقد قارب الثمانين، ومع ذلك بقيت ذاكرته سليمة، قال : وكنا نجتمع ونتذاكر معه ونستفيد منه، "فكان يستحضر المسائل ويذكر الحوادث التي مرت به في حياته استحضاراً تاماً".

توفي بفاس عام 1349 / 1930 ودفن بزاوية الشيخ قاسم ابن رحمون بحومة النجارين.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 2998.

ابن رَحْمون، **التهامي** بن **المكي** الحسني الفاسي، فقيه مشارك، وصوفي ناسك قال عنه في *إتحاف المطالع* : "له ولوع كبير بالتقييد والبحث والرواية والاتصال بالرجال". له مؤلفات عديدة، منها : *مجموعات إجازات أشياخه في مجلد* ؛ *والفتح الوهبي بمن أجاز الحاج الهاشمي الرتبي*، وهو أحد أشياخه (ت. 1240) ؛ *والدر والعقيان فيما قيدته من جهة التيجان*، اختصر فيه فهرس أبي القاسم الزياني.

وقد نسب سكيرج في كتابه *رفع النقاب* إلى التهامي ابن رحمون هذا وألّف هو أيضاً كتابين في أنساب الشرفاء: *شذور الذهب في خير نسب* ؛ *والأنجم الزاهرة في الذرية الطاهرة*. نبه على ذلك ابن سودة في كتابيه : *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، *وإتحاف المطالع*.

توفي التهامي ابن رحمون بفاس يوم الأربعاء سادس وعشري ذي القعدة عام 1263 / 3 نونبر 1846 ودفن بزاوية الشيخ قاسم ابن رحمون بحومة النجارين.

ابن رحمون التهامي، *مجموعة إجازات أشياخه مخطوط* ؛ أ. سكيرج، ط. 2، *رفع النقاب*، 1 : 254 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*، الدار البيضاء، 1960، 1 : 72 ؛ *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 : 2579.

محمد حجي

ابن رَحْمون، **عبد الرحمن** بن محمد بن عبد الرحمن المصمودي : من سكان مدينة سبتة وأعيانها، ومن علية أساتيذها والمتقدمين في العلوم بها في وقته. روى عن عالم سبتة أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهري (ت. 609) وأبي ذو الخشني، وأبي محمد بن حوط الله الأنصاري، وأخذ عن أبي الحسن ابن خروف النحوي كتاب سيبويه.

كان مشاركاً في فنون اللغة العربية، وعلم الكلام، والفقه وأصوله، وغير ذلك. وكان بجانب ذلك خطيبا مفوها. اشتغل بخطة التوثيق ببلده مدة، ثم تفرغ للتدريس بقية عمره. لقيه ابن الزبير الغرناطي صاحب صلة الصلة بسبتة، وأجازه المترجم كتابه. شارك ابن رحمون في الوفد الذي شكله سكان سبتة والذي توجه إلى الأمير ابن هود في فترة ضعف الدولة الموحدية التماسا لحماية مدينتهم وتوفي سنة 649 / 1251، عن 70 سنة.

أ. ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. ع. السلام الهراس وسعيد أعراب، الرباط، القسم الثالث، 1993، ص. 224 ـ 225 ؛ ع. الرحمن السيوطي، *بغية الوعاة*، تح. م. أبو الفضل إبراهيم، بيروت، 1964، ج. 2، ص. 86.

محمد المغراوي

ابن رَحْمون، **عبد السلام** بن **محمد التهامي الحسني** العلمي التطواني، الفقيه العلامة العدل الموثق السري الخير الفاضل، كانت له اليد الطولى في صناعة التوثيق وإتقان فقهه، تشهد له الصكوك الشرعية المتكاثرة بأيدي الناس، وشهادة تلميذه السكيرج الذي ترجم له وصرح بأنه أخذ عنه وعن ولده مولاي الصافي هذه الصناعة الفقهية، وهو أحد الوجوه النيرة من هذه الأسرة الشريفة النبيلة التي توارثت القضاء والفتيا والتوثيق بثغر تطوان عقوداً طويلة من الزمن، ومع هذا فلم يحدد تاريخ وفاته بَلْهَ ميلاده. قال الأستاذ داود : لعلها كانت أواخر هذا القرن (يعني الثاني عشر الهجري / السابع عشر الميلادي) وأشار الرهوني إلى أنها كانت بعد ألف ومائتين والله أعلم.

ع. السلام سكيرج، *نزهة الإخوان*، ص. 60، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، (6 : 25)، مخطوط ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 294، طبع تطوان.

ابن رَحْمون، **عبد السلام** بن **محمد الحسني** العلمي التطواني الفقيه الشريف العدل الموثق الفاضل الخير من أسرة آل ابن رحمون الحسنية العلمية الشهيرة وهي غير أسرة الرحمونيين العمرانية على خلاف في نسب هؤلاء.

عرف المترجم له وأخوه الفقيه العلامة المفتي محمد التهامي بن محمد ابن رحمون بتعاطي الشهادة والانتصاب لها من عام 1151 إلى عام 1170 ولا تحصى الرسوم العدلية التي تحمل شهادته.

توفي بتطوان بعد عام 1158 / 1745.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، (7 : 4).

محمد بوخبزة

ابن رَحْمون، **العياشي** بن علي شيخ الجماعة بقبيلة رهونة. انضمّ إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وحضر جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة. وفي المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 انتخب عضواً في المجلس الاستشاري للمقاومة ؛ وقد شارك في بعض المعارك إلى أن أصيب بجروح خطيرة منعته من المشاركة في المعارك. وتوفي بعد ذلك.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن رَحْمون، **قاسم** بن محمد الزرهوني الفاسي، لا علاقة له بالنسب العلمي، فالمصادر تذكر أن أصله من الرحامنة الذين استوطنوا واد السدر قرب وزان. وهو من أولياء فاس من فئة العامة بحكم احترافه للحياكة. أخذ الطريقة الوزانية عن الحاج الخياط الرقعي وعن الشيخ مولاي التهامي وعن الشيخ مولاي الطيب. ولعل انتسابه للزاوية الوزانية وتفانيه في خدمتها جعلا منه وليا مرموقا في مدينة فاس. قال عنه محمد القادري : "العارف الكبير، الشيخ الشهير، الولي الصالح الخطير، الكثير التلامذة والأتباع، الموصوف بالولاية والانتفاع". عينه الشيخ مولاي الطيب مقدما على أتباع فاس، بعد وفاة مالك بن عبد السلام المومناني السجلماسي المتوفى حوالي سنة 1140 / 1728، فهو بذلك ثالث مقدمي فرع الزاوية بفاس. توفي قاسم بن رحمون سنة 1149 / 1737 ودفن بداره بزقاق الحجر من عدوة القرويين. ويذكر القادري أن أصحابه اشتروا دارا أخرى مجاورة وجعلوها مقرا خاصا بأتباع فاس، عرفت بزاوية درب الحجر.

م. القادري، *نشر المثاني*، ج. 3، الرباط، 1982، ص. 389 ـ 392، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ م. الزبادي، *سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية*، مخ. رقم 12444، خ. س، الرباط، ص. 62 وما بعدها.

محمد عمراني

ابن رَحْمون، **محمد** بن **إدريس** بن الطايع بن التهامي الحسني العلمي التطواني. وأولاد ابن رحمون أشراف يونسيون من أبناء يونس بن أبي بكر، عم الشيخ عبد السلام بن مشيش، ويونس المذكور جد العلميين قاطبة كما حرره النقيب الوزير محمد بن الصادق ابن ريسون في كتابه *فتح العليم الخبير في تحرير النسب العلمي بأمر الأمير* يعني بالأمير السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

العلامة الفقيه الأديب المطلع القاضي النزيه الشريف، أخذ العلم عن والده وعن الشيخ مَحمد ـ فتحا ـ القادري، والشيخ أحمد بن الخياط الزكاري الحسني والشيخ عبد السلام الهواري، والشيخ التهامي گنون وغيرهم من علماء القرويين.

تولى القضاء بعدد من مدن المغرب وثغوره منها أسفي وطنجة، وعزل عنه بسبب موقفه الوطني من نفي الملك محمد الخامس رحمه الله، فقد كان يعارض ذلك، وهذا يعاكس سياسة صهره والد زوجته الوزير المقري الشهير، وبعد تأخيره عن القضاء ظل ساكنا بطنجة إلى أن توفي.

كان في قضائه وتصرفاته مثال النزاهة والجد، وكان له إسهام في الأدب يكتب نثراً فنياً جيداً رأيت منه صداق الأمير الحسن بن المهدي زوج الأميرة فاطمة الزهراء بنت السلطان مولاي عبد العزيز. وقد كان هو والأديب الشاعر الوزير محمد بن موسى وزير الأوقاف بالحكومة الخليفية بتطوان شاهدي العقد وهو من إنشاء المترجم له.

ذكره الأستاذ المؤرخ عبد السلام ابن سودة في فهرسة *سل النصال* وأثنى عليه وأشار إلى أنه كان يتصل به عند زيارته لبعض أقاربه ومعارفه بفاس فيستفيد منه وربما قيد عنه بعض ما يستغربه من فوائده قال : ولما اطلع على تأليفنا *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* احتفل به وبمجهوده وقال له : لقد أفدت المغاربة بما كانوا يجهلونه ورفعت المغرب مكانا عاليا.

توفي رحمه الله يوم السبت فاتح محرم الحرام خمسة وسبعين وثلاثمائة وألف موافق 20 غشت سنة 1955 ودفن بعد أن صلي عليه بالجامع الكبير بطنجة بإحدى زواياها.

موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ص 3302 ؛ *وفيات* 1375، نقلا عن *سل النصال*، مع إضافات شخصية ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال*.

ابن رَحْمون، **محمد التهامي** بن محمد بن أحمد الحسني العلمي اليونسي التطواني الفقيه العدل النسابة الشريف، أصل سلفه من قبيلة بني عروس الموطن الأول للأشراف العلميين ومنه تفرقوا في البلاد، ونزل جماعة منهم بتطوان اشتهروا بالتوثيق والشهادة، ومنهم المترجم له. ولاشك أنه قرأ ما يجب لمزاولة خطة العدالة من الفقه وغيره ولكننا لم نقف على شيء من دراسته وشيوخه، وكل ما عرفنا عن الرجل أنه من عدول تطوان. وقد وقفنا على عقود من تحريره وشهادته. كما أن شهرته جاءت من عنايته الفائقة بالأنساب الإدريسية عموما والعلمية خصوصا فألف أولا كتاب *شذور الذهب في خير نسب* عرض فيه فروع الأدارسة عموما والعلمية خصوصا وتتبع هذه بعناية مميزا الخلص منهم من الدخلاء. وفرغ من تأليفه في 19 رجب القرن عام 1121 / 1709 ومن الكتاب نسخ مخطوطة في مكاتب خاصة وبخزانة الرباط.

ثم ألف بعد ذلك *الأنجم الزاهرة في الذرية الطاهرة* مخطوط يوجد بكثرة وهو في خزانة الرباط 1484د وهو المشتهر بكناش *ابن رحمون* تناول فيه الأشراف عموماً وأعقاب الإمام محمد بن إدريس الثاني وخصوصاً العلميين، فقد كان له بهم مزيد معرفة وعناية لأنهم أهله ولأنهم متكاثرون منتشرون. فحاول حصر فروعهم ووضع لذلك مشجرات، وأشار إلى الدخلاء فيهم ولا شك أن من جاء بعده كالنقيب محمد بن الصادق الريسوني في ديوانه *فتح العليم الخبير بتحرير النسب العلمي بأمر الأمير* والنقيب السيد إدريس الفضيلي في *الدرر البهية والجواهر النبوية* المطبوع على الحجر بفاس استفاد منه لسبقه وعنايته. والجدير بالذكر أن الكتابين وقع فيهما تصرف بالزيادة والنقصان ولذلك اختلفت نسخهما واهتزت الثقة بمحتواهما، إلا أننا وقفنا بالخزانة الداودية بتطوان على كناش كبير بخط المترجم له كان عند النقيب الوزير السيد محمد بن المكي الريسوني ثم صار إلى الأستاذ داود يتضمن أقساماً من الكتابين وتقاييد ومشجرات ينتفع بها في إعادة النظر في الكتابين وإعدادهما للدراسة والنشر.

لم أقف على تاريخ وفاة المترجم له إلا أنها كانت بعد عام 1130 / 1718.

ع. السلام ابن سودة، دليل *مؤرخ المغرب الأقصى*، باب كتب الأنساب، ط. دار الفكر ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، (1 : 181) ط. الرباط.

ابن رَحْمون، **محمد الطيب** بن محمد الحسني العلمي قاضي تطوان. الفقيه العلامة المدرس العدل الناسك الراوية الحافظ. كان قاضياً بتطوان ما بين عام 1212 إلى شهر صفر عام 1225. وكانت توليته بإشارة النقيب الشريف محمد بن الصادق ابن ريسون، ثم أعفي منه في آخر عمره لكبر سنه. تعاطى التدريس، وممن أخذ عنه المؤرخ السكيرج فقد ذكر في ترجمته أنه قرأ عليه *تحفة ابن عاصم* كما وصفه بأنه كان يحفظ مختصر *خليل* عن ظهر قلب. وكان حسن العبارة لم يأت الزمان بمثله رحيما بالضعفاء والمساكين ذوي العيال. ووقع اضطراب في اسمه في الرسوم فسُمي في بعضها : الطيب وفي أخرى : محمد الطيب، وفي أخرى : محمد فقط، قال الأستاذ داود : ولعل الشخص واحد كما وقع خلاف في تاريخ وفاته فقد ذكر الفقيه الرهوني أنه توفي عام 1220، ولكنه في مختصر تاريخه *العمدة* يذكر أنه استمر قاضياً إلى عام 1225 كما سبق، وقال الأستاذ داود بأنه وجد في التقاييد أنه توفي في رمضان عام 1229، وفي تقييد آخر أنه توفي عام 1231، قال : ومن الممكن أنه كان بتطوان فقيه آخر يشاركه في الاسم والنسب، فليحقق.

(قلت) : أما الاضطراب في الاسم فلا أثر له وكثيراً ما يقع الاقتصار على بعض الاسم المركب اختصاراً كمحمد العربي ومحمد الأمين، ومحمد التهامي (ومن أقارب المترجم له : محمد التهامي ابن رحمون) ومحمد الطيب. وأما الخلاف في سنة الوفاة فلعل الصواب أنها كانت عام 1231 وهو أقصى ما قيل، وقد كان حيا عام 1229. وبعيد أن يكون هناك شخص آخر يشاركه في الاسم والنسب، ذلك لأنه لو كان - وهو من القضاة - لذكر ولو مرة، ولم نجد فيما وقفنا عليه من رسوم إلا المترجم له والله أعلم.

ع. السلام سكيرج، *نزهة الإخوان*، ص. 53، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، (6 : 24)، مخطوط ؛ *مختصر عمدة الراوين*، ص. 105، مخطوط ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، (3 : 174)، طبع تطوان ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 255 و302، طبع تطوان.

محمد بوخبزة

**رحموني، بوعلام** بن محمد مقاوم من مواليد 1903 ببني عتيق إقليم وجدة من والديه محمد بن موسى ورابحة بنت محمد. كان من الذين خرجوا إلى الشارع يوم 16 غشت 1953 للتعبير عن سخطهم واستنكارهم ضد السياسة الاستعمارية، خلال هذه الانتفاضة أبان عن غيرة وطنية صادقة إذ قام بعدة أعمال فدائية جليلة استهدفت مصالح المستعمر.

وواصل كفاحه البطولي هذا إلى أن اعتقلته الشرطة الاستعمارية ومارست عليه التعذيب والتنكيل فكان ذلك سبباً في وفاته في نفس يوم الانتفاضة، مفضلا الاستشهاد على البوح بأسرار رفاقه على درب الكفاح.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 524078.

**رخا** (أيت -) قبيلة تستوطن الكتلة الجبلية التي تفصل الحوض الأعلى لتازروالت وواد صياد بالجزء الغربي للأطلس الصغير، في مجال طبغرافي صعب الاختراق إلا عبر ممرات ومنافذ طبيعية. تحيط بها قبائل : أولاد جرار شمالا، الأخصاص غربا، إيمجاض شرقا، إفران جنوبا. وهي تابعة إداريا لعمالة إقليم تيزنيت، دائرة الاخصاص.

ترجع أقدم إشارة إلى قبيلة أيت رخا إلى القرن العاشر (16 م)، حيث صنفها صاحب *ديوان قبائل سوس* ضمن الفروع المشتركة في نازلة إفران...

ومما هو متداول محليا أن أصل ومدلول كلمة "رخا" تفيد سعة العيش وسهولة الأمر. ترد في سياق الروايات عن بداية التعمير أن المجموعات البشرية الأولى كانت تنتجع بقطعانها بين تاغلاست" و"أكني أو فرد" ثم إلى "تامگرت إرحالن"، وهو أحد الممرات المهمة بين إيفران جنوبا، ومرتفعات "أيت رخا" شمالا. ولا نعرف بالضبط متى استقر هؤلاء بالمجال الرخاوي الذي كان عبارة عن مراعي جبلية شبه فارغة، إلا أن الغالب على الظن أن العناصر الأولى قد هاجرت إلى المنطقة انطلاقا من الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير، واستقرت في النهاية في البقعة الجغرافية التي أصبحت تحمل نفس الاسم. فانضاف إليها في نهاية القرن الثاني عشر (18 م) أفواج من اليهود. ويبدو أن الجوار الجغرافي (إيفرن) والارتباط الاقتصادي هو الذي أملى هذا الحضور اليهودي المتميز. ومما يستشف من رسالة من المولى سليمان إلى أحد عماله بسوس، أن القبيلة كانت تحتضن عناصر يهودية، وفيها تعليمات إلى العامل المذكور لإرجاع هؤلاء إلى موطنهم الأصلي بإيفران. ولا يستبعد أن يكون هذا الإجراء محاولة لتجميع اليهود المشتتين بين القبائل عقب تمرد أبي حلايس (1206 / 1792).

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق وهي : إد علي أوبلا - أوتاتن - إدورحمان - إدحماد أوبراهيم. وأهم مراكزها الحالية : اثنين أيت رخا، سيدي عبد الله أوبلعيد وهما مقران لجماعتين قرويتين.

عرفت القبيلة عبر تاريخها تغيرات واضحة في امتدادها الجغرافي، ويفيدنا المختار السوسي أن تراب أيت رخا، خاصة الجزء الشرقي منه، يعتبر جزءاً من قبيلة إيمجاض في فترة من الفترات، بينما نجد الجزء الشمالي المحاذي لإغير ملولن تحت نفوذ قبيلة أولاد جرار. وفي بداية هذا القرن، أصبح جزء من تراب القبيلة تابعا لسلطة القائد المدني. إلا أنها استمرت محتفظة بالتوازن بينها وبين القبائل المجاورة، رغم ما ينتاب هذه العلاقات من صراع مستمر.

يعتبر آل بوطعام من الأسر الرخاوية التي تركت بصماتها في تاريخ القبيلة. فحسب ما تجمع لدينا من معلومات فإن الجد الأعلى للأسرة (أحمد بن يعقوب) هاجر من قبيلة "إداوبعقيل"، واستقر بـ "أغبالو نيفرات" قبل أن تقدم الأسرة على شراء أراضي "تامگرت ندمسعود"، التي أصبحت مركزاً لقبيلة أيت رخا قبل انتقاله إلى قرية "أوتاتن". ومازال أفراد الأسرة يعتبرون أن لهم علاقة قرابة بقبيلة إيداوبعقيل، ومازالت هذه الروابط قائمة حتى بعد الاستقرار بتراب أيت رخا. وهذا ما يستشف من الرسالة التي بعث بها أحمد بن مبارك إلى مبارك بن مسعود "بأسيف أودرار" : "وأن تعطوا له (حامل الرسالة) خبر بلدنا هل فيه فائدة، وهل كانت لنا عندكم في وادي الجبل شيء".

وكانت الأسرة تعرف بآل ككوس، ويبدو أنها حازت شهرتها من خلال ما تقوم به من أعمال الزراعة وتربية الماشية، مما يسمح لها بالادخار في سنوات القحط. وكان أفرادها يكرمون الوافد ويقومون بضيافة عابري السبيل. وأصبحت هذه الخصلة تلازم بيتهم، لهذا سموا بآل بوطعام. ومن الشخصيات التي لها نفوذ داخل القبيلة قبل أسرة آل بوطعام، نجد : يحيى نبودغار أمغار، محمد بن عمر أفولوس، محمد أنفال الرخاوي الذي كان يستقر بقرية بوالوس. ولاشك أن صعود نجم الأسرة يرجع بالأساس إلى رجاحة عقل مبارك بن ككوس (1847 - 1947)، وكثرة كرمه. وبهذه الميزة كان يحل كثيراً من الأمور "منها إشرافه على عمليات إصلاح ذات البين بين السملاليين والإيغشاليين". وعلى إثر رحلة السلطان الحسن الأول إلى منطقة سوس (1882)، تمت تزكيته على رأس قبيلة أيت رخا بتعيينه قائداً عليها. وأصبح منذ ذلك الحين أكثر اندماجا في سلك الخدمة المخزنية، من خلال الأعمال التي كان يقوم بها، والتي أثارت استحسان الجميع.

لقد ترتب عن حالة عدم الاستقرار التي تلت وفاة السلطان الحسن الأول، أن أصبح مقر القيادة (تامگرت ندمسعود) مستهدفا من معارضيه عدة مرات. وانعكست هذه الوضعية على مصير القبيلة، حيث توالت أحداث

خطيرة بترابها. ولعب في إطارها بلقاسم العاود ومحمد أنفال وعمر لشكر دوراً مهماً، وهم من الشخصيات المنافسة لآل بوطعام مما حدا بالقائد مبارك إلى الفرار إلى "أغبالو يفرن" لكنه سرعان ما استرجع منصبه ومكانته ضمن إخوانه الرخاويين.

تطورت الأمور بشكل خطير بوصول الكَيلولي إلى المنطقة، بعدما كان منهمكا في عمليات حربية بالسهل، حيث انحاز إلى قبيلة إيمجاض في صراعه مع أيت رخا. وبإيعاز منه خضع جزء من تراب القبيلة للقائد المدني الأخصاصي لاعتبارات ترتبط بالرغبة في إضعاف القائد بوهيا الأخصاصي الذي احتمى بدحمان بن بيروك. ولم يقف القائد المدني عند هذا الحد، وإنما فرض حربا بمعية حلفائه من أيت بعمران وإيمجاض على قبيلة أيت رخا متهما زعيمها مبارك بوطعام بموالاة القائد عياد الجراري المتعامل آنذاك مع الفرنسيين. إلا أن القبائل المتحالفة لم تحقق رغبتها ومسعاها لإضعاف آل بوالطعام، لما أقدمت قبيلة إيمجاض على تجميد دعمها للقائد المدني. وهذا ما فتح باب الهجومات الانتقامية بين الجانبين من حين لآخر.

ويستشف مما أورده المختار السوسي على لسان الناجم الأخصاصي، أن القائد مبارك بوالطعام استطاع الحفاظ على وضعيته وهيبته في سياق التطورات السريعة التي شهدتها منطقة سوس عقب نكسة سيدي بوعثمان. ويبدو أن القائد المذكور وغريمه المدني الاخصاصي نسيا خلافاتهما وتحالفا على الجهاد ضمن حركة أحمد الهيبة. ويعتبر زحف حيدة ابن مّايس (1916) أكبر تحد تعرضت له المنطقة، وكان يدرك أهمية موقع أيت رخا الجغرافي الفاصل بين قبيلة الأخصاص وحيوية زعيمها المدني وقبيلة إيمجاض بثقلها البشري. وقد أدرك القائد بوالطعام أهمية موالاة حيدة "فجاء إليه فصالحه عن قبيلته تم توسط زيادة على ذلك في أمر المدني... كل ذلك افتياتا من غير مشاورة لأحد" وهذا الموقف جلب له غضب إيمجاض.

وخلال أطوار الصراع بين القوات الفرنسية ومقاومة الأطلس الصغير، يظهر أن قبيلة أيت رخا أبدت دعمها لزعيم المقاومة آنذاك الشيخ مربيه ربه، لا سيما وأن الشيخ بوالطعام كان من الشخصيات التي تستشار في تلك الناحية. وكانت أسرته سباقة - لفترة غير يسيرة - إلى احتضان بعض رموز عائلة ماء العينين، خاصة الشيخ النعمة بعد خروجه من ويجان (1916)، رفقة والدته الشيخة العالمة لَلاَّ التّاحة وابنتها الشيخة يُحَانذُو. وظلت هذه العلاقة مستمرة حتى بعد وفاة الشيخ النعمة، مع أخيه محمد بن عبد العزيز المعروف بمحمد الإمام. وقد حظي هؤلاء بمكانة متميزة لدى القائد مبارك وابنه الفقيه أحمد. وكانت القبيلة تدفع لهم أعشارها وزكواتها.

وعندما تمكنت القوات الفرنسية من فرض حصارها المتعدد الأشكال على منافذ الأطلس الصغير، وبالتالي اقتحام معاقل المقاومة، تنازل القائد مبارك عن زعامة القبيلة لابنه أحمد (1884 - 1965) الذي كان العضد الأيمن لوالده في الأمور التنظيمية لقبيلته، رغم انشغالاته العلمية كفقيه بمسجد أوتاتن.


إ. الحساني، *ديوان قبائل سوس*، مخطوط ؛ أ. بن مبارك بوالطعام الرخاوي، *كناشة*، وثائق أسرة أيت بوالطعام ؛ المختار السوسي، *إيليغ قديماً وحديثاً*، الرباط، 1966 ؛ *المعسول*، الأجزاء، 4 - 5 - 19 - 20.

A. Le Chatelier, *Tribus du sud ouest marocain*, Paris, 1891 ; L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au 16° siècle*, *A. M.*, vol. XXIX, 1933 ; R. Montagne, *Les berbéres et le Makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1930 ; I. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939.


أحمد بومزگو

**الرخا** (باب -) بمراكش، يقع شمال الواجهة الغربية من السور ويعتبر آخر باب فيه يحده من الجنوب باب دكالة (*Masalik*, 189) ويدخل في لائحة الأبواب التي عفّى عليها الزمن ولا توجد منه حالياً أية بقايا أو رسوم.

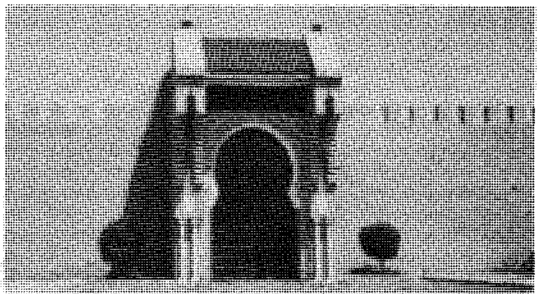

موقع باب الرخا القديم
ويسمى الباب الحديث المقام مكانه اليوم "باب الرخام"

وحسبما يبدو فإن باب الرخا ظل موجوداً إلى عهد السعديين على الأقل حيث وردت الإشارة إلى حومة باب الرخا في نص وثيقة تحبيس لنسخة من كتاب *المنتقى المقصور* لابن القاضي على خزانة جامع باب دكالة (*Marrakech*, 1 : 122).

وقد اجتهد دومومبين Demombynes في محاولة تحديد الموقع المناسب لباب الرخا في الخريطة التي وضعها لمراكش من خلال كتاب *مسالك الأبصار* حيث جعله بين باب دكالة والنهاية الشمالية لواجهة السور الغربية، وهو اقتراح مقبول يساير محتوى ترتيب العمري لأبواب المدينة ويدعمه قرب الموقع من ضريح أحمد الصلحاء يسمى سيد مسعود ويلقب بـ "مول باب الرخا".


Gaudefroy - Demombynes, *Masalik el-absar*, Paris, 1927 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, 2 tomes, Rabat, 1959 - 1966.


محمد رابطة الدين

**الرُّخام**، هو مبدئيا الصخور الكاربوناتية المتحولة،

لا غير. لكن تعوّد الصناع إطلاق صفة الرخام على كل صخر يستعمل في الزينة له صقيل جيد وجميل. لذا أصبح من المتداول إطلاق هذه التسمية على الجزع، وأنواع الگرانيت (الأعبل)، والأكلاس والأكلاس الغنية بالمستحاثات. وقد ابتدعت لها بالإضافة أسماء تجارية.

بالمغرب، هناك أنواع مختلفة من الرخام قيد الاستغلال، أكثرها شهرة كلس لخصاص الأبيض (ناحية تزنيت)، جزع ورزازات، الرخام الرمادي بواد إيكم أو واد الشراط، الكلس الوردي بالبليدة وواد عكراش، گرانيت تافراوت والكلس المستحاثاتي لأرفود وتازارين.

تعود أهم استعمالات الرخام إلى تزيين واجهات المنازل ورحابها الداخلية.

يصعب التأكد من حجم سوق الرخام، ذلك أن الاستغلال يخضع لنظام المقالع أي أنه يتم بالمناقصات. وعلى أساس هذا التحفظ، يمكن تقدير الاستهلاك الداخلي بحوالي 200.000 متر مربع تقريبا.

عدي عزّي

** بالنسبة لعلم وصف الصخور، لا ينعت باسم الرخام إلا الأحجار الناتجة عن تحول صخور الكلس أو الدولومي ؛ إما عن طريق التحول الشامل أو التحول التماسي. ويكون هذا الرخام إما أبيض ذا بلورات كبيرة متداخلة مع الكلست عندما تكون الصخرة الأم كلساً خالصاً ؛ وإما يتبلور ثانية على شكل بلورات أكبر عند حصول تحول ذي درجة أدنى، وبتصاعد التحول نحصل على عملية نزع الدولوميت مع ظهور بلورات أخرى كالكست، وأوكسيد المنغسيوم والبروسيت.

أما صخور الكلس والدولومي المشوبة، فتعطينا رخاما مختلف الأنواع والألوان (كالكلس الانقشاري) غالبا ما تكون معرفة (هنا تنتمي العروق إلى آفاق قديمة غنية بالطين وبالأوكسيدات المعدنية. وعندما تتعرض هذه الصخور نفسها إلى التحول التماسي مع التحول الاستعاضي (الاستبدال المعدني)، فتصبح غنية بالبلّورات (رخام بلوري) وتعطينا في آخر المطاف ما يسمى باسكارن.

بالنسبة لمستعملي أحجار الزينة (المهندسين المعماريين وغيرهم) فيسمون "رخاما" كل الأحجار القابلة للصقل والصالحة للاستعمال في الزخرفة والتزويق كالكرانيت، والبزالت، والدوليريت والغنايس، والنضيد، والحصب، والكورتزيت، والكلس والدولوميت.

ولا شك أن المنظر الجميل، ونبل مادة الرخام، كانا السبب الرئيسي في استعمالاته المتعددة منذ الأزمنة البعيدة ؛ بحيث نحت الإغريق منه تماثيل كثيرة ومتنوعة، وتيجانا عمودية، ونُصبا ومباني يتجاوز عمرها الأربعين قرنا. وهي رغم قدمها، مازالت منتصبة، تنال أكثر فأكثر إعجاب المشاهد في أيامنا هذه. فالفرس والرومان وحضارات أخرى ضاربة في القدم عاشت في حوض البحر المتوسط كالحضارة المصرية والإغريقية، شيدوا من الرخام معالم حضارية كالقصور والتماثيل والبنايات ؛ مازالت شواهد فنية رائعة. ويمكننا القول، وبدون أية مبالغة، إن الحضارة الإنسانية القديمة بنيت على معالم حضارية، استعملت فيها الحجارة الجميلة النبيلة (الأهرام بمصر، أمريكا الجنوبية، القصور والمعابد بالنسبة للإغريق، المدن الرومانية، المعابد والمساجد والكنائس).

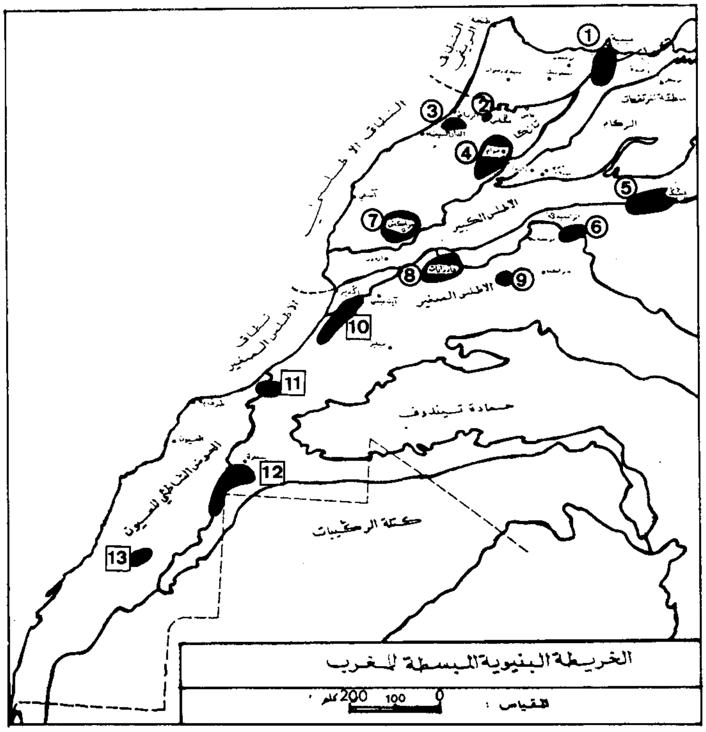


بدأ استعمال الرخام بالمغرب منذ الزمن العتيق، واستمر إلى زمننا هذا. فلا شك أن شالة، ووليلي، وحسان وغيرها من المعالم الحضارية المغربية تشهد بقدم استعمال هذه المادة الجميلة والنبيلة. ومنذ مطلع القرن العشرين، أصبحت صناعة الرخام بالمغرب منظمة ومزدهرة، حيث برزت كثير من الشركات تستغل الرخام بطريقة عصرية في مناطق عدة، نذكر منها هنا مقالع بوعسيلة (قرب أبي الجعد) ؛ واد يَكّم، واد الشراط، تيفلت، أگادير. ومن أهم البنايات المغربية التي استعملت فيها أنواع الرخام (بمعناه العام) نذكر على سبيل المثال فندق المنصور ومتجر مرجان بالرباط، مكاتب البريد بمدينتي الدار البيضاء والرباط ؛ وبنك المغرب والبنك المغربي للتجارة والصناعة بالدار البيضاء، وكثيراً من البنايات والمعالم العمومية والخصوصية بالمدن الكبرى.

ونشير إلى أن المغرب يحتوي على عشرات الأنواع من الرخام، تختلف عن بعضها بأشكالها وألوانها المتباينة. فهي تارة بيضاء بدون العروق الملونة أو معها، وأخرى ذات اللون

الأربد الصافي، الداكن أو البنفسجي ؛ ذات عروق بيضاء، وردية، أو حمراء مزركشة. وسنكتفي في هذا النص بذكر أهم مقالع الرخام بالمغرب.

المغرب الأوسط : تحتوي هذه المنطقة على تشكيلة جيولوجية تهيمن عليها على الخصوص، رواسب الأنظمة التابعة للكمبري، والديفوتي والكربوني، والميوسيني والعهد الرابع. وتحتوي هذه الأنظمة كلها على صخور مختلفة منها الكلسية، والدولومية، والانصهارية، وغيرها ؛ وكلها قابلة للاستعمال في صناعة الرخام. ومن أهم جهات هذه المنطقة :

أ ـ الجهة الجنوبية الشرقية للمغرب الأوسط التي تنفرد بالكثير من الصخور الكلسية المتحولة المنتسبة إلى الحقبة الكمبرية، منها :

ـ منطقة بوعسيلة المحتوية على طبقات كلسية مرمرية، ذات كنه أبيض لبني مع لمسات مطعمة بعروق حمراء مزركشة.

ـ منطقة سيدي بوعابد المحتوية على أهم مقلع للرخام، على بعد كيلومترين شرق سيدي بوعابد. ويتكون هذا المنجم من رخام أبيض مخطط، ذي عروق رمادية داكنة، أحيانا سوداء بنية أو خضراء. دائما في نفس الجهة شمال غرب سيدي لمين، توجد تركيبة من الأحجار الكلسية المرمرية البيضاء، الكثيرة التصدع، والمستعملة حاليا لإنتاج الحصب والحصى وذلك لكثرة تصدعها.

ب ـ الجهة الشمالية الغربية والشمالية : تحتوي هذه الأخيرة على مقالع بالغة الأهمية، متمركزة كلها في ناحية بنسليمان، واد الشراط، واد يكم، واد أبي رقراق، واد عكراش، تيفلت.

ـ مقلع بنسليمان، يمتاز بكونه ينتمي إلى الديفوني المتوسط الغني بأحجار الكلس الشهباء إلى شهباء لؤلئية، وأحيانا وردية أو سوداء، ذات بقايا حيوانية متحجرة، وهذا ما يعطيها قيمة متميزة من الناحية الجمالية.

ـ مقلع واد يكم، ينتمي إلى الحقبة الديفونية المتوسطة، المتوفرة على أحجار كلسية كثيفة النوع، تختلف ألوانها من الأشهب إلى الأشهب الداكن، وأحيانا الأسود، مع لحم من العروق البيضاء.

ـ ملتقى واد عكراش وواد أبي رقراق، شرق مدينة الرباط ؛ تظهر هنا مجموعة من الطبقات المنسوبة إلى الديفوني التحتي المتوسط المتوفرة على أحجار كلسية مخططة وأخرى كثيفة النوع. إنه "رخام ناشز"، لأن أحجار واد عكراش هي في الحقيقة دولوميتية ذات لون أشهب وردي، يشبه في هيئته شكل تحبب صخور الكرانيت.

ـ مقلع تيفلت، يحتضن هنا الديفوني التحتي أحجار الكلس المكتّل ذات لون أربد يميل أحيانا إلى البياض، وعروق رمادية دكناء أو بنية.

ـ مقلع جبل تباينوت، قرب قرية سيدي عمار ؛ نجد هنا ثلاث دكات صخرية من الكلس المكتل الأربد، المحتوي على الكثير من أحفور المديخ المطوقة لمجموعة كلسية عليا مؤربدة كذلك ؛ متلاحمة، رقيقة التحبب، بدون مستحثات ظاهرة. ويجب ألا ننسى أن هذه المنطقة تشتمل كذلك على صخور الترافرتين المنتسبة إلى العهد الميوسيني.

ـ منطقة القصيبة، قرب قصبة تادلة ؛ نجد هنا كتلاً من صخور الترافيرتين الممتدة من العصر البلييوسيني العلوي إلى العصر الرباعي الحديث.

ونشير إلى أن هذه المنطقة تنفرد بكونها تشتمل على كتل من الكرانيت الهرسيني من فصيلة الأعبل كلسي، قلوي، معظمها ذات انطباع اندساسي كما هو الشأن في منطقة المانت شمال مدينة خنيفرة ؛ ووالماس جنوب المنت ؛ وزعير جنوب مدينة الرماني. وتتكون هذه الصخور الكرانيتية من معادن الكوارتز، والفلدسبات البوتاسي (الأورتوز)، والفلدسبات الكلسي ـ صودية (بلا جيوكلاز) والبيوتيت والموسكوفيت ذات نسج مكتل وتحبب متوسط إلى غليظ. أما لون هذه الصخور الأغبلية فهو أبيض بالنسبة لوالماس وأربد بالنسبة للمانت وزعير.

الأطلس الصغير المتوسط : وجد الكثير من مقالع الرخام والصخور المستعملة في البناء، منها :

ـ الكلس المرمري المشرط الوردي والأبيض، في نجد تيشكا وتيزينتاست ؛

ـ كلس إدشفار، وامي موڤورن، وسيدي لاشمي، وتيوت وتزارين وامجوت نتيسليت (جنوب ورزازات) وأرفود ؛

ـ الكلس المسربن للنقوب ؛

ـ الجزع الكلسي لغرقة واگلموس.

أ ـ ناحية النقوب : تحتوي على تشكيلة تنتمي إلى ما قبل الكمبري الثاني التحتي، الشديد التحول بالتماس مع الكرانيت ذي اللون الوردي، المنتمي لما قبل الكمبري الثاني العلوي. وتتركب هذه الأحجار من التالك، والرخام المسربن (كلس مسربن) والرخام المغنيزي.

ب ـ ناحية واد امجوط ـ نتيسليت : توجد على بعد 25 كلم جنوب شرق ورزازات، قرب طريق ورزازات ـ زاگورة، حيث تظهر داخل تشكيلة تنتمي إلى ما قبل الكمبري، على نحو تطبقات من الكلس المتعدد الألوان (الأخضر، الأصفر، الأحمر، الأبيض، البني، الأربد، الخ...) ذات قيمة زخرفية كبيرة.

ت ـ جنوب أگادير، في ناحية إيمي موقورن، وسيدي لاشمي فنجد تشكيلة مهمة من طبقات الكلس ذات الألوان المختلفة (الأربد والوردي والأسود) المنتمية إلى الكمبري التحتي.

ث ـ ناحية تيزنيت : تظهر في أيد أشفر طبقة مهمة من الكلس تنتمي إلى حقبة الجيورجي الكثيرة المستحثات

والتي تعطيها قيمة تضاهي قيمة الأحجار الرخامية الحقيقية.

جـ ـ ناحية تازارين : تنتمي التشكيلات الكلسية لهذه الناحية إلى حقبتي السلوري والديفوني.

حـ ـ ناحية أرفود : نجد هنا تشكيلة تنتمي إلى العهد الديفوني، تحتوي على الكثير من المستحثات نذكر منها الرأسقدْميات (رأسيات الأرجل، رباعية الخياشم، الكليمينيات والغونيتيات) التي تميز حقبة الأمسي.

المغرب الشرقي، الأطلس المتوسط والريف : من أهم المقالع في هذه المناطق :

ـ الحجر الكلسي الوردي، والوردي الكامد لجبل زنگال ؛

ـ الكلس الأربد المائل للصفرة لإزفزافن ؛

ـ جزع منطقة سيدي محبور المتميز بحزم ذي لون أربد مصفر وأحيانا بني ؛

ـ كلس منطقة العباد فهو ذو مستحثات مستبدلة على آخرها بالكلست، وهذا ما يعطي لتلك الأحجار منظرا جميلا وجذابا ؛

ـ كلس جبل تستارت، ينفرد بتركيبته السرئية، والألوان البيضاء الأربدية، الشيء الذي يجعلها من بين الأحجار الكلسية ذات القيمة التجارية المهمة ؛

منطقة الجبيلات : لا تحتوي إلا على مقالع قليلة المردودية وصغيرة الحجم، منها :

ـ الكلس التحولي الديفوني الموجود قرب مدينة مراكش، ويتصف هذا النوع من الصخور بكونه مرتصا ذا لون مزركش ببقع سوداء ؛

ـ الكلس الإحيائي المنتمي إلى الفيزي العلوي ـ الناموري، الموجود في الجبيلات الوسطى، وبالأخص قرب سيدي بوعثمان (المقلع الاميريكاني) ؛

ـ الباتوليت الهرسيني : يكون هذا الكرانيت من معادن الكوارتز والفلدسبات البوتاسي، والبلاجيوكلاز، والبلق الأبيض والأسود ؛ ذو نسج مكتل وتحبب غليظ، ولون أربد. ويعتبر هذا الأخير أهم مصدر للأحجار الزينية والحصباء في المنطقة.

المناطق الصحراوية : توجد كثير من المقالع المهمة بالمناطق الصحراوية، منها :

ـ الرخام والكلس الانقشاري التحولي لما قبل الكمبري، ذو اللون الأبيض الأزرق ؛ الموجود بگلب زيزا في ناحية بوجدور ؛

ـ الكلس الشعابي للعوينات، المنسوب إلى الديفوني ؛

ـ الكلس ذو الأورتوسراس المنتمي للحقبة السلورية الموجود بجهة اسمارة والعيون ؛

ـ كرانيت أحمر بهيئة سماقانية لناحية تفاديتي، وكرانيت أحمر لناحية توسال ـ تلي (ناحية اسمارة) القابل لإعطاء فصيلة مطلوبة جداً من الأحجار الزينية ؛

ـ الكلس الكثير المدخات، الموجود ببير العايديات ؛

ـ الأحجار الكلسية والدولومية البيضاء للكمبري الموجود بناحية بوجدور.

مميزات رخام المغرب الكمية والكيفية : من بين الصخور الممكن استعمالها كرخام بمفهوم المهندس المعماري، نذكر هنا بتلخيص :

ـ كلس مرمري، كلس، ترافرتين، ديوريت، كرانيت (منت، زعير، والماس)، جزع كلسي، تكتيت (كلس قرني).

وإذا ما دققنا النظر في معطيات التحاليل الكيميائية، يمكننا أن نستنتج أن الأحجار الكلسية، والكلس المرمري، وترافرتين تحتوي على كمية عالية من الكالسيوم (ما بين 50،40 و55،10٪، وتصل أحيانا إلى 95٪) ومنخفض بالنسبة للمانيزيوم (ما بين 0 و4،7٪) والسليس (ما بين 0،9 و3،95٪) مما يجعل هذه الصخور سهلة الصقل. وقد أجريت عدة تجارب فيزيوكيميائية على جل أنواع الأحجار الجميلة القابلة للصقل، واستنتج من هذه العملية أن الصخور المدروسة :

ـ عالية الكثافة (أكثر من 2،25 طن في المتر المكعب) ؛

ـ أغلبها قليلة الاشتراب ؛

ـ قليلة المسام، إذا ما استثنينا صخور أترافرتين ؛

ـ أغلبها شديدة الصمود ضد التقلبات الجوية، باستثناء صخور اترافرتين ؛

ـ أكثرها تتراوح قدرتها على مقاومة الضغط تحت الجفاف ما بين 945 $da\ N/cm^2$، مما يجعلها تتبوأ مكانة مهمة جداً، مقارنة مع الأحجار المستعملة كرخام، المتعارف عليها على الصعيد العالمي. ونشير هنا إلى أن مقاومة وصمود الكرانيت يتعدى 1700 $da^N/cm^2$ ؛

ـ تمتاز بسهولة الصقل ؛

ـ استعمالاتها داخل وخارج البنايات الخاصة والعمومية (الواجهات، الاسوار والتظاليف) وأرصفة الطرق، وغيرها.

ورغم كثرة المقالع الكلسية والرخامية في المغرب فإنها مهددة بالانقراض أو بتشويه وتعرية أماكن استغلالها. ويبدو من الواضح أن نتجه حول استغلال الكرانيت، الذي يمثل كميات هائلة تتجاوز مئات المرات حجم أحجار الكلس والرخام المستعملة حاليا.

معادن :

ـ منطقة الريف الشرقي (جرف الخالدي، إزفزافن، جبل رنگال وسيدي محبور).

ـ الجهة الشمالية للمغرب الأوسط (تيفلت).

ـ الجهة الشمالية الغربية للمغرب الأوسط (بنسليمان، واد الشراط، واد يكم، واد بورقراق، وواد عكراش).

ـ الجهة الجنوبية الشرقية للمغرب الأوسط (بوعسيلة، سيدي بوعابد).

ـ المغرب الشرقي (جبل تاسنارت، وأولاد عوباد).

ـ منطقة الرشيدية (أرفود).
ـ منطقة مراكش (سيدي بوعثمان، دوار لمخاليف، مراكش گيليز).
ـ منطقة ورزازات (عفرة، أجلموس، أمجوط أنتسليت، ونقوب).
ـ شرق الأطلس الصغير (منطقة تزارين).
ـ منطقة أگادير ـ إفني (تيويت، إمي موقورن، سيدي لاشمي، يدشفار).
ـ منطقة طنطان (درعة السفلى).
ـ منطقة اسمارة بوكراع (العوينات، ترسال تلي، آشگاي لغشيوات، بير العايديات).
ـ ناحية بير انزران (منطقة گلب زيزا).

عبد الله بوصحابة

**الرُّخام** (مسجد -) بمكناس نعتت الرسوم الحبسية هذا المسجد تارة بمسجد الرخام، وتارة بمسجد القصبة السعيدة وأخرى بمسجد سيدي عبد الرحمان المجذوب كما في هذا النص : "حبس الشرفاء الأجلة... على مسجد القصبة السعيدة الهاشمية... بحضرة مكناسة... المعروف بمسجد الرخام والولي الصالح سيدي عبد الرحمان المجذوب جميع الربع من كافة الأرض الكائنة بولجة الزيتون..."

ومن المرجح أن هذا المسجد كان متعبدا خاصا بالمولى إسماعيل وحاشيته، فقد كان به ممر وخراجة يصلان بينه وبين قصر السلطان يخرج منهما هذا الأخير لأداء الصلوات الخمس. فقد بناه المولى إسماعيل على حد قول ابن زيدان (*المنزع اللطيف*، ص. 300) "إعانة لأهل الدين على عباداتهم في أوقاتها المطلوبة ومنتفي عنهم كل مشقة وعذر يوجب التأخير وخصوصا حاشيته الملازمة لأداء الخمس مع السلطان في الحر والقر في هذا المسجد". وقد كان هذا المسجد آية في الضخامة والجمال لذلك أفاض المؤرخون في وصفه، من ذلك : "مسجد الرخام الفاخر ذو البلاطات المتسعة الأكناف والأعمدة الرخامية المائلة البديعة النقش والاتساق... وبالجهة الغربية منه القبة المربعة الشكل العجيبة الصنع، ذات الخصة الرخامية المتدفقة المياه اللجينية العديمة النظير... وبالجهة الغربية منها المرحاض المزخرف الأنيق البهيج يتوسطه صهريج مستطيل من ألطف ما يرى الراؤون" (*المنزع اللطيف*، ص. 300).

وقد طال التخريب هذا المسجد ـ كغيره من الآثار الإسماعيلية ـ وطويت صحائف بهجته وتفرقت أعمدته الرخامية شذر مذر، وصار بعضه ممراً يدخل منه لضريح المولى إسماعيل وضريح سيدي عبد الرحمان المجذوب، وبعضه الآخر مقبرة.

*حوالة المساجد الكبرى*، ص. 14 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 1، ص. 128 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 300 ؛ رقية بلمقدم، *أوقاف مكناس*، ص. 213.

رقية بلمقدم

**الرَّخمة** أو النسر المصري كما هو شائع في المعاجم، وفصيحه رَخَمٌ ـ بدون تاء ـ طائر من النسور يأكل الجيف. يصنف إلى رتبة الجوارح أو الكواسر النهارية Falconiformes وفصيلة العقبان Accipitridae، يألف الصخور الجبلية. الرخمة اسمه الشائع في شمال إفريقيا ومصر والسودان والعراق وجزيرة العرب وشمال سوريا، وتسميه العامة في لبنان الشوحة والأنوق وبالعبرية راحام. ويحتمل أن الاسمين العربي والعبراني مشتقان من رحم ورخم وكلاهما يدلان على العطف والحنان الأبوي وهو من خصال هذا الطائر. ويقول المعلوف أن الرخمة سميت بذلك للونها تشبيها بالشاة ابيض رأسها وعنقها واسود سائرها. يدعى علميا Neophron pecnopterus وبالفرنسية Percnoptère d'Egypte و Vautour percnoptère وبالانجليزية Egyptian vulture وبالإسبانية Alimoche وبالإيطالية Capovaccaio.

الرخمة

طائر أبقع يشبه النسر في شكله أصلع الرأس أصفره، المنقار طويل مصفر وقوي يساعد على أكل الجيف. يتميز بريش أبيض رخامي ملطخ وأسود على مؤخرة الجناحين عند الكبار ويضرب لون ريشه إلى البني عند الأفراد الغير البالغين. الذيل أبيض مثلث الشكل وطويل، الإناث شبيهة بالذكور ؛ يبلغ طول الجسم 56 ـ 66 سم. يعيش منعزلا أو مزدوجا ونادرا وسط مجموعات قليلة الأفراد.

تشتو عدة مجموعات من شتنبر إلى فبراير في مختلف المناطق المغربية ـ سهول وجبال الريف والأطلس المتوسط والكبير وسهول الغرب والمناطق الصحراوية الجافة. يتوالد في المغرب منذ مارس إلى غاية شهر مايو. ينصب الزوجان العش بين أطراف الجبال الشاهقة وبين صخور الجرف الصعبة المنال ونادرا على الأشجار، ويتكون من الأغصان ومن قطع مختلفة. تبيض الإناث عادة بيضتين ونادرا بيضة أو ثلاث بيضات بيضوية الشكل سمراء مبيضة إلى مزركشة أو منقطة وكبيرة نسبيا، يبلغ طول قطريها 50.5 × 63 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 42 يوما. تبقى الصغار بداخل العش حوالي 12 أسبوعا قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا وتصير بالغة بعد 5 سنوات.

يتغذى من الجيف وبقايا جثث الغنم والمعز والغزلان والأرانب وغيرها ومن الحشرات وبعض الزواحف (العضاءة) ولا يصاد. يعيش في مختلف المناطق المغربية بكثافة ضعيفة جدا تنحصر بين 500 ـ 1000 زوجة كلها مهاجرة وتتوالد في المغرب في كل من تازكا والهضاب العليا والسهول الساحلية الشرقية الشمالية ومناطق ملوية العليا وقمم الجبال بضواحي فگيگ وسفوح وادي الشراط وسهول الغرب والشاوية ودكالة وعبدة والشياظمة والأطلس المتوسط والكبير والهضاب الوسطى وتافلالت وأوكنات وساغرو وفي مختلف مناطق الأطلس الصغير والساقية الحمراء وتكنة. يبدو أن كثافة هذا الطائر تقلصت كثيرا في مناطق الأطلس الكبير خلال النصف الأخير من هذا القرن. ويعيش أيضا في إسبانيا والبرتغال وإيطاليا وجنوب فرنسا وتونس والجزائر وليبيا ومصر وسوريا ولبنان وتركيا والعراق والجزيرة العربية والهند وإفريقيا الوسطى. معظم المجموعات التي تعيش في المغرب تهاجر إلى أوروبا في بداية الربيع لتتوالد منذ أواخر مارس إلى غاية شهر مايو. يقدر عدد الأفراد المهاجرة عبر مضيق جبل طارق بين 3000. 5000.


م. رمضاني، *بولحية*، *معلمة المغرب*، الجزء 6، ص. 1845 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

P. Bergier, *Les falconiformes marocains. statut, répartition et écologie. Annales CEEP (ex. CROP)* n°3, 1987, 160 p. ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*. Paris, 1977, 430 p.


**الرخويات** من الحيوانات البحرية اللافقرية تتميز بجسم لين رخو غير متفصص تغطيه صدفة كلسية (الحلزون والمحار وبلح البحر) أو قرنية باطنية (الحبار) أو بدون غشاء كالبزاق والأخطبوط. وهي حيوانات متعددة

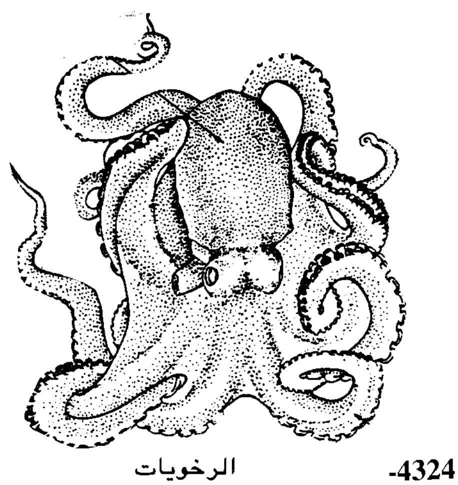

الرخويات

الأنواع (حوالي 80.000 في العالم) منها البرية والبحرية وتشتمل على 7 طوائف : رأسيات القوائم أو الصدرأسيات Cephalopoda كالأخطبوط الممثل بثمانية أنواع في المياه المغربية والحبار والسبيدج، وصفيحيات الخياشيم أو ثنائيات الصدف Bivalvia كبلح البحر والمحار ومعديات القوائم Gasteropoda كالحلزون والبزاق وزروقيات القوائم (الإسكافيات) Scaphopoda والرخويات الحلبية. بنية الجسم متوحدة على العموم بين الأنواع.

والرخويات رأسيات القوائم Cephalopoda حيوانات بحرية تعيش في الأعماق الرملية ومنها الحبار والسبيدج والأخطبوط أو على سطح الماء يقودها التيار كما هو الشأن بالنسبة للعنقريط. عوضت قوائمها بزوائد متفاوتة الطول تقع حول الفم ومنها المجسات خالية من المحاجم ومنها الأذرع وعددها ثمانية أو عشرة تتوفر على محاجم. يقع الفم تحت المجسات ويتوفر على فكين صلبين مقرنين وعلى لسان صفيحي مقرن ومكسو بأسنان صغيرة يسحق بها المأكولات. تلك الأنواع غدة السواد تفرز مادة سوداء كالمداد تُقذفه حولها لتحجب عن أعدائها. الجذع أو المعطف عبارة عن كيس يضم الأعضاء الحيوية والقمع يستحمل للتنقلات، فمن خلاله يقذف الماء بعد أن ينفذ إلى التجويفة التنفسية وذلك بفضل تقلصات المعطف العنيفة التي تترتب عنها دفعة دسرية في الاتجاه المعاكس وهكذا تسبح أنواع رأسيات القوائم بحركات متواصلة وسريعة بفضل الدفعات.

تلعب الرخويات رأسيات القوائم Cephalopoda دورا اقتصاديا هاما في قطاع الصيد البحري وتصاد بكميات وافرة بالأخص في السواحل الأطلسية جنوب المغرب. وحفاظا على صيانة المخزون السمكي للرخويات ارتأت وزارة الصيد البحري أن تطبق الراحة البيولوجية خلال شهرين (أكتوبر ـ نونبر) من كل سنة تمنع البواخر والمراكب التقليدية من الصيد حتى تتمكن هذه الحيوانات من التكاثر. يوضح الجدول التالي الكمية المصطادة لمجموع أنواع الرخويات خلال السنوات الأخيرة :

| السنة | 1994 | 1995 | 1996 | 1997 | 1998 | 1999 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| كمية الصيد الطن الرخويات | 10.819 | 11.988 | 15.658 | 18.596 | 24.359 | 35.925 |


محمد منيوي، *أخطبوط*، *معلمة المغرب*، ج. 1، ص. 205 ـ 206 ؛ *الحبار والحبارة*، *معلمة المغرب*، ج. 5، ص. 3305 ـ 3306.

Ministère des Pêches Maritimes, *La mer en chiffre*, 1999, 57 p.


محمد رمضاني

**الردادة**، هم أعضاء جوق الملحون الذين يعيدون إنشاد المقاطع الأخيرة من أشطار القصيدة بعداً دائماً من

طرف المنشد المنفرد، ويرددون الحربة بين أقسام القصيدة وعند نهايتها في الفصل المعروف بالدريدكة.

ويلعب الردادة دوراً أساسياً في أداء القصيدة، فهم - إلى جانب اضطلاعهم بضبط الميزان ومنح المنشد المنفرد فرصا لالتقاط أنفاسه - يُضفون على الأداء أجواء الحيوية والتدفق بفعل الحوار الذي يتم بينهم وبين المنشد، ولذلك فهم عمدة أشياخ الكَريحة الذين يتحرون في اختيارهم من بين أجود الحفاظ.

عبد الرحمن الملحوني، *الشعر الوطني في الأدب الشعبي المغربي الملحون - الجفريات نموذجا* -، دراسة ونصوص. القسم الأول، ص. 30.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**رُدِيـِّيس**، أو الرّوديّاس أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rodiles ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1184 / 1771.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 712.

محمد ابن عزوز حكيم

وهناك أولاد الروديّاس الرباطيون اشتهر منهم في الحركة الوطنية : - الروديّاس، إدريس.

**الرزة** أو العمامة، كان اللباس البلدي الأصيل بالمغرب قبل انتشار اللباس الرومي العصري الدخيل في المغرب ابتداء من 1912 يتألف في مظهره الخارجي من ثلاثة عناصر رئيسية : الرزة غطاء للرأس والجلباب رداء الجسم والبلغة حذاء للقدمين، وبسقوط أحد هذه العناصر كان اللباس يعتبر ناقصا والهندام غير كامل طبقا للعوائد والقواعد المتداولة في البلاد.

واعتبارا لما جرت عليه الأعراف والتقاليد المغربية في أساليب الارتداء، فإنه لم يكن بوسع أي شخص سما شأنه أو دنا أن يغادر بيته دون جلباب ورزّة، إذ كان كشف الرأس أمراً غير مقبول ولا معقول إلاّ للبهاليل. أما الأطفال فلم يكن يسمح لهم على العكس بتغطية الرأس بالرزة ما لم يبلغوا سن الرشد. وفي هذا الصدد يقول المثل الشعبي المغربي : "الرزّة بلا لحية من قلة الحيا" مما يعني بالضرورة والإجبار أن كل شخص ذكر بالغ ذي لحية وشارب لا يسمح له بترك رأسه حاسرا وإلا اعتبر "عديم الوقار وساقط المروءة وتاركا للآداب". وقد ذكر ابن رشد أن زمرة من الفقهاء ترى أن الصلاة بدون عمامة منهي عنها وإمامة الناس بدونها لا تجوز( *البيان والتحصيل*، الجزء الأول. ص. 335). وعليه فإن التخلي عن الرزة لم يكن أمرا مستساغا إلا داخل البيت وأثناء النوم وفي مناسك الحج. وبذلك فقد كان قص شعر اللحية وكشف الرأس يعتبر إهانة. فكان المخزن إذا أراد تمريغ شرف مذنب أو مقترف خطيئة قصوى والمبالغة في إذلاله طاف به الأحياء وعرضه في الساحات العمومية حاسر الرأس حليق الذقن والشارب.

والرزة قطعة ثوب على شكل شريط مستطيل من صوف أو قطن أو كتان أو طلس أو حرير تختلف جودتها ودقة صنعها وطريقة لفها على الرأس باختلاف المناسبات والمكانة الاجتماعية والمهام والمناطق الجغرافية. وكان المغاربة يتساوون كلهم في ارتدائها موسرين ومعسرين مع اختلافات واضحة بين الفئات. فكان المعسرون يقتصرون على اقتناء أصغرها حجما مما يكفي للف الرأس مرتين أو ثلاثاً على الأقل، أما الموسرون فكانوا يتخذونها من أحجام كبيرة بعضها يحيط بالرأس أكثر من عشر مرات.

وتدل الرزة في المغرب على العمامة غطاء الرأس السائد الاستعمال عند العرب منذ ما قبل الإسلام. وقد انتشرت على نطاق واسع في بلدان شمال إفريقيا مع الفتوحات الإسلامية (إبراهيم حركات، *السياسة والمجتمع في العصر الأموي*، ص. 243، الدار البيضاء، 1990). وهي لفظة تنطق بالراء والزاي المفتوحتين المشددتين وتجمع على رُزز ورَزّات بضم الراء وفتحها. إلا أن فعل رزّ ومصدره رزّة لا علاقة له بغطاء الرأس في المعاجم العربية. وقد حاولنا البحث عن أصل كلمة الرزة التي ساد استعمالها في سائر أرجاء المغرب حتى كادت أن تقصي إقصاء كليا لفظة العمامة في التداول فلم نجد لأصلها أثرا في اللغة العربية، وبذلك نرجح أنها من جذع أمازيغي إذ مازالت الكلمة الأمازيغية مستعملة في العديد من الجهات كما هي تماماً أو تنطق بالتاء المبسوطة ولا ندري هل اقتبس الأمازيغية السكان اسمها من اسم حشرة الزنبور الذي يبدو وكأنه يحمل عمامة على رأسه ومازال اسمه معروفا في سائر حواضر

عبدة ودكالة وحاحا والشياظمة وسوس وبواديها بأصله الأمازيغي حيث يدعى أرزوزي وبورزة وبورزيزة.

وتسمى الرزة أيضا العمامة والعصابة والشد والشان ولونها السائد هو الأبيض. لكن الشد يكون أصفر والشان أسود. ويستعمل الأول منها في منطقة جبالة وجبال الريف والشمال الشرقي من المغرب ومنطقة سوس. أما الشان فيسود في التخوم الصحراوية ويستعمل في أحيان كثيرة لتغطية الرأس والوجه والحنك والعنق كما يسدل على الكتف عند اشتداد الحرارة. وكان أحسن هذه الأنواع من الرزات في الحواضر المغربية حيث تسود الأذواق اللباسية الراقية هو "رزة القالب" وهي من نسيج ناعم أبيض زاه وكانت تلف لفا محكما وتطوى وتثنى ثنيا أنيقا حول طربوش ملبد أحمر يتكلف بإحكام تصفيفها وترتيبها حلاق الحي (الحجام) الذي كان من أهم اختصاصاته في المغرب زيادة على حلق الرؤوس وتشذيب اللحى ختان الأطفال وضرب العرق أي استخراج الدماء الفاسدة من الجسم وقلع الأضراس وأيضا ضرب الرزة على القالب أي إتقان طيها وليها. وقد استمرت الرزة غطاء الرأس السائد في البلاد إلى حدود بداية الأربعينيات حيث بدأت الطرابيش بجميع أشكالها تحل محلها وخاصة في الحواضر الكبرى وفي أوساط الشباب المنخرطين في الحركة الوطنية والداعين إلى تطوير الهندام التقليدي بما في ذلك غطاء الرأس فبدأت الرزة تزول تدريجيا من فوق الرؤوس وتوضع في متحف التاريخ.

م. فهد بدري، *العمامة*، مطبعة الحكومة، د. م 1968 ؛ م. رضا شرف الدين، *لباس الرأس في المغرب*. د. ت ود. م ؛ م. عنابي، *الشاشية التونسية*، مجلة الأمل الثقافي، دون عدد ولا مكان الطبع، أكتوبر 1970 ؛ م. ابن رشد، *البيان والتحصيل*، الجزء الأول، بيروت، 1988، تح. م. حجي وسعيد أعراب ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء 18، الدار البيضاء، 1960 ؛ م. السعيد الرجراجي، *الفقيه محمد بن أحمد العبدي الكانوني حياته وفكره ومؤلفاته*، مراكش 2000 ؛ شهاب الدين الهيثمي، *در الغمامة في در الطيلسان والعذبة والعمامة*، مخطوط، خ. ع. رقم 911 ؛ إ. كريدية، *الفقيه محمد الهسكوري سلفيا ووطنيا ورائداً للتعليم الوطني*، مراكش 2000 ؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد السلاويين*، الجزء الثاني، الرباط، 1991 ؛ إ. بن محمد العمراني، *تحفة الملك العزيز بمملكة باريز*، طنجة 1989، تقديم وتعليق زكي مبارك.

M. Chebel, *Le corps dans la tradition au Maghreb*, Paris, 1980 ; E. F. Gautier, *Mœurs et coutumes des musulmans*, Paris, 1931 ; L. Gentil, *Dans le bled Es Siba*, Paris, 1906 ; A. Benabdeljalil, *Le chant et la musique*, in *G.E.M. Civilisation Marocaine*, Casablanca, 1996 ; G. Babin, *Au Maroc par les camps et par les villes*, Paris, 1912 ; L. Brunot, *Textes arabes de Rabat*, Paris, 1931 ; G. Charmes, *Une ambassade au Maroc*, Paris, 1887 ; L. Arnaud, *Aux temps des mehallas*, Casablanca, 1952 ; P. Azan, *Souvenirs de Casablanca*, Paris, 1911.

محمد بوسلام

**رزُّوق، عبد الله** مقاوم من مواليد سنة 1903 بأيت النصر بتغزة من والديه بهي بن أحمد وفاطمة بنت إبراهيم. من الأوائل الذين انخرطوا في صفوف جيش التحرير بمنطقة أيت باعمران ضمن المقاطعة الثالثة عشرة تحت إمرة محمد بن المختار.

كان من المجاهدين المخلصين الذين ضحوا بالغالي والنفيس في سبيل الدفاع عن حوزة الوطن حيث شارك في عدة معارك منها بيجرفن، والدكنت، ومعارك العرگوب وغيرها حيث أبلى البلاء الحسن وتكبد فيها العدو خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد.

توفي يوم الثلاثاء 15 شعبان عام 1415 / 17 يناير 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**رزيمو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان سنة 1162 / 1749.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* ؛ *المراجع العربية والأجنبية* في الرقم 714.

محمد ابن عزوز حكيم

**رزين** (بنو –) إحدى قبائل غمارة وقد رجع منهم فريق إلى تطوان فكونوا عائلة نبيهة عريقة في المجد والغنى. وأول قاض عُرف اسمه تولى قضاء تطوان كان محمد الرزيني وصفه ابن القاضي بالفقيه النوازلي قاضي تطوان وذكر أنه توفي عام 930.

كان منهم أمراء بلاد السهلة بالأندلس، وفيهم وفرة وعدد، وبقي منهم الآن (أي سنة 712) بقية صالحة قاله صاحب *مفاخر البربر*.

**الرِّزيني**، أسرة مخزنية من البيوتات النبيهة والفاعلة في المجتمع خلال القرن الثالث عشر (19 م) وكذلك في العقود الأولى من القرن العشرين، وهي ذات جذور ممتدة في الزمن وثرواتها ووظائفها متوارثة جزئيا، وتم دعمها، وتوسيع حجمها، وتنميتها في ظروف مواتية ومناسبة.

تمثل أسرة الرزيني أحسن تمثيل فئة الخدام المخزنيين الذين تأهلوا للخدمة بتعاطيهم التجارة مع الخارج، وورثوا خبرة وتجربة وممارسة نمتها عائلاتهم في هذا الميدان. وسنحاول إبراز الدور الذي تسنى لبعض أبنائها الاضطلاع به، إن على مستوى بلدهم تطوان أو على مستوى المخزن المركزي.

ولكن، قبل هذا وذاك، من هم ياترى، آل الرزيني ؟

لا أحد، فيما نعلم، من الإخباريين المغاربة اهتم

بتفسير سبب حملهم هذه التسمية، ولكنهم يشيرون إلى نسبهم الأندلسي. فالفقيه أحمد بن محمد الرهوني مثلاً، والذي كان من الممكن أن يفيدنا في هذا الصدد، لو لفت انتباهه هذا الأمر، رغم ما ضمن مؤلفه : *"عمدة الراوين في تاريخ تطاوين"*، من معلومات طريفة وموضوعات مفيدة، لم يتساءل قط عن سبب تسميتهم بهذه الكنية. وأياً كان الأمر، فقد أثبت في قائمة القضاة الذين تعاقبوا على منصب القضاء في مدينة تطوان، ما بين سنة 888 / 1483. 1484 وسنة 1356 / 1937 . 1938، اسم شخص قد يكون من أجدادهم الأولين الذين ولاشك أنهم استوطنوا هذه البلدة، غداة سقوط مملكة غرناطة سنة 1492، في يد الغلاة المسيحيين بزعامة الملكين فرديناندو الأركوني وإيزا بلاً القشتالية، ويتعلق الأمر بالقاضي محمد الرزيني الذي كان يزاول مهامه في حدود سنة 930 / 1523 . 1524.

على أنه قد يكون لاسمهم العائلي هذا علاقة بمدلوله اللغوي، إذ تردُ مادة "رَزَنَ"، أو "رزانة" مثلا في معاجم اللغة كالقاموس المحيط للفيروزبادي بمعنى العلو والسمو، والتثبت والتعقل مع أصالة في الرأي، وكلها صفات ونعوت تجسدت في أفراد هذه الأسرة الذين أمكننا العثور على بعض آثارهم وأخبارهم في المصادر.

ولعل خير دليل على ذلك، ما نقرأه في وصية السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام إلى أبنائه الأمراء علي، وإبراهيم، وعبد الله، قبيل توجههم إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، في غرة شهر رمضان 1274، الموافق لشهري أبريل ومايو 1858، حيث أثنى العاهل على محمد ابن أحمد الرزيني المدعو الكبير المعين أمينا لركب الحجيج الأميري، وقال عنه ما يلي :

"... ومنذ نوينا توجيهكم لهذه الوجهة السعيدة، ونحن نجيل الفكر فيمن نوجهه معكم، حتى وقع اختيارنا على خديمنا الحاج محمد الرزيني لكونه نعم الرجل، واجتمع فيه من الأوصاف المحمودة ما افترق في غيره، فكونوا له بمنزلة الأولاد البررة، وليكن لكم بمنزلة الوالد الشفيق...". ولدينا أيضا دليل آخر لتأكيد ما ذهبنا إليه وهو تعيين التاجر عبد الكريم بن أحمد الرزيني، الأخ الأصغر لمحمد الرزيني السابق الذكر، أمينا وعاملاً على مدينة الصويرة، في الأيام الأخيرة من عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام في ظروف حرجة كانت تمر بها هذه المدينة، على إثراندلاع نزاع خطير بين العامل الأمين محمد بن عبد السلام بن زاكور وقواد الحامية العسكرية بها، حول الطريقة المتبعة في توزيع الكسوة على هؤلاء القواد وعلى رجالهم، حيث استثنى أبناءهم وأقاربهم العاملين في فرقتهم من عملية التوزيع هاته، وهذا ما أدى بهم إلى أن يوسعوه وابلاً من الشتم والسب والتهديد بالقتل.

وعلى أي حال، فإن محمد الرزيني هذا كان معدوداً من وجهاء مسقط رأسه وكبارتجاره أواخر عهد السلطان المولى سليمان، إذ ورد اسمه في قائمة الحاضرين سنة 1236 / 1820 . 1821، في مسجد القصبة بالمشور لعقد البيعة للأمير المولى السعيد بن اليزيد مكان عمه السلطان المولى سليمان. وبعد أن تم الأمر للمولى عبد الرحمن بن هشام سلطانا للمغرب سنة 1238 / 1822، وتولى القائد محمد بن عبد الرحمن أشعاش عاملا على المدينة سنة 1242 / 1826 . 1827، دشنت حملة قمع واعتقال في صفوف متزعمي حركة العصيان هذه، كما صودرت عقاراتهم وممتلكاتهم، إذ كان القصد من هذا كله خضد شوكتهم وكبح جماحهم. وهكذا ألقي القبض على التاجرين أحمد مارتيل ومحمد اللبادي، ووجها إلى سجن الصويرة في حين تمكن صاحبنا من الإفلات من قبضة القائد أشعاش، حيث كان غائبا عن تطوان في زيارة عمل إلى مدينة رباط الفتح، فانتهز الفرصة لمغادرتها، بل ومغادرة المغرب وذلك بإيعاز ومساعدة صديقه القائد محمد السويسي عامل مدينة الرباط. وهكذا حل بمدينة وهران عن طريق البحر وظل مقيما بها أكثر من خمس سنوات، مهتما بتجارته، متنقلا بين هذه المدينة والجزائر العاصمة.

وفي سنة 1247 / 1831 . 1832 التحق به أخوه عبد الكريم سابق الذكر، بقصد الاتجار في القطر الجزائري.

ولم تدم غربة التاجر التطواني سنوات عديدة بعيداً عن الأهل والأولاد، إذ صدر عفو السلطان عن الجميع، وأمكن للمغتربين الرجوع إلى بلادهم، وردت إليهم ممتلكاتهم وعقاراتهم، بل أكثر من ذلك، عين بعضهم في مناصب مخزنية سامية، فكان من نصيب صاحبنا محمد الرزيني أن أسندت إليه مهام وكيل المغاربة بمصر اعتباراً من سنة 1248/ 1832 . 1833، ثم قُنصل المغرب بجبل طارق وهو المنصب الذي ظل يشغله حتى سنة 1274 / 1856.

وقد قاسى الأمين محمد الرزيني الأمرين من جراء العدوان الإسباني الغاشم على مدينة تطوان سنة 1859 . 1860، وما أعقبه من احتلال، وسطو، واغتصاب ؛ وتعرض كما تعرض باقي أهالي المنطقة إلى كافة أنواع وأساليب القهر، والتشريد، والحرمان.

وما يثير الانتباه ويترك الاعتزاز والافتخار في النفس، هو غيرة هذين الرجلين وغيرهما من أفراد عائلتهما كالأمين أحمد الرزيني، والأمين عبد القادر الرزيني على بلدهم تطوان ووطنهم المغرب، حيث ساهم الحاج محمد الرزيني في وضع الخطة الدفاعية عن المدينة، وفي عمليات التنسيق بين السكان وممثلي المخزن في المنطقة، كالأمير المولى العباس، صنو السلطان الجديد سيدي محمد بن عبد الرحمن، والأمين محمد الزبدي الرباطي.

ومن المعلوم كذلك أن هذا الاعتداء الإسباني على المغرب وعلى واحدة من أهم حواضره الشمالية، بل أكثرها نشاطا وحيوية في مجالات وقطاعات ثقافية، وإنتاجية وتجارية عديدة في النصف الأول من القرن الثالث عشر

(19 م)، قد كان له عواقب وخيمة على مدينة تطوان وأهلها من جهة، وعلى المغرب بأكمله من جهة أخرى سياسيا، واجتماعيا، واقتصاديا.

ومن ثمة تراجع نفوذ ومكانة العديد من رجالات التجارة والمال وفي مقدمتهم آل الرزيني في الجهاز المخزني في النصف الثاني من القرن المذكور، إذ لم تعد لهم تلكم الحظوة والمكانة المتميزتان اللتان ظلوا يتمتعون بهما على عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام. وحسبنا أن نذكر هنا أن لا أثر لهم إطلاقا في قائمة الموقعين على بيعة أهل تطوان للمولى الحسن سلطانا للمغرب سنة 1290 / 1873، كما لا ذكر لأحد منهم في قائمة كبار تجار وأعيان هذه المدينة والتي وردت في نشرة إفريقيا الفرنسية لسنة 1908، بخلاف تضمنها أسماء تجار وأمناء آخرين كأحمد الركينة وعلي مارتيل وأحمد مدينة.

خ. ح، محفظات المولى عبد الرحمن بن هشام، ك 4 وك 5، كناش رقم، 121، ص. 11 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج. 9، ص. 42 ؛ ص. 71 ـ 74 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، 1929 ـ 1933، ج. 3، ص. 414 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، تطوان، د. ت. ج. 3، ص. 278، ص. 336 ـ 337 ؛ *مجلة الوثائق*، الرباط، 1976، ج. 3، ص. 197 ـ 199.

مصطفى الشابي

**الرزيني، أحمد** (الحاج -) التطواني الأندلسي الأمين الحازم، كان أميناً بمرسى طنجة عام 1259 وكانت بينه وبين قائد تطوان محمد بن عبد الرحمن أشعاش صداقة متينة، وتعاون وثيق مخلص في شؤون بلدهما المغرب، وكانا معا محل ثقة السلطان مولاي عبد الرحمن ووزرائه. واستمر أمينا إلى عام 1263 وفي *تاريخ تطوان* لداود وخصوصاً المجلد التاسع عشرات المراسم والرسائل السلطانية والوزارية في مختلف المهام والوظائف المخزنية تتعلق بالمترجم له وابنه وأخيه وغيرهما من أفراد هذه الأسرة التي يعرف عنها مخالطة لدولة الأنجليز .

لم أقف على تاريخ وفاته.

أ. الرهرني، *عمدة الراوين*، 3 : 104، مخطوط ؛ *مفاخر البربر*، ص. 79، ط. الرباط ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تر. عدد 615؛ م. داود، تاريخ تطوان، الجزء التاسع، طبع تطوان.

**الرزينيّ، عبد الكريم** بن الحاج أحمد سابق الترجمة أحد رجال أسرة الرزيني التطوانية. كانت الأمانة السمة الأولى للمترجم له ولأخيه ولأبيهما ولبعض أحفادهما فما منهم من أحد إلا تولى أمانة مدينة أو مرسى. وأضاف المترجم اشتهاره بالتجارة والسفر إلى الأقطار والبلدان من أجلها وتنفيذ الخدمات السلطانية. وقد عين أمينا للصويرة عام 1275 / 1858 إلى أن استعفى عام 1290 / 1873. وتوفي بعد ذلك.

أ. الرهرني، *عمدة الراوين*، 3 : 104، مخطوط ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، ص. 79، ط. الرباط ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، تر. عدد 615 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 362.

**الرزينيّ، محمد** بن الحاج أحمد أخو سابق الترجمة، تولى الوكالة عن المغرب (قنصل عام) بجبل طارق عام 1260 / 1844 وفي سنة 1269 / 1852 عين أمينا بطنجة.

وفي السنة 1274 / 1857 وقع اختيار السلطان مولاي عبد الرحمن على المترجم له لصحبة أولاده والإشراف عليهم في رحلة الحج. وأصدر بذلك مرسوما يتضمن التنويه بالمترجم.

قال صاحب *الاستقصا* : "أخبرني الحاج عبد الكريم بن الحاج أحمد الرزيني ـ أخو الحاج محمد المذكور آنفا ـ أن السلطان المولى عبد الرحمن رحمه الله لما عزم على بعث أولاده إلى الحجاز استدعى الأمين الحاج محمد المذكور فدخل عليه فأوصاه بما تنبغي الوصاية به وأخبره أن المال الذي عينه للنفقة على الأولاد المذكورين هي نفقة جمعت من حلال بعضها من أصول بتافيلالت، وبعضها من غيرها مما هو حلال، وقال له : احتفظ بذلك المال واجعل السخاء بمنزلة الملح من الطعام".

وكان من المرسوم الملكي الذي نوه فيه بالمترجم له قوله : واعلموا أننا عيّنا عشرين ألف ريال بقصد أن يشترى بها حبس في سبيل الله، عشرة آلاف ريال يشترى بها ما يكون حبسا بمكة وعشرة آلاف ريال ريال يشتري بها ما يكون حبسا في سبيل الله بالمدينة المنورة. وقد تمت الحجة ونفذت وصية السلطان. وأثبت النقيب ابن زيدان في *الإتحاف* نص عقود الشراء والوقف وكل ذلك باسم الرزيني المذكور.

والمعروف إلى الآن عن أفراد هذه الأسرة وخصوصاً المترجم له الرزيني (الكبير) السخاء والكرم والعطف على الفقراء والمساكين حتى لقب (أبا المساكين).

توفي رحمه الله بتطوان عام 1278 / 1861.

أ. الرهرني، *عمدة الراوين*، 3 : 104، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 362، ومعظم المجلد الثالث، ط. تطوان.

محمد بوخبزة

**الرسائل الإخوانية والديوانية**، يكاد ينحصر النثر الفني بالمغرب بعد الفتح الإسلامي، في نص فريد نسب لطارق بن زياد البربري، وهو نص خطبته الحربية التي ألقاها في جنوده يدعوهم إلى القتال والاستماتة فيه. ولعل ما يحوم حول هذه الخطبة من الشكوك يجعلنا نستبعد أن تكون لطارق فعلا لأنه مايزال وقتها حديث عهد بالعربية ولا تتجاوز مدة اعتناقه للإسلام الخمس سنوات إذ اعتبرنا أنه أسلم مع دخول موسى بن نصير إلى

المغرب. وفي فترة الأدارسة زاد انتشار الإسلام وشيوع العربية على الألسنة، بعد أن طوّق عبد الحميد الأوربي وبرابرة المغرب عنق المولى إدريس بالبيعة، وبذلك بدأ التاريخ الفعلي للمغاربة المسلمين بتأسيس الدولة الإدريسية سنة 172 هـ كأول دولة عربية إسلامية بالمغرب الأقصى. ومازال المولى إدريس الأول يوطد أركان الدولة الجديدة حتى اغتيل سنة 177، فخلفه نجله المولى إدريس الثاني الذي وسع رقعة الدولة ورسّخ الإسلام في دواليبها، غير أن وفاته أدت إلى ذيوع الفتن وانتشار الاضطرابات والقلاقل، وتنازع أبناؤه الملك. فظهرت إمارتان كبيرتان : النكور في الشمال وإمارة بني مدرار في الجنوب، وظهرت حركات انفصالية عديدة وزعت المغرب أشلاء. وفي ظل هذه الأوضاع المضطربة ظل الأدب يتقدم نسبيا كماً وكيفاً.

وهكذا تذكر كتب الأدب ومصادر التاريخ المغربي خطبا ورسائل، وربما يكون النثر في ظل هذه الظروف الحربية والتكتلات والأحلاف أكثر ازدهارا من الشعر. فالخطباء والمترسلون مدعوون لاستنهاض الهمم ووعظ الناس والكتابة حول ظواهر المجتمع والمناسبات الخاصة والعامة.

ومن مآثر المغاربة في فن النثر عدا الخطب أو الكتابة الديوانية بعض الرسائل المنسوبة لإدريس الثاني، وهي وإن حام حولها الشك في نسبتها لقائلها، فإنها تحمل من عناصر الكتابة الفنية العربية ما يُظهر ميل المغاربة إلى اصطناع أساليب النثر المشرقي في نزوعهم إلى الأسلوب المحافظ.

وقد شهد الواقع الأدبي تحولا عميقا في عهد المرابطين نظرا لأسباب سياسية ولغوية وثقافية. فالسياسة المرابطية التي سنها يوسف بن تاشفين. ومن قبله الزعيم عبد الله بن ياسين كان لها أثر فعال في خلق وعي أدبي في هذا العهد. وتعتمد هذه السياسة على إشاعة الدين الإسلامي في الأوساط الخاصة والعامة والسهر على تعليم العربية وتلقينها لجميع فئات المجتمع. وقد أدى هذا الوضع من ذيوع الإسلام إلى اهتمام الناس بالدين وانفتاحهم على التعلم والتفقه في الدين.

نهجت الدولة المرابطية نهجا متميزا في الانفتاح على الفقه المالكي وفروعه في جميع أصقاع الامبراطورية المرابطية. وساعد هذا الوضع على نشر المعرفة الفقهية بين طائفة كبيرة من للفقهاء المسلمين، مما شجع على شيوع العربية والأدب بجميع أنواعه في بيئة أولى فيها الخلفاء والسلاطين المرابطون أهمية بالغة للفقهاء والأدباء والمعارف والآداب العربية.

كما شجع السلاطين وكبار الوزراء في الدولة المرابطية الشعراء على القول والكتاب على الترسل، فازدهرت الحركة الأدبية وظهر فيها تيار نثري، ينهج النهج المشرقي في النثر الفني. ولعل أهم كتّاب هذه الفترة من المترسلين ابن بياع السبتي المعروف بابن زنباع من رجال القرن الخامس (11 م) أديب شاعر وكاتب مترسل من آثار تطور كتابته سيره على نهج الجاحظ في الترسل الفني من حيث الميل إلى الجمل القصار واللجوء إلى الاستقراء في تقليب الفكرة ذاتها على وجوه عديدة والميل إلى الأبنية السجعية والبديعية.

والقاضي عياض اليحصبي السبتي أيضاً الذي اشتهر بأنماط من الكتابة النثرية المغربية، فقد اشتهر بالكتابة الديوانية والفقهية وكتابة الأحكام باعتباره قاضيا، والكتابة التأليفية أو ما يدعى النثر التأليفي المرتبط بالكتب والمؤلفات التي وضعها وعلى رأسها كتاب *الشفا*. ولعل أهم أنماط الكتابة لديه النثر الفني وكتابة الرسائل وهذه بعض مزاياه في هذا الفن نذكرها في الملاحظات الآتية :

- تتوزع آثار القاضي عياض النثرية من رسائل وخطب فنية ذات طابع اجتماعي وأخوي وديني، بين عدة كتب ومصادر تاريخية. وأقدم هذه المصادر وأهمها كتاب *قلائد العقيان* للفتح بن خاقان وكتاب *التعريف* لولد القاضي عياض وكتاب أزهار الرياض للمقري. وبالعودة إلى هذه المصادر المختلفة نلاحظ تعدد موضوعات رسائل القاضي عياض وتنوعها ولاسيما الإخوانية.

فقد كان لتفتحه على العالم الإسلامي دور كبير في تبادل القاضي عياض الآراء الفقهية والمذهبية مع فقهاء المشرق وعلماء المذاهب المختلفة. فنلفيه يراسل الزمخشري وابن خاقان وابن العريف. كما يراسل تلامذته وشيوخه كابن رشد الجد.

يبني القاضي عياض رسائله وفق هرم لا يكاد يختلف فيه المترسلون في مختلف العصور. ويتألف هذا الهرم التركيبي من العناصر الآتية :

- الاستهلال أو المطلع : وبه يفتتح الكاتب رسالته منهيا إلى علم القارئ أو المتلقي السبب الداعي إلى تدبيج الرسالة والبواعث على ذلك إذا كانت مما يلزم ذكره، وقد يمتزج الاستهلال بالتصدير وهو ما يلزم من البسملة والحمدلة وما أشبه ذلك.
- ذكر غرض الرسالة وبدون هذا العنصر لا تكاد تستقيم الكتابة في الرسائل، لأن كل رسالة تحمل عناصر فكرة معينة يود الكاتب تبليغها. واستكمالا لتصور الرسالة ووظيفتها التداولية يلزم ذكر الغرض من تأليفها ولا سيما في الرسائل الإخوانية والاجتماعية التي تكون فيها المناسبات دقيقة ومخصوصة بإطار محدّد.
- الخاتمة والتحية : وهي العناصر التي ينهي بها الكاتب رسالته بأن يضع حدا للكتابة بالتوقف من خلال عملية خروج من الموضوع تدريجيا على طريقة حسن الاختتام.
- كانت موضوعات القاضي عياض في رسائله الإخوانية والاجتماعية تدور غالبا حول موضوعات طرقها المشارقة من المعاتبة أو التباري أو إثبات قوة الحجة أوإظهار القدرة على الكتابة. وقد ينجرّ الكاتب من هذه السبل إلى التكلف. وهو أمر ينجم عن طلب السجع في كل جملة

والبحث عن الموازنات في اللفظ والمعنى إظهارا للذات وشحذا للمهارات القولية ونكاية في الخصوم أيضا.

- على الرغم من الإغراق في لطائف البيان وأصباغ البديع تزخر الرسائل الإخوانية والاجتماعية الفنية بألوان ثقافية تعكس اتساع أفق الكاتب وانفتاحه على جملة من العلوم والمعارف.

- من طوابع الترسل الفني في العهد المرابطي من خلال رسائل القاضي عياض استمداد ألفاظه ومعانيه من ألفاظ القرآن والسنة والفقه والأدب العربي الذي اطلع عليه.

واعتماداً على هذا الاستنتاج يمكن القول بأن القاضي عياض يمثل التوجه المغربي الإسلامي في الكتابة النثرية الفنية ففضلا عن خطبه الدينية وتأليفه الفقهي والديني الذي تظهر فيه آثار الوعي الإسلامي واضحة لا تحتاج إلى دليل، فإن آثاره الفنية المتمثلة في رسائله الإخوانية والاجتماعية نموذج للكتابة العربية التي جمعت إلى قوة التعبير المشرقي ونصاعته قوة التوجه المغربي في إثبات الشخصية المغربية في الكتابة والاستمداد من واقع الثقافة الفروعية المغربية في العهد المرابطي والثقافة الأصولية في العهد الموحدي، ولا شك في أن القاضي عياض الكاتب جسد هذين الاتجاهدين في نثره الفني ورسائله المتنوعة.

وفي عهد الموحدين نضجت الكتابة الفنية أكثر إذ كان فن الرسائل والنثر عموما يختلف عن الشعر باعتبار المقوم الفكري والعقلي الذي يكون قويا في النثر وضعيفا في الشعر مبدئيا، فإن النثر الفني والرسائل الموحدية كرّست هذا التصور. إذ أضحت الكتابة الفنية مجالا رحبا لعرض التصورت المذهبية الموحدية التي سعت جاهدة منذ عهد المهدي بن تومرت، إلى نبد تعددية المذاهب والنحل في العالم الإسلامي، وحاولت رأب الصدع وجمع شمل الأمة حول الأصول والمصادر الأصلية بدل الفروع التي هي مدعاة للفرقة والاختلاف.

وقد كانت هذه النزعة التوحيدية الجديدة مستجيبة لظرفية تاريخية فشا فيها التمرد المذهبي الخارجي لما أوقعه الإباضية والصفرية من القلاقل في بلاد المغرب في تلك الآونة وقبلها في إمارة بني مدرار بسجلماسة.

كان لانتشار العقيدة الموحدية في صفوف أدباء هذه الفترة أثر كبير على تغيير وجه الكتابة الأدبية، فضلا عن النثر التأليفي. فإذا كانت بعض العلوم محظورة في العهد المرابطي السابق كالفلسفة وعلم المنطق والتوحيد، فإنها قد عادت إلى الصدارة في الثقافة الموحدية بحيث صار الاشتغال بها فضيلة تحسب لمن يقدم عليها ولاسيما علم الأصول والكلام والفلسفة.

ومن مظاهر التجديد في رسائل هذه الفترة ازدهار فن المناظرة، وأشهرها تلك التي جرت وقائعها بين زعيم الموحدين ابن تومرت وفقهاء المرابطين. ويظهر من جمل هذه المناظرة أنها سُبكت في لغة عربية رصينة يطغى عليها السجع وعنف ظاهر في النبرة وأوصاف قاسية تفصح عن حنق ابن تومرت وغضبه على فقهاء المرابطين. وازدهرت الكتابة النثرية والفنية في زمن الموحدين على يد الكاتب المترسل أبي جعفر ابن عطية (517 / 553) الذي عاش في الهزيع الأخير من ليل المرابطين، وبزوغ فجر الموحدين.

وإلى جانب كتابته الديوانية الرسمية، كان لأبي جعفر ابن عطية رسائل إخوانية واجتماعية ذات طوابع فنية رسخت صورة الكتابة الترسلية المغربية باعتماد طريقة السجع وتوالي الفواصل مع اهتمام واضح بالموازنات الصوتية والمعنوية. وحرص على الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف وتضمين الأمثال والاستشهاد بالأشعار ومأثور الكلام العربي، والسير على نهج الإرادة الموحدية في مناهضة الفروع وترسيخ مبدإ الإمامة في الخلافة وتكريس العناصر الغيبية في الدفاع عن شرعية الخلافة كالمهدوية والعصمة والدعوة إلى الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكانت هذه المضامين مادة متجددة في رسائل هذا الكاتب بما فيها الإخوانية والاجتماعية.

وفي فترة المرينيين والوطاسيين تأصّل فن الرسائل الفنية وعادت هيمنة المذهب المالكي ونظرته الفروعية في الدراسات الدينية، وأبدى السلاطين المرينيون اهتماما كبيرا بالمذهب ورجالاته وصدروا في مواقفهم عن فتاوى المالكية وآرائهم.

وأما اهتمام المرينيين بالعلم فقد كان السلطان المريني أبو الحسن نموذجا فذا في هذه المكرمة إذ كان معه وفي حاشيته مئات العلماء والفقهاء ورجال المعرفة ممن يصحبهم ويستشيرهم في أمور الحياة والدين فضلا عن السياسة، بل ويدرس معهم الكتاب والسنة وعلوم الإسلام.

وازدهرت أوضاع الأدب شعرا ونثرا في هذه الفترة وسوف نورد مزايا الترسل الفني في هذه الفترة من خلال رصد ملامح هذه الظاهرة لدى كبير أدباء هذه المرحلة وهو الكاتب والشاعر مالك بن المرحّل السبتي (604 / 699) الذي اشتهر برسائله الإخوانية والفنية وتميزت أساليب كتابته الترسلية باستمدادها لمقوماتها من التجربة العربية القديمة الشاملة لطرق التعبير عند الجاحظ والهمذاني والحريري وابن العميد وغيرهم من أساطين الكتابة الترسلية العربية القديمة.

خاض ابن المرحل في تجربة الترسل الفني فأصّل هذا الفن في الأدب المغربي بإسهامه الوافر من جهة ومزايا كتابته وطوابعها المتمثلة في اصطناع الأساليب العربية الرصينة والنزوع إلى أسلوب التزيين البلاغي والوصف الدقيق وكثرة الاقتباس والتضمين لدرجة بذّ فيها غيره من كتاب المرحلة. ونفوره من التعقيد والمعاظلة اللفظية ولجوؤه إلى ركوب السهل الممتنع من الأساليب التي تعكس ألوان ثقافة الكاتب ومعارفه، وتبرز قدراته اللغوية وامتلاكه

لناصية التعبير العربي، بتجنبه للحوشي والمبتذل من الألفاظ والسخيف من المعاني، وتدرجه بصورة عقلية من معنى إلى آخر بالتخلص من فكرة إلى فكرة وفق منطق تدرجي محكم يدل على وضوح القصد ومتانة البناء.

وفي فترة السعديين ازدهر الترسل الفني بالمغرب وسوف نقف في الملاحظات الآتية على بعض ملامح هذا التطور والازدهار ولا سيما في الرسائل الفنية الإخوانية والاجتماعية من خلال ما بقي منها وهو رصيد كبير وغني ومتنوع بالقياس إلى الحصاد السابق في المراحل السابقة من تاريخ الترسل في المغرب، ولعل أبرز مجموعات الرسائل التي خلفها العهد السعدي مجموعة *رسائل سعدية* تضم ما نشره دوكاستري وما نشره گنون وما حققه ودرسه مصطفى بنعلة.

واشتهر في فن الترسل نفر كبير من الكتاب يتقدمهم وزير القلم أبو فارس عبد العزيز الفشتالي الذي كان عالما بفن الكتابة متقنا لأساليبها على النهج الأندلسي ماهرا في طرق المواضيع المختلفة لا تعوزه لغة ولا معنى، وصار مدرسة قائمة الذات يسعى الكتاب الناشئون إلى التعلم في كنفها. واشتهر إلى جانب الفشتالي كتاب آخرون في بلاط المنصور ذكرهم أبو العباس أحمد بن محمد المقري وأثنى عليهم.

وكما ازدهرت رسائل السياسة والمناظرات اللغوية والرسائل الدينية والصوفية وازدهرت فنون الخطابة الفنية وعلى رأسها الخطابة الاجتماعية والإخوانية ذات الموضوعات الوجدانية كما نذكر في الملاحظات الآتية :

ظهرت فئة من الرسائل التي تخاطب المزار الشريف وتتوجه بعبارات الشوق واللهفة القلبية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وبها من المناجاة ما تتفطر له قلوب الصوفية وعشاق المقام المحمدي، وعباراتها مؤثرة ومستمدة من القرآن والسيرة على وجه خاص، وبها أذكار وأدعية ونتف شعرية.

ومن الرسائل السعدية ما تم التركيز فيه على علاقات المحبة والأخوة بين الشيوخ ومريديهم وعشيرتهم كرسائل الشيخ مَحمد ابن ناصر الدرعي إلى أهله ورسائل أحمد بن إبراهيم التساوتي الصوفية، ورسائل أحمد بن عبد الله الدلائي إلى أهله وأقاربه ورسائل التهنئة بالحج أو بالأعراس أو الصحة ورسائل التقريظ والتنويه والصداقة والمواساة وغيرها من الموضوعات الاجتماعية المتنوعة بتنوع خبرة الإنسان في وجوده اليومي ومعاناته في الحياة والعيش مع غيره.

- ازدهرت الخطابة الفنية والترسل على يد الفقيه الكاتب أبي علي اليوسي الحسن بن مسعود، الذي جال ببلاد المغرب بعد خروجه من قبيلته الأصلية أيت يوسي، ثم، استقر بالزاوية الدلائية وتصدى للتدريس وله ضلع كبير في علوم الدين واللغة والأدب. وقد عاش اليوسي فترة المخاض بين عصر السعديين وعصر العلويين، ورسائله متميزة تمثل حركة فكرية قائمة على أساس الإصلاح الديني والروحي. وتتمثل مزايا أسلوبه في الإيجاز والاتياح من روح الدين الإسلامي وحيا وشريعة، له أسلوب يميل إلى الوضوح مع المتانة على طريقة السهل الممتنع القديم، تسبق الفكرة إلى ذهن المتلقي قبل أن يلتفت إلى لبوسها اللفظي والفني. ولعل منحى اليوسي في النسك والتصوف طبع عبارته الفنية في رسائله بالاقتصاد في أصباغ البلاغة إلا في حدود ما تدعو إليه الحاجة التعبيرية والمقام والغرض، لأن القصد لديه إنما هو توصيل الأفكار والمواقف وليس البهرجة أو الحذلقة اللفظية.

ثم تطورت أوضاع المغرب الاقتصادية والسياسية في ظل الدولة العلوية، وانتشرت الثقافة والعلوم عبر الأصقاع المختلفة، واهتم سلاطين الدولة بالعلم والأدب والفكر وخصصوا الجوائز والمنح والصلات المالية الكبيرة للمبرزين من العلماء والأدباء. واشتهر نفر من السلاطين بالمشاركة في الفقه والعلم والأدب على نحو ما نقرؤه عن سيدي محمد بن عبد الله، واشتهر أدباء على عهد الدولة العلوية كابن الونان وحمدون بن الحاج وابن إدريس العمراوي والفقيه الأديب أكنسوس والأديب ابن زاكور الفاسي والزروالي وابن الطيب العلمي وظلت ملامح الكتابة الأدبية الفنية على ما كانت عليه في العهد السعدي تشمل الموضوعات الإخوانية والاجتماعية والسياسية والدينية، ولم يظهر تجديد يذكر ما عدا كتابة المقامات التي ازدهرت بصورة ملحوظة، وأما باقي الظواهر الترسلية فقد كانت على شاكلة نثر المرحلة السعدية كما يظهر في مدرسة اليوسي الفنية الذي أشرنا إلى بعض مزاياها، فالأديب ابن زاكور الفاسي (1076 ـ 1120 هـ) له من الرسائل والخطب ما يعكس أثر المنحى اليوسي في الكتابة في نبد المحسنات البديعية والاقتصاد في استجلاب وسائل التزيين البلاغية إلا متى كان ذلك سانحا من غير تكلف ولا رشح جبين.

ومن أنصار هذا الاتجاه الأديب الكاتب ابن الطيب العلمي (ت. 1134) تلميذ ابن زاكور ويتفق معه في سلاسة التعبير وخلوه من التكلف وله إسهام ظاهر في فن المقامات. وممن سار على هذا النهج في الكتابة المرسلة الأديب ابن إدريس العمراوي (ت. 1263)، وله نثر ترسلي إخواني واجتماعي يغلب عليه السجع والبديع في المقامات على وجه الخصوص.

ولعل أبرز تجديد ظهر في فن الخطابة والترسل في عهد سيدي محمد بن عبد الله وإلى حدود عهد المولى الحسن الأول، هو ذلك المنحى السلفي الذي تخصص فيه نفر من المترسلين والكتاب بغية الإصلاح والعودة بالمجتمع إلى أصول الدين الإسلامي.

وإذا جاز أن نعتبر هذا المعلم الفكري أساسيا في توجيه حركة الكتابة الترسلية في المغرب في تلك الفترة فإننا نقرر

أن هذا الخطاب الجديد تفاعل وجدانيا في نفوس المغاربة مع أصوله المشرقية التي غذتها الحركة الوهابية بأساليب مختلفة، مما أدى إلى انتشار هذا النفس الإصلاحي الإسلامي لدى طوائف كبيرة من أدباء العصر العلوي، وهذا النفس سيستمر عبر الخطابة الدينية والمقالة الأدبية الإصلاحية التي تعتبر تطويراً لشكل الرسالة الفنية التي بدأت منذ ذلك الوقت تختفي لصالح الأشكال النثرية الفنية الحديثة كالمقالة الدينية الوعظية والمقالة الاجتماعية وغيرها من الفنون النثرية الفنية الجديدة في الأدب المغربي الحديث والمعاصر.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1985 ؛ الفتح ابن خاقان، قلائد العقبان، بولاق، 1283 ؛ م. ابن عياض، *التعريف بالقاضي عياض*، المحمدية ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج. 1 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، تح. سعيد أعراب وآخر، المحمدية، 1978 ـ 1980 ؛ *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس ؛ *وفيات الأعيان* ؛ م. مختار العبادي، *دراسات مغربية وأندلسية* ؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972 ؛ م. ابن بطوطة، *تحفة النظار*، 2 : 761 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. عبد الله عنان، القاهرة ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، الدار البيضاء، 1985 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، 1 : 55 ؛ *مجموعة رسائل سعدية*، تح. ع. الله كنون ؛ فاطمة خليل القبلي، *رسائل اليوسي*، الدار البيضاء، 1981.

محمد أديوان

**الرسائل السلطانية** أو الرسمية. نجد معظم رسائل الفترة الوسيطية منسوخة في كتب الآداب خاصة، إذ كان الغرض الأساسي اختيار نماذج من فن الكتابة النثرية، ولهذا تعرضت في معظمها من قبل النساخ للبتر وتشويه أسماء الأعلام الواردة فيها. أما ما بقي من الرسائل على أصولها فهي غالبا تلك التي استقرت في الخزائن الأوربية خاصة في إسبانيا وإيطاليا. ويظهر أن أهم أسباب ضياع أصول الرسائل داخل المغرب الوسيطي ترجع إلى القلاقل التي عرفها وتبدلات الأسر الحاكمة به.

إذا تتبعنا هذه الرسائل منذ الفتح الإسلامي وجدناها ـ حسب ما في علمنا لحد الآن ـ محدودة العدد حتى العصر المرابطي، ومنها خاصة رسائل تهم العلاقات بين المغرب وأمويي الأندلس. وخلال الفترة المرابطية تتكاثر الرسائل السلطانية ويرتفع مستواها الأدبي باستعمال أدباء مشاهير في ديوان الإنشاء، وما بأيدينا منها معظمه منصب على الاهتمام بالأندلس. وتتميز هذه الرسائل عامة بقصرها ـ إن لم تكن مبتورة ـ مقارنة مع رسائل الفترة اللاحقة.

خلال العصر الموحدي تصبح الرسائل أكثر عددا، وقد تمكّن الباحث الإيطالي ميشيل أماري في القرن الثالث عشر (19 م) من نشر المراسلات المحفوظة في فلورنسا والتي دخلت إيطاليا من مصر وبلدان المغرب ومنها الدولتان الموحدية والمرينية. كما قام المستعرب الفرنسي ليفي بروفنصال بنشر سبع وثلاثين رسالة موحدية سنة 1360 / 1941 تحت عنوان مجموع *رسائل موحدية من إنشاء كتّاب الدولة المومنية*. وأنجز كاتب هذه المادة ـ في إطار تحضير دبلوم الدراسات العليا ـ تحقيقاً ودراسة لما يزيد على مائتي رسالة موحدية نشرها تحت عنوان *رسائل موحدية ـ مجموعة جديدة*، وكان هذا العمل حافزاً لدراسة وتحقيق رسائل عن الفترة اللاحقة والمتعلقة بالغرب الإسلامي عامة خلال القرنين السابع والثامن للهجرة (13 ـ 14 م) (فشملت رسائل موحدية متأخرة ومرينية وزيانية وحفصية ونصرية) وذلك في إطار تهييئ دكتوراه دولة بعنوان *الغرب الإسلامي من خلال رسائله*، وقد بلغ عدد هذه الرسائل ما يقرب من خمسمائة رسالة غطت مع دراستها أكثر من 1800 صفحة. هذا إضافة إلى ما نشره الباحث رشيد السلامي فيما يتعلق *بمجموعة من الوثائق المرينية* (مرقونة)، وما نشره أيضا الباحث التونسي محمد الحبيب الهيلة فيما يتعلق *برسائل عن الأمراء العزفيين بسبتة* في النصف الثاني من القرن السابع.

تختلف أحجام الرسائل "السلطانية" حسب عصرها وحسب موضوعاتها ؛ فبالنسبة لعصرها نجد رسائل الفترتين الموحدية والمرينية أطول عموما، فنحن أمام عصر ازدهار فن الترسيل، حيث ظهرت كتب مختصة فيه مثل كتاب *العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل* لأبي القاسم البلوي (مطلع القرن السابع)، و*رسائل أبي المطرف ابن عميرة* التي تهم الأندلس والمغرب وإفريقية في النصف الأول من القرن السابع، و*فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر بن خطاب* التي تهم الأندلس وعلاقة المغرب الأوسط بإفريقية خلال النصف الثاني من القرن السابع، ثم ابن الخطيب أشهر أدباء القرن الثامن الذي خلف ثروة هامة من المراسلات جمع معظمها في كتاب *ريحانة الكتّاب ونجعة المنتاب* الذي صنفه حسب فنون الترسيل، وجميع الرسائل السلطانية لهؤلاء وغيرهم من رجال القرون السادس والسابع والثامن (12 ـ 14 م) هي منشورة في البحثين المذكورين *رسائل موحدية والغرب الإسلامي من خلال رسائله*.

وتختلف أحجام الرسائل حسب موضوعاتها، فهي أقصر ما يكون فيما عُرف بالتوقيعات أي الإجابات المختصرة والمباشرة، وفي رسائل العتاب، وكذا الرسائل الموجهة ـ بشكل عام ـ إلى ملوك النصارى، وفي هذه الحالة تخلو من المحسنات اللفظية ومن العبارات التي يصعب فهمها على المترجمين لدى هؤلاء الملوك، إضافة إلى كون العديد منها عبارة عن عقود اتفاقات أو شكايات من أعمال القرصنة... وتكون الرسائل طويلة عادة إذا كانت في موضوع البيعات أو الفتوح أو التهاني بالفتوح أو الوصايا لولاة الأمور،

وكذلك بالنسبة للرسائل الموجهة إلى سلاطين مسلمين.

تتكون أجزاء الرسالة عامة ـ إذا لم تكن مبتورة البداية والنهاية ـ من الصدر، والمضمّن، والخاتمة (التي قد تحتوي على الدعاء أو وصية إن كانت الرسالة أو الظهير صادرا عن السلطة العليا)، وهذه الأجزاء غير متكافئة :

يبتدئ الصدر فيما بقي من الرسائل المرابطية ـ إن لم تكن مبتورة ـ بعبارة مثل "كتابنا إليكم (دعاء) من حضرة (فلانة) "... ثم يرد ذكر التاريخ صراحة أو مشوها (في شهر كذا من سنة كذا) ثم المقصود من الرسالة. وفي العصرين الموحدي والمريني يبتدئ الصدر بالبسملة والتصلية في أعلى الرسالة ثم بالمكتوب عنه ثم المكتوب إليه إلا إذا كان هذا أرفع درجة من الأول فيقدم عليه كما هو حال الرسائل الواردة من الجهات إلى مركز الدولة، ثم الجهة المكتوب منها، ويؤتى بالبعدية والحمدلة والتصلية (والترضية عن المهدي إن كانت موحدية أو حفصية)، والدعاء للحاكم ثم لوليّ عهده إن وُجد. أما المرحلة الانتقالية من الصدر إلى ما بعده فيؤتى فيها بعبارة مثل : إنا كتبناه إليكم ـ كتب الله لكم (دعاء) من فلانة (الجهة..." أو كُتب ـ كتب الله لكم (دعاء)... وعادة ما يتضمن الصدر تلميحاً لمضمّن الرسالة، وهو يطول أو يقصر حسب طولها أو قصرها ومضمّنها. هذا بالنسبة للرسائل العامة، أما رسائل البيعات فلا يشتمل صدرها على المكتوب عنه أو المكتوب إليه بل تبدأ مباشرة بالحمدلة والتصلية بصورة مطولة غالباً. والملاحظ أن كثيراً من الرسائل المنسوخة حذف صدرها أو اختصر أو عُوّض اسم المكتوب عنه والمكتوب إليه بالرمز "فلان أو أبي فلان أو السلطان الكذا بن السلطان الكذا، وعُوّضت الجهة بفلانة، كما عوّض التاريخ بعبارة مثل "وكتب في كذا في التاريخ" وهذا ما يزيد في صعوبة تحقيق الرسائل غير الأصلية.

أما مضمّن الرسالة في الفترتين الموحدية والمرينية فهو عادة ما يؤتى به بعد عبارة مثل "وإلى هذا فإن..." وهو أطول أجزاء الرسالة، وإذا كانت جوابية أتي بملخص لما في الرسالة الواردة قبل ذكر الجواب عليها، ثم يؤتى بالمقصود إن كانت غير مكتفية بالإجابة. أما إذا كانت هناك أسرار يخشى على افتضاحها فإن الرسالة تكتفي بالإشارة إلى تصديق حاملها الذي يبلّغ مضمّنها شفوياً. وقد تختلف مضمّنات الرسائل حسب الجهات المكتوب إليها وحسب الهدف منها :

ـ فالرسائل المكتوبة إلى جهات إسلامية عادة ما تحمل أخبار البلاد من أمن وانتصارات إضافة إلى ذكر علاقات الودّ والإخاء أو تقديم الدعم للجهاد في الأندلس... كثر هذا النوع من المراسلات المتعلقة بالأندلس منذ فترة معركة الزلاقة التي مهّدت لدخولها تحت سيادة المرابطين ثم الموحدين. ونظراً للتوتّر بين الخلافة العباسية والموحدين انقطعت ـ حسب علمنا ـ المراسلات بين الجهتين باستثناء رسالتين عن صلاح الدين الأيوبي يطلب الدعم ضد الصليبيين، (*رسائل موحدية*، 1/ عدد 38 و39). أما خلال العهد المريني فقد كثرت المراسلات مع المماليك في مصر والنصريين في الأندلس، فهي مع الأندلس لتأكيد استمرار دعمها، ومع مصر للتأكيد على استمرار المودة والدعوة للاهتمام بوفود الحج المغربية، وآخر مراسلة بيدنا مع المماليك تعود إلى مطلع القرن التاسع (*الغرب الإسلامي*... ع / 487). غير أننا لم نجد أية اتفاقية بين المغرب وبلد مسلم في موضوع السلم والتجارة على عكس ما كان يحدث مع الأطراف النصرانية، ذلك أن "دار الإسلام" كانت تعتبر مفتوحة على عامة المسلمين بصورة تلقائية دون حاجة إلى اتفاقيات.

ـ بالنسبة للرسائل الموجهة إلى بلد نصراني، هي من نوعين (اعتمادا على الأصول التي اطّلعنا عليها) : رسائل سلطانية عادية وعقود اتفاقات ؛

فالرسائل العادية الموجهة من السلطة المغربية تتضمّن العلاقات بين الجهتين السلمية والتجارية أي تأكيد المحافظة على استمرار السلم لمنع القرصنة بين الطرفين وتشجيع التجار النصارى للتوافد على المراسي المغربية أو المغاربية، وهذا شأن مجموعة من الرسائل الصادرة عن السلطة الموحدية المركزية والجهوية (في سبتة وإفريقية) نحو جمهورية بيزا التي احتفظت بهذه الرسائل التي نشرها أماري كما ذكرنا، ونجد في بعضها الإشادة بسلوك تجار جنوة مع رعايا الدولة الموحدية في الوقت الذي لم يتورع البيزانيون عن أعمال القرصنة أحيانا في خليج تونس كما حدث سنة 596 في ظل اتفاق سلم مع الموحدين. والشكايات من أعمال القرصنة النصرانية تملأ كثيراً من رسائل المرينيين والحفصيين والزيانيين والنصريين. ولا تخلو بعض الرسائل المرينية تجاه أركون من التعبير عن علاقات المودة، خاصة وأن أركون لم تكن تعادي الدولة المرينية كما كانت قشتالة تعاديها.

أما رسائل العقود فهي تحدد غالباً مدة الهدنة بين الطرفين، وإذا لم يتم تحديدها فإنها تنتهي ـ نظريا ـ بوفاة أحد الطرفين الموقّعين عليها، وغالباً ما تتضمن هذه العقود في بداياتها ذكر المدن والجهات الكبرى التابعة للطرفين، والظاهر أن الهدف هو التنبيه على شمولية الاتفاق لها سواء للتردد عليها تجارياً أو حرصاً على عدم تعرّضها للقرصنة.

ـ بالنسبة للرسائل الخاصة بداخل الدولة تتنوع مواضيعها : فمنها رسائل البيعات وهي عادة ما تتضمّن كون البيعة دعت إليها حاجة الأمة أو كان الاقتراح منها وتفضّل الأمير بقبولها، وكذلك الشأن بالنسبة لولاية العهد فهي ـ حسب زعم الرسائل المخزنية ـ تلبية لرغبة الرعية. وتُذكر في نص البيعة الشروط الواجبة عليها دون ذكر الشروط الواجبة على الحاكم. وتبدأ بالحمدلة والتصلية على

الرسول ﷺ والترضية عن الخلفاء الراشدين في صدر مطول عادة، ثم يُمهّد لظروف البيعة لإظهار الحاجة إلى الالتفاف حول الشخص المبايع مع الإشادة بنسبه. (*رسائل موحدية*، 1 / ع 40، 121، وقارن مع *الغرب الإسلامي* عدد 13 و19 و143).

رسائل الوصايا وهي غالباً ما نراها في بداية عهد الخليفة أو السلطان أو في فترات الأزمات السياسية أو انحباس المطر أو المجاعات... للتذكير بضرورة الالتزام بأحكام الشرع، وهي أيضا رسائل طويلة عموما مثل رسالة الأمير تاشفين المرابطي من منطقة تلمسان سنة 538 وهو في المرحلة الأخيرة من مقاومته لضغط الجيوش الموحدية (*صحيفة المعهد المصري* بمدريد، سنة 1955 م / 1 ـ ع / 3 ص. 110 ـ 113 نقلا عن مخطوط الأسكوريال 538 / 11أ ـ 13أ)، ومثل رسالتي الخليفتين الموحدين عبد المومن سنة 543 (التي سماها صاحب *نظم الجمان* بالرسالة المنظّمة) والمستنصر سنة 617 (*رسائل موحدية*، رقم 6 و106)، ثم رسالة الغني بالله النصري إزاء الضيق المالي الذي عانت منه إمارته بعد استرجاع عرشه وضغط القشتاليين عليها سنة 767 (*الغرب الإسلامي*... ع / 443)...

ـ رسائل الفتوح والتهاني بها، تتميز أيضا بطولها، وتكاد تتفق في الغرب والشرق الإسلاميين على مثل ما أوصى به الكاتب شهاب الدين الحلبي كتّاب الدواوين بقوله : "إذا كانت كتب التهاني بالفتوح فليس إلاّ بسط الكلام والإطناب في شكر الله على الفتح... ثم وصف الإقدام والصبر... على الملك وجيشه ونسبة النصر إلى الله... ولا بأس بتهويل أمر العدوّ ووصف جمعه وإقدامه، فإن في تصغيره تحقيراً للظفر به" (*حسن التوسل إلى صناعة الترسل*، 335).

ـ رسائل العتاب، وهي قصيرة وبدون صدر، هدفها تقريع جند منهزم أو متخاذل عن نصرة غيره وكمثال على ذلك رسالة علي بن يوسف المرابطي (*صحيفة المعهد*... نفس العدد ص. 116 ـ 118 نقلا عن نفس المخطوط 13 أ ـ 14 أ)، ورسالة المأمون الموحدي لعتاب جند وأهل مدينة أندوجر الأندلسية (*رسائل موحدية*، عدد 113).

ـ الظهائر، ومنها رسائل التزامات سياسية كالتي حدثت أحيانا بين بعض السلاطين المرينيين والنصريين للتفويض لهم في عقد اتفاق بالنيابة عنهم مع القشتاليين أو الأركونيين، ومنها أيضا تعيينات كبار رجال السلطة، وقد يرفق ظهير التعيين برسالة جمهورية أي تقرأ على الجمهور للتعريف بالمولّى عليهم والتوصية بطاعته (*رسائل موحدية*، ج / 1، الملحق الأول). وقد تكون الظهائر خاصة بالتوقير والاحترام، وهي قصيرة تخصّ التوصية باحترام بعض الأعيان أو الصلحاء أو الشرفاء وإعفائهم من المغارم والكُلَف التي يكلّف بها عامة الناس. وأقدم ظهير تعرّفنا عليه هو لزاوية أيت أمغار من أحد أمراء سلا اليفرنيين سنة 409 (راجع في *المعلمة : تميم بن زيري*)، وهناك ظهائر لاحقة لفائدة الزاوية المذكورة وردت في مخطوط "بهجة الناظرين" لعبد العظيم الأزموري، وكذلك لأحفاد الولي الصالح الشيخ أبي محمد صالح دفين أسفي (الغرب الإسلامي عدد 482). واستمرت ظاهرة تقديم هذا النوع من الظهائر على امتداد التاريخ المغربي دون تغيير في التعبير والمضمون تقريبا إلا ما يتعلق بوضع الطابع السلطاني في أعلاها بعد البسملة أو الحمدلة والتصلية منذ العهد السعدي.

إن معظم الرسائل السلطانية الأصلية عن الفترة الوسيطية محفوظة في الخزائن الأوربية، ومنها يمكن ملاحظة أنواع الخطوط المستعملة في الفترة المذكورة وأشكال الكتابة الرسمية ولون المداد أحيانا إضافة إلى العلامات السلطانية... فنلاحظ جوانب تشابه كبيرة في هذه الرسائل شكلا ومضمونا عند المرينيين ومعاصريهم، وقد كانت هناك ثقافة غرب إسلامية مشتركة ناتجة عن تنقلات رجال الفكر والأدب وخدماتهم في دواوين سلاطين المنطقة، فابن عميرة مثلا كتب عن أميري بلنسية ومرسية وعن الخليفة الموحدي الرشيد وانتقل إلى خدمة الدولة الحفصية، كذلك أبو بكر ابن خطاب اشتغل في ديوان ابن هود أمير مرسية ثم أمير غرناطة النصري ثم أمير تلمسان، وابن خلدون تنقّل بين خدمة أغلبية سلاطين الغرب الإسلامي، والأمثلة كثيرة. ويمكن أن نرى هذا التقارب من خلال ظاهرتين في كتابة الرسائل السلطانية الأصلية، شكل الكتابة والعلامة السلطانية :

ـ فالكتابة تتخذ شكلين متميّزين في الغرب الإسلامي منذ العصر الموحدي أي خلال القرون 6 و7 و8 هـ، فإذا كانت الرسالة عقد اتفاق أو التزام أو ظهيراً تكون الكتابة بأسطر أفقية، وغالباً ما تنتهي هذه الأسطر بكلمات مستلقية إلى الأعلى بكيفية تدريجية. وإذا كانت رسالة سلطانية عادية موحدية أو حفصية قسمت إلى مجالين مثلثين، فيكتب في الأول على صورة مثلث قاعدته إلى الأعلى أسفل العلامة الخليفية وقمته إلى الأسفل عند الزاوية اليسرى للرسالة لكون كلمات الأسطر ـ وهي شبه أفقية ـ يتناقص عددها تدريجياً من الأعلى إلى الأسفل، ثم يكتب في المجال الثاني المتبقّي على يمين الرسالة وبشكل مقلوب حيث تنتهي قمة هذا المثلث الثاني في أعلى الرسالة وتتخذ أسطره أشكالا منحنية، وإذا لم تكتمل كلمات الرسالة كتبت البقية على ظهرها في الأعلى بشكل أفقي. أما بالنسبة للرسائل المرينية والنصرية والزيانية فإن صفحتها تقسم عادة إلى ثلاثة أجزاء، يُترك أقل من الثلث في الأعلى بياضاً ويقسم الباقي إلى مثلثين متعاكسي الكتابة كما رأينا سابقا فتنتهي قمة (أو شبة قمّة) المثلث الأول عند الزاوية السفلى على اليسار وقمة المثلث الثاني عند الزاوية العليا على اليمين، وقد تُختم

الرسالة في البياض الأعلى (وإن لم يكن هذا كافياً كتبت التتمة في أعلى ظهر الورقة)، وتنتهي الرسالة بكتابة العلامة السلطانية.

ـ العلامة السلطانية هي توقيع الخليفة الموحدي أو السلطان المريني (أو السلاطين المعاصرين له في الغرب الإسلامي) أو من ينوب عنهم وهو المسمى صاحب العلامة، وهي عند الموحدين في أعلى الرسالة في بداية عهد عبد المومن ثم استقرت بعد البسملة والتصلية، وعبارتها : "والحمد لله وحده" (*رسائل موحدية*... ع/126)، قالت الشاعرة حفصة الركونية مخاطبة بشعرها عبد المومن الموحدي :

امْنُنْ عليّ بصكّ — يكون للدّهر عُدّهْ
تَخُطّ فيه يُمْناك — والحمد لله وحدهْ

واتخذت العلامة نفس المكان عند الحفصيين الذين اعتبروا أنفسهم ورثة الدولة الموحدية مع تغيير بسيط في العبارة حيث أصبحت "الحمد لله والشكر لله". أما بالنسبة للمرينيين والنصريين والزيانيين فقد وضعت العلامة في آخر الرسالة وتغيّرت عبارتها فهي عند المرينيين "وكتب في التاريخ المؤرخ به" إن كانت للسلطان، أو "وكتب في التاريخ" إن كانت لصاحب العلامة. وهي عند السلاطين النصريين "صحّ هذا"، وعند بني زيان بتلمسان "صح في التاريخ". وربما كان لبعض ولاة إفريقية من الموحدين علامة خاصة تميّز رسائلهم إلى الأطراف النصرانية المتعاملة معهم. وكان لبعض ولاة العهد علامة خاصة بهم مثل أبي الحسن المريني في عهد سلطنة أبيه أبي سعيد، كما كان لبعض ولاة العهد علامتهم مثل أبي الحسن المريني في عهد أبيه أبي سعيد، وكذا بعض الأمراء المتمردين على السلطة المركزية المرينية كما كان يحدث في سجلماسة. كانت هذه العلامات تكتب بخط سميك وتنتهي بحرف هاء مدلاة من نهايتها منعا لإمكانية أي تغيير. هذه العلامات هي غير طابع الشمع الذي تختم به الرسالة بعد طيّها ضمانا لعدم فتحها وقراءتها.


أ. عزاوي، *رسائل موحدية ـ* مجموعة جديدة، ج/1 ط. 1995 ؛ *الغرب الإسلامي من خلال رسائله* (القرنان 7 ـ 8 هـ)، أطروحة مرقونة ؛ ل. بروفنصال، مجموع *رسائل موحدية من إنشاء كتّاب الدولة المومنية*، ط. الرباط، 1941 ؛ ابن أبي الخصال، *رسائل مرابطية*، (تح. م. ر. الداية)، ط. دمشق، 1987 ؛ محمد م. حمادة، *الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية*، ط/2. بيروت، 1986 ؛ الحلبي، *حسن التوسل إلى صناعة الترسل* ؛ صحيفة (أو مجلة) المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، ع./ 1954، *سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس*، ع/ 1955، *نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين*، نقلا عن مخطوط الأسكوريال رقم 538 من *الفهارس العربية*، ع/ 1959 ـ 1960، *وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين* ؛ مصورات رسائل مغاربية محفوظة في "مكتبة التاج الأركوني ببرشلونة" *نشرت ضمن الغرب الإسلامي من خلال رسائله* ؛ م. البشير الفاسي، *مصورات ظهائر سعدية وعلوية بكتاب قبيلة بني زروال* ؛ *مصورات ظهائر علوية لفائدة الشرفاء أولاد سيدي عبد الله بن عزة دفين جبال بني يزناسن* ؛ *ظهائر خاصة*.


أحمد عزاوي

**رُسل السلاطين**، يختلف الرسول عن الرقاص وصاحب البريد في كونه شخصاً يقوم بمهمته منفرداً ومصحوباً بحرس (*استقصا*، 2 : 37 و38)، يتم اختياره من طرف الملك أو وزيره أو العامل بتروّ وتمحيص حسب مواصفات دقيقة. للقيام بمهام محدودة في الزمان والمكان، وغالباً ما تكون مهامّ مستعجلة لا تحتمل انتظار ذهاب البريد أو إيابه، أو للقيام بمهام تقتضي السرية وتتطلب الأمانة (*وصف إفريقيا*، 1 : 137). وقد يكلف صاحب البريد بمساعدة الرسول مثل مصاحبته له في بعض مراحل الطريق ؛ أو حمله معه على دواب البريد (*تكملة تاريخ الطبري*، 1 : 13 وما بعدها) وتقدم هذه المساعدة للرسول في الظروف العادية أي عندما لا يكون الرسول مستعجلا وليس لمهمته طابع السرية أو الخطورة.

يحمل الرسول أثناء تنقله في مهمته رسائل وتوصيات وأوامر مخزنية تحثّ على العناية به وتسهيل مروره ومهمته، وخاصة إذا كانت الطريق والمسالك التي يسير فيها بعيدة عن المدن والمراكز العمرانية أو المؤسسات الرسمية (*رسائل موحدية جديدة*، 19، 21) (*نفاضة الجراب*، 43 و75) (*وصف إفريقيا*، 1 : 287 و2 : 119) ؛ وعندما يكون مرور الرسول بالمدن أو المراكز الكبرى فإنه يبيت عند أعوان المخزن أو الأعيان الذين يحمل إليهم رسائل وتعليمات من الطرف المرسل، ومن الرسل من يتنقل متنكراً، وغالباً ما يكثر هؤلاء في مرحلة سرية دعوة جديدة.

استغل بعض الرسل الأهمية المعطاة لهم من قبل السلطة فاشتطوا في استعمال النفوذ المخزني بابتزاز الناس الذين يقيمون عندهم والإثقال عليهم بشروط وطلبات لا طاقة لهم بها حتى تضرر الكثير منهم من ذلك واشتكوا إلى الحكام (*رسائل موحدية*) ومن المستقبلين للرسل في منازلهم من أهمل القيام بالواجب أو اعتبر إقامة الرسول عنده عادية (*نفاضة الجراب*، 3 : 89 ؛ *وصف إفريقيا*، 1 : 77).

لم يكن الرسل غالباً قارّين، بل كانت مهامهم مؤقتة وظرفية، فلكل مهمة أو ظرف معين يتم اختيار الشخص الملائم وتوضع عليه شروط وترسم له مسالك التنقل ومراحلها إضافة إلي التسهيلات، ومن أشهر الرسل الذين تركوا ما يشبه مذكرات عن رحلاتهم في العصر الوسيط ابن حوقل التجيبي العراقي، والشريف الإدريسي السبتي

ولسان الدين ابن الخطيب، وابن بطوطة والحسن الوزان وغيرهم، وبالرجوع إلى كتاباتهم نقف على كثير من التفاصيل تتعلق بأسفارهم وظروفها وليس بالمهام التي كلفوا بها.

للرسل أعراف وقوانين وتقاليد تنظم مهامهم، على الرسول مراعاتها، وبالمقابل يحظى من الطرف الآخر المرسل إليه بالتقدير والاحترام وكرم الضيافة إلا في حالات نادرة، حيث وقعت تجاوزات كانت عواقبها غير محمودة ؛ بل ذهبت بعض الدراسات إلى اعتبار بعض الأحداث التاريخية الكبرى من أسبابها إساءة معاملة الرسل التي غالباً ما تكون بسبب سوء أدب الرسول وتجاوزاته، فكثير من الحروب الطاحنة كان سببها إهانة الرسول أو قتله كالحروب التي دارت بين ملوك الطوائف في الأندلس بزعامة المعتمد ابن عباد والمسيحيين بزعامة مملكة قشتالة، قيل إن سببها عدم التزام الرسول القشتالي بأخلاقيات مهمته فتجاوز حده وساء أدبه أمام المعتمد فما كان من هذا الأخير إلا أن ضربه ضربة قاتلة مرتكباً بذلك تجاوزاً آخر، وهكذا يقال إن ضربة المحبرة التي قتلت الرسول القشتالي أشعلت الحروب الطويلة التي انتهت بإخراج العرب المسلمين من الأندلس ؛ والواقع أن لهذه الحروب أسباباً أخرى موضوعية غير قتل الرسول.

ومن الحالات المتعلقة بالرسول والتي استغربها الحسن الوزان في كتابه (*وصف إفريقيا*، 1 : 137) رسول حاكم مملكة تنزيتا وهي إحدى ممالك السودان، والرسول حضر لتقديم الهدية والرسالة إلى ملك فاس الوطاسي، "وكنت حاضراً - يقول الحسن الوزان - عندما حملت هذه الهدايا الفخمة وكان الذي قدمها زنجياً قصيراً غليظاً بربريّ اللسان والعادات حاملا رسالة من سيده خاطها في إحدى ثنايا ردائه وطلب من الملك أن يحل الخياطة بنفسه ليبرهن عن الاحترام الذي يكنه لسيده لأنه لم يرد أن يضع يده على رسالة أقسم ألا يمسها".

ومن الرسل من تتضاعف متاعبه وتطول معاناته عندما لا يجد المرسل إليه في المدينة التي يقيم فيها (الحاضرة) فيضطر إلى تتبع تنقلاته حتى يظفر بمقابلته، ومنهم من ينتظر الأيام والشهور حتى يعود المرسل إليه إلى مقر إقامته ويأذن له بالدخول عليه، بل إن مهام الرسل تصبح عسيرة ومعقدة إذا كانت من بلد ضعيف إلى بلد قوي، فلا يلتفت إليه المرسل إليه ولا يعيره الاهتمام إلا بعد فراغه مما هو أهم، ويتعمد بذلك تهميش البلد والمرسل في شخص الرسول.

وقد يكون سوء التفاهم أو مجرد خطإ غير مقصود سبباً في متاعب الرسول مثل ما وقع ما بين صلاح الدين الأيوبي في المشرق ويعقوب المنصور الموحدي في المغرب، فقد أهمل الرسول ابن منقذ وتركه ينتظر أياماً وذلك بسبب مخاطبة صلاح الدين ليعقوب المنصور بألقاب غير ألقاب الخلافة (*استقصا*، 2 : 181 و182).

وقد تضاءلت مهمة هؤلاء الرسل في العصر الحديث إلى أن اختفت، وحل محلهم السفراء والممثلون الشخصيون لرؤساء الدول.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط 1984 ؛ أ. الناصري السلاوي، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1955 ؛ ل. بروفنصال، مجموع *رسائل موحدية*، الرباط، 1941 ؛ أ. عزاوي، مجموع *رسائل موحدية جديدة*، مرقون خزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1986 ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، القاهرة، د. ت.، الجزء الثالث، الدار البيضاء، 1989 ؛ الهمداني محمد بن عبد المالك، *تكملة تاريخ الطبري*، بيروت، 1961.

محمد حجاج الطويل

**الرسم**، إذا نحن أعطينا لكلمة رسم معناها الأوسع لا لتشمل المساحة المعمارية وحدها (الرسم على الجبس والخشب والزليج والزجاج والمفروشات الحائطية) بل لتشمل أيضاً الرقوق والورق والخزفيات المرسوم عليها والمطروزات والتزيينات المقصود منها التوشية بمختلف أنواعها على المخطوطات ولاسيما المصاحف منها، إذا وسعنا الرسم ليشمل كل هذا لم نشاطر رأي من يقولون إن الرسم المغربي والعربي عامة لم يكن له وجود قبل الاستعمار والعهد المعاصر، فهم يذهبون أيضاً إلى القول بأن الرسم إنما هو نتاج غربي مستورد. لربما كان عليهم أن يعدلوا هذا الحكم ويكتفوا بالقول بعدم وجود تقليد في الرسم الذي يتناول الطبيعة ويستخدم فيه الرسام حمالة، وحتى هذا الحكم يستدعي بعض التحفظ.

تاريخيا تحقق بفضل استخدام عدد من تقنيات وأساليب التاريخ الأثري أن أقدم التجليات الفنية لدى الإنسان تعود إلى أربعين ألف عام على وجه التقريب. فالرسم على الحجر داخل المغارات أو في الهواء الطلق موزع على جميع القارات. والمغرب من أهم بلدان إفريقيا التي توجد بها بكثافة الرسوم المنقوشة على الحجارة. وعلى صعيد آخر يعتبر الخزف المغاربي المرسوم عليه الأصل الذي احتذاه مباشرة الخزف المماثل في صقلية في أواخر العهد الحجري الحديث وفي عصر البرونز. فالأشكال الهندسية المرسومة بالأسمر والأسود على خلفية فاتحة (صفراء أو حمراء فاتحة) تشبه تلك التي تزين خزفيات الشمال الافريقي القديمة والحديثة، وتتكون من مربعات متجاورة ومثلثات ومعينات ذات أضلاع ممتدة ومن خطوط منكسرة.

من المؤكد أن تاريخ المغرب الفني لم ينته التنقيب فيه بعد. فهناك عدد من الميادين تستدعي دراسات معمقة. فالعهد السابق للإسلام لم يتوفر عنه تقويم كامل، وهنالك بحوث جارية حاليا في بعض ميادين الفن، مثل حُلي منطقة سوس وجهة الأطلس الصغير وهي تبين أن هذا الفن يمكن أن يعد فنا قائما بذاته له أصل في تقليد من الرسم

المقدس له ذات الرمزية التي نجدها في فنون الماضي السحيق.

أما العهد الروماني فيشهد على غنى فني كبير. فقد أخذ المغرب من المعمار اليوناني والمتوسطي وكيفه مع طقسه وحاجاته، كما أن وفرة البرونزيات والفسيفساء وتنوعها مما يشهد على ذوق رفيع، فالفسيفساء تضفي نضارة على الأمكنة وتزين المقاطع من جداريات وزرابي ؛ فهي تستوحي من القنص وصيد البحر والمآدب ولذات الحب. ففسيفساء وليلي تعد من أهم قطع هذا الفن المنتمية للعهد الروماني بالمغرب، فهي تزخر بتشكيلات من الأبيض والأسود، ورسوم هندسية تمتد أغصانا ملتفة وأوراقا نباتية، غاية في الأناقة ودوائر وصورا من خطوط مستقيمة، فترى فيها رسم البطل أُورفي بشبات فاخرة يعزف على قيتارة تحيط به حيوانات، أو ترى رسوم أشجار مورقة كثيفة أو بينها انفراجات، أو ترى رسوم طيور الحجل، والإوز أمام سلات مليئة بالورود والفواكه.

وفي دار الفتى الوسيم رسم فسيفساء تمثل باخوس وهو على ظهر عربته، وفي جهة أخرى رسم الصياد وهو رافع مذراة ثلاثية وسط طحالب أو رسم أسماك وطيور مائية أو فسيفساء تمثل هرقل وهو يأتي خوارقه. تميز هذا العصر برقائقه وتذوقه لكل ما هو عجيب، وبإيقاعه وتوشياته وولعه بالمسرح حتى وإن كان معنى الفرجة يوصف بأوصاف نقديه مثل "حماقة السيرك ولا أخلاقية المسرح وقساوة الخشبة وطيش رواق الألعاب".

لم يسائل المفكرون في الحضارة العربية الإسلامية الفن إلا في شكله المجرد كما يظهر في الخط والمنمنمات والرسم التصويري المصغر. فاستعمال العلاقة بين العظمة والطبيعة في ما يخص صور العالم كان يشكل تعارضا له علاقة بالنسق الديني والجمالي الإسلامي. أما الغرب فيعتبر هذه الجمالية تزينية ولا سيما فن التوريق في الزخرفة. وبهذا الصدد يقول صلاح ستيتي : "فالأشكال التي نراها أمام أعيننا ليست سوى تجميعات موقتة للذرات. فمصيرها إلى زوال. فالخط غير موجود، ليس سوى نقطة تتحرك، فكأن من شأن الفن الإسلامي أن يركز على التغيير، أن يقطع إلى مالا نهاية الصور الهندسية، من دائرة أو مضلع، ما أن يبدأ رسم هذا أو تلك حتى يتدخل الحلم الروحي للفنان فينقضه. فالتوريق بناء تشكيلي ذكي لفهم تركيبي للزمان والمكان". فهي مقاربة سعى بها الإسلام إلى إظهار الوحدة الروحية للجمالية. بيد أن النزعة التصويرية لم تكن غائبة غيابا تاما عن الفن الإسلامي. فانتشار الإسلام قد أتاح تطوراً مكن من الارتباط مع الشكل التصويري عبر مراحل : إعادة نسخ الأشكال الزهرية أو التجميعات المعمارية، ثم رسم مواضيع حية : من أسود وعزلان أو غيرها من الحيوانات، ثم إدراج صور الإنسان في الأخير.

توجد في مكتبة الفاتيكان ثلاثة مخطوطات ترجع إلى القرن السابع (13 م) وفيها قصَّة "بائض ورياض"، وتتضمن صورا أيقونية علمية محدودة العدد، ولكنها تشهد مع ذلك على نوع أسلوب العلاقات الوثيقة بين مدارس البحر المتوسط الشرقي في الفن وبين العراق. فالمواضيع كما هو متوقع مطروقة بشكل واضح الاختلاف وتتخذ تلوينا أندلسيا مغربيا. وعلى صعيد آخر فالاتصال والتبادل كان قائما على الدوام بين المغرب وأوربا الجنوبية. تشير طوني مارائيني في كتابها حول الفن بالمغرب إلى حالة ذلك الرسام المتميز الذي عاش في القرن السابع عشر وكان أندلسيا من إشبيلية سقط في الاسترقاق وسمي بـ بخوان دي باريخا أوخوان دي لامورا، وقد أبدع عدداً من اللوحات الرائعة ومنها رسم صورته الشخصية وهي توجد بمتحف نيويورك (الميتروبوليتان) فقد نال حظوة عند الرسام الكبير فيلا سكيس (1599 ـ 1660) واتخذه مساعدا له، وما لبث ملك إسبانيا أن أعتقه رعيا لقيمة عمله الفني المتميز في الرسم.

تأثر الرسم الغربي بالجمالية الإسلامية عن طريق فن الخط وفن التوريق. فالتوريق صياغة تشكيلية عالمة لمفهوم تركيبي للزمان والمكان والحركة (خطية ومتموجة ومشعَّعة) والحياة في سيلانها الذي لا ينتهي. في استجواب له بطنجة عام 1976 صرح الرسام هربرت باير وهو أحد أعضاء حركة باوهاوس التي أثرت على الهندسة المعمارية والرسم في أوربا فقال : "ما أن حللت بالمغرب حتى بدأت تجربة تشكيلية جديدة وغيرت أبحاثي ؛ فقد اقتحمت طريقة جديدة في الرسم ؛ عدت إلى الألوان الابتدائية وإلى الأشكال الهندسية الصرف".

يقول عبد الكبير الخطيبي : "كان فن الكتابة وفن التوريق نموذجا جماليا بالنسبة للفن الحديث. لكن ما يمكن أن يأتي به نسق جمالي لثقافة أخرى يتخذ عديداً من الطرق. ففي مستوى معين يتخذ أيضاً طريق المعيش اليومي، أو يتسرب عن طريق الضوء أو المنظر أو الطقوس أو الإيماءات أو الوجوه أو الزهور ؛ أو عبر ليلة بدر التمام كما يعترف بذلك الكاتب الفنان الألماني بول كلي (1879 ـ 1940) في *مذكراته*. وبالجملة فذلك العطاء يتسرب عبر كل ما يمكن أن تقدمه ثقافة بمثابة كتابة صامتة لمن يعرف أن يتلقاها، لمن يقدر على أن يستضيفها".

يمكن القول إن جمالية مجتمع مّا يتوقف قبل كل شيء على بناه التخييلية، على شبكات تلقائيتها الحسية وعلى شخصية فنانيها. فقد عرف إبداع الرسم في المغرب حيوية مشهودة لا تنفك تشير بزخمها وأصالتها والتجدد المستمر لعطائها الخلاق، فهي من التعبيرات التشكيلية الأكثر تكيفا مع الحداثة، مع بقائها متعلقة بوسطها الثقافي واهتمامات عصرها ومع ظاهرية معيش داخلي منتسب لتقاليدها الثقافية. فالتجذر في الواقع الاجتماعي يعطي للرسم المغربي تعبيرية أشكال تحمل مضمونا داخليا وتترجم

سيرورة تغيرات اجتماعية جاءت نتيجة حقنة الحداثة، وهذا ما يعطيها قدرتها خاصة على التلون وأساليبها وأمشاجها وتياراتها وتياراتها المضادة.

وهكذا فإن الابداع في الرسم بعدم إقصائه للوعي بالماضي قد تكيف بمهارة مع وضعيات غير مسبوقة مستعملا في حقها الرؤية المتسائلة حول الواقع بالرغم من كثافته، بل وحتى قتامته في بعض الأحيان.

رفض الرسم المغربي المقاربة الإغرابية التي تعامل بها الاستشراق مع المناظر والناس والأشياء. فضل التساؤل على فضائه والإيقاع الأصيل على حميمية جماله والذاتية وبصمات ترات هويته مع تشييد نفسه على العصرانية.

عندما استقل المغرب وعند بداية أعوام الستينيات نظر الرسامون المغاربة إلى الرسم الاستشراقي في مظهره الاستعماري وجماليته الرجعية بمثابة مساس بالوحدة الفنية، فنددوا بهذا النوع التشيكيلي رافضين الاستلاب والطمس. وقد فتح الرسامون الشباب نقاشا غنيا مع المثقفين حول حقل التعبير بالرسم وحول الأصالة والحداثة والتزام الفنان سياسيا. شارك بعض الرسامين المغاربة في ابتكار مجلة "أنفاس Souffle" سنة 1966. وقد كان لهذه المجلة إسهام واسع في التفكير حول الرسم المغربي ولا سيما بنشر عدد خاص حول الفنون التشكيلية. وهكذا ظهر الفنان الرسام واعيا بمكانته المركزية في دينامية واسعة النطاق اجتماعيا وثقافيا تدعوه إلى أن يكون لا مستمعا لما يجري في بيئته وحسب، بل إلى أن يتجاوب مع ما ينتظره منه هذا الوسط.

ومن جهة أخرى فإن الرسم المغربي تنامى ولاشك بدافع حاجة عند الفنانين إلى التعبير ولكنه تنامى أيضاً بفضل عدد من الاتصالات والمبادلات مع بلدان أخرى في حوض البحر المتوسط. وظهر نوع من الرسم الشعبي على المستوى الفردي وتنامى بكيفية طبيعية نحو أشكال أخرى من التعبير الفني الأكثر تفتحا والأكثر تلقيا لتيارات عصرية ولتقنيات جديدة.

تذهب بعض الشهادات إلى القول بأن أول رسام مغربي قد يكون هو عبد السلام الفاسي بن العربي المولود عام 1904. فبينما كان رسام شيخ يدعى براندو يرسم أمام حمّال لوحاته في جامع الفناء بمراكش عام 1920، اقترب منه عبد السلام ليقول له إنه هو أيضاً يمارس الرسم.

غير أن تفتق مواهب عدد من الرسامين بالمغرب جاء في الأعوام الأخيرة من عهد الحماية. فقد برز مولاي أحمد الإدريسي الذي نظم أول معرض شخصي في لوزان بسويسرة عام 1952. وفي هذا العهد ظهر محمد بن علال الملقب بجمركي روسو (Le douanier de Rousseau). وكان المشغل له هو الفنان جاك أزيما. وقد نظم بنعلال أول معرض له بواشطن عام 1952. ويمكن أن يدرج في هذه الفترة كل من مكي مرسية وحسن الأكلاوي وأحمد بن إدريس اليعقوبي (نظم أول معرض فخيم له في رواق بيتي بارسونز Betty Parsons بنبويورك) وفريد بلكاهية وميلود الأبيض وكريم بناني ومريم أمزيان والسرغيني الخ... وقد تابع عدد من هؤلاء الرسامين تكوينا في المغرب، بينما تكون البعض منهم في الخارج. تكوين ابتدائي في غضون أعوام الخمسين كان في ميدان الرسم بالمغرب استفاد منه الشباب المغاربة في المدرسة التحضيرية للفنون الجميلة بتطوان Escuela Prepatoria de Bellas Artes، وكان من بينهم السرغيني وفخار ومرسية، ثم آخرون منهم الشفاج ومليحي وشبعة والعمراني وأخرون. نظمت مصالح الشبيبة والرياضة من جهتها ورشات للرسم. وبعد حصول المغرب على الاستقلال وذلك بين 1956 و1960، ذهب عدد من الرسامين إلى الخارج من أجل الدراسة، ومن بينهم مغارة وكريم بناني ومليحي والشرقاوي والشفاج، وبعد ذلك ببضع سنوات سافر من أجل الدراسة آخرون منهم شبعة والعمراني وحفيظ والحامدي والدمناتي وح. العلوي والزين الخ...

أنهت أجيال أخرى من الرسامين الدراسة والتكوين في مدرسة الفنون الجميلة بالدار البيضاء التي تم احداثها والتي سرعان ما ارتبطت بها أسماء بعض الرسامين منهم بلكاهية ومليحي وشبعة. وقد قام عدد من الرسامين بقطع تكوينهم بالخارج والعودة إلى الوطن، وهذا ما فتح آفاقا جديدة للرسم بالمغرب. وقد تميز الشرقاوي بأعماله القائمة على إشكالية التركيب بين الفنون التقليدية وأبحاث الرسم الغربي الحديث، فقد طمح إلى أن يكون رساما بارزاً منتميا لمدرسة باريس دون أن ينقطع عن جذوره. وكان الغرباوي من جهته متوزعا في إقامته واهتمامه بين باريس والمغرب، وما لبث أن برز رسامون آخرون عبروا عن مواهبهم على ساحة الرسم منهم أحرضان والقاسمي وبلامين وإكن وبناس وطلال والوزاني والبوجمعاوي وحريري وغطاس ورحول وعزيز سعيد، ولا ننس الفنانات الرسامات كلطيفة التجاني وفاطمة حسن ومريم أمزيان ومليكة أكزيان وبنبوشتة ومريم العلج.

نمى هؤلاء الرسامون أساليب عديدة واتجاهات في الرسم المغربي بفضل تنوع التعبير وغناه وبفضل الحرية في ممارسة المهنة. وقد دارت اهتمامات هؤلاء الرسامين حول ثلاثة توجهات رئيسية وإن كان هذا التصنيف لا يخلو من تعسف ولكنه يستجيب على الخصوص للرغبة في موضعة الرسم المغربي بقدر الإمكان بالنسبة للواقع.

أ - الرسامون الذين اتخذوا مرجعيتهم حركات الرسم في الغرب باسم النزعة الكونية مع اتخاذ مسافة من تلك الحركات في مستوى التطبيق. وهؤلاء مقتنعون بأن الرسم الذي يستعمل فيه المحمل Chevalet هو في جميع الحالات "مستورد" وله مرجعيته حتى ولو أدخل فيه الرسامون رموزاً لها مرجعيتها في هويتهم الخاصة. وفي ضمن هذا التوجه يتميز فنانون آخرون بأبحاث تقترب من المشاغل

الفنية بأوربا التي لهم معها علاقات أكثر كثافة ولكن الشخصية الفنية لهؤلاء الرسامين تتجلى بوضوح في أعمالهم. ولا يمكن بأي حال أن ينظر إلى هذا التقرب كشكل من أشكال الاستلاب الغربي. فحتى وإن كانت التقنية لا تنفصل عن القيم الخاصة بها، فإنها في حال هؤلاء الرسامين تنحصر في بعد الاقتباس المشروع. فالتجريد متمثل في تعددية النزعات متراوحا من النزعة التعبيرية المجردة كما عند الغرباوي إلى التجريد الشاعري أو الرمزي أو الهندسي كما عند كريم بناني وشبعة وميلود وبلامين ومليحي والملياني والبوجمعاوي. تنمى هذا التجريد في إطار ذات الفكرة التي ميزت الفن الحديث. وهو تجريد يمتلك قوة تشكيلية وجمالية كبرى. ونجد عند بعض الرسامين ولاسيما كريم بناني حساسية قوية على مستوى الألوان. والتصويرية حاضرة في الرسم المغربي الحديث، ولكنها تصويرية خصوصية ظلت مبتعدة عن التصويرية الاستشراقية، وذلك ما يلمس عند الشفاج والدحماني ومريم أمزيان وصلادي. ومما يتعين ملاحظته أيضاً نوع من التصويرية الموضوعية من صنف الأكاديمية الجديدة، كما عند بنيوسف أو المبالغة في الواقعية كما في الرسوم بالمداد عند بنّاس.

ب ـ النزعة الرمزية أو الرسم الإشاري. يرى هذا التوجه أن الكونية ليست هي طغيان ثقافة على أخرى، بل هي جملة عطاءات خصوصية، فهي تستمد أبحاثها من الذاكرة الجمعية التي لها حضور بارز في وسطها الثقافي ويغذيها فكر تغلب عليه الرمزية. فالإشارة مقدمة في شكل مكبر أو مصغر، تشكلها إرادة تغيير الأصل Transfiguration وخلق فضاء تعبير فني أكثر مطابقة لخصوصيته. وفي جميع الحالات فإن هذه النزعة تعطي للأعمال الفنية مدى حداثي بما تنطوي عليه من التركيب وبالألوان وبالحيوية الشاعرية وبالانخراط في بعد يسعى إلى تفادي الزمن. وتتميز هذه النزعة بأسلوبين في الرسم :

1 ـ أسلوب الرسامين الذين يستعملون الإشارة الرمزية التي يعود فضاؤها إلى زمن غابر، مستوحاة من جذور ثقافية متنوعة (الوشم، الرموز، البقايا)، تمثل أحسن تمثيل متخيل الفضاء الثقافي المحلي والتقاليد الجمالية للفنون الشعبية. فالإشارة تستعمل إما في حالتها الخام أو المعدّلة. فصياغتها تسفر عن أشكال عجيبة، بشرية وحيوانية كونية (كما عند الشرقاوي والميلودي وإڭن وبوجمعة وأحرضان) نجد بعض أعمال بلكاهية تدور حول الرمز الهندسي بتجانسيتها، ونجد القاسمي يتحكم في إيقاع الإشارة في فضائها الأعمق.

2 ـ الرسامون المشتغلون على الحرف العربي ينتزعون هذا الحرف من نسق استعماله في الكتابة، يقومون بإعادة ابتكاره، يحولونه إلى إشارة مرسومة. الخط في هذا الاشتغال مكسر، مشعّع، يتحرك كعنصر في تركيب داخل الرسم، مدمج في جمالية حديثة. يستعمل عدد من الرسامين الحرف العربي، يموقعونه في فضاء يتقلب فيه البحث الجمالي في كامل تجليه، كما عند الرسام الحريري.

ج ـ الرسم المسمى بـ "الساذج" ويفرض نفسه كواقع تاريخي حتى ولو كان بعض النقاد يرون فيه بقية من بقايا عهد الاستعمار. فهو شكل من أشكال التعبير لا يمكن تجاهله ولا النظر إليه فقط من زاوية التقليد الإيمائي للبيئة. إنه رسم تلقائي ولكنه يسفر عن إتقان فائق للصياغة الفنية. يتميز بنوع من النضارة وبنزوع إلى حكاية مشاهد الحياة اليومية. كان ابن علي الرباطي يرسم تجمعات الناس في ساحات القصبات بطنجة، أما بنعلال فهو الراوية الحقيقي برسمه لمشاهد مراكش بما يستعمله من قوة جبارة في التعبير. ويعد هؤلاء يضاف إليهم مولاي أحمد الإدريسي والودغيري وفاطمة حسن والغزولي أهم الممثلين لهذه الحركة. أما الشعيبية فهي حالة خاصة في هذا التيار، بتحكمها في المادة وبكثافة تعبير الألوان التي تستعملها والصياغات التي تنجزها.

بعد هذا العرض السريع لتطور الرسم بالمغرب نخلص إلى التأكيد على سماته المتمثلة في غناه وتنوعه وعلى كونه ما فتيء يؤكد حضوره على الساحة الثقافية الوطنية. فالتعبير التشكيلي ميال إلى رفض السكونية وإلى المساءلة الدائبة والفضول وإعادة النظر في الوقائع القائمة وإلى البحث عن مستقبل جمعي. لاشك أن عدداً من النقاشات تدور حول تطور هذا التعبير التشكيلي ولا سيما في زمن العولمة حيث يسعى الإنسان إلى صيانة مخياله وإلى التفتح على آفاق جديدة وإلى استباق الأحداث على المستوى الفني حتى يتمكن من صيانة استقلالية مصيره. غير أن الرسم المغربي يتجاوز لكل السجالات يجتهد لفك كل حصار وإلى التحرر في إطار التعددية وإلى ابتكار جمالية قائمة على عمق الإحساس بالاختلاف. في إطار هذه الدينامية يظل الفنان المغربي الرسام رائدا يناضل في مجتمع يعيش تحولات مجتمع لا يتوفر فيه هذا الفنان على وضعية حقيقية. يحاول المصالحة الدؤوبة بين التجديد والموروث الثقافي والقيم الجمالية الحديثة.

Khalil M'Rabet, *Peinture et identité, L'expérience marocaine*, Paris, 1989 ; M. Sijilmassi, *La peinture marocaine*, Paris, 1972 ; Al *Founoun, Les arts plastiques au Maroc* (en arabe) ; *Attakafa El Jadidida* n° 7, 1977 ; Toni Maraini, *Ecrits sur l'art*, Rabat, 1989 ; M. Sijilmassi, *L'art contemporain au Maroc* ; *Souffles, situation des arts plastiques au Maroc*, 1967 ; A. Khatibi, E.A. El Maleh, T. Maraini, *La peinture d'Ahmed Cherkaoui*, Casablanca, 1976 ; A. Stouky, *Baghdad Benas*, Rabat, 1980.

عيسى إيكن

ترجمة أحمد التوفيق

**رسموكة**، تعرف محليا بإداگرسموكت وهي وحدة قبلية، تنتمي لاتحادية إداولتيت، وتحيط بها قبائل أيت أحمد وأيت صواب في الشمال والمعدر في الغرب وإداوبعقيل في الجنوب وإداوسملال في الشرق. وتغطي جزءاً من أزغارتيزنيت وجزءاً مهما من الأطلس الصغير الغربي. مركزها أنزي.

تذهب الرواية الشفوية إلى أن أصل الرسموكيين من تامدولت وأن جد ولتيتة حين غادر هذه المدينة بعد خرابها آوته القبيلة، وقد يكون ذلك خلال القرن الثامن(14 م).

بيد أن هذا الانتماء تدعيه قبائل سوسية أخرى وهو غير مقطوع به ويحتاج إلى أدلة يقينية غير مستقصاة الآن.

كانت رسموكة في علاقتها بالمخزن المغربي ضمن كتلة جزولة ولا نشاطر رأي الكتابات الأجنبية التي أدخلتها - جازمة - ضمن القبائل التي لا تنالها الأحكام المخزنية. فالشواهد التاريخية تفيد أن وجود جزء من ترابها ببسيط تيزنيت يدفعها إلى الخضوع لنفوذ قواد المخزن، لكن في نفس الآن كانت علاقتها بالمخزن في الأرجوحة :

فكلما توسع اشعاع السلطة المخزنية عن طريق المحال والحراك، كلما تمكن ممثلو المركز من تطويعها وخضوعها للوظائف والكلف. مثل ما وقع زمن الموحدين حين قادت رسموكة قبائل جزولة وأعلنت البيعة سنة 552 / 1157. وأثناء نزول محلة المولى أحمد المنصور الذهبي، زمن السعديين بالسوس الأقصى، كانت كذلك ضمن القبائل التي آوته حسب شهادة صاحب الديوان.

وعلى عهد العلويين تمكن المخزن من التوغل في النطاق الجبلي على يد قواد حاحة أغناج 1225 / 1810 والگلولي سعيد 1316 / 1898.

ويبدو أن الادماج الجزئي في المنظومة المخزنية كان على عهد السلطان المولى الحسن حين نظمت حكومة سوس الأقصى، وكان الاعتراف الرسمي بثلاث قيادات رسموكية: أحمد بن الحسن، بلقاسم بن عدي، أحمد بن الحسين.

وإذا قورنت رسموكة بغيرها نجدها كثيرة بالنسبة لمجالها الترابي، مما يعكس الشنآن الذي دبّ بين الأسر الكبرى بالقبيلة. ونجد كذلك حضورها في الوثائق المخزنية في الخزانة الحسنية شبه منعدم مما يفسر ضعف مشاركاتها. وكانت - على ما يبدو - تتستر وراء الإيلغيين. بالمقابل ظهرت على الساحة المخزنية أثناء أزمة "تابوحنايكت الهشتوكية" سنة 1314 / 1896 وتعرضت للنهب والتخريب مما دفع الرسموكيين أن يتحالفوا مع الولتيتيين ونسوا هنيهة قلا قلهم، فتراجعت بهذا التحالف قوة سعيد الگلولي القهقري.

لقد كانت القبيلة تعتمد في معظم الأحيان على اللف الجزولي بقيادة دار إيليغ وبذلك تقوى جانبها ضد جيرانها : بعقيلة والمعدر. على عهد الحماية، قبل احتلالها عانت من مغارم القائد الگنتافي ممثل الاستعمار الفرنسي بتيزنيت. لكن جزءها الجبلي بقي صامداً وشارك ببسالة في وقعة وجان المشهورة ضد الجنرال دولا موط سنة 1917. واحتضن هذا الجزء كذلك حركة أحمد الهيبة وخلفه مربيه ربه، ولم يخضع إلا بعد أن استنفذ كل ماله وكان من بين آخر المعاقل التي استسلمت سنة 1934.

كانت رسموكة على مستوى مشاركاتها العلمية طافحة بالعلماء، منهم الأبازل في مختلف الأنصبة : فقها وتصوفا وتدريسا، وسمت الحركة الثقافية المغربية. ومن أهم المدارس بتراب القبيلة : أداي الرسموكية، تافراوت المولود، إيلماتن، دودرار، تيزگين... ويبدو أن جزءاً من العلماء اغترفوا من معين مدرسة مجاورة هي المدرسة الأدوزية زمن نهضتها العلمية، فزادهم ذلك شرفا وتكوينا. ومن أهم العائلات العلمية : المزواريون والتامراويون.

الحضيكي، *طبقات*، تح بومزگو ؛ الإگراري، *روضة الأفنان* ؛ الكرامي، *بشارة الزائرين* ؛ الرسموكي، *وفيات* ؛ أيت بومهارت محمد الوسخيني، *منار السعود* (ط 1994) ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، 3 : 299 ـ 386 ؛ 4 : 209 ـ 210 ـ 268 ـ 274 ؛ 8 : 80 ـ 170 ـ 220 ؛ 15 : 206 ـ 218 ؛ 18: 91 ـ 274 ـ 277 ؛ 19 : 33 ـ 35 ـ 150 ؛ *خلال جزولة*، الرحلة الرابعة ؛ *رجالات العلم العربي بسوس* ؛ *المجموعة الفقهية*، ط. 1998 ؛ الحسن العبادي، *فقه النوازل في سوس*، منشورات كلية الشريعة بأگادير، ط 1999 ؛ *ديوان قبائل سوس*، *معلمة المغرب*، 228 ـ 837 ؛ *أرشيف الخزانة الحسنية*.

R. Montagne, *Les Berbères* ; J. Meunié, *Le Maroc Saharien*, pp. 348 - 351 - 352 - 480 ; Justinard, *Sous au XVI s*, 1933, pp. 14 - 82 - 115 - 156.

شفيق أرفاك

**الرسموكي، أحمد** بن **سليمان** التاغاتيني مولداً المراكشي مدفناً. أحد أعلام الحركة الفكرية والصوفية بمراكش والجنوب عموماً خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن الثاني عشر (18 م)، وأحد أفذاذ الأسرة الرسموكية التاغاتينية، نسبة إلى قرية تاغتين التي تسمي أيضاً رباط الصالحين، وهي أسرة علم ومجد ونباهة.

صحب والده سليمان بن يعزى الرسموكي الشيخ عبد الله بن يعقوب السملالي (ت. 1052 / 1648 بدر هالة البلاد السوسية، وكان فقيها موثقا عدلا، فتك به وبولده محمد الطالب أناس بينهم وبين التاغاتينيين عداوة، وذلك عام 1072 / 1661. غادر صاحب الترجمة قرية تاغاتين بعد مقتل والده وأخيه، ولا تفصح المصادر عن السن التي كان عليها. غير أنه يمكننا الاطمئنان إلى القول إنه كان في إبّان بلوغه على أقل تقدير، وأنه قد أوتي رشده وصار أهلاً لتنظيم بينه وبين اليعقوبيين الأحكاكيين وشائج متعددة، ترجيحا لسبق هذه الصلات وحدوثها قبل خروجه من بلده. ويفيد عدم أخذه عن الشيخ عبد الله بن يعقوب

أنه إما ولد بعد وفاته، وأما أنه كان في ابان الطفولة عندها، وانه رأى النور في حدود انتصاف المائة الحادية عشرة للهجرة. ومهما يكن فقد هرع على أثر أبيه في الانتساب لزاوية تازموت السملالية والدراسة بمعهدها، وأخذ عن وارث مشيختها مَحمد فتحا بن عبد الله بن يقعوب (ت. 1082 / 1671)، وعن أخيه أحمد، وعن نجله وسميه مَحمد فتحا (ت. 1122/ 10 . 1711). كما تتلمذ على جملة من صحب الإمام عبد الله بن يعقوب من أهل جزولة، ومنهم عبد العزيز بن أبي بكر البرجي الرسموكي (ت. 1065 / 1654)، والحسن بن علي داود السملالي (ت. 1091 / 1680).

وتمثل حواضر تارودانت ومراكش وفاس وزاوية تامگروت المحطات البارزة في رحلة أحمد الرسموكي العلمية وسياحته الصوفية، كما يعتبر الأئمة الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102 / 1960)، وعبد القادر بن علي الفاسي (ت. 1091 .1680)، وأحمد بن ناصر الخليفة (ت. 1129 / 6 .1717)، أشهر أساتذته ومشايخه وواسطة عقد أسانيده العلمية والصوفية. وتصدر بعد رحلته وسياحته للتدريس بتارودانت في حدود عام1104 /2 .1693، وبمراكش التي اتخذها مستقراً ومقاما ولم يغادرها إلا ستة أشهر من عام 1120 /8. 1709 فراراً بدينه من الافتقاء برقية الحراطين الذين صرح باشتهار حريتهم عند الكبار والصغار. وقد تخرج به جميع طلبة وقته وبلده، ومنهم محمد الصغير الإفراني (ت. ما بين عامي 1156 و1157 / 1174 و1744) وأحمد العباسي السملالي 1152 / 39 .1740). وأصبح قطب الافتاء في الجنوب عقوداً من السنين، وقصده أهل سوس بأسئلتهم في أمور دينهم ودنياهم.

وعكف أحمد الرسموكي على التأليف والاجتهاد والافتاء في مسائل الدين، وخلف آثاراً كثيرة في شتى العلوم التي شارك فيها من حساب وفرائض وفقه ونحو وعروض وتوقيت، ومنها : في الحساب : *تذليل أجنحة الرغاب في معرفة الفرائض والحساب* التي نظمها إبراهيم بن أبي القاسم السملالي، والمعروفة في سوس بالمنظومة السملالية، وتتألف من مائة وعشرين بيتا. فذيلها بستة وثمانين بيتا، وشرحها بثلاثة شروح : كبير عنوانه "*كشف الحجاب للأصفياء والأحباب على أجنحة الرغاب في معرفة الفرائض والحساب*" في اثنتي عشرة كراسة، ومتوسط عنوانه *معونة الأحباب على فتح أجنحة الرغاب في معرفة الفرائض والحساب* في ست كراسات، وصغير عنوانه *مفتاح أجنحة الرغاب في معرفة الفرائض والحساب* في أربع كراسات.

في الفرائض : ألف في علم الفرئض منظومة سماها *الجواهر المكنونة في صدق الفرائض المسنونة*، وتشتمل على أربعمائة واثنين وثلاثين بيتا، وهي جامعة لكل ما يتعلق بهذا العلم فقهاً وعملا. ووضع عليها شرحين : كبير عنوانه *ايضاح الأسرار المصونة في الجواهر المكونة في صدق الفرائض المسنونة* وهو مطبوع ومعروف بفرائض الرسموكي، وصغير عنوانه *حلية الجواهر المكنونة في صدق الفرائض المسنونة*.

وفي الفقه : له *رسالة في الميراث*، *ومعونة الأخوان على مسألة أولاد الأعيان*، *وحاشية على الرسالة القيراونية*، *وحاشية على المختصر*، *ومؤلف في الوصية*، *وحلة العروس في أجوبة وأسئلة أهل سوس*، *وتحقيق القول في مسألة العول*.

وفي الفلك والتوقيت والتنجيم : له *الفوائد المرضية في استخراج المنازل والبروج المتوهمة والصورية*، ومنظومة *عمدة الرغاب في حل ألفاظ معونة الطلاب* شرح فيها رجز علي ابن محمد الدادسي المعروف "*بمعونة الطلاب*" في التوقيت، وتزيد علي مائتين وخمسين بيتا. وله شرح على *روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار* لعبد الرحمان الجادري، والأبيات الثمانية في *العمل بالزايرجة* لأبي العباس السبتي.

في النحو : له *أجوبة نحوية في المنادى المضاف للياء والاستغاثة والندبة والترخيم*. في العروض : له قصيدة من *ستة وستين بيتا خصصها لبحور الشعر العربي* وأعاريضها وما يلحقها من زحافات وعلل.

وله مؤلف في التوحيد، ومجموعة في *آيات الشفاء*، *ورسالة في حديث المسلم من سلم الناس من يده ولسانه*، وفي *شروط التوبة*.

وجل تراث الشيخ أحمد الرسموكي متوفر، وقد تتبع الباحث الحسن اللويزي الموجود منه والمتفرق في الخزانات الخاصة والعامة، وجمع جملة من رسائله. وذلك في الرسالة الجامعية التي أفردها له، والتي اعتمدناها في جرد ووصف الآثار العلمية لهذا الشيخ.

ولا ينبغي أن يفهم من ضمور الجانب الصوفي في المعروف والمتوفر من تراث أحمد الرسموكي اضمحلاله في ظاهره وباطنه وفي علمه وعمله، فنشأته صوفية محضة، وقد شب في زاوية والده بقرية تاغاتين المعروفة عند أهل سوس برياض الصالحين، والتي كان الشيخ أحمد بن موسى السملالي (ت. 971 / 3 . 1564) يزور رجالاتها ويقف على مشاهدهم موقف الاعتبار، ويحث على مداومة زيارتهم. وانتسب في شبابه لزاوية تازموت اليعقوبية السملالية، وانتهت به رحلته العلمية وسياحته الصوفية إلى الانتساب إلى الزاويتين الفاسية والناصرية. ولاشك أنه قد اشتهر بين أهل مراكش باعتباره من أعلام الطائفة الناصرية ذات الحظورة بهذه الحاضرة، خصوصاً بعد استقرار الإمام اليوسي بها وتدريسه في مساجدها ثلاثة أعوام كاملة وتأسيسه لزاوية رياض العروس الناصرية. لكن الثابت أن الشيخ أحمد الرسموكي قد أنف من الظهور وآثر الخمول، وانقطع في بيت علوي من مدرسة المواسين وحده مؤثراً السلامة

لنفسه في العزلة والعزبة، حتى اشتهر بين تلامذته ومعاصريه "بصاحب المدرسة".

ولم يعبر صاحب الترجمة عن ورعه وزهده في المشيخة الصوفية بسلوكه العزلة والخمول فحسب، بل بالتهوين من ركن من أركانها تعاظم أمره على عهده، وهو تلقين الأوراد. وقد سجل تلميذه محمد الصغير الإفراني موقفه هذا، في إحدى رسائله إلى محمد المعطى (ت. 1180 / 1766) شيخ الزاوية الشرقاوية في حينه، ونصه : "وكان شيخنا الفقيه الفرضي الحيسوبي سيدي أحمد بن سليمان صاحب المدرسة يقول : تلقين الأوراد اليوم لا يتوقف على شيخ ولا على اذن، لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسواء فيه جميع المسلمين". وينبئ هذا الموقف المتحرر في هذه القضية التي تعد من بين القضايا الصوفية التي شغلت بال أهل الطريق بالمغرب، خلال هذا الطور الأخير من أطوار عصر التصوف، عن صفاء وسمو المسلك الصوفي الذي كان يترسمه الشيخ الرسموكي ويرغب الناس فيه. وهو يخالف فيه كثيراً من أرباب الرئاسة الروحية على عهده، وعلى رأسهم شيخه أحمد الخليفة الذي عرف بالتشدد في مسألة الاذن بتلقين الأوراد، وعدم التساهل فيها حتى مع كبار الناصريين. وقد أنكر على الإمام اليوسي تلقينه الأوراد الناصرية بعد وفاة والده مَحمد بن ناصر (ت. 1085 / 4 . 1675)، وقال له : لما مات أبي وأنا خليفته عزلت إلا أن آذنك ! فاستأذنه فأذن له بعد ذلك. وقد تسببت هذه القضية في افتراق الناصريين إلى فرق متنافرة، بل ومتناحرة أحيانا. وهذا يدل على تميز واستقلال النهج الصوفي الذي سار عليه الرسموكي في إطار النسبة الناصرية.

وعاش صاحب الترجمة محظوظا في علمه وفي دينه وفي ورعه وفي شهرته، وبقي عزبا إلى يوم وفاته التي حدثت يوم الاثنين فاتح رجب عام 1133 / 28 أبريل 1721. وكانت جنازته حافلة، وتبعه كثير من أهل المدينة، واختطف الناس فراش نعشه تبركاً به، ودفن في وسط القبور كما أوصى بذلك، بخارج باب الدباغ من حاضرة مراكش.

م. الصغير الإفراني، *الافادات والانشادات*، مخطوط خاص، 16 ؛ *درر الحجال في سبعة رجال*، مخطوط، 33 ؛ رسالة إلى الشيخ محمد المعطي، مخطوط خاص، 3 ؛ ع. التاسافتي، *رحلة الوافد*، تح. ع. صدقي، 177 . 180 . 181 . 182 . 183 . 228 . 236 ؛ م. المكي الناصري، *الروض الزاهر في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه الأكابر*، تح. المهدي الغالي، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 1999، 202 . 257 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، 85 . 93 . 101 . 118 . 291 . 370 . 469 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 366 ؛ م.المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 330 . 337 ؛ الحسن اللويزي، *أحمد بن سليمان الجزولي الرسموكي* المتوفى عام 1133 ؛ *حياته وآثاره*، د. د. ع، دار الحديث الحسنية، الرباط، 1995.

عبد الله نجمي

**الرسموكي، داود** بن علي الگرامي السملالي، ذكره ابن سودة في الرسموكيين (249) وترجم له السوسي ضمن رجالات سملالة الگرّاميين (*سوس العالمة*، 188) و(*المعسول* 7 : 31) و(*رجالات*، 57) وهو من الأسرة الگرامية المعافرية الأندلسية الأصول ؛ ولعل المسوغ لذكره في الرسموكيين أن رسموكة مسقط رأسه في قرية تادارت ( *المعسول*، 7 : 31 ) وقد استنتج السوسي أن ولادته قبل عام 1120 / 1708 بناء على مقارنات وعلى تصريحات صاحب الرجم ببعض الوقائع.

وصف بأنه عالم جيد معتن وهو يلتقي مع الحضيگي الشهير معاصره في بعض شيوخه ؛ كما يشبهه في وضع كتاب في طبقات علماء سوس ؛ ألف الحضيگي *طبقات علماء سوس* وألف داود بن علي *بشارة الزائرين من الباحثين في حكايات الصالحين*. كما يؤخذ من مقدمة كتابه المخطوط. وإذا كان الحضيگي قد توسع في عدد المترجم لهم وفي مساحة التراجم فإن صاحب *بشارة الزائرين* هذا عمد إلى رجال القبائل والنواحي فضم رجالات كل قبيلة كبرى أو أكثر ضمن باب، مصرحاً في مقدمة *البشارة* بأنه اعتمد فيه على الأصول المجردة من الزوائد (الورقة الأولى) وهو في أربعة أبواب كبرى أولها في رجال سملالة والثاني في رجال رسموكة وحامدة وبعقيلة والثالث في رجال انتمّلْت ومن جاورهم، والرابع في رجال درعة وسجلماسة ومراكش. وذكر السوسي أن هذا الصنيع من شأنه إظهار مزايا الأسر العالمة ( *المعسول*،7 : 31 ) واصفا صاحبه بالنقل الحرفي من عبارة أحد الرسموكيين المجهول الاسم والنسب وصاحب كتاب *لطيف الحجم في الوفيات* (انظر مطبوعة *وفيات الرسموكي*) وقارن *بالمعسول* (7 : 31) كما ذكر له في *سوس العالمة* (188) مؤلفا ثانيا سماه *منهج الراشدين في تتبع خُطا سيد المرسلين* واستظهر أنه توفي بعد عام 1164 / 1750 بكثير (*رجالات*، 57).

د. الرسموكي نفسه، *بشارة الزائرين*، الورقة الأولى ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 185 ؛ *رجالات*، 57 ؛ *المعسول*، 7 : 31؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 249.

**الرسموكي، عبد العزيز** البرجي (ت. 1655/1065) عَنْونَ له السوسي مجرداً عن اسم أبيه أبي بكر بن أحمد بن يعقوب ( *المعسول*، 5 : 20) وذكره محمد حجي كاملا ( *الحركة*، 607) ونسبتُه إلى قرية البرج برسموكة. وقد وُصف بالعلامة الكبير وبالتفنن في التأليف والتدريس والتخريج والإفتاء والفروسية وبالأدب واللغة والتصريف والحسن فيه (*رجالات*، 35).

أخذ عن الشيخ ابن يعقوب الشهير جد الأسر الأدوزية وعالم سوس وشهد له تلميذه الحسن اليوسي بالنجدة والقوة والحزم والخط الرائق والكتابة والطرق النافعة في تدريس

التصريف وبالتحقيق في تدريس *المختصر الخليلي* الفقهي (*المعسول*، 5 : 21 ـ 22) وهو الذي حرك همة اليوسي لإعادة تدريس *الألفية* في النحو طلبا للبراعة واستحضار الشاهد منها على غرار ما شاهده من صاحب الترجمة (حجي، *الحركة*، 607) ومن السوسيين عامة.

له مؤلفات عديدة تتراوح بين كتب في العروض مثل *كافية النهوض في صناعة العروض*، (خ) و*شرح الخزرجية* (ح) و*تذييل صالح اللخمي في تجزئة أشطار العروض* (خ). وشرحه (خ). وأخرى في النحو واللغة *كنظم المغني* (خ) وحاشية على *كتاب الجوهري* (خ) ومؤلف في *شرح كبرى العقائد* (خ) وآخر في المديح النبوي (خ) سماه *موازنة الوتريات البغدادية* ؛ وآخر في *التحريض على قيام الليل* (خ). وله مع معاصريه معارضات ومساجلات كمؤلّفه في لغز عارض به لغز معاصره الميرغتي (خ) ؛ وله مراجعات مع فقهاء مراكش (*المعسول*، 5 : 32 ـ 35) في شكل مقطوعات شعرية إظهاراً لبراعة السوسيين في القريض ورداً على من زعم عكس ذلك (نفسه) وله شرح *منظومة فقهية لبعض الازاريفيين* (خ) وغيرها (سوس، 185).

ودرس بمدرسة المولود ثم استقضي ببلدة إيليغ قبيل خرابها، وتوفي غريقا في نهر بهشتوكة سوس (حجي، 607) سنة 1065 / 1655.

م. المختار السوسي، رجالات35 ؛ *المعسول*، 5 :20 ؛ *سوس العالمة*، 185 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 607.

محمد البايك

**الرسموكي، محمد** بن **عبد الملك**، فقيه. ينتمي إلى إحدى البيوتات الرسموكية القديمة، وهي أسرة التامريين التي ترفع نسبها إلى زوزان بن علي الولتيتي. ولد حوالي 1290 (1873 ـ 1874) بقرية "تامرا" بتراب "إداوگارسموكت أودرار (الجبل)".

نشأ يتيما بعد أن هاجره أبوه وهو ما يزال صغيراً. تعلم على شيوخ عائلته من بين أعمامه وأخواله خاصة محمد بن العربي الأدوزي بمدرسة أدوز، التي كانت تعج أنذاك بالطلبة من مختلف الآفاق.

وبإيعاز من ابن عمه محمد إيگيگ، أكمل الرسموكي تعليمه بالأخذ عن شيوخ القرويين بفاس أمثال : أحمد بن الخياط وعبد السلام الهواري ومحمد القادري والفقيه الاغزاوي... ويظهر مما أرده عنه زميله في الدراسة الحاج أحمد الزياني، أن الرسموكي كان يسكن في بيت متواضع، مقبلا على التعبد والزهد. وكان مولعاً باقتناء جميع أصناف الكتب ومطالعتها، فتكونت لديه مكتبة متسعة. وعرف عنه أنه من الممارسين لمهنة التطبيب، واشتغل أيضا بعلم الجداول، ومن ذلك تحصل لديه مال كثير. يشهد له معاصروه بعلو كعبه في الأدب واللغة والطب، وكانت له مساجلات أدبية وعلمية مع الفاسيين. ولأسباب لا نعرفها، كثيراً ما كان الرسموكي لا يتورع عن التحامل على الفاسيين، ولم يسلم من لسانه العديد منهم، ومع ذلك كان يتمتع بتقدير كبير من لدن سكان وأعيان المدينة، وكان محل احترام الجميع لفضله ومكارم أخلاقه ونسكه.

توفي بفاس عام 1368 (1948 ـ 1949) ولم يخلف أولاداً، وكانت معظم تركته من الكتب التي كان مولعاً باقتنائها.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 5 : 133 ؛ ج.8 : 190 ـ 191 ـ 215 ـ 267 ؛ ج. 11 : 188 ؛ ج. 18 : 15. 66 ـ 332.

**الرسموكي، محمد** بن **علي** (إگيك)، ينتمي محمد ابن علي بن أحمد المزواري الرسموگي الملقب إگيك إلى أسرة علمية شريفة النسب إدريسية الأصل، نبغ أبناؤها وتسلسل فيها العلم منذ القرن التاسع (15 م) حيث عاش أولهم محمد بن سليمان بن يحيا الجزولي (ت. 806).

ولد محمد بن علي إيگيك نحو سنة 1260 بقرية تامالوكت بقبيلة إداوگارسموگت، وبها بدأ دراسته الأولية ثم انتقل إلى مدرسة أدوز فلازم العلامة العربي بن إبراهيم الأدوزي حتى وفاته ثم أخذ عن ابنه العلامة محمد بن العربي الأدوزي قليلا، وانتقل إلى المدرسة اليعقوبية الإيلالنية لدى أستاذها العلامة محمد بن علي اليعقوبي شارح *المنهج المنتخب* في الأصول فلازمه حتى حصّل عليه ما حصّل من العلوم، ولما توفي شيخه هذا ورأى أن لا أحد في سوس مثله ارتحل إلى فاس سنة 1301 فأخذ على علمائها عبد السلام بناني وعبد العزيز بناني ومحمد بناني ومحمد بن المدني گنون ومحمد القادري ومحمد مزور وعبد السلام الهواري.

رجع إيگيك من فاس وقد أجازه أساتذته فيما أخذ عنهم من علوم خاصة تلك التي أتقنها إتقانا تاما كالحساب والفرائض التي كان فيها مبرزا. قال عنه الإگراري : "له يد في علم الحساب، جميع أعمال المنية في صدره" (*روضة الأفنان*، ص. 238) إضافة إلى اللغة والتفسير والبلاغة. ولعمق معرفته وسعة تحصيله لقب إگيك أي الرعد.

وبعد عودته من فاس انصرف إلى التدريس فشارط في مدرسة تانكرت بإيفران سنة 1314، ثم في مدرسة سيدي بوهادي بإيلالن سنة 1321 ثم في إحدى مدارس هشتوكة، غير أنه ما لبث أن فارق التعليم فاشتغل حينا بتجارة الكتب يجلبها من مراكش ليبيعها بالمواسم الكبرى بسوس خاصة موسم تازروالت، وقد جانبه التوفيق فيها فصار يزجي أيامه بالتجوال بين المدارس ومنازل العلماء بسوس مشتغلا أحيانا بالتدريس وبقسمة التركات (*المعسول*، 8 : 177).

كان الرسموكي إيگيك متقلب المزاج سريع الغضب معتدا بنفسه، لا يستقر بمكان فقل الآخذون عنه والمنتفعون بعلمه الجم، وغالب المستفيدين منه إنما أخذوا عنه بالمدرسة

الإلغية لأن أستاذيها محمد بن عبد الله الإلغي وعلي بن عبد الله الإلغي كانا يستقبلانه ويصبران على ما يصدر منه حتى يستفيد منه الطلبة، قال أحد طلبة الإلغية : "... كان الأستاذ علي بن عبد الله نفسه يجلس مع الطلبة بين يديه، فيعمل عمل الحساب والفرائض إيناسا له واستنهاضا لهمم الطلبة" ( *المعسول*، 8 : 178).

وممن أخذ عنه : محمد بن الموذن السملالي وعبد الله بن محمدالسملالي وإبراهيم بن علي التاكوشتي ورشيد المصلوت وغيرهم.

كان إگيك كثير الانتقاد للناس خاصة الطلبة والعلماء وأرباب الطرق، مولعا بالحط من أقدارهم وإبراز معايبهم وقرص أعراضهم، ولم يسلم منه سوى شيخيه في العلوم والطريقة التيجانية العلامة الأصولي محمد بن علي اليعقوبي وشيخ التيجانية بسوس الحاج الحسين الإفراني، مما سبب له ذلك معاداة الناس الذين صاروا يقعون في عرضه وينسبون إليه النقائص، وإلى ذلك أشار محمد المختار السوسي بقوله : "...وكان لتمكنه من العلوم يحسب له من يخافون منه ألف حساب فيغضون رؤوسهم متى لمحوه، ثم يكيلون له صاعا بصاع إن غاب عنهم، فربما ينيطون به معايب قد يكون خاليا منها، ولكن حين أولع بالبحث عن عيوب الناس وبالحط منهم أولع به أيضا الناس، فصاروا يحطون من مقامه بحق وبغير حق حتى لا يتركون له حسنة ولا يبقون له منقبة". ( *المعسول*،8 : 179).

كان لدراسة المترجم بفاس أثر كبير في اتساع أفقه وتجلى ذلك في انتقاده بعض العادات والمظاهر المنتشرة في سوس مثل "تحزّابت" وهي تلاوة تشوه القرآن بزيادة المدود أو نقصها، كما كان ينتقد تزيين المقابر والأضرحة وكسوتها بالأقمشة، وكانت له آراء تربوية ثاقبة، فكان يرى أن على الطالب أن يستمر في الأخذ حتى تحصل له الملكة، ثم عليه أن يعتمد على نفسه في التكوين والتحصيل ( *المعسول*، 14 : 57).

عاش إگيك عازباً لم يتزوج قط حتى بلغ الثمانين فأصابه الخرف وفارقه التمييز سنتين قبل وفاته فسار حتى وصل إلى المدرسة اليعقوبية بإيلالن وهناك توفي سنة 1324 /6 ـ 1907، وهو أحد علماء سوس الذين لم يسعفهم الحظ في إبراز ما حصّلوا من علوم فلم يتمكن من الاستقرار بمدرسة ولا من تأليف كتاب أو رسالة. وأهم آثاره إجازته للفقيه رشيد المصلوت إجازة مطولة مفصلة عدد فيها مشايخه وما درس عليهم من علوم ومعارف إضافة إلى مشايخه في الطريقة التيجانية (راجع *المعسول*، 8 : 184).

م. المختار السوسي، *المعسول*، الأجزاء 1 . 2 . 3 . 4 . 8 . 9 . 11 . 13 . 14 ؛ م. الإگراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، تح. حمدي أونوش، أگادير، 1998.

**الرسموكي، موسى** بن العربي بن إبراهيم، ولد بقرية تيروكت بقبيلة إداو كارسموكت (رسموكة) وسط جبال جزولة يوم الأربعاء 23 رمضان سنة 1283 /29 يناير 1867 ( *المعسول*، 18 : 29 نقلا عن *تحلية الطروس* للسكراتي).

بدأ موسى دراسته بمسقط رأسه ثم غادره وحفظ القرآن وأتقن حفظه على جماعة من الأساتذة الحفاظ، ثم شرع وعمره خمسة عشر عاما في دراسة العلوم فأخذ عن جملة من مشايخ تازمورت وتارودانت ومراكش : محمد بن عبد الله السملالي (ت. 1235) لازمه مدة اثنتي عشرة سنة متنقلا معه بين تازمورت بجوار تارودانت ومنتاكة وأيت مزال بإيلالن حتى أتقن عليه علوم العربية والفقه والبيان ؛ وأحمد بن محمد بن علي السندالي الأصولي الملقب أمزارك والكبير (ت. بعد 1306)، درس عليه بتييوت قرب تارودانت، أخذ عنه الأصول والبلاغة ؛ وعمر التملي الايكضيي ؛ الحاج أحمد الجشتيمي أدركه أواخر حياته فقرأ عليه تبركا ؛ وعبد الرحمان بن القرشي الفيلالي درس عليه كتاب جمع *الجوامع* لابن السبكي في الأصول بجامع المواسين بمراكش سنة 1311.

رجع الرسموكي من مراكش سنة 1312 وقد استتم معارفه فاندمج في الحياة العملية وبدأ بالسبيل المفتوح لأمثاله من الخريجين الجدد وهي المشارطة، فكان بقبيلة إيمنتاكن (منتاكة) نحو ستة أشهر، ثم انتقل إلى قبيلة المنابهة شمال شرقي تارودانت، ثم استقر بتارودانت سنة 1314 تاركا المشارطة لتعاطي التجارة. وقد أتاح له الاستقرار بهذه المدينة التعرف على علمائها وفقهائها، كالقاضي محمود الخياطي الذي أعجب بمداركه وتحصيله للعلوم وبعمق معرفته بالنوازل وإتقانه لها، فعيّنه متلقيا للشهادات (عدلا) وعضواً في مجلس الشورى، وهو مجلس يتكون من علماء يعينون القاضي في مهامه، بقي الرسموكي ممارسا لعمله حتى جلا عن تارودانت إلى تازمورت سنة 1322 بعد أن سجن ظلما هو وولي نعمته القاضي محمود الخياطي.

عاد موسى الرسموكي إلى تارودانت فما لبث بعد سجن القاضي محمد بن عبد الرحمان بليزيد الروداني أن ولي قضاء الجماعة بها في شعبان 1326/ نونبر 1902، ويشمل قضاء الجماعة الإشراف على القضاء بالقبائل السوسية الممتدة من رأس الوادي وقبائل الأطلس الكبير كسكتانة إلى إيلالن بالأطلس الصغير وهشتوكة وماسة ( *الفهرس العلمي*، ص. 46) بتعيين عشرات النواب يتولون الفصل بين المتخاصمين إضافة إلى ضبط التوثيق وتلقي الشهادات بهذه المنطقة المترامية الأطراف، وبقي الرسموكي متولياً هذه المهام مدة خمس وثلاثين سنة موزعة على مرحلتين :

الأولى من سنة 1326 (في *خلال جزولة* 1325، ج. 4 : 140) عقب عزل القاضي اليزيد الروداني وسجنه إلى 1332 تاريخ تعيين القاضي الفاطمي الشرادي الفاسي بتارودانت.

الثانية : من سنة 1337 عندما عاد القاضي الشرادي

إلى فاس وأشار بتعيين الرسموكي في منصب القضاء إلى سنة 1361 تاريخ إحالته على التقاعد، وقد كان القاضي موسى الرسموكي يقوم في هذه المرحلة بالتدريس بالجامع الكبير حسبما ورد في رسم مؤرخ بسنة 1339 (*وثائق أحمد بوزيد الكنساني*) ومن تلاميذه محمد التيملي المسناتي أخذ عنه إذ ذاك ( *المعسول*، 8 : 293).

اشتهر القاضي موسى الرسموكي بالنزاهة والاستقامة والإنصاف خلال توليه قضاء الجماعة، فكان متحريا لا يسرع في الأحكام بل ربما أبطأ، كما أغلق باب الشفاعة في الحقوق وأنصف من المقربين قبل الأباعد، ووقف في وجه المتلاعبين ولو كانوا من الرؤساء (راجع حول موقفه من تدخل وزير العدل والباشا الأكلاوي في إحدي القضايا *المعسول*، 18 : 17).

ونتيجة لذلك لم يُؤثل أملاكا ولا كانت له ثروة، وصفه المختار السوسي، فقال : "كان فريدا في كل أحواله، فقد أبرز منه هذا المركز الذي كان فيه زهاء خمس وثلاثين سنة درة صافية، وياقوتة فريدة، وإماما مبرزاً قلما يوجد له نظير، فقد تولى قضاء تارودانت وهي إذ ذاك عاصمة سوس... فيستنيب عنه عشرات النواب، وكان بذلك في ملتقى سيول الأموال لو أنه كان يهتم بجمعها، ثم مضى له زمن طويل كان مظنة تأثيل الأموال ولو شيئا فشيئا، ولكن كم يطول عجب القارئ إن أخبرناه بأنه لم يتأثل ولو حقلا واحداً، ولا ظهرت له أموال مثل ما تظهر لأمثاله الذين يكونون في مثل مركزه ولو بضع سنين ( *المعسول*، 18 : 10).

وقال فيه المدني بن الحسني رئيس مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى : "ما رأيت بين القضاة اليوم مثل سيدي موسى الروداني، فإنه عندي من بقية السلف فيما ينهجه من أحكامـه، وإنهـا لأشـبه عنـدي بأحكام قضاة الأندلس ( *المعسول*، 18 : 12).

كما كان الرسموكي مفتيا تُعرض عليه القضايا والنوازل فيفتي بمذهب مالك متبعا في ذلك كبار فقهاء المذهب، وكانت له آراء جريئة مخالفة لما جرى به العمل في سوس بين العامة، يتجلى ذلك في موقفه من بيع الثنيا، وقد أفتى بحرمته وعمل جهده على منعه، وكتب في ذلك فتاوى عديدة (*خلال جزولة*،4 :176 ؛ *فقه النوازل في سوس*، ص. 359).

لم يمنع الاشتغال بالقضاء موسى الرسموكي من أن تكون له اهتمامات أخرى، كالاهتمام بالتقييد، فاتخذ كنانيش يحفظ بها ما يعن له من أخبار وتاريخ وأدبيات وأحداث سمع عنها أو شهدها بنفسه، واعتنى بالخصوص بتسجيل أخبار وفيات العلماء والفقهاء من أهل سوس، كما اهتم بتواريخ تنصيب الرؤساء والقواد والنظار وغيرهم من أرباب المناصب الهامة في المجتمع، وقد استفاد محمد المختار السوسي من هذه التقاييد واستعان بها في تآليفه التاريخية والأدبية، ووصفها قائلاً : ".. مقيدات هذا القاضي كثيرة، وذلك يدل على غاية الاعتناء منه" (*خلال جزولة*، 4 : 177) ؛ وباقتناء الكتب خاصة نوادر المخطوطات إما بالشراء أو النسخ، فاجتمعت له بفضل ذلك خزانة حافلة ضمت كتبا هامة قليلة النظير ما بين كتب الفقه والأدب والتاريخ والفهارس، ومن نماذج ما تحتويه نسخة عتيقة من كتاب *الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة* لعبد الرحمان التمنارتي، وهي الأصل الذي نسخ منه الباحث الفرنسي الكولونيل جوستينار النسخة الموجودة بالخزانة العامة بالرباط، وكتاب *النور الباهر في نصرة الدين الطاهر* ليوسف بن عبد الله الإسلامي وهو أحد يهود تارودانت الذين أسلموا، وقد بيعت هذه الخزانة الهامة بعد وفاة ابنه أحمد بن موسى.

ومن اهتمامه بالأدب، أريحيته الأدبية أي ما اتصف به من فكاهة ودعابة لا يتصف بها عادة إلا الأدباء الظرفاء خاصة عندما يختلي بأمثاله من الأدباء أو في مجالسه الخاصة التي يكون فيها بعيداً عن مهام القضاء التي تفرض عليه لزوم الوقار والسكينة، فيملأ مجالسه بإنشاد الأبيات والمقطعات ورواية الطرائف والمستملحات. كما خصص يوم الأربعاء من كل أسبوع لنزهات يقوم بها مع علماء المدينة الأدباء كعبد الله خرباش وأحمد بن المصلوت الهواري وغيرهما فيقضون اليوم في مذاكرات وإفادات علمية وإنشادات أدبية. كما كان يستغل زياراته للحواضر الكبرى كفاس ومراكش للقاء الأدباء والتعرف عليهم، وترقب زياراتهم لتارودانت لاستضافتهم، مثل علي بن عبد الله الإلغي والشاعر محمد بن الحاج الإفراني وشاعر الحمراء محمد بن إبراهيم المراكشي.

ومن إبداعاته الأدبية : قطعات اقتصرت في الغالب على الإخوانيات، وعلى غرض المدح والوصف والسخرية والهجاء، وكان غالب إبداعه في المساجلات تحية لصديق أو ردا على تحية، أو قياماً بالواجب في التهنئة أو التعزية، أو غير ذلك من الموضوعات المرتبطة بحياته الاجتماعية، غير أن ذلك لا يقدح في شعره ولا ينزع عنه ما وصف به من أنه شعر لطيف وممتع رغم قلته.

وله مراسلات عديدة مع معاصريه، ويختلف أسلوب رسائله حسب المرسل إليه، فإن راسل الأدباء والعلماء فإنه يطيل النفس ويعتني بالصنعة، كما يتفنن في الأسلوب مستعينا بالسجع ومستعملا المجاز والتشبيه والاستعارة على غرار الكتاب الأندلسيين، مع ترصيع الرسائل بالأمثال والأبيات الشعرية من الشعر العربي القديم أو من إبداعاته الخاصة.

ومن نماذج هذه الرسائل ما كاتب به القاضي الفاطمي الشرادي الفاسي بعد أن غادر تارودانت واستقر بفاس، يتشوق إلى لقائه ويصور ما ترك بالمدينة من فراغ، قال : "أما بعد، فهل عرفت كيف تركت بعدك القلوب تشوقا،

وغادرت أوداءك برحيلك تحرقا، فما أنت إلا الوبل الذي صادف محلا فقلع جذوره، ثم كسا وجه البسيطة زهوره، أو النهار المشرق الذي يطلع بعد ليلة السرار، فطلع بشمس وضاءة صافية الأنوار، فالشكر لسعد السعود الذي ساقك إلى سوس حتى علاه الحبور والسرور بعد العبوس.." (*المعسول*، 18 : 18).

أما إذا كاتب الرؤساء والقواد فيعبر على حسب الحاجة متوسلا بالعبارة البسيطة السهلة التي لا تشكل على الأفهام رعيا للقصد منها فهدفها تحقيق ما يتعلق بالمهام الرسمية أو مجاملة من لابد من مخاطبته دون التفريط في حسن السبك وقوة الأسلوب.

توفي القاضي موسى الرسموكي يوم 2 شوال 1361 / 13 أكتوبر 1942. ودفن بمقبرة باب الخميس بتارودانت مخلفا ذكراً حسنا ما زالت تتداوله الأفواه، وقد رثي بأشعار كثيرة.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الأجزاء، 4 . 6 . 7 . 8 . 10 . 11 . 14 . 16 . 18 . 19 ؛ *خلال جزولة*، ج.4، تطوان ؛ اليزيد الراضي، *شعر داود الرسموكي*، أگادير،1992 ؛ رشيد المصلوت، *الفهرس العلمي*، الدار البيضاء،1405 / 1985 ؛ الحسن العبادي، *فقه النوازل في سوس، قضايا وأعلام*، الدار البيضاء،1999 ؛ *وثائق أحمد بوزيد الكنساني بتارودانت*.

المهدي السعيدي

**الرسموكية**، مدرسة في قلب قبيلة إداوگارسموكت، تقع مدرسة دَوْدْرار الرسموكية العتيقة. تنحشر وسط ركام من التلال الجبلية وكأنها حجابها "تخيروا لها موقعاً اتفقت عليه كلمتهم. بإشارة من العارف الرباني أحمد بن محمد من المرس بأرباض ماسة، مع ثلة صالحة من آل الدشيرة... بين أكمات لا يتراى لعين الناظر" شيدت المدرسة في ملك رجل من آل بورجيلات يدعى مَحمد لشگر. وهذا التأسيس، وقع فيما غلب على الظن، في أواخر القرن الثاني عشر (18 م). ومما يستشف من وثائق المدرسة أن القبيلة كانت تتكلف بجميع مستلزمات تسييرها وتدبيرها، بما في ذلك شرط الأستاذ المدرس. ففي سنة 1287 كان "مقدار شرط الفقيه (محمد بن إبراهيم التودماوي) أربعين مثقالا قفة، وثلاثون غرائر من الزرع بصاع الأربعاء، ونوافله من الزبدة...". تعاقب عليها بالتدريس والاقراء، منذ إحداثها ما يناهر سبعة عشرين من الشيوخ والأساتيذ ذوي أصول مختلفة (إيداوگاسموكت، أدوز، ماسة، أزاريف، إلغ...) أشهرهم : صالح بن إبراهيم الرسموكي (ت. أواخر ق. 12)، إبراهيم بن محمد المحجوبي (ت. 1252هـ)، العربي بن إبراهيم الأدوزي (ت. 1286)، محمد بن محمد بن أحمد الأدوزي (ت. 1276)، عبد الرحمان بن أحمد الماسي (كان حيا 1379)، علي بن الطاهر المحجوبي (ت. 1387)، عبد العزيز الأدوزي (ت. 1336)، محمد بن علي المزواري (ت. 1335)، سيدي عبدو المقرئ (ت. 1383)، محمد بن علي المحجوبي، صالح بن عبد الله الإلغي...

وعلى الرغم من تعدد المدارس المتناثرة بتراب القبيلة (تيزگين، تافراوت، المولود، تاملوكت...) فإن مدرسة دودرار تستأثر بالريادة العلمية، وكان منحاها العام هو الاهتمام بالفقه والأدب والقراءات. وتخرج منها عدد غير من الطلبة.

*وثائق المدرسة* ؛ *وثائق الأستاذ صالح بن عبد الله الإلغي* ؛ *المعسول*، 3 : 82.81 ؛ 8 : 214 . 10 . 77 ؛ 11 : 188 ؛ 5 : 108 . 70 . 112 . 134 . 214 . 129 . 65 . 115 ؛ 4 : 28 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس*، 225 . 128 . 124 . 241 ؛ الاگراري، *روضة الافنان*، تح. حمدي أنوش، ص. 201 . 280 . 329 ؛ *مدارس سوس العتيقة*، 110 ؛ *خلال جزولة*، 1 53 ؛ *سوس العالمة*، 159.

أحمد بومزگو

**رشاد، بوشعيب** أحد رواد المسرح المغربي بالدار البيضاء. ينتمي إلى الجيل الحضري المحافظ الذي أفاق على وقع تغلغل الاحتلال الأجنبي فتفتح على الحداثة من موقع وطني أصيل.

اغترف من المعين الحضاري المتشعب، الثري والمتناقض، الذي رافق نشأة العاصمة الاقتصادية الفتية في ظل العولمة الأولى التي عقبت الحرب العالمية العظمى وأعدت للثانية. تلقى الدروس البصرية الأساسية عن طريق السينما الصامتة التي كانت مدرسة متميزة، تركز على التشخيص والحركة والإخراج، ولغة الإبداع الجسدي والتقني دون سواها. بالموازاة مع ذلك، كان التراث الشعبي مايزال يتمسرح بزخم كبير في حلقات الساحات العمومية، معتمدا على النصوص البطولية والعقائدية للموروث الموحد، وتلاقح الآداب الإقليمية، وتوقيع الأهازيج والفكاهة والموعظة. وكانت معه الحركة الوطنية، تحتكم إلى الدين الإسلامي وإلى الفكر الشرقي، وتنتقي من النبوغ الدخيل، وتندمج في المسار النضالي الذي ألهب الجبل وأحيى المدينة.

عرف بوشعيب رشاد في بداية حياته الفنية باسم شعيب الحاج قاسم. تتلمذ في عصامية تامة على التيارات التي

كانت تعبر الشارع البيضاوي، وأسهم بقسط وافر في الجهود التي عملت في مرحلة أولى على تجنيب التعبير التلقائي الشعبي المسرح مزالق الابتذال والدونية. فكان من الذين أسسوا لمسارح الأحياء في صورتها الأولية، في ذات الساحات التي كانت تقام عليها الحلقات، منافسة المسارح الأجنبية المشارب ومنها مسرح العبث الذي ظهر كملهاة جديدة تشغل الناس، والشباب منهم على الخصوص، توظف الألعاب البهلوانية، ومهارات السحر وخفة اليد... (الراس المقطوع). ومن أجل خلق هذه الانتفاضة الثقافية، وتقويم التيارات المدسوسة والدفع بها في اتجاه أخلاقي وطني ذي جمالية فنية أصيلة، عكف الرواد على إنشاء الأنشطة الثقافية خلال مواسم لها حرمتها لدى العموم، فتميزت من بين هذه التظاهرات على سبيل المثال "حفلات رمضان" التي كانت تعرف العروض المتواصلة لبعض الروايات الاجتماعية والطرائف الفكاهية والأناشيد الوطنية والقراءات الشعرية، إضافة إلى ترتيل الذكر الحكيم، كل ذلك في جو احتفالي مفعم بالحماس والعفوية...

خلال كل مرحلة البدايات، كانت لغة الإبداع في مجملها هي العربية الدارجية. واستمر ذلك إلى أن تبين التخطيط الاستعماري لطمس الهوية الوطنية بكل مقوماتها. فسرى في أوساط النخبة الفنية تعليمات الإجماع باعتماد اللغة العربية الفصحى في إنجاز كل عمل إبداعي ذي بال.

لاشك أن أقدم مرحلة للإنتاج المسرحي في صيغته النظامية الكلاسيكية قد انبثقت إرهاصاتها عن جو المقاومة والبطولات التي خاضها الكفاح المسلح ضد احتلال البلاد، والأصداء التي خلفها، زيادة على الرواج المتزايد للعروض التمثيلية المتقدمة الآتية من الشرق والغرب. وقد أذكى جذوتها زخم أحداث المقاومة الحضرية التي تعددت إثر إعلان الظهير البربري (1930) وإلى رفع وثيقة المطالبة بالاستقلال (1944) ثم تصعيد العدوان الاستعماري بنفي رمز سيادة البلاد آنذاك السلطان محمد بن يوسف.

يعتبر بوشعيب رشاد من أهم نشطاء هذه المرحلة. أسس جمعيته الفنية سنة 1942، في خضم دوامة الحرب العالمية الثانية، وأسماها "الفرقة التمثيلية البيضاوية". أنتجت الفرقة كل أعمالها الأساسية باللغة الفصحى إلى حدود انفجار الأزمة الوطنية سنة 1953 حيث قررت كل الأوساط الثقافية الملتزمة اعتماد موقف حدادي مقاطع لكل مظاهر الاحتفال، ومناصر لفترة الكفاح المسلح الحاسمة التي توجت باستقلال البلاد.

وافقت مرحلة التأسيس هاته، على الصعيد الوطني، مرحلة عطاء متميزة عند الفنان بوشعيب رشاد.

كانت المسرحية الأولى، "قصة نبي الله يوسف"، على غرار جل أعمال البدايات في ذلك الوقت، ذات صبغة تاريخية، لها مغزى رمزي، تواجه العدوان من أرضية الوثوق الديني.

جاءت بعدها أعمال مبتكرة ذات طابع درامي اجتماعي وانتقادي أصيل. نذكر من بين عناوينها : "بالنسب ينتفي الفساد"، "دموع اليتيمة"، "أولاد الأغنياء"، "حكمة الله". وقد مثلت جميعها في أكثر من عرض، مهيكلة في أربعة فصول لكل واحدة، ومعتمدة الوسائل العصرية في الملابس والماكياج والديكور والصوت والإنارة. وقدم معظمها على خشبة المسرح البلدي للدار البيضاء، الذي كان أهم قاعة للعرض المسرحي الحديث بالمغرب على الإطلاق.

اقتضى تعقيد الوظائف الفنية الحديثة من أجل إعداد العروض، أن يقوم شعيب رشاد، رئيس الفرقة، بوضع القصة والإخراج ويفوض عملية الكتابة مثلا لشركاء من الشباب المثقف، برز من بينهم المرحومان إدريس الخياطي في مرحلة أولى وخاصة عبد الرزاق أحمد الهراوي، وكلاهما من الرعيل البيضاوي لجامعة القرويين.

شكل الإبداع المسرحي في حمأة الاحتلال بوتقة هائلة لأدوات الثقافة المغربية تشحذها وتطورها فنيا كما تسخرها للنضال من أجل الانعتاق. من ذلك أن المؤلف، في الفرقة التمثيلية البيضاوية مثلا، يكتب الرواية في صيغتين اثنتين : إحداهما مكتملة تعتمد على توزيع الأدوار وإجراء التمارين، والأخرى هزيلة، منقوصة من كل المواقف والمقاطع ذات النفس الوطني، تقدم للرقيب، يقرأها بتمعن ويطبع على كل صفحة يجيزها. ثم يكون الامتحان الثاني ليلة العرض إذ يحضر الرقيب ومعه النسخة المختومة للتأكد من التطابق بين النصين المكتوب في كراسته المتواضعة والمشخص على الركح. وكثيرا ما كانت تنتهي السهرة بمركز الشركة في محاسبة عسيرة. وأجمل ما في الأمر أن هذه الأحداث كانت تدخل في سجل مفاخر الفرقة، تشجع على الاستمرار ولا تثني عنه بحال من الأحوال. وغالبا ما كانت تعد العروض لتوافق المناسبات الوطنية، يأتي على رأسها عيد العرش، فلا يندر أن تقام السهرة بالشباك المقفل من فرط الإقبال عليها.

كما نحسب لرئيس الفرقة التمثيلية البيضاوية السبق في العديد من الأعمال التأسيسية. منها إبداع صيغة العرض المسرحي الأكثر ملاءمة لوضع الجمهور المغربي آنذاك. فمعلوم أن أغلبية المجتمع كانت من غير المتعلمين الذين لا يحذقون اللسان الفصيح بما يكفي، لذا وجب الإلحاح على المؤلف البليغ، متخرج القرويين، في أن يبسط لغته، على أن يأتي الباقي من مهارات الإخراج والتشخيص. إضافة إلى أن رفع الستار يكون على رواية هزلية من فصل واحد، تقدم بالعامية، تأتي مقبلة للطبق الدسم الموالي، ويؤلفها ويخرجها رئيس الفرقة ويشخص فيها الدور الأول.

وقد تولى بوشعيب رشاد التنقيب عن المواهب الواعدة وإبراز العديد ممن أنصفهم المستقبل فسطع نجمهم. نذكر من

بينهم حمادي عمور، الذي انتقل بعد ذلك إلى فرقة المنار ثم إلى الإذاعة الوطنية ؛ وعبد الرزاق الهراوي، الذي أسس في أواسط الخمسينيات فرقة العروبة المسرحية التي قامت بعد وفاة المؤسس على إدارة المسرح البلدي ؛ ومحمد عفيفي، الذي انخرط في الفرقة الوطنية ؛ وثلة من الشخصيات الفكاهية المتميزة من بينهم عبد الرحمان الصويري، المفضل الحريزي، بوجمعة وجود، عبد الرحيم التونسي...

وحتى معضلة الأدوار النسائية التي لم تكن تجد لها حلا في الغالب إلا بإسنادها لشباب متنكرين، قد وجدت بعض حلها في البنية الأسرية التي ميزت الفرقة التمثيلية البيضاوية. بل وبلغ تكافؤ الفرص بين الجنسين إلى حد منح مسؤولية تأليف رواية "حكمة الله" إلى الممثلة الموهوبة التي اضطلعت فيها بالدور الأول والتي وصفت وقته بأنها "أول فتاة مغربية تقوم بالتأليف المسرحي".

عرفت بداية عهد الاستقلال طفرة كبيرة، ظهر خلالها كم هائل من الأسماء والأنشطة. لكن بعد فترة المقاطعة، التي استغرقتها مرحلة الفداء التي عمت التراب الوطني بزعامة مناضلي الدار البيضاء، ابتعد جل الرواد عن الساحة الفنية إلا قلة قليلة كان من بينها شعيب رشاد. عاد متجردا من بطانته الأولى من الرعيل المثقف، فاشتغل على الرواية الهزلية باللغة العامية كما دأبت على ذلك الموجة الجديدة. وواصل في أناة ومثابرة عمله الذي لا يكل في سبيل اكتشاف المواهب وتكوين الجيل. وقد اهتم حتى بميدان المنوعات، فظهرت على يده بعض الأصوات المتميزة منها محمد البورزكي ولطيفة الجواهري... وما انفك يملي الروايات على شركائه الجدد، ويخرج ويمرن. وبقيت إبداعاته متميزة بالنفس الأخلاقي المرح، يحبكها ويجول بها عبر البلاد يقربها من عموم الناس مسليا ومصلحا.

لما رحل شعيب رشاد إلى عفو الله، في خريف سنة 1398 / 1977 بعد حياة من الخلق والنضال، والكفاف والعفاف، انتهى معه جيل البناة العصاميين، وخبت جذوة المدينة القديمة كمركز إشعاع ثقافي يعج بالطاقات.

في منتصف القرن الماضي، وفي حميمية الدروب، بين باب مراكش وسيدي بوسمارة والسور الجديد ( *التناكر*، الجزء 8، ص. 2573)، كانت خطوات قليلة فقط تفصل بين دار شعيب رشاد والبشير العلج والحبيب القدميري وبوشعيب البيضاوي ومحمد ماسيست وأحمد عبدان ومصطفى الغرباوي وعبد الرزاق الهراوي، وغيرهم كثير، خاصة إذا أضفنا إلى أقطاب الفن المسرحي رموز الفنون الأخرى والآداب والعلوم. أما اليوم فقد أقفلت كل هذه الأبواب وأهمل ذكر أصحابها ومعهم نصيب تليد من ذاكرة الأصالة والإبداع لحاضرة الدار البيضاء العالمة، الذكية والجملية.

إدريس الفاسي

ابن **رشد الجد**، **محمد** بن أحمد القرطبي، أبو الوليد فقيه الأندلس وعالم العدوتين. ولد بقرطبة في شوال عام 450 / نونبر - دجنبر 1058، وبها نشأ ودرس على كبار علماء ذلك العصر، فأخذ أصول الفقه وفروعه عن الفقيه المتفنن أبي جعفر أحمد ابن رزق (ت. 477)، وعليه كان اعتماده وظل يتذكر مجالسه طوال حياته ويستحضر مناقشاته للمسائل العويصة في المذهب ويستشهد بآرائه في دروسه ومؤلفاته ؛ وعن الفقيه الحافظ محمد ابن خيرة الأموي (ت. 487) وكبير المفتين بقرطبة محمد بن فرح ابن الطلاع (ت. 497). وتتلمذ في علوم الحديث على الإمام الراوية أحمد بن عمر العذري الدلائي (ت. 478)، وشيخ جماعة المحدثين حسين بن محمد الغساني الجياني (ت. 478)، كما أخذ اللغة عن إمامها في الأندلس عبد الملك بن سراج (ت. 489).

أدرك ابن رشد شأواً كبيراً في مختلف العلوم التي درسها وبخاصة الفقه الذي وعى أصوله وفروعه، ونمّاه بالتدريس والإفتاء والتأليف طوال حياته، حتى أصبح كبير فقهاء العدوتين بدون منازع، وتخطت شهرته حدود الغرب الإسلامي إلى مصر وما وراءها من بلاد المشرق، وأصبحت اجتهاداته التي كثيراً ما يعبر عنها بقوله : "الذي يظهر لي ... الظاهر" معتمدة معدودة من المصادر التي يرجع إليها فقهاء المالكية شرقاً وغرباً، سواء منهم معاصروه أو الذين أتوا من بعده.

كان محمد ابن رشد - بإجماع من ترجموا له - ناسكاً عفيفاً، كريم الخلق سهل الحجاب، كما كان أستاذاً بطبعه، يجب التدريس ويحسن طرق التبليغ، تسعفه مادة غزيرة، وتفكير منظم، وذاكرة قوية، وعبارة منطلقة، وحرص على نفع الطلبة. ولم ينل ابن رشد تقدير الأوساط العلمية ببلده وكفى، بل أجلّه الناس في العدوتين، حتى أمير المسلمين ملك المرابطين في مراكش، واعتقده أهل قرطبة بصفة خاصة وأحبوه لأنه كان إمامهم وخطيبهم في الجامع الأعظم الذي كان يسع أهل المدينة جميعاً، ورأوا فيه العالم بالشريعة المتحلي بها، إياه يستفتون في مسائل دينهم ودنياهم، وإليه يفزعون فيما يلم بهم من ريب الدهر ونوائبه.

تخرج على يد ابن رشد عدد من فقهاء الأندلس ومحدثيها ومؤرخيها النابهين أمثال قاضي الجماعة بقرطبة محمد بن أصبغ (ت. 536) وسارده الملازم له محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الوزان (ت. 543) والقاضي عياض بن موسى السبتي (ت. 544) وعبد الملك ابن مسرة اليحصبي (ت. 552) والمحدث محمد بن يوسف ابن سعادة (ت. 556) والمفسر الحافظ علي بن عبد الله ابن النعمة (ت. 567) والمؤرخ خلف بن عبد الملك ابن بشكوال (ت. 578).

وبالرغم على ما كان يتمتع به ابن رشد من حظوة واعتبار لدي المرابطين، سواء منهم ملوك مراكش والأمراء حكام الأندلس لم يتقلد أيَّ خطة رسمية إلا في العقد الأخير من عمره (عام511 / 1117) حيث أسند إليه قضاء

الجماعة بقرطبة والإمامة والخطابة بجامعها الأعظم. ويبدو أنه لم يقبل ذلك إلا بإلحاح من علي بن يوسف بن تاشفين. وكان في هذا الوقت منهمكاً في تأليف *البيان والتحصيل* كما سنرى.

يعتبر كتاب *البيان والتحصيل* أهمّ مؤلفات ابن رشد، وأعظم موسوعة فقهية أبقى عليها الدهر من تراث الفقه المالكي بالأندلس، وضمنها سماعات الفقيه محمد العتبي القرطبي (تـ. 314) من تلاميذ الإمام مالك مباشرة، وقد كتب ابن رشد في مقدمة *البيان والتحصيل* أن جماعة من أصحابه فقهاء جيان جاؤوه في صدر عام 502 وبعض الطلبة من أهل شلب يقرأ عليه في كتاب الاستلحاق من *العتبية*، فمر بمسألة أشكلت على القارئ والحاضرين، فشرحها لهم بما أزال غموضها، ورغبوا إليه أن يتتبع عويص هذا الكتاب بالشرح والبيان، فرد عليهم ابن رشد بأن *العتبية* كلها بحاجة إلى توجيه وتوضيح، ضارباً لهم المثل بأول مسألة فيها تتعلق بالوضوء، تبدو وكأنها لا غبار عليها مثيراً حولها أحد عشر سؤالاً لم يحيروا لها جواباً، "فتنبهوا لذلك وشرهوا إليه وحرصوا عليه" واشتد إلحاحهم، فلم يجد ابن رشد بداً من إسعافهم والشروع في تحرير كتاب *البيان والتحصيل* مرحلة مرحلة، حتى إذا حل عام 511 وقد أكمل نيفاً وخمسين جزءاً، أي نحو نصف الكتاب، امتُحن بالقضاء وشغلته أمور المسلمين عن التأليف، فلم يعد يتفرغ إليه إلا يوماً واحداً في الأسبوع ينقطع فيه عن الناس. ومضت أربعة أعوام هكذا في القضاء لم ينجز خلالها الشيخ إلا أربعة كتب أو خمسة، قال : "فأيست من تمامه في بقية عمري إلا أن يريحني الله تعالى من ولاية القضاء، وكنت من ذلك تحت إشفاق شديد وكرب عظيم، وذكرت ذلك لأمير المسلمين وناصر الدين أبي الحسن علي بن يوسف ابن تاشفين - أدام اللع تأييده وتوفيقه - في جملة الأعذار التي استعفيت بسببها، وغبّطته بالأجر على تفريغي لتمامه، فقبل الرغبة فيما رغَّبته فيه من الثواب، وأسعف الطلبة فيه لما رجاه بأن تثقل بذلك موازينه يوم الحساب...".

تدارك ابن رشد ما فاته أيام القضاء بعد إعفائه منه أواسط عام 515، فأقبل بكليته على كتابة ما بقي من *البيان والتحصيل* حتى أتمه في مستهل ربيع الآخر من عام 517. ثم طلبوا منه أن يمهد له بمقدمات تنبئ عن مسائله، فرأى أن يكتفي *بالمقدمات الممهدات* التي كان يوردها أثناء تدريسه للمدونة بعد أن هذبها ورتبها، لتشابه أبواب *المدونة والمستخرجة*.

وقد حققت بالاشتراك مع جماعة من الفقهاء المغاربة كتابي *البيان والتحصيل والمقدمات الممهدات* ونشرتهما كاملين لأول مرة د ار الغرب الإسلامي في بيروت، *البيان والتحصيل* سنة 1404 / 1984، في عشرين جزءاً، *والمقدمات* سنة 1408 / 1988 في ثلاثة أجزاء.

ولابن رشد الجد مؤلفات أخرى، منها *فتاواه*، التي حققها المختار التليلي كأطروحة جامعية، ونشرتها كذلك دار الغرب الإسلامي في بيروت سنة 1407 / 1987 في ثلاثة أجزاء. ثم نشرت في المغرب في جزءين ؛ و *اختصار المبسوطة* ليحيى بن إسحاق الليثي ؛ و *تهذيب مشكل الآثار* لأحمد الطحاوي ؛ و *اختصار الحجب* على مذهب مالك بن أنس مما رُوي عن زيد بن ثابت ؛ *وفهرست الشيوخ*، وتنسب إليه كتب أخرى ربما ضاعت.

ومما يدل على استمرار حظوة ابن رشد عند المرابطين بعد إعفائه من خطة القضاء أنه عندما انتهت هيعة القشتالين التي استمرت نصف سنة توغلوا أثناءها في ديار المسلمين بالأندلس حتى وصلوا إلى ما لم يصلوا إليه قط، وهم يتلفون ويحرقون ويقتلون وياسرون، شد ابن رشد الرحلة - على كبر سنه - إلى مراكش (3 ربيع الأول عام520 / 29 مارس 1126) ليُطلع أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين. وقد نزل ابن رشد على الرحب والسعة في بلاط الملك المرابطي الذي استضافه شهراً تعرّف منه خلاله على أحوال الأندلس، واستفتاه في أمور تهمّ الدولة. ولم يكد يرجع ابن رشد إلى قرطبة حتى ألمّ به مرض ألزمه الفراش أربعة أشهر وأياماً، ومات ليلة الأحد حادي عشر ذي القعدة عام520 / 28 نونبر 1126 ودفن عشية الأحد بمقبرة عباس مدفن سلفه شرقي قرطبة.

"وكان مشهده حفيلا - يقول تلميذه ابن الوزان - والتفجع عليه جليلا، لم ير أحد من أهل زماننا مشهداً أكثر تولهاً وتفجعاً منه. وبحق فقد كان - رحمه الله - طود علم، وإنسان فضل وحلم، وكوكب ذكاء وفهم، وواحد جلالة وديانة، وفذ رجاحة وأمانة".

م. ابن رشد الجد نفسه، *البيان والتحصيل*، المقدمة ؛ تلميذه علي ابن الوزان في خاتمة *نوازل ابن رشد*، مخطوط ؛ تليمذه القاضي عياض في *الغنية*، تح. ماهر زهير جرار، بيروت،1982، ص. 54 - 57 ؛ تلميذه أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي، *فهرسة*، طبعة جديدة عن طبعة سرقسطة سنة 1893 بإشراف زهير فتح الله، 1923، ص. 243 ؛ تليمذه خلف ابن بشكوال في *الصلة*، مصر،1922، 2 : 572 - 577، رقم 128 ؛ محمد بن عياض، *التعريف بالقاضي عياض*، تح. م. بن شريفة، فضالة، د. ت، ص. 123 ؛ أحمد الضبي، *بغية الملتمس*، طبعة جديدة عن طبعة مجريط القديمة سنة 1881، ص. 20، رقم24 ؛ م. الحجاري ومن معه، *المغرب في حلي المغرب*، تح. شوقي ضيف، سلسلة *ذخائر المغرب*، 10، د. ت، 1 : 105 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي، تطوان، د. ت، ص. 107 مع الهامشين، 1 و 2 ؛ م. الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، ط. 2، حيدر أباد الدكن، 1222، 4 ؛ 65 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، تح. الهاشمي الفيلالي، الرباط، 1936، 2 : 89 ؛ صلاح الدين الصفدي، *الوافي بالوفيات* 1962، 2 ؛ 114 ؛ ع. الله اليافعي، *مرآة الجنان*، حيدر أباد الدكن،1337، 3 ؛ 225 ؛ أبو الحسن النباهي، *المرقبة العليا*، مصر، 1948، ص. 98 ؛ إبراهيم ابن فرحون، *الديباج المذهب*، مصر عام1351، ص. 278 ؛ أ. ابن قنفذ القسنطيني، *شرف الطالب*، الرباط، 1972، ص. 60 ؛ مؤلف مجهول، *الحلل*

*الموشية*، تح. سهيل زكار، و ع. القادر زمامة، ص. 90 ـ 97 ـ 98 ؛ مجهول، مفاخر البربر، بعناية ليڤي بروڤنسال، الرباط، 1934، ص. 52 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، المحمدية، عام1980، 2 : 59 ؛ حاجي خليفة، كشف *الظنون*، اسطنبول، 1941 ـ 1942، ص. 261 ـ 1912 ؛ ع. ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، بيروت، د. ت، 4 : 62 ؛ إسماعيل البغدادي، هدية *العارفين*، اسطمبول، 1951، ص. 2 :85 ؛ م. مخلوف، شجرة *النور الزكية*، بيروت، 1249، ص. 129، رقم 276؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، فاس، 1926 ـ1930. 4 : 54 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1980، 4 : 52ـ 58 ؛ ع. رضى كحالة، معجم *المؤلفين*، دمشق، 1957، 8 : 228 ؛ إحسان عباس، *نوازل ابن رشد*، مجلة *الأبحاث للجامعة الأميركية*، بيروت، م. حجي، *تقديم البيان والتحصيل*، الجزء الأول ؛ *تراث الأندلس*، الدار البيضاء، 1964، ج. 2 : 24ـ26.

محمد حجي

ابن **رشد الحفيد**، 520 ـ 595 / 1126 ـ1198 ) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، عرف عند مؤلفي أوربا في العصر الوسيط بالشارح، أي شارح أرسطو. ولد بقرطبة في عائلة من القضاة شهيرة، فقد تقلد جده أبو الوليد ثم والده أعلى المناصب في الإمامة والقضاء. تعمق الحفيد في دراسة الفقه ودرس الطب. ولا نجد في المصادر إشارة إلى من أخذ عنهم الفلسفة.

في سنة548 / 1153، كان أبو الوليد بمراكش، ويبدو أنه حضر إليها على عادة وجهاء الأندلس تعبيرا عن ولائه للخليفة الموحدي عبد المومن، وفي ضمن ذلك نوى القيام بزيارة لتربة المهدي بن تومرت بتنمل، ويذكر لنا أنه قام في مرتفعات الأطلس أثناء هذه الزيارة بعلميات رصد فلكية. وهذا يدفع إلى التساؤل عما إذا كان الاشتغال بالفلك قد كان ضمن الاهتمام الأول عند ابن رشد في بدايته، إذ يظهر أن شرحه لكتاب الماجسطي من تأليف شبابه، ولطالما عبر على ضرورة تأسيس علم فلك طبيعي لا رياضي وحسب، وآخر إشارة إلى هذا المشروع وردت عنده في الشرح الكبير لكتاب ما بعد الطبيعة (آخر مقاله اللام).

وفي المرحلة الموالية كبر النشاط العلمي لابن رشد في عدة اتجاهات : ففي الفلسفة وضع مختصرات للكتب الطبيعية لأرسطو : كتاب الطبيعة، كتاب السماء والعالم، كتاب الكون والفساد، الآثار العلوية، كتاب الحيوان، كتاب النفس. وفي الطب وضع كتاب الكليات (عام 1163) ؛ وفي الفقه وضع كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد (عام 1163).

توطدت علائق ابن رشد الفيلسوف بأمراء الموحدين في عهد كل من أبي يعقوب يوسف (1163 ـ 1184) وأبي يوسف يعقوب المنصور (1184 ـ1199)، وكان لهما ولع بالاطلاع على العلوم والتعمق فيها، ولربما بحث بحثاً في هذا النهج على أثر مؤسس الدولة، ابن تومرت، عن عماد لسلطانهم.

وكان الذي قَـدَّم ابن رشد للخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن عام 1169 هو أبو بكر ابن طفيل. وقد اشتهرت المقابلة بين الرجلين بفضل ما نقل عنها أحد تلامذة ابن رشد للمؤرخ عبد الواحد المراكشي، وكان لها أثر رئيس في قصة الفلسفة بالغرب الإسلامي، إذ أنها كانت وراء قرار ابن رشد بالتصدي لشرح كتب أرسطو الكبرى. فقد كان قبل هذا التاريخ شرع في وضع شروحه الوسطى، وكان مشتغلا بها في إشبيلية حيث كان قاضيا عام 567. وفي المدة ما بين 1171 و1180 كان يتردد على إشبيلية وقرطبة ومراكش، وفيها وضع الشروح الوسطى على أرسطو ووضع الكتب التي بيّـن فيها مواقفه من المتكلمين في قضايا الدين في الإسلام ولا سيما رده على الغزالي بكتاب "تهافت التهافت".

وفي عام 1182 حل محل ابن طفيل الذي أدركه الهرم في منصب طبيب البلاط عند السلطان أبي يعقوب. وبعد وفاة هذا الأخير عام 1184 استمر ولده السلطان يعقوب المنصور يرعاه ويمتعه بالحظوة، فكان أن عينه قاضي القضاة بقرطبة. وفي ما بين عام 1180 و1193 اشتغل ابن رشد في وضع سلسلة شروحه الكبرى لأهم كتب أرسطو وهي بالتتابع كتاب النفس وكتاب ما بعد الطبيعة، كتاب البرهان أو التحليلات الثانية.

لم يقتصر ابن رشد على شرح أرسطو، ولكنه رمى إلى كمال معرفي عندما شرح بعض كتب ابن سيناء وجالينوس في الطب، وبطليموس في الفلك وأفروديز ونيقولا الدمشقي في ما بعد الطبيعة والفارابي في المنطق.

تعرض ابن رشد في آخر حياته (1195) لإبعاد السلطان له فترة عابرة، ويظهر أن العداء الذي حمله له الكثيرون كان بسبب مذاهبه الفلسفية، ولكن الأسباب الحقيقية لتلك النفرة تظل محاطة بالغموض في أعين المؤرخين، فقد أمر الخليفة بأن يقيم منفيا في لوتشينا وهي بلدة قريبة من قرطبة، ولكنه استدُعِي بعد ذلك في جماعة من ذوي العلم والجاه فقدم على السلطان بمراكش حيث مات بعد مدة قصيرة من وصوله (10 دجنبر 1198).

لم يعد تأثير ابن رشد على من بعده أمرا يحتاج إلى رثبات. فعمله من أحجار الزاوية في الفلسفة في العصر الوسيط، فقد كانت أعمال ابن رشد في ما بين القرن الثالث عشر والرابع عشر حاسمة من حيث تأثيرها على الفكر اليهودي والفكر المسيحي، وصارت لها سمعة أسطورية، كما قد يستنتج من بعض التصوير الإيقوني عند أندريا دا فيرانزي، مثلا، وفي بعض الأشعار كما عند فيون Villon ومن بعض الملاحم كما عند دانتي. فقد وصلت معظم أعمال ابن رشد إلى الغرب اللاتيني بسرعة، وفي أقل من ثلاثين عاما بعد موته. فقد أقدم ميشيل سكوت Michel Scot على ترجمة الشروح الكبرى التي أشرنا إليها من العربية مباشرة، وكان ذلك الانتشار السريع سببا في إثارة بلبلة في

أذهان أوساط الكنيسة بعد 1240، إلى حد أن إدانات قد صدرت ضد الفكر الرشدي من خلال دروس شيوخ الفن في جامعة باريس وعن سلطة الكنيسة الرسمية عام 1227. ومع ذلك فقد توالت ترجمات كتب ابن رشد إلى العبرية واللاتينية لمدة ثلاثة قرون، وظهرت في أقل من مدة قرن (1494 ـ 1560) عدة طبعات للمتن الرشدي المترجم.

تلخيص بعض أعماله : *مختصر كتاب النفس*. في هذا التأليف، أراد ابن رشد أن يقرر عن طريق الاستدلال ما بدا له في موضوع العلم بالنفس بشكل أكثر ما يكون مطابقة لخلاصات كتاب الطبيعة وأقرب ما يكون إلى مقاصد أرسطو. فالمسألة الجوهرية وهي معرفة ما إذا كانت النفس، وقد عرّفها تبعا لأرسطو بمثابة صورة جسم، يمكن أن تكون مفارقة، هذه المسألة تتخرج في مسألة طبيعية أعم، مفادها : بأي كيفية توجد في المادة صورة مفارقة ؟ فإذا كانت النفس يمكن أن تفارق بالقدرة العقلية، فمن المترتب على ذلك أن نتساءل عما إذا كانت هذه القدرة تأتي بالقوة تارة وبالفعل تارة أو أنها بالفعل على الدوام كما يرى ذلك معظم الشراح، ولكنها إنما هي في حالة طفولتها في وسط من الرطوبة ؛ أو ما إذا كان بعضها موجوداً بالقوة وبعضها الآخر موجوداً بالفعل، وما إذا كانت أزلية أو قابلة للتكون والفساد ؟ كثيرة هي الأسئلة من هذا القبيل والمتعلقة بالمشكل الذي تطرحه نظرية العقل عند أرسطو : ما هي طبيعة هذه القوة المهيأة لتلقي المدركات وهي المسماة "العقل المادي" (العقل المنفعل عند أرسطو) وما هو دور الصور الخيالية في عملية الإدراك. فقد وقع شراح أرسطو، ولا سيما ثامسطيوس، في الغلط عندما جعلوا من العقل مادة أو جوهرا أزليا لها كل ما للمادة من مميزات كما هو متعارف عليها، أي أنها تتعرض لصور التكون والفساد. بناء على هذه التحليلات رفض ابن رشد رأي ابن باجة الذي غالط عندما قال إن الصور الخيالية هي المقوم للمدركات كما أن العين أساس مادي للبصر. فعلاقة المدركات بالصور الخيالية عند ابن رشد هي بمثابة علاقة الحاسة بالمحسوسات أو علاقة البصر بالمرئيات. وبهذا الاختزال تمكن من أن يشدد بقوة على ما جاء في النص الأرسطي من كون العقل المادي أزليا، وهو تقرير البصر بالعين ضروري لتفادي التناقضات الناتجة عن وجود صورة غير ما دية في قوام جوهر قابل للتكون والفساد. فأصل الغلط في نظرية أرسطو في العقل يوجد في كون الشراح، ولاسيما ثامسطيوس وبعده ابن سيناء، قد خلطوا نظرية العقول الثلاثة عند أرسطو بنظرية أفلاطون بخصوص المثل الخالدة.

*جوامع ما بعد الطبيعة*. عزم المؤلف على أن يجعل كتابه هذا في خمسة فصول، غير أنه لم يحرر منها سوى أربعة هي ما وصل إلينا في النص العربي والترجمة اللاتينية. فالمفروض أن تلخيص ما بعد الطبيعة يتطرق للأقسام الثلاثة لهذا العلم، والضروري منها اثنان : موضوع الأول هو الجوهر المحسوس وأنواعه والمقولات العشر ؛ وموضوع الثاني هو مبادئ الجوهر المحسوس : الجواهر المفارقة ومبدؤها الأول (الغاية القصوى والفاعل الأول). الإله، العلوم الجزئية والمنطق ومبادؤها. في هذا العلم القائم على الاستدلال المرتبط بالدليل، انطلاقا مما هو معروف لدنيا إلى ما هو معروف بالنسبة للطبيعة، أو انطلاقا من الفرضيات البدهية بنفسها أو القريبة من أن تكون كذلك، هناك سؤالان متماثلان يوجهان الأبحاث : هل في الجوهر المحسوس المركب من مادةً وصورةً، أو مبادئ سابقة عنه ؟ هل يوجد جوهر اعتباره أصل الجوهر المحسوس، أو أن هذا قائم بنفسه ؟

أما علم الكائن بما هو كائن، فدراسة المفاهيم المشتركة التي تكون في نفس الوقت مواضيعه تحدد على التوالي (في ترتيب أكثر نسقية ما ترتيب الكتاب الرابع من كتاب ما وراء الطبيعة) مفاهيم الموجود والمادة والعرض والكم والكيف والعلاقة والجوهر والشيء والواحد والمثل والمعارضة والأخر والفرق والقوة والفعل والكامل والناقص والكل والجزء والسابق واللاحق والسبب والمادة والصورة والمبدأ والعنصر والضروري والطبيعة.

إذا أمعنا النظر في التتابع المنطقي الموجود في الفصول المكونة لكتاب ما بعد الطبيعة فإن بعض الاستنتاجات تتبين من التقسيم الأول لهذا العلم الذي يشغل كل الفصول السابقة للفصل الرابع (الأقسام الثلاثة الأولى للتلخيص) : فالكائن لا يدخل في المقولات لا من جهة اشتراك الاسم ولا من جهة الترادف وإنما من جهة السابقية واللاحقية : بالنسبة أولا، ثم بالنسبة لبقية المقولات ؛ فالجوهر هو أصل وجود مجموع المقولات الأخرى ؛ فالجوهر الأصلي مركب من مادة وصورة، وكلاهما جوهر ؛ فالمحمولات (الكليات) والمدركات المتعلقة بالجواهر المحسوسة ليس لها وجود خارج النفس وليست عللا للخواص المحسوسة. إنما الصور والمادة المخصوصة وحدهما علتا الموجود الفردي ؛ فالصورة والمادة العامتان ليستا قابلتين لا للتكون ولا للفساد. فنقد مذهب المثل عند أفلاطون، أي الصور غير الضرورية لشرح تكوُّن الكائنات المحسوسة المتوقف على العلل الأربع، يبرز شمولية فكر أرسطو. فقد جعل هذا الأخير من مبدإ فاعلا بالعرض (الصورة الأفلاطونية)، ومن ثمة جعله بعيدا عن الجوهر مبدأ فاعلا بالجوهر ومن ثمة قريبا من هذا الجوهر.

فوجود جواهر مفارقة، مبادئ عقلية بالضرورة للجوهر المحسوس، يتقرر بناء على استنتاجات كتاب الطبيعة، وبالنسبة لابن رشد خاصة، بناء على فرضية وجود محركات غير مادية، من هنا تظهر صعوبتان رئيسيتان داخل هذه الميتافيزيقا : كيف يصح لأشياء أزلية أن تكون مبادئ لكائنات قابلة للفساد ؟ كيف يصح أن تكون مبادئ عقلية ذات علم بالأشياء التي هي مبادئ لها.

فنظرية الفعل، باعتباره سابقا في جميع الاعتبارات

عن القوة، إذا رُدت إلى الحركة المحلية، تمكن من إيجاد تلاقٍ ورابط بين الكائن الأزلي والكائن القابل للفساد، وفي هذا الانسجام يرى المؤلف العناية الإلهية.

أما الصعوبة الثانية فتجد حلها بالاستناد إلى نظرية الفيض وبالإحالة على ما ورد في القرآن (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، 67 ـ 14) فما هو فائض من فاعل العلم بما هو عالم هو معلوم بالضرورة. يضاف إلى ذلك أن المعقولات بالنسبة للإنسان وبالنسبة للعقول المفارقة انطلاقا من العقل الفعال ووصولا إلى الإله باعتباره من نفس النوع ولكنها معروفة بكيفية غاية في مزيد النبل من قبل الإله بالنظر إلى علم الإنسان بها، من جهة ؛ ثم إن مذهب أرسطو وأتباعه في ما يتعلق بالعقل الفعال يقول ضمنيا بأنه يعلم ما هو في العالم السفلي، من جهة أخرى : ففرضية ابن رشد تقول إن الإله، وهو النهاية الوحيدة والقصوى للعلل الثلاث الفاعلة والصورية والغائية، يعرف العالم الذي هو أسفل منه. فهذه الفرضية (ولعلها من أصل ديني) تشكل فرقا بارزاً بين متيافيزقا أرسطو ومتيافيزقا ابن رشد.

فلما كان الاختلاف أكثر احتمالا في جنس الجوامع منه في الشرح الكبير فإن ابن رشد قد أفصح عن مراميه. فإذا استثنينا بعض نقدات موجهة لثامسطيوس الذي حاول في موضوع التكون التلقائي أن يعود إلى آراء أفلاطون، أو موجهة للرواقيين الذين يقولون، على ما جاء عند الاسكندر، بالتدبير الإلهي الذي يطال الأفراد، فإن ابن رشد قد ركز نقده على ابن سيناء ومن ثمة على متكلمي الإسلام. فعندما أنكر هؤلاء المتكلمون سابقية الممكن في الزمن بالنسبة للشيء الممكن، فقد اضطروا إلى إنكار حرية الاختيار في العلوم العملية. فالقول بوجود سابق في الزمن لفاعل، كما هو رأي المتكلمين، يجعل بالضرورة بلا جواب هذا السؤال : كيف يسبق الزمن فاعل الزمن ؟ فأزلية الحركة، وهو ما يرفضه المتكلمون، فرضية ضرورية لكي لا نتصور الإله فاعلا في القوة قبل أن يكون فاعلا في الفعل. فالاستيقان من فهم عقلي لوجود الكون (كوسمولوجيا) وكذا القول بحرية الإنسان في الاختيار هو ولاشك هدف من أهداف الضمير الديني عند ابن رشد في عصره.

*فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال.* ليس هذا التأليف تعليميا ولا استدلاليا، بل إنه يندرج في مقام خاص من جهة الجدل الديني. هدفه إضفاء القبول والتجويز على جهة الشرع على العبارة الفلسفية وجلعها من أمور الشرع التي تلزم كل عالم مسلم. فطرق المعرفة الثلاث، البلاغية ـ الشعرية والجدلية والبرهانية هي في نظر ابن رشد كونية ونهائية، ولكن البرهانية وحدها تقود إلى معرفة الله معرفة يقينية. فالشرع الوارد بالوحي استعمل هذه الطرق الثلاث لتعليم الناس، فقد استعمل المثال والمجاز لإقناع عامة الناس، واستعمل الجدل لإقناع المعارضين، واستعمل الإشارة التي يعود حق تأويلها بالضرورة إلى الذين يملكون علم البرهان، فهؤلاء وحدهم أضيفوا إلى الله في معرفة تأويل كلامه. فالعقول الكبرى من بني الإنسان يجد الإيمان عندها أساسه في العلم.

*كشف مناهج الأدلة في عقائد الملة.* يتناول الاستدلال على نظرية معارضة للنظرية الواردة في "فصل المقال"، وهي التطابق الشديد بين الوحي والفلسفة. فشعائر الدين بسيطة ويقينية، مجردة من جدال المتكلمين الذي يتضايق به عقل العامة ولا يجد لها العالم أساسا منطقيا. لها معنى ظاهر مطالب بإدراكه عامة الناس، ومعنى باطن لا ينكشف إلا لأهل العلم بالاستدلال ؛ فذات الله وصفاته وأفعاله كما هي معروفة حسب المعنى الظاهر يمكن فهمها دون اللجوء إلى جدلية قائمة على الخلاف، وهي أداة سجالية نظر إليها المتكلمون خطأ على أنها غير قابلة للخطأ ؛ فمشيئة الله ثابتة، ولكن لم يرد ما يفيد أنها أزلية ولا أنها مخلوقة ؛ والعالم موجود، ولكن لم يرد في شأنه ما يفيد أنه مخلوق من عدم أو مخلوق من شيء سابق الوجود. فالرجل من العامة والرجل من أهل العلم، وهم الطبقتان الفعليتان، يتمتعان بدرجة متكافئة من اليقين إزاء الشرع كما ورد به الوحي. فالضالون إذن هم ثلاثة أصناف : مبسطو الاستنتاجات العلمية لإشاعتها مثل الغزالي، والذين حاولوا إخضاع معطيات الشرع الوارد به الوحي للعلم (ربما كان هذا الغمز موجها لابن سيناء) ؛ والمتكلمون الذين يجهلون في مناقشاتهم أدوات علم الاستدلال.

*تهافت التهافت.* رتب ابن رشد هذا الكتاب على غرار ترتيبه لشرح كبير من الشروح التي وضعها على كتب أرسطو. كتبه رداً على الغزالي في كتابه *تهافت الفلاسفة*، أراد أن يبين فيه أن عبارة الغزالي في الرد على الفلاسفة هي من قبيل الاقناع وتبقى بالنسبة لمعظم الناس دون مستوى اليقين الاستدلالي. فالهدف يفسر هذا المسعى المضوغ فلسفيا. فقد تأثر الفارابي وتأثر ابن سيناء على الخصوص بالمتكلمين الأشاعرة والفلاسفة المسلمين، ولذلك رفضا الدخول معهم في مجادلة. أما ابن رشد فقد عرض آراء تلاميذ أرسطو ومشاطريه في آرائه ودافع عنهم بعبارة اقناعية أقوى من عبارة معارضيهم. وهكذا جاء الكتاب غير استدلالي بالضرورة، ففيه حث على التأكد من يقينية الآراء المقدمة وعلى التعمق في الفلسفة والعلم. وقد جاء غنيا بمقدمات ونتائج تدخل في العلوم الفلسفية والدينية. وترجع أهميته بين كتب ابن رشد إلى أربع نقط على الأقل : 1) عرض عدد كبير من أطروحات أرسطو على أنها نتائج استدلالات مقررة وحاصلة ؛2) نقد الحجاج الأشعري وأسسه باعتباره استدلالا مبنيا على القياس ؛ 3) بيان عدد من أطروحات ابن سيناء نسبها الغزالي لعامة الفلاسفة مثل

مذهب الممكن والضروري، ومثل الطابع العرضي للوجود أو الجواهر العقلية المفارقة المتمتعة بنفس ؛ 4) شرح مذهب ابن رشد الفقهي الذي بسطه في كتابه "فصل المقال"، والمتعلق باعتبار المعرفة الاستدلالية العقلية مقبولة في الشرع الإسلامي. استعمل ابن رشد كل هذه العدة لكي يجيب عن ثلاثة تقريرات هي التي من وراء الإدانات التي صدرت عن الغزالي : 1) اتهام الفلاسفة بالقول بعدم العالم وكون الاتهام ناتجا عن رؤيا تشبيهية عند المتكلمين ؛ 2) القول بأن الله يعلم الجزئيات : فالقضية غير مطروحة بشكل صحيح عند المتكلمين. وعلى أثرهم ابن سيناء، عندما استعملوا الاستدلال القياسي بين علم الدين وعلم الإنسان ؛ 3) اعتبار البعث بالأجسام قضية غير فلسفية، فهذه المسألة تعود تاريخيا إلى عهد أنبياء بني إسرائيل ؛ فخلود الروح عند قدماء الفلاسفة كانت مسألة ذات طابع فكري سجالي.


* المنطق : م. س. سالم، *ابن رشد ، تلخيص الخطابة*، القاهرة، 1967 ؛ *تلخيص كتاب أرسطو في الشعر، تأليف أبي الوليد ابن رشد*، القاهرة، 1971 ؛ *ابن رشد، تلخيص كتاب الجدل*، القاهرة، 1979 ؛ ع. بدوي، *أرسطو في الشعر : الترجمة العربية القديمة مع شروح الفارابي وابن سينا وابن رشد*، القاهرة، 1954 ؛ م. بويغ، *تلخيص كتاب المقدمة*، بيروت، 1932 ؛ م. قاسم، *ابن رشد، تلخيص المقولات*، القاهرة، 1980 ؛ *ابن رشد، تلخيص العبارة*، القاهرة، 1981 ؛ *تلخيص كتاب البرهان*، القاهرة، 1982 ؛ ع. بدوي، *ابن رشد*، الكويت، 1984 ؛ ج. علوي، *مقالات في المنطق والطبيعيات*، الدار البيضاء، 1983. * الطبيعة : ج. علوي، *تلخيص السماء والعالم لأبي الوليد بن رشد*، فاس، 1984 ؛ أ. ف. الأهواني، *ابن رشد، تلخيص كتاب النفس*، القاهرة، 1950 ؛ أ. بدوي، *الخاص والمخصوص لابن رشد*، ط. 2، بيروت، 1980. * ما وراء الطبيعة : م. القباني، *ابن رشد، تلخيص مبادئ الطبيعة*، القاهرة، 1907 ؛ أ. أمين، *ابن رشد، تلخيص مبادئ الطبيعة*، القاهرة، 1958 ؛ م. بويغ، *تفسير ما بعد الطبيعة*، بيروت، 1938. * الأخلاق والسياسة ـ الدين والقانون : ج. ف. حوراني، *كتاب فصل المقال*، ليد، 1959 ؛ أ. ن. نادر، *ابن رشد، كتاب فصل المقال*، بيروت، 1968 ؛ م. عمارة، *فصل المقال، تأليف أبي الوليد ابن رشد*، القاهرة، 1959 ؛ م. قاسم، *كتاب كشف مناهج الأدلة*. القاهرة، ط. 2، 1964 ؛ م. بويغ، *ابن رشد، تهافت التهافت*، بيروت، 1930 ؛ س. دنيا، *ابن رشد، تهافت التهافت*، القاهرة، 1964 - 1965. * الطب : *كتاب الكليات*، العرائش، 1939. * كتب عامة : أ. ف. الأهواني، *ابن رشد في (A History of Muslim Philosophy, I)*، تحت إشراف م. م. شريف، فيزبادن، 1963.

* Logique : F. Lasinio, *Il commento medio di Averroès alla Poetuca di Aristotele*, Pise, 1872 ; *Il commento medio di Averroès alla Retorica di Aristotele*, Florence, 1877 ; A. Badawi, *Averroès. Paraphrases in libros Rhetoricorum Aristotelis*. Le Caire, 1960 ; C.E. Butterworth, *Averroès Three Short Commentaries on Aristote : "Topics", "Rhetoric", and "Poetic"*, Albany, 1977 ; G. Jehamy, *Averroès, Paraphrase de la logique d'Aristote*, 3 vol., Beyrouth, 1982 ; D.M. Dunlop, *Averroès on the modality of propositions, Islamic Studies*, Karachi I (1962), trad. angl. N. Resher in *Studies in the History of Arabic logic*. Pittsburg, 1954. * Physique : *Rasa'il Ibn Rusd*, Haydarabadn 1947 ; J. Puig, *Averroès, Epitome in physicorum libros*. Madrid, 1983 ; G. Nogales, Averroès, *Epitome de anima*, Madrid, 1985 ; F.S. Crawford, *Averroès, Cordubensis Commentarum Magnum, in Aristotelis de anima Libros,* Cambridge (Mass), 1953 ; H. Gatje, *Die Epitome der Pana Naruralia des Averroès*, Wiesbaden 1961 ; H. Blumberg, *Epitome of Pana Naturale Tanslated from the Original Arabic and the Hebra and Latin Version with Notes and Introduction*, 1961. * Métaphysique : M. Horien, *De Métaphysie de Averroès (1198) nach. dern. Arabischien übersetzt und erlautert*. Halle, 1912 ; S. Vandes Berche, *Die Epitome der Metaphyie*. * Ethique et politique : L. Berman, *Excerpts from the lost arabic original of Ibn Rusd's Middle Commentary on the Nichimachean Ethics, Oriens*, 20 (1967) ; E.I.J. Rosenthal, *Averroès Commentary on Plato's Pepublic, Edited with an Introduction, Translation and Notes*, Cambridge, 1956. * Théologie et droit : L. Gauthier, *Ibn Rochd (Averroès) Traité décisif (Façl al-maqal) sur l'accord de la religion et de la philosophie suivi de l'Appendice (Dhamima)*, texte arabe, traduction française remaniée avec notes et introduction, Alger, 1942, Paris,1983 ; G.F. Houran, *Kitab façl al maqal*, Leyde, 1959 ; *On the Harmony of religion and philosophy*, Londres, 1961 ; A.N. Nader, *Ibn Rusd, Kitab fasl al maqal*, Beyrouth, 1968 ; J. Muller, *Philosophie und theologie von Averroès*, Munich, 1875 (éd. et trad. du *Kasf manahig al-adilla fi 'aqa'id al-milla*) ; M. Alonso, *Teologia de Averroès*, Madrid/Grenade, 1947 ; G. Vajda, *Deux versions hébraïques de la dissertation d'Averroès sur la science divine, Revue des études juives*, 13, 1954, B. H. Zeller, *Averroès Destructio destructionum philosophiae Algazelis,* in the latin version of Calonimos, Calonimos, Milwaukee, 1961 ; S. Vanden Bergh, *Averroès Tahafut al-Tahafut (The incoherence of the incoherence)*, Londres, 1954 ; *Ibn Rush al-hafid, Bidayat al-mugtahid wa-nihayat al-muqtasid* (ouvrage fondamental de droit musulman), Le Caire, s. d. * Médecine : *Kitab el culiat (libro de las generalidades) por Abu el walid Mohamed Ben Roxd el andalusi (Averroès)*, Larache, 1939. * Ouvrages généraux : P. M. Alonso, *Teologia de Averroès*, Madrid, Grenade, 1947 ; G.C. Anawati, *Bibliographie d'Averroès (Ibn Rushd)*, Alger, 1978 ; A. Badawi, *Histoire de la philosophie en Islam*, II, Paris, Vrin, 1972 ; M. Cruz Hernandez, *Historia del pensamiento en el mundo islamico*, II, Madrid, 1981 ; E. Renan, *Averroès et l'averroïsme* (1852), Paris, 1949 ; H.A. Wolfson, *The twice-revealed Averroès*, Speculum, 36, n° 3, 1961. * Quelques études relatives aux œuvres des notices : R. Arnaldez, *La pensée reeligieuse d'Averroès, I : La doctrine de la création dans le Tahafut, S. I.*, VII, 1957, 99 - 114 ; *II : La théorie de Dieu dans le Tah.*, ibid., VIII, 1957 ; *III : L'immortalité de l'âme dans le Tah.*, Ibid, X, 1959 ; M. Fakhry, *The antinomy of the eternity of the world in Averroès, Le Museon*, 66, 1953; L. Gauthier, *La théorie d'Ibn Rochd (Averroès) sur les rapports de la religion et de la philosophie*, Paris, 1909 ; G. Houran, *Averroès musulman*, in *Multiple Averroès*, Paris, 1978 ; J. Jolivet, *Divergences entre la métaphysique d'Ibn Rusd et d'Aristote, Arabica*, t. XXIX, fasc. 3, 1982 ; M. Mahdi, *Averroès on human wisdom and divine law,* in J. Grospy (éd.), Ancient and Moderns, New York, 1960 ; A.F. Mehren, *Etudes sur la*

*philosophie d'Averroès concernant son rapport avec celle d'Avicenne et Gazali, Museum de Louvain*, 1909, 10 - 30 ; E. Weber, *Les apports positifs de la néotique d'Ibn Rushd à celle de Thomas d'Aquin*, in *Multiple Averroès*, Paris, 1978, 211 - 249.

عبد العلي العمراني جمال

**الرّشاي**، أو الرُّشَـيْ أو الروشاي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rosal - Rochel ؛ وهو اسم مدينة إسبانية وكان منهم عبد الرحمن بن أحمد الرشاي عالم يدرس بجامع القصبة، وقد أوصى بصرف ثلث ماله للعناية ببرج مرتين ولقراءة القرآن بجامع القصبة ولشراء أرض تخصص لدفن المسلمين ؛ توفي عام 1174 (1761) وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرشّاي، أحمد** بن عبد الرحمن التطواني، الفقيه العلامة المدرس النفاعة المفتي الصالح الزاهد الرحالة المشارك، كان بهي الطلعة نظيف البزة حافظاً محققاً في الفقه المالكي لا يشق غباره فيه، حبيا متودداً متواضعاً من رآه أحبه، لذلك كان محل حب وتقدير من كافة الطبقات لمحاسن أخلاقه وسعة صدره وعفته ونزاهته وصيانته، كان يؤم الناس بجامع (الربطة) بحي الصياغين، ويدرس بالجامع الكبير مختلف العلوم لأنه كان يحسن التفسير والفقه والنحو والتوقيت إلى فنون أخرى، رحل إلى المشرق ودخل تركيا وأقام بها ما شاء الله حتى عرف لغتهم، ولما عاد من وجهته أكب على التدريس والعبادة، وتأثل بتطوان مالاً منه دار من أكبر دورها وأحسنها بحي (المطامر) آلت إلى السيد علال الخطيب ومازالت لحفدته إلى الآن، وأوصى ببعض متخلفه لطلبة العلم الشريف المقيمين بالمدرسة المجاورة للجامع الأعظم بتطوان (لم يبق لهذه المدرسة اليوم عين ولا أثر) كما كان له روض نزه بحجر الديوان بحي (قاع الحافة) وقد انقرض الآن عقبه بعد وفاة حفيدة له منذ سنوات.

أخذ عنه كثيرون وانتفع به من لا يحصى لانقطاعه للعلم والتعليم ويكفي أن نذكر من تلاميذه أبا العباس ابن عجيبة والسكيرج المؤرخ وغيرهم، وكان إلى جمال وجهه وكمال سمته شديد الحياء والخجل يعتريه انقباض ويُرتَجُّ عليه حال إقرائه ويتلجلج لسانه إذا رأى من لا عهد له به بالمسجد حتى حكي أنه رأى - وهو في مجلس درسه - فقيراً متصوفاً ذا هيئة بلحية مخضبة وبعنقه سبحة وبرأسه عمامة ضخمة، فخجل ووقف، فأعلمه الطلبة بحال الرجل الداخل وأنه أميّ لا في العير ولا في النفير وأن عادة المتفقرة لباس مثل ذلك، فسُري عنه، ووقفت على مخطوطات فقهية لكتب معتبرة كانت ملكا له. ظل الرجل على هذه الحال إلى أن توفي في 24 رجب عام1210 / 3 فبراير 1760. ومن غريب الاتفاق أن لفظ (رُشَي) عادة بحساب الجُمل (1210). فكان لقبه رمزاً لسنة وفاته، وقد أشار إلى هذه تلميذه الفقيه الأديب عبد القادر المنون التطواني في نظم تاريخ وفاته فقال :

| | |
|---|---|
| لا تسل عما اعتراني يا أخي | إنني قد همتُ وجداً برُشَي |
| وتوالت ادمعس لما نأى | في (كَدٍ) من رجب عام (رُشَي) |

ومن أثر المترجم له بيتان له أوصى أن يشيع بها لقبره، مازال البيتان يقرآن في الجنائز لدى بعض الطوائف العيساوية بتطوان، وكانت جنازته مشهودة ودفن جنب قبر الشيخ أحمد الورزيري الشهير رحمهما الله.

ابن عجيبة، *أزهار البستان*، ص. 206، مخطوط ؛ سكيرج، *نزهة الإخوان*، ص62، مخطوط خاص ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4: 162، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 6 : 187.

محمد بوخبزة

ابن **رُشيد، أحمد** من صلحاء مدينة فاس في النصف الثاني من القرن السادس (12 م). لم يرد له ذكر فيما بين يدينا من المصادر باستثناء كتاب *المستفاد* لمحمد التميمي الذي أفرد له ترجمة مقتضبة، نعته فيها بـ"الشيخ" واعتبره "من أهل الجد والاجتهاد". وقد استقى التميمي أخباره مباشرة منه كما أسند له بعض أخبار عباد فاس. ومن المرجح أن ابن رشيد كان مندمجاً في شبكة من الأصحاب الذين يجتمعون حول الشيخ أبي مدين الغوث خلال إقامته بمدينة فاس. فالتميمي يخبرنا أن ابن رشيد كان من أصحاب الشيخ أبي عبد الله محمد البلنسي الذي كان بدوره من أصحاب الشيخ أبي مدين. ولا ندري هل ثمة علاقة عائلية أو أسرية كانت تربطه مع أبي الحسن علي بن رشيد أحد صلحاء فاس في نفس الفترة.

وملخص ما يرويه محمد التميمي أن آحمد ابن رشيد أراد المسير من فاس لقضاء حجة الفريضة وهو ما يزال صغيراً إلا أن والدته منعته من ذلك قبل أن تأذن له بعد أن رأت في منامها قائلا ينبهها إلى أن وقت حجه قد جاء. وبعد أن ترك لها كل ما يملك، خدم أياماً بفاس فتوفر له اثنتا عشر درهماً، ولما كان يوم خروجه من فاس إلى مكة، خرج بعض أصهاره في تشييعه، فناوله ثلاثة دراهم، فكملت عنده خمسة عشر درهماً، فأنفق منها من فاس إلى المهدية اثني عشر درهماً، ووصّله باقي ذلك، مع ما خدمه بالمهدية أياماً إلى مدينة الإسكندرية. وتتخلل ترجمته مجموعة من الكرامات التي تدور حول تخطيه للصعوبات

التي لقيها خلال سفره إلى المشرق وانتقاله ما بين فاس وبجاية والإسكندرية ومكة والمدينة.

م. التميمي، *المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما والاها من البلاد*، مخطوط، ورقة90، 103.

محمد الشريف

ابن رُشيد، **إدريس** بن يحيى بن محمد بن عمر الفهري، يكنى أبا العلاء وينتسب إلى أسرة ابن رشيد الفهرية بسبتة، وهو حفيد الرحالة الشهير محمد بن عمر بن رشيد صاحب *ملء العيبة*. كان إدريس فقيها عدلا وكاتبا وأثنى عليه ابن الاحمر ووصفه بالصاحب.

توفي إدريس ابن رشيد سنة788 / 1387.

ابن الاحمر، *نثير الجمان*، تح. م. رضوان الداية، بيروت، 1976، ص. 460 ؛ م. حجي، محقق، ألف سنة من *الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 131 ـ 223 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، تونس، 1971، ج 1، ص. 214.

رشيد السلامي

ابن رُشيد البغدادي، **محمد** بن أبي بكر، أصله من قصر كتامة، كان كثير الأسفار جال في البلاد طلبا للعلم، دخل الأندلس فأخذ عن بعض علمائها مثل أبي يحيى بن عبد الرحمن ابن عبد المنعم ابن الفرس. ورحل إلى المشرق فأخذ عن علماء دمشق وبغداد واستقر بها وغلبت نسبتها عليه. وزار مصر فأخذ عنه بها عدد من أهل العلم.

كان عالما فقيها شافعي المذهب، نظارا فيه، محبا في العلم كثير الانشغال به في مجالسه. واختص في الوعظ والتذكير، فكان يعقد مجالس وعظ مؤثرة ينفعل الناس لها كثيرا.

له قصائد مشهورة سماها *الوترية في مدح محمد أشرف البرية*. وهي تسع وعشرون قصيدة على عدد الحروف، وفي كل قصيدة منها واحد وعشرون بيتا.

عاد إلى المغرب بعد سنوات طويلة قضاها في المشرق، ودخل مراكش صدر سنة 655/ 1257، وأقام بها مدة تتلمذ فيها عليه عدد من علمائها وطلبتها ذكر بعضهم ابن عبد الملك المراكشي الذي يعد أحدهم، وقد خصه بأوسع ترجمة له وأثنى على طريقته في الوعظ والخطابة والإنشاء، وأشاد بذكائه وسرعة بديهته، وحسن إيراده للإجابات على الأسئلة التي كانت تطرح عليه، وسعة حفظه في الشعر والنثر. وقد احتفى به أهل العلم بمراكش، فمدحه من أدبائها أبو موسى هارون السماتي الإشبيلي، وأبو محمد عبد الواحد بن عبد الرحمان أحد أحفاد عبد المومن الموحدي بقصائد طويلة.

ثم رحل إلى الأندلس ودخل غرناطة وغيرها من المدن، وكان شأنه في زياراته عقد مجالس الوعظ. ورجع إلى مراكش وبقي بها مدة خرج بعدها إلى المشرق فحج، ولم يعد إلى بغداد التي كانت قد سقطت بيد التتر سنة 656/ 1258، ووصله الخبر وهو بمراكش بفقد بعض أفراد أسرته في تلك الكائنة. ولاشك أن هذا هو السبب الذي جعله يقرر العودة إلى المغرب للاستقرار به. وفي طريق رجوعه إلى المغرب وافته المنية بتونس في محرم سنة 663/ أكتوبر ـ نونبر 1264، وخلف بمراكش أحد أبنائه وكان فقيها هو أبو العباس أحمد، وبها توفي سنة 679/ 1280.

ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1984، ج. 8، ص. 274 ؛ ع. الله گنون، *ترجمة الواعظ البغدادي صاحب الوتريات*، مجلة *البحث العلمي*، ع. 7 1966، 269 ـ 279.

محمد المغراوي

ابن رُشيد، **رشيد** بن يحيى بن محمد بن عمر الفهري السبتي. تربى في وسط عائلي تميز بنبوغ عدد من أفراده في ميدان الفقه والخطابة والكتابة كوالده يحيى الفقيه الخطيب العدل بمدينة فاس المتوفى سنة750 / 1350 وجده محمد القاضي الخطيب، لذلك بزغ نجم رشيد ولمع في سماء الأدب حتى إنّ ابن الخطيب كان يصفه بالفقيه الحسن الرواء، العظيم المران على الأغراض السلطانية، العذب الحديث والفكاهة.

في إطار الصراع حول السلطة والحكم بين الأمير المريني عبد الحليم بن عمر والوزير المستبد عمر بن عبد الله بن علي الياباني برز بعض أهل العلم والفقه بمدينة فاس القديم للمساهمة في هذا الصراع السياسي، فكان سعيد ابن رشيد قد اختار مساندة الأمير المريني عبد الحليم وانضم سنة 763 / 1362 إلى حاشيته وقلده خطة العَلاَمة وقدمه على رياسة القلم الأعلى.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ج 2 : ص. 307 ـ352 ـ353 ؛ تح. السعدية فاغية، الدار البيضاء، 1989، ج 3 : ص. 37 ـ39 ؛ ابن الأحمر، مستودع *العلامة*، تح. التركي ومحمد بن تاويت الطنجي، تطوان، 1964، ص. 71 ؛ أ. ابن القاضي، جدوة *الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 197 ـ 539.

رشيد السلامي

ابن رُشيد السبتي، محمد بن عمر بن محمد بن عمر الفهري. أحد أعلام المغرب الكبار، وأحد الرحالة المشهورين. ولد عام 657/ 58 ـ 1259 بسبتة التي كانت تمور وقتها بالعلماء والفقهاء والأدباء. درس على شيوخ كثيرين منهم مالك بن المرحل، وأبو الربيع الإشبيلي النحوي، وأبو إسحاق القبتوري، وأبو إسحاق التلمساني...

لم يقتع بما أخذه عن شيوخ سبتة، فرحل إلى فاس، وأخذ عن علمائها، ولما ملأ وطابه رجع إلى سبتة وتصدر للتدريس بها.

وكما أخذ عن علماء فاس، أخذ أيضا عن علماء المشرق الذين لقيهم أثناء رحلته إلى الحج في تونس ومصر والحجاز والشام كابن دقيق العيد وابن النحاس... وقد رافقه في هذه الرحلة صديقه ابن الحكيم اللخمي ذو الوزارتين فكان له نعم العون والرفيق.

حل بغرناطة بدعوة من صديقه ابن الحكيم، وتولى الخطابة بمسجدها، والتدريس بها فتقاطر عليه العام والخاص، فطارت شهرته لاتساع معارفه وفصاحة لسانه. وقد بقي بغرناطة إلى سنة 708 / 1309 فغادرها لما قُتل صديقه الويزر ابن الحكيم.

أمّ مراكش فأسندت له الإمامة والخطابة بها، ثم استدعي إلى فاس حيث أقام بقيه عمره محترما معظما موقرا من العامة والخاصة إلى أن توفي بها.

ترك ابن رشيد عدد من المؤلفات في مختلف العلوم المتداولة يومئذ، أحصى منها الحسن الشاهدي 21 مؤلفا (*أدب الرحلة بالمغرب*، 1 : 148) لعل أشهرها رحلته التي سماها "مَلء العيبة في ما جُمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة" وقد سجل فيها أحداث الرحلة التي أعملها مع صديقه الوزير اللخمي إلى الحج مرورا بتونس ومصر والحجاز والشام. وقد استمرت رحلته هذه ثلاث سنوات من 683 إلى 686 / 1284 ـ 1287. وكان أثناء هذه الرحلة حريصا على زيارة المراكز العلمية ولقاء العلماء يأخذ عنهم ويأخذون عنه ويسألهم ويناقشهم، وقد أثبت ذلك كله في هذه الرحلة التي لم تكن من أجل أداء فريضة الحج بل كانت إلى جانب ذلك رحلة علمية استفاد منها وأفاد.

كانت هذه الرحلة معروفة ومتداولة بين العلماء في المشرق والمغرب، يستفيدون منها وينقلون عنها كما فعل المقري والعياشي وغيرهما. ورغم شهرة الرحلة فلم تبق منها إلا نسخة واحدة بالأسكوريال تقع في سبعة أجزاء ضاع منها الأول والرابع، وقد طبعت أخيراً.

ذلك هو ابن رشيد العالم والأديب الذي قال فيه ابن الحاج البلفيقي : "من أهل المعرفة بالقراءات السبع، وصناعة العربية، وعلم البيان والآداب، والعروض والقوافي، مشاركا في غير ذلك من الفنون... أديبا خطيبا بليغا ذاكرا متأدبا يقرض الشعر على تكلف، ويجود النثر، ويبصر مواقع حسنة".

توفي بفاس يوم 23 محرم عام 721/ 22 فبراير 1321 ودفن بمطرح الجلة من مقبرة القباب.

م. ابن رشيد السبتي نفسه، *ملء العيبة*، تح. م. الحبيب ابن الخوجة، تونس، 1981، الكتاب كله ؛ تعريف المحقق ابن خوجة بابن رشيد، ج. 2 : 25 ـ29 (وانظر هناك 38 من مصادر ترجمته)؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ع. الله گنون، *النبوغ المغربي* ؛ م. ابن تاويت التطواني، *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى* ؛ الحسن الشاهدي، *أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني*.

محمد الحاتمي

**الرشيد** بن **الشريف** العلوي، المؤسس الحقيقي لدولة العلويين بالمغرب إذا اعتبرنا فتحه لقاعدة الملك، مدينة فاس، واتخاذها عاصمة للدولة الناشئة، واعتبرنا كذلك توحيده لمعظم جهات المملكة خلال مدة حكمه القصيرة (1075 ـ 1082/ 1664 ـ 1672).

عندما توفي مولاي الشريف في رمضان من سنة 1069 (1695 م) وبويع ولده مولاي مَحمد، حدث بين الرشيد وهذا الأخير تنافر جعل الرشيد يترك سجلماسة ويتوجه شمالا للبحث عن مساندين له فيما سيصبح لاحقا مواجهة مفتوحة مع أخيه مولاي مَحمد. وبعد إقامة قصيرة ببلاد الدلاء، ثم بفاس لاستكشاف الأوضاع توجه شرقا إلى نواحي تازة حيث حظي بدعم أحد شيوخ التصوف، أبي عبد الله اللواتي. وقد أمده هذا الشيخ بالرجال، فاحتاج إلى المال الذي حصل عليه بهجومه على أحد الأثرياء من يهود نواحي تازة، واستيلائه على ذخائره من الذهب والفضة. وقد تقوى أمره بعد ذلك وأصبح يشكل خطرا حقيقيا على المولى مَحمد المستقر بشرق المغرب. وبسرعة تحولت المنافسة بين الأخوين إلى مواجهة عسكرية مفتوحة قتل فيها مَحمد بن الشريف، فبايع الأحلاف وبنو إزناسن أخاه الرشيد وتوحدت بذلك السلطة العلوية في يد هذا الأخير.

لم يكن المولى الرشيد قائدا عسكريا مقداما فقط بل كان رجل سياسية له من النباهة وبُعد النظر ما يسمح له باستباق الأحداث والتخطيط لها بما يلزم من الحكمة والدقة. وقد قامت هذه السياسة على التروي والأخذ بالأسهل من الأمور قبل المرور إلى ما صعب منها. وبعد أن استعصت عليه مدينة فاس، وهي باب الغرب بالنسبة للدولة العلوية الناشئة، فضل المولى الرشيد أن يغض عنها الطرف وأن يعزز سلطته في المناطق الشرقية والشمالية ـ الشرقية قبل أن ينقض على باقي البلاد.

وبما أن الدولة لا تقوم إلا بالمال والرجال فقد سعى المولى الرشيد إلى توفير هذين العنصرين بضمان القوة القتالية الضرورية والبحث لها عن الوسائل المادية التي تفي بحاجياتها. لذلك ركز المولى الرشيد على تكوين جيش يقوم مقام العصبية القبلية التي يفتقد إليها، وفتح الطرق التجارية مع الشمال والجنوب حتى يتحصل لديه ما يكفي من مدد لإرساء قواعد الدولة الجديدة. وقد اعتمد بالنسبة للجيش على شراگة وهم خليط من العناصر العربية والبربرية المستقرة بنواحي أنگاد وتلمسان، أسكنهم السلطان بالقصبة التي سميت باسمهم بعد فتحه لمدينة فاس. كما عزز هذه القوة العسكرية الفتية بعقد تحالفات مع بعض الأعيان ذوي النفوذ والسلطة، مثل عبد الله أعراص الريفي الذي سهل له بسط حكمه في منطقة الريف. أما الركيزة الثانية التي اعتمد عليها المولى الرشيد في

بداية أمره فهي التجارة حيث سهر على تأمين الطريق الرابطة بين سجلماسة والساحل المتوسطي. كما شجع التجار الأوربيين على الاستقرار بمراسي الريف لتنشيط التجارة الخارجية ولجلب ما تحتاجه الدولة الناشئة من سلع ومواد حربية. وبذلك اكتسب المولى الرشيد من القوة البشرية والثروة المادية ما جعله قادرا على ترسيخ أسس الدولة بالشريط الممتد بين تافيلالت والبحر المتوسط، ثم الانطلاق في مرحلة ثانية لإخضاع ما تبقى من البلاد.

لم تكن مدينة فاس تشكل فقط باب المولى الرشيد باتجاه الغرب والساحل الأطلسي بل كانت تمثل كذلك رمز الشرعية السياسية في البلاد، إذ لا تكتمل سلطة سياسية لها طموحات على المستوى الوطني الواسع إلا بضمان ولائها، حتى وإن كانت العاصمة السياسية بمراكش أو غيرها من المدن. لذلك جعل الأمراء العلويون منها هدفا لحركتهم منذ البداية. وكانت أول محاولة في هذا الاتجاه هي التي أقدم عليها مولاي مَحمد بن الشريف في سنة 1059 / 1649، لكنها باءت بالفشل، فأقنعت العلويين بأنها "ثمرة لم تنضج بعد" فحولوا اهتمامهم عنها لبعض الوقت. وفي سنة 1075 / 1665 عزم المولى الرشيد على فتحها لكنه لم يتمكن من دخول فاس الجديد إلا بعد حصار ومحاولات استغرقت ما يقرب من السنة. أما المدينة القديمة فكانت تتطلب أكثر من مجرد القوة العسكرية كي تدين بالطاعة للسلطة الجديدة.

كانت مدينة فاس قد استقلت عن حكم الدلائيين وأصبحت في قبضة رئيسين هما أحمد بن صالح الليريني المتزعم لجهة الأندلس، وابن الصغير رئيس جهة اللمطيين. وكان لزاوية القلقليين نفوذ كبير بالمدينة، الشيء الذي جعل المولى الرشيد يقصد شيخها، أحمد بن عبد الرحمان الفاسي، ويعقد معه تحالفا للإيقاع برئيسي المدينة وتسهيل دخول العلويين إليها. وهو ما حصل بالفعل. ثم إن المولى الرشيد نجح في الحصول على دعم العلماء، وفي مقدمتهم علماء الأسرة الفاسية، لتغريق ذمة ابن الصغير والليريني، فقُتلا وحيزت ثروتهما الهائلة إلى بيت المال.

كان إخضاع مدينة فاس ضربة للدلائيين وإن كان حضورهم السياسي بهذه المدينة أصبح محدودا ورمزيا لا أكثر. لكن نجاح المولى الرشيد في الاستيلاء عليها وجعلها عاصمة لمملكته كان يكتسي أكثر من دلالة، وكان يؤذن بسقوط ما تبقى من المناطق المستقلة.

كانت الإمارة الدلائية أهم عقبة وقفت في وجه العلويين منذ البداية، وكان الأمراء العلويون يدركون كذلك أن سقوطها سيعني سقوط السد أمام المد العلوي العارم، بحيث لن يمنعهم بعد ذلك مانع من اكتساح بلاد المغرب. وهذا ما حدث بالفعل، فبعد تخريب الزاوية الدلائية في ذي القعدة عام 1078/ أبريل 1668 وترحيل أهلها إلى تلمسان أصبحت طريق مراكش مفتوحة في وجه المولى الرشيد.

ونظرا لهشاشة حكم الشبانات بهذه المدينة فقد سهل عليه إخضاعها في وقت يسير (1072 / 1669)، ومنها توجه إلى سوس حيث قضى على إمارة السملاليين (1670/1080).

هكذا استطاع المولى الرشيد إخضاع البلاد وتوحيدها في ظرف وجيز، ربما يفسر نجاحه بضعف وهشاشة الكيانات الإقليمية أكثر مما يفسر بقوة الدولة العلوية الناشئة. لكن هذا السلطان العلوي تمكن على الرغم من قصر مدة حكمه من إرساء أسس الدولة الجديدة فزودها بنواة عسكرية صلبة ووسع قاعدة الدولة بعقد تحالفات مع القوى الجهوية المؤثرة، وخاصة بمدينة فاس التي تعتبر قاعدة الحكم ومصدر المشروعية الدينية والسياسية. وتوفي المولى الرشيد بمراكش عام 1082 /1672 بعد أن وحّد البلاد ووضع أسس الدولة العلوية الفتية.

أ. الناصري، *كتاب الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، الجزء السابع ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف*، تح. ع. الهادي التازي، الدار البيضاء، 1993 ؛ *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، الرباط، 1931، الجزء الثالث ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، الرباط، 1986.

محمد المنصور

ابن **رُشيد، علي** أبو الحسن من صلحاء مدينة فاس وأحد "أصحاب" الشيخ أبي مدين شعيب. ولا نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من كتب المناقب والطبقات والتراجم ومعاجم الأعلام. ولو لا ترجمة محمد التميمي له في كتاب *المستفاد* لظل أمر هذه الشخصية الصوفية مجهولاً، ولا ندري إن كانت تربطه علاقة عائلية أو أسرية مع ولي آخر من أولياء فاس، هو أبو العباس أحمد بن رشيد سابق الترجمة. ومن المؤكد أنه عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري (12 م) لأن محمد التميمي (المتوفى سنة 603 أو 604 / 1207 ـ 1208) سطر ترجمته اعتماداً على المعاينة والمشاهدة الشخصية، بل إنه ينفرد بذكره ضمن لائحة أصحاب أبي مدين الغوث. فقد كان ابن رشيد يصلي به إذا اجتمع عنده الأصحاب، ربما لطيب نغمته بالقرآن وخشوعه، إذ كان "خاشعاً حاضر القلب لا يكاد يسمعه أحد إلا خشع وبكى". ويبرز التميمي بعضاً من خصاله التعبدية والتقشفية، قائلا : "وكان مجتهداً قواماً صواماً، ظهرت له براهين من نور يضيء عليه إذا صلى. ومروءته ودينه كثير". إلا أن التميمي لم يورد له أية كرامة أو برهان أو مكاشفة.

محمد ابن عبد الكريم التميمي، *المستفاد من مناقب العباد بمدينة فاس وما والاها من البلاد*، مخطوط، ورقة، 146 ـ 147.

محمد الشريف

**الرشيد** بن **المامون** الموحدي، بويع مطلع سنة630/ 1232 وعمره لا يتجاوز أربع عشرة سنة. وكانت فترة حكمه فترة اضطرابات وضعف شلت أوصال الدولة الموحدية، التي لم تنجح في إعادة الأمور إلى نصابها، بسبب انقسام الصف الموحدي إلى معسكرين، والتخلي عن عقيدة ابن تومرت، وخروج القبائل الزناتية بقيادة بني مرين، وقبائل الخلط ومعقل عن الطاعة. علاوة عن الاستقلال الفعلي لإفريقية والمغرب الأوسط والأندلس عدا إشبيلية والجزيرة الخضراء. فضاق الخناق على الموحدين بمراكش، وقلت مواردهم.

وصل الرشيد إلى الحكم في هذا السياق، وعمل بمساعدة عمه أبي محمد سعد بن المنصور، جهد المستطاع لإعادة الاستقرار، لكن المشاكل كانت أكبر، وقضى وقته على رأس قواته، محاولا بث الروح في دولة أصابها الهرم، ولهذا لم يعرف له إسهام يذكر في مجال البناء والتشييد.

دخل الرشيد مراكش سنة 630، بعد أن واجه خصمه يحيى بن الناصر وانتصر عليه، فعفى عن أهل مراكش وأمنهم على أنفسهم وممتلكاتهم، وكافأ قوات الروم وحلفاءه من عرب الخلط بالأموال الوافرة، ووصلته البيعات من كل الجهات. وقد وفد عليه عمر بن وقاريط من جبله، مصطحبا معه إخوة الخليفة الرشيد، بعد أن تركهم أبوهم المأمون في حمايته. وقد نسج ابن وقاريط علاقات قوية مع مسعود شيخ قبيلة الخلط، ثم غادر مراكش إلى هسكورة، وهنالك غير ولاءه لصالح يحيى الناصر، وكان ذلك إيذانا ببداية مرحلة من الاضطرابات، لم ينجح الرشيد في احتوائها.

دفع قيام بلاد هسكورة ومزالة وأگلاوة، الخليفة الرشيد إلى تنظيم حركة إلى هنالك، ثم قفل راجعا على وجه السرعة بعد أن تأكد أن يحيى بن الناصر وابن وقاريط وجموعهم، كانوا يريدون مراكش، وحصلت بين الطرفين معركة انسحب يحيى على إثرها إلى الجبال، ورجع الرشيد إلى مراكش. وكان لهذا النصر أثر في رجوع بعض مشايخ الموحدين إلى الطاعة، ومن بينهم أبو عثمان سعيد الجدميوي، الذي عمل على إقناع غيره من الشيوخ بالرجوع إلى معسكر الرشيد، ولما عزموا على ذلك، حال شيخ الخلط دون رجوعهم، وحاول اغتيالهم بإيعاز من ابن وقاريط، لكن دون توفيق. وكان ذلك من أسباب عزم الرشيد على الإيقاع بمسعود الخلطي، وإعماله الحيلة في استدراجه إلى مراكش، وقتله رفقة جماعة من أصحابه، حينئذ رجع جملة من الموحدين إلى مراكش، بعد أن اشترطوا على الرشيد أن يرجع إلى مذهب ابن تومرت، فاستجاب الخليفة لهم وبالغ في إكرامهم.

كان مقتل شيخ الخلط سبباً في رجوع هذه القبيلة إلى العصيان، وتحالفها مع ابن وقاريط ويحيى بن الناصر. وكان عيشهم بأحواز مراكش قد أزم أحوال الناس، فارتفعت الأسعار، وانعدمت الأقوات، وبدت بوادر المجاعة. وقد حاول الرشيد مواجهة الخلط خارج مراكش، لكنه انهزم أمامهم، فأخلى مراكش وقصد الجبل في اتجاه سجلماسة، دون أن يتأثر بمطاردة الخلط له، وسقطت مراكش في يد غريمه يحيى آخر سنة 632/ 1235.

استقر الرشيد بسجلماسة وبلاد القبلة بضعة شهور، إلى أن أنس من نفسه القدرة على الحركة، فخاطب عرب سفيان واستجاشهم، ولما قطعوا وادي أم الربيع، حصلت مواجهة شديدة بين قواد الرشيد وقوات يحيى بن الناصر، فانهزم هذا الأخير، ورجعت بلاد صنهاجة ودكالة ورجراجة إلى نفوذ الرشيد، ثم دخل مراكش وهو عازم على مطاردة خصومه بشمال البلاد، خصوصا بعد أن تغيرت التحالفات من جديد، فالخلط استنصروا بابن هود الجذامي، بإشارة من ابن وقاريط، وتركوا يحيى الناصر الذي توجه إلى بني معقل، فأجاروه ثم اغتالوه وساقوا رأسه إلى الخليفة الرشيد، الذي سرعان ما قصد فاس، وأقام بها أياما ريثما يتوصل بجباية غمارة وفازاز. وأعطى أمره بقتل بعض شيوخ العرب المعتقلين بمراكش، وأنعم على الموحدين بالمال والأنعام، ثم عاد إلى مراكش صدر عام 634/ 1236.

لم تتوقف مناورات عمر بن وقاريط، فقد اختار الابتعاد إلى الأندلس، وأقام عند ابن هود، ثم أقنعه بالاستيلاء على سلا، فمده بمركبين من أسطوله، لكنه لم يتمكن من مراده، ورجع عنها خائبا. ويشير صاحب *البيان المغرب* إلى حالة الاستقرار التي عرفتها البلاد ما بين 634 و636، بفعل حركات الرشيد بين مراكش وفاس، فقد وصلته بيعة أهل سبتة وإشبيلية، ورجع ابن الأحمر إلى موالاة الدولة الموحدية، كما انتهى عصيان عمر ابن وقاريط إثر اعتقاله بإشبيلية وتسليمه للرشيد، الذي أمر بسجنه بأزمور صحبة مجموعة من أشياخ الخلط، قبل أن يأمر بقتلهم جميعا سنة 635/ 1238. وعلى الرغم من الحماس الذي أبداه الرشيد من أجل إعادة الدولة إلى سابق قوتها، فإن المشاكل كانت أكبر من إمكاناته، فقد أدت كثرة الفتن وقلة الأمطار وغلاء الأسعار وانتشار الوباء عام 637/ 1240 إلى فراغ البلاد الغربية من ساكنتها، علاوة على ما كانت تعرفه أحواز مكناس وفاس والقصر من اضطرابات سببها حركة بني مرين المتوثبة، وخلافاتهم المستمرة مع بني رياح وبني عسكر وممثلي الدولة الموحدية. لقد حاول الخليفة الرشيد احتواء توسعات بني مرين، لكنه انهزم أمامهم ثلاث مرات في ظرف سنتين، وكانت بينه وبينهم مهادنات ومراسلات، وانتهى به الأمر إلى الاستقرار بمراكش، مكتفيا بنفوذ محدود على جنوب المغرب إلى غاية وفاته سنة 640/ 1243.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*،1973 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 2، الدار البيضاء،

1953 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب*، 1978.

محمد فتحة

**الرشيد، محمد** مقاوم من مواليد سنة 1937 بالدار البيضاء من أبويه عبد القادر بن محمد وفاطنة بنت محمد. كان معروفا بغيرته الوطنية وكفاحه البطولي حيث عمل بجد وإخلاص في صفوف المقاومة السرية بمدينة الدار البيضاء مع منظمة الهلال الأسود تحت مسؤولية لحسن الأگلاوي، وناضل بكل شجاعة وإقدام في سبيل تحرير الوطن.

وقد شارك في تنفيذ العديد من العمليات الفدائية منها إحراق أوربي بداخل سيارته بطريق مديونة واغتيال متعاونين سنة 1955 بالإضافة إلى مشاركته في إضرام النار بمتجر للدخان بدرب الإسبان.

ونظراً لنشاطه البطولي طاردته قوات الاحتلال ففر هاربا ولم يعرف له أثر إلى اليوم حيث أصبح في عداد المفقودين من يوم الأحد 13 ذي الحجة 1375/ 22 يوليوز 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال* ؛ *شهادة عبد القادر الرشيد شقيق المترجم.*

محمد وحيد

**الرشيديّة** حاضرة تافيلالت تقع مدينة الرشيدية على طريق القوافل التي كانت تربط بين شمال المملكة والبلدان الافريقية المجاورة. وكانت تسمي سابقا قصر السوق اعتبارا لمكانتها في ترويج أهم البضائع المتبادلة بين القوافل. ومع مطلع السبعينيات من القرن العشرين، وبالضبط بمناسبة تدشين عملية المسيرة الخضراء عام 1975 من طرف الأمير مولاي الرشيد، أخذت المدينة تسميتها الجديدة.

يرجع تطورها العمراني أساسا إلى موقعها الجغرافي في سافلة حوض زيز الأعلى، بين الجبال الأطلسية والصحراء، وإلي استفادتها من جمع أكبر قسط من المياه المتسربة من أعالي الحوض، التي أسهمت في تعزيز اقتصاد المناطق شبه الصحراوية على مدى العصور.

أحدثت جماعة الرشيدية، سنة 1959، على مساحة 2200 هكتار، وهي تضم حاليا أزيد من 62 500 نسة، تتوزع على حوالي 10 500 أسرة. من بين أهم القبائل التي تكون الجماعة، نخص بالذكر آيت ازدك والحراطين والشرفاء.

يستقبل الموقع تساقطات مطرية لا يتعدي معدلها السنوي المائة مليمتر، مع وضع حراري يتجاوز 38 درجة كمعدل للحرارة القصوى لشهر يوليوز، و1.1 درجة كمعدل للحرارة الدنيا لشهر يناير. وادي زيز الذي يخترق المدينة، يتحول بعد خروجه من الأطلس الكبير الشرقي إلى مجرى شديد الموسمية يتأرجح بين الشح العميق في الغالب، وطاقات طارئة للفيضان.

تعتمد الجماعة في اقتصادها على الفلاحة والصناعة التقليدية والتجارة والسياحة. وهي تضم سوقين أسبوعيين، وثلاثة فنادق مصنفة وخمسة فنادق غير مصنفة.

يعتمد القطاع النظامي للتعليم على 14 مدرسة يلجها 10.250 تلميذا، وثلاث مؤسسات إعدادية لفائدة 6.271 تلميذا، وأربع ثانويات لفائدة 3.975 تلميذا، ومؤسسة واحدة للتعليم العالي يؤمها 973 طالبا. يضاف إليها خمس مؤسسات للتكوين المهني تابعة للقطاع العمومي وأربعة للقطاع الخاص.

يتهيكل قطاع الصحة حول مستشفيين اثنين، يضمان 22 طبيبا و158 ممرضا، و5 من المراكز الصحية، بها 10 أطباء و67 ممرضا، و3 سيارات للإسعاف.

كما تتوفر البلدية من أجل تقديم الخدمة العامة على خبرة 15 من الأطر العليا و82 إطار متوسط وفرقة قوامها 205 من العمال.

تستفيد الجماعة من خدمات المكتب الوطني للماء الصالح للشرب الذي يزود أكثر من 11.000 مستفيد، ومن خدمات المكتب الوطني للكهرباء لفائدة حوالي 22.700 شخص.

عدد الوكالات البريدية أربعة، كما تتوفر شبكة الهاتف الثابت على خط أوتوماتيكي بطاقة 6.300 مشترك.

ومن بين المعالم الدينية والاجتماعية، يوجد 16 مسجدا ومركزا ثقافيا واحدا وخزانة وداران للشباب وأربعة أندية نسوية.

موحى حدوش

ابن **رشيق، عبد الوهاب** بن يوسف بن محمد بن خلف بن محمد بن أيوب الأنصاري القصري، من أهل قصر عبدالكريم، وأصل أسرته من الأندلس، كان أبوه قد استوطن القصر وبه ولد المترجم في شعبان سنة 587/ غشت - شتنبر 1191.

كان والده عالما من تلاميذ عياض وابن العربي، وعنه أخذ العلم ابنه عبد الوهاب بمسقط رأسه. وتتلمذ أيضا لبلديه الشيخ أبي محمد عبد الجليل القصري (ت. 608/ 1211) وغيرهما. وصحب من علماء بلده قصر عبد الكريم أيضا الشيخ أبا العباس أحمد بن محمد بن هابيل العبدري المعروف بالأشقر.

كان فقيها مالكيا عالما، جمع الفضل ونبل الأخلاق والورع. رحل إلى المشرق واستوطن مصر وتصدر لتدريس العلم بالجامع العتيق بالقاهرة، واحترف بها أيضا خطة العدالة. وعاش بها قليل ذات اليد.

توفي ليلة عيد الفطر سنة 650/ 4 دجنبر 1252 برباط الأمير فخر الدين عثمان بن قزل بسفح جبل المقطم بالقاهرة.

جمال الدين ابن الصابوني، *تكميل إكمال الإكمال في الأسماء والأنساب والألقاب*، بيروت، عالم الكتب 1986، ص. 160 ـ 161، بغداد، 1957.

محمد المغراوي

**الرَّصَاص**، معدن سنجابي اللون (أشهب أزرق) كامد بسبب التآكل ؛ ثقيل الوزن، لين، ثقله النوعي 11.35، ووزنه الذري 206.91 ؛ ينصهر في 334° سغ، كثير الاستعمال في الصناعة. رمزه الكيميائي Pb وكثيراً مانجده مجتمعا مع الكالسيوم (Ca) والحديد (Fe) والمنغنيز (Mn) في الصوانيات. يجتمع أيضاً بالكبريت (S) والفضة (Ag) والفوسفاط (Ph) والكالسيوم (Ca) في الكبريتيات والفضيات والفوسفاط والكربونات.

تعتبر الغالينة أهم المعادن الخامة للرصاص وتسمى أيضاً كبريت الرصاص (PbS)، نظامها البلوري مكعب، صلابتها 2.5ـ3، كثافتها 7.2ـ7.6. لونها أشهب أسود لامع.

نجد معدن الرصاص في الصخور الرسوبية الكربوناتية أو الحثية وفي الصخور البركانية الرسوبية، وخاصة في الاركزة الحرمائية المتكونة من الكاربونات ومن المرْو، والبيريت والنحاس والبلند.

على المستوى الاقتصادي المغربي يأتي ترتيب الرصاص إلى جانب الخارصين بعد الفوسفاط مباشرة.

تتوزع رواسب معدن الرصاص بالمغرب إلى :

1 ـ رواسب طبقائية، ينحصر وجودها في اتجاه قاعدة صخور الغطاء الرسوبي ؛ نذكر منها هنا مناجم :

ـ بوبكر ـ تويسيت ـ بيدان (جنوب وجدة) ذات التمعدنات المتمركزة في كتل طويلة أو مختلفة التشعب، وتوجد هذه الكتل في ثلاثة مستويات يعلو بعضها البعض الآخر وذلك في نسق كربوناتي شديد التدلت ينسب إلى اللياس والبازوسي. وقد اكتشف بالمغرب في هذه المنطقة التي ما تزال تحت الاستغلال، احتياطات جديدة تمثل حاليا 65 ملايين طن بنسبة 14٪ من الرصاص و4 .5 ج من الفضة لكل وحدة من الرصاص. أما قبل هذا، فقد تجاوز إنتاج الرصاص والخارصين بالمنطقة المليون طن.

ـ ميبلادن (شرق شمال ميدلت) تتكون رواسبها من كتل رصاصية تنحصر بين صدعين في اللياس الأوسط والعلوي الطيني الكربوني التجاوزي فوق صخور القاعدة القديمة لنهر ملوية. تقدر الاحتياطات المؤكدة بنحو 300.000 طن بنسبة 8٪ من الرصاص.

ـ زيدة (شمال غرب ميدلت)، يوجد الرصاص هنا على شكل كتل غير منتظمة في صخور الأكور التابع للبيرموترياسي. يبلغ الاختياطي الحالي بنحو 11 مليون طن بنسبة 4٪ من الرصاص.

ـ تامجوط (الأطلس الصغير الغربي)، **يوجد هذا الراسب في صخور الدولوميت التحت كمبرية (دولوميت تامجوط) الكثيرة الانكسارات المملوءة بالسيليس حيث ينحصر وجود الرصاص الذي يصاحبه أحيانا الخارصين والنحاس.**

ـ إقليم ركو (**الطرف الجنوبي الشرقي للأطلس المتوسط، على بعد بعض الكيلوميترات غرب قرب ركو**) ؛ تركبة هذه المنطقة أساسا كربوناتية من صنف اللياس، **تمعدناتها** الرصاصية عموماً على شكل تكدسات كربوناتية على مقربة من **التقصفات الكبرى الاقليمية**.

2 ـ **رواسب عرقية ينحصر وجودها أساساً في صخور القاعدة حيث تقطع المستويات الأكثر صلابة :**

ـ مفيس (جنوب شرق مدينة **الرشيدية**)، **تقطع هنا** الرواسب العرقية **حجر الرمل الأوردفيشي، طول هذه العروق يصل إلى 6 كلم، وسمكها** 0.5 إلى 1.5 متراً، يوجد أغلبها في صدوع شبه رأسية، على هيئة أعمدة مشتملة على الجالينا، البلاند، الكالكوبيريت، والبيريت ؛ أما الشوائب المعدنة فتتمثل في السيد يريت والكالسيت والباريت والمرو. ويحتوي الركاز على حوالي 60٪ من الرصاص. هذا وقد استغل إلى حدود سنة 1977 أكثر من 20.000 طن من الرصاص، ومازال الاستغلال قائماً حتى الآن بطريقة يدوية.

ـ أحولي (شمال شرق ميدلت)، نجد العروق المتمعدنة

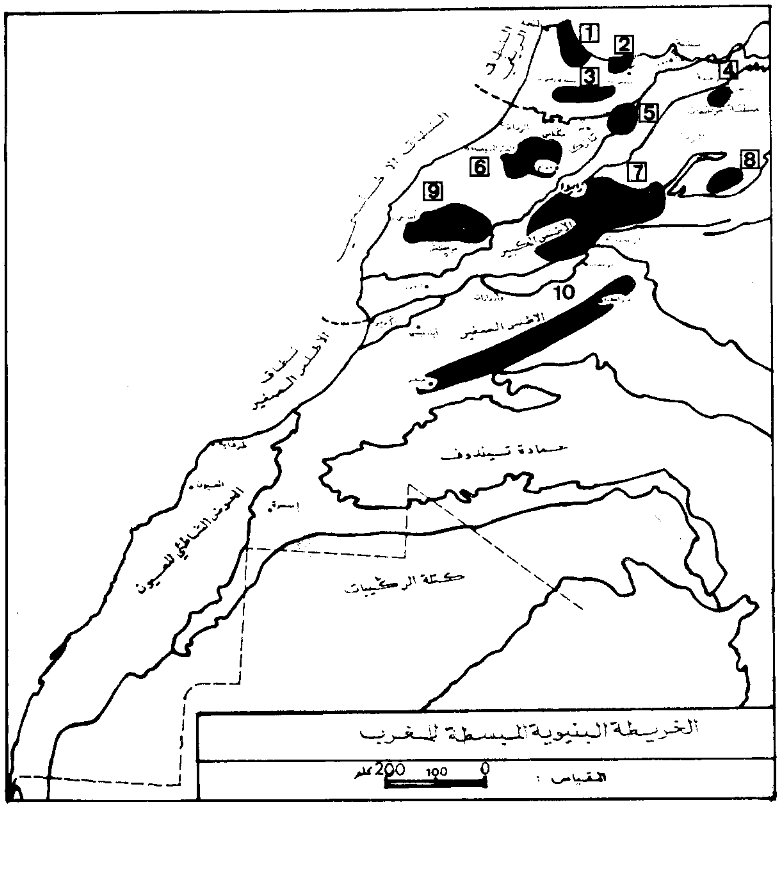


الخريطة البنيوية المبسطة للمغرب

في راسب ميبلادن الطبقائي وفي وسط صخور الشيست المتحولة، وجرانيت ملوية القديمة والنسق البركاني. التمعدن هنا إما على شكل كتل، أحيانا متقطع وغير منتظم، وإما على هيئة عروق، كعرق هُنْري، وعرق جُورج. ويوجد التمعدن أساساً في الجالينا المتأكسدة، والسيروسيت، والانجليزيت والبلاند. أما بخصوص الشوائب المعدنية فتشمل المرو والباريت والفلوريت. يقدر الاحتياطي الحالي في عروق أحولي بما يناهز 5 مليون طن بنسبة 28٪ من الرصاص.

- جبل عوام (غرب مدينة امريرت)، توزع تمعدنات الرصاص بهذه المنطقة على خمسة مجاميع من العروق (سمكها من 1 إلى 10 أمتار، وطولها يصل إلى 5 كلم) توجد كلها في الصخور الباليوزوية للمغرب الأوسط الهرسيني. ومن المعادن الحاملة للرصاص هنا، نذكر السيد يريت، والجالينا ؛ إما الشوائب المعدنية فتتمثل في المرو والكالسيت والباريت. يصل الاحتياطي بمنطقة جبل عوام إلى ما يفوق 80.000 طن من الرصاص.

3 - رواسب مكسرية، ونذكر هنا تمعدنات جبل بوظهر : يوجد جبل بوظهر شمال شرق مدينة الرشيدية، وينفرد بكونه يشتمل على تمعدنات ممكزة في الشعاب المرجانية الدوميرية المرتكزة على الصخور الباليوزوية. ومن هذه المعادن الجالينا، البلاند، البيريت، الكالكوبيريت ؛ أما الشوائب المعدنية فتتمثل في الكلسيت، السيديريت، الانكريت، الباريت والمرو.

ونشير هنا إلى أنه توجد رواسب مكسرية أخرى كالرواسب الموجودة في التكوينات الكربونائية والرملية في تافيلالت، المعايدر، الأطلس الكبير الشرقي، والأطلس المتوسط لتازة.

لقد وصل إنتاج هذه المجموعة منذ بداية استغلال المنطقة ما يزيد على 100.000 طن من الرصاص المركز.

مناجم معدن الرصاص

1 - الريف الباليوزوي
2 - بوكوية
3 - منطقة وزان
4 - منطقة المرتفعات (بوبكر، تويسيت، بيديان)
5 - كتلة تزكا (الأطلس المتوسط لتازة)
6 - جبل عوام
7 - ميبلادن، زايدة، أحُولي، بوظهر، تافيلالت، مفيس
8 - منطقة الأطلس الصغير
9 - منطقة الجبيلات والرحامنة (شمال مراكش).

عبد الله بوصحابة

**الرصراصة**، أو الكلس العضوي المزخرف. تعرف الرصراصة عندنا باسمها اللاتيني ترافرتان (Travertin). وتعتبر عدانيا تكوينا كاربوناتيا ثانويا. تستعمل في تزيين واجهات البيوت وفي التبليط الراقي، وتدمج تجاوزا من طرف الصناع في حيز الرخام (الرخام، الجزء 13).

وهي بديعة التكوين والتطور والهيئة، وإن كانت منقطعة العلاقة بأي كلس متحول من شأنه أن يربطها بالرخام. تخرج عن المألوف مقارنة مع الأكلاس الأولية، البحرية منها والبحيرية، وحتى مع الثانوية الأخرى كالقشرات الكلسية بمختلف سحناتها. ذلك أنها تتوضع على السطح بحجم يمكن أن يضاهي التكوينات الأولية تماما، وبسرعة قياسية تتفوق بها على كل الأكلاس.

أصل المشيدات منها عضوي بامتياز، يمكن أن يتراكم بإيقاع أقصى مضبوط بالمواسم المناخية للسنة، يتحقق متى توفرت العاليات الكلسية والرطوبة الكافية وظروف الاستيقاف من أجل الترسيب. كل القواعد صالحة لاستقباله، مع تفضيل للعنصر النباتي، تلتف التغليفات الكاربوناتية من حوله. جل السحنات الموصوفة من النوع المسامي الخفيف، المعروف برصراصة القصب. يتهيكل تثبيت مادة المحلولات على أساس تصفيفات متوالية من جاليات الطحالب والفطور، هي التي تثبت المادة الكلسية المشبعة للمحلولات وتفسر السحنات المزخرفة، المترددة الوشاحات والمتعاقبة التلوين التي تكسبه، عند اكتمال التطور والتصلب، جمالية الرخام والصقيل التام المبرقش اللماع.

هناك ترافق أكاديمي بين الرصراصات واللبائد، يكاد لا يذكر أحدهما بدون الآخر. لا يبدو أن التمييز بينهما ذو طبيعة خلقية سلالية : الرصراصة متينة، مقاومة ومنتظمة البنية، واللبيدة (tuf) هشة، غالبا ما تظهر بوصفها ترسبات متراكبة وستائر طبيعية عند منابع الفرشات المائية الجوفية الكارستية.

تتركز الظهورات الرئيسية للرصراصة واللبيدة بالمغرب، عند حافات الجبال والهضاب الكلسية الكافية الرطوبة، السانحة البنيات والتوجيه.

أحسن الأوضاع متوفرة ولاشك في المحيط الشمالي والغربي للأطلس المتوسط، نظرا لطابعه الكاربوناتي العام لمعدل التساقط الذي يتأرجح بين 500 و1000 ملم، وللميل التفضيلي للفرشات الهيدروجيولوجية إلى الشمال الغربي، ولتمتع الحافات بالتوجيه الظليل الرطب المواتي للمجتمعات الحيوية الغنية بالطحالب والنباتات المائية من المواقع الأكثر تعبيرا، المدرج الواسع الغني بمختلف السحنات والمتوافر التوضعات كما وكيفا، الذي تتوسطه

مدينة الحاجب. لقد أخذت جل المواد التحليلية المقعدة لهذا العمل من موقع الحاجب بوصفه مرجعا معياريا لأنواع الرصراصة واللبيدة بامتياز، بما في ذلك اللقطات المرافقة عن السحنات المجهرية وذات المقياس الطبيعي التفصيلي والشامل. حقول أخرى ذات أهمية تعلو وتحف بمدينتي صفرو والقصيبة.

على مسافات أطول، توجد التراكمات الرصراصية المرافقة لهوامش الأطلس الكبير. وهي بالطبع شديدة اللاتماثل بين السفوح الشمالية الرطبة والجنوبية التي غالبا ما تجمع بين جفافي التوجيه القاحل والبرودة، ومتناقصة الكتلة والامتداد حسب تناقص الرطوبة من الغرب إلى الشرق. من أشهر المواقع الموصوفة تلك المرتبطة بشلالات إيموزار إيدا أوتنان، وأوزود، والأودية من حول دمنات.

حقول معقدة تحيط بالأعراف الكاربوناتية بمنطقة جبالة، غرب سلسلة الريف في أقصى الشمال، وتهم الهوامش الغربية للأطلس الصغير، بالسفوح المفضية للتغليفات البحيرية لسوس ماسة تزنيت. أما في الريف، فتبدو الرصراصة أساسا كتطور تلحيم لمواد الانهيال الغزيرة جدا التي تحيط بالعوارض والفلسات والقدات، وكلها قائمة البنية، نشيطة البنائية، أحدثت في دولومي الترياس شبكة شقوق كثيفة تسببت في التطعيم بالفتات وبمحاليل التلحيم. وأما من حول الأطلس الصغير الجاف، حيث لا تنتظر مواد ترطيب من هذا القبيل، فإن النوع الخاص من الرصراصة هنا، يبدو كما لو كان آخر مواد إفراغ للأودية الموسمية الجبلية، في صورة قذى لبيدي، ترمي به في اتجاه الصحراء، داخل المنخفضات الموالية للحمادات.

من الواضح أن الرصراصة في كل هذه الأوضاع لا تستجيب دائما للتعريف السحني المعروف، وأنها كباقي الأجناس الصخرية لا تنحصر في التعريف الظاهراتي البسيط والضيق ولكنها تتحدد بجملة معايير منها المرفلوجي والصخاري والعداني. إحلالها مكانة الجنس الصخري الشامل، سمح باكتشافها كظهورات ذات انتشار أوسع بكثير مما كان يعتقد.

وعليه، فإن الرصراصة من المشيدات القارية الخاصة المتميزة بمنشئها العضوي. مرت ظروف الرصراصة في المغرب بمراحل ازدهار وانكماش. يعتبر مجمل المناخ الحالي فترة تراجع، يمكن أن نشهد خلالها التكون الفعلي للرصراصة، لكن في أوضاع محطية ضيقة، حول العيون الظليلة وضمن الأودية والآجام البليلة الغدقة. على أن النيوجين والرباعي قد شهدا مراحل تشييد استثنائية الحدة، تنتمي بالأساس إلى مناخ متوسطي أرطب من الحالي، نذكر منها البليوسين الأوسط، المعروف كذلك باتساع المجالات البحيرية في ظروف بيومناخية زاهية، ومنها فترات بذاتها من دوري الملوياتي والعميري من الحقب الرابع المغربي (الرباعي المغربي، الجزء 13).

الخاصية الإلزامية للمشيد الرصراصي أن يكون الانطلاق من تأليف عضوي، تضطلع به المشريات المنتظمة داخل جاليات حية مستندة بصفة تفضيلية إلى أحراج مائية. يساعد النبات في تسريع التراكم الكلسي حيث إنه، لأغراضه الوظيفية، يركز المحاليل ويستخلص الغاز الفحمي. في هذه المرحلة البدائية، تتحقق الشبكة الهيكلية المتسعة المسامية، والتي لا غنى عنها في ضبط الانتساب إلى الجنس وإن كانت، إلى هذا الحد، عبارة عن سجاد طحلبي متفاوت التغليف الكلسي، غض التكوين واهي المقاومة. لكن سرعان ما يتحول إلى مصيدة فعالة تتركز بها ترسبات كلسية أخرى فيزيو ـ كيماوية وعناصر فتاتية من الطين والأكاسيد الفلزية. تواتر تصفيف الجاليات الطحلبية والفطرية مع ما شابها هو الذي يعطي ثنائيات الشرائح الدقيقة المتضارية إلى داكن فاتح. وهي التعبير المباشر على إيقاع الفصول، البارد والحار في النطاق المعتدل، والجاف والرطب في عروضنا المتوسطية.

في البدايات، تتراكم هذه المواد القارية على شكل تلال عضوية، تماما كما لو كانت حشفات مرجانية وسط البحار. لكن مرور الوقت من خلال تكرار دورات التحليل والترسيب وتزايد التبلر والتصخر، يمحو أكبر جزء من البنيات الظاهرية المعبرة، مبسطا السحنات ومقربا إياها من الكلس الكتلي الصلب الاعتيادي، رغم بقاء الآثار الأصيلة في السحنات المجهرية.

إذا ما قارنا الرصراصة، من وجهة التصخر والتمعدن، مع باقي التطورات التكلسية القارية الأخرى، ألفيناها في وضعية يمكن أن نقول عنها إنها وسطى بين الكلس البحيري والقشرة وأنها بمستوى الحث أو الحجر الرملي، وذلك بالاحتكام إلى ما يلي من القواعد.

يكفي في الاحتباس المفضي إلى ترسيب الكلس البحيري أن يكون طبوغرافيا. وما نعلمه عن هذه الظروف في بلداننا، خلال فترتها الزاهية المعتدلة المناخ في البليوسين الأوسط، أنها ترفقت بالأطيان دون ما تغيير يذكر، ولم تحدث أي عسف في مضمونها السلكاتي.

يوجد تكوين القشرات الكلسية تحت رحمة البيومناخات بالضرورة، إذ ينتج عن الانحباس الكيماوي التجفيفي القاسي الذي يؤدي بالتدرج وعلى المدى الزمني الطويل إلى التغيير الحاسم للأطيان والعسف العميق للمادة الترابية الفتاتية السليسية بتحويلها كلية إلى مادة كلسية.

تأتي الرصراصة في وضعية بينية، الانحباس فيها أحيائي أيضي صرف. وهي قادرة بذلك على تثبيب الكلس بأسرع السبل الممكنة طبيعيا، بحيث يتم بالإيقاع الموسمي للحياة النباتية في النطاق المعتبر، منشئا المنوال العضوي ـ

المعدني الأول، ومثبتا إياه بدفعات متتالية من تبلر الكلس. وقد بدا لنا، في السايس على سبيل المثال، أن تصخر الرصراصة يتم، على غرار التحجر في الحث، بوصفه عملية واسعة للتلحيم على أساس قاعدة مسامية، في وسط فتاتي قاري معد لانسياب المحاليل. يتحول بالموازاة المضمون الطيني للرصراصة بصفة سريعة، لكن بدون عمليات عسف ملموسة.

هناك من الطوارئ أحداث يمكن أن تكثف من إنتاج الرصراصة وأن توسع من رقعة انتشارها. حدث من بينها بصفة فعالة خلال الرباعي، أزمات بنائية قوت الأحجام الطوبوغرافية وعددت خطوط المنابع وعتبات التأكسج المسببة للترسيب الكلسي. كذلك الشأن بالنسبة للحوادث البركانية التي تزيد من الاضطرابات الجوية وأنوية التكاثف وبالتالي من الترطيب في العاليات التي اعتراها الفوران، ومعها زيادة تفسيخ الأكلاس بتوافر إشباع المحاليل بالغاز الفحمي. يصحبها تراكم الأكلاس في السافلات ذات الجو الأصفى والعتبات المعددة لفرص التأكسج.

ومن المثير للانتباه أن فترتي الرصراصة القصوى التي عرفها الرباعي قد وافقت، في الملوياتي والعميري بالضبط، إضافة لنزعات الترطيب المناخي الضرورية، أهم أزمات البنائية والبركنة التي شهدها الحقب.

مرة أخرى، يتأكد الدور الحاسم الذي تلعبه الجبال المغربية بفعل شموخها وتوسطها للمجال الوطني. فبالإضافة إلى قيامها بتوزيع الموارد المائية والترابية بأكثر ما يمكن من التوازن وأبعد ما تسمح به الأوضاع العرضية، فإنها كذلك، عن طريق دينامية المحلولات، تدفع بمختلف السحنات الكلسية القارية إلى كل السافلات منوعة الركائز الصخرية ومطعمة الأتربة وموفرة مواد نافعة جديدة للأشغال العمومية والبناء والزينة. وإلى أمد قريب، كان جنس الرصراصة مجهول المعالم في جل مظاهره، مهضوم الملامح بين الكلس البحيري والقشرة الكلسية. أما وقد اكتشفت الآن بعض تجلياته، فإنها تسمح، ليس فحسب بمعرفة أقوم لأصقاع واسعة من التراب الوطني، ولكن كذلك باستجلاء بديع لفترات ثرية، غنية بالماء والحياة، تضيف تفاصيلها الغناء للتاريخ الطبيعي للمغرب.

J.P Adolphe et C. Billy, *Biosynthèse de calcite par une association bactérienne aérobie. C. R. Ac. Sci.* Paris, t. 278, 1974 ; J. Casanova, *Morphologie et biolithogenèse des barrages de travertins.*. Paris, p. 45 - 54, 1981 ; D. Fassi, *Les formations carbonatées secondaires : croûtes et travertins. R.G.M.*, p. 183 - 220, 1994 ; L. Mathieu, *la géomorphologie et la géologie quaternaire comme bases fondamentales pour une juste définition et une cartographie rapide des sols et des milieux. Application dans la province de Taza (Maroc) et dans la cuvette d'Andapa (Madagascar).* Thèse Fac. Sci. Agro. Gembloux, Belgique, 1017 p., 1977 ; J. Nicod, *Facteurs physico-chimiques de l'accumulation des formations travertineuses. Essai de synthèse. Médit.* 1 - 2, p. 161 - 164, 1986 ; J. Vaudour, *Travertins et croûtes calcaires. Bull. Assoc. Géog. Fran.* Paris, 479 - 480, p. 203 - 210, 1981 ; A. Weisrock, *Géomorphologie et paléoenvironnement de l'Atlas atlantique*. Thèse, Paris, 1986.

إدريس الفاسي

**الرصيف القاري**، يطلق اسم الرصيف القاري على مساحات تحت بحرية شاسعة تمتد من الشواطئ حتى مستويات قد تفوق أعماقها 200 متر، وهو معدل لأعماق (ما بين 60 و400 متر) يتغير بها شكل وطبوغرافية القعر بشكل جدري حيث يتكسر الانحدار التدريجي والطبيعي للتضاريس تحت بحرية لينشأ عنها جرف سحيق قد يتعدى الألفي متر.

على السواحل المغربية المترامية على واجهتين (متوسطية وأطلسية) فاختلاف المعطيات البيئية واختلاف التاريخ الجيولوجي لهاته الواجهتين أدى، بالطبع، إلى اختلاف في تكوين، شساعة وعمق الرصيف القاري فيهما. أما على الساحل المتوسطي فلا يتعدى عرض الرصيف القاري 15 كلمترا وعمقه حوالي مائة متر ويقسم حسب استقرارية معطياته الرسوبية إلى ثلاثة مناطق : منطقة سبتة، منطقة الحسيمة والمنطقة الشرقية. خلافا لذلك فإن عرض الرصيف القاري على الواجهة الأطلسية للمغرب لا يقل عن 15 كلمترا وقد تفوق أعماقه 200 متر. وإذا كان عرض الرصيف القاري قد يتعدى 110 كلمتر فإن المعدل العام يتأرجح ما بين 40 و60 كلمتراً. يمكن تقسيم الرصيف القاري الأطلسي للمغرب كذلك إلى ثلاثة مناطق : منطقة أولى تمتد من "رأس سبارطيل" إلى "رأس غير" قرب أگادير وتتميز برصيف قاري عرضه يتأرجح بين 30 و50 كلمتر وعمق أقصاه 200 متر. أما المنطقة الثانية فتمتد بين "رأس غير" و"رأس بارباس" وقد يتعدى عرضه 110 كلمتر، أما المنطقة الثالثة وتوجد في أقصى جنوب المغرب فلا يتعدى عرضها 60 كلمترا وعمقها 120 متر.

ونظرا لشساعة الرصيف القاري وكذلك تعدد وتباين المعطيات البيئية فيقسمه الخبراء إلى طبقات أو مستويات مختلفة تدخل في تحديد معالمها معطيات عدة كالضوء، وطبيعة الدعامات، والرطوبة، ونسبة غمورها بالماء، إلخ. وهاته المستويات هي (من الساحل نحو العمق) : ما فوق الساحلي (Adlittoral)، فوق الساحلي (Supralittoral)، بيساحلي (mediolittoral)، تحت الساحلي (infralittoral) وما تحت الساحلي (Circalittoral). ولكل من هاته المستويات ظروفه البيئية التي تجعل من ساكنته الحيوانية والنباتية أحياءً مميزة له، لكن وبصفة عامة فإن الحياة تزدهر وبشكل أكبر في المستويات أو الطبقات السطحية والمغمورة في نفس الوقت بالماء حيث تكثر الأملاح المعدنية وتتوفر الطاقة الضوئية والشمسية اللازمة لتحويل هاته الأملاح

المعدنية إلى مواد عضوية نباتية صالحة للإستهلاك من طرف الحيوانات. أما خصائص هاته المستويات فهي :

- المستوى ما فوق الساحلي وهو مستوى لا يصل إليه ماء البحر إلا في حالة العواصف وهيجان هذا الأخير، حيث ترتفع الأمواج لتصل إلى مواطن لم تكن لتبلغها في ظروف عادية وهكذا فهي مواطن تحت التأثير الدائم للملوحة وضباب البحر لكن تحت تأثير ماء البحر في ظروف استثنائية فأحياءها أرضية بشكل عام لكنها قد تتحمل الملوحة (Halophiles). أما الحيوانات التي تعيش في هاته الطبقة (Etage) فهي قليلة التنوع وتتكون في غالبيتها من حشرات ثنائيات الأجنحة (diptères) كبعض أنواع الذباب والباعوض وكذلك من غمديات الأجنحة (Coléoptères). أما النباتات فهي تعتمد أساسا على زهريات ملحية (Phanérogames halophytes) تعيش فوق الكثبان الرملية المجاورة للشاطئ والمغمور دوما بضباب بحري محمل بملح البحر.

- المستوى فوق الساحلي : ويتميز بكونه قد تغمره مياه البحر بصفة استثنائية لكن منتظمة خلال كل فترة مَدّ كبرى ونظرا للنسبة العالية للرطوبة فيه، فظروفه أقرب للظروف البحرية فتختفي منه مثلا غمديات الأجنحة التي تعيش فقط على اليابسة لتستبدل برخويات ساحلية جد متأقلمة مع ظروف هذا الوسط حيث يمكنها البقاء مدة طويلة دون ماء لكنها لا يمكنها العيش أبدا بمنأى عن البحر كما تظهر كذلك بعض النباتات الأشنة (lichens) لا تستطيع العيش تحت الماء لكن لا تطيق العيش دون رطوبة عالية ودائمة.

- المستوى بيساحلي وينعت به منطقة المد والجزر حيث استقرارية وجود الماء (عند كل مد) أدى بالعديد من الحيوانات إلى الاستقرار به : قشريات هدابيات الأرجل (Ciripèdes)، مزدوجات الأرجل (Amphipades) ومستويات الأرجل (Isopades) ورخويات كذلك كمعديات الأرجل (Gasteropades) وثنائيات الصدفة (Bivalves)، لكن تبقى كلها حيوانات وإن كانت لا تستطيع العيش بدون ماء فهي تتحمل عدمه لبعض الساعات (طيلة الجزر) كما أنها تتحمل تقلبات الظروف البيئية كالملوحة والحرارة الناتجة عن توالي مرحلتي المد والجزر. أما بالنسبة للنباتات فوفرة الماء واستقراريته خلال مرحلة المد أمّن لعبض الطحالب جل الظروف الأساسية لنموها خاصة تلك التي هي أكثر تحملا لتوالي مرحلة المد والجزر وكذلك ما ينتج عنهما من تقلبات الظروف البيئية الأخرى ومن بين هاته الطحالب بعض الطحالب الكلسية (Coralines) أو جنس Ulra، المنتشر بشكل كبير في الشواطئ الصخرية والمعروف بـ"خز البحر".

- المستوى التحت الساحلي : ويمتد من منطقة الجزر حتى حوالي 40 مترا من العمق. فهو إذن مستوى تغمره المياه بشكل دائم وتتسم ظروفه البيئية بكثير من الاستقرار والتوازن مما يوفر للعديد من الأحياء الملجأ والغذاء وأماكن ظروف التوالد، إلخ، ونظرا لقربه من اليابسة ولوفرة مياهه وتعرضه باستمرار للطاقة الشمسية فهو يعد من أغنى الطبقات والمستويات حياة حيث أن الأملاح المعدنية القادمة من اليابسة تُذاب في مياهه وتحول بفعل الطاقة الضوئية والشمسية إلى مواد عضوية ضرورية لنمو الحياة وتكاثرها. ولذلك فهو مستوى توجد فيها كل الشعب الحيوانية وأغلب النباتات (الطحالب والزهريات البحرية) وهو بالتالي مستوى يلعب دورا أساسيا في استقرار الظروف البحرية داخل هذا الوسط.

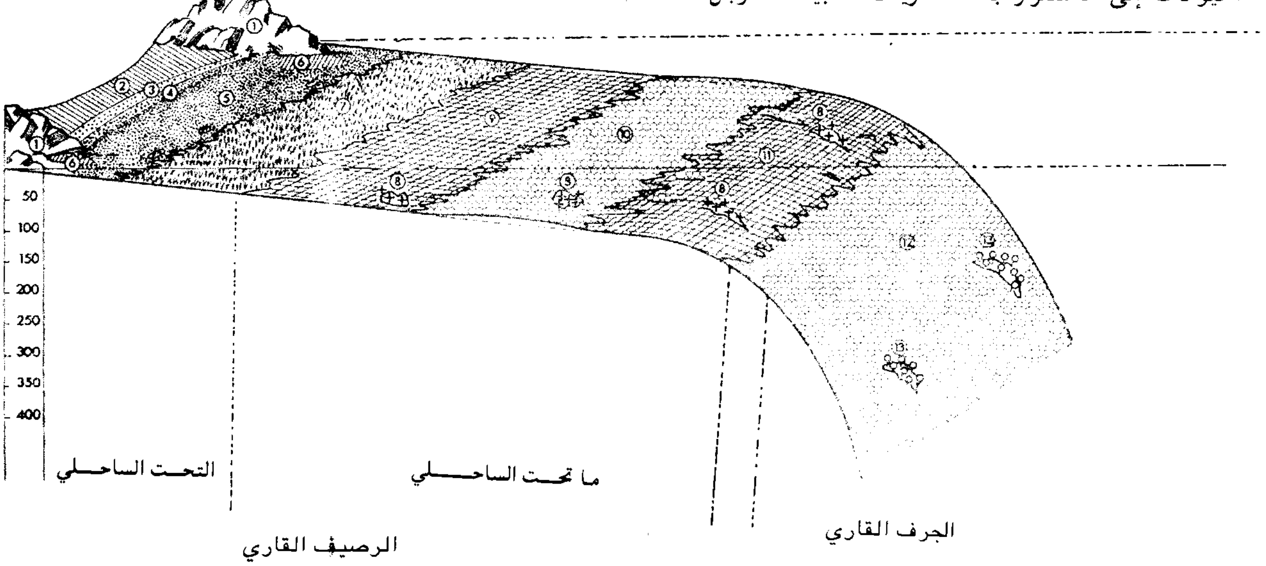


1 ـ 2 صخور محيطة بمنطقة رسوبية

3 ـ شاطئ (طبقات مافوق، فوق بيساحلية)

4 ـ 5 ـ 6 ـ عشائر مختلفة للمستوى تحت ساحلي

7 ـ عشائر الزهريات، حوالي 40 مترا نهاية الطبقة التحت ساحلية

8 ـ 9 ـ عشائر الطحالب الكلسية والحيوانات ذات الهياكل الصلبة

البقية عشائر ما تحت ساحلية تعيش في الرمال والأوحال

ـ مستوى ما تحت البحري : ويمتد على أعماق تفوق الأربعين مترا تقريبا وحتى الجرف القاري. يتميز هذا المستوى بضآلة الضوء فتقل بذلك أو تنعدم لقدرة النباتات على تحويل الأملاح المعدنية إلى مواد عضوية وبالتالي فهي لا تستطيع النمو ولا التكاثر بل ولا حتى التواجد. وبما أن هاته الطحالب هي اللبنة أو الحلقة الأولى في السلسلة الغذائية والبيئية في الوسط البحري فإن كل الحلقات المرتبطة بها كالحيوانات العاشبة أو اللاحمة لن تستطع التكاثر بشكل سريع ومكثف بل ومنها من لا يستطيع الوجود في هذا الوسط المظلم.

أما معالم الحياة في هذه الطبقة فهي تعتمد أساسا على الحيوانات خاصة تلك التي تستغني في غذائها عن النباتات. لكن هناك عشائر تعيش على الدعامات الصلبة خاصة الصخرية وهناك عشائر تحت فوق أو داخل الرمال أو الأوحال. فبالنسبة للدعامات الصخرية وبالإضافة إلى القليل من الطحالب الكلسية هناك العديد من الحيوانات خاصة تلك التي تتوفر على هيكل خارجي صلب كالحزازيات، والمرجانيات وشوكيات الجلد وبعض القشريات. أما فيما يتعلق بالدعامات الرملية فعدم وجود أمواج وحركية مائية دائمة يجعل الأوحال والمواد العضوية تترسب فوقها مما يعطي لهاته الرمال طابعا وحليا غنيا بالمواد العضوية ومما يسهل بالتالي وجود حيوانات تعتمد بالأساس في تغذيتها على المواد العضوية العالقة في الماء أو الممزوجة بالرمال ومن بين هاته الحيوانات هناك العديد من الاسفنجيات واللواسع الريشيات (Pennatulaires) وشوكيات الجلد خاصة النجيمات وخيار البحر وكذلك بعض الرخويات معديات الأرجل وثنائيات الصدفة.

أما الأهمية الكبرى للرصيف القاري بالنسبة لبلادنا فتكمن أساسا في غنى مياهها بالموارد البحرية ذات القيمة الاقتصادية الكبيرة من أسماك وقشريات ورخويات. فإذا كانت المياه الساحلية الغير العميقة تكتنز موارد هائلة من الرخويات القواقع خاصة في مصبات الأنهار والبحيرات المالحة فإن هناك موارد أخرى عالقة أو قعرية تعيش في مناطق أكثر عمقا. بل وإن الظروف البيئية (التيارات البحرية خاصة) التي تميز الرصيف القاري المغربي تجعل من مياهه إحدى أغنى المياه في العالم من حيث الموارد السمكية كالسردين مثلا أو الموارد الرخوية كرأسيات الأقدام والتي تصدّر في معظمها إلى اليابان.

A. Berraho, *Ressources halieutiques et potentialités aquacoles au Maroc*. Expo. Lisb., 1998 ; J.M. Peres, *Précis d'océsugraphie hydrologique*. Paris, 1976 ; R. Mathieu, *Les sédiments du plateau continental du Maroc atlantique entre Dar Bouazza et Mohammadia. Bull. Inst. Pêches Maritimes*, n° 16, 1986 ; B. Jaaidi, *Les environnements, sédimentaires actuels et pleistocènes du plateau continental atlantique marocain entre Larache et Agadir*, Doctorat de 3ème cycle, 1981 ; F. Monario, *Exploracion acemografica del Africa occidental desde el Cabo Ghir y Cabo Juby*, Inst. Esp. Ocosnog. n° 20, 1947.

محمد منيوي

* * يمكن تصنيف الموارد المعدنية، في عرض السواحل، إلى فئتين تطوريتين. فئة تخص المواد المنقولة من طرف التيارات البحرية، والأخرى تصرفها الأنهار. الواقع أن تمييزا من هذا القبيل هو مجرد تبويب تقني، إذ يحدث أن توجد المادتان معا، وغالبا ما يرجع لهما تأمين التوضعات التي تسمح بالاستغلال الاقتصادي.

هناك بلدان تستغل مناجم القصدير (أندونيسيا، التايلاند) أو الماس (ناميبيا)، وأخرى تستخرج كاربونات الكالسيوم (بهاماس، إسلاندا)، ومع ذلك يبقى المورد المعدني الأساسي للرصيف القاري متمثلا في مواد البناء، وخاصة منها الرمل، والناتجة عن تفكك وتوضع مواد السواحل البحرية والعناصر التي تحملها التيارات.

استغلال الرمال والحصبة، في عرض السواحل، يرجع بالنسبة لبعض البلدان إلى العصر الوسيط، حيث كانت القوارب المسطحة أو الطوفيات تقصد في فترات المد القيعان الرملية الضحلة وترخي فيها إلى أن يحين الجزر وتثبت على اليابس. عندئذ تشحن الرمال والحصبة بالمجرفات. ومتى عاد المد، طفا القارب ورجع إلى الشاطئ من أجل التفريغ.

يشكل الفسفات موردا آخر، ناتجا عن تيارات الصعود المؤدية إلى ترسيب أملاح الفسفور الكامنة في المياه المحيطية. بإمكان توضعات الفسفوريت المتراكمة أن تخول حالات استثمار (السنغال).

من بين الموارد الأخرى، يمكن اعتبار الرمال السوداء. وهي توضعات غنية بالحديد والتيتان والزركونيوم، ناتجة عن تعرية الكتل المتضمنة للمعادن الحديد ـ مغنيزية، صرفتها الجداول. يحصل تراكمها بمستوى مصاب الأنهار على شكل رواسب تتحكم فيها طاقة التيارات، البحرية والنهرية، وكذا طبوغرافية الشاطئ. توجد أهم التوضعات المعروفة بالمغرب عند مصاب أم الربيع وتانسيفت وتيدسي ولهوار وأدودو، عند الساحل الأطلنتي. وقد حصلت الإشارة، بالساحل المتوسطي، إلى رمال سوداء تهم الشواطئ بمقربة من ملوية وكيس.

في الوضع الراهن، يتم تطوير منجم واحد فقط، ما بين إفني وطرفاية، لمعالجة رمال الزركون بموقع بويسافن.

يمثل الرصيف القاري كذلك مجال استكشاف بترولي. المناجم المكتشفة متعددة، نذكر منها، على سبيل المثال، المنتمية لبحر الشمال ولعرض كابندا.

أما في ما يخص المغرب، فإن الأشغال جارية في عرض القنيطرة ـ اللكوس، والرباط ـ أسفي، وفي عرض طرفاية. وقد أبانت الدراسات الأولية عن مواطن تشابه جيولوجية وجيوفيزيائية مع ما هو معروف في مواقع أخرى، موفرة بذلك قرائن قوية.

في بعض الجهات (خليج المكسيك على الخصوص)، يحصل أن ترتبط الهيدروكربورات بجبس الطيات

الاختراقية الملحية، فتعطي مناجم كبريت من طراز "القلنسوة الصخرية" (cap rock). يستخرج هذا الكبريت "بطريقة فراش" (Frasch process)، التي تعني حقن الاستبارات ببخار الماء على حرارة عالية جدا وتحت ضغط مرتفع، واسترداد الكبريت السائل في المقابل.

عدي عزّى

**رضّاعة البقر**، كما هو شائع في الدارج بأقطار إفريقيا الشمالية ومصر، جنس حيوان من الزواحف Reptilia ومن رتبة متفوقات الألسنة وفصيلة العظائيات Lacertidae. يعيش في المناطق الجافة وشبه الجافة الإفريقية والأسيوية وأوروبا الجنوبية ويتحمل حرارة مرتفعة. اسمه العلمي Lacerta lepida Daudin var. pater أي العظاءة العيينية وبالأمازيغية تازرموميت وبالفرنسية Lézard ocellé وبالإنجليزية Lizard وبالإسبانية Lagarto ocelado. يدعى سحلية في مصر وسقاية في الشام ويعرف في البوادي المغربية وبشمال إفريقيا رضاعة البقر أو رضاعة البكرات.

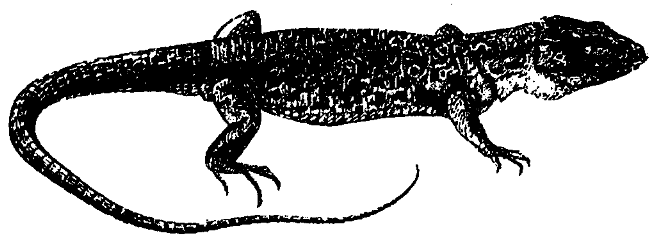

رضاعة البقر

يتميز بجسم رشيق ويبلغ الطول الأقصى للكبار جمعا بين الجذع والذنب 60 سم، الرأس دائري ومسطح قليلا، كبير لدى الذكور وصغير عند الإناث. الذنب رقيق وطويل جدا يتعدى 30 سم ويحمل حلقات رقيقة ومزدحمة، القوائم طويلة وقوية تنتهي بخمسة أصابع طويلة ذات مخالب، يحمل العنق 9 ـ 13 حرشفة وعلى ظهره 62 ـ 78 حرشفة رباعية الأضلاع ومصففة بدقة. الحراشف البطنية صغيرة مرتبة على 8 ـ 10 صفوف طويلة و28 ـ 35 صفا مستعرضا. المنطقة الشرحية محاطة بـ 2 ـ 4 حراشف شبه دائرية. لونها أخضر أشهب مبقع بالأسود والأصفر على الظهر وأبيض مصفر على البطن، ويتغير لونه حسب المناطق والسن ؛ الصغار زيتونية اللون ومبقعة بالأبيض المصفر وبخطوط داكنة على كل جانب. يقضي الليل والأيام الباردة في الجحور وبين شقوق الصخور ويستأنف نشاطه نهارا. يأخذ مكانه غالبا فوق الصخور ويمدد رأسه عاليا ليتمكن من مراقبة ما يحيط به. يختفي طيلة فصل البرودة وينشط ما بين مارس وأكتوبر. فمه خال من الأسنان والسم. يعيش منعزلا أو مزدوجا في أغلب الأحيان وكثيرا ما يشاهد في المراعي بين قطيع الغنم والبقر إلا أنه لا يرضعها كما هو منسوب إليه.

حيوان بيوض يتغذى من الخنافس والعناكب والعقارب وأم الأربع والأربعين والفئران الصغيرة وصغار الطيور وبعض الفواكه. ينسب إليه أيضا أنه يتغذى من بيض الحجل وغيره من الطيور إلا أن هذه المعطيات تحتاج إلى براهين للتأكد منها. شائع في معظم المناطق الوسطى والجنوبية والشرقية بالمغرب : الحوز والأطلس المتوسط والكبير وعوينة تورقوز وزاكورا ووارززات وفگيگ وأرفود والريصاني والطوز والراشيدية وهضاب حمادة وطانطان والعيون والسمارة وگرسيف وتاوريرت وبني إزناسن. مضايق في عدة مناطق من طرف الرعاة الذين يطاردونه لألوانه الزاهية كما يستعمل في الطب التقليدي وفي عالم السحر، فنجد عدة نماذج مجففة عند بائعي الأعشاب.

يتوالد في الربيع ـ أبريل ومايو ـ وتضع الإناث بداخل التراب 15 ـ 18 بيضة بيضاء، تظهر الصغار في غشت ـ شتنبر وتتغذى من النمل وحشرات صغيرة أخرى.


م. رمضاني، *بوبريص، معلمة المغرب*، الجزء 5، ص. 1627 ـ 1628 ؛ *الزواحف، معلمة المغرب*، الجزء 13 ؛ أ. مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط. 3&1988 ؛ أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

Salvador, *Guia de los anfibios y reptiles espaNnoles*. Madrid, 1974, 274 pp. ; J. Bons, *Les Lacertiliens du sud-ouest marocain : Systématique, Répartition géographique, Ethiologie, Ecologie*, Rabat, 1959.


محمد خربوعة

**الرّضَنْدُو**، ويكتب أيضاً الرضنضو والردندو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Redondo وArredondo ؛ وهناك من يعتقد أن اسم هذه الأسرة الأصلي هو المدوَّر وعندما أرغمت على كتابة اسمها بالحروف اللاتينية لأنها ظلت بالأندلس بعد سقوط غرناطة فقد ترجمته إلى اللغة الاسبانية بدليل أن كلمة Redondo أو Arredondo معناها المدوَّر، مع الإشارة إلى أنه توجد باسبانيا مدينة اسمها Redondo وأخرى اسمها Arredondo. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1180 / 1767.

**الرّضَنْدُو، أحمد** بن الحسن الذي اشترى بعض أملاك أولاد النقسيس المصادرة لصالح بيت المال في شهر رجب 1079 (ديسمبر 1668).

**الرّضَنْدُو، علي** الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1124 (1712).

**الرَّضَنْدُو، علي** (الحاج -) بن **الحاج** محمد الفقيه المتوفى سنة 1180 (1766).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون*، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 733.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرضوان** (عرف)، يندرج هذا العرف ضمن نسق العلاقات الرعوية في بلاد الظهرة بالجهة الشرقية من المغرب. وليس هناك ما يدل دلالة واضحة على أصل هذه الكلمة وجذرها التاريخي في إطار ما تختزنه الذاكرة الجماعية للقبائل الرعوية بالمنطقة من تراث شفاهي زخم. لكن يبدو على الأرجح أن الكلمة تحيل اشتقاقا على مفهومي الرضى والتراضي وهي دلالات تصب في المعنى الوظيفي العام الذي يكرسه عرف الرضوان داخل المنظومة الرعوية المحلية. لأن العرف في الواقع هو نظام تعاقدي بين الرعاة الذين لا يملكون سوى قوة عملهم وجماعات القبائل التي تملك قطعان المواشي، حيث يتم بموجب هذا التعاقد العرفي تأجير الرعاة بحصة معينة من رؤوس المواشي فضلا عن بعض المواد الغذائية والكسوة التي تمنح مكارمة (على وجه المحاسنة الواجبة) على رأس كل سنة من طرف القبائل المتعاقد معها، مقابل التزام الرعاة برعي قطعان المواشي وتعهدها بالعناية والرعاية التي تستحقها داخل المجال الرعوي، مأكلا وشربا وعلوفة.

| عدد رؤوس المواشي | قيمة الرضوان (أو أجرة الراعي) السنوية | المكارمة (أو المحاسنةالواجبة) |
|---|---|---|
| ما بين 300 و400 رأس من الغنم (أي «عصا»(1) واحدة) | 18 شاة في حالة ما إذا كان التعاقد بوحدة «العصا» «الليلة»(2) فيمنح الراعي شاة واحدة على كل ليلة | 200 ريال + 2 قالب سكر + 10 «قرديات»(3) زرع + الكسوة (سلهام + نعال) |
| الإبل | - جذي واحد مقابل جمل واحد<br>- خروف مقابل جملين<br>- خروفة مقابل 3 جمال<br>وكلما ارتفع عدد الجمال عن هذا الحد تحدد قيمة الرضوان بناء على اتفاق يتم بين الراعي وصاحب الإبل حول الحصة الواجب آداؤها خرفانا وماعزا | - 4 «قرديات» من الزرع<br>- قالب سكر<br>- 400 دريال<br>(للجمل الواحد)<br>إضافة إلى الكسوة والنعال |

وينتشر عرف الرضوان بصيغ تختلف أو تتقارب بهذا القدر أو ذاك داخل جل قبائل المجتمع الرعوي ببلاد الظهرة بوجه أعم. ففي أولاد البوكايس والطوال اللتين تنتميان إلى مجموعة حلف أولاد الحاج يجري العمل بعرف الرضوان بالصيغة التالية :

1) عصا : قطيع من الأغنام يتراوح عدده بين 300 و400 رأس.

2) الليلة : وحدة قياس تعادل 10 شياه سنويا.

3) قرديات : جمع قردية وهي صاع يزن 5 كيلوغرامات.

ويترجم هذا العرف في بعده التنظيمي بنية مجتمع رعوي ترتكز في نمط معاملاتها على اقتصاد عيني بدرجة أساسية حيث لا وجود للنقد إلا لماما، وهي بنية تشتغل فيها باستمرار آلية توزيع ثروة الماشية بين الكاسب والمعدم وفق نموذج تأجيري يعيد دوما إنتاج نفس التراتبات الاجتماعية القائمة محليا بين مختلف الجماعات.

*معاينات ميدانية ؛ روايات شفوية.*

Tag Boutayeb, *Des mutations agro - pastorales à l'urbanisation dans le Maroc oriental* (Thèse de doctorat d'Etat), Toulouse, 1987.

محمد الفقيه

ابن **رضوان**، أسرتان فاسيتان، إحداهما من الخزرج الأنصار النجاريين كانوا بمالقة ولهم فيها أعلام كبار، "واستقر خلفهم بفاس، ولهم بيت وحظوة بها" (*بيوتات*، ص 70). والثانية أصلها من بني زروال شمالي مدينة فاس.

ابن **رضوان، عبد الله** بن يوسف النجاري المالقي يكنى أبا القاسم من قبيلة الخزرج العربية. استوطن أجداده بالأندلس وانشأوا هناك بيتا هو بيت بني رضوان النجاريين الذي اشتهر بالعلم وخدمة الأمراء والملوك. فكان جده رضوان عالما فقيها، تولى القضاء والخطابة لأمير مالقة أبي سعيد، كما تولى أخوه محمد الوزارة لنفس الأمير. أما والده فهو الفقيه يوسف الذي تولى قيادة ديوان الجند في عهد الأمير إسماعيل بن أبي سعيد صاحب مالقة. ولد ابن رضوان بمالقة سنة 718 / 1319 ونشأ وتربى في هذه البيئة العلمية. فدرس أولا على أبيه وأجازه إجازة عامة ثم على خاله أبي الحكم بن القاضي أبي القاسم بن ربيع. كما أخذ يتردد على كثير من علماء وفقهاء مالقة وغرناطة ليغترف من منهل الإسلام والفكر كعلوم العربية وعلوم القرآن كالتفسير والقراءات، وعلوم الحديث وأصول الفقه والتصوف والفلسفة وعلم المعقولات. ومن أبرز شيوخه وأساتذته في الأندلس الفقيه العالم قاضي مالقة أحمد بن عبد الحق الجدلي والإمام المحدث أبو جعفر الطنجالي والقاضي الفيلسوف أبو بكر بن منظور والعالم أبو عبد الله ابن أبي الجيش الصريحي الذي قرأ عليه *الكراسة والجمل وألفية ابن مالك والإيضاح والأسرار العقلية* لأبي العز،

والخطيب العالم الحافظ أبو القاسم بن جزي، قرأ عليه كثيراً من كتب القراءات وكذلك *الموطأ* و*مسلم* و*الترمذي* و*النسائي* و*أبو داود* و*الشمائل* و*الشفا*. وسمع على الشيخ الفقيه قاضي الجماعة أبي البركات ابن الحاج السيرة و*العمدة* و*درر السمط*، كما تفقه في علوم النحو على الفقيه الصالح الصوفي أبي علي عمر بن عتيق الهاشمي والفقيه العالم الصوفي عبد الله بن سلمون وأستاذ الجماعة ورئيس النحاة ابن الفخار البيري وغيرهم. ولازم كبير كتاب بني مرين أبا محمد عبد المهيمن الحضري والقاضي أبا إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى، وأبا العباس بن يربوع السبتي. وأخذ في تلمسان عن إمام المعقولات أبي عبد الله محمد الآبلي وأبي عبد الله محمد بن النجار وغيرهما. كما أخذ بتونس عن قاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد السلام الهواري وغيره. ولاشك في أن ابن رضوان كان سعيد الحظ في الاتصال بكل هؤلاء العلماء والأخذ عنهم لأنهم كانوا في زمنه رموز الثقافة الإسلامية في الغرب الإسلامي. وكان ابن رضوان ذو التكوين الرصين يتطلع إلى مزيد من التألق ويطمح إلى خدمة ملوك المغرب من بني مرين كباقي أقرانه من العلماء والفقهاء، إذ لم تعد تغرنه وظيفة القاضي والعدل التي كان يشرف عليهما بمالقة، كما لم تعد تناسب مركزه العلمي، لذلك فضل الهجرة إلى المغرب والاتصال بعلمائه وأعيانه ومحاولة التقرب من ملوكه وأمرائه. لقد كان أبو الحسن المريني سلطان وقته حيث طارت شهرته وحبه للعلماء في آفاق الأندلس، وأصبحت مجالسه العلمية تستقطب كبار علماء الغرب الإسلامي كله، فكانت مثار اهتمام ابن رضوان وسبب سعيه للانضمام إلى هذه الصفوة.

رحل أولا إلى سبتة بعد واقعة طريف التي انهزم فيها جيش بني مرين سنة 741 / 1341، فاتصل بالسلطان أبي الحسن ومدحه. وكان لإبراهيم بن أبي يحيى التسولي قاضي العسكر وخطيب السلطان الفضل الكبير في تسهيل اللقاء بين السلطان وابن رضوان، وإذ كان قد تعرف عليه خلال سفارات قام بها إبراهيم إلى ملك غرناطة وأعجب حينها ببراعته في الأحكام كقاض، واختبر إمكانياته الخطابية وقدراته العلمية وإجادته وإتقانه لفن الترسل وخباياه ودقته في كتابة الوثائق. فكان ذلك سببا كافيا - حسب ابن خلدون - لأن يتدخل لدى السلطان ويعرفه بشخص ابن رضوان وثقافته الواسعة والمتنوعة، ويقربه من مجلسه. وكان إبراهيم هذا يستنيبه أحيانا في القضاء والخطبة بفاس، فكانت فرصة مهمة أن يتصل ابن رضوان بأبي محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي رئيس الكتاب واحد كبار علماء العصر، فاختص بخدمته وأخذ عنه أسرار خطة الكتابة وأصول الترسيل، واستفاد من علمه الغزير ونهل من خزانته التي كانت تضم أزيد من ثلاثة آلاف سفر في الحديث والفقه والعربية والأدب والمعقول وسائر الفنون (*التعريف*، 513). وعند رحيل السلطان سنة 748 / 1348 لغزو إفريقية وقمع تمرد الأعراب هناك، اصطحب معه كعادته صفوة من العلماء إلى جانب حاشيته كعبد المهيمن وابن رضوان. وفي تونس التقى هذا الأخير بالمؤرخ الكبير ابن خلدون الذي صاحبه واستفاد منه كثيراً واتصل بعلمائها الكبار، فازدادت حظوته لدى السلطان ولمع نجمه بين الاقران إلى أن تعكر الجو وتلبد بعد ثورة بني سليم على السلطان والغدر به فحاصروه بالقيروان. كما ثار أهل تونس على أشياخه وحاشيته الذين اعتصموا بالقصبة حيث ولدُ السلطان وأهلُه. وانتفض شيخ الموحدين أبو محمد بن عبد الله بن تافراگين مع أعراب بني سليم على أبي الحسن وحاصروا القصبة فهب الهلع والخوف وانفض من حول السلطان بعض حاشيته وأقربائه من أمثال كاتبه عبد المهيمن بينما صمد ابن رضوان وبقي مع خديمه يقاوم الثائرين إلى أن انجلت الأزمة وتمكن أبو الحسن من الإقلاع سالما من القيروان إلى سوسة ومنها إلى تونس، فتركت هذه الوقفة النبيلة لابن رضوان أثرا بليغا في نفس السلطان ورعاها له. وعندما قرر أبو الحسن العودة إلى المغرب عام 750 / 1350 استخلف ابنه أبا الفضل وترك معه ابن رضوان يكتب له مدة إلى أن غلبهم على تونس الفضل بن السلطان أبي يحيى الحفصي، وتمكن الأمير المريني من الفرار إلى المغرب والالتحاق بأبيه في الوقت الذي فضل فيه ابن رضوان البقاء في تونس ما يقرب من العام. وإذا كنا نجهل الأسباب والدوافع الحقيقية التي اضطرت ابن رضوان إلى عدم مرافقة الأمير المريني، فإن الأمر قد يكون له صلة برغبته في الانتظار حتى تتجلى بعض الأحداث الغامضة خاصة بعد أن شاع في البداية خبر غرق أسطول السلطان أبي الحسن ثم نجاته وانقلاب ابنه أبي عنان عليه. لكن خطر الطاعون الأسود الذي جرف الناس والحيوان بافريقية عجل من تحرك ابن رضوان وخروجه مع بقية أتباع السلطان من تونس والسفر عن طريق البحر إلى المرية بالأندلس. وهناك دعاه أبو الحجاج ابن الأحمر صاحب غرناطة للانضمام إلى بلاطه وعرض عليه وظيفة كاتب العلامة إلا أن ابن رضوان رفض هذا العرض لأنه كان يتطلع إلى خدمة ملوك بني مرين ويرغب في تحقيق مستقبل سياسي زاهر في فاس. لذلك اضطر للعبور إلى العدوة والقدوم على سلطانها الجديد أبي عنان الذي استقبله بحفاوة كبيرة، وحفظ له موقفه الإنساني مع والده عند أزمته في القيروان وفرار الأقرباء من حوله، فقرّ به من مجلسه وكلفه بالكتابة عنه تحت رياسة صاحب القلم الأعلى محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي الذي اختص ابن رضوان ورعى موهبته الفذة فألحقه بالمجالس الخاصة وأنابه في كتابة العلامة خلال فترات غيابه. وحينما أرسل أبو عنان وزيره ابن أبي عمرو إلى بجاية على رأس حملة عسكرية، انفرد ابن رضوان بالكتابة عن السلطان. ولما عاد الوزير من مهمته سخط عليه أبو عنان وساءت العلاقة بينهما وأقصاه من بطانته

وأرسله ثانية إلى بجاية واليا عليها وجعل لابن رضوان الكتابة والعلامة معا في عام754 / 1354 . فكان هذا المنصب الجديد تحولا مهما وانطلاقة حقيقية لمسار ابن رضوان السياسي وبداية لتحقيق طموحاته في البلاط المريني. بقي في وظيفته كصاحب القلم الأعلى والعلامة مدة ثلاث سنوات من754 / 1354 إلى757 / 1356 ، وعزل بعد ذلك دون أن يقطع صلته بحاشية السلطان. وبعد مقتل أبي عنان سنة 759 / 1358 على يد وزيره الحسن بن عمر الفودودي واستبداده بالحكم وحجره على السلطان الطفل أبي بكر السعيد أعيد ابن رضوان إلى وظيفته السابقة وبقي فيها طيلة حكم أبي بكر حتى سنة760 / 1359 .

ويبدو أن ابن رضوان لم يعد ينفرد في عهد السلطان أبي سالم (760 / 1359 ـ 762 / 1361) بمنصب صاحب العلامة والقلم الأعلى لوحده بل زاحمه فيه أشخاص آخرون اختلفت روايات المؤرخين في تحديد أدوارهم الحقيقية وعلاقتهم بهذا المنصب. فابن الأحمر يذكر أن عليا بن محمد ابن مسعود الخزاعي شارك ابن رضوان في الكتابة عن السلطان أبي سالم، أما ابن خلدون فينفي ذلك ويقرر أن ابن رضوان لم يتول ذلك المنصب قط وأن الخزاعي المذكور هو الذي كان صاحب العلامة لأبي سالم في حين اسندت لابن خلدون خطة الإنشاء والتوقيع والسر لنفس السلطان. إلا أن ابن رضوان سرعان ما استعاد منصبه وموقعه من جديد وأصبح كاتب العلامة لعدد من خلفاء أبي سالم كتاشفين بن أبي الحسن (762 / 1361 ـ763 / 1362) وأبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن (763 / 1362 ـ 767 / 1366) وعبد العزيز بن أبي الحسن (767 / 1366 ـ774 / 1373) وأبي زيان محمد بن عبد العزيز (774/ 1373 ـ 776 / 1375) ثم في الولاية الأولى لأبي العباس أحمد بن أبي سالم (775 / 1374 ـ786 / 1385). وكان ابن رضوان قد اصطحب هذا السلطان في حركته إلى مراكش لحصار عبد الرحمن بن أبي يفلوسن الثائر بها لكنه توفي وهو في الطريق بمدينة أزمور أو بمدينة آنفا على الأرجح سنة 783 / 1382 ودفن هناك بمقبرة الحاج صالح.

لقد كان لمنصب ابن رضوان السامي وخدمته ثمانية ملوك من بني مرين الاثر الأكبر في صقل موهبته واكتساب خبرة ومعرفة كبيرتين بدواليب وأسرار المخزن المريني الشيء الذي جعله معدودا بين أشهر رجالات الدولة المرينية ويتصدر موقعا متميزاً بين صفوة كتابها النجباء. لذلك لم تتوان كتب التراجم في الثناء على شخصه والاعتراف بمكانته العلمية والدينية، فلا عجب إذن أن ينبهر بشخصه علماء كبار عاصروه وسعدوا بلقائه والاتصال به. فهذا ابن الخطيب يكاتبه ويخاطبه نظما ونثرا، وهذا ابن خلدون قرينه يتودد إليه ويفتخر بصحبته له، وهذا ابن مرزوق يعترف بأهليته وصفاته السنية. ويكفي ابن رضوان أنه صنع وحافظ على موقعه المتميز بين هذه الرموز الفكرية والسياسية فاستطاع بذلك أن يكسب ود ورضى سلاطين بني مرين بدون أن يتورط في مؤامرة أودسيسة وهو أمر لا نجد له مثيلا، إلا فيما ندر.

بالرغم مما عرف عن شخصية ابن رضوان الفكرية ومقارعته لعلماء عصره. فإن الزمن لم يحفظ لنا من إنتاجه الأدبي والسياسي والعلمي إلا بالنزر القليل بقي مشتتا بين المصادر في شكل إشارات وعناوين. فرسائله التي كتبها للمرينيين لا نعرف عنها شيئاً، ولاشك أن الكثير منها كان معروفا في زمنه ولو وصلتنا لكانت بحق وثائق أساسية للكشف عن أحداث أهم وأخطر فترات تاريخ المغرب في عهد بني مرين. وذلك بحكم منصبه في هرم الدولة وبحكم معاصرته لمرحلتين مختلفتين من تاريخ بني مرين، مرحلة القوة التي انتهت مع أبي الحسن وأبي عنان ومرحلة الأزمات والصراعات السياسية التي بدأت بعد وفاة أبي عنان واستمرت إلى نهاية الدولة. فما وصل إلينا من إنتاج ابن رضوان الغزير هو مجرد بعض الأشعار في فنون شتى كالمديح والرثاء والوصف والزهد والورع والمولديات وردت جلها متفرقة في بعض المصادر *كالإحاطة والكتيبة الكامنة* لابن الخطيب ونثير *الجمان* لابن الأحمر *ونفح الطيب* للمقري. ثم مجموعة من رسائل الاخوانيات تبادلها مع كل من ابن الخطيب وابن الحاج النميري وابن الأحمر. وذكر صاحب *فهرس الفهارس* والأثبات أن لابن رضوان *فهرسة* من طريق السرّاج وابن الأحمر غير أنه لم يتم العثور عليها.

إن أهم ما تبقى من إنتاج ابن رضوان كتابه المشهور باسم *الشهب اللامعة في السياسة النافعة* وهو كتاب جليل يندرج ضمن ما يعرف عند المفكرين المسلمين بعلم السياسة أو السياسة الملوكية، ألفه سنة 762 / 1361 بأمر من السلطان أبي سالم المريني على سبيل الإمتاع والانتفاع، تناول فيه فضل الخلافة وحكمتها وسير الملوك وتدبير الرأي والمشورة والوزارة والكتابة والخطط الدينية والعملية وسياسة الحروب وغيرها من الأحكام السلطانية. وإذا كان ابن خلدون وابن الخطيب لم يشيرا قطّ إلى كتاب *الشهب* هذا. وهو أمر يثير الاستغراب، فإنه مع ذلك اعتبر من أهم ما كتب في بابه خلال القرن التاسع (15 م) حيث تأثر به ابن الأزرق (ت. 896 / 1491) ونقل عنه كثيراً في كتابه *بدائع السلك في طبائع الملك*، كما انتشر صيته في مؤلفات المغاربة وغيرهم كأبي زكرياء السراج في *فهرسته* وأحمد باب التنبكتي في *نيل الابتهاج*.

*ملعبة الكفيف الزرهوني*، تح. م. بن شريفة، الرباط، 1987، ص. 163 ـ164 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة1975، ج. 3، ص. 443 ـ 456 ؛ *ملحق الإحاطة*، تح. عبد السلام شقور، تطوان1988، ص. 144 ـ 155 ؛ *أوصاف الناس في التواريخ والصلات*، تح. م كمال شبانة، المحمدية، د. ت، ص. 55 ؛ *نفاضة الجراب*، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 140 ـ 141 وتح. السعدية فاغية، مطبعة، الدار البيضاء، 1989، ج. 3، ص. 47 ـ 48 ـ66 ؛ *الكتيبة الكامنة*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1963، ص. 254 ـ 259 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 173 ـ 376 ؛ ابن رضوان، *الشهب اللامعة*، تح. علي سامي النشار، الدار البيضاء،1984 ؛ ابن الأحمر، *النفحة النسرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق1992، ص. 53 ـ55 ـ57 ـ59 ـ60 ـ62 ـ63 ـ65 ؛ *نثير الجمان*، تح ؛ م. رضوان الداية، بيروت، 1976، ص. 233 ـ 247 ؛ *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 29 ـ 30 ـ 31 ـ 32 ـ 34 ـ35 ؛ مستودع *العلامة*، تح. التركي ومحمد ابن تاويت الطنجي، تطوان، 1964، ص. 51 ـ56 ؛ *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص.70 ؛ *فهرس السراج*، مخطوط، خ. ع حرف ك 1242 أول مجموع ؛ يحيى ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا*، بيروت، ط. 1988،2، ص. 514 ـ 515 ـ 523 ـ 525 ؛ ابن الأزرق، *بدائع السلك*، جزآن، تح. م ابن عبد الكريم، ليبيا ـ تونس، 1977 ؛ أ. ابن القاضي، *جدوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص.435 ـ437 ؛ *درة الحجال*، تح. محمد الأحمدي، أبو النور، القاهرة، تونس، 1970، ج. 3، ص. 280 ؛ أحمد باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، على هامش *الديباج* لابن فرحون، القاهرة، 1351، ص. 145 ـ 147 ؛ م. حجي، محقق، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 130 ـ 155 ـ 220 ـ 279 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت،1968، ج. 6، ص. 106 ـ 112 ؛ *أزهار الرياض*، الرباط1978، ج 2، ص. 345 وج. 3، ص. 196 وج. 4، ص.296 ـ300 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، باعتناء إحسان عباس، بيروت، ط. 1982،2، ج. 1، ص. 441 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط،1977، ج. 8، ص.223 ـ228 ؛ إحسان عباس، *ابن رضوان وكتابه في السياسة*، كتاب العيد، بيروت، 1967.

رشيد السلامي

ابن **رضوان، عثمان** الوزروالي الفاسي وصفه في *بيوتات فاس* بـ "الفقيه الأستاذ النحوي المقري الحيسوبي شيخ ابن الأحمر. توفي بفاس سنة 788 / 1386 (*بيوتات*، ص 70).

ابن **رضوان، محمد** بن يوسف النجاري الفاسي ولد بفاس سنة 967 / 1559، ودرس على كبار شيوخ عصره فتخرج مشاركاً في اللغة والأدب والفقه والفرائض والحساب والطب. لقيه أحمد المقرى في مدينة مراكش وترجم له في كتابه *روضة الآس* قائلاً عنه : "وهو من ذرية الإمام رئيس الكتاب الشهير أبي القاسم ابن رضوان صاحب المؤلف في *السياسة* وغيره" وذكر جملة من أشعاره.

توفي عام 1014 / 1605.

إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، الرباط، 1974، ج. 1ـ2 ؛ *درة الحجال*، بيروت، 1970، ج. 1 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، الرباط،1983، ص. 338 ـ 339.

محمد حجي

**الرَّطْلْ**، كلمة يونانية (Litra) استُعملت للدلالة على وحدة للوزن ووحدة للكيل، غير أن استعمالها للوزن هو الغالب، وتتخذ "صنوج" الوزن من بلوات زجاجية أو من معادن الرصاص أو الحديد أو النحاس.

وقد استعملت في المغرب عدة أرطال يمكن تصنيفها إلى قسمين الأرطال الشرعية والأرطال العرفية.

1 ـ فالرطل الشرعي هو الرطل الشائع في الكتب الفقهية الذي تتعلق به الأحكام الشرعية من زكاة وغيرها، وقد عرف باسم "رطل مكة" أو "رطل الكيل" أو "الرطل البغدادي" ومع أن مقدار وزن الرطل في البلدان الإسلامية يختلف تبعا لاختلاف البلدان والأزمان واختلاف الأشياء الموزونة، فقد اتفق فقهاء مختلف المذاهب على اختيار الرطل البغدادي أساسا للوزن في الحقوق الشرعية وفي المعاملات مع اختلافهم في تقدير وزنه. فحسب فقهاء المذهب المالكي يساوي الرطل 128 درهما شرعيا أو 12 أوقية، ونظراً لأننا حققنا وزن الدرهم الشرعي =2 9116 گرام، فإن وزن الرطل البغدادي يساوي (128 x2 9116) = 372،68 گرام، وقد أثبت الفقيه عمر الگرسيفي (ت. 1214 / 1799) أن الرطل البغدادي يعادل رطل مكة، فقد حدد بأن الرطل 12 أوقية وأن الأوقية تساوي أحد عشر درهماً غير ثلث أي 10،67 درهماً، وهو ناتج قسمة 128 على 12، وبما أن الگرسيفي يجعل الرطل 12 أوقية تتأكد معادلة الرطل البغدادي لرطل مكة بضرب 12 في عدد دراهم الأوقية الواحدة وضرب الحاصل في وزن الدرهم الشرعي يساوي (12 x 10، 67 x2 9116) = 372 68 گراماً وبهذا الرطل تحل المسائل في المعاملات الفقهية سواء في قيم الكيل أو قيم الوزن.

وانطلاقا من معرفتنا لوزن الدرهم الشرعي بعدد حبات الشعير بالگرام أمكن أن نعرّف اجمالا ببقية المكاييل الشرعية وأوزانها التي يعتبر الرطل إما مضاعفتاها كالدرهم أو أجزاءها كالوسق، وذلك حسب الجدول التالي :

| الكيل | نسبته | سعتهبحبات الشعير(ح) | وزنهبالگرام(غ) |
|---|---|---|---|
| الدرهم | الوحدة الأساسية | 50،4 ح | 2،9116 غ |
| الأوقية | 10،67 درهما | 537،6 ح | 31،0571 غ |
| الرطل | 12 أوقية | 6451،2 ح | 372،6848 غ |
| المد | 1،33 رطل | 8601،6 ح | 496،9131 غ |
| الصّاع | 4 أمداد | 34406،4 ح | 1987،6532 غ |
| الوسق | 60 صاعا | 2064384 ح | 119259،1360 غ |
| 5 أوسق | نصاب الزكاة | 10324920 ح | 596295،6800 غ |

**جدول وحدات الكيل والوزن الشرعية المتفرعة عن الرطل**

2 ـ أما الرطل العرفي فهو الذي يستعمل في الحياة العملية في الأسواق المغربية وقد عرف المغرب أرطالا متعددة في المجال التجاري تختلف باختلاف البضائع الموزونة، وكان الرطل إلى حدود القرن الثاني عشر (18 م) يتخذ على أساس عدد ما يزنه من المثاقيل الفضية (المثقال عشرة دراهم شرعية يزن 29 غ) ثم تحول في القرن الثالث عشر (19 م) إلى عدد الريال الفضي من السكة الفرنسية الوازنة 25 غ. وتصنع الأرطال من معادن النحاس والحديد والحجر المنحوت أحيانا، ويقوم المحتسب بمراقبتها على الدوام، وتوجد منها ثلاثة أرطال مشهورة. هي : الرطل العطاري والرطل البقالي والرطل الخضاري حسب البضائع التي توزن به ويوضحها مقارنة بوزنها بالگرام وبعدد الريالات مع بيان أجزائها ومضاعفاتها حسب الجداول الآتية :

أ ـ الرطل العطاري : لوزن السكر والشاي والتوابل ويزن 20 ريالا = 500 غ

| اسم الوزن | وزنه بالكيلو والگرام | وزنه بالسكة المخزنية |
|---|---|---|
| القنطار العطاري | 50 كيلو | |
| نصف القنطار | 25 كيلو | |
| ربع القنطار | 12 كيلو و500 گرام | |
| الرطل منه | 500 گرام | 20 ريال |
| نصف الرطل | 250 گرام | |
| ربع الرطل | 125 گرام | |
| الأوقية | 30،25 گرام | |

ب ـ الرطل البقالي : لوزن الفواكه والسمن والسلع البرية، ويزن 32 ريال = 800 غ

| اسم الوزن | وزنه بالكيلو والگرام | وزنه بالسكة المخزنية |
|---|---|---|
| القنطار البقالي | 80 كيلو 25 گرام | |
| نصف القنطار | 40 كيلو | |
| ربع القنطار | 20 كيلو | 32 ريال |
| الرطل منه | 800 گرام | |
| نصف الرطل | 400 گرام | |
| ربع الرطل | 200 گرام | |
| الأوقيتين | 100 گرام | |
| الأوقية | 50 گرام | |

جـ ـ الرطل الخضاري : لوزن الخضر واللحم والفحم والصوف، ويزن 40 ريالا = 1000 غ

| اسم الوزن | وزنه بالكيلو والگرام | وزنه بالسكة المخزنية |
|---|---|---|
| القنطار الفحامي | 100 كيلو | |
| نصف القنطار | 50 كيلو | |
| ربع القنطار | 25 كيلو | |
| الرطل منه | كيلو 1 =1000 گرام | 40 ريال |
| نصف الرطل | 500 گرام | |
| ربع الرطل | 250 گرام | |

د ـ رطل السوق، وهو رطل خاص يدعى "رطل السوق" تميزا له على بقية الأرطال الشائعة ويدعى كذلك ماركو (Marco) وهو من الصنوج الوزنية التي كانت مستعملة بأوربا خاصة في إسبانيا وفرنسا وإيطاليا وانجلترا، واستمر العمل به هناك إلى أن تم تطبيق النظام المترى الذي شمل مختلف المقاييس عند منتصف القرن الثالث عشر (19 م)، وقد وقع استيراد هذا الرطل فاستعمل في المغرب ـ حسب ما وقفنا عليه ـ خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وقد وجدنا في النطق المحلي بسوس ومراكش بإضافة الهمزة في أوله "أماركو"، وكان يصنع في أوربا ثم أصبح يقلد صنعه في مراكش وفاس وهو "صنجة نحاسية" معدة للوزن بحيث تتألف من ثماني قطع هي : النصف والربع والأوقيتان والأوقية والثمنان والثمن ونصف الثمن وربعه وثمنه. وكل قطعة تحتضن الأصغر منها لتكون في النهاية قطعة واحدة.

ومن حيث وزن هذا الرطل فهو يتألف من 16 أوقية كل أوقية تزن31،8 غ والرطل في المجموع يزن 508،2 كرام، وقد راقبه الفقهاء، فكان يزن 11520 حبة من حبوب الشعير = (11520 x 0،4412) =5083 غ كما يزن 20 ريالاً من سكة مولاي عبد العزيز.

وختاما فإن هذه الأرطال كانت مصدراً لاختلاف الأوزان، فإن كان الرطل الشرعي يزن 12 أوقية والرطل العرفي 16 أوقية فإن ضبطهما في الوثائق بوحدة الگرام كان عسيراً لأن الريال المستعمل كوحدة للوزن كان الريال الفرنسي من 25 غ غير أنه استعمل أحيانا الريال الحسني في بعض المدن مثل مراكش ويزن29،116 غ والرطل منه من 20 ريال = 32 582 غ وأحياناً استعمل الريال العزيزي كما في فاس ويزن 25،3 والرطل منه 506 غ، وقد كان هذا مصدراً للاختلاف. وفي مطلع القرن الرابع عشر (20 م) - في عهد الحماية - 1912 استعمل الريال الفرنسي لتوحيد الأرطال، ثم الانتقال مباشرة إلى نظام الكيلوگرام، عندما حددت الأوزان المغربية على أساس النظام المترى الأوروبي بظهير 14 أكتوبر 1914 (23 ذي القعدة 1332).

ع. أفا، *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، الرباط، 1993، ص. 70، 144 163 ؛ *مسألة النقود في تاريخ المغرب*، أگادير، 1988 ؛ *نظام المقاييس والأوزان المغربية وتطورها نحو النظام المترى ضمن كتاب فكر وتاريخ*، الرباط 1998، ص. 185 - 200 ؛ ع. الكرسيفي، *رسالة في تحقيق أوزان النقود*، ص. 144 ضمن *كتاب النقود المغربية في القرن18* ؛ جورج لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، ص. 407.

عمر أفا

**الرَّطَلْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ratal - Artal .

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 716.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرطل، محمد** الرباطي، أديب وفقيه تتلمذ في الموسيقى الأندلسية على عالم الرباط المشارك إبراهيم التادلي الذي ذكره من بين تلامذته، وحلاه بلقب شيخ الصنعة والعالم بالموسيقى.

وقد لقنه بصفة خاصة ميزان بسيط رصد الذيل واحدى صنعات الحجاز الكبير. وفي هذا الصدد يقول التادلي متحدثا عن نفسه : ولما عاد المؤلف إلى الرباط لم يجده فيه (أي طبع رصد الذيل). ولما سمعه منه شيخ الصنعة الفقيه محمد الرطل الرباطي وهو عالم بالموسيقى بالرباط تعجب وقال له : يا فقيه، أتحسن هذا، وهي نغمة رصد الذيل ؟ فأجاب : نعم، ثم ألح عليه في تعلمها لفقدها بالرباط فصار يتعلمها ما تيسر له ذلك هو ومعه الشريف سيدي المكي الفيگيگي الرباطي وعلمت بالرباط أيضاً السيد محمد الرطل العربي بوجندار صنعة كبرى من الحگازي الكبير، ولكن صعبت عليهما لكثرة أدوارها وموازينها وتلحيناتها، فلم يدركا منها حتى دخولها.

كان الرطل الرباطي جيد العزف على الرباب حسن الغناء بصوته وإلى ذلك كانت له مشاركة في عدة فنون كما كان طيبا ومعدلا.

إ. التادلي، *أغاني السقا*، مخطوط، ص. 77، الباب السابع.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الرعد**، من الظواهر الكهربائية للجو، ويظهر الرعد عادة عندما تصبح الحمولة الكهربائية للسحب كافية لخلق فصل ما بين الشحنة الإيجابية والشحنة السلبية وهذا الفصل يمكنه أن يتم ما بين منطقة وأخرى داخل السحب أو ما بين السحب وسطح الأرض. وتظهر هذه الظاهرة على وجه الخصوص في السحب العاصفية من نوع الركام المزني التي يصل ارتفاعها عادة في العروض المغربية إلى حوالي 10 كيلومترات وهي مكونة أساسا من قطرات من الماء في الطبقات السفلى ومن بلورات من الجليد في مستوياتها العليا.

وعملية فصل الحمولة الكهربائية داخل السحب هي من الشروط الأساسية لنشوء العواصف الرعدية كما أن نقل هذه الحمولة يتم عن طريق التيارات العمودية المتصاعدة والنازلة، فالحمولة المشحونة إيجابيا هي في الغالب ذات كثافة خفيفة تحملها التيارات المتصاعدة، والحمولة المشحونة سلبيا تكون ذات كثافة نسبيا كبيرة تستقر في المستويات الدنيا، لذلك فإن الأجزاء العليا من السحب الرعدية والمكونة من بلورات من الجليد تكون ذات شحنات إيجابية بينما قاعدتها والمكونة من قطرات مائية تكون ذات شحنات سلبية.

في مرحلة معينة من التطور يخلق داخل السحب قطب مزدوج للحقل الكهربائي يفصل ما بين مختلف الطبقات الداخلية وما بين قاعدة السحب وسطح الأرض حيث يوجد باستمرار حقل كهربائي ضعيف مشحون إيجابيا. عندما يكون التيار الكهربائي يخترق العاصفة الرعدية تتركز القوة الإليكتروديناميسة المصاحبة وتزداد داخل قناة ضيقة حجم الضغط الناتج عن ذلك مما يؤدي في الأخير إلى انفجار هو الدوي المميز للرعد. ففي خلال أقل من ثانية ينقل الرعد حمولة تقدر بحوالي ما يعادل مائة مليون مصباح كهربائي وخلال هذا الجزء من الثانية تتحول أيضا هذه الحمولة إلى طاقة إلكترومغناطسية وهي في نفس الوقت طاقة سمعية وحرارية.

والعواصف الرعدية في المغرب من نوعين، نوع مرتبط بالأمطار التصاعدية ذات الأصل الحراري وهو النوع الذي يتردد على المغرب خلال الصيف خاصة مع الزيادة في وثيرة الوضعيات الجوية القارية والتي يصبح على إثرها الهواء في المناطق الداخلية غير مستقر يفسر في الغالب على أمطار نوعا ما مهمة مصحوبة بعواصف رعدية لكنها محدودة في الزمان والمكان. أما النوع الثاني فهي تصاحب

الأمطار الجبهية التي تسود خلال الفترة الممتدة من أكتوبر إلى أبريل وهو النوع الذي يمكن أن يدوم لعدة أيام وعلى مناطق شاسعة.

علي البليشي

**الرعّادة** أو القُوبَع الرعَّاد، كما هو في المعاجم، جنس أسماك غضروفية بحرية متوسطة وكبيرة القد من رتبة الأشلاق أو الشلقيات Rajiformes وفصيلة الرعاديات Torpedinidae منها ثلاثة أنواع تعيش في المياه البحرية المغربية. تدعى بالفرنسية Torpilles وRaies électriques وبالإسبانية Tremolina وبالإنجليزية Electric ray وTorpedo.

الجسم مسطح يشبه الراية في الشكل والبنية، الفتحات الخيشومية على السطح البطني للجسم. تعيش الأنواع في البحار الدافئة وجسمها مكهرب يملك عضوا خاصا يُحدث رعشة قوية عند لمسه لأي شيء، يخدر جسم الضحية عند الملامسة.

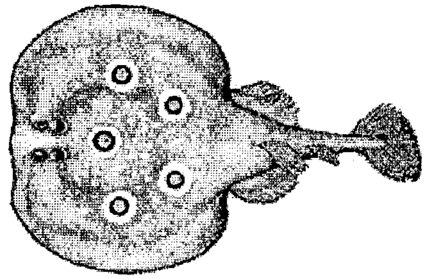

الرعادة

الذيل ضخم والقرص سميك وجوانبه لحمية : الأعضاء الكهربائية نامية جدا على كل جانب من الرأس. يتراوح طول الجسم حسب الأنواع بين 60 ـ 180 سم. تتغذى من كل أصناف الحيوانات الصغيرة القاعية.

تصاد بالجبيبات والشباك المستقيمة وحبال الصنانير العمقية. تستهلك منها "الأجنحة" فقط وتباع طرية ونادراً مملحة أو مجففة. توجد باستمرار في الأسواق السمكية المغربية.

يعيش نوع "تريسينتي" Torpedo nobiliana المسمى بالفرنسية Torpille noire في المياه البحرية المغربية على الأعماق الرملية والوحلية بين 10 ـ 150 م وأحيانا في أعماق تتعدى 500 م وهو نوع قاعي مستقر يتغذى من كل أصناف الحيوانات الصغيرة القاعية. يبلغ طوله الأقصى 180 سم وشائع بين 60 ـ 80 سم.

الرعادة الرخامية Torpedo marmorata : تسمى بالفرنسية Torpille marbrée وتعيش في أعماق مختلفة بين 20 ـ 200 م أحيانا في أعماق تتعدى 500 م هو نوع قاعي مستقر. يبلغ طوله الأقصى180 سم وشائع بين 60 ـ 80 سم.


أ. مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مذبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*. FAO, 1998, 263p.


محمد رمضاني

**الرعي في المغرب القديم**، تشير النصوص القديمة إلى التمجيد الذي حظيت به حيوانات هذه المنطقة، فهي تتحدث عن "آلاف القطعان من الغنم ونفس العدد من قطعان الأبقار، وهي توجد في مراعي لا حدود لها" (Ovide, Métamorphoses, 4, 630 - 640)، وأن هذا النشاط كان أساس الحياة الاقتصادية المورية إذ أن "الناس أجمعين من الأمير إلى الراعي لهم ما يكفيهم من الجبن والحليب الطري واللحم. والحليب متوفر في كل يوم لأن النعاج تلد ثلاث مرات في السنة" (Homère, Odyssée, 4, 85 - 90).

وتذهب الرحلات الجغرافية حول هذا الموضوع إلى حد تغييب ممارسة الزراعة من طرف ساكنة شمال إفريقيا التي تعتمد على الرعي والترحال. وهذا ما نجده في رحلة بوليبيوس الذي قال : "توجد في إفريقيا الخيول والأبقار والأغنام والماعز بأعداد كثيرة جدا تجعلني لا أظن وجود مثلما في باقي العالم المسكون، وهذا يرجع لكون الشعوب الإفريقية كانت تعيش من قطعانها ومعها لم تمارس الزراعة" (Périple de Polybe, 12, 3, 3 - 4). كما أشارت باقيالرحلات الجغرافية التي وصفت سكان موريطانيا (المغرب القديم) بأنهم كانوا يعتمدون على ممارسة حياة التنقل بقطعانهم بين المراعي. كما نجد ذلك في رحلتي سكولاكس وحانون (Périple de Scylax, 112 et Périple d'Hannon, 6). تبين هذه الإشارات التاريخية أن قطعان الماشية كانت تتكون من الأغنام والأبقار والماعز والخيول والدواب وغير ذلك، مما يكشف عن أهمية هذا النشاط في الحياة الاقتصادية القروية قبل السيطرة الرومانية على المغرب القديم.

وتكشف نمطية المواقع القروية في المغرب القديم عن أهمية ممارسة الرعي في المناطق التي تستجيب لشروط ممارسته. فقد أشار "ماريون" أن طبيعة أشكال المواقع القروية في الجهة الشرقية تكشف عن ممارسة الرعي واستغلال الغابات في هذه المنطقة. وساعدتنا أشكال الاستغلاليات الفلاحية على الوقوف على جوانب خاصة من البنايات من ساحات وإسطبلات لتربية الحيوانات. ففي موقع جرف الحمرا تقع بنايات ثانوية في الجهة الشمالية الغربية، وتتكون من خزانات ومحلات للماشية حيث تظهر أرضيتها مغطاة بأحجار مصففة. وفي المناطق المجاورة أكدت الأبحاث انتشار عظام الحيوانات خاصة الأبقار، مما

يدل على أن هذه البنايات هي إسطبلات لتربية الأبقار".
ومما يزيد من التأكيد على أهمية النشاط الرعوي في المغرب القديم الاهتمام الذي أولته المصادر التاريخية للغابات والبراري والمرجات، باعتبارها مناطق ممارسة النشاط الرعوي والثروة الحيوانية. فبالرغم من أن "سالوستيوس" يعتبر أن أغلبية أراضي ليبيا الغربية عقيمة من حيث الأشجار والماء غير أن هذه الصورة العامة سرعان ما تتضح عندما يتم التركيز على المغرب القديم الذي يقول عنه "سترابون" أنه تميز بغابات غنية ذات أشجار عالية ومتنوعة، وأنها مجال استقرار القبائل المورية التي تحصر تنقلاتها بين المناطق الداخلية والمناطق الجبلية .
ونظراً لأهمية قطاع الرعي في المغرب القديم فقد عمدت السلطات الرومانية إلى محاولة التحكم في هذا النشاط عن طريق الدخول في علاقات متباينة مع أهم القبائل المورية التي تمارس هذا النشاط. هذا ما يكشف عنه ملف العلاقات التي كانت تربط روما بالقبائل المورية والذي تبين مدى اهتمام الرومان بالمجالات الرعوية التي كانت مكملة للمجالات الزراعية، مما استدعى حنكة دبلوماسية سخرتها روما للتحكم في هذه القبائل التي بقيت تعتمد على التنقل والترحال.

D.-P. Kehof, *Pastoralism and agriculture, JRA*, 3, 1990, p. 386 - 398 ; J. Granet, *La loi agraire de 111 et l'élevage, Pallas*, 35, 1989, p. 141 - 153 ; L. Borson, *Aperçu de l'élevage bovin dans l'antiquité, Ethnozootechnie*, 32, 1983, p. 38 - 50 ; M. Ponisch, *Exploitations agricoles romaines de la région de Tanger, B.A.M.*, V, 1964, p. 243 - 252 ; A. Jodin, *L'exploitation forestière du Maroc Antique, Act., du 93ème Cong. Nat., des Soc. Sav.*, Tours, 1968, Paris, 1970, p. 415 ; J. Desanges, *Pline L'Ancien, Histoires Naturelles*, Livre V, 1 - 46, Paris, 1980, p. 148 - 149 ; L. Emberger, *Les limites naturelles de la forêt de Mamora. Bulletin de la Société des Sciences Naturelles du Maroc*, t. 9, 1929, p. 220 - 222; P. Boudy, *Economie forestière nord-africaine, 2, Monographie et traitement des essences forestières*, Paris, 1950, p. 102 - 125 ; M. Euzennat, *Le Limes de Tingitane. La frontière méridionale*, Paris, 1989 ; J. Ramin, *Atlas et l'Atlas*, dans *Annales de Bretagne et des pays l'Ouest*, 1977, p. 531 - 539.

سعيد البوزيدي

**الرعي والرعاة**، حين تكون القطعان وافرة العدد في مناطق تربية الماشية يعهد برعيها إلى أفراد تنحصر مهمتهم في السهر عليها. ويستلزم الرعي الانتجاع نحو المناطق التي يتوفر بها الكلأ، الشيء الذي يفترض التنقل عبر مجال غير مجال القبيلة صاحبة الماشية، مما يحتم ربط علاقات بين القبائل المعنية بالأمر تسمح بانتجاع القطعان طبقا لقوانين أو أعراف يتفق عليها وطبقا لنظام معين. فقد كانت تحدد مسبقا مجالات الرعي، والطرق المؤدية إليها، والوقت المناسب لانطلاق القطعان نحو المراعي، والكثافة التي يمكن أن يتحملها كل مرعى. وكانت القبيلة (أو القبائل) المعنية بالأمر تعين شيخ المراعي الذي يعهد إليه بالسهر على تطبيق هذه المقتضيات.
وكما أن المرعى كان عموميا، فقد كانت تسند كل قطعان القبيلة إلى راع عمومي يُشغِّله كل الكسابة، أو كانت تُرعى بالتناوب من أشخاص ينتمون إلى مختلف المجموعات المالكة للقطعان.
تختلف وضعية الراعي المادية منها والاجتماعية باختلاف المناطق، وبصفة عامة، كان يتم تشغيل الرعاة وقت الجز. ويتم التعاقد - في مناطق مثل بني مسكين - لا مع فرد بل مع أسرة حيث إن كل أقارب الراعي يمكنهم أن يساهموا في عملية الرعي (إن اقتضى الأمر ذلك) ؛ ويكون الراعي رجلا ثقة يحظى بمكانة داخل المجتمع. بينما يتم التعاقد على العكس في مناطق أخرى - كالغرب - مع فرد غالبا ما يختار من بين الفئات الأقل حظوة في المجتمع (من بين المسنين أو العجزة أو الأطفال).
كان يتم التعاقد - عند بني مسكين - بين صاحب القطيع والراعي بطريقة شفوية وفق طقوس متعارف عليها، فتقدم للراعي وجبة طعام (بمثابة قربان) تتيح اشتراك الطعام، مع كل ما يوحي هذا الطقس من تقارب بين الأفراد واستحالة الخيانة والغدر ؛ ثم يُنصَّب الراعي حيث تقدم له كسوة أو قيمة مالية تعتبر هدية. ويحدد نصيبه، مقابل عمله في هدايا تمنح له في فترة الخصوبة، وحصة من الحليب ومن الصوف وربع البهائم التي تولد خلال السنة.
أما في مناطق كالغرب، فقد كان الراعي يعمل مقابل ريع سنوي زهيد.
بصفة عامة، عندما يبدأ الراعي مهمته يقدم له "تسبيق" مادي أو عيني و"سلف" مادي أو عيني كذلك ؛ كما يقدم له كل ما يحتاجه من ضرورات الأكل. والجدير بالملاحظة أن السلف لم يكن يعوّض، مما يجعله يساهم في الحفاظ على الوضع القائم وتحويل الراعي إلى قن وعقد الرعي إلى وضعية اجتماعية، بحيث يبقى الراعي مرتبطا بسيِّده بحكم الدين الذي عليه. ويعتبر كل تخل عن العقد بمثابة جريمة يعاقب عليها.

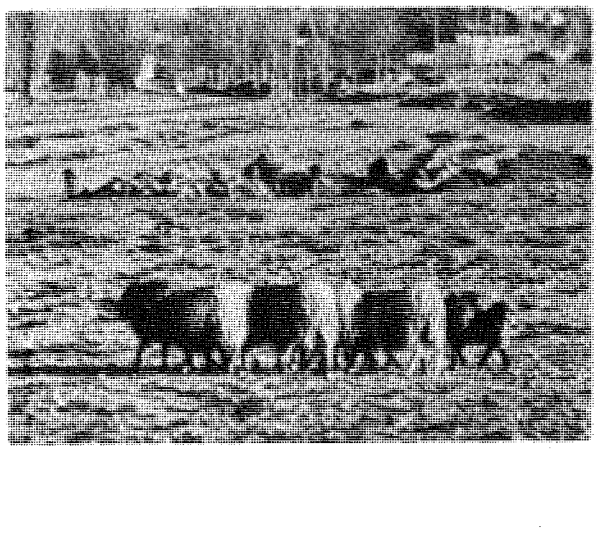

يمنع على الراعي أن ينيب عنه شخصا آخر، أو أن يترك القطيع وحده في المرعى أو أن يغيّر مجرى الانتجاع دون إذن من سيّده ؛ كما يتحمل كل ما يمكن أن ينتج عن مثل هذه التصرفات من عواقب كالسرقة أو كضياع في صفوف القطيع. كما كان عليه أن يساهم في الضرائب المؤداة عن القطيع.

العقد المبرم بين الكساب والراعي غير محدود في الزمان، إذ يستمر العمل به حتى بعد وفاة أحد الطرفين الشيء الذي يفسر ظاهرة الصحبة والعزّابة. ولكن يمكن فسخه من لدن السيد، مما يجعل وضعية الراعي شبيهة بوضعية الخماس. ولا يمكن أن يفسخه الراعي إلا في حالات استثنائية كالذهاب إلى الحج أو الإصابة بمرض عضال.

بيد أن حق الراعي في الربع ومساهمته في الضرائب ومسؤوليته القضائية في حال سرقة أو ضياع في صفوف القطيع جعلته يتحول إلى شريك. بينما يلاحظ كذلك أن الهدية أخذت تتحول تدريجيا إلى أجرة.

في فترة الحماية قامت الإدارة الفرنسية بتغيير الاتفاقيات المبرمة بين القبائل والمتعلقة بالانتجاع الشيء الذي كان له تأثير على علاقات القبائل فيما بينها (كما هو الشأن مثلا بالنسبة لبني مگيلد وبني مطير)، إذ ستضطر بعضها إلى التنقل نحو مناطق جديدة. كما عملت الحماية على تقليص مجالات الرعي وتحويل أجودها إلى أراضٍ فلاحية لصالح المعمرين الشيء الذي كان له تأثير نفسي وسياسي سلبي بالنسبة للقبائل التي أصبحت محرومة من جزء من أراضيها، فكان عليها أن تعيد النظر في علاقاتها السياسية الداخلية.

كما صاحب تقليص المجال الرعوي خصوصاً بعد الاستقلال، نمو ديمغرافي وكثافة على مستوى الماشية. فصار احتلال المجال لا يتم، كما كان عليه الشأن سابقا، في إطار القبيلة وإنما يخضع لقرارات اقتصادية واجتماعية وسياسية تتخذها مجموعات متنافسة لكل منها رهاناتها الخاصة. وهكذا أصبحت تتحكم في المراعي مجموعة من كبار الكسابة، تستحوذ عليها، بل وتمنعها عن غيرها، وذلك على حساب صغار الكسابة والرعاة. أضف إلى هذا أن جزءاً من المراعي حُول إلى أراضٍ فلاحية تنتج من أجل السوق، وبذلك سنصبح أمام تعدّد وتشتّت بالنسبة للمراكز التي تتخذ القرارات المتعلقة بالرعي.

هكذا فإن جل الأراضي الرعوية - التي تفوق خمسة ملايين من الهكتارات فوق الأراضي الجماعية وخمسة عشر مليون هكتار فوق أراض تعتبر بدون مالك - غير خاضعة لأي قانون وتستغل عمليا من نفس الأشخاص الذين أخذوا يتملكونها ولا يدعون منها إلا قطعا صغيرة للرعاة وصغار الكسابة. بل إن هذه الفئة من كبار الكسابة، التي تحتل المراعي الجماعية وتتصرف فيها وكأنها ملك لها، صارت تفوّتها كراءً لآخرين، مما يؤدي إلى نشوب نزاعات إذ يعترض صغار الكسابة على ولوج أجانب عن القبيلة إلى هذه المراعي. ذلك أن الرعي أصبح، أكثر فأكثر، يخضع لمنطق رأسمالي لا يعير أي اهتمام للأعراف التي كانت تنظم سابقا استغلال المراعي. كما أن شراكة الكسابة مع بعض المدينيين يؤدي إلى تزايد الكثافة الحيوانية فوق نفس المساحة، مما يفقر الأرض ويعرضها للتصحر، كما يعرض الماشية للتلف في أوقات الجفاف.

وبما أن كبار الكسابة يسعون إلى أن يوجدوا بمختلف المناطق التي بها كلأ وتكون بها الأثمان مرتفعة، ونظراً لكونهم لا يستطيعون مراقبة القطعان والرعاة بكيفية مباشرة، فقد أخذوا يلجأون إلى الشراكة مع صغار الكسابة الذين سيتحولون تدريجيا إلى مجرد عاملة في خدمة فئة تحتكر سوق الماشية واللحم.

Lefébure Claude, *Accès aux ressources collectives et structure sociale : l'estivage chez les Ayt Atta (Maroc)*, in Equipe Ecologie et Anthropologie des Sociétés Pastorales : *Prodution pastorale et société*, Cambridge, Paris, 1979, pp. 115 - 126 ; P. Pascon, *Etudes rurales. Idées et enquêtes sur la campagne marocaine*, Rabat, 1980.

عبد الجليل حليم

**الرعي والمراعي بالمغرب**، المراعي أراض هامشية لا تصلح للزراعة نظرا لعدة عوامل كقلة التساقطات المطرية، أو وعورة التضاريس، أو ضعف خصوبة أو سمك التربة، أو ارتفاع نسبة الملوحة، أو كثرة الأحجار...

تغطي المراعي المغربية حوالي 65 مليونا من الهكتارات، 9 ملايين منها غابوية أو شبه غابوية. يقدر الإنتاج العلفي للمراعي سنويا بحوالي 8،86 مليار من الوحدات العلفية (الوحدة العلفية تساوي كيلو واحد من الشعير)، أي ما يعادل 8،86 مليون طن من الشعير. يغطي هذا الإنتاج 70٪ من الحاجيات العلفية للماشية المقدر عددها بحوالي22 مليون رأس.

تقسم المراعي إلى عشر مناطق، تتميز كل واحدة منها عن الأخريات بتركيبتها النباتية وظروفها المناخية

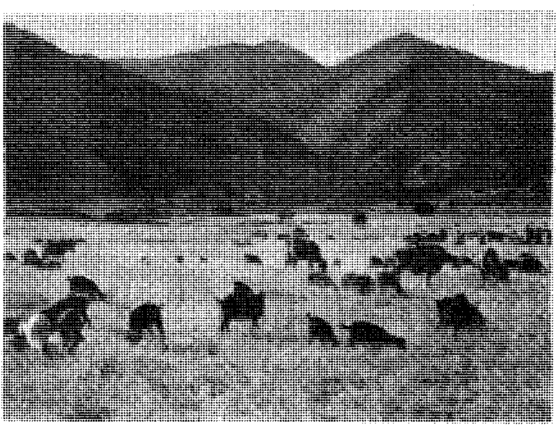

والترابية. تشمل هذه المناطق غابات وسهوبا وأشكالا أخرى من المراعي. وهي إما أراض في ملك الخواص أو جماعية أو عمومية. وأكبرها مساحة هي أراضي الجموع التي تمتد على حوالي 11 مليون هكتار.

منذ زمن طويل كانت تربية المواشي بالمغرب تعتمد على الحيوانات المجترة الصغيرة، والترحل والانتجاع. الشيء الذي جعلها تتكيف وتتعايش في حالة توازن مع المجال الطبيعي لمدة طويلة. لكن أنظمة استغلال المراعي تغيرت كثيرا في العقود الأخيرة. حيث ازدادت الحاجيات من الموارد العلفية ومن الحطب وتقلصت مجالات الرعي، واستقر السكان بالمراكز، فاشتد استغلال المراعي المجاورة لها. وهكذا صارت الحمولة الرعوية تتجاوز في أغلب الحالات ثلاثة أو خمسة أضعاف إمكانات المراعي. إضافة إلى هذا تعتبر سنوات الجفاف من العوامل التي تساهم في ظاهرة تدهور المراعي.

تتجلى أهمية الرعي الاقتصادية في مؤشراته في مجال النسيج الاقتصادي الوطني. ففي السنة الفلاحية 1996 ـ 97، مثلت تربية المواشي 25٪ من الناتج الإجمالي الداخلي، و25،8٪ من الإنتاج الفلاحي الإجمالي، و8 ملايير درهم من القيمة المضافة. وكانت تضمن 20٪ من فرص الشغل في المجال الفلاحي، وتؤمن العيش لـ18٪ من عدد المستثمرين الفلاحيين. كما يقدر عدد المستثمرين الفلاحين الذين يزاولون تربية المواشي بـ1.100.123. وتنسب 30٪ من مساهمة تربية المواشي في الدخل الوطني إلى إنتاج الأغنام، و4٪ إلى الماعز.

أما في ما يخص أعداد رؤوس القطيع فإنها تتوزع على الشكل التالي :

| السنوات | 1974 | 1996 | 1998 | 1999 |
|---|---|---|---|---|
| الأغنام | 11.437.000 | 16.726.000 | 14.784.000 | 14.588.000 |
| الماعز | 4.230.000 | 5.703.000 | 4.959.000 | 4.704.000 |
| الأبقار | 3.211.000 | 2.383.000 | 2.569.000 | 2.565.000 |

يعود تطور أعداد رؤوس الأغنام والماعز إلى التقلبات المناخية وتأثيرها على كميات العلف وثمنه، وكذلك الوفيات. إضافة إلى هذه التقلبات الحولية يلاحظ تقلبات فصلية.

من حيث الجوانب البيئية، تتميز المجالات الرعوية بتنوع كبير يجعلها متكاملة في ما بينها. الشيء الذي يمكن من قابلية استغلال مواردها العلفية.

من جهة أخرى مكنت دراسة المراعي من التعرف على حوالي 114 منظومة بيئية رعوية موزعة على 10 مجالات رعوية، يعيش فيها حوالي 4.000 نوع نباتي، أغلبها من الأعشاب الحولية معتدلة الاستساغة أو الأنواع المعمرة قليلة الاستساغة بل سامة أحيانا.

يتجلى تقسيم المجال الرعوي بالمغرب في المناطق العشر المذكورة أسفله :

ـ الهضاب الشرقية ووادي ملوية :

تمتد المنطقة على مساحة تقدر بـ5.249.950 هـ، تشمل سهوب الحلفاء والشيح. يتغير إنتاجها الرعوي حسب التقلبات المناخية والظروف البيئية، فيتراوح سنويا ما بين 40 و150 وحدة علفية.

بفضل ممارسة الرعي طوال السنة تتمكن المنطقة من سد ثلثي حاجيات القطيع. ويوفر الثلث الباقي من بقايا المزروعات والشعير وكُسْب الشمندر المجفف.

يتكون القطيع أساسا من مليونين من الحيوانات المجترة الصغيرة، 29٪ منها من الماعز والباقي من الأغنام. سلالة الغنم السائدة في المنطقة هي سلالة بني گيل التي تشتهر بتحملها للظروف المناخية القاسية، وبلذة لحمها. يقدر معدل الإنتاج السنوي للرأس الواحد بـ16 كيلو من اللحم الحي و2 كيلو من الصوف. وهو أعلى إنتاج على الصعيد الوطني.

غير أن هذه المراعي عرفت في العقدين الأخيرين من القرن العشرين استغلالا مفرطا أدى إلى اندثار الأنواع ذات الأهمية الرعوية الكبيرة، وانتشار الأنواع قليلة القيمة الرعوية. إضافة إلى هذا تعرف المنطقة توزيعا غير متوازن للموارد المائية، الشيء الذي ينتج عنه عدم استغلال الموارد الرعوية بصفة متوازنة.

ـ الأطلس المتوسط : تبلغ مساحة المنطقة حوالي 1.213.050 هكتار. تشمل غابات الأرز والبلوط وماطورالات الشجيرات المختلفة الأنواع، والمروج. يتراوح إنتاجها الرعوي سنويا ما بين 240 و300 وحدة علفية في الهكتار. تساهم مراعي المنطقة بنسبة 70٪ من حاجيات القطيع. والباقي يوفره الاستغلال الفلاحي على أشكال مختلفة مثل التبن والحشيش المجفف والشعير والعلف المركز، وذلك في فصلي الخريف والشتاء المصادفين لفترة البرد وقلة العشب. وتجدر الإشارة إلى أن القطيع يمارس ظاهرة الانتجاع ما بين الجبل والدير.

كان يقدر عدد الماشية في سنة 1990 بحوالي 1.586.800 رأس، 85٪ منها من الأغنام التي تسودها سلالة تمَحْضيتْ. يلاحظ أن نسبة الوفيات في صفوف الخرفان مرتفعة. الإنتاجية الحيوانية ضئيلة نسبيا، إذ تقدر بحوالي 11،4 كيلو من اللحم الحي سنويا لكل رأس من الأغنام و8،0 كيلو في ما يخص الماعز.

عرفت تربية المواشي بالمنطقة تغيرات جذرية أدت إلى اضطرابات في استغلال المجال. نتجت التغيرات عن نقض العقود القبائلية التي كانت تقنن ممارسة ظاهرة الانتجاع، وتوسع مساحات أراضي المزارع على حساب المراعي. مازالت هذه التغيرات تعتبر مصدر النزاعات ما بين

الجماعات المستغلة لنفس المجال. وتشكل نتائج هذه النزاعات عوائق جمة تحول دون تطبيق مشاريع التهيئة الغابوية والرعوية.

ـ الأطلس الكبير الأوسط والشرقي : تمتد المنطقة على مساحة قدرت بحوالي 2.269.750 هـ. يتكون الغطاء النباتي بغابات وماطورالات. يتراوح الإنتاج الرعوي السنوي ما بين 100 و240 وحدة علفية في الهكتار. ويغطي ما بين 60 و100٪ من حاجيات القطيع. يضمن تنوع الطبقات النباتية تموينا علفيا لمدة طويلة في السنة. لكن الاستغلال المفرط لهذه الموارد كان السبب الرئيسي في تدهورها.

قدر القطيع سنة 1990 بحوالي 934.000 رأس، 75٪ منها من المجترات الصغيرة. ترعى الماعز في الارتفاعات العالية بينما تبقى الأغنام في السفوح. يلاحظ أن نسبة الوفيات عالية عند صغار الماشية. تتراوح الإنتاجية لكل رأس ما بين8٫6 و14٫7 كيلو من اللحم الحي بالنسبة للأغنام وما بين 5٫5 و12 كيلو من اللحم الحي للماعز.

تتميز المنطقة بعزلتها خارج نطاق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المغربية. وتتمثل هذه العزلة في الإنتاج التقليدي والاقتصاد الضعيف. إن تنويع الأنشطة قد يساهم في تخفيف الضغط الرعوي على المجال.

ـ الريف وهوامشه : تمتد المنطقة على مساحة تقدر بحوالي 916.550 هـ، تسود المنطقة غابات الأرز والبلوط والعرعر وماطورالات مشكلة بنباتات مختلفة كالدوم والقستوس والمطران. يتراوح الإنتاج الرعوي سنويا ما بين 150 و500 وحدة علفية في الهكتار. وهو يغطي ما بين 57 و84٪ من حاجيات القطيع. ويعوض الباقي بما ينتج عن المزروعات.

يتشكل القطيع بحوالي 963.599 رأس. نصف العدد من الأغنام والنصف الآخر من الماعز. سلالة الماعز محلية، وسلالة الأغنام السائدة لبني حسن الموجودة بسهول الغرب.

تتراوح الإنتاجية سنويا ما بين 12 و19 كيلو لكل رأس من الماعز وما بين 16 و18 كيلو لكل رأس من الأغنام.

تنفرد المنطقة بوعورة المسالك وندرة الموارد العلفية في فصل الشتاء ونقص التأطير. وذلك ما يعيق كل محاولة للتنمية الاقتصادية.

ـ المعمورة والهضبة الوسطى.

تقدر مساحة المنطقة بحوالي 809.100 هـ. يتكون غطاؤها النباتي بغابات البلوط والعرعر والزيتون البري، وبماطورالات مشكلة بالدوم والقستوس، بالإضافة إلى الأراضي الزراعية. كما توجد بالمنطقة عدة غابات اصطناعية من الأوكاليبتوس والصنوبر والأكاسيا. يقدر الإنتاج الرعوي سنويا ما بين 400 و500 وحدة علفية في الهتكار. تساهم المراعي الطبيعية في تلبية حاجيات القطيع بنسبة 59٪ مقابل 38٪ بالنسبة للمنتجات الزراعية.

كان عدد القطيع في سنة 1990 يقدر بحوالي 1.355.300 رأس، 90٪ منها من الأغنام. تتراوح نسبة الوفيات عند صغار الماشية ما بين 10 و26٪. تقدر الإنتاجية من اللحم الحي لكل رأس بحوالي 15 كيلو لكل رأس.

يعتبر نقص العلف في فصل الشتاء من العوائق التي تحول دون نجاح محاولة تنمية الرعي بالمنطقة.

ـ الهضاب والسهول شمال الأطلس :

تمتد المنطقة على مساحة تقدر بما يقارب 1.275.000 هكتار. يتكون الغطاء النباتي بتشكيلات من الجُنَيِّبات مثل الدوم والأعشاب الحولية أو البصلية بالإضافة إلى السدرة. يتراوح الإنتاج الرعوي سنويا ما بين 100 و240 وحدة علفية في الهكتار. باستثناء بعض المجالات المروية، تتميز المنطقة بزراعة الحبوب المطرية وبتربية المواشي المعتمدة على الأغنام أساسا. يمارس الرعي في فصلي الشتاء والربيع. يقدم التبن للماشية في فصل الخريف. وترعى الماشية في الصيف ما بقي في الحقول بعد عملية الحصاد. يستعمل العلف المركز من كبار الكسابين. تساهم المراعي في تلبية حاجيات الماشية بنسبة تقارب 36٪. ويصدر الباقي عن المزروعات في الأراضي المروية.

في سنة 1990 كان القطيع يقدر بحوالي 2.220.400 رأس، 93٪ منها من الأغنام التي تسودها سلالة الصردي. تتراوح الإنتاجية من اللحم الحي ما بين 22 كيلو لكل رأس في تادلة، و11٫2 في الشاوية، و19 في السراغنة.

تتمثل العوائق التي تحول دون نجاح تنمية القطاع في الأمراض الناتجة عن ارتفاع نسبة الفليون في المياه وندرة المياه واتساع رقعة الأراضي المزروعة.

ـ الساحل الأطلنطي :

تمتد المنطقة على مساحة تقدر بحوالي 77.160 هـ. يشكل غطاؤها النباتي بأعشاب حولية وبصليات مرافقة للدوم والكندول الذي هو نوع شجيري قبسي وخاص بهذا المجال. يتراوح الإنتاج الرعوي سنويا ما بين 150 و200 وحدة علفية في الهكتار. تستغل الماشية المراعي في فصلي الشتاء والربيع. وقد تصل مساهمة المراعي في تلبية حاجيات الماشية بنسبة 73٪.

كان القطيع يقدر في سنة 1990 بحوالي 1.071.000 رأس، 99٪ منها من الأغنام. تقدر الإنتاجية الحيوانية سنويا بحوالي16٫4 كيلو من اللحم الحي لكل رأس.

تعرف المنطقة نفس العوائق المذكورة أعلاه.

ـ تشكيلات أركان :

تمتد المنطقة على مساحة تقدر بما يقارب 1.459.550 هـ. يتميز غطاؤها النباتي بتشكيلات أركان ومحليا بتشكيلات العرعر. يتراوح الإنتاج الرعوي سنويا ما بين 115 و155 وحدة علفية في الهكتار. تتميز المنطقة بإمكانية استعمال مختلف الموارد العلفية الناتجة عن أشجار أركان. تساهم المراعي في تلبية 70٪ من حاجيات القطيع.

في سنة 1990 كان القطيع يتكون بحوالي 1.323.000 رأس من الحيوانات المجترة الصغيرة. ثلثا العدد للماعز والثلث الباقي للأغنام. الإنتاجية الحيوانية ضعيفة، إذ تتراوح ما بين10.3٪ من اللحم الحي لكل رأس من الأغنام، و13.6 كيلو بالنسبة للماعز.

أما في ما يخص العوائق فإنها لا تختلف في مجملها عن التي ذكرت سابقا.

ـ المنطقة شبة الصحراوية :

تمتد المنطقة على مساحة تقارب 5.666.950 هـ. يتميز غطاؤها النباتي بتشكيلات سهبية مكونة من الشيح والقطاف وأنواع أخرى. لا يتعدى معدل الإنتاج الرعوي السنوي 120 وحدة علفية. تساهم المراعي في تلبية حاجيات المنطقة من العلف بنسبة 91٪.

كان يقدر عدد القطيع في سنة 1990 بما يقارب 2.605.400 رأس، 60٪ منها من الأغنام التي تتكون من عدة سلالات مثل سَاغْـرو، وسيرْوا والرّحّـالي والدّمّـان. تقدر الإنتاجية الحيوانية سنوياً بحوالي 8،8 كيلو لكل رأس. وأعلى إنتاجية سنويا للصوف على الصعيد الوطني هي التي تعطيها سلالة سيرْوا وهي 3 كيلو لكل رأس.

تعتبر شساعة المجالاَت من أهم العوائق التي تحول دون القيام بالتأطير اللازم.

ـ الصحراء :

إنها أكبر منطقة إذ تبلغ مساحتها 46.552.450 هـ. يتميز غطاؤها النباتي بتشكيلات سهبية صحراوية وشجيرية ومحليا شجرية مكونة ن أنواع الطلح. إنتاجها الرعوي ضعيف، إذ لا يتعدى سنويا 30 وحدة علفية في الهكتار ما عدا مراعي وديان الطلح التي يصل إنتاجها محليا إلى 70 وحدة علفية في الهكتار.

تعرف جل هذه المناطق تدهورا تتفاوت درجاته من منطقة إلى أخرى.

تفاديا لاستفحال تدهور المراعي، اتخذت الدولة منذ 1969 إجراءات لتهيئة واستثمار هذه المجالات شملت عدة مناطق. وذلك لتحسين إنتاجيتها وضمان استدامتها. لكن النتائج لحد الآن تبقى في مجملها غير مرضية. فمازالت أراضي الزراعة تتوسع على حساب المراعي، ومازالت المراعي تتدهور، ومازالت مشاركة السكان ضعيفة في برامج التهيئة.

Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II et Utah State University, *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc, phases I, II et III*, Rabat, 1993 ; Ministère de l'Agriculture et de Mise en Valeur Agricole, *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc, Schéma Directeur d'Aménagement des parcours*, Rabat, 1995 ; Ministère de l'Agriculture, du Développement Rural et des Pêches Maritimes, *Colloque national de l'agriculture et du développement rural*. Rabat 19 - 20 juillet 2000.

عبد الحي ابن عطية الأندلسي

ترجمة عبد المالك بنعبيد

**الرعيني**، أسرة أندلسية انتقل بعض أفرادها إلى فاس ومراكش ابتداءً من القرن السادس (12 م) ذكرهم صاحب *بيوتات فاس الصغرى*، واستمر ذكرهم ـ كما في *رفع الالتباس* ـ بفاس إلى عام 1045 / 1635 كما برسم مكتوب على رق غزال، وكان لأحدهم بلاد بخولان (سيدي حرازم).

ابن الأحمر، *بيوتات فاس* ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 1 : 225.

**الرعيني، علي** بن **محمد** الإشبيلي، ولد هذا الأديب البليغ الناظم الناثر بإشبيلية عام592 / 1195 . وكان سلفه يعرفون ببني الحاج نسبة إلى هيصم.

قرأ القرآن الكريم بالسبع وبالإدغام الكبير عن أبي عمرو بن العلاء علي أبي بكر القرطبي، وبقراءتي الحرمين، وبعضه بقراءة أبي عمرو علي أبي بكر بن عبد النور، وأكثر عنهما، وأجازا له. وأخذ بين سماع وقراءة عن أبي إسحاق بن غالب وآباء بكر السقطي، وابن طلحة وابن قسوم ولازمهم.

توفي بمدينة مراكش سحر ليلة الأربعاء 24 رمضان 666 / 1267 ، ودفن عقب ظهره بجنانه الشيوخ مقاربا مقابلة باب السادة أحد أبواب مراكش. وكان الحفل في جنازته عظيماً لم يتخلف عنه أحد. ومن شعره قصيدة مطلعها :

علاك علتْ علـوَّ الشِعْرَيَـيْنِ    مصاعدةً لأعلى المطلَعَـيْنِ

وأخرى مطلعها :

حنيني إلى البيت العتيقِ شديـدُ    وشوقي إلى وادي العقيقِ يزيدُ

ع. الرعيني نفسه، مقدمة كتابه *برنامج شيوخ الرعيني*، تح. إ. شبوح، دمشق1962 ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، س. 5 ق 1، ص 323 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت1968، 1 : 311، هامش 1.

أحمد متفكر

**الرعيصني، علي** بن **نجبة** بن يحيى بن خلف الإشبيلي. سكن مدينة مراكش وروى فيها عن أبيه وأبي بكر عتيق الفصيح وأبي جعفر بن مضا وأبي محمد بن حوط الله.

كان متين الأدب، شاعراً مجيداً، كاتباً بليغاً، بارع الخط، كتب الكثير وراقة وإنشاء ،وله : *اختصار* متقن لكتاب *أغاني* الأصبهاني.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، س. 5 ق 1، ص 414.

**الرعيني، محمد** بن **إبراهيم** بن عبد الرحمان، مُرسيّ وشقيّ الأصل ،سكن مدينة مراكش طويلا وروى عن

أبي بكر بن أبي جمرة، وأبي عبد الله بن حميد وأبي القاسم بن حبيش وأبي موسى القزولي.

كان متحققا بعلوم اللسان نحوياً ماهراً، وأديباً بارعاً، وشاعراً مجيداً، وكاتباً بليغاً، طيب النفس، حسن الأخلاق، جميل المعاشرة، فاضل الطباع.

درّس بمراكش وقرأ عليه بعض أولاد المنصور. له اختصارات في كثير من كتب العلم والأدب والتاريخ مثل : *اختصار تفسير القرآن* لابن عطية ومحكم *ابن سيده* و*مطمح أبي الفتح* و*قلائده* و*مقدمات ابن رشد* وغير ذلك. وكتب بخطه الكثير وتلبس في مراكش بعقد الشروط والشهادة.

توفي بمراكش في حدود عام620 / 1223.

م. عبد الملك، *الذيل والتكملة*، س. 6 / 96.

**الرعيني، محمد** بن **سعيد** المنعوت أيضا بالسراج الفاسي، شيخ محدّث نفاع، أخذ عنه إسماعيل ابن الأحمر وآخرون.

توفي بفاس سنة 778/ 1376.

إ. ابن الأحمر، *الفهرس*، مخطوط ؛ *بيوتات فاس الصغرى* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 1 : 225.

**الرعيني، محمد** بن **عبد الرحمن** بن محمد الفاسي الملقب بالركن. فقيه مشارك، ولي قضاء معدن عوام، قرب مدينة فاس. وتوفي سنة 598/ 1201.

ابن الأبار، *التكملة* ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 1 : 225.

أحمد متفكر

**الرغّاي**، أسرة رباطية لها فروع، منها فرع في السراغنة إذ نصادف عند الضعيف شخصا يحمل اسم سليمان الرغاي السرغيني أثناء الفتنة التي أعقبت وفاة السلطان مولاي إسماعيل، وسعى أبناء السلطان لاستقطاب الأنصار ضد بعضهم البعض مثلما فعل المستضيئ ضد أخيه مولاي عبد الله سنة 1158. كان الرغاي هذا قائدا للسراغنة في ذلك الوقت. ومنها فرع في جيش البخاري الذي أنشأه السلطان مولاي إسماعيل، مثل المختار الرغاي الذي توجه ضمن بعثة طلابية إلى إيطاليا على عهد السلطان المولى الحسن سنة 1291. ومنها فرع فاسي برز بالتدريس في القرويين كما برز في هذا الفرع الفاسي محمد الرغاي الذي عاش بالرباط وعمل كاتبا بالصدارة وبالأحباس، وولي نظارة أحباس مراكش وكان أبوه حيسوبيا. وله ترجمة في جريدة *السعادة* وترك تأليفا لم يخرج إلى الوجود. ومنها فرع رابع هو الأكثر شهرة عاش بالرباط منذ مدة غير معروفة. ومن الجدير بالذكر أن في الجزائر قرية تسمى رغاية اشتهر أهلها بالجهاد، ولا ندري ما إذا كانت هناك علاقة لأسرة الرغاي بها. وأشار مؤلف *الفهرس في عمود نسب الأدارسة* بدون ذكر سنة، انتساب هذه الأسرة إلى الشرفاء لكن ذلك يحتاج إلى تحقيق.

ومن جهة أخرى يقال بأن أصل آل الرغاي الرباطيين من منطقة تسمى سيدي يعيش وغيغاية. ويصف محمد بوجندار هذه الأسرة بكونها من بيوتات العلم بالرباط، وأقدم من ذكرهم من أعلامها أحمد الذي كان فقيها وعدلا وخطيبا بمسجد مولاي سليمان وعاش في النصف الأول من القرن الثالث عشر (19 م). ولم يضبط بوجندار تاريخ وفاته إذ اكتفى بالقول بأن وفاته حصلت أواسط هذا القرن. لكن محمدا بن علي دينية يقول بأن تاريخ وفاته كان بعد سنة 1280 / 63 ـ1864. وخلّف ابنه محمدا الذي كان أديبا وشاعرا وتوفي سنة 1315. كما ورد اسم الطاهر الرغاي عند ابن زيدان أنه أخذ العلم عن عبد الرحمان بن محمد بصري المكناسي، ولم يثبت أصله ولا المدينة التي ينتمي إليها، ونعلم من ظهير مؤرخ في 7 ربيع 2 عام 1267 للسلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام أرسله إلى قائده الجيلاني بن بوعزة أن السلطان كلّف الطاهر الرغاي بحمل المال وقدره 13.592 مثقال إلى القائد المذكور قصد توزيع رواتب الجيش.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص.50، ومن 208 إلى 218 ؛ دينية، *الانبساط*، ص. 190، ومن 247 إلى 252 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 2، ص.466 ـ498 ؛ وج. 5، ص. 18 و388 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري، ص. 149 ؛ المريني العياشي، *الفهرس في عمود نسب الأدارسة*، طنجة،1986 ؛ *روايات شفوية أدلى بها السيد محمد الأمين بلگناوي وبعض آل الرغاي بالرباط.*

**الرغاي، محمد** بن **أحمد** كان أبوه من فقهاء الرباط وعدوله وخطيبا بمسجد مولاي سليمان، أما محمد هذا فهو من مشايخ الرباط، درّس القرآن والحساب وفنونا من الأدب، وكان شاعراً متمكنا من اللغة العربية، نسخ الكثير من الكتب مثل *نفح الطيب* و*وفيات الأعيان* و*الإحياء* للغزالي، ونسخا من *شرح الغرناطي على الخازمية* وأخرى من *معاهد التنصيص*، وكان يبيع من ذلك ما طلب منه بالثمن الغالي خصوصا لأعضاء المخزن ممن كانت فيه أهلية من الوزراء والأمراء، وكان يهتم بتعليم الخط لكل من كان يقرأ عليه ويقرئه أمهات الكتب، ومما كتبه بخط يده *الشاطبية* و*منية ابن غازي* و*مختصر خليل*. وكان يقصده كبار الطلبة ليأخذوا عنه الحساب الذي كان بارعا فيه. وكانت له مسامرات مع نجباء الطلبة أمثال الشيخ عبد الرحمان لبريس وأخيه عبد القادر والشيخ محمد الورديغي، وكل واحد من أولئك كانت تعقد عنده جلسة ليلية بالتوالي وبحضور الشيخ الرغاي الذي كان يعرض على رفاقه

المسائل المستعصية لمناقشتها واستجلاء غموضها، وكان يحفظ كتاب *القاموس*.

كانت للرغاي خزانة متوسطة مشتملة على أجود المؤلفات وغريبها، وجلها بخط يده، مع اعتنائه بمقابلة ما يستنسخه وإصلاح الأغلاط، ومن شغفه بجمع الكتب أنه كان يستورد منها من مصر والشام ومن الهند حتى صارت له خزانة يضرب بها المثل، وبعد وفاته تهافت عليها الطلبة، وأكثر هذه الكتب اشتراها بعض علماء الرباط، وجه بعضها لبعض البلدان، وكانت كتبه متميزة بتجليد خاص على نسق واحد، وعندما كان بفاس في بعض الخدمات السلطانية استحضر كتبه واستجلب عدة مجلدين إلى منزله مدة طويلة إلى أن انتهوا من تجليدها على نسق خاص عرفت بكتب الفقيه الرغاي لأنها معلومة بعنوانها المكتوب بخط يده المشهور.

كان بارعا في تجويد القرآن، وله معرفة بفن الأوفاق وسر الحرف أخذ ذلك عن أستاذه الطاهر ضاكّة، كما أخذ عنه علم التنجيم وكان يميل إلى العزلة ولا يخالط إلا خاصته المذكورين قبل.

له أشعار منها قصيدة أنشأها في ختم السلطان مولاي الحسن *صحيح البخاري*، وقصيدة في مدح بعض علماء الرباط، وثالثة في مدح أحد أولياء الرباط المشهورين وهو سيدي الحسن بن سعيد .

توفي سنة 1315 / 1897 ودفن بالزاوية الناصرية بالرباط.

م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط 1986، ص. 208 ـ 218.

**الرغاي، محمد بن التهامي**. ولد في العقد التاسع من القرن الماضي، تلقى العلم عن كل من إبراهيم االتادلي وأبي حامد البطاوري والمفتي الجيلاني بن إبراهيم، أما بفاس فأخذ عن أحمد الخياط ومحمد القادري وعبد المالك الضرير والتهامي گنون والعباس التازي وغيرهم.

فقيه عدل وخطيب شغوف بالتعليم. زهد في خطة العدالة رغم فقره رغبة في تلقين المبتدئين وتكوينهم في العربية ـ بعناية كبيرة ـ تكوينا في البلاغة والمنطق والأصول والوضع، ومن هيامه بالمهنة أنه أسس مدرسة قرآنية علمية جددت معالم المدرسة المباركية التي تعد نواة المدارس العربية الحرة بالرباط.

كان يحرض الطلبة على النساخة التي كان يقول عنها إنها نصف المطالعة، ولكنه اهتم بنسخ بعض الكتب المطبوعة عوض أن يتجه إلى غيرها من المخطوطات العربية، وكان يغضب إذا شارك الطلبة في دروس غير دروسه لأنه كان يقول "إن التخليط من عوائق التحصيل، ومنْ فُتح عليه باب فلْيلزمْه". ومن مزاياه أنه كان يجمع تلاميذه بعد ظهر كل جمعة في بيته فيتهافتون على تقييد قطع وقواعد له، وكذلك كان يقيم نزها للطلبة في عشية الخميس لا تقل فائدة عن نادي الجمعة.

له تقاييد منها ختم *أرجوزة* الشيخ الطيب بن كيران في الاستعارة، وشرح على *لامية الأفعال*، كما أن له خطبا مختصرة قيمة.

توفي في 27 شوال 1358 /9 دجنبر 1939 وأُقبر بمقبرة سيدي محمد الضاوي.

ع. الله الجراري، من *أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، 1969، ج. 2.

**الرغاي، المختار** البخاري من الطلبة المهندسين الذين وجههم السلطان مولاي الحسن إلى إيطاليا سنة 1291 / 1874 رفقة عدد من زملائه مثل محمد بناني الفاسي وعبد السلام عينوس الأوديي وذلك في إطار البعثات الطلابية التي أوفدها السلطان إلى البلدان الأوربية. وقبل أن يتوجه الرغاي لتعلم اللغة الإيطالية وتلقي الدروس الرياضية مكث مع أصحابه في طنجة لتعلم "مبادئ الألسن". وإذا كان ابن زيدان يقول بأن الرغاي مكث خمسة أعوام في إيطاليا فإن محمد المنوني يجعل مدة هذه الإقامة تسعة أعوام. وبعد مقدمه بمدة عينه السلطان في جملة موظفي دار السلاح بفاس فأسند إليه وظيفة سامية إذ كان أحد المسيرين بها. ومن الجدير بالذكر أن دار السلاح افتتحت سنة 1309. وكان الرغاي يعمل تحت إمرة الكولونيل بريكليف الإيطالي الذي سبق للسلطان أن عينه مديرا عاما لهذه الدار.

ع. الرحمان بن زيدان، *الإتحاف*، ج. 2، ص. 466 ،ص. 498، طبعة سنة 1990 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، الجزء الأول، يناير 1973.

عبد الإله الفاسي

**الرفاخة**، موقع تاريخي جرت به معارك ضارية لمقاومة الفرنسيين الذين احتلوا الدار البيضاء والشاوية قرب بلدة الكارة عند المجموعة القبلية المسماة المداكرة، بإقليم الشاوية شرقا، لا يبعد إلا قليلا عن الضفة اليسرى للواد المالح الذي يسير نحو مصبه بشواطئ المحمدية.

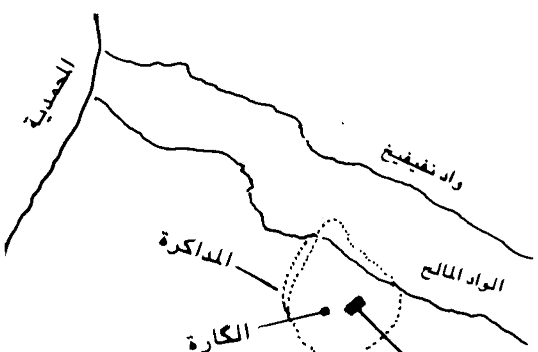

في إطار اكتساح الشاوية وغزوها بالقوة، تقدمت قوات عسكرية فرنسية في عهد السلطان عبد العزيز نحو الرفاخة التي وصلتها في الصباح الباكر من يوم 29 فبراير 1908، بقيادة ضابطين، كيرگولاي وروسو.

ولم يمض إلا وقت قصير من تلك الصبيحة حتى كان ردّ الفعل عنيفا من جماعات من المقاومين، كل منهم ظل يعمل لحسابه ويسدد طلقاته إلى العدو، فكان على الغزاة يوما عسيراً، فقدوا فيه أكثر من ثلاثين قتيلا وما يزيد عن خمسين جريحاً.

وتوقّف القتال بعد غروب الشمس، وانسحب المقاومون إلى جهات مختلفة ولم تشهد الرفاخة عراكا في ما توالى من الأيام. وظن الجيش الفرنسي أنه هيمن على الموقف.

لكن المقاومة نشطت بعد ذلك بأيام بدءاً من 8 مارس، واستمر العدو في تقييم خسراته وإحصاء قتلاه وجرحاه، الأمر الذي دفع بالجنرالين داماد وموانيي إلى إقامة شبكة من المراكز العسكرية المحصنة بالمنطقة. وعلى مقربة من الرفاخة، قتل الضابط بوشرون، فقرر داماد تغيير اسم الگارة المجاورة باسم "بوشرون" (Boucheron)، كما أقام في عين المكان لوحة تذكارية تحمل أسماء الضباط وبعض الجنود الذين لقوا حتفهم هناك في مختلف المواجهات، إلا أنها أُتلفت بعد أيام. لكن بعدما استتب الأمر لسلطات الحماية، أقامت نصبا من الاسمنت والحجر منقوشة عليه تلك الأسماء، ببلدة الگارة / بوشرون وجعلته يتوسط مدارة بين الطرق فيها، ولم يزل قائما حتى زال الاستعمار.

*الشاوية، التاريخ والمجال*، منشورات لجنة الشاوية، كلية الآداب بنمسيك، الدار البيضاء، 1997.

Dr. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947, pp. 169 - 173 ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939, p. 50 - 51.

أحمد بنجلون

**الرفّـاع، عبد الرحمان** مقاوم من مواليد سنة 1918 بحودران ناحية الخميسات. دفعته غيرته الوطنية إلى الانضمام إلى صفوف المقاومة المسلحة حيث قام بعدة عمليات فدائية بالصحراء ببوعنان وبوذنيب والريش وكزامة، ثم الطاووس حيث سجن سنة 1951، وفي أواخر سنة 1954 انتقل إلى الخميسات مواصلا عملياته الجريئة ضد المعمرين حيث كان مسؤولا على فرقة تتكون من 13 فرداً قامت بعدة عمليات فدائية كإحراق مزارع المعمرين والحصول على مسدسات وتفجير القنابل، وإثر مشاركته في أحد الهجومات ألقي عليه القبض حيث تم تقديمه للمحاكمة العسكرية.

توفي يوم 11 شعبان 1415/ 13 يناير 1995.

المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**الرفاعي**، أسرة رباطية أصلها من الأندلس، وأول قادم منهم إلى هذه العدوة الشيخ أحمد الرفاعي الغرناطي، وهو ينحدر من سلسلة تصل إلى سيدي محمد كون جد أشراف بني كولان ذي القبر المشهور بواد زا، يتصل نسبه بالمولى إدريس.

**الرفاعي، أحمد** بن **محمد** بن محمد المدعو بالقسطالي، من سلالة الشيخ أحمد الرفاعي القادم من الأندلس.

لتلميذه محمد بن التهامي شهادة فيها ذكر لأستاذه الرفاعي ولأبنائه وأشقائه وشجرة نسبه وهي مؤرخة بغرة ربيع الثاني 1243 ومن إمضاء العالم محمد المكي بن عبد الله بناني الرباطي. وقف على هذه الشهادة القاضي صالح الحكمي قائلا بصحة جميع ما تضمنته شهادة العلماء، كان أحمد الرفاعي من العلماء والأدباء. له منظومة في *علم الخط* وشرح *عليها* ضمنه الإشارة إلى علم الجدول الذي كانت له مهارة فيه أخذه عن أستاذه المعطي مرينو. ومن الذين أخذ عنهم الشيخ الرهوني والقاضي عمر بن العروصي.

كان الرفاعي ذا خط جيد تعلمه على يد عبد السلام سبّاطة الأندلسي وعلى يد ابن عمه وأستاذه مولاي أحمد الرفاعي واستكمل ذلك على يد الشيخ العالم محمد التهامي العلمي الوزاني، وهذا الأخير أخرجه من فاس إلى داره بقبيلة بني ورياجل بمدشر الدردار بوادي ورغة بقصد الكتابة فكتب له كتبا عديدة خلال السنوات الأربع التي مكثها عنده، بعد ذلك انتقل عند الشيخ الكبير علي بن أحمد بن الطيب بن الشريف الوزاني الذي استدعاه إلى زاويته بوزان ليكتب له عدة كتب بدوره وذلك ما أنجزه صاحبنا خلال أربع سنوات أخرى وهي كتب في التصوف والمصحف الكريم. ومن عنده انتقل الرفاعي عند الوزاني المذكور محمد التهامي فأقام عنده مدة بوزان حيث كتب له التعديل، وبقي كذلك إلى أن وقع خطه في يد السلطان مولاي سليمان، فأرسل في طلبه واستخدمه كاتبا فكتب له تفسير الإمام البقاعي وعينه لتعليم أولاده ومنهم الأمير مولاي عمر، كما أقامه والياً على فاس مكان ابن عبد الصادق سنة 1232 لكنه عجز عن القيام بهذه الوظيفة فعزله وولى مكانه الحاج محمد الصفار سنة 1233 فعاد لمرافقة السلطان مولاي سليمان وأولاده ولما اعتلى مولاي عبد الرحمان كرسي الحكم وكان يعرفه ويقدر كبر سنه وعجزه عن الخدمة اتخذه لتأديب ولده مولاي أحمد.

له *منظومة في صناعة الخط* التي اشتهرت في المغرب، وطلب منه أن يجعل لها شرحاً سماه *حلية الكتاب ومنية الطلاب* ورتبه على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة، وله أرجوزة، وشعر خاطب به الأديب ابن عمرو.

توفي عام 1256 / 1840.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص.38 ـ 48 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 163ـ165.

**الرفاعي، الطاهر** بن أحمد بن العباس شخصية فذة في عالم الأدب مع أخلاق عالية وتحمس كبير للذود عن مبادئ دينه، وكان ذا حنكة سياسية واطلاع واسع على ما يجري في العالم، كما كان عارفا باللغة الفرنسية التي تعلمها ضمن الرعيل الأول من الشبان الذين درسوها بأول مدرسة فتحت بالرباط وهي ثانوية مولاي يوسف، وكان كفيف البصر إلا أنه من الوطنيين الغيورين ذو فهم وذكاء كبيرين. هو من الأشخاص الثلاثة الذين يعود لهم الفضل في فكرة إنشاء مدارس محمد الخامس بالرباط، توفي في 19 جمادى الأولى عام 1364 /2 ماي 1945.

ع. الجراري، من *أعلام الفكر*، 2 : 310 ـ 313.

عبد الإله الفاسي

**الرفاعي، محمد** (الحاج -) بن العباس الرباطي، ولد بالرباط حوالي سنة 1304 / 1886 . وتشير بعض الكتابات إلى أن عائلته هاجرت إلى المغرب من غرناطة وأنها تنتسب إلى الأدارسة من أهل البيت ( *الاغتباط*، 18).

تلقى محمد الرفاعي تعليمه الأولي في الكتاتيب القرآنية، ثم دروسه العلمية في مختلف الحلقات التي يعقدها العلماء أمثال أبي شعيب الدكالي وأبي حامد البطاوري والجيلاني بن إبراهيم وأحمد جسوس ومحمد العياشي ومحمد الرغاي.

عمل محمد الرفاعي في بدايته كاتبا في المخزن الشريف، وعندما لم يتحمل ظروف المهنة زهد في ذلك وتعاطى للتجارة الحرة، غير أن الحظ لم يساعده في أسواقها فاحترف خطة الشهادة ( *أعلام الفكر*،2 : 125 ). وقد كان محمد الرفاعي عدلا مبرزاً عُرف بدماثة أخلاقه وطهارة ضميره واستقامته وسيرته الحميدة (العربي المسطاسي، شهادة شفوية).

ترعرع محمد الرفاعي في فترة شائكة من تاريخ المغرب المعاصر حفلت بأحداث كانت لها تأثيرات هامة في اتجاهاته الفكرية والسياسية. فقد عاش الصراع بين السلطانين عبد العزيز وعبد الحفيظ واستقرار الأول بالرباط وما أثار ذلك من ردود فعل عند الأعيان وعامة الناس. كما ظروف دخول الفرنسيين إلى الرباط وما تلا ذلك من تغيير جذري في الحياة العامة وما أثاره من قلق علماء العدوتين من التعامل مع "الكافر المحتل".

وبتأثير من أخيه الطاهر الرفاعي ثم بصفة خاصة من أستاذه ابن شعيب الدكالي والوطني الكبير أحمد الشرقاوي والشاعر والأديب محمد الجزولي تميز محمد الرفاعي عن كثير من أقرانه من علماء الرباط بدوره الإيجابي ومشاركته في الحياة الاجتماعية والعلمية بالعاصمة. وقد جعله ذلك ينخرط من العمل الوطني منذ انفجار قضية الظهير البربري في 16 ماي 1930 وأصبح أحد الأسماء الوطنية الفاعلة والظاهرة في فئة فقهاء وعلماء مدينة الرباط، مما جعله يكون في مقدمة الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944.

وكغيره من الموقعين، تعرض محمد الرفاعي لعنف السلطات الاستعمارية ولاضطهادها، وكما يذكر بعض أفراد عائلته ومعارفه من قدماء الحركة الوطنية، فقد حاولت السلطات الفرنسية الضغط عليه لسحب توقيعه فقال رحمه الله للضابط ولبطانته من الجلادين : "لو وُجد السبيل لوقعتُ العريضة بدمي لا بقلمي". وقد كان مع الجيلالي بناني من أكبر الموقعين سنّاً على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

وخلف ستار مهنة العدالة، ساهم الرفاعي في الحياة السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية بمدينة الرباط، وكان ينشر أحيانا بعض أفكاره وآرائه في جريدة *الأطلس* بدون توقيع. وفي أواخر أيامه اضطره الزمن الغادر للتوظيف بدافع الحاجة الملحة فتولى إمامة جامع باريز الذي كان يشرف على معهده ومرافقه وزير التشريفات قدور بن غبريط، إلا أن انحراف صحته وضعف بنيته لم يقويا على تحمل أجواء فرنسا وشتائها البارد، فلم يجد بدّاً من العود إلى مسقط رأسه متوعك الصحة. وإثر مرض عضال أعيا الأطباء علاجه التحق محمد الرفاعي بربه ليلة الخميس 21 محرم عام 1370/ ثاني نوفمبر 1950، ودُفن بضريح جده أبي العباس الكراري الرفاعي الكولاني الغرناطي بزنقة أبي العباس المتفرعة من السويقة بالرباط.

م. بوجندار، *الاغتباط*، بتراجم أعلام الرباط، الرباط، 1987 ؛ ع. الجراري، من *أعلام الفكر المعاصر* ؛ العربي المسطاسي، *شهادة شفوية*، جلسة بمنزله يوم 27 أبريل 2001 ؛ *وثيقة المطالبة بالاستقلال، تراجم الموقعين*، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 1996.

عثمان بناني

**الرفراف**، طائر متوسط القد أزرق مخضر اللمعان وجميل المنظر، يسمى في المعاجم مازور ورفراف وفي الشرق العربي صياد السمك وألو الرقص في مصر ومخيط الماء أي خائطه في لبنان وفلسطين وسوريا. يصنف إلى رتبة الجواثم وفصيلة القرليات أو القاوندبات Alcedinidae، يتميز بذنب وقوائم قصيرة وبمنقار طويل جدا. يدعى علميا Alcedo Atthis وبالفرنسية Martin pécheur d'Europe والإنجليزية Kingficher وبالإسبانية Martin pescador وبالإيطالية Martin pescatore.

طائر أسود المنقار طويله، أزرق الظهر والذنب أحمر البطن والصدر، أبيض العنق، عيناه محفوفتان جهة الخلف ببقعة بنية حمراء متبوعة ببقعة بيضاء، لون الجناحين أزرق رمادي، قوائمه بلون المرجان. يبلغ طول الجسم16 ـ17 سم ووزنه 30 ـ 45 غ وتبلغ بسطة الجناحين 25 ـ 28 سم ؛ الإناث شبيهات بالذكور. يعيش منعزلا في أغلب الأحيان أو مزدوجا ويألف ضفاف الأنهار والبحيرات القارية والساحلية يقتات من أسماكها ويبيض بداخل الجراف والجدران المجاورة لها.

طائر مستقر في المناطق الرطبة المغربية وخاصة منها البحيرات الطبيعية الأطلسية ومصبات الأنهار وضاية سيدي بوغابة وبحيرة مولاي بوسلهام المعروفة بالمرجة الزرقاء ومعظم خزانات مياه السدود المغربية. يعيش أيضا في شمال الجزائر وتونس وفي أوروبا الجنوبية والوسطى وآسيا الغربية، منه عدة مجموعات تشتو على مصب نهر النيل وفي البحيرات المجاورة له.

يتوالد في المغرب منذ مارس إلى غاية شهر غشت. يحفر الزوجان بواسطة المنقار غارا أفقيا وسط جدران عمودية مجاورة لضفاف الأنهار والبحيرات. يبلغ قطر الغار 5 ـ6 سم ويتراوح طوله ما بين 60 و100 سم وينتهي بحفرة كبيرة غير مفروشة يوضع فيها البيض. يتوالد عادة مرتين في السنة وتبيض الإناث4 ـ8 بيضات بيضوية الشكل بيضاء يبلغ وزنها 4.5 غ ويبلغ طول قطريها 19 ×22.5 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 19 ـ 21 يوما. يعتني الأبوان بالصغار مدة أربعة أسابيع قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا.

يتغذى من الأسماك وأحيانا من الحشرات والقشريات. يأخذ مكانه على أغصان الأشجار أو على الصخور المطلة على البحيرة أو النهر ليترقب الأسماك من بعيد ثم يطير بسرعة فائقة ويغوص عموديا في الماء ليمسك السمكة بين شفتي منقاره ويعود إلى مكانه ليبتلع فريسته بكاملها أو يقدمها لصغاره.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم *الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، معجم *الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

**الرفروفي، عيسى** بن سليمان عالم زاهد من أهل قرية تاجنيت بتادلا، قام برحلة علمية واسعة إلى المشرق في أوائل القرن السادس الهجري (12 م) شملت عدة أقطار، أخذ خلالها عن الفقيه الشافعي الشهير أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي (ت. 507) ببغداد، والفقيه المالكي الشهير أبي بكر الطرطوشي (ت. 520) بالإسكندرية وغيرهما. ثم استقر بعد عودته بقريته تاجنيت متفرغا للعلم والعبادة.

وكان من بين أعلام التصوف الأوائل في القرن السادس (12 م) بالمغرب. وانفرد بالحديث عنه ابن الزيات التادلي في *التشوف* وذكر أنه كان "من العلماء الأعلام"، ولم يذكر تاريخ وفاته.

ي. ابن الزيات، التشوف، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1984، ص. 108.

محمد المغراوي

**الرقّـاس، يحيى** قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان المتوكل وفر إلى أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال ومنها التحق بلشبونة حيث انضمّ إلى حاشية الأمير مولاي الشيخ ابن السلطان المذكور وظل بجانبه إلى أن اعتنق الأمير دين النصارى.

Archivo General de Simancas (España) ; San Roman, Fr. Antonio de, *Jornada y muerte del Rey Don Sebastian*. Valladolid 1603 ; I.M. de Queiroz Velloso, *Don Sebastian* (Traduccion Española por Ramon de Garcia sol). Madrid, 1943.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرفاكي**، أسرة ← **الرفاگيون**

**الرفّاكي، أحمد** بن محمد السوسي. من أهم شيوخه والده المؤرخ الإگراري منه تمكن وأمعن في مختلف العلوم. وزار فاسا ولم يستغرق بها إلا وقتاً وجيزاً.

حاول أن يتبصر في علوم عصرية كالجغرافيا، وواكب إيديولوجيات سائدة في عصره، بل هو ميّال إلى ما يوافق تكوينه وتربيته.

سجن سياسياً أسبوعين لكتابته رسالة استنكار ضد قائد قبيلة أگلو، كما كان له فضل كبير إبان الحماية في إدخال أهل المنطقة إلى حزب الاستقلال، مدنيين كانوا أو عسكريين.

وعلى عهد الاستقلال كان رئيس الحزب مكرها بالقبيلة، إذ كان يتحاشى الظهور.

وعلى مستوى الوظائف امتهن التعليم ثم القضاء، وكان من الأوائل الذين عينهم المغفور له محمد الخامس. ودشن عمله بأگلميم ثم التحق بمدينة أگادير "لحسن إدارته" وكان رئيس لجنة الأمانات بعد الزلزال.

وشُهد له بالعدل، ولا يخاف في الله لومة لائم، كما أنه رفض مناصب سامية خوفا من الوقوع في التجاوزات. وحاول أن يقرض الشعر ولم يفلح، وترك موجه وارتطم بموج القضاء الذي أخذ منه كل وقته. واشتهر بسبحات صوفية مُكثراً من زيارة المزارات.

توفي في 27 جمادى الأولى عام 1398 / 5 ماي سنة 1978.

**الرفاكي، محمد** بن إسماعيل الإگراري، تلقى تعليمه الأولي في إگرار وأيت جرار، وبعد أن أخذ عن عمه المدني التحق بمدرسة إيغلالن لدى شيخها الحاج مسعود الوفقاوي. وفي سنة 1946 التحق بكلية ابن يوسف بمراكش وأخذ بها شهادة الإجازة. وكان من أنجب الطلبة. ومن أهم شيوخه بها : محمد المختار السوسي ابن خالته، وعبد الوهاب الخلفي الدكالي المعروف بالصحراوي. وعبد السلام جبران المسفيوي، والرحالي الفاروقي في البلاغة وعلم الأصول، وآخرون. على يد هؤلاء الأبازل تمكن المترجم من ناصية العلوم خاصة الفقه وعلم الأصول. وقد غادر مراكش مكرها - مثل أخيه المذكور أعلاه - سنة 1950 لأسباب سياسية.

فقد كان دخوله لحزب الاستقلال مبكراً منذ وصوله إلى مراكش، وكان عضواً مسيراً نشيطاً. وساهم في بناء وتسيير المدرسة الحسنية الحرة بأگادير ومدارس أخرى بجهة سوس إلى جانب أقرانه كالحبيب الفرقاني.

كان هذا النشاط سببا مباشراً في سجنه بسجن العاذر مدة غير قصيرة، وبعده نُفي إلى قريته إگرار وحوصر نشاطه السياسي. وبعد حين تمكن - رغم المراقبة - من السفر إلى فاس متنكراً بمزاولة مهنة السياقة لدى العائلة الشرقاوية الفاسية.

ومن الوظائف التي زاولها : التعليم غداة الحماية ثم القضاء بعد الاستقلال. إذ أمسى حاكما مفوضا بتيزنيت ثم بأگلميم، وأنيطت به شؤون جيش التحرير لفترة وجيزة (56 - 1957).

بعدها احتفظ بمنصب القضاء إلى سنة 1970 حيث تلقى تكوينا مكثفا بمعهد القضاء بسلا عاماً ونيفاً. وكان من العشرة الأوائل، وكان خريتا في القانون الجنائي.

وقد خول له هذا التكوين التدرج في المراتب القضائية، وكان آخرها منصب وكيل الملك. وألقى عصا تسياره بمدن عديدة : اگلميم، تارودانت، گرسيف (بزو)، انزگان وأگادير.

وكان أيضاً شغوفا بالقراءة، لكنه - مع الأسف - لا يُعير للكتابة أي اهتمام، وكنت ألح عليه في كتابه مذكراته، لكن هيهات.. وكان يتحاشى الحديث عن مساهماته في الحركة الوطنية.

ورث خزانة جزء منها مخطوطات فقهية وكنانيش والده التي هي جديرة بالدراسة لقيمتها التوثيقية. ومن حسن الطالع أنه أضاف إليها كتبا معظمها مطبوعات وموسوعات.

كان محمد بن إسماعيل أرفاك اجتماعيا، تقلب في الحياة بطريفها وتليدها، حسن المعاشرة، يألف ويولف. وما يعجبه فيه تأصيله للنصوص الفقهية وتحيينها في نفس الآن، مما يجعله على الدوام، مخاطبا طيّعا لمختلف الفئات العمرية والثقافية. بالمقابل كانت له جرأة لافتة للنظر.

توفي بعد مرض عضال يوم الجمعة 18 شعبان عام 1418 / 19 دجنبر 1997 صباحا، ودفن بمقبرة إحشاش بتالبرجت القديمة بأگادير. وحضر تأبينه شخصيات ذات صيت رسمي وسياسي وعلمي.

**الرفاكي، مَحمد** بن **إسماعيل الإگراري**، نشأ وتعلم بقرية إگرار، وبعدها أخذ العلوم الأخرى بتازروالت على يد الشيخ عيسى الجراري، ثم مكث قليلا بمدرسة سيدي بوصحاب برأس الواد عند الشيخ سيدي عبد الله أو الفيض.

وبعد أن أخذ عن عمه المدني التحق بجامع ابن يوسف سنة 1947، وبقي بها إلى أن حصل على الشهادة الثانوية. لكن نشاطه في الحركة الوطنية فرض عليه الهروب إلى بلده الأصلي، زمن الأگلاوي الذي كان أعوانه يلاحقون الطلبة الوطنيين.

كانت له ميولات في علمي الفقه وعلم التوقيت، وفي الثقافة العامة. بيد أنه لم يمتهن إلا وظيفة التعليم وكانت له طرق تربوية تفرَّد بها في وسط الأگلويين والتزنيتيين.

وحين كان المقاوم عبد العزيز الماسي قائداً بملحقة أگلو فرض عليه قبول منصب مشيخه أگلو.

ولم يحل هذا المنصب من فُقدانه الصيت بين بلدييه، حيث يشهد له معاصروه بحسن التسيير والتدبير والتوفيق بين متطلبات الإدارة ومتطلبات السكان.

غرق في البحر المحيط خلال النصف الثاني من ذي الحجة عام 1385/ أبريل 1966، وقد كانت جنازته خير دليل على صيته، إذ انتظرته وفود كثيرة من قبيلة أگلو ومضاربها أياما بليلها ونهارها، حتى لفظه البحر الذي ابتلعه، وقد كان - رحمه الله - مولعا بصيد السمك.

**الرفاكي، المدني** بن أحمد بن محمد الإگسراري، ترجم له محمد المختار السوسي، وذكره عرضا المقاوم الأستاذ عمر الساحلي. نشأ في دار أخيه المؤرخ الإگراري،

وأخذ عنه، ولازمه ولم يتجاوزه حتى تخرج. وكان له نصيب في مختلف العلوم وعلى رأسها الفقه.

وخولت له هذه المكانة المشارطة في مدارس عديدة بماسة وهوارة وتازروالت وشتوكة وغيرها. وكان اصطدامه ببعض الطرقيين سببا في هذه الانتقالات.

وهو من الموقعين لعريضة "استنكار ما يحاك ضد عاهل المغرب المغفور له محمد الخامس بزعامة الأكَلاوي". وكانت هذه المبادرة بقيادة مولاي سعيد الرداني. وحين ضبطت اللائحة بطريق تمنار بحاحة، طرد المترجم من وظيفة الشرط بسيدي بيبي على يد الضباط الفرنسيين. من تلامذته أفراد من أسرته ومن أقرانهم، مثل عبد الرحمن أرفاك الشاعر والأديب صاحب الديوان الشعري، والحسين وجاج رئيس جمعية علماء سوس، والحسين بو العاقل التالوستي الجراري؛ أحد شيوخ المدارس العتيقة بسوس.

توفي في ثالث شعبان عام 1392 ـ 13 /9 / 1972.

**الرّفاكيون**، يعرفون في الوسط السوسي بإرْفَّاكْنْ، مفرده أرفاك. من مهرة تجار القوافل، تناط بهم مهام كثيرة منها : قيادة القافلة والسهر على ضمان ضرورياتها من خفر ومن حمولة ومتاع، وبهم يُهتدى في المفاوز والقفار والمسالك.

كما أنهم خبراء بشؤون البيع والشراء من ربط وعهد أو عقد وتواصل وما إليها.

وقد يبدو أن هذه الوظائف لا نجدها مجتمعة في معظم الرفاكيين إلا لماما، لذلك يحصرها اللغويون عادة في وظائف ثلاث لا غير وهي : الجمّال والمُكري والحادي.

إن وظيفة "ترفاكت" عرفت تطوراً واكب تطور التجارة القافلية بسوس، وواكب تداخلات الأفراد والقبيلة والمخزن.

ولامراء في أن الرفاكي اعتمد على علاقاته العائلية والمصلحية قبل كل شيء. فأثناء تنقلاته يستعين بها في الإيواء والإقامة من كلف المئونة والعلف وغيرهما.

بالمقابل يستفيد من الحماية التي يوفرها له القواد والشيوخ، إذ تتوفر بعض العائلات القيادية، ذات نفوذ تجاري مثل الإيليغيين والتمنارتيين والگلميميين على روزنامة من مراسلات تبودلت بين قيادات سوس وشيوخها يلحون فيها على شد عضد بعض التجار بتوفير الخفر لهم وإيوائهم. وقد لامسنا كثرة تداولها في الجهات التي لا تنالها أحكام المخزن عادة. إضافة إلى استعانتهم برؤساء الزوايا لما يتمتعون به من أردية التوقير من المخزن والسكان على السواء.

ولا شك أن المخزن المغربي اهتم بضبط أمن المسالك التجارية من خلال التكثير من "النزايل" لا ستخلاص الرسوم على البضائع التجارية. وتخترق "الطريق السلطاني أو المخزني" التي يطلق عليها محليا "تبريدا المخزن". ويفيد الشيوخ أن عرضها أربعون ذراعا، احتفظ على معالمها إلى عهود متأخرة، بينما الآن ـ مع الأسف ـ انمحى أثرها وغزاها الحراثون والملاكون.

ويبدو أن وجود المخزن الفعلي اعتراه وهن في مناطق السوس الأقصى، لذلك ـ حسب ما ترفر لدينا من معلومات ـ ركز وجوده ببعض الحواضر والقبائل الكبرى : تارودانت، أگادير ومضاربها : گسيمة ومسگينة، اشتوكة، هوارة..

بيد أن هذه السياسة تغيّرت تدريجيا أثناء حركتي المولى الحسن 1882 و1886، إذ أمسى وجود الأجهزة المخزنية أكثر فعالية من ذي قبل. لكنها لم تصل إلى المستوى المطلوب لمواجهة كل التهديدات الأجنبية بالجنوب.

فقد لاحظنا التكثير من دور المراقبة في المنافذ معتمدة على التزود بالمواد البشرية / العسكرية والمؤن من الإدالات السوسية بمراكز : تارودانت وتزنيت ـ بعد سنة 1303 هـ ـ وأيت باعمران واشتوكة، مع التركيز على موارد الصويرة وحاحة التي هي عصب التموين على الدوام.

من خلال هذه التحولات غدت مصالح عائلات تجارية مرتبطة أشد الارتباط بالوجود المخزني مثل عائلات إليغ وآل بيروك وآل تمنارت وعائلات رودانية واشتوكية وغيرها. بل إننا لا مسنا لأول مرة ـ حسب اعتقادنا ـ استفادة بعض الأسر من "ظهير الرفاكة" الذي تجاوز الطابع العام الذي يخوله ظهير التوقير والاحترام.

فأثناء نزول المولى الحسن بمكان أمْزَّوْرُ بقرية إگرار قبيلة أگلو، منح الأسرة الإگرارية ظهير الرفاكة.

وغني عن التذكير أن المحلة السلطانية سنة1299 / 1882 نزلت بالمكان المذكور سبعة أيام، وزّع خلالها السلطان ظهائر التوقير والتولية لفائدة رجالات السوس الأقصى. ولم يكن والد المؤرخ الإگراري المشهور، صاحب روضة الأفنان، من المحظوظين، بينما ابنه استفاد مثل أقرانه من العلماء، إذ لم يكن حظ والده من العلم إلا قليلا. لذلك أشار ـ والعهدة على الرواية المحلية ـ على السلطان بظهير الرفاكة.

وقد افتقدنا ـ مع الأسف ـ النص الأصلي لهذا الظهير، وثمة ثقاة من أبناء المؤرخ يؤكدون أن أهمية الظهير تكمن في إعفاء حامله من الرسوم إعفاء تاماً. بل حتى من يرافقه في الظهير عبارة "ومن معه". وفضلا عن ذلك يناط إيواؤه ـ أو إيواء مرافقيه ـ بالقبائل التي يمر بترابها.

ويبدو أن الأسرة استفادت من ربط علاقات تجارية وحميمية مع مثيلاتها بأيت باعمران وبتزنيت ومضاربها وانتهاء بالصويرة، بينما علاقاتها مع "التجارة الصحراوية" لم تذكرها الرواية بالمرة. وغني عن البيان أن هذه التجارة الأخيرة اعتراها وهن نتيجة تضرر التجارة السودانية من الاحتلال الفرنسي لمجالها.

بالمقابل أمسى إشعاع السلطة المخزنية بالجنوب المغربي في تناقص مستمر بعد زمن الگلولي والباشا حم، حيث

دخلت القبائل السوسية في اضطرابات كان لها وقع سيء على التجارة.

وقد لفت انتباهنا وثيقة مؤرخة بـ 23 رمضان 1322 / فاتح دجنبر 1904، من توقيع المدعو الحاج علي الذي لا نعرف عنه أي شيء. ومن مقاصدها تنظيم دخول الرفاكيين والمسافرين إلى قصبة تزنيت.

وتشير هذه الوثيقة إلى ما يتعرض له هؤلاء من نهب وسرقة مما يطرح إشكالية الأمن أثناء ضعف الوجود المخزني زمن المزميري. بل إنهم يتعرضون لشطط على يد بعض الشيوخ والعرفاء المحليين "إنفلاس". ولدرء هذه الاعتلالات فُرض على الرفاكيين النزول بفندق منصوب داخل سوق الخميس بالمدينة، مدعم بمحلة مخزنية تحميهم من كل آفة.

إلا أن هذه الاجراءات - على ما يبدو - لن تكون لها فعالية نتيجة ضعف المركز منذ وفاة الوزير أحمد بن موسى، كما أن الظهائر المخزنية فقدت هيبتها ومفعولها. لذلك لا غرو أن الرفاكيين اعتمدوا من جديد على أرصدتهم المالية والمعنوية والعصبية.

ومع دخول الحماية الفرنسية تغيّرت البنى التقليدية المعتمدة من ذي قبل، وتغيّر أُسُّ التجارة، وفقد معظمهم مراكزهم، واحتفظ جزء يسير منهم بوظيفتهم بعد تغيُّر الخطى واندماجهم في الوضع الجديد.

*رواية شفوية* لثقاة على رأسهم العم العربي أرفاك، والوالد عبد الرحمن ؛ م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، الرباط، 1990، الجزء الأول، ص. 255 و716 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 13، خلال جزولة ومصادرة الأخرى ؛ م. بن أحمد الإكراري، *روضة الأفنان*، تح. حمدي أنوش، طبعة1998، *كناشة الإكراري* ؛ إ. بن أحمد الإكراري، *كناشاته* ؛ ع. الساحلي المتوكل، *المعهد الإسلامي بتارودانت*، الدار البيضاء، 1990 ؛ مقال بجريدة "المنظمة" ع 178 بتاريخ 29 شعبان، 1418 موافق24 دجنبر 1997، (حول الوطني محمد بن إسماعيل أرفاك)، مقالاتنا المختلفة حول تاريخ سوس.

شفيق أرفاك

**رفوال پول** Révoil Paul موظف من موظفي السلك الديبلوماسي الفرنسي قام بالأدوار الطلائعية في حبك شبكة النفوذ الاستعماري الفرنسي على المغرب في السنوات الأولى من القرن العشرين. وكان من واضعي الخطة المعروفة بخطة "التسرب السلمي" (La pénétration pacifique)، حسبما قال أوجين أوبان Eugène Aubin صاحب كتاب *مغرب اليوم* الصادر سنة 1904، وذلك للتلبيس على "البلهاء الاشتراكيين" في البرلمان الفرنسي وإخفاء الزحف الاستعماري من جهة الجزائر المبنيّ عي "الباسفكاسيون المتسرب" (La pacification pénétrante) على حد قوله.

وُلد رفوال پول يوم 23 مايو 1856، واشتغل بالمحاماة في محاكم باريز بعد الحصول على الإجازة في الحقوق. ثم إنه التحق بديوان نائب كاتب الدولة في البحرية والمستعمرات، فاطلع لأول مرة على قضايا التوسع الاستعماري وذلك سنة 1886. وتضلع فيها حتى صار الكاتب العام للمجلس الأعلى للمستعمرات. ثم إنه انتقل إلى ديوان وزير الفلاحة فيما بين 1890 و1893. مما يفيد اتساع خبرته وشبكة ارتباطاته السياسية التي ألحقته بوزارة الخارجية، حيث عين قنصلا عاما على غير سبل السلم التقليدي في التعيينات. وفي سنة 1895، انتقل إلى رتبة الوزير المفوض ليكون نائب المقيم العام الفرنسي في تونس. فتعززت خبرته الاستعمارية بالعمل الميداني في إفريقيا الشمالية. ولذلك أسندت له رئاسة المفوضية الفرنسية في المغرب بطنجة في فبراير 1900 خلفا لدي مونبيل (De Monbel). وقد اختاره لهذا المنصب وزير الخارجية ديلكاسي الذي جعل نصب عينيه، منذ تربعه على كرسي الوزارة سنة 1899، إلحاق المغرب بباقي المغرب العربي المحتل بكل ما يسنح من الوسائل. وكانت أول خطوة في هذا الاتجاه، احتلال واحات تدكلت يوم 28 دجنبر 1899 والشروع في ضم ما يتصل بها من واحات توات وكورارة إلى الجزائر المستعمرة. وكان من مهام رفوال في طنجة ممارسة شتى وجوه الضغط الديبلوماسي على المسؤولين المغاربة ليسكتوا عن ذلك الغزو الصارخ وليكرّسوه ويستسيغوه تحت أنظار المغاربة وتحت أنظار الرأي العام الدولي. وذلك ما انكب رفوال على السعي فيه وإخراجه إلى حيز النفوذ، علما بأن الوزير الحاجب أحمد بن موسى (الملقب ببا احماد) توفي فجأة في ماي 1900. وأصبح المغرب بعد وفاته عرضة لتنافس الوزراء على السلطة، مع عجز السلطان الشاب المولى عبد العزيز عن القبض بناصيتهم والتحكم فيما صار يدخل الجهاز المخزني من الاضطراب، فوقع تحت تأثير بعض حاشيته من الضباط الانجليز الذين نصحوا له بفتح باب الإصلاح بدون حيطة ولاحذر، مما تتبع رفوال كل تفاصيله عن كثب وظل يرفع به التقارير للوزير ديلكاسي. من ذلك ما كتب له به بتاريخ 4 فبراير 1901، مثيرا انتباهه إلى ما أصبح لممثلي إنجلترا وألمانية من النفوذ لدى المولى عبد العزيز، ومنذرا باحتمال انفجار أزمة سياسية في المغرب من شأنها في قوله : "أن تهز أركان الامبراطورية برمتها وأن تفتح بغتة المسألة المغربية". ثم أضاف متسائلا : "أليس في ذلك ما يحملنا على التشاؤم أكثر مما يحملنا على التفاؤل ؟ ذلك بأننا كنا نسعى إلى حد الآن في أن نظل متمكنين من اختيار اللحظة التي تطرح فيها هذه المسألة على بساط الدرس، متمكنين من شروط التفاوض بشأنها ومن كيفية حلها. فلا ينبغي أن يعزب عن أذهاننا أن اقتحامنا لتوات قد زاد بشكل ملموس في إنضاج المسألة المغربية. وما كان احتلالنا لتلك الواحات [...] إلا ليزرع بذور القلق في المخزن ويثير انتباه الحكومات الأوربية، وذلك بما دخل من التغيير على ما كان التوازن السياسي

في المغرب قائما عليه من قبل [...] فنحن اليوم تحت مزيد من المراقبة بما أصبح يخشى من جانبنا، ومهددون من جهتين، فإما أن نزيد في حدة القلق إذا نحن دأبنا على تعزيز تسربنا، وإما أن نتقهقر عن المواقع المكتسبة إذا نحن التزمنا السكون إفراطا في الحذر". ويبدو أن هذا التقرير كان له أبلغ الأثر على ديلكاسي، وأنه هو الذي حمله على فتح باب التفاهم مع انجلترا بخصوص المغرب. كما يؤكد ما قاله أوجين أوبان من أن رفوال هو صائغ شعار "التسرب السلمي"، فهو الذي وكل به أمر بلورته في عين المكان. وكان ذلك يقتضي أول ما يقتضي، إضفاء صبغة المشروعية المغربية والدولية على انتزاع واحات توات وقطعها عن كل ما كان يتصل بها من أقاليم الجنوب الشرقي المغربي، وذلك بحمل المخزن على إمضاء وفقين مجحفين، أولهما وقعه وزير الخارجية المغربي عبد الكريم ابن سليمان يوم 20 يوليوز 1901 في باريز لدى سفارته إلى فرنسا. والثاني وقعه نائبه محمد (فتحا) الجباس (بعقد الجيم) في الجزائر يوم 20 أبريل 1902. والوفقان كلاهما من حبك رفوال ومن صياغته، ذلك بأنه هو الذي تفاوض مع عبد الكريم ابن سليمان بشأن الوفق الأول. فقد كان في رفقته لدى سفارته إلى باريز، ليس بصفة كونه وزير فرنسا المفوض في طنجة، ولكن بصفة الوالي العام على الجزائر بعد أن وقع الاختيار عليه لذلك المنصب في شهر أبريل 1901 ليجتمع بيديه كل وسائل الضغط على المغرب وليتحول "التسرب السلمي" إلى "باسفيكاسيون متسربة". وكان وفق يوليوز 1901 ستارا ديبلوماسيا لذلك بما تقرر في بنوده التسعة من اعتراف المخزن الضمني بإلحاق واحات الجنوب الشرقي المغربي بالجزائر المستعمرة، ومن التذرع بمبدأ حرية النجعة لقبائل ذوي منيع وأولاد جرير لطمس قضية الحدود بين الإيالتين وجعل السلطات الفرنسية تضم إلى واحات توات كل الأقاليم المغربية المؤدية إليها عبر بشار والقنادسة ووادي الساورة. وكان على رفوال، وقد أصبح واليا عاما على الجزائر أن يجعل من هذه الاتفاقية التي أقيمت في الظاهر على مبدأ تعاون الجانبين من أجل تسكين قبائل الحدود، إلى وسيلة لإثبات تفوق الجانب الفرنسي المتغلب على الجانب المغربي المغلوب. وذلك ما جاءت اتفاقية أبريل 1902 الموقعة في الجزائر بين محمد الجباص الآنف الذكر والجنرال كوشميز Cauchemez بكل جزئياته المجحفة. وكان هذا الجنرال، وهو قائد الجيوش الفرنسية المرابطة على التخوم الجزائرية المغربية، إنما يعمل بأمر رفوال وبإرشاداته. وقد انتهز رفوال الفرصة ليستقطب الوزيرين المغربيين المذكورين لمصالح فرنسا، ساعده على ذلك الترجمان قدور ابن غبريط الذي جعله رفوال من يوم تعرف عليه في مفوضية فرنسا سن الرمح في خطة "التسرب السلمي". كما يعتبر رفوال ممن كان له يد في إذكاء فتنة بوحمارة الذي كان معروفا لدى السلطات الفرنسية في الجزائر، حيث قضى فيها شيئا من الوقت يتمرس على أعمال التدليس والشعوذة. وقد انطلقت ثورته في أكتوبر 1901 يوم كان رفوال صاحب الحل والعقد في الجزائر. وكان في حاشية هذا الفتان المدعو ديلبرل Delbrel وهو من الجواسيس الفرنسيين المتسربين من الجزائر. ومما يذكر أيضاً من مناورات رفوال، أنه عاد إلى طنجة في شتنبر 1902 في زيارة عابرة ليلتقي بخلفه في المفوضية الفرنسية سان - ريني طايانديه Saint-René Taillandier وبول كامبون Paul Cambon سفير فرنسا في لندن الذي كان من دعاة التفاهم مع انجلترا ومن صناع الوفق الودي بينها وبين فرنسا.

على أن قدم رفوال سرعان ما زلت به في الولاية العامة على الجزائر، ذلك بأنه ساير المعمرين المتطرفين في أقصى مطالبهم، فأحدث محاكم استثنائية خاصة بالجزائريين تفصل فيما يرتكبون من الجنح بما يطيب للقضاة المعينين من الأحكام، ولا سبيل فيها للاستئناف. فثارت ثائرة أنصار الفكر الحر في البرلمان الفرنسي، وألزمت الحكومة بعزل ريفوال عن منصبه، فعاد إلى وزارة الخارجية في باريس مكلفا بمهمة. ولم يعد اسمه يذكر إلا بعد استقالة الوزير دلكاسي نزولا عند ضغط الحكومة الألمانية في يونيو 1905، ذلك بأن خلفه على كرسي الوزارة كان هو رئيس الحكومة بول روفيه Paul Rouvier الذي كان عديم الخبرة بالمسألة المغربية وله ميل شديد إلى التفاهم مع ألمانيا. فوجد في رفوال خير من يساعده في كلا الأمرين. فإن خبرة رفوال بشؤون المغرب وبرجالاته كانت من الدرجة الأولى. وكان من جهة أخرى معروفا بعدم مسايرته لما كان دلكاسي يكنه من العداء لألمانيا، فإنه قال عنه ذات مرة : "المصيبة هو أن دلكاسي نافر كل النفور من التباحث مع ألمانيا، لأن الألمان على حد قوله مطويون على المكر". وكان ديلكاسي من الجيل الذي عاش الهزيمة الفرنسية أمام الجيوش الروسية سنة 1870 ولم يكن لينساها. بينما ينتمي رفوال ورينيو وأضرابهما إلى الجيل الذي نشأ بعد الهزيمة فكانوا ينظرون إلى الألمان في المغرب على أنهم شركاء أكثر مما هم منافسون. وعلى هذا الأساس ألحق رفوال برئاسة الحكومة ليقوم بالأدوار الطلائعية فيما جرى من المباحثات بين بول روفيه ورادلين Radolin سفير ألمانيا في باريس. وقد أسفرت تلك المباحثات يوم 8 يوليوز 1905 عن تبادل رسالتين بين الجانبين تثبتان اتفاقهما على عقد مؤتمر دولي لفك المسألة المغربية، وترسمان الخطوط العريضة لعقده، منها سيادة السلطان ووحدة تراب المغرب والمساواة بين الدول في استغلال السوق المغربية ومصالح فرنسا وإسبانيا الخاصة الناجمة عن الجوار. كما أسفرت يوم 28 شتنبر من نفس السنة على وفق يحدد برنامج المؤتمر ومكان انعقاده. وبذلك صارت خطوط المناورة الاستعمارية الكبرى ضدا على المغرب كلها بيد رفوال الذي تقرر إسناد رئاسة الوفد الفرنسي إليه في الخزيرات. ولذلك عين سفيرا في سويسرا

مراعاة للرتب والتشريفات. وجاء إلى الخزيرات على رأس أكبر وفد، يساعده أوجين رينيو، بصفة كونه المندوب العام لصندوق الدين الدولي. وقد نشرت يوميات رفوال عن المؤتمر. ويستفاد منها على ما يعتريها من الاقتضاب، كيف استطاع أن يحول المؤتمر من أداة دعا سلطان المغرب لعقدها لجعل حد للزحف الاستعماري الفرنسي في المغرب إلى أداة تفتح أبواب التسرب الأجنبي في البلاد على مصاريعها. وشهد الجميع بما بذل رفوال من وجوه المخاتلة والمكايسة حيال الوفد الألماني والوفد المغربي لتعزيز أدوات النفوذ الفرنسي في المغرب. وكان من جزائه أنه عين سفير لفرنسا في مدريد في يناير 1907. لكنه ما لبث أن تخلى عن الوظيفة الديبلوماسية ليدخل سلك الأبناك فإنه أنهى مساره الوظيفي في البنك الفرنسي العثماني بما يقترن في ذلك من الرواتب المعتبرة.

*Annuaire diplomatique français*. 1907 ; P. Révoil, *Journal tenu pendant la Conférence d'Algésiras, 12 janvier - 9 avril 1906*, Paris, 1939 ; P. L. Rivière *Traités, Codes et Lois du Maroc*, T. I, Paris, 1924 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967 ; C.R. Ageron, *Histoire de l'Algérie contemporaine, 1871 - 1954*, Paris, 1979.

إبراهيم بوطالب

**الرفود** (أعراف) منظومة من الأحكام العرفية التي كانت تنظم علاقات بعض القبائل المغربية فيما بينها. وهذا المصطلح المدني كان مستعملا خاصة في قبائل زعير والقبائل المجاورة لها كزمور والشاوية وبني حسن وأعراب الرباط. ووجدنا مدينتي الرباط وسلا تلتجئان إليه كذلك لتنظيم علاقاتهما مع القبائل المجاورة. فما هي أصول الرفود ؟ وما هي أحكامه ؟

من حيث الأصل اللغوي، نجد في مادة الرفود رَفَدَه يَرْفَده رَفْداً أي أعطاه، وأرفده أعانه. والمرافدة : المعاونة ؛ ترافدوا : أعان بعضهم بعضاً.

والرفود عرفا، يعني تبادل التحملات والالتزامات من أجل حفظ الأمن وسيادة الهناء بين طرفين، ولا بد من وجود متحملين أي ملتزمين وضامنين للأطراف المتنازعة أي لإخوانهم إذا تعلق الأمر بقبيلة أو فرقة أو دوار. أما سكان المدينة فالغالب أن يكون المتحمل بهم هو الحاكم. وكان يطلق على هؤلاء المتحملين اسم : الرفّادة مفردهم رَفّاد.

والملاحظ أن الرفادة كانوا في كثير من الأحيان من بين قواد المخزن المعيّـنين بظهائر سلطانية. وقد يتولى الرفادة شيخ أو واحد من الأعيان مسموعي الكلمة وذوي النفوذ في قبائلهم وكان السلطان كثيرا ما يفضل أن يكون الرفّاد الفوقي، أي المتحمل الأعلى والضامن لإخوانه، هو القائد المخزني. على هذا الأساس، فالترافد يعني التعاون على حفظ الأمن ودوام الصلح بين القبائل.

وبما أن الرفاد كان يتحمل بتعويض الضرر الذي يتسبب فيه إخوانه أو محكوموه، وفي الوقت نفسه يضمن إنصافهم وأخذ حقوقهم إذا ما تعرضوا لضرر، من الطرف الذي خرق الرفود ؛ فيكون العطاء وارداً في هذه الحالة مثلما ورد في المعنى اللغوي. وقد يتعدى المعنى الاصطلاحي للرفود كممارسة عرفية إلى معاني أخرى، حسب الحالات التي تستدعي اللجوء إلى عرف الرفود.

ومن خلال المستندات الرسمية والمصالحات بين القبائل أمكننا تمييز عدة حالات يدخل فيها مصطلح الرفود.

- فهناك الرفود من أجل حفظ الأمن، أي حالة تبادل التحملات والالتزامات، لاستتباب الأمن بين المترافدين. وتهم هذه الحالة خاصة تأمين السبل.

- وهناك حالة الرفود بين المدينة والبادية، وهي تعني إحلال الانفراج محل التوتر لتشجيع التبادل التجاري والتواصل الإنساني.

- وهناك حالة اللجوء إلى الرفود من أجل مواجهة الأخطار الخارجية. وهذه الحالة الأخيرة كانت تفرز أحلافا مقدسة لمواجهة خطر خارجي أو عدو مشترك. وفي هذه الحالة الأخيرة نجد أنفسنا أمام الأحلاف القبلية المعروفة باللُّفُوفْ (جمع لَفّ)، وهي أحلاف كانت تجمع عدة قبائل تُكوِّن ما يشبه الاتحادية في مواجهة اتحادية قبلية أخرى، كلَفّ أيت عطا مثلا الذي كان يواجه لَفّ أيت يافلمان.

لكنّ خصوصية الرفود تكمن في أن أحلافه تخضع للمكان وللزمان. بمعنى أن أحلاف الرفود لا تتعدى مدة سنة قابلة للتجديد كما سنرى.

وهكذا، نلاحظ مثلا أن مسألة حفظ أمن السبل أي تأمين المارة والمسافرين والقوافل التجارية، كانت من الأمور التي يهتم بها المخزن اهتماماً متزايداً. وقد زاد هذا الاهتمام خلال القرن الثالث عشر (19 م) مع تزايد التدخل الأجنبي وتوظيف رؤوس أموال أجنبية في التجارة الداخلية، وما صاحب ذلك من اضطراب في أمن الطرق. فكان السلاطين، نتيجة ذلك، يشجعون القبائل فيما بينها أو بينها وبين المدن على اللجوء إلى الرفود لأجل حفظ الأمن، وتأمين الطريق. وقد نالت الطريق الرابطة بين الرباط والدار البيضاء اهتماما خاصا في أواخر القرن الماضي.

ففي سنة 1891 مثلا، نجد السلطان يأمر بالترافد بين أعراب الرباط وزعير وسكان مدينة الرباط والأوداية، حيث اجتمع قواد القبائل المعنية وأعيانها وترافدوا بحضرة السلطان، بحيث تحمل كل واحد "بدرك ما عسى أن يصدر من أحد من الكل بالطريق والخيام وألزمه لنفسه الالتزام التام على قاعدة القبائل وعرفهم في ترافدهم..." وأمضى السلطان أي وافق على ما جرى وأوجب العمل بمقتضاه. وهدد من خالفه بدفع الذعيرة المقدرة زيادة على عقاب السلطان.

وفي حالة ترافد المدينة مع البادية، كان الرفاد يقوم أحياناً بعمل الزطاطة. وفي هذه الحالة، يجب على من يريد

الخروج من المدينة إلى البادية، لقضاء مصالحه كالتاجر الذي يسوق قافلة أو الكواشة الذين يريدون صنع (الفحم) ؛ أن يدفع أجرة الرفاد الذي يتحول إلى زطّاط يمنحه حمايته أو يدفع إليه علامته المعروف بها. ولهذا كان الزطاط يعرف بالكاسي وكأنه ألبس من يحميه كساء.

وهكذا فهناك فرق دقيق بين الرفود الذي يعني التزامات معنوية في الغالب، والزطاطة التي تعني تقديم خدمة مؤقتة مقابل أجر متفق عليه.

وقد يعني الرفود في بعض الحالات التعبئة لمواجهة خطر محتمل أو عدو مشترك كما لاحظنا في الحالة الثالثة.

فنجد مثلا أن عددا من القبائل تترافد فيما بينها بهدف الهجوم على غيرها. فهي تلجأ إلى تأمين مؤخرتها وتلتزم الدخول في حلف هجومي أو دفاعي موجه ضد طرف ثالث.

كما حدث في حالة مواجهة الاحتلال الأجنبي للمغرب سنة 1907 لجوء قبائل الشاوية إلى إعلان الترافد والتضامن فيما بينهما لمواجهة التدخل الفرنسي بالدار البيضاء. وفي هذه الحالة يجد المرء نفسه أمام حلف مقدس، يضم مجموعة من القبائل لجأت إلى عرف الرفود لتأمين السبل وتوفير الأمن وتوجيه الطاقات وجهة واحدة هي مواجهة الغزاة، والدفاع عن البلاد والوطن عامة.

وعلى كل حال، فعُرف الرفود لا يتعلق بممارسة عرفية تختص بها القبائل الضاربة في الهوامش والبعيدة عن الحاضرة أو عن سلطة المركز فحسب ؛ بل يتعلق الأمر بمنظومة من الإجراءات المتعارف عليها كانت تشترك فيها المدينة والبادية حتى ولو كانت تلك المدينة مما اشتهرت بحمايتها للشرع ومحافظتها على التقاليد الإسلامية مثل مدينتي سلا والرباط.

*وثائق خ. ح.* الخاصة بعهد مولاي الحسن 1870 .1894 ؛ ومولاي عبد العزيز1894 .1907 ؛ علال الخديمي، *عرف الرفود وحماية الأمن بنواحي الرباط وسلا خلال القرن التاسع عشر.* ضمن كتاب *التاريخ وأدب النوازل*، دراسات مهداة للفقيد محمد زنيبر، نشر كلية الآداب بالرباط، 1995.

علال الخديمي

**الرفيسة**، نوع من الطعام الدسم يصنع من قطع الرغيف المطبوخة في اللبن والزبد بمقادير معينة، ويكثر تناول الرفيسة في البادية المغربية أثناء فصل الربيع.

وتُعدُّ الرفيسة في مناطق الشاوية دكالة وعبدة بفطائر رقيقة من الدقيق الخالص تُهيّأ خصيصا لهذه الطبخة يقال له "مسمّنْ" ويقطع قطعاً صغيرة ثم يسقى بمرق به لحم أو دجاج في الغالب. وعند بعض الأسر بالحوز من قبائل زمران يُعدّون هذه الوصفة يوم عيد الأضحى بقطع معلومة من لحم الأضحية لأن الثريد بمنطقة الحوز كان دائماً يعد باللحم ويوضع بقصعة من طين أو خشب فيستدعى الناس لأكلها بالبيت أو ترسل إلى الجيران أو المعارف فيجتمع عليها الأهل والأولاد في شكل حلقة ( *التشوف*، 290).

ويُعد أهل فاس الرفيسة من السميد الرقيق على شكل رغايف تُطهى في الفرن ثم تفتت وتطبخ بالعسل المحلول في الماء مع الزعفران. ينثر عليها بعد الطهي اللوز المفروم وتزين بالسكر والقرفة والسنبل ويجعل في وسطها حفرة تملأ بسمن أو زبد طري تغمس فيه اللقمة قبل أكلها (كتاب الطبيخ، 193).

بالإضافة إلى الرفيسة أو تارفيست، هناك أسماس الذي يعده المصامدة سكان مناطق الأطلس الكبير الغربي، ويقطع ويسقى بمرق به لحم كتف الغنم (*أخبار المهدي*، 33) وتاربوصت (*إثمد العينين*، 180 : 1) التي تعني بالأمازيغية خلط الخبز بالحليب أو اللبن.

البيدق، *أخبار المهدي*، الرباط1971 ؛ ابن الزيات، *التشوف*، الدار البيضاء، 1984 ؛ ابن تجلات، *إثمد العينين*، الرباط، 1986 ؛ مجهول، *كتاب الطبيخ*، مدريد، 1982 ؛ ابن رزين التجيبي، *فضالة الخوان في طيبات الطعام*، الرباط، 1971.

عبد الرزاق ازريكم

**الرقائق**، طحالب ساحلية تعيش في منطقة المد والجزر أو في أعماق جد منخفضة. وككل الطحالب وخلافا للنباتات القارية فليس لها أوراقا ولا ساقا ولا جذورا تمتص عن طريقها المواد الغذائية والأملاح المعدنية الموجودة في الرمال والأوحال لتحولها بعد ذلك إلى مواد عضوية بل كل ما تحتاجه الطحالب من الوسط الذي تعيش فيه هو نقطة على دعامة تلتصق فيها. أما المواد اللازمة لنموها وتطورها فتمتصها مباشرة من الماء.

الرقائق

وكما يدل اسمها على ذلك، فهاته الطحالب هي على شكل رقائق قد يتعدى طولها الخمسة أمتار وهي حسب الأنواع يمكن أن تعيش أكثر من عشر سنوات في أعماق منخفضة كمنطقة المد والجزر خاصة في مياه تكثر فيها الأمواج حيث إن هاته الطحالب لا تستطيع العيش في المياه الراكدة نسبيا والتي قد ينشأ فيها تلوث ما وبذلك فهي طحالب تدل على المياه الصافية.

تعتمد الرقائق في توالدها على جيلين اثنين وهما الجيل الطوربوغي (Sporphytes) تخرج منها بذورا (البوغ) تعطي مباشرة رقائق أخرى بعد إنباتها. أما الجيل الثاني فهو

الطورمشيجي (Gametophytes) على شكل خيوط نباتية قد تكون ذكرية أو أنثوية تُخصّب أولاها ثانيها لتعطي رقائق جديدة.

تستغل الرقائق في العديد من بلدان العالم خاصة في آسيا ويُستخرج منها العديد من المواد الأولية المستعملة عادة في ميادين عديدة خاصة في الصناعات الغذائية والصيدلية إلا أنه في المغرب فإن الاهتمام بهذا المجال، أي الطحالب، مُنصب أساسا على بعض الأنواع من الطحالب الحمراء (Rhodophycées) خاصة النوع Gelidium sesquipedale وذلك رغم طول السواحل الوطنية التي تناهز 3.500 كلمترا، ورغم شساعة المجال البحري الذي يتعدى مساحة المغرب كله ورغم كذلك كثرة أنواعها التي تتعدى 500 نوعا.

Riadi H., *Etude nationale sur la biodiversité - Flore marine*, PNUE / Min - Envi., 1997 ; Gayral P., *Les algues de la côte atlantique marocaine.* Nature au Maroc II, 523 p, 1958 ; Auteurs nombreux, *Les algues marines et leur utilisation*, PENN AR BED n° 37.

محمد منيوي

**الرقص**، هو مجموعة متناسقة للحركات الجسدية في تسلسل معلوم يوافق في الغالب متتالية إيقاعية، وهو كذلك تعبير إنساني آلته الجسد إذ يستجيب لإيقاع الموسيقى بحركات إرادية وأخرى غير إرادية.

وتختلف الرقصات عن بعضها في طبيعة إشاراتها ورموزها أولا، وسرعة أدائها وتطور مساراتها الايقاعية ثانيا، ثم تنسيقاتها الفردية والجماعية، والرقص هنا ليس مجرد شكل فني مستقل بذاته، غايته الإنجاز الجسدي لإيقاع الموسيقى، بل هو كذلك تواصل وتعبير واكتمال لتفتح الشخصية داخل محيطها الاجتماعي.

بالمغرب أغلب الرقصات تؤدى بصفة جماعية إذ ترتبط بممارسة القبيلة أو الطائفة، وتمثل عبر مختلف مظاهرها وضروبها تعبيراً حيا عن روح الجماعة، وهذا لا ينفي وجود مظاهر فردية متفرقة تبرز معالمها في رقصات الفتيات في الأعراس والمناسبات العائلية.

تتعدد الرقصات الجماعية بتعدد القبائل، ويشكل هذا التعدد حاجزاً أمام فهم كامل وتركيبي، ومع ذلك يمكننا أن نحصر الأمر في عدد محدود من الرقصات باعتمادنا على نماذجها العامة فقط وتجريد هذه النماذج من المتغيرات الجهوية الكثيرة التي تمس كل نمط فتعدد صيغة وتنوع أساليب إنجازه وأدائه.

ويفضي بنا التصنيف الأولي إلى اعتماد الفئات الآتية :

- الرقصات الجماعية الكبرى كأحيدوس وأحواش
- الرقصات الحربية كتاسكيوين والعلاوي والنهاري والهيت
- الرقصات الحوارية كتيسينت وهوارة
- الرقصات الصوفية كتلك المعتمدة لدى عيساوة وحمادشة

في بعض هذه الأنماط، يمكن أن يتحد الرقص تماما مع الشعر الشعبي المرسل إلقاء أو المغنى إنشاداً وترنيما، وان تستنجد الرقصة الجماعية بخدمات شاعر يجيد الإرتجال ويتدخل في وقفات الرقصة ومواقف الجمل الموسيقية، ويتوفر هذا الشاعر عادة على فراسة جيدة وملكة في تقدير المواقف واستدعاء معانيها ؛ وقد تنتظم بمناسبة الرقص وحوله مبارزات شعرية.

والرقصة كذلك ليست فقط مجموعة حركات ترتبط بالشعر والإيقاع والموسيقى، بل هي كذلك تشكيل لفضاء رمزي، إذ غالبا ما تكون هناك قصة أو خرافة تفسر ميلاد الرقصة وتؤسس لرمزيتها الخاصة، وكذلك الأمر بالنسبة للرقصات ذات الطابع الحربي أو الرقصات التي تعتمد على الحوار الراقص.

وفي هذا المجال الواسع تبرز رقصتان جماعيتان هما أحيدوس وأحواش فتغطيان أغلب المناطق في جبال الأطلس وما يحيط بها من قبائل إلى غاية التخوم الصحراوية، لكن للرقصتين أشكال وتعابير متعددة تجعل اختزالها في وصف عام متعذراً وصعباً، وهنا أيضا سنضطر إلى اعتماد نماذج بعينها للتمثيل والاستشهاد.

أحيدوس مثلا هي تلك الرقصة التي تتخذ مراكز لها قبائل الأطلس المتوسط، كما يمتد استعمالها إلى السهول المجاورة وإلى شرق الأطلس الكبير ؛ وليس لنا لحد الآن تفسير شاف لمعنى كلمة أحيدوس، رغم أن بعض الباحثين في فترة الاستعمار قد قال بارتباط اللفظة بـ "أخيدوس" (بالخاء) وهو الجلباب الخشن الذي كانت تلبسه الرجال في القبائل الأطلسية.

هذه الرقصة قد ترافق جل مناسبات القبيلة وتنطلق عادة في ليالي الصيف الدافئة حيث أصوات البنادير تكسر صمت الليالي وهي تستدعي للرقص شباب القبيلة وكهولها، فيحلو السمر ويتمكن الجميع من الإندماج بسهولة داخل الحفل لأن أحيدوس يعتبر فنا للهواة وفنا للمشاركة رغم أن دور المحترفين والمتمرسين ضروري ومهم لكي لا تتحول الرقصة إلى فوضى.

هؤلاء المتمرسون بفن الرقص يسهمون في تنشيط الفقرات وتغيير الإيقاعات واقتراح أشعار جديدة ؛ لذلك نجد أصحاب الحفل يعلمون أن وجود هؤلاء ضمان لكي ترتقي الرقصة نحو مستوى جمالي محبوك الأجزاء، وأن غيابهم يؤدي إلى انحسار الرقصة في تقديم عرض باهت لا طعم له ولا روح.

نميز غالبا ما بين أحيدوس الأكبر "أكسواث" وأحيدوس الأصغر "أمزيان"، فالأول يجمع أكبر قدر من المشاركين المهرة والمختصين ويستعمل إيقاعا رصينا محكم الحركات

فيعطي للنوع طابعه النبيل وقيمته الجمالية، ويبعث في القبيلة أسباب نخوتها وأنفتها. لذلك ينعقد هذا الأحيدوس في المناسبات الكبرى. أما النوع الأصغر فهو الرقصة العامة أي تلك التي يستطيعها كل الشباب والهواة ممن ليست لهم تجربة الكبار والمحترفين، كما أن عدد المشاركين فيه محدود ومن خصائصه أيضاً سهولة الإيقاع والحركات.

لكن الحدود الفاصلة بين النوعين من أحيدوس غير محددة بدقة، لا يستثني أحدهما وجود الآخر، بحيث يمكن أن يترابط النوعان في حفل واحد، خصوصا وأن الراقصين الممتازين يودون بين الفينة والأخرى الرجوع إلى السهولة والمرح البسيط والترويح عن النفس ومشاركة من هم دونهم تجربة ودربة.

وهذا الأمر هو الذي يجعلنا نفترض وحدة المراحل في أحيدوس من جهة، ووجود متتالية مثلى تتدرج من الثقيل إلى السريع كما هو الحال بالنسبة لكل الرقصات الجماعية الأخرى ؛ يمكننا إذن أن نقبل تقطيعا نموذجيا تبرز ضمنه عدة مراحل لهذه الرقصة.

- تماوايت وهو موال فردي في صيغة النداء الفردي المتحرر من الإيقاع، تنشده في مقام الصبا امرأة أو رجل له صوت قوي وصادح يتسعمل معه طبقة من الغناء الرأسي ؛ ويمكن لهذا الموال الأطلسي أن يشكل نوعا قائما بذاته ومنفصلا عن الأحيدوس.

- مرحلة رصينة الإيقاع تشتهر بمقاساتها الخماسية وجملها الغنائية المسترسلة

- مرحلة معتدلة السرعة تتضمن إيقاعات ثنائية سريعة وأخرى ثلاثية ومركبة لتختم الرقصة في قوة وحيوية.

وبما أن الكلمة والإيقاع هما الأساس في أحيدوس، فان التنظيم المقامي بسيط لا يغطي إلا مسافة لحنية صغيرة لا تتجاوز حدود الرابعة التامة (سلما من أربع نغمات فقط)، وبالتالي لا يمكننا الحديث عن مقامات في هذا المجال إلا بالقدر الذي يسمح به التقريب بين مجموعة محدودة من النغمات وبين ما يمكن أن تكون عليه لو استكملنا السلم النغمي.

يستعمل أحيدوس آلة إيقاعية واحدة قد تتعدد هي نفسها في أيدي الراقصين، وهذه الآلة هي البندير وتسمى كذلك "ألون" (بتشديد اللام)، وهي آلة إيقاعية في شكل إطار خشبي دائري به ثقب جانبي يسمح لإبهام اليد اليسرى بإمساك الآلة والتحكم فيها لتبقى اليد اليمنى حرة في التوقيع على الإطار الجلدي في نقرات تبادلية بين اليدين وبين وسط الإطار وحاشيته.

أغلب الجمل الغنائية في أحيدوس تنتمي إلى تقاليد "إزلان"، وتثبت الألحان في الذاكرة بواسطة النص الشعري الذي يعقلها ويؤثر في عروضها ومبناها. وهذه الأشعار غالبا ما تعتمد على ثنائيات، يسمى فيها المصراع الأول "لغا" ويسمى الثاني "أوماس" بحيث يتم الغناء بالتناوب بين مجموعتين في شكل حوار، ولأن الشطر الأول يتصل مباشرة بالشطر الثاني دون توقف فإن ذلك يحقق دائرة غنائية يصعب التمييز بين بدايتها ونهايتها إلى أن يبادر أحدهم بتغيير البيت فيتبعه الباقون.

المهم أن يكون هناك توافق إيقاعي بين الشعر والجملة الغنائية، أما القافية والروي فقد تصبح في موقع ثانوي إزاء المتطلب الأول، وفي غالب المرددات نجد مقاطع صوتية ليس لها من معنى إلا أن تحقق الملائمة بين عروضي الشعر والموسيقى (أوا داوا مثلا) وقد يستعملها المغني لاستظهار اللحن بكامله قبل أن يتذكر الشعر أيضاً.

يتكون أحيدوس غالبا في دائرة من الراقصين والراقصات حيث تتصل الأكتاف مع بعضها رجلا فامرأة فرجل وهكذا دواليك، وهذه الدائرة تنتج تموجات مع الإيقاع والنغمات وتتيح المقابلة بين دوري الغنائي الثنائي ؛ ويبدأ الراقصون في حركات تكاد لا ترى تفاصيلها لأن الجميع يستسلم للإيقاع يقودهم للحركات المطلوبة فتلتقط الأجساد نبرات الضروب فتتأرجح وتجعل هذا الإحساس يمر من كتف لأخرى.

وفي كل مرحلة تتنوع الحركات بحيث تكون الأكتاف المتصلة مقرونة بحركة داخلية للأيادي نحو مركز الدائرة، ثم دوران بسيط يمنة ويسره، ثم حركات للأيدي كذلك أماما وخلفا نحو الصدور متشابكة الأصابع أو متصلة ببعضها في رفق ؛ وفي مرحلة أخرى يتوقف الدوران ليستند الجسد على أحد الأرجل بتنكيس الخصر فتبدأ التشكيلات المختلفة لحركات الأكتاف والأيدي والأرجل بقيادة وتنسيق أحد الضابطين لإيقاع البندير وفي العادة لا تنحني المرأة بل تكتفي بالإيماء ؛ وفي فترة أخرى تنفصل الأكتاف كذلك لتسمح بحركات مختلفة في شكل انحناءات وتأرجحات الجسد وحركات الأيدي.

لكن الواضح أن كل قبيلة تمزج حركاتها بشكل خاص ولو باعتماد نفس العناصر : حركة الأكتاف متصلة ومنفصلة، حركات الأيدي متصلة ومتشابكة ومنفصلة، حركات الأرجل المتبادلة، تأرجحات الجزء الأعلى من الجسد، الإنحناءات والتموجات الجسدية.

قد يعتمد الراقصون فيما بينهم شفرة معينة للتواصل، كأن يقوم العازف الأساسي مثلا برفع البندير أو إدارته حول الإبهام للإعلان عن توقف الرقصة زمنا يكفي لتسخين البنادير وبداية فترة أخرى من الرقص.

موضوعات الأحيدوس كثيرة ومتعددة بعضها في الدفاع عن الدين والايعاز بالتقوى، وبعضها يتطرق للحياة الاجتماعية، وأخرى للحب والهيام، وأخرى أيضاً للنقد تارة والموعظة طوراً ؛ كل غناء يوافق حصة من الرقص يفصل بينها توقف يسير لربما أطلق أحد الراقصين العنان لصوته بموال يدعى "تماوايت" وهذا الموال يمكن اعتباره شعارا صوتيا يعبر في اختزال عن الأطلس المتوسط.

تماوايت إذن هي غناء مرتجل يتكون من أربعة أشطار يؤديه صوت قوي وجميل يستحق بعد كل فصل تصفيق الحضور وزغاريد النساء. وتماوايت نداء للحب كما هو نداء للتعبئة الجهادية ومناسبة مواتية للحديث عن حال المجتمع، وهو كذلك وسيلة للتواصل في القرية سواء داخل الأحيدوس أم في حقول العمل. ومن مكان لآخر في القرية تتعالى نداءات تماوايت بألغازها لتسر الرتابة والوحدة وقد ينشأ حوار تلقائي بين عدة أماكن من الجبل.

وقد سادت بشأن أحيدوس بعض التأويلات التي ترجع الرقصة إلى أصول جاهلية ووثنية بدعوى أنها من رواسب الطقوس القديمة المتعلقة بتقديس الأرض والشمس تارة، أو تستمد جذورها من عبادة اليونان لديونيزوس. لا شيء يجعلنا ننساق وراء هذه التأويلات. نعتقد بالمقابل أن الرقصة في نفسها عناصر الدلالة والمرجعية الكافية في النشاط الاجتماعي الأمازيغي، لكنها ككل الرقصات قد تتعارض مع مبادئ المتشددين في منع الاختلاط ومنع الرقص والموسيقى. ليست الأصول الوثنية، التي لا نعلم ماذا فعل بها الزمن من أكثر من إثني عشر قرنا، هي التي ستحدد رمزية الرقصة، بل هي مقتضيات التماسك والتآزر والتواصل.

فلنأخذ مثلا أسطورة إملشيل في شرق الأطلس الكبير: يحكى أنه في زمن غير معروف، كان هناك شاب وفتاة منعهما الأهل من الزواج رغم حب كبير نشأ بينهما، فاستسلما للبكاء حتى امتلأت الأرض بعبراتهما، ونشأت عند ذلك بحيرتان هما "إسلي" (الزوج) و "تسليت" (الزوجة). وقد لجأ الحبيبان إلى الولي الصالح سيدي حماد أولمغاني، حامي إملشيل، فمنحهما رعايته وفرض على القبيلة أن لا يتعرض أحد سبيل المحبين ؛ وفي رواية أخرى نجد أن الحبيبين قد تحولا من كثرة الحزن والبكاء إلى بحيرتين. وتقول الأسطورة أيضاً إن القبيلة منذ ذلك التاريخ أصبحت تنظم موسما للخطوبة مبدأه الإتفاق الحر بين الزوجين وعقد قران جماعي في القبيلة لتخفيف المؤونة ماديا على العرسان الجدد.

في أحيدوس كذلك إعادة إنتاج للحركات اليومية التي نشاهدها في الحقل وكل مجالات عمل الرجل والمرأة على السواء، حيث نستطيع المقارنة بين أية حركة في الرقصة وما قد يقابلها من حركات العمل (حرث وزرع للبذور، وهش على الماشية، ودوران على الساقية، وطحين للحبوب، وحصادة ودرس...)، كما أن الرقصة إذ تعبر عن اتحاد الجهود والتآزر لا يتنافى فيها ذلك مع تخصص كل فرد فيما يوكل إليه من دور في العمل الجماعي.

وتتغلب مبادئ القبيلة في الرقصة على أية اعتبارات أخرى، بحيث يحدث أن ترقص المرأة إلى جانب رجل ليس من محارمها، لأن الرقصة تستدعي ذلك، وما وجود رقصات تجعل فيها النساء خماراً على أكتافهن ونقابا على وجوههن إلا تعبير رمزي لا يمت للحجاب الشرعي بصلة، بل هو شرط للرقصة يشبه القناع في المسرح الإغريقي، وظيفته التركيز والإنسجام.

كلمة أحواش مصطلح يطلق في مناطق مصمودية مختلفة، أبرزها منطقة سوس، على نوع من الرقصات الجماعية تجتمع به القبائل والمداشر المعنية في مكان رحب يسمى "أسايس" (ساحة الرقص) ومنهم من يسميه "أسرير" أو "أساراك" يجتمعون لإحياء رقصة أحواش وما يتعلق بها كسهرة فنية أدبية راقصة، يفسحون المجال لكل من يستطيع الإسهام برقصه أو شعره أو غنائه أو إيقاعه.

لكي يكتمل الأحواش يلزمنا إذن أربعة عناصر وهي : الشاعر والراقصون والموقعون والجمهور. فالشاعر يسمى "أمرير" أو "أنظام" وهو مثال للنخوة، لا يتجول بين القبائل، ولا يتكسب بشعره كما يفعل "الرايس" مثلا.

والراقصون يسمون "إمسوسن" وهم عصب الرقصة وزينتها يصطفون وينتظمون ويمتثلون لإشارات أكبرهم خبرة ويسمّى "أعلام" (بتشديد اللام)، وهذا الشخص القائد سنجده في رقصات أخرى يتحكم في سيرها لأنه يجمع ما بين دقة الحركة والذوق اللازم ومعرفة الإيقاعات والأوزان والألحان.

أما الموقعون أو عازفو الإيقاع، فيدعون بـ"إنقارن" يوزعون الأدوار في ما بينهم ويمنحون للراقصين ديناميكية وأرضية قوية للحركة. وأخيرا ليس هناك أحواش بدون جمهور يشجع، ويصفق، ويثير حماس الشعراء. لكن مفهوم الجمهور هنا يختلف عما نعرفه عادة كلما تعلق الأمر بالفصل بين العرض والتلقي في فنون أخرى. ففي أحواش يمكن للجمهور أن يشارك وأن يتحول في بعض الأحيان من موقع المتفرج إلى موقع آخر داخل الأحواش يمارسه مع من كان يتفرج عليهم فقط.

لعل أنسب وقت لأحواش هو تلك الساعات الليلية الجميلة التي تتخذ من الصيف زمنا لها ومن البادية السوسية والمصمودية موقعا، حيث يشكل هذا الفصل مبررا للحفلات والأعراس تتيمن بموسم فلاحي مليء بالعمل والضنك. لذلك حين ينتهي الناس من جمع محصولهم من الأرض وثمار الأشجار، ويتفرغون لزيارة الأحباب وعقد الزيجات ولإقامة الحفلات المختلفة، تنشأ الحاجة إلى رقصة أحواش العريقة.

وقد تكون لكل قبيلة أماكن معلومة لتنظيم هذه الرقصة حيث يلتقي أبناء القبيلة في ساحة رحيبة تسمى "أسايس" تكون رقصة أحواش متضمنة لعدة عناصر نجملها في ثلاثة وهي المناظرة الشعرية أو الإنشاد، الرقص الجماعي أو الثنائي، الحوار والحكي (تازرارت) ؛ وكل من هذه العناصر قد يستقل بفن قائم الذات. لكن جودة الأحواش هي قبل كل شيء من جودة شعرائه، فهم من يمنح المناسبة أجمل معانيها ومن يصبغ على المواقف زخما من الشاعرية والرمزية والإيحاءات.

تختلف الرقصة من منطقة إلى أخرى في حركاتها وإيقاعاتها وألحانها وأوزانها وأسمائها ومصطلحاتها الفنية ومراسيمها وألبستها. لكنها في الغالب تتأرجح ما بين قطبين، أحدهما أمازيغي خالص والآخر ينبئ عن ارتباط مع العمق الإفريقي. وفي ذلك نسمع مثلا عن نوعين "أشلحي" و"أبودرار". أشلحي يقتضي استعمال البندير وأبودرار يقتضي وجود الطبل الكبير "كانكا" (بالجيم المصرية).

حين يقبل الليل يتوافد الموقعون ببنادير هم : إنهم "أيت أوحواش" (أهل الأحواش)، وتجتمع عناصر الرقصة تدريجيا في نفس المناسبة تتحلى النساء بما لديها من جواهر وتتهيأ لدخول الرقصة. ينطلق في الأفق صوت حاد لأمرير الشاعر مقترحا أول مقاطع الغناء فترددها الجماعة قبل أن تلتحق بهم الفرقة المكلفة بالإيقاع الذي تتنامى فقراته تدريجيا من البطيء إلى السريع.

المشاركة في الأحواش ليست فقط لمجرد الترفيه : إنما تمنح الفرصة لحل بعض النزاعات داخل القبيلة. ستستعمل المناسبة وخصوصا الحوار الشعري "أبراز" وسيقبل المتنازعون تحكيم القبيلة في الأحواش حيث تستطيع الرقصة أن تنزع فتيل المشكل، وتبسطه فتجعله شيئا تافها. حيث يشارك الجنسان في الرقصة، يكون التمييز بينهما واضحا (فمجموعة النساء مقابلة للرجال أو في صف أو دائرة حولهم) وفي أماكن أخرى أحواشات غير مختلطة منها ما هو للنساء فقط، وأخرى للرجال فقط.

الإيقاعات كثيرة ومتنوعة في شكلها وطبيعتها وهي تحبل بمواقع النبر وتنويعات الأداء ؛ وخلافا لأحيدوس تتوافر لأحواش ممارسة متطورة للتعدد الإيقاعي المتزامن، ففيه نجد تقنية التوزيع بين الآلات لكل منها ضرب خاص، وفي جنوب المنطقة السوسية وشرقها نجد الطبل مثلا يمسك بالوحدات الكبرى للجمل الغنائية والثقيلة، كما يتدخل مرات بأزمنة مضادة للدفع بالجميع إلى حركية جديدة.

أما المقامات فهي ذات طابع خماسي النغمات ثابتة السلاليم، إذ يسهم في دقتها وجود آلة نغمية من قبيل الناي المعدني "تالعوات" التي تسبق الغناء بتقسيماتها الحرة في ما يدعى بـ"أستارا" (أي التجوال).

لكل منطقة أحواش خاص يمكن أن يكون مختلطا أو منفصل الجنسين، بغناء أو بدونه، لكن الراجح أن تتحد في الأحواش عدة كفاءات في الرقص والغناء والشعر والإيقاع. وفي هذه الحالة تكون القيادة ثلاثية بين الرايس وأعلام وأمرير الشاعر وينسق الثلاثة حركاتهم وتدخلاتهم لنجاح كل فقرات الرقصة. ويستعمل الراقصون كل إمكانات الجسد لمحاكاة الإيقاع وتثبيته كالتصفيق والركز متعدد الضربات "تامريقت اودار" وطائفة أخرى من التعابير الجسدية.

يبدأ الأحواش كما أسلفنا بأستارا حيث يقوم عازف الناي بارتجالات نغمية تهيء السامع وتنبه الراقصين وتعين الشاعر على استبطان جو الغناء وكل من لبى النداء والتحق بفضاء أسايس فقد دخل في الرقصة.

يقترح الشاعر أول مزدوجة شعرية في شكل بيتين أو شطرين "نيتماتين أو مارك" يسمى البدء في النظم عند بعضهم "يوسي أراسال"، ويكرر الشاعر هذه المزدوجة مرات حتى يستوعبها الحضور فينطلق الغناء الجماعي في قوة ويقتسم الجملة فريقان يقومان بالغناء بصفة تبادلية بديعة، وغالبا ما يتأخر نقر الإيقاع حتى يبدأ الغناء بزمن يسير. يتحرك الإيقاع رصينا ثقيلا فنقول "إزاي" ومعنى الكلمة أنه ثقيل، ويصل تدريجيا إلى مرحلة السرعة الفائقة فنقول عنه هذه المرة "إمسوس".

حركات الأحواش كثيرة يصعب حصرها لأنها تستنجد بالأجساد والأيادي والأرجل والتصفيق. كما أن الرقص الجماعي قد يضيف حوارات راقصة لها حكايات رمزية. لذلك يجب أن تعتمد الدراسة على نماذج بعينها تشتهر بغنى الحركات وجمال التنسيق بين الراقصين ومن تلك النماذج على الخصوص أحواش ورزازات أحواش أولوز أحواش إيمينتانوت وقاسمها المشترك : أن المشاركة فيها متاحة للرجال والنساء، أن الرجال يقومون بدور المصاحبة الإيقاعية والموسيقية بينما تحيط بهم النساء وتقمن بتأمين الرقصة وأن عناصر أحواش الكامل الموجود من نظم وغناء ورقص وإيقاع وموسيقى.

في نموذج ورزازات تتبادل النساء الأدوار في غناء جملة موسيقية رباعية المقياس والوزن في نفس الوقت بعد أن يكون الأحواش قد خرج من المرحلة الأولى في "إزاي" التي تشبه النداء الجماعي غير المحدود بإيقاع إلا ما كان من نقرات متفرقة للطبل الكبير تتدخل مصحوبة بنقرات متتابعة متصلة للبنادير في ما يشبه طلقات البارود.

في نموذج إيمينتانوت يصل التبادل والتناظر الغنائي مداه بحيث لا يكتفي الفريقان بتبادل الغناء حول جملتين بل يتقلص العمل فيهم شطرين من نفس الجملة. وهنا يغني الرجال مثلا لوحدهم جملة موسيقية من أربعة مقاييس رباعية الزمن فتعيد النساء نفس الجملة في طبقة صوتية خماسية الزمن، وينتقل المقياس من أربعة أزمنة إلى ثلاثة تهيئا للتقليص والسرعة، وتمس السرعة كذلك مبدأ التناول التبادلي للغناء بحيث يصبح ذلك حول أجزاء الجملة الواحدة خاصا بمقياسين فقط من الوزن الثلاثي فتختتم الحصة إذن بالمرور من وزن بسيط إلى مقابله المركب والسريع.

ولا يقتصر الحوار على الغناء فقط بل تشارك فيه كل ملحقاته، فالبنادر تشارك، والتصفيق يشارك، والحلي نفسها تشارك، بحيث نجد أن في لحظة من اللحظات المتسمة بالهدوء، تصمت الآلات ويحجم الراقصون عن الغناء فنسمع للحلي خشخشة معبرة تملأ السكون قبل أن يستأنف الجمع غناءه وحركاته.

بعد أحيدوس وأحواش، هناك رقصات أخرى تزكي

صفة الفسيفساء التي نعت بها فنون المغرب وحضارته وهو الشيء الذي تبرز معه خصائص جهوية وتتمحور حوله إشارات خاصة ودالة ورمزية لها أصول في الثقافة المحلية. وتتوزع هذه الرقصات في اتجاهين متباينين تارة ومتكاملين تارة أخرى هما الإغواء والقوة، وبعبارة أخرى الأنوثة والذكورة، سنستعمل هذين المحددين لغرض العرض فقط، علما بأن الحدود تكاد تنتفي في الرقصة ما بين التعبير الغرامي واستعراض القوة.

وإذا كانت الرقصات ذات الطابع الحربي رقصات رجالية تستعمل القوة والترهيب والتخويف، ولها أدوات تحمل دلالاتها معها (الخنجر، السيف، العصا، البندقية، محافظ وأوعية البارود، وجود الفرس...) فإن الرقصات الوجدانية تعتمد على الحوار الغرامي صريحا أو رمزيا، فتبرز فيها المرأة بأنوثتها وحليها.

لكن المظاهر الخارجية للرقصة ليست هي التي تحدد طبيعتها الحربية، لأن الأسلحة المذكورة قد يتم توظيفها للترميز إلى الذكر في حواره الغرامي، دون أن تكون لها وظيفة قتالية، لذلك فالرقصات الحربية التي تغيب المرأة هي تلك التي تنبئ عنها حركاتها المومئة بالمبارزة والصياح والركز والمتزن وطلقات البارود والفروسية وأساليب المراوغة والتخفي، ومن أمثلة ذلك رقصات شرق المغرب، إهياضن (أولاد سيدي حماد أوموسى)، أقلال، وتاسكيوين.

في رقصات شرق المغرب (العلاوي والمنكوشي والنهاري) تعبير خالص عن مجتمع الرجال وعن قسوة الطبيعة، وتذكير بالفروسية والرماة، ويظهر ذلك في اللباس والأدوات وفي الحركات القوية ونظام الإشارات بالكر والفر والتنسيق في حركات الأكتاف والأرجل.

من أدوات الرقصات المذكورة نجد العصا والبندقية توحي بصفة مباشرة إلى جو القتال والتدريب الحربي، كما أن الراقص الفارس يبدو ممنطقا بحزام أوعية للبارود وأسلحة شخصية ؛ وفي كل رقصة يمكننا أن نميز في اللباس والهيئة ما بين ثلاثة فئات : "العرفا" وهم أصحاب الإيقاع، والشيوخ وهم الموسيقيون، و"البارديا" أي الفرسان الرماة ؛ هؤلاء يلبسون زيا فاخرا بينما يفضل الآخرون تبسيط لباسهم حتى تسهل حركاتهم في الرقص.

وكما في فيالق الجيش يعتمد الراقصون على شفرة معينة لتنسيق الحركات وهي ألفاظ تحيل على ضربات محددة في العدد ونسب الإيقاع، منها مثلا "السبايسية" و"العرايشية" و"الصقلية" و"البونت" أما حركة الأكتاف فيسمونها "تزلويجة".

"إهياضن" هم أحفاد الولي الصالح سيدي حماد أوموسى، الذي ولد في بومروان جنوب أگادير سنة 1450 م، وهذا الولي تنسب له الذاكرة الشعبية قدرة جسمانية خارقة وألعابا بهلوانية خاصة، كما أنه اشتهر بكشف ما يخفيه المتحدث أمامه، ومعرفة منطق الحيوانات، وتحويل الرمل إلى ذهب، وشفاء المشلولين، ومنح الخصوبة للنساء والحيوانات والنباتات.

اشتهر أتباعه بالجهاد والرماية والألعاب البهلوانية، كما اشتهروا بنزوعهم إلى التجوال داخل القبائل المصمودية عامة والسوسية على وجه الخصوص، وذلك ما أهلهم لمعرفة الأخبار وتكوين قاعدة فنية مشهود بقيمتها كخبرة قديمة في الرقص والألعاب البهلوانية.

أما في سهول درعة والمناطق السابقة عن الصحراء فنجد رقصة أقلال في صيغتين : أولاهما يعطي الأهمية للغناء الجماعي الرتيب تصاحبه ضربات الدف المربع ونغمات الناي في إيقاع رباعي رصين، وثانيهما تفرد للمبارزة بالسيف حيزا معلوما يسمى "صقل السيف".

تتكون الفرقة من الرجال في عدد لا يقل عن سبعة أفراد : راقصي السيف، وعازف ناي، وأربعة من أصحاب الإيقاع يستعملون الدف المربع والهراز، ويغنون في بساطة جملا بطيئة توافق نبر الإيقاع نفسه.

هذا البطء في الإيقاع يفرض بطءا في الرقص وإيحاء بالمبارزة قد نجد له مثيلا في العرضة النجدية أو رقصات حضر موت، مما يتيح لنا البحث عن أصول غابرة لم تكن القرون المتعاقبة كافية لمحوها.

في جانب آخر نجد رقصة تاسكيوين تمثل لنا أبرز مثال وأوضحه للرقصات الحربية، إذ اجتمعت فيها كل مقومات النوع، إذ يثبت كل راقص على كتفه الأيسر هلالية من البارود "تيسكت" (مفرد تاسكيوين)، ويتمنطق بحزام المقاتلين ويأتي بخطوات متنوعة تفيد بأنه داخل فصيلة من الجيش، كما نجد محاكاة لطلقات النار في نقرات التعريجة، تصاحبها صيحات وتوقيع منتظم بالأرجل.

يقوم الراقصون بإنجاز مجموعة من الإيقاعات بخطاهم المنتظمة : مرة في صف مستقيم حيث يسير الراقصون خلف بعضهم، وأخرى في اتصال للأكتاف، ثم دورات ذات اليمين وذات الشمال. تعتمد الخطة الإيقاعية للرقصة على تناوب الموازين المختلفة.

إيقاع ثنائي القسمة من أربعة أزمنة، يعقبه إيقاع ثلاثي القسمة ثنائي الزمن يتميز آخره بنبر قوي، ثم إيقاعات متصلة من ستة وعشرة أزمنة، ثم انقطاع على إيقاع أعرج من خمسة أزمنة، فعود على بدء.

ويظهر أن التشكيلات المختلفة تلبي حاجة الراقصين إلى مصاحبة التغييرات التي تطرأ على حركاتهم.

في جانب آخر تبرز الكدرة لتؤثث سهرات بعض القبائل المتاخمة للصحراء والتي تتخذ من كلميم مركزا لها. ما الذي نراه سوى امرأة تزاوج بين الحجاب والسفور، تظهر يداها منقوشتان بالحناء الصحراوي الأسود، تتفاعل مع الإيقاع المتصل الرتيب وتسهم بحركاتها في تصعيد التوتر بينما يصاحبها الحضور من نساء ورجال بالغناء والتصفيق.

هذه المرأة القوية هي رمز المرأة الصحراوية "القادرة" نشتق اسم الرقصة بإبدال القاف جيما مصرية، بينما الخطأ

الشائع يلصق التسمية بآنية الإيقاع. تتصدر الراقصة مجلسها وهي على ركبتيها في وضعية بين القيام والقعود، تستعمل حركات اليد والأصابع وتميل برأسها ونصفها الأعلى يمنة ويسرة، وهي غالبا ما تغمض الجفون تحقيقا للخشوع إلى غاية الدخول في شبه إغماءة.

من الخصائص الفنية لهذه الرقصة أنها في تفردها تزاوج بين الأدائين الفردي والجماعي وتقيم توازنا فعلا بين الإيقاعات الثنائية والثلاثية.

على بعد نحو أربعين كيلومترا جنوب أگادير، توجد قبيلة هوارة ذات الأصول العربية والتي امتزج فنها بما أبدعته القبائل الأمازيغية المجاورة. تنتظم الرقصة في شكل صف من الراقصين الرجال ومعه في كل جانب راقص فردي إمرأة ورجل سيكون عليهما أن يؤديا حركات حوارية ترمز إلى المبارزة والإغواء.

أهمية هذه الرقصة في ثراها الإيقاعي أولا وفي قوة التعبير في الحوار الراقص، إنها متتالية مضبوطة من المقاييس والموازين المعقدة، إذ نصادف أهم الإيقاعات الخماسية والسباعية في تناوب بديع مع الإيقاعات الثنائية والثلاثية المألوفة في رقصات أخرى، والتي تبين براعة العازفين الهواريين وتقسيم الأدوار فيما بينهم بحيث يحتفظ "الناقوس" عادة بالضربات المتصلة المتساوية، بينما البندير ينوع في الضروب ويفاضل في الأزمنة إذ يرتجل تأخيرات في النبر وتنويعات في الأزمنة المضادة وصروف التثنية والتثليث والتركيب.

تقول إحدى الأساطير المؤسسة لرمزية الرقصة إن أفعى عظيمة حالت بين القوم ومنابع المياه فتطوع أحد الرجال لملاعبتها وسحبها تدريجيا خارج مجال الماء، وهكذا ستعتمد الحركات على القفز ودوران الراقص والراقصة على نفسيهما فيما يشبه مراقبة الغريم لغريمه.

وعرف المغرب الرقص الحديث في اتصاله مع الحضارة الأوربية الحديثة رقصات أخرى استهوت الشباب فقلدوها ؛ ولم يقتصر الأمر على فن الباليه الذي ظل انتشاره محدودا في بعض المدن الكبرى حيث توجد المعاهد الموسيقية والمدارس الحرة لفنون الرقص، بل تعداه إلى الرقصات المرتبطة بالمنوعات الغربية التي وصلتنا بالوسائط الإعلامية المتعددة عبر "موضات" متعاقبة (الجاز والشارلستون قبل الروك والجيرك والتويست وقبل موجات البوب والديسكو والرقص الحديث).

في مجال الرقص الكلاسيكي، قليل هم المغاربة الذين أنتجوا نشاطا يستحق الاهتمام رغم أن هذا النوع يدرس بالمعاهد الموسيقية منذ مدة طويلة فيما يناهز نصف قرن، لأن النجاعة تقتضي مساندة مجتمعية لكل ممارسة، وفي غياب هذه القاعدة نجد بعض الجهود المحمودة تتطور نحو أسلوب مغربي يحاول المزج بين التراث الشعبي والإنفتاح على الرقص الأكاديمي المعاصر الذي يرتبط مع التيارات العصرية في المسرح وينهي الانغلاق القطاعي بين الفنون.

أحمد عيدون

**الرقعي، محمد** (الحاج -) **الخياط**، أصله من رقعة وهي من قرى بلاد لمطة قرب فاس. استوطنت أسرته مدينة فاس بحي الشرشور. وبعد وفاة والده انتقل إلى قبيلة بني مستارة وعاش تحت كفالة خالته، وبها حفظ القرآن وتفقه في الدين. اتصل بالشيخ عبد الله بن إبراهيم العلمي مؤسس الزاوية الوزانية وأخذ عنه التصوف وصار من خاصة أتباعه، ثم عينه مقدما على أتباع فاس، وأسس بعد وفاته أول فرع للزاوية الوزانية في درب الشرشور بحي الشرابليين. اعتبر القادري الحاج الخياط الرقعي من مشاهير أولياء فاس، وتتجلى هذه الشهرة في كثرة أتباعه وشعبيته في صفوف العامة، وإليه يرجع الفضل في التعريف بالطريقة الوزانية بمدينة فاس. توفي عام 1115/1703 ودفن بزاويته التي بنى عليها السلطان مولاي إسماعيل قبة، والتي أصبحت مقرا خاصا بفقراء تلمسان وتافيلالت وتوات القاطنين بفاس.

محمد القادري، *نشر المثاني*، ج. 2، الرباط، 1982، ص. 149، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج. 1، طبعة حجرية فاس،1899، ص. 230 - 231.

محمد عمراني

**الرگ** أو الرگ (جغرافيا) ← **الصحراء**

**الرِّق** أو الاسترقاق في المغرب مؤسسة اجتماعية قديمة قامت على أسس شرعية وأخرى عرفية. والاسترقاق هو أكثر أشكال الإخضاع والإكراه قهرا وإرغاما لبني البشر، ومن سماته الأساسية العمل وتقديم الخدمات بالقوة، كما يكون الفرد الواقع في الرق في ملكية شخص آخر، فيصبح ملزما بالرضوخ لطلباته مهما تعددت وتنوعت. والظاهر أن بدايات الاسترقاق في المغرب تعود على الأقل إلى فترة الاحتلال الروماني، حيث كان العبيد يشتغلون في الفلاحة واستخراج المعادن، دون أن يشكلوا أغلبية العاملين في الزراعة. وكان عدد السود ضمنهم نادرا، وتقدمهم مختلف الفسيفساء خداما لدى بعض العائلات الثرية. ومن الصعب جدا معرفة الكيفية التي وصل بها العبيد السود من قلب إفريقيا إلى ضفاف المتوسط، نظرا للصعوبات الكبيرة التي كان يطرحها التنقل عبر الصحراء إلى حدود القرن الرابع ق.م.

وفي أعقاب نمو تجارة القوافل مع الفتح الإسلامي، أثار ذهب السودان والعبيد انتباه تجار القوافل المغاربيين. ويذكر الإدريسي بأن المغاربة كانوا يبيعون هناك الصوف والنحاس والمصنوعات الزجاجية، ثم يحصلون مقابل ذلك على الذهب والرقيق. لكنه لا يعطي أي أرقام. وبصفة عامة، يؤكد الباحث محمد الناجي الذي أنجز دراسة رائدة في الموضوع اعتمدناها أساسا في تحرير هذه المادة، أن البدايات الأولى

للرقيق الأسود في المغرب قديمة جدا دون شك ومع ذلك فإن دراسة الموضوع بنوع من الدقة والشمولية تظل ممكنة لأسباب كثيرة بالنسبة لمغرب القرن الثالث عشر (19 م)، وبالرغم من محدودية هذه الفترة المدروسة، فإنها كافية لتقديم صورة عامة عن واقع الاسترقاق في تاريخ المغرب، لكن مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار للمستجدات الطارئة على الساحة المغربية، ومن أهمها وجود الحركات المناوئة لبقاء الاسترقاق واستمراره في بلدان العالم الإسلامي.

ويبدو أن الأوربيين ممن زاروا المغرب كانوا يعانون من لبس واضح في مخيلتهم عن لون الرقيق في أرض المغرب، إذ منهم من كتب في رحلاته بأنهم بيض، بينما أكد آخرون بأنهم قد كانوا سوداً. وأجمع جل الزوار والرحالة الأوربيين على أن الرقيق في المغرب وفي جنوب حوض البحر المتوسط بوجه عام كانوا يحظون بمعاملة طيبة لا علاقة لها إطلاقا بالقساوة الشديدة التي كان يُعامل بها الأفارقة السود في أمريكا. أما في المغرب، فقد وصفهم الأوربيون بأنهم عبارة عن خدم يتمتعون بمعاملة جيدة ويحاطون بكثير من العناية من حيث الطعام واللباس والإيواء، بل وأنهم عادة ما يحتلون مكانة هامة في بيوت أسيادهم.

وإذا كانت الأرقام الخاصة بالرقيق خلال الحقبة الوسيطية والحديثة نادرة جدا، فإن الأمر يظل صحيحا حتى بالنسبة للقرن الثالث عشر (19 م)، وذلك على الرغم من وجود معطيات إحصائية لا يستهان بها لكنها متناقضة : إذ تبلغ أعدادهم حسب گرابير Graberg، حوالي 120.000، بينما يرى گودار Godard، أن هذا الرقم لا يعبر عن الواقع لأنه لا يدخل في الحساب الجهات الشمالية التي تتوفر على ساكنة هامة من العبيد السود والملوَّنين، فيقترح رقم 500.000، وهو ما يعادل عشر مجموع سكان المغرب وقتئذ. بينما قدرت "الجمعية البريطانية المناوئة للاسترقاق" عددهم سنة 1885 بـ 50000 فقط. أما ريدجواي Ridgeway مبعوث العاهلة ڤكتوريا إلى المغرب، فقد تحدث في تقرير عام أنجزه حول أوضاع المغرب العامة عن وجود ما لا يقل عن 300.000 من الرقيق في المغرب سنة 1893.

إن هذه التقديرات المتضاربة وإن كانت لا تخلو من أهمية، في غياب إحصاء رسمي دقيق، لا تميز بين العبيد الحقيقيين والأحرار المعتقين. ومع ذلك فهي تعبّر عن الإحساس العام السائد آنئذ عند الأوربيين والذي كان يفيد بأن عدد الرقيق في المغرب كان كبيرا. وفضلا عن ذلك يحتل الرقيق مكانة واضحة في الذاكرة الشعبية المغربية بفعل حضورهم القوي في الأساطير الشعبية وفي قصائد الملحون بصفة خاصة. أما في جنوب المغرب، فإن الطبونوميا تذكر الأحياء بوجود أسماء معروفة لبعض العبيد، وتكفي العودة في هذا السياق إلى كتابات المختار السوسي.

وبوجه عام، تختلف وضعية العبيد في المجتمع المغربي البائد حسب وجودهم في البوادي أو المدن. ففي المدن، يتحدث لوطورنو Le Tourneau، عن بضعة آلاف بالنسبة لفاس، ويشير إلى أن وجودهم كان ملحوظا جدا للأجانب في مراكش دون أن يقدم أرقاما تعزز أقواله. وكان امتلاك خادمة واحدة على الأقل من الضروريات في الحواضر. وإذا استندنا إلى فتوى فقهية قدمها عزوز بن المفضل، فإن الرجل الغني هو الذي يملك المال والماشية والعقارات وليس هو الشخص الذي يملك مسكنا لائقا وجارية تخدمه وما شابه ذلك. أما الثري حقا، فهو الذي يملك فضلا عن أشياء كثيرة عدداً كبيراً من الرقيق. أما بسطاء الناس وعامتهم، فعادة ما كانوا يشترون رقيقا قبل الزواج، إذ تعتبر النساء المقبلات على الزواج الحصول على خادم أو خادمة من العبيد شرطا أساسيا. ويتجاوز الأمر هنا مسألة التخفيف عن صاحبة البيت من مشاق العمل المنزلي اليومية، لأن امتلاك أمة سوداء اللون هو من بين الأشياء المطلوبة والتي ترفع من مستوى وقيمة ربة البيت، خاصة وأن تلك الأمة يمكنها أن تقدم للزوج خدمات من نوع خاص ربما ترفض الزوجة الحقيقية تقديمها إلى زوجها.

ولم يكن استرقاق السود في مغرب الأمس أمرا قاصرا على الحواضر، إذ تكشف بعض الوثائق المكتوبة عن حضورهم القوي في البوادي المغربية وفقا لما يشبه خريطة لتوزيع الرقيق، وذلك مرورا بأراضي الغرب شمالا إلى أقصى السوس جنوبا. ففي دواوير منطقة الغرب، يمتلك السكان رقيقا أسود من كلا الجنسين، وإذا كان الاسترقاق نادرا في منطقة جبالة، فهو كثير في جهات أخرى. ففي الشاوية مثلا، هناك حضور هام للرقيق في البيوت، كما تمتلك الزاويا العشرات منهم. وفي الجنوب، تخبر الوثائق المحلية بوجود أعداد مهمة أيضا في أراضي إداوتنان. وعلى أبواب المناطق الصحراوية والواحات، يرتفع عددهم إلى درجة أن الأشغال اليدوية تكاد تصبح من اختصاصهم دون غيرهم. وفي الصحراء ذاتها، فقد كان الرحل الميسورون يملكون عددا من الرقيق في خدمتهم. أما في سوس، وهي المحطة النهائية للقوافل، فقد كان الرقيق الأسود عملة رائجة إلى حد بعيد، وتوجد في كتابات المختار السوسي نماذج لأثرياء يملكون أزيد من خمسين رقيقا يحرثون الأرض. ومن بينهم أحد العلماء الذي كان يملك حوالي السبعين من العبيد الذكور المتزوجين والذين يعتنون بممتلكاته تحت العيون اليقظة لبعض أقربائه.

وكانت الأسر القوية النفوذ في المنطقة، كما هو الحال مع آل بيروك، يملكون أعدادا كبيرة من العبيد ربما تتجاوز كل التقديرات : حوالي 150 حسب الضعيف الرباطي. كما كانت تحتضن زاوية إليغ حوالي 700 من الرقيق، لكن عددهم تراجع بتراجع مكانة دار إيليغ، فتحولوا تدريجيا إلى مزارعين، أو هاجروا نحو المدن بل وإلى أوربا. وفي أقصى الشمال، ترددت الأقوال بأن الشريف عبد السلام

الوزاني كان يملك 700 من العبيد. غير أن كل الأرقام الواردة أعلاه لابد أن تستعمل بكثير من التحفظ.

وفي مناطق المغرب الداخلية، هناك من الأثرياء من كان يكتفي ظاهريا بعشرات من العبيد حتى لا يكشفوا عن درجة ثرائهم الحقيقية، خوفا من إثارة انتباه موظفي المخزن الذين لا يمكن أن يسلم من تهديداتهم سوى المنحدرين من أصول عريقة لها مكانتها التقليدية، أو الأفراد الذين يمارسون مهام معينة لفائدة المخزن. ففي أواسط القرن الثالث عشر (19 م)، بلغ إلى علم السلطان عبد الرحمن بن هشام أن قائد دكالة البوعزيزي محمد بن إبراهيم كان يملك 400 من العبيد. وأن عائلة أوبيهي الحاحية تملك أزيد من 300 من الرقيق. ومن غير المستبعد أن يمتلك بقية القواد الكبار أعدادا مماثلة على الأقل : فقد اشترى أحد سماسرة الگندافي تسعة عشر عبدا في صفقة واحدة، كما كان الأگلاوي يقدم هداياه على شكل عشرات من العبيد. أما رجال المخزن، فقليل منهم من كان يصل إلى مثل هذه الأرقام وفي حوزته أزيد من مائة. وفي حالة الوفاة، غالبا ما كان المخزن يضع يده على المال الناض والخيول والعبيد.

وشكل العبيد في محطات تاريخية دقيقة سنداً للسلطة المخزنية كانت أبرزها هي تجربة عبيد البخاري الذين بلغ عددهم الإجمالي حسب طيراس Terasse، في نهاية حكم السلطان إسماعيل ما بين 30000 و50000. وفي سنة 1837 حاول عبد الرحمن بن هشام جمع شتات عبيد البخاري في الشمال، لكن محاولته فشلت. وفي 1847 تجددت محاولة جمع 500 من أبناء العبيد الصغار في الشمال، لكن الحصيلة لم تتجاوز 50 طفلا، بينما فر الباقون نحو الجبال. وفي عهد محمد بن عبد الرحمن، كان العبيد الفارون من قساوة أسيادهم يُلحقون بالجيش، كما كان يتم شراء البعض منهم لنفس الغرض لكن في سرية تامة. وفي عهد مولاي الحسن استُقدمت أسر كثيرة من الحراطين من سوس لتقوية الجيش.

ويبدو أن هناك هوة ساحقة بين عبيد الخواص وعبيد المخزن الذين كانوا يسمون بالوصفان، مفردها وصيف. ويتميز عبيد المخزن بوضعية خاصة لا علاقة لها ببقية العبيد سواء في الحواضر أو البوادي. فالعبيد الذين كانوا في خدمة المخزن، ومن أبرزهم عبيد البخاري، كانوا في عداد الأحرار بحكم أنهم لا يباعون في الأسواق ولا يشترون إلا إذا اتضحت عدم قدرتهم على التعلم والتحصيل لخدمة المخزن. وكان منهم العدول والشهود وأئمة للصلوات الخمس ما عدا صلاة الجمعة التي يجب أن يكون القائم بها حراً خالصا. فالوصيف إذن هو من الرقيق الذي تمكن تدريجيا من الانفصال عن وضعه السابق كخادم، فتحول إلى صنف جديد يقدم خدمات بالغة الأهميةويقوم بمهام حساسة لفائدة المخزن في أعلى مستوياته. غير أن هناك حالات تتعلق ببيع رقيق المخزن. إذ تكشف الوثائق عن "بيع أوباش الإماء" اللواتي عُرضن للبيع في الأسواق بالمزاد العلني في لحظات متعاقبة إلى أن يرتفع ثمنهن إلى المستوى الذي يقبله الصدر الأعظم أو الحاجب. وغالبا ما كانت تعرض للبيع خادمات وفدن من القصر من تركات القواد والعمال، بينما كان يحتفظ بالجميلات منهن وباللواتي يُتقنَّ الطبخ الجيد وبعض الصنائع.

وكان لعبيد المخزن إسهام خاص في خدمة الأمراء وتربيتهم، إذ غالبا ما كانوا يرسلون إلى جهات نائية من البلاد رفقة مجموعة من العبيد يسهر السلطان الحاكم على انتقائهم بكامل العناية، فيعهد لهم بتربيتهم على شظف العيش تحت المراقبة اليقظة لأحد العبيد ممن لا يتسامحون ولا يخالفون أوامر السلطان. وخير نموذج في هذا السياق، هو مولاي الحسن الذي كانت تربيته في وسط قاحل لا ماء فيه ولا شجر بزاوية في الطريق الفاصل بين أسفي ومراكش، وذلك تحت عيون يقظة لعبيد كانوا كلهم من كبار السن وعاشوا أياما وتجارب كثيرة مع سلاطين سابقين.

أما حين يكون العبيد في خدمة السلاطين، فيسمون "عبيد الدار"، ويحتلون قمة هرم الرقيق في المغرب، فيحظون بالاحترام، بل كان يخشاهم حتى كبار موظفي المخزن المركزي بحكم قربهم الشديد من شخص السلطان. ويكون كبيرهم هو قائد المشور أو الحاجب، ثم يليه قواد المجموعات، ومنهم الفراشون، والمؤقتون، وأصحاب السجادة والموسيقيون والحجامة وقايد الماء ومُول الوضوء وغيرهم من الحمّارة والجمّالة.

وكان عدد "عبيد الدار" كبيراً ومتنوعاً، فيلازمون السلطان في حياته اليومية سواء تنقل في حركاته أو أقام بأحد قصوره، وقد يكون منهم الوصفان والأحرار. وكانت خدمة العبيد بداخل القصر تفتح أمامهم مجالا للترقية وبلوغ المراتب العالية، وهناك عدة نماذج في هذا السياق : ففي أيام السلطان سليمان، برز اسم محمد السلوي الذي أصبح وزيراً، كما سبق له أن مارس مهامه كعامل على جهات عديدة من البلاد، إلى أن أصبح "وزيرا للأجناس"، وكثيرة هي المعاهدات مع الدول الأجنبية التي تحمل توقيعاته. وهناك نموذج أحمد بن مبارك وزير السلطان سليمان الذي هيمن أحفاده من بعده لمدة قرن من الزمن على مناصب عليا في جهاز المخزن المركزي. فقد كان موسى بن أحمد حاجبا وصدرا أعظم أيام محمد بن عبد الرحمن. ثم هناك بّاحْمَاد المشهور الذي كان وزيراً وصدراً أعظم في عهد مولاي الحسن. ناهيك بالمكانة الكبرى التي بلغها الشخص نفسه أيام السلطان الفتى عبد العزيز. وقد كانوا يحظون بكل مظاهر التبجيل والأبهة، ويدفنون بعد موتهم في مقابر الأسرة السلطانية.

ويمارس العبيد على اختلاف أصنافهم مجموعة من الأنشطة المتنوعة كانت تشكل ممارساتهم في الحياة اليومية. ومع ذلك، يمكن تصنيف الرقيق من حيث الجودة

ومستوى التكوين والتربية بل والكفاءة. فالمخزن المركزي وكبار موظفيه إلى جانب القواد الكبار كانوا يحرصون بعناية على امتلاك فصيلة راقية من العبيد والإماء من ذوي المهارات الرفيعة والنادرة. وهناك مجموعة من المقاييس يمكن اعتمادها، كإتقان فن الطبخ، واللباس كمظهر خارجي، والحالة الصحية للرقيق، وظروف عيشهم بوجه عام.

وإذا تم اعتماد فن الطبخ كمقياس وعن مهارة الطبخ وعلاقته بالرقيق، فإنه لابدمن الانطلاق من التباين الموجود في جودة التغذية بين البادية والمدينة وبين مأدبات القصر السلطاني وكبار القواد. فقد وردت إشارة سنة 1885 إلى تحضير 34 صنفا من الطعام بمناسبة حفل استقبال سلطاني، فكان انبهار القواد الوافدين من مختلف أصقاع البوادي كبيرا جدا، لأن خبرة الطبخ الواسعة تلك لم تكن في متناول الجميع. وكانت الإماء الطباخات من الدرجة الرفيعة يُبعن بأثمنة عالية، وهذا في حالة عرضهن للبيع في أسواق النخاسة. ونظرا لهذه الندرة، فقد حرص المخزن على تكوين طباخيه من الطراز الرفيع بتوزيع صغار السن من الإماء على القواد والأعيان المقيمين بالمدن الشمالية بوجه خاص (حالة والدة القائد أشعاش)، ثم أعيان الرباط مثل آل برگاش، وفرج وجازوليت وغيرهم. وقد تطول فترة تكوينهن، وتنتهي عادة بتسليم اعتراف لهن بالمهارات التي تعلمنها في ميدان الطبخ.

لكن مع ذلك، يظل المغرب بعيدا كل البعد عن نماذج الجواري الوارد ذكرهن في قصص *ألف ليلة وليلة*. وإن كانت هناك حالة إحدى الجواري التي بيعت في الجديدة بألف ريال لكونها عارفة بالعزف على آلة العود وتتعاطى الآداب. بالإضافةإلى حالة السلطان محمد بن عبد الرحمن الذي كان مولعا بالموسيقى، فكلف المصاوري، وهو أحد مشاهير الموسيقى في عهده بتمرين بعض الجواري على فنون الموسيقى، وربما تابع خلفه مولاي الحسن النهج نفسه. وبالنسبة للرجال من الرقيق، كان الحرص على تعليم البعض منهم إلى جانب فنون القتال حرفا معينة مثل البناء والبستنة والزراعة بوجه عام. فكانوا يسلمون إلى مزارعين قصد تعليمهم زراعة الخضر وغراسة الكروم، وقد طرحت صعوبات كثيرة أثناء تعليمهم ولم تكن النتائج دائما حسنة. ويبدو أن أكثرهم حظاً هم وصفان القراءة الذين كانوا يسلمون منذ سن مبكرة إلى معلمين حضريين. أما عبيد المخزن، فكانت تفتح أمامهم آفاق لتعلم أمور دقيقة برفقة أمناء المراسي لتعلم الحسابات المعقدة، لأن السلاطين، كانوا يكلفون وصفانهم الذين يحظون بثقتهم بمراقبة حسابات بيت المال أو بنقل مبالغ مالية كبيرة من منطقة إلى أخرى، فكانت معرفتهم بالحسابات ضرورية لتكليفهم بمهام من هذا القبيل.

ويختلف اللباس والمظهر الخارجي للرقيق حسب مكانة السيد وثروته. غير أن عبيد المخزن كانوا هم الأفضل في هذا الباب، إذ يحصلون على كسوة في الصيف وأخرى في الشتاء. وكذلك الأمر مع عبيد القواد وأعيان الحواضر. وبالنسبة للنساء، فإن الخليلات والمحظيات أكثر حظا، وقد يحصلن على قفطان رفيع وحلي ثمينة، لكن دون أن تصل إلى مستوى ملابس وحلي الزوجة الشرعية.

وعلى مستوى ظروف العيش من سكن وتغذية وعلاج، يمكن أن يسكن بعض الرقيق في مسكن رفيع من أربع غرف يغبطهم عليها حتى الأحرار، وقد لا تتجاوز أحيانا ركنا عاديا ينزوي فيه العبد داخل بيت السيد في جو يطغى عليه البؤس والحرمان. غير أن الحياة غالبا ما تكون قاسية جدا لأولئك العبيد ممن يشتغلون في المزارع والحقول، فلا يسكنون سوى أكواخ أو نوايل من الخشب أو القش. وتكاد تكون حالات سوء التغذية بل والمجاعة أمرا معهودا في الأماكن النائية، حيث يُكتفى بالتمر كمادة غذائية وحيدة، مما يجعلهم عرضة للأمراض بسهولة كبيرة. وفي حالة مرض العبيد، يحاول العديد من الأسياد أن يتخلصوا منهم في أسرع الأوقات بطريقة أو بأخرى، فيتخمونهم بالطعام لتسمينهم حتى لا يفطن الزبناء إلى مرضهم الداخلي فيشترونهم. غير أن تلك الحالات لم تشكل القاعدة، إذ كان الأسياد يحاولون في غالبيتهم مواجهة أمراض عبيدهم منذ البداية حسب الإمكانات المتوفرة كالاعتماد على خبرة الحجامة، بينما كان المخزن يلجأ إلى خدمات الحكيم. أما أنواع الأمراض المنتشرة في أوساط الرقيق فقد كانت كثيرة، ومنها الجدري والسفلس التي كان يعتقد أنها صنف من الجذام. والعلاج الذي كان شائعا هو اتباع نظام غذائي نباتي لمدة أربعين يوما بدلا من استعمال الميركور.

ويمكن تصنيف العبيد إلى مراتب متباينة، كما أن هناك علاقة وثيقة بين سلوك الرقيق وبين الوضعية العامة لأسيادهم، وليس من النادر أن يتصف بعض الرقيق بممارسات منافية للأخلاق كشرب الدخان والخمر وممارسة الشعوذة، بل ومخاطبة الجن حسب اعتقاد البعض (عيشة خدام). وعلى عكس ذلك، هناك العبد المرافق والملازم لسيده، سواء في الحركات السلطانية أو القائدية، أو في المهام الخاصة كالأمناء مثلا. بل كان منهم من يصحبون أسيادهم إلى الديار المقدسة، وهناك نموذج قائدكالة الذي رافقه عشرة من عبيده إلى الحج، وهو شيء لا يمكن أن يحققه الأحرار لأنفسهم بسهولة. وحين يكلفون بحراسة الأبواب ومخازن الحبوب أو الزيت، فهي كالقلاع التي يستحيل على الغير اقتحامها. بل كان بعض العبيد يسهرون على الثروات والعقارات ويتحملون مسؤولية تنميتها لفائدة السيد وكأنهم رجال أعمال. ثم هناك الحراس في الزوايا والأضرحة، ومعلوم أن الزوايا تمتلك ثروات نقدية (الربيعة) ، فضلا عن الثروات العقارية والأراضي الفلاحية المعروفة بالعزيب، مما جعلهم يحظون بالتقدير لدى السكان ومقدمي الزوايا أنفسهم.

ثم هناك خصال نبيلة اشتهر بها العبيد في المغرب، وهي الوفاء والإخلاص للسيد وأفراد أسرته، وأبرزها نموذج "دادة" التي تسهر على تربية الأبناء من ولادتهم إلى حين زواجهم وربما حتى بعد الزواج. وكان ابتعاد دادة أو غيابها عن البيت لسبب من الأسباب يؤثر في النفوس نظرا لأهميتها العاطفية. وهناك القلق الذي ينتاب الرقيق الذين يشتغلون داخل بيوت كبار الأعيان كلما حل المرض بأحد أفراد الأسرة أو سافر بعيدا عن البلد. بالإضافة إلى الحزن الذي يصيب عائلة السيد عند وفاة العبد الوفي لأنه تفانى في الخدمة إلى حد نكران ذاته ونسيانها. وفي هذا السياق هناك نموذج لأحد قواد مكناس الذي أسره الفرنسيون، فأبى عبده إلا أن يرافقه إلى السجن. وأيضا نموذج العبد الذي رفض بتاتا الكشف عن المكان الذي يخفي فيه سيده كنزه على الرغم من الضرب المبرح الذي تلقاه في كل موضع من مواضع جسده.

غير أن هذا الوضع لم يكن يشمل كل الواقعين في الرق لوجود عدد كبير منهم في وضع مخالف جدا، إذ كان المشتغلون في الحقول أكثر تعاسة وأقل حظا. إذ كان عليهم حفر الخطارات وعصر الزيتون اعتمادا على مجهودهم العضلي فقط. أما في أراضي المخزن وفي المزارع التي كانت تمتلكها الزوايا والأشراف، فقد نجدبعض العبيد يشتغلون إلى جانب المياومين الأحرار. ومع ذلك، فإن العبيد لم يشكلوا قطّ عنصرا أساسيا لضمان استمرارية الإنتاج. ومن غير المؤكد أن استعمال الرقيق في البلدان الإسلامية ومن بينها المغرب كان يقتصر على الخدمة المنزلية، لأن هناك نموذج أحمد المنصور السعدي الذي استقدم عددا من العبيد من السودان للسهر على مزارع السكر ومعاصره.

وإذا كان بعض الرقيق يحيون حياة رغيدة في الوسط الحضري، فإن بعضهم الاخر كان يعيش في الجحيم. وعلى الرغم من أن العنف كان يشمل الأحرار والعبيد في الآن نفسه بحكم سيادة الاستغلال وسيطرة الرجل على المرأة والأولاد، وبحكم هيمنة سلطة القواد ونفوذهم في مغرب ماقبل الحماية، فلا مجال للاستغراب أمام ما يمكن أن يتلقاه العبيد من الضرب المبرح لأسباب حقيقية أو مفتعلة. وإذا كان الشرع يسمح للسيد بأن يؤدب رقيقه بعشر ضربات حسب الونشريسي، فإن المجال قد يفسح أمام التجاوزات التي لايمكن إيجاد حد لها. ورغم أن العبد كان له الحق شرعا ومن الناحية النظرية في أن يطالب بعرضه للبيع أو بتحريره من الرق في حالة الإفراط في سوء معاملته، فإن الواقع قد أثبت في كثير من الحالات بأن الهروب هو الملاذ الوحيد، فيلجأ العبد الفار إما إلى أحد الأضرحة أو إلى المخزن أو حتى إلى قنصل أجنبي. وإذا لم يتمكن من الفرار، فإن مصيره هو التعذيب والعقاب، فيقيد بالسلاسل والأغلال، ويجلد بالسوط أياما وليالي تصل به إلى حدود الإغماء. وقد يتلقى خمسين جلدة مقابل مخالفة بسيطة ارتكبها في قيامه بأشغال البيت، وقد يُرمى بالرصاص وتذهب حياته هدرا. وفي هذا السياق، هناك نموذج علي مزين من قبيلة شتوكة بسوس الذي ذبح أحد عبيده أمام المحلة المخزنية احتجاجا على تظلم الولاة في القبيلة. وهناك حالة أخرى تم فيها تجريب مدى فعالية السم في أحد العبيد الذي مات في حينه. وإذا كانت مثل هذه الحالات منعزلة حقا ونادرة الوقوع، فقدكانت مع ذلك موجودة وحاضرة كمؤشر على التباين الذي كانت تعرفه الحياة الاجتماعية في مغرب الأمس.

لكن ماذا عن الحياة العائلية والجنسية للرقيق في المغرب البائد؟ وإذا كانت للعبيد حياة عائلية، فكيف كان يتصرف فيها الأسياد؟ من المؤكد أن العبيد كانوا يتزاوجون فيما بينهم، إلا أنه ليست هناك ضمانات حقيقية بأن يحترم السيد ذلك الزواج. وفيما يخص هذه النقطة، فإن الوثائق المخزنية التي اعتادت الإفصاح عن معطيات لا يستهان بها تخص العبيد في حركيتهم خلال النهار تلوذ بالصمت في شأن ما كان يجري خلال الليل، وهو الوقت الذي كان يفسح فيه السيد المجال لنفسه لإشباع رغباته الجنسية. وهذا الموضوع لا توجد عنه أصداء متناثرة إلا في الفتاوى الفقهية ؛ وقد وردت الإشارة في المعيار إلى جهات معينة في المغرب كانت تقدم فيها النساء للضيوف. وهكذا تشتغل النساء في العمل الشاق طول النهار، وتتحولن إلى مصدر للمتعة واللذة الجنسية في الليل.

وبطبيعة الحال، كانت هناك اختلافات بين الممارسات الجنسية عند القرويين والحضريين : ففي المدينة، تتحمل الزوجة الشرعية مسؤولية الحفاظ على الخلفة. أما المتعة الجنسية فتتطلب توفر الرجل على أربع نساء شرعا، ويمكنه في الآن نفسه أن يمتلك من الإماء والمحظيات والخليلات ما لا عد له ولا حصر. ويبدو أن الاهتمام كان كبيرا في المجتمع المغربي البائد بالعناصر السوداء، فالحبشيات تفوق درجات حرارتهن فيما يبدو مثيلتها عند أخواتهن البيض والباردات أحيانا برودة الثلج الأبيض. وكثيرة هي النوازل الفقهية التي تميط اللثام عن تبرم النساء البيض من سلوك أزواجهن الجنسي لكثرة ارتباطهم بالخدم السود فتقلن عن الأزواج : كل عقله مع سودائه.

وكانت العائلات الميسورة تقدم للأبناء قبل الزواج خادمة ثقة كهدية، الغاية منها أن تقدم إليهم نوعا من التربية الجنسية التجريبية. وانطلاقا من هذه الظاهرة، يمكن الحديث عن غياب العنصرية في مسألة الجنس، خاصة وأن الخادمة قد تلد مع سيدها فتتحول تبعا لذلك إلى زوجة شرعية. وهي ظاهرة قوية الحضور في عالم القواد والعمال، وخاصة في المدن الحضرية كفاس معقل نشأة البرجوازية المغربية الصاعدة. وهذا على الرغم من إلحاح الرجال وحرصهم الشديد على استعمال خليلاتهن من الإماء والجواري مختلف وسائل منع الحمل التقليدية الشائعة

وقتئذ على علاقتها. غير أن النساء كنّ يتلاعبن في ذلك، لأن الإنجاب من السيد كان إحدى الخطوات الأساسية والمضمونة في طريق الانعتاق.

وبناء عليه، فليس من الغريب أن تغيب الأسماء العائلية عند العبيد، بل حتى أسماؤهم الشخصية تتغير حسب رغبة السيد الجديد. وقد يباعون في الأسواق دون أدنى اهتمام بروابطهم الأسرية، وهذا من أقسى مظاهر الاسترقاق سواء في المغرب أو خارجه، على الرغم من أن الشرع يمنع بيع الأطفال قبل نمو أسنانهم. ومع ذلك، فقد كانت الأسواق مليئة بهم، بحكم أن الرقيق ليس سوى بضاعة. وكان من الصعب جدا أن يتعرف أحد العبيد على والده الحقيقي لتعدد حالات المضاجعة الجنسية بين السيد وجواريه المتزوجات. وتعرض في أسواق النخاسة كثير من الإماء الخادمات اللواتي تُبعن بأثمان بخسة، لأن السوق تتيح فرصة مواتية للتخلص من الإماء اللائي قد يخلقن مشاكل عويصة سواء مع الزوجة الشرعية أو مع الأبناء والأصهار.

وهناك حالات عديدة لأشخاص لم يترددوا في احتراف كسب الرقيق وتربيته من أجل الإنجاب وبيع الأبناء بالربح في الأسواق لاعتبارهم أفضل من تربية أربع بقرات من حيث المدخول. وعلى العكس من ذلك تماما، فإن هناك من الأسياد من كان يحاول جاهدا أن يضمن حياة عائلية مستقرة للرقيق الخاضع لإمرته أملا في استخلاص أفضل النتائج منهم في مختلف الأعمال التي يمارسونها وأملا في الحفاظ على تماسكهم وعدم تفكيرهم في الفرار منهم.

وفي مغرب الأمس كانت حالات الفرار لا تقتصر على العبيد، بل تشمل الأحرار أنفسهم نتيجة للتقلبات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية العامة، ومنها حالات الفرار الناتجة عن الاستدانة من التاجر أو الثري المغربي مسلما كان أم يهوديا مرابيا أو من التجار الأوربيين ووكلائهم. وقد يفر أيضا الأشخاص الذين يعيشون وضعا مشابها للرقيق مثل الخماسة. كما كانت ظاهرة فرار الرقيق عامة سواء في المدن أو البوادي، وسواء لعبيد الأثرياء أو الأقل ثراء منهم. بل وحتى عبيد المخزن وعبيد الزوايا قد كانوا يفرون، وفي ذلك دليل على أن وضعهم كان غير مريح، وأنهم كانوا مستعدين للتعبير عن رفضهم لذلك الوضع عن طريق الفرار.

وكان العبيد الرافضون لوضعهم لسبب من الأسباب لا يترددون في استغلال الصراعات القائمة بين القبائل للفرار عندعناصر تنتمي إلى قبيلة مناوئة قد تكون مجاورة أو نائية. كما شكلت الزوايا ملجأ مفضلا للعبيد الذين كان البعض منهم يتحول إلى خادم لفائدة الزاوية ليضمن بقاءه بعيدا عن سادته القدامى. وقد يتجه العبد الفار إلى المخزن، وقبل سنوات الستين من القرن التاسع عشر كان المخزن يعيد العبد الفار إلى سيده. لكن بعد ذلك التاريخ تقرر إدماج العبيد الفارين إلى المخزن في صفوف الجيش الرسمي. وقد تحقق ذلك بصفة تدريجية، فكانت البداية مع العبيد الفارين من القواد والشيوخ، ثم شمل بعد ذلك عبيد الخواص. لكن هناك حالات عديدة لبعض الفارين من الرقيق ممن كانوا لا يقبلون اللجوء إلى المخزن ويفضلون المغامرة بالذهاب بعيدا إلى جهات أخرى، وكان من الصعب جدا العثور على العبيد الفارين، لكنه لم يكن أمرا مستحيلا. لأن الفارين يضطرون إلى المرور عبر المسالك الطرقية العامرة والمأهولة. كما كانت الزوايا تشكل مصدرا ثمينا لتتبع تحركات العبيد الفارين، إلى جانب موظفي المخزن من القواد وشيوخ القبائل. وهناك حالة الشيخ الذي نصح أبناءه بعدم منح الصدقة إلى المجرم القاتل والعبد الهارب والفار من سلطة المخزن. وعلى الرغم من العقوبات القاسية التي كانت تلحق بالفارين من الرقيق، فإنهم لم يترددوا في إعادة الكرة من جديد.

ومع ذلك فإنه من الصعب اعتبار حالات الفرار كمؤشر على وجود حالات تمرد أو ثورةفردية أو ربما حتى جماعية. ولا يمكن بتاتا الحديث في حالة المغرب عن ثورة عامة للعبيد. وهي حالة لو تم التسليم جدلا بوقوعها، فإنها لا يمكن أن تقع إلا في الجنوب حيث يعيش عدد هام من الرقيق المجتمعين في إطار العمل الفلاحي الجماعي المعروف بقساوته الشديدة. لكن الغريب في الأمر أن هناك عدة حالات للفرار لا يرفض فيها العبيد الفارون مبدأ الاسترقاق في حد ذاته، بل يطالبون فقط بالانتقال إلى ملكية سيد آخر. غير أن هناك حالات أخرى متطرفة أقدم فيها العبيد أحيانا على قتل أسيادهم في الشياظمة وأولاد زيان مثلا.

وفي غالب الأحيان، قد يتحول الفارون من الرقيق إلى لصوص ؛ فربما تكون البداية هي سرقة ما يَمكن الاقتيات به، ثم يتحول الأمر إلى حرفة يمارسها العبد الفار ويتخذ منها وسيلة للانعتاق. وربما تكون البداية أيضا بالانخراط في عصابات لصوصية، وتلك هي حالة العبد بلال في حاحة الذي اعترض طرق المسافرين ونهب الزوايا لمدة عشر سنوات دون عقاب، فلجأ في نهاية الأمر إلى حرم إحدى الزوايا. وتوجد حالات مماثلة في الحوز ومليلية، حيث لم يتردد بعض العبيد الفارين في المساهمة في أعمال التهريب على حدود مليلية.

ويبدو أن الإسلام لم يحرر الرقيق بصريح العبارة، لكن الله تعالى حث المؤمنين من عباده على القيام بذلك، فتكررت الآيات القرآنية التي تحبذ فك الرقاب، وهي من الحسنات التي يُكافأ عليها فاعلها بأفضل الثواب. وفي هذا السياق، هناك نموذج لأحد قضاة سوس الذي ذكر المختار السوسي أنه حرر كل عبيده قبل وفاته، إلا أنها تظل حالة نادرة. وفي المدن هناك بعض الشرفاء أو كبراء الأعيان الذين يقومون بتحرير بعض عبيدهم رغبة في الثواب.

ويعتبر الخطف والاغتصاب في صفوف النساء الأحرار لتحويلهن إلى جوار ينتهي بهن المطاف في أسواق النخاسة أمرا معهودا ومنتظم الوقوع في مغرب ما قبل الحماية. وتتراوح أعمال الخطف بين عمل الهواة الذين يختطفون الناس عند الحاجة وبين المحترفين، وعادة ما تتم العملية في الليل، وتمس الأطفال فيوضعون داخل التلاليس، كما تمس الإناث أكثر من الذكور. وقد برزت أسماء مشهورة في هذا الإطار مثل "الحاج مول الگربة" في قبيلة الزيايدة، وبوقطيب الذي كان مختصا في سرقة النساء بمنطقة زعير.

وكان الأمر على مستوى من الجدية والأهمية، إذ خصص له مولاي الحسن حيزا هاما في رسالته إلى رعاياه بمناسبة حلول مطلع القرن الهجري الجديد (1300 / 1882 - 1883) نقرأ فيها : "ومن المنكر الذي لا يسع التغافل عنه والتساهل في أمره، هذا الخطاب النازل الوقتي الذي هو المجاهرة باستعباد الأحرار واسترقاقهم بدون وجه شرعي، فإن المستعبد للحر هو أحد الثلاثة الذين لا يقبل الله منهم صلاة" ( *إتحاف*، ج. 2، ص. 229). غير أن الأمور استفحلت بعد 1893، حيث ارتفع عدد الاختطافات عن طريق العنف في صفوف النساء الأحرار وأطفالهم في المناطق الجبلية لبيعهم كعبيد في سوق النخاسة. ومما كان يشجع اللصوص على تلك الممارسات وجود طلب كبير على الرقيق من كبار القوم واستعدادهم لدفع أثمان عالية مقابل الحصول عليهم. وبما أن العمال والقواد "عمال الوقت" كانوا يشتركون أيضا في العمليات بالتستر عليها، فذلك يعني أن تركيبة المجتمع هي التي كانت تشجع على قيام بعض المغامرين بممارسات من هذا القبيل، مما كتب لها الاستمرار.

وفي السياق نفسه، تقدم مقتطفات من رسالة للسلطان محمد بن عبد الرحمن المعطيات الآتية : «وغير ذلك من المنكرات وأشنعها وأبشعها ما يرتكبه الأشياخ الفجرة من بيع النساء على ما بلغنا. وصورة ذلك أن يقبض الرجل وتوظف عليه الذعيرة، فلا يفي بها ماله وتكون عنده الزوجة المرغوب فيها، فيتحمل الراغب فيها بما بقي من الذعيرة ويسلمها له ويجعلها العدول الفجرة في صورة خلع، ويدخل بها الراغب قبل وفاء العدة (...)" (ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 3، ص. 121). وهذا ما يفسر بسهولة سبب امتلاء دور القواد والعمال بالجواري والخدم والإماء من مختلف الأشكال والألوان، مما يجعلهم يتحولون هم بأنفسهم إلى نخاسين يتاجرون في الرقيق. وأبرز نموذج في هذا السياق هو الأگلاوي بدون منازع.

ومن جهة أخرى، كانت المجاعات من بين الأسباب التي تدفع بعامة الناس إلى بيع الأقارب والأبناء مقابل قطعة من الخبز أحيانا. ويمكن اختيار مجاعة 1879 كنموذج حدثنا عنه ابن زيدان مرة أخرى فقال : "ولما دخلت سنة خمس وتسعين بقي (السلطان) مقيما بمراكش شفقة على رعيته لما دهمها في تلك السنة من حبس المطر، وارتفعت بسببه الأسعار، وبلغ ثمن المد من القمح بمكناس أربعة عشر مثقالا، فضج الناس وافتتنوا وكاد أن يأكل بعضهم بعضا، وصار المرء يفر من أخيه وأمه وبنيه ويبيع الوالد ولده(...)".

وشكلت محاربة الاسترقاق على الصعيد العالمي قضية بالغة الأهمية لبني الإنسان قاطبة، فكانت الدنمارك أول الدول الأوربية التي اتخذت مبادرة إلغاء الرقيق الذي استهدف السود سنة 1792، فالتحقت بها فرنسا سنة 1794 وبريطانيا سنة 1807، والولايات المتحدة سنة 1808. وفي مؤتمر ڤيينا المنعقد سنة 1814، حاولت بريطانيا استخدام نفوذها لحث دول أجنبية أخرى للاقتداء بسياستها، فأقرت جل الدول الأوربية مجموعة من القوانين، أو وقعت اتفاقيات تمنع تجارة الرقيق الأسود. وقد ألغي الاسترقاق في المستعمرات البريطانية سنة 1833. وفي 1842 وقعت الولايات المتحدة وبريطانيا اتفاقية أشبورتون Ashburton، فنصت على أن تستعمل كلاهما مراكبها البحرية على امتداد السواحل الإفريقية لتطبيق المنع في تجارة العبيد. وفي 1845، تم تعويض التعاون بين القوات البحرية الفرنسية والإنجليزية بحق الزيارات المتبادلة للمراكب الخاصة بكلا البلدين. وفي هذا السياق، حصل العبيد الفرنسيون على حريتهم سنة 1848، والعبيد الهولنديون أيضا سنة 1863. وحين تأسست جل الجمهوريات الجديدة في أمريكا الجنوبية، فقد حرصت على تحرير كل العبيد. غير أن البرازيل مثلا لم تعترف بإلغاء الرق إلاّ في سنة 1888.

وفي بلدان العالم الإسلامي وفي المغرب بوجه خاص، بذلت بريطانيا جهودا لا يستهان بها للقضاء على الاسترقاق أو على الأقل لمنع استمرار تجارته علنا في الأسواق. وكانت البداية في الأربعينيات من القرن التاسع عشر في منطقة البحر المتوسط بوجه عام، حين تأسست الجمعية البريطانية المناوئةللاسترقاق سنة 1839 : "British and Foreign Anti-Slavery Society"، فشنت بريطانيا حملة قادتها ضد تجارة العبيد في بلدان حوض المتوسط. حيث أقام أحد مبعوثي الجمعية، وهو جيمس ريتشاردسون Richardson، في مالطة بهدف الشروع في حملة ضد الاسترقاق في المغرب وتونس وطرابلس.

في تونس استجاب الباي للدعوات البريطانية لأنه كان ينوي الاعتماد على بريطانيا لدرء خطر الغزو الفرنسي. فتم منع تصدير العبيد من تونس سنة 1841، ثم منع بيع العبيد في جميع الأسواق التونسية سنة 1842. وفي أبريل 1842 منع جلب العبيد إلى تونس فأصبح كل عبد تطأ قدماه تونس يعتبر حرا. وبعد خمسة شهور، أصبح الأبناء الذين يولدون من أبوين عبدين أحرارا، إلى أن أعلن عن الإلغاء النهائي للاسترقاق في تونس سنة 1846. وفي الخمسينيات من القرن التاسع عشر، صدرت بعد الفرمانات

في شأن تجارة الرقيق الأبيض في جورجيا وبلاد القوقاز، وأخرى في 1875 في شأن تجارة العبيد السود في أرجاء الأمبراطورية العثمانية، باستثناء الحجاز حيث كانت هناك معارضة قوية واعتبر إلغاء الاسترقاق عملا متنافيا مع الإسلام.

أما في المغرب، فقد اتخذت الأمور اتجاها مخالفا تماما: إذ يخبرنا دانلد مكنزي Donald Mackenzie، بأن مبعوث الجمعية البريطانية ريتشاردسون قد بذل محاولة أولى سنة 1844 ليبلغ السلطان عبد الرحمن بن هشام رسالة في الموضوع، فرفض عامل الصويرة نقلها إلى مراكش. ولم يكن هذا الرفض سوى تطبيق لتعليمات سلطانية، لأن بوسلهام بن علي في طنجة قد سبق له أن تلقى عرضا مماثلا من مجموعة بريطانية وفرنسية رغبت في الاجتماع بالسلطان للتباحث معه في موضوع منع تجارة الرقيق، فأمره السلطان بأن لا يسمح لهم بالتنقل إلى مراكش، ويكتفي باستلام رسائل منهم في الموضوع.

وفي أربعينيات القرن التاسع عشر، لم تكن هذه المحاولات لتحقق النجاح المطلوب، لأن الحكومة البريطانية لم تعزز مبادرات الجمعية المناوئة للاسترقاق، بحكم أن النفوذ البريطاني ظل عاديا. ويجب انتظار سبعينيات وثمانينيات القرن نفسه لتصبح الجهود حقيقية وفعالة نسبيا في هذا السياق. وتحتفظ الوثائق البريطانية في لندن بنسخة لرسالة جوابية هامة من نائب السلطان محمد بركاش إلى سفير بريطانيا جون دراموند هاي بتاريخ 31 يناير 1884، تعكس جزءاً هاما من الجهود التي بذلتها بريطانيا لإقناع السلطات المخزنية بإلغاء الاسترقاق. كما تقدم لنا موقف المخزن من الاسترقاق بوجه عام وردود فعله أمام تلك الدعوات التي لم تجد صدى لها على النحو الذي كانت تتمناه بريطانيا.

ويبدو أن الأمور لم تتجاوز هذا الحد، وظل المخزن ثابتا من حيث مواقفه المبدئية في شأن الاسترقاق بالمغرب. وإذا كانت تجارة الرقيق قد تراجعت بشكل جدي في حوض البحر المتوسط منذ أواسط القرن التاسع نتيجة للمراقبة الصارمة التي مارسها البريطانيون انطلاقا من مالطة، فإن التجارة العابرة للصحراء لم تعبأ بالمبادرات الدبلوماسية مهما تعددت على امتداد السنوات اللاحقة. وإذا كانت الطرق الشرقية التي تفضي إلى توات وتافيلالت قد ضعفت فيها حدة تجارة الرقيق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتيجة للوجود الفرنسي في الجزائر، فإن الطرق الساحلية قد تزايدت أهميتها. ويؤكد مييج بأن الفترة الممتدة بين 1840 و1870 قد سجلت عبور أزيد من 4000 من الرقيق في اتجاه المغرب. غير أن السنوات اللاحقة ما لبثت أن سجلت تراجعا مهما كما تشهد بذلك المصادر الأوربية نفسها.

ومع ذلك، فإن محمد الناجي الذي اشتغل كثيرا في هذا الموضوع اعتمادا على مصادر مغربية قد أكد بأن تجارة الرقيق ظلت مهمة من حيث حجمها إلى حدود نهاية القرن التاسع عشر على الأقل وقد تراجعت تجارة الرقيق بصفة مؤكدة في مناطق المغرب الشمالية، بما في ذلك أسواق النخاسة بفاس ومكناس وسلا حيث كانت الحركة نشيطة من قبل. وكذلك الشأن بالنسبة للمناطق الساحلية، إذ سجلت أسواق الجديدة والدار البيضاء تراجعا واضحا. أما في المغرب الشرقي، فقد أصبح من النادر أن ترد الإشارات عن بيع الرقيق في سجلات الأمناء بوجدة. ومع ذلك فإن هذا التراجع ليس عامّاً ولا متواصلا على مستوى مجموع البلاد. ففي الجنوب مثلا، ظلت حركة تجارة الرقيق محتفظة بأهميتها المعهودة فيما يبدو، وخاصة في أسواق مراكش حيث تصل أعداد هامة من العبيد ليتم توزيعهم من جديد على جهات أخرى في المغرب. وتؤكد الأرقام الواردة عند الناجي أن السنوات الممتدة بين 1876 و1880 قد سجلت بيع 4.000 من الرقيق سنويا في مراكش. هذا وتجدر الإشارة إلى أن المغرب لم يوقع على اتفاقية بروكسيل التي صدرت قراراتها المناوئة لاستمرار الرق في 2 يوليوز 1890، بينما وقعت عليها إيران والأتراك العثمانيون.


ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 2 و3 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، أجزاء مختلفة.

Ennaji Mohamed, *Soldats, domestiques et concubines, L'esclavage au Maroc au XIXe siècle*, Casablanca, 1994 ; Ennaji Mohamed et Ben Srhir Khalid, *"La Grande Bretagne et l'esclavage au Maroc au XIXe siècle"*, *H.T.*, vol. XXIV, fasc. 2, 1991 ; Chater Khalifa, *Dépendance et mutations précoloniales : la Régence de Tunis de 1815 à 1857*, Tunis, 1984 ; Murray Gordon, *L'esclavage dans le monde arabe, VII-XXe siècles*, Paris, 1987 ; Mackenzie Donald, *The Khalifate of the West*, London, 1911 ; Miège J.L., *Le Maroc et l'Europe*, t. IV ; Godard Léon, *Description et histoire du Maroc*, Paris, 1860, t. 1, *British Documents* in the Public Record Office.


خالد بن الصغير

**الرقاص**، عند المغاربة هو الساعي عند المشارقة، أي الرسول الذي يصدر أو يرد بالكتب والمخاطبات من جهة إلى أخرى، وقد أورد المصطلح عبد الله ابن بلقين في مذكراته بقوله : "وأما الرقاصة من المغاربة"، وابن القطان في نظمه "وجه رقاصا" و"هؤلاء الرقاصين"، وابن صاحب الصلاة "ونهض الرقاص" و"سرى الرقاصون" وابن عذاري "وبعث رقاصا إلى أمير مكناسة" "فعند وصول الرقاص بالكتاب إليه" و"ركب الرقاص" "أن يبعث الرقاصون" "وجاء بالكتاب رقاص"...

ولفظة الرقاصة ما تزال متداولة في المغرب إلى اليوم، وهي تقال كناية عن سرعة حركة الفرد وكثرة تنقله من مكان إلى آخر، وهي في نفس المعنى الذي كان يعطى لحاملي المراسلات في العصر الوسيط، وهو لفظ ينتسب

إلى الاصطلاح المغربي الأندلسي، والراجح أنه يعود إلى ما قبل الفترة المرابطية بدليل وروده عند عبد الله ابن بلقين أمير غرناطة (488 هـ تاريخ التأليف)، وابن القطان (628/ 1230).

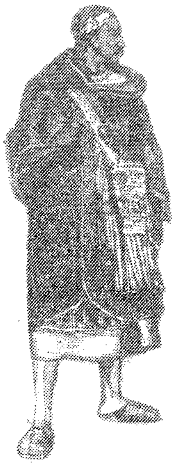

لكن رصد مراحل تطور الرقاصة بالمغرب يظهر أن هناك فرقا بين البداية الأولى لظهور الرقاصة، وبين الرقاصة بعد 16 ربيع الأول 543 تاريخ صدور الظهير المنظم للبريد أو للرقاصة على عهد عبد المؤمن بن علي الكومي ؛ حيث أصبحت الرقاصة بعد هذا التاريخ نظاما له قواعد مضبوطة يسير عليها، وأسس معلومة شكلته كنظام بديع في ترتيبه ؛ فهناك الرقاص العادي وهو الرسول الذي لا يحترف الرقاصة بل له مهمة أخرى يقوم بها كالتجارة أو غيرها، وتسميته بالرقاص العادي تأتي لكونه دائم ركوب الطريق وموصل الرسائل إلى الجهات التي يقصدها أو سيمر بها، وهذا النوع من الرقاصة ليس له أسس، فهو لا يرتبط بمدة محددة لإيصال الرسالة فيها، لأن مهمته هاته ثانوية، وتختلف وسيلة نقله بحسب إمكانياته الخاصة، وهو يتقاضى على مهمته هاته بحسب ما يمنحه له المرسل، على أن نوع الرسائل التي يتكلف بها هي في الغالب رسائل لعامة الناس.

أما الرقاص المستعجل، فهو رقاص يرتبط بمهمة سياسية أو عسكرية أو إدارية... بحسب مضمون مخاطبة الأمير أو مراسلة الوالي أو أحد موظفي الدولة، فهو يتنقل بين المراحل والمدن ممتطيا صهوة فرسه، ليجد في كل محطة يصلها وبعد كل مرحلة يقطعها حصانا مسرجا ملجما يمتطيه إلى المرحلة التي بعدها.

ولم تكن مراحل تغيير الحصان شبيهة بمراحل السير التي ذكرتها كتب المسالك، بل كانت لهم محطات معلومة ترتبط بعدد الأيام التي يلزم قطع الرحلة فيها، أي أن المسافة المرغوب اجتيازها تتوزع إلى مراحل بعدد الأيام التي يلزم قطع المسافة فيها. وكانت الدولة بعد ظهير تنظيم الرقاصة هي التي تتكفل بالدواب وعلفها وزادها حتى لا يكلف الرقاص الناس مؤونة رحلته خلاف ما كان سائدا قبل ذلك.

وتحقيقا للاستعجال كان الرقاص يسري الليل والنهار قاصدا وجهة المرسل إليه، حيث تنقل لنا المصادر حقيقة هذه السرعة وحرارة هذا الاستعجال أثناء إيصال الكتاب بقولها "وطارت إليه طيارات الاستعجال" و"طارت الركبان". وكان الرقاص يستعمل أنواعا خاصة من الخيول الجيدة المسرجة مثل الخيول الفزازية والحمدية والمسيلية والألزابية، وإلى جانبها كان يستعمل السفن والمراكب البحرية خصوصا في الربط بين ضفتي البحر المتوسط وقد تسرع به الرياح وقد تؤخره.

لقد عكست المصادر السرعة التي كان الرقاص المستعجل يقطع فيها المسافات، فقد قطع المسافة بين سلا ومراكش في يومين فقط، والمسافة بين مرسية ومراكش في ستة عشر يوما، ويصفها ابن صاحب الصلاة بأنها غاية السير، وهذا دليل على أنه كان جادا في سيره، وفقا للمهمة التي كان يوكلها له الأمير أو الخليفة، فهو من كان يعينه إذا كان صادرا من عنده، أما رقاصو الولايات فقد كان الوالي أو الأمير هو من يعينهم، أما أجورهم ورواتبهم فالملاحظ أن ما كان يؤدى لهم لم يكن يكفيهم للسير أو يساوي قدر الجهد الذي كانوا يبذلونه، لذلك كانوا يكلفون الناس بعضا من مؤونتهم وعلف دوابهم، إلى أن جاء ظهير تنظيم البريد الذي تكلفت الدولة بموجبه بزادهم وعلف دوابهم، إضافة إلى إجزال العطاء لهم بسخاء بحسب قيمة الرسالة الواحدة ووجهتها والمسافة التي سيعبرها، أي أن العطاء كان يختلف بحسب الرحلة.

المقري، *النفح*2 : 146، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968؛ *مذكرات الأمير ابن بلقين*، 157، تح. أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، ص. 163، 198، تح. محمود علي مكي، بيروت، 1990 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، 74، 76، 77، 78، 126، 200، تح. عبد الهادي التازي، يروت، ط. 3، 1987 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، 4 : 27-29، تح. إحسان عباس، بيروت، 1980 ؛ قسم الموحدين، 50-51، 66، 85، 301، 302، 321، 345، تح. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، البيضاء 1985 ؛ المراكشي، *المعجب*، 376، تح. سعيد العريان وآخر، البيضاء 1978.

محمد البركة

ابن **رقاصة، خليفة** بن إبراهيم وهو ابن عم خليفة ابن رقاصة قهرمان دار الأمير يوسف بن السلطان يعقوب المريني ثم القيّم على أموال القصر عندما أصبح يوسف ملكا. وينتمي الاثنان إلى أسرة بني رقاصة (أو بني وقاصة) من اليهود المعاهدين بفاس الذين كان لهم شأن كبير في بلاط بني مرين أيام ملوكهم الأوائل. وقد لقب ابن رقاصة هذا بالصغير تمييزا له عن ابن عمه خليفة الكبير الذي نكب هو وأخوه إبراهيم وموسى بن السبتي وذويه، وكان ذلك على يد الحاجب عبد الله بن أبي مدين عند ما أحس بتعاظم نفوذهم وتغلبهم على هري السلطان وحاشيته

فاعتقلهم وقتلوا جميعا في معسكره بمنصورة تلمسان وهو محاصر لها سنة 701 / 1302، إلا أن خليفة الصغير نجا من هذه المجزرة واستبقي حيا لصغر سنه حينداك. وفي عهد السلطان أبي الربيع سليمان 708 / 1309 ـ 710 هـ/ 1311) استعمل خليفة الصغير بداره وكلفه ببعض المهن مما سهل عليه الاتصال بحاشية القصر وبالسلطان مباشرة وكانت في نفسه رغبة جامحة للانتقام من الحاجب عبد الله بن أبي مدين قاتل أسرته. وعندما تمكن ابن رقاصة من مصاحبة السلطان والاستئثار بخدمته والاستحوذ على اهتمامه، أصبح المتصرف في دولته حتى إن ابن أبي مدين لم يكن يقدم على شيء من أمور الدولة إلا بعد مشاورة اليهودي الذي كان جميع الجيش ينادونه بسيدي أبي خزر (*بيوتات*، 58). استغل ابن رقاصة نفوذه وسلطته ودسّ إلى السلطان أن الحاجب ابن أبي مدين يعرض باتهام السلطان في ابنته، وأن صدره وغر بذلك وأنه متعرض بالدولة وأنه من دعاة آل يعقوب من بني مرين ( *العبر*، 7 : 479). وفي رواية أخري أن ابن رقاصة استعمل براءة مزورة ونسبها إلى جارية من جواري السلطان سليمان تخبر فيها ابن أبي مدين أنها تحبه وأعطاها ابن رقاصة للحاجب عند انصرافه من المشور وطلب منه أن لا يقرأها حتى يصل إلى داره، ثم خلا اليهودي بالسلطان وأعلمه بالخبر. فغضب سليمان وطالب بإحضار حاجبه وأمره بأن يعطيه البراءة التي لم يكن يعلم بمحتواها ثم أمره بالانصراف. وبعد ما علم السلطان ما في البراءة ظن أن ابن رقاصة كان صادقا فيما أخبره به فثارت ثائرة السلطان وقرر قتل حاجبه، وكان مقتله على يد قائد الروم في جيش السلطان غنصالو النصراني عندما طعنه بالقرب من مقبرة الفقيه الإمام أبي بكر بن العربي المعافري بفاس. إلا أن وزير السلطان سليمان بن يرزيكن تحسر على مقتل صديقه الحاجب وتفطن إلى مكر ابن رقاصة فأخبر السلطان بأن ابن أبي مدين كان ضحية خديعة اليهودي وهدفا لانتقامه، وأطلعه على براءة كان الحاجب بعثها معه قبل مقتله ليقدمها إلى السلطان ويخبره بأنه يتنصل من التهم التي الصقها به اليهودي ويتبرأ منها تماما. بعد ذلك أدرك أبو الربيع مكيدة ابن رقاصة وندم على تسرعه في قتل حاجبه، فأمر بالتنكيل بخليفة وذويه من اليهود وقتلهم جميعا.


م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 381 ؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 58 و60 ؛ *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 21 و23 ؛ *النفحة النسرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 39 ـ 42 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 483 ـ 484 و497 ـ 498 ؛ أ. ابن القاضي، *جدوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 438 ـ 439 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج. 3، ص. 81 ـ 99 ـ 100 ؛ مادة بنرقاصة، *معلمة المغرب*، مطابع سلا، سلا، 1992، ج. 5، ص. 1443.

Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux 13e et 14e siècle*, Paris, 1966, p. 393 - 395 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986, p. 106 - 266 ; A. Khaneboubi, *Les premiers sultans mérinides (1269 - 1331), Histoire politique et sociale*, Paris, 1987, p. 176.


رشيد السلامي

**الرقّي، عبد الله** بن **حسين**، المدعو القبّاب. والرقي نسبة إلى الرقّة، بلدة بشاطئ نهر الفرات من أرض العراق قيل إن أصله منها. وقد فسر بعضهم الرقي، من الرق، بقاف معقودة، وهو الهضبة الحصوية. أما القباب، فهو أحد أسماء الأسد.

كان مولد الرقي بزاوية سيد الناس، بفزواطة من درعة، في تاريخ غير محدد. وبتلك القرية تلقى تعليمه الأولي ؛ ثم أخذ عن عالم درعة في وقته، الشيخ أحمد بن علي الحاجي (ت. 998/1590). وهو الذي لقنه ورد الشاذلي، عن أبي القاسم الغازي، عن علي بن عبد الله السجلماسي، عن أحمد بن يوسف الراشدي، عن الشيخ أحمد زروق البرنسي الفاسي. ولما استد ساعده انتقل من زاوية سيد الناس إلى تامگروت، حيث علا صيته، وضاع عرفه، ودعيت الزاوية الحسينية، نسبة إليه.

ترجم للرقي عدد من الكتّاب، منهم محمد المكي الناصري، في *الروض الزاهر*، الذي قال فيه : "هو القطب الجامع، والغيث الهامع، خاتمة الزاهدين، وإمام السالكين، عالم الشريعة، وأستاذ الطريقة، وسلطان الحقيقة، قطب الزمان، وعنصر العرفان، والحامل في وقته لواء أهل العيان، ونخبة النجباء الأعيان، مربي المريدين، وترجمان العارفين..."

والملاحظ أن الناصري المذكور لم يشر إلى مستوى المترجم العلمي، ولا إلى العلوم التي كان يتقنها ؛ شأنه في ذلك شأن الإفراني، الذي وصفه بأنه "أحد الأفراد السالكين للسنة، في أقوالهم وأفعالهم، ومن المجتهدين في العبادة". ويتفق باقي من ترجموا له على أنه كان زاهدا متقشفا، في مأكله وملبسه، كثير الصلاة، مشتغلا بالذكر آناء الليل وأطراف النهار، دائم الصيام، لا يفطر إلا يوم الجمعة. ولذلك صنفه أصحاب المناقب في درجة القطبانية. ومنهم من جعل مرتبته فوق مرتبة الشيخ الغازي، صاحب سجلماسة (ت. 891 ـ 1574).

يعتبر الشيخ الرقي المؤسس الثاني للطريقة الناصرية، بعد شيخه الغازي. فـ"كان ورد المتجردين عنده سبعين ألفا (من الهيللة)، والمتوغلين سبعة آلاف، والطلبة ألفا، والنساء كذلك". ذلك الورد الذي يرتكز أساسا على "لاإله إلا الله". لذلك كله نرجح أن التصوف كان هو الغالب عليه، أكثر من العلم. والدليل على ذلك أنه عمل، بمعية تلميذه الشيخ أحمد بن إبراهيم الأنصاري على استقطاب مَحمد ابن ناصر "لينفعهما بعلمه". ونقل صاحب *الدرر*

كلام أحمد ابن إبراهيم الأنصاري، مخاطبا والد الشيخ مَحمد ابن ناصر، حيث قال : "إنا نريد أن تترك لنا ولدك سيدي مَحمد يقيم عندنا بالزاوية لبث العلم ونشره...". فلو كان الشيخ الرقي عالما لما طلب هو وتلميذه من الناصري الإقامة بتامكروت، للاضطلاع بالتعليم.

وتنسب إلى الرقي أقوال تنوه بالخمول، وتنفر من التهالك على حطام الدنيا، وتدعو إلى الزهد، والصدع بالحق، والابتعاد عن الشبهات ؛ بما في ذلك "السبب". ولما اتهم بتعاطي الكيمياء قال : "خدمنا لا إله إلا الله، حتى وجدنا بركتها، فمن ظننا بغير ذلك فقد ظلمنا".

ويظهر أن الرقي كان من بين الأعلام الذين عكسوا عصرهم. فقد تميز عصره باستشراء الفتن والحروب، نتيجة الصراع الدائر بين أبناء المنصور الذهبي، وتضييق قواد السملاليين على أهل درعة ؛ ولاسيما في ميدان الجباية ؛ كان التصوف ملاذاً لكثير من الناس.

وباستثناء تردد الرقي إلى تافيلالت لزيارة شيخه أبي القاسم الغازي، لم نعرف له رحلة. لذلك يظهر أنه كان قليل السفر.

توفي الرقي أثناء عودته من تافيلالت، قادما من زيارة شيخه أبي القاسم الغازي، بإزاء ثنية سجلماسة، على بعد حوالي خمسة عشر كلم من تامگروت، بعد زوال يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الثانية عام 1045/ 23 نونبر 1635.

وحمله تلميذه الشيخ أحمد بن إبراهيم الأنصاري إلى تامگروت، ودفنه بها، وبنى عليه الضريح المشهور. ومن كبار تلاميذه، فضلا عمن ذكر، أبو بكر السكتاني.

محمد المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط خ. ع. الرباط 2990 ك ؛ م. الإفرازي، *صفوة من انتشر*، طبعة حجرية، فاس ؛ م. المكي الناصري، *الروض الزاهر في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه السادات الأكابر*. تح. المهدي الغالي، سنة 1999 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج. 2 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 3 :1328 ؛ *التقاط الدرر* ؛ م. الحضيكي، *طبقات*...؛ أ. الناصري، *طلعة المتشري*، ج. 1 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*...؛ *الحركة الفكرية*، ج. 2.

أحمد عمالك

**رقوان** (تربة)، يميز سكان المغرب بين أنواع مختلفة من الأتربة كأتربة "ترست"، أبياض أو بياض، الحمري، الرمل أو إكيضي، رقوان أو ارقوان... وكما هو معلوم أن هذه التصنيفات المحلية من طرف الأهالي تعنى أساسا بالمظاهر السطحية كاللون والنسيج...

وعلى هذا الأساس يطلق سكان الدير الشمالي للأطلس الكبير الغربي اسم رقوان على تربة حمراء إلى سمراء - محمرة ذات نسيج طمييي - طيني - رملي، موردة أحيانا. ونجدها بالخصوص فوق البروزات الترياسية الحمراء أو فوق السطوح الطميية الرباعية الوسطى أو الحديثة. وهي أضعف الأتربة حسب الأهالي.

كما يسمى سكان السهول الداخلية (الحوز، البحيرة - السراغنة، تادلة...) التربة رقوانا أو "رقوانة" التربة الدقيقة النسيج اللينة التي تغطي السطوح المنبسطة أو الخفيفة الانحدار. وهي حسب البعض تربة رقيقة لا تمسك الماء لحدوث السيل فوقها بسرعة، ولأنها تتعرض للتنشيف بسرعة كذلك (سهل السراغنة - البحيرة). ولاستصلاحها لا بد من قلبها وتهويتها. وحسب البعض الآخر هي تربة ثقيلة وغليظة تتطلب مياها كثيرة (الحوز الأوسط).

وعندما تشغل تربة رقوان مجالات واسعة منبسطة يسمونها "الرك". وعندما تكون المساحات محدودة يطلقون عليها "الروكية" أو "رقوانة". ولعل هذه التسميات مشتقة من الكلمات العربية التالية :

- إما من الفعل رَقَنَ أو أرْقَنَ أو رَقَّن أو ترقَّن أو ارْتَقَن أو استرقن بمعنى اختضب بالرقان أو الرَقُون وهو الحناء أو الزعفران. وربما المقصود هو تلَون هذه التربة أحيانا بلونهما (5YR 4/4 : أدكن - محمر، أو 5YR 5/4 : أحمر مصفر).

- وإما مشتقة من رَقَّ وهو ضد غلظ (لسان العرب). والرُّق أو الرِّق - وهذا يذكرنا بكلمة "الرك" التي يطلقها الأهالي على هذه التربة - أو الرَقَقُ : الأرض اللينة الواسعة (المنجد في اللغة والاعلام+ لسان العرب)، أو الأرض الرقيقة (لسان العرب).

والرِّقاق : الأرض السهلة المنبسطة المستوية اللينة التراب تحت صلابة، أو الأرض اللينة من غير رمل (لسان العرب). والرُقاق أو الرَقاق : الأرض المنبسطة أو المستوية اللينة أو التي نضب عنها الماء *(المنجد في اللغة والاعلام)*. والرَّقَّة : الأرض التي يغطيها الماء ثم ينضب عنها *(المنجد في اللغة والاعلام)*، أو كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء أيام المد (الفيض) ثم ينحسر عليها *(لسان العرب)*.

وفعلا، فإن المجالات التي يوجد بها هذا النوع من التربة هي في أغلبيتها الكبرى أراضٍ منبسطة ومستوية لينة التراب تشكل سهولا ممتدة كما هو الحل بسهل البحيرة - السراغنة على الطريق الرابطة بين قلعة السراغنة وبن جرير، والذي يتعرض أثناء التهاطل أحيانا لمد المياه التي تنحسر عنه بعد بضعة أيام. من كل هذا يظهر أن تربة رقوان مرتبطة في معظمها بمواد فتاتية لينة (طين، طمي ورمال) منقولة ومنشورة من طرف السيل. إذا تمثل هذه المنقولات الصحر الأم الذي تكونت فوقه هذه التربة.

من الناحية العلمية الترابية توافق تربة رقوان مجموع الأتربة الدكناء (السمراء) الشبمدارية ذات المناخ الترابي البارد خلال الفصل المطير وذات المركب المشبع، وكذلك الأتربة الدكناء شبمحلية ذات المركب المشبع والتي تتطور

في ظروف مناخ ترابي ساخن خلال الفترة المطيرة، وكذلك أتربة الكلساء Sierozems ذات المركب المشبع المتطورة تحت مناخ ترابي بارد خلال الفترة المطرة (مختبر التربة التابع لمكتب الحوز). وهذه الأصناف الثلاثة هي أقسام ثانوية لقسم رئيسي هو الأتربة السيديالية (C.P.C.S. 67 وAubert. 65). كما أنها تشغل مجالات واسعة من المناطق الجافة وشبه الجافة المغربية لدرجة أنها تعد التربة المميزة لهذه المناطق.

وتتطور هذه الأتربة بالخصوص فوق المواد الطميية ـ الطينية ـ الرملية الحديثة التي توضعت خلال الفترة الرباعية السلطانية الرطبة على وجه الاحتمال. هذه المواد تارة تكون سميكة إذ قد يصل سمكها 2م فوق مواد متكلسة، وتارة أخرى تكون متواضعة السمك مع وجود تكلس فتوت في الأعماق أو وجود مواد غرينية خشنة منقولة (الحوز الأوسط). كما نجد هذه الأتربة أحيانا فوق الأتربة الحمراء الكستائية التي تشكل صخرا أمالها، والتي من المحتمل أنها تكونت في ظروف مناخية أرطب من الظروف الحالية.

أما المناخ السائد بمجالات هذه الأتربة فهو المناخ المتوسطي، لكن المناخ المتوسطي ليس وليد الحاضر، بل يظهر أنه ساد خلال الرباعي كله، لكن مع تزايد أهمية التجفيف نحو الحاضر. كما يظهر أن دور المناخ في التترب كان أقل أهمية خلال العشرات الآلاف السنوات الأخيرة من الرباعي (Raynal, Aubert, 62). لذا يرى البعض أن المناخ الحالي ليس له سوى دور ضعيف جدا في تطور وتكوين هذه الأتربة، خاصة الكلساء التي تتميز بضعف التطور (مكتب الحوز). في حين يرى البعض الآخر أن أتربة الكلساء تمثل بالتأكيد الأتربة النموذجية بالمناطق الجافة الأكثر تأقلما مع المناخ الحالي خاصة بالحوز (A. Sassan, 67)، حيث إن التربة الدكناء ناتجة عن حلول ظروف تعاشيبية Steppisation خلال نهاية السلطاني حيث تكونت أتربة سهبية دكناء وأتربة حمراء فتية والتي تطورت لتعطي الأتربة المناخية الحالية المسماة بالكلساء كما هو الحال بالحوز (Sassan, 67).

أما العوامل الإحيائية المميزة لتكوين هذه الأتربة فتتمثل في سيطرة النباتات السهوبية. فقد كانت هذه المناطق قديما مجالات تعاشيبية شجرة تتكون من أشجار من السدر (Ziziphus lotus) وفستق الأطلس (Pistacia -atlantica) والسنط (Acacia gumnifera)، لكن هذه التعاشيب الشجرية تدهورت نتيجة الظروف التالية : نزوح المناخ نحو التجفيف، اجتثات الغطاء النباتي الذي تحول إلى غطاء عشبي خفيف ومنفرج ذي دورة انباتية سريعة. وازداد هذا التدهور حدة مع توسع المجالات المنزرعة واستعمار الأرض وإثارتها ؛ مما أدى إلى اختفاء النباتات التي تعيش في ظل الأشجار (Sassan, 67). ومن نتائج ذلك حدوث اختلال خطير في تجدد المادة العضوية بهذه الأتربة، أي غياب عامل مهم في استقرار بنياتها وخصائصها الفيزيوكيماوية.

وهكذا فمن المعطيات التحليلية لأتربة رقوان نجد :

ـ أن نسبة المادة العضوية محدودة جدا لكنها جد متدبلة (1.7 ـ 0.3٪). ويمكن أن يعزى هذا الضعف إلى الاستعمال القديم لهذه الأتربة والنزوح نحو التجفيف. لكن ظاهرة السيدبالية واضحة جيدا، بحيث يلاحظ توزيع جيد للمادة العضوية بمجموع القطاعات الترابية مع وفرة بالمسكات السطحية. وهذه خاصية عامة للأتربة بالمناطق الجافة ونصف الجافة أي تناقص تدريجي للمادة العضوية مع التعمق، لكن نسبة المادة العضوية بأتربة الكلساء أضعف مما نجده بالأتربة السمراء (الدكناء).

ـ أن نسبة الهيدروجين تدور حول 8.5، أي أتربة رقوان خفيفة القاعدية كما تحتوي على قواعد مستبدلة (K, Na, Mg, Ca).

ـ أن نسبة الكاربون على النتروجين (ن/ك) دائما أقل من 10، هذا يعني أن الأزوت العضوي موجود كليا بدبال التربة، وأن نسبته جد ضعيفة إذ تمر من 1.62٪ بالمسكات السطحية إلى 0.07 بالمسكات العميقة. ويمثل هذا الضعف خاصية أخرى هامة بالنسبة لأتربة رقوان. كما يعبر مؤشر ن/ك عن انخفاض وضعف العنصرين العضويي الأصل (الكاربون والنتروجين) الأكثر أهمية بالتربة.

ـ أن أتربة رقوان تظهر قطاعا كلسيا متمايزا، بحيث تبقى المسكات السطحية دائما كلسية حوالي 10٪ من الكلس الاجمالي خاصة بأتربة الكلساء. ويعبر ذلك عن ضعف عملية الحلحلة في مجموع القطاعات. وترتفع هذه النسبة بالمسكات السفلى حيث تتراكم حبيبات الكلس في الأعماق. لكن أحيانا يغيب القطاع الكلسي تماما بحيث لا تتعدى نسبة Cao3 35٪ خاصة عندما تكون العالية المزودة بالرواسب الغرينية التي تمثل الصخر الأم لأتربة رقوان فقيرة من الكلس.

أن ألوان هذه الأتربة تتراوح بين :

ـ الأدكن ـ البيج (الصوفي) Brun - Beige، الأسمر ـ الفاتح Brun - clair، الأسمر، الأدكن ـ الأحمر= 5YR 4/4، الأسمر ـ المحمر ـ الفاتح= 5YR 3/4 و5YR 3/3، الأحمر ـ المصفر : 5YR 5/6 و5YR 4/6.

ـ وبما أن أتربة رقوان تكونت على حساب مواد لينة طميية ـ طينية ـ رملية أو طينية ـ طميية ـ رملية، فإن خصائصها الآلية جيدة :

أنسجة متزنة، بنيات جيدة ؛ جلطية بالمسكات العليا وصفاحية بالمسكات السفلى، مسامية جيدة نسبيا. لكن البنيات السطحية تكون أحيانا مصمتة، متصلبة بخفة وشاحية وسسنتمترية. وهي ناتجة عن ظاهرة التصفيح Glaçage السطحي والمترتب عن عدة عوامل : التعرية الغشائية، اندكاك التربة نتيجة الغسل السطحي الذي

تتعرض له العناصر الدبقية (طين، دبال)، التعرية الريحية، مما يسمح بتكوين قشيرة مكونة من الطمي والطين بعد التيبس.

من الناحية الزراعية تظهر أتربة رقوان خصائص فيزيائية وكيماوية جيدة، الرطوبة المعادلة متوسطة إلى كافية حوالي 20٪ الدخيرة المائية النافعة كافية. التشيف سريع، الخصوبة الكيماوية لائقة، لكنها أحيانا ضعيفة إلى متوسطة، بحيث قدرة التدال حول 15 ملمعادل /100غ من التربة. نسب الفوسفور P2O5 والبوطاسيوم متوسطة إلى ضعيفة انعدام الملوحة والتقلية في معظم الأحيان. ورغم وجود الكلس بالمسكات السفلى، فإن هذا التكلس لا يحد من تعمق الجذور ولا يغير من الخصائص الزراعية لهذه الأتربة. كل هذه الخصائص تجعل لأتربة رقوان سلوكا مائيا جيدا إذ أنها قابلة للري بالغمر أو بالرش.

*المنجد في اللغة، الأعلام*، دار المشرق، بيروت، 1973 ؛ *لسان العرب*، للإمام أبي الفضل جمال الدين بن محمد، بيروت ؛ أحمد زروال، *دراسة جيومورفلوجية لدير أطلس مراكش بين وادي الزات وتساوت*، الرباط، 1987 ؛ إدريس الفاسي - محمد البدراوي، *تربة الحمري - معلمة المغرب* - الجزء 11، ص. 3584 - 3986، مطابع سلا، 1421 - 2000 ؛ تحريات ميدانية.

G. Aubert, *Cahier, ORSTOM*, série *pédalogie*, volume 3, fascicule 3, 109 p., 1965 ; *Les sols de la zone aride. Etude de leur formation et de leurs caractères, de leur utilisation et de leur conservation. Les problèmes de la zone aride*, Paris, 127 - 150, 1962 ; J. Lozet et G. Mathieu, *Dictionnaire de science du sol. Technique et Documentation* , Paris, 1990 ; O.R.M.V.A.H/ *Rapport sur les sols du Haouz*, 1978 ; R. Raynal, *Plaines et piedmonts du bassin de la Moulouya*, 1961 ; A. Sasson, *Recherches, écophysiologiques sur la flore bactérienne de sol des régions arides du Maroc*, Tanger, 1967.

أحمد زروال

**الرقيواق**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس أنجبت بعض الفقهاء. تذكر الوثائق من بينهم : الهاشمي بن علي الرقيواق الذي كان يتعاطى العدالة من سنة 1234 / 1819 إلى سنة 1245 / 1829 ؛ والهاشمي بن محمد الرقيواق الذي تعاطى نفس الخطة من سنة 1248 / 1832 إلى سنة 1250 / 1834.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* ؛ المراجع العربية والأجنبية في الرقم 735.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرقيواق، عبد السلام** (الحاج -) بن الحسن الطنجي. موسيقي، اشتهر بامتلاكه نسخة خطية جيدة لكناش الحايك انتهت إلى ورثته. كان الفراغ من نسخها يوم الجمعة 15 شوال 1325.

وقد أعيد تصوير هذه النسخة وإخراجها في نسخ مرقومة، وذلك بتاريخ 30 أكتوبر 1981 كما تبين من عبارة واردة في ختام الطبعة باللغة الفرنسية، جاء فيها أن محمد ابن الحسن الحايك جمع النوبات الإحدى عشرة في عام 1130/ 1701 (كذا، والصواب 1717). وفي هذا مخالفة لما أجمعت عليه المصادر وهو أن جمع الحايك لكناشه تم في سنة 1214/ 1799 - 1800.

تحتوي نسخة ورثة الرقيواق على مقدمة الحايك بأكملها، وهي تخلو - على غرار نسخة الحايك الأصلية - من قائم ونصف الرصد، وقائم ونصف الحجاز المشرقي، كما تخلو من الادراج والبراول.

وعلى الرغم من تأخر تاريخ نسخة الرقيواق بنحو عشرين سنة عن مراجعة *كناش الحايك* من لدن لجنة الوزير الجامعي، فإنها احتفظت بالاشعار الأصلية لنسخة الحايك بما فيها أشعار نوبة رمل الماية التي كانت في موضوعي الغزل ووصف العشي، بدلا لموضوع المديح النبوي. الأمر الذي يمكن أن نستنتج منه تشبث أرباب الموسيقى الأندلسية في مدن الشمال - أيا مئذ - بمستعملات الحايك الأصلية وعدم اطمئنانهم إلى التعديلات التي أدخلتها لجنة الوزير الجامعي عليها.

*نسخة ورثة الرقيواق، طبعة مصورة في 30 أكتوبر 1981* ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، *الموسيقى الأندلسية المغربية*، فنون الأداء. *سلسلة عالم المعرفة*، الكويت، العدد 129، محرم 1409/ سبتمبر 1988، ص. 141 - 142.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الرّكاب**، هو ما يضع فيه الراكب رجله ليمتطي الدابة، وعند استوائه على ظهرها يبقي رجله في الركاب إلى أن ينزل، فهو أداة تساعد على ركوب الدواب. كان الركاب في البداية رقيقاً مزعجاً ثم صُنع الركاب العريض

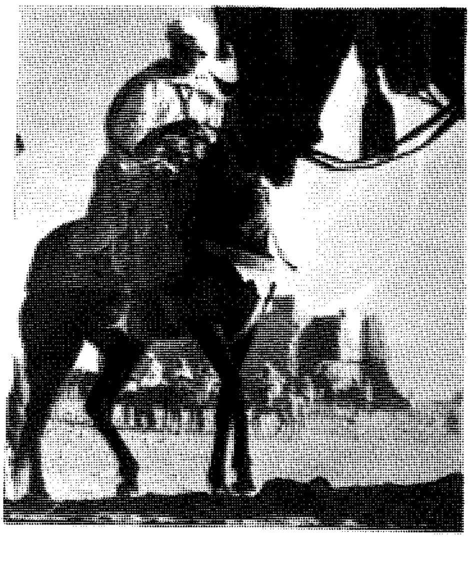

المريح فاعتُبر ذلك قفزة تقنية تدخل في إطار تحسين قيادة الدواب والتحكم فيها للزيادة في راحة الراكب، ويُستعمل الركاب عادة في الخيول والبغال، وتطوّر عبر التاريخ ؛ بدءاً من الركاب البسيط المصنوع من الحبال إلى الركاب الخشبي والحديدي إلى الركابات المزخرفة والمنقوشة والمموهة بالذهب والفضة، وكان لها صناع متخصصون في حوانيتهم بمدينة فاس زمن الحسن الوزان (*وصف إفريقيا*، 1 : 188 ـ 189).

بلغت الركابات ذروة التألق والأبهة عندما صُنعت من الفضة ثم من الذهب (*المسند*، 130 ـ 452 و453 ؛ *البيان*، 4 : 126) ؛ وتدل الإشارات والأوصاف في المصادر أن الركاب الوسيطي قريب جداً من الركاب التقليدي المستعمل الآن في الفروسية التقليدية (التبوريدة) في المغرب.

عرفت المدن الكبرى وجود عدد من الدكاكين التي تصنع الركابات، بل وجدت دكاكين متخصصة في نوع منها خلال العهد المريني والوطاسي (*وصف إفريقا*، 188 و189). ومما يدل على تقدم المغرب فيما يمكن تسميته "صناعة تجهيز دواب النقل" أن الطلب على تلك المصنوعات كان كبيراً في الداخل والخارج خاصة من بلاد السودان وإفريقية وغيرها، كما أرسلت الركابات ضمن الهدايا التي يرسلها ملوك المغرب إلى رؤساء الدول (*المسند*، 452 و453 ؛ *العبر*،7 : 226 و227 ؛ *البيان*، 4 : 26 ؛ *القرطاس*، 387 ؛ *الاستقصا*، 4 : 128 ـ 130).

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط 1984 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر،1981 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، د. ت ؛ ع. ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، بيروت، 1948، وتطوان، 1960 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1955.

محمد حجاج الطويل

**الركْب**، سفر جماعي على ظهر الدواب عرفه المغرب طوال العصر الوسيط، (انظر *ركب الحاج*). وأكثر الركبان الأخرى في المغرب كانت تستند لزيارة الصلحاء والأولياء كركب زيارة أبي يعزى، وزيارة رباط شاكر ورباط ماسة أو تجمع المتصوفة سنوياً على ساحل البحر المحيط قرب الصويرة (*التشوف*، 185 و213 و214 ـ 215 ـ 216 ـ 217 ـ 222 ؛ *أنس الفقير*، 26 ـ27 و71 ؛ *ملتقط الرحلة*، 66 و68 و75 و95) ؛ وتتعدد الأمثلة التي تزخر بها كتب المناقب والأنساب وغيرها، فالتنقل الجماعي إذن كان نشيطاً داخل البلاد وطيلة السنة، لكن الفصل الملائم كان دائماً فصل الربيع والصيف.

يختلف الركب عن القافلة في كونه يضم في العادة علّية القوم وأعيانهم الذين لهم القدرة على السفر البعيد المدى وتحمّل مصاريفه، إذ لا يستطيع الضعفاء والفقراء تحضير مستلزمات الركب من مصاريف متعددة ودواب وجمال للركوب وحمل الأمتعة والزاد والعلف، ودواب احتياطية وعبيد وخدم يقومون بأشغال أسيادهم ويسهرون على راحتهم. عكس ما يكون عليه الحال في القوافل التي غالباً ما تكون تجارية، إذ يكتفي الأغنياء من التجار ببعث من ينوب عنهم من الوكلاء ويتجنبون بذلك مشاق السفر، فلا يتنقلون مع القوافل العابرة للصحراء إلا للضرورة القصوى، أما عامة الناس فغالباً ما يسافرون، بشكل جماعي (أقل عدداً) إما مشياً على الأقدام أو على الحمير (*نزهة*،3 : 232 ؛ *التشوف*، 125 و176 و 202 ؛ *ملتقط الرحلة*، 66 ـ 68 ـ 75 و95). وفي الأسفار البعيدة قد يستعين هؤلاء ـ في بعض المراحل ـ بكراء الدواب، وقد يستفيدون من اريحية بعض المحسنين، لكن المعول عليه هو السعي على الأقدام (المصادر نفسها).

تتعرض الركبان مثلَ بقية أشكال التنقل الجماعي لخطر مهاجمة اللصوص وقطاع الطرق، وابتزاز القبائل التي تمر بها، ولا يسلم من ذلك الأغنياء ولا الضعفاء (*التشوف*، 304 و340 و423 ؛ *أنس الفقير*، 7 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 227 ؛ العبدري، *الرحلة* ؛ *وصف إفريقيا*،1 : 149 ؛ *الاستقصا*، 3 : 50 و84، 5 : 189).

يسير الركب مثله مثل القافلة بدليل من مرحلة إلى مرحلة، أي أنه يتخذ عدة أدلاء لهم معرفة ودراية بالمناطق التي يمر منها الركب، وتطول مدة سفره أو تقصر بحسب الظروف التي يسافر فيها، فليست الرحلة مضبوطة بالفصول أو الزمن مثل سفر القوافل إلى السودان، مثلا فموسم زيارة ولي من الأولياء مرتبط بالشهور القمرية وينتقل موعده عبر الفصول، ويتنقل الركب كذلك من مرحلة إلى أخرى ومن مكان إلى مكان بحسب طبيعة الطريق وتوفر الأمن أو انعدامه، فقد يضطر الركب عند ظهور مانع أو عائق إلى تغيير الطريق أو التوقف عن السير لفترة في انتظار تغير الظروف، فابن عابد الإدريسي مثلاً في كتابه *ملتقط الرحلة* ذكر : "أن السيول والجداول يتم قطعها عبر المخاضات" لأن الأعماق غالباً قليلة ؛ إلا أن السيول أحياناً تكون خطراً على من يقطعها وهكذا : "يتم قطع وادي غيغاية في خوانق مولاي إبراهيم أكثر من 22 مرة والمسافة لا تتعدى 3 كلمترات"، والملاحظة نفسها سجلها البكري عن إفريقية.

وعن العوائق الأمنية أورد صاحب *الاستقصا* نصاً عن *العبر* : "وفصلوا (الوفد المصري) من المغرب إلى بلادهم في ذي الحجة 707 محملين بما أعطاهم السلطان أبو ثابت، ولما انتهوا إلى بلاد بني حسن في ربيع من سنة 708 بعدها اعترضهم الأعراب بالقفر فانتهبوهم..." فالرحلة حسب النص استغرقت أزيد من ثلاثة شهور رغم قرب المسافة من فاس إلى الصحراء المغربية الشرقية ؛ ويختلف السير اليومي للركب عن القوافل في كونه مرتبطا بمواعيد محددة، لذلك كان اختيار الوقت الملائم للسير أو للتوقف مسألة نظرية فقط أي أن الركب كلما وجد في مرحلة أو

منطقة من المناطق الجو الملائم والظرف المناسب قطع مسافات كبيرة ربحاً للوقت الذي قد يضيع في أمكنة أخرى غير ملائمة ومازال المغرب، وقد قضت وسائل النقل الحديثة على أسفار الركبان، ينظم هذا النوع من التنقل الجماعي بالوسائل التقليدية والحديثة، مثل ركب مولاي إبراهيم، وركب مولاي عبد السلام وركب مولاي بوعزة وغيرها.

الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، نابولي إيطاليا، د. ت.، الجزء 3 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، د. ت. ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر، 1981 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن صاحب الصلاة، *تاريخ المن بالإمامة*، بيروت، 1964 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر، 1911 ؛ العبدري، *الرحلة*، الرباط، 1968 ؛ الماجري، *المنهاج الواضح*، مصر، 1933 ؛ أ. ابن عابد، *ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضر موت*، الدار البيضاء، 1988 ؛ أحزي، *هداية الملك العلام*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ م. ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، 1968 ؛ أبو سالم العياشي، *ماء الموائد*، ط. حجر فاس.

J. Celerier, *L'Atlas et la circulation au Maroc*, *Hesp.*, pp. 447 - 497.

محمد حجاج الطويل

**ركب الحاج المغربي**، يرجع تأسيس ركب الحاج المغربي إلى عهد الشيخ أبي محمد صالح، دفين أسفي، المتوفى سنة 631/ 1234 ؛ حيث كانت الدعوة إلى حج بيت الله الحرام أهم أركان طريقته، حتى سميت طريقة الحجاج. وقد دعي ذلك الركب، الذي يعد الأول من نوعه، بالركب الصالحي، نسبة إلى مؤسسه.

ولتمهيد الطريق التي كانت مليئة بالمخاطر، عمد أبو محمد صالح إلى تأسيس عدد من الرباطات بمختلف المراحل التي ينزلها الحجاج، في ذهابهم وإيابهم ؛ انطلاقا من أسفي إلى مكة المكرمة. وللحفاظ على تلك الرباطات، استقر بعض أولاد الشيخ وحفدته، بتلك المراحل، للإشراف عليها. منهم عبد العزيز بن أبي محمد صالح، الذي أقام بالقاهرة حتى وفاته، ثم حفيده إبراهيم بن أحمد بن أبي محمد صالح بالإسكندرية، ثم ولد هذا الأخير، أحمد بن إبراهيم.

وما فتئ عدد الحجاج يتزايد حتى نشأت خمسة ركاب، كانت كالتالي : الركب السجلماسي والركب الفاسي والركب المراكشي والركب الشنجيطي والركب البحري.

ولنبدأ الحديث بالركب الفاسي. تأسس هذا الركب في أوائل دولة بني مرين. ولعل أول ركب منه هو الركب الذي وجهه السلطان يوسف بن يعقوب المريني سنة 703/ 1304. وقد استمر هذا الركب على عادته تلك، حتى القرن الثالث عشر (19 م)، لأنه أصبح هو الركب الرسمي للدولة المغربية. وللإشارة فقد طرأ عليه تغيير في عهد السعديين، حيث صار الركب المراكشي هو الركب الرسمي للدولة.

وعلى الرغم من ذلك، فقد ظل الركب الفاسي يحظى بعناية خاصة لدى الحجاج المغاربة، كما يتبين من النماذج التي ساقها الأستاذ المنوني في كتابه *ركب الحاج المغربي*.

وعدّد العطايا والإمدادات التي كان سلاطين المغرب، في العهدين المريني والعلوي، يقدمونها إلى الحجاج ليبسروا لهم أداء فريضة الحج، فضلا عما كانوا يسدون إليهم من خدمات، لتذليل بعض مصاعب الطريق ؛ حيث كانوا يستوصون بهم خيرا، لدى حكام الحرمين الشريفين، ويُصحبونهم بعدد من الجند المسلحين، لحمايتهم من اللصوص، وقطاع الطرق.

وعندما يحين وقت السفر، يتهيأ الركب للخروج فيبدأ الإعلان عن الاستعداد بالمساجد، حيث يدعو الخطباء الناس إلى الحج، ويذكرونهم بفضله، في خطب وعظية، تحثهم عليه، وتشوقهم إلى زيارة مقام الرسول صلى الله عليه وسلم. وبعد ذلك، يتم النداء في مدينة فاس، للإعلان عن يوم خروج الركب، الذي غالبا ما يوافق السابع والعشرين، أو الثامن والعشرين من جمادى الثانية. ويتم خروج الركب من باب الفتوح، لينزل بولجة العسال، على الضفة اليمنى لوادي سبو ؛ حيث تضرب الأخبية، ويأتي الناس للتوديع والتشييع. "يوم خروج الحجاج من فاس، يوم موعود ومشهود، قل من يبقى بالمدينة إلا خرج، ودب ودرج، الرجال والولدان، والأحرار والعبدان. فما أعجب من ذلك اليوم، ولا أحسن منه منظرا، أو مخبرا يروق البصر، ويميل بالفكر. عادة جميلة استندوا إليها، وطبيعة جبلوا عليها" (الاسحاقي بنقل المنوني).

وكان السلطان هو الذي يعين له أميرا يكون من بين الأعيان، دينا، ثريا، عريقا في النسب. وقد غلبت عادة تعيين أمير الركب الفاسي من مدينة فاس، في عهد العلويين. ومن أشهر البيوت التي تولت إمارته آل عديل. وإلى جانب الأمير هناك القاضي والقائد ؛ فضلا عن حامية عسكرية، تكونت في عهد يوسف المريني من خمسمائة فارس. وكان للركب علم خاص، يحمله بعض الحجاج، وطبل يضرب، إعلاما بالإقامة والظعن، وخباء متميز. وقد يصحبه بعض أبناء السلاطين، وبناتهم وأمهاتهم. أما عن عدد المشاركين في الركب، فيمكن أن يقدر بعدة مئين.

أما عن طريق الركب، فإن كتب الرحلات تفيد عن الطريق التي يسلكها مختلف الركاب، بدقة متناهية. بل إن بعض الرحال قد أفرد موضوع المسالك بالكتابة على حدة. كما فعل محمد المرابط الدلائي (ت. 1099/1689)، ومحمد بن منصور العامري (ت. حوالي 1170 / 1756). وسنفرد لطريق الركب فقرة خاصة عندما نتطرق إلى الركب الناصري.

كان الركب المغربي عامة، يلاقي حفاوة وترحابا

كبيرين، من لدن عامة الناس وخاصتهم، في أكبر مراحل الطريق، مثل تونس، وطرابلس، والقاهرة، وينبوع، ومكة المكرمة. ومن جملة التآزر الذي كان يتم بين الركاب، أن الركاب المغربية قد اعتادت ألا تغادر مصر، إلا مع خروج المحمل المصري، ليشارك الحجاج المغاربة في الحفل، بل إن بعضهم كان يرافقه حتى مكة ؛ كما وصف ذلك بعض الرحالين، كأبي سالم العياشي.

وكان سلاطين المغرب، منذ عهد بني مرين، حتى عهد المولى سليمان (1792 ـ 1822)، يكرمون شرفاء مكة والمدينة والينبع. فيبعثون بـ"الصرة" صحبة بعض أبنائهم، أو إخوانهم، من الأمراء، الذين يتوجهون مع الركب. ومنهم من حبس أملاكا على الحرمين، مثل المولى إسماعيل الذي حبس زيتون حمرية. ومنهم من كان يبعث بهدايا سنية إلى علمائهما، وطلبتهما وأشراف الحجاز عامة، ونخص بالذكر السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

وفضلا عن "الصرة"، كان الركب الفاسي يحمل هدايا أخرى إلى المشرق، تتألف من مصاحف، وكتب قيمة، وجواهر فاخرة، عدد منها المنوني ما وجهه يوسف وأبو الحسن المرينيان، والمولى إسماعيل، وابنه عبد الله، وحفيده سيدي محمد بن عبد الله. فقد بعث هؤلاء بالمصاحف المزخرفة، والأموال الكثيرة، والجواهر النادرة، هدية إلى الحرمين ؛ مشفوعة برسائل مبعوثة إلى روح رسول الله صلى الله عليه وسلم، يؤكدون فيها ولاءهم للجناب النبوي، ويتضرعون إلى الله لحل أزماتهم.

وكان حكام المشرق، بدورهم، يبعثون بهدايا وطرف نادرة إلى ملوك المغرب، نمثل لهم بالناصر بن قلاوون، ملك مصر، والشريف سرور، أمير مكة المكرمة.

واعتاد الركب الفاسي، إذا قفل من الحج، أن ينزل بضواحي تازا، فيبعث بالبشير إلى فاس ليعلم بقدوم الحجاج ؛ فيهيء له سكان فاس حفلا بهيجا، على غرار احتفالهم بخروجه.

وكان هذا الركب، كثيرا ما يلتقي، في الطريق، مع بعض الركاب المغربية الأخرى، أشهرها الركب السجلماسي ؛ حتى إنهما قد يتحدان تحت رئاسة أمير واحد ؛ غالبا ما يكون أمير الركب الفاسي. وقد حدث هذا في عام 1121 / 1709، في الركب الذي حج فيه الشيخ أحمد ابن ناصر (ت. 1129 / 1717). وقد يجتمعان، ويبقى كل أمير منها على رأس ركبه ؛ مثلما وقع في ركب عام 1101/ 1690، الذي كان اليوسي والأمير عبد الملك بن إسماعيل من بين المشاركين فيه.

ويظهر أن الركب السجلماسي كان من أقدم الركاب المغربية، فهو الركب الذي وفد معه إلى المغرب جد الأسرة العلوية، الحسن بن قاسم الداخل. وأول أمير له ـ حسب المصادر ـ هو أبو إبراهيم العمري، الذي كان بقيد الحياة أوائل العهد المريني. وكان غالبا ما يسلك الطريق الوسط، المار عبر فيكيك، فبسكرة، فشط الجريد، ثم صحراء الفزان، فطرابلس. ثم يسير محاذيا للساحل، عبر الجبل الأخضر وبرقة. وقبل أن يصل إلى الإسكندرية، يتنكب إلى اليمين، ليقصد بولاق ؛ فيعبر نهر النيل إلى القاهرة. ومنها يستأنف السير إلى السويس ؛ فيعبر صحراء التيه (سيناء). ومنها إلى العقبة فالوجه ليدخل إلى بلاد الحجاز وينتهي إلى مكة المكرمة.

ويظهر أن الركب السجلماسي قد أصبح يكون مع الركب الناصري، ركبا واحدا منذ سنة 1072/ 1662.

وفي عهد السعديين أصبحت مراكش، من جديد، عاصمة للبلاد ؛ فصار ركب الدولة ينطلق منها. فدعي الركب الرسمي بالركب المراكشي. ويرجح الأستاذ المنوني أنه تأسس في أيامهم، وانقطع بعد انقراض دولتهم، لاسيما وأن العياشي تحدث عن ركب مراكش عام 1072 / 1661 ووصفه بالضعف.

ومهما يكن، فقد كان له ـ شأنه في ذلك شأن باقي الركاب ـ أميره ودليله ومناديه وحملة علمه. وكان السعديون يعتنون به، عناية خاصة ؛ فيوصون به ملوك الحرمين. كما كانوا يبعثون معه بهداياهم السخية إلى الأماكن المقدسة.

بالإضافة إلى هذه الركاب، عرفت منطقة الصحراء ركبا آخر، دعي بالركب الشنگيطي، كان يجتمع به مريدو الحج من سائر جهات تلك الأصقاع.

وعلاوة على الركاب البرية سافر كثير من المغاربة إلى الحج عبر البحر. ولم يكن ذلك مرتبطا بتقدم الملاحة البحرية، كما هو معلوم في القرن الثالث عشر (19 م)، ولكن قبل ذلك بزمن غير يسير . من ذلك الركب الذي سافر ضمنه الأديب محمد بن علي الرافعي التطواني، عام 1096 /1685 ؛ حيث أبحر من مرسى تطوان، وعاد إليها على الطريق نفسها. كما كان بعض الحجاج المغاربة يفضلون الرجوع على طريق البحر.

إلا أن الركب البحري قد نسخ مختلف الركاب في القرن الثالث عشر (19 م). والراجح أن لاحتلال فرنسا لبلاد الجزائر علاقة بهذا التحول. لذلك لم يعد هناك حديث عن الركب المغربي، وإنما عن الحجاج المغاربة، الذين أصبحوا يتوجهون إلى الحج على متن سفن في ملك شركات أجنبية، معظمها أوروبية. وهذا ما خلق للحجاج عدة مصاعب، حتى إن بعض السلاطين فكروا في منع الحج، لاسيما بعد تدخل السلطات القنصلية، للضغط على المخزن المغربي لاستحداث محجر صحي، لأن الوباء قد دخل إلى المغرب، مع الحجاج أحيانا. وبما أن الدول الأوروبية كانت تسعى إلى التغلغل في البلاد ، فإنها كانت، كذلك، تخشى من سريان العدوى إلى رعاياها المقيمين بمختلف المراسي المغربية. من أجل ذلك اتخذت، عن طريق قناصلها ، مواقف تعسفية ضد سفن الحجاج. وقد ابتدأت الصراعات بين

القناصل والمخزن المغربي، حول هذه القضية منذ مستهل القرن الثالث عشر (19 م)، ومافتئت تتزايد حيث فرض أولئك القناصل على الحجاج أن يقضوا حجرا صحيا بأحد الموانئ الأروبية، قبل أن ينزلوا بطنجة. كما اقترح بناء محجر صحي، تارة بجزيرة تاورة - قرب سبتة - وتارة أخرى بضواحي طنجة ؛ وأخيرا استقر الأمر على بنائه بجزيرة الصويرة. على أن ضغوط الأروبيين لم تتصاعد إلا بعد تأسيس المجلس الصحي، في سنة 1831 - حسب الأستاذ البزاز - أو في سنة 1840 - حسب الأستاذ ج. ل. مييج -. ولعل رأي الأول أقرب إلى الصواب، مادام ذلك المجلس كان يباشر أعماله منذ سنة 1836. فقد تدخل لمنع سفينة الحجاج العائدين من مكة، في 8 شتنبر، من النزول إلى البر، قبل قضائها مدة بالمحجر الصحي، على الرغم من أنها قضت حجرها الصحي في مالطة. وكان ذلك شأن سفينة حجاج أخرى، عادت إلى المغرب في شتنبر 1842، على الرغم من أنها تحمل شهادة تثبت سلامة ركابها. ويتضح من خلال رسالة بعث بها المجلس الصحي إلى السلطان مولاي عبد الرحمن، "أن السبب الذي استوجب اتخاذ هذا الإجراء (المنع من النزول إلا بعد قضاء حجر صحي) يكمن في تفشي الطاعون باستمرار، في الإسكندرية بمصر، وهو الميناء الذي يبحر منه الحجاج، والذي يعد القادمون منه من أخطر العناصر على الصحة العمومية". وينتهي المجلس إلى الإشارة على السلطان بأمر سلطات مختلف المراسي بمنع نزول الحجاج - وحتى أمتعتهم - إلا بعد الخضوع لمراقبة صحية صارمة، بمدينة طنجة. فما كان جوابه إلا أن قبل، وبعث برسالة إلى عمال المراسي "بأن لا يقبلوا من يرد من مراكب الحجاج"، إلا بعد أن يكونوا مروا بمدينة طنجة. لكن على الرغم من أنه لم يبد موافقته على مرورهم بأحد محاجر أوربا، فإن القناصل اعتبروا صمته دليلا على قبوله. والدليل على ذلك أن المندوب الصحي أرغم سلطات تطوان على عدم السماح لسفينة مالطية قادمة من الإسكندرية، وعلى متنها مائة وعشرون حاجا، بالدخول إلى المرسى ؛ في دجنبر 1845.

وما أن اندلع وباء الكوليرا في المغرب، سنة 1867، حتى شعر المخزن المغربي بضرورة إقامة محجر صحي، اختار له جزيرة الصويرة مقرا. ذلك أن الوباء كان قد اجتاح مكة المكرمة، في سنة 1865. ومنها انتقل الحجاج إلى مختلف جهات العالم. ولما علم به القناصل الأروبيون المعتمدون في المغرب، رفضوا السماح للحجاج المغاربة بالنزول إلى البر، كما منعوا عنهم المؤن التي حاول المخزن إرفاقهم بها ؛ حتى أدى الأمر إلى وفاة عدد كبير منهم. ومن ثم لم يكن أمام المخزن المغربي سوى حل واحد، فأمر بإحداث محجر صحي بجزيرة الصويرة، بواسطة ظهير مؤرخ في 10 رجب 1283/ 18 نونبر 1866.

وإذا كان ضغط القناصل، في ظاهره، كأنه يسعى إلى حفظ البلاد من آفة الوباء، فإنه في حقيقة الأمر كان يرمي إلى وقاية الأروبيين المقيمين في المغرب، قبل حماية المغاربة. ويذكر الأستاذ البزاز أن المحجر الصحي أصبح عبئا ثقيلا على الحجاج، أضيف إلى ما كانوا يعانونه من الجوع والوباء، وعسف أصحاب النقل، والمغارم التي كانوا يؤدّونها عند دخولهم لبعض المراسي، كالإسكندرية. بالإضافة إلى ذلك فإنهم أصبحوا مضطرين إلى قضاء مدة معينة في حجر صحي، شبيه بالسجن.

وهكذا أمر السلطان بتكوين مخيمين، غربي الجزيرة، أحدهما ينزله السالمون، والآخر ينزله المصابون. وأمر بإعداد كل ما يلزم لإقامتهم، طوال مدة الحجر. كما انتدب فرقة من الحراس للحفاظ على الأمن، ومنع الاتصال بين نزلاء المخيمين. وعلى الرغم مما اتخذه المخزن من تدابير، فإن المجلس الصحي قد تدخل، دون إذن من السلطان، ليشرف على تنظيم ذلك الحجر. فانتدب طبيبا، وبعض الممرضين الأروبيين للوقوف على "النزلاء". فكان هؤلاء يمنعون كل اتصال بين المخيمين، وبين نزلاء الجزيرة وباقي سكان المدينة. والأدهى من ذلك، أن مندوبي المجلس كانوا يعمدون إلى تطهير ثياب الحجاج وأمتعتهم، عن طريق تبخيرها بالكبريت وطرحها في الهواء الطلق ؛ الأمر الذي كان يثير سخط الحجاج. كما أن نزولهم جميعا بجزيرة الصويرة، يزيد بعضهم مشقة ؛ لأن منهم من يقطن بشمال البلاد، أو شرقها. لذلك فليس من مصلحة هؤلاء أن ينزلوا هنالك، ثم يضطرون إلى سفر آخر، وهم متعبون، يحملون الأثقال...

وكان الحجاج مضطرين إلى الإقامة، في الحجر، ثلاثة أيام إذا كانوا سالمين. وإذا كانوا مصابين، فإن مدة الحجر قد تطول، لتصل إلى خمسة عشر يوما أو أكثر. هذا مع العلم أن تلك الجزيرة لم تكن ملائمة لنزول الحجاج، الذين كانوا يتعرضون لكل ألوان المهانة والمشاق، ولاسيما إذا كان البحر في حالة المد. وبسبب ضيق مساحة الجزيرة ؛ فلا يمكن أن تستوعب كل الحجاج، الشيء الذي جعل المجلس الصحي يفرض على بعضهم قضاء حجر صحي بأحد الموانئ الأروبية.

وخلاصة القول، فعلى الرغم من تقلص مدة السفر، من ثمانية عشر شهرا إلى حوالي سنتين، في الركب البري ؛ إلى ما يناهز خمسة أشهر، في الركب البحري ؛ فإن مصاعب الحجاج لم تزد إلا استفحالا.

فعلاوة على ما كانوا يلاقونه من ابتزاز من قبل أرباب المراكب، وعسف المجلس الصحي ؛ أصبحوا من بين عوامل نقل الكثير من الأوبئة والأمراض إلى بلاد المغرب. فكان حجاج الركب البري الموبوؤون لا يصلون، إلا نادرا إلى المغرب، إذ يموتون قبل الوصول، بسبب طول مدة السفر. كما أن جراثيم كثير من الأمراض والأوبئة لا تتحمل شدة حرارة الصحاري التي يقطعها الحجاج ؛ لذلك كانت تموت،

أيضا لنفس السبب. أما مع تقليص المدة، وانخفاض الحرارة، بسبب اللجوء إلى النقل البحري، فقد أصبحت الجراثيم تتنقل بسهولة. وبناء على ذلك كانت العدوى تنتقل بسرعة.

أبو سالم العياشي، *ماء الموائد* ؛ الإسحاقي، *الرحلة* ؛ ابن مليح السراج، *أنس الساري*... ؛ أحمد بن ناصر، *الرحلة*... ؛ م. بن عبد السلام الناصري، *الرحلة الكبرى* ؛ م. المنوني، *من حديث الركب المغربي*... ؛ م. الأمين البزاز، *حول الحج المغربي في القرن التاسع عشر*، مقال نشر في مجلة *"دار النيابة"* العدد السادس، السنة الثانية، ربيع 1985، ص. 75 ـ87 ؛ *حول الحج المغربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين* : مآسي الحجر الصحي والنقل البحري. م. س. ن. العدد السابع، صيف 1985. ص. 66 ـ76.

أحمد عمالك

**ركب الحاجّ الناصري**، نسبة إلى الزاوية الناصرية بدرعة، يتميّز عن ركاب الحاجّ الأخرى المشار إليها آنفاً. وأول ركب نظمه الناصريون، كان في سنة 1070 /1660 مع شيخ الزاوية الناصرية مَحمد ابن ناصر ؛ بعدما كان أهل درعة يحجون مع الركب السجلماسي. ويبدو أن استقلال الناصريين بركب خاص بهم أضحى ضرورة ملحة، لا سيما بعد أن بدأ صيت زاويتهم يعلو في مختلف جهات بلاد المغرب... وعلى الرغم من هذا الترجيح، فإننا لا نستطيع أن نجزم بأن الشيخ مَحمد ابن ناصر توجه في تلك السنة على رأس ركب خاص به مستقل عن الركب السجلماسي، اعتماداً على العدد الكبير من الحجّاج الذين رافقوه.

على أن الحال قد تغير في أثناء حجته الثانية، وهي الحجة الأولى لابنه أحمد الخليفة، سنة 1076 / 1665. وأفادت إشارة وردت عند أحمد بن خالد الناصري أن أهل درعة أضحى لهم ركب خاص. ففي حديثه عن حجة الشيخ أحمد الخليفة الثانية، في سنة 1096 / 1685، قال "وبات، أي الركب، أول ليلة بالوادي المسمى بأسيف أزاغ، كما جرت به عادة ركب الحاج من أهل درعة". وكان أسيف أزاغ أول مرحلة في طريق الركب، يبيت بها الحجاج، منتظرين أن يلتحق بهم أتباع الناصريين القادمين من مختلف الجهات. وأشار المصدر المذكور إلى أن عدد الحجاج الذين رافقوا الشيخ أحمد الخليفة، في تلك الحجة "لا يحصى".

ونستيقن من هذا الرأي، إذا علمنا أن كتاب *الرحلة الناصرية*، يفيد أنه صار لهؤلاء ركب خاص بهم. فقد أكد الشيخ أحمد الخليفة، عند حديثه عن حصار طرابلس، أن الركب الناصري شارك في الدفاع عن المدينة المحاصرة، فقال : "ونحن وركبنا معهم مستهلين بالشهادة، رافعين أصواتنا بالتكبير". وكان ذلك في أثناء حجته الثانية، سنة 1096 / 1685. ولما مر بسجلماسة، في حجته الثالثة سنة 1109 / 1698، ذكر في رحلته أن الركب السجلماسي توجه إلى المشرق، قبل حلول ركب الناصريين بها، بزمن غير يسير.

بناءً على هذه القرائن نستخلص أن للناصريين ركبا خاصا بهم، اعتاد مريدوهم وأتباعهم أن ينضموا إليه، فور الإعلان عن موعد انطلاقه. لكننا لا ندري هل كان هذا الركب منتظما أم لا ؟ وما يمكن أن نجزم به أنه ظل مستقلا عن الركب الفاسي، الذي كان هو الركب الرسمي. أي أن المخزن لم يكن يتدخل لتعيين أميره، أو تزويده بجند لحمايته.

ولعل هذا الاستقلال كان سببا في إقدام السلطان المولى إسماعيل على منع الشيخ الناصري من التوجه إلى الحج، في سنة1119 / 1707. وباستثناء هذا الحدث الذي يندرج في سياق خاص، فإننا لم نقف على أي تدخل في شؤون ركب الحاج الناصري، طوال الفترات اللاحقة.

وقبل الحديث عن الأدوار التي اضطلع بها شيوخ الناصريين، وأعمالهم طوال السفر، يبدو من المفيد أن نحدد أهم معالم الطريق التي كان ركب الحاج يسلكها.

من خلال كتب الرحلات الناصرية، تمكننا من تتبع أهم مسالك الركب ؛ كما استطعنا ضبط مواقيت خروجه.

1) مواقيت انطلاق الركب : ينطلق الركب من تامگروت فيما بين منتصف ربيع الثاني وأواخر جمادى الأولى. وهكذا فقد خرج ركب سنة 1096 / 1685، يوم 16 ربيع الثاني، وركب سنة 1109 / 1707، يوم 5 جمادى الأولى ـ مع العلم أنه منع. أما ركب عام 1121 / 1709، فقد غادر تامگروت يوم 24 جمادى الأولى. وهذا مما يدل على أن الركب كان يقطع المسافة الفاصلة بين تامگروت ومكة المكرمة في مدة تنيف عن سبعة أشهر ؛ وهي مدة أقصر مما يستغرقه في أثناء الإياب، حيث كانت تتعدى ثمانية أشهر في المتوسط. وقد تصل أحيانا إلى سنة كاملة. وهذا راجع إلى أسباب سنرجع إليها لاحقا. وللإشارة كذلك فإن يوم الانطلاق كان، في الأغلب هو يوم الخميس، لأنه ورد فيه حديث، كان شيوخ الناصريين يتيمنون به، معتقدين أن ذلك من السنة. وفي اليوم الموعود يجتمع الحجاج خارج تامكروت، في مكان دعي بالأندر، حيث كانت تضرب لهم أخبية يقيم بها من يردون على الزاوية، استعداداً للتشريق، أو بعد عودتهم من الحج ؛ حتى يتسنى توديعهم أو المباركة إليهم. ويقع هذا المكان شمالي تامگروت. ويعتقد أواخر الناصريين أن الشيخ يوسف الناصري أعد منزلا لاجتماع الحجاج في المكان ذاته.

2) الجانب التنظيمي في الركب : قبل انطلاق الركب يعين له أمير وقاض، وتقدم كل قبيلة رجلا. يكون هؤلاء بمثابة "مجلس" الركب، يمكن أن ينعقد للبت في بعض القضايا الشائكة التي تستوقف الحجاج، في بعض مراحل الطريق ؛ مثل الوباء أو قطاع الطرق واللصوص، أو حين يضل بعض الحجاج.

ونتيجة لتعرض ركب الحاج لبعض المخاطر، يضطر إلى كراء الأدلاء، وحمل السلاح للدفاع عن النفس. ولم يخف الرحالة انزعاجهم من تلك الظواهر. فتواترت نصائحهم لمن يجيئون من بعدهم، بحمل السلاح والاستعداد للقتال.

3) طريق الركب : ينطلق الركب بعد صلاة الصبح، فيجدّ السير، عبر تزي ـ ن ـ تافيلالت، ولا يتوقف إلا بعد أن يصل إلى أسيف أزاغ ؛ حيث يبيت الركب. وفي اليوم التالي يتوجه رأسا إلى تافيلالت. وهنالك يقضي الحجاج بعض المآرب، ولا سيما شراء الرواحل والقرب ؛ ويبيتون ليلتهم بماجن الغرفة، وهي قرية تقع شرقي واد زيز، مقابلة لتابوعصامت. ومنها يظعنون، ليؤموا تلغمت، حيث اعتاد الركب أن يخيم، فيقدم أتباع الناصريين وتلاميذهم من أيت عياش والمناطق المجاورة ؛ لأخذ الورد أو تجديد العهد بشيوخهم. ومنها يقصدون القنادسة، حيث توجد زاوية ابن أبي زيان الناصرية. فكان الركب يقيم بها يومين أو أكثر ؛ ثم يواصل الركب انعطافه نحو الشمال الشرقي. وبعد أن يمر ببشار، يتوقف بفگيگ، حيث كانت لأهل البلدة مصاهرة مع شيوخ الناصريين. كما اشتهرت برخص الثياب، ولا سيما البرانس الرفيعة الجودة. يقول أبو مدين الدرعي : "واشتروا (أي الحجاج) بها ما يصلح لهم من الثياب والبرانس، إذ لا موضع الكسوة فيه رخيصة منها.." ومنها كان الحجاج يشترون ما يكفيهم ودوابهم لثلاث مراحل. وقد اشتهر بنو عبد الجبار من بين الأسر التي كانت لهم عناية خاصة بالركب الناصري. وتنعقد حول قصورهم سوق تجارية كبرى. يلتقي فيها تجار تافلالت وتوات وتلمسان. ثم يدخلون مجال قبائل حميان، وأهم مرحلة به قرية أبي سمغون، وهي أول مرحلة من بلاد المغرب الأوسط. يجمع الرحالة على أن تلك الجهات لم تكن تخلو من قتال، وكان أهلها يقومون بقطع الطرق ونهب الحجاج ؛ لذلك كان الركب يضطر إلى الإقامة بها يوما وليلة، على الأقل، حتى يتأتى للحجاج أن يتأكدوا من سلامة الطريق.

وبعد أبي سمغون يجدّ الركب السير حتى يصل إلى عين ماضي، حيث تلتقي طرق الركاب الحجية، ولا سيما الركبين الفيلالي والفاسي. وقد عرفت هذه البلاد رخص الغنم والإبل، بسبب كثرتها.

ومن عين ماضي يتجه الركب صوب بسكرة، التي تبعد عن المرحلة السابقة بحوالي اثنتي عشرة مرحلة، بعد أن يتركوا واحات الأغواط ذات اليمين. ويفصل بين عين ماضي وبسكرة عدد من المراحل، أشهرها واد الطرفة ثم وادي بوملول، ثم وادي دمت، فالتوميات. ويعتقد الحجاج أن هذه المرحلة، هي منتصف الطريق بين فاس وطرابلس.

وأكبر مرحلة تلي التوميات، واد سيدي خالد الذي يعد أول بلاد الزاب. وبينها وبين بسكرة يتوقف الحجاج عند خلوة عبد الرحمان الأخضري ـ صاحب *السلم المرونق* ـ وقرية مليلة، حيث بات ركب سنة 1121 / 1709.

واعتاد ركب الحاج الناصري أن يقضي ببسكرة أحيانا يومين على الأقل. وقد دخلها الركب، في حجة الشيخ أحمد الخليفة الرابعة عصر1121 / 1122 عصر السبت 23 رجب / 17 شتنبر 1709. ومن هنا يتجه الركب إلى توزر التي تبعد عن بسكرة بحوالي ثمانية أيام ؛ وهي قاعدة بلاد الجريد ؛ ومن أول أعمال تونس. ومنها إلى قابس يستغرق الركب حوالي ستة أيام. ولما يرتحل من هذه المدينة يقصد طرابلس، التي يصلونها بعد مسير حوالي أسبوعين، في أحسن الأحوال، لأن مفازة الفزان، الفاصلة بين المدينتين من أخطر المفاوز، التي يقطعها الركب.

وبين القاهرة ومكة المكرمة مسيرة أربعين يوما، تتخللها مراحل كثيرة، أولاها عجرود عند مدينة السويس ؛ ومنها يتوجه بعض الحجاج، ولا سيما الصعاليك، إلى جدة عبر البحر. ولعل ظاهرة ركوب البحر إلى جدة، لم تستفحل إلا في القرن الثالث عشر (19 م).

وبعد أداء مناسك الحج يؤم الركب المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فيتبع الطريق نفسها : من مكة إلى رابغ، فمستورة، فبدر، فالصغراء، فالروحاء، فذو الحليفة، ثم أخيراً المدينة. ويقطع هذه المراحل في عشرة أيام.

وقد اعتاد بعض الحجاج ألا يزوروا المدينة، فيتفرق الركب إلى فرقتين، عند بدر ؛ فيبعث قاصدو زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، جل أثقالهم مع الآخرين، ليلتحقوا بهم في ينبع النخل. كما اعتادوا أن يدخلوا المدينة المنورة يوم الإثنين ثاني محرم، فيمكثون بها خمسة أيام ويغادرونها بعد صلاة الجمعة، عبر الطريق نفسها، إلى أن يشارفوا بدرا، فيتنكبون عنها يمينا، قاصدين ينبع النخل ؛ حيث يستريحون يوما أو يومين، ثم يظعن الركب بعد صلاة صبح اليوم الموالي ؛ فيتجه إلى العقبة. وتنقسم هذه المسافة إلى أربع مراحل كبرى.

ومن العقبة يغرب الركب، ليتوجه صوب عجرود ؛ فيقسمها إلى ثماني مراحل. وللإشارة فإن الطريق من ينبع إلى القاهرة منضبطة المسالك في الذهاب والإياب.

وعند دخول مصر يختص الركب الناصري باستقبال رائع ؛ يشارك فيه المغاربة المقيمون بالقاهرة، وأمراء الجند، وكثير من أعيان البلد. وكان الركب الناصري غالبا ما يدخل القاهرة خلال العشر الأوائل من شهر صفر، فيبعث الحجاج برواحلهم وبعض أثقالهم مع الجمالين إلى كرداسة، في انتظار اللحاق بهم ؛ بعد قضاء مختلف مآربهم وأوطارهم.

وكان من عادة الناصريين أن ينزلوا بقرب مسجد الحسين، بدور يهيؤها لهم بعض المغاربة، مثل الحاج محمد الشرايبي، الذي كان مقيما بالقاهرة. وغالبا ما كانت إقامة الركب الناصري، خلال حجات أحمد الخليفة الأربع تناهز الشهر. وبعد ذلك يعبر الركب نهر النيل، فينزل بقرية

أمبابة، ليجتمع الحجاج. من أجل ذلك يضطرون إلى قضاء حوالي أسبوع في انتظار أن يلتحق الكل بالموكب ؛ لينطلقوا بعد صلاة الصبح، قاصدين الإسكندرية. وتنقسم هذه المسافة إلى خمس محطات كبرى، يقطعها الركب فيما يزيد عن عشرة أيام. وقد يقيم بالإسكندرية يومين أو ثلاثة، يزور الحجاج خلالها أضرحة بعض الأعلام، مثل الطرطوشي وابن الحاجب وغيرهما.

ويظهر أن سبب مرور الركب الناصري بالإسكندرية راجع إلى وجود جماعة من تلاميذ الناصريين، كان الشيخ أحمد الخليفة قد قَدَّمَ عليهم، في أثناء حجته الرابعة، الحاج محمد الناضوري.

وبعد الاسكندرية تتزايد الأهوال، وتشتد المشاق، ولا سيما أن الطريق التالية تعد أكبر مفازة يقطعها الركب. وتمتد إلى برقة، تبلغ مسافتها مسيرة شهر كامل. وكان الحجاج ينزعجون منها أشد الانزعاج عندما يصل الركب إلى طرابلس، يتلقى أعيان البلد شيخ الناصريين بالترحاب، فيستضيفه بعضهم، كما فعل محمد بن أحمد المكني، مفتي طرابلس ؛ في أثناء حجة الشيخ سنة 1122 / 1710. بل لقد التقى هذا الأخير بوالي البلد، وبعض كبار رجال الدولة. فبالغ هؤلاء في قضاء مآرب الحجاج ؛ حتى إن والي طرابلس أمر من يقف للبحث عن بعض ما سرق لأحدهم.

وكان الحجاج يعيرون لهذه المدينة أهمية بالغة، لأنهم يكترون منها الرواحل، ويجاعلون الأدلأء والجمالين، كما يشترون منها كثيراً من الزاد. لذلك فبفور حلول الركب بها، يشتغل هؤلاء بكل ما يقيم أودهم ؛ فيبيعون ما حملوه من سلع، ويبحثون عما يحتاجون إليه. لذلك كله تطول إقامتهم بها، لتتعدى أحيانا خمسة عشر يوما. واعتاد بعض أهل طرابلس، ولا سيما علماء المالكية وتلاميذ الناصريين أن يشيّعوا الركب طوال مرحلة أو مرحلتين.

ومن طرابلس يشد الحجاج الرحال، لعبور مفازة نفزاوة، وهي أيضاً من الصحاري المعطشة، متوجهين إلى قابس، التي يصلها الركب بعد حوالي عشرة أيام من السير الحثيث (ليلاً ونهاراً). وبقابس يقيم الحجاج، عادة يومين، للاستراحة، والبحث عن جمالين جدد، لأن الجمالين الذين يرافقون الركب من مصر، قد اعتادوا أن يرجعوا مع الركب التونسي، الذي يكون في أثناء وصول الركب الناصري إلى قابس، في حالة تأهب للتشريق.

4) ركب الحاج زاوية متنقلة : حافظ شيوخ الناصريين ؛ من رأس الطائفة إلى يوسف بن محمد الكبير (ت. 1197)، عل الأقل ؛ على نفس المنهاج الصوفي. وتمسكوا بنشر طريقتهم في الحضر والسفر. وعن طريق ركب الحاج انتشرت الطريقة الناصرية في كثير من بلدان العالم الإسلامي. وتمت الإشارة إلى أن شيوخ الناصريين عنوا عناية خاصة بتلقين الأوراد لكثير من سكان المدن والقرى والمداشر التي كانوا يمرون بها. بل لم يكونوا يترددون في تقديم النقباء والتفويض إليهم ؛ ليسهروا على نشر الطريقة ورعايتها.

وإذا حاولنا أن نؤرخ لانتشار الطريقة الناصرية بطريق ركب الحاج، فيمكن بدء الحديث من سنة1076 / 1665، أثناء حجة الشيخ مَحمد ابن ناصر الثانية ؛ حيث عقد هذا الشيخ محبة مع كثير من السكان الذين مرَّ بهم الركب، وخاصة في تونس وطرابلس والقاهرة. يشير الحسن اليوسي إلى أن المشارقة كانوا يأخذون عن شيخه مَحمد ابن ناصر في أثناء حجته الورد يدونون السنة والزمان والمكان. أما في عهد ابنه الشيخ أحمد الخليفة، فقد تطور الأمر إلى تعيين المقدمين. وتذكر المصادر أنه أعطى "الإذن" لكثير من الناس، نذكر منهم محمد الأخصاصي بالمدينة المنورة، ومحمد بن منصور السفطي بمصر، والحاج عيسى بن خليفة ببرقة، وعلي بن عبد الصادق بطرابلس، وعبد الله المجدوب بحمة قابس.

وإذا علمنا أن طريق الركب كانت تمر بجهات ظلت هامشية، بالنسبة للسلطات التركية الحاكمة ؛ وكان سكانها متروكين لأنفسهم، فقد نقدر مدى ما كان متصوفة الناصريين يضطلعون به من أجل تقويم سلوك أولئك السكان.

فبالإضافة إلى تدخلاتهم في أثناء رحلاتهم، لبث التربية الصوفية، استطاعوا أن ينشئوا "خلايا"، على طول طريق ركب الحاج، نذكر منها في المغرب الأوسط تلمسان ووهران وقسنطينة، وقرية جلال، وأم الخير وبسكرة وسيدي خالد. وفي تونس حامة مطماطة، وتوزر وقابس وصفاقس. أما في ليبيا فقد اشتهر أتباع الناصريين وزواياهم في طرابلس، وتاجوراء ومصراتة وبرقة .... وفي مصر استأثرت القاهرة بالنصيب الأوفر من الأتباع. وبما أن الطريقة الناصرية تميزت ببساطة أورادها، وقوة تعاليمها ولا سيما التفتح على سائر المذاهب، فقد أقبل مختلف الناس على الانخراط في سلكها. فقامت تلك الخلايا بالاضطلاع بنفس الأدوار التي قامت بها أم الزوايا.

هذا علاوة على ما امتاز به شيوخها من مكارم الأخلاق والعلم والصلاح ؛ الأمر الذي خولهم الاحترام والتقدير لدى سكان تلك البلدان. وعمل أولئك الشيوخ كل ما في وسعهم لدعوة الناس إلى أتباع السنة وترك البدع. وتصدوا إلى محاربة العادات والتقاليد الفاسدة. من ذلك مثلاً :

1) السماع الذي استعمله بعض المتصوفة.

2) الاختلاط بين النساء والرجال.

فبصدد المسألة الأولى ؛ لما وصل الشيخ مَحمد ابن ناصر، في أثناء حجته الأولى إلى طرابلس، وجد جماعة من أتباع شيخ صوفي يستعملون السماع بالدف ؛ فبعث إليهم من يأمرهم بترك تلك العادة، "وإلا اعتزلوا عن أصحابه"، ولم يزل بهم حتى تركوا السماع.

5) الوساطة والتحكيم : لم يقتصر دور شيوخ الناصريين ومقدميهم على محاربة ظواهر السلب والنهب،

وقطع الطرق، والتصدي للعادات والتقاليد المنحرفة ؛ حيث كان لهذه الأمور ما يبررها، كانتشار عدم الاستقرار والفقر، وتوالي القحوط والأوبئة، في تلك الجهات ؛ علاوة على بعدها عن مراكز الإشعاع الثقافي ؛ بل تدخلوا للتحكيم في الخصومات، وتوسطوا بين المتقاتلين، وانتصفوا للمظلومين. ونستحضر، في هذا المقام، عدة أمثلة منها :

فيما يتعلق بالنزاعات بين القبائل، توسط الشيخ أحمد ابن ناصر، بأبي سمغون، بين ثلاث قبائل متناحرة، كان القتال بينها متواصلا طوال أجيال خلت. ولما ندبها إلى الصلح لم تتلكأ أية واحدة منها عن الاستجابة إلى طلبه. وليجعل ذلك الصلح نافذا، أمرها بالتعهد كتابة بالالتزام به. وليقف الشيخ على تنفيذ الصلح، حرر مقتضياته كتابة، وأعطى كل فريق نسخة منه... ؛ ولإبراز بعض مظاهر المصالحة، لم يغادر الشيخ المنطقة إلا بعد أن شاهد الناس يتبادلون الضيافة، ويلاقي بعضهم البعض. يقول بصدد ذلك : "فتوافوا وتضايفوا إتماما للعقدة وتأكيداً لها وزيادة في إشاعتها.. وإزالة الضغن والشحناء..."

وقد تمت الإشارة إلى التدخل الذي قام به الشيخ نفسه لدى قبيلة السليمة، لفسح المجال أمام الحجاج، والكف عن إذايتهم. وفي سنة 1154 / 1741 توسط أبو مدين الدرعي بين أولاد سيدي عبد الجبار - غربي بسكرة - الذين تقاتلوا بسبب خلاف حول أرض زراعية. فكان تحكيمه ناجعا، إذ التزم الفرقاء بمقتضيات الصلح التي ارتضاها لهم ذلك الشيخ.

وإذا كانت تلك القبائل استجابت لوساطة الناصريين، فيمكن أن يستدل بذلك على المكانة المرموقة التي تبوأها هؤلاء لديها، علما أنها كانت تحيى حياة هامشية، بالنسبة للسلطة المركزية. ولم يكتف شيوخ الناصريين بفض النزاعات، وإقرار الأمن بين السكان ؛ بل توسطوا حتى بين الحكام وبعض الخارجين عن طاعتهم.

ومن أمثلة ذلك وساطة الشيخ أحمد الخليفة بين السلطان المولى إسماعيل، وابن أخيه أحمد بن الحفيد، الذي أعلن العصيان في المنطقة الشرقية. فاستطاع الشيخ أن يحسم الخلاف بين الرجلين، ويصلح ذات بينهما.

6) الجانب العلمي في ركب الحاج الناصري : تمت الإشارة إلى أن شيوخ الناصريين قد حظوا بالتقدير والاحترام لدى سكان القرى والمدن التي كانوا يمرون عليها. فتعلق بهم العلماء والطلبة أينما حلوا وارتحلوا. وإذا كان هؤلاء الشيوخ قد جمعوا بين التصوف والعلم، فلا غرابة أن يكون ركب الحاج بمثابة مدرسة متنقلة، عقد العلماء والطلبة خلالها، حلقات علمية أثناء إقامتهم وظعنهم. فكانوا يتناظرون ويتذاكرون ؛ ومنهم من يتابع دروسا منتظمة، "فيختم" في الرحلة كراسات وكتبا، قد "يسلكها" عدة مرات. ففي سياق حديث أبي سالم العياشي عن مداومة الشيخ مَحمد ابن ناصر على التدريس، يقول : "وكان الشيخ في سفره هذا (حجة 1070) وفي غيره، لا يخل بدرس العلم وإقراء المتون، وإملاء الفنون ...".

وذلك ما يزكيه بالمعايشة الحسين بن ناصر، صنو الشيخ المذكور حين يقول : "ختمت على الشيخ الأخ الشقيق شمس المعارف سيدي مَحمد ابن ناصر *خليل بن إسحاق* ست مرات، ثلاث بأغلان عام ثلاث وخمسين وأربع وخمسين، وختمة فيما بين مصر وطرابلس الغرب وبسكرة النخل عام سبعين، وختمتان فيما بين ذلك عام ستة وسبعين وسبعة وسبعين ؛ *والتسهيل* كذلك، ثلاثا بالبلد واثنان كذلك....".

واستجاز العلماء الناصريون وطلبتهم بعض كبار العلماء المشارقة، فأجازوهم. ومن أمثال هؤلاء، محمد البقري بمصر، وعبد الله بن سالم البصري، بمكة المكرمة، والملا إبراهيم بن الحسن الكوراني، بالمدينة المنورة. وكما استجاز الناصريون هؤلاء العلماء، فقد أجازوهم بدورهم. من ذلك مثلا، أن أحمد الخليفة وأخاه عبد الله قد أخذا عن العالمين أحمد ومحمد ابني قاسم البقري بمصر. وأثبت محمد المكي الناصري نص الإجازة في كتابه فتح الملك الناصر. وتدبّج الشيخ أحمد الخليفة وإبراهيم الكوراني، فأجاز كل منهما الآخر. ولم يكتف الناصريون بالتلقي، بل تصدروا بدورهم للتدريس، ولا سيما بمصر ؛ حيث كان ركب الحاج يقيم مدة طويلة، تتراوح بين شهر وشهرين، فيعقد العلماء حلقات علمية يحضرها طلبة العلم، من أجل التحصيل والمناظرة. ومن بين من اقتعدوا كراسي التدريس بالجامع الأزهر عبد المالك التاجموعتي، وأحمد الهشتوكي اللذين أجازا طلبة وعلماء من مصر ومن غيرها. وأقام محمد الصغير الورزازي الناصري بمصر، مدة ؛ فاشتغل بالتدريس، حتى توفي هنالك، سنة 1139 / 1727. وإذا كان الشيخ أحمد ابن ناصر، لم يتصدر للتدريس، فقد أجاز بعض الطلبة والعلماء بكل من المدينة المنورة، ومصر.

وظل حبل التواصل ممدوداً بين العلماء، في كل من المغرب ومصر - على الأقل - في عهد الشيخ يوسف الناصري (1157 - 1197). واستمرت هذه العلائق نشطة حتى مستهل القرن الثالث عشر (19 م) على الأقل ؛ وهو التاريخ الذي سجل بدء تراجع ركب الحاج الناصري.

تذكر الرواية الشفهية المتواترة عند الناصريين، أن الشيخ مَحمد ابن ناصر، صحب معه في أثناء رحلتيه الحجيتين عدداً من التلاميذ. وكلما عثر على كتاب نفيس، إلا واستعاره ليوزع كراريسه عليهم. ثم يأمرهم بنسخه ؛ ليحمله إلى تامگروت. وبهذه الوسيلة انتقل إلى الزاوية عدد كبير من الكتب.

وفي عهد ابنه أحمد الخليفة، تضاعفت مقتنيات دار الكتب بما جلب إليها من المشرق. منها جل مصنفات ابن الأجدابي. ولما زار هذا الشيخ القاهرة في حجته الأخيرة، اشترى عدداً من الكتب. وفي الوقت ذاته اقترض مبلغاً

مالياً كبيراً، أنفقه كله في اقتناء الكتب. وأضاف عبد الحي الكتاني، بصدد المناسبة نفسها، أن هذا الشيخ أنفق مائة مثقال ذهبي في شراء الكتب. ومن التحف التي جلبها الشيخ أحمد الخليفة إلى المغرب، النسخة اليونانية من *صحيح البخاري* ؛ اشتراها من مكة المكرمة، بثمانين ديناراً ذهباً.

ويظهر في مختلف الركاب، عادة، ثلاث فئات اجتماعية هي :

أ) أعيان الحجاج ؛ وتتكون هذه الفئة من الشرفاء والتجار وذوي الحيثيات.

ب) صعاليك الحجاج ؛ وهم ذوو الفاقة والبسطاء، الذين يرافقون الركب لتقديم بعض الخدمات في أثناء الطريق.

ج) العبيد والخدم، الذين يصطحبهم الشيخ الناصري، وأعيان الحجاج.

وإذا كان "مجلس الركب" يمثل القبائل، ويتدخل للنظر في بعض المشاكل التي تطرأ بين الحجاج، فإن "شورى الركب" كانت بأيدي أعيانه، الذين يقومون بفض مختلف القضايا. ومن الأمثلة التي نود سوقها، في هذا المقام، ما نستفيده من كلام الشيخ أحمد الخليفة، حين استشكل أمر الطريق، في مفازة برقة، فقال : "وجمعنا أعيان الركب لنستخبر ما عندهم، وما عليه جلهم، وما هو الأصلح لهم. واتفق رأيهم، بعد مراجعة في الكلام ومراسلة، ومناقبة ومواصلة، أن يتوجهوا منكبين طريق سلوك". نفهم من هذا أن حسم الأمر قد تطلب عقد جلسة، تخللها الأخذ والنقاش، للتباحث في تلك النازلة.

وقد سبقت الإشارة إلى أن أولئك الأعيان، عقدوا مجلسا آخر، لما اعترضت طريقهم فيضانات بعض أودية الصحراء، قبل أن يتنكبوا ذات اليسار، للمرور عبر واحات عين ماضي. أي أن الأعيان، هم الذين كانوا يقررون فيما يستوقف الركب من النوازل ؛ طوال الطريق، وأنهم تبعا لذلك، كانوا بمثابة السلطة العليا، في ركب الحاج الناصري.

هذا عن "مجتمع الركب"، أما فيما يختص بحياة الحجاج، طوال الرحلة، فقد استمرت فيها مختلف المظاهر. فقد ظل الحجاج متمسكين بكل الممارسات اليومية التي يعيشونها زمن الاستقرار ؛ من تقاليد واحتفالات ومآتم.. وهكذا فبالإضافة إلى تلقي العلم وتلقينه، والتجارة وتبادل النقود وصرفها ؛ احتفل الحجاج بالزفاف والعقيقة، ومنهم من توفي في أثناء الطريق. من ذلك أن المدعو علي بن أحمد الرسموكي قد عقد قرانه بصفية بنت علي بن عبد العزيز البوعنانية، في بداية الرحلة، ودخل بها بعد أن جاوز ركب سنة 1095 / 1685. وحملت منه، وما يزال معها كذلك حتى المدينة المنورة. وفي أثناء عودة الركب الناصري من حجة سنة 1122 / 1710، "أخذ الطلق إحدى مملوكات" الشيخ أحمد الخليفة. فوضعت ولداً ذكراً، عند حلول الركب بوادي الخفشة. فأقام له الشيخ وليمة العقيقة، في اليوم السابع من ميلاده. وهذا ما يؤكد أن كثيراً من الحجاج - ولا سيما أعيانهم - كانوا يصحبون معهم نساءهم، وسراريهم، وبعض أطفالهم.

وخلاصة القول إن الزاوية الناصرية مثلت حضوراً متميزاً في المجتمع، سواء على صعيد المغرب - بمدنه وقراه ومداشره - أو صعيد البلدان الإسلامية، التي يمر عليها ركب الحاج الناصري. وظل شيوخها يعملون على ترسيخ تعاليم طريقتهم، في الظعن والإقامة ؛ الأمر الذي أسهم في توثيق الصلات، عن طريق انتقال الأفكار والأسانيد والكتب، وبعض طرق التدريس بين المشرق والمغرب، اضطلع الناصريون، في كل ذلك - شيوخا أو مقدمين أو أتباعا - بالدور الرئيسي، وحظوا بمكانة رفيعة لدى سكان تلك البلدان.

وعلى الرغم من الصعوبات التي كانت تعترض سبيل ركب الحاج الناصري، في بعض مراحل الطريق، فقد استطاع الشيوخ الناصريون تذليلها ؛ بفضل التنظيم المحكم الذي تواضعوا عليه ؛ سواء بجعل الركب زاوية متنقلة، تضطلع بمختلف أدوارها المعهودة - من ذكر ووساطة وتعليم وأمر بمعروف ونهي عن منكر - أو بالحرص على استمرار مختلف مظاهر الحياة، في المنشط والمكره.


م. ابن ناصر، *إتحاف المعاصر* ؛ أبو سالم العياشي، *ماء الموائد* ؛ م. المكي الناصري، *الروض الزاهر* ؛ *فتح الملك الناصر*، *طليعة الدعة* ؛ *الدرر المرصعة* ؛ أ. ابن ناصر، *الرحلة* ؛ أ. الهشتوكي، *هداية الملك العلام*، رحلة ؛ أبو مدين الدرعي، *الرحلة* ؛ مَحمد الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ محمد بن عبد السلام الناصري، *الرحلة الكبرى*، *المزايا فيما أحدث بأم الزوايا* ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات* ؛ ح. الورقيلاني، *نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار*، تح. محمد بن أبي شنب، بيروت، ط. 2، 1974 ؛ ح. ابن ناصر، *فهرسة*، نسخة علي الريسوني، شفشاون ؛ القادري، *نشر المثاني/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت،1996 ؛ *التقاط الدرر* ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ رضا كحالة، معجم *المؤلفين* ؛ الزركلي، *الأعلام* ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ ح. مؤنس، *أطلس تاريخ الإسلام*، *الزهراء للإعلام العربي*، القاهرة، الطبعة الأولى، 1407 / 1987 ؛ م. المنوني، من حديث *الركب المغربي*، *دليل دار الكتب الناصرية*، *البخاري الصحيح* ؛ *معلمة المغرب* ؛ م. ماگمان، *أدب الرحلات*. د. د. ع مرقونة ؛ أ. التوفيق، *أبو الحسن علي بن سليمان الدمنتي البوجمعوي* ورسالته إلى الآفاق بحث نشر في *النهضة والتراكم*، دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية، مهداة إلى الأستاذ محمد المنوني. *المعرفة التاريخية*، الدار البيضاء، 1986.

Michaux-Bellaire, *Conférences sur les confréries religieuses du Maroc*. *A.M.*, vol. 27, 1917.


أحمد عمالك

**ركراكة** أو رجراجة، قبيلة من فروع قبيلة مصمودة الأمازيغية الكبرى، استوطنت منطقة الشياظمة بإقليم الصويرة منذ ما قبل الاسلام إلى اليوم، واشتهرت عبر التاريخ الإسلامي بالطائفة الركراكية المنتسبة إلى سبعة رجال المشهورين برحلتهم إلى مكة المكرمة فأسلموا على يد رسول الله (ﷺ) ففازوا بشرف الصحبة ثم عادوا إلى بلدهم مشمرين عن ساعد الجد لنشر الإسلام والتصدي لأعدائه، يتوارث خلفهم عن الأسلاف هذه المهمة التي تختلف ظروفها وملابساتها من عصر إلى الآن. وتروي بعض كتب التاريخ المغربية للمرغيتي واليوسي والمختار السوسي أن أصل طائفة رجراجة المشهورة بالصلاح والجهاد في سبيل نصرة الدين أنهم من بقية الحواريين المومنين بالمسيحية (الدوناتوسية) انتقلوا من جزيرة الأندلس راكبين على سفينتهم حتى خروجوا بإقليم حاحة بمرسى (أگوز) وذلك قبل الإسلام عند مصب وادي تانسيفت وبنوا بها مسجداً لعبادة الله يسمى : (مسجد الحواريين) وبالأمازيغية : (تيمزگيدا ن حورن) وسكان المنطقة من المصامدة يتبركون بهم ويعظمونهم واختلطوا معهم بالمصاهرة والتناسل، وكانوا يحفظون عن أسلافهم أن نبيّاً سيبعث، فبقوا يترصدون مبعثه، وحين بلغهم نبأ مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، هبوا لتلبية دعوته فجمعوا رؤساء المغرب، وساروا في وفد عظيم تحت رئاسة سبعة رجال المشهورين إلى مكة.

إن من الثابت تاريخيا هو أن منطقة حاحة وركراكة كانت منطلقا للدعوة الإسلامية بالمغرب وظلت مركز إشعاع ديني، ورباطا للدفاع عن العقيدة الصحيحة ضد البدع الضالة وبالأخص عند ظهور برغواطة بتامسنا، وظل السادة الركراكيون متصفين بالخير والدين والصلاح والاستقامة والتمسك بأذيال الشريعة، والاجتهاد في الأعمال الصالحة وتعمير المساجد وإطعام ابن السبيل والضعيف وذوي الحاجة والإقبال على تعاطي المكرمات وهذا ما جعلهم معظمين محترمين لدى جيرانهم من قبائل الشياظمة وحاحة وغيرهم من المغاربة المواظبين على زيارة السادات السبعة رجال والاجتماع للدوران على أضرحتهم وزواياهم خلال فصل الربيع من كل سنة، وهم :

- سيدي واسمين في ظرف جبل الحديد بالشياظمة.
- سيدي عبد الله أدناس على طريق وادي تانسيفت.
- وسيدي عيسى بوخابية بوادي تانسيفت.
- وسيدي يعلي بن واطل في آمسكن
- وسيدي سعيد بن يبقى غرب وادي شوشوا (شيشاوة)
- وسيدي أبو بكر اشماس باقرمود.
- سيدي صالح بن أبي بكر اشماس بأقرمود نفسه.

وقد تكاثر الركراكيون بالتناسل حتى بلغ عددهم حسب الإحصاء الأخير حوالي مائة ألف نسمة بمعدل نصف سكان قبائل الشياظمة البالغ نحو مائتي ألف نسمة.

وموسم ركراكة الذي تقيمه قبائل الشياظمة ويتوافد المحبون للركراكيين من كل أنحاء المغرب يبتدئ من يوم 20 مارس وينتهي مساء يوم 27 أبريل مستغرقا 39 يوما يزور فيها المشاركون 14 زاوية و25 ضريح ولي وولية بمعدل يوم وليلة لكل مقام يستضيفهم أهل دفين الضريح فيبيتون فيه مستغرقين الليل كله في الذكر وتلاوة القرآن والعبادة إلى وقت الأذان فيصلون الفجر ثم يعودون إلى التلاوة والاذكار إلى أن تطلع الشمس فيجتمع الناس إلى مقدميهم الأكابر من المرابطين ويستنبطون نوعاً حسنا من التوسل فيقول الأولون ويرد عليهم الآخرون إلى أن يدخلوا الروضة المقصودة فيصلون جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم المرة بعد المرة ثم يجلس الجميع سواء من كان داخل الروضة أو خارجها ثم يقرؤون سورة ياسين، وبعده يشتغلون بالدعاء والابتهال إلى الله تعالى والتضرع إليه بأنواع الأدعية لأنفسهم ولغيرهم من المسلمين ويختمون الدعاء فيخرجون من حينهم ويذهبون قاصدين غير ذلك الولي. وهكذا دواليك.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 4، ص. 7 ؛ ع. الله الركراكي السعيدي، *السيف المسلول*، ص. 27 ؛ مخطوطة (طاطا) من تأليف محمد بن أحمد التملي عام 846 حول *أصول الركراكيين وأنسابهم* ؛ مخطوطة ؛ ؛ *العيون المرضية في ذكر بعض مناقب الطائفة الركراكية*، لأبي الفضل عبد الكبير ابن سعيد وهي مؤرخة بربيع الأول عام 1312 والمخطوطتان من إخراج الأستاذ عمر أفا.

محند أيت الحاج

**الركراكي، إبراهيم** بن سعيد بن علي بن محمد المراكشي فقيه مدرس مؤلف، له شرح *على التحفة* في مجلد، قال في ديباجته : (هذا تقييد مختصر كالشرح للتحفة *العاصمية*، لخصت فيه ما وقع عليه الاختيار مما تضمنه شروحها، وربما أزيد من غيرها مما تتم به الفائدة). وقال في آخره : (وكان الفراغ من مبيضة هذا التقييد ضحى يوم الأربعاء عشية يوم الأحد السادس عشر من شهر الله صفر عام تسعة وسبعين ومائة وألف). وله شرح *على الزقاقية*.

توفي عام 1190 / 1776.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1 : 187 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 7 : 2409.

**الركراكي، أحمد** (الحاج -) **الأمين** الرباطي، عمل أميناً بالمراسي خلال القرن الثالث عشر (19 م)، عينه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان أمينا بمرسى الجديدة سنة 1281 / 1864 ثم أمينا بمرسى الدار البيضاء سنة 1283 / 1866.

ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط وأعيانها*، ص. 222.

**الركراكي، أحمد** (الحاج -) **المؤلف** الرباطي، درس على الشيخ الصوفي فتح الله بناني وعلى بعض علماء الرباط، كما درس بالقاهرة أيام مكوثه بها قصد طبع مؤلفات شيخه البناني، واستغرق بقاؤه بالقاهرة مدة تزيد على العشر سنوات. كما عمل بإحدى مطابع مصر كمحرر ساعدته على طبع مؤلفات شيخه. ومع قيام الحرب العالمية الأولى عاد إلى مسقط رأسه الرباط ليشتغل بوزارة الأوقاف ومنها عين ناظراً للأوقاف بالصويرة، ومنها إلى مراكش ثم عاد إلى الرباط سنة 1346 / 1927، وكانت مدينة وجدة خاتمة تطوافه كناظر للأوقاف التي عمل فيها بكل حزم ونشاط وضبط إلى أن أصيب بداء الفالج الذي ألزمه الفراش، وبعد أشهر من مرضه أعفي من عمله وعاد إلى مدينة الرباط. من مؤلفاته : *الشموس المنيرة في تاريخ الصويرة* مطبوع ؛ *عشرة أيام في مراكش*.

عرف بحسن الحديث وحضور الذهن وطلاقة اللسان.

توفي بالرباط عام 1374 / 1955 ودفن بضريح مولاي المكي.

ع. الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 9 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 3 : 95.

أحمد متفكر

**الركراكي، الجيلالي** الرباطي، من خدام المخزن في عهد السلطان مولاي الحسن الذي عينه أمينا لمستفاد مدينة الجديدة ابتداء من عام 1301 / 1883، والمستفاد يعني الضرائب على التجارة الداخلية وموارد أملاك المخزن، وتركات المنقطعين ممن لاوارث لهم ورسوم البريد الذي نظم في العهد الحسني.

ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط وأعيانها*، ص. 225 ؛ ن. التوزاني، *الأمناء بالمغرب على عهد المولى الحسن*، الرباط، 1979، ص. 133 ـ 114.

عبد الإله الفاسي

**الركراكي، عبد الرحمن** بن زكريا بن محمد، كان شيخا صالحا متحققا بعلم الكلام. رحل من المغرب الأقصى إلى الأندلس وسكن قرطبة وولي قضاء إستجة من كورها. وكان شديدا في أحكامه.

درّس بقرطبة ونوظر عليه فيها، وذكره عدد من مشايخ الأندلس كابن حوط الله الأنصاري وأبي الربيع بن سالم الكلاعي ضمن شيوخهم. وكان من الفقهاء الذين عارضوا أبا الوليد بن رشد الفيلسوف وسجلوا عليه بعض المؤاخذات التي أدت إلى نكبته رفقة عدد من المشتغلين بالفلسفة من أصحابه سنة 593.

توفي الركراكي سنة 605.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، ج. 3، ص. 53.

محمد المغراوي

**الركراكي، عبد الفتاح** بن محمد بن علي الرباطي. ولد بالرباط في ثامن عشر شعبان عام 1344 / 3 مارس 1926. تابع دراسته الابتدائية والثانوية في المدارس العصرية وتخرج من قسم تكوين المعلمين بثانوية مولاي يوسف قبل أن ينخرط في سلك التعليم الابتدائي، والتحق بمدرسة المعلمين الإقليمية بالرباط ـ أول ما أسست في أوائل الخمسينيات ـ فدرّس في السنة التحضيرية عقوداً من السنن، وكان المشرف على تدريب الطلبة المعلمين بهذا القسم الذي هو أساس التعليم، وتخرج على يده عدد لا يحصى من المعلمين، متأثرين بأسلوبه البيداغوجي الحي لاسيما في دروس المحادثة التي كان يبدع فيها.

وبعد ذلك أسندت إليه مناصب سامية في وزارة التربية الوطنية زاولها بكفاية إلى أن أحيل على التقاعد، وأدركته الوفاة بالرباط يوم ثالث عشر رمضان عام 1415 / 13 فبراير 1995.

*وثائق عائلية وإدارية ومعرفة شخصية.*

محمد حجي

**الركراكي، عبد الله** بن محمد بن الطيب الرباطي. ولد بالرباط حوالي سنة 1321 / 1903. بدأ تعليمه بالكتاتيب القرآنية ثم دخل المدرسة الابتدائية العربية/ الفرسية، والتحق بعد الشهادة الابتدائية بمدرسة مولاي يوسف بالرباط.

ونظراً لظروف عائلته المادية، التحق عبد الله الرجراجي بالوظيفة العمومية وهو في بداية شبابه، فعُين موظفا بالخزانة العامة بالرباط، فكان بذلك أول مغربي يلتحق بهذا العمل الجليل، وأصبح مع مرور الوقت الرائد المغربي الأول في علم الوثائق والمكتبات في المغرب.

وقد ساعدت ظروف العمل والصفات الحميدة التي كان يتمتع بها المترجم على أن يتطور علميا وثقافيا داخل

الخزانة العامة، فطيلة سنوات عديدة وجد عبد الله الرجراجي نفسه بجانب فطاحل من العلماء الفرنسيين بالخزانة العامة يتابع عملهم ويقتفي أثرهم ويتعلم منهم، وقد كان على رأس هؤلاء ليفي بروفنصال (Lévi Provençal) الذي كان في هذا الوقت يشغل منصب مدير الدراسات بمعهد الأبحاث المغربية العليا ونائب محافظ الخزانة العامة، والذي وضع فهرسا للمخطوطات العربية التي اهتمت الخزانة العامة بجمعها منذ تأسيسها إلى غاية سنة 1920 (ل. بروڤنصال، *فهرس المخطوطات العربية*،1 : 7 )، والأستاذ بلاشير (Blachère) والدكتور رونو (H.P.J. Renaud) اللذان اعتنيا بوضع فهرس موجز للمخطوطات التي دخلت الخزانة العامة بين سنتي 1921 و1930.

وقد عاش عبد الله الركراكي كل محاولات وعمليات فهرسة الرصيد المخطوطي الهام بالخزانة العامة بالرباط، كما ساهم في الجهود التي كانت ترمي إلى تزويد الخزانة العامة بأرصدة جديدة من المخطوطات.

ولتكملة ما قام به بروڤنصال وبلاشير ورونو، قام عبد الله الركراكي بمعية بـ. س. علوش (Allouche) مدير قسم الآداب العربية بمعهد الأبحاث العليا المغربية ومحافظ القسم العربي بالخزانة العامة بوضع فهرس من جزءين للمخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة للفترة من سنة 1921 إلى 1953. وقد صدر الجزء الأول سنة 1954 والجزء الثاني سنة 1958. ويُعتبر هذا العمل الجليل الذي قام عبد الله الجراري مع علوش خدمة متميزة لثقافتنا الوطنية ووسيلة فعالة تعطي للباحثين فرصة للتعرف على تراثنا القومي الأصيل وتعريفا بما تحتضنه الخزانة العامة المغربية من ذخائر علمية وأدبية ثمينة. وقد أظهر هذا العمل العلمي الجاد الذي شارك في إنجازه عبد الله الرجراجي والذي جاء وفق شروط المفهرسين الجهابذة مدى تمكنه من حرفته وضلوعه في علم الفهرسة والمخطوطات واطلاعه الواسع على عالم الثقافة والأدب.

وقد لعب عبد الله الركراكي دوراً هاماً في نشر هواية القراءة والاطلاع بين التلاميذ والطلبة في مدينة الرباط، وما يزال يتذكر بعض قدماء خريجي مدارس محمد الخامس ما كان يقوم به الرجل عندما كان قيّما على مكتبة باب شالة للخزانة العامة، فقد كانت هذه المكتبة مركز استقطاب لشباب المدينة وبعض رجالاتها، وذلك قبل تأسيس مدارس محمد الخامس المجاورة والتي ستصبح المكتبة عمليا جزءاً منها وامتداداً لها (امحمد ابن الغازي، شهادة شفوية).

وقد استطاع عبد الله الركراكي من خلال عمله في الخزانة العامة أن يربط علاقات وثيقة مع العديد من الشخصيات التي لعبت أدواراً مختلفة في الحياة الوطنية والعلمية والاجتماعية، وهذا وضعه في قلب النضال الوطني وجعله يندمج في صف الوطنيين الأحرار المناهضين للاستعمار، وأعطاه حق التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944.

ونظراً لكفاءة عبد الله الرجراجي ولقدرته ولباعه الطويل في تسيير شؤون الخزانة العامة عُين بعد الاستقلال مباشرة مفتشا للخزائن المغربية ومحافظا للخزانة العامة حيث بقي في هذا المنصب إلى حين بلوغه سن التقاعد. وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى بمدينة الرباط سنة 1399 / 1978.

ليڤي بروڤنصال، *فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط*، 1997 . 1998 ؛ مَحمد ابن الغازي، *شهادة شفوية*، جلسة بمنزله يوم 23 أبريل 2001 ؛ *وثيقة المطالبة بالاستقلال، تراجم الموقعين*، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 1996 ؛ أحمد قربون، *شهادة شفوية*، جلسة بمكتبه يوم 3 ماي 2001.

عثمان بناني

**الركراكي، عبد الواحد** بن أحمد بن عبد الله فقيه أخذ عن عمه محمد الركراكي آتي الترجمة، وعن شيخ الجماعة عبد الواحد الشريف وعن المفتي الحافظ أبي عبد الله الترغي المساري، وعن أحمد المنجور وغيرهم.

له مشاركة تامة في العلوم، يستظهر مختصر *خليل* ويشارك في كثير من العلوم كالمنطق والبيان. اطلع المقري في مكتبته على كتب نادرة لم يسبق له ولا لبلديبه التلمسانيين الوقوف عليها، كحواشي اللقاني على *توضيح خليل*، فاهداه الركراكي نسخا منها، انقلب بها المقري إلى أهله مسروراً، وكانت محط استغراب علماء تلمسان قاطبة.

من مؤلفاته : *اختصار منظومة ابن زكري في علم الكلام* ؛ وشرح *نظم مغني اللبيب*.

أ. المقري، *روضة الآس*، 315 . 316 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 142 رقم 1098 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 285.

أحمد متفكر

**الركراكي، علي** بن سعيد من فقهاء السوس الأقصى في عهد الموحدين، نزيل جزولة بجبل الكست. كان

عالما ماهرا في اللغة العربية وأصول الفقه وأصول الدين. وكان فضلا عن ذلك من حفاظ المذهب المالكي المتعمقين في فروعه. قام برحلة إلى المشرق حج فيها ولقي خلالها جماعة من أهل العلم منهم العالم اللغوي أبو موسى الجزولي "لقيه على ظهر البحر وتكلم معه في مسائل العربية" (*نيل الابتهاج*)، كما أتيح لعدد من أهل المشرق الاتصال به والأخذ عنه.

ألف كتاب *مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل على كشف أسرار المدونة*، أبان فيه عن تمكنه من فروع الفقه المالكي، ولخص فيه" ما وقع للأئمة من التأويلات على كلام القاضي ابن رشد والقاضي عياض وتخريجات أبي الحسن اللخمي" (*نيل الابتهاج*)، وتوجد من هذا الكتاب عدة نسخ مخطوطة في خ. ع. بالرباط وخ. ق. بفاس.

كان حيا سنة 633 / 1236.

أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طرابلس، 1989، ص. 316.

محمد المغراوي

**الركراكي، محمد** بن **عبد الله** المراكشي، المدعو بوعبدلي، مشارك في علوم القرآن والحديث والفقه وغيرها من الشرعيات واللسانيات. تولى خطة القضاء في مناطق مختلفة أيام أحمد المنصور الذهبي، وبعد وفاة القاضي أبي القاسم الشاطبي سنة 1002 / 1594 ولي محمد الركراكي قضاء الجماعة بحاضرة مراكش. صحب المنصور في رحلته الأخيرة إلى فاس فقدمه لإقراء التفسير بالقرويين "ووقعت له مع فقهاء فاس بحضرة السلطان المنصور مناظرات انجلت عن تحقيقه وتوحده بالبراعة في الفنون" (*صفوة*) وذكر ابن القاضي في *الجذوة* أن المنصور أمره باختصار *الكشاف* للزمخشري "والكلام في مواضع سقطه". وقد سجل محمد العربي الفاسي صاحب *المرآة* عند كلامه عما جرى به العمل بالمغرب من أن القول قول والد القتيل فيما نهب من مال ولده بدون بينة، مشهداً رائعاً للمجلس العلمي لأحمد المنصور بفاس الذي كان يحضره القاضي الركراكي.

وبعد وفاة المنصور رجع الركراكي إلى مراكش وانكب على التدريس والإفتاء والتأليف إلى أدركته الوفاة سنة 1022 / 1614.

ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ ع. الرحمن الفاسي، *بستان الأذهان*، مخطوط ؛ *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ *شرح العمل الفاسي*، مخطوط ؛ ع. الله الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس، ص. 99 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، د. د. ع. مرقون ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1976، ج. 5 : 248 ـ 250 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 389 والهامش 41.

محمد حجي

**الـركراكيون السوسيون**، اعتنت كتب التراجم بإشكالية الانتساب إلى الركراكيين وملاقاتهم بالرسول عليه الصلاة والسلام، وبانتمائهم إلى الصحابة. وقد أنكر كثير من السوسيين هذا الاعتقاد، واعتبره "مردوداً وأمشاج أخلاط" وقليل منهم سايره بالسماع والقول مثل محمد بن سعيد المرغيثي السوسي المراكشي (ت. 1063)، وحذا حذوه من المتأخرين صاحب كتاب *السيف المسلول*.

واختلف كذلك حول أسباب دخول الركراكيين إلى حاحة وسوس موطنهم الثاني.

فقد كان دخولهم إلى جبال جزولة بقيادة "واسمين" فراراً من ملك فاس ابن خزر المغراوي بتاريخ 432. وهذا الإكراه هل كان مرده رغبة هذا الملك في نقل واسمين لما اشتهر وذاع صيته قصد التبرك به، فكَرهَ ذلك بعض أولاده فخرج عشرة منهم إلى سوس، وقيل إنَ ذلك كان نتيجة الجراح التي أثخنها ابن خزر في الشرفاء الأعيان ؟ !.

ومن العشرة الفارين، اتفقت المصادر على أربعة فقط، بينما الستة الباقون، فهم زاهدون وتائهون بقفار أحواز درعة.

إن مصدر المعلومات هو "عقد عتيق" كتب سنة 846، أي بعد أربعة قرون ونيف من التاريخ المذكور أعلاه. شهد بصحته شهود ينتسبون للركراكيين بعد ثلاثة قرون أخرى. ودام الإشهاد بذلك ما بين 1148 و1315.

وكيف ما كان الأمر، فمن المتأخرين من اهتم بالأمكنة التي تبوأها الركراكيون بالسكنى في سوس. ويمكن إجمالا أن نذكر منها : ماسة "سيدي وساي" اشتوكة "سيدي علي بن أيوب" تِزِلْمي بمجاطة "سيدي عبد الله"، دُوِيْمْلالْن بتافراوت "عبد الرحمن بن عاصم، وقيل ابنه عبد الله"، ومزارات أخرى بواد نون بتاكوست وبإفران وأيت باعمران ورأس الواد.

وكثيرة هي العائلات السوسية التي تفرعت عن هؤلاء، منها : الإيديكليون والساليون والتمكدشتيون وآل أگني إيديان الإيغشانيون والدوملالنيون والصوابيون. ونظراً للغموض الذي يكتنف الأصل، فقد تنازع الركراكيون مع البكريين حول الانتساب لسيدي وساي بماسة، ومع الدغوغيين حول الانتساب لأبي القنادل بفونتي (أگادير).

ولا يمكن أن تنسينا هذه الاختلافات تلك الأدوار الجليلة المنوطة بعائلات ركراكية كان لها شرف نشر الإسلام والاحتفاظ على جذوة العلم متوقدة بمدارس سوس، وقد ذكر صاحب كتاب *السيف* سبعة منهم وترجم محمد المختار السوسي لشخصيات أخرى.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3، ص. 110، 4، ص. 5 ـ 25، ص. 5 ـ 305، ص. 150، 1، ص. 137 . 147 ؛ *خلال جزولة*، 3، ص. 167 و168 ؛ م. الإگراري، *روضة الأفنان*، 193 ـ 197 ؛ الحضيكي، *طبقات*، تح. أحمد بومزگو، مرقون ؛ الكراي، *بشارة الزائرين*، مخطوط ؛ ع. الله الركراكي السعيدي، *السيف المسلول*،

طبعة 1987، ص. 25. 39. 48. 49. 73. 74. 85. 87. 112. 116. 119. 203. 242. 252 + التراجم، الأرقام، 15 ـ 77 ـ 78 ـ 173 ـ 178 ـ 227 ـ 265 ـ 308.

محند أيت الحاج

**الـرُّوكّ**، ويكتب الرّوك ورُوك، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Roque وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1147 / 1735.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان؛ والمراجع العربية والأجنبية في الرقم* 717.

**الركّـاب، محمد**، «أشهر من نار على علَم» بالنسبة للسينما المغربية ولا يزال، حيث لقب بعدة ألقاب منها، المشاغب، المناضل، لكن أهمها كان «مسيح السينما المغربية» لما عاناه الرجل في هذا الحقل مخلفا إبداعات نيرة رغم قلتها لعل أشهرها فيلمه التحفة (حلاق قرب الفقراء) الذي يشكل انعطافة متميزة في تاريخ السينما المغربية سواء على مستوى الطرح الفكري أو على مستوى كتابته السينمائية.

كما يعتبر محمد الركّاب مرجعا نظريا لكثير مما يروج راهنا من آراء وتصورات ومقترحات في القطاع بفضل ما أدلى به المرحوم وشارك به في العديد من التظاهرات الثقافية والفنية شفويا وكتابة وتدريبا.

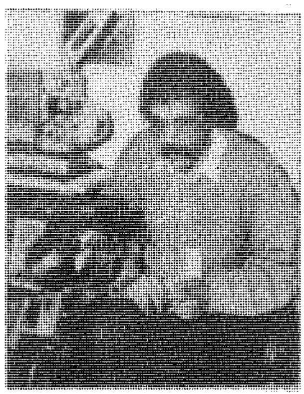

ولد محمد الركّاب سنة 1942 بمدينة آسفي في عائلة متواضعة جدا نزحت برمتها إلى الدار البيضاء حيث كان والده يشتغل كعامل بمقر العمالة. وبدء من مستهل الخمسينيات تفتق ذهن الصبي محمد على عالم السينما بإقباله على قاعاتها المنتشرة في عدد من الأحياء الشعبية على رأسها سينما الكواكب رفقة عينة من زملائه الذين سيرافقونه درب الإبداع والمعاناة كان من ضمنهم الراحل محمد الزياني والمخرج أحمد البوعناني.

حصل سنة 1960 على شهادة الباكالوريا علمية من ثانوية محمد الخامس ليقضي سنة بعد ذلك بمدرسة فوجيرار Vaugirard بباريز التحق بعدها بالمدرسة العليا العمومية للسينما بالاتحاد السوفياتي UGIK ليحصل من هناك على دبلوم في شعبة التصوير السينمائي ضمن أول فوج. قضى بعد ذلك سنة بجامعة بروكسيل الحرة لدراسة علم النفس.

تشكل سنة 1967 انطلاقة فعلية ورسمية لمحمد الركّاب في مجال الإبداع الفني بالتحاقه بالإذاعة والتلفزة المغربية حيث أنتج وأخرج العديد من الأعمال التلفزيونية : برامج، وأفلام وثائقية وروائية، روبورتاجات وسهرات ومسرحيات من أبرزها :

1968 : «كاميرا 4» منوعات تلفزيونية وقعه صحبة مخرجين آخرين هما : المرحوم حميد بنشريف وحسن المفتي.

ـ (التضحية) مسلسل ـ (رامدا) وثائقي عن سكان أوريكا بالدار البيضاء، (بصمات) برنامج خاص يتوثيق بعض الفعاليات الثقافية والفنية المغربية كان ضمن حلقة خاصة بالمخرج السينمائي محمد عصفور.

كما صور وأخرج في نفس المرحلة عددا من المسرحيات منها : (الحراز) للطيب الصديقي ـ (زيارة غريب) لصلاح الدين بنموسى ـ (بنت العم) لمصطفى التومي ـ (بوحمنة) لعلي الحداني... وتؤرخ نفس السنة المذكورة لأول ظهور لمحمد الركّاب على الشاشة السينمائيةكممثل بأدائه لدور صغيرفي الفيلم الروائي الطويل (الحياة كفاح) الذي وقعه كل من المرحوم أحمد المسناوي وحمد التازي.

وفي سنة 1972 أخرج شريطا قصيرا بعنوان (الحصار) شارك فيه كل من المرحوم مصطفى التومي وحسن الصقلي.

أما أول شريط روائي سينمائي طويل سيوقعه محمد الركّاب فكان (رماد الزريبة) سنة 1976 بمعية ستة مخرجين آخرين هم : مصطفى وعبد الكريم الدرقاوي، سعد الشرايبي، نور الدين گونجار، عبد القادر القطع، ثم العربي بلعكاف.

والواقع أن فكرة الفيلم من أساسها تعود للركّاب الذي كان من المفروض أن يخرجه بمفرده، لكن ثمة مشاكل إنتاج وإدارته عاقت المشروع أدت إلى تدخل العديد من الأطراف التقنية ممن ذكر فوقعوا الفيلم كمخرجين وهذه سابقة فريدة من نوعها في السينما المغربية، ورغم ذلك ظل الفيلم ولا يزال يحمل بصمات محمد الركّاب التي ستبلور بالخصوص في فيلمه المقبل (حلاق درب الفقراء) إلى درجة أن كثيرا من النقاد السينمائيين والباحثين المغاربة ينسبون (رماد الزريبة) بكامله للركّاب وحده.

انطلاقا من سنة 1977 وإلى غاية 1980 التحق بالمعهد العالي للصحافة كمدرس في شعبة «السمعي البصري» حين تتلمذ وتخرج على يده عدد من الصحفيين اللامعين في القطاع الإعلامي بمختلف منابره.

وخلال هذه الفترة أخرج محمد الركاب رفقة طلابه ثلاثة أفلام وثائقية هي :

(مدن الصفيح) - (المخطط المديري لبني ملال) - (مهرجان أصيلا الثقافي الأول)...

ثم حلت 1982 ليستأثر محمد الركاب باستقلالية إخراج وإدارة تصوير أول فيلم روائي طويل له (حلاق درب الفقراء) عن مسرحية بنفس العنوان ليوسف فاضل الذي شاركه كتابة السيناريو. هذا الفيلم الذي يشكل كما أسلفنا انعطافة مهمة ومتميزة في تاريخ السينما المغربية لجرأة طرحه الفكري وكتابته السينمائية المغايرة حيث ولجت الكاميرا الحارة الشعبية المغربية مصورة أدق تفاصيلها اليومية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بوأت الفيلم مكانة مرموقة وجعلته يحظى بتنويه خاص من الصحافة المعتمدة في المهرجان السينمائي الوطني الأول المنعقد بالرباط سنة إنتاجه كما حصل في ذات العام 1982 على جائزة أحسن تصوير في مهرجان أيام قرطاج السينمائية بتونس، ثم على جائزة أفضل ممثل : محمد الحبشي في مهرجان واغادوغو ببوركينافاصو.

وبدءاً من هذا الفيلم ستنطلق معاناة محمد الركاب تجاه سوء توزيعه وعدم قدرته على سداد بعض ديون إنتاجه الشيء الذي أدى به الاعتقال، كما أن ظروف توظيبه من قبل بمختبرات المركز السينمائي المغربي الرطبة أدت إلى إصابة الركاب بداء السل، وتلك كانت شرارة معاناته مع المرض الذي سيودي بحياته ثماني سنوات فيما بعد.

ورغم هذا يعود نفس الثنائي الركاب ويوسف فاضل لصياغة سيناريو الفيلم الروائي الثاني للمرحوم وهو (مذكرات منفي) الذي قدم للجنة صندوق الدعم السينمائي المغربي فرفضت منحه ثلاث مرات متتالية!!

ويتمحور الفيلم حول قضية فلسطين انطلاقا من حادثة اغتيال أحد الزعماء السياسيين بمصر سنة 1944 من المدعو أحمد صالح بركات عن قصة لصلاح عيسي.

ولعل من سخرية القدر ألا تقرر لجنة صندوق الدعم السينمائي الجود على (مذكرات منفي) بمنحة هزيلة إلا بعد أن كان محمد الركاب على حافة القبر حيث كان مقبلا على إجراء عملية جراحية لاستبداله رئتيه كانت نسبة نجاحها جد ضئيلة!! عن هذه المنحة المتأخرة صرح لنا المرحوم في آخر حوار أجريناه معه بباريز قبيل وفاته سنة 1990 قائلا :

«في شهر دجنبر 1989 حينما تقرر بعثي لفرنسا لإجراء عملية جراحية جد خطيرة بأمر من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، كانت نسبة نجاحها ضئيلة، حينذاك قررت لجنة صندوق الدعم منح الفيلم لا لشيء إلا لتأكدها من وفاتي لتبرئة ذمة أعضائها. لكن ها أنت ترى أن القدر أعادني حيا فطرح لديهم مشكلا الآن».

ورغم ذلك لم يتوان محمد الركاب دقيقة واحدة عن الاشتغال على فيلمه، كتابة وبحثا عن مصادر تمويل وكان يجهد نفسه في العمل وهو بالمستشفى إلى أن أصيب بذبحة جديدة دخل على إثرها غرفة الإنعاش، ليفارق الحياة يوم الثلاثاء 26 ربيع الأول عام 1411 / 16 أكتوبر 1990 بباريز حيث مات وفي حلقه غصة إخراج فيلم مجهض.

خ. الخضري، كتاب *دليل المخرجين السينمائيين المغاربة*، باللغتين العربية والفرنسية ؛ حوار أجريناه مع المرحوم الركاب نشر بجريدة *العلم السينمائي* يوم 21 أكتوبر 1990 إضافة إلى صفحات أخرى من نفس الجريدة نشرت معلومات وآراءاً عنه وللمرحوم الركاب.

خالد الخضري

**الركّة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم : Roque وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1187 / 1773.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* ؛ *والمراجع العربية والأجنبية* في الرقم 719.

محمد ابن عزوز حكيم

**الركن**، مكان تاريخي يقع غير بعيد عن تازة قرب الطريق القديمة التي كانت تربط هذه المدينة بفاس، إلا أنه لم يبق له ذكر.

وقعت بالركن معركة حاسمة في عهد الدولة السعدية، أيام السلطان أحمد المنصور، في مطلع القرن الحادي عشر (17 م) بين الناصر بن عبد الله الغالب الذي اندفع إلى حمل السلاح بمساعدة الإسبان لاسترداد ما سمّاه حقه المشروع في خلافة والده، وبين عمه أحمد المنصور الذي تمت له البيعة بعد واقعة وادي المخازن (30 جمادى الأولى 986 / 4 غشت 1578). وكان الناصر على إثر هذه البيعة وما تلاها فرّ إلى البرتغال عن طريق العرائش. نزل الناصر بمليلية يوم 3 شعبان عام 1003 / 13 أبريل 1595، وتقدم نحو تازة فاستقبلته أحسن استقبال واتخذها قاعدة لملكه بعد أن بايعه أهل الريف والبرانس وغيرهم، وشكل جيشا من المتطوعين تمكن من هم فرقة عسكرية بعث بها المنصور لقتاله، فأمر المنصور ولي عهده محمد الشيخ المامون في فاس بخروجه إلى الناصر في جيش قوي.

والتقى الفريقان بمكان الركن في صيف عام 1004 / 2 غشت 1595، في مواجهة ضارية استعملت فيها كل أسلحة الوقت، بما فيها النارية، على قلتها.

وشهد أطوار المعركة التي دامت ثلاثة أيام، المدعو بترس طريبولت (P. Treillault)، أحد خدام أحمد المنصور، وهو من أصل فرنسي، كما روى بعض أطوارها المدعو بولو بلتزار وهو إسباني - ولا ندري من أين استقى أخبارها ..

وأسفرت الواقعة عن مقتل عدد كبير من جنوب الجانبين وقوادهم كما قُتل الناصر، وأمر محمد الشيخ المامون بقطع رأسه وإرساله إلى مراكش.

محمد الصغير الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشاذلي، ص. 177 - 179، الدار البيضاء، 1998 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 5، ص. 145 - 146.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, T. II, p. 198, Casablanca, 1930 ; H. de Castries, *S.I.H.M.*, *France II*, 1ère série, p. 205 - 212.

أحمد بنجلون

**ركنام، إدريس** بن الطاهر مقاوم، ولد سنة 1903 ببني خيران إقليم خريبكة. كان من أشد الناس عداوة للاستعمار الأجنبي وتعلقا بوطنه فشارك في ثورة الملك والشعب في ذكراها الثانية بمدينة خريبكة.

وخلال هذه الانتفاضة قام الشهيد بعدة أعمال فدائية كإحراق وتخريب منشآت المعمرين بالإضافة إلى تحريض الناس على الانتفاضة. ونظراً لنشاطه هذا لا حقته الشرطة الاستعمارية وأطلقت عليه الرصاص فاستشهد بتاريخ ثاني محرم عام 1375 / 21 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**الركني، أحمد** بن إبراهيم ينتسب إلى الأسرة الركنية من قرية الركن قرب طاطا، من أسرة صنهاجية تسلسل فيها العلماء والصلحاء منذ القرن العاشر (16 م) (*سوس العالمة*، ص. 149).

ولد أحمد الركني أوائل القرن الثاني عشر (18 م) ونشأ بين يدي والده العالم الفقيه المدرس إبراهيم بن عبد الله وأتم دراسته على ما يظهر بتامگروت على الشيخ حسين الشرجبيلي (*المعسول*، 16 : 6) وأخذ بعد ذلك بفاس وعاد أدراجه ليستقر بمسقط رأسه، وليتصدر هناك للقضاء والفتوى والتدريس بمدرسة تاتلت السفلى، مما يظهر عمق معرفته للعلوم التي حصلها، وقد وصفه بعض أصحابه بأنه مبرز في اللغة والنحو والفقه ووصفه بالصلاح والاستقامة والزهد في الدنيا (*المعسول*، 16 : 10).

أهلته مكانته في المنطقة لأن تكون له صلات بالسلاطين العلويين فاتصل بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله، عندما وفد على أگادير سنة 1170 ومدحه بقصيدة مطلعها :

قلبي من الصبر الجميل سليب   جلد يعاني الكارثات صليب

وقد آب الركني من هذه الزورة بالإكرام وتجديد الظهائر الملوكية التي كانت لأسلافه بالاحترام والتوقير.

بقي الركني مستقراً ببلده الركن حتى وفاته بعد سنة 1170 / 1756.

من مؤلفاته شرح *قواعد الإعراب* للزواوي سماه *الحاوي على منظومة الزواوي* انتهى من تأليفه سنة 1167 (*المعسول*، 12 : 252) *وأجوبة فقهية*، وكتاب *شفاء القلوب ومواهب علام الغيوب في مناقب سيدي محمد بن يعقوب* أتمه في عاشر محرم 1167، قال في المقدمة : "فهذه أوراق مشتملة على بعض مناقب الولي الصالح سيدي محمد بن يعقوب من صنهاجة فم تاتلت رضي الله عنه رأيته منقولا عمّن عاصره أو قرب من عصره أو تلقيته بالسماع ممن لا أتهمه بالكذب راجيا نيل بركته وأن أنخرط بذلك في سلك أهل محبته التي هي أرجى .." (ص. 1 - 2) اشتمل هذا الكتاب على كرامات الشيخ ابن يعقوب إضافة إلى كرامات أبنائه وأحفاده، حيث بدأ الركني بالحديث عن نسبه المنتهي إلى جد الصنهاجيين ثم برر اهتمامه بجمع أخباره وكراماته مستدلا بأحاديث نبوية وأقوال المتصوفة، وأورد حكايات تشير إلى مكانة هذا الرجل الرفيعة تتضمن علاقته بشيوخه وبأهل عصره من العلماء والرؤساء والسلاطين. وقد دفع الركني إلى تأليف هذا الكتاب تعلقه بزاوية إمي نتاتلت التي انتشر إشعاعها بقوة في منطقة طاطا كلها، إضافة إلى صلته المتينة بأبناء هذه الأسرة العلمية الصالحة خاصة أحفاد مؤسس الزاوية محمد بن يعقوب التاتلتي.

ويكثر الركني في كتابه من النقل عن قاضي تارودانت عبد الرحمان التمنارتي في كتابه *الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة* ويمزج بين النثر والشعر فيورد أحياناً مقطعات شعرية تتضمن حكما وأمثالا يعزز بها أقواله.

ويظهر من خلال إيراد القصائد المطولة والمقطعات أن الركني كان مغرما بالأدب وأنه كان يستحضر كثيراً من الأشعار، وقد وجدت له بعض القصائد تتفاوت جودتها فمنها قصيدته السابقة في مدح السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وأخرى في رثاء صديقيه محمد بن الحاج أحمد ومحمد بن إبراهيم اليعقوبيين (ت. 1134).

وقصيدة أخرى في رثاء مرابطين يعقوبيين توفوا مَقْدَمَهم من الحج، (*شفاء القلوب*، ص. 70 - 74) وهذه القصائد الساذجة من أولياته كما يظهر من تاريخ نظمها وقد علق المختار السوسي على أشعاره بقوله : وأيا كان فالرجل فقيه وليس مثله من ينساق مع الأدباء ما دام لا يقول إلا تلك المنظومات.." (*المعسول*، 16 : 9).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 - 16 ؛ *سوس العالمة*، ط 2، الدار البيضاء، 1984 ؛ *رجالات العلم العربي في سوس*، طنجة، 1989؛ أحمد بن إبراهيم الركني، *شفاء القلوب ومواهب علام الغيوب في مناقب سيدي محمد بن يعقوب*، مخطوط.

**الركني، محمد** بن **إبراهيم** من الأسرة الركنية الصنهاجية العالمة أخت الأسرة اليعقوبية المشتهرة في الجنوب المغربي تسلسل فيها العلم منذ القرن الحادي عشر للهجرة، ولد سنة 1960 بقرية الركن وبها بدأ دراسته فحفظ القرآن وبدأ أخذ العلوم على قريبه العلامة محمد بن يوسف الركني (ت. 1287) بمدرسة تاتلت أوفلا، ثم انتقل إلى قرية إيرزان في ضواحي تارودانت فأخذ بمسجدها الكبير

على العلامة الحسن التملي (تـ. 1308) تلميذ الزاوية التمكدشتية وعن عبد الله بن أحمد بن الحاج الحنكيري وقد لازم تلك المدرسة حتى غادرها وقد حصل علوم عصره من فقه ولغة وأصول وحساب..

غادر الركني مدرسة إيرزان بعد أن أتم أخذ العلوم وبدأ حياته العملية بالمشارطة في مساجد سوس فبدأ بمسجد إيليغ بالفائجة (بإمي نتاتلت وهي غير إيليغ تازروالت) ثم مسجد تامجيرشت بسكتانة يحفظ فيها القرآن ويدرس العلوم وقد اشتهر بالشدة في معاملة طلبته، كما كان يشتغل بالنساخة التي أهله خطه الجميل لممارستها، وكان يتصدى للإفتاء وفصل النوازل.

وكان لمقامه بمدرسة إيرازان التي تعتبر فرعا لزاوية تيمكدشت أثر في ميله للتصوف بمجاهدة النفس والإكثار من الأذكار وقد كان شيخه الحسن التملي تلقن الطريقة الدرقاوية من شيخها سيدي المعدري، فسار على خطاه واتصل بالشيخ الحاج علي بن أحمد الدرقاوي وصار من مريدي الزاوية الإلغية يزور شيخها ويرافقه وينسخ له كتب التصوف كرسائل مولاي العربي الدرقاوي وديوان الحراق والعهود الشعرانية.. وينافح عنه أنصار الطرق المنافسة.

وكان لمنزعه الصوفي أثر كبير في حياته التي أمضاها في التقشف والزهد مع الحرص على الظهور بمظهر العلماء في التدريس والإفتاء، ولو أن اشتغاله بالتصوف أثر على معارفه، حتى توفي عن سن عالية سنة 1333.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 16: 46- 47؛ 19- 46؛ *رجالات العلم العربي في سوس*، ص. 214.

**الركني، محمد** بن **يوسف** ولد بقرية الركن قرب طاطا، قبل سنة 1230. وكان والده موثقا حافظا لكتاب الله فأشرف على تعليمه فحفظ القرآن وأتقن قراءاته، ثم اتجه إلى المشارطة بقرية أقا إيزنكاض بإلحاح من أهلها، ولم يكتف بما حصل من علوم القراءات التي لا تتيح له سوى التدريس، بينما يفتح له إتقان العلوم أبواب الحياة الاجتماعية، فاتصل بالعلامة محمد ابن أحمد الإيزنكاضي وأخذ عنه الفقه والعربية والفرائض والحساب والأصول وغير ذلك، ثم رحل إلى مراكش فأخذ عن علماء مسجد ابن يوسف، وعاد إلى سوس عالما محصلا، وصفه محمد المختار السوسي فقال: "تأتت له السعادة في عمله المستقيم، وفي تلاميذه وفي كل ما يزاوله، لأنه عالم ورع رباني، ولعله أكبر الركنيين الذين نعرفهم" رجالات العلم العربي، ص. 213.

استقر محمد بن يوسف الركني بمدرسة تاتلت أوفلا ثمانية عشر عاما، ثم انتقل إلى مسجد قرية "أزرار" حيث شارط ابن عمه بن أحمد الركني، ولزم التدريس فتخرج به نحو سبعين تلميذا منهم أخوه عبد الرحمان بن يوسف (تـ. قبل 1285) وقريبه محمد بن إبراهيم الركني (تـ. 1309) والحسين بن محمد اليعقوبي (تـ. نحو 1316)، كما اشتغل بالإفتاء في النوازل ومزاولة الأحكام على عادة العلماء في الانتصاب لتلك المهام، وكان له ميل إلى الأدب وقرض الشعر بالخصوص في غرض الإخوانيات. وقد اشتهر بالتزام التقوى والتعفف عن الأموال إلى أن فاجأته المنية نحو عام 1287.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 16: 19- 22؛ *رجالات العلم العربي في سوس*، 213؛ *خلال جزولة*، 3: 125؛ *سوس العالمة*، ص. 149.

المهدي السعيدي

**الركْوَة**، ماعون جلدي كان أكثر انتشاراً واستعمالا من غيرها بسبب وفرة الجلود ولاعتماد السكان في المغرب آنذاك (العصر الوسيط وما بعده) على نمط العيش المرتكز على الرعي والنشاط الفلاحي - زراعة وتربية مواشي وصيد - من جهة، ولمرونة الأدوات والأثاث والمواعين الجلدية وملاءمتها أكثر لحياة الترحال والنجعة (*العبر*، 404). والركوة من الأوعية الجلدية التي كانت تستعمل لتخزين الماء ونقله من مكان إلى آخر وقد كانت عادة للاستعمال الشخصي (*التشوف*، 263 - 360 *وأنس الفقير*، 82). والكلمة مستعملة إلى يومنا هذا في الكثير من المناطق والبوادي وخاصة في جهة الشاوية - ورديغة، ومضمونها هو نفسه الذي ساد في العصر الوسيط وما بعده؛ وتجمع في اللهجة الدارجة على صيغة "ركاوي" وهي مختلفة الأشكال والأحجام، فهي كالقربة إلا أنها أصغر منها وأصلب وأمتن. وقد تردد ذكر هذه الأنواع في المصادر وارتبط بالمتصوفة الذين كانت المياه من كراماتهم (*التشوف*؛ *المقصد*).

والركوة المستعملة للوضوء قريبة من الركوة المعروفة اليوم في جهة الشاوية - ورديغة من حيث الشكل إلا أنها أكبر حجماً، ونظراً لغلاء الجلود الطبيعية، (جلود البقر والماعز والضأن)، فقد تكيفت صناعة (الركاوي) مع الظروف الجديدة فأصبحت تصنع من الكاوتشو والمطاط المستعمل؛ فهي مخروطية الشكل ومدعمة بشرائط من

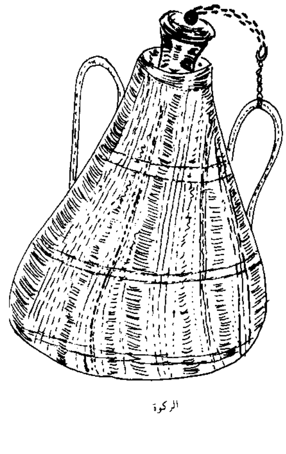

الركوة

جلد متين مخاطة أو مثبتة بمسامير، ومنها كما أشرنا الصغيرة المعدة للاستعمال الشخصي سواء للوضوء أو للشرب، وتختلف الركوة التي تستعمل للشرب في كونها مرنة لا يمكن وضعها على الأرض قصد الوضوء وليست الركوة وعاء زائداً بل كان لابد منه للمسافر والمتنقل بصفة عامة، فالرعاة والحطابون وكل المشتغلين بعيداً عن معين للمياه لابد لهم منها، وكل متصوف ومومن حريص عل أداء الصلوات الخمس في أوقاتها كانت الركوة من ضرورياته في التنقل أو السفر ( *التشوف*، 252 - 364 و*المقصد*، 122 و145 و*النقل والتنقل*، ف 2).

الركوة الكبيرة المعروفة في جهة الشاوية - ورديغة كثيرة الاستعمال ففيها يتم جلب الماء إلى المسكن وفيها يحتفظ به للاستعمالات اليومية أو لورود البهائم، وتحمل الدابة منها ركوتين وتختلف عن الروايا والقرب التي استعملت في التاريخ الوسيط والحديث من حيث الشكل فالروايا والقرب تتخذ عادة من جلود الضأن والماعز والأبقار، وتُحمل معلقة مباشرة على الدواب أو على محامل، لكن لا يمكن وضعها على الأرض واستعمالها بسهولة مثل الركوة.

أ. ابن قنفذ القسمطيني، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، ج 1، بيروت، د. ت ؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. التوفيق، الرباط، 1984 ؛ ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ م. حجاج الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*، أطروحة مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1998 ؛ *تحريات ميدانية في جهة الشاوية - ورديغة*، مذكرات خاصة.

محمد حجاج الطويل

**ركُود، علال** مقاوم من مواليد سنة 1922. كافح في سبيل استقلال المغرب وعودة رمز سيادته إلى عرش أسلافه، حيث انخرط في صفوف جيش التحرير بالمنطقة الشمالية ضمن تشكيلة محمد بن علال بقيادة مركز بورد ناحية إقليم تازة، وقد عرف بين إخوانه المجاهدين بالشجاعة والبطولة. شارك في العديد من المعارك البطولية التي شهدتها المنطقة ضد المحتل الفرنسي. توفي يوم 9 فبراير 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**الركوش**، أسرة أسفيّة عريقة أندلسية الأصل. أعطت العديد من العلماء والتجار والصناع التقليديين البارعين نذكر منهم على الخصوص :

**الركوش، الحاج الحسن** بن محمد بن علي، أحد أثرياء مدينة أسفي وكبار التجار داخل المغرب وخارجه خلال القرن الثاني عشر الهجري. أسس مع أبيه السيد محمد بن علي الركوش شركة تجارية تتعامل مع الدول الأجنبية، لذا كان يرحل إلى أوروبا للتجارة بها ولجلب البضائع منها،

توفي عام 1199.

الكانوني، *أسفي وما إليه قديماً وحديثاً*.

**الركوش، محمد** بن الحاج المكي بن الطيب المدعو "سطاعش"، أحد الصناع التقليديين الفنانين البارعين في النجارة والنقش، عاش خلال النصف الأخير من القرن الثالث عشر والثلث الأول من القرن الرابع عشر للهجرة. يقول عنه الفقيه الكانوني : "أحد النبغاء في النجارة والنقش والتخريم، وقد أودع آثار فنه في قبة الشيخ أبي محمد صالح وفي دور الأمراء والقواد".

توفي عام 1329.

محمد الكانوني، *أسفي وما إليه قديماً وحديثاً*.

**الركوش، الهاشمي** (الحاج -) بن محمد بن الحاج الهاشمي أحد علماء مدينة أسفي. عاش في أواخر القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة، درس في بدايته بمسقط رأسه ثم بفاس على يد جملة من علمائها، وبعد رجوعه إلى أسفي درّس مختلف العلوم في الجامع الكبير ثم في الجامع الفوقاني بعد وفاة العلامة سيدي عبد الرحمان المطاعي عام 1347 / 1928. وكان الفقيه الحاج الهاشمي الركوش أول خطيب بمسجد الحاج مَحمد بن محمد بوقفطان حفيد الشيخ أبي محمد صالح وذلك يوم الجمعة 7 من رمضان عام 1345. ومعلوم أن هذا المسجد يوجد بطريق بياضة، وهو مقابل للحديقة العمومية المعروفة بـ "جنان الفسيان".

*تقاييد بنهيمة*، مخطوط ؛ م. الهسكوري، *ماضي التعليم في أسفي*، مخطوط ؛ كريدية إبراهيم، *الفقيه محمد الهسكوري*، دار وليلي للطباعة والنشر، 2000، ص. 137.

عبد الرحيم العطاوي

**الـركُـون**، مقر القيادة المخزنية، والزعامة القبلية منذ القديم بقبيلة أيت السيمور الباعمرانية، وترجع أهمية المكان إلى توفر عدة عوامل، كالممر الذي حفره وعمقه واد تانگارفا فصار طريقا للقوافل التجارية (تابريدا) الذي يربط بين هضبة - ظهر - بالأخصاص وسهل - تاگراگرا -.

وبالركون عين ثرّة ومياه جوفية على عمق ثلاثة أمتار إلى خمسة أمتار، وفي عين المكان بقايا قلعة للمرابطين كمحرس لباب ذلك الوادي (حسب الرواية الشفوية).

ومن أشهر قادة الركون القائد باكريم بن إبراهيم التاسلاني الباعمراني من قادة السلطان الحسن الأول سنة 1299 (*معلمة المغرب*، 1011) وهو الذي تسلم قيادة محلة هذا السلطان عندما ودعها قائده أحمد بن الشيخ همو الخلفي بتيغزا. وكان باكريم هذا هو قائد ركون الذي يسمى أحيانا ـ بتانگارفا ـ (تين جرفة) (*إتحاف أعلام الناس*، 2 : 243).

وبالركون أيضا مقر القائد علي ـ بوحلايس ـ من قبيلة أيت السيمور توفي سنة 1340 (*روضة الأفنان*، ص. 120) ونفس الشيء في *طاقة ريحان* لصاحب *المعسول*، ص. 29.

وإلى ركون هذا لجأ القائد إبراهيم بن عدي بوفوس الشهير ببوهيا عند أصهاره وهو مجروح ومنهزم في معركة قبلية فدفن في تانگارفا (*طاقة ريحان*، ص. 30).

وفي الركون مقر زعامة قبيلة أيت الخمس حتى الآن، ومنهم الشيخ الحسين بن يحيى (*روضة الأفنان*، ص. 125) ومن نفس العائلة الشيخ اليزيد والشيخ سعيد الوطني المعروف، ومازال ركون مسموع الكلمة، ومعترفا له بالزعامة حتى الآن، وفي عين المكان مجموعة من قباب الصالحين، ومدارس عتيقة للعلم والروايات.

*معلمة المغرب*، 2713 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*،2 : 243 ؛ الأكراري، *روضة الأفنان*، تح. حمدي أنوش ؛ م. المختار السوسي، *طاقة ريحان*، ص. 30 ؛ ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مرقون.

**ركُونتْ**، (موقع ومرسى ومعركة) يتوفر مركز ركونت في قبيلة أيت إخلف على كثافة من السكان ويقع على تابريدا طريق القوافل التجارية الرابطة بين شمال المغرب وجنوبه، ورغم أنها لا تبعد عن المحيط إلا بقليل من المسافة فإنها تتوفر على مياه حلوة من الآبار.

لذلك كانت القوافل تنزل فيها للاستراحة، كما كانت ملتقى جميع حجاج الجنوب عند الذهاب إلى أداء الفريضة عبر تابريدا هذه، وذلك حول ضريح مقدس لصالح من قبيلة أيت باعمران أصلا، وهو أقدم من هناك من الصالحين واسمه سيدي محند وُزرُو، وفيه تُحلّف القبيلة من أنكر ما نسب إليه والناس يعتقدون فيه الخير والبركة.

وركونت المرسى البحري عبارة عن صخور گرانيتية برزت من قعر البحر حتى البر على شكل رصيف وهي بمثابة جدار طبيعي يحمي الزوارق من أمواج المحيط العاتية، وقد لعبت تلك المرسى دوراً كبيراً في الصيد البحري منذ القديم، وهي مقصد السكان ومصدر عيشهم وبالمنطقة ثروة سمكية غزيرة ومتنوعة.

أما معركة ركونت ضد الإسبان فاشتهرت في حرب تحرير أيت باعمران سنة 1377 / 1957 ، وبما أن هذا الموقع كان قريبا من مدينة سيدي إفني وهو موقع ستراتيجي يربط بين إفني ومركز الإسبان بتابلكوكت، فقد احتله جيش التحرير الباعمراني فتولى المرحوم بُوشْروضْ الحاج محمد مع البالكوكي المحفوظ تفجير القنطرة هناك ففسدت خطة الإسبان من أجل إنقاذ المحاصرين بمركز تابلكوكتْ حتى قُبضوا جميعا بمساهمة القائد عبد العزيز الماسي.

لذلك عزم الإسبان على احتلال موقع الركونت عن طريق البحر وفعلا خرجت القوة الإسبانية عن طريق المرسى لكن بدون جدوى بفضل العوامل الطبيعية المتمثلة في الخنادق الطبيعية التي حفرتها مياه الأمطار في المنحدر، فعمد الإسبان إلى احتلال الموقع عن طريق إسقاط المظليين لكن الباعمرانيين استعملوا طريقة الفتناميين، وهي غرس الأوْتاد بشكل كثيف في مكان هبوط المظليين، لذلك لم ينج منهم أحد مما جعلهم يقذفون السكان بحراً وجواً، لكن جيش التحرير كان دائما بالمرصاد، وبذلك هَزَمت قوةُ الإيمان بالله وبالوطن قوة الظلم والعدوان.

الحسين جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مرقون.

الحسين جهادي

**الركيبات**، تجمع قبلي كبير في الصحراء، ينتسب إلى الشيخ سيدي أحمد الركيبي (الجد) آتي الترجمة. كان يعيش في درعة ومات بها في أواخر عهد الدولة المرينية تاركاً زوجته حاملاً فوضعت ولداً سمي باسمه (الابن) ومات هذا بدرعة في مكان يعرف بالركبة أو الركيبة تاركاً زوجته حاملاً فولدت ولداً سمي كذلك أحمد الحفيد.

ويربط الشيخ ماء العينين بين هذا اللقب والدور الذي كان يؤديه الشيخ سيدي أحمد الركيبي في تربية المريدين وصقل نفوسهم بالأذكار "فقد كان هذا الشيخ كثير الذكر جهراً، وكان الناس يقولون إذا رأوه : هذا الرقيب أو أتاكم الرقيب لمداومته عليه حتى سموه به، ثم صار يقال لأولاده الركيبات" (*الحركة الصوفية*، ص. 168).

وتذكر كتب المناقب أن أحمد الركيبي الحفيد ساح سياحة صوفية في شبابه، وبعد رجوعه من السياحة أنف من المقام بدرعة فهاجرها وهو ابن عشرين سنة نحو الساقية الحمراء حوالي سنة 1019 / 1610، ونزل بأرض الاخنيگات التي اشتراها من أهلها وهم بنوحفيان بستين قنطاراً من الذهب على وجه الكرامة، وهي أرض تمتد إلى وادي الشبيكة بإزاء جبل زيني على شاطئ البحر. (*تبيين الأشراف*، ص. 93، *جوامع المهمات*، ص. 71، *الليث*، ص. 69).

وعند حلوله بهذه الأرض اعتزل في خلوته عشر سنوات في مكان يعرف الآن بخلوة سيدي أحمد الركيبي، وبعد خروجه من خلوته أقبلت عليه وفود القبائل التي شاعت فيها أخباره بالهدايا والهبات قصد التبرك به والانتفاع من علمه، فكثر أتباعه وامتد نفوذه في الآفاق.

ساهم بدور فعال في الحركة الاصلاحية في أقاليم المغرب الجنوبية، فكان يرشد الناس إلى الإسلام الصحيح

على طريقة الشيخ مَحمد ابن سليمان الجزولي ويحارب الظلم والفساد ويعمل على استتباب الأمن وإصلاح ذات البين بين القبائل، ومما يؤثر عنه في ذلك شفاعته لدى السلطان لبعض القبائل التي كانت تمارس النهب في الجنوب المغربي. يقول المختار السوسي في ذكر هذه الشفاعة : "اتفق أن كان عرب من معقل يسمون (تاكنة) يقطعون السبيل بين (فاس) و(مراكش) فهمَّ السلطان بالإيقاع بهم، فأجفلوا بين يديه إلى الصحراء من حوز (سوس) فتقصّى السلطان آثارهم وتوغل في الصحراء، فالتقى به الشيخ سيدي أحمد، وقد نزل هناك وشيكا بعدما اشترى أراضي واسعة إلى الساحل الاطلانطيكي، فتداول مع السلطان في أمر غرمائه ليبقي عليهم، فيعمروا معه تلك الأرض ضد البربر الذين كانوا متأصلين فيها، فدفع للسلطان مالا كثيراً يقال إنه أتى به على وجه الكرامة، فكان هذا هو سبب خدمة كل قبائل (تاكنة) لأولاد الشيخ سيدي أحمد الركائبي إلى الآن" ( *المعسول*، 12 ـ 88).

ولا تُستبعد مساهمة هذا الشيخ في الحركة الجهادية التي انطلقت من الساقية الحمراء لمقاومة الغزو البرتغالي للجنوب المغربي والتي قادها مجموعة من الصلحاء والصوفية الذين عاصرهم مثل الشيخ عامر الهامل جد أولاد أبي السباع، وسيدي أحمد العروسي وسيدي أحمد بوغنبور وشرفاء أسا وغيرهم ( *الليث*، 89 ـ 94) على الرغم مما ينسب إلى هذا الشيخ من كرامات، فإنه لم يكن صوفيا متجرداً ولا صاحب طريقة تواكلية، ولكنه كان منخرطاً في الحياة مثل كثير من الصوفية العمليين الذين حاربوا التواكل ودعوا إلى العودة إلى الإسلام الصحاح.

وبعد تراكم ثروات أبناء الشيخ سيدي أحمد الركيبي من الإبل والأغنام لم تعد أرض الخراويع تستوعب قطعانهم فانقسموا إلى قسمين : ركيبات الشرق، وهم أبناء قاسم، ويَسمُون إبلهم بما يشبه القاف ؛ وركيبات الساحل وهم أبناءَ علي واعمر وإبراهيم، ويَسِمُون إبلهم بما يشبه الكاف.

وقد عمَّق المستعمر هذا الانشطار، فأصبحت قبائل الركيبات بعد الحماية منقسمة إلى قسمين، قسم تابع لإسبانيا وقسم تابع لفرنسا، لكن هذا الانشطار لم يؤثر على وحدة القيم عند الركيبات والمبادئ التي أوصى بها الشيخ أحمد الركيبي أبناءه وحثهم على التشبث بها ومنها، "أن لا يزوجوا بناته إلا لعالم أو حامل القرآن أو شريف وأن لا يتزوج واحد منهم إلا بشريفة" حرصاً على شهامتهم وكرامتهم (*تبيين الأشراف*، ص. 93 *جوامع المهمات*، ص. 72) .

وقد تنامت قبائل الركيبات بسرعة وتكاثرت بكثافة قوية بفضل مرونتها وانفتاحها وتسابق القبائل إلى الانتساب إليها وتحالفها الدائم مع القبائل المجاورة لها وتنامي ثرواتها الحيوانية. فصارت أضخم تجمع قبلي في الصحراء المغربية، وأصبحت البلاد الصحراوية تسمى بتراب الركيبات. ويقدر المجال الحيوي لهذه القبيلة بـ 400 ألف كلم مربع ( *الليث*، ص. 14).

وتقدّر صوفي كاراتيني Sophie Caratini عدد أفراد هذه القبيلة في بداية الغزو الفرنسي للصحراء بـ 35000 ألف نسمة، في حين يقدرهم محمد باهي انطلاقاً من بعض الكتابات الأجنبية الأخرى بـ 50000 ألف ( *الليث*، ص. 163).

**الركيبيّ، أحمد** (الشيخ سيدي ـ) جد قبائل الركيبات أضخم التجمعات القبلية في الصحراء المغربية ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي وفاطمة بنت رسول الله (صلع) عن طريق مولاي عبد السلام بن مشيش دفين جبل العلم كما يقرره النسابون الذين اهتموا بتأصيل قبائل الجنوب المغربي.

يميز المهتمون بالتحقيق في نسب قبائل الركيبات بين ثلاثة أشخاص يحملون نفس الاسم : المترجم له الجد، وابنه وحفيده.

عاش الركيبي، الشيخ سيدي أحمد الجد في أواخر الدولة المرينية في زمن انتشرت فيه الفتن والنزاعات والأوبئة، انتقل من شمال المغرب إلى تافيلالت واستقر عند أبناء عمه بسجلماسة، وتزوج بالسيدة فاطمة الزهراء بنت الشريف محمد الفاضل، ثم انتقل إلى وادي درعة وتوفي بنواحي زاكورة تاركاً زوجته حاملا.

**الركيبي، أحمد** (الابن ـ) ولد بعد وفاة والده الشيخ سيدي أحمد الركيبي فحمل اسمه كما تقضي ذلك التقاليد المغربية، عاش في نواحي وادي درعة وتوفي بها في مكان يعرف بالركبة أو "الركيبة" تاركاً أيضاً زوجته حاملا. فسمي المكان الذي توفي به بقلب سيدي أحمد الركيبي نسبة إلى مكان الذي دفن فيه، ولذلك يكون لقب الركيبي أطلق لأول مرة على هذا الشيخ، وحمل ابنه من بعده اسمه ولقبه" ( *الليث*، ص. 73).

**الركيبي، أحمد** (الحفيد ـ) ولد حوالي سنة 999 / 1590 بنواحي درعة، وانتقل إلى الصحراء فهو يمثل النواة الأولى للتجمع القبلي الركيبي في الصحراء المغربية، وهو صاحب الزاوية المعروفة باسمه في الساقية الحمراء. اشتغل في بدايته بتحصيل العلم، فلما حفظ القرآن بالروايات السبع ساح في الأرض متعبداً على طريقة الصوفية، ولما رجع من سياحته إلى درعة أنف من الاستقرار بها وانتقل إلى الساقية الحمراء.

توفي حوالي سنة 1074 / 1665 عن عمر يناهز 75 سنة، ودفن في الساقية الحمراء بوادي الحبشي، وخلّف

أربعة أولاد وثلاث بنات. إبراهيم وعلي وعمر وقاسم وسلطنة وحواء وحوزة.

**الركيبي، سعيد** بن أحمد مقاوم ولد سنة 1934 بالساقية الحمراء. انخرط في صفوف جيش التحرير بمركز مركالة تحت قيادة أبا الشيخ جلال سنة 1956، وقد كان نشيطا في عمله متحمسا في إيمانه معروفا بشجاعته، شارك في عدة معارك بالصحراء المغربية ضد الجيش الإسباني، كمعركة أم العشار ومركالة التي استشهد فيها سنة 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**الركيبي، علي** بن أحمد، وقد تفرعت عنه عدة تطوت منها : أولاد موسى، السواعد، أولاد داود، المؤذنين.

**الركيبي، عمرو** بن أحمد تفرعت عنه البطون التالية : أولاد الشيخ، التهالات، أولاد الطالب، أهل الدليمي (*قبائل الصحراء المغربية*، ص. 46).

**الركيبي، قاسم** بن أحمد وهو أكبر الأبناء وجدّ القواسم، وقد تفرعت عنه عدة بطون منها : البيّهات، أهل إبراهيم وداود، الفقراء، سلام، أهل الحسن واحْماد، أهل القاسم وإبراهيم، الجنحة أهل سيدي علال، السلالكة، أولاد سيدي احْماد، الحميدنات وغيرهم.

**الركيبي، محمد عبد الرحمان** من فخذ أولاد الطالب ساهم بدور فعال في نشر الدرقاوية في الصحراء، توفي سنة 1379 / 1959 (*المعسول*، 12. 172).

**الركيبي، محمد محمود بيد الله** من أعلام أولاد الشيخ البارزين في العلم والفتوى، اشتهر بفقه النوازل، وله في ذلك مجموعة من التآليف. (*وفاء علماء الصحراء لبيعة الملوك العلويين*، ص. 54).

الحاج الأحسن البعقيلي، *تبيين الأشواف أهل دائرة الوسائل وقبلة توجه كل سائل*، الدار البيضاء، 1358 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 2 ؛ م. سالم ولد لحبيب بن لحسين بن عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تح. مصطفى ناعمي، الرباط، 1992 ؛ محمد أحمد باهي، *الليث سيدي أحمد الركيبي*، ط 2، الرباط، 1999 ؛ حمداتي شبيهنا ماء العينين، *قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها*، الرباط، 1919 / 1998 ؛ محمد دحمان، *إسماعيل ولد الباردي*، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه، الرباط، 1999.

Caratini Sophie, *Les Regaybat (1610 - 1934), des chameliers à la conquête d'un territoire*, Paris, 1989.

محمد الظريف

**الركيبي، الناجم** ولد مرزوك مقاوم ولد سنة 1929 بشبيكة قبيلة أيت لحسن فرقة الجورن إقليم طنطان. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 وبقي يعمل فيها بكل نزاهة واخلاص وببسالة نادرة حيث كان دائما في المقدمة في المعارك الطاحنة التي دارت رحاها بين جيش التحرير المغربي وقوات الاحتلال الفرنسي والإسباني.

استشهد رحمه الله في معركة العرگوب بالساقية الحمراء بعد أربعة أيام من الحصار الذي فرضه الجيش الإسباني بعدما غامر بنفسه لجلب مدفع من وسط المعمعة، حيث أصيب برصاص العدو وهو عائد بالمدفع يحمله على كتفيه وذلك سنة 1378 / 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

ابن **رُكيطة**، أسرة تطوانية ويكتب أيضاً بركيطة، أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Burreque ؛ كما توجد بإسبانيا أسر مسيحية تحمل اسم Burguete وBurgueta ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

والفرد الوحيد من هذه الأسرة التي تذكره الوثائق هو :

ابن **رُكيطة**، علي الذي بصفته قائد المخزنية بحامية تطوان كان من بين سكان المدينة الذين وقعوا على بيعة الأمير مولاي سعيد بن اليزيد الذي نودي به سلطانا بتطاون يوم 12 جمادى الأولى 1236 / 15 فبراير 1821.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 246*.

محمد ابن عزوز حكيم

**الركيك، اداا ولد عمار** مقاوم ولد سنة 1933. ينتسب إلى قبيلة الركيبات السواعد التي أبلت البلاء الحسن ماضيا وحاضرا من أجل الحرية والاستقلال.

انخرط في الجيش الإسباني حيث اكتسب خبرات كبيرة في الفنون الحربية. ولما تهيأت له الظروف فرّ بسلاحه . والتحق بجيش التحرير بالمقاطعة التاسعة في مركز تافودارت تحت قيادة صالح بن عسو الجزائري وذلك بتاريخ 1956.

شارك ضمن فرقته في عدة معارك بالصحراء المغربية

ضد الجيش الإسباني إلى أن استشهد بمعركة الدشيرة بتاريخ 17 يناير 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**الركينة**، أسرة تطوانية شهيرة، أصلها من الأندلس، كآل الطريس، أو آل مدينة مثلا. لا ندري، على وجه التحديد، من أين وفي أي تاريخ قدم أجدادهم الأولون إلى هذه الديار الأندلسية، هل دخلوها في ركاب طارق بن زياد أو موسى بن نصير. إبان فتحها وإخضاعها إلى الحكم العربي الإسلامي ؟ أو أنهم استقروا بها، فيما بعد، كأن يكونوا مثلا قد وصلوها في رفقة عبد الرحمن الداخل الأموي، الهارب من نقمة وبطش العباسيين ؟

ونفس الغموض يكتنف أيضا تاريخ وملابسات استقرارهم بمدينة تطوان، على أن الغالب على الظن أن يكون ذلك قد حدث غداة سقوط غرناطة سنة 1492، في يد الغلاة المسيحيين.

**الركينة، أحمد**، ولد في 26 صفر عام 1268 / 18 يبراير 1852. يُعد بكل تأكيد أبرز وأشهر شخصية انبثقت من هذا البيت، إذ تسنى له الاضطلاع بمهام سامية وخطيرة في الجهاز المخزني، كالأمانة، والحجابة، والوزارة، مدة ما يقرب من أربعين سنة، اعتباراً من أواسط العقد الثامن من القرن التاسع عشر.

وفي بداية أمره، وقبل الانخراط في سلك الخدمة المخزنية، وجريا على عادة أقرانه من أبناء الأسر التي تنتمي إلى وسطه الثقافي والاجتماعي، اشتغل لحسابه، في مجال التجارة والأعمال، وهو الأمر الذي مهّد له السبيل وأهّله، في مرحلة لاحقة، للعمل في سلك الأمانة في المدن والمراسي، ولكن دائما في مناطق التخوم والأطراف، كمدينتي وجدة أو مليلية، وذلك منذ سنة 1303 / 1886.

وقد لا نبتعد عن الصواب، إذا ما اعتبرنا اختيار صاحبنا لتحمل المسؤولية في مثل هذه الجهات الصعبة المنال والانقياد، سياسيا، واجتماعيا، وجغرافيا، دليلا قويا على الثقة الكبرى التي كان يحظى بها في الدوائر المخزنية العليا من جهة، وعلى مؤهلات الرجل وقدراته على التفاوض والتعامل مع مخاطبيه من المغاربة والأجانب على السواء.

وأيان كان الأمر، فإننا نجده، في بداية عهد السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن، يشغل مهام أمين الصائر بدار عديل بفاس، وبالضبط في سنة 1314 / 1897، قبل أن يُعين حاجبا، غداة وفاة الوزير الصدر أحمد بن موسى في شهر مايو 1900. وقد احتفظ بمنصبه هذا إلى أن خرج المُلْك من يد المولى عبد العزيز سنة 1907، حيث عَيّن السلطان الجديد المولى عبد الحفيظ بن الحسن أحمد الكريسي حاجبا في مخزنه.

وفي مستهل سنة 1903، وبعد أن أبان الدعي الفتّان الجيلالي عبد السلام الزرهوني المدعو الروگي بوحمارة قدرات ومؤهلات حربية وسياسية رفيعة، مكنته من هزم جيوش السلطان المرة بعد الأخرى، ونجاحه في الإفلات من يد رجاله، تقرر تعزيز الوجود المخزني في المناطق الشرقية بوحدات من الگيش، والعسكر، وحراك القبائل، في كل من وجدة، وفگيگ، وعجْرود (قصبة السعيدة) على الخصوص، كما تقرر نقل أفرادها بحراً، من العرائش إلى وهران، ومن هذه الأخيرة إلى الجهة المعينة لخدمة كل فريق منهم، مروراً بالتراب الجزائري طبعا، ومحاذاة للأراضي المغربية، عملا بما نص عليه الاتفاق المبرم بين المغرب والسلطات الاستعمارية بالجزائر سنة 1901.

وكان القصد من هذا كله تعزيز النفوذ المخزني بهذه النواحي، والعمل على طرد الثائر وأتباعه منها، واستمالة قبائلها وعشائرها إلى جانب المخزن، بعد أن انحاز معظمها إلى حزب المتمردين.

إلا أن شيئا من هذا كله لم يتحقق لصاحبنا ولا لمن كان تحت إمْرته من الجند المخزني وقواده، إذ استدعي إلى مدينة فاس، بعد مُضيّ حوالي سنة ونيف على التحاقه بوجدة وناحيتها، وعُين مكانه الباشا عبد الرحمن بن عبد الصادق الريفي الذي حل بالمنطقة أواخر شهر غشت 1904.

وبعد فرض نظام الحماية على المغرب سنة 1912،

وانفراد إسبانيا بالحكم في منطقة الشمال، انضم أحمد الركينة إلى مخزن الخليفة السلطاني بمدينة تطوان، الأمير مولاي المهدي بن إسماعيل بن السلطان المولى الحسن، حيث أسندت له، أول الأمر، مهام وزير المالية، قبل أن يصير صدرا عظما فيما بعد.

وقد وافاه أجله المحتوم سنة 1343 / 1924 ـ 1925، ووُوري التراب بالزاوية الحراقية بمسقط رأسه.

**الركينة، مَحمد**، ولد بمدينة تطوان سنة 1875، وتولى أمانة المستفاد والجمرك عدة مرات، في مسقط رأسه ومدينة العرائش أيضا، على عهد السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ. وفي سنة 1928، استقر بمدينة طنجة حيث عُيّن ناظراً للأحباس بها، وكان على قيد الحياة سنة 1934.

**الركينة، محمد** بن **محمد**، عُرف بالفقيه، وكانت سكناه، في حدود سنة 1841، بحي الطرنكات الذي كان وقتئذ، حسب قول صاحب تاريخ تطوان من أهم حومات تطوان.

ويبدو أنه قبل انخراطه في سلك الوظائف المخزنية، اشتغل في مجال التجارة، إذ أشارت وثيقة بتاريخ 28 يبراير 1850، إلى طرود من أثواب ومنسوجات "مرزاية"، و"مركان"، و"سحون"، وجهها إلى مراسل له بمدينة فاس يُدعى محمد الموذن.

ثم في مطلع شهر أكتوبر من سنة 1852، أُسندت إليه خطة الحسبة بهذه المدينة، مكان الحاج المهدي الشرتي الذي كانت قد صدرت الأوامر المخزنية بإلقاء القبض عليه واعتقاله. وظل صاحبنا يشغل هذه المهام حتى أوائل شهر غشت من سنة 1856.

وفي أواسط شهر يناير 1860، أي في خضم وقائع حرب تطوان، نُودي عليه مرة ثانية لتولي نفس المهام، ولكن لأيام معدودات فقط، إذ في ليلة الأحد 4 يبراير من نفس السنة "خرج هاربا من النصارى...". وفي هذه المدة الوجيزة، تمت تعبئة أرباب الأراحي والفرانات بالمدينة، وعشرات النساء والرجال، مسلمين ويهودا، يشرف عليهم العامل محمد الحداد والمحتسب محمد الركينة المذكور، وذلك من أجل تهيئ الخبز وأنواع أخرى من العجائن للمجاهدين والجند الذين كانوا في ركاب الأمير مولاي العباس، صنو السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن بن هشام، القائد العام للجيوش المغربية وقتئذ.

خ. ح، كناش رقم 21، ص. 40، وص. 63 ؛ رقم 172، ص. 120؛ رقم 234، ص. 14 ؛ رقم 763، ص. 487 ؛ مخطوط ح رقم 105؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، تح. جعفر بلحاج السلمي، المحمدية، جزءان، 1998 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج. 3، ص. 336 وما بعدها ؛ ج. 8، ص. 349 وما بعدها.

A.G.V., 3h15, *Rapport en date du 6 octobre 1903* ; 3h14, *Rapport n° 208, en date du 31 décenbre 1903*, p. 2 et suivantes.

مصطفى الشابي

**الرماة**، فرقة عسكرية تقوم بعملية الرمي أثناء المعارك. كان الرمي أولاً بالسهام ثم صار بالقذائف النارية. ولقد لعبت فرق الرماة دوراً أساسياً في التاريخ العسكري المغربي ؛ سواء على مستوى القبائل أو المدن. وبرزت بعض المدن المغربية بتنظيمات الرماة فيها وتأثيرهم في حياتها السياسية والاجتماعية كمدينتي سبتة وفاس على سبيل المثال. فقد اكتسب الرماة بهما مكانة اجتماعية مرموقة، الأمر نفسه يلاحظ في القبائل التي كان مقدمو الرماية فيها يترقون إلى مناصب القيادة.

والجدير بالذكر هو أن للرماية أصولا دينية ثابتة كوسيلة للجهاد الذي شرعه الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام. وإذا كان الجهاد ركناً أساسياً في الإسلام وفرض عين أحياناً على كل مسلم، وفي الغالب فرض كفاية للقادرين عليه، كما هو معلوم عند الفقهاء، فإن تعلم وسيلته التي هي الرماية يعتبر من أوجب الواجبات.

ومن هنا كانت القبائل المغربية عبر التاريخ الإسلامي تُعْلي من شأن الرماية، وتحرص على تعليم أبنائها فنون الرماية والفروسية. وتربي فيهم مبادئ التعاون، وإيثار مصلحة الجماعة، والتضحية في سبيلها. فكان لكل قبيلة أو فرقة مقدم للرماية. وكان مفروضاً على كل أسرة أو خيمة أن تقدم فردا من أبنائها على الأقل لتعليم الرماية والفروسية استعداداً للطوارئ. وكانت القبائل تتباهى في المواسم والأعراس بفرسانها ورماتها. فهي بذلك تشهر على الملأ استعدادها وتستعرض قوتها وزينتها. ومازالت بقية من آثار تلك الاستعدادات والاستعراضات، تلوح خافتة من أثر التطور، كما يلوح بقايا وشم في ظاهر اليد.

ويبدو أن تنظيم الرماة في طائفة خاصة قائمة بذاتها. وشبيهة بمؤسسة الزاوية حدث مع الشيخ على بناصر الذي أسس بمدينة مراكش زاوية الرماية. وهو الذي وضع القواعد الأولى التي حددت واجبات الرماة تجاه شيخهم وواجبات المقدم حيال الرماة. فمن واجبات الرماة (الرمي)، طاعة الشيخ وتقديم الإعانة إليه خلال الحرث والحصاد وزيارته خلال الأعياد، وفي كل عيد يقدم الرماة أو الإخوان كمية من الصابون. وكان الشيخ يرد الهدية بأحسن منها حيث كان يمنح إخوانه شيئاً من البارود والرصاص.

أما واجبات شيخ الرماية، التي حددها على بناصر فهي: على الشيخ أن يعلم المنخرطين في الطائفة كيفية الرماية وقواعد سيرة الرماة ويحافظ على الوفاق بينهم ويعاملهم باللين فلا يوبخ أحداً بحضور الآخرين.

وعلى الشيخ أن يتصف بالأخلاق الحميدة، فلا يكذب ولا يسرق ولا يزني ولا يرتكب المحرمات. وإذا ثبت على الشيخ ارتكاب إثم، فإن عليه أداء ذعيرة قدرها عشرة مثاقيل وذبح أربع بهائم للإخوان في الطائفة. أما الذي يتخلف عن أداء الواجب من الإخوان فعليه أداء ذعيرة خمس أوقيات، زيادة على أداء أجرة الذي عوضه في خدمة الشيخ أثناء الحرث أو الحصاد مثلاً.

إن أهمية موضوع الرماية يظهر من خلال تناولها في مؤلفات عديدة، فزيادة على كتب الحديث التي تناولتها في باب الجهاد، يجدر بنا أن نشير إلى أن أول مؤلف خاص بأصول الرماية التي ترجع إلى العهد الإسلامي الأول هو الذي ألفه ابن هذيل الأندلسي في القرن الثامن (14 م) بأمر من الأمير محمد بن يوسف بن إسماعيل النصري. وقد عمد Louis Mercier القنصل الفرنسي والمفتش العام للشؤون الأهلية بالمغرب إلى ترجمة مؤلف ابن هذيل، ونشره تحت عنوان : *"حلية الفرسان وشارة الشجعان"*، *La parure des cavaliers et l'insigne des preux* (Paul Gueuthner, edit. Paris).

وقد اطّلع الضابط المترجم Martin صاحب كتاب : *أربعة قرون من تاريخ المغرب*، على مؤلف ابن هذيل لكنه لم يتمكن من ترجمة النسخة التي عثر عليها لصعوبة قراءتها حسبما ذكره.

وفي مؤلفه : نجد مارتان يُعْطي اهتماماً خاصاً لطائفة الرماية وينقل بعض المؤلفات والصحف التي دونت فيها قواعدها. وما يثير الانتباه هو أن مارتان اعتبر طائفة الرماة طائفة دينية ذات صبغة وطنية، وأرجع إليها كل أو معظم مواقف المغاربة تجاه التدخل الأجنبي.

وبالفعل، فإذا تذكرنا أصول الرماية المرتبطة بالجهاد، وإذا علمنا دور رجال الدين والعلماء في جهاد المغاربة ضد الغزو النصراني، منذ انطلاق الحملات الصليبية ضد المغرب إلى عهد الاستعمار تأكد لنا - بالفعل - أن ظهور طائفة الرماية في القرون الحديثة ارتبط بالجهاد ومقاومة الاحتلال الأجنبي. وإذا علمنا أن طائفة الرماية كان لها حضور قوي في بعض القبائل المجاورة للسواحل مثل قبائل الشاوية حيث توجد زاوية النواصر. وإذا تأكدنا من أن معظم زعماء الجهاد في هذه القبائل كانوا من مقدمي طائفة الرماة فهمنا الدور الفعال الذي كان يقوم به الرماة المجاهدون وعلمنا لماذا أولاها الضابط الفرنسي ذلك الاهتمام !

وبالجملة، فقد اشتهر الرامي المغربي بتصويبه ودقة استهدافه للعدو، ولا شك أن هذه المهارة لم تكتسب إلا بالتدريب على الرمي وركوب الخيل. ولقد بينت لنا معارك المقاومة التفوق الحاسم في التكتيك وفي دقة رمي الفارس المغربي بخلاف الفرسان الأوربيين الذين كانوا لا يصوبون رميهم إلا إذا ثبتوا فوق الأرض. أما اليوم فيبدو أن العلم الذي حذقه الغربيون قد جعلهم يتفوقون، وجعل سلاحهم أفتك من سلاح "رماة الحذق" !


عبد الله أزيطان، *كتيب في الرماية وفضائلها*، مخطوط ؛ ع. الخديمي، *أصول الرماية والرمي في التراث الشعبي*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 أكتوبر، 1998.

A.G.P. Martin, *Le Maroc et l'Europe*, Paris, 1928.


علال الخديمي

**رمـاة سبتة** كان لهم دور حيوي ليس للدفاع عن المدينة فقط، وإنما لمراقبة مياه الزقاق كذلك. ومنذ الفترة الموحدية بدأ المؤرخون يشيرون إلى رماة المدينة ودورهم في المعارك البحرية، سواء محلياً أو دولياً خلال الحملات المغربية بالأندلس أو بمناطق المغرب الأوسط. وسرعان ما أصبحوا يشكلون طليعة الجيش المغربي.

لقد وصف ابن الخطيب سبتة بأنها "دار الناشبة" لكن الأنصاري هو الذي يقدم لنا معلومات في غاية الأهمية حول تقنية الرماية لدى السبتيين. فهو يشير إلى وجود خمس عشرة منجرة في أيامه - بعد أن كانت أربعين في فترة سابقة - وكلها معدة "لعمل القسي". عشرون منها كانت توجد بالمعر الأعظم، وهو الأمر الذي يشير إلى أهمية تجارتها داخل المدينة، بينهما كانت العشرون الأخرى توجد بمنازل المعلمين والصناع. فقد تخصصت بعض الأسر السبتية في صنع القسي كبني القنطري وبني العاقل وبني العاقل وبني ابن غالب وغيرهم. ومن المؤكد أن هذه الحرفة كانت تحظى باحترام السبتي لأننا نجد الشرفاء والمتصوفة وبعض علية القول من الذين امتهنوها. كما أن الأوصاف التي أطلقها الأنصاري على بعض الصناع مثل "الشيخ" والشريف والوجيه والحسيب والمتقدم الحسن والفاضل تؤكد هذا الطابع وتلك الأهمية. ويبدو مع ذلك أن هذه الحرفة كانت خاضعة لرقابة السلطات المحلية. فمن بين ديار الإشراف التي وُجدت بسبتة نجد دار الإشراف على البناء والنجارة وما يرجع إليها.

لكن أهم نصوص اختصار الأخبار هي المتعلقة بالسهولة الكبيرة التي كان السبتيون يستعملون بها الرماية والأماكن المخصصة لها. فحسب الأنصاري كان عدد المرامي المعبر عنها بالجلسات وأماكن السبق المعلومات للرماة أربعة وأربعين مرمى. بالميناء تسع جلسات، جلسة الحفير [...] المخصوصة بالقاضي وصدور الفقهاء من العدول وغيرهم، إذ الرمي طبع لأهل سبتة طبعوا عليه، فلا تلفي منهم شريفاً ولا مشروفاً ولا كبيراً ولا صغيراً إلا وله بصر بالرمي وتقدم فيه. ومعظم رميهم بالقوس العقارة، وهي من جملة الأشياء التي تميزوا بها [...] ومرمى عاشر بوسط المصلى وهو بانفراده للقرس العربية. وبالمنارة من داخل البلد إثنا عشر [...] ومن أبدعها جلسة بظهر خارج الملعب يرمي منها إلى ثلاث نواحي [...] وبالقصبة جلسة واحدة وبالأرباض الثلاثة سبع جلسات

من ثمانمائة [خطوة]، وبالريض البراني جلسة من مائة خطوة [...] وبخندق القمل خارج الباب الأحمر جلستان" ويتوسع الأنصاري في هذا الموضوع بنفس تدل على أنه كان خبيراً بفن الرماية ويشير إلى أماكن سبق ومرامي أخرى في مختلف أنحاء المدينة.

لقد أبرز "ج. د لثام" أهمية هذا النص من الناحية التقنية، مشيراً إلى أن القوس العقارة التي كانت سائدة في سبتة هي التي كانت معروفة في أوربا في العصور الوسطى باسم "arabista ad duo pedes" لأن الرامي كان يثبت القوس بوضع قدمية على طرفيه قبل جذبه إليه ؛ وهو الأمر الذي كان يسمح له برمي قذائف أثقل وزناً وبالتالي أقوى مما كان سيرميه لو أنه استعمل قدما واحدة فقط كما هو الحال في قوس الركاب". كما كانت لهذه القوس مزايا أخرى هامة في المعارك. إنها لا تتطلب من الرامي قدراً كبيراً من التدريب. كما أنها كانت سلاحاً فعالاً جداً للمدى القريب المعارك بين السفن وفي المعاقل. إن أهميتها تكمن كذلك في كونها تصلح للاستعمال براً وبحراً. ونجهل تاريخ بداية استعمال هذه القوس بسبتة وإن كنا نرجح بداية استخدامها مع القرن (12 م) وهو القرن الذي عرفت فيه بلدان أوربا استعمال القوس على انطلاق واسع براً وبحراً، من طرف الفرسان والمشاة، في الحصارات وفي المعارك المنظمة شمال وجنوب أوربا.

وكان يُستعمل لصنع هذا السلاح خشب الطخش والبقش اللذين كانا ينبتان بنواحي بليونش. ولم يكن السبتيون يزاولون الرماية لأن الرمي طبع لأهل سبتة طبعوا عليه فقط، وإنما الرماية كانت سلاحاً أكثر فاعلية بالنسبة للجنود في المعاقل المحاصرة وفي المواقف التي لا تكون فيها الحركة في الاعتبار الأول. من هنا نفهم لماذا طلب الأميرال الأرغوني تزويده بالرماة لمساعدته في حصار سبتة سنة 672 / 1274. كما لم تكن الرماية مجرد رياضة لأهل سبتة وركزاً من رموز التمايز الاجتماعي وإنما كانت السلاح الأمثل للدفاع عن المدينة ووسيلة حيوية في الصراع من أجل السيطرة على مياه الزقاق. وكانت شهرة الرماة السبتيين وصل ذكرها إلى البلاد المسيحية قبل سقوط المدينة سنة 818 / 1415.

ابن سعيد، *اختصار القدح المعلى*، تح. إبراهيم الأبياري، بيروت، القاهرة، ط 2، 1980 ؛ م. الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1973 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، ج 3، بيروت، 1988 ؛ ل. ابن الخطيب، *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار*، تح. كمال شبانة، الرباط، د. ت، 146 ؛ ابن أبي زرع ، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 7، دار بيروت، 1992.

G. Colin et R. Ricard, *Tanger et Ceuta dans un boniment de jongleur espagnol du XVe siècle, Bulletin Hispanique*, XLVIII, 1946 ; J. D. Latham, *The Strategic Position and Defence of Ceuta in the Later Muslim Period, Islamic Quarterly*, XV, 1971 ; Ch.E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIII et XIVème siècles*, Paris, 1966 ; *La question de Ceuta, au XIIe siècle, Hesp.*, 1955 ; Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen Age*, Paris, 1986 ; Ph. Contamine, *La guerre au Moyen Age*, Paris, 1980.

محمد الشريف

**رماة فاس**، يتميزون بالدور الهام الذي قاموا به في تاريخ المدينة منذ أواخر عهد السعديين على الأقل. إلا أن تتبع تاريخهم ليس بالأمر السهل لقلة ما كُتب عنهم ؛ فالمادة التاريخية المتوفرة تكتفي بإشارات سريعة إلى هذه الفئة العسكرية، ويمكن أن نفهم ذلك إذا علمنا أن جل من سجل تاريخ المدينة هم من النخبة العالمة التي كانت تكن في الغالب الازدراء والاحتقار لفئة انحدر أفرادها من الشرائح الدنيا للمجتمع ومارسوا العنف والابتزاز على أهل المدينة كلما تقلص ظل المخزن وعجز السلاطين عن إخضاع سكان فاس.

إن وجود مجموعات منظمة من الأحداث داخل المجتمع الحضري هو أمر عرفته الكثير من المدن الإسلامية. وبالنسبة لمدينة فاس نجد أول إشارة إلى هذه المجموعات شبه العكسرية لدى الباسط بن خليل، وهو تاجر مصري حضر على ما يبدو الفتنة التي عصفت بالسلطان المريني عبد الحق بن سعيد في سنة 870 / 1465، ففي *رحلته*، التي نشرها المستشرق روبير برانشفيك، توجد إشارة إلى "طائفة الوكّارة" الذين قادوا الثورة الشعبية بالمدينة للتنديد بعبد الحق المريني وتعاظم نفوذ وزيره اليهودي. ويشبّه الباسط بن خليل هذه "الطائفة" بما يعرف ببلده مصر بفئة "الزعر".

وعند بداية القرن الثاني عشر (16 م) يشير الحسن بن محمد الوزان إلى وجود مجموعات من الأحداث ينتظمون على أساس الأزقة والحومات ويتسلحون بالعصي التي يستعملونها ضد المجموعات المنافسة. "وقد يشتد الخصام بينهم فيأخذون السلاح ويموت عدد من كل فئة... وبعد انتهاء الاشتباك يأخذون في التراشق بالأحجار حتى لقد يعجز رئيس الشرطة عن تفريقهم". وإذا كان الوزان لا يطلق أي تسمية على هذه المجموعات من الأحداث فإن وصفه لا يدع مجالا للشك بأن الأمر يتعلق بما يشبه "الزعر" أو "العيارين" المشارقة.

وبوصول السعديين إلى الحكم عند منتصف القرن العاشر (16 م) شهد المغرب ثورة في التنظيم العسكري سوف يكون لها انعكاس واضح على تقنيات القتال لدى جيش الدولة في البداية، ولدى بعض فئات المجتمع في مرحلة لاحقة. وأهم ما ميز التنظيم العسكري خلال هذا القرن هو ظهور الأسلحة النارية واعتماد السعديين عليها لتطوير جيشهم، وخاصة بخلق ما سُمي بعسكر النار. فمحمد الشيخ المهدي كان له بفاس ألفان من الرماة المسلحين بالبنادق، وكانوا ينتمون إمّا إلى الأندلسيين أو

أهل سوس. وقد لعب هؤلاء الرماة دورا حاسما في غزو بلاد السودان على يد المنصور.

إلا أن تفتت السلطة السعدية خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر (17 م) أدى إلى وضعية جديدة بالنسبة لأهل فاس. فبعد وفاة أحمد المنصور في سنة 1603 أصبح سكان المدينة القديمة عرضة لهجوم وتطاول الجيش السعدي المتمركز بفاس الجديد، وكذلك جيش شراگة الذي اعتمد عليه الأمراء السعديون لكبح جماح التمرد بفاس والمغرب الشمالي بصفة عامة. وعندما تولى عبد الله بن محمد الشيخ المامون حكم المدينة أصبح جيش شراگة سنده الأساسي لكنه كان عاجزاً عن كف هجوماتهم وتعديهم على أهل فاس، بل إنه سمح لهذا الجيش بالإقامة بالقصبة، وكذلك ببعض الفنادق داخل المدينة القديمة. وأمام تدهور الوضع الأمني بفاس بادر أهل المدينة إلى تولي أمر دفاعهم بأنفسهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو التالي : كيف انتقلت مؤسسة الرماية من الجيش السعدي إلى المجتمع الفاسي ؟ أو بعبارة أخرى، كيف انتقل فن الرماية واستعمال البندقية من جيش الدولة إلى سكان المدينة القديمة ؟ هناك على الأقل ثلاثة عوامل تفسر هذا الانتقال : أولا، سياسة الدولة السعدية ذاتها. فالسعديون حسب مارمول وضعوا أهل فاس أمام اختيارين (سيلجأ إليهما المولى إسماعيل العلوي لاحقا). إما الخدمة العكسرية أو التعويض المادي لمن استطاع ذلك من أهل الثروة. بمعنى آخر فقد جندت مدينة فاس فرقة من المقاتلين شبيهة في سلاحها وتنظيمها برماة الدولة المقيمين بفاس الجديد. ثانيا، إن ظهور صناعة السلاح الناري بمراكش السعدية وفاس الوطاسية خلال النصف الأول من القرن العاشر (16 م) سمح بانتشار هذا السلاح بسرعة. وأخيرا، فإن تفكك الجيش السعدي وعجز خلفاء المنصور عن ضمان أسباب استمراره جعل العديد من عناصره تعرض خدمتها على الأطراف المتناحرة داخل فاس القديمة. وبذلك انصهر عدد من عناصره في البنية العسكرية للمدينة. وخير دليل على ذلك هو وجود أسماء قيادية ضمن رماة فاس تشير بوضوح إلى انحدارها من علوج السعديين (القائد مامي العلج) أو رماة أهل سوس (الجزوليين).

لكن المدينة لم تعرف قيادة موحدة لمقاتليها. فجمع واستنفار الرماة كان يتم على أساس العصبية الجهوية، وكان الأندلسيون واللمطيون ركيزتي هذا "الجيش الفاسي"، أما رؤساؤه فكانوا من ذوي العصبيات القوية داخل المدينة، وهم الذين تشير إليهم المصادر تحت اسم "الثوار" أو "السيّاب" في أوقات الاضطراب، وتحت اسم "الرؤساء" عندما تكون الأمور في يد الدولة. إلا أن المجموعات المسلحة سرعان ما أصبحت وبالا على المدينة نفسها لانعدام قيادة موحدة ولسقوط هذه المجموعات في العمل الإجرامي وعمليات السطو والابتزاز والاقتتال الفئوي الذي كان يعطل الحياة الاقتصادية ويجعل الحياة جحيما لا يطاق بالنسبة لأهل الثروة، وحتى بالنسبة لعامة الناس.

عندما استقرت الأمور لمؤسسي الدولة العلوية حاول هؤلاء الاستفادة من الطاقات العسكرية للمدينة، علماً منهم بأن فاس كانت تعبئ ستين ألفا من المقاتلين أيام الفترة الفاصلة بين السعديين والعلويين. أضف إلى ذلك أن رماة فاس كانوا من خيرة المقاتلين ولهم تجربة ثمينة فيما يتعلق بحرب حصار المدن، وقد برهنوا على كفايتهم في هذا المجال عندما احتاجهم المولى إسماعيل سواء في حصار مدينة العرائش أو مدينة تارودانت. لذلك ألح هذا السلطان طيلة حكمه على ضرورة مساهمة المدينة في المجهود العسكري للدولة، سواء عن طريق المشاركة في الحَرْكات أو عن طريق توفير فرق عسكرية لحراسة الثغور والمناطق الحدودية. وهكذا كانت المدينة مطالبة بتعبئة ألف وخمسمائة رام، كان ثلثها يرافق السلطان في تنقلاته، وثلث يرابط على حدود مدينة سبتة المحتلة، بينما يقيم الثلث الأخير بمركز فگيگ على الحدود الشرقية. ولم يقبل أهل فاس هذه المساهمة إلا على مضض، لأن العامة كانت تأنف من الخدمة العسكرية بينما كان أهل الثروة يتهربون من تكاليف تجهيز الرماة وتوفير أسباب خدمتهم. وهذا ما جعل عدد الرماة الذين يجندهم أهل فاس يتغير حسب قوة السلطان الحاكم أو اختياراته العسكرية. فالسلطان سيدي محمد بن عبد الله اكتفى بخمسين راميا طالبهم بسكنى مدينة الصويرة. أما المولى سليمان فإنه كاد أن يُسقط عنهم الخدمة العسكرية بالمرة إذ طالبهم بثمانية عشر فردا فقط (واحد لكل حومة) كانوا يرافقونه في تحركاته. ومع نهاية القرن الثالث عشر (19 م) رفع مولاي الحسن من حصة الرماة المفروضة على فاس لتصل إلى خمسمائة رام.

لم تكن الخدمة العسكرية بفاس خاضعة لمقاييس مضبوطة وقارة، لا بالنسبة لمقاييس التجنيد ولا بالنسبة لهيكلة المقاتلين وعلاقتهم بكل من المدينة والمخزن. فعدد المجندين كان يختلف حسب الظروف والأوضاع الأمنية بالمدينة ومحيطها وضعف أو قوة المخزن. فمن الآلاف التي كانت تستنفر أوقات الحصار كان عدد الرماة يتقلص أحيانا إلى بضع مآت توظف في حراسة أبواب المدينة والمرافق الحيوية بها. بل إن وجود سلطة مخزنية قوية بالمدينة كان يؤدي إلى شبه اضمحلال الرماة كمؤسسة عسكرية. فأوقات السلم والاستقرار السياسي كانت تضعف الرماة بل قد تؤدي إلى اختفائهم بالمرة إذا طالت. ويقدم لنا عبد الكبير الفاسي، صاحب *تذكرة المحسنين*، مثالا عن ذلك عندما يلاحظ أنه في سنة 1235 / 1819، لما عجز المولى سليمان عن حماية المدينة من هجومات القبائل وجيش الوداية، لم يجد أهل فاس من يحسن استعمال البندقية "لطول مدة العافية".

أما عملية التجنيد فكانت تتم على صعيد الجهة (الأندلس، اللمطيون، عدوة القرويين). فكل جهة من الجهات الثلاث كان لها "جيشها" الخاص بها والذي كان يخرج إلى القتال وهو يرفع علما خاصا يميزه، وعند انتهاء القتال كانت الأعلام الثلاثة توضع بضريح مولاي إدريس فيشار إليها بـ"أعلام مولاي إدريس". وأول من كان يستنفر للخدمة العسكرية الأحداث الذين لا حرفة لهم، إلا أن دائرة التعبئة كانت تتسع، إذا دعت الضرورة إلى ذلك، لتشمل كل القادرين على حمل السلاح من العامة، خاصة ضمن فئة الحرفيين. ولم يكن المقاتلون من البيوت المشهورة بل نجد أن جلهم ينتمي إلى ذوي الأصول المغمورة أو القبائل، وهو ما نلمسه في أسماء كثير منهم كالسلاسي والعماري واليازغي إلى غير ذلك من الأسماء.

ورئاسة هذه الجيوش كانت تخضع هي الأخرى لمنطق الجهة. إلا أنه من الصعب رصد قواعد ثابتة للتدرج نحو القيادة. إن الطريق المؤدي إلى الرئاسة كان يبدأ من الحومة أو حتى من الدرب عندما يتمكن شخص ما يتمتع بعزوة وعصبية قويتين من فرض نفسه وإثبات قدرته على تعبئة السكان لدرء الخطر عن أهل دربه أو حومته. وقد يتعلق الأمر في البداية بمجرد عصابة محدودة يبرز من بين صفوفها شخص يتوفر على القوة الجسدية والمقدرة القتالية تجعل الآخرين يلتفون حوله. ومن العوامل التي تُقوي حظوظ هذا الشخص في الوصول إلى مرتبة القيادة استناده إلى أسرة متماسكة ذات عصبية قوية، وقدرته على توظيف كل هذه العوامل لتوفير قيادة ناجحة تضمن الحماية لحومته وتصون شرف أهلها أمام التحديات الخارجية. وقد يبرز أكثر من مرشح واحد للقيادة، وقد يحتد التنافس بين أسرتين أو أكثر على مستوى الجهة الواحدة فيقع الحسم عن طريق السلاح. وهذا ما حدث مثلا بين عزوتي الجزولي وإزرور بجهة اللمطيين في سنة 1150 / 1737 - 1738.

وإذا تجاوزنا الإطار العائلي نجد أن العلاقات الزبونية لعبت دورا هاما في اكتساب المؤيدين والأتباع ؛ وبقدر ما تتشعب هذه العلاقات بقدر ما تتسع دائرة نفوذ قائد معين. والقول بأهمية الزبونية يحيل منطقيا على عامل آخر، هو عامل الثروة التي توظف لاكتساب الأتباع. إلا أن الثروة لم تكن شرطا ضروريا لشق الطريق نحو القيادة، فمعظم الحالات التي أمامنا توضح أن العصبيات القوية في المدينة اغتنت بعد أن فرضت نفسها عسكريا وسياسيا عن طريق النهب والابتزاز والاستيلاء على الممتلكات الحبسية وتزوير السكة إلى غير ذلك. وهذا كان يتم أساسا خلال فترات الضعف المخزني أو انعدام أية سلطة مخزنية بالمدينة كما كان الحال خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر (17 م).

إن الرماة لم يكونوا قوة عسكرية فحسب، بل كانوا كذلك قوة سياسية لها دور بارز على مستوى المدينة، وكذلك في علاقة هذه بالدولة المركزية. فرؤساء الرماة كانوا هم حكام المدينة في غياب المخزن، وعندما تخضع المدينة لهذا الأخير فإنهم كانوا يوفرون له الأطر القيادية والإدارية بالمدينة. فخلال الفترة الفاصلة بين السعديين والعلويين كانت مدينة فاس تحت حكم زعيمين هما محمد بن الصغير من جهة اللمطيين وأحمد بن صالح اللّيريني من جهة الأندلس. وعندما وصل العلويون إلى الحكم حاول بعض السلاطين توحيد قيادة المدينة بفرض قائد واحد. لكن هذا الأمر لم يكن في متناول كل السلاطين. فعندما كان ميزان القوة يميل لصالح المدينة كما حدث بعد وفاة المولى إسماعيل تغلبت النزعة الانقسامية وعادت المدينة إلى القيادة الثلاثية، لكل جهة من الجهات الثلاث قائدها.

وكان الرماة يملأون كذلك عددا من المناصب الإدارية والأمنية بالمدينة، فكان منهم الجُراي، أو مقدمو الأحياء، وحراس الأبواب والأزقة وأعوان القاضي وناظر الأحباس إلى غير ذلك من الوظائف. ولم يكن الرماة يحبذون حكما مركزيا قويا لأن ذلك كان يحرمهم من المناصب الإدارية والأمنية داخل المدينة من جهة، ويحولهم من جهة ثانية إلى قوة محاربة ضمن الجيش المخزني، مما يفقدهم قوة التأثير داخل المجتمع الفاسي ويحرمهم حرية المبادرة والمناورة. فإذا أخذنا العهد الإسماعيلي كنموذج لحكم مخزني قوي نجد أن السلطان استغنى عن خدمة العديد من رؤساء الرماة وأعيانهم بتوحيد قيادة المدينة في يد خادمه بوعلي الروسي وحذفه لقيادة الجهة، بل قلص حتى عدد الجُراي من 24 إلى 3 (واحد لكل جهة). وهذه إجراءت لم ترق النخبة السياسية والعسكرية بالمدينة. أضف إلى ذلك أن المولى إسماعيل طالب بتجنيد الرماة للعمل ضمن الجيش المخزني، وهو أمر استثقله أهل فاس بصفة عامة لأنه كان يعني عبئا إضافيا بالنسبة لأهل الثروة، وإكراها على خدمة مخزنية محفوفة بالمخاطر بالنسبة للمجندين ورؤسائهم، دون أن يكون في ذلك كبير فائدة لهؤلاء. لذلك حاولت نخبة الرماة التهرب من الخدمة العسكرية تحت مظلة المخزن، الشيء الذي جعل المولى إسماعيل يتهم أهل فاس مرارا بالتراخي والمماطلة وتجنيد فقط "اليشاشرة" الذين لا يصلحون للحَركات والقتال.

لكن أسباب التوتر بين المخزن والنخبة العسكرية - السياسية بفاس لم تكن ترتفع بمجرد إلغاء أو تخفيف الإلزامات العسكرية من طرف السلطان. فالمولى سليمان، الذي لم يكن يطالب المدينة إلا بمساهمة رمزية لا تتعدى ثمانية عشر فردا، وجد نفسه قُبيل وفاته أمام تمرد كاد أن يعصف بحكمه، وهو التمرد المعروف بـ"فتنة فاس" والذي لعبت فيه قيادة الرماة دورا أساسيا. وأما سبب حقد هذه القيادة على المولى سليمان فكان يتعلق أساسا بسياسة

التهميش والتجاهل التي اتبعها هذا السلطان تجاه أعيان المدينة ورؤسائها التقليديين. فالمسألة تتعلق أساسا بإشراك النخبة المحلية وتمكينها من وسائل النفوذ والتأثير على المستوى المحلي.

م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1977 ـ 1986 ، 4 أجزاء ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الرباط، 1983، جزءان ؛ ع. الكبير الفاسي، *تذكرة المحسنين*، مخطوط، خ. ح رقم 12235 ؛ أبو القاسم الزياني، *جمهرة من حكم بفاس*، مخطوط، خ. ح رقم 2348 ؛ م. ابن ابراهيم الدكالي، *تقاييد تاريخية*، مخطوط مكتبة بودليان بأكسفورد، رقم C 79 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، الرباط، 1984 ـ 1989، الجزء الثاني.

R. Brunschvig, *Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XV Siècle*, Paris, 1936 ; Mohamed El Mansour, *Urban Society in Fez : the Rumat during the Modern Period (17th - 19 th Centuries), the Maghreb Review*, vol. 22, n° 1 - 2, 1997.

محمد المنصور

**الرمَد**، التهاب العين يصيب الملتحمة والقرنية ويتميز بوجود حبيبات والتهابات بالملتحمة. وهي ذلك الغشاء الرقيق الشفاف الذي يغشي الجهة الأمامية من كرة العين. وقد يمتد الالتهاب إلى بقية أجزاء الملتحمة ويفسدها، كما قد يؤثر في القرنية وربما يمزقها فيؤدي ذلك إلى فقدان البصر. وعادة ما يقسم الأطباء الرمد إلى نوعين حُبيبيّ وصديدي، فالحبيبي، ويسمى أيضا التراكوما. وفيه يشعر المريض كأن بعينيه بعض حبات الرمل، أما الصديدي فيتميز بإفرازات صديدية.

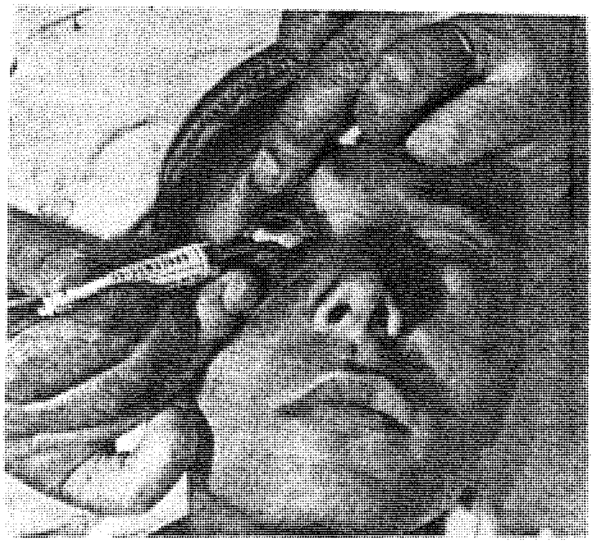

يتسبب في هذا الداء ڤيروس يسمى كلاميديا تراكوماتيس Chlamydia Trachomatis وتنتقل عدواه بما تفرزه العين المصابة من أبخرة وقذى وما يستعمله المصاب من مناديل وأدوات. واليدين والذباب.

يعتبر الرمد من الأمراض القديمة بالمغرب حيث ترد إشارات عن الإصابات به في بعض كتب الإخباريين، كما جاء على سبيل المثال عند ابن عيشون الشراط أثناء حديثه عن أبي الربيع سليمان، الذي تبرك به أحدهم من رمد أوجعه وأسهره ليلته ومنعه من النوم.

وذكره الحسن الوزان دون أن يشير إليه بالاسم حيث أورد عن أهل سجلماسة أن عيونهم تمرض في الصيف وأن الغبار من أسباب التهاب الأعين لدى الناس. وأشارت ماريا تيرمتلن الأسيرة الهولندية التي قضت بالمغرب اثنتي عشرة سنة ما بين 1731 و1743 إلى أنها مرضت وزوجها وأولادها بمرض العيون فيما بين نهاية غشت وشتنبر، و لانخال مرضا يسري بين العائلة دفعة واحدة، وفي تلك الفترة من السنة بالذات، سوى الرمد.

وفي معرض حديثه عن الأمراض الأكثر انتشارا بين المغاربة، أشار الطبيب لامبريير Lemprière أثناء مقامه بالمغرب سنة 1790، إلى التهابات العيون التي تتسبب في فقدان البصر. وفي رسالة وجهها أحمد الطالبي إلى السلطان مولاي الحسن بتاريخ 18 شتنبر 1897 إلى أن إبراهيم بن حمادي أحد ولاة السهول، لم يستطع التوجه إلى العاصمة لأنه كان مريضا بالرمد في عينيه.

تشح المعلومات وتندر الأرقام بصدد الرمد وعشيانه في المغاربة خلال السنوات القليلة السابقة للحماية وحتى بعد توقيعها، ومرد ذلك فيما يبدو إلى أن الرمد لم يكن، بالنسبة للفرنسيين، على درجة من الخطورة وسرعة الانتشار تستدعي حزما في استنفار الوسائل القمينة بمعرفة الداء وضبط عدد المصابين به، قصد محاصرته وتطويقه، فكان حظه من الاهتمام أقل من غيره من بقية الأمراض الفتاكة الأخرى كالزهري والسل على سبيل المثال. وكانت أولى الاحصاءات التي أجريت في هذا الشأن هي التي قدمها الطبيب رملنجر Remlinger عن طنجة وتهم رواد المستشفى الفرنسي من المغاربة المسلمين، وهو ما يوضحه الجدول التالي :

| السنوات | العدد الإجمالي للمستثيرين | حالات الرمد |
|---|---|---|
| 1912 | 9.716 | 16 |
| 1913 | 12.716 | 12 |
| 1914 | 13.855 | 21 |

ولاحظت الطبيبة دولانوي Delanoé، منذ استقرارها بالمغرب سنة 1913، وكانت تعمل يومئذ في المـمْرضة الخاصة بالمغاربة في مازيغن (الجديدة)، أن نسبة المَصابين بالرمد مرتفعة جدا تصل إلى ما بين 40 و50٪ من سكان المنطقة، وكان الأطفال على وجه التخصيص معرضين أكثر

من غيرهم للرمد ويصابون بالعمى نتيجة انثقاب في القرنية بسبب تحببات خبيثة.

ولم تبدأ الدراسات حول الرمد بشكل رسمي سوى سنة 1927، ولو أن العصبة المغربية لمكافحته ظهرت في سنة 1924، ومنذ سنة 1930 بدأت التقارير تجود ببعض الأرقام حول عشيان هذا الداء، إذ يفيد تقرير إدارة الصحة أن عدد المصابين به خلال هذه السنة 38.415، وأن منطقة مراكش وحدها استأثرت بما يقرب من 20.000 منهم.

ويوضح الجدول عدد المسجلين المغاربة من المصابين الجدد بالرمد خلال النصف الأول من الثلاثينيات.

| السنوات | عدد المسجلين الجدد من المصابين بالرمد |
|---|---|
| 1932 | 18.000 |
| 1933 | 17.901 |
| 1934 | 26.083 |
| 1935 | 28.173 |

وجاءت الحرب العالمية الثانية وما رافقها من شدة وضيق وما ترتب عن ذلك من ندرة الصابون وقلة النظافة، فمهدت للرمد من أسباب التفشي ما جعله يعيش في المغاربة بشكل أدهى وأمرّ، وارتفع عدد الحالات المصرح بها من المصابين بالرمد في السنة الأولى من الحرب بحوالي 10.000 عما كان عليه الحال في سنة 1938. ويوضح الجدول التالي عدد المسجلين من المصابين الجدد بالرمد خلال سنوات الحرب العالمية الثانية.

| السنوات | عدد المسجلين من المصابين الجدد بالرمد |
|---|---|
| 1939 | 42.938 |
| 1940 | 38.803 |
| 1941 | 46.121 |
| 1942 | 48.162 |
| 1943 | 53.266 |
| 1944 | 86.868 |
| 1945 | 67.487 |
| المجموع : | 383.645 |

ظلت نسبة المصابين بالرمد مرتفعة في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية وعلى وجه الخصوص في المناطق الجنوبية، إذ بلغت نسبة المصابين من أطفال المدارس مستويات عالية.

وتفاحش أمر الرمد في بداية الخمسينيات مما جعل إدارة الصحة تنشئ مصلحة خاصة تسمى "المصلحة المركزية لأمراض العيون" وتردف ذلك بخلق مجموعات جراحية متنقلة، كانت تجوب ضواحي مراكش وأرفود وورزازات، وهي مناطق معروفة باحتضانها للرمد.

وحسب بعض الأبحاث التي أنجزتها إدارة الصحة العمومية، يمكن تقسيم المغرب من حيث انتشار الرمد إلى ثلاث مناطق :

- المناطق الساحلية ويتراوح فيها مؤشر الرمد ما بين 0 و25٪.
- المناطق الداخلية ويتراوح فيها ما بين 25 و40٪.
- منطقة الجنوب، ويستأثر مؤشر الرمد فيها ما بين 70 و100٪.

وكان المغاربة يعالجون المرمودين ببعض ما ورد من وصفات في *كتاب الرحمة* أو *كتاب الأنطاكي*، بالإضافة إلى وصفات أخرى دونتها A.R. De Lens في كتاب صدر لها سنة 1925، خصصته لوصفات العلاج والتجميل والشعوذة. ومن جملة ما أوصى به السيوطي في كتاب الرحمة وصفات أخرى مما يقطر من نقيع النباتات أو يكتحل به من المواد وما يكتب من الرقى والتعاويذ. أما De Lens فقد استقت وصفاتها مما كانت تقع عليه عينها عند عائلات المرمودين مثل حليب المرضع، أو خليط العسل مع ماء البصل.

واستعمل الفرنسيون على إثر سيطرتهم على المغرب علاجات أخرى ضد الرمد فاهتدت الطبيبة دولانوي في العشرينيات إلى استعمال زيت يسمى زيت الشولموگرا Chaulmoogra وكان يستخرج من حبات تثمرها أشجار من جنوب آسيا. وقد نجع إلى حد ما في علاج الرمد والتخفيف من حدته وتمكنت دولانوي حسب قولها أن تزيح ضره عن 25.000 مرمود، سيما وأن المصابين كانوا يتحملون فرك الجفون بزيت الشولموگرا لأنه غير محرق وغير مؤلم.

وابتداء من سنة 1938 ظهر ما كان يسمى يومئذ، بالسولفاميد Les sulfamides وهو مركب عضوي أزوتي ومكبرت مضاد للجراثيم. وكان هذا الدواء الجديد لا يضر بعد استعماله بالجفون ولا ببقية أعضاء العين. وفي الخمسينيات ظهرت مراهم التتراسيكلين والأريوميسين، وأمكن تعميم الوقاية من الرمد، على الأقل في المدن، حيث كانت توكل لمعلمي المدارس مهمة حقن عيون الأطفال بالمراهم المضادة للرمد.

ج. السيوطي، *الرحمة* ؛ الأنطاكي، *تذكرة أولي الألباب* ؛ م. ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس* ؛ *علاقة المخزن بأحواز سلا*.

*Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc* ; Delanoé, *Trente années d'activité médicale et sociale au Maroc*, Larousse médical "MASSON" ; Lemprière,

*Voyage dans l'Empire du Maroc* ; *Maroc - Médical* ; Raynaud, *Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc* ; Weisgerber, *Pathologie et thérapeutique marocaines.*
بوجمعة رويان

**رمضان، رايس**، علج فرنسي الأصل من مدينة مارسيليا يدعى أصلا توماس ميولان (Th. Miolan). انخرط في صفوف الجهاد البحري بسلا الجديد في مطلع عهد مولاي إسماعيل ؛ لكن حياته المهنية لم تدم طويلا، وسرعان ما تم أسره من طرف السفن الفرنسية وهو لا يزال شابا (19 عاما) سنة عام 1675 م. حيث أشرك منذ تلك السنة في طواقم السخرة على متن القادس الملكي "Le Superbe"، ولم يطلق سراحه إلا بعدما مكث سبعا وثلاثين سنة، بعدما قبل الملك الفرنسي إطلاق سواحه سنة 1124 / 1712 عن سن ست وخمسين عاما باعتباره من الشيوخ ومن قدماء الأسرى المغاربة.

*S.I.H.M.*, 2ème série, *France*, T. VI, p. 82.
حسن أميلي

**رمضان** بن **مَحمد** الإزناسني ← **رمضاني** أسرة

**رمضاني**، أسرة إزناسنيّة تنتسب إلى الشيخ رمضان ابن مَحمد "فتحا" بن عبد العزيز الولي الصالح البركة الذي عاش في نهاية القرن الثاني عشر ومطلع القرن الثالث عشر (18 ـ 19 م) بزاويته المسماة باسمه "الزاوية الرمضانية" الكائنة بجبال بني إزناسن بالسفوح الشمالية لجبال بني منقوش المطلة على حامة فزوان القريبة من بلدية عين الرگادة عمالة إقليم بركان. وقد شيد ضريحه بزاويته المذكورة بدوار أولاد سيدي رمضان في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) مع المسجد العتيق الذي يحيط بها والبئر الذي يرتوي من مائة الزائرون والوافدون. وهو الذي أعطى الانطلاقة للطريقة الطيبية الوزانية بالمنطقة التي ورثها عن جده عبد العزيز تلميذ مولاي التهامي الوزاني حسب ما تثبته إحدى الوثائق. ويتصل عمود نسبه بالمولى إدريس حسب ما تذهب إليه إحدى الوثائق.

ميمون بوشلاغم، *الزاوية الرمضانية ووثائق من بني يزناسن*، بإشراف الأستاذ هاشم العلوي القاسمي، كلية الآداب بفاس، ص. 65، 1985 ؛ أحمد الغزالي، *مساهمة في البحث عن زوايا بني يزناسن، القادرية البوتشيشية نموذجا* ، 155 ص، 1996.
محمد الرمضاني

**الرمل**، الأتربة الرملية والترميل. كلمة الرمل هي أولا مصطلح حبيبي يخص فئة قياسية من الحبات من ضمن الصخور الفتاتية أو الأتربة. تدرجها حدودها القياسية في ما بين 50 ميكرومترو2000 ميكرومتر أو مليمترين اثنين. ويعتبر الرمل، على هذا الأساس، أخشن فئة داخل قطاع المواد الفتاتية الدقيقة، تربو أحجام حباته عن الطمي والطين، وتقل عن الحصيم والحصى والجلاميد وهي قوام المواد الفتاتية الخشنة على سطح الأرض.

يكاد يكون من المستحيل العثور على تكوين طبيعي رملي خالص. تعتبر الكثبان الريحية عامة، والساحلية منها على الخصوص، المركبة من رمال شتيتة، من التكوينات الأكثر فرزا والأكبر نفوذية وتصريفا للمياه.

1 ـ مقومات تحليلية للرمال :

بالإضافة إلى كون الرمل مادة معدنية، مختلفة التركيب الكيماوي والفرز القياسي، يطلق مصطلح "الرمل" كذلك في المغرب على بعض أنواع الأتربة التي تكون فيها نسبة الرمل الحبيبي عالية لكنها لا تقصي الفئات الدقيقة الأخرى وإلا لما كانت تربة، ذلك أن حدا أدنى من المادة الدبقية إلزامية في أي تربة حتى تكتمل مواصفاتها. تعتمد جل البيانات النسيجية للأتربة الرملية 70٪ من الرمل الحقيقي كحد أدنى من مجموع المادة الدقيقة، تتقاسم الباقي منها الطين والطمي بصيغ مختلفة. قد يشذ التصنيف الأهلي المغربي محليا عن هذه القاعدة النسيجية لأسباب وجيهة. حيث تقع تساهلات مع القاعدة في المناطق التي تغلب على أتربتها الأطيان وتكون غنية بأتربة التيرس، كالغرب ومنخفضات الورغة بالريف مثلا، فتطلق تسمية الرمل على أتربة طميية رملية يمكن أن تزيد نسبة الطين فيها عن 20٪.

تتميز الأتربة الرملية بخصوصيات نوعية منها :

ـ ضعف القدرة على احتجاز الماء، الذي يجعل الاحتياطي المائي محدوداً جداً، مانحا هذه الأتربة حساسية عالية إزاء الجفاف.

ـ نفوذية كبيرة للماء في التربة، تجعل الماء يعبر سريعا للوصول إلى المسكات العميقة. أما إذا انعدمت كل مسكة مصمتة من القطاع، فإن الأتربة الرملية تكون جيدة التصريف.

ـ تندرج من ضمن الأتربة الحارة، ذلك أن التنشيف يحدث سريعا جدا بعد التساقطات المطرية. وهي كذلك أول الأتربة التي تصير قابلة للتشغيل بعد أية فترة مطرية. على أن الأتربة الرملية تتطلب جرعات ضعيفة من السقي لكن بإيقاع أسرع من غيرها.

ـ ينتج عن التصريف الجديد امتياز خاص بهذه الأصناف من التربة يخول لها احتمال مياه سقي مالحة نسبيا.

يستحق هذا الامتياز وقفة خاصة.

ذلك أن جودة التصريف تزداد هي ذاتها في حال وجود مياه سقي ذات ملوحة محسوسة، حيث تشتت الأملاح مقادير الطين القليلة الشائبة للرمال، حائلة دون تندفها

وميسرة ظروف تصويلها وفتح مسالك المسامية الكبرى في سبيل التصريف السريع.

وقد شاع استعمال المياه المالحة في سقي الرمال خاصة في البلاد الجافة التي يتواكب فيها طبيعيا كثرة الأتربة الرملية وقلة المياه العذبة. يدخل في هذا السياق كل الجنوب المغربي، مع إشارة خاصة للواحات النهرية في الأحواض العليا للساورة والداورة وحوض درعة، التي تخلل جل مجاريها وسلائلها ومصاطبها الدنيا أتربة غرينية رملية طميية رمادية اللون، نسميها طمي النخيل، تسقيها مياه تزيد نسب الأملاح في معظمها عن المطلوب في الماء الشريب.

يوجد بنفس البيئة مواقع للتجريب والإنتاج المتخصص، تستعمل الماء الزعاق (من 5 إلى 15 غرام باللیتر) لسقي الحبوب والأشجار بسهل تافيلالت مثلا، مستعملة مياه عين العاطي التي تندرج في الزعاق الأعلى الأقرب إلى المالح الصرف.

وتجدر الإشارة في هذا السياق لاستعمالات أوسع وأشمل، في أراض جافة بها ساكنة عالية الكثافة، كما هو الشأن في سهل الجفارة مثلا بالقطر الليبي، في الإقليم الكبير لطرابلس، حيث تجريب السقي بالمياه المالحة شائع ويعطي نتائج مشجعة، إذ تستعمل مياه البحر رأسا مختلطة بنسب متفاوتة من المياه العذبة.

لكن على العموم، يبقى أمر استعمال المياه المالحة صعبا، كما هو الشأن في المجالات الصحراوية أو الجافة القريبة من البحر التي تتداخل فيها مياه الفرشة الأحفورية المستنزفة وغير المتجددة مع مياه البحر. يزيد التعقيد بتراكم الأملاح في التربة والتلويث بتركزات المحاليل بمختلف الفلزات كالحديد والمنغنيز، التي تسهم في تعطيل تجهيزات السقي.

يمكن أن يستغل التصريف السريع في الأتربة الرملية كذلك من أجل إغناء الفرشات الجوفية أو إعادة حقنها إذا كان بالإمكان الحصول بطريقة ما على مياه سقي عذبة ومقبولة المواصفات. ولا يتيسر ذلك إلا عن طريق تصفية ماء البحر، وهو أمر مكلف، إلا إذا كان يدخل في إطار مشروع أوسع يمكن أن يهم تزويد ساكنة السواحل بالحاجيات الحضرية بما فيها زراعات الضواحي. ويبدو أن مشروعا من هذا القبيل متوقع على السواحل المغربية.

كما يمكن أن يتأتى عن طريق جلب مياه منقولة من مصادر عذبة غزيرة. نموذج هذا الوضع النهر الصناعي العظيم بليبيا الذي حتمه استنزاف الفرشات على مر الزمان في الأراضي الآهلة قرب المدن الكبرى المحاطة بالمزارع المغلالة، حيث بلغ الاستغلال المكثف إلى قرار الخزانات المائية الطبيعية المالح المكبرت والفلزي الضار بالناس والمحاصيل والتجهيزات والأتربة. الإتيان بمياه النهر الصناعي، انطلاقا من فرشات عميقة عالية الجودة، لسقي الأراضي المتضررة، من شأنه أن يحسن بنية التربة ويرفع المحاصيل وييسر استعمال الأجهزة، وعلى الخصوص، أن يعدل منسوب المياه العذبة داخل السدائم الجوفية من خلال التسرب عبر الأتربة الرملية الطاغية على المجال. هنا يكون إذن الطابع الرملي للتربة أمرا إيجابيا، يسند المدخرات المائية ويعيد تطعيمها.

ـ قدرة حجز وتوفير العناصر المعدنية من طرف التربة لفائدة المحصول النباتي، المعبر عنها بقدرة التبادل الكاتيوني، تكون ضعيفة في الأتربة الرملية. يتفرع عن ذلك نتائج سلبية عديدة، منها بالطبع تدني خصوبة التربة حيث إن العديد من الأراضي الرملية متروكة للاستعمال الغابوي وأكبرها على الإطلاق بالمغرب غابة البلوط الفليني بالمعمورة. لكن عندما يتوفر بعض التطعيم الطيني في التربة الرملية ومعها الماء الكافي وقرب مواطن الاستهلاك أو مسالك التسويق أمكنها أن تكون مجالا متخصصا في إنتاج البواكير ومختلف الخضروات.

ومن النتائج السلبية كذلك اختلال في التخصيب. فمثلا إذا ما تساقطت أمطار غزيرة بعد نشر الأسمدة، تعرضت العناصر المعدنية المراد توفيرها للنبات إلى الحلحلة والتبديد في اتجاه الفرشات المائية. وبالفعل، فإن السدائم الموجودة تحت التكونات الرملية هي الأكثر تأثراً بتلويث كيماويات التسميد والتطهير.

ـ تحسين المقومات الآلية والخصوبة الكيماوية للأتربة الرملية رهين بالتزويد بالمواد العضوية أو التطعيم بالأطيان. يوفر التزبيل والخلائط العضوية، المضافة إلى الأتربة الرملية، زيادة في قدرة احتجاز الماء، وفي إغناء التربة بعناصر التخصيب وتكوين احتياطي معدني داخل تركيبات عضوية نافعة. وبما أن وجود المادة العضوية يضبط حركة الماء داخل التربة، فإنه يحسن تزويد المزروعات بالماء، ويقلل من حلحلة الملوثات ونقلها إلى الفرشة. وقد أجريت بالفعل دراسات ميدانية على مثل هذه المنظومات في أقاليم المناصرة واللوكوس.

ـ هناك أوضاع طبيعية تفيد في مسألة إغناء الترب الرملية بالدقيق. يلاحظ مثلا في السهول الحبيسة لدكالة، خلافا للمنتظر، وجود تربة رملية أو رملية طينية تتناقض بخشونتها مع محاصيل الحبوب الرفيعة التي تدرها ومع التجمع المائي السريع كلما اشتد التساقط المطري. ذلك أنها في الواقع مجرد وشاح متفاوت السمك يغطي تربة طينية من صنف التيرس أو الحمري (التربة المغربية : الجزء 7، ص. 2311 ؛ التيرس، الجزء 8، ص. 2663 ؛ الحمري، الجزء 11، ص. 3584). هذه التربة الأخيرة محلية أصيلة متجانسة مع تجميع الدقيق وتنشئة الأطيان النفوخة في ظروف الانحباس. أما الوشاح فهو نتاج الإمداد المتواصل بمواد التحريك الآتية من إقليم الرحامنة المجاور من الشرق. لكن لا ينتظر أن تفضي عمليات التزويد بالمواد الخشنة،

من المجال الداخلي الجاف والعاري من أي غطاء نباتي طبيعي ذي فعالية، إلى الردم النهائي للقواعد الطينية بل الحاصل في جل الحالات هو الاختلاط بها والتطعيم المتبادل معها.

تفيد هذه الأوضاع المركبة في ضرورة الاطلاع على الأنساق الجيومرفلوجية من أجل التعامل مع الأتربة واستثمارها، خاصة في الظروف الموسومة بالجفاف السائدة بالمغرب، والتي تغلب فيها تعرية الأتربة وحركة المواد على السطح.

2) مبادئ توزيع الأتربة الرملية بالمغرب.

تتطور الأتربة الرملية فوق طبقات صخرية رملية أو فوق قواعد صخرية تعطي رمالا من جراء التفسخ كالحث والكرانيت والدولوميت. كما أنها توجد في سافلات المواد المنتجة للرمل.

- طبقات الصخور الرملية المؤهلة لإعطاء ترب رملية هي في الغالب تلك الحديثة القريبة من السطح، ومن أهمها المستويات البحرية النيوجينية والرباعية، نذكر منها الرمال الصهباء أو رمال مكناس، ورمال المعمورة، وهي في أكثر الحالات رمال سيليسية صرفة. أكيد أن جل الحالات تتسم بخاصيات التترب السالفة الذكر. لكن بعضها أعطى محليا أتربة حمراء بها بعض الطين. ونظراً لضعف تندف التربة وعدم تكوين المجمعات، فإن هذا الطين، على قلته، استطاع أن يتوزع على مسامية الرمال ومعها الأكاسيد والطمي فعبأها وأصمتها. وكان الناتج أراض غدقة، رغابية، تتجمع المياه على سطحها موسميا، معطية أتربة رملية لكنها محليا ميهة، في أوساط مختزلة، تتغير ألوانها السطحية من الحُمرة إلى الصفرة.

- الطبقات الحثية المنتجة للرمال بالتفسخ إما من فوقها أو في سافلتها إذا كانت قمما أو هضابا عالية، يطبع الوضع الساحل الشمالي الغربي للمغرب بصفة متفاوتة من فحص طنجة إلى حدود إقليم الغرب. أهم مصادر رمال التفسخ هنا الحث أو الحجر الرملي النوميدي، والحث الأصفر لطية اللوكوس الزاحفة وكلها بمنطقة اجبالة، غرب جبال الريف. الرمال على العموم سيليسية، بالإمكان التعرف على المشتقة منها من الحث النوميدي بخشونتها الزائدة التي تميزها عن غيرها.

- قواعد صخرية أخرى تنتج الرمال بعد تطور تفسخي طويل، يستدعي على ما يبدو رطوبة عالية. منها ظلفاء الدولوميت بالأطلسين المتوسط والكبير، المنتمية للياس. يعطي تفسخ الدولوميت كرستة غير مكتملة، تطمرها جزئيا رمال تفسخ سرعان ما تتخلص من شوائبها الطينية القليلة والحمراء، فتصير رمالا مفروزة مبيضة. رمال الدولوميت مغنيزية فقيرة.

- باثوليتان الكرانيت أو الصخور الاندساسية المشابهة تنتج أصناف الرمال المتفاوتة الأحجام حسب بنية الصخر الأصلي ومواصفات مراحل التاريخ البيومناخي الفاعل في تطورها السطحي. جل الاندساسات هرسينية، نذكر منها باثوليت الزعير الأعلى بالهضبة الوسطى الغربية وكتلة تيشكا بالأطلس الكبير.

الشريط الساحلي يسهم بقوة في توفير الرمال إما مباشرة أو في أغلب الأحوال على حساب ظلفات أو دكات حثية متفاوتة الصلابة. تنتمي المستويات إلى مجموعة الأدوار المتواترة من "المغربي" (البليوسين الأوسط) إلى الرباعي الحديث والحالي. الرمال هنا مختلطة، بعضها سيليسي وجلها كلسي عضوي - فتاتي.

رمال المد الصحراوي، تأتي على شكل كثبان رملية لسببين اثنين. أولا، لأن جل الركائز الصخرية للمجال الصحراوي الافريقي العريض مكونة من ركائز كرانيتية من فوقها تغليفات كوار تزيتية وحثية قابلة للتحول إلى رمل، إضافة إلى ظهورات الشيست. هذه القواعد موغلة في القدم، توجد في قلب ما يعرف في الاصطلاح الجيولوجي القديم بقارة كوندوانا التي لم تتجدد طبقاتها بأي غمر بحري منذ أمد بعيد، في حين تعرضت للتعرية والتسطيح بصفة مستمرة.

ثانياً، تسبب هذا الوضع القاري الموغل في البعد عن كل السواحل في تعميق التجفيف وجعله يسود جل المناخات عبر الأحقاب. وقد نتج من جراء ذلك فرز ممعن للمواد السطحية بواسطة التذرية الريحية المنتقية للفتاتات الصخرية الرملية دون غيرها إلى خلق التراكمات الكثيبية الهائلة التي كونت الأعراق في وسط الصحراء، معبئة المنخفضات العريضة والأودية الجافة وأقدام الجبال، كما هو الشأن بالنسبة للعرقين الغربي والشرقي والأعراق الطولية الأخرى المنتشرة في الصحراء.

تختلف رمال الأشرطة الساحلية عن رمال الكثبان الصحراوية في كونها محشوة بعدسات حصوية متفاوتة في سمكها وخشونة عناصرها مترتبة عن التعرية البحرية. لكنهما تجتمعان في خلوهما من الشوائب الدقيقة مما يجعلهما معا شديدي الحساسية إزاء عوامل التذرية والتحريك الريحي العنيف السائد في كلا الوسطين.

أما الأولى، شأنها في ذلك شأن كل المواد السطحية الرملية العارية من الصيانة النباتية، فهي محتاجة إلى عمليات التثبيت من أجل حمايتها والحفاظ على المنظومات الإنتاجية التي تعيش عليها وبجوارها من جملة البنيات التي تقام في مثل هذه الأوضاع. مصدات الرياح، وحباك التسييج، والاستنبات المتكيف والالتزام بحماية النباتات، وطبيعي أن تتنوع المعالجات بحسب تنوع الأوضاع. لقد أقيمت أوراش ناجحة من أجل تثبيت رمال ساحلية كانت تهدد الخلق والممتلكات في مدرج الصويرة وخليج أگادير وشاطئ المهدية، وأجدت في تحريجها غابات العرعار المغاربي والأحمر وغيرها من النباتات المتحملة للقواعد الرملية وظروف الجفاف الترابي المحطي.

أما رمال الصحراء فهي تعيث في وسطها الطبيعي دون ما قيد، منوعة أشكال الانكثاب التي تتخلل أنماط التشكيل الصحراوي الصخري الغالب من حمادات ورقاق، وكلها شبه فراغات بشرية وأحيائية. لكن المنظور يختلف بمجرد وصول التراكمات الرملية إلى مشارف الواحات تتهددها بالإطمار، وإلى هوامش النطاق البيومناخي الموالي. عند هذه الحدود الآهلة، ذات البيئة الأحيائية الأوفر، يدعى كل تدخل من الصحراء المجاورة والمورث للاقحال وتنضيب المياه الجوفية أو السطحية وتخريب الغطاء النباتي "تصحرا"، وكل غزو من طرف رمال التذرية يتلف المحاصيل ويعطل المنشآت "ترميلا".

مبدئياً تعالج إذايات الترميل في الصحراء، حول الواحات والبنيات التحتية، وعلى هوامشها، بمثل ما تعالج به في أوراش تثبيت الرمال أيا كان موقعها فتكون إذن مسألة هندسية صرفة تعمل على معاكسة التذرية، إضافة إلى إيجاد النبتة المتكيفة والمياه اللازمة لسقيها. لكن يبقى هذا علاج المواجهة الأخير الذي لا مناص منه عندما تكون الأزمة قد بلغت مداها. في الواقع جذور التصحر عميقة ومعقدة يحتاج التعامل معها إلى تقصي الأسباب بمفهوم بيئي بنيوي متكامل وبمختلف المقاييس حتى تكون المكافحة ناجعة على المدي الطويل وليس إجراءات اليائس الذي يتصدى للأسباب وحدها يناوشها دون أمل في التغلب عليها (التصحر، الجزء 7، ص. 2384).

إدريس الفاسي ومحمد البدراوي

** أصل كلمة الرمل (Sable) لاتيني صابولوم (Sabulum) وتعني مجموعة من حبيبات المعادن، المغطية للأرض ؛ أما معناها العلمي : صخر مفتت مكون من حبيبات المرو أساساً والكلست والبلق بنسبة أقل. وبدقه أكثر فالرمل عبارة عن رواسب حطامية متفتتة، ذات حبيبات يتراوح قطرها ما بين 1/16 mm و 2 mm. وتنتج حبيبات المرو والبلق عن قرض الصخور الانصهارية والرسوبية والتحولية ؛ أما حبيبات الكلست فتنتج عن الطحن الميكانيكي للأصداف أو تفكك الأحجار الكلسية. ويصنف الرمل حسب نوعية العناصر المكونة له :

- الرمل الكوارتزي (مكون من حبيبات المرو)
- الرمل الكلسي (مكون من حبيبات الكلس)
- الرمل الفلسباري، البلقي، التبري، الخ ...

يتنقل الرمل بواسطة مجاري (الأنهار والويدان) والهواء بالاستدراج أو الإنتقال القفزي، مما ينتج عنه تكون كثبان رملية على شكل علامات النيم (Ripple- marks) ذات ارتفاع يصل إلى حوالي بعض السنتمترات إلى عشرات الامتار، متساوية التباعد، ذات انحدارات متقايسة (العباب، الأمواج المنتظمة) أو غير متقايسة (مجاري مدارج الأبحار، والهواء).

تتكون المرتفعات الرملية فوق قاع مفتت مهما كان قياس نسبة حبيباته (حبيبات صغيرة أو كبيرة) كلما بلغ التيار السرعة المتوسطة الكافية :

1) الوسط القاري، حيث تتوزع المرتفعات الرملية إما داخل المجال الصحراوي ذي المناخ الحار نهاراً والبادر ليلا، المتميز على العموم بامطار سنوية تقل عن 10 mm، وينطبق هذا على جنوب المغرب وبالأخص، جنوب الأطلس. وإما تتوزع كذلك داخل المجال الرطب، المتميز بمعدل للأمطار السنوية ينحصر ما بين 700 mm و1000 mm؛ ويتضمن القمم الجبلية والمناطق الشاطئية وكذا معظم سلسلة جبال الريف.

2) الوسط البحري حيث تظهر المرتفعات الرملية إلى عمق يزيد على آلاف الامتار.

3) الوسط المختلط، يمثل في مصب الأنهار، والشواطئ، حيث تتعرض مورفولوجيات المرتفعات الرملية إلى تغيرات ثابتة ناتجة عن كثرة تقلبات اتجاه التيارات.

يوجد الرمل بكثرة في الوسط القاري الصحراوي، وفي مجاري المياه (الأنهار)، والشواطئ الرملية. يعتبر الرمل أحد المصادر المهمة لمادة السيليس المستعملة في الكهرباء، والبصريات، وصناعة الزجاج، والخزف، والياف الزجاج والمقاومات، والمواد الساحجة، ويستعمل في صناعة المعادن كقوالب لذرف الحديد والصلب، وكذلك في الصباغة والمطاط والجبس والصابون والزفت.

يعتبر الرمل في حد ذاته مادة مهمة للبناء. أما بالنسبة للمغرب، وإذا ما استثنينا بعض المناطق كالنجد الساحلي، والمغرب الشرقي، ومضيق طنجة، فنجد أن الرمل الصالح للاستعمال في البناء موجود بكثرة في جميع أنحاء المملكة المغربية.

أنتج المغرب سنة 1976 ما يزيد على 11 مليون طن من الرمل والحصباء للبناء وكذا لانشاء الطرق. استعمل المغرب أكثر من 285 مليون طن ما بين الرمل والحصباء في المدة ما بين 1973 و2000. لقد بينت الدراسات الجيوتقنية أن مناطق النطاق الأطلسي ومضيق طنجة والمغرب الشرقي والتي تعتبر من أكثر الجهات استهلاكا لمادة الرمل، فهي تفتقر لهذه المادة، ولا توجد إلا في الكثبان الرملية الساحلية والتي يجب المحافظة عليها وحمايتها للدور الذي تلعبه في المحافظة على التوازن البيئي. فماعدا هذه المنطقة فيتوفر المغرب على ما يكفيه من الرمل المستعمل في البناء.

A. Foucault, et J.F. Raoul, *Dictionnaire de géologie*, 3ème, Paris, 1988 ; E. Saaïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français-arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; Rudolf Duda et Lubos Rejl, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (substances métalliques et non métalliques)*, 2ème éd., t. 1, Rabat, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains*

*(Phosphates)*, 2ème éd., t. 3, Rabat ; *Mines, Géologie et Energie, Publications de la Direction des Mines, de la Géologie et de l'Energie* (Ministère de l'Energie et des Mines : - *Eléments de la Géologie du Maroc*, n° 41, 1977. - *Marbres et roche ornementales*, n° 45, 1979 ; *Bulletins mensuels de la conjoncture minière*, Ed. Ministère de l'Energie et des Mines, Direction des Mines ; Daniel Reig, *Dictionnaire Arabe-Français, Français-Arabe, As-Sabil*, 1986 ; Lapadu-Harques P., *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; A. Michard, *Eléments de géologie marocaine*, Rabat, 1976.

عبد الله بوصحابة

**الرملية**، من الديدان الحلقية أي تلك التي يتكون جسمها من العديد من الحلقات خلافا للديدان الأخرى منها المسطحة والخيطية والدولابية والتي تتميز بجسم غير مقسم إلى حلقات.

والرملية من متعددات الأهداب أي الحلقيات التي تتوفر في كل حلقة جدرية على العديد من الأهداب الصرفة محمولة على زوج من الأرجل الجانبية خلافا لقليلات الأهداب أو عديمات الأهداب، وهي أقسام اخرى للحلقيات، والتي لا تتوفر على أقدام جانبية وحتى الأهداب إذا وجدت فهي مزروعة مباشرة في الجلد.

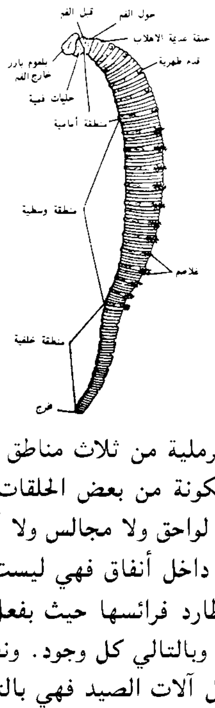


يتكون جسم الرملية من ثلاث مناطق : منطقة رأسية عديمة الحواس ومتكونة من بعض الحلقات فقط (7 على الأكثر) لا تحمل لا لواحق ولا مجالس ولا أعين وذلك نظراً لأن الرملية تعيش داخل أنفاق فهي ليست لاحمة ولا من المفترسات الذي تطارد فرائسها حيث بفعل التطور فقدت حواسها كل فعالية وبالتالي كل وجود. ونظراً لأنها فقدت كل "أسلحتها" وكل آلات الصيد فهي بالتالي تقتصر في تغذيتها على بلع كميات من الرمل المشبع بالمواد العضوية التي تبقى داخل الجسم لتمده بالطاقة الحرارية لكل مراحل الحياة بينما الرمال على شكل حبات "مغسولة" يلقى بها من الشرج في النفق ومن النفق إلى الخارج حيث يدل وجودها في الشواطئ الرملية على وجود الرمليات داخل أنفاقها. أما المنطقة الوسطى لجسم الرملية فهو عبارة عن تتابع العديد من الحلقات المتشابهة (حوالي 20 حلقة) تحمل كل منها زوجا من الأرجل الجانبية والتي تحمل بدورها أهدابا عديدة إلا أن هاته الأهداب بدلا من أن تؤدي وظيفة المساعدة على التنقل والسباحة التي خلقت من أجلها فهي فقدت ليونتها وانسيابها وأصبحت إبرية الشكل وذات تلاليب تمكن الرملية من التمسك وبشدة داخل أنفاقها حتى لا تحملها الأمواج أو التيارات المائية.

أما المنطقة الثالثة والأخيرة فهي عديمة الأرجل والأهداب، عدد حلقاتها غير ثابت وتحمل الشرج. تتنفس الرملية كباقي الحلقيات المائية عن طريق جلد الجسم والأرجل الجانبية حيث من خلالها تمنح الأكسجين الذائب في الماء.

نظراً لطبيعة ونمط عيش الرملية أي كونها تتغذى على المواد العضوية الموجودة في الماء والرمال فهي حيثما وجدت فإنها تكون دلالة على وجود هاته المواد العضوية حيث إنها لا يمكن أن توجد في مكان خال من هاته المواد. وبالتالي فإن كثافتها وتكاثرها في مكان لم تكن موجودة فيه من قبل هو دليل بيولوجي وبيئي على إشباع الوسط بالمواد العضوية ولذلك فإن جل الاختصاصيين يعتبرون هاته الدودة دليلا على التلوث. وبما أن هاته الدودة قد يبلغ حجمها أكثر من 20 سنتمترا فإن الصيادين التقليديين يتهافتون غالبا على استخراجها من الرمال ليستعملوها كطعم لاصطياد السمك.

P. Fauvel, 1923/27 *Faune de France, Polycheter errante/sédentaire*, 1-488/1-994 ; Anonyme, 1973, *Annelide, Sciences* n° 27.

محمد منيوي

**الرمّاس، مبارك** مقاوم من مواليد سنة 1908 بدوار آسا. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1377 / 1957 بمنطقة الجنوب حيث شارك في عدة معارك وهجومات منها معركة مركالة ورغيوة وام لعشار ضد الاستعمار الفرنسي ومعركة تولاشت بأيت باعمران ضد المستعمر الإسباني.

استجاب لنداء ربه بتاريخ 25 شعبان 1415 / 26 يناير 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

ابن **الرمّامة، محمد** بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي أصله من قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط، وانتقل إلى مدينة فاس واستوطنها.

أخذ أولا بالجزائر عن خاله أبي طاهر بن محشرة، وأبي إسحاق بن حماد، وأبي عبد الله بن الطيب الكلبي وأبي حفص التوزري. ولازم الصوفي الشهير أبا الفضل ابن النحوي (ت. 513) وتفقه عليه كثيراً. ثم دخل الأندلس

فأخذ عن أبي بكر بن العربي المعافري وأبي الوليد ابن رشد الجد وأبي بحر الأسدي، وأجازه غيرهم مراسلة.

ذكر ابن عبد الملك المراكشي أنه "كان حافظا للفقه نظارا فيه بارعا في معرفة أصوله، ماهرا في استنباط معانيه، شافعي المذهب معولا على بسيط الغزالي واقفا على عيونه. مبرزاً في الكلام على نكته" (الذيل) وإلى جانب علمه كان من أهل الفضل والورع والزهد والنزاهة. ولاشتهار فضله بين أهل فاس قام أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين باستدعائه إلى مراكش فصار من أخص أعضاء مجلسه. ثم قدمه للقضاء بفاس سنة 533، فسار فيه بأعدل سيرة، واشتد في حماية الحقوق، لكنه لم يلبث أن استعفى سنة 535. وتفرغ بقية عمره لنشر العلم والاشتغال بالتدريس. وكان من المنقطعين إلى العلم، محببا إلى طلابه، محسنا إليهم. وكان الطلبة يرحلون إليه من منطاق متعددة للأخذ عنه بفاس، لذلك فإن لائحة الآخذين عنه من الأندلسيين والمغاربة طويلة.

انكب على التأليف، فألف في الفقه كتاب تسهيل المطلب في تحصيل المذهب، وكتاب التبيين في شرح التلقين، للقاضي عبد الوهاب في الفقه المالكي، والتفصي في فوائد التقصي لابن عبد البر، ووضع مختصرا نبيلا في أصول الفقه، وفي التصوف اختصر كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي.

ولد سنة 449 / 1057، وتوفي سنة 567 / 1172.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. ع. السلام الهراس، الدارالبيضاء، ج. 2، ص. 158 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1984، ج. 8، ص. 325 ؛ أ. ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. ع. السلام الهراس وسعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، القسم الثالث، 1993، ص. 21. 22.

محمدالمغراوي

**الـرُمّـان**، شجر مثمر معروف من فصيلة الرمانيات Punicaceae. واسمه العلمي هو بونيگا گراناتُوم Punica granatum لا يتعدى ارتفاع شجرة أو جنبة الرمان 10 م، وهي ذات أغصان شبه مشوكة. أوراقها نفضية تتساقط في فصل الشتاء، مرتبة في أزواج أو مجموعات متقابلة، بيضوية الشكل، ملساء لامعة. أزهارها تنمو في أطراف الأغصان، ذات لون أحمر قانٍ، كبيرة الحجم، مشكلة من كأس أنبوبي أحمر اللون ولحمي، ومن 5 إلى 7 بتلات، ومن عدد كبير من الأسدية. ثمارها لحمية، صفراء محمرة. مستديرة، ذات قطر يتراوح ما بين 5 و12 سم، مقسمة من الداخل إلى عدة حجرات تحوي عدداً كبيراً من البذور المكسوة بلب طري.

الموطن الأصلي للرمان هو الجهة الشرقية من المنطقة المتوسطية وشبه الجزيرة العربية وإيران. ولا يعتقد وجوده طبيعيا بالمغرب أو حتى بصفة عامة في الجهة الغربية من المنطقة المتوسطية. من المعتقد حسب بعض العلماء أن الرمان المغروس تأصل من الرمان البري الذي يصادف طبيعيا كنوع قبسي في جزيرة سوقطرة بجنوب اليمن.

زهرة الرمان

زرع الرمان منذ أقدم العصور. فازدهرت زراعته في كل أنحاء المنطقة الآسيوية الجنوبية والمنطقة المتوسطية. اشتهرت به حدائق بابل المعلقة المشهورة. وفي القرون الأخيرة أدخل الرمان إلى المناطق الحارة وشبه الحارة من أميريكا واستراليا.

يحوي الرمان عدة ضروب تختلف بأذواق ثمارها. ومنها السَّفْري والعظمي والسلطان والوجدي والقمحي والميمونة... وثمرة الضرب الأول أكثر لذة وذات بذور غليظة لحمية ونواة عظمية دقيقة.

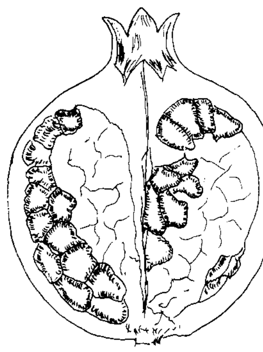

ثمرة الرمان

يغرس الرمان في كل المناطق المغربية الدافئة أي في الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافيء، من الساحل المتوسطي إلى واحات درعة وتافلالت. وزراعته مسقية في كل هذه المناطق. ولهذا تصادف غراسة الرمان عادة بجوانب السواقي التي تمر محاذية للبساتين. وفي هذه الحالات تعتبر سطور أشجار الرمان كسياج أخضر يحد من الدخول إلى البستان المحاط بهذه الأشجار المثمرة.

ثمار الرمان جد محببة عند الإنسان المغربي. يؤكل اللب أو يعصر ليعطي عصيراً أرجوانيا.

تستعمل قشرة الجذور والجذع والثمار في التطبيب

التقليدي نظراً لكونها تحتوي على نسبة كبيرة من مادة الدباغ المستخدمة أيضاً في صباغة الصوف لصنع الزرابي، ودباغة الجلود وغير ذلك.

*أبحاث شخصية* ؛ ألبرت هيل، 1962، تر. عبد المجيد زاهر وآخرون، *النبات الاقتصادي*، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle*. Paris, 1997 ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

**الرُّمَّان**، أسرة تطوانية ويُكتب أيضا رُومَانْ، أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Roman ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1141 / 1729.

محمد ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* ؛ *المراجع العربية الأجنبية* في الرقم 723.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرمّاني** (حوض -) يمثل حوض الرماني من الناحية المرفوبنيوية، منطقة اتصال، بين الدرج الانتقالي للهضبة الوسطى المشرف بنيته الكرانيتية الهيرسينية، على الدرج الأسفل، ذي الغطاء الرسوبي الترياسي والنيوجيني شماله. (الشكل : 1). كما يحتل بنيويا، منطقة اتصال بين المركب المقعري الغربي، الفيزي لسيدي بطاش، المتمد عند الهوامش الشمالية الغربية للهضبة الوسطى والمركب المحدبي الديفوني بالأساس لخريبگة - ولماس المتمد شرقا، جنوب الحوض (Michard, 1976).

ما يميز حوض الرماني في الدرج الأسفل، كونه يشكل امتدادا هامشيا، جنوبيا غربيا لحوض بوفكران - الخميسات - المعازيز الترياسي. باتجاه ج غ / ش شـ. يحده من الغرب وادي كريفلة، من الجنوب الأعراف الكوارتزتية الأوردوفيسية، التي تحد جنوبها هضبة الغوالم الكرانيتية الهرسينية. أما من الشمال فتحد الحوض، هضاب مرشوش وأحد لبراشوة النيوجينية.

كما يشكل الحوض من الناحية البشرية، منطقة اتصال بين مجال انتشار قبائل زمور في الشمال الشرقي ومجال قبائل زعير في الجنوب الغربي.

مجال حوض الرماني ضيق. إذ لا يزيد عرضه عن 5 كلم. تتميز سفوحه باللاتماثل. لأن السفوح الشمالية بعكس الجنوبية، طويلة ومقعرة. تشكلت عند قدمها حادورات في الطين والبازلت الترياسيين، اللذين تعلوهما بتنافر إفريزات، توافق دكة كلسية ميو - بليوسينية. يصبح انحدار هذه السفوح مركبا، جهة الغرب والجنوب الغربي، لكونها تشكلت في صخور الزمن الأول الحثية والشيستية، وبالقرب من الحوادث البنائية على طول مجرى وادي خنوسة.

يبلغ مدى انخفاض سطح قعره، مقارنة بسطوح الهضاب المشرفة عليه حوالي 170م. مع انحنائه الخفيف، من الجنوب حيث لا يفوق ارتفاعه 480م نحو الشمال بارتفاع 390م. تتخلله تلال ومتون وأكمات شاهدة. يسلح قممها الكلس الميوسيني الصلب (مثال ؛ المعدن، الكارة 490م، الكعدة 450م) (الشكل، 2).

مناخيا، يوجد حوض الرماني حسب تصنيف أمبرجي (الشكل، 3)، ضمن النطاق شبه القاحل. فصل شتائه معتدل، بتساقطات مطرية لا يزيد معدلها السنوي عن 420 مم. مقابل حرارة تتراوح معدلاتها، ما بين 10° كحرارة دنيا و26° كحرارة عليا. وهو بهذا يطابق حسب البيان المناخي النباتي (الشكل، 3) لـ Beaudet، (1969) ميدان الماطورال (الناصري، 1987).

إلا أن واقعه النباتي الحالي، يوجد في وضعية جد متدهورة، نتيجة تعرضه لاجتثاث شامل ومنهجي. استفحل مع احتلال الاستعمار الفلاحي الفرنسي للحوض. في الوقت الذي تتحدث فيه الدلائل التاريخية عن توفره على غطاء غابوي كثيف، قبل 1400 سنة (C. Rougier, 1985).

يكون الحوض من الناحية الهيدرلوجية، منطقة اقتران شبكة مائية ضعيفة. تصرف جزءاً من مياه الدرج الانتقال

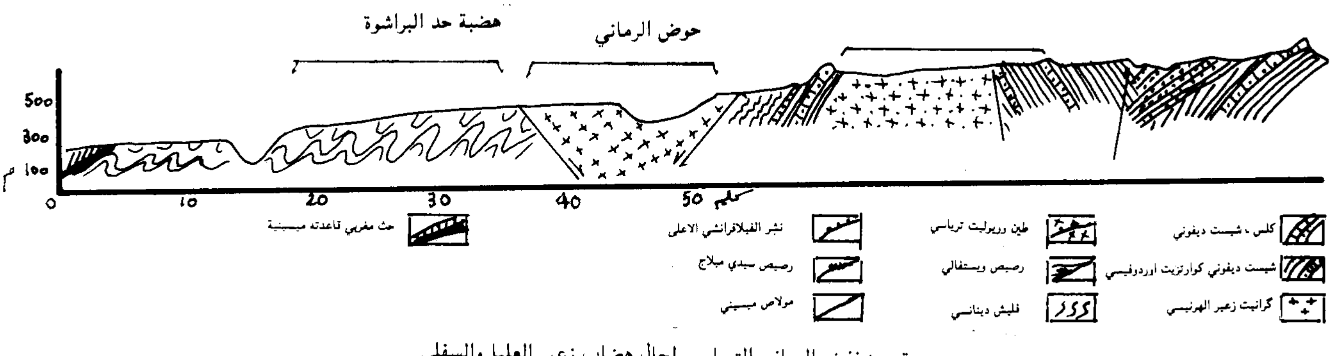


موقع منخفض الرماني الترياسي لمجال هضاب زعير العليا والسفلي

لهضاب زعير العليا في الجنوب، بحيث تتجه تبعا لامتداد الحوادث البنائية وأهمية سمك الرواسب الترياسية. تتمثل هذه الشبكة بداخل الحوض، في أودية صغيرة ؛ أهمها مجرى وادي مشرع، الذي تكون نتيجة اقتران مجاري خنوسة، سبيضة وهنتاتة ثم العريض، قبل أن يصب جهة الشمال الغربي في وادي كريفلة. هذا بالإضافة إلى مجرى وادي مويلحة الموسمي، الذي يصب في واد كرو في ش شـ. إنها أودية تمكنت من إفراغ وتشكيل الحوض بشكله الدائري، خلال الزمن الرابع (Beaudet, 1969، الناصري، 1987).

عرف حوض الرماني تطوراً مورفوبنيويا. استمر طويلا، منذ الزمن الأول حتى نهاية الزمن الثالث. مع استمرار تحكم القاعدة الهرسينية في تشكيل مرفلوجيته. فنهاية حقبة الديفوني، تعتبر مرحلة حاسمة في انطلاق التطور الباليوجغرافي الطويل للمنطقة، حيث تعرض مجال الدرج الانتقالي من الهضبة الوسطى لرفع بنائي، أصبحت على إثره وبشكل نهائي منطقة قارية، في الوقت الذي ظل فيه حوض الرماني ضمن خليج الرباط (Choubert, 1951) والهوامش الشمالية الغربية للمنطقة، تحت مياه بحار العصر الفيزي الأسفل والأوسط. لكن عند نهاية الفيزي الأعلى، تراجع البحر بصفة نهائية عن المنطقة، تحت تأثير الحركات الهرسينية. ليدخل مجال حوض الرماني بدوره، تحت تأثير تطور قاري. تميز بتطور مرفوتشكالي، وتسطيح عام، استمر حتى حقبة الترياس الأعلى، الذي زامن بداية انفتاح المحيط الأطلنتي (A. Michard, 1976). وذلك بفضل الحركات الهرسينية الانكسارية، التي جعلت من مجال الرماني، منطقة ضعف بنائي، تحكمت في نشأة الحوض الترياسي به لاحقاً.

تزامنت الرواسب الترياسية البحرية الضحلة (Lucas, 1962)، التي ترجع إلى فترة Keuper (Termier et al., 1949)، مع ظروف مناخية حارة ورطبة. يشهد عليها انسجام سمكها في الحوض، وتميزها بتداخل الرواسب الطميية ـ الطينية (الناصري، 1987) مع البازلتية من نوع الدوليريت والبيلولافا، والذي يعني تنافس الحركات التهدلية وعمليات الترسيب داخل الحوض. لكنها رواسب قارية في الأصل. موروثة عن فسخات تطورت تحت ظروف مناخية عدوانيتها متوسطة. سمحت بأكسدة الحديد الموجود بنسبة مهمة في صخور القارة الهيرسينية. كما أن ضعف نسبة الطين بهذه الرواسب وضعف نسبة طين الكلوريت، بالإضافة إلى ندرة الأملاح وغياب الأطيان الليفية، مؤشرات على ضحالة مياه الحوض الترياسي، واعتدال الظروف المناخية فوق الأوساط القارية المحيطة به (الناصري، 1987).

غياب الرواسب الجوراسية ولا سيما الكريتاسية، يشير إلى أن المنطقة كانت بارزة ومشرفة. لكونها تعرضت لرفع عام دام حتى الكريتاسي الأعلى، جعلها أراضي مشرفة فاصلة بين الأخدود ـ جنوب ـ الريفي في الشمال والخليج الكريتاسي لإقليم الشاوية في الجنوب. تعرض مجال حوض الرماني من جديد، خلال الإيوسين والأوليكوسين لحركات رفع. جعلته يعرف تطوراً قارياً تعروياً دام حتى الميوسين الأعلى. نجم عنه تشكيل سطح تحاتي عام، قبل أن يتعرض للتهدل، ضمن الهوامش الشمالية الغربية للدرج الأسفل، ليسمح بتقدم الغمر البحري من الشمال خلال الميوسين النهائي(Vidal, 1986).

لكن دور الحركات البنائية البليوسيني كان حاسما، لكونها أدت إلى حدوث تفاوت مرفوبنيوي. سمح بإشراف الدرج الانتقالي للهضبة الوسطى على درجها الأسفل.

رغم ضعف سمك الرواسب الميسينية الكلسية، فإنها مازالت تلعب دوراً مرفلوجيا فاعلا. إذ تعمل على انسجام وتسليح سطوح الهضاب، الموافقة لامتداد ظهوراتها أكسبها نوعا من المناعة تجاه الأساليب المورفوتشكالية. كما سمح بتطور أتربة طينية غنية بالقواعد، عملت على جلب السكان واستقرارهم بالمنطقة منذ زمن طويل.

خلال البليوسين الأعلى، تعرضت المنطقة لرفع بنائي، بمعاودة نشاط الحوادث الهيرسينية والترياسية داخل حوض الرماني على الخصوص. وافقه حدوث تحول بيومناخي، أخذ ينزع نحو الجفاف. أدى إلى إزالة الفسخات والأتربة التي تطورت سابقا، وتحريكها على نشر، نسيجه غير منسجم تغلب عليه الخشونة، يعرف بالنشر الفيلافرانشي (Beaudet, 1969). مشيراً إلى بداية تعمق الشبكة المائية في سطوح الهضاب النيوجينية، وانطلاق تشكيل ودیانها ومنخفض الرماني، وبالتالي خلق تفاوت مرفوتشكالي بين سطوح تلك الهضاب وقعور الوديان ومعها منخفض الرماني، تراوح بين 150م و200 م. ومن ثم بداية التطور المرفلوجي للأحجام التضاريسية الحالية للمنطقة، ضمن مجال هضاب زعير السفلى.

من أهم نتائج التطورات السابقة، نشأة مشهد مرفوترابي متنوع (الشكل : 4). ارتباط تطوره بتنوع الركائز الصخرية، والأوساط المرفلوجية الموافقة لها.

فالبروزات الأولية، سمحت بتطور نوعين رئيسيين من الأتربة ؛

ـ أتربة ضعيفة التطور ومبتورة. مهدرتة قاعدتها متحددة. متعددة الأصول والمراحل. يحتوي قطاعها المرفوترابي الكامل على المسكات التالية : (A) الرملية السطحية، مروراً بدرع حديد ـ منغنيزي (Fem) ومسكة متطينة مهدرتة (BTg) ثم (C) قبل الوصول إلى القاعدة الشيستية.

ينتشر هذا النوع من الأتربة، بصفة مفضلة فوق السطوح المشكلة في الظهورات الشيستية الكتومة، وحيث ظروف التصريف عسيرة ؛

ـ أتربة مسمرة متطورة. يضم قطاعها مسكة رملية (A) ومسكة سمراء فاتحة رمل ـ طينية، بنيتها جلطية ومبقعة (BT) ثم مسكة (C) كفسخة للكرانيت مبقعة بالأحمر والأصفر تحت ظروف الهدرتة. تطورت هذه التربة فوق الفسخات الرملية الكرانيتية، لهضبة الغوالم المشرفة جنوبا ؛

أما فوق سطوح الهضاب الكلسية، فقد لعبت الكاتيونات الكلسية والأطيان النفوخة، دوراً حاسماً في تطور أتربة غنية، تبعا لظروف التصريف، التي يمكن أن نميز بفضلها ثلاثة أنواع من الأتربة وهي :

ـ أتربة قلوبة من نوع التيرس المسودة يحتوي قطاعها على مسكات (C, B, A). تنتشر في مواضع منخفضة ومنبسطة، تصريفها ضعيف. حيث توافق مجالات امتداد بروزات الكلس الميسينية وفسخات البازلت الترياسي، الغنيين معا بطين السمكتيت ؛

ـ أتربة محمرة متحدسلة، تطورت في هوامش الهضاب الكلسية، وفي مواضع بارزة، حيث التصريف جيد، وفوق الصخور الكلسية ذات النفاذية العالية. أتربة متطورة، كما يشير إلى ذلك تمايز مسكاتها ؛ (A1، A2 وBT1، BT2)، قبل الوصول إلى القاعدة الممثلة في الحث ـ الكلسي الميسيني.

ـ أتربة سمراء كلسية من نوع الشرساء، ارتبط تطورها بهوامش الهضاب والانحدارات المهمة، فوق البروزات الكلسية الميسينية والبازلت الترياسي. وهي أتربة ضعيفة التطور. قطاعها بسيط لا يتعدى سمكه 60 سم. غالبا ما تتميز بتطور قشرة وشاحية، بل أحيانا ظلفاء كلسية عند قاعدتها.

الملاحظ، أن تطور التربات السمراء ينحصر في المواضع الأكثر انبساطا. في حين تنتشر تربة الشرساء، التي تحتوي على كسارات القشرة الكلسية، في المواقع المنحدرة.

G. Beaudet, *Le plateau central marocain et ses bordures, étude géomorphologique*. Thèse de doctorat es-lettres, 478 p, 125 pl, 28 fig. 4 carte, 1969 ; G. Choubert, *Essai de chronologie hercynienne. N.S.G.M.*, t. 4, 1951 ; H. Ghanem, *Contribution à la connaissance des sols du Maroc. Genèse, classification et répartition des sols des régions des zones de la basse-Chaouia et des Shoule*. Thèse. Cah. Rech. Agro. 2 t. 481 p. 1981 ; J. Lucas, *La transformation des minéraux argileux dans la sédimentation, étude sur les argiles du Trias*. Mém. *Serv. de la carte géol. Als. et Lorr.* n° 23, Univ. Strasbourg, 202 p. 49 fig. 7pl. 1962 ; A. Michard, *Eléments de géologie marocaine, N.M.S.G.*, 1976 ; G. Naciri, *Etude géomorphologique de la cuvette Romani et ses bordures nord et sud.* Thèse de 3ème cycle. Univ. Med. V. Rabat (en arabe), 1987 ; C. Rougier, *Altération, pédogenèse et paléopédogenèse sur massif granitique des Zaer (Maroc central)*, Thèse 3ème cycle, Univ. Bordeaux I, 208 p. 1985 ; H. Termier, G. Termier, *Mode de gisement des basaltes "Permo-triasique" au Maroc. B.S.S.G.*, t. XIX, pp. 111 - 134, 1949 ; J.C. Vidal [et al...], *Carte géologique de Romani*. 1 / 100.000. Rabat, 1989.

محمد الطيلسان

**الرمّاني**، مدينة صغيرة تقع جنوب الرباط بحوالي 80 كلم على الطريق الرئيسية رقم 22 الرابطة بين الرباط ووادي زم كانت شمس خلال فترة الحماية Camp Marchand نسبة للعقيد Marchand الذي قتل بالمنطقة على يد المقاومين الزعريين إبان التدخل العسكري الفرنسي يوم 14 يناير 1911 على بعد حوالي كيلومترين من قصبة مرشوش. وأسس الفرنسيون مركزاً عسكرياً بالمنطقة اختاروا له موقعا استراتيجيا في وادي زبيدة العميق حتى يكون محميا بالتلال المحيطة به، ومنه تنطلق العمليات العسكرية لاحتلال ما تبقى من أراضي زعير وللتوغل في تراب زمور وزيان وبني خيران.

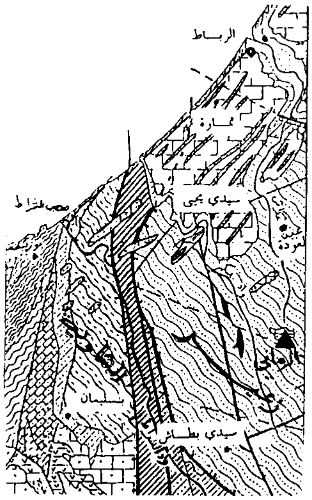

أصبح مركز Marchand دائرة تراقب كل بلاد زعير منذ 24 غشت 1916 وباستقرار الإدارة الفرنسية والمعمرين أصبح عدد سكان هذا المركز سنة 1936 : 1150 نسمة موزعين على الشكل التالي :

| | |
|---|---|
| المغاربة | 1.031 |
| الفرنسيون | 109 |
| الأجانب | 10 |

ارتفع عدد السكان سنة 1952 إلى 1556 نسمة منهم 248 أجنبياً.

أما من حيث التنظيم الإداري فقد كان المركز سنة 1921 مقرا للمراقبة المدنية التابعة لجهة الرباط يراقب جميع قبائل زعير وعددها 19 قبيلة موزعة على 14 قيادة. وفي سنة 1937 أصبح المركز تابعا لدائرة الرباط يراقب 17 قبيلة موزعة على 4 قيادات. أما باقي القبائل فأصبحت تابعة لمركز مولاي بوعزة.

أصبح هذا المركز بعد الاستقلال يحمل اسم "مدينة الرمّاني" نسبة لبساتين الرمّان المنتشرة بوادي زبيدة. بلغ عدد سكان المدينة حسب إحصاء شتنبر1994 : 11.433 نسمة وبلغ معدل الولادة بها 3.94 ٪ بينما وصل عدد الوفيات 28٪ ينقسم السكان حسب فئة الأعمار على الشكل التالي :

| | |
|---|---|
| من 1 إلى 15 سنة | ٪50 |
| من 26 إلى 50 سنة | ٪40 |
| أكثر من 50 سنة | ٪10 |

تتوزع أنشطة السكان على ثلاثة قطاعات : التجارة والصناعة ويشغلان حوالي 40٪، والفلاحة 35٪ بينما 25٪ المتبقية تشتغل في البناء وأنشطة متفرقة.

تشكل مدينة الرماني اليوم دائرة تراقب سبع قيادات أهمها عين السبت والبراشوة ومرشوش، تبلغ مساحتها 3516 كلم2 يسكنها حوالي 81.729 نسمة وهي تابعة لإقليم الخميسات جهة الرباط، سلا، زعير، زمور.

م. ابن سودة، *قبيلة زعير قديماً وحديثاً*، الدار البيضاء، 1977.

*Guide des Communes*, Rabat, 1991 ; *Le Maroc catholique*, n° 3, mars 1942 ; *Organisation territoriale du Maroc et commandement indigène au 1er nov. 1921 et 1er janvier 1937* ; Robet (J.T.), *Dictionnaire des villes et localités du Maroc*, Rabat, 1936 ; *Villes et tribus du Maroc*.

صالح شگاگ

**الـرّموز**، ويكتب أيضاً الراموش أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ramos ؛ وإلى هذه الأسرة التي انقرضت بتطوان تنسب إحدى أبواب المدينة وهي باب الرموز.

وقد انجبت هذه الأسرة عدة فقهاء لم نعرف منهم أحداً باستثناء :

**الرموز، علي** بن محمد الذي كان يزاول خطة العدالة من سنة 1086 إلى 1090 (1677 ـ 1679).

**الرموز، عليوة** بنت العدل المذكور التي كانت أول أمراة أسست حبسا لمعاجلة اللقالق سنة 1091 (1680).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية* التي ذكرها في الرقم 726.

**الـرّمُـونْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Remon ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1183 / 1770.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية* في الرقم 727.

**رَمـيرُو** ويكتب أيضاً الرَّميرُ أسرة تطوانية أصلها من الأندلسَ حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Romero - Remiro ؛ وأما أفراد هذه الأسرة الذين مكثوا بالأندلس بعد سقوط غرناطة فقد أُرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Arumiru - Rumiru ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 ـ 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية* في الرقم 728.

**الرّميزْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ramis ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1177 / 1764.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية* في الرقم 729.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرميزة، المحجوب** بن الحسين مقاوم ولد سنة 1936 بمراكش وانخرط في صفوف جيش التحرير المغربي منذ سنة 1954 وعمل تحت قيادة السيد العمراني، وذلك ضمن فرقة الأطلس الكبير بعدما كافح بغفساي ومكتب ثلاثاء يعقوب ثم بناحية مراكش. وقد ناضل بكل نزاهة وإخلاص في سبيل الوطن إلى أن استشهد بطريق الدار البيضاء حيث كان يقوم بمهمة فدائية وذلك في أوائل سنة 1376/1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**الرميقي** أو الرميقيون، أسرة قصرية أصلها من دوار العنابسة بالغرب. كانوا يشتغلون بالفلاحة، وبعضهم كان مخالطا للتجار الايطاليين، ويقال إن بوسلهام الرميقي كان قائداً في منطقة الغرب قبل انتقاله للقصر. واعتماداً على الظهائر والرسائل التي نملك بعض أصولها، والنسخ التي حصلنا عليها من عدة أسر، وبعضها زودنا بها سالم الرميقي من الأسرة نفسها توضح أن القائد بوسلهام الرميقي استقر في البداية في "عدوة" أو حي باب الواد بالقصبة قرب الجامع الأعظم بمدينة القصر الكبير، ثم انتقل إلى زنقة القطانين قرب سبعة رجال، حيث بنى مقراً حكمته عبارة عن دار ورياض وبنيقة.

**الرميقي، بوسلهام** (الحاج -) الخلطي القصري، قائد الغرب والقصر الكبير، لم نحصل على تاريخ التعيين الأول ولكن لدينا ما يثبت تقلده لمنصب القيادة وهو على الشكل التالي :

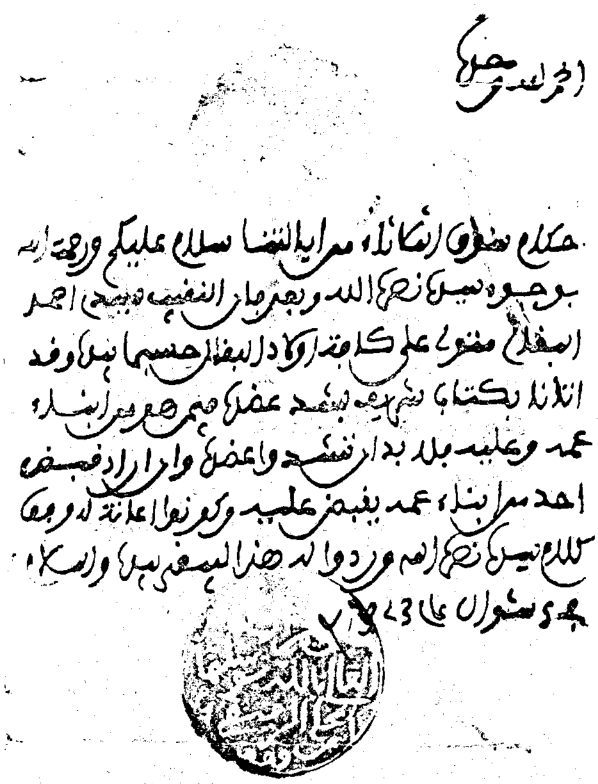

رسالة منه كقائد إلى حاكم سوق الثلاثاء بالغرب مؤرخة بـ5 شوال 1323 موافق1 / 12 / 1905 ؛ ظهير مولاي عبد العزيز لقائده الرميقي يأمره باحترام زاوية الشريف البركة السيد أحمد بن محمد الشريف البقالي، مؤرخ في 18 ذي القعدة عام 1323 موافق 13 / 1 / 1906 ؛ ظهير مولاي عبد الحفيظ لقائده الرميقي يأمره باحترام زاوية الشريف البركة السيد أحمد بن محمد الشريف البقالي مؤرخ في 14 رجب الفرد عام 1326 موافق 11 /8 / 1908 ؛ ظهير مولاي عبد الحفيظ بمثابة تعيين للقائد بوسلهام بن علي الرميقي على مدينة القصر الكبير. مؤرخ في 13 رمضان عام 1327 موافق 27 / 9 / 1909 ؛ ظهير خليفي لتعيين القائد الحاج بوسلهام الخلطي الرميقي على قبيلتي الخلط والطليق مؤرخ في 3 رجب عام 1331 موافق7 /6 / 1913.

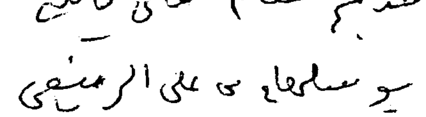

توقيع القائد الحاج بوسلهام الرميقي
قائد الغرب وباشا القصر الكبير

لقد رأينا أن الحاج بوسلهام الرميقي هو الذي كان قائداً وباشا القصر الكبير وقبائل الخلط والطليق. غير أن فترة 1909 .1910 ) شاهدت صراعا بين الرميقي والريسوني، وذلك بعد تعيين مولاي أحمد الريسوني على المناطق الجبلية بتاريخ 22 /2 / 1909. وعلى القصر الكبير بتاريخ 14 جمادى الأولى 1328 موافق3 /6 / 1910. ( *الشريف الريسوني والمقاومة*، ص. 21). وقد تم تنصيبه عمليا بالقصر الكبير في20 /7 / 1910 عن طريق الوزير أحمد الجاي. واستقر الريسوني بالقصر مدة قصيرة انتقل بعدها إلى أصيلا.

في هذه الفترة وقع صراع مسلح بين الطرفين، وانحازت قبائل الخلط والطليق لصالح الرميقي رافضة الريسوني. والصراع كان ترجمة للصراع على العرش بين مولاي عبد العزيز الذي كان له نفوذ في الصويرة والجديدة والمنطقة من طنجة إلى ما وراء الرباط، حيث بقي الرميقي وفيا لمولاي عبد العزيز، بينما انحاز الريسوني إلى مولاي عبد الحفيظ. في هذه الظروف كان الصراع على أشده بين إسبانيا وفرنسا على احتلال العرائش والقصر، وهو ما حدث دون مقاومة في العرائش8 يونيو والقصر 10 يونيو.

**الرميقي، عبد السلام** باشا أصيلا كان عبد السلام ابن القائد بوسلهام الرميقي باشا على مدينة أصيلا، وذلك حسب الظهير الخليفي لمولاي المهدي بن إسماعيل المؤرخ في 25 جمادى الثانية عام 1650 موافق7 / 11 / 1931.

**الرميقي، محمد** الملالي قائد الحركة وباشا القصر الكبير. ولد في قرية عين سخون (للاميمونة) حوالي سنة 1304 / 1886 اشتغل مع عمه القائد الحاج بوسلهام سابق الترجمة في الحركة للسيطرة على القبائل الجبلية، ثم أصبح قائداً لها وخليفة لعمه في القبائل التابعة له. ويوجد ظهير خليفي لمولاي المهدي بن إسماعيل، يعيّن بمقتضاه محمد الملالي الرميقي على القبائل الجبلية وهي : قبيلة آل سريف، وبني گرفط، وبني يسف، وبني زكار، وصماتة بتاريخ 19 شوال 1337 موافق 18 /7 / 1926 ؛ ظهير خليفي آخر لمولاي المهدي بن إسماعيل، يعيّن بمقتضاه محمد الملالي الرميقي باشا على القصر الكبير بتاريخ 20 رمضان 1344 موافق5 /4 / 1926. بعد وفاة عمه الحاج بوسلهام الرميقي.

*الظهائر والرسائل* المشار إليها في النصوص السابقة ؛ *روايات شفوية.*

محمد أخريف

**الرْميلة** (زاوية -) من زوايا درقاوة بمراكش تقع في حومة باب دكالة أسسها طائفة من مريدي شيخ الطريقة الدرقاوية بسوس الحاج علي الدرقـاوي الإلـغي بأمر منه

وهم : إبراهيم بن بارك الركايبي والحاج إدريس الورزازي والحاج العربي برادة والحاج حماد برادة ... وغيرهم (*المعسول*، 15 : 38) اشترى هؤلاء المريدون أرضا بحي الرميلة سنة 1327 (*المعسول*، 12 : 134) وبنوها في السنة الموالية ونزل بها الشيخ علي الدرقاوي أثناء سياحته الكبرى في سوس والحوز ومكث بها ثمانية عشر يوماً. وبقيت الزاوية قائمة بدورها في استقبال المريدين وإن بدا أنها فقدت مكانتها بعد رسوخ الحماية، حتى حلها محمد المختار السوسي ابن الشيخ علي الدرقاوي مرجعه من رحلته الدراسية التي قادته إلى فاس والرباط، فاستقر بها في محرم 1348 / يونيو 1929 وحول جزءاً منها إلى مدرسة مواصلا نهج والده في التوعية، مستعينا لبلوغ أهدافه بنشر المعرفة والعلوم والاعتزاز باللغة العربية وبالعقيدة الإسلامية السنية كما عرفها السلف.

لقد جاء افتتاح مدرسة زاوية الرميلة في سياق عمل الحركة الوطنية على تأسيس تعليم وطني حر مخالف للتعليم الرسمي الذي وضعته إدارة الحماية وهمّشت فيه كل ما يمت إلى الهوية الوطنية من مقومات إسلامية ولغوية واعتنت بترسيخ أفكارها وتصوراتها، فكان التعليم الحر وسيلة لمجابهة هذا المخطط. وهكذا أسست بمراكش تسع مدارس حرة تشرف عليها نخبة من الوطنيين المراكشيين (راجع أسماءهم في *الإلغيات*، 1 : 9) ويمكن التمييز في التاريخ التعليمي لزاوية الرميلة بين ثلاثة أدوار :

أ - الدور الأول : دور التأسيس والازدهار، وقد استغرق سبع سنوات من سنة 1348 / 1929 زمن حلول العلامة السوسي بمراكش وانطلاق عمله بالرميلة وينتهي بنفيه سنة 1355 وفي هذا الدور بدأ المختار السوسي عمله بالزاوية على غير قصد منه وإنما كان اهتمامه بالدروس في المساجد، غير أن تحلق التلاميذ الصغار من أبناء أسرته وأقاربه ثم أبناء جيران الحي حوله في الزاوية جعله يفكر في تنظيمها لتصير مدرسة نموذجية، وقد تولى إدارتها ابن عمه إبراهيم بن أحمد الإلغي (*الإلغيات*، 1 : 8)، واتسعت الدائرة لتتجاوز مدينة مراكش وجاءت وفود التلاميذ والطلبة من القبائل المجاورة كالشياظمة والرحامنة وعبدة بل من سوس والصحراء وهكذا تجاوز العدد الثلاثمائة.

ب - الدور الثاني : استغرق هذا الدور سنتين من 1355 حتى 1357 / 1936 - 1938 ويبدأ بنفي المختار السوسي عن مراكش إلى الغ، وقد حاول طائفة من الطلبة الكبار الحفاظ على كيانها حتى عودة أستاذهم من منفاه، فقسموا بينهم المهام الإدارية والتعليمية، ودام عمل هؤلاء الطلبة نحو سنتين بالزاوية حتى أغلقتها إدارة الحماية في صيف 1357 / 1938 فتوقفت الدراسة بها (المعهد الإسلامي، 2 : 435).

ج - الدور الثالث : ويبدأ من آخر سنة 1364 / 1944 زمن رجوع المختار السوسي من منفاه بإلغ إلى مراكش، وعودته إلى زاوية الرميلة للتدريس بها وبمسجد باب دكالة حيث الدروس العامة، وقد عمل السوسي على إعادة المدرسة إلى سابق عهدها محافظا على المواد المدروسة وعلى مناهج التدريس وطرقه، فالتحق به طلبة جدد بلغوا أزيد من 100 (راجع لائحتهم في *المعهد الإسلامي*، 2 : 441) ولما نظّمت الدراسة بجامع ابن يوسف كان السوسي يعد طلبته للالتحاق بها قصد نيل شهاداتها الرسمية الثانوية ثم "العالمية".

وقد انتهى هذا الدور بتوقف زاوية الرميلة نهائيا عن عملها التربوي والعلمي الذي استمر خمسة عشر عاما بانتقال المختار السوسي إلى الدار البيضاء عام 1370 / 1950 بعد توتر الوضع وعزم إدارة الحماية بمراكش على إلقاء القبض عليه بسبب تزعمه حملة جمع توقيعات للاحتجاج والمطالبة بالحرية. (محمد المختار السوسي حياته وشعره، ص. 100 - 101).

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 2 - 12 - 15 - 16 ؛ *الإلغيات*، 3 أجزاء ؛ *الرسالتان البونعمانية والشرقية*، تطوان ؛ *ذكريات*، الرباط، 1405 - 1984 ؛ *إيليغ قديما وحديثا*، تح. م. الروداني، الرباط، 1386 - 1966 ؛ م. خليل، *محمد المختار السوسي حياته وشعره*، الدار البيضاء، 1406 - 1985 ؛ مصطفى الشليح وآخرون، *محمد المختار السوسي، سلسلة أعلام المغرب*، 1996 ؛ ع. المتوكل الساحلي، *المعهد الإسلامي والمدارس العلمية العتيقة بسوس*، ج. 1 - 2، الدار البيضاء، 1986 ؛ *المختار السوسي، الذاكرة المستعادة*، ندوة علمية، 1984 ؛ *وثائق دار إيليغ* في حوزة الأستاذ بودميعة البخاري ؛ ع. الرحمان، *رواية شفوية*، تلميذ محمد المختار السوسي ؛ ح. جلاب، *عراصي مراكش ودورها في تكوين الشباب*، مجلة *دعوة الحق*، عدد، 352.

المهدي السعيدي

**الرنج** أو النّارنْج هو ما يعرف بالبرتقال المر أو بالبرتقال النارنجي أو بشجرة الزهر. اسمه العلمي هو سِيتْرُوسْ أورانَتْيُومْ Citrus aurantium.

شجرة صغيرة لا يتعدى ارتفاعها 8 م، قليلة الأشواك، وتتميز بأوراق ذات عنق مجنح وأزهار بيضاء ذات عطر

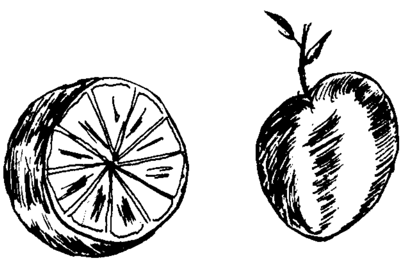

قوي. ثمارها برتقالة متوسطة الحجم، ذات لون برتقالي محمر، ولب شديد المرورة يجعلها لا تصلح للأكل. عند النضج يتقلص لب البرتقالة فيصير مركزها فارغا.

الموطن الأصلي للرنج هو جنوب شرق آسيا. ومن هناك انتشرت زراعته في كل المناطق الحارة من العالم، وذلك كشجرة زينة أو لاستخراج العطر من أزهاره وقشرة ثماره ولاستعمالات أخرى. ولهذه الأغراض أدخله العرب إلى شمال إفريقيا والأندلس حتى أصبح مألوفا في حدائقها العمومية والشوارع الرئيسية لمدنها. ولفظ الزهر "azahar" بالاسبانية المأخوذ عن العربية هو الشاهد عن ذلك.

يستخرج زيت ماء الزهر المستعمل في العطور والشاي المغربي والحلويات من الأزهار وقشرة الثمار بعد تقطيرها. وعملية التقطير معروفة عند الأسر المغربية وخاصة الحضرية منها. كما تستعمل الثمار في صناعة المربى وتهييئ بعض المشروبات والأدوية.

أما في الزراعة فالرنج والليمون هما أهم أصول التطعيم بالنسبة لإنتاج البرتقال والكليمانتين والليمون نظرا لكونهما أكبر مقاومة للطفيليات المضرة الموجودة في التربة.

وبالإضافة إلى كل هذه المزايا لا بد أن نشير إلى أن الكليمانتين نتج عن عملية تهجين بين الرنج والماندرين قام بها أحد الرهبان الفرنسيين "Clément" بناحية وهران بالجزائر إبان عهد الاستعمار.

*أبحاث شخصية* ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*. مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ترجمة عبد المجيد زاهر وآخرون، 1962، القاهرة، نيويورك.

**الرَّنْـد** أو ورق موسى، أو الغار، أسماء عربية تطلق على نباتين من جنس لوروس Laurus الذي هو من فصيلة الرنديات Lauraceae. والنوعان هما :

الرند

- الغار العادي وهو لوروسْ نوبيليس Laurus nobilis
- الغار الآسوري وهو لوروس آسوريكا Laurus azorica

للنوعين صفات نباتية مشتركة تتمثل في كونهما شجرة أو شجيرة لا يتعدى ارتفاعها 10 م. أوراقها رمحية الشكل. أزهارها صغيرة الحجم، ذات لون أبيض يميل إلى الاخضرار، ومجتمعة في ازهرار خيمي الشكل. ثمارها عنبية، بيضوية الشكل وسوداء اللون.

يتميز النوع الثاني عن الأول بوجود زغب على الأغصان الفتية، وبأوراق مستديرة القمة، غير لا معة ومتموجة الحواف، وذات عروق متفرعة ومزغبة. كلا النوعين طبيعيٌ بالمغرب لكن بصفة نادرة. ويصادفان ممثلين بأفراد منعزلة أو بباقات في الغابات الطبيعية.

يستوطن الغار العادي المنطقة المتوسطية حيث يصادف من آسيا الصغرى إلى المحيط الأطلسي باستثناء ليبيا ومصر. لكنه نظراً لاستخدامه لعدة أغراض وبصفة مفرطة من طرف الإنسان، لا يصادف طبيعيا إلا في بعض الأماكن المنعزلة أو المحمية. من جهة أخرى لا بد من الإشارة إلى كون هذا النوع قد استفاد بغرسه من طرف الإنسان في مناطق عديدة من العالم داخل وخارج موطنه الأصلي.

أما في المغرب فإن التوزيع البيوجغرافي للرند العادي يقتصر على الهضاب والجبال غير العالية في المناطق الرطبة من سلسلة الريف ذات البيومناخات شبه الرطبة والرطبة والرطبة جداً ذات شتاء دافئ أو معتدل. وفي كل هذه الحالات يقطن هذا النوع أتربة سميكة وخصبة توجد في الطابق المتوسطي الدافئ.

للغار الآسوري توزيع بيوجغرافي ما كارونيزي يشمل الجزر الخالدات وجزيرة ماديرا وجزر الآسور ومنطقتين في المغرب. أولاهما بناحية القصيبة بالجزء الجنوبي من الأطلس المتوسط حيث تنتشر تشكيلاته الممثلة بباقات من الأفراد متناثرة في غابات البلوط الأخضر وبلوط الزان، لكن ما يؤسف له هو أن الاستغلال المفرط لجني أوراق الرند من طرف الإنسان أدى في الوقت الحاضر إلى تدهور بالغ للأشجار التي تكاد تشاهد بدون أوراق. وتنحصر المحطة الثانية لهذا النوع في الأطلس الصغير شرق تيزنيت، حيث توجد الشجرة ممثلة بعدد قليل جداً من الأفراد المتناثرة على أجراف الجبال التي تأوي تشكيلات أجگال (انظر، دم *الأخوين*).

يعيش الرند الآسوري في نفس الظروف البيئية المذكورة أعلاه.

عرف الرند منذ أقدم العصور كشجرة طبية وعطرية وفاتحة للشهية، وكرمز للانتصار وخاصة عند الرومان الذين كانوا يشيدون أقواس النصر مستعملين أغصان هذه الشجرة التي مازالت تحظى بعناية كبيرة. مما جعلها موجودة بكثرة في جل الحدائق العمومية والشوارع الرئيسية لروما وللمدن الأخرى في إيطاليا والبلدان المتوسطية في الضفة الشمالية. كما يغرس الرند عادة في الحدائق المنزلية لاستعمال أوراقه

في الطبخ وفي تحضير عدة مأكولات أخرى. ولهذا سمي برند المرق "Laurier - sauce" لكي يميز عن الدفلة "Laurier - rose" (انظر *دفلة*).

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 1999; A. Benabid et F. Cuzin, *Populations de dragonniers (Dracaena draco ssp. ajgal Benabid et Cuzin) au Maroc, valeurs taxinomiques, biogéographique et phytosociologique*. C.R. A.S., 1997, 320, 267 - 277 ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

**الرَّنْـدَ**، أسرة تطوانية ويكتب أيضا أَرَنْدَ أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها مقيمين بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Aranda ؛ ومازالت هناك بعض الأسر الإسبانية التي تحمل اسم Randa وAranda ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1202 / 1788.

وأرندا Aranda اسم مدينة إسبانية.

م. ان عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* ؛ *المراجع العربية والأجنبية* التي ذكرها في الرقم 730.

**الرَّنْـدَى** أو الرُّندي أو الرُّنْدة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ronda وRondi وRondeño نسبة للمدينة التي تحمل نفس الاسم ؛ وتذكر الوثائق الحسين الرندة بن أحمد التطواني الذي كان أسيراً بفرنسا يحمل رقم 7221، وأُطلق سراحه بطلب من قائد تطوان علي بن عبدالله الحمامي يوم 6 ذي القعدة 1123/ 16 ديسمبر 1711.

وقد انقرضت هذه الأسرة من تطوان، ومازالت حتى اليوم في الرباط وفاس.

م. ان عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* ؛ *المراجع العربية والأجنبية* التي ذكرها في الرقم 731 و732.

محمد ابن عزوز حكيم

**الـرُّنْدَي، إبراهيم** الأندلسي. لقبه بها الرحالة ابن بطوطة يخطب بمسجد هاشم، ثم استدعي لولاية القضاء بالمغرب فعاجلته المنية عند وصوله إلى الرباط أواسط المائة الثامنة في عهد بني مرين وهو أقدم الرنديين المعروفين بالمغرب.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 238.

**الـرُّنْدَي، أحمد** بن محمد الرباطي، من أبناء الرباط الموصوفين بالنبوغ، تلقى تعليمه عن والده محمد بن عبد السلام الوزير، وعن الفقيه محمد الرغاي والفقيه الصديق الشدادي بمدرسته الكتانية الحرة، كان من العلماء القلائل في نوعية تفكيره ورؤيته للأمور، فكان حديث المجالس الأدبية لما كان يتوفر عليه من وعي وقوة فكر، وفي كثير من الأحيان كان يعتمد على رأيه وتفكيره ضاربا عرض الحائط بالنصوص، ومن ولوعه العلمي أنه على كبره انخرط في سلك المدرسة الجديدة فنال شهادة الدروس الابتدائية في اللغة الفرنسية وكان ذا ميل للعلوم الرياضية والاجتماعية. تعاطى خطة العدالة طويلا في أحواز الرباط، وكان له ولوع بالطرب والعزف على آلة الكمان وغيرها، وكان أبوه وأخوه مولعين بالموسيقى أيضا.

توفي في 25 شوال عام 1349/ 15 مارس 1931.

ع. الجراري، من *أعلام الفكر*، ص. 57 ـ 58.

عبد الإله الفاسي

**الـرُّنْدَي، عبد الحميد** الرباطي. أديب مشارك في الفقه وعدة فروع من العلوم اللغوية والشرعية. اشتهر بمؤلفه *الكتابة والكتاب*، وهو محاضرة ألقاها بفاس يوم 27 رمضان 1341 / 13 ماي 1923 وطبعت هناك في المطبعة الحجرية عام 1342/ 1924 في اثنتين وثلاثين صفحة، حاول فيه أن يعطي نظرة عامة عن تطور الإنشاء العربي في المشرق والمغرب منذ الجاهلية إلى العصر الحاضر، فسقط في الاختصار المخل الذي لا يكاد يُبين أحياناً. وأولى عناية خاصة بكُتّاب الإنشاء المغاربة حسب تسلسل الدول، واختار نماذج من الأدباء الذين خدموا في ديوان الإنشاء. وطبع له أيضاً كتاب *بيان المراد من علم الاقتصاد* في المطبعة الأهلية بالرباط سنة 1355/ 1926 في تسع وثلاثين صفحة. وله كذلك كتاب *كشف اللبس عن أحوال الأطلس* إلا أنه لم يطبع.

شغل في آخر عمر منصب نائب قاضي الرباط في الأحواز فكان يخرج إلى الأسواق الأسبوعية للفصل بين الخصوم.

توفي في حدود 1350/ 1931.

ع. الرندة نفسه، كتبه المذكور ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية*، الدار البيضاء،1977، ص. 478 ؛ م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1977، 1 : 11، والهامش 18 ؛ إ. الإدريسي، معجم *المطبوعات العربية*، سلا،1988، ص. 132.

محمد حجي

**الـرُّنْدَي، عبد الـسلام** بن مـسحمد من كبار الفقهاء ولد بمدينة فاس، ودرس على كبار شيوخها أمثال عبد القادر الفاسي والحسن اليوسي واشتغل بالتدريس بمدينة فاس، وسلا ومكناس، وكان يختم *مختصر خليل* كل سنة، وقد أعجب الطلبة بحسن عبارته، وتحقيقه. كما تولى

القضاء بسلا عام 1076 / 1665 وبزرهون وكان يقيد كل نازلة وقعت بين يديه ويعيد فيها النظر ويمعنه.

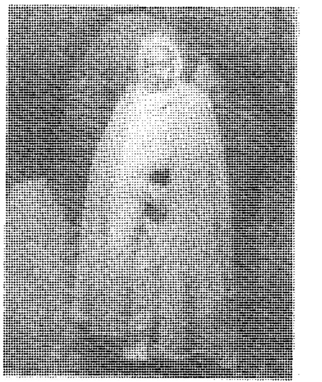

اختصر عبد السلام الرندى *التنوير في إسقاط التدبير* لابن عطاء الله الإسكندري عام 1083 / 72 ـ 1673 (مخطوط خ. ع، ق 556) كما اختصر *المعيار* للونشريسي. لم نقف على تاريخ وفاة المترجم ويبدو أنه توفي أواخر القرن الحادي عشر (17 م).

أ. ابن عاشر الحافي، *فهرس*، 248 ـ 249 ؛ م. بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 111 ؛ *إتحاف اشراف الملا*،2، 6 ؛ ع. ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، 222.

محمد السعدين

**الرُنْدَى، محمد** بن **عبد السلام**، الأندلسي الأصل الفاسي ثم الرباطي، ولد سنة 1288 /1870 ، فقيه يتقن الأحكام والنوازل، اشتغل أولا بالكتابة بمراكش أيام السلطان مولاي عبد العزيز، ثم عين عدلا بمرسى العرائش ثم مرسى أسفي وأبلى في وظيفته البلاء الحسن، فسمي عضوا في مجلس الاستئناف الشرعي لأول إنشائه، وبعده تولى القضاء بإشارة من أحمد بناني إلى السلطان بعد أن امتنع بناني منه وكان من المرشحين لاختبار قضاة البوادي، فتوجه للدار البيضاء ومراكش صحبة نائب وزير العدل وأخيرا تولى وزارة العدلية.

كان متقشفا في ملبسه وفرشه، ويقول بعض عارفيه إن له *تأليفا حول الأضرحة والمزارات* التي بالرباط وشالة، وحواشي وتعليقات على *المصباح المنير* للفيومي وشرح *المحلى على جمع الجوامع* وحاشية *المهدي الوزاني على شرح التاودي على التحفة*. وبعد إعفائه من الوزارة انكب على التدريس والتبليغ، فكان أستاذا ماهرا يصور غامض الفقه بتبسيط كبير.

توفي يوم الجمعة 12 ربيع النبوي 1365/ 15 يبراير 1946 ودفن بأرض شالة.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، ص. 130 ـ 140.

عبد الإله الفاسي

**الـرُنْداحِيُّ**، من الأسر السبتية الشهيرة التي ارتبط اسمها بقيادة الأسطول البحري في شمال المغرب خلال النصف الأخير من القرن السابع (13 م) وبداية القرن الذي يليه. لقد أطلعتنا المصادر التاريخية على وجود خمسة أفراد من هذه الأسرة تناوبت قيادة الأسطول البحري في فترة تميزت بشدة الصراع الإسلامي المسيحي حول الثغور الأندلسية، الشيء الذي يبرهن على أهمية الدور الذي لعبته هذه الأسرة في صنع الكثير من الأحداث ليس فقط داخل سبتة وإنما أيضاً في الضفة الغربية من البحر المتوسط. إلا أن مصنفي التاريخ لم ينصفوا هذه الأسرة باعطائها ما تستحق من عناية على مستوى التوثيق إذ أن ما نعثر عليه بين طيات المصادر يقف في كثير من الأحيان عند حد إدراج لقب "الرنداحي" والحدث المرتبط به مما حال دون وضع تصنيف كرنلوجي دقيق وواضح لهذه الأسرة وتحديد العلاقة الدموية التي تربط بين أفرادها.

أقدم اسم يصلنا عن هذه الأسرة هو حجبون الرنداحي، ويعرف بأبي العباس. لا نعرف شيئا عن أصوله. وقد يفهم من كلام صاحب *البيان المغرب* أن تولي حجبون الرنداحي لقيادة الاسطول ربما تزامن مع فترة حكم ابن خلاص. إلا أن المؤكد منه أنه كان للرجل سلطة نافذة على جيوش البحر وهو ما يشير إليه ابن عذاري بقوله "وكان له فيه على الغزاة النهي والأمر" ( *البيان*، 397) وقد تتفق المصادر على اعتبار القائد ابن حجبون الصانع الحقيقي لثورة الزعيم الديني الفقيه أبي القاسم العزفي ضد السيطرة الحفصية، والمؤسس الأول لرياسة بني العزفي على سبتة. يذكر أنه بعد وفاة أبي علي ابن خلاص في رحلته البحرية إلى تونس سنة 646 / 1248 ـ 1249، عين أبو زكريا الحفصي على سبتة ابن عمه يحي ابن الشهيد والوزير ابن أبي خالد ( *العبر*، 7 : 383) فاستوطنا قصبة المدينة. إلا أن ابن أبي خالد أضر بأهلها فنشأ خلاف بين هذا الأخير والقائد الرنداحي الذي أخذ يضمر للقائدين الحفصيين العداء ( *البيان*، 397). وقد تزامنت هذه الأحداث مع سقوط اشبيلية في يد المسيحيين ووصول ما يقدر بمائة ألف من المهاجرين الاشبيليين إلى سبتة وعلى رأسهم قائدهم شقاف يصطحبه عدد من قواده وجنوده ( *البيان*، 397) ويبدو أن القايد شقاف الحفصي كان يأمل في مقاسمة ابن أبي الشهيد حكم سبتة. إلا أن موت كل من أبي زكريا الحفسي والسعيد الموحدي عجل بتفجير الأوضاع بخروج أهالي سبتة بزعامة القائد الرنداحي عن صمتهم بعد أن ضاقوا ذرعا بظلم ابن أبي خالد، وتجاهل ابن الشهيد للأمر وتحكم الأجانب في مصائرهم. "فاجتمع القائد الرنداحي ـ يقول ابن عذاري ـ مع الفقيه المعظم أبي القاسم العزفي فحرضه على القيام بأمر بلده وأن يعينه على ذلك بعده وعدده والتزم له أن يقوم بالأمر حتى يخلصه فوافقه الفقيه على ذلك". فكانت المكيدة التي دبرها القائد الرنداحي، بحيث أقام حفل عشاء في بيته وقد

وافق ذلك ليلة 27 رمضان من سنة647 / 3 يناير 1250 دعا إليها معظم قادة الجند. وبينما المدعوون في غيبة من أمرهم منشغلين ـ يقوم ابن عذاري "بالسماع والرقص في الدار" أرسل القايد الرنداحي رجاله ليلا فقتلوا القايد شقاف وأعوانه ودخلوا إلى القصبة وقتلوا ابن أبي خالد. أما ابن الشهيد فقد طرد في زورق إلى الأندلس ومنها إلى تونس ( *البيان*، 398). انتهت ثورة الرنداحي وأبي القاسم العزفي بعودة سبتة إلى حظيرة السيادة الموحدية في شخص المرتضى الذي ابقى على رياسة الفقيه العزفي على سبتة بينما عقد لحجبون الرنداحي على قيادة الأساطيل في المغرب كله. وفي نفس السنة شارك القايد الرنداحي في الحملة المغربية البحرية على جزيرة قادس حيث قتل ثمانين من القادة الروم ( *الذخيرة*، 76).

في سنة653 / 1256 يسجل صاحب *(الذخيرة)* وفاة "القايد محمد الرنداحي" بوادي إشبيلية ( *الذخيرة*، 81). من الأكيد أن الأمر لا يتعلق بالقايد حجبون ولا ندري في الواقع طبيعة الرابطة الدموية التي تربط بين الشخصين. ففي سنة659 / 1261 نجد القايد حجبون يسرع في تجميع جميع أجفان سبتة كبارا وصغارا بأمر من الفقيه أبي القاسم العزفي لمواجهة سفن بني الأحمر التي كان يرأسها القايد ظافر والتي أخذت تضيق على سبتة وتحاصر ميناءها عقب العداوة التي تحكمت بين أمير سبتة وبين الأمير أبي عبد الله ابن الأحمر. فكان النصر بجانب القايد أبي العباس الرنداحي الذي ظفر بالقايد ظافر وأمر بقتله في جملة من قتل. "فعلقت جثته ـ يقول ابن عذاري ـ في البحر على حجر السودان وطيف برأسه سبتة وعلق... ويسمى هذا العام بسبتة عام ظافر" ( *البيان*،425 ؛ *L'Espagne*, 63) وفي سنة 662 / 1264 نجد "القايد أبا القاسم الرنداحي" (وربما المقصود منه أبو العباس حجبون) يخرج مع ابن حمدان بالقطائع الغزوانية بأمر من الفقيه أبي القاسم العزفي صاحب سبتة نحو طنجة لحماية أهلها المستنجدين به خوفا من هجوم جيوش أبي يوسف المريني عليهم لقتلهم أولاد الأمير أبي يحي وحوالي ثلاثمائة فارس من فرسان بني مرين، وقد حدث ذلك انتقاما لاغتيال هؤلاء لأميرهم ابن الأمين صاحب طنجة ( *الذخيرة*، 433). وفي سنة681 / 1282 يؤرخ ابن أبي زرع لوفاة "القايد الرنداحي" بسبتة ( *القرطاس*، 406) ومن المحتمل جدا أن يكون المقصود هو أبو العباس الجد. بعد وفاته ورثها عنه ـ يقول ابن خلدون ـ بنوه إلى أن زاحمهم العزفي بمناكب رياسته ؛ فقوضوا عن سبتة فمنهم من نزل بمالقة على بني الأحمر، ومنهم من نزل ببجاية على آل أبي حفص ولهم في الدولتين آثار تشهد برياستهم" ( *العبر*، 7 : 383). من بين الذين بقوا بالمغرب تطلعنا المصادر على ثلاثة أفراد من هذه الأسرة تناوبت على ما يبدو قيادة الأسطول ودار الصنناعة البحرية في سبتة وذلك إلى حدود بداية القرن الثامن (14 م). ففي سنة 684 / 1258 يسجل ابن خلدون أن القايد محمد بن أبي القاسم الرنداحي هو الذي كان يقود الأسطول الذي ركب على متنه الأمير يوسف المريني في رحلة عودته من غزوته في الأندلس بأمر من أبيه لتفقد أحوال المغرب ومباشرة أموره ( *العبر*، 7 : 435 ؛ *القرطاس*، 373). وفي نهاية القرن السابع وبداية الثامن (13 .14 م) نقف على اسم أحمد الرنداحي كقايد للأسطول والمشرف القائم على دار صناعة السفن بسبتة (*El-Maqsad*, 98) ومن المحتمل جدا أن تتزامن فترة قيادة أحمد الرنداحي هذا للأسطول مع فترة حكم الأمير أبي طالب العزفي على سبتة 678 ـ706 / 1280 ـ 1307). أما القايد الرنداحي الذي يشير إليه ابن خلدون ( *العبر*،7 :515) كآخر أمراء البحر الرنداحيين في سبتة قبل نزوحه إلى الأندلس، فلقد وجد قايداً للأسطول إبان تعيين الأمير العزفي أبي زكريا يحيى على ولاية سبتة وهو ما يناسب زمنيا سنة 707 / 1308 . ويبدو إن اقصاء القايد يحيى الرنداحي تم بشكل رسمي عندما أسندت قيادة الأسطول إلى أبي زيد عبد الرحمان بينما عين على رأس دار الصناعة البحرية أبو الحسن علي (*Le Musnad*, 13) فكانت بذلك نهاية الرياسة الرنداحية للاساطيل المغربية ولدار الصناعة البحرية في سبتة.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972 ؛ ابن خلدون، *تاريخ العلامة ابن خلدون أو كتاب العبر*، بيروت، المجلد السابع ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب، قسم الموحدين*، تح. محمد إبراهيم الكتاني، محمد زنيبر، محمد بن تاويت، *عبد القادر زمامة*، بيروت، 1406 / 1985.

R. Arie, *L'Espagne musulmane aux temps des Nasrides (1232 - 1492)*, Paris ; Ibn Marzuq, *Le Musnad*..., *Extraits* ed. et trad. Levi-Provençal, *Hesp.*, 1925, vol. V., 1er trim. ; El-Badisi, *El-Maqsad ash-sharif*..., trad. fr. G.S. Colin, *A.M.*, 1926, vol. XXVI.

زليخة بنرمضان

**الرهدانية** أو الراذانية، مجموعة تجار يهود، اختلف المؤرخون حول أصلهم، بين قائل بأصل عراقي وقائل بأصل فارسي وقائل بأصل أوروبي غربي. جابوا أنحاء العالم المعروف، واشتهروا، خلال القرن الثالث (9 م)، بنشاطهم التجاري الكثيف.

يعد نص ابن خرداذبة ( *المسالك*، 131 .132)، أهم أثر مكتوب بقي لنا عن التجار الراذانية. ويطرح الاسم الذي عرفوا به مشكلة لدى الباحثين، فسواء كانوا راذانية أو رهدانية، فقد فسره البعض بأنه يعني "المهاجرين الذين يجوبون البلدان" ورده البعض الآخر إلى "العارف بالطرق والمسالك"، ورأى فيها آخرون أنه لقب يدل على أصلهم الأوربي الغربي، وبالتحديد من وادي الرون Rhône، ومنه جاءت تسميتهم بالرهادنة، حيث انتشروا عبر خط نهر الموز La Meuse ونهر السون La Saône والرون، ومن هناك

تجمعوا في مدن تجارية مثل مرسيليا وآرلس وجنوة وفي مقاطعة سكسونيا.

واستفادت هذه الجماعات اليهودية من الغزوات الكبرى في الغرب الأوربي، فتعاطى أفرادها للتجارةو خاصة تجارة الرقيق، دون أن يلفتوا النظر إليهم. فقد اشتغلوا وسطاء تجاريين بين أوربا والعالم الإسلامي، إذ مقابل الرقيق الذي كانوا يزودون به أسواق العالم الإسلامي، كانوا يحصلون على بضائع الشرق، ليقوموا ببيعها للملوك الجرمان، ومن ضمن هذه السلع الخصيان والرقيق والفراء والسيوف والحرير، التي انتقلت بواسطتهم إلى الشرق، وحصلوا مقابلها على المسك والكافور والصبر L'aloès والقرفة وغيرها، هذا فضلا عن سلع إسلامية مثل الأقمشة والحرير والذهب والتوابل والأدوية.

وكان لمعرفة الراذانية باللغات العربية والفارسية والروسية والإفرنجية والصقلبية، دور كبير في تمهيد الطريق أمامهم لعبور العديد من الجهات والأقاليم، هذا بالإضافة إلى اختصاصهم بالعمليات التجارية مثل الصرف، ثم اعتمادهم على انتشار بني ملتهم في البلاد الأوربية والإسلامية، مما مكنهم من تجاوز الحواجز القائمة بين "دار الإسلام" و"دار الحرب"، بل إنهم نجحوا في تمتيع أنفسهم بضمانات تهم نشاطهم التجاري العالمي، سواء من الجانب الأوربي أو من الجانب الإسلامي.

وهكذا انتقل الراذانية بين مختلف أقاليم البلاد الإسلامية، خاصة الموانئ والمدن، في المشرق والمغرب، واتصلوا بالسلطات الإسلامية، خاصة في بغداد العباسية والقاهرة الفاطمية ؛ فكانت لهم دور وفنادق وأحياء استقروا بها. وكان من نتيجة ذلك، تجاوزهم دور الوساطة التجارية، خاصة الرقيق، إلى خدمات مبادلة الأسرى وفدائهم.

وبلغت أسفار التجار الراذانية الهند والصين، قاطعين مسافات طويلة جدا، انطلاقا من خروجهم من بلاد الإفرنج بحرا ووصولهم إلى "الفرما" بمصر، ومنها إلى الحجاز ثم توغلهم في المحيط الهندي حتى الصين. كما أنهم كانوا يسلكون طريقا بحريا آخر ينطلق من مصب نهر الأرونت L'oronte، فيحلون بسوريا، ويتجهون إلى حلب وأنطاكية، وعبر الفرات إلى بغداد، ومن هناك إلى المحيط الهندي عبر دجلة والخليج، ليصلوا أخيرا إلى الصين عبر نهر الهندوس L'Indus.

وفي طريق العودة، يسلك هؤلاء المسالك البحرية نفسها، غير أن بعضهم يتوقفون ببضاعتهم في القسطنطينية، ليواصل الآخرون رحلتهم إلى فرنسا. ولهذه الغاية كان بعضهم يمتلكون أسطولا بحريا يسهل عملية انتقالهم عبر البحر.

أما الطرق البرية التي سلكها الراذانية، فهي تنطلق من فرنسا أو إسبانيا، وتخترق ألمانيا والبلاد السلافية، لتصل إلى "اتل" عاصمة الخزر على مصب نهر الفولجا ثم يجتازون بحر الخزر La mer caspienne ويقصدون بلخ فيما وراء النهر، ومن هناك إلى الصين عبر بلاد "التغزغز" Ouigoures في آسيا الوسطى.

ويبدو أن وجه اتصال الراذانية بالمغرب الأقصى، كان يمر عبر نشاطهم المكثف في إسبانيا الإسلامية، وكذا عبر الطريق البري الثاني، حيث يخرجون من فرنسا إلى إسبانيا إلى مضيق جبل طارق ثم بلاد المغرب فمصر وسوريا والعراق وجنوب فارس حتى يصلوا الهند والصين.

ويعتبر نشاط التجار اليهود الراذانية امتدادا لنشاط تجار يهود مدينة أربونة الفرنسية، الذين نشطوا خلال القرن الثاني الهجري (8 م)، كما يعد حلقة ضمن تجارة اليهود الدولية، التي بلغت حد الاحتكار الاقتصادي العالمي.

ومنذ بداية القرن التاسع (15 م)، تراجعت الوساطة اليهودية الراذانية، أمام استغناء الأوربيين عنها، لصالح الكاتالانيين والبنادقة والجنويين وأهل بروفنسا ؛ إذ بعد أن بلغت هذه الوساطة أوجها في القرنين الثالث والرابع الهجري (9 ـ 10 م)، استنادا إلى الرقيق خاصة، انكفأ دور هذه المجموعة دون أن يعني ذلك إلغاء تاما للوساطة اليهودية، التي ظلت قائمة في القرون اللاحقة.

ابن خرداذبه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، *المسالك والممالك*، 1988 ؛ ابن الفقيه أبو بكر بن أحمد بن محمد الهمذاني، *مختصر كتاب البلدان*، 1988 ؛ كلود كاهن، *تاريخ العرب والشعوب الإسلامية*، 1977 ؛ إبراهيم حركات، *النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط*، 1996 ؛ توفيق بن عامر، *الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة*، ج. 2، 1998.

عبد الإله بنمليح

**الرهن** المعمول به في مراكش وبعض المدن المغربية الأخرى، صورته أن يدفع المكترى قدراً من المال متفقاً عليه إلى صاحب المنزل على وجه السلف. وتحدد مدة إرجاعه إلى المكتري بعد أن يستغل مقابل ذلك المنزل مدة معينة حسب الاتفاق، ويكون الكراء مقابل ذلك أقل من المعهود في مثل ذلك المحل، ويحرر عقد الدين بذلك في النهاية.

مبنى هذا التصرف هو العرف. وينظر إليه من جانبين :

الأول : في وجه التسمية بالرهن، وهي غير جارية على أحكام الرهن المعروفة في الفقه الإسلامي، إذ هذا التصرف قائم على مقابلة كراء بالأقل في مقابل التمتع بسلف، وهذا على خلاف أركان وشروط الرهن المعلومة في الفقه.

الثاني : في حكم هذا التصرف من الناحية الشرعية تكلم فيه بعض فقهاء العصر ومنهم شيخ الجماعة بمراكش الرحالي الفاروق، ومنعوه شرعاً لأنه مبنى على عرف فاسد متعلق بقاعدة "سلف جر نفعاً". إلا أنه يمكن العمل به في دائرة "الضرورات التي تبيح المحظورات" إذا ثبتت الحاجة إليه من جانب المكري والمكتري لا سيما في عصر أصبح الاقتراض عسيراً، ولا يكون إلا بالربا غالباً، وما عليه

الأمر من أزمة الكراء بارتفاع أثمنته على الفقراء. فتبادل المنفعة بين الطرفين بالتراضي وقيام الحاجة تجعله مثل الجعالة، وبيع السلَم، والقراض الخ.. مع أنها مخالفة لأصل عقد البيع، مما يشفع لجواز هذا التصرف الذي يجب أن يقوم على قاعدة أن "الضرورة تقدر بقدرها"، ولا يتوسع فيها. ومع مراعاة شروط العمل بالضرورة.

محمد رياض، *أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي*، الدار البيضاء، عام 1416 /1996، ص. 452 ؛ الرحالي الفاروق، *فتوى في الرهن بمراكش*، ضمن فتاويه بالمجلس العلمي بمراكش.

محمد رياض

**رهونة**، قبيلة جبلية ورد اسمها عند البكري (ص. 114) والإدريسي (ص. 46 ـ120 ) والوزان (ص. 269) ويرى ابن خلدون أنها شقيقة غمارة ( *العبر*، ج. 6 ط. بولاق، ص. 224 وص.296 طبعة الجزائر). تحدّ شرقا بقبيلة غزاوة، وشمالا بقبائل كل من بني زكار وبني يسف وأهل سريف، وجنوبا وغربا بقبيلة مصمودة.

كانت رهونة في الماضي تنقسم إلى خمسة أخماس وهي : خمس اللوطاويين، وخمس بني زكون، وخمس بني بوهاشم، وخمس الفطاحنا، وخمس أولاد بورندا، وابتداء من القرن الثالث عشر (19 م)، مروراً بعهد الحماية إلى الآن، أصبحت تتكون من أربعة أرباع أو فرق أو مشيخة على الشكل التالي :

اللوطاويون أو الواديون (مناطق منخفضة) وتضم المداشر التالية : عين أمشالو، أعساوس، أمزو، الزيتونة، دار العباس، دشر لعار، الصف، عين غايث، عين حسن، زيدور، أكنتور، دار المودن، السقيفة، مغواسة، فج دمنة، تزروت، قطارة، الفلاجة، بونيدار، ألوس، مرسالة، دار المودن. بني بوهاشم وتضم المداشر التالية : المصابحة، زرادن، ليبابرة، بريكشة، زكتاوة التحتية، العدامين، الزرايب، بني محمد، ريغا، الصدق، الولجة أليور، الضواهر ؛ أولاد بورندة أو الفتاحنة (سميت بهذا الاسم لأن الربع واقع في فتحة بين جبلين) وتضم المداشر التالية : بوثنو، تيباما، تالا، الشان، السطر، الغويبة، الزعانن، البلوطة، أكضا، زكتاوة الفوقية، الغرا، الفرحة، خندق زيارة، بني زكون وتضم المداشر التالية : العبابدة، بوعلون، الدشير، البعاجين الفوقية، البعاجين التحتية، القلعة، العنصر، لوار، النشارين.

وتنقسم القبيلة حاليا إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة اللوطاويين وجماعة بريكشة واشتهر رجالها بالتمكن في العلوم الدينية.

محمد أخريف

**الرهوني، أحمد** بن محمد بن الحسن النجار لقبا أول، ثم الرهوني لقبا ثانيا، الأخماسي قبيلة، التطواني مولدا ومنشأ ووفاة، الفقيه العلامة المفتي النوازلي المؤرخ المشارك القاضي ثم وزير العدلية وأخيرا رئيس المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي بتطوان، شيخنا السخي المتواضع المعتقد الصوفي التجاني الطريقة المغالي فيها وفي شيخها.

ولد بتطوان زوال يوم الأربعاء 18 جمادى الأولى عام 1288 /5 غشت 1870، وأدخل الكتاب فتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد الفقيهين أحمد شابّو والمامون ابن عبود العمراني وأتم حفظ القرآن في سبع ختمات برواية ورش و16 حزبا برواية قالون، وفي كتّاب هذا الأخير حفظ *مقدمة ابن آجروم وألفية ابن مالك* ولامية *الأفعال* ولامية *الجمل* لابن المجراد *والمرشد المعين* لابن عاشر.

ثم أخذ يطلب العلم على يد القاضي محمد بن علي عزيمان وعبد الله لوقش وعن محمد ابن الأبار الأندلسي ومحمد بن عمر أسنوس وعلى الشريف المفضل بن محمد ابن الهاشمي أفيلال، بردة البوصيري، وعن الفقيه القاضي التهامي بن محمد أفيلال، وغيرهم، درس عليهم في مسقط رأسه مبادئ علوم اللغة والشريعة. وفي أواسط صفر 1309/ أواخر شتنبر 1891 توجه المترجم إلى فاس لطلب العلم، فقرأ على المشايخ أحمد ابن الخياط، وعبد الملك العلوي الضرير ومحمد بن التهامي الوزاني ومحمد بن جعفر الكتاني ووالده ومَحمد بن عبد السلام گنون ومَحمد القادري وأحمد ابن الجيلالي الأمغاري وغيرهم، أخذ عنهم علوما جمة، ومتونا مهمة واستجاز معظمهم فأجازوه وقد ضمن مقروآته وإجازاته ترجمته الذاتية ابتداء من الجزء الثامن إلى العاشر من تاريخه عمدة *الراوين*، ثم تصدى للتدريس والفتوى والخطابة زاول ذلك كله بنشاط وإقبال وكان من عادته كتابة دروسه فإذا أتم متنا تدريسا يكون أنهاه تأليفا، فلذلك شرح معظم المتون المقروءة ابتداء من مختصر *خليل إلى الرسالة والمرشد المعين والآجرومية والألفية* وغيرها مما يجاوز الخمسين شرحا ورسالة هي في غالبها مختصرة وملخصة، منها مختصر *نفح الطيب*

والاستقصا وغيرهما ونتائج الأحكام طبع بعض هذه الكتب. ومن أهم أوضاعه : تاريخه الحافل لمدينةتطوان عمدة *الراوين في تاريخ تطاوين* في عشر مجلدات بخطه الكبير يوجد أصله بخزانة تطوان، وقد شرع بطبعه وهو ثاني تاريخ لهذه المدينة بعد *تحفة الاخوان* للسكيرج، وحج مرتين رئيسا لوفد الحجاج وكتب في الأولى *رحلة* مطبوعة.

ودخل المترجم في خدمة المخزن كاتبا بدار النيابة بطنجة مع النائب الطريس وبعد وفاته مع النائب محمد الجباص، قال : " ولم أزل معه (الجباص) في عز ورفعة إلى أن وليت بها مستشارا شرعيا وقاضيا للاستئناف وكاتبا أول ومدرسا بالمدرسة الكبرى هناك بأوامر مخزنية، وقمت بأعمال كبيرة منها سياسية وقضائية إلى أن انقسمت الإيالة السعيدة منطقتين فانتُخبت لوزارة العدلية بالمنطقة التطوانية في معية الخليفة السلطاني مولاي المهدي بن إسماعيل بن السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى أن أخّرني عن وظيفتي وهو مريض. وبعد وفاته سميت في فاتح حجة 1342/ 4 يوليوز 1924 قاضي قضاة المنطقة، وفي السنة بعدها عينت قاضيا لتطوان، وفي سنة 1353/ 1934 أخرت عن الجميع، وبعد سنوات عينت مفتشا للعلوم، ثم رئيسا لمجلس التعليم الأعلى.

ظل المترجم له على ذلك إلى أن ضعفت قواه واختلت حاله في أواخر أيامه بسبب تبذيره الذي أفضى به إلى الفقر والحاجة بعد الجاه والثراء، وشاهدتُ من أحواله ما فيه عبرة وأي عبرة فقد كان ملجأ القاصدين، وملاذ المحتاجين، يتمسح الناس بأذياله، وينحنون لمروره وتقبيل يده وكان قصير القامة، ويزدحمون على بابه للزيارة والتهنئة بالأعياد وغيرها، ولما امتحن بإدبار الدنيا والجاه، انفضوا من حوله وتجاهلوه، واستتروا منه واستثقلوا ظله، وعاش سنوات منزويا في بستانه على حاله تلك إلى أن لبى داعي ربه في 14 ربيع الثاني عام 1373 /21 دجنبر 1953 ودفن بالزاوية العيساوية من حي العيون بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، الأجزاء 8 ـ 9 ـ 10 ؛ خ. الزركلي، *الإعلام*، 13 253 ، ط. 4 ؛ إدريس خليفة، *الحركة العلمية والثقافية بتطوان*، 2 : 519، المحمدية.

**الرهوني، مَحمد** (الحاج -) بن أحمد بن محمد بن يوسف بن علي الحاج المدعو (بريكشة)، ينتسب إلى قبيلة رهونة بين مدينتي شفشاون ووزان، الفقيه المالكي العلامة المنفرد في وقته بتحقيق نقوله وتحرير أصوله، الخطيب المفتي التقي الورع الزاهد العابد، ولد برهونة في ذي القعدة 1159/ نونبر ـ دجنبر 1746 وأخذ العلم ببلده وبوزان وتطوان وفاس، وعمدته في الأخذ المشايخ : الجنوي التطواني، والتاودي ابن سودة الفاسي وأحمد الورزازي التطواني وأجازوه، واتصل بالسلطان مولاي سليمان وانتفع هذا بمجالسته، وهو الذي أمره بتاليف *حاشيته الشهيرة على شرح الزرقاني لمختصر خليل*. كما كان يكلفه وغيره من فقهاء مجلسه بتحرير مسائل فقهية توجد منسوبة إلى السلطان المذكور.

قدم من بلده إلى تطوان وانقطع إلى شيخه الجنوي بها وبمكناس لما انتقل إليها واستقر بمدرسة الخضارين كما أشار إلى ذلك في باب قصر الصلاة من حاشيته وقرأ عليه كثيراً قراءة تحقيق وتدقيق، وقد تحدث عن ذلك وعن بداية طلبه ومشايخه وما أخذ عنهم وما أجازوه به وأسانيده للكتب في أول هذه الحاشية، ولما عاد إلى وزان انقطع للإفتاء والتدريس والتأليف مستعينا بخزانة كتب الزاوية الوزانية التي كانت يومئذ تحتضن المآت من دواوين الفقه المالكي وأمهاته، واشتهر بالإجادة والتحقيق وقُصد لحل المشكلات، وفض النزاعات المعضلات، فكتب في كثير منها رسائل وردوداً نالت إعجاب معاصريه فقرظوها له، ومنهم قرينه عبد الرحمن الحايك المصمودي التطواني، أودع كثيرا منها حاشيته المذكورة التي أسماها *أوضح المسالك وأسهل المراقي، إلى سبك ابريز الشيخ عبد الباقي* وقد تنوسي هذا الاسم واشتهرت *بحاشية الرهوني*، التي تتبع فيها ما يحتاج إلى التعقيب والإتمام من حاشيتي شيخه التاودي، ومحمد بن الحسن بناني، وزاد فوائد ونقولا غزيرة عن الأمهات وأصول المذهب، فضحت اغلاطا كثيرة وقعت لمن قبله في الاختصار والتلخيص أفسدوا بها كلام المتقدمين، وغيروا الفقه عن مواضعه، وهي مما ادّخره الله للمتأخرين، فكانت حجة على المتقدمين كما قال الحجوي، وقد غلا في مدح هذه الحاشية من اعتبرها معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، والحق أنها في القمة من الجودة دلت على فضل المترجم وتمكنه في الفقه المالكي وفرط ذكائه وتفطنه لدقائقه وإتيانه بما لم يسبق إليه، وقد طبعت بمصر وفاس مرارا في 8 مجلدات، وله غيرها *كخطب الجمعة* الشهيرة وقد طبعت على الحجر والحروف، وله *حاشية كبرى على الدرر الثمين* على المرشد المعين لميارة، إلا أنها لم تكمل، و*رسالة التحصن والمنعة ممن اعتقد أن السنة بدعة في مسألة الجهر بالذكر مع الجنازة*، وقد طبعت، ورسائله كثيرة كرسالته في *الغناء*، وفي *حكم التجارة إلى أرض العدو*، وهما مخطوطان، وغيرهما من رسائل أدرج بعضها في حاشيته المذكورة.

وظل الفقيه الرهوني على حاله إلى أن لبى داعي ربه بمدينة وزان فجر يوم السبت 13 رمضان عام 1230 / 19 غشت 1815 ودفن بروضة شيخه في الطريق الشيخ علي بن أحمد الوزاني عن يسار محرابها.

محمد الرهوني نفسه، *أوضح المسالك وأسهل المراقي*، ط. حجر فاس، الجزء الأول ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*،1 :154 ، ط. الحجر بفاس ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 378، طبع مصر ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*،2 :296 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 4 :181 ؛ خ. الزركلي، *الإعلام*، 6 : 17، ط. رابعة.

**الرهوني، يحيى** بن موسى أو عبد الله، أبو زكرياء شرف الدين، قال الحافظ ابن حجر : المغربي الأصل، وتصحف في *الدرر الكامنة* بالدهوني بالدال، وفي *شذرات الذهب* بالزرهوني، وزاد ابن العماد : نسبة إلى زرهون جبل قرب فاس، والصواب : الرهوني نسبة إلى قبيلة رهونة قرب وزان.

الشيخ الإمام الحافظ الفقيه المتفنن الأصولي المنطقي الكلامي المالكي، أخذ عن أحمد بن إدريس البجائي الفقه، والأصول عن أبي عبد الله الآبلي وغيرهما، اشتغل ومهر واشتهر بإفريقية، ونزل مصر وحاز فيها رئاسة المالكية، ودرس بالشيخونية والمنصورية وأملى الحديث بالصرغتمشية بالقاهرة، وأفتى وألّف وخرَّج تخاريج دلت على ثقوب ذهنه، ورصانة عقله، وبراعة استنباطه، إلى دين متين، ووقار وهيبة، وجود وإيثار بالدنيا وأوتي منها سعةً، حج مرتين.

انفرد بتحقيق مختصر *ابن الحاجب الأصلي*، وله عليه شرح حسن مفيد كما علق على *تهذيب البرادعي للمدونة* تعليقا يذكر فيه المذاهب الأربعة، ويرجح مذهب مالك، ومات دون إتمامه.

مات بالقاهرة في ثالث شوال، أو ذي القعدة سنة 773/ أبريل - يونيه 1372 وفي *وفيات الونشريسي* 775 وما في *الإكليل والتاج* للقادري من أنها كانت سنة 4 أو 575 فخطأ.

ابن حجر، *أنباء الغمر*، 1 36، طبع الهند ؛ *الدرر الكامنة*، 5 : 196 ط. مصر ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج المذهب*، 2 : 362، ط. مصر ؛ ع. الرحمن السيوطي، حسن *المحاضرة*، *بأخبار مصر والقاهرة*، 1 : 262، ط. مصر، سنة1299 ؛ ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*،6 : 230، ط. مصر ؛ م. القادري، *الإكليل والتاج*، مخطوط ؛ أ. الونشريسي، *الوفيات/ موسوعة أعلام المغرب*،2 : 683، بيروت، 1996.

محمد بوخبزة

**الرهينة**، ملكٌ يتنازل عنه صاحبه مقابل دين لفائدة دائنه إلى غاية تَسديد الدين. ويتعلق الأمر في البادية، بقطعة أرضية (أو حصة ماء) تصبح في حوزة الدائن يستغلها بصفة مطلقة طالما لم يتحرر المدين من دينه. وقد يضطر هذا الأخير، تحت ضائقة الحاجة، إلى اقتراض ديون أخرى تحوّله إلى خادم / زبون لدائنه، وقد تؤول به إلى فقدان ما كان يملكه. مما يجعل علاقة الدائن بالمدين علاقة سيطرة وتبعية، علاقة هيمنة وزبونية. وكانت هذه العلاقات الناتجة عن الرهن إحدى آليات اغتصاب أراضي صغار الفلاحين لفائدة بعض الأعيان القرويين.

يتحول الفلاح في حالة فقدانه أرضه، - إن لم يهاجر قريته - إلي خماس في خدمة دائنه. ووقت "عنق العام" (وهي الفترة التي يكون فيها الخماس قد استهلك كل ما كان يدخر بينما فترة الحصاد لم تحن بعد) يضطر إلى الاقتراض من صاحب الأرض ؛ وفي حالة عدم تسديد دينه يلزمه تجديد عقد الخماسة مع صاحبه. وقد تتكرر هذه العملية التي تدفع بالخماس لأن يرهن حريته إلى حد تجعله يتحول إلى شبه قـن في خدمة الدائن / مالك الأرض.

عبد الجليل حليم

**الرواشد**، إحدى قبائل زعير، تندرج ضمن الگفيان الذين يمثلون إلى جانب المزارعة القسمين الكبيرين لزعير. تقع قبيلة الرواشد قرب ثلاثاء سيبارة الواقعة شمالي أحد الغوالم بحوالي 15 كلم، ومن أفخاذها : العزازبة، والخمسان، وأولاد حنيش، وأولاد بو علو وآيت مامون. وقد استقر فرع من الرواشد بقبيلة أولاد خليفة الواقعة بين أحد البراشوة ومغشوش. وتجدر الإشارة إلى أن هناك قبيلة أخرى بناحية أبي الجعد تعرف بالرواشد، إلا أن المصادر لم تشر إلى القبيلة التي تمثل الأصل.

تميزت قبيلة الرواشد الزعرية بحفظ القرآن الكريم، وبالجهاد ضد الاحتلال الفرنسي. وقد جرت بتراب هذه القبيلة معركة عين سي موسى، ومعركة ولجة العظام في شهر يوليوز 1911 قرب أحد الغوالم بحوالي خمسة كيلو ميترات بقيادة المجاهد عبد القادر البواشري، الأمر الذي دفع سلطات الحماية إلى القيام بعدة عمليات عسكرية قصد إخماد انتفاضات الزعريين، وذلك ما بين 13 و24 من نفس السنة. وبعد اندلاع ثورة ابن عبد الكريم الخطابي، أرغمت سلطات الاحتلال بعض أفراد قبيلة الرواشد على المشاركة في إخمادها، ومن هؤلاء : بوعمرو بن محمد، وعباس بن عبو وابن قدور بن الجيلالي.

ومن أبرز قواد قبيلة الرواشد، المصطفى بن القرشي المباركي الراشدي الذي تولى القيادة في مطلع سنة1330 / 1912، وفي حدود 1340 / 1922 أصبح ابنه المكي بن المطصفى قائداً على قبيلة الرواشد، وزيدت له قبيلة الغوالم وذلك حسب الظهير اليوسفي المؤرخ في 17 شعبان عام 1340، ثم أضيفت إليه قبائل أولاد عمران، والنغامشة وأولاد موسى. وقد تم عزل القائد المكي بتاريخ 16 شعبان عام 1350. وبقبيلة الرواشد مزارات يتبرك بها أفرادها وهي: سيدي عبد الهادي، وسيدي حشلاف وسيدي الدحاوي.

م. ابن سودة، *قبيلة زعير قديماً وحديثاً*، 2 ج.
Sicard, *Organisation des Zaeïr*, Paris, 1952 ; *Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région*, T. III, p. 139 - 162.

محمد السعدين

**رُوَانُــو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ruano ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1146 / 1734.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 739.*

محمد ابن عزوز حكيم

**الرواية العربية** في المغرب : سنحاول تناول هذا الموضوع من ثلاث زوايا : 1) التكون 2) الإنتاج والتصنيف 3) التلقي، محاولين، عبر التحقيق والتصنيف إبراز الإطار العام الذي نشأت فيه الرواية المغربية المكتوبة العربية وتحديد مراحل تطورها وضبط محافل تلقيها، بإيجاز، من الأربعينيات إلى نهاية الألفية الثانية.

1) التكون : ترتكز الفكرة الأساس في هذه المقاربة على مسلمة نقدية تتمثل في أن الأجناس الأدبية، ومنها السردية، تتكون وتتطور تحت تأثير ما نسميه بـ(العوامل الداخلية) التي نعتبرها "مكونات" مدعمة بالعوامل الخارجية ليست هي في نظرنا مجرد "مؤثرات".

وتتصل المكونات المشار إليها بمستوى التطور اللغوي معجمياً وتركيبياً ودلالياً، وبنوعية المتخيل الأدبي، وبدرجة إدراك أبعاد الجنس السردي، في ضوء نظرية الأدب ؛ كل ذلك في إطار ما يسمى بـ(المؤسسة السردية) التي أخذت تترسخ كمفهوم للكتابة يختلف شكلاً ومضموناً عن الكتابة الاستدلالية بمختلف تشكلاتها. وهكذا نشأ في المغرب وعيان متماسكان : وعي لغوي جديد يقوم على (التعددية) ووعي أجناسي ينزع نحو (الحكائية)، استجابة للتحولات التي طالت الأذواق والتصورات والأفكار، في علاقة وثيقة مع مفهومي (العصرية) و (التجديد) اللذين نجد لهما صدى واسعا في آثار بعض الكتاب المغاربة بين العشرينيات والثلاثينيات، كما يتجلى ذلك في (فواصل الجمان في وزراء وكتاب الزمان) سنة 1348 لمحمد غريط، وفي (الأدب العربي في المغرب الأقصى) سنة 1929 لمحمد بلعباس القباج، وفي (الزاوية) سنة 1942 للتهامي الوزاني...

لقد لوحظ، منذ العشرينيات، بروز حركة اجتماعية نحو التحرر من بعض العاهات السائدة التي أشار إليها محمد غريط في (فواصل الجمان...) محدداً هدفها في (تلخص الشبيبة العصرية منار من ربقة تقليد العوائد)، وصاحب ذلك ازدهار كتابة الرحلات ونشرها في الصحف اليومية المغربية مما يدل على نوع من الانفتاح على الخارج، وتلق إيجابي لهذا الجنس الأدبي المتجدد من مختلف محافل التلقي من ناشرين وقراء. وهكذا نشرت في جريدة (السعادة) مثلاً الرحلة الحجازية الأولى سنة 1916 والرحلة الحجازية الثانية 1932 لأحمد الصبيحي، والرحلة الحجازية سنة 1917 لمحمد دينية ورحلة محمد بن يحيى الصقلي (وداعاً وإلى الملتقى) سنة 1928، والرحلة الحجازية لإدريس الجعيدي سنة 1930...

إن الاهتمام بالرحلة يمثل في نظرنا مرحلة أساسية في تاريخ تكون الرواية المغربية، لأنها ساهمت في إعادة الاعتبار لطرائق السرد والحكي والوصف بعيداً عن أساليب (المقال) و(الخطبة) و(الرسالة) ... وهي الأجناس التي كانت سائدة خلال الفترة السابقة المذكورة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الكتابة الرحلية تحررت من ألوان البلاغة والبديع، وأسست كتابة تقوم على التقاط اليومي والمعيش مثل الرواية، فاستعملت كلمات دارجة وأخرى أجنبية، توخياً للدقة والأمانة في نقل المشاهد والأحداث. كل ذلك يشير إلى أن لغة الكتابة الأدبية أصابها نوع من الاختلال بابتعادها عن (الفصحى) وعن أساليب البلاغة التقليدية بحثاً عن بلاغة جديدة في ارتباط مع التحولات التي كانت تتم ببطء على المستويات السوسيوثقافية والسوسيولسانية.

إلى جانب هذا التطور على مستوى اللغة والمتخيل الأدبي والتقاليد الاجتماعية، عرفت العلاقات الثقافية بين المغرب والمشرق العربي ازدهارا نسبيا عبر الصحافة المصرية التي كانت تصل إلى المغرب حاملة أصداء الفكر والأدب والسياسة ؛ وكان من نتائج ذلك تبلور (مثاقفة) عربية داخلية مغربية ـ مشرقية نجد أصداءها في الحركة السلفية بالمغرب المتأثرة بالسلفية المشرقية، وفي الحركة الشعرية التي انطلقت نحو الجديد مقتفية أثر المدرسة الرومانسية المصرية، وفي الحركة القصصية والروائية التي اتخذت نماذجها المثلى من المرجعيتين المصرية واللبنانية. إن العوامل الداخلية (المكونات) والخارجية (المؤثرات) مجتمعة ومتفاعلة، مثلت الشروط التكوينية والتاريخية التي ساهمت في تبلور أولي للوعي بجنس الرواية والمغرب والشروع في وضع اللبنة الأولى للمؤسسة الروائية.

ـ الانتاج الروائي والتصنيف :

يستخلص من الإحصائيات التي تناولتها بعض الدلائل الخاصة بالحصيلة البيبوغرافية للرواية المغربية ما يلي :

بلغ عدد النصوص الروائية التي صدرت، منذ 1942 إلى 2000، 285 رواية موزعة حسب تاريخ صدورها كما يلي :

- في الأربعينيات : نص روائي واحد هو "الزاوية" 1942 للتهامي الوزاني
- في الخمسينيات : خمس روايات
- في الستينيات : ثلاث عشرة رواية
- في السبعينيات : خمس وعشرون رواية
- في الثمانينيات : ثلاث وستون رواية
- التسعينيات : تسع وسبعون ومائة رواية

إن ذلك يعني أن الرواية العربية في المغرب لم تعرف انطلاقتها الحقيقية إلا في الستينيات والسبعينيات، وبلغت درجة تعتبر مؤشرة على رسوخ نسبي للكتابة الروائية على امتداد الثمانينيات والتسعينيات، بانخراط أجيال جديدة من الكتاب الشباب الذين تميزوا بكتابة الروايات القصيرة خاصة. ومما لا شك فيه أن هذا التراكم

العددي عبر خمسة عقود أحدث تطوراً على المستوى الفني كما سيتضح من التحقيب والتصنيف التاليين :

الاتجاه الإحالي :

إن (الإحالي) يكاد يغطي كل كتابة روائية لذلك اعتبرناه رديفا وشبه مرادف للواقعي والتاريخ والسيري والسيرذاتي.

وما سنصدره من تصنيفات ليس مطلقا ولا نهائيا فلربما لا يقتنع آخرون بهذا التحديد وهذا الطرح النظري.

إن تصنيفنا سيقوم على اعتبار العناصر المهيمنة في النص وعلى التسلسل التاريخي للكتابة الروائية.

لقد انتقل الاتجاه الإحالي من تناول التاريخي العام الممتزج بالسيري والسيرذاتي (الزاوية) للتهامي الوزاني سنة 1942، إلى التاريخ المتعالق مع السيرذاتي في (وزير غرناطة) 1950 لعبد الهادي بوطالب، كما نعثر على التاريخ حاضرا بشكل عجائبي في الروايات القصيرة، لعبد العزيز بن عبد الله في الخمسينيات. وفي كتاب (في الطفولة) 1958 لعبد المجيد بن جلون، تدخل الكتابة السيرذاتية مرحلتها الروائية.

وقد كانت الستينيات والسبعينيات فترة عرف فيها الاتجاه الإحالي في صيغته الواقعية بعض الازدهار بصدور (دفنا الماضي) 1966 و(جيل الظمأ) 1967، ثم (المعلم علي) 1973، و(المخاض) 1972، و(الطيبون) 1977 و(المغتربون) 1979 وحدث تحول في الأساليب والأشكال في نهاية السبعينيات وخلال الثمانينيات والأربعينيات بصدور (عوينات لبغال) 1979، و(السنوات العجاف) 1984 و(الخنازير) 1984 و(أوراق الصفصاف) 1995 و(وكر العنكبوت) 1997...

تلحق بالاتجاه الإحالي الكتابة المتعلقة بتجربة الاعتقال كما تحدثت عنها عدة روايات، منها (سبعة أبواب) 1965 لعبد الكريم غلاب و(كان وأخواتها) 1986 و(الساحة الشرفية) 1999 لعبد القادر الشاوي.

ولهذا الاتجاه الروائي المغربي الذي يحمل أيضاً اسم (أدب السجون) أو (أدب المقاومة) صفات أسلوبية وتيماتية أصيلة، ويتميز عن كتابات أخرى عربية مماثلة بميله إلى الإيقاع الروائي، رغم الطابع الذاتي لهذه الكتابة، وذلك عن طريق الانشطارات النصية التي تفضي إلى خلق عوالم ممكنة مغايرة للخط المهيمن للأحداث.

ويلحق بالكتابة الإحالية راهناً السير ذاتي أو المصاقب له، باعتباره رؤية خاصة للواقع ولصيرورة التاريخ، مثل (الضريح) 1994 و(الضريح الآخر) 1996، لعبد الغني أبو العزم و(زمن الشاوية) 1994، و(مسار الشوق) 1994 لشعيب حليفي، و(رجوع إلى الطفولة) 1995 لليلى أبو زيد، و(فلا تنس الله) لليلى لحلو...

الاتجاه الحداثي : الحداثة باعتبارها تمثلاً للقيم الفكرية والأدبية والفنية تعتبر لحظة حاسمة في تاريخ الرواية العربية في المغرب، ابتداء من السبعينيات بظهور (المرأة والوردة) سنة 1972 لمحمد زفزاف، و(زمن بين الولادة والحلم) في نفس السنة و(الجنازة) سنة 1987 لأحمد المديني، و(الغربة) 1971 و(اليتيم) 1978 لعبد الله العروي و(إبلشيل) 1980 لسعيد علوش... وتقوى هذا الاتجاه في الثمانينيات بصدور (الخبز الحافي) 1982 لمحمد شكري، (والفريق) للعروي و(الأبله والمنسية وياسمين) 1982، و(عين الفرس) 1988 للميلودي شغموم، و(أحلام بقرة) 1988 لمحمد الهرادي، و(لعبة النسيان) 1987 لمحمد برادة، و(المبارة) 1988 لمحمد عز الدين التازي...

واستمرت الكتابة الحداثية عند محمد الأشعري (جنوب الروح) وشعيب حليفي (رائحة الجنة) وحسن نجمي (الحجاب) وزهور گرام (جسد ومدينة) وأحمد طليمات (المختصر من مقامات الإنفاق) ويوسف فاضل (ملك اليهود) وعلي أفيلال (شجرة التين) وكلها في سنة 1996.

إن الانتاج الروائي الذي صدر في إطار الحداثة يمثل أكثر من نصف الإنتاج الصادر في المغرب في هذا المجال، وكان له حضور على المستوى الأكاديمي وفي الساحة الثقافية والأدبية بحيث يمكن أن نقول إنه كان يسعى لجعل (المغرب الروائي) يعيش على إيقاع أحداث العصر من نظريات فكرية وقيم أدبية وفي تفاعل معها. ولاشك أيضاً أن الإنتاج الروائي الحداثي، كما وكيفا، يمثل نقلة نوعية في مجال الكتابة الأدبية وفي مجال تطور الفكر في المغرب المعاصر.

لقد استغلت الحداثة الروائية ما أسميناه (التباس العلامات) وله علاقة بالخاصية الدينامية للنص الروائي، في مستواه العبر لساني ؛ وذلك بتوظيف مختلف مجالات التعبير السردية والشعرية وأصناف المفارقات وتعدد محافل الخطاب وتداخل الضمائر النحوية وتشعب مستويات الرمز والأسطورة، وتوظيف الانشطار الروائي بأنواعه الشذري والمرآوي وانشطار البقايا ؛ وقد أدى ذلك كله إلى خلق بياضات وفجوات لا يتمكن المتلقي من ملئها بالرجوع إلى الموسوعة المعرفية العامة. إن من أبرز مقصديات الرواية الحداثية من حيث الشكل البحث عن الصنعة القائمة على الغموض، وذلك يؤدي إلى (إقصاء) شرائح كثيرة من القراء، ويجعل النص حكرا على (دائرة) ضيقة من المتلقين الذين يتناقص عددهم تدريجياً، بخلاف الرواية الإحالية التي تؤكد على جلاء المعنى عن طريق تقنيات حكائية وسردية وأساليب وصفية وتساعد على جعل الخطاب مباشراً وشفافاً لدى المتلقي.

هناك في تجربة الحداثة تغييب قصدي لما يسمى بالحكاية وتعويضه بتقديم أوصاف ومشاهد وخطاب استدلالي ذي طابع ايديولوجي. إن الروايات التي تدخل في هذا الإطار تحاول في أغلب الاحيان الانفلات من إواليات الارتداد وتسعى إلى المغامرة في مستوى الأشكال والطرائق

السردية. ونجد في الروايات الحداثية أحيانا توظيفاً جزئيا للتراث كما هو الشأن عند محمد زفزاف في (المرأة والوردة) وعند الميلودي شغموم في (الأبله والمنسية وياسمين) وفي (عين الفرس) وعند محمد الأشعري في (جنوب الروح)، كما يصبح ذلك التوظيف ذا طابع انشطاري تناوبي كما يتجلى ذلك في (بدر زمانه) لمبارك ربيع.

اتجاه الحداثة التراثية : يقوم هذا الاتجاه الروائي على الانغراس في التراث العربي والشعبي بمختلف تحلياتهما وعلى توظيف انتقائي لطرائق السرد الحديثة. إنه يعني، في نظرنا، امتلاك وعي مزدوج لدى بعض الكتاب المغاربة : وعي بالمأزق الذي وصلت إليه تجربة الحداثة في إطارها الغربي في مجال الإنتاج الروائي (الغموض، الاستلاب، التعقيد)، ووعي بالأفق الذي يفتحه التراث الكلاسيكي والتراث السردي الشعبي على مختلف مستويات البناء والتركيب، في إطار المحافظة على خصائص الذائقة الجمالية المتوارثة.

وتأكيدنا على هذه التجربة بأنها (حداثية) ينطلق من إيماننا بالفكرة التي ترى أنه (لا يصح أن تبحث الحداثة العربية من منظور غربي، وضمن معطيات الحداثة الغربية، وإنما يجب أن تبحث في أفق الفكر العربي أصولاً وتاريخاً وضمن معطياته الخاصة وبأدواته المعرفية، وفي إطار القضايا التي أثارتها أو نتجت عنها) أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب بيروت، ط.2، 1985، ص. 19.

وقد ظهر في المغرب الاتجاه الحداثي التراثي في مجال الرواية، من المقدمات النظرية التي أشرنا إليها، ممثلاً في بنسالم حميش بـ(مجنون الحكم) 1993 (العلامة) سنة 1997 موظفاً شخصيات تاريخية تتخلى تدريجياً عن انتمائها التاريخي لتمرير خطاب إيديولوجي يتعلق بالأوضاع الراهنة.

وقد بلغت الحداثة التراثية مرحلة نضجها في روايات أحمد التوفيق (جارات أبي موسى) سنة 1997 و(شجيرة حناء وقمر) سنة 1998 و(السيل) سنة 1999 و(غريبة الحسين) سنة 2000.

إننا في هذه الروايات نتحسس التاريخ لا باعتباره (وصفاً موضوعياً لتعاقب الأحداث) بل باعتباره (إعادة تشكيل للماضي في ذهن المؤرخ). والكاتب الروائي الذي يلمّح لذلك الماضي فيقرأ على صفحته قراءة نقدية أحداث الحاضر.

إن تجربة الحداثة التراثية في نماذجها الناجحة حظيت بتلق إيجابي من النقد الأدبي في المغرب والمشرق العربي، لأنها تستثمر التاريخ دون الخوض في تفاصيله كما كان يفعل جرجي زيدان وتتيح للغات متعددة عربية فصحى مركزية ودارجة وصوفية ومهنية وعالمة التسلل إلى النص دون أن تحوله إلى خطاب ايديولوجي مباشر، كما هو الشأن عند جمال الغيطاني، وتخلق عوالم ممكنة في إطار إعادة الاعتبار لسلطة (الحكاية) وسلطة (اللغة) وخصوصيتهما، وبذلك تحقق للمتلقي متعة ومعرفة في آن واحد.

ولا شك أن الروايات التي تنتمي لهذا الاتجاه تجد صدى إيجابياً لدى عموم القراء أيضاً لاستجابتها للذائقة الجمالية العربية والشعبية عبر التاريخ، مؤكدة مبدأ الصيرورة الإبداعية، ولطرحها، في الدرجة الثانية، أسئلة العصر بأساليب بعيدة عن الأسلوب المباشر ذي الطابع الدوغمائي، وبطرائق فنية ناضجة.

لا يمكننا أن نختم هذه العجالة حول الرواية المغربية دون الإشارة إلى ظاهرتين أدبيتين لم يكتب لهما الاستمرار :

1) ظاهرة الرواية القومية التي تمثلها روايتان (النار والاختيار) سنة 1969 لخناثة بنونة و(رفقة السلاح والقمر) سنة 1975 لمبارك ربيع، إذ تتمثل نقطة الارتكاز فيهما في اختلال الوعي القومي العربي، ومجال العقدة الحدثية في الصراعات التي خاضتها الأمة العربية والإسلامية من أجل تحقيق أهدافها العليا.

2) ظاهرة الرواية البوليسية التي نجد بعض عناصرها في إنتاج أحمد عبد السلام البقالي، وفي (الحوت الأعمى) سنة 1997 لميلودي حمدوشي وعبد الإله الحمدوشي.

إن الرواية المغربية نشأت في أحضان التاريخ والسيرة والسيرة الذاتية ولم تتحرر من الواقع، رغم تنويعاتها التخييلية، لأنها كانت تستمد دائما أهم عناصرها من الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية في المغرب المعاصر.


*التحولات على مستوى التقاليد الاجتماعية والأساليب الكتابية* ؛ محمد غربيط، *فواصل الجمان في وزراء وكتاب الزمان* ؛ م. الموقت المراكشي، *الرحلة المراكشية ومرآة المساوي الوقتية*، 1939 ؛ *وسيلة الرحلات المنشورة وصحيفة السعادة* ما بين 1916 و1932 ؛ أدونيس، *الشعرية العربية*، دار الآداب، بيروت، 1987، ص. 19 ؛ أحمد اليبوري، *الرواية العربية : التكون والاشتغال*، شركة المدارس، سنة 2000، الدار البيضاء ؛ محمد إدارغة، *الرواية المغربية : الحصيلة البيبلوغرافية*، 1999 ؛ *دينامية النص الروائي*، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993.

M. Bakhtine, *Esthétique et théorie du Moman*, Paris, 1978 ; D. Dubois, *La politique du texte, enjeux sociocritiques*, 1992


أحمد اليبوري

* * إلى جانب الرواية العربية برزت في المغرب ظاهرة الكتابة (الإبداعية) بلغات أجنبية أبرزها اللغة الفرنسية (الرباط - سلا - الدار البيضاء - فاس الخ) والإسبانية (تطوان وطنجة وشمال المملكة بعامة وكذا أقاليمها الجنوبية). أما اللغة الانجليزية، التي تحتل الصف الثالث في هذا السياق، فقد تم تبنيها لغة إبداعية انطلاقا من قناعات واعتبارات شخصية لا تخضع بالضرورة للتفسيرات الواردة فيما يرتبط باللغة الفرنسية والإسبانية.

قصدنا بذلك استعمار فرنسا وإسبانيا للمغرب وانعكاساته التربوية والبيداغوجية على النسيج الثقافي والفكري المغربي.

وبخصوص الرواية المغربية بالإسبانية والانجليزية نلاحظ أنه لم يتكون بعد رصيد أو تراكم جدير بالذكر يكون، على الأقل، في مستوى ما صدر بهاتين اللغتين من شعر وقصة، فالمحاولات الروائية قائمة بكل تأكيد (ونذكر على سبيل المثال محاولات عبد اللطيف أقبيب وليلى أبو زيد والجيلالي الكدية وغيرهم بالإنجليزية، ويوسف الركّاب وغيره بالإسبانية)، غير أن استشراف المستقبل ليس محبذا في هذا المضمار. وهكذا تظل الحقيقة التي نلمسها راهناً تقول إن حصة الرواية المغربية المكتوبة بالانجليزية والإسبانية ضئيلة جدا.

الواقع أن الفرنسية هي، بعد العربية، اللغة الغالبة من حيث النصوص الروائية (والإبداعية تعميما) التي تصدر عن أقلام مغربية. بل إن الرواية المغربية المكتوبة بالفرنسية قد كسبت صيتا خارج حدودنا لم تعرفه أختها المكتوبة بالعربية. كيف ذلك ؟ السبب ليس جماليا ولا موضوعيا، بل يكمن في أن الموضوعات المطروقة وكذا الموقف الغرائبي والعجائبي الذي يبني عليه جل الروائيين المغاربة نصوصهم يخضع لتصميم ينزل رأسا عند أفق انتظار القراء الفرنسيين والفرنكوفونيين والغربيين بشكل عام. إدريس الشرايبي والطاهر بن جلون وعبد الكبير الخطيبي ومحمد خير الدين وعبد الحق سرحان و (في السنوات القليلة الأخيرة) فؤاد العروي وغيرهم يعتبرون من أبرز الأسماء الروائية التي تكتب بالفرنسية. وبينما تستقي جل رواياتهم، إن لم نقل كلها، موضوعاتها من مجتمع المغرب وفضاءاته وثقافاته وحضارته، ينزع هؤلاء (بوعي منهم) عند بناء الرواية وتحبيكها في الغالب، وليس دوما، إلى تبني طروح واستراتيجيات "استشراقية" تحت شعار التمرد على الموروث "المتعفن" وبذريعة استبداله بقيم إنسانية وحضارية نافعة. وينضم إلى مؤلفي الرواية المغربية بالفرنسية اسم إدمون عمران المليح الذي دخل حقل الإبداع الروائي في سن متأخرة. ولما كان الطاهر بن جلون، نظرا لعدة اعتبارات، أبرز روائي مغربي (وعربي مناصفة مع اللبناني أمين معلوف) يكتب باللغة الفرنسية، آثرنا أن نخصص له هذه الوقفة القصيرة التي نروم عبرها إنصاف الثقافة والحضارة المغربيتين اللتين عادة ما ينهل منهما ابن جلون بقلم يقصد إلى تحقيق الشهرة لصاحبه مهما يكن الثمن.

بدأ الطاهر بن جلون (المولود بفاس سنة 1944) كتابة الرواية بروح الكاتب الملتزم بقضايا الأمة العربية (وعلى رأسها القضية الفلسطينية) وهموم المضطهدين فكريا أو سياسيا، ولكنه انتقل إلى توجه يرضي أفق الانتظار لدى القارئ الفرنسي، والغربي تعميما. وقد بلغت هذه الظاهرة ذروتها عند الطاهر بن جلون منذ أن حاز جائزة "غونكور" الفرنسية الشهيرة سنة 1978، حيث نلاحظ لديه نزوعا واضحا إلى اتخاذ كل ما هو موضوع الساعة على صعيدي الرأي العام والإعلام الغربيين (العنصرية، الحجاب، الرشوة، حقوق الإنسان، الخ الخ) موضوعا لرواياته بأسلوب (يتبنى التغريب والتعجيب بامتياز) عادة ما يستلهم فضاء مغربيا (أو عربيا أو إسلاميا) وشخوصا "شرقيين" يكرسون النظرة الغربية المعهودة. وفي مقابل المتبنين لهذه القراءة يوجد فريق الفرنكوفونيين الذين يعتبرون روايات الطاهر بن جلون إحدى قمم التعبير عن المعيش انطلاقا من الخيال، مع توظيف بارع للتراث وحوارية الحضارات. بل إنهم وجدوا في نصوصه (ونصوص أمثاله) التمثيل الجمالي المناسب للنموذج "الشرقي" الذي رسخته في لاوعيهم عقلية استعمارية قديمة فدأبوا على قراءتها والدعاية لها وترويجها بشتى الوسائل.

تطرح الكتابة الإبداعية (والفكرية أيضاً) بلغة غير اللغة الوطنية (أي العربية) إشكالات وتساؤلات متعددة، ولكن السؤال الأجدر في رأينا طرحه قبل غيره حول الرواية المغربية المكتوبة بالفرنسية (أو بلغة أخرى غير العربية) سيظل لا يتمثل في جدوى الكتابة بهذه اللغة الأجنبية أو تلك من أبعاد (واردة أو محتملة) إيديولوجية أو حضارية بالنسبة إلى المواطن المغربي، بل في ماهية النص الذي يتشكل من استعمال معين لتلك اللغة. وإذ لا نترقب عزوف روائيينا الفرنكفونيين عن كتاباتهم، لا نخجل من الدعوة إلى توكيد دور اللغة العربية (بصفتها رمزا حضاريا ودينيا) في التعبير عن الهوية المغربية وحمايتها من الاختراق، ثم دعوة نقادنا وقرائنا الباحثين إلى التعامل مع تلك النصوص بعين فاحصة لا تعاني من مركب النقص الذي طالما ألزم الكثيرين منهم الصمت أو التغاضي.

وفيما يلي بعض العناوين الإبداعية والنقدية الكثيرة ذات الصلة بالموضوع أعلاه.

A. Khatibi, *Un été à Stockholm*, Paris, 1990 ; *Tryptique de Rabat*, Paris ; D. Chraibi, *Le passé simple*, Paris, 1954 ; *Civilisation ma mère*, Paris, 1972 ; T. Ben Jelloun, *L'enfant de sable*, Paris, 1981 ; *La nuit sacrée*, Paris, 1987 ; L. Mouzouni, *Le roman marocain de langue française*, Paris, 1987 ; M. Boughali, *Espaces d'écriture au Maroc*, Casablanca, 1987 ; A. Memmes, *Signification et interculturalité*, Rabat, 1992 ; J. Déjeux, *Littérature maghrébine de langue française*, Quebec, 1978 ; M. Gontard, *Violence du texte*, Paris & Rabat, 1979 ; A. Tenkoul, *Littérature marocaine d'écriture française*, Casablanca, 1985.

إسماعيل العثماني

**الروايس**، شعراء مغنون متجولون باللسان الشلحي. يطلق على الواحد منهم اسم "الرايس"، ويقابل ما يعرف في مجموعات "أحواش" باسم "أمارير" أو "أنظام"، ويسمون أيضا "الرياس".

تشكل منطقة سوس الرابضة في المنخفضات التي تتوسط الأطلسين الصغير والكبير الفضاء الأمثل لنشوء مجموعات الروايس.

يترأس الرايس فرقة من الموسيقيين قوامها عازفون على آلات الرباب ولوتار والناقوس والنويقسات، والبندير أحيانا، إضافة إلى راقصات يُرجِّعن لوازم الأغاني على طبقة صوتية حادة. ويحرص الروايس على الظهور أمام الناس بمظهر خاص يعتبرونه طقسا مميزا لهم عن غيرهم من رواد الأغنية الأمازيغية. وفي هذا الموضوع كان الرايس الحاج محمد الدمسيري - وهو أحد أبرز الروايس المعاصرين - يرى أنه لا بد من العمامة والبلغة والحزام والرباب، كما كان الرايس الحاج بلعيد شديد التمسك بارتداء الجلباب الأبيض وتقلّد الخنجر ودليل الخيرات والكُمية وأقراب والمجادل.

وقد عرفت في المغرب مجموعات متعددة للروايس، اشتهرت بأسماء رؤسائها الذين يجمعون - في غالب الحالات - بين القدرة على النظم والتلحين والعزف والغناء ؛ ومن ثم فإن الرايس يحصر نشاطه في إنشاد ما يبدعه بنفسه، ولا يكاد ينشد ما أبدعه غيره من الروايس إلا في فترات التلمذة على أحدهم.

تقوم أغاني الروايس على ألحان موسيقية يرتجلونها، وتخضع في مجملها لطبيعة الموسيقى السائدة في منطقة سوس والقائمة على جنس المقام الخماسي Pentatonique وتتشكل الأغنية من مقاطع شعرية يضطلع بإنشادها الرايس أو أحد أفراد المجموعة، وتتوسط هذه المقاطع لازمة يقوم بترجيعها باقي أعضاء الفرقة.

أما مضامين أغاني الروايس فتشكل سجلا حافلا بوصف الأحداث التي عاشتها منطقة سوس في فترات ترسيخ الوجود الاستعماري بها، كما تعكس صورا مشرقة من بطولات المجاهدين مشيدة برجال المقاومة الوطنية، ومنددة بالخونة والمتخاذلين. وهي إلى ذلك تطرق مواضيع الوعظ والإرشاد الديني، وتنتقد ما ساء من عادات الناس، أو تصف رحلات الروايس وجولاتهم في الأقطار التي زاروها.

وتذكر المصادرُ الغنية بأغاني الروايس أن أعضاء المجموعة الواحدة كانوا يتجاوزون الخمسة غالبا، وهم يقومون بأدوار العزف والغناء والرقص، غير أن بعض المجموعات ربما ارتفع عدد أفرادها إلى ما يفوق العشرة. وقد كان الحاج بلعيد أبرز الروايس الذين لمع نجمهم بالمغرب في الثلاثينيات، (انظر *بلعيد في المعلمة*).

وقد تتلمذ عليه عدة أشياخ أصبحوا بدورهم من ألمع الروايس، ومن هؤلاء الرايس مبارك التازروالتي عازف الرباب، والرايس العربي الويجاني الجراري، والرايس محمد بن العربي الباعمراني، وكلاهما يعزف على لوتار، وهو گنبري ذو ثلاثة أوتار، والرايس مولاي علي الصويري الناقر على الطاسة.

وإلى جانب الحاج بلعيد عرفت الساحة الفنية بالمغرب جملة من الروايس الرواد، كان فيهم الرايس الحسن گودو، والرايس حمو الطالب، والرايس محماد بن لحسن ساسبو الذي استفاد منه شوتان في تأليف كتابه *موسيقى ورقصات بربر بلاد الشلوح*، والرايس محمد لبصير الذي اشتهر بلقب "آبوگاض"، والرايس محماد بن يحيى بن حمو المشهور بلقب "أوتزناخت"، والرايس مولاي علي بن المدني أحد تلامذة محماد ساسبو، والرايس الحسين أوبومالك الشهير بلقب "جانتي".

ومن الروايس المتأخرين الذين ملأوا الساحة الفنية بعد هؤلاء الرايس الحاج محمد بن لحسن الدمسيري (1937 - 1989)، والرايس الحاج عمرو واهروش (1933)، والرايس احماد أمنتاگ (1931 )، والرايس لحسن بومارگ (1927)، والرايسة فاطمة تيحيحيت، والرايسة رقية الدمسيرية، وغير هؤلاء كثير.

وعلى غرار ظاهرة فرق الأجيال التي انتشرت في السبعينيات، عرف مجال أغنية الروايس نشوء فرق جديدة تحمل - هي أيضا - شعارات التجديد والبحث. ومن بين هذه الفرق برزت مجموعة عبد الله إيزنزارن التي لقيت أعمالها

الاستحسان. أما ما عداها من الفرق ففي رأي المرحوم الرايس محمد الدمسيري "أن أعمالها مجرد إسفاف وابتذال".

ع. أمرير، *الشعر المغربي الأمازيغي*، ص. 11. 28. 29. 59. 3. 74. 75 . 129 . 151 ؛ *الاتحاد الاشتراكي، حوار أجراه محمد اخميس مع الدمسيري*، 14 غشت 1988 ؛ إيزنزارن عبدالله، مج. *التراث الشعبي*، العدد 2، السنة12، 1981، ص. 117 . 118.

Prosper Ricard, Préface du livre d'Alexis Chottin : *Corpus de Musique Marocaine*. Fas. II. *Musique et danses berbères du pays chleuh*, 1932, p. 14.

عبد العزيز بن عبد الجليل

أبو **الرواين، أحمد** بن حسين العبدلي السهلي. كبير أصحاب الشيخ مَحمد بن عيسى (تـ. 933 / 1526)، وأحد مشاهير الملامتية خلال النصف الأول من القرن العاشر (16 م) وأشهر المشايخ الجزوليين المنتسبين إلى هذه الطائفة. وإذا كان سنده العيساوي يصنفه في الطبقة الجزولية الثالثة، فان لقاءه وأخذه عن صدر الطبقة الجزولية الأولى الشيخ محمد الصغير العمري السهلي (تـ. 918 / 1512) متواتر في كتب طبقات الطائفة الجزولية، ويرفعه إلى الطبقة الثانية، ويجعله على قدم المساواة مع شيخه ابن عيسى. كما أن لقب السهلي الذي جاءه من قبيلة أولاد عبد الله السهليين القاطنين بحوز سلا، والذي يشترك فيه مع كبير صحب الإمام الجزولي الذي ينتسب للسهول من جهة أخواله، قد يتصل بقرابة طينية يمتاز بها أبو الرواين عن أتباع شيخه السهلي، والذين تذكر منهم مصنفات التراجم شيخه ابن عيسى وعبد الحق الزليجي وعبد الوارث اليالصوتي (تـ. 971 / 1563).

ولا يقلل من شأن لقاء وأخذ أبي الرواين عن السهلي ما تؤكد عليه المصادر من أنه استأذن فيه شيخه ابن عيسى فأذن له، وأن السهلي لما أحس منه الميل إليه صرفه إلى شيخه الأول. كما لا يشترك أبو الرواين مع شيخه ابن عيسى في الأخذ عن الشيخ السهلي فحسب، بل ويخالطه في تراجمه، ويتفرد بالذكر فيها دون بقية أتباعه، وتدور حوله كراماته، وتتحقق فيه. وتفيد بعض الأخبار المتصلة بالعلاقة التي نظمت بينهما تحمل شيخ الطائفة العيساوية لأمور كانت تصدر عن أبي الرواين، وتشذ عن آداب المريد مع الشيخ. إذ كان يأتيه بالليل فينقر عليه، ويسأله هل نحن باقون على العهد ؟ فيجيبه : باقون يا ولدي إن شاء الله ! وأنه ضرب يوما ولده، فقال له : والله يا ولدي لأنت أعز منه !

ولا تذكر المصادر اتصال أبي الرواين بالأفحَّامية التي تعد الطريقة الثانية والكبرى في الزروقية إلي جانب الراشدية، والتي أحيت طريق أهل الملامة بالمغرب مع مطلع المائة العاشرة للهجرة. وذلك على يد إبراهيم بن علي الزرهوني المعروف بأفحَّام أو أفهَّام (تـ. 926 / 1520) كبير صحب الشيخ أحمد زروق (تـ. 899 / 1493) من أهل المغرب الأقصى، وأيضاً تلميذه الأوحد أحمد بن علي الصنهاجي الملقب بالدوار (تـ. 941 أو947 / 1531 أو 1540). ولما كانت ملاميته الشيخ أفحّام أقرب إلى جوهر الطريق الملامتي كما عرف به مشايخه الأوائل بخراسان خلال القرن الثالث (9م)، فلا يستبعد أنه لم يقصد إلى تأسيس طائفة لها مشايخ ومريدون. وإنما ظهر بصفات وآداب الملامة التي ميزت طريقه عن بقية الطرق، وسمح لكل فرد شاء التأسي به أو نهج سبيله أن يفعل دون شرط انتساب أو انتماء. ولعل هذا ما يفسر التناقض الملحوظ بين الانتشار الواسع الذي حظيت به طريقه، وتفرد عَلَمٍ واحد فقط بالجمع بين النسبة إلى مذهبه والتتلمذ عليه، وهو الدوار. وتؤيد هذا القول حال شهير آخر من مشايخ الملامتية المكناسيين المعاصرين لأبي الرواين، وهو الشيخ أبو الفضل فرج الأندلسي المكناسي (تـ. حوالي939 / 1532)، الذي لا تعرف له نسبة إلي الشاذلية بفرعيها الجزولي والزروقي، ولا إلى أية طريقة أخرى، عدا مسلك أهل الملامة. وهذا ينفي التلازم بين الانتساب إلى أهل الملامة والانتماء إلى الزروقية ـ الأفحامية، ويهون من شأن افتراض أو عقد صلة لأبي الرواين بالدوار الذي آلت إليه مشيختها بعد وفاة شيخه أفحَّام.

والصلة الوحيدة التي جمعت بين أبي الرواين والدوار هي دالة المشيخة على تلميذهما عبد الرحمان بن عياد الشهير بالمجذوب (تـ.976 / 8 ـ1569)، ويفضل فيها الدوار بصدارة كافة مشايخ المجذوب، وكونه أول من اعتمد عليه وانتسب إليه في الطريق، ويراجع في هذه القضية الفصل الذي عقده عبد الرحمن الفاسي (تـ. 1096 / 1685) لمشايخ المجذوب من كتابه *ابتهاج القلوب*. كما يمتاز فيها أبو الرواين بالسبق إلى الأزجال التي سينسج المجذوب على منوالها ويشتهر بها، والمعروفة *بالرباعيات*. ومن كلام أبي الرواين الذي اشتهر عند الناس :

بالهوى عملوا التلميذ   عناية لاسر جديد
ما يروا إلا التمجيد   ويلهم عزوا بهم

ولا يعتد بما ذهب إليه أحمد بن علي المنالي الزبادي (تـ.1209 / 1794) من أخذ الدوار عن أبي الرواين، وسلوكه في الجزولية. والذي ينبغي وضع اليد عليه من هذا القول هو الاهتبال بعقد صلة لأبي الرواين بالزروقية ـ الأفحَّامية، وذلك من قبل العيساويين من أهل القرن الثاني عشر (18 م). أما الكيفية التي نسجت بها هذه الصلة، ووضعها لأبي الرواين في مقام الشيخ للدّوار، فيجب تركها لفراغها من كل حقيقة تاريخية. ولأنها تعبر بالأساس عن صورة الطائفة العيساوية بفاس أواخر القرن الثاني عشر (18 م)، كما رسمها المنالي في كتابه *سلوك الطريق الوارية*، حيث أحلها صدارة الطوائف الصوفية الكبرى المنتشرة بالحاضرة الإدريسية. ولا يجب أن يعزب عن بالنا

أن لبيت المناليين يدا في هذا الظهور، وأن أخاه عبد المجيد المنالي الزبادي (ت. 1163 / 1749) كان مقدما على الزاوية العيساوية الكائنة بدرب حسان من حومة البليدة بفاس. وأن أحمد المنالي نفسه يدين بالتلمذة لأحد أحفاد الشيخ ابن عيسى، واسمه أبو الرواين ويدعى روان (ت. 1169 / 1755).

إنها لمصادفة عجيبة أن نجد لصاحب الترجمة سميا من عقب شيخ الطائفة العيساوية، وذلك بعد مرور قرنين على وفاته. وإنها لدلالة عميقة على حرص خلف الشيخ محمد بن عيسى على النسبة الدينية لخليفته أبي الرواين مثل حرصهم على النسبة الطينية لجدهم مؤسس الطائفة. وهذا يعكس الأثر البالغ الذي كان لمشيخه أبي الرواين للطائفة العيساوية، والتي أعقبت مشيخة مؤسسها مباشرة، ونيفت على الثلاثة عقود. وتهيأ لصاحبها من التأثير في النفوس مالم يتهيأ لغيره من المشايخ، وكان له من الأتباع من ينتمي إلى أقاصي البلاد مثل محمد بن صالح المعروف بعريان الراس دفين تسابت بتوات، ومن عمَّر إلى أن أدرك العقد الثالث من القرن الحادي عشر (17 م) مثل محمد بن يحيى البوخصيبي المعروف بقدار (ت. 1024 / 1615)، وهو من أشهر فقراء الغرب في وقته. ونكتفي في هذه العجالة بطرح السؤال عن مقدار اتصال التطور الذي انتهى بالطائفة العيساوية إلى الصورة التي استقرت عليها بمشيخة أبي الرواين ؟ وهل عرقلت هذه المشيخة نمو طريقة الشيخ ابن عيسى في المهد، وصيرتها إلى طائفة عيساوية قالبا وروائنيّة قلبا ؟

ولا أثر للسلوك الجزولي بوجه خاص والآداب الشاذلية بوجه عام فيما اشتهر به أبو الرواين في حياة شيخه ابن عيسى ومن بعده، إلا ما عرف عنه من اتخاذ الأهل والولد، ولبس رفيع الثياب. وفيما عدا ذلك فقد كان ملامتيا ذا أحوال تعتريه على الدوام، ولم يكن في ملامته يأخذ نفسه بالبخع والتأنيب، بقدرما كان يتعمد الظهور في الناس بالأمور الموحشة التي تجلب لومهم وتؤدي إلى تنافرهم عنه. فكان يتكلم بكلام فاحش، ومن ذلك أنه دخل على شيخه ابن عيسى ومعه حضور، فقال له : يا سيدي اني جعلت زمام نفسي بيدك، وقد شغفت بحب النساء، فان لم تكن لك عناية ربانية فصاحبك يعصي الله في هذه الليلة.. والله حتى أفعل ! وكان إذا لقي أحدا من الأمراء وأرباب الأموال وغيرهم من الأعيان يقول له اشتر مني ولايتك بكذا، أو تجارتك بكذا، أو نفسك بكذا ! وكان يصبح غنيا ويمسي فقيراً لا يلوي على شيء، يدفع كل موجود له للضعفاء والمساكين.

وقد جُدب أهل مكناسة مرة، وأتوه يستسقون به، فقال لهم أمهلوني. فذهب إلى داره وتصدق بكل ما فيها وبجميع ما كان عليه وعلى أولاده، ولم يترك بداره لقمة خبز ولا حبة زرع، ولبس تليسا ! وكان يوما مارا عليه ثياب رفيعة، فقال له أحدهم : إن كنت تحب الله فتمرغ في هذه الطين - وكان في الطريق طين - فجعل يتمرغ !

ولا تقف خطورة الشيخ أبي الرواين عند درجته الرفيعة في الجزولية والعيساوية والملامتية، ولا عند أثره البارز في الحياة الروحية والاجتماعية بحاضرة مكناس أيام المتأخرين من بني وطاس. بل تعدت ذلك إلى اليد التي كانت له في الأحداث الكبرى التي عرفها المغرب خلال النصف الأول من القرن العاشر (16 م)، والتي انتهت بدخول الشرفاء الزيدانيين فاس عام956 / 1549، وينبغي التمييز في ذلك بين مرحلتين يفصل بينهما عام933 / 1526 الذي آلت فيه مشيخه الطائفة العيساوية إلى أبي الرواين، وانتقل من أكبر تابع للشيخ ابن عيسى إلى متبوع من قبل أكبر طائفة صوفية في القسم الخاضع من البلاد للسلطة الوطاسية.

تسجل المرحلة الأولى اهتمام أبي الرواين بالجهاد، وبالحرب الدائرة بين المسيحيين والمسلمين، ليس في المغرب الأقصى فحسب، بل وفي المغرب الأوسط أيضاً. وحين سقطت وهران في يد الإسبانيين عام915 / 1509، لبس تليسا، وطفق يطوف بمكناسة قائلاً : أخذت وهران ياصبيان، أبشروا بالذل ! وتذكر المصادر تتبعه لأخبار الحركات الجهادية، وما يحققه المجاهدون من غلبة وما تقع عليهم من هزيمة. وهو لا يختلف في هذا عن معاصريه من المشايخ الذين انخرطوا في الجهاد ضد الإيبريين وقد أحدقوا بالمغرب، وتمكنوا خلال العقدين الأولين من القرن العاشر (16 م) من احتلال ثغوره الواقعة على البحر المحيط إلى مصب نهر ماسة من بلاد السوس الأقصى باستثناء ثغر سلا. وأخضعوا قبائل عبدة ودكالة، وشارفوا في تغلغلهم داخل البلاد أبواب مراكش حاضرة الامارة الهنتاتية. وقد كان الشيخ الملامتي فرج الأندلسي المكناسي يحضر غزوات المجاهدين، واستشهد في إحداها.

ويبرز الشيخ أبو الرواين في المرحلة الثانية كأحد دعامات المخزن الوطاسي، وكعنصر فاعل في الصراع الدائر بينه وبين القوات السياسية الداخلية المتنازعة على الرئاسة. فشارك في حادث إجلاء أمراء بني الحميد عن قيادة القصر الكبير وإخضاعه لنفوذ الوطاسيين، وحضر الوفد الذي عمل على إبرام صلح بوعقبة بينهم وبين السعديين عام943 / 1536. ولم يترتب عن دخول السعديين مكناس عام 955 / 1548 خفوت الدور السياسي للشيخ أبي الرواين، بل العكس هو الذي حدث. وتجمع المصادر على أن سقوط فاس في يد محمد الشيخ المهدي (ت.964 / 1556) ما كان ليتم لولا وقوف أبي الرواين في صفه، والثابت أنه أفلح في تبديد مخاوف بعض كبار مشايخ الوقت، وقد بلغتهم أخبار الأضرار والإحراق اللذين حسم بهما ماهد دولة الشرفاء الزيدانيين مادة بعض الزوايا التي فسدت علاقته بها، وهذا قبل تقدمه نحو فاس. كما يتصل ذكر أبي الرواين بحادث مصرع الخطيب الحسن بن أحمد حرزوز (ت.961 / 1553)،

الذي حال بين أهل مكناس ومبايعة السلطان المذكور.

توفى أبو الرواين عام 963 / 1555 ، ودفن قريباً من شيخه ابن عيسى، واشتهر ضريحه بمكناس.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ضمن موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 2 : 848. 859. 887. 888. 892 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية، 190 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، تح. ح. الدازي، 124 . 130 . 159 . 160 . 162 . 167 . 408 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، تح. ع. العمراوي و ع. مراد، 58 . 109 . 110 . 152 ؛ *تحفة أهل الصديقية*، مخ خ ع. 76 ج. 45 ؛ م. ابن عيشون، *الروض العطر*، تح. ز. النظام، 108 . 109 . 125 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشاذلي، 57. 69. 71. 76. 84 ؛ أ. المنالي، *سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية*، تح. ن. بنونة، د. د. ع، كلية الآداب بمراكش، 5. 1996، 382 . 393 ؛ ع. بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 4: 13. 14. 20. 24. 27 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4: 111 ؛ ع. نجمي، *من تاريخ التصوف المغربي خلال القرن العاشر الهجري*، الملامتية، *مجلة تاريخ المغرب*، العدد الأول، 1981، 15. 57.

A. Cour, *La dynastie marocaine des Beni Wattâs*, Constantine, 1920 ; R. Brunel, *Essai sur la confrérie religieuse des Aissâoûa*, Paris, 1926.

عبد الله نجمي

**الرُّوبْيُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Arrubya - Rurio - Rubio؛ وما زالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Rubio ومعناه الاشقر ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677. ويكتب أيضاً الرُّبّيُ - بدون مدّ -.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية* في الرقم 741.

محمد ابن عزوز حكيم

**الروبيو**، سمك ، وأغونجا وكروندان المعرب كما هو شائع في أسواق الأسماك المغربية، والدجاج في تونس وكالينا في موريتانيا والجرانيتية في الإسكندرية، سمك بحري من العظميات شائكات الزعانف وفصيلة الطريغلية Triglidae. منه تسعة أنواع شائعة في السواحل المغربية، أهمها على الجانب الاقتصادي :

Aspitrigla cuculus
Aspitrigla obscura
Eutrigla gurnardus
Lepidotrigla cavillone
Lepidotrigla dieuzeidei
Trigla lucerna
Trigla lyra
Trigloporus lastoviza

الروبيو الأحمر Aspitrigla cuculus يسمى بالفرنسية Grondin rouge وبالإنجليزية Longfin gurnard وبالإسبانية Cabracho.

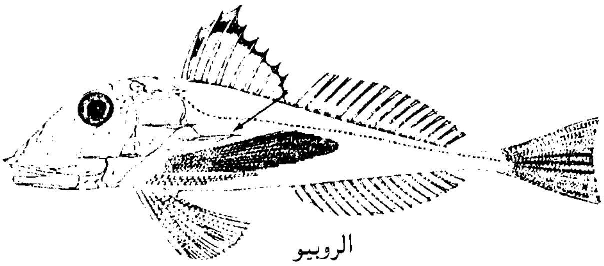

الروبيو

الروبيو المخطط Trigloporus lastoviza ويسمى بالفرنسية Grondin camard وبالإنجليزية Streaked gurnard وبالإسبانية Rubio.

الروبيو الربابي Trigla lyra يسمي بالفرنسية Grondin-lure وبالإنجليزية Piper gurnard وبالإسبانية Garneo. ظهره ضارب إلى الحمرة وبطنه أبيض. لا يتعدى طوله 60 سم وشائع بين 10 ـ 40 سم. يعيش في الأعماق الرملية والوحلية والصخرية وعلى الأعشاب بالهضبة القارية في أعماق تتراوح بين 50 . 700م.

الروبيو الصغير Scorpaena notada يسمى بالفرنسية Petite Rascasse وبالإنجليزية Small red scorpionfich وبالإسبانية Escorpora.

الروبيو الأسود Dcorpaena porcus يسمى بالفرنسية Rascasse brune وبالإنجليزية Black scorpionfich وبالإسبانية Rascacio.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*. FAO, 1998.

محمد رمضاني

**الروجي**، سمك كما هو شائع في الدارج المغربي وبشمال إفريقيا الغربية، سمك عظمي من شائكات الزعانف وفصيلة موليدي Mullidae والاسم معرب من الفرنسية Rouget ويسمى في اللغة سلطان إبراهيم وفي طنجة سلطان الحوت.

ثلاثة أنواع شائعة في المياه البحرية المغربية تتميز بلون وردي وبزائدتين لحميتين طويلتين ورقيقتي على مؤخرة الفك السفلي :

1 - روجي الصخور Mullus surmuletus يسمى بالفرنسية Rouget barbet de roche وبالإنجليزية Streped

red mullet وبالإسبانية Salmonete de roca. يألف القيعان الصخرية والغنية بالحصى وأحيانا على المناطق الرملية تتراوح الأعمال التي يعيش فيها بين 10 ـ 400 م على الأقل. يبلغ طوله الزقصى 40 سم وشائع بين 10 ـ 25 سم. يقتات من القشريات الصغيرة والرخويات والديدان. يصاد بالشباك المستقيمة وبالجيبيات وبالشباك الدائرية الحلقية وبالصنانير. يكثر الإقبال عليه في الأسواق السمكية ويسمى بولحية في الجديدية والقاضي في مولاي بوسلهام والروجي وسلمونيت في طنجة والعرائش وسلطان الحوت في طنجة والروجي في الرباط وسلا والدار البيضاء والمحمدية.

2 ـ روجي القيعان الوحلية أو الروجي الأحمر Mullus barbatus يسمى بالفرنسية Rouget-barbet de vase وبالإنجليزية Red mullet وبالإسبانية Salmonete de fongo. يعيش في الهضبة القارية بين 5 ـ 500 م وهو سمك قاعي يفضل المناطق الوحلية وأحياما الرملية. يبلغ طوله الأقصى 30 سم وشائع بين 10 ـ 20 سم. سمك لاحم يصاد بالجيبيات وبالصنانير المنقية. يسمى الروجي في كل الأسواق المغربية.

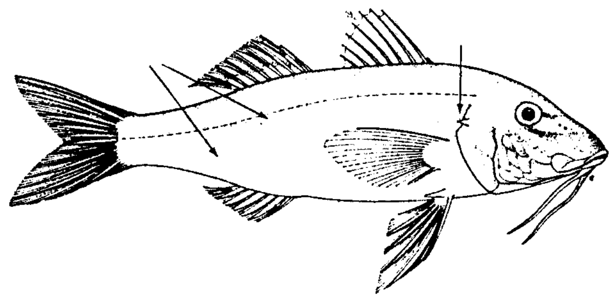

3 ـ الروجي السنغالي Pseudupeneus prayensis يسمى بالفرنسية Rouget-barbet du Sénégal وبالإنجليزية West-african goat fish وبالإسبانية Salmonete bardudo. وهو أكبر أنواع الروجي طولا (55 سم كطول أقصي). سمك قاعي لاحم يألف المناطق الساحلية ويدخل أحيانا البحيرات الساحلية ومصبات الأنهار. يعيش في أعماق لا تتعدى 300 م ويصاد بالجيبيات وبالصنانير العمقية وبالشباك المستقيمة العميقة. يتميز عن باقي الأنواع بشوكة على الجانب الخلفي لغشاء الحياشيم وبثمانية أشواك على الزعنفة الظهرية الأمامية. على جانبيه 3 ـ 4 خطوط طولية حمراء. يسمى الروجي في كل الأسواق المغربية.


Hureau J.C et Monod Th., *Check list of the North Eastern Atlantic and of the Mediterranean (Glofnam)*, Paris, vol. 1 et 2, 683 p. et 331 p., 1973 ; Bianchi G., *Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche, Guide des ressources halieutiques de l'Atlantique marocain*, Rome, 151 p., 1984 ; Lloris D. et Rucabado J., *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, Rome, 1998.


محمد خربوعة

**رَوْح بن حاتم**، بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، أحد أفراد الأسرة المهلبية التي عهد إليها الخلفاء العباسيون بإخماد نار الثورة الخارجية في المغرب، بعد نجاحها في حرب الخوارج في المشرق، خاصة منهم الأزارقة.

عمل روح بن حاتم حاجبا للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور في أول أيامه، ثم عين واليا على البصرة والكوفة والسند وطبرستان وفلسطين وغيرها من الولايات العباسية.

ويرتبط حلول روح بن حاتم بالقيروان وبداية ولايته في رجب عام 171/ دجنبر 787 ـ يناير 788، معيّنا من قبل الخليفة هارون الرشيد، بعودة الهدوء إلى إفريقية، في حين كان عليه أن يواجه إعلان قيام دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، لذلك لم يتردد في مهادنة عبد الرحمان بن رستم الإباضي صاحب تاهرت بالمغرب الأوسط.

ضبط روح بن حاتم شؤون إفريقية، بتغيير بعض العمال وإقرار آخرين، مما أفضى إلى استقرار البلاد وتأمين مسالكها وطرقها. وعرف عنه تعظيمه العلماء وتقربه منهم، مثل العلاء بن عقبة وعبد الله بن فروخ وعبد الله بن عمر بن غانم. وتحدثت المصادر عن مناقبه فأشادت بحزمه وصلابته ـ رغم كبر سنه ـ وكرمه وبلاغته.

كانت وفاته في رمضان 174/ فبراير 791، ودفن بالقيروان بمقبرة باب سلم.


الرقيق القيرواني، *تاريخ إفريقية والمغرب*، 1990 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، ج. 1، 1983؛ النويري أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، 1985 ؛ لسان الدين بن الخطيب، *أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام*، ق. 3، 1964 ؛ سعد زغلول عبد الحميد، *تاريخ المغرب العربي*، ج. 1، 1979 ؛ جورج مارسيه، *دائرة المعارف الإسلامية*، م. 10، د. ت.


عبد الإله بنمليح

## رودانـة ← تـارودانـت

**الروداني، إبراهيم**، مقاوم 1907 ـ 1956. عُرف عدّو ابن إبراهيم أو إبراهيم الروداني في أوساط المقاومة المغربية بـ "الوالد" للدور الذي قام به خلال الخمسينيات لصالح القضية الوطنية.

كان عضواً بالمنظمة السرية، وهي إحدى منظمات المقاومة المسلحة بالدار البضاء ومدّت نشاطها بعيداً عن الدار البيضاء، وانتسب قبل ذلك لحزب الاستقلال. وقد نجم إبراهيم الروداني في ربط علاقات أفادت كثيراً رجال

المقاومة، نذكر على الخصوص تدخلاته لدى مصالح الأمن الفرنسية لتسريح بعض المقاومين قبل إحالتهم على المحكمة، فنال تقدير الكثير من الوطنيين، ومن ذلك قبُول منظمة "الهلال الأسود" وساطته لفض الخلاف الذي كان قائماً بينها وبين المنظمة السرية التي حاولت استقطاب جميع تنظيمات المقاومة لفائدة حزب الاستقلال.

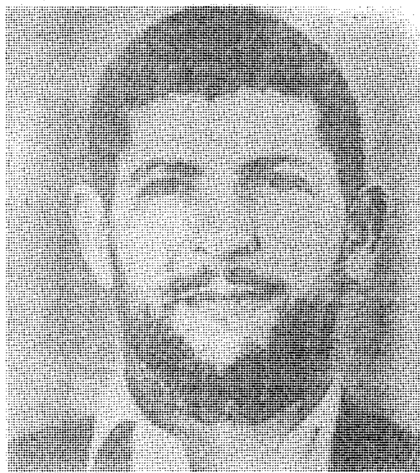

ولما كان إبراهيم الروداني يقوم بمساعي لإصلاح ذات البين بين الهلال والمنظمة السرية حصلت اغتيالات في صفوف منظمة الهلال التي اعتقدت أن إبراهيم الروداني متورط بشكل أو بآخر في هذه الاغتيالات نظراً لمعرفته الكبيرة بأسماء المقاومين الهلاليين من الشوريين والشيوعيين واللامنتين. فترصّد له ثلاثة من أفرادها واغتالوه ليلة الخميس 5 يوليوز 1956، حين كان يُغادر معملاً لصنع مادة ماء جافيل يقع في ملكه برقم 14 زنقة موناستير في المدينة الجديدة بالدار البيضاء.

*لوموند*، ع.3564، الأحد الأثنين 8 ـ 9 يوليوز1956، ص. 2 *والعلم*، ع.2224، 7 يوليوز1956، ص. 1.

Taïeb ben Bouazza, *La naissance du syndicalisme ouvrier au Maroc*. Casablanca.

محمد وحيد

**الروداني، سالم** بن سلامة السوسي أبو علي أو أبو محمد، ولد بتارودانت أواخر القرن الخامس الهجري، والمرجّح أنه درس بها أولا قبل أن يلتحق بفاس حيث قرأ الفقه على محمد بن عيسى التادلي، وصحيح الإمام البخاري عن أبي عبد الله بن الرمامة، وانتقل إلى الأندلس فأخذ عن أبي العباس بن أبي جمرة (*جذوة الاقتباس*، القسم الثاني، ص. 521) ثم نزل أغمات وهي آنئذ حاضرة علمية مشهورة فقرأ بها على عبد السلام بن ومحال الجراوي أحد كبار حفاظ مذهب الإمام مالك، وعلى ابن شبونة.

استقر ابن سلامة الروداني بسجلماسة ولازمها مدرساً ومفتياً ( *التشوف* للزيات، ص. 283) حتى توفي بها عام 589 / 1193 ( *الموسوعة المغربية*، 2 :6) وقد نيف على مائة سنة، كان أبو سالم رجلا صالحا فاضلا وصفه ابن الأبار فقال : "كان حافظا لمسائل الفقه قديراً على أدائها باللسان البربري زاهدا موصوفا بالبله وسلامة وإجابة الدعوة" ( *الإعلام للعباس المراكشي*،10 :33 ) ويبدو أن استيطان الروداني سجلماسة له علاقة بوجود طائفة من الخوارج الإباضية بها يسمون الوهبية، فيظهر أن الداعي لاستقراره هناك هو التفرغ للتدريس والإفتاء والدعوة لنشر المذهب المالكي موظفا قدرته الفائقة على بسط الفقه المالكي باللسان البربري، لمجابهة الآخذين بالرأي بهذه المدينة وكان ذلك فاشيا بها يعتنقه حتى رؤساؤها. (*التشوف* للزيات، ص. 98).

ابن الزيات، *التشوف إلى رجال التصوف*، تح. أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1984 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في سوس طنجة*، 1989 ؛ أحمد بن القاضي، *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس*، دار المنصور، الرباط، 1974 ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، المطبعة الملكية، الرباط، 1403 ـ 1985 ؛ ع. العزيز بن عبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، مطبوعات وزارة الأوقاف، 1975.

المهدي السعيدي

**الروداني، محمد** بن **سعيد** الأسفي، المعروف بـ"الطالب" لأنه كان يعطي دروسا في الكتّاب، يُعتبر من أشهر شعراء الملحون بأسفي وأعرقهم إلى درجة أنه أصبح يشكل مدرسة بكل مقوماتها تتلمذ له عدد من كبار شعراء الملحون على الصعيد الوطني أمثال الشاعر محمد بن علي الدمناتي ومحمد الرباطي. لم تسمح له ظروفه المادية بالعيش العادي الشيء الذي أجبره على التكسب بشعره عن طريق مدح كبار الشخصيات. ولما مرض أصبح تلميذه محمد بن علي الدمناتي يقوم بنفسه بالعمل وينسبه إلى أستاذه.

كان إنتاجه رائعا متعدد المواضيع، وأكثره في مدح الرسول ـ عليه السلام ـ والتوسل والغزل وغير ذلك. ومن روائع قصائد قصيدة يتغنى فيها ببنات أسفي جربتها :

يابنات أسفي نوضـوا اتْبايعـو لْبُوعيونْ شهلا لالة بوسالفْ خدوج

منير بصكري، *الشعر الملحون بأسفي*، د. د. ع، كلية الآداب الرباط،1587، ص. 348 ؛ *تحريات ميدانية بمدينة أسفي* ؛ علال ركوگ، *موسيقى أسفي قيد الطبع*.

علال ركوگ

**الروداني، محمد** بن **سليمان**. ولد بمدينة تارودانت في الجنوب المغربي، ونشأ بها وتعلم، وهي يومئذ حاضرة بلاد سوس العلمية، بما تتوفر عليه من علماء أجلة قائمين على حلقات التدريس في المساجد الكبرى الثلاثة لا سيما الجامع الأعظم ومدرسته السعدية الأنيقة. ثم تابع الروداني دراسته في الزاوية الناصرية بدرعة، والزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط، ومدينة مراكش عاصمة الملوك السعديين

قبل أن ينتقل إلى المشرق، فكان من شيوخه المغاربة أبو مهدي عيسى السكتاني. وفي طريقه إلى الشرق أخذ بالجزائر عن سعيد بن إبراهيم قَدّورة، ثم أخذ عن أعلام مصر والشام، كعلي الأجهوري، والشهاب الخفاجي، والشهاب القليوبي، ومحمد بن أحمد الشوبري، والشيخ سلطان، وخير الدين الرملي، ومحمد النقيب بن حمزة الحسني، ومحمد بن بدر الدين ابن بلبان، وأجازوه جميعا إجازات عامة وخاصة، فكانت إجازاتهم مادة فهرس *صلة الخلف*.

وبعد أن أدى الروداني فريضة الحج، جاور بالمدينة المنورة سنين طويلة إلى أن أزعج عنها بمكايد حساده وخصومه، فتوجه إلى مكة المكرمة. ورحل ابن سليمان الروداني عام 1071 /1671 إلى القسطنطينية عاصمة الخلافة العثمانية، فمكث بها في حظوة كبيرة سنة رجع بعدها إلى مكة المكرمة، وقد فُوّض إليه النظر في أمور الحرمين الشريفين، حتى صار شريف مكة لا يصدر ألاّ عن رأيه. ولمّا مات الوزير التركي الذي كان يسانده تمكّن خصوم الروداني من استصدار أمر الباب العالي بنفيه عن مكة إلى بيت المقدس، فأبى متعلّلا بقلّة الأمن في الطريق، ولكنه اضطر أخيرا إلى أن يترك أهله بمكة ويخرج إلى الشام، حيث عاش بدمشق منزويا عن الناس مقبلا على التأليف، إلى أن أدركه أجله بها.

أجمع الذين ترجموا لمحمد بن سليمان الروداني - مغاربة ومشارقة - على أن ذهنه لم يكن عاديا، وأن أعماله العلمية ليست كأعمال معاصريه. أول ما يتجلى ذلك في مشاركته في جميع العلوم المعروفة في عصره - كما يظهر ذلك في *صلة الخلف* - مشاركة تختلف عما اعتيد في غيره من العلماء، ذلك أن المشارك - عادة - يضلُع ويبرَع في علم، ويشدو في علوم أخرى شدواً قليلا أو كثيراً لا يبلغ حد البراعة، غير أن صاحبنا متمكن من كل علم عرفه تمكن من لم يعرف غيره.

ويمكن القول إن المعقولات هي التخصص الدقيق لمحمد ابن سليمان الروداني، قرأ ما عُرب من كتب اليونان، ومؤلفات حكماء الإسلام راويا بعضها مسلسلا كذلك إلى مؤلفيها. وقد عبّر عن تمكّنه في ذلك أحد تلاميذه الدمشقيين عبد القادر بن عبد الهادي، وكان قد لازم مجالس الروداني العلمية وأفاد منه كثيراً وصحبه في رحلته إلى القسطنطينية، قال : "وكان - يعني الروداني - في الحكمة والمنطق والطبيعي والإلهي، الأستاذ الذي لا تنال مرتبته بالاكتساب، وكان يتقن فنون الرياضة لاقليدس، والهيئة، والمخروطات، والمتوسطات والمجسطي، ويعرف أنواع الحساب والمقابلة والارتماطيقي وطريق الخطأين والموسيقى والمساحة، معرفة لا يشاركه فيها غيره إلاّ في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها".

وأكد ذلك الرحالة المغربي الشهير أبو سالم العياشي في *ماء الموائد*، وكان قد عاشر ابن سليمان الروداني سنة كاملة في المدينة المنورة، واطلّع أثناءها - عن قرب - على مؤلفاته ومخترعاته واقتبس منها، فكتب عنه : "... حكيم الإسلام، وأحد العلماء الأعلام، المتوقّد فطنة، والمتوهّج ذكاء، المتلئ حكمة وإيمانا، ولم يرشح له وعاء، ولا حلّ له أحد وكاء... وقد حقق علم التنجيم بجميع أنواعه، مع ما يتوقف عليه من علوم كالحساب وغيره، إلا أنه يتحامى تعاطي ما يدل منه على الحوادث المستقبلية ديانة منه - رضي الله عنه - وله قصيدة في علم التوقيت أكبر من *الروضة*، بالغ في تجويد نظمها، وأتقن فيها الفن غاية الإتقان، وخالف كثيرا من المؤلفين في ذلك الفن في أشياء بيّن حقيقتها بالدليل والبرهان، وقرّب العمل فيها بضوابط وقواعد مبنية على الإرصادات الصحيحة الواقعة في هذه الأزمنة القريبة...".

الذي يثير الانتباه أكثر في هذا النص، هو اجتهاد الروداني في علم الفلك، وعدم تقليده الأزياج القديمة، واعتماده على الأرصاد الحديثة. هذه منهجية النقد في طرق البحث الحديث، كان يتبعها الروداني في جميع أعماله العلمية، ولا يقبل من الحقائق والوقائع إلا ما أيدته التجربة، وأقرّه البرهان. وقد آتاه الله ذهنا متوقّدا ويداً صناعا، فكان يصنع الآلات الفلكية بيده من اسطرلابات وأرباع ودوائر وأنصاف ومكّانات.

وأعجب مصنوعات الروداني المبتكرة التي وصلت إلينا أوصافها مفصلة، كرة فلكية دقيقة تغني عن كثير من الأعمال الحسابية والآلات الهندسية، سماها الآلة الجامعة، وهي - كما يقول العياشي - في *الرحلة* - : "كرة مستديرة الشكل، منعمة الصقل، مغشاة ببياض الوجه الـمـمّوه بدهن الكتان، يحسبها الناظر بيضة من عسجد لإشراقها، مسطّرة، كلها دوائر ورسوم، قد ركّبت عليها أخرى مجوّفة منقسمة نصفين، فيها تخاريم وتجاويف لدوائر البروج وغيرها، مستديرة كالتي تحتها، مصقلة مصبوغة بلون أخضر، فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها منظر رائق، ومخبر فائق، وهي التي تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيئة، مع سهولة المدرك، لكون الأشياء فيها محسوسة، والدوائر المتوهّمة في الهيئة والتقاطع الذي بينها مشاهد فيها، وتخدم لسائر البلاد على اختلاف أعراضها وأطوالها".

وألّف ابن سليمان الروداني كتابا صغيرا في وصف هذه الكرة وكيفية العمل بها سماه : النافعة على الآلة الجامعة، يقع في مقدمة وخمسة وأربعين بابا وعشرة فصول وخاتمة، اعتنى بتحقيقه الأستاذ شارل بيلا، من جامعة السربون، اعتمادا على مخطوطة المكتبة الحمزاوية (رقم 128) ونشر النص العربي في مجلة الدراسات الشرقية بدمشق (جزء 27، سنة 1973)، ثم نقله الأستاذ بيلا إلى اللغة الفرنسية، وعمل على إعادة تركيب الآلة على حسب

ما ورد في الكتاب من وصف أجزائها، ورسم الأشكال اللازمة للايضاح، مستعينا في مراجعة الحسابات والتأكد منها بالسيدة كاربانتيي، الأستاذة المبرزة في الرياضيات. ونشرت الترجمة الفرنسية أيضا بمجلة الدراسات الشرقية بدمشق (جزء 28 سنة 1975).

وقارن صديقنا الأستاذ محمد الأخضر محمد بن سليمان الروداني في ذهنيته العلمية واختراعاته المفيدة بمعاصريه العالمين الأوربيين : الرياضي الفرنسي باسكال مخترع الآلة الحاسبة، والفيزيائي الانجليزي نيوتن مكتشف قانون الجاذبية الأرضية. ولاشك أن آفة الروداني أنه كان يعيش في أمة أمرها إلى إدبار، غشيها من الجهل والغفلة واليأس ما غشيها، بينما عاش الآخران في بيئة متحفزة إلى الرقي، منطلقة إلى الأمام.

توفي الروداني مغترباً بدمشق في عاشر ذي القعدة عام 1094 / 31 أكتوبر 1683، ودفن بوصية منه في سفح جبل قاسيون.

م. الروداني، *صلة الخلف بموصول السلف*، تح. م. حجي، بيروت، 1988 ؛ أبو سالم العياشي، *رحلة ماء الموائد*، 2 : 30-45 ؛ محمد أمين المحبي، *خلاصة الأثر*،4 : 204 - 208 ؛ محمد بن عبد الرحمان الفاسي، *المنح البادية في الأسانيد العالية*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة من انتشر*، ص.196 -198 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*/ موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج.4 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، مخطوط ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*،4 : 115 - 116 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، 1982، تح. د. إحسان عباس، ج 1 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، ص. 181 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام* ط. فاس، 4 : 334 -359 ؛ إسماعيل البغدادي، *هدية العارفين*،2 : 298 ؛ *إيضاح المكنون*،1 : 267، 2 : 7 ؛ خ. الدين الزركلي، *الأعلام*،7 :294 ؛ ع. السلام بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 304 ؛ ك. بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، 2 : 459، *والملحق* 2 : 601 ؛ ع. الله كنون، *النبوغ المغربي*، 1 : 284 - 285 ؛ ع. كحالة، *معجم المؤلفين*،11 : 221 ؛ م. ابن تاويت، وعفيفي، *الأدب المغربي*، ص. 313 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية بالمغرب على عهد الدولة العلوية*، ص. 106 -113 ؛ شارل بيلا، *مقدمة الناقعة على الآلة الجامعة*، ص. 6.

محمد حجي

**الروداني، محمد** بن **عبد الله** البولماني الإدريسي الملقب بخرباش ثم كوثر، ولد سنة 1336 / 1917 بحي سيدي وسيدي العتيق بتارودانت ونشأ في أسرة مشهورة بالعلم والصلاح فوالده عبد الله بن محمد التاماسيني الوزكيتي عارف بالقراءات والحساب والفرائض، وعميد الطريقة الدرقاوية بتارودانت، ومريد شيخ زاوية إلغ الحاج علي الدرقاوي. أما والدته فهي ابنة الفقيه عمر بن أحمد الهشتوكي تلميذ الحسن التملي ( *المعسول*، 14 : 228).

في هذه الأسرة ولد محمد بن عبد الله الروداني فكان ميله للعلوم والصلاح فطرة فيه منذ صباه، ويمكن تقسيم حياته إلى مراحل ثلاث.

المرحلة الأولى : النشأة والدراسة الأولية بتارودانت. لم يكد الروداني يبلغ الثامنة من عمره حتى توفي والده وتركه يعاني مرارة اليتم والفقر، فقد كان والده كما قال : "إماما في فني القراءات والميراث لهذا لم يترك لنا من تركته إلا الألواح والتسابيح حيث كان درقاوي الطريقة، لهذا كان عيشنا في ضنك "(شعر محمد بن عبد الله الروداني بحث الإجازة للطالبة أمينة إيليلو إشراف الأستاذ اليزيد الراضي كلية الآداب أكادير، 1992، ص. 10).

قرأ الروداني القرآن وحفظه على تلميذي والده أحمد بن محمد الإيرزاني الملقب بوتالونت، والحسن بن مولود السكتاني، ثم التحق بالفقيه أحمد بن المصلوت الهواري مدرسة الجامع الكبير بتارودانت فلازمه سنين يأخذ عنه علوم العربية والشرع ويحفظ متونها المتداولة، وخلال ذلك حضر بعض دروس باشا تارودانت الشنگيطي ومحمد بن الحسن بمسجد فرق الأحباب ( *المعسول*، 14 : 228).

وخلال هذه المرحلة تشرب الروداني الشعور الوطني وتعرف على الحركة الوطنية ومطالبها وناضل ضد الوجود الفرنسي فكان مهتما بنشر الفكرة بتارودانت خفية في بعض المساجد لدى الشباب خاصة من التلاميذ. وكان يقوم بشرح مرامي الاستعمار ومخططاته وأعمال الوطنيين في مناوأته رابطا ذلك بالسيرة النبوية وبسيرة السلف الصالح والأناشيد الحماسية وبتحفيظ الأناشيد الوطنية كما كان يقوم بنشر الشعارات الوطنية وكتابتها على الجدران. (شهادة الطيب الخياطي ضمن أعمال ندوة تكريم محمد بن عبد الله الروداني، ص. 10).

المرحلة الثانية : عهد الحماية.

شعر الروداني بحاجته للاستزادة من العلم وبأنه لم يعد في مدينته ما يروي ظمأه فغادرها سنة 1933 متجها إلى مراكش وقد اجتذبته إليها سمعة مدرسة الرميلة وكان محمد المختار السوسي حوّلها إلى مدرسة بعد أن كانت زاوية درقاوية، فلازمه أربع سنوات استتم خلالها عليه ما كان ينقصه من معارف لغوية وشرعية وأدبية كالنحو والفقه والأصول والحديث والتفسير.

وقد تأثر الروداني بسمة مدرسة الرميلة وهي العناية بالأدب وبتربية الطلبة على الإقدام والشجاعة الأدبية وعلى الفكرة الوطنية، وفي هذه المرحلة تفتقت ملكته الشعرية فنظم القصائد المطولة ومنها قصيدة في أبي شعيب الدكالي وقصائد عرشية، كما أقبل على التعلم إقبالا كليا، قال أستاذه السوسي : "فلم يدع بابا إلا طرقه ولا كتابا أديبا إلا طالعه فيستحضر الأدبيات والتاريخ العام والخاص" (*المعسول*، 14 : 229) كما انصرف إلى تعلم اللغة الفرنسية من أحد الرهبان بمراكش مقابل تعليمه العربية.

وقد زامل الروداني في أخذه بمراكش طائفة من الطلبة الذين علا شأنهم في ميداني الوطنية والأدب نذكر منهم عبد القادر حسن وأحمد بن عرفة الفاسي وأحمد النور والحسن التناني وإبراهيم الإلغي ومحمد الأسفي وعبد الله إبراهيم والحسين بن علي البزيوي ومحمد بن العربي الأسفي وعبد السلام المسفيوي.

غير أن هذه المرحلة لم تدم سوى أربع سنوات، ففي سنة 1937 نفي المختار السوسي بعدها إلى مسقط رأسه إلغ وتفرق شمل طلبته، فتوجه الروداني إلى فاس للالتحاق بالقرويين، إلا أنه لم يتوفق في ذلك لما كان يلقاه من سلطات الحماية من ملاحقة ومضايقة، فغادر فاسا وحط رحاله بالدار البيضاء ليعتمد على نفسه في التعلم ولينصرف إلى طلب المعاش والكسب، متقلبا بين عدة وظائف وهي : التجارة، والتعليم : حيث عمل بمدرستين حرتين من المدارس الوطنية وهما مدرسة الأميرة عائشة التي التحق بها سنة 1937 واشتغل بها عدة سنوات، ثم مدرسة الفلاح لبث بها من سنة 1948 إلى 1964.

- تلقي الشهادات : رغب الروداني في الالتحاق بسلك القضاء غير أن طلبه رفض اعتبارا لسوابقه الوطنية ولتتلمذه للمختار السوسي، فقنع بتلقي الشهادات والتوثيق فيما بين سنتي 1948 - 1953.

- الصحافة : أصدر الروداني في يونيو من سنة 1952 مجلة "هنا كل شيء" وشغل منصب مديرها السمؤول واستمر صدور المجلة حتى بلغت 34 عددا وتوقفت نهائيا بعد صدور عددها الأخير في 20 فبراير 1954، وكانت أرل الأمر شهرية ثم نصف شهرية، وقد اعترضتها صعوبات فلم تكن منتظمة الصدور وكان الروداني يكتب افتتاحياتها ليطرح أفكاره الإصلاحية الوطنية التي لم تكن تركز على الجانب السياسي بل تتجاوزه لتعالج الجوانب الاجتماعية والفكرية والثقافية، وكانت تطمح إلى مخاطبة عامة الناس راغبة في الوصول إلى أكبر عدد من القراء، جاء في افتتاحية عددها الأول : "عاهدنا أنفسنا على أن لا نتبع إلا خطة واحدة وهي خدمة الشعب المغربي من الناحية الاجتماعية لأنه في حاجة ماسة إلى مثل هذا العمل... ففي هذا المجموع يجد العامل جميع الإرشادات الضرورية... كما يجد الفلاح النصائح الفنية... أما المرأة وهي أساس المجتمع فقد خصصنا لها صفحتين... فكما يرى القارئ العزيز فكرنا في جميع العناصر التي يرتكز عليها المجتمع فالعامل والفلاح والمرأة والطفل والرياضي يجدون... مواضيع تهمهم يعلق عليها شبان مغاربة..." (أنقار، قصص الأطفال بالمغرب، ص. 114).

المرحلة الثالثة : الاستقلال.

نال المغرب استقلاله سنة 1956 وظهرت الحاجة لأبناء المغرب لممارسة استقلالهم وخدمة بلادهم بشغل الوظائف الإدارية، فالتحق الروداني كغيره من المثقفين بالإدارة الوطنية وعمل كاتبا بعمالة إقليم الشاوية إلى أن عيّن أستاذه المختار السوسي وزيرا للتاج فالتحق به وعيّنه سنة 1957 مدير ديوانه، ورافقه في عمله على إخراج مؤلفاته الأدبية ومجاميعه التاريخية وبقي ملازما له حتى وفاته سنة 1963، فانتقل إلى المطبعة الملكية مساعدا لمديرها ثم ملحقا بديوان وزارة التجارة والصناعة سنة 1966 فمكلفا بمهمة بديوان وزير شؤون موريطانيا والصحراء سنة 1967 وفي سنة 1973 ألحق بالخزانة الملكية وبقي بها إلى سنة 1980 لما ألحق بأكاديمية المملكة إبان إنشائها وتقديرا لعمله الأدبي والفكري منح جائزة الاستحقاق الوطني سنة 1991. بقي الروداني ملحقا بأكاديمية المملكة حتى وفاته يوم 27 يونيو 1992 عن 75 سنة رحمه الله.

خلف الروداني إنتاجا متنوعا شمل الشعر والتحقيق والنثر رسالة ومقالة. غير أن إنتاجه قليل جدا لا يعبر عن إجادته فلم يوجد له سوى 386 بيتا موزعة على 18 قصيدة ومقطوعة وقد نتج ذلك عن انصرافه عن تعاطي الشعر بسبب استئثار المشاغل والوظائف باهتمامه، أو شعوره أحيانا بأن الأدب مضيعة للوقت.

واتخذ الروداني الرسالة وسيلة لتجديد الصلة بأصدقائه وشيوخه ولمخاطبة الجهات الرسمية ولتدقيق معارفه التي كان في حاجة إليها في أعماله العلمية غير أن الموجود من رسائله قليل لا يتجاوز ثماني رسائل.

ونشر الروداني أولى مقالاته في مجلة "هنا كل شيء" ثم في مجلات وصحف وطنية أخرى مثل مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف ومجلة الأعماق ومجلة أبعاد فكرية... كما تنوعت الموضوعات التي عالجها فشملت الترجمة للأعلام والمقالة الإصلاحية والمقالة الأدبية والمقالة الوصفية التأملية ثم المقالة التاريخية.

وكان حسه الوطني السلفي موجهه في كتاباته الصحفية، ففي مقالة الترجمة للأعلام كان يتلمس ملامح شخصيات علمية أو صوفية أو تاريخية كأبي مهدي عيسى السكتاني (مجلة دعوة الحق) وعبد السلام بن مشيش والشيخ إيعزى ويهدى (مجلة الأعماق) وسيف بن ذي يزن وابن سينا (مجلة هنا كل شيء) ويعتبرها نموذجا يحتذى في التضحية والإخلاص والصلاح وعمل الخير بناء على نموذج للصفوة التي يدعو إلى اتباعها وجعلها مثلا أعلى يجب على الشباب التأسي به واتباعه.

أما المقالة الإصلاحية فتتبع مظاهر التفسخ والانحلال في المجتمع والأدب والفكر منبهة إلى خطر ضياع الهوية وضرورة اليقظة لمواجهة التأثير السيئ للحضارة الغربية على مقومات الشخصية المغربية، أما المقالة الوصفية التأملية فتلفت الانتباه إلى ما في الكون والحياة من مظاهر الجمال والاعتبار والحكمة.

أما أسلوب الروداني فيتميز بالسلاسة والانسياب مع الوضوح والتخفق مما لا يلزم من محسنات بلاغية كما تغلب

على مقالاته سمة الاستطراد والاهتمام بإيراد الحكايات الغريبة والاستدلال بالأبيات المفردة والمقطعات القصيرة.

عمل الروداني على إخراج ثلاثة كتب هي *إيليغ قديما وحديثا* لشيخه محمد المختار السوسي، *والدعاء الناصر والتيسير في المداواة والتدبير* لابن زهر الأندلسي.

وكان الزوداني خلال عمله في هذه الكتب يحرص على ضبط المتن وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية وشرح الكلمات الغامضة، كما عني خاصة في كتاب شيخه السوسي بضبط أسماء الأماكن والأعلام والأحداث التاريخية وشرحها والتعليق عليها مما أدى إلى كثرة هوامشه واتساعها مع أهميتها ودقة ما فيها من معلومات وإشارات.

محمد المختار السوسي، المعسول، ج. 14 ؛ إيليغ قديما وحديثا، تح. محمد بن عبد الله الروداني، الرباط، 1966 ؛ فقيد العلم والأدب محمد بن عبد الله الروداني، ندوة تكريمية، منشورات الجمعية الرودانية للثقافة والتراث ؛ شعر محمد بن عبد الله الروداني، بحث الإجازة للطالبة أمينة إيليلو، إشراف الأستاذ اليزيد الراضي، كلية الآداب أگادير، 1992 ؛ محمد بن عبد الله الروداني الأديب المحقق، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الآداب للطالبة سعيدة إدريسي تفراوتي، إشراف الدكتور محمد خليل، كلية الآداب عين الشق الدار البيضاء، 1996 ؛ محمد أنقار، قصص الأطفال بالمغرب، تطوان، 1998 ؛ عمر المتوكل الساحلي، *المعهد الإسلامي والمدارس العلمية العتيقة بسوس*، ج.1، الدار البيضاء، 1985.

المهدي السعيدي

**رُودة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Roda وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه المدينة بتطوان سنة 1150/ 1738.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان*، تطوان، 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 742.

محمد بن عزوز حكيم

**روساي**، رايس بحري من كبار رياس عهد مولاي إسماعيل. كان يقود سنة 1104 / 1693 سفينة مجهزة بأربعة عشر مدفعا وطاقم مؤلف من مائة رجلا، وبها نفذ عملية مثيرة للإعجاب أكسبته شهرة عالية. فقد استولى في مياه جزيرة ماديرة على سفينة كرافيل برتغالية تقل عامل جزر الأصور دون ميلشيور دي طوري (D. Milchior de Torré) وحاشيته، ولم تكن الكرافيل مجهزة سوى ببعض البنادق وستة منجانيقات حاولت الدفاع بها عن نفسها خلال معركة دامت يومين وثلاث ليال. وفي النهاية استسلمت للرايس روساي بعد أن قتل من رجالها أربعة بحارة وأسر بقية طاقمها ومن بينهم عامل الجزيرة ونجله ورجل دين، وبلغ مجموع الأسرى واحد وثلاثين شخصا من بينهم امرأتان. وقد وصل روساي إلى مرسى سلا يوم 19 أكتوبر بغنيمته وأسراه، حيث تدخل القنصل الفرنسي على الفور من أجل معاملة الأسرى بما تقتضيه مرتبتهم الاجتماعية.

وخلال حملته سنة 1964 لم يحقق روساي وهو يقود سفينة مجهزة بستة عشر مدفعا أية نتيجة تذكر طيلة شهرين، ودخل المعمورة في 25 يوليو أمام أنظار السفن البرتغالية المحاصرة لمرساها دون أن يصاب بأذى. وغامر في البحر مجدداً في خريف نفس السنة وعاد إلى المرسى في دجنبر بخفي حنين.

وفي نهاية 1695 استولى الرايس روساي في مياه الجزر الخالدات على قارب إسباني سبق وأن غنم طريدة فرنسية، وكان على متنه ربان وبحاران، ادعى أحدهما أنه أحد أبرع صناع المتفجرات بفرنسا، وأنه على استعداد لاعتناق الإسلام. وقد قرر روساي أن يسوق غنيمته إلى ساحل سبتة حيث كان يدرك حسن الاستقبال الذي يوفره له أهالي المنطقة، لكن الرياح لم تكن في صالحه فاضطر إلى التوجه إلى الجزائر التي مكث بها شهراً وعاد إلى مدينة سلا في 15 مارس 1696.

واستمر نشاط روساي خلال المواسم التالية حيث تسجل الوثائق حضوره ضمن لائحة الرياس العاملين، وخاصة خلال موسم 1111 / 1699 الذي اتخذ في ميناء العرائش منطلقا لعملياته دون أن يفلح في تحقيق أية غنيمة.

*S.I.H.M.*, 2è série, *France*, T. IV, p. 296 ; T. V, p. 271 - 72 ; Coindreau, *Les corsaires de Salé*, p. 85 - 86

حسن أميلي

**روسدير** Rhysaddir، مدينة وردت في مصادر مختلفة بهذه الصيغة، باستثناء الكاتب الأول الذي ذكرها وهو الجغرافي بومبونيوس ميلا الذي أصدر كتابه حوالي سنة 40م (Méla, 1, 5, 29). فقد كتب اسم المدينة كما يلي : روسگادة Rusgada، وذلك في وصفه للواجهة المتوسطية لموريطانية، والمدينة مرتبة من الغرب إلى الشرق بين واد تمودة Tamude - مارتيل حاليا - ومدينة سيگة Siga الواقعة في مصب واد تافنا.

وبعد ذلك وردت المدينة عند بلنيوس الأكبر المتوفى سنة 79 م. وهو الذي كتبها حسب الصيغة المألوفة عند جمهور الدارسين والتي اخترناها لكتابة اسمها، وهو روسدير Rhysaddir. ذكر الكاتب هذه المدينة مشيراً إلى توفرها على ميناء، وذلك في آخر فصل أعده لجغرافية موريطانية، حيث تحدث عن الواجهة المتوسطية. وقد رتب المدينة من الغرب إلى الشرق كما يلي : هناك واد لاود Laud - لاو الحالي - الصالح للملاحة ومدينة وميناء روسدير ثم نجد واد

ملوان Malvane ـ ملوية حاليا ـ الصالح أيضا للملاحة (Pline, 5, 18).

وفي القرن الثاني الميلادي تحدث عنها الجغرافي بطليموس في وصفه كذلك للواجهة المتوسطية. والمدينة مرتبة عنده من الغرب إلى الشرق، بين رأس سيستياريا Sestiaria ومصب واد ملوشات Molochat ـ ملوية الحالي ـ. وقد كتبها كما يلي : Rousadir وحدد موقعها حسب الإحداثيات التالية : الطول 16° والعرض 34° و45° . (Ptolémée, 4, 1, 3.)

وفي القرن الثالث الميلادي وردت في مسالك أنطونوس، في وصف المحطات الطرقية الممتدة عبر البحر المتوسط متجها من الغرب إلى الشرق. وقد وُضعت المدينة في أقصى نقطة من هذه الطريق، على بعد خمسة عشر ميلا من المحطة الواقعة قبلها وهي رأس تريس فوركاس Tres Forcas، وعلى بعد ثلاثمائة وثمانية عشر ميلاً من طنجة. وقد كتبت كما يلي :Russadir Colonia (*Itinéraire*, 1.). وهذا يعني أنها صارت مستوطنة رومانية في العهد الروماني.

لقد رجح شارل تيسو أن مدينة أكروس Akros الواردة في رحلة سكولكس هي روسدير، ملاحظا أن كلمة أكروس الإغريقية ترجمة لاسم روسدير، ومعناها في اللغة الفنيقية أو البونية "الرأس القوي أو الرأس الكبير"، وهذا ما جعل الكاتب يرجح أن المدينة فنيقية أو بونية. وهو رأي وافقه فيه روجي.

والملفت للنظر أن سكولكس الذي قدم وصفا للواجهة المتوسطية متجها من الشرق إلى الغرب، قد ذكر مدينة أكروس بعد مدينة سيگة. والكاتب بذلك يتفق مع بومبيوس ميلا في ذكر روسگادة قبل سيگة حسب اتجاه معاكس للاتجاه المتبع في رحلة سكولكس. أما سطيفان كسيل فظن أن مدينة متاگنيون Metagonion الواردة عند هيكاتي المليتي Hécatée de Milet فهي روسدير أيضاً.

إن الإشكال مازال مطروحا حول ماضي وهوية مدينتي روسدير وكذلك مدينة روسبيس، اعتبارا لنعتها بتسمية فنيقية أو بونية. فإلى أي حد تعكس هذه التسمية حقا أصولها الفنيقية أو البونية ؟ إن المصادر المتعلقة بموضوع الوجود الفنيقي والبوني في موريطانية تجعلنا نرجح الوجود الفنيقي عن الوجود البوني أو القرطاجي. فنص رحلة سكولكس ينعت مدينتين موريتين بكونهما فنيقيتين. والأمر يخص لكسوس المعروفة حاليا، وثمياترية Thumiatéria الواقعة على نهر كرابيس Krabis وهو واد سبو (*Périple de Scylax*, 112) لكن آثاراها مازالت مجهولة.

أما الوجود البوني القرطاجي في موريطانية فنعرفه بواسطة نص وحيد هو رحلة حنون، حيث ورد ذكر ست مستوطنات قيل إن حنون أنشأها خلال رحلته، بين مضيق أعمدة هرقل ونهر لكسوس (*Périple d'Hannon*, 2 et 5). غير أن آثار هذا الوجود القرطاجي قد اختفت منذ التاريخ القديم، كما يشهد على ذلك بلنيوس الأكبر، في سياق حديثه عن مدينة لكسوس قائلا : "إن معظم الكتاب الإغريق وكتابنا أيضا يتحدثون عن أساطير من بينها أن حنون أنشأ عدة مدن في هذه الناحية. لكن ليس هناك أي أثر لها، ولا أحد يتذكرها" (Pline l'Ancien, 5, 8).

ثم إن سكولكس القريب من وقائع رحلة حنون، لم يكن على بينة من الأصل الفنيقي لروسدير المتوسطية التي علم بشأنها، من خلال ذكر مدينة أكروس، التي يرى تيسو في اسمها ترجمة إغريقية لمدينة روسدير. بينما نجد سكولكس ملما بالمبادلات التجارية التي كان يقوم بها الفنيقيون في جزيرة كرني Kerné على المحيط الأطلسي. وقد أسفرت الأبحاث الأثرية على مصداقية قوله بأن الفنيقيين كانوا يبيعون الخزف الآتيكي للسكان، وذلك بعثور المنقبين على هذا النوع من الخزف مع المواد الفنيقية في نفس الوسط الأثري خاصة في جزيرة مگدور، التي يرجع تاريخها إلى ما بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد. وبرغم أننا لم نتيقن بعد من مطابقة الجزيرة البائدة مع الجزيرة الحالية، فلا شك أن مگدور كانت تشهد رواجا مماثلا لما كان يجري في كرني.

وأيا ما كن الأمر، فيجوز أن روسدير المتوسطية والأطلسية ومعهما روسبيس، هي مواقع تعكس ذكرى المراكز الفنيقية بالمغرب القديم. والجدير بالذكر أن سترابون أكد وجود هذه المراكز الفنيقية قائلا : "في جنوب لكسوس ورأس كوطيس Kotes يوجد خليج يدعى بالأمبوري Amprikos لأنه يحتوي على مراكز للتجارة الفنيقية Amporias". وفي سياق آخر أورد نفس الكاتب خبرا حول هذه المراكز، وهو يستغرب من مبالغة مصادره في تقدير عددها. وهذا قوله : "يحكى أن في الخلجان التي تلي الخليج الأمبوري، توجد مراكز لأهل صور وهي اليوم مندرسة، وكان عددها يناهز ثلاثمائة مدينة، لكن الفاروسيين والنگريتيين حطموها عن آخرها، ويقال إن مواطن هذين القومين بعيدة عن لكسوس بحوالي ثلاثين يوما من المشي" (Strabon, 17, 2 - 3 et 8).

وأخيراً نشير إلى أن مدينة روسبيس تندرج في ما كان يعرف ببلاد الگيتوليين، التي كانت لها مكانتها الاقتصادية في المغرب القديم. ولقد أشادت المصادر بالثروات المتنوعة التي كان يزخر بها هذا المجال، وخصوصا اشتهاره بالأرجوان (Pline l'Ancien, 5, Gaetulia Purpuriae 12 ; 9, 127 ; 6; 201) ونعتقد أن ميناء المدينة التي نحن بصددها، والميناء الذي كان على نهر أسانة Asana وغيره من الموانئ الأطلسية القديمة، كان لها دور في الأنشطة الملاحية للموريين عبر المحيط. وبواسطتها استثمروا ثروات بلاد الگيتوليين، التي كانت تخضع لملكتهم. ولعدة

اعتبارات لا يسمح المجال بالإسهاب فيها هنا، نرجح أن الموريين باحتكاكهم مع الفنيقيين وغيرهم من الشعوب، قد لمعوا في ميدان الملاحة، وكانوا يقومون بدور الوساطة التجارية بين بلاد الإثيوبيين والعالم المتوسطي قبل خضوع البلاد للرومان.

هذا عن المدينة كما وردت في المصادر. فماذا نعرف عنها انطلاقا من نتائج الأبحاث الأثرية ؟ إن الدارسين يعتقدون بأن مدينة مليلية تغطي أطلال روسدير المتوسطية. أما المواد الأثرية التي تنتمي لروسادير فهي نقدية تحمل اسمها مكتوبا بحروف بونية، مثلها في ذلك مثل سائر المدن المورية، التي تشترك في مارسم عليها من منتجات فلاحية تتجسد في عنقود العنب وسنبلة القمح، مع امتياز عملة روسدير عن غيرها بمثول نحلة عليها إلى جانب المنتجات الزراعية.

ومن جهة أخرى أسفرت تنقيبات طراديل في مقبرة مجاورة لمليلية عن مخلفات أثرية سلطت بعض الضوء على فترة من إعمار المدينة. يتعلق الأمر بأوان من الخزف المعتاد، التي يرى المنقب أنها تتميز بتأثيرات بونية. إضافة إلى إناء من الخزف المصبوغ وثلاث أوان من الخزف الكمباني B فضلا عن أمفورتين من النوع Dr. 18 وأمفورتين من النوع Dr. 7-11. وقد أكد المنقب أن هذه المقبرة لا تحتوي أية آثار ترجع للقرن الثالث قبل الميلاد، مما جعله يؤرخ لها بالقرنين الثاني والأخير قبل الميلاد، وهو تاريخ مقبول اعتبارا لزمن رواج المواد المذكورة.

فإذا كانت المقبرة تضم رفات سكان مدينة روسدير، فهذا يفيد أنها كانت معمورة منذ القرن الثاني قبل الميلاد. ومادام رأي تيسو يبدو سديدا في المطابقة بين روسدير وأكروس الواردة في رحلة سكولكس التي ترجع للقرن الرابع قبل الميلاد، فإن لروسادير تاريخا أقدم مما أسفرت عنه التنقيبات في المقبرة المذكورة.

انفرد بلنيوس الأكبر بذكر مدينة ثانية باسم روسدير Rhyssaddir في وصف ساحل المحيط الأطلسي، اعتماداً على المعلومات الواردة في رحلة بولبيوس Polybius التي تمت سنة 146 قبل الميلاد. وقد رتب الكاتب هذه المدينة كالتالي : "بعد روتبيس يوجد رأس صوليس Solis ثم ميناء روسدير فبلاد الگيتوليين الأوطلول Gaetulos Autoteles" (Pline, 5, 9). لقد ظن تيسو أن المدينة المذكورة تقع قرب أگادير، وهو رأي وافقه فيه جيروم كاركوبينو. بينما ظن گسيل أنها توجد قرب الصويرة. أما روجي فانطلق من معنى "الرأس القوي" الذي يشتمل عليه اسم هذه المدينة، ليرجح أنها كانت تقع قرب رأس گير. وقد وافقه ديزانج في هذا الرأي.

م. مجدوب، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1988، مرقونة.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878 ; S. Gsell, *Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord, 1, Hérodote*, Alger, 1916 ; Idem, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, tome 2, Paris, 1912 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc, P.S.A.M.*, 4, 1938 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1948 ; P. Cintas, *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Paris, 1954 ; M. Tarradell, *La necropolis punico-mauritana de San-Lorinzo en Mellia, Congreso Arqueologico del Marruecos Espanol, (Tetuan, 1953)*, Tetuan, 1954, p. 253 - 66 ; Idem, *Historia de Marruecos, Marruecos punico*, Tetuan, 1966 ; J. Mazard, *Corpus nummorum numidiae mauretaniaeque*, Paris, 1955 ; F. Villard, *Céramique grecque du Maroc, B.A.M.*, 4, 1960, p. 1-26 ; M. Euzennat, *Héritage et influences gréco-romaines au Maroc à la veille de la conquête romaine, 8ème Congrès International d'Archéologie Classique*, Paris, 1963, p. 261 - 78 ; R. Rebuffat, *Histoire de l'identification des sites antiques du Maroc, Africa Romana*, 13, 2000, p. 865 - 914 ; J. Desanges, *Commentaire de Pline l'Ancien, L'Histoire Naturelle*, Livre 5, 1 - 46, Paris, 1980.

محمد مجدوب

** ترتبط معرفتنا بروسدير بمميزات شبه جزيرة هرك القلعية التي أجبرت الملاحين الفينقيين على التوقف منذ نحو ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد بالشمال الشرقي المغربي، وهم الذين أطلقوا اسم "رس أدر" (RS ADR) على شبه الجزيرة، وعنوا بذلك، حسب لغتهم "الرأس الأكبر"، إشارة إلى اندفاع كتلة شبه جزيرة هرك وتوغلها في مياه البحر المتوسط نحو الشمال على هيأة لسان صخري هضبي مثلث الشكل بارتفاع متوسط يصل إلى ثلاثين مترا، يرسم حدوده الجنوبية مجرى كل من واد المدور وواد غساسة.

اختص المركز التجاري الفينيقي المحدث بساحل شبه الجزيرة، باسم رس أدر حيث أطلق على الكتلة الصخرية الكلسية الواقعة في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة. وكان لهذا الاختيار ما يبرره، فالصخرة شبه جزيرة صغيرة محيطها ألف متر ومائتان وأربعة وعشرون مترا، تتوفر على جون صغير محيطه نحو ثلاثمائة متر، ومتعمق في البر بنحو سبعين مترا.

لم يكن هذا الاختيار بعيدا عن الأهداف الاقتصادية التي كانت الباعث الأساسي على الاستقرار بالصخرة والتعامل مع الخلايا البشرية القديمة المستقرة بشعاب جبل قبيلة قلعية. وقد دلت الحفريات التي أجريت بمصب واد المدور عن تقدم المركز الفينيقي نحو الغرب واستقرار تجاره على كدية واقعة على الضفة اليمنى من واد المدور دعيت بعد ذلك بكدية مزوجة أو تينرت، وهي التي سماها الإسبان Cerro de San Lorenzo. سبق أن عرَّفنا بها في هذه المعلمة.

والظاهر أن النفوذ الروماني كان أكثر توغلا في شبه جزيرة هرك، مما يسمح بترجيح اتساع نفوذ مركز رس أدر، بسبب إضافة الأهمية العسكرية إلى الدور التجاري، مما

جعل الرحالة الروماني بارتولومي Bartolome يعد المركز البونيقي مستعمرة، وهو ما تكرر سنة 70 م. على يد الإمبراطور فاسبسيانوس Vaspesianos.

والجديد في مركز رس أدر أن الرومان أحاطوا حدود الصخرة بسور، وسيكون هذا أول علمنا بتأسيس سور مدينة رس أدر. غير أن الزحف الوندالي سيضع النهاية لتلك المزايا كلها، فلم تر مدينة رس أدر النور من جديد إلا بعد قرن ونيف إثر محاولة البيزنطيين استعادة السيطرة على المدن الرومانية، فبعد حملة ترميم المدن المخربة بساحل الشمال الإفريقي جاء دور رس أدر في سنة 534 م. ويعد اسم رس أدر الفينيقي أول الأسماء الذي عرفت به مدينة مليلة القديمة منذ الفتح الإسلامي في آخر القرن الهجري الأول، وهو التاريخ الذي نحدده لاستبدال اسم رس أدر بمليلة.

حسن الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، البيضاء، 1997 ؛ معلمة المغرب، مادة *تينرت*، 8 : 2756.

Fernando de Castro y Pedreda, *Melilla prehispanica*, Madrid, 1945 ; *Africa, Revista de las tropas coloniales* ; R. Rézette, *Los enclaves españoles en Marruecos*.

حسن الفكيكي

**روسل**، (جون) John Russel، قنصل عام بريطاني كلف بتمثيل بلده لدي سلطان المغرب مرتين، الأولى سنة 1727 والثانية سنة 1729. فخلال سفارته الأولى، تلقى وهو ما يزال بصخرة جبل طارق نبأ وفاة السلطان مولاي إسماعيل، فانتظر حتى تتضح الأمور خاصة بعد اندلاع الحروب بين أبناء السلطان. ولما استقرت الأمور، ولو إلي حين، لمولاي أحمد الذهبي، قصد روسل مكناس رفقة الوفد المرافق له، يحمل الهدايا محاولا كسب ود المقربين من السلطان، مستفيداً من النصائح التي كان يمده بها عبد القادر بيريس الذي سبق أن ذهب في سفارة إلى بريطانيا. وقد لعب في سفارة روسل، بالإضافة إلى دور المترجم، دوراً كبيراً في تمهيد الأجواء وتذليل الصعاب بهدف ضمان نجاح مهمة السفير. وسجل لنا جون بريتوايت، الذي كان من المرافقين للسفير، تفاصيل هذه السفارة. لقد كان روسل، قنصلا عاماً لبريطانيا، لكن صلاحيات واسعة فوضت له للعمل على تجديد معاهدة 1721 التي وقعها شارل ستيوارت، وافتداء الأسرى، والتفاوض لزيادة فصول إضافية تتعلق بالتجارة البريطانية وتموين الحامية الانجليزية بجبل طارق. ورغم إلحاح بريتوايت علي أن تكاليف هذه السفارة كانت باهظة، فإن روسل لم يجد كبير عناء لضمان النجاح لسفارته، فقد تم تجديد معاهدة 1721، وإضافة مواد أخرى، بمقتضاها أصبح بإمكان المغاربة، سواء كانوا من المسلمين أو اليهود، أن يمارسوا التجارة بكامل الحرية في صخرة جبل طارق وجزيرة مينورقة بشرط ألا يستقروا هناك أو يتخذوا مراكز تجارية في هاتين النقطتين. كما أن لهم حرية نقل سلعهم دون عراقيل إلى المناطق التابعة لامبراطور المغرب. وتم الاتفاق على أن رعايا ملك بريطانيا المقيمين في بلاد البربر (المغرب) ليسوا مجبرين على المثول أمام القاضي، بل إن النزاعات التي تحدث بينهم وبين المغاربة تعرض على حكام المدن التي يقيم فيها الرعايا البريطانيون. ويتم البت في النزاع بحضور القنصل البريطاني. وأصبح الخدم الذين يعملون لدى الرعايا الانجليز معفيين من أداء الضرائب. كما أن الرعايا الانجليز الذين يتم إلقاء القبض عليهم في عرض البحر من طرف المغاربة، ولو كانوا على ظهر سفن أجنبية، يتم إطلاق سراحهم في الحال وإرسالهم إلى جبل طارق. والأهم من كل هذا، أن روسل نجح في إضافة بند يضمن تموين جبل طارق دون أداء الرسوم الجمركية، مع التأكيد على أن المعاهدة بشقيها أي معاهدة 1721 المكونة من 15 فصلاً والمواد الملحقة بها تترجم إلى اللغة العربية وتعلق في أبواب جميع المدن المغربية التي تقع على البحر.

غير أن الاضطرابات التي كان يعرفها المغرب في هذه الفترة جعلت تطبيق المعاهدة أمراً صعباً، خاصة مع تغيير السلاطين بشكل سريع. وهذا ما دفع جورج الثاني، ملك بريطانيا إلى إرسال جون روسل مرة ثانية في شهر يونيو سنة 1729 إلى مدينة فاس ليطلب من السلطان عبد الله بن إسماعيل تطبيق ما تم الاتفاق عليه مع أسلافه. وقد تطلبت هذه السفارة إنفاق مبالغ باهظة. ويظهر المقال الذي كتبته مگالي مورسي Mogali Morsy التكاليف التي تتطلبها بعثة دبلوماسية أجنبية إلى المغرب وقتئذ، وهو يحمل العنوان الآتي :

*"Le coût d'une ambassade anglaise au Maroc au XVIIIè siècle"*

لقد كانت النفقات داخل بريطانيا وجبل طارق تتم بالعملة الانجليزية، أما في المغرب فتستعمل العملات المحلية مثل البلانكي والأوقية والدوكة. كان على روسل أن يتحمل تكاليف تمثيل بلده مثل أجور الخدم ولباسهم، والهدايا الموجهة للسلطان وحاشيته، كما كان عليه تحمل تكاليف الطريق مثل الطعام للرجال والحيوانات، لا سيما وأنه خلال إيابه كان مرفوقا بعدد مهم من الأسرى الذين نجح في افتدائهم. وأخيراً كان عليه أن يتحمل تكاليف المفاوضات، كإرضاء بعض القواد الذين بإمكانهم دعم مطالبه لدى السلطان. وإجمالا، فإذا كانت تكاليف السفارتين تبدو مرتفعة تبعا لما أورده بريتوايت والوثائق البريطانية التي اعتمدت عليها مگالي مورسي، فإن فهم ذلك لا يستقيم إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار الامتيازات التي حصلت عليها بريطانيا من وراء هذه المعاهدة.

Braithwaite (John), *Histoire des révolutions de l'empire de Maroc...*, Amsterdam, 1731 ; Morsy M., *Le coût d'une ambassade anglaise au Maroc au 18è siècle*,

*Cahiers de la Méditerranée*, n° 11, Décembre 1975, pp. 81 - 99.

عبد الإله الدحاني

**ابن روسو**، ويكتب أيضا بَرُسُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس جيث مازالت هنا كأسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barroso ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 249.

محمد بن عزوز حكيم

**روسيا والمغرب**، يعود تاريخ إقامة العلاقات بينهما إلى عام 1897 حين فتحت القنصلية العامة للإمبراطورية الروسية أبوابها في مدينة طنجة، لكن هذا لا يعني أن الاتصال بين البلدين كان منعدماً قبل هذا التاريخ، ذلك أن هذا الاتصال الذي تجلى في العديد من المناسبات ظلّ متواصلاً طيلة أزيد من قرنين. لكن بُعد المسافة حال دون ربط علاقات نشيطة ومستمرة بينهما.

يعود اهتمام الروسيين بالمغرب إلى زمن بعيد، ففي مطلع القرن الثاني عشر (18 م) نجد بعض الإشارات إليه في مقالات نشرت على صفحات أولى المجلات الروسية التي كان يسهر عليها الإمبراطور بطرس الأول نفسه. وقد أتت هذه المقالات بعدد من الأخبار حول المغرب عموماً وحول جيشه وحالته الاقتصادية والاجتماعية خصوصاً. أما الاتصال المباشر بين البلدين فيرجع عهده إلى الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وهي الفترة التي قام فيها السلطان سيدي محمد بن عبد الله بإصلاحات سياسية واقتصادية مهمة كان من بينها فتح البلاد على العالم الخارجي وإبرام اتفاقيات تجارية ومعاهدات سلم ومهادنة مع عدد من الدول. فلما علمت حكومة الامبراطورية الروسية بالسياسة الجديدة للمغرب أولت هذا الخبر أهمية قصوى وذلك لعدة أسباب، أهمها أن التوقيع على معاهدة سلم مع المغرب سوف يضمن مصالح روسيا وأمن سفنها في الجزء الغربي من جنوب البحر المتوسط حيث كان يتربصها على الدوام خطر غارات سفن الأتراك العثمانيين من جهة وسفن القرصنة النشيطة في تلك الربوع آنذاك من جهة أخرى.

إثر ذلك جرت عام 1778 لقاءات في مدينة "ليڤورنو" بين السفير المغربي السيد محمد بن عبد المالك والسيد "كوزْلا يئنوف" أحد المسؤولين الروسيين الكبار الذي كان موجوداً آنذاك في إيطاليا. وقد أكد الرجلان خلال لقاءاتهما رغبة العاهلين المغربي والروسي في إبرام معاهدة ودٍّ وسلام. وتمّ بعد بضعة أيام تدوين خطابي المسؤولين فيَ شكل رسائل رسمية تبادلها الطرفان. وتعتبر هذه الرسائل أقدم الوثائق الرسمية للعلاقات بين المغرب وروسيا.

وفي شهر مايو من نفس السنة (1778) نقلت سفينتان حربيتان روسيتان السيد محمد بن عبد المالك وحاشيته من "ليڤورنو" إلى طنجة. وقد كتب السيد "سكوراتوف"، وهو القائد العام للسفينتين في أحد تقاريره أنه خُصِّصَ له ولبحارته استقبال حار، وذلك تنفيذاً لأوامر السلطان الذي قرر إدراج البواخر الروسية في قائمة سفن البلدان الصديقة وتقديم كل المساعدات الممكنة لها في الموانئ والمياه المغربية. وطلب عامل طنجة من البحارة الروسيين أن يبقوا في عرض الميناء في انتظار وصول رسائل من السلطان ليحملوها إلى الامبراطورة "كاتيرينا" الثانية ووزيرها "تْشير نيشِّيف". وبقيت السفينتان في عرض طنجة أزيد من شهرين تنتظران الرسائل حتى وصلت وتسلمها "سكوراتوف" بتاريخ 21 يوليوز عام 1778. ولقد استغل ضباط السفينتين هذه المدة الطويلة لوضع خرائط للميناء والساحل المحيط به، كما أنهم زاروا المدينة وكتبوا وصفاً لها ودوّنوا ما شهدوه بها.

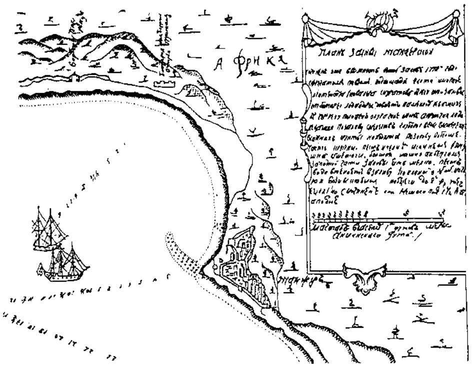

خريطة خليج طنجة من وضع البحارة الروس بتاريخ 19 ماي 1778

وتعتبر تقييدات "سكوراتوف" وزملائه أقدم الوثائق الروسية وأكثرها تفصيلاً حول مغرب الربع الأخير من القرن الثامن عشر.

وبعد ذلك تمت خلال عامي 1782 و1783 مراسلة أخرى أكد فيها العاهلان وفاءهما لما كانا قد اتفقا عليه قبل سنوات.

توقف الاتصال بين البلدين مدة طويلة ولم يعد ذكر مستقبل العلاقات بينهما إلى الواجهة إلا في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام حين تجدّد الحديث في

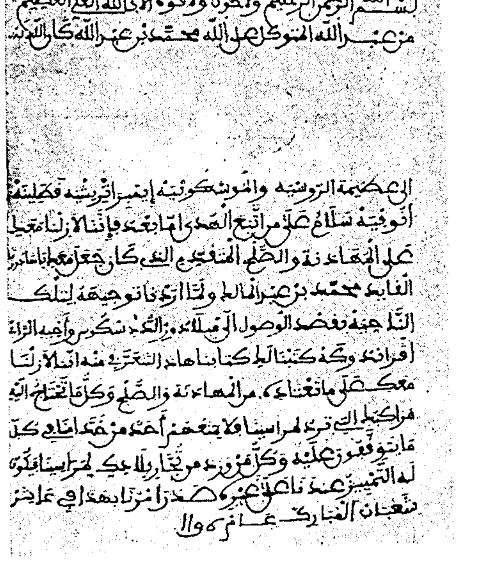

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله المتوكل على الله محمد بن عبد الله كان الله له

إلى عظيمة الروسية والموسكوفية إيمبراتريسة قطلينة

أنوفينة سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإننا لا زلنا معك

على المهادنة والصلح المتفق عليه الذي كان جعل معك باشادورنا

القايد محمد بن عبد المالك ولما أردنا توجيهه لتلك

روسيا عن توسيع مجال تجارتها مع بلدان جنوب غرب البحر المتوسط وعن أمن بواخرها في تلك المنطقة. فكلفت الحكومة الروسية أحد دبلوماسييها المرموقين "گورتشاكوف"، بتهييئ دراسة وافية حول هذه المسألة. وقد أعد گورتشاكوف عدة تقارير في الموضوع وكان يوصي فيها دوماً بإقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع المملكة المغربية لما في ذلك من نفع كبير لروسيا. وفي شتنبر 1830 أكد الدبلوماسي الروسي في تقرير بعثه إلى وزارة الخارجية الروسية ضرورة فتح قنصلية عامة في المغرب ونبّه حكومته إلى أن المغرب بلد مستقل تمام الاستقلال عن الدولة العثمانية وأضاف : "... ولابد من التأكيد هنا على أن بنود الاتفاقيات التي تربطنا بالدولة العثمانية والتي تضمن لنا تعويضاً عن الخسائر التي قد تلحق بتجارتنا في منطقة البحر المتوسط نتيجة القرصنة التي تمارس على ساحل إفريقيا الشمالية لا يمتدّ مفعولها بأي حال من الأحوال على المغرب الذي لم يعترف قط بزعامة السلطان التركي...". وقد أرفق "گورتشاكوف" تقريره هذا بمذكرة طويلة جاءت في سبعين صفحة كتبها صديقه السويدي "گرابير دي هيمسو"، وهو أكبر الخبراء في الشؤون المغربية آنذاك. وعنوان هذه المذكرة المكتوبة أصلاً باللغة الفرنسية "ضرورة وفوائد عقد معاهدة سلام بين روسيا والمغرب وفتح قنصلية عامة للإمبراطورية الروسية في طنجة". ورغم كل هذا فإنه لم يحصل أي اتصال رسمي بين البلدين لإقامة علاقات بينهما. وقد يكون مرد ذلك إلى الأوضاع الداخلية لكل من المغرب وروسيا وكذلك لقلة عدد السفن التجارية الروسية في المنطقة. غير أن هذه التقارير أعطت أكلها فيما بعد، إذ تزايد الاهتمام بالمغرب الذي توافد عليه عدد من الأدباء والعلماء ورجال دولة روسيين أمثال "بوتكين" و"سوماروكوف" والأمير "ڤيازيمسكي" و"دانتشينكو" وغيرهم. وقد دوّن هؤلاء الرحالة مختلف مراحل أسفارهم داخل المغرب. وتجدر الإشارة إلى أن القارئ يلمس من خلال هذه الكتابات كثيراً من الاحترام والتقدير للشعب المغربي كما هو الشأن بالنسبة للأديب "بوتكين" الذي كتب "جئت إلى طنجة قصد الالتقاء بأحفاد صانعي تلك الحضارة الأندلسية العظيمة في إسبانيا التي لازالت معالمها شامخة في عصرنا هذا".

وشكلت تقارير گورتشاكوف وكتابات الرحالة الروسيين بالنسبة للحكومة الروسية أرضية متينة للتفكير جديا في إقامة علاقات دبلوماسية مع المغرب في أواخر القرن التاسع عشر. وقد دشنت الامبراطورية الروسية توجهها السياسي الجديد في منطقة شمال إفريقيا بطلب المزيد من الدراسات والتقارير حول المغرب. إثر ذلك اعترفت الحكومة الروسية بالسلطان الجديد مولاي عبد العزيز، ثم تعاقبت الأحداث بسرعة فتم سنة 1897 الاتفاق بين الحكومتين على إقامة علاقات رسمية ومباشرة بينهما وفتح ممثلية روسية في طنجة. وتم تعيين "باخيراخْت" (1851 ـ 1916) على رأس هذه القنصلية العامة. تقول الباحثة موساتوڤا : "... لقد جاء في أوراق اعتماده أن "باخيراخْت" عيّن لدى السلطان المغربي بوصفه وزيراً مقيماً على رأس "الممثلية الدبلوماسية" الروسية في المغرب. وبهذه الصفة فإنه كان يعتبر ممثلاً دبلوماسيا قبل كل شيء، كما أن تعيينه بواسطة أوراق اعتماد يجعلنا نتحدث عن إقامة علاقات دبلوماسية بما في الكلمة من معنى بين روسيا والمغرب وليس عن علاقات قنصلية فقط".

وصل "باخيراخْت" إلى طنجة في شهر مارس من عام 1898 واستقبله محمد الطريس، وتبادل الرجلان كلمات تبرز مشاعر البلدين الصادقة في تعزيز العلاقات بينهما. وفي 11 أبريل من نفس السنة (1898) قدم الدبلوماسي الروسي أوراق اعتماده إلى السلطان مولاي عبد العزيز في حفل كبير أقيم في القصر الملكي بمراكش. وظل "باخيراخْت" على رأس ممثلية بلاده في طنجة أزيد من سبع سنوات قام خلالها بنشاط متنوع نذكر منه على الخصوص تنظيم رحلة السفارة المغربية الأولى إلى روسيا وتسهيل مأمورية أفرادها. وكان العاهل المغربي قد قرر إرسال بعثة رفيعة المستوى إلى هذه البلاد كَردّ على فتح الممثلية الدبلوماسية في طنجة. وقد وصلت تلك البعثة إلى "سان بيترسبورگ" يوم 20 يوليوز 1901 قادمة بواسطة القطار من باريز حيث قامت بزيارة رسمية مماثلة. وكان الوفد الذي رأسه عبد الكريم بن سليمان يضم أزيد من عشرين فرداً نذكر من بينهم على الخصوص بناصر غنّام ومحمد الگباص ومحمد بنشقرون. ولقد خصص للوفد استقبال حار وأثار مجيئه اهتماماً كبيراً عند الرأي العام الروسي كما أن الصحافة واكبت الزيارة منذ بدايتها إلى نهايتها وخصصت لها العديد من المقالات. وفي يوم 23 يوليوز خصّ الإمبراطورنيكولاي الثاني الوفد المغربي باستقبال كبير في القصر الصيفي بضواحي العاصمة "سان بيترسبورگ"، وقدم عبد الكريم بن سليمان خلال هذا الحفل رسالة خطية باسم السلطان المغربي إلى الامبراطور الذي سلمه بدوره رسالة جوابية، وبعد ذلك تم تبادل الهدايا. وغادرت البعثة روسيا يوم 4 غشت بعدما قامت بزيارة لمدينة موسكو.

وقد خلفت هذه الزيارة ارتياحاً كبيراً لدى الجانبين المغربي والروسي. ويرجع الفضل في نجاح مهمة السفارة إلى الجهود المتواصلة التي كان يبذلها "باخيراخْت" الذي ظل اسمه مقروناً لمدة تفوق سبع سنوات بمجموع العلاقات المغربية الروسية.

خلف "باخيراخْت" على رأس البعثة الدبلوماسية الروسية في طنجة "بوتكين"، وهو ابن أخ أحد الرحالة الروسيين الذين سبق لهم أن زاروا المغرب وكتبوا عنه. وشغل الممثل الجديد هذا المنصب إلى غاية أبريل من عام 1912، أي إلى حدود توقيع معاهدة الحماية التي غيرت

الأوضاع كلها، فتحولت البعثة إلى وكالة دبلوماسية، وعين على رأسها "ڤوويدوف" الذي بقي بها إلى غاية 1917.

ورغم الظروف الصعبة التي كانت تعرفها أوروبا خلال الحرب العالمية الأولى وخاصة الظروف المأسوية التي كانت تعيشها الامبراطورية الروسية في أيامها الأخيرة، فإن الامبراطور نيكولاي الثاني بعث عام 1916 إلى سلطان المغرب مولاي يوسف "وسام أليكساندر نييفسكي المرصع بالألماس" اعترافاً من روسيا بجهود المملكة المغربية وتضحية جنودها المحاربين في صفوف الحلفاء ضد ألمانيا. وقد سلم "ڤوويدوف" هذا الوسام إلى المقيم العام الفرنسي الجنرال ليوطي.

أقفلت الوكالة الدبلوماسية الروسية أبوابها عام 1917 مباشرة بعد سقوط الامبراطورية وانتصار الثورة البولشيفية.

بعد الإعلان عن ولادة دولة الاتحاد السوفييتي لم ينقطع الاهتمام بالمغرب في روسيا، وذلك من خلال عدد من الكتابات بأقلام القادة الجدد للدولة أمثال "لينين" و"فرونزي" وغيرهما، كما أن العديد من الكتاب والمؤرخين السوفييتيين خصصوا للمغرب حيزاً كبيراً في كتاباتهم حيث كانوا يشجبون السياسة الاستعمارية الفرنسية ويناصرون حركاته التحررية. وهذا الموقف هو الذي كانت تدافع عنه الدولة السوفيتية رسمياً في جميع المنابر الدولية.

وبعد استقلال المغرب أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في فاتح شتنبر 1958. ومنذ ذلك الحين تطورت كثيراً علاقتهما وسارت في تحسن مستمر. وهذا ما يشهد عليه تبادل الزيارات الرسمية الرفيعة المستوى التي حصلت بينهما. فبالإضافة إلى تبادل الزيارات الودية المتعددة بين كبار المسؤولين فإن "بريجنيف" و"پودگورني" قاما بزيارة رسمية للمغرب، كما أن العاهل المغربي الحسن الثاني زار بدوره الاتحاد السوفييتي. وتوجت هذه الزيارات سنة 1966 بتوقيع اتفاقيات حول التعاون الاقتصادي والتقني والعلمي والثقافي، وتلتها اتفاقيات أخرى تخص التجارة الخارجية والصيد البحري والتعاون في ميادين الجيولوجيا والطاقة وتكوين الأطر وبناء السدود إلى غير ذلك من الاتفاقيات (ويمكن للمهتم بهذا الموضوع أن يرجع إلى الكتاب المرقون حول أعمال مناظرة "حصيلة وآفاق العلاقات المغربية السوفييتية" التي نظمتها الجمعية المغربية لخريجي الجامعات والمعاهد السوفييتية بتاريخ فاتح نونبر 1988 بمناسبة مرور ثلاثين سنة على إقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين).

بعد تفكيك الاتحاد السوفييتي استمرت العلاقات الدبلوماسية وبقيت الاتفاقيات المبرمة والموقعة من قبل سارية المفعول بين المغرب وجل الجمهوريات السوفييتية السابقة وعلى رأسها دولة روسيا الفيديرالية. ويمكن القول إن هذه العلاقات التي يطبعها الاحترام المتبادل تتطور الآن كذلك بشكل سارّ وأنها في تحسن مستمر.


موساتوڤا، تاتيانا، روسيا والمغرب في الماضي البعيد والقريب، دار النشر "ناووكا"، موسكو، 1990، (بالروسية) ؛ موساتوڤا، تاتيانا، العلاقات الروسية المغربية ....، نقله من اللغة الروسية عبد الرحيم العطاوي، *مجلة دار النيابة*، العدد 18، 1988، ص. 25 ـ 31 ؛ عبد الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم*، المحمدية، 1986 ـ 1989، في عشرة أجزاء، ج 9 ـ 10 ؛ *حلقات من تاريخ المغرب الدبلوماسي ـ العلاقات المغربية الروسية، مجلة البحث العلمي*، العدد 11 ـ 12، 1967 ؛ عبد الرحيم العطاوي، *اهتمامات روسية بالمغرب في عهد مولاي عبد الرحمن* في كتاب جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة الخامسة، مركز الدراسات والأبحاث العلوية، الريصاني، دجنبر، 1993، دار المناهل للطباعة والنشر (وزارة الشؤون الثقافية)، 1966، ص. 34 ـ 43 ؛ *كتابات روسية حول طنجة* في كتاب "*طنجة* في التاريخ المعاصر، 1800 / 1956"، منشورات كلية الآداب بالرباط ومدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، الرباط، 1991، ص. 187 ـ 195 ؛ أعمال مناظرة، "حصيلة وآفاق العلاقات المغربية السوفييتية" التي نظمتها الجمعية المغربية لخريجي الجامعات والمعاهد السوفييتية بتاريخ فاتح نونبر 1988، كتاب مرقون ؛ إدريس اليحياوي، العلاقات المغربية السوفييتية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط، مرقونة.

S.I. Miliavskaya, *Connaissances sur l'Afrique en Russie au XVIIIè s.*, in *Russie et Afrique*, Moscou, 1966.


عبد الرحيم العطاوي

**الروسيّ** (أسرة) أصلها من جبل حبيب من بلاد الهبط، انتقل بعضهم إلى فاس وعملوا في حكومة المخزن العلوي لعدة أجيال. فقد تولى آل الروسي مناصب القيادة والاستشارة وتنفيد الأحكام والمراقبة وجمع الجبايات وغير ذلك من الأمور التي جعلت علاقتهم بأهل فاس علاقة متوترة، تتجاذبها الأحقاد، ويطبعها الاستياء والشكوى والانتقام أحياناً. ومن أبرز الأسماء التي تعاقبت في سلك الخدمات المخزنية نذكر :

**الروسي، حمدون** (الجد)، استوطن مدينة فاس، وبعد أن تعرف المولى إسماعيل على ولده عبد الله ولاه النظر في الإراثة، وهناك بعض الإشارات التي تدل على أنه أشرف على بعض الإصلاحات أو البنايات في هذا العهد.

توفي عام 1090/1679.

**الروسي، حمدون بن عبد الله**، تولى أمر فاس في سنة 1114 ـ 1115 قبل أن يعيد السلطان ابن أخيه أبا عليّ

الروسي إلى منصبه، ثم برزت شخصيته من جديد أيام حكم المولى عبد الله الذي ولاه أمر فاس عام 1141 وبلغ من عداوته لأهل فاس أن هدم أسوارها ونقل أبوابها إلى فاس الجديد عام 1143. كما أن أهل المدينة أظهروا غضبهم من سياسته حتى إنهم قذفوه بالسباب وهو خلف السلطان في موكب زيارته لضريح المولى إدريس مما أثار غضب السلطان ورجوعه بدون إتمام الزيارة.

**الروسي، عبد الخالق**، يلقب بالبطل الرئيس، عين في قيادة فاس في فترة ولاية مولاي حفيد بن المولى إسماعيل، ويظهر أن الوحشة استحكمت بين الرجلين وانتهت بأن أمر مولاي حفيد بقتل عبد الخالق الروسي في مكناسة.

**الروسي، عبد الرحمان** (ت. 1096/1685)، ورد ذكره كأحد القادة أثناء حصار تارودانت ومحاصرة مولاي الحران (*الترجمان المعرب*، ص. 379؛ *رسالة* عبد السلام القادري إلى عبد الخالق الروسي ضمن مجموع خ. ع 163 د، 42 ظ).

توفي عام 1090/1679.

**الروسي، عبد الله**، الوزير والرئيس الأعلى والوالي على عمال المغرب، هكذا تقدمه المصادر بصفات دالة على مكانته عند السلطان وعلى قدراته المهنية. ولد في فاس، وبها نشأ وتعلم صناعة النسيج، ثم خدم أحمد بن صالح الليريني إلى أن ساء العلاقات بينهما عند دخول المولى الرشيد إلى فاس. قربه المولى إسماعيل وفوض له أمر فاس فكان يسهر على الجباية والأحباس وتنفيذ الأحكام وغير ذلك. وقد حقق مكانة خاصة في وظائفه جعلت السلطان يتخذ منه مستشارا وهي مكانة لم يبلغها أحد عنده وذلك بفضل حسن تدبيره وسداد رأيه وإخلاصه له وقد تأكد ذلك للسلطان عدة مرات منها.

- عند تنظيم بيعة أهل فاس.
- أثناء التخطيط لطريقة التخلص من أحمد بن محرز بواسطة إقناع شيوخ أولاد جرار الذين غدروه بعد أن كانوا بطانته وخاصته.
- عندما حرص على توجيه النصح إلى محمد العالم الثائر على والده وقد اطلع السلطان على مراسلات سرية كانت تصل إلى ولده الثائر.

لكل ذلك غدا عبد الله الروسي والياً واسع السلطة، ونظراً لحاجة السلطان إليه نقله إلى مكناسة وأناب عنه والده فترة ثم ولده عبد الخالق وبعده حفيده أبا علي.

وفي فاس بالذات متّن علاقته مع الأسر الفاسية عن طريق المصاهرة، فقد تزوج أربع نساء إحداهن ابنة سيده القديم أحمد ابن صالح. وسهر على تسيير شؤون المدينة فكان صاحب عدد من الاقتراحات منها :

- وضع المكوس على أبواب فاس وأسواقها (عام 1108/96-1697).
- الإشراف على المباني الحضرية.
- التشدد في تطبيق مسألة جمع الحراطين وتمليكهم للدولة.

توفي عام 1132/20-1721.

**الروسي، عبد اللطيف** بن عبد الخالق (ت. 1144/31-1732)، ورد اسمه ضمن قادة مدينة فاس، ويظهر أنه رام نفس السياسة فقد أمر المولى عبد الله بقتله.

ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط، الأجزاء 6، 7، 8؛ س. ح. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح.، ج.2، 689؛ أ. الزياني، *البستان الظريف*، مخطوط، 44؛ م. الفاسي، *رسائل السلطان المولى إسماعيل*، مجلة تطوان، عدد خاص، 1962، 27، 35؛ ع. القادري بن الخياط، *التحفة القادرية*، مخطوط، ج. 2، 353، 355؛ القادري، ع. بن الطيب، رسالة إلى عبد الخالق الروسي، ضمن مجموع خ. ع. 163 د؛ القادري م. بن الطيب، *نشر المثاني*، الأجزاء 2، 3، 4؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج. 7.

نفيسة الذهبي

**الروسي، علي**، والمعروف عنه أنه من أبناء الجبل من قرية الرواوسة من جبل حبيب الواقعة على السفح الشمالي من الجبل. غير أننا لم نتمكن من التعرف على نشاطه الجهادي إلا في ذي قعدة - ذي الحجة 919/ يناير 1514. وقد أبدى علي الروسي أو الروآس مثلما يدعوه المصدر البرتغالي المعتمد لتتبع نشاطه الجهادي منذ بداية ظهوره كفاءة ومقدرة حربية كبيرتين، إلى درجة أن أسلوبه في الغارات على أصيلا وطنجة أصبح نموذجا يحتذى به، سار على منواله من أتى بعده من المقدمين، وكثيرا ما خصه صاحب حوليات أصيلا برناردو روذريكيز بعناوين خاصة تشهد بأعماله الخطرة على المدينتين المحتلتين.

جمع علي الروسي حوله عددا من أشهر محاربي جبل حبيب، سبق للبعض منهم أن تحمل أعباء نفس المهمة، وسينهض بعضهم الآخر بنفس المسؤولية بعده، منهم مساعده الأيمن المدعو عبد الله وعلي بن يعيش وعلي الحريش ومحمد يونس وعمر النجار وابنه الحسين النجار.

تجلت خطته الحربية في معرفته الجيدة للميدان الحربي وبموقع الطلائع وأحوالها ومداخل المدينة ومخارجها والأسلوب الحربي البرتغالي المتبع. ظهر كل ذلك في طريقة استغلال نصب الكمائن داخل الميدان وخارجه، وبذلك حصل على عدد كبير من الأسرى، سواء من ميدان أصيلا أو طنجة. وشاع ترديد البرتغاليين لقولهم كلما علموا بوجوده

: "الله يحفظ من الرواس". وبالقدر الذي كان جنود أصيلا يخافون الوقوع بيد علي الرواس كان سجناؤه يثنون عليه وعن حسن معاملته لهم نقلهم إلى شفشاون، فهم كانوا يقضون بمنزله ضيافة ثلاثة أيام يستدعيهم أثناءها إلى وليمة فاخرة، ولا يمس أي شيء مما يجده في حوزتهم.

أقلق علي الروسي راحة حاميتي أصيلا وطنجة خلال أربع سنوات مما وصلنا من أخباره، ولا يمر أسبوع أو أسبوعان دون مباغتته جنود أصيلا أو طنجة بالهجوم على الطلائع وأسر ذويها، مما كان مفضلا لديها للتمكن من استبدال الأسرى مما كانوا بحوزة أصيلا. ويمكن في الجملة عد خمس عشرة غارة قام بها من تلقاء نفسه، علاوة على التي شارك فيها مع قائدي شفشاون وتطوان أو بمعية القواد الآخرين، إلى جانب انضمامه إلى الحركات السلطانية، مما يبرر قلق حاكم أصيلا الذي كثيرا ما صرح بعدم الاهتداء إلى وسيلة ناجعة لتلافي عواقب تحركاته السريعة بالميدان من جهة وبين جبل حبيب وبين ومراس وبني كرفط من جهة أخرى.

ونشير كنموذج لتلك الغارات إلى ما قام به في صيف سنة 922/ 1516 وهو بمعية حاكم شفشاون علي بن راشد العلمي ببني أحمايد بصدد حماية المحصول الزراعي لتلك السنة. وإذا كانت أغلب الأمثلة مما يهم أصيلا فإن القليل منها هو الذي يهم طنجة، على الرغم من أن صاحب حوليات أصيلا يجعل عدد غارات المجاهد علي على طنجة لا يقل على التي قادها ضد أصيلا، إذ كان من عادة الرواس أن يخصص كل أسبوع للإغارة على إحداهما.

ونعرف من خلال *الحوليات* أن المقدم علي الروسي استمر في مهمته إلى آخر سنة 924/ 1518. ففي شهر دجمبر السنة نظم محمد البرتغالي غزوته المعتادة نحو أصيلا وطنجة وكان من عادة رجال شفشاون وتطوان السير في المقدمة، وحدث أن أصيب علي الروسي في هذا التاريخ بالطلقة المدفعية القاتلة.


أ. ابن القاضي الكعداوي، *تقييد*، مخطوط في خ. ح ؛ حسن الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية الغربية*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991 ؛ سيدي محمد بن عبد الله وحصار مليلة، الرباط، 1996 ؛ الطاهر اللهيوي، *حصن السلام بين زيدي أولاد عبد السلام*، الدار البيضاء، 1978.

B. Rodrigues, *Anaias, de Arzila* ; Francisco de Miranda, *Diario*, t. 2.


حسن الفگيگي

**الروسي، أبو علي الحسن** بن عبد الخالق، توقفت المصادر كثيراً عند ذكر قسوته فقد "نهب، وضرب، وفعل بأهل فاس ما لم يفعله بهم أحد في الماضي... ولم يسمع لشريف ولا مشروف" (*الدر*، ج. 7، ص. 153 -154) كان تعيينه على فاس عام 1115/ 03 - 1704 بعد عزل الزعيم - الذي تولاها مدة قصيرة بعد مقتل عبد الخالق الروسي - وقد عمل أبو علي منذ توليه على تنفيذ الصرامة في الأحكام والتشدد في جباية الأموال مما جعل أهل فاس يستشفعون بالسلطان أكثر من مرة وقد أدت تجاوزاته أحيانا إلى غضب السلطان وإلى عزله حيث عين أخاه حمدون لكنه بدوره انساق في نفس السياسة فعُزل وعين مكانه حم قصارة، غير أن إبعاد آل الروسي جعل ضبط أمور المدينة صعبا، لذلك نجد المولى إسماعيل يعيد أبا علي الروسي إلى منصبه.

أضمر أهل فاس لأبي علي الحقد لتصرفه فيهم بالمغارم والزجر والإقصاء فثاروا عليه بعد وفاة المولى إسماعيل مباشرة، وقتلوه في داره ثم مثلوا به في الأزقة، كما قتلوا من أصحابه من ظفروا به. ولم يكن الحادث بسيطا فقد أعقبته مرحلة جديدة من الفتن في فاس. ثم وجّه أهل فاس اثنين من كل قبيلة من مشاهير الأشراف إلى السلطان مولاي أحمد المبايع بمكناسة بقصد الاعتذار.

قتله الثوار في داره بفاس سنة 1139/ 1727.

**الروسي، مسعود** بن عبد الخالق، ولاه علي بن المولى إسماعيل على فاس عام 1147 هـ. فأخذ يتشدد في جمع الكلف ويلزم أهل المدينة بإخراج الرماة وينتقم ممن اتهمهم بقتل أخيه أبي علي كلن أهل فاس غضبوا عليه وأعلنوا سخطهم مما جعله يلوذ بالفرار. وبعد مبايعة المولى عبد الله بعثه واليا على فاس من جديد سنة 1149 هـ لكنه طورد من قبل الفاسيين.

قتل في فاس سنة 1149/ 36 - 1737.


ابن الحاج، الدر *المنتخب*، مخطوط، الأجزاء 6 - 7 - 8 ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. ج. 2، 689 ؛ أ. الزياني، *البستان الظريف*، مخطوط، 44 ؛ م. الفاسي، *رسائل السلطان المولى إسماعيل*، مجلة تطوان، عدد خاص، 1962، 27، 35 ؛ القادري، ع. بن الخياط، *التحفة القادرية*، مخطوط، ج. 2 : 353، 355 ؛ القادري ع. بن الطيب، رسالة إلى عبد الخالق الروسي، ضمن مجموع خ. ع. 163 د ؛ القادري م. بن الطيب، نشر المثاني، الأجزاء 2 - 3 - 4 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج. 7.


نفيسة الذهبي

**الـرّوشة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Rocha وRoza وRoxas ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.


م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 746.


محمد بن عزوز حكيم

**روش ليون** Roches Léon موظف من موظفيي السلك الديبلوماسي الفرنسي، متواضع المنشأ غريب الأطوار، ساقه ما أحدثه احتلال الجزائر سنة 1830 وانهزام المغرب أمام الجيوش الفرنسية في معركة إسلي سنة 1844 إلى القيام بالأدوار الطلائعية في رسم الحدود الجديدة بين الايالتين في اتفاقية لالة مغنية المجحفة.

وُلد ليون روش في مدينة كرينوبل Grenoble يوم 27 شتنبر 1809. ثم إنه التحق سنة 1832 بوالده في الجزائر حيث كان من الأفواج الأولى من المعمرين. لكن الشاب ليون روش فضل الانخراط في الجيش فشارك في معارك المدية سنة 1836. إلا أنه انعزل عن الجيش بعد اتفاقية تافنة بين الفرنسيين والأمير عبد القادر بن محيى الدين، وذلك ليلتزم بالعمل في الكتابة الشخصية للأمير فيما بين 1837 و1839، بعد أن أعلن اعتناقه للإسلام وتسمى باسم عمر. وقد علل ذلك في مذكراته بأنه كان قد وقع في غرام سيدة من مسلمات وهران فرّ بها زوجها خوفا من الفضيحة، فلم يجد روش صبراً على ذلك وخرج يبحث عنها فدخل في خدمة الأمير. واطلع بالمناسبة على العديد من أسراره، وتعلم بين حاشيته اللغة العربية حتى صار يتكلمها بمنتهى الطلاقة. ثم إنه قام بالفرار منه يوم صار نفاقه على وشك أن يفتضح بين الجزائريين، فعاد إلى الجيش الفرنسي ليشتغل ترجمانا عسكريا في هيأة أركان الحرب لدى الجنرال بوجو Bugeaud. مما يوحي أن ليون روش دخل المخابرات العسكرية الفرنسية، وأنه كان من جواسيسها. وقد كلف بمهمة طواف بلاد المشرق في السنوات الأولى من الأربعينات لإبطال مفعول الدعوة إلى الجهاد التي كان الأمير عبد القادر يدعو إليها ويلتمس فيها السند من كافة الأمة. وكتب عن رحلاته كتابا في آخر عمره زاد فيه ونقص بما أملاه عليه هواه. ولما عاد من الشرق إلى الجزائر ألحق بالوفد الفرنسي المكلف برسم الحدود الجديدة مع المغرب بناء على ما اغتصبه الجيش الفرنسي من الأراضي المغربية. وقام روش بالأدوار الطلائعية في توهيم الوفد المغربي الذي كان يقوده احميدة الشجعي. وأثبت كل ذلك في اتفاقية لالة مغنية (18 مارس 1845)، التي لم يمضها السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام وظل يحتج عليها، حتى اشتدت ضغوط فرنسا عليه، مقرونة بضغوط انجلترا وبما تفاقم من شغب الأمير عبد القادر الذي لجأ إلى جبال الريف المغربية وصار يهدد من حيث قصد أو لم يقصد استقرار البلاد الداخلي. وأرتأت الحكومة الفرنسية اللجوء إلى أساليب المراوغة والمخاتلة، فأوفدت ليون روش الذي ذاع صيته بالمهارة في تلك الفنون لدى السلطان المولى عبد الرحمان، فجاء ليلتقي به وهو في الرباط يومئذ، في النصف الثاني من شهر نونبر سنة 1845، معتمداً ما كان عليه من طلاقة اللسان وسيولة القلم باللغة العربية، وما كان في جعبته من سياحته المطولة في الشرق عن الثقافة العربية وكونه من المسلمين، مستعملا فضلا عن ذلك ما نعته في تقاريره بأنه سياسة "الدبلون"، كناية عن شراء ذمم ذوي الحل والعقد من خدام السلطان، من أمثال محمد بن إدريس العمراوي وبوسلهام ابن علي ومحمد بن عبو. وهكذا استقبل في الرباط استقبالا يتجاوز صفته المتواضعة التي جاء بها، وهي صفة ترجمان موفد من قبل المكلف بأعمال فرنسا في طنجة إيدم دي شاطو Edme De Chasteau. فأنزل منزل الأمير المولى أحمد، ثالث أبناء السلطان. ثم استقبله المولى عبد الرحمان استقبالا متميزا، بما استطاع أن يكسب من النفوذ لدي الوزير ابن إدريس، وبما أبدى من الجرأة على المقدسات المغربية ومن التحايل عليها. ووعده السلطان بكل ما جاء يلتمسه منه، ومفاده أن تجند كل طاقات المغرب لإبعاد الأمير عبد القادر عن الريف أو طرده من التراب المغربي. كما أقنع السلطان بضرورة إيفاد سفارة إلى باريس ليكون فيها اعتراف مغربي بجوار فرنسا لأراضيه من جهة الشرق. وعاد روش إلى طنجة وهو متوج بإكليل النصر في نظر رؤسائه. وكان من مهامه أن يرافق السفير المغربي المعين للرحيل إلى باريز، وهو عبد القادر بن الحاج محمد أشعاش التطواني. وقد رافقه طيلة السفارة في مطلع سنة 1846. مما جعله من الخبراء بشؤون المغرب، فقررت وزارة الخارجية الفرنسية إلحاقه بسلك موظفيها، فعيّن مساعدا لدي المكلف بالشؤون الفرنسية السابق الذكر إيدم دي شاطو الذي صاهره بابنته، وجاء معه في خريف نفس السنة إلى مراكش لممارسة مزيد من الضغط على المولى عبد الرحمان في أمر الأمير عبد القادر. وكان ذلك آخر عهده بالمغرب، حيث افتضح أمره وتبيّن للسلطان تلاعبه بالدين ومروقه، فلم يعد من الممكن أن تنطلي حيله على أحد في المغرب سيما وأن ابن إدريس توفي سنة 1847. وتقلب ليون روش بعد ذلك على عدة قنصليات ومراكز ديبلوماسية فرنسية، فكان في تريبسطا سنة 1849، ثم قنصلا عاما ومكلفا بالشؤون الفرنسية في تونس سنة 1853. وأعلى ما بلغ من الرتب رتبة الوزير المفوض في اليابان سنة 1863. وقد أحيل على المعاش 1870. فاشتغل بتدوين مذكراته التي صدرت سنة 1885 تحت عنوان "إثنان وثلاثون سنة في دار الإسلام"، لم يتجاوز فيه سنة 1845، أورد فيه الغث والسمين، واعتمد على السرقة والخيال أكثر من اعتماده على ارتسامات شاهد العيان.

المديرية العامة للوثائق الملكية، *الوثائق*، العدد الأول والثاني (سنة 1976)، الرباط.

Roches Léon, *Trente-deux ans à travers l'Islam, 1832-1864*, Paris, 1884 - 1885 ; Cossé-Brissac, Philippe de, *Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie (1830 - 1847)*, Paris, 1931 ; Caillé Jacques, *Une mission de Léon Roches à Rabat en 1845*, Casablanca, 1947.

إبراهيم بوطالب

**الـرّوشو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم الحروف اللاتينية هكذا Roio - Royo ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Ruso ؛ وأما الأسرة التطوانية فقد انقرضت سنة 1141/1729.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك أسرة أخرى تحمل نفس الاسم أصلها من الجزائر.

م.ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 747.

**الروصي**، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر وقد انقرضت بتطوان سنة 1236 (1820) غير أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت بحومة الطرانكات دار تعرف بدار الروصي.

م.ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1624.

محمد بن عزوز حكيم

**روطنبورگ فالطير** Rottenburg Walter، مهندس مدني ألماني ولد بمدينة دانتسيك Dantzig، عمل أول الأمر في الجيش في الهندسة العسكرية، وتخرج بدرجة قبطان في جيش الاحتياط. وهو أخو فرانتز روطنبورگ، أحد قضاة هيأة المحاسبة لدى رئاسة الحكومة الألمانية، الذي أسندت إليه نيابة كتابة الدولة في الداخلية في حكم المستشار الألماني بيسمارك في الثمانينيات من القرن التاسع عشر، وكان ذا حظوة لديه. مما جعله يقدم أخاه فالطير للرحيل إلى المغرب، حيث وكّل به السلطان المولى الحسن أمر بناء البرج الكبير بالرباط خارج باب العلو، على شاطئ البحر، وكان يعرف أيضا بالبرج الألماني. وقد شرع في بنائه ابتداء من سنة 1303/ 1885 بمساعدة المهندس المغربي الزبير سكيرج. وكان "القائم بالبناء والصائر عليه ومراقبة شؤونه جميعها بناء وحراسة وغير ذلك، على ما قال صاحب *الإتحاف*، الأمين الحاج عبد الخالق فرج، محتسب الرباط وناظره الذي بقيت بيده مفاتيحه إلى آخر العهد الحفيظي"، وكان فالطير روطنبورگ من جهة أخرى وكيل دار كروب Krupp لصناعة السلاح، وعلى يديه اشترى المولى الحسن "المدفعين العظيمين الذين أراد جلبهما" من ذلك المصنع الذي كان معجبا بمنتجاته. وتوجهت إلى مدينة أيسين Essen في ألمانيا بعثة مركبة من الأمين الحاج محمد الزكاري ومن الزبير سكيرج الآنف الذكر وفالطير روطنبورگ ومجموعة من الطبجية المغاربة، منهم الحاج إدريس بن عبد الواحد والقائد محمد الشديد والقائد محمد سباطة للوقوف على اختيار المدفعين، وذلك سنة 1308 / 1890 ، ولم يتوصل المخزن بهما إلا سنة 1893. ولم يتأت تركيبهما في البرج المذكور إلا سنة 1898. وهكذا امتد مقام فالطير روطنبورگ في المغرب. وكان نموذج الخبراء الألمان المقتدرين الذين حاول المخزن أن يستعيض بهم عن بعض نظرائهم من الضباط الفرنسيين والنجليز والإسبان الذين كانوا أكثر استعدادا للتجسس على المخزن والضغط عليه منهم إلى الأخذ بيده ومساعدته على إصلاح شؤون جيشه. واعتبر الفرنسيون الحصن الذي بناه روطانبورگ بمثابة موطئ قدم للنفوذ الألماني في المغرب، ولذلك بادروا إلى تغيير اسمه بعد الحماية فأطلقوا عليه اسم بعض ضباط مدفعيتهم يدعى هريفي Hervé. وإذا كان روطانبورگ قد حظي برضى المولى الحسن الذي مكنه من دار فاخرة لسكناه في طنجة، فإن حكومة الحاجب ابا احماد غضت الطرف عنه بسبب نزاع حول تلك الدار، التي كان روطانبورگ يقول إن المولى الحسن ملّكها إياه، بينما كان الحاجب يرى أنه أسكنها على سبيل الكراء. ومما زاد من النفرة المخزنية منه، أن دار كروب أسندت وكالة شؤونها في المغرب لغيره. لكن ما أن توفي الحاجب، حتى عاد روطانبورگ إلى سابق حظوته لدى حكومة المولى عبد العزيز الجديدة، وبخاصة لدى وزير الحرب المهدي المنبهي. فإنه انتدب ليرافقه في سفارته إلى برلين في صيف 1901. ومما تميزت به السفارة أن قام كاتب السفارة عمر التازي بزيارة معامل كروب بمدينة أيسن رفقة روطانبورگ، الذي يذكر من منجزاته أيضا أنه أقام في القصر السلطاني في فاس حماما بالرشاش بأمر من المولى عبد العزيز الذي ولع بمخترعات الأوربيين. وبقي روطانبورگ مقيما في طنجة، حيث كان منزله وكالة للدعاية الألمانية في المغرب، إلى أن وفاه أجله في مارس 1906.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، الجزء الثاني، 1930 ؛ ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط وأعيانها في القرن التاسع عشر وبداية*

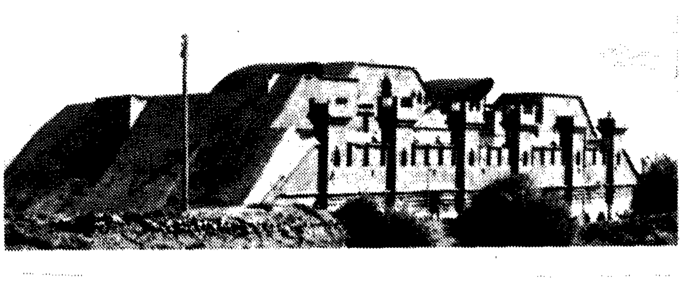

قصر البحر من بناء روطنبورك

*العشرين*1830 ـ1912، الرباط، منشورات رباط الفتح، (د. ت.).

Guillen Pierre, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967.

إبراهيم بوطالب

**الـرّوكاش،** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rocas ؛ وكانت من الأسر التطوانية التي هاجرت إلى القصر الكبير إثر الاحتلال الإسباني لمدينة تطوان سنة 1276/1860.

**الـرّوكاش، عبد الكريم** بن أحمد، فقيه زاول خطة العدالة بتطوان وكان بقيد الحياة سنة 1198/1784.

**الـرّوكاش، محمد** بن عبد الكريم، فقيه تعاطى للافتاء إلى غاية سنة 1231/1816.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم .

**الروكْس** ويكتب أيضا الرّوكْش، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ros ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1178/1765.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 744.

محمد ابن عزوز حكيم

**الروگي، الجيلالي** ثائر من أولئك الثوار، أو فتان كما تقول الرواية التقليدية، من أولئك الفتانين الذين كانوا يقومون من حين لآخر في مغرب ما قبل الحماية ليصدعوا بظلم لحقهم من الحكام أو ليفصحوا، من وجهة نظر المؤرخ المعاصر، عن تناقضات مجتمع واقع بين مركزية مخزنية مفتقرة لأدوات المراقبة المسترسلة وبين حرية قبائلية غير واعية بما يفصل الحرية عن الفوضى. فكانت القاعدة القبلية لا يمكن أن تسمع صوتها إلا بالثورة والشغب العنيف، مثلما أن الجهاز المخزني كان لا يفرض سلطته وطاعته إلا بالقمع والحركة (بإسكان الراء) إلى حيث يقتضي الأمر ذلك. فإذا كنا لا نعرف شيئا عن أسباب ثورة الجيلالي الروگي الملموسة، فإنه لا صعوبة في استشفاف أسبابها الاجتماعية والسياسية في خطوطها العريضة. والجيلالي الروگي هذا من عرب قبيلة سفيان، المستوطنة لسهول الغرب إلى جانب قبيلة بني مالك. وينقسم عرب سفيان إلى ثلاث قسمات كبرى، هي قسمة آل بهان وقسمة آل الرواگة (بعقد الكاف على الطريقة البدوية) وقسمة آل المناصرة. وينقسم آل الرواگة بدورهم إلى خمس فرق، آل الجباص وآل بني عزيز وآل الزوائد وأولاد عسكر وآل المعارف. وينتسب الجيلالي الروگي إلى أولاد غيضان من قسمة مجال قبيلتهم على الضفة اليمنى من وادي الروم.

تقول الرواية التاريخية المتداولة إن الرجل كان متواضع الأصول خامل الذكر، "حرفته رعي البهائم ونحو ذلك من عمل أهل البادية"، على ما قال صاحب *الاستقصا*، إلى أن "وكّل به جني أو شيطان ففاه بالمخارق"، على حد قول المؤرخ المذكور، فافتتنت به العامة في ناحية بلدة كورت، وذلك في مطلع رجب من سنة 1278/ يناير 1861. ثم تحولت الفتنة ثورة، وأدى الأمر بالثوار إلى محاصرة دار القائد المحلي عبد الكريم بن عبد السلام بن عودة الحارثي بالعصي والمقالع حتى اقتحموها عليه فقتلوه وقتلوا من كان معه من ذويه وأصحابه. فازدادت العامة افتتانا بزعيمها وانقادوا به وانساقوا معه وتمسكوا بأقواله ووعوده، إذ كان يمنيهم ويعدهم بالسطو على الملك والتمكن من الخيرات والأموال، ضامنا لهم السلامة من قوة المخزن وموهما إياهم بعجز سلاحه عن التأثير فيهم. يقول صاحب *فواصل الجمان* : "وقد اطلعت على خطبة لبعض من أشربهم ضلالا ومخرقة فجنّوا به جنون هَبَنّقَة، منها قوله : هذا الجيلاني مجدد الدين، هذا قامع المعتدين، هذا خليفة سيد أحمد التجاني، هذا الذي بشر به سيدي فلان إلى غير ذلك من الأوهام".

وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان يومئذ في الرباط. فأمر أخاه المولى الرشيد بالتصدي للجيلالي الروگي الذي اكتفى بأن رمى الجيش السلطاني بأنصاره مسلحين بأرسان وشكائم صنعوها من الدوم على اعتبار أنهم منتصرون لا محالة ولن يكون عليهم سوى قيادة ما سيقع بأيديهم من الخيل. لكن نيران مدافع السلطان سرعان ما بددت تلك المزاعم. واضطر الجيلالي الروگي إلى الفرار.واحترم بضريح المولى إدريس الأكبر في زرهون، مدعيا أنه من الشرفاء الأدارسة. ويقول صاحب *الإتحاف* إن بعض "البله من الشرفاء" مالوا إلى التصديق بذلك، ووقع شيء من الأخذ والرد بينهم وبين الشرفاء العلويين حتى اضطر القيّمون على الضريح إلى إيداع الجيلالي الروگي في قوس لا يصله أحد في انتظار ما يكون من حكم السلطان عليه. وسبب ذلك في الراجح أن الشرفاء الأدارسة كانوا نافرين من أن تنتهك حرمة ضريح جدهم المقدس. ولكن بعض الشرفاء العلويين، يدعى أحمد بن المامون العلوي الإسماعيلي، جاء "متجردا في قميص غير متمنطق"، موريًا بعدم حمل أي سلاح، راغبا فقط في النظر إلى وجه الفتان، معززا مع ذلك بعصبة من الشرفاء العلويين. فلم يسع الحراس إلا أن أذنوا له بدخول القوس. وما أن دخله

وأغلقت الأبواب عليه حتى بدا الدم يجري من تحتها، ذلك بأن الشريف المذكور كان قد أخفى مدية في عمامته فنحر الجيلالي الروكي بها فأراحه وأراح منه، وكان ذلك في منتصف شعبان من السنة المذكورة.

وإذا كنا على بينة من كيفية قيام الثورة وكيفية انتهائها، فإن المصادر التاريخية ساكتة عن أسباب قيامها في ذلك المكان وفي ذلك الزمان. مع أن صاحب *الاستقصا* يقرّ بأنه كان "حاضرا لهذا الخطب العظيم". ولكن وظائفه المخزنية، وما دخله ولا شك من الرعب من هيجان العامة، حال بينه وبين أن يلتمس أدنى عذر للثوار الذين لم ير فيهم إلا "أخلاطا من الأوباش"، افتتنوا «بهذا المعتوه»، الذي يسمه صاحب *فواصل الجمان* بالجيلالي المعجاز» زيادة في الاستخفاف به وإغراقا في الحط من شأنه. وكذلك يسمه ميشو - بلير الفرنساوي بالموهوم (illuminé). ومثل هذه الثورات أو الفورات الجماهيرية العارمة المفاجئة أكثر من أن تحصى في تاريخ المغرب. وكانت سرعة اشتعالها لا يضاهيها إلا سرعة انطفائها كلما كان السلطان قويا. فإن ثورة الجيلالي الروكي لم تتجاوز أكثر من أربعين يوما. لكنها توحي بما كان متجذرا في مجتمع ذلك العصر من الفكر المهدوي الثوري الذي قد يتمخض في حالة النجاح عن قيام دولة جديدة، وفي حالة الفشل يكتفي بالتعبير عن تذمر سياسي أو اجتماعي بعيد الأغوار. وكانت الأوضاع السياسية في مغرب بداية عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان في تمام الاضطراب، "والناس بين نارين، على ما قال ابن زيدان، بل نيران، نار فتنة الإصبان (يعني حرب تطوان) ونار فتنة الروكي، وفتنة المفسدين الرحامنة". فاختلت الأمور وغلت الأسعار وصار الأوربيون المقيمون في المغرب يفكرون في مهاجرته. هذا على الصعيد العام.

أما على الصعيد المحلي، فلا شك أن الجيلالي الروكي لم يكن على تلك الدرجة من الحقارة التي تصوره عليها المصادر التاريخية المتداولة. وهل يمكن أن يأخذ بلب الجمهور إلا من له نصيب غير هين من المعرفة ؟ وليس ذلك بغريب في منطقة كثيرة الزوايا والمدارس، لم يكن أرزاق الناس فيها على رماحهم فحسب بل أيضا على أقلامهم. وهل كان للجيلالي الروكي نزاع مع القائد عبد الكريم بن عودة ؟ كل ما في علمنا أن أولاد ابن عودة هؤلاء دخلاء على المنطقة، فهم من الجزائر، من قبيلة الفليتة، إقليم تيارت، هجروا أوطانهم واستوطنوا المغرب في عهد المولى سليمان، وأقطعوا الأرض في بني سفيان. وكان عبد السلام ابن عودة قائد المولى عبدالرحمان بن هشام على المنطقة. ويروى ميشو - بلير الفرانسوي أن الذي خلف القائد عبد الكريم ابن عودة المقتول هو صهره و"مشاوره" المدعو الجيلالي الجرايفي. وكان يقال إن له يدا خفية في ثورة الروكي. وكان من أخبث خلق الله وأشدهم قساوة على الرعية. ولم يفلت من بطش السلطان سيدي محمد إلا لكونه عرفه بمضحكه المسمى عبد السلام البقالي المدعو أبو القطيب، الذي كان من شيوخ الرماة وممن نال الحظوة الكبرى لدى السلطان المذكور، فكان يدافع عن الجيلالي الجرايفي ويغطي على تجاوزاته. ولعل هذه المعلومات لاتشبع ولا تغني من جوع، بيد أنها تصور تصويرا ملموسا لما كانت عليه أحوال المغرب عند اشتعال فتنة الجيلالي الروكي، موحية بعمق جذورها في الثقافة السياسية التقليدية، وبما كان لها من الصدى داخل البلاد وخارجه حتى إن العامة ظلت تعتقد بأن الجيلالي الروكي لم يقتل، وأنه قائم من جديد لا محالة. وصار من يومئذ كل من قام بأدنى حركة على السلطة التشريعية يدعى بالروكي، مثلما حصل لبوعزة الهبرى في قبيلة بني وارين، والجيلالي الزرهوني المدعو بو حمارة في الأقاليم الشمالية الشرقية في مطلع القرن العشرين. وتلقف الأوربيون هذا الاسم وروّجوه في كتبهم وصحفهم حتى حولوه من اسم شخص معينّ بالذات إلى مفهوم بنيوي يدل على سوء استقرار المغرب ويبرر لزوم استعمارهم له.

أحمد الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، دار الكتاب، الجزء التاسع، 1960 ؛ ابن زيدان، عبد الرحمان، *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، الرباط، المطبعة الوطنية، الجزء الثالث، 1350 /1932 ؛ غريط، محمد، *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، فاس، المطبعة الجديدة، 1928.

Michaux-Bellaire, Edmond, *le Gharb*, *A.M.*, 1913.

إبراهيم بوطالب

**الروم** (في الجيش المغربي الوسيط)، فرقة من النصارى استخدمت في الجيش المغربي منذ القرن السادس (12 م). وقد تمت الإشارة إليها في المصادر والمراجع بمسميات مختلفة مثل : الروم، الرماة المسيحيون، جند الافرنج، الفرنج (Franc)، جند النصارى، الكتائب المسيحية، الميليشيات المسيحية (milices chrériennes) أو المرتزقة النصارى. وقد استعمل ملوك الغرب الإسلامي كالمرابطين والموحدين والحفصيين والزيانيين والمرينيين وبني الأحمر هؤلاء في جيوشهم النظامية لكن دورهم على الساحة السياسية المغربية سيزداد خطورة أواخر الحكم الموحدي. ويظهر أن أول إشارة تتعلق بانضمام هؤلاء إلى الجيش المغربي ترجع إلى عهد السلطان المرابطي علي بن يوسف الذي اعتُبر أول من استعمل الروم وأركبهم في المغرب وقدمهم على جباية المغارم ( *البيان*، 4 :102 ؛ *الحلل*، 84). وتؤكد هذه الإشارة ما ورد في المصادر الإسبانية أيضاً وخاصة في أخبار الامبراطور الفونسو ملك قشتالة من أن "ألوفاً كثيرة" من الجند النصارى كانوا في عاصمة علي بن يوسف وابنه تاشفين وأن البعض منهم هاجر

المدينة سنة541 / 1147 بعد دخول الموحدين إليها في اتجاه طليطلة (L'église, p. 72). غير أن بعض الباحثين اعتقدوا أن بداية تجنيد الروم في الجيش المرابطي تعود إلى عهد السلطان يوسف بن تاشفين عندما اشترى حوالي 250 فارسا من الأعلاج من الأندلس ( *النظام*، 149 ؛ *الموحدون*، 227). مما لاشك فيه أن هؤلاء الروم منذ استعمالهم في الجيش المرابطي لعبوا أدوراً رئيسية في كثير من أحداث المغرب خاصة في فترات الانتقال من دولة إلى أخرى (من المرابطين إلى الموحدين إلى المرينيين) أو عند انتقال السلطة ومقاليد الحكم من ملك إلى آخر، الشيء الذي يعطي الانطباع بأن الروم شكلوا ما يشبه عصبية مستقلة عن عصبية الدولة الحاكمة، فهم جسم غريب يعتمد على الارتزاق ويختلف عن المغاربة جنسا ودينا ولغة وعادات، ولذلك نُظر إليهم كعناصر فتن وقلاقل كانت وبالاً على استقرار المغرب. فأدوارهم تجاوزت طبيعة مهمتهم العسكرية والأمنية وأصبحت تستخدم من طرف ملوك أوربا والكنيسة للتدخل في شؤون المغرب وإضعاف مخزنه بإثارة الفتن والمؤامرات.

يعود أول حضور رسمي للروم في الأحداث المغربية على الأقل إلى سنة534 / 1140 في عهد علي بن يوسف عندما خرج ولي عهده تاشفين بعسكر كبير من لمتونة والحشم وزناتة وجمع من النصارى مع قائدهم الربرتير Reverter لقتال جيش الموحدين بقيادة عبد المومن بن علي. ويظهر من تفاصيل هذه الأحداث أن تصاعد خطر الموحدين وكثرة الثائرين على الدولة المرابطية وعدم ثقة المخزن المرابطي في ولاء العناصر الزناتية والمصمودية كانت من الأسباب الرئيسية التي اضطرت علي بن يوسف إلى الاستعانة بالنصارى والاعتماد عليهم في قمع المتمردين والحد من المشاكل التي بدأت تهدد الدولة المرابطية في وجودها. ولذلك لم تستطع المصادر المغربية اخفاء مدى بسالة وشجاعة القائد الربرتير وجنوده من الروم، البالغ عددهم حوالي 4000 فارس. في قتال الموحدين والدفاع عن المرابطين وسلطانهم عليّ وولي عهده تاشفين إلى أن سقط قتيلا سنة 539 / 1145.

وفي سنة541 / 1147 كان عبد المومن حاصر مراكش الحصار الأخير فداخله جند الروم الذين كانوا يعملون في الجيش المرابطي وكانوا بداخل المدينة، واتفقوا معه على أن يسهلوا له فتحها والدخول إليها من أحد أبوابها وهو باب أغمات مقابل تأمينهم والصفح عنهم. وقد تمكن عبد المومن بفضل خيانة جند النصارى فتح مراكش واحتلالها حسب رواية كل من صاحب *الحلل* وابن الأثير والنويري. أما البيدق وابن عذاري فلم يشيرا إلى أي دور لهؤلاء الروم في سيطرة الموحدين علي المدينة. ويبدو أن بعض فرسان هذه الفرقة الذين فضلوا البقاء شكلوا نواة مهمة إلى جانب القبائل البربرية والعربية والغز في الجيش الموحدي. فقد استعملهم عبد المومن مع غيرهم من الأجناد مباشرة بعد الفتح وبالضبط سنة 542 / 1148، في إخماد ثورات بعض المعارضين والمنشقين كمحمد بن عبد الله بن هود المعروف بالماسي الذي ثار بالسوس.

ويلاحظ أن خليفة عبد المومن أبا يعقوب يوسف كان بدوره يستكثر من الروم ويشركهم في الاستعراضات العسكرية التي كان يشرف عليها خارج أسوار عاصمته مراكش وخاصة أمام باب الشريعة. وقد أشار البيدق إلى أن يوسف الموحدي كان قد أجاز النصراني المسمى جرنده Geraldo Sempavor من الأندلس إلى مراكش وجعله قائدا لكتيبة من الروم مكونة من 350 فارسا بمنطقة السوس لقمع المتمردين هناك. لكن الموحدين اكتشفوا أمره بعد ذلك وتأكدوا من اتصالاته ومراسلاته السرية مع سيده ملك البرتغال الفونسو هنريكيز (ابن الرنك)، فأمر يوسف بقتله بعد أن نفاه إلى درعة سنة565 / 1169.

نعتقد أن دور الميلشيات المسيحية على الساحة السياسية المغربية ظل محدوداً في فترات قوة المخزن الموحدي. لكن في فترات ضعفه وانحلاله خاصة بعد هزيمة العقاب سنة609 / 1212 بدأت قوة هذه الميليشيات تتعاظم بسبب تفاقم المشاكل السياسية للدولة وتراجع هيبة الجيش الموحدي وتكاثر الطامعين في الخلافة من بني عبد المومن الذين أصبحوا يستعينون بالروم أكثر من غيرهم لتنفيد الدسائس وحبك المؤامرات وخلع هذا الخليفة أو تعيين آخر مكانه. ويشكل عهد المامون مثالا واضحا على بداية تغلغل خطر الميليشيات في جسد الدولة المغربية وتزايد اعتماد ملوك المغرب عليهم في نزاعاتهم الداخلية. فلما تخلى أشياخ الموحدين على بيعتهم للمامون الموحدي وبايعوا ابن أخيه يحيى الناصر. اتصل وهو بالأندلس بملك قشتالة فردنانه الثالث Ferdinand III يستنصره على الموحدين ويطلب منه مساعدته بجيش من النصارى يجوز بهم إلى المغرب لمحاربة يحيى ومؤيديه. وقد اختلفت الرويات في تحديد عدد أفراد هذا الجيش بين 500 فارس حسب ابن عذاري و12.000 فارس حسب ابن أبي زرع. ويضيف ابن أبي زرع أن تلك المساعدة تمت على أساس قبول المامون لمجموعة من الشروط من أبرزها منحه لملك قشتالة عشرة حصون تلي بلاده ويختارها بنفسه ثم بناء كنيسة في وسط مراكش تكون مكان عبادة لأفراد هذه الميليشيا، كما شرط عليهم أن لا يقبل إسلام من أسلم من هؤلاء الروم وأن يقبل من تنصر من المسلمين. فلم يجد المامون سبيلا آخر غير قبول هذه الشروط المجحفة وتنفيذها بهدف استعادة عرشه. وبهذا يعتبر المامون أول ملك مغربي يستخدم الروم بناء على اتفاق مشروط مع ملك أوربي، كما سيدشن بذلك وجودا قويا للروم القشتاليين في الجيش المغربي. وبفضل هذه الكتيبة تمكن المامون سنة627 / 1229 من السيطرة على مراكش والتنكيل بمعارضيه وناكثي بيعته من أشياخ الموحدين وأشرافهم وقتلهم جميعا في عدد يصل حسب *القرطاس* إلى أربعة آلاف وستمائة. وفي إحدى

حركات المامون إلى مدينة سبتة استطاع يحيى بن الناصر العودة إلى مراكش سنة629 / 1231 فعاث فيها فسادا وقتل كثيرا من اليهود والنصارى الذين كانوا في خدمة جيش المامون كما هدم كنيستهم. وقد استمر الحضور المسيحي قويا خلال حكم الخليفة عبد الواحد الرشيد ولعبوا دوراً كبيراً في بيعته تحت ضغط أمه حباب الرومية ومرقسيل Sancho el Francil قائد فرقة النصارى في عهد والده المامون، وبفضل هؤلاء ومباركة أشياخ الخلط ككانون بن جرمون السفياني وبعض رجالات المخزن الموحدي كشعيب أخي وقاريط الهسكوري احتل الرشيد مراكش سنة630 / 1232 وفرض نفسه خليفة للموحدين. وقد أثار تزايد هيمنة الروم على الخليفة وكثرة تدخلهم في سياسة الدولة حفيظة العلماء والفقهاء وبدأوا يعبرون عن سخطهم لما وصل إليه أمر الموحدين من خضوع واستسلام لحباب أم الرشيد ومعاونيها من جيش الروم حتى إن ابن عميرة لم يستطيع تمالك نفسه وهو يشاهد الخليفة الرشيد لا يتحرك إلا وحوله الروم فقال متحسرا :

يمشي في الروم بين زغنفــة     فيه وفيهم يحار من فكـر

وما رأى الناس مثله عجبــا     أبرهة حوله بنو الاصفــر

وفي عهد خلفه السعيد ظلت أجناد الروم في واجهة الأحداث التي تميزت بحدة الصراع على الحكم بين الموحدين من جهة وبين بني مرين وبني زيان من جهة أخرى. واستغل الروم هذه الفرصة ليضعوا خدمتهم كورقة مؤثرة يستعملها الطرف الذي يدفع أكثر مجسدين بذلك طبيعة الارتزاق التي غلبت على وجودهم في المغرب. ومن ضحايا هذا الصراع الأمير أبو معرف محمد بن عبد الحق الذي اعتبر أول أمير مريني يسقط قتيلا بيد أحد فرسان الروم في جيش السعيد الموحدي واسمه خوان گيتان Juan Gaïtan وذلك سنة642 / 1244.

ويلاحظ أن في عهد المرتضى الموحدي تزايد أجناد الروم في الجيش الموحدي وتعاظم أمرهم لتظافر مجموعة من الأسباب : أولها تفاقم ضعف المخزن الموحدي، وثانيها احتدام الصراع بين أمراء الموحدين وبني مرين، وثالثها تزايد التدخل المسيحي في شؤون المغرب سواء من طرف ملوك أوربا أو من طرف الكنيسة. وقد ذهب البابا اينوسانت الرابع Innocent IV بعيداً في مساومة الخليفة المرتضى على المسيحيين الذين يعملون في جيشه وطلب منه في رسالة إليه مؤرخة بـ649 / 1251 أن يمنحه بعض الثغور البحرية المغربية لتوفير أمن وسلامة كل المسيحيين القاطنين بالمغرب مع زوجاتهم وأولادهم بما فيهم الميليشيات العاملة في جيشه الذين يتعرضون للاخطار من جراء تهديد وانتقام المعارضين والثائرين ضد ممارساتهم، ولأن المخزن الموحدي لم يعد قادرا على حمايتهم فقد وجب إعطاؤهم هذه المدن والمواقع المحصنة لحمايتهم والحفاظ على أرواحهم وتسهيل رحيلهم إلى بلدانهم عند اشتداد الخطر عليهم. كما أكدت الرسالة أن عدم تنفيذ هذه الأوامر سيضطر البابا تكليف أسقف المغرب بأن يعمل على جعل كل المسيحيين يتركون الخدمة لدى الخليفة الموحدي ويمنع أي مسيحي جديد من الانضمام إلى الجيش الموحدي (Traités, 16 - 17).

لقد استخذم خلفاء الموحدين المتأخرون وأمراء بني مرين على السواء أجناد الروم القشتاليين كعناصر أساسية في الصراعات التي حمى وطيسها بين الطرفين أكثر من نصف قرن. وتؤكد تفاصيل الأحداث على أن الروم كانت لهم مشاركة واضحة فيما عرفه المغرب من فتن واضطرابات ساهمت في تقويض الخلافة الموحدية وانهيارها. فمنذ سنة 613 / 1216 وبعد هزيمة الموحدين أمام المرينيين فيما عرف بعام المشغلة، بدأنا نشهد نشاطا مكثفا لجند الروم سواء في الجيش الموحدي أو في الجيش المريني، وتزايد الاصطدام حدة بين الروم أنفسهم وقتل عدد كبير منهم في عهد الرشيد والسعيد والمرتضى وأبي دبوس آخر ملوك الموحدين ( *البيان*، ق. م، 319 ـ354 ) وفي المقابل كانت لهم اليد الطولى في كثير من المجازر التي ذهب ضحيتها عدد لايستهان به من رجالات المخزن الموحدي والمريني على السواء. فالميليشيا المسيحية التي كانت تتمركز بفاس في مائتي فارس تواطأت بأمر من قائدها زنار Chanar وشديد وبتحالف مع أشياخ فاس في قتل عامل بني مرين على المدينة السعود بن خرباش الحشمي وأربعة من رجاله وخلع بيعة الأمير المريني أبي بكر وبيعة المرتضى وذلك سنة 647 / 1249. كما كانت لهم مشاركة في محاربة وتصفية كثير من الثوار والمتمردين على المخزن الموحدي مثل محمد القطراني الثائر بمدينة سجلماسة سنة655 / 1257 وابن يدر الثائر بسوس661 / 1263.

يبدو أن انتقال الحكم من الموحدين إلى المرينيين لم يغير شيئا في أهمية دور الميليشيات المسيحية في أحداث المغرب خلال هذه الفترة، بل يمكن القول أن ملوك بني مرين أصبحوا يعتمدون على هذه الميليشيات بشكل مثير مند بداية ظهورهم على الساحة المغربية وحتى نهاية دولتهم. لكن الجديد في الأمر هو أن بني مرين لم يعودوا يعتمدون كثيراً على روم قشتالة بل على روم أرغون الذين أصبحوا يشكلون عناصر أساسية في الجيش المريني. كما أن عملية تجنيد هؤلاء أخدت أكثر من ذي قبل طابعا تنظيميا بحيث غدا انضمامهم للجيش المريني موضوعا رئيسيا في المفاوضات والاتفاقيات والمعاهدات التي يتم عقدها بين ملوك المغرب وملوك أرغون. وبناء على ذلك يمكن القول إن الوجود المسيحي في الجيش المريني أصبح أكثر تقنينا وأكثر مراقبة من طرف المخزن وإن كانت أدوارهم السياسية والعسكرية ظلت في نفس المستوى تقل في فترة حكم ملوك أقوياء وتزداد خطورة في فترة الضعف والانحلال.

لاشك في أن أول اتصال بين بني مرين والروم تم في إطار الصراع بين هؤلاء وملوك الموحدين. فالأمير أبو يحيى

# جدول بأسماء قواد الروم العاملين في الجيش المغربي الوسيط

| اسم القائد | جنسيته | السلطان الذي كان في خدمته | مقر فرقته | عدد جنوده |
|---|---|---|---|---|
| - بشير | قشتالة | المرابطون | ؟ | ؟ |
| - صندل | قشتالة | المرابطون | < | ؟ |
| - جرنده (Garando) Geraldo Sempavor | قشتالة | يوسف الموحدي | مراكش | 350 |
| - بيدرو فرنانديز د كسترو Pedro Fernandez de Castro | قشتالة | يعقوب الموحدي | مراكش | ؟ |
| - غنصالة Gonzalo | قشتالة | المستنصر الموحدي<br>السعيد الموحدي | مكناسة | ؟ |
| ابن القمط (أبو زكريا يحيى) | قشتالة | المستنصر الموحدي<br>السعيد الموحدي | مكناسة | > |
| - الأمير بيير البرتغالي L'Infant Pierre de Portugal | البرتغال | المستنصر الموحدي | مراكش | ؟ |
| - مرقسيل (سانشو) Sancho El Francil | قشتالة | المامون الموحدي<br>الرشيد الموحدي | مراكش | 500 أو 12000؟ |
| - زنار Chanar | قشتالة | الرشيد المرتضى<br>أبو دبوس (الموحدون)<br>أبو بكر المريني | فاس | 200 أو 300 |
| - شديد<br>- | قشتالة | الرشيد الموحدي<br>المرتضى الموحدي<br>أبو بكر المريني | فاس | 200 |
| ذي اللب Don Lope | قشتالة | المرتضى الموحدي | مراكش | ؟ |
| - غرسية طاليس Garcia Talis | قشتالة | المرتضى الموحدي | مراكش | ؟ |
| - غرسية مارتينيز د گاييگوس Garcia Martinez de Galligos | قشتالة | يعقوب المريني<br>يوسف المريني | ؟ | ؟ |
| - بيري خيمينيز د إسبيلونگا Pere Giménez de Espilonga | أرغون | يوسف المريني<br>أبو ثابت عامر المريني | فاس | ؟ |
| - گييرمو د بوخالط Guillermo de Pujalt | أرغون | يوسف المريني | مراكش | ؟ |
| - لوبي سانشيز د خوبيرا Lope Snachez de Juvera | أرغون | يوسف المريني<br>سليمان المريني | تلمسان (أثناء الحصار)<br>فاس | ؟ |
| - رامون د ميرامبل Ramón de Mirambell | أرغون | أبو سعيد عثمان<br>الثاني المريني | ؟ | ؟ |
| - بيري سيگي Pere Segui | أرغون | " | ؟ | ؟ |
| - خومي سيگي Jaume Segui | أرغون | " | ؟ | ؟ |
| - خومي د كنسير Jaume de Cancer | أرغون | " | فاس | ؟ |

| اسم القائد | جنسيته | السلطان الذي كان في خدمته | مقر فرقته | عدد جنوده |
|---|---|---|---|---|
| . بشير | قشتالة | المرابطون | ؟ | ؟ |
| . صندل | قشتالة | المرابطون | ؟ | ؟ |
| . جرنده (Garando) Geraldo Sempavor | قشتالة | يوسف الموحدي | مراكش | 350 |
| . بيدرو فرنانديز د كسترو Pedro Fernandez de Castro | قشتالة | يعقوب الموحدي | مراكش | ؟ |
| . غنصالة Gonzalo | قشتالة | المستنصر الموحدي السعيد الموحدي | مكناسة | ؟ |
| ابن القمط (أبو زكريا يحيى) | قشتالة | المستنصر الموحدي السعيد الموحدي | مكناسة | ؟ |
| . الأمير بيير البرتغالي L'Infant Pierre de Portugal | البرتغال | المستنصر الموحدي | مراكش | ؟ |
| . مرقسيل (سانشو) | | | | |

المريني وأخوه أبو يوسف يعقوب كانا يتوفران على كتيبة مسيحية جل أفرادها كانت تعمل فيما قبل في جيش الخليفة السعيد الموحدي، وازداد عدد هؤلاء سنة 652 / 1254 بعد انضمام عدد من المرتزقة النصارى الذين فروا من بطش أمير تلمسان يغمراسن بن زيان على إثر فشل انقلابهم عليه. وقد شكلت جميع هذه العناصر المسيحية النواة الأولى للميليشيا التي ستعمل في خدمة ملوك بني مرين والتي ستتعزز بجلب آخرين من إسبانيا وخاصة من كطلونيا في إطار اتفاقيات رسمية إضافة إلى انضمام بعض المغامرين أو الفارين من بطش أسيادهم النبلاء القادمين من شمال الأندلس سواء من قشتالة أو من كطلونيا.

وهكذا فمنذ البداية استعمل بنو مرين الروم في جيشهم إلى جانب العرب والغزّ وغيرهم. والمصادر المرينية لا تخفي الدور البارز الذي كان لهؤلاء الروم في استحواذ بني عبد الحق على السلطة. فقد ساهموا في دخول الأمير أبي يحيى مدينة فاس سنة 646 / 1248 وفي توسيع نفوذه على المناطق الشمالية، وكانوا حاضرين كذلك في فتح يعقوب بن عبد الحق لمدينة مراكش والقضاء على بقايا الموحدين سنة 668 / 1269 وحصاره تلمسان سنة 670 / 1271 وسيطرته على سجلماسة سنة 673 / 1274. وترجع أول اتفاقية تنظم عملية تجنيد الروم في الجيش المريني إلى عهد أبي يوسف يعقوب سنة 673 / 1274 (18 نوفمبر) وقد عقدت ببرشلونة بين ممثلين عن السلطان المريني وخايمي الأول ملك أرغون الذي تعهد بتقديم 500 فارس أرغوني بأسلحتهم تكون رهن إشارة السلطان لمساعدته في حصار سبتة. في مقابل ذلك يتعهد السلطان المغربي بمنح ملك أرغون امتيازات مالية باهضة له ولفرسانه. لكن لأسباب متعددة لم يتم تنفيذ بنود هذا الاتفاق من الطرفين. وقد تجدد نفس السطلب مع السلطان أبي يعقوب يوسف في رسالتين منه إلى خايمي الثاني ملك أرغون، الأولى بتاريخ 15 شعبان 703 / 24 مارس 1304، والثانية بتاريخ فاتح ذي الحجة 703 / 5 يوليوز 1304. وتؤكد الرسالتان على رغبة السلطان المريني في استعادة سبتة ولو عن طريق مساعدة أرغونية لمهاجمة المدينة من البحر (Documentos, 154 - 155, 174). وخلال هذه الأحداث نشطت الآلة الدبلوماسية بين أرغون والمغرب، ولعبت فيها العناصر المسيحية دوراً ملحوظاً سواء أثناء حصار تلمسان أو اثناء حصار سبتة التي تم استرجاعها من طرف أبي الربيع سليمان سنة 709 / 1310 بدون مساعدة أرغون، ولكن بفضل ثورة أهلها ضد الحامية الأندلسية وتدخل القائد المريني تاشفين بن يعقوب الوطاسي. وكان لقائد الفرقة العسكرية المسيحية في الجيش المريني غييم سيگي Guillem Segui وبعده برناط سيگي Bernat Segui، وهما من أسرة سيگي الكطلانية التي خدمت ملوك بني مرين مدة طويلة، بصمات واضحة في تنشيط العلاقات السياسية والتجارية بين فاس وبرشلونة. وسيكون لذلك تأثير كبير في دعم وتعزيز الوجود الأرغوني في المغرب على حساب الوجود القشتالي خاصة بعدما نصبت قشتالة نفسها منذ بداية الدولة المرينية العدو الأكبر للمغرب. وبسبب هذا الموقف تزايد تجنيد نصارى أرغون وقل الاعتماد على نصارى قشتالة الذين تورطوا في كثير من أحداث الفتن التي شهدها المغرب في بداية القرن الثامن الهجري الثامن (14 م). فقد اندلعت بمراكش انتفاضة عارمة ضد جنود الروم بعد اكتشاف مدفن القاضي عياض تحت انقاض مقبرة مسيحية وكنيسة كانت قد شيدت لهم أيام المامون الموحدي، فنهبت ديارهم وأبيحت أموالهم

لاعتقاد المراكشيين بأن هؤلاء النصارى هم حفدة أصحاب المقبرة والكنيسة. من جهة أخرى شارك قائد الميليشيا المسيحية القشتالية غنصالة سانشيز دي ترونكونيس Gonzalo Sanchez de Troncones إلى جانب بعض رجالات المخزن في التمرد ضد السلطان أبي الربيع سليمان ومحاولة خلعه والدعوة للأمير عبد الحق بن عثمان سنة710 / 1311. كما ساهم قائدان قشتاليان آخران وهما خوان سانشيز دبوجيا Juan Sanchez de Bugéa وخوان رويث دمندوزا Juan Ruiz de Mendoza إلى جانب الأمير أبي علي عمر في الثورة مرتين الأولى ضد والده السلطان أبي سعيد عثمان سنة 720 / 1321 والثانية ضد أخيه السلطان أبي الحسن سنة733 / 1333 . في مقابل ذلك كان للميليشيا الأرغونية دور بارز في قمع الثورة التي اندلعت ضد أبي سعيد المريني، وكان ذلك سببا في تشبّثه بخدماتهم إلى درجة لم يعد معها قادراً على التخلي عنهم حتى وإن كان ملك أرغون نفسه في حاجة إليهم. وقد حدث أن بعث خايمي الثاني إلى السلطان يطلب إمداده بنصارى أرغون العاملين في جيشه لمساعدته في حملته العسكرية إلى جزيرة سردانية. وقد رفض السلطان السماح لمائة فارس من كتيبته الارغونية بالالتحاق بملك أرغون، وحتى لا يتسبب ذلك في وقوع أي توتر في العلاقات بين الطرفين اقترح علي ملك أرغون أن يمده بجنود مغاربة بدل الارغونيين (Los documentos, p. 171).

لعل قوة حضور مؤسسة المخزن في عهد السلطانين أبي الحسن وخلفه أبي عنان ومارافق ذلك من استقرار سياسي وازدهار اقتصادي حالت دون أن تمارس الكتائب المسيحية أدواراً مؤثرة كما دأبت على ذلك في الفترات السابقة بحيث لم تجد فرصة ملائمة لحبك الدسائس والمؤامرات وإثارة الفتن، بل على العكس منن ذلك، تفرغت هذه الكتائب أكثر من ذي قبل للقيام بمهمتها الأساسية المتمثلة في حراسة القصر المريني ومرافقة السلطان في ترحاله والركوب معه في حملاته العسكرية الداخلية أو ضد الدول المجاورة كما حدث في الحملتين اللتين قام بهما إلى إفريقية كل من أبي الحسن سنة748 / 1348 وأبي عنان سنة758 / 1357.

لكن ما إن انتهي عصر السلطانين حتى داخل المغرب في مرحلة جديدة من الاضطرابات والفتن عاد معها جند النصاري إلى سياستهم القديمة في التآمر وتأجيج الصراع بين الأمراء وأفراد المخزن المريني. فبعد وفاة أبي عنان سنة 759 / 1358 استبد وزيره الحسن بن عمر الفودودي وانفرد بالحكم دون السلطان أبي بكر السعيد الذي كان ما يزال صبيا وتابع سياسة المواجهة مع جيرانه بني عبد الواد. وفي إحدى حملاته العسكرية إلى تلمسان بقيادة مسعود بن رحو، انقلب عليه هذا الأخير وبايع أحد أمراء بني مرين المرفقين له وهو منصور بن سليمان بن أبي مالك بن يعقوب بن عبد الحق وشاركه في دعوته أحد أمراء بني الأحمر وقائد جند النصارى في جيشه والمعروف باسم القمندور El Comendador الذي ساهم بشكل ملحوظ في سيطرة بني مرين على تلمسان. وفي سنة 762 / 1361 تحالف الوزير عمر بن عبد الله الياباني مع قائد النصارى غرسية بن أنطون Garcia ben Antoun واتفقا على خلع السلطان أبي سالم ومبايعة الأمير تاشفين بن أبي الحسن مكانه لكنهما تورطا في قتله على يد أحد جنود النصارى. وبعد هذا الحادث بقليل انقلب قائد النصارى المذكور على حليفه القديم وتآمر عليه مع حليف جديد هو سليمان بن نصار. وقد تنبه الوزير إلى خطورة المؤامرة فتمكن من قمعها في مهدها وقتل القائد وطائفة من جنده، وكانت هذه الحادثة فرصة اهتبلها سكان فاس للتعبير عن سخطهم وغضبهم من استفحال خطر النصارى فثاروا ضدهم وطاردوهم في شوارع المدينة ثم زحفوا إلي الملاح بجوار فاس الجديد وعاثوا في مساكنهم وانتهبوا أموالهم وأمتعتهم وكادت أن تتحول هذه الثورة إلى مجزرة كبرى لولا تدخل بني مرين لحماية النصارى. غير أن هذه الانتفاضة لم تمنع هؤلاء الجند من معاودة مشاركتهم في زرع الفتن عند أية فرصة كما وقع في النزاع بين السلطان عبد العزيز بن أبي العباس والأمير أبي الفضل بن أبي سالم سنة769 / 1368 ثم في الصراع بين نفس السلطان ووزيره يحيى بن ميمون بن أمصمود. كما نسبت المصادر إلى جند النصاري دوراً خطيراً في المواجهات التي دارت بين السلطانين موسى بن أبي عنان وأبي العباس أحمد بن أبي سالم سنة786 / 1385.

لا تذكر المصادر المغربية أي شيء عن طبيعة مساهمة الميلشيات المسيحية في أحداث المغرب بعد نهاية القرن الثامن (14 م). ويبدو أن انتفاضة العامة بفاس ضد الروم وتراجع نفوذهم وحظوتهم عند المخزن المريني إضافة إلى تزايد الهجومات الإسبانية والبرتغالية على السواحل المغربية كلها معطيات ساهمت بشكل أو بآخر في غياب أخبارهم، وإن كان هذا لا يعني أنهم تخلوا نهائيا عن خدمتهم لملوك بني مرين الأواخر علي الأقل كحرّاس خاصين بهم، ومن الممكن أن يكونوا قد تخلوا عن دورهم العسكري والجبائي تفاديا لأي احتكاك أو تصادم مباشر مع المغاربة وإثارة غضبهم ضدهم.

من المؤكد أن هؤلاء الجند النصارى كانوا يتقاضون مرتبات وامتيازات مقابل خدماتهم مما شكل عبئاً ثقيلاً على بيت المال. وتسمح بعض المؤشرات بإعطاء فكرة عامة عن طبيعة التعويضات المادية التي كان النصارى يتقاضونها ومستوى الاختلاف بين مرتبات القواد والفرسان. فقد جاء في معاهدة702 / 1302 التي أبرمت بين أبي يعقوب يوسف المريني وخايمي الثاني الأرغوني أن كل جندي من الكتيبة المسيحية العاملة في جيش السلطان يتقاضى 60 ديناراً بينما تقاضى أفراد الفرقة القشتالية في عهد أبي الحسن المريني راتبا شهريا يتراوح ما بين 5 و50

ديناراً ذهبياً. وكان راتب القائد الأعلى للميليشيات العاملة في الجيش الحفصي أو الزياني يتجاوز بكثير راتب الجندي العادي ويتراوح ما بين 2000 و3000 دينار، ومن المحتمل أن نفس الراتب أو ما يقاربه كان يتقاضاه القائد الأعلى الرومي في المغرب. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الراتب المرتفع لا يأخذه القائد الأعلى كله بل يتقاسمه مع ملكه الذي يخصم منه الثلث ويترك الثلثين للقائد (Espagne, 517). وإذا علمنا أن ملك أرغون أو قشتالة هما اللذان يختاران القائد أو الفارس الذي سيلتحق بالجيش المغربي فهمنا أهمية المداخيل التي يحققانها من هذه العملية. ويستفاد من نص لابن مرزوق أن هذه الرواتب كانت تثقل كأهل السكان بشكل لا يطاق لأنها كانت تقتطع منهم على شكل ضريبة عرفت ضريبة المروس وتوفر أحيانا ما يقرب من 150.000 دينار ذهبي في عهد أبي الحسن المريني. وأمام ضخامة هذا الرقم وما يحدثه من ضرر على الناس اضطر أبو الحسن إلى الغاء تلك الضريبة وعوض للنصارى رواتبهم من بيت المال لانتفاع المسلمين بهم حسب ابن مرزوق ( *المسند*، 282). ولم يكتف جند النصارى بمرتباتهم فقط بل كانوا يحظون كذلك بامتيازات كثيرة من أهمها الإبقاء على دينهم وتعيين أساقفة يشرفون على شؤونهم الدينية وممارستهم أحيانا التجارة وتمتيعهم بحي سكني خاص بهم يطلق عليه اسم الملاح أو ربض النصارى ويوجد بفاس الجديد خارج باب الشريعة بناه أبو العلاء بن أبي طلحة سنة 659 / 1261 بأمر من السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني بعد أن أخرجهم من مدينة فاس.

ولم يقتصر سكنى جند النصارى على فاس الجديد فقط بل سكنوا أيضاً في مدن أخرى كسجلماسة ورباط الفتح وخاصة مراكش حيث خصص يعقوب المنصور الموحدي لحرس الرماة المسيحيين البالغ عددهم 500 فرد قصرين بقصبة المدينة.

ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، بيروت، 1966، ج. 10، ص. 537- 584 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب*، الدار البيضاء، د. ت، ص. 483 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، تح. عبد الهادي التازي، بيروت، 1987، ص. 343 ؛ البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت*، الرباط، 1971، ص. 89 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي، بيروت، 1990، ص. 140، 263 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1983، ج. 4، ص. 98 - 102 - 103 ؛ *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين*، تح. مجموعة من الأساتذة، بيروت، الدار البيضاء، 1985، ص. 18 - 20 - 31 - 284 - 298 - 299 - 354 - 355 - 360 - 371 - 396 - 399 - 402 - 413 - 414 - 417 - 419 - 428 - 430 - 436 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، ص. 74 - 75 - 79 - 88 - 91 - 95 - 96 ؛

النويري، *نهاية الأرب*، الدار البيضاء، 1985، ص. 410 - 411 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1973، ص. 246 - 250 - 251 - 254 - 259 - 290 - 292 - 294 - 302 - 306 - 309 - 390 - 394 - 397 ؛ ابن خليل، *اختصار القدح المعلى*، تح. إبراهيم الابياري، القاهرة، 1959، ص. 44 ؛ ابن الحاج النميري، *فيض العباب*، تح. م. ابن شقرون، الرباط، 1984، ص. 63 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1973، ج. 1، ص. 411 ؛ *نفاضة الجراب*، تح. أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 230 - 277 - 278 - 330 ؛ *أعمال الأعلام*، تح. أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، 1964، القسم الثالث، ص. 235؛ ابن مرزوق، *المسند*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 116 - 282 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، تح. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979، ص. 84 - 85 - 117 - 129 - 131 - 138 - 139 - 146 - 173 ؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 20 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت، 1988، ص. 338 - 339 ؛ *العبر*، بيروت، 1968، ج. 6، ص. 475 - 476 - 530 - 534 - 545 ؛ بيوت، 1978 ؛ ج. 7، ص. 351 - 352 - 356 - 359 - 361 - 379 - 491 - 493 - 497 - 501 - 508 - 615 - 630 - 651 - 654 - 658 - 673 - 675 - 731 ؛ يحيى بن خلدون، *بغية الرواد*، الجزائر، 1903، ج. 1، ص. 114 - 115 ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار*، تح. مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، 1988، ص 94 - 111 - 155 - 147 ؛ القلقشندي، *صبح الاعشى*، القاهرة، بدون تاريخ، ج. 5، ص. 154؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، الرباط، 1983، ج. 1، ص. 132 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. مجموعة من الأساتذة، الرباط، 1988 - 1989، ج. 2، ص. 50 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج. 2 وج. 3 وج. 4 ؛ الصديق بن العربي، *طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب*، مجلة تطوان، العدد الأول، 1956، ص. 153 - 163 ؛ روجيه لوترنو، *فاس في عصر بني مرين*، تر. نيقولا زيادة، بيروت، 1967، ص. 34 ؛ خوسي أليماني، *الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة*، تر. أحمد مدينة، *دعوة الحق*، العدد 5، 1978 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية*، الرباط، 1979، ص. 71 - 72 - 75 ؛ إبراهيم حركات، *النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين*، الدار البيضاء، د. ت ؛ *المغرب عبر التاريخ*، الدار البيضاء، 1984، ج. 1، ص. 207 - 327؛ ج. 2، ص. 133 ؛ هوبكنز، *النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى*، نقله عن الانجليزية أمين توفيق الطيبي، ليبيا - تونس، 1980، ص. 141 - 144 - 148 ؛ م. القبلي، *مراجعات حول الثقافة والمجتمع بالمغرب الوسيط*، الدار البيضاء، 1987، ص. 36؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، المحمدية، 1988، ج. 7، ص. 122 - 128 - 131 - 149 - 151؛ م. ابن شريفة، *كيف ظهر ضريح القاضي عياض*، مجلة كلية الآداب، مراكش، 1990، العدد 6، ص. 29 - 40 ؛ عز الدين عمر موسى، *الموحدون*

في *الغرب الإسلامي*، بيروت، 1991، ص.42 ـ 226 ـ 229 ؛ إبراهيم القادري بوتشيش، *بعض الجاليات المتوسطية في المغرب العربي خلال عصر الموحدين*، الكراسات التونسية، تونس، 1991، المجلد 43، عدد مزدوج (155 ـ 156)، ص.95 ـ 121؛ ع. الله العروي، *مجمل تاريخ المغرب*، بيروت1994، ج. 2، ص. 178 ـ 181 ـ 198 ـ 235 ؛ أ. عزاوي، *رسائل موحدية جديدة*، الدار البيضاء، 1995، ج. 1، ص. 402 ـ 404 ؛ مصطفى نشاط، *الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية*، ضمن أشغال ندوة الغرب الأسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب، الرباط،1955، ص. 117 ـ 135؛ رشيد السلامي، *وثائق مرينية*، دراسة وتحقيق، بحث مرقون نوقش بكلية الآداب، الرباط،1989، ص. 51 ـ 56 ـ 65 ـ 70 ـ 72 ـ 75 ـ93 ـ95.

Mas Latris, *Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale du moyen âge,* Paris, 1866 ; *(Traités)*, pp. 297 - 312 ; Tauxier (H.), *Les variations de sens des mots Berber, Roum, Afarek, Beranés, Botr, Mazigh et Frank, R.A,* Alger, 1879, n° 133; Alemany (J.), *Milicias cristianas al servicio de los sultanes musulmanes del Almaghreb,* in *Homenaje a D. Francisco Codera,* Zaragoza, 1904 ; Giménez Soler (A.), *Caballeros españoles en Africa y Africanos en España, Revue Hispanique*, Paris, 1905, T. XII ; Tisserant (E.) et Wiet (G.), *Une lettre de l'almohade Murtada au papeInnoncent IV*, in *Hesp.*, 1926, 1er tr. ; Cenival (P. de), *L'église chrétienne de Marrakech au XIIIe siècle,Hesp.*, 1927, T. VIII ; Huici Miranda (A.), *El reinado del califa almohade Al-Rachid, hijo de al-Mamun,* in *Hesp.*, 1954, T. XLI, 1er et 2e tr. ; Dufourcq (Ch. E.), *La question de Ceuta au XIIIe siècle, Hesp.*, 1955, T. XLII, 1er et 2e tr. ; Ibid, *Un projet castillan du XIIIe siècle, la croisade de l'Afrique, Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb*, Alger, 1966, n° 1 ; Ibid, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siècle,* Paris, 1966 ; Ibid, *Les relations de la peninsule ibérique et de l'Afrique du Nord au XIVe siècle*, in *Anuaio estudios médiervales,* Barcelona, 1970 - 1971, vol. 7 ; Ibid, *Les relations du Maroc et de la Castille pendant la première moitié du XIIIe siècle, Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb*, Alger, 1968, n° 5 ; De Torrella (M.G), *Milicias Cristianas en Berberia*, in *Boletin de la sociedad arqueologica Lusitane, Palma de Mallorca*, 1973, T. XXXIV ; Capmany (A. de) y Montpalau (de.), *Antiguos Tratados de Paces y alianzas entre algunos reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde el siglo XIII hasta el XV,* Madrid, éd. 1974 ; Dhina (A.), *Les états de l'occident musulman aux XIIIe, XIVe et XVe siècles*, Alger, 1984 ; Kably (M.), *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986; Khaneboubi (A.), *Les premiers sultans mérinides (1269 - 1331), Histoire politique et sociale*, Paris, 1987 ; Ferhat (H.), *Le Maghreb aux XIIe et XIIIe siècles : les siècles de la foi*, Casablanca, 1993 ; Ibid, *Sabta des origines au XIVe siècle*, Rabat, 1993.

رشيد السلامي

**الرومان والمغرب**، أو علاقة المملكة المورية مع الرومان قبل خضوع البلاد لسيطرتهم، وذلك في مدى زمني يتراوح ما بين أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، ومنتصف القرن الأول الميلادي، حيث انتهى عهد الملوك الموريين وبدأت سيطرة الرومان على موريطانية.

وتشير إلى أن رسم معالم هذه الفترة يستند على المصادر التاريخية التي تناولت بعضا من شؤون موريطانية بمناسبة تناولها لتاريخ الصراعات التي خاضها الرومان مع الكيانات السياسية التي حكمت أقطار الشمال الإفريقي، ابتداء من الصراع ضد قرطاجة على أرض إفريقيا في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، ثم خلال الحرب ضد الملك النوميدي يوغرطة في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، وأخيراً خلال الحروب الأهلية الرومانية التي شملت القرن الأخير قبل الميلاد، وجرت بعض أحداثها في أقطار الشمال الإفريقي وفي إسبانيا.

ندلي في البداية بملاحظة حول المصادر المعتمدة في هذا الموضوع وهي نوعان :

ـ المعطيات الأثرية، هي مواد تم اكتشافها في تنقيبات أجريت بالمغرب وإيطاليا، والأمر يتعلق بالخزف والأمفورات والنقود.

ـ النصوص التاريخية، لكتاب إغريقيين ورومانيين، متحيزين لرومة، همهم الإشادة ببطولات قادتها العسكريين، وهم يؤرخون للحروب التي خاضها الرومان لفرض نفوذهم على شمال إفريقيا. والجدير بالذكر أن معظم الكتاب ليسوا شهود عيان على الأحداث التي ذكروها، برغم أن بعضهم عاش في الفترة المورية. وأقدمهم هو بولبيوس الذي عاش ما بين سنتي 202 و120 ق. م. وأخرهم هو ديون كسيوس الذي عاش ما بين سنتي 155 و230 م.

تتميز الفترة المورية في المغرب القديم بازدهار البلاد اقتصاديا وعمرانيا، في ظل الملوك المذكورين في النصوص التاريخية، أولهم باگا Baga، الذي برز في أحداث ترجع إلى أواخر القرن الثالث قبل الميلاد. وآخرهم بطليموس Ptolemeaus بن يوبا الثاني Iuba، الذي انتهى حكمه سنة 40 م. شمل حكم هؤلاء الملوك في موريطانية مجالا ينحصر بين مضيق أعمدة هرقل وجبال الأطلس، وبين المحيط الأطلسي ونهر ملوشة Mulucha وهو نهر ملوية الحالي. ثم إن مجال نفوذ الموريين شمل غرب نوميدية منذ حرب يوغرطة، في حدود لا ندري مداها في البداية، لكن هذه الحدود الشرقية وصلت إلى نهر أمباسكة Ampsaga منذ عهد الملك الموري بكوس الثاني Bocchus (مجدوب، (1)، 1990، ص. 18 ـ 21 ؛ 1999، 7 .8).

أما بالنسبة لإيطالية، فإن هذه الفترة تمثل أوج التوسع الروماني، وما واكب ذلك من سيطرة عسكرية واقتصادية على البلدان التي تحيط بالبحر المتوسط عامة، وشمال إفريقيا على وجه الخصوص. ويندرج ذلك في أحداث ساخنة

كان فيها دور للملوك الأفارقة. نوجز هذه الأحداث في القضايا التالية : الحروب البونية وحرب يوغرطة والحروب الأهلية الرومانية.

1 ـ الحروب البونية : يتعلق الأمر بالصراع القرطاجي الروماني، ما بين سنتي 218 و146 ق. م. أي خلال الحربين البونيتين الثانية والثالثة. والغرض في هذه القضية هو معرفة مواقف المورين من الصراع المذكور. المصدر الرئيسي حول هذه الأحداث هو المؤرخ الإغريقي بولبيوس، الذي عاش في رومة، وعاصر الحرب البونية الثالثة، وكان مرافقا لسكيبو Scipio الإيميلي خلال قيادته للحرب البونية الثالثة. وقد نقل عن بولبيوس المؤرخ الروماني تتوس لفيوس الذي عاش ما بين سنتي 59 ق. م. و17 م.، ثم المؤرخ أبيانوس الذي عاش ما بين سنتي 95 و165 م.

نعلم من هذه المصادر كيف تورط الملوك النومديون في الحرب البونية الثانية. حيث تحالف الملك الماسولي گايا Gaïa مع قرطاجة، وكلف ابنه مسينسا Massinissa بقيادة النومديين ومساعدة القرطاجين في إسبانيا (Polybe, 11, 5, 21 : Tite Live, 24, 49, 1 - 6 ; 29, 29 - 6 ; Appien, Iber, 25 et 27).

بينما كانت رومة تراود الملك الماسيسولي سيفكس Syphax، وتدعوه إلى التحالف.

وبعد وفاة گايا تحالفت قرطاجة مع سيفكس وسمحت له بالاستيلاء على مملكة الماسوليين واحتلال عاصمتهم كيرتة Cirta.

وهذا ما جعل الأمير مسينسا وهو في إسبانيا يضطر إلى التحالف مع سكيبو، الذي لقب فيما بعد بالأفريقي، بعد قضائه على قرطاجة في الحروب البونية الثانية.

وقد اشترك مسينسا مع سكيبو في حملته على قرطاجة ما بين سنتي 204 و202 ق. م. وأفضت هذه الحملة إلى الإطاحة بالملك سيفكس، واسترجاع مسينسا لمكلته، وضم مملكة الماسيسوليين إلى مجال نفوذه.

انتهى هذا الصراع بمعركة زامة التي انتصر فيها الرومان، ونصت اتفاقية السلم على حق مسينسا في استرجاع أجداده من قرطاجة.

ثم حافظ مسينسا على ولائه للرومان وقدم لهم مساعدات مادية وعسكرية في حروبهم التوسعية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط. كما ساهم في إضعاف قرطاجة لتصير لقمة سائغة لرومة.

ثم شارك أبناؤه مع الرومان في الحرب البونية الثالثة، وظلوا أوفياء لرومة بعد سقوط قرطاجة (سالوست، حرب يوغرطة، 7 ؛ Appien, Iber, 67).

أما عن المورين، فليس هناك نص صريح يفيد أن ملوكهم تدخلوا في هذا الصراع، برغم أن بولبيوس أشار إلى وجود عناصر مورية في عساكر القائد القرطاجي حنبعل سنة 218 ق. م.، وقد ترك هؤلاء المورين لأخيه حسدربعل في إسبانيا (Polybe, 3, 33, 15). والغالب أن الأمر يتعلق بمرتزقة لا تتحمل السلطات المورية مسؤولية مشاركتهم في هذه الحرب، لاسيما وأن المؤرخ المذكور أكد أن المورين الذين شاركوا في معركة زامة كانوا مرتزقة كالليگورين والغالين والبليارين. وعددهم جميعا يقدر بإثني عشر ألف رجل (Polybe, 5, 11, 1). والراجح أن المورين الذين ذكرهم نفس المؤرخ مع القرطاجين في الحرب البونية الثالثة كانوا هم أيضا مرتزقة (Polybe, 38, 2, 7).

كما أفاد المؤرخ تتوس لفيوس أن المورين كانوا ضمن قوات حسدربعل في إسبانيا (Tite Live, 23, 26, 11 ; 29, 24, 15, 2 ; 14) وشاركوا مع القرطاجين في معركة زامة كمرتزقة (Tite Live, 30, 33, 5 et 10 et 13). ثم أكد أبيانوس على وجود مرتزقة مورين في معركة زامة. كما أفاد أن القرطاجيين كانوا يأملون في مساعدة المورين في الحرب البونية الثالثة(Appien, Lib. 44 et 111).

وفي أخبار تتوس لفيوس ما يفيد أن سكيبو حاول استقطاب المورين، عندما كان سفراؤه يتصلون بالملك سيفكس سنة 206 ق. م. قصد التحالف معه. جاء في النص ما يلي : "لما كان سكيبو يستعد لتنفيذ حملته، فكر في الاعتماد على الملوك والشعوب، فقرر أن يبدأ بسيفكس" (Tite Live, 28, 17, 4). وفي خبر آخر أوضح نفس الكاتب ما يلي : "أمر سكيبو سفراءه ألا يكتفوا بسيفكس، بل كلفهم بالاتصال مع باقي أمراء أفريقيا، وبعث إليهم هدايا تتمثل في أثواب فاخرة وأكواب ذهبية يزن كل واحد منها ثلاثة لبرات "Livres" (Tite Live, 27, 4, 9). كما أفاد أن القرطاجين قاموا بنفس المحاولة، لما علموا بالحملة التي كان سكيبو يعتزم شنها عليهم في إفريقيا بعد انهزامهم بإسبانيا (Tite Live, 29, 4, 4).

الغالب على الظن أن الحكام المورين هم من بين الملوك والأمراء المشار إليهم في هذين النصين. لكن ليس هناك خبر أكيد عن استجابتهم لرجاء الطرفين المتصارعين. خاصة وأن تتوس ليفيوس أورد خبرا صريحا، يفيد أن الملك الموري باگا رفض المشاركة مع الرومان، في حملتهم على قرطاجة في أواخر الحرب البونية الثانية.

فبعدما انفصل مسينسا عن القرطاجيين بإسبانيا سنة 206 ق. م. وتحالف مع سكيبو، أوضح المؤرخ ما يلي : "لما علم مسينسا بوفاة عمه وابن عمه الشقيق، عبر من إسبانيا إلى موريطانية حيث يحكم باگا على المورين. وبعد ما بالغ في التوسل إليه لطلب المساعدة أمده بأربعة آلاف من المورين لمرافقته في الطريق فقط، ولم يوافق على مشاركتهم في الحرب. انطلق مسينسا مع المورين وبعث رسالة إلى أصدقاء والده وإلى أنصاره هو. ولما وصل إلى حدود مملكته وجد فقط حوالي خمسمائة نوميدي في استقباله. وحينئذ عاد الموريون إلى ملكهم كما تم الاتفاق على ذلك، برغم أن القوات التي التحقت به كانت أقل مما

توقع، ولا تكفي للمهمة التي جاء من أجلها" (Tite Live, 29, 30, 1 - 4).

المعروف أن المهمة التي ذهب مسينسا من أجلها إلى نوميدية هي مواجهة سيفكس والقرطاجين، فضلا عن المشاركة في حملة سكيبو على قرطاجة. والنص السالف ذكره يوحي بأن مسينسا طلب من باگا مساعدته في هذه المهمة. والغالب أن الأمير النوميدي عرض عليه التحالف مع الرومان، فرفض ذلك رفضا باتا، برغم إلحاح وتوسل مسينسا كما ورد في النص. ويبدو أن الملك الموري استجاب لحد أدنى من مساعدة مسينسا، نظرا لعدالة قضيته، وذلك بتأمين وصوله إلى بلاده التي سلبها سيفكس. وتأكيد المؤرخ على أن المورين عادوا إلى ملكهم كما تم الاتفاق على ذلك، يدل على رفض المورين لأي شكل من أشكال التورط الرسمي في الصراع القرطاجي الروماني، الذي صار مسينسا طرفا فعالا فيه. ثم إن الشاعر الروماني سليوس إيطالكوس، الذي عاش ما بين سنتي 25 و101 م، تحدث عن وجود عناصر وشخصيات مورية ضمن قوات حنبعل. يتعلق الأمر بالبنيوريين Baniurae والأطلوليين Autololes وأهل مدينتي طنجة ولكسوس، بالإضافة إلى شخصين غير معروفين في المصادر هما شاب يدعى لكسوس Lixus وشخص سماه بالموري سيكس Saces. كما ذكر أشخاصا يحملون أسماء الملوك المورين هم باگا Baga وبكوس Bocchus وبگوس Bougus. وأشار إلى أن بگوس كان يكشف الغيب، وقد قتل في الحرب مثل باگا وشاب يدعى لكسوس.

والجدير بالذكر أن كلمة بگوس تطابق الصيغة التي كتب بها سترابون اسم الملكين بكوس الأوس وبگود (Strabon, 2, 3, 4 ; 17, 3, 5 et 7).

وفي تقديري أن ما أورده الشاعر المذكور اقتضته المبالغة الشعرية وصورها الفنية، في ملحمة كرسها لتمجيد الأبطال الرومان الذين حاربوا حنبعل. وهي معلومات توحي بوجود مرتزقة مورين ضمن القوات القرطاجية، كما هو وارد في أخبار بولبيوس، الذي استقى منه الشاعر مادته التاريخية، مثل غيره من الكتاب.

إن ما استنبطناه من المصادر التاريخية حول عدم استجابة المورين للتعاون مع الرومان، يفيد أن ملوكهم التزموا مواقف الحياد في الصراع القرطاجي الروماني. إنها مواقف أملتها عليهم ضرورة الحيطة والحذر من الهيمنة الرومانية، والرغبة الأكيدة في الحفاظ على استقلالهم الاقتصادي والسياسي.

إن هذا التصور حتم علينا القيام ببحث ميداني، لدراسة المواد الأثرية، التي راجت خلال الفترة المورية. والأمر يتعلق بالخزف ذي البرنيق الأسود والأمفورات التي تم اكتشافها في المغرب لحد الآن (مجدوب، 1998، ص. 201 ـ245). فبالنسبة للخزف الكمباني الذي راج في العالم المتوسطي خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، اهتدينا بدراسة الباحث الفرنسي جون بول مريل لهذه المواد في المغرب، الذي أكد أن معظم هذا الخزف ورد على موريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد. وهي نفس النتيجة التي توصل إليها المنقبون في موقع الدشر الجديد (زليل)، حيث وجدوا مستويين موريين : أسفلهما لا يتضمن السلع الرومانية، وهو سابق عن القرن الأخير قبل الميلاد. أما المستوى الذي

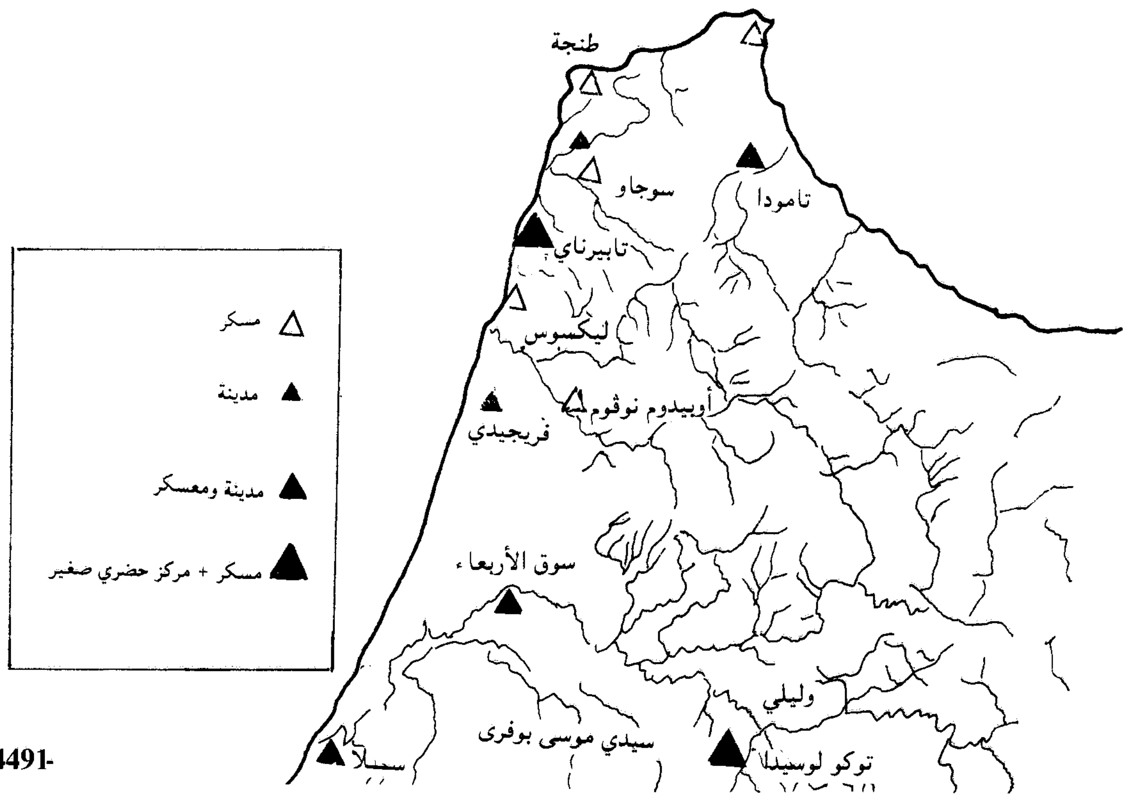

يعلوه فيحتوي على الخزف الكمباني والأمفورات الإيطالية أهمها النوع DR. 1. وقد أرخ المنقبون للوسط الأثري الذي يشتمل على هذه المواد فترة تمتد ما بين 80 و30 ق. ف. (Akerraz, 1982, p. 203 - 4). ونفس النتيجة توصل إليها بوب في دراسته للخزف الكمباني الذي يوجد في موقع سلا.

أما عن النقود الرومانية، فقد تم الكشف في التنقيبات التي أجريت لحد الآن بالمغرب، على عدد قليل منها. معظمها يرجع إلى القرن الأخير قبل الميلاد. وقد استخلص البعض من فحص النقود الرومانية المحفوظة في المتحف الأثري بالرباط، أن العلاقة مع رومة بدأت في فترة تتراوح ما بين سنتي 110 و100 ق، م. أي خلال الحرب مع يوغرطة (Hesnard, 1987, p. 50).

لقد تم العثور على نقود رومانية كثيرة في ساحل الصخور السوداء بالدار البيضاء سنة 1923، ويبدو أنها من مخلفات حطام سفينة ما غرقت قرب المكان المذكور. وأقدم هذه القطع النقدية يرجع إلى سنة 174 ق. م. وآخرها يرجع إلى سنة 31 ق. م. وهو تاريخ قريب من غرق سفينة كانت تحمل هذه النقود (Brethes, 1939, p. 1 - 6).

أما في بناسة فتم اكتشاف خمس قطع من العهد الجمهوري، أقدمها يرجع لسنة 122 ق. م. (Thouvenot, 1951, p. 84). وفي المستوى الموري بتموسيدة، الذي يرجع تاريخه إلى القرن الأخير قبل الميلاد، تم العثور على قطعتين رومانيتين فقط، أقدمهما يعود لسنة 105 ق. م. (Morel, 1965, p. 72 et 100). وفي سلا تم العثور في وسط أثري مماثل للوسط المذكور، على تسع قطع يمتد تاريخها ما بين سنتي109 و31 ق.م. (Boube, 1992, p. 255).

ومن خلال دراسة ماريون لنقود بعض المواقع الأثرية، أحصى في المغرب خمس وأربعين قطعة رومانية، وهي موزعة كما يلي :

- في وليلي توجد أربع عشرة قطعة. فترتها من سنة 91 ق. م. إلى عهد أغسطس.
- في تموسيدة تتوفر ثمان عشرة قطعة. فترتها من سنة 38 ق. م. إلى عهد أغسطس.

وفي دراسة أخرى لنفس الباحث، يتضح أن أقدم قطعة نقدية رومانية بوليلي يرجع تاريجها إلى سنة 94 ق. م. وبتموسيدة أفاد أن أقدم قطعة رومانية يرجع تاريخها إلى سنة 112 ق. م.

والجدير بالذكر أن تواريخ إصدار العملة لا يعتد به كثيرا في التأريخ لتداولها، نظرا لسريان النقود خلال زمن أطول بعد إنتاجها. وهناك مثال كنز قُدّر تاريخ إخفائه بوليلي بحوالي سنة 122 م. وهو يتكون من نقود يرجع تاريخها ما بين 82 و54 ق. م. (Marion, 1978, p. 180 et 184).

إن هذه النتائج تدل فعلا على وجود فترة فراغ في العلاقات التجارية بين موريطانية وروما خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. وكان لا بد من التأكد من استغناء الموريين عن السلع الرومانية في هذه الفترة. وقد اقتضى ذلك بحثا ميدانيا لدراسة الخزف والأمفورات الرومانية في المغرب. فتم التأكد من هذه النتيجة، من خلال ندرة الخزف الكمباني A القديم وكذلك ندرة الأمفورات الإغريقية الإيطالية (مجدوب، 1998، ص. 201 .245 ؛ Majdoub, 1996, p. 288 - 94).

إن هذه الفترة التي دامت فيها قطيعة الموريين مع رومة كانت المواد الرومانية تسري فيها بكثافة، في بلدان الحوض الغربي من البحر المتوسط. وقد توزعت في نوميدية وإسبانيا وقرطاجة برغم عدائها لرومة. والأمر يتعلق برواج الخزف الكمباني A القديم في البلدان المذكورة خلال القرن الثاني قبل الميلاد. وكذلك الشأن بالنسبة للأمفورات الإغريقية الإيطالية.بينما توصلت موريطانية بالأمفورات الإيطالية أهمها النوعان DR. 1 و4 - Dr. 2 ثم الخزف الكمباني B وقليل من الخزف الكمباني A المتأخر. وكلها مواد توزعت في البلاد خلال القرن الأخير قبل الميلاد.

وقد تم التأكد نسبيا من الزمن الذي راجت فيه هذه المواد بالمغرب بواسطة استبارات حديثة العهد في وليلي (مجدوب، 1998، ص. 341، 381 .91). أما المواد المورية التي توزعت في إيطاليا وغيرها من بلدان البحر المتوسط خلال القرن الأخير قبل الميلاد، فأهمها أمفورا من النوعين Dr. 18 و11 - Dr. 7، التي كانت تصنع في موريطانية وتنقل الكارم (مجدوب، 1998، 103 .118).

إن ما أسفرت عنه دراسة المواد الأثرية يتفق مع النصوص التاريخية، التي لم يرد فيها ذكر لدور السلطة المورية في الصراع القرطاجي الروماني. ونجد عند بوليبوس خبرا يعكس القطيعة بين موريطانية والعالم الروماني، في قوله : "إن البلدين المطلين على مضيق أعمدة هرقل لا تربطهما أية علاقة" (Polybe, 16, 7, 29). وهذا يفيد أن موريطانية لم تكن تتعامل تجاريا مع إسبانيا في القرن الثاني قبل الميلاد، الذي عاش فيه المؤرخ وقام فيه برحلة حول المحيط الأطلسي سنة 146 ق. م. إثر اندحار القرطاجيين فيها خلال الحرب البونية الثانية (Pline l'Ancien, 5, 9).

ومن جهة أخرى نجد مصداقية تامة في إشارة المؤرخ الروماني سالوستيوس إلى القطيعة التي كانت بين الموريين والرومان قبل حرب يوغرطة. عاش الكاتب ما بين سنتي 86 و34 ق. م.، وأرخ لحرب يوغرطة، وأبرز دور بكوس الفعال في إنهائها بتسليم يوغرطة لرومة. وهذا قوله : "كان الموريون تحت سلطة الملك بكوس (الأول) الذي إذا استثنينا اسمه فإنه كان يجهل كل شيء عن الشعب الروماني، وكذلك نحن لم تكن لنا معه أية علاقة لا سلمية ولا عدائية" (سالوست، *حرب يوغرطة*، 19). وفي سياق آخر تطرق المؤرخ نفسه للمفاوضات بين بكوس الأول وسولا،

فأكد اعترض الملك على اقتراح القائد الروماني القاضي بتسليم يوغرطة، فنسب المؤرخ للملك قوله التالي : "زيادة على خوفه من أن هذا الإخلال بعهده يغير عليه قلوب رعاياه، الذين يحبون يوغرطة بقدر ما يكرهون الرومان" (سالوست، حرب *يوغرطة*، 111).

ونجد نفس الموقف في رواية سترابون، الذي عاش ما بين سنتي 64 ق. م. و19 م. حول تجربة أدوكس الكوزيكي Eudoxe de Cyzique وهو من رجال الأعمال النشيطين في العالم الروماني، في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد. أفاد الكاتب أن الشخص المذكور اتصل بالملك بكوس الأول حوالي سنة 111 ق.م. وطلب منه أن يشرف على مشروعه في اكتشاف الطريق المؤدية إلى الهند عبر المحيط الأطلسي، فاعترض أعوان الملك بشدة على المشاركة في هذا المشروع، بحجة أن ذلك خطر على بلادهم وسيجعلها عرضة للتدخلات الأجنبية.

ورد في النص ما يلي : "لما وصل (أودكس) سالما إلى موروسية Maurusia باع مراكبه. ثم قصد بگوس Bogos (بكوس الأول) ماشيا، وعرض عليه أن يتولى الإشراف عن الرحلة البحرية التي يعتزم القيام بها. لكن أصدقاء بگوس تشبثوا بالرفض، محذرين ملكهم من مغبة جعل البلاد عرضة للغزو إذا صار الطريق معروفا عند الغزاة الأجانب" (Strabon, 2, 3, 4). وقد سبق لنا توظيف هذا النص في معالجة أوضاع موريطانية وإثارة دور الموريين في الملاحة بالمحيط الأطلسي.

إن هذا الموقف يدل على تصلب رعايا الملك بكوس الأول، وتشبثهم بعدم التعامل مع رومة. لكن الملك قرر أن يغير سياسته، فتعامل مع الرومان خلال حرب يوغرطة. وهو الحدث الذي يمثل منعطفا في تاريخ المملكة المورية. فمنذئذ بدأ اندماج موريطانية تدريجيا في العالم الروماني سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

الخلاصة هي أن المصادر التاريخية والمعطيات الأثرية منسجمة في رسم أطوار العلاقات بين رومة وموريطانية. وهي تفيد أن الموريين تميزوا عن جيرانهم النوميديين في اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتفادي الهيمنة الرومانية، وذلك بعدم التورط في الحروب البونية، والاستغناء عن السلع الرومانية. وقد التزموا بهذه المواقف لغاية قيام حرب يوغرطة، حيث فرض الملك بكوس الأول إرادته في تغير سياسة بلاده بالانفتاح على رومة سياسيا واقتصاديا.

2 ـ فترة حرب يوغرطة في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد

تزامنت هذه الحرب مع عهد الملك الموري بكوس الأول Bocchus، الذي كان معاصرا للملك النوميدي مكبسا Micipsa بن مسينسا المتوفى سنة 118 ق. م. والواضح مما جاء من أخبار حول العلاقة بين الموريين ورومة قبل هذه الحرب، أن الملك الموري المذكور نهج السياسة التي اتبعها سلفه مع الرومان، وذلك بعدم التعامل معهم والاحتراز من سياستهم التي تزمي إلى الهيمنة عن البلاد الإفريقية، حسب ما هو واضح من تعامل رومة مع الملوك النوميديين وتدخلها في شؤونهم، من خلال تصرف سكبيو الإيميلي في تولية عرض نوميدية بعد وفاة مسينسا سنة 148 ق. م. حيث أعرض القائد الروماني على تطبيق العرف النوميدي في تولية العرش لأكبر أفراد الأسرة الملكية سنا، الذي تم تطبيقه بعد وفاة گايا والد مسينسا (Tite Live, 29, 29, 6). بل على العكس من ذلك، عمد القائد الروماني إلى تولية العرش لثلاثة من أبناء مسينسا وهم مستنبعل Mastanabal وكلوسا Gulussa ومكبسا Micipsa ؛ (Polybe, 36, 2, 16 ; Tite Live, *Abrégé*, 50 ; Valerius Maximus, 2, 4 ; Appien, Lib., 105). وهذا هو الوضع الي حاول يوغرطة تصحيحه لما تشبث بحقه في الانفراد بحكم نوميدية. وهو يراهن على تأييد الموريين، مما جعله يتزوج ابنة بكوس الأول. وبالفعل نجد يوغرطة يحظى بولاء الموريين خلال صراعه مع ولدي مكبسا مباشرة بعد وفاة هذا الأخير، وخلال أشواط الحرب ضد الرومان.

ولما احتد الصراع بين يوغرطة ورومة ود الملك بكوس أن يغير سياسته تجاه الرومان في بداية الحرب لأسباب وتقديرات ارتأى فيها أن مصلحة بلاده تكمن في ضرورة الانفتاح على الرومان. وهذا ما نستقيه من حديث سترابون عن تجربة أودكس الكوزيكي في محاولة التعامل التجاري والملاحي مع الموريين، خلال مشروعه في استكشاف الطريق المؤدية إلى الهند عبر المحيط الأطلسي. والنص المتعلق بهذه القضية يعكس من جهة تذبذب الملك وميوله إلى الانفتاح على الرومان، ومن جهة أخرى يؤكد صرامة رعاياه وتشبثهم بمواقفهم السابقة.

ونستفيد من جهة أخرى من كتاب سالوست حول حرب يوغرطة أن مواقف الموريين بقيت متناقضة منذ بداية الحرب سنة 112 إلى نهايتها سنة 105 ق. م. ويرجع ذلك في تقديرنا إلى كون الطرفين المتصارعين في هذه الحرب عرضا معا التحالف مع الملك الموري. فالطرف الروماني استجاب له الملك ومعه بعض خواصه وأصدقائه. والطرف النوميدي أيده عموم رعايا بكوس وضمنهم فرقة أخرى من خواصه وأصدقائه. ولا يجوز بتاتا أن نصدق بمفعول الرشوة التي كان يوغرطة يغدقها على الموريين، حسب زعم سالوست. وهذا ما ينبئ باحتداد التناقضات الداخلية في موريطانية. فما كان على الملك بكوس إلا أن يرسم خطة خاصة للتعامل مع هذه الحرب.

سنقتصر على ذكر أهم عناصر هذه الخطة، وما ترتب عنها من مواقف ووقائع. ونحيل القارئ على تفاصيل هذه النقطة على المرجعين التاليين : (مجدوب، (أ) 1990، ص. 61 ـ 82 ؛ (ب) 1990، ص. 91 ـ 110)

ـ في بداية الحرب حوالي سنة 112 ق. م. توترت العلاقة

بين يوغرطة وبكوس الذي شن هجوما على نوميدية واستولى على القسم الغربي منها.

- في نفس السنة بعث بكوس وفدا إلى رومة للتفاوض حول التحالف. لكن الحزب الشعبي عارض هذا التحالف مقابل التنازل عن نوميدية لبكوس، لأنه يعتبر نوميدية ملكا للشعب الروماني.

- ما بين 111 و108 قطيعة بكوس مع طرفي النزاع واستمرار احتلاله لغرب نوميدية. وحينئذ رحب الملك بعناصر من الجيش الروماني سبق لهم أن انضموا إلى يوغرطة، ولما بدأت المفاوضة بين يوغرطة والقائد الروماني ميتلوس التجأوا إلى بكوس. كما رحب بالفارين النوميديين الذين شملهم غضب يوغرطة لما اكتشف مؤامرتهم مع ميتلوس على اغتياله.

- ما بين 108 و107 تحالف الملكين واشتراكهما في محاربة القائد الروماني ماريوس للانتقام من هجومه على غرب نوميدية الخاضع لبكوس. وأهم ما أسفر عنه هذا التحالف هو تحرير مدينة كيرتة التي كانت عاصمة المملكة النوميدية.

- ما بين 107 و105 المفاوضات بين ماريوس وبكوس تولى فيها القائدان الرومانيان مانليوس وسولا مهمة الذهاب إلى بكوس. وتولى هذه المهمة خمسة من الموريين اتصلوا بماريوس وذهبوا إلى رومة. ولعل أحدهم هو ماگدولسا Magudulsa الذي نعلم باسمه كأحد مشجعي الملك على التعاون مع الرومان. وتولى أصبار Aspar دور ممثل يوغرطة في المفاوضات بين بكوس وممثلي الرومان.

- 105 انتهاء المفاوضات بتواطئ بكوس وسولا بحضور شخص نوميدي يدعى دبار Dabat، حول تسليم يوغرطة للرومان. فأصبح بكوس ملكا صديقا وحليفا للشعب الروماني، مع الاعتراف بسيادته على غرب نوميدية.

- ما بين 105 و91 ثورة الموريين ضد بكوس، فتصدى لها بعنف وتشبث بموقفه المتمثل في مواصلة العلاقات مع الرومان. وبعد إخماد الثورة خلد بكوس انتصاره على الطريقة الرومانية، وذلك بإرسال تماثيل ذهبية لتعرض في الكبتول Capitole برومة. وهذه الأنصاب لإلهات النصر الرومانية تحمل شعارات الغلبة Victoires porteuses de Trophées. بالإضافة إلى تماثيل تصور بكوس وهو يسلم يوغرطة لسولا (Plutarque, Marius, 32 ; Sylla, 6 ; Aurelius, 75).

3 - فترة الحروب الأهلية الرومانية خلال القرن الأخير قبل الميلاد : اتسمت هذه الفترة بهيمنة القادة العسكريين الرومان على الملوك الأفارقة في نوميدية وموريطانية، واقتضى ذلك أحيانا تدخل الجيوش الرومانية لفرض نفوذهم في البلدين معا. وتحتمت على الملوك الأفارقة ضرورة المشاركة الفعلية في الصراعات بين الرومان. وكان لذلك انعكاس سلبي على أوضاع الملوك لأن الملك الذي لم يحالفه السعد في اختيار القائد الذي سينتصر فهو يقضى عليه.

تزامن الصراع بين ماريوس وسولا مع انتفاضة جديدة في موريطانية، نرجح أن سببها الرئيسي هو وفاة بكوس في وقت لا ندريه. مما جعل أعداء الرومنة من الموريين يتزعمون ثورة ضد الملك الجديد الذي يدعى أسكاليس Askalis. نعرف من أحداث هذه الثورة ما اقترن منها بتدخل أحد أتباع ماريوس وهو القائد الروماني سرطريوس في موريطانية حوالي سنة 82 ق. م. وقد تحالف مع الثوار الموريين وانتهى نشاطهم بقتل أسكاليس حينما التجأ إلى طنجة، والقضاء على القائد الروماني بكيانوس Paccianus، الذي كلفه سولا بمساعدة أسكاليس (Plutarquen Sertorius, 7 - 9).

ثم تدخل أحد أتباع سولا وهو القائد الروماني بومبيوس ماگنوس Pompeus Magnus في موريطانية، بعدما أنهى مهمته في ولاية أفريكا Africa، حيث هزم حاكمها الروماني الموالي لماريوس وهو دومتيوس أهنوباربوس Domitius Ahenobarbus. كما انتصر في نوميدية حيث أطاح بالملك النوميدي هيارباس Hiarbas وأعاد الحكم للملك همبسال Hiempsal، الذي ثار عليه الملك السالف ذكره. والجدير بالذكر أن أحد أبناء بكوس المدعو بگود Bogud قد ساعد القائد الروماني في القضاء على هيارباس بمدينة بولا رگية Bulla Regia. ونعتقد أن بومبيوس نصب مستانسسوس Mastanesosus ملكا على الموريين إثر هذه الحملة على موريطانية.

- الصراع بين بومبيوس وقيصر : استمر نفوذ القائد بومبيوس على الملوك الأفارقة منذ نشاطه السالف الذكر. والغالب أنه هو الذي تدخل في شؤون الموريين في وقت لا ندريه، فقسم مجال نفوذهم إلى مملكتين يفصل بينهما نهر ملوشة (ملوية الحالي)، الذي كان يمثل الحدود الشرقية للمملكة المورية، قبل أن يخضع غرب نوميدية لبكوس. ففي القسم الغربي أي في موريطانية الأصلية حكم الملك بگود وفي القسم الشرقي أي في غرب نوميدية حكم الملك بكوس الثاني بن مستانسسوس.

ولما اندلع الصراع بين بومبيوس وقيصر في إسبانيا سنة 59 ق. م، تدخل الملكان الموريان المتعاصران لمناصرة بومبيوس. لكن قيصر تمكن من استمالتهما إلى صفه خلال انتصاره الأول في إسبانيا. ثم قدما له المساعدة اللازمة في بقية حروبه خاصة في ولاية أفريكاما بين سنتي 46.47 ق.م. أو في إسبانيا سنة 45 ق. م. وقد استفاد بكوس الثاني من هذا التحالف بحيازة قسم إضافي من نوميدية، مما جعل مجال نفوذه يمتد شرقا إلى واد أمبساگا Ampsaga.

- الصراع بين أنطونيوس وأكتافيوس : لقد اختلف الملكان الموريان في مواقفهما لأسباب لا ندريها. وكان ذلك وبالا على الملك بگود، نظرا لسوء حظه في التحالف مع أنطونيوس، الذي مني بالهزيمة في هذا الصراع. فقد تدخلت

قوات أكتافيوس في موريطانية ضد بكود وأطاحت بعرشه سنة 38 ق. م. وبعدئذ سمح أكتافيوس لبكوس الثاني بضم موريطانية إلى مجال نفوذه. وإثر وفاته سنة 33 ق. م. صار أكتافيوس يتحكم في مصير البلاد، وحاول ضمها إلى مجال نفوذ الامبراطورية الرومانية، لكن المورين شنوا ثورة ضد سياسته غير أن مقاومتهم باءت بالفشل أمام التدخل العسكري العنيف لقوات أوكتافيوس في موريطانية. وإثر ذلك أنشأ اثنتي عشرة مستوطنة رومانية في المجال الذي كان خاضعا لبكوس الثاني، منها أربعة في موريطانية، هي طنجة وزليل وبابة وبناسة. وفي سنة 25 ق. م اضطر أكتافيوس إلى تنصيب يوبا الثاني ملكا على المورين، ثم خلفه ابنه بطليموس سنة 23 م إلى أن اغتاله الامبراطور الروماني كليكولا Caligula سنة 40 م. وبعد ذلك ضم الرومان مجال نفوذ المورين وأحدثوا فيه ولايتين رومانيتين هما موريطانية الطنجية في بلاد المورين الأصلية، وموريطانية القيصرية في القسم الغربي من نوميدية، الذي كان خاضعا لسلطة المورين، كما أشرنا إلى ذلك أعلاه.

محمد مجدوب، 1990(1)، *أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة*، بحوث، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العددان2 ـ3، ص. 61 ـ82 ؛ نفسه، 1990 (2)، *مملكة المورين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة33 ق. م.* رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، مرقونة ؛ 1992، *العملة الملكية في المغرب القديم*، بحوث، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية،، العدد 5، ص. 47 ـ60 ؛ 1993، *أوضاع موريطانية من خلال رحلة أودكس الكوزكي في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، سلسلة الندوات، 5، ص. 31 ـ53 ؛ 1995، *مختصر حول تاريخ موريطانية قبل السيطرة الرومانية*، بحوث، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العدد 6، ص. 149 ـ174 ؛ 1998، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة ؛ 1999، *المملكة المورية وحدودها في المغرب القديم*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، سلسلة الندوات، 6، ص. 7ـ20.

Akerraz A., El Khatib-Boujibar N. et al., *Fouilles de Dchar Jdid*, 1977 - 80, *BAM*, 14, 1981 - 2, p. 169 - 225 ; Arcelin P. et Cayot A., *Reflexions sur l'abandon de l'agglomération hellénistique de Saint-Blaise (Saint-Mitre-Les remparts)*, *Revue Archéologique de Narbonnaise*, 17, p. 53 - 70 ; Belen M. et Fernandez Miranda M., *El fondadero de Cales Cobes (Menorca, Islas Baleares)*, *EAE*, 101, p. 110 - 3 ; Ben Younes H., 1993, *La nécropole punique d'El Khayma*, mai 1984, *Reppal*, 2, p. 31 - 172 ; Bisi A.M., 1985, *Le commerce des amphores puniques : quelques remarques à propos des découvertes de Mellita (Sabrata)*, *B.C.T.H.*, N.S., 19 B., 1983, p. 3 - 15 ; Brethes J.D., 1939, *Contribution à l'histoire du Maroc par la recherche numismatique*, Casablanca ; Boube J., *Introduction à l'étude de la céramique à vernis noir de Sala*, *BAM*, 16, 1985-86 ; Idem, *Les amphores de Sala à l'époque préromaine*, *BAM*, 17, 1987-1988 ; Idem, *La circulation monétaire à Sala à l'époque préromaine*, Rome ; Chelbi F., *La céramique à vernis de Carthage*, Tunis, 1992 ; Empereur J. Y [et al...], *Les amphores hellénistiques du bassin occidental de la Méditerranée*, *Céramique Hellénistique et Romaine*, 2, 1987 ; Guerrero Ayuso V. H., *Una aportacion al estudio de las anforas Mana C*, *Archaeo-Nautico*, 6, 1988 ; Hesnard A. [et al...], *Les négociants italiens en Maurétanie avant l'annexion*, *BCTH*, NS, 19 B, 1983 ; Hesnard A. [et al...], *Aires de production des gréco-italiques et un Dr. 1*, *Collection de l'Ecole Française de Rome*, 114, p. 21 - 65 ; Hesnard A., 1990, *Les amphores*, *Revue Archéologique de Narbonnaise, Supplément* 21, 1990, p. 47 - 54 ; Jodin A., *Mogador comptoir phénicien du Maroc atlantique*, *Rabat* ; Krandel Ben Younes A., *La nécropole rurale de Thigibba Bure, Djebba*, *Reppal*, 7 - 8, 1992 - 3 ; Lancel S., *Tipasitana III, la nécropole préromaine occidentale de Tipasa, rapport préliminaire (campagne de 1966 - 7)*, *BAA*, 3, 1968 ; Leglay M., *A la recherche d'Icosium*, *Antiquités Africaines*, 2, 1968 ; Laubenheimer F., *Production des amphores en Gaule Narbonnaise*, Paris, 1985 ; Majdoub M., *Les luttes du début du 1er siècle av. J.-C. au mord de la Maurétanie*, *Collection de l'Ecole Française de Rome*, 166, 1992 ; Idem, *Nouvelles données sur la datation du temple C à Volubilis*, *Africa Romana*, 10, 1994 ; Idem, *La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain*, *Africa Romana*, 11, 1996, p. 287 - 302 ; Idem, *Pompeus Magnus et les rois maures*, *Africa Romana*, 12, 1998 ; Idem, *Octavius et la Maurétanie*, *Africa Romana*, 13, 2000 ; Marion J., *Les séries monétaires de Tingitane*, *BAM*, 4, 1960 ; Idem, *Note sur la contribution de la numismatique à la connaissance de la Maurétanie Tingitane*, *Antiquités Africaines*, 1, 1967 ; Idem, *Les trésors monétaires de Volubilis et de Basana*, *Antiquités Africaines*, 12, 1978 ; Morel J. P., *Les niveaux préromains, Thamusida, I*, *Collection de l'Ecole Française de Rome, Supplément*, 2, 1965 ; Idem, *Céramique d'Hippone*, *BAA*, 1, 1967; Idem, *La céramique à vernis noir du Maroc*, *Antiquités Africaines*, 2, 1968 ; Idem, *Recherches stratigraphiques à Hippone*, *BAA*, 3, 1968 ; Idem, 1969, *Kerkoine ville punique du Cap Bon*, Ibid, p. 473-518 ; Idem, 1978, *A propos des céramiques campaniennes de France et d'Espagne*, *Archéologie en Languedoc*, 1, p. 149 - 68 ; Idem, 1982, *La céramique à vernis noir de Carthage Byrsa, nouvelles données et éléments de comparaison*, *Colloque sur la céramique antique de Carthage*, Carthage, 1980, p. 43 - 73 ; Idem., 1983, *Les importations de céramique grecque et italienne dans le monde punique, 5 - 1er s av.-J.C., révision du matériel et nouveaux documents*, *1er Congreso internacional di studi fenici e punici*, p. 731 - 40 ; Idem, 1990 (1), *L'apport des fouilles de Carthage à la chronologie des céramiques hellénistiques*, *Colloque sur le problème de chronologie des céramiques hellénistiques*, Athène, 1989, p. 17 - 32 ; Idem, 1990 (2), *Nouvelles données sur le commerce de Carthage punique entre le 7ème et le 2ème s av.-J.C.*, *113ème Congrès National des Sociétés Savantes*, (Strasbourg 1988), p. 67 - 100 ; Idem, 1990 (3), *Aperçu sur la chronologie des céramiques à vernis noir aux 2 - 1er s. av.-J.C.*, *Revue Archéologique de Narbonnaise, Supplément* 21, p. 55 - 71 ; Idem, 1992 (1), *La céramique à vernis noir du Maroc*, *Collection de l'Ecole Française de Rome*, 166, p. 217 - 33 ; Idem, 1992 (2), *La céramique à vernis noir du Parking de La Mairie*, *Musée des Beaux Arts et d'Archéologie*, p.

213 - 6 ; Nieto et al., 1985, *El Yacimiento arqueologio submarino de Reills La Colta y su relacion con Ampurias, 6ème Conreso Internacional de Arqueologia Submarina*, Carthagene, p. 265 - 83 ; Py M., 1976, *Note sur l'évolution des céramiques à vernis noir des Oppidas languedociens de Roque-de-Viou et de Nages (Gard France), MEFRA, Archéologie*, 88, 12, p. 545 - 606 ; Idem, 1978, *Apparition et développement des importations des céramiques campaniennes à sur l'Oppidum des Castels (Nages, Gard), d'après les fouilles du dépotoir J. I, Archéologie en Languedoc*, 1, p. 43 - 70 ; Rodero Riaza A., *El fondadero de Cales Coves (Alayor Menorca Espana), avance de las campanas 1980 - 7, IIème Congreso internacional di studi fenici e punici*, p. 1183 - 6 ; Siraudeau J., 1988, *Amphores romaines des sites angevins (France) et leur contexte archéologique*, Bouchemaine ; Solier Y., 1972, *Céramique punique et ibéro-punique sur le littoral de Languedoc du 6ème au début du 2ème s av.-J.C., Hommages à Benoit*, Bordighera, p. 127 - 50 ; Tchernia A., 1986, *Le vin de l'Italie romaine, essai de l'histoire économique d'après les amphores*, Rome ; Thouvenot R., 1951, *Note sur les monnaies de Banasa*, dans *PSAM*, 9, p. 83 - 7 ; Vuillémot G., 1965, *Reconnaissances aux échelles puniques d'Oranie, Autun* ; Villard F., 1960, *Céramique grecque du Maroc, BAM*, 4, p. 1 - 26.

محمد مجدوب

**الرومي** (ضاية -) بحيرة قارية طبيعية دائمة تقع جنوب مدينة الخميسات (X = 427 ؛ Y = 350 على خريطة المغرب 1 / 50000) وتبعد عن الرباط بتسعين كلم. تتكون المنطقة الجنوبية لعمالة الخميسات من عدة ضايات أكبرها ضاية الرومي التي تبلغ 12 مترا من العمق بطول (شرق - غرب) يقدر بـ 1.6 كلم وبعرض يتراوح بين 300 - 800 م. تتراوح السعة بين 5 - 6 ملايين م مكعب من الماء ويختلف طول العمق الأقصى بين الفصول الرطبة والجافة ويقدر معدله بـ 6.2 م. يفوق عمقها 8 أمتار في الجهة الشرقية ولا يتعدى 4 أمتار في الجهة الغربية.

يمكن الوصول إلى البحيرة عبر طريقين معبدتين وتحيط بها جنوبا وغربا مسالك غير معبدة. يوجد بها مخيمان ومعطم لاستقبال الزوار أيام العطل سواء للمتعة أو للصيد الرياضي أو للرياضة على الزوارق التي تعرف نشاطا مكثفا خلال الربيع والصيف.

أثبتت الدراسات أن تكوين ضاية رومي يرجع إلى العهد الجيولوجي الثالث مع نشأة حوض المعازيز لأسباب جيولوجية تتجمع فيه مياه الأمطار والمجاري السطحية والعيون الباطنية. تستقبل هذه البحيرة مياه الأمطار التي تتراوح بين 430 - 530 ملم في السنة ومياه ضاية السْلاكَ المجاورة على الضفة الشمالية الشرقية عبر قناة لا يتعدى صبيبها 10 لترات في الثانية. تحتضن الضفة الجنوبية عدة عيون غازية تلعب دورا هاما في المحافظة على مستوى الماء بهذه البحيرة خلال الفصول الجافة. تستقبل ضاية رومي أيضا وادي رحو وهو رافد صغير يقل ماؤه في الصيف ويكثر في الشتاء حيث يلعب دورا هاما في تغذية البحيرة من الأملاح المغذية ومن كمية وافرة من الوحل الذي يزداد تراكما في مدخل النهر ؛ وقد نتج عنه نمو سريع ومكثف لنبات القصب المائي ونبات البردي والسمار على مقربة معظم الضفاف.

تتميز مياه البحيرة بجودة عالية إلا أنها مهددة بالمواد الكيميائية المستعملة في الحقول المجاورة للتخاصب ولمحاربة الأعشاب والحشرات المضرة بالفلاحة. لقد تم إحصاء حوالي 90 نوعا من الطحالب المجهرية في هذه البحيرة إلى جانب 120 نوعا من القشريات الصغيرة المائية والحشرات والضفادع.

وتعتبر هذه الضاية من البحيرات الأكثر أهمية لتطور مراحل النمو لعدة أنواع من الأسماك يكثر الإقبال عليها من طرف هواة الصيد الرياضي. كان سمك البربيس Barbeau النوع الوحيد الذي يعيش فيها بكيفية طبيعية في مطلع القرن الجاري،

وبعد الثلاثينيات منه تم إدخال عدة أنواع من أوروبا لقيت نجاحا كبيراً في التأقلم والتطور وخاصة منها الشبوط العادي Carpe commune وسمك البلوقي Blue-gill والزنجور والفم الأسود Black bass. لقد عرفت السنوات الأخيرة تساقطات مطرية ضعيفة جدا في المنطقة ونشاطا مكثفا في استعمال المواد الكيماوية المبيدة للحشرات والنباتات المضرة أدى مفعولها إلى موت عدد كبير من سمك الشبوط العادي والبلوقي سنة 1986. وقد عوض المركز الوطني لتربية الأسماك بآزرو هذه الخسارة بإدخال عدد كبير من صغار سمك الزنجور والشبوط الصيني العاشب والفم الأسود خلال السنوات الأخيرة، تلبية لمتطلبات هواة الصيد الرياضي ولمعالجة التخاصب المفرط في هذه البحيرة.

تستقبل البحيرة كل سنة عددا هائلا من الطيور القواطع تتصدرها أنواع البط كالعنق الأخضر Anas platyrhynchus و A. Acuta, A. crecca, A. clypeata, وAythya ferina إلى جانب المالك الحزين وطائر البقر وعشرات من أنواع الطيور المائية الصغيرة تحج إلى هذه الضاية خلال الفصول لتقتات وتستريح.

N. Elkhiati, Biotypologie et biogéographie des Charophycées du Maroc. Contribution à l'étude des peuplements d'Algues et de machrophytes de l'hydrosystème de Tamaris (Meseta occidentale). Thèse d'Etat, Marrakech, Semlalia, 1995, 155p ; M. Ramdani, Les eaux stagnantes au Maroc : étude biotypologique et biogéographique du zooplancton. Trav. Ins. Scri. Rabat, Zool. 1988, 43p ; C. Berthon, Dynamique des populations phytoplanctoniques du lac marocain (Dayet Er Romi). Thèse 3° cycle, Clermont Ferrand, 1983, 85pp.

نجاة الخياطي

**الـروّاس**، ويكتب أيضا الروّاص، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Ruas وRoyas ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ؛ مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1257 / 1841 كانت بحومة الطرانكات دار تحمل اسم هذه الأسرة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 740.

**روّان**، ويكتب أيضا الروّان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Roan ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 738.

محمد ابن عزوز حكيم

**رووانيت**، جول Rouanet Jules، موسيقي فرنسي معاصر. اشتغل بالمعهد الموسيقي الفرنسي بباريز في العقد الأول من القرن العشرين، ثم انتقل إلى العاصمة الجزائرية حيث كلف بإنجاز أبحاث حول الموسيقى العربية.

وخلال الفترة التي قضاها بالجزائر زار المغرب وسوريا ومصر، والتحق بالجمعية المطربية التي كان قد أسسها المطرب اليهودي ادمون ناطان يافيل Edmond Natan Yafil قبيل 1910، وهناك تعرف على الفنانين الجزائريين : محيي الدين باشتارزي (1897 .1986) ومحمد بن علي اسفينجة، وقد اعتمد على هذا الأخير كثيرا في إنجاز دراسته عن الموسيقى الأندلسية بالجزائر مستعينا بيافيل الذي كان يقوم بالترجمة. وقد شكلت هذه الدراسة الوثيقة التي اعتمدها المؤتمر الأول للموسيقى العربية المنعقد بالقاهرة عام 1932، إلى جانب وثيقة الباحث رودولف ديرلانجيه المقيم يومئذ بتونس بغرض المقارنة بين الطبوع الأندلسية المستخدمة في الجزائر والمقامات الموسيقية المستخدمة في مصر، هذه المقارنة التي سوف يتبين أنها ـ كمثيلتها الخاصة لمقارنة طبوع موسيقى الآلة المغربية ـ مجافية للصواب.

شارك رووانيت في إنجاز "دائرة المعارف الموسيقية وقاموس المعهد" بإدارة ألبير لافينياك Albert Lavignac، فكتب خلال سنوات1912 .1913 .1914 .1922 فصولا متعددة عن :

- الموسيقى العربية في دول المغرب *La musique arabe dans le Maghreb*
- الموسيقى في المغرب *La musique au Maroc*
- تاريخ الموسيقى ـ الموسيقى العربية *Histoire de la musique : musique arabe*

وقد قام الباحث اللبناني المقيم بمصر اسكندر شلفون بتعريب هذا الفصل، وهو قوام الجزء الأول من دائرة المعارف، ويختص بالموسيقى العربية. وفيه يعقب على المؤلف بتصحيح ما عنده من أخطاء في الكتاب، ويضيف إليه ما رآه مكملا لعمل المؤلف.

اسكندر شلفون، *دائرة المعارف الموسيقية وقاموس المعهد*، القسم الأول ـ تاريخ الموسيقى ـ الموسيقى العربية، 1927.

J. Elsner, *Musique arabe. Congrès du Caire 1932*, Le Caire 1992, p. 200 ; Jules Rouanet, *Encyclopédié de la musique et dictionnaire conservatoire*, pp. 2183 - 2943 ; Idem, pp. 2676 - 2812 ; 1ère partie, *Histoire de la musique : la musique arabe.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**رُوي دي پِّـينا** Rui de Pina، مؤرخ برتغالي احتل مكانة مرموقة بالبلاط البرتغالي لذى الملك جواو الثاني وخلفه ضون مانويل. وقبل وفاته ما بين سنوات 1519 و1523 كلف بإدارة خزانة "أرشيف طوري طومبو"، ومن هناك استمد المادة التاريخية، وقد تبنى ما كان نظيره زورارا بصدد تسجيله عن الملك ألفونص الخامس، كما استفاد من حوليات إخباري آخر يدعى "فرناو لوبيس" Fernao Lopes.

ظهر لرُوي دي پّينا أولا كتابه عن الملك ضون ضوارتي، *Chronica d'el Rei D. Duarte*. وأهم ما تضمنه الكتاب بالنسبة للتاريخ المغربي المعلومات المتعلقة بأصول الحملة البرتغالية على مدينة طنجة وعملياتها الحربية سنة 1437. إلا أن سرده توقف بالنسبة لطنجة عند الهزيمة البرتغالية، ولم ينل المطلب المغربي الذي ألح عليه المرينيون مما يخص استرجاع سبتة المحتلة سوى النزر اليسير من سرده، نتيجة توقفه عند وفاة ضون ضوارتي سنة 1438.

وتكمن فرصة الاستفادة من قراءة حوليات ألفونص الخامس *Chronica d'el Rei D. Affonso* من استغلال كل ما تعلق بأصول حملة لشبونة على القصر الصغير سنة 1458، وعلى أصيلا وطنجة سنة 1471. ولكن معرفتنا لن تتجاوز الاستعدادات البرتغالية للحملة والعمليات الحربية التي أدت إلى سقوط المدن الثلاثة بيد الغزو البرتغالي.

على أن الاستفادة تتأتى أكثر بتفحص كتابه الثالث المخصص للملك جواو الثاني، *Chronica d'el Rei D. Joao II*. فمنه يؤخذ ما يتعلق بحاكم الشاون علي بن راشد العلمي وحاكم القصر الكبير طلحة العروسي سنتي 1487 و1488، علاوة على التعاليق المرافقة لحملة جزيرة اللكوس وما تلاها من الهدنة وغارات سبتة على ترغة وسوق خميس أنجرة. تم نشر تآليفه بلشبونة سنة 1792 في مجموعة كتب تاريخ البرتغال *Collecçao de Libros de Historia Portuquesa*, t. 2.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية الغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

*Chronica d'el Rei D. Joao II ; Chronica d'el Rei D. Affonso ; Chronica d'el Rei D. Duarte.*

حسن الفكيكي

**الرويجل عبد السلام** السريفي، مقاوم ولد سنسة 1916 بوزان من والديه أحمد بن عبد السلام ورحمة بنت احساين.

انخرط في صفوف المقاومة السرية منذ انطلاقتها حيث ساهم بعدة أعمال فدائية نذكر منها : توزيعه لبعض المناشير لتهديد بائعي السجائر كما أنه قام بإحراق بعض مزارع المعمرين، بالإضافة إلى قيامه بعملية اغتيال بعض الخونة. كما أنه شارك مشاركة فعالة في مظاهرة 20 غشت الخالدة، وألقي عليه القبض حيث صدر الحكم عليه بستة أشهر سجنا.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**الرّويزْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ruis - Ruiz ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 749.

**الرويضة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rueda ومعناه العجلة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

وتجدر الإشارة إلى أنه توجد بإسبانيا مدينة اسمها Rueda.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 748.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرويميات**، تعد هذه التجزئة فصيلا من قبيلة أيت لحسن التي تنتمي إلى لف أيت الجمل من اتحادية تكنة بوادي نون والساقية الحمراء. ويبدو من خلال تاريخ هذه الفصيلة ومعنى تسميتها، تباين انتمائها الأصلي مع الجذر الإثني المؤسس للقبيلة. كيف ذلك ؟ يكشف هذا السؤال الإشارات الهامة إلى تنوع مشارب الفصائل المكونة لهذه القبيلة. ذلك أن هذا الانتماء يعد من بين الموجهات الفعلية والمنهجية للبحث الميداني المكثف. ننطلق من إشارة أحمد التوفيق إلى الرابطة القوية بين أهل بوعيدة أعيان هذه الفصيلة والمد الإسباني خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين (انظر مادة أساكا بالمعلمة). فنتساءل عن معنى صيغة "الرويميات" وهل هناك ما يدعو إلى ربطها بالغور المسيحي الإسباني خلال القرن الخامس عشر الميلادي بالساحل المواجه لجزر كناريا ؟

كانت قبيلة أيت لحسن خلال هذه الفترة تنتمي إلى الغور السكاني التكني المقيم بأسرير حيث ما تزال ملكياتها المسقية المسماة حاليا (تواغيل آيت لحسن) تشهد على انتمائها إلى لف أيت عثمان (لف آيت بلة). انتقلت جل فصائل آيت امحند أو لحسن (آيت بومكوث وإنجورن وأيت داود أو عبد الله) يومها من أسرير إلى المشابيك الواقعة بمنطقة كير جنوب غرب وادي نون لتشكل فيما بعد تدريجيا ما أصبح يعرف بقبيلة آيت لحسن. وفي هذه الأثناء بقي جزء من آيت امحند أو لحسن بأسرير حيث ما يزالون يمثلون بعين المكان فصيلة من أهم فصائل قبيلة أزوافيط.

تعد مدينة تكاوست إحدى العواصم الثلاث لوادي نون مع نول مطة وتغاجيجت. فقد ورد الاسمان الأولان لدى كل من ابن خلدون وابن سعيد بينما ورد الثالث لدى أبي بكر البيدق على صيغة "تاعكيزت". وعلى الرغم من تكالب الضربات المعقلية الحسانية خلال القرنين الرابع والخامس عشر، فإن ابن الوزان يشير إلى أهمية مدينة تكاوست التي كانت ما تزال من بين أهم العواصم التجارية بهذه الضفة الشمالية الغربية للصحراء (انظر مادة تكاوست بالمعلمة). ولا شك أن هذا العامل الأساسي هو الذي جعل المد الأيبيري يركز عليها طلعاته مستهدفا الإقامة بها والتحكم في حركيتها إلى أن تم له ذلك كما يتضح من خلال وثيقة بوطاطا سنة 1499. كانت مجموعة من فصائل الغور السكاني الأقدم تقيم يومها بتكاوست من بينها أولاد إدريس وآيت أيوب وآيت إيسك والسماهرة. كانت هذه الفصائل في صراعات مفتوحة بينها ومع المغافرة بني حسان المسيطرين يومها على حوض وادي نون سياسيا دون التسرب إلى ملكية الأرض والساقية.

لن تصل قبيلة أيت لحسن إلى عين المكان قبل نهاية القرن الحادي عشر (17 م). وبدخولها إلى المدشر المتهالك من جراء تكالب المحن السياسية والبيئية والتجارية. ولربما أخذ الرويميات يومها في التحول من ممثلين للمد المسيحي إلى أعيان محليين بعد أن مثلوا تحالفاً طبيعياً مع المد الإسباني. ولربما كان دخولهم الإسلام يعود إلى هذه الفترة. مهما يكن من أمر هذه الفصيلة، فإنها تنتمي إلى أصل إيبيري حسب ما أكد السيد علي بوعيدة. وهي فرضية قد تزكيها نوعية التسمية. ذلك أن صيغة "الرويميات" إنما تفيد ما معناه "الأروام" الذين قد لا يقاسمون الغور السكاني الأقدم نفس الانتماء الإثني. يوجد على موقع مدينة تكاوست التاريخية السوق المعروف بسوق الرويميات "النصارى". وتسمح أية معاينة ميدانية بالتأكد من أن الطبونيميا تلعب هنا دوراً أساسياً في المزج العضوي بين الحركية المحلية وديناميكيتها التجارية عبر مسالكها الساحلية المتجهة نحو البحر حيث كان سوق النصارى ومازال يحتل موقعا بالغ الأهمية للربط بين المدينة ومحيطها الساحلي.

تنتمي فصيلة الرويميات إلى إينجورن من قبيلة آيت لحسن شأنها في ذلك أهل الناجم وأهل امبارك أو احماد وأهل عمار أو داود وآيت عبد القادر وآيت ساعد. على أن أي متأمل لتشكل فصيلة الرويميات يدرك بسهولة نوعية التحالفات التي تميز مكوناتها. ذلك أن الرويميات يتكونون علاوة على أهل بوعيدة من أهل الراعي وأهل السلامي وأهل الصحراوي وأهل امحمد الدليمي. وهي تسميات تكشف عن الطابع المختلط المتباعد الانتماء الإثني. هذا المعطى يدل على دور أهل بوعيدة في تسهيل مأمورية أهل الراعي وأهل السلامي وأهل الصحراوي وأهل امحمد الدليمي في الاستقرار بعين المكان وتحصيل شرعية الانتماء إلى الوحدة القبيلة الحسنية.

يرتبط مجال ترحال آيت بومكوت الذين يضمون من بين فصائلهم الرويميات بمنطقة وادي نون أساسا. وهو مجال تحده من الغرب إلى الشرق كل من أرض امفيس وكدية كير مروراً بمدشر تسكنان المجاور لتكاوست. ولا شك أن الاعتبارات المجالية أساسية هنا لتوضيح هذا الارتباط بالشريط الساحلي. ذلك أن الاقتراب من الساحل الأطلسي يعد مركزيا بالأساس في التأطير لنظام التحالفات داخل الفصيلة. ومن شأن أية متابعة للعلاقات بين الرويميات وآيت الخمس المنتمين لآيت باعمران أن توضح حقيقة هذه العلاقات. كما أن من شأن الانتساب لجدود مختلفين داخل فصيلة صغيرة من هذا الحجم أن يكشف عن مستوى التداخل البين الذي يحد بشكل واضح من أحقية الرويميات في ادعاء الانتماء إلى جد مشترك واحد. من هنا فإن إشكالية الانتساب القبلي لا تطرح أي مشكل كفيل بتحديد الهوية القبلية كمشجر قرابي جينيالوجي متكامل الأبعاد. بل على العكس نجد هذه الاشكالية إطارا طبيعيا لبنية تبادل المصالح والتحالفات والدمج والاستيعاب التي تحدد بشكل واضح ملامح وحدود الانسجام داخل الفصيلة. على أن إحدى مميزات فصيلة آيت بومكوت شأنها في ذلك شأن باقي فصائل قبيلة أيت لحسن هي استراتيجية احتواء الدخلاء عبر عمليات التزويج. فقد كان من بين الشعارات المعروفة آنذاك شعار "دفوا بالرجالة" الذي كان يفيد استراتيجية التزويج مقابل صداقات رمزية. وإذا كان الهدف من هذه الاستراتيجية هو توسيع حجم القبيلة ديموغرافيا في مواجهة آزوافيط، فإن خصوصية الرويميات كانت تتمثل في ضرورة تجاوز هذه الخطة. كانت استراتيجية الرويميات تتمثل في قدرتهم الفعلية على المصاهرة مع آزوافيط أنفسهم. فقد كانت لهم من الكفاءات السياسية والحنكة ما أهلهم للتحالف مع أهم خيام آيت احماد أو اعلي عبر منحهم النساء الرويميات. نجد هذه الاستراتيجية سارية المفعول حتى منتصف القرن العشرين. وإذا كان منح النساء قصد احتواء الرجال من أبرز المكونات القرابية لآيت لحسن، فإن مقولة انتمائهم لأحرار تكنة ظلت مع ذلك من أهم القيم الأيديولوجية التي انبنت عليها توجهاتهم السياسية داخل الاتحادية.

وهنا نسجل أن تملك الأرض يعتبر من بين أهم الأسباب العملية التي تقف وراء استراتيجيات التحالف القبلية. بل وتجسد هذه الاستراتيجية المحرك الأساسي الذي يولد من خلال النزاعات نوعية العلاقات الاجتماعية. وهو ما يتضح هنا من خلال ارتباط الرويميات بملكياتهم الأرضية البورية والمسقية. والمتتبع للخلافات القديمة بين الرويميات وآيت بومكوت، يدرك بكامل الوضوح ترامي هذه الفصيلة على بقايا الغور السكاني المجاور تاريخيا للرويميات بعين المكان. فقبل وصول آيت بومكوت، كان الرويميات يثبتون مواقعهم عبر تملكهم لأراض من حجم لا يستهان به مقارنة مع ما يمتلكونه حاليا. فبمعية أهل الكويتي مؤسسي دولة الكويت الحالية، كان أهل بوعيدة خاصة يجسدون غورا سكانيا حوالي تكاوست يعود تاريخه المحلي إلى ما قبل سنة 1500 ميلادية كما رأينا. وهناك وثائق محلية تثبت نوعية الصراع الذي كان قائما بين الرويميات الأوائل والواردين عليهم من أيت بومكوت. ندرك من خلالها لماذا تبنت هذه الفصيلة المرونة التحالفية مع مختلف القوى المحلية بما فيها آيت احماد أو اعلي من قبيلة أزوافيط وآيت الخمس وباقي فصائل أيت لحسن.

مصطفى ناعمي

**الرياح** هي عبارة عن هواء متحرك في مختلف مستويات طبقة الطروبو سفير وخاصة عند المستويات الدنيا، وهي تنتج عن اختلاف في الضغط الجوي الذي ينجم بدوره عن تباين في كثافة الهواء داخل هذه الطبقة بسبب الفروق الحرارية ما بين أنواع الكتل الهوائية المتواجدة داخل هذه الطبقة والذي يؤدي في النهاية إلى تحول هذه الطاقة الحرارية إلى طاقة حركية.

وعلى الرغم من أن تحرك الهواء السطحي يبدو انسيابيا إلا أن ما يحكم حركته هاته هو غير ذلك حيث عادة ما تتخلله حركات غير إنسيابية بسبب الحركات الدوامية من أحجام وأشكال مختلفة وما السرعات غير المنتظمة والاتجاهات المتعددة التي يتخذها إلا دليل على ذلك.

والرياح كعنصر من عناصر المناخ ينقسم إلى قسمين منها ما هو نطاقي ودائم ومنها ما هو محلي وعابر، فبواسطة النوع الأول يتم نقل الهواء والحرارة ما بين مختلف العروض لذلك فهي تعمل على الحفاظ على التوازن المناخي الحالي على سطح الأرض، بينما يعمل النوع الثاني على خلق الظروف النوعية للمناخات الجهوية أو المحلية.

والمغرب بحكم موقعه بالنسبة للعرض يكون خلال

الفترة الممتدة من أكتوبر إلى أبريل تحت سيادة الرياح الغربية المهيمنة على حركة الهواء في العروض الوسطى والتي تتخللها اضطرابات الجبهة القطبية المحدثة للأمطار في المغرب، وخلال الصيف تتردد على المنطقة المغربية وحسب عدة وضعيات جوية رياح من النوع المحلي هي رياح الشرگي.

وتكاد تكون الرياح هي العنصر الطاغي على مختلف العناصر المناخية في المناطق الجافة في كل من شرق المغرب أو أقاليمه الجنوبية، ولذلك فهي التي ترسم أهم الخصائص المناخية لهذه المناطق من حيث دورها النشيط في تكثيف عملية التبخر الذي يتولد عنها طبعا حالة عجز مستمر للميزانية المائية الملازمة للمناخات الجافة.

كما تلعب هذه الرياح دوراً بارزاً في تحديد المعالم الكبرى لإحدى المناخات الجهوية المغربية والتي تسود خاصة خلال الصيف في المناطق الساحلية الجنوبية ابتداءً من عرض أسفي في اتجاه المناطق الساحلية من الأقاليم الصحراوية، فخلال هذا الفصل تكون هذه المناطق بالذات إلى الجنوب من خلية الضغوط الجوية شبه المدارية لعالي الأسور مما يجعلها تخضع لسيادة الرياح الشمالية الشرقية الشديدة الانتظام وهو الأمر الذي يجعل تأثيرها قويا على هذه المناطق وهو الذي يعطي أيضاً لما تخلقه هنا صفة نظام قائم الذات يطلق عليه النظام الأليزي نسبة للاسم الذي تشتهر به باللغة الفرنسية Alizés.

فهذه الرياح الشمالية الشرقية تصل إلى المناطق المحيطية المحادية للساحل فتدفع بالمياه السطحية نحو عرض المحيط مما يترتب عنه صعود مياه باردة من الأعماق لإعادة التوازن حسب مبدأ أرشيد، وهذه المياه الباردة ستؤثر بدورها على طبقة الهواء الملامسة عن طريق خفض حرارتها مما سيؤدي إلى الوصول إلى درجة تشبع هذا الهواء وتكاثفه وخاصة في مستوياته الدنيا فتتشكل على إثر ذلك سحب طبقية أو ضباب يحجب أشعة الشمس ويمنعها من الوصول إلى السطح مباشرة فتبقى حرارة الطبقات الدنيا للهواء منخفضة وانخفاضها يؤدي إلى الاستقرار، مما يعني عدم وجود إمكانية لتصاعد الهواء والذي يعني كذلك انعدام إمكانية حدوث التساقط، وهكذا فإن هذا النظام في آخر المطاف يخلق لنفسه ظروف استمراره ودوامه حيث تصبح لآلياته انعكاسات متبادلة ومتسلسلة تترتب عنها حالة من الشذوذ المناخي تتجلى في كون أن على الرغم من وجود هذه المناطق بجوار المصدر الرئيسي للرطوبة الذي هو المحيط تسود فيها بعض المظاهر الواضحة للقحولة.

كما أن لصعود المياه البادة من الأعماق آثاراً واضحة على التوزيع المجالي للحرارة على طول الساحل الأطلسي المغربي جنوب الدار البيضاء حيث يلاحظ انخفاض غير عادي للحرارة عموما كلما اتجهنا نحو الجنوب، وهي أيضا ظاهرة جد استثنائية في المناخ الحراري المغربي حيث يؤدي تأثير صعود هذه المياه الباردة إلى حذف دور عامل العرض.

علي البليشي

**الرياحي الإدريسي، الحسين** (مولاي -)، مقاوم ولد في برشيد سنة 1920 من والده مولاي عبد الرحمان الملكي وأمه زازية بنت التهامي، كان من الرعيل الأول الذي انخرط في المنظمة السرية تحت مسؤولية السيد بلعيد، حيث قام صحبة رفاقه بعدة عمليات فدائية قبل أن يلتحق بمجموعة درب السلطان التي ظل يعمل بها إلى أن حصل المغرب على استقلاله.

توفي بمدينة برشيد.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**الرياض**، يمثل سكنا مغربياً أصيلا عرفته الحواضر مند ما يقرب من عشرة قرون. وحسب بعض الأدبيات ظهر في القرن الخامس (11 م) (Palais) بمراكش وامتد بعد ذلك إلى باقي المدن مثل فاس ومكناس والرباط وسلا وتطوان إلى غيرها من المدن العتيقة.

يتميز الرياض عن المنزه بكون هذا الأخير يمثل إقامة فصلية تتوسط الأشجار والخضرة بالعرسة التي غالبا ما كانت تقع بالقرب من أسوار المدينة. يطيب فيها المقام أيام فصل الربيع البديع حيث كانت تقضي به العائلة لحظات زاهية مليئة بالمتعة والراحة. هذا في الوقت الذي يشكل الرياض سكنا دائما غير أنه يتميز على البيت التقليدي المغربي بكونه "يتوسطه عوض الصحن المبلط حديقة ذات مغارس وأزهار مختلفة".

ينتظم معمار الرياض حسب مبادئ وتصورات هندسية معمارية طالما توارثتها الأجيال. فالبرغم من الظروف التاريخية المتباينة والخصوصيات الجغرافية وكذا اختلاف الممارسات الفنية العمرانية لكل مدينة نجد أن الرياض قد اكتسب مميزات تنظيمية أساسية موحدة.

فما تفرزه قراءة فضاءات الرياض أن هذا الأخير ينتظم حسب تصميم مغربي أصيل تتوسطه حديقة داخلية تأخذ مكان الصحن أو الفناء، وتنفتح على هذه الحديقة أهم الأجنحة المعمارية المشكلة للرياض. تفصله عن الخارج أسوار عالية شبه منغلقة تحجبه عن أعين المارة والجيران وتوفر حميمية وحرمة للحياة العائلية.

يختلف مدخل الرياض عن مدخل البيت العادي. تأخذ الباب الخارجية نوعاً من الفخامة والبساطة في آن واحد. فهي باب ذات مصرعين غير أن عناصر التزيين تلخص في شكله المقوس والإفريز الناتئ المغطى بالفرميد الأخضر المشرف من الأعلى وتقلّ النقوش.

تشكل الحديقة الترجمة الحقيقية لقلب الدار. وتأخذ على العموم شكلا مستطيلا ينتظم حسب تنظيم هندسي كلاسيكي متعامد الأجزاء. يعبره أفقيا وعموديا ممران متعامدان يلتقيان عند نقطة المركز بالدار وهما الرابطان الأساسيان بين قلب الحديقة والأروقة المحيطة بها.

تحمل الممرات غطاء من الفسيفساء الزاهية الألوان أو الرخام الأبيض المزين بحوش من الزليج أو الرخام الأسود خاصة في الرياضات الفسيحة والبلاطات.

وتظهر الحديقة بذلك منقسمة إلى أربعة فضاءات مربعة أو مستطيلة مغروسة بمختلف الأشجار والأزهار والورود. ومن أهم أصناف النباتات التي تحدثت عنها معظم الأدبيات :

- أشجار النخيل والزيتون والتين والرمان والزفزوف والتوت والبرتقال والليمون الحامض والصنوبر والقيقلان.
- النباتات العاطرة كالياسمين الأبيض والأصفر ومسك الليل والريحان (Myrthe) والحبق والعطرشة والنعناع والسالمة والشيبة.
- الأزهار والورود مثل السوسن والبنفسج (Violette) والجلنار (Capucine) وخد خدوج المدلية على الدبوز" (Geranium puant) والنرجس والأقحوان (Marguerite) والورد البلدي.

يغلب بذلك على الرياض طابع الخضرة والظلال التي تلطف وهجة أشعة شمس الصيف المحرقة وتضفي هذه الأغراس والنباتات لمسة الطبيعة البهيجة على البيت لتعطى إحساساً بجمالية الألوان ورقة العطور.

يمنح الرياض من أعلى الشرفات مشهداً رائعاً زاهيا بالألوان حيث تنسج أشعة الشمس خضرة هذه الأشجار الظليلة وتفسح الرؤيا على لوحات شجرية وزهرية مركبة في تناسق وانسجام وبراعة قلّ نظيرها.

ومما يزيد من بهاء وسحر الرياض وجود نافورة ماء أو صهريج يشغلان قلب الحديقة وتسمع خرير المياه المتدفقة تعزف تحت الظلال نغما سمفونيا في تجاوب تام مع روعة الألوان وعطر النسيم وزغاريد الطيور.

عُرفت هذه الحدائق ذات التنظيمات الهندسية في بلاد الأندلس إبان العهد الإسلامي في البيوتات والقصور ومازال طابعها هذا يضفي لمسات عربية على الحدائق العمومية بالمدن الإسبانية حاليا مثل غرناطة وإشبيلية وقرطبة ومالقة وغيرها. كما تذكرنا بتلك العهود الزاهرة كثرة النخيل وأشجار الرنج والزيتون. كما توحي رياضات فاس ومراكش وغيرها بتدرج ألوان وأشكال حدائق الجنان العالي (Generalif) لقصر الحمراء بمدينة غرناطة حيث يمكن من أعالي الرواقات الاستمتاع بسحر الماء وتناسق الضياء والظلال.

تحيط بالرياض رواقات مقوسة عالية من أشرطة السواري تعلوها أقواس واسعة من واجهتين متقابلتين (أو أكثر).

تنفتح على الأروقة الأبواب المنقوشة للغرف والقبب. كما تنفتح عليها البهوات الأنيقة. زينت النوافد العالية التي تحف بالأبواب الشبابيك الحديدية الزهرية الأشكال والزجاج الملون المعروف بالزجاج العراقي. وتعلو الأبواب الشماشيات المزخرفة بالجبس الملون.

تشرف من الطابق العلوي الغرف والصالات والمصريات وكذا المنازه .وهي الغرف المتميزة التي تتميز بالمنظر الجميل على الرياض) في ترتيب متناسق مع الطابق السفلي تحدها شرفات ودرابيز مكونة من شبابيك حديدية أو خشبية.

زينت الأرض والحيطان والسواري بالزليج الفاسي حسب أنماط وألوان متناسقة زاهية وتأخذ زخارف الجبس والأخشاب المنقوشة أعالي الحيطان وتيجان الأعمدة ودائرة وسط الدار التي تحدها من أعلى السطح إفريزات من القرميد الأخضر ولا تقل زخرفة وجمالية الطابق العلوي عن الطابق السفلي والكل في انسجام عمراني وفني كامل.

يعتبر حسن فتحي أحد المختصين بالعمارة العربية أن البيت العربي هو نتاج لذهنية ثقافية وحضارية حددت معالمها تفاعلات طبيعية وبشرية ويرى أن "الثقافة من حصيلة تفاعل بين ذكاء الإنسان والبيئة التي تعيش فيها في عمليات استيفاء حاجياته المادية والروحية في الحياة".

مما يثير الملاحظة من أول الأمر أن نمط السكن ذي الصحن الداخلي يمتد في البلدان العربية من المغرب إلى المشرق مروراً من الأندلس المسلمة.

وما يربط بين هذه الأقطار كلها أنها تنتمي إلى بيئة قاسية حارة وجافة، حيث يشتد وهج الشمس وتكثر الرياح طيلة شهور طويلة خلال السنة. وقد أثرت هذه الظروف في ثقافات المجتمعات العربية على العموم والمجتمع المغربي على وجه الخصوص في تشكيل السكن والعمارة.

وقد لعبت التقاليد الإسلامية دور المحفز على انفتاح البيت على الفناء الداخلي بحثا عن تحقيق حميته من فضولية المارة وحواس الجيران وتوفير عزلته وحرمته.

لم يظهر الماء بالصحن إلا بعدما استطاعت التقنيات حمله بمقادير كافية إلى السكن. وسيشغل وسط الدار في موضع متميز يعبر على مدى اعتبار الثقافة العربية لهذا السلسبيل الثمين الذي يتطابق وجوده مع الحياة.

وبذلك يظهر الرياض وكأنه عبارة عن كون مصغر (Microcosme) يحمل بعدا فلكيا وله أكثر من دلالة رمزية.

فتقسيمه إلى أربعة أركان يقربنا من الحضارات الشرقية التي كانت تعتبر أن العالم منقسم إلى أربعة أجزاء وهي الرؤيا التي حددت معالم الحدائق الساسانية. كما أن لوجود الماء بوسطة دلالة تعبيرية قوية. فهو رمز التقاء السماء بالأرض عبر انعكاس السماء الحقيقية فوق السماء الرمزية المثمثلة بالنافورة أو الصهريج.

فهذا المعمار الرفيع الانساني أصبح مهدداً اليوم بالانقراض بسبب القطيعة التاريخية التي يعيشها المغرب منذ ما يقرب من قرن.

فالاستعمار السياسي والاقتصادي الذي عرفته البلاد بسط قوته ونفوده إلى غزو والعقول وتفتيت القيم وتغيير السلوكات والمرجعيات الثقافية. فتكرست القطيعة مع الذات يفرض نظم ونماذج ثقافية غريبة عن البيئة الثقافة المغربية. وتبلورت هذه النظم والنمادج في السياسة الحضرية التي فرضها عهد الحماية والتي لم تعرف أية مراجعة منذ استقلال البلاد لا على المستوى الفكري والثقافي ولا على المستوى الاقتصادي والاجتماعي. فأدوات التعمير المطبقة وليدة الثورة الصناعية الأوربية ونمط الإنتاج الرأسمالي الدخيل.


حسن فتحي، *المنزل العربي في الوسط الحضري في الماضي والحاضر والمستقبل*، *مجلة الفكر العربي*، العدد 30، السنة الرابعة، 1915.

J. Revault, L. Golvin, A. Amahan, *Palais et demeures de Fès*, 3 volumes, 1992, Paris ; S. Mouline, *La ville à la maison arabo-musulmane*, IMC, 1981 ; JC Galloti, *Le jardin et la maison au Maroc*, Paris, 2 volumes, 1925.


عائشة البلغيثي العلوي

**الرياض العنبري**، مدينة الرياض العنبري أو المدينة البيضاء، وهي التي أمر المولى إسماعيل سنة 1088 / 1678. ببنائها في الموضع المسمى بالرياض الذي كان يمتد جنوب شرق القصبة الاسماعيلية. لتكون مقرا لوزارئه ولأعيان دولته ولجيش الأوداية بعد أن ضاقت قصبته عن استيعابهم كما توضح ذلك الحوالات الحبسية : "ضاقت المدينة المولوية بجيشه المنصور، أمر أيد الله أمره... ببناء المدينة الجديدة العنبرية المختطه بأمره السلطاني..." (*حوالة المساجد الصغار*، 4 : 205).

وأشار (أي المولى إسماعيل) على خاصته حسب ما جاء في *الإتحاف* (1 : 148) "وأمرهم ببناء دورهم بها وفيها كانت دور العمال والكتاب وذوي الحيثيات من أعيان الدولة". ولم تلبث أن أصبحت مدينة قائمة الذات يتم الاتصال بينها وبين قصبة المخزن عبر "باب بالقاري".

وقد أجمعت المصادر على وصف جمال مدينة الرياض وتنافس العمال والقواد في بناء الدور والقصور بها وكانت كما يقول الزياني في *الروضة السليمانية* (247) "زينة مكناسة وبهجتها وبها آثار أهل دولة المولى إسماعيل كل من كان له وظيف بخدمته بنى داره بها. فقد كان بدار علي ويشي أربعة وعشرون حلقة يجمعها باب واحد، وكانت دار عبد الله الروسي وأولاده كذلك أعظم منها، كأنها حومة وأمثالهما من القواد، وخلدوا بها آثارا عظيمة، وبنى كل عامل مسجداً في حومته... وكانت تنفق فيها البضائع التي لا تنفق بغيرها" وفي وسط مدينة الرياض كان ينتصب الجامع الانيق الذي شيده المولى إسماعيل من ماله الخاص 1088 / 77 . 1678 ) وحمل اسمه (المسجد الأعظم الإسماعيلي) وحبس عليه دوراً وأسواقاً ورباعا كثيرة (يمكن الرجوع إليها في *كتاب أوقاف مكناس* (الفصل السابع) وبني بجانبه مدرسة ومكتبا لتعليم القرآن كما يوضح هذا النص : "ومن إنشاءاته المحبسة جميع المكتب المسند على الجامع الأعظم المذكور لتعليم أولاد المسلمين القرآن". (*حوالة المساجد الصغار*، 4، ص. 208). وأمر بجلب الماء إلى الجامع من العين البيضاء التي كانت توجد على بعد 5 كلم جنوب مكناس، وكلف ناظر أحباس الإيالة ومن له النظر العام في البناءات السلطانية محمد الكاتب الأندلسي وناظر المسجد المذكور عبد الوهاب بن محمد حجاج بالإشراف على إيصال الماء للجامع، كما أمر بعد سنين بتوسيع الجامع وبإضافة قادوس آخر وجر الماء إليه من وادي بوفكران.

كان مصير هذه المدنية التي تنافس المؤرخون في وصف جمال قصورها وبساتينها الهدم والتخريب، فقد هدمت بأكملها على سكانها وهم نيام بعد أن عمرت خمسا وخمسين سنة، وذلك في فجر 27 شوال عام 1143 / 5 ماي 1731 على يد السلطان عبد الله بن المولى إسماعيل. فحسب أكنسوس في *الجيش العرمرم* ص. 102 أن المولى عبد الله بن إسماعيل "أمر النصارى والشعبانية أن يهدموا مدينة الرياض التي فيها أخواله الأوداية وفيها دور العمال والقواد والكتاب وأعيان دولة والده مولانا إسماعيل، ركب عند الفجر، وأشرف على كدية وأمر بالهدم من كل ناحية والناس نيام لا علم لهم...". ثم استمر التخريب فيها عشرة أيام، صارت بعدها كومة من ثراب، ولم يبق الآن من أطلالها سوى بابها الغربي، مع بعض السور المتصل به إلى جهة حي سيدي سعيد، ومازال هذا الباب ينم عما كان وراءه من المدينة المندثرة، حيث يبدو قوسه عاليا يتوجه نقش شعري من ثلاثة أبيات فيها اسم بانيه وتاريخ بنائه (*الإتحاف*، 1 : 164) أما موضع هذه المدينة فقد أصبح ـ الآن ـ حيا عامرا حمل من جديد اسم "الرياض".


*حوالة المساجد الصغار*، 4 : 205 ؛ الزياني، *الروضة السليمانية*، 246 ـ 247 ؛ أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 : 146 ـ 148 ؛ رقية بلمقدم، *أوقاف مكناس*.


رقية بلمقدم

**الرياضة بالمغرب**، مارس المغاربة قبل فترة الحماية أنواعا رياضية كثيرة كالفروسية التي كانت تعتبر رياضة الرجولة لما لها من ارتباط بالمجال الحربي كما مارسوا الرماية والقنص والسباحة التي كانت تعلم للأطفال في سن مبكرة. هذا بالإضافة إلى رياضات أخرى ذات طابع تنافسي فرجوي كالمصارعة (المعابزة) التي يتبارى فيها

شخصان دون استعمال اللكم، ثم هناك (الهاي) التي تعتمد على الصراع بالأرجل ويرتدي المصارع السروال فقط واقفا على رجل واحدة وموجها بالأخرى ضربه بشكل سريع ومفاجئ لظهر خصمه، ويقتضي الاتفاق أن تكون الأرجل حافية وتحسب النقط حسب الضربات التي يلحقها اللاعب بظهر خصمه وتبقى الفترة الزمنية للعبة غير محددة إلى أن ينسحب أحد المتصارعين معلنا اندحاره. أما اللعبة التي كانت تمارس بشكل واسع فهي (الشيرة أو تاگورا) وهي عبارة عن لعبة يمارسها الذكور تشبه الرماية وتتخذ من الحجر وسيلة لإسقاط الشارات ولأنها كذلك كانت تتطلب الدقة في التصويب يتفق اللاعبان أو الفريقان على رقعة الميدان وأبعاده فتبني شارات من الحجارة الواحدة تلو الأخرى وتنسجم فيما بينها حسب مواقعها والمسافات الفاصلة بينها وفي علوها، وتعطى انطلاقة اللعبة بعد عملية القرعة ثم بالتناوب يرمي كل واحد بواسطة عصا معقوفة قطعة من حجر مختارة ويعتبر فائزا من كان سباقاً في اسقاط شارات خصمة.

ومن الألعاب التي مارسها المغاربة قديما الجري وهو شيء حيوي بالنسبة للإنسان المغربي ولا يمكن الاستغناء عنه وقد أورد صاحب مختصر *الأفاريد* جزءاً من أخبار منافسات الجري وبعض شروطها ولعل الجري هو الذي جعل البريد يعد من أقدم وأنجع الوسائل في إيصال الأخبار والرسائل لأصحابها في آجال محدودة ومضمونة.

وتبقى بعض الرياضات ذات طابع محلي أي لا تمارس إلا في مناطق معينة كشقلايبة - والهاي - والغرس وبوحفرة.

ومن الرياضات الذهنية التي كانت تمارس في الحواضر هناك الشطرنج الذي تمارسه نخبة معينة من المجتمع الحضري بالإضافة إلى الضامة والورق وقد مورست بشكل واسع في الأوساط الشعبية والحرفية لكن مع دخول الاستعمار جلب معه أنواعا رياضية أخرى لا عهد للمغاربة بها، وبدأت شيئا فشيئا محاولات خجولة من طرف الأهالي لممارسة بعض هذه الأنواع الرياضية الجديدة بعد أن كانوا يكتفون بالتفرج عليها وفي هذا الظرف بالذات كان لابد للنخبة الواعية من البحث عن أشكال جديدة في مجالات الرياضة البدنية تساير العصر وتساهم في توعية الفرد المغربي.

وقد انطلق الشباب الطلائعي منذ الثلاثينيات يعمل ويجد رغم الصعاب ليؤسس وينظم الأندية الرياضية التي ترفض التسلية كهدف بل تتجه إلى أهداف أعمق. وهكذا تأسست العصبة الحرة للرياضة وتوسعت قاعدة النشاط الرياضي على الفرق الرياضية الحرة في الأحياء والمدن وكانت أغلبها تمارس كرة القدم.

وفي بداية الحرب العالمية الثانية بلغ عدد الأندية الرياضية في الدار البيضاء وحدها ما يقارب 60 فريقا وقد اكتسى تنظيم العصبة الحرة للرياضة صفة سرية أثناء التهيئ والتحضير وقام أعضاؤها بترجمة القوانين الدولية المتعلقة بتخطيط الملاعب وتنظيم التحكيم وإجراء المباريات وأسسوا لجانا للفصل في المنازعات وتأديب المشاغبين، وكان المتطوعون ينجزون تلك المهام مجانا، ولم يكن الانخراط في العصبة إلا بعد فحص دقيق للفريق المرشح ومعرفة كاملة بأعضائه ومسيريه لأن الإدارة الاستعمارية كانت تحاول تسريب عملائها إلى داخل العصبة التي كانت هدفها نشر الأفكار الوطنية في الوسط الرياضي.

لعبة تاگورة

أما اللجنة التي كانت تشرف على هذه العصبة فكانت تتكون من السادة عبد السلام بناني وعبد الرحمان اليوسفي وعمر بوستة وبناصر حركات وإدريس بنشقرون وبنزاكور وبلهاشمي ومحمد بلكناوي أما المشرفون على سير المباريات فكان جلهم من المناضلين وعلى رأسهم الشهيد محمد الزرقطوني.

ورغم أن هذه الفترة امتزجت فيها الرياضة بالنضال الوطني فقد عرفت ظهور أبطال فاقت شهرتهم أرجاء المغرب لتغزو ملاعب أوروبا ففي كرة القدم. كان العربي بنمبارك والأب جيكو والعربي الزاولي وفي العاب القوى بوهالي محمد والغازي وفي كرة المضرب عمر السوسي وعلي العروسي كما برز محمد حبيبي في سباق الدراجات والحسين الجديدي ومحمد الوجدي والزرهوني في الملاكمة.

بعد إعلان الاستقلال، بقيت الرياضة خاضعة لتأثير نفس القوانين والمفاهيم الموروثة عن الفترة الاستعمارية بينما ظل مضمونها الإنساني ضحلا وغايتها التربوية بعيدة عن تحقيق الطموحات المنتظرة. وفي ظل هذا التأثير تكونت الاتحادات والجامعات (انظر مادة الجامعات الرياضية) رغم العشوائية والارتجال في التسيير وغياب البنيات التحتية الأساسية لقيام رياضة صحيحة، ورغم كل هذه العوائق استطاع بعض رجالات المغرب المخلصين أن يصمدو ويتابروا من أجل بناء صرح رياضي وبفضلهم حقق المغرب انجازات رياضية هامة على الصعيد القاري والعالمي ففي كرة القدم كان المغرب أول بلد إفريقي وعربي وإسلامي يشارك في بطولة كأس العالم وقد شارك فيها أربع مرات

وهذا رقم قياسي بالنسبة لافريقيا والعالم العربي كذلك الشأن بالنسبة للألعاب الأولبية كما فاز ببطولة إفريقيا للأمم وفازت العديد من أنديته بكأس إفريقيا، وظهر لاعبون محترفون بأعرق الأندية الأروبية.

أما في ألعاب القوى أم الرياضات فقد سطع نجم المغرب عاليا بفضل أبطاله الكبار سعيد عويطة وإبراهيم بوطيب وخالد السكاح ونوال المتوكل ونزهة بيدوان وزهرة واعزيز واللائحة طويلة وبفضل انجازات هؤلاء الأبطال غزا المغرب سبورة الأرقام القياسية العالمية. وكذلك هو الشأن بالنسبة لكرة المضرب حيث يعتبر الثلاثي هشام أرازي وكريم العلمي ويونس العيناوي من أبرز اللاعبين العالمين حسب التصنيف الدولي لهذه الرياضة.

وإذا كانت كرة القدم وألعاب القوى وكرة المضرب والگولف من الرياضات التي تحظى بالرعاية والعناية وتصرف عليها أموال طائلة فإن باقي الرياضات تعاني الكثير من التهميش رغم ما حققته من إنجازات عالمية وصعودها منصة التتويج في التظاهرات الأولمبية وكمثال على ذلك رياضة الملاكمة.

أما على مستوى تنظيم التظاهرات الدولية فقد نظم المغرب عقب حصوله على الاستقلال الألعاب العربية وكذلك نظم ألعاب البحر المتوسط وكأس إفريقيا للأمم والألعاب الفرنكوفونية وألعاب السلام وأولمبياد الأشخاص المعاقين.

ومن أبرز التظاهرات الرياضية العالمية التي ينظمها المغرب سنويا كأس الحسن الثاني للگولف وجائزة الحسن الثاني لكرة المضرب وكأس الحسن الثاني لكرة القدم والذي كان يحمل اسم كأس محمد الخامس وقد شارك في هذه التظاهرة فرق عالمية مثل ريال مدريد وبرشلونة وأتليتكو مدريد وبايرن مونيخ وفلامنكو وبوكاجونيور وديناموكييف واندرلخت والعلم الأحمر وانتيرميلانو.

لكن رغم كل هذه الانجازات تبقى الرياضة المغربية يعوزها الكثير على مستوى البنيات التحتية كالملاعب ومراكز التكوين والطب الرياضي وإنجاز الملاعب المدرسية التي تعتبر النواة الأولى والأساسية لاكتشاف المواهب ويبقى الأمل معقود لتحقيق هذه المنجزات بترشيح المغرب للمرة الرابعة لاحتضان نهاية كأس العالم التي تعتبر أكبر تظاهرة رياضية عالمية وفرصة لتحقيق أحلام الرياضة المغربية خاصة وأن رئيس (الفيفا) جوزيف بلاتير صرح أخيراً بأنه حان الوقت لكي تنظم هذه التظاهرة في إحدى بلدان القارة السمراء بعد احتكار أوربي أمريكي دام أكثر من 70 سنة.


ع. رشد، *تاريخ الرياضة بالمغرب*،1918 ـ1998، ط 3، 1998، الدار البيضاء ؛ م. الحياني، *الرياضة المغربية شواهد وأسرار*، الرباط، 1992 ؛ ن. اگديرة، *كرة القدم المغربية وثائق وأرقام*، 1956ـ1990.

Edouar Seidler et Robert Perienté, *Dictionnaire des sports*, Paris, 1963.


محمد بلعربي

**الرياضيات** في المغرب في الماضي، أي منذ بداية القرن السادس (12 م) إلى حدود القرن التاسع (15 م) تقريبا، ظلت اهتمامات الرياضيين المغاربة منحصرة في الرياضيات التقليدية التي كانت تمارس في الشرق الإسلامي والتي تجعل من المعادلات الجبرية والمسائل الهندسية الإقليدية موضوعا لها. وقد ساهموا إلى حد كبير في تطوير كتابة هذه المسائل ورغم أن هذا النوع من الرياضيات يشكل الأصل في تطوير مجموعة من النظريات المعاصرة كالهندسة الجبرية ونظرية الاعداد، فان الرياضيين المغاربة، كغيرهم من الرياضيين العرب، لم يدركوا هذا وبقيت اهتماماتهم ومساهماتهم محدودة رغم أهميتها.

ففي نفس الفترة عرفت الرياضيات في أوربا تطوراً سريعاً أدى إلى بلورة كل النظريات المعاصرة التي مازالت موضوع البحث والدراسة إلى يومنا هذا. فبعد اكتشاف هندسات جديدة (لوبا نشفسكي وريمان) ساهم اكتشاف نظرية المجموعات لكانتور في وضع الشكل النهائي الذي نعرفه الآن لعلم الرياضيات. كما أن اكتشاف الحساب التفاصلي من طرف لايبنتز ونيوتن في القرن العاشر (16م) كان له الدور الكبير في وضع نظريات الميكانيك الكلاسيكية لنيوتن. كما أن هذه النظريات كلها أدت فيما بعد إلى اكتشاف نظرية النسبية لألبرت انشاتين في بداية القرن الرابع عشر (20 م).

وقد عرفت الحقبة الممتدة من بداية القرن الرابع (10 م) إلى القرن التاسع (15 م) بروز عدة أسماء نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : الشريف الإدريسي (1166 ـ1099)، الجغرافي الشهير، حيث يقول ابن خلدون أن كتابه الصغير يعد من أحسن الكتب في تقديم علم الحساب (Arthmetique).

ـ ابن برجان، القرن السادس (12 م) وكان من كبار اختصاصيي الجبر والحساب والهندسة.

ـ ابن باجة نفس القرن وكان أستاذاً لابن طفيل. وقدم أعمالا كثيرة في الهندسة وعلم الفلك وألف فيهما زيادة على أنه كان طبيبا وفلكيا وقد مات في فاس.

ـ علي ابن خلف الانصاري وهو رياضي وفلكي أتى من الأندلس واستقر بقصر كتامة.

ـ السموأل المغربي، من أسرة يهودية في الأصل تحولت إلى الإسلام وقد انتقل إلى بغداد ثم إلى ازربجان حين لقي هناك تشريفا كبيراً وقد ألف كتباً كثيرة في الرياضيات. وهو رياضي من الدرجة الأولى وقد أثبت المبرهنة $x^n . x^m = x^{n+m}$ وساهم في تطوير نظرية الحدود وتوفي سنة 1875.

ـ ابن طفيل وهو عالم كبير اشتهر كفيلسوف ولكنه

اهتم بالرياضيات وعلم الفلك والطب والأدب وقد تتلمذ في قرطبة على يد ابن باجة وانتقل إلى المغرب.

ـ ابن رشد 1198 ـ 1126 ) ويعتبر من كبار مفكري الانسانية وقد ألف كتبا كثيرة في الرياضيات وعلم الفلك.

ـ ابن الياسمين المتوفى سنة 600 /1204 ، وقد ولد في فاس وهو ينتمي للقبيلة البربرية بني حجاج. وهو من الرياضين المغاربيين الذين أثرت أعماله في من تبعه وقد تكون في الأندلس على يد أبي عبد الله ابن القاسم وقد توفي في مراكش سنة600 / 1204.

الرياضيات في المغرب حاليا :

تتدخل الرياضيات في عدد كبير من المجالات الأخرى كالاقتصاد والصناعة والعلوم الأخرى مثل الفزياء والكمياء والطب وغيرها. ولهذا يرتكز تكوين المهندسين وأطر الاقتصاد والصناعة على الرياضيات المتطورة الحديثة. وبهذا يمكن اعتبار الرياضيات والأبحاث الفضائية العلم الذي لا يمكن لأي دولة أن تتقدم بدونه ويعتبر الاستثمار في البحث فيها استثماراً في المستقبل. ونظراً لأهمية هذا العلم فقد أعلنت الجمعية الدولية للرياضيات ومنظمة اليونسكو سنة 2000 سنة دولية للرياضيات. ويعرف تدريس الرياضيات على مستوى التعليم الثانوي تطوراً مستمراً من أجل اختيار مهندسي المستقبل حيث يعطي لهم تكوينا قويا في مدارس يوجه لها أجود التلاميذ في الثانوي. أما على مستوى الجامعة فيعطى للطلبة تكوينا في الرياضيات الأساسية يمكنهم من ممارسة البحث في هذا الميدان في المستويات العليا.

على مستوى التعليم الثانوي عرف تدريس الرياضيات تطوراً مهما بخلق الاقسام التحضيرية للمدارس العليا للمهندسين (Grandes écoles). وقد كونت المدارس العليا في العشر سنوات الأخيرة عدداً مهما من الأساتذة المبرزين في الرياضيات، تشتغلون الآن بعدد مهم من المراكز التي أنشئت في كل المدن الكبرى للمهندسين حيث تمد هذه المراكز المدارس العليا للمهندسين بأزيد من 100 طالب سنويا وهو عدد المهندسين الذي يتخرج سنويا في المغرب والذي يلبي حاجيات مؤسسات الدولة والقطاع الخاص من هذه الأطر.

وتتدخل الرياضيات بشكل أساسي في تكوين هؤلاء المهندسين كيفما كانت اختصاصاتهم كما هو الشأن بالنسبة لجميع دول المعمور.

أما جودة تعليم هذه المادة وفي هذا المستوى فيمكن اعتبارها في المستوى المطلوب دولياً حيث يسافر عدد كبير من المهندسين المكونين في المغرب إلى دول متقدمة ويتم قبول أولئك المختصين في ميادين المعلومات أو الاتصالات (Télécommunications) للعمل في هذه الدول.

أما على مستوى البحث العلمي فقد عرف هذا الميدان تطوراً ملحوظاً في العشر سنوات الأخيرة ـ كما هو الشأن بالنسبة للبحث العلمي الأساسي بجميع اختصاصاته تقريبا ـ.

الرياضيات في الجامعة :

لقد بدأ إنشاء شعب واختصاصات في علم الرياضيات في المستوى الجامعي في المغرب منذ إنشاء جامعة محمد الخامس في أواخر الخمسينيات. إلا أن تطور البحث العلمي في هذا الميدان ثم بشكل بطيء حتى بداية الثمانينيات مع إنشاء جامعات أخرى في جل المدن المغربية الكبرى.

وقد عرفت الجامعات المغربية ارتفاعاً مهماً في اعداد الباحثين في الرياضيات بالمغرب من بداية الثمانينيات.

ورغم توفر الجامعات المغربية على هذه الطاقات من جميع الاختصاصات في مجال الرياضيات، فإنها لا تستغل جيدا نظرا لعدم توفر الامكانيات المادية أو سوء استغلالها، ومع ذلك عرف الانتاج العلمي في هذا المجال تطوراً مهما خلال العشر سنوات الأخيرة حيث أن عدد مهماً من المساهمات من المستوى الرفيع تقبل للنشر في المجلات الدولية من امريكية وفرنسية وغيرها. وبهذا (حسب المعلومات المتوفرة لنا) يحتل المغرب المرتبة الثانية بعد جمهورية جنوب إفريقيا.

وحتى نعطي فكرة عن أهمية الإنتاج المغربي سنورد مقارنة مع إحدى الجامعات الفرنسية والتي تعتبر مركزاً مهماً في الرياضيات بفرنسا وهي جامعة ستراسبورغ. ففي هذه الجامعة تنتج شعبة الرياضيات ما معدله سنويا خمسين نشرة تقريبا، أغلبها من المستوى الجيد. وتتوفر هذه الجامعة على حوالي 80 أستاذاً أو باحثاً في الرياضيات وعلى إمكانيات مادية مهمة جداً. وبالمغرب أنتجت جامعة القاضي عياض بمراكش وهي التي تحتل المرتبة الأولى في المغرب في العشر سنوات الأخيرة حوالي 200 نشرة علمية أغلبها من مستوى جيد، نشرت في المجلات الدولية الكبرى، أي بمعدل 20 نشرة في السنة وهو رقم مهم جداً مقارنة مع امكانيات الجامعة المغربية ومع عدد الباحثين بها.

لكن رغم هذه المكانة التي تحتلها جامعة مراكش يبقى إنتاج الجامعات الأخرى متواضعا مقارنة معها وربما يرجع ذلك لأنه لم يحصل تراكم عند الجامعات الأخري بسبب سوء تطور الأجيال الأولى التي تعلمت الرياضيات في الجامعات الأوربية والتي بقي همها هو الحصول على درجة علمية هناك من أجل تحسين وضعيتها المادية بالمغرب.

محمد القادري

**ريافة طنجة**، يُقصد بـ"ريافة طنجة"، أو "ريفيي طنجة"، ساكنة هذه المدينة من أهل الريف الذين استقروا بها عبر فترات تاريخية مختلفة. ويكاد يمثل الوجود الريفي أهم ساكنة مسلمة بالمدينة قُدِّرت نسبتها خلال القرن الرابع عشر (20 م) بحوالي 70٪، بينما تأتي بعده عناصر أخرى أهمها عنصر جبالة.

وقد ارتبط الوجود الريفي بطنجة بتاريخ تحرير المدينة خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م) وذلك عندما قاد الجيش الريفي حصار طنجة وحرّرها من يد الإنجليز عام 1097/ 1684 بقيادة علي بن عبد الله الريفي. وكان السلطان المولى إسماعيل قد أوكل إلى جيش المجاهدين مهمة تحرير الثغور الشمالية. وبتحرير طنجة، أعطى لعناصر الجيش الريفي حق الاستقرار بالمدينة وحوزها واستغلال الأراضي الزراعية مقابل الخدمة العسكرية. وبهذا عرفت طنجة وحوزها خلال هذه الفترة استقرار عناصر ريفية ممثّلة في قبائل الريف الشرقي والأوسط مثل قبيلة تمسمان وبقّوية وبني ورياغل وبني توزين... وولّى السلطان أسرة الريفي، التي قادت الجهاد، قيادة طنجة والمناطق المجاورة؛ فطعّمت بذلك الجهاز المخزني بالمدينة استمر لقرون رغم بعض الانقطاعات. ونحفظ من أسماء هؤلاء القواد : علي بن عبد الله الريفي، وابنه الباشا أحمد بن علي، ثم أولاد عبد الصادق مثل الحاج عبد السلام بن عبد الصادق الذي قاد طنجة وفحصها في مطلع القرن العشرين. وقد برز الريفيون عموما في مختلف المجالات مثل الأمانة، والحسبة والتجارة والقضاء والإمامة والخطابة والتدريس...

ويبدو أن هذا الوجود الريفي قد اكتسب القوة والاستمرارية، على الأقل لفترة تاريخية معينة، لرغبة المخزن في إحكام سيطرته على منطقة حساسة مثل طنجة وأحوازها، وللدور السياسي والعسكري والدبلوماسي الذي اضطلعت به أسرة الريفي، إضافة إلى موقع طنجة الاستراتيجي الذي جعلها تستفيد من دور الوساطة بين المغرب وأوربا. وأصبحت العناصر الريفية المستقرة تجد في طنجة موطنا أصليا لها، وسرعان ما ألفت الحياة بالمدينة التي أصبح يغلب عليها الطابع العسكري.

وفي هذا الإطار نجد أن المراسلات المخزنية ربطت بين طنجة وأهل الريف سواء عند ذكر سكان طنجة أو مخازنية أهل الريف أو العيادة الذين يقبلون على السلطان بالتهاني والهدية، أو عند ذكر دور أهل الريف في الحركات التي يقوم بها السلطان...

ودلّت أسماء المداشر حوز طنجة وأسماء أعيانها أواخر القرن الثالث عشر (19 م) مثلا على الحضور الريفي من خلال مدشر اجزناية، ومدشر بني سعيد، ومدشر بني توزين، وكذا أسماء أعيانها : اجزناي، والتمسماني، وأقلعي... وكأن العناصر الريفية نقلت من خلال هذه الأسماء مواطنها الأصلية بالريف إلى مدينة طنجة وحوزها.

وإذا كانت بعض الكتابات تذكر أن ريفيي طنجة ينحدرون كلهم من الجيش الريفي وأسرة الريفي الذين استوطنوا المدينة وحوزها بعد التحرير. فإن توافد الريفيين على طنجة في فترات لاحقة (مثل في فترات الكوارث الطبيعية) يجعلنا نميز بين ريفيين قدامى وآخرين جدد، وهذا ما ذهبت إليه إحدى الروايات الشفوية وكذا الأنتروبولوجي هارت Hart ؛ حيث دعّم الريفيون الجدد الوجود الريفي القديم بالمدينة، ورأوا فيه مثالا يُحتدى به في الاستقرار بطنجة.

وقد ذكر موليراس Moulieras أن أهل الريف، أواخر القرن الثالث عشر (19)، كانوا مركزين في فحص طنجة، وخاصة في المصلى والسواني... كما أنهم اختلطوا أيضا في مناطق أخرى بباقي العناصر. بينما ظلت قصبة طنجة هي مقر إقامة الجيش باعتبارها دار المخزن، وفي هذا الإطار نجد أن السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام يُشدّد على مسألة استمرار سكنى الجيش قوادا وجنودا بالقصبة.

وحالياً، في مطلع القرن الخامس عشر (ق. 20 . 21) لازال الحضور الريفي بطنجة ماثلا من خلال الأسر الريفية المستقرة بالمدينة مثل التوزاني، أمغار، التمسماني، ابن حدو، العمارتي... ويُعتبر الريفيون من الذين يستأثرون بمراكز اجتماعية مرموقة وبوضعية اقتصادية تجعل منهم أصحاب نفوذ ومال.

وإن كان العديد منهم من ذوي المستوى المادي المتواضع. ولازالت أسماء بعض القرى (مدشر اجزناية مثلا) عند مدخل مدينة طنجة، إضافة إلى أسماء بعض الأزقة في المدينة القديمة بطنجة (مثل القاضي التمسماني) تذكر بهذا الحضور الريفي.

ولا بد من الإشارة إلى أن أعدادا من الأسر، بالرغم من أصلها الريفي، لم تحتفظ باسمها الأصلي. كما أن عددا من الأسر الريفية المنحدرة من أسرة الريفي والجيش الريفي، إن لم يكن أغلبها، تتوزع بين طنجة وتطوان مثل أسرة الحمامي، والريفي وأبطيو، وأبعير التي هاجرت إلى مدينة تطوان حيث اندثرت، وأسرة الحمامي التي استقر بعض أفرادها بمدينة شفشاون... ولا شك أن تضافر الظروف التاريخية للبلاد وللمنطقة عامة ولطنجة خاصة، وطول المدة الزمنية وسياسة المخزن هي التي أدت إلى عدم استمرار عدد من هذه الأسر.

ويبقى أن ريافة طنجة طبعوا مجتمع طنجة وواقعه، وأثروا في الأحداث كما تأثروا بها، فهم جزء من تاريخ ومجتمع طنجة. وهم تعبير عن استقرار قبائل ريفية بطنجة في إطار مساهمة هذه القبائل في تحرير الثغور، وفي إطار سياسة المخزن الذي هدف إلى وضع عصبية غريبة عن محيط جبالة يسهل معه التحكم في كل هذه العناصر ريفية كانت أو جبلية. كما أن الوجود الريفي يعكس مدى الإغراء الذي تقدمه مدينة طنجة لهؤلاء الذين يعانون في المناطق الجبلية (بما فيها جبالة والريف) من صعوبة العيش... وبهذا فلا يمكن فصل العنصر الريفي عن تاريخ المدينة خلال الفترة الحديثة والمعاصرة من تاريخ المغرب.

م. ابن عزوز حكيم، مادة :أبطيو"، *معلمة المغرب*، المجلد الأول، 1989، ص. 99 ؛ مادة "أبعير"، *معلمة المغرب*، المجلد الأول، 1989، ص. 99 ؛ ع. الكريم ابن موسى الريفي، زهر *الأكم*،

الرباط، 1992، تح. آسية بنعدادة ؛ محمد سكيرج، *رياض البهجة في أخبار طنجة*، جزء 1، مخطوط خزانة عامة/ ميكروفيلم 1452 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، جزء 7، الدار البيضاء، 1956، تح. جعفر ومحمد الناصري ؛ *وثائق* مديرية الوثائق الملكية بالرباط.

Henri de Castries, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 2ème série, *France*, Tomes I, II, III, IV, VI,VII, Paris, 1922, 1924, 1927, 1931, 1960, 1970 ; David Montgomery Hart, *"Notes on the Rifian community of Tangier"*, *The Middle East Journal*, Washington, 11, spring, 1957, pp. 153 - 162 ; Auguste Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, Tome II, *Exploration des Djebala,* Paris, 1899 ; Magali Morsy, *"Mulay Ismail (1673 - 1727) ou l'instauration de l'état Alawite"*, *Les Africains*, Tome IV, Paris, 1977, pp. 129 - 163 ; V*illes et tribus du Maroc*, Tome VII, *Tanger et sa zone*, Paris, 1921.

فاطمة بوستة

**الريال**، كلمة إسبانية (Réal) معناها ملكي. وقد أطلقت هذه الكلمة على القطعة النقدية ابتداء من قبول الريال الإسباني منذ ابتدأ رواجه بالمغرب في بداية القرن الثالث عشر (19 م) قبل الريال الفرنسي بالمغرب رسميا سنة 1261 / 1845، وحينما قام السلطان مولاي الحسن بالإصلاح النقدي سنة 1281 / 1881 ضربت بأوروبا قطعة نقدية حسنية من عشرة دراهم باسم الريال الحسني ولها عدة أجزاء. كما سميت نفس القطعة من عشرة دراهم بالريال في عهد السلاطين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ ومولاي يوسف، فكان كل ريال يُسند إلى السلطان الذي أصدره، منها الريال العزيزي الحفيظي واليوسفي. وقد انقطعت عملة الريال سنة 1920.

وفيما يلي نماذج هذه الريالات التي راجت بالمغرب حسب الترتيب الذي أوردناه.

**نماذج من الريال الاسباني**

ريال زبيل

ريال بومدفع

ريال بودن

1 - الريال الإسباني حسب الوثائق المخزنية - تأتي القطع الفضية الإسبانية في المرتبة الأولى، فقد راجت قطع الريال الإسباني الذي يعرف في الوثائق والسجلات المغربية باسم الريال الكبير تمييزاً له عن الريال الصغير الفرنسي كما يسمى أيضاً الريال الذهبي رغم كونه فضيا. وقد درج الناس على تسمية الريالات الإسبانية حسب الصور أو أسماء الملوك المرسومة عليها تبعا لتعاقب الإصدار طيلة القرن التاسع عشر، فعرف بين التجار :

- ريال بومدفع نظراً لوجود صورة عمودي هرقل عليه، فشبهها المغاربة بالمدافع.
- ريال زبيل أو ريال المرأة وهو الذي يحمل صورة الملكة إيزابيلا الثانية Isabel II (1833 - 1868).
- ريال بوذن، حيث أن الصورة الجانبية المرسومة للملك الإسباني أمادو الأول Amadeo I (1871 - 1873) كانت أذنه تبدو فيها واضحة.
- ريال كارلوس أو ريال أقرلوص، عليه صورة الملك كارلوس السابع Carlos VII (1872 - 1876 - 1885).
- ريال فونصو وهو الذي رسمت عليه صورة الملك ألفونصو الثاني عشر Alfonso XII (1875 - 1885). وكذلك الفونصو الثالث عشر (1886 - 1931) (لوحة، 9).

كما عرف في العهد الحسني أيضاً ريال بونقطة وريال بوطيارة، وقد استعمل المغاربة مصطلح الريال Real ومصطلح الدورو Duro للدلالة على نفس القطعة الكبيرة التي تتألف من خمس بسيطات وتزن 25 غراما من الفضة ذات عيار 9000 في الألف، وللريال أجزاء كلها بنفس العيار، منها :

- نصف ريال ويزن12،5 گرام فضة.
- 5/2 ريال وهو بسيطتان بوزن 10 گرامات فضية.
- 1 / 5 ريال وهو بسيطة Peseta =10 سنتيم وتزن 5 گرامات.
- 1/ 10 ريال وهو نصف بسيطة = 50 سنتيما وتزن 2،5 گرام.
- 1 /20 ريال ويسمى بليون كما يسمى قرش = 20 سنتيما.

وهناك أجزاء أقل قيمة من هذه لكنها من فلوس النحاس (البرونز) التي تتوارد في بعض الفترات من مليلية، وكانت معروفة باسم الصولدي وهي غير مرغوب فيها، وقد أمر السلطان الحسن قائد وجدة باسقاط تلك "الصوالدة" عندما استفحل أمرها.

1) الريال الفرنسي :

أما القطع الفضية الفرنسية فقد راجت منها قطعة الريال الفرنسي والتي قبلت رسميا بالمغرب في تاريخ سابق

لقبول قطعة اللويز، وهو 1845 وكان الريال الفرنسي يعرف في الوثائق المغربية باسم الريال الصغير لكونه أصغر قيمة من الريال الإسباني من حيث الصرف، كما يعرف بالريال بلا مدافع أو الريال الرومي أو الريال أدزيري. كما يطلق عليه اسم ريال بوشطبه نظراً لأن صورة نابليون الثالث المرسومة على هذه الريال كانت تبدو بلحية دقيقة شبهها السكان بذلك، وكانوا أحيانا يطلقون عليه اسم ريال الفرنصيص في أواخر القرن التاسع عشر.

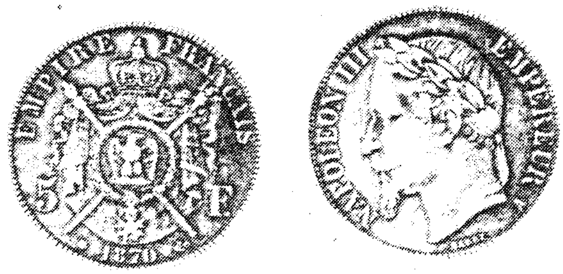

ريال 5 فرنكات فرنسية

وكان نظام الريال الفرنسي وأجزائه كما يلي :

قطعة تساوي 5 فرنكات وتزن 25 گراما بعيار 900 في الألف.

قطعة تساوي 2 فرنك وتزن 10 گراما بعيار 835 في الألف.

قطعة تساوي 1 فرنك وتزن 5 گرامات بعيار 835 في الألف.

وكانت قطع البرونز تمثل التجزئات الأخرى 10 و5 و2 و1 من السنتيمات وهي تزن على التوالي 10 و5 و2 و1 من الكرامات.

2) الريال الحسني :

قرر السلطان مولاي الحسن 1873 ـ1894 ) القيام باصلاح نقدي يقوم أثناءه بضرب السكة المغربية بأوروبا فور الانتهاء من مؤتمر مدريد 1880، بدلاً من السكة التي كانت تضرب بدور السكة المغربية في مدن فاس ومراكش ومكناس وتطوان.

وقد اجرى عدة استشارات ـ كعادته ـ شارك فيها الامناء والتجار والفقهاء والقضاة، وغيرهم من موظفي المخزن، كما فتح مشاورات مع سفراء بعض الدول وقناصلها خاصة مع الدولتين الفرنسية والانجليزية بواسطة الأمين الزبدي الرباطي والنائب السلطاني بطنجة محمد بركاش واسفرت المشاورات على اختيار الدولة الفرنسية لضرب السكة بباريس بمقتضى عقد "كنطردة ضرب السكة" التي حددت شروط عمليات الضرب مما له علاقة باجرة الضرب وعمليات نقل المعادن من المغرب إلى باريس ونقل السكة إلى المغرب، وقد حدد مواصفات السكة وإشكالها وأعدادها وأوزانها. وقد ضربت السكة على أساس الريال الحسني. وفيما يلي جدول بمواصفات الريال وأجزائه الخمسة وعيار كل قطعة بما فيها من خالص الفضة بالنسبة الألفية:

| القطعة | وزنها بالدرهم | وزنها بالگرام | عيارها |
|---|---|---|---|
| الريال | 10 دراهم | 29،116 غ | 900‰ |
| نصف الريال | 5 دراهم | 14،558 | 835‰ |
| ربع الريال | 2،5 درهم | 7،279 | 835‰ |
| عشر الريال | 1 درهم | 2،911 | 835‰ |
| 1/20 ريال | نصف درهم | 1،455 | 835‰ |

وكانت عملية الضرب بأوربا عملية عسيرة لاقى فيها المخزن عسراً تجلى في الخروقات والتجاوزات التي يمارسها أصحاب دور السكة بأوروبا بناء على عدم توفر الأطر الخبيرة المخزنية لضبط شروط الكنطردات ومتابعة تطبيقها سواء على المستوى التقني والقانوني، ولذلك وقع تصعيد نفقات الضرب بما يؤدي عنها في الحراسة والتأمينات والعمولات "الكوميسيون" وفوائد المماطلة "لانطريس" وغيرها، وقد وجد المخزن نفسه مضطراً للسير في عمليات الضرب بدون توقف رغم ما يتكبره من خسائر واضحة أحيانا وخفيه أخرى في مجال الاصلاح النقدي الحسني (انظر مسألة النقود، 243،244).

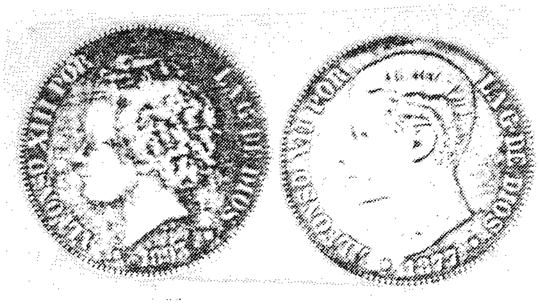

ريال فونصو : XII وXIII

3) الريال العزيزي :

استمر السلطان مولاي عبد العزيز (1894 ـ1908 ) في نفس الاتجاه وبنفس الوسائل في عمليات ضرب الريال

وأجزائه وإذا كان والده قد اقتصر على ضرب السكة بباريز فقد عدد السلطان مولاي عبد العزيز دور الضرب في باريس برلين وفي لندن وبرمنكهام. وكان قد اقتصر على نموذج الريال الحسني خلال السنوات الأولى الثلاث، وبعد ذلك وضع نموذجين لضرب النقود العزيزية.

استمرت عمليات ضرب السكة في العهد العزيزي بدون توقف في عدد من ديار السكة في كل من ألمانيا وفرنسا وانجلترا لمدة اثنتي عشرة سنة حصلت من ذلك سيولة نقدية تجاوزت حاجيات البلاد إذ بلغت الكميات النقدية 65 مليون بسيطة حسنية سنة 1903 وحصل بذلك تضخم جعل الدولة في سنة 1904 عاجزة عن متابعة عمليات الضرب من جراء هذا التأزم ومن وضعية الصرف وعلاقة الريال المغربي بالريال الأجنبي وخاصة منه الإسباني، وقرار السلطان تحويل السكة المغربية من نظام المثقال السداسي إلى النظام اللاثني العشري لمسايرة الريال الإسباني والفرنسي لكن الأهالي لم يستطيعوا تكييف نظام الصرف مع نظامهم القديم فوقع اضطراب في الأسواق فاضطر السلطان إلى إلغاء النظام العشري والعودة إلى نظام المثقال لكن آثار التدخل الأجنبي غالب في مجال الصرف، فقد بلغت خسارة الريال العزيز بالقياس إلى العملة الإسبانية التي ترتبط بها 25 في المائة سنة 1897 وبلغت 37 (في المائة) 1902. - Sidbon, p. 25 (26 ؛ *مسألة النقود*، ص. 251).

وقد عكست وضعية الريال كل الأحداث التي عاشها المخزن في هذه الظرفية.

5) الريال الحفيظي والريال اليوسفي :

حاول السلطان مولاي عبد الحفيظ 1908 .1912 ) أن يهتم بأمر السكة وإصدار عملة جديدة ولكن الأحداث داهمته فلم يستطع ضرب ريال خاص ونصفه وربعه إلا سنة 1911 حين اكتفى بترويج الرصيد العزيزي من مختلف القطع الفضية حتى وقع الاحتلال سنة 1912 فقام السلطان مولاي يوسف. يضرب الريال وأجزائه سنة 1912 كما ضرب الريال ونصف الريال سنة 1918 حسب القطع النقدية المتوفرة غير أنه نتيجة التحولات التي عرفها المغرب خلال عهد الحماية فقد قرر الفرنسيون إلغاء النقود الفضية المغربية تماماً سنة 1920 وإحلال الفرنك الفرنسي من العملة الورقية والمعدنية محلها. ومع الغاء الريال من التداول فان المغاربة احتفظوا بكلمة الريال وأطلقوها على قطعة 5 سنتيمات إلى اليوم.

ونظراً لأن مجموع الريالات المغربية وأجزائها المضروبة بأوروبا من العهد الحسني والعزيز والحفيظي واليوسفي ثم تحديدها إذ بلغت 84 قطعة في نماذجها وتم تحديد السنوات التي ضربت فيها، فقد سجلناها كاملة في الجدول الآتي :

جدول الريال وأجزائه المضرب بأوربا
ما بين سنوات (1299 .1336) / (1881 .1918)

| المسكوك | ضرب بـ : | سنة | |
|---|---|---|---|
| | | هجرية | ميلادية |
| الحسن الكيفية | باريس | 1299 | 1881 |
| " | " | 1309 | 1891 |
| " | " | 1310 | 1892 |
| " | " | 1311 | 1893 |
| " | " | 1312 | 1894 |
| " | " | 1313 | 1895 |
| الراجح العزيز | برلين | 1313 | 95. 96 |
| الحسن الكيفية | باريس | 1314 | 1896 |
| الراجح العزيز | " | 1314 | 1896 |
| " | برلين | 1315 | 1897 |
| " | باريس | 1315 | 1897 |
| " | " | 1316 | 1898 |
| " | " | 1317 | 1899 |
| " | " | 1318 | 1900 |
| " | برلين | 1318 | 1900 |
| " | باريس | 1319 | 1901 |
| العزيز الكيفية | إنكلند | 1320 | 1902 |
| " | برلين | 1320 | 1902 |
| " | باريس | 1320 | 1902 |
| " | " | 1321 | 02. 03 |
| " | إنكلند | 1321 | 1902 |
| " | برلين | 1321 | 1902 |
| " | باريس | 1322 | 1903 |
| " | " | 1323 | 1903 |
| الحفيظي | " | 1329 | 1911 |
| اليوسفي | " | 1331 | 1912 |
| " | " | 1336 | 1918 |

| المسكوك | عدد القطع | | | | | مجموع القطع |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | 1 ريال | 1/2 ريال | 1/4 ريال | 1/10 ريال | 1/20 ريال | |
| الحسن الكيفية | 1 | 7 | 7 | 7 | 7 | 29 |
| الراجح الكيفية | 1 | 8 | 8 | 6 | 7 | 30 |
| العزيز الكيفية | 2 | 6 | 6 | 2 | 3 | 19 |
| الحفيظي | 1 | 1 | 1 | 0 | 0 | 3 |
| اليوسفي | 2 | 2 | 1 | 1 | 0 | 6 |
| مجموع القطع : | 7 | 24 | 23 | 16 | 17 | 87 |

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، ص. 46، 134 ـ 143 ـ 221 ـ 255؛ *وضعية النقود المغربية بين دور السكة بالمغرب ودور السكة بأوربا في القرن (19 م)*، الجامعة الصيفية، المحمدية، مطبعة فضالة، 1987، ج. 2، ص. 157 ؛ أحمد الحسني، *بهجة المشتاق في بيان حكم الأوراق*، مطبعة كردستان العلمية، القاهرة، 1911، ص. 145 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 9، ص. 64 ؛ عبد الغني الدالي، *محاضرات في النقود والبنوك*، كلية الحقوق، الرباط، 1972، ص. 39 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 2، ص. 451 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، ج. 1، ص. 276.

R. Le Toureau, *Fés avant le protectorat.* 1949, Casa, p. 285 ; B. Sidbon, *La question monétaire au Maroc,* Paris, 1912 p. 25 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe,* Paris, 1962, T. 3, p. 98 - 99 ; R.S. Yeoman, *A catalog of modern world coin (1850 - 1960)*, U.S.A. 1972, p. 175 - 438 ; D.J. Galtier, *Monnaie et économie dans l'Espagne du Nord et du centre, H.T.,* 1962, vol. 3, p. 73 ; B. Michaux, *L'organisation des finances au Maroc, A. M.,* 1907, vol. II, p. 219.

عمر أفا

**ريبيرا إيطاراگو خوليان** Ribera y Tarragô, Julian، مستشرق إسباني، ولد في كركخينطي قرب بلنسية في 19 فبراير 1858. درس القانون في جامعة بلنسية، ثم انتقل إلى مدريد حيث حصل على الدكتوراه في الفلسفة والأدب، وقد أقبل على دراسة اللغة العربية، فلما بلغ الثامنة والعشرين من عمره عين أستاذا لها بجامعة سرقسطة، ثم تقلد تدريس "الأدب العربي الإسباني" بعد حصوله على الدكتوراه في موضوع "الحضارة المغربية اليهودية".

له مؤلفات متعددة تتعلق في مجملها بدور الثقافة العربية وأثرها في تكوين الثقافة الأوربية عموما والإسبانية خصوصا. وتتركز أغلب هذه المؤلفات على موضوع الموسيقى العربية بالأندلس ووجوه تأثيرها في الأساليب والأنماط الغنائية بإسبانية. ومنها :

ـ *الموسيقى الأندلسية في القرون الوسطى في أغاني التروبادور*. وهو كتاب يحوي 356 عملا موسيقيا منسقا لآلة البيانو (arrangement pour piano) نقلها من مخطوطات وسيطة (1923 ـ 1925).

ـ *الموسيقى العربية الوسيطة وأثرها في الموسيقى الإسبانية* (1927).

ـ *كتاب الأغاني لابن قزمان* (1910).

وفي هذا الموضوع ـ أيضا ـ ألقى في بحر سنة 1912 محاضرة بالأكاديمية الإسبانية تحت عنوان "الأشعار الغنائية لابن قزمان والثقافة العربية الإسبانية"، إضافة إلى كتب ودراسات أخرى تشيد في مجملها بالثقافة العربية في إسبانيا المسلمة وتعرف بأعلامها ومؤسساتها التعليمية.

ولعنايته الكبرى بإبراز أثر الموسيقى العربية في الثقافة الإسبانية فقد نعت بأنه كان مشهورا بنظرياته المبالغة حول تأثير الموسيقى العربية في الأساليب الغنائية الإسبانية الأوروبية.

توفي ريبيرا بمسقط رأسه عام 1934 عن عمر يناهز ستا وسبعين سنة.

Mariano Perez, *Diccionario de la Música y Los Musicos.* Madrid 88. Vol. 2, p. 348 ; Vol. 3, p. 102.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الريحان** في المغرب العربي هو الآس في المشرق العربي حيث يستعمل لفظ الريحان كذلك لما نسميه بالمغرب الحبق (انظر مادة "حبق"). ونظرا للرائحة العطرة التي تفوح من هذا النبات فقد استعمل هذا اللفظ لتسمية البنات : ريحانة، آسية.

الاسم العلمي لنبات الريحان هو مِرْتوس كومونيس Myrtus communis. والنبات هو الجنس الطبيعي الذي يمثل فصيلة الآسيات Myrtaceae بالمنطقة المتوسطية علما بأن هذه الفصيلة تشمل الأوكاليبتوس (انظر أو كاليبتوس) وأجناساً عديدة أخرى يعيش أغلبها بأستراليا.

الريحان

الريحان هو النوع الطبيعي الوحيد الذي يمثل جنس ميرتُوس. إنه نبات جنيبي أو شجيري لا يتعدى 3 م من الارتفاع، ذو أغصان متقابلة. أوراقه دائمة الاخضرار متقابلة، بيضوية أو رمحية الشكل، طولها يتراوح ما بين 1 و3 سم، وعرضها يبلغ 1.5 سم، ملساء، صلبة ولامعة. أزهاره إبطية، معنقة، ذات لون أبيض، يفوح منها عطر زكي. ثماره عنبية، بيضوية أو كروية الشكل، لحمية، ذات لون أزرق يميل إلى السواد، وذات مذاق لذيذ بالنسبة للإنسان.

يقتصر التوزيع البيوجغرافي للريحان بالمغرب، على المنطقة الشمالية حيث يكثر في الريف وخاصة الجهة الغربية وشبه الجزيرة الطنجوية، وبناحية تازة، وبالهضبة الوسطى والمعمورة ومنطقة بنسليمان. وفي كل هذه المناطق يقطن الريحان في غابات البلوط على أتربة حمضية وفي بيومناخات جد رطبة ورطبة وشبه رطبة وشبه جافة، ذات شتاء دافئ أو معتدل، أي في الطابق المتوسطي الدافئ.

لأوراق الريحان استعمالات كثيرة جداً. فبالإضافة إلى

استخدام النبات للزينة في الحدائق أو لاستخراج العطر بواسطة عملية التقطير، تستعمل الأوراق لعدة أغراض في التطبيب التقليدي كعلاج أمراض الجهازين التنفسي والغذائي، وأمراض العيون. كما تدخل في تحضيرات تخص التجميل لفائدة النساء كخلطها مع الحناء (انظر حناء) أو الغاسول لتلوين الشعر باللون الأسود أو لتنظيفه.

من الاستعمالات الأخرى استخدام الأوراق في عملية غَسل الميت، أو وضعها معه في قبره قبل أن يغمر بالتراب. كما توضع أغصان النبات على القبور في ليلة القدر.

*أبحاث شخصية.*

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 1999, 370 p. : J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle*. 1997, 764 p. ; L. Embenger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Métro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*. Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

**ريحان الأسود**، من الزهاد المتصوفة السبتيين المشهورين، لا نعرف عنه أي شيء سوى ما ذكره ابن القاسم الأنصاري من أنه مشهور الكرامات والمكاشفات وأن قبره الكائن في مقبرة المنارة من سبتة مزار مشهور يتبرك به (*اختصار*، 15) ورد ذكره أيضاً عند ابن الزيات التادلي (*التشوف*، 138).

يبدو أن ريحان الأسود كان زنجي الأصل كما يدل على ذلك اسمه. كما أن اسم ريحان الذي عرف به لا يطلق في الواقع إلا على صنف العبيد من الناس شأنه شأن مرجان ولؤلؤة وغيرها. لذا قد يعتبر هذا دليلا آخر على أن سبتة عرفت هي الأخرى تجارة العبيد في عصورها الإسلامية المتوسطية، سيما وأن زراعة قصب السكر التي كانت منتشرة في ضواحيها في بليونش وخصوصا في متنان كانت تتطلب يدا عاملة كثيرة (*Ceuta*, 165, 327). فريحان الأسود هذا قد لا يعدو أن يكون أحد مخلفات تجارة الرقيق التي كانت سبتة تشكل إحدى محطاتها أو على الأقل معبرا رئيسيا لهذه البضاعة في طريقها إلى أوربا. وما الموضع المسمى بأحجار السودان من سبتة سوى المكان الذي كانت تتم فيه هذه التجارة أو على الأقل المسلك الذي كانت تعبر منه إلى الضفة الأخرى من البحر المتوسط (*معلمة*، 145).

التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 ؛ ابن القاسم الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1403 /1983، ط. 2 ؛ *معلمة المغرب*، مطابع سلا، 1410 /1989، المجلد الأول.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles : essai de reconstitution de la civilisation musulmane*, Thèse de 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987.

زليخة بنرمضان

**الريحيّة** حذاء نسويّ كان المغاربة ومازالوا بنسب ضئيلة تقل أكثر فأكثر مع مرور الزمن ينتعلون أحذية خاصة بهم تدعى البلغة لا وجود لغيرها في البلاء على الاطلاق قبل مجيئ الاستعمار الأجنبي. ومن هذه الأحذية ما كان مخصصا للذكور وما كان مخصصا للاناث. وكانت الموجهة منها إلى الاناث تنقسم إلى ثلاثة أنواع هي الريحية والمشاية والشربيل، ولكل واحدة مما ذكر جودة معينة ووظيفة معلومة.

فأما الريحية فتحتل مرتبة وسطا من حيث الجودة. فهي أحسن من المشاية البسيطة الصنع والتي تلبس داخل البيوت للقيام بمختلف الأشغال اليومية لكنها أدنى مرتبة من الشربيل البلغة الزاهية المخصصة للأفراح والمناسبات والريحية في العادة تصنع من جلد الماعز الجيد ولونها السائد هو الأسود علما بأن بعض النساء في فاس وتطوان والرباط وغيرها من الحواضر كانت تلبسها حمراء أوبرتقالية أو باذنجانية أو خبازية أو زرقاء مشربة بحمرة. يباشر إنتاجها حرفيون متخصصون يدعون "الروايحية" ويغيب فيها كل تنميق وتحذيق وكل شكل من أشكال الطرز والتوشية وإن وجد فيها تزيين فإنه يكون قليلا لا يثير الانتباه.

وتلبس الريحية أساساً خارج البيوت مطوية العقب دائما ومرفوعة الكعب أحياناً بهدف تغطية مؤخرة قدم الأنثى وإخفاء أي أثر لملامح رجلها. وقد صممت كذلك زيادة على لونها الأسود حتى لا تلفت نظر الذكور وتثير اهتمامهم كما يظهر جليا من مقدمتها الأمامية الواسعة والمستديرة التي لا تنحصر على الرِّجل ولا تحدّد ملامحها. وقد كانت النساء السوسيات ومازلن يلبسنها من لون برتقالي أو أحمر تنمقه جدائل ذات ألوان زاهية على عكس ما هو متداول في الحواضر المغربية وتسمى محليا "الريحيت" بالتاء المبسوطة. ومازال هذا النوع منتشراً في أرجاء واسعة من مدن وبوادي سوس وحاحا والشياظمة وتخوم الأطلس الكبير والمناطق الممتدة على طول الدير المجاور له.

وكانت الريحيات تتخذ من ثلاثة مقاسات تحسب بعرض أصابع الصناع الحرفيين وهي من الأصغر إلى الأكبر بلغة الحرفيين : "السباعي" ثم "الثماني" و"التساعي" أي ما يبلغ طوله سبعة وثمانية وتسعة أصابع مع مراعاة هامش معين في اتجاه الزيادة أو النقصان وتجنب كل ريحية مقدودة (sur mesure) لأن المقاس الوسط هو المطلوب. لذلك كانت مقاسات الريحيات التي يصنعها الحرفيون إما "صافية" أو "ناقصة" أو "وافية". أما إذا تجاوزت المقاس الأكبر المحدد للإناث وهو "التساعي" فإنها تسمى "رجل الفصالة" وإذا نزلت عن الحد الأدنى وهو "السباعي" دعيت "رجل العويتقة" أي قدم الفتاة العازبة التي لم تبلغ بعد سن الرشد إشارة إلى صغر رجل المرأة، وفي كلتا الحالتين فإن هذين المقاسين يصعب وجودهما في السوق لخروجهما عن المعتاد السائد ولابد من الاتصال رأسا بالصانع الحرفي للحصول

عليهما تحت الطلب مما كان الناس عادة يسمونه "البلغة بالوصية". لكن هذه المقاسات الأخيرة كانت قليلة على العموم وكانت المقاسات الثلاثة المذكورة سلفا هي السائدة.

هذا وكانت الريحيات المتداولة في المغرب من نوعين : النوع الأول "والريحية بالبنارة" (البنارة في اللسان الدارج تعني العرف الأحمر الموجود في قمة رأس الديك) وهي تحمل عرفا صغيراً من جلد مستدير يشبه عرف الديك يكون من نفس لونها ويقع إلى الداخل من وسط مدخل القدم. أما النوع الثاني فهو "الريحية بالبنارة والقبة" ولها نفس العرف لكنه يوجد خارج مدخل القدم فوق الرقعة وهو أكبر من الأول حجما ويختلف عنه بشكله الاهليلبجي. أمّا مؤخرتها (طوقها بلغة الحرفيين) فهو أكثر ارتفاعا يشبه تقريباً مؤخرة الأحذية الحديثة العادية ويتوسطه لسان مستطيل يميل شكله إلى شكل قبة ومن هنا جاءت تسمية الريحية وهي أفضل من سابقتها من حيث الجودة والنعل والرقعة والاتقان. وهناك توع من الريحيات كان سائداً في معظم الحواضر والبوادي لا يختلف إلا قليلا أو كثيراً عن الريحية بالبنارة لكنه لا يحمل أي تنميق بل يقتصر على الألوان.

أمين الريحاني، *المغرب الأقصى*، بيروت، 1975 ؛ حلمي محمد عشيش، *المغرب الأقصى كما رأيته*، القاهرة، د. ت ؛ علي أمهان، *البلغة*، معلمة المغرب، الجزء الرابع ؛ محمد الحلوي، *معجم الفصحى في العامية المغربية*، الدار البيضاء، 1988 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، الجزء الثالث، الدار البيضاء، 1960 ؛ *تحريات ميدانية* في فاس، تطوان، الرباط، مراكش.

Henri Duquaire, *Découvrir l'âme du Maroc,* Paris, 1935 ; Jules Leclercq, *De Magador à Biskra*, Paris, 1881 ; G. Spillman, *Les Aït Atta du Sahara*, Rabat, 1936 ; Jean Delorme, Les marocains, Paris, 1936 ; Marie Bugeja, *Le feu du Maroc*, Tanger, 1937 ; Francis Ambière, *Le Maroc, Monaco* ; R. Guyot [et al...], *Les cordonniers de Fès, Hesp.*, tome 23, 1936 ; R. Guyot, *Le commerce des babouches à Fès, B.E.M.*, tome 3, 1936 ; Louis Brunot, *La cordonnerie indigène à Rabat, Hesp.*, tome 33, 1946.

محمد بوسلام

**ريخطر** Richter، أسرة ألمانية مشهورة كان لأفرادها وجود بالمغرب ابتداء من أواخر القرن الثالث عشر (19 م)، وهم ثلاثة : گوسطاف Gustav وولداه هانس Hanz وماكس Max، وقد تحرف الوثائق المغربية هذا النسب إلى ريطر Ritter وتخلط بين هذا الأخير شريك هيرشة Hiersche التاجرين المقيمين بالدار البيضاء وبين ريخطر لتقارب الكتابة والنطق فيهما :

ريخطر (گوسطاف) كان تاجرا مقيما بأسفي خاصة، وله علاقة بالبوادي المجاورة في الفلاحة وتربية المواشي. وريخطر (هانس) كان يمثل أباه في التجارة والفلاحة. بينما كان لريخطر (ماكس) شركة تجارية بمدينة فاس خاصة، فاتخذ فيها سماسرة لتجارته وشركاء وخلطاء له لفلاحته وأشغاله بالبوادي في شتى النواحي المغربية. وقد تولى في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) النيابة القنصلية عن بلاده بها، لكنه كان كثير الخلاف مع السلطات المحلية. كانت له معرفة باللغة العربية وبالعوائد المغربية، ولما صرح بأنه اعتنق الإسلام وصفته المصادر الفرنسية بالنفاق وبكونه عينا لبلاده. لكن السلطان قال في إحدى رسائله سنة 1324/ 1906 : إن ريخطر "رغب في دين الإسلام، وتنصل من دينه، فأنعمنا عليه بظهيرنا الشريف بتوقيره وتوقير عزائبه وأصحابه".

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج. 3، ص. 1182 وج. 4، ص. 1442 ؛ ص. 2 من *كناش مكاتيب الطابع الشريف*، رقم 1695، خ. ع. بالرباط ؛ *الوثائق المغربية*.

Roger Le Toureau, *Fès avant le Protectorat*, p. 161 ; Pierre Guillen, *L'Allemagne et le Maroc*, p. 441.

**ريدجوي** (J. West Ridegeway)، أنجليزي كان سفيراً لبلاده بطنجة طيلة ستة أشهر (يبراير - يوليوز 1893). وكان "مبعوثا خاصا في مهمة مؤقتة" وهي أن يربط من جديد مع الحكومة المغربية العلاقات الودية التي كانت من قبل قائمة مع المملكة المتحدة. كان أول أمره ضابطا بالجيش البريطاني من سنة 1860 إلى سنة 1889، وأسندت إليه كتابة الدولة في شؤون إيرلاندا، وكان يحظى بعطف ملكي خاص فأنعم عليه باللقب الشرفي المعروف "السير" وعين عضوا في مجلس الملكة الخصوصي.

وخلال المدة القصيرة التي قضاها بالمغرب نجح في إزاحة السحب التي كانت تخيم على العلاقات بين البلدين، بعد أن أفسدتها تصرفات سلفه تشارليز إيوان - سميث Ch. Euan - Smith فأدخل بها توتراً كبيراً بينه وبين السلطات المخزنية بتنطعاته وكبريائه. فقد نصب سنة 1892 عنوة بفاس التاجر الإيقوسي ج. ماك آيفر ماك ليود J. Mac Yver Mac Lead بوصفه نائبا قنصليا، وتجرأ على رفع علم بلاده على الدار التي كان يسكنها دون إذن من المخزن، فوقع بها اضطرابات "فهال المخزن والناسَ الأمرُ، حتى ماج بعضهم في بعض، وما سكنّاهم إلا بمشقة، وتأخرت الصلاة" (صلاة الجمعة) "عن موعدها" حسب رسالة سلطانية إلى الطريس.

أدى ريدجوي مهمته على أحسن وجه، وتبادل الهدايا والتحف مع الشخصيات الرسمية، وأهدى مرآة للحاج محمد بن العربي الطريس النائب السلطاني بطنجة مع رسالة التوديع في منتصف سنة 1893، تاركا لخلفه إيرنيست ساطاو E. Satow الطريق ممهدة.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج. 2، ص. 502 وج. 3، ص. 1156 1175 ؛ *الوثائق الملكية ؛ وثائق مكتبة تطوان*.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe,* tome I, p. 103 et tome IV, p. 277 - 279.

مصطفى بوشعراء

**ريد ليويس** ويليام W. Reed Lewis، أميركي كان قنصلا عاماً للولايات المتحدة بطنجة من بداية سنة 1887 إلى نهاية سنة 1889. وقد ولي هذا المنصب خلفاً للكولونيل فيليكس أ. ماثيوز Felix A. Mathews الذي كان يمثل بلاده بالمغرب سنوات عديدة فعزل عن منصبه لشططه وسوء تصرفه، وعين بدله ريدليويس هذا.

من مواليد مدينة فيلاديفيا بشرق الولايات المتحدة سنة 1860، وعين في هاته المهمة بالمغرب وهو ابن ثمان وعشرين سنة، فكان قليل الدراية والمعرفة بالعوائد والأعراف المغربية. غير أن سيرته كانت قبيحة مع السلطات، وكان يتاجر في بطائق الحماية ويوليها لمن شاء من المغاربة بحيث كان يسلم بطائق بيضاء موقعة من لدنه ولا سيما لترجمانه ابن زرقين.

وقد تعرضت الوثائق فصورت سلوكه. ففي سنة 1305 / 1888 كتب مولاي الحسن إلى الطريس قائلا :

"وصل كتابك شارحا فيه ما هو عليه نائب المركان من خرق القوانين والشروط، وذكرت أنه إن اقتضى نظرنا الشريف جعل الحجج عليه بما يصدر منه من ذلك ويقبح سيرته، وإنهاء ذلك لدولته أو تقريره بجمع مدريد فعلتَ، وصار بالبال. فنعم، اجعلها عليه بذلك وأنهها لدولته..."

كانت له نزاعات مع السلطات، وهي ترجع بالأساس إلى الشطط في استعمال حق الحماية من جهة أولاً وإلى قضية مال الفابور Favor التي حدثت له مع وزير الخارجية محمد المفضل غريط من جهة ثانية وإلى شجاره مع سلطات المرسى في حيازة السلاح من جهة أخيرة.

1 ـ التهديد والشطط : كان ريد ليويس قد وجه سنة 1305 /1888 إلى المخزن لوائح المحميين فرفع عددهم إلى أربعة وخمسين لكن دون أن يبين مواجب حمايته إياهم. فردت النيابة السلطانية بطنجة إليه تلك الوثيقة، فأعادها إليها كما هي، فرفضتها وأرجعتها مرة أخرى إليه. وهنا أضاف إليها ستة أشخاص وبعث بها محتوية على ستين محميا زاعما أنهم "دخلوا في حمايته حديثا".

ولكن تهديده باستجلاب القوة البحرية وتلويحه بقطع العلاقات لم يكونا ليرهبا المخزن، وكل ما آلتا إليه أنهما جعلتاه مسخرة أمام السلك الديلوماسي.

وعن ترسية المركب الأمريكي قالت الوثائق المغربية : إن السفينة الحربية وردت لمرسى طنجة، وأقامت بها ثلاثة أيام، وأظهرت علامة "العيب" بعدم تسليمها على البلاد على العادة، وبطلوع البنديرة بسنجقها سوداء".

رأى المخزن في "العيب" دليلا على توتر العلاقات فأمر السلطان العمال والأمناء بالحذر من توجهها لمرسى العدوتين والدار البيضاء والجديدة، ومع ذلك جنح المخزن للتفاوض مع القنصل العام بعد أن تمكن الخلاف في مسألة المحميين الستين وفي قضايا ثلاثة محميين آخرين.

2 ـ قضية مال الفابور : أغرب في أمر ليويس أنه كان يريد أن تفصل دعاويه هو ومطالبه الشخصية قبل أن تحل قضايا بلاده ومشاكل مواطنيه القليلين المعدودين على رؤوس الأصابع. كان طلب مشافهة فقط أن تدفع 200 ألف ريال وضمنها على وجه الاحتمال عمولته. ثم إنه أراد بعد ذلك أن يقبض من يد وزير الخارجية محمد المفضل غريط المكناسي مبلغ 15 ألف ريال لقاء غضه الطرف عن المطالب والدعاوي القائمة بينه وبين المواطنين المغاربة.

سميت هاته القضية مال الفابور وهي كلمة إسبانية من أصل لاتيني Favor تعني الإحسان أو الإنعام.

عن الاتهامات الملصقة بها جاء إلى المغرب محققون أمريكيون، وكان معهم ابن زرقين أحد تراجمة القنصلية العامة. كان المخزن يعلم ـ وغريط أيضا ـ "أن لا غرض لهم في البحث عن حال المذكور، وإنما الغرض عندهم "الطمع" واقتراح الأمور الخارقة حسبما ورد في رسالة غريط المؤرخة في 22 رجب 1305 /4 أبريل 1888 والمتعلقة بخبر مجيء سطوربيل بعد ذلك بنحو ثلاثة أسابيع.

وقد زكمت الأنوف بأفعال ليويس في المغرب وأمريكا وحتى في فرنسا حيث اعترف السفير الأمريكي بباريس بأن القنصل العام "رجل ظالم" حسبما ورد في رسالة العربي أبارودي إلى غريط في4 شوال / 14 يونيو.

3ـ حيازة السلاح فسراً : تورط فيها القنصل الأمريكي سنة 1307 / 1889 عند ما أرسل أحد الأمريكيين لحيازة صندوق فيه 10 مكاحل و6 كوابيس، مشهراً بيده بطاقة الحيازة الممضاة من لدن القنصل العام. وكان طبيعياً أن يمنع أمناء طنجة الثلاثة هذا الشخص من أخذ الصندوق، ولكنهم أخذوا الوثيقة وعرضوها على الطريس.

وفي الوقت نفسه بلغ إلى علم ريدليويس هذا المنع، فاستشاط غضباً وذهب بنفسه إلى المرسى لحيازة السلاح قسراً مخالفاً بذلك القوانين الجمركية والدولية على ما تفيده رسالتا الأمناء في 18 و23 ربيع الثاني1307 / 12 و17 دجنبر 1889.

كانت هاته الغلطة مما استغله الحاج محمد الطريس الذي كان يعرفه حق المعرفة ويصفه بالمتهور الطائش فأعلم المخزن بالحادثة ثم أبرق إلى وزير خارجية أمريكا مسترعياً على افتيات قنصلها العام وسوء سيرته مع المخزن وطالبا إقالته وإرجاعه إلى بلاده. وبعد مدة قصيرة نشرت الصحف نبأ عزله نهائياً في الشهور الأولى من سنة 1890.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج. 2، ص. 473 إلى 479 وج. 3، ص. 985 إلى 987 وص. 1153 ؛ *الوثائق الملكية* ؛ *وثائق مكتبة تطوان* ؛ *وثائق أمريكية*.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome IV, p. 356 ; J. Caillé, *La petite histoire du Maroc*, troisième série, p. 53 ; M'hammed Benaboud, *Problems of American Protection in Morocco*, p. 79 - 93 in *The Atlantic Connection 200 years of Moroccan - American Relations : 1786 - 1986*, Edited by Jerome Brookin - Weiner and Mohamed El Mansour, 1990.

**ريدمان** (Redman)، أسرة إنجليزية أو طارقية تنجلزت وهي من اللواتي قدمت إلى المغرب من جبل طارق في الثلث الأول من القرن الثالث عشر (19 م)، فاستوطنت مختلف المدن الشاطئية للتجارة والمعاملات الاقتصادية. إلا أن آل ريدمان كانوا يسكنون بالجديدة فقط أزيد من 70 سنة، وهي تتألف من أربعة إخوة : أكبرهم جون يليه ألفريد (أو فريدو) وكليمنت. أما فريديك فلم أقف إلا على اسمه. وزيادة على التجارة كان الثلاثة الأولون يتولون الشؤون القنصلية بالجديدة سواء لبلدهم الأصلي أو لغيرهم من الدول الأخرى.

**ريدمان، ألفريد** (Redman Alafred) ولي النيابة عن بلده وعن بعض الدول مثل هولاندا وبلجيكا وألمانيا والولايات المتحدة منذ سنة 1864 إلى وفاته سنة 1896 اتخذ سماسرة لتجارته بدكالة والجديدة.

**ريدمان، جون** (Redman John) هو أكبر إخوته وصل إلى المغرب سنة 1826 أو 1830، وصار يتعاطى مع أخيه ألفريد التجارة بالجديدة واتخذ شركاء وسماسرة، ومثل بلاده ثم هولاندا حتى عجز أو توفي سنة 1864 أو قبلها.

**ريدمان، كليمنت** (Redman Clement) اشتغل بالتجارة بعاصمة دكالة وتولى سنة 1865 أو قبلها النيابة القنصلية عن فرنسا.

**ريدمان، فريدريك** (Redman Frederic) كان بلا شك يتعاطى التجارة.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج 3 صفحات مختلفة ولا سيما، ص. 992 ؛ *الوثائق الملكية* ؛ *وثائق مكتبة تطوان* ؛ *وثائق برگاش*، خ ع بالرباط.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, tome I, p. 158, tome II, p. 186, 490, 800, tome III, p. 159, tome IV, p. 89.

مصطفى بوشعراء

**ريزيندي غارسييا** Garcia Resende، من مؤرخي البرتغال خلال القرن السادس عشر (10 هـ) ترك *حوليات* موازية لما قدمه روي دي بينا آتي الترجمة خصها لتاريخ جواو الثاني، يعود تأليفها إلى سنة 1533 وتم طبعها أولا سنة 1545 بعنوان : *Cronica de D. Joao II e Miscelanea* ثم أعيد طبعها بلشبونة سنة 1978.

تتضمن *الحوليات* لقطات عن تاريخ المغرب عامة والثغور المحتلة خاصة إبان الغزو البرتغالي. غير أنه يصعب في كثير من الأحيان التمييز ما للإخباري روي دي بينا وما لمثيله ريزيندي بسبب التشابه الموجود بين نصوص المؤلفين في موضوعات الفصول وترتيبها إلى درجة التطابق.

فمن *حوليات غارسييا ريزيندي* يمكن الاطلاع على تاريخ احتلال مدينة أصيلا وأسر قائد القصر الكبير طلحة العروسي وحاكم الشاون علي بن راشد وافتدائهما، وكذا ما يتعلق بمسألة حصن جزيرة اللكوس البرتغالي وغارات سبتة على ترغة وعلى سوق خميس أنجرة.

حسن الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية الغربية*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Garcia Resende, *Cronica de D. Joao II e Miscelanea.*

حسن الفگيگي

**الريس، مبارك** بن المختار. مقاوم ولد سنة 1920 بمدينة أسفي. ولما اشتعلت شرارة الكفاح المسلح ضد الاستعمار الغاشم، انضم إلى العمل السري سنة 1953.

قام بعمليات فدائية وحده، دون تشكيلة، وترأس المظاهرات الصاخبة بمناسبة 20 غشت لسنتي 54 و55. وبينما كان يقوم بواجبه النضالي خلال مظاهرة 20 غشت 1955، أصابته رصاصة الشرطة الاستعمارية الفرنسية . فسقط في ساحة الشرف بأسفي.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**ريسون** (الجدة)، رفع ابن عسكر في *دوحة الناشر* نسبها إلى علال بن عبد السلام بن مشيش، واعتبرها البعض الآخر من بيت بني راشد العلميين أمراء شفشاون. وما يلفت الانتباه أن ريسون حملت في كتاب *الدوحة* لقب الست مما يدل على أنها كانت من علية نساء بلاد الهبط خلال القرن العاشر (16 م). كانت هذه المرأة حسب نفس المصدر من بين النساء اللواتي برزن في ميدان الصلاح، أخذت الطريقة الشاذلية الجزولية عن الشيخ عبد الله الغزواني. وهناك وجه آخر لشهرة الشريفة ريسون باعتبارها أم علمين بارزين في التصوف هما الشيخان عبد الرحمان وعلي ابنا عيسى، وأصل النسب الريسوني من الجدة، وأول من انتسب إليها ولدها علي ابن ريسون، فصار عقبه يعرفون بأبناء ريسون.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط، 1977، ص. 24و تح. م. حجي ؛ م. بن الصادق الريسوني، *فتح العليم الخبير*، مخطوط رقم 856، خ. ع. تطوان، ص. 79 -80 ؛ علي الريسوني، *مقدمة فتح التأييد*، لمحمد بن ريسون، تطوان،1985، ص. 3.

ابن **ريسون** أو الريسوني، أسرة علمية شريفة تنحدر من الجد الجامع للشرفاء العلميين يونس بن أبي بكر عم القطب عبد السلام بن مشيش، موطنها الأصلي قرية

تازروت بقبيلة بني عروس الواقعة على عتبة جبل العلم. ومنها انتقل الريسونيون إلى مختلف قبائل ومدن الشمال الغربي. كان تأسيس هذه الأسرة على يد الشيخ مولاي علي بن عيسى المتوفى 963/1556 أول من حمل كنية ابن ريسون نسبة إلى أمه ريسون. وهو أحد مشايخ الطريقة الشاذلية الجزولية الذين أنجبهم الشيخ عبد الله الغزواني. ظهرت هذه الأسرة بعد انقراض إمارة بني راشد بشفشاون على يد السلطان عبد الله الغالب سنة969/ 1562 بعد أن أسس الشيخ مولاي محمد بن علي ابن ريسون أول زاوية علمية بتازروت سنة 975 / 1568 ، ما لبثت أن تحولت إلى رباط جهاد ساهم في معركة وادي المخازن إلى جانب السلطان السعدي عبد الملك، وهذا ما جعل خلفه أحمد المنصو الذهبي يكافئ الشيخ بالإنعام على زاويته بالأرض التي جرت فوقها المعركة المعروفة بتامدا. كما أسدل عليه رداء الوقار والاحترام، مما عزز مكانة هذه الأسرة في المجتمع الجبلي. واتسع نفوذ الريسونيين بفعل الدعم المادي والمعنوي الذي تلقاه هؤلاء من طرف سلاطين الدولة العلوية، ذلك أن السلطان المولى إسماعيل جدد لزاوية تازروت إقطاع المنفعة وأصدر ظهيرا نص على توقير واحترام الشرفاء الريسونيين، وعين الشريف محمد بن عبد الرحمن ابن ريسون نقيبا عليهم، وبذلك تخلصوا من الخضوع لسلطة أبناء عمهم العلميين بشفشاون. وتوطدت علاقة الريسونيين بالمخزن على عهد سيدي محمد بن عبد الله، الذي كان وراء نمو النشاط العلمي بالزاوية الريسونية حيث أوقف عليها مداخيل مينَائي فضالة وطنجة وبنى بها دورا للطلبة والمدرسين. ويمكن اعتبار فترة حكم السلطان مولاي سليمان (1206 ـ 1226 / 1792 ـ 1811) من أهم أطوار حياة الأسرة الريسونية، إذ تزايدت مكانة الأسرة الريسونية في الحقل السياسي بشكل ملحوظ وأصبحت سندا قويا للسلطان. يتجلى هذا في الدور المنوط بالشريف محمد بن الصادق الريسوني أستاذ السلطان وابن عمه الشيخ علي بن ريسون، خلال فترة الصراع على السلطة بين مولاي سليمان ومولاي مسلمة واضطراب الوضع في الشمال الغربي، حيث توسط الشريفان بين مولاي سليمان وأخيه مولاي مسلمة الذي لجأ إلى حرم العلم، وبين المخزن والقبائل الجبلية المتمردة، ومثَّلا فضلا عن ذلك، سندا قويا للسلطة المخزنية في محاربة الحركة الدرقاوية بتطوان. وبغض النظر عن الامتيازات المادية والمعنوية المحصل عليها في مقابل تلك الخدمات المذكورة حققت الزاوية الريسونية مكسبا آخر لا يقل أهمية، يتجلى في تعزيزها بفرع تطوان بأمر من مولاي سليمان المُقام بفندق لوقش المنعم به على الشيخ علي ابن ريسون. ومن تحولات هذه الفترة في حياة الأسرة الريسونية استقرار أعيانها بتطوان، وتبدل نمط عيشهم.

وتزايدت مكانة الأسرة الريسونية الاجتماعية والسياسية خلال القرن الثالث عشر (19 م)، بفعل الأدوار التي لعبها الشيخ عبد السلام ابن ريسون، الذي كان صاحب سلطة رمزية قوية وذا كلمة نافذة في المجتمع التطواني والقبلي على حد سواء، مما أهله للقيام بنجاح بدور الوساطة عدة مرات بين المخزن وقبائل الجبل كالأخماس وبني عروس وأنجرة على عهد السلطانين سيدي محمد ابن عبد الرحمان ومولاي الحسن. واستنادا إلى مكانته الاجتماعية ساهم الشيخ في الحفاظ على التوازنات داخل الوسط الحضري التطواني، وحماية تطوان من غارات القبائل الجبلية. ولا ريب أن حضور الشيخ في المدينة مثّل دعامة أساسية للمخزن وسلطة رمزية لا تعوض، ولعل السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان أدرك جيدا الفراغ الذي تركه في تطوان بعد رحيله عنها واستقراره بتازروت بسبب سوء التفاهم الحاصل بينه وبين مولاي العباس إثر حرب تطوان، ولذا ألح عليه في العودة إليها. ويبدو أن أحداث أواخر هذا القرن ومطلع القرن الموالي وأزمة العلاقة بين الشريف مولاي أحمد الريسوني والمخزن بعد رحيل الشيخ المذكور نالت من مكانة الريسونيين الاجتماعية والسياسية.

الحسن بن ريسون، *فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد*، تطوان، 1985، تقديم وإخراج علي الغالي الريسوني ؛ *قطعة من الكناش الريسوني*، ضمن تأليف مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن، تطوان، 1989، ترجمها عن الإسبانية محمد بن عزوز حكيم ؛ محمد عمراني، *الشرفاء وقيادة الحركة الجهادية في جبال الهبط خلال حكم الوطاسيين والسعديين 1471 ـ1578*، ضمن أعمال ندوة الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في الشمال الغربي المغربي، الرباط، 1995، ص. 21ـ35 ؛ *رسائل مخزنية*، نشر جلها علي الغالي الريسوني في كتاب *رجل ومواقف* دفاعا عن وحدة الأمة، 1982.

محمد عمراني

ابن **ريسون، إبراهيم** ولد بتازروت قبيلة بني عروس سنة 1140 (1728) وكان من علماء بني عروس فاختاره السلطان سيدي محمد بن عبد الله للوزارة، وقتل بقرية العماير من قبيلة الخلط عندما كان يحاول اخماد فتنة قامت بالقبيلة المذكورة سنة 1200 (1786).

علي الريسوني المحامي، *أبطال صنعوا التاريخ*، تطوان، 1975.

ابن **ريسون، أحمد** بن **الصادق** عالم جليل وُلد بمدينة شفشاون يوم 19 شوال 1319 (29 يناير 1902).

تعاطى للكتابة والتوثيق والأمانة والخطابة والتدريس والوعظ والإرشاد والافتاء له تآليف في الأنساب عنوانه *المنح القدسية في النسبة الريسونية الإدريسية* وآخر بعنوان *مدخل لتاريخ شفشاون*.

توفي يوم 22 ذي القعدة 1393 (18 ديسمبر 1973)

علي الريسوني المحامي، *أبطال صنعوا التاريخ*، تطوان، 1975.

ابن **ريسون، أحمد** بن **علي**، فقيه كان من بين أعيان تطاون الذين بايعوا الأمير سعيد بن مولاي اليزيد سلطاناً بتطاون يوم 12 جمادى الثانية 1236 (17 مارس 1821). وكان من بين أعضاء الوفد التطاوني الذي توجه إلى فاس في شهر جمادى الثانية 1238 (مارس 1823) لتهنئة السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام بولايته ؛ والوفد الذي توجه إلى مراكش لتقديم "الهدية" للسلطان مولاي عبد الرحمن في عيد الأضحى لسنة 1242 (يوليوز 1827).

توفي بعد سنة 1243/ 1828.

م. ابن عزوز حكيم ، *الجديد في تاريخ تطاون*، 2000.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **ريسون، أحمد** بن **علي** بن **التهامي** بن أبي بكر خفيد معركة وادي المخازن. وُلد بقبيلة بني سعيد الغمارية سنة1249 (1833) وتوفي بها سنة1310 (1893) وصفه أحمد الرهوني في عمدة الراوين بالرجال الصالح من الأولياء الواصلين ورجال الله الذاكرين.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاون*، مخطوط.

ابن **ريسون، الحسن** بن محمد (الحاج -). من علماء قبيلة بني سعيد الغمارية، عمل بجانب مولاي أحمد الريسوني في المقاومة المسلحة وكان عضوا في مجلس القيادة الثورية حيث شارك بهذه الصفة في مؤتمرات الثورة المنعقدة بعين الدالية بضواحي طنجة يوم 11 ماي 1913 وبضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة بقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915.

توفي بعد سنة 1333 / 1915.

م. ابن عزوز حكيم، *المقاومة المسلحة بشمال المغرب*، تطوان، 1984.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **ريسون، الحسن** بن **مَحمد** بن علي الحسني العلمي نزيل فاس يكنى أبا محمد الفقيه الحسيب النسيب الصوفي النسابة المطلع الخير الصالح ولد بتازروت مسقط رأس آبائه بقبيلة بني عروس سنة 936 / 1529 وقرأ بها القرآن ومبادئ العلم ثم انتقل إلى تطوان وأخذ عن علمائها ومنها إلى فاس وتلقى عن علماء القرويين، ثم اتصل بالشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي ولازمهُ وأخذ عنه مالا يحصى على حد تعبير الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في *أزدهار البستان* وأخذ العلم عن الترجم كثير من المريدين، واثنى عليه كل من ترجم له، وكان له إسهام في التأليف فكتب *رسائل* في السيرة والفرائض والنسب، وكتاب *فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد*.

ومن أثاره أيضا *كناشة* مخطوطة لم نجد لها ذكراً عند أحد من الباحثين لسبب بسيط وهو وجود أصل المخطوطة في حوزة المؤرخ الإسباني طوماس گاثيا فيگيراس Tomas Garcia Figueras الذي استولى عليها عندما كان مراقبا بإدارة الحماية بقبيلة بني عروس سنة 1349 (1930) واحتفظ بها في خزانته بمدينة شريس الأندلسية إلى أن أعلن عن وجودها بعد استقلال المغرب واعتمد عليها في وضع كتابه الأخير الذي ألفه تحت عنوان *Mulay Ahmed El Raisuni, gran figura del Marrecos contemporanes* *مولاي أحمد الريسوني، شخصية بارزة في المغرب المعاصر*.

قال القادري في *النشر* كان للمترجم عقب بفاس مع أبناء عمه، ثم عرض لهم انتقال بعد أن باعوا دار سكناهم وهي المتصلة بزارة مولانا إدريس بابُها بينها وبين السقاية الموجودة الآن، فانتقلوا لمحل سكناهم وسلفهم من جبل العلم وأحوازه ولم يبق أحد منهم الآن بفاس قاطنا إلا أنهم يردون عليها لأمور وأغراض في بعض الأحيان.

توفي المترجم له بفاس ضحوة الجمعة سادس وعشرى جمادى الأولى سنة 1055 / 20 يوليوز 1645 ودفن بالروضة المعروفة لهم باب الفتوح بقرب مسجد الأندلس رحمه الله.

م. ابن الطيب القادري، *الإكليل والتاج*، ص.36، مخطوط ؛ *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 4: 1421 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، طبع حجر فاس 1300، 2: 7 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، الدار البيضاء، 1960، 1: 236 ؛ ع. بن الغالي الريسوني، *مقدمة فتح التأييد*، طبع تطوان ؛ *أبطال صنعوا التاريخ*، تطوان، 1975.

محمد بوخبزة

ابن **ريسون، الطيب** بن مَحمد بن علي بن عيسى. ولد بتازروت سنة 948 / 1541 وهو فقيه مجاهد شارك في معركة وادي المخازن إلى جانب والده وعمه وسقط بها شهيداً يوم 30 جمادى الأولى 986 (4 غشت 1578).

ع. الريسوني المحامي، *أبطال صنعوا التاريخ*، تطوان، 1975 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *معركة وادي المخازن*، تطوان، 1950.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **ريسون، عبد الرحمن** بن عيسى بن عبد الرحمن ابن الحسن حفيد المولى يونس الجد الجامع للاشراف العلميين. ولد عام 875/ 1970. وذكر ابن عسكر في *الدوحة* أنه من حفدة الشيخ عبد السلام ابن مشيش، وتعقبه القادري في *الإكليل والتاج* فقال : وغلط صاحب *الدوحة* فنسبه للقطب سيدنا عبد السلام، ونسبُهم لسيدي يونس كما ذكرنا لا يشك فيه واحد منهم ولا من غيرهم ممن له حاسة بالأنساب. عقب عليه الشيخ الرهوني في *عمدة الراوين* بأن السيدة (ريسون) من حفدة مولانا عبد السلام، فأولادها من حفدته بلاشك.

أخذ المترجم له عن الشيخ عبد الله الغزواني وهو عمدته في التصوف، وحلاه بعض مترجميه بالعلم ولم نقف على أثر لذلك، وإنما كان الغالب عليه النسب والانقطاع له والتبتل والزهد والتقشف، ولما كان بشفشاون عرض عليه أمراء بني راشد بناتهم للتزويج بلا تكليف فلم يقبل كما كان لا يقبل من أحد شيئا ويأتيه الناس بالحوائج فيتركها بفناء بيته ولا يتعرض لإعطائها ولا حملها، وكان منطويا على نفسه مؤثراً للوحدة والعزلة في بيت مغلق عليه، فراشه قشور شجر البلوط، وظل على ذلك حتى مات ولم يشعر به أحد حتى تفقدوه في ليلة شاتية عاصفة وكسروا باب بيته فوجدوه ميتا. قال ابن عسكر : لقيته وأنا صغير فدعالي بخير وكان والدي من أصحابه.

توفي بتازروت ليلة الأربعاء 5 شعبان عام 954 / 1547 ولم يعقب لأنه لم يتزوج، ولابن ابن أخيه الحسن بن مَحمد كتاب في مناقبه يسمى : *التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد*.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1976 ؛ م. بن الطيب القادري، *الأكليل والتاج*، مخطوط ؛ ح. بن مَحمد بن ريسون، *فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد*، طبع تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، (5 : 7)، مخطوط ؛ أ. بن الأمين الريسوني، *حقائق تاريخية عن زاوية تازروت*، طبع تطوان.

محمد بوخبزة

ابن **ريسون، عبد السلام** بن علي الحسني. ولد بتطوان ونشأ بها في بيت اشتهر بالجاه واليسر. وكان وجيها في الناس حتى لقب "السيد". كما كان على حظ من التصوف والصلاح، إلى جانب معرفته بالموسيقى الأندلسية وولوعه بممارسة مستعملاتها عزفاً وحفظاً وإنشاداً.

وقد التف الهواة حول ابن ريسون واتخذوا من بيته منتدى من منتديات الفن المرموقة بتطوان في وقت كانت فيه سوق الموسيقى الأندلسية بهذه المدينة نافقة واسعة النفاذ حتى شاعت ظاهرة مجالس الطرب الخاصة.

ولم تفتأ المجالس التي كان يحتضنها بيت ابن ريسون أن تحولت إلى حلقات منتظمة لتعليم الغناء والعزف، خرّجت نخبة من العازفين والمنشدين أمثال الفنان الحاج عبد الكريم بنونة الذي كان يتقن العزف على مختلف آلات الجوق الأندلسي إضافة إلى تفوقه في استخدام البيانو، والفنان السيد العربي الخمار عازف الكمنجة الشهير، وغيرهما من الهواة المتازين.

وينسب إلى "السيد" أنه اخترع آلات موسيقية عجيبة الصنع، من بينها "السلاكة" أو "محسن النغم". ولعلها أن تكون - هي نفسها - عوداً من وتر واحد في أعلاه صفر إذا نُقر فيه أبكى الحاضرين.

وقد توفي "السيد" ابن ريسون عام 1299/ 1881.

ابن حلكان، *وفيات الأعيان*، مطبعة بولاق، ج. 2، ص. 102 ؛ ع. العزيز بن عد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، *سلسلة عالم المعرفة*، الكويت، ع 65، 1983، ص.213 - 214 ؛ *مجلة تطوان*، السنة الثانية، العدد 5 و6 فبراير - مارس، 1975 ؛ إبراهيم التادلي، *أغاني السقا ومغاني الموسيقى*، خ. ع. د 109، ص. 100.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **ريسون، علي** بن **الصادق** من فقهاء قبيلة بني عروس انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها أحمد الريسوني ضد الغزو العسكري الإسباني لشمال المغرب، وبصفته عضواً في قيادة الثورة شارك في المؤتمرات المنعقدة بعين الدالية بضواحي *طنجة* يوم 11 ماي 1913 وبضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة وبقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915.

م. ابن عزوز حكيم، *المقاومة المسلحة في شمال المغرب*، تطوان، 1984.

ابن **ريسون، علي** بن **عيسى** بن عبد الرحمان بن الحسن بن موسى بن الحسن بن عبد الرحمن الشريف.

ولد بقبيلة بني عروس سنة 880 / 1475، وهو جد جميع الشرفاء الريسيين الذين كانوا يعرفون بأولاد الشريف، وهو أبو مَحمد ابن ريسون بطل معركة وادي المخازن.

ترجم له ابن عسكر في *دوحة الناشر* ووصفه بـ "سيد فاضل ماجد عابد صالح زاهد كريم الخلق سليم الصدر كثير التلاوة والذكر لا يفتر عن ذلك ساعة ما دامت حياته".

كما ترجم له حفيده الحسن بن مَحمد بن علي في كتابه *فتح التأييد* حيث قال إنه "كان من خيار أهل زمانه أخذ عن سيدي عبد الله الغزواني وانتفع به وكان له قدم راسخ في الدين والسنة شديد التحفظ والورع في مكسبه مجاب الدعوة محترفا بالتجارة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحض على الخير منقبضا عن الناس ويعلم الصبيان".

يقول المؤرخ الإسباني طوماس گارثيا فيگيراس Tomas Garcia Figueras في كتابه المخطوط *Mulay Ahmed El Raisuni, gran figura del Marrecos contemporanes* *(مولاي أحمد الريسوني شخصية بارزة في المغرب المعاصر)* إن المترجم له كان يشارك بجانب أمير شفشاون مولاي علي ابن راشد في بعض غزواته ضد البرتغاليين المحتلين لمدينتي أصيلا وطنجة. حيث شارك في الغزوة المنظمة ضد مدينة أصيلا سنة 909/ 1503 وسنة 914/ 1508 وضد مدينة طنجة سنة 915 (1509) وضد المدينتين سنة 917/ 1511 وقد سقط أسيراً أثناء الغزوة المنظمة ضد مدينة *طنجة* سنة 918 (1512) غير أنه استطاع الفرار.

توفي بها سنة 963/ 1556.

م. ابن عزوز حكيم، *مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن*، الرباط، 1989 ؛ ع. الريسوني المحامي، أبطال صنعوا التاريخ، تطوان، 1975.

Tomas Garcia Figueras, *Mulay Ahmed El Raisuni, gran figura del Marruecos contemporanes.*

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **ريسون، علي** بن **مُحمد** بن علي الحسني العلمي الشيخ الشهير الصالح المتبرك به. ولد بقرية (تازروت) قرب جبل العلَم بقبيلة بني عروس، وهي مقر أسلافه عام 1158، وبها نشأ، وشدا شيئا من العلم واستقدمه إلى تطوان المجذوب عبد الله الحاج البقال المتوفى عام 1207 وصاحب الزاوية المشهورة بساحة الفدان. لما أحس بدنو أجله، فقدمها واستوطنها وأقبل عليه أهلها فأحبوه وخدموه وتزوج من كرائمهم بنت راغون، وعلا صيته، وكثر مريدوه، فنظر إليه أمراء الوقت بعين الاعتبار وأدركوا من نفوذ كلمته، وبالغ أثره في الناس ما أوجب استشارته والأخذ برأيه، وثمة مراسلات بينه وبين السلطان مولاي سليمان واخويه الطيب ومسلمة وغيرهم، واستوسط مولاي مسلمة المترجم له وابن عمه محمد بن الصادق بعد فشل ثورته لدى مولاي سليمان ليسمح له بالرجوع إلى المغرب والإقامة بفاس. ومن مظاهر هذا الاعتبار أن السلطان مولاي سليمان اقطع المترجم فندق لوقش بالصياغين ليبني به زاويته القائمة به إلى الآن والدار الكبرى والروض المتصل بها بالباب السفلي قرب باب الجياف، وظلت الدار والروض بيد أحفاده إلى أن بيعت، وقد أدركت الدار على حالها والبيت الكبير وأمامه صهريج واسع محتب بورود وازهار وأنوار في منظر شاعري جذاب. وهناك كان رواد الموسيقى الأندلسية يجتمعون مساء كل جمعة للعزف والغناء واستمراراً لسنة المترجم له وولده الشيخ عبد السلام وكلاهما من العارفين بالموسيقى واستعمال آلاتها، وكانت أشعار المديح النبوي وخصوصاً البردة والهمزية للبوصيري تنشد بلحون الآلة بطريقة خاصة إلى جانب الطريقة الحراقية.

ولا نعرف للمترجم له نشاطاً علمياً ولا شيوخا وإن حلي بالعلم والمعرفة. وكان ما ذكر عنه فمن قبيل الكرامات والكشوف والخوارق جمعها السيد مَحمد غيلان التطواني في أوراق. ومع هذا فقد كان ضالعا في محنة الشيخ أحمد ابن عجيبة مع عامل تطوان حمان الصريدي التي سجن فيها الشيخ المذكور وأخوه الهاشمي وعدد كبير من مريديه لما دخلوا تطوان حاملين السُّبح في أعناقهم رافعين أصواتهم بالذكر، فترك الناس أعمالهم وتبعوهم فانتهى بهم المطاف إلى السجن بأمر علماء البلد ومشايخها وعلى رأسهم المترجم له، وكان من المريدين الفقيه محمد المكودي التازي الذي ألف بعد خروجه من السجن كتابا في شرح هذه النازلة والرد على العلماء سماه (*الارشاد والتبيان، لما انكره الرؤساء من أهل تطوان*) وهو مخطوط لخصه الأستاذ داود في *تاريخ تطوان* ومن أثر ذلك أن المؤرخ النسابة الأديب سليمان الحوات لما بلغته محنة الشيخ ابن عجيبة هذه بعث بقصيدة لوم وعتاب إلى المترجم له وهو صديقه ومادح بيته وآله استهلها بقوله :

أبا حسن كن مثل والـدك الـذي    تغيب في سكر الشهود عن الحسـن

وله ولغيره فيه أمداح وقصائد، وهكذا ظل الرجل يتردد بين مسقط رأسه (تازروت) وتطوان إلى أن وافته المنية يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة عام 1229 / 1813.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، (5 : 46)، مخطوط خاص ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، (6 : 261)، طبع تطوان و (3 : 206) ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، (4 : 182).

ابن **ريسون، محمد الصادق** بن المختار بن محمد بن العربي بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي مدين بن عيسى بن مَحمد بن علي الجد الجامع لآل ريسون الحسني العلمي، وما ورد في *إتحاف المطالع* من أنه الصادق بن محمد، فسبق قلم. الشريف القاضي الوزير الفقيه المفتي المدرس الخطيب. ولد بمدينة شفشاون يوم 17 ربيع الثاني 1282 وحفظ القرآن بالقراءات السبع على السيد المهدي العافية وغيره، وطاف على علماء بلده وقبيلة الأخماس فأخذ عن أحمد بن الطيب العلمي وأحمد بن علوش وعبد الكريم بوجنة ومحمد بن عمران قاضي الأخماس، وأحمد حمدون، وفي عام 1302 انتقل إلى فاس فأخذ بالقرويين عن محمد بن التهامي الوزاني والمهدي الوزاني وأحمد بن الخياط وجعفر الكتاني وعبد الملك الفيلالي الضرير وعبد الرحمن بن القُرْشي وأحمد ابن خالد الناصري والتهامي گنون، وعبد العزيز بناني. ثم رجع لمسقط رأسه عام 1306 وباشر الافتاء والتدريس والتوثيق إلى عام 1311 حيث عين قاضياً على الأخماس. وفي عام 1320 حل بشفشاون (بوحمارة) واتصل بالمترجم له واغراه أن يعينه وزيره على أن يساعده في ثورته فرفض وفي رمضان 1326 كتب بيعة السلطان عبد الحفيظ وفي عام 1328 هين قاضياً على القصر الكبير بظهير حفيظي وما ورد في الموسوعة من أن تعينه قاضياً بالقصر كان عام 1333 فخطأ، وفي 1330 كَتَب بيعة أهل القصر للسلطان مولاي يوسف واستعفى من قضاء القصر بعد نحو عشر سنوات وانتقل إلى تطوان وعين مدرساً من الدرجة الأولى بقرار وزيري عام 1339 وفي نفس السنة عين عضواً بالجمعية العالمية للمآثر التاريخية، وفي عام 1342 عين وزيراً للمالية في الحكومة الخليفية وأعفي منها عام 1345 واقتصر على التدريس والافتاء والامامة والخطابة بجامع العيون من تطوان وفي أثناء ذلك

كان يفتي ويستشار في القضايا الكبرى يحضر بوزارة العدلية كل سبت لذلك، وفي عام 1372 عينه الخليفة مولاي الحسن بن المهدي عضواً بالمجلس الخليفي الخاص إلى آخر حياته. وله تقاييد منها موجز *تاريخ شفشاون والدر المكنون في ترجمة الزعيم ابن ريسون* وقد طبعا وهما رسالتان ومجموعة خطب وفتاوي.

والرجل كان خفيف الروح ذا دعابة، عالي الهمة جرئياً لا يهاب أحداً حافظاً لكثير من المتون مطلعاً إلا أنه يعوزه الضبط والإتقان فمن ثم تقع له الأوهام والمبالغة، وقد جالسته وحضرت كثيراً من دروسه وسمعت من غرائبه. ومن مواقفه - وقد كان الواسطة بين الإسبانيين والشريف الريسوني - أن المقيم خردانة الإسباني نال من المجاهدين وهو يفاوضه فضرب المترجم له على مكتبة بيده محتجا فانكسرت الدواة. وكان هذا بمحضر القبطان بيكبيدير مساعده فاستعفى من مهمته ورحل إلى المانيا. ولأجل هذه الحادثة مات خردانة غما وقيل إنه انتحر لفشله في مهمته في اخضاع الشريف الريسوني وحدثني قاضي بتطوان وشفشاون الحاج أحمد السمار أن المترجم له ترأس وقدامة الأشراف للوساطة لدى السلطان عبد الحفيظ للإفراج عن الريسوني لما كان معتقلا بالصويرة. فكلمه بجرأة نادرة كلام الأقران والسلطان ينظر إليه متعجبا، ثم أفرج عن الشريف، ووقع بين المترجم له والصدر ابن عزوز جفاء فرغب إليه الوزراء أن يترضي الصدر فأبى وألحوا عليه فأجاب حيث لقيه في ملأ من الناس فخاطبه بلهجة مترفعة : يا ابن عزوز قالوا لي بأنك كنت مريضاً ما عندك بأس وانصرف. ومعلوم ما كان للمترجم له من أثر سياسي وتحرك وسعي دائم في أثناء ثورة ابن عمه مولاي أحمد الريسوني، كان من اثر فراقه له وقدومه إلى تطوان إلى ولي الوزارة وغيرها وسافر إلى إسبانيا وتجول في ربوعها.

وبعد عمر طويل توفي صبيحة 26 ربيع الثاني 1376 فاتح دجنبر 1956 ودفن بالزاوية العيساوية بتطوان.

ابن ريسون، م. الصادق نفسه، الدر المكنون في ترجمة الزعيم ابن ريسون، شفشاون، 1415 هـ ؛ موجز تاريخ شفشاون، شفشاون، 1986 م ؛ أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، (5 :20)، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*/ موسوعة أعلام المغرب، بيروت،1996. (9 : 3320).

محمد بوخبزة

ابن **ريسون، محمد العربي** بن الحسن بن امحمد بطل معركة وادي المخازن.

فقيه وُلد بمدينة شفشاون سنة 1050 (1640) وتوفى بها سنة 1139 (1726) وهو الذي أسس الزاوية الريسونية بشفشاون.

ع. الريسوني المحامي، *أبطال صنعوا التاريخ*، تطوان، 1975.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **ريسون، محمد** بن **علي** بن **الحسين** بن علي ابن الحسين بن مَحمد فتحا ابن علي ابن ريسون الحسني العلمي الشريف الصالح المتبرك به، عاش ذا أحوال يعتريه الجذب فيغيب عن حسه ويقول في أثناء ذلك قصائد من الملحون في المديح النبوي ومدح الصالحين والتنويه بمقاماتهم يتخلل ذلك اطراء فيه غلو اشتهر كثير منها في حياته وما زال منها ما ينشد في زواياهم بتازروت وتطوان وشفشاون وغيرها فيما يسمونه الحضرة. وهذا السيد هو والد الشيخ علي صاحب الزاوية الشهيرة بتطوان والذي كان له ذكر في أحداث سياسية ونوازل اجتماعية كثيرة. ترجم له الشيخ التاودي في فهرسته واثنى عليه. وذكر أنه تلمذ على الشيخ عمر ابن عبود العمراني وقال : رأيته أول ما رأيته بسيدي أحمد الشاوي نفعنا الله به وأنا يومئذ صبي وهو قريب من البلوغ له شارب دقيق وليس على وجهه شعر وقد غطى رأسه بشاشية، والرجال دائرون به وهو يقول وهم يكتبون، ونحن نتعجب من ذلك ولا نفهم شيئا من ذلك وإنما عجبنا من تبعية القوم له وهم كبار وهو صغير، ثم ذهب من ثم إلى مولانا إدريس رضي الله عنه، وأقام الحضرة هنالك، فكنا نسمع أن الشريف سيدي محمد بن مولاي يحيى الإدريسي دخل عليه بقصد الإنكار عليه وإخراجه، فخرج هو من عقله وجعل يرقص ويلقي ثيابه إلى أن وقع به ما وقع به وجُعلت السلسلة في عنقه، ثم صير به إلى السيد المذكور فتسكن وبقي بداره لم يخرج إلى أن مات. واستمر الشيخ التاودي يتحدث عن كراماته وأحواله بما لا يخرج عن هذا مما يروج على المعتقدين دون تعقل ولا توقف، ويؤثر عنه حزب مازال يتلى في الزوايا الريسونية، وفيه كثير من الكلام الدارج. واشتهرت عنه قصيدة من الملحون يتغنى بها في الحضرة بلحون خاصة مطلعها :

ربـي قَرانـي ذا الكـلام وافتح لي كـل احْجـاب

ولد المترجم له سنة ثلاث عشرة ومائة وألف عام الكسوف المشهور المؤرخ به، وتوفي يوم الاثنين حادي عشر جمدى الأولى عام 1189 / 10 يوليوز 1775 بعد أن مرض

تسعة أيام ومات في حالة جذب ودفن ببيته الذي كان يسد عليه حالة جذبه بايصاء منه، وبنيت عليه قبة ومسجد متصل به بقرية (تازروت) وصلى عليه الفقيه محمد بن الحسن الجنوي.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، (5 :39)، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*/موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، (7 : 2393) ؛ أ. بن الأمين الريسوني، *حقائق تاريخية عن زاوية تازروت*، الكتاب كله ؛ التاودي بن سودة، *فهرس*، مخطوط مصور.

ابن **ريسون**، **مَحمد** بن **علي** بن **عيسى** بن عبد الرحمن بن الحسن بن موسى بن الحسن بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عبد الله بن يونس بن أبي بكر الجد المباشر للشيخ عبد السلام بن مشيش، ويونس هو الجد الجامع للأشراف العلميين بالمغرب وغيره. ولد في حدود العشرين من القرن التاسع (15 م) وقرأ القرآن على أبي القاسم الشريف إمام جامع تازروت ولازم أبا القاسم ابن حمو الفقيه الشهير ببني حسان، وانتقل لفاس ونزل بالمصباحية ورافق بها صاحبيْه في الطلب عبد الله بن طاهر العلوي ويوسف الفاسي ومكث بفاس ست سنوات اثنى عليه أبو حامد العربي الفاسي في( *مرآة المحاسن*) بالعلم والولاية وكثرة المريدين وعظم النفع وحسن الأخلاق وكرم العنصر والطباع. وقال : زرتُه بتازْرُوت (قرب جبل العَلَم بقبيلة بني عروس) مرات وانتفعت به كثيراً، وربما أفرد لي مجلسا من الظهر إلى المغرب أو إلى العشاء، وربما قرأت عليه شيئاً من كتب التصوف وبالجملة. فلقاؤه من المفاخر التي يتنافس فيها والحمد لله على ما من من ذلك.

رَحَل المترجم له إلى الشيخ عبد الله بن احْسَاين بتامصْلُحْت قرب مراكش وأخذ عنه ودعا له بخير وهو عمدته في التصوف وبه تخرج كما قال القادري في *(الدر السني)*.

ووالده علي نزيل تازروت وبها وُلد المترجم له كما سبق وبها توفي بعد أن أسس بها زاوية كانت محط الزائرين فزارها للقائه والأخذ عنه كثير من الأكابر كالعربي الفاسي وقد سبق كلامه وأبي العباس المقري وقد ذكره في *أزهار الرياض* وأخذ عنه صيغة صلاة نبوية لقنها في المنام بفاس. وأحمد بن سليمان الرسموكي وعبد الله الحجام وغيرهم من أهل العلم والتصوف.

وأكبر منقبة يذكر بها المترجم أنه شارك هو وأخوه أحمد وابنه الطيب وأتباعهم في معركة وادي المخازن قرب مدينة القصر الكبير التي اسفرت كما هو معلوم عن نصر مؤزر للمغرب، وقد أقطعه السلطان المنصور الذهبي جزاء له على ذلك أراضي فلاحية خصبة بالغربية مازالت بأيدي حفدته إلى الآن وبيدهم ظهائر الإقطاع والانتفاع.

توفي المترجم له ضحوة يوم الخميس 18 محرم عام 1018 في أبريل 1609.

م. بن الطيب القادري، *الإكليل والتاج*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني*/ *موسوعة أعلام المغرب*، (3 :1172) ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، (5 :14)، مخطوط ؛ أ. الريسوني، *حقائق تاريخية عن زاوية تازروت وبعض صلحاء بني ريسون*، الكتاب كله، طبع تطوان.

محمد بوخبزة

ابن **ريسون**، **محمد الغالي** بن أبي مدين بن عيسى بن مَحمد بطل معركة وادي المخازن. ولد بتازروت بقبيلة بني عروس سنة 1120 / 1708. وكان شيخ جماعة علماء قريته وقد ترجم له الشيخ التاودي ابن سودة في حاشيته.

ويقول المؤرخ الإسباني كارثيبا فيگيراس Tomas Garcia Figueras في كتابه المخطوط *Mulay Ahmed El Raisuni, gran figura del Marrecos contemporanes* *(مولاي أحمد الريسوني شخصية بارزة في المغرب المعاصر)* أن المترجم له كان يقوم بمهمات خاصة بتكليف من السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

توفي بها سنة 1180/1767.

م. ابن عزوز حكيم، *مساهمة رباط تازروت في معركة واد المخازن*، الرباط، 1989 ؛ ع. الريسوني المحامي، أبطال صنعوا التاريخ، تطوان، 1975.

Tomas Garcia Figueras, *Mulay Ahmed El Raisuni, gran figura del Marrecos contemporanes.*

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **ريسون**، **محمد** بن **محمد الصادق** بن أحمد بن الحسين بن الجد الجامع للريسونيين مَحمد بن علي بن عيسى زوج السيدة (ريسون) التي إليها نسبتهم، الحسني العلمي اليونسي.

الشريف الفاضل النسابة النقيب الراوية الفقيه المحدث المسند أبو عبد الله، وصفه بالعلم والفقه والمشاركة كل من ترجم له منهم تلميذه السلطان مولاي سليمان في *عناية أولي المجد* ومحمد بن الحسن الجنوي، والطالب ابن الحاج الفاسي، وجعفر الكتاني في *الشرب المحتضر* والتهامي بن المكي ابن رحمون في *اختصار جمهرة التيجان* للزياني وعبد السلام السكيرج في *النزهة* والفقيه الرهوني التطواني في *العمدة* وغيرهم من آخرهم الفقيه محمد المريد التطواني في *النعيم المقيم* كما اطراه النقيب الأديب سليمان الحوات شعراً ونثراً، والمحدث المسند الشهير عبد الحي الكتاني في *فهرس الفهارس* ولخص نعوتهم وأقوالهم فيه الأستاذ داود في تاريخه.

والحق أن الرجل انفرد في أهل بيته بل وبين معظم معاصريه باتقان علم النسب ولا سيما ما يتعلق منه بالأدارسة ولا سيما شعبة العلميين الذين كان نقيبهم

المرجوع إليه في تحقيق ذلك إلى سراوة نفس وعلو همة وسيرورة ذكر وحرص على العلم والرواية، وقد ترجم لنفسه في فهرسته المفيدة وذكر شيوخه الذين تلقى عنهم رواية ودراية وأجازوه من أشهرهم المشايخ : محمد بن الحسن الجنوي، والتاودي بن سودة، ومحمد بن الحسن بناني، وعمر الفاسي. ووالده، ومحمد بن علي الورزازي التطواني وغيرهم يناهز عددهم الأربعين بين مشارقة ومغاربة ومن تلاميذه : السلطان مولاي سليمان، وعلي بن أحمد الوزاني والتهامي بن المكي ابن رحمون، وأحمد بن عبد الرحمن الطرابلسي.

انتقل المترجم له إلى فاس لطلب العلم عام 1177 وأخذ عمّن أخذ عنهم ممن سمينا وغيرهم، وعاد إلى مسقط رأسه (تازروت) وتردد على (وزان) و (تطوان) واتخذ في كل منها زوجة وداراً وخدما وحشما واتصل بالسلطان مولاي محمد بن عبد الله وأيده، فكان معه ضد ولده المنشق اليزيد رغم انتصار أشراف الشمال له، ولما توفي السلطان وولده اليزيد قام ولده مسلمة يدعو لنفسه فأيده المترجم له ولما فشلت ثورته. بايع أخاه مولاي سليمان وصار من حاشيته، فتعلق به وبابن عمه صديقه مولاي مسلمة علي أن يتوسطا له لدى أخيه سليمان في العفو عنه، ولكن مسلمة لج في العناد فأعرض عنه المترجم له. وله مواقف سياسية واجتماعية نزل على شقوق منزلته وما كان يتمتع به من نفوذ كلمة وجاه عريض، وله تأليف شهير مازال مخطوطاً يسمى ( *فتح العليم الخبير، في تهذيب النسب العلمي بأمر الأمير*) يعني به السلطان مولاي محمد بن عبد الله، وقد لخصه الفقيه الرهوني في *العمدة* وتوجد نسخهُ عند الناس ومنه نسخة بخط الفقيه الرهوني بخزانة تطوان، وقد سطا عليها بعض الأدعياء وزاد فيها ونقص ونسبها إلى نفسه وطبعت باسم *حصن السلام*.

وولد المترجم له بمسقط رأسه قرية (تازروت) العروسية نحو عام 1155 أو 1156 لأنه أدخل الكُتاب (المسيد) عام 1161 وسنه خمسة أعوام وخمسة أشهر وخمسة أيام كما وجد بخط والده.

وتوفي بوزان بين 1234 ـ 36 ـ 1237 / 1723 ـ 1724 ودفن بضريح الشيخ علي بن أحمد الوزاني.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، (6 : 62)، مخطوط خاص ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، (6 : 266)، طبع تطوان و (3 : 206) ؛ فهرسة المترجم له، الكتاب كله، مخطوط خاص.

ابن **ريسون، محمد** بن **المكي** بن علي ابن ريسون الحسني العلمي اليونسي التطواني الفقيه العدل النسابة الشريف النزيه الوزير النقيب.

ولد بتطوان عام 1302 (1884) وقرأ ما شاء الله وتعاطى العدالة، وكان في شبابه موسوما بسيم جمال لافت للأنظار إلى معرفة العزف على العود والموسيقى الأندلسية كوالده الفقيه سيدي المكي، وتزوج ولم يرزق إلا بولد واحد سافر إلى إسبانيا للدراسة ثم أصيب بخلل وعاد إلى تطوان فعانى منه المترجم شدة.

تولى المترجم نقابة عموم الأشراف الرياسنة بتطوان وشفشاون والقبائل والقصر الكبير والعرائش وأصيلا كما تولى وزارة المالية في الحكومة الخليفية عقوداً من السنين مع النزاهة والعفة إلى أن أخر عنها في أواخر عمره.

توفي بتطوان عام 1389 / 1969.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 9 :4309 ؛ *معلومات شخصية*.

محمد بوخبزة

ابن **ريسون، المختار** بن المجاهد كان من بين الشرفاء سكان قبيلة بني عروس الذين انضموا إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يقودها مولاي أحمد الريسوني ضد التدخل العسكري الإسباني بشمال المغرب ؛ وكان قائد فرقة من المجاهدين، وحضر في مؤتمرات الثورة المنعقدة بعين الدالية بضواحي طنجة يوم 11 ماي 1913 وبضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة وبقرية الزوة من قبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915.

توفي بعد 1333/ 1915.

م. ابن عزوز حكيم، *المقاومة المسلحة في شمال المغرب*، تطوان، 1984.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **ريسون، المكي** بن **علي** بن مُحمد بن علي ابن ريسون الحسني العلمي الشريف الفاضل الفقيه العلامة العابد الزاهد. ولد بتطوان عام 1215 ونشأ نشأة صلاح وصيانة وقرأ القرآن وأخذ عن علماء البلد حتى صار معدوداً من العلماء، ثم عكف على المطالعة لكتب التفسير والحديث والسير، وحبب إليه النسك والانقطاع له والأعراض عن الدنيا وأهلها، وكان له أتباع وتلاميذ وأصحاب يجالسونه ويشاركونه هوايته الموسيقى واستعمال آلات الطرب كغالب أهل بيته : والده أبي الحسن وأخيه الشيخ عبد السلام وغيرهم. وظل هكذا إلى أن توفي فجأة عام 1288 موافق 1871 ودفن بزاويتهم الشهيرة بحي الصياغين من تطوان قرب والده، وهو والد الشريف الوزير النقيب السيد محمد بن المكي الريسوني سابق الترجمة، وللمترجم له مرثية همزية لتطوان بعد الاحتلال الأول ذكرها الأستاذ داود في تاريخه.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، (5 :62)، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، (5 : 265) ط. تطوان.

محمد بوخبزة

ابن **ريسون، المكي** بن **محمد** بن محمد بن الصادق بن أحمد بن الحسين بن علي بن الحسين بن امحمد بطل معركة وادي المخازن.

ولد بتازروت بقبيلة بني عروس سنة 1268، حفظ القرآن بمسقط رأسه ثم انتقل إلى قبيلة أهل سريف حيث قرأ العلم وفي سنة 1300 (1883) استقر بتطوان حيث زاول خطة الافتاء والعدالة إلى أن وافته المنية يوم 10 صفر 1342 (22 سبتمبر 1923).

م. ابن عزوز حكيم، *الجديد في تاريخ تطاوين*، تطاون، 2000

محمد ابن عزوز حكيم

**الريسوني** (أسرة) ← ابن **ريسون** (أسرة)

**الريسوني، أحمد** (مولاي -) بن محمد بن عبد الله، سليل الزاوية الريسونية وينتمي في مرتبة أعلى إلى الأسرة الإدريسية. ولتيسير فهم حياته وحركته نرى ضرورة تقسيمها إلى فترتين :

مرحلة ما قبل الحماية وفترة بسط الاحتلال الإسباني : فبالنسبة لحياته خلال مغرب ما قبل الحماية يجب أن نثبت أولا أنه قد ولد حوالي سنة 1284 / 1868 والتحق بالمدارس القرآنية والدينية. وقد حالت وفاة أبيه المبكرة دون متابعته لهذا النهج حيث فضل الفعل في الفضاء الاجتماعي الذي كان سائدا آنذاك.

ونظرا لتعاظم الإساءات التي كان سببا فيها من قطع طريق وقتل وغير ذلك، تكاثرت الشكايات الواردة على السلطان بصدده، فأمر عامله بطنجة عبد الرحمان بن عبد الصادق بالقبض عليه سواء باعتماد القوة أو الحيلة. وقد تمكن من تحقيق ذلك حيث نجد أحمد الريسوني يبعث إلى سجن الصويرة لقضاء زهاء ست سنوات. وبعد وفاة باحماد ونظرا لشفاعة الشرفاء الريسونيين المتكررة وكذا نائب السلطان بطنجة محمد الطريس، تم إطلاق سراحه سنة 1317 / 1900.

وبعد خلوده إلى الهدوء زهاء سنتين، رجع إلى نشاطه القديم، لكن بإتقان أكثر وجرأة أكبر هذه المرة. ويتضح ذلك من طبيعة سلوكاته التي أحدثت إزعاجا حقيقيا للمخزن للمنطقة خاصة وأن أحداثها كانت تدور بالقرب من مدينة طنجة التي كانت تشكل عاصمة دبلوماسية آنذاك. ونظرا للأبعاد التي اتخذتها أفعاله أرسل مولاي عبد العزيز حركة ضده سنة 1321 / 1903 لم تتمكن من القضاء عليه، بل استطاع الريسوني فرض ذهاب المحلة المخزنية بعد القبض على والترهاريس مراسل جريدة التايمز الذي أراد أن يلعب دور الوسيط بين الطرفين.

وقد تمكن الريسوني من فرض نفسه عاملا على بعض القبائل في منطقة جبالة كنتيجة للشروط التي فرضها لإطلاق سراح رهينتيه الأمريكي إيفان بريديكاريس والانجليزي كارمويل فارلي سنة 1904. ورغم وظيفته المخزنية ولعدم انضباطه والضغوطات الأجنبية الناتجة عن ذلك، أرسل السلطان ضده محلة أخرى سنة 1325 /1907 لم تتمكن من القضاء عليه، بل توصل مرة أخرى إلى اختطاف الوسيط الذي لم يكن سوى الشخصية الإنجليزية المشهورة آنذاك بالكلونيل ماكلين. وقد تزامن ذلك مع بيعة المولى عبد الحفيظ حيث انحاز الريسوني إلى هذا الأخير والذي عينه على العديد من القبائل الجبلية إضافة إلى مدينة أصيلة. ويمكن القول أن سلوكه قد تميز بالانضباط والشرعية خلال هذه المدة وإلى حين دخول قوات الحماية الإسبانية للمنطقة.

أما خلال فترة الحماية، فقد كان سلوكه المتقلب مثارا لاختلاف العديد من الكتاب والمؤرخين في الحكم على طبيعة حركته. فقد استمر في مزاولته لوظيفته أثناء بسط قوات الحماية لسلطتها بشكل سلمي على مجموعة من المدن كالعرائش والقصر الكبير وأصيلة التي كانت تحت نفوذه إضافة إلى مدينة تطوان.

ونظرا لبعض الخلافات مع السلطة الإسبانية وخاصة سلفيستر الذي كان قائدا عاما لقوات العرائش، التحق الريسوني بصف المقاومة الجبلية ليصبح زعيما لها. وقد عرفت زعامته عدة صراعات مع بعض الزعامات المحلية الأخرى وبعض القبائل الجبلية. كذلك اختلفت طبيعة علاقاته مع الإسبان حيث تميزت بالتفاوض والسلم خلال بعض المراحل، كما عاشت على المناوشة والصراع خلال حقب أخرى.

وإجمالاً يمكن القول إن أحمد الريسوني التحق بالمقاومة في أواسط سنة 1331 / 1913 ليستمر في مناوشة الإسبان إلى حدود سنة 1333 / 1915. ونظرا لظروف الحرب العالمية الأولى والحياد الإسباني المعلن، تم عقد هدنة مع الريسوني تمكن خلالها من تحقيق العديد من الامتيازات. وبعد نهاية الحرب، فضلت السلطات الإسبانية اختيار سياسة القوة التي أدت إلى إخضاع العديد من المناطق الجبلية بما فيها مركز تزروت التي كانت مقرا للشريف الريسوني. وخلال هذه الأثناء وقعت معركة أنوال التي فرضت على السلطات

الإسبانية مراجعة حساباتها. لذلك راهنت قوات الحماية من جديد على الهدنة في الناحية الغربية من منطقتها والتركيز على المنطقة الريفية. ونسجل أن الشريف الريسوني ابتداء من سنة 1340 / 1922، لم يقم بأي سلوك حربي تجاه الإسبان.

وتدريجيا، نجد القبائل الجبلية تنحاز لحركة محمد بن عبد الكريم حيث فرضت على قوات الحماية أشد المعارك ضراوة خلال ما عرف بالانسحاب الجزئي الإسباني سنة 1924 أو انسحاب بريمودي ريفيرا الذي كان حاكما إسبانيا وعين نفسه "مقيما عاما" في نفس الوقت.

ونظرا للامتداد الذي عرفته حركة محمد بن عبد الكريم داخل منطقة جبالة، فقد أصبحت حركة الريسوني شبه معزولة، الشيء الذي سهل القضاء عليها من طرف حركة محمد بن عبد الكريم عام 1343/ أوائل 1925، وإثر ذلك تم نقل أحمد الريسوني إلى مركز تامسنت بالمنطقة الريفية حيث توفي هناك في 9 رمضان عام 1343 /3 أبريل 1925.

أحمد مهدرها

**الريسونية** (الزاوية)، توجد الزاوية الريسونية الأم بقرية تاغزوت بقبيلة بني عروس وقد تأسست في حدود سنة 975 /1568 وليست كباقي الزوايا تابعة لطريقة صوفية معينة، وذلك لأنها أنشأت كرباط للجهاد ضد الغزو المسيحي لشمال المغرب.

وللزاوية الريسونية فروع في عدة مدن مغربية، غير أن فرعها بتطوان له أهمية كبرى نظراً للدور الذي قام به في الميادين الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية منذ تأسيسه يوم 14 ذي القعدة 1208 (13 يونيو 1794) على يد القطب سيدي علي الريسوني.

يعرف فرع تطوان بزاوية سيدي علي ابن ريسون وهي أشهر زوايا المدينة حيث اختارها قادة الحركة الوطنية في عهد الحماية كمعقل يلجؤون إليه لعقد تجمعاتهم العلنية والسرية يتخدون خلالها قراراتهم الحاسمة ضد السياسة الاستعمارية لأدارة الحماية الإسبانية بشمال المغرب والفرنسية بجنوبه ؛ وبالزاوية كانت تلقى الخطب السياسية وتعقد التجمعات الشعبية ومنها تنطلق المظاهرات الاحتجاجية خصوصاً بعد صدور الظهير البربري ليوم 16 ماي 1930، وكانت قراءة اللطيف ضد الظهير المذكور لأول مرة بالشمال بهذه الزاوية يوم فاتح غشت 1930 كما أن التجمع الشعبي الذي تقرر فيه تنظيم مظاهرة يوم 8 أبريل 1948 انعقد بها ومنها انطلق الجماهير احتجاجا على منع زعيم حزب الاصلاح الوطني من الدخول إلى تطوان فكانت هذه المظاهرة بداية النهاية للاستعمار الإسباني بشمال المغرب.

م. ابن عزوز حكيم، *وثائق تشهد*، الجزء الثاني، الرباط، 1981، ص. 89.

محمد ابن عزوز حكيم

**الريش**، مدينة صغيرة بإقليم الرشيدية ميزتها الأساسية التي يجدر التأكيد عليها منذ البداية هي تلك المفارقة بين الظروف القاسية التي تعيش وسطها والتي تحدد مواردها وأنشطتها من جهة، ومن جهة أخرى ديناميتها السكانية والعمرانية التي تتسارع منذ أكثر من عشرين سنة. وللبحث عن دواعي هذه الوثيرة يبدو أنه لا بد من اعتبار ذلك التفاعل الوثيق بين موقع مركز الريش الاستراتيجي وما خلفه من استقطاب وظيفي وسكاني.

إن ما يميز فعلاً توطين مركز الريش ليس هو موضعه على الضفة اليسرى لواد زيز الأعلى في بيئة جد شحيحة، فذاك شأن قرى ودواوير المنطقة التي تستقر كلها على ضفاف الأودية أو على مقربة من المنابع، نظراً لتقلص الحيز القابل للزراعة وجفاف المناخ السائد بالدرجة الأولى. بل ما يكسبه خصوصيته دون مماثليه من المراكز المجاورة، ويفسر حتى نشأته ونموّه المطرد، هو ذلك الموقع الاستراتيجي على المستويين المحلي والإقليمي الذي يجعله يعتبر نقطة تقارب أودية حوض تجمع واد زيز ويتوسط مجموعة من الوحدات والاتحادات القبلية ويمثل ممراً شبه اضطراري نحو تافيلالت والأطلس المتوسط والسايس.

تقع مدينة الريش وسط بنية وتضاريس لها طابع خاص وفريد في آن واحد، إذ تتواتر المحدبات الضيقة والمنكسرة أحياناً والتي تتكون من طبقة اللياس الكلسية السميكة مع المقعرات الواسعة ذات الكلس الجوراسي الأقل سمكاً والذي يعلو اللياس، وهذا التناوب الذي غالباً ما يأخذ اتجاه غرب الجنوب الغربي - شرق الشمال الشرقي قد أفرز مشهداً منضدياً واضح المعالم، حيث تتوالى الاضلاع المديدة وغير المتماثلة، التي يتراوح أوج ارتفاعها بين 1800 و2200 على العموم، والأحواض والسهول الفيضية الفسيحة والمكسوة بالرواسب والمنقولات الرباعية.

لا تنال من هذه البساطة والرتابة سوى تلك الحزات التي تكون تارة عبارة عن فجاج قصيرة تسمى الأفوام والتي تتخذ تارة أخرى شكل خوانق مستمرة وجد متعمقة. وهكذا فإن فم تيليشت الذي يوجد شمال الريش، على بعد ثمانية كيلو مترات يمكّن من الاتصال بحوض ملوية (ميدلت) عبر فج أيت خرّو ثم خانق تيزي نتلغمت ؛ كما أن خوانق زيز المشهورة تبتدئ جنوب الريش بخانق زعبل وتنتهي بفم غيور (حيث بُني سد الحسن الداخل) لتفضي إلى الرشيدية ومنها إلى منطقة الواحات بتافيلالت، أما نحو الغرب فأوّل ممرّ يربط سهل الريش بالمنطقة المجاورة فهو فج تاماگورت الذي يسمح بالوصول إلى عالية حوض غريس عبر فج إميطر. وأخيراً باتجاه الشرق حيث تتلاشى المرتفعات تدريجياً على نحو ظاهر، تنفتح منطقة الريش على عالية حوض گير عبر مركزي گورامة وبني تاجيت.

يستنتج مما سبق أن تطويق الريش بتضاريس وعرة لا يؤدي حتماً إلى انحصار طبيعي عسير الاختراق، ولا إلى

انحباس بشري واقتصادي حاسم، بل ظلت الممرات العديدة تمثل منذ القدم بوابات تستغلها الطرق والمسالك لتسهيل اجتياز الأطلس الكبير الشرقي وللعبور صوب مختلف الوجهات. أضف إلى ذلك أن مركز الريش يقع عند ملتقى قبائل عديدة أهمها أيت ازْدگ وأيت مرغاد في الجنوب وأيت حديدو وأيت يحيى في الغرب وأيت عياش وأيت وافلا في الشمال وأيت مسروح في الشرق.

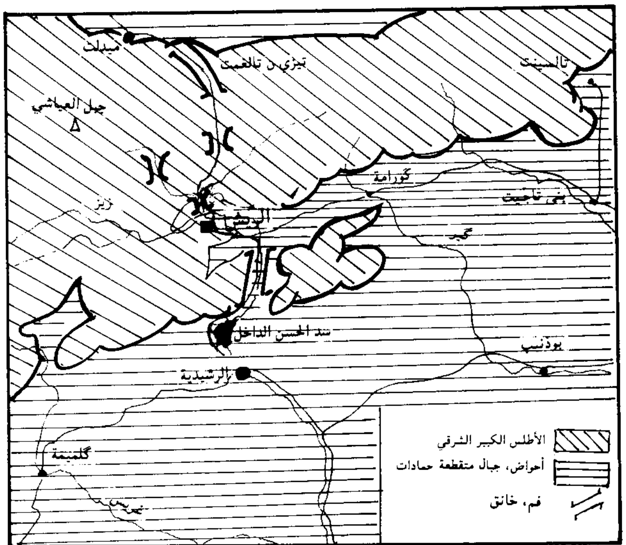

موقع مدينة الريش

إن ما يشكل حقيقة المانع شبه المطلق هو المناخ القاري الجاف الذي يعيق إلى حد كبير كافة أوجه النشاط الاقتصادي والحياة البشرية. ذلك أن رياح الفون التي تنتج عن تجفيف الرياح الرطبة بعد عبورها السفوح الشمالية الغربية للأطلس المتوسط، تحول السفوح المجاورة الموجودة في ظل المطر وكذا سهل الريش إلى دفيئة حقيقية لها مدى حراري جد مرتفع ولا يتعدى حجم أمطارها 200 ملم في السنة العادية. لانستثني من المجموعات التضاريسية الكبرى المجاورة إلا جبلي العياشي (3757) وماوْتْفود (3465) اللذين يتلقيان كميات من الثلوج تسمح بتغذية المجاري الرافدة لحوض تجمع واد زيز والتي تقترن فيما بينها بمقربة من مركز الريش.

بناءً على تلك الآثار السلبية فإن تنظيم المجال الزراعي محلياً يبقى متكلاً على المجاري المائية، وأهمها واد سيدي حمزة وأسيف نتاماگورت اللذان يشكلان عنصري العمود الفقري الذي تنظم على طوله وعلى جنباته المغارس والحقول الزراعية المتنوعة والمسقية وكذا القرى ذات البنية المتجمعة على العموم. أما خارج هذه الأشرطة الخضراء الدقيقة والمعزولة فتظل المساحات السهبية الشاسعة متروكة للرعي الحرّ والمتنقل الذي يظل رهين الذبذبات المناخية الفصلية والسنوية.

ومع كل ذلك فقد تبوأت مدينة الريش أهمّ مكانة ضمن مراكز الأطلس الكبير الشرقي من حيث حجم ونمو سكانها وكذلك توسع رقعتها الحضرية، إذ كان يبلغ عدد سكانها حوالي 2500 ن سنة 1960 وأخذ يتضاعف تقريباً بين كل إحصائين، ليصبح 4500 ن عام 1971 ثم 7100 ن سنة 1981 و14000 ن في آخر إحصاء (1994). بالمقارنة مع المراكز المجاورة لمدينة الرشيدية فإن الريش أقل سكاناً من أرفود ومتساوية مع گلميمة وأكبر من بوذنيب. والحال أن نشأة الريش كموقع عسكري ومركز للخدمات ترجع إلى عهد قريب نسبياً. ذلك أن موقعه الوسط دفع السلطات الاستعمارية باختياره لتلك الأغراض بعد احتلال گورامة سنة 1914 وعقب هزيمة بلقاسم النگادي في معركة زاوية سيدي بوكيل سنة 1922. فشيدت ثكنات عسكرية ومجموعة من التجهيزات الجماعية وسوقاً، كما شرعت الطائفة اليهودية في بناء سكن متراص خارج قرية الريش أقديم المحصنة والتي تعتبر النواة الأصلية للمدينة.

يعزى النمو السريع لمدينة الريش لا لحيوتها الذاتية أو لتهيئتها الملائمة، لأن مقوماتها الاقتصادية هشة وتوسعها عشوائي، بل يرجع ذلك أساساً إلى التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على محيطها القروي بحوض زيز الأعلى والتي أفرزت هجرة قوية مسترسلة إلى الريش. ونذكر من أهم تلك العوامل :

- اعتبار الريش مدينة قبلية محلية، إذ أنها تحتل موقع ملتقى القبائل الذي جعل منها أهم نقطة لاتصالها، وبالتالي حول سوقها إلى أكبر واحد في إقليم الرشيدية، علماً بأن سكان تلك القبائل يعيشون على تربية المواشي بالأساس، وأن تسويقها يدعم القدرة الشرائية وينمي النشاط التجاري بالمركز. والملفت للانتباه أن العلاقات القبلية قد انتقلت إلى المجال الحضري حيث إن الوافد إلى المدينة يعمل جاهداً على اقتناء بقعة أرضية بجوار قريب عشائري إلى درجة أن هناك أحياء تكاد تكون متجانسة من حيث الانتماء إلى نفس الأصل. وهكذا يسود على سبيل المثال العنصر المرغادي في حي عشرين غشت والعنصر السرغوشني في أقصى شرق المدينة والزگدي في حي تاحميدانت.

- التحول التدريجي من نمط البداوة إلى الاستقرار، بحيث إن أسلوب الانتجاع ونصف الترحال الذي كان سائداً منذ القدم أخذ يتقلص شيئاً فشيئاً في العقود الأخيرة ومعه تراجع في عدد رؤوس الماشية بالمنطقة، وذلك تحت ضغوط عديدة، منها تغير أسلوب العيش والاستهلاك وإجهاد المراعي بفعل كثافة القطعان المفرطة والذي تضافر مع الجفاف البنيوي والجفاف الطارئ الذي دشن مسلسله منذ 1981، لتسبيب تدهور ملحوظ للبيئة، مما دفع بظهور محميات للرعي مفتوحة أمام جميع الكسابة.

- وجود عوائق مرتبطة بالمجال الزراعي يعود إلى محدودية الظروف الطبيعية وقيود البنيات العقارية وتحول تقنيات الإنتاج ؛ ذلك أن انجراف التربة على المدرجات

النهرية بفعل التعرية المائية قد ساهم في تقليص بعض أجزاء الأحزمة الزراعية خاصة بقرى زاوية سيدي بوكيل وأيت سعيد والكرس وتادركولت وبوخلوف. وهناك عامل آخر زاد آثار الجفاف حدة، خصوصاً بعد قحط 1981، ويمثل من جهة في توسيع الأراضي الزراعية الذي يستوجب ضخ المياه لريها ومن جهة أخرى في استعمال الفلاحين الميسورين للضخ بجانب الري التقليدي عبر السواقي ؛ مما أثر سلباً على الفرشة المائية وأدى إلى نبض أو إضعاف صبيب بعض العيون، وخصوصاً في قرى تيغرماتين وتاماگورت وتادركولت. كما أن حجم الحيازات الزراعية الخاصة، التي تعرف تفتتاً وتشتتاً باستمرار بسبب الإرث، لا تسمح باستغلال كفيل بسد حاجيات كل الفلاحين ولابتثبيتهم في محاطاتهم. فضلاً عن ذلك فإن قانون الأراضي يخول للأوقاف والحبوس قسطاً وافراً من المساحة القابلة للزراعة، وهذا لا يحفز كثيراً تطوير وتكثيف الزراعة لا سيما وأن كراء الأراضي يكون في غالبية الأحيان من نصيب كبار الفلاحين. يتعلق الأمر بزاويتي سيدي حمزة (1634 هكتار) وسيدي بوكيل (1798 هكتار) اللتين تملكان أراضي بتاماگورت والتابية والزاوية وأيت سعيد وأيت العباس وتالغولت وأيت بني يحيى وإدالون. وإذا كانت هذه الأراضي تستغل مباشرة أو بواسطة إدارة الأملاك المخزنية، فإن أوقاف المسجد الموجودة بكل القرى المحيطة بالريش يستغل معظمها تحت إشراف نظارة الأوقاف التي تأجرها لخواص لمدة تتجدد كل ست سنوات.

- استفادت الأسر المزارعة منذ أواسط السبعينات من الموارد الخارجية غير الفلاحية، نتيجة رحيل بعض الأبناء للعمل في بلدان أوربّا الغربية والهجرة الداخلية للبعض الآخر ؛ وكان من شأن ذلك أولاً تطوير الزراعة بتحديثها وتنويعها بالبستنة والزراعة العلفية خصوصاً، وثانياً تحسين مستوى عيش تلك الأسر وحث بعضها إلى التوجه إلى مركز الريش. وتجدر الإشارة إلى أن أسر العمال المهاجرين كانت هي السباقة إلى توظيف إيرادها في بناء المنازل بالمجال القابل للتعمير في المدينة.

- جلب الريش للعمال المياومين بفعل انتشار أوراش البناء في بداية الثمانينيات، الذي أذكاه جفاف 1981، حتى إن أفواجاً كاملة من الأسر المتضررة بالوسط الريفي اضطرت للرحيل إلى مركز الريش. ولما كان قطاع البناء عاجزاً على استيعاب كل الوافدين ظهرت جحافل من العاطلين يشتغلون بقطاع الخدمات غير المشكل ولا سيما في سياقة العربات اليدوية لنقل البضائع داخل المدينة.

يتضح إجمالاً أن السيرورة الاقتصادية والديمغرافية والتعميرية للريش تتوقف على محيطها الريفي الذي تتلاحم وتتفاعل وإياه، إلى حد أنها تشكل معه كياناً نسقياً متلازماً تلازماً عضوياً. وأكثر من ذلك فإن صيرورتها رهينة بمدى وقع التحولات التي تشهدها هذه المنطقة التي أفرزت المدينة وظلت تغذيها بالبضائع وتزودها بالناس، كما خلقت ظروفاً جديدة أخذت تتحكم أكثر فأكثر في مختلف أوضاع المدينة وتجعلها تعيش على موارد خارجية بالدرجة الأولى.

لكن سرعان ما انعكس احتداد ظاهرة النزوح إلى الريش على التوسع العمراني، وفي غياب وثائق التعمير حتى وقت قريب صار الموضع غير ملائم للامتداد، نظراً لمحاصرة المدينة غرباً وجنوباً بواد زيز، حيث ظلت الضفة اليمنى فارغة وموصولة بقنطرة وطريق واحدة، ونظراً كذلك لإحاطتها شمالاً وشرقاً بالشريط الزراعي الذي يزحف عليه السكن الأفقي من كل جانب. فظهر خلل بين توسع المدينة والتهيئة التي تشرف عليها البلدية وكذلك عدم توازن بين العرض وضغط الطلب على الأرض للبناء، ووقع تنافس بين ملاكي الضيعات والمضاربين والعمال بالخارج والوافدين الجدد. وكان من الطبيعي أن تصبح المضاربة العقارية في أشد نشاطها، وأن ترفع أثمان الأرض واستئجار المنازل والمحلات الوظيفية ويسود في نفس الوقت البناء العشوائي في الهوامش. أما تصميم التهيئة الذي أنجز سنة 1986 فقد جاء متأخراً لاستدراك الوضع التعميري المتفاقم ولإعادة هيكلة المدينة، كما أصبح الآن متجاوزاً وصار من الضروري تحيينه.

*زيارة ميدانية خاصة لمدينة ومنطقة الريش ؛ الإحصاءات العامة للسكان والسكنى* 1960 - 1971 - 1982 - 1994 )، مديرية الإحصاء؛ *الخرائط الطبغرافية والعامة*، مديرية المحافظة العقارية والخرائطية ؛ *تصميم التهيئة لمدينة الريش*، 1986، مديرية إعداد التراب الوطني.

لحسن أيت الفقيه ومصطفى عياد

**الريش، محمد** بن محمد بن عمر الرباطي، من خيرة المسمعين والمادحين الذين أنجبتهم الزاوية الحراقية بالرباط تتلمذ على صهره عميد هذه الزاوية على عهده الفنان المقتدر عبد السلام أگديرة، وأدرك المجالس الفنية التي كان يعقدها بالزاوية الشيخ سيدي أحمد بنعاشر الحداد وأنشد بحضرته.

وإلى ذلك فقد برع في الموسيقى الأندلسية، فكان يتقن العزف على الكمان، ويتصرف في الطبوع ويتقن الانتقال بينها، وبذلك شهد له شيخه عند ما قال : إذا أردت إتقان الإنفاق والمستعملات فعليك بسيدي محمد الريش.

وقد توفي بالرباط عام 1392/ 1972.

ع. اللطيف بنمصور، *مجموع ازجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحايك*، إعداد وتنسيق وترتيب وتح. 1397/ 1977، ص. 456 - 457.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**ريش النعام**، يكاد ينفرد بالإشارة إليه في العصر الوسيط صاحب *المقصد الشريف* (ص 86) فقد أشار إلى وجوده في شمال المغرب مستعملا كمراوح لطرد الذباب ؛ ولكن الحديث عن ريش النعام كمادة تجارية يصدرها المغرب إلى أوربا لم يبدأ إلا في العهد العلوي (*Histoire*, p. 248) وقبله بقليل (*Histoire*, p. 233) واستمر كمادة تجارية مطلوبة في أوربا إلى بداية القرن العشرين وبذلك نتساءل هل بدأ استهلاك الأوروبيين لريش النعام منذ الفترة المشار إليها أم أن الريش المصدَّر عن طريق المغرب كان أجود وأرخص ؟

لاشك أن دخول ريش النعام في التزيين والأفرشة والمباهاة في المجتمع البرجوازي والإقطاعي الأوربي قد انطلق مع عصر النهضة، أما تصدير المغرب لهذه المادة فقد جاء متأخراً أي أن الوقت الذي كان المغرب يعجب بهذا الطائر العملاق لدرجة أن كثيراً من الرحالة أعجبوا بكثرته خلال العصر الوسيط وحتى بداية التاريخ الحديث لم يكن الطلب على ريشه موجوداً، بل لم يكن أحد يعيره اهتماماً فالرحالة الشريف الإدريسي لم يشر إلى ريش النعام مع أنه فصل الحديث عنه وعن منافعه : "... آنقال ويقال لها دار المرابطين أيضاً... قبالتها فحص طويل قد انحشرت إليه طيور النعام فهي في أكنافه سارحة وعلى مراقيه دراجة وهي آلاف لا تحد ولا تعد، وأهل تلك النواحي يصيدونها طرداً بالخيل فيقبضون منها جملا كباراً وصغاراً، وأما بيضها فكثير يتجهز منه إلى كل البلاد... طعامها وخيم يفسد المعدة، وأما لحومها فلحوم باردة يابسة، وشحومها نافعة عندهم من الصمم تقطيراً ومن سائر الأوجاع البدنية" (*نزهة* 3 : 237 و238). وصف الإدريسي يتعلق بوسط تامسنا ما بين قريتي أنقال ومكول (منطقة المذاكرة الحالية).

أما الحسن الوزان الذي جاء بعد الإدريسي بحوالي أربعة قرون فقد ذكر وجود النعام في المناطق الصحراوية والشبه الصحراوية في المغرب أشار إليه في تبلبلت وفي درعة حيث تتم تربيته وأكل لحومه لكنه لم يذكر ريشه، وقد ركز في نهاية كتابه على المواد المصدرة من المغرب إلى أوربا وبلاد السودان وقارن أسعار كثير من المواد المتبادلة بين هذه المناطق، لكنه لم يذكر ريش النعام مما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن ريش النعام لم تزدهر تجارته والطلب عليه إلا بعد انسحاب النعام إلى المناطق الصحراوية والمتاخمة لها (*وصف إفريقيا*، 2 : 120.129.132.163.259.284).

تبقى الإشارة اليتيمة إلى ريش النعام في *المقصد الشريف* كدلالة واضحة على تأثر المناطق الشمالية للمغرب بالأندلس أكثر وقبل غيرها وأن استعمال ريش النعام في التزيين كان قد بدأ في الأندلس قبل أن ينتقل إلى أوربا إبان الحروب الصليبية الغربية.

البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الإيطالية، نابولي، د. ت ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار*، الاسكندرية، 1958 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، الرباط، 1984.

Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Casablanca, Paris, 1967.

محمد حجاج الطويل

**الريصاني**، مدينة عتيقة بتافيلالت تشترك من حيث موقعها مع الموقع الأثري لسجلماسة. وتعتبر مهد الدولة العلوية، إذ يوجد بها ضريح الجد المؤسس مولاي علي الشريف. كما تضم العديد من المآثر العمرانية، نذكر منها على سبيل المثال قصر عرب الصباح، ويبدو أنهم على صلة بحاملي الاسم بالشرق الأوسط، قصر أولاد عبد الحليم، قصر الفضى، قصر الشرفاء، قصر سيدي بوزكري.

أُحدثت جماعة الريصاني سنة 1992 على مساحة 740 هكتار. يبلغ تعداد سكانها 18.450 نسمة، تتوزع على 2.800 أسرة، من مختلف القبائل الموجودة هناك وهي أساسا الشرفاء وأيت عطّا والأدارسة والأحرار والعبيد.

معدل التساقط المطري لا يتجاوز 30 ملم، في حين يصل معدل الحرارة القصوى لشهر يوليوز إلى41.5 درجة ومعدل الحرارة الدنيا لشهر يناير إلى 7.7 درجة.

تعتمد الجماعة في اقتصادها على الفلاحة والصناعة التقليدية والتجارة والسياحة، وهي تضم سوقا أسبوعيا وفندقين غير مصنفين.

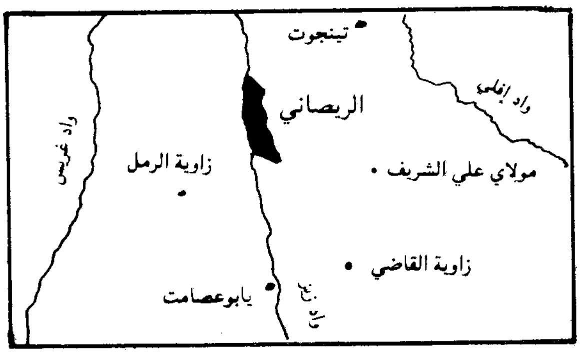


يتوفر القطاع النظامي للتعليم على خمس مدارس يرتادها 4.167 تلميذاً، وإعدادية واحدة تسع 2.008 من التلاميذ، وثانوية واحدة وبها 1.182 تلميذا. لا يوجد بالجماعة في الوضع الراهن أي مركز للتكوين المهني.

أما القطاع الصحي العمومي فيقدم خدماته من خلال مركز صحي واحد يضم ثلاثة أطباء وخمسة عشر ممرضا، مدعوم بسيارة للإسعاف تابعة للبلدية. كما تعتمد البلدية من أجل الخدمة العامة على ثلاثة أطر عليا و18 إطار متوسط ومجموعة من الأعوان قوامها 23 نفرا.

توجد بالجماعة شبكة لتوزيع الماء الشروب، يسيرها المكتب الوطني للماء الصالح للشرب لفائدة 3.100 مستفيد. كما يقوم المكتب الوطني للكهرباء بتوزيع الكهرباء على 4.431 مشترك. وكالة بريدية واحدة تقوم بخدمات الاتصال، أما الخط الأوتوماتيكي للهاتف الثابت فيتصرف في طاقة بحدود 1.700 مشترك.

موحى حدوش

**الريف** أو الأرياف المغربية، يطلق مفهوم الريف على كل المجالات التي تخرج عن نطاق الدوائر الحضرية. والمجال الريفي عادة ما يعرف سلبيا بكل ما هو غير حضري، وتتميز الأرياف المغربية بوزنها السكاني حيث تضم قرابة نصف سكان المملكة (47،4٪) وبوزنه الاقتصادي والثقافي حيث تظل الفلاحة إحدى دعائم الاقتصاد الوطني. وقد شهدت الأرياف المغربية خلال العقود الأخيرة تطورات شديدة الوقع كان من ورائها انفتاح هذه المجالات على اقتصاد السوق واحتكاكها بالعالم الخارجي ممّا زجَّ بها ضمن المجالات الهامشية رغم بعض مظاهر التنمية الإيجابية.

الأرياف وتباين الأنظمة الإكولوجية. تبلغ المساحة الفلاحية الإجمالية بالمغرب قرابة 8.732.223 هك أي ما يناسب قرابة 12٪ من المساحة العامة للبلاد، وهذا الرقم وحده كاف لإ براز أهمية الحدود التي تفرضها الظروف الاكولوجية والبشرية أمام التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

فالامتداد الإقليمي للبلاد بين خطي عرض 21 و36 درجة شمالا، وانفتاحه في الشمال والغرب على واجهتين بحريتين وفي الجنوب والجنوب الشرقي على مجالات صحراوية وعدم رتابة الاشكال الطبوغرافية أدى إلى تنوع إقليمي واضح بين الأرياف الساحلية والأقاليم الداخلية وبين المجالات الجبلية المرتفعة والسطوح المنبسطة السهلية والهضبية.

المجالات الجبلية المرتفعة : تتكون المجالات المرتفعة بالمغرب من الأطلس الكبير والمتوسط والصغير ومن جبال الريف. قمم عالية تصل في الأطلس الكبير إلى 4165 م، وانحدارات قوية خصوصا في الريف وأودية تتحول إلى خوانق كما هو الشأن في الأطلس الكبير الأوسط، ومجالات هضبية عليا أساسا في الأطلس المتوسط الغربي. تتصل السلاسل الجبلية بمحيطها السهلي أو الهضابي بواسطة مناطق غنية بأتربتها ومياهها وبحياتها البشرية، غالبا ما يطلق عليها نعت "الدير".

يزيد من تنوع المجالات الجبلية الاتجاه العام الذي تتخذه هذه السلاسل حيث تكون قوسا ذا اتجاه غرب / شرق على الشاطئ المتوسطي بينما تكوّن الاطاليس كتلة ذات اتجاه عام شمالي شرقي جنوبي غربي تاركة بينها وبين البحر سهولا وهضاباً واسعة مما يؤثر على توزيع العناصر المناخية حيث يمنع من تسرب المؤثرات البحرية نحو الداخل ويقي من تسرب الرياح الصحراوية الجافة نحو الشمال.

تتلقى المجالات الجبلية عموما أزيد من 600 ملم من الأمطار سنويا وتعتبر بذلك المزود الأساسي لسائر البلاد بالأتربة وبالمياه، فمنها تنبع كل الأنهار المغربية سواء منها التي تصب في البحر المتوسط أو التي تنتهي إلى المحيط الأطلسي أو التي تصرف داخليا. وبناء عليه فهي تضم أهم التشكيلات الغابوية في البلاد.

هذه الظروف فرضت ومند القدم تكيف الإنسان مع الطبيعة الجبلية الهشة وخلق عادات وتقاليد في تدبيرها، سواء تعلق الأمر بحماية الغطاء النباتي أو تدبير الموارد المائية والترابية.

المجالات السهلية والهضبية : تمتد المجالات الواطئة في المغرب على الجزء الساحلي الشمالي الغربي : سهل سايس، الغرب، الشاوية ودكالة وعبدة ثم سهول داخلية تتكون أساسا من سهول الحوز وسهل السراغنة وتادلة وسهل البحيرة، أما نحو الجنوب فيمتد سَهْلاَ سوس وتزنيت. أما شمال شرق المغرب فيشغله سهل ملوية والهضاب العليا.

هذا التوازن الإكولوجي الهش كان السكان يتعاملون معه بلطف، حيث استطاعوا استثماره ولقرون بدون مشاكل كثيرة : فمن جهة لم يكن الضغط الديموغرافي كما هو عليه الآن. ومن جهة ثانية كان الاستغلال المجالي يتحاشى التركيز المجالي. فكان السكان يمارسون أسلوب الترحال أو شبه الترحال فوق جل المجالات مما يسمح باستعادة التوازن دوريا.

الأرياف المغربية والتطورات الحديثة. بعد انفتاح المغرب، وأساساً منذ نهاية القرن الماضي تظافرت عوامل متعددة لتخل بذلك التوازن الهش القائم بين الإنسان والطبيعة :

أدى التحسن النسبي في ظروف عيش السكان إلى انفجار ديموغرافي حيث انتقل عدد سكان المغرب، وفي قرابة قرن من الزمن، من حوالي خمسة ملايين نسمة إلى ما يقارب 28 مليون نسمة. ويمثل الريفيون من هذه الكتلة قرابة 48٪، حيث يزداد عددهم سنة بعد سنة، وبشكل مطرد رغم تناقص نسبتهم ضمن مجموع سكان البلاد.

| السنة | 1900 | 1914 | 1926 | 1936 | 1952 |
|---|---|---|---|---|---|
| نسبة | 92 ـ 93 | 90،7 | 87،8 | 85 | 78،8 |
| السنة | 1960 | 1971 | 1982 | 1994 | |
| نسبة | 74،8 | 65 | 57،3 | 48،6 | |

المصدر : RGPH et R. Escalier 1981

أدى الاستعمار وما صاحبه من استيلاء المعمرين على ما يجاوز مليون هكتار من الأراضي الزراعية (272 ألف هكتار عن طريق الاستعمار الرسمي و830 ألف هكتار عن طريق الاستعمار الخاص) خصوصا داخل السهول الخصبة كسايس والغرب والشاوية وتريفة وسوس إلي تثبيت السكان وضبط مجال تحركاتهم واحتماء حشد كبير منهم بالمجالات الجبلية، كما أدى إلى تكسير ذلك التكامل التقليدي القائم على الانتجاع بين الأراضي المرتفعة والأراضي الوطيئة، والمبني علي إراحة الأرض موسميا كل سنة. إن استيلاء المعمرين على الأراضي الجيدة أدى إلى استقرار السكان وبكثافات عالية فوق الأراضي الهشة وتركز الأرض بين أيدي الملاكين الكبار وظهور قلة من الفلاحين بدون أرض وعمال.

| فئة المساحة | عدد الاستغلاليات | ٪ | المساحة | ٪ |
|---|---|---|---|---|
| أقل من 3 هك | 762033 | 53،23 | 1075089 | 12،31 |
| 3 إلى 20 | 610604 | 42،65 | 4786282 | 54،81 |
| 20 إلى 50 | 47985 | 3،35 | 1526289 | 17،48 |
| 50 فما فوق | 11011 | 0،77 | 1344554 | 15،40 |
| المجموع | 1431633 | 100 | 8732223 | 100 |

المصدر : *الإحصاء الفلاحي* 1996/*الأطلس الفلاحي* 2000

تنامى ظاهرة الهجرة نحو المدن وتكوين أحزمة الفقر حولها، حيث تكدس السكان داخل مدن الصفيح وعززوا داخلها صفوف البرولتريا والفقراء.

لقد دشنت مرحلة الاستعمار فترة التدخل الرسمي لتهيئ وتجهيز الدوائر المسقية الأولى والتي ستكون نواة الفلاحة العصرية المغربية، حيث ظهرت أولى السدود الكبرى على وادي أم الربيع ووادي بهت.

بعد الاستقلال، كان على المغرب أن يقوم بتدبير التركة الثقيلة التي خلفها المعمر. فكان عليه أن يسترجع الأراضي المستعمرة وأن يقوم بتوزيعها وتأسيس تعاونيات الإصلاح الزراعي وشركات فلاحية عمومية منثل الصوديا والصوجيتا... كما كان عليه أن يتدبر أمر التجهيزات الهدروفلاحية الكبرى.

هكذا، وسعيا وراء توسيع المجالات الفلاحية العصرية من أجل تحقيق الأمن الغذائي وتشجيع الصادرات وتوفير الطاقة للمدن وللصناعات الناشئة وإيجاد فرص العمل داخل الأرياف، تمت متابعة إقامة التجهيزات الهدروفلاحية الكبرى حيث تتوفر المؤهلات الإيكولوجية حيث تم تشييد أزيد من 53 سدا ما بين 1951 و2001.

| فترة | 1929 - 50 | 51 - 60 | 61 - 70 | 71 - 80 | 81 - 90 | 91 - 00 | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| عدد | 7 | 4 | 5 | 8 | 19 | 17 | 60 |
| نسبة | 11،6 | 6،6 | 8،3 | 13،3 | 33،3 | 28،3 | 100 |

المصدر : *الأطلس الفلاحي* 2000

لقد تطلب تدبير المجالات المسقية الحديثة إحداث بنيات إدارية ثقيلة أهمها المكتب الوطني للري ومن بعده المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي بينما أحدثت المديريات الاقليمية للفلاحة في المجالات التي تطغى فيها الأراضي البورية، وهكذا تكرست من جديد صورة "المغرب النافع" الشمالي الغربي و"المغرب غير النافع" والمتكون من باقية التراب الوطني.

هذا اللاَّتوازُن الإقليمي فرض إعادة النظر في السياسة الريفية للبلاد ونهج سياسة جديدة مع بداية السبعينيات أهم معالمها :

- محاولة تنظيم النسل للتقليل من الضغط الديموغرافي؛
- محاولة الحد من الهجرة الريفية نحو المدن الكبرى بنهج سياسة اللامركزية وتشجيع بروز المراكز المتوسطة والصغرى ؛
- التحكيم إلى السياسة الجهوية قصد إعادة التوازن الإقليمي ؛
- التحكيم إلى إعادة التقطيع الإداري مرات ومرات لخلق أقطاب التنمية والتحكم في المجالات الريفية ؛
- إعادة النظر في السياسة الفلاحية القائمة أساسا على المنشآت الهيدروفلاحية الكبرى، حيث بدأ الاهتمام بالمجالات البورية وبالمجالات السقوية المتوسطة والصغرى.

كما أن تفاقم مشاكل البيئة بازدياد توحل السدود وفقدان الأتربة الصالحة للزراعة وتراجع المساحات المكسوة بالغابة وتلوث المياه وزيادة ندرتها، أدى إلى ظهور اهتمام كبير بالمجالات الجبلية.

إن تواتر سنوات الجفاف خصوصا خلال العقود الأخيرة وتنامي مشاكل الأرياف وتبعاتها على المجالات الأخرى فرض التفكير في برامج أحيانا استعجالية لإنقاذ الأرياف أو العالم القروي. وهكذا شهدنا ظهور برامج مثل :

- برنامج كهربة العالم القروي، حيث ينتظر إيصال الكهرباء إلى جميع القرى في حدود عام 2010 ؛
- برنامج تزويد العالم القروي بالماء الشروب ؛
- برنامج فك العزلة عن العالم القروي وذلك بشق المسالك وإيصال شبكة الهواتف إلى المناطق النائية ونشر التمدرس ؛

- برنامج التضامن مع العالم القروي من أجل التغلب على آثار الجفاف وذلك بإعفاء الفلاحين من الضرائب ابتداء من بداية الثمانينيات إلى غاية 2000 ثم 2010، وتقديم الأعلاف للماشية وإيجاد مناصب شغل للحد من تدفق القرويين نحو المدن ومحاربة انجراف التربة وتدهور الغابة والبحث عن الماء الشروب.

لقد اتسمت تدخلات الدولة في ميدان تهيئة الأرياف وعلى مر العصور بنوع من الانتقائية وعدم الشمولية مما أدى إلى خلق تفاوتات في التطور حيث تطورت المجالات المسقية على حساب المجالات البورية والمجالات السهلية على حساب المرتفعات الجبلية، كما تم إيلاء أولوية لمنتجات التصدير وأهملت المنتجات الرئيسية في الاستهلاك المحلي. كما أن الغايات الاقتصادية أنست المتدخلين الجوانب الاجتماعية مما أدى إلى تنامي مظاهر الفقر كالأمية والعزلة والبطالة... فأصبح الريف بعدما كان يغدي المدينة بحاجياتها مصدرا من مصادر مشاكلها المتعددة.

خاتمة : إن كل القرائن تدل على أن المجالات الريفية المغربية تتقلص سواء من حيث حجمها أو من حيث وزنها الديموغرافي بل وحتى الاقتصادي. فإن كان هذا يدل على وجود مؤشرات للتطور الإيجابي فإنه يجب أن لا يخفي حدود هذه التطورات.

فتناقص نسبة سكان الأرياف لم يُوازِه تناقص في الضغط على الأراضي الفلاحية ولا تنامي استعمال الآلات الفلاحية (31،17٪ من الفلاحين يستعملون الآلة الحاصدة و16،1٪ يقتنون البذور المنتقاة...) ؛ كما أن الفائض من السكان ينجرف نحو المدن ليعمق مشاكلها مما يجعل هذه الأخيرة تتوسع وتتضخم لتبتلع لتصبح منافس الفلاحة على مستوي الأرض والماء واليد العاملة.

إن التدخلات التي عرفها المجال الريفي أدت إلى ظهور مجالات تعتمد على الري العصري كالرش والتقطير والضخ الآلي، كما أدت إلى انتشار منتجات فلاحية تسويقية كالموز، وإلى تطور صناعات فلاحية كصناعة السكر والقطن وصناعة التعليب والتبريد.

إن التدخلات المختلفة وعلى مر السنين أدت إلي تحسن في مستوى عيش السكان، وينعكس ذلك على مستوى الخدمات الصحية والتعليمية كما انعكس على مورفلوجية السكن الريفي وتجهيزاته وعلى مستوى تنوع أنشطة السكان لكن هذه التجديدات يجب أن لا تخفي استمرار معالم الفقر والتهميش. فهذه التحولات زادت من تعميق أزمة المجالات الهامشية كالجبال والواحات والمجالات البورية الجافة.

Bencherifa Abdellatif, *Le monde rural marocain : diversité spatiale et culturelle*. In *G.E.M.* Vol. *Géographie humaine*. Dirigé par T. Agoumy et A. Bencherifa. Rabat, 1989 ; Escalier Robert, *Citadins et espace urbain au Maroc*, 2 t., Tours, 1981 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc*, 2 T., Paris, 1970 ; Royaume du Maroc, Ministère de l'Agriculture, du Développement Rural et des Pêches Maritimes, (2000) *Atlas de l'Agriculture* ; Royaume du Maroc (M.A.T.E.U.H.) (2000), Direction de l'Aménagement du Territoire, *Le territoire marocain, Etat des lieux*.

محمد أيت حمزة

**الريف الطبيعي**، الريف سلسلة جبلية في شمال المغرب تظهر على شكل قوس. يحده من الشمال بحر البران ما بين طنجة غربا ومصب ملوية شرقا. يتميز عن السلسلات الأطلسية المغربية بموقعه المحاذي للساحل المتوسطي وانتمائه إلى المجموعة الألبية، وبتضاريسه شديدة التجزء، وبمناخه ذي المفارقات، وبفلورته وفونته الغنيتين وبتشكيلاته النباتية شديدة التنوع.

1 - الجيومورفلوجية والبنيوية والهيدرولوجية : الريف قوس محدب في اتجاه الجنوب الغربي، مواز للساحل المتوسطي. يبلغ طوله 360 كلم وعرضه 80 كلم في جزئه الأوسط. ينفرد الريف بتعدد قممه ووديانه ولا سيما في جزءه الأوسط حيث يصادف تدغين أعلى جبال السلسلة إذ يبلغ ارتفاعه فوق سطح البحر 2452 م. ومن أهم الجبال نذكر من الغرب إلى الشرق جبل كلتي (1927 م) والجبل الأقرع أو الأشهب (2170 م) وجبل تيزيرين (2101 م) وجبل الحمان (1957 م) وجبل أزرو أقشار (2010 م) وتعتبر هذه القمم الأوسطية الفاصل الطبيعي ما بين حوضين رئيسيين، حوض متوسطي شديد الانحدار، والآخر أطلنطي ضعيف الانحدار بالمقاومة مع الأول إذ ينتهي تدريجيا في منخفض الهبط وسهول الغرب وسايس وممر تازة وسهول وادي ملوية السفلي.

التضاريس جد وعرة وذات منحدرات طويلة وشديدة الانحدار. الوديان والأنهار جد مقعرة وسيلية الجريان، ولا سيما المتوسطية منها التي حفرت مجاريَ جد عميقة، نظراً لشدة الانحدار.

ومن أهم الأنهار النابعة بالريف نذكر تلك التي تصب في المتوسط مثل وادي مسون أكبر روافد ملوية، ووادي النكور الذي ينتهي في خليج الحسيمة ووادي الأحد ووادي لاو والوادي الكبير أو الوادي المحنش التي تصب ما بين الجبهة وتطوان. أما تلك التي تصب في المحيط فأكبرها وادي اللوكس الذي ينتهي بمدينة العرائش ووادي ورغة الذي يعتبر أخطر روافد سبو من حيث صبيبه الهام وجريانه الجارف إبان الأمطار الغزيرة.

يقسم الريف من حيث البنيوية إلى ثلاث مجالات، وهي ابتداء من الشمال في اتجاه الجنوب :

- المجال الشمالي الذي يشمل :

منطقة الدهر القديم الممتدة من الجبهة شرقا إلى سبتة غربا والمكونة من عدة صخور مثل الگنيس والميكاشيست

والحث والكوارتزيت والمارن الحثّي. تتشكل تضاريس المنطقة من هضاب وجبال ضعيفة الارتفاع.

ـ السلاسل الكلسية الشامخة والسائدة بارتفاعاتها ولونها الأشهب الموجودة في الجزء الغربي من الريف ما بين آسيفان شرق شفشاون من جهة، وجبل موسى المطل على مضيق جبل طارق غربا.

ـ المجال الداخلي الذي يضم الطيّات الزاحفة الريفية : وهي طية بني يدّر الممتدة ما بين شفشاون والقصر الصغير المشكلة من عدة أنواع من الصخور أهمها حتيت المارن والحث ؛ وطية جبل الشواَمَـات وملوسة الموجودة شرق طنجة والمكوّنة من حتيت المارن والشيست أو الحث ؛ وطية تيزيرين الشامخة والمشكلة من حتيت الشيست والحث الممتدة ما بين آسيفان غربا وجنوب الحسيمة شرقا، والطيات النوميدية المتميزة بتضاريسها الجبلية العالية الملوّنة أساسا من حتيت حثي والسائدة جنوب السلسلة الكلسية ومن أشهر قمم هذه الآخيرة جبل الخزانة، وجبل السنة وجبل أبو هاشم وجبل العلم موقع ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش العلمي، وجبل الحبيب شرق العرائش والجبل الكبير غرب طنجة وجبل زمزم ما بين تطوان وسبتة، وجبل أوتْكا غرب تاونات، وجبل الناضور وجبل بركان في الجزء الشرقي من الريف.

ـ المجال الخارجي المكون أساساً من صخور مارنية وشيستية الذي يشمل :

ـ المنطقة الريفية الداخلية التي تضم غربا وحدة طنجة ذات الصخرية المارنية والشيستية ووحدة كتامه ذات الصخرية الحثية والشيستية الممتدة على جزء كبير من الريف الأوسط حيث توجد أعلى قمم السلسلة ومن بينها جبل تدغين.

ـ المنطقة الوسطى المكونة من صخور شيستية وكلسية ومارنية، وهي تغطى هضابا وجبالا ضعيفة الارتفاع.

ـ المنطقة الجنوبية أو ما يعرف بمقدمة الريف الممتدة من المحيط إلى تازة والمتميزة بهضابها المارنية التي تشتد فيها ظاهرة التعرية نظراً لانعدام الغطاء النباتي الغابوي بسبب اجتثاثه بغية استعمال الأراضي للزراعة، وخاصة زراعة الحبوب.

2 ـ المناخ والبيومناخات : يتميز الريف عن السلاسل الأطلسية أيضاً بمناخه المتوسطي الخاص. ومن أهم هذه المميزات :

ـ تلطيف المناخ بفضل تأثيرات المحيط وذلك بتقليص الفوارق الحرارية، إذ أن شتاء الريف يكون أقل برودة من شتاء الأطلس المتوسط، وصيف الريف أقل حرارة من صيف الأطلس المتوسط.

ـ وفرة التساقطات المطرية بالمقارنة مع الأطلس.

ـ المفارقة البيّنة بين الريف الأطلنطي المطار في الواجهة الغربية والغربية الجنوبية من جهة، والريف المتوسطي الجاف نسبيا في الواجهة الشمالية الشرقية من جهة أخرى.

فمن حيث الحرارة يعرف الساحلان تلطيفا محسوسا للدرجات القصوى والدنيا، غير أن الساحل الأطلنطي يكون في الشتاء أقل حرارة من الساحل المتوسطي نظراً لوجود

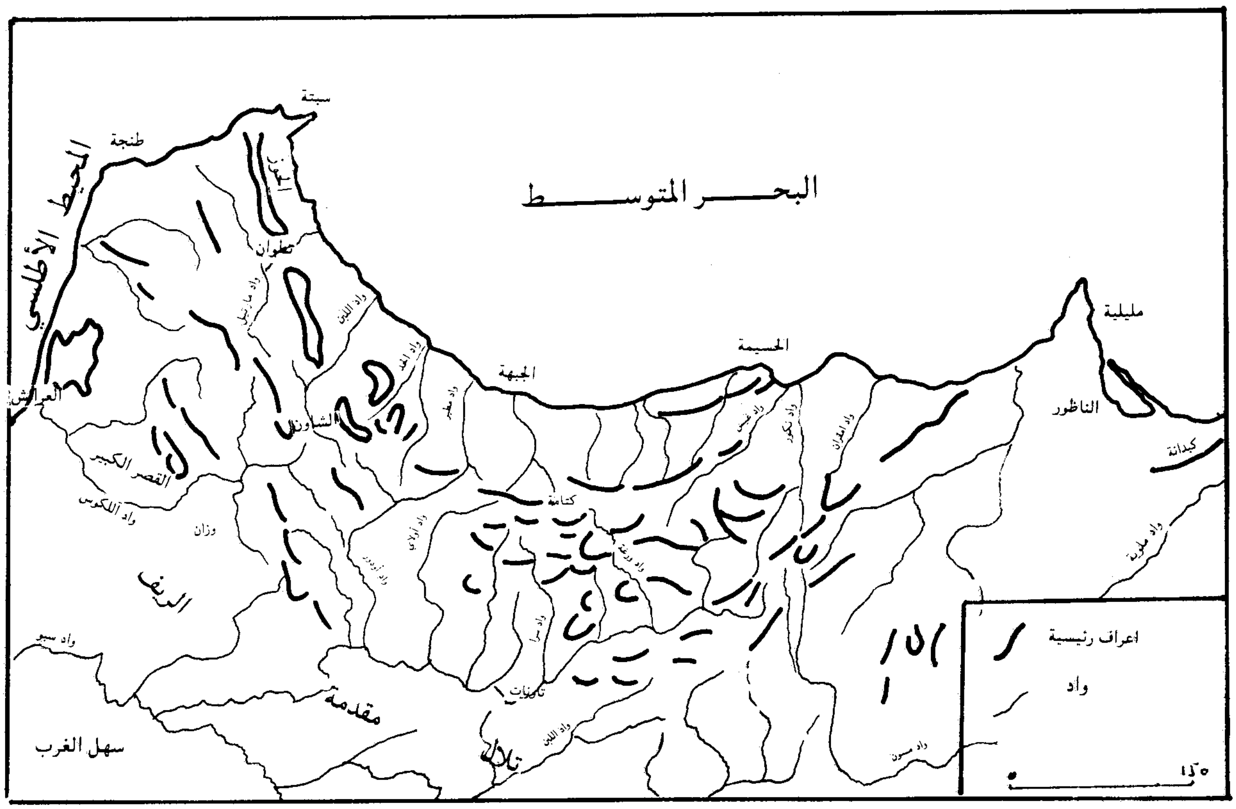


تضاريس جبال الريف

التيار البحري الكناري الصادر من الشمال في اتجاه الجنوب مروراً في عرض المحيط بالقرب من الساحل.

وهكذا يلاحظ أن معدلات درجات الحرارة القصوى لأحر شهر في السنة تسجل مرتفعة في مقدمة الريف بسبب هبوب رياح الشرقي حيث تسجل 37،6 في قرية أبّا محمد و39،6 بتيسا في حين لا تتجاوز على الساحل المتوسطي 30،2 ببني حذيفة، و29،2 بملوسة. لكن أقلها ارتفاعا هي التي يعرفها الساحل الأطلنطي حيث يسجل 2، 27 بالعرائش و25،7 بطنجة. أما المناطق الجبلية فهي بالطبع أقل حرارة بالمقارنة مع محطات المناطق المنخفضة. فمعدل الحرارة القصوى لأحر شهر لا يتعدى 27،9 بكتامة و28،5 بباب بَرَّد. أكثر الشهور حرارة هو في الغالب شهر غشت.

أما في ما يخص معدلات درجات الحرارة الدنيا لأبرد شهر في السنة فإنها تُظهر أن سلسلة الريف دافئة نسبيا. ففي كتامة التي هي أعلى محطة، يلاحظ أن المعدل يساوي 0° في شهر يناير. وهو أدنى معدل سجل لحد الآن. غير أن القمم العالية مثل جبل تدغين وجبل الأقرع وجبل تيزيرين وغيرها فمن المفروض أن تكون أكثر برودة من كتامة. تسجل المعدلات المتراوحة بين 0° و3° في المناطق القارية الموجودة على ارتفاع يتراوح ما بين 900 و1500 م، ولا سيما في الجزءين الشرقي والجنوبي من السلسلة. في حين تظهر المناطق المنخفضة معدلات تتراوح ما بين 3° و7°. أكثر المحطات دفئا في فصل الشتاء هي تلك التي تصادف على الساحل المتوسطي حيث يسجل 10° بالجبهة و9،9° بالحسيمة في حين لا يتعدى هذا المعدل 7،5 بأصيلة.

من حيث المعدلات السنوية للتساقطات فإنها تظهر على العموم أن الريف أكثر رطوبة من سلاسل الأطلس. وكما أشرنا له سابقا فإن الواجهة الأطلنطية أكثر غزارة، بينما تُظهر الواجهة المتوسطية تساقطات ضعيفة في معدلاتها. يسجل أقصى المعدلات السنوية للتساقطات المطرية في القمم المصادفة في الجزء الغربي. وهكذا تبين محطة أبو هاشم الموجودة على ارتفاع 1094 م، ما مقداره 2168 مم. وهو أعلى معدل في المغرب. وتأتي بعده محطات جبل أوتْكَا بمقدار 1758 مم وكتامة بمقدار 1616 مم. ومن البديهي أن تسجّل الأرقام القياسية في قمم الجبال لهذه المحطات. أما في ما يخص المرتفعات المتوسطية والهضاب فإن المعدلات تبقى مهمة. ففي شبه جزيرة طنجة تكون المعدلات السنوية أكثر من 700 مم. يسقط 930 مم بملوسة و874 مم بوزان و1123 مم بزومي. لكن هذه الأرقام تنخفض في اتجاه الشرق حيث يسجل 572 مم بقرية أبّا محمد و551 مم بتيسا. يشتد الانخفاض على الساحل المتوسطي من الغرب إلى الشرق، 602 مم بمارتيل، 464 مم بواد لاوْ، 361 مم بالجبهة، 327 مم بالحسيمة، 293 مم برأس الماء (رأس كبدانة). ثم يرتفع ارتفاعا محسوسا بالناظور (370 مم) ومليلية (401 مم). يسجل نفس الانخفاض التدريجي من الغرب إلى الشرق في المناطق القارية من الساحل المتوسطي : 681 مم بعلي تلات، و400 مم بتارگيست، و325 مم ببني بوفراح، و294 مم بمضار، و281 مم بالدريوش. وأكثر المناطق الريفية جفافا هي التي تصادف في السفوح الشرقية المحاذية لوادي ملوية.

تسقط الثلوج في المرتفعات الريفية عدة أيام في السنة. لكنها لا تدوم حتى بداية الصيف إلا على بعض القمم الشامخة، وذلك بسبب التأثيرات البحرية.

ينتج عن التأثيرات البحرية كذلك ارتفاع درجات رطوبة الجو والتساقطات الخفية مثل الندى. فالمعدل السنوي للرطوبة النسبية يفوق في كل الحالات 70٪. ويسجل 78٪ في طنجة. ويبلغ المعدل السنوي للرطوبة الليلية 90٪ بالعرائش حيث يسجل 69 يوما من الندى سنويا. كما تعرف السلسلة ولا سيما ساحلها المتوسطي ومرتفعاتها أياماً عديدة من الضباب الصادر عن المتوسط ولا سيما في فصل الصيف إبان هبوب رياح الشرقي الشديدة الحرارة، فتشتد هذه الأخيرة في مقدمة الريف. وعند بلوغ هذه الرياح البحر يشتد تبخر المياه ويتكون ضباب كبير ويتصاعد مع وديان السفوح الشمالية في اتجاه الجنوب فتبلل تضاريس الريف الغربي بينما الحرارة شديدة في مقدمة الريف. وبفضل الضباب تلطف حرارة الجو الصيفية في هذه المناطق المطلة على البحر المتوسطي.

تتميز سلسلة الريف كذلك بقوة رياحها ولا سيما في منطقة المضيق الواقع بين البحرين، حيث يلاحظ اتجاهان سائدان وهما رياح الشرقي ورياح الغربي. تهب رياح الشرقي من الجنوب الشرقي والشرق وترتفع معها الحرارة في السفوح الجنوبية للسلسلة. بينما تكون رياح الغربي ملطفة. لكن تسجيل السرعة والقوة للرياح لا يتم إلا في بعض المحطات الرئيسية مثل طنجة وتطوان والحسيمة. ويكاد ينعدم في المحطات الأخرى.

يستنتج من دراسة العوامل المناخية بالريف أن السلسلة تعرف كل البيومناخات المعروفة في المغرب والمنطقة المتوسطية باستثناء البيومناخ الصحراوي.

يقتصر البيومناخ الجاف على جزء محدود من منخفضات السفوح الشرقية للريف. بينما يمتد البيومناخ شبه الجاف على كل أطراف الجزء الساحلي المتوسطي شرق واد لاوْ على جزء واسع من الريف الشرقي ومن مقدمة الريف جنوبا. ويلاحظ البيومناخ شبه الرطب على الجزء الأكبر من الواجهة الأطلنطية، ويصل إلى البحر المتوسط في تمسمان شرق خليج الحسيمة وفي جبل گورُوگو المطل على الناظور. وينحصر البيومناخ الرطب في شبه جزيرة طنجة وفي المرتفعات من الريف الغربي والأوسط. أما البيومناخ شديد الرطوبة فهو يلاحظ على قمم الجبال العالية من الريف الغربي.

3- الفلُورة والغطاء النباتي. من حيث التنوع

البيولوجي، يعتبر الريف أغنى المناطق المغربية ومن أهم المراكز في المنطقة المتوسطية. ويتجلى ذلك في فلُورَته وفُونَـته وتشكيلاته النباتية وأنظمته البيئية. فغطاؤه الغابويّ شديد التنوع. إذ تقطنه جل الأنواع الشجرية الغابوية باستثناء العرعر الفواح (Juniperus thurifera) وأنواع الطلح (Acacia) وأرگان (Argania spinosa) الذي يشكل غير بعيد عن الريف باقات منعزلة بالسفح الشمالي الغربي لجبال بني إزناسن بشرق وادي ملوية. وينفرد عن السلاسل الأطلسية بإيوائه لأنواع غابوية قبسية مثل الشوح المغربي (Abies maroccana) أو نادرة جداً مثل الصنوبر الأسود (Pinus nigra var. mauritanica) أو لا تصادف بالمناطق الأخرى لشمال إفريقيا مثل البلوط الزغبي (Quercus pyrenaica) والقسطل (Castanea sativa) والبتولة (Betula celtiberica) والمغْث (Alnus glutinosa).

من حيث التوزيع البيوجغرافي لغابات الريف يلاحظ انتشارها حسب الظروف المتاحة :

- صخور مارنية : تشكيلات البلوط القرمزي (Quercus coccifera) أو البلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) في البيومناخ الرطب، وتشكيلات الزيتون البري (Olea oleaster) في البيومناخ شبه الرطب، وتشكيلات العرعر البربري (Tetraclinis articulata) أو محليا الصنوبر الحلبي (Pinus halepensis) في البيومناخ شبه الجاف.

- صخور كلسية أو مارنية كلسية :

في البيومناخين شديد الرطوبة والرطب الباردين والقارسين تصادف غابات الشوح المغربي (Abies maroccana) وبلوط الزان (Quercus canariensis) والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) على العموم، ومحليا باقات من الأرز الأطلسي (Cedrus atlantica) والصنوبر الأسود (Pinus nigra var. mauritanica) والصنوبر البحري المغربي (Pinus pinaster var. maghrebiana).

في البيومناخيي شديد الرطوبة والرطب الدافئين والمعتدلين، تشكيلات البلوط القرمزي (Quercus coccifera) في شبه جزيرة طنجة والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) في المناطق الأكثر قارية، أو محليا غابات الصنوبر البحري الإيبيري (Pinus pinaster var. iberica).

في البيومناخ شبه الرطب البارد أو القارس : غابات البلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) ومحليا باقات الصنوبر البحري المغربي (Pinus pinaster var. maghrebiana).

في البيومناخ شبه الرطب الدافئ والمعتدل : تشكيلات البلوط القرمزي (Quercus coccifera) على العموم ومحليا البلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) أو الصنوبر البحري الإيبيري (Pinus pinaster var. iberica).

في البيومناخ شبه الجاف الدافئ والمعتدل : تشكيلات العرعر البربري (Tetraclinis articulata) على العموم أو محليا الصنوبر الحلبي (Pinus halepensis).

- صخور سيليسية : في البيومناخين شديد الرطوبة والرطب الباردين والقارسين : غابات الأرز الأطلسي (Cedrus atlantica) والبلوط الزغبي (Quercus pyrenaica) وبلوط الزان (Quercus canariensis) على العموم، ومحليا باقات الصنوبر البحري المغربي (Pinus pinaster var. maghrebiana).

في البيومناخين شديد الرطوبة والرطب الدافئين والمعتدلين : غابات بلوط الزان (Quercus canariensis) والبلوط الفليني (Quercus suber) ومحليا غابات البلوط الزغبي (Quercus pyrenaica) والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) والبلوط القرمزي (Quercus coccifera) وباقات الصنوبر البحري الإيبيري (Pinus pinaster var. iberica).

في البيومناخ شبه الرطب البارد والقارس : غابات الأرز الأطلسي (Cedrus atlatica) والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) والبلوط الفليني (Quercus suber) ومحليا بلوط الزان (Quercus canariensis) وباقات الصنوبر البحري المغربي (Pinus pinaster var. maghrebiana).

في البيومناخ شبه الرطب الدافيء والمعتدل : غابات البلوط الفليني (Quercus suber) في الجزء الغربي والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) في الجزء الشرقي، ومحليا الصنوبر البحري الإيبيري (Pinus pinaster var. maghrebiana).

- صخور مختلفة في البيومناخ شبه الجاف والجاف في الريف الشرقي : تشكيلات العرعر البربري (Tetraclinis articulata) والبطم الأطلسي (Pistacia atlantica).

4 - الطوابق النباتية والوحدات البيئية التعاقبية :

من حيث التوزيع البيوجغرافي للوحدات البيئية التعاقبية على الطوابق النباتية نجد أن الريف ينفرد بتنوعه الكبير في هذا المجال. فالسلسلة تظهر كل الطوابق النباتية ما عدا الطابق تحت المتوسطي. قبل التفاصيل في هذا الموضوع نريد أن نشير إلى أن أنواع الصنوبر المذكورة أعلاه وإن كانت تشكل غابات بكل معنى الكلمة، فإنها لا تنظم وحدات بيئية تعاقبية وإنما تكوّن تشكيلات تعتبر بمثابة أطوار من التطور التقدمي أو التراجعي للوحدات المناسبة. الصنوبر الحلبي (Pinus halepensis) والصنوبر البحري الإيبيري (Pinus pinaster var. iberica) يظهران في مجالات الوحدات البيئية التعاقبية للطابق المتوسطي الدافيء. بينما يظهر الصنوبر البحري المغربي (Pinus pinaster var. maghrebiana) في مستويات الوحدات البيئية التعاقبية للطابقين المتوسطي وفوق المتوسطي. وينحصر وجود الصنوبر الأسود (Pinus nigra var. mauritanica) في الطابق فوق المتوسطي المطابق للوحدة البيئية التعاقبية المنظمة من طرف الشوح المغربي (Abies maroccana).

ـ الطابق المتوسطي الدافيء : إنه أكثر امتدادا من الطوابق الأخرى، وذلك على المستويين الأفقي والعمودي. ويتجلى في الريف ما بين سطح البحر و1000 م. تتراوح المعدلات السنوية للتساقطات ما بين 300 و1500 مم، أي ما يوافق البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة ذات الشكلين الدافيء والمعتدل. وهذه الظروف ملائمة لوجود تنوع كبير للوحدات البيئية التعاقبية التي من الممكن أن تصنف إلى صنفين :

ـ صنف الوحدات البيئية التعاقبية الغابوية التي تعيش في البيومناخات شبه الرطبة والرطبة وشديدة الرطوبة. ونقطن في الجزء الغربي من الريف، وتُشكّل من البلوط الفليني (Quercus suber) وبلوط الزان (Quercus canariensis) والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) والبلوط القرمزي (Quercus coccifera) والزيتون البري (Olea oleaster) والعرعر البربري (Tetraclinis articulata).

ـ صنف الوحدات البيئية التعاقبية شبه الغابوية وشبه السهبية التي تصادف في البيومناخات شبه الجافة والجافة، وتغطي أجزاء شاسعة من الريف الشرقي، والمنظمة من طرف العرعر البربري (Tetraclinis articulata) والبطم الأطلسي (Pistacia atlantica).

لكن القسط الأكبر من مجالات هذه الوحدات البيئية التعاقبية عار من العشائر الأوجية بعد اجتثاثها لغرض الزراعة. فلم تبق غابات الزيتون البري (Olea oleaster) والبلوط القرمزي (Quercus coccifera) ولا شبه غابات البطم الأطلسي (Pistacia atlanica) إلا بجوار أضرحة الأولياء الصالحين أو المقابر.

ـ الطابق المتوسطي : يغطي مساحة محدودة بالمقارنة مع الطابق المتوسطي الدافيء، ويقل عنه تنوعا. يندرج ما بين 1000 و1400 م من الارتفاع، ويصادف في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة وشديدة الرطوبة ذات الشكل البارد. تتراوح معدلاته السنوية للأمطار ما بين 600 و2000 مم. تضم الأنواع الشجرية المنظمة للوحدات البيئية التعاقبية الخاصة بهذا الطابق البلوط الزغبي (Quercus pyrenaica) وبلوط الزان (Quercus canariensis) ومحلياً البلوط الفليني (Quercus suber) والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) في الجزء الغربي من السلسلة، وينفرد هذا النوع الأخير في الريف الشرقي.

تعتبر غابات البلوط الأوجية أو شبه الأوجية في هذا المجال من أغنى وأجمل غابات المغرب. لكن عوامل التدهور كانت السبب في تدهور أو تدمير البعض منها أو اجتثاثها على مساحات شاسعة لتعويضها بالمزروعات وخاصة زراعة الكيف التي تزدهر في هذا المستوى من الارتفاع حيث تكون الظروف المناخية أكثر ملاءمة لهذا النبات (انظر كيف).

من جهة أخرى، تجدر الإشارة هنا إلى أن المستعمر الإسباني قام قبيْل استقلال المغرب بتخريب غابات الشمال المغربي باستغلالها استغلالا مفرطا لاستخراج خشب الشوح (Abies maroccana) والأرز الأطلسي (Cedrus atlantica) ومادة الفلين. وأكبر كمية من الخشب استغلت هي تلك التي استخرجت من غابات بلوط الزان (Quercus canariensis) لبناء السكك الحديدية بإسبانيا، نظرا لكون هذا النوع من الخشب متيناً وصلباً وغير متعفن. كان يقدر عدد العمال

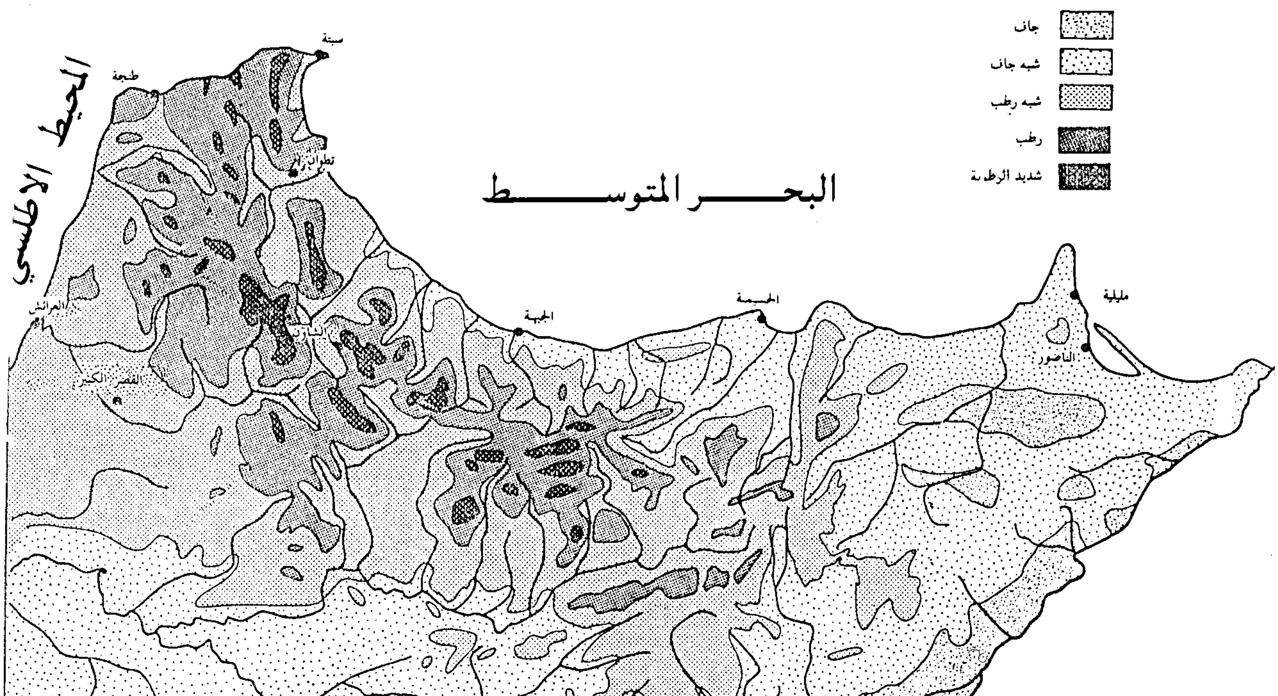


المناطق البيومناخية

والعساكر المشتغلين بالمائات. وكانوا يشتغلون ليل نهار مستعينين بكل ما يلزمهم من عتاد حربي كالدبابات العسكرية مثلا. فنتج عن ذلك تخريب جل غابات بلوط الزان، إذ لم يبق حاليا إلا عدد قليل من الأشجار الهرمة والمعطوبة غير الصالحة لتوفير خشب جيد.

- الطابق فوق المتوسطي : يوجد هذا الطابق كما يدل على ذلك اسمه فوق الطابق المتوسطي. ويندرج ما بين 1400 و1800 م من الارتفاع فوق سطح البحر. تكون البيومناخات في مستواه شبه رطبة ورطبة وشديدة الرطوبة ذات الشكل القارس. يتميز الطابق عن الطوابق الأخرى بتنوع غاباته وجمالها وديناميتها. فهي أقل تدهوراً وأقل تدميرا من تلك التي تصادف في الطابقين السفليين. الأنواع الشجرية المنظمة للوحدات البيئية التعاقبية مورقة ومخروطية. يمثل المورقات ذات الأوراق الصلبة البلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) ومحليا البلوط الفليني (Quercus suber) اللذان يشكلان غاباتهما في المناطق الأقل رطوبة ولا سيما في الجزئين الشرقي والأوسط من الريف تاركين الجزء الغربي الأكثر رطوبة للمورقات النفضية الممثلة بالبلوط الزغبي (Quercus canariensis) وبلوط الزان (Quercus pyrenaica) الذين يكسوان جزءاً كبيراً من المرتفعات السيليسية المنتمية لهذا الطابق. أما المخروطيات فهي ممثلة بالشوح المغربي (Abies maroccana) الذي تزدان به القمم الكلسية في الريف الغربي، وكذلك بالأرز الأطلس (Cedrus atlantica) الذي يشكل باقات على الصخور الكلسية في حالة انعدام الشوح، ويغطي بغاباته جل القمم عندما تصير الظروف المناخية وخاصة البرودة غير ملائمة للبلوطين النفضيين. مما يجعل الأرز يسود هذا الطابق في الجزء الأوسط من الريف الأكثر برودة والأقل أمطارا من الجزء الغربي الأقل ارتفاعا.

تجدر الإشارة هنا إلى أن اجتثاث الغابة محدود لأن الظروف المناخية غير ملائمة للزراعة. فزراعة الكيف مثلا ضعيفة الإنتاجية في هذا المستوى.

- الطابق الجبلي المتوسطي : يعتبر هذا الطابق أعلى الطوابق الغابوية بالمعنى الصحيح لأن الظروف المناخية للطابق القمِّي وهو الطابق الأعلى ليست ملائمة لتشكيل غابات، وإنما تشكيلات شبه غابوية أو شبه سهبية أو سهبية أو غير ذلك. يوجد الطابق الجبلي المتوسطي ما بين 1800 و2300 م، الشيء الذي يجعله ينحصر على قمم الريف الأوسط ما بين جبل كلتي غربا وجبل الأرز شرقا. إنه طابق غابوي شديد الرطوبة تتساقط فيه الأمطار والثلوج بكمية هامة لكن شتاءه قارس جدا، وقساوة برودته تمنع عدة أنواع من النمو في هذا المجال. فالأنواع الشجرية المنظمة للوحدات البيئية التعاقبية تقتصر على الأرز الأطلسي (Cedrus atlantica) والشوح المغربي (Abies maroccana) والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) مقتسمين المجال حسب الظروف البيئية. فإذا كان الشوح الأكثر تطلبا لكمية الأمطار يكسو القمم الكلسية فإنه يترك للأرز القمم السيليسية الموجودة في قلب السلسلة. ويكتفي البلوط الأخضر بالنمو في المجالات غير الملائمة مطريا للنوعين السابقين، ولا سيما في الواجهات المشمّسة والجافة نسبيا من الريف الشرقي والأوسط.

إنه من النادر جدا مصادفة مجالات مخصصة للزراعة نظراً لقساوة البرودة في هذا المستوى. الشيء الذي يجعل عملية الاجتثاث منعدمة.

- الطابق فوق الجبلي المتوسطي : يقتصر هذا المستوى في الريف على قمة جبل تدغين وبالتحديد على الجزء الموجود ما بين 2300 و2452 م، حيث ينظم الأرز الأطلسي (Cedrus atlantica) وحدة بيئية تعاقبية شبه سهبية بالرغم من وجود بيومناخ شديد الرطوبة. وذلك لأن فصل الشتاء أشد برودة من الطابق الجبلي المتوسطي. والملاحظ هنا أن العشيرة الأوجية لهذه الوحدة قد انقرضت في الماضي القريب دون معرفة السبب. ولم يبق فوق قمة تدغين إلا بعض الشواهد الممثلة ببعض الجثث الواقفة للأرز الأطلسي.

5- أنواع الأتربة والطوابق النباتية والواحدات البيئية التعاقبية :

يستنتج من الدراسة المعمقة لتوزيع أنواع الأتربة المنطقيّة أن هناك علاقة وطيدة بين هذه الأخيرة وتنوع الوحدات البيئية التعاقبية حسب توزيعها على الطوابق النبتية. وها هي لمحة وجيزة عن أنواع الأتربة المنطقية مسرودة حسب تنطقها ابتداء من السهول المنخفضة الجافة في الريف الشرقي وانتهاء بالقمم المطيرة :

- تلاحظ الأتربة الكستنائية في مجالات الوحدات البيئية التعاقبية للبطم الأطلسي وللعرعر البربري الموجودة بالريف الشرقي. وذلك في الطابق المتوسطي الدافئ.

- تصادف الأتربة التحددية الحمراء في مجالات الوحدات البيئية التعاقبية الموجودة في المتوسطي الدافيء والمنظمة من طرف العرعر البربري والبلوط القرمزي وبلوط الزان والبلوط الفليني. كما تصادف أيضا على الصخور الكلسية في مجالات الوحدات البيئية التعاقبية المندرجة في الطابق المتوسطي.

- تتكون الأتربة التحددية الدكناء في مجالات الوحدات البيئية التعاقبية الموجودة على الصخور الكلسية في سقف الطابق المتوسطي وفي الطابق فوق المتوسطي أو على الصخور السيليسية في الطابق المتوسطي.

- تنظم الأتربة الغابوية الدكناء في المجالات شديدة الرطوبة المنتمية للوحدات البيئية التعاقبية فوق المتوسطية المشكلة على الصخور السيليسية من طرف البلوط الزغبي وبلوط الزان، وللوحدات البيئية التعاقبية على الصخور الكلسية، في الطابق الجبلي المتوسطي.

ـ تنحصر الأتربة الديجورية العكراء في مجالات الوحدتين البيئيتين التعاقبيتين المنظمتين من طرف الأرز في الطابقين الجبلي المتوسطي وفوق الجبلي المتوسطي.

أما فيما يخص الأتربة لا منطقية فهي توجد في المجالات ذات الظروف البيئية المناسبة لها :

ـ الأتربة الترسية خاصة بالسهول والمنخفضات الموجودة في مجالات الوحدة البيئية التعاقبية للزيتون البري.

ـ الأتربة الشرساء مشكلة على المنحدرات فوق الصخور المارنية في مجال الوحدة البيئية التعاقبية للزيتون البري.

Benabid A., *Etudes phytoécologique, biogéographique et dynamique des associations et séries sybratiques du Rif occidental.* Thèse Doct. es. Sc. Fac. Sc. et Tech. St Jérôme, Aix-Marseille III, 1982, 199 p. + annexes ; *Etudes biogéographique et dynamique des peuplements forestiers du Rif. Annales Recherche Forest. au Maroc*, T. 23 - 49 - 129, 1983 ; *Etude phytéocologique des peuplements forestiers et préforestiers du Rif centrooccidental.* Rabat, 1984.

عبد المالك بنعبيد

* * إذا كان مصطلح الريف يشمل بالمعنى الجغرافي مجمل المناطق الممتدة في شكل سلاسل جبلية على طول الشريط الساحلي بشمال المغرب الأقصى. بينما يعمد المهتمون بالإرث الثقافي والحضاري وبالخصائص الاجتماعية المحلية إلى التمييز بين بلاد الريف حيث مضارب جملة من القبائل الأمازيغية المتفرعة عن الأصول النفزية وبلاد جبالة وغمارة الممتدة على المرتفعات الغربية والمتأصلة في البطون الصنهاجية والمصمودية.

ولم يتحفظ رواد المهتمين بتاريخ المغرب الأقصى الوسيط من الإقرار بأن عبارة الريف لم تستعمل للدلالة على جزء من شمال المغرب إلا ابتداء من العصر المريني خلال القرن السابع (13 م). مصداق ذلك ما ذكره البادسي ضمن *مقصده الشريف* عن "الريف الكائن ما بين مدينتي سبتة وتلمسان". وهو ما يتجلى من خلال الإشارات المتواترة لدى جملة من المؤرخين المتأخرين الذين تناولوا بالذكر بلاد الريف في متون مصنفاتهم، نخص منهم بالذكر ابن خلدون في *العبر* وابن أبي زرع الفاسي في *القرطاس*. ومما ساهم في ترسيخ هذا الاعتقاد خلو كتب المسالك والممالك الجغرافية القديمة من ذكر بلاد الريف ضمن أعلامها الجغرافية. كما هو الشأن لدى ابن حوقل في *صورة الأرض* والبكري في *ذكر بلاد المغرب* وغيرهما ممن دأب جمهور الباحثين على اعتمادهم.

وبصرف النظر عن اقتران مصطلح الريف عموما بالبادية، حتى غدت الأرياف من المصطلحات إن لم تكن من الحقول المعرفية المرتبطة بالبوادي ؛ لم يتردد بعض الدارسين من التماس الأصول اللغوية لعبارة الريف في اللهجات العامية. مع العلم أن قواميس اللغة العربية تشير إلى ارتباط مصطلح الريف "بالخصب والسعة في المآكل"، مؤكدة على علاقته بالعمران الحضري ؛ ففي لسان العرب المقصود : "بالريف، حيث يكون الحضر والمياه". وليس أدل على عمق الارتباط بين المعنيين مما ورد في حديث العرنيين بالقول : "كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، أي أنا من أهل البادية لا من أهل المدن".

ولا تعوز القرائن الدالة على استبحار العمران الحضري بشمال المغرب خلال القرون الثلاث الهجرية الأولى. فأول مدينة بنيت بالمغرب بعد الفتح الإسلامي حاضرة نكور ببلاد الريف، التي سرعان ما غدت حسب تقدير اليعقوبي "المدينة العظمى". كما أنشئت بعدئذ مدن المزمة وبادس إضافة لجراوة ومرجانة وتاوريرت. وتعددت التجمعات القروية، مثل تمسمان وبدكون وإيذي وقرية الصقالبة. وما فتئت المصادر التاريخية تكشف عن مواقع جملة من القلاع والحصون القديمة ببلاد الريف مثل تسفت وكرط وإكرى ومسطاسة، إلى ما يند عن الحصر من المرافئ البحرية مثل مرسى بقوية وتمسمان وبلش وأدار وأوفتيس وكرط وهرك، الوثيقة الارتباط عبر الخطوط البحرية بالعدوة الأندلسية. لعل في جملة هذه العناصر ما يدعو إلى التماس أصول مصطلح بلاد الريف في ذات المرحلة التاريخية الممتدة من الفتح الإسلامي إلى غاية منتصف القرن الرابع الهجري.

وعلى عكس تحاليل ثلة من الدارسين الذين تناولوا الأصول التاريخية لهذه العبارة، يبدو من خلال جملة من القرائن أن مصطلح الريف المتأصل في لسان العرب قد استعمل منذ وقت مبكر بدلالات جغرافية وعمرانية لنعت مجمل الشريط الساحلي الممتد شمال المغرب الأقصى. مصداق ذلك، ما ورد لدى ابن عذاري اعتمادا على مصادر قديمة، في سياق حديثه عن حملة النورمان على حاضرة نكور وبلاد "العدوة فاستباحوا أريافها"، على حد تعبيره.

والجدير بالملاحظة، أن نفس اللفظ استعمل للدلالة على المناطق الساحلية العامرة بالعدوتين المغربية والأندلسية، بل وكذا على غيرها من مناطق دار الاسلام التي تحمل نفس المواصفات السالفة، أي الخصب والسعة والقرب من البحر واستبحار العمران الحضري. يتجلى ذلك من خلال إشارة ابن خرداذبه إلى "بطن الريف" الكائن بمصر، وغير ذلك من الإشارات المتواترة بخصوص "ريف شذونة" بالأندلس و"ريف غمارة" بالمغرب. من الطبيعي في ظل التشابه العمراني بين سواحل العدوتين خلال القرون الأربع الهجرية الأولى أن يعمد أهل القلم إلى تمييز "ريف الأندلس" بالضفة المقابلة عن "ريف المغرب"، كما يتجلى من خلال ما احتفظ به ابن عذاري والقاضي عياض من اقتباسات.

إلا أن الجديد يكمن في إضفاء دلالات اجتماعية وتاريخية على ريف المغرب خاصة دون بقية الأرياف

المتوسطية، بما في ذلك ريف الأندلس ؛ حتى غدا مصطلح الريف مع مر الزمن مقرونا به دون غيره. وذلك اعتبارا من سقوط إمارة بني صالح، مع ما ترتب عن ذلك من فراغ على إثر خراب نكور سنة 473 هـ. أسفر ذلك عن اختفاء عبارة بلاد نكور تدريجيا من متون المصنفات التاريخية المتأخرة، تاركة المجال لرسوخ العبارة البديلة : بلاد الريف.

هكذا تبلورت معالم مصطلح ذي دلالتين تتمايزان في السياق حسب الاستعمال : الريف بمعناه الجغرافي والعمراني الأصلي القديم، ويشمل مجموع المنطقة الشمالية بالمغرب الأقصى. وهو ما عبر عنه ابن سعيد الأندلسي بالقول : "وذلك الساحل يعرف بالريف" أو "بلاد الريف" حسب ابن الخطيب، أو "جبال الريف" حسب الوزير الغساني. ثم الريف بمعناه الاجتماعي والتاريخي الذي يستثني معظم جبال غمارة وينضبط بدقة في المناطق التي شملتها إمارة بني صالح الغابرة، حسبما يتضح من الاستعمالات المتواترة في كتابات ابن عبد الملك المراكشي وابن خلدون والناصري وغيرهم. أما التمييز الذي ورد لدى الحسن الوزان وغيره من متأخري المصنفين "بين الريف وكرط"، فلا يعدو أن يكون مجرد تقسيم إجرائي يعمد إلى إحصاء الأقاليم المغربية بمعيار إداري يجعل "خامسها الريف... وسادسها هو كرط".


ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن،1967 ؛ ابن خرداذبه، *المسالك والممالك*، نشر دي خويه، ليدن، 1967 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، م. 2، القاهرة، 1973؛ ابن خلدون، *العبر*، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، بيروت، 1981 ؛ ابن سعيد، *بسط الأرض في الطول والعرض*، تح. خوان فرنيط خينيس، تطوان، 1958 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، السفر الثامن القسم الأول، تح.م. بنشريفة، الرباط،1984 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تح. ج. س. كولان وليفي بروبنفسال، بيروت، 1980 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، تح. عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة بدون تاريخ، ج. 4، حرف الفاء ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، تح. سعيد أعراب، الرباط، 1993 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، نشر دي سلان، باريس،1965 ؛ الغساني، *حديقة الأزهار*، تح. م. العربي الخطابي، بيروت، 1983 ؛ القاضي عياض، *أزهار الرياض*؛ مارمول، *افريقيا*، تر. محمد حجي وآخرين، الرباط، 1984 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، تح. جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء،1954 ؛ الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980 ؛ محمد أوني، *مفهوم الريف المغربي*، حوليات الريف، العدد الأول، السنة الأولى 1998، ص. 14 ـ44.

Patrice Cessier, *Prospection archéologique dans le Rif (zone de l'ancien royaume de Nakur)*, présentée à l'Université de Paris - Sorbonne ; Michaux-Bellaire, *L'Histoire du Rif*, in *Rif et Jbala*, Paris, 1926.


أحمد الطاهري

**الريف** (مقدمة -) منطقة متميزة بشمال المغرب تطبعها مظاهر طبيعية وبشرية تختلف عن مثيلاتها شمال وجنوب هذه التلال. فهي وحدة تضاريسية تتميز بأشكال طبوغرافية بسيطة، من قمم منعزلة وأعراف وانحدارات. وهي عبارة عن جبال سفلى سطحها جد متقطع وارتفاعاتها متباينة قلما تتجاوز 800 م. تختلف مجالات هذه التلال من حيث التهوية بسبب اتساع أو ضيق قعور الأودية التي تخترقها ارتباطا بنوعية الصخور التي تميز مختلف المجالات.

تقع هذه التلال في النهاية الجنوبية لجبال الريف، ويطلق عليها أيضاً تلال ما قبل الريف Les collines prérifaines، وكلا هاتين التسميتين تعنى أن جبال الريف لها بداية جنوبية تختلف في مظهرها عن الجبال الشمالية المرتفعة التي تصل ارتفاعها إلى 2456 م بجبل تيد غين.

تمتد تلال مقدمة الريف من الشمال الغربي نحو الشمال الشرقي وتشكل حزاما جنوبيا لهذه السلسلة، شكلها العام هلالي مقعرة نحو الشمال ومحدبة نحو الجنوب. تشرف غربا على حوض اللوكوس وفي الجنوب الغربي على سهل الغرب، وجنوباً على السايس، وشرقا على النهاية الشمالية الغربية للأطلس المتوسط. يبلغ امتدادها الطولي حوالي 300 كلم في التراب المغربي، ويستمر ظهورها في جبال التل بالجزائر وتونس إلى حدود رأس بون وعلى مشارف شط دجريد بالتراب التونسي. وهكذا فإن سلاسل ترارة وتسالة والدهرة بالجزائر تعتبر امتدادا لهذه التلال.

تعرف تلال مقدمة الريف من حيث قطاعها المستعرض اتساعا في الوسط الجنوبي إذ يصل عرضها إلى حوالي 50 كلم ؛ أما في اتجاه الشمال الغربي والشمال الشرقي فإن عرضها يتقلص ليصل إلى حوالي 10 كلم في الجانبين. وتبلغ المساحة الكلية لهذه التلال حوالي 10 000 كلم2.

تتخلل هذه الوحدة التلية شبكة هيدروغرافية كثيفة ترتبط بأودية مهمة أغلبها تتجه نحو الجنوب الغربي لتصب في المحيط الاطلنتيكي : واد سبو واللوكوس وروافدهما الأساسية مثل واد ورغة. وهناك نسبة قليلة من هذه الأودية تتجة نحو الشمال الشرقي لتصب بالبحر المتوسط : واد ملوية وبعض روافده مثل واد مسون، واد كرت.

هناك اختلافات من حيث الارتفاعات من موضع إلى آخر رغم أن نسبة كثيرة من القمم يتراوح ارتفاعها بين 300 و700 م، ونسبة قليلة جداً تصل الارتفاعات فيها إلى 800 و1000م، خصوصا في تلال مقدمة الريف الشمالية. وتوجد اخفض النقط الارتفاعية على طول المجاري المائية وهي تختلف حسب القرب أو البعد إما من العالية أو من السافلة. وكمثال فالمحاور الرئيسية عند النهاية الجنوبية لتلال مقدمة الريف تنخفض ارتفاعاتها لتصل إلى أقل من 50 م، بينما في العالية نحو الشمال والشمال الشرقي تصل الارتفاعات لهذه المجاري إلى 400 و500 م. وللإشارة فإن

نسبة تعمق بعض الأودية بتلال مقدمة الريف قد تصل إلى 400 أو 300 م إلى أقل من ذلك بكثير.

أما من الناحية الجيولوجية، فإن أهم ما يميز تلال مقدمة الريف هو تاريخ تكوينها الحديث والأصل الغير محلي لكثير من مواد هذه المنطقة، الناتجة عن الزحف حيث تسمى "الطيات الزاحفة" Les nappes de chariage.

تقع تلال مقدمة الريف من الناحية البنيوية في الجزء الجنوبي من الأخدود الجنوب ريفي بين تجاعيد مقدمة الريف (بمنطقة مولاي إدريس زرهون وسيدي قاسم) جنوباً ومنطقة الريف الداخلي Zone intra-rifaine شمالاً.

تشكل هذه التلال ميدانا للطيات الزاحفة التي تنقسم إلى قسمين : طية وزان وطية مقدمة الريف. توضعت مواد الطية الأولى في المنطقة الداخلية من الأخدود الجنوب ريفي وزحفت بعد ذلك نحو الجنوب. أما مواد الطية الثانية فقد توضعت في الجزء الجنوبي من الأخدود الجنوب ريفي.

يرتبط زحف هذه المواد بالحركات التكتونية التي ما زالت آثارها موجودة في استراتيغرافية التكوينات بالجزء الجنوبي من الأخدود الخارجي، وخصوصا في مواد الجوراسي ومواد الزمن الثالث. وقد كان هذا الزحف مدعما بشكل عام بواسطة حركات رفع في المناطق الشمالية وحركات تهدل في المناطق الجنوبية. ومن الحركات التكتونية الأساسية حركات الرفع في أواخر الاوليگوسين وخلال الطرطوني الأوسط، تم بواسطتها انفصال في التكوينات الداخلية للأخدود مما أدى إلى الانزلاقات الكبرى عن طريق الجاذبية من الشمال نحو الجنوب. ولتوضيح ميكانزمات تموضع هذه الطيات نشير إلى النتائج التي توصل إليها D. Leblanc سنة 1979 حيث لخصها من ناحية التاريخ الجيولوجي إلى أربع مراحل :

- قبل الحوادث التكتونية للميوسين : كانت منطقة تلال مقدمة الريف مغمورة بالبحر، بينما المناطق الدخلية كانت مكشوفة، مما جعل مقدمة الريف الخارجي تعرف ارسابات صلصالية.

- خلال المرحلة الأولى للحوادث التكتونية في الميوسين الأسفل : تواصلت الإرسابات في مقدمة الريف الخارجي وبدأ الزحف من الشمال نحو الجنوب.

- خلال المرحلة الثانية من الحوادث التكتونية في الميوسين الأوسط وفي بداية الطرطوني : أدت هذه المرحلة إلى تقدم ما يسمى "بالوحدات العليا العائمة" والتي لم تتوضع في مقدمة الريف الخارجي إلا خلال الطرطوني الأعلى.

- التطور المابعد الطيات : تحدد الغمر البحري في مقدمة الريف مع تواصل في نشاط بعض الحركات التكتونية إلى نهاية الطرطوني، حيث أدت إلى رفع مقدمة الريف، وإلى تراجع الغمر البحري مما أدى إلى ظهور تلال مقدمة الريف، عززتها تعرية نشيطة طبعت مجال هذه التلال مشكلة مظاهرها الحالية.

ولتلخيص ليتوسترتيغرافية هذه التلال نورد الجدول أسفله (رقم 1) مرتباً ترتيباً كرنولوجيا مخالفا للواقع الميداني بالمنطقة.

جدول رقم 1 : الفترات والعصور وأنواع الصخور بتلال مقدمة الريف

| الفترات والعصور الجيولوجية | أنواع الصخور |
|---|---|
| الرباعي | مكون من ست درجات على جوانب الأودية ذات مواد خشنة في القاعدة ومواد دقيقة في الأعلى |
| الفيلافرانشي | مكون من حصباء قارية سميكة في المنطقة الغربية (عرباوة) |
| الميوسين | • الميوسين الأعلى : حث رصيص ـ صلصال أسود ملحي وصلصال رملي ـ • الميوسين الأسفل : حث صلصالي وزصيصي أحيانا |
| الايوسين | صلصال وكلس وكلي صلصالي وصلصال حثي |
| الكريتاسي | • الكريتاسي الأعلى : صلصال ملحي مدعم أحيانا بركائز كلسية وحشية ـ • الكريتاسي الأسفل : صلصال يحتوي على جبس |
| الجوراسي | صلصال كلسي ـ كلس أحمر ـ نضيد حثي وكلسي ـ كلس كتلي |
| اللياس | كلس دلوميتي ـ كلس وصلصال كلسي |
| الترياس | طين أحمر ملحي وجبسي ودوليريت |

المصدر : *Ressources en eau du Maroc*, 1978 ـ التقارير المنجزة في إطار مشروع حوض سبو (اللتولوجيا)، 1968.

ونتيجة لهذه الستراتيغرافية المشوهة بمنطقة مقدمة الريف، فإن تكتونيتها متأثرة بالاختلافات الصخارية الملحوظة حيث إن زحف المواد أدى إلى تراكم الأجزاء الصلبة وتراكبها على شكل مجموعات تفصل فيما بينها منخفضات مكونة من صخور هشة أدى زحفها إلى اختلاطها وتبعثرها إلى حد اتلاف معالم بنيتها في كثير من الأماكن.

تحتوي تلال مقدمة الريف على وحدات متميزة من الناحية التكتونية والصخارية، ويمكن تقسيمها من الشمال نحو الجنوب إلى أربع وحدات كبرى :

- منطقة الصفوف في الشمال (Les sofs) : تمتد من منطقة وزان إلى منطقة واد المسون على شكل أعراف متتالية مكونة من الكلس أساساً، وهي وحدة كتلية بارزة في المنطقة. تتكون هذه الصفوف Sofs من عدة أجزاء متراكبة فيما بينها، وهي عبارة عن تجاعيد شبه محدبة، صخورها كلسية، حثية ونضيدية تنتمي إلى اللياس والجوراسي.

ـ مقدمة الريف الحقيقية : تمتد من الشمال نحو الجنوب بين منطقة الصفوف وتجاعيد مقدمة الريف، وتهم مساحة هامة بين الوحدات الأخرى وتشمل الوحدة الثالثة التي سنتناولها مستقلة (وحدة طية وزان) بغض النظر عن طية وزان تتكون هذه التلال الحقيقية من مواد صلصالية بالأساس :

+ صلصال محلي وجبسي، ينتمي إلى الترياس

+ صلصال كريتاسي يحتوي على رفوف حثية وكلسية

+ كلس حثي وصلصالي ينتمي إلى الايوسين والأليگوسين

+ صلصال الميوسين الأعلى

وقد عرفت الأنواع الهشة من هذه الصخور زحفا نحو الجنوب وتوجد بين التكوينات الميوسينية بمنطقة الغرب ومنطقة فاس ومكناس.

ـ طية وزان : هي عبارة عن كتل صخرية صلبة تتناثر هنا وهناك داخل مقدمة الريف الحقيقية المشار إليها آنفا. تسمى هذه الطية أيضا "الكتل العائمة" فوق تكوينات مقدمة الريف وتتكون أساساً من مواد الزمن الثالث :

+ صلصال أبيض صواني ينتمي إلى الأيوسين الأسفل

+ تكوينات الميوسين الأسفل مكونة من الحث والرصيص

+ بعض عناصر الأيوسين الأعلى والأوليگوسين

+ تكوينات الطرطوني الأسفل والأوسط

وكل هذه المواد زاحفة من الشمال أي من أقصى الوحدات الشمالية للريف.

ـ تجاعيد مقدمة الريف : تشكل هذه التجاعيد الحد الجنوبي لطية مقدمة الريف وتوجد أساساً قرب الخميسات، سيدي قاسم، مولاي إدريس زرهون، وتتكون من :

+ تكوينات اللياس الأسفل : كلس، صلصال، كلس حثي، حث "حث زرهون".

+ تكوينات الكرتياسي : طبقات متعاقبة من الصلصال والكلس.

+ تكوينات الزمن الثالث : كلس يحتوي على أجزاء حثية ـ مولاس من الصلصال الكلسي، صلصال أبيض "صلصال بني عمار".

إن مختلف هذه الوحدات تشكل من الناحية التضاريسية تباينات واضحة في المجال. ويمكن أن نصنف البعض منها في إطار الجبال المنخفضة : يتعلق الأمر بمنطقة الصفوف، بطية وزان وبتجاعيد مقدمة الريف، وتبقى وحدة مقدمة الريف الحقيقية عبارة عن تلال حقيقية اعتبارا لأشكالها البسيطة وارتفاعاتها المنخفضة.

تحتوي تلال مقدمة الريف على أشكال كبرى وصغرى :

ـ الأشكال الكبرى وتتمثل في :

+ الأشكال البنيوية وهي عبارة عن أعراف طولية

+ الأشكال السفحية : تتنوع حسب وضعية تراكب الصخور الصلبة والصخور الهشة ؛ ونتيجة لذلك تكون السفوح إما مقعرة أو مركبة.

+ الأشكال النهرية : عملت الأودية بتلال مقدمة الريف خلال فترات الزمن الرابع على بناء درجات نهرية وتتكون من ست مستويات متدرجة وتحتوي من الأسفل نحو الأعلى:

ـ مستوى حصوي حصيبي ورملي يختلف من حيث درجة التماسك حسب قدمه وحسب نوعية اللحام.

ـ مستوى رملي وطيني يتأثر سلبا أو إيجابا بعوامل التعرية (الإزالة أو الاغناء بالمواد السفحية).

الأشكال الصغرى : هي أشكال مركزة ناتجة عن عمل التعرية وخظيت بدراسة مفصلة من الناحية النوعية (خرائط التعرية المنجزة من طرف Avenard في إطار مشروع حوض سبو) بعموم تلال مقدمة الريف. ونورد فيما يلي أهم الأشكال التي توجد بهذه المنطقة :

+ الأشكال المرتبطة بالنمت الجانبي للأودية : تهم هذه التعرية المجالات المنخفضة من تلال مقدمة الريف، حيث أن الأودية خلال الفصل المطر وأثناء الفيضانات، تعمل على اكتساح جوانبها وتؤثر سلبا على السفوح المشرفة عليها. تتسبب قوة المياه في انهيارات على جوانب الأودية وانزلاقات كتلية على السفوح.

كما توجد بتلال مقدمة الريف أشكال أخرى للتعرية، مرتبطة إما بنوعية بعض الصخور أو بعمل الإنسان وتأثير المواشي على السفوح.

جدول رقم 2 : أصناف الانحدارات بتلال مقدمة الريف

| أصناف الانحدارات (٪) | نسبة المساحة (٪) |
|---|---|
| ـ من 0 إلى 5 | 08 |
| ـ من 5 إلى 15 | 18 |
| ـ من 15 إلى 25 | 28 |
| ـ من 25 إلى 35 | 22 |
| ـ من 35 إلى 45 | 12 |
| ـ من 45 إلى 65 | 10 |
| ـ أكثر من 65 | 02 |
| المجموع | ٪100 |

المصدر : *خرائط الانحدارات لمقدمة الريف* بمقياس 1 : 100.000، 1967، مشروع سبو.

جدول رقم 3 : معدل التساقطات والحرارة في بعض محطات القياس بمقدمة الريف (1933 ـ 1963)

| | معطيات القياس | الارتفاع (م) | معدل التساقطات السنوية (ملم) | معدل الحرارات القطوى (C°) | معدل الحرارات الدنيا (C°) |
|---|---|---|---|---|---|
| تلال مقدمة الريف الشرقية | تاونات | 670 | 904 | 23،4 | 11،4 |
| | تيسة | 240 | 551 | 26،6 | 12،2 |
| تلال مقدمة الريف الغربية | وزان | 164 | 885 | 25،7 | 10،6 |
| | قرية أبا محمد | 150 | 571 | 26،0 | 12،0 |

المصدر : *Ressources en eau du Maroc*, 1978, p. 83 بتصرف

قبل التعريف بساكنة هذه المنطقة لابد من توطينها حسب المعطيات التي أفرزها التقسيم الإداري لسنة 1982، والإشارة إلى خصوصية هذا التقسيم بالنسبة لهذه الوحدة.

توجد هذه التلال في التراب الإقليمي لخمس عمالات، وتنتمي كليا أو جزئيا إلى ثلاث عشرة دائرة وهي كالتالي:

جدول رقم 4 : العمالات والدوائر بمنطقة مقدمة الريف

| العمالات | الدوائر |
|---|---|
| سيدي قاسم | حد كورت<br>مشروع بلقصيري<br>وزان<br>سيدي قاسم |
| تاونات | قرية أبا محمد<br>غفساي<br>تاونات<br>تيسة |
| تازة | اكنول<br>تاهلة<br>تاينست |
| تطوان | القصر الكبير |
| القنيطرة | سوق أربعاء الغرب |

المصدر : *الإحصاء العام للسكان والسكنى لـ1982* (بتصرف)

هذا التقسيم لا يتطابق جغرافيا مع الحدود الطبيعية لهذه الوحدة التلية، الشيء الذي لا يمكن من التوفيق بين الحدود الطبيعية والحدود الإدارية، مما ينعكس سلبا على المعطيات الإحصائية عند الحديث كليا عن تلال مقدمة الريف، باعتبار أن الامتداد الترابي للعمالات والدوائر قد لا يغطي أو يتجاوز الحدود الطبيعية لهذه المنطقة وهذه المسألة ـ كما في المناطق الأخرى ـ لا تمكننا من استعمال إحصائيات متكاملة، ولذلك سنقتصر في الجانب السكاني على اختيار بعض الدوائر دون الأخذ بعين الاعتبار مسألة الحدود الجغرافية مميزين بين الخصوصيات الحضرية والريفية.

إن أهم التجمعات الحضرية بتلال مقدمة الريف تتمثل في مدينة وزان التي يصل عدد سكانها حسب إحصاء 1982 إلى 40485 نسمة، تليها مدينة تاونات بـ 10810 نسمة. أما المراكز الحضرية المهمة فهي على التوالي : قرية أبا محمد (5562 نسمة) حد كورت (3140 نسمة) وتيسة (2251 نسمة). وللإطلاع على التطور الذي عرفته هذه المدن والمراكز الحضرية نورد الجدول التالي :

جدول رقم 5 : أعداد الساكنة الحضرية ونسبة الزيادة بمقدمة الريف حسب إحصاء ي 1971 ـ 1982

| المراكز الحضرية / السنوات | 1971 | 1982 | نسبة الزيادة |
|---|---|---|---|
| وزان | 33.267 | 40.485 | 1،9 |
| تاونات | 3.101 | 10.810 | 22.59 |
| قرية أبا محمد | 4.246 | 5.562 | 2،8 |
| حدكورت | 1.257 | 3.140 | 13،6 |
| تيسة | 1.385 | 2.251 | 5،68 |
| المجموع | 43.256 | 62.248 | 3،99 |

المصدر : *الاحصاء العام للسكان والسكنى لـ1982*

من الملاحظات الأساسية من خلال هذا الجدول، الزيادة المهولة التي عرفتها ساكنة بعض المراكز والمدن، وعلى رأسها مدينة تاونات (22،59٪) والمركز الحضري حد كورت (13،6٪).

إن وظائف هذه المدن والمراكز بسيطة وتتلخص في الوظيفة الإدارية والتجارية لكونها تقتصر على تأطير وتزويد مجالها الريفي القريب بالحاجيات الضرورية، إضافة إلى كونها تشكل نقط التقاء محلية لأن أغلب هذه المراكز والمدن لا تقع على الطرق الرئيسية للبلاد.

تستثنى من هذه المراكز مدينة وزان التي تحتوي علي وظيفة صناعية وأخرى دينية. تتمثل الأولى في الصناعة التقليدية حيث تتوفر على معاصر الزيتون وعلى محلات

للحياكة. وتتمثل الثانية في الزاوية الإدريسية والدور الذي لعبه الشرفاء الوزانيون.

وتشكل ساكنة الأرياف بتلال مقدمة الريف نسبة عالية بالمقارنة مع ساكنة المراكز الحضرية فمن خلال معطيات الدوائر المعتمدة (انظر الجدول أسفله) تصل نسبة سكان الأرياف بهذه المنطقة سنة 1971 إلى 92,59٪ و91,59٪ سنة 1982. وتعرف المنطقة كثافة سكانية عالية قدرت سنة 1968 *(Ressources en eau du Maroc)* بـ 80 نسمة في كلم2 في الجهة الغربية وبين 40 و70 نسمة في كلم2 في الجهة الشرقية. وعرفت هذه الكثافة زيادة كبيرة بين الاحصاءين (1971 ـ 1982) تمشيا مع الارتفاع الملحوظ في عدد السكان حسب الدوائر وتتراوح الزيادة عموما بين 1,32٪ و1,91٪ سنويا، وهو ما نلاحظه من خلال الجدول التالي :

جدول رقم 6 : السكان القرويون ببعض دوائر مقدمة الريف حسب إحصاء 1971 و1982

| الدوائر / السنوات | 1971 | 1982 | الزيادة العددية بين الإحصاءين | نسبة الزيادة السنوية (٪) |
|---|---|---|---|---|
| وزان | 98.546 | 113.030 | 14.484 | 1,33 |
| تاونات | 113.296 | 129.834 | 16.538 | 1,32 |
| قرية أبا محمد | 99.179 | 118.783 | 19.604 | 1,79 |
| حدكورت | 111.028 | 128.969 | 17.941 | 1,46 |
| تيسة | 118.358 | 143.332 | 24.974 | 1,91 |
| المجموع | 540.434 | 633.948 | 93.514 | 1,34 |

المصدر : *الاحصاء العام للسكان والسكنى لـ1982*

يرتكز النشاط الاقتصادي لسكان الأرياف بتلال مقدمة الريف على الأنشطة الفلاحية، أساسها زراعة الحبوب والخضراوات، والمغروسات الشجرية وتربية المواشي. فمن خلال خريطة استعمال التربة (أطلس حوض سبو) نميز بين بعض المجالات وبعض أنواع المزروعات والأنشطة.

تبين الخريطة السالفة الذكر بأن الجهة الشمالية الوسطى من هذه التلال تحتلها مساحات غابوية مهمة، تقل كلما اتجمعنا نحو الجنوب، وهي مجالات للمراعي الدائمة ولاستغلال الأخشاب فضلا عن استغلال بعض المساحات للنشاط الزراعي (الزراعات الخريفية).

وتختص قعور الأودية بهذه التلال في الزراعات المتخصصة مثل الخضراوات والحوامض والثمار الصيفية كالدلاح والبطيخ، نظراً التوفر الرطوبة وفي بعض الجهات المياه السطحية والباطنية.

وتنتشر على السفوح الوعرة وفوق بعض القمم مغروسات أهمها أشجار الزيتون، وبعض الأنواع الأخرى من الأشجار المثمرة مثل أشجار التين رغم قلتها وهي مغروسات تعرف انتشارا كثيفا في الجهة الوسطى والغربية من تلال مقدمة الريف.

أما بالنسبة للزراعات فهي زراعات متعاقبة من صنفين كبيرين :

+ الزراعات الخريفية مكونة من قمح وشعير

+ الزراعات الربيعية مُكونة من الذرة والقطاني بأنواعهما المختلفة ومن المعلوم أن سكان هذه المنطقة يتعاطون لأنشطة تكميلية مثل تربية المواشي والتجارة بالأسواق المحلية، فضلا عن وجود نسبة هامة تهاجر موسميا نحو المناطق الشمالية والجنوبية للعمل بالقطاع الفلاحي، ووجود عمال مهاجرين بالخارج يساهمون بعائداتهم في تحسين وضعية أسرهم.

من خصوصيات السكن بتلال مقدمة الريف احتلاله لمواضع معلقة فوق القمم أو في أعالي السفوح ؛ إلا أن التطور الحالي، وبعد استرجاع الأراضي من المعمرين، بدأ السكن ينتشر في قعور بعض الأودية بالقرب من نقط الماء. ويستغل السكن التقليدي مواد بناد محلية وخاصة الصلصال والحث بينما يستعمل السكن العصري الذي بدأ يظهر على جوانب طرق المواصلات المواد المصنعة المعروفة.

وبالجملة فإن تلال مقدمة الريف هي منطقة شبه متجانسة طبيعيا وبشريا، وتتسم بثلاث خاصيات أساسية. تتعلق الأولى بالتنوع الملحوظ في الأوساط الطبيعية وفي الأنشطة الفلاحية المزاولة. وتتعلق الثانية بالمحدودية المطلقة في الأنشطة بالمدن والمراكز الحضرية. أما الخاصية الثالثة فهي مرتبطة بالزيادات السكانية السريعة مما يؤدي إلى اتفاع الكثافات بالأرياف وتوسع المدن والمراكز الحضرية بهذه المنطقة.

J. Avenard, *Les cartes d'érosion du Prérif au 1 : 50.000, I.N.R.A, Projet Sebou*, édition provisoire, 1965 ; G. Lazarev, *Structure agraire et grandes propriétés en pays Hayaïna (Prérif), R.G.M.*, n° 9, pp. 23 - 32, 1966 ; Projet Sebou, *"Différents rapports inédits sur l'aménagement de la région prérifaine"*, Documentation complète *(Etude physique et humaine sur le bassin du Sebou)*, 1963 - 1968 ; *Cartes des pentes du Prérif au 1 : 100.000*, I.G.N dans le cadre du P.N.U.D, 1967 ; *Atlas du bassin du Sebou, Carte de l'utilisation du sol*, planche 16, 1970 ; M. Combe, *La zone prérifaine et les rides prérifaines, Ressources en eau du Maroc*, pp. 81 - 111, 1978 ; D. Leblanc, *Etude géologique du Rif externe oriental, au nord de Taza, notes et mémoires du service géologique du Maroc*, n° 281, pp. 134 - 139 ; *Recensement général de la population et de l'habitat du Royaume du Maroc en 1982, Bulletin officiel* n° 3679 du 4 mai 1983 ; A. El Bouzidi, *Vallée moyenne de l'oued Lebène (Prérif, Maroc), Etude de cartographie géomorphologique*, thèse de 3ème cycle, Université de Poitiers, France, 1987.

عيسى البوزيدي

* * بعض أهم قضايا الجغرافيا البشرية للريف : يستقطب الريف ما يقرب من 1\5) ساكنة البلاد، حيث تتجمع بنسب قل نظيرها بالمناطق الجبلية. وهو ما تعكسه كثافة متوسطة تتجاوز 100 ن \ كلم²، أي ثلاثة أضعاف المعدل الوطني. ولعل انتشار السكن وغلبته على المنظر العام لبواديه يترجم مدى الضغط الذي تتحمله الموارد الطبيعية من غابات وأتربة ومياه.

يتجه استقرار السكن إلى النوع المتفرق المتباعد، وفي حالات أخرى يحتفظ بتجمعات متراصة على هيأة دواوير ومداشر غالبا ما تستقر في قعور الأودية أو تحتمي فوق السفوح الوعرة الآمنة.

غير أن الصفة الملازمة لساكنة جبال الريف حاليا هي تدهور أنماط عيشها، الأمر الذي ينعكس باستغلال عنيف للمجال انتهك حدود التحمل منذ أوائل القرن 20. وقد تجددت وتيرة الاستنزاف منذ السبعينيات بطريقة أعنف لأسباب اقتصادية وعقارية تتمحور حول تملك الأرض والزراعة المحظورة. ومن أهم مسببات الضغوط التي توالت بهذه المنطقة نجد :

- تزايداً كبيراً في أعداد السكان (أزيد من 3٪ \ سنة) حيث تم تجاوز حاجز 5 مليون نسمة. وهذا ما يفسر كثافات تناهز 100 نسمة \ كم² بعدما كانت في حدود 40 سنة 1971.

- النسبة العالية من السكان القرويين 4\5 رغم موارد فلاحية محدودة ومتداعية لا تفي بحاجيات غذائية من حجم هذه الساكنة.

- اتساع الأنشطة غير المبرمجة كالمسالك القروية والمنشآت والمباني مما زاد من كثرة الأعطاب المستنزفة لتوازن السفوح.

- تضاعف أعداد المراكز والقرى المستقطبة للسكان بالساحل المتوسطي وعلى امتداد الطرق والممرات الجبلية.

ومثلما يوحي هذا التقديم بقدر الاستنزاف الممارس على المصادر الأولية كالماء والتراب والغابة، يتم تعويض الخصاص على مستوى الأراضي الفلاحية والعقارية باستئصال الغابة، علما أن الطلب يتضاعف موازاة مع النمو الديمغرافي، على رأس كل 20 سنة.

السكان والكثافات بالأقاليم الشمالية : يتميز توزيع ساكنة الريف بظاهرة الانتقال نحو الهوامش الجبلية والعزوف عن الجهات الوعرة المنعزلة خاصة بعد تدهورها وتقلص الإمكانات اللازمة للاستجابة إلى المتطلبات الأساسية وبالطبع سيؤدي التكدس المفرط للسكان على السواحل إلى تصحر حقيقي لها كما يتجلى من المشاهد المماثلة لسواحل الهضبة الوسطى والهضاب الأطلنتية.

توزيع السكان

| إقليم | مساحة كم2 | السكان | قرويون | حضريون | كثافة ن\كم2 |
|---|---|---|---|---|---|
| طنجة | 1.195 | 627.963 | 101.748 | 526.215 | 525.5 |
| العرائش | 2.784 | 431.476 | 229.991 | 201.485 | 155.0 |
| تطوان | 3.242 | 537.290 | 169.941 | 367.349 | 165.7 |
| الشاون | 4.350 | 439.303 | 396.389 | 42.914 | 101.0 |
| الحسيمة | 3.550 | 382.972 | 270.384 | 112.588 | 107.9 |
| تاونات | 5.585 | 628.840 | 576.566 | 52.274 | 112.6 |
| تازة | 15.020 | 708.025 | 501.844 | 206.181 | 47.1 |
| الناظور | 6.130 | 683.914 | 437.801 | 246.113 | 111.6 |

الإحصاء العام 1994

ورغم وتيرة الهجرة، فسكان الحواضر يشكلون أقل من ثلث السكان، بل أقل من العُشر بجهة تازا الحسيمة تاونات وهو قرابة ضعفي المعدل الوطني، يحمل مضامين نؤكد موقع ودلالة هذه الجبال كمجال يستقطب أنشطة فلاحية بالأساس. كما يوحي بحجم البنيات التحتية اللازم على الدولة توفيرها لتلبية حاجيات قاعدة هرمية ضخمة من السكان.

بنية الأعمار ببعض أقاليم الريف

| أعمار | الحسيمة | تازة | تاونات | الشاون | تطوان |
|---|---|---|---|---|---|
| 0-4 | 14.6 | 13.3 | 14 | 17.1 | 12.5 |
| 5-9 | 14.9 | 14.5 | 15.1 | 17.0 | 12.3 |
| 10-14 | 13.2 | 13.8 | 14 | 13.6 | 11.9 |
| 15-19 | 11.1 | 11.6 | 11.1 | 10.4 | 11.6 |
| 20-24 | 9.3 | 9.3 | 9.1 | 8.0 | 9.8 |
| 25-29 | 7.5 | 6.9 | 6.6 | 6.1 | 8.2 |
| 30-34 | 7.0 | 6.4 | 5.7 | 5.9 | 7.8 |
| 35-39 | 5.4 | 5.0 | 4.4 | 4.6 | 6.0 |
| 40-44 | 3.8 | 3.9 | 3.9 | 3.7 | 4.7 |
| 45-49 | 2.5 | 2.8 | 2.7 | 2.6 | 3.1 |
| 50-54 | 2.9 | 2.9 | 3.5 | 2.7 | 3.4 |
| 55-59 | 2.4 | 2.5 | 2.6 | 2.1 | 2.9 |
| 60-64 | 2.1 | 2.5 | 2.6 | 2.1 | 2.5 |
| 65-69 | 1.3 | 1.4 | 1.4 | 1.2 | 1.4 |
| +70 | 2.1 | 3.1 | 2.8 | 2.8 | 2.8 |

الإحصاء العام 1994

أهمية الناشئة والفئات ذوي الأعمار الدنيا بالريف تظهر جانبا مما يلزم توفيره على مستوى التمدرس والتطبيب والخدمات الاجتماعية. فبعدما ظل الريف قطبا

ومصدرا للمعرفة عبر الزوايا والمدارس، تحول في أواخر القرن 20 إلى بؤرة للجهل والأمية كما يتبين من الجدول التالي :

الأمية لدى ساكنة الريف

| إقليم | حواضر | قرى | ذكور | إناث | مجموع |
|---|---|---|---|---|---|
| الحسيمة | 42 | 76 | 48 | 81 | 65 |
| الشاون | 33 | 75 | 51 | 89 | 70 |
| تاونات | 41 | 74 | 54 | 88 | 72 |
| تازة | 39 | 75 | 48 | 78 | 64 |
| تطوان | 38 | 78 | 37 | 63 | 50 |
| المغرب | 37 | 75 | 41 | 67 | 55 |

وكالة تنمية الأقاليم الشمالية 1999

وكرد فعل تلقائي إزاء هذا الفائض البشري المفتقد لسبل التنمية، تحولت المنطقة إلى مصدر لليد العاملة باتجاه باقي جهات المغرب وباتجاه أوربا ( *الرفاص*، 1996) مثلما كانت الهجرات الداخلية والخارجية سائدة طوال النصف الثاني من القرن 20، تزود جبال الريف بواسطتها المدن والمراكز الساحلية بفائض السكان، وهو دور مارسته مع دول الضفة الأوربية المقابلة.

الهجرة نحو أوربا حسب البلاد المتسقطبة وحسب مناطق "التصدير"

| البلد | طنجة | تطوان | الشاون | الحسيمة | الناظور | تاونات | تازة | الريف | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| فرنسا | 22.192 | 36.762 | 34.600 | 22.637 | 40.755 | 22.270 | 8.840 | 199.356 | 720.000 |
| بلجيكا | 15.150 | 13.452 | 5.432 | 9.487 | 38.832 | 4.910 | 2.590 | 93.353 | 170.000 |
| هولندا | 9.590 | 10.250 | 4.545 | 10.642 | 28.945 | 1.420 | 2.028 | 69.812 | 190.000 |
| ألمانيا | 4.445 | 2.122 | 3.645 | 7.382 | 28.960 | 3.027 | 6.800 | 50.781 | 80.000 |
| إيطاليا | 4.235 | 2.012 | 3.107 | 3.547 | 4.905 | 2.042 | 9.600 | 22.498 | 130.000 |
| إسبانيا | 6.700 | 12.850 | 3.070 | 10.002 | 14.980 | 4.200 | 3.000 | 53.202 | 90.000 |
| إنجلترا | 7.892 | 1.390 | 1.337 | - | 2.200 | - | 1.640 | 11.048 | 28.000 |

وكالة تنمية الأقاليم الشمالية 1999

التقسيم الإدراري بين المجالات القروية والمراكز الحضرية : من مجموع 16 جهة على الصعيد الوطني، تتوزع الريف ثلاث جهات اقتصادية هي الجهة الشرقية والشمالية الوسطى والشمالية الغربية. يعتمد التقسيم الإداري بالريف منذ 1992 أقاليم جبلية بالأساس هي الحسيمة، الشاون، تاونات، تطوان تازا، تشمل لوحدها 198 جماعة، 176 منها قروية و19 حضرية.

توزيع الوحدات الإدارية بالريف الأوسط

| إقليم | دائرة | ج. قروية | ج. حضرية |
|---|---|---|---|
| الحسيمة | 3 | 31 | 4 |
| الشاون | 4 | 33 | 1 |
| تاونات | 4 | 44 | 5 |
| تازة | 6 | 43 | 6 |
| تطوان | 2 | 25 | 6 |
| المجموع | 19 | 176 | 22 |

التقسيم الإداري، *الجريدة الرسمية*، 1992

بينما تتوزع الحواضر الكبرى المحيطة صفة الولاية : طنجة وتطوان وفاس إلى جانب وجدة في الشرق. وهو حتما تقسيم لا يراعي كافة الاعتبارات وفق وحدات متكاملة تستجيب لمتطلبات تدبير وتنمية فعلية. وليست كل الجماعات متوفرة على البنيات والشروط اللازمة لخدمة المصالح الفعلية للسكان.

ولطبيعة انتظام التضاريس أثر مباشر على توزيع ساكنة الريف خاصة منها تجمعات المراكز القروية والحضرية بحيث يمكن اقتراح تراتبية عبر خمسة محاور رئيسية شرقية غربية تنتظم من الشمال نحو الجنوب على الشكل التالي :

- المحور الأول ساحلي، تتنامى به بعض المراكز هي طريس، مسطاسة، سيدي فتوح، الجبهة، أمتر، بوأحمد، ترغة، واد لآو، أمسى.
- المحور الثاني بين الحسيمة - تطوان ويشتمل من الشرق إلى الغرب على مراكز أجدير، بني حديفة، تارجست، إكاون، باب بـرِّد، باب تازا، الشاون، بني حسان، بتقريش.
- المحور الثالث يبدأ من تزي وسلي ويمر عبر أكنول، أجدير، بورد، طهر السوق، بني وليد، بوهودا، سيد المخفي، غفساي، زومي.
- المحور الرابع يبدأ من مزكيتام ثم كهف الغار، بني فراسن، عين مديونة، عين عيشة، وارتزاغ، تافرانت وأخيراً جرف الملحة.
- المحور الخامس يبدأ من لمسون، ثم بوقلال، مكناسة، بني لنت، أولاد زباير، وطابوعبان، تيسة، أولا جامع القرية.

وينتهي هذا التراتب جنوبا على نفس الصيغة بدءاً من منخفض گرسيف وانتهاءً بمنخفض الغرب ومروراً عبر الفحامة، تازا، باب مرزوقة، واد أمليل، الشبابات، مطماطة، الطوابع، سايس.

ومع تباين التقسيمات يتضح أن المنطقة الريفية تخضع

لنفوذ محورين حضريين هامشيين هما :

1 ـ محور وجدة ـ بركان ـ الناظور

2 ـ محور طنجة ـ تطوان

خصاص في المنشآت الأساسية بالريف : من عناصر إشكالية التنمية بالريف كذلك عدم اندماج المنطقة كليا في المنظومة الاقتصادية والاجتماعية الوطنية جَـرَّاءَ نقص محسوس في شبكة الطرق والمسالك المعبدة والتجهيزات ذات الطبيعة الحيوية. كما أن ضعف المراكز المؤهلة والقادرة على بلورة تطلعات السكان وتوظيف مثالي للموارد الطبيعية يجعل قضية التنمية عملية صعبة يتعذر الوصول إليها آنيا. وهي مسألة ذات حساسية تجعل من الريف وسطا مغلقا رغم وجود نماذج جبلية مماثلة بالأطلس المتوسط (إفران، إيموزار، الحاجب...) تعتبر مراكز استقطاب حقيقية مقارنة مع كتامة، تارگيست، بني بوفراح التي تشتمل على عناصر تنمية مشابهة. وبالطبع كل ذلك يوجه أنماط الاقتصاد وطبيعة النماء المحلي والجهوي.

ظلت الشبكة الطرقية بالريف إلى حدود سنة 2000 دون الحد اللازم للوفاء بمستلزمات السكان ومتطلبات التنقل. ومن ذلك أن الكثافة الطرقية بمعدل 1.5 كم \ 1000 نسمة هي دون المعدل الوطني الذي يصل 23 كم \ 1000 نسمة. مع العلم أن نصف النسيج الطرقي يستدعي عناية فعلية لمواجهة تداعيات الحركات السفحية وفيضانات قعور الأودية. وقد يتعذر استغلال جزء كبير من هذه البنيات حين تتطلب إصلاحات متكررة وجد مكلفة. لذلك مازالت بعض الجهات الساحلية بين الناظور والجبهة تفتقد لطرق حقيقية وتعاني من العزلة المطلقة.

البنية الطرقية الريفية (كم)

| أقليم | طريق رئيسي | طريق ثانوي | طريق ثلاثي | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| تطوان | 159 | 151 | 36 | 345 |
| الشاون | 172 | 135 | 277 | 583 |
| تاونات | 59 | 274 | 362 | 695 |
| الحسيمة | 158 | 110 | 140 | 409 |
| تازة | 149 | 491 | 377 | 1.017 |

وكالة تنمية الأقاليم الشمالية 1999

للطرق تأثير مباشر على تنظيم المجال الريفي خاصة من حيث توزيع الساكنة واختيار الأماكن والمواقع الملائمة لمختلف الأنشطة، حيث ساهمت على قلتها في تغيير الأسس السوسيو ـ اقتصادية للمنطقة من حيث كونها تسمح بالحد الأدنى لرواج التجارة والخدمات. لذا أجمع كل المتدخلين في الحوار حول إعداد التراب الوطني سنة 2000 على ضرورة ملاءمة البنيات التحتية لهذا المجال بحيث تستطيع تلبية الاحتياجات وتجاوز ثنائية محدودة قائمة على محور طريق الوحدة (بين تاونات وكتامة) من جهة ومحور طريق القمم بين تطوان والحسيمة من جهة أخرى.

جراء هذا الافتقاد لطرق مواصلات فعالة، اندفع السكان إلى شق المسالك والممرات الوعرة تؤلف حاليا شبكة عشوائية أنجزت في إطار مبادرات منفردة أو تؤطرها بعض الجماعات. وهي بقدر ما سهمت في فك العزلة عن التجمعات السكنية، بقدر ما ألحقت أضرار بليغة بالتشكيلات السفحية الترابية والنباتية.

ومن شأن إنجاز الطريق الساحلي خلق بوادر تحولات نوعية ستطرأ لا محالة على الواجهة المتوسطية لتحدد منظومة مجالية وفق المنظور التالي :

- تسريع ظاهرة التمدين وتضاعف أعداد المراكز الحضرية نحو الساحل
- تزايد ساكنة المناطق الساحلية
- التحول من اقتصاد زراعوي إلى اقتصاد الخدمات
- تحديث نماذج الإنتاج الفلاحي من أجل تلبية سوق متنامٍ وذلك بسهول نكور، بني بوفراح، مسطاسة، بوأحمد، واد لاو...
- تراجع وقع العزلة ارتباطا بتنامي السياحة ورواج السوق المالية.

يتضح مما سلف أن الوضع السكاني بجبال الريف يعاني من الحالات التالية :

1 ـ عدم التكافؤ بين كثيرين من جهة وموارد طبيعية منهكة ثم بنيات هزيلة من جهة أخرى

2 ـ انعدام منظومة حضرية متراصة ومتوازنة النفوذ والإشعاع

3 ـ حالة العزلة التي تعم البوادي وغياب الاندماج ما بين المجال القروي والإطار الجهوي

4 ـ اتجاه عام نحو الزراعة الممنوعة زراعة القنب الهندي : الكيف وتجارة التهريب.

استعمال متنوع للتربة : لا يمكن تعميم منظور موحد يحكم استعمالات التربة بالريف نظراً لاختلاف المؤثرات الطبيعية والبشرية بين أجزائه بحكم أنها تحدد سلفا أنواع الاستغلال ومدي قابلية الأراضي لأنشطة زراعية معينة دون أخرى. والواقع السكان يحددون سلفا نوع الاستغلال في أكثر من جهة. فتراجع تربية الماشية نتيجة حتمية لزوال المجال الغابوي وهذا يتم تعويضه بزراعة أحادية هي زراعة الكيف.

ويمكن التمييز بين أربع مناطق ذات شخصية فلاحية قائمة :

- شبه جزيرة طنجة وضمنها قطاع اللكوس السقوي، تتنوع المحاصيل بين زراعات موسمية مقلالة وزراعة المضاربة والتسويق
- المنطقة الوسطى وهي جبلية متضرسة، ذات مردود فلاحي هزيل لايفي بحاجيات السكان، مما دفع بهم إلى

الهجرة أو تعويض نقص الإنتاجية بعائدات الكيف.

ـ المنطقة الشرقية ؛ تربتها ضعيفة، تشكو قلة الأمطار والجفاف، تعتمد الحبوب ومغارس اللوز والتين

ـ مقدمة الريف بين وزان وتازا، تمتاز أتربتها بالغنى والإنتاجية وبمحاصيل القطاني والحبوب والزراعات البورية ومغروسات الزيتون.

توزيع المساحات حسب أنماط الاستغلال

| إقليم | أراضي بور | أراضي سقي | غابات | مراعي | مجموع |
|---|---|---|---|---|---|
| الحسيمة | 129.000 | 6.500 | 116.000 | 111.800 | 364.200 |
| الشاون | 96.200 | 3.800 | 175.000 | 160.000 | 435.000 |
| تاونات | 369.800 | 2.000 | 36.400 | 162.800 | 571.000 |
| تازة | 312.700 | 20.300 | 506.000 | 561.000 | 1.400.000 |
| تطوان | 68.300 | 7.700 | 130.000 | 48.000 | 254.000 |

وكالة تنمية الأقاليم الشمالية 1999

ومن شأن تحديد نطاقات فلاحية تمتد أفقيا عبر هذا المجال الجبلي إضفاء طابع متكامل للريف كوحدة جغرافية كبرى ؛ وتتألف هذه النطاقات من :

ـ حزام الزراعات البورية الموسمية من حبوب وقطاني تشغل سلسلة التلال والجبال المنخفضة دون 1000م الممتدة من العرائش إلى تازا.

ـ حزام المغروسات والأشجار المثمرة فوق السفوح الوعرة للريف بين أكنول ووزان ومنها أشجار التين والزيتون والعنب المعلق والبرقوق والرمان واللوز والجوز...

ـ نواة وسطى تتألف من سفوح عارية أزيحت عنها غابات متنوعة، حلت محلها زراعة الكيف المحظورة.

الغطاء النباتي وتقييم الموارد الطبيعية : يتميز الريف بكونه أغنى منطقة بالمغرب من حيث التشكيلات النباتية (بنعبيد، 1982 ؛ موررير، 1990). كما أن خصائصه البيوجغرافية تأخذ معانيها من المقاربات التي تربطها بالضفة الشمالية للبحر المتوسط والسلسلة البيتيقية. تتناقص التشكيلات النباتية من الغرب نحو الشرق، وتمثل النباتات الوعائية حوالي 2000 نوعا أغلبها يستقر بالريف الأوسط بينما تستقطب السفوح المتوسطية حوالي الثلث. وتبلغ الأنواع الأصلية حوالي 215 نوعا. إلا أنه بالنظر إلى حجم الزوال الذي يصيب الغابات، أصبح ما تبقى منها يكتسي أهمية قصوى جعلت الجهات المعنية تلجأ إلى العمل بالمحميات الطبيعية (بقويا، تلاسمطان) حفاظا على نبيت ووحيش المنطقة أو عملا بتوصيات بعض المؤسسات النافذة.

تتألق أحراج الواجهة المتوسطية من العرعر والضرو والزبوج إلى جانب الخروب مما يعكس مناخية شبجافة ما تلبث أن تتحول إلى غابات البلوط الأخضر والبلوط الفليني بعلو 30م ثم أشجار الأرز والشوح التي تعلو إلى 50 و60م أحيانا.

غير أن زوال الغابة ظاهرة تلازم جل مناطق الريف حيث تتعرى مساحات بكاملها ولا تتوقف إلا بمناسبة روضة ولي أو مجال وقف أو محيط إدارة المياه والغابات. وهي عملية تبدأ من قعور الأودية لتصعد في اتجاه القمم، وقد تتآكل من الأطراف فتتقلص بطريقة تراجعية أو انطلاقا من نقطة نائية أو تتم إثر حرق ممنهج "إجرامي" لا تلبث الزراعة أن تحل محله خلال الموسم اللاحق.

أفرزت هذه "الدينامية" أرقاما تعبر عن حصيلة إجمالية لعقود من سوء التدبير هي كما يلي :

ـ غابات وأحراج : أقل من 15٪.

ـ استغلاليات زراعية ومغارس 30 ـ 40٪.

ـ مراعي وأراضي صخرية عارية حوالي 50٪.

ومن القضايا القائمة بالريف تلك المرتبطة بتلف الأتربة جراء عنف الأمطار وعنف الجريان السائح والمركز. ينتج عن ذلك تقلص المساحات المزروعة بشكل يمكن معاينته على فترات وجيزة خاصة وأن تراجع الغطاء النباتي يتم بوتيرة متسارعة. ولعل المناطق على الساحل شوق الجبهة هي الأكثر نزيفا على الإطلاق (أحواض مسطاسة، بني بوفراح، غيس، نكور)، تليها عالية ورغة ومقدمة الريف.

وبتعميم شديد لتشكيلات ومظاهر التعرية السائدة يمكن تحديد مظاهر تستقر فوق صخور الطين والفليش المورق والشيست والصلصال.

1 ـ تعرية غشائية وسيول تتطور نحو الأساحل بالريف الأوسط والشرقي ومقدمة الريف.

2 ـ تعرية مزدوجة سطحية وعميقة فوق سفوح مقببة ومتموجة تتأثر لها المغروسات والمنشآت والطرق.

3 ـ تعرية كتلية وسفوح متدرجة ذات حفر وألسنة للدفق الوحلي تنشط موسميا.

وهي أشكال توحي بدور فعال للمناخ في تحديد الدينامية ارتباطا بالتوجيه والرطوبة. كما تسبب مضايقة حقيقة للأشجار والمباني والأعمدة والأنشطة الفلاحية بما في ذلك الحيازات المسقية وقطاعات الري الصغرى. وفي ذات الوقت يبدو أن المنشآت المائية وحقينات السدود المحيطة بالريف بدأت فعلا تواجه توحلا كاملا في سد علي تحلات والنخلة وجزئياً في سد محمد الخامس والمخازن وتهديد الباقي بما في ذلك إدريس الأول و9 أبريل والوحدة.

خلاصة :

بالرغم على العديد من المعطيات المشتركة مع السلسلة

التلية والبيتيقية، لجبال الريف خصائص محلية ترتبط بالمفارقات بين السفح المتوسطي شمالا ومقدمة الريف جنوبا، كما أن الفوارق كبيرة بين واجهة شرقية يغلب عليها الجفاف والريف الغربي حيث تطغى الرطوبة.

من هنا يتحدد الجانب الأكبر من الموارد الطبيعية وما يليها من نماذج استقرار بشري وأنشطة سكانية. ومن الطبيعي أن استغلال التربة دفع ساكنة الريف إلى انتهاج أساليب في التعامل مع مجالها ترتبت عنه مخلفات سلبية ما لبثت أن أخلّت بالتوازنات. لذلك وفي غياب سياسة جادة واضحة المعالم لحماية التراب وإصلاح المجال، تطبق على أرض الواقع في شكل مشاريع للتنمية المستديمة، ستحصد هذه الجبال لا محالة مزيدا من الأضرار التي قد تسبب نزيفا شاملا يفرغها من مقوماتها الطبيعية الأساسية ويدفع بها نحو تصحر كلي.


بوشتى الفلاح، *دراسة جيومورفلوجية لجزء من أخدود الجنوب الريفي، ممر تازة غرب فج الطواهر*، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، ص. 233، 1986 ؛ 2000، *حركات السفوح والمخاطر المرتبطة بها في الريف الأوسط*، أطروحة، د. د. كلية الآداب، الرباط، ص. 330 ؛ نعيمة كيي، 1999 ؛ *عالية حوض ورغة، منطقة ظهر السوق ؛ دراسة جيومرفلوجية، التطور المرفلوجي والدينامية الحالية*، الدكتوراه الوطنية، كلية الآداب، الرباط، ص. 321 ؛ فاطمة الشويخ، 1996 ؛ *التكوينات السطحية والدينامية الحالية بمنطقة تروال ـ أولاد عيسى (مقدمة الريف الغربي)*، د. د. ع، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص. 205 ؛ فاطمة مودكيري، 1996 ؛ *مظاهر السطح والتشكيل بمجال تاونات (الريف الأوسط)*، دراسة جيوموفلوجية، د. د. ع، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص. 240 ؛ سعيد شاكر، 1996 ؛ *مظاهر السطح والتشكيل بمجال غفساي (الريف الأوسط)*، دراسة جيوموفلوجية، د. د. ع، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص. 248 ؛ محمد بلموزونة، 1993 ؛ *التوضعات السطحية بمنطقة مشرع بلقصيري*، دراسة جيومورفلوجية، د. د. ع، في الجغرافيا، كلية الآداب، الرباط، ص. 238 ؛ محمد زاكي، 1996 ؛ *منطقة تافرانت، الحوض الأوسط لوادي ورغة*، دراسة جيوموفلوجية، د. د. ع، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص. 310.

A.P.P.N (Agence de Promotion des Provinces du Nord), *Rapport d'activité 1999*, inédit Paidar Med (Programme d'Action Intégré pour le Développement et l'Aménagement de la Région Méditerranéenne Marocaine), 1996 ; L. Asebriy, *Evolution tectonique et métamorphique du Rif central, définition du domaine subrifain*, Thèse d'Etat, Univ. de Rabat, 284 p., 1994 ; J.J. Barathon, *Bassins et littoraux du Rif oriental, Evolution morphoclimatique et tectonique depuis le Néogène supérieur, Etudes Méditerranéennes*, fas. 13, 531 p., 1989; Direction Provinciale d'Equipement de Chefchaouen, *Rocade Méditerranéenne, lot. n° 2, Tétouan - Al-Hoceima : Etude d'impact*, 1999 ; A. El Gharbaoui, *La Terre et l'homme dans la péninsule Tingitane, étude sur l'homme et le milieu naturel dans le Rif occidental*, Rabat, p. 439, 1981 ; J. Lecoz, *Le Gharb, Fellahs et Colons*, 2 tomes, Rabat, 1964 ; Mara, Plan Directeur des Aires Protégées du Maroc, *Etude et définition des sites protégés et élaboration des plans de gestion des parcs nationaux du Maroc*, 1995 ; G. Maurer, *Les montagnes du Rif central, étude géomorphologique*, Rabat, 1968 ; A. Reffas, *L'organisation urbaine de la péninsule tingitane*, thèse doct. d'Etat, Univ. Paris I, 1993 ; J.P. Thauvin, *Ressources en eau du Maroc, domaine du Rif et du Maroc oriental*, Rabat, 1971 ; J.F. Troin, *Les souks marocains, marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc*, Aix-en-Provence.


بوشتى الفلاح

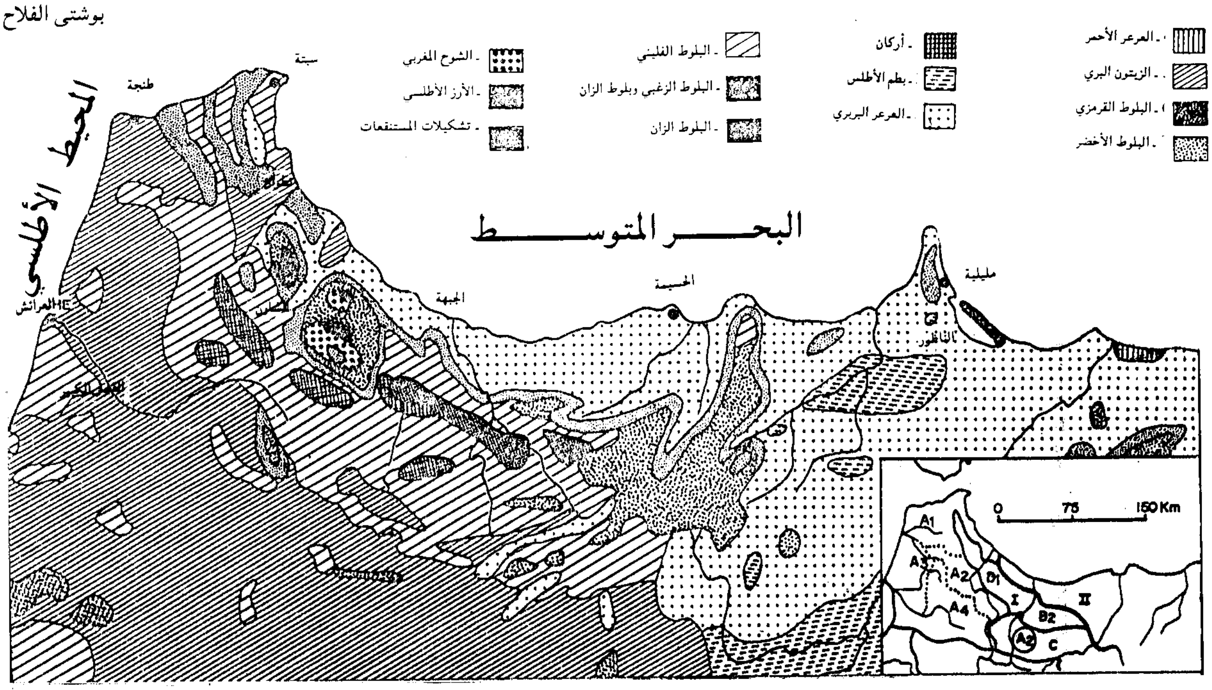


الغطاء النباتي

تـم طبـع الجزء 13 مـن معلمـة المـغـرب
بمطابـع سـلا وبمطبعـة النجـاح الجديـدة
فـي رمضـان عـام 1422 / نونبـر 2001

مطـابـع سـلا
قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
الحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا
معلمة المغرب

IMPRIMERIE DE SALÉ

*Lot 14, Rue Othman Ibn Affane*
*Zone Industrielle de Tabriquet*
*B.P. 596 - SALÉ*

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

13

Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

**Editée par**

**L'Imprimerie de Salé**

**"SALA"**

**2001 - 1422**

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN (Tome XIII) 9981 - 03 - 019 - 8

Encyclopédie

du

Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

14

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2001 - 1422

# معلمة المغرب

## المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط ـ
1984/629



ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 1 - 020 - 03 - 9981 (الجزء 14)

بسم الله الرحمن الرحيم

أعد هذا الجزء من معلمة المغرب
بدعم من وزارة الثقافة والاتصال
ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق
عبارات الشكر والامتنان.

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ . | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في تحرير هذا الجزء

ميلود **احمَنّ**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **أخريف**، باحث ـ القصر الكبير
محمد **الأخضر**، باحث ـ الرباط
الفقيه **الإدريسي**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد **أديوان**، كلية الآداب ـ الرباط
شفيق **أرفاك**، كلية الآداب ـ أگادير
عبد الرزاق **ازريكم**، كلية الآداب ـ مراكش
سعيد **أعراب**، باحث ـ تطوان
عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط
المختار **الأكحل**، كلية الآداب ـ المحمدية
العربي **اكنينح**، المدرسة العليا للأساتذة ـ فاس
حسن **أميلي**، كلية الآداب ـ المحمدية
خالد **أوشن**، باحث ـ أگادير
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية ـ البيضاء
محمد **أيت حمزة**، كلية الآداب ـ الرباط
لحسن **أيت لفقيه**، كلية الآداب ـ بني ملال
أحمد **إيشرخان**، باحث ـ الرباط
عيسى **إيكن**، وزارة الثقافة ـ الرباط
محمد **البايك**، باحث ـ مراكش
محمد **البدراوي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب ـ المحمدية
محمد **برّاص**، باحث ـ الرباط
محمد **البركة**، باحث
الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية ـ العرائش
محمد **بلعربي**، باحث ـ الرباط
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة
رقية **بلمقدم**، كلية الآداب ـ القنيطرة
علي **البليشي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **بنجلون**، باحث ـ الرباط
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية
زينب **بنرحمون**، أستاذة باحثة بالرباط
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب ـ مراكش

حليمة **بنگرعي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عبد الإله **بنمليح**، كلية الآداب ـ فاس
عثمان **بناني**، كلية الآداب ـ الرباط
رحال **بوبريك**، كلية الآداب ـ أگادير
محمد الأمين **بوخبزة**، باحث ـ تطوان
عبد القادر **بوراس**، المركز الجهوي التربوي ـ القنيطرة
سعيد **البوزيدي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عيسى **البوزيدي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
فاطمة **بوستة**، باحثة ـ الرباط
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
مصطفى **بوشعراء**، باحث ـ سلا
عبد الله **بوصحابة**، كلية العلوم ـ فاس
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **بوعزيز**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية ـ تيزنيت
جامع **بيضا**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد العزيز **توري**، وزارة الثقافة ـ الرباط
أحمد **التوفيق**، محافظ الخزانة العامة ـ الرباط
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية ـ مراكش
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
محمد **الحاتمي**، كلية الآداب ـ أگادير
حسن **حافظي علوي**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد الفتاح **الحجمري**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
موحى **حدوش**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب ـ فاس
نجيب **خداري**، صحافي ـ الرباط
علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **خربوعة**، المعهد العلمي ـ الرباط
خالد **الخضري**، وزارة الثقافة ـ الرباط
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم ـ الرباط
عبد الإله **الدحاني**، كلية علوم التربية ـ الرباط

نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب ـ مراكش

علال **ركوك**، كلية الآداب ـ بني ملال

محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط

محمد **الرمضاني**، باحث ـ وجدة

بوجمعة **رويان**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **رياض**، باحث ـ مراكش

الميلود **زروقي**، كلية الآداب ـ وجدة

عبد الخالق **الزرواطي**، المعهد العلمي ـ الرباط

أحمد **زروال**، كلية الآداب ـ مراكش

قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط

عبد الفتاح **الزين**، معهد البحث العلمي ـ الرباط

خليل **السعداني**، كلية الآداب ـ بني ملال

محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا

عبد السلام **السعيدي**، باحث ـ مراكش

المهدي **السعيدي**، كلية الآداب ـ أگادير

رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش

محمد **السمار**، باحث ـ الرباط

مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط

خالد **شاوش**، باحث ـ تطوان

محمد **الشريف**، باحث ـ تطوان

محمد عزيز **الشفشاوني**، باحث ـ الرباط

صالح **شكاك**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

الحسين **شوقي**، وزارة التربية الوطنية ـ قلعة السراغنة

حمادي **شيمي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط

عبد الرزاق **الصديقي**، كلية الآداب ـ المحمدية

خالد بن **الصغير**، كلية الآداب ـ المحمدية

أحمد **الطاهري**، كلية الآداب ـ المحمدية

محمد **الطليسان**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **الظريف**، كلية الآداب ـ المحمدية

عبد العزيز بن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة ـ مكناس

إسماعيل **العثماني**، مديرية الوثائق الملكية ـ الرباط

أحمد **عزاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان

عدّي **عزّي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط

عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش

صافية **العمراني**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش

عبد العلي **العمراني جمال**، بالمركز الجامعي للبحث العلمي ـ باريز

محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة

عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **عيدون**، وزارة الثقافة ـ الرباط

مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **العيوض**، المدرسة العليا للأساتذة ـ الرباط

إدريس **الفاسي**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

حسن **الفگيگي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

بوشتى **الفلاح**، المعهد العلمي ـ الرباط

محمد **القادري**، كلية العلوم ـ الرباط

محمد **كربوط**، كلية الآداب ـ الرباط

**ليڤي شمعون**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **ماگامان**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش

أحمد **متفكر**، باحث ـ مراكش

محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمدية

ثريا **المرابط**، المركز الوطني للتنسيق وتخطيط البحث ـ الرباط

محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **منيوي**، المعهد العلمي ـ الرباط

أحمد **مهدرها**، كلية الآداب ـ مراكش

مصطفى **مولاي ارشيد**، كلية الآداب ـ الرباط

شاكر **ميلودي**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **ناجي بن عمر**، باحث ـ أگادير

مصطفى **ناعمي**، معهد البحث العلمي ـ الرباط

عبد الله **نجمي**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش

أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة

إبراهيم **الوافي**، كلية الآداب ـ أگادير

محمد **وحيد**، باحث ـ الدار البيضاء

محمد عزيز **الوكيلي**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

أحمد **اليبوري**، كلية الآداب ـ الرباط

مصطفى **اليزيدي**، كلية الآداب ـ وجدة

خديجة **اليملحي**، كلية علوم التربية ـ الرباط

## Liste des principales abréviations des périodiques

**A.A :** *L'Afrique et l'Asie.*
**A.A.N :** *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
**Acad. Sc. Col. :** *Académie des Sciences Coloniales.*
**A.E.S.C :** *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
**A.F :** *Afrique Française.*
**A.F : R.C :** *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
**A.I.E.A :** *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
**A.I.E.O :** *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
**A.M :** *Archives Marocaines.*
**A.M.S :** *Archives Marocaines de Sociologie.*
**And. :** *Al-Andalus*
**Ann. Rech. Forest. Maroc :** *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
**Ant. Afr. :** *Antiquités Africaines.*
**B.A.M :** *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
**B.A.R :** *British Archeological Reports.*
**B.C.T.H :** *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
**B.E.P.M :** *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
**B.E.S.M :** *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
**B.G.M :** *Bulletin de Géographie du Maroc.*
**B.I.D.M :** *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*
**B.I.F.A.N :** *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
**B.M.S.A.P :** *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
**B.L.O.A.B :** *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
**B.L.S :** *Bulletin de Liaison Saharienne.*
**B.S.G :** *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
**B.S.G.A :** *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
**B.S.G.A.O :** *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
**B.S.H.M :** *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
**B.S.O.A.S :** *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
**B.S.P.M :** *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
**Bull. Archéol. :** *Bulletin Archéologique.*
**C.A.A :** *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
**Cah. Rech. Agron. :** *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
**C.A.T.A.N :** *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
**C.B.E.T :** *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
**C.C.E.J :** *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
**C.E.A :** *Cuadernos de Estudios Africanos.*
**C.H.I :** *Cuadernos de Historia del Islam.*
**C. Méd. :** *Cahiers de la Méditerranée.*
**C.R.A.I.B.L :** *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**C.R.A.S :** *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
**C.T :** *Cahiers de Tunisie.*
**E.B :** *Encyclopédie Berbère.*

**E.I.1 :** *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
**E.I.2 :** *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
**E.T.A.M :** *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
**Et. Medit. :** *Etudes Méditerranéennes.*
**F.M :** *France - Maroc.*
**F.S.S.A.N :** *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
**G.E.M :** *Grande Encyclopédie du Maroc.*
**Hesp :** *Hespéris.*
**H-T :** *Hespéris-Tamuda.*
**H.T.E :** *Hommes, Terre et Eaux.*
**I.G :** *Information Géographique.*
**I.H.E.M :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**I.H.E.M : N-D :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. :** *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
**I.S.C :** *Institut Scientifique Chérifien.*
**Isl. Cult. :** *Islamic Culture.*
**I.S.P.M :** *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
**J.H.S.N :** *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
**M.A.I.B.L :** *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**Medit :** *Méditerranée.*
**M.E.F.R :** *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
**N.A.M.S.L :** *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
**P.I.H.E.M :** *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**P.S.A.M :** *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
**P.S.H.M :** *Publications de la Section Historique du Maroc.*
**R.A :** *Revue Africaine.*
**R.A.P :** *Revue de l'Action Populaire.*
**R.C.C :** *Revue de la Chambre de Commerce.*
**R.D.M :** *Revue des Deux Mondes.*
**R.E.A :** *Revue des Etudes Anciennes.*
**R.E.I :** *Revue des Etudes Islamiques.*
**R.E.L :** *Revue des Etudes Latines.*
**R.G.L :** *Revue de Géographie de Lyon.*
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. :** *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
**R.G.M :** *Revue de Géographie du Maroc.*
**R.H.C.M :** *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
**R.H.E :** *Revue d'Histoire Economique.*
**R.H.M.C :** *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
**R.M.D.E.D :** *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
**R.M.E :** *Revue Maroc-Europe.*
**R.M.F :** *Revue Militaire Française.*
**R.M.F.P.E :** *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
**R.M.M :** *Revue du Monde Musulman.*
**R.P.P :** *Revue Politique et Parlementaire.*
**Rev. Inst. Hist. Mil. :** *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
**S.G.L :** *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
**S.I :** *Studia Islamica.*
**S.I.H.M :** *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. :** *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

**الريفي**، أسرة نابهة حكم عدد من أفرادها منطقة الشمال المغربي منذ أواخر القرن الحادي عشر (17 م)، أصلها من قبيلة تمسمان إحدى قبائل الريف الشرقي، وهي نفسها المعروفة بالبطوئي والحمامي، نسبة إلى تحالف بطوية. والحَمامة الكائنين بقبيلة تمسمان، تمييزا عن غيرها من الأسر المنتمية إلى باقي جهات منطقة الريف.

تأسست الأسرة الريفية الحمامية بالشمال الغربي بانتقال القائدين الأخوين أحمد وعمر، ابني حدو الريفي اللذين عملا في قيادة المنطقة الشمالية منذ تعيينهما من طرف المولى إسماعيل سنة 1084 / 1673 لرئاسة نواة ما عرف بالجيش الريفي الجهادي المختص بتحرير الثغور الشمالية المحتلة، وقد علا شأن هذه الأسرة بعد تحرير المعمورة والعرائش وطنجة وتخطيط المولى إسماعيل لاسترجاع سبتة. وقد سبقت ترجمة القائدين أحمد بن حدو البطوئي وأخيه عمر بن حدو التمساني بأعمدة هذه المعلمة.

ومن هذه الأسرة برز على الخصوص الباشا علي بن عبد الله الحمامي الريفي المتوفى سنة 1125 / 1713 وابنه أحمد التالي له في القيادة والباشوية المقتول عام 1156 / 1743 أثناء ثورته على السلطان المولى عبد الله. وقد سبقت ترجمتهما أيضاً. ومن نسل هذين الأخيرين تولى عدد منهم باشوية طنجة وحكم المنطقة الشمالية وإسناد شؤون الريف إليهم، بدءا من عهد السلطان محمد بن عبد الله (1757 - 1790). وعلاوة على ذلك فقد مكنهم موقعهم بمدينة المضيق مباشرة جوانب ما فوض لهم من السياسة الدبلوماسية على أساس مزاولة منصب النيابة السلطانية بطنجة.

وكان لحكام هذه الأسرة ميل إلى تلبية رغبات الإسبان الخاصة بحدود ثغري سبتة ومليلة. تفرع امتداد نسل الأسرة الريفية إلى فرعين : أسرة عبد الصادق وأسرة عبد المالك. ومن الفرعين نستمد التراجم التالية :

وثائق خ. ح ؛ وثائق مديرية الوثائق الملكية ؛ مصطفى بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، 4 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 6 ؛ وثائق *الأرشيف التاريخي الوطني بمدريد* ؛ ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة* ؛ *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة* ؛ *معلمة المغرب*، 4 : 11.

حسن الفكيكي

**الريفي، أحمد** بن **بوسلهام** التوزيني التطواني، الرجل الصالح المعتقد، صاحب الضريح الشهير بحومة العيون قبالة المسجد الجامع من تطاون. ولد عام 1125 / 1713 وكان أبوه بوسلهام من جيش الباشا أحمد بن عبد الله الريفي الحَمَامي التمسماني. وذكر سكيرج في تاريخه *نزهة الإخوان* أن الوليين الصالحين أحمد بن محمد بنعبد الله مَعن الأندلسي الفاسي، والحاج أبا الحسن علي ابن محمد بركة الأندلسي التطاوني اجتمعا بضريح الولي الشهير أبي محمد عبد السلام ابن مشيش. فوجه لهما الباشا أحمد حملا من المؤنة صحبة بوسلهام الكوش، ففرقا تلك المؤنة على شرفاء العَلَم، ولما فرغا طلب منهما بوسلهام (سُخرته) على عادة (المخزنية) فقالا له : ما تريد؟ قال : أن يرزقني الله ولدا صالحا، فدعوا له. فلما رجع إلى تطاون، ولد له ولد فلما كبر أدخله الباشا أحمد في خدمة داره، وكلفه بالطاس (يعني غسل الأيدي للطعام) فصار ينطق بكلام لا يليق بالحكام، فسجنه بطنجة أربعة وعشرين شهرا. ثم سُرح بعد موت الباشا.

قال الرهوني : "وقد سخر الله لهذا الرجل رجلا صالحا هو السيد محمد بن عبد العزيز العسيّيل المولاطو الأندلسي فكان يخدمه وينفق عليه من حرفته (الحجامة) إلى أن توفي فدفنه في بيت من داره، ثم وجه إليه السلطان مولاي سليمان بن محمد بن عبد الله يسأله عن المترجم له، فأخبره

بوفاته، وبموضع دفنه، فأمر السلطان بإخراج ذلك البيت من الدار وجعله ضريحا مستقلا، وقد دفن معه خادمه المولاطو وغيره. وحكى الزبادي في *سلوك الطريق الوارية* له كرامات.

توفي عام 1212/ 1797.

عبد المجيد الزبادي، *سلوك الطريقة الوارية*، مخطوط ؛ ع. السلام سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط، ص. 15 ؛ أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 4، 90، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، طبع تطوان، 6: 190، 3 : 155.

محمد بوخبزة

**الريفي، أحمد** بن **حدو** ← **الحمّامي، أحمد** بن حدو

**الريفي، أحمد** بن عبد الصادق من المكلفين سنة 1308 / 1890 بأمر من المولى الحسن للمشاركة في معاينة تعيين حدود مليلة تطبيقا لا تفاق مدريد يوم 10 محرم 1308 / 26 غشت 1890، وذلك بعد عدة محاولات كان آخرها محاولة سنة 1307/ 89 ـ 1890 التي خرجت فيها لجنة مشتركة لوضع 18 علامة من الحجر.

*وثائق خ. ح ؛ وثائق مديرية الوثائق الملكية* ؛ ح. الفكيكي، *ثغورنا المحتلة*، مشروع كتاب، *الأرشيف التاريخي الوطني بمدريد*، 5503 ؛ ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، الرباط، 1997.

حسن الفكيكي

**الريفي، أحمد** بن **علي** بن عبد الله الشهير بالباشا. ولد بتطوان سنة 1093 /1682 ، حيث كان والده يشغل منصب القائد العام بالمنطقة الشمالية من المملكة الممتدة من وادي ملوية إلى وادي سبو.

ونجهل كل شيء عن حياته قبل أن أصبح ينوب عن والده في حكم تطوان أو في قيادة الجيش المرابط على مدينة سبتة، الشيء الذي جعل السلطان مولاي إسماعيل يعينه ليقوم مقام أبيه إثر وفاته يوم 6 شعبان 1125 / 29 غشت 1713، ولعله هو أول من لقب بـ"الباشا" بتطوان.

ويستفاد من الرسالة التي وجهها الباشا أحمد إلى وزير خارجية فرنسا يوم 28 رمضان 1125/ 18 أكتوبر 1713، أنه كانت له نفس الاختصاصات التي كانت لأبيه فيما يخص العلاقات الخارجية مع الدول الأوربية، ومما يؤكد ذلك أنه هو الذي أبرم مع السفير الإنجليزي المستر شارل استيوارت (Charles Stewart) على ظهر باخرة بريطانية بمياه مرتين معاهدة الصلح ليوم 18 ربيع الأول 1133 /17 يناير 1721، كما أنه هو الذي استقبل السفير المذكور عندما جاء إلى تطوان للمرة الثانية من أجل افتداء الأسرى الإنجليز يوم 9 رجب 1133/6 ماي 1721 وقد رافقه في سفره إلى مكناس ثم عاد معه إلى تطوان في 28 رمضان/ 23 يوليوز بعد أن وافق مولاي إسماعيل على إطلاق سراح نحو 300 أسير بريطاني.

وتشهد المصادر الإسبانية بأنه واصل الحصار المضروب على مدينة سبتة منذ سنة 1108 / 1696 والذي استمر إلى أن مات السلطان المذكور سنة 1139 / 1727.

ويتضح من المصادر المختلفة التي نتوفر عليها أن الفقيه محمد داود كان على حق عندما قال عن الباشا أحمد إنه "كان من عظماء الرجال بالمغرب وكان ذا همة عليا وإرادة قوية وكان رجل الإدارة والتدبير والتنظيم والتعمير، ولكن الكمال لله فلقد كانت فيه أيضا نواحي نقص أدت به إلى مظالم كبرى ومتاعب عظمى ونهاية محزنة مؤلمة (*تاريخ تطوان*، ج. 2، ص. 48).

واتفقت جميع المصادر على القول بأن الباشا كان يحتاج إلى مال كبير لمواجهة المصاريف الضخمة التي كان يقوم بها من أجل التعمير، الشيء الذي جعله يثقل كاهل سكان منطقة نفوده وخاصة منهم أهالي تطوان بضرائب فادحة وغرامات طائلة ؛ ويبدو أنه عند وفاة السلطان مولاي إسماعيل صار الباشا في عهد السلطان مولاي أحمد الذهبي يتصرف في تطوان وناحيتها كالمالك في ملكه خصوصا وأنه استطاع بماله أن تترك له حاشية السلطان الحبل على الغارب يفعل في سكان منطقته ما يشاء حيث ارتفعت الضرائب وتكاثرت الغرامات.

وكانت القبائل المجاورة لتطوان أول من امتنعت عن أداء الضرائب والغرامات الغير المشروعة المفروضة عليها، واعتبر الباشا هذا العمل تمردا على سلطته فقام بحملة تأديبية لبعض القبائل، وكان رد فعل هذه القبائل أنها رفضت حكمه ونبذت طاعته وأعلنت الثورة العلنية ضده.

وما إن رأى أهالي تطوان أن الباشا لم يستطع الوقوف في وجه تلك القبائل المتمردة ضده حتى تضامنوا معها وطردوا من المدينة أخ الباشا ثم حطموا جميع بناياته بما في ذلك قصره المعروف بالمشور بساحة الفدان وقصره الآخر الذي كان بضواحي المدينة بالمكان المعروف بسانية السلطان بكيتات ؛ وكان متزعم هذه الحركة بتطوان في أول الأمر أحد أفراد أسرة بايص الذي ألف وفدا من أعيان البلاد وأرسله إلى العاصمة المكناسية من أجل المطالبة بعزل الباشا أحمد وتعيين شخص آخر في مكانه.

ولم يستجب السلطان مولاي أحمد الذهبي لطلب الوفد إلا بعد مرور ثلاثة أشهر حيث أصدر يوم 15 ذي القعدة 1139/4 يوليوز 1727 قرارا يقضي بعزل الباشا من منصبه بتطوان مع احتفاظه بباشوية طنجة وأصيلا والعرائش، وبتعيين القائد عبد الملك بوشفرة مكانه بتطوان.

وتجاهل الباشا أحمد القرار السلطاني حيث نجده يغادر مدينة طنجة على رأس جيش يتكون من 6000 رجلا متجها

نحو مدينة تطوان حيث حاصرها من يوم 2 إلى يوم 5 صفر 1140 / 19 ـ22 سبتمبر 1727 في محاولة أولى منه لأجل إخضاع المدينة لحكمه، غير أنه وجد سكانها قد أعدوا العدة لمقاومته فرجع إلى طنجة.

ولم يمر على هذه المحاولة سوى أسبوعين حتى قام الباشا أحمد بمحاولة ثانية وغادر طنجة هذه المرة على رأس جيش يتكون من 9000 من المشاة و800 من الفرسان، وقد بدأ حصاره لتطوان يوم 19 صفر/6 أكتوبر وفي يوم السبت 24 صفر /11 أكتوبر اقتحم المدينة وجرت معركة كبيرة قتل فيها من جانب الباشا نحو ألف رجل ومن جانب تطوان نحو 350 رجلا، وكان الحاج عمر لوقش هو الذي ترأس الدفاع عن المدينة في غياب الباشا بوشفرة الذي تركها ليلا خوفا من أن يقع بيد الباشا أحمد، وقد عرفت هذه المعركة بـ"عيطة تطوان".

وعاد الباشا أحمد إلى طنجة لينتظر هناك فرصة تمكنه من الانتقام من أهالي تطوان، وطال انتظاره من سنة 1140 إلى سنة 1151/ 1727 ـ 1738 حيث بويع زوج ابنته السلطان مولاي المستضئ فلم تعترف به أهالي تطوان، وكان رد فعل السلطان الجديد أنه أعاد جهة الباشا أحمد إلى باشوية تطوان مع الاحتفاظ بباشوية طنجة وأصيلا والعرائش، ولم يكن في وسع سكان تطوان الوقوف في وجه ذلك القرار الذي مكن الباشا أحمد من العودة إلى المدينة وحكمها للمرة الثانية.

وفي سنة 1153 /1740 خُلع السلطان مولاي المستضئ الذي لم يجد مكانا يعتصم به سوى دار عمه الباشا أحمد بطنجة فتوجه إليها خصوصا وأن الباشا لم يعترف بمولاي عبد الله الذي اعتلى العرش مرة أخرى، بل إنه قام بمبايعة مولاي زين العابدين بطنجة وتطوان وأصيلا والعرائش في شهر ربيع الأول 1154/ ماي ـ يونيو 1741.

وأصل عداوة الباشا أحمد للسلطان مولاي عبد الله يرجع إلى كون الباشا كان قد أرسل إلى السلطان المذكور سنة 1143 هدية ثمينة مع وفد يتكون من ثلاثمائة من أعيان الريف فأمر مولاي عبد الله بقتلهم لأسباب نجهلها، وهذا ما يفسر الموقف العدائي الذي كان يقفه الباشا أحمد من مولاي عبد الله في المرات العديدة التي بويع فيها، لدرجة أنه عندما اعتلى مولاي عبد الله العرش للمرة الرابعة في أواخر سنة 1155/ أوائل عام 1743 خرج الباشا أحمد من طنجة على رأس جيش يتكون من 50.000 مقاتل لمحاربة السلطان وإعادة مولاي المستضئ إلى العرش، غير أنه فشل في محاولته لانهزام قواته بضواحي فاس في معركة قتل فيها من جانب الباشا نحو ألف رجل وقد جرت هذه المعركة يوم 22 صفر 1156/ 17 أبريل 1743، حيث عاد الباشا إلى طنجة.

وبعد ثلاثة أشهر أعاد الباشا أحمد الكرة حيث خرج من طنجة على رأس جميع قواته في جمادى الأولى 1156 / يوليوز 1743 وعند وصوله إلى المنزه بالقرب من القصر الكبير وجد السلطان مولاي عبد الله ينتظره لخوض المعركة الفاصلة التي مات فيها الباشا أحمد يوم الاثنين 14 جمادى الثانية 5/1156 غشت 1743، حيث قطع رأسه وعلق بباب المحروق بفاس، ولم يوافق السلطان على إنزاله إلا بعد أن تشفع فيه أولاد عبد الرحمن الثعالبي من الجزائر وكان ذلك يوم 17 شوال من نفس السنة/4 ديسمبر 1743، وهذا لم يمنع السلطان مولاي عبد الله من مصادرة جميع أملاك الباشا أحمد.

ومن آثار الباشا أحمد بتطوان القصر المعروف بالمشور بساحة الفدان الذي كان التطوانيون قد هدموه ثم أعاد هو بناءه، وهنا أيضا الجامع المعروف بجامع الباشا الواقع قرب القصر المذكور وقد بناه سنة 1150 /1737، وهناك البرج الهائل الذي بناه على مصب وادي مرتين سنة 1132/ 1720 والذي لازال قائما إلى يومنا هذا، وأخيرا هناك قصبة طنجة.

والجدير بالذكر أن هناك تأليفاً في مدح الباشا أحمد ألفه المهدي الغزال سنة 1149 /1736 تحت عنوان "نزهة الإحسان ومناهج الصلات الحسان" ويقع في سبعين صفحة.

ولا بأس من أن ننقل هنا قصة خيالية عن الباشا أحمد جاء بها محمد بن عبد السلام الضعيف في *تاريخ الدولة السعيدة* (صفحة 126 من النسخة الموجودة بالخزانة العامة بالرباط) حيث قال :

"ولما أخبر (أحمد الريفي) بأنه يدخل فاس أميرا بعث للروم على أن يصنعوا له سرير المملكة فصنعوه ورصعوه وأتقنوه في غاية الإتقان وموهوه بالذهب والفضة وأنفقوا عليه مالا عريضا، ولما أكملوه بعثوه له ثم بعث لهم على الملف والكتان والانفاض والبارود وغير ذلك من السلاح ثم ادعى الشرف بأنه من أولاد مولانا عبد السلام بن مشيش نفع الله به وبعث المال الكثير لأولاد مولانا عبد السلام والملف والكتان وغير ذلك على أن يشهدوا له بالشرف فشهدوا له بأنه من الأشراف أولاد حمام فشهد له العلماء من أهل تطاون والفقهاء ومن القصر الكبير والعرائش وطنجة وشفشاون ثم بعث لمولانا الطيب من وزان على أن يشهد له بالشرف أيضا فأبى وأجابه بأن قال له ليس في حفظنا ما نشهد لك به من الشرف الذي ادعيت به الآن أما أنت فرجل من أهل الخير ومن دار كبيرة وأما الشرف فليس لنا به علم فاغتاظ من ذلك وبعث لأهل الريف على أن يغيروا على الشرفاء وضيق بهم وبأصحابهم وكان ينزع لهم الخيل كرها وتمادى عليهم وصار يقبض من أصحابهم الخراج".


عبد السلام سكيرج، *نزهة الاخوان*.

John Windus, *A Journey to Mequinez th residance of the present Empereur of Fes and Morocco*, London, 1725.


محمد ابن عزوز حكيم

**الريفي، حدو** بن حمّو المعروف بالقائد حدّو، ولد حوالي عام 1308 /1890 أصله من منطقة الريف الشرقية، كان عام 1927 يقطن مدينة وجدة ويشتغل منذ شبابه خادما في بيت المراقب المدني الفرنسي لويز صاي (Louis Say). كان يتحدث الفرنسية والإسبانية بلسان طليق، وكان ذكيا، مناورا، مغامرا، محبا للاضطلاع بدور سياسي ما.

بدأت شهرته يوم تعرف عليه ضابط في الاستخبارات الفرنسية، عام 1927، يسمى ليون گابرييلي الذي كان في نفس الوقت رئيسا لدائرة تاوريرت. وإذ كان حدّو يمارس مهامه الرسمية في بيت لويز صاي، فإنه استطاع أن يحظى كذلك بثقة المجاهدين الريفيين الذين راحوا يذيقون الإسبان الامرين.

أخذ حدو يتعامل مع گابرييلي، فيبلغه الأخبار الحقيقية عن المعارك التي كانت تدور رحاها بين القوات التي يقودها محمد عبد الكريم الخطابي وبين جيش الاحتلال الإسباني، كما كان يبلغه أهداف الثورة على أفواه رجالها، ويبلغ إلى المجاهدين "تقدير الحكومة الفرنسية واحترامها لهم" إلى درجة أن الريفيين اعتبروه "سفيرا" لهم لدى السلطات الفرنسية" وخصصوا له بعض الامتيازات المادية. وفي تنقلاته بين الجبهة الريفية ووجدة مرورا بتاوريرت، كان يرتدي تارة العمامة على الشكل الريفي وملابس ريفية وتارة ملابس أوربية. مزينا عمامته أو طربوشه برموز الريف وأسلحته، الأمر الذي جعله يظهر بمظهر الرجل "ذي الوجهين" أو الشخص المزدوج كما يقولون.

لم يلبث على هذه الحال إلا بضعة أشهر حتى بدأ الفرنسيون والاسبان يخشون عواقب أدواره المشكوكة على سياستهم الاستعمارية، فقرر الفرنسيون منعه من الرجوع إلى منطقة نفوذهم، وقرر الإسبان عدم السماح له بالظهور في مركز الحدود. عندئذ، تمكن من اقتحام العقبات والالتحاق رسميا بالقيادة العليا لقوات محمد عبد الكريم حيث أنيطت به كل المهام التي كانت تتطلب دراية بالشؤون الأوربية.

وكم كان يحلو له أن يحسب نفسه "مديرا للشؤون الداخلية"، ولئن كان الزعيم الريفي يتطير منه ويعده منافقا ومخادعا، فإنه ظل يحظى بثقة وحماية اثنين من وزراء محمد عبد الكريم، وهما محمد أزرقان، وزير الخارجية، ومحمد بوجبار، وزير المالية.

يبدو أن حدو كان يعاني من نقص في موارده المالية وأن دائنيه العديدين شدوا عليه الخناق، فراح يبحث عن مخرج لأزمته. وفي هذا السياق، تمكن من إقناع بعض الزعماء الريفيين بأن العلاقات، بل الصداقات التي ربطها ببعض الفرنسيين تكلفه نفقات تجني ثورة الريف ثمارها. إلا أن ثورة الريف كانت في حاجة إلى المال لأداء أثمنة الأسلحة والمواد الغذائية المستوردة والأدوية. لكن محمد بن عبد الكريم قرر توظيفه فجعل منه وسيطا بينه وبين الفرنسيين عبر ضابط الاستعلامات كابرييلي.

وهكذا أصبح حدو يحمل لقب القائد بصورة رسمية، وكان ينقل الرسالة المتبادلة بين المجاهدين الريفيين والفرنسيين، وصار هو الناطق باسم حكومة محمد بن عبد الكريم. وبهذه الصفة، شارك إلى جانب محمد أزرقان وأحمد ولد الحاج شدي، في المفاوضات التمهيدية التي انعقدت بين الطرفين.

وعندما استسلم محمد بن عبد الكريم في أواخر أبريل 1926، قررت فرنسا في شأن حدو الريفي ما قررته في شأن باقي وزراء محمد بن عبد الكريم، أي الإبعاد عن مساقط رؤوسهم والإقامة الإجبارية. وفي هذا الإطار، أبعد القائد حدو إلى مدينة الصويرة.

إلا أن الفراغ القاتل في الصويرة، وعدم ربطه علاقات مع بعض سكانها الذين باتوا يبتعدون عن السياسة، جعلا منه عنصرا مدمنا على الخمر الذي كان في بعض الأحيان يلعب برأسه، فيطلق عقدة لسانه ويمضي القائد حدو في كلام لاذع بالنسبة للفرنسيين "الخائنين للصداقة، المتنكرين للجميل"، ويذكر الناس بشجاعة أهل الريف وبطولة محمد ابن عبد الكريم وصحبه والهزائم العديدة التي ألحقوها بالعساكر الإسبان والجيوش الفرنسية.

تضايق حكام الصويرة وقتئذ من هذه الأقوال، فقررت السلطة العسكرية المحلية بالخصوص، عام 1943، إيداعه السجن، فنقل إلى سجن العادر بالجديدة.

لكن الظروف المادية والأمراض والشيخوخة تكالبت عليه بدون رحمة وبعد مرور خمسة أعوام، أطلقت السلطات

العسكرية سراحه، فغادر معقله وعاد إلى الصويرة عام 1948، فعدل طبعا عن الخمور، وصار يخصص كثيرا من أوقاته للعبادة، قلما يتحدث مع الناس، لا يكلمه إلا من كانت له ضرورة مخاطبته. لكن فئة قليلة من الشباب الواعي في ذلك الوقت، كانت تحييه إذا صادفته في أحد الأماكن العمومية وتعرب له عن تعاطفها مع المجاهدين الريفيين، إلى أن توفي بالصويرة عام 1369/1950.

Gabreilli, *Abdelkrim.*

أحمد بنجلون

**الريفي، عبد الرحمن** بن عبد الصادق، كان خليفة والده، آتي الترجمة. عين في منصبه الجديد سنة 1310 / 1892، وكثرت منه الشكايات لإضراره بالجيش الريفي. وفي عهده قام عبد السلام الأنجري لمعارضة مد إسبانيا لأسلاك التلغراف بقبيلة أنجرة. ولم يمكث عبد الرحمن بن الصادق طويلا بمنصبه، رذ أنه توفي في الأجل القريب وتولى الباشوية مكانه أخوه عبد العزيز بن عبد الصادق.

*وثائق خ. ح ؛ مديرية الوثائق الملكية ؛ مصطفى بوشعراء، الاستيطان والحماية.*

**الريفي، عبد الصادق** لا نعرف اسم والده ونرجح أن يكون بن محمد بن عبد الصادق أو ابن أخيه أحمد بن عبد الصادق، وهما معا من أحياء سنة 1206 / 1790. عين عبد الصادق عاملا على الريف، من طرف المولى عبد الرحمن، وكلفه السلطان بالمساهمة في إعداد اتفاق عام 1260 / 1844 الخاص بحدود الثغور المغربية المحتلة إلى جانب باشا طنجة بوسلهام بن علي أزطوط الريفي، إذ أن الإسبان كانوا قد هيأوا برنامجهم التوسعي. ففي يناير 1845 كانوا قد أعدوا مشروعهم بطرح الأسئلة التي هي في مغزى المطالب على حاكم طنجة بوسلهام بن علي، وعلى عبد الصادق الريفي عامل الريف.

*وثائق خ. ح. ومديرية الوثائق الملكية ؛ وثائق الأرشيف التاريخي الإسباني.*

**الريفي، عبد الصادق** بن **أحمد** حفيد عبد الصادق ابن أحمد بن علي آتي الترجمة. عامل طنجة ما بين 1295 / 1878 و1309 / 1891، مكان سابقه الجيلالي بن حمو، وكان خليفة له. ربما كان حفيد عبد الصادق بن أحمد بن علي. بقي بهذا المنصب إلى وفاته سنة 1308 / 1891 وحل محلّه خليفته ابنه عبد الرحمن.

*وثائق خ. ح. ومديرية الوثائق الملكية ؛ مجلة الوثائق ؛ ع. الرحمن بن زيدان، العلائق السياسية ؛ م. بوشعراء، الاستيطان والحماية.*

**الريفي، عبد الصادق** بن **أحمد** بن **علي**، أول من نعرف من حكام طنجة من الأسرة الريفية البطوئية الحمامية، نسل الباشا أحمد بعد تربع السلطان سيدي محمد بن عبد الله على العرش سنة1171 / 1757، إذ أن السلطان لم يتمكن من الاستغناء عن خدمة أبناء الباشا أحمد بن علي الريفي الثائر على والده. تم تعيينه في تاريخ لم نوفق إلى تحديده، ولكننا نعلم أنه كان قبل شوال عام 1172 / أبريل سنة 1765 في منصبه. وظهوره بالوثائق مرتبط بإثارة مسألة حدود الثغور المغربية المحتلة التي بدأ الإسبان الجري وراء تحقيقها منذ مستهل أبريل 1765 على عهد كارلوس الإسباني، وذلك حينما وصل الوفد السلطاني إلى ميدان سبتة حاملا الرسالة السلطانية الأولى الموجهة إلى البلاط الإسباني، وهي بتاريخ 22 شوال 1172 / 13 أبريل 1765. وكان الوفد مزودا أيضاً برسالة قائد طنجة عبد الصادق بن أحمد الريفي الموجهة إلى حاكم سبتة. وإلى غاية صيف تلك السنة كان حاكم سبتة قد توصل إلى إحكام الصلة بقائد طنجة، وقد لعب المترجم له دوره في الوساطة التي انتهت باتفاق 28 مايو 1767.

لم تتح لنا الوثائق التي بأيدينا متابعة فترة بقاء المترجم له في منصبه إلا بما قد ينتج عن مقارنتها بفترة حكم تاليه قريبه الريفي، محمد بن عبد المالك، فحسب علمنا أن هذا الأخير كان سنة1196 / 1781 في منصب الباشوية.

ح. الفكيكي، *مسألة الثغور المغربية المحتلة واتفاق عام 1181 / 1767* ؛ مجلة *المشروع*، الرباط، 1986 ؛ *الأرشيف التاريخي الوطني الإسباني* *A.H.N.*, Estado.

**الريفي، عبد الكريم** (البطل) ← **الخطابي**

**الريفي، عبد الكريم** بن موسى فقيه ومؤرخ مؤلف كتاب في تاريخ الدولة العلوية سماه زهر *الأكم*. ويعود الفضل في الكشف عن اسمه وتأليفه إلى محمد الضعيف الرباطي، فهو الوحيد الذي أشار إلى اسمه ومؤلفه والاقتباس منه، لذا بقيت معلوماتنا مقتصرة على تلك الإشارة، وعلى ما يمكن استخلاصه من زهر *الأكم*.

لا يعرف تاريخ ولادة عبد الكريم بن موسى أو وفاته، ومن الصعب الترجيح بكل اطمئنان. وما يجوز لنا قوله إنه من مواليد آخر القرن الحادي عشر (17 م)، ويكون بذلك قد عاصر فترة المولى إسماعيل. وآخر عهدنا به هو سنة 1153 / 1740، وكان وقت انتهاء الضعيف من نسخ زهر *الأكم* في العاشر من جمادى الأولى سنة1200 / 11 مارس 1786 قد توفي.

وإذا كانت كنيته الريفي تجعله من أبناء منطقة الريف،

فالمرجع لدينا أن يكون من الناحية المشرفة على حوض واد النكور، أي من المحيط الذي تشغله قبائل بني توزين وتمسمان وبني ورياغل، بناء على معرفته الجيدة للمنطقة التي منها استقى الأخبار الواردة في كتابه عن الريف. وكمثال على ذلك ما ذكره عن حرب المولى الرشيد مع القائد أحمد أعراص، حاكم ناحية وادي النكور والريف الغربي وأخباره الدقيقة عن احتلال جزيرة النكور في مستهل حكم المولى إسماعيل.

ويبدو أيضاً أنه كان من المقربين إلى مخزن المولى عبد الله بن إسماعيل، بصفته أحد الفقهاء، بناء على تأليفه الذي خصه للعصر الأول من الدولة العلوية، وعلى أخباره عن البلاط وعن الأمراء وعن الإدارة والجيش والمالية خلال فترة أزمة الثلاثين سنة. والغالب من جهة أخرى أنه اختص بالسلطان المولى عبد الله، وربما كان لقبه الحاج مرتبطا بمرافقة وفد خناثة بنت بكار إلى الديار المقدسة سنة1173 / 1730 ـ 1731.

ولعلّ الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي رافق حركات المولى عبد الله، استنادا إلى المعلومات التي انفرد بها مما أدلى به في تأليفه من تفاصيل الأحداث وإبداء الملاحظات. ونعرف أنه كان في جمادى الثانية من سنة 1153 / غشت ـ شتنبر 1740 يقص آخر الأخبار عن عودة المولى عبد الله بن إسماعيل من معركة أم نزات في شهر رجب السنة، ويختم تاريخه بكلمة : "هنا انتهى بنا هذا التأليف"، أن نعرف سبب ذلك التوقف المفاجئ. وبهذا الإعلان احتجبت عنا أخباره.

م. الضعيف الرباطي، *تاريخه* ؛ آسية بنعدادة، *زهر الأكم*، تحقيق ودراسة، الرباط، 1992 ؛ حسن الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبري بالثغور الشمالية الغربية*، أطروحة، مرقونة، الرباط، 1991.

**الريفي، عبد الملك** بن محمد بن عبد الملك، مساعد والده باشا طنجة على عهد محمد بن عبد الله، لا نعرف عنه سوى أنه كان من المكلفين من طرف السلطان محمد بن عبد الله لمحاولة إقناع المجاهد محمد الرتبي، سابق الترجمة بعدم مواصلة الجهاد ضد إسبانيي مليلة حسب مراسلة 16 شوال 1202 / 21 يوليوز 1788.

*الأرشيف التاريخي الوطني الإسباني* ؛ ح. الفگيگي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، 1997.

حسن الفگيگي

**الريفي، علي** بن **عبد الله** ← **الحَمّامي، علي** بن عبد الله

**الريفي، علي مغيث** الوفائي الحسني المدعو الريفي الشيخ الصالح، العالم، الناصح، الشريف الأصيل، الحسيب النبيل. أصل هذا الشيخ من مصر وأهله من الأشراف الوفائيين الحسنيين. البيت الشهير بمصر، وهم الذين كان أصهر إليهم الإمام أبو العباس المقري التلمساني ثم الفاسي الأديب المؤرخ الشهير صاحب *نفح الطيب* وغيره وانتفع بجاههم ومكتبتهم العامرة، ولكن زواجه انتهى بالطلاق. استوطن أسلاف المترجم له الجزائر مدة مديدة، ومنها انتقلوا إلى قبيلة بقيوة إحدى قبائل الريف بشرقي الشمال المغربي. واشتهروا فيها بلقب أولاد الهجّام، وربما أوحى هذا اللقب بفريضة الجهاد والاشتغال بها، وسكنوا جزيرة (باديس) الأسيرة، وكان بها منهم علماء وأولياء وأفاضل ومازالت فرقة منهم هناك ببقيوة إلى الآن. سمى الفقيه الرهوني منهم أفراداً بتطوان وطنجة، ومن الريف انتقلت فرقة منهم إلى قبيلة بني سعيد الجبلية القريبة من تطوان. ومن هؤلاء كان المترجم له. وقد أثروا بقبيلة بني سعيد ثراء كبيراً وتصاهروا مع السادات الريسونيين، فتزوج هؤلاء منهم نحو اثنتي عشرة امرأة بكراً وامتزجوا بهم وانتقلت ثروتهم إليهم، ومنهم من انتقل إلى تطوان واستوطنها وعرفوا بها بلقب (امكيكو) ومازال منهم بتطوان إلى الآن. ولما توفي المترجم له دفنه الباشا أحمد بن علي الحمامي الريفي المعروف بقُبّة جُبيل شمال مجشر (كيتان) بمكان نزه غاية وبنى على قبره قبة مازالت قائمة. ودفن داخلها معه كثير من الفضلاء والعلماء من آل غيلان وغيرهم. وكانت هذه القبة تأثرت بقنابل المدافع الإسبانية لالتجاء المجاهدين إليها ورممت بعد ذلك.

أخبر الشريف النسابة السيد الحسين الريسوني أن المترجم له توفي في حدود عام 1020 قال الرهوني : ولا يبعد ذلك وأهل مكة أدرى بشعابها لأن آل الريفي أخوال الريسوني المذكور، ولكن هذا لا يتفق مع تاريخ بناء القبة التي بناها الباشا أحمد الريفي وكانت ولايته من عام 1125 ـ 1156 إلا أن يكون الباشا بنى القبة بعد ذلك عليه.

وممن ذكر المترجم له وبعض أحفاده الشيخ عبد المجيد الزبادي الفاسي في كتابه *سلوك الطريق الوارية* وتحدث عن زيارة قبره وما جرى له هناك، كما ذكر ذلك مع التعليق عليه الأستاذ داود في تاريخ تطوان.

أحمد الرهوني، *عمدة الراوين*، 6 : 22، مخطوط ؛ محمد داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 157، طبع تطوان ؛ محمد عبد الغني حسن (المقري)، من سلسلة *أعلام المغرب*، طبع القاهرة.

محمد بوخبزة

**الريفي، عمر** (الحاج ـ) بن عبد القادر، رجل مثقف اشتهر بنشاطاته وعلاقاته مع الأوساط الإسلامية وأهل العلم بالمغرب ومصر وتركيا والحجاز. ينتمي لإحدى قبائل الريف، استقر بمدينة طنجة سنة 1908 وكان منزله بحي المصلّى حسبما يفهم من بعض الرسائل التي تبادلها مع أخيه الحاج علال بن عبد القادر الريفي.

أهم ما ميز نشاطات الحاج عمر الريفي علاقته مع السلطان عبد الحفيظ، خاصة بعد تنازله عن العرش. ففي سنة 1913، كان الحاج عمر ضمن الوفد المرافق لعبد الحفيظ في حجه للديار المقدسة بمكة والمدينة.

كان الحاج عمر مثله في ذلك مثل مولاي عبد الحفيظ من مريدي الشيخ محمد بن جعفر الكتاني الذي هاجر بلاده قبيل الاحتلال إلى المدينة المنورة. وكان منزله بالمدينة ملتقى الاتصالات والمراسلات التي تصدر عن الحاج عمر وترد عليه.

والأمر الذي لا شك فيه أن الرجل كان منخرطا في صفوف المجاهدين ضد الاحتلال الفرنسي والإسباني للمغرب. ولهذا وجدناه وهو بالديار المقدسة يراسل إخوانه وأصدقاءه بطنجة، ليطلع على مجريات حركة الجهاد المغربية ضد الاحتلال الاسباني والفرنسي. ومن خلال تلك المراسلات تبين أن الرجل كان من بين النشطاء في ميدان المقاومة ضد الاحتلال.

في سنة 1916 ألقي القبض على الحاج عمر الريفي بمدينة طنجة بتهمة التآمر ضد المخزن. وتبين من هذا الحادث، أن الرجل كان معرضا للمراقبة من طرف استخبارات الإقامة العامة بالرباط، والحكومة الفرنسية، انطلاقا من مراقبة مولاي عبد الحفيظ، الذي استقر بإسبانيا دون رغبة الفرنسيين ورفض العودة لطنجة.

والواقع أن مولاي عبد الحفيظ، حاول التنسيق مع الألمان والأتراك ضد الفرنسيين، وكان الحاج عمر من المقربين منه ومن الذين يربطون الاتصال بينه وبين المجاهدين بالريف ومنطقة جبالة. ويظهر أن الرجل كان مكلفا بمسألة تهريب السلاح للمجاهدين. فقد اتهم بأنه كان هو القيم الخاص للسلطان السابق، وأنه كان يربط علاقات مع القنصل الألماني بمدينة الجزيرة الخضراء

علال الخديمي، *أخبار الجهاد والمجاهدين بالمنطقة الشمالية خلال الحرب العالمية الأولى في "المنطقة الشمالية والكفاح الوطني 1909 - 1956"*، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط 1998 ؛ *الوثائق الدبلوماسية بمدينة نانت*، (ADN، 1913 - 1982).

علال الخديمي

**الريفي، محمد** بن **عبد الله** (عبو) بن عبد المالك، حفيد السابق عبد الملك بن محمد بن عبد الملك، مولده بطنجة سنة 1213 / 1798. تقلب في وظائف سامية بالجيش الريفي، وعين باشا طنجة سنة 1271 / 1854 بمناسبة انفراد سابقه محمد الخطيب بمهمة النيابة السلطانية. بقي بمنصبه إلى أن عزل سنة 1275 / 1858، وتوفي في 13 ربيع الأول 1275 / 21 أكتوبر 1858.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية* ؛ مييج، *المغرب وأوربا*، 2.

**الريفي، محمد** بن **عبد المالك**، باشا طنجة برز بالوثائق المعتمدة منذ سنة 1196 / 1781، ولا نعرف امتداده النسبي وارتباطه بعميدي الأسرة الريفية أحمد وعمر ابني حدو البطوئي الحمامي أو بالنسبة للباشا علي وابنه أحمد. كلف بقيادة المباحثات المتعلقة برسم حدود سبتة بعد العودة إلى ربط العلاقات المغربية الإسبانية التي كانت قد توقفت بسبب حصار مليلة، واستمر بها إلى عهد المولى اليزيد.

ففي آخر سنة 1195 / 1781 بدأ حاكم سبتة في الاتصال به، فكان من ذلك أن وعد حاكم سبتة ورئيس الحكومة الإسبانية بإتمام مسألة تعيين الحدود على أحسن حال وفي أقرب الآجال. وفي أغلب الاعتقاد أنه كان يعني توصله بمراسلة 29 حجة 1195 / 16 ديسمبر 1781 التي يستنتج منها وصول الأمر السلطاني القاضي بالشروع في تعيين الحدود الفاصلة من الوجهة الحربية بين الميدان المغربي وحدود سبتة. وقد تم للإسبان بعض ما أرادوه حسبما يفهم من مراسلة 19 محرم 1196 / 4 يناير 1782.

توطدت المراسلات والاتصالات بين محمد بن عبد الملك وحاكم سبتة والقنصل الإسباني بطنجة طيلة ما تبقى من حياة السلطان محمد بن عبد الله، مثلما تدل عليه مراسلة متم شوال 1204 / 12 يوليو 1790.

كان المولى اليزيد بمجرد اعتلائه العرش والشروع في حصار سبتة عازما على تصفية الحساب مع المتهمين بالتواطؤ مع الإسبان خلال حياة والده بالنسبة للتقدم الإسباني الحاصل على حدود سبتة. ومن أجل ذلك بدأ بمعاقبة محمد بن عبد الملك الريفي، وتم قتله مثلما يظهر مع العربي الأفندي وعدد آخر حسب مراسلة 20 صفر عام 1205 / 29 أكتوبر 1790.

*وثائق خ. ح ؛ وثائق مديرية الوثائق الملكية ؛ وثائق الأرشيف التاريخي الإسباني.*

حسن الفكيكي

**الريفية، رقية** بنت محمد كانت رمزاً لتضحية المرأة ونضالها بمدينة مكناس، فقد لعبت دوراً في معركة وادي بوفكران في 2 شتنبر 1937، فقد كانت تلقي - أثناء المعركة - من فوق منزلها المطل على ساحة الهديم بالحجارة على الجنود الفرنسيين وتصب عليهم الماء الساخن، فجَرحت عدداً منهم، وألقت برحى على أحدهم فأردته قتيلا، فرماها أحدهم برصاص اخترق صدرها، وأصيبت في ثديها الايسر، فنقلت إلى المستشفى، وقد عولجت وخرجت من المستشفى في 23 أكتوبر 1937، وظلت حية حتى عام 1402 / 1981.

بوشتى بوعسرية، *أحداث بوفكران*، ص. 311 ؛ إبراهيم الهلالي، *التبيان لمعركة ماء بوفكران مع وجوب اتباع الإمام.*

رقية بلمقدم

**الرِّيْنَة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Reina وArraena ومعناه الملكة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1178 / 1765، مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت بحومة الطرانكات دار تعرف بدار الرينة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية* في الرقم 752.

محمد ابن عزوز حكيم

**رينو لوسيان** Raynaud Lucien، ولد في جنوب شرق فرنسا سنة 1866 من عائلة تهتم بالطب. وبعد أن قضى ثلاث سنوات من العمل في أحد كبار المستشفيات بمدينة الجزائر، ناقش أطروحته في الطب بباريز سنة 1892 في موضوع "الاضطرابات التي تسببها الملاريا للعين"، ثم عين في السنة الموالية طبيبا زائرا لدى مصالح الصحة البحرية بمدينة الجزائر.

وفي سنة 1900 أرسلته وزارة الخارجية الفرنسية إلى طنجة ليدرس مسألة تنظيم المحاجر الخاصة بالحجاج العائدين من الديار المقدسة هناك، ودامت مهمته هاته من أبريل إلى أكتوبر من السنة ذاتها. تمكن خلالها، في أوقات فراغه، من التقاط ما كان يتيسر له من معلومات عن المغرب، وتدوين ملاحظاته عن الأحوال الصحية بهذا البلد وطرق العلاج البدائية التي كانت متبعة به. وعاد رينو في بعثتين أُخريين سنتي 1901 و1902 تمكن أثناءهما من توسيع مداركه حول الصحة وطرق العلاج مما أهله ليكتب مقالات شتى في هذا الموضوع أهمها :

داء الكلب بالمغرب (1901)

الكحول والإدمان على الكحول بالمغرب (1901)

المجلس الصحي الدولي بالمغرب (1902)

الإعانة العمومية بالمغرب (1902)

غير أن أهم كتاب اشتهر به رينو هو كتابه :

"دراسة حول حفظ الصحة والطب بالمغرب متبوعة بموجز عن مناخ المدن الرئيسية في الامبراطورية"

وقد صدر هذا الكتاب بمدينة الجزائر سنة 1902.وفيه تعرض المؤلف لما كان يتهدد المغاربة من أوبئة وأمراض، وبسط أنواع الأدوية والعقاقير التي كان المغاربة يستعملونها لمواجهة ما كان يحيق بهم من صنوف الداء، وختم كتابه بالحديث عن الحالة المناخية ببعض مدن المغرب في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر.

توفي الطبيب رينو في 4 شتنبر 1931 في تيبازة بالجزائر.

Maxime Rousselle, *Médecins, chirurgiens et apothicaires français au Maroc (1577 - 1907)*, Paris, 1996; Lucien Raynaud, *Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc*, Alger, 1902.

بوجمعة رويان

**رينيو أوجين** Regnault Eugène هو الوزير المفوض لفرنسا في المغرب فيما بين 1906 و1912، الذي وكل به أمر إحكام القبضة الاستعمارية على البلاد بالمراوغة والمخاتلة كل ما أمكن ذلك وبالعمليات العسكرية إن اقتضى الحال، حتى أفضى الأمر إلى عقد الحماية الذي كان رينيو هو الموقع عليه باسم فرنسا إلى جانب السلطان المولى عبد الحفيظ باسم المغرب.

ولد أوجين رينيو يوم 28 دجنبر 1857. والتحق بالسلك الديبلوماسي بعد حصوله على الإجازة في علوم القانون. اشتغل أول أمره في المقيمية الفرنسية في تونس فيما بين 1884 و1890، وبخاصة لدى أول مقيم عام فيها، بول كامبون Paul Cambon، فتمرس على حيل الاستعمار عن طريق الحماية، وعلى أساليب الديبلوماسية وما يحفزها من المصالح الاقتصادية الملموسة. وكان لبول كامبون وأخيه جول Jules Cambon أدوار لا يستهان بها من أجل إلحاق المغرب بباقي المستعمرات الفرنسية بما تقلبا عليه كلاهما من المناصب الإدارية ومن السفارات الكبرى. فقد كان بول كامبون بعد تونس واليا عاما على الجزائر من 1890 إلى 1896، حيث رام احتلال توات سنة 1892. ثم كان سفيراً في لندن حيث سعى سعيا حثيثا في إبرام الوفاق الودي بين فرنسا وإنجلترا سنة 1904 الذي أطلق يد فرنسا في المغرب. وكان أخوه جول سفيرا في برلين إبان اشتدت المنافسة بين ألمانيا وفرنسا حتى أصبح ذلك معروفا بالمسألة أو الأزمة المغربية في المحافل الدولية. وكان رينيو من أصحابهما، ذا حظوة لديهما سائراً في فلكهما. وقد مر رينيو من القنصلية الفرنسية في أثينا وسالونيك في اليونان. ثم عاد إلى باريس قبل أن تسند إليه القنصلية العامة في جنيف سنة 1898. ويوم فرضت قروض 1904 على المغرب، أسند إليه وظيفة وكيل أصحاب الدين المرهون بما قدره 40٪ من الجمارك المغربية، فكان بمثابة سن الرمح مما كان ينعت يومئذ في الدعاية الاستعمارية بالتسرب السلمي، الرامي إلى اقتحام الجهاز المخزني من جهة بيت ماله فهو القلب النابض منه. وكان صندوق الدين أول ما أثبت من "النظام الفرنسي" في الجهاز الحكومي المغربي. وصار رينيو يعيّن المراقبين للجمارك في الموانئ الثمانية المفتوحة أمام التجارة الدولية. ولم يكن الأمر هينا في السنتين الأوليين، إذ تصامم الكثير من أمناء الجمارك المغربية عن أوامر رينيو ونواهيه، وساروا معه ومع مراقبيه سيرة من لا يستسيغ تدخل النصارى في شؤون البلاد، وإن كان ملزما بالتخلي عن نسبة غير هينة من الدخل.

ثم تطورت المسألة المغربية على الصعيد الدولي حتى أدى الأمر إلى انعقاد مؤتمر الجزيرات (انظر هذه المادة في مكانها من *المعلمة*). وعيّن رينيو نائب رئيس الوفد الفرنسي، بول رفوال (ينظر في مكانه من *المعلمة*). وقد مكنته خبرته بشؤون الدَّين من إدخال المغرب في شبكة

محكمة من المواثيق المالية والتجارية الدولية التي لم تزد التسرب الفرنسي في البلاد إلا قوة ومناعة، هذا فضلا عما كان حصل طيلة شهور المؤتمر الثلاثة من المخالطة اليومية لأعضاء الوفد المغربي وللرجل الثاني فيه على الخصوص، وهو محمد بن عبد السلام المقري الذي توثقت الصلات بينه وبين رينيو من يومئذ فلا يدرك ما جرى من الإعداد للحماية على التراب المغربي بدون الرجوع إلى هاذين الرجلين. ذلك بأن مؤتمر الخزيرات عاد على فرنسا بفوائد حملتها على السير بخطة التسرب السلمي قدما إلى الأمام، إذ حل رينيو محل سانريني طايانديه Saint-René Taillandier (ينظر في هذه *المعلمة*) في صيف 1906، وزير فرنسا المفوض، مهمته إخراج كل ما سطره المؤتمر من القرارات المخلة بحرية المغرب إلى حيز التنفيذ، من ذلك إقامة بنك الدولة ليكون بيت مال المخزن تحت رحمته، وإقامة الضرائب الجديدة، وتنصيب الشرطة الفرنسية والشرطة الإسبانية في الموانئ، وتمهيد السبيل أمام الاستثمارات الدولية عامة والاستثمارات الفرنسية بوجه أخص. وقد أقيم مهندس فرنسي لهذا الغرض وهو بورشي - بانيس Porché-Banés ليدشن الأوراش التي كانت التجارة الدولية في حاجة إليها للتغلغل داخل السوق المغربية، وذلك بناء على مبدأ الباب المفتوح الذي أقره مؤتمر الخزيرات، وطبقا لأساليب التسرب السلمي التي كانت قد أسفرت عن فرض الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881. وكان رينيو قد خبرها تمام الخبرة، وما جاء إلى المغرب إلا بقصد إعادة الكرة عليه. وظل يدافع عن هذه الخطة باستمرار، ضدا على خطة السلطات الفرنسية في الجزائر التي كانت ترى أن الجهاز المخزني المغربي إنما هو حكومة وهمية، ويكفي استقطاب القبائل طوعا أوكرها لاستعمار البلاد. أما رينيو فإنه كان يعلم من وقوفه على حقيقة الأمور في الميدان منذ 1904 بأن المخزن المغربي حكومة قائمة الذات ثابتة الأركان، وأن الحماية الفرنسية لن تتم ولن يستقر لها قرار ما لم يكن ذلك بإرادة السلطان وبتفويض منه. بيد أن حمل السلطان على ذلك لم يكن من الأمر اليسير. وقد أدرك رينيو ومساعدوه في طنجة أن لا مفر من الإخلال بثقة العاهل المغربي بسلطانه بإثارة كل أسباب الشغب عليه لإخافته واضطراره إلي الارتماء في أحضان فرنسا. وذلك ما حصل أول الأمر مع السلطان المولى عبد العزيز الذي فقدت الرعية كل ثقة فيه غداة مؤتمر الخزيرات ونفرت منه تمام النفور بعد احتلال الفرنسيين لوجده انتقاما بزعمهم لمقتل الطبيب موشان Mauchamp في مراكش (أبريل 1907)، ونزول أسطولهم وجيوشهم على مدينة الدار البيضاء التي ثارت فيها ثائرة قبائل الشاوية بسبب انتهاك حرمة مقبرة كانت في جوار المرسى الذي شرع الفرنسيون في بنائه. وكانت الفرصة مواتية في كلتا الحالتين لإحكام القبضة العسكرية على المغرب من جهة الغرب ومن جهة الشرق. وظن رينيو أنه فاز

ببغيته، ذلك بأن المولى عبد العزيز ارتحل على وجه السرعة من فاس إلى الرباط وتنازل لرينيو في خريف سنة 1907 عما كان قد رفض التنازل عنه لسان ريني طايانديه سنة 1905. وسبب ذلك قيام المولى عبد الحفيظ في مراكش، مناديا بالجهاد ومعلنا بالإطاحة بالمولى عبد العزيز. وكان رأي رينيو أن تساند فرنسا السلطان الشرعي وأن تنتزع منه ما تصبو إليه من التسرب الاستعماري. لكن المسؤولين الفرنسيين في باريس فضلوا التورية بالحياد في النزاع على العرش بين الأميرين. وما كان على رينيو إلا أن يمتثل ويحيك حول السلطان الجديد ما كان قد حاكه حول سلفه من أعمال المراوغة والمكايسة، علما منه بأنه يكفي أن يتنازل المولى عبد الحفيظ مرة أولى ليجد نفسه ملزما بالتنازل عن الباقي، لأن شبكة الاستعمار كانت قد اتصلت فروعها وامتدت. واضطر السلطان الجديد إلى الاعتراف بشروط الخزيرات ليحصل على الاعتراف الدولي بمشروعية حكمه (يناير 1909). ولم يمنح ذلك إلا مقابل استقبال رينيو في فاس استقبالا رسميا والشروع معه في مفاوضات تجديد الثقة بالبعثة العسكرية الفرنسية والالتزام بأن لا يستعين في الاصلاحات إلا بالفرنسيين. ولما ألح على رينيو في انسحاب الجيوش الفرنسية من وجدة ومن الدار البيضاء وإقليم الشاوية الذي توسع فيه الفرنسيون في الشهور التي كان الصراع على أشده بين السلطانين، عرض رينيو عليه شروطا ألزمته هو بدوره بالاقتراض من السوق المالية الفرنسية، فوقع فيما كان قد سبقه أخوه المخلوع إليه، ولكن هذه المرة مع وزير مفوض فرنسي خبير بشؤون المخزن مطلع على عوراته، يساعده من حيث يدري أولا يدري محمد المقري الذي جعله المولى عبد الحفيظ وزير ماليته قبل أن يسند إليه الصدارة الكبرى. وسافر المقري إلى باريس للتفاوض بشأن قرض جديد وقع الاتفاق عليه في مطلع سنة 1910، قضى على البقية الباقية من حرية المغرب المالية. وغدا المخزن الحفيظي هو بدوره فريسة لا تنتظر فرنسا للإجهاز عليها إلا أن تتخلص من المنافسة الألمانية. ولقد قام رينيو في هذا المضمار بالأدوار الطلائعية. فهو الذي دعا إلى الاتفاق مع ألمانيا في فبراير 1909 ضمانا لمساواة رجال أعمال الدولتين في استثمار خيرات المغرب. لكن الجيوش الفرنسية أقدمت على احتلال فاس في مايو 1911. وكان رينيو يومئذ في باريس لا يفارق وزير الخارجية كروبي Cruppi الذي أمر بالزحف إلى فاس على إثر "المأدبة المغربية "التي حضرها كل من كان يحث على احتلال المغرب بما فيهم رينيو. وردت ألمانيا بأن أوفدت بارجة "بانطير" إلى خليج أكادير. وكان ذلك سببا في احتدام الأزمة المغربية الثانية. واضطرت فرنسا إلى التعاقد مع ألمانيا بشأن استغلال المغرب، وإلى التخلي لها عن جزء من الكونغو مقابل اعتراف ألماني بحق فرض الحماية الفرنسية على المغرب. وكان رينيو من صناع هذا الوفق إذ

كان على بينة من أن ما أحرزته فرنسا من قصب السبق داخل الجهاز المخزني لا يمكن أن يشوش عليه ما كان لبعض المقاولات الألمانية في السوق المغربية من المصالح. وما أن أطلق العنان لفرنسا بشأن الحماية حتى انكب رينيو على رأس لجنة من الخبراء من مختلف التخصصات يضع الصياغة المنشودة لعقد الحماية. وهو النص الذي حمله في حقيبته إلى فاس في الأسبوع الأخير من مارس 1912 ليلزم المولى عبد الحفيظ بإمضائه في صيغة محكمة تضع مصير المغرب بين يدي السلطات الفرنسية تحت ستار الالتزام بسيادة السلطان ووحدة التراب المغربي واحترام الأعراف والشرائع الدينية. ولم يجد المولى عبد الحفيظ الذي كانت الرعية قد نفرت منه هو بدوره بدأً من التوقيع عليه. وما أن ذاع خبر ذلك حتى ثار سكان فاس ثورة شعواء ابتداء من 17 أبريل. وفتك الثوار بكل ما وقعت عليه أيديهم من النصارى وأنصارهم من اليهود. وبذلك فقد رينيو ما كان يتشوف إليه من أن يكون أول مقيم عام فرنسي في المغرب المحميّ. وفضلت الحكومة الفرنسية عليه الجنرال ليوطي ليجتمع في قبضته سلاحا الديبلوماسية والجيش فيجعل حدا للصراع الذي طالما تعثرت فيه السياسة الفرنسية حيال المغرب في سنوات ما قبل الحماية بين أنصار التسرب السلمي من موظفي وزارة الخارجية وأنصار الغزو العسكري زحفا من الجزائر ونزولا من البحر. وآخر حلقة من هذا الصراع دارت بين رينيو والجنرال موانيي Moinier، قائد جيوش احتلال فاس، الذي أراد الانتقام من ثورة فاس بدك المدينة جملة وتفصيلا تحت وابل من القنابل، وكان من شأنه أن يفعل لولا معارضة رينيو الشديدة الذي تبدي التقارير التي رفعها إلى وزارته في تلك النازلة أن الضباط الفرنسيين لهم جانب من المسؤولية فيما يسمى في مصادرهم بأيام فاس الدامية.

وحل ليوطي مدينة فاس في شهر ماي وسلمه رينيو سلطاته، بل رسم له خطوط فلسفة الحماية كما يبدو من خلال آخر تقرير له عن المغرب. فقد جاء فيه : "مما لاشك فيه أن غلبتنا لا مناص من أن لا تشوبها شائبة. بيد أن الغلبة لا تكفي لإقامة حكومة منتظمة، ذلك بأن دور الإدارة الفرنسية، مدنية كانت أم عسكرية، في البلاد المغربية لا بد أن تترفع على ما يتجاوز القوة من الأساليب، ولا بد أن تتمسك بالمبادئ النبيلة. وإن كثيرا من ضباطنا قد أعجبوا بما رأوا من القبائل. ولكن ما تثيره فينا مذابح فاس من الاشمئزاز، لا ينبغي أن يكون مبرراً لاحتقار الأهالي وانتقام الإدارة منهم. ولا يجوز أن نترك الأجيال الصاعدة في ممتلكاتنا الإفريقية تنشأ على الشعور بالاندحار واليأس. وعلينا أن نشرع بدون ملل ولا كلل في كسب قلوب هذا الشعب بإثارة مصالحه وعواطفه في آن واحد. وإذا أردنا أن نمحو أسباب التعصب في هذا البلد، فينبغي أن لا نقلب البنيان الاجتماعي المغربي رأسا على عقب، مهما كان من تآكله. بل علينا أن نسنده وأن نعمل على تقويمه من خلف الستار بكل حذر. كما علينا أن نقرب منا كل ذوي النفوذ والتبصر في المجتمع المغربي من بين عالم وشريف ومرابط. وخلاصة القول أن فضائل حمايتنا لن تستحسن ولن تستساغ إلا بقدر بما يبدي رجال إدارتنا من الاحترام للدين الإسلامي ولأعرافه، نابذين كل مظاهر القلق وكل تكبر طائش وكل عنف في تعاملهم مع الأهالي، ملتزمين بما في الطبائع الفرنسية من الجاذبية، فلا مناص منها لكسب قلوب شعب أبي مرهف الحساسية، بعيد كل البعد من أن لا يتأثر بأساليب اللطف والأدب والإحسان وبمبادئنا العدلية واحترامنا للإنسان".

وإن دل هذا التقرير على شيء، فإنما يدل على أن ليوطي لم يبتكر سياسة الحماية، وأنه حاول أن يعمل بالمسطرة التي رسمها رينيو ولم يكتب له تطبيقها بسبب ما هوّل العسكريون الفرنسيون من ثورة الشارع الفاسي غداة عقد الحماية لتكون وظيفة المقيم العام من نصيبهم. وقد تم لهم ذلك في شخص ليوطي الذي سعى في باريس سعيا حثيثا في الفوز بالمنصب. مما حمله على الحكم على رينيو بأنه كان تاجرا بكل ما في الكلمة من معنى، متمسكا بالملموسات، يروم دائما أكل الكتف من حيث ينبغي أن تؤكل. وقد عيّن أوجين رينيو سفيرا في سويسرا تعويضا له عن الإقامة في الرباط. لكنه سرعان ما انسحب من السلك الديبلوماسي للعمل في القطاع الخاص.

*Annuaire diplomatique de France*, 1914 ; François Charles-Roux et Jacques Caillé, *Missions diplomatiques à Fès*, Paris, 1955 ; Burke, Edmund III, *Prelude to Protectorate in Morocco,* Chicago, 1976 ; Charles-André Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, 1415 - 1956, Paris, 1978 ; Daniel Rivet, *Lyautey et l'institution du Protectorat*, Paris, 3 vol., 1988.

إبراهيم بوطالب

**الرِّيُوسْ**، ويكتب رِيُوسْ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rios ومعناه الانهار جمع نهر ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان حيث يوجد زقاق يعرف بدرب الريوس بحومة الطرانكات.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية* في الرقم 755.

محمد ابن عزوز حكيم

**الريوطي، محمد** بن علي بن محمد الأزدي الطليطلي، أخذ عن جماعة من شيوخ طليطلة، وسمع من عبد الرحمن بن سلمة وقاسم بن هلال، وأبي الوليد الباجي وجعفر بن عبد الله القرطبي. كان مكفوف البصر.

انتقل بعد سقوط طليطلة إلى المغرب الأقصى وسكن

مدينة فاس مدة، ثم انتقل منها إلى مدينة سبتة، وكان خطيبا بالموضعين. روى عنه القاضي عياض السبتي، وسمع منه غيره. وظل خطيبا بسبتة إلى وفاته سنة 503/1109.

أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط،1973، ج. 1، ص. 252؛ م. ابن عياض، *التعريف بالقاضي عياض*، تح. م. بن شريفة، الرباط، المحمدية، ص. 124 ؛ ابن بشكوال، *الصلة في تاريخ أئمة الأندلس*، تح. عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1955، ج. 2، ص. 537 ؛ القاضي عياض، *الغنية*، تح. ماهر زهير جرار، بيروت، 1982، ص. 35.

محمد المغراوي

**الريّ** (مكتب -) ببني عمير وبني موسى في تادلا L'Office de l'irrigation aux Bani Amir et Bani Moussa، بعد أن شيد سد بين الويدان على نهر أم الربيع سنة 1937 لسقي سهل تادلا الذي كان يعاني من الجفاف رغم خصوبة أرضه. وقد تم إحصاء 90.000 هكتار على الضفة الشمالية لأم الربيع، و150.000 هكتار على الضفة الجنوبية، يمكنها الاستفادة من عملية السقي بحيث يصبح من الممكن إدخال مزروعات جديدة توجه نحو السوق. وبالفعل، فقد عرفت المنطقة، علاوة على الحبوب والخضراوات والزيتون، زراعة القطن والفصة ومجموعة من النباتات الصناعية.

وفي 1941، أنشئ مكتب الري ببني عمير وبني موسى قصد التنسيق بين مختلف المصالح المهتمة بالمشاكل التقنية والاقتصادية وكذا الانسانية المتعلقة بالري. وكان من أهداف المكتب كذلك تعميم الري بالمنطقة، وتأطير الفلاحين المغاربة، والعمل على نشر فلاحة عصرية وعلى إيجاد حلول لتسويق المنتجات سواء داخل المغرب أو خارجه. وبالفعل فقد عرفت قبائل بني عمير وبني موسى ارتفاعا في الإنتاج الفلاحي، وبدأ مستوى دخل السكان وعيشهم يرتفع هو بدوره.

ونظرا لهذا التغيير الذي شهدته المنطقة، ارتأت الإدارة أن تسهر على وقاية السكان من المضاربات العقارية. فجاء ظهير 1938 يمنع كل أجنبي عن القبيلة من شراء أرض بالمنطقة، وذلك في انتظار أن يبلغ الفلاحون نضجهم وتقييم أرضهم تقييما صحيحا.

ثم ما لبث هذا الظهير، بعدما تم تحديد الملك العائلي، أن عوض بظهير مارس 1953 الذي يجيز اشتراء الأرض في المنطقة المسقية، وكذا الشراكة مع الفلاحين المغاربة لمدة عشرين سنة. وهكذا، أخذت الأرض تنتقل إلى موظفي وتقنيي مكتب الري ببني عمير وبني موسى، وإلى المستغلين الفرنسيين الذين صاروايفدون على المنطقة، بحيث استولى المعمرون على أكبر قدر ممكن من الأراضي، هذا مع الحرص على تفادي هجرة قروية يمكن أن تنتج عنها مشاكل اجتماعية وسياسية بالمدن.

إضافة إلى هذا، تم الاستيلاء على ما اعتبر فائضا من أراضي السكان، وعلى ممتلكات الفلاحين الذين لم يسددوا ديونهم نحو المكتب، بحيث أنشئت ضيعات عصرية شاسعة لصالح المعمرين.

واجتنابا لأي رد فعل من السكان، أخذ مكتب الري ببني عمير وبني موسى يهتم بما أسماه بالتعاون الفرنسي - المغربي، وذلك بإشراك الفلاحين في الاستفادة من الأرباح التي يدرها السقي، وتلقينهم مبادئ الفلاحة العصرية.

بعدما تم بناء السد، شرع المكتب في تعويض الفلاحين الذين شمل السد أراضيهم، وذلك بمنحهم قطعا في المنطقة السقوية، معتبرا في ذلك المساحات التي سجلوها في المحافظة العقارية. وبما أن عددا منهم لم يكونوا قد صرحوا بالمساحات الحقيقية التي كانوا يملكونها، فإنهم لم يعوضوا إلا على ما تم التصريح به وتسجيله، وتم توزيع الباقي على المعمرين. كما أُلزم الفلاحون بزراعة القطن ؛ ونظرا لكونهم يجهلون تقنيات هذه الزراعة، فإن مداخيلهم لم تسمح لهم بتسديد ديونهم إزاء المكتب، مما اضطر العديد منهم إلى التنازل له عن أراضيهم.

وهكذا، كانت عمليات التحديث تلك، التي قام بها المستعمر في هذا الإطار أو في أطر أخرى (انظر البيزانا، التحديث القروي، شركة سبو) مجرد وسيلة للاستحواذ على الأراضي المغربية ولدعم الرأسمال الأجنبي، رغم ما كان يضفى عليها - من الناحية المبدئية - من طابع إنساني.

A. Halim, *Le capitalisme agraire au Maroc*, Université Paris 7, 1986 ; Marthelot, *Expériences marocaines dans le domaine rural jusqu'à l'indépendance*, in *Réforme agraire au Maghreb*, Paris, 1963 ; Pourtauborde, *Documents politiques et sociaux. L'Office de l'Irrigation au Bani Amir et Bani Moussa*, in *Encyclopédie mensuelle d'Outre-mer*, juin 1954, document n° 28.

عبد الجليل حليم

**الري التقليدي** بالمغرب، تقدر المساحة الإجمالية للأراضي المغربية المسقية بحوالي مليون هكتار. وهي ثمرة لجهود الإنسان المغربي منذ أقدم العصور. فالمعطيات المناخية المتميزة بندرة التساقطات بالنسبة لمعظم أراضي البلاد، وبالتذبذب البيسنوي والفصلي لكمياتها في الشمال والشمال الغربي، جعلت الأسلاف يُسخرون طاقاتهم وخبراتهم وتقنياتهم لتعبئة المياه بهدف ضمان الاستقرار والازدهار. ونفس الحافز هو الذي جعل إدارة الحماية قبل 1956 وحكومات المغرب منذ الاستقلال منشغلين بموضوع تعبئة الموارد المائية. ومما يترجم هذا الانشغال سياسة "مشروع ري مليون هكتار في أفق سنة 2000". ومعلوم أن تعبئة المياه لا تقتصر على الموارد السطحية فقط، بل تشمل الموارد الباطنية. واعتبارا لظروف هذه التعبئة يمكننا التمييز بين تقنيات الري التقليدي وتقنيات الري العصري.

تقنيات الري التقليدي : قدرت مساحة الأراضي المسقية بالمغرب في مطلع القرن العشرين بـ200.000 هـ. وهي أراضٍ كانت تُسقى كلها بطرق تقليدية اجتهد الإنسان المغربي في ابتكارها أو في استيرادها وتكييفها مع البيئة المغربية. ومما ميز هذه التقنيات كونها متنوعة ومختلفة تمشيا مع اختلاف الظروف المناخية والمرفلوجية المحلية وطبيعة وأهمية المورد المائي. والحديث عن تقنيات الري يجعلنا نفكر في جوانب متعددة نحتفظ منها بتقنيات التعبئة، والتجميع والنقل، وأخيرا التوزيع والإرواء على مستوى المشارة.

أ ـ تقنيات التعبئة : إن الموارد المائية نوعان : سطحية وباطنية. وحسب هذا النوع أو ذاك، طورت تقنيات مختلفة للتعبئة.

1 ـ تعبئة المياه السطحية : تتعدد مصادر المياه السطحية. وتتمثل عموما في العيون، والوديان ومياه الفيضان، ومياه الجريان Ruissellement. وفي كل هذه الحالات، يُطرح مشكلان أساسيان : تحويل جَرّ (تحريف) الماء من المجرى الطبيعي ورفع مستواه حتى يشرف على المساحات المراد سقيها. ويبدو أن أبسط عملية قام بها الإنسان لاقتياد المياه من منبعها أو من مجراها الطبيعي هي عملية جر المياه Captage. وقد تم ذلك بواسطة سد صغير يسمى في مناطق كثيرة من المغرب بـ"أ ݣوݣ أو أ ݣويْ أو أݣوجْ" وهو حاجز ذو خط رسم متقاطع مع رسم جريان الماء. يشيد بمواد محلية تشمل الجلاميد، والتراب وأغصان الأشجار والأعشاب...

في عدد من الحالات لا ينتظر من الأݣوݣ تحريف الماء فقط، بل رفع مستواه بهدف الإشراف على مساحة أوسع خاصة في المناطق الجبلية حيث تسود الأودية الضيقة القعر.

قد تقام عدة سدود على المجرى المائي الواحد كما هو الشأن بالنسبة للوديان الوافدة من الأطلس الكبير نحو الحوز (Paul Pascon) ونحو الصحراء (أو حَجُو الكبير) وبالأودية الجبلية الداخلية كواد ݣيݣو ورافده المداز، وكواد ملّولو الأعلى بالأطلس المتوسط (محمد كربوط).

والملاحظ أن الأݣوݣ لا يقام على المجاري الدائمة فقط، بل على المجاري الموسمية كذلك وخاصة على الوديان جنوب سلسلة الأطلس. ويكون الهدف من هذه السدود هو تحويل مياه الفيضانات نحو أراض شاسعة غالبا ما يكون الفلاح قد أعدها لزراعة الحبوب. وتعرف هذه الأراضي "بالمعَادَرْ".

ومن خاصيات الأݣوݣ أنه هش وغالبا ما يدمره الفيضان، مما قد يفرض إعادة بنائه مرات متعددة خلال الموسم الفلاحي الواحد.

*الناعورة* :

إلى جانب الأݣوݣ، تم الاعتماد على "الناعورة" لرفع وتحويل المياه السطحية وبالخصوص مياه الوديان.

وتتشكل الناعورة من عجلة خشبية تُثبت على جنتارها (Jante) سطول مفتوحة في نفس الاتجاه. ويرتكز محور العجلة على قائمتين ثابتتين. ويعمل التيار المائي على دفع وتدوير العجلة. ومع دورانها تملأ السطول عند شروعها في الصعود وتفرغ سعتها من الماء في ساقية عند الشروع في النزول.

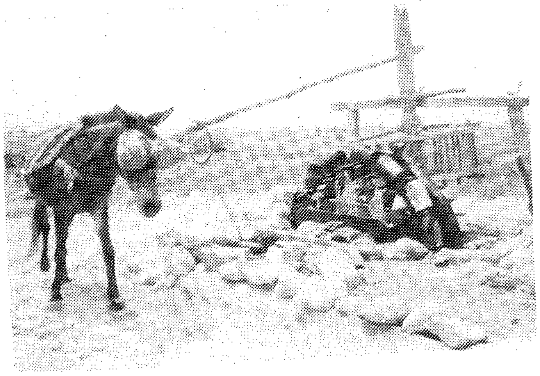

السانية

والملاحظ أن هذا النوع من الناعورات ظل قليل الانتشار بسبب سهولة تدميره من السيول ولكونه تقنية من المبادرة الفردية عكس الأݣوݣ الذي كان من المبادرة الجماعية.

وتبقى كمية المياه الممكن تعبئتها بواسطة الناعورة محدودة جدا (> 2 ل / ث) مما لا يسمح بري سوى مساحة ضيقة (بعض الهكتارات فقط). أما الأݣوݣ فيمكن من تعبئة صبيب يقدر ببعض العشرات من الليترات في الثانية مما يجعل المساحة المسقية تقدر بعشرات الهكتارات (والوضع يختلف حسب أهمية الموارد المائية وقدرة المجموعة البشرية على التحكم فيها).

2 ـ تعبئة المياه الباطنية :

تتشكل المياه الباطنية من السديمات التي تختلف عن بعضها عمقا وأهمية المياه المخزونة وهما عاملان يفسران طبيعة تقنيات التعبئة. وتتلخص هذه التقنيات في إعداد الآبار والتجهيزات الضرورية لنزح مياهها من جهة وفي الخطارات من جهة أخرى.

1 ـ الآبار : تسمى البئر في المناطق الصحراوية بالحاسّي وفي بعض المناطق الجبلية بـ "آنو ـ تَانّوت" وغالبا ما يتراوح عمقها بين 5 و10 أمتار ونادرا ما كان هذا العمق يزيد عن 20 ـ30 م. ولنزح المياه من البئر استعملت تقنيات مختلفة مثل : الناعورة والرقاص والبكرة.

*الناعورة (السينية = السّانية)* : هي العجلة الواردة أوصافها أعلاه مع فرق أساسي على مستوى الطاقة المحركة لها. فعلى هذا المستوى نجد حيوانا يدور عجلة ثانية منصبة أفقيا ينتج عن احتكاك عناصر جنتارها بأشعة الناعورة دوران هذه الأخيرة. ومع هذه الحركة تملأ السطول عند الصعود لتفرغ عند النزول في ساقية تحمل الماء نحو

حوض للتجميع قبل التوزيع على الأراضي. وتنصب على آبار غير عميقة.

كان لهذا النوع من الناعورات انتشار واسع بضواحي سلا وبالشريط الساحلي المتخصص في زراعة الخضر والمعروف بالولجة جنوب غرب الدار البيضاء، حيث تُعرف بالسواني (م. سانية).

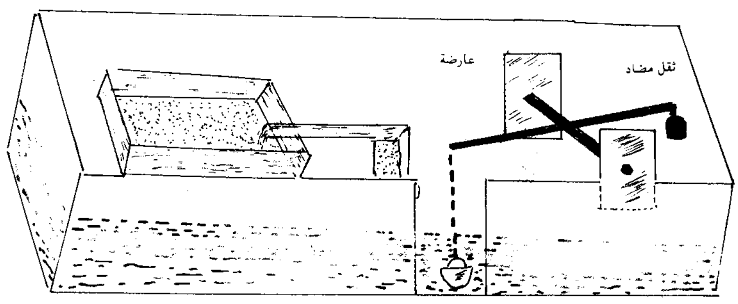


ونظرا لضعف كمية الماء المنزوحة عن طريق هذه السواني، فالمساحات المسقية تكون ضيقة. وتبقى السواني تجهيزاً فرديا لا يتطلب استثمارا كبيرا على مستوى العمل. وتعيش هذه التقنية حاليا أزمة تهددها بالاندثار بسبب الإقبال المتزايد للفلاحين على المضخات الميكانيكية التي تشتغل بالمحروقات (المازوت أو البنزين) أو بالطاقة الكهربائية وبسبب نزول مستوى السديمات.

الآبار بالرقاص (Les puits à balanciers)

تقنية يعرفها البعض بنظام "أغْرور" وتعرف عند البعض الآخر بنظام الدّلو وعند آخرين بنظام الشادوق.

ويتعلق الأمر بتنقية قديمة جدا انتشرت بواحات وادي درعة (اكتاوة والمحاميد...) وتافيلالت، وتكاد تندثر اليوم بسبب منافسة تقنيات الضخ العصري لها.

تتلخص التقنية في تجهيز البئر بعارضة طويلة يُثبت بنهايتها الغليظة ثقل مضاد، وبنهايتها الأخرى يُشد سطل كان يصنع في الماضي من الجلد ومنذ وقت قريب من المطاط.

يستقر مركز جاذبية العارضة فوق حاجز Barre محمول على سنادين متقابلين في شكل جدارين. ويقوم شخص واحد بتحريك العارضة ميلا إياها في اتجاه نهايتها لملء السطل وفي اتجاه الثقل المضاد لرفع الماء الذي يفرغ في ساقية تقوده نحو حوض للتجميع أو إلى المزروعات مباشرة. ونظرا لضعف الكمية المعبأة فالمساحة المسقية لاتتعدى بعض المآت من الأمتار المربعة.

الآبار بالبَكَرَة (Les puits à poulies) : البكرة هي قطعة معدنية دائرية أو أسطوانية الشكل، تثبت بعارضة مرتكزة على سنادين متقالة بجوار فوهة البئر. ويهدف من إقامتها إلى تسهيل عملية رفع الماء والتخفيف من عناء الحيوان المسخر لهذا الغرض. وتتلخص هذه التقنية في وضع حبل (شريط) على الهامش المدار الخارجي للبكرة الذي يكون محفرا. ويثبت بإحدى نهايتي هذا الحبل سطل قد يكون من الجلد أو المطاط أو المعدن. أما النهاية الأخرى فتربط إلى جهاز أُعد للجر من طرف حيوان في الكثير من الحالات.

وفي هذه الحالات بالضبط يهيأ ممر يزداد انحداره نحو الخارج انطلاقا من البئر، يسلكه الحيوان عند جره للدلو مملوءا في الاتجاه المنحدر ليرفع الماء بسهولة وفي الاتجاه المعاكس عندما يكون الدلو فارغا. وتتطلب هذه التقنية تشغيل شخصين يتكلف الأول بقيادة الحيوان والثاني بإفراغ الدلو. ويمكن الاستغناء عن هذا الأخير بإدخال بكرة ثانية وإدخال بعض التعديلات على النظام.

ونظرا لضعف كمية المياه المعبئة، فالمساحات المسقية لا تقاس سوى ببعض العشرات من الأمتار المربعة كما هو الحال بالنسبة للآبار بالرقاص وربما بعض المئات من الأمتار المربعة.

الخطارة (ج. خطارات يُسميها البعض بالعينْ) : هي تقنية لجر المياه الباطنية وجعلها تخرج إلى السطح على شكل منبع ؛ يعود ظهورها بالمغرب إلى أيام المرابطين (بعد 1107 م). (بول باسكون 1977، الجزء 1، ص. 376).

تبقى الخطارة كتقنية معروفة في جهات مختلفة من المغرب لكن تطبيقها انتشر بشكل واسع بإقليم الحوز حيث وصل عددها 500 خطارة توفر 5000 ليتر في الثانية (P. Pascon). نجدها كذلك بتافيلات وبفگيگ وبجوار كتلة باني في الجنوب وأخيرا بملوية العليا عند آيت يوسي النجيل.

تتلخص تقنية الخطارة في حفر متزامن لنفق باطني ولمجموعة من الآبار على طول خط رسمه. ويجب أن يكون هذا الخط في اتجاه انحدار السطح، أي متقاطعا مع خطوط التسوية، وهو ما يفسر زيادة عمق هذه الآبار من سافلة الخطارة إلى عاليتها. وتتمثل وظيفة هذه الآبار في إخراج المواد المقتلعة أثناء إنجاز النفق. وفي الصيانة بعد الانتهاء من الإعداد.

أما وظيفة النفق فهي التقاطع مع السديمة وجر مياهها نحو السطح لتتدفق بواسطة الراحة على ارتفاع دون ارتفاع السديمة. عند النهاية السفلى للخطارة غالبا ما يشيد حوض لتجميع المياه قبل استعمالها.

والملاحظ أن طول الخطارة الواحدة قد يصل إلى عدة مئات من الأمتار، وعدد آبارها إلى بعض مئات (J. Chiche, 1984, p. 180).

وتعرف تقنية الخطارات في الوقت الراهن أزمة ناتجة عن صعوبة إعداد خطارات جديدة وعن عدم صيانة الخطارات القديمة. ويرجع ذلك إلى القلة المتزايدة للمتخصصين في الميدان وإلى الانتشار السريع لوسائل

الضخ العصري التي تتسبب في انخفاض المستوى للسديمات وتيبيس الخطارات.

ب ـ تقنيات تجميع ونقل وتوزيع مياه الري

1 ـ تقنيات التجميع :

غالبا ما يفرض ضعف كمية المياه المعبأة بهدف الري ـ كما هو الحال بالنسبة للعيون وللخطارات ذات الصبيب الضعيف ـ وكما هو الشأن بالنسبة للآبار حيث تنزح المياه بالدلو... ـ القيام ـ بتجميع المياه قبل توجيهها إلى المزروعات.

ويتطلب توفير هذا الشرط إعداد صهريج أو صهاريج بجوار العيون وبمخارج أنفاق الخطارات وعلى مقربة من الآبار. وحسب أهمية المورد المائي يختلف حجم هذه المنشآت كما يختلف شكلها ومواد بنائها.

فهناك صهاريج دائرية وأخرى مستطيلة أو مربعة وهناك من الصهاريج ما لا يتخذ أي شكل هندسي معين أما مساحة الصهريج، فتتراوح ما بين بعض الأمتار إلى بعض المئات من الأمتار المربعة وعمقها من نصف متر إلى بضعة أمتار وهو ما يجعل سعتها متفاوتة.

قد تشيد داخل الأرض تحت مستوى السطح بعد إفراغها، وقد تبنى فوق السطح، وقد تكون على شكل حفرة يحجز بها الماء بواسطة المواد المحلية (جلاميد وتراب...) أو على شكل مبني مواده تضمن مَسَاكَة كبيرة.

وغالبا ما يتطلب ملء الصهريج وقتا طويلا بالمقارنة مع الوقت الذي يتطلبه إفراغه. ويتم هذا الإفراغ بواسطة بوابة تكون عند مستوى أرضية الصهريج من الجهة المشرفة على الأرض المسقية. ولهذه الصهاريج أسماء محلية كثيرة.

2 ـ تقنيات النقل :

منذ القديم اعتمد السقي بالمغرب على نظام الراحة بمعنى أن الماء يتبع الانحدار. وهذا يتطلب وجود إشراف بين مكان مصدر المياه (العين، الصهريج، السد...) والأرض المرغوب في سقيها. ويعني ذلك ضرورة نقل المياه بين النقطتين. وكان هذا النقل يتم بواسطة الساقية التي تسمى في جهات متعددة من المغرب بـ"تَرگا أو تَرْوا".

وإذا كانت الساقية تتخذ عموما شكل خدشة في سطح الأرض ناتجة عن عملية حفر وإفراغ، فهي أحيانا كانت تتخذ شكل قناة تم بناء جدرانها بمواد صلبة، تكون أحيانا محمولة فوق قناطر أو جدران. كما هو الحال بساقية عين عتيك بين تمارة والرباط (يمكن رؤيتها بحي الرياض) وبالسواقي التي كانت تحمل المياه إلى معامل السكر التي تحدث عنها Berthier أيام السعديين.

وفي جميع الحالات، كان بناء السواقي يفرض مراعاة العامل الطبغرافي بحيث غالبا ما كان خط رسم السواقي الرئيسية موازياً لخطوط التسوية أو متقاطعاً معها بزاوية ضعيفة، خاصة عندما يتعلق الأمر بواد ضيق. وفي مثل هذه الحالة، كان السد ينشأ نحو العالية بعيداً عن الأرض المسقية وأحياناً بأراض ليست في ملكية المستفيدين من المياه مما يخولهم الحق في حصة من مياه الساقية.

عندما تتعدد السدود على مجرى مائي معين مزودة بالمياه عدة سواق على ضفتيه تتشكل شبكات للري على شكل أضلاع السمك كما هو الحال بحوز مراكش.

وذكر شبكة الري يجرنا للحديث عن تراتبية السواقي. ونسجل هذه التراتبية عندما يكون الصبيب المعبأ كبيراً يقاس بالعشرات من الليترات في الثانية بحيث نميز :

ـ الساقية الرئيسية أو الساقية الأم : تشرف على دائرة مسقية أو على جناح واسع منها.

تنقل صبيبا مهما. يتراوح طولها بين بضع و10 كلم ولا يتعدى قطاعها المستعرض المترين. أما عمقها فحوالي نصف متر.

ـ الساقية الثانوية أو "المصرف" : تشرف على قطاع داخل الدائرة المسقية أو داخل جناح منها. وحسب الحالات تجدها تحول مياه الساقية الرئيسية أو جزءاً منها ويكون اشتغالها دائماً أو بالتناوب (متقطعا) حسب طبيعة نظام السقي.

ـ الساقية الثلاثية : تشرفُ على مصطبة داخل قطاع من الدائرة المسقية وقد تحمل الماء إلى المشارات مباشرة. وعموما يكون جريانها غير منتظم لأسباب مرتبطة بالحقوق على المياه. وهي الأخرى ينطبق عليها اسم مَصْرَف.

ـ الساقية الرباعية : تحمل المياه إلى الحقل ولا تجري إلا يوم أو أيام النوبة، صبيبها لا يتعدى الفأس وهو الصبيب الذي يتحكم فيه شخص مزود بفأس (أقل من 30 ل/ ث).

ونظراً لكون السواقي الترابية تتسبب في ضياع نسبة كبيرة من المياه بسبب التسرب والتبخر، فقد عمدت الجماعات والمصالح المختصة في حالات كثيرة إلى الرفع من مساكتها عن طريق بنائها بالإسمنت وقديما بالحجارة والجير...

ج ـ تقنيات قياس وتوزيع الماء والإرواء على مستوى المشارة

1 ـ وسائل القياس والتوزيع :

قبل أن تصل المياه إلى المشارة لتروي المزروعات بها غالبا ما تكون قد خضعت لعملية تقسيم يفرضها الجانبان القانوني (الحقوق على الماء) والتقني (أهمية الصبيب والطبوغرافية).

فعلى المستوى القانوني تكون حصص ذوي الحقوق على مورد مائي معين متفاوتة لأسباب مختلفة وتحديدُها يتم بوحدات زمنية وبوحدات حجمية.

زمنيا يتم ضبط حصة كل ذي حق بجعله يستفيد من ماء مصدر معين كليا أو جزئيا خلال مدة زمنية تشكل جزءاً من مدة زمنية أطول هي مجموع حصص ذوي الحقوق. وهذا ما يدخل في مفهومي "النوبة والدور".

فالدور ـ له علاقة بالدورة ـ يعني المدة الزمنية الفاصلة

بين سقيتين بالنسبة لأرض ما بعدما يكون كل المستفيدين قد سقوا أرضهم.

أما النوبة فهي جزء من الدور باعتبار تقسيم هذا الأخير تتردّد حسب فاصل زمني معين وحسب ترتيب معين بالنسبة للنوبات الأخرى. وقد يقصد بالنوبة حصة ذي حق وموقعه في الترتيب داخل نوبة من نوبات الدور. ولمفهوم النوبة مرادفات محلية مثل الخروبة والفردية.

كان تحديد الحصص والنوبات يتم باعتبار فترات النهار ومواقيت الصلاة وبالاعتماد على الظل (ظل شخص أو جدار أقيم للغرض ورقمت الأرض من حوله (القياس بالحبّة).

ومن وسائل القياس الزمنية نذكرُ الساعة المائية المعروفة بـ : تاطّسْتْ ويتعلق الأمر بتسخير زلافة وسطل وبعض اللييترات من الماء. تكون الزلافة مثقوبة عند قطبها (وسط قعرها) ولها قطر من 18 سم وعمق 7 سم. ويكون عمق السطل 30 سم. يملأ هذا الأخير بالماء وتوضع به الزلافة في وضع عائم لتملأ شيئاً فشيئاً عن طريق الثقبة إلى أن تنزل إلى قعر السطل. وتستغرق مدة الملء ما بين 10 و12 دقيقة وهي الفترة الزمنية المسماة بـ"تَانّسْتْ" والمعتمدة لضبط الحقوق.

من زاوية الحجم : يبقى الصبيب جد متفاوت من مصدر لآخر وهو ما يفرض تجميع أو تقسيم المياه قبل استعمالها.

عند توفر الماء بصبيب يصعب التحكم فيه من شخص واحد مستعين بفأس يتم تقسيمه إلى وحدات جريان تسمى في جهات كثيرة "بالفاس د الماء". وهو الصبيب الممكن التحكم فيه من طرف شخص وأهميته متغيرة تمشيا مع الموارد المتوفرة ومع الطبوغرافية. ويمكن أن يتراوح في نظرنا بين 5 لترات و30 لترا في الثانية.

وتقسيم المياه يفرض المراقبة تفاديا لحدوث سرقات وهو ما يتم بواسطة وسائل مختلفة قد تكون من تراب وأحجار أو من أخشاب (لوحات) أو من أسمنت وحديد تقام عند مصدر المياه مباشرة أو بعد وصول الساقية الرئيسية إلى الأرض المراد سقيها.

ويتعلق الأمر بخلق أبواب متناسبة مع الحقوق قد تكون مفتوحة باستمرار أو بالتناوب تسمى "المقاسم".

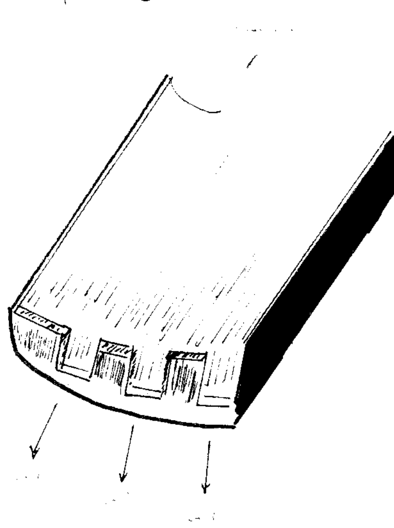

حين يتعلق الأمر بمورد مائي متواضع يفرض استعماله تجميع المياه قبل توزيعها بين الملاك، تكون حصة كل واحد عبارة عن جزء من سعة الصهريج الذي يجمع المياه. وتحدد عن طريق قياس مثبت على جدران الصهريج أو عن طريق عصى "أغزال" مرقمة، وقد يطبق هنا نظام النوبة بحيث تعود مياه الصهريج كلها لشخص، وبعد مله ثانية لشخص ثان ثم لشخص ثالث إلى النهاية قبل بداية دور ثان.

2 ـ تنظيم استعمال الماء داخل الدوائر والمشارات.

تفرض تقنية السقي بواسطة الغمر توفير صبيب أدنى ليتسنى ذلك الغمر وهذا ما يحتم تجميع الماء بالصهاريج في حالة ضعف المورد. لكن لما يكون هذا الأخير وفيرا يصبح ضرورياً التقسيم إلى "فيسان" يتحكم فيها بدون حدوث انجراف للتربة واقتلاع للمزروعات.

أما طريقة تداول الماء على مستوى الدوائر المسقية فهي مرتبطة بطبيعة نظام الري الذي قد يتميز بإلزامية احترام قاعدة التتابع من العالية نحو السافلة (أو العكس) من طرف ذوي الحقوق داخل نوبة معينة. وهو نظام "الربطة وجارتها أو المكسر وجاره". وقد يتميز بحرية استعمال الماء بدون ترتيب. لكن إذا كانت حصص ذوي الحقوق في الحالة الأولى غير محددة زمنيا دائماً، ففي الحالة الثانية يصبح الأمر بديهيا، وفي هذه الحالة بالضبط يكون وضع الماء من الناحية القانونية منفصلا عن وضع الأرض على خلاف الحالة الأولى. وذلك ما جعل المستفيدين يتحدثون عن "الماء العزري".

عندما يصل الماء إلى الحقل لا يروي هذا الأخير دفعة واحدة بل جزءاً بجزء. ويرجع ذلك إلى رغبة الفلاح في نجاعة أكبر وفي اقتصاد للماء. وتمشيا مع الانحدار وطبيعة التربة والمزروعات. وكلها اعتبارات تقود نحو إعداد مسبق يتخذ شكل تقسيم إلى وحدات مساحية أصغر مفصولة عن بعضها بسواقي أودفوف (دف = أبادّو = تابدّوت = Ado). وأهم هذه الوحدات اللوحات (الحمامل م. أحمّال) والأحواض "التربطات" والخطوط (Billon).

تعتمد اللوحة كوحدة للغمر عندما يتعلق الأمر بمزروعات لا تحتاج إلى عناية كبيرة كالحبوب والأشجار وفي حالة وفرة المياه والحوض (التربطة) حين يكون الصبيب ضعيفا أو في حالة الغرس والخضر...

ويتم غمر اللوحات و "التربطات" والخطوط والأحواض حول الأشجار بتحويل مياه المصرف انطلاقا من باب صغير يفتح ويغلق بالتراب والنباتات يعرف بأسماء محلية كثيرة مثل الربطة والمكسر وإزرزم.

تبقى تقيات الري التقليدي متنوعة بتنوع الظروف الطبيعية والثقافية. ويدل تنوعها هذا على أهمية الماء في حياة السكان. وإذا كانت بعض التقنيات خاصة على مستوى الجر (Captage) والنقل (Transport) كانت من

مبادرة "المخزن" فالجزء الأكبر من المبادرة كان من صنع السكان المتضامنين داخل مجموعات في إطار التنظيم القبلي. ومما تجدر الإشارة إليه كون كثير من المفاهيم المتداولة في موضوع الري التقليدي عبر جهات المغرب قد توحي بوحدة المضامين إلاّ أن ذلك غير صحيح، ولذلك لا بد من التأكد من المحتويات قبل استعمالها. ومما لا جدال فيه ارتباط الجانب التقني بجوانب أخرى اجتماعية وقانونية ومؤسساتية لها لونها المحلي وتساهم في اختلاف أنظمة الري. يضاف إلى هذا كون هذه الأنظمة في تطور تفرضه التحولات الثقافية والطبيعية (جفاف).

J. Brunhes, *L'irrigation, ses conditions géographiques, ses modes d'organisation dans la péninsule ibérique et dans l'Afrique du Nord*, Paris, 1902 ; M. Kerbout, *Les périmètres irrigués du dir moyen - atlasique septentrional d'Agouraï à Al Manzal. Etude géographique*. Thèse de 3ème cycle, Tours, 1981 ; Maneville (Lieutenauk), *Les problèmes de l'eau dans la région de Berkine. B.S.G.M.*, n° 3 - 4, Juillet - octobre, 1936 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1977, 2 vol. ; *Théorie générale de la distribution des eaux et de l'occupation des terres dans le Haouz de Marrakech. R.G.M.*, n° 18, 1970 ; P. Pascon et Chiche J., *La question hydraulique. I Petite et Moyenne hydraulique au Maroc*, Rabat, 1984 ; A. Robaux, *L'eau et la vie dans le sud marocain, Revue de géographie marocaine* n° 1 et 2; I. Zeryouhi, *Systèmes et pratiques de captage traditionnel des eaux au Maroc*, Texte ronéotypé. Mars, 1983 ; Lakbir Ouhajjou, *Espace hydraulique et société. Les systèmes d'irrigation dans la vallée du Draa Moyen (Maroc)*. Thèse de 3ème cycle. Géographie de l'aménagement, option espace rural, Montepellier III ; S. Colin Georges, *La Noria marocaine et les machines hydrauliques dans le monde arabe. Hesp.*, T. XIV, 1er trimestre, 1932 ; P. Berthier, *Les anciennes sucreries du Maroc et leurs réseaux hydrauliques*, Paris, Rab at, 2 tomes, 1966.

محمد كربوط

**الري العصري** بالمغرب، ظهرت أسباب الري العصري في بداية عقد الثلاثينيات وقد ارتبطت بالمعمرين الأوربيين الذين أدخلوا تقنيات جديدة للحصول على المياه وأساليب للسقي فتوسعت المجالات المسقية واغتنت بمشاريع وبرامج جديدة وإدخال مزروعات تسويقية وصناعية وشجرية جديدة اكتست أهمية متزايدة في اقتصاد المغرب، وبذلك تكرست تلك الثنائية التي تقابل الري التقليدي بالري العصري.

لقد شهدت المجالات السقوية التقليدية (العتيقة) تحولات في مظاهرها المتعددة سواء على مستوى المجال أو المزروعات. وكان أول محرك لهذه التحولات هو تدخل سلطات الحماية في تغيير نظم التوزيع الأصلي للمياه، إذ طبقت مجموعة قوانين أهمها مبدأ تملك الدولة للمياه العمومية، فأعادت توزيع مصادرها بين الأرياف والمدن وأعطت نصيبا للمعمرين الجدد. وأفضت متطلبات الإنتاج الجديدة بفعل تأثير السوق الحضرية إلى تزايد حاجة الفلاح للماء بشكل مكثف لم يعد معه صبيب العيون والخطارات التي بدأت تجف قادرا على تلبيته، فلجأت إلى استغلال الثروة الباطنية بواسطة الضخ الآلي لمياه الآبار، مما تسبب في استنزافها، مما دفع أجهزة الدولة إلى التدخل فعملت على إعادة هيكلة شبكات السقي وتحديثها بهدف تعبئة كميات المياه الضائعة بواسطة التسرب والتبخر، كما بذلت جهودا لإعادة هيكلة البنية العقارية التي عقّدها اختلاف أنواع الملكية وعمليات تقسيم الملك المتوالية عبر الأجيال. كما عملوا على إنشاء بنيات تحتية جديدة وتأطير الفلاحين وتكوين تعاونيات للري أو تسويق المنتجات... غير أن هذه الجهود لم تسفر عن النتائج المنتظرة حيث تعثرت في مراحل التطبيق، وبات الإصلاح مقتصرا على تعويض شبكة السواقي الترابية بقنوات من الإسمنت المسلح، وظلت أكبر عرقلة لتطوير أساليب الري هي الجانب الاجتماعي المتمثل في تنوع الملكيات ما بين أراض جماعية وگيش وأحباس وتفتت الملكية الخاصة بسبب التقسيم بين الورثة، وهي ظاهرة لم تنل قسطها من العناية، وبقيت كل المحاولات التحديثية محاصرة بثقل الأوضاع القانونية للأرض والماء وتعقد العلاقات والبنيات الاجتماعية.

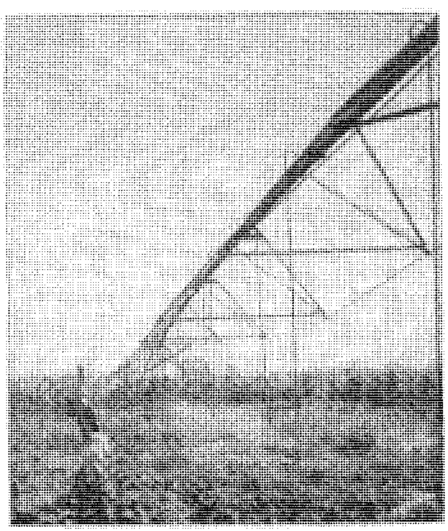

ويبدو من الصعب اليوم إقامة حد فاصل بين الري التقليدي والري العصري خاصة بعد استفحال أزمات الجفاف وتناقص المياه الذي فرض تغييرات عميقة على أساليب تدبيرها، يضاف إلى هذا الرغبة السياسية في تقليص الفوارق الإقليمية وانفتاح الأرياف لعوامل التحديث وتغلغل اقتصاد السوق وما يرتبط به من تحولات فكرية واجتماعية وما تعرضت له منظومات الري من تحديات، لقد ترتب عن كل هذا ظهور نوع من التجانس يتمثل في التجديد المستمر لأساليب الري وأدواته. فقد أدى تكثيف الري واستفحال الجفاف إلى انخفاض كبير

للفرشات المائية ترتب عنه جفاف الخطارات والعيون والآبار، مما أدى إلى تعميقها واستعمال الضخ الآلي وبناء صهاريج وقنوات وسواق مبلطة بالإسمنت وتوزيع المياه بخراطيم المطاط أو البلاستيك وتطبيق أساليب جديدة لاقتصاد مياه الري كالرش والتنقيط والترشيح... كما استفادت شبكات الري التقليدية من أساليب الري العصري عند بناء السدود على أوديتها، مما غير المعطيات القديمة وفرض توزيع المياه بأساليب جديدة.

يشكل قطاع الماء بالمغرب رهانا استراتيجيا نظرا لما يلعبه من دور حيوي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وما يرتبط به من مخططات وبرامج ومشاكل. تجلت هذه الأهمية على ميدان الواقع بتبلور سياسة السدود التي تهدف إلى سقي مليون هكتارسنة 2000. فباعتبار نوعية المناخ المغربي الذي يتميز بعدم انتظام التساقطات وأهمية ثروته المائية سواء الجارية أو الباطنية، شكلت تعبئة موارد المياه تاريخيا محور التقدم الزراعي، وحظي باهتمام السلطات خاصة سلطات الحماية التي أدركت أن الأراضي في هذا الوسط الشبه الجاف تفقد أهميتها دون ضمان موارد ري دائمة.

وباعتبار نظام الجريان السطحي الذي يتميز بفيضانات فصلي الشتاء والربيع تضيع مياهها في البحر، وشح خطير في فصل صيف طويل حار وجاف، وباعتبار فتوة التضاريس وتنوع البنيات الجيولوجية التي توفر خوانق وأودية كبيرة وصغيرة وأحواضاً، اقتنع المسؤولون الجدد أن أفضل حل لإنعاش نهضة اقتصادية فلاحية وعمرانية، هي بناء السدود بهدف خزن المياه لاستعمالها في تزويد الفلاحة والمدن والصناعة بالماء والطاقة. فخططت لبناء عدد من السدود والمنشآت المائية المختلفة المضمون والأهداف. ويمكن تقسيم مشاريع الإعداد الهيدروفلاحي إلى ثلاث مراحل رئيسية.

مرحلة أولى 1930 ـ1955) : لتوسيع قطاع الزراعة الرأسمالية الحديثة وتثمين الأراضي التي وزعت على المعمرين أو اشتروها بأفضل السهول، شرعت أجهزة الحماية في بناء السدود. ففي 1929 بنت أول سد على واد أم الربيع : سيدي سعيد معاشو بحقينة بلغت 32 مليون م3. وفي 1931 تم بناء سد المالح على واد المالح قرب الدار البيضاء لتزويدها بالماء الشروب حقينته 25 مليون م3 وبناء سد قصبة تادلة على أم الربيع لتغذية قناة سهل تادلة، وسد التهييلة على واد لاو قرب الشاون، وفي 1935 تم بناء سد القنصرة على واد بهث حقينته 160 مليون م3 وسد للاتكركوست على واد نفيس قرب مراكش حقينته 50 م3 وكانت نطاقاتهما بمثابة مدرسة لإتقان الأساليب الزراعية الجديدة. وتوالي بناء السدود إلى أن وصل عددها في نهاية عهد الحماية 13 سدا، كان أهمها سد بين الويدان على واد العبيد حقينته 1,4 مليار م3.

ولم تنحصر عمليات تعبئة المياه على بناء السدود بل تعدتها إلى مشاريع تقنية متنوعة الأهداف مثل بناء حواجز صلبة على الوديان لتغذية القنوات والسواقي وتبليط بعض السواقي التقليدية الكبرى، وإنشاء محطات للضخ الآلي سواء على الآبار أومياه الأنهار الجارية، وبناء حواجز لتشتيت مياه السيول وتحويلها إلى جريان منتشر لسقي الأرض وتغذية الفرشة المائية وإنشاء خطارات حديثة وبناء سدود باطنية لأخذ مياه الجريان السفلى للوديان وإنشاء قنوات لصرف المياه الباطنية الزائدة بالنطاقات المسقية لمنع صعود مستوى المياه الجوفية الذي يتسبب في تعفن جذور الأشجار، وأخيرا بناء السدود التلية.

وكانت مشاريع هذه المرحلة موجهة كلها تقريبا لصالح المعمرين الأوربيين، لكن بعد 1950 كونت النطاقات السقوية الجديدة بملوية السفلى ودكالة وبني موسى بتادلة مجالا واسعا لتعلم المغاربة حيث بدأت تظهر بوادر طبقة عمالية زراعية ساهمت بوعيها في إنعاش الحركة الوطنية للمطالبة بالاستقلال.

وانتهت هذه المرحلة بتبلور أهم النطاقات السقوية المغربية العصرية التي صارت أهم محرك لمشاريع تحديث الزراعة، وبلغت المساحة المسقية المهيئة 145.000 هـ جهز منها 81.500 هـ، لكن المساحة المسقية فعلا بأساليب عصرية لم تتجاوز 45.500 هـ كلها في ملكية المعمرين.

المرحلة الثانية 1956 ـ1968) : كانت مرحلة توقف لإعادة استيعاب المشاكل الجديدة الناتجة عن مغربة الأطر والتخلي التدريجي للأوربيين عن ضيعاتهم إما بالبيع أو المصادرة لصالح الدولة التي كونت قطاعا زراعيا عموميا ذلك أن بعض أراضيهم تدخل في إطار الاستعمار الرسمي إذ تسلموا الأراضي مجانا من أجهزتهم الحكومية، وحل محلهم طبقة جديدة من الملاكين الحضريين وأغنياء الريف، كما أنشئت بعض تعاونيات الإصلاح الزراعي فوق أراضيهم المسترجعة. كونت هذه المرحلة فترة تأمل وتحليل للأوضاع الجديدة تميزت بالشروع في دراسة مشاريع جديدة للري والتجديد القروي والإصلاح الزراعي... مثل مشروع سبو الذي كان بمثابة أول تصميم توجيهي لإعداد مندمج لحوض نهري كبير، كما أنجزت دراسات وطنية على مستوى الري الصغير والمتوسط بهدف تطوير زراعته بكل من حوض أم الربيع وملوية ودرعة حيث درست إمكانية بناء خزان كبير وتحديث أنظمة السقي كما تميز بالدراسات القيمة التي قدمها المكتب الوطني للري التي أسفرت عن تهييء قانون الاستثمار الفلاحي.

المرحلة الثالثة ما بعد 1968 : وهي مرحلة المنجزات الضخمة الهادفة إلى تدبير الثروة الوطنية المائية وتعميم أساليب الري العصري بكل أرجاء المغرب. عرفت قفزة نوعية خاصة، حيث دشن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في خطاب العرش سنة 1967 سياسة وطنية لبناء السدود الكبرى لتحقيق هدف وطني : ري مليون هكتار، فعرفت

عملية بناء السدود زخما كبيرا في التصميم الخماسي 1968. 1972 وما تلاه من تصاميم كما تم وضع تصاميم توجيهية لإعداد مجالي مندمج لأحواض أم الربيع وسوس والحوز الأوسط وتساوت السفلى. وفي سنة 1969 صدرت نصوص قانون الاستثمار الفلاحي الذي كان بمثابة وثيقة وطنية للفلاحة المغربية، فخصصت الحكومات ميزانيات ضخمة وحصلت على قروض أجنبية لبناء سدود كبرى. فتم إنجاز 7 سدود بين 1967 و1974 وهي سد محمد الخامس على ملوية ومولاي يوسف على تساوت والحسن الداخل على واد زيز والمنصور الذهبي على واد درعة ويوسف بن تاشفين على واد ماسة وسيدي محمد بن عبد الله على واد بورگراگ. وتسعة سدود أخرى في الفترة1975 .1985 أهمها سد المسيرة على أم الربيع الذي بلغت حقينته 2.724 مليون م3، واستمرت الجهود لتشييد المزيد من السدود الكبرى توجت سنة 1996 ببناء سد الوحدة الذي بلغت حقينته 3,8 مليار م3. ودشنت بداية الألفية الثالثة بإنجاز سد دشر الواد على نهر أم الربيع قرب خنيفرة حقينته 408 مليون م3. وباستغلال جل الأماكن الصالحة لبناء السدود الكبرى والمتوسطة التفت المسؤولون إلى الوديان الصغيرة والسيول للشروع في بناء مئات السدود التلية التي تبنى عادة من المواد المحلية : حجارة وأتربة لتلبية حاجيات محلية للشرب والسقي.

لقد تطلبت كل هذه المنجزات أشغالا هندسية كبرى مرافقة لها تتنوع ما بين سدود تعويضية وتنظيمية إلى شبكة قنوات متراتبة وما تتطلبه من منشآت هندسية لعبور الأنهار والطرق ومحطات التقسيم والتوزيع ومعامل لإنشاء القنوات لإسمنتية والأنابيب وغيرها من التجهيزات الضرورية.

وعمقت الأجهزة المختصة تدخلها بإنجاز تجهيزات داخلية متنوعة على مستوى الضيعات والمشارات، وعجلت وتيرة عملها التي انتقلت من استصلاح 8.000 هـ / سنة كمعدل في الفترة 1957 ـ 1967 إلى 17.500 هـ في السنة في الفترة 1967 ـ 1972 بل وصلت قمتها في الفترة 1973 ـ 1980 حيث أنجزت 24.000 هـ في السنة ثم تقلصت وتيرة الاستصلاح في عقد الثمانينات إلى حوالي 2.500 هـ في السنة لظهور انعكاسات أزمات الجفاف وثقل القروض الأجنبية، كما أدت كثرة المشاكل الطارئة إلى ضعف النتائج المنتظرة من ثورة الري العصري.

ورغم ما استوعبته العملية من نفقات هائلة وديون أجنبية، فإن هذه الجهود لم تثر حماس الفلاحين ولم تحل مشكل تفتت الملكية وسوء توزيعها وتعدد أنواعها، ولم تحقق مشاريعها الصغيرة لإصلاح زراعي وتداخلاتها الكثيرة إنعاش المزروعات التسويقية والصناعية، كما لم تحفز هذه الجهود أصحاب الأموال للاستثمار في الفلاحة التي أعفيت من كل ضريبة مباشرة طيلة عقود، إلابشكل بطيء ظل يتسبب في هدر اقتصادي كبير، ذلك أنه رغم بناء السدود وتسوية الأرض وإنشاء قنوات الري الرئيسية فإن الفرق بين المساحات المهيئة للري من السدود وتلك المجهزة داخل النطاقات السقوية المستغلة ظل كبيرا، فمن 100.000 هـ جهزت بالقنوات الكبرى بين 1956 و1966 لم تتجاوز المساحة المجهزة والمروية فعلا 40.000 هـ. ورغم كل ذلك فإن عملية بناء السدود وتجهيز المناطق السقوية ما تزال تحظى بالقسم الأعظم من استثمارات الدولة الموجهة للزراعة إذ تستوعب سنويا حوالي 60% من ميزانية التجهيز ووصلت المساحة المسقية سنة 1997 إلى حوالي نصف مليون هكتار. وفي سنة 2000 بلغت 896.000 هـ من بينها 570.000 بواسطة الري الكبير و326.000 هـ بواسطة الري الصغير والمتوسط يضاف إلى هذا مساحة 108.000 في طور التجهيز في إطار البرنامج الوطني لسقي مليون هكتار.

أما السعة الكلية للخزن ببحيرات السدود فقد بلغت سنة 1996 بعد ملء بحيرة سد الوحدة 15 مليار م3 تمكن من تعبئة 70% من المواردالمائية بالمغرب، لكنها لا تمتلئ في السنوات الرطبة إلا بحوالي 80% وتنخفض في السنوات الجافة إلى حوالي 25% فقط. لقد بلغت نسبة امتلاء السدود 55 % في دجنبر 1991 و18% في أكتوبر 1993 وأقل من 20% في مارس 2001.

وتتعرض السدود لأخطار أخرى هي التوحل المستمر لتراكم الرواسب الطينية التي تحملها مياه الوديان الجارية، فعندما تستقر في بحيرة السدود تصفى مياهها وتترسب حمولتها الطينية الصلبة التي تختلف حسب مياه كل واد من 2 كلغ / م3 إلى 20 كلغ / م3 وبتراكم الرواسب تنقص حقينة السدود.

لقد تزامن تطبيق أسباب الري العصري مع إنجاز المنشآت المائية الكبرى في عقد الثلاثينات، وتطلب ذلك استثمارات لتدبير موارد المياه على أسس تقنية وتنظيمات جديدة تراعي ظروف الفلاح ومشاكله، وإدخال مزروعات جديدة مطلوبة في الأسواق الداخلية والخارجية وتطبيق أساليب عمل وإنتاج أقرب ما تكون إلى النشاط الصناعي. والعمل على توعية الفلاحين وإخراج الأرياف من ركودها، ويتطور أسلوب عمل أجهزته باستمرار تبعا لتغير الحاجيات والأهداف... ويتميز مساره بمرحلتين متباينتين.

مرحلة ما قبل 1965 : منذ ظهور مشاريع الري العصري في الثلاثينيات كانت تدخلات أجهزته تقتصر على المنشآت الخارجية فتقوم بجلب الماء إلى الضيعة، ويبقى خبراؤها خارجها لا يتدخلون في كيفية استغلال الفلاح له ولا في تحديد نوع المزروعات ولا في أساليب عمله، خاصة وأن الفلاحين المعنيين آنذاك هم في الدرجة الأولى المعمرون الأوربيون الذين يحملون معهم تجارب أوربية وتحركهم أهداف وسلوكات نوعية خاصة، لكن رحل

معظمهم بعد الاستقلال ولم يبق في الساحة غير الفلاح المغربي الذي لم يستفد كثيرا من الوضع السابق، لكن الأجهزة الحديثة اتجهت إليه لتأطيره عبر مختلف البرامج.

مرحلة ما بعد 1965 : صارت أجهزة الدولة تتدخل ببرامج إعداد مندمجة مكنت خبراءها من التدخل في شؤون الضيعة، فتقوم بتوجيه الفلاح لتطبيق تناوب زراعي جديد في كل مشارة واختيار أنواع المنتجات بل والضغط عليه للاهتمام بمزوعات صناعية خاصة مثل الشمندر، كما تقوم بتزويد الفلاح بالبذور المنتقاة وببعض الأدوات والآليات وخصصت لذلك أجهزة تمويل أهمها القرض الفلاحي وما زالت تعمل لترشيد المياه ومعالجة المشاكل المترتبة عن الزراعة المسقية مثل غسل التربة أو تملحها وصعود الفرشة المائية وتمتين البنية التحتية بإنشاء مسالك وقنوات ثانوية وثلاثية وحفر قنوات صرف المياه الزائدة وتهييء وسائل نقل المنتجات. لقد صارت أجهزة الدولة تتكلف بكل أعمال استصلاح الأراضي وتجهيزها للسقي فتقوم بتسوية السطح وتنقيته من الحجارة وتحديد مساحة المشارات وأسلوب السقي وتلزم الفلاح بتطبيق دورة زراعية رباعية أو خماسية تقوم على تناوب زراعي مدروس يعطي الأولوية لمزروع تسويقي أو صناعي. كما تقوم أحيانا بمجهودات لدمج الأراضي ومنع تقسيم الاستغلاليات بين الورثة الشيء الذي لم يحترم، وبناء على مستوى التدخلات وتباين طرق الحصول على المياه واختلاف استعمالها، صنف الري بالمغرب إلى صنفين :

الري الكبير : يتناول مجالات النطاقات السقوية الكبرى. وهي تسعة ظهرت أولى أجهزته وأطره في الثلاثينيات عند بناء أول السدود العصرية المهمة مثل سيدي معاشو والقنصرة.. واتضحت معالمه بوضوح عند بناء أول السدود الكبرى في عقد الستينيات، تشرف على شؤونه أجهزة متنوعة الاختصاص تابعة لوزارتي الفلاحة والأشغال العمومية، تقوم بتدبير شؤون الماء سواء في عاليته أي عند إنتاجه أو عند استعمالاته المتنوعة، وتهدف برامجه إلى رفع مساحة نطاقاته السقوية إلى أكثر من 80.000 هكتار سنة 2000، ليس فقط بإضافة مساحات سقوية عصرية جديدة وإنما كذلك بتحويل مساحات مروية بأساليب تقليدية من دائرة الري التقليدي والري العصري الصغير والمتوسط إلى نطاقه، حيث تتوفر الخبرة ومياه السدود الكبرى.

الري الصغير والمتوسط : تتكون مجالاته من النطاقات العصرية الصغيرة التي لا تتجاوز 5.000 هكتار ومن مجالات الري التقليدي التي لا تستمد ماءها من السدود الكبرى والمتوسطة، بل من سواقي الوديان التي تنطلق من حواجز هشة على مجراها بالإضافة إلى مياه العيون والخطارات كما تستعمل مياه الفيض الموسمي والآبار. ونطاقات الري الصغير والمتوسط كثيرة ومتنوعة إذ تنتشر في الأودية الجبلية ومناطق الدير والواحات وضفاف الأنهار فهي تعد بالمئات. وتدخل أجهزة تدبير المياه فيها يكون محدودا، كما أن نصيبها من استثمارات ميزانية الري يكون محدودا لم يتجاوز 10% من المجالات المسقية بالمغرب. ويلاحظ أن وجودها التاريخي وخضوعها لأعراف وحقوق سابقة يناهض كل محاولات التغيير والتقويم من طرف أصحاب المصالح الكبيرة. كما أن تشتت مجالاتها بكل أرجاء المغرب يجعل محاولات إصلاح شؤونها صعبة. وتقدر الدوائر المختصة أن إعداد هكتار واحد بنطاقات الري الكبير يكلف 3.000 ـ 4.000 دهـ / هـ وفي النطاقات الصغيرة المفتتة الملكية يكلف8.000 ـ 10.000 دهـ/ هـ. أما في النطاقات التاريخية حيث يسود التفاوت الكبير في الملكية وتفتتها بالإضافة إلى تنافر الورثة فإن عملية الإعداد تكلف 20.000 ـ 25.000 دهـ / هـ. وغالبا ما تقتصر التدخلات على تبليط سواق أو حفر بئر أو شراء مضخة. ويرى بعض الدارسين أنه يتعذر إصلاح وضعية هذه النطاقات دون تطبيق برامج لدمج الملكية وتكوين ضيعات كبرى تشرف عليها تعاونيات المشتركين في ملكيتها وتوزيع ثمارها على الملاكين السابقين حسب أهمية كل سهم وما قدمه صاحبه من عمل أو تعاقد...

وتختلف تقديرات المساحة القابلة للري بهذا النطاق، فإن كانت مساحات الري الكبير الممكن إعدادها تصل إلى 800.000 هـ فإن نطاقات الري الصغير والمتوسط تتباين تقديرات مساحتها من 300 ـ500 ألف هـ. وأحصيت سنة 1989 فأعطت النتائج التالية : المساحات الدائمة السقي 180.500 هـ وأراضي السقي الموسمي 175.000 هـ والسقي بالفيض 59.400 هـ المجموع 414.900 هـ. لكن استفحال الجفاف أقصى مساحات شاسعة من السقي سواء الدائم أو الموسمي، مما يجعل المساحات المروية تتقلص، إذ منها ما تحول إلى أراضي بور وبوار منذ سنوات.

الأجهزة المشرفة على الري العصري : إن تنمية الزراعة المسقية لا تنحصر في تنمية الموارد المائية فقط، بل أصبح رهان اليوم يتمثل أيضا في التحكم وتدبير الطلب على الماء وترشيد استعماله وهذا شيء بالغ الأهمية باعتبار النظام الهيدرولوجي المضطرب، ويقترن هذا بارتفاع حاد للحاجيات من الماء مما دفع إلى سن سياسة جديدة للماء وقيام أجهزة وزارة الأشغال العمومية المشرفة على قطاع إنتاج الماء بالتشاور مع مختلف الأطراف المعنية والمؤسسات العمومية المختصة ومراجعة الأدوات التشريعية، إذ وافق البرلمان سنة 1995 على قانون جديد للماء يشكل القاعدة الأساسية لاستعمال الماء بالمغرب.

لقد اكتسب المغرب خبرة لا يستهان بها في ميادين دراسة وإنجاز واستغلال المنشآت المائية، وأنشأ أجـ هزة عديدة متنوعة الاختصاص والمسؤولية منها ما هو عمومي ومنها مؤسسات خاصة وطنية وأجنبية، وتوج ذلك بإحداث

المجلس الأعلى للماء والمناخ الذي يترأسه صاحب الجلالة، وهو يشكل منتدى واسع الصلاحيات تتنافس فيه أجهزة الدولة ومختلف المؤسسات والمنتخبين والجمعيات المهنية والمستهلكين حول مواضيع بالغة الأهمية لتنمية الموارد المائية وتحديد التوجهات التي ينبغي اتباعها، وهو متأهب دوما لمواجهة جميع المشاكل سواء المزمنة أو الطارئة بما تتطلبه من دراسة وحلول، وقد أوجد المسؤولون عدة أجهزة لتدبير شؤون الماء وتأطير الفلاحين وهي :

المكتب الوطني للري O.N.I. : لإعداد نطاقات الري دعت الضرورة إلى إنشاء أجهزة تقنية واجتماعية وإدارية، وإمدادها بترسانة من القوانين لتنظيم عملها، وقد اكتسبت الأطر الأولى التي كانت مدعمة بأطر أوربية خبرة واسعة في النطاقات المروية الأولى خاصة بسهل تادلة، ولتطبيق أسس السياسة المائية الجديدة أنشأت سلطات وزارة الفلاحة سنة 1960 المكتب الوطني للري، وهو مؤسسة عمومية لها شخصيتها القانونية واستقلالها المالي، ضمت كل الأطر والأجهزة السابقة المشرفة على الري، تكلفت بشؤون الري الكبير من دراسة أمكنة السدود إلى تشييدها وإنشاء القنوات وإعداد المجالات المسقية وتأطير الفلاحين المعنيين وإرشادهم لتحديث أساليبهم الزراعية. ودعمت عمله بمنشأة أخرى هي :

المكتب الوطني للتجديد القروي : يتدخل في المجالات التي لا يهتم بها المكتب الأول خاصة النطاقات المسقية التقليدية والنطاقات الصغرى المنتشرة بأرجاء المغرب.

مكاتب الاستثمار الفلاحي : في سنة 1966 أدمج المسؤولون المؤسستين السابقتين في مؤسسة واحدة هي مكتب الاستثمار الفلاحي O.M.V.A مكلفة بتطوير وتجهيز الأراضي الفلاحية في الدوائر المسقية وتأطير الفلاحين التي سرعان ما تحولت من مؤسسة مركزية وطنية إلى تسع مؤسسات جهوية للاستثمار الفلاحي : O.R.M.V.A تعمل في نطاق ري خاص بها لتطبيق سياسة اللامركزية الجديدة، وتشرف هذه المكاتب على حوالي 1,7 مليون هـ ذلك أن مكتب كل جهة لا يشرف فقط على نطاق مسقي مرتبط بمنشأة مائية بل كل الأراضي المجاورة له والداخلة وسطه دون أن تتهيأ لها شروط الاستفادة من الإعداد المحلي للسقي العصري، وكذلك إذا كانت تسقى بأساليب الري التقليدي سواء الدائم أو العرضي، والأراضي غير الصالحة للاستغلال الفلاحي كالأراضي المحجرة أو التلال والجبال. لكن مجال عملها الحقيقي هو الأراضي المسقية التي بلغت سنة 1985 حوالي 500 ألف هكتار أي 7% من مساحة المغرب وتقترب اليوم من 1 مليون هكتار أي 14% من المساحة الوطنية. وتتدخل أجهزتها لتوجيه عمليات الحرث في الأراضي البورية وتوزيع البذور المنتقاة بالبيع وتمتلك مراكز تنتشر بالنطاق المسقي C.M.V تقوم بخزن الآليات وتوزيع الخدمات. وهي تقوم بالإضافة إلى أعمال التجهيز بخدمات اجتماعية تمتد من تسوية المشاكل العقارية ودمج الملكية (تمكنت من دمج 300 ألف هكتار بين سنوات 1968 و1980) إلى تأطير الفلاحين وإرشادهم لتحديث أساليب الفلاحة.

لقد تمكنت المكاتب الجهوية من إعداد 70% من المساحات المهيأة للسقي في النطاقات الجديدة ورفعت

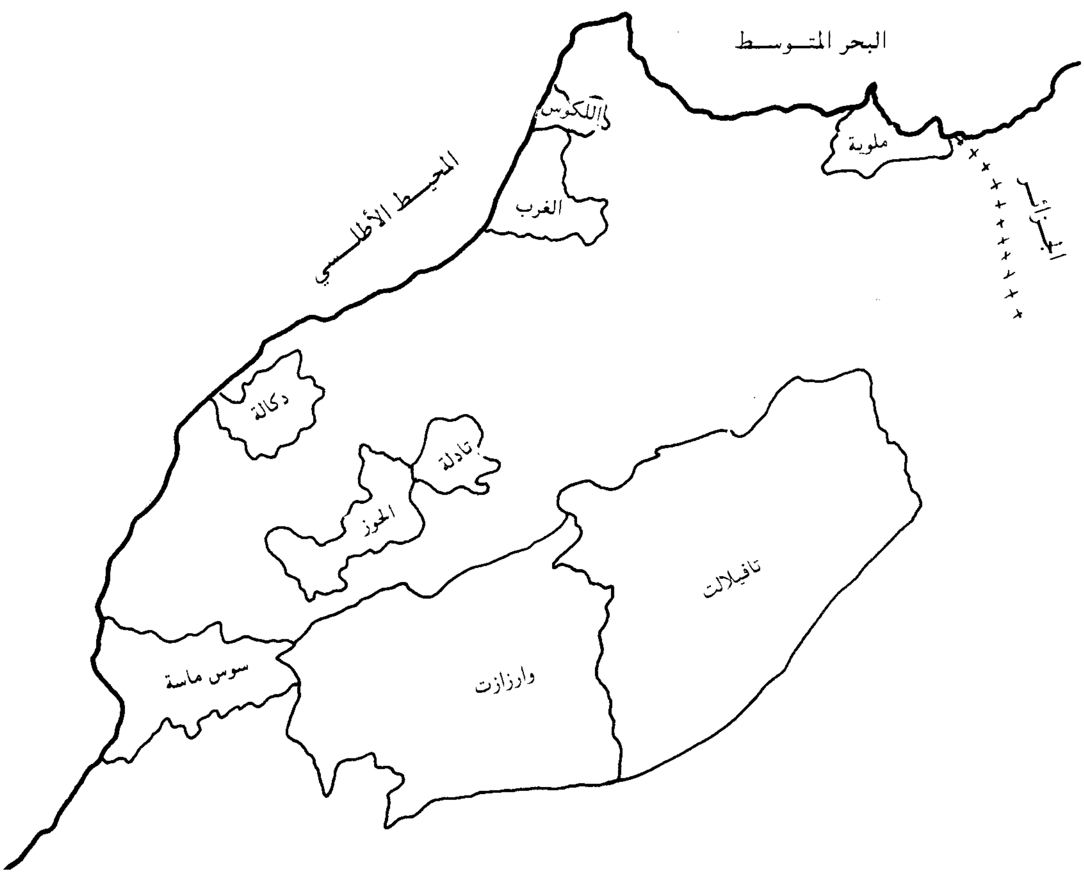

المساحات المسقية بالري العصري الكبير من 65.000 هـ، سنة 1956 إلى حوالي 800.000 هـ.

المديريات الجهوية المائية : تدار من طرف وزارة التجهيز مهمتها ضمان صيانة واستغلال التجهيزات المائية، كما تعمل على تسيير الموارد المائية على المستوى الجهوي والإقليمي، تنجز أثقاباً قصد التعرف على إمكانية الفرشاة الباطنية وضبط الموارد المائية السطحية من خلال مراقبة صبيب مختلف الوديان والأنهار وذلك لتحديد قدراتها على الاستغلال للأغراض المحلية والإقليمية.

النطاقات السقوية الكبرى : يبلغ عددها تسعة، يعطيها المسؤولون السياسيون والاقتصاديون الأولوية في التجهيز والإدارة باعتبارها رائدة الفلاحة في المغرب، يستهدفون إنعاش الزراعات المسقية في هذه النطاقات إلى تحقيق اكتفاء غذائي وزيادة المزروعات الصناعية الأساسية كالشمندر والتسويقية المطلوبة في الأسواق الأجنبية كالبرتقال والطماطم لتعديل ميزان التجارة الخارجي، وكذلك لتوفير العمل للشباب الريفي لتقليص الهجرة نحو المدن، ورفع مداخيل الفلاحين وإنشاء بنية لامركزية لصناعة غذائية. وتتوقف هذه الأهداف على ترشيد استعمال المياه وتجديد أساليب الزراعة لرفع مردودية الأراضي وإنتاجية الاستثمارات، وأهم النطاقات :

نطاق الغرب : هو الأكبر والأغنى والأكثر تطورا وإنتاجا وسكانا يعتبره المسؤولون مدرسة لتكوين الأطر وإتقان الأساليب الجديدة لتطوير الفلاحة المغربية. كان يسود الغرب قديما نظام الأراضي الجماعية وأراضي الگيش تكثر به المستنقعات ويتعرض لفيضان واد سبو وروافده إذ يستغله سكانه في زراعة خفيفة للحبوب وفي الرعي الذي تستفيد منه كذلك القبائل المجاورة للغرب، لكن خصوبة تربته الغنية : التيرس والدهس ووفرة مائه وجودة مناخه، أغرت الأوربيين في بداية عهد الحماية بإنشاء قطاعات زراعية عصرية خاصة بهم كانت هي الأكبر والأغنى في المغرب، وبعد الاستقلال رحل معظمهم وباعوا ضيعاتهم أو تحولت إلى ملكية الدولة تشرف عليها مؤسستا صوجيا وصوجيتا. ويوجد بهذا النطاق طبقة عماليةزراعية تتميز بمهاراتها وتقاليدها الجديدة. وتقدر المساحة القابلة للسقي العصري 234.000 هـ منها 30.000 هـ في نطاق سد القنصرة على واد بهث كانت هي أول مجال مسقي رائد بالمغرب منذ 1931. كما استفاد هذا النطاق من السقي من مياه سبو ومن مياه فرشة باطنية غنية بالضخ الآلي. كما جففت المستنقعات التي تحولت إلى أفضل الأراضي المنتجة للأرز. وزوّد السهل بشبكة واسعة من قنوات صرف المياه الزائدة تنتهي في المرجة الزرقاء وبمجرى سبو الأدنى. وفي 1973 تم بناء سد إدريس الأول على واد إيناون الذي تصل حقينته إلى 1,2 مليار م3. كما أقيم مؤخرا سدواق على مصب سبو لحمايته من صعود مياه البحر المالحة. كما زود النطاق بعدد آخر من السدود الثانوية على واد إيناون وغيره. ويتكون اليوم من عدة نطاقات ثانوية موزعة بسهول مستوية بضفتيه اليمنى واليسرى. وفي سنة 1996 أنهي بناء سد الوحدة الذي هو أكبر خزان للمياه بالمغرب حقينته 3,8 مليار م3 سيسقي بالغرب أكثر من 10.000 هـ إضافية ويحميه من الفيضان، وستصل مياهه عبر قنوات باطنية إلى الشاوية. طبق المسؤولون في نطاق الغرب بعض العمليات المحدودة للإصلاح الزراعي الذي تناول مساحات بلغت 42.000 هـ منها 14.000 مسقية استفاد منها 4.925 فلاحا اندمجوا في إطار 145 تعاونية فلاحية. لقد حققت المشاريع هنا أفضل النتائج سواء من حيث المردودية أو الإنتاجية وذلك بتطبيق دورات تناوب زراعي لقيت استحسانا من طرف الفلاحين، وقد تزايدت المساحة المسقية في نطاق الغرب من 30.000 سنة 1956 إلى 91.000 هـ سنة 1990 منها 15.000 تابعة لدائرة الري الصغير والمتوسط. ودعمت هذه النهضة الزراعية بعدد كبير من المعامل لمعالجة المزروعات الصناعية كالشمندر، قصد سكري، طماطم، خضر وفواكه، ومعامل لتلفيف الخضر والفواكه الموجهة للتصدير مثل البرتقال والطماطم.

لقد تحول نطاق الغرب إلى أغنى منطقة زراعية بالمغرب نظرا لما يتميز به من مؤهلات طبيعية فأنهاره هي أغنى أنهار المغرب وأمطاره وفيرة 600 إلى 700 ملم في السنة، يحيط به عدد من المدن الكبرى تكون سوقا رائجة لمنتجاته وموانئ تسهل تصدير فائضه من الخضر والفواكه ويتميز بزراعات ناجحة منها الحبوب والخضر والفواكه والأرز والعلف...

نطاق اللكوس : يتكون في مجموعه من 250.000 هـ منها 40.500 قابلة للري، لكن لم تجهز منها لحد الآن وتُسق سوى 18.000 هـ إلى حدود سنة 1990 منها 3.000 هـ تابعة لإدارة الري الصغير والمتوسط. وتسقى من مياه سد واد المخازن حقينته 800 مليون م3، لكن الكمية التي يتم تدبيرها سنويا تقدر بـ320 مليون م3، كما تستفيد من 32 مليون م3 من مياه واد الدردار ومن الآبار كذلك. وقد جهز واد اللكوس بسد واق بمجراه الأسفل لحمايته من صعود مياه البحر. ويتميز هذا النطاق بتجهيزه بصوامع صهريجية لإعطاء الماء ضغطا يستغل في أجهزة الرش المستعملة على مساحة 16.000 هـ وقد حقق هذا النطاق نتائج إيجابية كبيرة بتعميم زراعة قصب السكر والشمندر والعلف والخضر والبرتقال والفول السوداني الذي أغنى المغرب عن استيراده وأخيرا توت الأرض الذي توجه كميات منه إلى التصدير.

نطاق ملوية السفلى : بلغت مساحته 70.000 هـ سنة 1990 تتغذى من مياه واد ملوية الذي أنشئ عليه سد حاجز بمشرع حمادي سنة 1955 لتغذية قناة ري كبرى، وأنشئ عليه سنة 1967 سد محمد الخامس حقينته 490 مليون م3 ونظرا لتراكم رواسب كثيرة به فإن الحقينة المستغلة لا

تتجاوز 300 مليون م3 كما استغل بهذا النطاق فرشة مائية غنية أنشئ عليها أكثر من 3.000 بئر تزود المنطقة سنويا بحوالي 60 مليون م3. وأهم نشاط يهتم به الفلاحون هو زراعة الخضر التي كانت تجد في الجزائر سوقا رائجة تليها زراعة الفواكه خاصة البرتقال والكروم واهتموا بزراعة الشمندر والعلف لتغذية الأبقار. ويعتبر هذا النطاق اليوم المزود الرئيسي لسكان شرق المغرب بحاجياتهم من الخضر والفواكه والحليب والدواجن.

نطاق دكالة : يشمل مجال تدخل المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لدكالة 500.000 هـ لكن المساحة القابلة للسقي هي 126.000 هـ تسقى منها 62.700 هـ إلى حدود 1990. وهو يتلقى من سدود نهر أم الربيع حوالي 550 مليون م3 حاليا. وقد ابتدأ الري العصري هنا منذ 1940 عندما استخدم المعمرون قناة تتغذى من سد إيمفوت. أما أول سد أقيم بالمغرب على واد أم الربيع سنة 1929 سد سعيد معاشو فقد كان موجها لإنتاج الكهرباء وتزويد مدينة الدار البيضاء والجديدة بالماء الشروب. ويعتبر اليوم سد المسيرة الذي أنشئ سنة 1979 بحقينة بلغت 2،7 مليار م3 هو المزود الرئيسي لنطاق دكالة بمياه الري. ويتميز هذا النطاق بتجهيزات تحتية مهمة منها قناة رئيسية طولها 111 كلم وصوامع ضغط الماء التي أشاعت استعمال الرش فوق مساحة 33.500 هـ وأهم منتجات هذا النطاق هي الحبوب الشتوية والشمندر والخضر والعلف وأنواع البطيخ وأخيرا فول الصوجا. ويتميز الشمندر هنا بمردودية كبيرة 63 طن/ هـ لخصوبة التربة العميقة الحمري وجودة ظروف الإنبات والمناخ. ويعطي هذا النطاق أهمية كبرى لتربية الأبقار من الفصائل الجيدة المستوردة والمهجنة لإنتاج الحليب ولهذا صارت المنطقة أكبر منتج للحليب بالمغرب وتتميز بإنشاء عدد من المعامل لتعبئة الخضر والفواكه والحليب وغيره أهمها : معملان لإنتاج السكر بسيدي بنور وخميس الزمامرة.

نطاق تادلة : بلغت مساحته 115.400 هـ سنة 1990 منها 97.000 هـ تدخل في نطاق الري الكبير ينقسم هذا النطاق إلى قسمين متباينين هما :

نطاق بني عمير : هو الأسبق إذ بدأ المعمرون يكونون به ضيعاتهم منذ بناء سد حاجز على نهر أم الربيع بقصبة تادلة سنة 1931 يغذي قناة بضفته اليمنى تنطلق جنوبا إلى القصبة الزيدانية حيث تستغل فارق الارتفاع بين مجراها العالي وسرير النهر فتشغل معملا لإنتاج الكهرباء ثم تعبر النهر عبر "سيفون" إلى الضفة اليسرى حيث تسقي قطاعا زراعيا مساحته 35.400 هـ. ويكمل القطاع حاجته للماء من فرشة باطنية غنية تمده بحوالي 115 مليون م3 من المياه سنويا. ونظرا لأسبقية هذا القطاع وتقادم تجهيزاته فقد تطلب إعادة بنائها وتحديثها. ولتوسيعه وضمان حصته من المياه تم بناء سد جديد على أم الربيع بعاليته سنة 2001 هو سد دشر الواد حقينته 400 مليون م3، ويشتهر هذا القطاع باهتمامه بزراعة الخضر والعلف والحبوب والشمندر وتربية الأبقار الحلوب والدواجن، لكن تستبعد هنا أشجار البرتقال بسبب ارتفاع نسبة ملوحة مياه أم الربيع خاصة في الصيف (1.5 غ / لتر).

نطاق بني موسى : أحدث وأكبر مساحته 70.000 هـ يتزود من سد بين الويدان الذي بني سنة 1953 على واد العبيد بحوض وويزغت، حقينته المستغلة 1.2 مليار م3، وتعبر المياه نفقا يتغذى من سد التعويض أيت وردة نحو أفورار المشرفة على سهل تادلة حيث أُنشئت إحدى أهم المحطات الكهرمائية التاريخية بالمغرب. ويتزود هذا القطاع بـ710 مليون م3 من مياه السد التي تتوزع عبر قنوات رئيسية طولها 120 كلم وثانوية 200 كلم أما شبكة قنوات السقي والصرف فيبلغ طولها 1.700 كلم. ويزود هذا القطاع الأسواق المغربية خاصة الدار البيضاء بكميات كبيرة من الخضر والفواكه خاصة البرتقال والشمندر والقطن والطماطم والبطاطس والأعلاف والحبوب. أنشئ به عدد من المعامل لمعالجة منتجاته أهمها ثلاث معامل لمعالجة السكر.

نطاق الحوز : يعتبر من أكبر النطاقات مساحة 160.000هـ وبإدخال مجالات الري بالأودية الجبلية والدير تتجاوز المساحة المسقية 200.000 هـ تسقى في معظمها بطرق تقليدية إما موسميا أو عرضيا أو بصفة دائمة من سواقي تاريخية وخطارات وآبار وعيون إلى جانب مياه السدود الحديثة. ولازالت نطاقات الري به تتوسع إذ يتوقع المسؤولون تجاوزها 200.000 هـ في حالة توفر المياه الكافية. يشرف عليه المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز وهو مكلف بتطوير وتجهيز الأراضي الفلاحية في الدوائر المسقية لسقي الحوز المنتشرة فوق مساحة 456.000 هـ. ويقسم هذا النطاق الواسع إلى ثلاث نطاقات رئيسية هي :

نطاق الحوز الأوسط : هو أقدمها وأوسعها مساحته 57.000 هـ اشتهر ببساتين الحوز التاريخية التي تستفيد من شبكة الخطارات التي بلغ عددها في الثلاثينيات 615 جفت كلها تقريبا وبساتين الأوداية التي تستفيد من سواقي واد نفيس. شرع المعمرون الأوربيون في الثلاثينيات في إنشاء نطاق سقوي عصري بالسويهلة غرب مراكش فوق مساحة 6.000 هـ تطلب سقيه بناء أول سد بجنوب المغرب : للاتكركوست (كافنياك سابقا) حقينته 50 مليون م3 ونظرا لردمه جزئيا بالرواسب فقد زيد علو جداره بـ9م مما رفع حقينته إلى 80 مليون م3 وهو يروي حاليا حوالي 16.000هـ. كما يستفيد نطاق الحوز الأوسط من مياه أودية غيغاية وأوريكا وغدات التي تغذي عددا كبيرا من السواقي التاريخية وبزيادة الطلب على الماء حفرت الآبار : 7.000 منها 4.000 بئر في حوض نفيس. ويمكن تقدير ما يستخرج منها سنويا بحوالي 64 مليون م3 ويقدر ما يتلقاه نطاق الحوز الأوسط من وديان الأطلس : روافد تانسيفت : 400

مليون م3 وقد استفاد هذا النطاق من إمداده بمياه الواد الأخضر منذ منتصف الثمانينيات وهو من روافد أم الربيع تصل مياهه عبر قناة الربط البالغ طولها 118 كلم. تتغذى من حقينة سد الحسن الأول : 350 مليون م3 وتأخذ ماءها من السد الحاجز سيدي إدريس، تنقل إلى الحوز الأوسط في السنوات الوفيرة الأمطار 300 مليون م3 للسقي ولتزويد مدينة مراكش بـ35 ـ 40 مليون م3 من الماء الشروب. لقد تضررت فلاحة الحوز الأوسط كثيرا من توالي سنوات الجفاف مما أدى إلى نقص كبير في مياه الري، دفع إلى حفر مزيد من الآبار مما يترتب عنه تناقص خطير لمخزون المياه الباطنية وانخفاض مستواها بعشرات الأمتار. ولتلافي سلبيات هذا الوضع يخطط المسؤولون لبناء سدود جديدة على وديان أوريكا وغيغاية والزات وأغدات بالإضافة إلى سدود تلية عديدة لخزن مياه الفيض الربيعي وشحن الفرشة الباطنية. ويشتهر هذا النطاق بانتشار واسع لأشجار الزيتون والمشمش وفواكه أخرى كالعنب والبرتقال والبرقوق والتفاح، كما يتوسع في زراعة الخضر والأعشاب الطبية الموجهة للتصدير باستعمال أساليب زراعية حديثة خاصة في الري الذي يشيع فيه استعمال الرش والتنقيط والتقطير والواقيات البلاستيكية.

نطاق تساوت العليا : تنتشر أراضيه بسهل الحوز الشرقي وهو قطاع زراعي تاريخي اشتهر ببساتين الزيتون والرمان والمشمش وزراعة الحبوب والقطنيات كان يستفيد من شبكة سواقي تاريخية تتغذى من وادي الأخضر وتساوت خاصة، أقام به المعمرون نطاقا سقويا عصريا حول قلالت يستفيد من مياه تساوت إلى جانب الضخ الآلي من آبار فرشة غنية. وعند بناء سد مولاي يوسف على واد تساوت سنة 1969 بحقينة 160 مليون م3 شرعت أجهزة المكتب في استبدال شبكة السواقي الترابية بشكبة قنوات حديثة، ولإنجاح العملية تطلب الأمر القيام بعمليات دمج الأراضي وتكوين تعاونيات وإقامة تجهيزات جديدة وتأطير الفلاحين وإرشادهم ليتكيفوا مع الوضع الجديد، فصاروا يهتمون بالزراعات الشجرية والعلفية والخضر ويبنون الحظائر لتربية الأبقار الحلوب المستوردة والمهجنة، وإنتاج القمح الذي تضاعفت مردوديته باستعمال الري وتبلغ مساحة هذا النطاق 35.000 هـ.

نطاق تساوت السفلى : يقع خارج سهل الحوز الجغرافي، إذ يشرف على سهلي السراغنة وتادلة يسقى بمياه الواد الأخضر وتساوت عبر سواقي تاريخية مثل اليعقوبية والمنصورية والقايدية... ونظرا لاستغلال مياه الواديين في النطاقين السابقين بعد إنشاء السدود عليهما، تناقص نصيب هذا النطاق من المياه فاضطر المسؤولون إلى تعويضه بنصيب من مخزون سد بين الويدان الذي يصل إليه عبر قناة جديدة سنة 1990 تعرف بـT2 أي تساوت الثانية وتزوده بحوالي 230 مليون م3 تبلغ المساحة المسقية هنا 44.000 هـ لكن جلها يقع بدائرة الري الصغير والمتوسط ويبذل المكتب جهوده لتأطير الفلاحين لاستيعاب الأساليب الجديدة وبناء حظائر عصرية لتربية الأبقار، إذ يهتم الفلاحون هنا بزراعة العلف خاصة الفصة كما يهتمون بزراعة الأشجار : الزيتون والحبوب والخضر.

نطاق سوس ماسة : اشتهر سهل سوس ببساتين الزيتون والخضر والحبوب خاصة ضواحي مدينة تارودانت. وأقام به الأوربيون نطاقا واسعا لزراعة البواكر أي الخضر التي تنضج مبكرة قبل نضجها في بقية أرجاء المغرب وأوربا مستفيدة من دفء سوس لموقعه الجنوبي، وتجد منتجاته أسواقا رائجة سواء بالداخل أو الخارج. تعتمد فلاحته على آبار الفرشة المائية التي يغذيها واد سوس بجريانه السفلي ومياه فيضانه الشتوي والربيعي التي تغذي شبكة من السواقي التقليدية، إذ لم يُبْنَ سد أولوز بعالية واد سوس لتنظيم الري وشحن الفرشة الباطنية سوى سنة 1989 بحقينة تبلغ 110 مليون م3 كما بني سد آخر : عبد المومن بن علي على واد إيسن رافد شمالي لواد سوس سنة 1983 بحقينة 216 مليون م3. وتستمد بساتين سوس حوالي 680 مليون م3 سنويا من مياه الفرشة المائية التي استنزفت بخطورة كبيرة مما يهدد كثيرا من البساتين بجفاف نهائي لآبارها إذ يؤخذ منها أكثر من طاقتها خاصة مع توالي سنوات الجفاف في العقدين الأخيرين من القرن العشرين. ويطبق المزارعون السوسيون أحدث الأساليب الزراعية لترشيد المياه وحماية المنتجات بواقيات البلاستيك، ينتجون الخضر خاصة الطماطم والبرتقال والموز الموجه إلى الأسواق الوطنية والأجنبية وكذلك القطنيات والعلف لأنهم يهتمون كذلك بتربية الأبقار الحلوب. وقد حققت الفلاحة التقليدية هنا تطورا كبيرا بحيث يصعب تمييزها عن الفلاحة العصرية. ويقسم المكتب الجهوي سوس إلى ثلاث نطاقات ثانوية هي نطاق واد يسن 13.000 هـ وعالية سوس 6.300 هـ وسافلة سوس 26.000 هـ ونطاق رئيسي هو :

نطاق سهل ماسة : يتكون من نطاق عصري مساحته 18.000 هـ ينتشر فوق سهل شتوكة ونطاق تقليدي تنتشر بساتينه بضفتي واد ماسة الأسفل مساحته 1.250 هـ يستمد هذا النطاق مياهه من سد يوسف بن تاشفين الذي شيد على واد ماسة سنة 1973 بحقينة 300 مليون م3. ونظرا لغلبة التربة الرملية بسهل شتوكة وارتفاع مستوى السهل عن مياه السد، فإن السقي يتم هنا برفع المياه إلى صوامع صهريجية لإعطائه ضغطا يستغل في الرش أو التنقيط والترشيح لترشيد استعمال الماء بعزيمة قوية. ويهتم المزارعون بزراعة الخضر والحبوب والعلف لأنهم يهتمون كذلك بتربية الأبقار الحلوب. ويوجه قسم مهم من الطماطم إلى الأسواق الأجنبية والوطنية. تبلغ المساحة الإجمالية لنطاق سوس ماسة 104.000 هـ منها 32.700 تابعة لدائرة الري الكبير.

نطاق تافيلالت : اشتهرت تافيلالت بواحاتها المنتجة للتمور منذ القديم نظرا لجفافها وارتفاع حرارتها وندرة أمطارها فإن بساتينها تسقى بمياه وادين هنا زيز وغريس وعدد من الخطارات والآبار، اكتسب فلاحوها مهارة وتقاليد زراعية خاصة، تنتشر بساتينهم في عدة قطاعات مروية متباعدة، مما جعل المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لتافيلالت يقسم هذا النطاق إلى ثلاث نطاقات هي :

نطاق تافيلالت : يتكون من قطاعين مسقيين هما المجرى الأوسط لواد زيز، يمتد بين أرفود وسد الحسن الداخل الذي بني سنة 1971 بحقينة 360 مليون م3. وسهل تافيلالت بسافلته الذي يتكون من المجرى الأسفل لوادي غريس وزيز. يستفيد هذا النطاق من مياه واد زيز الذي ينظم استغلالها منشآت السد ومن عيون ضفتي واد زيز التي تزوده سنويا بحوالي 25 مليون م3 أهمها العين الزرقاء لأيت مسكي كما تستفيد من مياه فيض الواديين زيز 25 مليون م3 وغريس 30 مليون م3 ومن مياه آبار وصل عددها 5.000 مترا يستعمل معظمها الضخ الآلي ومياه 370 خطارة لازال معظمها منجتا، ويستمد هذا النطاق من الآبار والخطارات حوالي 30 مليون م3. ومنذ بناء السد تم تجهيز وسقي 21.000 هـ بواسطة شبكة من القنوات الرئيسية والثانوية بلغ طولها 430 كلم.

نطاق حوض واد كير : مساحته 5.100 يستفيد من مياه فيض واد أيت عيسى وواد كير (الذي يعبر الحدود الجنوبية إلى الجزائر حيث شيد عليه سد صغير)، كما يستفيد من فرشة مائية ضعيفة تغذي عددا من الخطارات والآبار. ولشح الموارد المائية هنا شرع المسؤولون في بناء عدد من السدود التلية لخزن بعض الماء للشرب ولشحن الفرشة المائية.

نطاق حوض واد غريس : مساحته 10.800 هـ تتلخص تدخلات المكتب هنا في إصلاح السواقي التي تتزود من حواجز ترابية على واد غريس، وذلك لمنع تسرب المياه التي يضيع منها حوالي 60 مليون م3 بالتسرب، وإنشاء سدود حواجز لتغذية السواقي وإقامة محطات للضخ الآلي لتزويد الفلاحة والسكان بالماء. لقد تضررت تافيلالت من استفحال الجفاف، وتبذل أجهزة مكتب الاستثمار جهودها لضمان حد أدنى من الاكتفاء الغذائي وحماية النخيل من الأمراض خاصة البيوض وتلقين الفلاحين أساليب جديدة لرعايتها وتعويض المفقود منها بفسائل نخيل تقاوم هذا المرض الفطري، إذ لاتزال تافيلالت أكبر منتج للتمور بالمغرب. يبلغ مجموع نطاق تافيلالت 50.000 هـ منها 28.000 تسقى بآليات الري الكبير.

نطاق درعة : اشتهرت درعة بتمورها ونخيلها الذي ينمو بواحات تنتشر على طول مجرى واد درعة وبعض الوديان الموسمية النابعة من الأطلسين الصغير والكبير. وأكبر مزود لهذا النطاق بالمياه هو سد المنصور الذهبي الذي بني سنة 1972 على واد درعة بحقينة 560 مليون م3 لكنه لا يمتلئ بكامله إلا مرة كل عشرين سنة كمعدل. وقد تضرر هو الآخر من استفحال الجفاف. وأنشئ على واد درعة خمسة حواجز صلبة لتغذية قنوات السقي بالمياه الذي يطلقها السد تبعا لبرنامجه، ويبلغ طول القنوات الرئيسية والثانوية 350 كلم. وهناك سبع محطات للضخ، تزود كل هذه الموارد نطاق درعة بحوالي 320 مليون م3، وتبذل هنا كذلك جهود لعلاج النخيل من مرض البيوض واستبدال المفقود منه باعتبار واحات درعة من أهم منتجي التمور ومزودي سوق مراكش بصفة خاصة. كما تبذل الجهود لنشر زراعة الأعلاف لتغذية الأبقار التي تربى في الحظائر وزراعة الخضر والحبوب لضمان أكبر قدر من الاكتفاء الغذائي. تبلغ مجموع مساحات نطاق درعة 66.000 هـ منها 26.000 تابعة لإدارة الري الكبير.

تطور تقنيات الري : تعمل أجهزة الري العصري على ترشيد استعمال المياه بإدخال تغييرات على أساليب العمل والإنتاج لرفع المردودية وإدخال مزروعات جديدة واستعمال بذور منتقاة مهجنة غالبا وبناء مختلف منشآت السقي كما تعمل على دمج الملكيات الصغيرة لتسهيل عملية السقي والتنقل واستعمال الآلات الزراعية كالجرار وغيره، وعندما تحقق هذه الجهود نتائج إيجابية فإن المردودية الزراعية ترتفع بخمسة أضعاف مقارنة بزراعة بورية في سهل جيد مثل دكالة، وتهدف من وراء هذه الجهود إلى تلبية حاجيات السوق سواء الوطني أو الخارجي وضمان أعلى حد ممكن من الأمن الغذائي خاصة في مواد أساسية مثل السكر والزيوت والحليب واللحوم والخضر والحبوب، ورفع مداخيل الفلاحين بتطبيق دورات زراعية مدروسة علميا واجتماعيا تراعي حاجياتهم إلى الاستهلاك والنقود، ولترشيد استعمال المياه تعمل مكاتب الاستثمار الفلاحي على ترك السقي بطريقة غمر الأحواض التي كانت سائدة في المغرب إلى نهاية عقد التسعينيات سواء في مجالات الري التقليدي بنسبة 100٪ أو العصري بنسبة 78٪ وتعتبر في عصر الندرة واستنزاف الموارد مضيعة لثروات مائية مهمة، وتعمل على تلقين طرق وتقنيات جديدة هي :

الرش : لم تهتم به أجهزة الري العمومية إلا في نهاية عقد الستينيات وطبق أولا في مجالات محدودة يتعذر استعمال الغمر بها بسبب ميل السطح أو انعدام الميل كليا مما يعرقل تنقل الماء أو لشدة التسرب بالتربة الرملية أو ضعف مسامية التربة، لكن بعد التأكد من امتيازاته وقدرته الكبيرة على اقتصاد الماء بنسبة 50٪ وتخصيب الإنبات، بدأ يشيع في جهات كثيرة بالمغرب خاصة بنطاقات العرائش وسوس ودكالة فبلغت المساحات التي تستعمله حوالي 180.000 هـ سنة 2.000 فهي تتناول ربع الأراضي المسقية في مجالات الري الكبير. وهو يتطلب نفقات وتجهيزات إضافية لاقتناء مختلف الأنابيب والرشاشات وإقامة صوامع صهريجية عليا لتوزع ماءها مضبوطا لتستعمله الرشاشات.

الري بالمحاور : هو نوع من الرش المتحرك استعمل خارج إطار النطاقات المروية المعروفة بسهول واسعة غير مشجرة. وطبقت التجارب الأولى بأراضي جماعية اكتريت من طرف مؤسسات مالية وطنية، وذلك بإقليم قلعة السراغنة والشاوية وهي تقتصد حوالي 65٪ من المياه مما لو استغلت بطريقة الغمر. لكن الري المحوري ذو تكلفة مرتفعة تصل إلى حوالي 1.5 مليون درهم للمحور الواحد الذي يتحرك ليسقي دائرة مساحتها 50 هكتاراً ولهذا لم يتوسع استعماله كثيرا إذ لم يتجاوز 10.000 هـ سنة 2000.

الري بالتنقيط : لازال استعماله محدودا رغم اقتصاده الكبير للماء، ويستعمل خاصة لري الأشجار المثمرة حيث يمرر أنبوب بلاستيكي على صف الأشجار ويثقب عند جذع كل شجرة لخروج قطرات ماء تحافظ على رطوبة دائمة عند جدرها تمكن عروقها من تغذية مستمرة، وأحيانا يضاف إلى هذا الماء مواد تخصيب وأدوية لاقتصاد العمل.

الري بالترشيح : طريقة جديدة تقوم على دس أنبوب داخل عرف ترابي بالحقل (أبدو) يغطى بغلاف من البلاستيك يثقب أعلاه لاستنبات فسائل نبتة ثمينة كتوت الأرض أو الجلبان. ويرشح الأنبوب عبر ثقوبه الصغيرة ما يغذي جذر النبتة. ويحمي غلاف البلاستيك ثمراتها من التلوث بالتراب والوحل.

الري تحت واقيات البلاستيك : ويتم إما بالرش أو التنقيط أو الترشيح وهذه طريقة تقتصد الماء وتحافظ على جو من الرطوبة والدفء داخل الواقية يزيد في انتعاش النباتات خاصة الطماطم والخضر والنباتات الثمينة والهشة كالورود، تحميها من شدة البرودة شتاء خاصة ليالي الصقيع أو الحرارة المرتفعة والرياح الحارة صيفا.

توصيل الماء إلى الأحواض بأنابيب البلاستيك صلبة أو خفيفة بدل السواقي التي تضيع قسما من مساحة الحقل والمياه واستعملت بكثافة في حقول الولجة الصغيرة بالسواحل الوسطى. ويشيع اليوم استعمالها في مناطق الري بالضخ الآلي.

حصيلة 75 سنة من سياسة الإعداد المائي : إن تجهيزات السقي العصري الكبير مرتفعة جدا كسائر التجهيزات العمومية ومنشآت البنية التحتية، واسترجاع استثماراتها لا يتم إلا جزئيا وعلى مدى عقود كثيرة. كما أن مردوديتها لازالت منخفضة لحد الآن نظراً لما يتطلبه تسييرها وصيانتها من تكاليف، ولانخفاض مساهمة المستفيدين في تكاليفها إذ لا يدفعون في المعدل لاستصلاح أراضيهم إلا حوالي 1800 درهم للهكار في نهاية الثمانينيات، وهذا لا يمثل إلا حوالي ثلث إلى عشر تكاليف تجهيز الهكتار، كما أن سعر مياه السقي يبقى رمزيا إذ لا يتعدى 0.22 ده /م 3 ولا يرتفع إلى 0.5 د ه / م3 إلا بنطاق واد إيسن بسوس. وبهذا لا تتعدى مداخيل ماء السقي ثلث ميزانية تسيير أجهزته التي تستهلك نسبا مرتفعة من اعتمادات الدولة للقطاع العمومي. وهذا يتطلب مزيدا من التنظيم وتطوير قوانين الاستغلال وتكوين تعاونيات وجمعيات مهنية كمحاور جاد متفهم يشرك الفلاحين في الإدارة وتحمل المسؤولية واتخاذ القرارات. كما أن استمرار تفتيت الأراضي الزراعية بسبب تقسيم الإرث بين الورثة يناهض كل مجهودات الإصلاح ويطرح مشاكل عويصة عند توزيع حقوق المياه. إن توالي سنوات الجفاف يضع مؤسسة السقي العصري أمام تحد عسير فكيف يمكن تدبير السقي عندما تنخفض حقينة سدود مهمة إلى 25٪ بل إلى 6٪ وكذلك عندما تنخفض حقينة السدود بفعل استمرار طمرها بالرواسب مثل سد سيدي إدريس الذي نقصت حقينته في ظرف 10 سنوات من 7 مليون م3 إلى 1، إلا أنه بفضل نباهة أطرها وتقنيتها والدراسات العلمية التي تقوم بها، استطاعت مواجهة أوضاع حرجة ببرامج مدروسة على أسس اقتصادية اجتماعية كتحديد المساحات المسقية في كل موسم وإعطاء الأولوية لمزروعات معينة واستبعاد أخرى لارتفاع استهلاكها للمياه، وتوزيع المياه علي فترات متباعدة، والحث على ترشيد المياه باستعمال وسائل سقي حديثة كالرش والتقطير... لكن هذه الإجراءات تنعكس سلبا على الانتاج وذلك بتقلص المساحات المسقية، بل حتى المساحة المسقية يتراجع إنتاجها كثيرا بسبب نظام العطش الذي يفرض عليها. وبهذا يتراجع الهدف الوطني لسقي المليون هكتار وتحقيق اكتفاء ذاتي في مزروعات حيوية. ولئن استطاع هذا النظام إنقاذ اقتصاد المغرب لفترات محددة كسنة فإنه لا يزال عاجزاً عن وضع برامج طوارئ لعدة سنوات لأن جل السدود تبرمج حقينتها لمدة سنة، ولا يمكن أن تساهم بخزن مياه أكثر احتياطا لعدة سنوات لأن جل السدود تبرمج حقينتها لمدة سنة، ولا يمكن أن تساهم بخزن مياه أكثر احتياطا لعدة سنوات جافة مقبلة، إذ لا يطبق ذلك جزئيا إلا على سدود قليلة موجهة أساسا لتزويد المدن بالماء الشروب كسد واد الحاشف بنواحي طنجة أو سدي المسيرة والوحدة باعتبار حقينتهما الكبرى. وإن استطاعت برامج السقي العصري تحقيق استقرار اجتماعي بالأرياف وكبح جماح الهجرة جزئيا نحو المدن والمساعدة على التجديد القروي بإدخال تقنيات ومزروعات جديدة بددت ركود الأرياف وفقرها جزئيا، فإنها لم تستطع دمج الشباب القروي المتعلم، ولا المستثمرين الناهضين الحضريين أو المحليين الذين جمعوا أموالا من أنشطة أخري خاصة التجارة أو مشاريع البناء أو أموال الهجرة، إذ لازالت تجتذبهم أنشطة المدينة. ورغم نمو مدن صغيرة في أهم النطاقات السقوية وازدهار حركة التجارة والتعليم والخدمات والنقل فإن المجالات المسقية العصرية لم تستطع تحقيق ما كان منتظراً منها أي تكوين أقطاب تنمية تكون بمثابة قاطرة جهوية لتنمية اقتصادية اجتماعية ريفية باعتبار رصيدها الفلاحي المهم وإمكانياتها الواعدة

والاستثمارات العمومية التي تستوعبها، لكنها استطاعت توظيف كفاءات علمية متنوعة في أجهزتها، وتجديد أساليب الفلاحة وخلق أنشطة جديدة وصناعات سواء داخل فضاء الفلاحة أو بعاليتها كصناعة الأسمدة والأدوية والبذور المنتقاة والقنوات والأنابيب وبعض الآليات الزراعية وخلق انشطة أخرى بسافلتها حافظت على إبقاء جزء من فائض القيمة الزراعي في الأرياف يتمثل في مصانع معالجة المنتجات كمعامل السكر والتعليب والعصر والتلفيف، ومحطات إصلاح الآليات وفروع الأبناك وشبكة من مراكز الأشغال الفلاحية ومكاتب المرشدين الفلاحيين... كما خلقت رواجا تجاريا مهما يرافق الفلاحة المروية في جميع مراحلها.

إن التطور الفلاحي الحديث والانفتاح الذي فرضته العولمة على الأرياف والتخطيط لأهداف وطنية فلاحية يلقي على مؤسسة الري العصري مسؤوليات جديدة، ويؤهلها للقيام بأدوار اقتصادية واجتماعية حيوية.

*بحوث واستطلاعات ميدانية* ؛ شوقي بنعزو، *الماء التحدي المستمر*، منشورات بانوراما، 1994 ؛ حسن المباركي، *تعبئة المياه لأجل الري في المناطق شبه الجافة*، حالة حوز مراكش *مجلة المزارع المغربي* العدد 11 مارس 2001 ؛ أعداد من *مجلة الماء والتنمية*، *المجلة المغربية للماء* ؛ معلومات من مقالات حول الزراعة *بالصحف الوطنية*.

Sous la direction de Ahmed Lahlimi Alami, *La grande encyclopédie du Maroc : Agriculture et pêche*. volume 7, 1988 : Mustafa Qarouach, *La croissance de l'agriculture marocaine*, Casablanca, 1988 : M. I. Alaoui et P. Carriere Editeurs, *Aspect de l'agriculture irriguée au Maroc*, Université Mohammed V, Rabat et Paul Valery Montpellier : *Hydroplus 1er forum mondial de l'eau. Maroc l'eau souveraine*. mars 1997, Marrakech : Des numéros de la *revue marocaine des sciences agronomique et vétérinaire*. *Homme terre et eau* : Jean-Jacques Perennes, *Le Maroc à porté du million d'hectares irrigues*, *Monde Arabe Maghreb Machrek*, n° 173, sept. 1992.

أحمد هوزالي

**ريّانْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rellan وRollan ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1221/1806.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، *والمراجع العربية والأجنبية* في الرقم 751.

محمد ابن عزوز حكيم

# ز

**زا** . ـ بزاي مفخّمة ـ هو أحد روافد نهر ملوية يقع مقرنه به شمال مدينة تاوريرت. من أهم ما يميز هذا المجرى عن واد ملوية نفسه، وعن مختلف روافده، جريانه الدائم، حيث يتغذى من مياه الفرشات الباطنية، ابتداء من عيون بني مطهر وتكفايت. ذلك ما دعا إلى تسميته بالواد الشارف عند عالية المجرى، حيث الهضاب العليا منبسطة وجافة، وبالواد الحي عندما يصبح الجريان دائما، وبواد زا، في الجزء الأسفل حيث يتعمق على شكل خوانق في جبال الهورست، وحيث بني سد الحسن الثاني، ثم ينتهي على شكل مخاريط قديمة وواسعة بمنطقة تاوريرت.

سمح الانتظام النسبي للجريان بالسافلة، بممارسة نشاط زراعي مسقي قديم ومتنوع على طول المجرى، وذلك كلما توفرت الظروف الطبغرافية والترابية الملائمة. كما يتميز واد زا بشساعة حوض نهره الذي يمتد على 18000 كلم مربع، إذ يصرف المياه المطرية لأغلب الهضاب العليا المغربية والجزائرية، شرقا، ومن مشارف تاندرارة جنوبا، كما يصرف مياه الهوامش الجنوبية لسلسلة الهورست. نتج عن اتساع الحوض وتنوع تضاريسه، من جبال وهضاب وأحواض سهلية، اختلاف في علو وعنف ونوع وفترات حدوث التساقطات ؛ إذ كثيراً ما تحدث على شكل عواصف رعدية عنيفة في أماكن محدودة، كما يمكن أن تكون شاملة للحوض، أو على شكل ثلوج فوق الجبال على الخصوص. هكذا، ارتباطاً بنوع التساقط من حيث علوه وعنفه وامتداده على المجال، يعرف صبيب زا تغيرات مهمة وخطيرة في نفس الوقت، إذ كثيرا ما تلحق فيضاناته أضرارا كبيرة بالسكان وبمختلف منشآتهم.

اعتمدنا في دراسة الصبيب والحمولة الصلبة التي ينقلها واد زا، على المحطة الهدرولوجية بتاوريرت التي بنيت سنة 1956 وشرع في استغلالها سنة 1959، كما بنيت محطة هدرولوجية ثانية بعالية موقع سد الغراس سابقا.

بلغ معدل الصبيب عند مستوى المحطة الهدرولوجية بتاوريرت 34 متر مكعب / ثانية، كما تراوحت المعدلات السنوية خلال 30 سنة من الملاحظة، ما بين 1.2 و9.9 متر مكعب / ثانية. فأعلى معدل سنوي سجل سنة 1974 وأخفض معدل لوحظ سنة 1986.

في الواقع، لولا وجود عيون تكافايت لكان واد زا جافا، لا يعرف جريانا إلا على شكل فيضانات محدودة. فالصبيب اللحظي المرتبط بالفيضانات هو المسؤول عن اكتساح المصاطب النهرية المزروعة وهدم الكثير من الطرق والقناطير والمنشآت الهدرومائية العصرية منها والتقليدية. من أعنف الفيضانات تلك التي تم تسجيلها سنة 1972، حيث بلغ الصبيب اليومي اللحظي99 متر مكعب / ثانية، وهو أخطر ما سجل منذ نشأة المحطة.

أما من حيث فترات وفصول حدوث أقوى جريان فيمكن تلخيص ذلك في جدول لمعدل الصبيب الشهري لواد زا، وذلك من 1959 إلى 1980.

| شهر | سبتمبر | أكتوبر | نونبر | دجنبر | يناير | فبراير |
|---|---|---|---|---|---|---|
| م2/ث | 3،8 | 5،7 | 3،8 | 2،3 | 2،4 | 2،1 |
| شهر | مارس | أبريل | ماي | يونيو | يوليوز | غشت |
| م2/ث | 3 | 6،9 | 4،6 | 3،9 | 2،7 | 2،8 |

يتضح أن أهم الموارد المائية بواد زا تتوفر خلال شهر أبريل حيث يبلغ متوسط صبيبه69 متر مكعب / ثانية، ثم يليه بالتوالي كل من أكتوبر وماي. هكذا يبدو فصل الربيع أكثر وفرة من حيث المياه الجارية في القعر، لأن الأمطار تكون مرتبطة بنظام الجبهات، وبالتالي أكثر دواما وانتشارا على الحوض النهري. أما شهور الخريف فأمطارها تكون على شكل عواصف رعدية، مركزة في الزمان

والمكان. لكن يجب العلم بأن 46٪ من تردد الصبيب اليومي الأقصى سجل في شهري سبتمبر وأكتوبر، وأن الصبيب الأقصى اللحظي تردد بهما كذلك بنسبة 43٪ يليهما شهر ماي بـ 15٪ ثم شهر يونيو (شاكر 1998).

ذلك الجريان العنيف، المهدد للتربة والمنشآت، يحدث على الخصوص في فصل الخريف، حيث الأمطار عنيفة والسطوح عارية. كانت بذلك الحمولة الصلبة، أو الصبيب الصلب، لمياه واد زا هو 8.6 غرام / ليتر. أما التوحل الأقصى اللحظي، فقد بلغ 114 غرام / ليتر.

إذا كان من الصعب استخلاص العلاقة بين الصبيب وعلو التساقط لعدم وجود المحطات اللازمة للقياس داخل الحوض النهري، فإن العلاقة بين أهمية الحمولة والصبيب لا تبدو جيدة، حيث غالبا ما تكون أحداث مطرية متواضعة من حيث علوها وصبيبها، هي المسؤولة عن أقوى حالات تدهور الأتربة وتحريك المنقولات في اتجاه السافلة. فعلى سبيل المثال، سجلت الحالة القصوى لمعدل التوحل (27غ / ل)، نتيجة صبيب سنوي سنوي من مستوى 3،04 متر مكعب / ثانية.

فإذا اعتمدنا على مختلف هذه القياسات، نستخلص أن التعرية الإجمالية بحوض واد زا، تبقى متواضعة، إذ لا تتجاوز 50 طنا / كلم مربع / سنة. ويكون واد زا بذلك أقل عدوانية بالمقارنة مع باقي حوض ملوية الذي بلغت به مقادير الإزالة 156 طنا / كلم2 / سنة. لكن رغم المقادير المفقودة المتواضعة على مستوى الكلومتر المربع، فإن هذه الإزالة تبقى خطيرة من الناحية الزراعية، حيث غالبا ما يتم كشط المواد السطحية الدقيقة والغنية بالمخصبات، وذلك ارتباطا بالتعرية الغشائية السائدة في مثل هذه الأوساط. ونظرا لشساعة الحوض النهري، فإن مقادير الإرسابات المحمولة إلى كل من سد محمد الخامس على ملوية، وسد الحسن الثاني على واد زا، من شأنها أن تهدد حقينتيهما بالإطماء، مما سينعكس سلبا على القطاعات السقوية والماء الشروب بالمنطقة الشرقية.

يعتبر سد الحسن الثاني (الغراس سابقا) والذي أصبح جاهزا منذ بضع سنوات فقط، من أهم المنشآت الهدروليكية بالمنطقة الشرقية التي أنجزت في نهاية القرن العشرين، حيث سيخصص 27٪ من مخزونه لتموين بعض المراكز الحضرية بالماء الصالح للشرب، وعلى رأسها مدينة وجدة. كما سيسهم السد بتوسيع رقعة القطاع المسقي، بسافلته، بحوالي ألفي هكتار، التي سوف لن تعود مهددة بالفيضانات التي دمرت غير ما مرة مختلف المنشآت البشرية وأخصب الأراضي الزراعية الموجودة على شكل مصاطب داخل الوادي.

شاكر ميلود

**الزّات** (واد -) واد جبلي من روافد تانسيفت ينبع من السفح الشمالي للكتلة القديمة للأطلس الكبير المراكشي، يتميز واديه بانفراجه وخلوه من الخوانق العميقة، وتعدد إفريزاته وسطوحه الضعيفة الميل لكثرة الصخور الهشة به، فهو يختلف عن جاره الغربي واد أوريكا، الكثير التعمق في واديه، يبلغ طول مجراه الرئيسي في حوضه الجبلي 50 كلم ومساحة حوضه 496 كلم$^2$ ومعدل ارتفاعه 2000 ومعدل ميل سطحه 18٪ يتجه اتجاها جنوبيا غربيا مخترقا أعراف ثنيات وأحواض، وعندما يخرج إلى السهل ينحرف في اتجاه غربي شمالي غربي، يجري في سرير رملي كثير الحجارة عريض 500 ـ 800 م مكونا ثنيات واسعة أو يتفرع إلى مجارٍ متوازية. وبعد 8 كلم ينقسم إلى فرعين أحدهما رئيسي شمالي يتصل بواد أوريكا المعروف في سهل الحوز بواد غمات بعد 12 كلم، كما يتصل به الفرع الثانوي قبل 4 كلم. ويسمى المجرى الجديد واد الحجر، ترجمة عربية لكلمة الزات التي تعني الحجارة، يقطع 9 كلم ليصل مستوى قاعدته واد تانسيفت على بعد 3 كلم بسافلة زاوية ابن ساسي، بعالية المنطقة المعروفة بالولجة وهو شريط بضفة تانسيفت اليسرى كانت تنفجر به عيون تتغذى من فيض فرشة الحوز.

تنطلق منابعه من سفوح جبال الكتلة الوسطى العالية : جبال السور وتاسگا نزات وميلتسين 3573 م وهو أعلاها، يغلب على صخوره مواد صلبة من الريوليت والحث كما تكثر بمجاريه العليا والوسطى صخور البيرموترياس وتكوينات فتاتية حمراء سميكة تتوضع بكيفية متناثرة فوق صخور الزمن الأول وتختلط أحيانا بتدفقات بازلتية (صعب على الدارسين تحديد أصلها وتاريخ توضعها لندرة الأحياء بها، مما جعلهم يطلقون عليها اسما مركبا : بيرموترياس)، يضاف إلى هذا حث وردي مرتب جيدا : حث أوكايمدن الموجود بكثرة فوق هضيبة يگور وهي أكبر سطيح هضبي معلق بالجبال المتوسطة 2200 ـ 2600 م يشرف على سهل الحوز بأجراف عالية ويفصل بين وادي الزات وأوريكا. يشتهر بمراعيه وعزبانه ونقوشه الحجرية.

يتكون مجراه الأوسط والأسفل من مجموعة أحواض، وهي إما بهرات مفرغة أو مقعرات أشهرها حوض آيت زياد بسافلته أو مقعرة معلقة أشهرها مرتفع تسغيموت 1003 م الذي يبدو كحصن يحرس مدخل وادي الزات. ويتميز حوض الزات بتناقضات صخارية فهناك صخور رخوة تتمثل في مركب الترياس الأعلى ومن طبقة صلصالية هشة ترجع إلى الجوراس والإيوسين بالإضافة إلى المواد الميوبليوسينية، ثم هناك صخور صلبة تتمثل في بعض الدكات البازلتية واللياس الكلسي الدولوميتي، وقد تعرضت هذه الصخور منذ الأيوسين الأعلى لحركات بنائية أكسبتها ملامحها الحالية، كان من نتائجها التواء الغطاء الثانوي والثلاثي

على شكل مقعرات عريضة ومحدبات ضيقة وبهرات مفرغة تكشف عن تلال بازلتية، ومعظمها أحواض منزلقة. وقد تعرضت جل هذه الوحدات البنيوية لتعرية متوالية انتهت بتكوين أشكال بنيوية تعكس تناقضات صخارية كبيرة. وتظهر إفجيجيات عند خرق الواد لأعراف البهرات والمحدبات، مما يكون أفواها تعرف بإيمي (الفم) أشهرها إيمي ن الزات بمدخل الوادي. فالأشكال البنيوية بالحوض معظمها من النوع المشتق، أما الأشكال الأولية فهي نادرة وتتمثل في السطوح التي تتوسط القعور مثل آيت زياد وتنافيلالت والسور، إذ تمثل طبقة غمرية صلبة. إن حوالي 40٪ من مساحة حوض الزات يتكون من صخور هشة ما بين رواسب قارية ومستنقعة حمراء بالجبال المتوسطة وتلال كريتاسي وجوراسي بمنطقة الدير الأعلى. ويلاحظ أن الزات ككل وديان السفح الشمالي غير متكيف مع بنيته، فهو سالف ومنطبع يقطع الطيات والتصدعات بكيفية تحافظ على تخطيطه المستقيم قاطعا عدة عوارض أضعفتها الانكسارات. لكن انطلاقا من دوار تالبينت يغير مجراه فجأة راسما علقولا ويصبح متكيفا مع البنية حيث يجري في منخفض بهرة إيكوردان المكونة من صخور هشة في الغالب، ثم يخرج إلى السهل بعد أن يقطع آخر الطيات المقعرة الكبرى : آيت زياد ليجري فوق سطح مخروطه الذي يتميز بانتظام شكله وميله التدريجي نحو واد تانسيفت الذي تزحزح تحت ضغطه نحو الشمال.

وفي السهل ينشر الزات مواده الغرينية إما فوق الميوبليوسين أو فوق المسطحات المتدرجة أو المتداخلة، وتزداد أهمية النشر كلما اتجهنا نحو السافلة، لكن المواد الفلافرانشية سرعان ما تغوص تحت المواد الرباعية الحديثة. ومع تعقيدات بنية حوض الزات فإنه يمكن تمييز المستويات المتداخلة أو المتدرجة لبقايا درجات معلقة متفاوتة الارتفاعات والمساحة تبدو بوضوح عند دوار الشمس، إذ أن جلها تدهور بفعل الحفر الذي قامت به الشعاب المنحدرة نحو محاور الجريان.

يشكل الزات مخروطا حديثا واسعا سميكا منتظم الانحدار، وباعتبار تهدل سهل الحور المستمر طيلة الرباعي، فإن الرواسب تتراكم بكثافة كبيرة، تبدو متنافرة خشنة تزداد بها أهمية المادة الدقيقة كلما ابتعدنا عن المجرى الحالي. وترتبط هذه الأشكال بشبكة مائية تتمثل في محاور قوية عملت على تعميق مجراها وتركزها ارتباطا بحركات الرفع المتأخر واختلاف سمك ومقاومة الطبقات. وهذه التعرية الخطية ليست سوى بداية تعرية انتقائية تسعى لتحقيق تسطيح جانبي مما يعكس التطور الكبير للشبكة المائية.

المناخ : يتميز حوض الزات بمناخ متوسطي قاري شبه جاف يتحول إلى قاري جبلي مع الارتفاع بأعلى الوادي، يتميز بتباين حراري فصلي ويومي كبير، إذ يسجل به في بعض أيام الصيف أكثر من 40 درجة كما تنخفض حرارته الدنيا شتاء إلى ما دون الصفر. لا يعرف صبيب وديان الأطلس إلا جزئيا لقدم القياسات وتقطعها وتغيرها الكبير في سنوات الجفاف، فنسبة الخطأ في أرقامها تصل إلى 25٪. يتميز صبيب واد الزات بتغيراته السنوية والفصلية بل واليومية الكبيرة، فقد أعطت القياسات بين 1931 ـ 1963 صبيبا سنويا معدله 150 مليون م$^3$ عند محطة قرية تيفرياط بمخرج الوادي، ومتوسط أمطار حوضه 676 ملم / سنة يسقط منها جزء على شكل ثلوج فوق علو 1500 م، لكن هذا المعدل انخفض في الثمانينات إلى 451 ملم / سنة. وسجل بمركز أربعاء تغدوين 508 ملم / سنة كمعدل سنوي وبآيت أورير 363 ملم / سنة، وانخفض بالتالي معدل الجريان السنوي إلى 137,7 مليون م$^3$ ومتوسط صبيبه 4,4 م$^3$ / ث، يعرف قمة جريانه في شهر أبريل عند ذوبان الثلوج وتساقط أمطار الربيع، وقد سجل به أقصى صبيب يومي 1000م$^3$ / ث ولحظ 1500 م$^3$ / ث. لكن تذبذب التساقطات من سنة لأخرى يجعل العلاقة بين معدل الجريان السنوي الأعلى والأدنى تصل إلى 1 ـ 12 ضعفا. ويسجل ضعف صبيبه الصيفي الذي يقل عن 1 م$^3$ / ث. ذلك أن 46٪ من صخور حوضه غير مسامية و40٪ نصف راشحة و14٪ مسامية راشحة، كما أن أمطار الصيف نادرة باستثناء عواصف رعدية عارضة في آخر الفصل. وباعتبار ارتفاع نسبة الصخور الهشة فإن الزات يتميز بحمولة صلبة كبيرة تصل إلى 4 كلغ / م$^3$، مما يجعل حمولته السنوية الصلبة تصل إلى 600.000 م$^3$، فتبدو مياهه خلال بعض فيضانات الربيع كأوحال متنقلة.

التربة : تربة بدائية مشتقة من صخور الجبل غير متطورة بها أحجار كبيرة مكورة، لونها أسمر أو أبيض ذات نسيج رملي طيني غير سميك سوى ببعض الهضيبات والأحواض الأكثر استواءً أو انغلاقا، وهي سريعة العطب سواء بالغسل بمياه الري أو الانجراف بالمياه الجارية لكن طمي فيضان الواد يجدد خصوبتها.

النباتات : لقد تراجع الغطاء النباتي كثيرا عما كان عليه في بداية القرن العشرين، إذ بتزايد السكان المعتمدين أساسا على الزراعة والرعي وتزايد الحاجيات الجديدة، انضاف إلى عمليات قطع الحطب وخشب البناء اجتثاث الأشجار الغابوية بصفة مشروعة وغير مشروعة لتلبية حاجيات أسواق حضرية تنمو باستمرار، فحملت الشاحنات أطنان الحطب لتلبية حاجيات الحمامات والأفرنة وصناعة الفحم، كما زاد طلب النجارة على خشب أشجار الجوز والعرعار بمراكش خاصة. يضاف إلى ذلك حاليا استفحال الجفاف الذي يقضي على أشجار كثيرة بمناطق إعادة التشجير، وهكذا صارت مساحات واسعة عارية، بحيث لم تتعد نسبة التغطية الغابوية بالحوض 55٪.

ويلاحظ نوع من التدرج في الغطاء النباتي من الدير إلى أعالي الحوض، ففي الدير السفلي بحاشية المخروط كانت تنتشر نباتات عشبية وشوكية منفرجة مثل السدرة والدوم والطلح والبطم والزيتون البري، لكن اندثر جلها أمام توسع المجال الزراعي ولم يبق به سوى السدرة والدوم. وفي الدير العلوي أي بعد 1000 م تنتشر بقايا غابة الثويا والعرعار الأحمر، وفي الوسط نجد البلوط الأخضر وهو الأكثر انتشارا إذ يكون 70٪ من الغطاء الغابوي، ينتشر على شكل تجمعات تفصل بينها قعور الأودية والسفوح الصخرية أو القوية الميل، تختلط أحيانا مع عناصر من الأرز الشوكي والخروب وعينات محلية نادرة كالعصفية والفستق البري... ولا تظهر له تجمعات مهمة إلا بعد 1200م وتصعد أشجاره إلى علو1800 ـ 2000 م. وفي الأعالي تظهر تجمعات العرعار الفواح إن لم يأت عليها الرعي، إذ يقطع الرعاة أغصانها لتغذية مواشيهم بأوراقها. وترتفع الغابة إلى 2200 م بالسفوح الشمالية و2500 ـ 3000م أحيانا فوق السفوح الجنوبية المشمسة. أما سرير الواد فتنتشر به نباتات خاصة مرتبطة بالماء وهي الصفصاف والدردار الذي توجد له خمائل جميلة وكذلك الطارفة والدفلة التي تنتشر بكل المجاري سواء الرطبة أو الجافة.

لقد تراجعت الغابات كثيرا وتحولت السفوح الدنيا إلى ماطورال متدهور، ومن مظاهر ذلك، صعود المستوى الجاف وتعرض السفوح لتصحر زاحف متصاعد يعري مساحات متزايدة من كل شجر إلا ما نجده متخلفا ببعض المقابر وحدائق الأضرحة. ويترتب عن هذا استفحال ظاهرة التخديد بكل أشكالها ومساوئها. ولحماية البيئة من مزيد من التدهور طبق المسؤولون منذ أيام الحماية برامج تشجير خاصة بجوانب المحاور الرئيسية للتنقل وهوامش المنشآت المائية، كما بنيت حواجز حجرية على مجاري السيول لتشتيت جريانها وأخيرا تبنى سدود تلية في جهات محظوظة. إن عملية التشجير التي استمرت طوال عقود الاستقلال لا تهم سوى نقط محدودة حيث تم غرسها بأشجار صنوبر حلب الذي كون غابات جميلة عند مخرج الوادي أهمها محمية گروگا للخنازير على عرف أندين المحيط بحوض آيت زياد.

كما يتم التشجير كذلك بأشجار الكافور واللوز والعرعار والصبار وأحيانا البلوط الأخضر، ويتم الغرس بحفر أخاديد موازية لخطوط التسوية لمقاومة التعرية. لكن المساحات المشجرة لم تفلت هي الأخرى من سلبيات التدخل البشري والجفاف، لأن مشاريع حماية هذه البيئة السريعة العطب لا تأخذ بعين الاعتبار حاجيات السكان المحليين من جهة وخاصيات الوسط الطبيعي، حتى يمكن إعادة التوازن بين الإنسان وبيئته. ولم تتضرر هذه البيئة من توالي سنوات الجفاف فقط بل كذلك من فيضانات مفاجئة مخربة لواد الزات وروافده، فتنهار الحواجز والسواقي والمنشآت المائية والسكنية القريبة من مجرى الماء، وتنجرف تربة السطوح الملاصقة له وتقتلع الأشجار المثمرة، وتكرر ذلك في العقد الأخير مرتين : 1995 و1999.

السكان : يشير المؤرخون كالبكري والبيدق وابن خلدون إلى أن حوض الزات كان مسكونا منذ القديم من طرف قبيلة مصمودية هي مسفيوة، وهي من مخلفات قبيلة رعوية وهي كبيرة عرفها المؤرخون بهزرجة، وفدوا إلى المنطقة انطلاقا من الجنوب منذ قرون وزحفوا في القرون الأخيرة على مخروط الزات وأوريكا إلى أبواب مراكش وضفة تانسيفت. وكانت مسفيوة قبيلة مفتوحة تستقبل الوافدين من مختلف الجهات وتهضمهم بالزواج والتشارك في أعمال الفلاحة، وتميزت بحيوية دافقة أدت إلى تمردات كثيرة على السلطة المخزنية مما جر عليها انتقالها عدة مرات، ودفع الملوك إلى محاصرة واديهم بإقامة قصبات وإسكان فلول من قبيلة الرحامنة وغيرها بمخروطهم، وكانت ميالة إلى التحرر من قيود السلطة المخزنية مما جعل فقهاءها ينعتونها ببلاد السيبة، دخلت مع سلطات المخزن بمراكش في صراعات منذ القرنين 18 و19 دفاعا على حقوقها المائية والترابية بمخروطي الزات وغمات. وفي نهاية القرن (19 م) اصطدمت بتوسع نفوذ گلاوة، واستطاع القائد المدني الأگلاوي بعد حروب مخربة إخضاع مسفيوة وسلبها جزءا من أراضيها ومائها في مطلع القرن 20 وأسس مركز آيت أورير بمدخل الوادي وقصبته لمراقبة مجال مسفيوة، واستقدم إليه عدداً كبيراً من أعوانه من أگلاوة بالسفوح الشرقية للأطلس الكبير. ورغم انصراف المعمرين عن وادي الزات وقهر حكم الأگلاوي الذي دفع ببعض الأسر والسكان إلى الهجرة وتجنيد السلطات الفرنسية لبعض أهل مسفيوة في فرق خيالة ومخازنية خارج منطقتهم لاستحسانهم لخصائص سكانها، فإن سكان حوض الزات ومخروطه عرفوا تزايدا متوسطا منذ مطلع القرن العشرين إلى نهايته لكن يصعب تتبعه بدقة للتغير المستمر في مساحات وحدود الجماعات القروية. وقد عرفت دائرة أيت أورير التي تضم سكانا آخرين خارج حوض الزات وقبيلة مسفيوة نموا كبيرا في العقود الأخيرة.

1971 149.814 ن

1982 180.184 ن

1994 211.615 ن

وبهذا تعتبر أيت أورير أكثر دوائر الحوز سكانا.

كما تطور سكان بعض الجماعات الواقعة كليا أو جزئيا بحوض الزات ومخروطه وهي :

| | 1960 | 1971 | 1982 | 1994 |
|---|---|---|---|---|
| تيغدوين | 12.754 | 14.872 | 18.744 | 20.939 |
| تيديلي | - | 18.310 | 21.951 | 22.056 |
| أيت أورير | 20.600 | 26.620 | 34.715 | - |

وقسمت جماعة آيت أورير في إحصاء 1994 إلى بلدية سكانها 12162 ن وجماعتي آيت فاسكا 16210 ن وآيت سيدي داود 17307 ن المجموع 45679 ن، وقد بلغت كثافة السكان في كل من تيغدوين 46 ن / كلم$^2$ وآيت أورير 166 ن / كلم$^2$. إلا أن هناك جماعات سجلت تناقصا في سكانها بين إحصائي 1982 و1994 مثل آيت فاسكا وتمگرت.

لقد عرفت جماعات الزات تزايدا مهما لساكنتها، لكنه أقل مما سجل عموما في أرياف المغرب، وذلك بسبب ارتفاع الوفيات خاصة لدى الأطفال وبسبب الهجرة الداخلية إلى المدن والسهول الأطنتيكية أكثر من الخارج، ويقدر معدل التزايد الديموغرافي في جماعات الحوض 1 .2٪ سنويا و5٪ آيت أورير.

يستقر السكان في قرى صغيرة ومتوسطة وكبيرة إذ يتجاوز بعضها 1000 ن مثل أمانوز ووينمداسن و700 ن في تالتاست وتقايا، تنتشر على طول المجاري المائية وبجوار العيون تجتذبها اليوم خاصة الطرق المهمة والمرصفة وتتكاثف عند مخرج الوادي.

الفلاحة : اشتهر حوض الزات منذ القديم بمزروعات خاصة مثل الدخن وإيلاَّن والثوم والقطنيات والجوز بالإضافة إلى محاصيل تقليدية مثل الحبوب والزيتون وتربية المواشي وزراعة الخضر وبعض الفواكه المثمرة مثل الرمان والمشمش.

ولمواجهة تزايد السكان والحاجيات لجأ السكان إلى توسيع المجالات الزراعية على حساب السفوح الصعبة والغابات وبناء المزيد من المدرجات وإيصال السواقي إليها، وباعتبار تقنين الرعي بالغابات وتراجعها وتدني قيمة المراعي بسبب استفحال الجفاف اتجه القرويون إلى تربية الأبقار الحلوب المستوردة والمهجنة في حظائر جديدة وتوسعوا في زراعة العلف والبحث عن موارد جديدة للمياه لا يجدونها غالبا سوى في حفر الآبار واستعمال الضخ الآلي. ونجد بجماعة تيغدوين التي تهيمن أراضيها على معظم الحوض الجبلي للزات أن حوالي 75٪ من الأسر تمتلك من الأبقار 1 .5. وتمتلك 7٪ 6 .10 بقرات. ولتسويق الحليب في ظروف جيدة تأسس بالجماعة 5 تعاونيات، ولازالت تربية البغال تكتسي أهمية جيوية فهي وسيلة التنقل المفضلة في المسالك الجبلية. وإذا كان سكان عالية الوادي لازالوا يعتمدون على تربية المواشي الصغيرة فإن سكان المجرى الأوسط والمخروط يعتمدون على توسيع مجالات الزراعة المسقية وتحديث المزروعات، وذلك بتجديد أشجار الزيتون والإكثار منها، ولم يقدموا على غراسة التفاح والبرقوق إلا مؤخرا، حيث بدأ يتصدى لها بعض الملاكين الأغنياء نسبيا، وتوسعت زراعة الخضر حيث صار كل الفلاحين يخصصون مساحات لزراعة البطاطس والطماطم التي تجد سوقا واسعا بمراكش وغيرها، وكذلك زراعة الجزر واللفت والفلفل والنعناع، بل هناك من تصدى لمزروع طبي وهو اللويزة التي كانت تشتريها شركة لتصديرها. ومن المنتوجات الفلاحية الجديدة التي تتوسع زراعة وتسويق فسائل الزيتون والبرقوق والتفاح والورود...

وينظم السقي على مخروط الزات بشكل نموذجي، إذ تبدو شبكته على هيئة فقرات هيكل سمكة تخرج من ضفتيه اليمنى واليسرى، وكل ساقيه تغذي عددا من السواقي الثانوية تعرف بالمصرف توزع مياهها حسب الحقوق على بستان أو مشارة أو حوض يتكون من بضعة أمتار مربعة أحيانا، ويغذي الزات 32 ساقية رئيسية بمجراه الأوسط ومخروطه، لكن مياهه تستنفد في معظم السنة عند بداية مخروطه بالسقي والتسرب والتبخر، إذ وجد أن سواقيه الترابية الطويلة تهدر 50٪ من مياهها، وهي تتحكم في مجال قابل للسقي تبلغ مساحته 17000 هـ لكن لا يسقى منها عمليا إلا حوالي 2500 .5000 هـ حسب وفرة المياه.

ويلاحظ في الحوض غياب الملكية الحضريّة اللهم إذا هاجر أصحابها أو أبناؤهم وأصبحوا حضريين، لكن الأسر الأگلاوية الوافدة في بداية عهد الحماية والمدعمة بنفوذ السلطة استطاعت الحصول على بساتين وأراضٍ شاسعة بمخروط الزات، وكذلك بعض المعمرين الأوربيين. أما أراضي الوادي فلم تغر الحضريين خاصة أنه لم يحظ بأنشطة سياحية ولا تنعقد به مواسم مهمة تجتذب الحضريين.

تعرف الفلاحة بالزات في العقدين الأخيرين تحولات كبيرة بفعل الضغط الديموغرافي والجفاف وتزايد الحاجيات، فبعد أن كانت الفلاحة تسعى إلى تحقيق اكتفاء ذاتي صارت الآن موجهة لحاجيات السوق وحاجة السكان إلى النقود لتلبية حاجيات كثيرة جديدة. وأمام هذه الضغوط انتقلت الزراعة من الأحواض والمنخفضات إلى المنحدرات والمجالات الغابوية حيث يلاحظ غزو حقيقي لأوعر السفوح من طرف زراعة الحبوب التي تحتل معظم الأراضي وهي أراضٍ سهلة العطب إما لقوة انحدارها أو فقر تربتها وكثرة أحجارها. وكانت الأنشطة الفلاحية قديما تتم في إطار تنقل وتكامل بين السهل والجبل، لكن هذا التكامل عرف تقلصا كبيرا بسبب انتشار التمليك وتوسيع الزراعات والبساتين بالدير والسهل، كما تقلصت مراعي الجبل العالية بسبب تقنين استعمال الغابة وتوجيه حركات الرعي نحو الأحواض والهضيبات التي تضررت من الرعي الجائر والجفاف الذي قلص أهمية مروجها وعيونها وغدرانها، والنتيجة تقلص أعداد المواشي الصغيرة، والميل إلى بناء الحظائر لتربية الأبقار الحلوب، لكن في الأودية الوفيرة المياه والتربة الخصبة. أما الأحواض الفقيرة بالأعالي فكثيرا ما تدفع بسكانها إلى الرحيل أفرادا وأسرا. إن الأراضي الصالحة للزراعة ضيقة ومحدودة بحوض الزات الجبلي، فوادي الزات

الأعلى وروافده ضيقة ولا تتسع سوى في المجرى الأوسط، لكنه يتوفر بسافلته على أحواض واسعة أهمها آيت زياد الذي تشغله بكامله جماعة تيديلي مسفيوة. فالأراضي الصالحة للزراعة بجماعة تغدوين لا تتعدى 6٪ لكنها تتوسع بمخروط الزات فتبلغ في جماعة آيت أورير السابقة 40٪.

تتميز الفلاحة في حوض الزات كما يتجلى ذلك في جماعة تيغدوين بازدواجية : تقليدية - عصرية، ذلك أن عملية التحولات انتقائية يتصدى لها أولا الملاكون المحظوظون الذين يتوفرون على أراضٍ كافية تمكنهم من تحقيق تراكم مالي أو مداخيل غير فلاحيةٍ لإنفاقها في مزيد من التجهيز، أما الملكيات الصغيرة المزقة بالتقسيم بين الورثة عبر الأجيال إلى مشارات مكروسكوبية متناثرة متباينة الأشكال والمساحات، فإنه يصعب علاج مشاكلها في وادي لا يقر سكانه بعد بمشاريع إصلاح زراعي ودمج الملكيات، وهؤلاء هم المرشحون للهجرة وممارسة أنشطة غير فلاحية والعمل خارج المنطقة، وأثبتت الدراسة أن ثلث الفئة الشغيلة تعمل خارج المنطقة خاصة بالبناء والتجارة والنقل والأعمال الفلاحية بالضيعات العصرية.

كما اشتهرت قرى الزات بحرف تقليدية مثل الفخار والنسيج والنجارة خاصة صناعة المحارث والأبواب ونجارة الأخشاب الكبيرة، التي تدخل في صناعة عوارض الأبواب الكبيرة ومعاصر الزيت وقنوات الري المصنوعة من خشب الدردار الذي ينبت بضفاف الواد والمعروفة بـ تغدوت ومنها أتت تسمية الجماعة وفرقة القبيلة : تيغدوين وهي جمع تغدوت هي العارضة الخشبية المستعملة فيما سبق ذكره.

كما اشتهرت بعض القرى بالحدادة وتصنيع الدوم، لكن كل هذه الأنشطة تعرف اليوم تراجعا كبيرا سواء في عدد الممارسين أو الإنتاج، ذلك أن انفتاح الوادي سهل غزو المصنوعات الحديثة، كما أن الأجيال الجديدة من سكانه لا تميل إلى المصنوعات التقليدية وأنشأ أحد المعمرين في عهد الحماية معملا لمعالجة الدوم الذي يجمعه السكان ويبيعونه له، لكنه توقف في بداية عهد الاستقلال. أما النشاط المعدني فباستثناء استغلال أحواض الملح قرب آيت أورير التي أنشأها هي الأخرى معمر أوربي وتوقفت منذ عقود، فإن الأنشطة المنجمية ظلت مجهولة بهذا الحوض، لكنه ساهم في الاقتصاد المعدني بنشاط وافر عندما وصل إليه معدن المنغنيز من إيميني عبر نقال هوائي (تيليفيريك) من أكلموس بطريق تيزي - ن - تشكا بالمنحدرات الجنوبية إلى محطة لتجميعه قرب مركز أربعاء تيغدوين لنقله بالشاحنات إلى مراكش. أما السياحة سواء الوطنية أو الأجنبية فلم تنشط بهذا الوادي سواء في عهد الحماية أو بعده رغم وجوده كمعبر إلى مراعي هضبة يگور المشهورة بنقوشها الحجرية ومناظرها الطبيعية الجميلة وإمكانياتها في الرياضات الثلجية.

المراكز الحضرية : اشتهر حوض الزات بقراه الكبيرة ومراكزه السكنية، أهمها أيت أورير، وقد تحول اليوم إلى بلدية سكانها 12162 ن (1994) ومركز دائرة تضم 5 قيادات و15 جماعة قروية لم تحدد حدود بعضها بدقة على المجال، وكان عددها 9 في إحصاء 1982 لكن الكثير منها يخرج كليا أو جزئيا من حوض الزات ومخروطه، وينتمي إلى حوضي أوريكا وغدات. (انظر أيت أورير).

أما أهم مركز يعرف تطورا كبيرا مستفيدا من الأوضاع الجديدة، فهو مركز أربعاء تيغدوين الذي يوجد بوسط الوادي على علو 1041 م سكانه 535 ن (1994)، وقد صار اليوم مركزا محددا يضم مقر القيادة والجماعة القروية ومدرسة مركزية ومستوصفا وصيدلية وعددا من المصالح تابعة لوزارات الفلاحة والأشغال العمومية والبريد. ينعقد بها سوق أسبوعي يوم الأربعاء ولضيق المكان فإنه ينعقد بنفس المركز حيث تتحول دكاكين السويقة كلها إلى المساهمة في أنشطة السوق يضاف إليها تجار صغار لبيع الخضر وملابس وسلع خفيفة بجانب أزقتها. ويتميز المركز بتجمع تجاري خدماتي قديم قرب محطة السيارات، لكن المتاجر ومحلات مختلف الأنشطة تعرف امتدادا نحو الجنوب على طول طريق يتجه بموازاة مع الواد على مدرج طولي جنوبا نحو عمق الوادي والمنشآت السياحية الجديدة. لقد عرف مركز أربعاء تيغدوين حدثين مهمين في تاريخه الأول يرجع إلى بداية عقد الخمسينات عندما قررت الشركة المعدنية المستغلة لمنغنيز إيمين نقله عبر نقال هوائي إلى مركز تيغدوين لتجنب عبور الشاحنات فج تزي ن تشكا، وإنزاله بمحطة قرب مركز تيغدوين الذي ظهر في عهد الحماية فتم ترصيف الطريق الثلاثي، طوله 18 كلم يربطه بالطريق الرئيسي : مراكش - ورزازات واستمر التهييء للمشروع عدة سنوات وبدأ العمل سنة 1956 واستمر 1969، حيث تراجع إنتاج المنغنيز وتسويقه وظهرت شاحنات كبيرة قوية قادرة على عبور فج تيزي - ن - تشكا بحمولتها الثقيلة. وأدى هذا المشروع إلى ظهور عدد من المصالح الإدارية والتقنية بالمركز وربطه بالشبكة الوطنية للكهرباء. وإقامة برج ماء، لكنه لازال يعاني من مشكل التخلص من المياه المستعملة التي تدفن حاليا في آبار وحفر خاصة، ويتخوف من تسربها إلى مياه الواد، ولهذا يهيئ مشروع لتنظيم شبكة لصرفها ومعالجتها قبل إعادة استعمالها في الري.

أما الحدث الثاني فقد ظهر في بداية عقد التسعينات عندما توصل بعض الزوار إلى اكتشاف الفعالية العلاجية لمياه عيون معدنية كانت تنبع دائما من سفح أحد السطوح بأحد روافد واد الزات تبعد عن المركز بحوالي 3 كلم عددها 4 تبتعد عن بعضها ببعض عشرات من الأمتار تنبع من سفح هضيبة مسطحة تستغل في الزراعة تسقى بسواقي واد الزات. وهي غير بعيدة عن زاوية وضريح سيدي أحمد

الوافي الذي أطلق اسمه على المكان. ورغم عدم التأكد من فعالية هذا الماء فقد أغرى طعمه المعدني الخاص الزوار وبعض المرضى للقدوم إلى ينابيعه للانتجاع والعلاج، وسرعان ما ظهرت بعين المكان تحت ظلال أشجار الصفصاف والدردار والزيتون الكثيرة هنا منشآت عشوائية لمقاهٍ ومآوٍ للمبيت، فتدخلت السلطة ومنعت البناء فوق مدرجات رخوة معرضة للفيضان والانهيار، لكن جمال الموقع وجودة ظلاله ومياهه أنست مختلف المنشآت الخدماتية التي تجاوز عددها اليوم 100 كلها مبنية بالقصب والخشب والبلاستيك... ما بين مقاهٍ ومطاعم ومآوٍ للمبيت ودكاكين لمختلف المواد الاستهلاكية، بل ظهر بينها محلات للتسلية وحمام. وهي تنتشر حول مسلك يتبع خط تسوية يتوازى مع مسلك آخر عندما يتسع المسطح، وقد حصل المستثمرون على الأراضي إما بالشراء أو الكراء، وتمنع السلطات البناء وتخطط لفتح تجزئة بمركز أربعاء تيغدوين لبناء كل المنشآت التي تتطلبها هذه الأنشطة السياحية وتحويل منطقة العيون وطريقه إلى بستان للنزهة.

لقد استفاد مركز أربعاء تيغدوين من هذا النشاط بشكل تلقائي إذ يفد عليه المئات من الزوار يوميا، خاصة أثناء العطل والأعياد ليس للعلاج فقط بل للنزهة والترفيه. وأدى هذا النشاط إلى بناء عدد من المنازل والدكاكين والمقاهي ومحلات مختلف الخدمات بالمركز، مما جعل عددها الإجمالي يصل إلى 220 تفتتح كلها يوم السوق ويغلق منها حوالي 40٪ في غير أيام السوق، كما ترتب عن ذلك تنشيط حركة البناء، مما جعل المنازل التقليدية الترابية تختفي تحت واجهة من مباني الإسمنت المصبوغة باللون الأحمر ذات طابع حضري وترصيف بعض الأزقة. ويهيئ بمصالح السكنى والتعمير مشاريع عمرانية وسياحية لتنظيم وتقنين أنشطة السياحة التي امتدت أخيرا إلى هذا الوادي، وتخطط لمد طريق مرصف من المركز إلى هضبة يكور الذي يمكن أن تتحول إلى مجال للرياضات الشتوية على سفوح جبل ملتسين المنتظمة الانحدار وهو غني بمروج خضراء وعيون ونقوش حجرية كثيرة ترجع إلى العصر الحجري الأوسط والجديد، بالإضافة إلى تل حجري له قداسة دينية قديمة. كما يخطط المسؤولون لبناء سد تلي ليتحول مستنقع إيفرض إلى بحيرة متوسطة الحجم تغني المنتوج السياحي، كما يخططون لبناء فنادق بالمركز وإنشاء مخيم مجهز، لكن ضيق المكان يطرح صعوبات يجب تذليلها ذلك أن منشآت المركز وساحة سوقه ومحطة سياراته ودوابه تنتشر فوق سطيح طولي ضيق محصور بين جرف يشرف على سرير الواد ومنحدر غابوي بالعالية تغطيه أشجار العرعار الأحمر والثويا تضفي على فضاء المركز جمالا يؤهله لسياحة بيئية ريفية يزداد عليها الإقبال. ويترقب السكان بناء سد عند إيمي - ن - الزات، ستغمر مياه بحيرته جزئيا حوض آيت زياد، لما سيوفره ذلك من مناصب الشغل وما يجلب من استثمارات وما يخلق من مشاكل جديدة تتطلب حلولا جديدة.

*بحوث ميدانية، معلومات من المرشدين الفلاحيين وأعضاء السلطة المحلية والسكان ؛ تحليل خرائط طبوغرافية وجيولوجية لحوض الزات ؛* أ. زروال، *دراسة جيومورفولوجية لدير أطلس مراكش بين وادي الزات وتساوت*، الرباط، 1987 ؛ *بحوث طلبة السنة الرابعة في الجغرافيا بكلية الاداب مراكش.*

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1983 ; *Theorie de la distribution des eaux et de l'ocupation des terres dans le Haouz de Marrakech, R.G.M*, N° 18 - 1970; O.R.M.V.A.H, *Les resources naturelles et la mise en valeur actuelle de la plaine du Haouz, R.G.M*, N°17, 1970 ; M. Lafuente, *La vie humaine dans un groupement berbère du Haut Atlas de Marrakech : Les Ait Oucheg - R.G.M*, N° 14, 1968.

أحمد هوزالي

**الزاز، الطاهر**، مقاوم ولد سنة 1911 بمدينة أسفي. انخرط في صفوف النضال الوطني منذ سنة 1948 وحين اندلعت ثورة الملك والشعب التحق بإحدى المنظمات الفدائية تدعى "اليد المباركة" ضمن خلية تضم عشرة أفراد وقد كان الفقيد متخصصا في صنع القنابل التقليدية التي كان يمد بها خلايا أخرى بالمدينة. إلى أن تحقق الاستقلال. توفي يوم 26 أكتوبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال.*

**الـزاگ**، مدينة تقع على بعد 120 كلم إلى الجنوب الشرقي من مدينة گلميم. وقد كان عدد سكانها في إحصاء 1982 : 1357 نسمة، وبلغ في إحصاء 1994 : 2.759 نسمة بوتيرة تصاعدية عالية جدا، رغم الوضع الصحراوي المتوغل في القحولة.

يوجد المركز في أقصى شمال غرب حمادة درعة الفاصلة بين التحدب الجبلي الكمبري للأطلس الصغير في الشمال، والدرع الجرانيتي قبل الكمبري للرقيبات في الجنوب. لا تتعدى التساقطات بالموقع 70 مم، كما تنزل الحرارة الدنيا إلى 3° وترتفع العليا إلى 45° مائوية.

يعتمد الاقتصاد المحلي تقليديا على الرعي، وبصفة متزايدة على التجارة، خاصة خلال العقود الثلاثة الأخيرة، الأمر الذي مكن من موازنة الهجرة التي عرفتها المدينة باستمرار قبل هذه الفترة.

إن ظروف المناخ الصحراوي الجاف الذي يميز المنطقة، وكذلك الأوضاع الحدودية الراهنة والنقص في التجهيزات الأساسية لم تمكن من تطوير الأنشطة الاقتصادية القارة. وبقيت التجارة في المواد التي يتم ترويجها لفائدة الثكنات العسكرية من أهم الأنشطة التي يعتمد عليها سكان هذه المدينة.

موحا حدوش

ابن **زاكور**، أسرة فاسية عريقة، انتقل بعض أفرادها إلى تطوان. وقد اطلع مؤلف *إزالة الالتباس* على ظهر نسخة من شرح الشيخ محمد بن قاسم ابن زاكور لكتاب *المقصور والممدود* لابن مالك انتسخت عام ستة وثلاثين ومائة وألف (أي بعد وفاة المؤلف بقليل بخط قديم يظنه لبعض العلماء) : عبارة "شرح العلامة ابن زاكور المصلاسي" ومصلاسة ببلاد الريف. وكان لآل ابن زاكور بفاس، علاوة على العلم والأدب، خطط شرعية كالشهادة والحسبة.قال : وعرصة أولاد ابن زاكور توجد بالكدان مازالت شهيرة بهم.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 1 : 232.

ابن **زاكور، أحمد** بن محمد بن قاسم الفاسي، ابن المؤلف الكبير محمد بن قاسم آتي الترجمة. قال عنه صاحب *إتحاف المطالع* : "كان فقيهاً واعظاً مطلعاً شاعراً" ووصفه صاحب *تذكرة المحسنين* "بالفقيه العدل الواعظ الفصيح القارئ المجيد" لم نطلع على شيء من نثره أو شعره.

توفي ليلة الأحد ثاني عشر ربيع الثاني عام 1176 / 10 نونبر 1761 ودفن بالقباب خارج باب الفتوح.

ع. الكبير الفاسي، *تذكرة المحسنين* ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 : 2378. ؛ *إزالة الالتباس*، مرقون، 1 : 232.

ابن **زاكور، عبد الكريم** بن عبد السلام الفاسي أصلا التطواني دارا، الفقيه الأديب الكاتب الموسيقي الرئيس الزجال الفاضل. لعله ولد بفاس من أسرة بني زاكور التي منها من ينتسبون إلى الجزائر، وتلقى تعليمه بفاس وعمل في ديوان المخزن كاتبا على عهد السلطان محمد بن عبد الله، ثم ولى عمالة مدينة العرائش، ولما عزل السلطان المذكور القائد الحاج محمد لوقش وفد عليه أهل تطوان متنصلين من قائدهم المذكور وولى عليهم بدله المترجم له عام 1171 / 1757 ، لكونه حضريا مثلهم على حد تعبير اكنسوس، فلبث فيهم إلى عام 1179 / 1765 حيث نكبه السلطان بالسجن واستصفى أمواله، ولعله ذهب ضحية غلط أو دسيسة لأنه كان جميل الأخلاق حسن المعاملة يحب أهل الخير والدين، يعمر أوقاته بنظم الموشحات والأزجال في المديح النبوي والصالحين والأولياء، لم تعرف له صبوة، ولا سجلت عليه نبوة، لم يقل فيه أهل تطوان كلمة سوء بل أجمعوا على مدحه وفضله، ومما بقي من آثاره الزاوية العباسية التي بناها المترجم له بساحة الوسعة باسم الشيخ أبي العباس السبتي، وفوق بابها كتبت أبيات بخط بديع بالزليج من نظم بانيها المذكور، وقد كانت أيامه بتطوان كما قال في وصفها سكيرج المؤرخ أيام هناء وسرور، وفرح وحبور، وشمل بالأحباب مجموع، وانشراح موصول غير مقطوع. وقال الأستاذ داود في وصف المترجم : كان هذا الرجل الحاكم الأديب مولعا بالموسيقى، ويرحم الله زمانا كانت فيه تطوان ممتازة بين مدن المغرب بإجادة أهلها رجالا ونساء للموسيقى الأندلسية التي كانت من أعز ما حمله المهاجرون معهم من غرناطة وطنهم الأول إلى تطوان وطنهم الثاني، فكانوا يتقنون فيها ويبدعون، ويتفننون فلا يملون، وبساتين تطوان وأنهارها ونزهها ومجالسها ومرح أهلها كل ذلك كان مضرب الأمثال ولكنه صار في خبر كان. ومما يسجل هنا قول النقيب ابن زيدان في كتابه *النهضة العلمية* إن السلطان محمد بن عبد الله كان يحيي ليلة المولد بجامع السنة بالرباط وكان إنشاد الأمداح النبوية فيه مناوبة بين أهل فاس وأهل تطوان، ومثل هذا قاله الضعيف في تاريخه.

للمترجم له *ديوان مدائح* ضخم يقع في ثلاثة مجلدات يوجد أحدها بالخزانة الداودية والآخران من نفس النسخة بالخزانة الحسنية، وقد اشتملت على مآت الأزجال والموشحات والأنظام في بعضها جودة وبراعة ومعظمها في المديح النبوي وفيها مدائح في بعض الصالحين كالشيخ عبد السلام بن مشيش والمعطي بن صالح الشرقي وكتابه الذخيرة ولا يعرف تاريخ وفاته ولا مكانها، وأغلب الظن أنه توفي بتطوان في نهاية المائة الثانية عشرة، والله أعلم.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 93 ـ 95 ـ 96 ـ 100 ـ 101. ط. تطوان ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، تنسيق محمد حجي، 7 : 2434 ، ط. دار الغرب.

محمد بوخبزة

ابن **زاكور محمد** بن **قاسم** بن محمد بن عبد الواحد ابن أحمد الفاسي، عالم متمكن في العلوم الشرعية، بحاثة شهير، وأديب لامع، ورحّالة كبير.

ولد بفاس أواسط القرن الحادي عشر (17 م)، وقرأ على أكابر أعلامها، أمثال عبد القادر الفاسي، ومحمد المهدي الفاسي، وأحمد بن الحاج، والقاضي بردلّة، ومحمد القسنطيني، والحسن اليوسي، وعبد السلام القادري.

توجّه ابن زاكور إلى تطوان حيث أخذ عن الحاج علي بركة، ثم إلى الجزائر فأخذ عن مفتيها محمد بن سعيد المعروف بقدُّورة.

وكان ابن زاكور متضلعا في البلاغة واللغة والعروض والقوافي، تضلّعه في الفقه والحديث والتاريخ، يحفظ عن ظهر قلب عدداً من الأمهات، *كمختصر خليل*، *والكافية*، *والتسهيل* لابن مالك، *وكافية* ابن الحاجب.

وترك عدداً ضخماً من المؤلفات القيمة الدالة على موهبته الحق. ويمكن تصنيفها كما يلي :

1 ـ تراجم وتاريخ :

أ ـ *الاستشفاء من الألم بذكر أثر صاحب العلم*، في نسب الولي الصالح المولى عبد السلام بن مشيش.

ب ـ *فهرست*، تحتوي على تراجم علماء تطوان والجزائر الذين أجازوه سمّاها : نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضاء الأكابر والأعيان.

جـ ـ *المعرب المبين عما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين*

2 ـ حديث وأصول :

أ ـ *الحلة السيراء في حديث البراء*

ب ـ نظم ورقات إمام الحرمين بعنوان : *معراج الوصول إلى سماوات الأصول*

3 ـ طبّ :

أ ـ *الدرة المكنوزة في تذييل الأرجوزة*، وهي كما يدل عليها اسمها ذيل لأرجوزة الرئيس ابن سيناء الطبية.

4 ـ توقيت :

أ ـ *الروضة الجنيّة في ضبط السنة الشمسية*، وهي أرجوزة على نمط المقنع للمرغيثي.

5 ـ أدب وقواعد اللغة :

أ ـ *الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض*، وهو ديوانه،

ب ـ *الحسام المسلول في قصر المفعول على الفاعل والفاعل على المفعول*،

جـ ـ *أنفع المسائل في أبلغ الخطب وأبدع الرسائل*، وهو مجموع رسائل وخطب،

د ـ شرح حماسة أبي تمام، سماه : *عنوان النفاسة في شرح الحماسة*،

هـ ـ شرح قلائد العقيان بعنوان : *مقباس الفوائد في شرح ما خفي من القلائد*،

و ـ شرح المقصور والممدود لابن مالك، بعنوان : *الجود بالموجود*،

ز ـ شرح لامية العرب للشنفرى، بعنوان : *تفريج الكرب في شرح لامية العرب*،

حـ ـ شرح الخزرجية في العروض والقوافي، بعنوان : *النفحات الأرجية والنسمات البنفسجية بنشر ماراق من قصيد الخزرجية*،

ط ـ شرح بديعية صفي الدين الحلّي، بعنوان : *الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع*.

تدلّ هذه القائمة، ولو أنها غير تامة، على أن ابن زاكور كان أديباً أكثر منه مؤرخاً وفقيهاً ؛ وعلى أنه شاعر وشارح ناقد أدبي قبل كل شيء.

وبصفته شاعراً، عالج ابن زاكور جميع الموضوعات الشعرية، ونظم قصائد رائعة في العزل، والخمر، والوصف، والمدح ؛ كما أن له موشحات رائقة لطيفة، وقلّد في موشحين كلاً من ابن سهل الاسرائيلي في ليل الهوى يقظان، وصفي الدين الحلي في شق حبيب الليل عن نحر الصباح، وهما في غاية الحسن والابداع.

وبصفته ناثراً، فقد برهن ابن زاكور في جميع شروحه، سواء منها المتعلقة بالشعر والأدب، أو بالنحو والبلاغة، أو بالعروض والقوافي، عن حساسة نقدية مرهفة، وذوق سليم، ومعرفة واسعة. أما النقد ذاته، فالغرض الأساسي منه ـ يقول ابن زاكور ـ هو البحث عن الحقيقة، وعدم التحامل على الغير ما أمكن، والاعتماد فقط على القواعد وشهادة كبار شيوخ الأدب.

ولا تقل سلاسة النثر وعذوبته عند ابن زاكور فيما عدا النقد، كما نشاهد ذلك في وصفه لمنتزهات كيتان بضواحي تطوان فنثره المسجّع جذاب بثروته اللغوية، وصفاء ديباجته، وحسن صوره الموحية.

وبالجملة، فابن زاكور من أكبر رجال الأدب، وصاحب مدرسة تنتمي إلى الحسن اليوسي وتمتد بواسطته إلى محمد بن الطيب العلمي، وهي مفخرة الأدب المغربي.

توفي ابن زاكور بفاس يوم العشرين من محرم الحرام عام 1120 / 11 أبريل 1708، ودفن خارج باب عجيسة.


م. ابن تاويت، وعفيفي، *الأدب المغربي*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الألى، ماي1960 ص 346 ـ 354 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *المنزع اللطيف في التلميح بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ج ص 595، 330 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960، الجزء الأول، ص. 163 و182 و261 ؛ الجزء الثاني، ص. 387 و401 و438 و441 و483 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية*، 1075ـ 1311 / 1664ـ 1894، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1977، ص. 161 ـ 171 ؛ محمد بن عبد السلام، بناني، *فهرست*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 9225، غير تامة ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، ذكرها صاحب فهرس الفهارس، الجزء الأول، ص. 185 ـ 190 ؛ م. داوود، *مختصر تاريخ تطوان*، مطبعة المهدية، تطوان، 1375 ـ 1955، ب) تاريخ تطوان، الجزء الأول، ص 283 ـ 284 ، تطوان1379 ـ1959، ص. 416 ـ423 ؛ م. السائح، *المنتخبات العبقرية لطلاب المدارس الثانوية*، الرباط، المطبعة الرسمية، 1920، ص. 59 ـ 60 ؛ م. الكانوني، *تاريخ الطب العربي في عصور دول المغرب الأقصى*، مخطوط خزانة عبد السلام ابن سودة، ص.87 ؛ عبد الحي، الكتاني، *فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*، فاس، المطبعة الجديدة، الجزء الأول، 1346 ـ 1927، ص.130 ـ 131 ؛ محمد بن جعفر، الكتاني، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، المطبعة الحجرية، فاس،1316 ـ1898، الجزء الثالث، ص. 179 ؛ عبد الله، گنون، *النبوغ المغربي في الأدب العربي*، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1961، الجزء الأول، ص. 313، الجزء الثالث، ص. 82 ـ83 و131 ـ 133 ـ 231 و291 و305 و312 ؛ *ذكريات مشاهير رجال المغرب*، رقم 13؛ أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، مطبعة أندري، فاس، 1343 ـ1924، ص. 74.

C. Brockelmann, *Geschichte der Arabischen Litteratur*, Weimar, Berlin, tome I, 1943, nlle éd. Leiden,

p. 26 ; *Suppléments*, I, p. 54, 545, Leiden, 1937 ; M. El Fasi, *La littérature marocaine. Maroc, L'Encyclopédie coloniale et maritime*, Paris, 1948, p. 535, A et B ; M. Lakhdar, *La vie littéraire au Maroc sous la dynastie 'alawide (1075 - 1311 / 1664 - 1894)*, Rabat, 1971, pp. 126 - 133 et passim ; E. Levi-Provençal, *Les historiens des chorfa. Essai sur la littérature historique et biographique au Maroc du XVIe au XXe siècle*, Paris, 1922, pp. 287 - 290, ainsi que les références citées.

محمد الأخضر

**زاكورة**، مدينة تعتبر القلب النابض لواحات درعة التاريخية. وبحكم موقعها الجغرافي بالقرب من أكبر الواحات المغربية (ترناتة) التي تفوق 6.000 هـ، وكذلك تموقعها في ملتقى طرق القوافل الرابطة بين الجنوب والشمال حيث ازدهرت تجارة مهمة عبر التاريخ بل وكذلك بين الشرق والغرب في التبادل الحضاري بين القبائل منذ العصور الأولى.

يبلغ عدد سكان مدينة زاكورة 26.174 نسمة في 1994، مسجلا بذلك 3،11٪ كوثيرة للنمو الديمغرافي مقارنة مع 1982، ويمثل فيها الفلاحون نسبة 37٪ من مجموع الأسر خاصة في الدوائر السقوية المجاورة للمدينة حيث يكتظ فيها السكان بكثافة عالية جدا (28 نسمة / هكتار).

ويرجع هذا النمو أساسا إلى النمو الحضاري في المنطقة بسبب تفتح المنطقة على العالم الخارجي من جهة وصعوبة الاستثمار بالعالم القروي من جهة أخرى، بينما يعزى التطور الفلاحي إلى تزايد متطلبات السوق المتأثرة بعامل التمدن.

تتميز المدينة بمناخ صحراوي جاف حيث لا تزيد التساقطات المطرية على 75 ملم بينما ترتفع الحرارة في الصيف إلى أكثر من 45 درجة.

تمتد الأراضي الفلاحية على مساحة 13.200 هـ من مجموع منطقة نفوذ الدائرة الحضرية. وتتمثل هذه المساحة في 10.000 هـ من المراعي، 1.200 هـ من الأراضي الفلاحية و2.000 هـ من الأراضي الصالحة للزراعة.

وتأتي زراعة الحبوب والنخيل والخضروات في صدارة الأنشطة الفلاحية وذلك إضافة إلى بعض المنتجات الحيوانية كالبقر والغنم والمعز والإبل.

وتتميز كذلك الحياة الاقتصادية والاجتماعية بهذه المدينة بتطور سريع للقطاع السياحي خاصة خلال العقدين الأخيرين حيث امتدت الطاقة الإيوائية على أكثر من 2.000 سرير في 10 فنادق مصنفة. وكان لهذا النمو السياحي أثر إيجابي على تطور قطاع الصناعة التقليدية والخدمات بصفة عامة.

موحا حدوش

**الـزاكوري،** أو أزاكوري اسم لعائلة يهودية مغربية تنحدر من زاكورة وهي مدينة كان عدد كبير من اليهود يقيمون بها لعدة قرون (قصر بني صبيح، قصر ابن حيون، الخ) ونفس الشيء بالنسبة لمناطق أخرى مثل واد درعة (ومنه ينحدر اللقب الشائع درعي).

**الـزاكوري، أبراهام** عمل قاضياً وأنهى حياته العملية بالمحكمة العليا متخصصا في القانون الموسوي وهو صاحب المؤلفات التالية :

"الطلاق حسب القانون التلمودي عند المغاربة ذوي الاعتقاد اليهودي والتعديلات الطارئة في هذه المادة".

"نظرة عامة حول تطبيق القانون الموساوي في الأحوال الخاصة للمغاربة اليهود".

*ملخص القانون العبري العام* (الأحوال الشخصية لليهود).

**الـزاكوري، يحيى** ينحدر من أسرة يهودية عريقة بالدار البيضاء، والده نسيم كان من الأعيان الذين ساهموا في تسيير الجماعة اليهودية للدار البيضاء في القرن الثالث عشر (19 م).

اشتغل في سنة 1907 مترجما بالقنصلية الفرنسية وبقي موظفا وعاملا بالإدارة الفرنسية التي ستكلفه بوظيفة مفتش للمؤسسات اليهودية بالمغرب. وهذا لم يمنعه من العمل كرئيس لأكبر جماعة يهودية وهي الجماعة اليهودية بالدار البيضاء لمدة تزيد عن خمسين سنة إلى أن حصل المغرب على الاستقلال. وعمل من خلال منصبه هذا على تطوير المؤسسات الاجتماعية أما على الصعيد السياسي فقد عمل على بقاء الأقلية اليهودية بعيدة عن الصراع الدائر من أجل الاستقلال.

**ابن زاكين، ليون** من مواليد غشت 1901 بالدار البيضاء والده إسحاق بن زاكين ووالدته استير المالح. درس الطب بباريس حيث تألق كطبيب داخلي، وكان بذلك أول مغربي يحصل على هذا اللقب متخصص في أمراض الجهاز التنفسي وخاصة في السل وعمل في هذا التخصص كمساعد بمستشفى لينك Laênncc وبمصحة ليون بورجوا Léon Bourgeois.

وفي سنة 1938 استقر بمدينة الدار البيضاء لممارسة الطب إلا أن إدارة مستشفى كولمباني Colombani قامت بإسناد جناح الأمراض الصدرية إلى طبيب فرنسي داخلي من باريس مثله ولم تستندها إليه فاشتغل بجناح السل عند النساء بمستشفى عين الشق وبمصحة أورتايب Orthlieb قرب مستشفى كولمباني بالإضافة إلى عمله في مصحة - ملحق الاغاثة للأطفال Oeuvre de secours aux enfants".

كان ابن زاكين رجلا نزيها يتميز بثقافة عالية، ويعد من أبرز الأطباء اذاك وتميز كذلك بحس وطني إلا أنه كان كبقية البرجوازية اليهودية في تلك الفترة يتأرجح بين الوطنية والنفود الفرنسي.

في الخمسينيات قام بتأسيس جمعية تجمع الأطباء والصيادلة وأطباء أسنان مغاربة وذلك لكون عددهم القليل لا يسمح لهم بتكوين جمعيات في تخصصهم، وقد قامت هاته الجمعية بالتعبير عن ولائها وحبها ودعمها للملك محمد الخامس عندما أصبح هذا الأخير يتعرض للمؤمرات الاستعمارية وذلك بقيامها بزيارته.

وفي سنة 1956 بعد رجوع محمد الخامس إلى عرش أجداده وإعلان الاستقلال قام بتعيين مبارك البكاري رئيسا لمجلس الوزراء باختيار وزير يهودي. بعد تحري ومشاورات تم اختيار الطبيب ابن زاكين وزيرا للبريد والمواصلات، فكان أول وزير يُصدر طابعا بريديا عليه صورة الملك المغفور له محمد الخامس بالإضافة إلى إصداره عدة رسائل ودوريات ومعاملات إدارية لإرسال البعثات التي تحمل الأدوية والمواد البيولوجية.

كان رئيساً للجماعة اليهودية بمدينة الدار البيضاء من الستينيات إلى أن توفي في سنة 1977 بالدار البيضاء، حيث دفن بها وتم تشييعه في وسط حشد هام من رجالات الدولة مع ممثل عن الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، وهو المشتشار أحمد بن سودة الذي ألقى كلمة بالمناسبة.

شمعون ليڤي

**زالغ** أو زلاغ (جبل -) يشرف على مدينة فاس من الشمال. وتغطي سفوحه مغارس الزيتون العتيقة خصوصا الشمالية. عبارة عن عرف عرضي. امتداده شـ ش شـ/غ ج غ، على مدى يفوق 3 كلم. تتراوح ارتفاعاته ما بين 864 م في الشرق و900 م في أقصى غربه، حيث تصبح قمته حادة، تتوجها أجراف عمودية، يشرف بها على الأحياء الشمالية لمدينة فاس العتيقة، على بعد35 كلم. وذلك شرق المجرى الأوسط لنهر سبو، قبل اقترانه شمالا بواد إيناون.

بنيويا، يشكل عرف زلاغ، قشرة كلس - ضولوميتية جوراسية، صلدة. وحيدة الميل نحو الشمال (Suter., 1967). تبدو على شكل ضلع منعزل وسط بنية فرشة مقدمة الريف الزاحفة، وهو بذلك يجسد الحد الجنوبي لتلال فرشة مقدمة الريف الصلصالية الهشة، عند النهاية الشرقية لهضاب إقليم سايس فاس - مكناس البليورباعية، المسلح سطحها بالكلس البحيري للبليوسين الأعلى.

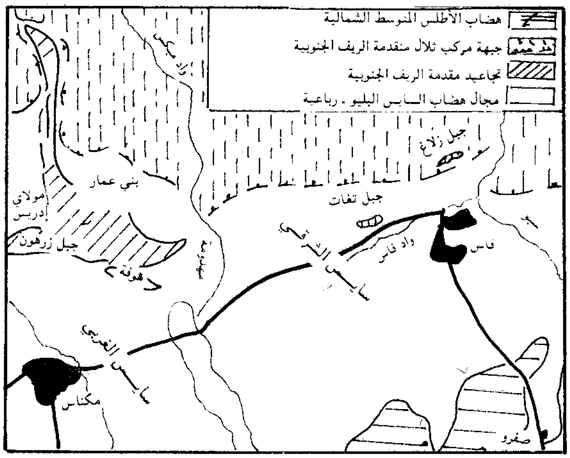


الموقع المرفو بنيوي لجبل زلاغ شمال فاس

ارتبط تطور هذا الجبل، بالزحف الجاذبي (Vidal., 1977) لمركب فرشة مقدمة الريف الجنوبية الميوسينية، الذي ردم الأخدود الجنوب - ريفي التهدلي خلال الميوسين الأوسط والأعلى (Michard, 1976). لذلك فإن بنيته ليست راسخة. لكونه تتكون من صخور ضولوميتية - كلسية جوراسية سميكة، تنتمي للياس الأسفل والأوسط (Fassi D., 1999). تم نقلها وهي طافية، ضمن مكونات الفرشة الصلصالية الميوسينية والزاحفة من الشمال نحو الجنوب، مكونا بذلك الحاشية الجنوبية لمقعر شاخص، ضمن مقدمة الريف الخارجية، جنوب نهر سبو.


D. Fassi, *Les formations superficielles du Sais de Fès et de Meknès : du temps géologique à l'utilisation actuelle des sols. Notes et Mém.*, Rabat, 1999 ; A. Michard, *Elément de géologie marocaine*, Rabat, 1976 ; M. Tailassane, *Le massif du Zerhoun et ses bordures Est et Nord-Est au Nord du Sais Fès et Meknès. Etude géomorphologique*. Thèse 3è cycle. Univ. Med. V, Rabat, 397 p., 80 fig., 53 tab., 38 phot., 9 cartes, 1986 ; J.C. Vidal, *Structure actuelle et évolution depuis le miocène de la chaîne rifaine (Partis sud de l'Arc de Gibraltar). Bull. Soc. Géol. Fr.*, Paris (7), t. XIX, n° 4, 1977.


محمد الطيلسان

**الزاهر، لمعلم الحداد علي** مقاوم ولد حوالي سنة 1900 بافناسة ظهر السوق إقليم تاونات. وشارك في الكفاح المسلح ضمن وحدة من وحدات جيش التحرير تحت قيادة حمادي اغمير، وكان يقوم بالتجسس لصالح جيش التحرير ويقوم بتضليل فيالق اللفيف الأجنبي ويوقع بهم في كمائن المجاهدين فيسهل بذلك مهمة الانقضاض عليهم، كما كان يساعد بالملابس والمواد الغذائية والرصاص وشارك كذلك في اتلاف القناطر والأعمدة الهاتفية والهجوم

على ملحقة بني وليد، وألقي عليه القبض بعد أن أوشي به وعندما رفض أن يدل العدو على مراكز جيش التحرير، تعرض لعذاب شديد من طرف السلطات الفرنسية وقطعت رجلاه.

استشهد رحمه الله تحت التعذيب يوم 15 دجنبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**الزاوية**، مكان معد للعبادة وإيواء الواردين وأبناء السبيل وإطعامهم، وتسمى في الشرق "خانقاة" جمعُها خوانق. فهي شبه مسجد خاص، وعرَّفت *دائرة المعارف الإسلامية* الزاوية المغربية بأنها "مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة ... تشبه الدير في العصور الوسطى". ولم تظهر الزاوية في المغرب إلا بعد القرن الخامس (11 م) حلّت محل الرباط وسميت في البداية "دار الكرامة"، كالتي بناها يعقوب المنصور الموحدي في مراكش كما سميت "دار الضيوف".

تكاثرت الزوايا بالمغرب في القرن السابع (13 م) وفي القرون التالية بتكاثر عدد الزهاد والصالحين، كما يتجلى ذلك عند ابن الزيات (ت. 617) في *التشوف*، وعبد الحق البادسي (ت. 722) في *المقصد الشريف*، ومحمد الحضرمي السبتي (ت. 787) في *السلسل العذب*، وأحمد ابن قنفذ القسنطيني، (ت. 810) في *أنس الفقير*، ومن أقدمها زوايا أبي محمد صالح الماجري (ت. 631) الذي كان يحض مريده على حج بيت الله الحرام، بعد أن تقاعس المغاربة والأندلسيون عن الحج بسبب اختلال الأمن في الطريق، وبلغ عدد زواياه ستاً وأربعين فيما بين المغرب ومصر. وكانت تُدعى أيضاً رُبُطاً، وبقي اسم الرباط غالباً على زاويته الأصلية بأسفي حتى اليوم. وهذا يدل على أن الرباط أصل للزاوية، فكلاهما معدّ للعبادة، لكن مع الإقامة للجهاد في الرباط، والإيواء والإطعام في الزاوية.

وعُرف السلطان أبو عنان المريني (749 ـ 760 / 1348 ـ 1358) بالعناية بالزوايا تشييداً وتجهيزاً وارزاقاً حتى قال كاتبه محمد ابن جزي "أمر السلطان أبو عنان بعمارة الزوايا بجميع بلاده لإطعام الطعام للوارد والصادر، وقد جعل التصدق على المساكين بالطعام يومياً رحمه الله". ومن منشآته الزاوية العظمى التي أسسها على غدير الحمص (وادي الجواهر) خارج المدينة البيضاء (فاس الجديد)، وقال عنها ابن بطوطة في *الرحلة* : إنها أعظم زاوية شهدها في المغرب والمشرق، ولا يوجد اليوم في هذا الموقع إلاّ بقايا أسوار يُظن أنها أطلال تلك الزاوية العظمى ؛ والزاوية الكبرى بسبتة خارج باب فاس أحد أبواب أفراك، قال عنها صاحب *اختصار الأخبار* : "أعدّها هناك للغرباء ولمن اضطر إلى المبيت بها من التجار وغيرهم، ملوكية البناء كثيرة الزخرفة والتنسيق، متسعة الساحة، متعددة المساكن، وصومعتها من أبدع الصوامع بسبتة صنعةً وأتمها إحكاماً" ؛ وزاوية النساك خارج باب فاس بمدينة سلا التي قال عنها ابن الخطيب في *مقامات البلدان* : "والزاوية كأنها البستان" وكانت إذاك مجتمع أهل الخير والصلاح من الأولياء، فكان ابن الخطيب يتحنث فيها الليالي ذوات العدد ويقصده الزوار من الأدباء والعلماء المترددين بين سلا وفاس، ووصف ابن الخطيب زاوية النساك عن مشاهدة في *الإحاطة* قائلاً : "لها بيوت كثيرة وقبة للصلاة ويجري إليها الماء الجاري من سور الأقواس. ولها بابان، أحدهما مواجه لسلا، والآخر لشالة وهو المقابل لضريح أبي العباس" وهي اليوم خراب لكن بقايا المرافق التي ذكرها ابن الخطيب مازالت قائمة، وسواقي المياه في الصحن مزخرفة بالزليج الملون المعروف في العهد المريني.

وهناك زوايا قديمة في الحواضر والبوادي اندثر أكثرها وبقيت آثار بعضها قائمة على حالها أو رُمت، مثل زاوية أبي محمد صالح بأسفي وزاوية الشيخ الكامل مَحمد ابن عيسى بمكناس، وزاوية الدلاء بالأطلس الكبير، والزاوية الناصرية في تامگروت بدرعة، والزاوية الوزانية بوزان. وأشهر الزوايا الحديثة الزاوية التجانية بفاس، والزاوية الدرقاوية في بوبريح من بلاد بني زروال الجبلية، وفروعهما الكثيرة في مختلف أرجاء المغرب، فضلاً عن الزوايا المعاصرة، مثل الزاوية الكتانية بفاس والزاوية القادرية البودشيشية في تاغجيرت ببني إزناسن وفروعهما في الأقاليم.

ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، تح. سعيد أعراب، الرباط، 1982 ؛ م. الحضرمي، *السلسل العذب*، تح. م. النجار، سلا، 1988 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، تح. م. الفاسي وأ. فور، الرباط، 1965 ؛ م. الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1983 ؛ إ. ابن الحاج النميري، *فيض العباب*، تح. م. ابن شقرون، د. ت. ولا مكان الطبع ؛ م. ابن بطوطة، *تحفة النظار*، القاهرة، 1287 ؛ م. ابن مرزوق الخطيب، *المسند الصحيح الحسن*، تح. م. خ فيغيرا، الجزائر، 1981 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1973 ؛ ع. الكبير الكتاني، *روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية*، مخطوط ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تعليق مصطفى بوشعراء، ط 2، الرباط، 1996 ؛ ج. الناصري، *ابن الخطيب في سلا*، سلا، 1988؛ *دائرة المعارف الإسلامية*، تر. أ. الشنتواني وآخرين، القاهرة، 1933 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1988.

محمد حجي

**زاوية سبتة** أنشأها السلطان المريني أبو عنان (748 ـ 758 / 1348 ـ 1358). وقد تم تشييدها في إطار برنامج رسمي تضمن إنشاء سلسلة من الزوايا في عدد من مدن

المغرب آنذاك. بنيت هذه الزاوية خارج باب فاس أحد أبواب أفراگ ( *المعلمة*، 2 : 547 ) وقد أنشئت بغرض إطعام المارة من المسافرين وضمان المبيت للتجار ولغيرهم من الغرباء الذين يتعذر عليهم ولوج المدينة حينما تغلق أبوابها عقب مغيب الشمس.

لم تكن تختلف هذه الزاوية من حيث الهندسة المعمارية وجمال الصنعة عن باقي الزوايا التي شيدها نفس السلطان في عدد من مدن المغرب وراء أسوار الحواضر. يحدثنا الأنصاري على أنها كانت مليحة البناء كثيرة الزخرفة والتنميق قائمة على مساحة واسعة وبها مساكن متعددة منها قاعة للصلاة وغرف للمبيت. وقد تميزت هذه الزاوية بصومعتها التي اعتبرت من أبدع الصوامع في سبتة من حيث جمال الصنعة والدقة في البناء. والملاحظ أنه إلى حدود زمن كتابة الأنصاري لمؤلفه أو بالأحرى حدود سنة 818 / 1415 تاريخ الاحتلال البرتغالي للمدينة لم تكن بناية هذه الصومعة قد خلصت بعد ( *اختصار*، 32 ).

م. الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، ط. الثانية، الرباط، 1403 / 1983 ؛ *معلمة المغرب*، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1410 / 1989 ، المجلد الثاني.

زليخة بنرمضان

**زاوية الشيخ** (مركز)، يدخل المجال التضاريسي الذي يمتد فوقه مركز زاوية الشيخ، في النهاية الشمالية الشرقية لحوض تادلا البليورباعي، المعروف بسهل تادلا. وتتميز الجماعة التي ينتمي إليها هذا المركز بالخاصيات التالية :

1 ـ سطح شبه منبسط وخفيف الانحدار في الوسط، وشديد التضرس عند الأطراف الشمالية والجنوبية.

2 ـ موقعها عند التقاء وحدات مورفوبنيوية مختلفة.

ـ الأطلس المتوسط الذي يشرف من الجنوب بأعراف ذات قمم منحوتة في صخور كلسية لياسية أساسا.

ـ هضبة الفوسفاط التي تمتد في الشمال، كلسية كريتاسية، تعطي سطوح متدرجة نحو الجنوب وشديدة التقطع.

ـ المنخفض الجنوبي الشرقي للهضبة الوسطى في الشرق والشمال الشرقي، حيث نجد تدرج حادورات مشكلة في صخور القاعدة القديمة.

ويسود بالمنطقة مناخ شبه جاف ذو شتاء بارد نسبيا، ارتباطا بالحرارات المرتفعة والتي تزيد معدلاتها عن 40 درجة، وكمية التساقطات لا تتعدى بها 500 ملم.

ويحد مجال انتماء منطقة زاوية الشيخ : من الشمال كهف النسور الذي يدخل ضمن إقليم اخريبگة، ومن الشرق زاوية إسحاق التابعة لإقليم خنيفرة، ومن الغرب سمگت ومن الجنوب والجنوب الشرقي القصيبة وتيزي نيسلي.

يرجع الأصل في التسمية بزاوية الشيخ، نسبة إلى الشيخ أحمد بناصر التامگروتي، الذي يوجد ضريحه بحي الزاوية القديمة، ويرجع الفضل لهذا الشيخ في تأسيس فرع الزاوية الناصيرية بهذه المنطقة. وامتد نفوذ الزاوية وإشعاعها خلال قرون متتالية على كل بلاد تادلا والأطلس المتوسط ومنطقة ورديغة. وكان يقصدها حفظة القرآن والتعاليم الدينية والشرعية من كل ناحية وصوب.

ويقع المركز الحضري لزاوية الشيخ عند التقاء النقطة الكيلومترية (ط. 418 كلم ـ ع. 224 كلم) على الطريق الرئيسية رقم 24 الرابطة بين فاس ومراكش ويبعد عن عاصمة تادلا (بني ملال) بحوالي 50 كلم في اتجاه بلاد زيان.

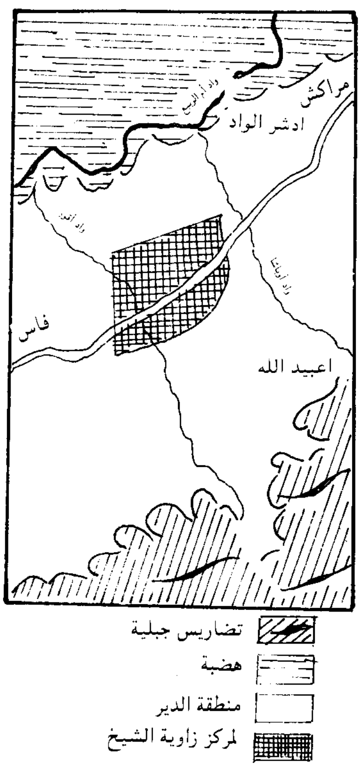


ويعرف سكان المركز بانتمائهم لقبائل "أيت أم البخت"، المتفرعة عن اتحادية أيت أسري، هؤلاء السكان استوطنوا المنطقة من زمن بعيد، منحدرين إليها من جنوب المغرب. واستقر أيضا بهذه الزاوية إلى جانب الشيخ أحمد بناصر، عدة أولياء، من بينهم خلفاء الزاوية الدلائية عبد الرحمن بوزيان.

لقد شجع المولى إسماعيل ظهور هذه الزاوية، للحد من نفوذ الزاوية الشرقاوية. فأصبحت تنتمي إلى اتحادية أيت الربع التادلوية، وأنيطت بها مهمة مراقبة تحركات بعض القبائل المجاورة والمتمردة خاصة أيت ويرة وزيان. وأصبحت تكتسب بذلك تنظيما وخصوصية أقرب إلى الزوايا منه إلى المدن التقليدية. وعلى الرغم من وجود هذه المؤسسة

الوظيفية. فإن ذلك لم يمنع من وجود بعض الوظائف الأخرى المعروفة في مجالات مختلفة.

عرف المركز تمدينا ضعيفا خلال مرحلة ما قبل الحماية تجسد على مستويين :

1 ـ على مستوى المورفلوجيا :

ـ السور الذي يحيط بالزاوية وتوفر أبواب تغلق ليلا

ـ هناك دروب مستقلة بعضها عن بعض، واحتضانها في نفس الوقت للعديد من الأنشطة.

ـ تمحور تنظيم الزاوية على بيت أحد أحفاد الناصريين على عكس الكثير من المدن التقليدية، حيث كان التنظيم متمركزا حول المسجد الكبير.

2 ـ على المستوى الاجتماعي :

ـ هناك فصل بين أهل الزاوية والأسر النبيلة وخدم الزاوية.

ـ تتوفر الزاوية على نظام تعليمي هام، حيث كانت تحتضن العديد من الطلبة الذين يدعون "لْمسَافْرِينْ" وكانت هناك ملاحق في كل من أدشر الواد وأوعبيد الله.

ـ توفر نظام لحراسة الزاوية تقوم به الأسر بالتناوب.

كان النفوذ الديني خلال هذه الفترة حاضرا في زاوية الشيخ، ولو أنه كان يتوفر في بعض الاتجاهات، خاصة عندما يصطدم بقوى رادعة أو نفوذ زاوية منافسة (أبي الجعد). لكن على مستوى الاستقطاب، فمن المؤكد وجود ارتباط وثيق بينها وبين الزاوية الناصرية في الجنوب على المستوى الاقتصادي، حيث كانت الزاوية ترسل فائض إنتاجها إلى الزاوية الأم.

وبحكم الموقع الاستراتيجي للزاوية على الطريق الرئيسية الرابطة بين العاصمتين التاريخيتين فاس ومراكش، أخذت تستقبل بعض المهاجرين خلال فترة الحماية، فظهرت بها بعض الأحياء من أهمها حي المطالب. وتراجع خلال هذه الفترة نفوذ الزاوية الديني مع غياب لدورها الإداري.

وظهر تقسيم إداري جديد مع فترة الاستقلال، فأصبحت زاوية الشيخ تخضع لنفوذ العاصمة الإقليمية بني ملال وظهرت بسهل تادلا مراكز جديدة بالقطاع المسقي في الوقت الذي تحولت الأنظار عن هذا المركز القديم. وعلى الرغم من ذلك عرفت الزاوية توسعا ملحوظا، ارتبط بسنوات الجفاف التي عرفها المغرب ككل في بداية الثمانينات.

ارتفعت خلال هذه الفترة نسبة البناء من 25٪ سنة 1971 إلى 75٪ في سنة 1995. كا انتقل متوسط الغرف بالمسكن من 1,8 إلى 2,6. كما ازداد مستوى الارتباط بين متغيرتي حجم الأسرة وحجم المسكن من 0,22 سنة 1971 إلى 0,62 سنة 1990.

وتحسنت وضعية التجهيز بالكهرباء والماء الصالح للشرب داخل المركز، إذ نجد حوالي 95٪ من المساكن مزودة بماء الأنابيب، بعدما كانت منعدمة سنة 1971.

ويرجع تطور هذه النسبة إلى انخفاض كلفة التجهيز بالمركز، ارتباطا بعدم وجود الوكالة المستقلة للماء والكهرباء. لكن لا يعني هذا أن هناك تغطية شاملة لكل الأحياء.

ويلاحظ أن أحجام الأسر، لا تبتعد عن المعدلات الوطنية، إذ انتقل متوسط حجم الأسر بين 1971 و1990 من 4,2 إلى 5,2.

غير أن نسبة الأمية جد مرتفعة بهذا المركز، رغم الدور الديني الذي لعبه فترة تاريخية طويلة، ووصلت نسبتها مع بداية التسعينات حوالي 53٪.

وتوجد علاقة وطيدة بين المهن الممارسة من طرف السكان النشيطين وحجم سكان المركز.

لقد بلغ عدد سكان المركز سنة 1990 حوالي 17100 نسمة، بلغت نسبة العاملين منها في قطاع الوظيفة العمومية11,4٪ وهي نسبة منخفضة بالمقارنة مع المراكز المجاورة.

وعلى العموم فإن العاملين في قطاع الجندية والمياومين يشكلون نسبة تزيد عن 54٪ من مجموع النشيطين المشتغلين.

يرجع ضعف هاته الأنشطة وعدم قدرتها على تقديم ريع إضافي يساهم في سرعة تحول مجال المركز إلى أن فترة أواخر الثمانينيات شكلت أنشطة التجارة 51٪ داخل المركز من مجموع الأنشطة، تحتل فيها تجارة المواد الغذائية نسبة قد تصل إلى 70٪.

أما على مستوى التوزيع فمركز زاوية الشيخ لا زال لم يتعد مستوى المركز الوحيد والمتمثل في بويمجان. وبالتالي فإن نفوذ المركز يمتد على تراب دائرته. يعني أن مركز زاوية الشيخ يعد بمثابة مركز محلي النفوذ.

ويمكن للمركز أن يلعب دورا اقتصاديا طلائعيا في المستقبل بحكم احتضانه لسد أدشر الواد على واد أم الربيع، والذي سيزود قسما كبيرا من قطاع بني عمير بمياه الري.


م. ميوسي، *الجهاز الحضري بتادلا*، *مراكز قديمة في تحول*، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، 1990.

R. Peyronnet, *Tadla, pays Zaïan, Moyen Atlas*, Alger, 1932.


عبد الرحيم بنعلي

ابن **زايد**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Benecid ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان، مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت توجد دار بحومة الطرانكات تحمل اسم دار ابن زايد.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية الأجنبية التي ذكرها في الرقم 252.

محمد بن عزوز حكيم

**زايد أُوحماد**، مقاوم لمع اسمه ما بين 1934 و1936 في الناحية الوسطى للأطلس الكبير والواحات المجاورة لها. وذلك عبر مسافات شاسعة تمتد من أعالي نهر زيز وغريس وتدغة إلى واحات تافيلالت وتدغة وغريس وفركلة ودادس ودرعة بحيث لمع اسمه في هذه المناطق بسبب عملياته البطولية ضد جيوش الاحتلال التي أصيبت بالرعب والهلع لدرجة أن الذاكرة الشعبية نسبت إليه الخوارق.

يكنى "زايد أوحماد" بـ "اوماخداش" نسبة إلى عائلة "آيت ماخداش". وهو من مواليد إحدى السنوات الخمس الأخيرة من القرن الثالث عشر (19 م) وذلك بقصر "إقدمان" التابع لمركز "آيت هاني" على مقربة من منابع نهر زيز. وينتمي إلى قبيلة آيت مرغاد المنتمية إلى كونفدرالية قبائل آيت يافلمان". ويقال أن أمه عطاوية (آيت عطا) لهذا يلقب "ربيب آيت عطا" ولاشك أن هذا الانتساب مكنّه من ربط علاقات مع آيت عطا بتدغة السفلى استغلها في جهاده لاحقاً.

وقد كسب "زايد أوحماد" خصالاً حربية جيدة وقوة جسمانية خارقة وذلك بسبب تعاطيه في السنوات الأولى من شبابه للرعي والسير وراء الماشية عبر مسافات شاسعة بل بالإضافة إلى تعاطيه للصيد في براري وجبال المنطقة وشارك قبل دخول الجيوش الاستعمارية إلى المنطقة في مغامرات لقطع الطريق أمام المارة.

ومع دخول جيوش الأكلاوي إلى تدغة في أواخر 1918 بوصفه عميلا للاستعمار الفرنسي ؛ عرفت المنطقة حالة استنفار قصوى لمواجهة الأكلاوي الذي يمثل رأس جسر للاحتلال الفرنسي. وهكذا استنجد سكان تدغة بالمحاربين من "آيات مرغاد" وآيت حديدو" وذلك لتنظيم المقاومة ضد "الأكلاوي" وعملائه في المنطقة، وقد كان "زايد أوحماد" من المجاهدين الذين لبوا نداء المقاومة وشارك في توجيه ضربات للجيوش الاكلاوية، وفي تقليص نفوذ خليفته الذي لم يعد في حدود 1930 يتعدى أسوار القصبة، مما جعله يستغيث بالجيوش الفرنسية لاحتلال تدغة سنة 1931. كما شارك "زايد أوحماد" في عدد من المعارك ضد الجيوش الاستعمارية المغيرة ومن أهمها مشاركته إلى جانب البطل "زايد أوسكونتي" في المجابهة المسلحة ضد قافلة عسكرية إستعمارية يوم 25 أكتوبر 1932 "باقا نبوتفاريست" في أعالي نهر زيز وقتل على إثر هذه المعركة الضابط Guyétand "كايتون" بالإضافة إلى عدد كبير من الجنود الاستعماريين.

وعند قرب اندلاع المقاومة بجبل صاغرو خلال ربيع 1933 كان زايد أحماد على اتصال بأخ قائد المقاومة بصاغر والمدعو "باسو وبسلام" وأمده بالأسلحة التي غنمها في المعارك السابقة.

كما شارك في معارك كردوس إلى جانب "أوسكونتي" أوطرمون" "علي عرجي" في بداية صيف 1933 وجرح فيها بعدما فقد زوجته التي قتلت بفعل الغارات الجوية على المنطقة فرجع إلى مسقط رأسه "إقدمان" مكسور الخاطر. ومن باب منزله بقصر "إقدمان" المشرف على وادي أيت هاني" كان يترقب ويلاحظ بمرارة شديدة تحركات الجيوش الاستعمارية وهي تدوس بآلياتها وتجهيزاتها الحقول الضيقة التي تشكل المصدر الوحيد للعيش بالنسبة للفلاحين الفقراء. وفي هذه الأثناء كانت النساء يرددن أشعاراً تعبر عن هذه الانتكاسة ومن ذلك :

آييمصبرين أوراون إيشي النبي يادْ أمور إدى النبي تواريينس إمان ديمزورا نقيم إمگوراً إ بوبليس" د "بولا" وهو ما معناه :

- يا معشر المستسلمين لكم لم تعودوا تحت حماية النبي، لقد ذهب النبي وذهبت بركاته مع الأولين والأجداد وبقينا نحن في هذا الزمن الرديء المتأخر تحت رحمة بوبليس وبولا (المقصود هنا بـ بوبليس هو Dupleisseïs وبولا هو Paulin) وهما من أشد ضباط الشؤون الأهلية في المنطقة فتكا بالسكان.

وقد ساهمت هذه الوضعية في تأجيج الروح الوطنية في "زايد أوحماد" وما كاد يتماثل للشفاء حتى التحق بزاوية "سيدي بويعقوب" بأسول وذلك قصد الاستماع للفقهاء والمريدين لكسب شحنة معنوية. وقد احتضنت زاوية "أسول" جهاده وشجعته على المضي في خطته الجهادية.

وكان يردد من حين لآخر أنه ينبغي الاستمرار في الجهاد والمقاومة" وتم إخبار ضابط الشؤون الأهلية بأقواله ونواياه. وقد استغل هذا الأخير وجود "زايد أوحماد" في ورش لشق الطريق لإهانته وذلك بصفعه أمام الملأ وتمزيق ملابسه. إلا أن المقاوم كتم غيظه بضعة أيام، وإختفى عن الانظار بعدما طلب رخصة للتنقل والسفر نحو سهل الغرب قصد العمل. وقد التجأ إلى هذه الرخصة من أجل التمويه. ومنذ ذلك الحين دخل "زايد أوحماد" في مرحلة المقاومة على شكل "حرب للعصابات" ومباغتة الاستعمار في أماكن مختلفة. وامتدت من 1934 إلى 1936. ويبين الجدول الآتي أهم العمليات التي قام بها "زايد أوحماد" خلال هذه الحقبة :

- 11 / 6 /1934 : وضع كمين للملازم Gramaulh "كرماي" بأعالي نهر تدغة قرب "تامتتوشت" (مقتل جنديين من اللفيف الأجنبي)
- 26/6/1934 : سقوط الملازم فيليبون في كمين وضعه زايد أوحماد بتانا قرب أسول (مقتل الضابط فيليبون

Philippon وإحراق سيارة جيب وغنم زايد أوحماد سلاحه وذخيرته)

- 19 غشت 1934 : مهاجمة قافلة لفوج الاتصال بمضيق تدغة (دون نتائج) وترتب عن فشل العملية أن تم تنصيب كمين مماثل للمقاوم زايد أوحماد نجا منه بأعجوبة وذلك يوم 1934/8/30

- 1934/10/10 : عملية ضد شاحنة قرب وين إيوليون Ouïn Iwalioune بين الراشدية وگلميمة (مقتل السائق وفرار الركاب وهم مغاربة)

- 01 /12 /1934 : عملية بمضيق تدغة (مقتل جنديين استعماريين)

- 1935/01/27 : عملية بين أيت هاني وتنغير (مقتل ضابط الصف Tristani تريستاني)

- 01 /06 /1935 : عملية قرب مركز إميلشيل (مقتل الملازم فرومانتان Fromentin)

- 22 غشت 1935 : عملية بأيت هاني (مقتل عميل هو شيخ أيت الريبان)

- 9/ 10/ 1935 : مهاجمة موكب أحد الأغنياء قرب أسول لتموين المقاومة (السيطرة على ثروة تبلغ 120 دورو)

- 16 / 11 /1935 : مهاجمة سيارة أحد رجال الأعمال يدعى بوركوان (نجا ممثل شركة Cie Vaccum بأعجوبة)

- 16/ 11/ 1935 : عملية ضد الكوم السابع باغبالو تكردوس (مقتل 6 جنود وغنم الأسلحة)

- 30 / 12 /1935 : عملية ضد حانة بتنغير (مقتل 3 جنود من اللفيف وجرح اليهودي صاحب الحانة ومخزني مغربي)

- 05 / 03 /1936 : مهاجمة زايد أوحماد بتدغة (مقتل زايد أوحماد ورفاقه الثلاثة بالإضافة إلى مقتل 3 جنود فرنسيين)

وقد بلغت خسائر الجيش الاستعماري من جراء عمليات "زايد أوحماد" المختلفة حسب الملازم هنريس رئيس دائرة أسول ما يلي :

"2 ضباط 1 ضابط صف 5 جنود اللفيف الأجنبي 3 شيوخ 23 من المخازنية وهو ما مجموعة 34 قتيلا"

في حين يرى ذ. الكتاني سيدي محمد : "أن القوات الفرنسية خسرت من جراء مقاومة زايد أوحماد لها : ستة وأربعين قتيلا من بين الكوم والمخازنية وضابطين فرنسيين وشيخ "آيت أرتان" امبارك أو عسلام" مع مساعده موحى سكي، كما قتل "زايد أوحماد" شخصاً من قصر أيت بوجان (تنغير) خطأ ويدعى خوجمان" وقد استمد هذه الاحصائيات من الروايات الشفوية المختلفة. وجذير بالذكر أن مقاومة "زايد أوحماد" كانت تتمتع بتأييد شعبي واسع النطاق ولولا ذلك لما أمكن لحركته هذه، أن توجه ضربات موجعة لجيوش الاحتلال وهذا التأييد هو الذي جعله يتحرك بسرعة عبر مسافات شاسعة ونقط متباعدة. إذ كان يجد في كل مكان يحل به المأوى والغداء بالإضافة إلى معلومات عن تحركات الجيش الاستعماري في إطار البحث عنه. كما تجدر الإشارة أيضاً أن زايد أوحماد لم يكن يتحرك لمفرده بل أنه منذ الوهلة التقى برفقيه : "موحا وحمو" و "مبارك أوتاراروت" وقد شاركاه في أغلب العمليات التي نفذها، وإذا كان "امبارك أوتاراروت" قد انسحب من الحركة لأسباب عائلية الشيء الذي فتح ثغرة في حركة زايد أوحماد فإن "موحا وحمو" على العكس من ذلك استمر في المقاومة إلى جانب رفيقه وظل يحمل مشعل الحرية بيدين قويتين ولم تهن عزيمته إلى أن استشهد هو و"زايد أوحماد" و "موحا احسو" الذي استقبلهما في منزله بتدافالت بتدغة السفلى.

لقد كان "زايد أوحماد" يدرك أن مصيره قد حدد وأنه لن يلتقي بالجنود الاستعماريين إلا ميتاً. وغالباً ما كان يردد اشعاراً تدل على إصراره وعناده واستمراره في النضال إلى آخر نفس من حياته.

وإذا كانت مقاومة "زايد أوحماد" محدودة في الزمن والمكان كغيرها من المقاومات العفوية التي واجهت الاستعمار في المغرب فإنها مع ذلك لقنت الدروس للاستعمار : إذ تمكن فلاح فقير سلاحه الوحيد روحه الوطنية من إلحاق خسائر بهذه الجيوش بحيث تم استنفار قوات تابعة لثلاث مناطق عسكرية لمدة سنتين وهي قوات : مكناس وتادلا ومراكش. وفشلت هذه القوات في إلقاء القبض عليه. ولولا الخيانة والوشاية لما تمكنت هذه القوات الضخمة من القضاء عليه يوم ثاني عيد الأضحى، 11 ذي الحجة عام 1354 / 5 مارس 1936.

م. الكتاني، زايد أوحماد ومقاومين للاحتلال الفرنسي في جنوب الأطلس الكبير الشرقي من 1352 / 1934 إلى 1354 /1936، مجلة *تاريخ المغرب*، العدد 5 نونبر 1994، ص. 101 - 135 ؛ م. المعزوزي هاشم بن الحسن العابدي العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935*، الرباط، 1987.

Jean Saulay, *Les Goums marocains*, Tome I, Paris, 1981 ; Le Capitaine Henrys, *Zaid ou Hammad rapport sur les opérations de 1934 à 1936* ; *Le Caïd Brahim Sriji, Le jihad de Goulmima au Jbel Baddou*, 1987 ; Moha Khettouch, *Zaid ou Hmad*, *Lamalif* n° 128 septembre 1981, p. 50 - 53 ; Voinot, *Sur les traces gloriennes des pacificateurs du Maroc*, p. 446.

عبد القادر بوراس

**الزَّاير،** أو ابن زاير أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Azair ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقمين 253 - 757.

محمد بن عزوز حكيم

**الزايرجة**، ضرب من التنجيم مبني على أسرار الحروف في الدلالة على المستقبل، وقد كان لهذا العلم شأن خطير عند علماء العرب. وعقد ابن خلدون فصلا مطولاً في الجزء الأول من المقدمة عن كيفية استخراج أجوبة المسائل بهذا العلم. يقول : "... من القوانين الصناعية لا ستخراج الغيوب فيما يزعمون (بزايرجة العالم) المعزاة إلى أبي العباس السبتي من أعلام المتصوفة بالمغرب. وهي غريبة العمل صناعة، وصورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة، في داخلها دوائر متوازية للأفلاك والعناصر والمكونات الروحانية وغير ذلك من أصناف الكائنات والعلوم، وكل دائرة مقسمة بأقسام فلكها. إما البروج، وإما العناصر أو غيرهما. وخطوط كل قسم مارة إلى المركز، ويسمونها الأوتار وعلى وتر حروف متتابعة موضوعة، منها برشوم الزمام التي هي أشكال الأعداد عند أهل الدواوين والحساب بالمغرب، ومنها برشوم الغبار المتعارفة في داخل الزايرجة. وبين الدوائر أسماء العلوم ومواضع الأكوان، وعلى ظاهر الدوائر جدول متكثر البيوت المتقاطعة طولا وعرضا يشتمل على 55 بيتا في العرض، و31 في الطول، منه جوانب معمورة البيوت تارة بالعدد، وأخرى بالحروف، وجوانب خالية البيوت..."

وقد استمر ابن خلدون يصف بتفصيل عمليات ملء دائرة الزايرجة لاستخراج الجواب عن السؤال المطروح، لكنه حكم في الأخير ببطلانها قائلاً : "وقد رأينا كثيراً من الخواص يتهافتون على استخراج الغيب منها بتلك الأعمال، ويحسبون أن ما وقع من مطابقة الواقع، وليس ذلك بصحيح، لأن الغيب لا يدرك بأمر صناعي البتة، وإنما المطابقة التي بين الجواب والسؤال من حيث الأفهام والتوافق في الخطاب حتى يكون الجواب مستقيما أو موافقا للسؤال".

وذكر الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* (1 : 264. 266)، وهو يتحدث عن السحرة بفاس، قاعدة الزايرجة أي مخاطبة الأرواح، "لا يربطون عملياتهم بنصوص بل يعتبرونها جزءاً من العلوم الطبيعية... غير أن القواعد الزايرجية متناهية الصعوبة، ويجب أن يكون المرء منجما ممتازاً ورياضياً ليعرف طريقة استعمالها... ولقد شاهدت عملية زايرجة في صحن المدرسة البوعنانية بفاس وهذا الصحن مبلط بالرخام الأبيض الرقيق الناعم طوله من كل جانب خمسون ذراعاً. وقد استعمل ثلثا الصحن في كل ما تطلبته الكتابة على رسم الزايرجة وقام بتخطيطها ثلاثة أشخاص عمل كل واحد منهم في جزء منها، ومع ذلك تطلب العمل يوماً كاملاً لإنجازه. وشاهدت زايرجة أخرى في تونس قام بها أستاذ ماهر شرح أبوه قواعد هذه العملية في ثلاثة مجلدات...".

ومن الكتب المصنفة في هذا الفن فهي :

زايرجة أبي العباس السبتي دفين مراكش

زايرجة سهل بن عبد الله

زايرجة عمر بن أحمد بن علي الخطائي

الزايرجة الشيبانية

الزايرجة الهروية


ع. ابن خلدون، *المقدمة*، المجلد1، ص. 907، ط. 3 ؛ طاش كبرى زاده، *مفتاح السعادة ومصباح السيادة*، المجلد 2، ص. 549 ؛ محمد حسين الأعلمي الحائري، *دائرة المعارف الشيعية العامة*، 10 / 159 ؛ فريد وجدي، *دائرة معارف الشعب*، 4 : 514 ؛ البستاني، *دائرة المعارف*، 9 : 163 ؛ حاجي خليفة، *كشف الظنون*، 2 : 947 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ط. 2، بيروت، 1983.


أحمد متفكر

**زايــو**، مركز حضري حديث النشأة، يسكنه 25.920 نسمة، مقر لبلدية، ينتمي إداريا لإقليم الناضور، يقع في الشمال الشرقي المغربي على الطريق الوطنية الرابطة بين وجدة والناضور، في القدم الجنوبي الغربي لجبال كبدانة مشرفا على سهل صبري. يرتبط ظهور المركز بالفترة الاستعمارية الإسبانية حيث عملت السلطات على إنشاء ثكنة عسكرية سنة 1911 قرب ضريح سيدي عثمان بزايو لتحيط بجبال كبدانة وتراقب القبائل المجاورة وخاصة أولاد ستوت، ولكي تجعل من واد ملوية الحدود الفعلية للاستعمار الفرنسي. وقد ظل المركز متواضعا إلى حدود الستينيات إذ لم يتجاوز عدد سكانه 1.500 نسمة، لكن مع السبعينيات وإنجاز سد محمد الخامس ومشرع حمادي، وفتح ما يقارب من 30 ألف هكتار للري بالضفة اليسرى لواد ملوية، عرف المركز انطلاقته السكانية، فاستفاد سهل صبرى من سقي 8.000 هكتار خصصت منها مساحة 3.400 هـ للشمندر و500 هـ لقصب السكر، وتطورت الزراعات العلفية، وروفق هذا المشروع الفلاحي بإنجاز

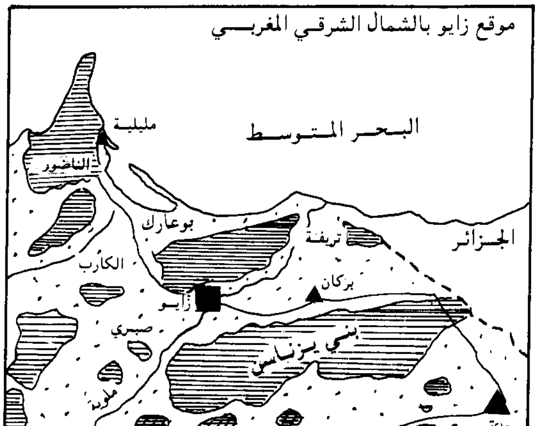

معمل لتكرير السكر بزايو، فكان هذا من وراء نمو ساكنة المدينة، وقد تجاوز إيقاعه خلال السبعينيات 13٪ سنويا، وهي من أعلى النسب على المستوى الوطني.

ويعتبر السهل العنصر الأساسي وراء هذا النمو، فقد بقي إلى فترة قريبة مجالا للصراع بين القبائل، وظل رغم الفترة الاستعمارية دون تطور يذكر بسبب سلطة أحد القواد على السهل، إضافة إلى تردد السلطات الإسبانية وموقفها من الحدود مع فرنسا، فقد ظل مجالا للرعي والزراعات البورية، موضوع نزاع قضائي بين السكان والقائد منذ الثلاثينيات، ولم تستطع السلطة البت في القضية إلا في أواخر الستينيات مع انطلاق مشروع السقي.

وعلى إثر ترقية المركز إلى مقر لدائرة لوطا وانطلاق الإنتاج، أصبح للمركز إشعاع جهوي، يقوم بتحويل 231.000 طن من الشمندر و30.000 طن من قصب السكر، وبذلك عمل على خلق فرص للعمل في النشاط الفلاحي وعمل على استخدام بطريقة مباشرة 300 عامل دائم وما يناهز 200 عامل موسمي إضافة إلى الأنشطة المرتبطة به بطريقة غير مباشرة مثل الجمع والنقل والتوزيع حيث يعمل على تحريك ما يزيد عن 100 شاحنة. وساهم في خلق عدة مؤسسات صغرى ومتوسطة بالجهة تقوم بتحويل وتصبير المواد الفلاحية.

وقد أثر هذا على توسع المدينة الجغرافي، وفي غياب وثيقة تصميم التهيئة، تم تطور المدينة الجديد بعيدا عن النواة مما جعل بنية المدينة ونسيجها متلاشيين، وهذا ما حدا بالسلطة إلى محاولة جمع شتات المدينة بإعداد هذا المجال الفارغ وفتحه للبناء وربط النواة بالأحياء الجديدة، وقد شهد النمو السكاني التطور التالي :

| السنة | عدد السكان | نسبة النمو السنوي |
|---|---|---|
| 1960 | 1.569 | 7,5 |
| 1971 | 3.468 | 13,9 |
| 1982 | 14.559 | 13,9 |
| 1994 | 25.920 | 4,9 |

يوضح الجدول وتيرة النمو وسرعته خاصة مع عقد السبعينيات والتي تعزى إلى ما خلفه المعمل من نشاط، إضافة إلى الدور الذي تلعبه الهجرة الدولية بالمركز، وهذا ما جعل المركز يقفز إلى 25.000 نسمة، ويغذي النمو بالأساس الهجرة الريفية وخاصة من القبائل المجاورة مثل أولاد ستوت ومن جبال كبدانة. وعند فحص أصول أرباب الأسر نجد أن إشعاع المركز محلي يطغى عليه المولودون خارجه، نجد73,4٪ وافدين من الريف و11,6٪ وُلدوا بعين المكان، أما الذين وفدوا من المدن فيشكلون15,0٪ مما يميز الطابع الريفي للمركز وينعكس على عناصره الأخرى مثل متوسط أفراد الأسرة54 الذي يزيد على المتوسط الوطني وعلى المستوى الثقافي حيث تصل نسبة الأميين لدى هؤلاء 51,3٪.

وتتشكل الهجرة أساسا من العناصر الريفية المجاورة للمدينة مثل أولاد ستوت وكبدانة، فيمثل المولودون بجبال كبدانة22,4٪ من مجموع أرباب الأسر، يليهم أولاد ستوت ب21,0٪ مما يبين قوة الجذب التي يمارسها المركز على المجال المجاور في حين يتقلص إشعاعه أمام قوة بركان من الجنوب والناضور من الشمال. أما عن أنشطة السكان، فنجد النشاط الإنتاجي من فلاحة وصناعة وبناء يشغل 46,5٪ يليه القطاع التجاري ب19,0٪ ثم الخدمات بـ14,0٪، في حين يشغل قطاع النقل والاتصال12,0٪، وأخيرا الوظيفة العمومية ب8,5٪. فالنشاط الإنتاجي يعطيها ميزة خاصة داخل التراب الجهوي. ورغم تنوع أنشطة السكان، تظل نسبة البطالة من أعلى النسب على الصعيد الوطني ب32,4٪. ويعاني المركز من ضعف البنيات التحتية في مجال المواصلات دون أن يتوفر على محطة طرقية، وفي مجال السياحة دون فنادق، وفي المجال الصحي لا يتوفر سوى على مركز صحي وحيد.

*تحريات ميدانية.*

المصطفى اليزيدي

**الزَّبَادي، عبد المجيد** بن علي بن محمد المنالي من الشرفاء الحسنيين الذين استقروا بإقليم سوس ردحا من الزمن قبل أن يرتحل أسلافه إلى سلا ثم فاس التي هي مسقط رأسه ومركز دراسته وتخرجه بكبار علماء القرويين أمثال محمد بن قاسم جسوس ومحمد المسناوي وأحمد الوجاري فكان بيته بيت علم وصلاح، وكان هو واسطة عقده بعلمه وتصوفه وورعه وحسن سلوكه فقد انتسب إلى الطريقة العيساوية وأخذ الطريقة القاسمية على يد الشيخ أحمد السوسي دفين مراكش، فكان محبا للذكر وعقد حلقاته إلى درجة الوجد حيث ينشد أشعارا رمزية صوفية ولم يشغله هذا الانتماء الصوفي عن التضلع في مختلف العلوم التي برع فيها وأفاد طلابه بها فكان مثالا للعالم المتعدد المشاركة العلمية، فهو أديب ولغوي وعروضي وفقيه وصوفي ونسابة. وتكشف رحلته الحجازية التي قام بها سنة 1159 على اهتمامه بملاقاة العلماء واستجازتهم وتظهر سعة معلوماته وإلمامه بفهارس الشيوخ الذين تعرف عليهم وفي طليعتهم الشيخ أحمد بن مصطفى الصباغ الاسكندري الذي قال عنه : "له فهرسة كبيرة جامعة لمرويات كثيرة من أسانيد الكتب الحديثية والتفسير والقراءات والمسلسلات وكتب الفقه والتصوف والأحزاب وأسانيد طرق القوم ...".

وعلاوة على هذا الاهتمام التربوي أعطى للتأليف

نصيبا من حياته فشارك الشعراء في نظم القريض خص به النبي عليه السلام في المديح والشوق إلى الديار المقدسة وتهنئة شيوخه عند ختم الكتب التي يدرسونها للطلاب، ولو جمعت قصائده لكونت ديوانا وأما مؤلفاته فهي :

الرحلة الحجازية المسماة *بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام* (مخطوط).

*سلوك الطريق الوارية في الشيخ والمريد والزاوية*، مخطوط.

*إتحاف المسكين الناسك ببيان المراحل والمناسك* وهي رحلة دليلية منظومة في 127 بيتا اقتدى فيها بالشيخ زين العابدين البكري ومحمد بن محمد المرابط الدلائي.

*أرجوزة في فروع الشرفاء العمرانيين* بفاس.

*شراب الصفا بالتوسل إلى أهل الاصطفا*.

*إفادة المراد بالتعريف بالشيخ ابن عباد* وهو الفقيه الصوفي محمد بن إبراهيم بن عباد النفزي.

وتمتاز كتابته بالوضوح وانسجام الأسلوب والبعد عن التكلف. وأما تلميذه محمد بن الطيب القادري فقد شهد له بباعه الطويل في شتى العلوم وحلاه بقوله : "ومنهم شيخنا العلامة الصوفي اللغوي العروضي سيدي عبد المجيد المدعو بالزبادي الشريف..."

توفي بفاس في ثاني عشر شعبان عام 1163/17 يوليوز 1750، ودفن قرب الشيخ دراس بن إسماعيل خارج باب الفتوح من عدوة الأندلس.

ع. المجيد الزبادي نفسه، *الرحلة الحجازية*، مخطوط ؛ م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 6 : 2162. 2163 ؛ ل. بروفنسال، مؤرخو *الشرفاء*، تعريب عبد القادر الخلادي ؛ عبد السلام بنسودة، *دليل مؤرخ المغرب*، ج 2 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب في عهد الدولة العلوية*؛ م. ماكامان، *الرحلات المغربية في القرن 11 و12*.

محمد ماكامان

**الزبادي، محمد** بن علي المنالي الحسني الفاسي شقيق عبد المجيد سابق الترجمة. كان عارفاً بعلوم القرآن، خطاطاً فناناً كتب بيمينه مصاحف كثيرة وغيرها كأخته فاطمة التي ستذكر بعده.

توفي بفاس عام 1209 / 94 ـ 1795.

ع. المجيد الزبادي، *سلوك الطريق الوارية*، الباب السادس، مخطوط ؛ م. المنوني، *تاريخ المصحف الشريف بالمغرب*، *دعوة الحق*، ع. 4، السنة 22، يونيه ـ يوليوز 1981.

**الزبادية، فاطمة** بنت علي المنالية الحسنية الفاسية، أخت الشيخ عبد المجيد الزبادي سابق الترجمة. كانت صالحة مشاركة في علوم القرآن، خطاطة فنانة كتبت بيدها مايزيد على خمسة وثلاثين مصحفاً.

توفيت بفاس عام 1142 / 29 ـ 1730.

ع. المجيد الزبادي، *كناشة*، مخطوط ؛ م. المنوني، *مركز المصحف الشريف بالمغرب*، *دعوة الحق*، عدد 3، السنة 11، يناير 1968، ص. 71 ـ 177.

محمد حجي

**الزبّاخ**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الأخماس الجبلية، أنجبت عدداً من الفقهاء والمجاهدين منهم :

**الزّباخ، الطيب** بن عبد الله كان يرأس جماعة مجاهدي قبيلة الأخماس، وانضمّ إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وعين عضواً بالمجلس الاستشاري للمقاومة في المؤتمر الذي انعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913، وحضر باقي المؤتمرات وشارك في خمس معارك.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، الرباط، 418.

Capaz, Fernando, *Cabecillas celeber de Gomara*, 1940.

**الزّبوجْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Xebuch وما زالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Acebuche وهو اسم مدينة إسبانية ومعناه شجرة زيتون بري ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية الأجنبية التي ذكرها في الرقم 758.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزبدة الحيوانية**، مادة دهنية يستهلكها المغاربة منذ القديم يستخرجونها بمخض حليب البقر أو الغنم ونادرا الماعز، كما استخرجها المعمرون الأوربيون من القشدة التي تفصل عن الحليب الطازج بآلية خاصة.

وجدت بالمغرب منذ قرون باعتبارها أحد أهم المواد الدهنية المغذية بالإضافة إلى زيت الزيتون وأركان والشحوم الحيوانية. كانت تستخرج من الحليب الطازج وذلك بتركه في أوان حتى يتخثر ثم يمخض في قربة من جلد الضأن تدعى الشكوة مدة تتراوح ما بين نصف ساعة إلى ساعتين تبعا لظروف التخثر، فتنفصل المادة الدهنية وتلتئم على شكل كويرات مكونة زبدة طازجة يميل لونها إلى الاصفرار المشرب بالحمرة. ويتحول بقايا الحليب إلى "لبن حامض". ثم

تستهلك طازجة أو تعالج لتتحول إلى سمن. وكانت جل المواشي الحلوب تلد صغارها في فصل الربيع مستفيدة من توفر الأعشاب الطرية وينتج ضرعها الحليب بكميات إضافية، فيكثر الحليب في هذا الفصل وبالتالي الزبدة، فتحتفظ الأسر بقسم منها بإضافة الملح إليه إلى أن تتجمع لها الكمية المطلوبة، فتغلى على النار وتتحول إلى السمن وهو المادة الدهنية التي تختزن لاستهلاكها عند الحاجة طيلة السنة وبإضافة أعشاب وطرق معالجة خاصة، يحصل المغاربة على أنواع متعددة من الزبدة والسمن مثل السمن المر والسمن الحلو والسمن بودراع... تباع في المدن التقليدية في دكاكين خاصة يعرف بائعها بالبقال. وباستثناء الزبدة واللبن والجبن الطري الذي ينتج في بعض الأقاليم بالشمال خاصة، لم يكن المغاربة عارفين بطرق الحصول على أنواع الأجبان المصبرة المعروفة بأوروبا. وظلت الزبدة والسمن طعام النخبة والمناسبات العائلية لايعم استهلاكها إلا في فصل ربيعي خصب.

لكن بدأ هذا الوضع يتغير في عهد الحماية بإدخال المعمرين الأوربيين لأساليب جديدة لإنتاج الزبدة أهمها آلة إنتاج القشدة Ecrimeuse تفصل الحليب عن القشدة بفعل تدويره في صفائح معدنية فتنفصل القشدة الأخف وزنا عن الحليب بفعل القوة الطاردة المركزية وتتدفق من أنبوب خاص. وتترك القشدة إلى أن تتخثر ثم تمخض في محضة خاصة La Barate وهي أسطوانة خشبية تدور في وضع أفقي يدويا أو آليا، فتنفصل جزيئات الزبدة عن ما بقي بها من حليب فتتكاثف وتغسل بماء بارد لتعطي زبدة طازجة نقية موجهة إلى الأسواق العصرية غالبا. طبق ذلك على مستوى الضيعات الأوربية بأجهزة يدوية كما طبق بالمعامل الأولى لمعالجة الحليب بالمدن. وهكذا ظهرت زبدة جديدة تزايدت كمياتها المسوقة بأهم نطاقات الزراعة العصرية المسقية والمدن الكبرى كالدار البيضاء حيث ذاعت شهرة شركة : الحليب المركزي. ومراكش : الحليب الجيد... لكن كميات الزبدة المنتجة محليا لا تلبي طلب السوق الوطني، مما دعى إلى استيراد الزبدة "الرومية" من دول أوربية طيلة عقود، تباع غالبا بثمن أقل من الزبدة المحلية، كما بدأ يزاحمها ظهور زبدة مصطنعة من الزيوت النباتية تعرف بالمارگرين، أشاع الأهالي عنها أنها مضرة بالصحة، لكنها كانت واسعة الاستعمال في صناعة الحلويات والطبخ بالفنادق. لقد تزايد الطلب على الزبدة الحيوانية بعد الاستقلال مما دعى إلى استيرادها بكميات متزايدة، وقد استفاد المغرب من فائض الزبدة الأوربية خاصة الفرنسية التي كانت تصدر إليه بسعر مدعم، مما يجعل سعرها بالسوق منخفضا في متناول كل الشرائح الاجتماعية، إلا أن هذه السياسة أضرت بالإنتاج المحلي. ولم تتخذ السلطات إجراءات للحد من تدهور وضع الزبدة المغربية إلا بعد عقود، ففرضت ضرائب على الزبدة المستوردة لتشجيع الإنتاج المغربي الذي تكاثر خاصة من طرف شركات معالجة الحليب بالمدن الكبرى والمتوسطة التي فاق عددها العشرين، لكن لا زالت شركة الحليب المركزي التي تمغربت وصارت في ملكية المجموعة الاقتصادية "أونا" مهيمنة على السوق الوطني بمعالجة وتسويق 65٪ من الحليب ومشتقاته بالمغرب.

عرف استهلاك الزبدة في بداية الثمانينات ظاهرة اجتماعية جديدة هي التقليل أو التخلي التدريجي عن استهلاك الزبدة الحيوانية بسبب ما شاع عن مضاعفاتها السلبية على المرضى بالكولسترول وأمراض القلب والضغط، فتزايد الاتجاه إلى اسهتلاك الزبدة المصطنعةمن الزيوت النباتية خاصة زيوت الصوجا المستوردة من الولايات المتحدة والتي عمت السوق المغربي، وتقوى هذا الاختيار في عقد التسعينات، فلم تحل سنة 2000 حتى صار يعرض بالأسواق الممتازة ودكاكين الأحياء عشرات الماركات من الزبدة النباتية، فشاع استعمالها واشتد الإقبال عليها في جميع الأوساط الاجتماعية بسبب وفرتها وانخفاض سعرها الذي لا يتجاوز 20 ده / كلغ، وأبعدت الزبدة الحيوانية إلى الهامش فصار المعلمون التقليديون يحولون قسما متزايدا منها إلى أنواع من السمن الجيد الذي يباع بضعف ثمن الزبدة الأصيلة و4 ـ 5 أضعاف ثمن الزبدة النباتية.

وهكذا تراجعت أو اختلفت الزبدة الحيوانية من بين واردات المغرب، بينما تزايد استيراد الزيوت النباتية، إذ بلغ وزنها 242000 طن سنة 1998 وثمنها 1489 مليون ده، بالإضافة إلى 283000 طن من الحبوب والمنتجات الزيتية الخام ثمنها 773 مليون ده.

*بحوث ميدانية ومعلومات من أصحاب الحرف* ؛ المغرب في أرقام، نشرة إحصائية لقسم التخطيط بالرباط 1999.

أحمد هوزالي

## الزبدة النباتية ← مرگرين

**الزبدي**، أسرة رباطية واسمها الحقيقي الزبيدي وأصلها من الشرق العربي من مكان يقال له عين زبيدة (زوجة هارون الرشيد). وأول من عرف في التاريخ باسم الزبيدي أبو بكر بن الحسن الزبيدي صاحب تأليف طبقات النحويين واللغويين، المتوفى سنة 379 هج. وربما هاجرت أسرة الزبيدي إلى الغرب الإسلامي ضمن من هاجروا إلى الأندلس بعد أن أصبحت مقراً للممالك الإسلامية. وبعد عدة قرون هاجرت إلى المغرب ضمن الأسر الأندلسية النازحة من الأندلس سنة 1609 حيث استقرت مثيلاتها من أسر الأندلسيين المهاجرين بمدينة الرباط التي عرفت إحياء

لنشاطها الاقتصادي والعمراني والسياسي والثقافي على يدهم أواخر عهد دولة السعدين، وعرف أفرادها باسم الزبدي. ولقد كان منها الحاج محمد الزبدي عضو الديوان الأندلسي في بداية القرن الحادي عشر (17 م)، في القصبة التي أصبحت تحمل اسم القصبة الأندلسية (قصبة الاودابة) وظهر منها الحاج إبراهيم أحد فقهاء الرباط المتخرجين عن الشيخ الكبير علي العكاري. كما كان ابنه محمد الزبدي فقيها ملازما للشيخ المذكور.

**الزبدي، أحمد** بن محمد من العلماء الرباطيين تلقى العلم على عدد من الشيوخ ابتداء من سنة 1304 / 1886 سنة دخوله المكتب لقراءة القرآن على يد الأستاذ المربي الهاشمي القصري الذي أخذ عنه أيضاً متون الأجرومية والمرشد واللامية والألفية. وبعد عشر سنوات بدأ يتتلمذ على الشيخ المكي البطاوري في النحو والفقه والحديث والأصول والبيان والتوحيد وأجازه في جميع مروياته سنة 1322، ودرس أيضاً على يد الشيخ محمد بن عبد السلام الرندة الذي أجازه أيضاً وعن الأديب أحمد جسوس، وحضر مجالس الشيخ أبي شعيب الدكالي.

وفي سنة 1352 / 1933 رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج فلقي عدداً من شيوخ العلم وأخذ عنهم العلم بمصر ومكة ودمشق، ففي مصر حضر مجلس الشيخ يوسف

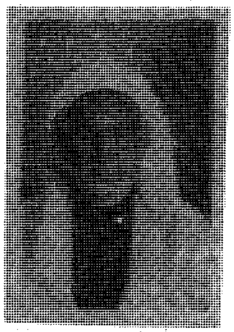

الدحوي من علماء الأزهر الذي أجازه إجازة عامة، ومجلس الشيخ محمد العربي الدسوقي من أشياخ أبي شعيب الدكالي، ومجلس محمد الحلبي في الحديث، وحضر أيضاً دروس مفتي مصر سابقا الشيخ محمد بخيت المطيعي ومحمد الخضر حسين، ومحمد فريد وجدي مؤلف دائرة المعارف، والشيخ الطنطاوي جوهري الذي أجازه، والمصلح الكبير محمد رشيد رضا، زاره في منزله في شهر ذي القعدة 1352 وأجازه.

وبمكة أجازه الشيخان عمر بن أبي بكر باجنيد والشيخ عبد الستار الهندي، وحضر مجلس الفقيه عمر حمدان، وقاضي القضاة بمكة المكرمة عبد الله بن حسن الحنبلي، والشيخ محمد الهندي الدهلوي وغيرهم. وزار بدمشق الشيخ بدر الدين فأجازه بجميع مروياته في الحديث، وبحلب الشيخ راغب الطباخ مؤلف تاريخ حلب. فأجازه أيضاً.

كان أحمد الزبدي علاوة على ذلك شاعراً يكثر من مدح الرسول - عليه السلام - وله قصائد ومقطعات أدبية واجتماعية وتاريخية ومساجلات مع عدة أدباء وشعراء توفي عام 1383 / 1963.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، 2 : 58-69.

**الزبدي، محمد** بن **الطاهر** ولد بالرباط عام 1220 / 1805 واشتغل بالتجارة في بداية أمره وتوجه للحج مرتين، وهو متزعم الانتفاضة التي قادها أعيان مدينة الرباط سنة 1261 / 1845 ضد عاملهم الحاج محمد السويسي، والتي

نصبوه على إثرها عاملا لمدينتهم وعلى الرغم من غضب السلطان المولى عبد الرحمان الذي عزله بعد وقت قصير فإنه لم يلبث أن قربه وأسند إليه أمر المالية والشؤون الخارجية التي ترد من النائب السلطاني بطنجة إلى السلطان، وعند نشوب حرب تطوان كلفه السلطان محمد بن عبد الرحمان بالتفاوض مع الإسبان، ثم عين أمينا للحسابات. وفي سنة 1293 / 1876 وجهه السلطان مولاي الحسن سفيراً إلى الدول الأوربية وهي فرنسا وإنجلترا وبلجيكا وإيطاليا للتفاوض في أمر الحماية الفردية التي تفاقمت في المغرب بعد أن حرفت المعاهدات المبرمة في

شأنها تحريفا اتخذه الأجانب قناصلة وتجارامطية للتطاول على المخزن وعلى المواطنين المغاربة.

توفي يوم الجمعة فاتح ربيع الأول 1304 / 28 نونبر 1886.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 213 ؛ ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط وأعيانها*، ص. 230.

**الزبدي، محمد العربي** بن محمد بن الطاهر، عينه السلطان مولاي الحسن أمينا لمرسى الرباط سنة 1302 / 1881 مكان والده الذي شاخ وعجز عن العمل، ولي أمانة الحسابات في عهد السلطان نفسه وهذه المهمة وصفها المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان في كتابه "*إتحاف أعلام الناس*" ومن هذا الوصف يمكن أن نحدد هذه المهمة فيما يلي : مراجعة حسابات الأملاك المخزنية والمستفادات والرباع والنظار ووكلاء الغيب، محاسبة قواد القبائل، مراقبة الداخل والخارج في جميع ما تملكه الدولة، حفظ جميع دفاتر الدولة وجعل برنامج خاص لما راج منها بعد ختمها وجعلها في صناديق، الترحال بهذه الدفاتر حيثما اتجه الركب السلطاني رغم كثرتها وثقلها لإيقاع الحساب مع العمال فيما يترتب بذممهم من الزكوات والأعشار فيقيد ما قبض والباقي في الدمم ويختم العمال على ذلك بأختامهم ويجوز ذلك أمين الحسابات المذكور.

في سنة1329 / 1911 ولي محتسبا بمدينة الرباط خلفا للحاج العربي بن عبد الله لبضعة أشهر توفي سنة1344 / 25 . 1926.

ع. الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 2، ص. 514 . 515؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، مخطوط، ص. 203 ؛ ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط وأعيانها*، ص. 231.

عبد الإله الفاسي

**الزبدي، محمد كمال** الرباطي رسام وشاعر، ولد بمدينة أسفي عام 1928 حيث قضى فترة من صباه ثم غادرها رفقة أسرته نحو مدينة فاس التي استقر بها مدة أخرى، وتابع دراسته إلى أن اشتد عوده، فأخذ ينهل من الآثار الإسلامية والمعمارية وتشبع عن فطرة بروح الخلق والإبداع.

هاجر محمد كمال الزبدي إلى باريس سنة 1947 لمتابعة الدراسة فانضم إلى معهد اللوڤر الذي يهيئ اختصاصيين في تاريخ الفن العام ومحافظي المتاحف الوطنية.

استطاع كمال الزبدي صقل موهبته بالعاصمة الفرنسية كفنان وأديب حيث تمكن من المزج بين الريشة والقلم والحركة والكلمة بأسلوب ينم عن عمق الرؤيا الإبداعية، وبمجرد ما شرع في تنظيم معارضه الأولى لفت أنظار النقاد الأوربيين الذين خصصوا لأعماله دراسات في غاية الأهمية.

أحرز كمال الزبدي على دبلوم معهد اللوڤر (بموضوع الأسلحة المغربية منذ العهد الفنيقي)، ثم انتقل إلى إيطاليا لدراسة اللغة والآداب الإيطالية، وقضى سنة كاملة بجامعة (وربروديجيا) تعرف خلالها على كبار الفنانين والأدباء والمفكرين الإيطاليين، كما كانت له صداقة متينة مع الكاتب الإيطالي ألبير توموراڤيا.

توفي بالرباط في حدود 1995.

م. أديب السلاوي، *أعلام الفن التشكيلي العربي بالمغرب*، بغداد، 1982.

محمد بلعربي

**الزبل** من زبل. وزبل زرعه يزبله زبلا سمّده. والزبل السرقين والسرجين معرب عن الكلمة الفارسية سركين (مادة سرجن، *محيط المحيط*)، يستعمل لتخصيب التربة إذا ذهبت رطوبتها وضعفت مادتها، ولا يصلح إلا للأرض الضعيفة الرقيقة، أما الأرض الغليظة فيقوم لها القليب مقام الزبل (ابن بطال، 55 . 65).

قسم علماء الفلاحة العرب الزبل المستعمل في تسميد الأرض إلى سبعة أنواع وهي : زبل الخيل والبغال والحمير والإبل وكل الدواب، وزبل الآدمي، والزبل المضاف، وزبل الغنم، وزبل الحمام، وزبل الحمّامات والأفران والزبل المولد (ابن حجاج 9 أ، وابن بصال 49، وابن بطال 10).

1 ـ زبل الدواب : حارٌ رطب، وحرارته أكثر من رطوبته، وهو من النوع الذي تجود به مختلف النباتات، ويستعمل كما هو بعد تنقيته من التبن دون تعفين في كل فصول السنة ما عدا فصل الشتاء، ويستحسن استعماله بعد مرور عام عليه، وإن ترك عامين كان أحسن، وهو بعد ثلاثة أعوام أفضل أنواع الزبل على الاطلاق، وهو يوافق التربة الرملية (ابن حجاج 9 أ، وابن بصال 49، وابن بطال 11) وهذا ما يفسر ما ذكره الرحالون عن حرص سكان المناطق الواحية على جمع هذا النوع من الزبل وغيره من الأزبال. ذكر العياشي أن أهل وادي سوف يعالجون نخيلهم بأبعار الإبل وغيرها بأن يضعوها في أصولها، وكذلك يفعلون بأنواع الخضر والبقول وسائر ما يغرسونه وقال بأن ركب الحاج الذي كان فيه، تبعه حين غادر سوف كثير من أهلها يلتقطون البعر من منزل الركب (*ماء الموائد*، 1 : 51 ـ 52) وذكر العوامر أن أهل سوف يجعلون للنخلة ما دامت صغيرة شيئا قليلا من بعر الغنم أو من روث الدواب مخلوطا بالرمل لئلاّ تحترق عروقها. وعندما تكبر النخلة يجعلون لها أبعار الإبل مخلوطة بالتراب وتعرف أبعار الإبل عندهم باسم الجلة (الصروف، 66).

2 ـ زبل الآدمي : طبعه الرطوبة واللزوجة، ولا حرارة فيه، وهو زبل ميت عظيم الفائدة يوافق النبات ويصلحه خصوصا في زمن الحر لأنه رطب لا حرارة فيه ولا يبوسة، وتجود به الخضر، وهو علاجها إذا احترقت. وكيفية استعماله في علاج الخضر المحترقة أن يرش بالماء حتى يصير في هيئة الطين، ثم يوضع في مجرى الماء، ويسرح الماء في المجرى، فيتحلل مع جري الماء في المجرى، فتحيى الخضر إثر سقيها به (ابن حجاج 9 ب وابن بطال 11).

وقد اشتهر عن أهل قابس ما اشتهر من بيع فضلاتهم، وهم يقرون بذلك ويدعون شدة احتياجهم إليها، وأن النخيل في بلادهم لا يثمر إلا به (*البكري*، 2 : 667 *والتجاني* 90 *ومعجم البلدان*، 4 : 289 *والروض المعطار*، 145). وقد أجاز الفقهاء بيع الأزبال والعذرة وهي الغائط، وقد قيل فيها : المشتري أعذر فيها من البائع، وبنوا حكمهم فيها على ما جاء في *المدونة* وغيرها حول جواز بيع النجاسات عند الحاجة إليها (*المعيار*، 5 : 315). ولما ذكر محمد بن عبد السلام ابن ناصر الرواية القائلة بتبايع أهل الجريد بالبلاد التونسية لزبل الآدمي قال بأن الداعي إلى ذلك أن أرضهم في غاية الجفوف لقربها من الصحراء وأنها بحاجة إلى ذلك الزبل لتدمن. قال : قلت وهذا التبايع في البلاد الصحراوية الرقيقة التراب أو ذات الرمل، فانها إذا لم تزبل لا يأتي منها كبير نبات، سيما إن كان فيها ماء جار كقابس وبلاد درعة، فتلجئهم الضرورة إلى بيع الزبل والتفاني فيه (*الرحلة الكبرى*، 135). وقد دفعت الحاجة ببعض الفلاحين أحيانا إلى أن يهبوا الدور لغيرهم يسكنوها على أن يكون زبل دواب الساكن لرب الدار. وقد أفتى الفقهاء بعدم جواز ذلك وقالوا بأن الزبل لرب الدواب وعليه كراء المسكن (*المعيار الجديد*، 8 : 142).

3 ـ الزبل المضاف : وهو الزبل المؤلف من الكناسات وغيرها (ابن حجاج 9 أ) وهو الزُبالَة عند العامة (مادة زبل محيط *المحيط*). وهو ذو حرارة ورطوبة ولزوجة وملوحة، ولأجل هذه الخصائص المجتمعة فيه هو من أفضل الأزبال، وأكثرها موافقة للتربة، لأن لزوجته تلين التربة. ولا يستعمل إلا بعد مرور عام عليه، والأبال كلها لا ينبغي أن تستعمل إلا بعد انقضاء العام، وكل زبل استعمل قبل ذلك، فهو غير محمود لأنه نييء يمرض الأرض ويدخل الدواخيل، أي تتولد منه حشرات تضر بالنبات. وما تجاوز العام إلى ثلاثة أعوام كان أفضل. وعلى العموم فهذا النوع من أنواع الزبل مفيد قوي، يقوم القليل منه مقام الكثير من غيره (ابن حجاج 9 ب و10 أو 11 أو ابن بصال 50).

4 ـ زبل الغنم : ويعرف في اللسان الدارج بالبَرِّو وهو حار رطب أيضا، غير أنه أقل جودة من غيره من الأزبال التي ذكرناها أعلاه، لأن الضأن تأكل الحشائش، فلا تنضج في بطونها، وتبقى زريعتها دون تغيير، فتلقيها كما أكلتها حتى إذا استعمل هذا الزبل لتسميد التربة، نبتت تلك الزريعة مع النبات وغلبت عليه. ولتفادي ذلك يترك هذا الزبل حتى يتعفن وتموت زريعته، ويستحسن أن يخلط مع غيره ولا يستعمل وحده (ابن حجاج 10 أو ابن بطال 12 وابن بصال 51).

5 ـ زبل الحمام : ذو حرارة مفرطة ورطوبة شديدة ولا يبوسة فيه وهو أحسن الأزبال للنبات الذي ضعف وتحير من شدة البرد، فإذا جعل له القليل منه فانه يحيى من حينه، وينبغي ألا يستعمل إلا عند الحاجة لأنه بمنزلة النار، وقد يأتي على احراق النبات، فيصعب بعد ذلك اصلاح ما أفسده (*ابن حجاج*، 10 أ).

6 ـ زبل الحمّامات والأفران أي الرماد : ذو يبوسة وملوحة ولا رطوبة فيه، وهذه الخصائص لا توافق الخضر والنبات، ولأجل ذلك لا يستعمل الرماد إلا لتحلية التربة الخشنة الحرشاء، وبالجملة فهو زبل غير محمود (*ابن حجاج*، 10 أو 10 ب). ويستعمل الرماد أيضاً كما هو معلوم في تبييض الغزل (*المعيار الجديد*، 5 : 545).

7 ـ الزبل المولد وهو الزبل المتخذ من الحشيش والتراب ثلاثة أنواع : النوع الأول : تخلط فيه أصناف العشب والتبن وتوضع في حفرة ويضاف إليها رماد الحمامات أو رماد الأفران ويصب عليها الماء، ويواضب على هذا الخليط بالتحريك والتقطيع، لأن ذلك يعجل نضج الزبل ويجعله معتدلا جيداً. والنوع الثاني يخلط فيه حمل من الزبل المضاف مع ثلاثة أحمال من التراب ويواظب على ذلك الخليط بالتحريك يأتي منه زبل جيد بعد عام. والنوع الثالث يخلط حمل من زبل الحمام مع عشرين حملا من التراب ويترك عاما، يأتي منه زبل جيد متمكن الحرارة والرطوبة. والزبل المولد يوافق الفصول الأربعة، وهو زبل نقي لا يخالطه حجر ولا جلود ولا عظام كما يخالط سائر

الأزبال غير أن الزبل المضاف أقوى منه وأجود (ابن حجاج 10 ب و11 أو 11 ب وابن بصال 51 : 52 و53).

ابن حجاج الأندلسي، *الفلاحة*، مخطوط، خ. ع رقم 1410 د ؛ ابن بصال، *كتاب الفلاحة*، نشر دخوسي مارية مياس بييكروسا ومحمد عزيمان، تطوان، 1955 ؛ ابن بطال، كتاب الفلاحة، مكروفيلم مصور عن النسخة المخطوطة في خ. ح رقم 6519 ؛ أبو عبيد البكري، *المسالك والممالك*، ج. 2، تح. أدريان فان ليوفن واندري فيري، تونس، 1992 ؛ ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، ج. 4، بيروت، 1979 ؛ ابن عبد المنعم الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1984 ؛ م. التجاني، *رحلة التجاني*، ليبيا ـ تونس، 1981 ؛ أ. الونشريسي، المعيار، ج. 5، بيروت، 1981 ؛ أبو سالم العياشي، *ماء الموائد*، ج. 1، الرباط، 1977 ؛ م. ابن ع. السلام الناصري الدرعي، *الرحلة الكبرى*، مخطوط، خ. ح رقم 6904؛ إبراهيم محمد الساسي العوام، *الصروف في تاريخ الصحراء وسوف*، تونس، 1977 ؛ المهدي الوزاني، *المعيار الجديد*، ج. 5 و8، المحمدية، 1998.

حسن حافظي علوي

**الزبيب**، فاكهة مجففة تحضر من أصناف العنب (انظر داليا) ذات المحتوى السكري العالي واللحم المتماسك.

أشار المؤرخون إلى إنتاج الزبيب بسجلماسة وسوس في القرن الخامس (11 م). وكانت عملية التجفيف تتم تحت الظل فسمي بالزبيب الظلي. لكن في الوقت الحاضر صار إنتاج الزبيب شبه منعدم إلا في بعض المناطق كالريف وجبالة حيث مازال الأهالي يحضرونه بكيفية تقليدية خاصة : تغسل عناقيد العنب في الماء الممزوج برماد الضرو أو بطم لانتيسك Pistacia lentiscus (انظر بطم) وتبخر ثم تدهن بالزيت وتجفف في الشمس.

نظراً لندرة الكميات المحضرة محليا فإن المغرب يستورد معظم احتياجاته من الزبيب من تركيا كالسلطاني وإسبانيا وغيرها من البلدان المتوسطية.

يستهلك الزبيب طازجا في كل الأوقات أو مطهواً مع اللحم في عدة مأكولات مغربية كبعض الطواجين والكسكسو وبعض الحلويات.

ونظراً لكونه غنيا بالسكريات والأملاح المعدنية فإنه في أغلب الأحيان يدخل في محتويات زاد المسافر.

يستعمل اليهود المغاربة الزبيب لصناعة شراب الماحيا.

*أبحاث شخصية.*

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires.* Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

**زُبيدَة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا - Çobay et Zubeit Zubay ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Acevedo وAzevedo وAcebedo.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 759.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزّبيدي**، أبو **بكر** محمد بن عمر بن قطري من أهل إشبيلية، من بيت شهير بالعلم. أخذ بالأندلس عن جماعة منهم أبو الوليد الباجي وأبو العباس العذري الدلائي وأبو عبد الله بن سعدون القروي وأبو الليث السمرقندي. وكان عالما بالنحو والأصول وعلم الكلام.

رحل إلى المشرق فجال في الحجاز والعراق والشام ومصر وصقلية. أخذ بمصر عن ابن فضال والخشني وابن بابشاذ النحوي وأبي عمران الصقلي ومهدي بن يوسف الوراق، ولقي بها الفقيه عبد الحق بن هارون الصقلي. وسمع بمكة الحسين الطبري وأبا محمد بن جماح السبتي من المجاورين بها، وهبة الله المقرئ الضرير، وأبا محمد النيسابوري وأبا الحسن الصقلي. وسمع بمدينة صور بساحل الشام من الشيخ أبي بكر الخطيب البغدادي الحافظ.

وبعد عودته أقام بإشبيلية مدة، ثم انتقل إلى سكنى سبتة، وعلم بها العربية، أخذ عنه بها القاضي عياض بعض كتب الخطيب البغدادي. وظل يدرس بها إلى وفاته سنة 501 / 1107.

القاضي عياض، *الغنية*، تح. ماهر زهير جرار، بيروت، ط 1، 1982، ص. 76 ـ 79 ؛ محمد ابن عياض، *التعريف بالقاضي عياض*، تح. محمد بن شريفة، الرباط، مطبوعات وزارة الأوقاف، ص. 69 ؛ ابن بشكوال، *الصلة في تاريخ أئمة الأندلس*، تح. السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955، ج. 2، ص. 536 ـ 537 ؛ ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، د. ت. ج. 1، ص. 332.

**الزبيدي، حسن** بن خالد بن إبراهيم شيخ صالح من فقهاء سبتة، غلب عليه الخير والزهد، وكان من أهل الفقه والدراية بالقراءات. سمع من إسحاق ابن يربوع وأبي عبد الله بن الشيخ وغيرهما من علماء سبتة. ورحل إلى المشرق فحل بالقيروان وسمع من علمائها، ودخل مصر فقرأ بها القرآن على طاهر بن غلبون. وبعد عودته إلى سبتة ولي الخطبة والصلاة بجامعها، وانتصب به لإقراء القرآن والقراءات.

ابن حمادة السبتي، *مختصر المدارك*، ملحق بترتيب المدارك للقاضي عياض، تح. سعيد أعراب، المحمدية، 1983، ج 8، ص. 172.

محمدالمغراوي

**الـزُّبَـيْـر**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم هكذا : - Zubeyr - Zuveir - Azubaire .Azoveyre

**الزبير، الحاج حمو** بن علي، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني بوگافر انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي مَحمد امزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور وشارك في عدة معارك وسقط أسيراً بيد الإسبان في المعركة التي جرت بأولاد غانم بقبيلة بني سيدال يوم فاتح سبتمبر 1910.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 760 ؛ *أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي* ( 1909 - 1912)، تطاون 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزجَاج**، أصل الكلمة لا تيني "فيروم" (Vitrum) وتعني جسم صلب، شفاف وهش. يوجد الزجاج في الطبيعة على شكل صخور شفافة كالسبج (زجاج بركاني أسود)، والتيكتيت (صخر صواني زجاجي). ويعتبر الزجاج مادة لا بلورية، مكونة أساسا من السليس المنحدر من الرمل والمرو المنصهر في درجة حرارة عالية والممزوج بالصوانات والبورات. الشيء الذي يجعله يفقد بنيته البلورية عند عملية التبريد مما يعطي مادة زجاجية شفافة وهشة. وتمزج أغلب أنواع الزجاج بمواد أولية مختلفة كالقلي (موادة مضادة للحوامض) ونذكر منها هنا كربونات الصوديوم أو البوتاسيوم ؛ مما يخفض من درجة حرارة انصهارها وتلزجه. ولهذا السبب، وحسب تركبة الزجاج، فهناك أنواع تنصهر عند بلوغ درجة الحرارة 500 C° ؛ وأخرى يمكن أن تصل درجة حرارتها 1700 C°. ونشير هنا إلى أن الجير والدولوميت (ثاني كربونات الكلسيوم والمغنيزيوم) يلعبان دوراً هاما كمثبت بالنسبة للخليط الزجاجي. إن أوكسيدا التنتال والتوريوم يزيدا كثيراً في تقوية دليل إنكسار الأشعة للزجاج الصافي. ويمكن زيادة بعض المواد الكيميائية كالأكاسيد مثلا حسب نوعية الاستعمالات المنتظرة من مادة الزجاج، وذلك قصد تغيير خصائصه الكيميائية والفزيائية والميكانيكية.

للحصول على مادة صافية وعديمة اللون، يزيد الزجّاجيّون مادة المنغنيز لابطال مفعول بقايا الحديد، والتي تعطي للزجاج لونا بنيا مخضراً. ونشيرهنا إلى أن لون الزجاج مرتبط بنوعية المادة الملونة الكميائية، والمقادير المستعملة وكذا تركبة المحيط الجوي للزجاج إبّان الانصهار.

نحصل على تلوين الزجاج بزيادة الأكاسيد المعدنية كما يلي :

| المادة المزدادة في الزجاج | لون الزجاج |
|---|---|
| أملاح الحديد والكروم | الأخضر |
| أملاح النيكل | الأربد |
| أملاح الكوبالت | الأزرق |
| أملاح الذهب | ياقوتي أحمر |
| أملاح الكدميوم أو السلينيوم | أحمر أو ليموني |

كانت صناعة الزجاج قديما تعتمد على انصهار اوذوبان المواد الأولية ؛ داخل غراريف من الطين أو حُفر. ولا زالت هذه الطريقة مستعملة في الصناعة التقليدية الحديثة، لانتاج كميات قليلة من الزجاج، كالبصريات مثلا. إلا أن معامل الزجاج العصرية أصبحت تذوب كميات أكبر داخل افران ضخمة على شكل أحواض، تتسع لاكثر من 1000 طن من الزجاج، مما يمكن انتاجا يوميا يفوق 500 طن. وتعمل هذه الافران باستعمال الغاز أو المازوت أو الكهرباء.

أنواع الزجاج كثيرة نذكر منها هنا :

1) الزجاج المنبسط، المستعمل خصوصا في العمران ؛ كزجاج النوافد، والشرفات، وغيرها. يتراوح سمك هذا النوع ما بين 3 و8 ملم.

2) الزجاج السائل، ويمر هذا الأخير تحت مدامك خاصة، حيث يضاف إليها أحيانا خيوطاً من السلك الحديدي ليصبح زجاجا مسلحا، أو توضع أوراق من البلاستيك الشفاف ما بين ورقتين من الزجاج الرقيق لصنع واقية الهواء بالنسبة للسيارات مثلا. واضافة إلى الزجاج المسلح، وواقية الهواء، يستعمل وبكثرة هذا النوع من الزجاج في الكثير من الميادين المعمارية.

3) الزجاج المجوف، ويستعمل لصنع القنينات الزجاجية، والقماقم، والقوارير والمصابيح.

4) الالياف الزجاجية، نحصل عليها بتمطيط المادة الزجاجية المنصهرة إلى أن يصل سمكها ما بين 0،5 و15 ميكروميتر، ثم ينسج أو يلبد تماما كما يفعل بالمنسوجات. وتدخل الالياف الزجاجية في بعض صناعات الاقمشة مما يجعلها رفيعة ونادرة، وكذلك في صناعة الاثاث الثمين. وترجع قيمتها إلى الاستقرار الكميائي للألياف الزجاجية، ومقاومتها للنار والماء ؛ فهي لا تصدأ كالحديد ولا تتعفن كالخشب.

5) الزجاج التقني، ويشمل الزجاج البصري (عدسات النظارات وآلات التصوير والمجاهر)، وكذا العديد من أنواع الزجاج والتي تتميز بخاصية ميكانيكية أو ضوئية (زجاج مختبرات البحث العلمي مثلا، يصمد للحرارة، ولا يتأثر بالكيماويات كالحوامض والكاويات).

يعد المغرب من البلدان المستوردة لأغلب حاجياتها من مختلف مصنوعات الزجاج، من أوروبا (فرنسا، إيطاليا، إسبانيا، روسيا، تركيا، رومانيا، الخ ...) وكذلك من آسيا (الصين الشعبية، الطايوان، اليابان، الخ ..). أما إنتاجات المغرب من مصنوعات الزجاج فتبقى دون تلبية حاجيات السوق الداخلية، ونذكر منها هنا صناعة القناني

وبعض الأوعية، وكذا الواح الزجاج المستعملة في العمران كزجاج النوافذ، والشرفات، الخ...). من بين أسباب تخلف صناعة الزجاج بالمغرب، سواء منها التقليدية أم الحديثة، نذكر قلة أو حتى انعدام وجود الرمل المناسب لهذه الصناعة. ونشير هنا كذلك إلى أن المغرب يستورد كل حاجياته تقريبا من مادة هذا الرمل من الخارج منذ إنشاء هذه الصناعة بالمغرب.

A. Foucault et J.F. Raoul, *Dictionnaire de géologie*, 3ème éd. Paris, 1988 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français-arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; D. Rudolf et Lubos R., *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Goélogie des gîtes minéraux marocains : Substances métalliques et non métalliques*, 2ème éd., t. 1, Rabat, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème éd., t. 3, Rabat, n° 19 ; J. Agard, *Minerais et substances utiles de la carte géologique au 1/200.000è des environs de Casablanca, rapport SEGM*, n° 151, 1950 ; A. Michard, *Elément de géologie marocaine*, Rabat, 1976 ; *Eléments de la géologie du Maroc*, Rabat, 1977 ; *Marbres et roches ornementales, Mines, Géologie et Energie*, Rabat, 1979 ; *Bulletins mensuels de la conjoncture minière* ; D. Reig, *Dictionnaire Arabe-Français, Français-Arabe, As-Sabil*, Paris, 1986 ; P. Lapadu-Harques, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; B. Bariand, F. Cesbron et J. Geffroy, *Les minéraux, leurs gisements, leurs associations*, 3 vol., 1978 ; A. Bouhaouli, *Note sommaire sur les sables marocains utilisables dans l'industrie du verre et les fonderies, Notes techniques SEGM*, n° 86, 1975 ; O. Köppel O et M. Nataf, *Les sables de Sidi Yahia du Gharb, de Mohamedia, de Sidi Allal El Bahraoui et de Sisi Madj, Etude préliminaire en vue de leur utilisation éventuel en fonderie, Note technique SEGM*, n° 101, 1976 ; M. Nataf, *Etude d'un grès siliceux de Bousselham Taguentecha (Maroc oriental), et de trois sables de Rabat et de Meknès en vue de leur utilisation éventuelle dans la fabrication de verre à vitre, Rapport technique SEGM*, n° 10, 1967 ; G. Berger, *Etude des sables noirs des plages atlantiques du Maroc, Notes Serv. Géol. Maroc*, t. 14, n° 133, 1956.

عبد الله بوصحابة

**الزجّالي، عبيد الله** بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد القرطبي. ولد بمدينة قرطبة عام 617 أو 618 / 1220 أو 1221، وذلك قبل خروج المسلمين منها بنحو خمس وعشرين سنة ودرس على بعض شيوخها منهم: علي القرشي، وابن الطيلسان.

ثم انتقل إلى شاطبة سنة 636 / 1238، وتعتبر حياته في شاطبة استمراراً لحياته الدراسية في قرطبة، وامتداداً لها، وقد درس على بعض علمائها مثل :

أبو عبيد الله محمد بن لب بن محمد بن عبد الله بن خيرة الشاطبي، وعن أبي عبد الله القطني، وعن أبي القاسم بن أبي القاسم الشاطبي.

تولى القضاء بمدن عديدة كأبذة، وشريش، وجيان، وشاطبة، وقرطبة في الأندلس. كما تولى قضاء سبتة، وفاس، ومراكش، وأغمات وريكة من مدن المغرب.

دخل مدينة مراكش سنة 640 / 1242، وهي مسرح للحروب والفتن بين الموحدين المتقاتلين على إرث الخلافة، ثم بينهم وبين المرينيين الذين قضوا على دولتهم.

عاش في عصر كله نكبات ومحن وفتن في الأندلس والمغرب. كما كان كثير الانقباض والقناعة، صبوراً على الوحدة. وقد تميز بين أقرانه باهتمامه الكبير بالثقافة العامية، وعنايته الخاصة بما يعرف بالتراث الشعبي. له ري *الاوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام* استخرج منه محمد بنشريفة كتاباً سماه (*أمثال العوام في الأندلس*).

توفي بمراكش ضحى يوم الخميس ثالث وعشري رجب عام 694 / 24 يونيه 1295.

*صلة الصلة*، 139؛ *الذيل والتكملة*، 8 : 3؛ *درة الحجال*، 2 : 334؛ الزركلي، *الأعلام*، 4 : 191؛ م. ابن شريفة، *أمثال العوام في الأندلس*، التقديم.

أحمد متفكر

**الزجَل**، مصطلح موسيقي يراد به في أشعار الموسيقى الأندلسية ما نظم بلهجة عامة أهل الأندلس القديمة. ويقال في المقطوعة المنظومة على هذا النحو : "صنعة زجل" تمييزاً لها عن أنواع النظم الثلاثة الباقية، وهي : الشعر الفصيح الموزون، والتوشيح، والبرولة.

ومثال صنعة "الزجل" من قدام نوبة رمل الماية :

نمدح محمد سيد — أهل السما والأرض
من جانا بالشرائع — والسنن والفرض
واطوى الأرض البسيطة — طولها والعرض

وقد تنظم الأزجال المغناة على نمط الموشحات من حيث تبنيها نظام توالي الاقفال والأبيات. ومثالها زجل من قدام نوبة رصد الذيل :

شمس النهار — ما تصبر
على الثمار — حين تصفر
لا يا عشية لا — تلهمني أنسا مضى
وكاس المدام خلا — يلهبني لما أضا
قلبي جمار أملا — يوهمني نار الغضا

ويحفل كناش الحايك بأزجال أغلبها مما نظمه شعراء أندلسيون، غير أن صعوبة اللهجة الأندلسية وانقطاع العهد بتداولها بعد هجرة الأندلسيين إلى المغرب كانا مما دفع بالشعراء المغاربة في العهود المتأخرة إلى استبدال بعض الأزجال الأندلسية بأخرى مغربية اللهجة ومثال ذلك معارضة الأديب المفضل أفيلال (ت. 1276) لزجل أندلسي أوله :

من ملك عقلي رهين — ريت على خده اليمين

بزجل آخر أوله :

من كمال عقلي الرزين — هام فيمن وصفه يزين

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الزجْلي، علي** بن محمد بن عبد الواحد الفاسي موسيقي نوه به إبراهيم التادلي في كتابيه "اختصار تذكرة الانطاكي" و"أغاني السقا" وكذا في إجازته لمحمد بن خليفة المدني، ونعته بأنه إمام في هذا الفن، ويحسن الضرب على العود بيده. توفي بفاس الجديد يوم الثلاثاء 23 رمضان عام 1265 / 1849، ودفن بالقباب.

إ. التادلي، *أغاني السقا*، اختصار تذكرة الأنطاكي ؛ إجازة محمد ابن خليفة المدني، خ. ع 5، 1427 ؛ م. المنوني، مجلة البحث العلمي، السنة 6 العدد 14 و15 شوال رمضان 1389 / يناير - يبراير 1969، ص. 162 و175.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

**الزجْني، محمد** بن أحمد (ابن أبي العافية أو ابن العافية) المصمودي ثم التطواني. الفقيه العلامة القاضي النوازلي المدرس، أصله من مدشر إزاجن من قبيلة مصمودة الغرب قرب مدينة وزان، وغالب الظن أنه ولد هناك ونشأ وشب وتلقى العلم إلى أن أصبح مؤهلا لتولية القضاء فتولاه ببلده، ثم ولي قضاء تطوان وقد وجد رسم عدلي سجل عليه بالوصف المذكور سنة 1111 ووجد التسجيل عليه بذلك سنة 1113. وللمترجم له تأليف في أنساب شرفاء المغرب سماه *دواعي الطرب، في أنساب العرب* لم أقف عليه. وفي *التقاط الدرر* للقادري وكذلك في *نشر المثاني* أنه توفي بالوصف المذكور سنة 1115 (1702) والظاهر أن وفاته كانت بتطوان.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 247 - 248 ط. تطوان، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1896، 56 : 1896 ؛ *مختصر عمدة الراوين*، ص. 103، مخطوط.

محمد بوخبزة

**زحيليگة** (جغرافيا -) تقع زحيليگة بإقليم الخميسات في أقصى الجنوب الشرقي، وتبعد عن عاصمة الجهة الرباط بحوالي 110 كلم، وتمتد على مساحة 540 كلم$^2$ بكثافة سكانية تصل إلى 0,31 نسمة في الهكتار الواحد.

| | |
|---|---|
| عدد السكان | 16.778نسمة |
| المساحة | 540كلم2 |
| الكثافة | 0.31ن /كلم2 |

تبلغ ساكنة زحيليگة 16778 نسمة حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1994، ويتشكل الهرم العمري لهذه الساكنة من 51,95٪ ذكور و48,05 إناث، وتتميز هذه الساكنة بكونها شابة، إذ تبلغ فئة الشباب دون الخامسة عشرة 39,16٪، في حين من هم في سن الشغل (15 - 59 سنة) يشكلون 52,19٪، أما المسنون (60 سنة فأكثر) فيمثلون 8,65٪.

| | |
|---|---|
| السكان البالغون بين 0و 5سنوات | ٪15.05 |
| بين 6و 14سنة | ٪25.11 |
| بين 15و 59سنة | ٪52.19 |
| أكثر من 59سنة | ٪8.65 |

ووصل الرقم التركيبي للخصوبة (معدل الأطفال لكل امرأة) بجماعة زحيليگة إلى 3,38 طفل، وهو رقم أعلى من المعدل المسجل على الصعيد الوطني (3,3)، وكذلك أعلى من المعدل الجهوي (2,7).

ومن خلال دراسة الأشخاص البالغين من العمر 15 سنة فأكثر حسب الحالة الزواجية، نستنتج هيمنة صفة المتزوج بـ 55,77٪، وتمثل صفة الأعزب 36,82٪، أما الحالات الأخرى من أرامل ومطلقين ... فلا تمثل سوى 7,40٪.

| | |
|---|---|
| المتزوجون | ٪55.77 |
| العزاب | ٪36.82 |
| حالات أخرى | ٪7.40 |

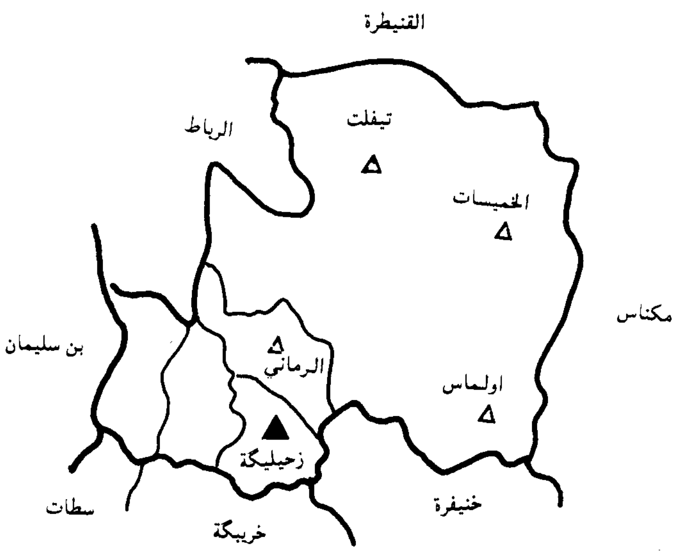


أما متوسط السن عند الزواج الأول فيصل إلى 25,71 سنة، ويعرف اختلافا ما بين الذكور والإناث، بحيث نجد أن الإناث يتزوجن في سن مبكرة نسبيا مقارنة مع الذكور (22,85 سنة في أوساط الإناث مقابل 28,08 سنة في أوساط الذكور).

وفيما يخص المستوى التعليمي بالجماعة (دائما حسب

نفس الإحصاء)، نجد أن نسبة الأميين من السكان البالغين 10 سنوات فأكثر تبلغ 73,10٪، ويعزى هذا المعدل على ضعف التعليم في صفوف الإناث بصفة كبيرة حيث تصل نسبة الأمية في صفوف الإناث إلى 85,54٪ بينما تحوم في صفوف الرجال حول 61,40٪. أما فيما يتعلق بنسبة التمدرس (تمدرس الأطفال7 . 12 سنة) فتحوم حول 45,09٪ مع تسجيل فوارق عميقة بين الذكور والإناث، فإذا كانت هذه النسبة الأخيرة تصل في أوساط الرجال على 54,42٪ فإنها لا تتعدى في صفوف الإناث 34,37٪.

| معدل التمدرس | ٪45.09 |
|---|---|
| في أوساط الذكور | ٪54.42 |
| في أوساط الإناث | ٪34.37 |
| معدل الأمية | ٪73.10 |
| في أوساط الذكور | ٪61.40 |
| في أوساط الإناث | ٪85.54 |

سجل معدل النشاط 31,23٪ بجماعة زحيليگة، في حين وصل معدل البطالة إلى 9,23٪، وحسب الجنس فإن هذين المؤشرين يسجلان في أوساط الذكور 55,49٪ و7,29٪ على التوالي، وفي أوساط الإناث 5٪ و32,50 ٪ على التوالي.

| معدل النشاط | ٪31.23 |
|---|---|
| في أوساط الذكور | ٪55.49 |
| في أوساط الإناث | ٪5.00 |
| معدل البطالة | ٪9.23 |
| في أوساط الذكور | ٪7.29 |
| في أوساط الإناث | ٪32.50 |

ويتبين من خلال توزيع السكان النشيطين بهذه الجماعة القروية حسب الحالة في المهنة بروز ظاهرة المساعد العائلي الفلاحي بـ 38,80٪ لكون اقتصاد المنطقة يقوم أساساً على الزراعة البورية وتربية الماشية، في حين يمثل المستقلون 28,63٪ في وقت سجلت صفة المأجور 23,44٪.

ونشير كذلك إلى وجود نشاط تجاري لا بأس به لكون مركز زحيليگة يعتبر محطة طرقية على الطريق الوطنية الرابطة بين الرباط وبني ملال.

| الحالة في المهنة | المعدل العام | ذكور | إناث |
|---|---|---|---|
| مستقل | 28.63 | 26.35 | 2.28 |
| مأجور | 23.44 | 21.99 | 1.45 |
| مساعد عائلي | 38.80 | 36.72 | 2.07 |
| أخر | 9.13 | 8.92 | 0.21 |

أما فيما يتعلق بمميزات الأسر وظروف السكن بجماعة زحيليگة حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1994، فقد بلغ معدل الأفراد بالأسرة الواحدة 6,3 شخص (16778 نسمة موزعة على 2661 أسرة).

وفيما يخص نوعية السكن بهذه الجماعة فيطغى عليه السكن الريفي حيث يأوي 38,75٪ من الأسر، كما يأوي السكن البدائي شريحة مهمة من الأسر تصل إلى 30,26 ٪، في حين لا يمثل السكن المغربي سوى 15,87٪.

| سكن ريفي | ٪38.75 |
|---|---|
| سكن بدائي | ٪30.26 |
| سكن مغربي | ٪15.87 |
| ڤيلا أو شقة | ٪0.74 |
| أخر | ٪14.39 |

وفيما يهم عدد غرف السكن التي تشغلها الأسرة، فخلال سنة 1994 نجد أن حوالي 67,95٪ من الأسر بجماعة زحيليگة تشغل مسكنا يتكون من غرفة واحدة أو غرفتين على الأكثر، في حين نلاحظ إنخفاض نسبة الأسر التي تسكن ثلاث غرف على الأقل حيث لم تسجل هذه النسبة الأخيرة سوى 32,06٪. ويصل معدل شغل المسكن الذي يعد مؤشراً يبرز مدى الكثافة بالغرف، والمعبر عنه بمتوسط عدد الأشخاص بكل غرفة، إلى 3,13.

| 1إلى 2 | ٪67.95 |
|---|---|
| 3 | ٪19.66 |
| 4 | ٪5.56 |
| 5وأكثر | ٪6.84 |

أما بصدد صفة حيازة المساكن التي تقطنها الأسر بهذه الجماعة، فحسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1994، فإن ما يناهز 81,12٪ من الأسرة ما لكون لدورهم، في حين ناهزت صفة المكتري 3,86٪.

| مالك | ٪81،12 |
|---|---|
| مكتر | ٪3،86 |
| أخر | ٪15،02 |

أما فيما يتعلق بدرجة التجهيز بهذه الجماعة الريفية فهي جد ضعيفة، فإذا كانت نسبة الأسر المرتبطة بشبكة عمومية للكهرباء في حدود 9,23٪ فإن نسبة الأسر المرتبطة بشبكة الماء لم يتجاوز 4,06٪. أما بالنسبة للتجهيزات الأخرى فإن حجم الأسر المتوفرة على مرحاض يصل إلى 17,71٪، في حين أن نسبة المنازل المجهزة بحمام لم يتعد 5,54٪.

| الماء | ٪4،06 |
|---|---|
| الكهرباء | ٪9،23 |
| مرحاض | ٪17،71 |
| حمام | ٪5،54 |

*تحريات خاصة.*

*R.G.L.H, Série communale*, 1994 ; *Caractéristiques démographiques et socio-économiques de la population des communes urbaines et rurales du Royaume*, Volume IV, 1997.

** أما عن تاريخ زحيليگة، فهي قرية صغيرة، اشتهرت بمعركة "الفجّ" التي جرت فيها بتاريخ 2 دجنبر 1912، بين مقاومي زعير والقوات الفرنسية، حيث قتل الضابط "Christian". وأسس الجنرال "Blondlat" بهذه المنطقة مركزاً عسكرياً سماه "Camp Christian" نسبة للقبطان المقتول، وذلك بهدف ضبط الأمن بالمنطقة ولتوجيه الحملات العسكرية لإخضاع ما تبقى من زعير وقبيلة بني خيران المجاورة والتوغل في أراضي زايان.

أصبح هذا المركز مستقراً للعسكريين والمعمرين، ملحقة بالمراقبة المدنية للرماني. وبعد الاستقلال أصبحت تعرف بـ "زحيليگة" نسبة للمنحدرات القوية التي وجدت بها. بلغ عدد سكانها في شتنبر 1994 : 16.778 على مساحة 540,00 كلم2. ترتبط أنشطتها الاقتصادية بالفلاحة خاصة. تشتهر بسوقها الأسبوعي (الخميس). وتشكل محطة لتوقف المسافرين والحافلات بين الرباط من جهة، ووادي زم وخريبگة وبني ملال من جهة أخرى. وهي اليوم جماعة قروية وقيادة تابعة لدائرة الرماني، إقليم الخميسات، جهة : الرباط ـ سلا ـ زمور ـ زعير.

م. ابن سودة، *قبيلة زعير قديماً وحديثاً*، الدار البيضاء، 1977.

*Guide des communes*, Rabat, 1991 ; *Organisation territoriale du Maroc et commandement indigène au 1er nov. 1929 et 1er janvier 1937* ; Robert (J.T), *Dictionnaire des villes et localités du Maroc*, Rabat, 1936 ; *Villes et tribus du Maroc*.

صالح شكاگ

**زداغة**، مجموعة من القبائل، معنى الكلمة معرب من الكلمة الأمازيغية "إزداغْن" أي المستقرين حديثاً في مقابل "إيگيزولن" المستقرين الأصليين. وتقع هذه المجموعة البشرية إدا وزداغ جغرافيا في السفح الجنوبي للأطلس الكبير في الشمال الشرقي لمدينة تارودانت تحيط بها قبائل منتاكة غربا والمنابهة وأيت إيگاس جنوبا وتافنكولت شرقا، وسكساوة وكدميوة شمالاً.

وتتكون هذه المجموعة من قبائل : أيت سمك، أيت إيگاضا تيگوگا إگنسان، أيت يوسف، تالگجونت ـ حنگيرة أيت تامنت (وادي العسل) ادا اومسطوگ.

وتعتبر تالگجونت مركزا قياديا وفيه كانت القيادة في أسرة بازين. وقد عرفت المنطقة ببعض المآثر من بينها. زاوية "تافيلالت" زداغة وبها ضريح سيدي عبد الله بن سعيد الحاحي المشهورة في قبيلة أيت تامنت المتوفى عام 1012 / 1603 وقد تمكن ابنه يحيى الحاحي أن يسود سياسياً على أودية الأطلس الكبير المحيطة بزاوية تافيلالت وعلى مدينة تارودانت بل وعلى مراكش كذلك في بداية القرن الحادي عشر (17 م). أما في قبيلة إذا اومسطوگ فيوجد قبر السيد عبد الله بن الحاج إبراهيم التاسافتي مؤلف كتاب "رحلة الوافد" في القرن الثاني عشر (18 م).

وقد أخرجت هذه المنطقة العديد من العلماء بفضل مراكز التعليم في المدارس العتيقة وخزاناتها العلمية مثل مدرسة زاوية تافيلالت ومدرسة قديمة بايت سمك وقد درس صاحب رحلة الوافد من المدرسة الأولى. غير أنهما اندثرا معاً في الوقت الحاضر.

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ الغرب*، ص. 72 ـ 73 (خريطة سوس) ؛ التاسافتي، عبد الله بن إبراهيم، *رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد*، تح. على صدقي، منشورات كلية الآداب بالقنيطرة، سنة 1992 ؛ معلومات خاصة من الأستاذ أحمد بوزيد الكنساني.

عمر أفا

**الزدوتي، إبراهيم** بن أبي بكر ولد بقرية تيكمي نتركا بقبيلة إداوزدّوت في الجنوب الشرقي من مدينة تارودانت. وقد عميت أخباره العلمية عن المؤرخين ولا يذكر إلا باعتباره من مريدي الطريقة الدرقاوية التي تلقاها، على عكس كثير من المريدين السوسيين، من الشيخ مولاي المهدي الدرقاوي المراكشي.

كان الزدوتي فقيها مشهورا ببلده، قبل أن يسلك طريق

التصوف، ويتعرف على الشيخ الحاج علي الإلغي الدرقاوي ويصبح من مريديه ومن أعمدة الطريقة في بلده، حيث كان يستقبله عندما يسيح إلى تلك الجهة مع فقرائه ويراسله عندما يستقر في زاويته بإلغ دون أن يزورها ولو مرة واحدة.

توفي الزدوتي في حدود سنة 1325.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 234 ؛ *رجالات العلم العربي في سوس*، ص. 211.

المهدي السعيدي

**زرارة** وتكتب في بعض المصادر المغربية زرار والزرارات، وهي من عشائر قبيلة الأوداية التي أصلها من عرب معقل الصحراويين، وكانوا ينتجعون بين الصحراء وسوس الأقصى، وقد جمعهم السلطان مولاي إسماعيل في قصة مشهورة، وشكل منهم قبيلة مخزنية قوية، وكتبهم في ديوان الجيش، ووزعهم بين فاس ومكناس. ثم أمر بنقلهم إلى حوز وجدة، وأضافهم إلى إخوانهم من بين معقل الشبانات الذين نقلهم من حوز مراكش، وولى عليهم القائد أبا البقاء ابن الزويعر الزرهوني الزراري.

وتمكنت زرارة بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل مع أولاد جرار والشبانات من الهروب في اتجاه بلادهم، ونهبوا جميع ما مروا به، كما ذكر الريفي في دولة السلطان محمد ولد عربية. وذلك عام 1150. ولما تولى السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحل أولاد دليم من بلادهم وأعطاها لزرارة والشبانات مما جعل الصراع حول المجال يمتد إلى عصر ابنه مولاي اليزيد. وكانت زرارة من أشد المساندين للسلطان مولاي هشام ضد أخيه اليزيد، وحتى بعد مبايعة مولاي سليمان ظلوا متشبثين ببيعة مولاي هشام. وقد استقروا قرب زاوية الشرادي، وأصبح وادي الحلوف يعرف ببلاد زرارة.

ع. الكريم الريفي، *زهر الأكم*، 248 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري، ص. 214 و236 و263 ـ 299 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخ خ س 12184 ج 6، ص. 109 ؛ ابن زيدان، *العز والصولة*، 1 : 164.

أحمد ايشرخان

## الزراعة ← الفلاحة

**الزراعة المائية**، تطلق على تربية نباتات (طحالب مثلا) وحيوانات (رخويات أسماك الخ) مائية من أجل استغلالها خاصة في ميدان التغذية. وقد يعني بذلك حيوانات ونباتات تعيش في المياه القاريه العذبة أو تلك التي تعيش في البحر.

والزراعة المائية نشاط اقتصادي معروف منذ عصور غابرة حيث إن الصينيين كانوا يتعاطون تربية أسماك المياه العذبة ورغم قدم هذا النشاط فإن الإنسان لم يتحكم بعد في مراحل تربية العديد من الأنواع المائية ومازالت تربية الأحياء المائية لا تنتج إلا أقل من 20٪ من المنتوج العالمي من الموارد البحرية والمائية بشكل عام. أما في المغرب فتلك النسب لا تتعدى 1٪ نظراً لضعف الاستثمار في هذا المجال ونظراً كذلك لضعف التحكم في تقنيات تربية العديد من الأنواع. ومن المشاكل التي تعترض تقدم وتطور هذا الميدان هناك :

ـ التوالد حيث إن تربية العديد من الأنواع المائية، خاصة الأسماء يعتمد بالأساس على توفر نسل يلتقط في معظمه من الوسط المائي، إلا أن مشاكل التلوث والإفراط في الصيد الخ، يضعف من إمكانية العثور على نسل وفير يمكن من تأمين حاجيات المستثمرين في صغار الحيوانات المرباة.

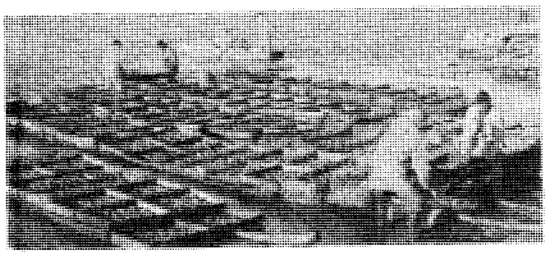

ـ نمو وتطور اليرقات حيث إنه من المعروف أن أغلبية الحيوانات المائية تلقي حيواناتها المنوية وبويضاتها بالآلاف في الماء لتلتقي بينها وتتخاصب، لكن تلك البويضات المخصبة وبعد تطورها إلى يرقات تبقى انتقائية جداً من حيث ظروف الوسط الذي تعيش فيه الشيء الذي لا يمكن وجوده وتحضيره بشكل كامل في الوسط الاصطناعي.

ـ التغذية التي يمكن أن تسبب مشاكل على مستويين (كمي وكيفي)، أما من حيث الكيف فإن ما يعطى لنوع من الأسماك قد لا يصلح لنوع آخر بل وداخل نفس النوع فقد يختلف. عذاء اليرقات عن غذاء الأفراد البالغة. أما على مستوى الكم فمازال مشكل "الكمية" الكافية وغير الملونة قائما بالنسبة لمجمل الزراعة المائية التي تسبب غالبا أضراراً بيئية قد يمكن تفاديها لو عرف المستثمر الكمية التي عليه أن يقدمها للأنواع المرباة.

ـ القابلية للتربية حيث إن الحيوانات اللاحمة المزمع تربيتها قد يصعب جمعها في مكان واحد نظراً لطبيعتها الافتراسية.

واعتماداً على المعطيات البيئية للوسط المستعمل في تربية الأحياء المائية قد يلجأ المربي لتلك الأحياء إلى تطعيم الوسط بمواد مغذية تساعد الحيوانات على النمو والتطور. وقد يستغني عن ذلك إذا كان الوسط الذي تعيش فيه تلك الأحياء غنيا بالمواد العضوية الكافية لنمو كل حلقات السلسلة الغذائية التي تنتمي إليها الأنواع المزمع تربيتها.

يمكن تقسيم زراعة الأحياء المائية إلى ثلاثة أنواع حسب الهدف من هذه الزراعة.

1 ـ زراعة إنتاجية والهدف منها تكثيف إنتاج أحد الأنواع المرباة وذلك إما لدورها الاقتصادي والاجتماعي وإما لتخفيف الضغط على أنواع أخرى مستهلكة.

2 ـ زراعة توظيفية والمراد من تنميتها مساعدة بعض الأنواع المهددة أو في طريق الانقراض على التكاثر حتى تضمن الاستمرارية للنوع الذي تمثله.

3 ـ الزراعة الاحتياطية وهي زراعة أحياء مائية لأنواع مستعملة قد لا تكون مهددة لكن الإفراط في استعمالها قد يعرضها لذلك يوماً ما، لذا فإن زراعتها للتحكم في مراحل تطورها قد يساعد يوماً ما على إنقاذ وجودها إذا ما أصبحت مهددة.

رغم شساعة مساحة المنطقة الوطنية البحرية ورغم طول السواحل المغربية ووفرة الأوساط المحمية، فالمناطق المستعملة لزراعة الأحياء المائية تبقى جد محدودة (بحيرة الناضور، بحيرة الواليدية، بحيرة طرفاية...)، أما الأنواع المرباة فهي تقتصر على ثلاثة أنواع من الأسماك ونوعين من الرخويات. أما الإنتاج، وكما ذكرنا سابقا، فهو لا يتعدى 1٪ من مجموع الأسماك المستخرجة من البحر ولا يتعدى 2000 طن فقط.

محمد منيوي

**الزراعة المغطاة** أو الدفيئة، أنماط زراعية متطورة تعتمد البيوت المغطاة أو الدفيئة. والبيوت المغطاة بنيات محيطة مكونة من هيكل يحمل مربعات زجاجية أو غشاء بلاستيكي، يتلخص دورها في تعديل مفعول المناخ وتكييفه مع متطلبات المغروسات بأقل كلفة. يسمح هذا التغيير الاصطناعي للوسط بزراعة النباتات خارج إبان إنتاجها الطبيعي، حيث تعجز في غيابه عن النمو، أو إذا حصل، كان المردود هزيلا وإنتاج الفواكه أو الخضر أو الزهور ضعيف الجودة.

وتسمح الواقيات الخفيفة (الأنفاق البلاستيكية، الأنفاق الوطيئة، السقيفات)، ذات الكلفة المتواضعة، بحماية النباتات من عنف الرياح ومن الصقيع، وكذا باكتساب بضع درجات حرارية خلال فصل الشتاء وبتسريع إبكار الجني بأسبوعين إلى أربعة أسابيع حسب الأنواع النباتية المزروعة. ومقارنة بزراعة الفضاء الطلق، تخول الدفيئة أو النفق البلاستيكي الامتيازات التالية :

ـ تكثيف نظام الإنتاج، خاصة في حيز المساحات الصغيرة ؛

ـ تعجيل الجني من أجل الاستجابة لطلب السوق بشأن الفواكه والخضر المبكرة ؛

ـ تقسيط الإنتاج وبالتالي ترتيب المداخيل ؛ استثمار منتج في آجال تحصيل قصيرة ؛

تثمين أفضل وتحسين ظروف العمل.

تاريخيا يبدو أن البيوت الخضراء قد عرفت النور بهولندا، خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، إبان كان البلد أول قوة بحرية في العالم جعلته يتمتع بأعلى مستوى معاشي على الإطلاق. وقد كان من مباهج العيش في البلاطات الملكية بألمانيا وبريطانيا العظمى وفرنسا ما تقدمه زراعة البواكير، بالدفيئات المخولة للإزهار الشتوي، التي توفر العنب والفواكه في غير أوانها. ولازالت هولندا، حتى اليوم، من ضمن البلدان الأكثر تطويرا لزراعات الزهور والخضر تحت الدفيئات في أوروبا.

عرف المغرب واقيات الدفيئة ابتداء من السبعينيات، وقد حصل ذلك تبعا للتضييق الزمني الذي فرضته أسواق المجموعة الاقتصادية الأوربية بتخصيص فترة تصدير الطماطم ما بين نونبر وأبريل. فأصبح لزاما على المغرب إعادة هيكلة قطاع البقول (اتفاقية المغرب ـ س ق. أ. 1976). ومن مقتضيات مشروع إعادة هيكلة قطاع البواكير (1979 ـ 1987). تقوية الإنتاج الشتوي وتحسين جودته وتكييفه مع توقيت التصدير. أجريت تجارب على زراعة الطماطم والفلفل تحت الدفيئة في 1970 بأكادير، ثم امتدت بعدها إلى نواحي الدار البيضاء، آسفي والجديدة.

انتقلت تغطية الدفيئات من 5 هكتارات في 1973 ـ 1974 إلى 1.500 هتكار، 1.300 منها بالطماطم، في 1986 ـ 1987 مع متم مشروع البواكير. وفي 1994 ـ 95، أصبحت التغطية 8.560 هكتارا، 5.270 منها لزراعات البقول الباكورة، 2.930 للموز، 325 لزراعة الزهور و35 لزراعات مختلفة منها الدالية والخوخ والأناناس. خلال 1998 ـ 99، احتلت البقول في الأنفاق البلاستيكية وحدها 7.770 هكتارا لإنتاج 652.500 طن، تغطي الطماطم منها 3630 هكتارا، متبوعة بالفراولة (1.475 هكتارا)، والبطيخ (1.320)، والفلفل (416)، والدلاع (320)، والخيار (200)، والفاصولية (180)، وغيرها.

أما المناطق التي همتها هذه الزراعات فهي أساسا سوس ـ ماسة (5000 هكتار)، الغرب ـ اللوكوس (1400 هكتار)، دكالة ـ آسفي (1200 هكتار)، الدار البيضاء ـ الرباط ـ ابن سليمان (650 هكتارا)، سطات ـ تادلا ـ الحوز (300 هكتار)، وغيرها (100 هكتار).

أصناف الدفيئات المستعملة بالمغرب.

ـ الدفيئات المعدنية.

تتشكل الدفيئات المعدنية من أنفاق ذات هيكل معدني نصف ـ أسطواني مصنوع من أنابيب فولاذية مغلفنة، يبلغ علوها 3 أمتار (نفق دلتا 9) إلى 3،5 أمتار (نفق سوكودام)، وعرضها 9 أمتار على طول 56 مترا. تشغل هذه الأنفاق مساحة أرضية هي 504 أمتار مربعة وحجم 1210 أمتار مكعبة (نفق دلتا 9) إلى 1350 متر مكعب (نفق سوكودام). من الأنفاق ما هو بسيط ومنها ما هو متعدد المقصورات. وفي الحالات الخاصة بغراسة الموز والورد يمكن أن يبلغ علوها 4،5 إلى 5 أمتار. تغطي الدفيئات المعدنية مساحة 4300 هكتار أي 50٪ من مجموع المساحة المغطاة.

ـ الدفيئات الخشبية.

تسمى كذلك بالواقيات الكنارية وهي متعددة المقصورات مسطحة ذات انحدار ضعيف، يتألف هيكلها من أعمدة مصنوعة من خشب الكلبتوس، راسخة في الأرض ومشدودة بعقد السلك الحديدي. تعطي الدفيئات من هذا النوع، في ما يخص زراعات البقول، ارتفاعات من 2،7 إلى أمتار، ومساحة أرضية من 2.530 مترا مربعا بحجم 6.630 مترا مكعبا. تغطي الدفيئات الخشبية مساحة 3.300 هكتار منها 2.200 هكتار من الموز.

المراد من المخابئ الدفيئة بالمغرب أن تكون بنيات تسمح بنفوذ الأشعة الشمسية، الأشعة تحت الحمراء القصيرة، لكن مع حبس جزء من الاشعاعات تحت الحمراء الطويلة التي تعكسها التربة والنباتات تحت تأثير التسخين الشمسي خلال النهار. يحدث ذلك ارتفاعا في درجات الحرارة، تبقى عالية في الليل داخل النفق معها خارجه، إلا ما كان من حالات استثناء الانعكاس الحراري. ذلك بالضبط هو ما يسمى بمفعول الدفيئة. قليلا ما يتعدى الارتفاع الحراري الليلي الناتج 2 إلى 5 درجات، في حين يتزايد الفائض الحراري في النهار بحسب حدة الاشعاع الشمسي وضعف الرياح (شكل 1).

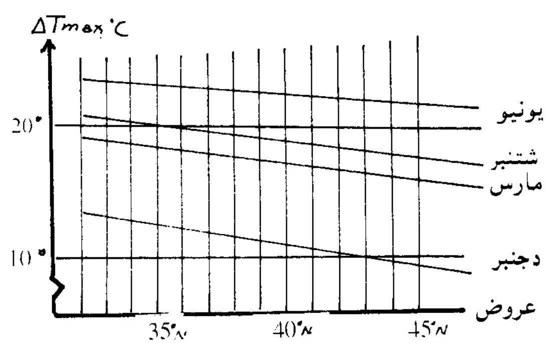


شكل 2 : المدى الأقصى (ΔT max) لارتفاع الحرارة تحت دفيئة مغلقة، مسقية، في فصول مختلفة وتحت عروض مختلفة.

ويتفاوت المدى الحراري الأقصى كذلك حسب الموقع العرضي واختلاف فترات السنة. ففي شهر دجنبر، تسمح الدفيئة إذا كانت حجوزيتها كافية بربح 10 درجات (شكل 2). لكن بقدر ما يكون مفعول الدفيئة مطلوبا في فصل الشتاء، بقدر ما تخشى عواقبه في الصيف، إذ أن ارتفاعات للحرارة تصل إلى 15 و20 درجة التحكم فيها بمجرد التهوية السكونية.

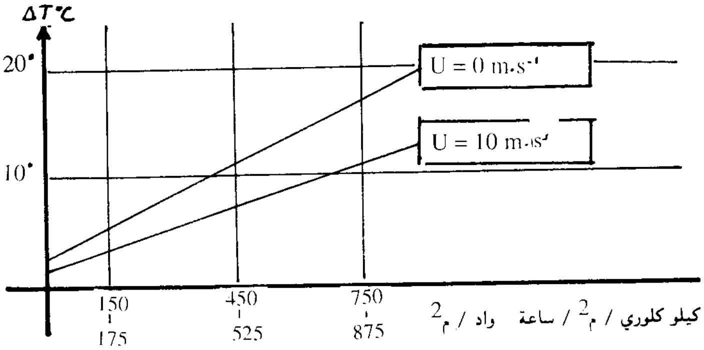


شكل 1 : ارتفاع الحرارة (ΔT) تحت دفيئة مغلقة، مسقية، حسب حدة الإشعاع الشمسي (Rg) وسرعة الريح (u) (نتائج نموذج رياضي)

هناك فوائد أخرى لمخابئ الدفيئة حيث إنها، بالإضافة إلى مفعولها على الحرارة، تحمي الغرس من تقلبات الجو (رياح عنيفة، أمطار...) كما إنها تقلل من التبخر والنتح بنسبة 30 إلى 40٪ مقارنة مع زراعات الحقول المفتوحة، الشيء الذي يحدث اقتصادا في استهلاك المياه يترتب بالخصوص عن ارتفاع الرطوبة النسبية للهواء ومفعول صد الرياح.

ـ الأنفاق الوطيئة.

الأنفاق الوطيئة أو الأنفاق النانتية هي أنفاق نصف أسطوانية ذات هيكل من أسلاك الحديد المغلفن الراسخ في الأرض، تشد فوقها تغليفات بلاستيكية. وهي تعتبر بنيات تخول "نصف التبكير"، مستعملة بصفة مؤقتة من أجل تسريع انطلاق الزراعة في مراحل لازال الجو فيها باردا جدا. أما إذا اقترنت بعمليات تفريش التربة فإنها تسمح بالزيادة في حرارة الهواء والتربة بما يناهز 5 إلى 10 درجات، على الأقل خلال النهار. ويتراوح مدى التبكير، مقارنة بالمجالات المفتوحة، ما بين أسبوعين وثلاثة أسابيع. تستعمل هذه الأنفاق، على الخصوص، في زراعات الفراولة والبطيخ. وتقدر المساحات المجهزة بها حاليا بحوالي 1000 هكتار.

**مواد التغليف والتفريض**

**ـ مواد التغليف.**

تمثل أغشية متعدد الاتلين قاعدة الصناعة في مواد التغليف (Polyéthylène : P. E.). ويكون توزيعها على

هيئة لفائف يتراوح عرضها ما بين 2 و6 أمتار. كما يتفاوت سمكها بين 40 ميكرون في الأنفاق الصغيرة النانتية أو في مواد التفريش، إلى 180 أو 220 ميكرون في دفيئات الموز.

وتعرض مواد البلاستيك أصنافا مختلفة :

ـ متعدد الاتيلين العادي (P. E.) : شفاف، بدون تلوين، لا يعمر أكثر من 6 أشهر، أما مفعول الدفيئة الذي يوفره فهو ضعيف. لا يستعمل إلا نادرا على الأنفاق.

ـ متعدد الاتيلين فوق البنفسجية (PEUV) : ينتج عن معالجة الصنف العادي، السالف الذكر، بإضافات الغرض منها تأجيل التدهورات المترتبة عن الأشعة فوق البنفسجية الشمسية. يبلغ مدى حياة غشاء من هذا النوع موسمين أو ثلاثة مواسم زراعية، وربما أكثر إذا كان محكم التركيب ومطليا في مستوى الدعامات.

ـ متعدد الاتلين تحت الحمراء (PEIR) : يأتي في الغالب على أساس متعدد اتيلين فوق البنفسجية مغناة بسليكات الألومين أو المغنيزي، الأمر الذي يقلل من نفوذيته إزاء الأشعة تحت الحمراء الطويلة، محدثا بذلك مفعول دفيئة أفضل. لكنه أقصر عمرا من الأغشية السابقة ويتمزق بسهولة أكبر.

ـ متعدد الاتيلين خلات الفنيل (Polyéthylène vinyle-acétate : PEVA, EVA) : وهو غشاء من الصنف الأول أو الثاني، مغنى بخلات الفنيل التي تسهم بزيادة خفيفة في شفافيته للأشعة الشمسية، مع تقليل واضح لشفافيته بالنسبة للأشعة تحت الحمراء الطويلة، الشيء الذي يرفع من مفعول الدفيئة. كما أنه أكثر مرونة من الأغشية العادية وأطول عمرا.

ـ متعددات الاتيلين الخاصة :

ـ مضادة للتضبب، وهي أغشية من متعدد الاتيلين معالجة بإضافات تحول دون تكاثف الماء على جدران الدفيئة.

ـ مضادة للغبار، وهي أغشية تتوفر على كهربة سكونية تنزع إلى إبعاد الغبار عن الغشاء البلاستيكي.

حصل تجريب مختلف الأغطية البلاستيكية في جهتين مختلفتين، جهة الدار البيضاء لحساب المنطقة الشمالية، وجهة أكادير لحساب المنطقة الجنوبية.

ففي المنطقة الشمالية، تبين أن استعمال الأغشية البلاستيكية ذات المفعول الحراري هي الأنسب حيث أسهمت في زيادة المردودية شتاء، شريطة أن يكون تدبير مناخ الدفيئة (الحجوزية، التهوية المناسبة) قد تم في ظروف ملائمة.

أما في المنطقة الجنوبية، فإن استعمال الأغشية ذات المفعول الحراري غير مرغوب فيها بالضرورة. ذلك أنه في الدفيئات الضعيفة التهوية (أقل من 20 إلى 25٪ من سطح الأرض)، يمكن أن يحصل فائض حراري، حتى في فصل الشتاء، يترتب عنه ذبول النباتات. كما إن تبرد الدفيئات في هذه المنطقة يكاد لا يحصل إلا خلال الليل، يتسبب فيه الإشعاع الأرضي المرتفع الذي يخص فترات الليالي الصافية. هذا النوع من التبرد يكون دائما مصحوبا بتكاثف الماء على جدران البلاستيك مما يتسبب في مفعول دفيئة من المستوى الممتاز، يدوم بدوام الفترة الباردة. لذا فإن دفيئة مغطاة بغشاء من متعدد الاتيلين فوق البنفسجية (بدون مفعول حراري) توفر مفعول دفيئة بالقدر الكافي في الجو البارد، دون ما أي مفعول دفيئة يذكر خلال النهار عندما يختفي التكاثف.

ـ التفريش.

يخول التفريش البلاستيكي للتربة تغيير حرارة الهواء والتربة بالجوار المباشر للنبات. عمليا، ترتفع حرارة التربة بدرجة واحدة إلى 5 درجات في المعدل حسب طبيعة الغشاء وطريقة نصبه. فالبنسبة لتفريش بمتعدد الاتيلين أسود، تتحسن الحرارة الليلية بما قدره 2 إلى 3 درجات بسبب امتصاص الإشعاع، في حين لا يطرأ أي تغير يذكر على حرارة التربة خلال النهار.

كما يساعد التفريش عموماً على مكافحة الأعشاب الضارة، وعلى الحد من التبخر والنتح، واندكاك التربة وتصويلها، ويؤثر على التبكير ومردودية الزراعات.

تدبير مناخ الدفيئة.

يكون التحكم في بيئة الدفيئة إما باستعمال تقنيات بسيطة واقتصادية (تهويه سكونية، تسخين شمسي سلبي، تبييض الغشاء البلاستيكي، طلاء الدعامات...) أو باستعمال طرق معقدة ومكلفة (تسخين بريح مدفوعة، حواجز حرارية، تهوية دينامية...). يتم اختيار تقنية دون الأخرى بالنظر إلى طبيعة الدفيئة ذاتها، وإلى القيمة الاقتصادية للمزروع ومدى تحمله لتكلفة الاعتمادات المترتبة، وإلى مستوى تأهيل البستاني، وإلى مدى توافر مصارد الطاقة.

أما المتغيرات الأساسية المراد التحكم فيها فهي : الحرارة، والنور والرطوبة.

ـ الحرارة.

فمن أجل حفظ الحرارة وتحسين الأجواء الليلية، يوصى باعتماد التقنيات الرئيسية الآتي ذكرها :

ـ استعمال حاجز مثنى من أجل ردع الحرارات القصوى والرفع من الحرارات الدنيا. تؤمن هذه التقنية اقتصادا للطاقة قدره 40 إلى 50٪ مقارنة بالتسخين الاعتيادي، مع رفع للحرارات الدنيا يبلغ 2 إلى 3 درجات.

ـ مزاولة التسخين الشمسي السلبي بالنسبة للزراعات المقامة بين نومبر ويناير تخول الحصول على رفع المعدلات الحرارية الدنيا بما قدره 4 درجات تحت الغلاف الوحيد، و6 درجات تحت الغلاف المثنى، مع تحسين مردودية البطيخ مثلا بـ 50٪ مقارنة بالدفيئات غير المعرضة للتسخين،

وربح في التبكير من 2 إلى 3 أسابيع.

- إقامة مصدة الريح للحد من الإتلاف الحراري داخل الدفيئة.

- إقفال الدفيئة في الزوال الباكر عند هبوط الحرارة إلى 25 درجة.

- استعمال حاجز حراري متحرك، يتم نشره ليلا.

- استعمال غشاء بلاستيكي ذي شفافية قصوى بالنسبة تحت الحمراء القصيرة (متعدد الاتيلين من صنف تحت الحمراء، وصنف خلات (أسيتات) (الفينيل).

أما في حالات ارتفاع الحرارة الصيفية، فإن تقنيات الحد من الاشعاع صيفا تسهم في تخفيض الحرارة باداخل الدفيئة.

- النور والتشميس.

الوسائل التي تضمن أفضل ظروف التنوير هي كالتالي:

- استعمال غشاء بلاستيكي للتغليف يتوفر على شفافية قصوى للأشعة الشمسية، وعلى خاصيات لاسكونية مانعة لوساخة الجدران. ويستحسن في هذا الصدد استعمال بلاستيك 120 ميكرون كل سنة بالنسبة للزراعات المتطلبة للنور (بطيخ، طماطم)، في حين يمكن استعمال الأغشية البلاستيكية لموسمين في الزراعات المتواضعة الطلب على النور كالقرع الأخضر.

- الإبقاء على تهوية جيدة من أجل تجنب تكاثف الماء على البلاستيك والنباتات.

- إقامة الدفيئة في مواقع خارجة عن الظل.

- استعمال الكثافة المثلى في الغرس، وإيجاد التوجيه المناسب للخطوط المغروسة حتى تحظى النباتات بالقسط الأوفر من النور.

خلال الصيف، يحصل أن تتعرض الدفيئة إلى إفراط في السخونة بسبب الإشعاعات المرتفعة التي يمكن أن تصل، في الجو الصحو، إلى 1.5 وحدة حرارية للسنتمتر المربع في الدقيقة. لذا ترتب التحسب لذلك بالتظليل بواسطة تبييض سقف الدفيئة أو باستعمال أنسجة التظليل المهواة، المنتقية (استبعاد الأشعة تحت الحمراء القصيرة وحدها)، والمنقولة المعدة لردع الحرارات المفرطة.

- الرطوبة.

وجبت مراقبة رطوبة الهواء مادامت تسهل تكاثر الأمراض الفطرية.

أما في الجو الحار والجاف، فغالبا ما تهبط الرطوبة بداخل الدفيئة إلى ما دون المستوى المرغوب فيه، فتكون التقنيات العملية التي تسمح بالرفع منها هي التظليل، ورش التربة، والتضبيب بالبخ وكذا إقفال الدفيئة. أما اقتناء نظام التبريد فهو ممارسة مكلفة، ويصعب التحكم فيها.

وعلى النقيض، عندما تكون الرطوبة النسبية للهواء مرتفعة، يجدر اتخاذ الإجراءات التالية : - تهوية الدفيئة باكرا في الصباح.

- استعمال التفريش البلاستيكي والسقي المحلي عوض السقي بالجاذبية.

- نزع الأوراق عن قواعد النبات لتسهيل حركة الهواء.

- التسخين من أجل الرفع من حرارة الهواء.

- استعمال الحواجز الحرارية.

لاشك أن هاتين التقنيتين الأخيرتين فعالتين، لكن إقامتهما مرتفعة التكاليف ولا مبررلهما إلا مع الزراعات ذات القيمة المضافة العالية.

على العموم، يتبين أن الزراعة المغطاة، لما تقتضيه من تدبير معقد نسبيا ومن حاجيات ماسة للتقنيات المتطورة، تقتضي المستوى المعرفي الرفيع والمستخدمين المؤهلين. كما يتوجب على بنيات الدعم التقني (معاهد البحث، هيئات التنمية، محطات التجريب، ...) أن تسهم في تسهيل تحويل هذه التكنولوجيات الجديدة، بعد أن تكون قد تحققت من نجاعتها وتوافقها مع الظروف النوعية لوسط الإنتاج.


ولالي الأوديي، ضوء المكان، قسم البستنة، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط.

K. Bendaou, *Impact des accords du GATT sur les exportations agricoles du Maroc*. Rabat, 1997 ; *Cultures protégées en climat méditerranéen. Bulletin de la FAO*, n° 90, 1988 ; A. Hamdi et C. Lacirignola, *An overview of protected agriculture in the mediterranean countries*. In *régional consultative meeting on greenhouse production in the mediterranean region*. November 1993, Agadir, pp. 300 - 319, 1993 ; Mamva, *Bilan du secteur des primeurs au Maroc. Campagne 1998 - 99*, 1999 ; M. Sirjacobs, *Les cultures protégées au Maroc, Choix des régions climatiquement favorables. H.T.E.*, 1986 ; A. Morchid, *Potentialités de développement des cultures sous abris serres dans la zone côtière du périmètre du Gharb*. Mémoire de troisième cycle de l'Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II, Rabat, 1999.


إدريس الفاسي

**الزّرايقي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا :- Alaçaraque Alazaraque - Laçaraque - Laçeraque ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Lazraque.


م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 763.


محمد ابن عزوز حكيم

**زربان أ وكْرُومْ**، مقاوم ولد سنة 1920 بأيت عكناس، عرف منذ شبابه بالغيرة الوطنية والشجاعة مما دفعه إلى الالتحاق بإخوانه المجاهدين في صفوف جيش التحرير وذلك يوم فاتح شتنبر من سنة 1955 بالأطلس

المتوسط تحت قيادة محمد بن قدور ضمن تشكيلة السلام الناري والأبيض بأيت حلوسين ملحقة بركين.

شارك في عدة هجومات على دوريات الاستعمار، منها الهجوم على مركز بركين الذي كان الغرض منه الاستيلاء على السلاح، وإثر الاشتباك مع جنود الاستعمار سقط المجاهد زربان وكروم شهيدا وذلك يوم السبت 13 صفر عام 1375 / فاتح أكتوبر من سنة 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 508890.

**الزربية**، اشتهر أهل المغرب في الجبال والهضاب والسهول بتربية الأغنام التي توفر لهم اللحم والجلود والصوف، ومن الصوف يصنعون ملابس وأفرشة رائقة وأهمها الزرابي أو البسط التي تفننت فيها أيدي العاملات. يعالج الصوف من أجل صنع زربية بغسله وتنقيته وندفه وحلجه وصبغه وإقامة سداه ثم نسجه، وتحيط بهذه العمليات طقوس ومعتقدات تجمع بين حبور الاكتشاف والشعور بمقاربة الخفي والمجهول.

تصنع الزربية من مآت آلاف العقد ينسج بعضها على بعض على سدى تتخالف فيه خيوط ملونة تتخيل المعلمة الناسجة الأشكال التي ستنجم عنها دون أن تضع لذلك رسما مخططا، فيأتي شكل الزربية في تزويقها متوازنا متماثلا مثيراً للإعجاب. وهكذا تعبر الزربية المغربية بكيفية طبيعية عن شخصية جمالية وخصوصية ثقافية وذوق قد لايكون غاية في الرقة ولكنه خال من الخلط والابتدال.

كان نسج الزرابي على امتداد تاريخ المغرب وإلى غاية النصف الثاني من القرن العشرين عملية تجري داخل العائلة ولا سيما في البوادي، وتمهرت فيها في كل جهة عائلات توارثت صناعتها، وربما شارك الرجال في النسج أو في بعض جوانبة إلى جانب النساء. فالنساء والرجال هم حفظة التقاليد العريقة في صناعة الزرابي نسجا ورسما.

صناعة الزرابي تقليدان : حضري وبدوي، فالتقليد الحضري تمثله الزربية الرباطية، وقد نشأت في مدينة سلا صناعة للزرابي في الربع الثاني من القرن العشرين.

فالزربية الرباطية كزربية مدن المغرب الكبير كالقيروان وزرابي الهضاب العليا في جهة قسنطينة هي ممَّا أدخله التأثير التركي حوالي القرن الثامن عشر. فأصلها النمودجي من آسيا الصغرى ولا سيما جهة موجور وربما دخلت فيها عناصر من زرابي غيورديش وكوبا ولاذق وميليز.

فالزربية الرباطية مثل زرابي الجهات المذكورة تتضمن سبعة ألوان (الأحمر والأزرق والأصفر والأخضر والبرتقالي والأسود والأبيض)، ويوجد بينها تشابه أيضاً في غنى التأطير وقوته. وتتميز الزربية الرباطية بعناصر ربما شكلت أصالتها، منها أن الخلفية الوسطى هي دائما حمراء لا يتغير لونها ؛ وأنها بخلاف الزربية الشرقية تكاد لا تحتوي توجها إلى القبلة حيث يكون لها في زوايا حقلها الأوسط أربع ركنيات (بدل اثنتين في زربية الصلاة) ؛ يضاف إلى هذا أن الزربية الرباطية هي على العموم موسومة في وسطها بحلية مزوقة على شكل معين رباعي أو رسم سداسي الأضلاع. أما مقاس الزربية الرباطية فيتميز

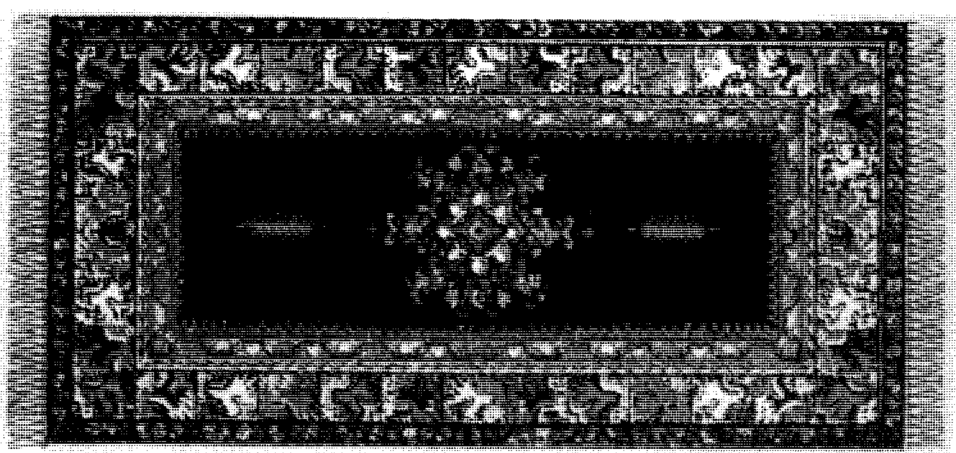

زربية رباطية

بالضيق في العرض وبطول ممتد في بعض الأحيان وذلك ليأتي على مساحة الغرف ذات العرض الضيق والطول الكبير كما نجدها في مساكن المدن المغربية.

فالزربية الرباطية تتميز بالتباين في الألوان بين إطاراتها وبين حقلها الأوسط : فبينما يتأكد بجلاء اللون الأحمر النحاسي في الحقل الأوسط، يتنحى في الحواشي لكي يدع المجال لعدة أنساق لونية بعضها أقل غمقا وبعضها أكثر صفاء ؛ بينما نجد الوسط لا يحتوي في ما عدا الحلية المركزية إلا على زواقات صغيرة، أما التأطير فتؤثته عناصر نباتية بمقاس أكبر تتوالى على طول الحواشي المتنوعة المفروقة بطريقة ذكية بواسطة أشرطة دقيقة انتقالية ؛ أما الركينات فتتزين بزواقات ذات قياس متوسط تتناغم في توجهها وألوانها مع الخطوط المائلة للتقاويس المجاورة.

أما الصناعات البدوية للزربية فتمثلها على التقليد القديم جهات : ـ گيگو : من أشهر زرابيه تلك التي تتكون تزاويقها من معينات لا غير وتنحصر ألوانها في الأحمر والأسود والأبيض. ليس في تكرار المعينات رتابة في حين تتدخل في الألوان توايت غير متوقعة وفي قالب شد الخيط وفي قطع البُسُط، ثم بعض التنوع في البنية الداخلية للمعينات ولاسيما عند رؤسها، كل هذا يجعل التزيين بعيداً عن الجمود الآلي ويشكل مجموعا رائقا للنظر. لا شيء في زرابي گيگو يوحي بالتأطير، مثال بلد گيگو الذي لا يعرف حدوداً دقيقة. وفي أنواع أخرى لا نجد المعينات وحدها بل تقوم النساجة بإدخال لوحات أفقية متوازية تتناوب فيها لحمات مكرورة وبسط من حاشية إلى أخرى.

يوب : تشبه زرابيه زرابي گيگو التي تزاويقها من المعينات، ولكنها أغنى تلوينا.

مگيلد : تتميز زربية بني مگيلد بتزويق يستعمل فيه تشبيك من المعينات لا يكون رسمه بخطوط مائلة بل بمربعات صغيرة قائمة مما يعطي منظراً شطرنجيا. يكون تغير الألوان خفيفا في بعضها حسب مناطق عارضة متوالية وتنوع زواقات بارزة في المحور الأفقي وفي الحواشي، وهذا يبعد كل رتابة عن منظر الزربية.

مرموشة : قد تبلغ زربية مرموشة وزربية بني واراين 5 أو 6 أمتار في الطول. وهكذا يمكن أن تتخذ فرشا أو غطاء لعائلة بأكملها. قد تتناوب فيها وتتوالى لوحات مختلفة التزاويق بكيفية مستعرضة. يتكون بعض هذه اللوحات من معينات كبرى متداخلة متكونة أضلاعها من مربعات صغيرة. عند مرموشة كما كانت عند عدد من قبائل الأطلس المتوسط يشارك الرجل المرأة في نسج الزرابي.

زيان : تشبه زرابيهم زرابي مرموشة وبني واراين في وفرة صوفها ولكن زرابي زايان يغلب عليها اللون الأحمر تتدلى من صفحتها خيوط متفاوتة القطع (من 5 إلى 8 سم) وهي الحمراء والأقل طولا (1 ـ 3 سم) من ألوان مختلفة (زرقاء، صفراء، برتقالية، سوداء، بيضاء)، وتتميز عن زرابي الأطلس المتوسط بتأطير لعله من تأثير زربية الرباط.

بوياحي : يغلب على صوفها الوافر تلوين أزرق ـ أخضر ـ زيتي، معينات تزويقها مليئة بزواقات تتكرر عرضيّاً بشكل متماثل وتتغير في اتجاه الطول. سجل تزاويقها أغنى وأكثر زخماً ممّا في زرابي الأطلس المتوسط الأخرى، ففيها مربعات ومثلثات ومعينات مع عناصر جديدة كرسوم مشبكة قائمة ومائلة. وبسبب وفرة صوفها المتدلي تكون زربية بويحيى ثقيلة، ولكنها نادرة.

زمور : الزرابي البدوية التي رأيناها أعلاه ذات سمات مشتركة : مصنوعة من صوف معالج بأدوات وطرق ومواد متشابهة، وتزويقها هندسي بالأساس، وهذه السمات عامة في الزربية البدوية. غير أن اختلافات في معالجة المادة الأولية ونسجها يفضي إلى تميز كل مجموعة بسمة خاصة يدركها صاحب العين المدربة. فهناك تنوع لا يحصى في الوحدة. تتميز زربية زمور بطغيان اللون الأحمر الذي تفرغ فيه تلوينات لاتقل حدة، (البرتقالي والأصفر) وتتخلله فضاءات مفتوحة أو مغلوقة مكونة من نقط بيضاء أو سوداء ولا نجد الأزرق إلا نادراً. تزاويقها من معينات لكنها ذات خطوط منكسرة أو ممشطة.

وزگيتة : تتميز زاربيهم بتعارض غير صادم بين الأبيض والأسود أو بين الأزرق والبرتقالي، مع إمكان إدخال الأحمر والأصفر، بل وحتى الأخضر المحصل عليه باستعمال النيلة أو فوة الوزال الشائك. صوف زرابيهم أقل رقة وأكثر بريقا. عقد النسج في الطول أقل منه في العرض بكثير. (وفي المتوسط : 9 إلى 14) يظهر وكأن كل صف في العرض معزول عن المجاور له بحوالي 1 سم. فرؤوس الخيوط مقطوعة بكيفية مائلة، وهذه التقنية لا توجد إلا في الزرابي الفنلندية.

شيشاوة : عمق أحمر موحد تارة وحامل تزاويق متماثلة تارة أو مغطى بلوحات عرضية متوالية. يغادر مجال التزويق الهندسي ليدخل مجال تزويق أكثر انفتاحا يستوحي في بعض الأحيان من مشاهد طبيعية فيها حتى مشاهد أشخاص أحياء.

توجد منسوجات للفرش تشبه الزرابي وتسمى الحنابل، وتتميز بمتانتها وبكونها أقل سمكا من الزرابي وأخف منها وزنا ولاسيما بالنسبة للزرابي ذات الصوف الوافرة والنقط المعقودة. نسجها محفوف محلوق، تستعمل إمّا للفرس أو الغطاء أو إقامة الخيام. فيها من الأنواع بقدر ما في الزرابي، وأشهرها حنابل سلا وحنابل زايان وحنابل وزگيتة.

تتفاوت جودة الزرابي بحسب المواد المستعملة وتقنية المعالجة والنسج والصباغة. وقد أنشأت السلطات الإدارية طابعا يضمن الأصالة ودرجة الجودة وتشترط مقتضيات

المراقبة أن تكون الزربية من نقط معقودة أو منسوجة باليد من صوف منقى من الروائح والشحوم، يمكن أن تكون خيوط لحمته وسداه من القطن كما يمكن أن يدخل فيها شعر المعز أو وبر الإبل، ولا يمكن أن تحيد من حيث الألوان والصباغة عن النماذج المحددة لكل صنف رسميا.

تتوقف درجة رقة الزربية على درجة رقة مكوناتها : اللحمة والسدي وعدد العقد، وكلما كانت الزربية دقيقة كلما تطلبت وقتا ونفقة. فالنوع العادي يتكون من حوالي 20 نقطة في كل عشر سنتيمترات خطية أي 40.000 نقطة في الميتر المربع، وقد تنزل إلى 14 نقطة في عشر سنتمترات وقد تصل إلى 30.

هذه هي الوضعية إلى منتصف القرن العشرين. وبعد ذلك تطورت الزربية وصناعتها من حيث المواقع واتخاذ الطابع غير العائلي ومن حيث الكثرة في الإنتاج استجابة للسوق الداخلية والخارجية ومن حيث الترقيق في النسيج ومن حيث التفنن في الزواقات وفي إدخال ألوان جديدة، هذا كله دون أن تفقد طابعها المغربي حضريا كان أو بدويا، (ترد ضمن مادة : صناعات فنية معلومات حول هذا التطور الصناعي والاقتصادي الذي عرفته الزربية بعد منتصف القرن العشرين).

P. Ricard, *Corpus des tapis marocains*, Paris, 1923 - 34 ; *Les arts indigènes, Numéro spécial de "Nord-Sud"*, Casablanca, 1930 ; J. Baldoui, *Les tapis*, Rabat, 1942.

أحمد التوفيق

ملخص ومترجم عن ب. ريكار
(*Tapis marocains*, Rabat, 1952)

**الـزردة** أو الضيافة الكبرى أنواع كانت تحتل مكانة متميزة في العلاقات الاجتماعية بالمغرب، وعلى ضوئها يصنف الشخص بخيلا (لا يزرد الناس) أو كريماً (كثير الزرود)، وما تزال تلعب الدور نفسه في البوادي وفي المدن (بدرجة أقل) ومن أنواعها على سبيل المثال. ما يعرف عند العامة (بالنصاف) أو (الحق) وهي زردة مفروضة على الشخص أو الجماعة التي ارتكبت خطأ أو مخالفة في حق الغير أو خرجت عن العرف السائد... ويفرض هذا النوع من الزردة (الجماعة) المكونة من حكماء القوم فتلزم الشخص أو الجماعة التي (فيها النصاف أو الحق) بإقامة وليمة قد تكون محتوياتها ووجباتها اختيارية وقد تكون مفروضة، وذلك تبعاً لفداحة الخطأ أو المخالفة ومراعاة لحالة الشخص أو الجماعة وتخضع فيها لقرار (الجماعة) وغالباً ما تكون فيها الذبيحة الكبيرة (جمل، عجل أو بقرة) أو ذبيحة صغيرة (شاة من الغنم أو الماعز).

كان الاحتكام في المنازعات الصغرى بين أفراد القبيلة أو الدرب في المدينة إلى مقدم الجماعة (وهو مقدم غير رسمي) بل شخص عرف في القبيلة أو الدرب برجاحة عقله وحصافة رأيه وبحياده واستقامته وفي حالة تعذر وجود المقدم أو لصعوبة الحكم في النازلة، أو في حالة عدم امتثال المعني بالأمر للحكم يتم الالتجاء إلى سلطة أعلى وهي "الرمى" وهو جماعة من الناس لم يشتغلوا بالدنيا بل يعيشون من تبرعات المحسنين ليس في شكل صدقة وإنما نزولا عند طلب هؤلاء (المتصوفة المجاذيب)، كان "الرمى" يحلون بالقبيلة والدوار في دورات معروفة خلال السنة فتعرض عليهم الحالات العالقة، أما وجودهم الدائم ففي الأسواق الأسبوعية بالبوادي حيث يكون لهم قيطون أو عدة قياطين معلومة ؛ ويحضر أمامهم الطرفان المتنازعان أو الطرف المهضوم الحق وحده، وبعد الاستماع، والتثبت وفق مسطرة معروفة عند الجميع يصدر الحكم بإقامة زردة تنتهي بعقد الصلح وبحل النزاع، وفي حالة عدم الامتثال إلى الحكم بعد محاولات عديدة، تتم معاقبة الطرف الرافض وذلك "برميه بطلقات"، ومن هنا جاءت كلمة "الرمى" إذ تتم العملية في طقوس (يجدب) فيها هؤلاء ويهيجون ثم يسددون في اتجاه الشخص أو الجماعة المذنبة بنادقهم التي هي عبارة عن عطى ويطلقون عليه النار التي هي عبارة عن دعاء ضده حتى ولو كان على بعد كلمترات، أي أنهم يتوسلون إلى الله أن يهلك الطرف المعني أو يصيبه في بدنه أو ذريته أو ماله وهكذا ؟ وفي حالة الامتثال وإقامة الزردة يكون العكس، فسلطة هؤلاء هي "الفاتحة" لصالح الشخص أو ضده ؛ وبهذه السلطة استطاعوا تحقيق بعض التوازن في المجتمع إلى حدود منتصف القرن الماضي، وما تزال بقايا من هذه السلطة يمكن الوقوف عليها في بعض القبائل خاصة في منطقة الغرب (رواية شفوية).

النوع الثاني من الزردة ما يقيمه الشخص أو الجماعة من وليمة وإكرام لأهله ومعارفه وأصدقائه وجيرانه بمناسبة نجاح معين في التجارة أو الفلاحة أو بمناسبة بناء دار أو مؤسسة أو غيرها وقد تكون تلقائية أو بطلب وإلحاح من الآخرين الذين يعتبرونها حقاً لهم، وإلى وقت قريب "كنموذج" كان المحضار في المسجد يقيم أهله الزردة بمناسبة بلوغه سورة طه في حفظ القرآن الكريم ويسمونها الزردة الصغرى، أما الزردة الكبرى المصحوبة بكسوة الفقيه وبهدايا أخرى فتكون بمناسبة ختمه حفظ القرآن (السلكة).

النوع الثالث مرتبط بالأبهة أو إظهار القوة والجاه أو بالسلطة، سواء كانت سلطة دينية (زوايا، أضرحة) أو قيادية (خاصة في ق 19) أو المخزن نفسه، ففي هذا النوع يتم إبهار العامة وإرهابهم بإبراز القوة والعظمة اعتماداً على ما يذبح ويقدم للناس من أطعمة في ولائم حاشدة يحشر إليها الناس على اختلاف مكانتهم ومستوياتهم.

النوع الرابع يقوم به عادة المخزن وأعوانه ويكون "ملغوماً" إذ الهدف منه إيهام "المزرودين" بأن المخزن راضٍ عنهم في حين يكون الهدف الإيقاع بهم وسجنهم أو قتلهم وأمثلته متعددة عبر التاريخ *(الضعيف)*.

قلت في البداية إن مدلول الزردة تطور فأصبح اليوم يختلط بالضيافة العادية أو "العزومة" حتى ولو لم تكن فيها ذبائح وأصبحت هنا مرادفة لحفلة غذاء أو عشاء ولا يجب أن نخلط كذلك ما بين الزردة بالمفهوم والمقاييس التي عرضناها وما بين الذبح في المناسبات مثل المواسم والنذر والأعراس والعقيقة والختان والزفاف وما إلى ذلك فهذه اكتسبت صبغة الاكراه الاجتماعي وأصبحت مفروضة بحكم الأعراف والتقاليد والدين.

*الرواية الشفوية* ؛ *مذكرات خاصة* ؛ ابن صاحب الصلاة، *كتاب المن بالامامة*، بيروت، 1987 ؛ *تاريخ الضعيف الرباطي الرباط*، تح، أحمد العماري، الرباط، 1986 ؛ ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط، 1976، *تاريخ إقليم أسفي*، الدار البيضاء، 2000.

محمد حجاج الطويل

**زرُوق،** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس كان من بين أفرادها بعض الفقهاء مثل :

**زرُوق، أحمد** بن عبد الصمد الذي كان بقيد الحياة سنة 1130 (1718)

**زرُوق، محمد** بن أحمد بن المختار الذي زاول خطة العدالة بالمدينة سنة 1154 (1741).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 768.

محمد ابن عزوز حكيم

**زروق،** أسرة عرائشية أصلها من أولاد يحيى فرقة من بني حيارة في عداد قبائل غمارة بني حسّان، ينتسب بعضهم إلى النسب الشريف ولاحظ لهم فيه. وقد وقف مؤلف *رياض الجنة* في مجموعة للمؤرخ النسابة العربي القادري الفاسي على رسم مثبت صحيح مُخاطب عليه بالإعمال لقاضي الجماعة بفاس عبد الواحد الحميدي يتضمن الطعن فيما ادعاه بنو حيارة من النسبة النبوية ومعه كتاب لأبي القاسم ابن خجو مصرحاً بأنه لم يصح عندهم ببني حسان شرف الزجليين والحياريين والزياتيين والشداديين عدا فرقة بني عمران من بني شداد.

**زروق، أحمد** مقاوم ولد سنة 1921 بدوار تزران قيادة تفرانت دائرة غفساي إقليم تاونات.

انضم إلى صفوف جيش التحرير منذ انطلاقته سنة 1955 وشارك في العديد من المعارك التي استهدفت طرد المستعمر وتحرير الوطن من حيز الاستعمار، وبعد أن أحرز المغرب على استقلاله واصل الفقيد دوره الوطني بعد انخراطه في صفوف القوات المسلحة الملكية إلى أن أحيل على التقاعد. وتوفي يوم الاثنين 30 رجب عام 1415 / فاتح يناير 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 505529.

**زروق، أحمد** بن **أحمد** بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، شيخ الطريقة الزروقية التي انتشرت في آفاق البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً، ومحيي الطريقة الشاذلية بالمغرب، وذو اليد البيضاء في تمكينها من الغلبة به ابتداء من القرن 9 / 15 إلى هلم جراً. وهو الممهد لعصر التصوف في هذه البلاد بدفاعه عن الوحدة بين الشريعة والحقيقة في إطار الطريقة، وعن الفقه والتصوف لحصول الكمال في الدين. وصاحب حركة إصلاحية دينية كبرى نال بها الصفة الجليلة والضخمة التي أطلقها عليه علماء المغرب، وهي "محتسب العلماء والأولياء"، والتي لم يظفر بها غيره من علماء وصوفية الإسلام، ولا فيما قبله ولا فيما بعده. وهو مصنف التآليف النفيسة والغزيرة في مختلف صنوف العلوم، والتي وقف الجهابذة عند ساحلها، وعز على الفطاحل الغوص في دقائقها وجلو حقائقها.

ويمكن التمييز في سيرته الحافلة بين المراحل الأربع التالية :

1 - ولد زروق بفاس يوم 28 محرم 846 / 7 يونيو 1442، وكان وحيد أبويه اللذين توفيا في الأسبوع الأول من ميلاده نتيجة الطاعون. وكفلته جدته لأمه، وكانت فقيهة صالحة حرصت على أن ينال أفضل تربية وتعليم، فحفظ القرآن وهو في عامه العاشر، وهو نفس العام الذي توفّيت فيه جدته أم البنين، فاضطر لمعاناة حرفة الخرازة لكسب قوته. ولما بلغ السادسة عشرة من عمره تحول إلى طلب العلم، وانتظم في سلك طلبة جامع القرويين والمدرسة العنانية. وأخذ عن أعلام الحياة الفكرية بالمغرب خلال الطور الأخير من أطوار الدولة المرينية، كما انتسب إلى بعض مشاهير مشايخ التصوف بالحاضرة الفاسية. وقد ذكرهم بأسمائهم في *كناشه*، وأبعدهم أثراً في روحه وفكره الشيخ محمد بن قاسم القوري (ت. 872 / 1467) آخر حفاظ المدونة بالمغرب، ومتقلد خطة الإفتاء بقاعدة ملك بني مرين ؛ والشيخ محمد بن عبد الله الزيتوني (ت. 901 / 5 - 1496) المتصدر لمشيخة زاوية بوقطوط الشاذلية بفاس، وحامل أركاب الحجيج المغربية، والذي توغل في محبته واجتهد في خدمته ولازمه في حضره وسفره. وقد أثمر هذا الأخذ والانتساب أول تعليق على *الحكم العطائية* صنفه زروق الشاب، وأيضاً كتيبا عنوانه *تحفة المريد وروضة*

*الفريد وفوائد لأهل الفهم السديد والنظر المديد* الذي جمع فيه مختاراته من قراءته.

2 ـ نيف عمر زروق عن العقدين حين اندلعت بفاس فتنة عام 869 / 1465 التي عصفت بدولة بني مرين، وعاين ذبح السلطان عبد الحق المريني، وإطلاق اليد في دماء اليهود وأعراضهم وأموالهم، ومحنة شيخه القوري الذي أبى أن يمكن الثوار من فتوى تبيح خلع السلطان ونقض ذمة اليهود لعدم وجود موجب شرعي لذلك وأجبر على تسليم الفتوى المطلوبة. ولاشك أن زروق قد وقف في صف شيخه في محنته هاته، وأصابه من شرورها مثل ما أصابه، ففسدت العلاقة بينه وبين شيخه الزيتوني الذي قد يكون من جملة المشايخ الذين أضرموا نار الفتنة على بني مرين، وغادر فاس في سياحة أربعينية محمومة، وألقيت عليه شبهة اليهودية.

ولم يدر العام على هذه الأحداث التي زعزعت كيان زروق الطالب والمريد حتى بلغ فاس نعي الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (ت. 870 / 5 ـ 1466) الذي سمه بعض الفقهاء، وأذن اغتياله لاشتعال فتنة أخرى أشد فتكا وأطول زمانا وأوسع مكانا. ولم يلبث زروق أن رزئ في شيخه القوري الذي توفي عام 872 / 1467، فيقرر أداء فريضة الحج في العام الذي يليه. وستستغرق رحلته الحجازية سبع سنين كاملة، حج خلالها وجاور بالمدينة، وأقام بالقاهرة ذهابا وإيابا، وأخذ بها عن جملة من العلماء والمشايخ المشارقة، ومنهم الفقيه الشهير محمد السخاوي (ت. 913 / 1507)، الذي ترجم لتلميذه زروق في كتابه "الضوء اللامع". واهتدى بها أيضاً إلى شيخه وعمدته في الطريق أحمد بن عقبة الحضرمي اليمني (ت. 895 / 1490)، الذي صدر به في الطبقة الأولى من طبقات المشايخ الذين صحبهم شرقا وغربا، واعتبره واسطته الرئيسية في سنده في الشاذلية.

وينصح الشيخ الحضرمي زروق بالعودة إلى المغرب ليأسه من المشرق وأهله، فيأخذ السمت إلى فاس وفي جعبته، بالإضافة إلى أسانيده العلمية والصوفية العالية، ثمانية شروح على الحكم العطائية وكتاب "النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية" الذي ألفه بجامع الأزهر عام 877 / 2 ـ 1473، والذي يعتبر من أكثر مؤلفاته شيوعا وتداولا بين الناس، وكتاب "الجامع لجمل من الفوائد والمنافع" ويعرف باسم "النصيحة الصغرى" كتبه عام 878 / 3 ـ 1474، وبينه وبين كتاب "النصيحة الكافية" قدر كبير من التشابه.

3 ـ عاد زروق إلى فاس ما بين 879 و880 / 4 ـ 1475 ليجد حال المغرب أسوأ من الحال التي تركها عليه، من اضطراب وانتكاس مملكته، وافتراق كلمة أهله، وعتو قبائل الشاوية في غربه، واستبداد عمر المغيطي (ت. 890 / 1485) بجنوبه، وسقوط ثغري أصيلا وأنفاوبعض سواحل سوس في يد البرتغاليين، وانتقال سلطنة فاس من يد محمد الجوطي إلى محمد الوطاسي بعد حرب وتهالك. ورغم الغموض الذي يكتنف الأعوام الأربعة التي مكث زروق خلالها بالمغرب في صدر الدولة الوساطية، فإنه من السهل تصور كسفه بدر فقهاء وفقراء الحاضرة الفاسية بوجه خاص ونظرائهم في بقية البلاد بوجه عام، وهروع طلبة الفقه ومريدي الفقر للكروع من حياض علمه الظاهر والباطن، وتشوفهم إلى تحصيل أسانيده العلمية والصوفية الرفيعة، من الفاسيين وغيرهم، ولاشك أنه قد اجتمع عليه منهم خلق كثير. كما اتصل به رجال الطوائف الصوفية، وقدموا إليه من مختلف أصقاع البلاد، والثابت اجتماعه بجماعة من المريدين أتباع المغيطي جاؤوه من الجنوب، وهم أشهر وأخطر طائفة صوفية على عهده.

والدليل على تصدر زروق للتدريس بفاس خلال المدة التي تهمنا تأليفه لجزء في الحديث، ويعرف أيضا "*برسالة في تحديد مصطلح الحديث*"، وتعليقه على قصيدة ابن البناء السرقسطي (ت. 649 / 1251)، ويعرف بشرح *المباحث الأصلية* و*باللوائح الفاسية في شرح المباحث الأصلية*. وقد فرغ زروق من هذين المصنفين في عام 881/ 6 ـ 1477. كما صنف خلال هذه السنوات الأربع خمسة شروح من أصل الشروح السبعة عشر التي وضعها على الحكم العطائية، وهي في ترتيبها من العاشر إلى الرابع عشر.

وبقي الأثر الجليل الذي أخرجه زروق بفاس عام 882/ 7 ـ 1478 هو كتاب *قواعد التصوف*، الذي يعد أفضل تصانيفه الصوفية على الإطلاق. وهو تأليف نفيس ضمنه زروق عصارة ثقافته الواسعة وزبدة تجربته الروحية وخلاصة آرائه الإصلاحية، في أسلوب متين شديد التركيز، ورتبه في مائتين وسبع عشرة قاعدة. فجاء كالطود الشامخ والراسخ وسط طوفان العصر المتلاطم الأمواج، يبسط برنامج مدرسة صوفية يحتاج تفصيله وتطبيقه إلى أمد طويل، ويدعو إلى نهضة علمية وتعليمية في مضمار التصوف المغربي، تدور على الاجتهاد والتجديد. ويقدم حلولا لمشاكل عصره الذي افترق أهله بين فقهائه وفقرائه، وطمع فيه القائم على الرئاسة الروحية في الرئاسة الدنيوية، وانعدم فيه المتوجه بصدق إلى الله.

وإذا كانت المصادر تؤرخ لفساد العلاقة بين زروق ومشايخ الحاضرة الوطاسية من أول لقائهم به، وان النفرة حصلت بينه وبين وفدهم الذي خرج لاستقباله، فإن الكارهين لعودته والمتوجسين من حركته لم تلبث قيامتهم أن قامت، فضيقوا الخناق عليه، ودفعوه إلى الهجرة الثانية والأخيرة من المغرب. ومع جهلنا بحقيقة ما حدث نلاحظ أن زروق قد غادر فاس دون أهله، وترك بها زوجته فاطمة الزلاعية وابنيه الأحمدين الأكبر والأصغر، مما يضفي على هذه المغادرة طابع الاستعجال إن لم نقل الفرار والذهول عن الابن والصاحبة، ولعل ما حدث كان من العرامة بحيث بلغ صداه إلى القاهرة.

4 ـ وصل زروق إلى القاهرة عام 884 / 79 ـ 1480 يائساً من أهل المغرب يأس شيخه الحضرمي من أهل المشرق، وجدد اتصاله بشيخه المذكور وبأستاذه السخاوي، وربما حج للمرة الثانية. ثم اختار بلدة مصراتة الواقعة على الساحل الليبي مستقراً، وصاهر المصراتيين، وولد له ولدان أحمد أبو الفتح وأحمد أبو الفضل وبنت سماها عائشة. وصنف زروق أثناء ذلك أهم تآليفه الإصلاحية، وهي *إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين* الذي فرغ منه ببجاية عام 883 / 1479، و*رسالة في الرد على أهل البدع*، و*النصح الأنفع والجنة للمعتصم من البدع بالسنة*، و*عدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان طريق القصد* و*ذكر حوادث الوقت*الذي ألفه عام 886 / 1 ـ 1482، ولاشك أن ظفر زروق بصفة محتسب العلماء والأولياء قد جاءه من تآليفه هاته.

ولم يغادر زروق مصراتة إلا مرتين، الأولى عام 891 أو 892 / 6 ـ 1487 حيث غرب لإحضار زوجه وولديه الذين تركهم بفاس، وكاد العقد أن يكتمل على فراقه لهم، وقد توقف بالمغرب الأوسط وأقام به إلى أن لحقوا به ؛ والثانية عام 894 / 8 ـ 1489 حيث شرق لأداء حجته الأخيرة. ومن تآليفه المصنفة خلال مقامه بمصراتة : *شرح صدور المراتب* لشيخه الحضرمي، و*شرح عقيدة الغزالي*، ونظم *أرجوزة في عيوب النفس*، و*شرح الحكم*، و*شرح حزب البحر*، و*شرح الرسالة القيروانية*، و*الكناش*، و*مناقب الحضرمي*. وحاصل ما تعرضنا لذكره من تصانيف لا يمثل إلا ثلث التراث الزروقي الحافل، والذي يربو عن المائة تأليف، في التفسير والحديث والفقه والتصوف والكلام والطب والتراجم وغيرها من العلوم والفنون.

وتمثل المرحلة المصراتية أوج شهرة الشيخ أحمد زروق العلمية والصوفية، والتي طارت في بلاد الإسلام شرقا وغربا، وصار له أتباع ومحبون يقصدونه من مختلف الأصقاع، ومنهم من لازمه حتى وفاته التي حدثت يوم 18 صفر عام 899 / 28 نونبر 1493، ومنهم من جاور بضريحه إلى يوم رمسه.


عبد الله گنون، *ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والسياسة والأدب* ؛ أ. زروق، رقم 23، الدار البيضاء دون تاريخ، 5 : 47 ؛ المؤلف نفسه، أحمد زروق، دفين مصراتة، مجلة كلية الآداب، الجامعة الليبية، العدد الثاني، 129 ـ 163 ؛ ع. ف. خشيم، أحمد زروق والزروقية، *دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة*، الطبعة الثانية، 1980 ؛ ع. نجمي، بين زروق ولوثر في الاصلاح الديني والعصور الحديثة، *ضمن الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب*، 77 ـ 120 ؛ إدريس عزوزي، الشيخ أحمد زروق آراؤه الإصلاحية تحقيق ودراسة لكتابه عدة المريد الصادق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المحمدية، 1998، 9 : 235.

G.S. Colin, *Sayyidî Ahmed Zarruq*, Estrato della *revista della Tripolitania*, anno II, num 1, Rome, 1925; A.F. Khusaim, *Zarrºq the Sºfî*, Tripoli, 1976.


عبد الله نجمي

**زروق، أحمد** بن **عبد الخالق**، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته الساحل. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة بزعامة الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة :

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913.
- عين الدالية يوم 11 في نفس الشهر.
- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913.
- قرية الزهرة يوم 11 يناير 1915.

وشارك في 9 معارك.


م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.


محمد ابن عزوز حكيم

**زروق، عبد السلام** العرائشي، أبو محمد دعاه في *رياض الجنة* : ابن زروق. ولد في العرائش في حدود سنة 1265 / 1849 قال عنه تلميذه عبد الحفيظ الفاسي : "كان عالماً مشاركاً في الفقه والحديث والسير والعلوم العربية، ماهراً في التنجيم والتعديل، ميّالاً إلى التصوف، متفنناً فاضلاً كثير الأذكار والأوراد مع التقشف والقناعة والميل إلى الخمول، منقبضاً عن مخالطة الناس، مشتغلاً بما يعنيه، ملازماً لمحله وما هو مكلف به من التوقيت بمنار الجامع بالعرائش".

درس على كبار شيوخ العلم بفاس كأحمد بناني ومحمد بن عبد الرحمن العلوي، ومحمد كنور الذي أجازه إجازة عامة، وسلك طريق القوم على يد شيوخ الشاذلية والجزولية، وخاصة الطريقة الناصرية التي أخذها عن عدد من رجالها بسند عال.

كان يقضي معظم وقته في عُلية الموقت بالمسجد الأعظم بالعرائش وفيها اجتمع به عبد الحفيظ الفاسي وأخذ عنه وأجازه، ولزروق تآليف عديدة وتقاييد كانت في المكتبة الأحمدية بفاس وضاعت.

توفي في 15 قعدة عام 1328 / 18 نونبر 1910.


ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة معجم الشيوخ*، الرباط، 1931 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2860 ؛ *جريدة الميثاق*، عدد 214.


محمد حجي

**زروقي، العربي** بن محمد، مقاوم ولد سنة 1343 / 1924 بقبيلة بني خيران، وانضم إلى العمل المسلح ضمن منظمة اليد السوداء التي كان فرعها بقبيلة السماعلة بقبيلته ساهم في العمليات الفدائية التي عرفها الإقليم بكل إخلاص ووطنية وحماس.

وفي يوم 20 غشت 1955 شارك في المظاهرة التي

عرفتها مدينة وادي زم، فأبلى البلاء الحسن أثناء هذه المعركة وفر إلى دار القائد الضاوي التي آوى إليها العديد من المتظاهرين هاربين من نيران المستعمر حيث استشهد مع عدد من رفاقه في المقاومة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520895.

**الزرّوقية**، طريقة صوفية وحركة إصلاحية تزعمها الشيخ أحمد زروق البرنسي الفاسي (ت. 899 / 1493) خلال النصف الثاني من القرن التاسع واستمرت إلى هلم جراً، وانتشرت في آفاق بلاد الإسلام شرقاً وغرباً وهي الطريقة الثانية والكبيرة في الشاذلية بالمغرب إلى جانب الجزولية، ومنهما تسلل غالب المشايخ والطوائف والزوايا، إلا من شذ عنهما من بهلول ومجذوب أو صاحب حال ممن لا يعرف له شيخ. وبهما تحققت الغلبة للشاذلية، وحصل لها من الانتشار ما جعلها تعد بحق الطريقة الرسمية بالبلاد.

وقد نظم مؤرخو التصوف المغربي أواخر القرن الحادي عشر (17 م) وقائع وأحداث هذه الغلبة تنظيما رجح كفة الجزولية على كفة الزروقية في مضمارها، وأسلكوا الجزولي في أسانيد زروق في الشاذلية، وجعلوا الزروقية من فروع الجزولية. وحذا المؤرخون المحدثون حذوهم، وقالو بنشوء الزروقية في سياق التيار الصوفي السائد الذي اصطلحوا على تسميته بالشاذلية - الجزولية، وعدوها من جملة فروعه، ونسبوا إلى الجزولية العصر الأخير من عصور التصوف المغربي برمته.

ويفيد التأمل في مسار هذه الغلبة، وقراءة أحداثها ووقائعها على ضوء المتون الزرّوقية، في إعادة النظر في هذه الصورة المتواترة. ويفضي إلى فك الارتباط بين الزروقية والجزولية، وبالأخص خلال العقدين الأخيرين من المائة التاسعة للهجرة، واللذين اسغرقتهما المشيخة الزروقية. ذلك أن الزروقية لم تخرج من رحم الجزولية بحال، ولم تنظم علاقة المريد بالشيخ بين زرّوق والجزولي، ولا ذكر لصاحب *دلائل الخيرات* في *الكناش* الذي عدد فيه صاحب *"الوظيفة"* مشايخه وأساتذته من المغاربة والمشارقة. والاتصال الحقيقي بين الزروقية والجزولية إنما تم بعد اكتمال العقد على وفاة الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (ت. 870/ 5 : 1466)، وحصل بين زروق وأعلام الطبقة الجزولية الأولى. وذلك في صدر الدولة الوطاسية، وبالضبط خلال السنوات الأربع التي مكث فيها زروق بالمغرب، من عام 879 أو 880 / 4 : 1475 إلى عام 883 / 1478 . ويومها كانت أسانيد الزروقية في الشاذلية متعددة، وأعلاها السند الذي حصله زروق من شيخه أحمد بن عقبة الحضرمي اليمني (ت. 895 / 1489) الذي انتسب إليه في القاهرة. كما كانت لها أسانيد في طرق أخرى، وهي القادرية والسهروردية والجشتية والعروسية.

وقصدت الزروقية خلال هذا النيف من السنين إلى إصلاح التصوف المغربي داخل الجزولية السائدة في البلاد، ثم حدثت القطيعة بينهما، فتطورت إلى حركة إصلاح خارجها بل وضدها. وكان الموقف من الرئاسة الدنيوية من بين دواعي الخلاف الحاسمة بينهما : وقد أفادت الجزولية من مشاكل الألفية وهواجسها التي كانت تنتاب أهل القرن التاسع (15 م)، وأخذت منها ما يقوم به ناموسها من الخضرية والفاطمية وما اتصل بهذه الدعاوي من الاعتقاد بعدم مجاوزة الأمة الألف وقرب أوان الصيحة الأولى. وواجهت الهجمة الايبرية، ورفعت لواء الجهاد، وبادرت إلى تحصين الذات. وسعت إلى المصالح العامة من ايواء وإطعام وتعليم واشفاء ورد المظالم، ولم تخف طموحها إلى الرئاسة. وحاربت الزروقية حب الرئاسة هذا، وجعلته أصلاً من أصول بدع العصر، إلى جانب نقص الايمان، والجهل بأصول الطريقة، واعتقاد الفرق بين الشريعة والحقيقة.

ويحتل الموقف من الرئاسة حيزا هاما من المنظومة الفكرية الزرّوقية التي ترسم أبعاد العلاقة بين الإنسان وخالقه والوجود بأكوانه الأخروية والدنيوية، والتي تعبر عن الوجود الدنيوي الذي يعيشه وهو المجتمع "بالنظام"، لاستقامة أمر الناس به في حياتهم. وتهتم بخاصته من الأمراء والشرفاء والفقهاء والفقراء، وتقصد إلى حفظه واستمراره بالأسباب الموجبة لبقائه من علوم وصنائع. وترى بأن الرئاسة هي قطب رحى هذا النظام، لأنها شرط حفظه. وتذهب كل مذهب في الدفاع عنها، وتتوسل بالأحاديث النبوية والوصايا المأثورة وأقوال العلماء التي تجمع على تحريم الخروج عن الإمام بقول أو فعل، بل وتوجب الصلاة وراء كل بر وفاجر من الولاة وغيرهم، ما لم يكن فسقه في عين الصلاة، وكذا الجهاد مع كل أمير من المسلمين، وإن كان فاجراً لا غيره.

ويتصل دفاع الزرّوقية عن الرئاسة والقائمين عليها من الأمراء بالأزمة السياسية التي أعقبت زوال ملك المرينيين واستدامت، حيث وضع المغاربة في أعناقهم، وفي ظرف ثماني سنين بيعة ثلاث دول متعاقبة، وذلك ما بين عام 869 / 1465 وعام 876 / 1471 . ولم تقو إحداها على مقاومة الأطماع الخارجية والفتن الداخلية، ولم تفلح أي منها في القيام بمصالح البلاد والعباد. ولم تقصد الزرّوقية بدفاعها مرينيا ولا جوطيا ولا وطاسيا، وإنما رامت الذود عن وسيلة حفظ النظام، والذي يتحقق بها الذب عن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وإقامة حرمتهم، والنصرة لهم في جميع أحوالهم جلبا ودفعا. وراحت تدعو إلى الحفاظ على الدولة القائمة على ضعفها، والصبر على ظلم أمرائها وجورهم وفسقهم، والسعي في المصالح العامة تحت إمرتهم، وعدم إغراء الرعية بالفتنة وشق عصا طاعتهم.

وامتكلت الزرّوقية كل مقومات الصبغة الدينية المفيدة للملك الوطاسي، من توجهها في حسبتها إلى السلطتين

العلمية والروحية، وتحميلها أرباب الرئاسة الدينية، من مشايخ الطوائف الصوفية ومتقلدي الخطط الفقهية ومعهم الشرفاء، مسؤولية اختلال نظام المغرب. ودعوتها إلى سد ذرائع القيام بالمصالح العامة التي قصرت عنها همم الملوك، من سد رمق الرعية ورفع الظلم عنها ودفع النصارى عن أرض الإسلام. ومع هذا لم ينتهز الوطاسيون هذه الدعوة الدينية إبان وجود صاحبها في حاضرتهم، ولم يبسطوا أيديهم إلى خصومه، وكانوا فيه من الزاهدين. ولم يتخذوا الزرّوقيين شيعة إلا بعد حين، وظاهروا بهم على الاتجاه الغالب والمتطارح على الشرفاء الجوطيين من قبلهم والزيدانيين على عهدهم.

وفي مضمار الرئاسة الروحية اختلفت الزرّوقية مع الجزولية في قضية التوبة، ورامت التهوين من التهويل الذي أناطتها به. حيث جعلت الجزولية للتوبة أركان وشرائط، أهمها قص شعر التائب، والاجتماع عند حلق رأسه، وإقامة الوليمة لذلك، ونسبت الإذن بالتقصيص إلى الخضر عليه السلام. ولم تر الزرّوقية في ذلك سوى الدخول على الناس من جهة الدين، وإحداث طريق لأكل حطام الدنيا. وفصلت في التوبة وبسطت فروعها الكثيرة ومداخلها الغزيرة، وجعلت تصحيحها أصل كل مقام، ومجراها في المقامات مجرى الأرواح في الأجسام. وأعانت الناس على أن يعلموا أن التوبة ليست من فعل الخلق، ولا ينفع فيها تقصيص أو وليمة، وأنها من فعل الحق. وأن التوبة منهم إليه توبة منه عليهم، وأن بدارهم إليه هداية، وتوفيقهم منه عناية. وهدت الزرّوقية التأبين إلى ميراث ترك الذنوب، وهي أمور كلها خير في الحياة وبعد الممات. وأكدت على الثمرات الدنيوية من لذة عبادة ورحمة وطيب حياة، عكس الجزولية التي كانت تمني التائبين بالنجاة يوم المعاد.

ويبقى الأثر البعيد للطريقة الزرّوقية في دفاعها عن الوحدة بين الشريعة والحقيقة في إطار الطريقة، والتكامل بين الفقه والتصوف، ليحصل الكمال في الدين. ويرجع الفضل لصاحبها في رفع العداء المستحكم بين الفقهاء والصوفية، والتمهيد لعصر التصوف بالمغرب، وميل أهل القرن العاشر ومن بعدهم إلى التصوف بالكلية. فالانتشار الواسع الذي تحقق للطائفة الجزولية خلال القرن9 / 15 تم بين جمهور عوام البوادي والحواضر، واستعصت عليها فئة الفقهاء، والذين كانت وفاة الجزولي على يد أحدهم. والزرّوقية هي التي أعانت أهل الظاهر على التغلب على توهمهم وحذرهم من الطريق وأهله، ودفعت بهم إلى الإقبال عليه والانخراط في سلكه. وبذلك اندمجت هاتان الفئتان الدينيتان والاجتماعيتان الكبيرتان في فئة واحدة، بعد أن كانتا متعارضتين ومتنافرتين، فتقوت بوحدتهما بنية الزاوية واستكملت شروط هيمنتها على المجتمع المغربي وتاريخه. وكانت من عواقب هذا الاندماج أيضاً بروز الدور التعليمي للزوايا بشكل لم يعهد مثله من قبل، والذي بلغ أوجه زمان الفترة من القرن الحادي عشر (17 م).

وقد آن الأوان للتمييز في الشاذلية بالمغرب الحديث بين شاذليتين جزولية وزرّوقية، مع اعتبار خصوصية كل منهما، والتحفظ بشأن توهم الانسجام والوحدة داخلها، وترك تسميتها بالشاذلية - الجزولية. ولا شك في امتياز الشاذلية - الزرّوقية وإحيائها لمبادئ التصوف السني الخالص، وللتقاليد الشاذلية الأصيلة، حيث بلغت شروح زرّوق على الحكم العطائية وحدها سبعة عشر شرحاً. ولا ريب في كونها مسكة ختام الحركات التي رامت إصلاح التصوف المغربي، والتي تزعمها كل من الشاذلي (تـ. 656 / 8 . 1159) وابن البناء السرقسطي وابن عباد الرندي (تـ. 792/ 1390).

وكما سعى مؤرخو التصوف المغربي أواخر القرن الحادي عشر (17 م) إلى اختلاق نوع من الانسجام والوحدة داخل حركة الإحياء التي همت الشاذلية بالمغرب خلال القرن التاسع (15 م)، وغمطوا الزرّوقية، وجانبوا التطفيف في حق الجزولية، وهرع المؤرخون المحدثون على أثرهم. فإن هؤلاء الأخيرين زادوا عليهم بالشطط في النظر إلى تاريخ الطريقة الزرّوقية بعد انقضاء أجل مؤسسها، وذلك عبر سلسلة من الكتابات التي أنجزوها، سواء في إطار تاريخ الطوائف والطرق في بلاد الغرب الإسلامي، أو في سياق تاريخ التصوف المغربي، أوضمن المونوغرافيات المفردة في زرّوق والزرّوقية.

وقد انطلق هذا النظر مع المؤلفين Depont وCoppolani (1897) اللذين اختزلا أربعة قرون كاملة من تاريخ الطريقة الزرّوقية في ما عايناه من قلة انتشارها على عهدهما، فذهبا إلى القول انه على الرغم من شهرة الشيخ أحمد زرّوق التي طارت في آفاق بلاد الإسلام شرقاً وغرباً، إلا أن طريقته ظلت مجرد تنظيم جنيني معاق لا ينمو ولا يتطور. وذلك لأن مذهبه ظل حكراً على الخاصة من أهل العلم، ولأن أفكاره لم تجد سبيلا إلى التأثير على عامة الناس الذين اكتفوا بفكرة غائمة عن صاحب هذه التعاليم، وخلصا إلى التفكير في عد الزرّوقية ضمن دائرة الطوائف التي تخطو نحو العدم وتسير إلى زوال. وتلقف Colin (1925) هذا القول، وأكد أن الفكر الزرّوقي كان أرقى مستوى، ولعله كان أنقى وأصفى من أن يحظى بقبول العامة. وهذا ما قصره على الدائرة الضيقة من الطبقة الزرّوقية الأولى في حياة الشيخ أحمد زرّوق، ولم يقدر الذيوع والانتشار بعده إلا لوظيفته. ووافق Spillman (1951) المؤلفين المذكورين، وجزم باختفاء الطائفة الزرّوقية من المغرب. وبلغ هذا النظر مبلغ التواتر مع خشيم (1975) الذي قرّر قلة انتشار الطريقة الزرّوقية، في الماضي والحاضر، وإخفاقها في اجتذاب الوفير من الأتباع كما هو الحال بالنسبة لطرق أخرى، وأنها ظلت محصورة في بعض المناطق ومقصورة على قلة من الناس. واعترف بأنه قد فقد الخيط تماما في بحثه عن تاريخ هذه الطريقة بعد حديثه عنها في حياة

مؤسسها خلال النصف الثاني من القرن التاسع (15 م)، وأن تاريخها ظل مجهولا بالنسبة له إلى غاية انتصاف القرن الثالث عشر (19 م). وعلل الأمر بأنه لم تكن لطريقة متنورة كالزرّوقية، في تلك الأيام المعتمة من تاريخ الحضارة الإسلامية، أن تستمر بنقائها وصفاء جوهرها. وهي ربما كانت طريقة الخاصة من الناس، أما عامتهم فلهم طرق أخرى تتفق مع ميولهم وأهوائهم ومستوى إدراكهم العقلي والروحي على السواء. هذا ولم يذهل أصحاب هذه الأسطوغرافية عن نشوب الزروقية في الأسانيد الشاذلية لغالبية الطرق والطوائف والزوايا المغربية، وكانوا يعلمون أن أتباع الشيخ أحمد زروق قد أسسوا طوائف وطرق وزوايا تعد لها فروعاً، لكن وقر في ذهنهم تحول وانحراف هذه الفروع عنها ووقوفها حجر عثرة في طريق نموها وتطورها.

وأصل الشطط في هذا النظر هو عدم اعتبار أصل مكين من أصول الطريقة الزروقية، دارت حوله العديد من متونها وأكدته، وجعلته أساس الانتساب إلى التصوف ورجاله. وقوامه الدعوة إلى التحرر والتجديد وطرح التقليد الصوفي الواحد أو السائد، والتشجيع على الإقبال والنهل من مختلف المشارب والتيارات التي عرفها تاريخ التصوف الإسلامي، بما فيها المذاهب التي دأب الناصحون على التحذير من كتبها، ولم تجتمع كلمة الناس على مشايخها. ورغم أن الزرّوقية جاءت بمذهب صوفي متكامل يرسم أبعاد العلاقة بين الله والوجود والإنسان، فإنها لم تلزم أحدا بالتقيد بها واعتمادها والسير على هديها. بل دافعت عن تعدد الطرق إلى الله، وأكدت على مبدأ الاستحسان، وقالت إن لكل فريق طريقا. وفتحت بذلك آفاقا فكرية وروحية رحبة، وهونت من شأن المذاهب الصوفية المحظورة أو الخطيرة، ليأخذ كل فرد بالمذهب الصوفي الذي يراه الأحسن، والذي يتفق مع استعداده الطبيعي ودرجته في العلم، شرط التقيد بالكتاب والسنة.

وتنتفي مع هذا الأصل القطيعة المتوهمة في الأسطوغرافية التي ذكرنا، ويتم الاتصال بين حلقات تاريخ الطريقة الزرّوقية، وتنتظم متسلسلة من عهد مؤسسها الأول فالطبقة الأولى من أتباعه فأتباعهم إلى هلم جراً. ويرتفع معه القول بالانحراف والتحول عن التعاليم الزروقية بعد مواراة مبدعها الثرى، ويحل محله القول بالاتباع والعمل وفق هذه التعاليم بالذات، والإسهام في حيوية الفكر الصوفي، والضرب بنصيب في انتعاش الحركة الفكرية بالمغرب، وتمكين مغاربة القرن 10 / 16 ومن بعدهم من حلول روحية مناسبة لمشاكلهم وأزماتهم.

وقد اعتنى محمد المهدي الفاسي (ت. 1109 / 1698) بتاريخ الطريقة الزرّوقية في كتابه *تحفة أهل الصديقية*، ونظم أعلامها الذين اشتهروا خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 و17 م) في سبع طبقات، وصدر بالشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (931 / 1524) في الطبقة الزروقية الأولى.

ولا مراء في اليد البيضاء التي أسداها الراشدي للزروقية بالمغرب بوجه خاص وللشاذلية به بوجه عام: فعن طريقه ستصبح الزروقية الواسطة في الشاذلية بالنسبة لليوسفية والخياطية والغازية والسهيلية والصادقية والكرزازية والشيخية والناصرية والحنصالية والزيانية والدرقاوية، وغيرها من الطوائف والزوايا المغربية، بالإضافة إلى كبار صحب الراشدي من المغاربة والذين لا يعرف أنهم أسسوا طريقة أو أقاموا زاوية. وقد نسج الراشدي طريقه على منوال مذهب أبي يزيد البسطامي (ت. 261 / 874)، وانتشر من طريقه دعاة المحبة الخالصة بالمغرب، وطرحوا به مشكلا فكريا حاداً، أسال مداداً كثيراً، وأراق دماء غزيرة.

ولم تنتشر الطريقة الزرّوقية بالمغرب فقط من الطريق الراشدي الذي طرأ عليه من المغرب الأوسط خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م)، بل تفرعت به أيضاً من طريق داخلي وسابق عنه، وزعيمه الشيخ إبراهيم بن علي الزرهوني المعروف بأفحام أو أفهام (ت. 926 / 1520). وهو صدر الزروقيين المغاربة، وكبير الآخذين عن الشيخ أحمد زروق إبان عودته من المشرق واستقراره بالمغرب في صدر الدولة الوطاسية، وصاحب الطريقة الثانية والكبيرة في الزرّوقية إلى جانب الراشدية. وقد ذهب الشيخ أفحام مذهب الشيخ الراشدي في الاستناد إلى مبدأ الاستحسان في اختياره للمذهب الصوفي الذي بنى عليه طريقته، والتي ستشكل أحد التيارات الصوفية المتميزة والبارزة خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 و17 م). ونهل مثله من مدارس التصوف الإسلامي التي نشأت بخراسان خلال القرن الثالث (9 م)، واقتفى أثر شيخ الملامتية بنيسابور حمدون بن أحمد القصار (ت. 271 / 884). وهو مذهب صوفي عريق في تاريخ التصوف المغربي، وسابق في نشأته عن الطريقة الشاذلية بالمغرب بما يزيد عن القرن.

وإذا كانت الطريقة الراشدية تمثل الواسطة الغالبة في الأسانيد الشاذلية ـ الزروقية خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 و17 م)، عكس الأثر الماحل والضئيل لسند أفحام فيها. فإن هذا يتناسب عكسيا مع خطورة الدور الذي كان لهذا التيار الزروقي الداخلي، ليس في تاريخ الزرّوقية بوجه خاص، بل وفي تاريخ المغرب الحديث بوجه عام. ولم تفت المؤرخ أحمد الناصري ملاحظة هذا الأمر، فأثبته في كتابه *الاستقصا*. ورأى أنه من الأمور العظام التي حدثت في صدر المائة العاشرة للهجرة، وأنه حدث جلل لا يقل في خطورته عن نزول الإيبريين بثغور البلاد، وظهور الأتراك بالمغرب الأوسط.

ولم ينفلت أعلام الطبقة الزرّوقية الأولى جميعهم من باب الاستحسان إلى طرق ومذاهب مخالفة للزروقية مثل البسطامية والملامتية، كما فعل الشيخان الراشدي وأفحام. وقد ثبتت ثلة منهم، وبالأخص من أهل المغرب الأوسط، على الزروقية الإصلاحية، ولم يستحسنوا غير الحسبة

والنهي عن المناكر وقمع الغش والتدليس في الدين. وكانوا بحق أبطال طور مبكر من أطوار السلفية بهذه البلاد، وأشهرهم محمد بن علي الخروبي (تـ. 963 / 1556)، والصغير بن محمد الأخضري وابنه عبد الرحمان الأخضري. وقد أحيى الخروبي بالمغرب ذكريات حسبة شيخه زرّوق على أعلام الطبقة الجزولية الأولى، وأثار كثيراً من الجدل والتفكير في كلا المغربين الأوسط والأقصى. وأنكر على معاصريه من الطبقة الجزولية الرابعة مشايخا وأتباعا قضية قص شعر التائب، التي جعلوها من أركان وشرائط التوبة ومن شعار الطريقة. وبعث برسالة إلى الشيخ أبي عمرو القسطلي (تـ. 974 / 1567) صدر هذه الطبقة الجزولية، والمتصدر لمشيخة أكبر زاوية بمراكش، والتي يمكن القول إنها أم الزوايا الجزولية خلال العهد السعدي الأول، وأبدع له فيها. وقد استقطبت المشيخة القسطلية جل الأمور التي أنكرها الشيخ أحمد زرّوق على أسلاف الجزوليين الأوائل، من التعلق بالأحوال ومنها الجذب، والخوض في مقامات ودرجات أهل الخصوصية، والظهور بالولاية، وإنشاء الكرامة، وإيثار المصالح العامة، وتتبع الفضائل، والجنوح إلى طعام الطعام، واستيلاف العوام، والجرأة على الحكام. ولم تفتر الحسبة الخروبية التي حدثت غداة انتصاف المائة العاشرة للهجرة، واستمرت عواقبها إلى نهاية المائة التي تليها.

وكان للزروقية الإصلاحية القائمة على مبدأ الحسبة مجال مغربي خاص، ومجال إسلامي عام يشمل المنطقة الممتدة من المغرب الأوسط إلى الحجاز، وكذلك بالنسبة للزروقية التجديدية القائمة على مبدأ الاستحسان. وما جلبناه في هذه المادة إنما يتصل بتاريخ الحيز الخاص من جغرافية الطريقة الزروقية، وهو المجال المغربي. ويبقى مجالها الإسلامي الواسع، والممتد من بجاية غرباً إلى مكة شرقاً خارج نطاق هذه المادة. ولا بأس من الإشارة إلى اشتمال المتون الزروقية على جوانب تتصل بتاريخ هذا المجال العام، وأن كل مشتغل بتاريخ التصوف، في كل بلد من بلدان هذه المنطقة المذكورة، يستطيع أن يتعرف على ملامح بلده وتاريخه في ثنايا هذه المتون،وأن استخلاص مونوغرافيات قطرية منها هو القمين برسم حدود الأبعاد الإسلامية للحركة الإصلاحية الزرّوقية.

وقد اشتهرت عدة طرق وطوائف صوفية تفرعت عن الزرّوقية، وانتشرت في هذا المجال، ومنها "الراشدية" وشيخها أحمد بن يوسف الراشدي، دفين مليانة بالمغرب الأوسط. و"السلامية" وشيخها عبد السلام الأسمر، دفين زليتن من أعمال طرابلس. و"البكرية" وشيخها أبو الحسن البكري (تـ. 909 / 3 ـ 1504) بمصر، ومؤسسو هذه الطوائف الثلاث من تلامذة الشيخ أحمد زرّوق، ومن أعلام الطبقة الزروقية الأولى. و"المدنية" وشيخها محمد حسن ظافر المدني (تـ.1263 / 1846)، وتأسست بالمدينة المنورة، وانتشرت في الحجاز وتركيا وبلاد المغرب العربي. و"اليشرطية" التي تسللت منها، وشيخها علي نور الدين اليشرطي (تـ. 1309 / 1891)، وهو من أهل تونس، وصار له أتباع في فلسطين ولبنان. و"السنوسية" وشيخها محمد بن علي السنوسي (تـ. 1276 / 1859)، وآل إلى مشايخها حكم البلاد الليبية.

م. الخروبي، *الرسالة الخروبية*، مخطوط خ ع، عدد 91 ج36 ـ 38 ؛ أ. ابن أبي محلي، *رسالة في الرد على الخروبي*، مخطوط خ ع، عدد 611 ك ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط خ ع، عدد 76 ج65 ـ 105 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4، 163 ؛ ع. گنون، *ذكريات مشاهير رجال المغرب*، أحمد زروق، *أحمد زروق دفين مصراتة* ؛ ع. ف. خشيم، *أحمد زروق والزروقية* ؛ ع. نجمي، *بين زروق ولوتر، في الإصلاح الديني والعصور الحديثة* ؛ *البدعة والتصوف بالمغرب*، طائفة العكاكزة، من تاريخ التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري، الملامتية ؛ م. الصمدي، *الشيخ أحمد زروق وطريقته الزروقية بالمغرب*، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 1989،8؛ أ. العزوزي، *الشيخ أحمد زروق* ؛ المهدي البوعبدلي، *الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها*، مجلة الأصالة، قسنطينة، 1974، العدد 19، 133 ـ 148 ؛ عبد *الرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر*، *مجلة الأصالة*، السنة السابعة، 1978، العدد 53، 21 35 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1، 170 ـ 172، 277، 282 ـ 284.

O. Depont et X. Coppolani, *Les confréries religieuses musulmanes*, Alger, 1987, 457 - 460 ; G. S. Colin, *Sayyidî Ahmad Zarruq*, Estrato dalla *revista della Tripolitania*, anno 2, 1925, 13 ; G. Spillman, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, s. d, 75 ; E. M. Bouabdelli, *Le Cheikh Mohammed Ibn El Kharroubi (XVe siècle)*, *Revue*, 1952, 330 - 341 ; A.F. Khusaim, *Zarrûq the sûfî*, Tripoli, 1976.

عبد الله نجمي

**زرِّيدَة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Çerdan - Çereda - Çerda ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Cerda وCerdan ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1145 / 1732.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 769.

ابن **زرِّيق**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني گرير الغمارية، استوطنت تطوان في القرن العاشر (16 م) وقد انقرضت غير أنه إلى غاية سنة1257 (1841) كان يوجد بحومة الطرانكات فندق ودار يحملان اسم هذه الأسرة.

وبين أفرادها تذكر الوثائق :

ابن **زرّيق، فاطمة** بنت أحمد فقيهة تزوجت القاضي بالقاسم بن عبد الرحمن الكراسي وكانت بقيد الحياة سنة 1012 (1603).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 254.

محمد ابن عزوز حكيم

**زرزاي، المقدم عمرو** المعروف بالأقرع أحد زرزاية أو إزرزاين أي الحمالين بفاس الذين تدرجوا في الخدمة المخزنية، كالسيد دحُّ الزرزاي الذي عينه السلطان مولاي إسماعيل قائدا، وأصبح من الأعيان، وقد قتل أثناء حصار مدينة مراكش عام 1114 في ثورة محمد العالم.

كان عمرو الزرزاي من أحدق الحمالين الذين لهم المعرفة الدقيقة بدروب فاس وأزقتها، وعندما أمر السلطان مولاي إسماعيل بالقبض على الخياط الزرهوني وقتله بمكناس عام 1125، أمر تولية عمرو هذا مقدما على اللمطيين، ورغم أن السلطان كان قد أمر قائده أبا علي الروسي أن لا يعطي للمقدم سوى موزونتين، فقد تحسن وضعه المادي، وتزوج من فاس، وسكن في رياض يقال له رياض جحا. واستمر على حاله إلى أن قتله أهل فاس ونهبوا داره ودار رئيسه الروسي بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل عام 1139.

م. القادري، *نشر المثاني*، ضمن م - أ - م، 5 : 2274 ؛ ح. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخ خ ن 12184 ج. 7، ص. 46 وج. 8، ص. 177.

أحمد ايشرخان

**زرزايـة** (حمّالة) ← **إزرزاين**

**زَرْزَايـة** (قبيلة) تنتمي مجاليا إلى حوض ملوية الوسطى، وتؤلف إلى جانب قبائل أخرى متجاورة معها ما يعرف حاليا بأهل تانديت. يحد قبيلة زرزاية شرقا الطريق الرئيسية المؤدية إلى مدينة جرسيف، وغربا وادي ملوية وشمالا وادي الواعر، وجنوبا وادي إبراهيم. وتندرج هذه القبيلة بمقتضى التقطيع الجماعي الأخير ضمن جماعة لفريطسة، وترتبط إداريا بدائرة أوطاط الحاج التابعة لإقليم بولمان.

وبخصوص الدلالة الاشتقاقية لكلمة زرزاية التي تشكل القوام الاسمي للقبيلة منذ زمن بعيد، ليس هناك في الوثائق المحلية والمعالم الطبونيمية ما يسمح بإمكانية إماطة اللثام عن أبعاد هذه الدلالة، ولذلك يبقى من الأرجح، حسب ما تتداوله الذاكرة الشفاهية، أن كلمة زرزاية وسمت بها القبيلة أو ألصقت بها بالأحرى من قبل السكان المحليين كناية عن ممارسة "تزرزايت" (الحمالة) التي كانت تحترفها بصورة جماعية معظم عناصرها بمدينة فاس.

تستوطن هذه الجماعة القبلية بحوافي وادي ملوية الأوسط بمحاذاة مجموعة من القبائل ذات أصول إثنية عربية وبربرية كقبائل رگو وأهل فقوس وأولاد جرار وأهل ترنيست .. يمارس سكانها أنشطة زراعية داخل مجال لا تتعدى مساحة الاستغلاليات الزراعية فيه بعض الرقع المحدودة للغاية. كما يتعاطون للرعي الذي يعد النشاط الأساسي المشترك بين كافة الأسر والعشائر. بيد أن هذه الأنشطة الفلاحية، وإن تنوعت شكلا، فإنها لا تحقق ولو الحد الأدنى من موارد العيش التي يقتضيها عادة اقتصاد الكفاف أو بعبارة أصح اقتصاد القلة. وتعود الأسباب البنيوية لهذا الوضع، إلى ندرة المياه الناتجة عن الطابع شبه الجاف للمنطقة وقلة معدل التساقطات السنوية إن لم نقل انعدامها أحيانا، علاوة على ضعف الإمكانيات المادية والتقنية التي من شأنها أن تمكن من جهة الساكنة المحلية من ضخ المياه الجوفية واستجلاب المياه من وادي ملوية ، ومن جهة أخرى استصلاح الأراضي والزيادة في حجم المساحات المزروعة. وقد أدت هذه الظروف الصعبة إلى انعكاسات شديدة على سيرورة التوازن المحلي بين السكان والمجال. مما أدى إلى انطلاق حركة هجروية لازمت المنطقة منذ أمد ليس بالقصير، كما هو الشأن بالنسبة لباقي ساكنة ملوية الوسطى برمتها.

ففي العقود الماضية كانت أغلب الجماعات المهاجرة من سكان القبيلة يتوجهون إلى مدينة فاس، حيث يمتهنون مهنة "تزرزايت" اسوة بغيرهم من طوائف الحمالين الأخرين من نفس الجهة، أي جهة ملوية الوسطى، كأولاد سيدي عيسى وأولاد جرار وأهل ترنيست.. وكانوا يمارسون عملهم في إطار گلسة خاصة بهم هي گلسة القطانين بعدوة القرويين. على أن الخدمات التي كانوا يضطلعون بها في نطاق "تزرزايت" كانت تتمثل بوجه أساسي في حمل الأمتعة ونقل البضائع حملا على الأكتاف عبر مدارات تتوزعها في الأغلب الأعم الأحياء السكنية والأسواق التجارية والمصانع الحرفية. وبهذه المهام اليومية كان حمالة طائفة زرزاية إلى جانب اخوانهم الحمالين في گلسات أخرى يلعبون أدواراً على قدر كبير من الحيوية سواء من خلال الربط بين الأحياء والأزقة عبر جولات روتينية بالأمتعة المحمولة، أو من المساهمة في تنشيط دينامية الحركة التجارية عبر عمليات نقل البضائع من أماكن إنتاجها إلى أماكن تسويقها أو استهلاكها. وإذا أخذت هذه الخدمات في سياق أنظمة التبادل الوظيفي القائمة بين مختلف آليات الشبكة الاقتصادية للمدينة العتيقة يمكن الإقرار بدون تردد، بأن جماعات الحمالين كانت تساهم - وماتزال إلى اليوم - مساهمة ملموسة في دورة الاقتصاد المحلي للمدينة سيما

إذا علمنا أن هذه الجماعات كانت تمثل وحدها دون سواها عماد حركة النقل مع الغياب الكلي لوسائل النقل الحديثة. وفضلا عن الخدمات الآنفة الذكر، كانت طائفة زرزاية تتولى في بعض المناسبات الاجتماعية كالأعراس مثلا حمل عمارية العروس وجهازها وكل ما يتصل به من توابع ولواحق. كما كانوا يحرسون البيوتات والفنادق والمحلات التجارية ليلا بحكم ما كانوا يتسمون به من ثقة وأمانة واستقامة، وهي أخلاق يحرص الحمالون على اختلاف أصولهم وكلساتهم، أشد ما يمكن الحرص، على التحلي بها لأنها هي "الرأسمال الرمزي" الذي يحافظ باستمرار على شرف المهنة ويضمن بالتالي كسب المعاش اليومي. وإذا حدث أن اقترف أحد الحمالين ما يخالف مبدئيا تلك الأخلاق والثوابت فإنه يطرد من الكلسة أو يعاقب بصورة من الصور وفق الأعراف المتواترة داخل الحرفة بحسب نوع وحجم المخالفة.

والجدير بالملاحظة في هذا الشأن، أن حمالة زرزاية كانوا يتوارثون هذه الحرفة خلفا عن سلف، عبر تدرجات الزمان وتعاقب الأجيال، لدرجة صارت معها هذه الممارسة سلوكا سوسيولوجيا موجها للأنماط الثقافية المحلية للقبيلة ومؤطرا في نفس الوقت لتطلعات أبنائها كلما جنحوا إلى التفكير في أفق الهجرة خارج الموطن الأصلي غير أنه في العقدين الأخيرين، ومع الأزمة التي صار يعاني منها حمالو زرزاية في مدينة فاس نتيجة للتحول النوعي الذي طرأ على وسائل النقل (سيطرة الدواب على حركة النقل) تناقصت أعداد المتعاطين لهذه الحرفة في صفوف سكان قبيلة زرزاية بصورة ملحوظة، إذ بدأ شبابها يقصد وجهات أخرى داخل مجال المغرب الشرقي، كمدن : بركان ووجدة وزايو للعمل إما في قطاع الفلاحة أو في مهن أخرى تعتمد أساسا على الجهد العضلي.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 235 ؛ م. كاربخال، *إفريقيا*، 2 : 151 ؛ ر. لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، 1 : 353 ـ58 ؛ *المعلمة*، 1 : 332 ـ 33 ؛ *معاينات ميدانية* ؛ *روايات شفوية*.

الفقيه الإدريسي

**الزرزور** والزرزر طائر من رتبة الجواثم أو العصفوريات Passeriformes ومن فصيلة الزرزوريات أو السودانيات Strunidae وهو طائر أسود، أصغر من البلبل، يألف الغابات والحقول الزراعية ويعيش في مجموعات كثيرة العدد. الزرزور اسمه الشائع في شمال إفريقيا ومصر والسودان والعراق ومن أسمائه أيضاً الوشواش وهي شائعة في عمان وفي كتب اللغة ويدعى بالأمازيغية أمسبريد ج. ئمسبريدين. منه نوعان يعيشان في المغرب :

- الزرزور الأرقط أو المنقط يدعى علميا Sturnus vulgaris وبالفرنسية Etourneau sansonnet وبالإنجليزية Starling وبالإسبانية Estornino pinto وبالإيطالية Storno. يتميز بريش أسود داكن مرقط بالأبيض الملطخ على سائر الجسد وبمنقار مصفر مستدق الرأس وقوي يساعد على أكل الثمار والحشرات والديدان والحبوب. الإناث شبيهة بالذكور ؛ يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 40 سم وطول الجسم 21 ـ 22 سم. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. يعيش في مجموعات متعددة الأفراد ويخلف أضراراً بمزارع الزيتون والعنب وحب الملوك ومزارع الحبوب. يتنقل في مجموعات ويحدث ضجيجا بأصواته المرتفعة.

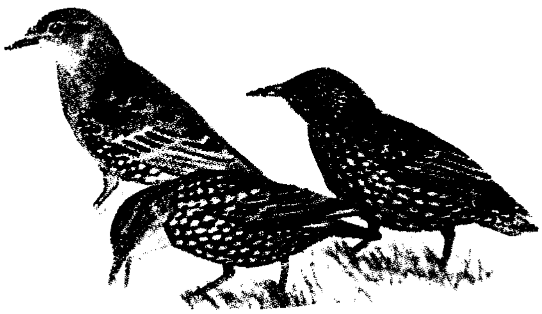

يشتو من شتنبر إلى فبراير في المناطق الشمالية المغربية - سهول وجبال الريف والأطلس المتوسط وسهول الغرب - ويخلف أضراراً في مزارع الزيتون. يهاجر إلى أوروبا في بداية الربيع ليتوالد منذ أبريل إلى غاية شهر يونيو. ينصب الزوجان العش بين حفر جذوع الأشجار وبين شقوق الجدران وصخور الجرف ويتكون من الريش ومن قطع التبن الصغيرة. تبيض الإناث4 ـ6 بيضات بيضوية الشكل ملساء مخضرة شاحبة تميل إلى الأزرق المصفر، يبلغ طول قطريها 17.8 ×23.3 ملم. تحضن الإناث البيض 12 ـ 14 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتبقى بداخل العش حوالي ثلاثة أسابيع قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا. تتوالد بعض الأفراد مرتين في السنة.

يقترب من المدن والقرى وتلتجئ المجموعات ليلا إلى الأشجار وصخور الجرف لتنام ثم تتوجه في الصباح الباكر إلى المزارع والحقول.

الزرزور الأسود Sturnus unicolor يدعى بالفرنسية Etourneau unicolor وبالإنجليزية Spotless starling وبالإسبانية Estornino negro وبالإيطالية Storno nero.

يتميز بمنقار أصفر طويل مستدق الرأس وبريش أسود داكن موحد خلال الربيع والصيف، تتخلل الأجنحة نقطا بيضاء في فصل الشتاء. الإناث شبيهة بالذكور ؛ يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 40 سم وطول الجسم 21 سم وتزن الكبار حوالي 80 غراما. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. يعيش في مجموعات متعددة الأفراد ويفضل أكل ثمار الزيتون والعنب وثمار الكرز (حب الملوك) والحبوب. يتنقل في مجموعات ويحدث ضجيجا متواصلا بأصواته المرتفعة.

يتوالد في المغرب من أبريل إلى يونيو وينصب العش بنفس طريقة الزرزور المنقط. تبيض الإناث4 ـ 6 بيضات زرقاء شاحبة وكبيرة نسبيا، يبلغ طول قطريها 21.5 x 31.2 ملم. تحضن الإناث البيض 12 ـ 13 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. تبقى الصغار بداخل العش حوالي 21 ـ 23 يوما.

يعيش هذا النوع في جميع المناطق الزراعية المغربية ويعيش أيضاً في إسبانيا والبرتغال وإيطاليا وجنوب فرنسا وتونس والجزائر. معظم المجموعات التي تعيش في المغرب مستقرة وتهاجر نادرا إلى أوربا.

م. رمضاني، تييبط، *معلمة المغرب*، الجزء 8، ص. 2655 ؛ م. رمضاني، البلبل، *معلمة المغرب*، الجزء 4 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان ـ الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with north Africa and the Middle east*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

ابن **أبي زرع**، كنية ثلاثة أعلام من أسرة فاسية قيل إن أصلها غرناطي، عاشوا في العهد المريني وهم :

ـ محمد ذكره أخوه صاحب *الذخيرة السنية* ووصفه بالخطيب المحدث، وذكره المقري، الجد، في *فوائده*. ووصفه بالعدل. امتدت حياته إلى دولة يوسف المريني، ما بين 685 و706. كان عدلا بسماط القرويين وتولى الخطبة بجامع فاس الجديد.

ـ أحمد كانت وظيفته التلاوة بجامع القرويين، وقدمته العامة للإمامة سبعين يوما في حدود عام 683 أواخر دولة يعقوب المريني.

ـ علي ذكر صاحب *كشف الظنون*، أنه علي بن محمد بن أحمد، وصفه القادري في *لقط الفرائد*، بالكاتب، ولعله يقصد الكتابة بالبلاط المريني. ذكر صاحب *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* (ج. 1، ص. 188) أن عبد السلام القادري له تأليف في ابن أبي زرع هذا، يقع في نحو الكراسة، يوجد طرف من أوله بخزانة صاحب الدليل ضمن مجموع. أدرج ابن القاضي وفاة علي بن زرع في وفيات سنة 741.

اشتهر عليّ هذا بكتابه *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*. ورد المؤلف والتأليف عند المجهول الذي كتب التقييد المسمى ذكر مشاهير *أعيان فاس في القديم*. وعند الشيخ زروق في شرح *أرجوزة ابن البناء* وعند ابن القاضي في *الجذوة*، وعند ابن إبراهيم الدكالي في *سلسلة الذهب المنقود* وعند أكنسوس في *الجيش*، بالإضافة إلى من ذكرناهم أعلاه. ووقع عند هؤلاء اضطراب كثير في اسم المؤلف، إذ خلط اسمه باسم أحد أخويه، وفي نسبة الكتاب إليه، إذ نسبه بعضهم لابن عبد الحليم، وفي عنوان الكتاب، إذ ورد بصيغ مختلفة، بعضها أطول من بعض. ألقى البحث الذي كتبه ليفي ـ بروفنصال حول فتح المغرب بالعدد الأول من *مجلة Arabica* عام 1954، ألقى بعض الضوء على شخصية المؤرخ صالح بن عبد الحليم الذي عاش بنفيس في وقت كانت فيه تلك الجهة المراكشية هامشا بالنسبة لفاس، عاصمة الدولة المرينية، وكان عدد من الناس، ومنهم ليفي ـ بروفنصال، قد نسبوا لهذا المؤرخ الإيلاني كتاب *القرطاس*، وليس لديهم من معلومات إلا ما وقعت الإشارة إليه في *مفاخر البربر* من كونه كان على قيد الحياة عام 712. وبعد أن ظهر لابن عبد الحليم هذا، كتاب في الأنساب، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت عدد ك 1275، وكتاب بعنوان *كتاب القبلة* بمجموعة الأوقاف بنفس الخزانة، وبعد أن نشر مصطفى يعلى أطروحته المقدمة إلى جامعة مدريد، محققا فيها كتاب *الأنساب ومفاخر البربر*، صارت المعلومات المتوفرة عن ابن عبد الحليم أكبر، وتداعت بذلك أطروحة ليڤي ـ بروفنصال الأولى بنسبة كتاب *القرطاس* إليه، وتداعت تبعا لذلك أطروحة محمد الفاسي، الذي ذهب في نفس الاتجاه (*مجلة تطوان*، ع. 5، 1960) ولولا المشاحة لكان الاكتفاء في حسم الموضوع بما كتبه محمد التطواني بمجلة الثقافة المغربية، (عدد جوان ـ جويي 1945) (والذي قبله)، وهو نسبة القرطاس إلى ابن أبي زرع علي، وهو ما أيده بحث عبد الله كنون في *النبوغ المغربي* (ط. 1961، ص. 212) وفي مقالة له بالعدد الثاني من *مجلة تطوان*، 1957. وقد قارن كل المعطيات، ليخرج بنفس النتيجة الأستاذ محمد الناصري، في كتابه *من فارس إلى مراكش* (نسخة مرقونة عند عائلته).

أما مايا شاتز ميلر في كتابها *L'historiographie mérinide : Ibn Khaldoun et ses contemporains* (Leiden, 1985)، قد احتارت في الحسم وتشككت حتى في نسبة *الذخيرة السنية* إلى ابن أبي زرع علي، مؤلف *القرطاس*.

ومما ثار حوله الجدل بين الذين اهتموا بهذا الموضوع، قضية وجود نصين لأصل القرطاس، أحدهما كبير والآخر صغير، والقول بأن الصغير هو الذي وصل إلينا، والقول بأن لفظ القرطاس الوارد في الشطر الأول من العنوان اسم لجنان بخارج فاس.

كتاب *القرطاس* تاريخ مغربي محلي، بدأ بالأدارسة، ملوك فاس، وتتبع مآلهم إلى الانقراض، ثم تعرض للإمارات البربرية بعدهم ولأخبار المرابطين والموحدين والمرينيين إلى حوادث عام 1326 م في بعض النسخ، وإلى حوادث عام 1332 م في نسخ أخرى. كتاب حسن الترتيب منتق لأهم الحوادث، فني العبارة التاريخية، مهتم باختلاف الروايات، متضمن لعدد من الوفيات. ذهب البعض أنه

تزلف به لأمراء بني مرين، وإن كان ابن مرزوق قد ذكر أن كثيراً من أخبار ابن زرع أنكرها السلطان أبو سعيد.

طبع المستشرق طورنبرغ بمدينة أوبسالا بالسويد قسما منه، مع ترجمة إلى اللاتينية عام 1843، وفي سنة 1860 ترجمة بوميي Beaumier إلى الفرنسي، وترجم في نفس القرن التاسع عشر إلى عدة لغات أوربية أخرى، وطبع على الحجر الفاسي مرات، أولها سنة 1303. بعناية محمد الفاطمي الصقلي وتقريظه. وطبع على الحروف عام 1355 / 1936 بالرباط بعناية محمد الهاشمي الفيلالي وتقديم سعيد حجي، وآخر طبعاته صدرت عن دار المنصور عام 1973 بعناية عبد الوهاب بنمنصور.

المصادر مذكورة داخل النص.

أحمد التوفيق

أبو **زرعة**، من التابعين المدفونين - على ما يقال - في مقبرة التوتة من حي الميناء، شرقي مدينة سبتة حسب كتاب *اختصار الأخبار* وقبره من المزارات المشهورة. وقد نقل الأنصاري عن الفقيه أحمد بن محمد بن أحمد العربي عن شيخه الفقيه عبد الله بن عبيد الله الحجري أن أبا زرعة هذا هو الذي أدخل القرآن إلى المغرب (*اختصار*، 13).

من المحتل أن يكون أبو زرعة من المقرئين الذين دخلوا المغرب مع الفاتحين الأولين وساهموا في نشر الإسلام وتعليم السكان قراءة القرآن وأحكام الدين - يذكر أن عقبة بن نافع الفهري عندما قفل عائداً إلى الشرق ترك جماعة من أصحابه وأوكل إليهم مهمة تعليم الأهالي القرآن، ومنهم صاحبه شاكر المنسوب إليه الرباط المشهور بنفس الاسم. وقد سار على نهجه موسى ابن نصير الذي انتقى من بين جنده، عشرة من خيرة رجاله وكلفهم بتعليم القرآن للأهالي، وأنزل جماعة من هؤلاء الحفظة بين سكان طنجة وقبائل غمارة المصمودية. كما تذكر كتب التواريخ أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أنفذ إلى إفريقيا والمغرب عشرة من الفقهاء لنشر القرآن وتلقينه لأهالي الأقاليم المفتوحة.

فلا شك إذن أن يكون أبو زرعة المذكور أحد الفاتحين الأولين من حفظة القرآن احتفظت باسمه الذاكرة السبتية فجلت مقداره واتخذت من قبره مزاراً للتيمم والتبرك ولاشك أن الكشف عن خبايا شخصية أبي زرعة قد يساهم في التعرف على جوانب تاريخية جديدة حول دخول القرآن إلى المغرب ومراحله.

ابن القاسم، الأنصاري، *اختصار الأخبار كما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، الرباط، 1403 / 1983.

زليخة بنرمضان

**الزرعي، محمد** الجدميوي السبتي، اشتهر بلقب التاريخي الحافظ. برع في الوراقة هو وأخوه بمدينة سبتة. عاصر الرحالة القاسم التجيبي وكان من أبرز أصدقائه وشيوخه، لكنه لا يشير إليه في كتابيه *الرحلة والبرنامج* باسم الزرعي بل باسم آخر هو الكتامي وذكر أنه قرأ عليه بسبته *مختصر ابن الحاجب* في أصول الفقه وأجازه جميع ما ألفه ورواه، كما سمع عليه *كتاب الزكاة* لابن الجد الفهري و*كتاب النظر في أحكام النظر* لابن القطان و*كتاب معرفة أنواع علم الحديث* وكتاب *رائع الدرر ورائق الزهر في أخبار خير البشر* لابن زكرياء اللغوي و*المسند الصحيح* وكتاب *الموطأ* وكتاب *سيرة رسول الله* لأبي إسحاق بن يسار المدني وغيرها من أمهات الفقه والتاريخ. وقد عرف عن الزرعي تأليفه لمصنف في التاريخ في نحو من أربعين سفرا، ورتبه على حروف المعجم جمع فيه أخبار العلماء والأدباء وضمنه كثيرا من روائع النظم والنثر والحكايات والفوائد والتندرات. كان الزرعي يعقد الشروط في سماط الموثقين بجوار مسجد مقبرة زجلو بمدينة سبتة كما كان يقوم بالإقراء في هذا المسجد وأيضا في مسجد زقاق السلال يجهل تاريخ وفاته ولكن يفهم من كلام التجيبي أن الزرعي أو الكتامي بقي على قيد الحياه بعد سنة 693 / 1294.

القاسم بن يوسف التجيبي، *مستفاد الرحلة والاغتراب*، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا - تونس، 1975، ص. 161، 178 ؛ نفسه، *برنامج التجيبي*، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا - تونس، 1981، ص. 62، 74، 132، 135، 139، 140، 199، 202، 272، 274 ؛ مجهول، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب*، المطبعة الملكية، الرباط، 1984، ص. 27 - 28 ؛ محمد المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، الرباط، 1991، ص. 59.

رشيد السلامي

**الزرقاء** (المرجة -)، وينطق بها أيضا : "الزرگة"، بحيرة شاطئية ومحمية بيولوجية تحادي جنوباً مدينة مولاي بوسلهام بإقليم القنيطرة، وتعد من أمهات المواقع المغربية للطيور وأهم موقع مائي لعبور وإشتاء البطيات وطيور المستنقعات. وتجدر الإشارة إلى أن المغرب يتوفر على ثلاث مناطق مائية ذات الأهمية العالمية، وهي سيدي بوغابة بالمهدية وخليج خنيفيس بالقرب من طرفاية والمرجة الزرگة التي تعتبر أهم واحدة ضمنها.

تغطي المساحة الإجمالية لهذه المحمية حوالي 7.000 هكتار، أما المرجة بمفردها، والتي يبلغ عمقها في الوسط 1,5م، فتمتد على مسافة 9 كلم طولا و5 كلم عرضا، أي أنها تتخذ شكلا إهليلجيا تبلغ مساحته 4.500 هكتار ويتكون من حلقتين مستنقعتين تطوقان قلب البحيرة، وهما المعشاب في الخارج والموحل في الداخل.

لقد صارت البحيرة دائمة منذ 1953 وأخذت تفضي إلى البحر عبر مضيق منعرج، حتى أن النظام المائي والتركيب الكيماوي أصبحا يعرفان باستمرار تغيرات هامة تحت تأثير حركات المد والجزر بالأساس، علاوة على نقل الصبيب

المتواضع للمياه العذبة القادمة من الفرشة المائية المجاورة وكذا واد الدرادر الآتي من الشرق وقناة الناظور لتصريف مياه الغرب الآتية من الجنوب.

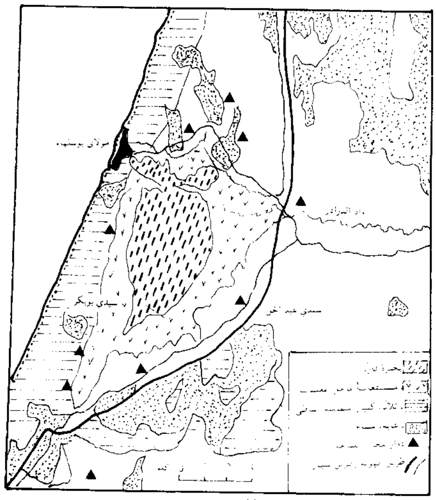

المرجة الزرقة

تتضمن النباتات المستقرة داخل وحول البحيرة على تكوينات متنوعة تتمثل في النباتات المغمورة في قلب المرجة وأوالف الملح في المعشاب وقصب المكانس والسمار على ضفاف واد الدرادر وقناة الناظور. إضافة إلى ذلك فإن الحور (في الشمال) ومشاجر الأوكالبتوس تحيط بالبحيرة، ولتثبيت قمم الكثبان الساحلية تم غرس شريط من الأوكالبتوس الذي تتخلله بقع من السنط يمتد عرضا على 50 م وطولا من مجاز البحيرة إلى مدينة القنيطرة. أما الثروة الحيوانية المائية فتختلف حسب تنوع مواطنها داخل المرجة، إذ أن غالبية الأسماك ذات الأصل البحري لا تتعدى المضيق، في حين أن مجاري البحيرة تأوي الأسماك الأليفة للمياه المالحة والعذبة على السواء من نوع السلور على الخصوص، وداخل البحيرة يعيش 16 نوع من الضفدعيات والزواحف، أربعة منها مستوطنة في المغرب.

إلا أن الشهرة الحقيقية التي تكتسيها المرجة الزرقة ترجع إلى كونها تمثل موقعا مائيا يتردد عليه حوالي مائة صنف من الطيور، وهذه ظاهرة لا مثيل لها في المغرب، لا سيما وأن تجفيف مرجات الغرب أصبح شبه تام. كما تستقر بها، وخاصة في فصل الشتاء 15.000 إلى 30.000 من البطيات (أهمها البط الصافر) ونفس العدد من الغرر و1.000 إلى 2.000 من النحام الوردي. وتجدر الإشارة إلى أن بعض الطيور التي تتوالد فيها تعد من النوع الفريد أو المهدد. كما أن المرجة الزرقة توجد غير بعيدة عن مواقع مائية أخرى تتكامل معها (مرجة حلوفة ومصب سبو وبحيرة سيدي بوغابة وواد الفوارات).

لكل هذه الأسباب ارتقت المرجة الزرقة سنة 1978 إلى صفّ المحميات البيولوجية التي يخضع استغلالها إلى مجموعة من التنظيمات والتقنينات. وما يجدر ذكره أن المغرب يتوفر على 168 موقع ذات النفع البيولوجي والبيئي. ذلك أن بالإضافة إلى المنتزهات الوطنية الطبيعية هناك 146 محمية طبيعية مائية وغير مائية، منها 108 بالمجال القاري و38 بالمجال الساحلي. أما نصيب منطقة الغرب منها فهو ضعيف (2 حول مولاي بوسلهام و5 بين المهدية وسيدي يحيى الغرب)، ولكن ثلاثة من بين مواقعها لها صيت عالمي، وهي غابة المعمورة وبحيرتا المرجة الزرقة وسيدي بوغابة اللتان تتوفران على ذخيرة بيولوجية.

يتخذ استغلال المرجة عدة أساليب، أهمها الصيد في قلب البحيرة، مع تخصيص بعض الأحواض المتواضعة لتخزين السلور في انتظار تحقيق بعض مشاريع تربية الأسماك، ثم الرعي وضفر حصائر السمار وقطع خشب الأوكالبتوس على جوانب وهوامش البحيرة، وأخيرا السياحة البيئية المتعلقة بالطيور. غير أن مجموعة من الضغوط تلحق أضرارا عدة بالمحمية وتهدد صيانة هذاالتراث الطبيعي النفيس، إذ أنها تشكو أولا من ضعف التجهيز ونقص في التأطير. ذلك أن التقني المعتمد من طرف إدارة المياه والغابات، والذي استقر نهائيا بالبحيرة منذ 1985، لا يتوفر على وسائل التنقل، كما أن المرشدين الخمسة لم يسبق لهم أن خضعوا لتكوين ملائم في ميدان السياحة البيئية. أما الحراس الأربعة فلا يتمكنون لوحدهم من التحكم في كل مساحة المحمية الواسعة.

فضلا عن ذلك، فقد تم منع التخييم والصيد والقنص في المحمية، لكن السكان المقيمين على ضفاف البحيرة، وعددهم يفوق 10.000 نسمة، لهم الحق منذ 1951 في ولوج المحمية، وبالتالي في استغلالها، والواضح أنهم يفرطون في استغلال مواردها عن طريق الرعي وقطع الخشب والسمار، وذلك من دون أن تتمكن إدارة المياه والغابات من مراقبتهم، بما أن الأمر موكول لمقدمي وشيوخ وزارة الداخلية، بل هناك تجاوزات أخطر تم تسجيلها بشأن تكثيف الصيد المحظور وكذا الاستمرار في القبض على بعض الأنواع من الطيور المحمية لتزويد حديقة الحيوانات بتمارة. زد على ذلك أن أحوال المرجة تتفاقم بفعل عوامل أخرى، منها الطبيعية ومنها الكيماوية، والتي تتمثل في التلوث والاطماء المتزايدن والمحدثين من طرف واد الدرادر وقناة الناظور (التي تعتبر منفذ سهل الغرب على الضفة اليمنى لنهر سبو). كما أن تطوير زراعات البواكر وقصب السكر في الهوامش يعمل على التقليل من حمولة الفرشة المائية وعلى إلقاء نفايات المواد الكيماوية المستعملة في الفلاحة داخل البحيرة.

نظرا لكل هذه الضغوط والمعيقات فإن عدة حلول تم اقتراحها لتحسين تدبير المحمية والمحافظة عليها، وترتبط أولا بتحديد واحترام خط الفصل بين الميدان البحري ومجال نفوذ البحيرة الذي يندرج ضمن الملك العمومي، وكذلك

ببذل مجهودات أكبر في مجال التوعية والإخبار البيئيين، كما تتعلق بوضع نظام تدبيري مستعجل وبتحديد الضوابط القانونية لاستغلال المرجة.

Ministère de l'Agriculture et de la Réforme Agraire, *Plan directeur des aires protégées*, Rabat, Montpellier, 1992, 6 volumes ; A. Akerraz, M. Ayad, A. El Khayari, E. Ettahiri, J. Kadiri, A. Oubaizi, *Patrimoine culturel et territoire de la région du Gharb*, Secrétariat d'Etat chargé de la Culture, Rabat, 1996, 164 p.

مصطفى عياد

**الزرقطون** (معدن) ← **الزركون**

**الزرقطوني، محمد** بن محمد بن علي، مقاوم كبير من أسرة تنتمي لسيدي محمد بوزرقطون دفين الشياظمة. كان والده مقدماً للطريقة الحمدوشية بجماعة الدرسة بفاس قبل أن ينتقل إلى الدار البيضاء عام 1912.

ولد الزرقطوني المقاوم بالدار البيضاء عام 1345/ 1927 وما بلغ ربيعه الرابع عشر حتى كان قد حفظ القرآن. وبعد مرور خمس سنوات أي عام 1946 انخرط في صفوف حزب الاستقلال، وهي نفس السنة التي أعلن فيها عن زواجه من هيبة بنت بويه الشيظمي.

جرى تعيينه ضمن لجنة استخبارات أوكل لها حزب الاستقلال مهمة التحري في صحة الأنباء الرائجة حول وجود أعضاء سئموا الخط المعتدل للحزب المتمثل في قراءة النشرات ودفع الاكتتابات وإنشاء لجان التزيين للإشراف على الاحتفالات التي كانت تقام في بعض المناسبات الوطنية كذكرى اعتلاء سيدي محمد بن يوسف العرش في 18 نونبر 1927، وكوّنوا إطاراً دعي بـ "اتحاد الجنوب" وكان في طليعة مؤسسيه عبد الرحمان الصنهاجي.

تأثر محمد الزرقطوني بتوجهات أعضاء هذا الاتحاد، وانتهى به الأمر إلى الانضمام إليهم، وهكذا أصبح عضواً في أول خلية مسلحة بالمدينة القديمة في الدار البيضاء، وكانت تتألف من محمد صدقي ومولاي محمد المصلي ومصطفى الطنجاوي وسعيد المنوزي وشعيب شجاع الدين.

وقد جرت لقاءات كثيرة بين الصنهاجي ومحمد الزرقطوني منذ حل اتحاد الجنوب، وتم معظمها في مقهى بزنقة 3 رقم 15 درب التربعة بالدار البيضاء وذلك منذ أبريل 1951، وأتت مرحلة تكوين قيادة التنظيم التي غدت على الشكل التالي بعد النجاح في استقطاب العديد من الأفراد : عبد الله الصنهاجي ومحمد الزرقطوني والتهامي النعمان وحسن العرائشي. وفي سنة 1952 انضم محمد بن الحاج منصور الحريزي ومحمد بن أحمد آجار... وزوّد الزرقطوني التنظيم الذي سيُعرف لاحقاً بـ "المنظمة السرية" بسلاح عبارة عن مسدس.

ووفقاً لرواية المقاوم بوشعيب رغيب الشرقاوي، لم يعد بعد عام 1952 أي اتصال مع حزب الاستقلال. قد يكون هناك اتصال ولكنه ضعيف، خاصة بعد نجاح الزرقطوني في استقطاب العديد من الأشخاص. وكان يتم الخروج إلى وادي النفيفيخ أو وادي إيكم لإجراء تداريب كانت تتخذ مظهر نشاط للكشفية، ووفقاً لنفس الرواية بعث الزرقطوني رسالة للسلطان سيدي محمد بن يوسف جاء فيها : "احرق ولا تمزق إن العدو ينسق"، وبعد مرور شهر حل أحد الأشخاص يدعى الفقير الركيبي يحمل جواب السلطان وهبة ملكية وكانت عبارة : "سرْ على بركة الله" بمثابة الضوء الأخضر من محمد بن يوسف للمقاومة.

ونظراً لعلاقة الزرقطوني بالتجارة في الخشب خلال فترة من حياته، فإنه دلَّ رفاقه في المنظمة على مستودعات خشب كانت في ملك معمرين معروفين لديه قصد إحراقها.

كما كان الزرقطوني ضمن إحدى الجماعات الأربع التي انتقل أفرادها إلى مراكش للقضاء على محمد بن عرفة الذي جرى تنصيبه "سلطاناً" للمغرب في غشت 1953. وعقب نجاح السلطات الفرنسية في إلقاء القبض على محمد منصور ومقاومين آخرين اتهموا بالتورط في تدبير وتنفيذ عملية السوق المركزي بالدار البيضاء يوم 24 دجنبر 1953، حاولت المنظمة الرد فاقترح كريم محمد بن إبراهيم إضرام النار في مجموعة من محطات توزيع البنزين في وقت واحد، بينما اقترح محمد الزرقطوني القضاء على أربعة خونة لكن لم يؤخذ برأيه (انظر *أنوال*، ع. الخميس 21 يونيو 1984، ص. 1). كما أسهم محمد الزرقطوني في بعض العمليات المسلحة في مدينة فاس ومنها الهجوم على

خليفة الباشا بمقاطعة باب الفتوح في 1 ماي 1954. أما في الدار البيضاء فقد هاجم الزرقطوني الخائن عبد العزيز الزواق يوم 12 مارس 1954.

وما تزال عملية اعتقال محمد الزرقطوني في 18 يونيو 1954 واستشهاده بابتلاع قُرص سم تُثير الكثير من الجدل، إذ يتم التساؤل حول الدواعي التي جعلته لا يغير مقر إقامته بالدار البيضاء بعد أن جرى اعتقال رفيقه شجاع الدين بمدينة فاس.

تمكنا من الإلمام بأهم الوقائع في حياة محمد الزرقطوني من العروض المقدمة في المهرجان الذي نظمته أحزاب الكتلة الديمقراطية بقاعة سينما ريالطو بالدار البيضاء بمناسبة الذكرى الأربعين لاستشهاده (18 يونيو 1994). وفي سبيل تفاصيل أخرى انظر *أنوال*، ع. 16 يونيو 1983).

محمد وحيد

**الزرقون** (معدن) ← **الزركون**

**الزرقون،** ويكتب أيضاً الزرق، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Zarco وZarcon ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 764.

**زرقون، محمد** بن **علي**، قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان عبد الملك، صار فيما بعد قائدا لجيش الموالي وصاحب خزائن الدار في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا...*، الرباط، 1972.

Medico Judio, *Carta a su hermano, S.I.H.M., Angleterre*, T. 1, p. 312 - 321.

**زرقون، محمد** "الكاهية" أصله من وادي آش بالأندلس، انتقل حوالي سنة 977/1569 إلى عاصمة الجزائر حيث تعرف على عبد الملك السعدي الذي كان آنذاك لازال يطالب بعرش أبيه ؛ وعندما جاء مولاي عبد الملك إلى المغرب سنة 985/1577 صاحبه القائد زرقون الذي شارك بجانبه في معركة الركن التي جرت بالقرب من فاس يوم 16 ذي الحجة 983/ 17 مارس 1576 وفي معركة فندق الريحان التي جرت بالقرب من وادي الشراط يوم 12 ربيع الثاني 984/ 9 يوليوز 1576 ؛ كما كان في معركة وادي المخازن يقود الجيش المعروف بعساكر النار، وبعد المعركة المذكورة بشهر واحد نكبه السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي في رجب 986/ سبتمبر 1578.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا...*، ص. 44.

L. de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian, S.I.H.M., France* I, p. 575 - 627, 605-610 ; Nieto, Fr. Luis de., *Relación de las guerras de Berberia y del suceso y muerte del Rey Don Sebastian* (*Codoin*, t. 100, p. 411- 458, 456) ; Agrippa d'Aubigné, *Histoire Universelle, S.I.H.M., France*, t. I, p. 628-648, 645.

**زرقيق،** أسرة تطوانية أصلها من مدينة الجزيرة الخضراء بالأندلس. كان جل أفرادها فخارين باستثناء :

**زرقيق، محمد** بن علي الذي تعاطى خطة العدالة من سنة 1212/1798 إلى سنة 1215/1800، وكان من المدرسين بتطوان حيث يعد من تلاميذه العالم الفقيه عبد الله شطير.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 765.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزركون** (الزرقون)، أصل الكلمة عربي، زرقون وتعني زنجفر وزنجفر من فعل زنج ؛ ويقصد بها معدن متفتت بصاص أحمر، يصبغ به الحديد ويدهن به ليسلم من الصدأ. ينتمي الزرقون إلى فصيلة السيليكات رباعي الوجوه، منفرد، بنيته المعدنية $Zr [SiO_4]$، تحتوي زيادة على الزركونيوم (Zr) على الاورانيوم (U) والثوريوم (Th) الإشعاعين. نظام الزركون رباعي، على شكل مواشير ذات أربع أضلاع قصيرة، مدكوكة، هرمية الأطراف. صلابته 6،5-7،5، كثافته 3،90-4،71 ؛ انفصاماته ناقصة ؛ ألوانه : متعدد، أصفر، اسمر، برتقالي، أحمر، بنفسجي أرزق وأخضر. من أهم خاصياته، ألوانه الطبيعية المنتشرة، نذكر منها الأخضر، والأحمر المائلين إلى السمرة. أما الزركون العديم اللون فهو نادر جداً ونفيس. ونحصل على هذا الأخير بطريقة تتمثل في تسخين أحجار الزركون السمراء حتى حرارة 800°C - 1000، حيث يتغير لونه ويصبح عديم اللون أو أزرق ؛ إلا أنه كثيراً ما يرجع إلى لونه الأصلي. ويعتبر الزركون العديم اللون ذات قيمة تكاد تنافس أحيانا بعض أنواع أحجار الماس. يمكن أن يستعمل الزركون كأحجار كريمة في مجالات صناعة الحلي والصياغة. أما عنصره الكيميائي الأساسي (Zr) الزركونيوم، فيستعمل كأغلفة لقضبان اليورانيوم، وفي خليط اليورانيوم - راديوم (U - Ra) المستعمل في استقرار المفاعلات النووية، وكذا في الصناعة النارية كالمصابيح، والذخيرة، والبارود، والأسهم النارية، وضد تآكل وصدأ المواد الإلكترونية، وعازل للمكثقفان، وصمامات التقويم. ويستعمل الزكونيوم كذلك في ميدان الطب وعلى الخصوص في صنع مواد وآليات

العمليات الجراحية كالصفائح، واللوالب والكعاب، وكذلك خليطة المواد المعدنية. ونجد الزركون عامة في المغرب كمعدن ثانوي مألوف في صخور الغنايس، والكرانيت، والبغماتيت والسيانيت والاسوانية النفلينية. ويتموقع الزركون على شكل شواذ طول الساحل الأطلسي من لورورة بجنوب منجم بويسافن (عمالة گلميم) إلى طرفاية ؛ وكذا جنوب غرب أخفنير على ما يقرب من 6 كلم، ومصب واد سوس وإد أولعيان. وقد قدرت المدخرات من الزركون بمنطقة واد سوس وحدها بما يزيد على 52،6 مليون طن من المعدن الخام بنسبة 0،07٪ من أكسيد الزركون.

عبد الله بوصحابة

**زرهون** (كتلة وجبل ومدينة) تكون كتلة زرهون بغابتها من أشجار الزيتون، خلية جبلية مكتنزة ومتضرسة. تمتد بين خطي طول8°، 50 د و8° 80 د، وبين خطي عرض 37°، 70د 38°. وذلك في أقصى جنوب سلسلة جبال الريف و ش غ الأطلس المتوسط الهضبي. كما يفصلها من جهة الغرب عن المحيط الأطلنتي سهل الغرب بحوالي 80كلم. (الشكل، 1). تبلغ مساحتها 363 كلم، حيث تطورت ملتصقة بسفوحها ستون (60) قرية، تتوزع بين ست جماعات قروية، إلى جانب مركز زاوية زرهون. يعيش بها ما يعادل 102.555 نسمة (إحصاء 1994).

باستثناء الامتداد الشمالي للكتلة، المتمثل في عرف بوقنفود ـ تسلفات. تتكون هذه الوحدة طبوغرافيا (الشكل، 2) في نصفها الجنوبي من تجاور ثلاث مجموعات متفاوتة ؛ مجموعة عرضية وسطى أولى، تضم من الغرب إلى الشرق جبل قفص وكتلة زرهون وتجعيدتي تغات وزلاغ المشرفة مباشرة على مدينة فاس. ومن الجنوب مجموعة ثانية جنوبية، تكونها جبال تاكرمة، قنوفة، تاحياحت وزرهون المشرفة على سايس مكناس والمؤثرة في بنيته، إضافة إلى مجموعة ثالثة، تمتد انطلاقا من تجعدة قفص وملحقاته الشمالية الغربية (جبل عاري وأوطيطا).

تتمركز وسط هذه المجموعات، قبة جبلية هرمية الشكل تعرف بجبل ظهر النسور. تفصل فيما بينها مجموعة من الأحواض تختلف من حيث الشكل والاتجاه والامتداد والأصل أيضاً (الطيلسان، 1986).

بنية كتلة زرهون التوائية. صخورها جوداسية في الوسط ونيوجينية في عند الهوامش. تشكل تقريبا النصف الشرقي لتجاعيد مقدمة الريف، التي تنتصب في أقصى جنوب الأحدود الجنوب ـ ريفي الخارجي، بأعرافها الحادة، وذلك وسط تلال وهضاب وسهول حديثة، غنية تتمثل هذه الأخيرة في تلال فرشة مقدمة الريف الميوسينية، الممتدة شرقها وشمالها، وهضاب السايس البليورباعية في الجنوب وحوض سهل الغرب الرباعي التهدلي في الغرب. تفصل بين هذه الكتلة الجبلية والمناطق التي تحتضنها، شبكة من الانكسارات والانخلاعات العميقة، ذات اتجاهات مختلفة. حدثت مزامنة للرواسب المكونة لهيكل بنية الكتلة (Faugéres, 1978).

تشكلت تضاريس كتلة زرهون، في صخارة متنوعة، ضمن بنية التوائية راسخة، تنتمي للزمنين الثاني والثالث.

تتمثل صخور الزمن القاعدي في رواسب الترياس واللياس القاعدي. تبرز الرواسب الترياسية بصفة محدودة من خلال نواة بسيطة، شمال جبل تاكرمة في هضبة ضاية موساوة، التي يرجع سبب ظهورها لرواسبه الطينية، التي تكون مركز محدب اختراقي، يتوسطه حادث مولاي إدريس الرئيسي، الذي يفصل جبل النصراني وزرهون عن عرفي تاكرمة ـ قنوفة. لكن الأسبار كشفت تحت قبة ظهر النسور ـ التي تتوسط كتلة زرهون، عن وجود كتلة طينية ـ محلية ـ جبسية، بسمك 2140م، على عمق 1100 م تحت طبقات اللياس الكلس ـ ضولوميتية، والتي تستمر نحو الشرق والشمال الشرقي تحت مركب فرشة مقدمة الريف الغنية ببروزاتها.

تغلف هذه الرواسب مجموعة جوراسية. صخورها كلسية ـ ضولومية، سمكية (400 م ـ 600 م) تنتمي للياس. يتوجها حث زرهون الباجوسي. تشكل تلك الصخور أغلب تضاريس كتلة زرهون.

بعد ثغرة إرسابية، يتم المرور إلى مجموعة صخرية تنتمي للكريتاسي الأعلى والباليوسين، صاصالية ـ كلسية ـ فوسفاطية سمكية (230 م). ينحصر مجالها في الحاشية الجنوبية الشرقية للكتلة، بين جبل النصراني وقبة ظهر النسور، حيث تكون المنخفض المقعري، الذي يحتضن حوض عالية مجاري ضبيان، لسند والضاية ومجرى بوخربوش.

تظهر صخور الزمن الثاني، المكونة لتضاريس زرهون، محاطة في الشرق والشمال بسفوح تتوجها مثلثات، تشكلت في غلاف رسوبي، صخوره متفاوتة السحنة والصلابة. تنتمي للميوسين الأوسط الأعلى السابق لزحف مركب فرشة مقدمة الريف الجنوبية، وذلك على شكل بهرة ضخمة. يتوج هذا الغلاف بصلصال كلسي أبيض (80 م)، تنتشر فوقه أقدم مغاريس أشجار الزيتون بالمنطقة.

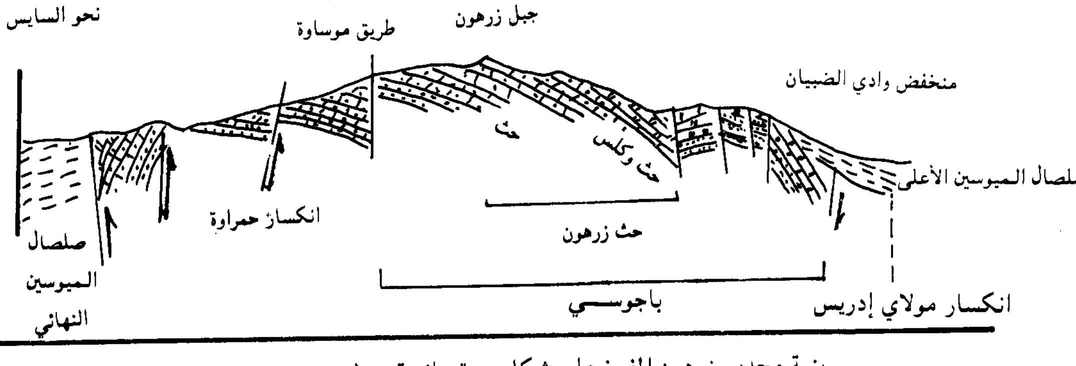




بنية محدب زرهون المفرغ على شكل بهرة جانبية (عن Fougères 1978)

توافق هذه الوحدة، بنية التوائية انضغاطية راسخة. تتخللها شبكة من الانكسارات. إضافة إلى بنيات وحيدة الميل، توافق الرواسب الميوسينية، تمتد على الخصوص في شرق وشمال الكتلة. تسلحها طبقات كلسية، ذات ميل متوسط إلى قوي في الغالب نحو الشرق، حيث تنتصب على سبيل المثال، في عرف النصراني الممتد جنوب شرق الكتلة.

ارتبطت نشأة كتلة زرهون باليوجغرافيا، خلال اللياس الأعلى برصيف تحت - بحري لأخدود الأطلس المتوسط. قليل العمق وهادئ. يمتد نحو الجنوب والشرق، محيطا بكتلة هرسينية وسطى. استقبل رواسب كاربوناتية وضولوميتية، يعكسها تركيبها الصخري (Fedan, 1985, Michard, 1976). لكن هذا الانتماء للأطلس المتوسط، بدأ في الانفصام، ابتداء من اللياس الأوسط بدأت تتضح الحدود البنيوية، بعد تطور حوض مستقل بينهما، استقبل رواسب بحر عميق، كلس - صلصالية. مع نهاية الباجوسي بدأ انكشاف مجال التجاعيد، نتيجة ردمه برواسب رملية دلتائية سميكة، هي الأصل في حث زرهون (Faurères, 1978, Levy et al, 1952, Dagui, 1927). تميزت حقبة النيوجين، بتهدل مجال التجاعيد والسايس وعودة الإرساب إليهما. امتد بحره حتى الجرف البيريني للأطلس المتوسط. لكن خلال الميوسين الأوسط والأعلى، حدثت حركات بنائية إقليمية بالميدان الخارجي الريفي صحبها تهدل أخدود أمامي لمقدمة الريف والجنوب - ريفي. انطلقت على إثره فرشات زاحفة، اندمجت مع الخلائط الخاريجية (Vidal, 1977) من الشمال.

حدث تطور بنائي عكسي، من نهاية الميوسين الأعلى إلى البليوسن، أدى إلى رفع التجاعيد، التي حاصرت البحر في منطقة السايس، قبل انحساره النهائي خلال الرفع البنائي العام لكل المنطقة الجنوب - ريفية فوق حوض سهل الغرب، ومن ثم بناء التجاعيد الجنوب - ريفية (Fassi, 1999, Tailassane, 1986, Feiberg et al. 1970, Beaudet, 1969, LeCoz, 1964). جعل تضاريس الكتلة ترتبط جغرافيا، منذ ذلك الحين، بمقدمة الريف الجنوبية أكثر منه بالأطلس المتوسط.

تقدم كتلة زرهون، تضاريس بنيوية إفراغية، مشتقة وبسيطة، ضمن بنيات وحيدة الميل، تنحني بظهور منتظمة صوب الشمال. في حين تتصل بالسايس والغرب عبر انكسارات. يصل مداها 100 م (Ait Braim et al, 1983, Faugères, 1978, Vidal et al, 1975)، وذلك كنتاج لنشاط بنية هورست وكرابن، بين طيات عريضة عادي (Fassi, 1999)، تتصل بالسايس بواسطة انكسارات عمودية يمنى، ومع الغرب بانكسارات يسرى ميلها خفيف. (Vidal et al, 1975). وقد تم ذلك، ضمن سياق تطور بنية الريف المقعرية، ارتباط بتزحزح وانغماس الصفيحة الإفريقية تحت الكتلة الريفية، وهذه الأخيرة تحت صفيحة بحر الألبوران، وبالتالي حدوث انزلاق جاذبي لمكونات الفرشة (Feinberg, 1981, Vidal, 1977).

تشكلت تضاريس الكتلة، نتيجة تضافر الرفع البنائي الحديث والمتواصل ونشاط الأساليب المرفوتشكالية التغايرية. أدى إلى إفراغ جزئي لمحدبات تجاعيد زرهون، (حفرة البير والنصراني)، ومن ثم تشكيل وديان وأحواض إفراغية، تضيق أو تتسع، تطول أو تقصر تبعا لسمك وامتداد واتجاه الطبقات الهشة والحوادث البنيوية (الطيلسان، 1986)، مخلفة بذلك تضاريس مشتقة، بل معكوسة أحيانا. وذلك منذ انكشافها مع نهاية غمر الميوسين الأسفل. بحيث أصبحت تشكل تضاريس جوراسية، تجسدها بهرة ضخمة. يتوسطها تقبب حتر ظهر النسور المشتق. تؤطرها من الخارج حادورات بنيوية للغلاف الميوسيني الممتدة في الشرق والشمال، حيث تشكلت أجراف ومثلثات ضخمة.

وقد ساهمت في تشكيل تضاريس الكتلة، شبكة مائية حديثة وموافقة، تغلب على جريانها الموسمية. تصرف مياه الكتلة نحو الخارج صوب الشمال، أهمها مجرى زكوطة، بطول لا يتعدى 20 كلم، قبل اقترانه بنهر سبو. يليه واد الضبيان، الذي يكاد يصرف معظم مياه الكتلة صوب الغرب، ليقطع هضبة الكعدة البليورباعية، عبر مجرى الرمان، الذي يصب في مجرى الردم.

ختاما، أشير إلى أن مجال كتلة زرهون عرف ولوج الانسان النيولتي إليه، حيث عثر الآركيولوجيون على بعض معالمه في ملاجئ وكهوف الكتلة (Belarbi, 1980). كما تشير آثار وليلي وبعض الكتابات فيها، إلى وصول الفنيقيين ولا سيما الرومان، الذين توقفت حضارتهم فيها ابتداء من القرن الثالث الميلادي. لكن في نهاية القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، ستعرف المنطقة توافدا سكانيا مهما، مع وصول المولى إدريس الأول. أما خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16 م)، فقد عرفت حسب وصف ليون الإفريقي، تطور 50 قرية وقصراً، وسط غابة كثيفة لأشجار الزيتون، بساكنة غنية، ضمن مجال أصبح يتوسط عاصمتي المغرب فاس ومكناس.

ويطلق اسم جبل زرهون، على العرف الجبلي العرضي الجنوبي، للجزء المتكتل من تجاعيد مقدمة الريف، المشرف مباشرة على هضبة سايس مكناس من الشمال، والتي اصطلح إطلاقها على هذه التجاعيد (الطيلسان، 1986، Fassi, 1999).

ينتصب هذا العرف، كأهم تجعدة في مقدمة الريف الجنوبية، ضمن شريط جبلي، بسفح وعر في أقصى جنوب الكتلة على هضبة سايس مكناس. فهو عبارة عن تجاور عرضي لأعراف طويلة، متفاوتة الامتداد على مسافة 10 كلم. اتجاهها العام شرقي - غربي. تبلغ أقصى ارتفاعها في

عرف جبل زرهون بـ1118 م. هذا العرف عبارة عن تجاور عرضي شرقي - غربي، طويل على مسافة 10 كلم، لمجموعة من الأعراف، متفاوتة الامتداد. تتمثل في عرف جبل زرهون، الأكثر استقامة وارتفاعا، حيث تم تشييد مركز الدفع الإذاعي والتلفزي لزرهون. يتراجع الارتفاع شرقا، عبر جبل تاكرمة (881 م) صوب جبل قنوفة (949 م)، وفي اتجاه الغرب المشرف على هضبة بلاد الملالي (800 م). يشرف هذا العرف على هضبة سايس مكناس جنوبا، بسفوح وعرة تتقعر في أسفلها، وإن كانت تتميز بوجود درجات عند عرف زرهون يصل مداها أحيانا إلى 50 م. تتوجها جميعا أجراف عمودية محمرة.

يمثل عرف زرهون مرفلوجيا، ضلعا خفيف التقوس. قمته حادة. سفحاه غير متماثلين.

يوافق سفحه الشمالي المنتظم، ظهر الطبقة الحثية العليا المنتمية للباجوسي، تميل بـ 20 إلى 30 نحو الشمال. مخدد بعمق. بينما يشرف نحو الجنوب عبر جرف حاد، تشكل في نفس الصخور في الأعلى، إضافة إلى أخرى صلصالية منتمية للآليني في الأسفل. تقطعه مجموعة من الانكسارات عمودية وعادية ومعكوسة، خصوصا الحادث الانكساري، الذي يحده جنوبا عن السايس، حيث تكون درج انكساري مداه 1000م، أفرغته التعرية. لتشكل به ضمن طية محدب مفرغ، بهرة جانبية، انكشاف من خلالها الصلصال الآليني، المكون لقب المحدب. يشرف عليها ضلع الحث الباجوسي، الذي ينتهي بسفحه شبه بنيوي شمالا. تعبر هذه البهرة، طريق تربط بين قرى ؛ حمراوة، المغاسيين، وموساوة، التي ترصع السفح الجنوبي لهذه التجعدة.

أمّا مدينة زرهون أو الزاوية، كما تسمى محليا، أكبر مركز قروي بكتلة زرهون (Belarbi, 1980). توجد معلقة ومنعزلة، فوق صخرة، ضمن حلبة متضرسة. تطورت عند مفصلة محدب مقروص. صخوره كلس ضولوميتية، تنتمي للدوميري. منحصرة بين ضلع جبل زرهون في الشمال وضلع الكوار شمالا، محتلة بذلك موضعا حصينا.

تحده جنوبا أجراف عمودية، تشرف من خلاله على سليل خانق مجرى انشانيش بحوالي 100 م، والذي يعتبر الأطول بكتلة زرهون، لكونه يكاد يصرف معظم مياهها السطحية، انطلاقا من منخفض الضبيان الكريتاسي الصلصالي، حيث ينعت بهذا الاسم هناك. قبل أن يصبح تحت اسم واد الرمان أو خومان، وهو يعبر هضبة وليلي صوب مصبه بوادي الردم غربا. في حين تمكنت المدينة من التوسع شمالا، حيث تنزل بعض أحيائها الحديثة، عبر سطح هضبة بلاد بورياح بالقرب من مجرى الرمان. بهذا الموقع، تتوسط المدينة مشهدا غابويا، قوامه أشجار السنديان الأخضر والصنوبر في الجنوب، وأشجار الزيتون في الشمال.

جاء موقع مدينة زرهون الدفاعي، عند بوابة كتلة جبلية، غنية بغابة تغلب فيها أشجار الزيتون في الشرق، مشرفة غربا على مجال هضبي وتلي، يخصص معظم مجاله لزراعات الحبوب البعلية. باستثناء الرساتيق المسقية، فوق الضفاف السلطان - غريبة لمجاري الرومان والردم.

اقترنت نشأة هذه المدينة، بقيام دولة الأدارسة بالمغرب في نهاية القرن الثامن الميلاد. إذ تولى بها المولى إدريس الأول، سليل الحسن بن علي بن أبي طالب، حكم المغرب فيما بين 172 - 175 الموافق 788 - 791 (*Histoire du Maroc*, 1968)، لتمثل بذلك عاصمة أول دولة إسلامية بالمغرب. لا زالت تحتضن ضريحه.

تبدو مرفلوجية المدينة بأزقتها الضيقة بدون تصميم. يعكسه تداخل ألوان جدران بيوتها البيضاء بلون سقوفها القرميدية المحمرة، باستثناء ضريح المولى إدريس ذي السقف الأخضر، الذي يقع بحي الحفرة شرقا، إلى جانب الأحياء الثلاثة الرئيسية الأخرى، المكونة للمدينة وهي ؛ تازكا الحفرة، خيبر، قصبة البلغيثين (Belarbi, 1980).

تضم المدينة، خليطا من السكان. ذوي أصول مختلفة، من بين أهمهم ؛ الشرفاء الأدارسة، الصحراويون، بين يزغا، جبالا والعرب البلغيثيون.

وقد عرفت ساكنة المدينة تطوراً محتشما، إذ لم تزد عن الضعف خلال 70 سنة الأخيرة من القرن العشرين، وذلك ضمن 2659 عائلة (إحصاء 1994)، كما يؤكد ذلك الجدول التالي :

| السنوات | 1926 | 1931 | 1936 | 1954 | 1971 | 1994 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| السكان | 6.211 | 6.932 | 7.434 | 7.388 | 8.051 | 12.521 |

تطور ساكنة مدينة زرهون خلال القرن العشرين

تقام بالزاوية، سوق السبت الأسبوعية، التي يعتمد سكان الدواوير الغربية والشمالية من كتلة زرهون على الخصوص في التزود بحاجياتهم منها.

حاليا، أصبحت مدينة زرهون تشكل بلدية، تنتمي

بنية مقدمة الريف الجنوبية (عن Michard 1969)

لإقليم مكناس المنزه، التابع لجهة مكناس - تافيلالت. بساكنة يبلغ تعدادها، حسب إحصاء (1994) 12.521 نسمة، تمثلها 2.659 أسرة.

كما تضم المدينة مقر دائرة حضرية، تتحكم في ست جماعات. تعيش بها 44.533 نسمة، تمثلها 16.613 أسرة، جلهم قرويون (إحصاء 1994). (انظر الجدول أسفله) :

| الجماعات | شرقاوة | كرمة بنسالم | المغاسيين | نزالة بني عمار |
|---|---|---|---|---|
| عدد السكان | 5.154 | 5.026 | 8.212 | 9.465 |
| الجماعات | وليلي | سيدي عبد الله الخطية | المجموع | |
| عدد السكان | 6.594 | 10.082 | 44.533 | |

تطور ساكنة بلدية مركز زرهون (حسب إحصاء 1994)

يتعذر في هذه المدينة، التمييز بين ما هو حضري فيها وما هو قروي. ومع ذلك فإنها تحتضن مقر بلدية كتلة زرهون. بفضل وجود قبر أول لاجئ سياسي، استقبله المغرب الإسلامي في نهاية القرن الثامن الميلادي. تحول إلى ضريح، وحتى زمن قريب، كانت زيارته 40 مرة متتالية، تعادل القيام بمناسك الحج بالحرمين الشريفين (Belarbi, 1980). لذلك دأبت المدينة على تنظيم موسم سنوي للمولى إدريس الأكبر، يستقطب سكان القبائل القريبة والبعيدة لإحيائه، قصد تحقيق هذه الغاية.

Ait Brahim L. & Chotin P., *Mise en évidence d'un épisode compressif dans les calcaires plio-quaternaires du bassin du Sais. C.R. Acad. Sci.*, Paris, t. 296, p. 133, 1983 ; Beaudet G., *Le plateau central marocain et ses bordures, étude géomorphologique*. Thèse de doctorat es-lettres, 478 p., 125 pl., 28 fig., 4 cartes, 1969 ; Belarbi M., *Zerhoun, population et structures agraires, Etude de géographie rurale*. Thèse de 3ème cycle, Bordeau I, 1980 ; Daguin F., *Contribution à l'étude géologique de la région prérifaine*, Rabat, 1927 ; Dresch J., *Essai sur l'évolution du relief dans la région prérifaine (Maroc occidental)*. Paris, 1933 ; Fassi D., *Les formations superficielles du Sais de Fès et de Meknès : Du temps géologique à l'utilisation actuelle des sols*. Rabat, 1999 ; Faugères J.C., *Les rides sud-rifaines. Evolution sédimentaire et structure d'un bassin atlantico-mésogéen de la marge africaine*. Thèse d'Etat. Univ. Bordeau I, t. 1, 480 p., 1978 ; Feinberg et Lorenz G., *Nouvelles données stratigraphiques sur le Miocène supérieur et le pliocène du Maroc nord-occidental. Notes et Mém. Serv. Géol. Maroc, Rabat*, t. 30, n° 225, pp. 21 - 26, 1970 ; Brignon [et al...], *Histoire du Maroc*, 4ème édit. Casablanca, 1968 ; Lecoz J., *Le Rharb : Fellah et colons. Etude de géographie régionale*. Rabat, 2 t. ; *Le cadre de la nature et de l'histoire*, 1964 ; Levy R. et Druderer W., *Considération sur la "nappe prérifaine" d'après les travaux de la société chérifienne des pétroles. C.R. 19ème congr. Géol. inter.* Alger, pp. 277 - 294, 1952 ; Michard A., *Elément de géologie marocaine*, 1976 ; *Recensement du 1994*. Rabat, 1976 ; Tailassane M., *Le massif du Zerhoun et ses bordures est et nord-est au nord du Sais Fès et Meknès : Etude géomorophologique*. Thèse 3ème cycle. Univ. Med. V. Rabat, 1986 ; Vidal J.C. et Faugères J.C., *Une nouvelle interprétation de la structure des rides prérifaines (Rif, Maroc) : rôle des décrochements. C.R. Acad. Sc.*, Paris, t. 281, 1975 ; Vidal J.C., *Structure actuelle et évolution depuis le Miocène de la chaîne rifaine (partis sud de l'Arc de Gibraltar) Bull. Soc. Géol. Fr.*, Paris (7), t. XIX, n° 4, 1977.

محمد الطيلسان

**الزرهوني، إبراهيم** بن **عبد القادر** كان من أبرع كتاب الدولة المقربين من السلطان المولى الرشيد، وأجل حملة الأقلام في عهده، عارفا باللغة العربية وآدابها وإنشائها "أديباً بليغا وجيها مبجلا فقيها نبيها أريحيا مهذبا ملحوظا بعين الاجلال والاكبار، من عظماء دولة الافخم مولاي رشيد". الإتحاف (ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 : 263). كانت وفاته في 17 شعبان عام 1080 / 10 يناير 1670.

رقية بلمقدم

**الزرهوني، إبراهيم** بن **علي** المعروف بأفحام أو أفهام، السوسي النجار الزرهوني المدفن والدار، يرتبه محمد المهدي الفاسي في الدرجة الثانية من الطبقة الزروقية الأولى، بعد الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني (ت. 931 / 1524 ) صدر هذه الطبقة، وذلك من كتابه *التحفة*. وينسجم هذا الترتيب مع قصد مؤلف التحفة من إفرادها في التاريخ العام للطريقة الزروقية شرقا وغربا، ولو كان قصد بها التأريخ للزاوية الفاسية التي ينتسب لها لانقلب هذا الترتيب، وعادت الصدارة إلى أفحام وتخلف الراشدي إلى الرتبة الثانية، ذلك أن واسطة بني الجد في الزروقية من طريق الشيخ أفحام أقوى وأشد من واسطتهم فيها من طريق الشيخ الراشدي.

ولا تمتاز مكانة صاحب الترجمة في تاريخ الزاوية الفاسية فحسب، بل وتعلو في تاريخ الطريقة الزروقية بالمغرب بوجه عام. ويأتي ذلك من اعتباره صدر الزروقيين المغاربة، وكبير الآخذين عن الشيخ أحمد زروق (ت. 899 /

1493) إبان استقراره بفاس في صدر الدولة الوطاسية، وصاحب الطريقة الثانية والكبيرة في الزروقية إلى جانب الطريقة الراشدية، والتي شكلت إحدى التيارات الصوفية المتميزة والبارزة بمغرب القرنين 10 و11 / 16 و17. زيادة على عمله على استقرار عبد الله الخياط (ت.939 / 1533) تلميذ الراشدي بزرهون، وتمكين التيار الزروقي من الانتشار بهذا الجبل.

وقد اعتمد أفحام في طريقته على أصل مكين من أصول الطريقة الزروقية، وهو مبدأ الاستحسان الذي أكد عليه الشيخ أحمد زروق في مذهبه وجعله أساس الانتساب إلى التصوف ورجاله. وهو مبدأ يقول بحق كل فرد في اتخاذ المذهب الصوفي الذي يراه الأحسن، والذي يتفق مع استعداده الطبيعي ودرجته في العلم، شرط التقيد بالكتاب والسنة. فنهل أفحام من مدارس التصوف الإسلامي التي نشأت بخراسان خلال القرن3 / 9، واقتفى أثر شيخ الملامتية بنيسابور حمدون بن أحمد القصار (ت. 271 / 884). ويبقى استحسانه من صميم التصوف المغربي، ويعد إحياء لسلوك عريق في تاريخه، وسابق في ظهوره عن الطريقة الشاذلية بالمغرب بما يزيد عن القرن. وقد تمت الإشارة إليه في كتاب "التشوف"، واشتهر به الشيخ علي ابن حرزهم (ت.559 / 1164)، وهو شيخ أبي مدين الذي تتلمذ على يده عبد السلام بن مشيش الذي أخذ عنه أبو الحسن الشاذلي. وتواتر ذكر مسلك أهل الملامة في مصادر التصوف المغربي المصنفة بعد ابن الزيات (ت. 627 / 29 ـ 1230). ثم إن تراث الشيخ أحمد زروق حافل بما يسوغ عقد الصلة بين الزروقية والملامتية، ويعين على الذهاب إلى القول إن استحسان تلميذه أفحام هو من صميم طريقه ومذهبه، وان الاتجاه الإفحامي هو استقرار للزروقية واستمرار لها، ودليل على أن العقم لم يزمن بها بالمغرب بعد خروج الشيخ زروق منه مغاضباً، وانها قد أجزأت به قبل أن تغادره، وخلفت بناتها به قبل أن تفارقه.

ولعل ملامتية الشيخ أفحام كانت أقرب إلى جوهر الطريق الملامتي الذي قصد به مشايخه الأوائل إلى مجاهدة النفس ورياضتها، والحرص على ألا ينم الظاهر عن الباطن، وألا تظهر الأسرار في الأقوال والأفعال، وكتمان المعاملة مع الخالق. فسيرته عاطلة بالمرة مما يفيد ظهوره بما يجلب عليه من الغير الملامة، أو بأخذه النفس باللوم والبخع والتأنيب. بل إن مترجميه يجعلون طريقته محمدية، ويقولون إنه كان قد رأى النبي (ص) في النوم ففتح له على يده الكريمة وأخذ عنه (ص)، ثم انضاف إلى الشيخ زروق وصحبه وانتسب إليه بقصد التربية والتهذيب. ومع تلميذه علي الصنهاجي المعروف بالدوار (ت. 941 / 1535) ومن بعده سيخرج الملامتية المغاربة من طور الخمول والكتمان إلى طور الظهور والإعلان، ويتعمدون الظهور في الناس بالأمور الموحشة التي تجلب لومهم وتؤدي إلى تنافرهم عنهم.

وتتأكد الصلة بين الملامة والجذب والبهل والحال، وتتيسر موافقة ضروب من السلوك غير جارية على الشروط الشرعية، ويسهل الخروج في العبادات والعادات عما هو معروف من ظاهر الشريعة.

توفي بزرهون عام926 / 1520.

ي. الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. توفيق، 169 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية، 191 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، تح. ع. العمراوي وع. مراد، 111 ؛ المؤلف نفسه، *تحفة أهل الصديقية*، مخ خ ع76 ج. 65 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجرية، 2 : 221 ؛ أ. الناصري، *الاستقصاء*، 4 : 163 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، 50 ؛ م. مفتاح، الخطاب الصوفي، مقاربة وظيفية، الدار البيضاء، 1997، 131 ـ 132 ؛ ع. نجمي، *من تاريخ التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري*، الملامتية، 30.

عبد الله نجمي

**الزرهوني، إبراهيم** بن **محمد** بن عبد الرحمان شيخ تاسفت، من الشرفاء الأدارسة الذين دفعت بهم الظروف إلى البحث عن مستقر لهم بالمناطق الجبلية، فكان موطن أسلافه في الأطلس الصغير بإفران قبل الانتقال إلى تاسفت الواقعة بقبيلة گندافة بعمالة حوز مراكش. وهناك ولد إبراهيم سنة 1070 وتولى مشيخة الزاوية بعد وفاة والده وتفرغ لشؤونها وأملاكها مع تربية المريدين والاهتمام بتوفير المستوى الضروري من التعليم للسكان وتنظيم مجالس الحديث في كل مناسبة دينية وربط صلات الود والصداقة مع عدد من الفقهاء الذين زاروا الزاوية. وسعى لتمتين الروابط الروحية مع ذرية المرابط سعيد بن عبد المنعم الحاحي أصحاب زاوية تافيلالت بزداغة وآل بناصر الدرعي بتمجروت. وفي سنة 1121 قام برفقة ابنه عبد الله بأداء فريضة الحج. واستمر في القيام بمشيخة الزاوية في أمن واستقرار معززا موقرا في الوسط الجبلي إلى سنة 1125 حيث اكفهر الجو السياسي بينه وبين المخزن فوصلته رسالة من السلطان المولى إسماعيل طالبا منه الحضور باستعجال إلى عاصمته مكناس لمقابلته، غير أن الشيخ أوجس منه خيفة وخبرته أحداث الماضي بمكايد رجال السلطة وشاعت الأقاويل حول أسباب غضب السلطان عليه، فمن قائل بأنه كان مؤازرا لابنه محمد العالم في ثورته بتارودانت ومن زاعم بأن الشيخ يملك سيفا أثريا وطولب بإحضاره أو بيعه للأمير. ومن مردد أن للشيخ له سيطرة واسعة على قبائل وادي نفيس ويخشى من نفوذه الروحي الذي قد يحوله لمواجهة السلطة فتوالت الرسائل الرسمية على الشيخ وقدم عليه مبعوثو الأمير لإقناعه بالذهاب إلى مكناس ووجدها باشا مراكش عبد الكريم بن منصور التكني فرصة لتحريض السلطان عليه بتوجيه المحلة للقضاء عليه، فعهد المولى إسماعيل لابنه المولى الشريف بهذه المهمة العسكرية فجند

لها 9.000 فارس و23.000 راجل ووجدت قبائل وادي نفيس نفسها محاصرة ومهددة بالتأديب والانتقام لتضامنها مع شيخ الزاوية واعتمادها في تسيير شؤونها على الأعراف المتبعة وأهمها الطاعة بدون التقيد بالتكاليف. ولجأت السلطة إلى اغراء شيوخ المنطقة وبذل الجهد في كسر تضامنهم، فتمكنت جيوشها من الدخول إلى الجبل ونهج سياسة الدمار وإتلاف الأشجار وتخريب الزاوية وذلك في فاتح رمضان عام 1127. ووصف ولده عبد الله الزرهوني هذا الدخول في رحلته المسماة رحلة الوافد : "وفي صحوة يوم السبت الأول من رمضان المعظم عام سبعة وعشرين ومائة وألف وقع الغدر بين قبائل نفيس بثنية وشدان وكان ذلك بسبب طلوع المخزن لبلادهم حتى طوعها كلها وطاع له أهل جبل درن ونهب أموالهم ومثل بهم ...".

وأمام هجوم المحلة، فر الشيخ وأسرته وجماعة من أصحابه إلى اغبار ثم إلى سكساوة. ومع أن المعركة وضعت أوزارها فإن الشيخ اعتصم في منفاه مهادنا ومراوغا إلى أن وافاه أجله في رجب سنة 1134/ أبريل - ماي 1722، في أعلى وادي مسطوگة في قبيلة زداغة. وهكذا فإن الظروف المؤلمة التي عرفتها المنطقة تعكس الصراع بين المخزن والزوايا في حالة قوتها.

ع. الله الزرهوني، *رحلة الوافد*، تح. علي صدقي ؛ م. ماگامان، *الرحلات المغربية في القرنين 11 و12.*

*La Rihla du Marabout de Tassaft*, traduit par C. Justinard, *Revue Africaine*, 1942, H. Terrasse, *A propos de la Rihla du Marabout de Tassaft.*

محمد ماگامان

**الزرهوني، أحمد** بن الحسن بن علي بن الأمير فقيه حافظ من أهل مكناسة الزيتون، ينتمي إلى أسرة علمية، فقد كان أبوه فقيها، وكان جده من حفاظ المذهب المالكي.

قام برحلة إلى المشرق فحج، وعند عودته أقام بالأسكندرية مدة التقى فيها بالحافظ أبي طاهر السلفي (ت. 576) وأخذ عنه كثيراً من الحديث، وبعض الكتب كالناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس، وغريب القرآن لابن عزير، ومسند الموطأ للجوهري، وشرح غريب الموطأ للأفضل، وذلك سنة 533 / 1139.

وكان الفقيه أبو يوسف الزناتي يثني عليه ويصفه بالحفظ.

أبو طاهر السلفي، *معجم السفر*، تح. عبد الله عمر البارودي، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، (د. ت.)، ص. 39.

محمد المغراوي

**الزرهوني، بـَّا يوسف**، قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان محمد المتوكل ثم فر إلى أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال، ومنها التحق بلشبونة عاصمة البرتغال حيث انضم إلى حاشية الأمير مولاي الشيخ ابن السلطان المتوكل وظل بجانبه إلى أن اعتنق هذا الأخير دين الضلال.

Archivo General de Simancas (España) ; Ojeda, Luis de, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian, S.I.H.M, France* I, p. 575 - 627.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزرهوني، عبد الرحمن** بن التهامي بن الفقيه يحيى بن عبد الواحد الإدريسي الزرهوني، شريف حسني. درس بمدينة زرهون ثم انتقل إلى فاس. فأخذ عن شيوخها خاصة مولاي إدريس البكراوي الذي أجازه في علم القراءات، رجع إلى زرهون حيث تسلم إمامة ضريح مولاي إدريس التي توارثها أسلافه، وعرف عنه أنه : "فقيه أستاذ، ناسك بركة، فاضل جليل من أهل الخير والدين" (*الإتحاف*،5 : 292) كان من مريدي الشيخ سيدي عبد القادر العلمي المكناسي، صحبه مدة وعنه أخذ طريق القوم.

توفي ببلده زرهون عام 1332/ 13 - 1914.

رقية بلمقدم

**الزرهوني، عبد الله** بن **عثمان** الصنهاجي، لقب بالزرهوني نسبة إلى أمه الزرهونية، عرف بالصلاح والمعرفة بطريق التصوف والحفظ لأخبار الصالحين. وقد أدرك عدداً منهم كابن حرزهم وأبي شعيب السارية وأبي يعزى.

ذكر له ابن الزيات في *التشوف* مجموعة من الكرامات، يظهر منها أنه كان يقيم مدة برباط شاكر.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، 424 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 211.

أحمد إيشرخان

**الزرهوني، عبد الله** بن **عز الدين** قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني سعيد انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وشارك في المؤتمر الذي عقدته الثورة بقرية الزوة (جبل حبيب) يوم 11 يناير 1915 وشارك في أربع معارك فقط لأنه استشهد في معركة اشروطة بقبيلة بني حسان ليوم 19 ربيع الثاني عام 1343/ 17 نوفمبر 1924.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, *Cabacillas ...*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزرهوني، عمر ← الخطاب**

**الزرهوني، عمر** بن عبد العزيز بن عمر الخطاب الزرهوني فقيه مشارك، ولد بمدينة فاس سنة 972. كان بارعا في النحو وفي استظهار مختصر خليل وتدريسه. وصفه القادري بـ "الفقيه الشهير البركة" (*نشر المثاني*، 1 : 41) توفي قتيلا آخر ذي القعدة عام 1002 / 17 غشت 1594.

رقية بلمقدم

**الزرهوني، قاسم** قائد بجيش زواوة شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان مولاي عبد الملك وذكره الإفراني في *نزهة الحادي* من بين قواد الجيش في عهد السلطان مولاي عبد الله الغالب بالله.

م. الإفراني، *نزهة الحادي*، الطبعة الثانية ـ الرباط، د. ت. صفحة 47 و55.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian, (S.I.H.M. France* I, p. 575 - 627).

محمد ابن عزوز حكيم

**الزرهوني المقدم الخياط**، رئيس اللمطيين بفاس أيام السلطان المولى إسماعيل. كان عدد حومات فاس في هذا المعهد أربعا وعشرين، في جهة اللمطيين ثمان، وفي جهة الأندلسيين عشر، وفي عدوة الأندلس ستّ، وعلى كل حومة جار وعليهم رئيس، والخياط الزرهوني هو رئيس اللمطيين. لا تذكر المصادر اسمه الكامل ولا تاريخ ولادته.

ولد بمدشر العامة بزرهون، وكعادة أغلب الزراهنة، التحق بفاس لإتمام دراسته، فقرأ القرآن بالروايات العشر، ثم قرأ "الخزرجية" و"القلصادي" و"المنية"، فتفوق في الحساب وعلم الفرائض، وأصبح له إلمام بالتاريخ وأيام الناس وسياسة الملوك. ولم يؤهل للتدريس بالقرويين فاتخذ مكتبا لتعليم الصبيان بحومة زقاق الحجر بفاس، حيث عمل زمّاماً لجاريها، ثم صار يزم لجميع الجارين باللمطيين ويجمع لهم حساب الأداءات المخزنية، فتقرب بذلك إلى أبي علي الروسي فولاه رئيسا على الجميع، فاستبد بالأمر، وأصبح نموذجا للمقدمين المستبدين حتى قيل في حقه : "لم يبق لأحد معه في تلك الجهة من الأمر شيء"، فكان يجمع المغارم والوظائف المخزنية بتجاوز وتسلط، ويقبض على من لم يؤد ما وظف عليه من المغرم، ولو كانوا في حرمة المساجد، فترك الناس بسبب ذلك مجالس الوعظ، وأصبح قلة منهم يستمع للتوريق بمسجد القرويين، فبلغ ذلك السلطان مولاي إسماعيل بواسطة مؤنسه المؤذن، فأمر بالقبض عليه وعلى أتباعه، وأرسل رسالة تهديد إلى عامله أبي علي الروسي، ثم أمر بضرب عنق الخياط الزرهوني، بمكناس عام 1125 / 1713. ففرح أهل فاس بذلك، وقيلت بالمناسبة أشعار وقصائد ملحون.

م. القادري، *نشر المثاني*/ *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 6، ص. 2274 ؛ م. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط، مخ خ س 12184، ج. 8، ص. 97 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3، ص. 13.

أحمد إيشرخان

**الزرهوني، موسى** بن بوبكر، قائد حصن بادس من قبل أبي حسون الوطاسي ما بين مارس 1549 ويناير 1552. لم تكشف المصادر عن اسمه وهويته بسهولة، فمارمول يسميه فقط الزرهوني. وعرفت به مراسلتان باسم سيدي موسى، بينما قال "بيدرو سلزار" إنه سيدي موسى بن بوبكر (Cidemuca dembucar). وبذلك سندعوه موسى بن بوبكر الزرهوني. وقيل أيضاً بعض الشيء عن سابق عمله قبل التحاقه بمهمته بجزيرة بادس، فمرة قيل عنه إنه كان قاضي القضاة بفاس، وأنه أحد أقرباء قاضي القضاة فقط. وإذا كان لا بد من الترجيح فإننا نميل إلى الرأي الثاني، إذ أن سيدي موسى أبان خلال مدة اعتصامه بالجزيرة عن مهارة ومعرفة بشؤون البحر. علاوة على أن عبد الله الغالب عينه قائد أسفي سنة974 / 1566، وكان قد التجأ إليه إثر فراره من بادس.

فالظاهر من تمحيص الأقوال أن موسى بن بوبكر الزرهوني كان من المحظوظين لدى أبي حسون، بفضل ما توفر عليه من خصال القيادة الحربية. وغير بعيد أن يكون هو من الموالين للأمير البادسي منذ استقرار هذا الأخير ببادس، وأن ما تم من الإصلاحات بالجزيرة كان على يده. وكيفما كان الأمر فإن أبا حسون كلفه بحراسة الحصن وشحنه بالأقوات والعتاد الحرب، وبالقطع المدفعية خاصة.

واستناداً إلى ذلك استخلص الجزيرة لنفسه أثناء أوج الصراع بين أبي حسون ومحمد الشيخ السعدي وتأجج الأطماع الإسبانية. فبم نفسر تمازج هذه المواقف الثلاثة ؟ الواقع أننا نجهل تفاصيل هذا الحدث، فلم تأتنا أخباره إلا من مليلية التي أوى إليها أبو حسون منذ 17 أبريل 1549، بعد استفساره عن سبب قدومه إلى المدينة. كما وصل نفس الخبر إلى غرناطة على لسان أسير فر من بادس. فالظاهر أن محمد الشيخ السعدي كان قد وكل أمر القبض على أبي حسون إلى مولاي بوزكري، صهر هذا الأخير، بعد التباطؤ الذي أظهر في عدم الاستجابة لاستدعاءاته المتكررة،و إلا أن أبا حسون تفطن بالغاية من مقدمه قبل إشرافه على حوز بادس الساحلي.

فالظاهر أن الأمير الوطاسي فكر في التحصن بجزيرة بادس من ملاحقة محمد الشيخ السعدي. وإلى غاية 14 مارس كان قد نصب أربعين قطعة مدفعية، واختار لقيادة الجزيرة المدعو موسى بن بوبكر الزرهوني. ونعتقد أن امتناع موسى بن بوبكر الزرهوني بالجزيرة لم يكن مبرراً كافيا لمغادرة أبي حسون مركز إمارته بتلك السرعة وعلى تلك

الهيأة من الاستعجال في اتجاه مليلة. وبذلك جاز لنا أن تصور تعرض أبي حسون لزحف صهره وتمرد قائد الجزيرة في وقت واحد، أي أن الزرهوني أغلق باب حصن الجزيرة في وجه أبي حسون حينما اقترب مولاي بوزكري من بادس، وكان هذا رفضا لقبول الطاعة للسعديين أيضاً.

والراجح عندنا أن لتمرد موسى الزرهوني على أبي حسون علاقة متينة بما كان يروج حول علاقات أبي حسون بالإسبان والبرتغال، إذ أن مراسلاتهم لم تخل من التلميح إلى جزيرة بادس. ولا نظن أن القائد كان يجهل هذا. يظهر هذا من موقف الزرهوني الملاين تجاه أبي حسون، إذ أنه لم يعبر عن أي موقف عدائي باستثناء رفضه تسليم الحصن. ولذلك كان من الأفضل أن نتحدث عن مجرد وجود الخلاف بين القائد وأمير بادس.

وفي الوقت الذي وجدنا موقف قائد الحصن واضحا تجاه أبي حسون والأطروحة الإسبانية اتسم موقفه تجاه السعديين بازدواجية حيرت الجانب السعدي. فالقائد الزرهوني اعترف بالسعديين ولكنه امتنع امتناعا كليا من التنازل عن الجزيرة لغيره والتخلي عن منصبه بها. عبر عن ذلك حينما طلب منه تسليم الحصن إلى محمد الشيخ. ومع مرور الأيام كشف عن رغبته الرامية إلى تعيينه قائدا للحوز. وهذا هو مادل عليه وتوصل إليه في محرم صفر960 / يناير 1552، وبقي بتلك الصفة إلى يناير 1554 حينما تخلى عن منصبه نتيجة الزحف التركي.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية الغربية*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

P. Salazar, *Hispania* ; A.G.S. *Guerra Antigua Miguel Ortis*, *Relación de lo que se entiende de Barbaria*, A.N.T.T. Gaveta 15. maco 18, n° 23, *S.I.H.M. Espagne...*; *S.I.H.M., Portugal.*

حسن الفكيكي

**زروال** أو أزروال ← بني **زروال**

**الزروالي، محمد** بن **عبد الرحمن** الفقيه المقرئ الصوفي جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبي زيد عبد الرحمن بن يوسف الشريف الحسني المعروف في بلاده بابن الفقيرة ينتمي لقبيلة بني زروال الجبلية الشهيرة بشمال المغرب.

يكتنف سيرته غموض كبير، فقد تردد محمد المهدي الفاسي في اسمه فسماه حينا الوزروالي وحينا آخر الزروالي في نفس الترجمة (*ممتع الاسماع*، 171 .172) وتبعه عباس بن إبراهيم في ذلك ( *الأعلام*، 5 : 183 .184).

نجهل تاريخ ميلاده والكثير عن حياته، قال فيه صاحب الابتهاج : كان ممن رحل إلى الحجاز وأخذ عن الشيخ الحطاب المالكي، وله معه منازلات، وجاور بمكة.

وكان نحوياً جامعا للقراءات بالطرق العشر، وله قدم راسخة في العلم.

وهو تليمذ الشيخ أبي عمرو المراكشي القسطلي، وربما أخذ عن العزواني كذلك قبل اجتماعه بأستاذه الأخص المذكور لذلك قدمه عليه في نظمه الذي نظم فيه السلسلة الشاذلية الجزولية :

وتوسلي للـــــه بالرجـــال وشيخنا الغزواني والقسطالي

ويقال بأن فقهاء زعير اتخذوه ورداً في وظيفتهم.

ومن المستبعد أن يكون الزروالي قد أخذ عن الغزواني الذي توفي سنة 935 / 1528 فإذا سلمنا أنه لقيه قبل وفاته فان ذلك سيجعله يعمر أزيد من قرن. وهو أمر لم ينبه إليه أحد من الذين ترجموه (إذ كانت وفاته كما سنرى سنة 1045 ـ 1635).

أخذ الطريقة الجزولية عن أبي عمرو المراكشي، عن عبد الكريم الفلاح الحاجي، عن عبد الله الغزواني عن الجزولي (قبيلة بني زروال).

قال فيه الحلفاوي ... المشهور بين العباد والزهاد، المحيط بالسنة بالعمل والاجتهاد... (*شمس المعرفة*).

وكان صاحب كشف وفراسة نافذة. وقال فيه ابن أبي محلي : العالم الذي عن حوض الحقيقة والشريعة لايذاد، وعلى قدره الشريف لا يزاد (*الإصليت*) تقدم لحضرة فاس في طريق القوم بعد وفاة شيخه أبي عمرو، وأخذ هناك الوظيفة الزروقية عن محمد الخروبي تلميذ زروق. قبل أن يتجه إلى مكة المشرفة مجاوراً.

قيل عنه إنه كان صاحب تآليف في العشق وغيره إلا أن أهم مؤلفاته هو كتابه *شمس القلوب لكل محبوب* ألفه في مناقب شيخه أبي عمرو ورتبه على مقدمة وأربعة أبواب.

المقدمة : تمهيد في أصول الكتاب وقواعده التي تبنى عليها جميع الأبواب.

الباب الأول : في اثبات نسبته المرضية وإسناد طريقته المروية وتسمية أشياخه واحداً عن واحد إلى خير البرية.

الثاني : فيما دل على تخصيصه بإشارة أشياخه وحسن سيرته.

الثالث : في ظهور دعوته البالغة وبراهينه البازغة وحججه الدامغة ونفحاته السابغة.

الرابع : في شيء من كلامه المشكور وتفسير ما تيسر منه على حسب الفتح والنور، وكراماته الظاهرة وخصائصه الباهرة ومحاسنه الزاهرة.

الخاتمة : في ذكر وفاته وما ظهر على بعض خواص حضرته من فضل بركاته (*شمس القلوب*).

أورد فيه قصائد عديدة في مدح شيخه وأعلام الطريقة الجزولية.

ذكر صاحب *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* أن الزروالي توفي بمكة المكرمة بعد الألف، في حين حدد محمد البشير

ابن عبد الله الفاسي الفهري تاريخ وفاته في سنة 1045 / 1635 ومكان دفنه بمدشر المحجرة من فرقة أولاد قاسم الزروالية *(قبيلة بني زروال)*.

م. الزروالي، *شمس القلوب لكل محبوب*، مخطوط، خ ع رقم 3694 د ؛ أ. ابن أبي محلي، *الاصليت الخريت*، مخطوط خ. ح. رقم، 100 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1960 ؛ م. الحلفاوي، *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة*، مخطوط ؛ م. البشير الفاسي، *قبيلة بني زروال*، الرباط، د. ت ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، تح. ع. الحي العمروي وآخر، الدار البيضاء، 1994.

حسن جلاب

**الزروالي، محمد** بن **عمرو**. ينتسب إلى أولاد ابن عليلو من مدشر دار بن هيدور بقبيلة اغزاوة. سكن والده بقبيلة بني زروال قبل أن يستقر بمدينة فاس.

تتلمذ محمد بن عمرو الزروالي على كبار علماء الحضرة الفاسية الذين عاصروا السلطان سيدي محمد بن عبد الله أمثال محمد التاودي بن سودة، شيخ الجماعة المتوفى سنة 1795، ومحمد الطيب بن كيران، وعبد الكريم اليازغي. وقد كان الزروالي من جملة العلماء البارزين في دولة المولى سليمان، وصفه صاحب *سلوة الأنفاس* بكونه "بحراً لا يجارى في مجاري العلوم". تتلمذ عليه المولى سليمان وأخذ عنه الفقه والحديث والتفسير والنحو، وعندما تولى مقاليد الحكم في البلاد خصه بالاحترام وجعله ضمن دائرة العلماء الذين يحضرون مجالسه العلمية ويستشيرهم في القضايا المهمة.

ومن الفتاوي التي وقعها الزروالي جوابا على أسئلة السلطان فتوى تتعلق برفع حرمة الزوايا التي تتستر على الأموال المغصوبة لبيت المال، وفتوى تسمح باستئناف الحج في سنة 1811 بعد التحقق من ظروف الأمن السائدة بالحجاز على إثر استيلاء الوهابيين عليه.

وتوفي الزوالي في 12 ذي القعدة من عام 1230 الموافق ليوم 16 أكتوبر 1815.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 5 ـ 6 ؛ ع. الكبير الفاسي، *تذكرة المحسنين*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، بيروت 1996، 7 : 2496.

محمد المنصور

**الزروالي، محمد** بن **مبارك** مقاوم ولد سنة 1921 بوجدة انخرط بصفوف حزب الاستقلال، وكان من أعضائه البارزين، شارك في مظاهرات 16 غشت التي شهدتها مدينة وجدة، وبعد ثلاثة أشهر ألقي عليه القبض وتعرض لشتى أنواع التعذيب والتنكيل حيث حكم عليه بسنة ونصف سجنا، توفي بتاريخ 17 محرم عام 1375 /5 شتنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514965.

**زروالي، ميلود** بن عبد السلام، مقاوم ولد سنة 1906 بدوار إزروالن ملحقة أجدير بإقليم تازة. نشأ كجميع أبناء المنطقة على حب الوطن. وخلال تأسيس جيش التحرير بالشمال انخرط ضمن الفرقة التي كانت مرابطة بأسويل ببورد تحت قيادة اشتاتو الحاج عمر. وقد عرف بين أفراد فرقته بالجرأة والإقدام فكان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله نشيطا في عمله متحمسا في إيمانه مستعداً للتضحية والاستشهاد. شارك في عدة معارك منها الهجوم على مركز بوريد ومركز بوزينب إلى أن استشهد في معركة بجبل إبقريا بتاريخ 15 صفر عام 1375 /3 أكتوبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، رقم 504659.

**الزرودِيّة** ← **الجزَر**

**زروفـات** أو زروفة مصطلح كان يطلق بقبائل الشاوية على جماعة صغيرة من حكماء القبيلة كانت تتزعم الفصل في الخلافات وتسيير أمور القبيلة أثناء ضعف السلطة أو أثناء السيبة، ويظهر أن جماعة زروفات كانت تتكون من عراف الدواوير، أو الفرق الذين يفصلون في مواضيع الخلافات الجنحية وفي أمور الحرب والسلم اعتماداً على أعراف القبائل. أي أنها كانت تحتكم للعرف أي "إزْرف" باللهجة الأمازيغية ؛ ومن هنا جاء اسم زروفات.

تردّدت كلمة زروفات أو حكم زروفات، أثناء انتفاضة الشاوية ومواجهتها للاحتلال الفرنسي بين 1903 ـ1908. وعلى هذا الأساس فجماعة زروفات كانت تظهر خلال الانتفاضات القبيلة على المخزن ؛ حيث كان زعماء الفرق يتصدّون للفصل في شؤون القبائل. كانت جماعة عرفاء القبيلة تصدر أحكامها وقراراتها خلال اجتماع قصير تحضره وفود الجماعات المكونة للقبيلة.

وكانت تلك الوفود من الجماعات تسمى "بالجوَاقة"، وكان الاجتماع العام يسمى "الجوقة"، وخلال الاجتماع تبحث الجنح التي ارتكبت وتثبت التهم وتصدر الأحكام. وغالباً ما كانت الأحكام بأداء الغرامات. ومن لم يستطع دفع الغرامة تباع أرضه أو بهائمه. وهكذا هو "حكم زروفات" : إنه حكم سريع جزافي لا يستأنف.

*تحريات ميدانية.*

Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaine*, Paris, 1924, p. 371 - 372.

علال الخديمي

**الزرويلي**، أبو **الحسن** الصُّغَيِّر علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي اليلصوتي. ويعرف عند أهل إفريقية بالمغربي ؛ يتصل نسبه بيلصوت العثماني الأموي أحد قواد موسى بن نصير بشمال المغرب.

قال في *نشر المثاني* : وبنو يلصوت من قبيلة غمارة، ولعل ذلك كان قبل تسمية إحدى قبائلها بالأخماس، وإلاّ فأحد أخماسها يعرف - إلى الآن - ببني زرويل بالأخماس السفلى حيث يدفن يلصوت هذا وإليهم ينتسب مترجمنا ويعرف بالزرويلي، وتصحف في الإحاطة بالزويلي، وعند عنان في أحد تعاليقه بالزروالي، قال نسبة إلى قبيلة بني زروال - وهو خطأ - كما لا يخفى.

ولد أبو الحسن في حدود سنة 619 وتعلم ببلده تعليمه الأولي، ثم رحل إلى فاس فأنهى بها دراسته. ومن شيوخه المشهورين بفاس : الفقيه راشد بن أبي راشد الوليدي، لازمه طويلاً وانتفع به وعليه كان اعتماده، وصهره أبو الحسن بن سليمان، وتصحف في الإحاطة بـ (سليم) وأبو عمران الجوزاني، وفي الإحاطة : (الجورماني) ولعله تحريب وأبو زيد عبد الرحمان بن عفان الجزولي، وأبو إبراهيم بن مطر الأعرج البادسي.

ومن تلاميذ أبي الحسن المعدودين : أبو سالم إبراهيم التسولي، المشهور بابن أبي يحيى، وعبد العزيز القروي، وعلي بن عبد الرحمان اليفرني، عرف بالطنجي، والقاضي أبو البركات، المعروف بابن الحاج.

وذكر ابن الخطيب من أوصافه : أنه كان ربعة، آدم اللون، خفيف العارضين، يلبس أحسن زي - صنعة ؛ وفي الجذوة (أنه كان قصيراً يلبس الثياب البيض الحسنة. وكان قيماً على تهذيب البرادعي حفظا وفقها، يشارك في شيء من أصول الفقه، يطرز بذلك مجالسه مغرباً به بين أقرانه من المدرسين في ذلك العهد ؛ وكان يدرس بجامع مع الاصدع من داخل مدينة فاس يحضر مجلسه نحو مائة نفس ؛ يقعد على كرسي عال يسمع القريب والبعيد على انخفاض كان في صوته ؛ يفتح في مجلسه : ما ينيف على الثمانين ديوانا، فيعرضها حفظا عن ظهر قلب ؛ وكان حافظا محصلا، يقال إنه حفظ كتاب الفصيح في ليلة واحدة لقصة ذكروها. وكان حسن الإقراء، وقوراً، صبوراً متثبتاً.

انتصب للفتوى وكان أحد الأقطاب الذين تدور عليهم الفتوى أيام حياته ؛ ترد عليه الأسئلة من جميع بلاد المغرب، فيحسن التوقيع على ذلك على طريقة من الاختصار وترك فضول القول. وكان مستشاراً خاصا لأستاذه راشد الوليدي المذكور آنفا ؛ وكان لا ينفذ حكما ولا جوابا في نازلة حتى يحضره ويرى رأيه فيه، ثم أسندت إليه ولاية القضاء حيث قدمه أبو يعقوب المريني لقضاء تازا، ثم ولي قضاء فاس على عهد أبي الربيع حفيد أبي يعقوب وأقام أوده وعضده فانطلقت يده على أهل الجاه، فأقام الحق على الكبير والصغير، وجرى في العدل على صراط مستقيم إلا أنه نقم عليه اتخاذ شمام يستنشق على الناس روائح الخمر.

أرسله أبو يعقوب سفيراً إلى الأندلس ودخل غرناطة، وربما جلس للإقراء بها مدة على عادة كبار العلماء في رحلاتهم ؛ ويذكر ابن الخطيب أنه حضر مجلس إقرائه ويبدو أنه كان لم يتجاوز الثامنة من عمره ؛ فابن الخطيب كان مولده سنة713 - 1213 ووفاة الفقيه راشد كانت سنة 719 - 1219)، والله أعلم بحقيقة الحال.

وعلق ابن مرزوق على ترجمة ابن الخطيب لابن الحسن الصغير بقوله :

"قصر المصنف في التعريف والإعلام، بالشيخ أبي الحسن شيخ الإسلام ؛ وهو الذي ما عاصره مثله، بل وما تقدمه فيما يقاربه من الأعصار ؛ وهو الذي جمع بين العلم والعمل، وبمقامه في النفقة والتحصيل يغرب المثل !"

لم يخلف أبو الحسن أثراً في صورة تأليف، وإنما خلف تلاميذ علماء ومؤلفين، فقيدوا عنه ما كان يمليه في مجالسه، وأخرجوها في صورة تآليف، من ذلك : ما قيدوه على *المدونة (تهذيب البرادعي)*، *ورسالة ابن أبي زيد القيرواني*، *وفتاوى*.

ومن تلاميذه الذين جمعوا *تقييده على المدونة* أبو فارس عبد العزيز بن محمد القروي الفاسي، المتوفى سنة 750 - 1349). كتبه بخطه، وحبسه بفاس ؛ وهو أحسن تقاييد تلاميذه وأصحها، وقع النقل عنه في *المعيار* في غير ما موضع. ويقال كان أكثر اعتماد أهل المغرب على هذا التقييد وهو التقييد الصغير كما يقول الحجوي ؛ ونبه على أن التقييد الكبير جمعه رجل من صدور الطلبة يقال له اليحمدي : قال ويقع في ستة أجزاء ضخمة من القطع الكبير حسبما بعين ماض ؛ بدأه بمقدمة في فصل العلم يرمز فيه : بالضاد للقاضي عياض، وبالشين لابن رشد، وبالخاء للخمي، وبالميم لابن يونس، وبالعين والقاف لعبد الحق، وبالشيخ لمؤلفه المملي - يعني أبا الحسن - مترجمنا.

ونقل عن أبي عبد السلام الناصري أنه لا يوجد بالزاوية الناصرية (مكتبة تمگروت) إلاّ جزآن. ومن الذين كتبوا عن هذا التقييد وعلقوا عليه : أبو عبد الله محمد ابن غازي المكناسي المتوفى سنة 919 - 1513) وأسماه *تكميل التقييد*.

وأبو القاسم محمد بن عبد العزيز التازغدري نسبة إلى تاز غدرية قرية بقبيلة بني زروال - حيث مدفن الشطيبي - كما عند محمد البشير الفاسي في كتابه *قبيلة بني زروال*.

ونسب له بعضهم - خطأ - تآليف في البدعة والمبتدعة، ولعل أول من تعرف على هذا الكتاب، ونسبه له أبو عبد الله محمد المهدي الفاسي، صاحب *ممتع الاسماع* إذ قال : وممن أنكر حلق الرأس للتوبة : أبو الحسن الصغير في

تأليفه الشهير، والذي أوقعه في هذا الوهم : قاصد رواية الناسخ في طالعة الكتاب من زيادة *شارح المدونة*.

ولم يطلع كذلك على تأليف أبي عبد الله السنوسي في الرد عليه الذي اسماه *بنصرة الفقير، في الرد على أبي الحسن الصغير* ـ بفتح الصاد وكسر الغين فياء ساكنة ـ. وذكر أن المعني به : أبو الحسن الصغير المكناسي، وقد جاء في مقدمته بعد أن أورد طائفة من أوصاف علماء الظاهر : "فأردت الكلام على بعض ما يتعلق بحالهم ولا سيما أوراق تشبه الطرر، بعثها أبو الحسن الصغير المكناسي". فلما وقعت في يدي هذه الأوراق التي اعترض فيها على أهل الطريقة وسماهم مبتدعة، ولم يقيد قوله بشيء، وأطلق عنانه إطلاقا كليا، نبذت والله تأليفه وراء ظهري وبغضت فعله بسري ؛ وكنت قبلُ أسمع من الطلبة يقولون : أبو الحسن الصُّغير هذا عالم يشبه أبا الحسن الصُّغَير شارح *المدونة*، وكنتَ أفرح بذلك ؛ فلما لقيت الشاب الفقيه العالم الحافظ الأديب الرباني أبا العباس أحمد البرنسي، الذي يعرف بزروق وسألته عنه ـ لما قدم سنة 846 ـ 1842) قاصداً حج بيت الله فأخذ عنا علوماً جمة، وأخذنا عنه سراً وأدباً، فقلت له يوما : ما بال أبي الحسن الصغير : يقول ويعترض ؟ فقال : نعم، أبو الحسن ليس له إلاتزويق الظاهر خاصة وليس معه في الباطن شيء وقال بعبارته : هو فقيه قح، محجوب عن الدقائق.

قلت مخاطبته خطاب الحاضر لعل أن يقف عليه أو يصل بواسطة بعض الرسائل إليه.

فتلخص أن مؤلف الكتاب في البدعة والمبتدعة ليس هو أبا الحسن الصغير ـ بضم الصاد وفتح الغين وكسر الياء المشددة ـ شارح *المدونة*، بل هو أبو الحسن الصغير ـ بفتح الصاد وكسر الغين فياء ساكنة ـ المكناسي ؛ وهو من أهل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي عاصر أبا عبد الله السنوسي وأبا العباس أحمد زروق بينما أبو الحسن الصغير الزرويلي ـ مترجمنا ـ من أهل القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي.

توفي بفاس يوم سادس رمضان عام تسعة عشر وسبعمائة / 21 أكتوبر 1319 وسنه يقرب من مائة وعشرين سنة ؛ ودفن خارج باب الجيسة بجبل العرض ويقال له : جبل الزعفران.

وكان قبره معروفا عند العامة بقبر سيدي الحسن الزرويلي، ثم انطمس بالأتربة التي كانت تتراكم هناك مع طول الزمن.

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، ج. 4 ـ ط 2 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج*، ط 1 ؛ أبو الحسن الصغير المكناسي، *تأليف في البدع*، مخطوطة خاصة ؛ أبو عبد الله السنوسي، *نصرة الفقير، في الرد على أبي الحسن الصغير*، مخطوطة خاصة ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ط 1 ؛ أبو عبد الله محمد المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، ط. حج ؛ ابن الطيب القادري، *نشر المثاني*، ج. 1، ط. 2 ؛ الكتاني محمد بن جعفر، *سلوة الأنفاس*، ط حج، محمد الحجوي، الفكر السامي، ط 2 ؛ محمد مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ط 1 ؛ محمد البشير الفاسي، *قبيلة بني زروال*، ط 1.

سعيد أعراب

**زرياب، علي** بن نافع المغني البغدادي المشهور بلقب زرياب. ولد حوالي عام 160 / 777. كان من ملازمي المغني إسحاق الموصلي. وقد حدث أن قدمه يوما للخليفة هارون الرشيد، فلما سمع غناءه لم يخف إعجابه به. وقد وجد الأستاذ في نفسه من حظوة تلميذه لدى الخليفة، فخيره بين أن يضرب في الأرض بعيداً عنه وعن محافل بني العباس وبين أن يقيم ببغداد على كره منه، فاختار الفتى لنفسه مغادرة العراق، وشد الرحال نحو القيروان. وبعد أن قضى زرياب فترة في قصر الملك زيادة الله الأغلبي، رحل من جديد نحو المغرب، فحط لفترة قصيرة بمدينة سبتة في انتظار مبعوث الخليفة الأموي بالأندلس وقبل أن يغادرها إلى قرطبة مقر الخلافة الأموية حيث سيدشن معهد التعليم الموسيقي والغناء.

وليس في وسعنا أن نحدد الفترة التي قضاها في سبتة قبل انتقاله إلى قرطبة، ولكن الذي نعلم هو أن سبتة كانت يومئذ إلى جانب طنجة ومليلية محطة لاستقبال الوافدين من المشرق إلى الأندلس، تطول إقامتهم فيها أحيانا وتقصر أخرى.

ويخبرنا المقري في *النفح* أن زرياباً وهو في سبتة كتب إلى الحكم الأول 180 ـ206) المعروف بشغفه بالموسيقى يستأذنه في دخول الأندلس ويشرح له إمكاناته الفنية. وكان عليه أن ينتظر جواب الأمير قبل عبور جبل طارق، ثم كان عليه بعد نزوله بالجزيرة الخضراء أن ينتظر ما ستؤول إليه دعوة الأمير الحكم بعد أن بلغه نبأموته وقبل أن يجدد الترحاب به الأمير الجديد عبد الرحمن الأوسط.

وقد عني بأخبار زرياب جملة من المؤلفين كان أقدمهم عهداً الحميدي (ق. 5 هـ) ؛ ثم تلاه آخرون أهمهم على الإطلاق أحمد التيفاشي (ق. 7 هـ) وابن خلدون (ق. 8) والمقري (ق. 11)، وأقلهم شأنا الإفراني (ق. 11 هـ) وإبراهيم التادلي (ق. 14).

ويهمنا من كتاب التيفاشي *متعة الأسماع في علم السماع* إشارته إلى أن زرياب وفد على الأمير عبد الرحمن الأوسط، فجاء بما لم تعهده الأسماع، واتخذت طريقته مسلكا ونسي غيرها.

وبخصوص هذه الطريقة يوافينا المقري في ثنايا كتابه ببيان تفاصيلها، فيذكر أنه كان يصطفي تلامذته من بين من كان صوته صافيا قويا لا تعتريه غنّة ولا حبسة ولا ضيق نفس، فإذا تم له ذلك أقبل عليه يعلمه وفق النهج التالي :

1 ـ يقرئ المتعلم الأبيات ويعلمه الإيقاع في تلاوتها، وأن ينقر الدفّ للتعرف على مواطن الإيقاع، ويتعود على ضبط الحركات.

2 ـ يلقن المتعلم الألحان في شكلها البسيط.

3 ـ يطالب المتعلم بترجيع اللحن، وهو أثناء ذلك يدله على وسائل تحلية الأداء بإظهار العواطف.

وقد استمر التنويه بزرياب وبصنيعه في الأندلس قائما ومتواترا بين المؤرخين والاخباريين حتى رأينا التيفاشي يصفه بالإمام المقدم في شأن الموسيقى، ورأينا ابن خلدون من بعده ينعته بأنه "أورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف وطما منها بإشبيلية بحر زاخر، وتناقل منها بعد ذهاب نضارتها إلى بلاد العدوة بإفريقية والمغرب، وانقسم على أمصارها، وبها الآن (القرن الثامن) صبابة على تراجع عمرانها وتناقص دولها".

ويوافينا المقري بما يفيد أن زرياب أرسى القواعد الأولى لنظام النوبة بالأندلس عندما حدد للمغني المراسيم التي يتعين عليه التقيد بها، وهي أن يبدأ النشيد بأي نقر كان، ثم يتبعه بالبسيط، ويختم بالمحركات والأهزاج.

وقد توفي زرياب عام 238 / 852 بعد أن حقق عدة انجازات فنية كان أهمها :

ـ إحداث معهد للموسيقى بقرطبة يمكن اعتباره أول معهد موسيقي يقام بالغرب الإسلامي.

ـ إقرار طريقة جديدة لتعليم الموسيقى والغناء.

ـ استبدال مضراب العود المصنوع من الخشب بمضراب من قوادم النسر.

ـ إضافة وترخامس إلى أوتار العود الأربعة.

أ. التيفاشي، *متعة الاسماع في علم السماع*، مخ. بالخزانة العاشورية، تونس بواسطة ؛ م. ابن تاويت، *مجلة الأبحاث*، المجلد 21، العدد 2 ـ 3 ـ 4 دسمبر 1968، ص. 114 ـ 115 ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، المطبعة التجارية، ص. 428 ؛ المقري، *نفح الطيب*، ج. 3، ص. 124 و128.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

**الزريعة** لغة عامية شائعة بمعنى البذور. وقد بدأ استعمال البذور مع العصر النيوليتي، حين تحول الإنسان من عهود "القطاف والقنص" إلى ممارسة الزراعة.

**1 ـ تعاريف**

يمكن أن تعرف البذرة عموما بأنها جسم حي يحتوي على رشيم، الأمر الذي يسمح بإطلاقها في آن واحد على بزور النباتات السامية أوعلى بوغ الفطور والبكتريا.

تعرف البذرة من الوجهة الزراعية بأنها "أيّ عضو أو قطعة نبات قادرة من خلال تطورها على إعادة إنتاج النوع الذي تنحدر منه". يترتب على البذرة إذن أن تُنتش وتنمو لتنتج النوع المعني بالأمر.

فما هو تعريف الإنتاش ؟

ـ بالنسبة للمزارع، هو ظهور النبتة الفتية على سطح التربة. في الواقع، يوافق هذا الظهور، عند الخبير الزراعي، مرحلة الرفع وبروز النبيتات.

ـ بالنسبة للمجرب، هو ظهور جزء من الجنين (رأس الجذير في الغالب) خارج أغلفة البزرة. حقيقة الإنتاش، بالمعنى الدقيق، هي تحول البذرة من الحياة البطيئة إلى وضعية النمو النشيط والمحقق. يعتبر الإنتاش أول مرحلة لنمو النبتة.

ـ بالنسبة للعالم النباتي، هو التحول من جنين غير ذاتي التغذية إلى نبيتة ذاتية التغذية.

2 ـ طبيعة الزريعة :

نميز بين نموذجين كبيرين من البذور :

ـ البذور المائية، أصلها نبوتي، يحتوي على 70 إلى 90٪ من الماء، ومن أمثلتها، بصيلة البصل، عساقيل البطاطا أو فسل قصب السكر. تتكون من قطع نباتية بها على الأقل برعم وجزء من الساق أو الجذر. تحقق التكاثر الإنباتي من فرد واحد. يشكل نتاج هذا التكاثر ما يسمى باللمة أو الكلون.

ـ البذور الجافة، أصلها مجنّس (ثمرة أو بزرة) تتراوح نسبة الماء فيها ما بين 7 و20٪. تسمى البذور الجافة في الغالب بزور أو حبات (وهي الأقرب إلى مفهوم الزريعة العامي). على أن هذه الكنايات ليست دائما صحيحة، إذ كثيرا ما تكون ثمارا جافة متفاوتة الاكتساء ببقايا تغليفات المبيض أو الثمرة.

لذا أمكن التمييز من وجهة النظر النباتية ما بين :

البزور الحقيقية (ثمار مخصبة) مغلفة بأغشية بذرية فقط، وتلك التي تأتي من الكربلة، وأمثلتها : الحنبلة المطبقة للإيدومارون، برّة القمح والذرة، قطع الثمار كالجزر.

ـ ثمار بسيطة مكسوة. تعود أغلفتها للثمر، تضاف إليها القنابات أو العصيفات (شعير، خرطال) وحتى القنبعات (السبيلة).

ـ ثمار مركبة : تجميع لبضع من الثمار البسيطة المتلاحمة، مثالها كبيبات الشمندر.

3 ـ تشكيل البزور :

تتميز الأغشية واللوزة، التي تحتوى على الجنين والذخيرة.

1 .3 ـ الأغشية، وتلعب دورا هاما في التبادل المائي والغازي وهي بذلك تتحكم في تعمير البزور وسرعة إنتاشها.

2 .3 ـ الجنين، ويأتي من تطور البيضة الأساسية. يحتوي على مشروع النبيتة (جذير، سويق، عجز) وفلقة واحدة أو فلقتين، فتكون النبتة أحادية أو ثنائية الفلقة.

3 .3 ـ الذخيرة، تبعا لموقعها بداخل السويداء أوالفلقات، نميز ما بين :

ـ البزور المؤحينة، حيث تضم البزرة السويداء وفلقات ورقية الشكل غير لحيمة، مثل القمح والذرة والخروع.

- البزور الطرد - مؤحينة، حيث تتحول الذخيرة من السويداء إلى فلقات الجنين، التي تصير لحيمة كالفاصولية والبيقة.

وحسب الطبيعة الغالبة للذخيرة، يمكن تمييز :
- البزور السكرية (قمح، ذرة)،
- البزور الدهنية (نوار الشمس، خروع، قطن، كتان)،
- البزور البروتيدية (القطاني).

تؤثر طبيعة الذخيرة على التعمير، إذ تتدهور البزور السكرية بصفة أسرع مما عداها. في الواقع، تتضمن كل البزور الأصناف الثلاثة من الذخيرة، لكن بنسب متفاوتة.

جدول 1 - تركيبة بعض البذور (بـ ٪ من البذور الجافة)

| البذور | ٪ البروتينات | ٪ الدهنيات | ٪ السكريات |
|---|---|---|---|
| القمح | 14 .9 | 2 | 72 .68 |
| الذرة | 11 .9 | 5 .4 | 73 .66 |
| كتان | 25 .21 | 38 .34 | 25 .20 |
| خروع | 20 .15 | 55 .46 | 15 .5 |
| فول | 27 .22 | 20 .15 | 52 .45 |
| صوية | 33 | 18 | 30 |

(مصدر : André et al)

4 - ظروف الحفاظ على البذور :

ظروف الحفاظ على البذور هي :

1 .4 - رطوبة ضعيفة، دون 15٪ بالنسبة للحبوب ودون 10 - 12٪ بالنسبة للبزور الزيتية (كتان، نوار الشمس)، وإلا فإن الأغشية تترهل، والمبادلات الغازية مع الجو تصير ممكنة، ميسرة استئناف التنفس، فيترتب تسخين مخزون البذور وتحطيم الأجنحة، وامتناع الإنتاش عن البذور.

4.2 - حرارة منخفضة، هناك تفاعل بين الحرارة والرطوبة النسبية للهواء مع الكفاءة الإنتاشية للبذور.

تكون صيانة البذور المائية أصعب، إذ يوجد الماء دائما بما يكفي لتخويل أيض عادي. فلا يمكن أي تدخل فعال إلا بتوفير :
- حالة جو كافية البرودة،
- استعمال مواد كابتة (تعطيل الأنزيمات). تستعمل للبطاطا التهوية الباردة في الجو الجاف ؛ كما يفيد الكريزيل في التعقيم من الجراثيم.

5 - التعمير :

نعني بالتعمير هنا مدى حياة البذور. وهو ضعيف عند البذور المائية، يتراوح بين بضعة أشهر وسنة أو سنتين ؛ أطول في البذور الجافة حيث يكون من بضع سنين. تكون البزور في حال سبات : لا يلاحظ خلالها أي تطور تشكيلي، مع اجتفاف واضح، ومبادلات تنفسية خافتة جدا. لكن يبقى هناك نشاط أدنى على أساس استعمال الذخيرة. يبين الجدول التالي، رقم 2، التعمير الأقصى في ظروف تخزين جيدة. ويختلف الأمر داخل التربة.

على العموم، تتميز البزور ذات الذخيرة السكرية (النجيليات) بتعمير أضعف منه في بزور الذخيرة البروتيدية (القطاني) أو الدهنية (الزيتيات).

الجدول 2 - مدة الحياة القصوى للبذور (بالسنوات)

| النوع | كفاءة إنتاشية عادية | غياب تام للإنتاش |
|---|---|---|
| حبوب | | |
| - قمح | 4 إلى 10 | 7 إلى 17 |
| - سلت | 3 | 5 إلى 6 |
| - شعير | 7 إلى 8 | 11 |
| - خرطال | 2 إلى 9 | 11 |
| - ذرة | 7 إلى 9 | 11 إلى 12 |
| زراعات صناعية | | |
| - شمندر | 10 | 17 إلى 18 |
| - نوار الشمس | 4 | 4 |
| - كتان | 9 إلى 12 | 13 إلى 14 |
| قطانيات ذات بزور | | |
| - فول وفول مصري | 10 إلى 13 | 14 إلى 15 |
| - عدس | 8 | 12 إلى 15 |
| - جلبان | 10 | 15 |
| - فصة | 8 | 20< |
| - بيقة | 7 | 12 |
| - نفل بنفسجي | 5 | 20< |

مصدر : Schribaux, Bussard, Franck

6 - المعايير التقنية الخاصة بجودة البذور :

6.1 - الهوية :

على العموم لا يوجد أي إشكال في التعرف على النوع، لكن الإشكال في ضبط الضروب، ذلك أساسا بسبب الضبابية المحيطة بمفهوم الضرب ذاته. يوافق الضرب، من الجهة الزراعية، مجموعة أفراد تربط بينها عدة خاصيات أحيائية وزرعية. لكن التجانس الوراثي فيها يمكن أن يكون شديد التفاوت حسب :
- نمط التناسل،

- البيولوجية الفلورية للنوع،
- مستوى الانتقاء.

من ذلك قوة تجانس البذور في :

- الضروب "اللمة" ("الكلون")، المحصل عليها بالتكاثر النبوتي. تتميز بتطابق وراثي مطلق، ناتج عن كون ممثلي الضرب من هذا الطرز تنحدر كلها من نفس الفرد.

- ضروب السلالة الخالصة المحصلة على النبتات المخصبة ذاتيا بواسطةتلقيحات ذاتية متتابعة انطلاقا من فرد واحد. يكون النتاج مجموعة أفراد جنيسة، أمثلة لها : قمح، شعير، جلبان...

ومنه على النقيض تجانس ضربي أقل في :

- ضروب الفئة، وهي عبارة تطلق على فريق من الأفراد توحد بينها نخبة من الخصوصيات المرفلوجية والزرعية المشتركة (الإبكار، إيقاع النمو...).

توجد ضروب الفئة في نباتات التخصيب الدخيل مثل الشمندر، الكرنب، السلجم وجل ضروب النجيليات والقطانيات. وهي إما ناجمة عن انتقاء طبيعي للوسط (طراز بيئي نباتي)، وإما عن عملية انتقائية الغرض منها التقريب الأقصى بينها رغم أنها تبقى مختلفة الاقتران. وخلال الزراعة، تقلل التكاثرات المتوالية من التجانس الحاصل بالانتقاء.

- الضروب التركيبية،ويحصل عليها بالإخصاب الذاتي الجبي في نباتات ذات إخصاب دخيل. يكون الناتج سلالات خالصة يتم تهجينها بينها لإمدادها بالعنفوان، كما هو الشأن في انتقاء الذرة. كذلك الأمر بالنسبة للنباتات العلفية، لكن تكون المعالجة على مستوى الفئات. في المرحلة الأولى، يحصل تجانس الأرومات بتلقيحات ذاتية متوالية. وفي المرحلة الثانية، يقع تهجينها وزرعها لجيل أوجيلين للاستفادة من تفوق الهجين.

6.2 - الصفاء :

ويقدر بالوزن بـ ٪ من البذور الخالصة على وزن مجموع حصة البذور. تتكون الشوائب من البذور الأجنبية والمواد الجامدة، مع وجود نسبة تسامح مقبولة بهذا المعيار. من ذلك أنه لا يسمح، ضمن بذور الفصة، بأكثر من 3 بزرات من الكسوث في الكيلو غرام الواحد. ويجب أن يكون الصفاء الضربي بنسبة :

-99،8٪ في الانتقاء،
-99،0٪ في التناسل،
- 95 إلى 98٪ في الزراعة.

6.3 - الكفاءة الإنتاشية :

وتقدر بـ ٪ من البذور المنتشة بعد فترة زمنية محددة بالنسبة لنوع مُعطى. وتتم التجربة على عينة من 100 بزرة في ظروف منطة.

الآجال الاصطلاحية هي :

- 7 أيام لنوّار الشمس، النفل، الذرة، الشعير ؛
- 8 أيام للقمح، الصوية، الجلبان ؛
- 10 أيام للخرطال، الفصة، البيقة ؛
- 14 يوما للشمندر، العشب الشعاعي، الأرز.

6.4 - الطاقة الإنتاشية :

وتقدر بـ ٪ من البذور التي أنتشت بعد جزء من الوقت المحصور المحدد لتقدير الكفاءة الإنتاشية (مثلا : 4 أيام).

6.5 - القيمة الزرعية :

وتعرف كالتالي :

القيمة الزرعية = (الصفاء x الكفاءة الإنتاشية) /100

الجدول 3 - مثال للقيمة الزرعية

| زراعة | صفاء : ص | كفاءة إنتاشية : ك إ | قيمة زرعية : ق ز |
|---|---|---|---|
| القمح | 98 | 85 | 83.3 |
| الشمندر | 97 | 68 | 66 |
| الفصة | 95 | 80 | 76 |
| إصبعية | 82 | 80 | 65،6 |

6.6 - الحالة الصحية :

تعتبر الحالة الصحية للبذرة معيارا كيفيا من المستوى الرفيع، إذ أن مخاطر نقل الطفيليات والأمراض بواسطة البذور كبيرة. هناك أمراض ذات النقل الخارجي، كالنخر والسواد، وأمراض ذات النقل الداخلي كالفطور، الفيروسات والبكتيريا. ترتب عن هذه الآفات ضرورة معالجة البذور. وتتم المعالجة إما من طرف مؤسسات تسويق البذور (SONACOS، الخواص) أو من طرف المنتج ذاته، باستعمال :

* مبيدات الفطر :

- مواد عضوية - زئبقية لمكافحة نخر القمح، سوادات الخرطال، سواد الشعير المغطى، البوغ الدودي، القدم السوداء في الشمندر، مغزلي الحبوب. وتعتبر هذه المواد سامة للإنسان والنبات.

- المركبات الكلورو بنزينية الخصائص : سداسي الكلور وخماسي الكلورونيترو في مكافحة نخر القمح فقط. وتتميز هذه المواد بضعف سميتها النباتية.

- أكسينات النحاس، ضد نخر القمح.

- المشتقات الكينونية، ضد النخر، وضد فطور القمح المغزلية والمتشققة.

* مواد أخرى مستعملة :

تيرام، فورمول من 25٪، كبتان ضد الفطر العنقودي في الشمندر.

* مبيدات الحشرات :

وغالبا ما تكون مخلوطة بمبيدات الفطر : ليندان،

ألدرين، سباعي الكلور. ومن جهة أخرى، يتحرك الانتقاء أكثر فأكثر إلى إنشاء ضروب مقاومة لأنواع محددة من الأمراض، مثل ضرب الطماطم المقاومة للفطر المغزلي أو الدواري.

أحمد بوعزيز

**الزريقة**، كما هو شائع في الأسواق السمكية بالدار البيضاء والرباط والمحمدية والجديدة والصويرة وأگادير وطنطان وطرفاية والداخلة وطنجة، سمك بحري من العظميات يطلق عليه أيضاً اسم "محرقزة" في كل من مولاي بوسلهام والعرائش واسم "آمون" في الصويرة وطرفاية والعيون وبوجدور والداخلة واسم "الدوراد" المعربة من الفرنسية Daurade في معظم الأسواق السمكية الوطنية. يعرف عند مربي الأسماك في تونس وليبيا بسمك الدنيس وأوراطا ويقال له في مصر والعراق ولبنان وسوريا سمك المرجان ومرجان مذهب أو المذهب. وذكر أمين المعلوف في معجمه الأسماء الآتية لأنواع فصيلة الأسبوريات Sparidae : مرجان - بردة - أبو بصل - رباك - سرب - الكحلاء الجربيدي - عريض - الفريدي - حفار - السرغوس، وهذه أسماء محلية مجهولة في أقطار المغرب العربي.

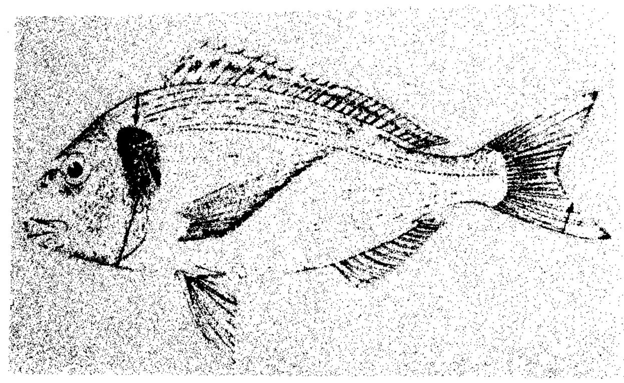

والزريقة من الأسماك العظمية شائكات الزعانف ومن فصيلة الأسبوريات Sparidae. اسمها العلمي Sparus aurata (=Chrysophrys aurata) وتسمى بالفرنسية (Dorade) وبالانجليزية Gilthead seabream وبالاسبانية Dorada. طوله شائع بين 20 و60 سم ويبلغ أحيانا 70 سم. الجسم بيضوي الشكل ومضغوط جانبيا، العينان صغيرتان، الشفتان غليظتان، يحمل كل فك 4.6 أسنان أمامية شبيهة بالأنياب، تليها أضراس مرتبة على 2 .4 صفوف. تنمو ضرس كبيرة على مؤخرة كل جهة من الفكين عند الأفراد التي يفوق طولها 20 سم. الجسم رمادي فضي على الجانبين وأزرق رمادي جهة الظهر. تعرف الكبار ببقعة صفراء مرجانية مذهبة بين العينين ومحاطة ببقع سوداء. الجانبان مخططان بخطوط رقيقة داكنة. الزعنفتان الظهريتان متواصلتان، تتكونان من 11 شوكة ومن12 . 13 أشعة لينة. الزعنفة الذيلية هلالية الشكل ومستدقة الرؤوس تنتهي ببقع داكنة. الحراشف دائرية وصغيرة يبلغ عددها على الخط الجانبي 73 . 85.

تألف الزريقة المناطق الساحلية المتوسطية والأطلسية الغنية بالأعشاب والطحالب وكذلك الأماكن الرملية والصخرية في أعماق لا تتعدى 30 مترا بالنسبة للصغار وتتعدى أحيانا 200 متر بالنسبة للكبار. سمك شائع في المياه البحرية الوطنية الضعيفة العمق وموجود أيضاً في البحيرات الساحلية كبحيرة الناظور والواليدية وسيدي موسى وخنفيس وشرم الداخلة. يتحمل المياه القليلة الملوحة في مصبات الأنهار. يعيش في أغلب الحالات منعزلا أو في مجموعات صغيرة. يتغذى من الرخويات وخاصة منها القواقع وثنائيات الصدف كبلح البحر (بوزروك) ومن القشريات (الإربيان وصغار السرطانات) وصغار الأسماك. ويتغذى أحيانا من الأعشاب والطحالب.

الزريقة سمك خنثى في أغلب مراحل النمو، ومعظم الصغار ذكور قبل سنتين من العمر (20 .30 سم) وتصير إناثا ما بين سنتين وثلاث سنوات من العمر (33 . 40 سم). يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا النوع على البحر المتوسط وعلى الشواطئ الأطلسية الممتدة من بريطانيا إلى الرأس الأخضر بالسواحل الإفريقية.

صيده في المغرب شبه صناعي ورياضي وتقليدي بالجبيبات العمقية والشاطئية والشباك المستقيمة والصنانير ويباع في أسواق الأسماك المغربية بصفة منتظمة. لحمه لذيذ يكثر الإقبال عليه ويستهلك طريا أو مجمدا.

يلخص الجدول التالي الكمية المصطادة سنويا لسمك الزريقة في المغرب :

| السنة | 1990 | 1991 | 1992 | 1993 | 1994 |
|---|---|---|---|---|---|
| الكمية بالطن | 151 | 142 | 292 | 152 | 127 |
| السنة | 1995 | 1996 | 1997 | 1998 | 1999 |
| الكمية بالطن | 138 | 229 | 111 | 133 | 147 |

يربى في البحيرات بكيفية ناجحة في المغرب وتونس وفي بعض الدول الأوروبية (فرنسا، إيطاليا، اليونان، إسبانيا)، بدأت تربيته في المغرب سنة 1986 في بحيرة الناظور وقد عرفت هذه التربية نجاحا من طرف شركة ماروست حيث يتراوح الإنتاج ما بين130 .800 طنا سنويا تصدر إلى الأسواق الأوروبية والوطنية. وفي سنة 1993 أنشئت شركة "صام" "SAM" الاستزراع السمكي قرب السعيدية ومصب نهر ملوية تعتني بتربية سمك الدرعي

وسمك الزريقة والإربيان، وتعرف هذه الشركة حاليا صعوبات تتعلق بالتدبير. يلخص الجدول التالي الكمية المنتوجة سنويا لسمك الزريقة في أحواض الاستزراع السمكي التابعة للشركتين معا :

| السنة | 1990 | 1991 | 1992 | 1993 | 1994 |
|---|---|---|---|---|---|
| الكمية بالطن | 133 | 205 | 234 | 585 | 792 |
| السنة | 1995 | 1996 | 1997 | 1998 | 1999 |
| الكمية بالطن | 590 | 658 | 245 | 161 | 566 |

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان ـ الطبعة الثالثة، 1988 ؛ المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932 ؛ *دليل تعريف الموارد البحرية في المغرب*، المنظمة العالمية للتغذية، روما 1998.

Ramdani M. et N. Elkhiati, *Flore et faune marines du Maroc, Biodiversité, Biologie, Ecologie et Biogéographie.* Expo 98, Lisbonne, Rabat, 1998 ; Ministère des Pêches Maritimes (Maroc), *La mer en chiffre, Synthèse de l'activité du Ministère des Pêches Maritimes et de la Marine Marchande, 1999.*

محمد رمضاني

**زريوح، محمد حمو** الريفي. ولد بقبيلة بني سيدال عام 1326 / 1908 وحفظ القرآن في الكتّاب بتمسمان، ودرس بمدينة وجدة ومزونة، وأتم دراسته بجامعة الأزهر بالقاهرة ضمن البعثة الحسنية التي توجهت من تطوان سنة 1357 / 1938 وحصل هناك على إجازة القضاء العالمية. وكان في نفس الوقت يشارك في الحركة الوطنية فعُين عضواً في لجنة الدفاع عن مراكش بالقاهرة.

ولما عاد إلى المغرب استقر بمدينة مليلة، وتابع نضاله السياسي واشتهر بصراحته وغيرته الوطنية. أسس حزب المغرب الحر وانتخب رئيساً له، وفي سنة 1375 / 1955 تقلد منصب وزير التربية الوطنية والثقافة في الحكومة الخليفية بتطوان. وبعد الحوادث التي عرفتها منطقة الشمال سنة 1956 قدّم استقالته ووقع اندماج حزب المغرب الحرفي حزب الشورى والاستقلال، وعين زريوح عضواً في المكتب السياسي لهذا الحزب، وانتخب عضواً في أول برلمان مغربي وفيما بعده.

توفي في حدود سنة 1412 / 1992.

أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، 1991، ج. 5 : 130 ؛ *معرفة شخصية*.

أحمد معنينو

**زريويلة**، قرية إلى الجنوب الغربي لمدينة اكليميم (كلميم) قاعدة وادي نون الذي يحده الأطلس الصغير جنوبا. ترجع هذه التسمية إلى فصيلة الزراولة المنتمين إلى آيت سعيد من قبيلة إيزرگيين (انظر مادة إزرگيين بالمعلمة). ومن المعلوم أن هذه القبيلة تعد من أهم فصائل قبيلة آزوافيط حيث نجد إيزركيين جزءاً لا يتجزأ من آيت بوليد (انظر مادة أزوافيط بالمعلمة). وما تزال بقرية زريويلة بعض الأسر تحمل أسماء دالة كأهل بومزيريك وأهل زريكين. وما تزال الرواية الشفوية تحتفظ بذكرى إيزركيين بالقرية حيث كانوا يتحالفون باستمرار مع أمازيغ آيت موسي أو اعلي بلبيار القريبة.

كان حمو اسعيد إزركي قائد المولى إسماعيل لدى علي شندورة أمير الترارزة رمزا للتماسك الحربي الذي كانت تمثله قبائل تكنة عبر مسالك الصحراء الأطلسية. فقد كانت قدرات هذه الكنفدرالية الحربية والتجارية تؤهلها لمراقبة المسالك التجارية وحماية صغربات القبائل المنوعة من حمل السلاح من قبائل الزوايا وقبائل الغور الصنهاجي اللمتوني والمسوفي والكدالي الأقدم.

كانت القوافل تعود محملة بالسلع والبضائع لتستقر قبل دخولها أسواق وادي نون بقريتي زريويلة ولبيار. فهناك نجد المروس التي كانت تجسد بنية تجارية ومكانا لحفظ المخزونات. وقد عرفت القريتان لهذا السبب بطابعهما المتميز روحيا ودينيا. ذلك أن صبغة المقدس التي كانت وما تزال تبسطها عليهما الرواية الشفوية، تعد بمثابة درع واق من اعتداء المعتدين.

على صراعات مفتوحة بين فصائل قبيلة أزوافيط، توجهت فصائل إزركيين إلى جنوب آوريورة حيث أقاموا في ترحال مستمر جعلهم يجاورون فصائل آيت أمحند أو لحسن القادمين من أسرير. وقد أدى تبني الطرفين لنمط العيش الترحالي إلى تسميتهما بآيت الجمل على امتداد المحور الساحلي الممتد من آوريورة شمالا إلى جنوب الساقية الحمراء. أصبحت زريويلة بعد ذلك قرية صيفية لأيت احماد أوعلي آيت بوليد وبعض الفصائل الزفاطية الأخرى. كما شكلت مسرحا لأحداث وصراعات جمعت بين أزوافيط بعض القبائل التكنية الأخرى. ولم يتوان سكان زريويلة من طلب الذبيحة من الشيخ ماء العينين عندما اقترب من القرية طالبا الإقامة بها. فما كان من الشيخ إلا أن أعلن عن أنه سوف يذبح قربانا لله لا لغيره. ولم يتردد سكان

زريويلة يومها من إعطاء الشيخ ليلة ماء أصبحت منذ ذلك الحين حكرا عليه وعلى عائلته.

تتميز هذه القرية بعين طبيعية معدنية غير صالحة للشرب. إلا أنها تسقي الحقول والماشية الصغيرة والكبيرة التي تأتي من أماكن بعيدة للارتواء. وقد أمكن تنظيم ساقية من حجم كبير شدت إليها الساكنة بشكل متزايد وانتهت بأن جعلت من القرية نقطة من نقط أزوافيط العامرة خلال مرحلة ما قبل الاستعمار. إلا أن تفتت الديناميكية التجارية وتحول حركية المسالك نحو الساحل أدت إلى تطور ظاهرة الهجرة من أجل العمل بالمهجر مما أدى إلى اضمحلال القرية تدريجيا وانتقل سكانها إلى مدينة كلميم التي انتفخت تدريجيا بفعل الهجرة.

وتعد هذه القرية اليوم بمثابة نقطة سكانية ذات أهمية محدودة مما يدعو إلى إعادة هيكلتها وإلى النظر في الدور الاقتصادي الذي بإمكانها أن تلعبه. فهي مؤهلة بحكم موقعها وطبيعتها إلى لعب دور أساسي في ميدان السياحة الأيكلوجية والبيئية. كما أنها توفر للمنطقة المجاورة غطاءً نباتيا من مادة الصبار قد يصلح لإنشاء تعاونيات هامة لإنتاج المربى وباقي المشتقات الممكنة. وكل تعاونية من هذا النوع بإمكانها تشغيل 500 امرأة على الأقل. وهو أسلوب تنموي بالغ الأهمية قادر وحده على تحقيق تنمية مستديمة نابعة من الخصوصيات البيئية المحلية.

مصطفى ناعمي

**الزطّاط**، يعني في الأمازيغية المؤمّن واستعمل اللفظ اسماً للشخص القوي المسلح الواثق بنفسه الذي يؤمن المسافرين والقوافل وأمتعتهم في الطرق بين المدن والقرى وعبر القبائل، مقابل أجرة معينة ويصاغ منه اسم الحرفة الزطاطة "تازطاط" بالأمازيغية كما تستخلص مبالغ ماليه من المسافرين بهذا الاسم "تازطاطت" وقد عرفها السجلماسي الرباطي شارح العمل الفاسي، بأنها : "القيمة التي تؤخذ على رؤوس المسافرين أو حسب دوابهم أو حسب ما يحملون من السلع" وقد استعمل للشخص المؤمن على طرق المسافرين اسم المزراگ أو الخفير، أو الزطاط بنفس المضمون وربما اكتسبت مدينة سطات هذا الاسم من الزطاط، لأنها تقع في مكان يمر فيه المسافرون بين الدار البيضاء ومراكش. وهم في حاجة إلى زطاط

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، ص. 404 - 418 ؛ م. ابن القاسم، الرباطي السجلماسي، *شرح العمل الفاسي*، المطبعة الحجرية بفاس، 1288.

عمر أفا

**زعبول ← صُبّار**

**زعتر**، لقد سبق لنا أن تطرقنا لنباتات الزعتر تحت الاسم الأمازيغي الشائع في الأطلس الكبير وهو أزوكنّي (انظر أزوكنّي) مع الإشارة لكل مرادفاتها العربية والأمازيغية التي تطلق على أنواع ثلاثة أجناس متقاربة في العطر ،منتمية لنفس الفصيلة وهي الشفويات Lamiaceae. والأجناس الثلاثة هي أوريگانُوم Origanam الذي يشمل 5 أنواع، 3 منها قبسية خاصة بالمغرب، وتيموس Thymus الذي يضم 24 نوعا، منها 12 قبسية لا توجد إلا بالمغرب، وساتوريا Satureja المثلة بـ 23 نوعا منها 7 قبسية لا تصادف في البلدان الأخرى غير المغرب. وكل أنواع الأجناس الثلاثة تشتهر بتعدد استعمالاتها كتوابل في المأكولات كالرفيسة وبركوكش والسلاطة والسمن المصبر وكنباتات برية طيبة وعطرية لعلاج أمراض الجهازين التنفسي والهضمي ولتنشيط الشهية. ذكر البعض منها في "عمدة الطبيب" و"تحفة الأحباب" ومن طرف الوزير الغساني وابن البيطار.

الزعتر

وأكثر الأنواع استعمالا هي النباتات التالية : أوريگانُوم Origanum : جنيبات معمرة ذات أوراق بيضية الشكل وعريضة، وازهرارات سنبلية مجتمعة في ازهرارات مركبة. كأس الزهرة أنبوبي وله 5 أسنان قصيرة، تاجها أبيض أو وردي، لها 4 أسدية :

- أوريگانوم إلونگاتوم Origanum elongatum نبات أزغب في قاعدته وأجرد في أطرافه العلوية، ذو إزهرارات سنبلية ضعيفة الكثافة، وأزهار كبيرة الحجم نسبيا.

إنه نوع قبسي يصادف في غابات المناطق الرطبة في الأطلس المتوسط وفي الريف حيث يسمى بالزعتر الريفي أو زعتر تاركيست. يكثر فوق أتربة سيليسية ويعيش في الطوابق النباتية المثلة في المتوسطي وفوق المتوسطي والجبلي المتوسطي.

تقطف كميات كبيرة من هذا النوع في الريف الأوسط من أجل استعمالها في التطبيب التقليدي وتقطيرها لا ستخراج الزيوت العطرية المستخدمة في صناعة عدة أدوية.

كما يشتهر هذا النوع بجودة العسل الذي ينتجه النحل بجرسه ازهار هذا النبات.

- أوريكانوم كومباكتوم Origanum compactum : نبات أزغب، ذو ازهرارات سنبلية كثيفة وقصيرة، وأزهار تتميز بلون أرجواني فاقع.

يصادف هذا النوع في المناطق الشمالية والوسطى من المغرب حيث يتواجد في الطابق المتوسطي الدافيء شبه الجاف وشبه الرطب.

تكثر استعمالات هذا النوع في التطبيب التقليدي لأن النبات ينمو في المناطق التي توجد فيها كثافة سكانية. مما أدى إلى ندرته أو انقراضه في بعض الأطراف من موطنه الأصلي.

- أوريكانوم ماجورانا Origanum majorana : وهو مرددوش أو مردقوش أو بردقوش أو مرزنجوس أو سمسق أو سمسق أو عترة.

نبات عشبي زغبي رمادي ذو ازهرارات كثيفة مجتمعة على شكل كروي.

يزرع في بهوات أو حدائق المنازل للأغراض السابق ذكرها، وكذلك على مساحات شاسعة في مناطق مراكش وأكادير أو غيرها لتصديره كنبات مجفف يستعمل لنفس الأغراض.

- تيموس Thymus : جنيبات أو جنيبات قائمة أو زاحفة، وعطرة، ذات ازهرارات حلقية وأزهار ذات كأس أنبوبي وجرسي الشكل. منها ما يسمى بالزعتر أو أزوكني أو الزعيترة أو تزوكنيت. كلها طيبة وعطرية ومنتجة للعسل.

- تيموس بروسونيتي Thymus broussonetii : هو الزعتر أو الزعيترة أو زعتر الحمير أو الزعتر الصويري. نبات جنيبي قاتم وجد عطر.

إنه نوع قبسي يصادف في سهول وهضاب المناطق الساحلية ما بين القنيطرة والصريرة على أتربة صخرية.

تعرف تشكيلات هذا النوع تدهوراً خطيراً يكاد يؤدي بها للانقراض وذلك بسبب عمليات القطف المفرط لهذا النبات المجبذ من طرف السكان نظراً لقوة عطره وجماله.

- تيموسْ ساتوريويبيديس Thymus saturejoides : وهو أشهر نوع من الزعيترة أو تزوكنّيت. جنيبة قائمة يبلغ علوها ما بين 30 و60 سم، جد متفرعة، ذات أوراق ملعقية الشكل وازهرارات كروية وضعيفة الكثافة، وأزهار وردية أو ذات لون وردي مفتوح يميل إلى البياض.

إنه نوع قبسي، ولذا ينظم تشكيلات كثيفة في فرجات غابات العرعر Tetraclinis articulata واستثنائيا البلوط الأخضر، وذلك على سفوح جبال الأطلس الكبير وخاصة الجزء الغربي منه المصادف للطابقين المتوسطي الدافئ والمتوسطي شبه الجافين وشبه الرطبين. ولا يصادف بالأطلس الصغير إلا بصفة قليلة.

ينتج النحل الذي يجرس أزهار هذا النوع أجود العسول المغربية وأغلاها.

كما يعطي هذا النوع من الزعيترة مواد جد مهمة من حيث الجودة والكمية والمنفعة والمزايا. فهو طبي وعطري يتميز باستعماله لكل الأغراض السابق ذكرها أعلاه، وهو كذلك منتج لأجود العسول المغربية. نجده يباع عند كل العشابين بالمغرب وذلك نظراً للكتلة الإحيائية المتوفرة في مناطقه، مما يسهل عملية القطف لأجل بيع أوراقه مجففة أو لتقطيرها.

- ساتوريبا Satureja : جنيبة أو جنيبة تختلف أسماؤها حسب اختلاف أنواعها. فمنها الزعيترة وتازوكنيت ومانتا والنبطة وفليو البري...

تصادف أنواعها بكل المناطق المغربية لكن بكمية قليلة جداً حيث تستعمل محليا.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

## زعـرور ← أدمـام

**الزعري، الـحسين** بن **الـحسين** أحد المقاومين البارزين الذين تصدّوا لسلطات الحماية بمدينة الرباط. ولد بعين الحلّوف الواقعة جنوبي الرباط بحوالي 20 كلم. كان يسكن بحي دوار الدباغ، احترف صنعة الحدادة وقبل نفي السلطان محمد بن يوسف، عمل الحسين الزعري على تكوين خلية سرية مسلحة في حيه. وكانت تضم في البداية خمسة أشخاص : لحسن الحلوي، ومحمد المسطاسي، ومحمد الصحراوي لمصارني، وعلي بن بوعزة بالإضافة إلى صاحب الترجمة المعروف باسم الحسين "موسطاش" وبعد نجاحه في تكوين هذه الخلية، اتجه هذا الأخير إلى حي العكاري قصد توسيع اتصالاته، وهناك اتصل بأبي بكر الشرقاوي الذي زوده بالسلاح، وعرفه بعبد الرحمان البيضاوي، أحد أعضاء المنظمة السرية بالبيضاء. هكذا أصبح المترجم يتزود بالسلاح من هذه المنظمة، الأمر الذي دفعه إلى تمديد اتصالاته بالمدينة العتيقة وبأحواز الرباط، خاصة بعين الحلوف. وكانت الخلية عازمة على تنفيذ عملية في باريس ضد الباشا الأكلاوي، غير أن الشرطة الاستعمارية كشفت عن الجماعة التي ينتمي إليها الحسين الزعري، وزجت بهذا الأخير في زنزانة بالرباط يوم 17 يناير 1954، وبقي بها إلى فاتح مارس من نفس السنة قبل أن يتم نقله إلى سجن القنيطرة بعد أن صدر في حقه حكم الإعدام مرتين من طرف المحكمة العليا بالرباط. وعقب تكوين المجلس الوطني المؤقت لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، وجه الحسين الزعري رسالة إلى هذا المجلس بتاريخ 13 نونبر 1974 مصحوبة بملف عن مقاومي الرباط الذين وردت أسماؤهم في الصحف الوطنية والأجنبية في عهد الحماية والاستقلال معا.

*رواية شفوية ومعرفة شخصية.*

محمد السعدين

**الزعري، الحسين** بن **محمد** السلوي، أحد المتعلمين الذين وجهوا إلى إيطاليا أواخر القرن التاسع عشر. ولد بمدينة سلا يوم 10 حجة 1293 / 27 دجنبر 1876، وأصل أسرته من أيت العروسي بقبيلة زعير. تلقى دراسته الأولى بكتاب قرآني، غير أننا نعرف أنه لم يتعلم اللغة الإيطالية بالمغرب، فلم يشر إلى ذلك في التقييد الذي خلفه، مقتصراً على القول إنه وصل إلى طنجة في شهر شتنبر سنة 1888 وأنه في آخر هذا الشهر سافر إلى إيطاليا على متن الباخرة الإيطالية "ضونضولو :Dondolo" التي رست بميناء جنوة حاملة عدداً من الشبان المغاربة. وبعد ذلك استقلوا القطار إلى مدينة طورينو ليلتحقوا بالمعهد الدولي الإيطالي Instituto internazionale وفيه التقى بعدد من الطلاب والأوربيين والطلاب الأفارقة مثل الأمير أحمد فؤاد الذي سيعتلي عرش مصر فيما بعد.

وبطورينو بدأ أعضاء هاته البعثة التي كانت هي الثالثة من نوعها إلى هذه البلاد الإيطالية يتعلمون اللغة العربية بواسطة مدرس لبناني يسمي ماركوس واللغة الإيطالية على يد أستاذ إيطالي. وذكر الحسين الزعري أنهم بعد أن قضوا ثلاث سنوات فيها وزعوا على ثلاث فئات : فئة دراسة تربية الجنود وتدريبهم وفئة دراسة علوم البحار، وفئة صناعة السفن، واستعرض بعد ذلك أسماء المرافقين له بمن كانوا يدرسون هناك، مبيناً نوع تخصص الكثير منهم.

تعد المذكرة التي أملاها الحاج الحسين على السيد الحاج أحمد معنينو ومذكرة أحمد الجبلي العيدوني زميله في الدراسة وأبي الدكتور أحمد الجبلي العيدوني الرباطي وسميّه من أفضل ما تخلف لدينا عن أحوال المتعلمين بإيطاليا.

ثم يضيف الزعري أن البعثة بعد أن قضت ثماني سنوات في الدرس رجع أفرادها إلى أرض الوطن برتبة ضابط باستثناء اثنين ماتا هنالك وتأخر بعدهم قليل للانخراط في مدرسة اللغات بطورينو إلى أن نال شهادة منها سنة 1898، وأنه كان ينوي الانتقال إلى مدينة فلورنسا لتميم تعلم اللغات ولا سيما الألمانية ولتعلم القانون. غير أن أمراً مؤكداً ورد عليه بالرجوع إلى المغرب. إذ استقدمه الحاج محمد الطريس من إيطاليا على يد جُوليوما لموسى سفير بلاده بطنجة، فكتب بذلك يوم 10 شتنبر 1898، وكانت عودته إلى المغرب في نونبر من هاته السنة بعد غياب دام أكثر من العشر سنوات.

وكان رجوعه كذلك بطلب من أبيه إذ جاء في رسالة سلطانية إلى نائبه الطريس في فاتح ربيع الثاني 1316 / 19 غشت 1898 أن الحسين بن محمد الزعري كان "وجه لأرض الطليان لتعلم آلة الحرب والفابريكات واللسان وغير ذلك، من جملة من كان توجه بقصد ذلك لبعض الأجناس. وهذه مدة من نحواثني عشر عاماً وهو هنالك. وقد طلب والده من علي جانبنا التوجيه عليه لصلة رحمه به. وعليه فإن حصل الغرض المقصود فليأت، والسلام".

كان الحسين يتكلم عدة لغات أجنبية : الإيطالية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية والإنجليزية والألمانية ويتقن بعضها. ولما فتح بعد مدة من رجوعه إلى المغرب مدرسته لتعليم اللغة الأجنبية بالرباط مع رفيقه أحمد الجبلي العيدوني المذكور أعلاه قامت عليه ضجة حتى قيل إنه حبس من أجلها وأنه لم يفرج عنه إلا بشفاعة سفير ألمانيا بطنجة.

تقلب في وظائف متنوعة مع الحاجب أحمد بن موسى ومع العلاف (المكلف المخزني بشؤون العسكر) ،مع مَحمد بن محمد الگباص أحد المتعلمين بالبلاد الإنجليزية الذي أسندت إليه وظيفة النيابة السلطانية بعد وفاة الطريس، وعين ترجماناً للمهندس الألماني ڤالطير روطنبورغ أثناء تشييده لبرج الرباط. وفي سنة 1909 أصبح قائداً للطابور الثامن للشرطة المغربية بمدينة الصويرة.

وفي سنة 1332 / 1914 عين خليفة لعامل سلا، ثم قائداً بسيدي بطاش قبيلة گفيان بزعير، وبقي هناك إلى حدود سنة 1339 التي أعفي فيها من منصبه، وقضى بقية عمره ترجماناً بالمصالح البلدية بسلا.

ويحكي الذين عاشروه أنه كان رحمه الله مثال النزاهة والاستقامة، ولا تزال أمام مخيلتي صورته الجسمانية في الأربعينيات : ربعة في القد وبياض مشرب بحمرة قليلة لابساً جلباباً وطربوشاً أحمر بالرزة، وأمام عينيه نظارتان، متأبطاً بعض الجرائد التي كان يشتريها من الدكان المعروف "بالبزار" الموجود بحي الرمل.

توفي يوم الاثنين 18 جمادى الأولى عام 1375 / ثاني يناير 1956، ودفن قرب ضريح الشيخ أحمد ابن عاشر بجوار حوش شهداء الاستقلال.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج. 4، ص. 1363 .1365 . 1387؛ التعريف ببني سعيد، ج. 2، ص. 247 . 248 ؛ أ. معنينو، *مذكرة طالب مغربي أرسل في بعثة مغربية إلى إيطاليا منذ ثمانين سنة*، في دعوة الحق، عدد نونبر،1968، ص. 143 . 148 ؛ كناشة الحاج أبي بكر الصبيحي، بالخزانة الصبيحية بسلا ؛ وثائق مكتبة تطوان ؛ *وثائق الخزانة الصبيحية*.

مصطفى بوشعراء

**الزعري، العربي** بن **بلال** النجدي المزارعي لا يُعرف شيء عن أوليته. بيد أن كل القرائن تدل على أن الرجل من أسرة غنية، كان أبناؤها من أعيان القبيلة. وأن العربي كان حافظاً للقرآن، لأننا نجد المؤرخ الضعيف الرباطي ينعته بـ "الطالب العربي ولد عبد الله بن بلال المزراعي النجدي".

ومن الجدير بالذكر أن عبد الله بن بلال المزراعي، كان ضمن أعيان زعير الذين قاتلوا الشاوية في صفوف السلطان مولاي سليمان وأنه قتل في إحدى المعارك بامزابْ.

وهكذا فالطالب العربي بن بلال، ينتمي إلى قبيلة النجدة، إحدى الفرق المكونة لقسم المزارعة، الذين يكونون نصف زعير. أما النصف الآخر فيكونه الكُفيان. وتقع مواطن النجدة حول وادي كرو يحدها شرقاً قبيلة زمور، وتجاور فرق أولاد علي وأولاد ميمون وأولاد عزيز وهي فرق من المزارعة. وبالنجدة يقع المكان التاريخي كُلتة الفيلا وهو مركز النجدة اليوم يقع على الطريق الرابطة بين الرماني والخميسات. وإلى الشمال من هذا المركز توجد بقايا قصبة ابن بلال على بعد حوالي 12 كلم.

أول ظهور للعربي بن بلال في الميدان السياسي، حدث بمناسبة الخلاف الذي نشب بين الباشا محمد بن العامري عامل بني احسن وعرب الويدان (زعير - الصباح - السهول) وبين قبيلة الدغمة وهي إحدى قبائل عرب الصباح. وكان منشأ الخلاف خروج القبيلة عن طاعة ابن العامري الذي ألقى القبض على بعض رجالها ورفض جميع الوساطات في الموضوع.

وعندما تهيأ ابن العامري لمعاقبة الدغمة التي تعبأت حول وادي الشراط استعداداً للدفاع عن نفسها ضد أربعين ألف حشدهم الباشا، قدمت زعير إعانة من الرماة للدغمة، ثم تواطأ عرب الويدان على إعانة إخوانهم ورفضوا أوامر ابن العامري. وأمام هذا التحالف تراجع الباشا عن القتال خوفاً من لفّ الدغمة وعرب الويدان.

وفي 2 شعبان 1229، تحالفت عرب الويدان على رفض حكم ابن العامري وقد ساق الضعيف الرباطي سبب خروج هذه القبائل عن طاعة الباشا كالتالي :

في 15 رجب 1229 الموافق جاء الطالب العربي بن بلال بزكاة زعير للباشا الذي قبضها قائلاً : هذا المال لا أحسبه من الزكاة والعشور وإنما هو دية أبي الذي قتلتموه. وأمام هذا التصرف غافل ابن بلال أصحاب الباشا وانسل راجعاً إلى بلاده. ولما لحقه بعض أصحاب الباشا بمجاز وادي أبي رقراق، هددهم وقال : والله لا أنظر وجهه إلا إذا كنت أمامه راكبا على فرسي" (*الضعيف*، 383).

منذ ذلك الحين بدأ العربي بن بلال يبرم التحالفات بين عرب الويدان، حتى تم الاتفاق بينهم و "حتى حلفوا بتحريم أولادهم أن لا يتصرف عليهم ابن العامري".

في 5 شعبان جدد التحالف بين عرب الويدان والدغمة بسيدي يحي زعير، ثم اتفقوا على الذهاب للسلطان يطلبون موافقته على عزل ابن العامري عنهم. وقدم لهم ابن بلال قنطاراً من المال مساعدة منه.

كتب ابن العامري للسلطان يتهم القبائل المذكورة بالخروج عن طاعته. فبعث السلطان صاحبه مولاي أحمد القسطالي، ليبحث في حقيقة الأمر. وصل مبعوث السلطان لزعير بصحبة مساعدين للباشا ولما قرأ كتاب السلطان عليهم، انبرى العربي بن بلال فشتم الباشا وحلف أن لا يقبل حكمه. ثم قدم سُخرة مضاعفة للشريف الذي كتب للسلطان بحقيقة عزم عرب الويدان على رفض حكم ابن العامري.

وكانت الخطوة التالية، هي ذهاب وفد عرب الويدان إلى السلطان الذي كان بمكناس. فوسطوا أخت السلطان، واستحرموا بضريح مولاي إدريس بزرهون، بعد أن كان السلطان قد عزم على القبض عليهم بالمشور. وبعد هذا الحادث كتب لهم السلطان بالأمان، فجاء وفد عرب الويدان يتزعمه الطاهر بوعريف أحد أعيان الصباح والعربي بن بلال أحد أعيان زعير. وقد اتفق على تقديم ابن بلال الذي ولاه السلطان على جميع عرب الويدان وفوض له. ويبدو أن مولاي سليمان ولى ابن بلال باشوية سلا كذلك حسبما يفهم من عبارة الضعيف : " فتعمل الباشا العربي بن بلال وذلك يوم الأحد 20 شعبان (1229). وكتب السلطان لعشعاش (عامل الرباط) على أن يقبض الباشا ابن العامري" (*الضعيف*، 384). وإثر ذلك أطلق سراح مساجين الدغمة وزعير وكانوا حوالي 41 سجيناً.

حكم ابن بلال عرب الويدان، الذين كانت أراضيهم تمتد من الشاوية إلى حدود زمور بما في ذلك الرباط وسلا. ويبدو أن سلطة الرجل كانت شاملة ومسيطرة، باستثناء محاولات فاشلة من الدغمة الذين حاولوا التمنع من الباشا ابن بلال لكنهم اضطروا للخضوع بدون حرب من أواسط 1230. كما يبدو أن قوة ابن بلال كانت بارزة فقد ذكر الضعيف أن ابن بلال كان يلعب البارود "بمائة من الخيل" عند استقباله لوزير السلطان محمد السلاوي.

ولقد صعد نفوذ ابن بلال الزعري، وعزز السلطان جانبه بتوليته باشوية الرباط كذلك. فبعد انتفاضة قصيرة تزعمها الدباغة والخرازون بما فيهم اليهود، ضد حكم عشعاش التطواني، نجد السلطان يصدر ظهيراً بتولية العربي بن بلال على أهل الرباط. ويعطى ولاية سلا لمحمد بن الجيلالي أخي سليمان بن القرشي السقيري الحسناوي.

قرئ كتاب تولية ابن بلال على الرباط بالجامع الكبير يوم 7 رمضان 1230. وإثر ذلك استلم منصب الباشوية بحضور جم خفير من سكان المدينة وبحضور البحرية والطبجية وقاضي المدينة عبد القادر مرين. كان العربي بن بلال أحد ركائز دولة مولاي سليمان، إذ كان السلطان

يصحبه معه في جميع الحركات، ضد الخارجين عليه. ففي شوال 1230. قدم عرب الويدان بقيادة ابن بلال مساعدة حاسمة للسلطان ضد الشاوية فقد انتصر السلطان على المزامزة الذين تشفع فيهم العربي بن بلال وعامل بني حسن فقبل السلطان شفاعتهما على عكس ما كان يرغب فيه عامل الشاوية عبد الخالق گريران الحريزي.

ولما عاد ابن بلال إلى الرباط التي كان قد عين فيها الحاج فرج خليفة عنه، تلقته المدينة "بالطبل والبارود" (*الضعيف*، 393).

والأمر الذي يدل على مكانة الرجل عند السلطان ومكانة إخوانه الحربية، أن مولاي سليمان عندما أراد الحركة لتافيلالت ضد آيت عطا، أصر على استصحاب الباشا ابن بلال بالرغم من مرضه. ذلك أن السلطان أشرف بنفسه على مداواة عامله "بالأشربة والأدوية وبعث له البعض من جواريه يسمّطونه بورق الكرنب مدهوناً بالزيت. ويبعثه للحمام ويعوده كثيراً ويسأل عليه في كل حين حتى وجد الراحة وسار معه.

ويظهر أن ابن بلال كان من دهاة الحكام. إذ ظلت إيالته خاضعة لسلطته طائعة للسلطان. وفي عهده حكمت بادية الرباط على مدينتها. وكانت علاقة الرجل ودية مع قبائل بني مگيلد التي كان يصطاد بأرضها. ففي 1232 يذكر الضعيف أن بني مگيلد تلقوا للباشا "بالبارود وصنعوا له أربعين قصعة. وكل قصعة بين أربع نساء يحملنها".

إلى حدود سنة 1230 / 1815، كان ابن بلال مازال يقطن في خيمته إذ كان الغالب على سكنى عرب الويدان الخيام، وإذا كانت زعير اليوم خالية من قصبات القياد، فإن الاستثناء الوحيد هو صمود قصبة ابن بلال للأحداث وبقاء جدرانها قائمة إلى اليوم دالّةً على مجد غابر وحكم قوي قاهر.

وبالجملة، فإننا لا نستطيع - نظر الانعدام الشواهد - أن نجزم بمصير حكم العربي بن بلال الزعري. لكن الرواية الشعبية تشير إلى استمرار حكم الرجل بالرغم من شيخوخته. فيقال إنه ظل يحكم حتى بعد فقده بصره. حيث كان يخفي حقيقة عماه، ويتصرف مع الناس الذين يهابونه وكأنه يراهم بواسطة مساعد يضعه إلى جانبه !

وهكذا لم يجرؤ الإنس على معرفة حقيقة من كانت قوته تتصرف فيهم ؛ كما لم يعرف الجن حقيقة موت سليمان إلا بعد أن دلتهم عليه "دابة الأرض تأكل منساته"!

م. الضغيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. وتقديم ؛ أ. العماري، دار المأثورات، 1986 ؛ ع. الخديمي، *قبائل زعير والمخزن خلال القرن التاسع عشر، في البادية المغربية عبر التاريخ*، نشر كلية الآداب، تنسيق، إبراهيم بوطالب، *ندوات ومناظرات*، رقم 77 ؛ بوشعراء مصطفى، *الاستيطان والحماية*، جزء 2، ص. 743.

**الزعري، علي بن حمو** مجاهد صلب، وزعيم قبلي رفض التعاون مع الفرنسيين المحتلين لقبائل الشاوية المجاورة لقبائل زعير، واستمر في جهاده إلى النهاية.

ولد علي بن حمو في دوار لَحْرَاكْتة بفرقة الغوالم، إحدى فرق قسم الگفيان من زعير. لا يعرف شيء عن شباب الرجل. بيد أن شهرته ارتبطت بالجهاد ضد الاحتلال الفرنسي. ذلك أن علي بن حمو نشط في معارضة كل تعامل مع المحتلين، وكان من أبرز الشخصيات الزعرية التي وقفت في وجه النفوذ الفرنسي. وتشير بعض الروايات إلى تعاون الرجل مع العربي بن البشير وأخيه الحبشي بن البشير أخوى المرابط الزعري الشهير سيدي عبد القادر بن البشير المباركي (انظر مادة البواشرية).

ويظهر أن علي بن حمو قد تبوأ مرتبة الزعامة بين ذويه وبين قبائل الگفيان، نتيجة لنشاطه المعارض للتدخل الفرنسي ولقد أثبت له السلطان مولاي عبد الحفيظ هذا التقديم إذ عينه مقدماً عاماً على قسم الگفيان بظهير مؤرخ شهر ماي 1908، سلّمه على بن حمو لأحد الفرنسيين الذين كانوا مرافقين للمحلة الحفيظية الآتية من مراكش إلى فاس عبر قبائل زعير أواخر 1908 وبداية 1909 وهو الضابط Cicard.

وتعني وظيفة أمين عام أو مقدم عام أن صاحبها كان هو المشرف العام أو القائد الأعلى المشرف على القياد ومراقبتهم واقتراح توليتهم أو عزلهم في بداية العهد الحفيظي.

كان للشيخ علي بن حمو نفوذ كبير في كل قبائل المخاليف وقد استقبل بفاس أواخر 1908 (رمضان 1326) ضمن قواد زعير ونعت في إحدى الوثائق "بشيخ الربيع". وهذه الصفة تعني زعيم الثوار أو المقدم الأعلى لقيادة القبيلة أثناء الثورة أو أثناء ضعف السلطة المركزية.

لعب الشيخ علي بن حمو دوراً رئيسياً في جهاد زعير ضد الاحتلال الفرنسي، وكان ينسق جهاده مع زعماء آخرين مثل القائد الحفيظي عبد القادر ولد عويش والعربي بن البشير المباركي وأخيه الحبشي وغيرهم. وكان حزب المقاومة من القوة بحيث نجده يصادر أموال الأعيان والقياد الذين ثبت تعاملهم مع الفرنسيين المحتليين للشاوية خاصة لما انتخب على بن حمو قائداً للجهاد على رأس الكفيان وبني خيران ومجاهدي زيان وتادلة في اجتماع قرب الرماني يوم 30 - 31 يناير 1911.

ولقد حاول الفرنسيون - دون جدوى - إغراء على بن حمو بالجاه والمال لكنه أبى. ويظهر أن علي بن حمو لم يكن غريباً عن حادث مغشوش المشهور في المؤلفات الفرنسية "بكمين مغشوش" الذي وقع في يناير 1911. وذلك الحادث الذي تعرضت فيه دورية فرنسية دخلت لزعير إلى الهجوم والفتك بأفرادها.

فقد قاد حاكم المركز العسكري بمدينة الگارة بالمذاكرة مفرزة من الجنود ودخل لقبائل زعير بهدف كسب المتعاونين

ونشر النفوذ الفرنسي. لكنه عندما وصل إلى قبيلة أولاد دحو، في طريقه إلى قصبة مغشرش - حسبما ادعى الفرنسيون - للقاء المرابط عبد القادر بن البشير، تعرضت الدورية للهجوم المباغت، حيث قتل معظم أفرادها ومنهم الضابط مارشان Marchand الذي أطلق اسمه على قرية الرماني بعد الاحتلال، واستولى المهاجمون على سلاح الجنود وخيولهم.

وقد اتهم علي بن حمو ورفاقه بالتسبب في الحادث وعوملوا على أساس ذلك من طرف المحتلين.

رفض علي بن حمو الخضوع للمحتلين الذين سيطروا على القبيلة وهاجر إلى القبائل المجاورة (بني خيران). وظل في هجرته وجهاده هو ومعظم سكان دواره الحراكتة والقائد عبد القادر ولد عويش إلى أن غلبوا على أمرهم بعد أن تغلبت قوة الاحتلال.

صودرت أموال دوار الحراكتة، وسجن الشيخ علي بن حمو بسجن عين علي مومن قرب سطات في حين أدخل عبد القادر ولد عويش لسجن الرباط. وبعد سنتين أطلق سراح المجاهد الزعري الذي لم يلبث أن وافاه الأجل في حدود عام 1333/ 1915، وعمره حوالي 90 عاماً. أما القائد ولد عويش فبعد أن سرح أعيد للسجن الذي ظل فيه إلى وفاته بتدبير من المستعمرين وأعوانهم بدون شك..

*رسالة من الحاج أحمد إلى قائد المشور الحاج بنعيسى*، رمضان، 1326 ؛ *تحريات ميدانية*.

Archives de guerre Vincennes, 3h18 (9 - 2 - 1911) ; Cicard, *L'organisation des Zaers, R.M.M.*, 1910.

علال الخديمي

**الزعري** (غناء) أو العيطة الزعرية نسبة إلى مجالها الجغرافي أي منطقة زعير، هذا اللون نجد فيه تقاطعا لكل من نمط العيطة الحوزية والمرساوي والملالي وهو قريب من الخريبكي أي نمط الغناء الموجود في خريبكة.

والملاحظ في العيطة الزعرية أنه يوجد بها نمط العيطة المركبة التي تتكون من مقدمة وفصول قفل وأهم عيطة زعرية في هذا الباب عيطة "اجعيدان" نسبة إلى بوعبيد الشرقي ولي الزاوية الشرقاوية وهي مشهورة جداً من مقاطعها :

اجعيدان ابيــــان سيري لا تخاف والـــي

وتتم تكملة الوزن بترديد عبارة "ألباسْ ألباسْ" أو أعوامْ أعوامْ" والإيقاع هنا مركب وصعب يعتمد فترات مهزوزة تنتهي بقفل عبارة عن وقفة تردف بإيقاع سريع ينتهي بقفل عبارة هو من وقفة كذلك.

هذا بالنسبة للشطر الأول الذي هو عبارة عن عيطة مركبة وتتلوها عيطات أخرى من نفس اللون ولكنها بسيطة وهي عبارة عن متفرقات تتكون من بيت من الشعر يتكون من صدر وعجز يشكل في بيت صورة متكاملة من حيث الموضوع أو الغرض الشعري كقولهم مثلاً :

إلى ابغيت الجمال اطلع لشمال العالي توبْ علينا لا تحافينا

يعتمد أداء هذه المتفرقات في البداية على دخول لحني بواسطة الالة والإيقاع وبعد ذلك يكون السؤال بواسطة جملة موسيقية يضعها العازف ثم يكون الجواب بواسطة البيت الشعري الذي ذكرناه وبعد ذلك يستمر العازف في عزفه متصرفا كما يساد في المقامات إلى أن يعود فيسأل بالجملة الموسيقية المعروفة ليجيبه المغني أو المغنية بالبيت الشعري وهكذا.

لقد تطرق هذا النوع من الغناء لكل المواضيع والأغراض مثل الطبيعة والمرأة والاجتماعي والاقتصادي والمقدس وذلك نظراً لسهولة أدائه ولكثرة النظم والتجديد في أشعاره. مما ساعده على اكتساح كل مناطق المغرب.

من الرواد الأوائل لهذا اللون نجد الشيخة خربوعة وولد العواك وانعينيعة والموتشو وغيرهم، أما من رواده الحاليين فنذكر ولد مبارك.

إجمالا، يعتبر هذا اللون الغنائي من الألوان الأكثر انتشاراً بين الناس نظراً لسهولته وعذوبته ولمصاحبته لعمليات الرقص والرشق.

علال ركوك، *الغناء المغربي الشعبي مظاهره وتجليات*، مطبعة وليلي، مراكش، 2000 ؛ علال ركوك، نماذج من الزعري بيان اليوم الثقافي، 17 .21 .1552.

علال ركوك

**الزعري، مَحمد** بن **بوعمرو**، باشا قبيلة زعير في عهد الحماية، ولد حوالي سنة 1332/ 1914 بدوار الحساسنة من قبيلته بأولاد علي اهتم والده القائد بوعمرو بن رحو العليوي بتعليمه بقبيلته، ثم التحق بثانوية مولاي يوسف بالرباط حيث حصل على الشهادة الثانوية. وبذلك أصبح سندا لأبيه في مهامه. وقد طلب هذا الأخير - بعد مرض ألزمه الفراش - من السلطان محمد بن يوسف أن ينصب ابنه قائداً على القبائل التي كانت تحت ولايته وهي : المراكشية، والمراشيش، وأولاد خليفة، وقد تم ذلك عام 1945، واستقل المترجم بالأمر بعد وفاة والده في 2 أكتوبر 1948. اشتهر مَحمد بن بوعمرو بحزمه لكن بعد الأزمة المغربية انحاز إلى جانب الإقامة العامة ضدا على السلطان الشرعي للبلاد، ومال كل الميل لحركة الباشا الگلاوي، وبذلك تمت ترقيته إلى منصب باشا. هكذا شارك المترجم في عملية إبعاد السلطان محمد بن يوسف عن العرش وبعد رجوع هذا الأخير من منفاه التجأ الباشا مَحمد إلى فرنسا، وبقي هناك إلى أن صدر العفو الملكي على القواد والباشوات الاثني عشر الذين كانوا خارج الوطن ، فرجع المترجم إلى قبيلته بأولاد علي. توفي مَحمد بن بوعمرو في 16 ربيع الثاني عام 1389 /2 يوليوز 1969 بالسويقة بالرباط، ودفن بمقبرة سيدي المهدي بعين السبيت بقبيلته.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*،2 :468 ؛ م. ابن سودة، *زعير قديما وحديثا*، ج. 2 ؛ أ. معنينو، *مذكرة طالب أرسل في بعثة مغربية*

*إلى إيطاليا منذ ثمانين سنة*، دعوة الحق، السنة 12، العدد الأول، 1388 / 1968، ص. 143 و148 ؛ زكي مبارك، *مذكرات مقاوم*، ضمن سلسلة تاريخ المقاومة وجيش التحرير من أفواه رجالاتها، مذكرة الحسين الزعري.

J. Caillé, *Histoire de Rabat,* 1 : 331 ; V. Loubignac, *Textes arabes des Zaër,* Paris, 1952 ; Cicard, *Organisation des Zaër*, R.M.M., 1910 ; *Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région,* T. III, p. 139 - 162.

محمد السعديين

**الزعري، مَحمد** بن **مبارك** بن أحمد بن مسعود، الشيخ الشهير، نسبه بعضهم إلى الشرف، ونفاه عنه تلميذه أحمد بن أبي محلي في كتابه الإصليت (*الإكليل والتاج*، 303 ؛ *الإعلام*،5 :179) لكن المتفق عليه أنه من قبيلة عربية بالمغرب، يقال لها زعير. ولذلك يقال عنه : محمد بن امبارك الزعري أصلا ونسبا ( *إتحاف*،4 : 39 ؛ *قبيلة زعير*، 79).

كما لم تذكر المصادر التي ترجمت له تاريخ ولادته، لكن يفهم من تاريخ وفاته، وسنوات عمره أنه ولد حوالي عام 938. وذكر بعضهم أيضا أنه ولد باوطاط من وادي ملوية، ثم انتقل إلى مكناس، وفيها نشأ (*قبيلة زعير*، 79). ولذلك يعرف أحيانا بالزعري أصلا المكناسي نشأة (*إتحاف*،3 : 39). ويذكر أنه نزل في حاضرة مكناسة قصد تعاطي القراءة، لكن صعب عليه الأمر، وتعذر عليه الفهم، فعاد إلى البادية (*إتحاف*،4 : 39)، واستقر في تستاوت بأرض زيان. ولذلك يعرف بالزعري التستاوتي (*ممتع*، 127؛ *قبيلة زعير*، 79).

وهذا يعني أن محمد بن مبارك لم يأخذ نصيبه في علوم الظاهر، بل تصرح بعض المصادر أنه كان أميا ( *الإكليل والتاج*، 304)، ومن ثم اشتغل في البادية بالفلاحة وتربية الأنعام، وخاصة تربية النحل (*ممتع*، 127). إلا أن ذلك لم يمنعه من الانخراط في عالم التصوف والصوفية. وكان دخوله هذا العالم على يد الشيخ المراكشي الشهير أبي عمرو القسطلي، أحد كبار أولياء المغرب في القرن العاشر. ويروى في هذا الصدد" ... أن عرب زعير لما ذهبوا إلى سيدي أبي عمرو وصحبوه، قال لهم "منْ أتى بها كلّها ذهب بها كلها"، قالوا يعني المحبة. وكان (محمد بن مبارك الزعري) إلى الآن ما صحبه. فلما رجعوا من عنده، وتحدثوا بقوله ذلك سمعه (الزعري)، فجمع جميع ماله من ماشية وغيرها حتى جمع القدر التي يطبخ فيها، وذهب بذلك كله، هو وزرجته إلى الشيخ، فقال له ياسيدي قد سمعت عنك أنك قلت وقلت، وقد أتيت بها كلها، يعني ما يملك من الدنيا. فقال له : وأنت قد ذهبت بها كلها، فامتلأ منه مددا"، من حينه، وأصابه الجذب، وصار من المحبين في شيخه، ومن أتباعه في الطريقة (*ممتع*، 127).

وإذا علمنا أن أبا عمرو القسطلي جزولي السند والنحلة، فمن تحصيل الحاصل القول بأن محمد بن مبارك الزعري، كان مثل شيخه، جزوليا. وقد أهلته مجاهداته إلى الارتقاء في مقامات الطريقة الجزولية، مما جعل شيخه يأذن له بالتصدر للمشيخة في "مسجد" أسسه في تستاوت، غير بعيد عن أبي يعزى ( *إتحاف*،4 : 39 - 40). ومما اشتهر به هذا الرجل في مشيخته أنه كان "فياض الحال، باهر الخوارق" (*ممتع*، 127)، وأنه كان صاحب "مائدة"، وصاحب "فائدة"، بل أعجوبة في دقائق التصوف، وأسرار كلام القوم، مع أنه أمي ( *الإكليل*،303، 304 ؛ *الإعلام*، 5 : 177). كما قالوا عنه بأنه أحد الرجال الكمل الربانيين في زمانه ( *الإعلام*، 5 : 177)، وقالوا عنه أيضا بأنه وصل مقام القطبانية (*ممتع*، 127).

وقد بلغ صدى شهرة ابن مبارك الزعري إلى كبار أولياء زمانه. ومنهم جاره سيدي بوعبيد الشرقي، دفين بوجعد بتادلا، فبعث إليه، وكأنه يدعوه إلى الأخذ عنه، ببيتين من الشعر الملحون، جاء فيهما :

يا الساكن في أرض البوادي — لا تتعــدش المـوارد
اصحب هـــاذ الطريــقــة — تحصــل لك الفـوايــد

(*ممتع*، 127)

فأجابه ابن مبارك، ببيتين من الشعر الملحون، كذلك، افتخر فيهما بخصوصية طريقة شيخه في التربية الصوفية، وبقوة مدده، وكفاية ما أخذه عنه، وقال :

تا الله ما كان هــذا — إلا من مجذوب سالــك
يسقي خمر للرجــال — مملوك من الحق مــالــك

وما أجابه إلا بعد أن ألح عليه أصحابه في الجواب. ويقال إن سيدي بوعبيد الشرقي أعجب بالجواب واستحسنه (*ممتع*، 127)، بل يذكر أن ابن مبارك قال يوما أهل زماننا محسوبون علينا فبلغ ذلك سيدي بوعبيد الشرقي فقال : اشهدوا أنا من أهل زمان ابن مبارك ( *إتحاف أعلام*، 4 : 39).وقد لفتت شهرته أولي الأمر في البلاد كذلك. نضيف هذه الإشارة استنادا إلى رواية تفيد حدوث اتصال بين الرجل وسلطان زمانه، عبد الله الغالب السعدي. فقد ذكر القادري أن هذا السلطان بعث إلي ابن مبارك يقول له"... إذا مت من يرث منك هذا السر ؟ فقال للرسول : قل له إذا كان بالعناية فالسلطان، وإذا كان بالقرابة فمحمد ابني ؟ وإذا بالأخلاق الحسنة قَبَبَ علي الشربة، لرجل من أصحابه الفاسيين، قل له : ذلك فضل الله يوتيه من يشاء" (*الإكليل*، 304).

وقد ظل محمد بن مبارك يحظى بهذه الشهرة في زاويته بتستاوت إلى أن أتاه أجله في ثاني عيد الفطر 1006 وقيل 1008، وكانت وفاته بالوباء، ودفن في تستاوت، مخلفا عقبا وتلامذة (*ممتع*، 127 ؛ *الإعلام*، 5 : 177 ؛ *إتحاف*، 4 : 40).

م. بن الطيب القادري، *الإكليل والتاج*، تح. مارية دادي، د.د.ع، 1991 : 9 ، مرقون، خزانة كلية الآداب بالرباط ؛ م. المهدي

الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية بفاس، 1313 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ج. 5 ؛ م.ابن سودة، *قبيلة زعير قديما وحديثا*، الجزء الثاني، الدار البيضاء، 1397 /1987.

أحمد الوارث

**زعطوط** أو أزعضوض، اسم أمازيغي للقرد المغربي مقطوع الذيل. يعرف جغرافيا بـ Le Magot de Berbérie وعلميا بـ Macaca Sylvanus. متوسط الحجم، يزن ما بين 5 و10 كلغ والذكور أكبر حجما من الإناث. جسمه متكتل لا ذيل له، يبلغ طوله من الرأس إلى المؤخرة 65 ـ75 سم. له أنف أفطس ضعيف البروز ينفتح من الأعلى وخطم مكور وعينان دائرتان محاجرهما عارية من الشعر وحاجبان بارزان، يغطي جسمه وبر كثيف متوسط الطول لونه أصهب خليط من اللونين البني والأصفر، يكون داكنا بالظهر وجوانب الأعضاء الخارجية وأصفر شاحب بالبطن والجوانب الداخلية لأعضائه، شعر وجهه قصير. وهو آكل عشب وفواكه يكمل تغذيته بالحشرات والطيور والبيض والزواحف الصغيرة، كما يلتهم لحاء أشجار الأرز عند المجاعة. يفضل العيش فوق الأشجار حيث يجلس على مؤخرته ويستخدم يديه في معالجة أكله وتبادل تنقية شعره مع رفاقه من القمل خاصة، ويستعمل قوائمه الأربع للمشي على الأرض. يقدر متوسط عمره بـ 20 سنة، تصل صغاره إلى النضج الجنسي في سن4 إلى 5، تحمل الأنثى مدة5 إلى 6 أشهر وتلد مولودا واحدا في فصل الربيع ونادرا اثنان، ولأنثاه دورة حيض شهرية مشابهة للمرأة، وهو حيوان اجتماعي يعيش في إطار جماعات صغيرة فوق مجال خاص قطره حوالي 10 كلم، ويلاحظ أن الأنثى لا تفارق أمها بعد البلوغ عكس الذكور. يسود المجموعة تراتبية، يوجد بقمتها ذكر قوي يهيمن على حريم الإناث وصغارها، يعيش في صراع مستمر مع منافسيه الذكور خاصة العزاب الكبار. ولشبهه بالإنسان في مظاهرعديدة اعتبرته الأساطير الشعبية بشرا مسخه الله لأخطاء ارتكبها.

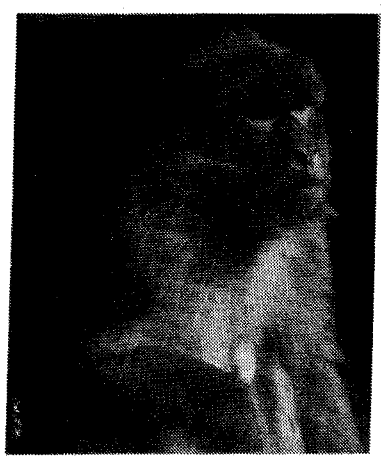

مجاله : تعيش معظم قرود فصيلته اليوم البالغ عددها 11 بآسيا وهو الوحيد الموجود منها بإفريقيا، اكتشف أقدم هياكله بشمال وادي النيل. كان واسع الانتشار في كل حوض البحر المتوسط منذ حقبة البلايستوسين، وذلك بفضل الانتشار السابق للغابات المخروطية المعتدلة التي هي مجال عيشه المفضل، لكن لم تبق له اليوم تجمعات سوى في الجزائر والمغرب خاصة وجبل طارق الذي أدخل إليه من المغرب لأول مرة سنة 1740، لكن مجاله في تقلص مستمر منذ عقود بحيث صار مهددا بالانقراض.

لم تتناوله الدراسات العلمية الحديثة بالمغرب إلا مؤخرا بعد 1974 عندما لوحظ تقلص أعداده بوتيرة متسارعة. وتوجد اليوم 75٪ من تجمعاته الوحشية في الأطلس المتوسط بغابات الأرز الخالصة أو المختلطة بالبلوط الأخضر، حيث يعتبر وجوده مؤشرا بيئيا وبيولوجيا يحدد مستوى التوازن البيئي فيها، وذلك من حيث أعداده وتناسله وسلوكه وتغذيته وتنقلاته. كما توجد له تجمعات مهمة بالريف والأطلس الكبير. وبناء على نتائج دراسة علمية تبين وجود القردة بالغابة الكحلة بقلب منطقة غابوية للأرز بالأطلس المتوسط مساحتها 483 كلم$^2$ بكثافة بلغت 44 فردا / كلم$^2$سنة 1968 لكن تراجعت إلى 18،68 فردا / كلم$^2$ بناء على دراسة ميدانية أجريت سنة 1998 وأحصي بها 3775 قرد، لكن بحكم ميلها إلى التخفي والهروب عند سماع أو مشاهدة أبسط حركة بشرية، قدر الباحثون أعدادها بنفس المنطقة بأكثر من ذلك. ولوحظ خلال الدراستين تناقص مستمر لأعدادها خاصة الإناث التي صارت تكون 25،86٪ من المجموعة والصغار غير البالغين 37،40٪ أما نسبة الذكور فقد بلغت 40،24٪.

إن تراجع المساحات الغابوية وانقسام وحداتها الكبرى إلى أجزاء تفصل بينها طرق وتجمعات بشرية، فصل بين مجموعات القردة وجعل كلا منها تتكيف على حدة مع الوسط البيئي التي انحبست فيه ليس على مستوى السلوك والتغذية بل حتى على مستوى الخصائص الجينية والنفسية. كما أدى تناقص الغذاء الذي اعتادت عليه بسبب توالي سنوات الجفاف إلى التهامها للحاء أشجار الأرز وأطراف الشجيرات الصغيرة مما يضر كثيرا بتجدد أشجار غابات الأرز. وتلاحظ هذه الظاهرة خاصة في المناطق التي ينعدم فيها الماء أو عندما تجف موارده.

لقد تغلغلت الأنشطة السياحية بالأوساط الغابوية وحولت بعض المجالات إلى مناطق سياحية تميزت بمزابلها خاصة من فضلات الطعام وورق وعلب وبلاستيك وأنسجة... اجتذبت فضول القردة وأثارت شهيتها، فصارت تعتمد على هذه الفضلات وتأتي إليها ليلا بل حتى نهاراً في بعض الأماكن إلى أن صارت أكثر تجمعات القردة تلاحظ من طرف الزوار حول الأماكن السياحية

المشهورة مثل غابات رأس الماء ومشليفن وشجرة الأرز الضخمة كورو وغابات عين اللوح وبحيرة أزكزا قرب خنيفرة بالأطلس المتوسط وكذلك بمحمية تلاسمنتان بغابة الصنوبر الحر Le Sapin الشوح حول شفشاون بالريف. وبشلال أوزود بالأطلس الكبير الأوسط. وحتى بأقصى مجالها الجنوبي بالأطلس الكبير المراكشي، فبعد أن سجل الدارسون حضورها منذ عقد الثلاثين بأجراف هضبة يكور بوادي أوريكا، وكادت تختفي خلال الستينيات والسبعينيات، فإن مجموعة منها قدر عددها بستين قردا عاودت الظهور وهي تتنقل جماعة بسفوح ومنحدرات الضفة اليمنى لوادي أوريكا بين أجراف هضبة يكور المنيعة على الرعي وشلال ستي فاظمة الذي سار منتجعا مهما للمصطافين الذين يتركون به فضلات كثيرة.

وسجل هجوم بعض القردة على الخيام بالمخيمات المرتجلة حول بحيرة أزكزا ورأس الماء، وسرقتها لأطعمة وأحيانا ملابس وعلب وورق، في غفلة من أصحابها والفرار بها إلى الخمائل الكثيفة.

لاحظ الدارسون استمرار تراجع أعداد القردة في منتصف التسعينيات بسبب استفحال سنوات الجفاف وما يترتب عنها من ضغوط على الغابات بالرعي الجائز للمواشي، كما أن فصل الثلوج صار قصيرا مما يسمح بدوام طويل لعائلات الرعاة بغابات ومراعي الأطلس المتوسط، بل سجل في بعض المناطق حضوراً مستمراً له لا ينقطع أبدا، ووجود المواشي بأعداد كبيرة بفضل نقلها بالشاحنات. وعندما تفر جموع القردة من الضغوط البشرية وكلاب الرعاة التي تكون خطرا عليها إلى غابات منزوية بعيدة، تجد أن الرعاة بمواشيهم قد سبقوها إليها، ورغم اختفاء آخر الفهود بمجالها الأصلي التي تكون أعداءها الطبيعية إذ تتغذى عليها وتحافظ على التوازن البيئي بالغابة، وذلك لمحاربتها من طرف الفلاحين والرعاة لما تكونه من خطورة على مواشيهم فإن أعدادها في تراجع مستمر، وقدر الباحث السيد محمد مونا مجموع أعدادها بالمغرب حوالي 12.000 في صيف 2001 ولوحظ أن 80٪ من المواليد المدروسة اختفت ما بين فصلي الصيف والخريف، وأن ما يصيب القردة من توتر عصبي بسبب انتهاك حرمة غاباتها يتسبب في ضعف خصوبة الإناث، وإذا ما ظلت هذه الأوضاع قائمة فإن القردة المغربية التي سجل حضورها بغابات الأطلس المتوسط منذ آلاف السنين ستضمحل بعد عقود قليلة، لأن المجالات الغابوية تتقلص باستمرار وما بقي منها يتعرض لهجوم بشري متعدد الأشكال خطير العواقب على التوازن البيئي. وبسبب ما أطلقه الدارسون من إنذارات فإن الوزارة المكلفة بحماية البيئة تدخلت بعدة إجراءات بيئية وقانونية لحماية القردة، منها تخصيص حدائق وطنية محمية لها ولغيرها من الحيوانات خاصة بعين اللوح وهنا بدأت تسترجع حيويتها واطمئنانها. ومنع صيدها وقتلها وبيعها، لكن مع ذلك مازالت صغارها تصطاد وتروض للعروض والفرجة بساحات بعض المدن خاصة جامع الفنا بمراكش التي كانت ومازالت منذ بداية القرن العشرين، تعرض القردة بحلائقها لفرجة الجمهور الشعبي والأجنبي كذلك.


*وحيش المغرب*، منشورات مكتب تنسيق التعريب بالعالم العربي، محمد لخضر غزال، الرباط، 1976 ؛ *عروض ودراسات علمية حول القردة*، ندوة حول التنوع البيولوجي وحماية الثروات الطبيعية، جامعة الأخوين إيفران مايو 13 ـ 15 سنة 1999 ؛ *عرض شفوي حول القردة بالأطلس المتوسط* لمحمد مونا، أستاذ باحث بالمعهد العلمي، الرباط.

M. Mouna, M. Arahou, A. Camperia Ciani, *Etude sur la vie sauvage des singes du Moyen Atlas*, Ifran, 1999 ; *La grande encyclopédie du Maroc : La faune*, Rabat, 1987.


أحمد هوزالي

**الزعفران**، اسم فارسي الأصل يطلق على نوعين نباتيين من التوابل والأصباغ يستعملان لعدة أغراض كإعطاء الأغذية لوناً أصفر فاقعا ونكهة وعطراً متميزاً، وكذلك لهدف العلاج.

النوع الأول هو الزعفران الحر الذي يسمى علميا كْرُوكُوسْ ساتيفُوسْ Crocus sativus وهو من فصيلة السوسنيات Iridaceae ومن فرغ نباتات وحيدة الفلقة.

أما النوع الثاني فهو زعفران القرطمُ أو العصفر المسمى علميا كارطاموسْ تانكتوريا Carthamus tinctoria وهو من فصيلة المركبات Asteraceae ومن فرع نباتات ذوات الفلقتين.

الزعفران الحر :

هو نبات عشبي بصلي يشبه السوسن والنرجس تستعمل مياسم وأقلام أزهاره كتابل وكمادة للأصباغ. موطنه الأصلي هو بلاد الكاشمير. ومنها انتشرت زراعته إلى بلدان أخرى من آسيا الجنوبية وآسيا الصغرى والمنطقة المتوسطية.

فمنذ أقدم العصور زرعه الهنود والآشوريون في ما بين النهرين، والفنيقيون، والإغريق، والرومان، والعرب في آسيا الصغرى وشمال إفريقيا وصقلية والأندلس التي منها انتقلت زراعته إلى أوروبا الجنوبية. وذلك ما ذكره البيروني والوزير الغساني والبكري وابن البيطار وغيرهم، ابتداء من القرن العاشر الميلادي. وربما تكون زراعة الزعفران بالمغرب قد بدأت في هذه الفترة.

تقتصر زراعة الزعفران حاليا بالمغرب على ناحية سكتانة بمنطقة تاليوين حيث تصادف ظروف مناخية ملائمة توفرها الهضاب المرتفعة الموجودة ما بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير بناحية جبل سيروة. فالمنطقة شبه سهبية والبيومناخ شبه جاف لكنه يتميز بالبرودة المفرطة في فصل الشتاء كما هو الشأن بالنسبة لموطنه الأصلي كاشمير.

وبفضل المردودية العالية لزراعة الزغفران اشتهرت تاليوين. فحتى القائد الگلاوي الذي كانت سيطرته تمتد إلى هذه المنطقة كان يفرض على مزارعي الزعفران أن يؤدوا له قدراً من محصولهم، مما جعله يجمع ثروة هائلة بفضل هذا المنتوج.

يستعمل الزعفران الحر حاليا كتابل وكمادة تلوين الأغذية في كثير من الأطباق المغربية الشهيرة وخاصة في الحفلات الكبري. كما يدخل في تحضيرات تخص التطبيب التقليدي، وفي تلوين بعض الأدوية.

- العُصْفُر :

هو نبات يقال إن موطنه الأصلي هو الهند، ومنها انتشر في جل البلدان الحارة، وذلك نظراً لأهميته في الصباغة وتلوين الأغذية. من الممكن كذلك استخلاص زيت من بذوره.

وتجدر الإشارة إلى أن العصفر يشمل ضربين، أحدهما ذو أزهار حمراء أو برتقالية تعطي لونا أحمر، والآخر ذو أزهار صفراء تعطي لونا أصفر. من الممكن مصادفة زراعة العصفر في جميع المناطق المغربية غير الباردة.

أما من ناحية الإنتاجية فإن العصفر يعطي كمية تفوق بكثير تلك التي ينتجها الزعفران الحر. لكن هذا الإنتاج أقل قيمة من النوع الأول.

*أبحاث شخصية* ؛ ألبرت هيل، 1962، تر. عبد المجيد زاهر وآخرون، *النبات الاقتصادي*، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle*, Paris, 1997, 764 p.

عبد المالك بنعبيد

**زعكو، عبد الرحمان** بن عبد السلام، مقاوم ولد سنة 1333/ 1915 بغفساي إقليم فاس، انضم إلى صفوف جيش التحرير المغربي بالمنطقة الشمالية غداة تأسيسه تحت قيادة محمد ولد علي المكناسي. وقد خاض إلى جانب رفاقه في النضال عدة معارك ضد المستعمر الغاشم وقواته، فكان مثالا للرجل المجاهد، واصل نضاله ضمن صفوف جيش التحرير بكل شجاعة وروح نضالية صادقة إلى أن استشهد في معركة اللبابنة سنة 1375/ 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم507116.

**الزعماري، محمد** مقاوم، من مواليد سنة 1929 انخرط في جيش التحرير، وكان من المسؤولين آنذاك بمنطقة الحاجب، شارك في الكفاح المسلح ضد المستعمر الأجنبي وحضر عدة معارك برهن خلالها عن شجاعته ونكران الذات والتضحية في سبيل الوطن.

توفي يوم الأربعاء 27 صفر 1416/ 26 يوليوز 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم515848.

**زعواط، محمد سالم** مقاوم من مواليد مدينة طرفاية، ولد سنة 1981، وانخرط في صفوف جيش التحرير منذ سنة 1957 ضمن المقاطعة الثامنة تحت قيادة ناضل الهاشمي وابا الشيخ ابا علي.

وقد ظل وفيا لمبادئه الوطنية حيث انتقل من طانطان إلى مخيم الوحدة بالعيون لتأكيد الوحدة الترابية للمغرب في الاستفتاء التأكيدي وهناك وافاه أجله المحتوم يوم 21 شوال عام 1416/ 11 مارس 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 500522.

**زعير**، مجموعة قبلية كبرى مستقرة جنوب الرباط، يلف الغموض جوانب كثيرة من مكوناتها ولا توجد مؤلفات - في حدود علمنا - كتبت عن هذه القبيلة في تطورها التاريخي، باستثناء شرف السبق الذي ناله أحد قضاة زعير بتأليفه كتاب : *قبيلة زعير قديماً حديثاً* . بيد أن قصور أهداف الرجل وأدواته، جعله يقتصر على جمع الروايات جمعاً ونقل الأخبار المتفرقة نقلا، فنال بذلك حسنة المجتهد على أية حال. ولذلك بقي على الباحث المحقق أن يلتقط الإشارات والأخبار من حوليات التاريخ المغربي وهي نادرة في حالة زعير. ومن مؤلفات الأجانب وهي قليلة وتحتاج إلى سلاح المؤرخ لفرز الغث من السمين. ومع ذلك كله ؛ تبقى هذه الكتابات قاصرة عن إعطائنا الصورة التي نريد. فلا مندوحة - إذن - من اللجوء إلى تقنيات عديدة توفرها علوم مساعدة كالانثربولوجيا والطبونيميا واللسنيات، بالإضافة إلى الثقافة الشعبية بأساطيرها وأحاجيها ؛ ثم

زعيـــر

إلى كتب المناقب. هذا لمعرفة ماضي القبيلة. أما معرفة تطورها في التاريخ المعاصر، فلا بد من الاعتماد ـ زيادة على ما سبق ـ على المستندات الرسمية بما فيها الوثيقة المخزنية والتقارير العسكرية ومراسلات القناصل الأجانب.

تُكوِّن زعير مجموعة قبلية كبرى مجاورة لمدينتي الرباط وسلا، تتصل من الغرب والجنوب الغربي بقبائل الشاوية وقبائل تادلا مثل ورديغة وبني خيران والسماعلة. ومن الشمال والشمال الشرقي بقبائل السهول وزمور ومن الجنوب الشرقي بزيان.

وهناك غموض فيما يتعلق بأصل كلمة زعير وبالاشتقاق اللغوي بهذا الاسم، فالشائع في النطق عند العموم هو زعير، بتسكين الأول وفتح الثاني، أو زعير بفتح الأول والثاني كما تنطق الكلمة وتكتب في اللغة الفرنسية.

بيد أننا إذا ما اطلعنا على روايات الإخباريين، وخاصة على كنانيش كتاب المخزن خلال القرن التاسع عشر، نجد اسم زعير يكتب وينطق هكذا : زعير أي برفع الأول وفتح الثاني.

وفيما يتعلق باشتقاق هذا الاسم فهناك روايتان شائعتان : ترجع الأول للقرن العاشر (16 م) تدعي أن الاسم مركب من لفظتين هما : زعْ و ري، وتقول الرواية إن اللفظين، كان يستعملهما جد القبيلة لزجر الجمل والحصان على التوالي أثناء عملية الحرث. وعلينا أن نلاحظ هنا أن التسمية تجد سندها في نشاط بشري يتعلق بالزراعة.

أما الرواية الثانية وهي متأخرة عن الأولى، فترجع الاسم إلى صفة الزعورة من لون البشرة. وتقول : إن هناك بعض القبائل الزعرية التي تنتشر فيها هذه الصفة.

وإذا كنا لا نطمئن لهذه الرواية المتأخرة فإننا نستبعد كذلك الرواية الأولى لأنه من السهل تطبيق الروايتين معاً على مجموعات بشرية عديدة زيادة على تأخر الروايتين عن ظهور المجموعة.

إن بعض التحرّيات الميدانية، والاشتقاقات اللسانية، جعلتنا نميل ونستأنس ببعض اكتشافات الرواية الشفوية التي تدلنا على أن اسم زعير قد يكون اسماً لفعل حركة. ونسُوق في هذا الموضوع ثلاث حكايات تصب في مجرى واحد.

ملخص الأول : أن مجموعة قبلية كبيرة، افترقت أثناء سيرها، فقرر قسم منها التحرك بعيداً، ولما افتقده القسم الأول وأراد أن يرده وجده ابتعد فقيل : "زعرو" أو "تزعراو" أي ابتعدوا وسميت المجموعة لذلك زعير.

وتقول الثانية إن كلمة زعير اسم يطلق كذلك على نوع من الجراد. فالجراد عندما يضيع بيضه ويخف من حمله وتحلّق أسرابه في السماء ذاهبة بعيداً، يسمى حينذاك "زعير" بلغة أعراب الصحراء !

أما الثانية : فنأخذها عن بعض اللهجات المنتشرة في بعض الفرق الزعرية ذات الأصول العربية. فبقبيلة سفيان الشرقية، نجد أهالي فخذة عوف قرب عين الدفالي، يقولون للذي ابتعد في سكناه عن المجموعة لماذا "تزعريت". ومن هذه الروايات أو نستفيد بأن اسم زعير يدلّ على السير والحركة.

وبالفعل عرفت المجموعة التي تنتمي إليها زعير حركة واسعة قادتها خلال قرون إلى مواطنها الحالية. لكن هل نطلق كلمة زعير على مجموعة بشرية معينة. نعرف تحركها في الزمان وعبر المكان ؟ أو على كل تائه تحرك أو حرّك من مكان لآخر ؟ وفي هذه الحالة لا تختص زعير بهذا الفعل أو الصفة. نقول هذا مع ملاحظة أن أحد الملاحظين الأجانب، قال : سنة 1910، اعتماداً على الرواية الشفوية ـ بدون شك ـ إن كلمة زعري قد تعني التائه.

إذن هل يمكن الاطمئنان إلى أن اسم زعير أطلق على المجموعة الأصلية وصفاً لحركيتها. أو لقلتها وتفرقها حسبما يفيده الأصل اللغوي. ويبقى السؤال مع ذلك مطروحاً متى أُلحق الاسم بالمسمى أو الصفة بالموصوف ؟

هل منذ انطلاق المجموعة القبلية المعقلية من شبه الجزيرة العربية، على فرض أن زعير هلالية معقلية. أم أن الاسم أطلق منذ انطلاق فرق زعير من فيافي الصحراء المغربية نحو المراعي الخضراء في الجبال الأطلسية والسهول الساحلية بعد ذلك حسبما تفيدنا الأسطورة الهلالية ؟

إن الذي أوحى لنا بهده الأسئلة هو ما أشارت إليه بعض المعاجم من وجود قبائل الوغيرات بالاردن، والزعير بالعراق. وما نعرفه عن هجرة للهلاليين والمعقليين في رحلتهم الطويلة عبر الزمان والمكان، من الجزيرة العربية إلى المغرب الأقصى وشمال إفريقيا. ثم ما يستفاد من الصوبونيمياد ومن الانثروبولوجيا، حيث توجد آثار بني معقل في محاميد الغزلان ومازالت فرق عربية في وادي درعة تشبه اختها بزعير اليوم من حيث الفلكور. زد على ذلك أسماء أماكن وأودية وقصور تحمل اسم زعير.

يلاحظ وجود بعض الروايات التي تنسب قبائل زعير إلى الأصل الأمازيغي. ويبدو أن منطلق هذه الروايات، ما رواه ابن خلدون من أن زعير تنتمي إلى لواتة من البرابر البتر، الذين ينتمون إلى مادغيس الأبتر. وحسب هذه الرواية، فإن فرق لواتة كانت منتشرة في شمال مصر وبلاد برقة بليبيا. وعلى هذا الأساس فأصول زعير تشبه أصول زناتة التي اختلطت بالقبائل العربية بعد أن تنقلت أو نقلت عبر المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى.

وعلى كل حال فقد نسب عبد العظيم الزموري زعير إلى الأصل البربري كذلك. وكتب دوفوكو De Foucault سنة 1883 يقول : "إن زعير يكونون قبيلة قوية ومستقلة من أصل أمازيغي وتتكلم الأمازيغية".

وإذا كذّب مسافر أوربي آخر هو كدانفلدت Quedenfeldt الألماني رواية دوفوكو تكذيباً. وأكد أنه تحدث مباشرة إلى رجال من زعير، مرات عديدة، وثبت لديه

أن لغة القوم عربية صميمة. فإننا نستبعد - بدورنا - انطباق رواية ابن خلدون على قبائل زعير الحالية.

والواقع أننا إذا ما حاولنا تتبع أصول زعير، فسنجد أن أصولها العربية ثابتة وأنها ترجع إلى خليط من القبائل الهلالية والمعقلية.

ومع ذلك فلا ينبغي أن ننسى أن الأرض التي انتهت إليها قبائل زعير كانت تسكن من طرف القبائل البرغواطية. وأن تحرك القبائل كان تحركاً عاماً شاملاً لفرق عربية وأخرى أمازيغية، وأن اختلاط الأصول أمر لا شك فيه : انطلاقاً من التحولات الجغرافية والتطورات السياسية.

إن فرقة أولاد كثير الزعرية - مثلاً - ترجع أصولها إلى الأثبج من بني هلال. ثم إن استقرار زعير جاء لاحقاً لمرور القبائل الهلالية التي سبق أن انتشرت في تامسنا وتادلا منذ العهد الموحدي.

والأكيد أن الدلائل اللغوية والانثروبولوجية، تثبت أن قبائل زعير تنتمي للأصول المعقلية. وأن مواطنها التي انتهت إليها في الصحراء كانت قرب أو في محاميد الغزلان أي في واحات درعة. حيث لاتزال إلى اليوم آثار مادية وعناصر بشرية معقلية تثبت مرور زعير عبر تلك الجهات. ومن الصحراء انتقلت الفرق الزعرية نحو الشمال بحثاً عن المراعي الخضراء، مدفوعة بالتغيرات المناخية والتبدلات السياسية والتغيرات الاجتماعية المرتبطة بالأوبئة والمجاعات.

لا نعرف الطريق التي اتبعتها الفرق الزعرية حتى وصلت إلى مواطنها اليوم، ولكن يبدو أن تلك الطريق كانت طويلة وأن سلوكها استغرق قروناً عديدة.

تدل بعض الإشارات التاريخية على أن زعير كانوا بأعالي وادي ملوية وأنهم كانوا خلال القرن العاشر (16 م) بالأطلس المتوسط قرب هضبة ادخسان. وفي أواخر هذا القرن استقروا بمنطقة تاستاوت حيث يوجد اليوم ضريح ولي القبيلة وعالمها سيدي محمد بن المبارك الزعري، الذي توفي ودفن بأرض القبيلة سنة 1597 والذي تنسب إليه الزاوية الزعرية.

ولقد أكد الضعيف الرباطي في تاريخه على أن زعير إخوان العرب الصباح، مثلهم في ذلك مثل السهول والدغمة. وأطلق على تلك القبائل في موطنها الحالي عرب الويدان (إشارة إلي انتشارها في أودية : الشراط وإيكم، وكريفلة، وكرو وأبي رقراق).

ومهما يكن من أمر، فإن استقرار زعير في مواطنها الحالية، لم يتم إلا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 ـ19 م). وقد شاهد القرن الأخير تحركات وتنقلات القبلية ولم تستقر القبائل في مواضعها اليوم إلا مع بداية القرن العشرين. ولاشك أن تدافع القبائل لا يرجع للعوامل الطبيعية والبشرية، بل يساهم الحكام في تلك التدافعات والتنقلات القبلية.

لقد أشار الحسن الوزان إلى أن زعير كانوا من أتباع الملك عندما أشار لوجودهم بآدخسان خلال بداية القرن العاشر (16 م). وهناك روايات تاريخية تحدثت عن إنشاء مولاي إسماعيل لفرقة من عبيد زعير. وهذه الفرقة هي التي وضعها محمد بن عبد الله في قصبة المنصورية.

وبعد وفاة سيدي محمد بن عبد الله، بدأ اسم زعير يتردد في الروايات التاريخية، نتيجة لحضور القبيلة في الأحداث السياسية. فقد أيد طرف منها أو كلها مولاي مسلمة بن محمد ضد إخوته. وتزعم القائد محمد الزعري بيعة مولاي مسلمة وزحف نحو الرباط ضد أتباع مولاي سليمان. لكن القائد الزعري هزم قرب مدينة الرباط. ثم ما لبثت زعير أن أيدت مولاي سليمان وعلى عكس بعض الروايات، فإن علاقة مولاي سليمان بالقبيلة كانت علاقة ودية وتأييد متبادل.

فبعد مخالفة زعير وعرب الويدان عامة، عن قائد مولاي سليمان محمد بن العامري، ورغبتها في ولاية أحد أبنائها نجد السلطان يقبل اقتراح الوفد الزعري الذي زار السلطان بمكناس بتعيين الطالب العربي بن عبد الله بن بلال النجدي المزرعي الزعري قائداً على كل عرب الويدان وباشا على مدينة سلا سنة 1229 / 1814. ثم ولاّه باشوية الرباط التي عزل عنها الباشا عبد الرحمان عشعاش سنة 1230 (الموافق 1815). ومنذ هذا التاريخ أصبحت زعير خاصة وعرب الويدان عامة، من القبائل الحليفة للسلطان والمؤيدة له باستمرار ؛ حتى أن السلطان لم يكن يفرط في حركات هذه القبائل عند كل تحرك سلطاني إلى جنوب البلاد أو إلى صحرائها.

وفي عهد مولاي عبد الرحمان، بدأت إدارة زعير تتوزع وعلاقتها بالمخزن تتوطد. فقد قسمت زعير إلى قسمين في ديوان الجباية هما :

1) الكفيان

2) المزارعة

يقع قسم المزارعة في شرق القبيلة، ويقع القسم الثاني إلى الغرب والجنوب الغربي.

ويظهر أن تسمية القسمين عائدة إلى الموقع : فالكفيان ينتشرون إلى غرب القسم الأول أي إلى قضاه (هذا احتمال).

أما قسم المزارعة فيقع فوق هضاب خصبة، كانت تربتها ومازالت موضع زراعة مزدهرة. ولهذا سمي القسم تبعاً لنشاط سكانه الزراعي. في حين يغلب على قسم الكفيان النشاط الرعوي.

وعلى كل حال فقسم الكفيان، يضم القبائل الآتية :

1) بني عبيد جملة، وفرقهم : أحرار ـ الرمامحة، أولاد الطيب وينتشرون حول سيدي يحي زعير، وفدان النموس والمنزه.

2) السلامنة، (حول عين فوزار)

3) أولاد زيد، (سيدي عبد الرحمان)
4) أولاد دحو، (صبارة)
5) الحلاليف، (واد تمسسين، دار قاسم)
6) الرواشد، (سيدي حشلاف، اعويد الماء)
7) المخاليف، تضم (الفرق الآتية، الغوالم، أولاد عمران، أيت العروسي)

وينتشرون حول (المرس البيض، سهب الارياح) (أسواقهم اليوم حد الغوالم، خميس الزحيليگة).

أما قسم المزارعة فيضم القبائل الآتية :
1) النجدة، (مركزها التاريخي گلتة الفيلة)
2) أولاد علي، (عين السبيت)
3) الگصيصات، (عيون السلطان أو عيون ماسي)
4) البراشوة، (حد البراشوة، الدار البيضاء)
5) أولاد كثير، (زبيدة)
6) أولاد خليفة، (زبيدة)

في بداية القرن العشرين، كانت قبائل زعير تتكون من حوال 6300 خيمة. وهذا هو التقدير الذي حرر سنة 1910 (Cicard, L'otganisation des Zaers).

وحددت تقديرات أخرى لاحقة عدد خيام زعير بـ 8087 خيمة وعدد السكان بـ 40.500 نسمة.

والملاحظ أن التجزئ الإداري وصل في زعير إلى مداه في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان وخاصة في عهد ابنه مولاي الحسن (1873 ـ1894). وتفيدنا المستندات المخزنية أن كل قبيلة كانت خاضعة لقائد، وأحياناً كان لكل فرقة قائد وخاصة في عهد مولاي عبد العزيز الأول أي أيام صدارة أحمد بن موسى البخاري (أبّا حماد).

وهكذا كانت إدارة زعير في سنة 1310 الموافق 1892 ـ 1893، تتوزع إلى ما يقرب من (25) خمس وعشرين قيادة. والملاحظ أن هذا التجزيء ظل سائداً إلى عهد الحماية حيث ركز الفرنسيون السلطة في أيدي أسر معينة تعاملت مع المحتلين وخدمت أهدافهم. وقبل أن نتطرق لعلاقة زعير مع الاحتلال الفرنسي، ارتأينا أن نعرض بعض سمات طبيعة علاقة القبيلة مع السلطة المركزية.

لقد أوحت بعض الحوادث التي أفرزتها علاقة قبائل زعير مع المخزن ومع جيرانها من قبائل ومدن، مثل الشاوية وأعراب الرباط، وزمور، ومدينتي الرباط وسلا ؛ خلال القرن التاسع عشر ؛ أوحت لبعض الملاحظين الأجانب بإطلاق نعوت وأوصاف على زعير، أحياناً تكون صحيحة وفي كثير من الأحيان لا أساس لها من الحقيقة.

فقد وضعت القبيلة "بالعصيان" و"بالشغب" و"النهب" و"التوحش". ورتبت في خانة القبائل "المستقلة" عن المخزن أو قبائل "السيبة".

بيد أن التأمل في وثائق المخزن، قد مكننا من ملاحظة أن كل تلك النعوت، لم تكن إلا أوصافاً نسبية. ولذلك فإن تعميمها على القبيلة فيه تجنّ على الحقيقة التاريخية.

إنها أوصاف وأحكام قد تصدق على فترة زمنية محدودة ومكان معلوم. وقد تهم فرقة صغيرة أو دواراً مكوناً من بعض الخيام في ظروف خاصة بالمجموعة البشرية المعنية.

وهكذا فلا دوام في الزمان ولا عموم في المكان للأوصاف التي نصادفها في الكتابات الأجنبية حول زعير. والجدير بالإشارة هو أن ملاحظات الأجانب على أحوال القبيلة خلال القرن التاسع عشر كثيراً ما اعتقدت على روايات وأخبار مختلفة تناقلتها ألسن الدبلوماسيين أو برقياتهم الدورية.

والواقع، أن علاقة زعير بالمخزن لم تشذ في عمومها عن علاقة المجموعات البشرية المجاورة بها. وحتى إذا ما بحثنا في صميم الخطاب المخزني الموجه لزعير أو في المكاتب الإخبارية الرسمية ؛ فلن نعثر إلا على كلمتين تستحقان الانتباه هما : "الصلاح" و"الفساد". وإذا حلّلْنا طبيعة محتوى الكلمتين والمقصود منهما، فسنجدهما مرادفتين، على التوالي، لطاعة أوامر المخزن في أداء الواجبات الجبائية أو عصيان تلك الأوامر.

إن مشكل علاقة زعير بالمخزن كان على العموم مشكل جباية وأمن. وحول مسألة الجباية والأمن يتمحور خطاب الصلاح والفساد. فيكون الصلاح والفساد ـ نتيجة لذلك ـ مسألة نسبية. فإذا دفعت القبلية الواجب من زكاة وأعشار فهي صالحة. وإذا لم تدفع توصف بالفساد. وقد يكون نصف القبيلة صالحاً، لأنه دفع الواجب. والنصف الآخر فاسداً لأنه تماطل في الدفع ؛ (دون البحث في علة التماطل وسبب التهرب).

وهكذا فلا أثر لدلائل على فساد عام أو عصيان دائم فأحرى أن نقبل وصف" الاستقلال" و"السيبة".

وعلى الرغم من ثقل الجباية، وما ينتج عنها من تهرب في الأداء، وطلب الإمهال، وأحياناً الفرار ؛ فإن زعير ظلت خاضعة للمخزن. وتكفي الإشارة إلى أن بلاد زعير بالرغم من وعورتها ظلت طيلة عهد مولاي الحسن معبراً لتنقلات السلطان بين جنوب البلاد وشمالها كما كان الحال في عهد مولاي سليمان ومن جاء بعده. وقد أفرز هذا الحضور المكثف للسلطان مصطلحات عديدة في مجال الطبونيميا : فهناك أماكن معروفة منسوبة للسلطان أو جيشه : عيون السلطان، عرگوب السلطان، عرگوب المحلة... وهناك محطات معروفة كانت عبارة عن منازل لتخييم محلة السلطان عبر ممرين يخترق أحدهما وسط زعير، عبر گلتة الفيلة وسط قبيلة النجدة. ويمر الآخر بشمال غرب زعير انطلاقاً من الرباط.

والملاحظ أن منطقة زعير التي تحتل موقعاً متوسطاً، يتحكم في الطرق الرابطة بين جنوب البلاد وشمالها، جعلت المخزن يوليها اهتماماً خاصاً للمحافظة على أمن القوافل والسيارة. ذلك أن قرب زعير للطريق الساحلي، وتوفر الجبال والأودية والغابات، كان يدفع بعض الناس إلى قطع

الطرق وارتكاب أعمال النهب ضد القوافل، وقد ازداد الاهتمام بحفظ الأمن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عندما تضررت البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع المغربي بفعل عوامل كثيرة أهمها وأبرزها عامل التدخل الأوربي بعناصره المتعددة.

يمكننا القول : إن طبيعة بلاد زعير ونمط العيش السائد الذي كان يتميز بعدم الاستقرار، وإيلاف الرحلتين ؛ رحلة الشتاء والصيف، والسكنى تحت الخيمة وهي مسكن من السهل طيه بسرعة والانقلات من المتابعة. إن كل ذلك إذا أضفنا له سيادة اقتصاد القلة والكفاف لم يفرز سلطة ثابتة الأركان بزعير. فلا تتوفر زعير - إذا قورنت بقبائل الشاوية المجاورة مثلاً - على قصبات تحمي القياد وتجعلهم يراكمون أسباب القوة ويستحبون الاستبداد.

لقد كان القائد الزعري في كثير من الأحيان لا يتعدى رتبة شيخ في قبيلته. فلا يستطيع إخضاعها إذا تمردت عليه بكاملها. ولذلك يظهر أن القائد بزعير كان يحافظ علي التوازنات داخل الفرق الأمر الذي كان يجعله - أحيانا - يتأخر عن تنفيذ أوامر السلطان، ويتلطف حتى يستوفي واجبات المخزن.

وبالجملة، فإذا وضعنا في الاعتبار هذه العناصر : طبيعة جبلية قد تخيف وقد توفر الملجأ والحماية. ونمط في العيش يدفع إلى التضامن والاتحاد داخل الفرقة ؛ ويحتم ظهور جماعة قوية بأفرادها المكونين تكويناً حربياً للطوارئ، وغلبة المعتقدات الدينية المشوبة بانتشار الأمية، وسيادة اقتصاد الكفاف واتساع هامش الفقر مع نهاية القرن الثالث عشر (19 م) ؛ إذا جمعنا كل هذه العناصر، سهل علينا أن نتقبل ظهور حوادث قطع الطرق، ونهب قوافل التجار، وبالتالي بروز هاجس الأمن في أحواز الرباط. ذلك الهاجس الذي جعل زعير صعبة الاختراق على الأوربيين.

لقد حاول بعض الكتاب إذن أن يجعلوا من حوادث متفرقة، وقع أغلبها ليس في أرض زعير، بل في أحواز الرباط حيث توجد قبائل أعراب الرباط والأوداية وبعض فرق زعير، أن يجعلوا من تلك الحوادث دلائل لوصف زعير كلها بالتعصب والنهب والعصيان. بل نجدهم يتهمون سكان الرباط وسلا بالتعصب والمحافظة، ويرجعون السبب إلى حضور قبائل زعير وزمور المجاورين. والغريب أن هذه الأوصاف كثرت لما بدأت قبائل زعير تتحفز للجهاد في إطار ردود فعل المجتمع المغربي بأكمله ضد مظاهر التدخل العسكري الفرنسي، بعد إعلان ميثاق الجزيرة سنة 1906.

ولقد أصبحت قبائل زعير مواجهة للمحتلين الفرنسيين بعد احتلال الشاوية 1908. وانتشرت فيها الدعوات للجهاد. وازداد حماس الناس للجهاد بعد إعلان بيعة مولاي عبد الحفيظ في 16 غشت 1907 بمراكش. ولذلك أيدت زعير جانب السلطان الثائر.

**كانت مساهمة زعير في جهاد الشاوية محدودة لكن** أرضها مثلت مجالا حيوياً لمجاهدي الشاوية الذين كانوا يتزودون من زعير بحاجياتهم وينظمون فيها أنفسهم.

ومنذ 1910 بدأ الاصطدام الفعلي بين القوات الفرنسية وقبائل زعير. فلما حاول بعض الضباط الفرنسيين بمركز ابن سليمان التدخل في جيرانهم زعير لإلقاء القبض على بعض الزعريين ووجهوا بمقاومة مسلحة حيث قتل قائد السرية التي توغلت في زعير إلى أن وصلت عين فوزار يوم 18 فبراير 1910.

وقد حاول الجنرال مواني Moinier انتهاز فرصة الحادث ليتدخل في زعير وينفذ أول عملية عسكرية كبيرة. وهكذا دخل إلى أرض القبيلة على رأس قوة عسكرية قوامها 1000 رجل. وعسكر في المكان الذي قتل فيه الضابط الفرنسي. ثم توغل داخل القبيلة ليتعرف على المسالك ويمهد بعض الطرق. ولما وصل إلى قرب وادي كريفلة تعرض لهجوم شديد اضطره للعودة إلى معسكر فوزار. وفي 8 مارس 1910 هوجم المعسكر الفرنسي من جديد فاضطر قائد جيش الاحتلال. إلى الخروج من زعير وبذلك فشلت المحاولة الفرنسية الأولى في الدخول لزعير والتمركز في بعض قبائلها.

وبعد مرور حوالي سنة أقدم ضابط فرنسي آخر كان مكلفا بالاستخبار على الدخول إلى زعير ليربط اتصالات مع بعض الأعيان ويتمم عمل المخبرين. توجه القبطان ناسني بصحبة ضابطي صف نحو قرية مغشوش حسب الرواية الفرنسية للقاء المرابط عبد القادر المباركي. لكن السرية الفرنسية تعرضت لهجوم خاطف بقبيلة أولاد دحّو يوم 14 يناير 1911. وأسفر الهجوم عن مقتل وجرح معظم أفراد القوة الفرنسية، واستولى الزعريون على كل أسلحتها وخيُولها ولم ينج قائدها من القتل إلا باللجوء عند أحد الأعيان.

وإثر هذا الحادث أقام الحزب الاستعماري ضجة إعلامية حول ما سماه بـ "اعتداء زعير" وجعل من حادث 14 يناير قضية هامة في العلاقات الدولية ؛ بين المغرب وفرنسا وألمانيا. فقد طلب قائد جيش الاحتلال بالشاوية في 17 يناير بالسماح له بالتدخل في زعير، وبإرسال إمدادات عسكرية جديدة إلى المغرب. ثم ذهب إلى بايز لإقناع المسؤولين بمشروعه. والواقع أن الحكومة الفرنسية ترددت في البداية، لأنها كانت لا تزال تتفاوض مع السلطان الذي كان يأمل في أن تحترم الحكومة الفرنسية تعهداتها له.

ومع تولي جان كروبي J. Cruppi وزارة الخارجية زال تردد الحكومة، فتقرر إرسال امدادات عسكرية للشاوية بدل سحب القوات المحتلة. وقد أبدى المغرب معارضته بهذه الإجراءات التي عارضتها بها الحكومة الألمانية وبدأت تستعد لردود الفعل.

أما في الجانب الشعبي فالملاحظ أن زعماء الجهاد بزعير كانوا على جانب كبير من الوعي بخطورة الموقف

وبقوة الفرنسيين. ومع ذلك فقد صمموا على المقاومة ومواجهة الغزاة مهما كان الثمن. وقد نشطت الاتصالات بين القبائل، وأرسلت وفود إلى القبائل المجاورة لزعير، خاصة زيان وزمور وتادلة تدعوها إلى الجهاد ضد المحتلين.

وقد أثمرت هذه الاتصالات، انعقاد جمع عام قرب قرية الرماني في يومي 30 ـ 31 يناير 1911، أي بعد الحادث بستة عشر يوماً. وفي ذلك الجمع تبادل الحاضرون السلام علامة على التحالف وتقرر أن توزع القيادة لمواجهة الاحتلال كما يلي :

* القائد حمو الشليح يترأس مجاهدي المزارعة وزمور.

* علي بن حمو يترأس مجاهدي الكفيان وبني خيران وزيان وتادلة.

كما تقرر تخريب الطرق التي مهدها الفرنسيون لجلب المدفعية داخل زعير وإلقاء القبض على الأعيان والقواد الذين يتصلون بالعدو وقتلهم. وأرسلت الوفود لتنفيذ هذا الأمر مباشرة. فألقي القبض على قائد أولاد كثير، لكنه سرح ريثما يقع القبض الجماعي على أمثاله.

وتدلنا التقارير العسكرية الفرنسية على أن زعير أبدوا معارضة قوية للتدخل الفرنسي في بلادهم. وأن الاتصالات قطعت وصودرت أموال الذين اتهموا بالتعامل مع المحتلين ولم ينج من العقاب إلا من استطاع الهروب إلى الشاوية. وصدرت الأوامر للقبائل المجاورة لزعير بالاستعداد للدفاع عن نفسها.

وأمام مظاهر التحدي وإعلان الجهاد تدخلت الحكومة الفرنسية لدى السلطان وطلبت منه معاقبة زعير ومنعهم من التسوق في أسواق الرباط والدار البيضاء.

أما السلطان مولاي عبد الحفيظ فقد حورب بهذه القضية وهو في وضع لا يحسد عليه. لقد كان يعيش أزمة مالية حادة ويرغب في تنظيم جيش قادر على بسط سيطرة المخزن. لكن الفرنسيين كانوا يخططون لإضعافه فافتعلوا قضية زعير بهدف المزيد من الاحتلال.

والواقع أن السلطان قد استاء من الحادث ورأى فيه تصعيداً من جانب المحتلين لامبرر له إلا الضغط عليه. كما رأى في إثارة ضجة حول ما وقع، برهاناً على سوء نية الحكومة الفرنسية ومخالفة أفعالها لأقوالها وتعهداتها ـ وهكذا اتهم السلطان العسكريين الفرنسيين بالتهور وحملهم مسؤولية الحادث. وطلب من الحكومة الفرنسية إصدار تعليماتها لضباط الاحتلال لكي لا يتسببوا في حوادث جديدة.

وأكد أن أي تحرك ضد زعير معناه فتح لباب الفتن بالمغرب "مع أنه لولا مجاوزة أولئك العساكر حدودهم ـ يقول السلطان ـ لما وجد من يرومهم بسوء ولكنهم لما بدأوا بالعداء جنوا على أنفسهم عاقبته".

ويبدو أن موقف زعير الرافض للاحتلال وموقف السلطان الذي ندد بالعسكريين وحملهم المسؤولية، يبدو أن ذلك دفع الأوساط الاستعمارية إلى تصعيد الأحداث داخل المغرب. وهكذا تولد عن مشروع معاقبة زعير مشروع أخطر منه هو : تنظيم حملة عسكرية كبيرة لاحتلال فاس وإسكات السلطان ثم وضع زعير وزمور بين كما شتي الاحتلال في الشرق والغرب.

وبالفعل نظم الفرنسيون حملتهم حيث احتلوا فاس في ماي 1911، وبعد احتلال العاصمة توجهت الجيوش الفرنسية من الشرق ومن الغرب نحو زعير في صيف 1911. وبذلك بدأت معارك المقاومة في هذه القبيلة التي أخضعت للاحتلال بالقوة سنة 1912.

*وثائق خ.ح.* ؛ *كناش رحلات السلطان مولاي الحسن* ؛ ابن أبي محلي، *الإصليت*، مخ ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي، الأخضر غزال، ج. 1 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري1986 ؛ أ. الناصري، *الاستقصاء*، 9 أجزاء ؛ محمد بن عمر ابن سودة، *قبيلة زعير قديماً وحديثاً*، جزء 1 ؛ علال الخديمي، *مقاومة قبائل زعير للتدخل الفرنسي*، 1906 ـ1912 ضمن ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار، 1904 ـ1956 ؛ نشر المندوبية السامية للمقاومة، 1991 ؛ *قبائل زعير والمخزن خلال القرن التاسع عشر*، ضمن البادية المغربية عبر التاريخ، تنسيق إبراهيم بوطالب، نشر كلية الآداب بالرباط، *ندوات ومناظرات*، رقم77 ؛ أزمة أكادير، 1911، والعلاقات الألمانية الفرنسية المغربية، ضمن أعمال ندوة أكادير الكبرى، المحور التاريخي، نشر كلية الآداب أكادير، 1990، ص. 123 ـ 153.

*Archives de guerre Vincennes*, Paris, 1910 - 1911 ; Arch. des Aff. étrangères, Paris ; Quedenfeldt, *Division et repartition de la population berbère au Maroc*. Traduit de l'Allemand par H. Simon, Alger, 1904 ; Dr. Mauran, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1909 ; Cicard, *L'organisation des Zaërs, R.M.M.*, 1910 ; *Document diplomatique français, Aff. du Maroc*, 1910.

علال الخديمي

**الزعيمي**، أسرة تنتمي إلى الشرفاء الحسنيين، وهي موجودة في شتى أنحاء البلاد، في الرباط وفي مدينة مولاي إدريس زرهون وفي المغرب الشرقي في قبيلة بني خالد حيث تلقب عندهم بالشرفاء. ويقال إن لها وجودا في مدينة أبي الجعد وفي نواح أخرى وما أورده ابن إبراهيم المراكشي في كتابه *الإعلام* (الجزء الثاني، ص 280) من كون أولاد زعيم بدكالة فهو يمكن أن يكون صحيحا غير أن أولاد زعيم قبيل والزعيميين قبيل آخر لا علاقة بينهما إطلاقا لأن الأخيرين شرفاء معروفون في شتى أنحاء المغرب ولهم شجرة أنسابهم وظهائرهم التي تثبت ذلك.

**الزعيمي، أحمد** بن **محمد** بن علي لا يعرف له إخوة أو أخوات، ولد بالرباط في العقد الثامن من القرن الثالث عشر (19 م) ربما يكون ميلاده بين سنتي 1270

و1275، تعلم على شيوخ وقته أمثال القاضي محمد بن إبراهيم والعالمين الحاج عمر عاشور وعلي دينية، وكان ذاخط جيد واشتغل بالعدالة والتوثيق. اختير كاتبا من كتاب النائب السلطاني مَحمد بركاش، ثم استدعاه المخزن فاتخذه كاتبا من جملة كتبته واستخدمه أيضاً ببعض المراسي المغربية ثم عاد للتوظيف مع المخزن، وأخيراً رجع إلى الرباط فتعاطى خطة الشهادة، وكان من العدول المبرزين أيام القاضي محمد البريبري والقاضي علي دينية إلى أن جاء القاضي أحمد بناني فأخره عن الشهادة، ويقال إن السبب في ذلك كون هذا العدل المبرز كان رجلا رقيق المشاعر محبا للطرب وللعزف على آلة العود، مما يتبين منه أن سلوك القاضي معه فيه إجحاف وظلم.

توجه أحمد الزعيمي إلى الديار المقدسة للحج والعمرة سنة 1304 / 1887، تولى الخطابة في جامع مولاي سليمان. شهد له معاصروه ومن أتى بعدهم بعلو كعبه في اللغة والأدب والبلاغة والشعر وكان من خواص القاضي المكي البطاوري له معه محاورات أدبية ومساجلات شعرية أثبتت في بعض كتب تراجم الرباطيين، ارتحل إلى فاس واكتسب شهرة في عالم الأدب ظل صداها متردداً بين المنتديات والمجالس، وترك عدة أشعار رقيقة وديوانا كاملا في المديح النبوي. وفي أيام قضاء أبي حامد البطاوري رجع إلى خطة الشهادة وبقي فيها إلى أن أسندت إليه خطة القضاء بالدار البيضاء حيث ظل هناك خمس سنوات من 1325 إلى 1329 / 1907 ـ 1911 ولم يكن قضاء الدار البيضاء في ذلك الوقت مستقلا عن قضاء الرباط بمعنى أن قاضي الدار البيضاء كان ينوب عن قاضي الرباط في هذه المدينة.

توفي بالدار البيضاء يوم 20 صفر 1329 / 20 فبراير 1911 إثر إراحته من خطة القضاء بها.

**الزعيمي، محمد** بن **علي** ورد اسمه سنة 1237 / 1822 ضمن أعيان الرباط الذين قدموا البيعة للسلطان الجديد مولاي عبد الرحمان بن هشام وأمضوها بتوقيعاتهم ولا نعلم شيئا آخر عن هذه الشخصية سوى ما سجل عن سيدي العربي التهامي الرباطي بأن محمد بن علي الزعيمي ورد من الدار البيضاء وكان يعدل بها. أما موطنه الأول وأسرته فلا علم لنا بهما.

م. دينية، *مجالس*، ص. 293 ـ 298 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 55 ـ 62 ؛ ع. الجراري، من *أعلام الفكر*، ص.14 ـ20 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 2، ص. 280.

عبد الإله الفاسي

**الزغاري، مَحمد** بن **محمد** الفاسي. شخصية من كبار رجال الدولة المخضرمين الذين قدَّموا أجل الخدمات لبلادهم في عهد الحماية الفرنسية والعقد الأول من استقلال المغرب. ولد بفاس سنة 1320 / 1902.

تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بكوليج مولاي إدريس بفاس ثم دخل كلية الحقوق فحصل على تكوين أدبي واقتصادي و"أصبح رجلاً من صنف استثنائي بسعة ثقافته" كما قال عنه عميد كلية الآداب الأسبق شارل أندري جوليان مما أهله إلى تولى إدارة إحدى المؤسسات الكبرى في العاصمة العلمية وخلافة رئاسة الغرفة التجارية والاقتصادية إلى جانب اهتمامه بالتعليم ورئاسة جمعية قدماء تلاميذ الإدريسية قبل أن يصبح عضواً في الغرفة المغربية لمجلس شورى الحكومة في عهد الحماية.

عرف منذ حداثته بالحكمة والاتزان والتفكير المتأني في القضايا المطروحة حول الشأن العام وبإتقانه للغتين العربية والفرنسية تحريراً وخطاباً وله بعض القصص والدراسات. كان عذب الحديث والبيان قوي الحجة والاقناع، حلو المعاشرة. وكان إلى جانب اخلاصه لوطنه وخاصة عنايته بالطلبة وأعدادهم للمستقبل، حر الفكر لا ينتمي إلى حزب أو حركة سياسية بعينها، ولكن لا تستغني إحداها عن مشورته. من ذلك إسهامه في تحرير وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944، وهو ما أشارت إليه الوثيقة وكان من أوائل الموقعين عليها في استهلالها ذاكرة إسهام "بعض الشخصيات الحرة" هو والحمياني ختات وأحمد أبا حنيني، ومحمد العربي العلمي. وكان ممن اختيروا لتقديم الوثيقة إلى الإقامة العامة الفرنسية بالرباط يوم 11 يناير 1944. وقد توجه إلى ممثل فرنسا قائلاً : "إنني أقوم بأنبل عمل في حياتي وهو المطالبة إلى جانب إخواني باستقلال وطني".

كان هذا الموقف سبباً في اعتقاله وحبسه مدة سنتين. ظل ثابت الجنان، متشبثاً بالمبادئ الوطنية شأنه شأن الرعيل الأول من أبناء جيله وأصدقائه كأحمد بناني وعبد الكبير بن حفيظ الفاسي. وكان ملكيا وفياً لجلالة محمد الخامس ومن جملة الذين ناضلوا في سبيل عودته إلى

عرشه بعد خلعه ونفيه من لدن السلطات الفرنسية فكان من الواجب الاستفادة من مؤهلاته وتجربته وحنكته عند حصول المغرب على الاستقلال : عُين نائباً للوزير الأول في الحكومة الأولى ثم في عدة مناصب عليا منها إدارة مكتب الفوسفاط ثم بنك المغربي وصك النقود، ثم سفيراً بفرنسا. كما عاد فعين على رأس وزارة الدفاع الوطني والتنمية الاقتصادية ونائباً للوزير الأول مرة أخرى ثم عاد إلى محافظة بنك المغرب.

عرف بالأمانة والإخلاص في العمل الدائب من أجل الشأن العام والوفاء للعرش وللعاهلين محمد الخامس والحسن الثاني اللذين كانا يعتبرانه من الأوفياء الخلص ويكنان له المودة والتقدير.

توفي مساء يوم الثلاثاء ثالث وعشري قعدة عام 1388 / 11 فبراير 1969 بالرباط، ونقل إلى فاس فدفن بالقباب بروضة التازي وكان تشييع جنازته حافلاً وترك أحسن الذكر لدى الخاص والعام.

*معرفة شخصية* : ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3408.

قاسم الزهيري

**زغبوش**، أسرة مكناسية عريقة، ورد ذكرها ضمن القبائل الأولى التي كانت تسكن موقع مكناس يوم كانت ماتزال حوائر. وقد أنجبت عدداً من الفقهاء والرؤساء والصلحاء منذ عصر المرابطين والموحدين.

**زغبوش، أحمد الخَضِر** بن محمد بن عبد القادر، مكناسي المولد والنشأة والأقبار، سليل عائلة عريقة مشهود لها بالولاية والصلاح والعلم، فهو حفيد الولي الصالح الشهير بسيدي مغيث (عبد المغيث).

لا يعرف لميلاده ولا لوفاته تاريخ، كما أن المصادر بما في ذلك الوثائق الحبسية وظهائر التوقير والإتحاف لا تتحدث عن مشايخة لكنها تجمع على تحليته بأوصاف عالية مثل : "فقيه عدل ثقه مبرز وقور، صالح... محمود الغريزة والطبع، معدود فيمن يترقب له للمعضلات الدفع، نبيه العقل وجيه في عهد الفضل..." ( *الإتحاف*، 1، 334).

كانت له منزلة عظيمة لدى السلطان مولاي إسماعيل : "منظور إليه من الجلالة السلطانية الإسماعيلية بعين الإكبار، مسبول عليه من لدنها رداء الوقار والفخار..." (*حوالة المساجد الصغار*، 4 : 205)، فمتعه بظهائر توقير تشهد بعلمه وصلاحه وصلاح أسرته وعلو مكانتها "اعتناء بقدره الذي سمت به رياسة أسلافه في أعلى المظاهر. ومشت بطرق العلم والعمل والمحبة في جانب الخلافة المؤيدة بالود الباطن والظاهر" ( *الإتحاف*، 1 : 334). بل كتب له كتابا بخط يده أعرب له فيه عما له من شرف المكانة لديه. وتمتع بنفس المكانة لدى السلطان مولاي زيدان بن إسماعيل الذي جدد له ظهائر التوقير.

**زغبوش، أحمد** بن **عبد القادر** بن أحمد بن عبد المغيث، ولد بمكناس ونشأ بها وفيها أقبر "فقيه معظم، وجيه محترم، تقي زكي" (*الإتحاف*، 1 : 298) نشأ في بيت أدب وعلم وتقوى وصلاح، تقلد عدة مناصب هامة إفرادا وجمعا منها خطة العدالة، حظي بمكانة عالية عند المولى إسماعيل فشمله بعنايته وحمله على كاهل المبرة والاحترام.

**زغبوش، أحمد** بن **محمد** بن حماد بن محمد، فقيه جليل تقي ورع، حافظ لكتاب الله تعالى كثير التلاوة له، ماهر مع ذلك في معرفة الهيأة والتعديل، أصيب بالعمى آخر عمره، فلما جاءته الموت تلا : "فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد"، فارتد إليه بصره (*الروض الهتون*، 52).

**زغبوش، سهل** بن القاسم بن عبد الله ولد بوادي آش حيث كان أبوه قاضيا. وصحبه إلى تاورا، عاد بعد وفاة والده إلى الأندلس أواخر سنة 610 وذلك بسبب توالي أسباب الخراب على تاورا وغيرها من حوائر مكناسة، فولي بالأندلس قضاء مدن متعددة منها : رندة وآستجة كما ولي قضاء مدينة طنجة ثم مرسية إلى أن توفي. ( *الروض الهتون*، 34).

ترك تقييدا منه نقل صاحب *الروض الهتون* الكثير من أخبار مكناسة ورجالاتها.

رقية بلمقدم

**زغبوش، عبد الله** بن محمد بن حماد المكناسي. قرأ في صغره بمدينة فاس في أواخر عصر المرابطين، ثم تأثر بدعاية الموحدين، ففضل ترك فاس والتحق بهم، وبمراكش انتظم في سلك طلبة الحضر التي كانت تعتبر أعلى هيئة علمية رسمية، ودرس على بعض شيوخ الطلبة تآليف المهدي بن تومرت كابن الإشبيلي، كما أخذ عن عدد آخر من علماء مراكش.

كان من أهل المعرفة والنباهة، ومن المتحمسين لتراث المهدي بن تومرت، وكانت له عناية بتآليفه، وبمجموع كتاب *أعز ما يطلب* الذي أملاه الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي.

ويعتبر عبد الله بن زغبوش من القلائل الذين كتبوا عن ابن تومرت، حيث اجتهد في إثبات هدايته، فكتب في ذلك كتابا "استخرجه بالاستقراء من الكتاب العزيز، كان شيوخ طلبة الموحدين يسألون أبدا عن هذا الكتاب ويثنون عليه

وعلى صاحبه" ولم يكتب لهذا الكتاب أن يشتهر، لأنه اختفى على يد أحد طلبة الموحدين أيضا وهو الشيخ أبو إبراهيم إسماعيل بن محمد بن أيوب المصالي الذي ولي "عمل مكناسة، وكان متشيعا للمهدي حافظا لتآليفه، قائما على مذهبه، من طلبة الموحدين ومن زهادهم، وكان ناقدا عليهم غير راض عما ابتدعوه، فألح في طلب هذا الكتاب حتى ظفر به فكان آخر العهد به" ( *الروض الهتون*).

بقي عبد الله بن زغبوش بمراكش مدة ملازما لهيئة طلبة الحضر، إلى أن عينه الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن قاضيا بمدينة شاطبة وجزيرة شقر، واستقر بها طويلا، وكان قاضيا بها سنة 567، "ولما أسن رغب في استيطان بلده فأسعفت رغبته، واستوطن داره بتاورا إلى أن مات سنة 594 في سن الثمانين" ( *الروض الهتون*). لكن بعضا من ذريته فضلوا الاستقرار نهائيا بشرق الأندلس لأنهم كانت تربطهم بها قرابة من جهة الأم.

م. ابن غازي، *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون*، الرباط، ص. 12 ؛ ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تحقيق عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، ج 2، ص 305.

محمد المغراوي

**زغبوش، عبد المغيث** (سيدي مغيث) القرشي الملقب بأبي الفضائل من أولياء مكناس الشهيرين، ضريحه قرب باب البرادعيين مزارة مقصودة للتبرك إلى الوقت الحالي.

لا يعرف له تاريخ مولد ولا وفاة، استدل ابن زيدان على قدمه بوقوفه على عقد صداق لبعض عقبه مرفوع فيه نسبه إليه بتاريخ 11 ربيع الثاني 1217، يكون سيدي مغيث هو الجد الحادي عشر له.

ويصفه ابن زيدان بقوله: "فقيه عدل صالح، نبيه كامل ناصح، عابد سالك ناسك، متبرك به فالح، ذو مواهب سنية..." ( *الإتحاف*، 4 : 317) كما وقف على تحليته في بعض العقود القديمة بـ "الزكي العابد الناسك المجاهد، قدوة العباد، وعلم الزهاد، قطب العارفين، وغوث المستغيثين، من ظهرت بركاته وبانت مآثره وكراماته..." ( *الإتحاف*، 4 : 317).

**زغبوش، القاسم** بن عبد الله بن محمد. كان فقيها عالما، ولي القضاء بجهات متعددة من المغرب والأندلس (غرناطة)، ثم اعتزل وعاد إلى بلده تاورا سنة 597 حيث اقتصر على الاشتغال بالفلاحة إلى أن مات. (*الروض الهتون*، 34).

**زغبوش، محمد** بن حماد بن محمد فقيه جليل علامة دراكة درس بمدينة قرطبة وغيرها وصحب جلة من أهل زمانه" ( *الروض الهتون*، 32).

امتحنه والي المرابطين على مكناسة "يدر بن ولجوط" مع سبعة من قرابته، حيث حبسهم في دار وجعل عليهم حرسا، ولم يزالوا محبوسين إلى أن أصبحوا مقتولين ذبحا، وفي الدار نقب يفضي إلى السور لعله كما قيل من فعل الوالي المرابطي. وسبب نكبتهم، هجرة عبد الله بن محمد بن حماد إلى الموحدين أثناء وجودهم بفاس حيث كان يدرس، وإكرامهم له وظهوره بمحلتهم أثناء حصارهم لمدينة مكناسة (540) فاتصل ذلك بالوالي فنكب والده وقرابته (انظر التفاصيل عند ابن غازي، *الروض الهتون*، 22).

رقية بلمقدم

**زغراوي، محمد**، مقارم ولد سنة 1921 بأولاد بوبكر بناحية بركان إقليم وجدة.

شارك في النضال الوطني وفي العمل الفدائي في صفوف المقاومة السرية المغربية بمدينة الناضور والمنطقة الشمالية للمغرب تحت مسؤولية السيد مصطفى بوعونة.

كان معروفا بانه مناضل نشيط في حزب الاستقلال منذ سنة 1946 القي عليه القبض ثلاث مرات، سجن خلالها ثلاث مرات لمدة أربع سنوات متفرقة شارك في المظاهرة الوطنية الشهيرة بمدينة وجدة يوم 16 عشت 1953. وعندما ألقي عليه القبض للمرة الأخيرة، اشتشهد تحت التعذيب بمركز جنود الدرك الفرنسي بتافوغالت سنة 1374 / 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 401.284.

## زغنْغَن ← أزغنغن

**زفزاف، محمد** 1945 ـ 2001)، اقترن اسم محمد زفزاف بتاريخ إبداعي خصب في مجال الكتابة السردية الحديثة بالمغرب والعالم العربي قصة ورواية، وبإيقاع متواصل ومنتظم وثري شكلا ورؤية وذخيرة.

ولد سنة 1945 بسوق أربعاء الغرب. امتهن التدريس بالتعليم الثانوي بالدار البيضاء. وانضم عضوا باتحاد كتاب المغرب منذ يوليوز 1968. تعددت اهتماماته الأدبية وتوزعت بين كتابة القصة والرواية والترجمة. صدر له :

حوار في ليل متأخر (قصص) دمشق وزارة الثقافة 1970

المرأة والوردة (رواية) بيروت الدار المتحدة للنشر 1972

أرصفة وجدران (رواية) بغداد منشورات وزارة الإعلام العراقية 1974

بيوت واطئة (قصص) الدار البيضاء دار النشر المغربية 1977

قبور في الماء (رواية) تونس الدار العربية للكتاب 1978

الأقوى (قصص) دمشق اتحاد كتاب العرب 1978

الأفعى والبحر (رواية) الدار البيضاء المطابع السريعة 1979

الشجرة المقدسة (قصص) بيروت دار الآداب 1980

غجر في الغابة (قصص) بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1982

بيضة الديك (رواية) الدار البيضاء منشورات الجامعة 1984

محاولة عيش (رواية) تونس الدار العربية للكتاب 1985

ملك الجن (قصص) الدار البيضاء إفريقيا الشرق 1988

الملاك الأبيض (قصص) القاهرة مطبوعات فصول 1988

الثعلب الذي يظهر ويختفي (رواية) الدار البيضاء منشورات أوراق 1989

الحي الخلفي )رواية) منشورات عالم الصحافة 1992

العربة (قصص) منشورات عكاظ 1993

أفواه واسعة (رواية) الدار البيضاء مطبعة الجنوب 1998

هكذا، استطاع محمد زفزاف أن يكون مساهما ومطوراً لأسلوب خاص في ابتداع الحكايات، فقد أتى إلى الكتابة بعد تجربة غنية في الحياة وقراءات خصبة للآداب الرفيعة أهلته ليكون أحد رموز أدبنا السردي المغربي والعربي الحديث والمعاصر.

لقد عرفت الكتابة السردية المغربية، على الأقل، منذ أواسط الستينيات اهتماما ملحوظا بسؤال الكتابة وابتكار أشكال من التعبير القصصي والروائي ذات صلة بالنسيج الثقافي والفكري وتوترات المرحلة الاجتماعية والسياسية. إن ما تراكم من نصوص قصصية وروائية خلال العقود التالية يفيد وعي الأديب المغربي بقيمة التخييل بوصفه أفقا للمحتمل وسبيلا للتعبير عن العلاقة بالعالم والأشياء وما يخترقها من أجواء وأحوال يعكسها الواقع المغربي والعربي بكل تعدديته الثقافية والاجتماعية والسياسية. لأجل ذلك، يتصف التطور المتنامي الذي تعرفه الكتابة السردية بالمغرب، خلال العقدين السالفين، بالتنوع على صعيد الأداء الفني والتناول الشكلي ؛ وتبدو مساهمة زفزاف في هذا الإطار لافتة للنظر لما يميز عوالم قصصه ورواياته من حيث تجذرها في عمق الواقع المغربي والعربي بكل اختلالاته وخيباته وتناقضاته وأحلامه.

يتسم أدب زفزاف بكتابة سردية ذات علامات مثيرة للاهتمام تعلن عن جملة من الإيحاءات تختزنها عوالم تجربة ذاتية تستكين في عمقها لقيم إنسانية أرحب وأشمل. هكذا، تحفل قصصه ورواياته بتشخيص للأحداث يبني السرد وفق أسلوب تصويري يستمده من المشاهدات اليومية وسير شخصيات مألوفة وصريحة وصادقة في أحاسيسها رغم فواجع الحرمان والتهميش الذي تعانيه ؛ من هنا براعة وبلاغة السرد الأدبي عند زفزاف : وراء واقعية الحدث والموقف والسلوكات والعلاقات تكمن رمزية ساحرة وباروديا آسرة وسخرية هادفة. لذلك، يستثمر زفزاف مختلف أدوات الكتابة السردية لخلق وضعية وجودية تغدو، على صعيد التخييل، أفقا ممكنا لقول الحقيقة وانتقاد الواقع القائم.

يستطيع محمد زفزاف، باقتدار وفتنة، أن ينقلك في قصصه ورواياته إلى عالم حكائي على مسافة قريبة مما هو محيط بك من علاقات وفضاءات توهمك دوما بلعبة البحث عن مطابقتها بالواقع الذي تحيا فيه، كأن الحكاية قطعة محذوفة منه أو مضافة إليه. ولذلك، لا تسرد أبطال قصصه ورواياته حكايات معتادة، لكنها تشهد لحظات من التغييب والتهميش التي اعتادت مواضعات المجتمع إهمالها بالنية أو بدونها.

تبدو الحكاية في "المرأة والوردة" وقبور في الماء" و"الثعلب الذي يظهر ويختفي" و"بيضة الديك" و"أفواه واسعة" وفي غيرها من النصوص، راغبة في احتواء شساعة وضيق الأزمنة والأمكنة، إلا أنها تبدو مولعة أكثر بفهم

قيم وسلوكات وعلاقات مكشوفة ليس بالإمكان إخفاؤها أو نسيانها.

لا مجال للهذيان في حكايات زفزاف، ثمة فقط سحر التجربة ولحظات من الأحاسيس المرهفة ترددها أصداء النصوص بقوة وتفرد.

هكذا، تعبر كل شخصية من الشخصيات الروائية والقصصية عن مصيرها بجرأة وكرامة أيضا. إنها شخصيات تحاول تبديد العتمة المحيطة بها، تحيا الحب والأمل ببساطة وألفة وسط أوضاع الزيف السائدة.

ويبدو العالم الروائي والقصصي عند زفزاف قريبا من المألوف واليومي، مادته الخام سخرية عميقة تلتقط التفاصيل وتنظم صيغ الكلام بانتقاد هذا الوعي أو ذاك، وتحريره من الضياع الاجتماعي وحتى الايديولوجي.

بهذا القصد وبغيره، يغدو سؤال الكتابة لدى زفزاف حريصا على اكتشاف تجليات الحياة اليومية "بواقعية" أدبية لا تلغي إيحاءات التخييل وتلويناته. وتستمد تشخيصات الواقعية إمكاناتها من خصوصية المنجز النصي الذي يرتكز على ما يلي من عناصر وأفكار :

أ - منح النص إمكانية تنويع محتمله الحكائي إظهارا لهموم النفس واستبطانا لصوتها الداخلي الملازم لعبثية الأقدار ومتاهتها (المرأة والوردة).

ب - انفتاح النص على تلميحات تنقل تفاصيل الأفعال والأقوال، مثلما تنقل تقاطعات الأزمنة والأمكنة دفاعا عن قيم نبيلة تخرج الأحلام من دائرة الإحباط وقمع السلطة ومرارة الفشل (قبور في الماء).

ج - غياب البطل عن النصوص الحكائية لزفزاف وحضور الإنسان في مواجهة اليومي والطارئ والمتردي (الثعلب الذي يظهر ويختفي).

د - استيعاب واقعية الحكاية عند زفزاف قدرة متفردة على تركيب أساليب السرد بتوزيعات من الكلام اليومي اللاذع (الأفعى والبحر).

هـ - إيمان شخصيات زفزاف القصصية والروائية بالمكتوب والقدر القاهر، كما تؤمن بالأمل الذي يخلصها من جهامة المصير (بيضة الديك).

و - تحرر واقعية السرد عند زفزاف من المحاكاة الباردة للواقع وكشفها، بالمقابل، عن موضوع حكائي تخييلي يقاوم الوعي المغلوط والمعتقد الذي يسلب الإنسان حريته في التفكير والوجد (أفواه واسعة).

هذه اعتبارات تجعل كتابته السردية محكمة الصنع وذات تنويعات دلالية متماسكة في تشكيل اللوحات الحكائية : تنتقل من المألوف واليومي إلى الاستبطاني والتأملي. كتابة محمد زفزاف تكشف أكثر مما تصف، تجهز أكثر مما تهمس. إنها مرآة عاكسة لشروخ الواقع وسحر التخييل.

بكل هذه المعاني، استطاع الأديب محمد زفزاف أن يكون مساهما ومطوراً لأسلوب خاص في كتابة السرد بالمغرب والعالم العربي بحس إبداعي مرهف ودال على حقيقة منشودة من أجلها كرس كتاباته : حقيقة أن يعيش الإنسان في عالم قاس ومعقد. ولذلك، لم يكن محمد زفزاف يشغل باله بالكتابة النظرية، كان فقط، ينصت - ويحسن الإنصات ؛ يتأمل - ويحسن التأمل - ثم يكتب : أي يحلق بعيدا في عالم رحب ظل ملاذه حتى في أعقد وأدق وأصعب لحظات حياته... عالم زوده بالصبر والإصرار على المقاومة وحب الحياة.

توفي بمصحة بالدار البيضاء يوم الجمعة 21 ربيع الثاني عام 1422/ 13 يوليوز 2001.

*دليل الكتاب المغاربة*، اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1993 ؛ *معرفة شخصية*.

عبد الفتاح الحجمري

## الزفزوف ← أزكار

**الزقزاق** أو أبو الرؤوس كما هو شائع في المعاجم، وسقساق وتورم وقطقاط وأبو ظفر ورسول الغيث في مصر والسودان والشرق العربي، جنس طير من الفصيلة الزقزاقية Charadriidae ورتبة طوال الساق Charadriiformes، منه سبعة أنواع كلها من القواطع تشتو في المغرب وتألف المناطق الرطبة والشواطئ البحرية وضفاف الأنهار والبحيرات الساحلية والقارية. تتميز بمنقار قصير وبسرعة فائقة في المشي، كما أنها دائمة التحرك والتنقلات مما أدى إلى تسميتها بالزقزاق :

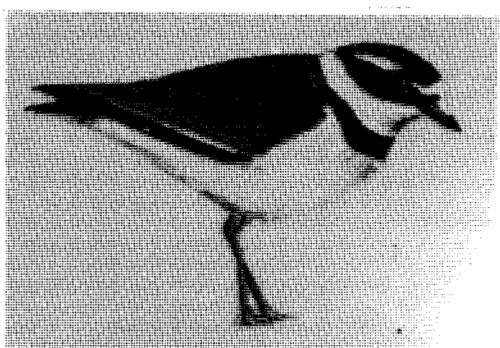

الزقزاق المطوق Charadrius hiaticula يسمى بالفرنسية Gravelot à collier وGrand gravelot وبالإنجليزية Ringed plover وبالإسبانية Chorlitejo grande وبالإيطالية Corriere grosso. تسميه العامة في لبنان وسوريا دمشق. الإناث شبيهة بالذكور، المنقار برتقالي قصير وقوي ينتهي برأس مستدق أسود. القوائم برتقالية مصفرة وقصيرة، ريشه أسود على قاعدة المنقار ثم أبيض متبوع بلفافة

سوداء تحيط بالعينين، الصدر مطوق بلفافة سوداء. ريش الظهر بني رمادي والجناحان محفوفان بريش أسود ويشتملان على لفافة بيضاء تظهر فوقه عند الطيران. يبلغ طول الجسم 19 سم. يعيش في مجموعات متعددة الأفراد ويتميز بسرعة كبيرة في المشي. عدة مجموعات تحصى بآلاف الأفراد تأتي من أوروبا عبر مضيق جبل طارق لتشتو في المغرب من شتنبر إلى مارس، وذلك في مختلف المناطق الرطبة الساحلية. يتوالد في أوروبا الشمالية بين مايو ويوليوز. ينصب العش بين الرمال الشاطئية وعلى ضفاف الأنهار. تبيض الإناث عادة 3 .4 بيضات بيضوية الشكل مصفرة رمادية منقطة بالأسود، يبلغ طول قطريها2.5 × 3.5 سم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين بين 22 ـ 27 يوما. تغادر الصغار العش مباشرة بعد التفقيس وتحسن الطيران بعد ثلاثة أسابيع. يتغذى من العناكب والحشرات والقشريات الصغيرة والقواقع والديدان يبحث عنها على ضفاف شواطئ البحيرات الساحلية والقارية وفي مصبات الأنهار. يعود إلى أوروبا في أواخر الربيع ليتوالد. يعيش أيضاً في المناطق الساحلية الأوروبية والأسيوية وفي كل مناطق حوض البحر المتوسط. شائع في مختلف المناطق المغربية الرطبة الساحلية منذ بداية الخريف إلى بداية الربيع : بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام وسيدي بوغابة والوليدية وسيدي موسى ومصبات الأنهار والسدود.

الزقزاق الصغير Charadrius dubius يسمى بالفرنسية Petit gravelot وبالإنجليزية Little ringed plover وبالإسبانية Chorlitejo chico وبالإيطالية Corriere piccolo. تسميه العامة في لبنان وسوريا "دمشق" و"أبا الرؤوس". يبلغ طوله 15 سم، المنقار والقوائم مصفرة شاحبة، يحمل الرأس والعنق خطوطا عريضة متتالية من الريش الأبيض والأسود. جناحاه لا يحملان الخط الأبيض. يألف المناطق الساحلية الرملية والوحلية والغنية بالحصى. يشتو في أغلب المناطق الإفريقية والأسيوية ويتوالد في شمال إفريقيا وفي أوروبا وآسيا. منه عدة آلاف الأفراد تأتي إلى المغرب في الشتاء عبر مضيق جبل طارق تنضم إلى عدة مجموعات شبه مستقرة في المغرب تقوم بتنقلات موسمية نحو الجنوب بحثا عن الآكل وتتوالد على ضفاف الشواطئ الساحلية المغربية. نمط عيشه شبيه بنمط عيش الزقزاق المتطوق السابق الذكر. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 24 .26 يوما ويبلغ طول قطريه2.2 × 3 سم. شائع في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام* وسيدي بوغابة والوليدية وسيدي موسى ومصبات الأنهار وبعض السدود.

الزقزاق الإسكندري Charadrius alexandrinus يسمى بالفرنسية Gravelot à collier interrompu وبالإنجليزية Kentish plover وبالإسبانية Chorlitejo pantinegro وبالإيطالية Fratino. تسميه العامة في لبنان وسوريا دمشق والزقزاق في المغرب. يبلغ طوله 16 سم، المنقار والقوائم سوداء، يحمل الصدر بقعة من الريش الأسود على كل جانب توحي بشكل طوق غير مكتمل. يظهر على جناحيه خط أبيض عند الطيران. يألف المناطق الساحلية الرملية والغنية بالحصى. يشتو في أغلب المناطق الإفريقية والأسيوية ويتوالد في سواحل إفريقيا الشمالية وأوروبا الجنوبية وآسيا الوسطى الغربية (منذ إيران إلى المغرب). منه عدة آلاف تأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق تنضم إلى عدة مجموعات شبه مستقرة في المغرب تقوم بتنقلات موسمية نحو الجنوب بحثا عن الآكل وتتوالد على ضفاف الشواطئ الساحلية المغربية. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة24 .26 يوما ويبلغ طول قطريه 2.4 × 3.3 سم. شائع في الخريف والشتاء على ضفاف البحيرات القارية والساحلية ومصبات الأنهار والسدود.

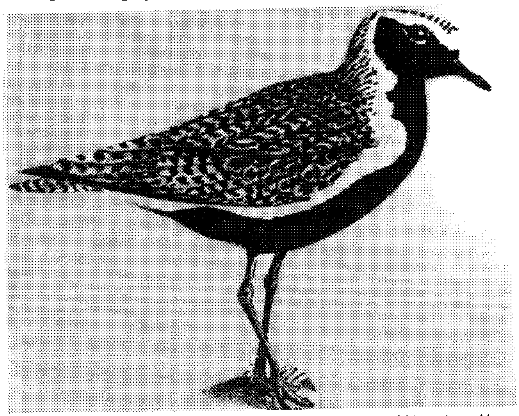

الزقزاق الذهبي Pluvialis paricaria يسمى بالفرنسية Pluvier doré وبالإنجليزية Golden plover وبالإسبانية Chorlito dorado وبالإيطالية Piviere dorato. تسميه العامة في لبنان وسوريا دمشق ذهبي. يبلغ طوله 19 سم من أكبر الزقازق التي تعيش في المغرب، الذكور شبيهة بالإناث، ريشه على ظهره مبقع بالأسود والأصفر الذهبي، ريش العنق والصدر والبطن أسود داكن محفوف بلفافة من الريش الأبيض تمتد من الرأس إلى الذيل، المنقار والقوائم رمادية. يألف المناطق الساحلية الرملية والغنية بالحصى. يشتو في سواحل إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وأوروبا الجنوبية والوسطى ويتوالد في سواحل أوروبا الشمالية. منه عدة آلاف الأفراد تأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق ولا تتعدى منطقة سوس بجنوب المغرب. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 26 ـ 28 يوما ويبلغ طول قطريه 3.6 × 5.2 سم. تفارق الصغار الأبوين بعد شهر من التفقيس. شائع في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام وسيدي بوغابة والوليدية وسيدي موسى ومصبات الأنهار والسدود.

الزقزاق الرمادي Pluvialis dominica يسمى بالفرنسية Pluvier argenté وبالإنجليزية Grey plover وبالإسبانية Chorlito asiatico وبالإيطالية Piviere asiatico. يبلغ طوله 28 سم ويعد من أكبر الزقازق التي تعيش في المغرب،

الذكور شبيهة بالإناث، ريشه على ظهره مبقع بالرمادي والأصفر رصاصي اللمعان، ريش العنق والصدر والبطن أسود داكن محفوف بلفافة من الريش الأبيض تمتد من الرأس إلي الذيل كما هو الشأن عند الزقواق الذهبي، يختلف عن هذا الأخير ببقعة من الريش الرمادي على إبط الجناحين تزهر عند الطيران. المنقار والقوائم رمادية. يألف المناطق الساحلية الرملية والغنية بالحصى. يشتو في سواحل إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وأوروبا الجنوبية ويتوالد في سواحل أوروبا الشمالية الوسطى. منه عدة مئات الأفراد تأتي كل سنة إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق لتشتو. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 23 يوما ويبلغ طول قطريه 3.5 × 51 سم. تفارق الصغار الأبوين بعد 4 أسابيع من التفقيس. شائع في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام والوليدية وسيدي موسى وخنفيس والداخلة ومصبات الأنهار والسدود والبحيرات القارية.

الزقزاق المغفل أو زقزاق الألب Eudromias (Charadrius) morinellus يسمى بالفرنسية Pluvier guignard وبالإنجليزية Dotterel وبالإسبانية Choelito carambolo وبالإيطالية Piviere tortolino. تسميه العامة في لبنان وسوريا دمشق. يبلغ طوله 21 ـ 22 سم، الذكور أقل حجما من الإناث، المنقار داكن والقوائم صفراء مخضرة. يختلف لون ريشه بين الصيف والشتاء. العنق أبيض والصدر رمادي مفصول عن البطن بخط أبيض. البطن أسود، جناحاه لا يحملان الخط الأبيض. يألف المناطق الساحلية الرملية والوحلية. يشتو في أغلب مناطق إفريقية الشمالية والشرق العربي وتركيا ويعود في أواخر الربيع مباشرة إلى الدول الاسكندنافية ليتوالد في سواحلها. يقطع مسافات طوال دون أن يستريح في أوروبا الجنوبية والوسطى. منه عدة آلاف تأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق ابتداء من أكتوبر. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 23 يوما ويبلغ طول قطريه 29 × 44. تفارق الصغار الأبوين بعد 4 أسابيع من التفقيس. شائع في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام والواليدية وسيدي موسى وخنفيس والداخلة ومصبات الأنهار والسدود والبحيرات القارية.

زقزاق الماء أو قبرة الماء Arenaria interpres من فصيلة سكولوباسيدي Scolopacidae، يسمى بالفرنسية Tourne-pierre à collier وبالإنجليزية Turnestone وبالإسبانية Vuelvepiedras وبالإيطالية Voltapietre. تسميه العامة في لبنان وسوريا دمشق. يبلغ طوله 22 ـ 23 سم، الذكور شبيهة بالإناث، ريشه على ظهره أسود أشقر، ريش العنق والصدر أسود داكن وريش البطن أبيض لامع، المنقار أسود قصير وقوي، القوائم برتقالية حمراء. يألف المناطق الساحلية الوحلية والرملية الغنية بالحصى. يشتو في سواحل إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وأوروبا الجنوبية والوسطى ويتوالد في سواحل الدول الاسكندنافية. منه عدة مئات الزوجات تأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق لتقضي فصل الشتاء وتتوزع على طول السواحل الأطلسية والمتوسطية. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 24 ـ 26 يوما ويبلغ طول قطريه 29 × 39 سم. تفارق الصغار الأبوين بعد 4 أسابيع من التفقيس. شائع في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام وبحيرة سيدي بوغابة والواليدية وسيدي موسى وخنفيس وشرم الداخلة ومصبات الأنهار وبعض البحيرات القارية والسدود الكبرى.


الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britan and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur,* Paris, 1977.


محمد رمضاني

**زق البحر**، حيوان بحري رغم شكله الكيسي العادي ورغم نمط عيشه البدائي لاصقاً على دعامة يتغذى على حيوانات صغيرة يمتصها من الماء. ورغم عدم وجود أي عنصر خارجي شبيه بالرأس، فإن زق البحر يعتبر من أكثر الحيوانات تطوراً حيث يصنف مع اللافقريات كالحشرات والنواعم الخ.. بل مع الحبليات أي تلك التي لها حبل ظهري شبيه بالنخاع الشوكي كالإنسان.

تتميز هذه الحيوانات بتوفرها على كساء فريد من نوعه في عالم الحيوانات فهو يتكون من 60٪ من مادة تشبه ما يعرف بالسليلون عنه النباتات أما 40٪ الباقية فهي مكونة من 27٪ من المواد الآزوطية و13٪ من الأملاح المعدنية، إلا أن هذا الكساد يبقى شفافا فيمكن في غالب الأحيان رؤية معظم الأجهزة والأعضاء الداخلية لزق البحر.

لزق البحر خياشيم بارزة بل هناك بلعوم تابع للجهاز الهضمي على شكل كبير وهو الذي يلعب في نفس الوقت دورين اثنين أولهما تصفية الماء من المواد العضوية التي يقتات عليها زق البحر والآخر امتصاص الأكسجين الذائب في الماء.

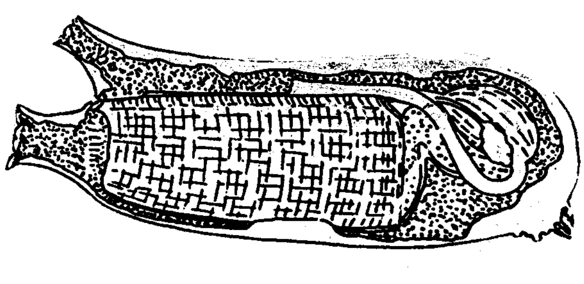

كل أنواع زق البحر تقريبا أحادية الجنس حيث إن نفس الفرد يحمل أعضاء تناسلية في نفس الوقت ذكرية وأنثوية. أما الحيوانات المنوية فكلها تلقى في الماء كما أن البويضات غالبا ما تلقى في الماء إلا أنه في بعض الأحيان يحتفظ ببعضها داخل الجسم. إذن فتلقيح البويضات يتم في الماء إلا في بعض الحالات حيث يتم تلقيحها داخل الجسم. ولزق البحر طريقة ثابتة للتكاثر وهي التبرعم.

هناك في العالم ما يناهز 3000 نوع لزق البحر تعيش في كل بحار العالم من منطقة المد والجزر إلى أكبر الأعماق. إلا أنها وحسب العديد من التجارب فإنها لا تتحمل نقصا في ملوحة الماء حيث إنه ليس هناك نوع واحد من تلك الحيوانات بإمكانه العيش في مياه تنقص ملوحة عن 15 غراما في اللتر الواحد.

محمد منيوي

**الزقّاق**، أسرة فاسية عالمة أصلها من الأندلس من قبيلة تُجيب العربية، عُرفت هنا وهناك بإتقان الفقه والنحو والأدب، واشتهر منهم الشاعر الكبير علي بن عطية ابن الزقاق البلنسي صاحب الديوان المطبوع، (ت. في حدود 530).

ولعل أول قادم منهم إلى فاس قاسم بن محمد بن مبارك الزقاق الأموي الإشبيلي في منتصف القرن السادس (12 م) تخرّج على يد كبار الأساتذة المقرئين وشيوخ العلم المشهورين بالأندلس في عصره. قال ابن القاضي في *الجذوة* (2 : 513) : "نزل مدينة فاس وتصدر للإقراء، وأخذ الناس عنه، وكان مقرئاً فاضلا نحويا حافظاً مسنداً، حدث عنه ابن خروف، وأبو المجد هذيل بن محمد، وأبو الصبر أيوب بن عبد الله، لقيته بسبتة سنة تسع وخمسين وخمسمئة، وتوفي بسلا بعد ذلك (بعد سنة 570 / 1175).

وعن شهرة الزقاقيين بهذا اللقب، وُجد بخط الفقيه علي ابن قاسم الزقاق : "حدثني بعض شيوخ قرابتي وهو موثوق به أن الزقاق ليس بنسب لصناعة، نعم كان جد والد والدي ذا مال، ولا يعيش له ذكر، فدل على أن يسكب زقاً من زيت على ما يتزايد من ذكر له يسخنه به ثم يتصدق به ففعل، فعاش ذو الزق فاشتهر بذلك، فبقي في ذريته شهرة.

وتميز من الزقاقيين الفاسيين فقهاء كبار، كانوا في القرن العاشر (16 م) في نطاق المذهب المالكي صلة وصل بين الاجتهادات الأندلسية أو عمل أهل الأندلس، والاجتهادات المغربية المعروفة بالعمل الفاسي. كما عرف آل الزقاق الفقهاء بفاس بالعناية الفائقة بمختصر خليل حفظاً وفهماً وتدريساً "ولهم تقاييد كثيرة وبه اعتناء كبير" (*فهرس المنجور*، ص. 57). قال في *الدر البهية* (2 : 343) "ولم يبق الآن من أولاد الزقاق بفاس فيما أعلم إلاّ رجل واحد هو الآن ثاوي بالسبيطريين قرب مسجد القرويين".

**الزقّاق، أحمد** بن علي بن قاسم التجيبي الفاسي، درس على والده الإمام علي بن قاسم الزقاق التجيبي، وعلى الفقيه الكبير أحمد الونشريسي مؤلف المعيار، وعلى شيخ الجماعة محمد ابن غازي وغيرهم من أهل المغرب، ومن أهل المشرق أثناء رحلته إلى الحج، فقيه متمكن ملازم لإقراء مختصر *خليل*، وله عليه حاشية سماها *الدرر على المختصر* أو قريب من هذه التسمية. وقد عقب أحمد المنجور في فهرسه عند حديثه على هذه الحاشية بقوله : "قلت : ولم تظهر بعد موته عدا أنه دخل بيدي نحو ورقتين في القالب الثمني من حاشية عليه (المختصر) لأبي العباس هذا بخط يده مختصرة محققة". (*فهرس المنجور*، ص. 57).

وللمترجم له أيضاً شرح مختصر رشيق لمنظومة والده المعروفة *بالزقاقية وبالمنهج المنتخب إلى قواعد المذهب*، كتب منه نحو النصف ثم حال الموت دون إتمامه، وله تعاليق على *الرسالة، والمدونة*.

توفي بفاس عام 931 أو932 / 1525 . 1526.

**الزقاق، عبد الوهاب** بن محمد بن علي التجيبي الفاسي. ولد سنة905 / 1500 ودرس على كبار، شيوخ عصره، وفي مقدمتهم عمه أحمد الزقاق، وأحمد الحباك، والمحدث عبد الرحمن سقين، وأكثر قراءته على الامامين المفتيين علي بن هرون، وعبد الواحد الونشريسي.

انقطع للتدريس بالقروين، يحضر مجالسه كبار الطلبة، ومنهم أحمد المنجور الذي خصه بترجمة مطولة في فهرسه، وذكر ما قرأ عليه في الفقه والأصول وقواعد اللغة، والتفسير والتصوف، ووصف دروسه الثلاثية المتوالية التي يستهلها بتفسير القرآن الكريم "ينقل عنه من كلام ابن عطية، وكثيراً ما ينقل عن كلام ابن العربي في القانون ... وكان فصيح العبارة غزير الحفظ ويقرئ بعد فراغه من التفسير الرسالة ينزّل على كلامها فروع خليل في المحل، ثم ينقل من كلام الشيخ ابن عباد على حكم ابن عطاء الله بلفظه لا يغادر منه حرفاً ولا يغيّره نحو نصف ورقة منه ولا يشتته عليه ما قرأ قبله من التفسير والفقه مع تطويله". وذكر قصة تدل على أنه كان يلقي هذه الدروس الثلاثة دونما حاجة إلى مطالعة ومراجعة قال : "وهذا غاية الحفظ".

كان يسكن داراً بزنقة حجامة، متمتعاً بتقدير العامة والخاصة من أهل فاس، وملوكها الوطاسيين. ولما رجحت كفة السعديين واستولوا على معظم مناطق المغرب باستثناء فاس التي تمنعت عليهم بسبب موقف الشيخين عبد الوهاب الزقاق وعبد الواحد الونشريسي اللذين أفتيا بعدم جواز مبايعتهم لقيام بيعه الوطاسيين في الأعناق، فلما دخل السلطان محمد المهدي الشيخ إلى فاس. للمرة الثانية يوم السبت 24 شوال عام961 / 22 شتنبر 1554 بعد قضائه على أبي حسون الوطاسي ومن معه من الأتراك، أمر بقتل عبد الوهاب الزقاق لأنه اتهمة بالميل إلى أبي حسون. ولما

مثل الزقاق بين يدي السلطان قال له : اختر بأي شيء تموت، فقال له الفقيه : اختر أنت لنفسك فإن المرء مقتول بما قتل به، فقال لهم السلطان : اقطعوا رأسه بشاقور. وتم قتله في شهر ذي القعدة عام 961 / أكتوبر 1554.

**الزقاق، علي** بن قاسم التجيبي الفاسي، وسماه في درة *الحجال* علي بن محمد. أعلم فقهاء هذه الأسرة وأشهرهم. ولد ونشأ ودرس بفاس على كبار فقهاء عصره، وفي مقدمتهم الإمام محمد القوري، (ت. 872) وذهب إلى الأندلس قبل سقوط غرناطة بسنوات معدودات وقرأ عل فقهائها. وكبيرهم الإمام محمد المواق (ت. 897).

كان علي الزقاق خطيب جامع الأندلس بفاس، وبه يلقي دروسه وبجامع القرويين، كان رفيقاً لأحمد الونشريسي مؤلف *المعيار* الذي يدعوه صاحبنا، مواظبا على إقراء مختصر خليل قيماً عليه حفظاً وفهماً، وكتب عليه شرحاً مفيداً وصل فيه إلى الحيض أو الأوقات وقطع الموت دون إتمامه، فأكمله ابنه أحمد سابق الترجمة. على أن أشهر مؤلفات علي الزقاق لاميته الفقهية المسماة : المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، "وشرح منه أبياتاً كثيرة ما يقرب من الثمانين شرحاً محققاً مفيداً قطع الموت على إكماله" (*فهرس المنجور*، 57) ثم أعاد شرحه ابنه أحمد إلى نحو النصف ومات قبل إتمامه، فشرحه شرحاً مدققاً كاملاً تليمذه أحمد المنجور. ويعتبر المنهج المنتخب أصل الاجتهادات الفقهية بالمغرب المسماة بالعمل الفاسي بناء على ما تضمنه من عمل أهل الأندلس.

توفي بفاس عن سن عالية في 6 شوال عام 952 / 19 فبراير 1507.

**الزقّاق، محمد** بن عبد الله التجيبي الفاسي. حلاه تلميذه المنجور في الفهرس بقوله : "الفقيه الأستاذ النحوي العروضي الفرضي الحاجّ الرحال". درس على شيوخ فاس في عصره، ولا سيما عبد الواحد الونشريسي، والأخوين المشنزائيين، محمد بن عبد الرحمن ابن إبراهيم وكان قارئه (الذي يسرد بين يديه) في *المدونة والرسالة والمختصر*، وأبي القاسم ابن إبراهيم قرأ عليه النحو وغيره. ورحل عام 948 أو 949 إلى المشرق فحج ولقي كبار الشيوخ وأخذ عنهم، مكث هناك أزيد من خمس عشرة سنة استوطن فيها مصر إلى أن توفي. ومن أكبر شيوخه فيها الإمام ناصر الدين اللقاني، وأخذ التصوف عن الشيخ محمد الذاكر وتزوج بنته.

كان محمد الزقاق مدرساً نافعاً كثير التلاميذ سواء في المغرب أو في مصر، وذكر المنجور في *الفهرس* ما قرأه عليه: "*ألفية ابن مالك*... يقرئها إقراء حسناً جيداً ينقل عليها المرادي ويستوفيه، ومغني *اللبيب* (لابن هشام). وقرأت عليه بلفظي جملة وافرة من خزرجية العروض وانتفعت به في ذلك كله".

توفي بالقاهرة سنة 968 / 60 ـ 1561.

أ. المنجور، *فهرس المنجور*، تح. م. حجي، الرباط، 1976 في مواضع متعددة ؛ أ. ابن القاضي، جذوة، الرباط، 1974 ؛ درة *الحجال*، تح. م. الاحمدي، القاهرة، 1974 ؛ *لقط الفرائد / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 2 ؛ م. ابن عسكر الشفشاوني، *دوحة المناشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1976 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل*، بيروت، د. ت. ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968 ؛ ع. الكبير الفاسي، *تذكرة المحسنين / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 2 ؛ إدريس الفضيلي، *الدر البهية*، تح. أحمد العلوي وآخر، المحمدية، 1999 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 1300، ج 3 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، فاس، 1930، ج4 ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون ؛ ع. القادر الصحراوي، جولات *في تاريخ المغرب*، الدار البيضاء، 1961.

محمد حجي

**الزقّوم**، يطلق هذا اللفظ على عدة أنواع نباتية مشوكة، منها التي ذكرناها في مادة الدغموس (انظر دغموس)، ومنها التي سنتطرق لها هنا وهي شجرة تَيْشَطْ أو تُوكَّا أو بلح الصحراء أو تمر الغراب أو تِيبُورَاق المسماة علميا بَالاَنِيتِيسْ إِيجِيبْسْيَاكَا Balanites aegyptiaca والمنتمية إلَى فصيلة القَدِيسيات Zygophyllaceae. ولا ندري إن كان الزقوم المذكور في القرآن الكريم ينطبق على هذا النوع. فالشجرة مازالت موجودة بشبه الجزيرة العربية، لكن ثمارها حلوة المذاق وليست مرة وتؤكل من طرف الإنسان.

تيشط جنبة أو شجرة قصيرة القامة لأن ارتفاعها لا يتجاوز 10 م. تاجها مستدير. قشرة جذعها مشققة وذات لون أسود. أغصانها مزودة بأشواك مستقيمة وطويلة قد يصل طولها 12 سم، خضراء اللون كما هو الشأن بالنسبة للأغصان الفتية لأن الشجرة تفقد أوراقها لمدة طويلة في السنة. أوراقها صغيرة، متقابلة، مركبة بوريقتين اثنتين. تظهر أزهارها ابتداء من شهر نونبر. ثمارها نوويّة وإهليلجية الشكل، خضراء اللون ثم صفراء تشبه البلح عند نضجها ما بين دجنبر ومارس.

تصادف الشجرة بالمناطق المدارية والصحراوية من المحيط الأطلسي إلى آسيا الصغرى مروراً بالصحراء المغربية حيث نجد تشكيلاتها ما بين فُم الحصْن وآسّا وجنوب هذه الأخيرة وفي الساقية الحمراء. يعيش النوع في تشكيلات نقية أو مختلطا مع أنواع الطلح (انظر طلح) فوق أتربة رملية سميكة نسبيا، في الوديان الصحراوية. وذلك في المناطق القاحلة وفي الطابق تحت المتوسطي الدافئ بالمغرب.

بالإضافة إلى استعمال أوراق الشجرة وثمارها ولحائها وأغصانها في عدة وصفات من التطبيب التقليدي، يستخدم خشبها الصلب والمتين لبعض الأغراض، وتستعمل سيقانها الفتية في عملية تنظيف الأسنان. كما تؤكل ثمارها (بلح الصحراء، تمر الغراب) من طرف الإنسان، وترعاها الحيوانات مثل الإبل والأغنام والمعز.

A Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

**الزكرنسيون** (Les Zegrenses)، يعد الجغرافي بطليموس (Ptolemés) المؤلف الوحيد الذي ذكر الزكرنسين ضمن "قبائل" موريطانيا الطنجية. وحدد مواطنهم جنوب السهل الأحمر (Campus Rufus)، عند خط طول 9° 30 وخط عرض 30°.

فما المقصود بالسهل الأحمر ؟

تتعدد الافتراضات وتتباين تحديدات الباحثين. فهل السهل الأحمر هو الأراضي الحمراء الواقعة جنوب أم الربيع والتي توافق هضاب الرحامنة ؟ أم هل هو "البحيرة الحمراء" الواقعة قرب مراكش، والمحصورة بين نهر تانسيفت والأطلس الكبير في الأقليم الحالي لشيشاوة ؟ أم هل هو المنطقة المحصورة بين جنوب جبال الريف وسهل الغرب ؟

يبدو أن بطليموس ـ من خلال تحديده لمواقع "القبائل" المورية ـ كان يعتمد على نقل أسماء موضوعة على خريطة ينطلق فيها من الغرب إلى الشرق هذا من جهة، ومن جهة ثانية فاللائحة التي اعتمدها حول القبائل تقتصر فقط على ذكر "القبائل" التي تقع مجالاتها داخل ولاية موريطانيا الطنجية ؛ أو لها علاقة ما بالولاية إما سياسية أو عسكرية.

وعليه يجب أن نبحث عن مجال الزكرنسين ضمن المجالات الواقعة تحت النفوذ الروماني، أو لها علاقة ما بمنطقة النفوذ الروماني. وليس في مجالات بعيدة قرب جبال الأطلس مثلا.

وليس من المستبعد أن يكون اسم الزكرنسيين مستمدا من الكلمة الأمازيغية "أزكر" التي تعني البقر أو البقريات بصورة عامة. فإذا كان اسم "القبيلة" بالفعل موافقا لهذا الافتراض، فهذا يعني أننا أمام "قبيلة" مورية تحمل هذا الاسم لأنها كانت تعتمد في نمط عيشها على تربية البقر. كما أنه من المرجح أيضا أن اسم "القبيلة" قد يكون مشتقا من "أزغار" الذي يعني مجال الانتجاع في السهل خلال فصل الشتاء.

وسواء كان الاسم مشتقا من "أزكر" الذي يعني البقر أو "أزغار" الذي يعني مكان الانتجاع، فإن هذا يجعلنا أمام "قبيلة" تعتمد في نمط عيشها على تربية الماشية في مجال يضم منطقة جبلية، وأخرى سهلية.

وما يدعم هذه الأطروحة، أي كونهم كانوا مربي أبقار وأن مجالهم ربما امتد بين السفوح الجنوبية لجبال الريف والمجرى الأوسط لنهر سبو هو العثور على مجموعة من اللقى الأثرية (Vestiges) لها علاقة بهذه "القبيلة" في موقع بناصا الأثري (Banasa)، ومنها شاهد يحمل منحوتة تمثل الرب "كورزيل" الإله الموري الخاص بالبقر. والكتابة الإبيغرافية بلوحة برونزية تعود للقرن الثاني الميلادي بنفس الموقع وقد عثر عليها خلال حفريات 1957. ويتضمن نص النقيشة معطيات متعلقة بمنح المواطنة لزعيم "القبيلة" يوليانوس ولزوجته "زدينا"ولأبنائهم الأربعة، وحفدتهم كذلك.

وتتوزع النقيشة إلى ثلاث فقرات على النحو التالي :

ـ الفقرة الأولى : تتضمن رسالة صادرة عن الإمبراطورين مارك أوريل (Marc Aurele) وڤيروس (Verus) موجهة إلى بروقراطور (Procurateur) (والي / نائب) موريطانيا الطنجية كوديوس ماكسموس (Codius maximus) استجابة لطلب هذا الأخير، وذلك للموافقة على تسليم الجنسية الرومانية لعائلة زكرانسية تتكون من الأشخاص السابق ذكرهم : يوليانوس (Iulianus) وزوجته زدينا (Zidina) وأبنائهم الأربعة.

ـ الفقرة الثانية : عبارة عن رسالة ثانية في عهد مارك أوريل (Marc Aurele) وكومود (Commode)، قصد تسليم الجنسية الرومانية لزوجة يوليانوس الثاني (أي الابن)، وهي المسماة فگورة (Faggura) وأبنائها الأربعة. ولقد صار يوليانوس الثاني، في هذه الفترة، هو رئيس اتحاد "قبائل" الزگرانسيين.

ـ الفقرة الثالثة : تشير إلى المصادقة على تغيير جنسية هذه العائلة الأمازيغية من طرف مجلس روماني سامٍ مكون من 12 شخصية. عرف باسم الكونسيليوم برانسبيس (Consilium principis). وتمت المصادقة في 6 يوليوز 177 ميلادية.

يوليانوس الأول

زدينا

ديوجينيانوس ماكسمنوس ماكسموس يوليانوس الثاني

فگورة

ديوجنياس يوليانوس الثالث ماكسيما يوليانا

يبدو أن القصد من نقيشة بناصا الآنفة الذكر إخبار أبناء "قبيلة" الزگرنسيين الذين يترددون على المدينة بالتكريم الذي حصل عليه زعيمهم ؛ وفي نفس الوقت

دفعهم إلى قبول وجود الحكم الروماني. ولا يبدو معقولا أن يكون زعيم الزگرنسيين وعائلته يسكنان مع "قبيلتهم" قرب مدينة مراكش بينما العثور على كتابة تتعلق بهم على ضفاف نهر سبو. كان من السليم أن نعثر عليها مثلا بموقع سلا الأقرب للجنوب.

وعليه، فيبدو أن "القبيلة" كانت تستوطن منطقة قريبة من بناصا. ونظرا لرغبة الرومان في استمالتها وجعلها "قبيلة" موالية لهم منحوا زعيمها المواطنة مع احتفاظه بكامل استقلاليته وحقوقه داخل "قبيلته" وذلك حتى يؤثر عليها ويجعلها تسير في فلك الرومان.

وما يزكي هذا الطرح العثور على مؤشرات أثرية أخرى - غير التي ذكرنا - تعود للعهد الروماني وجدت بالمجالات المقترحة لامتداد نفوذ الزگرنسيين. نذكر منها نقودا من فاس البالي وعين مديونة قرب تاونات، وبقايا أبنية ما قبل إسلامية قرب هذين الموقعين، ومقابر أمازيغية غير بعيدة عنهما.

وفي حالة إذا بات بالإمكان توطين "قبيلة الزگرنسيين" بشرق بناصا بالوادي الأعلى لنهر ورغة، وكذلك على المنحدرات الأولى لجبال الريف. فقد يبدو هذا التوطين محتملا للمعطيات الأثرية السابقة الذكر.

وانفتاح الرومان على السكان المحليين لموريطانيا الطنجية يتزامن مع ظروف سياسية صعبة جدا، ذلك أن "القبائل" في أوسط القرن الثاني الميلادي، قاومت بشدة المواقع الرومانية وشكلت تهديدا واضحا على الوجود الروماني، بل أكثر من ذلك فقد عبرت مضيق الأعمدة وهددت الرومان بجنوب إقليم البتيك (Bétique) حيث حاصرت ما بين169 -177 م بعض المدن الإسبانية، لا سيما إطاليكا وسانجيليا باربا (Singilia Barba)، وغالبا أن "قبيلة" الزگرنسيين التي يفترض أنها كانت تقطن بالجنوب الغربي لسلسلة الريف، قد كان لها النصيب الأوفر في تهديد الكيان الروماني حتى بالجنوب الإيبيري، ومن الطبيعي "تجنيس" زعيمها واستمالته لكسب وفائه هو وعائلته ولِمَ لا باقي أفراد "قبيلته" !

مصطفى أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية بين المور والرومان ما بين 144 و285*، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، 20 يونيه 1980، ص. 66 - 107 ؛ المصطفى مولاي رشيد، *المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين*، الدارالبيضاء، 1993 ؛ نفسه، "مضيف الأعمدة والجوار الموري - الإيبيري حسب المصادر الأدبية القديمة"، وقفات في تاريخ المغرب، دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات 27، الدارالبيضاء، 2001، ص. 267 - 273.

G. Camps, *Les berbères, Mémoire et identité*, 2e éd., Paris, 1987 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquite classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; M. Euzennat, *Les voies romaines dans l'itinéraire d'Atonin, Hommage à A. Grenier*, Bruxelles, 1962 p. 595-610 ; Id, *"Les Legrenses", Mélanges W. Seston*, Paris, 1974, p. 175 - 186 ; A. Luquet, *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, région du Gharb, B.A.M.V.I*, 1966 ; P. M. Morestin, Le dieu au chef cornu de Banasa, *H-T* II, fasc. 2 - 3, 1961, pp. 337 - 344 ; W. Seston et M. Euzennat, *La citoyenneté romaine au temps de Marc - Aurèle et de commande d'après la Tabula Banasitana, C.R.A.I*, 1961; ID, *Le dossier de la chancellerie romaine, la Tabula Banasitana, Etude de diplomatique, C.R.A.I*, 1971 ; R. Thouvenot, *Une colonie romaine de Maurétanie Tingitane, Valentia Banasa*, Paris, 1941.

مصطفى مولاي رشيد

ابن **زكري**، أسرة أندلسية هاجرت إلى فاس وتطوان وتلمسان قبل سقوط غرناطة وانتقل بعض أفرادها إلى العرائش ومراكز أخرى في الشمال. وفي *كشاف أسماء عائلات تطاون* أنه مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Cegri - Zegri. واشتهر منهم في تطوان فقيهان : أحمد ابن زكري، قائد عسكري شارك إلى جانب السلطان المخلوع محمد المتوكل السعدي في معركة خندق الريحان بالقرب من وادي الشراط يوم 13 ربيع الثاني عام 984 / 9 يوليوز 1576 حيث لقي حتفه ؛ ومحمد بن علي ابن زكري الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1285 إلى سنة 1295 / 1878.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان*، والمراجع العربية والأجنبية في رقم 255.

*S.I.H.M.*, France, 1 : 649 - 688.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **زكري، أحمد** الفقيه المفتي. أقدم من تحدثت عنه المصادر من فقهاء هذه الأسرة إلاّ أنها لم تنسبه إلى فاس أو غيرها من المراكز التي وجد بها أبناء زكري الأندلسيون. وإن كان بعض الباحثين رجح نسبه إلى فاس. وابن زكري هذا معاصر للأمير الشريف علي ابن راشد مؤسس مدينة شفشاون وإمارة بني راشد التي امتد نفوذها إلى جبال غمارة وبلاد الهبط، التي اشتهرت بالجهاد ضد البرتغاليين المحتلين لسبتة وغيرها من الثغور الشمالية. ولما أبرم أحمد بن محمد الوطاسي (ت. 960 / 1552) الهدنة مع البرتغاليين للتفرغ لمواجهة السعديين، لم يعترف المجاهدون وأميرهم علي بن راشد بالهدنة وظلوا يهاجمون النصارى. فقام فقهاء البلاط يشنعون على المجاهدين عملهم بدعوى أن الجهاد لا يصح إلاّ مع السلطان وبإذنه. وفي هذا السياق طُرح سؤال على فقهاء المغرب عامة، ومنهم المترجم : "ما ترون في هذا الشريف القائم بأمر الجهاد الآن في المغرب الأقصى من سور سبتة وأحوازها. فهل فعله اليوم جائز شرعاً لكون السلطان صالح المشركين" ؟ - الجواهر المختارة.

وقد فنّد الفقهاء الأحرار رأي مانعي الجهاد. وسيتكرر الموقف بعد أزيد من قرن مع المجاهد العياشي السلوي ومناوئين شيعة للمتأخرين من السعديين.

توفي أحمد ابن زكري في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م).

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط، 1976، ص.59 -60 ؛ ع. العزيز الزياتي، *الجواهر المختارة*، مخطوط ؛ م. عمراني، *الشرف والمجتمع والسلطة السياسية*، أطروحة مرقونة في كلية آداب الرباط، 2001 ؛ محمد البرتغالي الوطاسي، *معلمة المغرب*،4 : 1141 -1142.

ابن **زكري، مَحمد** بن عبد الرحمن الفاسي، عالم درّاك مجتهد يتقن كثيراً من العلوم اللغوية والشرعية. أخذ العلم عن مشيخة فاس، والتصوف عن شرفاء وزان، محمد بن عبد الله الشريف، ثم ولده التهامي فولده محمد الطيب. وصفه تلميذه عبد المجيد الزبادي المنالي بقوله : "الشيخ الإمام الحبر الهمام، الثقة الحجة، السالك من مناهج الدين أوضح محجة، الحافظ الضابط الثبت، الحسن النعت والسمت، العلامة الفهامة الدراكة المشارك، الذي لم يعقه عن الانفراد بدائرة وقته متدارك".

ألّف كتباً كثيرة كان يبدو فيها متفتحاً معتدلاً غير متقيّد بما ألفه الناس من مسلمات قد تؤدي إلى التناقض فيما قرره الإسلام من مبادئ كمبالغة تفضيل العرب على العجم التي تمس قضية المساواة بين المسلمين وذلك مثلاً في همزيته التي عارض بها همزية البوصيري، ولم يسايره في بعض مبالغاته التي ترسخت في أذهان العامة والخاصة عن حسن نية وبالغ محبة في الجناب النبوي الشريف. وقد توقف محمد بن الطيب القادري عند هذه النقطة في ترجمة ابن زكري في نشر المثاني واستطرد صفحات كثيرة في الرد على الشعوبية، وكأن المترجم له منهم، بالرغم على ما سمعه القادري من ثناء أشياخه المتتلمذين على ابن زكري العالم المحقق المدقق الصوفي. وقد ألف أحد علماء فاس وهو أحمد بن عبد السلام بناني (ت.1234 / 1818) كتاباً في جزءين في الانتصار لابن زكري والرد على المتحاملين عليه : تحلية الآذان والمسامع، بنصرة الشيخ ابن زكري العلامة الجامع، وسماه أيضاً بأسماء أخرى على عادة بعض المؤلفين.

من مؤلفات ابن زكري المطبوعة بالمغرب : *الإلمام والإعلام بنفثة من بحورما تضمنته صلاة القطب مولانا عبد السلام ابن مشيش* (ط. حجر فاس عام 1316 هـ، 312 صفحة) ؛ حاشية على صحيح البخاري وبهامشه كتب أخرى (ط حجر فاس د. تـ. خمسة أجزاء) ؛ *المهمات المفيدة في شرح الفريدة* : فريدة السيوطي في النحو (ط. حجر فاس، 1319 هـ، جزآن) ؛ همزية في مدح الجناب البنوي (ط. حجر فاس، 1330، 32 صفحة). ومن مؤلفاته التي مازالت مخطوطة : تفسير مواضيع من القرآن العظيم ؛ الفوائد المتبعة في العوائد المبتدعة ؛ وشرح النصيحة وشرح النصيحة كلاهما للشيخ أحمد زروق ؛ وشرح الحكم لابن عطاء الله ؛ وشرح الشمائل المحمدية للترمذي ؛ حاشية على توضيح ابن هشام ؛ وتقاييد في النحو والبيان والمنطق والأصول والفقه والتصوف وأشعار كثيرة.

توفي بفاس ليلة الأربعاء 8 صفر عام 1144 / 22 غشت 1731. ودفن بدار بالدرب الطويل صارت بعد ذلك مقبرة.

م. ابن زكري نفسه، مؤلفاته المذكور لاسيما الهمزية وشرحها ؛ ع. المجيد الزبادي، *فهرس*، مخطوط ؛ م. القادري، *التقاط الدرر* ؛ نشر *المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 5 : 2033 - 2044 ؛ أ. بناني، *تحلية الآذان والمسامع*، مخطوط ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، مرقون ؛ م. ابن جعفر الكتاني، *الأزهارالعاطرة الأنفاس*، مخطوط ؛ *سلوة الأنفاس*، ط. حجر فاس، 1300 ؛ ج.1 :158 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1955، ج. 8 :83 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، لبنان، د. تـ. ص. 335 ؛ سركيس، م. كحالة، *معجم المؤلفين*، بيروت، 1957 ؛ ج. 10 : 140 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988، 143 - 144.

ابن **زكري، محمد المفضل** بن عبد الغني الفاسي، عالم محدث مشارك، صوفي ذاكر ناسك، تخرج على يد كبار مشيخة العلم بفاس في وقته كمحمد بن المدني گنون وعبد المالك العلوي الضرير وأحمد ابن الخياط ومحمد بن التهامي الوزاني ومَحمد القادري وأحمد بناني وغيرهم. ولم يكن يعقد مجالس عامة للتدريس، وإنما كان يشتغل في البحث عن المراجع وسرد كتب الحديث مع جماعة خاصة من أقرانه. قال عنه في *سل النصال* : "لا يعرف قيمته إلا الخواص من الناحية العلمية والدينية. اجتمعت به مراراً وتبركت به وذاكرته".

توفي في ثالث عشر جمادى الأولى عام 1352، ودفن بالقباب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 3021.

محمد حجي

**الزكريتي، محمد** بن حموش مقاوم من مواليد سنة 1328 / 1910 بدوار زكريتن ملحقة اجدير إقليم تازة.

انضم إلى صفوف الثورة المغربية الريفية بقيادة البطل عبد الكريم الخطابي وأصيب بجروح، كما كان من المؤسسين لجيش التحرير سنة 1955 في كل من الناظور وقبيلة اكزناية، حيث كان ينفذ التعليمات الحربية المسندة إليه بكل شجاعة وإخلاص تحت قيادة أخيه الشهيد سيدي الحسن الزكريتي الذي كان قائداً لفرقته ضمن صفوف جيش التحرير.

توفي يوم الثلاثاء 29 جمادى الأولى عام 1416 / 24 أكتوبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524246.

**زكريّاء، أحمد** بن زكرياء بن الحسين الباعمراني اشتهر باسم والده زكرياء. وتعجب صاحب *المعسول* من انتقال هذه الأسرة من البسائط الفسيحة فكَيگ إلى بعقيلة الضيقة، هذا وقد استجوبت مترجمنا هذا فقال : أوكد لك عن عدم أي أثر يردنا إلى فكَيگ اللهم إلا مالنا من أجسام كاملة طويلة على عكس البودراريين القصار هذا كلامه.

ولد المترجم سنة 1335 / 16 . 1917 ويعد نموذجاً للشخصية الباعمرانية، فقد نشر المعرفة هناك وبث روح المقاومة الوطنية في تلاميذه وكان دائما في المقدمة، وبما أنني من تلاميذه فمن الواجب عليَّ أن أشير إلى ما قيل فيه من خير وإكبار وإشادة بمكانته.

قال عنه صاحب *المعسول* : "هذا هو الذي إليه يساق الحديث، وبسببه ذكرنا جميع من في هذه الأسرة المباركة". حفظ القرآن في زاوية سيدي سليمان على يد أحمد الباعمراني من قبيلة إيمستيتن ثم التحق بالمدرسة العلمية (الجمعة) بقبيلة أيت عبلاً الباعمرانية عند سيدي محمد بن عبد الله أوبلّوش، ومن هناك إلى مدرسة تانالت عند سيدي الحاج الحبيب البوشواري سنة 1354 ثم التحق بزاوية - إلغ - الدرقاوية عند الشيخ المدني، ومن إلغ إلى مدرسة إيغيلالن عند الحاج مسعود الوفقاوي إلى سنة 1361 ثمّ انتقل إلى فاس فأخذ عن جلة علماء فاس. وهكذا جال في معظم المدارس العلمية بسوس، وأخذ عن كبار أساتذتها، وكان ولاشك سمع قولة الشيخ بلقاسم من - تيفنوتْ - عند ما قال لبعض المحصلين من تلاميذه : ها أنت تعلّمت العلوم وأتقنتها، فاذهب إلى فاس لتتعلم العبارة ( *المعسول*، ج. 10، ص. 250).

شارط الأستاذ زكرياء في عدة مدارس علمية وتخرج على يده كثير من أطر الدولة حاليا ومن تلك المدارس مدرسة - بوگرفا - حتى تعرض فيها لمضايقة الاستعمار الإسباني، ثم شارط في مدرسة أيت بوبكر حيث كان يقصده الهاربون من فدائيي الدار البيضاء، ثم في مدرسة سيدي سليمان، وأخيراً صار أستاذاً في المعهد الإسلامي بتارودانت إلى أن بلغ سن التقاعد.

كان يكره الظلم بقدرما يكره الاستعمار، وكانت دروسه لا تخلو من الشحنة الوطنية، لذلك انضم إلى قادة أيت باعمران وشيوخهم عندما استنكروا الحالة المدنية لأيت باعمران وفيها الجنسية الإسبانية (الصبرانية) فأقام كل ـأمغار - تبريحاً - بسوقه يتبرأون من الجنسية الإسبانية، فكان رد إسبانيا هو القبض على الزعماء وعلى رأسهم مترجمنا هذا، وذلك سنة 1366 فسجنوا في الداخلة بالصحراء المغربية لمدة سنتين ونصف.

وساهم في المقاومة السرية بالدار البيضاء صحبة الشاويش أحمد الباعمراني وعلي الخمسي الباعمراني ثم ساهمنا في تكوين فرقة أخرى في خريبگة تحت يد سعيد بن المعلم مبارك الباعمراني ومعنا عبد العزيز الماسّي (*المعسول*، ج. 10، ص. 263).

وكانت مدرسة أيت بوبكر هي مقصد الفدائيين حيث مترجمنا هذا ومنها إلى مدينة سيدي إفني.

وعند رجوع الملك محمد الخامس سُمح في إفني بالاحتفال للأجئين دون الباعمرانيين، ولما فرض أيت باعمران احتفالهم بالقوة قبض على المتزعمين ومنهم مترجمنا هذا ونقلوا إلى الداخلة لمدة أكثر من خمسة شهور، كان مترجمنا هو الذي تولى الخطاب باسم وفد أيت باعمران بالرباط سنة 1376 / 1956.

وبما أن الحكومة المغربية لم تسرع إلى تسلُّم السلطة في أيت باعمران فإن المقاومة الشعبية بدأت من جديد فاعتقل مترجمنا هذا ونقل إلى السجن بالجزر الخالدات لمدة مائة يوم، ولما أطلق سراحه صادق من جديد الثورة التحررية لأيت باعمران ضد الاسبان في 24 نوفبر 1957 فكان مترجمنا هذا ممن يشجع ويبحث عن تموين المجاهدين، كما تفرغ لتكوين الشباب ثقافيا بالمعهد الإسلامي بتارودانت.

تنبأ له صاحب *المعسول* منذ كان في الغ بقوله "لهذا الأديب الكبير ربيب المدرسة الإلغية آثار أدبية لا بأس بها، وذلك سنة 1356. قال عنه المرحوم حمدي أنوش "حرم مترجمتنا من زيارة أهله وهو طالب بتنالت سنة 1935 ولاشك أن هذا الحادث له وقع كبير في مسيرته النضالية..." وأضيف هنا حتى الأدبية وقد جُمع له حتى الآن 3100 بيت كموضوع لدكتوراه لدولة.

وقال عنه اليزيد الراضي : "ونذر نفسه لخدمة الأجيال الصاعدة وتكوينها تكوينا متينا سليما، ينسجم مع هويتنا الحضارية ومبادئنا الدينية وتطلعاتنا المستقبلية".

وقال عنه أحمد أبو القاسم : "انخرط في ثورة الشعر المتأججة ضد الاستعمارين، فلم يبق له وقت لممارسة الإبداع، بل صرف كل جهوده للمشاركة في تنظيم وتسيير حركات المقاومة المغربية".

هذا وقد أقيم تكريم للمترجم من طرف جمعية أيت باعمران للتنمية بمدينة سيدي إفني يوم 13 نونبر 1994.

وتوفي يوم 29 جمادى الثانية عام1416 / 23 نونبر 1995.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 10، ص. 241 ؛ *الإلغيات*، تكريم الأستاذ أحمد زكرياء من طرف جمعية أيت باعمران للتنمية، *عروض وشهادات*، ص. 27.

الحسين جهادي

**زگـزل**، اسم لأهم أنهار سهل تريفة شمال سلسلة جبال بني ازناسن بالمغرب الشرقي. والظاهرة الغريبة التي يتميز بها أن عيونه تتفجر بالعدوة الجنوبية بطية كبرى تقع أسفل الجبال المذكورة من الجهة المذكورة ثم تتجمع عند وهد

تقعُّري يكسو سريره تركيب مختلط بين الأتربة الطينية ومسطح من الكلس. ويمر الوادي عبر خنگ، أي خانق، يبلغ عمقه زهاء 700م، تحت الجبال، قبل أن يطل من إبط بركان. ومن غرائب الطبيعة هناك أيضاً، أن الخنگ المذكور تعلوه طبقتان مسطحتان، احداهما على ارتفاع 800 م والثانية تتخللها قمم يتباين ارتفاعها من 1150 م إلى 1200 م، باستثناء قمة واحدة مرتفعة بنحو 1400 م. وتوجد بجوانبه خوانگ كثيرة تحمل اسمه.

وتتميز الضفة الغربية لوادي زگزل بوجود عينين، عين أولول وعين الكرمة مما أثار الانتباه إلى ما قد يكون تحت سهل اتريفة وسهل انگاد من مياه جوفية، وفعلا أكدت أعمال الحفر أن المنطقة غنية بتلك المياه، وقد تم اكتشافها على عمق 63 م، وشرع في استغلالها منذ عدة عقود. ويواصل زگزل مسيرته نحو الشمال حيث يصير اسمه واد الشرع الذي يصب في ملوية على نحو 30 كلم من البحر المتوسط.

وهناك جماعة قروية يخترق أرضها واد زگزل تسمّى باسمه قاعدتُها بلدة أكْليم التي أصبحت بلدية بـ 8.000 من السكان، ومركزاً لدائرة عدد سكانها 76.000 نسمة، في حين تبلغ ساكنة الجماعة القروية 25.000 نسمة.

R. Raynal, *Plaines et piedmonts du bassin de la Moulouya (Maroc oriental)*, Rabat, 1961, pp. 166, 254 ; A. Stretta, *Amalat d'Oujda : la plaine des Triffa*, pp. 43, 45 ; L. Gentil, *Extrait du Bull. Soc. Geog.*, t. XXIII, jan. 1911, pp. 17 - 38 ; Ministère chargé de la population : Direction de la Statistique, *Recensement 1944*, Rabat.

أحمد بنجلون

**الزكَّارة**، قبيلة تقطن بجبل زكري الذي يبعد بحوالي خمسة وعشرين كيلومتراً جنوب غرب مدينة وجدة، وتنتشر في مجال يمتد من وادي إسلي إلى مشارف العيون الشرقية. ويعود أهلها في أصولهم إلى جهات مختلفة من بسيط أنگاد وبني إزناسن وگرسيف ودبدو وفگيگ والصحراء، ويشتغلون بالفلح والرعي.

وستحسب من تاريخ هذه القبيلة على إبراز الأثر البعيد الغور الذي خلفه انخراطها في سلك الحركة الصوفية التي تزعمها الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524) خلال الربع الأول من القرن العاشر (16م)، وثبات أهلها على المحبة في هذا الشيخ والتعلق بمذهبه وخدمة ضريحه وحفدته. وتأتي على رأس ممهدات انتساب الزكراويين إلى الطريقة الراشدية مجاورة بلادهم للمنطقة الغربية من المغرب الأوسط التي شكلت مهد هذه الطريقة ومجال انتشارها في حياة الشيخ أحمد بن يوسف، والممتد من سهل شلف شرقاً إلى ندرومة غرباً ومن السواحل المطلة على البحر المتوسط شمالاً إلى تخوم الصحراء جنوباً. وقد أهلت هذه المتاخمة قبيلة الزكارة لتحتل قلب جغرافية الطريقة الراشدية في المغرب وتتصدر تاريخ حلقات انتشارها به، إذ تأسست غالبية الطوائف والزوايا الراشدية المغربية الأولى في الناحيتين الشرقية والجنوبية من البلاد، مثل السهيلية والشيخية والكرزازية والصادقية والغازية وغيرها.

وتعبر الرواية الشفوية الزكراوية عن هذا الامتياز، وتحدث بخبر زيارة الشيخ الراشدي للزكراويين ونزوله بين ظهرانيهم، وهو خبر لا سبيل إلى إثباته أو نفيه. والمؤكد هو طروء حفدة هذا الشيخ على الزكارة، قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1245 / 1830 ومن بعده، وانتظامهم في المجموعات المشكلة لها، وتفرعهم إلى عدد من فرقها، وتقاسمهم الرئاسة الروحية بها مع حفدة الشيخ عمر بن سليمان تلميذ الشيخ أحمد بن يوسف، ومؤسس الطائفة اليوسفية المتفرعة عن الراشدية. وتؤيدها السيرة المفردة في الراشدي من قبل محمد الصباغ القلعي خلال العقد السادس من القرن العاشر (16 م)، وذلك فيما يتعلق بتأكيد اسم شيخ اليوسفيين، وجعله من أعلام الطبقة الراشدية الأولى، ومن كبار صحب الراشدي ومن المقربين من أتباعه، الذين كانوا يقضون الليل في بيته، وذلك في قرية مصراته المجاورة للقلعة من البلاد الراشدية. وتتباين أخبار سيرة الشيخ عمر بن سليمان في الرواية الشفوية الزكراوية، نتيجة التعارض بين مروجيها "أولاد الزروقي" المنتسبين إلى فرقة "أولاد سيدي أحمد بن يوسف" حفدة شيخ الطريقة الراشدية و"الرسمة" حفدة شيخ الطائفة اليوسفية، وهما فرقتان زكراويتان متنافستان حبّاً في الرئاسة والاستظهار : وينسب الأولون الشيخ عمر بن سليمان إلى وطن بني راشد، ويقولون بنشوئه على دين اليهودية، ويفخرون بإسلامه على يد جدهم، ويحملونه مسؤولية الانحراف الذي لحق بالطريقة الراشدية على يده، والمتمثل في دعوته إلى البدعة اليوسفية. ويقول الرسميون إن هذا الشيخ جدهم الأعلى، ويرفعون نسبه إلى إدريس الأكبر، ويجعلون ضريحه بقصبة شراعة من قبيل تريفة، ويذكرون أنه قد بنى بإحدى بنات أو حفيدات شيخه أحمد بن يوسف.

وقبيلة الزكارة ليست الوطن الأصلي لعشيرة الرسميين، الذين يزعمون أنهم خلف طائفة صوفية أندلسية ! ولا يعلم متى طرأوا على بني عتيق في بني ازناسن، واستقروا بالموضع المسمى تغاسروت، وهو الموضع المسمى اليوم تزغين قرب أبركان. ولم ينظر بنو عتيق بعين الرضى إلى هؤلاء الطارئين المنتحلين لمعتقدات أنكروها، وكافحوهم وراموا استئصال شأفتهم. ولم تنج منهم إلا فئة قليلة فرت إلى فرقة أولاد محمد الزكراويين المنتسبين إلى الطائفة اليوسفية، والذين استضافوهم وأكرموهم، واتخذوهم متبوعين لاتصال نسبهم بمؤسس هذه الطائفة.

ولا يتفرد الزكراويون بإقرار الرسميين على صلتهم الدينية والطينية بالشيخ عمر بن سليمان، بل يقطع بهذه الصلة أيضا الغنانمة القاطنون بين مراكش وتامصلوحت في

مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، وهم معدودون من جملة اليوسفيين. ويسوغ هذا التساؤل إذا ما كان موضع تزغين موطن استقرار عمر بن سليمان بعد خروجه عن شيخه أحمد بن يوسف، وهل هذا مسقط رأسه أيضا ووطن عشيرته ؟ وهل شكل المجال الجغرافي الممتد من قصبة شراعة من قبيلة تريفة شمالاً إلى فرقة أولاد محمد من قبيلة الزكارة جنوباً، مروراً بهذا الموضع من بني عتيق، موقع تأسيس الزاوية اليوسفية الأم، ومجال نفوذها في حياة مؤسسها الشيخ عمر ابن سليمان ؟

وهكذا يكون الزكراويون قد انتسبوا إلى الطريقة الراشدية من طريق الطائفة اليوسفية التي تأسست قريبا منهم، في حياة الشيخ أحمد بن يوسف، خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م)، وصاروا تابعين لأحد أعلام الطبقة الراشدية الأولى، وهو الشيخ عمر بن سليمان. وقد تفرعت الطريقة الراشدية بعد انتقالها إلى المغرب إلى اتجاهات متفقة في النسبة الزروقية ـ الشاذلية، ومختلفة في رؤاها الفكرية والمذهبية. وتزعمت الطائفة اليوسفية الاتجاه الذي تعلق بمذهب الشيخ أحمد بن يوسف، والمتصل بفكر أبي يزيد البسطامي (ت. 261 / 874)، والقائل بالإحسان بلا علل، والمحبة الخالصة، والتساهل في تحقيق الخشية والرجاء. وقد بالغت الطائفة اليوسفية في التأسي بالطريقة الراشدية التي تسللت منها إلى درجة انتحال أحد أسمائها وهو اليوسفية، والتعفف عن اتخاذ اسم يخصها ويميزها عنها، وظلت تعرف بهذا الاسم طول القرن العاشر (16 م). وستدعى من بعده، وعلى مدى تاريخها الطويل والممتد من القرن العاشر (16 م) إلى القرن الرابع عشر (20 م)، بتسميات متعددة. منها ما ارتضاها أتباعها لأنفسهم كالأحمدية والملاينة نسبة إلى الشيخ أحمد بن يوسف وضريحه بمليانة، ومنها ما أطلقها خصومهم عليهم كالبضاضوة نسبة إلى إباضية مزاب بالمغرب الأوسط، والشراگة نسبة إلى القبائل التي انتقلت منه إلى المغرب الأقصى. والعكاكزة نسبة إلى العكاز أحد شعارات الفقر، وهي التسمية التي اشتهرت بها هذه الطائفة أواخر الدولة السعدية وصدر الدولة العلوية، وطغت على كافة تسمياتها السابقة. هذا بالإضافة إلى القبائل التي ظلت على هذه النحلة الصوفية إلى مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، والتي لم تعد تعرف إلا بأسمائها كالزكارة التي تهمنا وبني محسن والغنانمة والملاينة.

ويعد المشرب الصوفي الذي كرع الزكراويون من حوضه من المشارب الصوفية غير المرغوب فيها من قبل غالبية مشايخ التصوف المغربي من أهل القرن العاشر (16 م)، الذين كانوا يرون فيه أصل شبوب الفتن، والطريق المباشر إلى الانحراف، وكانوا يحذرون الناس من مشايخه، ويصرفونهم عن مصنفاته، ويقولون إنها تسد باب الفتح. فطوقت الطائفة اليوسفية بتهمة البدعة، وجوبهت بالمكافحة على عهد الوطاسيين والسعديين. وأفاد اليوسفيون من زمان الفترة الطويلة التي امتدت من وفاة السلطان أحمد المنصور (ت. 1012 / 1063) إلى قيام الدولة العلوية، وظهروا ظهوراً خطيراً. ونتوفر من تاريخ قبيلة الزكارة، خلال هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الطائفة اليوسفية بالمغرب، على الإشارة التي جاءت بكتاب "تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين" للمؤلف المجهول الذي عاش بالمغرب أواخر الدولة السعدية، وبرحلة أحمد الهشتوكي الحجازية التي تمت عام1096 / 1684 وعنوانها "هداية الملك العلام"، وقوامها ذكر بني يعلى من بني يزناسن ضمن المواضع اليوسفية التي طبقت شهرتها آفاق المغرب على عهد الفترة من القرن الحادي عشر (17 م) وبنو يعلى المقصودون هم الساكنون في اجرادة والراجعون لقبيلة الزكارة الكبرى، وأيضا إخوتهم من بني عتيق الزناتيين اليزناسيين.

وحاكم السلطان مولاي رشيد اليوسفيين عام 1080 / 69 ـ 1670 واستتابهم، ونكبهم السلطان مولاي إسماعيل عام 1102 / 1691، وخرب أنشط وأهم مواضعهم الواقعة بتادلا وزمور، ونفذ حكم الزندقة في مشايخهم، وبدد تراثهم، وفرق شمل عوامهم وأجلاهم عن مطاعنهم إلى حيث لا شيعة لهم، ونفاهم خلال القبائل التي لا تدين بنحلتهم، وقد أفادت قبيلة الزكارة من موقعها الجغرافي النائي عن السلطة المركزية والقريب من مراكز الطائفة اليوسفية والطريقة الراشدية في تزغين ومليانة، فنجت من هذه النكبة، وازدادت أهمية بعد نزوح الرسميين إليها من تزغين وهم حفدة شيخ اليوسفيين، وتكاثر بها حفدة شيخ الراشديين. حيث طرأت عليها فرقة جديدة منهم فارة في وجه الفرنسيين بعد احتلالهم للجزائر، وهي فرقة "أولاد الزروقي" التي انضافت لفرقة "أولاد الزناگي" المستقرة بالزكارة قبل القرن الثالث عشر (19 م). وهناك فرقة زكراوية ثالثة تدعي النسبة إلى طائفة "أولاد سيدي أحمد بن يوسف" وتدعى "الغواثة"، ولا تقرها الفرقتان السابقتان على ذلك، وتنسبانها إلى مؤذن وخديم جدهم الشيخ أحمد بن يوسف، وانتشر النفوذ الصوفي الزكراوي بعد تفرق الرسميين أيادي سبأ، وانتشارهم في القبائل التي ظلت على النحلة اليوسفية في بني محسن من قبيلة غياثة في ناحية تازة، والغنانمة المستقرين بين مراكش وتامصلوحت، والملاينة المستوطنين سهل الغرب. وبدت الزكارة في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) بمظهر الزاوية اليوسفية الأم، واعترفت لها القبائل المذكورة بالتبعية الروحية، وقصدتها بالزيارات ورفع الهدايا.

وإذ أذنت نكبة عام1102 / 1691 لحرب اليوسفيين أن تضع أوزارها، ولأهل السنة أن ينصرفوا عن الاهتمام بهم بعد خضد شوكتهم، وللمصادر السنية أن تسكت تماماً عن أخبارهم، حيث اعتور تاريخهم فتور لم ينشط من عقاله

أبد الدهر. فإن المجاورين والمخالطين للزكراويين لم يجنحوا إلى السلم، واستمروا على مكافحتهم لليوسفيين منهم. ونقصد بالمخالطين "أولاد الزروقي" المتنافسين مع إخوانهم "أولاد الزناگي"، والذين تسلحوا بصورة البدعة اليوسفية في خصومتهم معهم ومع شيعتهم الرسميين، واستخدموها كتهمة يلوحون بها ويهددون. ولا يستبعد أن تكون هذه أيضاً حال بعض المجموعات المكونة للقبيلة الزكراوية من غير اليوسفيين، أمثال "أولاد رباح" و"المحافيظ".

وتتلخص صورة البدعة الزكراوية المروجة من قبل الخصوم في غلو الزكراويين اليوسفيين في محبة الشيخ أحمد بن يوسف وتفضيله عن الرسول (ص)، وجريهم على سنن سلفهم في إنكار نبوته (ص)، والجرأة على الاستخفاف به (ص). وفي تعدد مظاهر إباحتهم، من تعطيلهم أركان الإسلام الخمسة، ورفضهم الضحية وتفضيل الميتة عليها، واستحلالهم أكل الخنزير، وارتكابهم المحارم واشتراكهم في النساء في ليلة معلومة تدعى ليلة الخلطة أو الغلطة، وعقدهم القران بين الرضيع والبالغة وتفكه رسمتهم بالأبكار. وتتصل صورة البدعة الزكراوية هاته بالصورة التي رسمها أهل السنة لليوسفيين خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 و17 م)، وقصدوا بها إلى كافة المغاربة تحذيراً لهم من انطلاء ناموسهم عليهم، وإلى ولاة الوقت انتهاضاً لهم لإطفاء شرهم ووضع الحكم الشرعي فيهم. وهي صورة غريبة عن المنطلق الحقيقي والمصدر التاريخي للنحلة اليوسفية وهي الطريقة الراشدية، وهي بداية هذه البدعة في المصادر السنية. أما متوسطها ونهايتها وقوامها الغلو والإباحة فلا يمتان إلى الواقع بصلة، ويؤولان إلى تاريخ الخيالات والذهنيات، ويتصلان بالتهم المتواترة كونياً، ومنذ أقدم العصور، والملفقة للخصوم في المذهب والدين.

وهكذا تلازم ثبات الزكراويين على النسبة اليوسفية مع إصرار واستمرار مجاوريهم ومخالطيهم على مكافحتهم والتضييق عليهم، وذلك في إطار قطيعة تامة مع تاريخ هؤلاء وأولئك. وقد نتجت هذه القطيعة عن الفجوة التي حدثت في تاريخ الطائفة اليوسفية، والتي أعقبت نكبة عام 1102 / 1691 واستغرقت القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 و19م) بأكملها. ولم يعد الزكراويون يذكرون من تاريخ أسلافهم اليوسفيين شيئاً، ونسوا تماماً تاريخ الخلاف المذهبي الطويل الذي در قرنه بينهم وبين أهل السنة في إطار الإسلام والتصوف منذ أولية القرن العاشر (16 م)، ولم تخف حدته إلا في نهاية القرن الذي أعقبه، وهذه حال خصومهم أيضاً الذين يجهلون تاريخ المكافحة السنية التي عنها يصدرون.

وفي خضم هذا النسيان الشامل للجذور التاريخية للخلاف الناشب بين الزكراويين وخصومهم طرأ اهتمام جديد بأهل جبل زكري ونحلتهم، وانطلق من مدرسة الاستشراق الفرنسي التي نشأت بالجزائر، والتي ما انفك علماؤها منذ استقروا بهذه البلاد يسألون الناس ويبحثون في بطون الكتب عن إمكانية وجود قبيلة مغربية وأمازيغية بالأساس لا تدين بالإسلام. وكان يحلو لهم أن يظنوا أن قفار جنوب وشرق المغرب الشاسعة وكتلة الأطلس الهائلة لا زالت تأوي جماعات تحافظ على معتقدات جد بدائية ظلت مستعصيةعلى الإسلام. وتسلط هذا الوسواس أكثر ما تسلط على Auguste Mouliéras أستاذ اللغة العربية بوهران، الذي بعث بمخبره الجزائري المتستر في مرقعة الفقر في ثلاث بعثات استكشافية إلى المغرب يبحث له عن ضالته المنشودة : قبيلة مغربية أمازيغية لا تدين بالإسلام. وكان مخبره المذكور يعود إليه في كل مرة بخفي حنين، إلى أن قاده إلحاحه إلى رجل من بني إزناسن أسر إليه بأن الزكراويين الزناتيين لا يدينون بالإسلام، وأن مجاوريهم يرون أنهم على دين النصرانية، وعليه أن يحقق هل هم نصارى حقاً أم من عبدة الأوثان ؟

وفرح Mouliéras بهذا "الاكتشاف" فرح الصائد بالقنيص، واعتقد أنه اهتدى - حسب تعبيره - إلى العثة التي قطعت الطريق على الفيل الذي هو الإسلام، والحطام الذي نجا وطفا على السطح بعد طوفان الإسلام الذي أغرق كل الأديان والشعوب التي تعاقبت وتوالت على المغرب ! وأخرج ما في جعبته في مقالات متسلسلات ثلاث جمعها في كتاب (1903 - 1905)، وأثار ذلك حين صدوره ضجة عارمة، حاول البعض إخماد نارها، وسعى البعض إلى إذكاء أوارها. وكان له على هناته وسقطاته فضل لفت النظر إلى القبائل المغربيةالتي ظلت على النحلة اليوسفية إلى مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، كما كان وراء إنتاج تراكم لا بأس به من الكتابات التي همت مختلف أوجه الحياة في قبيلة الزكارة.

ووضع Mouliéras يده على مظاهر الغلو والإباحة من النحلة الزكراوية، والمخالفة للإسلام المخالفة الصريحة، كبغض الرسول (ص) ورفض المأمورات واقتحام المنهيات، وترك ما دون ذلك. وكذب كل الأخبار التي تهم اشتراك الزكراويين في النساء تكذيباً قاطعاً، ونسبها إلى كره المسلمين لهم لاستعصائهم - في نظره - عن الدين الحنيف. وجعلها مجرد أراجيف وافتراءات باطلة، واجتهد في دحضها متوسلاً بكل التأويلات الحسنة لها، ومستعيناً بكل الأساليب الساخرة تنكيتاً على مروجيها وتسفيهاً لهم.

ولم يكن Mouliéras من الأصل متحمساً إلى نسبة الزكراويين إلى المسيحية، لميوله الماسونية واستخفافه بالأديان السماوية. ورأى بأن نحلتهم موغلة في القدم، وترجع إلى عهود البدائية السحيقة. فالزكراويون - في نظره - لم يمروا لا بالمرحلة الأسطورية ولا الدينيّة، والعقيدة التي لا يزالون يحيون عليها حتى مطلع القرن العشرين إرث حي

ومباشر تخلف عن المجتمعات البدائية، واستمر خالصاً من كل شائبة، رغم تعاقب الأديان والمذاهب على الصقع المغربي قرابة ثلاثين قرناً. وظلت هذه العقيدة مرآة صافية تعكس العصور القديمة التي سبقت الأساطير والنواميس التي مهدت للأديان السماوية.

ولم يستقر Mouliéras على مذهب واحد بعينه في بحثه عن مصدر النحلة الزكراوية، وقال بجملة من الأصول فسر وأوّلَ بها تباعاً نحلة الزكراويين : فبعد أن توهم في بادئ الأمر أنهم نصارى، رجح بأن عقيدتهم تأليهية خالصة أو ارتيابية. ولم يلبث أن جعلها وضعية بدائية، ثم عاد وقال إنهم زنادقة ملحدون، كما سيعتبرهم فولتيريين وماسونيين.

وكانت قضية هذه القبيلة من بين القضايا التي اهتم بها وتدارسها المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين، الذي انعقد في مدينة الجزائر في شهر أبريل عام 1905، وقد حضرهُ خمسمائة عضوٍ جاؤوا إليه من مختلف الأقطار. وقد تقدم كل من محمد بن عبد الرحمن وW. Marçais وVon Oppenheim بملاحظات في موضوع النحلة الزكراوية، وساهم E. Montet بعرض هوانه "هل الزكراويون مسيحيون أم مسلمون ؟"، وقارن W. Marçais بينهم وبين بني عداس الجزائريين الذين يسمون أيضاً بالعامرية أو عامر. وواصل E. Montet اهتمامه بمشكل هذه القبيلة، تبعاً للجدل الذي أثاره عرضه السابق الذكر، فنشر في العام نفسه مقالا وسمه "الزكارة في المغرب : مشكل ديني"، وأكد فيه أن الزكراويين مسلمون، وأن نحلتهم مجرد بدعة، وربما كانوا على صلة بالشيعة الدروز.

واهتم R. Basset بهذه النحلة في خاتمة مقاله *"أبحاث عن الديانة عند الأمازيغ"* (1910)، الذي استعرض فيه الدين عند الأمازيغ منذ الوثنية إلى عهود الإسلام الأولى في المغرب. وتساءل إذا ما كان الزكراويون على صلة بالمذاهب الخارجية والشيعية والبورغواطية، والحادثة في المغرب قبل المائة السادسة للهجرة. ولم يؤيد A. Bernard ما ذهب إليه Mouliéras بصدد عقيدة الزكراويين، وذلك في كتابه *الحدود المغربية الجزائرية* (1911)، والتي تقع قبيلة الزكارة قريبة منها، ورأى بأنهم ربما كانوا على مذهب الإباضية أو على دين اليهودية. وأكد L. Voinot في كتابه *وجدة والعمالة* (1912) على نسبة الروايات التي تهم هذه القبيلة إلى المجاورين والمخالطين لأهلها، وأن الزكراويين ينكرونها ويعلنون إسلامهم، إلا أنهم تغلب عليهم رقة الدين، وأن مشايخهم لا علاقة لهم بالكهنوت، وأنهم صلحاء مبجلون.

وأفرد E. Friang بحثه لنيل شهادة التخرج في سلك المراقبين المدنيين سنة 1946 في البدعة الزكراوية، وانتهى فيه إلى تقهقرها في وجه العقيدة الإسلامية، واستدل على ذلك بالرحلة الحجازية التي قام بها أحد الرسمة مع ثلاث زكراويين قصد أداء مناسك الحج عام 1937. وقال باختفاء ليلة الغلطة، واضمحلال بقية الشعائر والمراسيم الجنسية من تفكه الرسمة بالأبكار وزواج الرضيع من البالغة.

وأعد Monsempes المنتسب إلى معهد الدراسات العليا الإدارية الإسلامية بباريس دراسة عنوانها *مساهمة في التعريف بقبيلة : الزكارة*، وذلك عام 1955. وهي مونوغرافية مفصلة عن جغرافية هذه القبيلة، وأصول سكانها، وأحوالهم المادية والاجتماعية والإثنوغرافية. وقد عمد هذا الباحث إلى التحري الميداني، وقام بالاستخبار في عين المكان. ويبدو أن مهمته لم تكن بالسهلة اليسيرة، وأنه كان مستخبراً مشبوهاً وجوبه بالحذر والحيطة. وأكد أن الصبر كان ديدنه، وأن تردده المستمر على الزكراويين، والعلاقة الطيبة التي نظمت بينه وبينهم، قد أثمرا صداقة ومودة وثقة ألفت بينه وبين بعضهم. وخلاصة استخباره في شأن البدعة الزكراوية قوله إن الروايات المتعلقة بها مادة يصعب تحديد مقدار الصحة فيها، أو تعيين مقدار الخيال فيها، سواء كان مصدرها المنكرون أو المستحلون، وإقراره بعجزه عن اتخاذ موقف منها تأييداً أو إنكاراً.

وأذنت نهاية الحماية الفرنسية على المغرب، عاماً واحداً بعد هذه الدراسة، بنهاية اهتمام الفرنسيين بقبيلة الزكارة، وبغيرها من المجموعات القبلية المغربية التي ظلت على النحلة اليوسفية إلى القرن الرابع عشر (20 م). ودخل تاريخ الزكراويين طور الخمول من جديد، وانحصرت أخبارهم في نطاق المحلية الضيق، لكن إلى حين. وقد تلقف عبد الصمد الديالمي ما عند Mouliéras في كتابه *المرأة والجنس في المغرب* (1985)، فدفع برمضان مصباح إلى شد الرحال إلى الزكارة والاستخبار فيها مع رئيس جماعتها القروية وطائفة من كهولها ومسنيها، ونشر حصيلته تحت عنوان *"بين أوغست موليراس وعبد الصمد الديالمي ضاع إسلام وكفاح قبيلة الزكارة"* (1986)، وخلاصة مقاله أن معاصرينا الزكراويين لم يعودوا يذكرون إلا ما كتب وقيل عنهم في عهد الاستعمار.

م. الصباغ القلعي، *بستان العارفين الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار*، مخ خ ع 243 ك،59 ؛ مجهول، *تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين*، مخ خاص، غير مرقم ؛ أحمد بن محمد الهشتوكي، *هداية الملك العلام إلى حج بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام*، مخ خ ع 190 ق.71 ؛ قدور الورطاسي، *بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني*، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976، 20، 93 ـ94 ؛ عبد الصمد الديالمي، *المرأة والجنس في المغرب*، الدار البيضاء، 1985، 44 ؛ رمضان مصباح، *بين أوغست موليراس وعبد الصمد الديالمي ضاع إسلام وكفاح قبيلة الزكارة*، العلم الثقافي، العدد 792، السبت 6 شتنبر 1986، 4 ـ5 ؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب، طائفة العكاكزة ق 16 و17*، منشورات كلية الآداب بالرباط، الدار البيضاء، 2000، 33 ـ36.

257 . 261، 295 . 299، 310، 350 . 355، 357 . 364، 367، 371 . 372، 376 . 379، 383 . 384، 392، 395، 397.

A. Mouliéras, *Une tribu Zénète anti-musulmane : les Zkara, bull. soc. archéo. Oran* : 26e année, t 23, fasc XCVII, oct - déc 1903, 293 - 332, 1ere partie ; 27e année, t 24, fasc c, juillet - sept 1904 ; 28e année, t 25, fasc CII, janv - Mars 1905 ; *Une tribu Zénète anti-musulmane : les Zkara*, Paris, 1905 ; V. Aymé, *Lettre à Mr Mouliéras à propos d'ethnologie berbère, bull. soc. géo. archéo. Oran*, 1904, 405 - 407 ; J. Corriéras, *Une tribu Zénète anti-musulmane : les Zkara, A.F : R.C*, année 1906 ; *Actes du 14e congrès international des orientalistes d'Alger*, 1905, 1 : 45 - 46 ; A. Bel , *Le 14e congrès international des orientalistes d'Alger* 1905, *bull. tr. soc. géo. archéo. Oran*, 28 année, t 25, fasc CIII, avril - juin 1905, 192 - 204 ; E. Montet, *L'histoire des religions au congrès des orientalistes d'Alger, revue de l'histoire des religions*, t 52, 1905, 78 - 84 ; M. Bencheneb, *3e section langues musulmanes dans le congrès d'Avril 1905 à Alger, revue africaine*, 2e - 3e tr, 1905, 263 - 343 ; E. Montet, *Les Zkara du Maroc : un problème religieux, revue de l'histoire des religions*, t 52, 1905, 418 - 425 ; R. Basset, *Recherches sur la religion des Berbères, revue de l'histoire des religions*, vol XLI, n 3, 291 - 342 ; A. Bernard, *Les confins algéro-marocains*, Paris, 1911, 29 - 30 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912, 186 - 189 ; E. Friang, *Les Zkara et leur évolution devant l'Islam*, mémoire de Fin de stage des contrôleurs civils, promotion 1946 ; E. Dermenghem, *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Paris, 1954, 237 - 238 ; Monsempes, *Contribution à la connaissance d'une tribu : les Zkara, archives du centre des hautes études administratives musulmanes*, Paris, 1955.

عبد الله نجمي

**الزكّاري**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة أسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Zacari.

وكانت بتطوان أسرة أخرى أصلها من قبيلة بني زگار الهبطية منهم، أحمد بن محمد الزكاري من أعيان تطوان، عين أمينا للمستفاد بالعرائش في 22 ربيع الثاني 1304 وتوفي بطنجة سنة 1330 (1911).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 770.

محمد ابن عزوز حكيم

## الزكّاري أحمد الفاسي ← ابن الخياط

**الزكّاري، محمد** (الحاج –) التطواني (خليفة النائب السلطاني بطنجة وأمين مرساها). ينتمي إلى إحدى العائلات الشهيرة بتطوان في القرن الثالث عشر (19 م) (*مختصر*،2 :333 ) والتي تولى بعض أفرادها مناصب مخزنية هامة، وخاصة منها مناصب الأمانة. وقد برز من بينهم أشخاص حملوا نفس اسم المترجم منهم الحاج محمد الزگاري الذي كان يشتغل أميناً بمرسى العرائش1249 / 1834 (*تاريخ تطوان*، 8 : 286)، وكذلك محمد الزگاري الذي كان يشغل منصب أمين الداخل بمكناس سنة1274 / 1858 ( *إتحاف*،3 : 549). هذا ولا نعرف إذا كانت هنا قرابة عائلية بين هؤلاء وبين المترجم الذي نكاد لا نعرف عنه هو نفسه شيئاً، قبل اندماجه في الخدمة المخزنية، سوى ما وصفه بلديه مفضل أفيلال في الرحلة المراكشية عندما نزل ضيفاً على خطيب المسجد الأعظم بطنجة الفقيه الفلوس في شوال 1277 / ماي 1261، وكان الحاج محمد الزگاري من بين الطلبة المستقبلين له، فكتب عنه يقول :

"وإذا بالشاب الأديب، الورع الحسيب، من طاب خلقاً وخلقاً، وفاق أقرانه نباهة وتقى، حاج الحرمين، ومجل العلماء بلامين، من خاضت في محاسنه أفكاري، الحاج محمد الزگاري، فتفاءلت بطلعته السعيدة ويمنه، على صغر سنه، أقبل كالظبى النافر وأحضر كل ما يحتاج إليه المقيم والمسافر... (*تاريخ تطوان*، 7 : 202)، وهذه كلها صفات من شأنها أن تجذب نظر المخزن إليه لتولي مناصب هامة في أسلاك الدولة. وهكذا ولاه السلطان المولى الحسن أميناً بمرسى طنجة فيما بين شعبان 1301 / ماي 1883 وربيع الثاني 1304 / يناير 1887 (كناش خ ح رقم 677). وعندما قرر إرسال نائبه بطنجة الحاج محمد الطريس سفيراً عنه إلى روما لدى البابا ليون الثالث عشر سنة 1888 (*تحفة*،100 . 108 ؛ *الاستيطان*، 1 : 383 . 390) استنابه عنه ليقوم مقامه بشؤون دار النيابة السعيدة بطنجة أثناء مدة غيبته عنها (*وثائق تطوان*، مح6 : 75 ) التي استمرت شهري فبراير ومارس من نفس السنة ( *الاستيطان*،1 : 385 ). وظل المترجم على اتصال دائم بالنائب السلطاني الحاج محمد الطريس بروما يكتب له عن كل ما يجرى بدار النيابة ويتلقى منه الأجوبة عن ذلك (*تحفة*، 108)، كما كان يكتب إلى السلطان بما يجيبه به الطريس وكذلك النواب الأجانب باعتباره "خليفة خديمنا الأرضى الحاج محمد الطريس" كما كان ينعته المولى أثناء غيبة هذا الأخير عن طنجة (*وثائق تطوان*، مح6 : 79). وكانت العادة الجارية أن مهمة هذا الشخص غالباً ما تنتهى بعودة النائب السلطاني إلى محل أشغاله بطنجة، إلا أن الحاج محمد الطريس تعمد الإبقاء على المترجم معه بدار النيابة للاستعانة به على كثرة الأشغال وقلة المعين، خاصة بعد أن عينه المولى الحسن في 82 ماي 1888 لحضور المؤتمر الدولي المزمع عقده في مدريد للحد من أضرار الحماية القنصلية بالمغرب (*وثائق تطوان*، مح6 :114) والذي سوف يتم تأجيله المدة تلو الأخرى قبل أن يتم إلغاؤه (Miège, 4 : 155 - 165). ومن أجل ذلك طلب من السلطان جعل الأجرة للمترجم أي جعله خليفة له بصفة رسمية، إلا أن المولى الحسن كان له موقف آخر، وهو أن يبقى أمر الانابة إلى السلطان. (*وثائق تطوان*، مح 27 : 153).

وبالرغم من التبرم الذي أبداه السلطان في هذا الجواب، فقد ظل الحاج محمد الطريس مصراً على طلبه، محاولا إستغلال علاقات الود التي تجمعه بالوزير غريط المذكور آنفاً (*وثائق تطوان*، مح 27 / 165).

هذا ولم يلبث السلطان المولى الحسن أن وافق على طلب الحاج محمد الطريس بجعل خليفة له من دون أن يعين له أحداً حسبما أجابه به الوزير محمد المفضل غريط في 25 ربيع الثاني 1306 / 29 دجنبر 1888 بقوله :

وأمرني مولانا نصره الله بالكتابة لك بأن تعين للنيابة عنك من تطيب فيه نفسك.." (*وثائق تطوان*، مح 28 : 48).

لكن بالرغم من هذه الموافقة من طرف السلطان، فان تنفيذ ذلك لم يتم إلا في 28 رجب 1308 / 9 مارس 1891 عندما تم تعيين الحاج محمد الصفار لشغل هذه المنصب "نحو العامين ويبدل بغيره" (*وثائق تطوان*، مح 165). ويعود هذا التأخير - فيما يبدو - إلى تكليف المترجم بمهام جديدة، ذلك أن المخزن كان بصدد التهيء لشراء مدفعين كبيرين يتم تركيبهما على البرج الكبير أو البرج الألماني، وهو حصن يوجد بالقرب من مصب أبي رقراق، كان المهندس الألماني روتنبرغ (Rottenburg) قد انتهى من إنجاز الأشغال الكبرى فيه في ربيع 1889 (Guillen, 161 - 162). وقد أرسل المولى الحسن لهذه الغاية بعثتين إلى ألمانيا قادهما المترجم بمعية المهندس الزبير سكيرج، وذلك في سنة 1307 (بداية 1890) و1308 (نهاية 1890) (*إتحاف*، 2 : 489) ؛ *مجلة دار النيابة*، ع. 8 : 30).

أما في عهد السلطان المولى عبد العزيز، فلعل أهم منصب تقلده المترجم هو "التكليف بالقرض الفرنصوي الجاري بطنجة وغيرها من المراسي السعيدة" الذي كان يقتطع 60٪ من مداخليها، وذلك بموجب الفصل (13) من عقد قرض سنة 1904 الذي ينص على أن : "تعين الدولة الشريفة نائباً خصوصياً من قبلها يكون واسطة بينها وبين حملة الاستلزامات ويكون محل استقراره بطنجة وأن جميع ما يتعلق بأمر هذا السلف يكون يخبر به خبراً صحيحاً نيابة عن دولته كما يتعين عليه أن يرفع لأمناء المراسي الأوامر المماثلة للأوامر التي يوجهها نائب حملة الاستلزامات لوكلائه بعد الموافقة بينهما. وأن راتب النائب المذكور وصوائره تكون على الدولة الشريفة (*كناش*، خ ح. رقم 773). وقد شغل المترجم هذا المنصب على الأقل منذ سنة 1905 (*كناش*، خ ح. رقم 707) إلى أن أعفاه منه السلطان المولى عبد العزيز في يونيه 1907 وولى مكانه محمد بن محمد بن المفضل ابن خلدون الفاسي، وكتب بذلك إلى أمناء مرسى تطوان (كناش، خ ح. رقم 666، ص. 12)، وكذلك إلى نائبه بطنجة الحاج محمد الطريس (كناش، خ ع. ك 2720، ص. 350). وكان آخر ما وقفنا عليه بالنسبة للمترجم هو أنه كان يشتغل أميناً بطنجة في رمضان 1328/ سبتمبر - أكتوبر 1910 (*كناش*، خ ح. رقم 569، ص. 304).

وبالرغم من أننا لا نعرف مآل الحاج محمد الزگاري بعد سنة 1910 ولا تاريخ وفاته، فيمكن القول إن مسار الرجل ما بين 1883 و1910، رغم تدبدبه، يعكس الدور الذي اضطلعت به بعض الأسر المنحدرة من مدينة تطوان في مد المخزن بحاجياته من الأطر المقتدرة في ميادين مختلفة كالمال والسياسة من مغرب ما قبل 1912.

*وثائق* خ ح. *كناش*، 569 و666 و677 و701 و773 ؛ *وثائق*، خ ع. *كناش*، ك2720 ؛ *وثائق تطوان*، مح6 ومح 27 ومح 28 ومح 165 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 2 و3 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج. 7 و8 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان* ؛ أ. الكردودي، *التحفة السنية* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج. 1 ؛ مجلة دار النيابة، ع. 8 : 1985.

P. Guillen, *L'Alemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, tome IV, Rabat, 1989.

ميلود أحمن

ابن **زكّون، حسن** بن إبراهيم بن عبد الله، فقيه مالكي ولد بتلمسان سنة 484 / 1091 وسكن مدينة فاس. دخل الأندلس فأخذ بها عن بعض علماء قرطبة ومرسية. ورجع إلى مدينة فاس فصار كاتبا لقاضيها عيسى بن يوسف ابن الملجوم الأزدي. وبحكم خبرته في الفقه وأحكام القضاء ألف كتابا في الرأي والنوازل سماه *اعتماد الحكام في مسائل الأحكام*، لا يزال مخطوطا، وتتوزع أجزاؤه بين خزانة القرويين، وبعض الخزائن الخاصة.

توفي بفاس سنة 553 / 1158.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. ع. السلام الهراس، الدار البيضاء، ج. 1، ص. 217 ؛ ابن الأبار، معجم *أصحاب أبي علي الصدفي*، نشر فرانشسكو گوديرا، مدريد، 1885، ص. 73 - 74 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ج. 1، ص. 183؛ عادل نويهض، معجم *أعلام الجزائر*، بيروت، 1971، ص.61.

محمد المغراوي

**الزگموزني، محمد** نسبة إلى زگموزن، بكاف معقودة، أحد مداشر ونيلة الواقعة على طريق تلوات القديمة، جنوب غربي مدينة دمنات. ولعل زگموزن علم لشكل طبيعي. إذن فهو اسم موقع. لذلك يتكرر توارده في جهات أخرى، أشهرها، الوادي الواقع بين أراضي إيوزيون، وأراضي إسكتان، شمالي الطريق الواصلة بين تازناخت وتاليوين، على سفح الأطلس الصغير الشمالي (*رحلة الوافد*، 142).

أما محمد الزگموزني، فهو ينتمي إلى الجهة الأولى.

وردت ترجمته عند الخليفتي ( *الدرة الجليلة*، 264)، ولعله ينفرد بها. لا نعرف شيئا عن تاريخ ولادته ونشأته ؛ ولا عن مستواه العلمي. وتفيدنا المعلومات القليلة التي جمعها الخليفتي، أنه "كان من أجل تلاميذ الشيخ أحمد بن ناصر". ولعل هذا ما خلد اسمه. وقد كونت زاويته، مع باقي فروع الناصريين المنبثة في تلك الربوع، عناصر أساسية للحفاظ على تماسك تلك القبائل، ودعم توازنها، بما اضطلع به شيوخها من وظائف ؛ مثل نشر التعليم، والتحكيم في النزاعات، والمساهمة في العمل على سيادة الأمن والاستقرار، في ذلك الموقع الذي تخترقه طريق كانت مطروقة بكثافة في ذلك العهد.

وقد ترقى الزكموزني في سلك الطائفة الناصرية حتى أصبح مقدما على فقراء جهته. و "عرف باتباع الحق والقول به، ناسجا في ذلك على منوال شيوخه الناصريين".

توفي بزگموزن وبه دفن في تاريخ غير معروف ؛ لكن الراجح أن وفاته كانت قبل سنة 1182 / 1768.

الزرهوني، *رحلة الوافد*، تح. علي صدقي، ص. 142 ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلية*، مخطوط ؛ *التحري الميداني*.

أحمد عمالك

**الزگندري، عبد الله** بن محمد أحد العلماء المراكشيين الكبار والحفظة المتميزين للمصحف الكريم. اسمه عبد الله بن محمد بن عبد الله الهرغي يلقب بالزكندري أو الزقندري نسبة إلى المدينة المغربية القديمة زكندر أو زقندر أو زجندر التي اختطها أبو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن سنة 578 / 82 - 1183 بإقليم سوس بالقرب من معدن للفضة (*نفاضة*، 62 : *الإعلام*، 8 :232). ولد بمراكش يوم 17 ربيع الأول من عام 705 /7 أكتوبر 1305، وبها درس الحديث والفقه واللغة (*نفاضة*، 66).

وقد عرّف بالفقيه المهذب المحدث الرزين العالم الفاضل، الشاعر الأديب، الظريف العلمي، الحسن الهيئة (*بلغة*، 178).

خرج الزكندري من مراكش في رحلة حجازية علمية أخذ خلالها عن كثير من العلماء في الغرب الإسلامي وشرقه ولم يخلف لنا أثراً لها على غرار ما قام به مواطناه التجيبي وابن رشيد السبتيين. فبعد أن اكتمل تعليمه على يد أساتذته المراكشيين من أمثال ابن العباس العفائري وأبي الحجاج الدغوي وأبي القاسم ابن معنصر وأبي القاسم بن القشاس وأبي عبد الله بن مسعود، خرج إلى أغمات فأخذ بها عن أبي يحي الجزري. وفي فاس تتلمذ عن أبي محمد عبد العزيز القروي. كما توقف في تازة حيث أخذ عن أبي محمد الرجالي وفي تلمسان تتلمذ عن الشيخ الفقيه النظار أبي موسى ابن الإمام وأبي عبد الله الآبلي. ومن التونسيين أخذ عن أبي عبد الله بن دمعون وأبي عبد الله بن جابر

وفي الأسكندرية تفقه على يد عدد من العلماء الكبار من بينهم أبو العباس بن فتوح وأبو الحسن ابن الفرات ومحمد بن عبد الكريم بن عطاء الله وإسماعيل العزيز. كما حضر في القاهرة حلقات العلم التي كان يلقيها قاضي المالكية تقي الدين الاحساني وأبو الحسن المارديني. ثم تابع رحلته إلى بلاد الشام فتوقف بدمشق حيث أخذ عن جملة من مشايخها من بينهم شهاب الدين بن فضل الله كاتب الانشاء وبالصالحية حيث درس على عز الدين المقدسي وغيره. وفي الحجاز حيث أدى فريضة الحج، توقف بمكة للأخذ عن مشايخها الكبار كشمس الدين النوفري وخليل ابن أحمد وتفقه في المدينة عن عفيف الدين المطري (*نفاضة*، 65).

بعد أن أتم رحلته الحجازية المشرقية عاد إلى وطنه فولي قضاء أغمات. ثم بعد ذلك ولي قضاء سبتة. كما جلس للتدريس بالمدرسة الجديدة منها. فكان يستقبل وفود الطلبة السبتيين بمنزله الشهير الكائن أنذاك بأعلى زقاق الوراق من سبتة فانتفعوا من علمه. وكان أبو محمد القاسم بن أبي حجة من بين العلماء السبتيين الكبار الذين تفقهوا على يديه في (كتاب مسلم بن الحجاج) (*بلغة*، 178) وقد ظل بسبتة إلى أن أحيل من قضاءها. فقفل راجعا إلى بلده مراكش فتسلم قضاءها في 15 رمضان من عام760 / 10 غشت 1359 ( *شرف الطالب*، 84 ؛ *وفيات*، 125). كما جلس للتدريس بها واختص في تلقين علوم التفسير والحديث وقد أخذ عنه عدد من العلماء بمراكش من بينهم أحمد بن قنفذ القسنطيني (*شرف الطالب*، 84 ؛ *كتاب الوفيات*، 366) وأحمد باب التمبكتي (*نيل*، 224) وبمراكش لقي به محمد ابن الخطيب السلماني الذي خصه بجميل القول وحسن الاشادة والذكر (*نفاضة*، 63).

يذكر التمبكتي أن وفاته كانت في سنة808 / 1406 (*نيل*، 224) ولعل الصحيح أنه توفي سنة768 / 1367 (*الإعلام*، 8 :232، *شرف*، 84 ؛ *وفيات*، 125 ؛ *لقط*، 213؛ *كتاب الوفيات*، 366).

ع. ابن إبراهيم،، *الإعلام*، المطبعة الملكية، الرباط، 1974، الجزء 8 ؛ أ. بابا التمبكتي، *نيل الابتهاج*، نشره عبد الله الهرامة، طرابلس، 1398 / 1989 ؛ *بلغة الأمية ومقصد اللبيب*، تح. محمد ابن تاويت، *مجلة تطوان*، العدد 9، 1964 ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد*، تح. م. حجي، *كتاب ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1396 /1976 ؛ أ. ابن قنفذ، *شرف الطالب*، تح. م. حجي، *كتاب ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1396 /1976 ؛ *كتاب الوفيات*، تح. عادل نويهض، بيروت، ط. 2، 1978 ؛ الونشريسي، *وفيات الونشريسي*، تح. م. حجي، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1396 /1976.

زليخة بنرمضان

**الزگوندر**، مَنْجَم لاستخراج الفضة، بكتلة السيروا بالأطلس الصغير الأوسط، على بعد 30 كلم إلى الشمال من تاليوين. ويبدو أن الموقع معروف منذ زمن بعيد باعتبار معنى التسمية الذي يفيد الكنز بالأمازيغية.

من أواخر فترات استغلاله، نخص بالذكر تلك التي قامت بها الشركة المنجمية لسيدي لحسن (SOMIL)، إحدى فروع مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية (BRPM)، خلال الثمانينيات. وقد توقف استخراج المعدن في الوضع الراهن.

بالإضافة للفضة، يضم المنجم مواد مختلفة منها الزنك والرصاص والنحاس واليورانيوم. وتتركز التمعدنات في مواطن السحق البنائي على حد تقاطعات البنيات الشرقية - غربية والشمالية - جنوبية من ضمن التكونات الطينية المتحجرة لما قبل الكمبري.

عدي عزى

**زكي الإدريسي** مولاي إدريس بن المختار (مقاوم) : ولد سنة 1925 بمراكش، وتلقى تعليمه الإبتدائي بإحدى مدارسها. إلا أنه لم يستمر في الدراسة، فانصرف إلى العمل في ميدان التجارة في سن مبكرة. وكان يقيم بفونتي بأگادير في الفترة الممتدة بين سنتي 1953 و1960. وقد انخرط في حزب الاستقلال منذ سنة 1944، وبرز فيه كأحد العناصر المهمة التي تسيِّر أنشطة الجمعيات التابعة له، وكان يقوم بمهمة توعية المواطنين واستنهاضهم من أجل دعم مطالب الحركة الوطنية المغربية بعد تقديم عريضة الاستقلال سنة 1944. واستمر في القيام بأنشطة سياسية بصفة سرية إلى غاية سنة 1952، حيث تمكن من تأسيس منظمة مسلحة بالاتفاق مع بعض أصدقائه الذين شاطروه الرأي بشأن الانتقال من العمل السياسي إلى العمل المسلح في مواجهة السلطات الاستعمارية الفرنسية بمدينة أگادير، وهم : عبد الله أوشن (النوصيري)، محمد بن العربي الشيشاوي، وإبراهيم بن الحاج بوسلام، وقد انضم إليهم آخرون وبلغ مجموعهم 25 فرداً، واتفقوا على تسمية منظمتهم بـ "الفرقة التحريرية"، وعرفت بعد العمليات الفدائية التي قامت بها بـ "اليد السوداء".

كانت الاجتماعات السرية التي يعقدها مع عناصر المنظمة تتم في منزله الكائن بأغْزْديسْ قرب مدينة أگادير، وفي بعض الأحيان في منزل أحد تلك العناصر، وكان يشرف مباشرة على تخطيط وتدبير العمليات الفدائية التي تقوم بها. وقد تبنت منظمته فعلا مسؤوليتها عن أكثر من سبعة انفجارات استهدفت عدة مصالح فرنسية، إضافة إلى اختطاف عميد الشرطة الفرنسي كروازو المعروف بتعذيبه للمقاومين المغاربة وللمتعاطفين معهم.

ألقت الشرطة الاستعمارية القبض عليه وعلى أكثر زملائه، واستجوبوا وعذبوا أثناء التحقيق، وقدموا إلى المحكمة العسكرية بالدار البيضاء يوم 11 مايو من سنة 1954 لمحاكمتهم، وتراوحت الأحكام الصادرة عنها في حقهم بين 5 و10 سنوات سجنا إضافة إلى ما بين 5 و20 سنة نفيا. وكان الحكم الصادر في حق زكي الإدريسي مولاي إدريس يصل إلى السجن لمدة 10 سنوات والنفي لمدة 20 سنة. وأطلق سراحه في يوم 23 يناير من سنة 1956 بناءً على البرقية 140 س، وذلك بعد عودة المغفور له جلالة محمد الخامس رحمه الله إلى المغرب. وبعد خروجه من السجن، شغل منصب محتسب مدينة أگادير مدة من الزمن إلى أن أحيل على التقاعد، وهو متزوج وله 4 أبناء. (شهادات المرحوم عبد الله النوصيري وزكي الإدريسي مولاي إدريس بن المختار).

*عرض مفصل حول أعمال الفرقة التحريرية الملقبة بمنظمة اليد السوداء*. (مرقون)، *أرشيف* المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير - نيابة أگادير ؛ *شهادة إدارية*، وهي عبارة عن تصريح مصادق عليه بتاريخ10 - 7 -1979، بحوزة المرحوم عبد الله النوصيري (أوشن) ؛ *شهادة من إدارة المستودع المركزي لأرشيف العدالة العسكرية بمو (Meaux)*، مؤرخة بتاريخ 25 شتنبر من سنة 1964، تحت رقم135000 HY ؛ *شهادة عبد الله النوصيري*، (أوشن) على شكل استجواب محرر بتاريخ 25 و26 نونبر من سنة1986 ؛ *شهادة زكي الإدريسي* مولاي إدريس مؤرخة بتاريخ 11 يناير1987 ؛ خالد أوشن، *الوعي الاجتماعي بالمقاومة الوطنية*، (نموذج أگادير، 1953 - 1956) بحث لنيل الإجازة في التاريخ، تحت إشراف الأستاذ محمد أعفيف، السنة الدراسية 1986 - 1987، بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ؛ عبد الرحيم الورديغي، *المقاومة المغربية ضد الحماية الفرنسية، 1952 - 1956*، الرباط.

خالد أوشن

**زكيّ، علي** صحفي مصري كان يعمل بصحيفة المؤيد المصرية. فأرسلته هذه الصحيفة المقربة من الأوساط الإسلامية إلى إسبانيا سنة 1906، ليوافيها بأخبار مؤتمر الجزيرة الخضراء الذي انعقد من يناير إلى أبريل 1906.

ويظهر أن علي زكي ربط علاقات مع الوفد المغربي، وهو أمر طبيعي لكون الوفد المغربي كان الوفد الرسمي العربي في المؤتمر الذي لم تستدع له أية دولة إسلامية مثل مصر أو تركيا كما كان يأمل بعض المراقبين المسلمين.

بدون شك استفاد الوفد المغربي الذي كان من أبرز أعضائه الأمين محمد المقري الذي كانت له اتصالات مع المشارقة، من خدمات الصحفي المصري، وربما أصبح علي زكي من تراجمة المؤتمر وربما اقترح عليه العمل بالمغرب. لهذا نجد علي زكي عوض أن يرجع إلى مصر يذهب إلى فاس إثر انتهاء أشغال المؤتمر.

قبل علي زكي العمل مع المخزن كترجمان رسمي بدار النيابة ولذلك سكن بطنجة وظل يزاول مهامه كموظف

مخزني إلى بداية عهد الحماية.

تولى علي زكي رئاسة لجنة السمسرة التي أحدثها مؤتمر الجزيرة في إطار إنجاز الأشغال العامة بالمغرب على أساس سياسة الباب المفتوح. كما تولى عدة وظائف عندما أصبح الحاج محمد المقري وزيراً أول في عهد مولاي عبد الحفيظ، قبل الإشراف على الشؤون الاجتماعية بطنجة وأعمال الصحة والوقاية بين 1909 ـ 1911.

كان علي زكي مرتبطا بمحمد المقري يكاتبه بكل ما يطرأ بطنجة من كل الأمور التي تهم العلاقات المغربية الخارجية.

وزيادة على عمله الرسمي كان يهتم بالأمور الثقافية ويظهر أنه في عهد الحماية، قد شارك في ميدان التدريس بالثانوية الإدريسية بفاس. فكتب عن التربية والتعليم والأحباس والمالية وتربية الأطفال وأمراض أجهزة التغذية والتنفس.

ولقد كان علي زكي نفسه مبتلى بمرض البواسير الذي أرقه مدة حسبما يفهم من مراسلاته مع محمد المقري.

وبالجملة، فقد كان علي زكي واحداً من المثقفين العرب الذين أبدوا استعدادهم للتعاون مع إخوانهم المغاربة. فقد قدّم خدماته للمغرب في ظروف حرجة، كان المغاربة يصارعون فيها ضد الهجمة الاستعمارية الفرنسية في مطلع القرن العشرين.

ع. زكي، *مراسلات*، خ. ح، الرباط، محمد بن الحسن الوزاني، *حياة وجهاد*، 1، ص. 278.

علال الخديمي

**الزكيّ، محمد** بن العباس أسرة الزكي من الأسر الرباطية، برز فيها محمد بن العباس الذي عاش في القرن الثالث عشر (19 م)، تولى خطة الحسبة في الرباط ابتداء من 25 ربيع الثاني 1266 / 1851 خلفا لمحمد بناني وهو ابن عم المحتسب الذي يحمل اسمه وسبقه للخطة بمسقط رأسه الرباط أيضاً. أما المحتسب الزكي فقد ظل في الخطة مدة طويلة امتدت ستاً وعشرين سنة أعفي منها سنة 1292 / 1875.

م. دينية، *مجالس*، ص. 203 ؛ ع. الفاسي، *مدينة الرباط وأعيانها*، ص. 124.

عبد الإله الفاسي

**الزلازل بالمغرب**، يقصد بالزلزلة في علم الجيوفيزياء تلك الاهتزازات الفجائية، التي تعتري القشرة الأرضية بسبب تحرك كتل صخرية عظيمة في باطن الأرض وعلى سطحها أحياناً، وذلك عبر الصدوع والتشققات، مدفوعة بقوة الطاقة الحرارية المتجمعة والمتراكمة في مكان مناسب من باطن الأرض خلال فترات زمنية طويلة جداً.

يؤدي تراكم تلك الطاقة الحرارية المتجمعة والمتراكمة إلى ظهور قوة حركية هائلة، تبدأ على شكل توتر واضطراب في مكان تأثيرها، وتأخذ الصخور بالتشوه شكلاً وبالتثني أحياناً، ولكن مع تزايد الطاقة الحرارية وشدة تأثيرها يتصاعد التوتر ويزداد التثني ويبدأ ظهور الشقوق الصغيرة متناثرة في البدء ثم تتجمع على شكل أحزمة، وفي لحظة الضعف الكبرى للصخور ـ اللحظة الحرجة ـ تنشق الكتل الصخرية على شكل صدع أو شق كبير دافعاً طرفي الصدع باتجاهين مختلفين، وربما يرتفع أحد الأطراف وينخفض الآخر وذلك خلال ثوان أو دقائق معدودة. قد يمتد الصدع عشرات الكيلمترات أفقياً وعمقاً، يرافق ذلك تحرير طاقة تحريكية مدمرة وبصورة فجائية تبلغ قوتها قوة بضع ملايين من القنابل الذرية المعيارية، كالتي ألقيت على مدينة هيروشيما اليابانية. مثل هذه الطاقة نراها في الزلازل المدمرة التي يزيد مقدارها عن سبع درجات حسب مقياس ريختر.

اتضح سبب وقوع الزلازل بمقاربة الملاحظات المتطورة للعلماء التي انتهت بنظرية جديدة، مهمة بالنسبة لتطور القشرة الأرضية ولها تأثير مباشر وحيوي في ظهور الفعاليات الزلزالية في المحيطات والقارات. عرفت بنظرية تكتونية الصفائح، حيث كانت الملاحظة الأساسية التي توصل إليها علماء الزلازل هي أن الجزء العلوي من القشرة الأرضية المسمى بالغلاف الصخري "الليتوسفير (Lithosphère) هو في حالة صلابة ويتحرك فوق طبقة لزجة تدعى غلاف الانسياب (Asthenosphère)) وعلى الرغم من أن الصفائح أو الألواح المتحركة التي تشكل القشرة الأرضية تتفاوت مساحتها من بضع مئات إلى عشرات الملايين من الكيلومترات المربعة، فإنها تشترك في سمة واحدة هي صلابة قوامها الداخلي. لذلك فهي تخضع لتشوهات رئيسية عند هوامشها فقط، حيث تحدث بها فعلاً الأحداث الجيولوجية الكبرى، فعند مواقع تصادم الصفائح تتشكل الجبال وتظهر البراكين، وعند مواقع تباعدها تنفتح أحواض المحيطات ويتكون قعر بحر جديد.

الموجات الزلزالية : تقع الزلازل إثر التحرر القوي والعنيف للطاقة المتكدسة في الصخور انطلاقاً من البؤرة بواسطة ثلاثة أصناف أساسية من موجات مرنة، مماثلة للموجات المألوفة في الهواء والماء، تؤدي إلى الارتجاج وتحدث أضراراً، إثنتان فقط من هذه الموجات تنتشران في جسم الصخور، لذا تدعى بالموجات الجسمية (Onde de volume) الموجات الطولية والموجات المستعرضة.

تعد الموجات الطولية (Ondse primaires P) الأكثر سرعة، ومن خاصياتها الأساسية، أنها تستطيع اختراق الصخور الصلبة والمواد السائلة كالمحيطات، كما تستطيع أن تعبر الأوساط الغازية كالهواء، عندما تخرج من أعماق الأرض إلى السطح تصدر دوياً على شكل موجات صوتية.

يشعر بها في البداية عندما يقع زلزال فتتذبذب الجدران والنوافذ. وبعد ثوان من ذلك تصل موجة (S). تدعى الموجات المستعرضة (S) (Ondes segondaires S) تسير في جسم الصخور، بسرعة أقل من الأولى ولا تخترق الوسط السائل. تصل إلى محطات الرصد الزلزالية بعد فترة من الزمن بالنسبة للطولية وقد يتراوح التأخير بين بضع ثوان وعدد من الدقائق، ذلك حسب بعد مركز الزلازل عن محطة الرصد، عرفت بالأمواج اللاحقة أو الثانية، وتقل سرعتها عن الطولية بمقدار ثلاث مرات. وتتميز عنها بأنها لا تغير حجم الوسط الذي تمر فيه، لكنها تغير الوسط الذي تخترقه، وبحركتها من أعلى إلى أسفل ومن جهة لأخرى، تهز سطح الأرض عمودياً وأفقياً، فتكون هذه الحركة هي المسؤولة على الأضرار الحاصلة في البنايات.

والنوع الثالث من الموجات يعرف بالموجات السطحية (Ondes de surface) وتتميز بانتشارها في الأجزاء السطحية من القشرة الأرضية. وهي ذات سعة ودور زمني أطول من النوعين السابقين، يمكن تصنيفها إلى مجموعتين : الأولى تدعى "لوف" (Love) وحركتها في الأساس تشبه حركة موجات (S) تحرك الأرض من جانب لآخر فقط، في مستوى أفقي مواز لسطح الأرض، ونتيجة للاهتزاز الأفقي الذي تسلطه على أسس المنشآت تخلف دماراً. أما المجموعة الثانية فتسمى بموجات "رايليغ" (Raylegh) وهي أقل سرعة من الموجات الطولية والعرضية، تنتقل في الوسط المشوه كما تنتقل الموجة البحرية المتدحرجة.

وتجدر الإشارة إلى أن الأنواع الثلاثة لهذه الموجات الطولية والمستعرضة والسطحية، تتسبب في تحريك جزئيات المادة بثلاثة مظاهر، رأسية وأفقية ودورانية، تظهر الحركة الرأسية عندما تصطدم أو تجتاح الأشعة الاهتزازية سطح الأرض بزاوية شبه قائمة مثل هذه الحركة ترصد عادة في منطقة البؤرة الزلزالية السطحية والأماكن المجاورة لها مباشرة، وهنا يمكن للأشياء أن تقذف نحو الأعلى. وتظهر الحركات الأفقية واضحة من خلال الأشجار المنحنية والمداخن والمآذن والأبنية أحياناً، أما الحركات الدورانية للأشياء فإنها أقل حدوثاً ولكنها ليست نادرة.

مقاييس وخصوصيات الزلزلة :

لمعرفة ما يحدث لسطح الأرض أثناء وقوع الزلزال أقيمت في أوائل القرن العشرين محطات الرصد السيزمية، وهي أجهزة استقبال حساسة مؤلفة من مراجف (Seismographes)، تسمح بمعرفة ماذا يحصل بالضبط خلال حدوث الزلزال. فهي تسجل اهتزاز الأرض عادة بواسطة قلم حبر على ورقة ملفوفة على أسطوانة لها حركة دورانية. وقد بدأ في السنوات الأخيرة تسجيل تلك الحركة بالتصوير الفوتوغرافي أو بالشريط المغناطيسي، كما صممت أجهزة منيعة الحركة بشكل يتحمل الاهتزاز العنيف للأرض بطريقة يمكن بها الحصول على تسجيلات، تقرأ على شكل تعجيل أو تسارع الأرض مباشرة، وتدعى المعجلات أو أجهزة قياس التعجيل (Accelerographes).

وبناءً على معلومات آلات التسجيل تتم معرفة خصوصيات الزلازل وهي : موقع الزلزال، وإحداثياته، وشدته، ومقداره.

وقد عرف المغرب خلال تاريخه عدداً لا يستهان به من الزلازل، جاءت أول إشارة إليها في أقدم سجل لها "كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة" لجلال الدين السيوطي (ت. سنة911 / 1505). كما وردت أنباء الزلازل ضمن ما كتب من حوليات وتراجم سواء في المشرق أو المغرب غير أن أكثرها أهمية بالنسبة للمغرب مؤلف محمد بن الطيب القادري (ت. سنة1187 / 1773) في مؤلفيه *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني* وكتاب *التقاط الدرر*

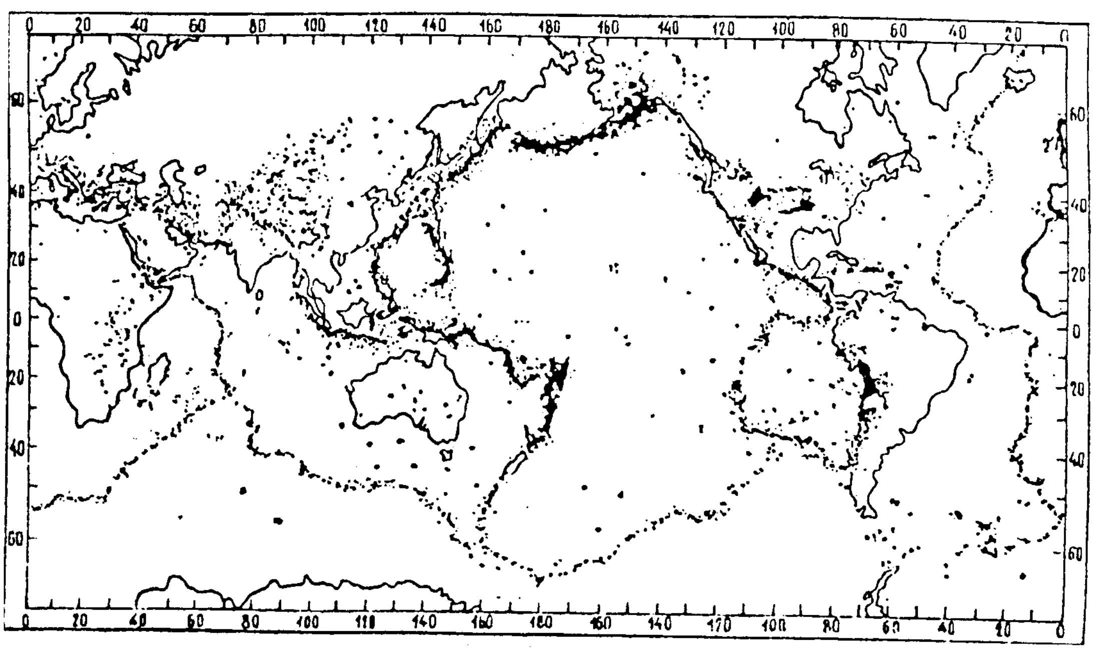

توزيع البؤر الزلزالية في العالم

ومستفاد *المواعظ والعبر*، ثم الناصري (ت. سنة1315 / 1897) في كتاب *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*.
وضمن اهتمام الأوربيين بالمغرب سجل بعض التجار والرحالة والأسرى وغيرهم حوادث الزلازل ضمن الحوادث الأخرى، فتضمنت تقاريرهم ومذكراتهم ومراسلاتهم كل ما كان يحدث في المغرب بما فيه الزلازل. وهي إذا كانت قد سجلت زلازل لم تذكرها المصادر المغربية وفصلت في بعض منها، فإن أغلبها يتسم بكثير من الخلط للأحداث والتضخيم في الأضرار، لذا أوجب استعمالها الكثير من الحيطة والحذر.

لقد توفرت معلومات أغلب الحوادث الزلزالية بالمغرب إنطلاقاً من القرن الحادي عشر (17 م)، غير أن غالبها كان يهم الحواضر وبصفة خاصة فاس العاصمة العلمية ومليلية بحكم استعمارها المبكر. ومن خلال تلك المعطيات تبين أن المغرب عرف خلال تاريخه حصيلة لا يستهان بها من الزلازل المحسوسة، المدونة في مصادر ومراجع مختلفة ومتعددة، تفوق 400 هزة أرضية محسوسة فيما بين القرن التاسع الميلادي وأواخر القرن العشرين.

خلفت بعض الزلازل أضراراً مادية فقط في كل من فاس ومليلية وبادس والحسيمة وآسفي وأگادير وغيرها، لكن البعض الآخر خلف أضراراً مادية وبشرية بشدة سبع ـ ثمانية درجات من سلم VII-VIII MSK، حيث أسفرت عن عدد مهم من الضحايا.

وصل البعض الآخر مستوى كارثة بشدة عشر درجات (XMSK)، كزلزال 1624 الذي خلف خسائر مادية وبشرية كثيرة بفاس وبلغت شدته عشر درجات من سلم XMSK حيث تصدعت الجدران ووقعت أغلب المنازل، وحتى ما لم يقع آل إلى الوقوع لتشقق جدرانه، بل خوفاً من وقوعها صار أصحابها يهدمونها بأنفسهم خشية وقوعها عليهم، فلم يمر أسبوع دون أن تنهار أربعة أو خمسة منازل، منها ما يقع نتيجة الهدم وأخرى تسقط من تلقاء نفسها. ومن الطبيعي أن يخلف زلزال بهذه القوة عدداً مهماً من الضحايا 11 في فاس الجديد و1500 في فاس القديم.

ثم زلزال فاتح نونبر 1755 المعروف بزلزال لشبونة، الذي شمل مناطق شاسعة بما فيها المغرب سواء بواسطة الزلزال الذي بلغ مستوى كارثة (XMSK)، مخلفاً أضراراً مادية وبشرية كبيرة، في جل المدن المغربية خاصة مكناس، كما حصلت أضرار هامة، بواسطة موجات البحر الزلزالية (تسونامي) التي أودت بكل ما صادفته في طريقها في جل الشواطئ المغربية من طنجة إلى أگادير.

ثم زلزال أگادير في 29 نونبر 1960، الذي خلف خسائر فادحة، دمر 75٪ من حصيلة البنايات و15.000 من الضحايا وآلاف المشردين. لقد كان لهذا الزلزال أهمية كبرى. كان حافزاً لاهتمام السلطات المسؤولة بالموضوع، ووضع قانون البناء المقاوم للزلازل، ووضع محطة ثانية سنة 1964 للرصد الزلزالي، بدأت تتوسع شيئاً فشيئاً لتشمل حالياً ست شبكات جهوية تكون بمجملها شبكة وطنية متكاملة.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 أجزاء، الدار البيضاء، 1956 ؛ القادري محمد بن الطيب، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، في أربعة أجزاء، الدار البيضاء، 1982 ؛ بروس بولت، الزلازل، تر. سهل السنوي وأمين إبراهيم حسون، بغداد، 1988 ؛ شاهر جمال آغا، *الزلازل وتطور وتبدل الأرض في القرآن*، المكتب الإسلامي، 1416 / 1996؛ ثريا المرابط، تاريخ الزلازل بالمغرب من سنة 846 إلى 1960، رسالة دبلوم الدراسات العليا، 1991، جامعة محمد الخامس، الرباط.

ثريا المرابط

## زلاغ (جبل) ← زالغ

**الزلاغي**، نقد نحاسي صغير يجمع على "الزّوالغ" ويساوي جزءاً من 12 جزء من الفلس. وفي مجال القسمة ينقسم إلى 12 حبة. وتدعى هذه القطعة النقدية "تازالاغت" بالأمازيغية، ويمكن من قبيل التداعي الربط بين تازالاغت كقطعة نقدية نحاسية وتازلاغت المدينة القديمة التي تتوفر على منجم للنحاس شرق قبيلة تافراوت بسوس ما يزال يحمل هذا الاسم وهو غني بهذا المعدن.

وينسب الزّلاغي لجبل زلاغ بفاس. واستمر رواج هذه القطعة حتى أسقطها السلطان مولاي الحسن.

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب*، ص. 404 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، الرباط، 1961، ص. 408.

عمر أفا

**الزلاّقة**، معركة كبرى انتصر فيها المرابطون والأندلسيون على القشتاليين فسميت باسم المكان الذي جرت منه وهو سهل الزلاقة الفسيح الواقع بين نهر جبوره شمالاً ونهر جرير جنوباً، القريب من مدينة بطليوس.

كان سقوط مدينة طليطلة وضمها إلى مملكة قشتالة في عهد الفونسو السادس سنة 477 / 1085، ايذاناً بانقلاب موازين القوى في شبه الجزيرة الايبيرية بين دار الإسلام ودار الكفر لصالح الطرف الثاني بعد أن كانت الغلبة والتفوق للمسلمين منذ الفتح الإسلامي (*الاستقصا*، ج. 1 و2)، وأصبح المسيحيون منذ سقوط طليطلة يهاجمون دار الإسلام، يخربون مزارعها وبساتينها ويحتلون مدنها وحصونها، ويخضعون حكامها لمعاهدات وقيود وغرامات جائرة (*التبيان*، 121). ولما اشتدت وطأة الإمارات المسيحية على ملوك الطوائف لم يجدوا مغيثاً ولا منقذاً غير المرابطين "وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود ثغور الأندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين

بالله والإسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيسمع إليهم ويصغي لقولهم وترق نفسه لهم".

لم يكن يوسف بن تاشفين قادراً على تلبية نداء الأندلس قبل أن يخضع لنفوده وسلطته مدينة سبتة التي استعصت عليه، فاشترط على المعتمد بن عباد كبير أمراء الأندلس أن يقدموا له الدعم والمساندة البحرية لفتح المدينة ؛ وفعلا جرت معركة برية وبحرية بين الحلف المرابطي الإشبيلي وحاكم سبتة سكوت البرغواطي وأبنائه كاد الانتصار فيها أن يكون حليف هذا الأخير لولا دخول سفينة حديثة الصنع إلى المعركة (ابن بسام، *الذخيرة*، ث 2 م1)، وبعد فتح المدينة أصبحت الطريق إلى الأندلس سالكة.

جاز المرابطون البحر بقيادة يوسف ونزلوا بالجزيرة ومنها ساروا في اتجاه مدينة اشبيلية، وفي ظاهرها التقوا بالأندلسيين جيوشاً وأمراء وقادة فكانت درجة الحماس عند اللقاء عالية بعد زوال الحواجز النفسية والخوف عند الأندلسيين، فالجيش المرابطي نزل بلاد العدوة بنظام وانضباط.

علم الفونسو السادس ملك قشتالة بعبور يوسف بن تاشفين وهو يحاصر مدينة سرقسطة ففك عنها الحصار وعاد إلى طليطلة ليستعد للحرب فاستنفر جيوش بلاده وبعث إلى ملك أراگون الذي كان محاصراً لمدينة طرطوشة، واستدعى قائده البرهانس الذي كان محاصراً لمدينة بلنسية فلحقوا به، وقدم الفرسان من فرنسا وإيطاليا وغيرها. حشد له من جنود النصارى ومتطوعتهم أمماً لا حصر لها "وبعث إلى بلاد قشتالة وجليقية وبنبلونة فأتاه من تلك البلاد من حشود الروم أمم لا تحصى" ( *القرطاس*،145 .146 ؛ *الاستقصا*، 2 : 14) ولما رأى الفونسو السادس كثرة جيوشه أصابه الغرور وهتف قائلاً "بهؤلاء أقاتل الجن والإنس وملائكة السماء" ( *الروض المعطار*، 289).

أما يوسف ابن تاشفين ورعياً لقواعد السنة الإسلامية. أرسل إلى الفونسو خطاباً يدعوه فيه إلى الإسلام أو اداء الجزية أو الحرب، فاستكف الطاغية واستكبر. وخرج بجيوشه وحشوده الهائلة متوجها نحو بطليوس وكان المسلمون قد عسكروا بالقرب من المدينة في بسيط الزلاقة واستقرت الجيوش النصرانية في مكان يبعد بنحو ثلاثة أميال عن المعسكر الإسلامي، يفصل بينها وبين فرع وادي يانة الممتد شمالا في اتجاه نهر "التاجة (*دولة الإسلام*، 322) ؛ ورغم اعتداد الفونسو بكثرة جيوشه، فإنه لجأ إلى الخديعة فأرسل إلى المعتمد بن عباد يوم الخميس مقترحاً أن تكون المعركة يوم الاثنين مبرراً اقتراحه بكون الجمعة والسبت والأحد أياماً مقدسة عند المسلمين والنصارى واليهود ( *القرطاس*، 150) لكن المعتمد ابن عباد بما أوتي من تجربة وحنكة فطن إلى الخديعة فأمر جنوده أن يكونوا على أهبة الاستعداد التام للمعركة وأرسل إلى يوسف مخبراً إياه فاستنفر جيوش المرابطين ؛ وقبل بزوغ فجر يوم الجمعة 12 رجب عام479 / 23 أكتوبر 1086 بدأت الجيوش المسيحية زحفها نحو المعسكر الإسلامي، وهذه أصح الروايات في تاريخ معركة الزلاقة كما وردت في *القرطاس والحلل الموشية*، وفي رسالة يوسف بن تاشفين إلى المغرب يعلمه بالفتح والنصر، ورأى المسلمون أن يبقى الجيش المرابطي مختبئاً بعيداً عن الجيش الأندلسي بحوالي ستة أميال ولا يدخل المعركة مع الجيش الأندلسي بقيادة ابن عباد إلا فرقة على رأسها القائد داود بن عائشة (*القرطاس*،156، *استقصا*، 2 : 14 و15).

كانت الخطة المسيحية تعتمد على عنصر المباغتة، وقد قسم الفونسو جيوشه إلى قسمين : الأول بقيادة القائد القشتالي البرهانس وملك أراگون ابن روذمير والقسم الثاني بقيادة الفونسو نفسه بحيث يهاجم الأول الجيش المرابطي ويتولى الثاني مهاجمة القوات الأندلسية ؛ ودخل الجانبين المسيحي والإسلامي المعركة وفق الخطط التي رسمها المتحاربون ؛ لكن الجيش المسيحي كان أكثر عدة وعدداً حتى إن التقديرات جعلته أضعاف الجيش الأندلسي والمرابطي مجتمعاً ثلاث مرات، فكان الظهور أولاً للمسيحيين وتراجعت طوائف كثيرة من الأندلسيين بطليوس لكن المعتمد بن عباد على رأس جيشه صمد في وجه العدو وقاتل بشجاعة نادرة رغم كثرة الجراح التي أصابته، فأيقن الفونسو السادس من الانتصار وبدأ جنوده يلاحقون المتراجعين من جنود الأندلس ظانين أن المعركة في نهايتها وأنهم قاتلوا الجيوش المغربية والأندلسية مجتمعة. عندئذ برزت جيوش يوسف مقسمة إلى قسمين : فرقة بقيادة ابنه الأمير سير واتجهت لنجدة ابن عباد، والفرقة الثانية بقيادة يوسف نفسه اتجهت نحو معسكر العدو ؛ وانقضت على محلة الفونسو فنهبتها واضرمت النار في الخيام بعد أن قتلت حراسها وسبت حريمها ثم التحق بالمعركة الكبرى فانقلبت الموازين لصالح المسلمين إذ انتقلت إليهم المبادرة، فسحق جيش قشتالة ـ المنهك ولم ينفع الملك القشتالي وقليل من رجاله إلاّ الفرار، وطاردهم المسلمون إلى أن حال بينهم الظلام ثم استؤنفت المطاردة في اليوم الموالي ؛ وتؤكد مختلف الروايات الإسلامية أن الخسائر في الأرواح في صفوف المسيحيين كانت كبيرة : "مات من جيشهم خلائق، وتبددوا في الطريق، فمن بين قتل وميت مثقل صريع ..." (*التبيان*، 125) وعن القتلى في صفوف المسلمين قال أحد الذين شهدو المعركة وهو كانت ابن عباد (أبو بكر بن القصيرة : "ولم يصب بحمد الله من المسلمين ـ وفرهم الله ـ على هول المقام، وشدة الإقتحام كثير ولا مات من أعلامهم تحت تلك الجولة إلا عدد يسير..." ( *الذخيرة*، ق 2 م، 1 : 244).

ومما ساعد المسلمين على الانتصار في معركة الزلاقة مشاركة حرس ابن تاشفين من السودانيين، وكان عددهم أربعة آلاف مقاتل، ووفرة الجمال، فقد "أمر يوسف بن

تاشفين بعبور الجمال فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا جملا قط ولا خيلهم رأتها قط فصارت الخيل تجمح من رؤية الجمال ورغائها وكان ليوسف رأي مصيب في عبورها فكان يحدق بها عسكره ويحضرها الحرب فكانت خيل الفرنج تجمح منها" (*وفيات الأعيان*،5 : 27 ؛ 7 : 116). ووقعت مبالغات في تقدير خسائر الجانبين في هذه المعركة "وإن كانت الرواية النصرانية تُجمع على أن الموقعة كانت هائلة، وأن خسائر النصارى كانت فيها ذريعة فادحة. ولا ريب أيضاً أن خسائر المسلمين كانت عظيمة وإن كانت أقل بكثير من خسائر النصارى" (*دول الطوائف*، ص. 328).

وتجمع كذلك كل المصادر على أن انتصار المسلمين في معركة الزلاقة أعطاهم فرصة البقاء في الأندلس أربعة قرون أخرى بعد أن كانوا قد زلزلوا فيها زلزالاً شديداً.

ابن بسام الشنتريني، *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*، بيروت، 1978 ـ 1979 ؛ ع. الله ابن بلكين، *التبيان*، الرباط، 1995 ؛ أ. ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، بيروت، 1968 و1969 و1979 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ع. المنعم الحميري، *الروض المعطار* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ يوسف أشباخ، *تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين*، تر. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1958 ؛ ع. الله عنان، *دولة الإسلام في الأندلس*، 1964 و1987 و1988 ؛ ملوك الطوائف (العصر الثاني)، ط2، القاهرة، 1969.

Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris - Casablanca, 1967 ; J. Descola, *Histoire de l'Espagne*, Paris, 1959.

محمد حجاج الطويل

**الزلاّل**، ـ بتفخيم اللام المشددة ـ أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني مصور إحدى قبائل الجبل القريبة من تطوان وطنجة لمجشري الخندق وبوغابش ومنهم من تولى القيادة أيام الحماية.

**الزلاّل، عبد الرحمن** بن علي التطواني الفقيه العلامة المفتي النوازلي القاضي الأديب الخطيب، لا ندري عن أوليته ودراسته وأهله، ومن تلاميذ المترجم له الشريف العلمي الشفشاوني، فقد وصفه بشيخنا في *نوازله* ونقل عنه فتاوي في الأنكحة وغيرها. ومنها حكمه القضائي المهم في النزاع الناشب بين قبيلة الحوز وأهل تطوان في أراضي شاسعة أسفل الملاليين إلى شاطئ البحر كان الطرفان يدعيان ملكها بدون حجة، فحكم بأن تبقى هذه الأراضي مراعي مشتركة بينهما، ووقع الترامي عليها بعد ذلك وملكت منها حقول بيعت بعد استقلال المغرب بأموال طائلة وأقيمت عليها مشاريع سياحية وفنادق وملاعب وغير ذلك، وحالها كما سمعت، وقد كان المترجم له قاضيا أعوام 1119 / 1120/ 1127 وكانت له معرفة بالشيخ الشهير أبي الحسن علي بن محمد بركة الأندلسي ووقفت له على مساجلة شعرية معه بدأها المترجم له مادحاً الشيخ المذكور، مطلعها :

يهنيك أن حزت المفاخر كلهـا لما رقيت منابر التوفيـق

توفي عبد الرحمن الزلال بتطوان عام 1130 / 1717.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 6 : 171. مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 286 ـ287 ؛ مجموع مخطوط رقم 605 بخزانة تطوان العامة.

محمد بوخبزة

**الزلاّل، عبد السلام** بن أحمد، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني مصور، انضمّ إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وشارك في جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة وعين عضو القيادة المركزية للثورة في المؤتمر المنعقد بضريح مولاي عبد السلام يوم الأحد 15 شعبان عام 1331 /20 يوليوز 1913.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب*، الرباط، 1981.

**الزلاّل، العربي** بن عبد السلام قائد كان يرأس مجاهدي قبيلة بني مصور انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد شارك في جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة في كل من ضريح سيدي يسف التليدي وضريح مولاي عبد السلام بن مشيش وقرية عين الدالية سنة 1331 /1913 عضو القيادة المركزية للثورة ؛ وشارك في عدة معارك إلى أن استسلم وقدم الطاعة للخليفة السلطاني سنة 1345 / 1926 حيث عين قائداً على قبيلته.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب*، الرباط، 1981.

**الزلاّل، العياشي** قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني مصور انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، انتخب في مؤتمر الثورة المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 عضواً في المجلس الأعلى للثورة ؛ وهو الذي استلم البنادق ذات الطلقات الخمسة (الخماسية) التي اشتراها زعيم المقاومة بالسوق السوداء بطنجة يوم 29 أبريل 1913 ؛ وفي مؤتمر الثورة المنعقد بقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915 عين وكيل مالية المقاومة وقد شارك في 45 معركة إلى أن انتهى أمر المقاومة سنة 1345 /1926 وعندئذ استسلم وقدم الطاعة إلى الخليفة السلطاني بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**زلّو**، أسرة سلوية ربّما كان أصلها من سوس من عشيرة الشيخ وگاگ ابن زلو صاحب الرباط الشهير قرب مصب وادي ماسة وهم أهل حرفة ومروءة وديانة. ينتسبون إلى الزاوية الحجية، وتوارثوا التقديم على مريدي هذه الزاوية معظم القرن الرابع عشر (20 م) وأشهر هؤلاء المقدمين الحاج حجي زلو والحاج عمر زلو. كما اشتهر منهم أساتذة مدررون كانوا يعلمون الصبيان القرآن في كتّاب معروف لهم بالمدينة إلى جانب كتاتيب الأساتذة المدررين في القرن الماضي : بريطل وبوشعرة والنجار.

**زلّو، العربي** موسيقي ماهر يعزف على آلة البانجو. كان موظفا بوزارة المالية، ثم تفرغ للفن فعمل في عدة أجواق، حافظاً نوبات الموسيقى المغربية المسمات أندلسية، والطرب الغرناطي، وقصائد الملحون والأمداح النبوية. وشارك في عدة مهرجانات وطنية ودولية بإشراف وزارة الشؤون الثقافية.

توفي بسلا سنة1407 / 1987. وأقيم له حفل تأبيني عند مرور سنة على وفاته شارك فيه عدة جمعيات ثقافية وموسيقية.

*وثائق عائلية، ومعرفة شخصية* ؛ أبو رقراق مجلة، ع. 4 : 1988.

محمد حجي

**الزليج**، ينطلق الفن الإسلامي من رفض تقليد المظاهر المحسوسة ممتثلا في ذلك لمقتضيات الدين. فالقرآن في الحقيقة يحرم الأصنام وليس الصور. وهكذا فالجمالية في الفن الإسلامي تضم الفنون المستوحاة من الشهادة العقدية بعظمة الله تعالى ووحدانيته : "لا إله إلا الله".

ويترجم ذلك فعلا، في الفن المعماري، بالتجريد.

كونية الفن الهندسي : ينبثق الفن الهندسي للزليج مباشرة من نظرة شمولية وموحدة : إنه فن تجريدي إيقاعي وساحر ؛ هدفه هو جعل سمة الخلود تنعكس على الحاضر، وجعل الباطن ظاهراً عبر الهندسة وموسيقى الأشكال. وانطلاقاً من بُعده الراقي هذا يمكننا تحديد مدى مساهمته في الحضارة الكونية. ولقد قارب هذا المبدأ للنظام العالمي، خلال العصر الذهبي الأندلسي تخوم الخيال الإبداعي منقّبا في كل أشكال التناسق انطلاقا من الخوارزميات وكأنها "مرآة فنية" للتقدم العلمي يطبعها نموذج وحدة المعرفة والتعالي.

- إن المقومات أو "عناصر اللعبة" في الشكل الهندسي وكذا المفاهيم الأولية للتناظر كانت موجودة منذ غابر الزمن في عالم الزخرفة لدى المجتمعات البدائية أو الرحالة.

- تطورت في العديد من الحضارات أشكال زخرفية معتمدة على التناظر والمبادئ الهندسية المشابهة لفن الزخرفة العربي. نذكر من ذلك على سبيل المثال فن "المندلا" (الهند، والصين واليابان) وفن "المودرا" (الحركة في الرقص الهندي) والرسوم الرملية لنڤاجو (أمريكا الشمالية) والتشبيكات السلتية.

ولكن مع ظهور الإسلام وانتشاره، منذ القرن الأول (7 م) وإحيائه لمفهوم الوحدانية المطلقة، وانفتاحه على العديد من عوالم التمثيل التي عرفتها تقاليد المجتمعات الرحالة والمستقرة على حد سواء، سيظهر فن جديد مزيج بين التعددية والوحدانية" ليخرجها في ألمع صور التجريد الدقيق والشاعري. إنه "تعال" ورقي جمالي في مخاض، ظهر قبل التجريد الذي طبع الفن التشكيلي الغربي بعشرة قرون.

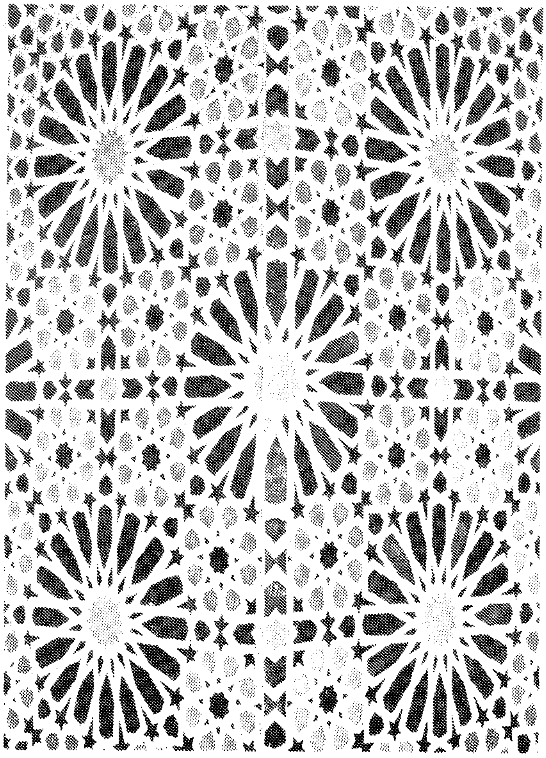

- أصبح فن الخط هو عنوان الفعل الابداعي الرباني.

- وجسد فن الزخرفة العربي أقصى رمزية في مملكة النبات.

وعكست الزخرفة الهندسية ذلك البحث العميق عن المزج بين علم الأرقام والأفكار والأشكال الأولية لأفلاطون من جهة وذلك الحدس العارف للجمال الملازم للعالم المعدني والبلوري من جهة أخرى.

من إشبيلية إلى لاهور ومن بغداد إلى فاس، ترى نفس الحذق / الاستلاب المائل نحو إبداع الأشكال الهندسية والتداخلات المقصورة يحدد أسلوب زخرفة المساجد والمدارس والقصور والإقامات الخاصة.

وستتوارث أسرار فن الزليج أباً عن جد بدون أي تعليم منظم. وفقط طبقا لقواعد التناسب التي ستنسق بين أبجدية الأشكال الأولية (كالمثلث والمربع ومسدس ومثمن الزوايا) ونسق معين من التقاطعات والتلاحمات ستظهر زخارف دقيقة غنية مماثلة لمجموعات نجوم من قبيل الأنظمة ذات 8، 16، 24، 32 و48 فرعا أو زوايا الاتساع.

- ولقد اختص المغرب الأقصى والأندلس بالفن الهندسي حتى أصبح الفن الطاغي بهذه البلاد ليبلغ أوجه في صناعة الزليج التي بها زُخرف قصر الحمراء بغرناطة وقصر البديع بمراكش وجل المنشآت المعمارية في المغرب الوسيط والمعاصر. وبعد سقوط ممالك الأندلس ورث المغرب مكاسب من هذه الحضارة المشرقة وصناعها الماهرين.

سيرورة الإنتاج. كما في مجال صناعة الفخار، فالطين هو المادة الخام الأساسية المستعملة في صناعة الزليج. في البداية يوضع الطين الخام مفتتا في صهريج ماء دائري (زوبة) حتى يتم التأكد من تحلله. ويدوم التخمير هكذا يومين إلى ثلاثة أيام. وبعد ذلك تتم عملية المجانسة عجنا ودلكا باليد مع التنقية من الفضلات. وهكذا بعد التجفيف في الظل نحصل على عجين من طين قابل للقولبة.

وتتمثل العملية الموالية في صناعة المربعات. لهذا الغرض يملأ المعلم الضراب قالبه طينا بواسطة مطرقة مسطحة، بعدها، توضع المربعات تحت أشعة الشمس لتجف وتيبس. وبعد ذلك تأتي عملية الحرق داخل فرن محكم الإقفال حرارته 950 درجة مائوية. وتدوم عملية الحرق هذه لساعات. وبعد برود الفرن تستخرج المربعات وهي معدة للطلاء بالميناء وهو تلوين وجه المربعات وإعطاؤها لمعانا معينا. ويتم تحضير الطلاء اعتماداً على مسحوق الألوان مع إضافة معدني القصدير والرصاص. وبتذويب العناصر الثلاثة بالنار، نحصل على سائل الصباغة. ولتثبيت طلاء المينا وضمان لمعانه يتم اللجوء ثانية إلى عملية الحرق في نفس الظروف التي مرت بها الأولى.

القطع والأشكال :

تتم صياغة النموذج من لدن المعلم الخطاط الذي يضع الهندسة المعمارية للرسم على الورق ثم يسلمها للمعلم النقاش قصد التقطيع. وتتطلب عملية الانجاز عدة مراحل

- مرحلة التحليل حيث تحدد أشكال وأعداد مقاييس التناسب المنحوتة.

- مرحلة رسم المربعات بواسطة المسطرة أو اعتماداً على القطعة الرئيسية التي يراد نسخها.

- مرحلة القطع في حد ذاتها التي تشتمل على قطع أولي تقريبي ثم قطع نهائي دقيق.

وقد تكون لأنواع القطع الممكن الحصول عليها من النموذج الواحد أهمية بالغة ولكل مقياس تناسب هويته واسمه الخاص.

تُعد مقاييس التناسب في مجال فن الزليج بالمئات، قد تفوق 400 شكل، ويمكن تصنيفها حسب مجموعات صغرى :

- الأشكال البسيطة : أدهار يتم الحصول على الرسم بواسطة قطعة واحدة منسوخة متنوعة حسب لون القطعة.

- الأشكال المعقدة حيث يوظف عدد كبير من القطع.

يمكن تصنيف مجموعتين كبيرتين من الأشكال :

- عْمَل عادي

- عْمَل بالقطيب

ومن أمثلة العْمَل العادي :

- العنكبوتيّ : توحي التسمية ببيت العنكبوت، وذلك، لسببين أولهما أن شكل الرسم يذكر ببيت العنكبوت، وثانيهما أن تركيب مقياس التناسب يتم ابتداء من الوسط نحو المحيط الخارجي.

- السطاشري، وهو كذلك صنعة دائرية لكن مركزها مكوّن من نجمة متفرعة إلى 16 وردة.

ومن نماذج "العمل بالقطيب"، هي صنايع أو شبكة أشكال تحيط بجميع المقاييس المكوّنة، هذه البنيات ذات المهارة الفائقة، يمكن أن تكوّن مستوى واحداً إلى خمس مستويات من التعقيد والتشابك.

تهييئ لوحات على الجدران وتسويتها.

يقع تركيب اللوحات من طرف معلم فرّاش في مرحلتين :

- بعد أن توخذ مقاييس الجدار، يقسم إلى قطاع بشكل لوحات مستطيلة الشكل في الغالب، ويقوم المعلم حينئذ بتخطيط الخطوط الكبرى للزخرفة المعينة على الأرض ويشرع في العملية الدقيقة للتجميع المقلوب. تكون القطعة الرئيسية (مقياس التناسب) هي التي توضع أولا، وتأتي بعدها القطع الخارجية المحيطية وشيئا فشيئا تتسع الدائرة إلى أن يأخذ الزخرف المعين شكله النهائي.

تاتي بعد ذلك مرحلة تقوية التجميع، فيوضع إطار عند نهاية التجميع ويملأ تخليط من السيما والرمل الدقيق من أجل ضمان تماسكه والتحامه.

- ثم تلصق اللوحات على الجدار حسب تسلسل تجاورها المرتّب مسبقاً. ويُستعمل من أجل ذلك بين اللوحات والجدار خليط سائل مزيج من الماء والسيما ليضمن الالتحام النهائي للوحات بالجدار.

محمد عزيز الشفشاوني

**زِليل** Zilil مدينة قديمة ورد اسمها في المصادر بصيغ مختلفة نوعا ما كما سنعرض لذلك. وقد اخترنا صيغة زليل نظراً لتوافقها مع اسم المدينة كما هو وارد في النقائش.

أول من ذكرها هو ألكساندر بولسطور Alexandre Polyhistor، الذي عاش في القرن الأخير قبل الميلاد، وهو

معاصر ليوليوس قيصر. وقد كتبها كما يلي :Xilia وذلك في كتابه الرابع الذي يحمل عنوان Libyques. بعد ذلك وردت عند سترابون في بداية القرن الأول الميلادي. وهذا قوله : "إذا أبحرنا انطلاقا من لونكس Lunx (لكسوس) متجهين صوب البحر الداخلي (الأبيض المتوسط) فإننا نجد على التوالي زليس Zelis وتيگة Tiga (طنجة)" (Strabon, 17, 3, 6). وفي سياق آخر تحدث مرة أخرى عن طنجة قائلا: "في ما مضى كانت هناك مدينة مجاورة لتيگة تدعى زليس Zelis، لكن الرومان نقلوها (يقصد نقل أهلها) إلى الساحل المقابل (يقصد الساحل الإسباني)، بعدما أضافوا لسكانها قسما من أهل تيگة. ثم أتوا إليهم بمستوطنين رومانيين وكونوا منهم مستوطنة تحمل اسم إيوليا إيوزا (Strabon, 3, 1, 7) Iolia Ioza.

ثم ذكرها بومبونيوس ميلا الذي أصدر كتابه في الجغرافية حوالي سنة 40، وذلك في تعريفه بالمواقع الأطلسية، متجها من الجنوب إلى الشمال قائلاً : "نجد على البحر كلا من سلا ولكسوس التي يسقيها نهر لكسوس ثم مستوطنة زلية Zilia" (Méla, 3, 10, 107).

ثم تحدث عنها بلنيوس الأكبر المتوفى سنة 79 في تعريفه بالمواقع الأطلسية، متجها من الشمال إلى الجنوب وهو الذي سماها زليل قائلاً : "بعد خمسة وعشرين ميلا من تنجي Tingi نجد على ضفاف المحيط مستوطنة أغسطية تدعى يوليا كنستانتيا زليل Colonia Augusti Iulia Constantia Zilil. وهي لا تخضع لسيادة الملكين، (يقصد الملك يوبا الثاني وابنه بطليموس اللذين تمتد فترة حكمهما بين 25 ق م و40) نظراً لارتباطها إداريا مع بيتيكا Baetica. وبعدها توجد مدينة لكسوس على بعد اثنين وثلاثين ميلا" (Pline, 5, 2).

ثم كتبها الجغرافي بطليموس في القرن الثاني الميلادي كما يلي : زلية Zilia وذكرها على رأس المدن الداخلية، متبعاً في إحصائها الاتجاه من الشمال إلى الجنوب. وحدد لها الإحداثيات التالية : الطول 6 و10 والعرض 35 و30. وبعدها ذكر ليكس Lix (لكسوس) (Ptolémée, 4, 1, 7).

كما وردت في مسالك انطوننوس في القرن الثالث الميلادي بصيغة زلي Zili مرتبة على الطريق الرومانية الساحلية، في اتجاه من الجنوب إلى الشمال. فذكرت بعد تابرناي Tabernae بأربعة عشر ميل، وقبل أدمركوري Ad Mercuri بستة أميال وهي تبعد عن مستوطنة تنجي Tingi Colonia بأربعة وعشرين ميلا (Itinéraire, 2)، وهي مسافة تكاد تكون مطابقة لما ذكره بلنيوس الأكبر حول المسافة الفاصلة بين مدينتي طنجة وزليل.

وأخيراً وردت عند الجغرافي الرافيني في القرن السابع الميلادي، بنفس الصيغة التي وردت بها في مسالك انطوننوس، علما بأن هذا المصدر هو الذي اعتمده الكاتب المذكور في معرفة عدة مواقع مورية. ولقد اتبع الكاتب نفس الاتجاه في سرد المواقع التي تندرج ضمنها هذه المدينة، أي من الجنوب إلى الشمال، فوضعها بين تابرنتيس Tabernis ومستوطنة تنجيس Le Tingis Colinia) (Géographe de Ravenne, 5, 4. وفي سياق آخر خالف الكاتب الاتجاه المتبع في مسالك انطوننوس بالنسبة للطريق الذي تندرج فيها المدينة، أي بدأ من الشمال ورتب المدينة بين تنجي وتبرنيس (Le Géographe de Ravenne, 3, 11).

إن بعض هذه الأخبار التي تحدثت عن وضعية المدينة تعكس مصير البلاد كلها بعد وفاة الملك بكوس الثاني سنة 33 ق م. حيث قرر القائد الروماني أكتافيوس Octavius أن يسيطر على موريطانية وتحويلها إلى ولاية رومانية. لكن الموريين ثاروا ضده ومنعوه من تحقيق مشروعه التوسعي. فما كان على القائد المذكور إلا أن يتدخل عسكريا في موريطانية. فتصدى لمقاومة السكان بعنف مدمر، ترك بصماته في التخريب الذي تعرضت له عدة مواقع أثرية في شمال موريطانية، وهي تمودة وسيدي عبد السلام البحر في ناحية تطوان ومواقع قروية في ناحية طنجة وزليل ولكسوس.

ونعتقد أن ترحيل سكان زليل مرتبط بهذه الأحداث. مما يعكس إمعان أكتافيوس في الانتقام منهم، لكونهم ربما تزعموا هذه المقاومة ضد رومنة بلادهم. وهذه سياسة طبقها أكتافيوس حتى في إيطاليا حيث شرد سكان عدة مدن وحولها إلى مستوطنات خاضعة له (Dion Cassius, 51, 4). وفي موريطانية تمكن أكتافيوس من إخماد الثورة المورية، وأقام أربع مستوطنات هي طنجة وزليل وبناسة وبابة.

هذا عن المدينة وبعض من شؤونها كما وردت في المصادر، فماذا نعرف عن نتائج الأبحاث الأثرية حول هذه المدينة ؟ لقد قام الخلاف حول موقع المدينة منذ شارل تيسو، الذي ظن أن مدينة أصيلا تغطي أطلال زليل القديمة. غير أن أوزينا رجح أنها تقع في مكان بعيد عن أصيلا بحوالي 13 كلم جوا يسمى حاليا الدشر الجديد، حيث توجد أطلال قديمة رجح تيسو أنها مثل موقع أدمركوري Ad Mercuti القريب من زليل في مسالك أنطوننوس. لكن موريس لنوار أوضح أن صاحب هذا الرأي هو باحث إنجليزي يدعى سبول Spaul، وذلك في أطروحة أنجزها سنة 1957.

ثم إن البعثة الأثرية المغربية الفرنسية التي تنقب في موقع الدشر الجديد اكتشفت سنة 1986 نقائش لاتينية تحمل اسم زليل كما كتبه بلنيوس الأكبر، وتتحدث عن سكانها بالصيغة التالية Zilitanorum. وبذلك قضي الأمر في الخلاف حول تحديد موقع هذه المدينة القديمة. كما اكتشفت نفس البعثة موقع أدمركوري بين زليل وطنجة وفقا لما ورد في مسالك أنطوننوس.

أهم ما أسفرت عنه تنقيبات البعثة المذكورة هو وضع استراتگرافية مضبوطة لمراحل إعمار المدينة في الفترة المورية مع التمييز بين مستويين أثريين.

المستوى الأسفل يتضمن ما يلي :

الخزف المصبوغ

الأمفورات Mana A 4 أو Kouass 2-3

الخزف المغطى بطلاء أحمر Céramique à engobe rouge

- المستوى الثاني يتضمن ما يلي :

الأمفورات المورية من النوع Dr. 18

الخزف الكمباني المتأخر معظمه من النوع B بكمية أكبر من النوع A المتأخر

الأمفورات الايطالية خاصة النوع Dr. 1

الخزف الدقيق Céramique à paroi fine

ولقد تعرض هذا المستوى للتحطيم قبل رواج الخزف الأرتزي في حوالي السنة 30 ق. م.

يؤكد الدارسون أن التأريخ للمستوى الأول مرتبط من الناحية الستراتكرافية بالمستوى الثاني، الذي يعلوه ذون فاصل واضح. وهذا يعني أن تاريخ إعمار المستوى الأول يبتدئ من وقت غير مضبوط، لكنه ينتهي في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد. أما المستوى الثاني فيمتد تاريخه من بداية القرن الأخير قبل الميلاد إلى حوالي سنة 40 ق. م. نظراً لعدم وجود الخزف الأرتزي.

وفي سياق آخر، أكد الدارسون أن المستوى الأول تعرض للتحطيم خلال القرن الثاني قبل الميلاد، دون تدقيق أوضح، وتلا ذلك إعمار جديد انتهى بالتحطيم حوالي سنة 30 ق.م. أما التحاليل المخبرية فقد توصلت إلى أن أقدم آثار الموقع ترجع إلى ما بين القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد.

الإشكال الذي ظل معلقا حتى الآن بالنسبة للمستوى الأسفل هو عدم إكمال الاستبار حتى الأرض البكر. والغاية من التنقيب حتى الأرض البكر هي التأكد من بقية المواد التي يفترض أنها توجد بالموقع، وربما العثور على مستوى آخر أسفل المستوى الموري الأول. وقد يكون مستوى فنيقيا كما هو الأمر في مكدور ولكسوس وسيدي عبد السلام د البحر وأمسة. وهنا أتساءل عن الخزف الأحمر الذي يوجد في المستوى الموري الأول إلى أي حد يمثل مواد متبقية من مستوى أسفل ؟

ثم إن الكشف عن كل الطبقات في زليل سيفيد في مسألة وجود الخزف الإغريقي أو انعدامه، وهو معروف في مواقع أخرى خاصة في موقع الأقواس القريب من زليل. وقد استمر رواجه في المواقع المورية حتى القرن الرابع قبل الميلاد.

ومهما يكن من أمر، فإن استراتكرافية زليل هي على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لدراسة الحياة الاقتصادية بموريطانية، وعلاقاتها التجارية في الفترة المورية. ومن المعلوم أن هذه الستراتكرافية تعد من الناحية المنهجية، النموذج الأمثل مما أنجز لحد الآن، في ضبط تراتب مستويين موريين " مختلفين ثقافيا واقتصاديا"، حسب تعبير المنقبين في الموقع.

فالمستوى الأسفل يمثل مرحلة الاعتماد على المنتجات المحلية والاستغناء عن السلع الرومانية، التي كانت تروج بكثافة في بقية أرجاء العالم المتوسطي مثل قرطاجة ونوميدية وإسبانيا. أما المستوى الموري الثاني فإنه يتميز بانفتاح موريطانية للسلع والتأثيرات الرومانية. وقد فسر الدارسون للموقع هذا التحول كما يلي : "إن هذه القطيعة الثقافية بين المستويين تبدو عميقة ... والدليل على ذلك هو غياب المواد المستوردة في المستوى الأول، وغزارتها في المستوى الثاني".

ونحن هنا بصدد مسألة عزيزة على الباحث في التاريخ القديم، وهي تطابق النصوص والآثار حول موضوع شغل اهتمامنا كثيرا، عالجناه في مادة الرومان والمغرب. والأمر يخص العلاقات بين موريطانية وروما التي ظلت جامدة إلى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد.

م. مجدوب، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م.* رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1990، مرقونة ؛ *أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة*، بحوث، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، المحمدية، العددان، 2 ـ 3، 1990، ص. 61ـ82 ؛ *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1988، مرقونة.

A. Akerraz, N. El Khatib-Boujibar, A. Hesnard, A. Kermorvant, E. Lenoir, M. Lenoir, *Fouilles de Dchar Jdid* 1977-80, B.A.M., 14, 1981-2, p. 169-225 ; A. Akerraz, N. El Khatib-Boujibar, A. Hesnard, A. Kermorvant, E. Lenoir, M. Lenoir, G. Monthel, *Ab eo XXV in ora oceani Colonia Augusti Iulia Constantia Zilil, Africa Romana*, 4, 1987, p. 433-44 ; *Recherches archéologiques récentes à Dchar Jdid, (Zilil), les découvertes monétaires, Bulletin de la Société Française de Numismatique*, 44ème année, 2, 1989, p. 510-5 ; M. Kovatchévan, *Recherches archéologiques sur trois sites archéologiques du Maroc, B.A.M.*, 16, 1985-6, p. 285 - 93; P. Rouillard, *Le commerce grec du 5ème et 4ème siècles av. J.C. dans la région de Lixus et de Gades, Collection de l'Ecole Française de Rome*, 166, 1992, p. 207-15 ; M. Majdoub, *Les luttes du début du 1er s. av. J.-C. au nord de la Maurétanie, Collection de l'Ecole Française de Rome*, 166, 1992, p. 235-8 ; Idem, *La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain jusqu'au 1er s. av. J.-C., Africa Romana*, 11, 1996, p. 287-302 ; Idem, *Octavius et la Maurétanie, Africa Romana*, 13, 2000, p. 1725-37 ; Idem, *Note sur les niveaux maurétaniens dans les régions de Tétouan et de Tanger, Journée d'études sur les niveaux maurétaniens* organisée par l'Institut National des Sciences d'Archélogie et du Patrimoine, Rabat, 26/5/2000, sous presse ; M. Lenoir, *Ad Mercuri Templum, voies et occupation antique du nord du Maroc, Madrider Metellungen*, 100, 1993, p. 5079-20.

**محمد مجدوب**

**زمبيل** Zumbiehl طبيب فرنسي من الأطباء الذين

عملوا بالمغرب عدة سنوات. ولد في 19 غشت 1866 بمدينة مولوز Mulhouse، وتابع دراسته في كلية الطب بنانسي Nancy حيث قدم أطروحته في صيف 1889.

عُين زمبيل بطلب من ليناريس Linarès في البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب، ليحل محله في تلك المهمة ما بين 1899 و1902، وليوازن به تأثير الطبيب الانجليزي Verdon (وهو أخ لأحد ضباط ماكلين Mac Leau. بقي طبيبا لحرس السلطان إلى سنة 1912)، عند اصطحاب أعضاء البعثة خلال تحركات المحلة السلطانية. وكان الدكتور زمبيل يتقن اللغات الانجليزية والألمانية والعربية.

نودي على زمبيل لأول مرة إلى القصر السلطاني في نونبر 1901 ليعالج السلطان من نزلة زكام ألمّت به، فأظهر براعة في كشفها عنه وفحص عدد من حريم القصر، مما جعل السلطان يقربه ويهديه حصانا مسرجا.

وفي سنة 1902 غادر الدكتور زمبيل المغرب إلى الجزائر ومنها عاد مرة أخرى إلى المغرب في سنة 1907 ليترأس مصلحة الصحة الخاصة بطوابير عمليات احتلال الدار البيضاء. وفي ماي 1913 أصبح طبيبا رئيسا لمستشفى ماري فويي Marie-Feuillet بالرباط، ثم عين بعد ثلاثة أشهر مديراً عاماً لإدارة الصحة، وهو أول من عمل على رأس هذه الإدارة. وفي سنة 1918 عين طبيبا لدى السلطان مولاي يوسف.

أنهى الدكتور زمبيل مدة عمله العسكرية كطبيب رئيس لساحة ڤرساي (Place de Versailles) وشطب عليه من مهامه في سنة 1925.

Maxime Rousselle, *Médecins, chirurgiens et apothicaires français au Maroc (1577 - 1907)*, Paris, 1996.

بوجمعة رويان

**زمْرَان**، أو زمراوة أو إزمران منطقة تقع في النصف الجنوبي من سهل الحوز الشرقي. يحدها شرقا وادي تساوت عند خروجه من جبال الأطلس الكبير، وجنوبا الحاشية الشمالية الشرقية لأطلس مراكش الممتدة من أيت أورير إلى أكادير بوعشيبة عبر زاوية سيدي رحال. وتحدها من الشمال بلاد السراغنة أولاد سيدي رحال ثم بلاد الرحامنة. أما الحدود الغربية فتتمثل في سليل وادي تخزيريت.

من الناحية التضاريسية بلاد زمران عبارة عن مجال سهلي. وإذا كان الانبساط هو الطابع العام، فإن أرض زمران مكونة في التفاصيل من مجموعة من المخاريط الانصبابية المتفاوتة الأهمية. هناك مخروطان كبيران هما : مخروط واد غدات غربا ومخروط واد تساوت شرقا. تفصل بينهما مخاريط صغرى أهمها من الشرق نحو الغرب مخاريط أودية أماسين، تازارت، لاغ وتوامة - أماسين. وتفصل بين المراوح الانصبابية منخفضات بيمخروطية متفاوتة الحجم كذلك. وكلما توجهنا شمالا نجد طبغرافية متوجة بخفة مكونة من توالي تقببات ومنخفضات كبيرة الشعاع. وتوافق المنخفضات إما مجاري فروع دابرة لواد تساوت في اتجاه ثغرة واد كاينو شمالا، وإما منخفضات شبه مغلقة كمنخفض بويدة شمال قلعة تازارت.

زمـــــــران

من الناحية البنيوية تعد بلاد زمران جزءا من منخفض سهل الحوز الذي يمثل حوضا رسوبيا قاريا منذ النيوجين إلى الزمن الجيولوجي الرابع. وبذلك شكلت بلاد زمران مجالا تراكمت فيه خلال هذه المدة مواد فتاتية مولاسية مكونة من توالي عدسات رصيصة، حثية أو صلصالية ميوبليوسينية، أو مواد رباعية مختلفة الأبعاد أكثرها أهمية مواد الرباعي الأوسط. ومجموع هذه المواد ناتجة عن تعرية سلسلة الأطلس الكبير التي تعتبر المناطق المزودة بالرواسب والمياه. ويبلغ سمك هذه المواد عموما 200 م، إلا أنه يقل في اتجاه الشمال. وتتكون الركيزةالجيولوجية من الترياس والزمن الأول، إلا أن مواد الترياس تنتهي مائلة مباشرة بحاشية الأطلس التي تحدها انكسارات عكسية كانكسار سيدي رحال. ولهذه المعطيات البنيوية انعكاسات على التربة والموارد المائية خاصة الباطنية.

أما مناخ بلاد زمران فيصعب التدقيق في خصائصه، لكنه بصفة عامة يتميز بمميزات المناخ المتوسطي السائد في كل سهل الحوز. وهو بذلك يجمع بين القساوة بالجزء السهلي شمالا، وبتزايد الأمطار وانخفاض طفيف للحرارة في اتجاه الحاشية الجبلية بحكم تزايد الارتفاع. المتوسط الحراري السنوي مرتفع عموما (قلعة السراغنة 19،7 شمالا أيت أورير 18،9 جنوبا، سيدي رحال 18،5 بالدير). متوسط أبرد شهر 11،9 ومتوسط أسخن شهر 27،1. فوارق يومية وشهرية كبيرة. أعلى معدل (39 بقلعة السراغنة، 37،1 بأيت أورير). أدنى معدل (4،5 قلعة السراغنة، 5،4 أيت أورير). كما تتعرض المنطقة لموجات حرارية عليا أو دنيا قصوى حادة (50،5 بشهر يوليوز 1924 بقلعة السراغنة و(3 بشهر يناير 1918، ثم 48،8 يوليوز 1938 و0 بأيت أورير).

متوسط التساقطات يتراوح بين 300 و600 ملم سنويا (قلعة السراغنة 257 ملم، سيدي رحال 392 ملم وأكادير بوعشيبة 612 ملم)، لكن توزيعها غير منتظم مجاليا وزمانيا.

الرياح السائدة ببلاد زمران غربية وشمالية غربية رطبة عموما، غير أنها تتعرض صيفا لهبوب رياح الشرگي والقبلي الساخنة والجافة لمدة لا يستهان بها. كما أن الرطوبة ضعيفة عموما والتبخر قوي خاصة خلال فصل الصيف.

ولهذه المعطيات انعكاسات على الغطاء النباتي والتربة والموارد المائية.

فيما يخص الموارد المائية السطحية، يعبر بلاد زمران محوران هيدروغرافيان رئيسيان يتميزان بالجريان الدائم هما واد غدات غربا الذي يعتبر جزءا من حوض تانسيفت وواد تساوت شرقا وهو ينتمي لحوض أم الربيع. وبذلك تمتد بلاد زمران بين حوضين هيدروغرافيين مختلفين. وتتفرع عنهما عدة سواق تلعب دورا أساسيا في حياة السكان :

السواقي المأخوذة من واد تساوت والتي تروي بلاد زمران هي من العالية نحو السافلة : السلطانية، الخزاينية، الجديدة، العراضية والوكادية.

أما السواقي المتفرعة عن واد غدات فهي : تازمورت، أفياض، تامسنين، الكرناوية، الجديدة، أيت بن أحمد. هذا بالضفة اليسرى. أما بالضفة اليمنى فنجد : الفقراء، تاخيارت، تاطولت، الزاراوية، أولاد راضية والريكي. وتستعمل في الري الموسمي. بالإضافة إلى هذين المحورين هناك محاور ثانوية هي من الشرق نحو الغرب : واد أماسين وتازازت تصريفها ببلادزمران ثم واد لاغ وواد توامة - أماسين وواد تخزيريت وكلها تصب في تانسيفت. وتستعمل مياه هذه الوديان في غمر الحقول أثناء فترات الفيض القصيرة جدا.

لكن بلاد زمران شهدت في النصف الثاني من القرن الرابع عشر (20 م) تجهيزات هيدروزراعية هامة تتمثل في شبكة عصرية من السواقي الإسمنتية. وذلك بعد تشييد سد مولاي يوسف على واد تساوت سنة 1970.

أما فيما يخص الموارد المائية الباطنية، فإن بلاد زمران هي جزء من الخزان المائي للحوز الشرقي الذي يتميز بتراكم مواد فتاتية نيوجينية ورباعية سميكة تعطي مواصفات رديئة لحركة المياه الباطنية خاصة في جنوب المنطقة. وتتحسن هذه الحركية في اتجاه الشمال. كما أن عمق السديمة المتوحة بالنسبة لسطح الأرض يصل بجنوب بلاد زمران إلى أكثر من 100م، لكنه يقل في اتجاه الشمال والشمال الغربي حيث لا يتعدى عشرة أمتار بضواحي تاملالت.

كما أن الظروف المناخية تنعكس على الغطاء النباتي والأتربة. فالغطاء النباتي الطبيعي ببلاد زمران تطبعه السهوبية والتدهور. وقد كانت النباتات الذروية متكونة من أشب من الأحراش أو من غابة من العناب أو السدر Ziziphus lotus الذي يواكبه نبات السنط أو الطلح Acacia gummifera، بالإضافة إلى البطم أو فستق الأطلس Pistacia atlantica. هذا بالإضافة إلى النجيليات ثم الزبوج أو الزيتون البري Olea europea. وعموما يصعب تحديد العشيرة النباتية ببلاد زمران نظرا للتدهور الذي لحقها ارتباطا بالتدخل البشري العميق.وهكذا فإنه لم يبق من الأنواع الغابوية سوى عناصر الزبوج والسدر والسنط بالمقابر.

أما الأتربة فنجد حسب التصنيف المحلي تربة الحمري التي تنتشر بالخصوص بمخروط تساوت شرق بلاد زمران، الحرشة أوتربة بياض أو تربة الفكرون التي نجدها بالحاشية الجنوبية بالدير خاصة الرمل التي نجدها بجوانب الوديان والسيول المنحدرة من الحاشية الجبلية، تربة الترس التي نجدها بالمنخفضات شبه المغلقة كمنخفض بويدة أو بسافلة التلال البازالتية المطلة على السهل وبالخصوص بغرب البلاد. وأخيرا تربة رقوان الموجودة فوق المواد الطينية - الطميية بالسطوح المنبسطة خاصة شمال غرب المنطقة. أما من الناحية التصنيفية العلمية الترابية فإن أتربة بلاد زمران تدخل في إطار الأتربة السيدبالية (Aubet, 65). وهي أتربة في معظمها قابلة للري بنسبة 92٪ بزمران الغربية و88٪ بزمران الشرقية (M. Duccrocq, 73) تمثل التربة القابلة للري من الدرجة الأولى 11٪ بزمران شرقا و44٪ بزمران الغربية. لكن مشكل كثرة المواد الخشنة المتركزة على السطح أو المرصوصة على عمق متواضع خاصة بشرق وشمال زمران الشرقية بنسبة 10٪ إلى 50٪ من الحجم العام (M. Ducrocq, 1973)، في حين تمتاز زمران الغربية بسيادة الأتربة القابلة للري ذات النسيج المتوازن والتي تقل بها نسبة المواد الخشنة.

تستقر ببلاد زمران قبيلة زمران أو زمراوة التي تنقسم إلى قسمين : زمران الشرقية وزمران الغربية. إداريا بلاد زمران تابعة حاليا لإقليم السراغنة، تتكون من بلدية سيدي رحال وجماعتين قرويتين هما : زمران الغربية وزمران الشرقية.

وكانت بلاد زمران في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) عبارة عن أراض قليلة الانزراع حيث كانت تشكل في معظمها مجالات رعوية لقطعان القبيلة. كما كانت السواقي محدودة جدا، مما جعل الزراعة نادرة ومتنقلة. إذ كانت هناك عدة صعوبات تقف أمام الاستغلال المستقر للمجال. وتتمثل تلك العراقيل في الصراعات التي كانت تقوم بين الزمرانيين والرحامنة من جهة، وبينهم والمسفيويين من جهة أخرى حول هذا المجال. أضف إلى ذلك تهديد كلاوة المستمر من جهة الجنوب. ذلك أنه منذ 1700 كان الصراع قائما بين قبيلتي زمران وكلاوة حول ساقية تازمورت المتفرعة عن واد غدات بزمران الغربية، إلى أن فصل ظهير المولى إسماعيل في هذا النزاع. أضف إلى ذلك صراع زمران مع فطواكة الذين التجأوا إلى كلاوة ضدهم. ومنذ ذلك الوقت كانت بلاد زمران تتعرض من حين لآخر

للنهب من طرف الاكلاوي بهدف فتح نافذة على سهل الحوز عامة وبلاد زمران الغنية خاصة. وتم له ذلك بالحوز الشرقي عندما شيد قلعته بمخرج واد تازارت المطلة على بلاد زمران. ثم في 1907 هُزمت الجيوش العزيزية الزمرانية من طرف الاكلاوي الذي أصبح رئيس الجيوش الشريفة.

كل هذه الظروف التاريخية كانت تمنع إقامة زراعة دائمة بالمجال الزمراني. فكان من الصعب الحديث عن أراض جماعية، بل كانت بلاد زمران أراضي في ملك القبيلة مع وجود ملكيات خاصة حول السكن تدعى "المكامات". وكانت محاصيل القبيلة تخزن سابقا في مطامير كما هو الحال بمرس البغال الذي شيد في عهد السلطان المولى الحسن. وبعد ذلك تحول نظام الأراضي القبلي إلى نظام "الكرانات" عندما قام أعيان زمران (القواد والشيوخ) باستصلاح الأراضي واستملاكها عن طريق الاستعمار بواسطة التويزة أو المخابرة (البيزرة). ومارسوا فيها زراعة الحبوب بكيفية واسعة مثل "كران" ديلوصير وكران "البلشي". وتم تحويل بعضها فيما بعد إلى عزبان مثل عزيب التهامي الكلاوي باشا مدينة مراكش، والذي يدعى عزيب بويدة. وقد بلغت مساحة الأرض التي استولى عليها الكلاوي ببلادزمران 1618 هكتارا مورست فيها الزراعة المعايشة والتسويقية عن طريق الكلفة والخماسة. ثم انطلاقا من 1950 تحول نظام الكلفة والخماسة إلى نظام الأجرة والبيزرة. وفي سنة 1957 وضعت أملاك الأكلاوي تحت الحراسة القضائية ثم أصبحت تسير من طرف مصلحة الأملاك المخزنية. في 1959 تمت دراسة مشروع تجزئة عزيب بويدة وتوزيع أراضيه كأنموذج للتحديث الزراعي بحوز مراكش. وذلك غداة توزيع الأراضي المسترجعة من المعمرين وغداة تشييد سد مولاي يوسف على وادي تساوت.

لقد أدى بناء هذا السد إلى خلق القطاع السقوي العصري لتساوت العليا. وتشغل بلاد زمران الشرقية الجزء الجنوبي الغربي منه (أولاد كايد، أولاد سعيد، بويدة). في حين لم تستفد بلاد زمران الغربية منه. وهكذا نجد عدة أوجه تشابه أو اختلاف بين شطري بلاد زمران.

ـ على مستوى التجهيز المائي :

ـ بالنسبة لزمران الشرقية :

يجمع التجهيز المائي بين نظامين :

ـ نظام تقليدي مهيكل متمثل في شبكة من السواقي ومتميز بوجود حقوق مائية عريقة خاضعة للتوارث والتقسيم والبيع والكراء. ولا توجد علاقة بينها وبين الأرض.

ـ نظام عصري للسقي الكبير متمثل في شبكة هندسية من القنوات ومتميز بوجود محورين مائيين للري بالغمر هما أولاد كايد وأولاد سعيد ـ بويدة. ويأخذ هذا النظام بعين الاعتبار النظام التقليدي السابق له. والملاحظ أن الري الصغير والمتوسط لم يتطور بهذا الجزء من زمران نظرا لعمق السديمة التي يتعدى 110م أحيانا.

ـ بالنسبة لزمران الغربية :

ـ عكس زمران الشرقية تطور فيها الري المتوسط والصغير والمتمثل في الضخ الخاص للمياه الجوفية نظرا لقرب المستوى التغمازي من سطح الأرض، ولأنها لم تكن موضوع استثمار فلاحي إلا مؤخرا. وقد بدأ هذا النظام بأربعة دواوير هي : أولاد عامر، أولاد حجاج، أولاد فطام والروحة. وذلك بعد حفر أول بئر سنة 1970. ويتطابق هذا التاريخ مع استعمال ماء سد مولاي يوسف بالحوز الشرقي وبالضبط بقطاع الصهريج. بعد ذلك عرف حفر الآبار تطورا مهما خاصة خلال نوبات الجفاف حيث بلغ أوجه بين 1991 و1993. وبذلك عرفت المساحات المسقية توسعا ملحوظا (انظر الجدول 1) ببلاد زمران لكنها لا زالت ضعيفة جدا بزمران الغربية. إلا أن المساحة المروية ستعرف توسعا ملحوظا بعد استصلاح قطاع غدات السفلى (مكتب الحوز) انطلاقا من قناة روكاد.

وهكذا فإن المشكل الرئيسي الذي يعوق تطور المزروعات ببلاد زمران خاصة والحوز عامة هو الماء. ذلك أن الثروات المائية أقل من الحاجيات التي يتطلبها الاستثمار المكثف للأراضي القابلة للري. ورغم ذلك تعتبر بلاد زمران محظوظة بالمقارنة مع باقي سهل الحوز.

الجدول 1 : المساحة المروية ببلاد زمران

| المنطقة / استعمال الأرض | ٪ الأراضي المسقية | نسبة الأراضي البور | المجموع |
|---|---|---|---|
| زمران الشرقية | 68،12 | 31،88 | 100 |
| زمران الغربية | 4،4 | 95،6 | 100 |

المصدر : المركز الفلاحي سيدي رحال

ـ على مستوى الإنتاج الفلاحي والنظام العقاري :

معظم الأراضي الزمرانية ملك، إلا أن هناك اختلافا بين شطري البلاد : نسبة الأراضي الملكية مهمة جدا بزمران الغربية إذ تمثل 81،54٪ كما أن نسبة الأراضي الجماعية أهم بزمران الشرقية إذ تمثل 40،82٪ (الجدول 2).

الجدول 2 : توزيع الأراضي حسب النظام العقاري بالنسبة المئوية

| المنطقة / النظام العضاري | الملك | المجموع | الأحباس | ملك الدولة | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|
| زمران الشرقية | 55،82 | 40،72 | 3،36 | 0،10 | 100 |
| زمران الغربية | 81،54 | 15،11 | 3،15 | 0،2 | 100 |

المصدر : المركز الفلاخي أولاد ناصر

كما أن نظام الملكية الصغرى هو المسيطر، بحيث أن نسبة مهمة من الاستغلاليات تقل مساحتها عن خمسة هكتارات خاصة بزمران الشرقية. في حين أن زمران الغربية تمثل فيها الاستغلاليات التي تفوق خمسة هكتارات نسبة لا يستهان بها (الجدول 3).

الجدول 3 : البنية العقارية ببلاد زمران بالنسبة المئوية

| المنطقة / حجم الاستغلالية بالهكتار | 0-4,9 | 5-9,9 | 10-20 | أكثر من 20 | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|
| زمران الشرقية | 70,00 | 16,75 | 10,45 | 2,8 | 100 |
| زمران الغربية | 49,9 | 23,46 | 23,22 | 3,42 | 100 |

المصدر : المركزان الفلاحيان أولاد ناصر وسيدي رحال +مكتب الحوز بتصرف

الاستغلاليات الفلاحية هي استغلاليات عائلية والاستغلال المباشر هو الأكثر انتشارا بنسبة 82٪. كما نجد نظامي الشركة والكراء. وتنظيمات مهنية تتمثل في تعاونيات الإصلاح الزراعي خاصة بزمران الشرقية وتجمعات مستعملي الماء وتعاونية إنتاج الحليب الداخلة بزمران الشرقية والتي تضم أزيد من 553 منخرطا والتي أنتجت 2.318.873 ليترا من الحليب سنة 1995 (مونى كباير 1995).

وهكذا يتميز الإنتاج الفلاحي ببلاد زمران بالجمع بين الإنتاج النباتي والإنتاج الحيواني : يمتاز الإنتاج النباتي بسيطرة زراعة الحبوب التي تشغل أكثر من 60٪ من المساحة المزوعة بزمران الشرقية، و89,5٪ بزمران الغربية نظرا لأهمية أراضي البور (الجدول 1).

تأتي بعد الحبوب الغراسة بحيث تمثل الشكارات المغروسة بالزيتون أحيانا أكثر من 33٪ من المساحة الزراعية المستغلة بزمران الشرقية، في حين لا تتجاوز 85٪ بزمران الغربية. على العموم يلاحظ في السنوات الأخيرة تطور في المساحات المغروسة.

كما تنتج بلاد زمران البقول، الخضر وخاصة المزروعات العلفية (الفصة، البرسيم، الذرة والشعير). وذلك لتطور الإنتاج الحيواني. تربية الأبقار مقصلة لأنها تعتبر ثروة يلجأ إليها الفلاحون الزمرانيون لتغطية تكاليف الإنتاج خاصة خلال الفترات الصعبة (الحرث الحصاد...). تمارس تربية الأبقار حسب أسلوب مكثف. ويتكون القطيع من ثلاثة أصناف : الصنف الأصيل، الصنف المهجن ثم الصنف المحلي. والاتجاه العام لبنيته هو نحو إدخال النوع المحسن (المهجن)، بينما الأصناف المحلية التي لم تبق سوى عند الفلاحين الصغار في تراجع مستمر. وتعرف تربية الحلوب تطورا مهما بزمران.

بالإضافة إلى الأبقار يربي الزمرانيون الأغنام غير أنها محدودة بزمران الشرقية نظرا لامتداد المساحات المزروعة وقلة أو انعدام المراعي. في حين تعرف انتشارا مهما بزمران الغربية نظرا لأهمية المساحات البورية وتوفر المراعي، إلا أنها تمارس بكيفية واسعة خاصة لدى صغار الفلاحين.

تعرف أعداد القطيع عامة تغيرات بيسنوية ارتباطا بكمية المنتوجات العلفية المرتبطة بدورها بكمية مياه الري، وبأثمنة المواد العلفية التي تعرف ارتفاعا مهولا خلال فترات الجفاف.

أ. زروال، *دراسة جيومورفلوجية لدير أطلس مراكش بين وادي الزات وتساوت*، الرباط، 1987 ؛ أ. زروال، *تربة رقوان*، مقال معد للنشر بمعلمة المغرب ؛ أ. توفيق، *المجتمع المغربي في القرن 19* (إينولتان1950ـ1912)، الرباط، 1403 / 1983 ؛ إدريس الفاسي ـ محمد البدرواي، تربة الحمري، *معلمة المغرب*، الجزء 11، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 1419ـ1998 ؛ منوغرافية عن إقليم قلعة السراغنة.

Direction de l'Hydraulique, *Carte hydrogéologique de la plaine du Haouz (Maroc occidental) au 1.200.000. Notes et mémoires du service géologique*. N° 284. Rabat. 1980 ; G. Aubert, *Cahier. O.R.S.T.O.M, série pédologie,* volume 3, fascicule 3, 109p, 1965 ; J. Dresch, *Recherches sur l'évolution du relief dans le massif central du Grand Atlas, le Haouz et le Sous.* Paris 1941 ; M. Ducrocq et P. Pascon, *La mise en valeur du périmètre de la Tessaout (Haouz de Marrakech). H.T.E.*, N 6. 1973 ; M. Kebaier, *Etat de la mise en valeur agricole dans la Tessaout - Amont* - Rabat. 1995 ; N. Bouderbala, M. Chraïbi et P. Pascon, *La question agraire au Maroc, B.E.S.M.,* N° 123-124 - 125 ; O.R.M.V.A.H, *Etude d'actualisation de la factibilité des secteurs centraux de la PTI du Haouz central. Rapport définitif.* Décembre 1992 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech.* Tomes 1 et 2. Rabat. 1977.

أحمد زروال

**الزمراني، أحمد** بن عبد العزيز، أديب شاعر عمل كاتباً في بلاط محمد الشيخ المامون السعدي بفاس، وكان ينشد بحضرته مولديات في ليالي المولد النبويو على غرار ما كان يجرى في بلاد أحمد المنصور الذهبي بمراكش. لقي أحمد المقري المترجم في فاس أثناء رحلته الأولى إلى المغرب عام 1010، وأثنى عليه في كتابه *روضة الآس* وأثبت له قصيدة ثانية في الغزل، ومطلع مولدية نونية من مولديات كثيرة ضاعت منه. وحلاه بقوله : "الكاتب المجيد، الناظم الناثر... ولهذا الكاتب فهم حسن ومشاركة في العلوم، وله نظم جيدة".

ومن أحسن شعره ما قاله في الدولاب (الناعورة) على وادي فاس :

ودولاب كأن المـــاء فـيـه     سيوف جرّدت يوم اللقـاء

ويحكي في سناه إذا تبدّى     بروق الجو في كبد السماء

وأورد له سميه التملي في *طلائع اليمن والنجاح* قصائد في المولد النبوي وفي مدح محمد الشيخ المامون.

توفي بعد عام 1010 /1 ـ 1602.

ع. العزيز التملي، *طلائع اليمن والنجاح، فيما اختص بمولد الشيخ من الأمداح*، مخطوط ؛ أ. المقري، *زهرة الآس*، الرباط، ط. 2، 1983.

محمد حجي

**الزمراني، البشير** بن صالح ولد عام 1302 / 1884 بدوار أولاد إبراهيم بزمران الشرقية، وهناك تربى تربية دينية وتعاطى الفروسية وركوب الخيل فأظهر خبرة نادره، ولعل ذلك ما دفعه إلى الانخراط في الخدمة العسكرية، حيث شغل في العهد العزيزي رتبة قائد المائة، وفي العهد الحفيظي أصبح قائد الرحى ؛ وحارب في الشمال والجنوب، حيث ساهم في تهدئه الرحامنة بعد وفاة السلطان المولى الحسن، وفي تهدئة مناطق بشمال البلاد كبني مستارة بالريف إضافة إلى عمله بجانب الجنود المخزنية في حرب الفتان بوحمارة.

وفي آخر العهد الحفيظي أصبح قائدا على قبيلة زمران ثم على بعض قبائل شمال المغرب مثل التسول وتاونات ومقدمة الريف وكانت له ثروة طائلة وعقارات كثيرة بزمران.

توفي بفاس عام 1361 / 1942.

شوقي الحسن

**الزمراني، عبد الكبير** بن الطالب الأنصاري أديب مناضل أستاذ ولد بمدينة مراكش عام 1331 / 1912، ولد والجيوش الفرنسية تحط أقدامها على الأرض المغربية، وتفرض حمايتها عليه.

قرأ القرآن ومبادئ القراءة والكتابة بكتاب الحي إلى أن استظهره، بعدها تطلع إلى المزيد من العلم والمعرفة، فالتحق

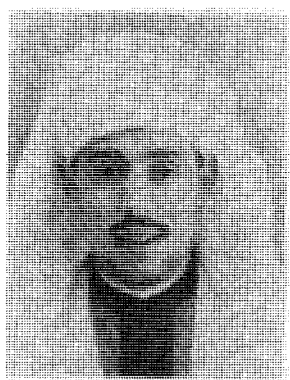

بمسجد أبي العباس السبتي القريب من حيهم ليدرس على الفقيه حم الفطواكي، وعلى سيدي محمد الصغير السباعي مجموعة من العلوم. بعدها التحق بالجامعة اليوسفية، ودرس على شيوخها نذكر منهم السادة العلماء :

أحمد أكرام ـ محمد بن عمر السرغيني المعروف بابن نوح، مولاي أحمد العلمي، والشيخ أبي شعيب الدكالي.

وفي عام 1351 / 1932 رحل إلى جامعة القرويين، فجالس مجموعة من العلماء، وهم السادة :

مولاي عبد الله الفضيلي، الطائع بن الحاج السلمي، محمد (فتحا) العلمي، العباس بناني، ومحمد أقصبي.

ولما أشبع نهمه، ونقع غلته من المعارف، انكفأ عائداً إلى مسقط رأسه، وشارك في مباراة الحصول على شهادة العالمية من جامعة ابن يوسف سنة 1358 / 1993، وبعد ذلك صار يقوم بدروس تطوعية بجامعة ابن يوسف وجامع باب دكالة الذي صار فيما بعد خطيبا فيه.

تقلب في مناصب عديدة منها :

ـ كاتب عند قاضي مسفيوة السيد ابن رحمون.

ـ كاتب خاص لدى محتسب مراكش الحاج عمر بن الطالب، ثم شارك في مباراة الالتحاق بالقضاء الذي نجح فيه، فعين عضواً بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى بالرباط. وعند زيارة جلالة الملك محمد الخامس لمراكش عام 1365 / 1945، وتدشينه مدرستين ابتدائيتين : الحسنية والعبدلاوية، في إطار جهود الحركة الوطنية لنشر العلم والتعليم، عين الفقيه عبد الكبير الزمراني مديراً وأستاذاً بالمدرسة العبدلاوية، حيث قام بالدور البارز في تربية الأجيال تلو الأجيال، على مبادئ الإسلام الصحيح، والوطنية الصادقة، إذ يعتبر من المؤسسين للحركة القومية (حزب الشورى والاستقلال) فيما بعد.

واستمرت المدرسة في عطاءاتها واشعاعها إلى سنة 1373 / 1953، حيث أقفلت من طرف السلطات الاستعمارية، وشرد معلموها وتلامذتها إلى حين عودة جلالة الملك من منفاه فعادت المدرسة لعطائها المعهود.

توفي يوم الخميس 22 شوال عام 1397 / 6 أكتوبر 1977، بعد مرض عضال، ودفن طبقا لوصيته بضريح الولي الصالح سيدي أحمد السوسي. وعند حلول الذكرى الأربعينية لوفاته أقامت جماعة من قدماء تلامذة المدرسة العبدلاوية حفلا تأبينيا ألقيت فيه كلمات وقصائد بالمناسبة.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

**الزمّار** (أو أزمّار) آلة نفخ يستعملها الموسيقيون المحترفون المعروفون باسم "أمذيازن" والمنتشرون في مناطق الريف الوسطى والشرقية. وهو عبارة عن قصبتين صلبتين ألصقت احداهما بالأخرى، وربط عند طرفيهما قرنا ثور مخروطان، تعلق بكليهما سلسلة من فضة بها قطع نقدية للزينة.

والزمار من الآلات الشعبية العتيقة، وقد ندر استخدامها في العهود المتأخرة، وخاصة بعد انبثاق ظاهرة

المجموعات الغنائية الحديثة التي تبنت آلات من قبيل البانجو والگيثار والكمنجة.

ويعتبر نافخ الزمار رابع أربعة يشكلون فرقة أمديازن الموسيقية في منطقة الريف، وهم : الشيخ - ويضطلع بدور الغناء ونافخ القصبة ونافخ الزمار، وناقر البندير.

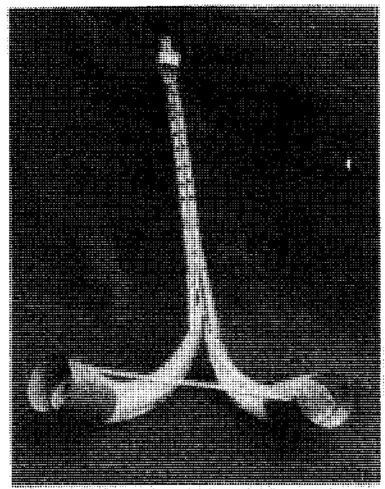

وتحتوي كلتا قصبتي الزمار على خمسة ثقوب يتم فتحها وإغلاقها مثنى بواسطة السبابة والوسطى والبنصر.

م. التوفالي، *مجلة الزمان المغربي*، العدد 3 و4، خريف، 1980، ص. 61.

عبد العزيز بنعبد الجليل

## زمّام (أولاد - ) ← زمّامة

**زمّامة**، أسرة فاسية أصلها من تلمسان، دخلوا إلى فاس في القرن العاشر (16 م) ولعل منهم الشيخ زمّام المتوفى سنة 1024 / 1615 دفين روضة الشيخ أحمد الشاوي. وإليهم ينسب درب ابن زمّام داخل باب عجيسة المدفون به الشيخ أحمد بن يحيى اللمطي.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 1 : 242.

**الزمّامي، محمد** نسبة إلى أولاد زمّام، وهم فرقة من قبيلة أولاد عريف، المنضوية تحت لواء اتحادية أولاد موسى العربية، بجهة تادلا. تقع مواطن أولاد زمام على الضفة اليمنى لواد أم الربيع، قرب قنطرة سيدي عيسى الواصلة بين مدينتي سوق السبت أولاد نمة، والفقيه بن صالح ؛ وغير بعيد عن ملتقى واد داي بواد أم الربيع.

إلا أن بعض كوانين أولاد زمام توجد على الضفة اليسرى للواد المذكور.

أما محمد الزمامي، فقد ترجم له الخليفتي ( *الدرة الجليلة*، 369)، وعده من أجل تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر.

لا نعرف شيئا عن ميلاده وطفولته ؛ لكن من ترجمته تتبين أنه اشتهر بالصلاح والعبادة ؛ ولم نقف على ما يفيد فيما يتعلق بمستواه العلمي. ومن ثم نستنتج أن مبلغه من العلم كان محدوداً، وأنه اقتصر على التصوف.

ولاشك في أنه ترقى في هذا الميدان، حتى أصبح مقدم الناصريين بتادلا، يلقن الورد لأتباع الناصريين، ويصلهم بالشيخ في تامگروت. لذلك كان كثير التردد إلى الزاوية الناصرية، حيث التقى ببعض شيوخها، مثل أحمد الخليفة وموسى بن محمد الكبير، وبكبار تلاميذهم كالحسين الشرحبيلي. كما كان محمد لزمامي من المقربين من الشيخ أحمد ابن ناصر، حتى إنه - في أثناء مرض موته - استوصى به خلفيه موسى الناصري وأخاه عبد الله، حيث قال : "سيدي محمد الزمامي كنحن.."

ويلح الخليفتي على أن المترجم "كان مجتهدا في دينه، وفي أمور الزاوية، وحسنت سيرته، وبانت عليه بركة الشيخ، ونال منه غاية النوال..."

وأيا ما كان الأمر، فإن محمد الزمامي قد اضطلع بدور بالغ الأهمية، بسبب موقع زاويته، في جهة عرفت بعدم الاستقرار، نتيجة سيادة حياة الترحال، وكون جهة تادلا معبراً يصل بين الشمال والجنوب ؛ وكون موطن أولاد زمام قريبا من مشرعة واد أم الربيع، يخوضها المارون بذلك المجال.

من أجل ذلك كله، تصدى محمد الزمامي للتحكيم والوساطة بين المتنازعين، كما تصدر لتلقين الناس تعاليم دينهم، ومحاربة بعض مظاهر الانحراف ؛ لا سيما وأن تلك الجهة كانت مسرحا لظهور بعض الطوائف الضالة، مثل العكاكزة والشراقة. لذلك يمكن القول إن محمد الزمامي، وغيره من الناصريين، قد أسهموا في استقرار المجتمع، وفي إقامة نوع من التوازن الذي كان يفتقد في أثناء الأزمات التي كانت تصيب الناس من حين لآخر.

وكما جهل الخليفتي تاريخ ميلاد محمد الزمامي، فإنه أغفل ذكر تاريخ وفاته. لكن يغلب على الظن أنه عاش مدة بعد وفاة شيخه (1129 / 1717).

ولا نجازف بناء على الذاكرة الشعبية - حيث ظل ضريحه مقصوداً بالزيارة إلى أيامنا هذه - إذا استنتجنا أن محمد الزمامي ترك بصمات واضحة في تلك الجهة ؛ مما يؤكد أن زاويته لم تندثر بعد وفاته.

الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ *التحري الميداني*.

أحمد عمالك

**زمور**، منطقة خصبة تبلغ مساحتها 350.000 هكتار،

وتقع بين مكناس شرقا وسلا والرباط غربا وبين غابة المعمورة شمالا والهضبة الوسطى جنوبا تمتاز المنطقة بتربة خصبة تنتمي في مجملها إلى نوع التيرس وهي تربة سميكة، ونظرا للظروف الطبيعية الملائمة فإنها تسمح باستغلال فلاحي متنوع وبمردودية مناسبة، هذا بالإضافة إلى أراض رملية أقل جودة توجد بمحاذاة غابة المعمورة.

مناخ المنطقة شبه قاري حيث تتميز بالارتفاع خاصة كلما تم الابتعاد عن المحيط، معدل الحرارة يتراوح ما بين 10° و27° درجة خلال الشتاء بينما يصل إلى ما بين 25° و27° درجة أثناء الصيف. كما أن المناطق المرتفعة خاصة أولماس تعرف ارتفاعا في درجة الحرارة خلال الصيف تصل أحيانا إلى 30° درجة بينما تستقر الحرارة شتاء ما بين 7° و8° درجة.

التساقطات المطرية في نواحي تيفلت تبلغ 528 ملم سنويا و501 ملم في منطقة تيداس أما المنطقة الجبلية فيصل معدلها سنويا إلى 655 ملم خاصة بأولماس. وتعتبر المنطقة خزانا مهما للمياه الجوفية تتجسد في الفرشة المائية للمعمورة حيث تسمح التشكيلات الصخرية المكونة من حث وكلس بتسرب واختزان كمية مهمة من مياه الأمطار. الغطاء النباتي مهم يتمثل في الشريط الغابوي للمعمورة الذي يمتد شمالا من سيدي علال البحراوي إلى حدود الكنزرة كما يعرف تنوعا في مرتفعات الجنوب خاصة بأولماس حيث تتنوع الأشجار الغابوية. هذا بالإضافة إلى غابات اصطناعية من نوع الأوكالبتوس في منطقتي تيداس والمعازيز.

تستقر بهذه المنطقة قبيلة زمور وهي عبارة عن تجمع قبلي أمازيغي كبير يضم قبائل أيت أوربيل التي لم تستقر مع باقي القبائل المكونة لزمور إلا في نهاية القرن الثاني عشر (18 م) على إثر زحف بعض قبائل الأطلس المتوسط Lesme, L'histoire, 57 وColin, Origine, 267 ثم القبليين وأيت بلقاسم وأيت مالك وأيت ايشو وأيت إيكو وأيت بويحيى وأيت ميمون وأيت سبيرن وأيت يدين وأيت عبو وأيت جبل الدوم وأيت واحي وحودران وأيت زكري وبني حكم وبني عمر والصفاصيف والماروديين.

وفي سنة 1911 ومع الزحف الاستعماري الفرنسي على مناطق زمور أنشئت مراكز عسكرية لمراقبة تحركات الزموريين ومنع أي اتصال أو تحالف مع جيرانهم الزعريين وهكذا شُيد مركز تيداس لمراقبة بني حكم في زمور العليا ثم مركز آخر في سيدي علال البحراوي وكذا بالمعازيز وتيفلت وأولماس والخميسات، هذه المراكز العسكرية تطورت وأصبحت تشكل مراكز حضرية ومدناً متوسطة كالخميسات التي تعتبر اليوم نموذجا للجيل الحضري الجديد والقطب الاقتصادي الهام لمنطقة زمور. كما أن مدينة تيفلت عرفت بدورها توسعا عمرانيا مهما في العقود الثلاثة الأخيرة، ونفس المصير عرفته مراكز تيداس وألماس والمعازيز.

تعتمد ساكنة قبائل زمور على استغلال المعطيات الطبيعية والمناخية للمنطقة من أجل الحصول على موارد العيش. ففي زمور السفلى تسود الظروف المشجعة على الزراعة بفعل توفر تربة خصبة تصلح لزراعة الحبوب رغم ضعف مواردها. بينما منطقة زمور العليا التي يكثر فيها الكلأ والغابة في المرتفعات والجبال فهي مجال يسود فيه النشاط الرعوي بالإضافة إلى الصناعة التقليدية (حياكة الصوف وصنع الزرابي). كما توجد بالمنطقة عدة أسواق للتبادل مع سكان المناطق الجبلية، وتطور بعضها إلى مراكز حضرية، كما تتوفر المنطقة على معطيات طبيعية وسياحية لم يستغل بالشكل الصحيح لتعود على المنطقة بالنفع ومن هذه المعطيات بحيرة ضاية رومي التي تعتبر من أكبر البحيرات بالمغرب.

م. حنيني، *الخميسات، دراسة في الجغرافية الحضرية*، د.د.ع.، كلية الآداب، الرباط، 1980 ؛ وزارة التخطيط وتكوين الأطر والتكوين المهني، *الإحصاء العام 1982*.

محمد بلعربي

**الزمّوري**، أسرة منسوبة في الغالب إلى قبيلة زمور المستوطنة فيما بين سلا ومكناس، وهي قبائل شتى. منهم من ينسب إلى مدينة أزمور عند مصب نهر أم الربيع فتحذف الهمزة ويقال زمّوري. ومن هؤلاء أسرة فاسية صنهاجية عالمة انتقلت من أزمور إلى فاس في أوائل القرن العاشر (16 م) فراراً من الاحتلال البرتغالي.

**الزموري، أحمد** بن **علي** بن أبي بكر الصنهاجي الفاسي، فقيه مشارك متخصص في النحو وعلوم القرآن من قراءات وتجويد وتفسير، يعرف المقارئ السبعة، ويحفظ مختصر ابن الحاجب الفرعي، وتسهيل ابن مالك عن ظهر قلب.

انتقل جده ووالده من أزمور إلى فاس في مطلع القرن العاشر (16 م) بسبب الاحتلال البرتغالي لثغور دكالة، وولد المترجم بفاس بعد عام 930 / 1524 ودرس على كبار فقهائها ومقرئيها أمثال محمد بن أحمد اليسيثني ومحمد بن أحمد ابن مجبر المساري وأبي القاسم ابن إبراهيم الدكالي وأضرابهم.

شغل أحمد الزموري كرسي التفسير والقراءات بالقرويين وبجامع الأندلس بعد وفاة شيخه ابن مجبر، وكان يدرس إلى ذلك أمهات كتب النحو والفقه خاصة مختصر ابن الحاجب وتسهيل ابن مالك. وامتازت دروسه العالية في التفسير بما ينقل فيها من أقوال المفسرين وتأويلاتهم، وما يورد عليهم من عنده بما يرفع الإبهام ويزيل الإشكال. وقد أخذ عنه عدد كثير من علماء فاس والوافدين عليها، ومنهم أحمد ابن القاضي الذي ترجم له وذكره في كل كتبه وأثنى على علمه وخلقه وأدبه.

وإلى جانب ذلك اشتهر أحمد الزموري بالأدب وقرض الشعر إلا أن أشعاره ضاعت سوى مقطعات قليلة احتفظ بها أحمد المقري في *نفح الطيب* (7 : 75) ومحمد الإفراني في *نزهة الحادي* (ص. 52 ـ 53) ومعظمها تخميسات إلا أنها تدل على تمكن في فن النظم وذوق أدبي رفيع.

كان أحمد الزموري يقضي شهر رمضان في حاضرة مراكش يؤمُّ بأحمد المنصور في صلاة التراويح لحسن صوته وتجويده وحفظه. فيجزل له العطاء، وأعطاه ذات سنة نحو خمسمائة آلاف أوقية وجناناً بمراكش وأرض حرث وغير ذلك.

توفي بفاس ليلة السبت غرة رجب عام 1001 / 3 أبريل 1593 ودفن داخل المدينة في ضريح الشيخ محمد الخياطي بالدوح من طالعة فاس.

أ. ابن القاضي، جدوة، الرباط،1974، 1 : 136 ؛ *درة الحجال*، تح. الاحمدي، القاهرة، 1970، 1 :154 ؛ *المنتقي المقصور*، تح. م. رزوق، الرباط،1986، 2 : 779 ـ 780 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إ. عباس، بيروت، 1968، 7 :75 ؛ ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ أ. الگلالي، *تنبيه الصغير من الوالدان*، مخطوط ؛ م. الطيب الفاسي، *مطمح النظر*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس. د. ت ؛ *نزهة الحادي*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ م. القادري، نشر / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت،1996، ج 3 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، الرباط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء،1956، ج 5 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 1300، ج 1 ؛ م. الأزهري، *اليواقيت*، القاهرة،1908 ؛ م. مخلوف، شجرة *النور*، القاهرة، 1930 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974، ج 2 ؛ أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، فاس، 1924 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية،1976، ج. 2.

**الزموري، أحمد** بن **محمد الفاسي**، حفيد شيخ المقرئين بفاس أحمد بن علي الزموري سابق الترجمة. ولد بفاس عام 1012 / 3 ـ 1604 وبها درس على شيوخ عصره وفي مقدمتهم عبد الرحمن الفاسي العارف. تخرج عالماً كبيراً وتصدر للتدريس بالقرويين، قال عنه تلميذه محمد الطيب الفاسي : "كان عارفاً بالنحو والفقه تام المشاركة في غيرهما من الفنون، أعجوبة الدنيا في الحفظ والفهم، كثير النقل في التدريس" (فهرس). ومن تلاميذه كذلك العالم الموسوعي عبد الرحمن بن عبد القادرالفاسي، قال : "سمعت عليه الألفية ثلاث مرات بما يتعلق بها وخصوصاً محاذى ابن هشام. ولي أحمد الزموري خطة القضاء بفاس عام 1053 / 1643 إلى أن توفي في الثالث والعشرين من جمادى الثانية سنة 1057 / 15 يوليوز 1647.

ع. الرحمن الفاسي، *أزهار البستان*، مخطوط ؛ م. الطيب الفاسي، *فهرس*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ ع. الكبير الفاسي، *تذكرة المحسنين* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج .4 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس،1300، ج. 2.

**الزموري، أحمد** بن **محمد المراكشي**، صنهاجي ينتسب إلى مولاي بوشعيب أزمور. ولد بحي القصور بمراكش حوالي عام 1287 / 1870 . ودرس بها أولاً على الشيوخ أزنيط وعبد الله أكنسوس والعربي الرحماني البربوشي، ثم توجه إلى فاس فقرأ على الشيوخ أحمد بن الخياط ومَحمد القادري ومحمد گنون وعبد السلام الهواري وعبد السلام بناني الطبيب وغيرهم.

تولى القضاء في عدد من المدن إلى أن أحيل على المعاش فاستقر بمسقط رأسه مراكش. وتذكر له تآليف، منها حاشية على شرح الخزرجية في العروض. وكان إلى جانب تكوينه الفقهي "يملي الكثير من أشعار العرب والمولدين وخصوصاً شعر أهل الأندلس فقد كان يستحضر منه الشيء الكثير مع نسبة الشعر لقائله وذكر مناسبة إنشاده، يحفظ ذلك عن ظهر قلب لم أر مثله في ذلك" (سل النصال، ص. 3272).

توفي بمراكش عام 1951. ودفن بمقبرة باب أغمات.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت،1996، ج 9 ؛ أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

**الزموري، أحمد**، يُعرف بالقاضي الزموري. ولد بمدينة أزمور سنة1314 / 96 ـ1897 ، وكان توقيعه "الأزموري" لكن غلب عليه الزموري ـ دون همز ـ وكما هو شرطنا في *المعلمة* أدرجناه في الزاي، قال عنه مؤلف *إتحاف المطالع* "كان علامة مشاركاً مطلعاً شاعراً مفتدراً، يجيد الشعر مع فصاحة وإقدام". ولي قضاء مدينة ابن أحمد أولا، ثم نقل إلى قضاء الدار البيضاء درب السلطان.

ضاعت أكثر آثاره الفقهية والأدبية إلا موليدية نونية أثبتها صاحب كتاب *اليمن الوافر الوفي* مطلعها :

أهناكم قلائد العقيان أم هناكم معاقد التيجان

توفي بالدار البيضاء، وهو قاض بها، يوم الأربعاء 8 ربيع الثاني عام 1373 / 16 دجنبر 1953 وأقبر بها.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 9 3288 ؛ ع. ابن زيدان، *اليمن الوافر الوفي*، فاس، 1342.

محمد حجي

**الزموري، عبد السلام** بن محمد الفاسي، وصفه صاحب *السلوة* بـ "الفقيه الأديب اللوذعي الأريب" وحلاه الإدريسي في المعجم "بأبرع الأدباء المقتطف من رياض الأدب أزهاراً، والمقتبس من مصباح المعارف أنواراً". امتُحن في أول دولة السلطان عبد الرحمن بن هشام، واشتهر بمنظومة الأتاي، وفيها يبدو متين اللغة سلس الأسلوب. وقد نعتها شارحها البطاوري "بالأرجوزة الفائقة المستعذبة الرائقة".

لقيت منظومة الأتاي إقبالاً كبيراً لدى عامة الناس وخاصتهم، لما اشتملت عليه من تدقيقات حول طرق صنع الأتاي وفوائده الطبية وما يطيّبه من نعناع وعنبر، والآلات الضرورية لحفظها والظروف المواتية لهذا الشراب المنعش. واعتُبرت منظومة الأتاي من النصوص الأدبية التي يجمل بالمتعلمين والمتأدبين حفظها، فطبعت على الحجر بفاس ضمن مجموع *المتون الكبير* الأول سنة1319 / 1901 إلى جانب *الألفية* ولامية *الأفعال* ولامية *المجراد* و*سلّم المنطق*. كما نُشرت بنفس المطبعة الحجرية في مجموع المتون الثاني، وشرحها شيخ الفقهاء والأدباء بالرباط محمد المكي البطاوري.

زاول الزموري مهنة الوراقة وهو في وضع متأزم، ونسخ عدة كتب، منها المسلك *السهل في شرح توشيح ابن سهل* للإفرني، في 10 رمضان 1260، أيام إقامته بمراكش بعد خروجه من سجن مصباح، مخطوط خ ح 207. ثم *نزهة الحادي* للمؤلف نفسه، انتهى من نسخه في 2 ربيع الأول 1261. برسم عامل مراكش أحمد بن القائد عمر ابن أبي ستة، مخطوط خاصة.

توفي عبد السلام الزموري بفاس في تاسع عشر جمادى الثانية عام 1279 / 12 دجنبر 1862 ودفن خارج باب عجيسة بجامع روضة الشيخ أبي الحسن.

ع. السلام، الزموري نفسه، *إزالة البوس*، مخ خ س 3665 ؛ *منظومة في الاتاي*، المطبعة الحجرية فاس، 1319، ضمن مجموع ؛ المامون الكتاني، *هداية الضال المشتغل بالقيل والقال*، مخ خ ع 320 ك ؛ الطيب البياز، *الكناشة البيازية*، خ س 3665 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 1300، ج. 3 ؛ أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، 1924 ؛ أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، ط. حجر فاس، 1325 ؛ م. المكي البطاوري، شرح *أرجوزة الأتاي*، الرباط، 1946 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 487 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 1 ؛ م. كحالة، *معجم المؤلفين*، دمشق، 1957، ج. 5 ؛ الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، 262 ؛ قبس من عطاء المخطوط المغربي، 1 : 260 و270 و272 ؛ السبتي والخصاصي، من *الشاي إلى الأتاي*، ص. 24 و302.

أحمد إيشرخان

**الزموري، عبد الغني** بن مسعود، ليس من الزموريين الصنهاجيين آل الأستاذ أحمد بن علي الفاسي، ولعله من زمور قبيل البرانس. عالم محقق وطبيب ماهر. كان أبوه مسعود طبيباً يمارس علاج المرضى بمراكش، فأراد عبد الغني أن يشاركه في مهنته وهو حديث سن مزجى البضاعة، فمُنع من ذلك. وكان الأطباء يومئذ بحاضرة السعديين إلى نظر رئيسهم أبي القاسم الوزير الغساني، لا يمارس المهنة إلاّ من اختُبر وأذن له.

لازم عبد الغني مجالس الطب في مراكش ولا سيما دروس الشيخ أبي القاسم الوزير إلى أن شدا في فنه، وبرهن عن كفاءته النظرية والعلمية فأذن له في التطبيب والعلاج.

كان تكوين عبد الغني الزموري مزدوجاً، قرأ كتب الأطباء المسلمين القدامى واستوعبها مع شيخه الوزير الغساني، وتدرب على مداواة المرضى مع والده مسعود، وتعرف على الأعشاب الطبية في الكتب وفي الميدان، وألف في ذلك كتابين.

1 ـ *الفائق المفيد في علاج الحصى بقول سديد*، أهداه إلى الملك أحمد المنصور، ذكر في المقدمة خطر هذا المرض وانتشاره ومع ذلك لم يؤلف بخصوصه من الأطباء أحد، فجمع هذا الكتاب سالكاً سبيل الاختصار وبين المصادر التي رجع إليها قائلاً : "معتمداً في ذلك على ما طالعته من تصانيف المتقدمين، وتواليف مهرة الأطباء المتأخرين، كجالينوس وبقراط وعلي بن سينا، وعلي بن العباس المجوسي وأبي القاسم الزهراوي وعبد الملك بن زهر وأبي زكرياء الرازي وابن عبد ربه، و علي بن الغليظ، وابن رشد صاحب الكليات وابن البيطار وغيرهم من فضلاء الأطباء حسبما حضر لي ذلك عند جمع هذا التأليف". وقد بناه على خمسة عشر باباً، بيّن في الأبواب الأربعة الأولى هيئة الكلى وخلقتها ومزاجها وطبيعتها، وماهية الحصى وكيف يتولد، وأسباب تولده. وشرح في الأبواب الباقية أعراض هذا المرض وطرق علاجه وتفتيت الحصى وذكر الأدوية المفردة والمركبة، وسبل الوقاية منه.

وكنت في أواسط سنة 1967 بعثت إلى طبيب صديق لي بمدينة مراكش أعرف فيه سعة الاطلاع على التراث الإسلامي في الطب، واهتماماً خاصاً بعلاج الحصى دواء وجراحة، بعثت إليه بمقتطف من بابين من كتاب *القانون المفيد* للزموري : الخامس في علامات الحصى الخاصة بها، والسابع في الأعراض التي يقصدها الأطباء بالعلاج في الحصى وقوانين تدبيره. فتلقيت منه جواباً مطولاً يثبت صحة النقول الواردة في النص عن خلف الزهراوي وابن سينا وابن البيطار، ويؤكد "أن الأعراض المشار إليها مازالت صحيحة قائمة .ولو أصبح التشخيص اليوم يعتمد على فحوص إضافية أخرى كالأشعة السينية والتحليلات الكيماوية الأخرى. أما في ذلك العصر فانهم كانوا يسترشدون بدقة العلامات المرضية وقوة الحدس. أما فيما يخص المداواة فان كل الأعشاب المذكورة لا يعمل بها اليوم. وليس صحيحاً البتة أن كل المتخلى عنه اليوم والمهمل لم يكن ذا جدوى فيما مضى وخاصة في الطب، إذ استطاع الإنسان أن يقاوم الألم بشتى أنواع الوسائل من عشبية ونفسانية..".

2 ـ كتاب في *خواص النباتات*، عرف فيه بالنباتات الطبية على غرار ما فعل شيخه أبو القاسم الوزير الغساني في حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقّار. وشرح

الأدوية باللسان اليوناني والسرياني والفارسي والعجمي وغير ذلك مما يشكل عند أهل العصر.

وبالرغم عن علم المترجم وعمله في التطبيب والتأليف لم يترجم له أحد من معاصريه ومن بعدهم، لأنه لم يكن فقيهاً وإنما عُرفت بعض أخباره من مقدمة كتابه القانون المفيد.

توفي في حدود عام 1030 / 1621.

ع. الغني الزموري نفسه، *القانون المفيد*، مخطوط ؛ م. الكانوني، *الطب العربي بالمغرب*، مخطوط : م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية،1976، ج. 1 و2.

**الزموري، علي** بن منصور الفاسي من قبيلة زمور. من بطون البرانس المستقرين بالسهول القريبة من ساحل البحر. كما هو منصوص عليه في بعض نسخ النشر.

درس علي الزموري على كبار شيوخ فاس أمثال عبد القادر الفاسي، ومحمد ميارة الكبير، والحسن اليوسي وأجازه محمد بن عبد القادر الفاسي. فكان من هيئة المدرسين. وهو والد الفقيه محمد بن علي بن منصور الزموري الذي تولّى القضاء بفاس.

توفي علي الزموري بفاس يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب عام 1107 /2 مارس 1696.

م. الطيب الفاسي، *فهرس*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت،1996، ج. 5 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس،1330، ج. 1.

محمد حجي

**الزموري، عمرو** بن ناصر يكنى بنو زكري إشارة إلى مولده بآيت زكري بإقليم الخميسات سنة 1916. أمازيغي المنبت، من الرواد الأوائل في الحركة الوطنية. اعتقل ونفي مراراً دفاعاً عن وحدة البلاد وحرمتها واستقلالها.

تلقى تعليمه الأولي بمدرسة موسى بن نصير في الخميسات والثانوي في مدرسة أزرو التي خصصتها إدارة الحماية الفرنسية إلى الأمازيغيين بنية فصلهم عن زملائهم الطلاب من أصل عربي تمهيداً لتكسير الوحدة المغربية التي برزت في الظهير البربري 16 مايو 1930.

تخرج عمرو بن ناصر من شعبة المعلمين فعين مدرساً للغة الفرنسية في إقليم زمور. وكان من الأوائل الذين تنبهوا لتلك السياسة، فانخرط في كتلة العمل الوطني سنة 1934 وأخذ يناهض سياسة "فرق تسد" في زمور وأصبح من أكبر الدعاة في وسط الشباب وعموم سكان الإقليم، يقاوم التفرقة العنصرية والتنصير في صفوف التلاميذ الأمازيغيين الذين كانوا يوجهون لمدرسة أزرو، وألف جماعة من العاملين أخذت تعقد التجمعات الوطنية وتنظم التظاهرات. وكان من أعضاء هذه الجماعة عبد الحميد الزموري أحد الرواد كذلك من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

فصلت الإدارة الاستعمارية عمرو بن ناصر عن التعليم ثم اعتقلته ونفته إلى مدينة الصويرة سنة 1937. فلما عاد من المنفى تابع نشاطه التعليمي والوطني فأسس مدرسة "الأطلس" ومكتبة عربية بالخميسات. ثم دُعي للتعليم في مدرسة "مَحمد جسوس" التي أنشأها الحاج أحمد بلا فريج الأمين العام لحزب الاستقلال فكانت منارة إشعاع. وظل ينظم تجمعات الطلبة والشباب الأمازيغين من زمور وزعير ويوفد الكثير منهم إلى جامعة القرويين بفاس بدلاً من مدرسة أزرو، ترسيخاً لروح المواطنة البعيدة عن النزعة العنصرية في نفوسهم. وكان من الأعضاء البارزين في الحزب الوطني.

ونظراً لمكانته في العمل الوطني رشح من بين الستة والستين الذين حضَّروا وثيقة المطالبة بالاستقلال في يناير 1944 ووقعوها. فاعتقل ونفي من جديد. وبعد اطلاق سراحه عاد إلى التعليم وأخذ يسعف عائلات المسجونين والمنفيين. وبعد اشتداد الأزمة المغربية - الفرنسية في الخمسينات وخلع محمد الخامس انخرط في المقاومة المسلحة وأصبح رفيقاً للشهيد الزرقطوني.

وبعد الاستقلال تقلد عدة وظائف سياسية في وزارة الداخلية التي تولّى شؤونها مدة طويلة إدريس المحمدي أحد القياديين والموقعين كذلك على وثيقة المطالبة بالاستقلال. ثم تولى إدارة المدرسة الفلاحية بالقنيطرة إلى أن دعاه قاسم الزهيري أحد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال والذي تقلد من بين المناصب منصب وزير التعليم الثانوي والتقني ليكون رئيس ديوانه. ثم آثر بعد انتقال هذا الأخير إلى منصب جديد أن يعود مرة أخرى إلى التعليم فتقلد إدارة مدرسة الأيوبي بسلا.

وافاه الأجل في حادثة سير سنة 1366 / 1974.

*معرفة شخصية ووثائق إدارية.*

قاسم الزهيري

**الزموري، عيسى** بن الغازي، مقاوم ولد سنة 1342 / 1924 بزمور. انضم إلى المقاومة المسلحة إبان الأزمة السياسية في أوائل الخمسينيات ضمن التشكيلة التي كان يرأسها علال ابن عبد الله.

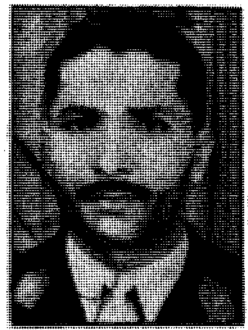

وقد عمل ضمن هذه التشكيلة بكل تفان وإخلاص إذ قام باغتيال أحد المتعاونين مع المستعمر فألقي عليه القبض في الحين من طرف شرطة الاستعمار، التي غذبته ليبوح بأسرار التشكيلة التي كان ينتمي إليها، إلا أنه فضل الموت بتجرعه السم يوم الجمعة 27 ربيع الأول عام 1373 /4 دجنبر 1953 واهبا روحه فداءاً للوطن.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم508269.

**الزموري، الفتوح** بن عيسى بن أحمد الصنهاجي الفاسي، يكنى أبا القاسم، ذكره السخاوي في *الضوء اللامع* دون أن يترجم له.

كان عالما باللغة خصوصا علم العروض والقوافي، ولم نقف في بقية المصادر على ترجمة مفصلة له. ولم يصلنا من مؤلفاته سوى *شرحه على الخزرجية*، وهي منظومة في علم العروض تسمى "الرامزة" لمؤلفها عبد الله بن محمد الخزرجي المتوفى عام549 / 1154 طبع شرح الفتوح الزموري على الخزرجية - التي سماها بعضهم "الإشارة الحلبية في حل رموز الخزرجية" على الحجر بفاس عام 1316 ضمن مجموع، وتوجد منه عدة نسخ مخطوطة بالخزانة العامة، أحصينا منها عشر نسخ، وفي نسخة د 2141 /3، ذكر المؤلف أنه انتهى من إملائها في أوائل جمادى الأولى من عام 816. بينما كانت وفاته - رحمه الله - عام852 / 1448.

السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، القاهرة،1354، ج. 6، ص. 167 ؛ سركيس، معجم *المطبوعات*، 342 ؛ بروفنصال، *فهرس المخطوطات*، الطبعة الثانية، ج. 1، 87 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا. 189، 145 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *معلمة المغرب*، القنيطرة، 2000، ص. 137.

أحمد إيشرخان

**الزموري، مبارك** قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان المتوكل ثم فر إلى أصيلا (التي كانت آنذاك بيد البرتغال) ومنها التحق بلشبونة حيث انضم إلى حاشية الأمير الشيخ ابن المتوكل وظل بجانبه إلى أن تنصر هذا الأخير.

Archivo General de Simancas España.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزموري، محمد** بن **عبد الله** الفاسي، لعله من أوائل زمور صنهاجة المهاجرين إلى فاس من دكالة. كان من أقران الشيخ المحدث الزاهد رضوان الجنوي ورفاقه" وكان سكناه بالمدرسة التي بدرب سيدي خلف الله، وبه كان منزل الشيخ الجنوي، "وكان كل واحد يتعاهد صاحبه بالزيارة ولم نر أحداً في وقتهما أورع منهما" بهذا وصفه معاصره أحمد المرابي الأندلسي في كتابه *مواهب الامتنان*، وذكر أن الشيخ الجنوي قيّد بخطه شيئاً من أخبار محمد الزموري وتاريخ وفاته. ويذكر بعض مترجميه أنه كان من أشياخ المحدث رضوان الجنوي.

وما يمكن استنتاجه من النصوص القليلة التي تحدثت عنه أنه كان فقيهاً مشاركاً زاهداً صالحاً، يسكن منفرداً في أحد بيوت مدارس فاس، ولا يبررُ الإقامة من وجهة نظر الوقف إلاّ أن يكون طالب علم أو مدرساً. ويظهر أن المترجم كان كذلك في أطوار حياته. متعلماً ثم معلماً. يؤكده الأثر الوحيد التي عُثر له عليه، وهي أرجوزة تعليمية في وصف منازل الكواكب يقول فيها :

وبعد فالقصد بهذا الرجــز     وصف المنازل بلفظ موجــز

توفي محمد الزموري بفاس - حسب *تقييد رضوان الجنوي* - في أوائل ذي القعدة عام سبعة وسبعين وتسعمائة/ أبريل 1570.

م. الزموري نفسه، *أرجوزة في وصف منازل الكواكب*، مخطوطة ؛ م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج.3 ؛ أ. المرابي الأندلسي، تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان، مخطوط.

C. Brocklmann, *G.A.L. Supplément*, Leiden, 1937, T.2.

**الزموري، محمد** مقاوم من مواليد سنة 1331 / 1913 بعبدة ناحية آسفي. انخرط في صفوف العمل الوطني ضمن حزب الاستقلال منذ سنة 1944 ومع تأجج الكفاح الوطني المسلح انضم إلى منظمة المشنقة الفدائية مع ثلة من المقاومين الذين بلغ عددهم داخل هذا التنظيم إحدى عشر شخصاً ونتيجة نشاطه الفدائي فقد تعرض للاعتقال والسجن لمدة تزيد عن تسعة أشهر وذلك بتهمة المشاركة في عمليات المقاومة.

توفي يوم الأربعاء 15 شوال 1416/6 مارس 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 516826

**الزموري، مسعود** بن الحسن المراكشي، يكنى أبا سرحان، طبيب ماهر بالممارسة دون دراسة. كان يعالج المرضى في مراكش خلال النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) لا تعرف له ترجمة ولم يتعرض له أحد من أصحاب كتب التراجم إلاّ ما ذكره عنه ولده وتلميذه الطبيب عبد الغني الزموري في مقدمة كتابه القانون المفيد. قال عنه : "وهو الماهر بهذه الصناعة... وإن لم تكن له يد في الطب (أي النظري) فطالما أخذها عن أربابها، معتنيا بتحصيل شروطها وقواعدها وأسبابها، حتى إنه مدّ فيها اليد والباع، وسلك فيها حيث تضيق على أربابها مسالك الاتساع، فهم يعرفون هذا العلم نقلاً، وهو يعرفه قولا وفعلا، فله فيه من المسائل النادرة الوقوع ما يشهد لذهنه الثاقب، وثناء الألسن عليه بأحسن المناقب. والله أسأل أن يمتعني برضاه في إطالة عمره، حتى أفوز منه بما بقي لي من التقاط درره".

يظهر أن مسعود الزموري بدأ مزاولة مهنة التطبيب قبل أن تقنن في عهد أحمد المنصور، ويصبح علماً يُدرس لطلابه بعد تمكنهم وأنه لمهارته وإقبال المرضى عليه لم يمنع من مباشرة عمله كما مُنع غيره.

توفي بعد سنة 994 / 1586.

ع. الغني الزموري، *القانون المفيد*، المقدمة، مخطوط ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1976، ج. 1.

محمد حجي

**الزموري** يدعى إستيبانيكو (مشارك في استكشاف أمريكا) : عرف المغرب خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر حالة من الانحسار والتفكك كان من أبرز نتائجها اكتساح كل من البرتغال والإسبان لعدد من مدنه وثغوره في الشمال والجنوب على السواء، حيث سعى المستعمرون في إطار مخطط غزوهم إلى استنزاف كل خيرات البلاد. ولم يسلم السكان أنفسهم من هذا الاستغلال الشرس، إذ لجأ البرتغاليون في هذا السياق إلى استعمال وسطاء مسلمين ويهود لاختطاف وقنص الكثير من الناس وبيعهم كرقيق إلى الأجانب. وكانت أزمور التي احتلت سنة 1513 تمثل سوقا حيوية للمتاجرة في العبيد وتسويقهم. والجدير بالذكر أن هذا الصنف من التجارة بلغ ذروته إبان مجاعة 1521، حيث دفعت الفاقة الغذائية الكثير من المغاربة إلى بيع ذويهم وحتى أنفسهم مقابل الحصول على القليل من الأكل. وتشير بعض المصادر إلى أن عدد المغاربة الذين تم ترحيلهم طوعا أو قسرا في هذه الفترة نحو شبه الجزيرة الإيبيرية بلغ حوالي مائة ألف نسمة كان نصيب إسبانيا منهم ستين ألفا.

وقد كان من بين أولئك الذين سقطوا في براثين العبودية شخص يدعى الزموري، حيث تم بيعه بقادس إلى قبطان إسباني اسمه أندريس دورانتيس دي كرانكا (Andrés Dorantes de Carranca)، والذي أطلق عليه لقب إستيبانيكو (Estebanico) أو إستيبانيو (Estebanillo). ولا نعرف الشيء الكثير عن هذا الشخص غير كونه من مواليد أزمور. توجه هذا القبطان والزموري بصحبة الحاكم بانفيلودي ناربييس (Panfilo de Navaéz) في رحلة استكشافية نحو العالم الجديد في يونيه 1527. وانطلاقا من كوبا جهز الحاكم دي ناربييس أسطولا يضم خمس سفن تحمل على متنها أربعمائة رجل وثمانين حصانا، وتوجه نحو فلوريدا في أبريل من هذه السنة. وبعد أن أرست السفن بالقرب من خليج طامبا الحالي (Tampa)، انطلق الحاكم بصحبة ثلاثمائة رجل فقط يحذوه الأمل في اكتشاف مناجم الذهب، في حين قرر المائة الآخرون العودة خوفا من الهنود. ومن هذه المنطقة توجه المستكشفون ومن بينهم الزموري نحو الغرب. وصادفتهم مشاكل عديدة بفعل عداء بعض القبائل الهندية، وقلة الزاد، وصعوبة التحرك داخل مجال مطير حيث تتكاثر المستنقعات التي تساعد على انتشار الأوبئة القاتلة والأمراض الفتاكة. فقد بلغ على سبيل المثال عدد ضحايا إحدى هجمات الهنود على المستكشفين عشرين فردا، مما اضطر الحاكم دي ناربييس إلى إنشاء خمسة قوارب قصد التوجه نحو المكسيك عبر البحر. ولم يبق آنذاك غير أربعين ومائتي فردا. وأثناء هذه الرحلة التي استمرت حوالي أربعين يوما عانى المستكشفون الأمرين، نظرا لصعوبة الملاحة بخليج المكسيك وقلة المؤونة والماء. وبعد تجاوز خليج موبيل (Mobile)، وعلى مقربة من مصب نهر الميسيسيبي، تعرض البحارة من جديد للهجوم من طرف الهنود مما حتم عليهم العودة ثانية نحو البحر. وقد أدت الرياح العاتية إلى تفريق القوارب عن بعضها البعض باستثناء اثنين أبحرا بمحاذاة لويزيانا لبضعة أيام، قبل أن ترمي بهما العاصفة في نونبر 1528 نحو جزيرة كالفستون (Galveston) بالقرب من التكساس. وقد بلغ عدد الناجين ثمانين رجلا فقط. وبعد ذلك بأسابيع قليلة أسلم معظم المستكشفين الروح، ولم ينج من الموت غير خمسة من بينهم الزموري. كما توفي كذلك أغلب البحارة على ظهر القوارب الثلاثة الأخرى نتيجة الجوع والبرد، ومن نجا من هاتين الآفتين لم يفلت من سهام ونبال الهنود.

ذاق الزموري ورفقاؤه مرارة العبودية، إذ تعرضوا للأسر من طرف قبيلة هندية. وكانت ظروف عيشهم صعبة للغاية حيث اضطروا إلى أن يقتاتوا من جذور بعض النباتات والمحار والطحالب والسرطان. وتمكن أربعة من المستكشفين من الانسلال من هذه القبيلة في أبريل 1529 والتحقوا بأخرى. لكن وضعهم لم يتحسن خلال السنوات الخمس التي قضوها بين ظهرانيها، ولم يتمكنوا من الفرار إلا في خريف 1534. وتوجهوا بعد ذلك نحو المحيط الهادي حتى وصلوا إلى كاليفورنيا الحالية، واستقروا إلى جانب قبيلة

أخرى مدة ثمانية أشهر، وتعاطوا لمهنة الطب. وكان لنجاحهم في إشفاء أحد المرضى أثره الحسن في نفوس الهنود الذين أطلقوا على الزموري ورفقائه لقب أبناء الشمس. عقب ذلك انطلق المستكشفون في ماي 1535 نحو المكسيك جنوبا حتى وصلوا إلى نهر ريو كراندي (Rio Grande)، ثم عادوا في خريف نفس السنة نحو الشمال حتى وصلوا إلى حدود جبال الروكي، ليتوجهوا في خطوة أخرى بعد ذلك نحو الهضاب العليا بالمكسيك في صيف 1536.

لقد تمكن الزموري ورفقاؤه الإسبان، وهم أندريس دورانتيس دي كرانكا وألونصو دي كاستيو (Alonzo de Castillo) وكابيصا دي باكا (Cabeza de Vaca) الذي اشتهر بروايته حول الرحلة، من قطع مسافة تقدر بحوالي 9000 كلم، 6000 كلم منها فوق الأراضي الحالية للولايات المتحدة الأمريكية، والبقية فوق أراضي المكسيك، وتعرفوا على ما يدعى حاليا بولايات فلوريدا وألاباما ولويزيانا والتكساس وأريزونا والمكسيك الجديدة. وقد صادف وصولهم إلى المكسيك وجود أنطونيو مندوصا (Antonio Mendoza) الذي عين منذ 1535 نائب الملك الأول لإسبانيا الجديدة. وكان هذا الأخير يرغب في توجيه رحلة جديدة نحو شمال المكسيك، من أجل الكشف عن مدن سيبولا (Cibola) الأسطورية السبع والتي كثر الحديث حولها بشبه الجزيرة الإيبيرية منذ قرون عديدة. وارتأى أن يوكل أمرها إلى المغامرين الأربعة، نظرا لما أبدوه من صبر وجلد وقدرة على ارتياد المخاطر. ولما رفض الإسبان المشاركة في الرحلة، لم يكن أمام الزموري إلا الامتثال للأوامر نظرا لوضعه العبودي. وكان عليه أن يقوم بدور المستطلع والمترجم في آن معا.

وفي ربيع 1539 انطلق الزموري بصحبة راهبين هما الفرنسيسكاني ماركوس دي نيصا (Marcos de Niza)، وأصله من مدينة نيس (Nice) بمنطقة السافوا (Savoie) وأونوراتو (Onorato) ومجموعة من الهنود المكسيكيين، وسرعان ما تخلى أو نوراتو عن الرحلة لأسباب صحية. كانت مساعي الزموري والراهب مختلفة، لأن هدف هذا الأخير كان متصلا بالتنصير ليس إلا. وكان الزموري أكثر معرفة بمجال الرحلة، وباعتبار دوره كمستطلع فقد كان يسير أمام ماركوس دي نيصا ويخبره عن كل شيء بواسطة مراسليه من الهنود. ففي ماي 1539 عبر الزموري الحدود الحالية لجنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية بأريزونا، وكان أول من وصل إلى أراضي قبائل الزوني (Zunis) بالمكسيك الجديدة، معتقدا أنه وصل إلى مدن سيبولا حيث الجنة الموعودة والمعادن النفيسة.

وكانت نهاية الزموري المليئة بالمغامرات نهاية مأساوية حيث لقي حتفه في نفس السنة على يد إحدى قبائل الزوني، مما اضطر رفقاءه إلى العودة إلى المكسيك.

ومازالت الذاكرة الهندية تحتفظ بذكرى وصول هذا المغامر المغربي. أما الراهب ماركوس فقد وضع تقريرا مغلوطا أكد فيه وجود المدن الأسطورية، مما أفضى إلى إرسال بعثة استكشافية أخرى تحت قيادة فرانسيسكو باسكيص دي كورونادو (Francisco Vàsquez de Coronado) لم تفض إلى أية نتيجة.

لقد غيبت الاستغرافية الغربية دور هذا المغامر المغربي، وأكدت فقط على ما قام به رفقاؤه ذوو السحنة البيضاء. بل تم وضع تمثال للكونكستادور كورونادو رغم أن الزموري سبقه إلى التعرف على الكثير من المناطق والتعريف بها سنة قبله. إن المطلع على تاريخ المنطقة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، والمدرك لحجم وخطورة المصاعب والمعيقات الهائلة التي رافقت الاستكشافات لشمال أمريكا من طرف الإسبان والفرنسيين والإنجليز، لا يسعه إلا أن ينظر بعين التقدير والإعجاب إلى هذا الرحالة المغربي المغمور الذي أبدى صمودا ومقدرة نادرين لعقد من الزمن في مواجهة مختلف التحديات الطبيعية والبشرية التي اعترضت سبيله عبر طول خط الرحلة التي قادته من شبه الجزيرة الإيبيرية ابتداء إلى شمال أمريكا انتهاء.

د. دي طوريس، *تاريخ الشرفاء* ؛ أ. بوشرب، دكالة ؛ *مغاربة في البرتغال*.

A. Debo, *Histoire des Indiens des Etats-Unis*, Paris, 1994 ; J. Rostkowski, *Une rencontre manquée : la découverte du Nouveau-Mexique par un moine franciscain et un esclave maure in Destins croisés. Cinq siècles de rencontres avec les Amérindiens*, Paris, 1992, pp. 198-206 ; G. Martinet, *Fantastique exploit d'un explorateur marocain en Amérique. Première traversée de l'Amérique du Nord de l'Atlantique au Pacifique par Azemmouri*, inédit.

خليل السعداني

**زنابق البحر** هي من نفس الشعبة التي تنتمي إليها قنافذ البحر أو خيار البحر أو نجوم البحر إلا أن كل الدلالات البيولوجية تؤكد على ذلك. كل هاته الفصائل تنتمي إلى نفس الشعبة وهي شوكيات الجلد أي حيوانات تتميز بهيكل "عظمي" على شكل أشواك كلسية مبعثرة تحت الجلد. وقد تتطور هاته الأشواك وتنمو لتخرج عبر الجلد كما هو الحال عند قنافذ البحر وقد تبقى صغيرة تحت الجلد كما هو الحال عند خيار البحر.

وإذا كانت كل شوكيات الجلد حيوانات يمكنها التنقل لتطارد فرائسها فإن زنابق البحر هي الوحيدة التي قد تبقى ملتصقة بالصخر لتنشر أذرعها العشرة بحثا عن الغذاء، هاته الأذرع التي قد تنكسر لكن زنابق البحر لها قدرة كبيرة على تجديدها، بل على تجديد كل أحشائها إذا ما ضاعت بشرط أن لا يضيع جهازها العصبي.

تعيش زنابق البحر في معظمها في المياه الدافئة الاستوائية إلا أن البعض منها يعيش كذلك في المياه

الباردة في أقصى شمال وجنوب الكرة الأرضية، تفضل المياه الغير العميقة حيث تكون لاصقة أو متشبتة بالصخور أو شعب المرجان أو الطحالب تنشر منها أذرعها لتلتقط بها عوالق نباتية أو حيوانية تتغذى عليها. ليس لزنابق البحر جهاز تنفسي واضح، ليس لها رئة ولا خياشيم وهي تتنفس بواسطة جلد الجسم كله. لزنابق البحر خمسة خصيات أو خمس مبيضات، حسب الجنس، وهي موجودة في أذرعها حيث عند وقت التوالد يقذف بالحيوانات المنوية والبويضات لتتخاصب في الماء عن طريق الصدفة.

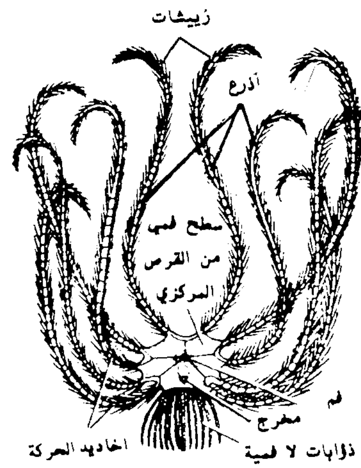


يوجد في المغرب حوالي 170 نوعا من شوكيات الجلد كلها تعيش في مياه البحر سواء منها المتوسطية أو الأطلسية ولا تمثل منها زنابق البحر إلا نسبة ضئيلة حيث لا يتعدى عدد أنواعها العشرة والمشهورة بجنس Antedon بينما يوجد في العالم حوالي 80 نوعا.

محمد منيوي

**زنات**، قرية جبلية تقع على مسافة 45 كلم من طنجة إلى الجنوب الشرقي، و20 كلم جنوب تطوان. بجبل تازْرُوت المجاور لجبل العلم. مع فقر المنطقة القروية كلها، يعيش أهالي هذه البلدة على تربية الماعز وقليل من الريع الغابوي. اشتهرت بأنها كانت قاعدة لقوات أحمد الريسوني الذي ثار على السلطان عبد العزيز وحارب القوات الاستعمارية الإسبانية في مطلع القرن العشرين. وقد بنى الريسوني بزنات قصبة محصنة تكسرت عند مشارفها كل المحاولات المخزنية للقضاء عليه. وفي يوم 13 يونيو 1903، استطاع القائد ابن بوشتى البغدادي على رأس حملة انطلقت من فاس أسبوعا من قبل من الوصول إلى زنات وهزمت حامية القصبة الريسونية واستولت عليها، لكن بعدما خاب أمل ابن بوشتى في اعتقال الريسوني، اخترق قصره وخرب القصبة وملحقاتها. أما الريسوني، فقد اختفى بين الجبال حينا من الوقت، ثم ظهر ليواصل تحركاته ونشاطه وأعماله التي تباينت الآراء في شأنها، وليس المقام مناسبا للخوض فيها.

وبقيت زنات سوقا أسبوعيا فتمّ ترميم قصبتها (يوم السبت). واقتضت مصالح السكان وقبيلة جبالة في أن تسترجع زنات بعض الاعتبار فجعلت منها الإدارة المركزية مقرا لجماعة قروية عدد سكانها 5565 نسمة، وأصبحت بمقتضى التقسيم الإداري الأخير، محسوبة على تراب دائرة مقرصات التابعة لإقليم تطوان.

ع. المريني، *الجيش المغربي عبر التاريخ*، دار نشر المعرفة، الرباط، 1997، ص. 382.

Dr. F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947, p. 133 - 134 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912)*, Paris, 1977, p. 385 ; Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes (1415-1956)*, Paris, 1978, pp. 44 - 45, 62, 123.

أحمد بنجلون

**زناتة**، إحدى المجموعات القبلية الكبرى التي يقسم إليها المؤلفون العرب قبائل البربر، سكان المنطقة الممتدة من واحة سوَا جنوبي مصر إلى سواحل المحيط الأطلسي مروراً ببرقة والمغربين الأدنى والأوسط وبإدخال مجموع بلاد التوارگ في الصحراء الكبرى. وهذه المجموعات هي مصمودة الغالب عليهم الاستقرار ولا سيما في جبال الأطلس والسهول المجاورة للمحيط قبل دخول عرب بني هلال وبني سليم المغرب الأقصى، وصنهاجة وزناتة الغالب عليهم الترحال وهم متفرقون على امتداد المجال المذكور.

ممن نسميهم الجغرافيين العرب : اليعقوبي (ق 3 هـ) في *كتاب البلدان*، والاصطخري (منتصف ق 4 هـ) في *المسالك والممالك*، وابن حوقل (ت. 367 هـ) في *صورة الأرض*، والبكري (منتصف ق 5هـ) في *المسالك والممالك*، إلى النسابين كابن حزم (منتصف القرن 5 هـ) في *جمهرته*، إلى مؤرخي البربر وكبيرهم ابن خلدون (ق 8 هـ) لا نجد ما يفيد بالبيان بخصوص معنى هذا التقسيم. فأما من ناحية التوزيع الجغرافي، فهم يذكرون مجالا به معظم كل مجموعة من المجموعات المذكورة مع ذكر وجود فلولها وفروعها في جهات ربما كانت بعيدة عن المجال الأعظم، وأما من حيث نمط العيش فيصرحون بأن صنهاجة وزناتة يغلب عليهم الترحال مع إعطاء انطباع يرجح أن مصمودة هم أقدم استقراراً وأن زناتة كانوا على ما يشبه الجنوح إلى الاستقرار لو وجدوا مجالا يساعدهم على ذلك، وأن صنهاجة هم الصحراويون الظاعنون، ولكن ذلك لم يمنعهم من اهتبال الفرصة في المستقرين ليؤسسوا إمارات ودولا تجعل منهم لمدة من الزمن مندمجين في سيرورة الاستقرار.

أما الفهم الجنيالوجي الذي تبناه الكتاب المذكورون مشرقيين وأندلسيين ثم اتبعهم عليه المغاربة بمن فيهم البربر أنفسهم، فهو فهم يعتمد النسب إلى جد أعلى كما

اتخذه العرب في فهم أنسابهم. يرى هذا الفهم الجنيالوجي أن البربر تنسلوا من جد واحد هو بر وأن هذا الجد تنسل منه برنوس أبو البرانس ومدغيس الابتر أبو البُتر. وذكروا معظم قبائل البرانس وهي مصمودة وصنهاجة وكتامة وأوربة وأزداجة وعجيسة وأوريغة الذين منهم هوارة، أما قبائل البتر فمنها زناتة التي تُنسب إلى جد أخذت منه اسمها حسب هذا الفهم وهو زانا أو شانا أو جانا وينسب بدوره إلى داري بن زحِّيك بن مادغيس الأبتر.

هنالك عدد من النقط الغامضة التي تجعلنا لا نفهم على هذا الأساس الجنيالوجي ما الذي أدى تاريخيا إلى تمييز زناتة عن غيرهم من قبائل البربر أو مجموعات قبائل البربر، منها :

1) لا يذكر النسابون زمن تميز البرانس عن البتر ؛

2) لا تراعي نظرية الأنساب الدقة في الآباء والأجداد بل تختزلها بحيث إن يوسف بن تاشفين مثلاً ليست بينه وبين جد حمير سوى عشرة آباء حسب شجرة أنساب ابن حزم في *جمهرته* ؛

3) الأسماء أسماء الأجداد وأسماء القبائل البربرية، كما وردت عند الجغرافيين والمؤرخين كلها محرفة على الأقل بوضعها في صيغة تعريبيه، فصنهاجة في اسمها الأصلي هي إزناگنْ ومصمودة هي إمصمودن بصاد مشمومة زايا أو أصّادن (بصاد مشمومة زايا). وزناتة هي إزَاناتْـنْ أو إجاناتْنْ، أو إزاناسْنْ.

4) لم يكتشف بعد عمل معجمي معاني هذه الأسماء بما لا يدع مجالا للشك وبما يعطيها معنى يتصل بتميز خاص له صلة بالمجال أو نمط العيش أو غير ذلك مما يبعدها عن الفهم على أساس الجد المخترَع.

5) لو ملنا إلى شرح عقلاني على أساس تقسيم المجال على صعيد مجموع ما نسميه اليوم بالشمال الإفريقي بين ثلاث مجموعات كبرى كانت لها هويات فعلية تتحرك بمقتضاها في وقت سابق للإسلام قبل التفرع الكبير وحتى التداخل، فإننا نفاجأ عندما تأتي إلى العهد الإسلامي فنجد واصفاً دقيقا للمسالك كالبكري لا يتحدث كما سيفعل ابن خلدون في ما بعد على أساس مجالات كبرى بين كل من مصمودة وصنهاجة وزناتة، بل نجده في شمالي المغرب مثلاً يقدم لنا في وصفه ما يشبه رقعة شطرنج من ثلاثة ألوان :

- جاء البربر من فلسطين إلى بلاد المغرب وكانت زناتة فيمن نزل الجبال ؛
- زناتة عند البكري، تارة تتفرع عنها قبائل وتارة تقدم كواحدة من القبائل التي يذكر آخرون أنها تفرعت عنها ؛
- زناتة من قبائل جهة تيجس قرب القيروان ؛
- زناتة من قبائل غربي تيهرت ؛
- تلمسان دار مملكة زناتة ؛
- زناتة أصحاب مدينة تابريدا في جهة قلوع گارت (شرقي المغرب الأقصى) ؛
- زناتة مجاورون لمرنيسه في جهات نكور ؛
- زناتة مجاورون لغمارة ؛
- كانت بلاد تامسنى لزناتة وزواغة قبل استيلاء برغواطة عليها، وهم الذين تحولوا إلى قوم دعوة يونس البرغواطي ؛
- زناتة الجبل كانوا مسلمين تحت وطأة البرغواطي ؛
- زناتة الأحساء قرب أرفود في طريق سجلماسة ؛
- زناتة من جملة قبائل أوداغوشت بالسودان يسكنونها تجاراً مع العرب في علاقات عداء ؛
- كان زناتة يهددون سجلماسة حين غزو المرابطين لها.

يستنتج من إشارات البكري أن زناتة لم ينحصروا في صقع واحد ولم يكونوا نسيجاً بشرياً ممتداً على مجال بعينه، ارتبط ذكرهم بالجبال والسهول والواحات والمدن والرعي والفلح والتجارة. فلا يبقى مع هذا لا أن ينظر إليهم على أساس هوية للتميز أو للدفاع عن النفس أو للهجوم والاكتساح مبنية على مجرد الانتماء بقطع النظر عن شيء آخر. ولعل زناتة من بين المجموعات الثلاث كانوا أسبق إلى التفكك في المجال منذ الفتح الإسلامي على الأقل، ولعل ذلك مما جعلهم يلعبون فيه دوراً، في مقاومته ثم في تعزيزه فكونوا التجارب الأولى للإمارات الإسلامية المحلية إمارات مغراوة وبني يفرن. فمن مغراوة بنو خزر الذين ساندوا أمويي الأندلس ضد الفاطميين، ومن زعمائهم زيزي بن عطية الذي حكم فاس بعد إبعاد الأدارسة. ومن أمرائهم بنو خزرون الذي حكموا سجلماسة إلى أن دخلها المرابطون.

تميزت زناتة في الأصل على ما يظهر بلغة خاصة داخل الأمازيغية ظلت معروفة في المغرب الأوسط ومنطقة مزاب ووارگلا ولكنها اندثرت على الفلول التي جاورها غيرها وطغى عليها الماء. ولعل التجارة كانت السبب في حركية زناتة حيث نجدهم في سجلماسة وأغمات وأودغشت، ولعلهم كانوا ضحية هذه الحركية من جهة فقد العصبية، ولكن شحنة كبرى من هذه العصبية عبرت عنها فروع بني واسين التي تأخرت منهم متكتلة حتى شكلت القوة التي أسست دولة بني مرين في القرن السابع (13 م) هوية متجددة على القرون تغور وتفور.

في انتظار فرضية أكثر إقناعا نجازف بالقول إن "إزناتن" هم التجار، على التغليب، من فعل جدعه في الأمازيغية "زن"، فباع = ازنز. مع العلم بأن الفعل الذي منه اشتقاق اسم صنهاجة ازناگن، هو نفسه جدعه "زن" مع حرف ثالث للفرق هو گ (ج). وربما بالغنا في الافتراض بالقول إن أسماء المجموعات الأمازيغية الثلاث لها جذع مشترك لأسمائها هو "زن" مع ثلاثة حروف للفرق "گ" و"ت" و"د".

الإصطخري، *المسالك والممالك* ؛ البكري، *المسالك والممالك*، ابن حزم، *جمهرة الأنساب* ؛ ابن خلدون، *كتاب العبر*.

R. Basset, *Etude sur la Zenatia du Mzab, de Ourgla*

*de l'Oued Rir* ; *Etude sur la Zenatia de l'Ouarsenis et du Maghreb Central* ; G. Marçais, *Zenata*, in *E.I.* 1ère édition ; E.F. Gantier, *Le passé de l'Afrique du Nord*. Nouvelle édition, Paros, 1952 ; H. T. Norris, *The berbers in Arabic Literature*, Longman Group and New York, Librairie du Liban, 1982.

أحمد التوفيق

**الزناتي، حدور** بن فتوح بن حميد بن فتوح اسمه عبد الله، وغلب عليه لقب حدور. أصله من أصيلا، ونشأ بسبتة وتوجه للعلم في صغره فأخذ عن شيوخها كإسحاق بن يربوع محمد بن أبي مسلم الصدفي وابن حمادة وغيرهم. وكان يتنقل للتجارة بين المغرب والأندلس وخلال رحلاته كان يلتقي بالعلماء ويأخذ عنهم. ثم أقام بسبتة خلال حكم سكوت البرغواطي. كان رجلا صالحا خيرا، "مقبول القول عند الرؤساء" *(مختصر المدارك)*. ولم يذكر تاريخ وفاته.

ابن حمادة السبتي، *مختصر المدارك*، ملحق بترتيب المدارك للقاضي عياض، تح. سعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف، 1983، ج. 8، ص. 179.

محمد المغراوي

**الزناتيّ**، (الخط –) يعتبر من بين الخطوط / الرموز التي يستعملها السحرة لاختزال معان وكلمات وجمل طويلة تدل على عنصر من العناصر أو عامل من العوامل أو حركة من الحركات الفلكية التي لها علاقة بالشخص موضوع البحث أو موضوع العمل والفعل السحرين.

وقد جعل الشيخ الزناتي، الذي سمى هذا الخط باسمه، لكل عنصر من عنصار الطبيعة الأربعة (النار والهواء والماء والتراب) حرفاً دالاً عليه، بحيث يكون الفعل السحري الذي يستعمل فيه هذا الحرف محركاً لقوى العنصر الطبيعي الدال عليه.

وهكذا جعل الباء رمزاً إلى عنصر النار وأعطى للباء مدلول "رأس الأشكال"، وجعل الزاي رمزاً إلى عنصر الهواء، وأعطى لهذا الحرف مدلول "ما يلي الأشكال"، وجعل الدال رمزاً إلى عنصر الماء، واعتبره دلالة على ما تحت الهواء، ثم جعل الحاء رمزاً إلى عنصر التراب ودلالة على ما تحت الماء.

وهكذا أيضاً كانت النار بمثابة الرأس وما اشتملت عليه الرأس من البصر والسمع، والهواء للكتفين والطرفين العلويين وما دخل ضمنهما، والماء للبطن والكلى والجهاز التناسلي، وما اشتملت عليه هذه كلها من الأعضاء، ثم التراب للركبتين والرجلين وما اشتملت عليه هذه الأطراف.

وجعل الشيخ الزناتي لكل حرف من الحروف الأربعة المذكورة (ب، ز، د، ح) قوة عددية كالآتي :

- الباء : 2 للنار
- الزاي : 7 للهواء
- الدال : 4 للماء
- الحاء : 8 للتراب

ولذلك جاءت الكلمة "بزدح" الجامعة للعناصر الأربعة المذكورة جامعة في الوقت ذاته للعدد 21.

وجعل الشيخ لكل كلمة بعد ذلك ولكل اسم منزلة من هذه العناصر الأربعة وجعل للدلالة على ذلك رموزاً مكونة في أساسها من نقطة وعارضة كالآتي على سبيل المثال :

- الباء :   - الزاي :
- الدال :   - الحاء :

وأفرد الزناتي لكل حرف من الحروف الأبجدية علامة مماثلة ولكنها متميزة عن غيرها من علامات الحروف الأخرى.

مثال ذلك : الجيم :   الواو
الهاء   ، الياء   الخ.

وبات التعامل مع الأسماء والعناصر والأفعال يتم من خلال هذه الرموز والعلامات، التي صارت كأنها السهام والحراب والأسلحة الأخرى التي يتم بها الفعل التنجيمي والعرافي أو السحري.

وقد استعمل هذا الخط على الخصوص في ضرب الرمل حيث يكون هذا الضرب بعظام طويلة تدل على العارضة أو الشرطة، وأخرى قصيرة أو مكوّرة أو مكعبة أو نحو ذلك تدل على النقطة، حتى إذا ضربت هذه الأدوات أخذ العراف أو الساحر في قراءتها بحسب الترتيب الذي تأخذه فيما بينها تبعاً للعلامات المذكورة أعلاه والمتعارف عليها بين أهل هذه الصنعة، مع التذكير بأن عدد القطع المستعملة في ضرب الخط في الرمل لا يزيد ولا ينقص عن ستة عشر شكلاً تكون كلاً منه أربع قطع ما بين عارضات فقط.

وبطبيعة الحال فإن لكل شكل متكون من نقط وعارضات دلالة رمزية تشير إلى أفعال وأسماء وحالات لا تحصى، كالنصرة، والهزيمة، والقبض، والبسط، أو على أنواع المعادن ذات الدلالات السيميائية (Alchimique)، وبذلك يتم استعمال الخط الزناتي كتابة أو على الرمل لقضاء أغراض العرافة والتنجيم ومختلف أشكال السحر المعتمد على الخط المذكور.

أما علاقة خط الزناتي بالتنجيم فدليلها أنه جعل الحروف الستة عشر المذكورة أعلاه موزعة على العناصر الطبيعية الأربعة، بحيث يكون أربعة منها للنار ويقابلها فصل الصيف، وأربعة للهواء ويقابلها الربيع، وأربعة للماء ويقابلها الخريف، ثم أربعة للتراب ويصادفها الشتاء. كما فعل لكل شكلين كوكبين يناسباهما، ولكل شكل واحد شكلاً آخر يمازجه ليكون معه ثنائياً من الأشكال يناسبهما ثنائي من الكواكب.

ولأخذ مزيد من المعرفة عن هذا الترتيب الأخير ندرجه فيما يلي :

1 - زحل : له يوم السبت وليلة الأربعاء، وله من الأشكال :

2 ـ المشـتـري : له يوم الخـمـيس وليلة الإثنين، ومن الأشكال :

3 ـ المريخ : له من الأيام الثـلاثاء وليلة السـبت ومن الأشكال :

4 ـ الشـمس : له من الأيام الأحد وليلة الخـمـيس، ومن الأشكال :

5 ـ الزهرة : لها من الأيام الجمعة وليلة الثلاثاء، ومن الأشكال :

6 ـ عطارد : له من الأيام الأربعـاء وليلة الأحـد، ومن الأشكال :

7 ـ القـمـر : وله من الأيام الإثنين وليلة الجـمـعـة، ومن الأشكال :

وتجدرالإشارة إلى أن هذه المعلومات لم تدرج هاهنا إلا بغرض تقريب الفهم من استعمالات الخط الزناتي وعلاقته بالأشخاص والأسماء والعناصر الطبيعية وبالحالات والطبائع والطلائع، أما أسرار تلك الاستعمالات فتعتمد على قواعد حسابية وإجرائية معقدة ينبغي دراستها على حدة وبالتفصيل الممل لأن أي خطإ في الحساب أو أي غفلة عن أي نقطة أو حركة أو سكنة سيؤدي إلى الخطإ في الفهم وفي الفعل المطلوب أداؤه، وبالتالي في النتيجة المتوخاة.

ويبقى القول في نهاية المطاف : إن هذه الصنعة وإنما هي من اجتهادات وأبحاث أشخاص بعضهم كان على هدى وعلى علم بالكتاب فزلّت به القدم إلى هذه الفنون الفاتنة كما زلت من قبل ذلك بكهنة بني إسرائيل وأحبارهم وسدنة هياكلهم بدليل وجود نفس الصنعة ونفس العلامات في بعض استعمالاتهم القديمة كتلك المأخوذة عن الهرمسية أو عن جهابذة الهيروغلوفية (الفرعونية) الشهيرة في عالم السحر والكهانة.

الطوخي الفلكي عبد الفتاح، *أحكام الحكيم في علم التنجيم*، 1 : 6 ؛ *الأصول والوصول في علم الرمل* ؛ *بلوغ الأمل في علم الرمل* ؛ *السر المكشوف في طب الحروف* ؛ *هداية العباد في أسرار الحروف والأعداد* ؛ م. الزناتي، *الفصل في أصول علم الرمل*، مكتبة القاهرة ؛ الغزالي، *كتاب الطب الروماني للجسم الإنساني في علم الحرف، وبه السبع عهود السليمانية، والسبع هياكل، ويليه الطب الروماني للإمام السنوسي وقسم التمايم والرقى وقسم البرهنية بتصاريفها*، مصر ؛ م. عزيز الوكيلي، *المدارس الباطنية بين العلم والفلسفة والعقيدة والدين*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، 1998، جامعة محمد الخامس، الرباط.

محمد عزيز الوكيلي

**الزناتي، يحيى** بن أبي ملول بن عـشـيـرة القلعي اليـجفشي، من أهل قلعة مـهدي بن توالي التي خربها المرابطون بجبال فازاز، وينتسب إلى قبيلة بني يجفش الزناتية. لم تذكر المصادر شيئا عن حياته بالمغرب الأقصى قبل توجهه إلى المشرق. وقد دخل إلى بغداد وتفقه فيها بالمدرسة النظامية على الشيخ أبي الحسن الطبري، وحضر مجالس الوعظ التي كان يعقدها أحمد بن محمد الغزالي أخو أبي حامد الغزالي. ثم عاد إلى الإسكندرية وسكنها مدة طويلة ودرس بها وانتفع به طلبتها في علوم شتى.

كان فقيها كاملا، ولغويا متكلما، وصوفيا زاهدا. وكان شافعي المذهب وبقوله كان يفتي طول إقامته بالإسكندرية، لكنه كان لا يتظاهر إلا بمذهب مالك.

صحبه أبو طاهر السلفي في الأخذ عن أبي الحسن الطبري ببغداد وكانت بينهما مودة تامة ومكاتبة.

صحب أبا زكريا وتفقه عليه بثغر الأسكندرية عدد من العلماء، منهم أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد ابن عيسى السفاقسي البصير، ورافع بن يوسف بن زيدون القيسي (ت. 551) وعلق عنه المسائل الخلافية، وقرأ عليه أبو العباس أحمد بن موسى المباحي (ت. 562) وحج معه.

وعلى إثر إحراق *كتاب الإحياء* بالمغرب سنة 503 / 1109 أرسل بعض فقهاء تلمسان إلى أبي زكريا الزناتي رسالة يسألونه رأيه فيها عن كتاب *إحياء علوم الدين* للغزالي، فحرر الجواب في رسالة علمية صغيرة الجرم ناقش فيها الاعتراضات التي اعترض بها بعض الفقهاء على الإحياء، بعمق علمي ونفس صوفي، معلنا تنويهه بالغزالي وكتابه. توجد هذه الرسالة في نسختين مخطوطتين، إحداهما بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع رقم ك 251، والأخرى بالاسكوريال بمدريد رقم 1130.

وقد فضل الشيخ أبو زكريا في آخر حياته التفرغ للزهد والسياحة، فغادر الإسكندرية إلى الحجاز ثم إلى اليمن، ورجع إلى العراق وتوفي بالبصرة أو بعبادان، ولم يعرف تاريخ وفاته.

أبو طاهر السلفي، *معجم السفر*، تح. عبد الله عمر البارودي، *مكة المكرمة*، المكتبة التجارية، (د. ت)، ص. 53 ـ 91 ـ 171 ـ 438 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، تح، محمد يعلى، مدريد، *المجلس الأعلى للأبحاث العلمية*، 1996، ص. 206.

**الزناتي، يكنول** بن الفتوح الجيمالي الفاسي عالم محدث من أهل فاس، روى بها عن يوسف بن عبد العزيز ابن عديس وهو من تلاميذ المحدث أبي عمر بن عبد البر النمري. لم تذكره المصادر المغربية، وورد ذكره عند الحافظ السلفي فقط.

رحل إلى المشرق ودخل بغداد، وروى بها عن جماعة من المحدثين منهم أبو طالب الزيني الشريف، وأبَيّ الكوفي وابن مرزوق الزعفراني وابن طرخان، وأبي عامر العبدري. وكان متمكنا من علم الحديث عارفا برجاله وأوضاعه في عصره، وفي ذلك يقول : "لم أر فيمن لقيته أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي عامر العبدري ببغداد". وقال أيضاً عن الأماكن التي كانت في عصره أكثر عناية بالحديث : "بلاد الحديث اليوم التي تشد المطايا

إليها ثلاث : بغداد وأصبهان ونيسابور".

ورد طرابلس الغرب عند عودته من المشرق قبل سنة 517 / 1124، وحدث بها برواية أبي حفص، ومن الآخذين عنه بها أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن عبيد الطرابلسي المالكي (517). ولا يعرف تاريخ وفاته.

أبو طاهر السلفي، *معجم السفر*، تح. عبد الله عمر البارودي، مكة *المكرمة*، المكتبة التجارية، (د. ت)، ص. 237 ـ 238.

**الزناتي،** أبو **يوسف**، فقيه مغربي من أهل القرن السادس الهجري، دخل الأندلس وسكن بإشبيلية مدة قصيرة عاد بعدها إلى المغرب الأقصى. أعجب فقهاء وطلبة إشبيلية بعلمه الواسع بفقه ومسائل المذهب المالكي فأجلسوه للتدريس والمناظرة عليه بمسجد رحبة الباجي، واجتمعوا إليه. ومن الآخذين عنه أبو عبد الله بن المجاهد.

لا يعرف تاريخ وفاته.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، ج. 4، ص. 227 ـ 228.

محمد المغراوي

**زناگة** ← **صنهاجة**

**الزّناكي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفراها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا :

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 779.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزنجور** أو سمك الكراكي كما هو معروف في الشرق العربي وفي المعاجم، والبروشي ـ المعرب من الفرنسية Brochet. كما هو في الدارج في الأطلس المتوسط، سمك بحيرات المياه العذبة القارية، لاحم شرس كبير القامة ومستدق الرأس، تأقلم بكيفية ناجحة في البحيرات الطبيعية الجبلية بالأطلس المتوسط والكبير وفي عدد من بحيرات السدود التلية والكبرى بالأقاليم الشمالية المغربية.

يصنف علميا ضمن الأسماك العظيمة شعاعيات الزعانف ورتبة إيسوسيفورم Esosiformes وفصيلة الزنجوريات إزوسيدي Esocidae . تأقلم نوع واحد فقط من بين ثلاثة أنواع أدخلت إلى المغرب : الزنجور الشائع إيزوكس ليسيوس Lucius، بينما فشلت محاولة تربية النوعين Esox niger أو Esox masquinengy. يدعى بالفرنسية Brochet وبالإنجليزية Pike. موطنه الأصل البحيرات القارية بالنصف الشمالي للكرة الأرضية وقد ظهر في بداية الحقب الجيولوجي الثالث.

يرجع تاريخ إدخاله من أوروبا إلى المغرب إلى سنة 1936 بواسطة محطة تربية السمك بأزرو وبمساعدة هواة صيد السمك الفرنسيين المقيمين آنذاك في مكناس وفاس وأزرو وخنيفرة. تم إدخال البيض والبلاعيط من فرنسا مدة 15 سنة لإنجاح التأقلم ولتعزيز وتقوية الصيد الرياضي في بحيرات الأطلس المتوسط والأطلس الكبير والسدود الكبرى. يعد المغرب البلد الوحيد في شمال إفريقيا الذي تكيف فيه سمكن الزنجور بكيفية ناجحة، وفي ما يلي أهم

الزنجور

البحيرات والوديان الذي يعيش فيها حاليا : ضاية عوا وسيدي علي وحشلاف وأكلمان لعزيزة وتيفوناسين وويوان وأفنورير وبحيرة تيسليت قرب إيميلشيل وسد القنصرة (أدخلت فيه 5000 بلعوط في مايو 1947) ومشرع حمادي ومحمد الخامس وبين الويدان والوحدة والمسيرة وبعض السدود التلية كسد بوعامر وبوهودة والساهلة قرب تاونات ووادي تكريكرا قرب آزرو. تستعمل حاليا بحيرة أمغاس 4 الاصطناعية لاستقرار الفحول.

تأقلم الزنجور في هذه البحيرات إلا أن ولادته ضعيفة جدا وما تزال الأبحاث العلمية مستمرة في المركز الوطني لأحياء الماء وتربية السمك بأزرو، تسعى إلى ضبط وتقوية الولادة الاصطناعية لهذا النوع قصد تعميم استزراعه في معظم البحيرات الطبيعية الجبلية والسدود التلية والكبرى. والهدف من هذا الاستزراع نلخصه كما يلي :

- تحقيق توازن في الوسط المائي للبحيرات ؛
- تخفيض الكثافة والتكاثر العشوائي للأسماك العاشبة المرتفعة الخصوبة ؛
- تحويل لحوم الأسماك العاشبة ذات جودة غذائية ضعيفة إلى لحوم بيضاء ذات جودة ممتازة وذلك عن طريق السلسلة الغذائية ؛
- تنمية وتعزيز الصيد الرياضي حيث يفضل هواة هذه الرياضة سمك الزنجور لمقاومته الشديدة ولصعوبة اصطياده الذي يتطلب خبرة ومهارة ؛

- رفع مستوى الدخل المادي الفردي للصيادين الحرفيين ببحيرات السدود وتحسين وضعيتهم المادية.

الزنجور سمك معروف لكبر حجمه ولبطء هضم مأكولاته ولشهيته الضاربة عند شدة جوعه ؛ يتحرك قليلاً ويقاوم الجوع لمدة طويلة، الشيء الذي يدفعه إلى التحكم في طاقته الحرارية وإنفاقها بكيفية اقتصادية. يتميز بجسم متمدد مستطيل الشكل وبخطم مستدق الرأس على شكل منقار، واسع الشدق. يحمل الفك السلفي 5 مسام على كل جهة ونادرا 4 أو 6. يحمل الخط الجانبي أزيد من 176 حرشفة ويتكون العمود الفقري من 57 ـ 64 فقرة. يبلغ طوله الأقصى 1،4م، الزعنفتان الظهرية والشرجية متقابلتان على مؤخرة الجذع ومتقايستان. الجسم مغطى بحراشف صغيرة، الفكان قويان يحملان أسنانا مستدقة الرأس وعديدة، البطن فضي، الظهر والجانبان خضر داكنة أو سمر تتخللها أشرطة عمودية ناصعة مصفرة عند الصغار. يساعده لونه على الاختفاء بين النباتات المائية التي يلتجئ إليها في أغلب الأحيان ليترقب فريسته من الأسماك والضفادع وغيرها من الحيوانات.

الذكور سريعة النمو في المياه المغربية وتصير بالغة سنة وتزن 400 ـ500 غرام بطول يتراوح بين20 ـ25 سم. تصير الإناث بالغة بعد سنتين بطول ينحصر بين 25 ـ 35 سم وتزن بين500 ـ 1000 غرام. يتوالد في المغرب من مارس إلى أبريل في حرارة تتراوح بين 7 ـ18C. يرتبط عدد البيض بالقامة والوزن ويقدر بحوالي2000 ـ35000 في الكيلو غرام والوحد. يبلغ قطر البيض5 ـ 2 ـ3 ملم. تخرج الصغار من البيض بعد4 ـ 19 يوما بطول لا يتعدى 9 ملم وبدون فتحة فوهية. يصير طوله بين9 ـ 25 سم بعد سنة.

التوالد الطبيعي لسمك الزنجور في المياه المغربية ضعيف جدا في البحيرات الطبيعية الجبلية إلى منعدم في بحيرات السدود وذلك لسبب النضج الجنسي غير المتزامن بين الذكور والإناث ؛ غالبا ما تسبق الإباضة نضج رول الذكور بأربعة أسابيع فينعدم التلقيح. والتناسل الاصطناعي وسيلة ناجحة لتكاثر هذا النوع واستزراعه في المغرب. يتم بعد حقن هرمون الغدة النخامية في بطن الإناث والذكور البالغين. يستخرج هذا الهرمون من الغدة النخامية لنفس النوع أو لسمك قريب النسب في التصنيف العلمي كالشبوط والسلمون. يلعب هذا الهرمون دوراً فعالاً في تنشيط وحث النضج الجنسي في آن واحد عند جنس سمك الزنجور وأنواع أخرى من الأسماك. يستورد هذا الهرمون من الخارج على شكل مسحوق يتم حقنه بواسطة جرعة مضبوطة ترتبط بالقامة والوزن. تحك جوانب بطن الذكور والإناث بعد حوالي 48 ساعة من عملية الحقن ويخلط رول الذكور بالبويضات التلقيح تحت حرارة مائية لا تتعدى 15 درجة. تدوم مدة نشأة الجنين4 ـ 19 يوما حسب درجة الحرارة المائية.

يعيش منعزلا في أغلب الأحيان ويفترس كل أنواع الأسماك والضفادع والحشرات المائية، كما أن ارتفاع كثافة أفراده غير البالغين يخلق فيهم غريزة أكل بعضهم بعضا. يسهر المركز الوطني لأحياء الماء وتربية السمك بآزرو، التابع لوزارة المياه والغابات، على توسيع استزراع سمك الزنجور وتوزيعه بكيفية عقلانية على معظم البحيرات القارية المغربية دون خلطه بسمك التروتة.

م. رمضاني، *سمك التروتة بالمغرب*، *معلمة المغرب*، 1998، جزء 7، ص. 2341 ـ2342 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، معجم الحيوان، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

M.E. Himmi, *Reproduction artificielle du brochet : Elevage des alevins et pisciculture dans les lacs naturels du Moyen Atlas (Maroc)*. Fac. Sci. Meknès, 114 p., 1999 ; A. Zraouti, *Etude hydrobiologique et socio-économique des principaux plans d'eau à truite du Moyen Atlas*, Mémoire fin d'étude, ENFI, Salé, 1993, 98 p. ; P. S. Maitland, *Les poissons des lacs et des rivières d'Europe*, Paris, 1977, 255 p. ; B.J. Muus et P. Dahlström, *Guide des poissons d'eau douce et pêche*, Paris, 1973.

عبد الخالق الزراوطي و محمد رمضاني

**الزنك**، فلز أبيض مزرق، رمزه الكيماوي Zn، عدده الذري 30، وزنه الذري 65،38 ووزنه الحجمي 7،14 غ / سم3. وهو طروق، قابل للتصفيح ما بين 100 و200 درجة حرارية. يصلح لصناعة خلائط الغلونة والسحن والتصفيح.

معدن الزنك معروف منذ ما قبل التاريخ، حيث كان يستعمل في تركيب البرونز والصفر (الفلزات)، من ذلك تخويل تأريخ الفترات المنتمية لما سمي بعصر البرونز. وهو يوجد في الطبيعة على شكل مركبات كبريتية (بلاند أو سفاليريت)، كاربوناتية (كالمين، سميثسونيت) أو سليكاتية (كالمين، هيميمورفيت)، كما يكون في الغالب مشتركا مع معادن الرصاص والنحاس وغيرها.

في سنة 1999، قدر الاستهلاك العالمي بحوالي 8،357 مليون طن مقابل إنتاج 8،369 مليون طن من الفلز.

يتم استغلال الزنك بالمغرب على شكل كالمين في إقليمي الرشيدية وبوعرفة (نطاق مكتب الشراء والتنمية للمنطقة المنجمية لتافيلالت وفكيك = Cadetaf) وعلى شكل كبريتات (بلاند) بمناجم حجار، حوالي 30 كلم إلى الجنوب من مراكش، وتيغزا (جبل عوام) بإقليم الخنيفرة.

وقد بلغ استخراج معادن الزنك من المناجم المغربية، سنة 1999، ما قدره 1.710.000 طن، أنتجت حوالي 216.000طن من المادة المركزة التجارية، توجهت إلى التصدير بحجم 211.102 طن وبقيمة545،8 مليون درهم (المصدر : مديرية المعادن).

هناك علائم معدنية مختلفة معروفة عبر التراب الوطني. كذلك الأمر على الخصوص بالنسبة لتيولي

(المغرب الشرقي) وأكرد نتازولت (الأطلس الكبير لناحية أزيلال). تهتم تنقيبات الشركات المعدنية حاليا بمحورين أساسيين : أحدهما يخص تمعدنات الكالمين بالأطلس الكلسي، والآخر التمعدنات من صنف التراكمات المكبرتة في بنيات الحقب الأول.

عدي عزّى

** الزنگ لفظ ألماني، ثقله النوعي 7.1، وزنه الذري 65.38، رمزه الكيميائي Zn. لا يوجد بتاتا في الطبيعة على شكله الخام، وإنما يدخل في تكوين كثير من المعادن وخاصة منها الكبريتيات (بلاند ZnS) والأوكسيدات (الزانسيت ZnO) والكربونات (سميثصونيت ZnCO3)، والمعادن التي تشتمل السريوم (Ce) والارسونيك (As) والحديد (Fe) ؛ وكذلك بعض المعادن كالسيليكات ونذكر منها هنا حجر التوتيا أو الكالمين (Zn4 [Si2O7] (OH2) H2O) والويليميت (Zn2 SiO4).

ونشير هنا إلى أن معدن البلاند هو أهم المعادن الخامة للزنك، إلى جانب لمعادن الأخرى سالفة الذكر.

- بلاند (انظر ما سبق)

- زانسيت : هي أوكسيد الزنك (ZnO)، نظامها البلوري سداسي الوجه، صلابتها 45 ـ5، كثافتها 54 ـ57 ، لونها أحمر إلى أحمر مصفر أو أحمر ـ أسمر، لمعانها شبه معدني. نجد الزانسيت بالعروق الحرمائية، وداخل الحلقات التحولية.

- سميتسونيت : هي كربونات الزنك (ZnCO3)، تركيبتها الكيميائية هي 64.90٪ من ZnO و35.10٪ من CO2 ؛ نظامها البلوري معيني ؛ صلابتها 5، كثافتها 4.3 4.5 ؛ لونها أبيض، أصفر، أحمر، أحمر ليموني وأزرق مخضر ؛ لمعانها زجاجي إلى صدفي. نجد معدن سميثصونيت في المناطق المؤكسدة.

- كالمين : سيليكات الزنك، نظامه البلوري معيني ؛ صلابته 5 ؛ كثافته 33 ـ35 ؛ لونه أبيض، أزرق، أخضر،

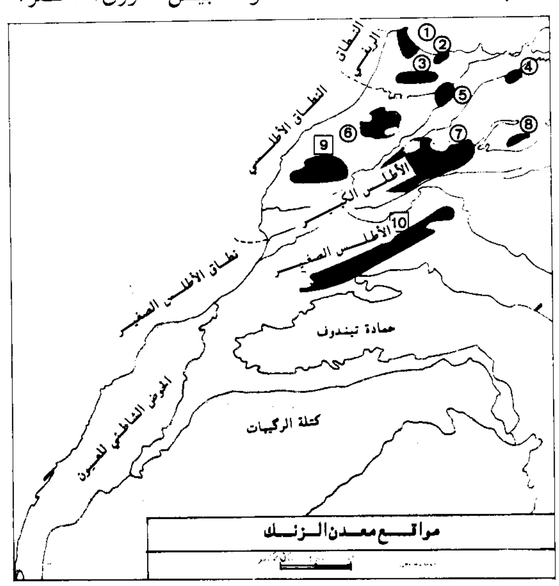

مواقع معدن الزنك

أصفر، أسمر، أشهب وأحيانا لا لون له ؛ لمعانه زجاجي، صدفي إلى حريري. تنتُج الكالمين أساسا عن تأكسد البلاند.

- الويليمت : سيليكات الزنك، تركيبتها الكيميائية هي 72.96٪ من ZnO و27.04٪ من SiO2 ؛ نظامها البلوري شبه معيني، صلابتها 5.5 ؛ كثافتها 4.0 ؛ لونها أبيض، أخضر، أصفر، أشهب، أسمر إلى أزرق مخضر، لمعانها شفاف عادة ما تكون مستشعة. نجد معدن الويليمين في غالب الأحيان ثانويا في الصخور التحولية، زيادة على استعمال الويليميت كمعدن للزنك، فان بلوراتها تستعمل لشفافيتها كأحجار كريمة.

يستعمل معدن الخارصين للغلفنة، والصناعات المعدنية، ونقل المعادن الثمينة، وكذا لخاصياته كمغتزل في الصناعات. أما كبريت الخارصين فيستعمل كخضاب في صناعة الصباغة والمطاط والمنتوجات الضيائية.

في المغرب يأتي ترتيب الخارصين إلى جانب الرصاص بعد الفوسفاط مباشرة. يمكن تمييز خمسة عشرة راسباً بالمغرب يتجاوز إنتاجها الإجمالي 800.000 طن من الخارطين وذلك حتى أول يناير 1974. وأما باقي الرواسب فيبلغ إنتاجها السنوي الإجمالي عشر إنتاج المجموعة السابقة الأكثر أهمية. وتنتمي معظم رواسب الخارطين في المغرب إلى نوع الرواسب العرقية وتتمثل في تمعدنات الصدوع وينحصر وجودها في صخور القاعدة حيث تقطع المستويات الأكثر صلابة لحجر الرمل الاردوفيشي في تافيلالت، أو تتركز في الرواسب الطبقائية لغطاء القاعدة والمتمثلة في كتل وطبقات تتداخل بين الطبقات وتصحبها الظواهر الخاصة بالانتشار وملء الشقوق.

وأخيراً الرواسب المكسرية المتمثلة في ملء الفواصل والفجوات المختلفة مع إمكانيات الانتشار أيضاً في الصخور المحيطة حيث تتركز على وجه الخصوص في السحن الكربونائية للأطلس المطوي الكبير والمتوسط، وفي الحقب الثلاثي المتدلت للحاجز الفلخي الجيري لجبال الريف.

ومن أهم رواسب الخارصين الموجودة بالمغرب ما يأتي :

بوبكر تويسيت ـ بيدات من الرواسب الطبقائية على بعد أربعين كيلو متراً جنوب وجدة، حيث تتركز التمعدنات على نحو كتل من ثلاثة مستويات يعلو بعضها الآخر وذلك في نسق كرباناتي شديد التدلت ينسب إلى اللياس والبازوسي ومن أهم المعادن الموجودة بهذه المنطقة نذكر على سبيل المثال الحالنا والسلفا لريت (بلاند) والكالكوبيريت ؛ ويوجد جزء من التمعدن المشمل على صورة متأكسدة ونذكر منها السيروسيت والانجازيت واسميتسونيت.

- أحولي من الرواسب العرقية على بعد خمسة وعشرين كيلمتراً شمال شرق ميدلت.

- ميبدلادن من الرواسب الطبقائية على بعد خمسة عشر كيلومتراً شرق شمال ميدلت.

- زيدة من الرواسب الطبقائية على بعد ثلاثين كيلمتراً شمال غرب ميدلت.

- جبل عوام من الرواسب العرقية الموجودة على بعد ثمانين كيلمتراً جنوب مدينة مكناس، وتوجد هذه العروق في الصخور الباليوزوية للمغرب الأوسط، حيث تُميّز مرحلتان رئيسيتان للتمعدن، الأولى تشتمل على السيدريت (البلاند) والجالينا والمرو، والثانية فتشتمل على الجالينا والبلاند والكالسيت، والمرور والبارتين.

- مفيس من الرواسب العرقية، على بعد مائة وعشرة كيلمترات جنوب شرق مدينة الرشيدية، وتشتمل هذه الرواسب على الجالينا، البلاند، الكالكوبريت، البرتين، السيدريت الكالسيت، الباريت والمرو مع كميات مهمة من الفضة تصل أحياناً إلى 2 كلم في كل طن من الركاز الذي يحتوي على 60٪ من الرصاص.

- تامجوط من الرواسب الطبقائية، الموجودة على بعد ثمانين إلى مائة وعشرين كيلمتراً جنوب شرق أگادير (الأطلس الصغير الغربي).

جبل بوظهر من الرواسب المتعددة الأشكال : عروقية، كسورية أو طبقائية، على بعد مائة كيلمتر شرق شمال شرق مدينة الرشيدية. وتشتمل المعادن بهذه المجموعة على الجالينا، البلاند، البيريت، الكالكوبيريت، الكلسيت، السيدريت الاتكريت، الباريت والمرو.

يهتم حاليا مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية بالبحث والدرس للكثير من المؤشرات للزنك واستكشاف قطاعات أخرى بالتراب الوطني نذكر منها :

- قطاع أگلموس الموجود جنوب غرانيت مانت، حيث تم إظهار سواد هامة من الرصاص والزنك والنحاس.

- كتلة تازكة الواقعة بالأطلس المتوسط الشمالي، جنوب غرب مدينة تازة. وتتكون من هضبة باليوزوية ظاهرة على شكل سفح، بها عدة مكامن ومؤشرات للرصاص والزنك والنحاس والحديد والباريوم والقصدير والذهب على شكل عروف أو انتشارات وتكدسات في تقصفات قشرة الأرض.

- منطقة إقليم ركو، من الطرف الجنوبي الشرقي للأطلس المتوسط المتعرج، المحتوية على تمعدنات الزنك والرصاص، الظاهرة على شكل تكدسات كربوناتية (سيليكات الزنك) على مقربة من التقصفات الكبرى الإقليمية.

مناجم معدن الزنك

1 ـ الريف الباليوزوي

2 ـ بوكوية

3 ـ منطقة وزان

4 ـ منطقة المرتفعات (بوبكر، توبسيت، بيديان)

5 ـ كتلة تزكا (الأطلس المتوسط لتازة)

6 ـ جبل عوام

7 ـ ميبلادن، زايدة، أحولي، بوظهر، تافيلالت، مفيس

8 ـ منطقة الأطلس الصغير

9 ـ منطقة الجبيلات ورحامنة (شمال مراكش).

عبد الله بوصحابة

**زنيبر**، أسرة سلوية أصلها من الأندلس من مدينة غرناطة، ولما طُرد المسلمون من الأندلس في القرن العاشر (16 م) خرجوا من ديارهم وبقيت فيها بقية منهم ونزلوا بشمال المغرب ببلاد غمارة مند مجين مع قبائلها لذلك كانوا يوصفون أحياناً بالغماريين ومنها نزحوا لاحقاً إلى مدينة سلا وهم كثيرو العدد فيها فكان لهم سنة 1920 أزيد من ثلاثمائة نسمة، أصهروا قديماً وحديثاً إلى أسر أخرى إلى حد أنهم تفرعوا شعباً تميزت بألقاب مختلفة مثل : المحبّس واللّطّام وأولاد عبد الهادي وأولاد حجي (القاضي شارح "الهمزية") وأولاد القاضيين : بناصر وبوعبيد وأولاد خريبش المتعاطين للفلاحة، ثم عرفت بعض الشُّعب بألقاب ثانوية مثل الباشْ والزّيت والفريّـح وغيرها. ولعل من هؤلاء البقايا "محمد زنيبر الممنون عليه بالإسلام" الوارد على المغرب سنة 1219 / 1804.

احتل آل زنيبر في المجتمع السلاوي مكانة رفيعة فكان منهم المناضلون والأفاضل، وكان منهم الفقهاء والمفتون والولاة والقضاة والنظار والمحتسبون، والعدول والأمناء والتجار والفلاحون والمالكون العقاريون.

كوستي وعشاش، *بيوتات مدينة سلا*، تح. نجاة المريني، سلا، ص. 77 وما بعدها ؛ حول محمد زنيبر الممنون عليه بالإسلام، وثائق الخزانة الصبيحية، المحفظة 76 الوثيقة 8944 السلسلة الثالثة (18 رجب1219 / 1804 ميلادية) ؛ *أخبار شفوية* لا سيما من المرحوم الحاج أبي بكر بن الحاج أحمد زنيبر.

مصطفى بوشعراء

**زنيبر، أحمد** بن **إبراهيم** السلاوي، اشتهر بين معارفه بلقب "الزيت"، الفنان البارع في مجال المديح والسماع. وكان يجيد حفظ الأمداح ؛ ملما بالطبوع والأوزان. وقد عرف بولعه بإدخال القدود والتلاحين الشرقية ضمن مستعملات السماع والمديح المغربية، وهو أمركان يثير حفيظة المنشدين المحافظين.

عرف الفنان زنيبر بنزعته إلى التجديد وتطعيم التراث بما كان يراه مناسبا. وقد استفاد منه أصدقاؤه وتلامذته.

توفي رحمه الله عام 1376 / 1957 بالديار المقدسة حيث كان يؤدي مناسك الحج.

عبد اللطيف بنمنصور، *مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحايك*، 1397 / 1977، ص. 467.

عبد العزيز بنعبد الجليل

**زنيبر، أحمد** بن **بناصر** من شعبة اللطام، فقيه سلاوي انتصب للعدالة ببلده، وكان سنة 1190 ما يزال كذلك، وتوفي بعدها.

م. بوشعراء، ذيل، *الإتحاف الوجيز*، الطبعة الثانية، ص. 223 ؛ *رسوم الخزانة الصبيحية*.

**زنيبر، أحمد** بن **عثمان** من شعبة المحبّس، كان من فقهاء سلا وعلمائها توفي سنة 1301 / 1884.

م. بوشعراء، ذيل، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، ص. 225 ؛ م. بوشعراء، التعريف ببني سعيد، ج. 2، ص. 57 و61 ؛ كوستي وعشاش، *بيوتات مدينة سلا*، ص. 78 ؛ وثائق بنسعيد.

مصطفى بوشعراء

**زنيبر، أحمد** بن **المحجوب** البيضاوي، من مواليد الرباط عام 1294 أقبل منذ شبابه على تعلم الموسيقى، فأخذ عن شيوخها بالعدوة أمثال المعلم سعيد الذي علمه الغزف على الكمان، والمعلم المهدي بوستة، كما أخذ عن بعض أعلام الآلة بفاس كالمعلم إدريس بن جلون، وعبد السلام البريهي، وبذلك جمع بين إتقان الموسيقى الأندلسية والطرب الغرناطي.

ينسب إليه أنه كان أول من استعمل آلة القانون في جوق الموسيقى الأندلسية بعد أن نقله من حظيرة أجواق الطرب الغرناطي. وكان يقدم بإذاعة راديو المغرب حصصا موسيقية من حين لآخر.

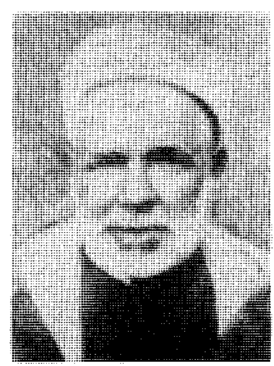

انتدب في الأربعينيات للتعليم بدار الأيتام بالدار البيضاء، فكان يلقن دروس الموسيقى الأندلسية لثلة من نزلاء الميتم الذين حفهم بعطفه وعنايته. وبعد أن كانت دروسه الموسيقية في البدء مقصورة على تلقين مستعملات "الآلة" انفتحت على الموسيقى الشرقية، وأصبحت المجموعة الفنية التي أنشأها بالميتم ميدانا لممارسة الفنين معا. وقد شكل هذه المجموعة من خيرة طلبته، ووزع عليهم أدوار الغرف على الآلات العربية العربية التقليدية وبعض الآلات الغربية كالڤيولانسيل، إضافة إلى آلة القانون التي يعتبر أول من أدخل استعمالها إلى الأجواق العصرية بالمغرب.

وكان من بين طلبته عمر الطنطاوي (عود) وعلي عاكب (ناي) وعبد العزيز السباعي (تشيلو) ومحمد كرم (دف) وصالح الشرقي (عود وقانون) ومحمد سميرس ومصطفى الحريري ورحال (كمان).

وقد ظل الفنان زنيبر مقيماً بالدار البيضاء حيث وافاه أجله في السبعينيات من القرن العشرين.

عبد اللطيف بمنصور، *مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحايك*، 1397 / 1977، ص. 450 ؛ صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، ص. 122.

عبد العزيز بنعبد الجليل

**زنيبر، أحمد** بن **محمد** بن محمد بن حجي حفيد القاضي محمد بن حجي شارح الهمزية، ولي خطة أبي المواريث بسلا، وتوفي بعد سنة 1238. وصفته بعض المصادر بأنه هو الزعيم الذي رد لأهل سلا ما نهبه منهم أعراب عامر المجاورون للمدينة.

م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، ص. 145 ـ 147 ؛ م. بوشعراء، *ذيل، الإتحاف الوجيز*، ط 2، ص. 224 ؛ كوستي وعشاش، *بيوتات مدينة سلا*، ص. 79 ؛ كناشة محمد بن المكي المريني، مخطوط الخزانة الصبيحية، الورقة 40.

مصطفى بوشعراء

**زنيبر، أبو بكر** بن الطاهر بن حجي السلوي، عالم سلفي يمثل اتجاهاً إصلاحيا متنورا يجمع بين القديم والحديث، وأهم ما كان يميزه عن غيره من الفقهاء المعاصرين هو فكره السياسي والإصلاحي.

ولد بسلا في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) وهو ينتمي إلى أسرة اشتهرت بالعلم حيث يقول في مخطوطه حول التعليم : "... اذ بيتنا بني زنيبر من البيوت القديمة في العلم المهتمة بشأنه ولا يعرف كثير من أفرادها

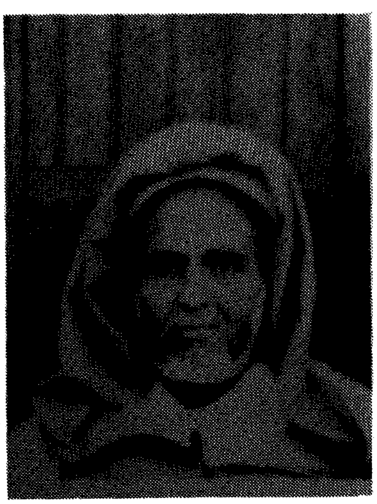

الاحتراف بشيء سواه" ص. 29. ومن أبرز العلماء الذين درس عليهم أو استفاد من مجالستهم : الفقيه أحمد الجريري والمؤرخ أحمد الناصري والفقيه عبد الله بن خضرا، والمحدث أبو شعيب الدكالي، وكان له اتصال بشخصيتين سلفيتين كان لهما حضور وازن على الساحة الفكرية والسياسية هما محمد بن العربي العلوي ومحمد الحجوي.

وبرجوعنا إلى مقدمة مخطوطه *نظرات في تطور التعليم بالمغرب*، يتضح لنا سعة اطلاع الشيخ أبي بكر زنيبر والمكانة العلمية المرموقة التي كان يحظى بها حيث يخاطبه الدكتور عمر فروخ مدير مجلة "الأمالي" قائلا : "حضرة صاحب السماحة والتقى العالم العلامة الأستاذ الجليل الشيخ أبو بكر زنيبر مفتي سلا الأكرم. ونظـرا لما نعهده في سمـاحتكـم من علـم غـزير واطلاع واسع رأينا أن نكتب إليكم راجين أن تشرفوا هذا العدد بالاشتراك في تحريره..." (ص. 1).

إن مقدمة كتاب *جهود الإسلام في ترقية الأنام* تعرفنا على رافد أساسي من روافد التكوين الثقافي للشيخ أبي بكر زنيبر وهو الفكر السلفي إذ يقول : "قصدت به خدمة الإسلام والأمة الإسلامية وأن أكون من أهل الإصلاح العاملين على ربط المستقبل بالغابر، ووصل حلقات سلسلة ما تقدم من الزمان بالحاضر".

إن تشبع أبي بكر زنيبر بالفكر الإصلاحي جعله شديد التتبع للأحداث الوطنية والإسلامية، يسمع كثيرا ويجتهد في القضايا التي تعرض عليه. وقد ظل ذهنه متفتحاً وكانت كتابته عصرية لا علاقة لها بما يكتبه الفقهاء، ويرجع ذلك إلى اتصاله الكبير بما كان ينشر في الشرق، وقدرته على الإحاطة بكل ما كان يروج في ذلك الوقت، يتتبع القضايا ويناقشها ويعرض رأيه فيها كقضايا الإلحاد وتنظيم الدولة والمجتمع والأحزاب والصحافة. أما علاقته بالشباب فقد كانت وطيدة فهو يحاورهم ويستفيد منهم ويفيدهم كما كان له استعداد دائم للعمل وتزويد الصحف والمجلات بالمقالات.

شكلت مسألة إصلاح التعليم في شموليته وإصلاح التعليم بجامع القرويين، إحدى أبرز القضايا الاجتماعية التي استأثرت باهتمام أبي بكر زنيبر وغيره من رواد الحركة السلفية، في عهد الحماية، ويدخل هذا الاهتمام في اطار مشروع وطني إصلاحي اضطلع به مجموعة المثقفين الوطنيين أمثال المختار السوسي، وعبد الله گنون، حيث وجدوا في مجال التأليف والتعليم، وإحياء قيم الثقافة الوطنية للرفض والمواجهة ووسيلة لبعث اليقظة وبث الثقة في النفوس، في اتجاه خلق حركة وطنية قادرة على الضغط على نظام الحماية والتعجيل باسترجاع الاستقلال الوطني.

تولى أبو بكر زنيبر عدة مناصب منها خطة العدالة بالدار البيضاء وسلا والقضاء بمدينة سطات وتاوريرت وسيدي قاسم وسيدي سليمان، ونظرا لآرائه الجريئة ولاستقامته في مزاولة مهام القضاء فقد أعفته سلطات الحماية من منصبه حوالي سنة 1924، ومنذ هذا التاريخ تفرغ للتدريس والتأليف والإفتاء ومقاومة الاستعمار، حيث كان يساهم في بعض المعارك السياسية كعالم مصلح يكتب العريضة ويوقع فيها. ويحضر بعض الاجتماعات العامة ويلقي المحاضرات. ويمكن القول بأنه من العلماء والقادة السياسيين الممارسين، الأمر الذي دفع السلطات الاستعمارية إلى اعتقاله هو وابناه الطاهر ومحمد سنة 1944، بعد تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال.

للمترجم عدة مؤلفات ما تزال في معظمها مخطوطة، منها :

- *إرشاد الله للمسلم الغافل عن الله* أو *بداية الرحمة إلى الثّقلين الإنس والجان*، وهو تفسير للقرآن الكريم يقع في عدة مجلدات.
- *جهود الإسلام في ترقية الأنام*، مطبوع.
- *نظرات في تطور تاريخ التعليم*، قيد التحقيق.
- *الصداق والمهر*، ترجم ونشر باللغة الفرنسية.
- *مجموعة من الفتاوي الفقهية*.
- *مذكرة حول تعليم الفتاة*.

تجمع جميع المصادر المكتوبة والشفوية على أن أبا بكر زنيبر شخصية عالمة متميزة متشبعة بالفكر الإصلاحي، متفتحة على قضايا عصرها، متفاعلة معها بواسطة النقد وطرح الأسئلة ذات العمق الفكري والحضاري وتقديم المقترحات العملية اعتمادا على منهج الاجتهاد والبحث عن الحقيقة العلمية، إلى أن توفي بمسقط رأسه سلا يوم الأربعاء 3 ربيع الثاني عام 1376 / 7 نونبر 1956.

أبو بكر زنيبر نفسه، *نظرات في تطور التعليم بالمغرب*، مخطوط، *جهود الإسلام في ترقية الأنام*، تح. فائزة البوكيلي، ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، شهادات مجموعة من الأساتذة، محمد زنيبر (الابن) أبو بكر القادري عبد الرحيم بوعبيد ـ قاسم الزهيري ـ محمد حجي.

خديجة اليملحي

**زنيبر، بناصر** بن محمد من وجوه سلا كان سنة 1286 يتولى خطة نظارة الأحباس بسلا فكان يباشرها باشتراك مع ناظر آخر كما كانت العادة جارية في ذلك الوقت، وتوفي سنة 1298.

م. بوشعراء، ذيل، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، ص. 225 ؛ وثائق بنسعيد.

**زنيبر، بوعزة** بن بوعبيد أحد علماء سلا وفقهائها، ولي القضاء بها سنة 1230، وكانت وفاته بعدها.

م. بوشعراء، ذيل، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، ص. 224 ؛ تقييد جعفر الناصري حول قضاة سلا.

**زنيبر، حجي** بن **مُحمد** من علماء سلا ونوازلييها وفقهائها أخذ بادئ أمره عن علماء المدينة وعلماء فاس، وأسند إليه القضاء في بعض المدن، وعين عضواً بمجلس الاستئناف الشرعي إلى أن أحيل على المعاش.

توفي في أواسط رجب عام 1389 / أواخر شتنبر 1969. تأثَّل المال فكان ذا ثروة كبيرة.

ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، ج. 2، ص. 290.

**زنيبر، حجي** بن **مَحمد** (الحاج -) من أعيان المدينة السلاوية، انتصب للعدالة بمرسى الدار البيضاء سنة 1267 إلى أن عاد سنة 1273 لمباشرتها بمسقط رأسه. وتوفي بعد ذلك.

م. بوشعراء، ذيل، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، ص. 225 ؛ *الوثائق الملكية* ؛ *وثائق بنسعيد*.

**زنيبر، الطاهر** بن أبي بكر من رجالات الأدب والفكر والوطنية بسلا على سنن والده الشيخ المفتي أبي بكر سابق

الترجمة. درس بمسقط رأسه سلا وبالرباط وهو من أوائل الشبان المغاربة الحاصلين على (الليصانص) في الأدب من الجامعات الفرنسية. انخرط مبكراً في حقل النضال الوطني فسجن هو وأبوه سنة 1944 على الرغم من حالته الصحية، لأنه كان سابع سبعة من أهل سلا وقعوا وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال.

وبعد الإفراج عنه عمل في سلك التعليم العربي الحر، بمدارس محمد الخامس سنتي 1948 و1949.

ولما بزغ فجر الاستقلال وظف بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية رئيساً لديوان الوزير، وظل كذلك حتى وافته المنية يوم 15 محرم 1391 / 13 مارس 1971 ودفن بمسقط رأسه.

ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، ج. 2، ص. 444 ؛ معرفة خاصة بالمترجم له.

**زنيبر، عبد الله** (الحاج -) بن **عبد الله** من ذرية المحبس، كان سنة 1290 خليفة لعامل سلا الحاج محمد بنعسيد.

م. بوشعراء، ذيل، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، ص. 225 ، في الطبعة الثانية التعريف ببني سعيد، ج. 2، ص. 129 و130 ؛ *وثائق بنسعيد*.

**زنيبر، عبد الهادي** بن **محمد** بن عبد الهادي بن الهاشمي نجل عامل سلا محمد بن عبد الهادي آتي الترجمة، احترف التجارة أول أمره بالداخل والخارج، ثم عين ناظراً للأحباس مع غيره بسلا، وتقلب في مناصب الأمانة بالعرائش والجديدة والدار البيضاء ومراكش قبل سنة 1291. وكانت وفاته سنة 1328.

كوستي وعشاش، *بيوتات مدينة سلا*، تح. نجاة المريني، ص. 81 ؛ م. بوشعراء، ذيل، *الإتحاف الوجيز*، الطبعة الثانية، ص. 225 - 226 ؛ التعريف ببني سعيد، ج. 2، ص. 129 - 173 - 176 - 223 ؛ *الاستيطان والحماية*، ج. 3، ص. 973 ؛ *وثائق بنسعيد*.

**زنيبر، عبد الهادي** بن **الهاشمي** الجد الأعلى لفرع أولاد ابن عبد الهادي الذين تولوا مناصب مختلفة في الإدارة والأمانة. كان عبد الهادي منخرطاً في سلك العدول وتوفي سنة 1241 بمدينة سلا.

م. بوشعراء، ذيل *الإتحاف الوجيز*، ص. 224 من الطبعة الثانية ؛ *كناشة محمد بن علي الدكالي*، رقم 4257 د بالخزانة العامة بالرباط. الورقة13 ؛ *رسوم الخزانة الصبيحية*.

**زنيبر، العَرَبي** - بفتح الراء - من شعبة المحبس رياضي ماهر في كرة القدم. كان سنة 1948 حارساً لمرمى نادي الأولمبيك الرياضي ثم حارساً ومدرباً لفريق الجمعية الرياضية السلاوية. سبق له قبل ذلك (وربما بُعَيْد الحرب العالمية الثانية) أن كان حارساً لمرمى المنتخب المغربي الفرنسي، فخاض مباراة انتصر فيها فريقه على الفريق الفرنسي لنيل كأس شمال إفريقيا بثلاثة أهداف لواحد،

فكان لهذا الانتصار ولا سيما أثناء النضال الوطني صدى واسع في الأوساط الشعبية التي استقبلت المشاركين بالطبول على الرغم من قلة عدد المغاربة المسلمين المشاركين فيه.

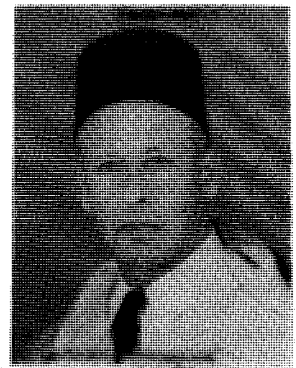

أسس العربي زنيبر فريق النجاح السلاوي ومنه تخرج لاعبون اكتسبوا صفة الدولية. عرف بديانته وحسن معاشرته للناس وتلاميذه حتى كان يدعى "ابًا عَرُّوب".

توفي حوالي سنة 1412 / 1992.

*معرفة شخصية.*

مصطفى بوشعراء

**زنيبر، علي** بن **أحمد** يعد من بين الشخصيات المغربية التي لم تحظ بالبحث والدراسة الكافيين بالرغم من كونه عاش في فترة زمنية قريبة ويرجع الأستاذ محمد زنيبر سبب ذلك إلى كونه"... من الأشخاص الذين سبقوا زمانهم، فلم يصادف ما كان يستحقه من إنصات واهتمام، ولذلك فإن مواطنيه ومعاصريه أهملوا ترجمته" ويمكن اعتبار ما كتبه أبو بكر الصبيحي - حفيد المترجم - في مقدمة مخطوط *منتخبات المشتاق من أرج روح الأشواق* أهم مصدر لترجمته بالرغم من كونه لا يمدنا بالمعلومات والتفاصيل الدقيقة عن حياته وخصوصا ما يتعلق بدراسته وتكوينه العلمي.

ولد الحاج علي بن أحمد بن عبد القادر "اللطام" بمدينة سلا حوالي سنة1290 / 1844، ورافق والديه وعمه إلى الأراضي المقدسة قصد المجاورة وهو ابن سبع سنوات، وبعد أداء مناسك الحج مات والداه فأرجعه عمه لسلا بعد أن أقاما في مصر مدة من الزمن.

كان الحاج علي زنيبر يمتهن التجارة قبل أن يتوجه إلى مصر عام 1296 / 78 - 1879، التي عاش فيها نصف حياته، وقد عُرف بوكيل المغاربة نظرا لاهتمامه الكبير بأحوال المتوجهين منهم إلى الحجاز الأمر الذي تسبب في ضياع أمواله واضطراره للعودة إلى بلاده. بعد رجوع الحاج علي زنيبر إلى المغرب أقام مدة بطنجة تقدر بسنة أو أكثر قليلا. ثم انتقل إلى فاس حيث قضى عشرة أعوام. وفي سنة 1914 رجع إلى سلا مسقط رأسه حيث وافته المنية يوم 29 جمادى الثانية سنة 1332 / 25 ماي 1914.

إن طول إقامة المترجم في مصر جعلته من المغاربة الأوائل الذين تأثروا بالنهضة المصرية وبأفكارها الداعية إلى اليقظة والإصلاح والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة، وقد عبر عن هذه الأفكار الجديدة في مذكرة تحمل اسم حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال نشرها للمرة الأولى الفقيه محمد المنوني في مجلة دار النيابة (العدد الرابع). ويعتبرها أول مشروع دستوري اقترح فيه صاحبه مجموعة من الاصلاحات من ضمنها : النظام النيابي وشعارات الدولة وأنظمة الحكومة.

ويشكل التصوف بعداً بارزاً في شخصية الحاج علي زنيبر الذي كان في أول أمره قادريا ثم صار درقاويا، وقد عرف بتمسكه الشديد بالشريعة قولا وعملا وبجرأته في الجهر بالحق وباجتهاده في الدعوى للإصلاح، ويؤكد ذلك حفيده اعتمادا على ما طالعه من تقاييده وما سمعه ممن عاشروه.

ونظراً للأحوال المتردية التي كان عليها المغرب في بداية القرن الرابع عشر (20 م) فقد كان الحاج علي زنيبر يتوقع احتلاله من طرف الفرنسيين.

ترك المترجم له أربعة تآليف وهي :

1 - *تحفة القراء بنتيجة الجزيرة الخضراء*

2 - *حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال*

3 - درر *عقد النصيحة بسلك الإبريز بنحو حور جنة* حبور مولاي عبد *العزيز*

4 - *منتخبات المشتاق من أرج روح المشتاق*

هذه الكتب مازالت كلها مخطوطة ولم يعثر على أصولها تامة باستثناء ديوان *منتخبات المشتاق من أرج روح المشتاق*. وتجدر الإشارة إلى أن الحاج علي زنيبر كانت له خزانة تتوفر على مصنفات سياسية واجتماعية هامة تركها بعد عودته من مصر في عهدة ابنته وحفدته بسلا.

أبو بكر الصبيحي، مقدمة ديوان، *منتخبات المشتاق*، خ. ص، رقم 93 / 627 ؛ م. زنيبر، مجلة دار النيابة، السنة الثانية، العدد السادس ربيع1985 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج. 2.

خديجة اليملاحي

**زنيبر، قاسم** (الحاج -) بن مَحمد بن الحاج قاسم من فرقة المحبّس، كان فقيها انتصب أول أمره لتلقي

الشهادات ثم أسند إليه القضاء في سلا وبها توفي سنة 1160.

م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، الطبعة الثانية، ص. 323 ؛ *تقييد القضاة بسلا* لجعفر الناصري ؛ *تقييد ابن علي* في كناشة الفقيه محمد التطواني الوراقة27 ؛ *رسوم الخزانة الصبيحية*.

**زنيبر، محمد** بن **إبراهيم** من الفقهاء السلويين المشاركين في العلوم الفقهية والتاريخية، تقلب في نظارات الأحباس بمراكش وفاس وآسفي، وله تقييد في حرب الريف.

توفي سنة 1348.

م. حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، ج. 8، ص. 2997.

**زنيبر، محمد** (الحاج -) بن **أحمد** من وجهاء سلا وفقهائها، انتصب للعدالة بها، ثم عين سنة 1992 أميناً بالعرائش، وسنة 1298 أميناً بالصويرة ومات بعدها.

م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، الطبعة الثانية، ص. 225 ؛ *وثائق بنسعيد*.

**زنيبر، محمد** (الحاج -) بن **أحمد** بن **عبد القادر** من فرقة اللطام وشقيق الحاج علي زنيبر سالف الذكر، وكان يعرف بالباش (بباء مفخمة) لأنه كان ضابطا في جيش المدفعية. تعلم مدة قصيرة بمصانع كروب بألمانيا الشؤون الحربية سنة 1307 / 1890 وتقلب في وظائف عديدة منها أنه كان حاضراً أثناء استخلاص طرفاية من الاحتلال الإنجليزي سنة 1313 / 1895.

توفي بمدينة سلا سنة 1320 / 1919.

م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، الطبعة الثانية، ص. 226 ؛ *الاستيطان والحماية*، ج. 4، ص. 1350 ؛ عبد الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 1، ص. 380.

مصطفى بوشعراء

**زنيبر، محمد** بن أبي **بكر**. ولد بسلا سنة 1341/ 1923. وتلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة أبناء الأعيان بسلا، وتعليمه الثانوي بليسي كورو بالرباط (ثانوية الحسن الثاني حاليا)، حيث حصل على شهادة الباكالوريا سنة 1946، ثم سافر في بعثة طلابية من 12 طالبا إلى باريس للدراسة بجامعة السربون، بمنحة كريمة من جلالة الملك محمد الخامس. وحصل في دراسته الجامعية على ثلاث إجازات، في الفلسفة والأدب والتاريخ سنة 1950. وتقدم للتبريز (Agrégation) في اللغة العربية، فنال الشهادة ضمن ثلة قليلة من المغاربة. وكان ذا ثقافة مزدوجة متينة.

عاد الأستاذ محمد زنيبر بعد تخرجه في نفس السنة إلى المغرب فانخرط في سلك التدريس بمدينة القنيطرة ثم بثانوية مولاي يوسف بالرباط. وتقلد بعد استقلال البلاد عدة مناصب إدارية، في ديوان جلالة الملك محمد الخامس، ثم بوزارة الخارجية التي كان يرأس بها قسم أفريقيا، وقد اضطرته بعض مواقفه إلى ترك هذا المنصب سنة 1961، وتفرغ للتدريس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط التي ظل من أعمدتها إلى أن وافاه أجله.

كانت رغبته عندما التحق بالجامعة تدريس الفلسفة لكن ظروفا حالت بينه وبين ذلك، فاختار تدريس التاريخ. وقد حضر في منتصف الستينيات دبلوم الدراسات العليا في موضوع : "تحقيق جزء من الذخيرة لابن بسام الشنتريني".

كانت الاهتمامات العلمية لمحمد زنيبر متنوعة، وقد انعكست على كتابته وتآليفه، فقد بدأ بالكتابات السياسية في أواخر الأربعينيات ثم انتقل إلى الكتابة في مواضيع تحليلة وفلسفية، وظهر عليه اهتمام بالأدب والمتابعة للقضايا الفكرية والقومية. ثم انشغل بالكتابة التاريخية، وترك تراثا غنيا يتجاوز 300 عنوان. كما أسهم في تأليف عدد من المقررات الدراسية لمادة التاريخ في السبعينيات بعد أن كانت الكتب المقررة إما فرنسية وإما مشرقية. وكانت له إسهامات أدبية في القصة والرواية والمسرح، فازت منها بجائزة المغرب للكتاب رواية "الهواء الجديد" سنة 1972، ومسرحية عروس أغمات سنة 1991.

شارك محمد زنيبر في تأسيس عدد من الجمعيات الوطنية مثل اتحاد كتاب المغرب، والجمعية المغربية للبحث التاريخي، والجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،

وظل إلى آخر حياته عضوا في لجنتيها العلميتين اللتين تسهران على إصدار مجلة *الكتاب المغربي* و*معلمة المغرب*.

أما في الجانب التربوي فقد ساهم مع زملائه بشعبة التاريخ في تعريب الدراسة بها، واختاره زملاؤه بالشعبة رئيسا لها مرات عديدة، وشارك في تأسيس سلك تكوين المكونين، وكان مديرا للتكوين به، وأشرف على مجموعة هامة من الرسائل الجامعية في التاريخ.

تفتح الأستاذ محمد زنيبر على العمل الوطني في بيت أسرته، حيث كان والده من الوطنيين الذين كانت لهم مواقف سياسية معارضة للسياسة الاستعمارية. وقد شب وهو يواكب المواقف الوطنية المشهودة مما جعله ينخرط تلقيائيا في النضال الوطني في سن مبكرة، مما أدى به إلى الاعتقال يوم 30 يناير 1944 رفقة والده وأخيه الطاهر زنيبر على إثر المظاهرات التي تفجرت بمدينة سلا وسقط فيها عدد من الشهداء على إثر تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال. وسيق رفقة مجموعة من الوطنيين إلى معسكر كارنيي في الرباط (معسكر مولاي إسماعيل فيما بعد) حيث خضعوا للتعذيب والإهانة، ثم نقلوا إلى سجن لعلو، الذي انكب فيه المرحوم محمد زنيبر على تعليم المعتقلين وتثقيفهم. وأثناء إقامته بباريس أصبح مراسلا لجريدة العلم. وفي نهاية الخمسينيات انضم إلى حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، ثم صار بعد ذلك عضوا في حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وتحمل المسؤولية في جماعة حضرية بمدينة سلا في انتخابات 1983.

وكان لمحمد زنيبر حضور دائم في الساحة الوطنية بمواكبته لمختلف الأحداث الثقافية والسياسية بتحليلاته ومواقفه الوطنية المتميزة.

وكان إلى جانب ذلك مؤرخاً أديباً، متذوقا للفن والموسيقى، باحثا فيها، مرح الروح، ملما بالتراث الشعبي المغربي وأمثاله وحكاياته، مع نبل الأخلاق وحسن المعاملة.

توفي محمد زنيبر بمدينة قصر النبيرة الجبلية بنواحي مالقة بإسبانيا، وهو يشارك في مهرجان للأمداح والموسيقى الأندلسية، بمناسبة عيد المولد النبوي بدعوة من الجمعية الإسلامية الأندلسية، ليلة السبت 5 جمادى الثانية عام 1414/20 نونبر 1993، في الساعة 9 ليلا. ونقل إلى المغرب فدفن بمسقط رأسه سلا.


أ. التوفيق، *العضو الغائب*، جريدة *العلم*، بتاريخ 24 ـ 11 ـ 1993 ؛ ن. المريني، *الفقيد محمد زنيبر من رواد الجامعة المغربية*، جريدة *العلم*، بتاريخ3 ـ12 ـ1993 ؛ ق. الزهيري، *الثلاثة الذين قضوا نحبهم*، جريدة *العلم*، بتاريخ 3 ـ 12ـ1993 ؛ ع. الرحيم، غ، *محمد زنيبر المناضل الوطني والديمقراطي، المثقف والأستاذ والإنسان*، (19231993)، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، بتاريخ 14 ـ 12 ـ 1993؛ ع. اللطيف الجعفري، *محمد زنيبر الإنسان الذي أبدع من المهد إلى اللحد*، جريدة *أنوال*، بتارخي 28 ـ 11 ـ 1993 ؛ بوشعيب البغدادي، *آخر لحظات في حياة الأستاذ محمد زنيبر*، *الملحق الثقافي لجريدة الميثاق الوطني*، بتارخ 5 ـ 12 ـ1993 ؛ م. حجاج الطويل، *الشمس على أطراف النخيل*، مجلة *أمل*، العدد 4، السنة 2 :1993، ص. 5 ـ8.


محمد المغراوي

**زنيبر، محمد** بن **حجي** عالم أديب، ولي قضاء سلا مرتين عامي 1162 / 48 ـ 49 ـ 17 و1194 / 1780. تتلمذ على يد علي العكاري (الشيخ)، وأحمد بن عاشر الحافي السلاوي ومحمد ملاح وغيرهم. ألف شرحا على همزية البوصيري نال به شهرة كبيرة نظراً لجودته وما جمع فيه من الفوائد وهو المعروف باسم نيل البشري، والسعادة الكبرى أو "الفوائد الزكية، والدرر البهية، والعوائد السنية على ألفاظ الهمزية". وقد فرغ من تأليفه عشية الاثنين 24 جمادى الأولى عام 1165. قرض هذا الشرح شيخ المترجم أحمد بن عبد الله الغربي نثراً ونظماً، كما قرضه علماء آخرون أمثال عبد القادر بن العربي بوخريص الفلالي الكاملي، ومحمد ملاح ـ آنف الذكر. كتب محمد بن حجي زنيبر قصائد في مدح إدريس الأكبر، وإدريس الأصغر وشيخه أبي العباس الغربي. كان المترجم من الفارين إلى الرباط خوفا من بطش عبد الحق فنيش الشهير، عامل سلا والقائم بها خلال هذه الفترة أي عام 1159 / 1746، وهي السنة التي جرت فيها مراسلات بين المترجم وشيخه أحمد ابن عاشر الحافي يتشوف فيها لإخوانه الطلبة والعلماء من أهل سلا، كما تبرز المكانة المتميزة التي كان يحظى بها محمد بن حجي زنيبر سواءاً عند شيخه المذكور أو في المجتمع السلاوي.

توفي المترجم عام 1194 / 1780.

محمد السعديين

**زنيبر، محمد** بن **الطاهر**، كان سنة1260 / 1844 أحد عدول سلا، ثم في سنة 1267 عين أميناً بمرسى العدوتين، وتوفي بعد السنة الأخيرة.


م. بوشعراء، ذيل، *الإتحاف الوجيز*، الطبعة الثانية، ص. 225 ؛ *الوثائق الملكية* ؛ *وثائق بنسعيد*.


**زنيبر، محمد** بن **عبد الهادي** الهاشمي أحد أعيان سلا، كان أول أمره ناظراً لأحباس المدينة المذكورة ثم أسندت إليه الولاية عليها سنة 1265 أو قبلها.

وفي وقته قصف الأسطول الفرنسي المدينة سنة1268 / 1851 بسبب نهب السكان لعدد من أكياس القمح كانت أنزلت بالشاطئ، فقامت قائمة الحكومة الفرنسية طالبت بتعويض عن تلك الخسارة، فلما استمهلت ولم يفعل المخزن شيئاً قدم أسطول مؤلف من خمس قطع بحرية تحت إمرة الأميرال دوبورديوه Dubourdieu وأخذ في قنبلة سلا التي

وقعت بها أضرار جسيمة ومات عدد من السكان، كما فقد الهاجمون أرواحاً وحطمت بعض المراكب المعتدية. وبعد أن توترت العلائق المغربية مع فرنسا، بذلت جهود للتصالح.

وتوفي محمد بن عبد الهادي بالكوليرا سنة 1271 / 1855.

م. بوشعراء، ذيل، *الإتحاف الوجيز*، الطبعة الثانية، ص. 226 ؛ ما بعدها ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 9، ص.70 ؛ *الوثائق الملكية*؛ *وثائق بنسعيد* ؛ *وثائق الخزانة الصبيحية*.

**زنيبر، مَحمد** بن **قاسم** (الحاج -) بن الحاج أحمد أحد علماء سلا وفقيه ورع، ولي قضاء المدينة من سنة 1122 إلى سنة 1126، وهو المعروف بالمحبّس وخلف أملاكاً معقبة على ذريته التي كانت تتعاطى العلم أو تتصف بالصلاح والدين.

وكانت وفاته سنة 1134 ودفن بحومة البليدة.

م. بوشعراء، ذيل، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، ص. 223 ؛ وكذلك الذيل الثالث منه حيث رسوم الأوقاف المعقبة، ص. 272 وما بعدها ؛ جعفر الناصري، *تقييد القضاة*، مخطوط ؛ م. ابن علي الدكالي، *إتحاف أشرف الملا*، ص.75 ؛ جعفر الناصري، *سلا ورباط الفتح*، ج. 1، ص. 131 (مرقون ومخطوط بالخزانة الصبيحية).

**زنيبر، محمد** بن **محمد**، من شعبة اللطام، كان من عدول المدينة السلاوية وشعرائها سنة 1253، ذا خط رائق نسخ به بعض التآليف. له ديوان شعر بالخزانة العامة بالرباط رقم 1019ج.

م. بوشعراء، ذيل، *الإتحاف الوجيز*، الطبعة الثانية، ص. 223 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج. 2، ص.87 ؛ م. حجي، *فهرس الخزانة الصبيحية*، الجزء الأول، ص. 333 ؛ *رسوم الخزانة الصبيحية*.

مصطفى بوشعراء

**زنيبر، محمد** بن **محمد** بن **حجي** عالم، تولى القضاء والخطبة بالجامع الكبير بسلا بعد وفاة أبيه سابق الترجمة عام 1194 / 1780، وظل قاضيا إلى أن توفي عام 1205 / 1790.

م. حجي زنيبر، *نيل البشري، والسعادة الكبرى بشرح همزية البوصيري*، مخطوط خ. ص. رقم29 ؛ علي العكاري الحفيد، *البدور الضاوية*، مخطوط خ. ع، 88 د، ص. 28 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح م. بوشعراء، ط 1، ص. 118 - 119 والملحق، ص. 162.

محمد السعديين

**زنيبر، مُحمد** بن **محمد** بن **عبد الهادي** نجل عامل سلا، ولي منذ 1303 الأمانة بالجديدة وأسفي والعرائش، وكان أميناً بماكينة السلاح بمراكش سنة 1313. وصار محتسباً لمراكش سنة 1319. كانت وفاته سنة 1340. وسبق له أن كان عضواً بالوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 بوصفه أميناً.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج2، ص. 681 و719 وج. 3، ص.1031 ؛ *التعريف ببني سعيد*، ج. 2، ص. 129 - 173 - 176 - 223 ؛ وكوستي وعشاش، *بيوتات مدينة سلا*، ص. 81 ؛ *وثائق بنسعيد*.

**زنيبر، مَحمد** بن **محمد العربي** بن عمر بن محمد بن محمد (مرتين) بن عبد الرحمان من فرع اللطام، كان من عدول سلا ثم ولي القضاء بها بين سنة 1254 وسنة 1259 حتى خلفه بنحسون عواد. وكان له خط جميل نسخ به بعض الكتب في مطلع شبابه.

توفي قبل سنة 1294 بكثير.

م. بوشعراء، ذيل، *الإتحاف الوجيز*، الطبعة الثانية، ص. 224 ؛ م. حجي، *فهرس الخزانة الصبيحية*، الجزء الأول، ص. 333 ؛ *تقييد جعفر الناصري حول القضاة* ؛ عبد الرحمان بن زيدان، *الإتحاف*، ج. 5، ص.42 ؛ *رسوم الخزانة الصبيحية*.

**زنيبر، مَحمد** بن **محمد** المدعوّ الفريّح، وهو من ذرية محمد بن حجي شارح الهمزية ولي خطة الحسبة بسلا من سنة 1326 إلى سنة 1329، وتوفي بعدها بقليل.

م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، الطبعة الثانية، ص. 226 ؛ *رسوم الخزانة الصبيحية*.

**زنيبر، محمد** المدعو "مخبّل العقول" أديب وشاعر، انخرط في شبابه بحزب الشورى والاستقلال فرع سلا. عيّن كاتباً بديوان الصدر الأعظم الحاج محمد المقري. وبعد الاستقلال انتظم في سلك القضاء، ثم أصبح عضوا بمجلس القضاء العسكري بالرباط. توفي وهو بهذه الصفة في متم رمضان عام 1420 / 6 يناير عام 2000.

*معرفة شخصية*.

**زهانة**، بطن من فرقة أولاد يحيى، قبيلة بني حسن، دائرة سيدي سليمان، إقليم القنيطرة. كان في صدر القرن العشرين يشتمل على عدة أفخاذ هي : أولاد حامد وأولاد ميلود وأولاد عبو وأولاد الشايب والغلالطة والجوابر وأولاد البيتة، وجميعهم يبلغ 199 خيمة. أما موطنهم فهو الجنوب الشرقي لمدينة سيدي سليمان، وقد انتشروا في مناطق بعيدة ومدن قريبة مثل سلا والقنيطرة ومكناس.

ويجب التمييز هنا بين زهانة الحسناويين وبين بني زهنة المنتمين إلى قبيلة غزران المستوطنة بقيادة رباط الخير (أهرمومو سابقاً) وبالعشائر المجاورة لها من دائرة المنزل

إقليم صفرو ودائرة تاهلة إقليم تازة.

ولي بعض أعيان الزهانيين مناصب إدارية ومحلية كالعمال الذين سأذكر فيما يأتي البعض مما وقفت عليه من أخبارهم.

م. شعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، صفحات مختلفة ولا سيما، ص. 19 ـ 203 ـ 204 ؛ التنظيم الجماعي والإداري لسنة 1992 ؛ *وثائق بنسعيد* ؛ *الوثائق الملكية*.

*Villes et tribus du Maroc*, Rabat, tome I et tome III, *Beni Hsen.*

**الـزهاني، إبراهيم** بن الحسن بوگرين، من أشهر ولاة بني حسن، ولي على أولاد يحيى كافة أوائل عهد الحماية كان أول أمره حافظاً للقرآن حسن السيرة إلا أن مزاولة السلطة دعته إلى مسايرة رجال الحماية والاندساس مع جماعة المتآمرين على العرش، فأقام خيمة كبيرة بالقصيبية دعا إليها المتعاونين واعتنى بهم في حفل كبير. ولذلك صودرت بعض أملاكه.

كان قائدا على صف المعابد والمحامد من أولاد يحيى الذين بلغ عدد خيامهم في أول القرن الماضي 2800 وحدة. وصف المعابد واقع في الجنوب في المنطقة المتاخمة لكل من زمور وگروان والشراردة. وهو يشتمل على البطون التالية : النعاعسة (426 خيمة) وأولاد بوجنون (270) وأولاد بوثابت (120) وأولاد ملوك (198).

أما صف المحامد القاطن بالشمال من المنطقة المذكورة فيحتوي على البطون الآتية أولاد احميد (627) والخناشفة (449) والطيسان (175) وزهانة (حوالي 200) وأولاد ابن حمادي (92) وأولاد موسى حسين (173) وأولاد يسف (86).

لكن إذا أردنا تحيين إيالة إبراهيم قلنا على سبيل المثال تحتوي الآن في دائرة سيدي سليمان على قيادتين قيادة بومعيز وتحتها الجماعتان القرويتان لبومعيز وأولاد ابن حمادي وقيادة دار ابن العامري وتحت وصايتها الجماعتان القرويتان لدار ابن العامري وأزغار.

وهكذا كان الزهاني ذا قيادة فسيحة ولو أنه من بطن قليل العدد.

ومات سنة 1376/ 1957 عن نحو 80 سنة من العمر.

**الـزهاني، إدريس** بن المكناسي، من أول ولاة زهانة في العهد الحسني، عين بعد وفاة القائد إدريس النعّاسي اليحياوي سنة1301 / 1884. كان رجلا مستقيما وصفته رسالة لأمينين من أولاد يحيى سنة 1309 / 1891 بأنه كان قبل ولايته مشهوراً بالمروءة والخيارة والديانة. وحيث تولى ازداد على عمله المذكور واشتغل بحكم الحق ومراقبته الله تعالى في ذلك ويجانب إذاية المسلمين و [يتولى] الرفق بهم إلى الآن، وأن له ولداً طالباً ذا علم وفهم ومروءة وخيارة وديانة اسمه الطالب محمد".

استمر إدريس في منصبه إلى وفاته سنة 1313 / 1896 ولما أحصي متروكه لم يوجد فيه سوى 567 ريالاً.

**الـزهاني، الجيلالي** بن علال بوگرين استعمل سنة 1327 / 1909 على زهانة وأولاد بوثابت والغلالطة وأولاد بورنجة، لكنه عزل وسجن في السنة الموالية ولم يفرج عنه إلا بوساطة ابن عمه القائد إبراهيم الزهاني المذكور سالفاً.

**الـزهاني، محمد** بن إدريس خلف أباه سنة1313 / 1896 واستمر كذلك إلى ما بعد سنة 1324 / 1906 . وتقدمت بعض أوصافه في ترجمة والده.

**الـزهاني، الميلودي** بن بوگرين كان أول أمره أميناً بالقبيلة من جملة سلك الأمناء القروين الذي أحدثه السلطان مولاي الحسن سنة 1301 / 1884، وبعد أن أسندت إليه شؤون زهانة عدة أشهر عزل وأرجع إلى سالف منصبه.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، *قبيلة بني أحسن*،1860 ـ 1912، ص19 ـ 135 ـ 138 ـ 139 ـ 203 ـ 204 ؛ *وثائق بني سعيد* ؛ *الوثائق الملكية* ؛ *وثائق الخزانة الصبيحية بسلا*.

*Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région*, tome 1, *Banlieue de Salé et Mehdia* et tome III ; *Tribu des Béni Hsen.*

مصطفى بوشعراء

**زهجوكة**، قرية جبلية بقبيلة أهل سريف تقع على بعد حوالي 20 كلم شرق مدينة القصر الكبير، وهي حسب ابن خلدون من قبيلة أوربة. لكن البكري يذكر أنها لقبيلة رهونة. وكانت تقع وسط مجموعة من المداشر الجبلية التي عمرها الأدارسة بعد إجلائهم من فاس على يد موسى بن أبي العافية، كرهونة وأفتس والدمنة. وبها استقر كبير الأدارسة الأمير إبراهيم بن محمد بن القاسم المعروف بالرهوني أخي الحسن الحجام آخر أمير إدريسي بفاس. وتحولت بفضله إلى مدينة صارت منطلقا لعملياته قصد السيطرة على مدن الشمال، ومنها انطلق هذا الأمير وبنوه للسيطرة على سبتة وطنجة في حركة توجت ببناء مدينة حجر النسر سنة 317 / 929 التي أصبحت القاعدة الجديدة للإمارة الإدريسية بحكم موقعها المتقدم نحو الشمال، فعوضت زهجوكة.

أما اليوم فتعرف بزهجوكة الجبل أو زهجوكة الغياطين تمييزاً لها عن قرية أخرى تحمل نفس الاسم وهي زهجوكة العرب. تتميز زهجوكة بتقاليدها في الموسيقى الجبلية وهي معروفة بذلك عالميا. ذكر ميشو بلير أن سكانها في أواخر

القرن الثالث عشر (19 م) وبداية القرن الذي يليه كانوا حوالي 850 نسمة كلهم من البواخر الذين كان أغلبهم طبالة وغياطة، وكان بها 150 منزلا. ومن المعروف أن فرقا متعددة من جيش البواخر قد استوطنت نواحي القصر الكبير منذ عهد السلطان مولاي إسماعيل في ظروف مختلفة. ولا يبعد أن يكون مستوطنو زهجوكة قد كانوا في الأصل من فرق العازفين في هذا الجيش. وقد صار عازفو زهجوكة خلال القرن التاسع عشر يكونون فرقتين موسيقيتين رسميتين كانتا تتناوبان العزف بدار المخزن بفاس شهرا لكل واحدة منهما. وكان لهؤلاء العازفين بزهجوكة دار عرفت بدار المعلمين كانت بمثابة مدرسة لتعليم الموسيقى الجبلية المعروفة. وقد توارث الأسر الزهجوكية هذه الموسيقى، الشيء الذي ضمن استمرارها عبر الأجيال، وتؤكد علاقة غياطي زهجوكة بالمخزن في القرن التاسع عشر مجموعة من الظواهر السلطانية التي لا تزال بأيدي عدد من أبناء أسر زهجوكة.

أما زهجوكة العرب فهي دوار صغير على ربوة مطلة على الضفة الجنوبية لنهر لكوس، ينتمي إلى قبائل الطليق، ويقع إلى الجنوب الشرقي للقصر الكبير على بعد حوالي 10 كلم، في حدود قبيلتي الطليق وأهل سريف. وقد ذكر ميشو بلير أن هذا الدوار كان في بداية القرن العشرين عزيبا للشريف مولاي العربي الوزاني، وكان له مقدم يشرف على شؤونه. واحتفظ بوصف لتوزيع السكن وطريقة البناء بهذا الدوار، ولاحظ أنهما يختلفان عن باقي مداشر جبالة والخلوط، فالبيوت ملتصقة ببعضها بطريقة دائرية، وتظهر من الخلف كأنها جدار واحد يحيط بالقرية، وفي الوسط ساحة تستخدم لإيواء ماشية السكان، ولا تشبه طريقة السكن في مجال الطليق والخلط. ولا شك أن الظروف الأمنية هي التي تحكمت في هذا الشكل إضافة إلى صغر مساحة الربوة التي يقع عليها المدشر، وتأثره بشكل المداشر الجبلية. وقد أثبت بلير أن عدد منازل المدشر لم يزد على 15 منزلا، تضم 100 من السكان. وكان أسفل زهجوكة المكان التي تضرب به الشبكة الكبيرة لصيد الشابل الذي كان يشكل تجارة مهمة في الماضي، لأن عمق النهر هناك أقل من عمقه في المنطقة السهلية. ولا تزال زهجوكة العرب اليوم دوارا صغيرا على مقربة من سد وادي المخازن، ويعتمد سكانه على الفلاحة المعاشية أساسا.


أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، باريس، 1911، ص. 114 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تونس، تح. كولان وليفي بروفنصال، ط 3، 1983، ج. 1، ص. 210 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1981، ج. 6، ص. 192.

Michaux-Bellaire, G. Salmon, *Les tribus arabes de la vallée de Lekkous, A.M.*, T. 4, 1905, p. 1 - 151, (p. 86) ; *Quelques tribus arabes de montagnes de la région du Habt, A.M.*, V. 17, 1911.


محمد المغراوي

**الزهر**، يطلق على نورات الزنج (انظر رنج) أي البرتقال المرّ أو النرنج وعلى ماء الزهر المستخلص من تقطير النورات. ومازال الأندلسيون والايبيريون بصفة عامة يحتفظون بهذا اللفظ ومفهوميه.

تتم عملية تقطير أزهار الرنج صناعيا في بعض المعامل لإنتاج القدر الأكبر من الكمية المستهلكة على الصعيد الوطني، أو بالكيفية التقليدية للاستهلاك الذاتي من نساء عائلات المدن القديمة كفاس ومكناس ومراكش والرباط وسلا وتطوان ووجدة. كما كان الشأن بالمدن الأندلسية إبان وجود المسلمين بها.

تستعمل أزهار الرنج طازجة أو مجففة في تحضير الشاي أو القهوة أو مشروبات أخرى.

كما يدخل ماء الزهر في تحضير عدة مأكولات وحلويات ومواد أخرى للعطور والتجميل بالإضافة إلى استعماله في التطبيب التقليدي لأغراض شتى كتهدئة الصبيان لمساعدتهم على النوم.


*أبحاث شخصية.*

J. Bellakhdar, *La parmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 764 p.


عبد المالك بنعبيد

**ابن زهر، أبو بكر محمد** بن عبد الملك بن أبي العلاء زهر، يعرف بالحفيد، ولد بإشبيلية سنة 507 / 1113 ونشأ وتعلم بها، ودرس الطب على والده وزاول المهنة تحت رعايته وبإشرافه. حفظ القرآن الكريم وسمع الحديث ودرس علوم العربية ولم يكن في زمانه أعلم منه بمعرفة اللغة. أتقن صناعة الطب - علماً وعملاً - وبرّز في الأدب وقرض الشعر وأجاد فنّ التوشيح ؛ وبعبارة أخرى لم يكن متخصصاً في الطب مثل والده، بل كان "مشاركاً" متعدد المواهب.

خدم - مع والده - الدولتين المرابطية (أو اللمتونية) والموحدية ؛ ولما توفي والده في عهد الخليفة عبد المومن بن علي حلّ محله طبيباً للقصر الخليفي ؛ وخدم بعد ذلك الخليفة أبا يعقوب يوسف بن عبد المومن، ثم ابنه أبا يوسف يعقوب الملقب بالمنصور، كما خدم الخليفة محمد الناصر.

ألف الطبيب الوزير أبو بكر الحفيد لولي نعمته الخليفة يعقوب المنصور كتابه "الترياق الخمسيني". ومن المعلوم أن عمل الترياق كان الخلفاء لا يسمحون به، ولا يعهدون بإنجازه إلا لأرفع الأطباء مقاماً وأكثرهم كفاءة وأمتنهم دينا وأجدرهم بالثقة وهذه صفات تخلقية كلها تتوافر في هذا الطبيب اللبيب.

يقول عنه ابن دحية : "كان شيخنا الوزير أبو بكر ابن زهر بمكان من اللغة مكين ومورد من الطب عذب معين. وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهوثلث لغة العرب، مع

الإشراف على جميع أقوال أهل الطب والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب مع سمو النسب وكثرة الأموال والنشب. صحبتُه زمانا طويلاً واستفدتُ منه أدباً جليلاً".

وقال في موضع آخر : "والذي انفرد به شيخنا وانقاد لطباعه وصارت النبهاء فيه من خوله وأتباعه : الموشحات، وهي زبدة الشعر ونخبته، وخلاصة جوهره وصفوته، وهي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل الشرق، وظهروا فيها كالشمس الطالعة، والضياء المشرق".

تشوق ـ وهو بمراكش ـ إلى طفل له خلّفه وراءه في إشبيلية فقال قطعة شعرية مطلعها :

ولي واحد مثل فَرْخُ القطـا ... ة صغيرٌ تخلّفتُ قلبي لديـه

سمع الخليفة المنصور هذه الأبيات فقام بعمل يدلّ على تقديره للعلم وعلى المنزلة السامية التي كانت يحتلها الشاعر الوزير ابن زهر : أرسل المهندسين إلى إشبيلية وأمرهم بدراسة دار ابن زهر وما يحيط بها، وأن يبنوا مثل ذلك في مراكش، ففعلوا ذلك في أقرب وقت وأثثوها بمثل أثاثه وجعلوا فيها مثل آلاته، ثم أمر المنصور بنقل أسرة ابن زهر وحشمه إلى الدار الجديدة، وجيء بالوزير لزيارة الموقع فتعجب من الشبه واحتار وظن نفسه يحلم ! ثم قيل له : ادخل المنزل الذي يشبه منزلك، فدخله فإذا ولده الذي تشوق إليه يلعب داخله، فحصل له من الفرح والسرور ما لا مزيد عليه !!

ولئلا نطيل بذكر أشعار ابن زهر وموشحاته الجميلة نحيل القارئ الكريم إلى الكتب الأدب الأندلسي وتاريخه، ففيها ما يشبع النهم ويشفي الغليل ؛ وإنما يكفينا هنا أن نرسم هنا هذه اللوحة الشعرية الجميلة التي قال في مطلعها :

إني نظرت إلى المرآة إذ جُليَـتْ ... فأنكرتْ مقلتـاي كـلّ مـا رأتـا

رأيتُ فيها شويْخاً لست أعرفـه ... وكنت أعرف فيها ـ قبل ذاك ـ فتى

ورغم هذه الصورة اللطيفة التي رسمها لنا الشاعر الوزير الحفيد أبو بكر عن شخوخته، فإن مترجميه يذكرون أنه "كان معتدل القامة، صحيح البنية، قوي الأعضاء" ؛ وأنه في سنّ شيخوخته ظل "محتفظاً بنضارة لونه وقوة حركاته ؛ لم يتبين فيها تغير، وإنما عرض له في أواخر عمره ثقل في السمع".

توفي بمراكش إثر أكل بيض سمه فيه الوزير الموحدي الداهية أبو زيد عبد الرحمن ابن يُرَجَان حسداً منه لهذا الوزير الطبيب الأديب الأريب ! وكانت وفاته سنة595 / 1199.

أبو الخطاب ابن دحية، *المطرب من أشعار أهل المغرب* ؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، جزء ثالث ؛ المقري، *نفح الطيب*، جزء ثالث، طبعة محيي الدين عبد الحميد ؛ فيديل فرنانديث، *الطب العربي بالأندلس*.

ابن **زُهْر، زهر** بن **عبد الملك** بن محمد بن عبد الملك أبو العلاء ... الإيادي، ولد في إشبيلية التي رحل إليها والده من (دانية) بعد وفاة أميرها مجاهد العامري سنة436 / 1044. تتلمذ على والده أولا، ثم على غيره من العلماء والأدباء وخاصة أولئك الذين قدموا إلى الأندلس من المشرق كأبي العيناء المصري. وممن درَس على أبي العلاء زهر، الطبيب الشاعر أبو عامر بن ينق الشاطبي.

اشتهر أبو العلاء بعلمه وأدبه، كما امتاز بالحذق في الطب والاطلاع على دقائق الصنعة وبكثرة التجارب وتنوع الخبرات ؛ ومع ذلك يبدو أنه كان متخصصاً في دراسة الضغط الدموي والبول، إذ يحكى عنه أنه كان يعرف أدواء بمجرد النظر إليهم، فكان لا يستخبرهم عن آلامهم، وإنما يشخص أمراضهم، ويعرف دواءهم عندما ينظر إلى قواريهم (آنية بولهم) أو عندما يجس نبضهم.

اشتغل بالطب منذ الصغر وذلك أيام المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل ابن عباد ملك إشبيلية، فقد خدمه وخدم الدولة المرابطية من بعد سقوط ملوك الطوائف، ونال الحظوة لدى الحكام الجدد، وبخاصة أمير المسلمين يوسف بن تاشيفين، فقد عالجه بعاصمة المرابطين الأولى (أغمات) كما عالج ولده من بعده أمير المسلمين علي بن يوسف، الأمر الذي أكسب أبا العلاء شهرة فائقة وأحله منزلة رفيعة وأكسبه ثقة بنفسه جعلته "يذمّ كتاب (القانون) لابن سينا، ويطّرحه، ولايدخله خزانة كتبه وجعل يقطع من طرره ما يكتب به نسخ الأدوية لمن يستقبله من المرضى !!"

ويحدثنا ابن اليسع في كتابه *المعرب عن مجالس أهل المغرب* عن نبوغ أبي العلاء زهر وخلقه فيقول : "كان مع صغر سنه تصرخ النجابة بذكره ويخطب المعارف بشكره. ولم يزل يطالع كتب الأوائل متفهما، ويلقى الشيوخ مستعلما، والسعد ينهج له مناهج التسيير، والقدر لا يرضى له من الوجاهة باليسر حتى برز في الطب إلى غاية عجز الطب عن مرامها وضعف الفهم عن إبرامها، وخرجت عن قانون الصناعة إلى ضروب من الشناعة، يخبر فيصيب ويضرب في كل ما ينتحله من التعاليم بأوفى نصيب ... لولا بذاءة لسان وعجلة إنسان، وأي الرجال تكمل خصاله وتتناسب أوصاله".

كان أبو العلاء زهر أديباً شاعراً، فذات مرة، مرض أبو العلاء فقال قاضي قضاة إشبيلية ابن منظور القيسي مستهزئاً متعجباً : أيمرض ابن زهر ؟ ! فأجابه قائلاً :

قالوا : ابن منظور تعجب دائبـاً ... أني مرضتُ فقلت : يعثر من مشى

قد كان (جالينوس) يَمْرَضُ دَهْرَهُ ... فمن الفقيه المرتضى أكل الرشـا

ومن شعره الرقيق في الغزل قوله الذي يشفّ عما وراءه من فلسفة ورمز :

يا راشقي بسهام ما لها غَـرَضُ ... إلا الفوائدَ ومـا منـه لهـا عِـوَضُ

وممرضي بجفون حشوها سقـم ... صحت ومن طبعها التمريض والمـرض

امنُنْ ولو بخيال منك يَطْرُقني ... فقـد يسدُّ مَسَدَّ الجوهـرِ العـرَضُ !

أما (هند) التي طالما عشقها الوالهون وأملوا وصالها فيقول عنها أبو العلاء زهر :

سمعت بوصف الناس هنداً فلم أزل أخا صبوة حتى نظرت إلى هـند
فلما أراني اللـه هنـداً، وزيّهـا تمنيت أن أزداد بُعْداً على بعد !

إن أعمال هذا الطبيب النطاسي وممارسته الفعالة لمهنته، لم تفسح له المجال لقرض الشعر فحسب بل أتاحت له في الوقت ذاته الفرصة لتأليف كتب عديدة في الطب منها :

- النكت الطبية : ألفه لابنه أبي مروان عبد الملك
- الأدوية المفردة.
- كتاب أمراض الكلي : ترجم إلى اللاتينية وطبع سنة 1497
- كتاب الخواص : وهو من مراجع العالم النباتي الشهير : ابن البيطار
- كتاب حل شكوك الرازي على كتب جالينوس
- مقالة في الرد على ابن سينا في مواضع من كتابه "الأدوية المفردة" : وقد ألفه كذلك لابنه أبي مروان عبد الملك.
- مقالة في بسطه لرسالة يعقوب بن إسحاق الكندي في تركيب الأدوية.
- كتاب الإيضاح بشواهد الافتضاح : ويرد فيه على ابن رضوان الذي انتقد كتاب حنين بن إسحاق المعروف باسم "المسائل" أو "المدخل إلى صناعة الطب".
- كتاب "المجربات" : وهو عبارة عن الملاحظات الطبية التي كان أبو العلاء زهر وضعها بمراكش، ولم يتمكن من جمعها، وأمر بجمعها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين من بلاد المغرب والأندلس، فتم جمعها ـ بعد موت مؤلفها بسنة ـ في جمادى الآخرة سنة526 / أبريل ـ مايو 1132. وتوجد بمكتبة الاسكوريال نسخة من هذا الكتاب تحمل عدد 839 (قديم)، وعدد 844 (حديث).

وبعد عمر طويل حافل، توفي أبو العلاء زهر ابن زهر بقرطبة ممتحناً من نغلة (خُرَاج) بين كتفيه. وكان ذلك سنة 525 (1131) ودفن بإشبيلية خارج باب الفتح إلى جانب ضريح والده رحمهما الله.

*عيون الأنباء*، ج. 3، *نفح الطيب*، ج. 3 ؛ فيديل فرناديث، *الطب العربي بإسبانيا*.

ابن **زهر، عبد الله** بن أبي بكر الحفيد يكنى أبا محمد، ولد بمدينة إشبيلية سنة577 / 1181 ، ولم يعش إلا ربع قرن من الزمان، فكان عمره أشبه ما يكون بأعمار الزهور.

درس العلوم المختلفة بإشبيلية وتتلمذ على جهابذة العلماء بها، وتخصص في الطب على والده، واشتغل معه فحذق المهنة ووقف على كثير من أسرارها وطالع الكثير من كتب الطب والنبات وأتقن معرفته، مما جعله يكثر الاعتناء بصناعة الطب، ويجيد النظر فيها ويعمل على تحقيق معانيها ووضعها تحت محك التجربة والاختبار، يعينه على ذلك فكر ثاقب ورأي صائب وذكاء مفرط. يذكر بعض مترجميه أنه كان جيّد الفطرة، حسن الرأي جميل الصورة مفرط الذكاء محمود الطريقة محباً للبس الفاخر من الثياب.

ألحقه الخليفة المنصور ـ مع والده ـ بخدمته فكان طبيب القصر ؛ ولما تولى الخليفة أبو عبد الله محمد الناصر الملك، أحله نفس المنزلة التي كانت لأبيه، فكان يحترمه وأسرته ويقدر علمه حق قدره... قال له ذات يوم : "إني يا أمير المومنين ـ بحمد الله ـ بكل خير من إنعامكم وإحسانكم عليّ وعلى آبائي، وقد وصل إليّ مما كان بيد أبي من إحسانكم ما يغنيني مدة حياتي وأكثر، وإنما أتيت لأكون في الخدمة كما كان أبي وأن أجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه بين يدي أمير المومنين".. فأكرمه الناصر إكراماً كثيراً وأطلق إليه من الأموال والنعم ما يفوق الوصف.

وهكذا كان الخليفة يجلس إلى جانبه الخطيب القاضي أبا عبد الله بن الحسن بن حجاج، والقاضي الشريف أبا عبد الله الحسيني، وأبا محمد عبد الله ابن زهر (هذا) وأبا موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي صاحب المقدمة المشهورة في النحو المعروفة بالجزولية. ومن الجدير بالذكر أن الجزولي كان أستاذ ابن زهر في النحو إذ طالما جلس بين يديه وتعلم سنه دقائق العلوم العربية.

ربما يكون أبو عبد الله محمد بن الحفيد أبي بكر ابن زهر اشتغل بالتأليف وربما غابت عنا الآن أسماء بعض كتبه، إذ لم نعرف من مؤلفاته غير كتاب له عن "أمراض العيون" وربما لو قدر له أن عاش عمراً أطول لجاد علينا بأكثر من تأليف ! ولكن لكل أجل كتاب.

توفي مسموماً ـ مثل والده والطبيبة عمته ـ سنة602 / 1205، وحدث ذلك بالرباط وهو في طريقه إلى عاصمة الموحدين مراكش. ودفن هناك بصفة مؤقتة في انتظار نقله جثمانه إلى إشبيلية، وقد نقل فعلاً فدفن خارج باب الفتح في مقبرة آبائه وأجداده.

ولما توفي هذا الطبيب وهو في ريعان الشباب ترك ولديه أبا مروان عبد الملك وأبا العلاء محمداً، وكلاهما فاضل في نفسه كريم في جنسه، وكان للأخير منهما اعتناء بالطب، واهتمام جيد بكتب جالينوس، فكان آخر طبيب في هذه الأسرة.

ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، ج.3 ؛ فيديل فرنانديث، *الطب العربي بإسبانيا*.

ابن **زهر، عبد الملك** بن أبي العلاء زهر أبو مروان. ولد بإشبيلية في تاريخ غير معروف بالضبط، إلا أنه عاش عمراً طويلاً ربما فاق المائة سنة. وقد أخذ العلم عن علماء الأندلس مثل أبي محمد ابن عتّاب الذي أخذ عنه علوم

الحديث وأجازه ـ ووالده ـ من بغداد مؤلف المقامات الحريرية القاسم بن علي الحريري. أما الطب فأخذه عن والده وبرع فيه منذ الصغر حيث بدأ يزاول المهنة وهو ابن ست عشرة سنة. ويبدو أنه تخصص في الطب، إذ لم يكن "مشاركاً" مثل سائر أفراد أسرته ومعاصريه من الأطباء، يقول أحد مترجميه : "كان أول الطبيب محض تسجله العصور لأنه اشتغل ـ فقط ـ بالطب متخلياً بذلك عن صفة "الموسوعي" التي كان يتحلى بها حكماء عصره ولأنه رأى من الواجب عليه أن يميز لأول مرة ويؤسس الفرق ـ الذي بقي منذئذ حتى اليوم ـ بين الطبيب والجراح والصيدلي وعالم النبات ... فكان بعمله هذا أول طبيب أندلسي يؤسس ضمن الإطار الطبي الشعب العظيمة الثلاث (الطب، والجراحة، والصيدلة) التي ألمعنا إليها منذ قليل والتي مازالت منذ ذلك الوقت محافظة على استقلالها التام وتميز بعضها عن بعض".

حظي الطبيب أبو مروان ابن زهر بتقدير الدولتين المرابطية والموحدية. فقد ألف للأمير المرابطي إبراهيم ابن يوسف بن تاشفين كتابا عجيبا سماه *الاقتصاد في صلاح الأجساد* وهو مخطوط يتألف من 140 ورقة توجد منه نسخة في مكتبة باريس... ويبدو أن صفو علاقته بالمرابطين تكدر، فاعتقله أمير المسلمين علي ابن يوسف بن تاشفين بأحد سجون مراكش أواسط الثلاثينيات حيث لقيه في السجن تلميذه عبيد الله بن غـلَـنْدُو آخر صفر من سنة 535، ولكنه سرح فيما بعد ورجع إلى بلده إشبيلية.

ولم يلبث نجم الموحدين أن سطع، واستقل الخليفة عبد المومن بن علي بالملك، فأظهر العدل وقرَّب العلماء وأكرمهم، واختصّ أبا مروان لنفسه، وجعل اعتماده في الطب عليه، وأناله من الحظوة والإنعام فوق ما كان يتمنى. وقد ألف هذا الطبيب المختص للخليفة عبد المومن كتاب "الترياق السبعيني" الذي اختصره فيما بعد عشارياً ثم سباعياً ؛ كما ألف للخليفة أيضاً كتاب الأغذية. وله من الكتب الجيدة الأدوية المفردة وهو سفران.

ومن كتبه : كتاب الزينة، وكان ألفه لولده الحفيد أبي بكر (انظره) وهو يعالج أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه وذلك في أول سفرة سافرها نيابة عن أبيه، وكان ما يزال صغير السن ؛ وألف له كذلك كتاب "التذكرة" ويتعلق بعلاج الأمراض. ومن كتبه كذلك "مقالة في علل الكلى" و"رسالة في علتي البرص والبهاق".

ومن أهم كتبه *"كتاب التيسير في المداواة والتدبير"* ألفه وأهداه إلى ابنه الروحي وتلميذه أبي الوليد ابن رشد (الحفيد). وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية وفيه تتجلى بشكل واضح شخصية الطبيب أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر.

كان طبيبنا ـ كما يقول ابن أبي أصيبعة ـ حسن المعالجة، قد ذاع ذكره في الأندلس وفي غيرها من البلاد واشتغل الأطباء بمصنفاته، ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة أعمال صناعة الطب، وله حكايات كثيرة في تَـأَتّيه لمعرفة الأمراض ومداواتها، مما لم يسبقه أحد من الأطباء قبل ذلك".

ويشير العلامة الاسباني فيديل فرنانديث إلى إحدى الخصائص التي تطبع عمل هذا الطبيب الاشبيلي الشهير ويتجلى ذلك في الأهمية التي كان يوليها الخبرة أو الممارسة في مقابل النظريات التي أتى بها أسلافه وتمكنوا أو لم يتمكنوا من تجريبها أو التحقق من صدقها وثباتها. ومن ثم لم يكن يحترم أو يقدس أي عمل سابق ولإيمانه بأنه دائماً على صواب، كان يتحدث كأحد أقطاب المهنة. كان يتبع أسلوبا تجريبياً تاماً عندما يصف الأمراض التي تعتري الأنسان من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه. ولكنه كان دائماً يعتمد في ملاحظاته على الذي علمته الخبرة إياه.

كان أبو مروان ابن أبي العلاء يأنف من اجراء عمليات الفصد والجراحات الصغيرة لأنه كان يعتقد أنها عمليات دنيئة تليق فقط بالعبيد والمرء وسين والخدم ؛ وكان يتحرج من عمليات استخراج الحصى من المثانة نظراً لما تتطلبه من الكشف على العورات، ولكنه مع ذلك قام بعلميات عديدة، وكان النجاح في معظمها حليفه. ويجدر بالملاحظة أن وظيفته كمدير للمستشفى وضعت تحت تصرفه جثثاً لموتى غاب عنهم أهلوهم. على أن أية قراءة لكتبه تسمح لنا بالتأكد من أنه مارس تشريح الحيوانات الحية، وجثث الموتى من بني آدم كذلك، وأنه كان ـ ربما ـ أعظم جراح كلينيكي في عصره.

لقد تمكن أبو مروان من التفريق بين الالتهابات الحادة (أو المزمنة) لغشاء القلب، وبين العلل أو الأدواء التي تعتري تجاويف القلب. وتمكن أيضاً من إبراز الفروق بين قرحة المعدة، وبين سلطانها، كما استطاع التمييز بين حمى المستنقعات (الملاريا) وبين سائر أنواع الحميّات.

كان ابن زهر من المكتشفين، فقد اخترع القسطرة المريئية، وهي عبارة عن إدخال قسطر أو ماصة طبية في مريء المريض بالضيق بغية تغذيته ؛ وكذلك اخترع الحقن الشرجية المغذية. وعلى العموم نجده أسهم بقسط وافر من الأعمال والأفكار والاكتشافات، الأمر الذي رفع مكانته إلى الصف الأول بين شخصيات مجلس الأطباء : Protomedicato الذي كان يُعْقد لاختيار المرشحين لمزاولة مهنة الطب في الأندلس.

توفي رحمه الله في آخر سنة 557 / 1162 ودفن مع والده خارج باب الفتح.

ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء* ؛ فيديل فرنانديث، *الطب العربي بإسبانيا*.

عبد الله العمراني

**الزهراوي البرادعي**، العربي، ولد في بداية القرن

العشرين، وهو من مشهوري شيوخ الملحون المعاصرين بمدينة مكناس. تحدث عنه الباحث الكبير الأستاذ محمد الفاسي فذكر أن أصله من الصحراء، وأنه لقب بالبرادعي لأنه كان يحترف صناعة البرادع.

تتلمذ الزهراوي على بعض أعلام الملحون ممن بقوا بمكناس في العقود الأولى من القرن العشرين، كالشيخ أحمد ولد ماما المتوفى حوالي عام 1932، والشيخ ابن عيسى الحداد المتوفي عام 1936.

وقد استرجع الزهراوي عادة سرد المعراج بإذن من قاضي مكناس يومئذ الشريف ابن أحمد العلوي في فترة قضائه الثانية عام 1361 / 1942، وكان قد أوقف العمل بها قبل ذلك حوالي 1927، فبدأ الزهراوي يسرد المعراج صبيحة يوم عيد المولد بزاوية سيدي الحارثي بحومة براكة. وما تم أن أصبح ضليعا في فن الملحون خبيراً به نظما وحفظا حتى عد خزانا لكلام الملحون على عهده بالمغرب، فضلا عن واسع اطلاعه ومعرفته بكل ما يتعلق بهذا الفن وتوفره على كناش كبير جمع فيه ما تفرق بين الأشياخ من قصائد وسرايات.

وقد أفاد منه الأستاذ محمد الفاسي فكتب له بنفسه مئات القصائد ووافاه بكثير من الأخبار التي تتعلق بشيوخ الملحون في الحاضرة الإسماعيلية وعلاقاتهم بمعاصريهم في بقية مدن المغرب.

تتلمذ على الزهراوي بعض شيوخ النظم والگريحة المتأخرين بمكناس، واستفادوا من محفوظاته. ومن هؤلاء محمد الإدريسي المربوح المتوفى يوم 9 مارس 2001، ومحمد الخياطي بوثابت والشاعر مولاي عبد العزيز العبدلاوي.

وقد نظم الزهراوي في كثير من أغراض شعر الملحون كالهجاء، والتصلية والتوسل والتشوق إلى المقام النبوي، كما نظم في مدح الأعيان ورجال السلطة، ومن ذلك مدحه للمقيمين العامين جوان، وگيوم، ولمحمد بن عرفة، الأمر الذي يفسر - في رأي البعض - ولاءه للسلطات الفرنسية.

وقد تصدى الشيخ نعيسى الدراز لمعارضته، فنظم في هجائه ست قصائد يتداولها بعض الحفاظ بمدينة مكناس.

توفي العربي الزهراوي في الستينيات من القرن العشرين، وله من العمر ما يربو على الخمسين عاما.

*روايات شفوية للسادة*، محمد الإدريسي المربوح ومحمد الخياطي وعبد العزيز العبدلاوي ؛ م. الفاسي، *مجلة المناهل*، السنة 10، العدد 27، شوال 1403 / يوليوز 1983، ص. 29-36.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الزهراوي، حسن** بن عمر بن الحسن الرحماني. ولد بدوار أولاد بلة سلام بقبيلة الغيطة بالرحامنة عام 1326 / 1908. وبعد إدراك سن التمييز صار يتعلم مبادئ الكتابة والقراءة إلى جانب القرآن الكريم الذي تلقاه ببعض مدارس الرحامنة، كما تشاء الأقدار أن تنتقل العائلة لأسباب اضطرارية إلى زاوية سيدي الزوين فقرأ القرآن على يد الفقيه السيد محمد المصلوحي الذي كان يحفظه بالقراءات السبع، كما تنقل بين مجموعة من المدارس ابتداء بمدرسة مولاي الطاهر القاسمي بدكالة ومدرسة القائد عبد القادر بن العروسي بالغرب قبيلة بني حسن، ومدرسة تازورت بقبيلة بني عروس قرب ضريح الشيخ الشهير عبد السلام ابن مشيش.

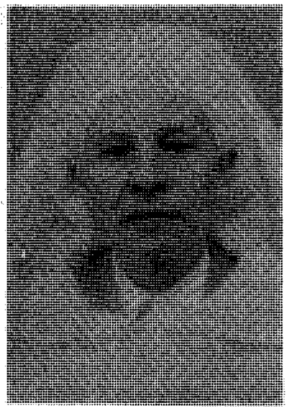

بعد انتهائه من الدراسة القرآنية تشوف للدراسة العلمية فقرأ بقبيلة الشاوية. ثم شدّ الرحلة إلى مدينة فاس عام 1315 / 1932 فالتحق بجامعة القرويين ودرس على مجموعة من علمائها نذكر منهم : العلامة عمر بن سودة، العلامة الشريف عبد العزيز العراقي، العلامة محمد بن محمد بن سعيد المكناسي، العلامة عبد العزيز بن الخياط وغيرهم.

غادر مدينة فاس عام 1355 / 1936 قاصداً مدينة مستغانم بالجزائر، ثم رجع إلى فاس التي استقر بها إلى سنة 1356 / 1937، حيث ارتحل إلى الجديدة ودرس بها على الفقيه العلامة محمد (فتحا) بن أحمد الرافعي. ثم انتقل إلى مدينة مراكش ودرس على الفقيه الحيسوبي الميقاتي أحمد بن محمد الجديدي الحوزي.

ثم صار يعطي دروسا تطوعية بجامعة ابن يوسف وبالزاوية الناصرية. وبعد نجاحه في المباراة التي تخول له التدريس بالجامعة اليوسفية عين سنة1362 / 1942 أستاذاً إلى سنة1373 / 1953 حيث أبعد عن العمل لأفكاره الوطنية. ولما نال المغرب استقلاله، عين خليفة لرئيس المجلس العلمي بالجامعة اليوسفية، وبعد مدة قدم استقالته من ذلك المنصب، ورجع إلى التدريس بالقسم النهائي الديني، إلى أن أسست كلية اللغة العربية، وأنشئ المجلس العلمي من جديد، وحينئذ عين عضوا كاتبا به، ومدرسا بالكلية الفتية إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1392 / 1972. ثم عين رئيسا لمصلحة النشر بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط، كما كان يعطي دروسا بدار الحديث الحسنية في مادة الأصول وفي الخلاف العالي. وبعد

أوبته إلى مراكش صار يلقي دروساً في كلية اللغة بعقدة التزام.

له كتابات في جريدة *الميثاق* لرابطة علماء المغرب، *والدروس الحسنية*، *ومحاضرات* ألقاها على طلبة اللغة العربية وفي دار الحديث الحسنية. إلى جانب هذا كان يقرض الشعر.

توفي بمراكش ليلة السبت ثاني جمادى الأولى1399 / 30 مارس 1978 وأقبر بروضة باب دكالة.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

**الـزهراوي، محمد** ولد بمكناس في أواخر القرن التاسع عشر. واشتهر كفقيه يدير كتابا قرآنيا عرف باسمه بجامع سيدي زروق.

وكان إلى ذلك من رواد الزاوية العلمية، يواظب عليها ويعمرها بالسماع، وينشر في أوساطها الصنعات النادرة كتوشية غريبة الحسين التي عمد ألحانها الأديب سيدي حمدون بن الحاج، وصنعة "محج بالحمى" من بسيط رصد الذيل، وغيرهما مما كان يتفرد بحفظه في مكناس.

وقد اشتهر ذكره خارج مكناس، فأصبح مقصد المسمعين من فاس وسلا.

وكان حيا في أواسط القرن الرابع عشر (20 م).

*معلومات خاصة.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**زهرة البحر** يدعى هذا الحيوان كذلك بالمروحة البحرية وهي من اللاسعات وبالأخص من الزهريات ثمانيات الجدران. تعيش في مستعمرات ملتصقة بالصخور واسطة صفيحة قاعدية ومتشعبة على شكل شجيرات منتصبة ومتبرعة على سطح ومستوى واحد كورقة الشجر. أما هاته

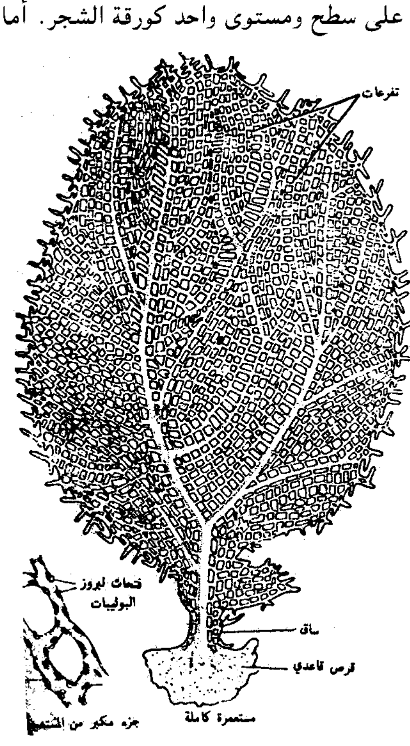


الفروع أو البراعم فهي مرتبطة بعضها ببعض بروابط مستعرضة مكونة بذلك صفيحة مسطحة منقبة ذات هيكل داخلي مكون بالأساس من مادة متفرقة لينة نسبيا وهي بالتالي قابلة للانثناء تدعى كركونين Gorgonine.

تعيش زهرة البحر كما يدل أسمها على ذلك في البحار والمحيطات في أعماق منخفضة نسبيا على دعائم صلبة في غالب الأحيان صخرية، تمتاز كذلك بألوان زاهية مختلفة من أحمر أو بني أو وردي مروراً بالأصفر والبرتقالي. يحبذ هذا الحيوان المياه غير الملونة، الصافية نسبيا من العوالق والدافئة كما أنه يفضل المواطن التي تقل فيها أشعة الضوء لذلك فهي حيوانات تكثر في المغارات التحت مائية المظلمة نسبيا والتي توجد على أعماق تفوق 80 مترا في غالب الأحيان، أعماق بعيدة عن أشعة الشمس.

من أهم مكونات هاته المجموعة في اللاسعات هناك المرجان الأحمر الذي يعيش في البحر الأبيض المتوسط وفي المناطق الإفريقية الشمالية للمحيط الأطلسي. فشجيرات المرجان التي قد تفوق 40 سنتم من الطول كانت هكذا أحقاب غابرة مادة تستعمل في صنع المجوهرات النفيسة بل وكانت تستعمل كعملة تشترى بها الأحجار الكريمة واللؤلؤ.

محمد منيوي

**زهرة الـفاسية**، لقب فني اشتهرت به مطربة يهودية مغربية الأصل، ولدت بفاس عام 1905 ونشأت في أوساط فنية هيأت لها أن تصبح مغنية واسعة الشهرة، تستقدم لإحياء الحفلات العائلية، وخاصة في فترة ما بين العشرينيات والأربعينيات.

وقد تجاوزت شهرتها الأوساط الفنية في فاس بعدما انتقلت إلى الجزائر حيث تبنت الفن الجزائري المعروف بالشعبي ولحّنت على نسقه أغاني كثيرة.

تتميز زهرة الفاسية من بين المطربات اليهوديات في المغرب برقة صوتها وامتداد مواويلها، كما تتميز بكونها أول فنانة كانت تجمع بين القدرة على النظم والتلحين والغناء، واستطاعت بفضل جوقها الخاص الذي شكلته من عناصر مسلمة ويهودية أن تسجل مجموعة من الأغاني الخفيفة التي تتوزعها موضوعات عاطفية ووطنية ومن بينها أغنيتان شعبيتان : "ها هي جات" و"ياللي فيك الدموع ابكي امعايا"، سجلتا في شريط ضم أيضاً أغاني لمطربين يهود من معاصريها هم : إبراهيم الصويري، ولطيفة، وليلى الشرقية، وألبيرسوسان.

ومن بين أغانيها الأخرى أغنية يابلادي "وأغنية ياناس ياناس". رحلت زهرة الفاسية إلى إسرائيل عام 1960، ومنذئذ توقفت إذاعة أغانيها بالإذاعات الوطنية والجهوية. وقد انتهى بها المطاف إلى الإقامة في إحدى مؤسسات العجزة، وقبل أن يدركها أجلها يوم 23 يونيو 1995 كانت

قد أعربت عن أملها في العودة إلى المغرب بلدها الأصلي لتقديم أغنية جديدة تمجد فيها المغرب وقائده.

أرشيف، إذاعة فاس الجهوية ؛ جريدة *العلم*، ع 16494 في 25 . 6 . 1995.

Izza Genini, *Civilisation du Maroc*, p. 241.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

**الزهريّ، عيسى** بن محمد بن عبد الله أصله من شنترين وسكن مدينة سلا. أخذ بالأندلس عن عدد كبير من العلماء منهم القاضي أبو الوليد الباجي وأبو عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع، وأبو الحسن بن حمدين وأبو جعفر بن رزق وأبو مروان بن سراج وأبو علي الجياني وأبي الحجاج الأعلم وأبو عبد الله بن أبي جمرة وأبو العباس العذري وغيرهم.

ورحل إلى المشرق فسمع من كريمة بنت أحمد المروزية كتاب البخاري، ومن أبي الحسن ابن بابشاذ وأبي معشر الطبري وأبي محمد بن صباح الشافعي الحبال وغيرهم.

سمع منه عدد من العلماء بالأندلس والمغرب، لأنه كان يتنقل بين العدوتين في التجارة. وروى عنه القاضي عياض بسبتة عدة كتب في الحديث والأصول والقراءات.

توفي نحو 530 / 1136 عن سن عالية.

القاضي عياض، *الغنية*، تح. ماهر زهير جرار، بيروت، ط 1، 1982، ص. 184 . 185 ؛ ابن بشكوال، *الصلة في تاريخ أئمة الأندلس*، تح. السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1955، ج. 2، ص. 417.

محمد المغراوي

**الزهري، محمد** بن أحمد، درس الفقه والعلوم الشرعية الأخرى، وتولى القضاء بمدينة سلا. كما أخذ التصوف عن الشيخ أحمد بن عاشر الجزيري السلاوي، واقتفى أثره في الزهد والورع، وكان يخدمه حينما آثر الخلوة بداره. ذكر مترجمو الزهري أنه كان يقوم بنسخ كتب الفقه والتصوف التي يريدها شيخه المذكور ككتاب *العمدة* للمقدسي، *والنصائح والرعاية* للمحاسبي *وإحياء* الغزالي. ومن المعلوم أن ابن عاشر كان يحث مريديه على اطلاع هذه الكتب، والعمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام، وهو النهج الذي سار عليه محمد بن أحمد الزهري.

توفي المترجم أوائل عام 764 / 62 . 1363.

م. الحضرمي، *السلسل العذب*، تح. مصطفى النجار، سلا، ص. 57 58 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. 2 : 269.

P. Marty, *La zaouia de Sidi Ben Achir à Salé, R.E.I.*, 1933, cahier 1.

محمد السعديين

**الزهري**، مرض خطير مُعدٍ ووراثي وقد يكون مكتسبا. وسببه دخول مكروبات في جسم الإنسان تسمى اللولبيات Tréponéma pallidum وهو من الأمراض الجنسية ذات الخطورة الكبيرة على صحة الإنسان. حيث يؤثر بعد استفحاله على القلب والجهاز العصبي، وقد يتسبب للمبتلى به في تشويهات لا تطاق كما قد يجعل صاحبه عقيما. ويتفشى هذا الداء عن طريق الاتصالات المباشرة، جنسية كانت أو ما بين الأم ورضيعها.

تنتج عن مرض الزهري قروح ظاهرية على الجلد وفي الحلق، وحبات حمراء في البدن وآلام في الرأس ووجع في المفاصل وانتفاخ في الغدد والغشاء المخاطي وبثور عميقة وانسداد في الشريانات. وتتعطل حركة الأعضاء كلها أو بعضها وتفلج. وتنتج عنه كذلك أمراض القلب والسقط عند النساء وعوارض شتى عند الأطفال المولودين من المصابين بالزهري.

يمر الزهري بمراحل أولاها ظهور قرحة صلبةغير مؤلمة على الأعضاء التناسلية ويصحب ذلك تورم في الغدد اللمفاوية المجاورة، ولا يتألم المصاب خلال هذه المرحلة، وتختفي معالم القروح حتى ليظن المرء أنه شفي. ثم تأتي المرحلة الثانية بظهور زوائد صغيرة حول العضو التناسلي، وبعد سنتين تأتي المرحلة الثالثة بظهور أورام في مختلف جهات الجسم وتطفو معها مضاعفات خطيرة.

يعود تاريخ مرض الزهري بالمغرب إلى بداية القرن السادس عشر حيث ذكره الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* عند معرض حديثه عن أكثر الأمراض انتشارا لدى الأفارقة بقوله : "وداء الإفرنج (الزهري) الفظيع بأوجاعه وبثوره وقروحه منتشر كثيرا في بلاد البربر لا يكاد يسلم منه إلا القليل. حقا إن هذا الداء لا يكاد يعرف في البوادي وجبال الأطلس... وهذا الداء لم يشاهد قط ولم يذكر حتى اسمه، لكن عندما طرد الدون فيرديناند ملك إسبانيا اليهود من بلاده (أي في 1492) جاء كثير منهم إلى بلاد البربر، فظهر فيها هذا الداء الذي حمله عدد كبير من يهود إسبانيا. وكان لعدد من أشقياء المغاربة اتصال (جنسي) مع نساء هؤلاء اليهود، وهكذا انتشر قليلا في ظرف عشر سنوات حتى لم تعد تسلم منه أية أسرة".

ومن أول النصوص التي تمكنا من العثور عليها حول داء الزهري، بعد الذي ذكره الحسن الوزان، شرح أرجورة في هذا الباب لعبد الكريم بن مومن بن يحيى العلج، يعود تاريخها إلى عهد الغالب بالله ما بين 1557 و1574. يقول صاحبها موضحا أسباب تأليفها : "... فإن الغرض في هذا التقييد المبارك بفضل الله لما كانت تكاثرت في زماننا هذا قروح خبيثة في الناس يستعاذ بالله منها يسمونها البيبش وبعض البرابر الحقمقم وبعض النصارى يسمونها مرض فرانسية لأنهم يزعمون أن أول ظهوره بفرانسية (كذا) وأنه مرض حدث في هذا الزمان القريب وأطباء الوقت يقولون بذلك ويزعمون أنهم لم يقفوا له على صفة في كتاب (كذا) الأوائل... ونوع هذا المرض لا ينزو بل يؤلم مفاصل البدن كلها وتمنع من الركوع والسجودويسمونه بمرض المفاصل وهو غير المرض الموصوف بهذا الاسم في كتب الطب... وصنف آخر خالطه خلط حاد متعفن يقطع الأعضاء ويأكل اللحم ويشوه الخلقة والعياذ بالله، ويسمى بالحفار وهو أشبه شيء بالجذام...".

ويفيد صاحب *تاريخ الضعيف* أن المولى سليمان خرج في يوم السبت 24 من ربيع الثاني1211 (1796 ) من مكناسة الزيتون وبات بوادي النجا، وفي صبيحة يوم الأحد دخل فاس وهو مريض بالنوار (أي الزهري). وتشير دراسة محمد الناجي عن العبودية في مغرب القرن 19 إلى شيوع الزهري بكثرة بين الجواري.

واندهش الرعيل الأول من الأطباء الفرنسيين الذين قدموا إلى المغرب في مهمات استكشافية وتمهيدية، عندما وجدوا أن الزهري كان يعيث بشكل خطير في كل فئات الأعمار من المغاربة. وفي هذا الصدد لاحظ لوسيان رينو Raynaud، الذي استقر بالمغرب ما بين 1900 و1902 "أن الزهري كان منتشرا بشكل كبير بين المغاربة الذين كانت بتوره تأكل منهم في الجلد ووتائر الأنف والحنك والعظام"، فسموه بأسماء تحمل دلالات لها وزنها بالنظر لخطورته مثل، "*النوار*"، و"*السلطان*"، و"*البابوش*".

وتحدث هرزن Herzen، وهو من الأطباء الذين كانوا يعملون بطنجة، في تصنيف الأمراض التي كانت منتشرة بالمغرب، وضعه سنة 1911، عن انتشار الزهري بين المغاربة سواء على شكله المكتسب أو الوراثي، حيث يصادف المارة في الأماكن العمومية أشخاصا يحملون تقرحات كبيرة على سيقانهم وتعلو وجوه بعضهم تشوهات أحدثها تآكل الخياشم بشكل يجعل من منظر صاحبها مخيفا. واعتبر صاحب هذا التصنيف الزهري من أسباب نقص السكان بالمغرب لأنه يتسبب في كثير من الإجهاضات ويجرف العديد من الولدان ولما يقضوا الأسابيع الأولى من حياتهم.

ولما تم توقيع الحماية على المغرب، انكب أطباؤها بحزم على دراسة الزهري واستقصاء حالاته وأنواعه تخوفا مما قد يهدد الجيوش الغازية والوافدين الأوربيين من خطره. فاستقدمت سلطات الحماية سنة 1915 طبيبين من نطاسيي الأطباء في الأمراض التناسلية هما لاكابير La capère ولوريد Leredde، وقدمتهما على مستوصفين لمحاربة الزهري أولهما بفاس والثاني بالدار البيضاء.

وفي ما بين 1916 و1919 قام لاكابير بفاس، بفحص عينة من 2731 حالة من حالات الزهري من ضمنها 342 طفلا، وتبين أن حالات الزهري كثيرة الانتشار، وخاصة في الدور الثلاثي، كما يتضح ذلك من الجدول الآتي :

| أدوار الزهري | عند الكبار | عند الأطفال |
|---|---|---|
| زهري الدور الأول | 52/2389 = ٪2,2 | 7/342 = ٪2,0 |
| زهري الدور الثاني | 527/2389 = ٪22,0 | 151/342 = ٪44,1 |
| زهري الدور الثالث | 1810/2389 = ٪75,7 | 184/342 = ٪53,8 |
| المجموع | 2389/2731 = ٪87,5 | 342/2731 = ٪12,5 |

ولاحظ لاكابير في محاضرة ألقاها سنة 1918، أن الزهري كان يصيب حسب المناطق ما بين 75 و90 % من المغاربة ويضر بالجنسين دون تمييز، وفي مازيغن والصويرة وطنجة وصلت تقديرات الأطباء الذين سكنوا هذه المدن إلى 80 %.

وعلى الرغم من خطورة الزهري، فلم يكن المغاربة يقيمون له أي وزن، ولا يأبهون به، بل يعتبرونه مرضا عاديا ما دامت تجلياته غير مؤلمة أو مزعجة، وهو ما يفسر تكاثر المصابين في مراحل متقدمة من الداء.

وتفيد تقارير إدارة الصحة العمومية خلال الثلاثينيات بتقديم بعض الأرقام التي تخص المدن البلديات وتهم المسجلين الجدد. وهو ما يظهر في الجدول التالي :

| السنوات | عدد المسجلين من المصابين الجدد بالزهري |
|---|---|
| 1930 | 14.107 |
| 1931 | 14.872 |
| 1932 | 12.772 |
| 1934 | 10.725 |
| 1935 | 11.068 |
| 1936 | 11.305 |
| 1937 | 12.633 |
| 1938 | 12.911 |

وجاءت الحرب العالمية الثانية فجرّت معها من التحولات في سبل جلب المعاش ما جعل المغاربة يعانون من نقص مهول في المواد الأساسية والأدوية، وتقاطر المهاجرون على المدن وتقوت على إثر ذلك البطالة والعهارة، فعاث الزهري بشكل فظيع، وارتفعت أعداد المصابين الجدد به كما هو في الجدول التالي الخاص بالمدن البلديات :

| السنوات | عدد المسجلين من المصابين الجدد |
|---|---|
| 1939 | 14.562 |
| 1940 | 12.060 |
| 1941 | 14.456 |
| 1942 | 18.751 |
| 1943 | 17.714 |
| 1944 | 15.382 |
| 1945 | 20.260 |
| المجموع | 113.185 |

وكان المغاربة قبل مجيء الطب الفرنسي مع الحماية يعالجون المبتلين منهم بالزهري بطريقتين : أولاهما شد الرحال إلى حامة مولاي يعقوب لما يتميز به ماؤها المكبرت الساخن من قدرة على حرق القروح وتجفيفها، ولو أن مفعولها يبقى سطحيا ومؤقتا إذ سرعان ما تنتقض تلك القروح على صاحبها بعد بضعة أيام. أما الطريقة الثانية فهي استعمال العشبة الرومية Salsepareille. إذ يكون على المصاب تناول نقيع هذه العشبة إما على امتداد عشرين يوما أو أربعين يوما مع التزام البيت والتواري عن الأنظار طيلة مدة العلاج واتباع نظام غذائي من الخبز والماء أو الخبز واللحم.

وحاول القائمون بشؤون الصحة بالمغرب في عهد الحماية، التصدي للزهري ابتغاء درء خطره والتوقي من عدواه، وحيث إنه لا سبيل إلى ذلك إلا بمكافحة العهارة كأصل لهذه العلة، فقد سعت سلطات الحماية إلى تنظيم العهارة، وتخصيص أحياء لذلك، وفحص العاهرات وما إلى ذلك مما يضمن سلامة من يرتادون من العساكر أو المدنيين دور البغاء، من خطر الزهري. وقد واكب عملية تنظيم العهارة هذه، توجه نحو علاج المصابين إذ تم تهييء مجموعة من المستوصفات المتخصصة في عدد من حواضر البلاد، واستُعملت مواد كيماوية مركبة تسمى نوفار سينوبنزول Novarsenobenzol، تقتل مكروب الزهري بمجرد حقنها في دم الإنسان. كما استعملت مواد أخرى كالزنيخ وملح البيزموث Sel de Bismuth، والزئبق Mercure. وظلت هذه العلاجات متداولة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث بدأ استعمال البنسلين ولو أن ثمنها المرتفع كان يحد من الإقبال عليها.

ورغم كل هذا لم تستطع سلطات الحماية تطويق الزهري، ولا تهييء الأسباب للقضاء المبرم عليه، بل إنها اضطرت أمام ضعف وسائلها في هذا الباب إلى طلب الإعانة من الهيئات الدولية كمنظمة الصحة العالمية، مما ساعدها على القيام بمجموعة من الحملات ضد الزهري امتدت ما بين سنوات 1954 و1956.

جلال الدين السيوطي، *كتاب الرحمة* ؛ *تاريخ الضعيف*، ج. 2 ؛ *وصف إفريقيا*، الترجمة العربية، ج.1 ؛ *جريدة السعادة*، 23 و24 يناير1916 ؛ عثمان الكاديكي، *الأمراض المعدية*

*Bulletin de l'institut d'hygiène du Maroc* ; Ennaji, *Soldats, domestiques et concubines, l'esclavage au Maroc au XIXe Siècle* ; Herzeni, *Notes et réflexion sur la nosologie du Maroc* ; *La capère, Les Contagions vénériènnes au Maroc* ; *Larousse médical* ; *Maroc Médical* ; Raynaud, *Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc* ; Renaud et Colin, *Documents marocains pour servir à l'histoire du "Mal franc"*.

بوجمعة رويان

**زهريات** Anthozoaires من منا لا يعرف المرجان ذلك "الصخر" الأحمر النفيس الذي ذكر في القرآن الكريم والذي تغنى به الشعراء وعشقته النساء. إنه في الأصل حيوانات بحرية تعيش في مجموعات متكاملة قد يتغير شكلها من نوع لآخر لكن زهريات نظراً لأنها تشبه الزهور في تفتحها وفي ألوانها. تنتمي الزهريات إلى اللواسع كقناديل البحر تلك الحيوانات التي تتميز عن الشعب الأخرى يتوفرها على خلايا لاسعة ذات مادة سامة تتمكن بواسطتها من إصابة طرائدها بالشلل قبل أن تلتهمها، فهي بالتالي حيوانات لاصمة تتغذى على أنواع صغيرة كالقشريات والرخويات والحلقيات وغيرها بل وقد "تعترض سبيل" حيوانات أكبر منها حجما كالأسماك.

تعيش الزهريات في مجموعات يسمى كل فرد منها "بوليب" وهو على شكل زهرة منتصبة أو فرادى كشقائق البحر، مجوفة من الداخل بينما تفرز جدرانها عادة مادة كلسية تكون هيكل المجموعة.

حسب عدد جدران هاته "البوليبات" تقسم الزهريات إلى مجموعتين اثنتين ثمانيات الجدران هي حيوانات بحرية تعيش في مجموعات قارة على أعماق مختلفة. قد يصعب الغور في تصنيف هاته المجموعات من اللواسع أو اللاسعات نظراً للتشابه بين أفراد المجموعات ونظرا كذلك للاختلاف بين أفراد نفس المجموعة إلا أن القاسم المشترك بينها تبقى الجدران الثمانية التي تقسم تجويف البوليب إلى ثمانية حجرات. ومن أهم وأشهر المجموعات التي يمكن التأكيد عليها هي زهرات البحر تلك الشعب المرجانية الزاهية الألوان والتي خلافا للشعب الأخرى تتفرع على نمط ثنائي في اتجاه واحد والتي في تبرعمها تشبه تبرعم أوراق الشجر.

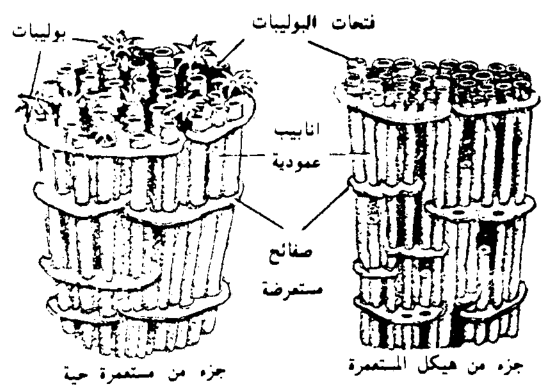


أما المجموعة الثانية من الزهريات فهي سداسيات الجدران والتي كما يدل اسمها على ذلك ذات تجويف بوليبي مقسم إلى ست حجيرات عن طريق ستة جدران اثنى عشر ثمانية عشرة الخ وكالمجموعة السابقة هناك منها ما يتوفر على هيكل كلي ومنها من ليس له هيكل كشقائق البحر. وإذا كان المرجان الأحمر ينتمي إلى المجموعة الأولى فإن سداسيات الجدران تتوفر على مرجان نفيس آخر وهذا المرجان الأسود النفيس والناذر في نفس الوقت بالإضافة إلى المرجان الأبيض.

يوجد في المغرب أكثر من 430 نوعا من اللوامع أكثر من ربعها يتكون من المرجانيات أي الزهريات.

محمد منيوي

**الزْهِيدْ**، صنف من الأدب الشعبي الشفوي، وهو نظم عفوي خاص بالنساء البدويات أثناء طحن الحبوب بالرحى.

كانت النساء البدويات يستغلن الليل، فيقمن بطحن الحبوب عن طريق الرحى، قد تكون امرأة واحدة، وقد تكون اثنتان، واحدة تحمِّص الحبوب على النار إذا كان الفصل شتاء، والأخرى تقوم بعملية الطحن. وقد يكون العدد أكثر. وتقوم المرأة المستعملة للرحى بإلقاء زجل شفوي، بإيقاع بطيء يتماشى والطريقة الدائرية للطحن، وينسجم مع الحركات الجسدية للمرأة وهي تطحن. ويزيده صوت احتكاك طرفي الرحى رنّة خاصة. ويتميز كذلك بأسلوبه البسيط والمباشر. ويتكون من مقاطع قصيرة، كل مقطع يتناول موضوعاً بعينه، وقد يتضمن المقطع أكثر من موضوع وبين شطر وآخر من نفس المقطع تتكرر كلمات أو همهمات إيقاعية تحافظ على سيرورة النظم وتعطي للمرأة فرصة التفكير في المقطع الموالي. وغالبا ما تستمر هذه العملية إلى ساعة متأخرة من الليل.

يكون هذا الفن الشعبي عفويا وليد لحظة إبداعية، فإعادة القطعة خارج هذه الظروف يصبح صعبا. فلا يمكن تذكر إلا مقاطع منه. وقد يطرأ على بعض الكلمات والمعاني تغييراً.

يعكس "الزهيد" تصور المرأة البدوية للكائنات والأشياء، ويفسر نظرتها لمختلف مناحي الحياة، من الذات إلى اليومي المعيش، من الأسرة إلى الدوار إلى القبيلة، من مدح الأحياء إلى رثاء الأموات ... أولئك الذين تربطهم بها علاقة دم أو قرابة أو علاقة حب وإعجاب. وعليه فإن "الزهيد" ترجمة لأحاسيسها وتعبير عن مشاعرها.

وقد تبدأ المرأة "زهدها" بنظم حول الرحى :

"رحاتي حيش حيش
كيف العودة أم الحشيش
رحاتي ع نقرة
تطحن ع الفقرا
رحاتي ع حديد
تطحن ع العبيد"

وقد تتناول الناظمة ذاتها وما تتأثر به من عوامل طبيعية أو بشرية :

"ومالي واش داني والوعد اللي لا حني.

وتنتقل الناظمة إلى التعبير عن مكانة الفقهاء (حفظة القرآن) والأولياء والصلحاء : "حس الطلبة جايه تگوليها غانيم وارده

وإذا كانت الليلة مقمرة، فإن القمر يذكرها بأحبابها الأموات أو الغائبين :

"الگمرة طلعت وضوات عليّ
وتفكرني ف حبابي العزاز عليّ"

ونظراً لما للخيل والفروسية من قيمة في المجتمع البدوي، قد تمدح الفرس الباقي وترثي الفارس الراحل :

"الدهم فين مولاك مولاك اللّي رباك

ونظراً لارتباط هذا الفن الشَعبي النسوي بحياة البداوة

وما تعنيه من خيام وترحال، ومن فروسية وكرم... ونظراً لارتباطه بالليل والرحى، فإن تراجع هذه السمات لصالح المظاهر العصرية، جعل هذا الفن في طريقه إلى الانقراض.

*تحريات ميدانية.*

صالح شگاگ

**زهير** بن **قيس** البلوي، يكنى أبا شداد، ويقال له صحبة، كانت له عناية بالرواية، فقد روى عن علقمة بن رمثة البلوي وروى عنه سويد بن قيس.

شهد فتح مصر، وصحب عقبة بن نافع منذ سنة 43 / 663، حيث شارك في فتوح إفريقية منذ ذلك الحين، بل إنه كان أقرب رجاله إليه، فقد خلفه في قيادة الجيش العربي في عدة مناسبات، عندما كان ينطلق في فتوحه.

رشحه رجال الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ليخلف عقبة بن نافع، بعد مقتله، في ولاية بلاد المغرب، لتقواه وورعه وكذا لتجربته العسكرية الطويلة، وربما أيضا لقربه من موقع الأحداث، فقد كان مرابطا ببرقة قبيل تعيينه، خصوصا وأن عقبة استخلفه ـ إلى جانب عمر بن علي القرشي ـ على القيروان، قبل خروجه في حملته الكبرى، وعندما وصلته أخبار مقتل عقبة تراجع إلى برقة.

يرتبط اسم زهير بن قيس البلوي في بلاد المغرب بحادثين اثنين، يضفيان على شخصيته طابع الرجل العسكري أكثر من طابع الرجل الإداري :

ـ الحادث الأول : نجاحه في استعادة القيروان من كسيلة ورجاله، وتمهيد الحكم العربي في إفريقية، وذلك في موقعة ممش69 / 688. ذلك أن كسيلة تخلى عن القيروان عندما سمع بتحرك قوات زهير من برقة، مدعمة بأموال الخلافة ورجالها، ورابط في مدينة ممش حتى يحمي ظهره. وأسفرت المواجهة بين الطرفين عن هزيمة كسيلة ومقتله في معركة شهيرة، تلتها عملية مطاردة وصلت حد وادي ملوية بالمغرب الأقصى، مع ما يعترض الأخذ بهذه الرواية من صعوبة.

ويعتبر نصر زهير في ممش ثأرا لمقتل عقبة بن نافع من جهة، وهو ما يؤيده تراجعه إلى برقة عقب ذلك، معتبرا الأمر حملة تأديبية ؛ ومن جهة أخرى فهو قضاء على مقاومة البربر البرانس الذين وقفوا في وجه الفتح العربي الإسلامي، متحالفين مع البيزنطيين. وتصور بعض المراجع الآثار التي أحدثها هذا النصر تصويرا مبالغا فيه، حيث تشير إلى انتقال المقاومة البربرية من الأوراس إلى المغرب الأقصى.

ـ الحادث الثاني : مواجهته للبيزنطيين في برقة. فإذا كانت المصادر تغفل مرحلة ما بعد هزم زهير لكسيلة ورجاله، فإنها تتوقف عند اصطدامه بالبيزنطيين، الذين استغلوا انشغاله بأمر إفريقية، ليعيثوا فسادا في ساحل برقة، الذي هاجموه بحرا، انطلاقا من صقلية. هكذا دخل زهير بن قيس في مواجهة غير متكافئة مع الأسطول البيزنطي، انتهت بمقتله وهلاك جميع رجاله، مما أضفى طابعا استشهاديا عليه. واليوم في مدينة درنة ـ القريبة من طبرقة ـ قبر ينسب إلى زهير، يخلد ذكرى استشهاده ورجاله.


ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية والأندلس*، 1964 ؛ الرقيق القيرواني، *تاريخ إفريقية والمغرب*،1990 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، ج. 1، 1983 ؛ النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، 1985 ؛ حسين مؤنس، *فتح العرب للمغرب*، د. ت ؛ سعد زغلول عبد الحميد، *تاريخ المغرب العربي*، ج. 1، 1979 ؛ بطرس البستاني، *دائرة المعارف*، م. 9، د. ت.


عبد الإله بنمليح

**الزهيري**، أسرة سلوية شريفة تنتسب إلى الحسن المثنى بن الحسن السبط اختارت الأسرة الزهيرية بعد الهجرة إلى المغرب سكناها بتازروت وسط قبيلة بني عروس وقد "برز منها علماء وصلحاء ومجاهدون وكانت منطلقاً لجهاد البرتغاليين" (*معلمة المغرب*، ج. 6). خرج أحد الأجداد الأوائل للأسرة قاسم بن موسى الزهيري وكان عالماً زاهداً ورعاً من تازروت طلباً للجهاد واستقر بجبل حبيب بين العرائش وتطوان في مواجهة الأراضي التي كان يغير عليها البرتغاليون منذ 1471 واحتلوها لأمد طويل. فجاهد وحث الناس على الجهاد واتخذ من جبل حبيب مقراً لعائلته ومن انحدر من صلبه إلى يومنا هذا. وعندما هاجم الفرنسيون بعد ذلك مدينة سلا عام 1178. قرر محمد الزهيري أحد حفدة الجد الأعلى المذكور الخروج للجهاد ضد الغزاة. ومنذ أزيد من قرنين ونصف والأسرة المنحدرة من المجاهد محمد الزهيري تقطن بمدينة سلا ثم انتشرت بعد ذلك في الداخل والخارج لا سيما بمصر حيث استقر أحد أبنائها بعد فرض الحماية على المغرب.

**الزهيري، الطاهر** بن محمد ولد بسلا سنة 1914، درس بالمدارس العصرية في العدوتين. تقلد عدة مناصب في التعليم العمومي بعد ما تخرج من مدرسة المعلمين في أواخر الثلاثينيات فعمل في مدينة أبي الجعد ثم في

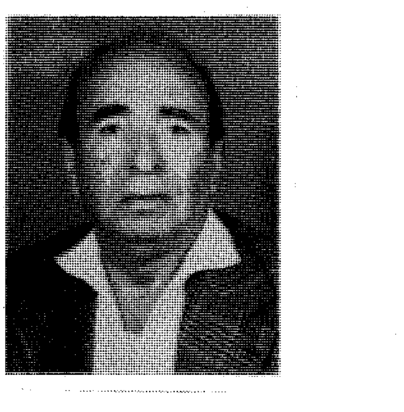

القنيطرة ومكناس وطنجة وغيرها. وارتقى إلى أن أصبح أستاذاً للغة والآداب العربية والترجمة في المدارس الثانوية،ثم اندرج في سلك الأساتذة بثانوية البعثة الفرنسية في مدينة طنجة حين كانت تحت الوضع الدولي. وبعد حصول المغرب على الاستقلال عاد من جديد إلى وزارة التهذيب الوطني فعين مفتشاً عاماً للتعليم الثانوي ثم في النهاية مندوباً للوزارة في مدينة مكناس.

وتوفي بالرباط سنة 1414/1994.

**الزهيري، محمد المهدي** بن عبد القادر المعروف بالنسابة ولد بمدينة سلا سنة 1907. كان سلوياً نشأة وتعليماً وعملاً، حفظ القرآن ودرس المتون واللغة العربية على شيوخ زمانه كالعلامة البارودي وابن احساين النجار، وأخذ علم الأنساب من المؤرخ الشيخ محمد بن علي الدكالي صاحب *الاتحاف الوجيز* أو تاريخ العدوتين وعن خاله إبراهيم امبوزيد الذي كان له اطلاع كبير في علم الأنساب بمدينة سلا. وكان على اتصال دائم ببعض زملائه بالرباط ينسق معهم في التعريف ببعض العائلات التي انتقلت بين العدوتين، فتضلع في هذا العلم حتى صار يقصده أرباب العائلات من سلا والرباط لضبط أنسابهم. وكان مشهوراً بالورع وعلو النفس وحسن السمت. عن ذلك أنه احترف النجارة كمصدر للرزق كفافاً وعفافاً وغنى عن الناس.

توفي بسلا سنة 1405 / 1985.

*معلومات شفوية ووثائق عائلية.*

قاسم الزهيري

**زهيلة** قبيلة من بطون نفزاوة، اندرجت فرقة منها في غمارة وبقيت بنواحي بادس إلى العصر المريني. وإلى هذه القبيلة ينسب عدد من الأعلام من العلماء والصوفية، منهم أبو يعقوب يوسف البادسي الزهيلي أحد كبار صلحاء المغرب في وقته. وقد انقرض اسم هذه القبيلة، التي يبدو أنها انصهرت في إحدى قبائل الريف بالمنطقة المذكورة.

ع. الرحمن، ابن خلدون، *العبر*، بيروت،1981، ج. 6، ص. 234 ؛ ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، تح. سعيد أعراب، الرباط، 1982.

**الزهيلي، المعز** بن منصور يكنى أبا تميم. قاضي قصر كتامة في عهد الموحدين. ينتمي إلى قبيلة زهيلة بنواحي بادس في جبال غمارة. لم ترد له ترجمة في أي من كتب طبقات العلماء المعروفة. ويعود الفضل لمحمد العربي الفاسي الذي نقل في كتابه مرآة المحاسن نصامهما عن هذا القاضي من كتاب مفقود هو معجم شيوخ أبي الصبر أيوب الفهري أحد علماء وزهاد سبتة وشهيد العقاب سنة609 / 1212، الذي كان كثير التردد على مدينة قصر كتامة لطلب العلم، ولزيارة شيخه العارف أبي الحسن علي ابن خلف بن غالب القرشي الشلبي نزيلها، وفي زياراته لها أخذ أيضاً عن قاضيها أبي تميم الزهيلي الذي ذكره بين شيوخه وأثنى عليه وعلى ما أسداه لمدينة القصر.

من هذا النص الغني نستنتج أن الموحدين عينوا أبا تميم الزهيلي قاضيا بالقصر في بدايات دولتهم، وهو عداد القرى إذ كان قد تضرر من جراء الصراع بين المرابطين والموحدين، وأسندوا إليه صلاحيات واسعة. وإليه يعود الفضل في المساهمة في تعمير المدينة وتشجيع تجارها مزارعيها حتى حسنت أحوال جميعهم. كما أسهم في دعم الحركة العلمية بقصر كتامة، الذي سرعان ما تحول إلى مركز علمي نشيط، بتشجيع طلبته واقتراحهم للوظائف والخطط. وتساعدنا هذه الشهادة على فهم الازدهار الملحوظ الذي عرفته المدينة خلال العصر الموحدي خاصة في عهد يعقوب المنصور.

م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، فاس، طبعة حجرية،1324 / 1906، ص. 145.

محمد المغراوي

**الزواج بالمغرب**، يعتبر الزواج ظاهرة اجتماعية قديمة في الحضارات الإنسانية، بل هو أقدم الروابط الاجتماعية التي تربط الرجال بالنساء منذ فجر الوجود وبدء الخليقة كما يدل على ذلك ارتباط آدم بحواء، وهو أول ارتباط بين رجل وامرأة في تاريخ البشرية.

وعليه فإن رابطة الزواج عرفت أنماطا من التحول في تاريخ المجتمعات، وتلونت أشكالها باختلاف التقاليد والأعراف والمؤسسات الاجتماعية. وفيما يأتي حديث عن الزواج في البيئة المغربية وهو زواج إسلامي يدخل ضمن أنواع الزواج الإسلامي المعروف بخصوصياته الدينية والاجتماعية والعرفيّة.

1 ـ يدخل الزواج في المغرب ضمن المؤسسات الدينية والقانونية التي يتم فيها تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس ديني شرعي وقانوني وضعي. ولا يعترف المجتمع المغربي بأي شكل آخر من أشكال الارتباط الجنسي بين الرجل والمرأة خارج مؤسسة الزواج ورابطته المقدسة.

2 ـ إذا كانت الأبحاث الأنتربولوجية تقرّر أن الزواج مظهر للاستقرار في البنية الاجتماعية للأسرة ثم للقبيلة وأخيرا للمجتمع، فإن هذه الغاية قد قررّها الدين الإسلامي في سائر تصوراته لمفهوم العلاقة بين الرجل والمرأة في ظل ميثاق الزواج المقدس. فالمرأة سكَنٌ للرجل وهو الراعي لها والقيمُ على مصلحتها ومصلحة أبنائها ماديا ومعنويا.

3 ـ من المعلوم أن المغاربة يشكلون مجتمعاً إسلامياً يقوم فيه الزواج على الأسس الشرعية المعلومة بالضرورة لدى كل من ينوي الإقدام على هذه الممارسة الدينية،

الاجتماعية وعقد وضعت شروط الزواج ومقتضياته المختلفة من عقد وصداق ونفقة... وما يرتبط بذلك في صورة قانونية ضمن بنود مدونة الأحوال الشخصيّة المغربية (انظر مادة مدونة الأحوال).

4 - إن الزواج المغربي كأي زواج إسلامي ينعقد بما يفيد اتفاق العاقدين على إجراء سنة النكاح على سنة الله ورسوله. ومن شروط عقد الزواج حضور شاهدين عدلين وتسمية مهر للزوجة فضلا عن شرط البلوغ والعقل والخلو من الموانع الشرعية في كلا الزوجين. وفيما يأتي صورة لمراسيم الزواج المغربي في الأعراف السائدة :

يأتي أهل العريس "بالدفوع" وهو مجموع الهدايا التي يقدمها الخطيب لخطيبته وتشمل الأثواب الجديدة والذهب والأحذية وحقائب اليد والخواتم وغير ذلك من الحلي حسب إمكانات العريس المادية. ويأتي العريس وأهله أيضا بكيس من الدقيق الرفيع وكيس من السكر وصندوق من الزيت وذبيحة كالخروف أو الثور. وفي غمرة الزغاريد النسائية يدخل الموكب إلى دار العروس وتتقدمه أم العريس في بعض المناطق القروية رافعة علما من ثوب أخضر في الغالب علامة على السلم والخصب والرخاء. وتستقبل أم العروس الضيوف رافعة علما أو أعلاماً من ألوان مختلفة أغلبها الأبيض والأخضر والأصفر، مرحبة بأعلى صوتها بأهل زوج ابنتها أي أصهارها.

وعندما يخرج الفقهاء الذين قرؤوا القرآن والأذكار، يتعشى المدعوون ثم تستمر الحفلة. وفي ليلة هذا اليوم بالذات تقع الدخلة وهي "الرواح" حيث يجتمع الأهالي حول العريسين وتقوم النگافة بإلباسهما أنواعا مختلفة من اللباس الوطني الذي يرمز إلى لباس فاس والشمال ومراكش والجنوب وأخيرا ينتهي الحفل الساهر باللباس الأوروبي العصري حيث يتم توزيع قطع الحلوى الكبيرة على الحاضرين كما يقع في المدن الكبرى، أما في البوادي، فإن طقوس الحفل الساهر تختلف من منطقة إلى أخرى، ففي الشمال (جبالة) يسهر الجميع مع جوق الطقطوقة الجبلية في عروضها الفنية إلى الفجر، وقد يتخلل ذلك بعض فترات الاستراحة من حين لآخر. أما في مناطق الجنوب لا سيما (إيمن تانوت) فإن الرجال والفتيات يرقصن على إيقاع البنادير وأصوات الناي رقصة (أسراگ) المشهورة بينما الأطفال الصغار وباقي الحاضرين من النساء والرجال والفتيات يتفرجون من السطوح. وللتذكير فإن البنايات في المنطقة مصممة في الغالب في هذه المناطق القروية تصميما يسمح بترك فضاء فسيح وسط المنزل في الأسفل لاستقبال الراقصين والموسيقيين، في حين تكون السطوح مشيدة بدقة لتكون قادرة على تحمل أفواج المتفرجين الذين يبلغون أحيانا المآت.

وفي أغلب المناطق الجنوبية تنتشر هذه التقاليد الرقصية كما هو الحال في منطقة (حاحا) التي يكون فيها الرجال ساهرين في حفل راقص خارج البيت في ساحة "أنرار" - وهي الساحة الخاصة بدرس الحبوب في القرية، أو الدوار - أو في فضاء بيت كبير وفي الفناء على وجه الخصوص. ويرقص الجميع على نغمات التصفيق باليدين والرقص بالأرجل - تبعا لإيقاع أحواش والبنادير والنايات التي يتعالى صوتها في ظلام الليل خارج مسرح الرقص.

وفي المناطق الحضرية الكبرى يستدعى للحفل فرقة أو جوق أو أكثر من الفرق أو الأجواق الموسيقية لإحياء الحفل إلى حدود الفجر، وفي منطقة الخميسات وخنيفرة وضواحي مكناس، قد نجد إلى جانب هذه الأجواق، فرقة "الشيخات" التي لا يخلو حفل زفاف منها في أغلب المناطق سواء في الشمال والجنوب أم الشرق والغرب في ربوع البلاد المغربية. فهذا التقليد الغنائي تقليد متأصل وراسخ، في البيئة الاجتماعية منذ قرون نظرا لكونه وجها من وجوه الفنون الفلكلورية التي حافظ عليها المغاربة منذ زمن طويل.

وتقدم خلال الحفل الهدايا للعروس وتعطى "الغرامة" للنگافة طوال مراحل الإلباس، في نهاية هذا الحفل تجهز الدابة التي ستنقل عليها العروس إلى دار زوجها (أي دارها الجديدة)، وقد تكون الدابة في أغلب الأحوال في القرى النائية أنثى حصان تدعى بالأمازيغية "تاگمارتْ"، وفي المناطق الجنوبية في هضاب حاحا وسهول سوس تلتحف العروس برداء من الصوف تضعه فوق لباس العرس، وتزين بخرقة ذات خيوط حمراء وسوداء وصفراء تدعى بـ"بالقضيب"، ويعصب رأسها بخرقة بيضاء توضع على رأسها على شكل عمامة صغيرة يغرس على طرفها من جهة الجبهة والقفا أغصان رقيقة وناعمة من الورود الخضراء ذات الرائحة الطيبة والعطرة مثل "الحْباقْ" خاصة.

وتركب العروس الدابة ويركب معها أخوها الأصغر، ويتوجه الموكب في عاصفة من الزغاريد والبكاء إلى دار العروس ويغني الجميع أغاني يفهم منها، توديع أهل العروس لابنتهم نظرا لالتحاقها ببيت الزوجية ويحسن أهل العريس استقبال زوجة ابنهم، نظرا لوفودها عليهم.

فأم العروس تنشد أناشيد الوداع، وأم العريس تنشد أناشيد الاستقبال الكريم وتطمئن أم العروس وتقول لها إنها سوف تتخذ العروس بنتا لها لا مجرد زوجة لابنها. ويستمر الموكب في المشي إلى أن يصل إلى دار العريس حيث يحط الجميع الرحال، وقبل الدخول إلى البيت يسرع أحد أفراد عائلة العروس بتفقد عتبة الباب ومدخل الدار حتى يتأكد من عدم وجود أشياء يمكن أن تعرقل مسيرة الموكب "كالسبوب" وهي الأحجبة التي يكتبها بعض السحرة لتنفيذ بعض ما يأمرهم به بعض الناس لإلحاق الضرر بالغير أو للتأثير فيه أو تطويعه وغير ذلك مما يشاع استعماله في الأوساط الشعبية المغربية وخاصة في القرى وبنسبة أكبر.

وفي هذه الأثناء يكون العريس في السطح يرمي باللوز

وبعض الفواكه الجافة من أعلى البيت على المدعوين، فيهرع الجميع، لا سيما الشباب إلى جمع هذه الثمار تيمنا بها واستعجالا لزواج يأملونه ويتمنون حدوثه في القريب. ويتبع موكب العروسة موكب يحمل الهدايا التي تحملها إلى بيت زوجها. ولا تختلف عادة البوادي عن المدن في هذه الطقوس إلا قليلا.

يدخل الجميع فيشربون الشاي وما يقدم لهم من الحلوى أو الفطائر وبعد ذلك يتوجه الموكب إلى غرفة العروس حيث ستقع "الدخلة"، فيتفقدون المكان بدقة رفقة أم العريس، ويرمون بالملح في جنبات الغرفة ثم يشعلون الشمع في سائر أرجاء الغرفة ويبخرون التباخير المختلفة خاصة التي تزيل الجن والرواحين ك"الفاسوخ" و"الجاوي" و"الشانوج" وتجلس العروس فوق السرير، ثم يودعها الجميع بعد أن تكون أمها هي آخر من ينفرد بها، فتعلمها طقوس الليلة ونظام التعامل مع زوجها حتى تمر الأمور في أحسن الأحوال. ويتفرق الجميع بعد ذلك، ويعود الكل إلى مكانه ليغط في سبات عميق إلا أهل العروس والعريس فهم لا يغمض لهم جفن حتى تلوح تباشير الصباح و"تصبح" العروس بخير وعلى خير، وعندئذ يخرج العريس راضيا وأهله، ويتبادلون التهاني مع أهل العروسة لأنها استطاعت أن تشرف أهلها وتصون ماء وجوههم كما هو مطلوب وكما تقول الأغاني التي تُغنى في الصبحية.

هذا في البوادي أما في الحواضر، فإن الدخلة تتم عادة بعد الحفل الساهر، عندما يخرج العريسان على متن سيارة للتجول في إحدى المناطق المشهورة في المدينةقبل الرجوع في موكب من السيارات التي لا تفتر منبهاتها عن الصياح طوال الذهاب والإياب أثناء السير. وفي العادة يعود العريسان إلى دار العريس، وقد صار بعض المتزوجين يفضلون كراء غرفة بإحدى الفنادق لقضاء ليلة الدخلة هناك.

وأيا كان المكان، فإن ليلة الدخلة تسفر عن صباح يبدأ فيه الزوجان (العروسان) حياتهما الزوجية، ويأتي أهل العروسة في الصباح بالفطور، وهذه عادة متأصلة في البوادي والحواضر المغربية على السواء. وبعد الفطور فإن الحياة ترجع إلى النظام العادي إلى اليوم السابع الذي تقام فيه مأدبة كبيرة يحضرها الأهالي مرة أخرى ويقضون يوما من المرح والرقص والغناء بعده تدخل حياة الزوجين الجديدين إلى عالم العادة اليومية والرتابة المألوفة.


*بحث ميداني وشهادات شفوية* ؛ إبراهيم الهلالي، *مذكرات في الفقه الإسلامي*، مراكش 1987.

R. Jamous, *La segmentarité et le mariage arabe, Annales Marocaines de Sociologie*, 1963 ; E. Laoust, *Le mariage chez les berbères du Maroc, A.B.* I, 1915 ; *Mots et choses berbères, Note de linguistique et d'éthnographie, Dialectes du Maroc*, Paris, 1920 ; *Notes berbères : les cérémonies du mariage au Maroc*, 1993 ; P. G. Murdock, *Social structure*. NewYork, 1949 ; E. Westermarck, *Ritual and belief in Morocco*, New Hy de Park University Books, 1926.


محمد أديوان

**الزواحف**، حيوانات فقرية تتكون من خمس مجموعات، وهي السلحفيات والثعبانيات والحرشفيات والتمساحيات ومسيخات الأنف أو العظائيات. يعد التغاير الحراري من بين الخصائص المميزة لهذه الحيوانات ويعني ذلك أن الجسم يتوفر على حرارة مماثلة لحرارة البيئة الخارجية. تلجأ إلى الإسبات أو البيات الشتوي خلال الفصول الباردة التي تسبب انخفاضا مهما في حرارة الجسم وبالتالي تباطؤ جميع الوظائف الحيوية. يكثر نشاطها في الفصول الدافئة والحارة فتقبع تحت أشعة الشمس للتدفئة وفي الليل تبحث عن مخبإ يقيها من البرد.

تدفن الزواحف بيضها بعد وضعه تحت الرمل أو التراب لضمان حرارته وتمكينه من التفريخ، وهناك بعض الأنواع من الأفاعي تحتفظ ببيضها داخل الجسم إلى غاية فترة انفقاسه. تكون الصغار مستقلة تماما مباشرة بعد التفقيس وقادرة على اللدغ وبث السم.

القوائم منعدمة لدى الثعابين والحيات بينما يختلف تركيبها عند الأنواع الأخرى. فهي قصيرة وسمينة تصلح كدعائم أثناء التنقل عند التمساح والسلاحف البرية والعظاية، وعلى شكل مجاذف سباحية عند السلاحيف البحرية، هناك أيضاً قوائم تمكن من التشبث بأغصان الأشجار لدى الحرباء وأخرى تمكن من الالتصاق بسطح أملس بواسطة معاجم لدى أنواع "أبو بريص".

جلد الزواحف مكسو بصفائح عظمية مغطاة بمادة مقرنة عند بعض الأنواع أو مغطى بقشور ملساء أو محززة تقي الجسم من زوال الماء لدى الأنواع التي تعيش في المناطق الجافة والمناطق الشديدة الحرارة. تتعرض الطبقة المقرنة للانسلاخ حيث تتمزق وتنقلع شيئا فشيئا أو تنسل مثل غشاء كما يحدث لدى الثعابين. ينقسم الجسم عند الزواحف إلى رأس شديدة الحركة وصدر وذيل. العينان مغلقتان بغشائين يضاف إليهما غشاء مختلج والأذنان باطنيتان. الاسنان متوفرة عند سائر الزواحف باستثناء السلاحف وتستعمل للقبض على الفريسة أكثر مما تستعمل للمضغ. تبتلع الفريسة كاملة ولو كانت ذات مقاييس كبيرة وذلك بفضل مرونة رباط العظم الذي يربط بين الفكين.

من بين المجموعات التي تعيش في المغرب :

1 - العظائيات وتتكون من حيوانات رباعية القوائم تتميز بالاستقلال يجعل الفرد قادراً على استعادة نمو ذيله بعد بترجزء منه. والتخلص من الذيل وسيلة دفاعية لينجو من الخطر. يتغير الجلد دوريا عن طريق الاحتكاك بالصخور وجذوع الأشجار. من أهم أنواعها : الوزغة أو أبو بريص، الورل الذي يعيش جنوب المغرب، والدساسة والحرباء والعظاية أو زرزومية كما هي معروفة عند العامة.

2 - الثعبانيات وقد سبق ذكرها في مادة ثعبان.

3 - السلاحف ومنها البرية والبحرية، ذكرت بتفصيل في مادة السلاحف.

الموسوعة الحديثة، *علم النباتات والحيوانات*، جزء 7، سيلكا - سويسرا، 1990.

محمد رمضاني

**الزواري، إبراهيم** بن أحمد بن محمد التونسي يكنى أبا سلام. أخطأت بعض المصادر في اسمه فجعلته الزواوي، وضبطه الكتاني في *سلوة الأنفاس*. شيخ من الزهاد أهل الولاية والعرفان والاستقامة. صحب كبار صوفية زمانه بتونس كالشيخ ابن عروس وتلميذه منصور الزواري وابن عرفة القيرواني، والشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي والشيخ أبا عبد الله الزيتوني وتلميذهما الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1494) ولقي بمراكش الشيخ عبد العزيز التباع (ت. 914 / 1508)، وشيوخه كثر في طريق التصوف.

استوطن الشيخ الزواري القصر الكبير سنين، وبه لقيه أبو المحاسن يوسف الفاسي مراراً وتبرك به. ثم رحل إلى مدينة فاس وكان له مع صوفيتها صلات قوية، كالشيخ عبد الرحمن المجذوب. وكانت سمعته بها طيبة وله بها أتباع، وبها توفي حوالي سنة 961 / 1554، ودفن خارج باب الجيسة وبنيت على قبره روضة. وقد عُمر حوالي مائة وثلاثين سنة، وتنسب له كرامات.

ع. الرحمن الفاسي، *ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب*، تح. حفيظة الدازي، د. د. ع. في التاريخ، كلية الآداب، الرباط1992، 2 : 362 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، تح. عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد، الدار البيضاء، 1994، ص78 - 166 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، طبعة حجرية، 1334 /1916، 3 : 124 ؛ م. بن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس*، تح. زهراء النظام، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1997، ص. 276 ؛ ع. ابن إبراهيم المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، الرباط، 1974، ج. 1 : 179 - 180.

محمد المغراوي

**الزواغي، محند** بوشتة مقاوم ولد سنة 1922 ببني بويحى إقليم الناظور.

انخرط في صفوف جيش التحرير بعد فرارة من الجيش الإسباني سنة 1955 وقد تجلى عمله في تزويد أفراد المقاومة وجيش التحرير بالسلاح الذي كان ينقله من التكنات العسكرية لجيش الاحتلال.

وافته المنية يوم 17 مارس 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم529141.

**الزّوان**، لفظ يطلق على نباتات علفية تستعمل حبوبها عادة في تغذية بعض أنواع العصافير الصغيرة مثل الكناري. ومصدرها هي بعض أنواع جنس فالاريسْ Phalaris الذي معناه النبات ذو البذور الفضية.

وجنس فالاريس من النجيليات Poaceae. يتميز بعثكول مكدس طويل وسنبلي الشكل.

يمثل الجنس بالمغرب سبعة أنواع، ثلاثة منها معمرة تزرع لإنتاج الحشائش والأعلاف والحبوب الأنواع الأخرى حولية بدون فائدة كبيرة.

- فالاريس شيرولسان Phalaris caerulescens : جذوره غليظة، قصب ساقه يحمل انتفاخا في قاعدته.

يعيش طبيعيا في الأراضي الطينية وفي بيومناخات شبه رطبة أو رطبة. يزرع في نفس الظروف البيئية.

يعتبر من أحسن النباتات الرعوية أو العلفية، إذ من الممكن أن يعطي في مجاله الطبيعي مردودية سنوية تقدر بـ 4000 وحدة علفية في الهكتار.

- فالاريس بولبوزا Phalaris bulbosa : لا يختلف كثيراً في صفاته النباتية عن النوع الأول، ويعيش في نفس الظروف البيئية، لكنه أكثر تحملا للرفس من طرف الحيوانات. ولهذا يستعمل في إنشاء المراعي الدائمة.

- فالاريس ترونكاتا Phalaris truncata : يختلف عن النوعين السابقين بغياب الانتفاخ في قاعدة قصبه.

يعيش في أراضي ذات نسبة عالية جداً من الطين من الممكن أن تغطى مؤقتا بالمياه في فصل الشتاء.

يعطي في الأراضي الخصبة مردودية مرتفعة جداً قد تتجاوز 6600 وحدة علفية في الهكتار الواحد.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 1999.

عبد المالك بنعبيد

**الزواوي**، أسرة سلوية أصلها من قبيلة زواوة القديمة كانت منتشرة في بلدان الشمال الإفريقي وصل أفرادها الأولون إلى ليبيا بعد أن منعوا من دخول مصر، وسكنوا مدينة قرطاج التونسية، ومنهم عشائر نزلت بالقطر الجزائري وبالمغرب الشرقي وتافيلالت دبدو ثم انتقلوا إلى الشمال المغربي وهناك زواويون عسكريون كانوا في الجيش السعدي في القرن العاشر (16 م)، ذكر الفشتالي منهم في *مناهل الصفا* أحمد وحدّو كقائدين لجيش زواوة شاركا في معركة وادي المخازن إلى جانب عبد الملك المعتصم وأخيه أحمد المنصور.

ويبدو أن الزواويين السلاويين من هؤلاء، وهم يتفرعون بسلا إلى فرق، منهم فرقة الزواوي الموقت التي خص أحمد المنصور السعدي أحد رجالها ببعض المناصب العليا، فكان عاملا على سلا في عهده، والوظائف الدينية كتوقيت الصلاة بالمسجد الأعظم، واستمرت ذريته تقوم بهذا العمل. ومنهم فرقة منقرضة اليوم بسلا هي أسرة محبوبة التي قيل إنها من أبناء عمومة المؤقت بل يروى أن الجد الأعلى

المباشر للأسرتين واحد. وهناك زواويون آخرون بسلا كان منهم فقهاء وعدول، عبر الحقب.

كارباخال مارمول، *إفريقيا*، ج. 1، ص. 93، ترجمة م. حجي، الرباط 1988 ؛ *وثائق الزواوي* المؤقت ؛ *رسوم الخزانة الصبيحية*.

**الزواوي، أحمد** بن **عمر** كان عاملاً على سلا في عهد أحمد المنصور السعدي.

**الزواوي، أحمد** بن **المكي** كان مؤقتاً للمسجد الأعظم بسلا حتى نقله مولاي سليمان سنة 1236 إلى خطة التوقيت بمراكش.

*وثائق آل الزواوي* ؛ *وثائق الخزانة الصبيحية* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8: 153 و171 ؛ م. بوشعراء، ذيل، *الإتحاف الوجيز*، الطبعة الثانية، ص. 227 ؛ *التعريف ببني سعيد*، 2 : 103.

مصطفى بوشعراء

**الزواوي،** أبو **سرحان** مسعود السبتي، علم من أعلام العصر العربي الأخير. تختلف النسختان المعروفتان من *بلغة الأمنية* في ضبط اسمه فهو في النسخة التي حققها الأستاذ محمد ابن تاويت مذكور بكنيته "أبو سرحان الزواوي". وفي النسخة الثانية مذكور باسمه. قد يكون اسمه هو مسعود الزواوي بينما يلقب بأبي سرحان كما جرت العادة عن معظم الشخصيات الفكرية خلال هذه الفترة. لا نعرف شيئاً عن هذا الفقيه سوى أنه نزيل بمدينة سبتة. نبغ في ميدان النحو، كما كان له باع في ميداني الفقه والفرائض. وكان يدرس في مسجد القفال منها، ولما عاد أبو العباس أحمد بن إبراهيم المريني المخلوع مجدداً إلى دار ملكه عام 789 / 1387 عينه قاضياً على سبتة ومدرسا في المدرسة الجديدة. لكن بعد مدة يصعب تحديدها، صرف أبو سرحان عن تلك الوظائف فرحل إلى الأندلس ونزل بغرناطة فتوى والتقى بالعلماء الغرناطيين، ثم بعد مدة كر راجعا إلى المغرب فاستوطن مدينة تازة إلى أن توفي بها حوالي سنة 803 / 1399.

*بلغة الأمية ومقصد اللبيب*، تح. محمد بن تاويت، مجلة تطوان، العدد التاسع، سنة 1984.

زليخة بنرمضان

**الزواوي، عبد الله** (الحاج -) بن محمد بن المكي آتي الترجمة أحد أعيان سلا ومثقفيها الرواد، من أوائل المتخرجين في الهندسة الفلاحية من فرسنا، ولد في شهر شتنبر 1909.

كان معروفاً بأسفاره وجولاته بالخارج، فحج مراراً وساح بمصر والحجاز والشام والعراق وفلسطين وتركيا في أول شبابه ابتداء من سنة 1935، كما أنه تجول بأوربا فأقام بفرنسا وإيطاليا وبلجيكا والبوسنة، وأقام بمدينة سراييفو. وكان خلال هاته الجولة التي استغرقت عدة شهور يرافقه عمه الحاج عبد النبي والفقيه محمد داود مؤرخ تطوان، واتصلوا بعدة رجال في البلدان التي زاروها.

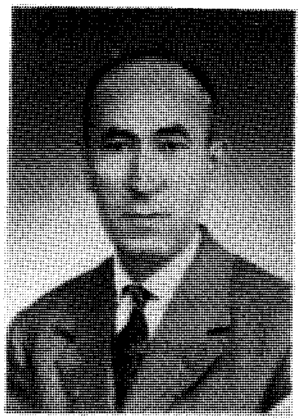

ولما تأسس النادي الأدبي السلوي سنة 1941 كان من أول رؤسائه، وعين من سنة 1945 إلى سنة 1950 عضواً بالمجلس البلدي بسلا، كما كان عضواً بمجلس شورى الحكومة، وترأس الغرفة الفلاحية بالرباط إلى سنة 1950 وأصبح فيها رئيساً لجامعة الغرف الفلاحية.

عمل إلى جانب الصدر الأعظم الحاج محمد المقري فكان نائبه في الفلاحة وذلك في السنوات الأخيرة من عهد الحماية الفرنسية.

توفي بسلا يوم 15 رجب عام 1415 / 19 دجنبر 1994 بسلا وبها دفن.

**الزواوي، محمد** (الحاج -) بن المكي بن أحمد المعروف بالمقدم الزواوي وبالموقت، ولد بسلا سنة 1277 / 1866 كان فقيها عدلاً بنظارة أحباس سلا، مكلفاً بالتوقيت

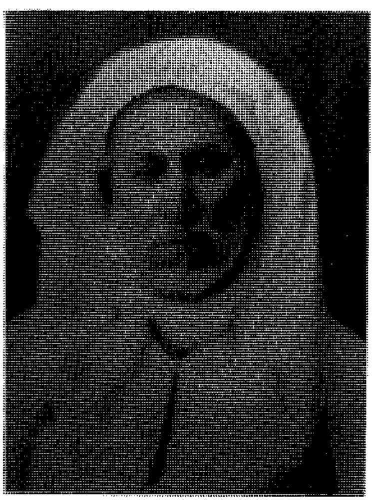

بالمسجد الأعظم بعد أبيه، ومقدماً للزاوية التيجانية القريبة من المسجد المذكور، موسعا عليه في الرزق، سكن دارا فخمة بجوار المسجد الأعظم تعد من أجمل مدن المدينة سعة وهندسة وزخرفة.

توفي بسلا سنة 1383 / 1966.

مصطفى بوشعراء

**الزوايا بتراب البيضان**، تطلق هذه الكلمة بمجمل الصحراء الأطلسية على فئة الذين استقروا في أماكن خاصة بممارسة التعلم والعبادة. وهي أمكنة متميزة كثيراً ما اعتبرت ربطا للمرابطة في سبيل الله عادة ما ارتبط المتصوفة وحملة الكتاب من فقهاء وعلماء بهذا الاشتقاق اللفظي الذي يربطهم بأسباب وبتاريخ معين. فمعلوم أن تاريخ هذه "الصيغة" يعود بالأساس إلى دور دولة المرابطين في خلق وتمتين ركائز سلطة الفقهاء ذوي العلم الظاهر وغيرهم من المتصوفة ذوي العلم الباطن. فما تزال هذه الدولة تعتبر في نظر الزوايا هي التي حركت المتصوفة والعلماء وجعلتهم يعتبرون أن عليهم مسؤوليات سياسية على جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية. كان مفهوم المرابطة والترابط من أجل الجهاد بقصد "دفع المظالم" هو الشعار المؤسس للدولة المرابطية. فكان أن وفرت لهم دولة أبو بكر ابن عمر اللمتوني مرتكزات فعلية جعلت من علمائهم "ورثة الأنبياء وتراجمة الوحي وحفظة الكتاب وأمان الأرض وسور الإسلام الحصين". بسقوط دولة المرابطين واختلاف مبادئ وأسس ومرتكزات دولة الموحدين، اضطلع أهل الكتاب من فقهاء ومتصوفة وعلماء من صنهاجة الصحراء بأدوار تاريخية عملت على تحديد العلاقة بينهم وبين باقي فئات المجتمع الصحراوي. يمكن اعتبار أن الأجداد الإسميين لجل قبائل الزوايا الحاليين ينتمون إلى هذه الفترة بالذات. على أنه يكون من اللازم التأكيد هنا على دور السلاح في تفجير الصراع بين الغور السكاني الصنهاجي والفصائل المعقلية الواردة. فقد تميز سلوك المعاقيل بالإعتماد المتزايد على دور السلاح في تدعيم مركزهم الاجتماعي. أما تثبيت شوكة أهل الكتاب الزوايا خلال هذه الفترة فقد ارتبطت بتطور الغور السكاني الصنهاجي بمختلف فصائله الكبرى والصغرى. ظل هذا الغور مكونا من حاملي سلاح وحاملي كتاب إلى حدود القرن الحادي عشر / السابع عشر الميلادي. يومها فقط جسدت سياسة ناصر الدين آخر محاولة للغور السكاني لمواجهة المد المعقلي المتزايد.

تعتبر فئة المعاقل المسلحين من الفئات الاجتماعية التي استطاعت التغلغل التدريجي خلال الفترة الفاصلة بين القرن الثامن (13 م) والقرن الحادي عشر (17 م). فقد قامت على أساس عصبية مغايرة ذات تطلعات حربية متأثرة بظرفيات مصارعة الغور الصنهاجي المتفرع إلى كمفدراليات وفصائل مختلفة الأصول والمصالح. ومع التقلبات السياسية وتنافر المصالح اضطلع المعاقلة بأدوار متخصصة في مراقبة المجال عن طريق السلاح وفرض الأتاوات على القوافل. من هنا فإن ما أكدت عليه النصوص المعاصرة يعد بمثابة المعطى العملي الذي تأسست عليه الحقائق التاريخية لنوعية الصراع المفتوح بين الغور السكاني والحضور المعقلي. لقد مثلت الحروب المسمات "شربـبّة التباري" خلال منتصف القرن السابع عشر الميلادي الحدث الحاسم الذي فصل في إشكالية العلاقة بين حملة الكتاب وحملة السلاح. تجسدت منذ ذلك الحين سلطة المعقليين في احتكار سلطة السلاح رغم احتفاظ بعض التجزؤات وفصائل الغور السكاني بطابعها المحارب.

أصبح شعار الزوايا من حيث هم كحجج الدين، "من حمل السلاح ترك الصلاح" معتبرين أنفسهم "فخر البلاد وعمارتها ونورها علما وصلاحا ودينا وثروة. فيهم أهل المدارس العامرة والتآليف المفيدة والمشائخ أهل حلق الذكر والدين القويم والأموال الطائلة، أهل إنباط الآبار وتفجير العيون وحرث الحبوب وغرس الأشجار وأهل التجارة، وهم السفراء بين القبائل ومصلحو الثأر وأهل القضاة والفتوى والمحافظة على الدين والمروءة" (ابن البراء، *الفقه*، 47) تكون بذلك الزوايا قد تخصصت في الاستئثار بحمل الكتاب.

توسلوا بتقنيات النصوص الدينية والعلمية ضامنين بذلك حدا أقصى من المشروعية السياسية الحاثة على التسليم لأوامرهم. ليس هذا وحسب، ولكن دراسة إشكالية علاقة أهل الكتاب وأهل السلاح لا يمكن أن تتأتى إلا من خلال دراسة علاقتهم بالسلطة. ذلك أن سلطة الزوايا تتمثل في علاقتهم بالعامة التي لا يستقيم أمرها إلا بمشروعية علاقتهم بالسلطة الحربية. وهنا تكشف المصادر بمالا يدع مجالا للشك، تهيؤ الظروف الموضوعية الملائمة لتناغم وتفاعل بين السلطتين الدينية والحربية في بلاد تميزت بدواعي وأسباب السيبة. تكشف كتب الفتاوي عن دور الزوايا أهل الكتاب في تشكيل العنصر الرابط ونقطة الالتقاء بين الفئات المجتمعية المختلفة والسلطة المعقلية. والملاحظ أن الزوايا أهل الكتاب كانوا يشاركون أهل السلاح في أكبر تجليات النفود التي هي الطاعة والخضوع. فقد كانت لهم رقابة على السلطة السياسية باعتبارها حاملة للشريعة وللشرع والتصدي لأية انحرافات تقع من السلطة الحربية. في هذا الإطار كان تقديم النصح والمحاسبة من المقتضيات التي تستدعي التمسك بالمجال المعرفي وامتلاك المعرفة وتأطيرها وتوجيهها. وهو ما كان يستدعي الابتعاد عن الأمراء بل ومقاطعتهم في بعض الأحيان. هذا ما تكشف عنه كتب السير والتراجم الفقهية وأدب الطبقات الصوفية مزكية دور العلماء والفقهاء المستقل سياسيا واجتماعيا مما أهلهم في كثير من الأحيان لتصدر الأحداث.

ومما يأكد دورهم كقوة رقابية فاعلة كف أيديهم عن التدخل في أمور الدولة إلى أن سيطرت الإدارة الفرنسية وفرضت أمنها. تمتع الزوايا بمركز ومكانة اجتماعية لم تنحصر في المجالات التربوية والتعليمية ولكن دعمت قاعدتهم الاقتصادية. تطورت تدريجيا هذه القاعدة لتنتهي إلى متغيرات بنيوية أصبحت تفرق اجتماعيا بين "الزاوي" المتشبث بقيم وممارسات الزوايا و"المرابط" الذي اقتصر على ممارسة الطقوس مبتعداً عن أخلاقيتها و"التلميذي" الذي فقد الدين والمروءة. (ابن البراء، *الفقه والمجتمع والسلطة*، 46).

كل الدراسات الميدانية تشهد على أهمية النسيج الاقتصادي الذي ميز الانتماء الإجتماعي لهذه الفئة بأعلى السلم الاجتماعي. تحدد حجم هذا الانتماء الاجتماعي في خضوع فئات من الغور السكاني الأقدم من صنهاجة وأكواش حراطين وغيرهم لسلطة الزوايا السياسية. وتتمظهر فعالية نفوذهم الاقتصادي في قدرتهم على إحكام صلاتهم الاقتصادية بمنتوجات الارض وتربية المواشي. ولعل أهم ما ميز هذه العلاقة هي التعبئة السياسية التي قادوها في مقاومة التغلغل الأوروبي على السواحل.

ابن البراء يحيى، *الفقه والمجتمع والسلطة*، دراسة في النظر الاجتماعي والسياسي للفقيه بين شمول أهل القبلة وآصرة أبناء القبيلة، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط، 1993، محمد المختار ولد السعد، *حرب شرببه التباري أو أزمة القرن (17) في الجنوب الغربي الموريتاني*، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1992.

مصطفى ناعمي

**زويع** (ابن -) أبو **بكر** محمد بن عيسى السبتي وأصله من بصرة المغرب. من أهل العلم والفقه والأدب، متفنن في علمه، نظار، صاحب حجة وجدل، عالم بالحديث.

له رحلة إلى الأندلس في طلب العلم، ورحلة أخرى إلى المشرق حج فيها ودخل العراق، ولقي العلماء بمختلف البلاد. ورجع إلى قرطبة مرة ثانية واختص بقاضي القضاة بها أبي العباس بن ذكوان (ت. 413) وكان من وجوه أصحابه، وبسببه صارت له منزلة عليا عند أمير الأندلس عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر، وتمكنت أسبابه لديه، بما كان عليه من علم واسع وقوة في الشخصية وصلابة في الرأي. وقلده هذا الأمير القضاء بسبتة وعملها، بإرشاد القاضي أبي العباس بن ذكوان، فكانت السجلات القضائية تحليه بقاضي سبتة وطنجة وأصيلا والمغرب، وجمع إلى القضاء خطة الشرطة العليا. وقد حمدت سيرته في مهامه، لذلك اعتبر من أجل قضاة سبتة. واتصلت ولايته بما تبقى من إمارة المظفر ورجوع الأمويين إلى أن قامت مطالبة الحموديين، فكان آخر قضاة بني أمية بسبتة.

وعندما ظهرت بوادر انقلاب القاسم بن حمود والي الجزيرة الخضراء وطنجة على بني مروان، كان من قاضيها هذا عنه بعض التأخر، ثم ظهر ولاؤه جليا للأمويين عندما اتصل هو وفقيه سبتي آخر يدعى ابن يربوع بالخليفة سليمان المستعين الأموي يخبرانه باتصال أخيه هشام الثاني، المسجون بقرطبة، بحاكم سبتة علي بن حمود أخي القاسم يطلب منه إطلاقه من سجن أخيه المستعين ويتآمر معه في شأن تدبير انقلاب ضده. فأغرى علي بن حمود رجاله بالفقيهين انتقاما منهما فقتلوهما حوالي سنة404 / 1014. ورعب أهل سبتة بقتل قاضيهم، ولم يختلفوا عليه لما عرف من استقامة وجزالة في أحكامه وصرامة في إنفاذ العدل، يؤكد ذلك قول القاضي عياض فيه : " وكان حسن السيرة في قضائه، وأيامه مشهورة لعلو مكانه وسعة علمه وبعد صيته".

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تح. سعيد أعراب، الرباط، 1982، ج. 7، ص. 111 - 113 - 173 - 281 ؛ ابن بشكوال، *الصلة في تاريخ أئمة الأندلس*، تح. السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ط 1955، ج. 2، ص. 562 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تح. كولان وليفي بروفنصال، بيروت، ط 3،1983، ج. 3، ص. 115 ؛ لويس سيكو دي لوثينا، الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء، تر. عدنان آل طعمة، دمشق، دار سعد الدين، ط 1، 1992، ص. 20.

محمد المغراوي

**زوج بغال**، - جغرافيا - يعتبر مركز زوج بغال حاليا أهم منفذ للعبور الرسمي بين المغرب والجزائر. لا يبعد عن مدينة وجدة إلا بنحو 14 كلم في اتجاه الشرق. ويعتبر كذلك أحد البوابات الأساسية للاتصال مع الغرب الجزائري إلى جانب مركز أحفير إلى الشمال منه، ومركز فگيگ إلى الجنوب منه.

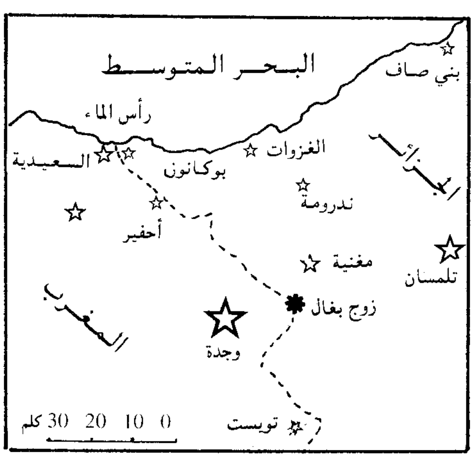


**زوج بغال**

يظل مركز زوج بغال أقدم وأهم مركز للعبور بين البلدين، بحيث جل تيارات البضائع والأشخاص كانت تمر

عبره لكونه يتوسط أهم مدينتين حدوديتين، وجدة على الجانب المغربي ومغنية على الجانب الجزائري. كما تقطعه شبكتان أرضيتان للربط بين البلدين ؛ الطريق المعبدة التي تمت توسعتها بالإضافة إلى خط السكة الحديدية، الخط الوحيد الذي يربط التراب المغربي بالتراب الجزائري.

تحتل مراكز العبور مع الجزائر الصدارة أثناء فترات الفتح للحدود بالمقارنة مع الحدود الشمالية وذلك لكثافة تيارات العبور وخاصة خلال فترات العطل، حيث تجاوزت هذه المراكز سقف ثلاثة ملايين عابر في الاتجاهين خلال سنة 1991. ويعتبر مركز زوج بغال الحدودي أهم معبر للأشخاص، بحيث أن ما بين 30٪ و40٪ من الوافدين على المغرب خلال الفترة المتراوحة ما بين 1989 - 1994 تنقلوا عبر مركز زوج بغال الحدودي. وتؤكد هذه النسب أهمية العلاقة مع الجوار المغاربي لأنه من الخيارات الأساسية التي يراهن عليها.

إن أقدمية مراكز العبور الشمالية واستمرار رواجها الدائم لم يمنع المراكز الشرقية وخاصة مركز زوج بغال من احتلال المراتب الأولى في عدد العابرين بالمقارنة مع بقية المراكز المهمة الأخرى، باب سبتة وبني أنصار - مليلية.

فالمقارنة بين أهم مراكز العبور الموجودة على الجهة الشمالية والشرقية، تجعل المتتبع والمهتم بحركة العبور عبر الحدود الأرضية يكتشف أهمية تيارات الأشخاص عبر نقط العبور المختلفة مع الجزائر وما تحدثه من آثار في العديد من القطاعات الاقتصادية. فبالرغم من قصر مدة الفتح الأخيرة 1988 .1994 تجاوزت نسب الوافدين على المغرب عبر الطريق الأرضي بين المغرب والجزائر نسب الوافدين عليه عبر الناظور وسبتة، فمجموع العابرين للحدود الأرضية المغربية سنة 1991 بلغ أزيد من 3,5 مليون عابر 41,5٪ منهم استقبلهم مركز زوج بغال. وجل هؤلاء العابرين عبر هذا المركز الحدودي من جنسية جزائرية، على عكس الوافدين عبر بقية نقط العبور الأخرى من جنسية مغربية.

فالترابط الكبير بين طرفي الحدود المغربية - الجزائرية كان من وراء التدفق الكبير للسائح الجزائري الذي كان قبل ذلك يتوجه نحو فرنسا أو نحو تونس. ففتح الحدود المغربية - الجزائرية مكن بالخصوص سكان الغرب الجزائري القريب من المغرب الشرقي الذي ظل يشاركه العديد من القسمات والخصوصيات، من زيارة المغرب وتفضيله على غيره من الدول لربط الماضي بالحاضر واستشراف المستقبل.

الميلود زروقي

* * وعن تاريخ زوج بغال تروج روايات متباينة عن تسمية الموقع، حيث اعتبره البعض ملتقى للبريد المحمول على الدواب وبالخصوص البغال بين المغرب والجزائر، وتبعا لهذه الفرضية صار يسمى بالاسم المعروف به الآن، غير أن هذا التفسير لا يصمد أمام المعطيات التاريخية التي تم الكشف عنها من طرف الباحثين، حيث لم يكن هناك بريد منتظم بين المغرب والجزائر، رغم أن المغرب عرف بعض المحاولات لتنظيم البريد في بعض جهات البلاد في نهاية القرن الثالث عشر (19 م)، إلا أن هذا التنظيم لم يشمل شرق المغرب، كما أن الموقع كان مشهوراً باسم "زوج ابغال" قبل تنظيم البريد.

وقد أورد مؤرخ المملكة رواية أخرى، مفادها أن مركز "زوج ابغال" قد "دُعي بهذا الاسم في تاريخ غير معلوم قبل الاحتلال الفرنسي لأقطار المغرب، بعد وقوع خلاف بين قبيلة من أهل وجدة وقبيلة بني واسين على بقعة ادعت كلتاهما أنها واقعة بأرضها، وكانت القبيلتان معا معدودتين يومئذ من قبائل المغرب الأقصى، وكاد الخلاف يفضي بهما إلى الاقتتال، فاتفق عقلاء القبيلتين على أن يطلقوا بغليْن في ساعة واحدة يسير كلاهما في اتجاه الآخر، أولهما ينطلق مشرقا من ضريح سيدي يحيى بن يونس بأرض أهل وجدة، وثانيهما ينطلق مغربا من ضريح الحاجة مغنية بأرض بني واسين، فحيثما التقيا يكون الحد بين القبيلتين، فأطلقا وسار كل منهما في اتجاه الآخر حتى تلاقيا، فسمي مكان لقائهما "زوج ابغال" منذ ذلك الحين". إلا أن هذه الرواية لم تعتمد مصادر مكتوبة، بل هي مستمدة من رواية شفوية نقلها صاحبها عن بعض الأعيان المسنين من أهل تلمسان، ومن ثم فهي لن تصمد أمام الفحص الجاد، مما يدفع إلى استبعاد التفسير الذي تضمنته.

ومن المعروف أن وطنيي المغرب والجزائر قد تضايقوا من ذلك الاسم أيام النضال التحريري، لما يوحي به من المهانة والإذلال، فاستبدلوا به اسم "زوج فاقو"، وطالبوا بعد استرجاع الاستقلال تغيير الاسم القديم، وهو ما قامت به الحكومة الجزائرية، بينما أبقت الحكومة المغربية على الاسم القديم.

ويسود الاعتقاد أن سلطات الاحتلال هي التي روّجت تفسيراً مهينا لاسم "زوج ابغال" بهدف النيل من سمعة البلدين بعد حصولهما على الاستقلال. ومن المرجع أن يكون ذلك من بين الأسباب التي دفعت الحكومة الجزائرية إلى استبدال اسم الموقع عقب استقلال البلاد سنة 1962، حيث صار يُنعَت باسم العقيد لطفي، وهو أحد زعماء جبهة التحرير الجزائرية، بينما ظل الموقع نفسه من الجانب المغربي يُنعت باسم "زوج ابغال" .

ومن الثابت أن تسمية "زوج ابغال" كانت متداولة بين قبائل شمال شرق المغرب قبل احتلال الجزائر، أي قبل سنة 1830، ويُستخلص من ذلك أن السلطات الفرنسية لم تكن لها يد في تسمية الموقع بالاسم المشهور به حاليا. فقد نص اتفاق الحدود الموقع سنة 1845 على اسم موقع "زوج ابغال" أثناء سرد معالم الحدود بين المغرب والجزائر، التي وقع الاتفاق بشأنها بين المخزن وفرنسا من مصب وادي كيس

في البحر المتوسط إلى ثنية الساسي الواقعة شرق عين بني مطهر. حيث اعتبر اتفاق الحدود "زوج ابغال" معلمة حدودية بشرق سهل أنگاد، وقد جاء ذلك في البند الثالث بالصيغة التالية : "... وسرْ كذلك إلى جُرف البارود الكائن بوادي بونعيم، ومنه إلى كركُور سيدي حمزة، ومنه إلى زوج ابغال [كذا]..." (انظر اتفاق مغنية حول الحدود في دورية الوثائق، العدد 1، ص. 476).

لم تكن تسمية "زوج بغال" في الأصل ترمز إلى موقع حدودي بين المغرب والجزائر قبل الغزو الفرنسي سنة 1830، وكما هو معلوم فإن خط الحدود بين البلدين أيام الحكم التركي بالجزائر كان بوادي تافنا شرق "زوج ابغال" . وبعد توقيع اتفاق مغنية سنة 1845 نُقل الحد إلى جهة الغرب بحكم الغلبة التي كانت للجيش الفرنسي في معركة إسلي سنة 1844.

وقد أقرّت السلطات الفرنسية في وثائق سرية خلال منتصف القرن التاسع عشر أن تسمية "زوج بغال" تُطلق على سهل بشرق بسيط أنگاد، وهو ما تعكسه الرسوم والخرائط التي وُضعت آنذاك ؛ وقد تم الاقتناع بهذا الأمر بعد مسح طوبوغرافي قام به ضباط فرنسيون بشرق أنگاد، كما اعترفت السلطات الفرنسية بالجزائر المحتلة آنذاك أن قبائل المنطقة من الطرفين المغربي والجزائري اتفقت على اعتبار نقطة واقعة بسهل "زوج بغال" هي المعلمة الحدودية المشار إليها في اتفاق الحدود ؛ وبهذه الكيفية حلت مشكلة تحديد موقع "زوج ابغال" بخط الحدود، ولمزيد من الدقة تم وضع كومة من الأحجار في المكان المعلوم بهدف تمكين المهندسين الطوبوغرافيين من التعرف عليه لاحقا، رغم أن اتفاق مغنية ينص بشكل صريح على عدم تمييز الحدود بالحجارة أو إحداث بناء بها. (البند الأول من اتفاق مغنية).

ويُستنتج من هذه المعطيات أن "زوج بغال" كانت في الأصل تعد تسمية لمنبسط من الأرض، ثم صار الاسم يُطلق على موقع بعينه، في إطار إطلاق اسم الكل على الجزء. وقد حاول أحد الضباط الفرنسيين ـ أثناء البحث عن موقع "زوج بغال" في منتصف القرن التاسع عشر ـ اعتبار كديتين صغيرتين بالأرض المشهورة بهذا الاسم أنهما الموقعان المقصودان باسم "زوج بغال" ، إلا أن السلطات الفرنسية نفسها لم تحمل هذا التأويل على محمل الجد، ورغم ذلك فإن هذا التأويل كان وراء مغالطات، عمل الاستعمار على ترويجها بين سكان المنطقة.

ومن الجانب المغربي سجل كاتب البعثة المخزنية التي أرسلها السلطان الحسن الأول سنة 1884 لمعاينة خط الحدود، أن تسمية "زوج بغال" يُراد بها المساحة التي تحرثها بهيمتان (الزُّوجة)، وكان علي السوسي السملالي، وهو المقصود هنا، قد استفسر قبائل أنگاد وبني يزناسن عن مدلول اسم "زوج بغال" ، فقيل له ما أشير إليه أعلاه، وقد جاء كلامه على الشكل التالي : "... وقيل فيه جوج بغال (كذا)، لأنه قدْر ما تحرثه جوج بغال...." (مخطوط منتهى النقول ومشتهى العقول، ص. 139). ورغم أن الصيغة التي استعملها المؤلف تفيد الشك، فمن المرجع اعتبار ما ورد في المصدر المذكور هو التفسير السليم الذي يتماسى مع الواقع السائد آنذاك، وفي الوقت نفسه يؤكد ما جاء في المصادر الفرنسية السابقة التي اعتبرت أن "زوج بغال" تسمية كانت تطلق في الأصل على مساحة من الأراضي الفلاحية، ولم تكن تعني نقطة على خط الحدود بين المغرب والجزائر. ويجدر التذكير هنا أن المخزن كان يحدد الضرائب الفلاحية بقياس المساحات المزروعة بزوج الحرث، ويقصد بذلك المساحة التي يمكن حرثها بواسطة محراث يجره زوج من البهائم خلال موسم الحرث.

وفي نهاية القرن الثالث عشر (19 م) صار موقع "زوج بغال" أهم نقطة لمرور السلع بين المغرب والجزائر، فأقام به المخزن العسس من أجل استخلاص رسوم التعشير التي كانت تدفع بمركز الديوانة بوجدة، وازدادت أهمية "زوج ابغال" بعد أن شيدت السلطات الفرنسية بالجزائر المحتلة طريقا للعربات وأخرى للسكة الحديدية تربط بين مدينة مغنية والموقع المذكور، وكانت تخطط آنذاك لمد الطريق وخط السكة الحديدية إلى وجدة.

وهو ما تحقق فعلا في فترة الحماية حينما صارت فرنسا تتحكم في المغرب والجزائر معا، فتوطدت العلاقة بين مغنية ووجدة بواسطة الطريق الرابطة بينهما عبر مركز "زوج بغال" وظلت هذه الطريق هي المنفذ المؤدي إلى البحر بهدف تصدير المواد الفلاحية المنتجة بشرق المغرب عبر ميناء الغزوات الجزائري خلال فترة الحماية، ويعتبر مركز "زوج بغال" أهم معبر بين البلدين الجارين، حيث تمر به الطريق الرئيسية المؤدية إلى وهران ومنها إلى العاصمة الجزائرية.

*دورية الوثائق*، مديرية الوثائق الملكية، الرباط، 1978، العدد الأول ؛ علي السوسي السملالي، *منتهى النقول ومشتهى العقول*، مخطوط ؛ عبد الوهاب بنمنصور، مع جلالة الملك الحسن الثاني في فاس وتازة ووجدة وتلمسان (21 .27 مايو 1970)، الرباط، 1970، ص.116 .118 ؛ عكاشة برحاب، مفهوم الحدود في الوثائق المغربية منذ احتلال الجزائر ؛ *ندوة أعمال المجالات الحدودية في تاريخ المغرب*، كلية الآداب، المحمدية، 1998.

H.M.P. De La Martinière et N. Lacroix, *Documents pour servir à l'étude du nord-ouest africain*, Alger, 1894, tome 1.

عكاشة برحاب

**الزّوجة الفلاحية**، يدل لفظها في معنى أول على زوج من البهائم (حمير، بقر، خيول، بغال أو جمال) يستخدم في عملية الحرث. ويميز في هذا الصدد، بين الزوجة الصغيرة التي تتكون من حمارين، أو من حمار زائد

بقرة، أو فرس أو بغل) والزوجة الكبيرة (التي تتكون من فرسين أو بغلين أو جملين أو بقرتين، أو من فرس زائد بغل أو جمل أو بقرة).

أما إذا كان يجر المحراث حيوان واحد (فرس، بغل، جمل أو بقرة) فيُتحدث عن الفرد.

يعثر على الزوجة الصغيرة عند صغار الفلاحين، وتجر محراثا صغيراً نظراً لضعف قوتها على الجر مما يعطي منتوجا قليلاً. أما الزوجة الكبيرة والتي تجر محراثا كبيراً، فنعثر عليها عند كبار الفلاحين.

وفي الأراضي الجماعية توزع الأرض على المستفيدين تبعا لنوعية الزوجة التي يتوفر عليها الفلاح، مما يجعل التمايز الاجتماعي مقرونا بنوعية وعدد الزوجات لأنها هي التي تحدد المساحة الأرضية التي في ملك أو في حيازة الفلاح.

من ثم فالزوجة ـ في معنى ثان ـ تدل على وحدة زراعية لقياس الأراضي الزراعية، وهي المساحة التي يمكن حرثها بواسطة زوج من البهائم. وتختلف هذه المساحة تبعا لطبيعة الأرض ونوعية الحيوانات المستخدمة في الحرث، إذ تتراوح ما بين 6 و8 هكتارات. إنها المساحة التي تستثمرها أسرة.

قبل الحرث، يحزئ الفلاح أرضه إلى مجموعة مطاير (جمع مطيرة ويتعلق الأمر بمربع يساوي كل من أضلاعه عشرين مترا) يحرثها ويزرعها الواحدة تلو الأخرى.

تكون المطاير المتواجدة الواحدة بجانب الأخرى.. "مرجع" وهي المساحة التي تجتازها الزوجة ذهابا وإيابا (رجوعا) أثناء عملية الحرث. وتكون مجموعة من المراجع كَرضة، بكَعة أو كَطعة وهي مساحة الفدان الذي يمتلكه فرد أو تمتلكه أسرة.

تعتبر الأرض من ثم ملكا لصاحب الزوجة، ذلك أن التمييز بين من يملك ومن لا يملك يحيل لا على الأرض بل على الزوجة المستخدمة في الحرث. فالزوجة هي الوحدة المعتمدة في إحياء الأرض والتي تعبر عن القوة المادية الاقتصادية للفرد أو للمجموعة البشرية. فهي مقياس الضرائب وكذا الخدمة العسكرية، ومن ثم فإنها تترجم كذلك وتفسر السلطة التي يمكن للبعض أن يمارسها على الأخرين داخل المجتمع القروي.

للمزيد من التفاصيل، يمكن الرجوع إلى :

J. Berque, *Etudes d'histoire rurale maghrébine*, *les éditions internationales*, Tanger - Fès, 1938 ; P. Pascon, *La main d'œuvre et l'emploi dans le secteur traditionnel*, *Etudes sociologiques sur le Maroc*, Rabat, s.d.

عبد الجليل حليم

**زورارا**، دي، كومس إيانس، (Gomes Eanes de Zurar) من مشاهير الإخباريين البرتغاليين خلال القرن الخامس عشر ترك ما بين 1450 و1564 ثلاثة تآليف تهم التاريخ المغربي تغطي أحداث الفترة الممتدة بين 1415 و1564، استمد مادتها التاريخية من احتكاكه بالوجود البرتغالي بكل من سبتة والقصر الصغير، بفضل النشأة والرعاية التي أولاه إياها العاهل البرتغالي ألفونص الخامس، ومن اتصالاته برجال السياسة والحرب، ومن إشرافه على إدارة المركز الوثائقي المشهور "أرشيف طوري دي طومبو".

فبعد تعيينه مؤرخا للبلاط البرتغالي شرع سنة 1449 في كتابة الأحرف الأولى من حولياته الخاصة باحتلال سبتة التي انتهى من كتابتها خلال سبعة أشهر، وذلك يوم 15 مارس 1450، وظهرت بعنوان تاريخ احتلال سبتة على يد الملك ضون جواو الأول *Cronica da Tomada de Ceuta por el Rei D. Joao I*، وقد تم نشرها بلشبونة سنة 1916 مؤلفة من مائة وأربعة فصول.

فبعد التطرق لموضوع الهدنة مع الجارة قشتالة بدأ زورارا الدخول إلى الموضوع ابتداء من الفصل التاسع المخصص لبحث فكرة احتلال مدينة سبتة. ولم تظهر غزارة معلومات زورارا عن الحملة البرتغالية ضد سبتة فقط، بل إنه أدلى بمعلومات عن المدينة المحتلة نفسها وعن حاكمها المغربي الأخير صالح بن صالح اليابانى المريني، وعن الحالة الحربية التي كانت عليها المدينة والبادية المجاورة لها.

بدأ زورارا في تحرير الحوليات الثانية سنة 1458 وانتهى منها يوم 23 يونيه 1463، وعنوانها : *تاريخ الكونط ضون بيدرو دي منيسيس* *Chronica do Conde D. Pedro de Meneses*. نشرت الحوليات بلشبونة سنة 1790، وهي ضمن مجموعة : *Colleçção de libros Inéditos de Historia Portuguesa*, vol. 2, pp. 205 - 624.

راعى زورارا في حولياته الثانية ربطها بالأولى، إذ أنه خصها لسرد أحداث مدة حكم قبطان سبتة الأول ضون بيدرو دي منيسيس ما بين 1415 و1437، وبها مادة تاريخية ثمينة تبدأ من الفصل الرابع، لحرصه على سرد الغارات البرتغالية على قرى، وعرفنا أثناء ذلك على رجال المقاومة ومراكز انطلاقتها وعلى غزواتهم. وأثمن ما تقدمه الحوليات هو إمكانية تركيب الخريطة السكانية للناحية.

يستغرق سرد الحوليات الثالثة المعنونة تاريخ الكونط ضون ضوارتي دي منيسيس *Cronica do D. Duarte de Meneses* من سنة 1429، وهي سنة بدء نيابة ضون ضوارتي دي منيسيس عن والده ضون بيدرو في قيادة الغارات على حوز تطوان لتستمر الحوليات سردها بمناسبة احتلال البرتغال للقصر الصغير سنة 1458.

فابتداء من الفصل الرابع شرع زورارا في استعراض أخبار المقاومة الموجهة ضد القصر الصغير. وقد سبق للمؤلف أن زار المدينة ومكث بها مدة سنة، أي ما بين 1467 و1468. ومن مشاهداته واتصالاته بالحاكم ورجال الحملات، وبعض المغاربة الداخلين إلى المدينة استقى معلوماته عن أنجرة وبني حزمار وطنجة البالية.

ونعلم من جهة أخرى أن العاهل البرتغالي الفونص الخامس كلف كاتبه الإيطالي الأصل "ماتيوس دي بيزانو" Mateos de Pizano بترجمة جزء حوليات زورارا الخاصة باحتلال سبتة إلى اللغة الإيطالية، وهو ما تم بالفعل سنة 1460، وظهرت الترجمة باسم "عن الحرب السبتية" *(De Bello Septense)* ثم أعيد النص إلى البرتغالية.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية الغربية*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Gomes Eanes de Zurara ; *Cronica do Tomada de Ceuta ; Cronica do Conde D. Pedro de Meneses. Cronica do D. Duarte de Meneses.*

حسن الفكيكي

**زورقية الأرجل**، هي من الرخويات أو النواعم لا يوجد لها مثيل على اليابسة والمياه العذبة القارية. لا تعيش إلاّ في المياه البحرية في أعماق تتراوح ما بين بضعة أمتار حتى أكثر من ثلاثة آلاف متر.

شكل صدفتها الخارجي يجعلها متميزة على باقي الرخويات، فهي أنبوبية، أسطوانية، شبيهة بناب الفيل مفتوحة من نهايتيها الأمامية والخلفية.

يتكون الجسم من ثلاثة أقسام : الرأس وهو غير واضح المعالم وبدون أعضاء حسية ظاهرة ماعدا بعض الخيوط أوالمجسات الخيطية التي تمكنه من التثبت داخل الرمل، أما القسم الثاني فهو الرجل، وهي شبيهة باللسان تلعب دوراً رئيساً في الحفر وتمكين الصدفة من الدخول في الرمل. يبقى ثالث قسم وهي الكتلة الإحشائية فتتكون من الأعضاء الأساسية لهذا الحيوان من جهاز هضمي ودموي...

ونظراً لنمط عيشه داخل الرمال فهو لا يستطيع ملاحقة الطرائد السريعة، وبذلك فهو محكوم عليه بتطوير نمط تغذيته حتى يستطيع أن يؤمن ديمومة جنسه ونوعه لذلك فقد "اختارت" زورقيات الأرجل أن حيوانات جد دقيقة تكثر في الرمل وهي المنخربات (Foraminifères) التي في تنقلها بين حبات الرمل بالمجسات الخيطية لزورقية الأرجل التي ما عليها إلا أن تحمل ما علق بهاته الخيوط إلى فمها.

رغم أن زورقيات الأرجل حيوانات مائية فهي لا تتوفر على خياشيم فالجبة (manteau) تلعب لديها دور الرئة والخياشيم حيث كما أدخل الفرد إلى جسمه الماء أثناء الشهيق يقع تبادل غازي بين الماء وجدار الجبة التي تمص الأكسجين من الماء وتزوده بأوكسيد الكاربون.

تكون الأجناس منفصلة عند زورقيات الأرجل ويتم التخصيب في الماء خارج جسم الأنثى.

يوجد في المغرب حوالي 15 نوعا من زورقيات الأرجل يتم جلبها من البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي. لكن إذا كانت زورقيات الأرجل التي تعيش في المياه غير العميقة معروفة نسبيا فلا يعرف الكثير عن الأنواع التي تعيش في المياه المغربية العميقة ما عدا بعض ما جلب من بعض الرحلات العلمية القديمة.

محمد منيوي

**الزوركند**، أحد طبوع الموسيقى الأندلسية المتفرعة عن طبع الزيدان ذكر الحايك أنه بارد رطب نغمته شجية، ونسب استخراجه لمحمد بن عبد الرزاق من جزيرة الأندلس.

يرتكز الزوركند على مطلق وتر الماية (نغمة ري) مع اشتمال دليل المقام على درجة "فا" الصاعدة (فادييز) عند صعود الجمل الموسيقية.

تقوم على هذا الطبع صنعات نادرة مدمجة في نوبة الاصبهان. وهي كل ما تبقى من نوبة الزوركند الضائعة. ومن نماذج هذه الصنعات صنعة من قائم ونصف الاصبهان أولها :

بالله يا زين الصغـار     كف الجفـــا

ومن نماذجها أيضاً "كرش صنعة" يا حبيب مه" من بطايحي الاصبهان.

محمد ابن الحسن الحايك، *المقدمة* ؛ إبراهيم التادلي، *أغاني السقا ومغاني الموسيقى الباب الخامس*، ص. 31 ؛ عبد العزيز ابن عبد الجليل، *معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية*، منشورات معهد الدراسات الأبحاث للتعريب، 1992، ص. 29.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

**زُوزَانْ بن يعلى** : شخصية نجهل عنها الكثير، بيد أن ما هو متداول في الروايات الشفوية، وما تتضمنه أنساب بعض الأسر الوسيطية، فإن نسبه شريف، يتصل بالفرع الإدريسي. وكان موطنه الأصلي هو "تامدولت واقا" المشهورة، نزح منها صحبة أولاده الثلاثة : حرگيل، مَحمد أوتزليت، إدريس، بعد تهديمها، حسب ما هو متواتر في

الروايات، من قبل القائد محمد بن علي أمنحاگ. انتهى به المطاف بجبال جزولة، وبالتحديد بمنطقة "تافراوت المولود"، بينما توزع أولاده في مجالات جغرافية بالأطلس الصغير الغربي مكونين وحدات قبائل إيداولتيت. وتسعفنا مشجرات أنساب بعض الأسر الولتيتية بوضع خطاطة تقريبيــة لفــروع آل زوزان والتشكيلات القبلية المنبثقة عنها :

زوزان

| | | | |
|---|---|---|---|
| 1 : أولاده | حرگيل<br>أبعقيل | محمد أوتزليت<br>أرسموك | إدريس أسملال |
| 2 : مجالات الاستقرار | أفلا أنزي | موزيت | بومروان |
| 3 : القبيلة | إيداو گارسنوكت | إيدا وبعقيل | إيدا وسملال |

نسب آل زوزان، *وثيقة من خزانة العوفي*، تيزنيت ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج.11 : 203 ؛19 : 241.

L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVI siècle, A.M.*, vol. XXIX, Paris, 1933.

أحمد بومزگو

**زوزفانا**، حوض مائي يمتدّ على مساحة إجمالية تقدر بـ 3.000 كلم$^2$، على طول الحدود المغربية الجزائرية. ويعتبر هذا الحوض المورد الأساسي للحياة الاقتصادية لواحة فگيگ.

وبالرغم من قلة الموارد المائية السطحية بهذا الحوض، فإن البنية الجيولوجية ساعدت على توفير المياه الجوفية بكمية لصيانة واحات فگيگ.

وبحكم ارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف (42.5 درجة ملوية) وانخفاض معدل الحرارة في فصل الشتاء (3.5 د م) عامل امبرجر (10.3) يجعل هذا الحوض في الطابق الصحراوي ذي فصل شتوي بارد إلى معتدل.

ويقدر معدل التساقطات خلال 41 سنة بـ 115 ملم بهذا الحوض يتم تسجيلها في مدة وجيزة (19 يوما) الشيء الذي يؤدي إلى فيضانات حملة أو ثلاث حملات في السنة. ويقدر معدل ارتفاع المياه السطحية بـ8. 10 ملم سنويا على مستوى الحوض كله مسجلة معدل 35 م$^3$ كواردات.

أما المياه الجوفية، فيتم استخراجها من طبقتين :

ـ الطبقة الترسبية : المكونة خلال الزمن الرابع على مساحة 35 كلم$^2$ بسمك 20 م يتم استغلالها بواسطة حوالي 60 بئرا وبمعدل صبيب 250 ل / ث. وبخصوص ملوحة مياهها فإنها تزداد حدة من الشمال الجنوبي حيث تم تسجيل مستويات تختلف من 1غ /ل إلى أكثر كم 7غ / ل.

ـ الطبقة الكلسية : المكونة خلال الزمن الأول والتي تنعش عيون واحة فكيك بصبيب مستقر تم تقدير بـ 170 إلى200 ب / ث. وقد تم إحصاء 28 فكارة (خطارة) بهذا الحوض.

وتعتمد الحياة الاقتصادية لهذا الحوض على الفلاحة بصفة عامة وتربية المواشي في المراعي بصفة خاصة إلي جانب الزراعة بواحة فكيك التي تمتد على مساحة تناهز 600 هـ والتي تحتوي الحصري على المدار الوحيد لفكيك الذي يتمحور حول جل النشاط الاقتصادي بالحوض.

تقدر ساكنة مدينة فكيك بـ 14.542 نسمة (1994) تستمد مياهها بواسطة بئر وثقب عميق (39 ل / ث) ويبقى هذا الصبيب كافياً بالنسبة لهذا المركز حتى سنة 2020 نظرا للنقص المسجل في عدد سكانها. وللمحافظة على الحياة الاقتصادية بهذا الحوض يجب مراقبة حفر الأبار بكل صرامة ودراسة إمكانية تعبئة المياه العميقة لحوض زوزفانا.

موحا حدوش

**زوستيرا** أو عشبة الأنقليس كما هو في المعاجم، نبات معمر بحري من فصيلة بوطاموجيتوناسي Potamogetonaceae. أوراقه خضراء، ضيقة وطويلة جدا تشبه الحزام مما أدى إلى تسميتها بزوستيرا الذي يعني باللاتينية الحزام ؛ يألف المداخل البحرية الضحلة كمصبات الأنهار والبحيرات الساحلية والسواحل البحرية الخليجية المحمية من اضطرابات الأمواج والقليلة العمق (بين متر و3 أمتار). نوعان من هذا العشب يعيشان في المياه المغربية : زوستيرا نانا وزوستيرا مارينا.

زوستيرا

يتميز نبات زوستيرانانا Zostera nana Roth بأوراق يتراوح طولها بين40 .10 سم ولا يتعدى عرضها ميليمترين، غمدها مشقوق ولها ثلاثة عروق رئيسية طولية، الجانبيان منها غير واضحتين. الجذور متفرعة جدا، الوردة مخضرة عارية تتكون من أسديتين وخباء واحد فقط، الورود صغيرة وأحادية الشق ولا عنقية، موضوعة على صفين متوازيين والثمار ملساء. النوع شائع في البحيرات

المغربية الساحلية : بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام وسيدي موسى والوليدية وخنفيس وشرم الداخلة وكذلك في مصبات الأنهار : تاهدارت واللكوس وسبو وأبو رقراق وأم الربيع وماسة وغيرها. تفضل الأماكن الوحلية الرملية وتقتات منها عدة أنواع من الأسماك : حلامة، الأنقليس، البوري وغيرها من الأصناف اللافقرية العاشية. تشكل مراعي بحرية شاسعة تستعملها عدة أنواع من الحيوانات البحرية كملجأ لوضع البيض وللبحث عن المأكولات وللحماية (خاصة منها القشريات الصغيرة والسرطانات النهرية : Carcinus aestuaris و Carcinus maenas ).

أوراق نبات زوستيرامارينا Zostera marina Linnaeus قصيرة وعريضة (بين 3-8 ميليمترات)، غمدها غير مشقوق ولها 3 -9 عروق رئيسية طويلة واضحة. الجذور متفرعة، الوردة خضراء عارية تتكون من أسديتين ومدقة، الورود موضوعة على صفين متوازيين والثمار محززة طوليا. يقتصر توزيعه الجغرافي على البحيرات الساحلية وبعض مصبات الأنهار الأطلسية من شمال الدار البيضاء إلى طنجة وفي بحيرات الساحل المتوسطي. غالبا ما تكون مراعي شاسعة في الأماكن الوحلية والرملية العميقة (من متر إلى عشرة أمتار) تلتجئ إليها حيوانات بحرية مختلفة تشكل مصدراً غذائيا هاما للطيور المائية المهاجرة في فصل الشتاء.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc : Evaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000; P. Fournier, *Les quatre flores de France*. I : Texte, Paris, 1977, 1105 p. ; M. Ibn Tattou, *La grande encyclopédie du Maroc, Flore*. 1987, p. 130 - 131.

نجاة الخياطي

**ابن زوليط، أحمد** قائد كان بجانب السلطان محمد المتوكل عند ما لجأ هذا الأخير إلى قصبة إسناده (الواقعة بقبيلة بني يطفت الريفية) في شهر رمضان 1985 نوفمبر 1577 ؛ كما كان بجانب السلطان المذكور في معركة واد المخازن.

San Roman, Fr. Antonio de, *Jornada y muerte del Rey Don Sebastian,* Valladolid 1603 ; Cruz (Fr. Bernardo da), *Chronica de El Rei don Sebastian*, Lisboa 1837 - y 1903.

محمد ابن عزوز حكيم

**زومي**، لكلمة زومي مدلولان، المدلول الأول أمازيغي ومعناه : المضيق، أو مكان يقع بين عدة هضاب وروابي ونجود وجبال وبالنظر في موقع زومي، فان اطلاق الكلمة زومي على هذا الموقع بهذا اللفظ دلالة حقيقية...

ومعنى الكلمة : زم أي ضيق، وهي نقيض واسع، وتشابهها كلمة زمزم القبطية، والسؤال الصعب الجواب هو متى أطلق هذا الاسم على هذه البقعة من بني مسارة ؟ ومن أطلقها ؟.

والمدلول الثاني للكملة هو أن الظاهر من تاريخ منطقة زومي أنها كانت مسكونة باهالي السوس الأدنى الذين ظلوا بها عشرات القرون قبل الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا وقبل زمان الترحيل، وغالب الظن أن هؤلاء هم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم "زومي" بناء على الموقع الجغرافي للمكان وعلى هذا الاحتمال فان التسمية قد تكون قديمة قدم السكان الأوائل الذين سكنوا المنطقة وهذا هو الراجح لدى عامة السكان الحاليين، فالموقع الجغرافي "لزومي" يوجد بين عدة جبال ونجود وهضاب وروابي منها : جبل تراسة، والبابة، والوسعة، وعين أقطار، وهضبة بونيريز وربوة السوق القديمة.

وطبيعة هذا الموضع تدل على أنه كان ذا مياه جارية تنساب إليه من الجبال والمرتفعات المحيطة به من كل الجوانب، وأنه كان كذلك ذا أشجار وارفة الظلال ومختلفة الثمار، وهذا الموقع هو ما يعنيه الاسم باللهجة البربرية.

ولكلمة زومي ما يناسبها من الأسماء في الوطن العربي مثل قرية : زومة بالجزائر، وقد يكون أصلها أيضا أمازيغياً، ومما يثير الانتباه أن أكثرية الأسماء والمواقع بمنطقة زومي مازالت أمازيغية إلى يومنا هذا، وعلى سبيل المثال : مدشر ازاريف، وعين أغيول وأسردون...

وقعت زومي تحت الاحتلال الفرنسي سنة 1927، وبنيت بها أول مدرسة أهلية لتعليم أبناء الأعيان سنة 1930، وتحولت إلى جماعة قروية سنة 1962، وظلت تابعة للعاصمة الإدارية الرباط حتى سنة 1968 حيث أصبحت تابعة لإقليم القنيطرة حتى سنة 1974 إذ أصبح الجزء الأعلى من قبيلة بني مسارة الذي يضم زومي تابعا لإقليم شفشاون، عدد سكان مركز زومي وحده : 2.175 نسمة وعدد الأسر بالمركز 472 أسرة.

أما عدد سكان الجزء الأعلى من قبيلة بني مسارة الذي يضم زومي فهو : 33.849 نسمة وعدد الأسر به هو : 5.517 أسرة...

عبد السلام البكاري

**الزوّاق** أو الزوّاقي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Zuac و Zaguaque و Azaguaque

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 786.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزوّاقي** أو الزوّاق **أحمد** بن الطاهر الكنوني الحسني. قدم جده الرابع أو الخامس من مدشر الزواقين بقبيلة بني مستارة المذكور إلى تطوان.

شيخنا الفقيه العلامة المشارك المدرس المفتي القاضي النزيه الورع القانت الخاشع، قال تلميذه الرهوني : سألته بواسطة عن ولادته وقراءته فأجاب بقوله : إن ولادته كانت عام 1277 (وما ورد في كتاب (الحركة العلمية الثقافية بتطوان) لسبطه الأستاذ إدريس خليفة من أنها كانت سنة 1276 سبق قلم) وأن شيوخه اللذين قرأ القرآن عليهم : والده المذكور والفقيه سيدي أحمد العروسي وسيدي محمد البوزراتي، وأن طلوعه لفاس كان في أوائل عام 1297 ورجوعه منها في أواخر شعبان عام 1305 وأنه قرأ العلوم الشرعية والآلية المعروفة على المشهورين يومئذ من علماء فاس وتطوان المشايخ : أحمد بن الخياط وكان عمدته، وعبد الملك العلوي الضرير، والكامل الأمراني، ومحمد بن التهامي الوزاني وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، والطيب ابن كيران وأحمد بناني ومحمد بن المدني كنون وأقرانهم، وبتطوان : محمد البقالي، ومحمد النجار الأنصاري ومحمد بوعزيز الجزائري وغيرهم. وأخذ عنه جل علماء تطوان بعده، وحج بيت الله الحرام في حدود عام 1326 ثم حج ثانياً عام 1331 وجاور بالمدينة النبوية أشهرا عاد بعدها لبلده ولعمله في الخطابة والتدريس وكان استخدم كاتبا بدار النيابة السعيدة بطنجة عام 1309 ولكنه ضاق درعا بها فاستقال

وعاد إلى بلده ودروسه فختم ما شاء الله من المتون العلمية ومنها ما قرأه كله مراراً كمختصر خليل أقراه مراراً على طوله، وبعد وفاة القاضي السيد التهامي أفيلال عين قاضياً بتطوان ولكنه استعفى منه وعين أستاذاً خاصاً للخليفة السلطاني الحسن بن المهدي الذي كان يجله ويدافع عنه اعتراض السلطة الإسبانية على شدته وصلابته في الحق، ثم أسند إليه منصب مشيخة العلوم والمعارف الإسلامية عام 1346 / 1927 ثم عين قاضياً بالقصر الكبير وتعرض للاغتيال بسبب معارضته للقائد الملالي فسلمه الله ورجع إلى تطوان فعين قاضيا للمرة الثانية، ثم قاضيا للناحية الجبلية، وظل كذلك إلى وفاته.

وهو في جميع هذه الأطوار لم يتقاعد عن الإمامة والخطابة والتدريس ولا نعلم في تطوان من كان في سنه ووظيفه وهو مواظب على الإمامة بجامع السوق الفوقي حتى في صلاة الفجر رغم تعرضه للسرقة ومحاولة الاعتداء عليه ومازلت أذكر لزومه محله تجاه المحراب عقوداً من السنين لتلاوة أذكاره وأوراده بين العشائين ولاشتغاله بتحرير الأحكام ومطالعة الدروس وتصفح الفتاوي والرسوم لم يترك مؤلفات الا مقيدات مسودات وطرراً كثيرة على كتبه لو تصدى لجمعها وتصنيفها لجاء منها كثير من الكتب والرسائل في مختلف الموضوعات.

ومن انصافه رحمه الله ما حدثني به الفقيه الأديب السيد محمد علال البختي وكان كثير المخالطة له أنه كان يذاكره في مسائل فروعية وغيرها ويشير إلى ضعف مدرك المالكية فيها، فكان يصغي باهتمام ويتأسف لفوات الوقت عن تدارك هذا والاشتغال به، ويقول هو العلم الصحيح لا مجرد الرأي ومثل هذا الموقف كان من تلميذه الفقيه محمد المرير الذي وقف على كتاب التمهيد لابن عبد البر لما أهدي إليه واجال النظر فيه، فتحسر وقال أنه لم يبق مجال في العمر للاشتغال به، ولم يلبث أن توفي الفقيهان نفعهما الله بنيتهما.

توفي المترجم بتطوان في 17 جمدى الأولى 1371 / 13 فبراير 1952 ودفن بالزاوية القادرية ورثي بكلمات وقصائد نشرت بمجلة *الأنوار التطوانية* عدد مارس ـ أبريل 1952.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاون*، 6 : 163، مخطوط ؛ 2 : 500 ؛ إ. خليفة، *الحركة العلمية والثقافية بتطوان*، طبع الأوقاف المحمدية؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 9 : 3273، ط. دار الغرب.

**الزواقي** أو الزوّاق **محمد** بن الطاهر الكنوني الحسني المستاري الأصل، قدم أحد أجداده من مدشر الزواقين بقبيلة بني مستارة إلى مجشر الكوف بقبيلة الحوز ومنها نزل تطوان واستوطنها.

الفقيه العلامة المشارك القاضي الأديب الكاتب الشاعر ولد بتطوان عام 1282 وحفظ القرآن على والده والفقيه البوزراتي، ثم شرع في القراءة والأخذ عن علماء بلده فأخذ عن سيدي المفضل أفيلال ومحمد البقالي وطبقتهما، ثم لحق شقيقه الفقيه السيد أحمد بفاس فلازم معه سيدي أحمد ابن الخياط وطبقته وشارك أخاه في جل شيوخه منكبّاً بكامل الاجتهاد والجد على التحصيل يساعده في ذلك ذهن سيال وحافظة قوية وعارضة أحوذى إلى أن

حصلت له الملكة وتأهل للتدريس والفتوى فرجع إلى بلده عام 1309 وعكف على التدريس والعدالة إلى أن استخدم عدلا بدار أعديل بفاس عام 1314 ثم عدلا بمرسى الجديدة 1316 / 1898 ثم عدلا بمرسى العرائش 1318 / 1900 ثم عدلا بمرسى الرباط 1322 / 1904 ثم عدلا بمرسى طنجة 1324 / 1906 وفي تلك السنة حج حجة الفريضة ثم رجع إلى بلده، وعند تأسيس أول حكومة خليفية بتطوان برئاسة الصدر الفقيه محمد ابن عزوز المراكشي عين المترجم له كاتبا للحكومة لما كان يعرف عنه من جودة إنشاء وبلاغة منطق وحديث الناس عن البيعة الحفيظية التي أنشأها بطلب من القاضي التهامي أفيلال فكتبها مجلسا بخط أنيق وإنشاء بديع. وبعد ما عين السيد أحمد الدكينة صدرا أعظم وغاب لموجب ناب المترجم له عنه خمسة أشهر حمدت فيها سيرته، واستجيدت سياسته وفي عام 1345 / 1926 عين قاضيا بمدينة القصر الكبير ومكث به إلى وفاته.

لا يعرف للمترجم له تأليف مستقل إلا أنه حرر كثيراً من التقارير والأحكام والرسائل ضاع أكثرها وهي لا تخرج عن مساره في الجودة لفظاً ومعنى، ويذكر عنه من اتفاق التعليم والتفهيم وابتكار الأساليب المفيدة في ذلك ما سبق به زمانه وتعاطى النظم إلا أنه كان يضن به لأنه يراه دون ما يريد ورأيت مرة عند بعض الناس نسخة من كتاب زهر *الأفنان من حديقة ابن الونان* وهو شرح سيدي أحمد بن خالد الناصري على قافية ابن الونان الشهيرة طبع على الحجر بفاس في مجلدين، وقد كتب المترجم له على هامشها طرراً متداخلة على طول الكتابة بخطه المتقن الدقيق اشتملت على فنون من التحقيقات والتدقيقات والفوائد البديعات ولا أدري مصير تلك النسخة، وإذا ضاعت ضاع بها علم غزير وفكر أثير ولله في خلقه شؤون.

توفي المترجم له بمدينة القصر الكبير عام 1374 / 1928 ودفن بضريح سيدي علي أبي غالب رحمه الله.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، 6 : 166، مخطوط ؛ إدريس خليفة، *الحركة العلمية والثقافية بتطوان*، المحمدية، 1994، 2 : 516.

محمد بوخبزة

**زويتن، أحمد** بن الحسن من مواليد مدينة فاس عام 1313 / 1895. أخذ العلم عن شيوخ القرويين : أحمد بن الجيلالي الأمغاري، وأحمد بن محمد ابن الخياط الزكاري الحسني، والمهدي الوزاني، وأحمد العمراني، ومحمد بن قاسم القادري وغيرهم. وأخذ التصوف عن الشيخ مَحمد بن المفضل ابن إبراهيم الأندلسي الفاسي (ت. 1326) وهو عمدته. كما أخذ الموسيقى عن حذاقها بفاس، كمحمد بوقاع، وأحمد بن الطاهر العلمي، وبرع في فن الموسيقى الأندلسية، كما برع في فني المديح والسماع.

وقد اشتهر زويتن بإنجازه لنسخة من *كناش الحايك*، نسخها بخط يده، وهي التي مهّد لها الحاج مَحمد ابن المليح دون أن يفصح عن ذكر اسمه والتي نشرت مكتبة الرشاد بالدار البيضاء نسخا مصورة منها في بحر عام 1392 / 1972.

وقد ظلت نسخة زويتن بمفردها عمدة الراغبين في حفظ أشعار الآلة الأندلسية إلى حين ظهور المجاميع التي أنجزها على التوالي عبد اللطيف بنمنصور عام 1397 / 1977 والمرحوم الحاج إدريس ابن جلون التويمي عام 1401 / 1981، والمرحوم الحاج عبد الكريم الرايس عام 1402 / 1982.

وقد كان أحمد زويتن على رأس وفد المسمعين المادحين الذين يستقدمهم السلطان المغفور له محمد الخامس من فاس إلى الرباط ليلة المولد النبوي، وكانت تسند إليه مهمة تسيير المجموعات الفنية بهذه المناسبة. فإذا أشرف الحفل على النهاية تصدى لإنشاد قصيدتين في مدح السلطان من نظم الوزير المعمري والنقيب عبد الرحمن بن زيدان، ينشدهما على طبوع الموسيقى الأندلسية.

وقد كان زويتن إلى جانب براعته في السماع والانشاد غزير الحفظ لأشعار رجالات التصوف وموشحاتهم وأزجالهم.

توفي بفاس في تاسع ربيع الثاني عام 1380 / فاتح أكتوبر 1960، ودفن في القباب خارج باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع : سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3354 - 1355 ؛ عبد اللطيف بنمنصور، *مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المعروف بالحايك*، 1397 / 1977، ص. 459 ؛ *رواية شفوية للفنان المسمع المكناسي مولاي إدريس الشبيهي*.

**زويتن، العابد** مطرب شهير، ولد بفاس عام 1350 / 1931. وقد التحق طفلا - بكتاب الفقيه فضول أكومي، فحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، ثم تحول إلى مدرسة الفقيه التادلاوي حيث حصل على الشهادة الابتدائية عام 1946.

وجد العابد زويتن في أجواء عائلته ما شجعه على أن ينخرط في ميدان الفن الموسيقي، فقد كان والده من حفاظ المديح النبوي ولم يتردد في أن يلقنه وهو في العقد الثاني من عمره - بعضا من مستعملات السماع والمديح ومختارات في الستينيات والمواويل، وبذلك نال استحسان ابن عمه شيخ المادحين بفاس أحمد بن الحسن زويتن سابق الترجمة.

في بداية الخمسينيات تعرف العابد زويتن على عازف القانون الفنان الغالي الخمسي الذي كان يرأس جوق الشعاع الفني بفاس، فضمه إلى مجموعته، وبذلك دخل دنيا الموسيقى العصرية كعازف على آلة الكمان.

وقد شجعه تعلقه بهذه الآلة على المشاركة في المباراة التي نظمتها الإذاعة الوطنية عام 1957 بهدف استقطاب عناصر شابة من المغنين والعازفين، وكانت لجنة التحكيم مشكلة من عبد الرحيم السقاط. والمعطي بلقاسم، ومحمد زنيبر، فحالفه النجاح، ودعي إلى الرباط يشتغل في جوق المنوعات برئاسة المرحوم أحمد الشجعي ؛ ثم لم تمض غير ثلاث سنوات حتى عاد في رفقة الشجعي إلى فاس ليشتغل معه في جوق الإذاعة الجهوية بها، وليشكل إلى جانبه ومعهما محمد المزكلدي والمرحوم محمد فويتح - كوكبة من الفنانين أهلت جوق فاس ليصبح في مقدمة الأجواق العصرية التي اسهمت في تطوير الأغنية المغربية.

تميز العابد زويتن في العزف على الكمان، وبرع في أداء المقدمات والفواصل الفردية، كما تفرد في تلحين مقطوعاته الموسيقية على هذه الآلة، وبذلك شذ عن غيره من الموسيقيين الذين كانوا يعتمدون آلة العود في تلحين الأغاني.

لحن العابد زويتن ما يزيد عن خمسين مقطوعة غنائية سجل أغلبها مع جوق إذاعة فاس. ومن بين هذه المقطوعات : كان يحن علي كان - فين غاب القمر - غير باللطافة - ضاعت لي نوارة - أنا اللي ابغيتو - سيدي يا رسول الله - يا حجاج بيت الله - بلادي - أنا امسامحك - صباح الخير - الربيع - الحب الكبير - أغنية رمضان - المشموم - هذي ثلث أيام.

وقد غنى للفنان زويتن مشاهير المطربين المغاربة في مقدمتهم المطرب عبد الحي الصقلي الذي أدى جل أغانية، ثم إسماعيل أحمد، والمعطي بلقاسم، ومحمد الإدريسي، ومحمد علي، ومحمد المزكلدي، وعماد عبد الكبير، وعبد المنعم الجامعي، كما غنى له من المطربات سعاد محمد، وتحفة المذكوري، ولطيفة رأفت، وعتيقة المجدوبي.

توفي في ذي القعدة عام 1419/ مارس 1999 عن عمر يناهز ثمانية وستين عاما بعد معاناه طويلة من المرض.

*بطاقة شخصية ضمن أرشيف الإذاعة الوطنية بالرباط* ؛ جريدة *العلم*، 11 مارس 1999.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **الزويزي، عبد الله** بن أيمن، فقيه من أهل أصيلا تولى القضاء بها. ويعتبر من الطبقة الثانية ممن نبغ من فقهاء المغرب، عاش في أواخر القرن الرابع الهجري. كان بعيد الصيت في الفتوى على المذهب المالكي، حتى صار مضرب المثل في ذلك، وقد قال عنه القاضي عياض : "وبه يضرب المثل إلى الآن بالمغرب، ويقولون : لا أفعل كذا ولو أفتاك به ابن الزويزي". وكانت له مشاركة في الجهاد بثغور الأندلس زمن الإمارة العامرية، على عادة كثير من فقهاء المغرب الأقصى. ورغم شهرة هذا الفقيه وذيوع صيته فإنه لا تعرف له ترجمة أو ذكر عند غير القاضي عياض، كما هو الشأن بالنسبة لعدد آخر من فقهاء المغرب في الفترات المتقدمة، كما لا يعرف تاريخ وفاته.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تح. سعيد أعراب، الرباط، 1982، ج. 7، ص. 110.

محمد المغراوي

## الزّوين ← سيدي الزوين

**الزيـّات** و**الزيـّاتي**، أسرتان تطوانيتان أصل الأولى من قبيلة غزاوة الجبلية وأصل الثانية من قبيلة بني زيّات الغمارية وانقرضتا بتطوان سنة 1201 / 1787. وقد أنجبتا عدة علماء وفقهاء وأدباء منهم عبد السلام الزيّات، كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1148 إلى 1156. وعلي بن محمد الزيّاتي فقيه تولى خطة العدالة من سنة 1020 إلى 1058 / 1611 - 1648.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1628.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزيّاتي، أحمد** بن يوسف بن مهدي العبد الوادي. أصله من بني عبد الواد من قبائل زناتة التي كان لها الملك والسلطان بتلمسان، انتقل سلفه إلى بني زيات - إحدى قبائل غمارة، واستوطنوا مدينة تيجيساس، وبها ولد المترجم عام 1953 / 1546 ولما ولي عليها من قبل المرينيين فارح بن مهدي، جلا عنها أهلها لظلمه، ونزل بنو مهدي بمدشر بني جلاّ (جلدث)، ثم رحل هو وأخوه محمد إلى فاس لطلب العلم - حيث أخذ عن جماعة من الشيوخ كأبي العباس القدومي - ولازمه مجلسه مدة، وأحمد المنجور، وسواهما ؛ ثم عاد إلى بلده فصحب أبا العباس أحمد الفلالي - دفين قبيلة بني بوزرة - بغمارة، وأخذ عنه طريق التصوف ؛ ولما مات، عاد إلى فاس - ثانية - فصحب أبا المحاسن يوسف الفاسي، فتأثر بسلوكه، ومال إلى الزهد والخلوة، ولبس الخشن من الثياب ؛ وقد ارتحل عن فاس

عندما اضطرب أمرها، فاستوطن تطوان، وتولى التدريس والخطابة بها، فانثال عليه طلبتها يحضرون مجالسه، ويأخذون عنه، فكان عالمها حقيقة.

ومن مؤلفاته :

ـ *أجوبة* مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط (571 ـ ك).

2 ـ *تأليف في الأنساب* بنفس الخزانة (654 ـ ك).

3 ـ *حاشية على رسالة ابن أبي زيد القيرواني* ـ مبتورة الأول ـ مخطوط الخزانة العامة ـ ضمن مجموع من ص. 40ـ 114 رقم (815 ـ ك).

4 ـ وله كتابات على طرر ابن عات.

5 ـ وحواش على التنائي الصغير ـ ذكرهما ابن أخيه عبد العزيز الزياتي في الجواهر المختارة 1 ـ179 ـ ب، 2 ـ133 ـ أ (مخطوطة خاصة). فأبو العباس الزياتي : عالم عامل، من أئمة النحو في عصره، حافظ للفقه، قائم عليه.

توفي بتطوان عام 1003 / 1594 ودفن بجوار سيدي طلحة غربي المدينة.

ابن القاضي، *درة الحجال*، دار النصر للطباعة، 1392 / 1970، 1 : 169 ؛ ع، العزيز الزياتي، *الجواهر المختارة*، مخطوطة ؛ ع. الرحمن الفاسي، *ابتهاج القلوب* ؛ م. العربي الفاسي، *مراة المحاسن*، ص. 227، ط. حجرية بفاس، 1324 / 1906 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 3 : 1070 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، تطوان، 1379 1959، 1 : 315 ـ 317.

سعيد أعراب

**الزيـاتي، الحسن** بن يوسف بن مهدي أبو الطيب أخو أحمد سابق الترجمة ولد في منتصف جمدى الثانية سنة أربع وستين وتسعمائة / منتصف أبريل 1557 ببلده، وبه أخذ مبادئ القراءة والعلوم ثم رحل إلى فاس وبعده لحق به أخواه فأخذ عنهما ولازم شيخ المقرئين أحمد بن قاسم القدومي إلى أن توفي فوجد عليه كثيراً. وأخذ عن عبد الواحد الحميدي *مختصر خليل*، وعن القصار *الموطا والصحيحين*، وأجازه هذا إجازة عامة بخطه وأخذ عن غيرهم حتى تضلع من المعارف وشارك في أنواع علوم عصره مع الضبط والتحقيق والإتقان، وكان له ولأخويه اعتقاد في الشيخ محمد النيجي فسمعوا أنه قصد أبا المحاسن يوسف الفاسي واتخذه شيخا فما كان من صاحب الترجمة إلا أن توجه إليه وأخذ عنه وختم عليه القرآن مراراً وعُني الشيخ أبو المحاسن به وأقبل عليه وقربه وازداد اختصاصه به إلى أن زوجه ابنته وأسكنه معه وكفاه مؤنته إلى أن توفي أبو المحاسن، وهو قبل ذلك وبعده منقطع للدرس والتدريس والتأليف فانتفع به خلق كثير وتدوولت مؤلفاته التي معظمها حواشٍ على كتب كحاشيته على شرح *المكلاتي للامية الأفعال* وعلى شرح *الشريف للآجرومية* وعلى شرح *الصغرى للسنوسي*، وعلى شرح *التنسى لضبط الخراز*، وعلى شرح *المكودي للالفية* وعلى مختصر *خليل* كتبها على هامش نسخته وهي جد مفيدة، وجمع أجوبة شيخه أبي المحاسن وشرح *الصلاة المشيشية ولامية الجمل للمجراد*، و*توضيح ابن هشام* رد فيه كثيراً على الأزهري في التصريح. كتب منه نحو النصف في سفرين ولم يكمل، كتب تقاييد وأجوبة وفوائد تركها في بطائق وأوراق متناثرة جمعها بعد وفاته ولده عبد العزيز.

ولما اختلّت الأحوال بفاس واضطرب الأمن وتفاقمت الفتن خرج المترجم فاراً بنفسه ودينه سنة 1022 / 1613 إلى جبل كُرت من بلاد عوف وأقام به متعيشا من أرض له هناك وماشية إلى أن مرض وتوفي يوم الثلاثاء بين الظهرين رابع وعشري رمضان سنة 1023 / 28 أكتوبر 1614 ودفن بزاوية الهبط من الجبل المذكور.

م. القادري، *الإكليل والتاج*، تح. مارية دادي، د. د. ع، مرقون؛ *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 2 : 228، ط رابعة بيروت.

**الزيـاتي، عبد العزيز** بن الحسن بن يوسف بن مهدي العبد الوادي، وأمه بنت الشيخ أبي المحاسن الفاسي، وبها شب ولد بفاس ونشأ وأخذ عن أبيه وخاله أبي حامد العربي الفاسي والعارف أبي زيد عبد الرحمن الفاسي وغيرهما من علماء فاس ورحل إلى مراكش فأخذ بها عن يوسف التاملي القراءات العشر له سلطان المزاحي الاجهوري وتضلع من العلوم والمعارف حتى صار إماما في الفقه والقراءات والتجويد والنحو هذا إلى الزهد والورع.

ولما التحق أبوه بالهجرة من فاس لنشوب الفتن والاضطرابات، نزل المترجم له بتطوان وسكنها وأم وخطب بجامع القصبة وأقرأ بها مدة إلى أن توفي بها. وكان له صيت ببلاد الهبط وغمارة وشفشاون وتطوان وشهرة بالفقه والعلم والصلاح على فتاء سنه، وقد وقفت على نسخة رسالة للمسمى سليمان نائب المجاهد الثائر الرئيس أبي عبد الله محمد فتحا العياشي السلوي يدعو فيها المترجم باسم رئيسه للدخول في طاعته ودعوة الناس إلى ذلك، وبعدها جواب المترجم يتضمن مدح المجاهد حركته الجهادية ويعد بالمطلوب، ومعلوم أن حركة العياشي فشلت باغتياله. وتعاطى في أول أمره علم الأوقاف وسر الحرف ثم وقع له ما أوجب الإقلاع عنه والزهد فيه.

للمترجم نشاط في التأليف، فقد شرح أرجوزة خاله العربي الفاسي في أحكام الزكاة في الفقه المالكي شرحاً حافلاً يعتبر أحسن شروحها بما جلب فيه من نقول غريبة، وفروع عجيبة، وقد طبع على الحجر بفاس قديماً في مجلد وجمع مجموعا في النوازل سماه *النوازل المختارة*، *مما وقفت عليه من النوازل ببلاد غمارة* في مجلد ضخم حوى كثيراً من أجوبة خاله وغيره من الفاسيين لا توجد إلا به إضافة إلى عشرات الفتاوي لكثير من فقهاء تلك النواحي

المغمورين، وبه فتاوى تتعلق بحكم شرب الدخان والتجارة فيه لأول عهد المغاربة به إلى أحكام المخالطين للبرتغال والأسبان وتسمية بعضهم وما قاموا به من أعمال، وهذا في غاية الأهمية لتاريخ هذه الحقبة وللكتاب نسخ كثيرة وما أجدره بالتحقيق والنشر، وقد نشرت في مجلة كلية الآداب بالرباط بعض هذه الفتاوي.

توفي المترجم له بمدينة تطوان في سنة خمسة وخمسين وألف / 1645. قال ابن عجيبة (وهو قريب العهد به) : ودفن بالقرب من ضريح الولي الشهير طلحة، وقبره يزار.

قلت : وما ذكر في المصادر الأخرى من أنه دفن خارج باب المقابر وبنيت على قبره قبة، غير صحيح، والله أعلم.

ابن عجيبة، *أزهار البستان في طبقات الأعيان*، ص. 146، مخطوط ؛ م. القادري، *الإكليل والتاج*، مرقون ؛ *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت،4 : 1421، بيروت، 1996 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 341، ط. تطوان ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 4 :16، ط. 4، بيروت.

محمد بوخبزة

**الزياتي، عمر** نسبة إلى قبيلة بني زيات إحدى قبائل غمارة، الرجل الصالح، الولي الفالح، الخير الفاضل الصوفي الكامل الزاهد الورع من أصحاب الشيخ أبي محمد عبد الله الهبطي.

أخذ عن الشيخ الشهير أبي محمد عبد الله الغزواني دفين حومة القصور من مراكش.

توفي رحمة الله عليه في العقد السادس من المائة العاشرة، ودفن بزاويته من قبيلته، وقبره مزارة.

م. ابن عسكر، دوحة *الناشر*، ص. 141، الرباط، 1976 ؛ م. القادري، *الإكليل والتاج*، مخطوط، ص. 155.

محمد بوخبزة

**زياد، أحمد** بن الحسن بن محمد الدمناتي ؛ يعدّ من روّاد المغرب في القرن العشرين في العمل الصحافي، والأدبي.

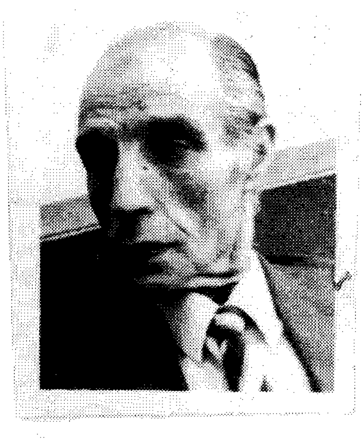

ولد في المدينة القديمة، بالدار البيضاء، سنة 1337 / 1919. ونشأ في حيّ ابن جدية، حيث حفظ القرآن الكريم، وبعض المتون. واجتهد في الاطلاع على عيون التراث العربي، شعراً ونثراً. ثم تابع دروساً ليلية للرفع من مستواه العلمي والمعرفي باللغة الفرنسية.

وحين اكتملت فترة النضج في تكوينه العصامي، عيّن مدرساً في إحدى المدارس الحرة بالدار البيضاء. وكان ممّا رشحه لهذه المهمة نشره لأول إنتاج أدبي له في صحيفة *الأطلس*. ثم طفق يراسل صحيفة *المغرب* لسعيد حجي منذ بداية صدورها. وكان عمله في المدرسة الحرة، وممارسته للكتابة الصحافية في جريدتين وطنيتين، هما : المدخل الذي عبر من خلاله إلى العمل السياسي والوطني، حيث بدأ بالاتصال بأسرة تحرير صحيفة البصائر الجزائرية لصاحبها الشيخ البشير الإبراهيمي. وشارك سنة 1936، في أول مهرجان دعت إليه الكتلة في مدينة الدار البيضاء. وهو المهرجان الذي أعقبته اعتقالات دامت تسعة وعشرين يوماً من شهر رمضان، قضاها المعتقلون في سجن غبيلة.

وإثر الحوادث التي أعقبت عريضة المطالبة بالاستقلال، في 11 يناير من سنة 1944، أصدر محمد غازي مجلة *رسالة المغرب*، حيث عمل إلى جانبهأحمد زياد مصححاً ومحرراً مسؤولاً عن إخراج هذه المجلة في أبهى صورة لمواصلة الكفاح ضد النظام الاستعماري وبلورة النشاط الوطني.

وقد مثّل ميلاد جريدة *العلم* في 11 سبتمبر من سنة 1946، إضافة نوعية إلى النشاط الوطني المقاوم للاستعمار. وكان أحمد زياد في طليعة المنضمين إلى أسرة تحريرها حيث تميز بعمله كمشرف على قسم المراسلات الذي جعله يتعرض لمتاعب ومضايقات يومية مع السلطات الاستعمارية. وكانت زاويته "من النافذة" من أكثر أعمدة الجريدة شهرة وتأثيراً، وكانت من أكثرها عرضة لمصادرة الرقيب.

وصاحب عمله الصحافي، ونشاطه الأدبي كناقد معروف، عمله الوطني في تأسيس خلايا المقاومة التي عرفت عنفوان نشاطها عقب نفي السلطان محمد الخامس وعائلته في العشرين من غشت 1953. وقد كان أبرز أدوار أحمد زياد في المقاومة، هو إشرافه على تنظيم أعمالها في شمال المغرب، في تطوان وطنجة. كما أشرف على تأطير المقاومة في خارج المغرب.

وإثر حصول المغرب على الاستقلال، عاد أحمد زياد من القاهرة التي عاش فيها ظروف اعتقال غامضة لم ينقذهُ منها سوى توسط الزعيم عبد الخالق الطريس، سفير المغرب آنذاك، لدى الرئيس المصري جمال عبد الناصر. واستأنف عمله الصحافي في جريدة *العلم* ليغادرها في أوائل الستينيات متقلباً في عدة مسؤوليات إدارية كان آخرها العمل في ديوان وزير الشبيبة والرياضة.

وقد تعدّدت التوقيعات التي عرفت بها كتابات زياد الصحافية، ومنها : هو، أبو طارق، المعطي، زياد، أبو صيحة... وهذا التوقيع الأخيرة هو الذي عرفت به زاويته "صيحة في واد" التي ظلّ مداوماً على كتابتها كل يوم خميس في جريدة *العلم*، إلى أن وافته المنية في ثاني وعشرين فبراير من سنة 2001، في منزله بالرباط، بعد معاناة طويلة لمرض في الصدر.

عرفت كتاباته الصحفية، بميلها إلى التحليل، والاستطراد المفيد، مع نزوع إلى السخرية التي ميزت معظم إنتاجه الغزير الذي فاق ألف مقالة مازال معظمها لم يصدر في كتاب، باستثناء زاوية "من النافذة" التي صدرت في كتاب سنة 1998 متضمنة مقالاته التي نشرها في فترة الاستعمار.

وصدرت له في سنة 1974، رواية "بامو" عن دار الكتاب، وهي عمل سردي رائد يسجل إحدى ملاحم المقاومة والكفاح المسلح. ومثّل تحويلها إلى فيلم سينمائي من إخراج إدريس المريني بداية لقاء الأدب والسينما في المغرب.

وفي سنة 1986، صدرت له قصة *قال الراوي*. كما صدر له كتاب *دفتر أيام في الدار البيضاء* (1990)، *وكتاب عن عبد الخالق الطريس* ومساره النضالي على شتى الاصعدة (1996).

وقد أقامت أسرة المقاومة وأعضاء جيش التحرير تأبينا ضخماً في الذكرى الأربعين لرحيل أحمد زياد، ترأسه الوزير الأول عبد الرحمن اليوسفي الذي أشاد بمناقب زياد وشجاعته وأخلاقه النادرة وصداقته له أيام الشدائد. كما تميز هذا اللقاء الذي حضره حشد كبير من رواد الحركة الوطنية والمقاومين والوزراء والمثقفين بكلمات لمؤرخ المملكة عبد الوهاب بنمنصور، والدكتور مصطفى الكثيري المندوب السامي للمقاومة وأعضاء جيش التحرير، وأحمد نصر الدين باسم المجلس الوطني المؤقت للمقاومة وأعضاء جيش التحرير، ومحمد التازي الصحافي السفير، ونجيب خداري باسم أسرة جريدة *العلم*، وأنور المرتجي باسم اتحاد كتاب المغرب.

ومازالت كثير من كتابات أحمد زياد، في حاجة إلى أن تجمع في كتب ستكون مفيدة للاطلاع على حقبة حافلة من تاريخ المغرب المعاصر عاشها زياد بوعي تحليلي لمّاح، وبروح من السخرية اللاذعة النادرة والعميقة.

توفي بالرباط يوم الخميس 28 ذي القعدة عام 1412 / 22 فبراير 2001

*معرفة شخصية* ؛ الحبيب الزلماطي، *مقالات أحمد زياد الأدبية، جمع ودراسة*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية آداب وجدة، 1996 ؛ صحف، *العلم*، *أحداث مغربية*، *الرأي*.

نجيب خداري

**زيَار**، بلدة جبلية تقع جنوب مريرْت بنحو 30 كلم وعلى مسافة 20 كلم إلى الشمال الغربي من خنيفرة وعلى مشارف الضفة الغربية لواد كَرُو، وتقع كذلك على الطريق الثانوية الرابطة بين خنيفرة ومولاي بوعزة.

يحيط بزيار سلسلة من الجبال أهمها تيكَرت (850 م). ترتكز اقتصادياتها على النشاط الرعوي وقليل من الزراعة ومن بينها الفواكه الموسمية، رغم أن المياه متواجدة بجوانبها، وعدد سكانها لم يدخل في الاحصاء الرسمي لعام 1994، مما يبعث على الظن أن النسيان داهمها بعدما لحقها الإهمال وسعى الخراب إلى قصبتها التاريخية.

ومع ذلك فان بلدة زيار خلفت بصمات في الكفاح المسلح ضد القوات الاستعمارية الغازية في مطلع القرن الماضي. فبعد ما استولى الجيش الفرنسي على خنيفرة عام 1918 بدأ يفكر في تأمين الطرق المؤدية إليها لضمان وصول الامدادات الحربية والمؤونة لوحداته التي رابطت بعين المكان.

بينما كانت فيالق عسكرية فرنسية متجهة إلى خنيفرة يوم 12 أبريل 1919 تحت قيادة الضابط بوشون، إذا بجماعات من المجاهدين الزيانيين رجال محا أوحمو تفاجئ العدو بزيار ومشارفها فسقط من الفرنسيين خمسة قتلى وأصيب عدد منهم بجراح، كما استشهد بعض المقاومين.

إلا أن ضابطا فرنسيا آخر اسمه دوكَا قرر ملاحقة المجاهدين في المرتفعات المجاورة، فوجد الزيانيين له بالمرصاد، فكانت معركة حامية، وصلت بالمتحاربين إلى الاشتباك بالأيدي واستعمال السلاح الأبيض، وتدخل الطيران الفرنسي في القتال، مما جعل القوى غير متكافئة. ومع ذلك، فإن الفرنسيين تكبدوا قتلى من بينهم عناصر من الكَوم المغربي، كما جرح منهم عدد آخر كان قائدهم دوكَا من بينهم.

وعادت زيار مرة أخرى تقتسم الصدارة في أحداث المقاومة مع غيرها من المواقع، في عام 1920، عندما ظن الجنرال بويميرو Poémyrau قائد المنطقة العسكرية بمكناس أن الهدوء أخذ يسود جهة خنيفرة فأوفد إليها كتائب بقيادة العقيد تيفوني (Theveney). لكن هذا الضابط وجنوده فوجئوا بوابل من النار يوم 20 يناير، بزيار وضواحيها، فأصيب منهم عدد من الجرحى والقتلى.

تلك هي زيار التي أصبحت القيادة العامة العسكرية الفرنسية تعتبرها من المواقع ذات الخطورة فأخضعتها للنفوذ العسكري وظلت تحت هذا النظام طيلة عهد الحماية.

L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 ; G. Bernier, *Moha Ou Hammou, guerrier berbère*, Casablanca, 1945 ; François Berger, *Moha Ou Hammou le Zayani*, Marrakech, 1929.

أحمد بنجلون

**زَيَّانْ**، اسم أرض "Pays" ورسم إتحادية قبائل من أكبر الاتحاديات التي عُرفت في نهاية القرن XIX ومطلع القرن XX : ورد كذلك بصيغة إزيان "Izaïan" الأمازيغية عند بعض الذين كتبوا حول الاتحادية في بداية القرن الماضي.

يرتبط تحديد أرض زيان "Le pays Zaïan" بتحديد العنصر البشري المنضوي تحت هذا الاسم. وهو أمر ليس بالهيّن بسبب غياب الإجماع عند الذين كتبوا في الموضوع.

فمن هؤلاء من أدخل تحت إسم زيان مجموعات بشرية مثل إشقرن وآيت إحند، وآيت سْكوكو. ومنهم من حصر زيان في قبائل بو محسوسن وأيت حركات وأيت كرات التي تعمر المجال الممتد حول خنيفرة من منابع واد سرو في الجنوب الشرقي بالأطلس المتوسط إلى حدود زعير بالهضبة الوسطى في الشمال الغربي.

فالناصري تحدث عن زيان (ظيان) كفخذ من ايت أومالو الذين هم بطنٌ من صنهاجة بفزاز. واعتبر إشقرن كفخذ مستقل ( *الاستقصا*، ج. 4، ص. 274).

ويعتبر Pillant كزيان كلا من القبائل التالية : بوحسوسن وأيت حركات وأيت كْرات Krat، وأيت عمر، وأيت سكوكو، وأيت إحند، وإشقرن، وأيت إسحاقم مع شك واضح عنده في انتماء أيت إسحاق وإشقرن إلى زيان.

أما بنداود فيتفق مع Pillant ما عدا فيما يخص إشقرن وأيت إسحاق الذين أبقى عليهم خارج زيان : وقد ميز بين زيان الغرب الذين سمّاهم زيان موحا أو حمو وزيان الشرق.

أما عباس Abès، فإذا كان واضحا في إلحاق قبيلة آيت عمر - وهي واحدة من ثلاث "قبائل" تشكل أيت سگوگو - بزيان فموقفُه غير واضح بالنسبة للقبيلتين الأخريين اللتين تنتميان إلى أيت سگوگو.

يظهر من خلال كتابات هؤلاء الأشخاص الثلاثة أن قبائل بوحسوسن وأيت حركات وأيت كرات تنضوي تحت اسم زيان بدون ضبابية بينما تبقى قبائل إشقرن، وأيت إحند، وأيت إسحاق، وأيت سگوگو محط شك وغموض وفي 1929، أدمج سعيد گنون القبائل الثلاث الأولى في زيان وترك أيت سگوگو جانبا.

أما خريطة قبائل المغرب (أقاليم الشمال) الصادرة سنة 1977 بمقياس 500000 / 1 فقد اعتبرت آيت سگوگو كاتحادية مستقلة، وايت إسحاق وآيت إحند كقبيلتين مستقلتين وإشقرن كشبه اتحادية sous-confédération خارج حدود اتحادية زيان.

وبالنظر إلى غياب الإجماع فيما يخص المجموعات المكونة لهذه الاتحادية أو اتحاد اتحاديات وقبائل زيان، يبقى أمامنا خياران : إما أن نعتبر الحد الأقصى لمضمون الاسم ونعتبر آنداك كل المجموعات التي ورد اسمها مرتبطا بزيان بأي شكل من الأشكال، وإما أن نعتبر الحد الأدنى المتفق عليه في الأدبيات المذكورة : وهو الخيار الذي نحتفظ به (علما بأننا سنخصص تقديما مستقلا لآيت سگوگو لاحقا في مادة "س").

سيكون زيان على هذا الأساس هي القبائل التي تستوطن حاليا بالمجال الممتد من وادي سرو الأعلى بالأطلس المتوسط (على ارتفاع 2278 م) في الجنوب الشرقي إلى حدود أضيق منطقة بينهرية فاصلة بين واد بورقراق وواد گرُو في الشمال الغربي بالهضبة الوسطى.

فما هي خصائص هذا المجال الزياني ؟

تمتد أرض زيان في الحدود المذكورة على مسافة 120 كلم طولا وبين 15 كلم إلى 55 كلم عرضاً وتقدر مساحتها بحوالي 4000 كلم$^2$.

يصاحب الامتداد الشاسع لأرض زيان من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي تنوع طبيعي ساهم في تكون محاطات المجموعات البشرية وتنظيم حياتهم الرعيزراعية القائمة على الإنتاج إلى وقت قريب.

فأرض زيان تتكون من مجموعتين طبيعيتين متميزتين من حيث الارتفاع والأشكال التضاريسية والمناخ والموارد الرعيزراعية هما الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى.

أما الأطلس المتوسط فلا يمثل سوى حيز جد ضيق بالنسبة للهضبة الوسطى في أرض زيان، يشغل أقصى جنوب شرق هذه الأرض، وتمثله النهاية الجنوبية الغربية للأطلس المنضدري وذلك في كل من كوس أغبال وكوس أجدير - حيث أگلْمام أزگزا - وكوس سْرُو. وهي "أكواس" تتراوح ارتفاعاتها بين 1100م و1750م نحو الداخل وتبقى متماسكة ما عدا كوس سرو الذي قطعه هذا الواد ورافدهُ واد شبُوكة.

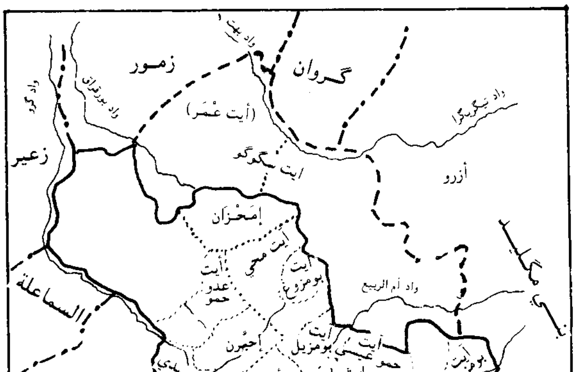


شكل رقم 1 زيان القبائل وموقعها

والحديث عن الكوس يعني سيادة الصخور الكلسية التي تساهم في التخفيف من الجريان السطحي وفي تخزين المياه باطنيا خاصة وأن صخور الترياس غير المنفذة تأتي مباشرة تحت الكلس اللياسي.

ونظرا لارتفاع الأكواس وتعرضها مباشرة للرياح الغربية الرطبة، فهي تتوصل سنويا بكمية كبيرة من التساقطات تفوق 700 مم، بعضها يأتي على شكل ثلوج خلال الشتاء والربيع عندما تكون الحرارة منخفضة. أما في الصيف فتبقى هذه الأخيرة ألطف مما هو عليه الحال في الأراضي السفلى (الهضبة الوسطى).

إن للارتفاع وللمناخ الدور الكبير في الانتشار الكبير للغابة في شكل درجتين السفلى (دون 1500 م) للبلوط الأخضر والعليا للأرز.

وأما الهضبة الوسطى، فهي مجموعة تضاريسية كبيرة فاصلة بين الأطلس المتوسط شرقا والمحيط الأطلسي غربا، لا يشغل منها زيان سوى حيز ضيق جدا : يمتد من قدم الأطلس المتوسط إلى أضيق قطاع يفصل واد بورقراق ورافده واد كرو في الشمال الغربي وبين الوادين عموما.

يتوزع هذا المجال "الهضب وسطى" الزياني على وحدتين : الوحدة الشرقية "La dépression orientale" والأراضي العليا "Le haut pays" حسب تقسيم Beaudet Gaston.

تنحصر الوحدة بين الأطلس المتوسط شرقا وبين الأراضي العليا غربا المفصولين بمسافة 40 كلم تقريبا. وهي مشكلة من منخفضات تتراوح ارتفاعاتها بين 700م و100م وغالبا بين 850 و950م وتتخذ إما شكل سهول عليا أو مناطق متن شيستية ومن أعراف مصففة أحيانا وذات اتجاه جنوب - غربي - شمال شرقي. تحد ارتفاعاتها إلى1200 .1300 م مثل جبل أزدوز (1334 م) وجبل تابيثوت (1289 م) وجبل حديد (1203 م).

أما الأراضي العليا، فتمتد غرب الوحدة الشرقية التي تفصلها عنها منحدرات قوية (abrupts) وأجراف على عمق 50 .60 كلم بين النهايتين الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية.

وأهم ما يميز هذه الوحدة هو ارتفاعاتها الكبيرة بالنسبة للوهدة مما يجعلها مشرفة عليها، وكون حيز كبير من أراضيها مشكلا من الهضاب بالإضافة إلى المنخفضات والأعراف.

تنتشر هذه الأخيرة بشكل واضح في الطرفين الجنوبي الشرقي والشمالي الغربي تاركة السيادة للهضاب والمنخفضات في الوسط. وتبقى أعراف الجنوب الشرقي هي الأكثر ارتفاعا حيث توجد قمم بين 1300 م و1627 م. كما تحيط سهولاً مثل سهل أكلموس وأحواضا متينة مثل حوض بلاد إجبرن وحوض بلاد الكعدة الملتصق به.

أما الحيز الهضبي بين مجالي التصفيفين العرفيين فامتداده كبير ويشمل هضابا مختلفة، بعضها متكتلة غرانيتية مثل هضبة امنت Ment (1280 م) وبعضها متقطعة مثل هضبة فوغال بشرق مولاي بوعزة وبعضها بركانية كما هو حال الهضبة الواقعة بين هضبة منت شمالا وشمال حوض بوحسوسن المعلق. وتبقى سطوح هذه الهضاب عبارة عن متن (تشكيل).

تشكلت تضاريس الوحدتين وهي تضاريس أبلاشية في صخور قديمة تعود للزمن الأول (شيست، كوارتزيت، غرانيت...) وهو وضع جيومرفلوجي وجيولوجي لا يسمح بتوفر مياه دائمة كثيرة بسبب ضعف إمكانية الخزن الباطني في الفصل المطير بالرغم من أن التساقطات تتعدى 500 مم وبسبب التبخر خلال فصل الصيف حيث ارتفاع الحرارة بالمنخفضات. ولا يسمح بتكوين تربات غنية ومتصلة بل لا يسمح بتفاعل مع المناخ سوى بغطاء نباتي مطبوع بالفقر.

هذه الظروف الطبيعية المتباينة بين الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى وداخل كل مجموعة منهما ساهمت في قيام نمط عيش واقتصاد مبني على التكامل والتنقل داخل إطار الاتحادية الذي كان يشكل المجال الأمني قبل الحماية.

السكان تنظيمهم وتطورهم :

ينتمي زيان إلى ما يعرف باتحادية أيت أو مالو التي على ما يبدو استقرت مجموعاتها بالمنطقة بعد القرن الحادي عشر (17 م). ومن ضمنهم زيان [الغرب حسب تمييز بنداود]، اللذين لهم حدود مشتركة مع كل من بني مگليد الجنوبيين بآيت أومناصف)، وآيت إحند وإشقرن، وآيت إسحاق من الشرق والجنوب الشرقي، وبني زمور والسماعلة من الجنوب، وزعير وزمور من الغرب والشمال - الغربي وأخيراً أيت سگوگو من الشمال والشمال الغربي على مسافة كبيرة. (انظر خريطة القبائل بمقياس 500000 / 1. أقاليم الشمال (1977).

يتشكل هؤلاء الزيانيون من 3 مجموعات قبلية تضم 16 قبيلة تنضاف إليها قبيلة أولاد سيدي بوعبّاد والشرفاء. موزعين كما يلي :

| مجموعة قبائل | أيت كرات | أيت حركات | بوحسوسن |
|---|---|---|---|
| القبائل | أيت عمو عيسى | أيت شرط | حمّار |
| | أيت بومزيل | أيت لحسن وسعيد | أيت رحو |
| | أيت بومزوغ | أيت بوحماد | أيت فسكات |
| | أيت بوحدو | أيت معي | أيت بوخيو |
| | أيت لحسن | إحبّرن | أيت شگ |
| | | أيت حدو وحمو | |
| المجموع | 5 | 6 | 5 |

وينتمون إداريا إلى دائرة خنيفرة بإقليم خنيفرة التي لا يدخل في نفوذها بجانبهم سوى آيت سگوگو (جهة مكناس - تافيلالت) وقد سميت على عهد الحماية بدائرة زيان لمدة طويلة.

يتوزع زيان منذ 1992 على11 جماعة قروية وبلدية (خنيفرة) و5 مراكز، بعد ما كان توزيعهم قبل ذلك يقتصر على 4 جماعات قروية من جهة قطعت على النحو التالي :

- جماعة أگلموس الأم التي قسمت إلى جماعتين : أگلموس وسيدي حسين.

- جماعة موحا وحمو الزياني الأم التي قسمت إلى 4 جماعات :

* موحا أحمو الزياني
* الهري
* أگلمام أزگزا
* البرج

- جماعة مولاي بوعزة الأم التي قسمت إلى 3 جماعات :

* مولاي بوعزة
* حد بوحسوسن
* سبت أيت رحو

- جماعة سيدي عمرو الأم التي قسمت إلى جماعتين : سيدي عمرو سيدي الأمين 2001، فالساكنة الحضرية تتميز بتمركزها بخنيفرة وأملو إغربن حيث يعيش 81٪ من سكان المدن عند زيان.

أما كون نسبة ساكنة الريف في تراجع، فهذا لا يعني تراجعا في العدد المطلق الذي يسجل ارتفاعا متواصلا من إحصاء لآخر. ويعني ذلك زيادة في الكثافة السكانية التي تطورت من 18 نسمة / كلم$^2$ في 1960 إلى 20 نسمة / كلم$^2$ في 1971 ثم 24 نسمة / كلم$^2$ في 1982 وأخيراً 28،3 نسمة / كلم$^2$ في 1994. وقد تكون 30 نسمة / كلم$^2$ الآن (2001).

يصاحب التطور الحاصل في الساكنة من الناحية الكمية وكذلك على مستوى بنيتها وتوزيعها المجالي مشاكل تحتاج إلى حلول بهدف ضمان ظروف عيش مقبولة. وهي مشاكل ذات طابع اجتماعي واقتصادي وبيئي نذكر منها الغذاء والشغل والخدمات والتدبير العقلاني للموارد الطبيعية.

قد يتسنى الحل إذا كان الاقتصاد يعرف تطوراً يتناغم وتطور السكان وحاجياتهم وإلاّ فلا مفرّ من سيناريو الهجرة والضغط على الموارد وهما وضعان لا يخدمان دائماً التنمية المستديمة. فهل يتحرك الاقتصاد الزياني بالسرعة المطلوبة ؟

ارتكز اقتصاد زيان دائما على القطاع الأول الممثل في تربية الماشية والزراعة واستغلال الغابة. ولا تأتي القطاعات الأخرى إلا في درجة ثانوية جدا. فإلى مطلع الثلاثينيات كانت حياة الانتجاع هي السائدة وذلك ما تعكسه أدبيات تلك الفترة ومنها دراسة Suzanne Nouvel (1919، ص. 63 .65 ) ودراسة سعيد كنون (1929، ص.18 .25 ) فالأولى تصف حياة الزيانيين كمتعاطين للانتجاع لكنهم يملكون كذلك بعض الأراضي الزراعية الخصبة كما هو الحال بالنسبة لفخذات الوسط الذين يضطرون للانتجاع خلال الصيف نحو أودية الأطلس المتوسط... حيث تروي الوديان النازلة من الجبل المراعي. لكن ابتداءً من أكتوبر يتم النزول نحو الأراضي المنخفضة ما بين واد گرو وواد بورقراق. وبجانب الكسب يزرع زيان الحبوب (شعير وقمح) بالأراضي المنخفضة أي بأزغار والذّرة بالجبل وذلك بالأراضي.

ومن جهة ثانية على مركز حضري مستقل هو خنيفرة في 1960 قبل أن تظهر الخمس مراكز الأخرى تدريجيا، ففي 1971 أحصي كل من أگلموس ومولاي بوعزة وكهف النسور كمراكز وفي 1982 أملوإغربن وفي 1992 حد بوحسوسن، وللإشارة كان وضع خنيفرة في إحصاء 1982 قد تحول من مركز مستقل إلى بلدية وذلك بارتباط مع دورها كعاصمة للإقليم منذ خلق الإقليم في 1973.

إن إعادة التقسيم الجماعي والإداري فرضته التحولات الاجتماعية والاقتصادية والمجالية التي عرفتها المنطقة خلال 3 عشريات شأنها شأن باقي المناطق بالبلاد وانشغالات المسؤولين بإنعاش التنمية.

فمن ناحية الساكنة ارتفع عدد (الزياتيين - بما في ذلك سكان خنيفرة - بين 1960 و 1994 بـ127.000 نسمة (أي بـ 142٪ وكان ذلك بمعدل 3.736 نسمة في السنة. إلا أن

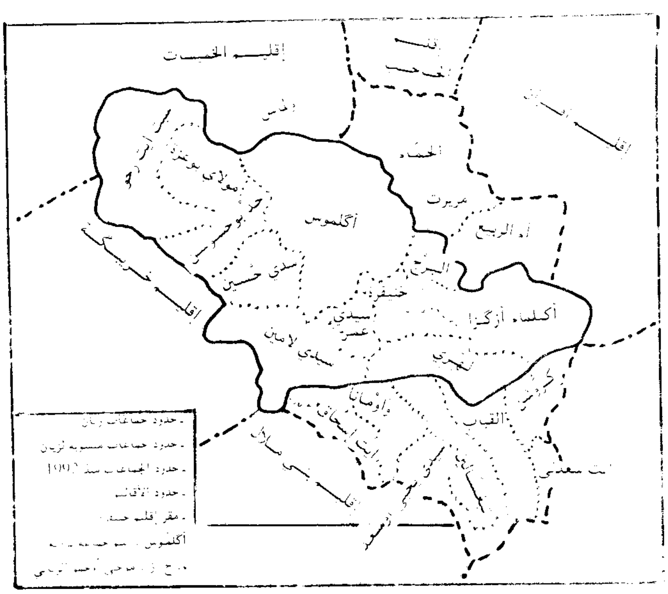

شكل رقم 2 - التقسيم الجماعي عند زيان منذ 1992

اعتبار الفترات البيإحصائية الثلاثة منفصلة عن بعضهايين أن وتيرة النمو تتزايد سرعتها من فترة إلى أخرى. فبعدما كانت الزيادة المطلقة السنوية تقدر بـ 2.135 نسمة في الفترة الأولى، ارتفعت إلى 3.762 نسمة في الفترة الثانية ثم إلى 5.172 نسمة في الفترة الثالثة. إنها نزعة مثيرة للتساؤل حول أسباب التسارع. فما هو دور الزيادة الطبيعية ودور التوافد ؟

أما التوافد، فلا يظهر أن الأرياف تجلب السكان مادامت ساكنتها تنمو ببطئ كبير بسبب النزوح. ويبقى جليا أن للتوافد على المركز وبالخصوص على خنيفرة مقر الإقليم والدائرة وعلى أملو إغربين (منامتها) الدور الأكبر في تفسير الظاهرة. وما نسبة نمو ساكنة المدن بين 1960 و1994 التي وصلت إلى 458.2٪ في الوقت الذي لم تصل فيه نسبة نمو الريفيين سوى إلى 59.4٪ إلا دليل أول على ذلك.

ساهمت حركية السكان وتدخل الدولة عن طريق التقسيم الإداري والترابي في تغيير بنية الساكنة حسب مقر السكنى : فبعد ما كانت السيادة لساكنة الأرياف بـ 80٪ في 1960 لم تعد نسبتهم تمثل سوى52.3٪ في 1994 نسبة أعلى بقليل من المعدل الوطني آنذاك. ويرجع أن تكون هذه النسبة قد نزلت اليوم (2001) إلى 48٪ فقط.

وإذا كانت نسبة التمدين قد ارتفعت إلى ما بين 50 و52٪ في المسقية.

أما الثاني الذي اعتمد في تقسيمه لأراضي زيان تقسيم السكان القائم على ثلاث مناطق وهي آزغار وأم الربيع وجبل زيان، فقد أكد ما ورد عند S. Nouvel بشيء من التفصيل.

فالآزغار يمثل أرض المراعي بفضل وفرة الكلأ، ولطف الحرارة وتوفر المياه الكافية عن طريق الآبار. به يقضي السكان الشتاء والربيع عندما تسطع به الشمس الدافئة وتكسوا الثلوج الجبال. أرضه كانت جماعية ولا تنتفع منها الأسر إلا مؤقتا باستثناء أيت بوحدّو الذين كان لهم وضع خاص. كانت الرقعة المحروثة ضيقة.

أما الجبل الممتد من جبل تغات إلى بوكجدي وأفلكتور شرقاً فهو منطقة متوسطة الغنى نظراً لسيادة الصخر في الأجزاء المرتفعة التي تكسوها غابات الأرز الجميلة. لكن هذا لا يحول دون انتشار الأراضي المسقية بالأودية كما هو الحال عند أيت بومزوع وأيت شراط.

وعند الأجزاء السفلى القريبة من النهر تنتشر بمجموعة من السهول الغنية بل وأودية مستغلة زراعيا.

والجبل هو كذلك منطقة قصور زيان ففيه يعيش "السكان الرحل" تحت الخيام بجوار الحقول التي تحرث وتحصد غلاتها وبجوار العيون لإرواء الماشية خلال الصيف والخريف.

وإذا كان الزيانيون كسّابة بالدرجة الأولى، فكسبهم اعتمد على الأغنام والماعز ومكانة الأبقار والخيليات ظلت ثانوية بحيث بموازات مع قطيع أغنام وماعز من حجم 500 - 600 رأس في ملكية شخص واحد لم يكن عدد الأبقار يتجاوز 10 (S. Guennoun, 1929, p. 20).

أما ميلهم للكسب فلم يمنع من تنوع مزروعاتهم فهم تعاطوا لأنواع كثيرة من المزروعات مثل الحبوب التي كانت سائدة والقطاني والخضر والأشجار المثمرة (عدا الزيتون).

وبجوار النشاط الرعيزراعي استغل الزيانيون الغابة التي تاجروا بمنتوجاتها مع الخارج كما تاجروا بالماشية. وقد اشتهر منهم باستغلال الغابة كل من أهل أسويل وشرفاء تاسگرت.

كانت هذه الصورة عن زيان وحياتهم واقتصادهم قائمة إلى مجيء الاستعمار الذي شكل منطلقا للتحولات التي قادتهم ومجالهم إلى الوضعية الراهنة.

فزعزعة أسس تنظيم الإنتاج التقليدية بدأت مع حرب الغزو التي مزقت وشتت السكان وأهلكت ماشيتهم وأحرقت زرعهم ودمرت قصورهم.

ولم تكن عودتهم بعد الهدنة لتوجد الظروف الاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية لما قبل الحرب.

فاستقرار الأسر فرادى أو بمجموعات صغيرة جداً يعني التخلي عن حياة الانتجاع لصالح الزراعة وعن وضع الأرض الجماعية للملكية الخاصة ويعني تلاشي دور المؤسسات التقليدية.

وقد ساهم هذا التحول في زيادة رقعة الأراضي الزراعية عن طريق الاجتثات وتوسيع أراضي الملك الخاص. ومما عجل بالتطور تخوف السكان من تسلط المعمرين على أرضهم إما مباشرة أو عن طريق إدخال الغابة في الملك العمومي وقد كان الأعيان هم السباقين للاجتثاث والتملك وبناء المنازل خاصة بالآزغار.

تواصلت هذه النزعة التطويرية طيلة أيام الحماية وبعد الاستقلال بارتباط مع تطور عدد السكان والمنظور الجديد للجماعات المحلية وحركاتهم الأفقية وهاجس التنمية عند الدولة.

وكان من نتائجها تحول في تنظيم وبنية استعمال الأرض. ففيما يخص التنظيم يتلخص التحول في المرور من نظام المحطات المتدرجة والتراقص الفصلي الذي يمثل حياة الانتجاع إلى نظام الحلقات والتناوب السنوي الذي هو نظام الزراعة الفلاحية.

وأما فيما يخص البنية من حيث الاستعمال الرعيزراعي فالتطور قاد إلى تقسيم المساحة العامة على النحو التالي :

- الأراضي الغابوية 32٪
- الأراضي الزراعية (SAU) 30٪
- المراعي 27٪
- الأراضي الأخرى 11٪ Terres incultes.

وإلى تقسيم الأراضي الزراعية (ومساحتها 121.000 هكتارا) على النحو التالي :

- الحبوب : 49،4٪
- الأراضي المستريحة : 43،3٪
- المزروعات العلفية : 5،0٪
- الأشجار : 1،3٪
- الخضر والقطاني : 1،0٪

وللإشارة3٪ فقط من الأراضي الزراعية (SAU) مسقية وهي نسبة ضعيفة. ويتم استغلال الأراضي الزراعية في إطار استغلاليات صغيرة وعائلية تشرك بين الزراعة وتربية الماشية في إطار تقليدي.

وبالرغم من توسع النشاط الزراعي فمكانة الكسب لازالت كبيرة وربما أهم نظرا لاستقرار موردها بخلاف تذبذب الإنتاج الزراعي بارتباط مع التساقطات. فزيان يمكلون في الوقت الراهن حوالي 320 ألف رأس غنم بمعدل 2،8 رأس لكل ريفي وحوالي 110 ألف رأس ماعز أي تقريبا رأس واحد لكل ريفي. وما يقرب 20.000 رأس من البقر.

يتضح من خلال هذه المعطيات أن القطاع الرعيزراعي الذي يشكل ركيزة الاقتصاد الزياني لازال تقليديا وغير مندمج وهو وضع لا يساهم في الإستجابة لحاجيات الساكنة المتزايدة مما يفرض عليها اتخاذ حلول قد تتنافى ومتطلبات التنمية المستديمة ومنها تدهور الغابة والمراعي...

أما حل الهجرة فهو كذلك وارد وهو سبب تباطئ نمو الساكنة الريفية.

يسجل المجال الزياني على غرار المجالات المجاورة له دينامية متواصلة تعكسها التحولات في مقوماته وفي تنظيمه وفي علاقاته بالخارج.

فسكانه تخلوا عن حياة الانتجاع ووسعوا النشاط الزراعي مما أدّى إلى تشبيب السكن.

أما ارتفاع عددهم وعجز الاقتصاد الفلاحي عن تلبية حاجياتهم فيشكلان عاملا على النزوح نحو المراكز وأساسا نحو خنيفرة (ونحو جهات أخرى) مما جعل نسبة التمدين تتراجع وطرح مشاكل من نوع آخر مادامت المراكز لا توفر التجهيزات والبنى التحتية الضرورية لإستقبالهم.

والملاحظ أن أهمية الدينامية غير متجانسة وهو ما يعني تفارتاً في التنمية، كما أن هذه الدينامية لا تعني تحقيق التنمية المتسديمة مادام هناك خطر واضح على الموارد الطبيعية.

ورغبة في تفادي هذه الأخطار وتحقيق التنمية المرغوب فيها اهتمت الجهات المسؤولية منذ أزيد من عقدين وأحيانا بتعاون مع منظمات دولية بتنمية المنطقة عن طريق برامج مختلفة مثل برنامج تحسين المراعي (A. P. T. L) ومثل مشروع واد سْرُو حيث يتوخى إشراك السكان.

أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، الجزء 4.


M. Abès, *Les Izayan d'Oulmès, A.B.*, 1915 ; G. Beaudet, *Types d'implantation humaine en pays Zaïan, RGM*, n° 8, 1965 ; *Le plateau central marocain et ses bordures. etude géomorphologique,* Rabat, 1969 ; J. Célerier, *La dépression du Serrou (Moyen Atlas Central), R.G.M.,* VI, 1928 - 1929, p. 110 - 121 ; G.S. Colin, *Origine arabe des grands mouvements de populations berbères dans le Moyen Atlas, Hesp.*, tome XXV, 2è + 3è trim. consacré à *la montagne marocaine*, 1938 ; M. et E. Gouvion, *Kitab Aayane al-Maghrib al-Aksa,* Alger, 1939 ; S. Guennoun, *La montagne berbère : les Aït Oumalou et le pays Zaïan.* 1929 ;E. Laoust, *L'habitation chez les transhumants du Maroc central,* Paris, 1935 ; V. Loubignac, *Etude sur le dialect berbère des Zaïan et Aït Sgougou*, Paris, 1924 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc. Etude géographique*, Thèse d'Etat es-lettres, 2 vol., Paris, 1970 ; S. Nouvel, *Nomades et sédentaires au Maroc*, Paris, 1919 ; R. Peyronnet, *Tadla : pays Zaïan - Moyen Atlas*, Alger, 1923.


محمد كربوط

**زَيّــان** (وقعة -) تميزت علاقة المخزن العلوي بقبائل الأطلس المتوسط بوجود تمايز بين ما يسمى ببرابرة الجبل ومن ضمنهم زيان، وبرابرة الوطاء كزمور وأيت إدراسن وكروان والذين اتخذ منهم السلاطين حلفاء لمواجهة حلف أيت أومالو ومن انضم إليهم من قبائل الجبل. وقد ظهر هذا التمايز بشكل جلي خلال عهد المولى إسماعيل الذي أراد احتواء القبائل الجبلية العاصية بالاعتماد على قبائل الدّير والسهول كأيت إدراسن وأيت يمور وزمور، مستغلاً في ذلك تنافس هذين الفريقين على مجالات الحرث والرعي. وهو تنافس كاد يصبح أكثر حدة مع حركة الانتجاع وتنقل القبائل من مكان إلى آخر بحسب وفرة أو ندرة الموارد الاقتصادية. وقد استطاع المولى إسماعيل ومن جاء بعده من السلاطين أن يرسخوا التحالف بين المخزن و"برابرة الوطاء" الذين أصبحوا يشكلون حسب الزياني "برابرة الدولة" في مواجهة برابرة الجبل.

هذا التحالف الذي أقامه العلويون مع برابرة الوطاء لم يكن تحالفاً قاراً ودائماً، بل كان مثل التحالفات القبلية يخضع لعدة اعتبارات مصلحية وظرفية، وكثيراً ما كان هذا التحالف يتعرض للانهيار بفعل التناقضات الموجودة بين قبائله، أو بفعل السياسة المخزنية التي كانت تقتضي توحيد كل برابرة الوطاء تحت قيادة واحدة قد لا تلقى القبول لدى طرف أو آخر، أو ظهور تناقضات بين قبائل هذا الحلف وجيرانهم من القبائل العربية. وكثيراً ما كان المخزن يتدخل في النزاعات التي تقوم بين القبائل فيناصر أيت إدراسن ضد كروان، أو أيت يمور ضد زمور، وقد تأخذ الأمور طابعاً أكثر حدة عندما يساند قبيلة عربية كبني حسن ضد قبيلة أخرى بربرية. لذلك فإن التحكم في هذه السياسة القبلية لم يكن بالشيء السهل وكان يحتاج إلى الكثير من المرونة والحنكة السياسية والمعرفة الدقيقة بمصالح وحساسيات كل طرف من أطراف المعادلة.

وعند بداية القرن الثالث عشر (19 م) اجتمعت كل العوامل الكافية لنسف تحالف المخزن ببرابرة الوطاء من جهة، ولتسهيل التقارب بين هؤلاء وخصومهم التقليديين برابرة الجبل. فالمولى سليمان سلك سياسة متشددة جعلته يطمح إلى مركزة الإدارة المخزنية وبسط سلطتها في أماكن لم يكن إخضاعها بالأمر المتيسر. كما أنه ساهم في إضعاف جبهة "برابرة الدولة" الذين كانوا يقفون حاجزاً بينها وبين برابرة الجبل عن طريق الحملات العقابية التي شنها ضد البعض منهم (بني مطير في سنة 1802 وكروان في سنة 1807)، وعن طريق التخلي عن حلفاء الدولة التقليديين كإحجامه في سنة 1814 عن مناصرة أيت إدراسن أمام هجوم أيت أومالو، وهو ما جرّ الهزيمة على أيت ادراسن وفتح الباب أمام تزايد نفوذ أبي بكر أمهاوش ضمن برابرة الوطاء. ومن العوامل التي ساعدت على اتساع شعبية أمهاوش تسرب الطريقة الدرقاوية إلى جبال فزاز حيث أصبح لها أتباع ومتعاطفون في صفوف قبائل الجبل والدّير على السواء، وهو أمر ساهم بالتأكيد في التقارب بين برابرة الجبل وبرابرة الوطاء. وأخيراً نشير إلى أن تأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية (مجاعة 1817 ـ 1818، وباء 1818 ـ 1820) خلق المناخ المناسب لاتفاق القبائل البربرية حول شخص مثل أبي بكر أمهاوش اتخذ من التنسك ناموساً ومن المهدوية إيحاءً بأنه هو الماسك بأسباب الخلاص.

وعندما حلت المجاعة في سنة 1817 اعتقد المولى سليمان أن أفضل وسيلة لاخضاع القبائل الأطلسية العاصية هو إحكام حصار اقتصادي حولها ومنعها من التزود بالحبوب لدى قبائل السهول. وفي سنة 1818 أرسل أوامره إلى قواد القبائل بمنع أيت أومالو من شراء الحبوب في الأسواق، وأن أي قبيلة تتجاهل هذا الأمر ستصبح هدفاً للانتقام من طرف الدولة أو من طرف جيرانها.

وعلى خلفية هذا التوتر واشتداد المجاعة وانتشار الوباء قرر المولى سليمان في ربيع 1819 أن يشن حملة تأديبية ضد برابرة أيت أومالو، وهو قرار جاء حسب الزياني بناء على نصيحة قائد المخزن ورئيس زمور محمد بن الغازي. وكان هدف الحملة هو الهجوم على منطقة أدخسان ببلاد زيان، وإفساد الغلل هناك، علماً بأن هذه المنطقة كانت من أهم مصادر الحبوب بالنسبة للقبائل الجبلية. ويقول الزياني إن انشغال الناس بالوباء بالمناطق الشمالية لم يكن يسمح باستنفار القبائل إذ "كان الناس في محنة وشدة من هذا الوباء الذي عم الحواضر والبوادي"، ويلقي الزياني باللائمة على ولد السلطان وخليفته بفاس، مولاي إبراهيم، الذي لم يبلغ والده بمراكش بما كانت عليه الأوضاع بالغرب.

وعندما اجتمعت بتادلة قبائل الحوز بقبائل الغرب التي قدم بها مولاي إبراهيم، أرسل أيت أومالو وفداً إلى السلطان ملتمسين عفوه ومظهرين رغبتهم في أداء المال المفروض عليهم. لكن السلطان رفض أن يقلع عن حربهم، وهنا يحمل الزياني المسؤولية لابن الغازي الزموري الذي نصح السلطان برفض الصلح، كما يتهمه بالغدر والتواطؤ مع أيت أومالو للإيقاع بمحلة السلطان وجيوشه. وبتراجع قبائل زمور عند بداية المواجهة دب الفشل في صفوف الجيوش المخزنية وهرب كل من استطاع ذلك، ولم يبق مع المولى سليمان إلا جيش العبيد والأوداية وقبائل الحوز، فانهالت عليهم أسراب أيت أومالو وكادوا أن يستأصلوهم. وعندما أظلم الليل بقي السلطان وحيداً، فلما تعرف عليه أيت أومالو حملوه إلى خيمة وأظهروا له كل إجلال، وأبقوا عليه عندهم بضعة أيام ثم رافقوه إلى مشارف عاصمة مكناس وأطلقوا سراحه. أما المولى إبراهيم، والمرشح لخلافة والده، فقد هلك في المواجهة فكان ذلك مما زاد من حسرة المولى سليمان الذي فقد كذلك ثلة من كبار الدولة ورؤساء الجيش.

والواقع أن هذه الهزيمة القاسية سددت ضربة قاضية للمخزن السليماني تمثلت في تفكك الجيش وسقوط هيبة الدولة، وتفشي الاضطرابات في جميع المناطق. وأصبح السلطان عاجزاً حتى عن إقرار الأمن حول عاصمته والمناطق القريبة منها. ومن أهم ما ترتب عن هذه الهزيمة قيام أهل فاس ضد عاملهم ثم مبايعتهم لسلطان بديل بعد أن صرّح المولى سليمان بالعجز.

م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مخطوط، رقم د 339، خ.ع بالرباط؛ أبو القاسم الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط، رقم د 1275، خ. ع. بالرباط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، الجزء 8.

محمد المنصور

**الزَّيَّـانـي، أحمد** بن **قاسم** المنصوري، دفين وادي زم. أصله من قبيلة المناصرة بآزغار الغرب، وولد بمكناس لكن والده الذي كان قائداً حربياً في دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان وابنه الحسن الأول انتقل به قبل سابع الولادة إلى المعسكر الذي كان يترأسه في خنيفرة واستوطنها وفيها نشأ المترجم ونسب إلى زيان.

تكوّن أحمد بن قاسم تكويناً عربياً متيناً في اللغة وقواعدها وآدابها، والفقه وأصوله. وكان ذا موهبة في كتابة النثر الفني، طويل النفس في الشعر، طرق جميع أغراضه القديمة، ووصف طبيعة الأطلس الشامخ ومجتمعه الأبي الباسل، وكان إلى جانب علمه وأدبه فارساً يسابق ويجلّي. صحبته في بداية أعوام الستين إلى زاوية الدلاء لمعرفته بشعابها ودروبها ولسان أهلها، فكان مثال اللطف والنبل، وأنشأ قصيدة في تلك الربوع مطلعها :

ذكرت الصبا وعهده بمرابع    مضت بين هاتيك الربوع الروائع

تولى القضاء في عدة مدن، وكان من بين المغاربة الذين يُدعون لإلقاء محاضرات في معهد الدراسات المغربية العليا بالرباط لسيولة قلمه وسعة اطلاعه. وكانت

موضوعاته المفضلة الحديث عن البادية المغربية وسكانها في الجبال والأودية وما أنجبت من رجال فكر وأدب. وربما وسع بعض محاضراته فجعله كتاباً مثل الأبحاث الرشيدة عن الأدب بين تاوريرت وجبل دبدو ورشيدة، يقول في مقدمته : "ضرب الله لهذه البقاع بسهم من الأدب والعلم وفير، ومرّ فيها فطاحلة متشبعون بعلم غزير، ولم يخل محل من هذا المغرب الشرقي من علماء أجلة، إن لم يكونوا أقماراً فهم أهلة". وتحدث فيه عن آل عبد الجبار بفگيگ وخزانتهم الغنية وآثارهم النثرية والشعرية، وعن الإمام محمد المختار ابن محمد أمزيان الدمراوي وقومه الرحل المستوطنين الآن بجوار دبدو، وأحمد ابن الونان الملوكي صاحب الشمقمقة. على أن أهم إنتاج أحمد الزياني هو كتابه تاريخ زيان، وهو إن لم ينشر بعد فقد استفاد منه كثير من الباحثين في تاريخ الأطلس ومنطقة الدير.

توفي بمدينة وادي زم عشية يوم الاثنين سادس عشر ربيع الثاني عام 1384 / 21 غشت 1964.

أ. الزياني نفسه، *الأبحاث الرشيدة*، مخطوط ؛ *تاريخ زيان*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت،1996، ج.9 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1988.

محمد حجي

**الزَّيّـانـيّ**، الضرير الهاشمي بن أحمد الرباطي، أستاذ الشيخين إبراهيم التادلي والمكي البطاوري والقاضيين أحمد البناني ومحمد البريبري والأخوين محمد والغازي ابن الحُسني. قرأ العربية والرواية والفقه والقراءات ومبادئ العلوم. كان له مجلس حفيل يحضره كثير من طلبة الرباط وخصوصا في درس *مختصر خليل* و*صحيح البخاري* و*الشاطبية* بالجعبري.

توفي في الساعة العاشرة من يوم الاثنين فاتح محرم 1300 / 12 نونبر 1882 ودفن بالعلو بروضة المجاهدين.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 469.

**الـزَّيّـاني، عبدالرحمن** ولد بمكناس عام 1932، والتحق في طفولته بالكتاب، فحفظ القرآن الكريم وبعض المتون الفقهية واللغوية *كالمرشد المعين* و*ألفية ابن مالك*.

لم تكن ظروفه المادية تساعده على الالتحاق بالتعليم المنتظم، فاحترف الخرازة، وكان دكانهُ الواقع بحومة التوتة ملتقى لثلة من الأصدقاء يتابعون دراستهم بالمعهد الديني، فكان يستعير منهم كتبهم الدراسية وخاصة منها ما كان له صلة باللغة والأدب، كما كان يحضر - أحياناً - مجلس الفقيه الأديب السيد محمد بن أحمد بن المفضل برادة بجامع الأنوار المعروف بجامع سوق السباط القريب من موقع دكانه، فيستمع إليه وهو يقرئ *ألفية ابن مالك* وشروحها.

وقد ظهر ولعه بالمطالعة، فأقبل على قراءة الكتب وبعض ما كان يصل إلى المدينة من المجلات والجرائد العربية سواء منها المشرقية أو الصادرة في تطوان.

انخرط في الحركة الوطنية وكان من العناصر النشيطة في حزب الشورى والاستقلال بمكناس وقد لقي في سبيل عقيدته الوطنية مضايقات كثيرة. وأهلته عصاميته للانخراط في سلك التعليم في بداية عهد الاستقلال، فاشتغل معلما للغة العربية ثم أسندت إليه مهمة الإدارة، فعين على التوالي مديراً لمدرسة الريش الابتدائية، ثم المجموعة المدرسية بالحاجب، ثم مدرسة الإمام الغفاري بالدار البيضاء. وأحيل على التقاعد وعاد ليستقر بمسقط رأسه أواخر سنة 1993.

ارتاد الزياني مجال الكتابة في سن مبكر، وكان من بين القلة من شباب مكناس الذين ذهب بهم الطموح إلى الكتابة في المجلات الوطنية بالمغرب. ويدل على ذلك سبقه إلى مراسلة مجلة الأنيس التطوانية التي نشرت له - على امتداد ثلاثة عشر عدداً من سنتي 1949 و1951 - سلسلة من المقالات الأدبية.

ولم ينقطع عن الكتابة حتى بعد التحاقه بالوظيفة، فقد أسس بتعاون مع نخبة من شباب مدينة مكناس "جمعية اللواء الثقافي". وكان له فضل السبق إلى إصدار مجلة تحمل اسم هذه الجمعية عام 1957، وهي مجلة أريد لها أن تعكس النشاط الثقافي للجمعية بالمدينة.

وكان أعضاء الجمعية يتناوبون على رئاسة تحرير مجلة اللواء، فأسندت إليه هذه المهمة في تحرير مواد العدد الثالث منها.

وتعتبر اللواء الثقافي أول مجلة عربية تصدر بمدينة مكناس بعد الاستقلال. صدر عددها الأول في مستهلّ سنة 1957، وتلاه العدد الثاني في مارس من نفس السنة، وتأخر صدور العدد الثالث إلى شهر مايو 1959. وبعد توقف تجاوز ثلاث سنوات صدر العدد الرابع في يونيو 1962. وقد طبعت الأعداد بأكملها بواسطة الستانسيل.

وبالرغم من قلة أعداد مجلة اللواء الثقافي، فقد استطاعت أن تستقطب أقلام فئة من علماء المدينة ومثقفيها من الشباب. ومن هؤلاء العلامة المؤرخ المرحوم محمد بن الهادي المنوني وهو - يومئذ - مفتش لمادة التاريخ في ثانويات التعليم الأصيل ومراقب للدروس بالمعهد الديني بمكناس. ومنهم أيضاً الأستاذ سيدي مَحمد بن عبد القادر العرائشي مدير المعهد المحمدي بمكناس. وكان من بين الذين كتبوا بانتظام في المجلة : عبد العزيز بن عبد الجليل، وعبد الهادي المراكشي، وعبد الحميد بن عدادة، والعلمي بن حلام، وأحمد الغرميلي، والهاشمي التهامي الراجي. ومن شعراء المجلة : محمد بن أحمد الأجراوي، ومحمد بن عبد الله الرغني، وامحمد الصقلي، وعبد السلام الزيتوني.

أما عبدالرحمن الزياني فقد شارك بدراسة متسلسلة تحت عنوان "ركن المربي" طرح فيها بعض إشكاليات العملية التعليمية بالمدرسة المغربية، كما شارك بدراسة أدبية ذيلها بتوقيع "أبو المطرف".

وإلى ذلك فقد كان الزياني من بين كتاب مجلة دعوة *الحق* التي نشرت له عدة مقالات أدبية واجتماعية.

أما في مجال التأليف فقد صدرت للمترجم خمسة كتب أربعة منها طبعت على الستانسيل وهي :

- من وحي الشباب، فصول في الأدب والاجتماع. وهو في نحو ثلاثمائة صفحة.

- صور من الأدب النسوي، أدبيات الأندلس. صدر الكتاب في طبعتين : الأولى عام 1396 /1976 والثانية عام 1397 / 1977. وقد ضم الكتاب ما سبق أن نشره المؤلف منجما بمجلة *الأنيس* التطوانية خلال سنة 1949 ابتداء من العدد 27 إلى العدد 34، وقوام ذلك أربعون ترجمة في نحو مائتي صفحة.

- من جني الفردوس المفقود، سوانح وخواطر، 1997، الريش. وهو في نحو مائة وثمانين صفحة.

- أعلام من المغرب والأندلس، يضم ترجمتي مالك ابن المرحل وابن عمار المهدي، وهو في نحو مائتين وستين صفحة.

وإلى هذه المؤلفات الأربعة يضاف كتاب خامس تم طبعه بشركة الطباعة - صوت مكناس عام 1995، وعنوانه : الكاتب الإسلامي الكبير مصطفى صادق الرافعي - نظرات في مواقفه تحت راية الإسلام.

تتسم كتابات الزياني بغلبة الأسلوب الخطابي والاندفاع العاطفي في إصدار بعض الأحكام أو استخلاص بعض النتائج. وهو يبرر جموحه هذا بما كانت تمليه عليه فورة الشباب من حماس، ولطموحه في أن يرى الفضائل متجسدة في قومه والمحاسن وقفا على معشره.

وقد أقعده المرض الفراش أواخر حياته إلى أن وافاه الأجل المحتوم في 22 شعبان 1419 موافق 11 شتنبر 1998 بمكناس.

كتب المترجم ومقالاته المذكورة في الترجمة ؛ *معرفة شخصية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الزيَاني، عبد القادر** بن محمد مقاوم من مواليد سنة 1930 بدوار تيزي بودريس ملحقة دائرة أكنول إقليم تازة.

انخرط في صفوف جيش التحرير تحت قيادة الشهيد حسن الزكريتي وابنه عبد الله الزكريتي حيث خاض معارك مريرة ضد القوات الاستعمارية الفرنسية أبان خلالها عن روح نضالية عالية وشجاعة نادرة إلى أن بزغ فجر الاستقلال.

توفي يوم الأربعاء 10 رمضان 1416/ 31 يناير 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم504634.

**الزيَّـاني، أبو القاسم** بن أحمد بن إبراهيم، المؤرخ الشهير، نسبته إلى قبائل زيان الأطلسية. استقر جده بمدينة مكناس بعد أن استقدمه المولى إسماعيل ليكون إماما خاصا به. لكن والده اضطر للتنقل إلى مدينة فاس بعد وفاة المولى إسماعيل في سنة 1727 واضطراب الأحوال بالعاصمة. وبمدينة فاس ولد أبو القاسم في سنة 1147/ 34 - 1735.

عاش أبو القاسم الزيَّـاني مدة طويلة (أكثر من مائة سنة إذا اعتمدنا التقويم الهجري) وعاصر خمسة سلاطين. إلا أن هذه الحياة الطويلة اتسمت بعدم الاستقرار والمحن الكثيرة التي اعترضت المترجم منذ سن مبكرة. كانت أولى هذه المحن غرق السفينة التي أقلته هو ووالديه من مصر إلى أرض الحجاز، وكان في نيتهم أن يتركوا المغرب بالمرة لما كان يعرفه من فتن واضطراب سياسي. لكن ضياع ممتلكاتهم بعد هذه الحادثة جعلهم يقلعون عن الفكرة ويرجعون إلى وطنهم.

وبعد عودته إلى فاس وجد الزياني أن أمور الدولة آلت إلى أمير مقتدر هو سيدي محمد بن عبد الله وأن معظم رفاقه في الدراسة قد التحقوا بخدمة السلطان الجديد. عندئذ تاقت نفسه إلى الالتحاق بهم، وتعلقت همته بالخدمة المخزنية على الرغم من نهي والده وتحذيره له من خدمة الأمراء. "فلم ينفع عزمي نهيه، يقول أبو القاسم، ولا ردني إنذاره وهديه"، فتقلد الكتابة بديوان السلطان مدة عشرة أعوام قبل أن يصاب بنكبة ثانية عندما عزل من الخدمة المخزنية عام 1182/ 1769 م. إلا أنه ما لبث أن رجع إليها بعد صفح السلطان عنه. لكن الزياني لم يبق هذه المرة محصورا في دائرة الكتابة بل نجده يتقلد مناصب سامية حيث كلفه سيدي محمد بعدة مهام تتعلق بإخضاع قبائل أيت أومالو، أو ولاية العرائش أو الإشراف على تربية أبنائه بتافيلالت. وفي سنة 1200 / 1786 أرسله السلطان سفيرا إلى الدولة العثمانية، وهي السفارة التي تحدث عنها الزياني بإسهاب في *الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور*. وبعد عودته من إسطمبول عينه السلطان عاملا بتازة والمناطق الشرقية ؛ وفي سنة 1788 نقله إلى تافيلالت التي بقي بها إلى حين وفاة سيدي محمد بن عبد الله في سنة 1205 / 1790.

وكانت هذه الوفاة إيذانا بنكبات أخرى تمثلت في إدخاله السجن مرتين على يد المولى اليزيد (1205 - 1207 / 1790 - 1792). ولما بويع المولى سليمان كلفه بولاية وجدة بقصد كبح جماح عرب أنكاد، لكن القبائل الثائرة اعترضت طريقه قبل أن يصل إلى مقر ولايته، فنهبوه هو ومن معه. عندئذ سئم الخدمة المخزنية، كما يقول، ولعله

خاف غضب السلطان، ففر إلى الجزائر ومنها قصد المشرق فزار الاستانة، قبل أن يسافر إلى الحجاز لأداء مناسك الحج. وبعد غياب دام سنتين قفل راجعا إلى المغرب. لكنه لم يأمن على نفسه فأقام بتلمسان إلى أن وصله كتاب من المولى سليمان يطمئنه ويدعوه إلى الالتحاق بأهله بفاس. وما لبث أن عرض السلطان عليه ولاية العرائش فقبلها بعد إلحاح. وفي سنة 1801 نقله إلى تادلا لكنه لم يوفق في كبح جماح قبائل المنطقة فكان ذلك آخر عهده بالخدمة المخزنية.

إلا أن ابتعاده عن السياسة وفَّرَ له الظروف الملائمة كي يتفرغ للتأليف، فانكب على تدوين التاريخ وتسجيل أخبار رحلاته. وقد خلّف الزياني كمية هائلة من التآليف التاريخية، أهمها *الترجمان المعرب* الذي تمت مراجعته وتكميله فأصبح يحمل عنوان *البستان الظريف* ثم *الروضة السليمانية*. وإذا كان هذا المؤلّف قد غطّى تاريخ المغرب إلى أواخر عهد المولى سليمان فإن الزياني قد سجل ما عاشه من عهد المولى عبد الرحمن في مؤلف صغير مستقل سماه *تكميل الترجمان في خلافة مولانا عبد الرحمن*. وبالإضافة إلى هذه التواريخ ترك الزياني عدة مؤلفات في شتى الفنون منها :

- *الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا*.
- *ألفية السلوك في وفيات الملوك*.
- *تحفة الحادي في رفع نسب شرفاء المغرب*.
- *رسالة السلوك فيما يجب على الملوك*.
- *التاج والإكليل في مآثر السلطان الجليل مولانا سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل*.
- *تحفة النبهاء في التفريق بين الفقهاء والسفهاء*.
- *تكميل قضاة فاس على ما في جذوة الاقتباس*.
- *جمهرة من حكم بفاس*.

وعلى الرغم من التكرار الذي يطبع مؤلفات الزياني الذي يبني على كتابات سابقة لينتج مؤلفا جديدا لا يختلف كثيرا عن سابقه، فإن مؤلفاته لا تخلو من أصالة وتعتبر في مجملها مصدرا ثمينا لتاريخ المغرب في العهد العلوي اعتمده من جاء بعده من المؤرخين كمحمد أكنسوس في *الجيش العرمرم* وأحمد بن خالد الناصري في كتاب *الاستقصا*.


أبو القاسم الزياني نفسه، *البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف*، تح. رشيد الزاوية، الجزء الأول، الرباط،1992 ؛ *الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا*، تح. ع. الكريم الفيلالي، الرباط، 1967 ؛ ليڤي بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، تعريب عبد القادر الخلادي، الرباط، 1977.


محمد المنصور

**الزَّيَـاني، مُحَا وْ حَمُّو**، بطل المقاومة في الأطلس المتوسط القائد ابن القائد حمو الزياني. كانت لأبيه سالف خدمة في رحاب الدولة العلوية. فقد كان حمو الزياني من أنصار السلطان مولاي سليمان أثناء الانتفاضات المتلاحقة التي شهدها الأطلس المتوسط في سنة 1235 / 1819 بزعامة المرابط الكبير أبي بكر أمهاوش. وقد بذل هذا القائد وقبيلته تضحيات كبيرة من أجل نصرة السلطان وتخليصه من الأسر بعد وقوعه في أيدي البرابر أثناء أحداث معركة ضيان الشهيرة التي جرت وقائعها سنة 1235 / 1819 ( *الإتحاف*، ج. 5، ص. 531). واعترافا بهذا الجميل استمرت قيادة زيان في بيت حمو الزياني وأوقف الملوك العلويون، منذ ذلك التاريخ ولاية هذا المنصب على عقبه فتولاها أبناؤه تباعاً. ففي سنة1294 / 1877 عين السلطان مولاي الحسن محا وحمو الزياني قائداً على إخوانه بعد مقتل أخيه سعيد في حروب مع جيرانه اشقيرن. وكان عمره يومئذ عشرين سنة (موحا وحمو الزياني، ص. 13).

موحا اوحمو الزاياني

وقد زود السلطان مُحا وحمّو بجيش كثير العدد والعدة لإخضاع القبائل الثائرة في المنطقة وترسيخ النفوذ المخزني في الأطلس المتوسط بصفة عامة الذي لم تعد قبائله تعرف النظام والاستقرار منذ أحداث معركة ضيان الآنفة الذكر. ( *الإتحاف*، ج. 5، ص. 531) وقد ظل موحا وحمو الزياني وفيّاً لسلطانه الذي لم يبخل عليه بالدعم المادي والمعنوي من جهته. فحافظ على الأمن من في المنطقة، وعمل على تأمين السبل، تنشيط الحركة التجارية بين مدينة فاس وبلده خنيفرة، فجلب إلى عاصمته نحو مائتين من كبار تجار العاصمة الإدريسية. كما استقدم إليها أيضاً قاضياً ومجموعة من الحرفيين والفقهاء لتعميرها والعمل على نهضتها. ولتعزيز أواصر القرابة بينه وبين السلطان أهدى موحا وحمو الزياني بنته البكر عروساً لولي عهده الأمير مولاي عبد العزيز. وبذلك تعززت مكانته في البلاط الملكي (*موحا أوحمو الزياني*، ص. 21). غير أن زواج المصلحة هذا لم يعمر طويلاً. فعندما توفي السلطان مولاي الحسن، تقلص نفوذ السلطة المركزية وبدأ القواد الكبار يتطلعون إلى الانفراد بالقرار والاستقلال بجهاتهم. وفي هذا الإطار. وبالرغم من مصاهرته لمولاي عبد العزيز الذي تقول الروايات إنه لم يمسس قط تلك الفتاة البربرية المهداة إليه أعلن موحا وحمو الزياني انفصاله التام عن المخزن وبدأ يكون جيشاً خاصاً به ضم عدداً وافراً من

الجنود النظاميين الفارين من محلات السلطان بالإضافة إلى أتباعه المقربين ومجموعة كبيرة من المستائين وقطاع الطرق. وعندما اكتملت نواة هذا الطابور أخذت فصائله تجوب البلاد الممتدة بين فاس وصفرو، وأزرو، ومكناس مرددة شعار الجهاد والتخلص من الأجانب المسيطرين على السلطان وحاشيته (*موحا أوحمو الزياني*، ص. 31) وقد تصدى المخزن العزيزي لهذه التحركات وعمل ما في وسعه لإخضاع هؤلاء الثائرين إلا أن محاولاته في هذا الاتجاه باءت بالفشل. وعندما أطاح مولاي عبد الحفيظ بأخيه عبد العزيز، فتح باب حرمه فوجد بنت موحا وحمو الزياني المشار إليها آنفا لازالت بكراً فتزوجها على الفور، ثم كتب في أعقاب ذلك إلى صهره يخبره بأنه على أهبة الدخول إلى فاس عبر طريق السلاطين المعتادة التي تمر ببلاد زيان، وحضه على تسهيل ماموريته وشد عضده. امتثل موحا وحمو الزياني لطلب السلطان، ووضع رهن إشارته فرقة عسكرية هامة من إخوانه واتجه شخصياً لاستقبال العاهل الجديد مصحوبا بأبنائه، ثم أحاطه بحامية من الحراسة قوامها خمسمائة فارس ذهبت معه إلى فاس في شتمبر 1908. (*موحا أوحمو الزياني*، ص. 33). لم تستمر علاقات الود والمؤازرة بين المخزن الحفيظي والقائد الزياني طويلاً. فعند ما تزايد تغلغل النفوذ الفرنسي في الشاوية ووجدة، واستولى ضباط البعثة العسكرية الفرنسية على المحلات السلطانية، وفي أعقاب تزايد الضغوط الجبائية على القبائل واستنزافها لمواردها، توترت العلاقة من جديد بين موحا وحمو والمخزن، وبدأ في الاستعداد لمواجهة الغزو الفرنسي للمغرب. عندما شرعت القوات الفرنسية في تهدئة منطقة الشاوية في سنة 1908، تمكن موحا وحمو الزياني بمساعدة المرابط علي امهاوش من تكوين حلف عسكري ضم على الخصوص مناطق نفوذ موحا أوسعيد بني ملال، ومحمد أقبلي خصمه بالأمس الذي كان يضم تحت نفوذه نواحي مريرت، وأُلماس وأزرو، بالإضافة إلى قبائل أعالي وسفوح الجبال التي كانت خاضعة من الناحية الروحية لآل أمهاوش منذ زمن بعيد. بدأ موحا وحمو حركة الجهاد بإرسال فرق صغيرة للقتال في الشاوية. وعند ما وصلت الجيوش الفرنسية إلى خنيفرة في 11 يونيو 1914. ناوشها، ثم شد رحاله نحو الجبال للاستعداد الجيد للمقاومة. وفي أحد أيام شهر نوفمبر من نفس السنة، نزلت قبائل زيان من كل حدب وصوب وهاجمت القوات المعادية في المكان المدعو بالهري، وألحقت بها هزائم كبيرة كلفت فرنسا 613 قتيلا من بينهم 33 ضابطاً و163 جريحا من بينهم 6 ضباط (*موحا وحمو الزياني*، ص. 57). شجع هذا النصر موحى وحمو الزياني على مواصلة الجهاد فاستمر في القتال وتحولت المواجهات الكبرى بينه وبين الغزاة إلى حرب عصابات أدت إلى إلحاق خسائر فادحة في أرواح وعتاد الجيش الفرنسي. إلا أن عدم تكافؤ القوة بين موحى وحمو المقدام والمجاهد الذي حارب باستماتة اعتماداً على أسلحة تقليدية وموارد محدودة، وبين دولة عظمى تتوفر على جيش جرار مزود بعتاد حربي متطور، أدى في النهاية إلى غلبة المستعمر، وانهيار مقاومة الأهالي، في يوم الأحد 17 رجب 1339 الموافق 27 مارس 1921 استشهد موحى وحمو الزياني على إثر رصاصة أصابته في عنقه، وبذلك أوشكت مقاومة الأطلس المتوسط على الانتهاء بعد اختفاء أحد زعمائها الكبار.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1933، الجزء 5 ؛ فرانسوا بيرجي، *موحى وحمو الزياني*، 1877 ـ 1921، تر. محمد بوستة، طبعة، أنفو برانت، فاس، 1999.

العربي اكنينح

**الـزّيـاني، محمد** حمادي بن محمد المعروف **عْمامو**، مقاوم، أحد رجال منظمة الهلال الأسود للمقاومة، برز في صفوفها بفضل حضوره في العديد من عملياتها، ومنها وضع قنبلة قوية المفعول مساء الخميس 13 ماي 1954 في الفيلا التي يقيم بها المهندس الفرنسي "جان شامبيونا" (76 سنة) بزنقة الجنيرال "هومبيرت" (Humbert) قرب القصر السلطاني بالمدينة الجديدة في الدار البيضاء، وقد أدى انفجار القنبلة إلى سقوط المهندس المذكور قتيلاً.

تمكنت مصالح البوليس من اعتقاله عندما كان يمر رفقة عبد الله الحداوي ومحمد فنّان الدكالي بمحج "پييرسيموني" (2 مارس حالياً) على متن سيارة في ملك منظمة الهلال الأسود، وذلك يوم الخميس 26 يناير 1956، وأثناء الاستنطاق اعترف الزياني بتورطه في عملية تصفية أحد باعة التبغ يدعى "كازانوڤا" وعمليات أخرى.

وقد راح الزياني ضحية الاقتتال الذي نشب بين الهلال الأسود والمنظمة السرية التي حاولت الهيمنة على باقي منظمات المقاومة، إذ ترصَّد له أربعة من أعضائها فاغتالوه بإحدى دور درب البلدية بعد ظهر يوم السبت 21 ذي القعدة 1375/ 30 يونيو 1956.

*La vigie marocaine*, n° 16136, 5 Juil. 1956, p. 5.

محمد وحيد

**الزيـاني، محمد حيضر** من جيل الرواد المغاربة السينمائيين منهم والتلفزيونيين، يرجع إليه فضل كبير في تفعيل التلفزة المغربية إبان البث المباشر في الستينيات حين كان مديراً لها من 1964 إلى 1967، وشغل فيما بعد منصب مدير عام للمركز السينمائي المغربي من 1971 إلى 1974. ولد محمد الزياني (شقيق المخرج التلفزيوني أحمد حيضر) سنة 1936 بالدار البيضاء. وبعد حصوله على شهادة الباكالوريا في شعبة الآداب العصرية، قام بدراسة مسرحية بالمعهد الوطني للمسرح بباريز سنة 1956، ودرس إلى جانبه آنذاك عدد من الممثلين الفرنسيين الذين اشتهروا فيما بعد أمثال : جون بول بيلموندو، جون كلود بريالي وميشال ميريال وغيرهم...

وفور تخرجه لعب دوراً بطولياً إلى جانب الممثل جيرار فيليب، في فيلم (أفضل حصة) للمخرج الفرنسي إيڤ أليغري Yves Allegret. كما لعب في نفس المرحلة دوراً في

فيلم (عين بعين) للمخرج الفرنسي أندري كايات André Cayatte.

مباشرة بعد ذلك توجه إلى الاتحاد السوفياتي للدراسة بالمعهد العالي للسينما بموسكو حيث تخرج بدبلوم في شعبة الإخراج بإنجازه لفيلم بعنوان (الحظ الأخير) تحت إشراف المخرج السوفياتي سيرغي بوندار تشوك Serguei Bondarthouk سنة 1960.

وحين عاد إلى المغرب ولج الميدان السينمائي كمساعد مخرج في فيلم (لورانس العرب) للمخرج البريطاني دافيد لين David Lean، كما أخرج للسينما المغربية فيلمين قصيرين : (البساط) سنة 1968، و(إيه يازمان) أو حديقة الحيوان) سنة 1972، وهو فيلم طريف يؤسس للنسق الكوميدي في السينما المغربية حيث يعلق محمد الزياني على عدد من سلوكات البشر المضحكة والغريبة على ألسنة مجموعة من الطيور والحيوانات الموجودة بالحديقة.

أما أعماله التلفزيونية فقد انحصر أبرزها في إخراج فيلم روائي طويل تحت عنوان (المتقاعد) كما صور وأخرج مسرحيات شهيرة من ضمنها : (درهم الحلال) و (أمجاد محمد الثالث) لإدريس التادلي و(الشاهد الأخير) و (مولاي رشيد)...

كما مثل في فيلم (أفغانستان لماذا) لعبد الله المصباحي سنة 1982. ورغبة منه في خوض غمار الإنتاج المستقل أسس المرحوم الزياني شركة إنتاج سينمائية تحت اسم (الزياني فيلم) بهدف إنجاز أعمال وطنية أخرى بالاشتراك مع غيرها من المؤسسات والأفراد من داخل وخارج الوطن. غير أن يد المنون اختطفت محمد الزياني يوم الأحد 23 جمادى الأولى عام 1409 / فاتح يناير 1989 بمدينة مراكش ودفن في الرباط في الثالث من نفس الشهر والسنة.

خ. الخضري، *دليل المخرجين السينمائيين المغاربة، واتصال شخصي بشقيق المرحوم، المخرج أ. حيضر الزياني.*

خالد الخضري

**الزيّـايدة**، أهم تجمع بشري اقترن اسمه بالجزء الشمالي الشرقي لبلاد الشاوية وذلك منذ أواخر القرن الثاني عشر (18 م) هو : قبيلة الزيايدة التي زحفت آنذاك من بلاد المذاكرة في اتجاه الشمال والغرب لتستقر في الأجزاء الجنوبية والوسطى لهضبة بنسليمان بين وادي الشراط ووادي المالح مستغلة الفراغ السكاني النسبي الذي كانت تعرفه المنطقة. وتفيد بعض الروايات أن الزيايدة في بداية استيطانها هذا المجال كانت محدودة الحجم، إذ كان عدد العائلات بها ينحصر في حوالي 20 عائلة أصلها أمازيغي من صنهاجة ؛ فكانت هذه العائلات ترحب بكل الوافدين عليها الفارين من القبائل المجاورة أو من مضايقات رجال المخزن من أنحاء مختلفة، وإما مغامرين يبحثون عن مورد عيش أفضل، ومن ثم شاع استعمال فعل "زاد" بين أفراد القبيلة، إشارة إلى كل وافد جديد انضاف إلى القبيلة، مما جعل العديد من أفراد هذا التجمع البشري يعتقدون إلى الآن بأن قبيلتهم استمدت اسمها من فعل "زاد" تعبيرا عن التزايد المستمر في عدد سكانها الأجانب. وفي نفس الرؤية والتوجه يحكي الكثير من أرباب الأسر الزيادية بأن لفظ "الزيايدة" ارتبط بالخيرات الفلاحية لبلادهم، وأن كان من زارها منذ القديم كان يتعجب لهذه الخيرات فيأتي بأهله وتتكرر العملية التي أدت إلى تزايد حجم القبيلة وتزايد خيرات أرضها أيضا. وهناك رواية أخرى تقول بأن القبيلة أخذت هذا الاسم "الزيايدة" في غضون القرن الأول الهجري أيام الفتوحات الإسلامية حيث قدمت إلى المغرب وفود من المسلمين، واستقر بالمنطقة أحد هؤلاء الفاتحين الذي لعب دوراً هاماً في حياة القبيلة ويدعى "زياد" ومنذ ذلك الحين أصبحت القبيلة تحمل اسم "بني زياد"، ومع مر الزمان تغير هذا الاسم ليصبح : الزيايدة التي كانت تشكل مع مديونة وأولاد زيان خلال القرن التاسع عشر مجموعة الشهاونة حسب التقطيع الترابي الذي وضعه المخزن من أجل التحصيل الضريبي.

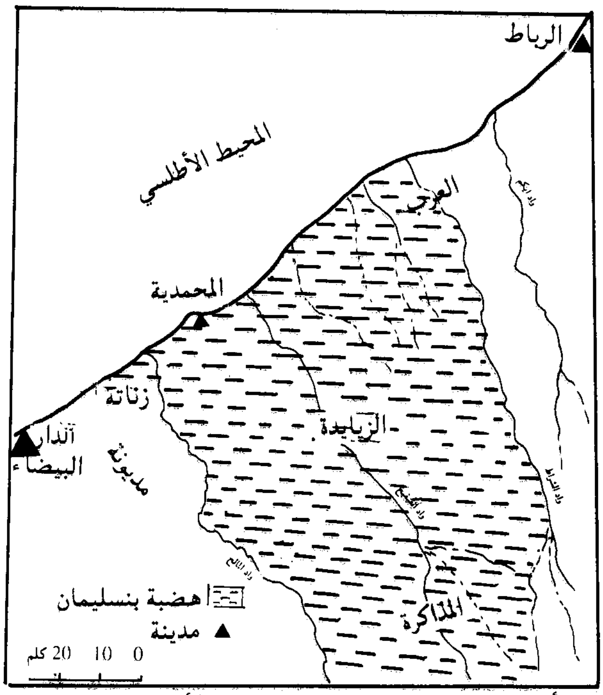


الزيايدة أهم قبيلة استوطنت هضبة بنسليمان منذ أواخر القرن الثامن عشر

وعلى العموم فإن أحدا لا يستطيع اليوم أن يجزم بمعرفة الأصول الحقيقية لقبيلة الزيايدة الموسعة والمركبة لأنه داخل هذه القبيلة اختلطت الأصول البربرية بالأصول العربية، كما هو الشأن بالنسبة لمعظم قبائل الشاوية، إذ اندمجت عناصرها لتكون في النهاية قبيلة موسعة وحدتها الظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، ثم زادتها البيئة الجغرافية وطول المعاشرة والجوار ومتاعب تقلبات الدهر تماسكا وانصهارا. وقد عبر أحمد الناصري عن ذلك عندما قال متحدثا عن قبائل

الشاوية في أواخر القرن الماضي : "واعلم أن الشاوية... وقع فيهم اختلاط كبير نسوا أنسابهم وأصولهم الأولى إلا في النادر، وذلك بسبب تعاقب الأعصار، وتناسخ الأجيال، وتوالي المجاعات والانتجاعات، ووقعات الملوك بهم في كثير من الأحيان، وتفريق بعضهم من بعض ونقل بعضهم إلى بلاد بعض". كل هذا يجعلنا نخلص في الأخير إلى أنه من الأسلم التمييز بين "الزبايدة" كتعبير عن تركيبة بشرية غير متجانسة على صعيد الأصول والنسب و "الزبايدة" كوحدة سوسيو ـ مجالية، فاللفظ يحيل على إطار ترابي واجتماعي أكثر مما يحيل على وحدة بشرية، وذلك لغياب ما يثبت الأصل المشترك للقبيلة ولمعظم التصنيفات المتفرعة عنها من فخذات ودواوير، وحضور ما يدعم ويزكي الاعتقاد بالأصول المختلفة والمتفرقة. ونشير في هذا السياق إلى أنه حتى إذا سلمنا بصحة الأصل الأمازيغي للعائلات الزبايدية الأولى فإن هذه العائلات قد انصهرت وذابت وسط العائلات العربية الوافدة عليها خلال حقب زمنية متتالية إلى أن أصبحت اللغة العربية الآن هي اللغة الوحيدة المتداولة بين مختلف المجموعات البشرية المكونة لقبيلة الزبايدة.

*تحريات ميدانية* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، تح. جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج. 1، الدار البيضاء، 1956، ص. 66. 67.

*Mission scientifique du Maroc*, op. cit., . 52.

المختار الأكحل

**الزئبق**، أو الزواق معدن أبيض، لامع، شديد الثقل. وهو الفلز الوحيد الذي يوجد سائلا تحت الحرارة العادية، فلا يتجمد إلا عند بلوغ 39 درجة تحت الصفر. رمزه الكيماوي Hg وعدده الذري 80 ووزنه الحجمي 13،6 غ / سم$^3$.

عرف الزئبق منذ أقدم العصور. وقد جعلت منه كفاءته على إذابة الفلزات غير الحديدية، وعلى الخصوص منها قدرته على *ملغمة* الذهب، مادة مطلوبة جدا. وهو مستعمل في تجهيزات القياس (المحرارات، المضغاطات...) وفي صناعة سبائك معالجة الأسنان. إلا أن المضار المترتبة عن أبخرته تشكل إكراهات تحد من استعماله.

بالإمكان العثور على الزئبق في حالته العنصرية، غير أن مكامنه الرئيسية توفره على الخصوص في وضعه المكبرت، المدعو بالزنجفر.

هناك علائم للزنجفر وصفت بالمغرب في موقع جنان النيش، بالريف، وكذلك بالأطلس الصغير حيث يوجد مشتركا مع الفضة في منجم إميضر الذي يمثل حاليا المنجم الوحيد المنتج للزئبق كمادة ثانوية لعدانة الفضة.

عدي عزّي

** اسم الزئبق قديم، ينحدر من كلمة "إيدراجير" (Hydragyre)، وتنقسم هذه الأخيرة إلى "إيرور" وتعني الماء، و "أرجيروس" وتعني الفضة. ومن هنا أصبح رمزها الكيميائي Hg. يبلغ الوزن الذري للزواق 80 إلى 200،51، أما كثافته فهي 13،6. الزئبق هو معدن أبيض، شديد النصاعة، يبقى سائلا من 39 °C - إلى 357°C +. يمكن أن نجد الزئبق على حالته الطبيعية (أي سائلا) في بعض مناجم الزنجفر، إلا أنه غالبا ما يوجد على شكل كبريتيات. ويبقى الزنجفر أهم ركاز للزواق على الاطلاق. ونشير هنا إلى أن أصل كلمة الزنجفر هندي، وتعني راتينج أحمر، وهو كبريت الزئبق (HgS)، نظامه البلوري معيني، ذات انفصامات بارزة، وشقق غير متساوية، لمعانه ماسي، صلابته 2 إلى 25، كثافته 8،09 ؛ غالبا ما يكون لونه أحمر قرمزي أو ضارب إلى السمرة، أشهب ضارب إلى الزرقة، وأصفر ليموني أو أصفر عند تفسخه. عند تسخين الزنجفر، نحصل على مادة الزئبق على شكل قطرات سائلة. نجد الزئبق على شكل الزنجفر في العروق الحرمائية، وعلى شكل تشبعات في الحجر الرملي والكوارتزيت، والصخر الكلسي، والنضيد الكاربوري أو الفحم.

A. Foucault et J.F. Raoul, *Dictionnaire de géologie*, 3ème éd. Paris, 1988 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français-arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; D. Rudolf et Lubos R., *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Goélogie des gîtes minéraux marocains (Substances métalliques et non métalliques)*, 2ème éd., t. 1, Rabat, 1980 ; *Goélogie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème éd., t. 3 ; J. Agard, *Minerais et substances utiles de la carte géologique au 1/200.000è des environs de Casablanca, rapport SEGM*, n° 151, 1950 ; A. Michard, *Elément de géologie marocain, Notes et mémoires du service géologiques*, n° 252, 1976 ; *Eléments de la géologie du Maroc*, Mins, Géologie et Energie, n° 41, 1977 ; *Marbres et roches ornementales, Mines, Géologie et Energie*, n° 45, 1979 ; *Bulletins mensuels de la conjoncture minière*, Ministère de l'Energie et des Mines, Direction des Mines, Maroc ; D. Reig, *Dictionnaire Arabe-Français, Français-Arabe, As-Sabil*, Paris, 1986 ; P. Lapadu-Harques, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; B. Bariand, F. Cesbron et J. Geffroy, *Les minéraux, leurs gisements, leurs associations Paris*, 3 vol., 1978.

عبد الله بوصحابة

**الزيت** والزيتون، بالرجوع إلى المصادر العربية التي أشارت إلى المغرب منذ الفتح الإسلامي وإلى مصادر التاريخ القديم، وباستنطاق الآثار المتخلفة عن الفترة الرومانية وما قبلها، يظهر أن إنتاجهما واستهلاكهما محلياً كان مقتصراً على بعض المدن والمستعمرات الرومانية (فتوح BAM 248 م 5 و6) وقد استمر هذا النشاط الفلاحي إلى القرون الأولى التي أعقبت الفتح الإسلامي للمغرب،

وخاصة في المدن القديمة وليلي وليكسوس والمناطق المجاورة لها ؛ فالبكري في كتابه أشار إلى وجود زيت الزيتون في فاس ( *المغرب*، 117) وقال المقدسي عن فاس وناحيته : "بلد كثير الخيرات والتين والزيتون" (*أحسن التقاسيم*، 229).

هذه الشهادات تبين مدى المجهود الذي بذله الأدارسة لتشجيع إنتاج زيت الزيتون لتلبية حاجيات المدينة في التغذية والدهان والإنارة، لكن هذا التوسع في إنتاج الزيتون ومشتقاته تم على يد فلاحين كسبوا الخبرة في الميدان لطول استقرارهم بالمنطقة فمدينة فاس ليست بعيدة عن مدينة وليلي التي تزخر بالآثار المرتبطة بإنتاج الزيتون كمعاصر الزيت وأرحيتها (BAM). ومن القبائل التي يمكن القول إنها ورثت هذه الفلاحة وصناعة الزيت قبيلة مكناسة الزناتية حتى أن اسمها ارتبط بالزيتون (مكناسة الزيتون) تمييزاً لها عن باقي مكناسة. فمناطق إنتاج الزيتون وزيته واستهلاكه بقيت محصورة خلال الفترة الأولى من العصر الوسيط في (المثلث الروماني) وامتداده في سايس، وشكلت مدن فاس ومكناسة وتازا أهم مراكز الإنتاج في المرحلة الموالية حتى إن صاحب *الاستبصار* قال عن مكناسة في زمنه (العهد الموحدي) : "زيت مكناسة أكثر زيت في المغرب..." ( *الاستبصار*، 187 و188 و210 ؛ *نزهة المشتاق*، 3 : 230 ؛ *الروض المعطار*، 541 و544 ؛ *الحلل الموشية*، 146؛ *الروض الهتون*، 6).

يرجع التوسع في إنتاج زيت الزيتون إلى تشجيع الموحدين (وهم أصلا غراسون) فتوسع العمران وتعدد المدن وتزايد أعداد السكان المستقرين، وتحسن المستوى المعيشي أدى إلى ارتفاع الطلب على زيت الزيتون للتغذية والإدهان والإنارة في المؤسسات العمومية (مساجد، مدارس، حمامات، فنادق، أسواق، وحتى الأزقة...) على أن هذا الاستهلاك ظل محصوراً إضافة إلى ما ذكر بين الأعيان والخاصة، أما العامة فكان استهلاكهم له قليلا بسبب ارتفاع ثمنه.

من خلال الأسعار التي ذكرتها المصادر عن زيت الزيتون يظهر أنه كان متوفراً فقط في بعض الفترات غير المرتبطة بالمعطيات الطبيعية كالكوارث والقحوط والأمراض والآفات التي تصيب الأشجار المثمرة، أو تقلبات المناخ؛ وقد ارتبطت مسألة الوفرة أو القلة كذلك بظروف الأمن والاستقرار؛ ففي الظروف السلبية يتم تخفيض الاستهلاك عن طريق تخفيض الإنارة في المحلات العمومية، ويتم التغلب على الخصاص في الزيت أحياناً باستيراده؛ فقد جاء في كتاب *نزهة المشتاق* ص.239 عن مرسى سلا : "...مراكب أهل إشبيلية وسائر المدن الساحلية من الأندلس يقلعون عنها ويحطون بها بضروب من البضائع وأهل إشبيلية يقصدونها بالزيت الكثير وهو بضاعتهم..." (الحديث عن مدينة سلا).

ومن خلال هذا النص القصير يمكن أن نضيف إلى الأسباب المشار إليها أن المنطقة الشمالية من المغرب كانت على اتصال أكثر بالأندلس عن طريق البحر، وأن الأندلس وخاصة إشبيلية كانت منتجاً رئيسياً لزيت الزيتون وأن ثمنه عند وصوله إلى المغرب كان أرخص من الزيت المصنوع محلياً، فالنقل البحري أرخص بكثير من النقل البري. ولم تكن مدينة سلا المستورد الوحيد لزيت الأندلس بل كانت مراسي البحر الرومي (المتوسط) نشيطة في هذا المجال، فالبادسي في *المقصد الشريف* تحدث عن تاجر كان محتكراً للزيت الإشبيلي في بادس.

وبالرجوع إلى التوزيع الجغرافي لشجرة الزيتون نلاحظ أن المناطق التقليدية لإنتاج الزيتون تبقى في المقدمة (مكناسة وفاس والناحية). وحتى التوسع الذي أشرنا إليه في العهد الموحدي الذي تزعمه الخلفاء والأمراء بأنفسهم قد توقف أواخر الدولة الموحدية؛ فكتاب *التشوف* الذي يعكس صورة المجتمع المغربي في هذه الفترة لم يشر إلى الزيت إلا عند ذكره "لفندق الزيت بسلا" ( *التشوف*، 186). وفي نفس الفترة، فترة الناصر الموحدي، أورد ابن عبد المالك في *الذيل والتكملة* أخباراً عن احتكار أحد التجار للزيت في مراكش إلى درجة أن المخزن الموحدي الذي كان في حاجة إلى زيت الزيتون التجأ إلى هذا المحتكر ( *الذيل*، س 8 ج. 178/1).

لم تنتشر شجرة الزيتون جنوب جبل دَرَن وسوس بسبب سيطرة زيت أرگان الوفير ورخيص الثمن، وقد كانت مدينة مراكش قبل العهد الموحدي تستغني به عن غيره من الزيوت ( *المغرب*، 162 و163، *الاستبصار*، 210، ابن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، 59 ؛ *بسط الأرض*، 125)؛ ورغم تغير الوضعية الاقتصادية والاجتماعية في مراكش وانتشار الزيتون في مراكش وأغمات وسفوح درن الشمالية وفي الأودية والمصبات، فإن الاستهلاك الغالب عند العامة ظل مرتكزاً على زيت الهرجان لغلاء زيت الزيتون من جهة ولتعود الناس على استهلاك زيت أرگان.

وإذا ما حاولنا البحث في كمية الإنتاج وتقديره، فإن النصوص القليلة المتوفرة تظهر أن الإنتاج كان كبيراً خاصة في فترات الخصب وسلامة المغروسات. فصاحب *الاستبصار* يقارن ما بين إنتاج المناطق التقليدية لشجرة الزيتون وهي مكناسة والمناطق الجديدة وهي مراكش فيقول "زيتون مراكش أكثر من زيتون مكناسة وزيتها أرخص وربما أطيب..." ( *الاستبصار*، 210). فالأمر يتعلق بمفهوم ما زال سائداً حتى اليوم عن الجودة إذ يقال إن زيت المناطق الجنوبية أفضل من زيت المناطق الشمالية، بسبب الرطوبة والجفاف، إذ كلما كانت المنطقة مرتفعة الحرارة وقليلة المياه كلما أعطت زيتاً كثيفاً وجيداً. ويؤكد تفوق المناطق الجديدة أو الحديثة العهد بالزيتون على المناطق التقليدية لغراسته صاحب *الحلل الموشية*، ص. 146 وصاحب *الروض الهتون*، ص. 6) وترد عندهما تقديرات بالثمن الإجمالي للمبيعات.

وعن الاستهلاك : فقد أشرنا إلى ارتفاعه في العهد الموحدي وبينا أسبابه ويمكن الاعتماد على بعض الإشارات لتقديره، فقد أورد صاحب كتاب *الإعلام* محاورة بين أبي العباس السبتي وأحد المتبركين به: "سأل الرجل الرجل عن حاله فأخبره أنه عليه سبعين قنطاراً من الزيت دينا أخذه وأطعمه للفقراء..." ( *الإعلام*، I :271 )، فالفقراء إذا كانوا يأكلون في بعض الأحيان مثل هذا القدر في مدينة واحدة فإن الفئات الأخرى الغنية والمتوسطة تستهلك أكثر من ذلك بكثير ؛ أما عن الاستهلاك غير الغذائي فقد فصّل *القرطاس* (ص. 66 و67) فصّل الحديث عن إنارة جامع القرويين والكمية التي تستهلكها من زيت الزيتون فقال : "الثريا الكبرى قناديلها 509 ووزنها 17 قنطاراً ونصف و13 رطلا من النحاس وتحمل قنطاراً وسبع قلل من الزيت؛ وعدد قناديل الجامع 1701 تسرج بـ3 قناطير ونصف".

هذان المثالان عن الاستهلاك في التغذية وفي الإنارة يظهران أن حاجيات البلاد من الزيت خلال العصر الوسيط كانت في تزايد خاصة أيام الموحدين ؛ أما بعدهم فقد تراجع الاستهلاك وتدهور الإنتاج بشكل كبيرخاصة منذ العهد المريني الثاني. ومنذئذ وإنتاج زيت الزيتون واستهلاكه متذبذب ما بين الانتعاش والتدهور ؛ ففي عهد الاضطرابات السياسية وانعدام الأمن يهجر الناس أراضيهم الخصبة ويلتجئون إلى الجبال والمناطق الوعرة للاحتماء بها من هجمات المغيرين، ويعتمدون في مواطنهم الجديدة القليلة الخصوبة لضعف التربة وتضرس الأرض على المواد الفلاحية الملائمة كالشعير وبعض الأشجار المثمرة ومنها الزيتون وعلى الماعز ؛ ولم يكن الإنتاج يتعدى الاستهلاك العائلي إلا في النادر. وقد يتحقق الفائض في بعض المواد فيتم تجميعه محلياً من قبل التجار وتسويقه خارج المنطقة؛ وأهم سلعة كانت مطلوبة "الزيت" خاصة في بعض المدن (*وصف إفريقيا*، 1 : 92 و112 و113 و125 و126 و129 و132 و133 و134 و138 و146 و258 و260 و261 وما بعدها)، وفي بعض الفترات التي عز فيها الإنتاج وأصبح مطلوباً تخصصت بعض القبائل في إنتاج الزيت وترويجه محققه بذلك أرباحاً كبيرة مثل قبيلة هسكورة، وسكان السفوح الغربية لجبال فازاز وجبال غمارة (*وصف إفريقيا*، 1 : ص. 92 و129 و132 و277 و282)، إلا أن ذلك لا يعني أن الإنتاج حقق فائضاً محلياً وجهوياً بقدر ما يعني ضعف الطلب الداخلي المحلي بسبب ضعف القوة الشرائية فيعمد المنتجون المحليون إلى توجيه الكميات المتجمعة إلى السوق الخارجي، إضافة إلى أن الطلب على زيت الزيتون عاد ليتركز في المدن الكبرى وفي المناطق الشمالية، أما المناطق الجنوبية (جنوب وادي تانسيفت فعادت للاعتماد كلية على زيت الهرجان (*وصف إفريقيا*، 1 : ص. 185 و264 وكذلك ص. 75 و80 و83 و86 و109)، هذا الاستهلاك بجميع أنواعه كان محصوراً أساساً في بعض القبائل فلم يكن زيت الزيتون قد دخل في نظامها الغذائي سواء منها الموجودة في السهول الداخلية والساحلية أو الموجودة في الصحاري، فاعتمادها بالدرجة الأولى كان على المنتجات الحيوانية (الزبد السمن والشحوم) ( *البيان*، 4 : 7 و8 و9، *نفاضة الجراب*، 88 و89 و90 و91) (*وصف إفريقيا*، م س).


ابن عبد الحكم، *فتوح مصر والمغرب*، تح. عبد المنعم عامر، مصر د. ت ؛ BAM : *مجلة الآثار المغربية*، Vol. 5 et 6 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، الجزائر، 1911 ؛ المقدسي، *أحسن التقاسيم*، ليدن، 1957 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار*، 1958؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، الطبعة الإيطالية نابولي، د. ت ؛ الحميدي، *الروض المعطار*، بيروت 1957؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء، 1979 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1964 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، الرباط، 1984 ؛ ابن سعيد المغربي، *كتاب الجغرافيا*، بيروت، د. ت، وكتاب *بسط الأرض*، تطوان، 1958 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1974 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972؛ الجزنائي، *جني زهرة الآس*، الرباط، 1967 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ ابن عذارى، *البيان المغرب*، بيروت، 1983 ؛ د. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، الجزء الثالث، الدار البيضاء، 1989 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، د. ت ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ م. حجاج الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، كلية الآداب بالرباط، 1988.

Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris, Casablanca 1967 ; Martin [et al...], *Géographie du Maroc*, Paris - Casablanca 1967


محمد حجاج الطويل

**الزيتون** شجرة مثمرة انتخبت ضروبها من بعض ضروب الزيتون البري (انظر أزمور) الذي هو أوليا أوروبيا Olea europaea. والمعروف أن أولى الضروب المنتخبة للزيتون المغروس هي بعض الضروب السورية للزيتون البري.

لا تختلف ضروب الزيتون المغروس في صفاتها النباتية عن الضروب البرية إلا في ما يخص الثمار التي تكون ذات حجم كبير بالنسبة للأصناف المنتخبة.

تطورت زراعة الزيتون المغروس وتنوعت ضروبه لتعرف ازدهارا واسعاً شمل جميع مناطق البحر المتوسط الذي هو مهدها الأصلي الطبيعي قبل أن تنتشر في المناطق الأخرى الحارة وشبه الحارة من العالم ذات الظروف المناخية الشبيهة بمناخ منطقتها الأصلية.

وهكذا أدخل الزيتون إلى كاليفورنيا والمكسيك وأستراليا وجنوب إفريقيا والشيلي الأوسط.

زرع الزيتون منذ ما قبل التاريخ. وقد استخدمه

الفراعنة والإغريق والرومان وجاء ذكره في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم. ولهذا لا يعرف متى بدأت زراعته بالمغرب.

يزرع الزيتون بالمغرب في كل المناطق الطبيعية لضروبه البرية حيث يجد الظروف البيئية المواتية (انظر أزمور). لا يمكن زراعته إلا في الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ، أي أن الشجرة لا تتحمل برودة الطوابق الأخرى. وإذا كانت الأمطار غير كافية فإنها تعوض بالري. كما هو الشأن في المناطق الجافة والصحراوية.

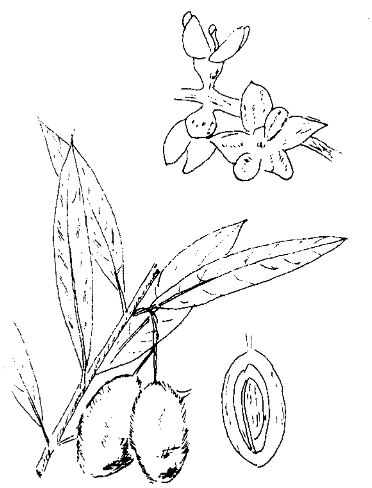

أهم مناطق الزيتون بالمغرب هي مقدمة الريف من وزان غربا إلى وادي ملوية شرقا، ودير الأطلس الكبير الشمالي، من بني ملال شرقا إلى غرب إيمي نتانوت، ومنطقة تارودانت.

تطورت زراعة الزيتون في المغرب في العهود الأخيرة لكنها لم تبلغ لحد الآن المستوى الذي بلغته هذه الزراعة في إيطاليا والأندلس وتونس، وذلك بالرغم من أن الظروف البيئية في المغرب أكثر ملاءمة.

أهم منتجات الزيتون هي ثماره والزيت المستخلص منها. وكلا المنتجين يدخلان في تغذية الإنسان نظراً لقيمتهما الغذائية العالية. فالثمار تجنى إما قبل النضج النهائي لتؤكل نيئة بعد معالجتها بعدة طرق لإزالة مرارتها، أو تجنى ناضجة بعد ما تسود وذلك لتحضير أصناف أخرى من الثمار المصبرة أو المخللة، أو لعصرها لاستخراج الزيت.

الاستعمالات الأخرى للزيتون تبقى ثانوية. فبالإضافة إلى استخدام أوراقه في التطبيب التقليدي وتغذية الماشية، يستعمل خشبه في صناعة بعض الأدوات كالعصي وأشياء أخرى للزينة.


*أبحاث شخصية* ؛ ألبرت هيل، 1962، تر. عبد المجيد زاهر وآخرون، *النبات الاقتصادي*، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*.Paris, 1993, 370 p. ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.


عبد المالك بنعبيد

* * كان لشجر الزيتون في المغرب القديم أهمية بالغة في الحياة اليومية عند الشعوب القديمة، إذ أصبحت الشجرة المقدسة في أرض كنعان، ورمزاً للسلام عند الإغريق والرومان. ففي أثينا وأولمبيا كان الأبطال يضعون على رؤوسهم أكاليل من أغصان الزيتون، كما دأب المصريون على وضع أغصان صغيرة من شجرة الزيتون في مقابرهم.

يوضح ما ذكر أهمية هذه الشجرة عند الإنسان القديم وقد سيتها. أما بخصوص تاريخ انتشار غراسة هذه الشجرة على ضفاف حوض البحر المتوسط فتفيد بعض المعطيات أن ذلك ربما يعود للألف الرابع قبل الميلاد. وفي إفريقيا أكدت الدراسات وجودها منذ العصر الباليوليتي الأعلى وبالتحديد في المغرب القديم حيث توفرت شواهد تفيد معرفة السكان لهذه الشجرة. ففي تافوغالت أفادت المعطيات أن الإنسان الإيبروموروزي لمغارة الحمام كان يعرف شجرة الزيتون. كما كشفت حفريات الباحث م. بونسيك في منطقة طنجة وضواحيها عن وجود حبات زيتون محروقة في عدة مقابر فينيقية. إن ما يؤكد الأهمية التي حظيت بها غراسة هذه الشجرة هو أنه على عهد الدولة القرطاجية تم خلق محور تجاري مزدهر. وسعيا لمواجهة المنافسة الخارجية قامت هذه الدولة بإتلاف أشجار الزيتون المغروسة في المراكز الفينيقية في سردينيا حفاظا على الريادة القرطاجية في هذا المجال، الشيء الذي يعكس تفوق القرطاجيين في هذا المنتوج.

لقد ازدهرت هذه الغراسة في منطقة الشمال الإفريقي بصفة عامة نظراً للظروف الطبيعية الملائمة من جهة وقلة المصاريف والعناية التي تتطلبها من جهة أخرى، علاوة على أن الأباطرة الرومان عملوا خلال فترة معينة على تنمية غراسة الزيتون لتلبية حاجيات روما المتزايدة من الزيت وكذا العمل على استقرار السكان، بهدف إكمال المشروع الروماني الاستعماري، وقد دلت الشواهد الأثرية في المغرب القديم على أن انتشار هذه الغراسة يعكس زمن السيطرة الرومانية.

وقد مثلت غراسة الزيتون إحدى الركائز الأساسية للاقتصاد المغربي القديم، حيث شكلت إلى جانب غراسة الكروم وزراعة الحبوب ثلاثيا فلاحيا. من العوامل المساعدة على نمو وتطور هذه الغراسة، إضافة إلى ملاءمة الظروف الطبيعية، عوامل مرتبطة بالسياسة التي نهجها بعض الأباطرة الرومان والذين عملوا على تقديم تشجيعات للسكان بهدف تنمية غراسة الزيتون لتلبية حاجيات روما من مادة الزيت. إن المعطيات المتوفرة تفيد أن غراسة الزيتون كانت سابقة عن مجيء الفنيقيين، ومع ذلك فإنه إذا استثنينا الأراضي التي كانت خاضعة مباشرة لقرطاج فإن مراحل انتشارها وتوسعها في هذه الجهة زامنت مرحلة السيطرة الرومانية.

فيما يخص مناطق إنتاج الزيتون تم التأكيد على أن

الأرض الإفريقية تتلاءم أكثر مع زراعة الحبوب منها مع غراسة الزيتون، إذ (تشتهر تراكونيا بخمرها وإفريقيا بقمحها وقادس بأسماكها المملحة ونقيعها وبتيكا بزيتها). ويظهر أن هذا الاختيار مرتبط بسياسة الأباطرة الرومان الذين دأبوا خلال مراحل معينة على تشجيع هذا المنتوج أو ذاك، فقد شجع الأيوليون ـ ألكلاوديون سياسة القمح بينما سنّ الأنطونيون سياسة الزيت بتشجيع غراسة الزيتون.

قبل تحديد أهمية الزيت من المفيد أن نعرف أولاً ببعض الأساليب التي استعملت قديماً في غراسة الزيتون. ونذكر منها :

ـ التطعيم وهي تقنية تمارس على الزيتون البري.

ـ الغرس وهي عملية نقل شجرة الزيتون لغرسها في مكان آخر ليكتمل نموها.

ـ التشذيب وهي عملية تستهدف تقليم الشجرة في فترات معينة.

وقد حددت هذه المدة، حسب المصادر، في سنتين.

ومن ضمن التقنيات الأكثر تداولا تقنية التقضيب وهي عملية تحافظ على التجديد المستمر لشجرة الزيتون. وعلاوة على ذلك وجدت تقنية أخرى عرفت بالافتسال وقد كانت مفضلة عند الإغريق أكثر من التطعيم.

إذن ماذا عن أهمية الزيت في حياة الإنسان القديم ؟

استعملت زيت الزيتون في مجالات مختلفة، فقد وظفها القدماء في التطبيب، إذ اعتبرت إحدى المواد الأكثر تداولا في تهييء العديد من وصفات أبو قراط، كما استعملها غاليان الذي عرف ما يناهز 473 دواء من أصل نباتي يوجد الزيت من ضمنها أحيانا كمادة أساسية وأحيانا أخرى كمكون. ومن بين الفوائد التي عرفت بها كذلك أنها تدفئ الجسد وتحميه من البرودة وتنعش حرارة الرأس، كما استغلت في علاج آلام الأذن واسترخاء العضلات والوقاية من الصداع والآلام، وقد استعملت كدواء لمعالجة أمراض الجلد والحروق إضافة إلى أنها كانت مادة أساسية في التغذية. وكان المستحمون يدهنون أجسامهم بها، ولها منافع أخرى كالتجميل وإضاءة القناديل... تعكس الآثار المادية المرتبطة بإنتاج مادة الزيت أهميتها الحيوية. وإذا كانت النصوص القديمة لا تساعدنا على الإحاطة بأهمية إنتاج الزيتون والزيت، فإنه برصد المناطق التي كشفت فيها الحفريات عن وجود آثار مادية مرتبطة بإنتاج الزيت، وكذا المناطق التي انتشرت بها أشجار الزيتون، نستطيع أن نكون فكرة عن أهمية هذا المنتوج.

مناطق إنتاج الزيتون.

كشفت الأبحاث الأثرية التي أجريت في عدد من مواقع موريطانيا الطنجية عن عدد مهم من بقايا معاصر الزيت.

ففي منطقة طنجة أكدت تحريات بونسيك أنه إضافة إلى حبات الفول والقمح... التي وجدت محروقة في المقابر الفنيقية، وجدت كذلك حبات الزيتون. وقد أكدت الأبحاث الحالية وجود ما يقارب 15 معصرة في منطقة طنجة بعضها تم التأريخ له حسب بونسيك بالفترة الممتدة بين القرن 3 ق م والقرن الثالث الميلادي خاصة منها معاصر جرف الحمراء والضيعة (Petit bois) في بوخالف عند قدم جبل كبير.

أما بالنسبة لليكسوس فإن عدد المعصرات لا يتجاوز 16 معصرة.

ـ في بناصا : تم العثور على تسع معصرات، وهو عدد غير كاف لتلبية حاجيات الساكنة الشيء الذي يستدعي استيراد الزياتين من خارج المنطقة خاصة وليلي التي لا تبعد عنها إلا بحوالي 60 كلم.

ـ سلا : وضعيتها الساحلية لم تمكنها من تطوير هذه الزراعة، وهو ما يفسر قلة المعاصر التي لا تتعدى أربع معاصر. الشيء الذي يعني الاستعاضة عن هذا النقص باستيراد هذه المادة، شيء أكده العدد المهم من قطع الامفورات المستعملة لنقل زيت "بتيگا".

ـ وليلي : تحتل مدينة وليلي وباديتها المكانة الأولى في عدد المعاصر، 60 معصرة داخل المدينة وحوالي 16 معصرة في باديتها، وهو ما يعني أن مدينة وليلي ومنطقتها الخلفية تعتبر من أهم المناطق إنتاجا للزيتون موريطانيا الطنجية.

تطور إنتاج الزيت :

دلت المعطيات على أن منطقة وليلي اشتهرت بإنتاجها للزيتون والزيت ويبرز هذا من خلال ما كشفت عنه الحفريات من معاصر وصل عددها حاليا إلى 72 معصرة. كما وجدت بمنطقة بناصا عدد من المعاصر، وبالنسبة لهذه المنطقة لا نعرف لحد الآن ما إذا كانت في إحدى مراحلها التاريخية منطقة إنتاج للزيتون أم أنها استوردته من جهات أخرى خاصة وليلي. ويبدو أن الميل إلى الرأي الثاني هو الأسلم.

يعتبر التغيير الذي طرأ على بعض الوسائل المستعملة في استخراج الزيت مؤشرا على الزيادة في مردودية هذا الانتاج إذ جرى في استخلاص هذه المادة، اللجوء إلى مجموعة من الأدوات ومن بينها الثقالات التي كانت توظف في عصر الزيتون، إذ كانت في شكلها الأول عبارة عن ثقالات مقنطرة غير أنه تم الاستعاضة عنها بثقالات أسطونية وهو تغيير يعكس الرغبة في الرفع من المردودية. وقد تم التأريخ لهذا التغيير بالقرن الثاني للميلاد.

وتجب الإشارة إلى أنه في البداية احتوت معاصر الزيتون على ثقالات مقنطرة إلا أن هذا الشكل سيتم الاستعاضة عنه بنوع آخر أسطواني وقد عزا كل من موريس لونوار وعمر أكراز هذا التحول إلى الرغبة في الرفع من كميات الزيوت المستخرجة.

هذا التحول أرخ له بونسيك ببداية القرن الأول الميلادي في معصرة الضيعة في ناحية طنجة، في حين أن دراسة معاصر وليلي أرخت لذلك بالقرن الثاني للميلاد.

تسويق الزيت

- التجارة الداخلية : لا نتوفر على أية معلومات حول هذه التجارة الداخلية، فالوسيلة التي كان يتم استعمالها لنقل هذه الزيتون المستخلصة غير معروفة ربما قد تكون من خشب أو أمفورات التي كانت تستعمل لنقل مواد أخرى، إذ عثر في وليلي على أمفورات "دريسل 18" التي عرضت بنقلها للكاروم، ووليلي منطقة داخلية لم تكن متخصصة في هذا الإنتاج.

وقد أشار عمر أكراز وموريس لونوار إلى أنه بالنسبة لهذه المدينة كان الفائض يسوق داخل الإقليم. يمكن القول بأن مناطق الإنتاج خلال الفترة الرومانية تطابق مناطق الإنتاج الحالية، ومن الأكيد أن مدن بناصا وتموسيدا وسلا وليكسوس قد اعتمدت على فائض وليلي من هذا الانتاج أو كمادة أولية يتم تحويلها محلياً.

التجارة الخارجية : ارتبطت موريطانيا الطنجية ببلدان البحر الأبيض المتوسط على المستوى التجاري، كما تدل على ذلك اللقى الأثرية التي تم الكشف عنها في عدد من المواقع، منذ مجيء الفنيقيين في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد. وهناك شبه إجماع على أن المبادلات التجارية لموريطانيا الطنجية مع العالم الخارجي كانت تتم عبر وساطة بتيكا.

وإذا كانت واردات الزيت مؤكدة من خلال لقى الأمفورات خاصة "دريسل 20" المتخصصة في نقل زيت بتيكا، فإن معلوماتنا عن صادرات موريطانيا الطنجية من هذه المادة شبه منعدمة. فبعض الباحثين أشاروا إلى أن جزءاً من زيت موريطانيا الطنجية قد تم تصديره إلى بتيكا وروما.

ذلك ما تؤكده نقيشة هيسباليس (Hispalis) في إشبيلية التي تخص مراقبة نقل زيوت ومواد أخرى المارة عبر شبه الجزيرة الايبرية والقادمة من موريطانيا الطنجية مع الإشارة إلى أن هذه الزيوت البتكية كانت تصل إلى موريطانيا الطنجية وذلك ما يؤكده العدد المهم من لقى الأمفورات المتخصصة في نقل هذه المادة إذ يتضح من البحث الذي قامت به مايي (Mayet) حول أمفورات موريطانيا الطنجية، أن بناصا تأتي في الأول، تليها وليلي وتموسيدا. إلا أن العثور على قطع من نفس الصنف من الأمفورات بمنطقة وليلي التي اشتهرت بزياتينها وإنتاجها للزيت، يجعلنا نطرح أسئلة حول مصدر استيراد هذه المادة.

إن الجواب الذي يبدو مقنعا في نظرنا يكمن في تلبية حاجيات جالية أجنبية فضلت استهلاك الزيت الإسباني التي اشتهرت بجودتها مقابل الزيت الإفريقية التي وصفت بالرديئة.

وإذا كان نعت هذه الأخيرة بالرديئة لا ينسحب على زيت موريطانيا الطنجية، فإن ذلك لا يعدو مجرد عملية دعائية لصالح زيت بتيكا التي كانت تجارتها منظمة تنظيما محكما.


علي واحدي، *الزيت والزيتون في المغرب القديم، نموذج وليلي*، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة، فاس - ظهر المهراز، 1995، مرقونة ؛ علي واحي، *مكانة وليلي الاقتصادية في عهد الرومان*، د. د. ع، كلية الآداب، فاس - ظهر المهراز، 1985-1986.

P. Fiorino, F. Nizzi, *L'oleiculture et développement*, *Olivae*, n° 44, 1997; A. Ichkhakh, *Une nouvelle huilerie à Volubilis, nouvelles archélogique et patrimoniales*, n° 1, avril, 1997 ; A. Jurada, *L'huile dans les remèdes populaires*, *Olivae*, n° 33, oct. 1990; *Les contraintes foncières au développement du secteur, Olivae*, n° 33, oct. 1988 ; A. Luquel, *Atlas du Gharb, BAM*, 6, 1966, p. 365 - 375 ; M.C. Mouretti, *Oleiculture dans la Grèce antique*, in *Agriculture in Ancient Grèce, proceeding of the seventhen international symposium of swedish at Athens*, may 1990, Stockholm, 1992 ; F. Mayet, *Marques d'amphores de Maurétanie Tingitane*, *MEFRA*, 90, 1, 1978 ; A. Ouahidi, *Nouvelles recherches archéologiques sur les huileries de Volubilis, Africa Romana*, Atti del X convegno di studi oristano, Dicembre 1992 ; M. Ponsich, *Exploitations agricoles romaines de la région de Tanger, BAM*, 5, 1960 ; *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région*, Paris, 1970 ; R. Thouvenot, *Volubilis*, Paris, 1949 ; *Eléments de pressoir à huile trouvés à Sala*, PSAM, 10, 1954 ; M. Akerraz, Lenoir, *Les huileries de Volubilis, BAM*, 14, 1981 - 82 ; *L'oleiculture dans le Maroc antique, Olivae*, n° 3, oct. 1984 ; R. Billiard, *L'Agriculture dans l'antiquité*, Paris, 1928 ; H. Camps Fabrer, *L'olivier et l'huile dans l'Afrique Romaine*, Alger, 1953 ; J. Boube, *Marques d'amphores découvertes à Sala, Volubilis et Banasa, BAM*, 9, 1973 - 1975 ; R. Etienne, *Le quartier Nord-Est de Volubilis*, Paris, 1960 ; Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, XV, texte établi et traduit par J. André, Paris, 1960.


محمد العيوض

**الزيتون والزيتوني** أسرتان تطوانيان أصلهما من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Aceiton وAceituno. وقد انقرضت هاتان الأسرتان بتطوان سنة 1088 / 1677.


م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 793 و794.


محمد ابن عزوز حكيم

**الزيتوني، محمد** بن عبد الله الفاسي من مشاهير مشايخ الشاذلية بالمغرب خلال النصف الثاني من القرن التاسع (15 م)، ومن ذوي الخطورة في الحياة الروحية بفاس خلال هذه الفترة المضطربة التي تداول فيها على حكم البلاد المرينيون والجوطيون والوطاسيون. أخذ عن شيوخ كثيرين، وذكر أحمد بن يوسف الفاسي (ت. 1021 / 1612) أنه قادري الطريقة لكنه لم يذكر له سنداً. ويجعله محمد بن عسكر (ت.986 / 1578) من أهل الدائرة والعدد، ومن الأبدال. ويصفه بأنه كان أسود اللون أعمى، شديد القبض ممن تمكن في المقام النوحي، مجاب الدعوة، معروفاً عند

أهل التصريف من الصوفية بالحية العمياء التي لا تعتق من لسعته لسرعة إجابة دعوته. ولم يسلم المغاربة وحدهم بسطوته الروحية، بل شاركهم في ذلك أعراب الزاب وافريقية وغيرها، الذين كان يمر بمسارحهم ركب الحجيج الفاسي الذي كان يحمله هذا الشيخ، فلا يتعرضون له على جرأتهم وتمردهم، لما رأوا من خرق العوائد على يده. بل كانوا يأتونه راجلين بأهلهم وأولادهم بين أيديهم يتبركون به ويستعطفونه ويدفعون إليه البقر والغنم.

وقد استقطبت زاوية الشيخ الزيتوني بفاس، المعروفة بزاوية بوقطوط، عددا وافرا من مريدي الطريق من الفاسيين وغيرهم، خلال الطور الأخير من أطوار الدولة المرينية، ومنهم أحمد زروق (ت. 899 / 1493)، ومحمد بن عبد الرحيم بن يجبش التازي (ت. 920 / 4 ـ 1515)، وعبد العزيز القسنطيني (ت. حوالي932 / 1526)، وإبراهيم الزواوي (ت. 961 / 3 ـ 1554). وإذ تمتاز مشيخة الزيتوني بانتساب زروق إليه في شبابه، وخدمته له، وتوغله في محبته، وملازمته له في حضره وسفره، فإن أثر هذه النسبة بعيد الغور في سيرة "محتسب العلماء والأولياء". وينشب في حدث الانقلاب الحاسم الذي حصل له في حياته، وقد أثبته زروق في كناشه الذي ترجم فيه لنفسه. ورغم أن أزيد من ربع قرن يباعد بين هذا الحدث الذي يعود في تاريخه إلى عام870 / 5 ـ 1466 وتاريخ هذه السيرة الذاتية المصنفة بعد عام895 / 89 ـ 1490، فإن زروق لم ينس البرحاء التي أدركته من جراء غضب شيخه الزيتوني عليه يومها، بعد أن استكتمه سراً ثم اتهمه بافشائه، ولم يأنف من استحضار امتحانه وبلائه وقد أصبح إمام أهل الطريق بلا منازع في شرق بلاد الإسلام وغربها.

ويستشف من هذه الحادثة الاعتقاد الكبير الذي كان لزروق المريد الشاب في شيخه الزيتوني، فقد حلف له بكل يمين بأنه كتم سره، فلم يقبل منه، فلم يقدر على تكذيبه، ولم يصح له تصديقه لما يعلم من نفسه، فكان يجوز أن الله ابتلاه بشيطان أسمعه ذلك. كما تصور التأثير الذي كان للشيخ الزيتوني على تلميذه زروق، والذي ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فغادر فاس آخذا السمت إلى تلمسان لزيارة ضريح أبي مدين التماسا للرحمة. وابتلي بشبهة اليهودية التي ألقيت عليه في سياحته المحمومة، عند خروجه من فاس وحين وصوله إلى بادس، بل إن يهود دار ابن مشعل ظنوه نجل شيخ اليهود بتازة. ووقعت له رؤيا في طريقه حيث ظهر له شيخه الزيتوني وقال له إنك مسجون أربعين يوما، وظهر له صدقها لما وصل تلمسان يوم تاسع وثلاثين من تاريخ خروجه من فاس فلم يقدر على زيارة ضريح أبي مدين إلا في الغد بقية الأربعين يوماً المذكورة فيها!

ويورد ابن عسكر رواية مخالفة لامتحان الزيتوني لزروق، ويقول إن المريد سارع إلى الإنكار على شيخه لما وجده جالساً وعن يمينه امرأة متزينة وعن يساره أخرى، وهو يلتفت إلى هذه مرة ويقبلها ويقبل عليها، ويرجع إلى الأخرى كذلك. وانه اتهمه بالزندقة وانصرف عنه، فناداه: يا أحمد الكذاب ارجع! فرجع فلم يجد معه أحداً، فعلم أنه امتحن، فقال شيخه: أما التي رأيت عن يميني فهي الآخرة، وأما التي عن يساري فهي الدنيا، وأنت كذاب في دعوتك، ولكنك لا تبقى بالمغرب ساعة واحدة! وقد اهتبل كل من ترجم لزروق بحادث فساد العلاقة بينه وبين شيخه الزيتوني، وذهبوا في تأويله وفهمه أباديد.

وغير خاف تزامن هذا الحدث مع الفتنة التي عصفت بفاس عام869 / 1465، وانتهت بذبح السلطان عبد الحق المريني، واطلاق يد الثوار في دماء اليهود وأعراضهم وأموالهم، وايذاء كل من خالف هذا الفساد والهلاك. ومعلوم أن زروق الطالب والمريد الشاب قد وقف في صف المعارضين لهذه الفتنة، وعلى رأسهم شيخه محمد بن قاسم القوري (ت. 872 / 1467) مفتي الحاضرة المريني، ولم ير فيها سوى محارم بطشية تورث تمكن الظلمة وزيادة الجرأة. وحمل مسؤولية ما وقع لمشايخ الفقه والتصوف الذين كان قيام عامة فاس على أيديهم، والذين دفعوا بهم إلى مخالفة الشرع بخلع البيعة ونقض الذمة، ودخلوا عليهم من جهة الدين، حبّاً في الرئاسة الدنيوية وحطام الدنيا.

فهل كان الشيخ الزيتوني من جملة المشايخ الفاسيين الذين أضرموا نار الفتنة على بني مرين؟ وهل يتصل امتحانه لتلميذه زروق بالشرور التي أصابت الذين لم يخلعوا بيعة بني مرين من أعناقهم؟ وهل شبهة اليهودية التي ألقيت على زروق قد جاءته من قوله بعدم وجود موجب شرعي لنقض ذمة يهود فاس؟

أسئلة نكتفي بطرحها لفراغ اليد مما يفيد في الإجابة عنها، ويعين على الوقوف على الدور الذي كان للشيخ الزيتوني وزاويته في الأحداث التي حملت الجوطيين إلى سدة الحكم بالمغرب. كما لا نتوفر على شيء يتصل بسيرة هذا الشيخ طوال العقود الثلاثة الممتدة من تاريخ هذه الفتنة إلى تاريخ وفاته التي حدثت في أول المائة العاشرة للهجرة، عدا أنه دفن بالمسيلة من بلاد الجريد.

ويتفرد محمد الحضيكي (ت. 1189 / 1775) بالإشارة إلى تأليف مفرد في الشيخ الزيتوني وضعه أحد تلامذته الفاسيين واسمه عبد الله بن أحمد بن محمد بردلة، وقد وقف عليه صاحب *"الطبقات"* ووسمه "بالمناقب". ونقل منه فقرة تفيد ظهور مخايل الصلاح على شيخ زاوية بوقطوط في طفولته المبكرة، حيث كان يتصدق بنصف قوته فصارت أمه لا تعطيه إلا نصف القوت فكان يتصدق بنصفه، فوهبته أمه لله وهو ابن خمس سنين أو ست. وجاء ببعض ما اشتهر من أقواله، ومنها: الولي له صورتان، صورة مع الحق على الدوام وأخرى مع الخلق. وقال مرة: بقي رجل غائباً عن أهله اثنتي عشرة سنة وما علموا بذلك لأنهم

يرونه معهم دائماً داخلاً خارجاً وآكلاً شارباً، يريد بذلك نفسه. ومنها : إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة، ويخلق الله تعالى من هذه الرحمة سحابة لا تمطر إلا في أرض الكفار، وكل من شرب من مائها أسلم. وقد صدر محمد الصغير الإفراني (ت. ما بين عامي 1156 ـ 1157 / 1743 ـ 1744) بهذه العبارة في ديباجة كتابه "صفوة ما انتشر" للدلالة على ما في ذكر مناقب الصالحين من فوائد كثيرة، وما في جمع كراماتهم من أمور أثيرة، وأبهم عن اسم قائلها، وجعله من العارفين تسليماً بدرجته العالية في مضمار العلوم اللدنية.

توفي بفاس عام 901 / 5 ـ 1496.

أ. زروق، *الكناش*، مخ خ ع 1385 ق، 68 ـ 69 ـ 82 ؛ مجهول، التعريف بالشيخ أحمد زروق، مخ خ ع 2100 د، 283 ؛ م. ابن عسكر، دوحة *الناشر*، ضمن موسوعة *أعلام المغرب*، 2 : 800، 808 ـ 809 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، تح. ع. العمراوي وع. مراد، 61 ؛ *تحفة أهل الصديقية*، مخ خ ع 76 ج، 95 ؛ م. بن عيشون، *الروض العطر*، تح. ز. النظام، 80 ـ 109 ـ 276 ؛ م. الصغير الإفراني، صفوة من انتشر، ط. حجرية، 1 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، 216 ؛ ع. گنون، *ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والسياسة والأدب*، أحمد زروق، 8 ـ 11 ؛ ع. ف. خشيم، أحمد زروق والزروقية، 30 ـ 37 ـ 44 ؛ إ. العزوزي، الشيخ أحمد زروق، 47 ـ 50 ـ 53.

عبد الله نجمي

**زيد** (أولاد –) قبيلة عبدية على الساحل شمال مدينة أسفي، أعطت عدداً من الأعلام من حكام وعلماء نذكر منهم على سبيل المثال عثمان الزيدي الذي كان من جملة حكام عبدة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله والحاج مَحمد بن ملّوك الزرهوني الزيدي وإخوانه، والفقيه عبد الكريم بن العربي الزيدي الگدالي. اشتهرت هذه القبيلة في العصر الحديث ببسالة رجالها ونسائها في مقاومة استبداد وبطش القائد عيسى بن عمر العبدي وطغيانه على سكان تلك المناطق في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وبداية القرن العشرين، واستمرت مقاومة هؤلاء المحاربين المغاوير من أجل حياة حرة وعيش كريم مدة سنتين وقادها زعماؤهم أولاد الزرهوني وعلى رأسهم شيخهم الحاج مَحمد بن ملوك الذي سُجن بعد الهزيمة مدة سبع سنوات في سجن دار السي عيسى ثم في سجن مدينة تطوان. وقد خلّد الأدب الشعبي في قصائد الحصبة من فن العيطة وخاصة في قصائد الفنانة الكبيرة الشيخة حادّة (حويدّة) الزيدية بطولات أولاد زيد وأمجادهم.

أ. الصبيحي، *عيسى بن عمر وفظائعه*، مخطوط ؛ *تقاييد ابن هيمة* (كنانيش مخطوطة).

A. Antona, *La région des Abda*, Rabat, 1931.

عبد الرحيم العطاوي

**زيدان** بن **أحمد الأعرج** السعدي. أكبر أبناء أبيه وساعده الأيمن في حركاته الجهادية وفي حروبه مع أخيه محمد المهدي الشيخ بعد أن أفسد الوشاة ما بينهما وأفضى الحال بهما إلى القتال. ولما تغلب محمد المهدي الشيخ على أخيه أحمد الأعرج سنة 946 / 1539 سجنه هو وأولاده بمراكش وأجرى عليهم جرايات سخية وبقوا هناك مثقفين (في إقامة إجبارية) إلى أن قُتل محمد المهدي الشيخ يوم 29 ذي الحجة عام 964 / 23 أكتوبر 1557 فأسرع نائبه عليّ بن أبي بكر أزايكي حاكم مراكش إلى قتل أحمد الأعرج وجميع بنيه ذكوراً وإناثاً وصبيةً (بعد ثلاثة أيام من مقتل محمد المهدي الشيخ) هذه هي الرواية الشائعة. وذكر صاحب زهرة *الشماريخ* أن زيدان كان بسجلماسة وبويع بعد مقتل أبيه فلم يتم له الأمر. وتوفي سنة ستين وتسعمائة.

هكذا تختصر المصادر العربية ـ في شيء من التناقص ـ دور زيدان بعد خلع أبيه أحمد الأعرج، فتذكر أنه سُجن مع والده إلى أن قتل معه، أو وُجد في سجلماسة وبويع بها، غير أن ذلك لا ينسجم مع تاريخ وفاته المذكور في زهرة الشماريخ.

لكن الاسباني دييگودي طريس مؤلف كتاب *تاريخ الشرفاء* الذي عاش في بلاط محمد المهدي الشيخ ثم عبد الله الغالب بمراكش زهاء ثلاثين سنة 953 ـ 984 / 1546 ـ 1576 ساق خبر الأسر والقتل عن حضور ومشاهدة في الغالب، بطريقة أخرى مع كثير من التفاصيل أغفلتها المصادر العربية. ذكر طريس أنه لما استفحل الخلاف بين الأخوين أحمد الأعرج ومحمد الشيخ تدخل الشيوخ لإصلاح ذات البين، وأُبرم شبه اتفاق بينهما ورجع كل منهما إلى مقر حكمه، لكن الأعرج نقض السلم واستعد للحرب فتغلب عليه محمد الشيخ في معركة جرت في حدور الأطلس الشمالية على المحجة المؤدية من مراكش إلى تارودانت وأُسر الأعرج وتراجع ابنه زيدان إلى مراكش ليجيش الجيوش ويحرر والده، لكن محمد الشيخ أبرم اتفاقاً مع أخيه الأسير وأطلق سراحه على أن يتعايشا بسلام : الأعرج في مراكش والشيخ في تارودانت. وبعد مدة وجيزة نقض الأعرج الصلح مرة أخرى بتأييد من ابنه زيدان الذي رأى في مبايعة الحران ولياً لعهد محمد الشيخ إهانة شخصية له. والتقى الجمعان بسهل مراكش وجرت المعركة الحاسمة يوم 19 غشت 1543 (20 جمادى الأولى عام 950) طوال النهار. فكان النصر حليف محمد الشيخ واحتل ابنه عبد القادر مدينة مراكش. لكن الشيخ عفا عن أخيه الأعرج وأبنائه وأكبرِهم زيدان وأمرهم بالإقامة في تافيلالت.

ثم رجع دي طريس في الفصول 106 ـ 107 ـ 108 للحديث عن أحمد الأعرج وزيدان. فذكر أن محمداً الشيخ قبل خروجه من مراكش إلى جبل الأطلس الخروج الذي مات فيه.

ترك ابنه عبد المومن عاملاً على مراكش، وعليّ بن أبي بكر (أزايكي) خليفة له "وأوصاهما بشؤون المملكة وحراسة أخيه" (ص. 219) وهذا يقتضي أن محمداً الشيخ كان قد استقدم أخاه أحمد الأعرج وأبناءه من تافيلالت إلى مراكش ليكونوا تحت سمعه وبصره. كما ذكر طريس أن زيدان كان قد تزوج للامريم بنت عمه محمد الشيخ.

ولما اغتيل محمد الشيخ من قبل المحتالين الأتراك في حدور الأطلس، خرج ابنه عبد المومن في فرقة من الجند لملاحقة القتلة، فتوهم خليفته علي بن أبي بكر أن الأعرج قد يغتنم الفرصة ويثور لاسترجاع المدينة ومملكته القديمة "فأمر ذات ليلة بقطع رأسه ورؤس أبنائه وأبناء أخيه وعددهم سبعة" ولم يذكر اسم زيدان من بين مَن قُطعت رؤوسهم، بل ذكر بعد ذلك ما يفيد أنه لم يقتل، حيث إن للامريم بعد أن استقر الأمر لأخيها عبد الله الغالب احتالت للانتقام من علي بن أبي بكر الذي "كان قد قطع رأس أبنائها والشريف الأكبر" (ص. 229) ولم تذكر زوجها زيدان، وهذا ما يتفق مع ما ذكره صاحب *زهرة الشماريخ* من أن زيدان كان آنذاك بسجلماسة وبويع بها فلم يتم له الأمر. لكن يبقى اللّبس أو الخطأ في السنة التي حددها مؤلف *زهرة الشماريخ* لوفدة زيدان.

وكانت وفاة زيدان - على الارجح - بعد مقتل أبيه في ثاني محرم عام965 / 25 أكتوبر 1557.

دييكودي طوريس، *تاريخ الشرفاء*، تر. م. حجي وم. الأخضر، سلا،1988 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. م الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1970، ج. 1 : 278 ؛ ع. الرحمن الفاسي، *زهرة الشماريخ في علم التاريخ*، ط. حجر فاس، 1922 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، 1998، ص 61 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1955، ج. 5 :18.

**زيدان** بن **أحمد المنصور** السعدي، يكنى أبا المعالي، أمه من الشبانات. نشأ بين أحضان والده ودرس على أعيان علماء فاس ومراكش وأدبائهما، فكان متضلعاً في علوم القرآن والبلاغة والأدب، شاعراً رقيقاً حافظاً راوية. أجازه أحمد ابن القاضي إجازة عامة بجميع مروياته بفهرسه *رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح*، وروى ابن القاضي المجيز عن زيدان المُجاز أدبيات كثيرة أجازه بها زيدان فتدبّجا.

يتفق معظم مترجمي زيدان على أنه كان أعلم أبناء أحمد المنصور وأوفرهم عقلاً وذكاء وكياسة وسياسة، ومع ذلك لم يرشحه والده لولاية العهد، لأن محمداً الشيخ المامون كان الولد البكر. لذلك أخذ المنصور البيعة للمامون من إخوته في شعبان سنة987 / شتنبر 1579 وهم صغار دون بلوغ. ثم جدّد له البيعة في شوال عام992 / أكتوبر 1584 بعد بلوغهم سن الرشد، وأحضر *المصحف والصحيحين* واستحلفهم إلا زيدان، قال المنصور : لا يحلف ولا يحتاج إليه فما نأمر به يفعله. قال زيدان : وعظم ذلك على إخوتي وظهر في وجوههم الكراهة.

وبعد أن انتهى المنصور من تجديد البيعة، رشح أولاده لحكم الأقاليم، وعقد لزيدان على بلاد تادلا. وبعد مدة نقله لمكناسة. ولما كان زيدان عاملاً على بلاد تادلا أسس القصبة الزيدانية على ضفة نهر أم الربيع واتخذها حاضرة لإمارته، فكان يفد عليه فيها علماء تادلا وأدباؤها، ومنهم أبو القاسم الصومعي مؤلف كتاب *المُعزى في أخبار أبي يعزى*. وقد أنكر عليه زيدان صيغة المُعزى من عزا الثلاثي - والعربية معه -. تشبث الصومعي برأيه دونما حجة، فاحتد زيدان ولطمه على وجهه بالنعل، فكان ذلك سب النحس الذي لازم زيدان طوال حياته ولم تُنصر له بعدُ راية.

ولما مات المنصور مطعوناً ليلة الاثنين 16 ربيع الأول عام 1012 / 24 غشت 1603 بفاس. بعد أن عزل ولي عهده المامون وسجنه، بايع أهل الحل والعقد زيدان لأن أباه أنابه عنه ومات بين يديه، لكن خالف أهل مراكش وبايعوا أخاه أبا فارس، وكثرت الحروب بين الإخوة سنين عديدة "وكان ذلك سبب خلاء المغرب" (*نزهة*، 346) وأخيراً اقتصر زيدان على مراكش صارفاً نظره عن فاس وغيرها.

وفي سنة 1020 / 1611 ثار الفقيه أحمد بن أبي محلي السجلماسي من وادي الساورة على زيدان وطردهُ من مراكش إلى أن ردّه إليها يحيى الحاحي بعد ثلاث سنين. وقبل خروج زيدان من مراكش جمع كتب خزانته وخزانة والده المنصور وأرسلها من مرسى أسفي إلى سوس في سفينة فرنسية، لكن ربان السفينة ظن أن الصناديق مملوءة ذهباً ففرّ بها إلى فرنسا فاعترضه قراصنة إسبان واستولوا على الحمولة، ولما وجدوها كتباً سلموها إلى الملك فأودعها دير الإسكوريال بضاحية مدريد حيث ما تزال حتى اليوم.

وكان من أثر هذا النحس والانهزامات المتوالية على زيدان أن اضطربت أعصابه، وصار يسفك الدماء دون توقف ولا تروّ. قال الإفراني "وأطلق زيدان السبيل في أهل فاس وحكّم فيهم السيف... وخرجوا مرة يهنئونه على انتصاره على أخيه فظن أنهم يستهزئون به فأمر بهم فسُلبوا رجالا ونساء وبقي بعضهم ينظر إلى عورة بعض... لكن زيدان يبدو بعكس ذلك في جوابه الرزين المطول ليحيى الحاحي متشبثا بالتعاليم الشرعية في كل تحركاته السلمية والحربية. وعلى أي حال فالرجل لا يخلو من تناقضات بسبب ما عَرَفَ أيام ملكه من فتن وأهوال.

قال الإفراني : "وكان زيدان فقيهاً مشاركاً متضلعاً في العلوم وله *تفسير على القرآن العظيم*، اعتمد فيه على نقل ابن عطية والزمخشري" (*نزهة*، 349). وخصص ابن القاضي القسم الأخير من *رائد الفلاح* لما رواه هو عن زيدان المجاز من آداب وأشعار وأخبار أملاها عليه زيدان بلغة المقامات البليغة. وتجرى أحداث إحداها بالزيدانية وقد

اشتد كلف زيدان وتشوقه إلى نوار إحدى حظاياه الأديبات، فركب إليها بعد منتصف الليل، وذكّره زئير الأسد في طريقه بما اتفق لأبي الطيب المتنبي... وقد تنبأت نوار في تلك الليلة بأن زيدان قادم إليها فأخذت في لباس الحلي والحلل حتى إذا وصل وجدها تنشد شطر بيت من قصيدة له حفظته عنه وهو :

ياليلة وافي بها بدري

توفي زيدان بمراكش في التاسع من محرم عام 1037 / 20 شتنبر 1627، ودفن بجنب أبيه في قبور السعديين بظاهر قبلي جامع المنصور.

أ. ابن القاضي، *رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح*، تح. م. البوعناني، د. د. ع، مرقون، كلية الآداب الرباط ؛ *المنتقى المقصور*، تح. م. رزوق، الرباط 1986، ج. 1 : 416 ـ 417 والهامش 22 ؛ *درة الحجال*، القاهرة 1974، ج. 1 : 277 ـ 278 ؛ ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. ع الله گنون، تطوان، 1964 ؛ قاسم ابن القاضي، *تنوير الزمان بقدوم مولانا زيدان*، مخطوط ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إ. عباس، بيروت، 1968 ج. 2 : 479 ؛ *روضة الآس*، الرباط، 1983، ث. 62 ـ 63 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998، ص. 282 ـ 350 ومواضع أخرى ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*، نشر كولان، الرباط، ص. 78 ـ 83 ؛ ع. الرحمن الفاسي، *زهرة الشماريخ*، طبعة حجر فاس، د. ت. ص. 98 ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هـ. العلوي، بيروت 1983، ص. 9 ؛ *نشر المثاني* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 : 1283 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1955، ج. 6 : 69 ـ 72 ؛ ع. ابن زيدان *إتحاف*، ط 2، الرباط، 1990، ج. 3 : 67 ـ 72 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. 2، الرباط 1975، ج. 3 : 253 ـ 258 ؛ أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء*، فاس، 1924 ؛ ص. 29 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج. 2 : 401 ـ 402 والهامش 88. وفي أماكن متعددة أخرى.

محمد حجي

**زيدان** بن **إسماعيل العلوي** أمير من أولاد السلطان المولى إسماعيل. وكان لهذا السلطان ولدان اسم كل منهما زيدان، فأحدهما يعرف بزيدان الصغير وأمه حليمة السفيانية العشوة، والثاني هو المشهور وأمه عائشة مباركة الرحمانية، وهي أميرة ذات نفوذ إلى حين وفاتها في جمادى الأولى من عام 1127 / ماي ـ يونيه 1715 ويعتبر ولدها من الأمراء الذين لمع نجمهم في عهد والدهم السلطان المولى إسماعيل، فتقلد عدة مهام من سنة 1103 / 1692 إلى سنة 1119 / 1707 فارتبط اسمه بجملة من الأحداث التي عرفها المغرب كانت له فيها مشاركة فعالة أو فصل حاسم. ولعل مؤهلاته التربوية جعلت منه قائدا عسكريا وفارسا مغوارا وخليفة لوالده في شرق البلاد من تازا إلى وجدة ونواحيها، ثم في فاس وتارودانت فاكتسب بذلك الحنكة المخزنية والجمع بين الحزم والعزم.

وهكذا نراه في رمضان سنة 1103 / ماي ـ يونيه 1692 على رأس الجيش المتجه إلى شرق البلاد لصد غارات العثمانيين، فبدأت المعارك شرق تلمسان وانتهت على ضفاف نهر ملوية وتعرف بمعركة المشارع التي كان الدور الحاسم فيها للمدفعية التركية، وتم على إثرها التفاوض وعقد الصلح بين الجانبين. غير أن زيدان ظل محافظا على موقفه المناهض للتوغل العثماني شرق البلاد، فخرج في سنة 1106 لناحية تلمسان فاشتبك مع أتراك الجزائر. وفي سنة 1111 عهد إليه المولى إسماعيل بإمارة المنطقة الشرقية، فكانت مدة ولايته بها كرا وفرا تمكن خلالها من تشريد الأتراك عن ناحية تلمسان، وانتهى في بعض حملاته إلى مدينة معسكر التي اقتحمها في غياب عاملها عثمان باي. وتبعا لمعاهدة السلام بين المغرب والعثمانيين فإن والده لم يقبل منه مثل هذه المغامرات المسلحة. فقرر نقله إلى فاس بصفته خليفة له، وعين معه حمدون بن عبد الله الروسي عاملا على المدينة وذلك عام 1113. وظل في هذا المنصب إلى سنة 1114 حيث عهد إليه والده بقمع تمرد خليفته على تارودانت ابنه محمد العالم الذي اكتسح إقليم سوس ومدينة مراكش، ونشبت المعارك بين الاخوين مدة ثلاث سنوات كلها مآسي، وتم فيها النصر لجيوش السلطان بقيادة الأمير زيدان وأسر محمد العالم وإرساله إلى والده ليلقى جزاءه الذي هو قطع أطرافه من خلاف، فأدى به هذا العقاب إلى الموت.

وبعد إخماد هذه الثورة ولاه والده على تارودانت. وحسب المؤرخ أبي القاسم الزياني في كتابه "*البستان الظريف في دولة أولاد مولانا علي الشريف*"، فإن الأمير زيدان أدركته الوفاة سنة 1119 وهو خليفة لأبيه بتارودانت وسوس، ونقل في تابوت إلى مكناس ودفن بجانب أخيه محمد العالم، وتبعه في هذا الزعم المؤرخ الأديب محمد اكنسوس في *الجيش العرمرم* وكذا المؤرخ أحمد الناصري في *الاستقصا* وعبد السلام بنسودة في *دليل مؤرخ المغرب*. غير أن المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان وهو حفيد أحفاد الأمير كشف عن وثيقة عدلية خاصة بالموالاة بين زيدان وأخيه أحمد الذهبي بإشراف السلطان المولى إسماعيل، وجمع من الأعيان ونخبة من العلماء والقاضي أبي عثمان سعيد العميري في منتصف رمضان عام 1137. وهذه الوثيقة تشغل صفحتين وبضعة سطور في كتاب *المنزع اللطيف*، ووصف محررها الأمير زيدان بقوله : "عين الأعيان، صفوة ساداتنا الشرفاء مولانا زيدان انجح الله مقاصده ويسر للصالحات مصادره وموارده..." وأما موقف أخيه منها فهو تأييد لإرادة والده وعبرت عنه الوثيقة بما يلي :

"فتلقى سيدنا ومولانا أبو العباس ذلك بالفرح والسرور والتباشير والحبور... واشهد ادام الله مجادته وحفظ سعادته أنه والى أخاه سيدنا نخبة الزمان مولانا زيدان

بالغاية من المحبة والمودة والحنان وأصله محل الشقيق من اخوته، وحاباه بخالص وده ومحبته".

وبناء على هذه الوثيقة فإن زيدان كان حيا عام 1137 وتوفي قبل والده، ومن خلال قراءتها الكاملة يظهر أن السلطان كان مهتما بولاية العهد، ويرى أن هذين الأميرين هما المؤهلان لها. وأدرك بفراسته مواقف رؤساء جيش عبيد البخاري من الأميرين المذكورين ومعرفة خصال كل منهما ومواطن القوة والضعف لديهما. فكانت رغبة السلطان أن يشد كل منهما أزر أخيه من خلال عقد الموالاة المذكور، لكن زيدان وافاه أجله قبل والده وأراحه الله من ثورات العبيد والمتمردين ودسائس الطامعين، فهل يا ترى كانت وفاته طبيعية أم مات في ظروف غامضة ؟ ولماذا انقطعت أخباره عن المؤرخين من سنة1119 / 1707 إلى سنة1137 / 1724 التي تم فيها عقد الموالاة مع أخيه أحمد الذهبي ؟ فهذا التساؤل قد تجيب عنه الأبحاث في الوثائق المخزنية في يوم ما.

ع. الله الزرهوني، *رحلة الوافد*، ص.223 ـ224 ـ225، تح. علي صدقي ؛ م. القادري، *نشر المثاني*،3 :145 و167، تح. حجي والتوفيق ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. العماري ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، تح. الكنسوسي، أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 7 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، 3 : 77 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 230 ـ232 و392، تح. ع. الهادي التازي ؛ ع. السلام ابن سوسي، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 1 : 104.

محمد ماكَامان

ابن **زيدان، عبد الرحمان** بن محمد العلوي، والده من أحفاد السلطان مولاي إسماعيل من ولده زيدان، ووالدته حفيدة السلطان مولاي عبد الرحمان. كان المقربون منهم يسمونه "مولاي الكبير" نسبة إلى جده الأكبر من قبل الأم. ولد سنة 1295 / 1878، بمكناس فتربى بالقصر هناك وعرف نظامه. ذكر أنه طلب شهود ختمه للقرآن من السلطان مولاي الحسن. تلقى العلم عن ثلة من فقهاء مكناس ثم التحق بالقرويين بفاس. وممن أجازه بها أحمد بن الخياط الزكاري ومحمد بن جعفر الكتاني، كما أخذ عن الشاعر أحمد بن المامون البلغيثي.

أنهى دراسته بفاس عام1325 / 1907، ونتصور ما يكون دخل في تكوين شخصيته الأدبية والسياسية بحكم محتده وبحكم مقامه بالعاصمة التي كانت تموج فيها تيّارَاتٌ بسبب وقائع الضغوط الأجنبية على المغرب وحوادث العهد العزيزي وتطلع العلماء إلى إصلاح مستحيل.

عاد ابن زيدان إلى مكناس وحمل هناك لقب نقيب الشرفاء بمكناس وزرهون. وقد استطاع بموقعه من العائلة السلطانية وبفضل اهتمامه الشخصي أن يجمع عدداً كبيراً من الكتب ولا سيما ما يتعلق بتاريخ المغرب، كما وقعت في حوزته ذخيرة من الوثائق الرسمية المتمثلة في الظهائر والرسائل السلطانية وفي السجلات المخزنية.

قام ابن زيدان برحلة إلى الحجاز بقصد الحج ومر بمصر ولقي بها العلماء واستجازهم واقتنى الكتب، وكذلك فعل بمكة وتونس والقيروان.

توفرت للمترجم في منتصف عقده الرابع هذه التجربة والمعرفة، وتوفرت له خزانة عامرة بالكتب كانت "أحب إليه من كل بستان" كانت فيها التحف ونفائس المخطوطات إلى جانب مطبوعات في مختلف المواضيع العصرية، وكان لها سجل به ما يقرب من أربعة آلاف عنوان، إلا أن عدداً من عناوينها ضاعت قبل أن يصل ما وصل منها إلى الخزانة الحسنية في أعوام الستين.

أعطت إدارة الحماية لابن زيدان صفة "المدير العربي" للأكاديمية العسكرية بمكناس وهي المسماة "مدرسة الدار البيضاء"، فكان بمثابة نائب لمديرها الفرنسي. ومن راتبه في هذا المنصب بالإضافة إلى عائدات محدودة من غلة أشجار زيتون وصلات من بعض المحبين كان يتعيش ابن زيدان ويقيم الولائم والضيافات المستمرة في داره التي كانت قبلة العلماء والشرفاء والباحثين الأجانب وأعيان الحماية منهم خاصة.

كان بمنزل ابن زيدان مجلس يلتقي فيه الأدباء والشعراء والعلماء، مجلس مطارحة ومذاكرة ودعابة في وقت كان فيه كيّان الدولة المغربية مهدداً والحس بالتاريخ لدي الناشئة ضعيفا، والمَلَكية كرمز للوحدة مستهدفة طمع ابن زيدان إلى سد هذه الثغَرات بكتابة التاريخ. ومن أهم كتبه

في التاريخ السياسي والفكري :
1) *إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس* ؛
2) *الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزهرة* ؛
3) *العز الصولة في معالم نظم الدولة* ؛
4) *المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف* ؛
5) *النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية.*

وله في التاريخ مقالات منشورة في فصلات أو ضمن مسامرات معهد الدراسات العليا المغربي، وكان على ابن زيدان أن يعطي دليلا على فقهه فاهتم ببعض المواضيع التي تتصل بنقد العوائد أو حل بعض القضايا الشرعية، ومن هذا الباب كتب :

1) *تبيين وجوه الاختلال في مستند إعلان العدلية لثبوت الهلال* ؛

2) *قراضة العقبان في تحقيق استمرار أفراد من الكهانة لآخر الزمان.*

وقد عني ابن زيدان بالأدب كما هو ظاهر في الجوانب الآتية :

الشعر : فله ديوان عنوانه *قوت الأرواح في مديح زين الملاح* لا يجمع كل قصائده، وأصله في مخطوط بالخزانة الحسنية يحمل رقم 12386، ويغلب عليه المديح، ويكمله تأليف آخر عنوانه *تأليف في المديح النبوي*، أصله مخطوط أيضاً في الخزانة الحسنية تحت رقم 12463. وله عدد من القصائد بجريدة *السعادة*. كما أن لابن زيدان شعراً في مؤلفات أخرى منها التأليف الذي يدل على موضوعه عنوانه : *تغيير الأسعار على من عاب الأشعار*. ومنها *العقود الزبرجدية في الرحلة السلطانية المحمدية* حيث سجل رحلة محمد بن يوسف إلى جنوب المغرب عام 1360 / 1941. وله من شعريات المولدية قصائد منها مطولتان عنوان الأولى : *كفاية المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج*، والثانية *بغية المستهام في مدح خير الأنام* وهما مطبوعتان. وبحكم موقعه من السلطان واضطلاعه بمهمة التأريخ لنشاطه أنجز أعمالا أدبية مثل جمعه للقصائد التي قيلت في السلطان مولاي يوسف وذلك في ديوان سماه : *اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب اليوسفي.*

- *المسامرات*، وإن كان معظمها في مواضيع تاريخية فهي مفعمة بأسلوب النثر الأدبي الذي ينبئ على أسلوب صاحبه في الكتابة وعدته في الثقافة العربية الإسلامية.

- الرسائل وتبادلها مع أصدقاء ومع بعض رجال الإدارة، وفيها نفس الملامح الأدبية التي في كتابة المسامرات.

لابن زيدان سبعة وعشرون مؤلفا، نصف عددها في موضوع التاريخ بصراحة، ولكن عدد الصفحات التي يتكون منها حيز هذا الجانب يتعدى ثمانية أعشار سعة مجموع مولفاته.

تتشكل ظروف كتابة التاريخ ودوافع هذه الكتابة وموجهاته لدى ابن زيدان من ظروف المغرب الذي واجه تحدي الطمس الاستعماري ومن موقع المؤلف من العائلة المالكة وفي حضيرة الفقهاء ومن إرث الكتابة التاريخية عند المسلمين وعند المغاربة خاصة وفي مكناس على الأخص حيث بدأ ابن غازي وضع تاريخ لها منذ القرن العاشر الهجري، وكذا من احتكاكه بالأوربيين الذين تقبوا في مصادر تاريخ المغرب التوتيقية والأثرية.

اهتم ابن زيدان بفكرة التاريخ واقتبس في هذا الموضوع من ابن خلدون وغيره. أما عمله المنجز في التاريخ فاتخذ فضاءين أساسيين للانطلاق : هما مدينته مكناس ومدينة فاس، ولكن هذين الفضاءين الأساسيين هما وسيلتان لإبراز تاريخ الدولة العلوية السياسي والفكري والنظمي والمعماري. ففي عمله الأضخم : *إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس* تشكل هذه المدينة دائرته المركزية، والدولة العلوية دائرة ثانية. فمكناس كانت عاصمة الدولة في عهدها الإسماعيلي الزاهر، وفيها ضريح مؤسسها الفعلي المولى إسماعيل، والمؤرخ حفيده وكأنه يشعر بمسئوليته عن استنطاق كل الآثار التي ما تزال تفرض هيبتها في أركان القصبة الإسماعيلية. والمدينة تشمل نواحيها بإدخال مدينة زرهون مدفن مؤسس الدولة الشريفة الأولى بالمغرب المولى إدريس بن عبد الله (ت. 117 هـ). وفاس التي ورثت زرهون وكانت عاصمة للمرينيين إنما استحقت الالتفات في كتاب *الدرر الفاخرة بما بفاس من مآثر العلويين الزاهرة* بما فيها من آثار العلويين الذين يعتبرهم ابن زيدان ورثة تاريخ الشرفاء السياسي. ولكن مدينة مكناس تبدو في الأخير وكأنها مجرد تعلة للتاريخ للملوك العلويين، تعلة أملاها الجنس الأدبي جنس التراجم، فكتاب *إتحاف أعلام الناس* قاموس تراجم أعلام من الرؤساء والعلماء والأعيان من المكناسيين أو ممن زاروها يوما من الأيام. أما المادة المبثوتة في تنايا هذه التراجم فهي مادة تاريخ في جوانبه السياسة والدبلوماسية والعسكرية والنظامية والعلمية والعمرانية. فضمن 2.700 صفحة في الكتاب وردت 553 ترجمة منها اثنتا عشرة ترجمة لسلاطين الدولة العلوية تَسَعُ نصف العدد المذكور من الصفحات على وجه التقريب. وهو تاريخ منظور إليه من زاوية إظهار الأمجاد والمفاخر، ولكنه مشروع في سياقه يتصل بالوعي بالذاكرة كوسيلة للدفاع عن الشخصية الثقافية.

وقد تميزت كتابة التاريخ عند ابن زيدان باستعمال وسائل إيضاح لم يُسبق إليها في السياق المغربي ولا سيما صور الأشخاص والماثر وصور الوثائق، كما أن كتبه تميزت بإخراج تعزز بفهارس مفصلة للمادة التاريخية حرر ما يتعلق بالإتحاف المؤرخ المرحوم عبد الكريم بن المدني ابن الحسني الرباطي.

توفي عبد الرحمان بن زيدان يوم السبت 21 ذي الحجة 1365 (16 نونبر 1946).

ع. الجراري، س. بنسعيد ؛ أ. التوفيق، *عبد الرحمان بن زيدان*، *سلسلة أعلام المغرب*، نشر مؤسسة أونا، مطبعة إيديال، الدار البيضاء، 1998.

أحمد التوفيق

ابن **زيدان، عبد القادر** بن عبد الرحمن العلوي العلوي المكناسي، فقيه مقرئ خطاط. قال عنه ابن أخيه في *الإتحاف* "أستاذ مجوّد نحوي لبيب نبيل فاضل وجيه محاضر لطيف ظريف لسن كاتب له خط بارع نسخ عدة كتب فقهية وحديثية وتاريخية... وكان يؤدب الصبيان في أوليه أمره فتخرج على يديه عدد وافر من حملة القرآن، وكان يتعاطى خطة الشهادة بسماط العدول.

توفي بمكناس أواخر جمادى الثانية عام 1321 / شتنبر 1903.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ط 2، 1990، ج. 5 : 353 ـ 354 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة الغربية*، الدار البيضاء، 1991، ص. 250.

محمد حجي

**الزيدانية**، قصبة بسوس ما تزال أطلال أسوارها ماثلة في الجنوب الغربي لمدينة تارودانت على بعد حوالي 3 كلم، وسط أجنة الزيتون وحقول الزراعة، تنسب إلى الأمير محمد زيدان بن السلطان إسماعيل، قام ببنائها بعد أن بعثه والده لقتال أخيه محمد العالم الثائر بسوس عام 1114. وهي غير الزيدانية بتادلة المنسوبة لزيدان السعدي (*المعسول*، 12 : 144).

كانت هذه القصبة شديدة التحصين كما يظهر من سورها الذي تهدمت أجزاء كثيرة منه، بعد أن تحولت القصبة إلى تجمع سكني (زيارة لعين المكان). وقد تم تأسيس القصبة حين قدم الأمير زيدان لقتال أخيه محمد العالم المتحصن بتارودانت عقب عودته من مراكش التي استولى عليها واستباحها سنة 1015 (*رحلة الوافد*، ص. 222 ـ 224). ولما ظهرت للأمير زيدان قوة الثوار المحتمين بأسوار تارودانت، واستماتتهم في القتال، مما يعني طول مدة الحرب، أمر ببناء القصبة وتحصينها ليتخذها الجيش المخزني منطلقا لهجوماته على الثوار وقاعدة خلفية يلجأ إليها ويتحصن بها عند التعرض لضربات خاطفة من الخصوم. بنيت هذه القصبة في الجنوب الغربي لتارودانت لتركيز الهجومات على الجانب الغربي للمدينة الممتد من باب أولاد بونونة إلى باب الغزو المسمى الآن باب تارغونت. استمرت الحرب بين الفريقين ثلاث سنوات شهدت معارك ومناوشات عدة هلك فيها عدد كبير من القواد والأعيان والمقاتلين من كلا الطرفين.

لم يفلح الثوار في تجاوز سور الزيدانية الحصين. كما لم يستطع الجيش المخزني اختراق أسوار تارودانت إلا باتصال الباشا عبد الكريم بن منصور التكني أحد قادة عبيد البخاري بأعيان حي أولاد بونونة واتفاقه معهم على فتح الأبواب للجيش المخزني مقابل حقن دمائهم، وهكذا تمكن محمد زيدان من الدخول لتارودانت ففر أخوه محمد العالم أمامه راجيا اللجوء إلى قبيلة ركيتة (إيركيتنْ) غير أن عبيد البخاري أدركوه، فألقي عليه القبض وبعث إلى مكناس حيث قتل يوم الأحد 16 ربيع الثاني 1118 (*الأعلام*، 6 : 12).

ولا تتوفر معلومات عن حال قصبة الزيدانية بعد القضاء على هذه الثورة، إلا ما كان من إشارة ترد بعد ذلك بزمن طويل في أوائل القرن الرابع عشر حينما اتخذها القائد الناجم الأخصاصي أحد رؤساء المجاهدين تحت إمرة الشيخ أحمد الهيبة قاعدة يشن منها الهجومات على حيدة بن مايس قائد الجيش المخزني بسوس المتحصن بتارودانت (*المعسول*، 20 : 112)، ولا يبعد أن تكون القصبة اتخذت بعد ثورة العالم قاعدة عسكرية قطنها فيلق من عبيد البخاري لمراقبة تارودانت والمناطق المحيطة وقمع الثائرين بها بعد ذلك مثل المولى أبي النصر بن المولى إسماعيل الذي ثار هناك سنة 1123 (*الاستقصا*، 7 : 96) ثم أصبحت في مراحل لاحقة تجمعا سكنياً على غرار كثير من القصبات الإسماعيلية في نواحي المغرب. ولا تزال على ذلك إلى اليوم.

م. المختار السوسي، *المعسول*، المحمدية؛ عبد الله التسافتي، *رحلة الوافد*، تح. أزايكو، القنيطرة، 1992 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 6، الرباط، 1405 ـ1985 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 7، الرباط، الدار البيضاء، 1955.

المهدي السعيدي

**زيدوح** (ولد ـ)، أحمد بن محمد التادلاوي، اشتهر بغناه المنبني أساسا على ملكه لأكبر قطيع ضأن بتلك الجهة، وأوسع الحقول التي كان يخصصها لزراعة الحبوب. فضلا عن أنه عرف بالكرم الزائد عن الحد. وهذا ما جعل ذكره تسير به الركبان. ومما يذكر أن سبب اتصاله بالمخزن يرجع إلى عهد السلطان عبد الرحمن بن هشام، حيث أخبر بعض الجباة أن ولد زيدوح من أكبر أغنياء تادلا، وأن له ألمعية متميزة بين سكان تلك الجهة، بما أوتي من بسطة في المال والجاه، وبما توافر له من أتباع في القصبة التي حملت اسمه. هذه القصبة التي تقع على الضفة اليسرى لواد أم الربيع، غير بعيد عن القنطرة التي تربط اليوم، بين مدينتي سوق السبت والفقيه بن صالح (انظر دار ولد زيدوح).

ولعل ذلك الغنى، فضلا عن احتمال قوة عصبية ذلك القائد، قد كان سببا في اتصاله بالمخزن، في سياق سياسة الاستقطاب التي كان ينهجها للتمكين لسريان أحكامه في

القبائل التي لم تكن سلطته فيها نافذة بما فيه الكفاية ؛ مثل قبيلة بني موسى التي تقع دار ولد زيدوح في ترابها.

في هذا السياق أصبح أحمد ولد زيدوح موظفا مخزنيا. يذكر الناصر أن سيدي محمد بن عبد الرحمن، الذي كان خليفة لوالده بمدينة مراكش أوقع بقبيلة بني موسى، "وقطع منهم أربعة وستين رأسا وقبض على مائة وخمسين مسجونا"، عقابا لهم على قتلهم لعاملهم أبي العباس أحمد ابن زيدوح" (*الاستقصا*، 9 : 65).

وإذا علمنا أن الإيقاع ببني موسى كان في سنة 1269 / 1853، فيمكن أن نؤرخ لوفاته بما يقارب هذا التاريخ.

وفي سياق خروج القبيلة المذكورة على عاملها، يشير المصدر نفسه، ضمن أحداث عام 1289 / 1872، إلى الغزواني ابن زيدوح قائداً للمخزن في تلك الجهة (*الاستقصا*، م. س. ص. 123) وفي عهد هذا القائد استطاع السلطان ملاحقة الفارين من قبيلة بني موسى، حيث استنزلهم من الجبال "على الأمان ودخلوا في الطاعة والتزموا الخدمة" كان ذلك عام1294 / 1877. لذلك لم يتلكأوا في أداء فروض الطاعة حين اجتاز المولى الحسن أرض قبيلتهم، بعد حوالي سنتين من التاريخ المذكور. بل إن الحركة السلطانية أصبحت تقيم مخيمة بدار ولد زيدوح لينظر السلطان في بعض المظالم التي تعرض عليه من قبل الذين لم ينصفهم القاضي الجهوي (بوسلام، *قبيلة بني ملال*، ص. 153). كان هذا ما دأب عليه السلطان مولاي الحسن. وهذا دليل على التمكين الذي أصبحت سلطة المخزن تحظى به في قبيلة بني موسى، بسبب قوة القائد ولد زيدوح. ومن ثم ظلت زيارات السلطان لدار ولد زيدوح تترى، حتى كانت بها وفاته ليلة الخميس ثالث ذي الحجة، متم عام 1311 / 7 يونيه 1894.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 ؛ ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 2 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ بوسلام، *قبيلة بني ملال*.

*Repertoire alphabétique*, 8 mars 1936.

أحمد عمالك

**زيدوح** (دار -) ← **دار ولد زيدوح**

**الزَّيْــدي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة، وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çaide - Çaydet - Çayde.

وقد أنجبت هذه الأسرة عدة فقهاء لم نعرف عنهم شيئاً باستثناء : علي بن العربي الزيدي من سنة 1236 إلى سنة 1247 (1821 .1831). ومحمد بن أحمد الزيدي الذي كان عون القاضي سنة929 (1523).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 796.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزيدي، أحمد** مقاوم من مواليد سنة 1940 ببني بويحيى إقليم الناظور. التحق بصفوف جيش التحرير المرابط بتيزي ندرا، وقد أبلى البلاء الحسن في كل المعارك والهجومات التي شارك فيها إلى جانب وحدات جيش التحرير بجبال الريف إلى أن حصل المغرب على استقلاله.

توفي يوم 23 .9 .1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524281.

**الزيدي الگدالي، عبد الكريم** بن العربي أحد فقهاء مدينة أسفي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر. تولى قضاء أسفي بالنيابة، وعنه يقول الفقيه الكانوني : "الفقيه العلامة النوازلي القوال بالحق المفتي البارع... توفي رحمه الله في الكائنة بين القائد عيسى (بن عمر) وأولاد زيد، فكان في جانب أهله، ولما طولبوا بالصلح وحضر لإمضائه غدرهم القائد المذكور فقتل الأعيان. وكان صاحب الترجمة ممن قتله القائد بنفسه حيث ناوله كتاب السلطان، ففي أثناء القراءة أخرج السيف من غمده وضربه، وذلك عشية يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة 1313 /8 أكتوبر 1895، ودفن بأگرور من القصبة العليا في جملة من مات في ذلك اليوم..."

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج. 2، مخطوط ؛ أ. الصبيحي، *باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة*، تح. ع. الرحيم العطاوي، م. الظريف، الرباط، 1994.

عبد الرحيم العطاوي

**الزيدي، محمد** بن داود، مقاوم ولد سنة 1932 بدوار الكفاف إقليم خريبگة. شارك في الانتفاضة الشعبية التي عرفتها مدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955 مشاركة فعالة، وقد قام أثناء هذه الانتفاضة بعدة أعمال فدائية استهدفت إحراق وتخريب منشآت المستعمر.

واصل كفاحه هذا بكل شجاعة وإقدام إلى أن استشهد في نفس يوم الانتفاضة بعد إصابته برصاص العدو.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520853.

**الزيدية، للافاطنة** بنت مَحمد إحدى الوليات الصالحات بعبدة يبعد ضريحها ببضعة كيلو مترات عن شاطئ البحر شمال أسفي في المكان المعروف باسمها. يقول الفقيه الكانوني عنها : "أصلها من حاحة، وهي بنت الولي الشهير سيدي مَحمد وشان ..." أما الفقيه الصبيحي السلاوي فيقول عنها : "هذه السيدة اشتهرت بقضاء الله تعالى حاجات زائريها، ويقصدها النساء خصوصاً ومن

عاداتهن أن كل امرأة زارتها في يوم من الأيام يصير عندها ذلك اليوم يوماً موقراً تتزيّن فيه ولا تغزل فيه ولا تأخذ مكنسة بيدها، وبالجملة لا تعمل فيه عملا دنيّاً قائلة أنه يوم زيارتها لالاً فاطنة مَحمد".

يقام بضريحها موسم كبير كل سنة في 15 شعبان وتقصده جموع غفيرة من الناس وخاصة النساء اللواتي لهن فيها اعتقاد كبير.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج.2، مخطوط ؛ أ. الصبيحي، *باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة*، تح. ع. الرحيم العطاوي، م. الظريف، الرباط، 1994.

عبد الرحيم العطاوي

**الزِيراوي، محمد** بن بوشعيب زكي، مقاوم وأحد وجوه حزب الاستقلال البارزة في مدينة الدار البيضاء خاصة في درب البلدية بالمدينة الجديدة حيث كان مسؤولا في مكتب الدائرة الأولى للحزب الذي انضم إليه عام 1944 بعد قدومه إلى الدارالبيضاء، إذ كانت ولادته بقبيلة أولاد بوزيري ناحية سطات.

تعرض لمحاولة أولى للاغتيال يوم الخميس 3 ماي 1956، وقد نجَا بفضل تدخل أحد المارة، أما المحاولة الثانية التي قضت على حياته فقد جرت مساء الأربعاء 25 يوليوز 1956 بزنقة مولاي الحسن بدرب البلدية بالدار البيضاء، وقد نفذ الاغتيال ثلاثة أفراد من الهلال الأسود التي حاولت الانتقام من المنظمة السرية ـ الخاضعة حديثاً لحزب الاستقلال ـ لإقدامها على اختطاف واغتيال عددٍ هام من رجال الهلال الأسود، وكان الزيراوي قد بذل مجهودات لاعتقال عبد الله الحداوي أحد قادة الهلال البارزين، فحاول إغراء أحد أخواله، لكن دون جدوى، ومن المرجح أن تكون هذه المحاولة السبب المباشر لإقدام ثلاثة من الهلال على اغتياله.

(*العلم*، ع. 2244، الجمعة 27 يوليوز1956، ص . 1).

محمد وحيد

**زيرم** بنت بابَ بن الناجم مقاومة من مواليد سنة 1927 بالساقية الحمراء من والدها بابَ بن الناجم بن الرقيبي وأمها غيلة بنت الفاضل بنا لعبيدي. ساهمت مساهمة فعالة في مقاومة المستعمر الإسباني والفرنسي في جنوب المغرب حيث كانت تساعد جيش التحرير في معالجة الجرحى والقيام بكل ما تحتاج إليه فرقتها التي كان يرأسها السيد عزاز محمد بن أذخيل إلى أن استشهدت سنة 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514707.

**زيري بن عطية** بن عبد الله بن تبادلت بن محمد بن خزر الزناتي المغراوي يكنى أبا يوسف ويلقب بالفرطاس. كان أحد أمراء بني خزر في بادية المغرب الأوسط، ولما غلب بلكينُ بن زيري الصنهاجي صاحب إفريقية على بلاد المغرب الأوسط سنة369 / 979 أجلى بني خزر إلى المغرب الأقصى وزعماءهم محمد بن الخير ومقاتل بن عطية وأخاه زيزي بن عطية وخزرون بن فلفول فوصلوا إلى سبتة التي كانت حينذاك تحت نفوذ بني مروان في الأندلس. وعندما أبان أمراء مغراوة عن شجاعتهم وبسالتهم في رد هجومات بني زيري الصنهاجيين الموالين للعبيديين في إفريقية انخرطوا في دعوة بني مروان وبايعوا الخليفة هشام المؤيد وحاجبه المنصور بن أبي عامر، وقد توافق هذا مع حاجة المروانيين لحليف قوي ومطواع المواجهة التهديدات الفاطمية. وأصبح الحاجب يعول أكثر من ذي قبل على أمراء زناتة في ضبط بلاد المغرب الأقصى بعد انقطاع أيام الأدراسة وبني أبي العافية المكناسيين وكان على زيري بن عطية أن يستغل هذه الوضعية لاظهار ولائه لبني مروان وبسالته في الدفاع على مصالحهم بالمغرب الأقصى. وقد عرفت سنة377 / 987 ظهور شخصية أبي البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي على مسرح الأحداث في غرب المغرب الأوسط. وكان أبو البهار هذا مناهضا لأخيه منصور بن بلكين صاحب إفريقية وظهير العبيديين، فخلع دعوتهم ومال إلى دعوة الخليفة هشام وحاجبه ابن أبي عامر وتمكن من الاستيلاء على مناطق واسعة باسم المروانيين كتلمسان وتنس ووهران وشلف وشرشال وجبال ونشريس والمدية وجزء كبير من بلاد الزاب. لكن بيعته للمروانيين لم تدم أكثر من شهرين إذ سرعان ما عاد إلى دعوة العبيديين، فكان ذلك مناسبة ملائمة استغلها زيري بن عطية بعد أن أمره ابن أبي عامر بقتال أبي البهار وعينه على ما كان تحت نفوذه من مدن ومناطق. وتمكن زيري فعلا من مطاردة أبي البهار والاستيلاء على بلاده. وقد عزز هذا الانتصار موقع زيري في البلاط المرواني بقرطبة وقوي سلطانه وارتفع شأنه بين أمراء المغرب، وأصبح المنافس القوي لأمير زناتي آخر هو يدو (أبو بدوي) بن يعلى اليفرني الذي كان المنصور يحسب له ألف حساب بين أمراء زناتة إذ كان كثير التقلب في ولائه للمروانيين. واعتبر المنصور أن زيري بن عطية هو القائد الذي يمكن الاعتماد عليه في تقليم أظافر الأمير اليفرني والحد من خطورته وتهديداته للوجود المرواني في الضفة الجنوبية للأندلس. في هذا الاتجاه استدعى الحاجب المنصور زيري بن عطية إلى حضرته قرطبة سنة 377 / 987 وأحسن وفادته ثم أمره بمآزرة وزيره ونائبه على المغرب الأقصى حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي في محاربة عدوهم المشترك يدو بن يعلى. وفي إحدى المواجهات العنيفة بين الطرفين سنة 381 / 991 جرح الوزير ثم هلك فيما بعد مما سمح لزيري بأن يظهر كرجل المروانية الأقوى والأنسب لخلافة حسن بن أحمد في هذه المرحلة التي شهدت من جهة

تزايد أطماع بني زيري الصنهاجيين في المغرب وتشددهم في مخالفة الدعوة المروانية ومساندة العبيديين ومن جهة أخرى تصاعد وتيرة المعارضة الداخلية بالمغرب الأقصى خاصة معارضة بني يفرن وهو الأمر الذي شجع الحاجب على مكاتبة زيري بالولاية على المغرب الأقصى لبني مروان. وقد عرفت الفترة الممتدة من سنة 381 / 991 إلى سنة 383 / 993 فصول خطيرة من الصراع الدموي بين الأميرين الزناتيين زيري بن عطية ويدو بن يعلى وكانت الحرب بينهما سجالاً، وفي آخر جولاتها سنة 383 تمكن زيري من اقتحام مدينة فاس على يدو وقتله وبعث برأسه إلى الحاجب المنصور بقرطبة. ولم يكن مقتل الأمير اليفرني نهاية الصراع بين القبيلتين مغراوة وبنو يفرن على الإمارة والرياسة بل استمر ذلك حتى بعد انسحاب خلفاء يدو بن يعلى إلى جهة شالة واستقرارهم بها. وتفيد المصادر بأن زيري استطاع بفضل حنكته العسكرية ودهائه السياسي توسيع مجال نفوذ الخلافة الأموية في العدوة الجنوبية من السوس الأقصى إلى بلاد الزاب. وقلص من تهديدات الخطر الشيعي وأصبح الزعيم الزناتي الأقوى في المنطقة ولم يبق له بها منازع أو منافس وبدأ يمارس سلطات واسعة كأمير مستقل، فشيد مدينة وجدة سنة 384 / 994 في موقع وسط متميز يقترب من موطنه وعصبيته ويبتعد عن المؤامرات التي كانت تحاك ضده بفاس. وقد جعل زيري من هذه المدينة عاصمة لإمارته المترامية الأطراف وإنزالها عسكره وحشمه، وبعث إلى الحاجب بقرطبة هدية عظيمة طار ذكرها بين الناس وتفنن المؤرخون في وصفها واعتبروها رمزا واضحا لقوة الأمير المغراوي وغنى مملكته. وفي سنة 386 / 996 ساءت العلاقة بين الخليفة هشام المؤيد وحاجبه المنصور بن أبي عامر. ووصلت لهذا الأخير بعض الأخبار مفادها أن زيري بن عطية يساند الخليفة في نزاعه مع الحاجب المستبد عليه وتجرأ على خلع طاعته للحاجب ومحا اسمه من الخطبة وطرد عماله من المغرب وأجلاهم إلى سبتة واقتصر على الدعاء للخليفة هشام. وقد انعكس هذا الموقف على تطور العلاقة بين الحاجب وزيري في اتجاه الصراع والتصادم. والمنصور كان يعي جيدا أن زيري لم يقدم على هذه الخطوة الخطيرة إلا بعد أن أحس بنفوذه وقوته، ولذلك سعى الحاجب إلى محاولة قطع الطريق عليه وعدم السماح له بالوصول إلى أهدافه السياسية. فبدأ يناوشه ويبعث له بالحملات العسكرية لكسر شوكته. وكانت أولى تلك الحملات حملة كاتبه عيسى بن سعيد اليحصبي التي دارت رحاها حول قلعة حجر النسر جنوب طنجة، ثم حملة قائده الكبير واضح الفتى الصقلبي سنة 387 / 997 حيث استقطب عددا من أبرز أمراء وقواد زناتة المناوئين لزيري مثل إسماعيل بن البوري ومحمد بن عبد الله بن مرين ومحمد بن الخير الخزري وابن عمه بكساس بن سيد الناس وخزرون بن محمد الأزداجي وزيري بن خزر وأبو بخيت بن عبد الله بن بكار وغيرهم. وقد دامت هذه المواجهة حوالي ثلاثة أشهر في مجال واسع بين أصيلا ونكور. ولما علم الحاجب المنصور باستماتة زيري وصده بقوة لهجمات قائده واضح بعث بحملة أخرى بقيادة ابنه عبد الملك المظفر وتحت إشرافه شخصيا، وزحف إلى طنجة حيث ضم جيوشه إلى جيوش القائد واضح وانطلق الجميع لمواجهة جيش زيري في معركة عنيفة بوادي منى (أبو دوادي ردات أو بجبل الحبيب حسب تعدد الروايات) من أحواز طنجة في شهر شوال من سنة 388 / 998. وقد استطاع الأمير المغراوي الصمود والثبات إلى أن غدر به أحد أتباعه وطعنه في غفلة منه وكان يريد نحره. لكنه أصيب بجراح وتمكن من النجاة والهرب إلى فاس ومن هناك إلى الصحراء. وبفضل هذه الهزيمة استعاد الحاجب ابن أبي عامر نفوذه على المغرب الأقصى.

بعد استجماع زيري لقواه وحشد مؤيديه انتقل من الصحراء إلى المغرب الأوسط حيث كانت الأوضاع مضطربة والصراع حول الحكم بين فصائل صنهاجة محتدا، فاستغل زيري انشغال الأمراء ونازل بعض المدن خاصة تاهرت واستولى عليها بعد حروب شديدة مع بني زيري. وقد شجعه هذا الانتصار على متابعة تحركاته العسكرية في إطار خطة مرسوم بدقة لاستعادة ملكه في المغرب الأقصى من خلال بوبته الشرقية. وهكذا استولى سنة 389 / 999 على تلمسان وشلف وتنس والمسيلة وغيرها وأقام الدعوة فيها للخليفة هشام المؤيد ولحاجبه ابن أبي عامر، كما كتب للحاجب بهذا الفتح يسترضيه ويشترط على نفسه الاستقامة والطاعة ويطلب منه إعادته إلى ولايته على المغرب الأقصى. وكان الحاجب يقوم بتسويفه ويتماطل في السماح له بالعودة إلى أن وافق أخيرا بالقدوم إليه عندما كان محاصرا لمدينة أشير سنة 391 / 1001. وعند منصرفه اعتل زيري بن عطية وعادت عليه جراحاته وتوفي بعدها في شهر المحرم أو في شهر رمضان من نفس السنة 391/ دجنبر 1000 - غشت 1001 فخلفه ولده المعز بإجماع آل خزر وكافة مغراوة.

*ديوان ابن دراج القسطلي*، تح. محمود علي مكي، ط. 2، المكتب الإسلامي، 1389، ص.1 7 ؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، بيروت، 1966، ج. 9، ص. 46، 68 - 69، 152 -153، 155 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، بيروت، 1983، ط. 3، ج. 1، ص. 249 - 253 ؛ *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، بيروت، 1983، ط. 3، ج. 2، ص. 281 - 282 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، نشره ليفي بروفنسال، المطبعة الجديدة، رباط الفتح، 1934، ص.22 و39 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، دار المنصور، الرباط 1972، ص. 102 - 107 ؛ النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب* (جزء منه حول تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط)، تح. مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، 1985، ص. 318، 325 -328 ؛ علي الجزاني، جنى *زهرة الآس*، الرباط، ط. 2، 1991، ص. 54 ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام فيمن بويع*

قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح. أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتان، الدار البيضاء، 1964، القسم الثالث، ص. 155 . 160 ؛ ابن خلدون، العبر، دار الفكر، بيروت، 1988، ج. 4، ص. 189 ـ 190 ؛ نفسه، العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، ج. 6، ص. 320 ـ 322 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، القاهرة، د. ت.، ج. 5، ص. 185 ـ 186 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 198 ـ 199 ؛ الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، ج. 1، ص. 206 ـ 224 ؛ أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، 1978، ص. 236 ـ 240 ؛ الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م. نقله عن الفرنسية حمادي الساحلي، بيروت، 1992، ج. 1، ص. 98 ـ 133 ؛ عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، بيروت، 1994، ج. 2، ص. 84 ؛ هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري / منتصف القرن العاشر الميلادي، الرباط، 1995، ج. 2، ص. 215 ـ 375.

G. Marçais, *Oujda, E.I*, 1936, T. 3 ; Levi - Provençal, *Maghrawa, E.I.*, 1936, t. 3 ; Ibid, *Histoire de l'Espagne musulmane*, Paris - Leiden, 1950; T. 2., pp. 259 - 268 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1950, T. 2, pp. 135 - 208 ; E.F. Gautier, *Le Passé de l'Afrique du Nord*, nouvelle édition, Paris, 1964, pp. 369 - 391 ; J. Brignon [et al...], *Histoire du Maroc*, Paris, Casablanca, 1967, pp. 73 - 83.

رشيد السلامي

**زيز**، حوض يتكون من ثلاث مجموعات متوالية من الشمال إلى الجنوب :

ـ المنطقة الجبلية التي تعتبر المورد الأساسي لسهل الريش،

ـ المنطقة السفحية التي تنعش واحات الرشيدية والتي عرفت تشييد سد الحسن الداخل في سنة 1971،

ـ المنطقة الجنوبية على الهضبات تغذي الواحات الشبة الصحراوية والصحراوية بما فيها سهل تافيلالت حيث يلتقي مع واردات حوض غريس.

تقدر التساقطات المطرية بـ250 ملم في المناطق الجبلية و130 ملم بينما لا تتعدى 75 ملم جنوب أرفود.

وتبلغ المياه السطحية معدل 68 ملم على مستوى فم تليشت و39 ملم في فم زعبل سنويا. ويتم استعمال هذه المياه لسقي حوالي 6.150 هـ من الأراضي الزراعية بعالية زيز.

وبحكم أهمية هذه الواردات (138 م م$^3$) وكذلك لضرورة وقاية الواحات الجنوبية من الفيضانات تم بناء سد الحسن الداخل وتسخيره منذ 1971.

وتعتمد الواحات الجنوبية في سقيها (20.960 هـ) أساسا على مياه هذا السد إضافة إلى بعض العيون، عين مسكي مثلا، مياه غريس التي يتم تحويلها بواسطة بعض السدود التحويلية كسد الحميدة، إضافة إلى عدد كبير من الخطارات.

وقد لعب هذا السد دورا أساسيا في ري هذه الواحات حيث مكن من تسخير معدل 106 مليون م$^3$ سنويا واستعمال 90،1 م م$^3$ للزراعة.

يرتكز استعمال المياه الجوفية خاصة بسهل تافيلالت حيث يتم سقي 6.000 هكتار سنويا بواسطة الخطارات والآبار (20 م م$^3$ سنويا).

وتعتبر الملوحة هاجسا مخيفا لاستدامة التنمية الفلاحية خاصة بسهل تافيلالت حيث تم تسجيل مستويات تفوق 8 غ/ل.

ويتميز هذا الحوض بوجود شبكة جهوية لتوزيع مياه الشرب على كل من الرشيدية، أرفود والريصاني والقصور الرابطة بينها والذي تم تشغيله منذ 1985.

ونظرا لضعف مستوى الواردات بهذا الحوض، فإن جل المقترحات في إطار المخطط المديري لاستصلاح هذا الحوض تستهدف اقتصاد المياه المتاحة وحسن استعمالها إضافة إلى التحكم في ظاهرة الملوحة وتحويل المياه من سافلة حوض غريس إلى واحات زيز.

موحا حدوش

**زيز**، واد ينبع من جبل العياشي بالأطلس الكبير الشرقي، ويخترق إقليم تافيلالت من شماله إلى جنوبه مارا بالخنگ ومضفرة والرتب وتيزيمي وتافيلالت بالمعنى المحلي للكلمة ثم يخرج إلى القفر (*وصف إفريقيا*، 2 : 254 ؛ *إفريقيا*، 3 : 152). يبلغ طوله من منابعه إلى الخملية حيث يلتقي بوادي غريس ويشكل معه وادي الدورة 200 كلم. له ثلاثة روافد في عاليته هي : أوتربات ونوسّاين وتلاست، تأخذ كلها منابعها من أوتربات على ارتفاع يتراوح ما بين 2400 و2700، وتجتمع هذه الروافد الثلاثة في واد يحمل اسم تاريبانت، ثم ينضاف إليها وادي تزارين في أمرگو، ثم وادي مزيزل، ثم وادي سيدي حمزة ورافده واد النزالة (*Errachidia*, p. 8 ; *Les problèmes de l'eau*, p. 99).

لم يرد ذكر اسم زيز في المصادر الجغرافية للعصر الوسيط سوى في كتابين هما : البلدان لليعقوبي والجغرافيا لابن سعيد في حين تردد ذكره في مصادر العصور الحدثية. ولا نعرف ما تعنيه هذه الكلمة، فالزيز بالتعريف هو بصل الفار وذويبة تطير وتفق طويلا على الشجرة ولها صوت كأنها تقول زيز فسميت به (*محيط المحيط*، 387) فهل سمي هذا الوادي بزيز لكثرة نبات الزيز فيه أو اشتق اسمه من خرير مياهه لأنه كان فيما مضى دائم الجريان ؟ الحقيقة أننا نستبعد أن يكون لاسم هذا الوادي علاقة بالمعنين المذكورين ونرجح أن تكون هذه الكلمة من أصل أمازيغي لكننا لم نتوصل إلى معرفة معناها في ضوء معلوماتنا الحالية.

ذكر ابن حوقل الذي زار سجلماسة سنة340 / 951 أن هذه المدينة على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل، في كون الشمس في الجوزاء والسرطان والأسد، فيزرع بمائه حسب زروع مصر في الفلاحة (*صورة الأرض*، 90). وذكر الوزان الذي أقام بقصر المامون مدة طويلة بعد أندراس مدينة سجلماسة أنه كثيراً ما يجف نهر سجلماسة في فصل الصيف ويقل الماء جداً بحث لا يجد الناس غير الماء المالح المستخرج من الآبار (*وصف إفريقيا*، 2 : 126). فيستنتج من ذلك أن تغيراً كبيراً طرأ على التصريف المائي لوادي زيز من زمان ابن حوقل إلى زمان الوزان.

ولأن سجلماسة منطقة شبه صحراوية، شديدة الحر. قليلة الأمطار (*أحسن التقاسيم*، 231 و*معيار الاختيار*، 181 *وصبح الأعشى*، 5 : 164) فإن وادي زيز لا يعتمد في جريانه على التساقطات المحلية وإنما يرتبط ارتفاع منسوب مياهه بتهاطل الأمطار وذوبان الثلوج في مناطق منابعه وهذا ما أكده ابن أبي زرع حيث قال : وفي سنة 381 / 991 كان قحط شديد ببلاد المغرب والأندلس وإفريقية، جفت من أجله المياه جفوفا كثيراً، وجاء بهذه السنة بوادي سجلماسة سيل عظيم لم يعهد مثله، ولم ير بتلك الأرض كلها من السنة مطر، فعجب الناس من ذلك ( *القرطاس*، 114).

وأورد البكري معلومات مهمة حول تغذية وادي زيز بمياه العيون قال : "وسجلماسة على نهرين عنصرهما من موضع يقال له الكلف تمده عيون كثيرة، فإذا قرب من سجلماسة تشعب نهرين يسلك شرقيها وغربيها ( *المغرب*، 148) ونقل هذه المعلومات دون إضافة كل من صاحب *الاستبصار* وابن عبد المنعم الحميري ( *الاستبصار*، 201 *والروض المعطار*، 306).

حاول روجي فور R. Faure إيجاد تفسير الكلام البكري وقال بأن المناطق الواقعة في الشمال الغربي لمدينة سجلماسة كانت تتوفر على عدد كبير من العيون ذات صبيب قوي، خصوصا في المجال الواقع بين قصر الجبيل وقصر الدار البيضاء، وقد جفت هذه العيون بسبب تراكم الطمي المنقول بواسطة مياه وادي زيز. وقال بأنه من غير المستعبد أن تكون هذه العيون هي المقصودة بأكلف عند البكري (Le Tafilalet, p. 12) وأكد مارگا J. Margat هذا الرأي بنوع من التفصيل وقال بأن الفرشة المائية في المناطق المذكورة أعلاه تتوفر على مخزون مهم من المياه بسبب وجود سد حجري طبيعي بها يمنع تسرب المياه الجوفية نحو الجنوب، وهو ما أهلها لأن تكون منطقة غنية بمنابع الماء، وأهلها لأن تكون كذلك المقصودة في كلام البكري بأكلف. وأعزى جفاف هذه العيون في وقتنا الحالي إلى ارتفاع مستوى سطح الأرض في ضواحي مدينة سجلماسة بتسعة أمتار عما كان عليه زمان البكري (Note sur la morphologie) ومعلوم أن فيضانات وادي زيز وغريس تسبب في تراكم الطمي بمناطق تافيلالت بنسبة تتراوح ما بين 0,5 و1 سنتم في العام الواحد، أي ما يعادل حوالي متر في كل قرن *(Note sur la morphologie)*. وكل فيض لهذا الوادي تتراوح كمية مياهه ما بين 4 و5 مليون م$^3$ يحمل إلى تافيلالت حوالي 35.000 طن من الطمي (*Les problèmes de l'eau*, p. 117).

وبخصوص ما ذكره البكري حول تشعب نهر سجلماسة عند اقترابه من المدينة إلى نهرين يسلكان شرقيها وغربيها قال مارگا J. Margat بأن المقصود بهما وادي زيز والساقية المسماة بواد الشرفاء (*Note sur la morphologie*, p. 257). فيفهم من ذلك أن أهالي سجلماسة قد غيروا مجرى وادي زيز عبر ساقية كبيرة أصبحت مع الزمن تحمل اسم وادي، وإذا كان تاريخ استحداث هذه الساقية غير معروف، فإن نسبة تسميتها إلى الشرفاء يوحي بأنها وليدة فترة متأخرة عن زمان البكري، لأن الشرفاء العلويين دخلوا سجلماسة في أواخر القرن السابع (13 م). وقد كان الهدف من شق هذه الساقية هو تحويل مياه زيز لسقي الأراضي السهلية الواقعة إلى الشرق من مدينة سجلماسة (*سجلماسة*، 60) وهذه العملية لم تكن الوحيدة التي تدخل فيها الإنسان بتافيلالت لتغيير المجرى الطبيعي لوادي زيز، فإلى الجنوب من أرفود ينقسم هذا الوادي إلى فرعين هما : وادي أمربوح في الشرق وزيز الفيلالي في الغرب والأول هو المجرى الأصلي للوادي، أما الثاني فأحدث في تاريخ غير معروف لتقريب مجرى وادي زيز من مجرى وادي غريس بهدف الربط بينهما والاستفادة من مياه غريس في سقي الأراضي السهلية لسجلماسة (*Le Maroc sah.*, p. 147).

لم يكن البكري هو الجغرافي الوحيد الذي أشار إلى تشعب وادي سجلماسة عند بلوغه المدينة إلى نهرين بل أكد ذلك كل من ابن سعيد والقلقشندي ( *الجغرافيا*، 124 *وصبح الأعشى*،5 :164 ) قال ابن سعيد : "ونهرها يأتي من الجنوب والشرق ومنبعه من جبل أزرو الكثير الحيات ومن عيونه، وينقسم منها إلى قسمين، ثم يجتمع القسمان ويتصلان على غربيها وشرقيها... وينصب هذا النهر في نهر زيز الذي يمشي معه ومع نهر سجلماسة، وإليها خمسة أيام في العمائر والخيرات ثم ينصب نهر زيز في نهر ملوية الذي ينصب في بحر الرومان (*كتاب الجغرافيا*، 124).

يثير وصف ابن سعيد للمجاري المائية بسجلماسة مشاكل عديدة إذا ما قارناه بخريطة الشبكة المائية الحالية بتافيلالت. ويظهر أن هذا الجغرافي اشتبهت عليه أمور كثيرة في هذا الموضوع فهو يتحدث عن نهرين هما : زيز وسجلماسة ولايستعبد أن يكون المقصود بنهر سجلماسة في كلامه هو وادي غريس الذي يعتبر أحد الأنهار الرئيسية في حوض زيز، وجعل منابع زيز في الجنوب والشرق، وهو توطين خاطئ لا يصح القول به إلا إذا اعتبرنا أنه كان يحدد منابع هذا النهر انطلاقا من موقعها بالنسبة للمناطق الشمالية للمغرب الأقصى. كما جعل مصب هذا الوادي في البحر الأبيض المتوسط على الرغم من أنه يضيع في

الصحراء كما سنذكره في حينه (*سجلماسة*،58 ـ59). أما تحديده لمنابع زيز بجبل أزرو الكثير الحياة فيعززه ما ذكره الوزان في معرض حديثه عن جبال زيز حيث قال بأن الأفاعي بها كثيرة، وهي في غاية الوداعة والألفة، تزحف في بيوت الزناكيين كصغار الكلاب والقطط. وعندما يذهب أحدهم لتناول الطعام تتجمع حوله الثعابين الموجودة في البيت، وتأكل أكلا عادياً، قطع الخبز وغيره من المأكولات التي تقدم لها ولا تؤذي أحداً أبداً إذا لم يؤذها (*وصف إفريقيا*، 1 : 287).

وعلى عكس ما يعرفه وادي زيز من جريان موسمي في الوقت الحالي فإن المياه كانت وفيرة به في العصر الوسيط. فقد أشار ابن حوقل إلى وجود غلات القطن بسجلماسة (*صورة الأرض*، 90) ومعلوم أن القطن يحتاج إلى كميات كبيرة من المياه بالإضافة إلى حاجته للحرارة المرتفعة، وأكد كل الجغرافيين الذين اتوا بعده على وفرة المياه بوادي سجلماسة ( *المغرب*، 148 و*كتاب الجغرافيا*، 142 و*صبح الأعشى*،5 :164)، وحتى الوزان الذي قال بأن هذا الوادي يجف في فصل الصيف ذكر أنه بعد أن يخرج إلى القفر "يكون قرب قصر سغيلة بحيرة وسط الرمال، حيث لا يوجد أي سكن، غير أن الصيادين من الأعراب يختلفون إلى ضواحيها لأنهم يجدون فيها صيدا حسنا جدا" (*وصف إفريقيا*، 2 : 254) وهو ما أكده مارمول أيضاً حيث أشار إلى أن هذه البحيرة تقع في صحراء الضهرة (*إفريقيا*، 3 : 152).

ولا يعرف مكان هذه البحيرة اليوم ولا مكان قصر سغيلة الذي ذكره الوزان لكن المناطق الملائمة لوجودها تنحصر في المكانين التاليين :

1ـ سبخة الدورة الواقعة إلى الجنوب من أوديكة 2 ـ المكان المسمى بالمحجز إلى الشمال من سبخة موراجتين وهما المكانان اللذان تتجمع فيهما مياه فيضانات وادي الدورة اليوم وترسوبهما توضعاته (Etude sur le relief, p. 308 et 484).

ويعتبر وادي الدورة استمراراً لوادي زيز، وتطلق هذه التسمية على هذا الوادي بعد التقاء زيز بغريس جنوب الخملية. ويقطع وادي الدورة مسافة 200 كلم من الشمال إلى الجنوب، كما هو الحال بالنسبة لزيز، مخترقا للحمادات الجنوبية وجامعا لمياه أودية كم كم خصوصاً واد أيت ترهلا. وعند تجاوزه لجبل عش الگطار ودخوله لعرگ ايگيدي يحمل اسم وادي الأثل حتى إذا بلغ حاسي بن زهرة صعبت عملية تتبع آثاره بحيث لا يعلم ما إذا كان يتجه نحو وادي السورة أو نحو رحل الأمان (*Etude sur le relief*, 304). وبذلك يكون وادي زيز قد قطع ما يزيد على 400 كلم من منابعه إلى حاسي بن زهرة حيث ينتهي وادي الدورة.

ابن حوقل، *صورة الأرض*، بيروت، د. ت. ؛ أبو عبيد البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، شردوسلان، باريس، 1965 ؛ ابن سعيد المغربي، *كتاب الجغرافيا*، بيروت، 1970 ؛ مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار*، المحمدية،1976 ؛ ابن عبد المنعم الحمري، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، بيروت،1984 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، ج. 5، القاهرة، 1915 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1982 ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا*، ج. 3، الرباط، 1984.

R. Faune, *Le Tafilalet étude d'un secteur traditionnel d'irrigation,* Paris, 1969 ; F. Joly, *Etude sur le relief du sud-est,* Rabat, 1962 ; J. Margat, *Note sur la morphologie de site de Sigilmassa, Hesp.*, 1959, p. 254 - 261 ; D.J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982 ; M. Jarir, *Errachidia et l'organisation régionale de la vallée du Ziz,* Thèse de Doctorat de 3ème cycle, Université François Rabelais. Tours, 1983 ; Brik El-Mansor, *Les problèmes de l'eau dans la vallée Moyenne du Ziz et la plaine du Tafilalet*, thèse de Doctorat (Nouveau régime), Université de Nancy II, 1988.

* * وتعتبر مدينة زيز المندرسة من مدن إقليم سجلماسة. قال البكري : "ومدينة سجلماسة بنيت سنة أربعين ومائة، وبعمارتها خلت مدينة ترغة وبينهما يومان، وبعمارتها خلت زيز أيضاً" ( *المغرب*، 148). وإذا كان من المحتمل أن يكون المقصود بترغة هو تدغة التي أجمعت الدراسات الحديثة على القول بأن موقعها قريب من منجم الفضة الذي تم اكتشافه مؤخراً في جبل صاغرو جنوبي المجرى الأعلى لوادي اميضر على بعد ثلاثين كيلومتراً جنوب غرب مدينة تنغير (*Le Maroc saharien*, p. 220 ; *Corpus des mon. Idr.*, p. 95 ومادة تدغة، *معلمة المغرب*، 7 : 2306 ـ 2307). فإن موقع مدينة زيز مازال غير معروف بكيفية دقيقة لحد الآن، ومازال ما كتب عنه بالاعتماد على التحريات الميدانية والروايات المحلية مجرد افتراضات، وسيظل كذلك مالم يحسم الموضوع بالتنقيبات الأثرية.

وظن دانيال اسطاس D. Eustache مدينة زيز في منطقة الگراس على الضفة اليمنى لوادي زيز بين جبل بوحميد في الغرب وجبل لوقنديل في الشرق. وقال بأنه من المحتمل أن تكون هي گرسلوين التي ماتزال بقايا أسوارها المرينية ماثلة إلى اليوم، وتعرف عند المحليين باسم الدوار (*Corpus des mon. Idr*, p. 142).

ومعلوم أن مدينة گرسلوين قد ذكرها الوزان باسمين آخرين مختلفين عن هذا الذي أثبتناه هنا وهما : غارسلوان وغرسلوين (*وصف إفريقيا*،1 : 288 و2 : 122) وذكرها مارمول باسم غرس العيون (*إفريقيا*،3 : 153 و155) وذكرها ابن الخطيب قبلهما باسم أقر سلوين (*معيار الاختيار*، 179) وذكر محقق معيار الاختيار أن أقر سلوين يحتمل أن يكون المراد بها قصبة سلوان حيث تقطن قبائل بين يطفتي بالريف (هامش الصفحة، 179 من معيار

الاختيار) غير أن وصف ابن الخطيب لهذه المدينة يؤكد أنها هي التي وردت عند الوزان ومارمول بالأسماء المذكورة أعلاه.

يستفاد من وصف الوزان لگرسلوين أنها من بناء الزناتيين قال : "ولم يبن الزناتيون في الحقيقة هذه المدينة إلا لتكون حصنا للسيطرة على ممر نوميديا، إذ كانوا يخشون أن تتسرب قبيلة لمتونة منه إلى بلادهم. ومع ذلك جاء اللمتونيون من طريق آخر وخربوا المدينة وحطموها" (*وصف إفريقيا*، 1 : 288). ويستنتج من ذلك أن زيز قد تغير اسمها منذ القرن (5 هـ / 11 م) على الأقل ليصبح گرسلوين، وأنها تعرضت للتخريب على يد المرابطين.

وإذا كان الوزان قد أعزى السبب في تأسيس هذه المدينة إلى رغبة الزناتيين في مراقبة الممرات التي تسلكها صنهاجة الجنوب في رحلتها السنوية من مشاتيها في القفر إلى مصايفها في المناطق الواقعة شمال جبال درن، فإن أسباب تأسيسها قد تتسع لتشمل عاملين إضافيين لا يقلان أهمية عن سابقهما وهما : مراقبة الطرق التجارية واستغلال المعادن.

بالنسبة للعامل الأول نسجل أن القوافل التجارية حين تخرج من سجلماسة في اتجاه فاس أو موانئ البحر الأبيض المتوسط، خاصة ميناء جراوة، كانت تتبع مجرى وادي زيز، وبعد خروجها من منطقة مدغرة تضطر إلى اختراق مضيق ضيق سماه مارمول بكنانة (*إفريقيا*، 3 : 152) وسماه الوزان الخنگ (*وصف إفريقيا*، 2 : 254) ومازال يحمل هذا الاسم إلى اليوم، ولا يوجد مكان ملائم للاستراحة بعده إلا في منطقة الگرس، لذلك بنيت هذه المدينة هناك على مشارف الحدود الشمالية لإقليم سجلماسة بهدف توفير لوازم السفر للقوافل وضمان مرورها بسلام في مضايق الأطلس الكبير الشرقي وممره الأساسي تيزي ن تالغمت. (*سجلماسة*، 27).

أما السبب الثاني التي قامت على أساسه هذه المدينة فهو تعدين الفضة بالاعتماد على منجم كان يقع بالقرب منها، إما في تاگندوست أوبمزيزل، في المنطقة التي يخرج فيها وادي زيز من الأطلس الكبير الشرقي بين جبل بوحميد وجبل بوقنديل (*Corpus des mon. Idr*., p. 95 - 96).

وقد احتفظت لنا الأيام بأربعة دراهم ضربت في زيز : المؤرخ منها بسنة 179 / 795 ليس ادريسيا وإنما يشبه الدراهم التي ضربت بأفريقية في عهد الولاة ويحمل في الدائرة المركزية النقوش التالية : محمد رسول، الله نبي، رحمته. أما الدراهم الثلاثة الأخرى فتحمل اسم عيسى بن إدريس صاحب وازقور، ويحمل واحد منها على الوجه في الدائرة المركزية اسم عبد الله ولقب المنتصر بالله، وقد ضربت في سنوات : 213 / 828 و229 / 844 و233 / 848 (*Corpus des mon. Idr*, p. 142 - 143 والأدارسة، 157).

ويحتمل أن يكون عيسى بن إدريس قد بسط سيطرته على زيز في نفس سيطرة يحيى بن إدريس على داي وتدغة. وارتبطت زيز بوازقور عاصمة عيسى بن إدريس بطريق كان يعبر بعد خروجه من الگرس ممر تيزي ن تالغمت وأعالي ملوية فأغبالون سردان فخنيفرة (*Corpus des mon. Idr*., p. 142 - 143).

أبو عبيد البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، نشر دوسلان، باريس، 1965 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، ج.1 و2، ترجمة م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1982 ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا*، ج. 3، ترجمة، م. حجي وآخرين، الرباط، 1984 ؛ ل. ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، المحمدية، 1976؛ الموساوي العجلاوي، مادة تدغة، *معلمة المغرب*، ج. 7 ؛ حسن حافظي علوي، *سجلماسة وإقليمها في القرن (8 هـ / 14 م)*، المحمدية، 1997 ؛ محمد صدقي، *الأدارسة من النشأة إلى التجزئة*، دبلوم الدراسات العليا، ظهر المهراز - فاس، 1991.

D. Eustache, *Corpus des Dirhams Idrisites et contemporains*, Rabat, 1970 - 1971 ; D.J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982.

حسن حافظي علوي

**زيزاوة** أو **زكزاوة**، أسرة وزاوية بالريف الشرقي. فالأسرة مستقرة بقبيلة بني سعيد، ترجع الوثائق نسبها إلى المرابط الشيخ عمر بن أحمد الراسي، الذي كان حيا في بداية العصر المريني بالشمال الشرقي المغربي، دفين قرية تاحيدوست بجماعة زيزاوة ببني سعيد، بالكعدة الحمراء برأس واد الدفلة، لذلك دعي بالراسي، وذلك قبل أن تعرف الجماعة المنتسبة بزيزاوة أو زكزاوة.

واللفظ الأمازيغي "أزيزا" أو "أزكزا"، بمعنى اللون الأخضر، وبه عرف أفراد الأسرة، بعد وقوع الاختيار على اللون الأخضر المفضل في لباسهم، تيمنا بالبرنوس الأخضر الذي كان يلبسه جدهم عمر بن أحمد الراسي، حسبما تلح عليه الرواية الشفوية.

وأقدم وثيقة نعتمد عليها لتسجيل ظهور الأسرة بالقبيلة هي المؤرخة بيوم 10 ذي القعدة عام 1015 / 9 مارس 1607، وهي وثيقة تجديد التوقير والاحترام الممنوحة للأسرة الزيزاوية المقيمة بالريف إثر وفاة أحمد المنصور السعدي. وهذا يتناقض مع ما قيل عن هجرتها حوالي منتصف القرن السابع الهجري إلى ناحية مستغانم من جهة ومع ما اعترف أفراد الأسرة من العودة إلى بني سعيد، حين أشاروا إلى هروبهم من الاحتلال الفرنسي للجزائر، مما يفهمنا أن الأمر لا يتعلق بمجموعة صغيرة سواء أثناء الهجرة أو العودة من جهة أولى، كما أنها من جهة ثانية كانت على اتصال بالبلاط المغربي منذ ما قبل ذلك. وقد عثرنا على وثائق تسلسلهم النسبي، يصلهم أولها العائدة إلى العهد السعدي بجدهم المرابط عمر بن أحمد، ثم على ثلاث وثائق تجديد التوقير والاحترام، بتاريخ 22 صفر 1118 / 5 يونيو 1706. و24 محرم عام 1289 / 3 أبريل

1872/6 رجب 1291 / 19 غشت 1874 و14 جمادى الأولى عام 1298 / 24 أبريل 1880.

فالمستخلص من كل هذا أن جماعة من أحفاد المرابط عمر بن أحمد الراسي السعيدي هاجرت من بني سعيد في ظروف غامضة إلى ناحية غرب مستغانم الجزائرية واستقرت بقرية بطيوة أزيو إلى جانب العديد من الفرق السعيدية المهاجرة، بالشكل الجغرافي الذي نراه بقبيلة بني سعيد، مثلما يشبه الاستيطان للأغراض الاستراتيجية الحربية. وهناك من يقترح تاريخ الترحيل ويرده إلى الامتداد المريني بالجزائر على عهد السلطان أبي الحسن المريني في منتصف القرن الثامن (14 م).

وحوالي سنة 1854 أسس الفرنسيون بمستغانم قرية "سانت لو" مكان قرية بطيوة أرزيو، مما أدى إلى إجلاء السكان بضع مئات من الأمتار جنوبا، وكان لزاما على القريتين الرئيسيتين زيزاوة وبني تمايت أن تقتسما المجال الجديد، مثلما هو عليه الحال بقبيلة بني سعيد بالريف. فمن الجماعة الزيزاوية انفصلت الأسرة التي اختارت العودة إلى موطنها الأصلي ببني سعيد، واستقرت بجوار قبة ضريح المرابط عمر بن أحمد الراسي. ويمكن حصر عدد أسر زيزاوة العائدة في بداية القرن الرابع عشر (آخر 20 م)، اعتمادا على تصريح وثائقهم بخمس وثلاثين دارا، وهو ما يوازي على الأقل 175 نفر.

وسرعان ما بادر فقهاء أسرة زيزاوة إلى إحياء مراسيم زاويتهم القديمة الواقعة بجوار ضريح جدهم المرابط عمر بن أحمد الراسي. وأقبلوا على الاشتغال بتدريس العلوم الدينية والقيام بالدور الاجتماعي التوفيقي في المنطقة. وقد بلغ عدد علماء زيزاوة حسب المعلومات المقدمة لنا في متم رجب 1306 / 1 أبريل 1889 أحد عشر فقيها، وحدد عدد الطلبة بنحو أربعة وخمسين طالبا.

وبرز من الأسرة الزيزاوية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر قضاة استحوذوا على القضاء في بني سعيد دون منازع، أمثال : القاضي أحمد بن أحمد بن زرو ومحمد بن أحمد أشملال وأحمد بن إبراهيم وعمر بن محمد (حمو). وكان أجل علمائهم آنذاك هو الفقيه أحمد بن مزيان الزيزاوي المقتول في خضم الصراع مع الحضريين سنة 1309 مسموما.

عاصرت زاوية زيزاوة كلا من زاوية الحضريين بنفس القبيلة، بفرقة إزعومن، وزاوية كركر بناحية كرواو ببني بويحيي. غير أن المنافسة الشديدة التي واجهتها زاوية زيزاوة هي التي قابلتها زاوية الحضريين بزعامة محمد أحضري الأول وخلفه محمد أحضري. وقد جر احتدام المنافسة بين الزاويتين موجة من النزاعات التي أدت إلى تخريب الزاوية الزيزاوية وتهجير الأسرة، بل وقتل رؤوسها، مثلما يمكن الإشارة إلى أحداث ربيع الثاني من سنة 1308.

ففي الوقت الذي كان فيه قائد القبيلة عبد الصادق الريفي وخلفه محمد أقشيش السعيدي معترفين بالزاوية وبشرف الأسرة، تصدى لهم محمد أحضري، مقدم الزاوية والأمين ثم القائد الحاج بوزيان السعيدي بالاصرار على عدم اعتبار ما بأيدي الزيزاوين من ظهائر التوقير التي يعود أول ما كان بأيديهم حسب اعترافهم إلى عهد المولى سليمان. وانضاف إلى ذلك اتهام جماعاتها بالتحريض على اغتيال المقدم محمد أحضري السعيدي في جمادي 1301. ولم ينج الطرفان من اللقاء في ساحة المعركة، مثلما أدت به أحداث 21 شعبان 1302 و23 رجب عام 1308 من الجرحى والقتلى.

وقد أدى رجحان كفة الزاوية الحضرية إلى إجلاء الزيزاويين عن موطنهم وتخريب زاويتهم وديارهم ومصادرة أملاكهم وقتل رؤوسهم سنة 1309 في آخر عهد المولى الحسن، دون أن تلقى صرخاتهم بالبلاط الحسني والتجاؤهم مرات عديدة منذ 3 شوال سنة1297 / 9 شتنبر 1880 إلى مقابلة السلطان أي رد فعل إيجابي، مثلما حدث يوم 13 رجب 1306، وفي آخر اللقاءات يوم 5 شوال 1307. وكان المطلوب في كل مرة استرجاع مصداقية مستنداتهم والحث على تعيين نقيب لزاويتهم.

ولكن الحملة القوية التي شنها خصومهم على ديار الزيزاويين البالغة آنذاك خمسا وثلاثين دارا، قضت على آمالهم، وذلك يوم 23 رجب 1308، وهذا هو الذي أدى إلى انتهاء دور الأسرة خلال غارة جمادى الثانية سنة 1309، مثلما سترد التوضيحات في تراجم أهم رجال الأسرة. وعلمنا من جهة أخرى أن بعض فقهاء الزيزاويين استقر بهم المقام بزاوية كركر المشار إليها.

*وثائق زيزاوة التي بجوزة محمد الترابي* ؛ *وثائق خ. ح.* ؛ *كنانيش خ. ح.* ؛ *وثائق مديرية الوثائق الملكية* ؛ عيسى البطوئي، *مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح*، تح. ح. الفكيكي، الرباط، 1999.

*Revue Africaine*, 1945

حسن الفكيكي

**الزيزاوي، أحمد** بن أحمد بن زرو، قاضي بني سعيد عهد المولى الحسن. ثبتت مزاولته للمهمة منذ ما قبل سنة 1279 / 1880، مما يقودنا إلى تعيينه سنة 1291 أثناء زيارة المولى الحسن لقلعية. اقتسم هذه المهمة مع القاضيين الزيزاويين محمد بن أحمد أشملال وعمر بن محمد، حسبما يأتي في ترجمتهما.

كان أحمد بن زرو من المناضلين لإثبات شرف الأسرة، حريصا على عدم الرضوخ لما زعمه الحضريون ومساندهم قائد قبيلة بني سعيد الحاج بوزيان السعيدي حين اعتبر جماعة زيزاوة من العامة. وباستقراء مراسلاته الموجهة إلى البلاط الحسني يتضح أنه :

- ترأس الوفود التي التحقت بالعاصمة فاس قصد

عرض الوثائق التي تثبت استحقاق الأسرة للتوقير والاحترام، بدءا من سنة 1279 / 1880. وتابع ذلك خلال السنوات التالية، إلى أن اعتقد بحصوله على موافقة السلطان، بناء على ما بيده من ظهائر أسلافه.

- صادف معارضة قوية من مقدم زاوية الحضريين ومساندهم الأمين ثم القائد الحاج بوزيان السعيدي، سواء بالطعن في شرف الأسرة الزيزاوية، أو باتهامه بإثارة الفوضى والاضطرابات بالقبيلة والاستيلاء على أملاك محمد أحضري المقتول سنة 1301. وقد تلقى استدعاء الحضور إلى مشافهة السلطان بتاريخ فاتح عام 1305. وكانت المناسبة التي ترأس فيها وفد سنة 1306 وتاليه سنة 1307.

لم ينج أحمد زرو من عواقب تصاعد حدة المنافسة والمترتب عنها من الأحداث الدامية فقرر الالتجاء إلى الفرقة المجاورة آيت تمايت، عند حلول الحركة ببني سعيد في 4 رجب 1306 برئاسة محمد الأمراني. وكانت رسالتا بداية وأواسط جمادى الثانية من سنة 1309 آخر ما كتبه للسلطان في مأساة زيزاوة، وقد دبرت إثر ذلك حيلة اغتياله مسموما، حسبما أعلم عنه القاضي عمر بن محمد الزيزاوي في مراسلة أواسط جمادى الثانية 1309 / أواسط يناير 1892.

ومن المشاكل التي تدخل فيها القاضي أحمد زرو مسألة المراقبة والإشهاد على تعيين مليلة التي استدعى إليها عدد كبير من القواد والأمناء والأعيان والفقهاء والشرفاء. وقد وصلت الدعوة إلى مترجمنا بتاريخ 25 ربيع الثاني 1308، وتم حضوره الفعلي فأجاب السلطان بتاريخ 11 رجب 1308 معلنا عن أسباب إخفاق اجتماع تعيين الحدود، منها ما هو ناتج عن تحايل الإسبان للزيادة فيما سمح لهم بحيازته من أرض بني شكر بنحو مائتي متر شمالا.

وتمكن أحمد زرو من جهة أخرى من الاطلاع على محضر اتفاق 28 مارس 1859 الذي عثر عليه في دار المخزن بفرخانة، أو دار الجنان كما سماها هو، وقدم لنا معلومات لم نجدها عند غيره. فمن الاطلاع على نص الاتفاق اكتشف الغش الذي عمد إليه الإسبان أثناء إطلاق مدفع تعيين الحدود بوسيلتين، مبينا أولا أن الاسبان استعملوا غيارا أعلى من المتفق عليه، كما أنهم من وجهة ثانية استغلوا علوا أكثر مما هو منصوص عليه في محضر الانفاق بتعمد رفع فوهة المدفع وقت زند القذيفة، وبتلك الوسيلتين زيد في مساحة الحدود نحو الميل سرقة واغتصابا. ثم حمل أحمد زرو المسؤولية للمخزنيين المشرفين على التعيين، وفي مقدمتهم حمان السعيدي، قائد إدالة الحدود بجنادة فرخانة.

*وثائق زيزاوة ؛ وثائق خ. ح. وكنانيشها ؛ وثائق مديرية الوثائق الملكية.*

**الزيزاوي، عمر** بن محمد قاضي بني سعيد ظهر أثناء نكبة زيزاوة إلى جانب محمد أشملال حسب مراسلة أواسط جمادى الثانية 1309 أواسط يناير 1892. وقد تابع الدفاع عن حق زيزاوة في الشرف، وشارك في الوفد المتوجه في شعبان 1309 / 13 مارس 1892 لتقديم الشكوى إلى البلاط الحسني، وربما لاقى نفس مصير الأسرة التي شملها الاعتقال على يد رئيس الحركة مولاي عثمان في ربيع الثاني 1310 / أكتوبر - نوفمبر 1892.

*وثائق زيزاوة ؛ وثائق خ. ح. ؛ وثائق مديرية الوثائق الملكية.*

**الزيزاوي، محمد** بن **أحمد أشملال**، قاضٍ ببني سعيد، حسب المستنتج من وثيقة 18 ربيع الثاني 1299، بمشاركة أحمد بن أحمد زرو وعمر بن محمد. ونعلم منه أنه عمل قاضيا ببني وليشك المجاورة لبني سعيد إلى جانب القائد العربي الوليشكي لمدة سبع سنوات، ولكنه كان ببني سعيد سنة 1299 / 1882. ويعني هذا أن تعيينه الأول كان ببني وليشك على الأقل سنة 1292 أو التي قبلها، مما يوافق زيارة الحسن الأول إلى قلعية سنة 1291 بقصد ترتيب أمورها الإدارية والقضائية أيضا.

شارك محمد أشملال رفقاءه القضاة في معركة التصدي لأهل زاوية الحضريين وقائد بني سعيد الحاج بوزيان السعيدي دفاعا عن شرف زيزاوة بالكتابة المتوالية إلى السلطان. وكان ضمن الوفود الموجهة إلى الحسن الأول لعرض شكواهم ورفع تظلمهم، مما سبق بيانه في ترجمة أحمد بن زرو، قال في 24 شعبان 1307 : «سنتوجه للحضرة لشرح ما جرى بهم مع العامل بوزيان».

وأثناء أحداث القبيلة المحتدمة بين الحضريين والزيزاويين المشار إليها التجأ محمد أشملال سنة 1308 إلى قلعية، ثم توجه مع أربعة من المرابطين الزيزاويين لملاقاة السلطان مع أحد قضاة قلعية يوم 13 شعبان 1309 / 13 مارس 1892 بعد حضور حرب سيدي ورياش الجارية بين القلعيين والإسبان. وكان من جملة الزيزاويين القاضي عمر بن محمد الزيزاوي سابق الترجمة.

بقي الوفد في انتظار ملاقاة مع السلطان نحو الشهرين حسب مراسلته المؤرخة بمتم رمضان 1309. وأغلب الاعتقاد أنه عاد إلى قلعية ليتمكن مولاي عثمان من القبض عليه ضمن جماعة زيزاوة، حسب إفادة مراسلة 17 ربيع الثاني 1310.

*وثائق زيزاوة ؛ وثائق خ. ح. ؛ وثائق مديرية الوثائق الملكية.*

حسن الفكيكي

**زيطان، محمد** بن **عبد الرحمن**، مقاوم شابّ ولد سنة 1937 بشفشاون من أبويه عبد الرحمن وفاطمة بنت محمد التهامي. انخرط في صفوف جيش التحرير المؤسس

بشمال البلاد بمركز تيزي وسلي تحت قيادة محمد الغبوشي حيث استمر في الكفاح ضد المستعمر إلى أن استشهد

بتاريخ 7 ربيع الأول عام1375 / 24 أكتوبر 1955 عن الشهامة والإقدام.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم506897.

**زيطان، محمد** بن **عبد السلام** الخمسي كان "طالباً" متظاهراً بالزهد والصلاح، وتمكن في وقت وجيز من استمالة قبائل جبالة والهبط مستغلا في ذلك استياء الرعية من استبداد القائد الغنيمي عامل المولى سليمان. وأصبح لسكان قبيلة الأخماس وبعض القبائل الجبلية الأخرى اعتقاد راسخ في صلاح زيطان وبركته، واستمر هذا الاعتقاد لعدة أجيال. ويشبّه المؤرخ الناصري مكانة آل زيطان لدى قبائل الجبل بمكانة آل أمهاوس لدى قبائل أيت أومالو الأطلسية، وهو ما يفيد بامتلاك محمد بن عبد السلام الخمسي لجاذبية دينية جعلت جموع العامة تتهافت عليه وتلتف حوله، وترى فيه المنقذ لها من معاناتها.

وقد حاول المولى سليمان في البداية (1208 / 1793 - 1794) أن يستأصل داء هذا الثائر فأرسل له جيشاً تحت قيادة الغنيمي المذكور. إلا أن تهور هذا القائد جعله يتوغل في شعاب وأودية المنطقة، فلما توسط بلاد غزاوة انهال عليه الرماة من كل جانب وألحقوا به هزيمة قاسية. ثم أوكل السلطان أمر زيطان إلى أخيه مولاي الطيب، نائبه بطنجة والمنطقة الشمالية، فعالج أمر هذا الثائر وحارب القبائل المساندة له، فأخضع قبيلة بني گرفط ثم قبيلتي بني يدر والأخماس، لكنه لم يظفر به إلا بعد أن أمضى له الأمان وتوسط له لدى أخيه، فعفا عنه وولاه على قبيلته، فصلحت سيرته وأصبح من مساندي الدولة وخدامها. وبعد مدة عزله المولى سليمان ونقله إلى مدينة تطوان حيث رتب له ما يكفيه من معاش. وعندما اختلت أمور الدولة وبايعت مدينتا فاس وتطوان إبراهيم بن اليزيد (انظره في !) سلطاناً في سنة 1820 تمسك زيطان ببيعة المولى سليمان وحشد لها تأييد القبائل الجبلية. وبقي على قيد الحياة إلى أواخر الدولة السليمانية.

أ. الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط، خ. ع د. 1275 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء الثامن، الدار البيضاء، 1956 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، الرباط، 1986.

محمد المنصور

**زيـمة**، تقع وسط قبيلة احمر على مقربة من الشماعية التي تبعد بـ 87 كلم عن مدينة مراكش. وهي بحيرة كملح ببلاد عبدة، بنيت بالقرب منها قرية تحمل اسمها، وترتبط تاريخيا ببلاد احمر، وترد في النصوص المتعلقة بالرماة والرماية، ويسميها سكان المنطقة "لالّة زيمة"، وبها الآن قرية باسمها.

وقد فرّ السلطان مولاي هشام بعد هزيمته عام 1206 أمام أخيه مولاي اليزيد إلى زيمة ـ كما ذكر الضعيف الرباطي ـ. وفيها أصيب السلطان مولاي اليزيد برصاصة في ركبته من أحد الرماة الحمريين.

وكان مجموعة من كبار شيوخ الرماية يقطنون قرب زيمة، نذكر منهم سيدي سعيد بن محمد الناصري ـ نسبة إلى الناصريين الحمريين ـ القاطن فوق زيمة بموضع يقال له رأس عين عريض، وهو من أشياخ أبي القاسم الفزكاري شارح قصيدة "روضة السلوان" فرغ منه عام 1211 / 1797، ومنهم سيدي سعيد الحمري البهيسي نزيل حوز زيمة جوفا منها، وهو أول من دخل من شيوخ الرماة الحمريين بلاد الغرب في عده السلطان محمد بن عبد الله وأخذ عنه خلق كثير بالغرب وبني حسن وغيرهما.

وقد بنى السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام دارا قرب موضع زيمة، لتربية أبنائه وأحفاده، وجعل الانفاق عليهم من مستفاد الملح المستخرج من بحيرة زيمة، معتبراً أن ذلك لا شبهة فيه، فينشأ من أنفق عليه منها في أحسن حال، وبها نشأ السلطان مولاي الحسن وتعلم الرماية على يد مجموعة من شيوخها، وذكر ابن الحاج أن ملح زيمة كان يجلب للأقطار الحوزية. وبحيرة زيمة اليوم من البحيرات الشهيرة بالمغرب لكثرة ما يستخرج منها من الملح الطبيعي، تبلغ مساحتها 500 هكتار، وطولها 4 كلم، وعرضها كيلومتر ونصف، ويقدر ما يستخرج منها بمئات الآلاف من الأطنان.

الفـزكاري، *شرح روضة السلوان*، مخطوط، خ ع 1598 د، ص. 10 ـ 27 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري، ص. 236 ؛ أ. ابن الحاج، *الدرر الجوهرية*، مخطوط، خ.ح. 512، ج. الأول، ص. 364 ؛ ابن العربي، *كتاب المغرب*، ص. 162 ؛ م. المنوني، *قبس من عطاء المخطوط المغربي*، ج. 3، ص. 1172 ـ 1173.

أحمد إيشرخان

**زين العابدين** بن **إسماعيل** بن الشريف العلوي السلطان، عاش في كنف أبيه، وتربى على مبادئ الإسلام وتعاليمه، فحج مرتين واشترى أثناء مقامه بالمدينة المنورة بستاناً حبسه على ضريح الرسول عليه السلام. هذه الصفات أهلته ليكون من ضمن الأمراء الجديرين بالإمامة. عندما توفي السلطان مولاي إسماعيل سنة1139 / 1727، كان زين العابدين مستقراً بسجلماسة، ولما قامت الفتنة بين جيش عبيد البخاري وإخوته الثلاثة : المولى عبد الله والمولى المستضيء وأبي عبد الله محمد بن عربية، حول خلافة أبيهم على الملك، توجه إلى مكناسة الزيتون واستقر بها. ولم تكن له في البداية حسب ابن زيدان، أطماع سياسية في تولي الرئاسة. (*إتحاف أعلام الناس*، ج. 3، ص. 74). ولما علم المولى المستضيء، وهو يومئذ سلطان على البلاد، بوجوده هناك ألقى عليه القبض وأودعه السجن مدة ثمانية أشهر، ثم أمر بعد ذلك بإخراجه منه وضربه فضرب وهو مقيد ضرباً مؤلماً حتى أشرف على الموت، ثم رده إلى السجن. وبعد مدة من الزمن، وحتى يتخلص من خطره المحتمل، أمر ببعثه مقيداً إلى سجلماسة كي يسجن مع باقي الأشراف المحتجزين هناك ( *الاستقصا* ، ج. 7، ص. 154). فلما بلغ الخبر إلى رؤساء العبيد وجهوا من اقتفى أثره ليرده. فلحق به بصفرو، وأزال قيده وتوجه به لبني يازغة، وأودعه عند القائد أحمد الكعيدي، وأوصاه به خيراً. فأكرم هذا الأخير وفادته، وأنزله منزلا رحبا. وبقي عنده إلى أن عزل المستضيء وبويع محله السلطان مولاي عبد الله البيعة الثانية. ففرح مولاي زين العابدين، وابتهج بخلع الأول وبيعة الثاني. وفي أعقاب تلك الأحداث، رحل من بني يازغة إلى فاس، وبقي بها مدة، ثم في ثالث عشر ذي القعدة عام1152 / 1740 ذهب لمكناس وبقي بها وقتاً من الزمن ثم انتقل إلى طنجة، واستقر عند الباشا أحمد الريفي. فناصره هذا الأخير، وعضد جنبه ضد أخيه مولاي عبد الله ( *إتحاف أعلام الناس*، ج. 3، ص. 74). وفي خضم تلك الأحداث هيأ أحمد الريفي كتيبة من الخيل من عبيد البخاري وغيرهم، وبعثهم معه إلى مكناسة، فدخلها في ربيع سنة1154 / 1742 وبويع بها بيعة تامة، وقدمت عليه وفود القبائل والأمصار وفر أخوه مولاي عبد الله إلى رأس الماء، ثم رحل إلى بلاد البربر حيث توجد شيعته من أيت إدراسن وغيرهم. ولما استقر السلطان زين العابدين بحضرة مكناسة، وتم أمره أقام بها نحو الشهرين، ثم تهيأ لغزو الأوداية وأهل فاس الذين تخلفوا عن بيعته، فنهض إليهم في جيش العبيد. ولما بات جيشهم بسيدي عميرة بقصد حصار فاس، اختلفت كلمة العبيد، ووقع بينهم التنازع فرجعوا بسلطانهم إلى مكناس، وبقي هذا الأخير رهينة بين أيديهم، يوجهونه كيف يشاؤون. ولما أتوا على ما كان بيده من المال بالخزائن، اتفقوا على عز له، وعادوا إلى مبايعة أخيه مولاي عبد الله الذي كان يتوفر وقتئذ على بقية من الذخيرة، فبارح مولاي زين العابدين البلاد ناجيا بنفسه. وكانت مدة دولته نحو خمسة أشهر (*إتحاف أعلام الناس*، ج. 3، ص. 76).

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، 5 أجزاء، الطبعة الأولى سنة1349/ 1931، الرباط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 أجزاء، الدار البيضاء، 1956.

العربي اكنينح

**زينب بنت تومرت** هي زينب بنت عبد الله وتُومرت الملقب بأمغار أي الشيخ. أمها تعرف بأم الحسين المسكالي من بني يوسف من أهل سوس. نسب أبيها في قبيلة هرغة المصمودية. أما نسبه إلى الحسن بن علي فقد شكك فيه ابن خلدون بينما أكده البيدق والمراكشي وابن القطان. الراجح أن تاريخ ميلادها، كان قبل سنة 474 / 1081 على اعتبار أنها أكبر سنا من شقيقها محمد بن تومرت، المتوفى سنة524 وعمره يناهز ما بين 50 إلى 55 سنة. وهي شقيقة أيضا، لأحمد الكفيف وأخت من أبيها لأبي موسى عيسى وأبي محمد عبد العزيز، اللذين حاولا الثورة على عبد المومن بن علي بمراكش سنة549 / 1154 فقتلا. كما كان لها أخت أخرى من أبيها كذلك لم تشر المصادر المتوفرة إلى اسمها.

يذكر ابن خلدون أن زينب تربت بين أحضان أسرة من أهل "النسك والرباط" فصارت من النساء اللواتي يملن إلى التقشف والزهد. فعاشت مع زوجها وأفراد أسرتها، عيشة بسيطة يسودها التماسك والخلق الإسلامي. وهو ما كان يظهر من علاقتها بشقيقها محمد بن تومرت. وكانت أيامها تتوزع بين الصلوات والاهتمام بشؤون الزوج والأولاد والأسرة إضافة إلى الاشتغال بالغزل والحياكة. وبما كان يدره هذا العمل المتواضع، من قدر بسيط من المال، كانت تساهم في توفير العيش لأسرتها ولأخيها محمد الذي كان يعيش تحت رعايتها. يقول ابن خلكان "كان قوته من غزل أخت له، رغيفا في كل يوم بقليل من سمن أو زيت ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا".

يدل هذا على أن زينب وأسرتها، بقيت بعيدة عن حياة الترف والغنى ؛ متمسكة بالزهد والتقشف، حتى بعد أن أصبح الحكم والملك في يد أفراد أسرتها وأقاربها ؛ وهو ما يمكن أن يفهم من قول ابن خلدون عند حديثه عن المهدي : "كان يلبس العباءة المرقعة وله قدم في التقشف والعبادة" ويبدو أن رعايتها لأخيها لم تنقطع حتى بعد رجوعه من رحلته من الشرق وطوافه ببلدان المغرب الكبير، وظهور دعوته وكثرة أنصاره. بل إنها بقيت وفية له ولعهده حتى بعد وفاته بكتمان سر موته حتى عن زوجها وأقرب الناس إليها حيث احتفظت بذلك الكتمان. فبقيت الأمور تدبر باسم شقيقها إلى حين بيعة عبد المومن بن علي خليفة. يقول ابن القطان :

"‏.. لما توفي رضي الله تعالى عنه، كتم أصحابه وفاته. وما كان يعلمها إلا أهل الدار المسمون قبل، وهم خدمته وأخته شقيقته. ولقد كتمت ذلك عن زوجها".

تاريخ وفاتها غير معروف لكن الراجح أنها لم تعش إلا سنوات قليلة، بعد بيعة عبد المومن التي شاركت فيها إلى جانب ثلة من أهل الجماعة.

ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، ص. 441 ـ 465 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. علي مكي، ص. 123 ؛ عبد المجيد النجار، *المهدي بن تومرت*، 91، بيروت، 1982 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 73 ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، تح. إحسان عباس، ج. 5، ص. 45، بيروت ؛ البيدق، *المهدي بن تومرت*، ص. 42، الرباط.

عبد السلام السعيدي

**زينب العابدة** السبتية ذكرها صاحب كتاب *اختصار الأخبار* ضمن الأعيان المدفونين في مقبرة المنارة من مدينة سبتة وأن قبرها مزار مشهور يصعد منه النور في بعض الأحيان (*اختصار*، 19) لا نعرف شيئاً آخر عن هذه السيدة العابدة لكن يمكن أن نستنتج أن حركة التصوف لن تعد تقتصر على صنف الرجال من السنتين بل غزت أيضاً النساء. كما تدل على الانتشار الرابع لهذه الحركة بين العامية من المجتمع. وقد وجدت كاطار لها للترسخ والانتشار الزوايا والأربطة التي عجت بها مدينة سبتة منذ وقت مبكر من تاريخها.

ابن القاسم الأنصاري، *اختصار الأخبار كما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، الرباط، 1403 / 1983.

زليخة بنرمضان

**زينب** بنت **المهدي** ← ابن **سودة زينب**

**زينب النفزاوية** هي زينب بنت إسحاق الهواري الشهيرة بالنفزاوية. أصل أبيها من القيروان. انتقل إلى أغمات، لممارسة التجارة، فصار من كبار تجارها وأوفرهم حالا. الراجح أن تاريخ ميلادها، قد صادف الفترة التي أصبح المرابطون يهتمون فيها، بمدينة أغمات لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية ولا يستبعد أن تكون زينب النفزاوية قد ولدت بهذه المدينة ما بين سنة 430 / 440 أي قبل استيلاء أبي بكر اللمتوني عليها.

وفي جو الحياة العلمية والثقافية التي كانت شائعة في أغمات بفضل العلماء والأدباء الذين كانوا يفدون على ذوي الجاه والسلطان بها، رأت زينب النور وترعرعت بين أحضان أسرتها الميسورة.

ولما وصلت إلى عنفوان أنوثتها أصبحت تنضح رقة وجمالا. وبجمالها اشتهرت أول الأمر بين الناس وذاع صيتها في الأرجاء يقول ابن عذاري : "وكان بها "أي بأغمات" امرأة جميلة تعرف بزينب النفزاوية. قد شاع ذكرها وأمرها بين قبائل المصامدة وغيرها". جمالها هو الذي أصبح يجذب العديد من الأمراء، قصد الزواج بها. وكانت لا تقبل الزواج إلا من يحكم المغرب" كان زواجها الأول بيوسف بن علي بن عبد الرحمان بن وطاس، شيخ أوريكة سنة449 / 1057. وعند ما تغلب بنو يفرن بزعامة رئيسهم لقوط على أوريكة، وقتل زوجها، تزوجت بلقوط لكن زواجها الثاني هذا لم يدم طويلا فلم تمض عليه إلا سنوات قليلة حتى عرف نهايته، بسبب موت لقوط في معركة ضد المرابطين في تادلا.

وبعد مرور فترة الحزن والحداد على لقوط، تقدم لطلب يدها للزواج منها، أبو بكر بن عمر اللمتوني. فاستجابت لطلبه. ويبدو أن هذا الزواج قد بني على مصالح مشتركة بين الطرفين "فزينب كانت لا ترغب في بقائها أرملة وتريد أن تطمئن على مصيرها. وبالمقابل كان أبو بكر بن عمر، يرى فيها عنصراً يمكن أن يقربه أكثر إلى أهل أغمات" ومع مرور الوقت، تبين لزينب أن زوجها الثالث هذا، لم يحسن كثيراً الاهتمام بها بالقدر الذي كانت تطمح إليه. فهي لم تكن ترغب في البقاء مهمشة في زوايا المنزل، دون مشاركة زوجها أمره وهمومه. ويبدو أن فكرها قد أصبح مشغولا بالبحث عن فرصة، تمكنها من الانفصال عن أبي بكر. وكانت مستجدات الأوضاع في الصحراء، من أهم أسباب طلاقها منه. فأبو بكر كان مضطراً للرجوع إلى الصحراء لإخماد الفتن التي شبت فيها نتيجة "الخلاف بين لمتونة ومسوفة سنة 452. ويوضح صاحب البيان موافقة الطرفين على الطلاق قائلاً : "ولا يمكنني أن أمشي، وأنت في عصمتي. فإن أنامت كنت مسؤولاً عنك. والرأي أن أطلقك فقالت له : "الرأي السديد ما تراه، فطلقها" وذكر ابن عذاري كذلك، أن أبا بكر طلب من ابن عمه يوسف ابن تاشفين أن يتزوج بزينب "فتزوجها فإنها امرأة مسعودة" ولم يتردد يوسف في تنفيذ أمر ابن عمه. ويبدو أنه لم يعجب بجمالها فقط ؛ وإنما سعد وأعجب أكثر بنبوغها وسرعة فهمها وفطنتها. ووجدت هي في زوجها الجديد، الرجل الذي طالما انتظرته. لتحقيق المكانة التي ظلت تحلم بها. فأصبحت تقف وراء زوجها يوسف بكل ملكاتها، لتجعل منه أكبر وأعظم أمراء المرابطين. وكانت زينب نعم المستشارة والمساعدة، تزود يوسف بالآراء السديدة، التي تسهل عليه تخطي الصعوبات وتستتب له بها الأمور. قال ابن الخطيب : "واستشار يوسف بن تاشفين زوجته زينب التي اشترى بها سعادته واستقامت بأمرها أموره" وذلك ما حصل بالفعل. فقد استقام له الأمر خاصة بعد انتهاء الأزمة التي كادت أن تنشب وتبعثر التجربة المرابطية من أسسها. وذلك عندما رجع أبو بكر بن عمر من الصحراء إلى مراكش ليتسلم السلطة بها من جديد. فأصبح ابن تاشفين في ضيق وحرج من هذه العودة لأنه كان يتطلع إلى الانفراد بها كأمير".

وهنا برز دور زينب كصاحبة فكر ثاقب ورأي سياسي بعيد الأثر، للحسم في حل هذه الإشكالية. فكان من رأيها ألا يستقبل ابن تاشفين، أبا بكر بن عمر، كأحد أتباعه بل عليه أن يظهر له أنه صار أمير المغرب. ونقرأ في البيان ما يوضح ذلك : "قالت له : "إذا قدم عليك وبعث مقدمات رجاله إليك، فلا تخرج إليه، ولكن بادره بهدية جليلة... فلا يقاتلك على الدنيا، فإن الرجل خير لا يستحل سفك دماء... وتفوز بملكك إن شاء الله". يتضح إذن أن الخطة التي اقترحتها زينب النفزاوية خطة سلام، تتجنب الحرب وإراقة الدماء. فقبلها يوسف ورد عليها بقوله : "والله لا أخالفك في أمر تشيرين به أبداً". فلما حان موعد اللقاء بين الأميرين، رأى أبو بكر قوة جيوش يوسف. ولا حظ استعداده بالانفراد بالإمارة. فسلم له الأمر وكان ذلك سنة 465.

يتبين أن تطبيق نصائح زينب قد غيرت من مجرى تاريخ الدولة المرابطية وجعلت من ابن تاشفين أحد أكبر ملوك المغرب، عبر تاريخه الإسلامي. وهكذا كانت زينب تجمع بين دور الزوجة الوفية ودور المستشار المحنك. وكانت تعمل في الخفاء، وتتمتع بالقوة الضاغطة من وراء الحجاب "فكانت بالفعل عنوان سعده والقائمة بملكه والمدبرة لأمره والفاتحة عليه، بحسن سياستها لأكثر بلاد المغرب".

كل ذلك جعل منها سيدة قصر ابن تاشفين. ومع سكوت المصادر عن نهايتها وسنة وفاتها ؛ فإن زينب النفزاوية بما كان لها من خصال ومواقف، لا تقل شهرة عن مثل أفراد ذلك الفريق من النساء اللواتي كن يسيطرن على أزواجهن، بما كان لهن من العقول الكبيرة ؛ لحل المعضلات والملمات التي كانت تعترضهم. كأم سلمى امرأة أبي العباس السفاح ؛ وزبيدة زوجة الرشيد ؛ وقطر الندى أم المقتدر في الدولة العباسية ؛ أو ست الملك أخت المعز لدين الله في الدولة الفاطمية.

ابن عذاري، *البيان*، ج. 4، ص. 14 ـ 15 ـ 18 ؛ م. زنيبر، *زينب النفزاوية ضمن مذكرات التراث المغربي*، ج. 2، ص. 138 ـ 139 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج. 6، ص. 376 ؛ ابن عذاري، *البيان*، ج. 4، ص. 21 ـ 22 ؛ ل. ابن الخطيب، *المغرب العربي*، ص. 232 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956.

عبد السلام السعيدي

**زينة احماد** هي إحدى الشاعرات اللواتي وصل إلينا شعرهن عن المقاومة المسلحة بالجنوب المغربي، وخصوصا مقاومة أيت عبد الله وأملن وتافراوت خلال الثلاثينيات من القرن العشرين.

يجهل تاريخ ولادتها، وإن كان المرجّح حسب استقراء المعطيات الشفوية والمكتوبة المتوفرة، أن يكون ميلادها خلال العقد الأول من القرن العشرين، وذلك لكون شعرها في الثلاثينيات، صادراً عن إنسانة عاقلة وعارفة بكثير من أمور الحياة، كما أن اختيارها للتأريخ من خلال الشعر للمقاومة المسلحة يعبر عن نضج ووعي متميزين عن ثقافة البادية المغربية في هذه المرحلة، ويبين مدى اندماجها في الحياة الجديدة الناتجة عن وصول المستعمر الفرنسي إلى جبال سوس وأقاصيه.

قد تكون الشاعرة زينة احماد نظمت قصائد في أغراض شعرية أخرى، لكن الذي وصلنا من ذلك كله هي قصائد عن رفض للاحتلال وللاستعمار الدخيل، وهجاء لاذع ومؤثر ضد المستسلمين والمتخاذلين من أبناء منطقتها، الذين قبلوا الأمر الواقع واستكانوا للهزيـمة.

وقد ورد في مطلع إحدى قصائدها التي نظمتها بعد سنة 1934.

ءاح ءور ءاتوخ تين ءايت عبلا غ ـ تاسنو

تعريبها :

آه... لن تنمحي من قلبي أبدا

قضية ءايت عبد الله لن أنساها أبدا

هذه الأبيات الشعرية آية من آيات النظم، الشيء الذي جعلها تجتاز كل عراقيل النسيان حتى وصلتنا اليوم دون أن تكون قد دونت. فقد اجتازت كل هذه المدة الزمنية بقوام مضمونها وجمال نظمها، وحقيقة وصدق تعابيرها. فهي حسب محمد الحبيب الفرقاني "قطعة مؤثرة، عميقة الدلالة، تصور عمق الانفعال النفسي الذي هز نفس السيدة الأبية العيوف، من جراء الاحتلال، واستيلاء النصارى على البلاد".

وحسب الراوية الذي نقل عنه الحبيب الفرقاني فإن هذه السيدة كانت ما تزال على قيد الحياة سنة 1986.

ص. العمراني، *المقاومة ضد الاستعمار من خلال نصوص شعرية أمازيغية*، ندوة المقاومة المسلحة ؛ م. الحبيب الفرقاني، *الآداب والفنون الأمازيغية* ؛ أصالة شعبية، *تاريخ وحضور حي مستمر في معركة التحرير وقضايا الحياة*، أعمال الدورة الثالثة لجمعية الجامعات الصيفية بأگادير، الرباط، 1990، ص. 174.

صافية العمراني

**زينة الدار**، بناية تقع داخل الأسوار القديمة لمدينة طنجة، قدمها السلطان مولاي سليمان سنة 1821 للقنصل الأمريكي جون مولوني John Mullowny كهدية للشعب الأمريكي. وهي أقدم هبة على الإطلاق للولايات المتحدة الأمريكية من هذا الحجم. وقد صارت هذه البناية بمثابة مقر لإقامة الممثل الرئيسي للدبلوماسية الأمريكية بالمغرب منذ ذلك الحين إلى غاية استقلال المغرب سنة 1956، حيث تم إنشاء السفارة الأمريكية بالرباط. وقد كانت هذه الهدية محاولة من السلطان المغربي لإحياء وتفعيل العلاقات المغربية الأمريكية. وحسب شهادة القنصل مولوني، فإن هذه الحادثة جعلت الولايات المتحدة الأمريكية ـ البلد الناشئ آنذاك ـ على قدم المساواة مع جميع الدول الأوربية الممثلة بالمغرب.

أرشيف المجلس الاستشاري للحفاظ على التاريخ بواشنطن : *Advisory Council on Historic Preservation*, (Washington) ؛ ع. التازي، *التاريخ الديبلوماسي...*، المجلد التاسع، عهد العلويين، 1408 /1988 ؛ م. بنهاشم، *السياسة الخارجية المغربية في عهد السلطان المولى سليمان*، د.د.ع.، جامعة محمد بن عبد الله، فاس، 1987.

**الزيوت الغذائية** أهم المنتجات الدهنية في العالم هي زيوت الصوجة، القطن، الفستق، نوار الشمس، السلجم، الجلجلان، الذرة، الزيتون، النخيل، جوز الهند، الكتان، الخروع، ثم الزبدةو دهن الخنزير، الودك والزيوت البحرية. أربعة منها تهيمن على الإنتاج العالمي مشكلة حوالي 70٪ من مجموع إنتاج الزيوت النباتية. وهي زيوت الصوجة (26٪)، النخيل (17٪)، السلجم (14٪) ونوار الشمس (13٪). ويتكون الباقي من الزيوت النباتية الأخرى، يغلب عليها زيت الزيتون.

توجد أهم المناطق الجغرافية لإنتاج المواد الدهنية بأوروبا والولايات المتحدة وروسيا والصين والهند وماليزيا وأندونيسيا والبرازيل والأرجنتين واليابان وكندا. يمثل التبادل العالمي للمواد الدهنية ثلث الإنتاج، أي أكثر من 25 مليون طن، يقوم بتصديرها أساسا بلدان المجموعة الأوربية، أمريكا وإفريقيا.

ينتج المغرب زيوته النباتية بالأساس انطلاقاً من البزور الزيتية ومن الزيتون ومن لوز الأركان. يتم الحصول على زيوت المائدة للصوجة ونوار الشمس والسلجم (الكولزا) والفستق وغيرها بواسطة التكرير وباستعمال المواد الأولية التي ينتجها المغرب (بالنسبة لنوار الشمس والصوجة...) أو يستوردها خاما. أما بالنسبة لزيت الزيتون والأركان فهي زيوت تستهلك نيئة، بدون تكرير.

يحتل المغرب حاليا الصف السادس من بين البلدان المنتجة، والصف الثاني من ضمن مصدري زيتون المائدة (50.000 طن/ سنة). وهو بالطبع البلد المنتج الوحيد لزيت أرگان، لكن السلسلة الزيتية لهذا الأخير تعاني من الوجهة التكنلوجية وخاصة منها عملية دق الغلة. ومن أهم منافذ المنتوج الزيتي الراهن الاستعمالات التجميلية. ومع ذلك فإن هذا الإنتاج من الزيوت الغذائية لا يغطي إلا 34٪ من الحاجيات، 14٪ منها تأتي من زيت الزيتون، أما 66٪ الباقية فهي مستوردة على شكل زيوت خام ومكررة (حوالي 200.000 طن من الزيت النباتية الغذائية السائلة).

تولي الدولة حاليا عناية خاصة لقطاع زيوت الزيتون بالاستثمار في إطار التصميم الوطني للزراعات الزيتية من أجل تغطية الخصاص الحاصل في ميدان الزيوت الغذائية.

زيوت الزيتون : تشكل زراعة الزيتون قطاعا بالغ الأهمية في الميدان الفلاحي المغربي، يحتل الزيتون بحوالي 550.000 هكتار، قرابة نصف المساحات الإجمالية المغروسة.

يسهم الإنتاج المحلي لزيت الزيتون بنسبة 14٪ (48.000 طن/ سنة)، في تسديد حاجيات البلاد من الزيوت النباتية الغذائية السائلة (يبلغ الاستهلاك الحالي : (350.000 طن/ سنة). كما يساعد تصدير زيتون المائدة في توازن الميزان التجاري بما قدره مليار واحد من الدراهم بالعملة الأجنبية. كذلك يوفر قطاع الزراعات الزيتية 11 مليونا من أيام العمل في السنة، يخفف بها من ضغط هجرة الأرياف.

لهذه الأسباب الاجتماعية والاقتصادية، وضعت الدولة "التصميم الوطني للزراعات الزيتية"، الغرض منه رفع المساحات المغروسة بالزياتين إلى مليون هكتار مع متم 2010. وحرصا منها على تحسين الجودة كذلك، فإنها قررت منع الاستهلاك المباشر لزيوت الزيتون الخالصة المعتبرة "للإنارة"، التي تزيد حموضتها على 33٪ (مرسوم برقم 93 ـ 97 .2 وتاريخ 20 مايو 1997).

يتحقق نصف الإنتاج الزيتي للبلاد بواسطة وحدات تقليدية تدعى "معصرات"، ويأتي النصف الآخر من الوحدات الصناعية. لذا فإن الرفع من جودة الإنتاج الإجمالي يمر عبر مجانسة مواصفات الإنتاج على مستوى شروط النظافة وأوضاع البنية التحتية وإعداد المجالات وعقلنة المسالك التكنولوجية للاستخلاص.

نذكر من ضمن العوامل المتحكمة في جودة الزيوت :

- العوامل المرتبطة بالتقنيات الزراعية (التخصيب، السقي، معالجات التطهير النباتي،...)
- العوامل المرتبطة بالمواد الأولية (الضروب، مناهج ومواقيت الجني، تخزين الزياتين).
- العوامل السابقة للتحويل (إزالة الأوراق والغسل).
- العوامل المرتبطة بالمسالك التكنولوجية (السحق، الصفق،...).
- العوامل المرتبطة بتوضيب وتخزين زيت الزيتون.

يكون احترام المواصفات بالاحتكام إلى دليل الممارسة المثلى في إنتاج زيت الزيتون، الذي يجب أن يكون ملزماً بنفس الطريقة في القطاع التقليدي والصناعي على السواء، من أجل توفير زيت زيتون صالح في عمومه للاستهلاك.

جودة زيوت الزيتون بالمغرب : جل المعاصر التقليدية قاصرة عن التحويل الأمثل، متسببة في كثير من الضياع سواء من حيث المقادير المعالجة أو من حيث الجودة. تعالج المعصرات ما بين 150 و200.000 طن من الزيتون في السنة، بمردودية زيتية لا تزيد على 14٪ في أحسن الظروف. فبالنظر إلى مضمون زيتي إجمالي من فئة 22٪ (في ضرب البيشولين (Picholine) المغربية، السائدة في القطاع)، يصل الفاقد إلى 25٪ من الإنتاج الوطني لزيت الزيتون.

كذلك تعتبر جل هذه الزيوت من جودة "الإنارة" غير الصالحة للاستهلاك بالرجوع إلى المواصفات الوطنية والدولية. في بعض الحالات ترقى مواصفاتها التحليلية

إلى فئة "فوق العادية"، لكن بعض العيوب المحسوسة فيها تعيدها إلى المراتب الأدنى.

يبقى استهلاك زيوت المعاصر التقليدية سائداً في العديد من الأرياف. وقد تعتبر بها، خطأ، الزيوت القديمة والعالية الحموضة من النوع الجيد. في حين أن ارتفاع حموضة الزيت مترتب عن الأكسدة الزائدة المؤدية إلى الغمل. وتنتج ظاهرة الأكسدة، من جهة، عن تدهور الأحماض الدهنية غير المشبعة، أحماض الزيت والكتان التي تكون قرابة 90٪ من تركيبة الزيوت، ومن جهة أخرى، عن إنتاج مركبات ثانوية للأكسدة تأكد أن بعضها ضار بالصحة، كالجذور الحرة مثلا.

يعتبر زيت الزيتون المصنف "للإنارة"، من الناحية الاقتصادية، بأنه غير صالح للاستهلاك كما هو، وأنه بحاجة إلى التكرير حتى يدمج بعد ذلك مع زيت الزيتون المصنفة "عادية". أما من الناحية التغذوية، فإن التغير الحاد لزيت الزيتون يتجسد في إتلافات في الجودة منها التي تصيب الحمض الدهني الجوهري (حمص الكتان) وطليع الفيتامين E والكاروتين، وكذا في بعض التحويرات التي تنال من قيمة الخاصيات المحسوسة للزيت.

كما يلزم أن تخلو زيت الزيتون من الملوثات السامة، وهي بالأساس مواد الأكسدة، والسميات الفطرية، ومخلفات المبيدات والمخلفات الفلزية.

استخلصت المعطيات التالية من دراسة أصيلة مقارنة بين جودة زيت الزيتون المستخلصة من وحدات تقليدية وأخرى صناعية، مع تقديم إمكانات التحسين. وقد اختيرت الوحدات، وعددها يقارب المائتين، في مختلف مناطق الإنتاج على الصعيد الوطني.

تأثير المادة الأولية على جودة زيت الزيتون.

يكتسي مستوى نضج الزيتون أهمية بالغة في الحصول على زيت ذات جودة. هناك تقنين مختص في الموضوع، بموجب الظهير رقم056. 62. 1 بتاريخ 30 يونيو 1962، يحدد سنويا وحسب الجهات تاريخ جني الزيتون. لكن صعوبة تطبيق هذا القانون أدت إلى التخلي عنه مؤخراً.

ومعلوم أن نمو الزيتون يمر عبر ثلاث مراحل : الأولى سريعة، والثانية بين غشت وشتمبر يكون فيها النمو بطيئا، والثالثة خريفية سريعة تغير خلالها لونها. وعلى مدى مراحل التلون، من الأخضر إلى نصف الأسود فالأسود، يتم تعزيز المكونات الفنولية تبعا لدرجة النضج وذلك إلى حدود مرحلة نصف السواد (نصف النضج) يأتي بعدها عكس للتطور. وعليه كانت الفترة المثلى لجني الزيتون هي مرحلة نصف السواد، بناء على أكبر تركيز لمتعددات الفنول التي تتدخل كعامل طبيعي مقاوم للأكسدة، وتزود الزيت بخصوصياتها الحسية المتميزة. وقد أبان التحقيق الميداني أن 55٪ من الوحدات تعالج مجتنيات من مرحلة السواد، في حين 45٪ تستعمل خليطا من الزيتون الأخضر والأسود، يتراوح بين 20 و60٪ من الزيتون الأسود.

على العموم، تبقى أساليب الجني تقليدية. في جل الأقاليم، يتم الجني بواسطة الخبط (90٪ من الجهات المدروسة)، والباقي يتأتَّى بالقطاف أو الالتقاط اليدوي للزيتون المتساقط. أما الخبط فيضر بالشجرة ومردوديتها ويسيء كثيرا لجودة زيت الزيتون. ويرجع ذلك أساسا للشدوخ التي يحدثها سقوط الغلة ووقع العصا المستعملة. ذلك أن القروح المترتبة تسهل تسرب وتطور الحبيبات، الأمر الذي يتسبب في تدهور الجودة وارتفاع حموضة الغلة.

ظروف الإنتاج بالمعاصر التقليدية.

- التخزين غير المناسب يلحق الضرر بجودة زيت الزيتون، فيصيبها بنوعين من التلف. أولهما، حلمهة ثلاثيات غليسريد الزيت، المعرفة بارتفاع مضمون الأحماض الدهنية الحرة الناتجة عن فعل الليبازات وعن الرطوبة والحرارة. من أجل معالجة الوضع، يلزم تخزين الزيتون والزيت في مواقع جافة ونظيفة. والصنف الثاني من التلف، يتمثل في الغمل بواسطة الأكسدة الذي يصيب الغلة المشدوخة على الخصوص.

أظهر الاستطلاع أن 56٪ من المعاصر تعالج الزيتون بعد تخزين سائب، 38٪ بعد التخزين في الأكياس، و6٪ فقط بعد التخزين في الصناديق. أما أمد التخزين فيقل عن7 أيام في 43٪ من الحالات، لكنه يزيد على الأسبوعين في كل الحالات الأخرى، حيث يمكن أن يصل إلى الثلاثة أشهر.

إذا كان أمد التخزين قصيراً، يقل عن الأسبوع، فلا داعي للتمليح من أجل الصيانة. والواقع أن 40٪ من المعاصر لا تلجأ أبدا لإضافة الملح. وواضح أن مضاعفات التخزين تقل كلما اجتنبنا التجميع السائب للزيتون، وعوضناه مثلا بصيغة التخزين على شكل تفريشات دقيقة لا يتعدى سمكها 20 إلى 25 سنتمترا، كما يحبذ استعمال صناديق مثقبة تسمح بالتهوية.

- تجهيز الوحدات التقليدية يتلخص في معاصر معدنية أو خشبية، تستعمل الأرحاء لدعك معجون الزيتون معتمدة الطاقة البشرية أو الحيوانية. يجمع المنتوج من الزيوت في صهاريج للتصفيق مصنوعة من الإسمنت أو الخزف أو الفخار.

معاصر الخشب قليلة (10٪ من قاعدة الإحصاء) وهي في طريق الانقراض، لا يوجد منها إلا في المناطق الجبلية، بنواحي أزيلال وشفشاون وتازا. يمتاز النظام المعدني بمردودية أعلى بسبب الضغوط التي يحققها والتي تصل إلى 150 كلغ سم$^2$ مقارنة مع 50 كلغ سم$^2$ التي يحدثها النظام الخشبي.

تمثل طريقة دعك الزيتون، برحى واحدة أو رحيين اثنين، عملية حاسمة في توفير الجودة. تستعمل 80٪ من العينة المدروسة رحى واحدة، وتعتمد 84٪ التحريك الحيواني، بل ومازال بعض الوحدات البدائية تعتمد التحريك البشري

(9٪، في جهات جبلية)، بحيث 7٪ فقط تحظى بالتحريك الآلي. وهذه الأخيرة هي التي تستطيع أن تقلل بصفة محسوسة من وقت عطالة وانتظار الزيتون التي تضر به قبل العصر.

ـ إزالة الأوراق والغسل، هي عمليات إلزامية لا تحظى بالعناية الكافية في الوحدات التقليدية.

تقوم 80٪ من العينة المدروسة بالعصر مع وجود نسبة من الأوراق تشوب الزيتون. يتسبب ذلك في تلوين الزيت باللون الأخضر الناتج عن اليخضور الذي يساعد على أكسدة الزيت ويعرقل بالتالي حظوظ الحفاظ على جودتها.

كذلك تتأكسد حبات الزيتون الفاسدة أو المشدوخة، كما يمكن أن تتعفن بفعل الجراثيم فتسبب في إتلاف الزيوت. وقد أظهر التقصي أن 70٪ من الوحدات لا تقوم بفرز الزيتون الفاسد. تحدث الشوائب الترابية والغبار تلويث الغلة بفلزات انتقال (حديد، نحاس) مسهلة أكسدة ثلاثيات الغليسريد والأحماض الدهنيد غير المشبعة، وحادة من جودة الزيت. قرابة 60٪ من العينة لا تدخل الغسل في مراحل إعداد الزيتون.

تسهم إضافة الملح في الحفاظ على قيمة الغلة، بمقاومة العفونة على الخصوص. 42٪ من المعاصر تضيف 5 كلغ من الملح للقنطار من الزيتون، و18٪ تضيف 10 إلى 30 كلغ في القنطار، والأربعين الباقية لا تعالج بالملح.

ـ الجرش وفصل الزيت، عمليتان متتابعتان. تجرش الزيتون بالأرحاء، ويوضع العجين الناتج على حصر التصفية فيضغط بالمعاصر الخشبية أو المعدينة، ثم يقع الفصل بالصفق بين الزيت والماء المشعشع (المرجان).

يتفاوت الوقت المخصص للجرش ما بين 30 و240 دقيقة، على أن أكثر من نصف المعاصر تتعدى 90 دقيقة. وكلما طالت العملية، كما هو الشأن في المعاصر ذات الرحى الوحيدة، تراجعت نسبة متعددات الفنول بالتأكسد أو التكاثف، مما يضعف إمكانات المحافظة على الزيت ويقلل من جودتها. تتراوح طاقة الجرش في جل المعاصر ما بين 3 و10 قناطر من الزيتون في اليوم. ولأجل تسهيل العملية، تضيف حوالي نصف المعاصر من 5 إلى 50 لترا من الماء لكل قنطار من الزيتون. إضافة هذه المياه، بصفة مفرطة في الغالب، تفقر الزيوت المستخلصة من متعددات الفنول ومن الفيتامينات.

ترتبط المردودية بطريقة تحضير عجين الزيتون والضغط الأقصى المخول. والفارق فيها كبير جدا يتراوح بين 11 و40 لتراً من الزيت للقنطار من الزيتون.

في غالب الحالات (75٪)، لا تقوم المعاصر بغسل حصائر التصفية، لأن الماء لا يوجد دائما بالقدر الكافي ولأن البنيات التحتية كثيرا ما تكون متعذرة في الجوار. يسبب التهاون في عملية الغسل التلوث بالجراثيم والتخمر المضعف لجودة الزيت.

تتأثر جودة الزيت كذلك خلال عملية الفصل، من جراء المدة التي يستغرقها المكوث في صهاريج الصفق ونوعية الماء المضافة. ذلك أن الزيت العائمة أثناء الصفق توجد في اتصال مباشر مع الهواء، فتتأكسد إذا ما طالت المدة. أغلبية كبري من المعاصر تدع الزيت يصفق لما يزيد على 12 ساعة، وقد يصل الوقت إلى 100 ساعة.

ظروف الإنتاج بالوحدات الصناعية.

تجهيز الوحدات الصناعية.

يمكن تصنيف الوحدات التي اختبرها البحث، وعددها 64، إلى ثلاث فئات : الأولى شبه حديثة تستطيع تكوين ضغوط من قبيل 200 كلغ سم$^2$، والثانية حديثة مجهزة بمعاصر ممتازة من فئة 400 كلغ سم$^2$، والثالثة حديثة مجهزة بسلسلة متصلة.

تشترك الفئة الأولى والثانية في نفس العمليات من جرش الزيتون بالأرحاء وضغطه ثم فصل الزيت في صهاريج مدفونة أو بواسطة الطرد المركزي. أما الفئة الثالثة فتستعمل مجارش مطرقية، وتدلك عجين الزيتون الناتج وتضيف له الماء الدافئ، ثم يتم فصل المرحلتين الصلبة والسائلة (المهروش / الزيت + المشعشع) ثم المرحلتين السائلتين (الزيت المشعشع) وكلاهما بالطرد المركزي.

تخزين الزيتون.

في جل الوحدات شبه الصناعية، يحمل الزيتون سائبا، ويخزن مكوما ومعرضا للهواء. يدوم استيداع الزيتون، بإضافة الملح بنسبة 50 إلى100 كلغ / طن، من 20 إلى 30 يوما وقد يصل إلى الشهرين. ولا تنجز عمليات التحضير من فرز وإزالة الأوراق وغسل الزيتون.

أما في الوحدات الصناعية، فيكون النقل في الأكياس والتجميع مكوما مقسما ومعرضا للهواء مع إضافة 30 إلى 100 كلغ من الملح للطن من الزيتون. يدوم التخزين ما بين 5 و20 يوما، وهي مدة تعتبر طويلة، مردها أن الوحدات تنتظر توفر النصاب الكافي (50 إلى 100 طن) قبل الشروع في المعالجة.

معالجة الزيتون.

في الوحدات شبه الحديثة، تبلغ أقصى المقادير المعالجة 10 أطنان في اليوم، مع مردودية نسبيا ضعيفة تقدر بـ 14 إلى 16 كلغ ريت للقنطار من الزيتون. لا تجري عمليات التحضير الضرووية، وتبقى الظروف الصحية المحيطة بالإنتاج دون المتسوى المطلوب.

يكون الإنتاج في الوحدات العصرية من قبيل 16 إلى 20 كلغ زيت في القنطار من الزيتون، وهي مردودية دون ما تحققه عادة البيشولين المغربية (22٪). باستثناء قوة الدعك بالعصارات الممتازة، تكاد تكون كل العمليات الأخرى بمستوى إنجاز الوحدات الحديثة وفي نفس الظروف الصحية تقريبا.

يظهر نوع من التميز للوحدات المجهزة بالسلسلات

المتصلة حيث تكون مردودية إنتاج الزيت أعلى، مع إنجاز للعمليات التحضيرية في كل الوحدات المختبرة. تحصل إزالة أوراق الزيتون بواسطة جهاز سفط، وغسله في مغسل ما هوائي. مدة الجرش المطرقي قصيرة، بمعدل 20 دقيقة، ومدة العجن الآلي من 15 إلى 40 دقيقة. يسخن العجين في حدود 25 إلى 50 درجة، وتكون مقادير الماء الشريب المضافة من فئة 10 إلى 50 لترا في المائة كيلو غرام زيتون. ثم يتم الفصل المتدرج بالطرد المركزي.

مختصر التحليلات المختبرية في جودة الزيت.

أجرت الدراسة التحليلات المختبرية الفيزيوكيماوية الملائمة باستعمال الزيوت المستخلصة من مختلف المعاصر والوحدات المصنفة في هذا العمل. وقد أعطت بالنسبة لـ 80٪ من المعاصر التقليدية استدلاليات موافقة لزيت الزيتون الخالص من طراز "الإنارة". وبالفعل، فإن استدلالي اختبار امتصاص النور في 271 نانومتر يزيد عن 0،3. وهو أمر، كما سبق، مرتبط بتأثير العوامل التكنولوجية لتحويل الزيت على جودة الزيوت الخالصة التي تنتجها المعصرات.

واعتمادا على نفس الاختبار، تعتبر الأغلبية العظمى من زيوت الوحدات الصناعية صالحة للاستهلاك على حالها، وتصنف من طراز "فوق العادية" و"الجيدة" و"العادية". لكن تجدر الإشارة إلى أن المعالجة في السلسلات المتصلة تستوجب العجن، الأمر الذي يضعف نسبة المواد الفنولية والبنزينية التي تضيع مع السائل المشعشع. لذا كانت قدرة هذه الزيت على الانحفاظ أقل مما تخوله الوحدات الحديثة المجهزة بالعصارات.

يلزم أن تحمل زيت الزيتون، كباقي المنتجات المغربية ذات الصلة، الإشارة إلى تاريخ الإنتاج وكذا المدى الأدنى للاحتفاظ بالمادة صالحة، بموجب ظهير 10 شتنبر 1993. يقدر أمد الاحتفاظ بزيت الزيتون على أساس الاستقرار التأكسدي (بالأيام)، والذي يعني عدد أيام تخزين الزيت في ظروف الحرارة المحيطة وفي الظلام، الموافق لاستدلالي فوق أكسيد يساوي أو يقل عن 20 مليمكافيء2 / كلغ زيت. ويبدو من تحريات التحليل الكيماوي للمنتوج الزيتي أم مدة التخزين رهينة بالمسلك التكنولوجي المعتمد. ففي المعاصر التقليدية تبلغ مدة التخزين 99 يوما، وفي الوحدات المجهزة بالعصارات الممتازة تصل إلى 171 يوما، أما في السلاسل المتواصلة فلا تتعدى 146 يوما. إذا ما حصل تجاوز هذه القيم، الموافقة للجودة حسب المعايير المغربية، تفقد الزيت من طراوتها وتعتبر غير صالحة للاستهلاك.

تعرف الزيوت المستخلصة من المعاصر التقليدية استقراراً ضعيفا متناسبا مع حموضة عالية ومع نسبة ضعيفة من متعددات الفنول المتدهورة (15،1٪). تتميز زيوت الوحدات المجهزة بالعصارات الكلاسيكية أو الممتازة باستقرار طويل الأمد، وهي مصوفة بحموضة متوسطة الضعف ونسبة عالية من متعددات الفنول الإجمالية المتدهورة (25،5٪). أما زيوت النظام المتصل، فتوازناتها ضعيفة نسبيا توافق حموضة متوسطة ومضمونا نسبي الضعف من متعددات الفنول المتدهور (20،8٪). والعلاقة وثيقة في كل الحالات بين نسبة تدهور متعددات الفنول وحموضة زيت الزيتون وتبعا لذلك الاستقرار التأكسدي.

في نهاية الأمر، فإن قدرة الزيت على التمديد السليم لجودتها مرتبطة بتكنولوجيا المعالجة أكثر منها بطبيعة المادة الأولى المستعملة. وهي رهينة كذلك بالمواصفات الفيزيوكيماوية الأولية للمنتوج الزيتي.

حمادي شيمي

**زيـوزيـو**، محمد بن محمد بن عبد الرحمن التطواني الملقب كوالده الدرقاوي، الباشا الفاضل الحازم الأمين. وعائلتهم من الأسر العريقة بتطوان، تولى باشوية تطوان بعد استعفاء سلفه الباشا السيد محمد بن محمد بن عبد السلام بريشة، وذلك في شوال عام 1349 / 1930 واستخلف عنه ولد عمه السيد عبد الخالق بن عبد السلام زيوزيو وظلا على حالهما إلى أن اقتضت الظروف نقله لأمانة ديوانة التعشير بتطوان عام 1350 / 1931 ولزم المترجم ووالده لقب (الدرقاوي) لتمسك الوالد بالطريقة الدرقاوية ودخوله فيها على يد بعض أهل الفضل بالقصر الكبير، قال الرهوني : وكان له فتح في فهم كلام القوم مع عدم تقدم تعاطيه شيئاً من علوم اللسان وغيرها، وكان يتاجر أولا في السلع البحرية ثم تخلى عن ذلك وأقبل على ذكر أوراده وعبادة ربه إلى أن توفي عن أولاد منهم المترجم له.

ولم أقف على تاريخ وفاته.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 2ـ 3 :75 و114، مخطوط.

محمد بوخبزة

**زَيَّـان**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا - Zeyen - Zayan - Zaen . Çayan

وقد هاجرت هذه الأسرة إلى الأندلس سنة897 / 1492 حيث استقرت بناحية الريف ثم انتقلت إلى تطوان سنة 1200 / 1785 وتوجد خارج الباب السعيدة حومة تحمل اسم زيانة.

ومن رجالات هذه الأسرة : زيان محمد بن عبد الله كان يزاول الإفتاء سنة 1207 / 1793. زيان العربي بن عبد الله الذي كان هو الآخر يزاول الافتاء في نفس السنة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 792.

محمد ابن عزوز حكيم

**زَيّان** بن أبي **عياد** بن عبد الحق، أحد قواد بني مرين الذين ساهموا بشكل كبير في حملات السلطان يعقوب المريني إلى الأندلس. وقد عينه خلال حملته الثانية سنة 676 / 1277 قائد الحامية بني مرين بمالقة واستمر في هذا المنصب حتى سنة 677 / 1278 عندما تمكن ابن الأحمر من استرداد مالقة من يد قائدها الذي اعتقله بعد تآمره مع واليها عمر بن يحيى بن محلي.

ابن خلدون، *العبر*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 408 ـ 417 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج. 3، ص. 48.

أبو **زَيّان، محمد** بن **أحمد** بن أبي سالم المريني، لقبه المنتصر بالله، بويع بعد خاله السلطان أبي فارس موسى ابن أبي عنان يوم الجمعة ثالث أيام رمضان من عام 788 / 1386 وهو لم يتجاوز سن الخامسة وخلع يوم الجمعة 15 شوال من نفس العام وبذلك يكون قد حكم حوالي 43 يوما.

كان أبو زيان في عهد والده السلطان أبي العباس أحمد (775 / 1373 ـ786 / 1384) نائبا له على مدينة سلا ثم مراكش. وبعد وفاة خاله السلطان موسى بادر أحد وزرائه يعيش بن رحو بن ماساي إلى تنصيب أبي زيان ملكا. بعد ذلك عاد الوزراء وخاصة مسعود بن رحو أخو يعيش إلى ممارسة سياسة المساومات والدسائس، إذ تحالف مع أحد أمراء بني مرين المنفيين بالأندلس وهو أبو زيان محمد بن أبي الفضل واتفقا على عودته إلى فاس وتمكينه من الملك، وهو ما تم فعلا بعد خلع أبي زيان المنتصر بالله وإرساله إلى الأندلس منفيا مع والده.

ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 735 ـ 738 ـ 744 ـ 745 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين في دولة بني مرين*، المطبعة الملكية، 1962، ص.37 ؛ نفسه، *النفحة النسرينية واللمحة المرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق، 1992، ص. 67 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس*، دار المنصور، الرباط، 1974، ص.209 ـ210 ؛ الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، 4 : 71ـ72.

أبو **زَيّان، محمد** بن أبي **عبد الرحمن** يعقوب بن أبي الحسن المريني لقبه المتوكل على الله، بويع يوم الاثنين 21 صفر عام763 / 1361 وقتل غرقا في يوم الأحد 22 ذي الحجة من عام767 / 1366 ثم دفن بجامع قصره.

كان قبل ولايته منفيا مع جملة من أمراء بني مرين بالأندلس عند صاحب قشتالة بيدرو الأول يستغلهم في الضغط على ملوك المغرب وابتزازهم كلما لاحت الفرصة. ولما تفاقمت الأزمة السياسية بالمغرب واحتدم الصراع بين الوزراء والأمراء حول الحكم، بادر الوزير المستبد عمر بن عبد الله الياباني إلى محاولة التحكم في جميع خيوط اللعبة والسيطرة على الموقف المتدهور. ولتحقيق ذلك قام بالاتصال بصاحب قشتالة عن طريق وساطة ابن الأحمر وطلب منه السماح للأمير المريني أبي زيان بالعودة إلى المغرب وتنصيبه ملكا عليه. وقد وافق بيدرو الأول على تسريح الأمير المريني مقابل شروط وعقود من أهمها تخلي الوزير عن مدينة رندة الأندلسية لابن الأحمر وعدم التحالف مع عدوه صاحب أرغون. وبعد إتمام هذه الصفقة غادر أبو زيان إشبيلية في شهر المحرم من عام763 / 1361 ونزل بسبتة. وعندما علم الوزير عمر بوصول الأمير سارع إلى خلع السلطان أبو عمر تاشفين الموسوس تحت ذريعة عدم كفاءته وافتقاده للعقل وهما من شروط الخلافة، ثم بعث ببيعته وكتيبة من جنده وبعض العلماء كابن رضوان صاحب القلم الأعلى والشيخ محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين صاحب الأشغال وديوان الجيش إلى السلطان الجديد وهو بطنجة. وبعد إتمام مراسيم البيعة الخاصة عاد الجميع إلى دار الملك بفاس الجديد وأخذ الوزير عمر على الناس البيعة العامة لسلطانه أبي زيان. ومنذ قيام هذا السلطان بالأمر تزايدت أعمال الفتن وكثر المعارضون ضد استبداد الوزير وانفراده بالحكم وحجره على السلطان، وكان بعض أمراء بني مرين خاصة أولاد أبي علي أكثر المعارضين والثائرين خطورة علي الوزير وسلطانه لذلك فرض على السلطة الجديدة مواجهة ثورتين عنيفتين، الأولى بقيادة الأمير عبد الحليم بن أبي علي المتغلب على سجلماسة وأعمالها، والثانية بزعامة الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن بن أبي علي المتحالف مع الوزير مسعود بن رحو بن ماساي، لكن مصير الثورتين كان هو الفشل وفرار كل من عبد الحليم إلى الشرق وعبد الرحمن ووزيره إلى الأندلس. إلا أن ذلك لم يعن القضاء النهائي على المشاكل والاضطرابات وتنامي العداء ضد الوزير المستبد وسلطانه، إذ سرعان ما انتفضت بعض الأطراف خاصة في الجنوب حيث اندلعت بمراكش ثورة الأمير أبي الفضل بن السلطان أبي سالم ووزيره عامر بن محمد الهنتاتي. وأمام عزيمة وتصميم الوزير عمر على وضع حد لثورة مراكش فضل الثوار الفرار إلى جبل درن في رجب سنة767 / 1366.

يبدو من تفاصيل هذه الأحداث أن السلطان أبا زيان لم يكن يمارس مهامه بشكل طبيعي، بل كان مراقبا مراقبة شديدة من عيون وجواسيس الوزير، فقد صنع له حاشيته من خلصائه فأقام في رسم الوزارة صهره مسعود بن رحو بن ماساي وعين له على رسم المنادمة الشيخ عمر بن العجوز والشيخ إبراهيم بن أحمد البطروجي، وبذلك أصبح السلطان وكأنه بمنزلة الخليفة العباسي بمصر والوزير الذي حجبه بمنزلة السلطان الاسفهصلار من الترك والوزير منتابه مسعود بمنزلة وزيره المعبر عندهم بالصاحب (*نفاضة*، 3 : 75). وقد

حاول السلطان المغلوب على أمره التخلص من وزيره وقتله، لكن الجواسيس أسرعوا إلى الوزير عمر واطلعوه على نية السلطان وما يعزم عليه فقرر تنحيته وقتله برميه في قعر بئر بروض الغزلان من فاس وذلك في شهر ذي الحجة من سنة 767 / 1366 أو في شهر المحرم من سنة 768 / 1366 حسب رواية أخرى. فاستدعى الوزير حينئذ الأمير عبد العزيز بن أبي الحسن وبايعه سلطانا على المغرب.

ابن الخطيب، *أعمال الأعمال*، القسم الثاني (الأندلس)، نشره ليڤي بروفنسال، الرباط،1934، ص. 333 ؛ *نفاضة الجراب*، تح. أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 303 ـ 343 ـ 354 ـ 358؛ الدار البيضاء، 1989، ج. 3، ص.67 ـ75 ؛ *ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1980 ـ 1981، ج. 1، ص.92ـ96 ـ 304 ـ 307 ـ 478 ـ 480 وج. 2، ص. 224ـ225 ؛ *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، بيروت، 1978، ص. 114 ـ 118 ـ 119 ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، الجزائر،1903، ج. 2، ص. 101 ـ 102 ـ 131 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين في دولة بني مرين*،، الرباط، 1962، ص.32 ؛ *النفحة النسرينية واللمحة المرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمه، دمشق، 1992، ص.60 ؛ مجهول، *الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية*، تح. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979، ص. 180 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 655 ـ 658 ـ 670 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط،1974، ص. 208 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، تح. مجموعة من الأساتذة، القاهرة، 1939، ج .1، ص. 62 ؛ *نفح الطيب*، تح. احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج. 6، ص. 5 12 ؛ الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1954، ج. 4، ص. 44ـ52.

G. Soler, *La corona de Aragon y Granada, Boletin de la real academica de Buenas Letras*, Barcelona, 1907 - 1908, T. IV ; R. Arié, *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides (1232 - 1492)*, Paris, 1973 ; Ch. E. Dufourcq, *Catalogue chronologique et analytique du registre 1389 de la chancellerie de la couronne d'Aragon intitulé "guerre sarracenorum 1367 - 1386"*, in *"Miscelánea de textos medievales"*, Barcelona, 1974, T. 2 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986.

أبو **زيّـان، محمد** بن **عبد العزيز** بن أبي الحسن لقب بالسعيد بالله وبويع تحت كفالة الوزير المستبد عليه أبي بكر بن غازي بن الكاس بعد وفاة السلطان عبد العزيز والده وهو محاصر لتلمسان سنة 774 / 1372. وعندما بويع أبو زيان يوم الخميس 22 ربيع الثاني من نفس العام لم يكن عمره حينذاك قد تجاوز الخامسة فكان الوزير هو الحاكم الفعلي. ولشططه في استعمال السلطة واستبداده وحجره على السلطان الشرعي قامت ثورات ضده في شتى أنحاء البلاد وتزعمها بعض أمراء بني مرين الطامعين في الحكم والذين يعتبرون أنفسهم الأحق بالملك من الملك الصبي أبي زيان الذي لا حول له ولا قوة. ومن أخطر هذه الثورات ثورة الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن بن أبي علي بناحية بطوية من بلاد الريف سنة 774 / 1372 وثورة أبي العباس أحمد بن أبي سالم. وقد شكل التحالف المكون من الأميرين المذكورين وصاحب غرناطة ابن الأحمر تهديداً خطيراً هز أركان دولة الوزير ابن غازي وسلطانه القاصر اضطر معه هذا الأخير إلى التخلي عن سلطانه أبي زيان ومبايعة الأمير أبي العباس أحمد سلطانا جديداً على المغرب واقتطاع سجلماسة وأعمالها لابن أبي يفلوسن. وعندما خلع السلطان أبي زيان يوم الأحد 5 محرم من سنة 776 / 1374 غرب إلى الأندلس منفى كثير من أمراء بني مرين. ومن المعلوم أن ابن الخطيب قد أثارته ظاهرة توليه أمراء صغار حكم المغرب نهاية الدولة المرينية فألف كتابا في السلطان أبي زيان هذا وأعطاه عنوانا معبراً هو : "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام".

ل. ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، الدار البيضاء، 1964، القسم الثالث، مقدمة المحققين ؛ ابن خلدون، *العب*، بيروت، 1978، 7 : 698 ـ706 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين في دولة بني مرين*، الرباط، 1962، ص. 33 34 ؛ *النفحة النسرينية واللمحة المرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 63 ؛ مجهول، *الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية*، تح. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار النشر الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص. 181؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 209؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، 4 : 60ـ61.

أبو **زيّـان، محمد** بن أبي **عنان** ثامن ملوك بني مرين وأقصرهم حكما إذ لم يدم ملكه إلا ساعة من النهار. فقد بويع له يوم الأربعاء 24 ذي الحجة من عام 759 / 1358 وأبوه السلطان أبو عنان لا يزال طريح الفراش ينازع الموت. وقام ببيعته وزير أبيه الحسن بن عمر الفودودي ثم خلعه وقتله خنقا في نفس يوم بيعته وهو لم يتجاوز بعد سن السابعة عشرة وبايع مكانه أخاه أبا بكر السعيد بعد تآمره مع خليفة مسعود بن رحو بن ماساي. وبهذا يكون الوزير عمر قد دشن مرحلة جديدة من سياسة حبك المؤامرات والدسائس وتعيين أمراء قاصرين والحجر عليهم والاستبداد بالحكم، وهي السياسة التي ستطبع الفترة الأخيرة من تاريخ الدولة المرينية.

ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، 7 : 621 ـ622 ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد*، الجزائر، 1903، 2 : 27 ـ 30 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين في دولة بني مرين*، الرباط، 1962، ص. 29 ؛ *النفحة النسرينية واللمحة المرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 54 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، دار المنصور، الرباط،1974، ص. 207 ـ 208 ؛ المقري،

*نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968، 5 : 534. 536 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، 3 : 205.

أبو **زَيَّان، محمد** بن أبي **الفضل** بن أبي الحسن المريني، لقبه الواثق بالله. تولى حكم المغرب يوم الجمعة 15 شوال من سنة 788 / 1386 وخلع يوم الخميس 5 رمضان عام 789 / 1387 . قضى حوالي العام الواحد من حكمه تحت استبداد وزيره مسعود بن رحو بن ماساي الذي زج به في صراعات دموية شاركت فيها أطراف متعددة داخلية من أمراء ورجالات المخزن وخارجية كصاحب غرناطة ابن الأحمر وملك قشتالة وانتهت بقتل الوزير وأفراد عائلته وحاشيته وذبح سلطانه الواثق بالله. وتمثل فترة حكم أبي زيان نموذجا لاستبداد الوزراء وما جر ذلك على المغرب من ويلات الحروب والفتن. فكان الوزراء يبايعون ضعاف الأمراء وجلهم منفي بالأندلس إما بغرناطة أو بإشبيلية يستعملون للضغط على المغرب وزعزعة استقراره. وفي هذا السياق تم استقدام أبي زيان الواثق بالله المنفي عند ابن الأحمر إلى المغرب، وقد اختاره الوزير مسعود دون غيره من أمراء بني مرين المنفيين كأبي العباس أحمد وذلك لأن أبا زيان "أليق بالاستبداد والحجر" ( *العبر*، 7 : 736) فبايعه البيعة الأولى. وكان على الوزير بعد ذلك الدفاع عن موقفه واختياره بمواجهة المعارضين ومحاربة المخالفين. وكان أول القائمين عليه بعض حاشيته وهم يعيش بن علي بن فارس الياباني وسيور بن يحياتن بن عمر الونكاسني وأحمد بن محمد الصبيحي الذين انتقضوا عليه ولحقوا بسبتة والدعوة للواثق بالله دون الوزير مسعود، ثم انتقلوا معه إلى جبل مغيلة قرب فاس واستعدوا لمحاربة مسعود وانضم إليهم لفيف من الغاضبين على الوزير من بعض وجهاء القبائل ورجالات المخزن مثل طلحة بن الزبير الورتاجني ومحمد التونسي بن أبي الطلاق وخارج بن مهدي. لكن الوزير مسعود استعد لهؤلاء جميعاوقاتلهم هنالك أياما ثم انتهت المواجهة بتوصل الطرفين إلى الاتفاق على مسامحة المتمردين وتنصيب أبي زيان ملكا على البلاد. وبعد دخول أبو زيان البلد الجديد مع حاشيته بايعه الوزير مسعود البيعة الثانية في شهر شوال من العام المذكور خلفا للسلطان المخلوع أبو زيان محمد بن أبي العباس والذي نفاه نفس الوزير إلى الأندلس. ومباشرة بعد هذه البيعة قام الوزير بالتخلص من مناوئيه الذين حرضوا السلطان عليه إما بالحبس أو بالقتل، كما تمكن من إفشال تمرد الأمير الحسن بن الناصر الثائر بجبل الصفيحة من بلاد غمارة ونفاه هو الآخر إلى الأندلس. وكان على الوزير بعد تهدئته للأوضاع بالمغرب أن يعمل على استعادة بعض الجيوب التي خرجت عن طاعة بني مرين خاصة مدينة سبتة الخاضعة لنفوذ بني الأحمر. وقد حاول ربط الاتصال مع صاحب غرناطة والتفاوض معه بهدف تسليمه المدينة. إلا أن المحاولة باءت بالفشل وكانت سببا مباشرا في اندلاع ازمة سياسية بين الطرفين. فاستعد الوزير وسلطانه لحصار المدينة واسترجاعها بالقوة واستغل بعض المعارضين من أمراء بني الأحمر لضرب صاحب غرناطة وشغله بحربهم لتسهيل دخول الجيش المريني إلى سبتة في المقابل كان ابن الأحمر على وعي بأهداف سياسة غريمه فرد عليه بنفس أسلوبه وذلك بأن حرض السلطان المريني اللاجئ عنده وهو أبو العباس أحمد ابن أبي سالم وشجعه على النهوض لاسترجاع ملكه ومحاربة الوزير المستبد وسلطانه أبي زيان. وقد استطاع أبو العباس فك الحصار عن سبتة والاستيلاء عليها واتخاذها قاعدة رئيسية لهجوماته نحو العاصمة فاس. فاتجه في البداية إلى طنجة فاستعصت عليه ثم أصيلا فملكها. وتحت ضغط الجيش المريني بقيادة الوزير مسعود لجأ أبو العباس إلى جبل الصفيحة معتصما به فحاصره الوزير هناك مدة شهرين ثم تدخل بعدها زعيم عرب المعقل يوسف ابن علي بن غانم مساندا لأبي العباس لصداقة قديمة بينهما وبدأ يشن الغارات على المناطق المجاورة لفاس كتازة وصفرو ومكناسة ثم يشرع في حصار فاس في غياب وزيرها. إلا أن أخاه يعيش ونائبه على المدينة طير بالخبر إليه وهو محاصر لأبي العباس بجبل الصفيحة فاضطر مسعود إلى العودة ومحاربة المتمردين. لكن أبا العباس ظل يطارده إلى أن لحقه بالبلد الجديد وحاصره بجند عظيم مألف من غرب المعقل والأندلسيين وبعض المعارضين وفي نفس الوقت انتفضت بعض المدن بمراكش والسوس وتازة ومكناسة ضد الوزير وسلطانه وآزرت حركة أبي العباس في مسعاها. وبعد مضي ثلاثة أشهر على هذا الحصار اتفق الطرفان على تسلم أبي العباس مقاليد السلطة مقابل توفيره الأمان للوزير وبطانته وتركه في منصبه وإرسال سلطانه أبي زيان بن أبي الفضل إلى الأندلس. وبناء على ذلك دخل أبو العباس مدينة فاس في 5 رمضان من عام 789 وبويع بها سلطانا ثم اعتقل السلطان المخلوع ونفاه إلى طنجة حيث قتل ذبحا كما تنكر لوعوده السابقة فاعتقل الوزير مسعود وامتحنه هو وأسرته وبطانته إلى أن توفي.

ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 37. 38 ؛ *النفحة النسرينية واللمحة المرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص.67 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 736 ـ 747 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 210. 211 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ص. 72 ـ 73.

رشيد السلامي

**زَيَّان الوطاسي**، ابن عم السلطان محمد البرتغالي وصهره. كان حسب شهادة الإخباريين (دوكويش) و(بيرناردو رودويفش) عاملا على مكناس وقسم كبير من الشاوية. وذلك قبل أن يُنحيه أخو السلطان، الناصر

المعروف بالكديد سنة 1506 أو التي تلتها. وبعد عزله التجأ زيان إلى أزمور حيث كان له أقارب وأنصار كثيرون. وقد حاول زيان فرض نفسه على سكان المدينة. إلا أن هؤلاء رفضوا الانصياع له، وهو ما حتم عليه البحث عن سند خارجي لم يكن يتمثل آنذاك إلا في البرتغال الذي كان قد فرض الحماية على المدينة منذ سنة 1486، وأصبح بعد عصيانها يبحث عن سبيل لاحتلالها. وهكذا ربط زيان اتصالا مع البلاط البرتغالي عن طريق صياد برتغالي كان كثير التردد على المدينة لصيد الشابل. وكان معروفاً بها. وذلك قبل أن ينتقل بنفسه إلى لشبونة لعرض خدماته على الملك أمنويل واقترح تجهيز حملة عسكرية ضدها.

وعول الملك على مساعدة الناصر وحلفائه لتسهيل مهمة الحملة التي جهزها في غشت 1508. إلا أن البرتغاليين فوجئوا بزيان وهو يترأس المقاومين.

ويبدو أن زيان الذي استقر بأزمور فيما بين 1508 و1510 غادرها في اتجاه مكناس أو فاس لاسترجاع المنطقة التي انتزعت منه إلا أنه فشل في مسعاه وعاد إلى أزمور مهزوما ومسلوبا من كل شيء ولم يمنعه ذلك من العودة إلى قيادة المدينة. وقد أعلن وفاءه للبرتغال ودخل في نفس السنة 1510 في مفاوضات جديدة معه بوساطة حاخام يهود أسفي، أبراهم ابن زميرو. كما أرسل كاتبه إلى لشبونة.

ونتج عن تلك المفاوضات التزامه بتطبيق بنود معاهدة الحماية الموقعة سنة 1486 لمدة عشرين سنة. ولم يستغل زيان الحصار الذي ضربته القبائل الدكالية في دجنبر 1510. وبقيت أزمور متمسكة بولائها. وذكر (دو كويش) أن زيان تملص من التزاماته مرة أخرى، وأرغم الوكلاء التجاريين على مغادرة المدينة، الأمر الذي حتم على الملك البرتغالي التدخل عسكريا واحتلال أزمور يوم 3 شتنبر 1513. وكان زيان وأبناؤه على رأس المدافعين عن المدينة.

وقد التجأ زيان بعد احتلال المدينة إلى "مملكة فاس" وشوهد بسلا في منتصف ذي القعدة عام 920/ نهاية شهر دجنبر 1514.


أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984.

P. de Cenival [et al...], *Sources inédites de l'histoire du Matroc* ; R. Ricard, *Les portugais au Maroc de D. de Gois, Extraits de la chronique du Roi D. Manuel de Portugal*, Rabat ; B. Rodrigués, *Anais de Arsila*, Publ. D. Lopes, Coimbra, 1915, T. 1, p. 8 - 9.


أحمد بوشرب

**الزيّانية** طريقة صوفية ← **بوزيّان، محمد بن عبد الرحمن**

# س

**الساباط** عموما هو الممر أو الزقاق المغطى، وينطق بالدارج المغربي "صابة". اختلف تحديد مفهوم هذا المصطلح باختلاف الباحثين إذ نجده هو "الممر المغطى" أو "الممر أو الزقاق فوقه سقف مقبب" أو حتى "الطابق العلوي" (روفو وآخرون، 1985، ص. 224 ـ 1992، ص.369)، ونجده "قسما من زقاق مغطى بممر يصل بين دارين" (كارسان وآخرون، 1988، ص. 240) أو "بناية فوق زقاق يمكنها أن تكون بيتا مستقلا أو معبراً نحو منزل آخر" (نفسه، ص. 269)، أو "سقيفة تحتها طريق" (شفيق، 1990، ص. 492).

ومهما يكن فالساباط أو الصابة عنصر مهم ودائم الحضور في نسيج المدينة المغربية القديمة، بل وحتى بالتجمعات السكنية المعروفة بالقصور والمنتشرة بالمناطق شبه الصحراوية، وذلك تحت اسم تساراكت أو تازقاقت، أو تاسوكت - الأمازيغي.

وقد تطور مفهوم الصابة في بعض المدن كالرباط مثلاً من الاقتصار على الزقاق المغطى ليشمل الزقاق المكشوف غير النافذ، كما خرج من حدود المدن العتيقة وفيها بقي وفيا لمدلوله الأول ـ ليلتصق بالأحياء الحديثة المكونة من الدور والمنازل التي لا تتعدى طابقا علويا أو طابقين وفيها أطلق على المدلول الثاني.


م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، ج. 1، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، 1990.

Fagnan, *Additions aux dictionnaires arabes*, Bayrouth, s. d. ; J.C. Garcin [et al...], *L'habitat traditionnel dans les pays musulmans autour de la méditerranée*, I, *l'héritage architectural, formes et fonctions*, 1988 ; J. Hassar Benslimane, *Salé dans tous ses états* ; Revault [et al...], *Palais et demeures de Fès*, I, 1985 ; II et III, 1992 ; A. Touri et J. Hassan Benslimane, *Lexique des termes d'architecture traditionnel du Maroc*, manusc., 1987.


عبد العزيز توري

**ساتو**، إرنست ماسون Ernest Mason Satow دبلوماسي بريطاني، حصل على شهادة شرفية في 5 يوليوز 1861، فعين على إثرها ترجمانا متدرباً في اليابان، ثم تقلد عدة مهام إدارية وقنصلية في المفوضيات البريطانية بجهات كثيرة من آسيا، إلى أن تمت ترقيته مبعوثا ووزيراً مفوضا كامل التفويض وقنصلا عاما لدى بلاط السلطان مولاي الحسن ابتداء من 1 غشت 1893. وجاء هذا التعيين في ظروف انتقالية خاصة ؛ ففي المغرب كان المولى الحسن يعيش أشهره الأخيرة وهو يواجه مخلفات سفارة تشارلز ريوان ـ سميث (Ch. Euan Smith) الصاخبة في فاس، ومخلفات أزمة مليلية مع إسبانيا على إثر أحداث سيدي ورياش الدامية. كما حصل هذا التعيين في وقت كانت فيه بريطانيا مقبلة على انتخابات جديدة.

وعلى الرغم من أن ساتو لم يمض في مهامه الرسمية بالمغرب سوى سنتين تقريبا، فقد قاد مفاوضات ناجحة بين المخزن الحسني وإسبانيا انتهت بتسوية أزمة مليلية بإبرام اتفاقية مراكش بتاريخ 5 مارس 1894، ولو أن ذلك قد تحقق على حساب المغرب الذي استجاب لضغوط بريطانيا فوافق على تسديد غرامة مالية قدرها 4 ملايين ريال كتعويضات مقابل الخسائر البشرية والمالية التي تكبدتها

الحامية الإسبانية في مليلية من جراء هجوم الريفيين عليها.

وحين توفي المولى الحسن يوم 7 يونيو 1894، أبلغ القائد ماكلين ساتو بالخبر سرا وعلى وجه السرعة يوم 11 يونيو، فتولى مهمة نقله إلى زملائه الدبلوماسيين في طنجة، ثم إلى حكومته في لندن، وكذا إلى بقية سفراء بريطانيا في باريز ومدريد وبرلين وبينا وروما. ولما تبين بأن أهل الحل والعقد في البلاد قد أجمعوا على مبايعة عبد العزيز، أشار ساتو على حكرمة بلاده بأن تتزعم اعتراف الدول الأوربية الكبرى بسلطنة العاهل الشاب. وتفاءل ساتو بالهدوء والاستقرار النسبيين اللذين عرفهما المغرب في الأشهر الأولى من سلطنة عبد العزيز، فاقترح على وزير خارجيته كمبرلي Kimberley، أن يرخص له بالتوجه في زيارة رسمية أولى إلى بلاط عبد العزيز ليقدم إليه أوراق اعتماده، ويضع اللبنات الأولى لربط الجسور مع العناصر الفاعلة في التشكيلية المخزنية الجديدة.

وقد غادر ساتو طنجة إلى فاس يوم 11 أكتوبر 1894 يرافقه تراجمة المفوضية دوبونتيو وموران والطبيب كريك ومادن بصفته كاتبا للبعثة، بينما تكلف القنصل وايت بالنيابة عنه على رأس المفوضية في طنجة. ودخلت البعثة السفارية البريطانية إلى فاس يوم 25 أكتوبر 1894، فوجدت في استقبالها عند مشارف المدينة الباشا وقائد المشور إدريس بن العلام وسعيد بن موسى وزير الحرب. وبعد استراحة دامت أربعة أيام، استقبل عبد العزيز ضيفه ساتو وسط الأجواء البروتوكولية المعهودة

لم يكن ساتو يسعى في البداية من زيارة السلطان إلى تحقيق نتائج ذات أهمية خاصة، باستثناء محاولة إعادة الثقة بين الجانبين ومحو الآثار السيئة لسفارة سلفه إيوان سميث الفاشلة إلى فاس، بدليل أنه قد ذكر لوزير خارجيته بأن مهمته في فاس لن تستغرق أكثر من خمسة وثلاثين يوما على أبعد تقدير. لكن تلك الزيارة دامت في الحقيقة أكثر من خمسة شهور، لأن ساتو لم يغادر فاساً إلا مع حلول يوم 18 أبريل 1895. ومن الطبيعي أن يكون لهذه الإقامة الطويلة ما يبررها، إذ وجد ساتو نفسه مضطرا لمعالجة ملفات لم تكن مسطرة في جدول أعماله الأصلي، لكنها شكلت في الوقت نفسه قضايا ذات أهمية ظلت معلقة بين الجانبين منذ عدة سنوات. ونذكر من أهمها قضية "شركة شمال غرب إفريقيا" القائمة في طرفاية منذ سبعينيات القرن التاسع عشر، ومطالب الرعايا البريطانيين المالية وديونهم القديمة، وقضية التمثيل القنصلي للأجانب في فاس. هذا فضلا عن قضايا أخرى طرأت أثناء وجوده بفاس، منها ما تعلق بالمصالح البريطانية أساسا، ومنها ما تعلق بمشاكل عامة تمس الأوربيين من جنسيات أخرى، لكنها تهم بريطانيا أيضاً، كما هو شأن موضوع أمن الأجانب في المغرب بوجه عام، وعلاقته بقضايا التجارة وبحرية التنقل في مختلف أرجاء البلاد.

ولاشك أن التوصل إلى حل قضية الوجود البريطاني في طرفاية، بعد مفاوضات طويلة وجادة بين ساتو وباحماد في فاس ابتداء من 16 فبراير 1895، قد شكلت أهم إنجاز حققه ساتو خلال مهامه الرسمية بالمغرب، وذلك بحكم الحساسية الشديدة لهذه القضية ذات الصلة بوحدة التراب الوطني، وتأثيرها الكبير على توتو العلاقات بين الجانبين منذ السبعينيات حين أسس مكنزي شركته في طرفاية دون إذن مخزني.

وبعد مرور أقل من شهرين على عودة ساتو من مهمته في فاس إلى طنجة، كافأته وزارة الخارجية البريطانية على النجاح الذي حققه في زيارته لبلاط السلطان عبد العزيز بترقيته وتعيينه مبعوثا خاصا ووزيراً مفوضا بكامل التفويض لدى إمبراطور اليابان (1 يونيو 1895) وعينت مكانه في طنجة أرثور نيكولسن (A. Nicolson)، الذي لن يغادر منصبه الجديد في المغرب إلا بعد إبرام الاتفاق الودي البريطاني الفرنسي سنة 1904.

خالد بن الصغير، *المغرب وبريطانيا العظمى، 1886 ـ 1904*، أطروحة دكتوراه الدولة، مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 2001.

*Foreign Office List for the year 1895*, p. 345.

خالد بن الصغير

**ساتورنوس** معبود قديم أثارت طبيعته المعقدة العديد من النظريات والتأويلات عند القدماء وعند المعاصرين، فقد اقترحت أصول متعددة له : سابينية، لاتينية، سيكولية، إغريقية وحتى إتروسكية.

يعتقد الباحث لوگلي أن ساتورنوس هو ثمرة لقاء معبودين متقاربين عن طريق نوع من التوفيقية المزدوجة (Syncrétisme)، من جهة الإله بعل حمون البوني الذي سماه الاغريق كرونوس (Kronos)) نظراً ربما للقرابين الدموية التي كانت تميز طقوسهما، ومن جهة أخرى، الاله ساتورنوس، الإله الايطالي الذي تمت مطابقته أيضاً بكرونوسي أثناء هلينة الديانة الرومانية.

وقد حصل هذا الاندماج بين ساتورنوس ـ كرونوس وبين بعل ـ كرونوس ربما فوق أرض إفريقيا غداة سنة 146 ق م، والتي تزامن استيطان روما الرسمي بهذه الأرض.

وقد تساءل لوگلي عن إمكانية تعرض هذا المعبود لما يسمى بظاهره التأويل الروماني "Interpretatio Romana"، والتي يتم بموجبها إعفاء أسماء لاتينية للالهة المحلية، إلا أن هذه الظاهرة لا تمكننا من معرفة هل الاسم اللاتيني الذي اضفي على الإله الإغريقي ـ الروماني يدل فعلا على هذا المعبود أم يختفي وراءه معبود محلي.

يجسد ساتورنوس الطموحات الدينية عند الأفارقة الذين اشتهروا بالزراعة، وقد عثر على عدة اهداءات موجهة لساتورنوس كإله يضمن الغلات ويخصب القطيع، وقد

احتل مكانة متميزة ضمن الزون الافريقي (Panthéon).

ومن بين الرموز التي تصاحب تجسيداته، نجد المنجل و"Harpé"، ويعتبر ارنوبيوس والقديس أو غسطينوس، المنجل رمزاً للاله الحامي للزراعة (Custos Ruris).

وقد عرفت عبادته نجاحا كبيراً على عهد السفيريين، ولم يكن وراء هذا النجاح الدعاية الرسمية بل ارتباطه العميق بالفئات السبغية المحلية، ويؤكد هذا الرأي الباحث بنعبو، الذي يعتقد بأنه إذا كان الاله قد ظل إلها بونيا - أمازيغيا فلان أتباعه هم بونيون - أمازيغيون فرضوا عليه متطلباتهم الدينية. فماذا عن عبادته في المغرب القديم ؟

لم تفرز هذه الولاية الرومانية إلا القليل من الاهداءات المقدمة للالهة المحلية (Dieu au chef cornu, Aulisva) ونفس الأمر ينطبق على ساتورنوس، إذ تبقى الشواهد الأثرية التي نشرها الباحث توفنو هي الوحيدة التي خلفتها الأبحاث الأثرية لحد الآن.

يتعلق الأمر بقطعة من قاعدة عثر عليها بوليلي وقد أعيد استعمالها في الباب الجنوبي الغربي، وهي مهداة ساتورنوس من طرف امرأة استقراطية تدعى Claudia Procula والتي قدمت تمثالا له من الفضة. أما النقشية الثانية فهي عبارة عن مذبح الحشف بعين الشقور غير بعيد عن وليلي والذي تضمن تقدمه للاله فروجيفير المقدس (Frugifer sanctus) من طرف قائد كتيبة الاشتوريين والغاليين بعد الشفاء من مرضه. ويبدو أن لقب فروجفير يلتصق في إفريقيا تارة بساتورنوس وتارة بالاله بلوتون. ونعتقد أن الأمر يتعلق في المثالين بالإله ساتورنوس، اله السماء والخصوبة والاله الذي يمنح الخيرات بما فيها صحة الانسان. ويبقى هذان المثالان منعزلين في إطار جغرافي واسع، ومن الصعب الإجابة عن ندرة المخلفات الأثرية المتعلقة بعبادته في موريطانيا الطنجية.

وللإشارة فقد اكتشف معبد بوليلي أطلق عليه في البداية معبد ساتورنوس من طرف الباحثين بونسيك وتوفنو وأعاد دراسته الباحث Morestin، دراسة شاملة إلا أنه لا يتفق مع الباحثين المذكورين، في إسناده لساتورنوس، ويرى بأن المعبد يتعلق بإله محلي أمازيغي ربما مبني محلي يمنح الخصوبة وقد بني له معبد من هذا الحجم نظراً لأهميته في المدينة.

G. Ch. Picard, *Les religions de l'Afrique antique*, Paris, 1954 ; h. Guitard, *Recherches sur saturne des origines à la réforme de 217 av.J.C.*, in *Recherches sur les religions de l'Italie antique*, Genève, 1976, p. 43 - 71 ; M. Le Glay, *Saturne africain - Histoire*, Paris, 1966 ; *Les dieux de l'Afrique romaine*, *Archeologia*, n° 40, mai-juin 1971, p. 67 ; H. Morestin, *Le temple "B" de Volubilis*, Paris, 1980 ; M. Ponsich, *Le temple "dit de saturne" à Volubilis*, *B.A.M.*, 10, 1976, p. 131 - 144 ; Toutain, *Les cultes païens dans l'empire romain*, T. III, Rome, 1967 ; R. Thouvenot, *Le culte de saturne en Maurétanie Tingitane*, *REA*, LVI, 1954, p.150- 153.

عبد العزيز بل الفايدة

**الساحل** أو السواحلة، قبيلة هبطية وسوق ومقاومة، فبهذا الاسم تعرف قبيلة واقعة بتضرسات سطح الساحل الأطلسي الممتد بين أصيلا شمالا ومصب واد اللكوس بالعرائش جنوبا. وهو ينقسم إلى شمالي تلي وجنوبي متضرس غابوي. والمعروف أن لفظ الساحل كان دالا على نفس الجهة منذ ما قبل الاحتلال البرتغالي لأصيلا سنة 1471/876، وبه عرفت التجمعات السكانية المستقرة بشعابه. ولا يزال إسم الساحل إلى اليوم يحمله مجرى واد صغير ينحدر من سوق خميس الساحل الجديد. وتتوزع التجمعات السكانية تبعا لطبيعة السطح إلى مجموعتين شمالية وجنوبية.

تمتد أراضي الساحل الشمالي من ضاحية أصيلا الجنوبية إلى مجرى واد النخلة المنساب من سوق الخميس الجديد، حيث يظهر مدشر بني كيسان من الساحل الجنوبي. وعلى الرغم من صغر مساحة الساحل الشمالي فإننا سجلنا خلال الربع الأخير من القرن التاسع الهجري وجود عشرين قرية ما يزال أغلبها قائما إلى اليوم، منتشراً بين أصيلا والحدود المنتهية إلى بداية مساحة الساحل الجنوبي. وأهم تلك التجمعات تمثلها مداشر تندافل وميجلا و والحمر والعقبة وبني موربر. ولا يظهر في التقسيم الإداري الحالي سوى فرقة واحدة متكونة من عشرة مداشر. وخلال فترة الحماية وصل عدد دور هذا القسم إلى 1204، أي ما يعادل نحو 6020 ساكن.

أما الساحل الجنوبي فقد سماه البرتغاليون بالغابة، في حين دعاه مصدر مولييرا ساحل الكدية، إشارة إلى الكتلة المرتفعة الممتدة من مدينة لكسوس الأثرية جنوبا إلى بني كيسان شمالا، وتألف الساحل خلال فترة الحماية من ثلاث فرق هي : الرواض (8 مداشر) المدشر الجديد (7 مداشر) والركادة (6 مداشر). وكان عدد سكانها خلال نفس الفترة 1469 كانون. مما يوافق نحو 7345 ساكن.

وبالجملة بين تلك التقديرات السكانية نصل إلى أن عدد دور قبيلة الساحل وصل في آخر فترة الحماية إلى 2673 وهو ما يعادل نحو 13.377 ساكن. وبالساحل الجنوبي يوجد سوق خميس الساحل.

وتعد قبيلة الساحل من الجهات التي تضررت بالغزو البرتغالي لمدينتي أصيلا وطنجة، سواء من جهة البر والبحر. ففي الوقت الذي كانت السفن البرتغالية تفرض الحراسة على طول الساحل الممتد من أصيلا إلى مصب واد اللكوس، كان نظام أصيلا الحربي يعد مساحة قبيلة الساحل الشمالي داخلة في حوز المدينة، ولذا هاجر معظم السكان إلى الجهات الجبلية الشرقية وحوز القصر الكبير، جنوب وادي المخازن، خاصة بعد سنة 1500 التي مثلت نهاية الهدنة بين الوطاسيين والبرتغاليين. وجرت العادة أن يقوم البرتغاليون على حراسة أهم مواقع القرى الحالية

بواسطة نصب الطلائع خلال النهار والانسحاب منها في آخره.

ودأب مجاهدو القصر الكبير من جهتهم، تحت قيادة آل عبد الحميد العروسيين، على السبق للتحصن بالمداشر المشرفة على أصيلا بقصد تنظيم الغارات على المدينة وأسر جنود الطلائع. وقد عانت مداشر الساحل الجنوبي بدورها من الغارات البرتغالية، لا سيما بني كيسان والبلاط طوال مدة الوجود البرتغالي بأصيلا إلى غاية الجلاء الأول عنها سنة 1550، مثلما تمت الإشارة إليه في هذه المعلمة.

وسوق خميس الساحل موقعان : قديم وحديث. فالسوق القديم كان بالموضع المعروف حاليا لقرية الركادة، على الضفة اليمنى من مجرى مصب واد اللكوس، وذلك قبل سنة 895 / 1489. وموضعه على الضفة اليمنى من مصب واد اللكوس، (33 م). وقربه من الساحل يعطي الانطباع بدوره في التجارة البحرية والبرية معا.

وما نعرف عنه متصل بالمعركة التي خاضها محمد الشيخ الوطاسي ضد جنود جواو الثاني بعد تسرب قواته إلى قناة واد اللكوس والتوغل بها مسافة لتأسيس القلعة المعروفة في تواريخهم باسم "كراسيوسا" وفي تواريخنا باسم حصن الجزيرة. وقد عرفنا بتفاصيل الغزوة في هذه المعلمة.

اختار محمد الشيخ الوطاسي موضع سوق الخميس القديم بفضل موقعه مركزا لحصار القوات المتسربة إلى الداخل ومنع الإمدادات عنها بطريقة سد قناة المصب المجاورة لسوق خميس الساحل الجنوبي بالعوارض الخشبية والسلل المثقلة بالأحجار والسلاسل الممتدة بين الضفتين.

وإذا كانت كافة المصادر متفقة على سنة غزو جزيرة لكوس، حينما حددتها بسنة 895 / 1489، فإن البعض منها ذكرت أن الغزو وقع في شهر يونيه، ليعرف نهايته بانسحاب الجيش البرتغالي يوم 21 شتنبر 1489 / 25 شوال 895، حسبما هو مبين في رسالة جواو الثاني وحوليات روي دي بينا. وإذا صدقنا محمد الكراسي فإن محمد الشيخ الوطاسي حل بمحلته بسوق الخميس في منتصف شهر غشت (شعبان رمضان)، بعد أن مضى شهران على تحصن البرتغاليين بحصن الجزيرة.

وليس لدينا أي دليل تاريخي يؤرخ لانتقال موقع سوق الخميس القديم إلى موضعه الحالي الكائن بأعلى كتلة الساحل المرتفع (185 م) المعروفة بكدية الخميس أو مدشر الخميس، على مقربة من العرائش شمالا على الطريق المتجهة إلى أصيلا بدائرة المدشر الجديد، بين مدشي قريمدة والقايدة.

ونستمد المعلومات عن وجوده إلى ما ذكره مخبر موليبراس حوالي سنة 1309 / 1892، وآنذاك كان مدشري الخميس بمكانه، مشهوراً بمدرسته القرآنية والعلمية التي ترعاها الجماعة برواتب خاصة للمشارطين والطلبة الوافدين، حيث كان مدرس الفقه يتقاضى نحو 500 فرنك، ويصل راتب معلم القرآن إلى 250 فرنك ويليه الإمام بنحو 75 فرنكا، ويقيض الملعم الطالب 50 فرنكا.

م. الكراسي، *عروسة المسائل* ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا* ؛ أحمد بن القاضي، *لقط الفرائد* ؛ محمد العربي الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ حسن الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبري بالثغور الشمالية الغربية، معلمة المغرب، جزيرة اللكوس، بني كسان، البلاط، ضابط الأمور الوطنية الخليفية.

Berbardo Rodrigues, *Anais de Arzila, Geografia de Marruecos* ; A. Moulièras, *Le Maroc inconnu*, 2 t. ; P. Cenival, S.I.H.M. Portugal, t ; *Expediction de los portugueses al rio de Larache y fundacion de la fortaleza de la Graciosa, Mauritania*, Enero-Junio 1941 ; Rui de Pina, *C. de D. Joao 2* ; Garcia Resende, *C. de D. Joao 2* ; Damiao de Gois, *Cronica de Rei D. Manuel* ; Antonio Baiao, *Documentos do Corpo Chronilogico relativos a Marruecos (1488-1514)* ; Fernando de Meneses, *Historia de Tanger*.

حسن الفكيكي

**الساحلي، أحمد** بن إبراهيم السملالي العباسي، نسبة إلى ثنية آيت عباس من سملالة بموضع يقال له بالأمازيغية "أزور أزرو" ومعناه "سطح الحجر"، وُلد في أواخر العشرينيات من القرن الثالث عشر الهجري بإيكرار، وتلقى دراسته الأولى بالساحل، كعادة أبناء بادية سوس مبتدئاً بحفظ القرآن الكريم وبعد إتمام الحفظ، شرع في حفظ بعض المتون الصغرى قبل أن يلتحق بمدرسة "أدوز" بآيت أحمد شرق مدينة تزينت، وهناك تلقى العلم على يد أحد كبار الشيوخ الأدوزيين وهو السيد العربي بن إبراهيم بن عبد الله اليعقوبي (ت. 1286)، وكان هذا الشيخ ذا فكر وقاد، وعلم راسخ، واستحضار واستذكار، تولى مدرسة أجداده فعمرها أربعين سنة متواصلة.

ولم تفتر عزيمة المترجم، ولم تقنع همته بما حصله من علم بالمدارس السوسية، وإنما قرر شد الرحال إلى الديار الفاسية فحل بالقرويين في مطالع النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م)، فوجدها طافحة بالعلم والعلماء والطلبة النجباء، فجلس إلى حلقات كبار العلماء المحققين، والمدرسين والنظار والأصوليين المدققين، من أمثال : محمد ابن الطالب ابن الحاج (ت. 1274)، وأحمد بونافع الفاسي (ت. 1260)، والفقيه ابن رحمون (ت. 1263)، والفقيه عبد الرحمن الشدادي (ت. 1268)، وغيرهم من كبار علماء القرويين.

عاد المترجم إلى مسقط رأسه فقيها عالما بيانيا منطقيا أصوليا نوازليا، ليتبوأ بهذا التكوين مكانة مرموقة جعلت المختار السوسي يصفه بياقوتة علماء أسرته بل ياقوتة العلماء كلهم بسوس، فتزوج قبل سنة 1260 وصار عالم زاويتهم المحترمة، وملأ بعلمه وسيرته الحسنة الجهة حتى لا يكاد يعلى عليه، ودخل مع زمرة من كبار علماء وقته في حلبة التعاطي للإفتاء في النوازل، وفض المنازعات، فكانت

بينهم صولات وجولات، تجاذبوا فيها أعنة البحث والنقاش والأخذ والرد، والإبرام والنقض.

وللمترجم ولع خاص بنسخ الكتب، إذ كان يوزع وقته في اليوم بين الكتابة والأحكام، يخصص للنسخ النصف الأول من اليوم، وأما النصف الثاني فيخرج فيه إلى الناس للفصل بينهم في النوازل، فيقدّم له الوضوء، فيصلي بهم ثم يشرع في الأحكام، ومنهجه في ذلك أنه لا يطيل في الأخذ والرد، وإنما يستمع للطرفين ويصدر الحكم ليسمعه الجميع، حتى صارت هناك بعض الأحكام، لإيجازها واختصارها ووضوحها، محفوظة لدى العوام.

تعتبر الخزانة الساحلية السملالية من أشهر الخزائن السوسية الطافحة بالمخطوطات النوادر. وقد حظي المترجم بمكانة مرموقة عند أولي الأمر، فكان من بين كبار العلماء الذين كلفهم السلطان محمد الرابع بتعبئة المجاهدين واستنفارهم للدفاع عن مدينة تطوان التي دهمها الإسبان سنة 1276 (انظر رسالة موجهة في ذلك إلى أعيان علماء سوس، *المعسول*، 6 : 266 ـ 267).

كما حظي بالتوقير والاحترام من لدن السلطان الحسن الأول، وكان معه وفي ركبه لما أتى في رحلته الثانية إلى سوس، فصار معه إلى وادي نون ثم رجع الموكب السلطاني إلى تزنيت، فبات المترجم في القبة المخصصة لأمثاله من الوجهاء بعد أن صلى العشاء والتراويح، فنام نوما كان فيه موته. وذلك في رمضان عام 1303 / يونيه 1886، ودفن بمقبرتهم في تالمسيت عند ضريح يدعى سيدي أحمد أو أحمد.

وقد ترك المترجم مجموعة من الفتاوى في نوازل مختلفة تنم عن جدارته العلمية وتمكنه، وانطباق كل ما وصف به عليه، وهذه الفتاوى منها ما هو منشور في *المجموعة الفقهية الإلغية* للمختار السوسي، و*المدارس العلمية بسوس* للأستاذ عمر الساحلي، و*فقه النوازل في سوس* للحسن العبادي، ومنها ما يزال مخطوطا متناثراً بين ثنايا الأسفار التي تقاسمها الورثة.

أ. الساحلي نفسه، *النوازل*، مخطوطة ؛ إدريس الساحلي، *روايات شفوية*، م. المختار السوسي، *المعسول*، المحمدية، ج. 6.

إبراهيم الوافي

**السادة** (مصطلح موحدي) مفرده السيِّد، وهو لقب مخزني موحدي كان حكراً على أبناء الخلفاء من بني عبد المومن. وفيه مراتب منها : السيد والسيد الأعلى (*المن بالامامة*، 119 ـ 170)، تشير تسمية باب السادة بمراكش إلى إحدى مميزاته التي انفرد بها، وهو أنه كان مخصوصاً ببني عبد المومن إليه ينتهون على خيلهم، وعليه سلسلة أمامها ينزلون" (*ورقات*، 303) فهو أحد أبواب القصر المفضية إلى ظاهره وخارج مراكش (*الذيل والتكملة*، 8 : 1 ـ 251) مقابل باب الكحل الذي "كان منه دخول الموحدين" (*ورقات*، 304).

**السادة** (باب -) بمراكش، يقع في الواجهة الغربية من سور حومة الصالحة التي شرع الخليفة الموحدي المنصور في تشييدها عام 580 / 1184 م (*الاستبصار*، 210 ؛ *البيان*، ق. م. 174) ولا يوجد حاليا في الواجهة المشار إليها. باب يحمل هذا الاسم. والباب الوحيد القديم الموجود بها يحمل اسم باب القصيبة. والإمكانيات المرجعية المتداولة تسمح بقبول موقعه كمكان لباب السادة، لكنها غير كافية في غياب البحث الأثري لجعله باب السادة بالذات.

ساهم موقع باب السادة في خريطة المدينة في قيامه بجملة من الوظائف لصالح المخزن الموحدي وحاشيته، منها أنه بوابة من بوابات خروجه إلى الجبل، وباب للتواصل مع المدينة المرابطية، ومنه خروجه إلى المصلى (*البيان*، ق. م. 320 ـ 322)، وخارجه جبانة الشيوخ وفيها : مقابر أكابرهم وجنائز الأعيان في نهاية المباني والغراس (*ورقات*، 303).

يتلخص ما سجلته المصادر المتداولة من أحداث لها علاقة بباب السادة في أخبار ثلاثة : فمنه خرج العالم النحوي أبو موسى الجزولي، رفقة نقيب طلبة العلم عند الموحدين أبي القاسم المالقي، بعد لقائه بالخليفة المنصور (*الذيل والتكملة*، 8 : 1 ـ 250 ـ 251) وعبره أخبر أهل مراكش بولاية الرشيد الخلافة عام 630 / 1233 في وقت كانوا فيه ضد منافسه عليها إدريس المامون (*البيان*، ق. م. 300). وأمامه أقبر المامون في حفير كبير الناكثين عليه من الموحدين ومن الهنتاتيين والتنمليين عام 626 / 1229 (*البيان*، ق. م. 285).

مجهول، *كتاب الاستبصار*، تح. سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، تح. ع. الهادي التازي، بيروت، 1987 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، السفر الثامن، الجزء الأول، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1984 ؛ ابن عذاري، *البيان*، قسم الموحدين، تح. م. إبراهيم الكتاني، م. زنيبر م. بنتاويت ع. القادر زمامة، الدار البيضاء، 1985 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عهد بني مرين*، الرباط.

محمد رابطة الدين

**سَارْكَنَة** سمك بحري من الأسماك العظيمة ومن فصيلة بوماتوميدي Pomatomidae. اسمه العلمي السابق Temnodon saltator ويسمى حاليا Pomatonus saltatrix (L. 1766) ؛ يدعى في جنوب المغرب وفي موريتانيا وبالحسانية أشكد وبالفرنسية Tassergal و Bar marocain وبالانجليزية Bluefish وبالأسبانية anchova de banco و sirvia و lorcho و Anjova. سركانة هو اسمه الشائع في الأسواق السمكية المغربية، في المعاجم قنبر.

يعيش نوع واحد من الفصيلة في المياه المغربية وهو سمك بحري سطحي كبير القامة، ظهره رمادي مخضر والجانبان والبطن فضية لامعة، زعانفه الظهرية والشرجية والذيلية خضراء شاحبة مصفرة، تتميز صغاره ببقعة زرقاء واضحة جدا على قاعدة الصدريتين وتكاد تختفي عند الكبار. طوله الأقصى 120 سم وشائع بين 30 ـ 60 سم ويتراوح وزنه بين 2،5 ـ 8 كغم ويبلغ أحيانا 15 كغم. يألف المياه المعتدلة والمرتفعة الحرارة ويقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل الأطلسية الشرقية الممتدة من خليج قادس إلى إفريقيا الجنوبية والسواحل الأطلسية الغربية وحوض البحر المتوسط والمحيط الهندي.

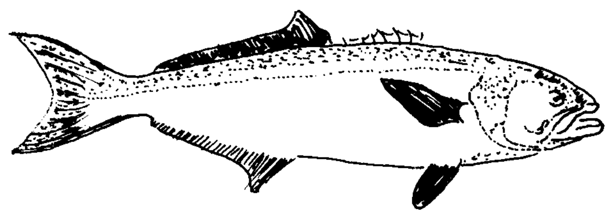

جسمه ممدد ومضغوط جانبيا، رأسه ضخم وقوي واجهته الظهرية مقنزعة. الفم نهاية للجسم، الفك السفلي بارز ؛ الأسنان حادة ومضغوطة مرتبة على صف واحد بالفكين وعلى القوس الفوهي. يحمل الظهر زعنفتين، الأولى قصيرة ومنحدرة، تتكون من 7 8 أشواك ضعيفة ومرتبطة بغشاء، الثانية طويلة، تتكون من شوكة و23 ـ 28 شعاعا لينا ؛ الصدريتان قصيرتان لاتبلغان إلى مصدر الظهرية الرخوة ؛ الشرجية أقصر بقليل من الظهرية الهشة وتتكون من شوكتين و23 ـ 27 شعاعا لينا. الذيلية متشعبة قليلا. الحراشف صغيرة، تغطي الرأس والجسم وقاعدة الزعانف ؛ الخط الجانبي مستقيم تقريبا.

سمك قوي وسريع السباحة، نهاري النشاط بالخصوص. يعيش الكبار منعزلين أو في مجموعات قليلة الأفراد فوق الهضبة القارية وفي أعماق تنحصر بين 10 ـ 200 م. يقترب كثيراً من السواحل المغربية في فصل الصيف ويتوالد في الربيع والصيف. يبقى البيض سابحا في الكتلات المائية السطحية.

يتكون غذاؤه من الرخويات والقشريات والأسماك الصغيرة وتصيد الصغار وسط مجموعات وتفترس غالبا أنواع البوري والسردين والإسقمري والشرن والشابل والبينيت وغيرها من الأسماك السطحية كما أنها تخلف خسائر كبيرة في الثروات السمكية إذ تفتك بعدد كبير من الأفراد يفوق حاجيات أكلها.

صيده في المغرب شبه صناعي وتقليدي ورياضي. ومن أهم معدات الصيد المستعملة في صيده : الشباك الحلقية الساحلية، الشباك المزودة بالإنارة، الشباك المستقيمة العمقية والساحلية، شباك الجر العمقية، الصنانير اليدوية والمجرورة وشباك الحواجز. وجوده موسمي أو عن طريق الصدفة في الأسواق السمكية المغربية. يستهلك طريا ومبردا ومجمدا وتستعمل منه كمية كبيرة في صناعة التصبير (Conserve) يكثر الإقبال عليها من قبل المستهلكين للأسماك المعلبة.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932 ؛ المنظمة العالمية للتغذية، *دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب*، روما، 1998.

محمد رمضاني

**ساسي**، أسرة سلوية عريقة، أنجبت فقهاء وحرفيين ماهرين ورياساً في البحر. وقد أورد ابن زيدان في *الإتحاف* (3 : 353) نص ظهير للسلطان محمد بن عبد الله بتوقير أولاد ساسي السلويين وإسدال أردية الاحترام عليهم مؤرخ في ثاني شعبان عام 1172. وذكر المؤلف من بين نظّار هذا السلطان بسلا العربي ساسي المتوفى في نفس السنة (1172 / 58 ـ 1759) وابن أخيه مَحمد بن محمد ساسي الذي وَلي بعده نظارة أوقاف المسجد الأعظم، وأثبت أيضاً نص وثيقة شرائه *الموطأ* للمسجد من الفقيه الطاهر بن علي ابن عبد السلام، تاريخها ثاني عشر جمادى الثانية عام 1274.

واشتهر الساسيّون السلاويون في القرن الثالث عشر (19 م) كريّاس وصناع ماهرين في إصلاح السفن، منهم مصطفى ساسي الذي كان في أواخر هذا القرن بحرياً وفي نفس الوقت صانعاً يصلح القوارب بمختلف المراسي. والحسن ابن مَحمد ساسي الذي كان بحرياً، ومولعاً بجمع الوثائق والصور التاريخية ؛ ومحمد بن الحسن ساسي الذي ورث عن والده مجموعة الوثائق والصور، وأضاف إليها تحفاً متنوعة خاصة أنواعاً من الساعات الحائطية (المجانات) التي تستهوى المهتمين بمثل هذه الذخائر الفنية فيتردد دون على بيته بحي باب حساين، ومن بينهم فرنسيون في أوائل عهد الحماية.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ط 2، الرباط، 1990، ج.3 : 355 ـ 356؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ص. 262 ـ 263 ؛ م. بن الحسن ساسي، *تقييد*، مخطوط، خ. ص؛ *رواية شفوية عن الحاج عبد الله الطنجي*.

ابن **ساسي، عبد الله** البوسَعي، صوفي كبير أخذ عن الشيخين عبد الله الغزواني وعلي بن إبراهيم

البوزيدي. وأكثرُ أخذه عن الغزواني وإليه ينسب. قال عنه العربي الفاسي في *المرآة* : "كان من أكابر المشايخ الأعيان، وجلة المشاهير من أهل هذا الشان".

أسره البرتغاليون بمدينة أزمور لما احتلوها وافتكه المسلمون فخرج منها حاملا على رأسه قفة مملوءة بالكتب العربية أعطته إياها آسرته النصرانية. وكان ابن ساسي ـ كسائر شيوخ الشاذلية الجزوليين في عصره ـ منصرفاً إلى الجهاد وتربية المريدين وتهذيب أخلاقهم وسلوكهم.

توفي ليلة الجمعة 26 شعبان عام 961 / 26 يوليوز 1554 ودفن بزاويته على ضفة واد تنسيفت بمقربة من مراكش. وقبره مزارة شهيرة.

م. ابن عسكر، دوحة، تح. م. حجي، الرباط، 1976 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجر فاس، 1324 هـ ؛ ع. الرحمن الفاسي، *أزاهر البستان*، مخطوط ؛ م. الحضيگي، *طبقات الحضيگي*، تح. أبو مزگو، د. د. ع. مرقون بكلية الآداب، الرباط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج. 8.

محمد حجي

**ساعي، محمود**، مقاوم من مواليد سنة 1935 بگلميم انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 كسائق بمركز القيادة العليا بگولمين تحت قيادة محمد البيضاوي وقد كان من الأعضاء النشيطة في صفوف جيش التحرير حيث شارك إخوانه المجاهدين في جميع المعارك التي حاضتها وحداث الجيش بوادي الصفاء وأم العشار ومرگالة، وكذا معارك أيت باعمران.

توفي في 9 ذي الحجة عام 1415 / 9 ماي 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514486.

**الساقية الحمراء** منطقة بالصحراء المغربية تستمد اسمها من وادٍ ينبع من زمور ويتجه من الشرق نحو الغرب الشمالي ليصبَّ في المحيط الأطلنتي. هذا الوادي جاف في معظم السنة نظراً لقلة الأمطار، ولكن هذا لم يمنع من وجود آبار كثيرة ومراع خصبة، كما تعرف ضفاف الوادي زراعة حبوب ولو بشكل ضعيف وهو ما جعل منه منطقة استقطاب بالنسبة للرحل. وفي الذاكرة المحلية : كانت الساقية الحمراء في عهود سابقة مكاناً خصبا وكانت تسمى بالساقية الخضراء (Tâlib al-Hiyâr, p. 74).

أمّا عن موقع المنطقة فهي تقع في الجزء الشمالي من الصحراء، وكتب أحمد الأمين الشنقيطي في "باب الكلام على الساقية الحمراء : " أنها "أرض مشهورة، وهي آخر شنقيط من جهة واد نون، وتبعد عن شنقيط عشرين يوماً بالسير الحثيث"، (*الوسيط*، ص. 438). فمنطقة الساقية الحمراء كما حددتها الاتفاقيات الموقعة بين القوتين الاستعماريتين فرنسا وإسبانيا، وآخرها كان سنة 1912، تقع بين خطي عرض 26 و27. 40. وتبلغ مساحتها حوالي 82000 كلم$^2$. وقد تغيرت هذه الحدود حسب التقسيمات الإدارية اللاحقة منذ عودة الإقليم إلى حظيرة الوطن سنة 1975.

تعدّى صيت اسم الساقية الحمراء حدود المناطق المجاورة لينتشر في أرجاء شمال إفريقيا حتى تونس. فقد أشار دولاشپيل في الثلاثينيات من القرن العشرين إلى هذا الحضور القوي في ذاكرة سكان المغرب والجزائر للساقية الحمراء كأصل لأولياء تملأ أضرحتهم هذا المجال (P. de La Chapelle, F. p. 47 ; Dakhlia, J., 183). كما كتبت جوسلين دخيلة في دراستها لمنطقة الجريد بتونس : "تعتبر الروايات الشفوية الساقية الحمراء كمكان لإعادة بناء حقيقية للإسلام". وقد لاحظنا بأنفسنا هذا الحضور للساقية الحمراء في ذاكرة العديد من المغاربيين من تونس والجزائر الذين ما أن تذكر لهم اسم هذه المنطقة حتى يقاطعوك بحماس إن أصولهم من الساقية الحمراء حسبما تناقلته الرواية الشفوية المحلية لديهم، فأغلب هؤلاء ينتمون لعائلات متدينة.

ولـمّا رجع أبو بكر بن عمر اللمتوني إلى الصحراء بعد أن ترك يوسف ابن تاشفين في أغمات، صحب معه جيشاً وبعض الفقهاء" فلما وصل الجيش إلى جبل الأحماديات ولاماء معه ضرب الولي عبد الرحمان ـ حسب الرواية الشفوية ـ موضع حافر فرسه بقوسه فتفجر الماء من ذلك الموضع وسمي الركاز، وهو الذي يشكل منبع الساقية الحمراء، ويذكر الطالب اخيار ابن الشيخ ماء العينين أن الأهالي كانوا يعتقدون أنه دفن في الساقية الحمراء ثلاثة أنبياء ناهيك عن العدد الكبير من أولياء الله الصالحين الذين مازالت أضرحتهم تزار (Tâlib al-Hiyâr) إلى هذه الروايات المحلية الخصبة تضاف تحاليل بعض الباحثين مثل ما قام به جاك بيرك الذي اعتبر في إطار تحليله لظاهرة القداسة وانتشار الحركات الصوفية والطرقية في شمال إفريقيا أن الساقية الحمراء مصدر هذه الظاهرة، ويؤرخ لبداية أسطورة الساقية الحمراء بأواسط القرن الخامس (11م) والنصف الثاني من القرن السادس (12 م). فهو يعتبر أن المد الصوفي والطرقي بمثابة رد فعل القبائل المحلية ضد البدو الهلاليين القادمين من الشرق. فالساقية الحمراء كانت أقصى منطقة في المغرب وصلها الإسلام ـ في نظره ـ (Berque, J., p. 54).

لم يتوقف البعد الديني عند هذه الحقبة التاريخية. فالساقية الحمراء ظلت نواة القداسة بكل تجلياتها. فالعديد من القبائل الزوايا تعتبر الساقية الحمراء موطنها الأصلي وانطلاقة أجدادها المؤسسين مثل تشمشة الموجودة حاليا بغرب موريتانيا وكنتة المنتشرين عبر غرب الصحراء وأهل الطالب مختار دون أن ننسى الروايات التأسيسية لكل من

العروسيين والرقيبات. فالروايات عن حيثيات وصول كل من سيدي أحمد العروسي وسيدي أحمد الرقيبي إلى الساقية الحمراء تنتمي كلها إلى حقل الولاية والقداسة. ثم إن استقرار الشيخ ماء العينين في المنطقة قادما من الحوض وتأسيسه لمدينة اسمارة سنة 1315 / 1898 كرس بدوره هذا البعد الديني والروحي. (Boubrik, R., p. 143 et Caro Baroja, J.).

كانت اسمارة أول تجمع حضري نجح في استقطاب البدو الرحل من الباحثين عن العلم وبركة الشيخ أو الذين يقيمون في ضواحيها مرحليا قبل أن تصبح قاعدة المقاومة وقبلة لوفود القبائل البيضانية المجاهدة ضد الاستعمار الفرنسي. وفي إشارة لدار الشيخ ماء العينين كتب أحمد الأمين الشنقيطي : "وكانت الساقية الحمراء خالية لا أنيس بها لشدة الخوف، ولقحولتها دائماً، حتى عمرها الشيخ ماء العينين، وبنى فيها الدور، وغرس النخل فسهلت المواصلة بين شنقيط وغيرها من المواضع المغربية، أعني التابعة للمخزن (*الوسيط*، ص. 439).

أحمد بن الأمين الشنقوطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، القاهرة، 1989 ؛ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، *رسالة الروض في أنساب أهل الحوض*، مخطوط.

J. Berque, *L'intérieur du Maghreb*, Paris, 1978 ; R. Boubrik, *Saints et société en Islam, Une confrérie Ouest Saharienne la Fâdiliyya*, Paris, 1999 ; J. Caro Baroja, *"Un santon Sahariano y su familia, Estudios Saharianos,* Instituto de Estudios Africanos, 1955, pp. 285 - 335 ; J. Dakhlia, *L'oubli de la cité*, Edition la découverte, Paris, 1990 ; F. De la Chappelle, *Esquisse d'une histoire du Sahara occidental, Hesp.*, vol. XI, 1930 ; Tâlib al-Hiyâr [At-Tâlib Akhyâr],*Voyage dans le Rio de Oro et dans l'Anti Atlas marocain effectué par l'aîné des fils de Mâ al'Aynayn / Cheikh Thaleb al Kiar, Revue Militaire de l'Afrique Occidentale Française*, 15 octobre 1934.

رحال بوبريك

**السالك** بن **الحاج** بن بّا الحسن، مقاوم ولد سنة 1929 بزيني، قبيلة يكوت، فرقة أيت أبورك إقليم طانطان.

انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 وعمل بالمقاطعة الأولى بمركز الساقية الحمراء تحت مسؤولية السيد علي المسيوي وبقي يعمل بكل نزاهة وتفانٍ، وكان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله نشيطا في عمله متحمسا معروفا بغيرته الوطنية.

شارك مشاركة فعالة في معركة تكل الكبرى واستشهد بها رحمه الله سنة 1375 / 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504607.

**السالك** بن **عبيدي** بن لحبيب، مقاوم من مواليد سنة 1934 بإشبيكة إقليم طانطان.

دفعته غيرته الوطنية إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 بالمقاطعة التاسعة فرقة تفودارت تحت قيادة صالح بن عسو وقد كان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله نشيطا في عمله متحمسا في إيمانه معروفا بتضحيته وإخلاصه.

شارك في عدة معارك بالصحراء المغربية إلى أن استشهد بمعركة الدشيرة أوائل سنة 1377 / أواخر 1957 وهي المعركة التي أقدمت فيها القوتان الفرنسية والإسبانية على عملية التمشيط "ايكوفيون" ضد فيالق جيش التحرير الباسلة بالصحراء، والتي حققت انتصارات باهرة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503624.

ابن **سالم**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çalim - Çelim - Silim - Zilim -، ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Salem.

بني سالم علال بن عبد القادر بن محمد إليه تنسب شجرة الزيتون الواقعة بالقرب من قنطرة أبي صفيحة بقبيلة وادراس والتي وقعت تحت ظلالها اتفاقية الصلح المبرمة بين الأمير مولاي العباس العلوي والجنرال الإسباني اودونيل يوم 3 رمضان 1276 / 25 مارس 1860 بعد حرب تطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 339.

Gines Peregrin, *Recuedos de la guerra de Africa*, p. 44, 1943.

ابن **سالم، محمد** قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان عبد الملك المعتصم، وقال عنه الفشتالي في *مناهل الصفا* إنه عُيّن من طرف السلطان أحمد المنصور الذهبي صاحبا الشرطة بمدينة فاس.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، الرباط، 1972، صفحات، 48 - 79 - 81.

Bautista Morales, *Jornada de Africa del Rey Don Sebastian de Portugal*, Sevilla 1922 y Madrid 1889.

محمد ابن عزوز حكيم

أبو **سالم** المريني، **إبراهيم** بن أبي الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني. تولى حكم دولة بني مرين في فترة حرجة اتسمت بالاضطرابات السياسية نتيجة الصراع على الحكم بين الأمراء وذلك مباشرة بعد وفاة السلطان أبي عنان سنة 1358/759. وكان أبو سالم هذا قد نفي في عهد أخيه السلطان أبي عنان إلى غرناطة مع بعض إخوته حيث استقر الجميع هناك تحت مراقبة أبي الحجاج يوسف بن الأحمر وذلك تفاديا لخوجهم عليه واتقاء تمردهم عليه. وبعد ما تمكن أبو عنان من زمام الأمور في المغرب حاول إعادة أخيه إلى المغرب ليكون تحت نظره إلا أن صاحب غرناطة رفض دعوة أبي عنان مخافة استعمال هذا الأخير لأبي سالم ضده. وعند وفاة أبي عنان طغت من جديد مشكلة الخلافة خاصة وأن أغلب أولاده كانوا قاصرين مما شجع وزيره وقاتله الحسن بن عمر الفودودي على الاستبداد بالسلطة وتعيين أحد الأطفال من أولاد أبي عنان وهو الأمير السعيد بالله أبو بكر، سلطانا على البلاد. وقد ساهم هذا الحدث في بروز معارضة قوية للوزير ولسياسته الاستبدادية تزعمها بعض أمراء بني مرين كمنصور بن سليمان، وتمكن بعض هؤلاء من مراسلة الأمير أبي سالم ودعوته إلى المغرب.

اعتبر أبو سالم المنفي بغرناطة أحد أبرز المرشحين في الصراع حول الحكم، وبدأ حملته بالاتصال بالحاجب رضوان مدبر دولة ابن الأحمر وطلب منه مساعدته في مسعاه. وبعد رفض الحاجب تمكن أبو سالم من الفرار ليلا واللجوء إلى إشبيلية عند ملك قشتالة بيدرو الأول المعروف ببيدرو القاسي Pedro El Cruel وأطلعه على رسالة استدعائه من المغرب وطلب منه مساعدته في الجواز إلى بلاده. لم يضيع صاحب قشتالة هذه المناسبة بل اعتبرها فرصة ذهبية للتدخل من جديد في شؤون المغرب وتأجيج الصراع بين أمراء بني مرين أعدائه، لذلك وافق على مساعدته وجهز له أسطولا حربيا مقابل شروط.

تركز الأخبار في رحلة عودة أبي سالم إلى المغرب على الطابع البطولي الذي طبع محاولاته لحشد المساندين والمؤيدين لحركته، فحط في أول الأمر بمنطقة مازيغن من أحواز أزمور حيث أقام مدة يدعو لنفسه، إلا أن انشغال الناس هناك بتطورات الصراع بين السلطان أبي بكر السعيد والغالب على أمره وزيره الحسن بن عمر من جهة والأمير الثائر منصور بن سليمان المدعوم من صاحب تلمسان من جهة أخرى، ساهم إلى حد كبير في عدم الاصغاء لتطلعات أبي سالم والاهتمام بدعوته فاضطر إلى مغادرة مازيغن في اتجاه أصيلا ليجد هناك تأييداً كبيراً بين قبائل غمارة. وبفضل تكتل هذه القبائل وراء دعوة أبي سالم انطلقت حركة هذا الأخير في اتجاه مدينة فاس وتمكن خلال ذلك من استقطاب قبائل أخرى والاستيلاء على مدينة أصيلا كما انضمت إلى دعوته مدن أخرى كطنجة وسبتة وجبل الفتح. وحتى يعطي الانطباع لمؤيديه ومعارضيه على السواء بأن المناطق الشمالية أصبحت خاضعة له وبأنه الأحق من غيره بالحكم، انشأ حكومة مصغرة استوزر فيها الحسن بن يوسف واستكتب لعلامته أبا الحسن علي بن السعود واختص الشريف أبا القاسم التلمساني بالمجالسة والمواكبة. وقد دفعت هذه التحولات الوزير المستبد بفاس الحسن بن عمر إلى إدراك مدى خطورة حركة أبي سالم وأن إمكانية السيطرة على الوضع أصبحت مستحيلة، كما أن تشبثه بالسلطان الطفل أبي بكر السعيد لن يحول دون استمرار زحف الأمير الثائر، ولذلك اضطر إلى فتح قنوات الاتصال مع أبي سالم وتأييد دعوته ووعده بمبايعته وعزمه على خلع سلطانه السعيد.

لم يعد لأبي سالم أي منافس قوي يمكن أن يقف دون تحقيق أهدافه السياسية، فحتى المعارض الأخر الأمير منصور بن سليمان انفض الناس من حوله وتخلى عنه مؤيدوه ونزعوا إلى أبي سالم ودخلوا في طاعته، وعندما خلا له الجو وانعدم المنافسون أسرع بجنوده نحو مدينة فاس التي استقبله بها الوزير الفودودي وبايعه بعد أن خلع سلطانه أبا بكر لتسعة أشهر من ولايته وأسلمه إلى عمه أسيراً، ودخل أبو سالم البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة 760 / 12 يوليوز 1359 واستولى على ملك المغرب وهو في عنفوان شبابه لم يتجاوز بعد سن السادسة والعشرين. دشن السلطان أبو سالم حكمه بنهج سياسة متشددة تجاه خصومه ومعارضيه، فبادر بابعاد الوزير الحسن بن عمر إلى مراكش وتعيينه واليا عليها ثم قتله بعد ذلك، كما سعى جاهداً إلى مطاردة ما تبقى من منافسيه الأمراء مثل منصور بن سليمان الذي تم القبض عليه ببادس واقتيد إلى فاس مع ولده علي وأعدما معا آخر شهر شعبان من سنة 760 / 27 يوليوز 1359. ولكي لا يترك أية فرصة لأي منافس محتمل لم يتورع في قتل حتى القاصرين من الأمراء كما فعل مع الأمير محمد بن أبي يفلوسن ابن أخته تاحضريت الذي قتله وهو في حجرها. وفي نفس الاتجاه جمع الأبناء والقرابة من ولد أبيه وعمه وهم حوالي عشرين أميراً من بينهم السلطان المخلوع أبو بكر السعيد ونفاهم إلى رندة بالأندلس تحت حراسة مشددة غير إن اثنين من هؤلاء أفلتا من الحجز ولحقا بأعمامهما بغرناطة وهما عبد الرحمن بن علي أبي يفلوسن ومحمد بن أبي عبد الرحمن ثم توجها بعد ذلك إلى إشبيلية واستقرا بها تحت حماية ملكها بيدرو الأول، أما

الباقون فقد أغرقوا في عرض البحر على يد قائد الأسطول المريني أبي القاسم بن أبي بكر بن بنج بإيعاز من السلطان أبي سالم نفسه وذلك عندما كانوا متوجهين إلى المشرق. وبالرغم من هذه الصورة القاتمة عن شخصية أبي سالم فإن بعض المؤرخين كلسان الدين بن الخطيب المقرب جدا من السلطان ذكر ما يخالف ذلك ووصف خادمه بأنه "كان بقية البيت وآخر القوم دماثة وحياء، وبُعداً عن الشر وركونا للعافية" (*الإحاطة*، 1 : 310). وبالموازاة مع هذه السياسة اهتم أبو سالم بتقوية حاشيته وإسناد أمور الدولة إلى مقربيه ومساندي حركته، وهكذا استوزر مسعود بن رحو بن ماساي والحسن بن يوسف الورتاجني. وولى الحجابة لأحد خواص أبيه الفقيه والخطيب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وجعل للمؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون التوقيع وكتابة السر. ولتدعيم موقعه السياسي في مواجهة المعارضين والخصوم تابع أبو سالم سياسة أسلافه الهادفة إلى الاهتمام بالفعاليات الاجتماعية والفكرية التي كان لها تأثير واضح على العلاقة بين السلطان والمجتمع، ومن ذلك اعتناؤه الكبير بالشرف والأشراف فمنحهم الامتيازات والإكرامات ونمى جرايتهم وأجرى لهم الأرزاق تقربا منهم ووعيا منه بأهمية دورهم المعنوي في تلميع صورته وإضفاء الشرعية على حكمه. وفي نفس الاتجاه اهتم كذلك بتنشيط المجالسة العلمية واستطاع أن يجمع حوله كبار علماء عصره وخيرة مثقفيه من أمثال ابن الخطيب وابن مرزوق وابن خلدون وابن رضوان وابن الأحمر الذين طبعوا بقوة مسار الثقافة المغربية بإبداعاتهم الأدبية والتاريخية. ويكفي أن نشير هنا إلى أن كثيراً من هذه الابداعات ألفت باسم هذا السلطان وبطلب منه ومن ذلك : *كتاب الشهب اللامعة في السياسة النافعة* لابن رضوان *وعمل من طبّ لمن حبّ* وهو كتاب ضخم في الطب لابن الخطيب، وكتاب *رقم الحلل في نظم الدول* لابن الخطيب أيضاً، ثم رسائل وأشعار كثيرة نظمت في شخص أبي سالم وأعماله. أما على المستوى الخارجي فقد حاول أبو سالم التكيف مع الظرفية السياسية التي كانت تحيط بالمغرب والتعامل معها بنوع من الحيطة والحذر من خلال تنشيط علاقاته بالدول المجاورة وتجنيب بلاده المواجهات العسكرية مع أي طرف منها.

فعلى الواجهة الأندلسية لعب أبو سالم على التناقضات السياسية الداخلية المتفاقمة بين أمراء غرناطة حيث استقبل بحفاوة الأمير المخلوع الغني بالله محمد بن يوسف بن الأحمر واستضافه ثلاث سنوات من سنة 760 / 1359 إلى سنة 763 / 1362 مستعملا إياه كورقة ضغط في نزاعه مع بني الأحمر. ونظراً لدور ملك قشالة بيدرو الأول في مساعدة أبي سالم في الاستيلاء على عرش المغرب، حاول هذا الأخير عدم الدخول في أي نزاع سياسي أو مواجهة عسكرية مع قشتالة أو حتى مع منافستها أراغون،

وتوضح بعض الوثائق الدبلوماسية المتوفرة حتى الآن أن العلاقات بين المغرب والممالك المسيحية الاسبانية كانت على العموم هادئة ولم تشبها توترات أو نزاعات يمكن أن تؤدي إلى اصطدام عسكري بين الطرفين خاصة بعد أن رفع المغرب يده منذ زمن عن الأندلس ولم يعد يتدخل في مشاكلها. كما نشطت البعثات والسفارات الدبلوماسية وأكدت على ضرورة التقيد بما يتم الاتفاق عليه من شروط المهادنةوالسلم.

أما في الجبهة الشرقية فقد شهدت العلاقات بين تلمسان وفاس منذ البداية نوعا من التوتر نتيجة استفزازات بني عبد الواد المتكررة ضد المغرب الشيء الذي جرَّ أبا سالم إلى القيام بغزو تلمسان في منتصف سنة 1360/761 ودفع أميرها أبي حمو بن يوسف الزياني إلى الكف عن التدخل في شؤون المغرب، وبعد ذلك اضطر الطرفان إلى عقد معاهدة سلم بينهما. وقد ساهم هذا المعطى الجديد في تهدئة منطقة إفريقية وسمح لأبي سالم بإعادة كل من الأميرين اللاجئين بالمغرب إلى ملكهما، الأمير أبو العباس إلى قسنطينة والأمير أبو عبد الله إلى بجاية.

وفي إطار العلاقات بين المغرب وبلاد السودان فقد أشارت المصادر إلى أهميتها وتميزها، وتوقفت كثيراً عند طابعها السلمي وتبادل الهدايا بين الطرفين خاصة تلك الهدية الثمينة التي بعثها ملك مالي ماري جاطة إلى أبي سالم سنة 762 / 1361 والتي أثارت إعجاب المؤرخين بما تحتويه من تحف ونوادر على رأسها حيوان الزرافة الذي لم يشهد له المغاربة حتى ذلك الوقت مثيلا وأججت قريحة الشعراء فنظموا فيها قصائد مشهورة.

عرف عن أبي سالم ميله الشديد إلى علم القضاء بالأحكام النجومية واشتغاله بآلة الاسطرلاب تحت تأثير ونظر أستاذه وطبيب قصره أبي الحسن المراكشي المشهور بإجادته لعلوم التنجيم. ولعل انصراف السلطان الشاب إلى الاهتمام بهذا العلم وانشغاله به وقلة خبرته وتجربته في الحكم ودسائسه جعلته يهمل أمور السياسة ويترك شؤون دولته لحاشيته خاصة لحاجبه ابن مرزوق الذي أصبح مستبدا بالسلطة متمكنا من هوى السلطان، فجلب ذلك عليه عداوة كبار الدولة واستاءوا من حظوته لدى السلطان وتصيير زمام الدولة إليه. وكان من أبرز الساخطين على هذا الوضع الوزير عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الياباني الذي انقلب على سلطانه أبي سالم واستولى على دار الملك بمساعدة حليفه غرسية بن أنطون غرسية قائد الميليشيا المسيحية الإسبانية في شهر ذي القعدة من عام 762 / شتنبر - أكتوبر 1361. وقد دعا الثوار لأخ السلطان أبو عمر تاشفين بن أبي الحسن المعتوه وبايعوا له وخلعوا عليه مكان أبي سالم، فاندلعت بذلك الفتنة وعمت الفوضى مدينة فاس وكثر فيها النهب والقتل، وازدادت عزلة السلطان المخلوع وفشلت كل محاولاته في استعادة ملكه

خاصة بعد فرار الناس من حوله وتخلي المؤيدين والمقربين عن نصرته. فتربص المتمردون به وتمكنوا من اعتقاله بضواحي فاس، وذبحه أحد جند النصارى بإيعاز من الوزير المتمرد وذلك يوم الخميس 21 من ذي القعدة سنة 762 / 22 شتنبر 1361 ومثل برأس السلطان ودفنت جثته بعد ذلك بالقلة خارج باب الجيسة بأعلى جبل العرض المعروف بجبل الزعفران.

*ملعبة الكفيف الزرهوني*، تح. محمد بن شريفة، المطبعة الملكية، الرباط، 1987، ص. 193 ؛ الجزنائي، *جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس*، المطبعة الملكية، الرباط، 1991، ص. 29 ـ 30 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975، ج.1، ص. 303 ـ 310 ؛ ج.2، ص. 21 ـ 22 ـ 27 ـ 29 ـ 39 ـ 41 ـ 302 ـ 306 ؛ ج. 3، ص. 117ـ 499 ؛ ج. 4، ص. 452 ـ 455 ؛ *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، تح. أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 81 ـ 101 ـ 121 ـ 130 ـ 162 ـ 163 ـ 172 ـ 177 ـ 184 ـ 185 ـ 215 ـ 220 ـ 230 ـ 237 ـ 240ـ 278 ؛ *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، دار الافاق الجديدة، بيروت، 1978، ص. 114 ـ 117 ـ 118 ؛ *ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب*، تح. محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980 ـ 1981، ج. 1، ص. 10 ـ 37 ـ 101 ـ 289 ـ 294 ؛ ج.2، ص. 89 ـ 92 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن*، تح. ماريا حيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص. 154 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين في دولة بني مرين*، المطبعة الملكية، الرباط، 1962، ص. 30 ـ 31 ؛ *النفحة النسرينية واللمحة المرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق، 1992، ص. 56ـ 58 ؛ ابن رضوان، *الشهب اللامعة في السياسة النافعة*، تح. علي سامي النشار، دار الثقافة، الدا البيضاء، 1984 ؛ ابن خلدون، *العبر*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، ج .6، ص. 417 ـ 565 ـ 566 ـ 570 ـ 851 ـ 852 ـ ط. 1978، ج.7، ص. 259 ـ 261 ـ 306 ـ 632 ـ 397 ؛ *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا* ، (ذيل الجزء السابع من كتاب العبر) دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ص. 862 ـ 871 ـ 894 ـ 895 ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد* ، الجزائر، 1903، ج.2، ص. 62 ـ 82 ـ 89 ـ 92 ـ 123 ؛ التنسي، *نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان*، تح. محمود بوعياد ، الجزائر، 1985، ص. 135 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس*، دار المنصور، الرباط، 1974، ص. 83 ؛ المقري، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيوت، 1968، ج. 5، ص. 31 ـ 40 ـ 84 ـ 89 ـ 95 ـ 99 ـ 100 ـ 404 ؛ ج. 6، ص. 13 ـ 24 ـ 173 ؛ ج. 7، ص. 151 ـ 154 ؛ *أزهار الرياض في أخبار عياض*، صندوق إحياء التراث الإسلامي، الرباط، 1978، ج. 1، ص. 65 ـ 66 ـ 193 ـ 196 ـ 203 ـ 207 ـ 208 ـ 270 ـ 271 ـ 275 ـ 286 ؛ ج. 2، ص. 170 ـ 173 ؛ الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، ج. 3، ص. 186 ـ 187 ؛ ج. 4، ص. 7 ـ 40 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، الرباط، ط 2، 1993، ج. 1، ص. 176 ـ 177 ؛ محمد القبلي، *مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين*، مجلة كلية الآداب، الرباط، العدد 3 ،4، عدد مزدوج، 1978، ص. 15 ـ 17 ـ 30 ـ 32 ؛ عبد الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، مطبعة فضالة، المحمدية، 1988، ج. 7، ص. 99 ـ 102 ـ 147 ـ 149 ؛ رشيد السلامي، *وثائق مرينية*، دراسة وتحقيق، رسالة جامعية مرقونة نوقشت بكلية الآداب،الرباط، 1989، ص. 290 ـ 318.

Mas-Latrie, *Traités de paix et de commerce et documents divers concernants les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale du moyen âge*, Paris, 1866, pp. 329 - 330 ; S.M. Alarcón y R. Garica Linares, *Los documentos arabes diplomaticos del archivo de la Corona de Aragón*, Madrid - Grenade, 1940, pp. 224 - 225, 231 ; Ch. E. Dufourcq, *Catalogue chronologique et analytique du registre 1389 de la chancellerie de la couronne d'Aragon, intitule "Guerre sarracenorum 1367 - 1386", (1360 - 1386)*, in *Miscelanea de Textos Medievales*, Barcelona, 1974, Tome 2, pp. 68, 71 - 72 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986, pp. 168, 173 - 174, 209 - 213, 167, 302.

رشيد السلامي

**سالم، محمد** بن **عبد الفتاح** العلوي الصحراوي. ولد حوالي سنة 1322 / 1904 بالساقية الحمراء، بعد ورود والده على الشيخ ماء العينين. أخذ العلم على يد مجموعة من أساتذة اسمارة من بينهم محمد بابا والشيخ النعمة ومحمد محمود البيضاوي خال الباشا الشهير بتارودانت. والحضرمي بن الشيخ أحمد، حفيد الشيخ محمد فاضل بن مامين، والد المحفوظ، ومحمد بن عبد العزيز بن حامّنٍ وماء العينين بن العتيق والشيخ سيديا بن حمادو بن سليمان وأبَّ بن عبد الله من قبيلة آل بوحيين وغيرهم.

هاجر مع الشيخ ماء العينين إلى تزنيت. وظل يتنقل عبر عدد من المناطق السوسية في كردوس ووجان وآيت الرخا ومراكش إلى أن توفيت زوجته نحو سنة 1358 / 1939. فرجع إلى الصحراء. وبقي بها إلى أن توفي في نواحي طانطان نحو سنة 1364 / 1944.

خلف أشعاراً غزيرة في أغراض متنوعة، وخاصة في المديح النبوي ومن أشهر أمداحه النبوية ميميه مشهورة طبعت بسلا سنة 1358 / 1939 تحت إشراف الأديب عبد الرحمن حجي مطلعها :

وقفت أبكي ودمع العين ينسجم     ونار شوقي في الأحشاء تضطرم

عنوانها *مجمع العرفان في مدح نبي عدنان* في مائه وعشرين بيتا.

كما له أشعار متنوعة في مدح الشيخ ماء العينين وبعض أدباء وعلماء سوس. ومطارحات ومراسلات شعرية مع كثير من شعراء إلغ. أورده المختار السوسي في كتابه *المعسول* (ج. 3، ص. 36).

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 3، ص. 36 ؛ م. الظريف، *الحياة الأدبية في الزاوية المعينية*، د. ع. ع مرقونة بالرباط، 1986.

محمد الظريف

**سالم** (محمد -) ولد **محمد** ولد **عبد الله**. مقاوم وُلد بقبيلة أولاد دليم فخدة لوديكات بوادي الذهب سنة 1338 / 1920، وعُرف بإخلاصه وتفانيه من أجل الوحدة الترابية حيث ساعد بكل ما لديه من مال وزاد، وجعل منزله ملجأ لأفراد جيش التحرير ونقطة لانطلاق الهجومات على معسكرات العدو الإسباني بل إنه انضم إلى أفراد جيش التحرير سنة 1956. شارك في عدة معارك كمعركة العركوب وواد الشياف إلى أن استشهد برصاص العدو الإسباني بمعركة لكلات سنة 1377 / 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 506912.

ابن **سالم، الوالي** بن محمد لمين. مقاوم من مواليد سنة 1340 / 1922 بالساقية الحمراء انخرط في صفوف جيش التحرير بالمقاطعة الثالثة عشر بمركز آيت باعمران تحت قيادة بن المختار سنة 1956. وبقي يعمل في صفوفه بكل نزاهة وإخلاص حيث شارك في عدة معارك أبان فيها عن شجاعة نادرة كمعركة تاكراكرة ومعركة تالوين وأخيراً معركة أيت باعمران التي استشهد فيها سنة 1377 / 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 505367.

**السالمي**، أسرة تطوانية تنسب إلى ربع بني سالم من قبيلة الحوز (مجكْسة قديماً). وعلى تراب هذه القبيلة بنيت مدينة تطوان. ومازال السالميون في تطوان حتى اليوم.

وهناك أسرة السالمي الفاسية، وتعد من أقدم بيوتات فاس، لكن لم يتعرف مؤلف *إزالة الالتباس* على أصلها، وذكر أنهم أهل معاش وحرفة، اطلع على ذكرهم في حوالة فاسية مؤخة في عام 956 هـ، وكانت لهم عرصة بحومة اللرنج أسفل الزيات.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 173 ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط، المؤلف.

**السالمي، أحمد** بن محمد بن علي الفاسي المراكشي، ابن فقيه مراكش ومفتيها محمد بن علي آتي الترجمة. كان مثلَه متضلعاً في فروع المالكي وأصوله. متولياً كذلك خطة الفتوى في مراكش سنين عديدة موسعاً عليه في الرزق، له معارضات ومحاورات فقهية مع قاضي مراكش عيسى السكتاني صاحب *الفتاوي* الشهيرة.

وصف الإفراني أحمد السالمي في *الصفوة* بقوله : "من أهل الرسوخ في العلوم، ومن أهل البراعة في المعقول والمنقول" ومن تلاميذه الأمير يحيى بن عبد الله بن سعيد الحاحي الذي أنجد زيدان بن أحمد المنصور في مراكش وحكم السوس الأقصى سنين عديدة.

توفي أحمد السالمي في منتصف ذي العقدة عام 1040/ منتصف يونيه 1631.

ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس د. ت. ص. 110 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، مرقون ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974، ج. 2: 307 ـ 308 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج. 2: 390.

**السالمي، محمد** بن **علي** من الفقهاء الفاسيين الذين انتقلوا إلى مراكش حاضرة السعديين في منتصف القرن العاشر (16 م) واستوطنوها حتى الوفاة. رفيق الشيخ أحمد المنجور في الأخذ عن الامامين محمد اليسيثني وعبد الواحد الونشريسي وغيرهما من كبار شيوخ الحاضرة الادريسية، وذكره المنجور في فهرسه من الشيوخ الذين ذاكرهم واستفاد كل من صاحبه، ووصفه بالفقيه النحوي العددي الفرضي.

وقد سبق قلمُ أحمد ابن القاضي في *الجذوة* فسمى المترجم محمد بن أحمد السالمي، وتبعه في هذا الإفراني والقادري وابن إبراهيم (انظر ملاحظتنا في *الحركة الفكرية*، 2 : 379).

ولي خطة القضاء والفتوى في مراكش إلى أن توفي بها عام 1002 / 93 ـ 1594 على الارجح.

أ. المنجور، *فهرس*، تح. م حجي، الرباط، 1976، ص. 79 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، ط. حجر فاس، 207 ـ 208 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس، د. ت، ص. 100 ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 3 : 1069 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، مرقون ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974، ج. 5: 187 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج. 2 : 379.

**السالمي، محمد**، لم يذكر القادري في *النشر* اسم والده، وإنما وصفه بالأستاذ الناصح القاطن بالمدسة المصباحية بفاس، وذكره ابن إبراهيم في *الإعلام* ووصفه بالأستاذ المقرئ الصالح الناصح.

توفي بفاس عام 1123 / 11 . 1712.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج.5 : 1944 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974، ج. 5 : 187.

محمد حجي

**السّالميّة** أو الناعمة أو السالمة أو المريمية أو القويصة أو المفصحة أو سواك النبي بالعربية، وبالأمازيغية تمجوت، أسماء لنوع نباتي من فصيلة الشفويات دخيل في المغرب، واشتهر بزراعته في الحدائق منذ القدم. وهو ينتمي إلى جنس الناعمة أو سالفيا Salvia الذي يشمل بالمغرب 14 نوعا طبيعيا من بينهم 5 أنواع قبسية خاصة بالمغرب. وتجدر الإشارة إلى أن لهذه الأنواع مزايا هامة. إذ تعتبر من أحسن النباتات العطرية والطبية والمنتجة للعسل. أما في ما يخص الاستعمالات كنبات للزينة فإن

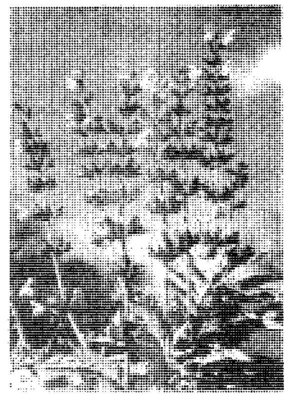

الأمر يقتصر على الأنواع الدخيلة كالسالمية المعروفة أو السالمية ذات الأزهار الحمراء أو غيرها. لكن النباتات المغربية وخاصة القبسية منها فإنها من الممكن أن تكون من أجمل جنيبات وجنيبات الحدائق.

ـ السالمية أو الناعمية الطبية أو سالفيا أو فيسيناليسْ Salvia officinalis، جنيبة يتراوح علوها ما بين 50 و60سم جد متفرعة. أوراقها معنقة، بيضوية الشكل، ذات لون أخضر فضي ضارب إلى الزرقة. ازهراراتها سنبلية الشكل مكونة من 5 إلى 10 أزهار. كأس الزهرة جرسي الشكل وأرجواني اللون. تاج الزهرة ثنائي الشفتين وذو لون بنفسجي ضارب إلى الوردي لكل زهرة سداتان اثنتان.

الموطن الأصلي لهذا النوع هو الجزء الشرقي الشمالي من المنطقة المتوسطية. لكن مزاياه كنبات طبي وعطري وذو جمال خلاب جعلت الإنسان يزرعه في كل الحدائق والبساتين في المناطق المتوسطية المناخ. ففي المغرب يصادف في كل الحدائق ممثلا ببعض الأفراد للزينة أو للاستعمال العائلي. كما يزرع على مساحات واسعة في بعض المناطق المغربية كما هو الشأن في نواحي مراكش وأگادير حيث ينتج بكميات كبيرة لأجل تصديره كمادة مجففة.

بالإضافة إلى كونها نبات زينة وتابل معطر للأطعمة والمشروبات كالشاي والقهوة تستعمل السالمية في عدة مجالات من التطبيب التقليدي. فهي عشبة مطهرة ومسخنة للجسم، ومفيدة لتزايد حليب الأم. ومعالجة لأمراض الفم ولهذا سميت بسواك النبي. كما يعتقد البعض أنها تزيل الخجل فسميت بالمفصّحة.

ـ من أهم الأنواع المغربية من هذا الجنس نذكر :

ـ سالفيا أو شيري Salvia aucheri وهي جنيبة قبسية فضية اللون تصادف في فرجات الغابات التي تكسو الجبال المتوسطة الارتفاع من الجزء الشرقي للأطلسين المتوسط والكبير.

ـ سالفيا إنتربّتا Salvia interrupta وهي جنبية قبسية جد نادرة تتميز بأوراقها المفصصة. لا توجد إلا في الجزء الغربي من الريف الكلسي وفي منطقة هضاب حاحا وإداوتانان من الأطلس الكبير الغربي.

*أبحاث شخصية*.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000, 360 p. ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997, 764 p.

زينب بنرحمون وعبد المالك بنعبيد

**السّامي، العربي** مقاوم وُلد في المدينة القديمة بالدار البيضاء سنة 1905/1323. مرَّ من مرحلة الكتّاب. اشتغل سائقاً بالقصر السلطاني. ثم أدار مؤسسة لتعليم سياقة السيارات. انتمى لحزب الاستقلال وانخرط في العمل المسلم بعد انضمامه لمنظمة الهلال الأسود للمقاومة، فكان أحد قادتها الأربعة الذين ترصد لهم أفراد من "البوليس" بالترب من حديثة الحيوانات بعين السبع في الدار البيضاء وقتلوهم مساء السبت 8 ذي الحجة عام 1374 / 28 يوليوز 1956.

من شهادة حسن ثابت الحداوي ابن أخت صاحب الترجمة، انظر كذلك لافيجي ماروكين ليوم فاتح غشت 1956.

م. وحيد، *مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء، 1952ـ 1956*، أطروحة دكتوراه، مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 2001.

**السّامي، المختار**، مقاوم كان يعرف بـ "بوصبيعات" وأحياناً بـ "گندوز". وُلد في المدينة القديمة بالدار البيضاء سنة 1325 / 1907 كان أمّياً واشتغل ميكانيكياً بسفن الصيد. انتمى لحزب الشورى والاستقلال.

يعدُّ من الوجوه الوطنية البارزة في المدينة القديمة. اعتقلته السلطات الفرنسية بسبب مواقفه، ومنها إقدامه

على جلد المتعاطيات للدعارة بدرب الجران في المدينة التي كان يتردَّد عليها الجنود "السنغاليون"، وأفراد البحرية الفرنسية، فحكم عليه بسبب ذلك بشهرين نافذين سنة 1937. ولم يثنه ذلك عن متابعة نشاطه الوطني فكانت له مشاركة مهمة في تأطير المظاهرات التي كانت تنطلق من المدينة القديمة إبان كل مناسبة يحتدُّ فيها الصراع بين سلطان الحماية والحركة الوطنية.

اشتغل في وقت ما سائقاً لوزير العدلية عبد الكريم بن جلون لكنه فضل الانفصال عنه.

توفي سنة 1412 / 1991.

من شهادة حسن ثابت الحداوي ابن أخت صاحب الترجمة ؛ م. وحيد، *مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء، 1952 - 1956*، أطروحة دكتوراه، مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 2001.

**السّامي، الميلودي**، مقاوم ولد في المدينة بالدار البيضاء سنة 1328 / 1910 . نال حظاً من التعليم، فحصل على شهادة الدروس الفرنسية، كان له محل لإصلاح الدراجات بزنقة الطيران الفرنسي (مصطفى المعاني حالياً)، وتعرض لمضايقات السلطات الفرنسية التي كانت تتهمه بتزويد ابن أخته محمد وعبد الله الحداوي بقطع الحديد التي تدخل من إعداد المتفجرات، وقد بعثت إحدى منظمات الإرهاب الأوروبي بشابة فرنسية قصد "إصلاح" دراجتها فيما كان أفراديترصدون له فأطلقوا عليه عبارات نارية قضت على حياته في الحين، وذلك يوم الجمعة 26 صفر عام 1375 / 14 أكتوبر 1955. لذلك قررَّت منظمة الهلال الأسود للمقاومة تصفية أحد أبرز أعضاء "لابريزانس فرانسيز" المدعو "كازانوڤا" (Casanova)، وكذا تصفية مهندس فرنسي بزنقة "سواسون" فتجند للعملية اعمامو الزياني وأحمد رزقي ورشيدي عبد السلام المعروف بـ "بوعزة".

من شهادة حسن ثابت الحداوي ابن أخت صاحب الترجمة ؛ م. وحيد، *مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء، 1952 - 1956*، أطروحة دكتوراه، مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 2001.

محمد وحيد

**سان لوسيان** Saint Lucien (1867 - 1938) هو ثالث المقيمين العامين الفرنسيين في المغرب، تخرج محاميا، ثم التحق بسلك الادارة الداخلية ليمارس وظائف البريفهات Préfet، وهم ولاة المقاطعات وهناك عبر التراب الفرنسي، إلى أن أسندت إليه سنة 1921 وظائف الإقامة العامة في تونس حيث قضى أزيد من ثمان سنوات، تميزت بتصديه للحركة الوطنية التونسية وهي في طور النشأة الأولى بزعامة حزب الدستور القديم. وكان من ذلك أن ألزم زعيمي الحزب وهما عبد العزيز الثغالبي وأحمد توفيق المدني بمهاجرة تونس. وتصدى لما كان يرومه الباي محمد الناصر في أبريل 1922 من فتح باب التفاوض مع الدولة الحامية لإشراك النخبة التونسية في تسيير شؤون بلادها. ولما توفي الباي المذكور بعد ذلك ببضعة أسابيع (يوليوز 1922)، سعى لوسيان سان سعيا حثيثا في مبايعة الباي محمد الحبيب الذي كان أداة طيعة في قبضته. وتمكن من خلال من حكم القطر التونسي بشكل مطلق فمكن المعمرين من مزيد من الأراضي التونسية الجيدة. ولذلك أضحى مذكورا بلسان التنويه في الأوساط الاستعمارية إذ كان النجاح حليفه في كل ما رام في الحماية التونسية، وبخاصة بعد سنة 1926، عندما وقعت الحركة الوطنية التونسية في فترة الانتقال من نضالات حزب الدستور الأقدم في طليعة العشرينات إلى نضالات حزب الدستور الجديد برئاسة الحبيب بورقيبة في طليعة الثلاثينيات. ونشطت الحركة الاقتصادية في البلاد، فظن المسؤولون الفرنسيون أن لوسيان سان يستطيع أن يقوم في المغرب الأقصى بما قام به في المغرب الأدنى، فوقع الاختيار عليه في مطلع سنة 1929 ليخلف تيودر سطيك في الإقامة العامة في المغرب.

وحل لوسيان سان بالرباط، وفي مقدمة ما يحمل من التعليمات أن ينهي أعمال الپّاسفيكاسيون فيقضي على ما ظل حيا نشيطا من المقاومة المغربية في ثنايا الأطلس الكبير وفي فيافي التخوم الصحراوية سواء منها تلك المتاخمة للجزائر أم الأخرى الجنوبية لموريطانيا، وذلك لأن العلاقات الدولية غدت لا تنذر بخير بعد فشل المباحثات الفرنسية الألمانية. وبات من مصلحة فرنسا أن تتمكن جيوشها من كل شبر شبر من التراب المغربي وتجعل حدا للضربات الموجعة التي ظلت المقاومة المغربية تلحقها بها، مثل الكمين الذي قتل فيه الجنرال كلافري Claverie جنوب فجيج في خريف سنة 1928، أو معركة آيت عقوب، قرية على بعد أربعين كيلومتر غربي مدينة الريش، في يونيه 1929، وذلك شهوراً معدودات بعد احتلال لوسيان سان لمنصب المقيم العام. وقد تصدى لقمع كل ذلك والانتقام منه وإتمام أعمال الباسفيكاسيون بكل ما كان لديه من الجيوش. واستصحب معه لتنفيد تعليمات حكومته الكولونيل نوكيس، وذلك بإشارة من المارشال ليوطي، وجعله رئيس ديوانه العسكري ومدير الشؤون الأهلية في آن واحد، مكلفا بأمر تنسيق عمليات الپاسفيكاسيون. والتف من حول نوكيس مجموعة من الضباط البسامين ممن كان من فريق ليوطي مثل هوري Huré وكاترو Catroux وجيرو Giraud ولوسطال Loustal. ووضعت خطة محكمة لتطويق المجاهدين ومطاردتهم، انطلاقا من التخوم المغربية الجزائرية وحملهم على اللواذ بأوعار الأطلس الكبير وجبل صغرو، ثم محاضرتهم بين الأطلس الصغير والساقية الحمراء

ليستسلموا. وتطلب ذلك ما لا يقل عن أربع سنوات. وكان للوسيان سان أن يفتخر بأن نيران الجهاد كانت على الانطفاء التام يوم انتهت مهمته في الرباط في يوليوز 1933.

بيد أنه لم يفلح في ذلك إلا بعد إشعال فتيل الحركة الوطنية التي كان لا ذكر لها قبل تعيين لوسيان سان في الرباط. حتى إذا تقلد منصب المقيم العام وانكب يشتغل بإتمام عمليات الباسفيكاسيون، فرأى أنه قد يغري المجاهدين المغاربة الذين كان جلهم من القبائل الأمازيغية باستصدار ظهير يعرف في تاريخ المغرب المعاصر بالظهير البربري (16 ماي 1930)، ومن مقتضياته إقرار الأعراف القانونية والعمل بها، وفصل القبائل الأمازيغية عن سلطان الشريعة الإسلامية وحكم الإمام، وإحالتها على القضاء الفرنسي في الاستئناف، والسعي في التفرقة بين العرب والأمازيغ في المغرب، وضرب هؤلاء بؤولائك حفاظا على مصالح الاستعمار. ولكن الحركة الوطنية المغربية الناشئة تصدت لتلك المؤامرة بكل ما يكون في الكائن الناشئ من الإقدام والفتوة والحماس. وعرفت كيف تفضح سياسة لوسيان سان في الداخل وفي الخارج مستغلة كل وسائل التشهير والتنكير، سيما وأن وجود سان على رأس الإقامة العامة جاء مواكبا لحملة التنصير والتبشير بالمسيحية التي تزعمتها أسقفية الرباط. ووجد ليوسان سان نفسه مضطرا للتنديد بها، دون جدوى. كما حاول أن يشغل الرأي العام المغربي بالزيارة الرسمية التي قام بها للمغرب رئيس الجمهورية الفرنسية كاسطون دومرك Gaston Doumergue. ولم يكن ذلك ليغطي على ما أصبح المغاربة يعانون منه من جبروت الاستعمار واستحواذ المعمرين على خيرات البلاد في الوقت الذي صارت أثار الأزمة الاقتصادية العالمية تعمل عملها في الأسواق المغربية، فلم يستطع لوسيان سان لا أن يسعف المعمرين الذين وقعوا في الضائقة ولا أن يسكت صوت الحركة الوطنية المغربية الناطقة بما أصبح للجماهير المغربية من الوعي بمصالحها. ولذلك انتهى عمل لوسيان سان في المغرب بالفشل الذريع فأحيل على المعاش وحل محله هانري بونصو (ينظر في مكانه من هذه المعلمة).

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة، د. ت؛ م. حسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، بيروت، 1982، 6 مجلدات.

R. Letourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane, 1920 - 1961*, Paris, 1962 ; J. Berque, *Le Maghreb entre deux guerres*, Paris,1962 ; L. Cerych, *Européens et Marocains 1930 - 1956 : sociologie d'une décolonisation*, Bruges, 1964 ; A. Mahjoubi, *Les origines du mouvement national tunisien, 1904 - 1934*, Tunis, 1982 ; C.R Ageron, *Politiques coloniales au Maghreb,* Paris, 1973 ; G. Lufuente, *Le Dahir Berbère* ; D. Rivet, *De Lyautey à Mohammed V.*

إبراهيم بوطالب

**سانت اكروز** دي كاپو دي گي Santa Cruz de Cabo de Gué أي الصليب المقدس الذي بقرب راس غير، قلعة شيدت من طرف الدولة البرتغالية في إطار التنافس القائم بين هذه الدولة وجارتها الإسبانية على الجزء الجنوبي من الساحل الأطلنتي المغربي. وفي إطار ذلك، استغل البرتغال العرف السائد في العلاقات الدولية آنذاك والذي ينص على أن كل من وطئ أرضا قبل الآخر، له الحق في احتلالها، ليربط علاقات تجارية مع أهل ماسة منذ سنة 850 / 1447، وتبع ذلك فتحه وكالة تجارية (Factorerie) سنة 902 / 1497 بموضع منحته قبيلة أهل ماسة للملك البرتغالي دون منويل (900 / 926 - 1495 / 1521) مقابل حمايته للقبيلة وفتحه للموانئ المغربية الخاضعة له في وجه

تجارتها. وتقع الوكالة التجارية السالفة الذكر عند قدم تل يتراوح ارتفاعه ما بين 250 و300 مترا وبالموضع ذاته، عيون ثرة يفوق عددها الخمسة، واجدير وسوق أسبوعي ينعقد كل يوم أربعاء، فعرف المكان من أجل ذلك أيضاً بأجدير الأربع.

وفي سنة 910 / 1505 قرر النبيل البرتغالي Joao Lopes de Sequeira إنشاء قلعة خشبية أطلق عليها اسم : سانت اكروز دي كاپو دي گي مكان الوكالة التجارية، لوضع حد لهجمات حاكم جزر كناريا الإسبانية، وهو هجوم كانت تتصدى له قبيلة أهل ماسة المرتبطة بالولاء مع السلطة البرتغالية وكذا لحماية قوارب الصيد الرابضة بالساحل وسانت كروز هذه عرفت عند المغاربة باسم : دار البرتغال أو دار الرومية أو اجدير لربع. وتطابق الدار ذاتها الموضع المعروف أيضا باسم فونتي Fonte أي العين. وأخذت هذه الدار شكل قلعة كانت بمثابة وكالة تجارية ومركز إداري وعسكري يكون منطلقا للتوسع وشن الغارات ضد القبائل المجاورة لإرغامها على الخضوع وأداء الإتاوات.

وفي يوم 25 يناير918 / 1513 ، اشترى الملك البرتغالي دون منويل قلعة سانت كروز وأصبح يحكمها

باسمه الدون فرانسيسكو دي كاسترو Dom Francisco De Castro الذي تحالف مع قبيلة هكسيمة فاستقرت حول أسوار القلعة لتكون درعا خلفيا واقياً لها. واستمر تعاقب الحكام على سانت كروز بعد ذلك إلى أن سقط البرج في يد المغاربة.

عرفت قلعة سانت اكروز حركة تجارية هامة إذ روجت عبرها سلع مختلفة شملت التوابل والأقمشة والقبعات والصمغ، إضافة إلى الذهب والفضة والجواهر والرقيق والنحاس والقمح والجوز والتمور وجلود الماعز. وكان للعمل النقدي أهمية كبرى بالمركز إذ أن مقايضة الفضة بالذهب جعلت الدولة البرتغالية تحقق ربحا ناتجا عن تباين قيمة المعدنين الثمينين بالمرفأ. ولمنافسة مركز سانت اكروز انشأ السلاطنة السعديون مراكز تجارية بتامراخت وتافتنا وتاكوكو وخفضوا الضرائب الجمركية بها قصد جلب التجار المتضررين من الاحتكار التجاري الممارس من طرف البرتغال. وأهم ما كان يتبادل به السعديون بمراكزهم التجارية هي الأسلحة.

هذا الوجود المسيحي بالجنوب المغربي وما خلفه من اضمحلال لتجارة القوافل تأزمت على إثرها الأوضاع بالعالم الإسلامي ككل، حرك الهمم لشن حركات جهادية مستمرة شاركت فيها نساء المنطقة اللواتي عملن على تسهيل عملية اغتيال الحكام المتعاقبين على الحصن فيما بين سنوات 939 - 959 / 1524 و1533. وللغرض ذاته أنشأ الأمير السعدي محمد الحران قرية محصنة لمحاصرة القلعة البرتغالية (14 جمادى الأولى 946 / 16 شتنبر 1540) في قمة المرتفع المسمى : البكو O Pico (القمة) المقابل للحصن البرتغالي. وزود المغاربة القرية المحصنة بالمدافع الثقيلة خاصة تلك المسماة بالميمونة. وبعد حصار استغرق سبعة أشهر سقط الحصن في يد المغاربة يوم 15 قعدة عام 947 / 12 مارس 1541، فأسس محمد المهدي الشيخ مكانه مدينة أگادير، ومن ثم ظلت الحركة التجارية دون منافس بأگادير إلى أن أسس السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله سنة 1186 / 1773 ميناء الصويرة.


أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور*، تح. م. رزوق، الرباط، 1986 ؛ *العنصر العربي والمجال في مغرب*، 1459 - 1541، بادية الواجهة الأطلنطية نموذجا، ص. 219 - 220 - 235 - 246 - 247.

*Chronique de Santa Cruz du Cap de Gué*, Texte portugais du XVI siècle traduit et annoté par Pierre de Cenivel, Paris, 1934, p. 38, 105 ; *Encyclopédie de l'Islam*, nouvelle édition, *S.I.H.M*, *Portugal* 1, p. 234... 239 + troisième impression, p. 252 et 253.


حليمة بنكرعي

**سان - روني طايانديه** جورج Saint-René Taillandier Georges موظف من موظفي السلك الديبلوماسي الفرنسي، التحق بالإدارة السياسية في وزارة الخارجية سنة 1876 بعد الحصول على الإجازة في الحقوق والآداب. تقلب على عدة مناصب فألحق بسفارة فرنسا في روما سنة 1877، ثم بسفارة لوندن سنة 1881 ليعود إلى الإدارة المركزية سنة 1882، قبل أن يلحق بالقنصلية الفرنسية في مصر سنة 1884. ومن هنالك عاد إلى باريس ليترأس مكتب الحمايات الفرنسية في آسيا سنة 1887 قبل أن يعيّن قنصلا في مونشين أو مونيخ في ألمانيا سنة 1887، ومنها انتقل إلى بيروت سنة 1891 ليعود إلى باريس للعمل في الإدارة السياسية ابتداء من سنة 1895. وفي يونيو 1901 أسند ديلكاسي إليه مفوضية فرنسا في المغرب خلفا لرفوال Révoil الذي عيّن واليا عاما على الجزائر ليعمل معه على وتيرة واحدة لإحكام النفوذ الفرنسي في المغرب بناء على خطة التسرب السلمي.

قضى سان - روني طايانديه أزيد من خمس سنوات في المغرب، كانت حاسمة لوضع اللبنات الأولى للحماية الفرنسية. وإن ما كان يرفع من التقادير لحكومته ليعتبر من الوثائق التي لا غنى عنها لمن يريد أن يقف على مراحل التسرب الفرنسي وعلى أحوال المغرب في عهد المولى عبد العزيز وجهوده للتملص من الحصار الفرنسي، منها مالم ينشر، ومنها ما نشر في سلسلة الوثائق الديبلوماسية، هذا فضلا عن الكتاب الذي وضعه سان - روني طايانديه نفسه سنة 1930 تحت عنوان : "أسس المغرب الفرنسي، أو قصة بعثة ديبلوماسية"، الذي يتتبع القارئ فيه مساعي هذا الديبلوماسي لفرض النفوذ الفرنسي على سلطان المغرب، في الوقت الذي كان رئيسه الوزير ديلكاسي يمهد لإبرام الاتفاق الودي مع إنجلترا لاقتسام المغرب مع إسبانيا.

وقد استُقبل سان - روني طايانديه من لدن المولى عبد العزيز أول مرة في الرباط في مطلع سنة 1902، ليحتج لديه على ما صار يبدو من النفوذ لإنجلترا في مشاريع الإصلاحات المغربية على يد بعض وكلائها في المغرب أو بعض أعضاء المخزن المنحازين لجانبها مثل وزير الحرب المهدي المنبهي. ومما قال له على ما جاء في مذكراته : "بأننا نحترم استقلاله (يعني السلطان) تمام الاحترام، ولكننا لا يمكن أن نغض الطرف عن تنازله عن أدنى جزء منه لفائدة قوة أجنبية أخرى". وكان المولى عبد العزيز يومئذ في طريقه إلى فاس. وما أن استقر بها حتى تفاقمت أحوال البلاد الداخلية بما كثر من النكير على تصرفات السلطان المستفزة لمشاعير رعية قلقة نافرة متزمتة، وبما نتج عن تلك الأجواء من فتنة الجيلالي الزرهوني المدعو بوحمارة. وكان من نتائج ذلك، إقدام الحكومة الإنجليزية على التخلي لفرنسا عن المغرب، شريطة أن تتنازل فرنسا عن شواطئه الشمالية المتوسطية والجنوبية الصحراوية لإسبانيا، وذلك في أبريل 1904. وما أن تم هذا الاتفاق حتى أوفد سان - روني طايانديه الكاتب الأول للمفوضية سانتولير

Saint-Aulaire إلى فاس رفقة مبعوث بنك باريس والأراضي المنخفضة، للتفاوض مع المولى عبد العزيز بشأن القرض المالي الأجنبي الذي كانت الخزينة المغربية في أشد الحاجة إليه، علما بأن الحكومة الفرنسية كانت تواقة إلى فرضه على المغرب بشروط كلها دروب مفضية إلى قلب السيادة المغربية. وانعقدت صفقة القرض في شهر يونيو 1904. وبات الطريق مفتوحا أمام سلتريني طايانديه ليرحل من طنجة إلى فاس لإملاء شروط الإصلاح الاستعماري على السلطان. واستطاع المولى عبد العزيز من أن يرجئ موعد رحلة المبعوث الفرنسي، متذرعا بما جرى من احتلال عين بني مطهر على الحدود الشرقية في يوليوز من نفس السنة ظلما وعدوانا، وإبرام الوفق السري الفرنسي الإسباني لاقتسام النفوذ في المغرب (أكتوبر 1904). وقد استنكر سلتريني طايانديه هذا الوفق بمرارة، لأنه أجج من نفور السلطان من كل تعامل مع الفرنسيين، فقال : "كان من سوء حظنا أننا أبرمنا اتفاقية مع إسبانيا من شأنها أن تنفره فينا سواء أقررنا بها أم سكتنا عنها لدى المخزن". وذلك ما حصل بالفعل يوم حل سلتريني طايانديه مدينة فاس لحمل المولى عبد العزيز على الإذعان للحماية الفرنسية، مفاوضة على الطريقة التي أمليت بها الحماية الفرنسية على تونس قبل ذلك بربع قرن. وكان سلتريني طايانديه ينوي أن لا يقضي في فاس سوى بضعة أسابيع لإمضاء الأمر. لكنه أقام ضيفا على المخزن تسعة أشهر، انتهت بفشل مهمته وبإرجاء موعد الحماية سبع سنوات أخرى. ذلك بأن المولى عبد العزيز عامل البعثة الفرنسية بمثل ما ظلت تعامله بها من المراوغات والمناورات داخل المغرب وخارجه. ففي الداخل، استدعى السلطان نخبة من وجوه الأمة من كل الجهات لاستشارتهم في مقترحات السفير الفرنسي. وكانت تدور حول قضايا الإصلاح العسكري ليتمكن الضباط الفرنسيون من الإمساك بناصية الجيش المغربي، وحول بعض الإصلاحات الاقتصادية المرتبطة بتيسير أسباب التصدير والاستيراد في الموانئ المغربية، وحول إصلاح الشؤون المالية بقصد ضبط المداخيل الجبائية والجمركية وإقامة بنك مخزني يتصرف بكل ذلك ويراقب دخل الدولة ونفقاتها. وقد استمرت الجلسات بين سلتريني طايانديه والمستشارين المغاربة المصحوبين بالوزراء منذ أواخر يناير إلى بداية شهر مارس سنة 1905 فيما كان يشبه حوار الصمّ. حتى إذا كان 31 مارس من نفس السنة، ونزل الإمبراطور الألماني بطنجة، وصرح بأن المغرب دولة مستقلة موحدة السيادة والتراب تحت قيادة سلطانها المولى عبد العزيز، عندئذ انتهت بعثة سلتريني طايانديه إلى الدرب المسدود بما كان من تأزم العلاقات بين فرنسا وألمانيا، وضرورة الاحتكام إلى مؤتمر دولي لفك النزاع بينهما بشأن المغرب.

وقد امتعض المبعوث الفرنسي من فشل مهمته أيما امتعاض. وأبى إلا أن ينتقم من المخزن باحتجاج صارم، جاء فيه : "لا سبيل إلى أن يتوسط بين الحكومة الفرنسية والحكومة المغربية أي قوة ثالثة، مثلما أنه لا سبيل إلى أن يقوم بين فرنسا الجزائرية والمغرب أي بلد، ذلك بأن فرنسا تصاقب المغرب بمفردها [...] والمخزن على بينة مما يلزمه من هذا الجوار من الواجبات التي لم يمتثل إليها [...] فهو من الآن فصاعدا على بينة مما قد يتعرض إليه إذا ما رام كل ما من شأنه أن يمس بحقوق فرنسا بشكل من الأشكال". لهجة الوعد والوعيد الدالة على خيبة أمل سفير فشل في مهمته، فقضى الشهور الأخيرة من مقامه في فاس يبحث عن كيفية إهانة المخزن المغربي وإبداء قوة فرنسا ونفوذها أمام أنظار الشعب المغربي.

تجلى ذلك في قضية المدعو بوزيان الملياني، وهو من أصل جزائري، قبض عليه بعض قياد المخزن لجناية جناها، وأراد أن يطبق عليه مقتضيات الشريعة الإسلامية بحكم أنه من عامة المسلمين. لكن سان - روني طايانديه أبى إلا أن يهوّل القضية، ويلزم المخزن بإطلاق سراح الجاني، على اعتبار أن الرعايا الجزائريين في المغرب لاينظر في جناياتهم إلا القنصليات الفرنسية، بل ألزم المخزن بعزل القائد المغربي الذي أمر بسجن الملياني المذكور وبتقديم رسالة اعتذار للمبعوث الفرنسي الذي أراد بذلك أن يغطي على فشل مهمته الأصلية وأن يبدي قدرته على استعراض عضلات دولته حيال دولة مستضعفة تتلاطمها أمواج الأطماع الأمبريالية. ولم يغادر سان - روني طايانديه فاس إلا يوم 26 أكتوبر 1905 وقد تقرر تعويضه في طنجة بأوجين رينيو.

أما هو فقد أسندت إليه سفارة في البرتغال فاشتغل بها إلى أن أحيل على المعاش سنة 1912. ومما يذكر من أمره أنه تطوع جنديا من عموم الجنود للقتال على الجبهة عندما اندلعت الحرب العالمية سنة 1914. كما يذكر أن زوجته التي رافقته إلى فاس كانت هي أخت الكاتب أندري شفريون André Chevrillon فاستدعته للحاق بها إلى العاصمة المغربية، وترتب على تلك الزيارة السياحية كتابه الشهير بعنوان : "فاس أو صورة من غسق الإسلام"، الذي يعتبر نموذجا من الكتابات المشوهة لبعض أحوال المجتمع المغربي لإثبات حاجته إلى النظام الفرنسي، ولزوجة طايانديه من جهتها مذكرات عن طنجة فيما بين 1901 و1906، تصوّر لحياة المدينة يومئذ وللصالونات الديبلوماسية فيها، ولاشك أن كليهما ورثا سيولة القلم من خالهما الفيلسوف الفرنسي الذائع الصيت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر هيبوليت طين


ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومات بالمغرب*، 1894 ـ 1910، حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، إفريقيا الشرق، 1990.

*Annuaire diplomatique de France*, 1912 ; *Documents diplomatiques français, Affaires du Maroc, 1901 - 1912*, Paris, 1905 - 1913 ; Saint-René

Taillandier George, *Les origines du Maroc français, Récit d'une mission*, Paris, Plon, 1930 ; Charles-Roux François et Caillé Jacques, *Missions diplomatiques françaises à Fès*, Paris, 1955.

إبراهيم بوطالب

**سانشو الرابع** Sancho IV ملك قشتالة، ويسمى في المصادر العربية بأسماء عدة منها : سانجة، شانجة، سانشو، شانجور دون جانجة، أما المصادر الإسبانية فتشير إليه باسم Sancho IV يعد سانشو هذا أحد أبناء الامبراطور القشتالي الفونسو العاشر الملقب بالحكيم Alfonso El Sabio (651 / 1252 ـ 683 / 1284) والمعروف عنه مؤرخي الغرب الإسلامي باسم الفونش بن هرانده.

ظهرت شخصية الأمير سانشو على مسرح الأحداث السياسية بقشتالة إثر تزعمه الثورة ضد والده سنة 681 / 1282، وهي الثورة التي نتجت عن الأزمة السياسية الخطيرة التي هزت البلاط القشتالي بعد احتدام الصراع بين الأمير سانشو وأخيه الأمير الفونسو المعروف بذي العرف Alfonso de la Cerda حول خلافة والدهما الفونسو العاشر العجوز. غير أن الثقة والافضلية اللتين حظي بهما الأمير الفونسو من طرف والده أثارت حفيظة سانشو واججت الحقد في قبله الشيء الذي دفعه إلى استقطاب مناصريه وتكوين حلف يضم معظم النبلاء بالإضافة إلى صاحب غرناطة محمد الفقيه ابن الأحمر (671 / 1270 ـ 701 / 1300). وأمام استفحال تمرد سانشو وتزايد مؤيدي حركته لم يعد للفونسو العاشر الذي ضاق الخناق حوله إلا طلب مساعدة قوة خارجية، ولم يجد أمامه إلا الاستنجاد بملك المغرب أبي يوسف يعقوب المريني الذي كان يتزعم آنداك أكبر قوة عسكرية في غرب البحر المتوسط. وقد أشارت وثيقة مغربية وهي عبارة عن رسالة موجهة من يعقوب المريني (656 / 1258 ـ 685 / 1286) إلى ملك فرنسا فيليب الثالث الملقب بالجسور Philippe III le Hardi (671 / 1270 ـ 684 / 1258) والمؤرخة بـ 20 رجب 681 / 24 أكتوبر 1282، أشارت إلى موافقة السلطان المغربي وكذلك إلى طبيعة المساعدات العسكرية التي قدمها لملك قشتالة بهدف استرجاع ملكه وإعانته على قمع عصيان ولده دون سانشو. وقد حرص يعقوب المريني في رسالته على توضيح طبيعة تدخله الذي يندرج حسب رأيه في إطار ما يراه واجبا تمليه عليه مبادئه الاخلاقية كسلطان وكأب لا يسمح بمثل هذا العقوق. كما بين أن تلك المساعدات ليست لأغراض ضد فرنسا وأن على فيليب الثالث المساهمة بدوره في إنهاء المحنة التي حلت بالفونسو العاشر بحكم القرابة التي تجمع بينهما والمتمثلة في زواج ابن هذا الأخير، الأمير دون فيردناند Don Ferdinand من الأميرة Blanche أخت الملك الفرنسي فيليب الثالث.

وبناء على دعوة الملك القشتالي تحرك يعقوب في حملة عسكرية إلى الأندلس سنة 681 / 1282 والتقى الفونسو العاشر بصخرة عباد وطلب هذا الأخير من السلطان المغربي أن يقرضه مبلغا من المال يستعين به على حرب ولده. وقد وافق السلطان على ذلك وأعطاه مائة ألف دينار رهنه ملك قشتالة فيها تاجه الموروث عن سلفه، وهو نفس التاج الذي بقي في حوزة بني مرين حتى نهاية القرن الثامن (14 م) وبالضبط حتى عهد ابن خلدون الذي شهد بذلك، إلا أن مصيره بعد هذا التاريخ بقي مجهولا. وقد تمكن الحلف المغربي القشتالي من دحر خطر تورة سانشو واستعادة الهدوء والاستقرار إلى الكثير من المناطق الأندلسية.

وفي سنة 683 / 1284 توصل السلطان يعقوب أثناء تمهيده لأحواز مراكش، بخبر وفاة الفونسو العاشر واجتماع النبلاء والخاصة على ابنه سانشو وإعلانهم إياه الوريث الشرعي وملك مملكة قشتالة وزعيم النصرانية والمدافع عن المسيحية ضد السلطان المريني. وبالرغم من النوايا السلبية التي أبان عنها تعيين سانشو على عرش قشتالة فإن يعقوب المريني لم تمنعه مع ذلك لباقته الدبلوماسية وحنكته السياسية من أن يتريت وأن يبعث بسفارة عنه إلى إشبيلية لتهنئة الملك الجديد وتعزيته في وفاة والده. وبالرغم من محاولات السلطان في تلطيف الأجواء السياسية بين الطرفين وإشاعة السلم في المنطقة فإن أطماع سانشو كانت كبيرة ونيته في الاستحواذ على بلاد الإسلام بالأندلس كانت واضحة منذ البداية خاصة بعد إعلانه شن حروب الاسترداد Reconquisto بايعاز ومباركة الكنيسة. وهذا المنحى الخطير في سياسة سانشو لم يترك الخيار ليعقوب بأن يستنفر جيوشه ويعلن الجهاد ضد قشتالة. وفعلا تمكنت الجيوش المرينية من العبور إلى الأندلس في شهر صفر من سنة 684 / أبريل ـ ماي 1285 وتكشيف حملاتها العسكرية والسيطرة على الموقف العسكري في جزء كبير من المواقع والمدن الرئيسية التي تفصل بين مملكة غرناطة ومملكة قشتالة خاصة طريف ووادي لك وشريش وركش ولبلة وقرمونة واستجة وجبال الشرف وغيرها، بل واستطاعت هذه الجيوش تهديد العاصمة إشبيلية ومحاصرتها إلى حلول فصل الشتاء. وقد اضطر سانشو أمام قوة وهيمنة الجيش المغربي على الميدان إلى تغيير سياسته الحربية والاعتماد على خلق ثغرات وراء التحصينات المغربية وذلك بقطع الامدادات والمؤن عن الجيش المغربي والتي كانت تصله من السواحل المتوسطية المغربية والأندلسية وارسال اسطوله الحربي لاحتلال مضيق جبل طارق (الزقاق) واعتراض السفن المغربية. وقد أدت هذه السياسة إلى نشوب مواجهة بحرية عنيفة بين الأسطولين المغربي والقشتالي انتهت باندحار النصارى.

بعد هذه المواجهات أدرك سانشو وكبار قومه مدى قوة وصلابة الجيش المغربي وأنه لا جدوى في محاربة السلطان يعقوب وبالتالي فإن اللجوء إلى السلم والمهادنة يبقى

السبيل الوحيد في هذه الظرفية للتقليل من الخطر الذي أصبح يهدد قشتالة خاصة بعد التحاق كثير من معارضي سانشو كالفونسو ذي قزمان Alfonso de Guzmán بالمغرب وانضمامهم إلى صف يعقوب في مواجهة عدوهم المشترك. وفي هذا الاتجاه بعث سانشو الرابع وفدامهما يتكون من النبلاء والبطارقة والرهبان وكبار النصرانية إلى أمير المسلمين يعقوب المرابط بالجزيرة الخضراء يطلبون السلم وانهاء الحرب وعقد الهدنة. وبعد أخذ ورد قبل السلطان عقد مهادنة بينه وبين ملك قشتالة على أساس مجموعة من الشروط أبرزها : مسالمة المسلمين كافة والوقوف عند مرضاته في ولاية جيرانه من الملك أو عداوته، رفع الضريبة عن تجار المسلمين بدار الحرب من بلاده، ترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم في فتنة. وبعدما عرضت هذه الشروط على سانشو وافق عليها مباشرة وتم التوقيع على المهادنة بالقرب من وادي لك بحضور الملكين يوم الأحد 20 من شعبان عام 684 الموافق 21 أكتوبر 1285. وقد استغل يعقوب هذه المناسبة ليطلب من سانشو أن يسلمه عدداً من المخطوطات العربية التي استولى عليها النصارى قبل هذا التاريخ من بلاد المسلمين بالأندلس، وبذلك تمكن المغرب من استعادة حوالي 13 حملا من الذخائر والنفائس العلمية والأدبية والدينية على رأسها *مصاحف القرآن* وتفاسيره كتفسير ابن عطية و*تفسير الثعالبي*، وكتب الحديث وشروحها *كالتهذيب والاستذكار*، وكتب الأصول والفروع واللغة العربية والأدب وغيرها. فأمر السلطان بحملها إلى عاصمة ملكه مدينة فاس حيث حبسها على المدرسة التي أسسها لطلبة العلم هناك بساحة الصفارين.

بعد حوالي خمس سنوات من الهدنة والسلم بين المغرب وقشتالة عرفت المنطقة خلالها وفاة ثلاثة من كبار محركي الأحداث فيها، الفونسو العاشر ملك قشتالة وبيدرو الثالث ملك أراغون ثم يعقوب المريني ملك المغرب، وقد سمح هذا الغياب ببروز قيادات جديدة لعبت أدواراً أساسية فيما ستشهده منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط من تطورات جديدة على المستوى السياسي والعسكري. فالسلطان الجديد أبو يعقوب يوسف الذي خلف والده يعقوب سنة 685 / 1286 اشتغل كثيراً بالجبهة الشرقية وركز كل جهده على صد التهديدات المتواصلة لبني عبد الواد أصحاب تلمسان على المغرب، وفي الجانب الآخر عاد سانشو الرابع من جديد إلى سياسته القديمة المعتمدة على تصيد الفرص واستغلال انهماك السلطان المغربي بمشاكله الداخلية والمغاربية على السواء ليعلن عن أطماعه ورغبته في توسيع مجال نفوذ مملكته على حساب بلاد الإسلام وليبادر سنة 689 / 1290 إلى تنظيم حملته عسكرية كاسحة على المناطق الإسلامية المحادية لقشتالة. وهذا التحول الجديد فرض على يوسف المريني أن يحارب على عدة جبهات، فدخل في مواجهتين بحريتين مع الأسطول القشتالي سنة 690 / 1291، فشل في الأولى وتمكن في الثانية من السيطرة على المضيق والعبور إلى أرض العدو ومحاربة جيوش سانشو بمناطق طريف وشريش وإشبيلية إلى أن داهمه مرة أخرى فصل الشتاء وقلت المؤن والدخائر وعاقه ذلك عن متابعة حملته فاضطر للعودة إلى المغرب فاتح سنة 691 / 1292 تاركا وراءه الأندلس لتلقى مصيرها في مواجهة الخطر المسيحي. على إثر هذا التراجع المغربي أحس سانشو بأن موازين القوى الآن اختلفت عن السابق وأن الظروف مهيأة أكثر لتنفيذ مشروعه القديم، فعزم على تكوين حلف مناوئ للمغرب جمعه بحليفه القديم محمد الفقيه صاحب غرناطة وضمن دعم القوى الأخرى كتلمسان والبرتغال وحياد فرنسا وأراغون، وذلك من أجل منع الجيوش المغربية من الجواز مرة أخرى إلى الأندلس. وكانت الخطوة الأولى تركيز سانشو لهجوماته العسكرية على مدينة طريف في الوقت الذي يضطلع فيه حليفه ابن الأحمر بمده بالمدد والميرة مدة حصاره لها وذلك مقابل أن يسلمها إياه عند استيلائه عليها. وبعد طول محاصرتها براً وبحراً عزلها عن الامدادات المغربية مدة أربعة أشهر دب الوهن والجهد في نفوس وأجساد الحامية المرينية في داخل المدينة، وأصاب أهلها الفناء فأجبروا على مراسلة ملك قشتالة وطلبوا منه فك الحصار عنهم والنزوع إلى الصلح مقابل تنازلهم له عن البلد. فكان ذلك بداية استسلام المدينة وتملك سانشو لها نهاية شهر شوال من سنة 691، وقد خلد النصارى هذا الحدث إذ لازالت هناك لوحة مثبتة بأحد أبواب مدينة طريف المعروف بباب شريش. وهو آخر ما تبقى من آثار عربية في هذه المدينة، وقد كتب على هذه اللوحة ما ترجمته : "مدينة طريف عظيمة الشرف، ذات ولاء وبسالة وافرين، استولى عليها من يد العرب سانشو الرابع الشجاع في 21 شتنبر عام 1292". لا يمكن فهم حدث استيلاء سانشو على طريف إلا إذا وُضع في إطار ظرفية ساهمت إلى حد كبير في سقوط المدينة الإسلامية. ففي هذا التاريخ تزايدت أطماع دول المنطقة خاصة المسيحية وأبانت عن رغبتها في الهيمنة على مضيق جبل طارق، وكان من أبرز انعكاسات هذه الظرفية الاتفاق السري الذي أبرم بين مملكة أراغون في شخص خايمي الثاني ومملكة قشتالة في شخص سانشو الرابع سنة 690 / 1291 بمباركة من البابا وهو المعروف باتفاق مونتياگودو Pacto de Monteagudo الذي ينص على اقتسام النفوذ بينهما على بلاد المغرب، فتكون المنطقة الممتدة من المحيط إلى وادي ملوية تحت نفوذ قشتالة، وتعود المنطقة الممتدة من وادي ملوية إلى إفريقية إلى نفوذ مملكة أراغون. ومن البنود التي تم الاتفاق عليها أيضاً التزام خايمي الثاني بتقديم مساعدات عسكرية لسانشو في حربه ضد السلطان المغربي في الوقت الذي كان فيه ملك أراغون يظهر للعيان بمظهر الوسيط المسالم الذي يرغب في تقديم خدماته لحل الخلافات

بين ملك المغرب وملك قشتالة بنية الحفاظ على مصالح بلاده التجارية في المنطقة. إلا أن تنكر سانشو للوعد الذي أعطاه لابن الأحمر بتسليمه مدينة طريف قد دفع هذا الأخير إلى تغيير موقفه السابق والانسحاب من تحالفه مع قشتالة والعودة إلى صف المغرب لعقد تحالف سياسي جديد سنة 692 / 1293 قادر على مواجهة الحلف المسيحي واسترجاع مدينة طريف إلى حظيرة الإسلام. وقد كان لهذا التحول في التحالفات دور كبير في انهيار اتفاق مونتياگودو أو على الأقل تأخير مفعوله إلى وقت آخر. وبعد فشل المحاولات الأراغونية في التوسط بين فاس وإشبيلية اندلعت الحرب من جديد سنة 694 / 1295 استمات فيها الجيش القشتالي وسجل حضوره بقوة بينما ظهر الخلل عميقا في حصار الجيش المغربي لمدينة طريف، أدرك السلطان يوسف حينها صعوبة الموقف وأحس بقرب الهزيمة واستحالة استرجاع هذا الموقع الاستراتيجي، ففضل الانسحاب ورفع يده كليا عن الأندلس ومشاكلها وترك لابن الأحمر مراقبة مجموعة من الحصون المرينية. وقد انتهز سانشو مرة أخرى هذا التراجع المغربي ليستمر في احتلال الثغور الإسلامية المطلة على الزقاق، فكانت الخطوة التالية بعد طريف السيطرة على الجزيرة الخضراء لإحكام قبضته على المنافذ الرئيسية لعبور الجيوش المغربية إلى الأندلس، إلا أن المرض لم يمهل سانشو الرابع في الذهاب بعيداً بخطته، فمات يوم 25 أبريل 1295 بعد أن قضى حوالي إحدى عشرة سنة في محاولة توسيع مجال النفوذ القشتالي بشبه الجزيرة الإيبيرية على حساب الوجود الإسلامي.


عبد العزيز الملزوزي، *نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك*، المطبعة الملكية، الرباط، 1963، ص. 131 ـ 147 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، دار المنصور، الرباط، 1973، ص. 337 ـ 340 ـ 356 ـ 384 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ج. 1، ص. 561 ـ 564 ؛ *اللمعة البدرية في الدولة النصرية*، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978، ص. 56 ؛ *أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام*، القسم الأندلسي، تح. ليڤي بروڤنصال، المطبعة الجديدة، الرباط، 1934، ص. 332 ـ 334 ؛ ابن خلدون، *العبر*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ج.7، ص. 423 ـ 436 ـ 445 ـ 449 ـ 454 ؛ القلقشندي، *صبح الاعشا*، القاهرة، د. ت.، ج.5، ص. 197 ـ 265 ؛ الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، تح. محمد ماضور، تونس، ط. 2، 1966، ص. 99 ـ 101 ؛ المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، ج. 1، ص. 61 ـ 62 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1955، ج. 3، ص.55 ـ 66 ـ 70 ـ 72 ؛ ماريانو أربياس بالاو، *بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة*، مجلة تطوان، العدد 8، السنة 1963، ص. 192 ؛ عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مطبعة فضالة، المحمدية، 1988، ج. 7، ص. 12 ـ 63 ـ 67 ـ 71 ـ 73 ـ 190 ـ 192 ؛ رشيد السلامي، *وثائق مرينية*، دراسة وتحقيق، رسالة جامعية مرقونة نوقشت بكلية الآداب، الرباط، 1989، ص. 25 ـ 31.

Silvestre de Sacy, *Mémoire sur une correspondance de l'empareur de Maroc Yacoub avec Philippe - le - Hardi*, in *Mémoires de l'académie des inscriptions et Belles Lettres*, nouvelle série, tome IX, 1826, p. 484 - 496 ; Mas-Latrie, *Traités de paix et de commerce et documents divers concernants les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale du moyen âge*, Paris, 1866, Introduction, pp. 142 - 143, *traités*, pp. 96 - 97 ; Morel - Fatio, *La lettre du roy Sanche IV à Alfonso Peres de Guzmán sur la défense de Tarifa*, Bulletin Hispanique, Paris, 1900, T. 2 ; Jiménez Soler, *La Corona de Aragon y Granada*, Barcelona, 1908 ; Ballesteros y Baretta (A.), *Historia de España*, Barcelona, 1922, t. 3, pp. 25, 27, 132 ; M. Gaibrois de Ballesteros, *Historia del reinado de Don Sancho IV*, 3 v., Madrid, 1922 - 1928 ; Ibid., *Tarifa y la politica de Sancho IV*, in *Bolotin de la real academica de la Historia*, Tome 74, 75, 76 et 77, 1919 - 1920, pp. 418 - 436, 521 - 529 ; pp. 349 - 355 ; pp. 53 - 77, 123 - 161 ; pp. 420 - 449 ; *Crónica de Don Sancho IV*, éd. Rosell, Madrid, 1955 ; Giséle Chovin, *Aperçu sur les relations de la France avec le Maroc, des origines à la fin du moyen âge*, in *Hesp.*, T. XLIX, 1957, pp. 283 - 289 ; Ch. E. Dufourcq, *Un projet castillan du XIIIè siècle : la croisad d'Afrique*, *R.H.C.M.*, Alger, 1966, n° 1, pp. 30 - 51 ; Ibid, *L'Espagne catalane et le maghreb aux XIIIè et XIVè siècles*, PUF, Paris, 1966, pp. 202 - 237, 298, 328 - 332, 342 - 346 ; R. Arié, *L'espagne musulmane au temps des nasrides*, Paris, 1973, pp. 71 - 80 ; Charles Julian Bish Ko, *The Spanish and Portuguese reconquest, 1095 - 1492*, in *Studies in medieval Spanish Frontier History*, Variorum Reprints, London, 1980 ; M. Gonzalez Jimenez, *Guzmán El Bueno y su tiempo*, in *Les espagnes médiévales, aspects économiques et sociaux, Annales de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines de Nice*, n° 46, 1983 ; F. García Fitz, *Andalucia en época de Sancho IV*, Sevilla, 1985 ; Ibid, *La defensa de la frontera del Gajo Guadalquivir ante las invasiones benimerines del siglo XIII*, in *Actas del coloquio : Relaciones de la Peninsula ibérica con el magreb siglos XIII - XVI*, Madrid, 1988; Ibid, *La frontera cadellano - Granadina a fines del siglo XIII*, in *IV coloquio de historia medieval andaluza, relaciones exteriores del reino de Granada*, Almeria, 1988 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986 ; A. Khaneboubi, *Histoire politique et sociale*, Paris, 1987; Angels Masiá i de Ros, *Jaime II : Aragó, Granada i Marroc, Aportació documental*, Barcelona, 1989 ; *La expansión Peninsular y mediterránea (1212 - 1350)*, vol. I, *La corona de Castilla*, Madrid, 1990 ; M.A. Manzano Rodríguez, *La intervencíon de los Benimerines en la Péninsula ibérica*, Madrid, 1992 ; Philippe Gourdin, *Le "Partage" du Maghreb entre l'Aragon et la Castille au traité de Monteagudo (1291)*, in *Le partage du monde, échanges et colonisation dans la méditerranée médievale*, Paris, 1998.


رشيد السلامي

**سانطولير شارل** Saint-Aulaire, Charles موظف من موظفي السلك الديبلوماسي المغربي أدلى بدلوه في إحكام القبضة الفرنسية على المغرب قبل انعقاد معاهدة الحماية وبعدها. ولذلك فتقاريره ورسائله عن المغرب قبل 1912 وعن السنوات الأولى من نظام الحماية تعتبر من الوثائق التي لا غنى عنها لمن يريد التأريخ لتلك المرحلة. وقد كشف هو نفسه النقاب عن شيء منها في المذكرات التي أصدرها قبل وفاته ببضع سنوات، أورد فيها بعض ما علق بذهنه من عمله في المفوضية الفرنسية في طنجة طيلة سبع سنوات، وفي الإقامة في الرباط إلى جانب ليوطي مدة أربع سنوات، وذلك بأسلوب المتمكن من ناصية اللغة الفرنسية.

وقد وُلد الكونت شارل بوبوال دي سانطولير يوم 13 غشت 1866 من أسرة عريقة في النبل، ومنها جاء ما كان معروفا به من الأنفة والاعتداد بالنفس والنقمة على النظام الجمهوري، شأنه في ذلك شأن العديد من أضرابه من أبناء الطبقة النبيلة الفرنسية التي وجدت فيهم الجمهورية الفرنسية خير من يتحمل عبء العمل في المستعمرات إما في صفوف الجيش وإما في السلك الإداري. وقد التحق سانطولير بوزارة الخارجية سنة 1892، فور حصوله على الإجازة في الحقوق وتخرجه من مدرسة العلوم السياسية. وكان أول منصب أسند إليه خارج التراب الفرنسي تونس، حيث اشتغل في إدارة الحماية هناك سنة 1893. ثم إنه نقل إلى العمل في قنصليات الشيلي والبيرو والبرازيل فيما بين 1894 و1901. ولما عاد إلى الإدارة المركزية في باريس، لم يمض فيها إلا بضعة أشهر قبل أن يسند له منصب الكاتب الثاني في مفوضية فرنسا في طنجة في غشت 1902. وقد أقام في هذه المفوضية سبع سنوات، تحت إمرة سان ـ روني طاياندييه إلى صيف 1905، وبقيادة أوجين رينيو إلى سنة 1909. وتلك مرحلة حاسمة من تاريخ التمهيد لنظام الحماية والتناور على سيادة المغرب وإجبار الدولة المغربية على الدخول في مؤامرة ما كان موسوما عندهم بخطة التسرب السلمي. وقد قام سانطولير بالدور الطلائعي في ذلك، إذ هو الذي جاء في ماي 1904 مبعوثا لدى السلطان المولى عبد العزيز لمده بالقرض الدولي الذي ضمنته الحكومة الفرنسية، وذلك غداة تحررها من المنافسة الإنجليزية بمقتضى الوفق الودي (أبريل 1904). وكان هذا القرض خطوة حاسمة أولى للنفوذ إلى قلب السيادة المغربية. وقد أبدى سانطولير لحمل السلطان وحمل مبعوث بنك باريس والأراضي المنخفضة المدعو زانكاروسيانو Zangarussiano على إمضائه يوم 18 يونيو 1904 منتهى اللين في منتهى الشدة، بما مارس من أشكال الضغط الديبلوماسي على الهيأة المخزنية المغربية، وكان من ذلك أنه هدد بالانسحاب من فاس رفقة أعضاء القنصلية والبعثة العسكرية الفرنسية إن لم ينزل بدار بنيس الفاخرة عوض الدار المتواضعة التي أنزل بها أول الأمر. وكان قد نزل بدار بنيس مبعوث أمريكي يدعى لانكرمان Langermann جاء إلى فاس يدعي التمثيل الرسمي، وإن لم يكن في الحقيقة سوى مغامر ينتهز الفرصة، وجد فيه المخزن وسيلة للتخفيف من ضغوط سانطولير الذي لم يكن لينطلي الأمر عليه ولا ليتردد في إلحاق الهزيمة بالدولة المغربية، إذ طرد لانكارمان طردا من دار بنيس ليحل بها سانطولير حلول القاهر المنتصر. وقد قال في التقرير الذي رفعه إلى رئيسه بالمناسبة : "لامراء في أن الطريقة السلمية المقترحة في المغرب لن تؤتي أكلها إلا بالقدر الذي يترسخ في ذهن المغاربة أننا عازمون على سلوك النهج الآخر عند الاقتضاء".

أما من جهة ممثل الأبناك زانكاروسيانو المذكور، فإنه كان من أصدقاء سانطولير، تعرف عليه في البرازيل، وجاءا كلاهما إلى فاس وهما على يقين بأن الكلام بلسان واحد هو خير ما يحول بين المخزن المغربي وبين التملص من الحبال المفتولة لإيقاعه في ورطة الدين الدولي. ولذلك اعتبر القرض المبرم يوم 18 يونيو 1904 من منجزات سانطولير. وكان جزاؤه أن ترقى في السلم الديبلوماسي حتى أصبح هو المساعد الأول للمفوض الفرنسي، فقام بالنيابة عن رينيو في الشهور التي قضاها رينيو في مؤتمر الجزيرات (يناير ـ أبريل 1906)، كما ناب عنه فيما بعد كلما كان رينيو يسافر إلى باريس أو إلى الرباط أو فاس لمقابلة السلطان. فعلا كعبه في ممارسة الوظائف الديبلوماسية، وكان لابد من ترقيته في السلك الديبلوماسي. ولذلك عيّن مفوضا ساميا لفرنسا في فيينا عاصمة النامسا سنة 1909. وظل يعمل هنالك إلى أن أبرمت معاهدة الحماية، واقتضى نظر الحكومة الفرنسية تعيين الجنرال ليوطي أول مقيم عام في الرباط، فحرصت وزارة الخارجية على أن يسند منصب المندوب العام للحماية وهو كاهية المقيم، إلى أحد موظفيها فاختارت لذلك سانطولير ليكون عينا لها على ليوطي ويسهر على أن تسير الحماية في نهج مراقبة الجهاز المخزني المغربي وليس في نهج الإدارة المباشرة. ولكن ليوطي وسانطولير كان من طينة واحدة، من البيوتات النبيلة الفرنسية المتقززة من الحكم الجمهوري، الراغبة مع ذلك في توسيع نفوذ فرنسا حيث ما أمكن، هذا بسيفه والآخر بقلمه. وكان من حسن تعاملهما ما أبهر رؤساءهما، فحصل بينهما كامل التلاقح، إذ أخذ ليوطي عن سانطولير أساليب المخاتلة والمراوغة الديبلوماسية مثلما أخذ سانطولير عن ليوطي كيفية القصف والمناورة العسكرية.

وقد ظل سانطولير يقيم صرح الحماية إلى جانب ليوطي أربع سنوات، إلى أن احتاجت وزارته إلى خبرته بشؤون أوربا الوسطى فأسندت إليه مفوضية فرنسا في رومانيا سنة 1916، وظل يعمل فيها إلى أن حل وقت ترقيته

سفيرا، فتم تعيينه سفيراً لفرنسا في مدريد. لكن لم يقض في مدريد سوى بضعة أشهر من سنة 1920، لأسباب يذكرها من وجهة نظره في كتابه. وقد عوض عن مدريد بسفارة لندن التي قضى فيها أربع سنوات من 1920 إلى 1924، حتى إذا كانت الانتخابات العامة تلك السنة وأسفرت عن فوز اليسار، كان من قرارات وزير الخارجية في حكومة الكارطيل عزل سانطولير وإحالته على الإدارة المركزية في انتظار سن التقاعد. وكان ذلك أقل ما يمكن أن يتخذ في حق موظف لم يخف أبدا استخفافه بالنظام الجمهوري. وفي طي مذكراته التي أصدرها سنة 1952 أكثر من دليل على ذلك.

*Annuaire diplomatique de France*, 1924 ; C. Saint-Aulaire, *Confession d'un vieux diplomate*, Paris, 1953 ; Charles-Roux François et Caillé Jacques, *Missions diplomatiques françaises à Fès*, Paris, 1955 ; P. Guillen, *Les emprunts marocains 1902 - 1904*, Paris, 1972.

إبراهيم بوطالب

**السَّانْيَة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Sania وAcenia وAceña وهي كلمة مشتقة من كلمة السانية (الناعورة) ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان حيث لم يبق منها إلا اسم حومة السانية التي أحدثها المهاجرون الأندلسيون الذين أتوا إلى تطوان سنة 1019 / 1610 حيث كانت الحومة المذكورة تعرف برباط الأندلس.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1371.

محمد ابن عزوز حكيم

**السانية** والناعورة اسمان لآلة تستعمل في استخراج المياه ورفعها من الأسفل إلى الأعلى مع بعض الاختلافات الدقيقة، وتجدر الإشارة إلى أنها لم يرد لها ذكر في المصادر المغربية قبل العهد المريني يقول صاحب *القرطاس* (407) : "عملت الناعورة الكبرى بوادي فاس، بدئ بالعمل فيها في شهر رجب من سنة 685 / (1286) ودارت في شهر صفر 686 ".

ورد عن الناعورة يتعلق بالعهد المريني خاصة فترة حكم السلطانين أبي الحسن وأبي عنان، مما يعني أن هذه الآلة التي أعجبت الناس (خاصة وعامة) كانت حديثة العهد في المغرب ولم يسبق استعمالها فيه، وقد كانت معروفة في المشرق وفي الحضارات القديمة ومنها حضارات بلاد الرافدين؛ ماتزال مستعملة إلى يومنا هذا لرفع الماء من دجلة والفرات لسقي الحقول والبساتين. ولاشك أن هذه الوسيلة انتقلت إلى المغرب عبر الأندلس وركبت أو بنيت كما جاء في المصادر على وادي فاس واستغرق تركيبها قرابة السنة، وقد استعملها سلاطين بني مرين لسقي حديقة (المسارة) (*فيض العباب*، ص. 20 ـ 47 ـ 50 ) ثم انتشر استعمالها بعد ذلك في باقي أرجاء البلاد (*المعيار*، 1 : 296).

هذا النوع من آلات استخراج المياه (الناعورة) ذاتّي الحركة ولايقام إلاّ على ضفاف الأنهار ويشترط لإقامتها وبنائها وجود مساقط مائية أو مجرى مائي ذي تيار سريع حتى يتمكن من إدارة العجلة العملاقة (أو أصغر أو أكبر بحسب صبيب مياه النهر وعلو ضفافه) وبدورانها تملأ الاكواب المثبتة على محيطها تلقائياً وبشكل يجعلها تفرغ المياه على جفنة أو صهريج مبني على الضفة ومنه تؤخذ المياه في الاتجاه المرغوب فيه (*فيض العباب*، 1 : 6 ـ 61 ـ 51) ونفهم من إشارات وردت عند ابن الحاج (*فيض العباب*، 47 و50) إن هذا النوع من النواعير حديث وجاء ليخلف نواعير تقليدية قديمة تدار بواسطة الدواب هي التي كانت تعرف بالسانية : "..... ولما رأى مولانا أيده الله أن هذه السانية قد لا تبالغ في العطية ولا يسرع بعمل فريضة دورانها الحمارية وأنه قد يحتاج إلى أكثر من مائها وأعظم من نائلها وحيائها أمران تعمل على نهرها ناعورة توفي بالمقصود..."

فالسانية حسب هذا النص وما تلاه من نصوص وإشارات في مصادر أخرى تختلف عن الناعورة، وأوجُه الاختلاف متعددة أهمها اثنان :

1) الناعورة ذاتية الحركة.

2) الناعورة تقام على ضفاف الأنهار والمجاري لمائية.

3) كبيرة الحجم يتراوح قطرها ما بين 6 أمتار إلى 26م.

أما السانية فهي أصغر حجماً وتديرها الدواب، وقد تقام على ضفاف النهر أو على الآبار، على أن مصطلح السانية الذي ظهر في العهد المريني (*فيض* ؛ *مسالك*، 294 وHT) جاء ليميز ما بين تلك التي ترفع الماء من الآبار وتديرها الطاقة الحيوانية، فالسانية بحسب ما رأينا هي تلك الآلة التي ترفع المياه من الآبار المستطيلة الشكل وغير عميقة المياه وتلقي بها في جفنة أو صهريج معد لذلك ومنه تؤخد للسقي أو لأغراض أخرى، وهذه الآلة لا تختلف في شكلها عن الناعورة، لكنها أكثر انتشاراً منها وقد عمت المغرب منذ ذلك العهد وانتشرت في مدنه وبواديه وتجاوز المصطلح الآلة ليشمل البئر وما تسقيه مياهه من بساتين وحقول، فأصبحت السانية هي تلك الاستغلالة المتوفرة على البئر وآلة استخراج المياه، والحقول والبساتين المعدة لانتاج البقول والفواكه والخضر ؛ وقد ساهمت هذه الآلات (السانية) في تطور الفلاحة وازدهارها فكانت المدن العتيقة مليئة بالسواني وتحيط بأسوارها وتمتد إلى مسافات بعيدة بحسب وفرة المياه ،وساعد على ذلك تزايد الطلب من قبل ساكنة المدن على المنتجات الفلاحية الطريقة، وشكلت السواني منتزهات داخل تلك المدن

وخارجها تغنى بها الشعراء والمغنون مثل سواني مدينة سلا والرباط وغيرها.

ابن الحاج، *فيض العباب*، تح. م. ابن شقرون، الرباط، د. ت. ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، الجزائر، 1924، الرباط، 1979 ؛ الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، الطبعة الحجرية، أحمد الفيومي، *المصباح المنير*، مصر ؛ عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، بيروت، 1983 ؛ محمد الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، د. د. ع. مرقونة كلية الآداب بالرباط، 1988.

محمد حجاج الطويل

**الساوري محمد** بن مَحمد الفاسي، نشأ بفاس في أحضان والده الذي كان من كبار حفظة الطرب الأندلسي بهذه المدينة، وممن ألحقهم السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (1270 ـ 1290) بقصره من أجل تعليم الإماء صناعة الموسيقى.

وقد تأثر الفتى بوالده، وأخذ عنه مبادئ الموسيقى الأندلسية وحفظ بعض مستعملاتها.

ألحقه والده بإحدى ورشات النجارة، فكان يلتقي ببعض شيوخ وهواة طرب الآلة الذين يجتمعون فيها بين الفينة والأخرى على عادة الناس في ذلك العهد، ومن بينهم إدريس اسميرس، وبناصر الصقلي، وأبو بكر العلوي وغيرهم وقد استفاد الفتى من مجالس هؤلاء فزاد ولعه بالموسيقى الأندلسية واتسع نطاق معرفته بميازينها ؛ وماعتم أن أصبح من الماهرين في حفظ النوبات والعزف على آلة الرباب.

وقد أهلته مهارته في الموسيقى وخبرته في النجارة للالتحاق بالقصر الملكي على عهد العاهلين المولى عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ على التوالي، فكان يراوح بين تعليم طرب الآلة للإماء وبين تجميل القصر بالنقش والزخرفة على الخشب.

تتلمذ عليه بفاس سيدي محمد الوكيلي والد الفنان مولاي أحمد الوكيلي، فأخذ عنه الفنين معا : النجارة وطرب الآلة، وتعلم على يده العزف على آلة البيانو. ومن المتأخرين الذين أخذوا عنه أيضاً الفنان الفاسي محمد بن إدريس المطيري.

توفي المعلم محمد الساوري بفاس يوم 25 شوال 1345/ 28 أبريل 1927.

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*،3 : 368 ؛ حاتم الوكيلي، *الموسيقى الأندلسية من خلال مسيرة الفنان مولاي أحمد الوكيلي*، سلسلة المعرفة للجميع، عدد خاص مارس 1999، ص. 48.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**السايح، أحمد** (سيدي -) عبارة عن قبة تُزار على ساحل البحر المحيط الأطلنتي في قبيلة إداوسارن الحاحية جنوب مدينة الصويرة، وقد كان المكان رباطا للمجاهدين، وممّن رابط فيه بقصد الجهاد ومحاربة العدو الوارد من البحر دفينه سيدي أحمد السائح المتوفي عام 997/1589، كما رابط فيه قبله العلامة الصوفي الكبير مَحمد بن سليمان الجزولي صاحب *دلائل الخيرات*، ولايزال موضع رباط الجزولي مقدساً هناك عند الأهالي يسمونه (مركع سيدي محند أو سليمان) ويقع عند أسفل الضريح إلى جهة الشمال الغربي على بعد مآت من الامتار.

يقال إن أصل سيدي أحمد السائح من فرقة إيسماعيلن الموجودين بقبيلة متوكّة، فلهذا يطلق إسماعيلي على القرية التي بجوار ضريحه.

تتركب هذه المزارة الشاطئية من ضريح، وكتّاب، وبيوت لنزول الزوار ودكاكين صغيرة للبيع والشراء، وهو شاطئ سياحي جميل لكنه يفتقر إلى التجهيزات الحديثة.

م. الصويري، *الكتاب المتنقل* ؛ *تحريات ميدانية*.

محند أيت الحاج

**السايح، محمد بن عبد السلام**، أصل أجداده من الأندلس ويعدّ شخصية بارزة من كبار العلماء والمثقفين بالرباط في النصف الأول من القرن العشرين. سامي التفكير عميقة، اشتهر في غير الرباط مثل فاس ومكناس، درّس بالمدرسة اليوسفية بالرباط ولقلة المصادر والتآليف التعليمية آنذاك كتب مؤلفا للتلاميذ سماه *المنتخبات العبقرية لطلاب المدارس الثانوية* في تاريخ المغرب والممالك الإسلامية وتراجم علمائه وأدبائه وأبطاله.

وفي سنة 1921 رشح للعمل بالمحكمة العليا للجنايات ثم بمجلس الاستيناف الشرعي، وتولى القضاء بالجديدة وبوادي زم وشراگة بأحواز فاس ثم بفاس نفسها وختم وظائفه القضائية بمكناس. كان يكره متقمصي التصرف الكاذب فألف رسالة سماها *المنهل الوارد في تفضيل الوارد*، حمل فيه حملة شعواء على المضللين ورؤساء الطرق الغاوين،

فكان فيلسوفا ناقدا. مع ميل إلى تعاليم الغزالي وابن رشد، وشرح كتابه المعنون *فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال*. ألقى محاضرة حول الفخر الرازي سنة 1943 أعجب بها المستمعون والمثقفون مما جعل قدماء تلاميذ الثانوية الإدريسية بفاس يطلبونه لترديدها على مسامعهم، ففعل.

كان ذا اطلاع واسع على العلوم الدينية والرياضية. ألقى دروسا في التفسير بواسطة الإذاعة سنة 1360 / 1943 فاختار تارة في الأحكام آيات وأخرى في القصص والكون والطبيعة فأفاد الناس كثيراً. كما كان له اطلاع على العلوم الطبيعية والجغرافيا. توفي بعد مرض في 17 قعدة عام 1367 / 21 شتنبر 1948. ترك عدة مؤلفات منها المطبوع ومنها المخطوط كما نشرت محاظراته ومسامراته وأحاديث عديدة في شكل مقالات على صفحات مجلة دعوة *الحق* ربما من طرف ابنه حسن السايح أو ممن اهتم بشراته وذلك ابتداء من أعداد السنة الأولى من صدور هذه المجلة أي بعد وفاته بنحو عشر سنوات. أما ما طبع من مؤلفاته فهو إضافة إلى كتابه المتعلمين المذكور آنفاً.

- *تحقيق الأمنية مما لاح لي من حديث إنّا أمة أمّية*، المطبعة الوطنية بالرباط 1932.

- *سوق المهر إلى قافية ابن عمرو*، الرباط، المطبعة الاقتصادية.

ارتقاب الأهلة وتعميم رؤيتها وهو تقريض مطول لكتاب تبيين وجوه الاختلال لعبد الرحمان بن زيدان، مطبعة تطوان 1946.

مخطوطاته : إضافة إلى منهل الوارد الموما إليه أعلاه :

- ختم التفسير المتضمن تفسير بعض السور القصار وهو في مجلد ضخم.

*أسبوع في باريس* بالخزانة الحسنية رقم 161.

- *إثمد الجفن في عدم إعادة صلاة الجنازة الناقصة التكبير بعد الدفن*. بالخزانة الحسنية أيضاً رقم 6573 في 26 ص.

- *الغصن المهصور بمدينة المنصور* : مخطوط بخزانة علال الفاسي.

- *كتاب الأجوج الكاشف عن سر ذي القرنين وماجوج*.

- *مذكرات في مدينة فاس عن نفائس خزانة القرويين وبعض علماء المدينة وأرباب حرفها*...

أما مقالاته المنشورة في مجلة دعوة الحق فهي :

- *الفخر الرازي في عالم الفلسفة*، السنة الأولى، العدد 12، ص. 25 ـ 32.

- *إعجاز القرآن*، السنة الثانية ، أبريل، 1959. العدد، ص. 19 ـ 25.

- *المولى إسماعيل العلوي*، السنة 3، العدد 2، ص. 27 ـ 32.

- *مدخل إلى كتاب الحيوان للجاحظ*، السنة 3 ـ 4 أعداد من الخامس إلى الثامن.

- *العلوم في الحديث النبوي*، س 11، عدد 9 ـ 10 مزدوج، ص. 10 ـ 14.

- *مشاهد القيامة في الحديث*، س 12. ع 1. ص. 32 ـ 34.

- *الحركة السلفية الإسلامية بالمغرب* ونزول الشيخ أبي شعيب الدكالي بالرباط. س 12. ع 2. ص. 38 ـ 40.

- *تكوينه الجنين في القرآن والحديث*، س 13. ع 9 ـ 10 مزدوج. ص. 14 ـ 15.

- *الحكم الشرعي بين مختلف المذاهب*. 14. ع 1 ـ 2 مزدوج. ص. 22 ـ 25.

- *نجعة الرائد في بناء الحكم والفتوى على المقاصد والعوائد*. س 16. ع 2، ص. 23 ـ 29.

ع. الله الجراري، من *أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، 1971، *الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السايح*، سلسلة شخصيات مغربية، الدار البيضاء ؛ ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 9.

عبد الإله الفاسي

ابن **السايح، محمد العربي** الشرقاوي المكناسي ثم الرباطي. ولد بمكناس عام 1229 / 1814 وعمرُ والده آنذاك 76 سنة، ومات والده عن 96 سنة وهو ابن عشرين. وقد ترجمه تلميذه المحدث أحمد ابن موسى السلاوي في بعض ختماته ذاكراً مشاركته في جميع الفنون خصوصاً الحديث والفقه والعربية والعروض، وقد كان له مجلس تشدّ إليه الرحال. إذا تكلم في حديث من أحاديث *الصحيح* تسمع منه ما لا تراه في كتاب. وتأتيه الأسئلة في الحقائق العرفانية من أقاضي البلدان، فيجيب عنها بأفصح بيان وأوضح برهان. مسقط رأسه بمكناس قرب الجامع الكبير وقد انتقل من مكناسة إلى الرباط، وسبب

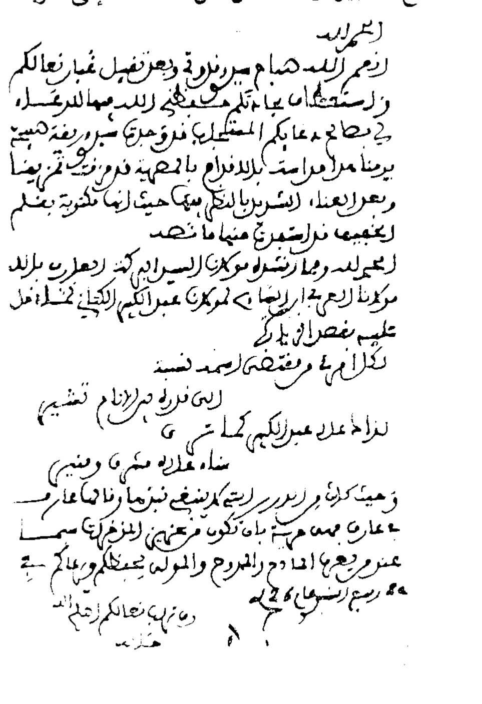

انتقاله من مكناس حسبما يقال مَا شاهده في أهلها من سماجة طباعهم وقبح معاشرتهم وخصوصاً العلماء، كما وقع للإمام ابن غازي فإن سبب انتقاله إلى فاس هو أنه أتاه صاحب الوادي في حالة إقرائه بمجلس درسه وطلب منه بوقاحة كبيرة أن يؤدي ما وجب عليه في إصلاح الوادي، ولم يمهله إلى الفراغ من الدرس، فقام الشيخ وقال هذا البلد يستحق الهجران". وأنشأ يقول :

طلّقت مكناسة ثلاثـــا والشرع يابى الرجوع فيــه
ليست بدارٍ سوى لقــاضٍ أو عامل الجور أو سفيـــه
لولا حلول الإمام فيـهــا لم يُجرها فاضلٌ بفيـــه

ولعل لسيدي العربي بن السايح أعذاراً أخرى كانت السبب في هجرته إلى رباط الفتح، وهي هجرة تعد مفخرة للرباط.

قال في حقه مؤلف *إتحاف أعلام الناس* : "علامة مشارك نبيه، مدرّس نفاع ناظم ناثر بارع فاضل ماجدٌ ليّن هيّن مهاب صالح، مرشد ناصح، له إشراف على التاريخ مستحضر لتراجم المتأخرين، معتن بقراءة *صحيح البخاري*، إذا تكلم في حديث أتى بما يبهر العقول، مما لا يُظفر به في ديوان منقول. من أهل الرسوخ في السنة والتمكين، عارف بربه دالّ عليه مرشد إليه قدوة..." (5 : 429).

أخذ عن الشيخ عبد القادر الكوهن الفاسي دفين المدينة المنورة، والشيخ عبد القادر العلمي المكناسي (سيدي قدور العلمي)، ومحمد الهاشمي السرغيني دفين عين ماضي أخذ عنه الطريقة التجانية التي كان ابن السائح من كبار رجالها.

ومن أشهر تلاميذ ابن السايح الرباطيين الأديب أحمد جسوس (ت. 1331) والفقيه بلامينو (ت. 1333) والقاضي أحمد بناني (ت. 1340). ومن السلويين المحدث أحمد ابن موسى، (ت. 1328)، والأديب الحاج الطيب عواد (ت. 1336) وغيرهم كثير.

مصنفاته :

- *بغية المستفيد لشرح منية المريد* (ط. القاهرة 1886/1304.
- *ختم صحيح البخاري*، قيدّه تلميذه أحمد بن محمد ابن موسى السلوي (مخطوط 1746د).
- *جواب على سؤال أحد أهل سوس التجانيين* في موضوع تخفيف المكث بين السجدتين وبين الركوع والسجود (مخطوط خ. ع 2462 د).
- *كناشة* (مخطوط خ. ع 133 . ج)
- *إفادات وإنشادات* (مخطوط خ. ع).
- *ديوان شعر في الأمداح النبوية*. كان بيد تلميذه العلامة عبد القادر لبريس الرباطي.
- *ديوان صغير في المناجاة والتوسلات*، وفيه إخوانيات وسلطانيات وغزليات وفكاهات.

ومن غرر شعره قصيدة مطلعها :

يارحمة للعالمــين وخيــــر مـــن تجلى به عنا المصائب والكرب

وأخرى مرتبة على حروف الصحابي عمـــران بـــن حـصـــين، مطلعها :

عودتني منك إحسانــا وثقــت بــه وحاشا فضلك أن أراه ممنوعا

وأخرى مطلعها :

الله أكبر لا كبير سواه جلت محامده وعز ثناه

وهي قصيدة أنشدها توسلا عند شبوب الحرب بين روسيا وتركيا بين سنتي 1294 ـ 1295 / 1877 ـ 1878. فانجلى الهم الذي أصاب المسلمين آنذاك بانتصار الأتراك، وكان قد انعزل في خلوته أسبوعين يدعو الله حتى استجيب له.

توفي أبو المواهب محمد العربي ابن السائح بالرباط منسلخ رجب عام 1309 / 29 فبراير 1992. وضريحه مزارة شهيرة بباب العلو. وكان ضريحه مسرحا لدروس دينية عالية حيث كان يلقي الشيخ أحمد بن المامون البلغيثي 1309 / 1891 دروسا في *صحيح مسلم* ؛ كما درّس الشيخ محمد المدني ابن الحسني *القوانين الفقهية* لابن جزي بين العشائين.

أ. ابن موسى السلاوي، *ختم صحيح البخاري*، مخطوط ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ط 2، الرباط، 1990، ج. 5 ؛ أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، ط 3، عام 1381 / 1961، ت ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8.

عبد العزيز بن عبد الله

ابن **السايح، محمد** بن **محمد** مقاوم، ولد سنة 1326 / 1908 بالسماعلة دوار أولاد الديك فخدة أولاد منصور جماعة البراكسة. كان يشتغل بالفلاحة وتربية المواشي يتنقل بين أسواق المنطقة مما جعله يطلع على القضية بجميع أبعادها، فدفعه شعوره هذا إلى الانخراط في تشكيلة منظمة اليد السوداء بوادي زم حيث قام بتنفيذ عدة أعمال تخريبية ضد المنشآت الفرنسية بالمنطقة.

وفي فاتح محرم عام 1375 / 20 غشت 1955 شارك مشاركة فعالة في مظاهرة وادي زم الخالدة التي أصيب خلالها برصاص الجنود الفرنسيين وسقط شهيدا في عين المكان.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 508840.

**السايس**، هضبة (التوزان البيئي للإقليم) أهم ما يميز السايس، في وضع الخصاص البيومناخي الغالب في بلادنا، هو تمتعُهُ بالطبيعة الأكثر توازناً، مقارنة مع باقي الأقاليم المغربية. وهو أمرٌ يستحق التحليل ومحاولة رصد المؤهلات الطبيعية واستنباط مؤشرات القوة النسبية فيها.

يُمثل السايس مجموعة هضاب وسهول، يبلغ معدلُ ارتفاعها 600 م، لكنها تبدو على شكل منخفض بنيوي، يسعُ لحوالي 2700 كلم$^2$، بين مقدمة الريف، شمالاً، وكتلة

الأطلس المتوسط، جنوبا. كما أنه يبسط نظام انحدارات، تقل عموما عن 1٪، في ظروف مناخ متوسطي خال من مظاهر الإفراط.

تتألف قاعدته الصخرية البسيطة من مستويات رسوبية ثلاثة : كلس بُحيري من فوق رمال وصلصال بحريٍّ عميق. يسمح مِمال الطبقات الصخرية الضعيف، بصفة متجانسة مع الانحدار، بالتشكيل المضبوط المناسب للتصريف الكافي للمياه دون أن يؤدي الأمر إلى مخاطر نوعية كبيرة من حيث التعرية.

تكون بذلك قد اجتمعت أحسن الظروف من أجل إعداد وصون عطاء ترابي غني ومستقر، لا يتعرض بصفة تذكر لأي نوع من أنواع التحديث السطحي المناوئ للخصوبة، لأن التربة توجد، على العموم وفي آن واحد، في مأمن من التراكمات المطمرة لها، وكذا من الأزاحة المخربّة.

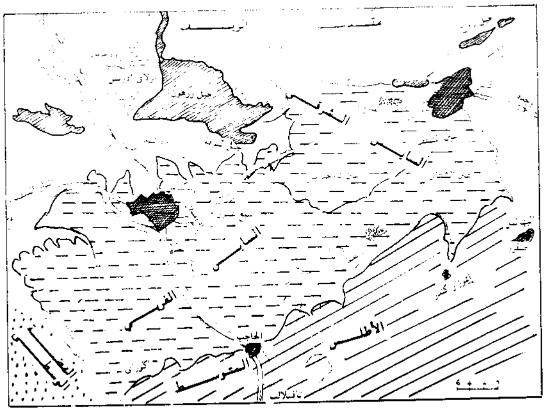

أما مستويات القاعدة الأقدم، من تحت الصلصال، فهي نفسُ طبقة الدولومي السميك ومعها تفريشة الطين الترياسي، المكونة لهضاب الأطلس المتوسط المشرف جنوبا، والمؤلفة في عمق السايس وفي جل اتساعه لأحد أهم الخزانات المائية الجوفية الوطنية.

لاشك أن الرخاء الطبيعي النسبي قد أسهم في تسهيل التمركزات البشرية بأشكال مبتكرة ومفرقة في القدم، بقي منها بعض الآثار المنتشرة في السهول وعلى سفوح الكتل الجبلية المحيطة. كما يتوفر الإقليم، من خلال مدينتي فاس ومكناس، على حاضرتين هامتين، عرفتا، بمدى مختلف، الاضطلاع بمسؤولية قاعدة الحكم المركزي والإشعاع الحضاري المتناسب.

يعرف استعمال التربة الحالي، في جل الأراضي، الزراعة الآلية الكبيرة، التي جاءت بعد البستنة الدقيقة والمتفننة التي كان يمارسها نخبة من المتأصلين من واحات الجنوب الصحراوي أو من مزارعي البساتين الأندلسية، والتي مازالت بعض مظاهرها قائمة في بطون الأودية من حول المدينتين.

السمة المعبرة التي أعطت لهضاب السايس شخصيتها المتميزة هي الظلفاء السطحية المكونة من الكلس البحيري، الذي تراكم في قرار البحيرة الشاملة التي عمت المنطقة خلال البليو سين الأوسط. وهي مرحلة حاسمة، ترجع إلى ثلاثة ملايين ونصف من السنين قبل الآن، عرفت انطلاق أهم الأحداث الفاعلة في الجهة، وتعدتها إلى جزء كبير من العالم.

جدير بالذكر قبل كل شيء، أن البحيرة التي استمدت أكبر قسط من تعبئتها من مياه الخزانات الدولوميتية للعالية الأطلسية، لم ترث من ضمن موادها تلك الخاصيات السلبية الملازمة لهذا الصنف من الصخور، والتي منها امتناعها عن الاستعمالات كأن تكون مادة أولية لصناعة الإسمنت مثلا، وضعف جودة الأترية المغنيزية من فوقها على العموم. بل حصل نوع من التصفية فرز كاربونات الكالسيوم صافية وكون منها الكلس البحيري الخالص. أما المغنيزيوم فقد تبين توظيفه على حدة في الأطيان السطحية التي تطورت في الأوساط الكيماوية الأكثر انحباسا، وخاصة منها الكلوريت والباليغورسيكيت في المراحل المتقدمة من تكوين القشرة الكلسية والرصاصة.

كما أنه بالإضافة إلى نفس الظاهرة الرسوبية البحيرية المتميزة، ومواكبة لها، حدث المنعطف المناخي الأساسي، المتجلي في الانتقال النهائي من المناخات الحارة ذات النزعة المدارية التي كانت سائدة من قبل، إلى ظروف توازن حيوي أكثر اعتدالا، والمفضية إلى المناخات المتوسطية المتفاوتة الرطوبة التي طبعت البلاد حتى الآن.

وقد عرف السايس، كباقي البلاد المتوسطية الجنوبية، التناوب المتكرر وغير المتكافئ لفترات رطوبة وجفاف، تتلخص في ثنائيات من مطير وبيمطير، يحمل كل منها اسم دور بذاته، يعمر بمعدل مائة سنة. وقد استغرق التطور كل المدى الزمني اللاحق للبحيرة، مع تسارع خلال الرباعي (*الرباعي المغربي*، الجزء 13).

ومن الملاحظ أن التقلبات البيومناخية قد جاءت مدعمة بتدخل قوي للبنائية. لعب التحكم البنائي أدواراً رائدة. إذ منذ بداية الرباعي، انقسم السايس إلى إقليمين اثنين، واحد غربي، يوافق هضبة مكناس الحالية، وقد تميز بالتصريف الخارجي للأودية، والآخر شرقي، هو سهل فاس الحالي، وقد عرف إلى حدود الرباعي الحديث ظروف انحباس تام. نتج عن ذلك أن أودية الغرب أكثر تعمقا وأجدر بالتزويد بالمواد الخشنة، مع بيأنهار هضبية أتربتها حمراء (الحمري، الجزء 11، ص. 3584) يعلوها بعض الاسمرار. في حين تنزع الأتربة في الشرق إلى مواصفات السمرة والتيرس (*التيرس*، الجزء 8، ص. 2663) والميهة.

استمر التحكم البنائي طيلة الرباعي، مع ظهور فترات أوجية منها الاهتياجات البركانية في الأطلس المتوسط

المجاور وتأثيراتها المباشرة خلال الرباعي القديم والأوسط (الدور الملوياتي : 000 500 سنة قبل الحالي والعميري : 000 500 ق. ح) ومنها الأزمة الانتهاضية لبداية السلطاني (000 70 ق. ح).

أمدّ الثوران البركاني بطفوحات بازلتية، تسللت إلى المنطقة من خلال الأودية، وأعطت محاطات خصبة من الأتربة المتحدسلة السمراء المستعملة في البستنة والزراعة التجارية، خاصة في المنخفضات الجنوبية عند خط العيون في قدم السفوح الرابطة بين الحاجب وإيموزار.

على العموم، تقوم البنائية بتنشيط ملحوظ للتطورات السطحية، كما تتولى تغليب نزعة تفضيلية على غيرها. لكن تبقى معالم كل دور من أدوار الرباعي رهينة بالوضع البيومناخي السائد خلاله، الأمر الذي سمح بوجود مظاهر موحدة للسطح، من أهمها : التلبيد، والقرنة، والرصرصة، والنزكلة، وأساليب ومظاهر تحريك الفتات على السطح.

التلبيد تسمية مبتكرة لظاهرة فريدة لازالت مرجعية تفسيرها العلمي محدودة، رغم أن الأمر يتعلق بأداة تفسيخ أساسي للصخور، لعبت الأدوار الأولى إقليمياً، فضلا عن أنها أثبتت علاقات عضوية، وتفسيرية، مع ظاهرة القشرنة. ومعلوم أن الاهتمام بالقشرات الكلسية استحوذ على القسط الأوفر من دراسات جيوكيميا السطوح، وربما كان مسؤولا بذلك عما أصاب آليات التلبيد من تعتيم.

تعرض أوسع المجالات السايسية لمفعول التلبيد، في الملوياتي، الدور الأول من الرباعي، حول جزءاً هاما من ظلفاء الكلس البحيري الشديدة الصلابة إلى سحنة هشة، مبيضة، لبيدية أي قريبة الشبه بالطباشير شكلا ومقاومة. ولقد تبيّن أن وقعه هو أكبر وأكثر تعقيداً، حيث أنه قضى بتهشيش الظهورات السطحية للأكلاس الصلبة، والعسف المتفاوت التعمق في المواد الفتاتية الدقيقة، بما فيها الأطيان وحبات الرمل السليسي. وقد استطاع بذلك تلئيم ومجانسة السطح بالخلق الكامل لطبقة كاربوناتية سطحية منشأة، على أساس تفسخي صرف.

وعلى العموم، فإن الظلفاء الكلسية الصلبة التي تعرف اعتياديا التمليس الكيماوي المشخرب، المنتج لأتربة حمراء قوامها الأطيان الرملية المتوسطة الغنى بالسليس المندمج، قد تعرضت في الملوياتي إلى تفسيخ التلبيد، القوي الكفاءة، الذي حقق التهشيش بفعل تخفيف كثافة الكلس الصلب والإنتاج الثانوي لطين حديد - مغنيزية سوداء، شديدة الغنى بالسليس.

ومن غريب التطورات في السايس، أن للتلبيد يداً في رسم وإعداد شبكة الأودية. ذلك أن عمليات الانتشال الكيماوي المرافقة، خلفت ضمورات في هيئة مقعرات تفسخية، ركبتها شبكة الأودية، فأعطت التشكيل المتموج النوعي لهضبة مكناس على الخصوص.

كما أن للتلبيد مسؤولية مباشرة في تكوين القشرات اللبيدية المتكتلة التي عرفها الرباعي الإقليمي القديم على أوسع مدى.

لقد ثبت أن القشرات الكلسية تنتظم داخل متواليات طبوغرافية طويلة الأبعاد، جاءت حلقاتها المعبرة كالتالي :

- في العاليات، مباشرة من فوق الركائز الكلسية، توافق القشرات اللبيدية، بكل بساطة، التلبيد التفسخي الآنف الذكر المتشكل على حساب الكلس المقاوم.
- في السافلات المقابلة، يتلقى كل حوض استقبال فتاتي دقيق، ترابياً كان أم رسوبياً، الإمداد الجانبي للبيد التفسخ الفائض بفعل تخفيف الكثافات الكلسية في العاليات. يتجلى أوضح نموذج للوضع في منخفض الضويات، في جل المجال بين مدينة فاس ووادي مكس.

لبيدة السافلات إذن مادة منقولة، توجد في مواقع الاستقبال. لا يمكن تعريفها في هذا الحيز إلا بوصفها قشرة مصحوبة بمظاهر العسف الكلسي. وقد حطمت فيها التطعيمات العدانية فئة المتطبقات الطينية لفائدة الكلوريت وخاصة لفائدة الأطيان النفوخة.

وهكذا، فإن سلسلة التلبيد، بين تفسخية في العاليات ومقشرنة في السافلات، تسهم في موجة توزيع وتعميم للمواد الجيرية الهشة المصحوبة بمضمون طيني غني. قاعدة صخرية هذا شأنها، في ظل المناخ الإقليمي السائد، قد عممت إلى حد بعيد الأتربة السمراء الكلسية، التي يزيد من دكنتها وغناها طين السمكتيت، والتي تصير قابلة للتحول إلى أتربة تيرسية كلما غلبت بنائية التهدل.

أما القشرة المتورقة الصلبة، فهي تبدو كسحنة تدهور بيومناخي لاحق، تكونت خلال أقصى التجفيف البيمطيري. يجعلها طابعها المستقل والسطحي لا مبالية بالقواعد الصخرية. معالم تنافرها متعددة يؤكدها تكاثر عناصر التحريك الحديثة فيها.

لم تكن القشرة الكلسية الملوياتية ظاهرة عادية في السايس، بل افترض تحققها اقتحام عتبات بيومناخية في اتجاه الترطيب تارة، حيث اللبيد التفسخي، والتجفيف أخرى، بتشكيل التوريقات الصلبة. فلم تتكرر الظاهرة بعد ذلك إلا في الدور التانسفتي (الرباعي الأوسط)، معطية السحنات المتورقة وحدها. في الفترة البينية، الفاصلة بين القشرتين الملوياتية والتانسفتية، أدخلت الرطوبة الزائدة، خلال العميري، مرحلة تفسح عميق، شخرب القواعد الكلسية الصلبة التي أدركها في الجهات الجيدة التصريف، وأنتج رصيدا معتبرا من الأتربة الحمراء.

تعتبر الرصراصة شكلا أخر من أشكال إعادة نشر الأكلاس التفسخية. لكنها، خلافا للقشرة، قد اكتست في المنطقة صبغة الشيوع في الزمان، فواكبت بصفة متفاوتة مجموع البليو - رباعي القاري، بتخصيص ثلاث نوبات أوجية كبيرة في البليوسين العلوي - الملوياتي وفي

العميري وفي السلطاني والغربي القديم (راجع : الرصراصة).

أهمية الرصراصة هنا شاهد على تمتع الإقليم بتردد ملحوظ لفترات الرطوبة النسبية خلال الرباعي. فمعلوم أنها تتشيد على أساس هياكل أحيائية، قوامها بسط طحلبية خفيفة، حلقاتها مهملة، يتم نسجها في أوضاع نسبيا رطبة وباردة. تتحول هذه الهياكل العضوية الكثيرة المسامية إلى مواقع للتسريب الكاربوناتي الدقيق والنشيط الذي يخول التكثيف والتلوين المتغاير. تنتج الرصراصة الصخر الكلسي بإيقاع أسرع بكثير من أي أسلوب أخر.

ومن أهم الأدوار التي قامت بها على وجه الاستعجال، بالمقياس الطبيعي، التحصين الجيومرفلوجي لحافات الهضاب العطوبة، المهددة بوقع التعرية. وقد تأكد ذلك بزخم خاص في الفترات الرطبة للعميري والتانسفتي، حيث تتشبع المحاليل بسهولة من المادة الهشة للبائد الهضبة، التفسخية والقشرية معا، وتعيد استعمالها في تشييد تغليف رصراصي كثيف وصلب قادر على حماية الهوامش الشمالية المعرضة، خاصة منها هضبة مكناس.

وأخيراً، انكشف أن الأتربة في المنطقة ليست فقط نتاج تقابل الثنائية المكونة من الصخر الأم والبيومناخ، ولكنها كذلك حصيلة تحريك للحبيبات على السطح، زادت حدته في الرباعي الحديث.

ففي ظروف زائد الرطوبة الذي غلب خلال الرباعي الأوسط، ساد تعميق التفسخ واستخلاص المواد الفتاتية من اللحام الكاربوناتي، وتكرر بصفة معتدلة في مطير الدور السلطاني، فتجمعت على الإثر أرصدة هائلة من المواد غير الذووبة. ثم طغى التحريك في البيمطير السلطاني التابع، طامسا جل البنيات السابقة. عقبه الغربي القديم، البادي الاستقرار، الذي أعطى، خلال آخر مطير كبير، ظروف الاستقرار الحيوي المواتية لإنتاج الأتربة السيدبالية والتيرسية.

وجاء الوضع الحالي للسطح بعد تطور غربي اختلالي، غير بعض معالم هذه الأتربة وكون الدرجات الطمية الرمادية التي تعبئ قيعان الأودية.

يعني التغيير هنا، في البيأنهار، معاودة تحريك سطحي خفيف، لكنه عميم الفائدة. حصل من جرائه تجنيس للمسكات السطحية، مانحا إياها التوازن النسيجي والعداني بفرز وتوزيع الكلس والرمل والطين والحديد، أفاد في التخصيب وخاصة في ترقية القطاع المائي للتربة.

على غرار جل المناطق جنوب البحر المتوسط، يبدو السايس على هيئة فسيفساء ليس فقط بالنسبة لأنواع الأتربة والتكوينات السطحية ولكن كذلك بالرجوع إلى انتسابها الزمني والتطوري. من ذلك الطابع النفيس لهذا التراث، مضاف إليه الرصيد المائي، وكذا صعوبة تدارك التدهورات الحاصلة.

خلال القرن العشرين، تزايد الضغط على الموارد الطبيعية بصفة غير مسبوقة، حيث ترامت الزراعات التجارية على الأراضي واستنزفت المياه، وتضاعفت المساحات المبنية في مدينة مثل فاس مثلا بحوالي ست مرات، وتغير تشكيلها ونماذج الاستهلاك في هياكلها. وبدا واضحا أن مرد التدهور بشري، وأن من جملة المسارات التي أدت إليه : تهميش وإبعاد سكان الأرياف المدشن في فترة الاستعمار، وتهميش وإفقار المدن الأصلية بسبب مصادرة أزمة القيادة الاجتماعية والاقتصادية، وضعف تكيف المدن العصرية التي تحولت إلى هاوية إتلاف للموارد الطبيعية.

D. Fasi, *Les formations superficielles du Saïs de Fès et du Meknès du temps géologique à l'utilisation des sols*, Rabat, 1999.

إدريس الفاسي

**سايْس** (زاوية -) تقع بأولاد مسعود، فخذة من أولاد بوعزيز الجنوبية. وكانت من أهم حصون دكالة في القرن الثامن (14 م) تحمل اسم "حصن أسايْس" كما سماها لسان الدين بن الخطيب عندما زارها في عهد الدولة المرينيّة. وصيغة هذا الاسم لاتدع مجالا للشك في أصله الأمازيغي وفي كون هذا الحصن قد تمَّ تشييده، حسب تعبير الحسن الوزّان على يد الافارقة الأقدمين.

ولقد بات ابن الخطيب في حصن أسايس أثناء رجوعه سنة 761 من مدينة أسفي، وكان ذلك في وقت انهيار الدولة المرينية، عندما استحوذ بعض الشيوخ على السلطة في الناحية واحتكروا الجبايات لأنفسهم. فشاهد النكبة التي حلّت بأحد هؤلاء الشيوخ، فقال عن هذا الحصن : "دار عاديّة ملوكيّة تُنسبُ لأحد أشياخ الوطن ممّن غَمَسَ يديْه في الجباية في الدَّم الفرت تدلُّ على انسحاب دنيا كانت سحابة صيف..."

ثم كانت هذه القرية التي تقع على مقربة من قرية تارتير تابعةً في القرن العاشر (16 م) إلى قبيلة مَشنزاية.

وفي عهد السلطان مولاي إسماعيل العلوي، ورد علي هذه القرية أحد الأمغاريين من تامصلوحت بجنوب مراكش يُدعى مولاي إسماعيل بن عبد السلام بن سعيد. يقول الكانوني إنه قدِم مع والده لشنآن وقع بينهم وبين أهليهم فنزلوا على مقربة من حصن سايس حيث الآن زاويتهم المشهورة بالسّايسيّة، نسبة إلى الحصن الذي هو أحد الحصون القديمة بدكالة والذي كان أصحابه يتحصنون به عند الحروب. وتوجد الآن آثاره وبعضها ما يزال ماثلا للعيان حوله آبار عديدة، ويقام عنده سوق تجاريّ في كل يوم سبت من الأسبوع إلى الآن، يحمل اسم سَبْت سَايْس.

وكان مولاي إسماعيل بن عبد السلام الأمغاري السّايسي فقيها فاضلا شريفاً سريّاً هماماً له رحلة إلى

فاس أخذ فيها عن شيوخ القرويين وكانت له منزلة عند السلطان المولى إسماعيل وله منه ظهير بالتوقير والاحترام والتنويه والإعظام، مؤرخ بأوائل ربيع النبوي سنة 1138. وآخر من ولده المولى عبد الله بمثل ذلك بتاريخ نَيِّف وأربعين، توفي تقريباً أواسط القرن الثاني عشر، وبنيت عليه قبة بزاوية سايس.

وهذه الزاوية المعروفة اليوم باسم زاوية سايس كانت تشتمل على ثلاث زوايا هي :

1) الزاوية الفوقانية المسماة بزاوية أولاد سيدي سعيد أبي عثمان.

2) الزاوية الوسطانية المسماة بزاوية سيدي محمد بن احسين التي أسسها خمسة من أولاد مولاي إسماعيل. والتي كانت تشتمل على مدرسة يُدرّس فيها القرآن والتفسير.

3) الزاوية التحتانية المسماة بزاوية أولاد إسماعيل والتي تأسست على يد ستة آخرين من أولاد مولاي إسماعيل.

وكان نقيب زاوية سايس هو القائد مولاي الطاهر السايسي، كما كان لهذه الزاوية احباس مسجلة في حوليات نظارة الجديدة.

وليس لهذه الزاوية وِرْد خاص بها، وإنما هي تابعة للطريقة المصلوحية التي يرجع أصلها إلى الطريقة الشاذلية.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب* ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال* ؛ أ. بوشرب، *دكالة* ؛ ناحية دكالة، سلسلة مدن *وقبائل المغرب* تر. م. الشياظمي، مخطوطة.

محمدالشياظمي

**السِّبَاب**، تعاويذُ يُحتمَى بها ممّا يتهدد الإنسان ويقلقه. وقد عرف الإنسان التعاويذ منذ القديم، ومنذ ظهور العرافة في العشائر الأولى، على الخصوص، حيث كان لكل عشيرة أو قبيلة أو تجمع مسكني عرافه وساحره، وكان هذا الأخير يصنع التعاويذ لبني قومه، وهي تمائم ورقيات تعلق أو تحفظ في أماكن معينة، أو تثبت على جسد طالبها، كما كانت تقتصر أحياناً على كلمات يتفوه بها العراف أو الساحر أو الكاهن أو تمائم يلغط بها غير مفهومة لدى غيره، أو جمل أو أشعار يتغنّى بها مصحوبة بطقوس تختلف بين المجتمع والآخر منها البخور، ومنها الحركات الجسدية (الرقص والجذبة) ومنها تقديم القرابين من الذبائح أو الهبات والعطايا العينية أو النقدية المختلفة. وأكثر ما يعبّر المغاربة عن التعاويذ بالسِّبَاب.

من السباب أو التعاويذ المعروفة في نفس السياق المذكور تعليق بعض أنواع النباتات عند بوابة المنازل أو بداخلها كالثوم الذي يقال إنه يطرد الأرواح الشريرة، أو تعليق الصفائح الحديدية المستعملة لحوافر الخيول. أو تعليق رسم راحة السيد أو الأصابع الخمسة (الخميسة)، أو تعليق رسم العين أو نحو ذلك مما جرت الأساطير والخرافات والحكايا الشعبية بذكره ضمن الأسلحة التي حارب الإنسان بها على مر الحقب السحيقة أعداءه غير المرئيين !!

وقد عرف الإسلام ظاهرة التعويذة من خلال الاستعاذة من الشيطان الرجيم نطقاً، وتلاوة المعوذتين، ومن خلال تلاوة آيات كثيرة، وردت في السنة أو في الأخبار والآثار ما تحققه من النفع النفسي والاستقرار العقلي والعاطفي لما تحمله من قوى نورانية كان أساسها وسيظل دائماً وأبداً إلهي المنشأ مادام الأمر يتعلق بكلام الله عز وجل القوي العزيز والقاهر فوق عباده بلا استثناء، ومادام ذلك من قبيل ذكر الحق عز وجل مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب...).

والتعاويذ أو السباب لا تختلف عن الرقيات، ومفردها "رقية" (بضم الراء وسكون القاف) إلا أن الرقية أطلقت عند العرب على الكلام المنطوق، وعند المسلمين منهم على الذكر الحكيم، باعتباره يشتمل على آيات تتم بها ترقية المستفيد من الرقية إن كان به مغص أو ألم أو قلق أو وسوسة من فعل الشياطين ونحوهم، وغالباً ما تكون لهذه الأفعال الشيطانية مضاعفات جسدية سرعان ماتختفي أعراضها بذهاب مسبباتها الخفية، الشيء الذي جعل البعض يعتقد بأن الرقية تنفع في دفع الأمراض والآفات الجسدية حتى ذات المنشأ الفيزيقي الملموس. وقد وقع في هذا الخلط جمهور غفير مَنْ السذج ولذلك لانزال نرى بين ظهراني. العالم الإسلامي من يسعى إلى الرقى والتعاويذ لدفع بعض الأمراض الجسدية ذات المنشأ الفيروسي أو المكروبي أو العضوي الذي لا تنفع فيه سوى الأدوية الملموسة المصنوعة لهذا الغرض.

ويطلق السباب عادةً على نوع معين من التعاويذ، هو النوع الذي تمت الإشارة إليه آنفا والذي يقتضي قيام الكاهن أو الساحر أو العراف بفعل من الأفعال أو حركة من الحركات مصحوبة بتلاوة تمائم أو كلمات موضوعة لهذا الغرض على الشخص المستفيد من العملية، ويمارس بعض المسلمين هذا الفن بواسطة التلاوة والرش بالبصاق أو بمحلول يعد خصيصاً لهذا الاستعمال.

وقد يتم في "السباب" المسح على العضو المصاب بالمرض بواسطة قطعة من صوف الغنم ملبّدة (ليگة الصوف) أو مغمسة في القطران أو في أي سائل يتم إعداده لنفس الغرض، أو المسح بالرماد أو بـ "الحموم" وهو المسحوق المأخوذ من قيعان القدور المحترقة أو من بقايا أي عنصر يتم إحراقه لهذا الغرض.

م. الوكيلي، *المدارس الباطنية بين العلم والفلسفة والعقيدة والدين*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، مرقونة، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1998 ؛ ع. الرحمن سعيد وآخر، *الجانب الخفي*

*في عقل الإنسان*، مراكش، 1993 ؛ شفيق مقار، لندن، 1990، *السحر في التوراة والعهد القديم*.

محمد عزيز الوكيلي

**السباعي** (أسرة) ← **بو السباع** (أولاد -)

**السباعي، إبراهيم** بن علي بن محمد الأمسناني الأصل، التامگروتي الدار، أبو إسحاق. وعلى الرغم من شهرته بالسباعي، فإننا لم نستطع إثبات صلته بالسباعيين.
ولد سنة 1034 أو 1037 بإفران من بلاد سوس ؛ ومنها قدم إلى تامگروت سنة 1052 / 1642، فاستوطنها (*الدرة الجليلة*، ص. 223). وبها أخذ عن الشيخ مَحمد بن ناصر علوم الشريعة، وحضر مجالس درسه في مختلف الفنون كالفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة. كما أخذ عن مشاهير من عجّت بهم الزاوية الناصرية من العلماء، كمحمد بن سعيد الميرغثي وأبي سالم العياشي وغيرهما.

ثم ارتحل إلى فاس فأخذ بها عن عبد الرحمن بن القاضي، وعبد القادر الفاسي. كما شد الرحال إلى المشرق لأداء فريضة الحج، فلقي هناك جماعة من الأعلام، أخذ عنهم. منهم بالحرمين الشريفين، أبو مهدي الثعالبي، وإبراهيم بن حسين الكردي، ومحمد بن سليمان الروداني ؛ وبدمشق عبد القادر الصفوري وعبد الباقي الحنبلي. وأخذ بمصر، عن عبد الباقي الزرقاني، ومحمد البابلي، ومحمد البقري، وعلي الطرابلسي، ومحمد الخرشي. وبعد تلك الرحلات، لازم شيخه مَحمد بن ناصر حتى صار عنده من المخصوصين ؛ فكلفه بتأديب ابنه أحمد الخليفة، وإقرائه القرآن وغيره من العلوم (م. س. ص. 220). وقد برز السباعي في علم القراءات على وجه الخصوص، فكان "له فيه أوفر نصيب". ويذكر محمد المكي الناصري أن المترجم أجاز والده الشيخ موسى بن محمد الكبير، وأدرجه في آخر الإجازة، وهو صغير لم يتعد عمره أربعا (*الدرر المرصعة*.. حرف الألف، فصل من اسمه إبراهيم).

وبعد أن جاور بالمدينة المنورة مدة، رجع إلى تامگروت، فتزوج بها وعكف على تدريس القراءات، حتى كان أشهر أساتيذها بالزاوية الناصرية. فانتفع به خلق كثير منهم، موسى الناصري وأخوه عبد الله، وأحمد بن عبد الرحمن السجلماسي.

توفي سنة 1135 / 1723، بعد أن عمر حوالي مائة سنة. وتشير المصادر إلى أن له تذييلا حسنا على *الوسيلة الناصرية*، وفهرسة بعنوان *الشموس المشرقة بأسانيد المغاربة والمشارقة* لم نعثر عليها (م. س ص. 220 ـ 222).

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة*، مخطوط ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، 2: 416 ـ 419 ؛ ابن سودة، *دليل*، 2 : 332 ؛ الزركلي، *الأعلام*، 1 : 54، كحالة، معجم، 1 : 67، وغيرهم.

**السباعي، أحمد** بن **إبراهيم** بن علي ؛ ابن السابق. وإذا كنا لا نعرف شيئاً عن سني حياته الأولى، فإننا نعلم أن والده كان من بين أسانيد الزاوية الناصرية الأوائل، إذ كان ممن أخذوا عن الشيخ مَحمد ابن ناصر، الذي آنس منه سعة العلم، فاختصه بالإشراف على تأديب ابنه أحمد الخليفة وإقرائه، وذلك ما تمت الإشارة إليه. وبناء على ذلك نرجح أن يكون المترجم قد نال موفور حظه من العلم بتامگروت، التي كانت تعج آنئذ بالعلماء والطلبة، بجانب ابن الشيخ المذكور (*الدرة الجليلة*، م. س. ص. 221).

أخذ السباعي الورد عن الشيخ أحمد بن مَحمد ابن ناصر (م. س. ن. ص. 202). ولذلك ليس من الغريب أن نجد السباعي، كدأب والده، من بين أساتيذ الزاوية الناصرية ؛ سيما وأن الخليفتي يذكر أنه "تمهر في العلوم، وكان متفننا فيها" ؛ بل لم يكن يجارى في علم التفسير، على الخصوص. ومما يذكر هاهنا، أن كثيراً من الناصريين تتلمذوا عليه، منهم محمد المكي الناصري، مؤلف الدرر المرصعة ؛ الذي أثبت الإجازة التي نالها منه (*فتح الملك الناصر*، ص. 74 ـ 76). تؤكد هذه الإجازة ما قاله الخليفتي إذ يبدو من خلالها أن السباعي كان متضلعا في علوم كثيرة، منها علم الحديث ؛ سيما *صحيح البخاري ومسلم*، و*جامع الترمذي وشمائله*، و*موطأ مالك*، و*سنن أبي داوود*، و*سنن النسائي*، و*سنن ابن ماجه*، و*شفا عياض*، و*الأربعين النووية*، و*منتقى الباجي* ؛ ومنها القراءات، *كالشاطبية*، و*النشر*. هذا فضلا عن تبحره في التفسير، والتصوف والرقائق والفقه (*الدرة الجليلة*، ص. 176 ـ 178).

ومن جانب آخر كان المترجم ممن يغلب عليهم الجذب، فإذا غشيه ذلك يأوي إلى زاوية سيد الناس القريبة من تامگروت ؛ فيمكث بها أياما ثم يعود إلى داره بالزاوية الناصرية. وكان ذلك دأبه حتى وفاته بتامگروت، بعد عام 1141 / 1729. ويشير المصدر نفسه إلى أنه مدفون بمقبرة أبي القاسم الشيخ (م. س. ن).

الخليفتي، *الدرة الجليلة*، مخطوط ؛ م. المكي الناصري، *فتح الناصر في إجازات مرويات بني ناصر*، مخطوط.

أحمد عمالك

**السباعي، بوبكر** (سيدي -) ابن الولي سيدي محمد بن المداح دفين الجرعان بقبيلة عبدة. ينتسب إلى فرقة أولاد الغازي السباعية المنتمية إلى فخذ أولاد عمرو. وقد اشتهر هو وأبوه بالخير والصلاح. ولهما زاوية في قبيلة عبدة تحظى بتقدير واحترام السكان ويؤمها الزوار من مختلف القبائل المجاورة لها.

وسيدي بوبكر هذا هو ابن عم سيدي العروسي دفين

وادي تانسيفت ببلاد الشياظمة. (*عقود النسب*، د. د. ع : 449 ـ 450).

ح. كفناني، *قبيلة أولاد السباع أبي في القرن التاسع عشر*، د. د. ع مرقونة، بكلية الآداب بالرباط، 1988.

حسن كفناني

**السباعي، الجيلالي** بن أحمد بن المختار، العالم الحافظ المشهور من قبيلة أولاد بوسباع بأحواز مراكش. إن الإشارات والمعلومات القليلة التي تسمح بها المصادر لا ترقى إلى مستوى تتبع مراحل حياته، غير أن ما تسجله بشكل عام أنه نشأ وترعرع ببلده قبل أن يقوم برحلة لطلب العلم، قادته إلى سوس حيث مكث مدة أخذ عن الشيخين الحضيكي بزاوية أفيلال، وأحمد الهوزيوي بتارودانت. استطاع السباعي بعد استقراره ببلده أن يستقطب عدداً لايستهان به من الطلبة وأن ينمي فيهم حب العلم وإتقانه، وأقبل على تعليم الناس وإرشادهم إقبالاً كبيراً. ويبدو من كلام الجشتيمي عنه أنه، نظراً لمكانته العلمية، تصدر للتدريس فترة بمراكش وغيره دون آن يستقر في مكان واحد. فأخذ عنه كثير من الطلبة، وكان يقرئ بالخصوص تفسير القرآن، وكانت له منزلة كبيرة عند العمال يوقرونه ويحترمونه. وقد ألجأه كثرة الإقبال عليه إلى الانقطاع عن المجلس، وقضى مدة منقبضاً عن الناس منعزلاً عنهم، فقرر أن يحج وتزامن مروره بمصر مع تعرض هذه الأخيرة إلى هجومات الفرنسيين، لذا سارع المترجم بالدعوة إلى الجهاد، وساهم بشكل فعال في التصدي للمحتل الأجنبي.

ومن أهم ما يسجل عن حياته العلمية أثناء وجوده بالمدينة المنورة، أنه كان مشاركاً في كثير من العلوم لاسيما التفسير والحديث، اللذين برع في تدريسهما بالمسجد النبوي. وقد حلاه تلميذه أبو الفضل التهامي الاويري (ت. 1246 / 1830 ـ 1831) في كتابه *إتحاف الخل المواطي*... بالحافظ الحجة وأن له من الحفظ ما تحار فيه الأفكار وكونه يتوفر على عدة مؤهلات من ذكاء ونباهة وسرعة الحفظ. وهذا ما حدا بمحمد بن عمر اليبوركي إلى اعتباره من جملة الحفاظ الكبار حتى قيل إنه "المجدد على رأس المائة لكثرة ما جمع من العلوم، مع اتساع الباع في الحفظ والفهم، قيل إنه استظهر القاموس حفظاً وإتقاناً".

ويبدو أن صدى نشاطه العلمي في البقاع المقدسة وصل إلى المغرب فأولاه السلطان مولاي سليمان عطفاً خاصاً، بأن أرسل إليه إعانات مادية. بيد أن ما يستشف من كلام صاحب "*إتحاف الخل*..." أن المترجم تجرد عن كل ما وصله من السلطان، وقد نبهه في مناسبة أخرى على توليته العمال الجائرين على الرعية عوض العلماء الاتقياء. ويظهر من هذا أن السباعي كان يتهرب وينفر من بط أية علاقة بالسلطة ورموزها. ويفضل الزهد والانزواء.

له قصائد في المدح والتصوف تدل على أنه أديب فصيح، كما كانت له مساهمات فقهية.

توفي بصعيد مصر بقرية تدعى أحكاز عام 1213 / 98 ـ 1799.

ع. الرحمان الجشتيمي، *الحضيكيون*، تر. رقم 62، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 11، ص. 316 ؛ عبد الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، ط 2، 1982، ج. 1، 296 ـ 298.

أحمد بومزگو

**السباعي، عبد الله** بن المعطي بن أحمد الصحراوي ولد عام 1310 / 1892 بمكان يقال له (ترس). حيث حفظ القرآن واتقن رواياته، ثم أخذ العلم عن والده بأحواز مراكش بقرية أولاد عبد المولى، ثم بمراكش عام 1338 / 1919 وتتلمذ على علمائها.

وفي سنة 1374 / 1954 أسس مدرسة تقليدية بأولاد عبد المولى بقبيلة أبناء أبي السباع يدرس فيها العلوم الإسلامية، كما تعاطى الإفتاء لدى المحاكم الشرعية. وقرض الشعر في المناسبات الدينية والوطنية، وله في ذلك قصائد كثيرة. ومن مؤلفاته، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*. طبع عام 1406 / 1986. يرد فيه على الطاعنين في نسب الشرفاء أبناء أبي السباع ؛ *والارتفاق في الرد على من يقول بزكاة الأوراق* (مخطوط) ؛ *والأجوبة السباعية عن الأسئلة المراكشية*.

توفي عام 1390 / 1970.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 266 ـ 278 ؛ أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

**السباعي، عبد المعطي** بن أحمد بن محمد يندرج نسبه تحت عمود "الغازي" الذي هو أكبر أولاد عمرو ابن عامر الهامل، ويعرفون بأولاد "الغازي" وهم "مشهورون داخل قبيلة السباعيين بمكانتهم المرموقة في ميادين العلم والأدب بالإضافة إلى تحليهم بالخصال الحميدة من كرم وجود وشجاعة".

وفروع الغازي بن عمرو هم : أولاد عبد المولى، والعبابسة، وأولاد شنان، وأولاد حمودة، والهلالات، والكوايات والمترجم من أولاد عبد المولى، وقد تبين أن لهذا الفرع ميزة تلقيح باقي الفروع الأخرى بالعلم وفضيلة الاعتكاف على خدمته ونشره في الناس، وإنشاء المدارس العلمية الخاصة بذلك، ويشهد لما ذكرناه اقتداء العديد من المتخرجين من مدرسة أولاد عبد المولى من السباعيين بشيخهم عبد المعطي وأنجاله في إنشاء مدارس علمية خاصة بهم يقومون بها من مالهم الخاص.

ولد عبد المعطي السباعي أول عشرة السبعين ومائتين وألف هجرية في بوجمادة، وهو محل معروف بأولاد أبي

السباع، يمر عليه الذاهب من مراكش إلى أكادير بعد الخروج من شيشاوة.

أخذ العلم عن جلة من علماء عصره بموطنه بأولاد أبي السباع وبمراكش وسوس، كما التقى بالعديد من كبار أهل العلم بالمغرب والمشرق واستجاز وأجاز إجازات علمية عامة وخاصة...

ولمّا حجّ لقي السيد إبراهيم السنوسي بثغر الإسكندرية فأجازه بكل ما يرويه، ورأى الشيخ عليش بمصر، وأخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ مبارك الدميسي السباعي وعن سيدي الزوين والشيخ إبراهيم السوسي اليحياوي.

والتقى في الصحراء بآل محمد سالم المجلسي والشيخ محمد المقري والشيخ إبراهيم بن حامل المستقل بقراءة العلم من عام 1274 إلى 1280 على يد الشيخ سعيد الشريف الكثيري (*الإعلام*، 8 : 386).

وقد أسس الشيخ عبد المعطي السباعي مدرسة بمسقط رأسه عام 1318 / 1901 فانقطع فيها لإقراء العلوم ودراسة الفنون والتنقيب والتدقيق والنخل والتحقيق، فقصده فيها الطلبة الغرباء من كل فج عميق، فتكفل لهم بالإيواء والإطعام، وشغل أوقاته معهم في التعليم والإفهام. واشتهرت مدرسته في عهده بالجد والعطاء والعمل الدؤوب واستمرت بعده على ذلك بفضل أولاده العلماء الذين تخرجوا على يديه، خصوصاً عبد الله الذي خدم العلم بكافة مظاهره مع تمكن واعتداد بالنفس، ورفع شأوه في ذلك من مستوى مدرستهم العلمي وقصدها الطلبة النجباء من كل مكان، وهي مدرسة جمعت بين اللغة والبيان، والفقه والإفتاء والمشاركة في كافة الميادين العلمية، وتخرج منها نخب متضلعة متتالية، ومازالت فيها أثارة من علم حتى الآن.

توفي عبد المعطي ظهر يوم الجمعة خامس شعبان عام ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة وألف / 18 يونيه 1915.

إبراهيم الوافي

**السباعي، علي** بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله السباعي نجاراً، المراكشي وجاراً، ولد عام 1312 / 1894 بدوار الروافع من قبيلة أولاد أبي السباع. وبمسقط رأسه حفظ القرآن الكريم على يد الفقيه السيد محمد بن سالم السباعي إلى أن استظهر عليه كتاب الله، مع تلقي المبادئ الأولية للعلوم الإسلامية واللغوية. وفي سن الثالثة عشرة من عمره التحق بمدرسة أولاد عبد المومن بنفس القبيلة ليقرأ بها على الفقيه عبد المعطي بن الحاج أحمد السباعي، ثم على يد الفقيه محمد الصغير، ثم على ولده الثاني عبد الله، أخذ عنهما *رسالة* ابن أبي زيد القيرواني، *والمرشد المعين* بشرح *ميارة*، ثم *الألفية بشرح السيوطي*، *وإضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة* بشرح عليش. وفي سنة 1333 / 1914 رحل إلى مراكش ليتم دراسته العلمية بجامعة ابن يوسف، حيث درس على السادة العلماء : محمد بن التاودي السرغيني ومولاي أحمد العلمي والحاج عبد السلام بن محمد بن المعطي السرغيني عمر بن التاودي الصنهاجي عبد الرحمن المدني العمراني وشيخ الجماعة العربي الرحماني البربوشي وغيرهم. وقد أجازه جل الشيوخ إجازة تقر له بالتحصيل والفهم والادراك. وفي سنة 1343 / 1924 شرع في تدريس ماله من رواية ودراية وتدرج في سلك العلماء من الفئة الثالثة إلى الثانية إلى الأولى. ولم يقتصر نشاطه على التعليم بالجامعة اليوسفية، بل تجاوزه إلى منابر مساجد مراكش ؛ كجامع الكتبية، وجامع المواسين، وجامع القصبة وغيرها. حيث حاضر في التفسير والحديث، والألفية، والشيخ خليل، بمنهج يجمع بين خصائص الوعظ والإرشاد، وبين روح البحث العلمي الرصين.

وتشاء الأقدار أن يرحل إلى مدينة الدار البيضاء ليعمل بمدرسة السلام مدة خمس سنوات، ويتولى الخطبة بجامع الحمراء نيابة عن المفضل لحريزي. بعدها عاد للجامعة اليوسفية.

وفي سنة1365 / 1945 تولى قضاء شيشاوة وإمِنتانوت مدة إحدى عشرة سنة. ثم استعفى وانصرف للتدريس بمراكش وتولى خطبة الجمعة في جامع القنارية نيابة عن الفقيه السيد عمر بن التاودي، ثم جامع الكتبية نيابة عن الفقيه السيد بوشعيب الشاوي.

ولما أنشئ المجلس العلمي لمدينة مراكش سنة 1402 / 1981 عين عضواً فيه باقتراح من رئيسه الرحالي الفاروق.

توفي عشية الاثنين 23 رمضان 1419 الموافق 11 يناير 1999 وأقبر يوم الثلاثاء بمقبرة باب دكالة.

*روايات شفوية* ؛ أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

**السباعي، محمد** بن **إبراهيم** بن محمد بن الحفيد الحاحي المراكشي من فخذ يعرفون بالعبيدات من أولاد أبي السباع، القبيلة المشهورة غربي مدينة مراكش ؛. ولد في أواسط العشرة الخامسة من القرن الثالث عشر (19 م) بمدينة مراكش. انقسمت مرحلة دراسته الأولى بين مسقط رأسه وبين قبيلة دمسيرة، حيث حفظ القرآن الكريم وشدا بعض المتون المتداولة، وعمدته آنئذ الشيخ سعيد بولواح الدمسيري. وبعد أن أخذ بمراكش، انتقل إلى فاس حيث مكث ما ينيف عن خمسة أعوام. وقد أخذ بالمدينتين عن فحول علمائهما، كمولاي الصادق العلوي، وشيخ

الجماعة أحمد المرنيسي، ومحمد بن المدني كنون، ومحمد بن عبد الرحمن الفلالي، وعمر ابن سودة ومولاي عبد المالك الضرير وغيرهم. وأجازه كل هؤلاء، كما هو مثبت في *إظهار الكمال*.

وكانت نتيجة تحصله أن أصبح صدراً من صدور العلم في زمانه. فبرز في علوم شتى، سيما التفسير والحديث والأصول والفقه المالكي، إذ كان حامل لوائه، وفي الأدب واللغة والعروض والتاريخ.

وانتهت إليه فضلا عن ذلك، رئاسة الفتوى في مراكش ؛ بل كانت ترد عليه الأسئلة من كافة أنحاء المغرب. ويذهب تلميذه العباس بن إبراهيم المراكشي إلى أن أجوبته لو جمعت لأربت على نوازل *المعيار* (*الإعلام*، 7 : 193). وبالرغم عن عدم شهرته باتباع *طريقة* صوفية معينة، فإنه كان يثني ثناء جميلا على الناصريين. وكان على خلاف مع الشيخ محمد بن أحمد أكنسوس، التجاني الطريقة ؛ حيث رد عليه تلميحا وتصريحا، وخاصة فيما يتصل بأولاد أبي السباع، الذين كان هذا قد بالغ في الإنكار عليهم، في نظر السباعي (*البستان الجامع* .. نسخة خزانة آل سعود البيضاء، ص. 147 ـ 152). وكما اشتهر بأدبه وشعره، اشتهر بشدة شكيمته على مبتدعة عصره، وحسه النقدي ولسانه الحاد ؛ حتى إنه لم يقتصر على الإنكار على مخالفي الشرع في زمانه فحسب، بل تصدى لبعض رجال المخزن كذلك.

من ذلك أنه ألف رسالة *كشف الستور عن حقيقة كفر أهل بصبور* للتنديد بالمتلبسين بالحماية القنصلية، التي استشرت بين كثير من المغاربة، في زمانه. ولم يكن يني عن تبيان أحوال حاشية السلطان، بما كانوا عليه من سوء السيرة ونهب أموال الرعية، وغير ذلك من الأفعال الدنيئة. وهذا ما دفع بعضهم إلى السعاية به إلى السلطان، فامتحن بالسجن ثلاث مرات ؛ مرة في عهد السلطان سيدي محمد ابن عبد الرحمن، ومرتين في عهد ابنه مولاي الحسن. وبالإضافة إلى هذا السبب، يفصل المترجم سبب اعتقاله الأول بأن من تعرض لإذايته اتهمه بالتقاعد عما وضع عنده بعض العمال من مال. ويرجع سبب الاعتقال الثاني، والذي نقل على إثره إلى مدينة فاس، إلى تردده على الأمير مولاي علي بن عبد الرحمن. وأما الاعتقال الثالث، فلا تفصح عن سببه المصادر. وإنما ترجعه إلى أنه ألح في طلب "حق وجب له شرعاً".

"إلا أن كل ذلك لم يفل من غربه، ولم يوهن من صرامته ولاحده". بل استمر مهيب الجانب، محترما عند الجميع، بما في ذلك المخزن نفسه. في هذا السياق، يذكر أنه تشفع ذات يوم لدى السلطان المولى الحسن، في بعض أقاربه الذين كانو مسجونين، فقبل شفاعته وأجزل صلته.

وبالجملة فإن الصرامة الممزوجة بالدين المتين والنزاهة والهمة العالية والنفس الكريمة والأخلاق الزكية، قد جعلت مترجمنا كثير الحاشية، واسع الناد، عظيم الثروة.

واشتغل المترجم بتلقين العلم، نحو نصف قرن، بمدينة مراكش التي استقر بها في نهاية الثمانين، بعد أن رجع إليها من فاس ؛ فلاقى قبولا كبيراً، حتى أخذ عنه جل معاصريه. وقد علل ذلك فقال : "ومال المتعلمون كلهم لي عن غيري غالبا لأمرين : عدم الاشتغال عنهم بلا بطالة، ويأتون بظن حسن، ونية خالصة" ( *الإعلام*، م. س. ن. ص. 204).

ترك السباعي آثاراً ذكرتها المصادر، منها شرح *الأربعين النووية*، وشرح *خطبة الخرشي لمختصر خليل*، أتمه في 22 جمادى الأولى عام 1311، ومنها تقييد في *أسباب خلع المولى عبد العزيز* (مخطوط خ. ع رقم 3937 / 1 ). ورسالة *كشف النور عن حقيقة كفر أهل بصبور*، وختمة *المختصر الخليلي*، و*سيف النصر لدفع الإيهام مع ذكر خصائص مؤكدة لوجوب محبة ذرية مولانا هشام* ؛ ألفه في أسباب نفيه معتذراً عن نفسه وعن السلطان بكونه لا تبلغه الأشياء على حقيقتها، وأن حاشيته تلبس عليه توصلا لأغراضها. فرغ من تقييده يوم 10 ربيع النبوي 1309 ؛ منه نسختان خطيتان في كل من الخزانة الحسنية، تحت رقم 309 والخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 2942 د (*المصادر العربية*، 2197). وله عدة أشعار منها رائية من الطويل في ختم على أن أجل مؤلفاته هو كتاب *البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد بعض مآثر السلطان مولانا الحسن*، الذي ألفه بإشارة من الوزير علي المسفيوي، بناء على اقتراح من السلطان نفسه ؛ كما ثبت ذلك في رسالة وجهها الوزير المذكور إلى السباعي، مؤرخة في 9 جمادى الثانية 1306، جاء فيها : "وآمرك أن تسرع في تأليف مصنف يكون محتويا على جميع سيرته، وتتبع فيه الوقائع الصادرة في ظعنه وإقامته من أول خلافته، ولا تتعرض فيه لوضع أحد ولا تنقيصه بما ليس فيه، وتقتصر على ما هو الأليق بالمقام، وتجتنب ما كان خارجاً على سياق الانسجام". وهذا الكتاب بالرغم عن كونه يندرج في سياق الكتابة الرسمية، فإنه جاء حافلا بالمعلومات الموضوعية، لأن صاحبه عرف بالصدع بالحق وإنكار ما يستلزم الإنكار، سيما حين يتطرق إلى حركات السلطان، وسيرة رجال مخزنه. وقد وصفه الأستاذ المنوني" بأنه مفيد جداً في تاريخ حركات العاهل المنوه به". ولايزال هذا الكتاب مخطوطاً، نعرف منه أربع نسخ : اثنتان بالخزانة العامة بالرباط، تحت قمي 1346 د و1823 (مصورة على الشريط)، ونسخة بالخزانة الحسنية، تحت رقم 12432، ونسخة بخزانة آل سعود، بالدار البيضاء.

توفي محمد بن إبراهيم السباعي في الساعة الواحدة من ليلة الاثنين سادس رجب عام 1332 / فاتح يونيه 1914، عن سن تناهز سبعة وثمانين، ودفن بضريح عبد الله الغزواني، عند رجليه، على يمين الداخل إلى القبة.

م. بن إبراهيم السباعي نفسه، *البستان الجامع*، مخطوط، خزانة آل سعود، الدار البيضاء ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *معجم الشيوخ*، 1 : 55 ـ 61 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 7 : 190 ـ 210 ؛ ع. السلام بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 1 : 131 ؛ الزركلي، *الأعلام*، 5 : 305 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، 1 : 328 ؛ *المصادر العربية*، 2 : 201 ـ 202.

أحمد عمالك

**سبّاطة** ويكتب أيضاً شباطة أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل إسم Sabata وZapata. وكان سكناهم بحي العيون.

ومازالت أسرة سباطة بمدينة الرباط، ولا يعرف إن كانوا جاؤوها مباشرة من الأندلس أو بعد أن استقروا مدة بتطوان.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط ؛ م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1372.

محمد ابن عزوز حكيم

**سباطة، بناصر** الرباطي فقيه حافظ للقراءات السبع، اشتغل بتأديب الصبيان في كتاب مجاور لمسجد النخلة. وكان متمسكا بالطريقة الدرقاوية. ومن تلاميذه الذين قرؤوا عليه القرآن العالم المهدي متجينوش.

توفي سنة 1294 / 1780. وترك ابنه محمداً الذي ورث عنه مهنة تأديب الصبيان. وكان يحضر مجالس الشيخ المكي البيطاوري. وطريقته درقاوية حراقية. وتوفي محمد ابن بناصر سباطة عام 1324 / 6 ـ 1907.

دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 196 و269.

**سباطة، الغازي** الرباطي، من العلماء الذين كرّسوا حياتهم لقراءة الحديث، وسرد كتب السنة على الشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي إذ أوتي صوتا رخيما يستحليه السامع، ويطرب لرقته. وكان كل رمضان يسرد *صحيح البخاري* بالزاوية الناصرية.

حج سنة 1330 / 1912 وحضر دروس الشيخ محمد بن جعفر الكتاني بالمدينة المنورة في *صحيح البخاري* و*موطأ مالك*، وسرد عليه جملة من الصحيح، كما حضر مجلسه في *همزية المديح* للإمام البوصيري. وأجازه الكتاني إجازة بخط يده أمام الحجرة الشريفة. وله *ختمة لصحيح البخاري* حررها في الثالث من محرم عام 1351. وقد روى الصحيح على عدة شيوخ كالمكي البيطاوري والقاضي أحمد بناني ورواه أيضا على بعض كبار علماء الشرق كالشيخ يوسف النبهاني البيروتي الذي أجازه به وبجميع مروياته ومؤلفاته بالمسجد النبوي، والشيخ توفيق الأنصاري الشامي كما أجازه علماء آخرون.

تولى الكتابة مدة طويلة بوزارة العدلية، ثم القضاء بالرحامنة، وأخيراً ببني ملال، وعرف بنزاهته وعدالته أيام القضاء، حتى كان أحيانا لايجد ما ينفق، وقد استعفى من خطة القضاء، غير أن الباشا بوجمعة كان يؤخر مكاتبه ويساعده على العيش من ماله الخاص إلى أن أعفي.

ودرس أيضاً على الشيخ فتح الله بناني وأخذ عنه الطريقة الفتحية وكان يتولى السرد بين يديه.

ويذكر الجراري أن الغازي سباطة مادرس إلا عن كبر بدافع الولوع العلمي والشغف بالمعرفة، فقد كان في شبابه الأول يحترف صناعة الدباغة وأثناءها استظهر القرآن الكريم، إذ أخذه عن المعلم قاسم بربيش بدار الدباغة وبعد استعفائه من القضاء، لزم داره إلى أن وافاه الأجل ليلة الأربعاء 6 رمضان عام 1356 / 10 نونبر 1937 ودفن بمقبرة سيدي مَحمد الضاوي.

عبد الله الجراري، *من أعلام لفكر بالعدوتين*، الرباط، ص. 375 و376.

**سبّاطة، محمد** بن أحمد، من الفقهاء والأدباء الرباطيين، عرف بسمو الأخلاق والنجابة، وهو شاعر يميل إلى التصوف. تتلمذ على الشيخ المكي البيطاوري ثم على الصوفي فتح الله بناني. وله فيه قصائد عديدة. وترجمة أسماها : *الفتح الرباني في التعريف بالشيخ فتح الله بناني*. ومن شعره قوله من قصيدة أسماها : *تحفة الأحباب في الحض على سلوك الصواب*، مطلعها :

ياهائما في الورى قد زج في العلل  قد خامرت عقله الأوهامُ بالأمـل

توفي بالدار البيضاء وهو أعزب في جمادى الثانية من سنة 1325 / يوليوز ـ غشت 1907 ودفن بالزاوية الفتحية هناك.

دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 271 ؛ عبد الله الجراري، *من أعلام لفكر بالعدوتين*، ص. 90و91.

عبد الإله الفاسي

**سبتة**، إحدى المدن التاريخية المغربية العتيقة. كانت قديماً تدعى سبتيم (انظر سبتيم) تقع في أقصى الشمال الغربي المغربي، وتحتل منطقة تضاريسية مرتفعة تمتد في البحر من الغرب في اتجاه الشرق، وهي تحتل بذلك موقعا جغرافيا استراتيجيا يمكنها من التحكم في مدخل مضيق جبل طارق مما أهلها لتقوم بأدوار تاريخية مهمة على مستوى أحداث الحوض الغربي للبحر المتوسط منذ أقدم العصور. فالتطور الذي شهدته المدينة لا يرتبط بالإمكانيات الاقتصادية المحلية المحدودة لباديتها بليونش وما وراء ظهرها عموما، وانما ارتبط بالبحر على الخصوص (*Ceuta*, 21).

شكلت قبيلة غمارة الساكنة الأولى لمدينة سبتة، ومنها ظلت تستمد طاقتها البشرية خلال مختلف مراحلها التاريخية. كما أن معظم الحركات التمردية التي كان يرأسها أمراء الأسر الحاكمة، والتي كانت تنطلق من سبتة، كانت تستمد قوتها من غمارة، الشيء الذي يفسر الحملات الزجرية التي كان يقوم بهـا الجيـش الامبراطـوري ضد هذه القبيلة، كمـا يفـسر من جانب آخر صعوبة تحديد مجال تحركات هذه القبيلة بحيث كان يضيق أحيانا ويتسع أحيانا أخرى. مع بداية حركات الاسترداد المسيحي في الأندلس، والدور الثقافي الذي أخذت تلعبه المدينـة منذ القرن السادس (16 م) على الأقل اتسعت القاعدة السكنية وتنوعت بحيث أصبحنا نجد بها الإشبيلي والمالقي والجزيري والتلمساني والصقلي والصنهاجي وغيره (*Ceuta*, 30 .etc.)

سبتة في بداية القرن 17

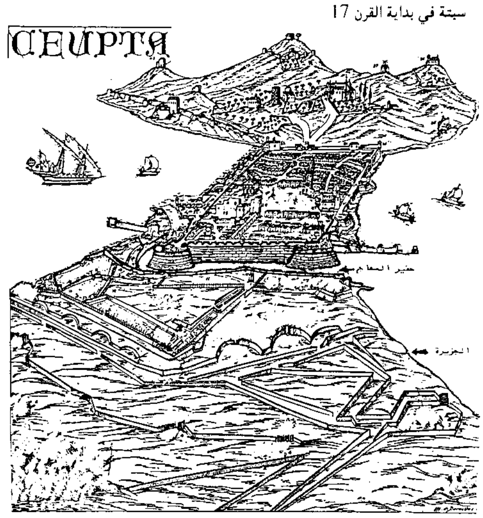


اختلف الكتاب حول أصل التسمية بين التفسير الديني للكلمة والذي يربطها بسبت ابن سام ابن نوح (*البيان المغرب*، 1 : 202 ؛ *أزهار الرياض*، 2 : 256 )، والتفسير اللغوي الذي يرى أن الاسم جاء من التعبير "سبت النعل" (*نزهة المشتاق*، 2 : 528 )، والتفسير التاريخي الذي يرى في اسم سبتة اشتقاقاً من الاسم الروماني "Septem Fractres" الذي كانت تنعت به مجموع المرتفعات التي يتكون منها جبل موسى والتلال المجاورة الممتدة على طول المضيق (*Le Maroc*, 142).

اختلف الباحثون حول الجذور التاريخية للمدينة. تؤكد البحوث الأثرية على أن سبتة عرفت استقراراً بشريا يعود إلى العصر البليوليتيكي (Paléolithique). وقد أكدت الأدوات المكتشفة المتشابهة في الضفتين الغربيتين للبحر المتوسط على أن الثقافة الكبسية (Capsienne) ذات الأصول الافريقية تمثل قاسما مشتركا بين جميع هذه المناطق (*Geografia*, 155). إلا أنه صعب على الباحثين وضع إطار زمني وتاريخي لظهور هذه النواة والتي بموقعها المتميز تكون قد جذبت أنظار البحارة القدامى وهم في طريقهم للبحث عن العبيد والمعادن وغيرها. ويبدو أن الكريتيين أول شعب جاب البحر الأبيض المتوسط باحثا عن النحاس وربما البرونز الضروري لصناعة الأسلحة، إلا أنه لم يتم العثور على دليل مادي أو غيره يفيد نزولهم بالمنطقة. ويميل الباحثون إلى اعتبار الاغريقيين أول شعب وطأ المنطقة معتمدين في ذلك على التراث الأدبي الذي تجسده قصة أديسا الشهيرة التي يتفق الباحثون على أن أحداثها وقعت في التلال المحيطة بسبتة وبجزيرة البنقدوس (Ile de Préjil). القريبة منها، إضافة إلى أسطورة هرقل المعروفة. كما أنه لاتوجد أدلة تاريخية مادية للحديث عن بناء فينيقي لسبتة، في حين تم العثور على نقود قرطاجنية بجبل الميناء الشيء الذي دفع البعض إلى القول بالأصل القرطاجني للمدينة (Monedas punicas). ولعل أهم حدث يؤكد وجود المدينة منذ هذا التاريخ هي الحروب القرطاجنية الرومانية الثانية في مضيق جبل طارق. لقد تضمنت المصادر إشارة إلى سبتة التي استقبلت السفن القرطاجنية المنهزمة (*Historia de la ciudad...*, 26 ; *Geografia*, 158).

لا نعلم شيئا عن ظروف انتقال سبتة من الحكم القرطاجني إلى السيطرة الرومانية. من المحتمل جدا أن الملوك الموريطانيين لم يظلوا في معزل عن الأحداث بل دخلوا في صراع ضد روما من أجل الحفاظ على استقلالهم. تجلى تفوق روما من خلال التحصينات الجديدة التي أقامتها حول سبتة، بل وفي اطار الاصلاحات الإدارية الرومانية اتخذت سبتة لقب "عاصمة موريطانيا" برمتها (*Historia de la ciudad...*, 31). لقد أكدت البحوث الأثرية الأهمية التي كانت لسبتة سواء في علاقتها مع روما (نقود) أو في علاقتها مع باقي أقاليم الامبراطورية (أدوات فخارية وغيرها) (*Monedas romanas...*, 310 ; *Monedas punicas...*, 120).

تتميز الفترة الممتدة من القرن الثالث إلى القرن السادس الميلاديين بكونها فترة مظلمة في تاريخ سبتة. تتفق هذه الفترة مع أحداث النهب والسلب التي تعرضت لها الامبرطورية الرومانية من جراء الغزو الوندالي، ولم تنج سبتة كباقي الممتلكات الرومانية في شمال إفريقيا كاللكسوس وتمودا من آثار هذا التخريب (*Geografia*, 160). إلا أن أهم الغزوات البربرية على الممتلكات الرومانية الافريقية تلك التي تعود إلى سنة 426 أو 427 الميلاديين والتي تكبدت سبتة من جرائها كغيرها من الممتلكات الرومانية خسائر كبيرة بحيث خرجت المدينة كلها (*Les Vandales*, 160 ; *Historia de la muy noble*, 21).

وفي سنة 534 م استطاع الامبراطور البيزنطي جستنيان Justinien من الاستلاء على موريطانيا الطنجية

وطرد الوندال منها. وفي إطار التنظيمات الإقليمية الجديدة للامبراطورية البيزنطية والتي جاءت بعد خروج موريطانيا الطرابلسية عن سيطرة روما، أصبحت سبتة عاصمة لإقليم كبير أطلق عليه اسم "موريطانيا الثانية" يشمل كل من جزر البليار والممتلكات البيزنطية في إسبانيا (*L'Espagne byzantine*, 73 ; *L'Afrique byzantine*, 127). عرفت سبتة خلال هذه الفترة منشآت عمرانية واجراءات أمنية مهمة بحيث أعيد بناء المدينة المخربة وحصنت بأسوار متينة وأنزلت بها حامية عسكرية وأسطول حربي، كما أنشئت بها كنيسة (*L'Afrique byzantine*, 420).

تميزت مرحلة الاحتلال البيزنطي لسبتة بالتحرشات الفزقوطية على المدينة. وقد اختلف الباحثون حول عدد هذه المحاولات ومصيرها بحيث يرى البعض أنها انتهت باحتلال القوطيين لسبتة مستغلين في ذلك انتفاضة البربر والضعف العسكري البيزنطي. يؤرخون الحدث ما بين 626 و636 للميلاد أي خلال فترة حكم الامبراطور البيزنطي Heraclius Septem (*Ceuta byzantine*, 341). أما البعض الآخر فيرى أن سبتة ظلت تحت السيطرة البيزنطية حتى بعد سقوط قرطاج في يد العرب سنة 698 والتي فقدت بيزنطة على أثرها وبسبب الفتوحات الإسلامية جميع ممتلكاتها الإفريقية باستثناء سبتة التي كان يحكمها أنذاك الكونت يوليان (*L'Afrique byzantine*, 58).

اختلف الباحثون حول هذه الشخصية بين من يعتبره بيزنطياً (*Recherches sur l'histoire*, 65) وبين من يعتبره قوطياً (*Ceuta byzantine*, 342) وبين من يعتبره بربرياً (*Ceuta*, 52). يجزم الباحثون أن يوليان كان مع بداية القرن (8 م) مستقلا بحكم سبتة. وتؤكد المصادر العربية على أنها الشخصية التي يسرت مهمة الفاتحين المسلمين ليس فقط في دخول سبتة وإنما في اقتحام إسبانيا القوطية (*كتاب المغرب*، 104 ؛ *البيان المغرب*، 2 : 6).

ابتداء من سنة 89 / 708 أصبحت سبتة مقاطعة أموية تحت حكم يوليان أولاً، ثم بعد ذلك تحت حكم الولاة المعينين من قبل الخلفاء الأمويين. إلا أن وصول التأثير الخارجي إلى المنطقة والسياسة المالية الجاحفة للأمويين فجرت ثوراث محلية من أهمها ثورتا 116 / 734 و123 / 740 كان نتائجها طرد الحكام العرب والتخلص من السيطرة العربية وخلاء سبتة التي ظلت مهجورة إلى حين وفود أسرة بني عصام الغمارية (*المعلمة*، 5 : 1545) عملت هذه الأسرة على ازدهار المدينة التي أخذت تتوسع باستقبال المهاجرين الأندلسيين (*كتاب المغرب*، 104 ؛ *العبر*، 6 : 435). إلا أن فترة الاستقرار التي شهدتها المدينة تحت حكم بني عصام مستقلة أو في اطار التبعية لدولة الأدارسة لم تدم طويلا نتيجة الأزمات السياسية التي شهدها الغرب الإسلامي برمته والذي أصبح موزعا بين المطامح الفاطمية والأموية والإدريسية (*Ceuta*, 58 etc.).

في سنة 319 / 931 سقطت سبتة في يد الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر كجزء من مشروع كبير يهدف إلى ضم الممتلكات الأموية القديمة على حساب الخلافة العباسية المشرقية، وكسياسة حمائية أمنية من التأثيرات الشيعية التي اقتحمت الغرب الإسلامي ووصلت إلى أبواب سبتة مكونة الأحلاف. لم يستطع الفاطميون والأدارسة اقتحام سبتة بالرغم من الانتصارات التي حققوها على الجيش الأموي في بوادي طنجة وسبتة وذلك بسبب التحصينات التي أقيمت حول المدينة في عهد الخليفة الناصر واستكملت خلال العهد العامري. ومع بداية القرن عندما اندلعت الثورة البربرية في الأندلس ضد سلطة بني أمية، استفاد القاسم وعلي ابنا حمود الإدريسي من الوضع بدءا في تنفيذ مشروعهما السياسي أولا في سبتة بمساعدة غمارة أحلافهم التقليديين، ثم بعد ذلك في الأندلس (*المعجب*، 67). ولم تمكث سبتة طويلا في يد بني حمود بعد أن استقل بحكمها سقوط البرغواطي أحد مواليهم الذي اتخذ لنفسه لقب "المنصور المعان" وصك عملاته باسم الخليفة العباسي ( *الذخيرة*، 1 : 41).

ساهمت التطورات التي شاهدها الغرب الإسلامي في نهاية الإمارة البرغواطية المستقلة، ذلك أن ظهور المرابطين والدفع بفتوحاتهم شمالا واصطدامهم بالمغراويين أدى بالضرورة إلى إقحام البرغواطيين في حضن الصراع. فكان رفض سقوط البرغواطي لعرض التحالف الذي تقدم به يوسف بن تاشفين ضد المغراويين مدعاة للمرابطين لإعلان الحرب عليهم ومن ثَـمّ القضاء على حكمهم أولاً في أحواز طنجة حيث قتل سقوط البرغواطي حوالي سنة 471 / 78-1079 ثم في سبتة حيث تمكن المرابطون - بعد محاولاتهم البرية العديدة - من اقتحام المدينة بحرا على متن سفن ابن عباد حاكم إشبيلية الذي قدم المغرب مستنجدا بالمرابطين من جراء الضغط المسيحي. وقد تم ذلك سنة 476 / 1083 (*القرطاس*، 143 ؛ *الاستقصا*، 2 : 39).

تميزت الفترة المرابطية بالتوالي السريع للولاة، وبإقحام مجلس الشيوخ في تدبير شؤون المدينة. ويعتبر هذا الشكل من الحرية أحد الأسباب التي ساهمت في رضوخ ساكنة سبتة للحكم المرابطي. كما أن غياب هذا العنصر في العصر الموحدي الموالي هو الذي تفسر به ثورات السبتيين ضد سلطة بني عبد المؤمن أهمها ثورة 543 / 1148 التي كان من أسوإ نتائجها تدمير أسوار المدينة بأمر من سلطان مراكش وتهجير ونفي القاضي عياض زعيم الثورة والمحرض عليها من بلده الأصلي ( *القرطاس*، 191 ؛ *الاستقصا*، 2 : 115).

لعبت سبتة دوراً مهماً في المجال العسكري الحربي خلال العهدين المرابطي والموحدي كجبهة قتالية متقدمة لتجميع المقاتلين ونقلهم بحراً عبر جبل طارق، إما لمواجهة الاعتداء المسيحي في الأندلس على الثغور الإسلامية، أو لتأكيد

السياسة التوسعية لملوك المغرب على حساب الممالك الإسلامية المحلية. ومن المؤكد أن سبتة أدت الثمن غاليا عن ذلك سواء من الجانب المسيحي أو من الجانب الأندلسي نفسه (Ceuta, 70 - 72).

تؤرخ أولى الحملات المرابطية التي تمت عن طريق سبتة في سنة 479 / 1086، وهي الحملة التي أسفرت عن الانتصار التاريخي للمرابطين في معركة الزلاقة، وأصبحت في ما بعد المحطة الرئيسية لإقلاع جميع الحملات المرابطية في اتجاه الأندلس. وقد ظلت محتفظة بأهميتها العسكرية خلال العهد الموحدي بالرغم من منافسة طنجة والقصر الكبير ( *القرطاس*، 145). والملاحظ أن جثوم الأسطول الامبراطوري بميناء سبتة جعلها عرضة لمحاولات عدائية عدة أهمها اثنتان : الأولى في سنة 538 / 1144 وتشير المصادر إلى منفذيها باسم "المجوس" (*كتاب البيان المغرب*، 4 : 103). أما الثانية فحدثت في سنة 576 / 1180 وقد انطلقت من البرتغال (*تاريخ سبتة*، 72).

إلا أن الانحدار الكبير للموحدين في الأندلس بعد هزيمة العقاب أو Las Navas de Tolosa سنة 608 / 1212، وهزيمة القصر في البرتغال بعد ذلك حوالي سنة 614 / 1217، كان مؤشرا بأفول نجم الموحدين وبداية أزمة سياسية طويلة. فبعد الاستقرار النسبي الذي شهده الحكم الموحدي سرعان ما ستتفجر الأزمة من جديد عقب موت المستنصر، وستتحول سبتة على أثر ذلك إلى محطة نزول لجميع المتمردين والمطالبين بالسلطة من أمراء بني عبد المؤمن اللاجئين بالأندلس : ففي سنة 621 / 1224 استقبلت العادل ولي مرسيا السابق والذي رفض تولية عمه عبد الواحد، فأعلن نفسه ملكا بعد أن ترك أخاه أبا العلاء حاكما على الأقاليم الأندلسية، ودخل مراكش. إلا أن سبتة - وتحت تأثير ثورة أبي العلاء في الأندلس وإعلان تمرده عن السلطة المركزية - ستنجرف هي الأخرى مع التيار الجديد وستعترف متبوعة بطنجة وفاس وتلمسان وبجاية بالحاكم الجديد الذي أعطى لنفسه لقب "المأمون". وفي سنة 626 / 1229 دخل الخليفة المأمون سبتة ومنها توجه إلى مراكش بعد أن عين على رأسها أخاه أبا موسى عمران. إلا أن التطورات التي شهدتها منطقة الغرب الإسلامي، ظهور ابن هود في الأندلس كقوة منافسة للسلطة الموحدية وسيطرته على إسبانيا المسلمة بما في ذلك مركزي التأثير الموحدية الجزيرة تمثل الفترة الأخيرة من تاريخ سبتة الإسلامي المغربي والممتدة ما بين 759 / 1358 إلى حدود سنة 818 / 1415 مرحلة الاضطرابات، وهي تناسب فترة التدهور التدريجي الذي طبع المرحلة الأخيرة من الحكم المريني. أهم ما ميز هذه الفترة عودة المدينة من جديد إلى مركز لاستقبال المتمردين القادمين من الأندلس والمطالبين بالسلطة من أمراء بني عبد الحق، وتحول المدينة إلى نقطة صراع مريني - نصري حقيقي. وفي سنة 785 / 1384 قدَّم الأمير الثائر موسى ابن أبي عنان سبتة هدية إلى ملك غرناطة كثمن لمساعدته له في تمكينه من السلطة في المغرب. انتهى الاحتلال سنة 788 / 1386 بثورة أهالي سبتة الحكم النصري وتسليمهم للمدينة إلى الجند المريني (*الاستقصا*، 4: 73 ; Le voyage, 163). عادت سبتة إلى حظيرة الدولة المرينية، إلا أن تدهور مؤسسات الدولة وعدم القدرة على حماية حدودها أصبح ينذر بانفجار هذا الوضع في الوقت الذي أخذت فيه حركات الاسترداد المسيحي تستعيد نشاطها وتكثف جهودها من جديد. فكان تخريب تطوان سنة 801 / 1399 على يد قشتالة ( *الاستقصا*، 4 : 90 ) مشجعا للمشروع البرتغالي الذي انتهى باحتلال سبتة سنة 818 / 1415 ( *الاستقصا*، 4 : 92).

ساهمت الظروف الجغرافية والتاريخية لتجعل من سبتة فضاء سياسيا وتجاريا وثقافيا له ما يميزه على مستوى مدن البحر المتوسط. لقد شكلت نقطة استقطاب ليس فقط للتجار الأوربيين من جنويين ومرسليين وقطلنيين وغيرهم حيث وجدوا سوقا دولية عالمية لاستثمار أموالهم (*Traités de paix*, 75 - 95 ; *Documents inédits*, 1 : 261, 2 : 22)، وإنما أيضاً نقطة جذب للعلماء مغاربيين وأندلسيين. فتكون جيل من العلماء تشبع من تيارات ثقافية مغربية ومشرقية أثر في المسار الثقافي المغربي الأندلسي، وأثرى بانتاجاته الفكرية المتنوعة الخزانة العربية. فاتخذت صورة المدينة العلمية برعاية من حكامها أنفسهم وقد ارتبط اسمها بمناظرات علمية كبرى كالمناظرة المعروفة بالمسائل الفلسفية الصقلية التي كانت بطلب من الامبراطور فريدريك الثاني ملك صقلية وقد انتدب للإجابة عنها الفيلسوف الصوفي ابن سبعين أخطر وأبرز ممثل لمذهب الوحدة الوجودية المطلقة في الإسلام والذي كان مقيما آنذاك بسبتة ( *المقصد الشريف*، 32). كما نذكر المناظرة اللغوية التي كانت بين أبي عبد الله ابن خميس التلمساني الشاعر والنحوي اللغوي الشهير وبين طلبة سبتة (*أزهار الرياض*، 2 : 297). كما كان من السبتيين ممن مثلوا بلادهم في الديار المشرقية حيث أوجدوا لأنفسهم موضعا محترما بين زمرة المثقفين المشارقة كأبي الخطاب وعمرو ابني دحية (*المعلمة*، 12 : 3977 - 3978). ومن الأسماء السبتية الشهيرة التي عرفت أيضا بالمغرب خارج حدوده الاقليمية والعقائدية نذكر الشريف الإدريسي، والقاضي عياض، وأبا العباس الخزرجي، وأحمد العزفي، وابن رشيد الفهري، وأبا القاسم التجيبي، وعبد المهيمن الحضرمي وغيرهم كثير ( *الحركة العلمية*، 11 الخ ; ...Ceuta, 291).


ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972 ؛ ابن بسام، *الذخيرة*، ط. إحسان عباس، 1975 ؛ ابن الأحمر الغرناطي، *نثير الجمان*، بيروت، 1976 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق*، بيروت، 1409 / 1989 ، ج. 2 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، تح. سعيد أعراب، الرباط، 1402 ؛ البكري، كتاب

*المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، ط. دو سلان، باريس، 1965 ؛ ابن تاويت، *تاريخ سبتة*، الدار البيضاء، 1402 / 1982؛ إسماعيل الخطيب، *الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع*، تطوان، 1406 / 1986 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، المجلدان، 6و7 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* (قسم الموحدين)، تح. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، بيروت، 1406 / 1985 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تح. ج. س. كولان وليڤي بروڤنسال، بيروت، الجزآن، 1 و2 ؛ القبتوري، رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي، تح. م الحبيب الهيلة، الرباط، 1399 / 1979 ؛ المراكشي، *المعجب*، الدار البيضاء، 1979 ؛ أ. المقري، أزهار الرياض، الرباط، 1978، ج. 1 و2 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، الأجزاء 2، 3 و4.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIème et XIVème siècle*, Th. 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987 ; L. Blancard, *Documents inédits sur le commerce de Marseille au Moyen Age*, Marseille, 1884, 2 tomes ; A. Correa de Franca, *Historia de la muy noble y fidelísima ciudad de Ceuta*, éd. T. Vargas Machuca García, in *Transfretana*, n° 3, 1983 ; C. Courtois, *Les Vandales et l'Afrique*, Paris, 1955 ; C. Diehl, *L'Afrique byzantine*, Paris, 1896 ; R. Dozy, *Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen-Age*, 3ème éd., Paris, 1881, T. 1 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et la Maghrib aux XIIIe et XIVème siècle*, Paris, 1966 ; *La question de Ceuta au XIIIème siècle*, *Hesp.*, TXLII, 1955, 1e et 2e trim. ; Ibn Khaldun, *Le voyage d'Occident et d'Orient*, A Cheddadi, Paris, 1980; M. Gordillo Osuna, *Geografia urbana de Ceuta*, Madrid, 1972 ; P. Goubert, *Ceuta byzantine ou wizigotique* ? in Miscellania Puig I Cadalalch, Institut d'Etudes Catalanes, Barcelone, 1947 - 1951 ; *L'Espagne byzantine*, in *Revue des Etudes Byzantines*, TIV, 1946 ; D. J. de Mascarenhas, *Historia de la ciudad de Ceuta*, Coimbra, 1918 ; M. L. de Mas-Latrie, *Traités de paix et de commmerce et documents diverts concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen Age*, Paris, 1866 ; C. Posac Mon, *Monedas punicas e hispano-romanas halladas en Ceuta, Tamuda*, T. VI, 1958 ; *Monedas romanas imperialas halladas en Ceuta, Tamuda*, T. V, 1957 ; P. Schmitt, *Le Maroc d'après la géographie de Claude Ptolémée*, Th. 3ème cycle, Tours, 1973

زليخة بنرمضان

** بعد احتلال سبتة من طرف البرتغاليين سنة 818 / 1415 مباشرة بدأت المقاومة الشعبية، وظهر وعي وطني عامّ كوّن فصلاً ضخماً آخر من فصول تاريخ المدينة المغربية بعد أن حولها الغزو الأجنبي من بيئتها الإسلامية السالفة إلى مناقضتها المسيحية. وإذا كان من الواضح أن رصيدها التاريخي المتراكم بعد الاحتلال قد ابتلي بالنسيان، على عكس تاريخها الإسلامي المديد، فإن الحاجة أصبحت ملحة إلى إنقاذ ذلك الرصيد من الاندثار الذي تعرض له بسبب تقادم الوجود البرتغالي ثم الإسباني بسبتة إلى يومنا هذا على مدى ستمائة وست وثمانين سنة. وأولى خطواتنا نحو هذا الإنقاذ هي الكشف عن مكانتها في تاريخ ركب الوعي الوطني المناهض للوجود الأجنبي.

تأتي بداية البدايات من أن اختيار الأجنبي لمواقع محددة من سواحلنا المتوسطية لم يكن عبثا حينما اتجهت أسلحته لامتلاك سبتة، أم مدن الشمال الغربي المغربي. لقد كان الموقع الجغرافي ضمن الاختيارات الاستراتيجية الحربية والسياسية. فسبتة المدينة المغربية المغتصبة في حدودها الأصلية العائدة إلى سنة الاحتلال البرتغالي، شبه جزيرة صغيرة ممتدة بأقصى شرق الشمال الغربي المغربي، عند خط عرض 4،44 شمالا وخط الطول 25،61 غربا، بامتداد طولي متوغل داخل البحر شرقا بنحو 2،50 كيلومتر.

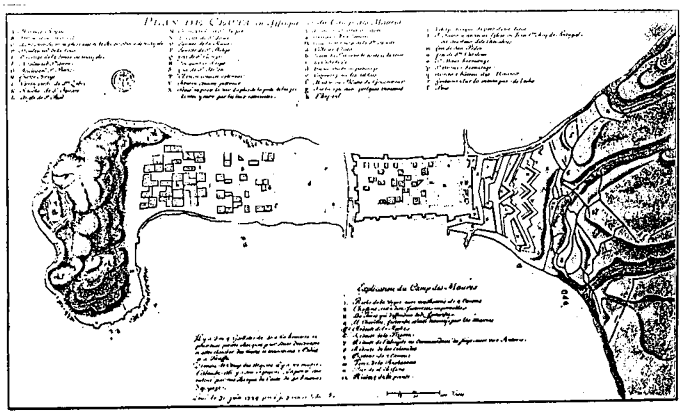

وهناك عدة عوامل جعلت المدينة متميزة عن غيرها من المدن الساحلية المغربية. فالموقع البحري البارز بشكله الطبيعي بأقصى الشمال الغربي منفرد بانفتاحه على قناة مضيق جبل طارق. كل هذا يجعل من سبتة المدينة المتمتعة بمجال بحري متفرع نحو الغرب والشرق من جهة، وإقليم داخلي متسع الأرجاء من جهة أخرى. ويمكن التمييز بسطح شبه جزيرة سبتة زمن احتلالها في العقد الثاني من القرن التاسع الهجري بين ثلاثة محاور عمرانية، اثنان منها بقيا خارج نطاق المقاومة في أغلب الأوقات، وهما الموقع الحربي الذي يعلو شرق شبه الجزيرة المعروف بجبل المينا، والمدينة الممتدة بين جبل المينا وحفير السهاج.

أما القسم الأخير المسمى بالجزيرة فهو الذي أصبح بحكم موقعه خارج الأسوار مما يلي الغرب مسرح المقاومة الغربية طوال الفترة الزمنية السابقة لمنتصف القرن الثالث عشر (19 م). وهو يضم مساحة مباني كل من الربض البراني القديم وقصر أفراك المريني. ومساحة الجزيرة وما عرفته من حراسة الحدود ومحاولات تحرير المدينة التي يهم أمرها هذا العرض المخصص لتاريخ مقاومة الوجود الأجنبي بين سنة 818 / 1415 وسنة 1276 / 1860.

والنتيجة الظاهرة من اختبار موقع مدينة سبتة تظهر أنه ثغر محصن، له نظام دفاعي بري وبحري متكامل. فالحصانة البرية المتمثلة في عقبة حفير السهاج العملاق من العناصر الدفاعية التي ارتاحت لها المدينة مع توالي العصور. فالحماية الوحيدة التي يمكن للمدينة الاستناد إليها في أمنها هي الاعتناء بالبحرية الحربية. لذا فقد كانت سبتة سيدة الموقف بالمنطقة إلى غاية العصر المريني الثاني، على عهد السلطان أبي الحسن علي المريني، حينما كانت معتدة بأسطول وطني متفوق في بحر المضيق. وباختفاء الأسطول منذ منتصف القرن الثامن (14 م). في معركة طريف سنة 741 / 1341 أصبحت المدينة بالنسبة للبحرية البرتغالية بعد أقل من القرن لقمة سائغة ومعركة فاصلة.

ـ فالثابت لدينا عن تحري ظرفيات الاحتلال أن فكرة غزو مياه المضيق كانت موطدة على عهد الدولة البرتغالية، القائمة منذ سنة 787 / 1385 على يد أسرة آفيس وملكها "جواو الأول" (Joao I). وإلى جانب التطلع الخارجي للسياسة البرتغالية الذي كان أهم عناصر الغزو، انضاف عامل الهدنة المبرمة مع قشتالة سنة 814 / 1411، لتدخل فكرة غزو سبتة في مسارها الرسمي حوالي سنة 815 / 1412، بحجة القضاء على القرصنة المغربية التي لم يعنِ بها الابيريون سوى أدوار سبتة الجهادية بالأندلس الإسلامية، إذ أن بحرية سبتة كان قد انتهى أمرها قبل الاحتلال، مثلما تمت الإشارة إليه.

والواقع أن المتتبع لتاريخ الصراع على مضيق جبل طارق، سيدرك أن الوضع العام أصبح في بداية القرن الخامس عشر بالنسبة للبرتغال مغريا على الغزو، بعد تخلي المغرب وانسحاب غرناطة من الميدان وتراجع أطماع قشتالة، مما أتاح لأسرة آفيس البرتغالية أخذ زمام المبادرة لأول مرة في تاريخها. ويمكن اعتبار سنة 1400 بحق بداية التنافس بين قشتالة والبرتغال حول مراكز مضيق جبل طارق. ولاشك أن الحملة القشتالية في تلك السنة على منشآت تطوان البحرية قربت هذا المعنى إلى السياسة البرتغالية.

ومن حسن حظ لشبونة أن وفاة هنركي الثالث، وانشغال القشتاليين بالحرب الأهلية قد أصابا حركة التوسع القشتالية بالجمود، مما أثار حماس لشبونة للسبق إلى جني ثمار السياسة القشتالية للفوز بموقع استراتيجي بالمضيق، مثلما هو موقع سبتة، مستغلة الظروف السيئة التي كان المغرب المريني يجتازها منذ أزيد من نصف القرن.

ولا نتصور الظروف المغربية المناسبة للشبونة، المساعدة لها للانقضاض على سبتة، إلا في تأزم العلاقات الأندلسية المغربية وما رافق ذلك من تدخلات القرابة المرينية، في وقت تزامن فيه مع تفكير البلاط البرتغالي في غزو سبتة، ما بين 1409 و1415. وليس من الصدفة أن يبعث جواو الأول في السنة التي بلغت فيها الحرب بين أبي سعيد عثمان وأخيه محمد السعيد أوجها لجنة استطلاع خاصة لأحوال سبتة، وهذا كان سنة 816 / 1413. وفي صدد البحث عن علات سقطة مدينة سبتة، نرى أن البرتغاليين، حينما قرروا الزحف على المدينة، ركزوا حساباتهم بالنسبة لأمرين : تدهور الوضع العام الداخلي، وضعف إمكانات سبتة الحربية المتمثلة في ضعف تحصينات المدينة. وإذا أضفنا إلى ذلك انطواءها على تطورات الأزمة الداخلية المترتبة عن التنازع على الملك بين الأمراء المرينيين أدركنا دواعي حلول كارثة الغزو بمدينة سبتة يوم الأربعاء 14 جمادى الثانية من عام 818. كما حدده محمد الأنصاري، صاحب مؤلف *اختصار الأخبار*، وكان على ما يبدو من جملة الناجين. وهذا التاريخ موافق لما عينه زورارا بيوم 21 غشت 1415.

من الصعب إيجاد التعابير المناسبة للدلالة على ما أصيبت به البلاد المغربية من جراء الاغتصاب، إذ أن فقدان المدينة بالنسبة لمغرب القرن التاسع (15 م) لا يقل في شيء عن وضع حاجز سميك حجب عن أنظاره حضارة مغربية تطلب تشييدها أزيد من ثمانية قرون متوالية. لقد كان بريق تلك الحضارة هو الذي جر دولة البرتغال إلى تنظيم حملة الاغتصاب، وهو نفسه الذي حث الجانب المغربي طوال القرون المتوالية وبصمود مشرف منقطع النظير على بذل قصارى الجهود لاسترجاع الإرث الحضاري المغربي الضائع.

لا ريب أن حدث اغتصاب سبتة قد وضع المغرب المريني أمام مسؤوليات جسام، نتيجة ما ترتب عنه من العواقب الوخيمة والنتائج المتشعبة الجوانب، بدءاً على الإقليم ثم على البلاد برمتها. وإذا كان البحث عن تلك النتائج وإبرازها من عمل المؤرخين، لما تطرحه مكانة سبتة من القضايا في جغرافية وتاريخ البلاد، فلن يكون من قبيل الأحكام العامة، إذا قلنا إن مرحلة جديدة من تاريخنا كانت قد أعلنت عن ميلادها. ومن أجل ذلك سنعد سنة 818 / 1415 بداية تاريخ المقاومة المغربية، وميلاد الوعي الوطني المناهض للغزو الأجنبي في هذا التاريخ المبكر، السابق بوقت غير وجيز لما سبق طرحه وتحديده في غير هذا المكان من طرف الكتابات الاستعمارية الناكرة لتلك الحقيقة.

لقد كان عزل المدينة عن السيطرة المغربية المباشرة صدمة قوية، إن استسلمت لها أقلام المؤرخين فإن الدعوة الشعبية إلى الجهاد والصمود بالميدان المشرف لم تتوقف بحال من الأحوال.

ولابد من التريث هنا لرسم الخطوط التاريخية العريضة لاستجلاء مكانة سبتة في سلم الوعي الوطني. ومن أجل ذلك نقسم العمل الجهادي إلى محورين اثنين رئيسيين من حيث الأهداف المرسومة لكل محور، وهما في نفس الوقت متكافئان مع فترتين زمنيتين. نسمي الأولى مقاومة الوجود الإبيري، ونخصص لها سنة 1188 / 1775، سنة فشل محاولة تحرير مليلية. ونطلق على الثانية مرحلة

مقاومة الحدود، وهي تبدأ من السنة الأخيرة وتنتهي بسنة احتلال مدينة تطوان عام1276 / 1860 . وسنبسط الموضوع وفق هذين التقسيمين.

ـ وبدءا من فترة مقاومة الوجود البرتغالي الإسباني بمدينة سبتة لابد من الإشارة إلى وجود نوعين من مظاهر المقاومة، من حيث الحضور إلى الميدان، أو لهما متمثل في حراسة الحدود الدائمة بمواقعها قبالة أسوار المدينة المحتلة. وثانيهما هو الذي خصصناه لمحاولات تحرير المدينة من الوجود الأجنبي. وسنعالج الموضوع وفق التسلسل الزمني.

فمن حسن الحظ أن البحث الحديث قد وضع بأيدينا عدداً من الأمثلة التي نستشهد بها على مكانة سبتة في سجل التاريخ الوطني. تتعلق الأمثلة الأولى بردود الفعل المبكرة على النطاقات المحلية والإقليمية والوطنية، إلى أن تأتى إيجاد تنظيم ذي حدود وأبعاد قارة، متواصل الحلقات إلى غاية منتصف القرن الثالث عشر (19 م).

ونشير في البداية إلى دور المؤسسات الدينية الهبطية والغمارية وإلى مساهمات النطاق الوطني التي قصدت ميدان سبتة من الجنوب الغربي المغربي والنواحي الداخلية الوسطى، وجهات الناحية الريفية، بالصورة التي تبين أن أبعد المناطق المغربية وأكثرها عزلة عن الشمال الغربي لم تتوان عن تلبية دعوة الجهاد المنطلقة من حوز تطوان خلال السنوات الثلاث التالية للاحتلال بزعامة أول رؤساء الجهاد عب (عبد الله) بن محمد المريني.

ويمكن ملاحظة أن الهدف من العمليات الجهادية خلال تلك المدة كان مركزاً حول إرغام الجنود الإسبان المتحصنين بالجزيرة في برج من قصر أفراد المريني على الانسحاب من ذلك الموقع الهام، في انتظار التعبئة الوطنية الشاملة، الرسمية منها والشعبية، التي ستظهر خلال سنتي (821 / 1418 ـ 1419).

وهذا الحصار هو أول المحاولات التي نعرفها من هذا النوع، بعد ثلاث سنوات من التأمل والتدبير والاستعداد على النطاقين الوطني والأندلسي. وكل متتبع لأطوار الحصار يتبين له أنه مر في مرحلتين، أولاهما متمثلة في الحصار البري المغربي، وسرعان ما تلاه الحصار المشترك المغربي والغرناطي برا وبحرا، مما لم يكتب له النجاح.

من الطبيعي أن يطرأ على وتيرة الجهاد نوع من التوقف خلال مدة ما بعد الحصارين الأول والثاني وإلى غاية ظهور الحصار الثالث، باستثناء جهاد أبي الحسن علي المعروف بأبي جمعة العلمي القائم إلى جانب المجاهدين الجزوليين. فلا يعود علمنا باستئناف المقاومة إلا سنة 830 / 1426، حين قبل العاهل الحفصي التونسي عبد العزيز التدخل لصالح المقاومة ضد سبتة المحتلة.

وكيفما كان الأمر فإن ما نتعلق به هو ما خلفه الحصار المريني الحفصي من الآثار الحميدة بالإقليم، إذ أنه حرك حماس سكان ناحية سبتة وتطوان للعودة إلى الميدان خلال السنوات التالية. والإشارة موجهة إلى غزوات شيوخ بني عروس (821 ـ 831 / 1418 ـ 1427) وغزوات المرابط التطواني طلحة الدريح (821 / 1427 ـ 833 / 1429) وغزوة أحمد بن مرزوق المجكسي (833 / 1430) وانتصار جبل الدرفة على جيش الفونص الخامس البرتغالي (868 / 1464) والحصار المريني الرابع لسبتة سنة 879 / 1475 وما قام به المنظريون انطلاقا من تطوان في سبيل المحافظة على المستوى المعهود (1485 ـ 1567) من المقاومة، إلى أن عاد تألق الجهاد خلال المرحلة النقسيسية التي تستحق كل الاهتمام (986 ـ 1078 / 1667).

والواقع أن تحرير كل من أصيلا والقصر الصغير قد وضع في أيدي مجاهدي الشمال الغربي لمقاومة سبتة فسحة من العمل موسعة أكثر من ذي قبل. فهذه قبيلة أنجزة، انطلاقا من مركز القصر الصغير، عملت على تنظيم شؤونها الجهادية وبقيت بالميدان صامدة متكفلة بالحراسة الشعبية وحماية الحدود من كل تسرب جديد.

والملاحظ من جهة أخرى أن لمعركة وادي المخازن ونتائجها الإيجابية انعكاسات على الحركة الجهادية من حيث الزعامة، فهي التي أتاحت الفرصة لظهور أسرة آل النقسيس بصفتهم مقدمي الجهاد. وهناك من جهة أخري انعكاسات تراجع مكانة دولة البرتغال إثر معركة وادي المخازن مثلما نعلم من الوجهة الإدارية والعسكرية، إذ أن سبتة أصبحت على عهد فيليب الثاني تحت الإدارة الإسبانية، ثم أضافت إلى ذلك الهيمنة العسكرية ابتداء من سنة 1050 / 1640 لتصبح سبتة تحت الهيمنة الإسبانية الكاملة.

وما وقفنا عليه إلى الآن من شؤون المقاومة أن جهاد النقسيسيين بميدان سبتة مر بمرحلتين : طور أول بدأ من سنة 997 / 1588 إلى 1041 / 1631، إلى أن توقف بسبب دخول العياشيين إلى تطوان وبقائهم بها إلى سنة 1050 / 1640. وطور ثاني استغرق من 1050 / 1640 إلى1078 / 1667 . وقد تخللت الفترة انضواء النقسيسيين تحت رايتي الدلائيين مرة والخضر غيلان مرة أخرى.

والخلاصة أن القائمين بالجهاد في ميدان سبتة بعد انتهاء الفترة المنظرية هم من الأسرة النقسيسية الهبطية اضطلع أفرادها بالمهمة، الواحد بعد الآخر منذ أن انحدروا من قبيلة بني يدر المجاورة لأنجزة، وأشرفوا على الحركة الجهادية بحماس وتنظيم كبيرين، وسيستمر أمرهم إلى العهد العلوي. دون أن ننسى أمثلة الجهاد العياشي (1629 ـ 1640)، التي باركت ميدان سبتة، مثلما فعلت في غيره، لنصل في النهاية إلى النموذج العلوي الإسماعيلي البارز في تاريخ الغزوات التحريرية.

فمن المعلوم أن المغرب الحديث، السعدي والعلوي إذا كان قد ضمد بعض الجراح باسترجاع جل المراكز التي كانت

بيد البرتغال، المركز بعد الآخر، فإن الحظ السعيد لم يكن بجانبه لاستعادة الثغور التي كانت بيد الإسبان، وبذلك أصبحت مدينة سبتة في صدارة المطلب الوطني على عهد المولى إسماعيل العلوي. وجدنا هذا المشروع في ذهن المولى الرشيد، وتأكد بالمجهودات التي شمر لها السلطان العلوي، بدءاً من تأسيس الجيش الجهادي الريفي.

ومحاولة للكشف عن باكورة المجهودات الإسماعيلية تبين لنا أن هناك وقائع الحصار الأولى التي قام الجيش المغربي بضرب الحصار على سبتة قبل موعد الحصار الأكبر المعروف في التواريخ، امتد بين فاتح جمادى الثانية من سنة 1084/ 13 شتنبر 1673 إلى نهاية سنة 1100 / 12 أكتوبر 1689، كان ذلك بمثابة تجربة الدخول في مرحلة الحصار الأكبر المنتظر.

ظهر مشروع حصار سبتة الأكبر أول الأمر على حيز الوجود أثناء حصار العرائش سنة 1101 / 1689، إلى جانب الرائج حول ثغري مليلة ومازيغان. ولكن الإعلان الرسمي بالنسبة لسبتة لم يظهر إلا إثر الإنذار الذي وجهه المولى إسماعيل إلى حاكم المدينة يأمره بالجلاء عن المدينة أو انتظار شن حرب شاملة.

كانت سبتة المحتلة خلال السنوات التالية على موعد مع أطول حصار عرفه الوجود الأجنبي بترابنا، إذ أنه ابتدأ من 3 ربيع الأول 1106 / 22 أكتوبر 1694 بقيادة علي بن عبد الله الريفي وابنه الباشا أحمد بعده، ولم ينته إلا سنة 1139 / 1727 بوفاة المولى إسماعيل. ويحتاج هذا الحدث الوطني إلى تقديم أبرز التفاصيل مختصرة.

لم تبدأ اللحظة الحاسمة لتنفيذ المشروع إلا يوم 9 ربيع الأول عام 1106 / 28 أكتوبر 1694. وربما كان الأقرب إلى الدقة في تاريخنا ما جاء به محمد الضعيف الرباطي الذي أشار إلى يوم الأحد 26 من صفر عام 1106 / 16 أكتوبر 1694 والنزول بالميدان يوم 29 منه.

ويمكن الاطلاع على الترتيبات الحربية من خلال النصوص المتوفرة والخرائط المنجزة بتلك المناسبة التي أبرزت مواقع البطاريات الموضوعة بساحل بحر أبي بسول الجنوبي وبشعات الربض البراني وقصر أفراك وتلك التي تم نصبها على ساحل بحر الرمل الشمالي، مما شكل نصف دائرة هجومية ودفاعية مقابلة للمدينة والتحصينات الخارجية.

اعتمد التاكتيك الحربي المزدوج لقصف المدينة التي كانت الهدف الأول، على ما توفر لديه من المهاريس والقطع المدفعية وعلى تنظيم الهجوم على التحصينات الخارجية المنشأة للزحف تدريجيا نحو الربض البراني والقصر المريني. واستعمل المغاربة طريقة أخرى كانت قد أعطت ثمارها في استرجاع مدينة العرائش خاصة، وهو ما نسميه بحرب الأنفاق المعتمدة على فعالية زرع الألغام.

لا شك أن المحاولة الإسماعيلية كانت نموذجا بارزاً في تاريخ الوعي الوطني، سواء من حيث المدة الزمنية أو الوسائل الحربية المستعملة والحشود العسكرية، ولكنه كان أيضاً مثالا لقصور الإمكانيات المغربية مجتمعة عن تحقيق الهدف الوطني السامي، وهذا سيكون له التأثير على عدم العودة إلى ميدان سبتة رسميا، باستثناء محاولة المولى اليزيد بن محمد بن عبد الله، والاكتفاء بدور حراسة الحدود على يد القائمين به من الجانبين الشعبي والمخزني.

ونتساءل عن سبتة ما بعد المولى إسماعيل، وهي فترة تستحق الإثارة والتأمل فيما هو شائع عن الميدان من خلو ساحة سبتة من المجاهدين. ويمكن لنا أن ننساق إلى ترديد أن السلطة المركزية كان قد اعتراها ما اعتراها من التفكك والاضطراب والوهن، ولكن الذي لانقبله أن يقال إن ميدان سبتة كان قاعا صفصفا خاليا من الحراسة المخزنية والمجاهدين. لقد كان المولى عبد الله بن إسماعيل من أكثر المتنازعين على العرش اهتماما بميدان سبتة، وهذا نابع من دوره وحضوره أثناء الحصار المشهور. هذا ما تدل عليه قراءة الوثائق المنتمية إلى هذه الفترة.

ومن المعروف أن الضمير المغربي كان لا يمل من البحث عن أوجه استرجاع الثغور المحتلة دون أن يكون هناك تمييز، ولكن الحكمة كانت تتجه تارة إلى التركيز على هذا الثغر أو ذاك حسب الآمال المعلقة على التدخل الحربي. وهذا هو الذي وجه المولى إسماعيل نحو سبتة، وهو السبب نفسه الذي صرف نظر السلطان محمد بن عبد الله عنها والتوجه نحو حصار مليلة، وهو عينه الذي أعاد المولى اليزيد إلى الإدلاء بدلوه في ميدان سبتة (1790 - 1792).

فالمعروف عما وصل إلينا عن محاولة المولى اليزيد في ميدان سبتة أنها مندرجة في عمليات محاولة تحرير ثغورها، ذلك أن هدف المحاولة تعبر عنه المطالبة الرسمية لاسترجاع المدينة، إن بالوسائل السلمية أو الحربية، اقتداء بجده المولى إسماعيل. ولا ريب أن ما كان يفكر فيه المولى اليزيد والمحيطون به من رجال الشمال الغربي المغربي كخطوة أولى هو كبح جماح حامية سبتة عن التهام المزيد من التراب الوطني، ورد حاكمها عن المطالبة مجدداً بالامتيازات الحدودية المنتزعة في أواخر أيام السلطان محمد بن عبد الله. كانت تلك المطالب التي لم تعرف التوقف والنهاية من أكبر محن البلاد التي عانى منها الجهاز الرسمي وأهل الشمال الغربي على السواء. هذا هو ما يفسر السرعة التي توجهت بها عناية المولى اليزيد نحو ميدان سبتة.

تستلزم النظرة الشاملة في مسألة سبتة على عهد المولى اليزيد إثارة الخطوات التي مرت بها، ذلك أنها اتجهت أولاً إلى استعادة الجانب المغربي الإشراف على الحدود المغتصبة على عهد والده. وكل شيء بدأ بالنسبة للمولى اليزيد يوم 9 شعبان 1204 / 24 أبريل 1790. غير أن الموقف الرسمي المعتمد في تحديد الوضعية التي كان عليها ميدان سبتة هو الذي أوضحته مراسلة المولى اليزيد إلى

كارلوس الرابع، في منتصف شعبان 1204 / 30 أبريل 1790. ومنذ ذلك لاح للجانب المغربي أمل استرجاع المدينة عن طريق التظاهر الحربي.

وأهم ما يميز الحصار هو الاستعدادات الميدانية التي شكلت المرحلة الرئيسية الوحيدة المميزة للحصار. وفي وسعنا الاستعانة للتعريف بالمواقع الحربية بما سبق أن اتضح لنا أثناء الحديث عن حصار قوات المولى إسماعيل لسبتة، خاصة تلك التي تمثلت بمحيط قصر أفراك على امتداد واد فاس أو واد العرائش إلى الجهة المقبلة من ساحل بحر أبي بسول. ومن ضمنها أشبارات فنانشة سلا التي أشار إليها الناصري نقلا عن أكنسوس.

ومن المدافع والمهاريس التي بلغ عددها اثنين وعشرين قطعة، توالى قصف المدينة منذ يوم 10 محرم 1205 / 19 شتنبر 1790، وكانت يوم 4 صفر / 13 أكتوبر لا تزال مستمرة على وتيرته السابقة إلى أن تقرر رفع الحصار يوم 5 صفر 1206 / 4 أكتوبر 1791. كانت محاولة المولى اليزيد آخر محاولات مقاومة الوجود الإسباني بسبتة. وقبل ذلك كانت مرحلة مقاومة الحدود المشار إليها قد عرفت انطلاقتها، مما سنراه في الفقرة التالية :

إذا كانت ساحة سبتة قد عرفت محاولات ضد الأجنبي ومبادرات التحرير، فإن هناك مرحلة أخرى من الكفاح الوطني ندعوها بمرحلة مقاومة الحدود، وهي تبين درجات معاناة المغرب من جراء الضغوط الحربية والدبلوماسية للسطو على المساحة الحدودية المتصلة بالمدينة. وهذا هو ما وفق فيها الإسبان بميادين الثغور، ومدينة سبتة خاصة.

ويمكن تحديد الشروع في هذا الاتجاه بسنة 1181 / 1767 على عهد محمد بن عبد الله، غير أن مظاهره لم تكتمل إلا سنة 1188 / 1775. شكلت هذه المرحلة بالنسبة إلينا هجمة أخرى موجهة لاغتصاب المزيد من التراب الوطني بالادعاء المتلبس بالإنسانية والود والصداقة الرابطة بين البلاطين المغربي والإسباني.

بدأت الهجمة باتفاق 29 ذي الحجة عام 1180 / 28 مايو 1767، وبه انتزع الإسبان الشرط التاسع عشر المقر بتوسعة حدود الثغور عامة، ومنها بالدرجة الأولى حدود سبتة. وبناء على ذلك ظهرت أولى المطالب لاغتصاب الحدود بحجة توفير مساحة للرعي وجلب المياه للمدينة والتخلص من مضايقات الحراسة المغربية. ويعني هذا العمل على ربح مساحة ترابية تصبح ملكا لسبتة وحاميتها من جهة، وتخصيصها لفك الحصار الاقتصادي عن المدينة، بعيداً عن أنظار المراقبة. وهذا هو الذي تمكن منه الإسبان على عهد محمد بن عبد الله جزئيا سنة 1179 / 1782 بالحصول على الواجهة الشرقية من مساحة الجزيرة، وهو ما اضطر المولى اليزيد إلى المصادقة عليه إثر فشل حصار سبتة.

وأمام معارضة أهل قبيلة أنجرة التي تقع مدينة سبتة ضمن ترابها وتشدد الحراسة المغربية، انتزع الإسبان باسم الود والصداقة وحسن الجوار الشرط الخامس عشر الوارد في اتفاق 13 شوال 1231 / 20 مارس 1799، على عهد المولى سليمان. يسمَحُ هذا الشرط للإسبان بحرية استخدام القوة العسكرية تجاه رجال أنجرة المعارضين لتوسيع الحدود متى أرادوا ذلك.

وهناك محاولة المولى عبد الرحمن الجريئة التي نعرف من خلال مصادرها، عملا بخطة إعلان الجهاد إثر الاحتلال الفرنسي للجزائر، أنه لم يتردد لاسترجاع الحدود المغتصبة فيما سبق، متحديا التهديدات الإسبانية، لتبقى في حوزة المغرب ما بين 1253 / 1837 و1260 / 1844. وتبعا لذلك بدا للسلطان مشروع إعادة بناء القلعة الحدودية المعروفة بالدار البيضاء ضرورياً، فبناؤها حسب تعبيره "إرغام للعدو الكافر وزيادة في الاحتراس وأخذ الأهبة والاستعداد، لأنها شجى في حلق الكفار وقذى في أعينهم".

ومن المعلوم أن الوعي الوطني بخطورة الوجود الإسباني لم يكن بمستوى الإمكانات الحربية المتوفرة، إذ أنه لم يستطع مواجهة ضغوط ومناورات الحكومة الإسبانية في وقت جد مناسب كان فيه السلطان تحت تأثير سلبيات معركة إيسلي.

وتبعا لذلك تقدمت الحكومة بالإنذار الحربي الذي لم يترك للمولى عبد الرحمن مجالا للتأمل والإحجام عن تلبية ما عرف بالمطالب الإسبانية السبعة التي لا محيد عن تنفيذها، وكانت النتيجة هي التي أقرها اتفاق 9 شعبان 1260 / 24 غشت 1844، وبها تم اغتصاب المساحة الممتدة إلى حدود قصر أفراك.

غير أن هذا الفوز لم يحظ بقبول الأطماع الإسبانية التي كانت تتشوف لتوسيع الحدود إلى مشارف السفح الشرقي من جبل بنيونش، وإدخال مركز حراسة الدار البيضاء ضمن تلك الحدود. وهذا هو ما تمكنت منه حامية سبتة يوم 23 ربيع الثاني 1276 / 19 نوفمبر 1859 أثناء افتعال حرب تطوان.

شكل احتلال الإسبان بقلعة الدار البيضاء قاعدة للتوسع الأخيرة التي كانت الهدف الأول لتقدم جيش سبتة يوم 16 جمادى الأولى 1276 / 11 ديسمبر 1859 إلى قرية الفنيدق، ومن هناك بدأ الزحف نحو المدينة الضحية.

وباحتلال تطوان استكمل الإسبان السيطرة على حدود سبتة على الصورة التي مازالت قائمة إلى وقتنا المعاصر، بعدما ما أغرقت البلاد في محيط من المشاكل وبحر من الديون التي لم تتخلص منها إلا بعد عشرين سنة ! وأخيراً تم تنفيذ الحيازة النهائية في صلح تطوان وتأكيد ذلك في اتفاق 15 شوال 1277 / 26 أبريل 1860.

ولا نجد من التعابير الدقيقة عن الأطماع التوسعية الإسبانية بميدان سبتة فيما يخص معضلة الحدود أكثر صدقا مما أشار إليه المرحوم محمد داود حين قال : "فهم

البارحة في تلك الأكمة، واليوم في سفح الجبل وغدا في قمته، وبعد الغد في واديه ثم في سهله، وهكذا. وهذا المخفر الصغير يتحول في الوقت المناسب إلى بناء متين ثم إلى حصن حصين ثم إلى مركز عظيم. وهكذا يبدأ السير حبوا ثم يسير قفزاً ثم يكون عدوا".

والناظر اليوم إلى الساحة الحدودية المغتصبة التي كانت فيما سبق ميدان شرف الصمود لمقاومة الوجود الأجنبي لا يأخذه العجب والاستغراب بانطماس معالمها بسبب انتشار العمران بأرجائها بقدر ما تملكه الحيرة والتأمل في الظرف والوسيلة اللذين ستُسترد بهما الحقوق الجغرافية والتاريخية والسيادة الكاملة على مدينة سبتة المحتلة.

أبو عبيد الله البكري، *المغرب* ؛ ابن حيان الأندلسي، *المقتبس* ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب* ؛ ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب* ؛ مجهول، *الذخيرة السنية* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ محمد الأنصاري، *اختصار الأخبار* ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا* ؛ محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة ؛ محمد بن أحمد الشراط، *تقييد* ؛ محمد داود، *تاريخ تطوان*، *المجلة التاريخية المغربية*، 1987 ؛ *وثائق الخزانة الحسنية* ؛ *وثائق مديرية الوثائق الملكية* ؛ حسن الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية الغربية*، أطروحة مرقونة ؛ *سبتة المغربية*، الدار البيضاء، 2000 ؛ *رباط الجويع*، *معلمة المغرب*.

Zurara, *Chronica de D. Pedro* ; J. Mascarenhas, *Historia de la ciudad de Ceuta* ; F. Fernandes, *Description* ; M. Gordillo Osunca, *Geografia urbana de Ceuta* ; A.G.S., *Mapas, Planos y debujos* ; F. S. Montoya, *Apuntes para la fotohistoria de Ceuta* ; Mohamed Cherif, *Contribution à l'histoire de Ceuta aux époques Almohade et Merinides* ; Surede Blanes, *Historia de Ceuta* ; Damiao Peres, *Ceuta Cercada, un problema cronoligico* ; Ignacio Bauer Landauer, *Papeles de mi archivo* ; José Antonio Marques de Prado, *Historia de la Plaza de Ceuta* ; Guillermo Gustavino Gallent, *Los comienzos del sitio de Ceuta* ; J. A. Marques, *Historia de la Plaza de Ceuta* ; *Gazette de France*, Mariano arribas Palau, *Cartas arabes de Marruecos* ; *Tratados y convenios referentes a Marruecos* ; Ramon Lourido Diaz, *En torno al ensanche de los limites de Ceuta*, *Hespéris*, 1982 ; *S.I.H.M. Hollande* ; *Angleterre, France ; A.H.N.* Madrid ; A.G.S. Valladolid, *Espagne*.

حسن الفگيگي

**سبتة** (باب -) أحد البابين الكبيرين القديمين لمدينة سلا في السور المرابطي الذي هدمه الخليفة الموحدي عبد المومن - في جملة ما هدم من أسوار المدن - ثم جدد بناءه حفيده يعقوب المنصور. يقع باب سبتة في الجانب الشمالي الغربي لهذا السور، ويتكون من أسطوان (ساباط) فتح بابه الخارجي على الطريق الساحلي المتجه شمالا نحو سبتة وطنجة، وبابه الداخلي في الحي المسمى كذلك حي باب سبتة.

وفي سنة 1151 / 1738 بنى عامل سلا عبد الحق فنيش برجاً ضخماً متصلاً بباب سبتة اتخذه مقراً للنظر في شؤون المدينة والقضايا المعروضة عليه. بناه من أنقاض القصبة الإسماعيلية (قصبة گناوة) بجوار ضريح أبي موسى الدكالي. هدمها بسبب طغيان العبيد المقيمين فيها

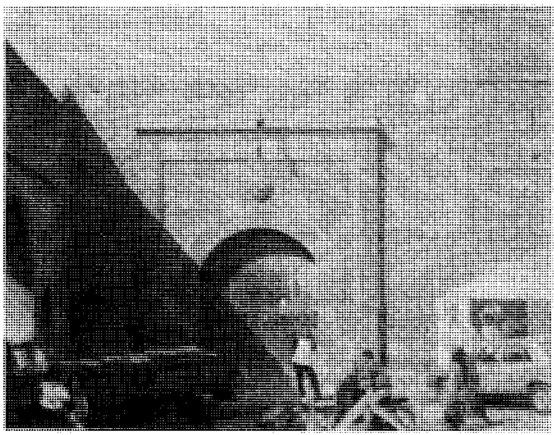

حينما ضعفت السلطة المركزية أيام فتنة أولاد المولى إسماعيل، وصار عبيد القصبة يتعرضون لنساء المدينة ويهتكون أعراضهن. هذا البرج مغلق من خارج تعلوه نوافذ عالية نصف دائرية وينفتح بابه داخل الأسطوان.

وقد استصلحت وزارة الثقافة أخيراً هذا البرج لتجعل منه خزانة علمية خاصة بحي باب سبتة.

أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1966 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ص. 53.

محمد حجي

**السبتي**، أسرة تطوانية - فاسية، نسبة إلى مدينة سبتة. كان السبتيون بتطوان في القرن الثاني عشر (18م) يسكنون في حي النيّارين، وقد انقرضوا الآن من تطوان، ومازالوا في فاس، وفي *إزالة الالتباس* أنهم أهل تجارة ومال وثروة وحرفة وشهرة، ولعل الجنان الواقع بالمرج المعروف بالسبتية خارجَ باب الخوخة ينسب إليهم، ومنهم أسر انتقلوا إلى الدار البيضاء والعرائش وغيرهما.

ومن الطارئين على تطوان مؤخراً مَن يُدعون السبتاوي، نسبة إلى سبتة على غير قياس.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

محمد بوخبزة

**السبتي، الطاهر** بن محمد الفاسي. وهو ابن الثري الشهير الحاج محمد السبتي من أكبر تجار شارع مديونة بالدار البيضاء، كان يساعد الحركة الوطنية ويؤازها.

وقد اغتالت الحركة الإرهابية الفرنسية الطاهر السبتي في وضح النهار، وهو يغادر سيارته ليلتحق بمتجر والده، فأطلقت عليه خمس رصاصات أردته قتيلاً في الحين.

إثر ذلك أقفلت جميع المتاجر بالدار البيضاء، وعم الحزن سائر المغاربة، وشيعت جنازته في صباح الغد في موكب جنائزي رهيب، وصفه عن مشاهدة عبد السلام ابن سودة في كتابه *إتحاف المطالع* : "فقد مرّت الجنازة في سيارة وبعدها سيارات أقاربه وأصدقائه وعائلته، وبعد ذلك صفوف من النساء ماشيات على الأقدام خمسة خمسة في الصف دام ذلك أكثر من ساعة زمانية، ثم الرجال خمسة خمسة في الصف كذلك وبقى مرورهم أكثر من ساعة ونصف، ثم أصحاب الدراجات وبقى مرورهم ما يقرب من نصف ساعة ثم أصحاب الدراجات النارية، ثم أصحاب السيارات ثم أصحاب الكاميونات، وفي كل نوع مروره أكثر من نصف ساعة وكان الموقف رهيباً، مما يدل على أن المغرب قد استرجع وعيه وقوته واجتمعت كلمته وردخل في طور العمل. وما انتهى الاستعراض ذلك اليوم إلاّ بعد الساعة الثالثة ونحن نقضي لذلك العجب".

قُتل ـ رحمه الله ـ يوم الأحد ثامن جمادى الأولى عام 1374 / ثاني يناير 1955 على الساعة التاسعة صباحاً. ووُري جثمانه مساء يوم الاثنين الموالي بمقبرة الدار البيضاء.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 9 : 3297. 3298.

محمد حجي

**السبتي** أبو **العباس** صاحب الضريح الشهير بمراكش. يستفاد من إشارة لابن الزيات أن مناقب أبي العباس السبتي كانت موضوعا لتآليف صنفها بعض مريديه والشيخ مايزال على قيد الحياة، وأخباره كثيرة عجيبة، وقد جمعها أصحابه وكتبوا من كلامه كثيراً (*أخبار*، 470) وفي غياب هذه التآليف يبقى *كتاب أخبار أبي العباس السبتي* الذي وضعه معاصره أبن الزيات أصلا لمعظم المعلومات المتداولة عنه في حياته ومرجعا لما جاء بعد من كتابات في الموضوع.

ويسمح تأمل نص هذا التأليف الصغير برصد بعض عناصر الخلل والتشويش في مادته يبدو أنها تركت أثرها على المحتوى المقدم من خلاله. ويمكن اختزال هذه العناصر في ملاحظات ثلاث هي :

عدم التوازن : يتجلى في عدم تغطية الأخبار بشكل متوازن للمسار الصوفي للرجل الذي بدأت بوادره الأولى وهو في سن مبكرة من حياته، ولعل التوزيع المجالي والزماني لمادة الكتاب يعكس ذلك بكل بوضوح.

| المكان | مدة الإقامة | عدد الأخبار |
|---|---|---|
| سبتة | بين 16و20عاما | 01 |
| جبل گليز | حوالي أربعين عاما | 01 |
| مدينة مراكش | حوالي عشرين عاما | 38 |

الانتقاء : يبد أن ابن الزيات استشعر خصوصية موضوع مؤلفه وحساسيته لما وقع فيه من الاختلاف (*أخبار*، 451) وأهل مراكش إلى زمننا هذا مختلفون، فمنهم من يراه ولياً ... ومنهم من يكفره، ومنهم في يبدعه، ومنهم من يراه ساحراً إلى غير ذلك من الأقوال التي تقال فيه، والله أعلم بحقيقة أمره (*أخبار*، 452 . 453) من الجلي أن الإقدام على تناول موضوع أصبح قضية عند الناس كان الدافع المعبّر عنه إلى تخصيص الشيخ بمؤلف منفرد، ساهم حجم الأخبار المتداولة عنه كتابة ورواية في التحفيز على انجازه. ودون شك أن تمهيد المؤلف باستحضار الوضع الاعتباري الخاص للرجل، وبعد شقة الخلاف حوله، يقدم تصوره طبيعة الموضوع وإطار للاشتغال عليه. ومن الجائزان الرؤيا المتولدة من هذا وذاك. كانت تقتضي من ابن الزيات اليقظة والحذر من الميل إلى طرف من الأطراف المختلفة وهو الذي ظل آخذا بمسلك الاعتدال في أمره ( *التشوف*، 23)، وسبر أغوار مناقب أهل الولاية والصلاح ولم يخف وعيه بنوعية مرجعياته ( *التشوف*، 12).

ورغم ذلك اختار ابن الزيات الانتقاء من رصيد الأخبار الذي توفر له عن أبي العباس السبتي معترفاً بقيمته الكمية على الأقل (*أخبار*، 470 ـ 454)، وقاعدة الانتقاء الأخذ بمادة على حساب مادة أو مواد أخرى شرط الحفاظ على المعنى العام، والمؤلف نبّه إلى أخذه بهذه القاعدة في صيغة تقويم ذاتي لمادة أخبار أبي العباس السبتي، كمادة تقدم مجموع عيون أخباره ومن أخباره ما ينوب عن العيان (*أخبار*، 451) وأخباره كثيرة عجيبة ... وفي هذا القدر الذي ذكرته كفاية لمن أراد أن يستشرفها (*أخبار*، 470).

لكن في الانتقاء أيضاً أولوية في اختيار وترتيب المادة المنتقاة وفق معايير متعددة في ذهن المؤلف لم يكشف عنها. وكذلك اختصار يبقى غير مفهوم إذا استحضرنا من جهة مسألة عدم التوازن المشار إليها وشيكاً، ومن جهة ثانية كون عدد أخبار أبي يعزى بلغ في *التشوف* أربعة وخمسين خبراً، في حين لم يتعد مجموع أخبار أبي العباس في مؤلفي ابن الزيات معاً ستة وأربعين خبراً.

في هذا السياق إذن تبدو بعض العناصر التي من شأنها أن تسهم في فهم دخول أبي العباس السبتي إلى مراكش وتقرب المخزن الموحدي منه.

في مراكش تحددت الهوية الصوفية للرجل فأبو العباس السبتي دخلها فيما يبدو دون لون صوفي مميز. أما محتوى هذه الهوية فيمكن إجماله في الصدقة يقول ابن الزيات : مذهبه يدور على الصدقة وكان يرد سائر أصول الشرع إليها... وكان إذا أتاه أحد بأي أمرأتاه، يأمره بالصدقة ويقول له : تصدق ويتفق لك كل ما تريده (*أخبار*، 453 ـ 454). وعلى هذه القاعدة وضع خطاً تصاعدياً لمراتبها التي حددها في ثلاث محطات، أولاها : المشاطرة،

ثانيتها: الإحسان، ثالثتها شكر النعمة (*أخبار*، 459 ـ 461)، ومعيار التفاوت بينها هو قيمة البذل والعطاء، فالأولى تساوي التصدق بالنصف من الرزق، والثانية الثلثين، وتعادل الأخيرة خمسة أسباع منه.

يتضح من هذا المحتوى اذن أن الصدقة عند أبي العباس السبتي شكلت قاعدة اختيار صوفي بعينه في حين تبدو حاضرة كجزء من أعمال البر والإحسان ضمن الخدمات ذات الطابع الاجتماعي التي أدّاها متصوفة مراكش خلال نفس الفترة (Halima Ferhat, *Abil L-'Abbas*, 191).

من جانب آخر يلاحظ أن الصدقة كانت حاضرة في الواجهة الاجتماعية لأعمال المخزن الموحدي، يحرضه على القيام بها، وأهمية قيمة الغلاف الذي كان يصرف فيها، واتساع قاعدة المستفيدين منها (*المعجب*، 278 ـ 287 ؛ *القرطاس*، 217)، وشموليتها لكامل الخريطة التي امتدت إليها السيادة (Halima Ferhat, *Le Maghreb*, 95)، وتنوعها بين الصدقات المنتظمة والظرفية.

وليس بمستبعد حضور البعد السياسي ضمن ما كان يستهدفه الإحسان المخزني من مرام وغايات جلباً للعطف، وحداً للعداء، ولعل الغاية من إقحام المخزن للمتصوفة في انجاز هذا العمل. هي هؤلاء المتصوفة بالذات كطرف مستهدف من أجل تكسير شوكة المعادين منهم، والتخفيف من قوة مكانتهم عند العامة، مما يرجع ذلك طبيعة وحجم مشاركتهم في تنفيذ الإحسان المخزني، إما كعناصر مستفيدة (*المعجب*، 278 ؛ *القرطاس*، 217) أو كطرف وسيط في توزيعها (*الذيل*، 1 : 48 ـ 49)، أو كإطار للتحسيس بها والتحفيز على القيام بها. وحسبما يبدو فإن هذه المهمة الأخيرة تصدر للقيام بها في مراكش أبو العباس السبتي ومن غير المستبعد أن تكون الباعث الرئيسي من تشكيل تجربته الصوفية الخاصة.

توفي أبو العباس السبتي بمراكش عام 601 / 1205، ودفن خارج باب تاغزوت منها (*أخبار*)، وبموته بدأ تاريخ آخر له أحلّهُ موقع القطب الأول في خريطة المقدس بمراكش وجعل منه محطة بارزة في تاريخ الذهنيات بمجالها، يتمتع بوزن اعتباري خاص، وقيمة رمزية فاعلة، وسلطة ولاية محترمة، مكنته من أن يكون واحدا من الرجال السبعة الذين تشدّ الرحلة إلى مزاراتهم في مراكش *(Les sept Patrons de Marrakech)* وجسّدتْ من جهة ثانية الاعتقاد بامتداد وظائفه النفعية حتى بعد مماته (*أنس الفقير*، 7 ـ 9؛ *أزهار الرياض*، 1 : 272 ـ 273 ؛ *نزهة الحادي*، 290)، وعند السكان المسلمين منهم وأهل الذّمة (*أنس الفقير*، 8 ـ 9)، ضرب صيته بجرابه فجاز إلى خارج المغرب الأقصى (*نفح الطيب*، 7 : 267 ـ 277) هكذا أضحى الرجل في التخيل الجماعي، مسلكاً من مسالك جلب المنافع ودفع المضار فهو ترياق مجرب (*نفح*، 7 : 267) ومرجع للإنصاف وقوة ضمان للعهود والمواثيق، وملاذ لدفع الضيم وتخفيف الكربات، وأمل لتحقيق الرجاء، وقضاء الحوائج (*أنس الفقير*، 7 ـ 9)، وكان له أثره على التغيرات المجالية التي عرفها القسم المجاور من المدينة لمدفن أبي العباس السبتي، بحكم وظيفته الدينية التي حولته إلى مركز جذب بشرى في خريطة المدينة (*نفح*، 7 : 267)، ترتبت عنه نتائج همت التعمير يمكن اختزالها في زيادات ثلاث، أولاها : إعطاء اسم ثان لباب تاغزوت هو باب الشيخ أبي العباس السبتي (*نزهة الحادي*، 56)، ثانيها امتداد مساحة المدينة إلى خارج الباب المذكور، ثالثها تحول روضة الشيخ إلى ضريح سرعان ما أصبح نواة لحومة دينية جديدة (*نزهة الحادي*، 290).


ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، ومعه *أخبار أبي العباس السبتي*، تح. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب*، تح. محمد سعيد العريان ومحمد العربي العامي، القاهرة، 1949 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، القسم الأول، تح. م. بنشريفة، بيروت، د. ت، السفر الثامن، الرباط، 1984 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، تح. عبد القادر زمامة وسهيل زكار، الدار البيضاء، 1976 ؛ أ. ابن قنفد القسنطيني، *أنس الفقير*، تح. محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1973 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، الجزء السابع، بيوت، 1988 ؛ *أزهار الرياض*، تح. مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، ع. الحفيظ شلبي، القاهرة، 1939 ؛ م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998.

Halima Ferhat, *Ab$^{\underline{o}}$l -'Abbas : contestation et sainteté, Al-Qantara*, vol. XIII, Fasc. I, Madrid, 1992 ; Henri de Castries, *Les sept Patrons de Marrakech, Hesp.*, tome IV, 1924.


محمد رابطة الدين

**السبتي، عبد العزيز** بن إبراهيم بن عبد العزيز بن أحمد الهواري الجزيري، يكنى بأبي فارس. أصله من جزيرة شقر إحدى جزر شرق الأندلس. يعتبر أبوه الشيخ إبراهيم من أبرز صدورها وأعيانها. نزح عنها إلى تلمسان حيث ولد الابن عبد العزيز في رمضان سنة 617 / 1220. وعندما اشتد عوده رحل إلى سبتة وبها استقر إلى أن وافته المنية بها.

من أبرز شيوخه أبوه الذي رغبه في السماع منذ نعومة أظفاره. كما حبّبَ إليه كتابة الحديث وضبطه وتقييده. (*إفادة النصيح*، ص. 8). ومن جملة الكتب التي سمع على والده *الموطأ*. كما سمع كتاب *صحيح البخاري* على أبي مروان الباجي عن الحافظ أبي بكر ابن الجد بسماعه عليه، وسنن الترمذي على أبي عمرو العبدري. كما أجازه أعلام من المشرق من بينهم ابن الحاجب وابن المنير وابن الصلاح وغيرهم (*درة الحجال*، ص. 134).

جلس عبد العزيز للاقراء بجامع سبتة الأعظم. فاعتبر

من أشهر محدثي عصره، وأكثرهم ثقة وعدالة. كما اعتبر من أسند شيوخ سبتة خلال القرن السابع (13 م) لاعتنائه في الحصول على السند الصحيح خاصة السند العالي. فقد كان سماعه *لصحيح البخاري* - يقول ابن رشيد - بـ "إسناد لا نظير له في بلاد المغرب، جلالة رجال، واتصال سماع، وعلو صفة" (*إفادة النصيح*، ص. 7). بل يعتبره "أقرب إسناد يُمكن في الدنيا شرقا وغربا، فقد أنضينا في المطي في طلب أعلى منه فما وجدنا" (*إفادة النصيح*، ص. 114). يبدو أن ابن رشيد وضع مؤلفه *إفادة النصيح* خصيصا للتعريف بسند شيخه أبي فارس عبد العزيز ولترغيب ابنه محمد في سماعه. كما وصفه أبو القاسم التجيبي بـ "الشيخ العدل المبرز مقدم الموثقين المجيدين بسبتة ورئيس جماعتهم" (*برنامج التجيبي*، ص. 74).

يعد ابن رشيد الفهري، وأبو القاسم التجيبي، ولب بن عمر ابن جراح الأنصاري الإشبيلي (*بغية الوعاة*، ص. 301). وأبو بكر محمد بن أحمد بن شبرين (*الإحاطة*، 2 : 242) من أبرز تلامذته. كما أجاز لابن جابر (*درة الحجال*، ص. 134) ولأبي عبد الله ابن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي (*الإحاطة*، 2 : 179).

توفي بسبتة ليلة الثامن من ذي الحجة سنة 701 / 1302 / 4 غشت 1302.

التجيبي، *برنامج التجيبي*، تح. ع. الحفيظ منصور، ليبيا / تونس، 1981 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. ع. الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثاني ؛ ابن رشيد، *إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح*، تح. محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس، د. ت ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، تونس، القاهرة، الجزء الثالث، ع. الرحمن السيوطي، *بغية الوعاة*، بيروت.

زليخة بنرمضان

**السبتي، محمد** بن **عبد الله** بن أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان الأزدي. ولد بسبتة سنة 567 أو 568 / 1171 - 1173 فلم يترجم له تليمذه ابن الآبار لأنه لم يدرك وفاته، ولكنه ذكره من بين شيوخه باسم "شيخنا الأزدي". كما تتلمذ عليه الرعيني، وترجم له في *برنامجه* هكذا "أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأزدي أبقاه الله، سمعت عليه جميع كتاب *الشفا* للقاضي عياض رحمه الله إلا يسيراً، قرأته بلفظي. حدثني به عن أبي عبد الله بن غاز سماعاً عليه عن مؤلفه سماعاً. وسمعت عليه رسالة عياض إلى رسول الله (ص). ووقفت على *برنامجه* وأجازه لي مع جميع ما يحمله. وقد أكثر عن ابن عبيد الله وعن غيره. وهو عدل ثقة" وقد ذكر ابن عبد الملك المراكشي في *الذيل والتكملة* أسماء شيوخه الذين لقيهم وأخذ عنهم، وأسماء شيوخ مشارقة وغيرهم أجازوه دون أن يلقاهم، منهم من أهل مصر والأسكندرية، ومن أهل دمشق، ومن أهل بغداد، ومن أهل أربل ومن أهل واسط (ص. 304 - 306) ثم ذكر أسماء من أخذوا عن الأزدي، ومنهم الرعيني المذكور. ووصف ابن عبد الملك صاحب الترجمة بقوله : وكان شيخاً جليلا، مسنا، راوية، مكثراً، عدلا، ثقة ... وكان فقيهاً عاقداً للشروط ... ولي خطة القضاء بسبتة، وعُرف بالنزاهة في أحواله واستقامة الطريقة في متصرفاته... " (ص. 307).

ومما ذكره ابن الزبير في *صلة الصلة* أن الأزدي روى على ابن عبيد الله فسمع عليه *الموطأ والكتب الستة* وسير *أبي إسحاق* بتهذيب ابن هشام وغير ذلك، وذكر مجيزيه بن أهل الأندلس والمغرب وأن عدد من أجاز له من أهل المشرق واحد وستون رجلا سماهم في *برنامجه* ثم قال "كان عدلا، سنياً، راوية، ثقة، فاضلاً ... وكان له مال ورثه عن أبيه أنفقه في رحلته على الفقراء والمنتمين إلى التصوف حتى نفد، وتحرّف ببلده [سبتة] بالتوثيق، واشتهر بالعدالة والقضاء... لقيته أنا سنة خمس وأربعين [وستمائة] وبعد ذلك، وقرأت عليه كثيراً، وأجاز لي مراراً، وهو ممن اعتمده".

أما تاريخ وفاته فيحدده بليلة الاثنين 26 رمضان سنة 660 / 28 يوليوز 1262.

م. ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، القاهرة، 1955، ضمن الترجمة رقم 1716، ص. 679 ؛ علي الرعيني الإشبيلي، *برنامج شيوخ الرعيني*، طبعة دمشق، ص. 168 - 169 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي الأنصاري ؛ *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة*، الرباط، 1984، السفر 8 الترجمة 99 ؛ ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم الثقفي الجياني ؛ *صلة الصلة*، قسم الغرباء الملحق بآخر كتاب *الذيل* المذكور، ص. 518 - 519.

أحمد عزاوي

**سبتيم** (Septem) هو اسم سبتة في العصور القديمة. من خلال الأدبيات الكلاسيكية ارتبطت سبتيم (سبتة الحالية) وموقعها بأسطورة البطل هرقل (Hercule le Thébain). حدد الكُتاب القدماء محطاتهم أو رحلاتهم وراء الأعمدة المنسوبة لهذا البطل الأسطوري. وهي المعروفة باسم أعمدة هرقل ((Les colonnes d'Hercule) (*المعلمة*، 2، ص. 523).

فكان هيكاتي المليتي (Hécaté de Milet) (VI ق م ونعرفه اعتمادا على الكاتب المتأخر إيتيان البيزنطي (Etienne de Byzance) أول من أشار إلى أعمدة هرقل إذ أنه حدد قريبا منها مدنه.

أما المؤرخ الإغريقي هيرودوت (Herodote) (V ق. م) فأشار إلى الأعمدة في ثلاث فقرات من كتابه الرابع المتعلق بالمغرب القديم. فتحدث عن سطاسبيس (Setaspès) الذي قام برحلته برفقة بحارة مصريين وراء الأعمدة. وحدد أيضاً أطلس والأطلنت (Atlantes) وراء الأعمدة. ثم إنه موضع تجارة المقايضة التي جمعت القرطاجيين والسكان المحليين وراء نفس النقطة.

إذن فالأعمدة بالنسبة لهيرودوث وغيره من الكتّاب القدماء شكلت دوما نقطة الانطلاق نحو آفاق جديدة أو الحد الأقصى للعالم المأهول أي المعروف.

ويعتبر الرحالة سيلاكس المزعوم (Pseudoscylax) (القرن IV ق. م) أول من أعطانا أحد أسماء هذين العمودين إذ ذكر في الفقرة 111 من رحلته بأنه عمود بليبيا ويعرف باسم أبيلا (Abila). ثم إنه قدم معلومات حول المسافة التي تفصل قرطاج عن الأعمدة وتصل إلى 7 أيام و7 ليال في حالة إذا كانت ظروف الإبحار جيدة. وفي الفقرة الموالية (112) عرف بالمعطيات التضاريسية والمواقع والشبكة المائية بل وذكر بعض القبائل الموجودة وراء الأعمدة عند البحر الخارجي (المحيط الأطلسي).

وحوالي سنة 350 ق. م تحدث إفور (Ephore) عن مدينة كاريكون تيكوس ذكر بأنها مدينة ليبية ووطّنها يسار الأعمدة. ومعلوم أن الرحالة القرطاجي حنون (Hanon) (القرن V ق. م) ذكر بدوره هذه المدينة التي آندرجت ضمن المستوطنات التي أنشأها وراء الأعمدة.

وقدم الجغرافي المشهور سطرابون (Strabon) (ق الأول ق. م) معطيات إضافية وهامة حول الأعمدة إذ قال بأن كالپي (Calpé) وأبيلا هما أعمدة هرقل وبأن أبليكا (Abylica) يوجد بليبيا في مقابل كالپي وبأنه يرتفع فوق أرض الميتاگونيت (Metagonites) وهي حسبه عناصر نوميدية. ثم إنه سمى المضيق الذي يفصل موروزيا عن إسبانيا بمضيق أعمدة هرقل. وذكر بأننا عندما نعبره ونترك على يسارنا ليبيا نجد جبل أطلس المعروف كذلك الإغريق، فهو دريس (Dyris) حسب التسمية المحلية.

وخلال سرد عكسي لمعلوماته ذكر بأنه عندما نخرج من لونكس (Lynx) نجد مجموعة مواقع ثم مقابر الاخوة السبعة (AD septem fratres) وبعدها جبل أبيلا (Abila) .

وهكذا لا يعد استحضارنا للمعلومات حول الأعمدة أمراً اعتباطيا. فكما سنرى الصلة وثيقة بين المدينة وهذه المعالم الطبيعية أي الأعمدة وبالأساس الإخوة السبعة أي التلال السبعة.

ذكر سطرابون بأن جبل أبيلا تشغله الحيوانات الضارية، كما أنه يتميز بأشجاره الطويلة. وحسب نفس المؤلف دائما لا تتعدى مساحة المضيق 125 غلوة طولا و60 غلوة عرضا في نقطته الضيقة القريبة من موقع إليفاس (Elephas). وللاشارة فالغلوة أو السماد تقدر بـ157 متراً. ولا يعد هذا التقدير هو الوحيد الذي يتعلق بالمضيق بل تعددت الآراء في هذا العدد وتباينت.

ذكر المؤلف الإسباني بومبنيوس ميلا (Pomponius Mela) بأن العمودين متقابلان وهما معا يعرفان باسم أعمدة هرقل وربط سبب تسميتهما كذلك بالأسطورة التي تقول بأن هرقل فصل بين التلال التي كانت تربط بينهما بسلسلة جبلية مستمرة، وبذلك سمح للمحيط الذي كان راسياً بسبب متلة الجبال بأن يتسرب حتى السواحل التي يغمرها حاليا. فهل هذا كل ما بقي عالقا في الذاكرة حول قارة "گندوانا" ؟ وهل عملية الفصل الأسطورية هي التي يعبر عنها الجغرافيون بزحزحة القارات ؟

قبل بومبنيوس ميلا أورد ديودور الصقلي (Diodore de sicile) (المكتبة التاريخية،1، ص. 285 ـ 286 من خلال مادة أعمدة *بالمعلمة* العدد 2، ص. 523) رأيين في هذا الشأن : أولهما أن هرقل أقام هذه الأعمدة لتخليد حملته على غرب البحر المتوسط وذلك بتقريب طرفي القارتين المتباعدتين (إفريقيا وأوربا). وثانيهما أن القارتين كانتا في الأصل قارة واحدة ففصل هرقل بينهما مكونا بذلك المضيق.

أما بلين القديم (Pline l'Ancien) (القرن الأول الميلادي) فقال بأنه توجد فوق جبل أبيلا الفيلة، وكذلك الأمر بالنسبة للجبال المعروفة باسم الإخوة السبعة، وبأن هذه الجبال الأخيرة ومعها جبل أبيلا تسيطر على المضيق.

تحدث الجغرافي الإسكندري بطوليمي (Ptolemée) بدوره عن جبل الاخوة السبعة، وكذلك ذكر عمود أبيلا ووطنه عند خط طول '50°7 وخط عرض '40°35.

وجاء الحديث عن آد أبليم (Ad Abilem) من خلال مسلك أنطونان (Itinéaire d') (القرن الثالث الميلادي) وجعلها في نقطة وسط بين آد أكيلام مايوريم (Ad AQuilam majorem) واد سبتيم فراتريس (Ad Septem Fratres).

إذ هي على بعد 14 ميلا من كلتا النقطتين الأنفتي الذكر. وتبعد عن طنجيس بستين ميلا (90 كلم).

أما الشاعر أفينوس (Avienus) فذكر بأن جبل أبيلا هو جبل موريطانيا الذي يقابل في موقعه عند مضيق أعمدة هرقل الجبل الأوربي كالپي ـجبل طارق).

وأشار مؤرخ الوندال بروكوب (Procope) (القرن الرابع الميلادي) لسبتيم (Septem). ونجد بأن جغرافي راڤينا (Le Géographe de Ravenne) (القرن السابع الميلادي) يطلق على المضيق الذي كان معروفا عند سطرابون باسم مضيق أعمدة هرقل، تسمية جديدة وهي فريتوم سبتيم گاديتانوم (Fretum Septem Gaditanum) لأنه قريب من قادس من جهة ومن سبتيم من جهة ثانية.

وذكر جغرافي راڤينا فقرة أخرى بأنه توجد بجوار طنجة مدن أخرى، عدد ضمنها مدينة سبتم ڤينام (Septem-venam). وأورد في فقرة ثالثة معلومات ضافية قال بأنه توجد بموريطانية الگاديتانية مدن ذكر بعضها. واحتلت سبتيم فراتريس (Septem Fratres) المقام الحادي عشر ضمن تعداده.

ومعلوم أن موريطانيا الگاديتانية توافق أبريدا (Abrida). وهذ التسمية الأخيرة محلية. وهي موازية للمضيق المعروف ـ كما أسلفنا قوله ـ باسم سبتيم كاديتانوم

الذي يفصل موريطانيا عن إسبانيا، وبعبارة أخرى إفريقيا عن أوربا.

وإذا استرجعنا مجموع المصطلحات التي أوردها الكتّاب القدماء وتتبعناها مصطلحا مصطلحا نجد أن كل واحد منها يوافق نقطة مختلفة، ولكن جميعها تقع عند المضيق الذي عُرف بدوره على الأقل في هذه المرحلة موضوع الدراسة بأسماء عديدة تهمنا منها تسميته بمضيق الأعمدة وبسبتيم گاديتانوم. فهذه النقطة الهامة اتخذت مرتكزاً من طرف القدماء لوصف الكرة الأرضية وللفصل بين العوامل المأهولة والمجهولة.

وعند هذا المضيق نجد نقطا عديدة تستحق أن نقف عندها. سنذكر منها النقط التالية :

- اد أبليم (Ad Abilem) : توافق عند بعض الكتاب المعاصرين مدينة سبتة. وهي التي سمت في العهد البيزنطي باسم (Septem) و(Septow). وبما أنها كانت عند التلال (الجبال) السبعة وجبل أبيلا فلاشك أنها استمدت اسمها من وضعيتها الطبوغرافية. وزصبح المصطلح المختزل (Septem) هو الأكثر انتشاراً خلال العصر الروماني المتأخر، بل وإلى غاية الفتح الإسلامي لأن ما هو مؤكد هو استمرارها تحت النفوذ البيزنطي إلى غاية القرن السابع الميلادي بل اعتبرت عاصمة لهذه الجهة بدل طنجة. وجميعنا يعرف دو الكونت يوليان في تسخيل مهمة فتح إسبانيا.

- عمود أبيلا : ذكره العديد من الكتاب القدماء - كما أسلفنا قوله - منهم : سيلاكس المزعوم وسطرابون وغيرهما ويوافق عند المحدثين جبل أكو (Acho). النقطة المرتفعة من سلسلة الميناء (Sievra d'Almina). التي تقع إلى الشرق من جزيرته سبتة. وهو عند آخرين جبل موسى أو جبل القرون المعروف عند البرتغاليين باسم (Sera de Ximeira) حيث يرتفع رأس ألمينا (La pointe d'Almina).

وبهذه النقطة يموضعون مدينة سبتة التي يعتبرونها من أنبل وأغنى مدن موريطانيا الطنجية.

- سبتيم فراتريس (Septem Fratres) : وقد ذكرها كل من سطرابون وميلا وبلين القديم وبطوليمي. وتوافق حسب بعض الكتاب المعاصرين جبل بليونش الذي تشكل النقطة الجنوبية منه المدخل إلى المضيق.

- أد سبتيم فراتريس (Ad Septem Fratres) : وهي محطة تقع عند قدم جبل بليونش ومرسى دانيال وتبعد عن موقع آد أبليم (Ad Abilem) بـ 14 ميلا. ولكن حسب الباحث بزنيي (Besnier) لا تتجاوز المسافة أربعة أميال فقط.

إليفاس (Elephas) : موقع قريب من المضيق لاشك أنه استمد اسمه من نوعيته الوحيش الذي كان يرتع في مجاله ونعني بذلك الفيلة هذا النوع الذي اشتهر في نقط عديدة من موريطانيا الطنجية ومن ذلك جنوب موقع سالا (Sala) إذ شكل تهديداً لساكنتها هذا قبل أن تستنزفه الخروب والمسارح المدرجة.

وهكذا فقد احتلت سبتيم موقعا متميزاً عرفت ولاشك - قبل القرن IV ق. م. تحت اسم اد أبيليم (Ad Abilem). وحملت من خلال مصادر القن الأول قبل الميلاد وكذلك المصادر المتأخرة ومنها المسيحية اسم اد سبتيم فراتريس (Ad Septem Fratres) ولكنه اختصر إلى مصطلح سبتيم (Septem) سبتون (Septon) وبعد ذلك سبتة (Sebta). وقد سمتفي جميع الأحوال نسبة إلى التلال (الجبال) التي وجدت عليها. وهي بموقعها هذا تذكرنا بعاصمتين كبيرتين أنشئتا بدورهما فوق التلال السبعة ونعني بهما روما ثم العاصمة البيزنطية بزنطة (Byzance). فهل محض الصدفة!

احتفظت المصادر الإسلامية بالتسمية المتأخرة سبتيم وحورت إلى سبتة. ولكن لم يعد الكتاب المسلمون يعرفون دلالات الاسم القديم.

ومن خلال تتبع الشذرات باعتماد مصادر ما قبل الإسلام يظهر أن المجال الذي أنشئت به سبتة كان مغطّى بنبات كثيف وبأشجار باسقة شكلت مرتعا للحيوانات ومنها الفيلة. واستوطنت المجال عناصر نوميدية ممثلة في الميتاگوين (Metagonites) كما أن المدينة كانت محطة ضرورية لانطلاق ورجوع السفن من البحر الداخلي في اتجاه البحر الخارجي أو في اتجاه الضفة المالية للبحر المتوسط كما تفيد في ذلك قصة "كونت" سبتة يوليان. ولما لا فقرب العمودين زيبلا وگالبي سهل الاتصال بين الحارتين إسبانيا والمغرب القديمين وبين القارتين أوربا وليبيا ولعبت آد أبليم منذ عصورها القديمة دوراً رائداً في هذا الاتصال. ألم تكن غنية بمواردها الفلاحية، بوحيشها وأيضاً بثرواتها البحرية؟ على كل فالكونت يوليان حاكم سبتة اشتهر كمصدر للخيول، فهو الاسم الوحيد الذي احتفظ به التاريخ إلى جانب الميتاگونيت "كقبيلة".


البيضاوية بلكامل، *مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي*، أطروحة دكتور الدولة مرقونة في كلية الآداب، الرباط، 2000 ؛ م. اللبار، *مضيق جبل طارق عبر التاريخ*، مقال قيد النشر، المصطفى مولاي الرشيد، *مضيق الأعمدة والجوار الموري - الايبيري حسب المصادر الأدبية*، ومضات في تاريخ المغرب، الدار البيضاء، ص. 267 - 273، 2001 ؛ علي واحدي ومحمد مقدون، *أعمدة هرقل*، *معلمة المغرب*، 2، ص. 523 - 524 ، 1401 / 1989.

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc, (Maurétanie Tingitane)*, *A. M.* I, 1904 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; Id. *Recherches sur les activités des méditerraéens aux confins de l'Afrique occidentale (VIè siècle av.J.C - IV siècle ap. J.C)*, Rome, 1978 ; Id, Pline l'Ancien, *Histoire naturelle* V, Paris, 1980 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; A. Siraj, *L'image de la Tingitane, l'historiographie arabe médiévale et l'antiquité nord-africain*, Rome, 1995, (Sabta, pp. 475 - 480) ; R. Ricard, *La côte atlantique du Maroc au début du XVIè siècle, d'après les*

*instructions nautiques portugaises*, *Hesp*. 7, 1927, sp. pp. 231 - 232.

البيضاوية بلكامل

**السبحة**، أطلقت هذه الكلمة في بداية الإسلام على مازاد عن الفرض من الصلوات، ثم اختصت هذه بتسمية النوافل، وظلت السبحة تدل على المعقبات من تكبير وتحميد وتسبيح. فقد أثرت عن الرسول صلى الله عليه وسلم صيغ لتعظيم الله وتسبيحه وتقديسه وتنزيهه وتوحيده تذكر بكيفيات وأعداد وترتيب، مع ذكر فوائدها وفضائلها.

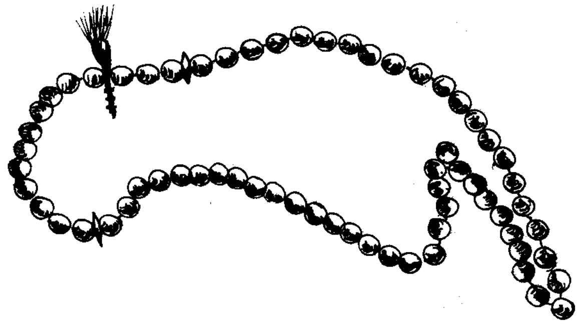

ولما كان لعدد تكرار هذه الصيغ أهمية، فقد بدت أول وسيلة للعد أصابع الذاكر. كان بعضهم يستعمل الحصى في العد ونوى التمر. وقد ذكر ابن الحاج في *المدخل* (3 : 205 - 207) أن إحدى زوجات النبي كانت لها سبحة كانت تضعها في طاق وأن عمر بن الخطاب عاتب تميما الداري على الظهور بسبحة في عنقه. وكانت السبحة في بعض أشكالها الأولى خيوطا أو حبيلات رقيقة فيها عقد، ثلاث وثلاثون أو تسع وتسعون، وأصلها عبارة المعقبات "سبحان الله والحمد لله والله أكبر"، حيث تذكر ثلاثاً وثلاثين مرة لكل جزء من أجزائها الثلاثة فتأتي تسعا وتسعين على عدد الأسماء والصفات. ثم وضعت لموضع الذكر سبحات مكونة من حبات الوحدة منها بحجم حبة الحمص، معظمها من خشب منجور، وبعضها من صدف أحمر أو إبنوس أو من قرن الكركدن المرصع بالفضة أو من خشب الصبر أو الصندل.

اشتهر في المغرب صنع السبحة من خشب العنّاب والزيتون وشجر أرگان ومن أخشاب صلبة أخرى، وربما اتخذ بعضهم سبحة من الفول اليابس.

تستعمل السبحة في الذكر بالعدد وتحيط بها معان تكريمية باعتبارها وسيلة شيء يطهر ويشفي وهو الذكر، فينتقل ذلك الاعتبار إلى السبحة بذاتها حيث تستعمل في التبرك والاستشفاء أو التأهيل والحفظ كالحرز، كما تستعمل كهدية ولا سيما من قبل القادمين من الحج. ومن شدة التعلق بالسبحة أن بعض الجباة كان يصادرها للضغط على صاحبها حتى يؤدي ما عليه من الجباية فيسترد تلك الرهينة القسرية من الجابي.

يرتبط استعمال السبحة بالكتمان حيث يستعملها لعد الأذكار بعض الذاكرين تحت جلبابه، ولكن بعض المنتمين للمشيخات الصوفية يجهرون بإظهارها لتأكيد انتمائهم وتحمل تبعاته ولإشهار الدعوة إلى طريق الأذكار. وهكذا نجد الطرق تتفاوت في هذا الصدد، وبعض الدرقاويين على سبيل المثال يحملون في العنق سبحة غليظة الحبات للتأكيد على إعلان الانتماء والغياب الشعوري عن كل انتقاد. وهكذا تكون السبحة رمزاً له معناه داخل الجماعة، وله معنى في حياة مستعملها الفرد الذي قد تصبح عنده بقيمة التزامه بالأذكار أي أغلى من كل قيمة مادية، وقد تورث وتعلق زينة على الجدران.

صارت السبحة في المغرب عنوان الانتماء إلى طريقة التصوف أكثر من المرقعة وغيرها من العلامات الأخرى المعتمدة في المشرق. ولكنها عند أصحابها لم يعد لها معناها الأصلي كوسيلة للعد وإنما التبس جسدها بروح المعدود، فصارت قيمة للتذكير بعد أن كانت مجرد آلة للذكر.

M. S. Belguedy, *Le chapelet islamique et ses aspects nord-africains*, *R.E.I.*, 1969/2, p. 191 - 322.

أحمد التوفيق

**السَّبْخَات** أو السباخ جمع سَبْخَة أو سبَخَة مصطلح عربي يعرف بأوساط بيئية خاصة جداً لها ارتباط وطيد بملوحة مياهها وتربتها. وحسب بعض الباحثين في علوم الجغرافيا والبيئة وخاصة الفرنسيين منهم، تعتبر كلمة سبخة مصطلحا عربيا ذا أصول مرتبطة بالمواقعية لافريقيا الشمالية وصحاريها (المغرب، الجزائر، تونس).

ولقد ترجم مصطلح سبخة حرفيا إلى اللغة الفرنسية ويكتب حسب الباحثين والمصادر العلمية بكيفيات مختلفة على النحو التالي : Sebkha, Sebkhra, Sebkra, sebka. ويبقى المفهوم الفرنسي الأخير هو الأكثر تعبيراً عن المصطلح العربي الأصلي للسبخة والسباخ.

أما المرادفات الأخرى للسبخة والسباخ باللغات الأجنبية غير الفرنسية فهي Salina وSalar (اصطلاح إسباني)، Alkali flat (s)، Salt flat (s) أو Salt pans (اصطلاح انجليزي - أمريكي).

وإذا كانت السبخة ساحلية فيطلق عليها اسم Maremme (مصطلح فرنسي).

في المجال العلمي وخاصة في علوم المياه، تعرف السبخة كقاع حفرة مغلقة خالية من النبات، تتميز بظهور تكونات ملحية على السطح خلال فترات الجفاف، ومعرضة للفيضان بمياه الفيض أو بارتفاع مستوى المياه الجوفية

المالحة خلال الفترة المطيرة. أما أطرافها أو جوانبها فهي مغطاة بأعشاب قصيرة متأقلمة مع الملح (سهب أليف الملح) مشكلة منطقة مراع تسمى الشطوط (Chotts) وهي جمع شط (Chott). وكلمتا Chott وChotts هما ترجمة حرفية للمصطلحين العربيي الأصل شطوط وشط. واصطلاحا شط (Chott) وشطوط (Chotts) لم يعممها إلا حديثا وبالخطأ على السبخة والسباخ أو السبخات.

وتعتبر السباخ كذلك كأراض ذات ملح ونزّ لا تكاد تُنْبِت أو كمسطحات ملحية (Salt flats) ترتكز فوق تكوينات من الصلصال والغرين والطين ويتحكم مستوى الماء الجوفي في منسوبها، ويحتوي هذا الماء على نسبة مرتفعة من الأملاح الذائبة. ونتيجة لعوامل التبخر أو التبخر النتج بالسباخ، تتراكم المتبخرات (Evaporites) على شكل أملاح بما فيها تلك التي تكون القشرة الملحية (Salt crust (s) ، Efflorescence (s)).

وحسب عدة باحثين متخصصين في العلوم البيئية أو ميادين أخرى (هيدرولوجيا الأراضي المالحة، جيولوجيا، جيومورفولوجيا، رسابة ....) وخاصة منهم الذين اهتموا وعملوا بشمال إفريقيا، تعتبر السباخ كمنخفضات تحتوي على طبقة مائية قليلة العمق. إن تغذية السباخ بالماء تنتج عبر السيلان والذي يكون مصدره هي الأراضي المالحة. ويمكن للسباخ أن تجف بأكملها خلال الفصل الجاف أو الفترات الجافة، وعندئذ تتغطى مساحتها بقشرة من كلوريد الصوديوم (NaCl) والتي تحتوي كذلك وغالبا على الجبس وفي بعض الحالات على متبخرات أخرى.

وتصنف السباخ كذلك ضمن البحيرات المالحة والتي تكون في مجملها بحيرات منحبسة (Lacs endoréiques) والتي تكون ملوحتها ذات تركيب متغير جداً، الشيء الذي يتعاكس مع ملوحة البحار والتي لا تتغير إلا من ناحية درجات الملوحة وليس في ما يخص نسبة المواد الذائبة.

فالسباخ توجد جنوب النجود العليا والأطلس الكبير والأطلس الصغير وتحديداً جنوب الخط الذي يربط بوعرفة - الراشدية - ورزازات - طاطا - كلميم. وفي هذه المناطق الشاسعة، تتميز السبخات بعددها المحدود وصغر حجمها (مساحة صغيرة أو محدودة جداً عموماً).

أما المنطقة الجغرافية التي تعتبر ذات أهمية كبرى، بل وقصوى للسبخات، فهي تلك التي تمتد من جنوب وادي درعة الأسفل إلى الحدود مع موريطانيا شرقا وغربا (طرفاية وعمقها في اتجاه العيون والسمارة، الساقية الحمراء، كل وادي الذهب...).

فالمنطقة البيوجغرافية الممتدة جنوب غرب درعة بما فيها أقاليم الساقية الحمراء ووادي الذهب، تعتبر أكبر مكان توجد فيه السباخ المختلفة الأنواع والأشكال والأحكام، كانت ساحلية أو قارية، وتبقى السبخات القارية هي الأكثر عدداً وتواجداً في تلك الأقاليم المغربية الجنوبية.

أما بالنسبة للسبخات الساحلية المحادية جداً للبحر المتوسط هناك بعض الدراسات التي أدمجت فيها ما يسمى بسبخة بوعارك (Sebkha Bou Areg) قرب مدينة الناظور والتي تسمى أيضاً Mar Chica أي البحر الصغير.

وفي الحقيقة، هذه البحيرة المائية المهمة التي تدخل في شبكة المواقع ذات الأهمية البيولوجية والأيكولوجية (Site d'Intérêt Biolobique et Ecologique) حسب المخطط المديري للمناطق المحمية (المحميات) بالمغرب تكون هوراً ساحليا (Lagune littorale) لظروفها الهيدرولوجية والجيومورفولوجية والبيولوجية والبيئية. وهذه البحيرة المالحة تغطي مساحة 115 كيلو متر مربع تقريبا، وعمقها الأقصى يعادل 8 أمتار ويحميها من البحر شريط ساحلي طوله 22 كلم وعرضه يتغير من 160 إلى 1300. أما الترعة التي تمكن الهور من الاتصال بالبحر، فعمقها يساوي 3 أو 4 م.

وبالمنطقة الجافة توجد سبخة زيما (Sebkha Zima) التي تتموقع غرب الشماعية وتحديداً جنوب الطريق الرابطة بين مراكش وآسفي وكذلك سبخة سد المسجون (Sedd El-Messjoun) الذي يتموقع بدوره بوهدة البحيرة (Cuvette de la Bahira) التي تمتد ما بين الجبيلات وتشكيلات الرحامنة.

كما توجد أيضاً سباخ أخرى بمناطق مختلفة بالأراضي الجافة بالمفهوم الواسع.

3 - 2 - أهم السبخات المغربية :

إن الدراسات العلمية المختلفة العامة منها والمتخصصة نادرة جداً وحتى إن وجدت، فهي لا تتعدى التطرق إلى بعض الإشكاليات الخاصة وفي مناطق خاصة أيضاً ومحدودة جغرافيا.

انطلاقا من هذه المعطيات وارتكازا على الدراسات الأيكولوجية والبيئية التي قمنا بها في مجال المناطق الرطبة والأراضي المالحة الساحلية والقارية للمصاب والأنهار والأهوار والدلتات والسبخات، يمكن أن نعطي لمحة موجزة عن بعض أهم السباخ بالمغرب.

ففي المنطقة البيوجغرافية الممتدة على طول الساحل الأطلسي من درعة الأسفل وخاصة من جهة طرفاية ونواحيها إلى الكويرة مروراً بالداخلة وبيئتها المجاورة وكذلك في عمق الصحراء المغربية بأكملها (المنطقة الجغرافية الحيوية القارية فيها الحمادات، هناك كثافة مهمة للسبخات المتعددة الأشكال والمساحات والأعماق والظروف البيئية والبيولوجية والتطور (الديناميكية) والأعمار (تاريخ ظهورها ودوامها).

فمن أهم السبخات بمنطقة طرفاية مثلا نجد سبخة الطاح (Sebkha Tah). فهذه السبخة تمتد على طول 30 كيلو متر، وعرضها يوازي 11 إلى 12 كيلو متر. وبجوار هذه السبخة، هناك عدة سباخ على شكل شبكة مهمة وخاصة بشمالها الغربي مثل سبخة تيسفورين (Sebkha

(Tisfourine) وسبخة الخميرة (Sebkha Khemira). وفي الجنوب، هناك عدة سبخات : سبخة أم الضبع (S. Oum Dbaa)، سبخة ياهيفة (Sebkha Yehaïfa)، سبخة أمسكير (S. Amsiquir). وبالجهة الشرقية والشمالية الشرقية، يوجد تجمع معقد للسباخ : سبخة ربولا (S. Rboula) وسبخة هويسلكا (S. Houiselga) وسبخة العزيز (S. El Azaïz) وسبخة تازرة (S. Tazra).

وهذا التراكم الملحي للمتبخرات الذي يظهر كقشرة من الأملاح على سطح الأرض يمكن أن يتكون تحت السطح كذلك على شكل كتلة ملحية صلبة يتعدى سمكها مترا أو مترين كما هو حاصل ببعض أطراف سبحة الطاح (Sebkha Tah) مثلا.

وارتفاع الملوحة بالسبخات يعبر عنه زيادة عن استعمال عامل الناقلية الكهربائية (.C.E) بكميات الغرامات في اللتر (gr/l) أو بالميليمكافئ في اللتر (meq/l).

انطلاقا من هذه العوامل، فملوحة السبخات بالمغرب تتغير حسب الظروف البيئية والمناخية من بعض الغرامات في اللتر (2 إلى 5 غرام باللتر) إلى مئات الغرامات باللتر (100 إلى 200 غ / ل أو أكثر) وذلك حسب نوعية الأملاح والظروف البيئية وخاصة منها المناخية والبيومناخية حتى الوصول إلى التشبع وتكون الإبخاريات الملحية.

أما استعمال عامل الميليمكافئات في اللتر (meq/l) والتي يعبر عنها بمجموع الأنيونات والكاتيونات، فيبين أن الملوحة مرتفعة بالسباخ إذ يفوق العشرات، بل المئات وكذا الآلاف أو عشرات الآلاف وذلك حسب الظروف والعوامل البيومناخية وتركيز الأملاح وتكون الإبخاريات الملحية والطبقات الملحية.

والتعبير عن الملوحة بالناقلية الكهربائية يؤكد كل ما تم تناوله إذ يتغير هذا العامل من 2 ـ 10 (mmhos/cm) إلى أكثر من 50 ـ 100 (mmhos/cm) وهو ما يبين أن الملوحة تكون إما منخفضة أو متوسطة أو قوية جداً حسب ظروف الأوساط البيئية. وفي معظم الأحوال تبقى ملوحة السباخ جد مرتفعة.

3 ـ 4 ـ 2 ـ رطوبة التربة

زيادة على عامل الملوحة، فرطوبة التربة بالسباخ لها دور أساسي في تحديد ظروفها البيئية والبيولوجية وكذا تطورها عبر الأحقاب المتتالية. فالسبخات يمكن أن تمتلئ كليا أو جزئيا بالماء الناتج عن التساقطات المطرية أو المتسرب عبر العيون والرشح (منابع مرتبطة بالتشكيلات الصخرية أو الأجراف على العموم). وترتبط كذلك بمياه البحر التي تتكدس في السبخات عبر الثغرات الصخرية الساحلية أو عبر الأهوار التي تلتحم بالسباخ كما يحدث بسبخة تازرة (S. Tazra) عبر هور الخنيفيس (Lagune de Khnifiss) المرتبطة بالمحيط الأطلسي بفم اكويطير (Foum Agouitir).

فعامل الماء على العموم (كتل سطحية، سديمة متوحة، ماء جوفي، ماء باطني...) يؤثر على الظروف البيئية للسبخات حسب درجة رطوبة التربة ومستوى عمق السديمة المتوحة بالنسبة لسطح السباخ.

وهذا التأثير يلعب دوراً أساسياً في تغيرات تركيز الأملاح أي في درجات الملوحة وبالتالي في الظروف الايكولوجية والبيئية والبيولوجية للسباخ (تأثير على الفلورا والفرنا والنظم البيئية).

وعلى العموم، فرطوبة التربة ترتفع مع التساقطات المطرية وكذا اثر ارتفاع مستوى السديمة المتوحة وإثر المد وخاصة المد القوي للبحر والمحيط، وتنخفض تدريجيا في فترات الجزر وبقوة في الفترات الجافة والحارة.

3 ـ 4 ـ 3 ـ العوامل الجيولوجية والجيومورفولوجية والتربية :

إن للصخور الأم والتشكيلات الجيولوجية المالحة تأثير مباشر على ملوحة البيئة المحيطة بها وخاصة منها السبخات. وهذه الصخور الأصلية تنتمي إلى عصور جيولوجية مختلفة من الزمن الأول إلى الزمن الرابع.

وهذه الصخور الأم تتكون من الصلصال الملحي الترياسي (Argile salifère triasique) أو من الطفل (مارن) الملحي (Marne salée) أو الجبسي (Marne gypseuse) أو الملحي ـ الجبسي (Marne salée et gypseuse) وكذا من صخور أصلية أخرى. فتفسخ الصخور المالحة تحت عدة عوامل وخاصة منها الفيزيائية والكيميائية يؤدي إلى تغذية السباخ بأملاح مختلفة.

4 ـ 2 ـ الفلورا والنظم البيئية

إن الفلورا أو النباتات التي تنمو بالسبخات المغربية تتميز بيولوجي جد مهم نظراً للتكيف القوي للنباتات أليفة الملح (Halophiles) والإلفملحية (Halophytes) مع الظروف الأيكولوجية للأوساط البيئية الطبيعية للسباخ. والتنوع البيولوجي النباتي للسبخات يختلف من سبخة إلى أخرى على الرغم من تواجد عدة أنواع وأصناف بل وحتى طرز بيئية مشتركة بين هذه الأشكال من الأوساط البيئية المتخصصة.

إن الجهد الأزموري القوي للنباتات المرتبطة بيولوجيا وأيكولوجيا بملوحة الماء والتربة يمكنها من النمو والتجدد في الظروف البيئية للسباخ وذلك حسب مستوى عمق المياه التي تغمر السبخات أو مستوى السديمة المتوحة أو درجة رطوبة التربة.

وكما أن العوامل الإيكولوجية الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والجيومورفولوجية تلعب دوراً أساسيا في تنطق التربة حول قعر السبخات حتى المحيط البعيد عنه، فنفس الشيء يحدث بالنسبة لتسلسل الفلورا في أشكال وحلقات دائرية ومتراكزة انطلاقا من وسط السباخ.

وهذه الوضعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بتغيرات في

تغير درجات الرطوبة التي تنخفض تدريجيا أو بقوة حسب الظروف الموقعية (ارتفاع في الانحدار مثلا) كلما تم الابتعاد عن قعر السباخ.

أما درجة الملوحة، فهي ترتفع عادة كلما كان الابتعاد عن القعر السبخي أقوى وذلك لارتفاع عوامل التبخر والتبخر والنتح الشيء الذي يؤدي إلى تركيز الأملاح في الماء والتربة وتراكم المتبخرات على سطح الأرض المالحة. وعندما تتبخر مياه السبخات كلية، يحدث نفس الشيء في كل أرجاءها بما في ذلك القعر نفسه.

ومن الفصائل أو العائلات النباتية التي لها تنوع بيولوجي نباتي مرتفع جداً بالسباخ هناك السرمقيات أو ما يسمى أيضا الرمراميات (Chénopodiacées) والرصاصيات (Plombaginacées) والطرفيات (Tamaricacées) والقديسيات (Zygophyllacées) والنجيليات (Graminées) والبطباطيات (Polygonacées) والباذنجانيات (Solanacées) وعائلات أخرى دون الحصر مثل Frankéniacées وSpergulariacées وAizoacées.

والتنوع البيولوجي النباتي الذي ينتمي إلى فصيلة السرمقيات يتكون من عدة أنواع دالة على ملوحة مرتفعة جداً تصل وتتعدى في عدة حالات 100 غ / ل.

والأنواع النباتية السرمقية الإلفملحية التي تنتمي إلى هذه الفئة هي : التليث (Halcnemum strobilaceum) والهالوبوبليس (Halopeplis amplexicaule)، الأرتروكنيموم (Arthrocnemum macrostachyum)، وأنواع الأشنان أو الحرض (Salicornes) مثل الحزيري الجنيبي (Salicornia fruticosa) والحزيري العشبي (Salicornia herbacea) والسوادة الجنيّبية (Suaeda fruticosa) والروتا (Salsola vermiculata) والقطف أو السرمق (Atriplex halimus) إلخ..

وإذا كانت درجة الملوحة مرتفعة نسبيا أو معتدلة على العموم بالنسبة لبيولوجيا وأيكولوجيا النباتية الإلفملحية (10 إلى 40 أو 50 غ / ل) فتظهر أنواع أخرى مثل الطرطيع أو الحمرة (Frankenia hirsuta) أو (Frankenia corymbosa) والشنان (Anabasis aphylla) ونوع من الباذنجانيات مثل العوسج (Lycium intricatum) والعردق (Nitraria schoberi) أو (Nitraria retusa) وأنواع من القديسيات مثل (Zygophyllum album وZygophyllum gaetulum) أو الطرفاويات مثل (Tamarix aphylla وTamarix boveana وTamarix speciosa وZygophyllum gaetulum) الخ ...

أما الأنواع والأصناف النباتية الأخرى، فهي تنتمي إلى الرصاصيات مثل Limonium delicatulum أو النجيليات مثل Phragmites isiacus أو إلى فصائل أخرى متنوعة جداً من Spergulariacées وAizoacées وPolygonacées وComposées الخ... وفي الأطراف السبخية المحدودة الملوحة (2 إلى 5 أو 10 غ / ل)، فهناك عدة أنواع تنتمي إلى السعديات مثل (Scirpus maritimus) والأسليات مثل (Juncus maritimus) أو البركيات مثل (Typha angustifolia) وكذا أنواع أخرى مختلفة ومتعددة تنتمي إلى فصائل أخرى جد متنوعة.

ومن مميزات التنوع البيولوجي للفلورا التي تساهم في تكوين نظم بيئية متعددة تتوزع بالسباخ حسب الظروف الأيكولوجية في تمازج مع الفونا، يجب التأكيد على أن السبخات تزخر بعدة أنواع وأصناف وطرز بيئية قبسية (Endémiques) بالنسبة للفلورا وكذا الفونا. وهذه المعطيات التي تهم الفلوا (النبات) والفونا (الحيوانات) والنظم البيئية تبين بوضوح أن السبخات المغربية تكون هزانا هائلا للموارد الجينية باختلاف أنواعها.

4 . 3 - الفونا :

التنوع البيولوجي الحيواني (الفونا) باختلاف أنواعه له ارتباط وثيق بالظروف البيئية والعوامل الأيكولوجية للأوساط الحياتية بالسبخات المغربية كانت حالية أو موروثة من الأزمنة السابقة.

والأنواع المختلفة للفونا لها صلة قوية بالظروف الموقعية للسباخ وخاصة تلك المرتبطة بدرجة الرطوبة وخاصة الملوحة. ويتميز هذا التنوع البيولوجي بوفرة وسيادة الأنواع والأصناف الموشرة للأوساط المالحة والمفرطة الملوحة.

فالمعطيات العلمية المحدودة والمساهمات المتوفرة التي تناولت موضوع هور الخنيفيس ومحيطه بينت بأن التنوع البيولوجي الحيواني مرتفع جداً بسبخة تازرة التي تم التطرق إليها في بعض الحالات.

والمساهمات التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالموضوع لعدة باحثين دونت في عدد خاص من أعمال المعهد العلمي.

فبالنسبة للجنوب الغربي المغربي وخاصة هور الخنيفيس وسبخة تازرة ومحيطهما تتواجد عدة أنواع من الطيور المهاجرة والمائية منها على وجه التحديد.

ففي فصل التوالد تم جرد 56 نوعا بالمنطقة منها 24 متاولدة و23 محتملة للتوالد و9 يمكن أن تعشش. والمنطقة تعتبر محطة للعبور أو التشتية بالنسبة للطيور العابرة. والطيور المهاجرة التي يمكن أن تحصى في هذه المناطق متنوعة مثل النحام الوردي (Flamant rose) وأبو ملعقة (Spatule) والملك الحزين (Héron) وأبو طاق (Cormoran) وأنواع أخرى من البطيات (Anatidés) والردغيات (Limicoles) والنورسيات (Laridés).

وبالنسبة للبرمائيات والزواحق بالمنطقة، تم جرد 21 نوعا. أما الثديات فيبلغ عددها 27 نوعا. وفي مجال الدراسات الهيدروبيولوجية تحتوي المنطقة بتنوع أوساطها الأيكولوجية على عدة أنواع من القشريات (Copepoda, Cladocera, Ostracoda).

والتنوع البيولوجي للفونا يهم كذلك عدة أنوع حيوانية من معديات الأرجل والعنكبوتيات والحشرات (مجموعة من الحلزونيات والعناكب والعقارب والحشرات) وحتى بعض الأسماك التي يمكن أن تتواجد في الأوساط التي تربط هور الخنيفيس بسبخة تازرة.

وهذه المعطيات الموجزة والتي تهم خاصة مناطق طرفاية ـ الخنيفيس ـ عيون الساقية الحمراء والأوساط البيئية الساحلية تعطي فكرة مقتضبة على هذه المنطقة البيوجغرافية بما فيها السبخات المتواجدة بها.

5 ـ استغلال السباخ وتدهورها وضرورة حمايتها :

الاستغلالات التي تخضع لها السباخ من طرف الإنسان ومنذ زمن بعيد مختلفة ومتنوعة الشيء الذي يؤدي بها إلى أن تلعب دوراً رئيسياً في بعض المناطق في المجالات السوسيواقتصادية والاقتصادية بل والثقافية أيضاً.

فالسباخ تستعمل في عدة مجالات من أهمها :

* الرعي وتربية الماشية (إبل، أبقار، ماعز، أغنام، حافريات مختلفة الخ ..)

* القنص والصيد البري

* صيد الأسماك في الأوساط المتصلة بين السباخ والأهوار

* الزراعة في الأوساط ذات الملوحة المنخفضة أو الضعيفة جداً وكذا بمحيط السباخ

استخراج واستغلال عدة أنواع نباتية وأعشاب تستعمل في مجال الطب التقليدي مثلا ولأغراض أخرى (Ethnobotanique) وكذا الأنواع الجنيبيّة والشجرية والتي تستعمل كحطب الوقود والتدفئة (الطرفاء، الأشنان ...).

وتستعمل أنواع أخرى مثل قصب الماء (Phragmites) كسياج للحقول ومزروعات الخضراوات والأسل أو السمار والحلال في البوريات (حصير منسوج).

* استخراج واستغلال الأملاح وخاصة ملح المائدة (NaCl)

* الترفيه والسياحة بمفهومها الواسع والسياحة البيئية الطبيعية (Ecotourisme)

* استغلال المياه العذبة المحيطة بالسباخ (عيون، رشح، آبار ...) واستعمالها في مجالات الزراعات المختلفة وخاصة الخضروات وإرواء الماشية الذي يمكن أن يستغل المياه السطحية للسباخ نفسها عندما تكون الملوحة ضعيفة جداً (مياه السطح المتجمعة بعد التساقطات المطرية خاصة).

وعلى الرغم من هذه المهام التي تقوم بها السباخ المغربية زيادة على وظائفها البيولوجية والإيكلوجية والبيئية والبيوجغرافية، وكذلك كأصقاع بيئية، فهي تتعرض لتدهور مستمر وإتلاف مكوناتها المختلفة (فلورا، فونا، أوساط حيوية، نظم بيئية) والأضرار التي تلحق بالسبخات مرتبطة بالاستغلال المفرط لمواردها الطبيعية المختلفة (ثورة نباتية وحيوانية، تربة، مياه، أملاح...).

وهذا الاستغلال المفرط للموارد الطبيعية بالسبخات أدى في حالات عديدة بالمناطق الجافة وشبه الصحراوية والصحراوية إلى تصحرها وترملها بكثافة عالية (سبخة تازرة مثلا ...) الشيء الذي سيؤدي إلى الاندثار النهائي إلى السباخ التي تتعرض لهذه الآثار السلبية. وللسدود أيضاً آثار وتأثيرات سلبية مختلفة على الظروف البيئية والأيكولوجية لسباخ.

ونظراً لأهمية السباخ المغربية والوظائف المتعددة التي تقوم بها فإنه من الضروري حمايتها والمحافظة عليها. وصون السباخ من التدهور يجب أن يتعدى النظرة التي لا تتجاوز المحافظة والحماية للمناطق الرطبة التي تدخل في إطار شبكة رمسار المنبثقة عن اتفاقية رمسار بإيران سنة 1971 أو (Convention de Ramsar (Iran 1971) (مثل هور الخنيفيس التي تتصل به سبخة تازرة ناحية طرفاية بإقليم الساقية الحمراء والذي أدمج في الشبكة في 1980)، بل يجب أن يتعداه إلى كل السباخ المغربية.

وهذا التوجه تمليه الأهمية القصوى للمناطق الرطبة بصفة عامة والسباخ بصفة خاصة في المجالات البيولوجية والإيكولوجية والسوسيو اقتصادية وغيرها.

فالسبخات التي طالها التدهور المستمر (استغلالات مفرطة، تجفيف، تلوث، تعمير إلخ ... ) لها عدة أدوار إيجابية بالنسبة للبيئة والإنسان والتي يمكن أن تلخص فيما يلي :

- ضبط الفيضانات
- تغذية المياه الباطنية
- تثبيت السواحل
- الحماية من العواصف
- حجز وتصدير الرواسب والمواد المغذية
- تلطيف التغيرات المناخية
- تصفية المياه
- مدخر للتنوع البيولوجي
- مد الإنسان بمواد مختلفة
- ترفيه وسياحة بما فيها السياحة البيئية
- قيمة ثقافية

فكل هذه الأدوار المتعددة للسباخ تحتم أن تولى لها أهمية بالغة في مجالات الحفظ والصون، الحماية والمحافظة، التدبير العقلاني والمستديم لمواردها الطبيعية في إطار استراتيجيات ومخططات وبرامج علمية تضمن هذا الاختيار.

ويجب كذلك ترميم السباخ التي طالها التدهور في إطار برامج شاملة ومتكاملة تهدف إلى تنمية مستديمة للمناطق الجغرافية التي تتواجد فيها تلك السباخ.

M. Bendaanoun, *Etude synécologique et syndynamique de la végétation halophile et hygro-halophile de l'estuaire du Bou Regreg (Littoral atlantique du Maroc). Applications et perspectives d'aménagement.* Thèse de Docteur-Ingénieur. Univ.

Aix-Marseille III, Fac. Sci. St Jérôme, Marseille, 1981; *Etude écologique de la végétation halophile, halohygrophile et hygrophile des estuaires, lagunes, deltas et sebkhas du littoral atlantique et méditerranéen et du domaine continental du Maroc*. Thèse de Doctorat d'Etat Es-Sciences Naturelles. Univ. Aix-Marseille III, Fac. Sci. St Jérôme, Marseille, 1991 ; G. Choubert, A. Faure-Muret & L. Hottinger, *Le bassin côtier de Tarfaya (Maroc méridional)*. Notes et Mémoires du Serv. Géol., n° 175, Rabat, 1966 ; M. Dakki and W. Ligny (de.), *The khnifiss Laggon and its surrounding environment (Province of La'youne, Morocco)*. Trav. Inst. Sci., M.H.S., I.S., Rabat, 1988 ; G. Gaucher et S. Burdin, *Géologie, géomorphologie et hydrologie des terrains salés*., Paris, 1974 ; A. Guilcher, *Précis d'hydrologie marine et continentale*, 1979 ; F. Joly, *Etudes sur le relief du Sud-Est marocain*., Rabat, 1962.

محمد بندعنون

**السُّبْد** يجمع على سُبْدان كما هو في المعاجم وكما ينطق به في معظم الدول العربية، طائر من القواطع يصنف إلى رتبة الجواثم مشقوقات المناقير وفصيلة السبديات Caprimulgidae. يسمى أيضا الضوع في بعض المعاجم ويطلق عليه طائر الموت في بعض المناطق بالمغرب وأبو عمى في الشام وأبو النوم في مصر والقرة في السودان. اختلف العلماء في تحريم وتحليل صيده لشدة مشابهته بالبوم في بعض أحواله وبالخطاف في نحالة وقصر القوائم وطول الجناحين.

تعيش ثلاثة أنواع في المغرب مسرولة الساقين وتتميز بشعيرات *كالهلب* حول المنقار. يكثر نشاطها في غسق الليل وتحدث صوتا عند الطيران بتردد اهتزاز سريع للجناحين :

- السُّبْد الأوروبي Caprimulgus europaeus وبالفرنسية Engoulevent d'Europe وبالإنجليزية Nightjar وبالإسبانية Chotacabras gris وبالإيطالية Succiacapre. طائر ريشه لين سريع الانتزاع لونه إلى الأسمر الرمادي ومبقع بخطوط ونقط بنية وصفراء على الظهر والصدر. المنقار واسع مفلطح رمادي مسود، الرأس كبير ومسطح، القوائم شقراء، الجناحان والذيل طويلة. تتميز الذكور ببقع بيضاء على مؤخرة الجناحين والذيل. يبلغ طول الجسم 26 ـ 27 سم وتزن الكبار 70 ـ 140 غرام. يعيش مزدوجا ونادرا وسط مجموعات قليلة الأفراد. عدة مجموعات تغادر المغرب لتشتو في إفريقيا الوسطى ثم يعود إلى المغرب وأوروبا خلال فترة التوالد. يتغذى من الحشرات يصطادها ليلا وهي طائرة. يأخذ مكانه نهارا بين الأعشاب أو على غصون الأشجار دون أن يتحرك وتصعب مشاهدته لشدة مشابهته بالمكان الموجود فيه.

يتوالد غالبا مرتين بين مايو وغشت في المناطق الغابوية والمراعي. العش عبارة عن حفرة غير مفروشة تتخذها الأنثى عادة بين الأعشاب. لا يتعدى عدد البيض اثنين لونهما أبيض رمادي مبقع بالأصفر والبني ومنظرهما رخامي. يبلغ طول قطريها 22.5 × 32 ملم. يحضن البيض من طرف الأنثى حوالي 18 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. تغادر الفراخ العش مباشرة بعد التفتيش تأخذ حريتها تدريجيا وتحسن الطيران بعد أسبوعين.

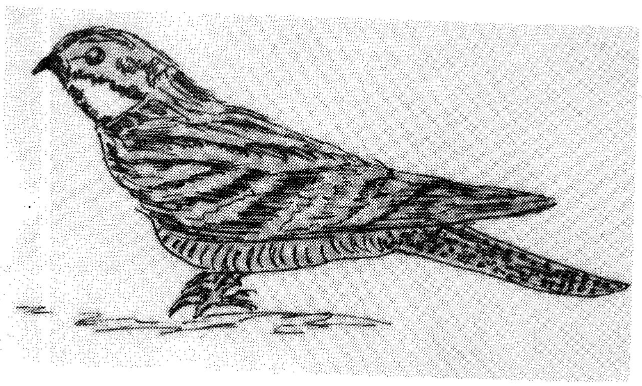

يعيش السُّبْد في مختلف المناطق المغربية. ويعيش أيضاً في أوروبا بخلاف الدول الاسكندنافية وفي شمال إفريقيا والشرق العربي وآسيا الغربية ومنه عدة مجموعات تشتو في ليبيا ومصر وبعض الدول الإفريقية.

- السبد أشقر العنق Caprimulgus ruficollis وبالفرنسية Engoulevent à collier roux وبالإنجليزية Red-necked Nightjar وبالإسبانية Chotacabras pardo وبالإيطالية Succiacapre collorosso. يبلغ طوله 31 سم ويختلف عن السبد الأوروبي ببقعة من الريش الأبيض المصفر على العنق. الذكور والإناث متشابهة اللون وينتهي ذيلها ببقعة بيضاء واضحة. يبيض مرتين في السنة ويحضن بيضتين في كل مرة. يتوالد في المغرب والجزائر وتونس وإسبانيا ويشتو في جنوب المغرب وفي عدة دول إفريقية.

- السُّبْد المصري Caprimulgus aegyptius وبالفرنسية Engoulevent d'Egypte وبالإنجليزية Egyptian Nightjar وبالإيطالية Succiacapre isabellino. طائر يعيش في الهضاب العليا بالمغرب الشرقي والمناطق الجافة وشبه الجافة المغربية والجزائرية والتونسية وفي مصر والعراق وسوريا وإيران والجزيرة العربية. لونه شبيه بالرمال ويحمل الذيل والجناحان خطوطا بنية متقطعة. البطن أبيض ناصع. يشاهد أحيانا خلال النهار بعد ارتفاع الحرارة التي ترغمه على البحث عن مكان أقل حرارة. يصيده البدو أحيانا.

يتشاءم بهذه الطيور في عدة مناطق بالمغرب وينسب إليها أنها تأتي لتبلغ بخبر الموت.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان ـ الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف،

معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

**السَبَعْ، أحمد** بن محمد بن الحسن السغروشني، نسبة إلى "دويرة السبع" بناحية ميسور في المغرب الشرقي. فقيه نسابة، له كتاب *في نسب شرفاء أيت سغروشن تعرض فيه لفرقهم وموقع كل فريق منهم بالقبيلة،* وترجم لجدهم أبي عبد الحسن بن عمرو السبع السغروشني دفين غزوان قرب وادي گير المتوفى سنة 559 / 63 ـ 1164 في نحو ثلاثة كراريس، وقف عليه عبد السلام ابن سودة في إحدى الخزائن الخاصة بفاس. (*دليل*، 83) وله أيضاً *تقييد في نسب أبي الحسن علي بن عمر السغروشني* وهو اختصار للكتاب السابق، وقف عليه عبد السلام ابن سودة وعرف به في *الدليل* (ص. 89).

توفي عام 1340 / 21 ـ 1922.

ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ط 2، الدار البيضاء، 1960 ؛ *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1966، 8 : 2927.

محمد حجي

ابن **سبع، سليمان** العجيسي السبتي يلقب بالخطيب : من علماء سبتة في العصر المرابطي، عاش إلى أوائل القرن السادس. لم ترد له ترجمة في المصادر المعروفة خاصة ترتيب المدارك لمعاصره وبلديه القاضي عياض.

كان ابن سبع خطيبا جامع سبتة، ولذلك غلب عليه لقب الخطيب. ووصف في بعض المصادر بالفقيه الخطيب المحدث الحافظ، وتؤكد هذه الأوصاف مؤلفاته التي تدل على علو كعبه في العلم.

لم يذكر من تلاميذه سوى حفيده ولد بنته أبو عبد الله محمد بن حسين بن عطية الأنصاري المعروف بابن الغازي (508 ـ 591).

تعتبر كتب ابن سبع أقدم تراث علمي مغربي وصل إلينا. فقد ألف عدة مؤلفات وصلت منها ثلاثة، وهي :

1 ـ *شفاء الصدور في إيضاح البيان، عن كشف حقائق البرهان، في أعلام نبوة الرسول محمد بن عبد الله وخصائصه*، وهو موسوعة في الحديث والسير، وكان يقع في 15 مجلداً، قضى مؤلفه في جمعه زهاء 30 عاما. بقيت منه أجزاء منها ج 1، مخطوط، خ. ع. رقم ك 1383، مبتور الأول، في 334 ص. وقطعة ثانية بالخزانة الملكية، وهي النصف 2 منه، رقم 5733.

2 ـ *الخصائص*، أدرجه في كتاب شفاء الصدور، ثم أفرده بالتأليف فاختصره في مجلد لطيف، توجد نسخة منه بمكتبة الأوقاف ببغداد تحت رقم 2842.

3 ـ *الحجة في إثبات كرامات الأولياء، وإيضاح البراهين عن صحة وقوعها من الكتاب والسنة وإجماع الأمة*، (مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم ق 35، في 200 ص)، ولعله أوسع كتاب في الموضوع، عاد فيه إلى عشرات الكتب في التفسير والحديث والأصول والتصوف والكلام.

لا تُعرف وفاة ابن سبع، وقد تكون في العقد الثالث من القرن السادس، وعُمر نفيا وثمانين سنة. ودفن بسبتة في الربض الأسفل منها، بصحن جامع التبانين.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، د. ت. ج. 2، ص. 160 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، الرباط، مطبوعات وزارة الأوقاف، 1413 / 1993، ج. 3، ص. 23 ـ 24 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بنشريفة، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984، 8 : 1، ص. 287 ـ 288 ؛ سعيد أعراب، *أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه*، أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي، 3 حلقات، مجلة *دعوة الحق*، س 20، ع 8، 1399 غشت 1979، 17 ـ 22، ع 9، شوال 1399 شتنبر 1979، 19 ـ 26، ع 10، محرم 1400 دجنبر 1979، 39 ـ 42.

**سبع بن منغفاد** بن حيان الصنهاجي، ثائر قام ولم تكن قد مرت على القضاء على ثورة مرزدغ الغماري إلا سنتان حتى اشتعلت الثورة من جديد في جبال غمارة، وتحديداً بين قبيلة صنهاجة التي كانت كبرى قبائل المنطقة. وقد تزعم العصيان الجديد سبع بن منغفاد الذي لم تقدم كتب التاريخ أي معلومات عنه. وقد تمكن من بسط نفوذ حركته على المنطقة الممتدة من وسط غمارة إلى سبتة، وأخذ يعيث فيها فسادا ويقطع الطرق للحصول على دعم مادي لحركته، كما أمعن في قتل وسبى من لم يخضع له. ووصل تهديده غربا إلى منطقة الهبط فزرع الرعب في سكان قصر كتامة.

كان نشوب هذه الثورة سنة 562 / 1166 في منطقة حساسة وفي ظرف حرج يعتبر تحديا كبيراً للخليفة الجديد أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن (558 ـ 580)، وتهديداً حقيقياً للدولة الموحدية ينذر بفصلها عن الأندلس، خاصة بعدما اختار الثوار التوجه غربا بدل التوجه جنوبا نحو فاس كما فعل مرزدغ من قبل. فبدأ إعداد الموحدين لحملة عسكرية قصد معالجة التطورات المتسارعة التي أصبحت هذه الثورة المتأججة تفرضها. ونظراً لاتساع رقعة العصيان اقتضت خطة الموحدين الالتفاف عليه من جهتين، حيث أرسل الخليفة جيشا بقيادة أبي سعيد يخلف بن الحسين إلى بلاد صنهاجة من جهة قلعة علودان (الجبهة الغربية) في حين توجه جيش آخر بقيادة الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي من ناحية أخرى. ودارت بين الجيشين والثوار

معارك طاحنة فرضت على الموحدين تعزيز قواتهم، فتدخل الخليفة على رأس جيش آخر بمساعدة أخويه الأميرين عمر وعثمان ابني عبد المومن. وزاد من صعوبة مهام الجيوش الموحدية طبيعة المنطقة الجبلية، خاصة عندما اعتصم ابن منغفاد بجبل الكواكب (جبل تيزران)، ولكن تقدير الموحدين لخطر هذه الثورة وإصدارهم في القضاء عليها جعلهم يستميتون في محاربتها مستغلين ظروف فصل الصيف وشهر رمضان. وفعلاً تمكنوا من إلحاق الهزيمة بالثوار وقتل سبع بن منغفاد الذي القت عليه القبض بعض القبائل الغمارية وسلمته للموحدين، ثم طلبت القبائل الغمارية والصنهاجية الصفح منهم وكان المفاوض عنها عمران بن منغفاد ابن أخ زعيم الثورة المقتول، فأجيبت إلى ما طلبت. وتم الفراغ من قمع الثورة في أوائل شوال 562 / غشت 1167.

تؤكد المصادر أن الموحدين غنموا في هذه الحملة غنائم هائلة من الدواب والماشية، مما كان سبع بن منغفاد قد جمعه من القبائل المعارضة له. كما أسروا حوالي 4000 شخص. ولطبيعة الانتصار على ثورة غمارة عسكريا وسياسيا، فقد بادر الخليفة يوسف بن عبد المومن بإرسال رسالة مطولة من إنشاء الكاتب أبي الحسن بن عياش مؤرخة بالرابع من شوال 562 إلى سائر الموحدين والأشياخ والطلبة بالمغرب والأندلس يخبر فيها بالنصر والقضاء على "الفتنة". ثم اقتضى نظر الخليفة أن يعين أحد مقربيه عاملا على سبتة وغمارة وبلاد الهبط لضبط أمورها، فوقع اختياره على أخيه السيد أبي علي الحسن.

البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت*، تح. عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ص. 126، 1986؛ ابن صاحب الصلاة، *تاريخ المن بالإمامة*، تح. ع. الهادي التازي، بيروت، 307 - 323، 1964؛ ع. الواحد المراكشي، المعجب، تح. م سعيد العريان، م. العربي العلمي، القاهرة، ص. 251، 1949؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، ص. 210؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، تح. جماعة من الأساتذة، الدار البيضاء، ص. 94، 1985؛ ع. الرحمن، ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 6 : 320، 1981.

محمد المغراوي

**سبعة رجال** مراكش، صلحاء أقبروا في هذه المدينة في تواريخ متباينة وتوجد مزارات أخرى لسبعة رجال في عدد من المدن والقرى منهم :

- سبعة رجال تلمسان
- سبعة رجال بني عروس (*Le Maroc inconnu*)
- سبعة رجال فاس بحي المصلى (*Une ville de l'Islam: Fès*)
- سبعة رجال الفنيدق قرب تطوان (*خلاصة تاريخ سبتة*)
- وتحدث دوتي عن سبعة رجال لَلاَّ تكركوست من بلاد وزگيتة (*En tribu 222*)

وكانت منطقة الحوز تعج بالأولياء قبل بناء مراكش : فأغمات كانت ملتقى الصوفية من القيروان والأندلس والمغرب، ونفيس كانت مجمع الصوفية المصامدة، ومواسم رباط شاكر كانت مجمع مئات النساء الصوفيات فضلا عن الرجال ... وبعد بناء المدينة وتعميرها أخذت مكانة أغمات الاقتصادية والسياسية والدينية فانتقلت اليها مختلف الأنشطة من بينها التصوف.

ومع مرور الزمن تصاعدت أهميتها الصوفية وتكاثر أولياؤها سواء المقيمون بها أو المدفونون بأحيائها وأزقتها، فصارت بحق وكما يقول العامة "كل قدم بولي".

وقد تم اختيار سبعة أولياء من هذا العدد الكبير مرتبين هكذا :

1 - يوسف بن علي الصنهاجي، المتوفى سنة 593 / 1196.

2 - القاضي عياض اليحصبي السبتي المتوفى سنة 544 / 1149.

3 - أبو العباس السبتي المتوفى سنة 601 / 1204.

4 - محمد بن سليمان الجزولي المتوفى حوالي سنة 870/ 1465.

5 - عبد العزيز بن عبد الحق التباع الحرار المتوفى سنة 914 / 1508.

6 - عبد الله بن عجال الغزواني المتوفى سنة 935 / 1528.

7 - أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي المتوفى سنة 581/ 1185.

- تنظيم الزيارة : الأسباب الظروف والأهداف

نظمت في ترتيب سبعة رجال مراكش ومدحهم والحث على زيارتهم قصائد عديدة، إلا أن القصيدة العينية المنسوبة لأبي علي الحسن اليوسي حازت شهرة كبيرة وكانت تذكر كلما أثير الموضوع. وهي في أحد عشر بيتا مطلعها :

بمراكش لاحت نجوم طوالـــع جبال رواس بل سيوف قواطـــع

(*إظهار الكمال* 24).

إن ترتيب سبعة رجال لا يراعي العامل الزمني، ولا أفضلية الولي وعمله وإنما له اعتبار جغرافي محض كما سنرى. وقبل ذلك نتساءل لماذا تم تنظيم الزيارة في هذا الزمان والمكان بالذات ؟

يرتبط هذا التنظيم بالأحداث التي عرفتها منطقة الجنوب (الشياظمة، حاحا، سوس) منذ أواخر العصر المريني عندما ضعفت السلطة المركزية بها، وظهرت طلائع الغزاة الأجانب - وخاصة البرتغال - في الشواطئ مما جعل السكان يتطلعون إلى زعماء القبائل وشيوخ الزوايا والرباطات لإنقاذ البلاد ودفع الأجنبي الدخيل عنها.

وانطلقت الدولة السعدية من هذه المنطقة معتمدة على شيوخ الطرق والزوايا، واستمرت هذه الحركة الدينية خلال العصر السعدي بكامله، وعندما بلغت الدولة مرحلة الضعف بسبب الصراع الذي احتدم بين أبناء المنصور الثلاثة حول الملك، فكون الطرقيون إمارات محلية سعت كل واحدة إلى تمديد مناطق نفوذها. ومن هؤلاء: ابن أبي محلي، أبو زكرياء الحاحي، أبو حسون السملالي، من آل احماد وموسى بتزروالت، رجال رجراجة بجبل الحديد، وأتباع الجزولي بالشياظمة...

وقد حدثت مواجهات بينهم وبين ملوك السعديين ومنهم من اقتحم العاصمة مراكش بجيوشه (*الاستقصا*، 6 : 30 ـ 50).

وكان هم الدولة العلوية الناشئة معالجة هذه الأوضاع الفاسدة بمحاربة المتمردين والثوار، واعادة الأمن والوحدة إلى البلاد. وفي هذا الإطار كانت مواجهة المولى الرشيد للزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط، والشبانات بمراكش، وثوار سوس (ايليغ، تزروالت...) وتمكن فعلا من قطع أشواط كبيرة في هذا السبيل، إلا أن وفاته المفاجئة بمراكش جعلت مسؤولية إتمام هذا العمل على عاتق أخيه المولى إسماعيل الذي لم يجد صعوبة تذكر في توطيد الأمن بالبلاد.

إلا أنه كان يدرك رسوخ ايمان سكان سوس بأوليائهم وتعلقهم بهم إلى أبعد الحدود، مما جعل الثوار والخارجين يلجؤون دائما إلى سوس، ويعتمدون في تأليب العامة وجلبهم إثارة مشاعرهم الدينية وترويج أمور الزيارة والأولياء. (كان ابن محرز الثائر على عمه إسماعيل دائم اللجوء إلى سوس).

فكان أول عمل قام به المولى إسماعيل هو تجريدهم من القداسة بأن طلب من العلماء الإفتاء في أمر صحبتهم. فأفتت جماعة منهم وعلى رأسهم محمد بن عبد القادر الفاسي بعد صحة ما قيل بزيارتهم للرسول، بدليل أن الصحابي الوحيد الذي دخل المغرب هو أبو زمعة البلوي دفين القيروان. إلا أن علماء آخرين دافعوا ـ فيما بعد ـ عن صحة صحبتهم متعمدين في ذلك على أحاديث واجتهادات. ويأتي على رأسهم محمد بن سعيد المرغيثي (*العيون المرضية*، 14 ـ 19).

والخطوة الثانية التي خطاها هي تنظيم زيارة مضادة لسبعة رجال مراكش "العرب" مقابل الزيارة السابقة لسبعة رجال رجراجة "البربر". ووفر للزيارة الجديدة كافة وسائل النجاح لتجلب إليها الأنظار وتأخذ مكانة الزيارة السابقة وصيتها. ويعتقد أن الإمام اليوسي هو الذي أشرف على التنظيم.

بقي لنا أن نعرف لماذا اختيرت مدينة مراكش لاحتضان هذه الزيارة دون غيرها من المدن ؟ ويمكن أن نجمل الجواب فيما يلي :

أ) اعتبرت مراكش منذ القديم تربة الأولياء، وسماها أبو العباس السبتي "مدينة العلم والخير والصلاح"، وسماها ابن الخطيب "تربة الولي، وحضرة الملك الأولى" (*معيار الاختيار*، 161).

ب) وهي تحتضن جثمان الجزولي الذي كان الشياظمة وحاحا يقدسونه ويتحاربون لامتلاكه، فهم سيقبلون على طواف يكون وليهم أحد أعلامه.

ج) وكانت ذكريات أهل مراكش مع المولى إسماعيل سيئة، فأراد السلطان تحسينها : إذ سبق له أن حاصر المدينة زهاء سنتين بعدما احتمى الثائر ابن محرز بأسوارها وساعده سكانها. وعندما دخلها السلطان في ربيع الثاني من سنة 1088 يونيه ـ يوليوز / 1677 قتل سبعة من رؤسائها واباحها لجنده (*الاستقصا*، 7 : 50). فرغب ـ وقد تم له توحيد البلاد ـ استرضاء السكان، فأحيى هذا التقليد المحبب إلى نفوس الناس، والذي يخدم في نفس الوقت مصالح الدولة : فتنظيم زيارة سبعة رجال عرب في مواجهة سبعة رجال بربر، سيثير من الحساسيات والجدال ما يشغل الناس عما هو اخطر، كالانتساب للزوايا والتعلق بأوامر الشيوخ وخاصة أولئك الذين خرجوا على السلطان (كأمهاوش، وبعض الناصريين) بعد حركة أحمد ابن عبد الله الدلائي التي ناصرها البرابرة (*Esquisse...*, 81 - 84).

وقد مهد المولى إسماعيل لذلك ببناء بعض الأضرحة والمزارات، وتجديد أخرى وتوسيعها (كمسجد الجزولي وقبته، وقبة أبي العباس السبتي، وضريح يوسف بن علي...).

أما المعايير التي أخذت بعين الاعتبار عند تنظيم الزيارة واختيار اعلامها فهي :

1) تقليد الطواف حول الكعبة، فضريح يوسف بن علي يقع قبلي مراكش فأشبه الركن اليماني في كونه قبلي البيت لأنه ناظر إلى جهة الشرق والانطلاق منه إلى باقي الأضرحة (*بادرة الاستعجال*، 20 ؛ *واظهار الكمال*، 31 ـ 32). ولا اعتبار لما قيل بأنه بديء به لأنه يماني لقوله ص (الايمان يمان والحكمة يمانية)، ولسبق اليمنيين إلى نصرة الإسلام، ذلك لأنه لم يكن اليمني الوحيد من بين الرجال السبعة (*السعادة الأبدية*، 1 : 24 ـ 25).

2) وبالإضافة إلى موقع هذا الضريح شرق مراكش، فهو قريب كذلك من القصر السلطاني بالقصبة منطلق السلاطين ورجال الدولة للزيارة : فهم يخرجون منه يمينا لبدء الطواف الذي ينتهي بالسهيلي (أي باب الرب) القريب من القصر مرة أخرى.

3) وبعدما تم توضيح الانطلاقة يبقى العامل الأساسي المتحكم في الطواف هو العامل الجغرافي، مع السعي إلى تحقيق غايتين :

ـ الأولى، زيارة أكبر عدد ممكن من الأولياء فيكون السبعة مجرد أعلام يهتدى بهم.

ـ الثانية، ملازمة لها، وهي المرور بأكبر عدد ممكن من الأحياء المهمة في المدينة دون تنكيس أو إرهاق للطائف بأن يزور نفس المكان مرتين أو يتقهقر إلى الوراء (*إظهار الكمال*، 34 ـ 35).

هذا مع عدم إغفال الاعتبار السابق الذي هو الانتهاء إلى مكان قريب من القصر :

فبعد الانطلاق من ضريح يوسف تتم زيارة مقبرة باب أغمات وهي من أقدم مقابر المدينة، ثم الدخول إلى المدينة صوب حي باب ايلان حيث رابطة أبي إسحاق وزاوية الفلاح، وعدد من صلحاء وصالحات المدينة وعلى رأسهم عميدهم سيدي ايوب.

المحطة الثانية (عياض) ويمر الطواف جهة باب الدباغ ليخرج من المدينة قصد زيارة مقبرة باب الدباغ أو الجانب الشرقي لمراكش، كما كان يدعوه ابن الزيلت، ويتم الدخول من جديد إلى المدينة عبر باب الخميس لزيارة أولياء الزاوية العباسية : سيدي غانم، أبو العباس الجباب...

فالوصول إلى المحطة الثالثة (السبتي). ونظراً لدخول الطواف في منطقة كثيرة المباني والسكان والأولياء فإن المراحل تصبح أقل طولا. فمن ضريح أبي العباس إلى باب تغزوت، فعنق الجمل.

فالمحطة الرابعة (الجزولي) مسافة ليست طويلة ومن حي الجزولي إلى حي سيدي عبد العزيز التباع.

المحطة الخامسة (سيدي عبد العزيز) يتم المرور بضريح أبي عمرو القسطلي وصلحاء روض العروس والجزا. وهذه مهمة جدا لقربها من أسواق المدينة ومن الأحياء القديمة بمراكش زاوية الحضر، حارة الصورة، اسول، امصفح، قاعة بناهض، مسجد ابن يوسف، وصلحاء هذه الأحياء. ويتجه الموكب بعد ذلك إلى حي القصور مروراً بحي المواسين وفي محاذاة الأسواق دائما للانتهاء :

إلى المحطة السادسة (الغزاوني)، ومنها إلى المحطة الأخيرة (السهيلي) ندخل في مرحلة طويلة وقليلة السكان لزيارة مسجد الكتبية ومقبرة علي بن أبي القاسم وزهرة بنت الكوش ويوسف بن تاشفين مؤسس المدينة، وسيدي ميمون الصحراوي، وأخيراً الإمام السهيلي ومقبرته الكبيرة. فينتهي الطواف بدخول الموكب (السلطاني) إلى القصبة.

4) وقد تساءل بعض القدماء عن أسباب إقصاء أولياء أعلام أمثال ابن العريف وابن البناء وأبي عمرو وغيرهم، فأثاروا ما يمكن تسميته بالاختيار الخاص المكمل للاختيار العام الذي طرحناه (أي الترتيب).

وإذا كان ابن البناء يستوي مع عياض في موقع الدفن وفي الأصل العربي، والمستوى العلمي، فإن تفضيل عياض راجع إلى مواقفه السياسية والدينية، وتأليفه لكتاب *الشفا* الذي كان له صدى في الأوساط الدينية في العالم الإسلامي، ومادامت إحدى الغايات من تنظيم الزيارة ضمان التفاف الناس حولها، فإن شهرة عياض أوسع من شهرة ابن البناء (فلو لا عياض لما ذكر المغرب). وهي نفس الأسباب التي جعلت عياضا يفضل كذلك على ضجيعه عبد الكريم الفلاح (يفضل أبو عمرو القسطلي عياضا على الفلاح / شمس المعرفة، 63.64).

أما أبو العباس السبتي فليس له منافس ليس فقط في منطقته، ولكن بين أولياء المدينة فهو حاميها الأول، ووليها الذي يفضله الجميع.

وتطرح المحطة الرابعة منافسة بين الجزولي وأبي عمرو القسطلي، إلا أن رأس الطريقة الجزولية، ومؤلف *دلائل الخيرات*، وخصوصا رمز الصمود والاستشهاد بالنسبة لقبائل الشياظمة وحاحا، لايمكن أن يبقى بعيداً عن الاختيار، فاختياره كفيل بأن يثير انتباه هذه القبائل ويكرمها ويعوض لها بالتالي طوافها المهمل (طواف رجراجة).

ولأهداف مماثلة تم اختيار كل من التباع والغزواني فهما يمثلان فرعين مهمين من فروع الطريقة الجزولية.

وأما السهيلي فتم اختياره لمكانته العلمية التي لم يدركها الولي القريب منه سيدي ميمون الصحراوي.

5) خلافا لطواف رجراجة السنوي، تتم زيارة سبعة رجال مراكش بالترتيب المسطر أعلاه كل أسبوع وتراعي في ذلك ظروف الزائر. فإن كان له متسع من الوقت ورغب في أداء الزيارة على وجهها الاكمل يخصص يوما لكل ولي، حتى يتمكن من الاستراحة قليلا بضريحه، وزيارة الأولياء المدفونين حوله، وتكون الانطلاقة يوم الثلاثاء بأبي يعقوب يوسف، والأربعاء لعياض، والخميس للسبتي، والجمعة للجزولي، والسبت للتباع، والاحد للغزواني، والاثنين للسهيلي (*رحلة الغسال*، 6) فإن لم يكن لديه متسع من الوقت (يذكرنا هذا بالمتعجل في رمي الجمار) زارهم في أي يوم شاء الواحد تلو الآخر إلى النهاية مع المحافظة على الترتيب.

ويذكر الحضيكي أن أهل مراكش كانوا يخرجون صبيحة الجمعة رجالا ونساء وصبيانا لزيارة مشاهد سبعة رجال ويطوفون بهم جميعا في ذلك اليوم (*الرحلة*، 11).

ومع تعاقب الأعوام تسربت إلى الزيارة التي وضعت أساسا للاعتبار وتذكر الموت والدعاء لهؤلاء الأولياء عادات وتقاليد أبعدتها عن هدفها الأصلي : قال الإفراني في (*درر الحجال*، ص. 31) : "رأيت كثيراً من ضعفة النساء وجهلة الرجال يزورون هؤلاء السادات السبعة ماشين حفاة ويرون ذلك من كمال الزيارة".

ومنها عكس الترتيب عندما لا يتحقق الهدف المتوخى من الزيارة بالبدء بالسابع والانتهاء بالأول. ولم يعد الهدف من الزيارة الاعتبار... وإنما صارت تحركه أغراض أخرى كالتماس فرج عند نزول شدة، والاستسقاء عند القحط، والاستشفاء من المرض، وطلب الفتح والفهم...

وتسجل المصادر مداومة كثير من علماء المدينة والوافدين عليها زيارة هؤلاء الرجال ( *الارتجال*، 142، ورحلة *الحضيكي*، 11 ظ 12 و) ومن السلاطين الذين قاموا بهذا الطواف : المولى محمد بن عبد الله والمولى الحسن، والمولى عبد العزيز، والمولى عبد الحفيظ (*الاعلام*، 1 : 361 ـ 362).

ونظراً لاهتبال الناس بهذه الزيارة ولمواجهة الطرقيين وشيوخ الزوايا للمولى سليمان دعا في رسالته الشهيرة إلى الأمة إلى الالتزام بالسنة في زيارة القبور، وحذر من تغالي العوام في ذلك، وكان تركيزه على طواف سبعة رجال، إذ قال (من الغلو البعيد ابتهال أهل مراكش بهذه الكلمة "سبعة رجال" فهل كان لسبعة رجال شيعة يطوفون عليهم. إلى أن قال : فعلينا أن نقتدي بسبعة رجال ولانتخذهم آلهة لئلا يؤول الحال فيهم إلى ما آل إليه في يغوث ويعوق ونسرا...)

وعلق صاحب ( *الاستقصا*، 8 : 123) على ذلك بقوله (وصدق رحمه الله فكم من ضلالة وكفر أصلها الغلو في التعظيم، وما ضلت النصارى إلا من غلوهم في عيسى وأمه عليهما السلام، قال الله تعالى : "يا أهل الكتاب لاتغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق").

ولم تفلح هذه الدعوى الوهابية ولا غيرها في التأثير على العامة الذين دأبوا على تقديس رجالهم السبعة، والتماس بركتهم والالتجاء إليهم في حالات الخوف من المرض وقسوة الطبيعة وظلم السلطان، وطلب الذرية أو العلم أو المال.

ـ الادوار التي نهض بها سبعة رجال مراكش:لا يسمح المقام لتفصيل الأدوار التي نهض بها سبعة رجال مراكش على رأس صوفية المدينة والمنطقة، وكل ما يمكن ذكره انهم جميعا سعوا إلى خدمة مجتمعهم وحمايته ومساعدته في كل الميادين :

ـ سياسيا : مواجهة السلطة عند تعسفها، ومواجهة الاستعمار الأجنبي وخاصة الاسبان والبرتغال (الجزولي والغزواني) عند احتلالهم لبعض الشواطئ المغربية.

ـ تربويا : تعليم المريدين وتأطيرهم خدمة للدين والمجتمع، وذلك في زوايا فتحت في كل أنحاء المدينة.

اجتماعيا : مساعدة الفقراء والمحتاجين في سائر الأيام، وعلى الخصوص خلال فترة الجفاف والاوبئة لتوفير الاطعمة، وشق السواقي وحفر الآبار (الغزواني). وقد أصبح الأمر مذهبا خاصا نشره أبو العباس السبتي ومازال قائما إلى الآن إذ كان من الأوائل الذين اهتموا بذوي العاهات وساعدوهم على العيش الكريم.

وبذلك يتميز صوفية مراكش باندماجهم الكلي في المجتمع وخدمته لذلك حظوا بمكانة كبيرة في الأوساط الشعبية، واستمرت إلى ما بعد وفاتهم.

أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ـ 1956 ؛ ع. ابن إبراهيم، *إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال*، مخطوط، خ. ح، رقم 232 ؛ *الاعلام*، الرباط، 1974 / 1983 ؛ *بادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال*، م. الغالي بن المكي الأندلسي، مخطوطة ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، 1984 ؛ ح. جلاب، *الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب*، مراكش، 1994 ؛ م. الإفراني، *درر الحجال في سبعة رجال*، مخطوطة ؛ *صفوة*، ط. حجر فاس، *رحلة الغسال*، مخطوط، رقم 896 د ؛ ح. اليوسي، *رسائل اليوسي*، تح. فاطمة خليل القبلي، الدار البيضاء، 1981 ؛ *الرمز الشعري عند الصوفية*، بيروت، 1978 ؛ م. الموقت، *السعادة الأبدية*، ط. حجرية، 1335 ؛ قاسم الحلفاوي، *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة* ؛ مصطفى محمود، *الشيطان يحكم*، المكتب المصري الحديث ؛ محمد الأمين الصحراوي، *الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة*، ح. ع. رقم 5479.

E. Doutté, *En tribu*, Paris, 1914 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951 ; H. de Castries, *Les sept patrons de Marrakech, Hesp.*, 1924, T. IV ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1959 ; Fagnan, *Un chant algérien du XVIIIè S. à l'occasion du bombardement d'Alger par les danois. R. A.*, T. 38 ; Gaillard, *Une ville de l'Islam : Fès*, Paris, 1905.

حسن جلاب

**السبْعي، أحمد** بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد السغروشني (نسبة إلى أيت سغروشن)، عالم صوفي، ينسب نفسه في تآليف له إلى النسب الحسني.

برز اسمه في ميدان المقاومة المسلحة عندما بدأ الجيش الفرنسي يتطاول من الناحية الشرقية إلى بوذنيب في بداية القرن العشرين. وهنا قام يصرخ في القبائل الأمازيغية من إخوانه آيت سغروشن، وفي القبائل التي كانت تصيخ له وتعتقد في بركته، كأيت يزدك، وأيت مرغاد، وأيت خباش، وأيت عطة، وأيت يوسي، وبعض قبائل تافيلات كأولاد جرير وأولاد الناصر، حتى التأمت عليه جموع غفيرة، قصد بها بوذنيب، ومنها إلى المنكوب الذي يبعد عن هذه المدينة بحوالي 130 كلم شرقا. ويقول صاحب *كباء العنبر* إن "جل المجاهدين كانوا رجالة، وفيهم قليل من الخيل، وكان رئيسهم مولاي أحمد السبعي". (ج 2 ص. 26).

وقبل طلوع فجر يوم 16 أبريل من سنة 1908، قرر أحمد السبْعي مباغتة الفرنسيين المتمركزين في منطقة المنابهة. وهكذا ضرب المغاربة الحصار على معسكر الكولونيل Pierron، وتسلل البعض منهم إلى داخل الثكنة بعدما قضوا بالخناجر على مراكز العسس الأمام، وجرت بين الطرفين معركة طاحنة استمرت من الرابعة صباحا إلى السادسة صباحا من اليوم الموالي، وكان أحمد السبعي أثناء المعركة يحرض على الثبات، ويرغب المقاتلين في الشهادة،

مستبسلا مستقبلا، والقذائف تتساقط أمامه وخلفه، ورؤساء القبائل يلحّون عليه بأخذ الحذر وعدم المغامرة، فيأبى إلا الامام، وهو يصيح : "دونكم وأبواب الجنة مفتوحة"، وعندما يسمع هدير المدفعية تقعقع ينادي : "هذه زكاريم أبواب الجنة تفتح لكم". وحسب المصادر التي نستقي منها هذه المعلومات، فإن المغاربة استرجعوا مكز "المنكوب" وطردوا منه الجيش الفرنسي، غير أن الجنرال Allix، قائد القوات الفرنسية نظم جيشه بعدما جاءته الإمدادات من بشار، ونصب المدافع على المرتفعات والمنعرجات، وصب على المغاربة وابلا من القذائف التي كانت تحصدهم حصد الهشيم، فانسحبوا إلى التلال المجاورة، واستمر التراشق بالرصاص طيلة يوم 17 أبريل. ورغم أن المجاهدين تراجعوا ناكصين على أعقابهم، فإن معركة المنگوب، ألهبت الشعور في نفوس ذوي الغيرة الدينية والوطنية وأسهمت في شحذ الهمم، وإذكاء الحماس، ونفض الغبار عن عناصر الأصالة في هذه الأمة، وزاد التفاف القبائل الأطلسية والصحراوية بشيخهم مولاي أحمد السبعي الذي استمر هو وتلاميذه في طوافهم وتجوالهم، عبر الأطلس والصحراء لشرح مضمون الجهاد كحل حاسم ضد المد الاستعماري.

وعندما دخل السلطان عبد الحفيظ فاساً سنة 1326 / 1908 أمر المتحمسين للمقاومة، وخاصة شيوخهم، بالكف عن محاربة الغزاة باعتبار أن السلطان هو الوحيد الذي له الحق شرعا في الإعلان عن الجهاد (*كباء العنبر*، ج 2، ص. 33). فوجب الامتثال لأوامر السلطان الجديد، الذي ظهر بمبدإ الجهاد والذب عن كيان الأمة ودينها وحدودها. فخفت صوت أولئك المجاهدين المخلصين أمثال مولاي أحمد السبعي. وقد يعزى هذا الموقف إلى الضغوطات التي كانت تمارسها فرنسا على المخزن، وتطالب بتعويضات كلما تعرض جيشها أو قوافلها أو مراكزها العسكرية لهجومات المقاومة.

ولما اشتدت الأزمة على مولاي عبد الحفيظ، وانفلت الزمام من يده ورضي بالحماية الفرنسية على المغرب، عاد مولاي أحمد السبعي إلى استنهاض الناس، وتحريضهم على الجهاد ومواجهة العدو.

ظل يجاهد في الصحراء حتى وصل العدو إلى قبيلته آيت سغروشن (1915) فعاد إليها، وبقي في تلك الربوع قدوة للمجاهدين وقبلتهم حتى وافته منيته سنة 1336 . 1917.

وكما سخر سيفه لله، فكذلك سخر قلمه للدفاع عن الإسلام وتخليصه من الشعوذة والمشعوذين، ومن رواسب الأفكار الجامدة. فبينما كان يستنهض الناس في تافيلالت، إذا بأحد المتصوفة الكاذبين، الذين ألفوا التخاذل والتواكل، يجمع الناس، رجالا ونساء في حفلات راقصة، باسم الطريقة الدرقاوية، فيلتهمون المآكل والمشارب يوما في هذه القبيلة ويوما بالأخرى (*كباء العنبر*، ج 2، ص. 34).

ولم يكن هذا الدعي (اسمه عبد الله مراح المغلي من مُغل وهو قصر في نواحي بشار) يكتفي بهذا التصوف الكاذب، بل كان يصرّح في القبائل بأن وقت الجهاد لم يصل بعد. فكتب له مولاي أحمد السبعي كتابا مطولا، كله مواعظ، تستند إلى أحكام الشريعة الإسلامية، وشاء القدر أن يجتمع به بأحد قصور آيت عطه، ويمكنه من الكتاب بنفسه وسط جموع غفيرة، وأن يجري معه مناظرة لعله يزكّى أو يذكّر فتنفعه الذكرى.

وقد شهد الدعي مع غيره من الحجج القاطعات والدلائل البينات على يد الشيخ السبعي ما هو أظهر وأجلى وأقطع من أن الجهاد صار فرض عين على كل مسلم بعدما عرفته البلاد من غزو استعماري صليبي. وللشيخ أحمد السبعي بعض التآليف منها واحد في نسب بيته مطبوع ومنها النصيحة...


أ. المنصوري الزياني، *كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر*، مخطوطة الخزانة العامة، قم 946 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب*، بيروت، 1985 ج 2 ؛ م. المعزوزي وهاشم العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات، ( 1900- 1935)*، الرباط، 1987.

A. Bernard, *Le Maroc*, Paris, 1932


محمد بن لحسن

ابن **سبعين**، أبو **محمد** عبد الحق بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن سبعين العكي الغافقي، ولد برقوطة من أعمال مرسية عام 613 / 1216. تفرغ في صباه وشبابه لطلب العلم، وقرأ دواوين في مختلف المعارف. ودرس علوم القرآن والحديث بإشبيلية، وأخذ عن عدد وافر من العلماء. تعمق بالفلسفة وعلوم الأوائل. وعكف على كتب أبي إسحاق إبراهيم بن دهاق الأوسي المعروف بابن المرأة (ت. 611)، في الفلسفة والكلام والتصوف، ولاشك أنه أخذ عن بعض تلاميذه وتشبع منهم بالخصوص بمبادئ الطريقة الشوذية، حتى برع فيها وصار من أعلامها.

انتقل إلى سبتة وأظهر تصوفه بها فالتف حوله أتباع كثر، ثم "كلفت به امرأة موسرة فتزوجها، وأنفقت عليه مالا وبنت له زاوية في داخل دارها" (المقصد) وتعتبر زاويته أول زاوية بالمغرب، إذ لم يكن هذا المصطلح معروفا قبل ذلك. وكون بسبتة طائفته التي عرفت بالسبعينية، تميز أتباعها بملابس وهيآت خاصة، وكان الكثير من مريديه وأتباعه يقومون بخدمته ويحيطون به أثناء سيره في الطرق.

قضى ابن سبعين أخصب سني حياته بمدينة سبتة حيث ألف معظم كتبه. وبسبب تبنيه لفكرة الوحدة المطلقة ونمو تأثير طائفته، وخلافه الدائم مع الفقهاء ومناظراته لهم فإنهم نابذوه العداء، واتهمه بعضهم بالإلحاد، وألبوا عليه أبا علي بن خلاص صاحب سبتة فنفاه منها في حدود سنة 642، فغادرها إلى المشرق وترك بعض أبنائه بها. وحيثما حل كان الفقهاء يجتمعون لمناظرته والإنكار عليه.

تنقل في البداية بين عدة مدن ثم التحق ببجاية التي أخذ عنه بها عدد كثير، لكن تشنيع فقهائها عليه اضطره لمغادرتها، فرحل إلى قابس وظل فيها إلى سنة 652، وتركها بعد أن قام ضده شيخ فقهائها أبو بكر ابن خليل السكوني واتهمه بالزندقة. وعند حلوله بمصر وجد تحذير الفقهاء منه قد سبقه إليها واتهامه بأنه "ملحد قائل بوحدة الخالق والمخلوق"، فغادرها إلى مكة المكرمة التي قضى بها بقية حياته منوها به لدى صاحبها الشريف أبي نمي محمد، وتوطدت العلاقة بين الرجلين بتتلمذ أبي نمي على ابن سبعين في التصوف. ولا ندري أي دور لعبه ابن سبعين في بيعة أهل مكة للسلطان المستنصر بالله أبي عبد الله محمد ابن زكريا الحفصي التي كانت من إنشائه.

شاع ذكر ابن سبعين وقوي تأثيره بمكة وكثر أتباع طريقته، وكان حاكم مكة وصاحب اليمن يعتقدان فيه الولاية أيضاً. ومع ذلك فقد كان أعداؤه كثرا كذلك، خاصة من الفقهاء والمحدثين الذين وجدوا في كتبه ورسائله وأفكاره كثيرا من الشطط.

- فلسفته : ركب ابن سبعين قواعد مذهبه من عناصر متعددة، وتأثر كثيرا بتراث مدرسة ابن مسرة الصوفية بالأندلس، التي نهلت من الاعتزال والحكمة الإشراقية والأفلاطونية المحدثة، وقالت بوحدة الوجود ؛ وأيضاً من صيغتها الجديدة المتمثلة في الشوذية التي تعود إلى أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي دفين تلمسان، والتي أخذها ابن سبعين من كتب ابن دهاق ومن تلاميذه. ورغم أن أيا من كتب شيوخ الشوذية لم يصل إلينا، فإن عناوين بعض الكتب التي وضعت في الرد عليها تؤكد حجم المعارضة التي واجهها بها الفقهاء والمحدثون بكل من الأندلس وسبتة في أواخر القرن السابع الهجري (13 م)، ومن هذه الردود كتاب ردع الجاهل عن اعتساف المجاهل في الرد على الشوذية وإبداء غوائلها الخفية لأبي جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي، وكتاب إماطة الأذية الناشئة من سباطة تاشوذية للمحدث أبي عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن رشيد السبتي. ورغم ضياع هذين الكتابين فإن بعض الإشارات القليلة في تراجم بعض شيوخ الشوذية توضح جانبا من أفكارها، خاصة أبي إسحاق بن دهاق الذي اتهم بادعاء النبوة وبالقوة بسقوط التكاليف الشرعية عمن بلغ درجة العلماء ؛ وعلي بن محمد بن مطرف الجذامي الضرير الذي قال بإباحة الخمر، وإباحة زواج المتعة والزواج بأكثر من أربع.

لم يكتف ابن سبعين بتبني فكرة وحدة الوجود كما هي في تراث ابن مسرة والشوذي وابن عربي، وإنما عمل على تطويرها إلى فكرة الوحدة المطلقة، وبذلك اكتملت على يديه صورة التصوف الفلسفي، لأنه أراد أن يجمع بين الفلسفة والتصوف في صيغة جديدة، فوجه سهام نقده لمناهج الفلاسفة والمتكلمين والصوفية والفقهاء على حد سواء في كتابه *بد العارف*، فهاجم ابن سينا والفارابي وابن باجة وابن رشد والإمام الغزالي وإمام الحرمين الجويني. واعتبر جميع الفلاسفة المشائين من المسلمين مجرد مقلدين. وكان نقده للفقهاء لاذعا أيضاً فقال في نفس الكتاب : "الفقيه صالح الأصل فاسد الفرع، صادق الجنس كاذب النوع".

أبطل ابن سبعين جميع المناهج سواء الفلسفية أو المنطقية أو الكلامية أو الصوفية واعتبرها قاصرة عن الوصول إلى معرفة حقيقة الوجود، واقترح بدلها علما سماه بعلم التحقيق، لكنه اشترط في متعاطيه أن يتحقق بالوحدة المطلقة وإلا عجز عن الوصول إلى غايته. واعتبر أن موضوع هذا العلم ومنهجه وغايته هو الحق. زاعما أنه جاء بما لم يأت به أحد من قبل "وهذا الذي نريد أن ننبه عليه هو مما لم يسمع في محضر، ولا قيل أنه ظهر في دهر، ولا مما دون أو علم في فلاة أو مصر" (شفاء السائل). يبدو ابن سبعين في كتبه ورسائله واسع الخيال ميالا إلى التجريد المطلق والتلاعب باللغة، محاولا بذلك إجراء بعض التعديلات على المناهج المختلفة ليصل إلى إثبات الوحدة المطلقة التي تحيل كل ما هو مادي إلى أصل إلهي غير مادي.

تؤكد رسائله أن الطابع الفلسفي غلب على فكره أكثر من الطابع الصوفي، ولم يفته أن ينتقد التصوف حينما اعتبر أن التصوف لم يدركه أحد ممن سبق. فقال في وصيته لأتباعه : "واكفروا بالحقيقة التي في زمانكم هذا وقولوا عليها وعلى أهلها لعنة الله، لأنها حقيقة كما سمي اللديغ سليما، وأهلها مهملون حد الحلال والحرام، مستخفون بشهر الصوم والحج وعاشوراء والإحرام، قاتلهم الله أنى يؤفكون" *الإحاطة*. وقال عن تصوف أهل المغرب : "كل شيوخ الغرب نسبتهم عملية يشملها أول وجه من التصوف. وما نحن بسبيله لا يقدر بذلك كله" (رسائل ابن سبعين). لهذا نعتقد أن مغادرة ابن سبعين لسبتة لم تكن فقط بإيعاز من الفقهاء، بل يظهر أن التصوف المغربي ذي التوجه السني أيضاً لم يتقبل أفكاره، وبخروجه انحسر تأثير طريقته من الناحية الفكرية رغم بقاء عدد من أتباعه. إضافة إلى أن تعاليمه استندت إلى لغة شديدة التعقيد ومفاهيم مركبة تحتاج إلى قدر كبير من التركيز لاستيعابها، فقل عدد المتعاطين معها بالتدريج بعد رحيله وانتهت طريقته إلى زوال.

- تلاميذه : أخذ عن ابن سبعين العدد الهائل من التلاميذ والمريدين بالمغرب والمشرق، اشتهر منهم أبو الحسن علي الششتري (ت. بدمياط بمصر 668) أخذ عنه ببجاية وخدمه مدة، وسمى نفسه عبد ابن سبعين، وابنه محمد بن عبد الحق بن سبعين (ت. 666)، ويحيى بن أحمد البلنسي، والطبيب أبو الحسن يحيى المعافري ابن الحاج (ت. 718).

تآليفه : ألف تآليف عديدة ضمنها فلسفته وتعاليمه وأهمها بد العارف. أما رسائله فقد نشرت مجموعة منها (*الرسائل*، تحقيق عبد الرحمن بدوي، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، 1965. تضم 20 رسالة ؛ ورسائل أخرى نشرها التفتازاني في كتابه ابن سبعين وفلسفته الصوفية). ولا تزال مجموعة أخرى منها موزعة بين خزائن المخطوطات، وعددها 7 ؛ بينما فقدت مجموعة ثالثة وعددها 18 رسالة، ونعرف عناوينها فقط من خلال المصادر. ومن أهم رسائله جوابه على أسئلة صاحب صقلية الملك فردريك الثاني التي أرسلها إلى علماء سبتة ووجهوها إلى ابن سبعين للإجابة عليها (طبعت بعنوان الكلام على المسائل الصقلية، تحقيق شرف الدين يالتقايا، بيروت، 1941).

اختلفت المواقف من ابن سبعين اختلافا كبيراً في حياته وبعد موته، فمن العلماء من اعتقد فيه النبوغ والولاية، ومنهم من كفره ونسبه إلى الزندقة وانحراف العقيدة. وحتى وفاته تعددت بشأنها الآراء بين قائل بأنه انتحر، وقائل بأنه قتل مسموما على يد بعض منافسيه من المقربين إلى أمير مكة، وقائل بأن موته كانت طبيعية.

توفي بمكة المكرمة يوم 9 شوال 669 / 21 ماي 1271 عن 56 سنة.

عبد الحق البادسي، *المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف*، تح. عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، المطبعة الملكية، 1982، ص. 35 - 69 ؛ أبو الوفا التفتازاني، *ابن سبعين وفلسفته الصوفية*، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1973 ؛ لسان الدين ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1977، ج. 1، ص. 36 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون، *شفاء السائل لتهذيب المسائل*، نشر أبو يعرب المرزوقي، تونس، الدار الاعربية للكتاب، 1991، ص. 214 - 215؛ عبد الحق ابن سبعين، *رسائل ابن سبعين*، تح. عبد الرحمن بدوي، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، 1965 ؛ عبد الحق ابن سبعين، بد العارف، تح. جورج كتورة، بيروت، 1978 ؛ محمد ابن شاكر الكتبي، *فوات الوفيات*، تح. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1973- 1975، ج. 1، ص. 247 ؛ ابن عماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، بيروت، المكتب التجاري للطباعة، د. ت. ج. 5، ص 329 ؛ أحمد أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية، تح. عادل نويهض، بيروت، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 1، 1969، ص. 237 - 238 ؛ بدر الدين القرافي، *توشيح الديباج وحلية الابتهاج*، تح. أحمد الشتيوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1983، ص 154 ؛ محمد مخلوف، شجرة *النور الزكية*، بيروت، دار الفكر، د. ت. ص 196 ؛ أحمد بن محمد المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1986، ج. 2، ص 196 - 205.

محمد المغراوي

**سَبْليزبُـوري** Splisbury ضابط إنجليزي قضى مدة بطنجة تاجراً بوصفه نائباً عن بعض المقاولات ومنها شركة گلوف ڤينتشر سينديكيت Glove ventun syndicate التي كان مقرها بلندن.

والحقيقة أن هذا الضابط الذي كانت له رتبة ميجور لم يكن إلا مغامراً ومهرباً للسلاح. ففي أواخر سنة 1897 استأذن المخزن في التجارة بالجنوب وانتظر الجواب ولما لم يخول الرخصة، اكترى السفينة البريطانية "تورميلان Tourmaline" وشحن على متنها ميرة وأقواتاً، ودس فيها أسلحة وأعتدة عددها 5000 بندقية وقرابة مليون خرطوشة وألقت الباخرة مرساتها بنواحي وادي نون (أصاكة في رواية أولى أو أركْسيس في رواية أخرى) وذلك يوم 17 يناير 1838، ثم نزل إلى البر مخاطباً الرؤساء المحليين على أنه تاجر وعميل لشركة گلوف.

وكان مصحوباً بألماني وإنجليزي وبرتغالي زيادة على مغامر نمساوي هو گايلينغ (Gayling وهو الذي سمى نفسه سنة 1879 الحاج عبد الكريم باي عندما كان بالصويرة قنصلا مزعوماً) وكان مع الرفقة أيضاً يهودي مغربي اتخذوه ترجماناً لهم.

ولما بلغ الخبر للمخزن وجه إلى المكان عينه السفينة المغربية "الحسني" وعلى ظهرها مائة جندي. فلما وصلت استولت على البضائع المهربة فأطلق قبطان السفينة الإنجليزية عدة عيارات نارية ثم لاذت بالفرار.

أما المترجم فسقط بعد مقاومة شديدة رهن الاعتقال وآقتيد مع البحارة، وحملوا جميعاً إلى مرسى الصويرة وأودعوا السجن.

وقامت قائمة الصحف الانجليزية والطارقية لأجل الإفراج عنهم، وظلت جريدة "جبل الطار كرونيكل" ولا سيما في عددها الصادر في يوليوز 1898 تنادي بإخلاء سبيل سبليزبوري، بل إن أعضاء من مجلس العموم البريطاني استجوبوا الحكومة عن أسباب هذا الاعتقال مطالبين بأن تحال المسألة على محكمة بجبل طارق.

قضية هذا الانجليزي استمرار لمحاولات دونالد ماكينزي الذي استوطن طرفاية حتى خرج منها سنة 1895.

هذا ما ورد في هاته المسألة من مصادر أروبية على وجه الاختصار. أما الوثائق المغربية فقد خصصت لذلك مجموعة من النصوص. ففي رسالة عامل الصويرة إلى الطريس أن هذا المغامر كان وصل إلى الصويرة وتلاقى مع أحد تجار جبل طارق المنجلزين اسمه راطو Ratto وأخذ منه مبلغاً من المال ليدفعه لرعاع صبويه (15 ربيع الأول 1315/ 14 غشت 1897، مكتبة تطوان 81 - 37). وكان سعيد الگيلولي أحد قوّاد سوس قد كلف بجعل الأرصاد والعيون على سبليزبوري (رسالة السلطان إليه في 6 شعبان / 31 دجنبر) وبتوجيه المساجين وما نزل معهم من السلعة إلى الصويرة قصد محاكمتهم بطنجة حيث عهد لعبد الله بن سعيد السلاوي بمفاوضة النائب الإنجليزي في

هاته المسألة لحلها (*رسالة* السلطان إلى الطريس في 10 قعدة / 2 أبريل، تطوان 16 ـ 60)، وعين المخزن وكيلا عنه في هاته الدعوى بمساعدة عبد الحكيم التونسي المعروف بعبد الحكيم المزوغي المغربي (*رسالة* السلطان إلى الطريس في 21 حجة / 13 ماي، تطوان 16 : 65).

وتكميلاً للحجة المخزنية أرسل الشهود من الصويرة بحراً إلى طنجة، كما بعث عامل الصويرة عيّنة من المكاحل والقرطوس على ظهر المركب الفرنسي لاموز : .

ب ج روجرز P. G. Rogers، *تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى سنة 1900*، تعريب يونان لبيب رزق، الدار البيضاء، 1989، ص. 300 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1541 ـ 1516 ؛ *وثائق مغربية من مكتبة تطوان، الوثائق الملكية*.

Jacques Caillé, *La petite histoire du Maroc, 3ème série, 1820 - 1894*, Casablanca et Rabat, 1954, p. 109 et suiv. ; F. D. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947, p. 89.

مصطفى بوشعراء

**سبو**، نهر يعتبر أهم أنهار المغرب من حيث الموارد المائية التي يستقبلها من حوض نهري تناهز مساحته 40000 كم$^2$ في الشمال الغربي، ويصرف مناطق الريف والأطلس المتوسط والهضبة الوسطى وسهول سايس والغرب. وتقدر الموارد المائية بسبو بما معدله 5600 مليون متر مكعب، الشيء الذي يجعل سبو يغطي مقداراً يزيد عن ربع الموارد المائية السطحية للمغرب، ويتميز هذا الوارد المائي بالتغاير الهام داخل السنة ومن سنة لأخرى.

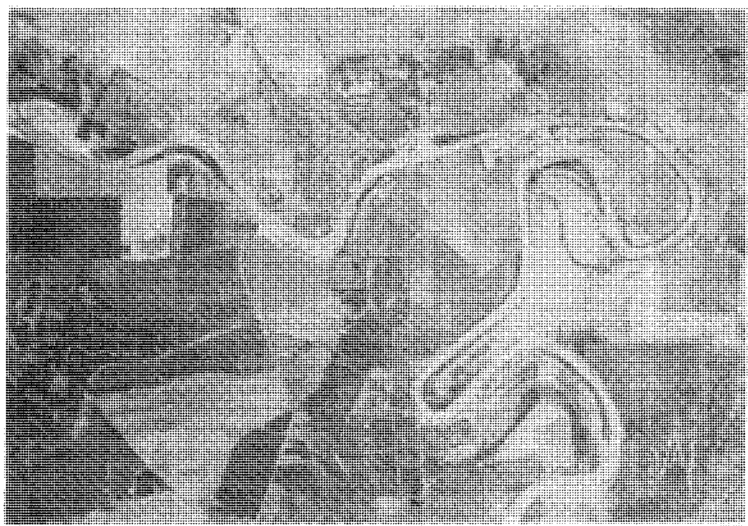

يتكون حوض نهر سبو من عدة مجالات جبلية وتلية وسهلية، تتميز بظروف جيولوجية ومناخية متنوعة، ويمكن إجمالها في خمس مجالات :

في المجال الريفي شمالا، يمتد حوض ورغة، الرافد الأكثر وفرة بمقدار صبيب يناهز 3000 مليون متر مكعب سنويا. وهو مجال *ممطر*، صخوره متوسطة الصلابة إلى هشة، أوديته عميقة وذات سفوح وعرة، وغطاؤه النباتي شديد التدهور بفعل كثافة الاستيطان والاستعمال. وهذا ما يفسر ارتفاع مقادير صبيب المنقولات (13 مليون طن من الأوحال المنقولة سنويا) بسبب عنف عمليات انجراف التربة.

المجال الأطلسي جنوبا، يغطي الحوض الأعلى لنهر سبو، والذي يحمل داخل هذه الوحدة الجغرافية ثلاثة أسماء متتالية، اسم كيكو، من المنبع وحتى حوض سكورة، اسم مداز بعد ذلك وحتى مقربة من حدود المجال الجبلي، ثم اسم سبو، ابتداء من العيون التي تزود النهر وتعطيه القسط الأوفر من صبيبه في العالية. ويتميز هذا المجال المكون من جبال وهضاب عليا، برطوبة مناخه، وبرودته شتاء، وأهمية التهاطلات الثلجية. كما يتميز بغلبة الصخور الكربوناتية المنفذة، ما عدا في أحواض جزئية مثل حوض زلول. وارتباطا بتواضع الكثافة البشرية، فان الغطاء النباتي حافظ على نوع من الاستقرار، الشيء الذي يفسر الضعف النسبي للحمولة الصلبة خاصة باعتبار غلبة الظهورات الصخرية الصلبة.

تلال مقدمة الريف، ذات السفوح المتوسطة والصخور الصلصالية الهشة وغير المنفذة، هي مجال سيل هام، تتكاثف فيه المجاري لتصب في ثلاث محاور نهرية متقاربة، أهمها محور سبو بعد خروجه من الأطلس المتوسط واجتيازه للنهاية الشرقية لسايس على مقربة من مدينة فاس، يليه من حيث الأهمية رافده إيناون الذي يصرف مقدمة الريف كما يصرف النهاية الشمالية لأطلس تازة. وثالث هذه المحاور. واد اللبن الذي يعتبر رافدا لإيناون. في هذا المجال التلي الصلصالي، يتميز سبو وروافده بتقلب الصبيب، فصليا ومن سنة لأخرى.

عند النهاية الغربية لتلال مقدمة الريف، يلتقي سبو برافده الأساسي ورغة، على مشارف سهل الغرب فيكونان سبو الأسفل الذي يتميز بأهمية صبيبه وبمجراه المنعطف على مسافة هامة من مصبه البحري، ويتسبب مجرى سبو في السمات المنقعية للسهل، بسبب الفيضانات الكبرى التي كانت تغطي جل السهل، تاركة بعد تراجعها مرجات وضايات واسعة. وهذا الفيض المتردد والممتد هو الأصل في التربات الغرينية لسهل الغرب. قبيل المصب، يتلقى سبو آخر روافده الأساسية، وهو نهر بهت الذي يصرف الحاشية الشمالية للهضبة الوسطى، قادما من هضاب أزرو، كما يصرف هضبة السايس المكناسي وجبال زرهون.

هذا التنوع الكبير، هو ما جعل سبو يحتل مركزاً خاصاً بين الأنهار المغربية، وما جعل حوضه يتميز بالأهمية الكبرى اعتباراً لموارده. فالحوض التصريفي يغطي أقل من 6٪ من مساحة البلاد. لكنه يمنح ما مقداره ربع الموارد المائية. وهذا ما يفسر كونه آهلا بالسكان (حوالي خمس ساكنة المغرب). وإنتاجه الفلاحي يقرب من ربع الانتاج

الوطني. يصل سكان الحوض إلى ما يفوق 5 مليون نسمة، ويضم مدنا هامة، منها فاس ومكناس والقنيطرة وتازة. كما يضم مناطق فلاحية هي من أهم المجالات الزراعية في المغرب (الغرب والسايس).

وفي الحوض تجهيزات هيدروفلاحية كبرى، من أهمها سد علال الفاسي على نهر سبو نفسه، وسد الوحدة على رافده ورغة، وسد إدريس الأول على إيناون، وسد القنصرة على بهت. ولكل هذه السدود أدوار اقتصادية وبيئية متعددة. دورها الأول تنظيم الجريان ومنع حدوث الفيضانات المهولة التي كانت تهدد المجرى الأسفل لسبو في سهل الغرب. دورها الثاني حجز المياه من أجل استعمالها في الري، خاصة في سهل الغرب. والدور الثالث توفير الماء الشروب لعدد من المدن، وخاصة مدينة فاس.

إلا أن الموارد المائية لحوض سبو مهددة بالتلوث بسبب التنمية التي تعرفها الأنشطة الاقتصادية والتعمير. وينتج التلوث عن المصبات الحضرية والصناعية التي تقذف مياهها في المجاري النهرية بدون معالجة مسبقة. وتتسبب الأنشطة الفلاحية بدورها في تلويث المياه السطحية والباطنية، بالمخصبات وادوية النباتات. وتعتبر المدن الكبرى، خاصة منها المدن الصناعية، ذات أثر بالغ على جودة مياه سبو. ولمدينة فاس خاصة، المسؤولية الكبرى في هذه الوضعية المتأزمة، ذات النتائج الوخيمة على البيئة وصحة السكان في اتجاه السافلة. أما في سهل الغرب، فإن المعامل المصنعة للموارد الفلاحية تتسبب في ارتفاع التلوث الكيماوي والعضوي. هذا ما حتم اتخاذ الاجراءات الضرورية من أجل الحد من هذا التلوث، وذلك باعتماد سياسة تعميم قنوات التطهير، إضافة إلى مشاريع معالجة مياه المدن والمصانع.

وينتهي نهر سبو، سافلة القنيطرة في المحيط الاطلنتي، من خلال مصب المهدية، الذي يعتبر أهم المصبات النهرية في المغرب، إلى درجة أنه كان موقعا لأكبر ميناء نهري في المغرب، عند مدينة القنيطرة.

*تحريات ميدانية.*

عبد الله العوينة

** وهناك مشروع سبو لإصلاح الوضعية التي ورثها المغرب عن الحماية، والتي كانت تتجلى أساساً، بالنسبة لمنطقة الغرب في التوزيع غير العادل للأرض مع "شركة سبو" وما يصحبه من لا مساواة على الصعيد الاجتماعي، طرح على المسؤولين المغاربة مسؤولية العمل على تحسين أوضاع الفلاحين. ولم يكن يتعلق الأمر بمجرد مسألة تقنية، بل ولاحتى أخلاقية، وإنما كذلك بمشكل سياسي يهم استرجاع أراضي المعمرين، وإعادة النظر في وضعية الأراضي الجماعية، وفي توزيع جديد للأرض يأخذ بعين الاعتبار كلا من المعايير التقنية والاقتصادية وكذلك الاجتماعية.

في هذا الإطار أنشئ مشروع سبو بتاريخ 18 أبريل 1963، نتيجة اتفاقية بين الحكومة المغربية والصندوق الخاص للأمم المتحدة، قصد دراسة المشاكل التي يطرحها سهل سبو وإيجاد حلول لها.

هكذا، أجريت ما بين 1963 و1968 عدة دراسات حول التربة والمياه، وكذلك حول الجوانب الزراعية والاقتصادية والسوسيولوجية للمنطقة، لتحديد الطرق التي ينبغي اتباعها لاستغلال أراضي حوض سبو ومياهه بصفة عقلانية، سواء في ما يتعلق بتصريف المياه ووسائل السقي، أو بالمشاكل الزراعية والنظام السوسيو اقتصادي.

حث المشروع، إذن، على إيجاد حلول لمختلف الاختلالات التي تعرفها المنطقة خاصة في الميدان العقاري (تمركز جل الأراضي بين أيدي المعمرين وكبار الملاكين التقليديين، انظر : شركة سبو)، وفي مجال نمط الاستغلال غير المباشر الذي كان يشتمل ثلث الملكيات التقليدية، 35٪ من الملاكين الصغار الذين تقدر مساحتهم بـ 35.000 هكتار، هذا علاوة على ارتفاع نسبة النمو الديموغرافي التي تتعدى نسبة النمو الفلاحي.

يقترح المشروع في هذا الصدد، القيام بإصلاح عقاري لاسترجاع أراضي المعمرين التي سيضاف إليها الفائض من ملكيات المغاربة التي تتجاوز سقفا سيتم تحديده. وستوزع هذه الأراضي على صغار الفلاحين ومتوسطيهم، بحيث يتم توفير حصص أرضية تتيح استخدام التقنيات الحديثة. هذا إضافة إلى الاستفادة من برنامج الري ومن التحديث القروي.

سيشمل هذا الاصلاح العقاري في مرحلة أولى 80٪ من المساحة الفلاحية، و90٪ إثر تحديد الملكيات الكبرى المسقية، حيث سيستفيد منه 75٪ من أرباب الأسر بالغرب.

تحقيق هذا المشروع الذي يستلزم عدة إجراءات تمس كلا من الجانب القانوني والاجتماعي والديمغرافي والإداري، يفترض تحديث الدوار الذي ستعاد تهيئته، فيتحول إلى جمعية قروية للتنمية (SDV : Société de Développement Villageois). ستحصل هذه القرية، بمقتضى هذا الإصلاح على رقعة تشمل ما يقابل الأراضي التي كانت تملكها سابقا في الدوار أو خارجه، زيادة على مقابل الأرض الجماعية التي كانت في حوزة الدوار، إضافة إلى قطعة من الأراضي الحكومية. هكذا، ستستطيع القرية / الدوار تحقيق المخططات التي يحددها المشروع، خاصة وان المعنيين بالأمر سيطالبون باتخاذ قرارات تحمل مسؤوليات في إطارهم الاجتماعي المعتاد. سيصبح الدوار، من ثم عبارة عن مؤسسة تحاور الإدارة وتتحمل مسؤولية في المخطط التنموي.

إلا أن هذا التصور الذي قدمه مشروع سبو كان يفترض وجود إرادة سياسية، لم تكن متوفرة وقته، فأراضي المعمرين لم تكن الدولة قد استرجعتها بعد ؛ بل

إن جزءاً منها كان قد فوّت إلى بعض المغاربة بطرق غير قانونية. كما أن فكرة الإصلاح العقاري لم تكن لتروق كبار الملاكين. هذا علاوة على أن الإدارة لم تكن آنذاك لتقبل وجود نظام قروي مستقل عنها.

هكذا، أفرغ مشروع سبو من محتواه الاجتماعي وتحول سنة 1968، إلى مجرد مشروع تقني.

للمزيد من المعلومات، يمكن الرجوع إلى :

N. Bouderbala, *Quelques données élémentaires sur l'évolution des structures agraires dans la plaine du Gharb, RGM*, n° 20, 1971 ; De Mas Paolo, *Marges marocaines*, La Haye, 1978 ; J. Le Coz, *Le Gharb, fellahs et colons*, Rabat, 1964 ; G. Pallix et A. Tabet, *Drainage d'une plaine basse côtière sur sols lourds, H.T.E.*, n° 7, 2e tri., 1973 ; *Projet de Sebou : Rapport intérimaire*, [s.l.], janvier, 1967.

** أما شركة سبو فتأسست سنة 1919، بإيعاز من ليوطي، وذلك نتيجة انصهار مجموعتين متنافستين : اتحاد الأبناك والمقاولات الصناعية التابعة لبنك الهند الصينية التي كان يمثلها الماركيز دى سوگونزاك من جهة، وشركة دراسات الري بسهل سبو التي كانت مرتبطة ببنك باريز والبلدان المنخفضة من جهة أخرى.

كان على الشركة أن تنكب على دراسة مشكلين : أحدهما تقني يتعلق بتجفيف المستنقعات والتحكم في مجرى وادي سبو والقيام بالأشغال الهيدرولية اللازمة ؛ والثاني قانوني، يتوخى من ورائه إنشاء مستوطنات للمعمرين. ذلك أن منطقة الغرب كانت عبارة عن شبه مستنقع يعيش سكانه تحت الشوالات ويعانون من مرض حمى المستنقعات، ولم تكن ملائمة للزاعة نظراً لفيضانات سبو المتكررة والتي كانت تصل أحياناً إلى مستوى مشرع بلقصيري وسيدي علال التازي لهذا كان الغرباويون يتعاطون لتربية الماشية أكثر من الفلاحة، ويتملكون الأرض في إطار جماعي.

هكذا، كانت خصوبة المنطقة وخلوها وراء اهتمام الأوروبيين بها، مما أدى إلى إنشاء شركة سبو.

ذلك أن مكتب الشؤون الأهلية لمشرع بلقصيري قام بإنجاز دراسات حول مرجة مرقطان ومرجة بوخرجة اللتين كانتا تغطيان حوالي عشرة آلاف هكتار. وتقرر، نظراً للوضع الجماعي للملكية العقاربة، تأجير أربعة أخماس هذا الملك إلى شركة سبو، شريطة العمل على تحقيق المستنقعات، وتحقيق أشغال هيدرولية لصالح الجماعات المحلية التي ستحتفظ بالخمس الباقي من الأرض. وبما أن الشركة أوفت بما تعهدت به في العقد المبرم سنة 1919، فإن الدولة تنازلت لها، بتاريخ 8 شتنبر 1924، عن ملكية الأراضي المعنية بالأمر، أي 9.800 هكتار، سيضاف لها 1.700 هكتار، مما أعطى ملكا يتكون من 11.500هـ عبارة عن قطعة واحدة. اشترت الشركة، بعد ذلك، 5.500 هكتار، من قبائل زمور وأنشأت فوق هذه المساحة ست ضيعات. أما الخمس الذي احتفظ به للسكان المحليين، فقد وزّع إلى اثنتي عشر قسمة تحيط بملك شركة سبو، تتراوح مساحتها ما بين ثلاثين وخمسمائة هكتار.

هكذا، اذن، أدى تدخل شركة سبو إلى مصادرة ملكية السكان، الذين لم يستفيدوا بالنسبة لما تبقى لهم من الأرض من أي تجهيز، بل صارت قطعانهم لا تستطيع الولوج إلى المراعي التي اعتادت الرعي بها في فصل الصيف.

هذا الوضع دفع بالسكان إلى الهجرة، بشكل مكثف، إلى القنيطرة التي ستصبح عاصمة الغرب.

إلا أن الشركة لم تحقق الأرباح التي كانت تتوقعها، فاقترحت على الدولة استرجاع أراضيها. وهكذا، تمت تصفية الشركة ما بين 1929 و1931، ووزعت ممتلكاتها بين عدة شركات أخرى، أهمها La Société du Domaine de Koudiat Sbaâ التي تسلمت 3.000 هكتار، وLa Société des Fermes du Segmet التي تسلمت 4.000 هكتار، وLa Société Marocaine de Culture et d'Entreprise التي تسلمت 1.000 هكتار. بينما احتفظت شركة سبو بضيعتين.

إن تجفيف المستنقعات أتاح إنشاء ضيعات كبرى للحبوب، واعتماد المكننة في العمل الزراعي، وإدخال البرتقال والرز.

إلا أن هذه الزراعة الحديثة كانت تنتج أساساً من أجل السوق، ولم يستفد منها السكان المحليون الذين ظلوا ينتجون بطرق تقليدية. هكذا، ورث المغرب، عند حصوله على الاستقلال، وضعية يمكن نعتها بالازدواجية، الشيء الذي لا يتجلى فقط في وجود فلاحة عصرية وأخرى تقليدية، وإنما كذلك في اللامساواة التي تطبع توزيع الأراضي، إذ أن 60.000 هكتار أي 20٪ من أراضي الغرب كانت في ملك الأجانب، و68.000 هكتار أي 22،5٪ كانت بين أيدي كبار الملاكين وملاكين مغاربة عصريين لا يمثلون إلا 1،4٪ من أرباب الأسر، بينما لم يكن يملك باقي الفلاحين إلا 44٪ من الأرض، وكان 16٪ منهم فلاحين بدون أرض.

N. Bouderbala, *Quelques données sur l'évolution des structures agraires dans la plaine du Gharb, RGM*, n° 20, 1971 ; M. Bazin, *Un problème de modernisation rurale au Maroc : L'intégration des terres collectives dans les associations syndicales privilégiées du bassin inférieur du Sebou*, CHEAM, n° 1639, 20 mai 1949 ; J. Le Coz, *Le Rharb, fellahs et colons*, Rabat, 1964 ; *Projet Sebou : Rapport intérimaire*, janvier 1967 ; A. Halim, *Le capitalisme agraire au Maroc*, Université Paris VII, 1986 - 87.

عبد الجليل حليم

**السبِيتْ** (مدينة) كانت تقع على الضفة الجنوبية لنهر أمّ الرّبيع، وهي من مُدن دكالة القديمة تبعد عن مدينة الغربية بنحو خمسة وستين علم. ولقد ورد ذكر هذه المدينة الصغيرة في كتاب *وصف إفريقيا* للحسن بن محمد الوزان، وضبط اسمها مترجم هذا الكتاب من الايطالية إلى الفرنسية بضم السين وفتح الباء، بينما كتبه مُترجما النص المذكور إلى اللغة العربية بفتح السين وكسر الباء وتشديد الياء وفتحها، وواضح أن كلا القراءتين تصغير ليوم السّبْت، سواء تعلق الأمر بالنطق الفصيح أو الدّارج. لكن يبدو أن اسم هذه المدينة لم يكن تصغيراً للفظ عربي وإنما هو لفظ أمازيغي هو السّبيت بسكون السين وكسر الباء الذي يعني يوم السبت، لأن اللغة الأمازيغية، كما هو معلوم وكما تدل على ذلك جميع القرائن وجميع أقوال الرحالة الذين زاروا هذه المنطقة، كانت لاتزال في القرن السادس عشر مستعملة في بعض أنحاء دكالة.

وكانت مدينة السّبيت، حسب قول الحسن الوزان، تخضع لأعراب دكالة، إذ أن غارات هؤلاء الأعراب كانت تعاني منها قرى دكالة وقرى الحوز في ذلك العصر، بما يحمله ذلك من تعسف وفرض إتاوات.

أما سكانها البربر، فكانوا يحيون حياة استقرار، ويتعاطون الفلاحة فيزرعون القمح ويربون النحل، وينتجون كثيراً من القمح والعسل. ومن المعلوم أن إنتاج القمح بكثرة يقتضي وجود تربة خصبة وأمطار غزيرة، ودراية بفن الفلاحة، كما أن تربية النحل، وبالتالي إنتاج كميات كبيرة من العسل والشمع، يتطلب وجود أشجار وأزهار كثيرة في تلك الناحية ودراية كذلك بفن تربية النحل. ويعيب الوزان على أهل السّبيتْ كونهم لايهتمون بالبسْتَنَة وزراعة الكروم ويرميهم من أجل ذلك بالجهل. ويظهر أن الوزان قد تسرّع في حكمه لأنه لم يدرك الفرق الموجود بين زراعة القمح زراعة كثيفة. وهي فلاحة "بوريّة"، وبين البستنة وهي زراعة "سقويّة" وأن كلاهما يتطلب نوعاً من التخصص، وهذا ما كان يفعله أهل السّبيتْ الذين كانوا ينتجون كميات مهمة من القمح.

ولاشك أن اسم هذه المدينة مشتق من اسم السوق الذي كان يُقام فيها والذي كانت تُعرض فيه على الخصوص منتجات هذه الناحية كما هي العادة ببلادنا.

ويخبرنا الوزان أنه لما خربت بولعوان سنة 1514، قام ملك فاس بنقل سكان مدينة السّبيت إلى مملكته وأعطاهم مدينة صغيرة كانت مهجورة في إقليم فاس. ومما لاشك فيه أن الذي تولى نقل سكان السبيت إلى إقليم فاس هو الناصر لحلو، حاكم مكناس وخليفة السلطان فيها وفي بلاد الشاوية. ولم يَردْ ذكرُ هذه البلدة إلا مرة واحدة في رسالة ليحيى بن تاعفوفت محرّرة في أواخر مارس 1514 عبّر فيها عن عزمه على المرور من خلف القُرى الواقعة فوق السبيت على طول نهر أم الربيع. ولم يتم إلى حدّ الساعة التعرف بالضبط على موقع مدينة السّبيتْ.

الحسن الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ أ. بوشرب، *دكالة*.

محمد الشياظمي

**سپيلمان جورج** (1899 - 1981) Spillmann Georges، ضابط من ضباط الجيوش الفرنسية إبان الحماية، قضى جل مساره العسكري والإداري في المغرب ضمن هيأة ضباط الشؤون الأهلية، منطلقا من أبسط درجات سلمها الهيراركي إلى أن بلغ رتبة الجنرالية، مشتغلا تارة في المراكز النائية وفي الأوعار الجبلية، وتارة أخرى في الإدارة المركزية في الرباط، وذلك زهاء ثلاثين سنة. ولد في مدينة ستراسبورك سنة 1899 يوم كانت تحت حكم ألمانيا. ولكنه كان فرنسي الروح، بحيث ما إن اندلعت الحرب العالمية الأولى حتى التحق بالتراب الفرنسي ودخل مدرسة سانسير العسكرية ليتخرج منها وينزل إلى ميادين القتال في الشهور الأخيرة من المعركة. ثم إنه انتقل إلى المغرب سنة 1920 ليندمج في صفوف ضباط الشؤون الأهلية في منطقة مراكش، وَقْتَ كانت جبال الأطلس كلها لا تزال ممتنعة عن الحكم الفرنسي. وكانت جيوش الاحتلال في أمس الحاجة إلى من يخبرها عن تلك المناطق وعن قبائلها وتواريخها وأعرافها لتمسك بزمام أمورها وتحكم التسرب في أوعارها بأقل ما يمكن من الخسارة في المال والأرواح، وهو ما كان يسمى عندهم بالسياسة الأهلية. ولقد أبدى جورج سپيلمان مواهبه في استنكاه أخبار البلاد والعباد، حيث تعلم اللغتين العربية والأمازيغية على اختلاف اللهجات فيهما. وشارك في أعمال "الپاسفيكاسيون" في العديد من جهات الأطلس، مبتدئا بناحية أزيلال حيث جرح في إحدى المعارك هنالك سنة 1921. وعين سنة 1922 حاكما على بعض فرق أيت مَحمد (فتحا)، فشارك في المفاوضات مع شيخ الزاوية الحنصالية الذي كف عن المقاومة وانحاز إلى جانب السلطة الفرنسية سنة 1922. مما أثار الانتباه إلى مؤهلات هذا الضابط الناشئ، فألحق سنة 1924 بالقسم السياسي لدى الإقامة العامة. ثم إنه عين حاكما على مركز تلوات سنة 1926، يوم صارت الإدارة المركزية الفرنسية تميل إلى تفكيك قيادة التهامي الأكلاوي في الأطلس الكبير وما وراءه. ومن تلوات انتقل إلى حكم ورزازات، يوم صارت جيوش الاحتلال تخطط لاقتحام تلك المناطق الوعرة المستعصية. وقد قام جورج سپيلمان بأهم الأدوار الريادية، حيث تعرف براً وجواً على مجرى وادي دادس وأعلى مجرى واي درعة، وألف في ذلك أول مؤلفاته تحت عنوان المناطق غير المسلوكة لوادي درعة الصادر سنة 1929، معززا إياه

بكتاب عن *إقليم وقبائل درعة العليا* (1931). وعاد مرة ثانية ليعمل في الإدارة المركزية في الرباط سنة 1929. وهنالك اصطدم على ما يحكي هو عن نفسه مع الضباط الذين كانوا ينصحون بقتحام تافيلالت ووادي درعة عنوة، ذلك بأنك صار من المتمسكين بخطة السياسة الأهلية، الداعين إلى بذل كل وجوه السياسة والعمل السلمي قبل اللجوء إلى أعمال العنف لإخضاع القبائل المستعصية.

ومما اكتشفه في الجهات التابعة لحكم الباشا التهامي الأگلاوي أنه كان يمارس على السكان شتى أنواع العسف والابتزاز، مستعينا ببعض رجال الأعمال الفرنسيين مثل إيبينا Epinat صاحب شركة الستيام للنقل (أو شركة النقل المغربي .C.T.M) ومررنيوا Mourgnot الصديق الحميم للمقيم العام يومئذ لوسيان سان Lucien Saint الذي طلب نفسه من سپيلمان بأن يمد صديقه المذكور بكل مالديه من معلومات عن معادن المنطقة، بغض الطرف عما كان يرتكب في التنقيب عنها واستغلالها من خرق للقوانين الجاري بها العمل في المجال المعدني. ثم إن جورج سبيلمان عاد للعمل في المنطقة، في أكدز سنة 1931، تمهيداً لمحاصرة قبائل آيت عطا وإرغامهم على الاستسلام في أو عار بوگافر. وقد ألف في ذلك كتابا تحت عنوان "قبائل ايت عطا الصحراوية ونشر الباسفيكاسيون في وادي درعة الأعلى"، صدر سنة 1936. وكان سبيلمان قد التحق من جديد بالإدارة المركزية للشؤون الأهلية في الرباط منذ سنة 1933. وظل يتتبع أحوال المجتمع المغربي على أدنى قواعد بنيانه. وكتسب في ذلك من المعلومات ما جعله خبيراً مبرزاً لدى سلطات الحماية في كل ما يتصل بالسياسة الأهلية. وكان من نتائج تلك الخبرة أن ألف كتابا لا يزال معتمداً إلى يومنا في مادته وسمه "*بمعالم التاريخ الديني للمغرب*" تتبع فيه تاريخ الزوايا والرباطات في المغرب منذ الفتح الإسلامي إلى عهد الحماية، مركزاً بالخصوص على بعض الزوايا الكبرى مثل الدلائية والمهاويشية والحنصالية والناصرية والوزانية والدرقاوية، ملحقا بكل ذلك جداول عن نسب بعض الأقطاب والشرفاء، في دقة توحي بما كان عليه جورج سپيلمان خاصة والمخابرات الاستعمارية عامة من التتبع والتثبت. على أن الكتاب لم يصدر إلا سنة 1951، وتحت اسم مستعار هو جورج دراك Georges Drague. ذلك بأن سپيلمان كان لا يزال ضابطا نشيطا في الجهاز العسكري والإداري الفرنسي. فإنه عاد إلى القيادة العسكرية الصرفة مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، فأسندت إليه قيادة طابور من الجنود المغاربة سنة 1940 في المهيرجة بناحية گرسيف، وظل يعمل في الخفاء بعد الهدنة من أجل إعداد الطوابير المغربية الأخرى التي تمكنت فرنسا بفضلها من استئناف القتال بعد نزول الحلفاء في المغرب في نونبر 1942.

ولما تشكلت حكومة دي كول في الجزائر وأسندت فيها الشؤون الإسلامية إلى الجنرال كاترو Catroux، التحق جورج سپيلمان بديوانه إذ كان قد عمل تحت قيادته في ورزازات وأكدز في مطلع الثلاثينيات. وكان من مخبريه عن أحوال المجتمع المغربي الباطنية وعن عمق ما صار معرضا له من التقلبات. ورفع له تقارير مدققة عن الهوة السحيقة التي غدت تميز بين أوضاع المجتمع الاستعماري وعموم المغاربة، داعيا إلى التعجيل بالإصلاح غداة أحداث يناير 1944، ومشيراً بما من شأنه في نظره أن يحفظ الحماية الفرنسية من الانهيار أمام مد الحركة الوطنية، وهو أن يشارك المغاربة في إدارة البلاد وفي استغلالها بشكل من الأشكال. ولذلك كان معجبا بأراء إيريك لابون Eirik Labonne المقيم العام لمدة سنة (مارس 1946 أبريل 1947) الذي كان يحث هو كذلك على هذا النهج. مع أنه كان ممن نصح بعدم السماح للسلطان سيدي محمد بن يوسف بزيارة طنجة. وقد نفى نفيا قطعيا كون مجزرة درب ابن مسيك في أبريل 1947 من تدبير الشرطة أو القيادة العسكرية الفرنسية، مدعيا أن سببها إنما جاء صدفة من نقمة الجماهير المغاربة على "عبيد" الفرق السودانية المنضوية تحت الراية الفرنسية بعد مشاجرة جرت في حارة العاهرات. وكان آخر معسكر رابط فيه جورج سپيلمان في المغرب هو ثكنة القنيطرة وهو يومئذ في رتبة كولونيل، وذلك سنة 1947، وهو يمتعض على ما جاء فيما بعد في *مذكراته*، من عرض الأقلام عن معارك المقاومة الفرنسية وتحرير باريس في قاعات السينما المغربية، قائلا بأن : "تمجيد أعمال التخريب والفداء ضداً على المحتلين (يعني الألمان) وإبراز الدليل على أن مجموعة من الرجال المسلحين بأخف سلاح والمدفوعين بقوة العزيمة يستطيعون الصمود في وجه جيش أجنبي فتاك، كل ذلك كان يبدو لي خاليا من التبصر في الوقت الذي صار فيه الشعور الوطني في المغرب يتحول إلى عداء صارخ للقوة الحامية". وقد غادر جورج سپيلمان المغرب بصفة نهائية في طليعة 1948 ليعمل في أركان حرب الجنرال دي لاتر دي طاسيني De Lattre de Tassigny في الهند الصينية. بعد ذلك عاد إلى باريس ليعمل في ديوان جورج بيدو Georges Bidault التي تربطه به روابط صداقة حميمة. وكان جورج سپيلمان مثل بيدو هذا رئيس الحكومة ووزير الخارجية الفرنسية ينقم على الملك محمد بن يوسف بوجوده من النقمة خاصة. وكان ممن دعا إلى الحد من سلطانه بإدخال الأساليب الديمقراطية في المغرب، ليكون في ذلك منفذاً لمشاركة الجالية الأوربية في سيادة المغرب. ومع ذلك فإنه لم يوافق على عزله عن عرشه في غشت 1953، متنبئاً بما ترتب عن عزله من العواصف الوطنية التي عصفت بنظام الحماية جملة وتفصيلا.

ولما اشتعلت نيران حرب التحرير في الجزائر، هب جورج سپيلمان إلى الجزائر على رأس بعض فرق الكوم المغاربة لمحاولة إطفاء الفتيل في جبال الأوراس. ولكن عجلة

التاريخ صارت تجري بسرعة لم يعد بوسعه ولا بوسع رؤسائه في فرنسا أو في المستعمرات أن يوقفوها. وكانت النتيجة أن انكب في الستينيات على وضع كتابين، أولهما تأريخ للحماية عنوانه : "*من الحماية إلى الاستقلال* أو *المغرب من 1912 إلى 1955*"، ضمنه معلومات ووجهات نظر لا توجد في غيره من الكتب، والثاني مذكرات وسماها "*مذكرات استعماري*"، بنوع من الصراحة، يوحي بما كان عليه هذا الضابط على كل حال من النزاهة الفكرية وسلامة الطوية، شأنه شأن أبناء إقليم الألزاس على العموم، مما لم يقه من الخطأ والزلل في أحكامه، وأكثرها سخافة اعتقاده بأن نظام الحماية كان يمكن أن يدوم وأن النخبة السياسية المغربية كانت سنة 1955 لا تزال في حاجة إلى الحجر الاستعماري. وفيما عدا ذلك فإن أبحاثه الاستعلامية أزاحت الستار عن بعض جوانب تاريخ المغرب وعن مقوماته الجوهرية وتطرح من الأسئلة والقضايا مالا يملك البحث التاريخي المغربي أن يغض الطرف عنها.

G. Spillmann, *Les Aït-Atta du Sahara et la pacification du Haut-Dra*, Rabat, 1936 ; *Du protectorat à l'indépendance, Maroc, 1912 - 1962*, Paris, 1967 ; *Souvenirs d'un colonialiste*, Paris, 1968.

إبراهيم بوطالب

**السبيّع، بوبكر**، من مجاهدي البحر الرباطيين. عاش في النصف الأول من القرن الثالث عشر (19 م). وكان من رؤساء البحر المجاهدين أيام السلطان عبد الرحمان ابن هشام. ورث مهنة أبيه الحاج محمد السبيع الذي كان قائداً لإحدى السفن في عهد سيدي محمد بن عبد الله. وكان خليفة لأبيه عندما عينه السلطان رئيسا لمرسى الرباط. وكان السلطان عبد الرحمان أذن لأبي بكر السبيع بالسفر إلى فرنسا على متن سفينته "مسعودة" واصطحب معه ظهير هذا السلطان كجواز لسفره وهو مؤرخ بـ 18 ربيع الأول 1252 / 4 يوليوز 1836.

**السبيّع، محمد** الرايس، من الرياس المغاربة المعتمدين لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ومن طائفة أهل الرباط. أوفده السلطان رايسا لإحدى السفن الأربع سنة 1203 / 1789 ضمن البعثة الملاحية الموجهة بذخيرة الحرب إلى القسطنطينية تحت إشراف القائد محمد الزوين والحاج المكي برگاش، وعاد ضمن الوفد في السنة الموالية على متن سفينة أوربية.

وقد استمر الرايس السبيّع في نشاطه الملاحي حتى بعد وفاة سيدي محمد ابن عبد الله، حيث كان في عداد الرياس العاملين في أسطول مولاي سليمان انطلاقا من مرسى الرباط لا سيما إبان الأزمة السياسية، وكان مكلفا مع بقية الرياس بالتصدي للسفن التجارية الأوربية المتعاملة مع المراسي الخارجة عن نفوذ السلطان الشرعي، وخصوصا تيط وأسفي. وقد تمكن السبيع في سنة 1211 / 1797 من الاستيلاء على "سفينة كبيرة خارجة من أسفي موسوقة بالزرع، فيها اثنا عشر ألف فنيقة".

ونظراً للحظوة التي حصل عليها لدى السلطان، اعتنى هذا الأخير بإصدار أوامره بإنشاء سفينتين جديدتين في سنة 1214 / 1800 في أوراش الرباط، إحدهما لفائدة الرايس المذكور، كلف الوزير أبو القاسم الزياني بالإشراف عليها، وتطلب انتظار استكمال بنائها وتعويمها مدة سنتين كاملتين. وقد واصل الرايس السبيع نشاطه الملاحي إلى ما بعد سنة 1219 / 1805، معتمداً لدى السلطة المركزية، حيث أصدرت إليه الأوامر في جمادى الأولى بالتوجه إلى لشبونة.

وفي أواخر عمره عين الرايس السبيع مشرفا على مرسى الرباط، إلى أن أقدم الوزير محمد السلاوي على عزله في إطار إشرافه على تغيير الطاقم الإداري لنظارة وجمارك الرباط سنة 1226 / 1811.

الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ص. 195 . 218 . 275 . 318 . 324 . 334 . 367.

حسن أميلي

**السبيّع، محمد بن المختار**، وُلد بالرباط أوائل القرن الرابع عشر (20 م). تعشق الموسيقى الأندلسية منذ شبابه، وأقبل على تعلمها، فأخذ عن شيوخها بالرباط، كما أخذ عن المعلم الفاسي الفقيه محمد بن إدريس المطيري، وبرع في عزف الرباب.

وفي عام 1942 التحق بمعهد مولاي رشيد معلما للصنعة والعزف، وكان في ذات الوقت يعمل عازفا ضمن الجوق الذي رأسه على التوالي الفنان الرباطي الحاج الطيب بن محمد بلكاهية، والفنان السلاوي محمد البارودي، ثم تقلد بدوره قيادته بعد وفاة البارودي عام 1950، وظل على رأسه إلى حين تأسيس جوق الإذاعة الوطنية للموسيقى الأندلسية عام 1952 برئاسة المرحوم مولاي أحمد الوكيلي.

وقد استمر الفقيه السبيع معلما بمعهد مولاي رشيد حتى وفاته يوم 25 رجب 1404 / 27 أبريل 1984.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**سَتّي فاطمة**، وينطق بها محليا معجمة فاظمة، اسم ضريح وموسم وجماعة قروية بعالية وادي أوريكا بالأطلس الكبير. وأقدم عنصر في الموضوع هو ضريح وموسم ينسب للولية الصالحة والحامية المعنوية لمنطقة أوريكا. يختلف السكان والباحثون في مدلول الاسم فهناك من يدعي أنه لولية متفقهة كانت تقوم بالتدريس كالرجال وتلبس أحيانا ملابسهم فأطلق عليها لقب رجولي سيدي

حولتها اللهجة المحلية إلى ستي وفاطمة اسم شعبي ديني، تحوير بربري لفاطمة بنت الرسول وهو واسع الانتشار في كل المغرب. وهناك من يدعي أنها مصرية الأصل لتشابه لقبها مع : "ستي" المصرية التي تطلق على الأنسة وربة البيت. ويذهب الحدس ببعض الدراسين إلى الادعاء بأن سَتّي هي سيتي إله المياه عند الفراعنة، فتكون من بقايا آثار الحضارة الفرعونية التي لازالت تتجلى في بعض المظاهر الفلاحية والاجتماعية بالأودية الجبلية خاصة فيما يرتبط بالمياه حيث كان يرافق حفلات الموسم الرش المتبادل والمفاجئ بالماء بين الفتيان والفتيات.

ومن المؤكد أن هذه الولية وافدة إلى المنطقة أجنبية عنها ظهر اسمها في عهد الوطاسيين أي قبل ستة قرون. حلت مع أبيها سدي عمرو بأغمات، ثم رحلت نحو قرى الوادي العالية إثر نزاع مع إحدى بناتها وحلت بدوار تلاث ن ركا بأغبالو ثم رحلت عنه لمضايقة الناس لها إلى دوار تاخفرت حيث يوجد ضريح ابنتها ستي مريم، ومنه انتقلت دائما صعودا إلى أعلى الوادي بدوار تنكري. ويحكى أنها كانت تترك منزلها مفتوحا في وجه الوافدين وطالبي المبيت أينما استقرت، وأخيراً حلت بعالية الوادي حيث يتسع وتكثر القرى بجانبه، فاستقرت بدوار صغير صار يعرف فيما بعد بزاوية ستي فاطمة. يبلغ سكانه 118 ن (1994) وهنا تزوجت لآخر مرة برجل من دوار آكاديرنايت بولمان ونظراً لما عانت من شظف العيش ونفور سكان المنطقة من الأغراب فقد فتحت بيتها لإطعام المعوزين ومبيت المسافرين والمحتاجين وإعانة اليتامى والمرضى، كما كانت تلتجئ إليها النسوة والرجال بسبب نضجها وحكمتها للتوسط وفض الخصومات العائلية والنزاعات. ولازالت زاويتها إلى اليوم تقوم باستقبال المسافرين العابرين إلى عمق الوادي أو لعبور الفجاج نحو الجنوب، على أن ضيافتها لا تتجاوز ثلاثة أيام. ولم يكن لهذه الزاوية البسيطة تأثير قوي سواء على المستوى السياسي أو الديني، ذلك أن ستي فاطمة كانت امرأة عادية تقية. انحصرت منجزاتها في الأعمال الخيرية فقط ولم تكن عالمة أو زاهدة، بل كانت ربة بيت خلفت عدداص من البنات فقط، وكان الناس يتفاألون بها لأنها تجلب الخصب والبركة أينما حلت وإذا قدّمت لزوارها طعاما فإنه يكفيهم مهما قل، كما أن بركتها تحمي الأمن وتعاقب السراق وخائني الأمانة، فلا يخرج السارق من واديها سالما حتى تحل به مصيبة. وذلك حسب الروايات الشفوية الشائعة في أوريكا. وزاويتها أقرب ماتكون إلى منزل عادي تضم غرفا للمبيت وللخزن وكتّاباً صغيراً لتعليم القرآن، ويتولى الآن تعليم القرآن به فقهاء من أسباط ستي فاطمة. وعندما توفيت دفنت بمقبرة كانت مخصصة لذوي المكانة الاجتماعية والدينية على سطيح عال بالضفة اليمنى المقابلة لزاويتها، يحيط بها قبران لابنتيها ستي عزو وستي إيجة. وتوارث أسباطها من ابنة أخرى تدعى ستي ماما، انقسموا إلى ثلاث عائلات تتناوب الإشراف على الزاوية لكل واحدة سنة، تقوم برعاية الزوار الراغبين في المبيت والإنفاق على منشآتها مما يقدمه الزوار من الصدقات والهدايا، كما تدير الأراضي المحبسة على الزاوية والمنتشرة على طول الوادي إلى مدينة أغمات، تقسم مداخيلها على الورثة فقط.

ويبدو أن شهرة الموسم السنوي لستي فاظمة وزاريتها يفو ق أهمية ضريحها، ذلك أن سكان الأودية الجبلية اعتادوا إقامة مواسم فلاحية في قلب موسم الصيف بعد جني المحاصيل الزراعية، ويعتبر موسم ستي فاظمة هو الموسم السنوي لقبائل أوريكا، ينسى فيه القرويون الذين يحجون إليه بأسرهم أحيانا هموم ومشاق الحياة اليومية للترويح عن أنفسهم بالولائم وأهازيج أحواش تعبيراً عن فرحة الحياة والشكر لله على خيرات هذا الوادي الجميل، وتقديراً من السكان لولية صالحة تزكي وتلهم أخلاق التعاون والتسامح والأمن والمحبة. ويبدو أن الموسم وجد بهذا المكان قبل ظهور ستي فاظمة، وكان يسمى موسم "تزونت" وتعني نصف السمايم . وسط الانقلابين الصيفي والخريفي . وذلك حسب تقويم فلاحي قديم مستمد من التقويم الشمسي الروماني فهو يعتمد في توقيته على السنة الشمسية كجل المواسم الجبلية ويعقد أيام : 19 . 20. 21 غشت ويشرف على شؤونه شرفاء الزاوية ورثة الولية، أما الضريح الذي أعيد بناؤه مجدداً إذ بني عليه سقف من القرميد الأخضر فإنه يشرف عليه أفراد ومقدمون من قبيلة أيت عمران ولا يفتح للزيارة إلا في أيام الموسم من طرف المقدم الذي هو من القبيلة كذلك.

لقد اكتسى موسم ستي فاظمة في العقود الأخيرة أهمية متزايدة إذ تحول من موسم فلاحي ديني محلي إلى عيد اجتماعي تجاري وترفيهي لأعداد متزايدة من الزوار بوادي أوريكا والأودية المجاورة له والدير، كما يفد إليه الحضروين بكثرة من مراكش ومن المصطافين بفنادق وإقامات ودور الكراء بوادي أوريكا. وبعد أن كان موسما تجاريا محليا يتخصص في بيع ما ينتجه الجبليون من أنسجة الصوف الثقيلة التي تصنع منها الجلابيب والبرانص الجبلية الثقيلة : الخيدوس وأخنيف، وثمار الجوز، والبغال، إذ يقبل الجبليون على بيع البغال الهرمة التي تتحول رلى جر العربات بمراكش وشراء بغال فتية تولد خارج الجبل يجلبها التجار خاصة من سهل الحوز ودكالة، كما يكمل القرويون شراء حاجياتهم من الحبوب والقطنيات والزيوت التي يعانون نقصا في انتاجها. لقد تحول السوق اليوم إلى مهرجان تجاري شعبي لبيع وشراء كل شيء من الراديو والكاسيت والملابس الجديدة والمستعملة العصرية والقديمة وأواني البلاستيك والآلومنيون وكل مواد التغذية الجافة والطرية من خضر وفواكه ولحوم ومشروبات، لقد تحول الموسم إلى متنفس لسكان المنطقة لما يوفره من فرجة واستهلاك من جهة ومناسبة لترويج منتوجاتهم والتسوق.

ويخضع الموسم لترتيبات معينة ففي اليوم الأول تنصب الخيام ويشرف أعوان السلطة على توزيع المساحة بين أصحاب المقاهي والمطاعم ومختلف التجارات وباعة الحبوب وباعة البغال والمواشي والأدوات المنزلية من معدينة وفخارية وخشبية وزجاجية، ومقدمو الخدمات الشخصية : حلاقة سكافة خياطة لحام إصلاح الراديو والساعات، يشبه كل ذلك سوق أسبوعي متوسط ويدفع كل من أقام خيمة أو بساطا أو زتي بسيارة أو دابة ضريبة للجماعة القروية، وأحصت طالبة قامت ببحثها هنا في صيف 1997 : 252 تاجراً وعاملاً بمختلف الأنشطة منهم 84 تاجر للمواد الغذائية يتوزعون ما بين تجار محليين في التجارات الصغيرة وتجار وافدين علي المنطقة من مراكش وغيرها بالنسبة للتجارات ذات الرأس المال الكبير إذ أن عدداص منهم لهم شاحناتهم الخاصة وسياراتهم الكبيرة التي يحولونها إلى متجر متنقل لبيع مختلف المنتوجات والأدوات، ويتوزع الكل بشكل عشوائي لا يراع فيه تخصص ولا تجانس البضائع وتقع نزاعات ومناورات على اختيار الأماكن المناسبة. تعتبر مراكش المزود الرئيسي للموسم بحوالي 70٪ من المعروضات وتساهم منطقة أوريكا بحوالي 30٪ تتمثل في الخضر والفواكه واللحوم والمنسوجات الصوفية والمواشي، فيكون الموسم مناسبة للشغل للعاطلين وناقصي التشغيل إذ يتحول كثير من القرويين إلى تجار ومزاولي أنشطة متعددة وعمال مقاهي ومطاعم وباعة متجولين ونقالين ... لكن بركة وهيبة الولية الصالحة لا تسمح بالإبتدال الخلقي والأعمال الغير المشروعة. وفي مساء اليوم الأول تبدأ اهازيج أحواش وتجمعات حلايق المهرجين والمغنيين وأصحاب الوعظ الإرشاد وألعاب الحظ وطبخ العشاء لسهرة ليلية يحتفل بها شباب المنطقة تحت النجوم الساطعة لصيف الوادي. ويعرف اليوم الثاني أهم حدث هو ذبح القرابين المقدمة إلى الولية وتبلغ العشرات فكل قبيلة أو مشيخة تقدم قرباتها وهي ذبائح من الماعز أو الغنم، ثم تطعى وتوزع للإستهلاك حسب أعراف قبلية خاصة غالبا مالا يستفيد من لحومها سوى مقدموها من زبناء القبيلة أو الدوار، وتبدأ عمليات الطهي الجماعي بدار الزاوية حيث يعجن ويطعى الخبز بأعداد كبيرة لكن منظر القدور على النار يفيض لينتشر على جنبات الوادي. أما اليوم الثالث فيعتبر يوم الزيارة يفتح فيه الضريح للزيارة والتبرك ويوزع به الخبز، ويودع الناس بصندوقه صدقات من النقود والشمع.

لقد صار السوق التجاري الترفيهي يستمر لمدة أسبوع، لرغبة السكان في إطالة مدة الاحتفلات والاستجمام وكذلك لصعوبة نقل الخيام والتجهيزات وما تبقى من المنتجات والبضائع إذ تعمل الشاحنات طيلة الأسبوع لإخراج الناس ومقتنياتهم من عمق الوادي.

ومن أهم المشاكل الحالية للموسم أن الأرض المستوية بسرير الواد ضاقت كثيراً بأنشطته إذ لا تتعدى مساحتها 4.000 م$^2$ فلم يبق بها متسع لمزيد من الخيام والشاحنات والسيارات الخصوصية التي تتوافد بأعداد كبيرة من مراكش ومن مصطافات الوادي وللعمال المهاجرين الذين يطوفون بأسرهم لزيارة أرجاء المغرب السياحية المشهورة، فبعده عن مراكش بـ 62 كلم من طريق سياحي مرصف يغري كل من صادفه تاريخ الموسم بمراكش بزيارته لسهولة الوصول إليه للتمتع بصيف الجبل المشهور باعتدال طقسه وجمال مناظره، ويتسبب الاكتضاض في توسيع مساحة أنشطة الموسم لتشمل مجرى الواد الذي يكون قليل المياه في هذا الفصل إذ تنتشر المعروضات والبسط والخيام من الضفة اليسرى المتصلة بالطريق إلى الضفة اليمنى، فيقوم المعنيون ببعض الإصلاحات للمساحة المطلوبة وذلك بتكديس المزيد من الحجارة والمال ثم يقيمون منشآتهم، وهذا ما يهدد الموسم بخطر الفيضان، إلا أن الناس كانوا يومنون بحماية الولية لموسمها ويدعون أن الأمطار الرعدية التي تتسبب في الفيضان لا تأتي إلا بعد نهاية الموسم. والواقع أنه غالبا ما تأتي بسبب الثغرة التي يحدثها تكدس الناس بأعداد كبيرة وإيقاد النار وإثارة الغبار في توازن الطقس بعالية الواد. ولمواجهة ضيق المكان صار كل ملاكي المدرجات القريبة من ساحة الموسم يتكرونها لإقامة خيام رما للراحة أو بعض الأنشطة، غالبا ما تكون مظللة بأشجار الجوز أو الصفصاف وهذا ما يجعل بعضهم يتركها دون زراعة لأنه يربح من كرائها لبضع ساعات أكثر مما يربح من زراعتها خضر أو حبوبا طيلة أشهر.

يكون الزوار الحضريون حوالي الثلث أكثر من نصفهم من المصطافين بواد أويكا ويكون الثلثان الآخران زوار واد أوريكا في الدرجة الأولى خاصة سكان عالية الواد، والباقي من سكان الأودية المجاورة ودير الحوز. ولازال يقصد الموسم وزيارة الضريح عدد من الفتيات مرتديات اجمل ملابسهن لإظهار زينتهن أملا في الزواج خاصة من شباب خارج الوادي أملا في إنقادهن من مشاق الحياة القروية، كما تمتلئ زاويتها بنسوة لازلن متشبتات بطقوس الزيارة التقليدية.

لقد تحولت منطقة ستي فاظمة بموسمها وجمال مناظرها وطقسها وثرات سكانها إلى إحدى أهم المحطات السياسية التي تغني النشاط السياحي المراكشي، تلقى إقبالا متزايدا ليس فقط من الأوريكيين أو المراكشيين والحضريين عامة بل حتى من السواح الأجانب إذ تفد إليه سياراتهم 4 × 4 أو حافلات لقضاء بضع ساعات للفرجة على مظاهر الموسم والوادي. كما تتحول الزيارة الدينية والموسم التجاري إلى مجال سياحة شعبية يتعايش فيها الجبليون والحضريون من مراكش وغيرها في تناغم عاطفي وتفاهم فكري ولو لبضع ساعات.

الجماعة القروية لستي فاظمة : تقع بعالية وادي

أوريكا وروافده العالية : تنزار وتيفني وأكنس و أومنزال وآيت أوشك بالسفح الشمالي للأطلس الكبير المراكشي تنبع من منطقة صخور گرانيتية صلبة تتخللها فوالق عديدة وأحيانا صخور هشة من البرموترياس فتتسع الوديان مكونة أحواضا عريضة نسبيا من أهمها مقطع ستي فاظمة حيث يتسع الوادي وتكثر به المدرجات الزراعية والقرى. بينما تفصل الأودية وتشرف عليها قمم عالية من صخور صلبة بلورية يقدر معدل الأمطار السنوية بـ 760 ملم وتتساقط الثلوج بكثرة خاصة بالقمم والأودية العالية مما يجعل واد أوريكا أغزر وديان الأطلس الكبير الغربي، معدل صبيبه السنوي 180 مليون م$^3$ إذ لا يجف مجراه أبدا، وإن كانت المياه تتناقص كثيراً خاصة في سنوات الجفاف ويتقلص معدل صبيبة الصيفي إلى 1.5 م$^3$ / ث لكنه يصل في بعض أيام الفيضان الربيعي إلى 1.000 م$^3$ / ث وأكثر. تتميز تضاريس الجماعة ومناخها بطغيان الطابع الجبلي المعروف بالأطلس الكبير الغربي ولازالت تحظى بغطاء غابوي جيد يتكون أساسا من البلوط الأخضر والثويا والعرعار الأحمر بسافلته وبقايا من غابات العرعار الفواح بعاليته.

تبلغ مساحة الجماعة 180 كلم$^2$ وهي تابعة لقيادة أوريكا دائرة تاحنوت بإقليم الحوز، تنقسم إلى أربع فخدات هي أماسين وتيمنكار وأيت أوشك وستي فاظمة - تمشي التي تتعمق بالأودية العالية، أما فخدة أوكايمدن فقد انفصلت وتحولت إلى جماعة جديدة. ويتميز حوض تيمشي حيث تستقر قبيلة آيت بزگمي ببرودته الشديدة شتاءاً إذ تحاصره الثلوج من كل الجهات. يبلغ سكانها 20.526 ن (1994) يتوزعون على 59 دواراً أكبرها أنامر بآيت أوشك 1.089 ن ينتمي السكان لقبيلة أوريكا التي أشار المؤرخون إلى وجودها بهذا الوادي منذ حكم الموحدين وهم من البربر المصامدة، مزارعو الأشجار أو بلاد البرودة : زصميد عاشوا في نزاعات مزمنة مع قبيلة مسفي،ة القوية عدداً والمقيمة بالواد المجاور : الزات وقد تمكنت في القرون الأخيرة من الإستيلاء على كل منطقة دير واد أوريكا حيث توجد مدينة اغمات كما استولوا على بعض زوديتها العالية : أوشك وتيميشي لكنهما أو عيدا إلى قيادة أوريكا بعد الإستقلال.

الفلاحة : عندما يتسع الوادي تتعدد المدرجات على سفوحه فتزدهر الزراعة المسقية خاصة الأشجار المثمرة وأهمها الجوز والخضر والحبوب والأعلاف وهذا ما تحقق في عدد من مقاطع الوادي أهمها منطقتي ستي فاظمة وأغبالو وتقدر مساحة الأراضي الصالحة للزراعة بجماعة ستي فاظمة 1.270 منها 940 من أراضي البور ببعض السطوح والمدرجات العالية تزرع بالحبوب خاصة الشعير، و330 هـ مدرجات مسقية بسرير الوادي والمدرجات السفلى. وأهم أشجار المنطقة هي أشجار الجوز التي تتميز هنا بثمارها وخشبها الجيد الذي يستعمل في صنع أدوات خشبية ثمينة يبلغ عددها 55.000 شجرة. تعيش الزراعة هنا تحولات إيجابية تتمثل في استعمال الأسمدة والمبيدات والبدور المنتقاة لإنتاج الخضر خاصة البطاطس والطماطم التي تعطي مردوداً جيداً :

40 ق / هـ بالنسبة للبطاطس و30 ق / هـ بالنسبة للطماطم، يوجه معظم إنتاجهما إلى السوق الحضري كما يهتم المزارعون بزراعة الإجاص والكرز والبرقوق والتفاح خاصة الذي وجد في الأودية الباردة بيئة مناسبة. ويلاحظ أن الظفة اليسرى أوسع كثيراً من اليمنى إذ تساوي ثلاثة أضعاف مساحة الظفة اليمنى ولهذا أنشئ بها الطريق المرصف كما تقوم بها جل القوى والمنشآت السكنية والسياحية والبساتين خاصة الحديثة التي يكونها الحضريون وتعتبر تربية المواشي نشاطا أساسيا مكملا للزراعة إذ تمدها بالأسمدة الطبيعية وتجد الأغنام والماعز في السفوح المخضرة والمكسوة في معظمها بغطاء غابوي كثيف مجالا رعويا جيدا كما تجد الأبقار في سرير الواد وفي بقايا الزراعة المسقية تغذية لا بأس بها مما جعل السكان يساهمون في تكوين تعاونيات لإنتاج وتسويق الحليب ويقدر قطيع المواشي حاليا بالجماعة. الأبقار 2.000 رأس الأغنام : 5.000 رأس الماعز : 9.000 رأس. وقد تراجعت أعدادها كثيراً لإنصراف الجيل الجديد من الشباب عنها إلى الأنشطة الحديثة المترابطة خاصة بالسياحة والتجارة والهجرة.

عرف وادي أوريكا في العقود الأخيرة ازدهار الأنشطة السياحية وتكاثر الإقامات والمقاهي والمطاعم والدكاكين والفنادق الشعبية والمصنفة، كما أنشأ القرويون عدد كبيراً من دور الكراء للمصطافين خاصة بجوانب الواد والطريق وانعكس ذلك على الاقتصاد المحلي بتكاثر المباني الجديدة ومختلف المنشآت السياحية، مما ضايق الطريق والواد وشوه المنظر في بعض المقاطع، وتمتين البنية التحتية، فقد وصلت شبكة الكهرباء والهاتف إلى جل القرى وإلى كل دواوير حوض ستي فاظمة ويبلغ عدد الأسر المستفيذة من الكهرباء بالجماعة 31٪ كما انتشت أقسام المدارس بكل القرى إلى أن وصل عددها الخمسون وصار يعقد بها سوقان أسبوعيان : سوق اخميس أغبالو : أنشئ منذ 1964 قرب قرية أغبالو 597 ن تبلغ مساحته 1.863 م$^2$ يمتد فوق مدرج يرتفع عن مجرى الواد بعشرين متراً يرتبط بالطريق بسهولة، به عدد من الدكاكين ومنشآت متنوعة : مستوصف مدرسة مركز الجماعة والقيادة يساهم في حركته 120 تاجراً لكن هذا العدد ينقص كثيراً في فصل الشتاء، لا يقيم منهم في مباني من التراب ونادراً من الإسمنت إلا أصحاب المقاهي والجزارة وبعض البقالة أما الباقي فيكتفي بخيام وبسط وأكواخ. وتعتبر مراكش أكبر مزود للسوق سواء بالمنتوجات المصنعة أو الخضر والفواكه والدقيق،

ونظراً لارتباط السوق بالطريق المرصف فإن جل المتسوقين صاروا يتنقلون على وسائل النقل الآلية خاصة الشاحنات وسيارة النقل الغير مرخصة. مما جعل أعداد البغال تتراجع لما تكلفه تغذيتها من شعير صار إنتاجه قليلا، وقد بلغ عددها بالجماعة حوالي 200 بغل.

يعقد بستي فاظمة سوق جديد يوم الأحد بالساحة التي ينعقد بها الموسم أي بسرير الواد ورغم انعدام المباني به لتعدر بنائها هنا فإن السوق يعرف نشاطا مهما لأنه تباع به المواشي دون السوق الأول وكذلك الحبوب التي يحتاجها السكان لنقص إنتاجها هنا. ومما يضعف أهمية السوقين تواجد دكاكين كثيرة لمختلف المنتوجات والبضائع على طول الواد والطريق الذي تحولت بعض مقاطعه إلى ما يشبه الشارع وحركية السكان الكبيرة التي تقودهم مراراً إلى مراكش حيث يجدون كل شيئ أكثر وفرة.

عرفت الأنشطة السياحية بأوريكا انطلاقة قوية منذ عقود تزداد منشآتها (ذكرت مصالح وزارة الداخلية أن عدد المصطافين بالوادي في هذا اليوم بلغ حوالي 30.000 لكن معظمهم يرجع مساء إلى مراكش وعدد المتوافدين عليها سنة عن سنة، لا أن فيضان 17 غشت 1997 الذي خرب عدداً كبيراً من منشآت السياحية خاصة المجاورة للواد، ومقاطع مهمة من الطريق وحطم مآت السيارات وأودى بحياة المآت من الزوار خاصة من الشباب المخيمين في بظفاف الواد، ألقى ظلالا من الشك حول مستقبل السياحة بهذا الوادي إذ صارت أوريكا منطقة خطيرة في ادهان الكثير من الناس فعرضت الإقامات للبيع، ومنعت السلطة التخييم بجانب الواد وكذلك البناء وصارت تفرض شروطا معمارية وتقنية خاصة على بناء فتراجع الإقبال سواء من طرف الزوار أو المستثمرين لكن ذلك كان مؤقتا فقط إذ سرعان ما عادت الحياة والحركة والنشاط رلى وادي أوريكا لجاذبيته السياحية التي لا تقاوم من طرف كل من زاره وتمتع بجمال بيئته، كما أن تدخل السلطة بتقلها بكل أجهزتها التقنية والتنظيمية ساعد على إعادة تنظيم المنشآت السياحية وحماية البيئة من الثلوث وحماية الزوار من أخطار الفيضانات المحتملة مستقبلا. والعناية ببناء الطريق السياحي وتجميله بإزالة كثير من أنقاض المباني التي تحجب رؤية الواد والإكثار من محطات وقوف السيارات مما أعاد إنعاش الاستثمارات السياحية.

*زيارات وبحوث ميدانية* ؛ *بحوث طلبة الجغرافية* بكلية الآداب مراكش، مقياس فاتحة، من الزيارة الدينية إلى السياحة الشعبية، نموذج موسم ستي فاظمة، 1997. 1998 ؛ عبد الرحمن وعز، *دور الأسواق في تنمية الاقتصاد الجبلي، سوق خميس أغبالو لوادي أوريكا*، 1995. 1996 ؛ رقية آيت إبراهيم، *الفاعلون في التنمية المحلية، نموذج جماعة ستي فاظمة*، 1999. 2000 ؛ *تحليل خرائط طبوغرافية وإحصائيات السكان*، وزارة التخطيط.

P.N.U.D., *Etude monographique de la province d'Al Haouz*, 1987 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1982.

أحمد هوزالي

**السَّتّيف** أو العلّيق أو التّوت الشوكي بالعربية أو أنجيلْ أو أسنّانْ إرمَان أو سرْمُو أو تابْغَا بالأمازيغية أو الرُّونْس Ronce بالفرنسية هي أسماء لنبات روبوسْ أولميفوليوسْ Rubus ulmifolius الذي ينتمي إلى فصيلة الورديات Rosaceae. وقد ذكره ابن البيطار والوزير الغساني وغيرهما تحت اسمي التوت الوحشي وشجرة موسى. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الاسم الأخير "شجرة موسى" هو الذي يطلق على نبات الستيف الذي مازال يعيش في ديرطور سيناء في حجر جبل موسى عليه السلام.

الستيف شجرة لبلابية قائمة ومضطجعة أو زاحفة ومزودة بأشواك مقوسة. براعمها الأرضية قائمة ثم مقوسة ومتدلية وفضية اللون، ومزودة بأشواك صلبة ومقوسة. أوراقها في وضع متبادل ومنقسمة إلى ثلاث أو خمس وريقات معنقة وذات الوجه العلوي أملس وبدون زغب، والوجه السفلي وبري وذو لون أبيض، شكل الوريقات بيضوي أو بيضوي منعكس. تظهر الازهارات على شكل عناقيد إبطية أو طرفية على البراعم الأرضية. تشمل كل زهرة على خمس سبلات بيضاء ووبرية، وخمس بتلات وردية تتساقط بسهولة. الأسدية وأقلام السَّمَة عددها كبير. الثمار توتية مركبة متجمعة، تكون خضراء بعد سقوط البتلات ثم تحمر قبل أن تسود عند نضجها.

يعيش الستيف بريا في جنوب أوروبا وآسيا الغربية وشمال إفريقيا والجزر الخالدات، والآصور وماديرا.

يصادف الستيف طبيعيا في جل البيومناخات المغربية ما عدا الجافة منها والصحراوية، وفي جل الطوابق النباتية باستثناء فوق الجبلي المتوسطي. يفضل الستيف الأماكن الرطبة وضفاف الوديان حيث تكون الأتربة سميكة وغنية بالدبال، فيشكل أدغالا شديدة الكثافة. أما في الغابات الرطبة مثل غابات الأرز والشوح، فإنه يصادف بصفة متناثرة مع الأنواع النباتية الأخرى.

تؤكل ثمار الستيف طازجة أو تستعمل في صناعة المربيات. كما تستعمل أوراقه في التطبيب التقليدي لتضميد الجروح.

لكن أكثر استعمالات الستيف هي تشكيل الأسبحة الحية التي يستحيل اختراقها من طرف الحيوانات الكبيرة والإنسان وذلك نظراً لكثرة أشواكها. ولهذا الغرض يتم إكثار النبات بواسطة العقل والبراعم الأرضية التي تتجذر بسهولة كبيرة وتنمو بسرعة فائقة.

إضافة إلى هذا النوع البري الطبيعي نجد أنواعا أخرى من نفس الجنس أدخلت في بعض المناطق من الهضبة الوسطى لإنتاج كميات قليلة جداً من التوت الشوكي الذي يسمى فرامبواز Framboise بالفرنسية.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée maroaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997 ; Abdelmalek Benabid, *Flore et écocystème du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000.

عبد المالك بنعبيد

**الستُوتي، علال** بن مرزوق قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين ما قبيلته أولاد ستوت انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف مَحمد امزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور، وشارك في عدة معارك إلى أن سقط أسيراً بيد الإسبان في المعركة التي جرت بسوق الخميس بقبيلة بني بويفرور يوم 30 سبتمبر 1909 حيث اجريت له محاكمة عسكرية بتهمة أنه كان من بين المجاهدين الذين كانوا بالمكان الذي قُتل فيه الجنرال دييث فيكاريو Diez Vicario وظل بسجن مليلية إلى غاية سنة 1934.

*أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة الشمال الشرقي* ( 1909ـ 1912)، تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

**ستيتو** (ابن -) **عمر** بن عمر، مقاوم من مواليد سنة 1910 بدوار تامجونت ملحقة أجدير دائرة أكنول بإقليم تازة، انخرط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالمنظمة الشمالية بجبال الريف وعمل ضمن التشكيلة التي كان يرأسها محمد بن علال بمركز اسويل ببورد.

وقد ضل يجاهد ضمن فرقته بكل إخلاص وتفان شارك في عدة معارك وهجومات أبان فيها عن شجاعة نادرة نذكر منها هجوم بورد وآخر على مركز بوزينب، إلى أن استشهد يوم 15 أكتوبر 1955 ببوزينب.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الأستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504897.

أبو **سجدة علي** بن أبي القاسم السنجائي اشتهر بكنيته أبو سجدة، من رجال القواسم، أحد فروع بيت المشنزائيين المصامدة المعروف في دكالة (*أسفي*، 17 ـ 18 ؛ *دكالة*، 70 ـ 72) أخذ التصوف عن الشيخ أبي يحيى النيار من بني أمغار (*دوحة*، 102). وكان ذلك في دكالة نفسها، ولاشك، إن لم نقل في تيط، مقر الأمغاريين منذ القديم. يستفاد ذلك من رواية شفوية تقول بأن أبا سجدة كان في أوليته، مؤذناًفي مسجد رباط تيط، قبل سقوطها في يد المحتلين البرتغاليين. وبعد احتلالها عام 919 / 1513، رحل عنها فيمن رحل، ونزل في بولعوان بدكالة، ثم انتقل إلى الشاوية، وبعدها إلى مراكش.

وذكرت مصادر أخرى أن أبا سجدة سلك طريق القوم على يد الشيخ عبد العزيز التباع، رفيق أبي يحيى النيار الأمغاري في صحبة الشيخ مَحمد بن سليمان الجزولي (*ممتع*، 46). بينما قالت أخرى إنه من أصحاب الشيخ عبد الله الغزواني، تلميذ التباع وخليفته (*ابتهاج*، 376). لكن، مهما كان الشيخ الذي استند إليه أبوسجدة، فالمهم أنه جزولي الطريقة والسند، لأن أولئك الشيوخ الثلاثة جميعا من كبار أتباع الطريقة الجزولية، بل من كبار رجال طائفتها، ومن الرعيل الأول من المنتمين إليها.

وقد بلغ أبو الحسن السنجائي في الطريقة الجزولية، بدوره، مقام الأولياء الكبار (*دوحة*، 101 ـ 102). وامتاز في جزوليته، عن باقي رفاقه فيها، بصفات خاصة، عبر عنها ابن عسكر بقوله : "ولي الله تعالى أبو الحسن علي ابن أبي القاسم السنجائي المعروف بأبي سجدة، لأنه كان يقطع الليل كله بسجدة واحد" (*دوحة*، 101 ـ 102). وقيل، في توضيح هذه الخاصية، إنه "كان إذا صلى فسجد غاب، فلم يرفع رأسه ولم يزد عليها. ولعل ذلك، يقول محمد المهدي الفاسي، في صلاة الليل، وفي النافلة، لا في الفريضة. فيكون هو معنى قوله في *الدوحة* : يقطع الليل كله بسجدة واحدة، لا يزيد عليها، فيرجعان إلى وفاق" (*ممتع*، 46). "ويذكر في نفس الموضوع أن إخوانه أو أخاً لَهُ، قال له : إنك لتفسد الصلاة، فأريد أن أستفتي فيك، وأسألك عن أمرك. فقال له : من تستفتي ؟ قال له الفقهاء. فقال أنا ما تمشي بحلتي إلى البرادعيين. ويحكى أنهم تركوه حتى سجد، فأتوا بالحبال وجعلوها تحت حصيره، وجعلوا يرفعونه فلم يقدروا" ( *الإعلام*، 9 : 183).

ويفيد هذا في القول بأن أبا سجدة كان من كبار العباد في الطائفة الجزولية، الأمر الذي مكنه من بلوغ رتب عليا في طريق القوم الصوفية، بل رفعه بعض تلامذته إلى مقام القطبانية (*دوحة*، 102). كما ساعده ذلك على تحقيق شعبية واسعة في مراكش، فقصده المتشوفون إلى التصوف الجزولي. وهب إليه عامة الناس ممن يسعى إلى البركة. بل يذكر البعض أن أبا سجدة كان له آلاف الأتباع من الجن أيضاً (*دوحة*، 102).

وقد جعلت له هذه الشعبية دالة على أولي الأمر في المغرب في زمانه، ونعني هنا زمن حكم الأشراف السعديين الأوائل في المغرب في بداية القرن العاشر (16م). وفي هذا

الصدد قيل عنه إنه : "كان كبير الشأن عظيم القدر، وكان إذا دخل على ملوك وقته لا يزيد في تحيته شيئاً على لفظ السلام، ويغلظ لهم في القول إذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر" ( *الإعلام*، 9 : 183).

هذا، وكانت وفاة أبي الحسن علي بن أبي القاسم السنجائي المدعو بوسجدة عام 946 / 1540 ، وقيل 951 / 44 ـ 1545، ودفن بسور الحجر، على مقربة من جامع الكتبيين في مراكش (*دوحة*، 102 ؛ *الإعلام*، 9 : 183 ـ 184). وقد خلف ذرية كبيرة اشتهر بعضهم بالتصوف مثله، أشهرهم على الإطلاق : سيدي إسماعيل دفين وسط دكالة، ومولاي الطاهر القاسمي، دفين نفس المنطقة.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1400 / 1980، الجزء التاسع ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1977 ؛ أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. الرحمن الفاسي، *ابتهاج القلوب*، تح. حفيظة الدازي، د.د.ع. مرقونة بكلية الآداب بالرباط؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، طبعة حجرية بفاس، 1324 / 1906 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية بفاس، 1313 / 1896 ؛ محمد الكانوني، *أسفي وما إليه قديماً وحديثاً*، مصر، 1353.

أحمدالوارث

رخام (گرانيت)

انظر صفحة 4320

رخويات (في الماء)

انظر صفحة 4324

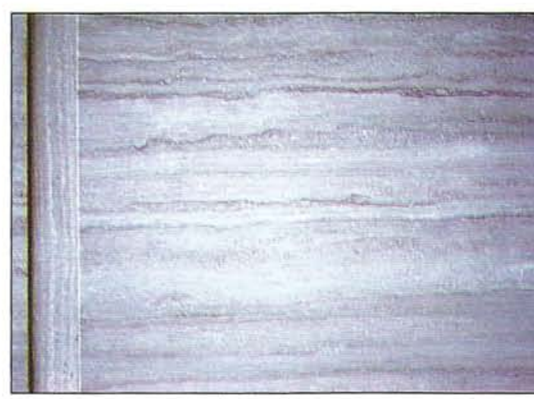

رخام (طرافيرطان)

انظر صفحة 4321

رخويات
(يعرضها صيّاد)

انظر صفحة 4324

الرخمة

انظر صفحة 4323

رصاص

انظر صفحة 4360

الرعّادة

انظر صفحة 4373

الروبيو

انظر صفحة 4464

الرمّان

انظر صفحة 4442

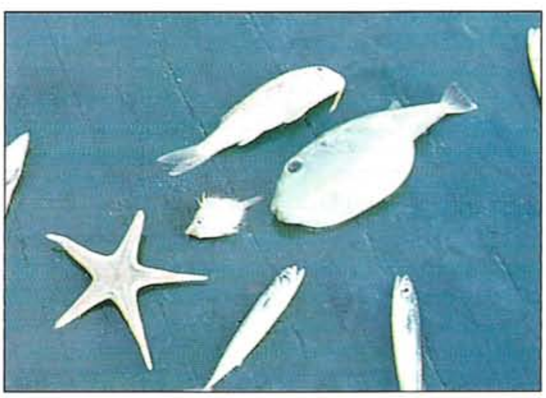

الروجي

انظر صفحة 4465

الرند

انظر صفحة 4449

ضاية رومي

انظر صفحة 4496

زعتر

انظر صفحة 4658

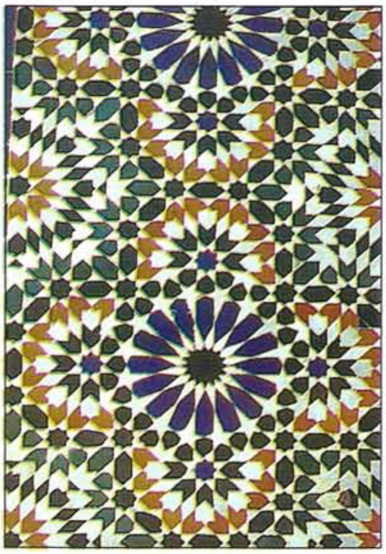

الزليج
العَمْلْ العنكبوتي

انظر صفحة 4700

زعيترة

انظر صفحة 4659

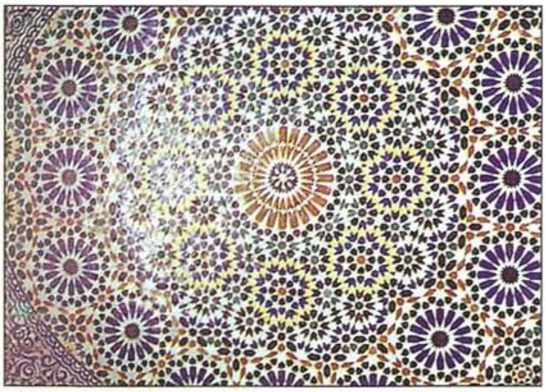

الزليج
العَمْلْ السطاشي

انظر صفحة 4700

زنجور

انظر صفحة 4720

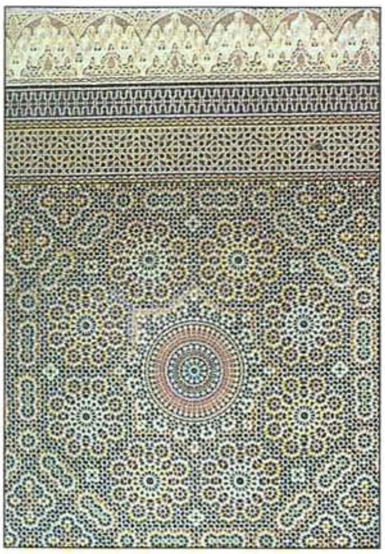

الزليج
العَمْلْ بالقطيب
تحيط به 8 وردات

انظر صفحة 4700

أشجار زيتون

انظر صفحة 4775

الزنگ

انظر صفحة 4721

غصن زيتون

انظر صفحة 4776

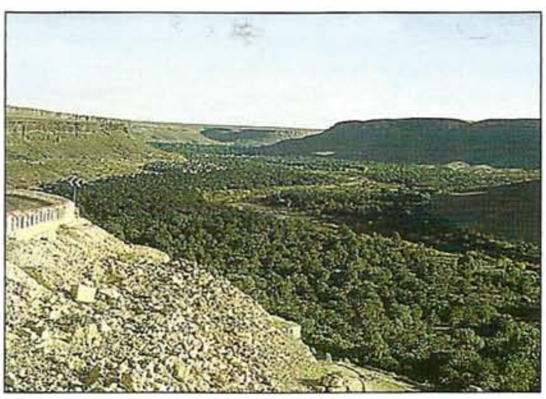

وادي زيز

انظر صفحة 4789

غابة زيتون
بضاحية وزان

انظر صفحة 4777

السالمية

انظر صفحة 4821

SIJILMASSI, M., *La Peinture marocaine*, Paris, 1972.
SIRAJ, A., *L'Image de la Tingitane : l'historiographie arabe médiévale et l'antiquité nord-africaine*, Rome, 1995.
SPILLMANN, G., *Du protectorat à l'indépendance, Maroc, 1912 - 1962*, Paris, 1967.
SIRJACOBS, M., *Les Cultures protégées au Maroc : choix des régions climatiquement favorables, H.T.E.*, 1986.
STOUKY, A., *Baghdad Benas*, Rabat, 1980.
TARRADELL, M., *La Necropolis punico-mauritana de San Lorenzo en Melilla, Congr. Arch. de Marruecos, esp.* Tetuan, 1954.
TAILASSANE, M., *Le Massif du Zerhoun et ses bordures est et nord-est au nord du Saïs, Fès et Meknès : étude géomorphologique*, Th. 3e cycle, Rabat, 1986.
TAUXIER, H., *Les Variations de sens des mots Berber, Roum, Afarek, Béranés, Botr, Mazigh et Frank, R.A.*, n° 133, 1879.
TENKOUL, A., *Littérature marocaine d'écriture française*, Casablanca, 1985.
TERMIER, H. et G., *Mode de gisement des basaltes, permo-triasiques au Maroc, B.S.S.G.*, vol. XIX, 1949.
THOUVENOT, R., *Le Culte de Saturne en Maurétanie Tingitane, R.E.A.*, 56, 1954.
TORRELLA, M. G. DE, *Milicias cristianas en Berberia, Bol. de la Soc. Arqueol. Lusitana*, vol. 34, 1973.
TORRES BALBAS, L., *Ribatas hispano - musulmanas, al-Andalus*, XIII.
TOUTAIN, *Les Cultes paiens dans l'Empire Romain*, Paris, 1967, T. 3.
VAJDA, G., *L'Aventure tragique d'un cadi maghrébin en Egypte fatimide, Arabica*, T. XV, Fasc. 1, Fév. 1968.
VAN BERCHEM, *Titres califiens d'Occident, J.A.*, 1907, T. 9.
VAUDOUR, J., *Travertins et croûtes calcaires, Bull. Assoc. Geog. Fran.*, 1981.
VIDAL, J. C., *Strucure actuelle et évolution depuis le miocène de la chaine rifaine (Partis Sud de l'Arc de Gibraltar), Bull. Soc. geol. Fr.*, T. 19, n° 4, 1977.
VILLARD, F., *Céramique grecque du Maroc, B.A.M.*, 4, 1960.
VOINOT, L., *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912.
WEISROCK, A., *Géomorphologie et paléoenvironnement de l'Atlas atlantique*, Th. : Paris : 1986.
YEOMAN, R. S., *A Catalog of modern wored coin, 1850 - 1960*, USA, 1972.
ZAANOUN, E., *La Confédération des tribus Aït Warain : étude géographique de l'évolution d'une tribu berbère.* Th. 3e cycle : Geo. : Paris VII.
ZERYOUMI, I., *Systèmes et pratiques de captage traditionnels des eaux au Maroc* (Ronéot.), 1983.

MOREL, J. P., *Les Céramiques à vernis noir du Maroc, Antiquités Africaines*, 2, 1968.
MOREL, J. P., *Kerkoine ville punique du Cap Bon, Antiquités Africaines*, 1969.
MOREL, J. P., *Les Niveaux préromains, Thamusida I, Collection de l'Ecole française de Rome, Supplément 2*, 1965.
MORESTIN, P. M., *Le Dieu au chef cornu de Banasa, H.*T, II, fasc. 2. 3, 1961.
MORSY, M., *Le Coût d'une ambassade anglaise au Maroc au 18e S. Cahiers de la Méditerranée*, n° 11, déc. 1975.
MORSY, M., *Moulay Ismail, 1673 - 1727 ou l'instauration de l'état alawit*e, in *Les Africain*s, Paris, 1977, vol. 4.
MOULIERAS, A., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara, B.S.G.A. Oran*, vol. 23, Fasc. 97, Oct.-Déc. 1903 ; vol. 24, Fasc. 100, Juil-Sept. 1904 ; vol. 25, Fasc. 102, Janv.-mars, 1905.
MOULIERAS, A., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara*, Paris, 1905.
MOUZOUNI, L., *Le Roman marocain de langue français*e, Paris, 1987.
MURRAY, G., *L'Esclavage dans le monde arabe, VII - XXe* S, Paris, 1987.
NAAMOUNI, K., *Le Culte de Bouya Oma*r, Casablanca, 1993.
NACIRI, G., *Etude géomorphologique de la cuvette Romani et ses bordures nord et su*d. Th. 3e cycle, Rabat, 1987.
NICOD, J., *Facteurs physico - chimiques de l'accumulation des formations travertineuses : essai de synthèse, Médi*t., 1 - 2, 1986.
NOGALES, G., *Averroes : Epitome de anim*a, Madrid, 1985.
OUHAJJOU, L., *Espace hydraulique et société : les systèmes d'irrigation dans la vallée du Draa Moyen (Maroc*). Th. 3e cycle, Géo, Montpellier III.
PASCON, P., *Théorie générale de la distribution des eaux et de l'occupation des terres dans le Haouz de Marrakech, R.G.*M., n° 18, 1970.
PASCON, P., CHICHE, J., *La Question hydraulique. 1. Petite et moyenne hydraulique au Maro*c, Rabat, 1984.
PERENNES, J., *Le Maroc à porté du million d'hectares irrigué. Monde arabe, Maghre*b, *Machrek*, n° 173, 1992.
PERES, M., *Précis d'océanographie hydrologiqu*e, Paris, 1976.
PONSICH, M., *Le Temple dit de Saturne à Volubilis, B.A.M.*, 10, 1976.
POSACMON, C., *Monedas punicas e hispano - romanas halladas en Ceuta, Tamuda*, V, 1958.
POSACMON, C., *Monedas romanas imperialas halladas en Ceuta, Tamuda*, V, 1957.
POURTAUBORDE, *Documents politiques et sociaux : l'Office de l'Irrigation au Bani Amir et Bani Moussa. Encyclopédie mensuelle d'Outre-Me*r, Juin 1954.
PUIG, J., *Averroes : Epitome in physicorum libro*s, Madrid, 1983.
QAROUACH, M., *La Croissance de l'agriculture marocain*e, Casablanca, 1988.
QUEIROZ VELLOSO, I. M. DE, *Don Sebastia*n, Madrid, 1943.
REBUFFAT, R., *Histoire de l'identification des sites antiques du Maroc, Africa Roman*a, 13, 2000.
REFFAS, A., *L'Organisation urbaine de la péninsule Tingitan*e, Doct. Etat : Paris I : 1993.
REVAULT, J. [et al...], *Palais et demeures de F*ès, Paris, 1992, 3 vol.
RICARD, R., *La Côte atlantique du Maroc au début du 16e S., d'après les instructions nautiques portugaises, Hesp.*, 1927.
RIVIERE, P.L., *Traités, codes et lois du Maro*c, Paris, 1924.
ROBAUX, A., *L'Eau et la vie dans le sud marocain, R.G.*M, n° 1 et 2.
ROBET, J. T., *Dictionnaire des villes et localités du Maro*c, Rabat, 1936.
ROCHES, L., *Trente deux ans à travers l'Islam, 1832 - 186*4, Paris, 1885.
ROUGIER, C., *Alteration pédogenèse et paléo-pédogenèse sur massif granique des Zaer (Maroc central*), Th. 3e cycle : Bordeaux I : 1985.
ROUSSELLE, M., *Médecins, chirurgiens et apothicaires français au Maroc, 1577 - 190*7, Paris, 1996.
SALVADOR, *Guia de los anfibios y reptiles españole*s, Madrid, 1974.
SAINT-AULAIRE, C., *Confession d'un vieux diplomate*, Paris, 1953.
SAN ROMAN, Fr. A. de, *Jornada y muerte del Rey Don Sebastia*n, Valladolid, 1603.
SASSON, A., *Recherches écophysiologiques sur la flore bacterienne de sol des régions arides du Maro*c, Tanger, 1937.
SCHMITT, P., *Le Maroc d'après la géographie de Claude Ptolémée*, Th. 3e cycle : Tours : 1973.
SESTON, W, EUZENNAT, M., *La Citoyenneté romaine au temps de Marc - Aurele et de commande d'après la Tabula Banasitana, C.R.A.*I, 1961.
SESTON, W., EUZENNAT, M., *Le Dossier de la chancellerie romaine : la Tabula Banasitana : étude de diplomatique, C.R.A.*I, 1971.

LEVI-PROVENÇAL, E., *Maghrawa, E.I*, 1ere éd., 1936, vol. 3.
LEWIS, W., *Journey into Barbary : Morocco writting and drawrings*, Santa Barbara, 1983.
LLORIS, D., RUCABADO, J., *Guide d'identification des ressources marines du Maroc*, Rome, 1998.
LOUBIGNAC, V., *Textes arabes des Zaer*, Paris, 1952.
LOZET, J., MATHIEU, G., *Dictionnaire de science du sol : technique et documentation*, Paris, 1990.
LUCAS, J., *La Transformation des minéraux argileux dans la sédimentation : étude sur les argiles du trias, Mem. Serv. de la carte géol. Als et Lorr.*, n° 23, 1962.
MACKENZIE, D., *The Khalifate of West*, London, 1911.
MADELUNG, W., *Al-Mahdi, E.I.*, Nlle éd., vol. 5.
MAHJOUBI, A., *Les Origines du mouvement national tunisien, 1904 - 1934*, Tunis, 1982.
MAJDOUB, M., *La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain, Africa Romana*, 11, 1996.
MAJDOUB, M., *Nouvelles données sur la datation du Temple C à Volubilis, Africa Romana*, 10, 1994.
MAJDOUB, M., *Octavius et la Maurétanie, Africa Romana*, 13, 2000.
MAJDOUB, M., *Pompeus Magnus et les rois maures, Africa Romana*, 12, 1998.
MANEVILLE, *Les Problèmes de l'eau dans la région de Berkine, B.S.G.M.*, n° 3 - 4, Juil.-oct., 1936.
MARÇAIS, G., *Note sur le ribat en Berbérie, Mélanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident musulman*, Alger, 1957, vol. 1.
MARÇAIS, G., *Oujda, E.I*, 1ere éd., 1936, vol. 3.
MARGAT, J., *Note sur la morphologie du site de Sigilmassa, Hesp.*, 1959.
MARIN, M., *El Ribat en al-Andalus y en Norte de Africa, la Rapita Islamica,* San Carles de la Rapita, 1993.
MARION, J., *Note sur la contribution de la numismatique à la connaissance de la Maurétanie Tingitane, Antiquités Africaines*, I, 1967.
MARION, J., *Les Trésors monétaires de Volubilis et de Banasa, Antiquités Africaines*, 12, 1978.
MARION, J., *Les séries monétaires de Tingitane, B.A.M*, 4, 1960.
MARTY, P., *Zaouia de Sidi Ben Achir à Salé, R.E.I*, I, 1933.
MASCARENHAS, D. J. de., *Histoire de la ciudad de Ceuta*, Coimbra, 1918.
MATHIEU, L., *La Géomorphologie et la géologie quaternaire comme bases fondamentales pour une juste définition et une cartographie rapide des sols et des milieux : application dans la province de Taza (Maroc), et dans la cuvette d'Andapa (Madagascar)*, Thèse Fac. Sc. Agro, Gembloux, Belgique, 1977.
MATHIEU, R., *Les Sédiments du plateau contimental du Maroc atlantique entre Dar Bouazza et Mohammadia, Bull. Inst., Pêches Marit.*, n° 16, 1986.
MAURAN, Dr., *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1909.
MAYNE, P., *A Year in Marrakech*, London, 1990.
MEMMES, A., *Signification et interculturalité*, Rabat, 1992.
MICHAUX-BELLAIRE, E., *Conférence sur les confréries religieuses du Maroc, A.M*, vol. 27, 1917.
MICHAUX-BELLAIRE, E., SALMON, G., *Quelques tribus arabes de montagnes de la région du Habt, A.M.*, 17, 1911.
MILIAVSKAYA, S.T., *Connaissance sur l'Afrique en Russie au 18e S.*, in *Russie et Afrique*, Moscou, 1966.
MINISTERE DES PECHES MARITIMES, *La Mer en chiffres*, Rabat, 1999.
MINISTERE DE L'AGRICULTURE, DU DEVELOPPEMENT RURAL ET DES PECHES MARITIMES, *Colloque national de l'agriculture et du développement rural, Rabat, 19 - 20 Juillet 2000*, Rabat, 2000.
MINISTERE DE L'AGRICULTURE, ET DE MISE EN VALEUR AGRICOLE, *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc : Schéma directeur d'aménagement des parcours*, Rabat, 1995.
MIRANDA, F. de., *Diario*, Madrid, 1939.
MONARION, F., *Exploracion ocenografica del Africa occidental desde el Cabo Ghir y Cabo Juby, Inst. Esp. Ocasnavy*, n° 20, 1947.
MONSEMPES, *Contribution à la connaissance d'une tribu : les Zkara, C.H.E.A.M.*, Paris, 1955.
MONTAGNE, R., *La Civilisation du désert*, Paris, 1947.
MONTAGNE, R., *Coutumes et légendes de la côte berbère du Maroc, Hesp.*, IV, 1924.
MONTET, E., *L'Histoire des religions au congrès des orientalistes d'Alger, Revue de l'Histoire des Religions*, vol. 52, 1905.
MONTET, E., *Les Zkara du Maroc : un problème religieux, Revue de l'Histoire des Religons*, vol. 52, 1905.
MORALES, B., *Jormada de Africa del Rey Don Sebastian de Portugal*, Sevilla, 1622, Madrid, 1889.
MORCHID, A., *Potentialités de développement des cultures sous abris serres dans la zône cotière du périmètre du Gharb*, Mem. 3e cycle, I.A.V. Hassan II, Rabat, 1999.
MOREL, J. P., *Céramiques d'Hippone, B.A.A*, I, 1967.

GONTARD, M., *Violence du texte*, Paris, Rabat, 1979.

GOUBERT, P., *Ceuta byzantine ou Wizigothique ? in Misc. Lania Puig I Cadalach*, Barcelone, 1947 - 1951 ?

GOUBERT, P., *L'Espagne byzantine, rev. et. byz.*, IV, 1946.

GRILLON, P., *La Correspondance du Consul Louis Chénier, 1767 - 1782*, Paris, 1970.

GUERRERO AYUSO,V. H., *Una aportacion al estudio de las anforas Mana C., Archaeo-Nautica*, 6, 1988.

GUILLEN, P., *Les Emprunts marocains, 1902 - 1904*, Paris, 1972.

GUITARD, C., *Recherches sur Saturne : des origines à la Réforme de 217 Av. J.C, in Recherches sur les religions de l'Italie antique*, Genève, 1976.

HALIM, A., *Le Capitalisme agraire au Maroc*, Th. Paris VII, 1986.

HAMDI, A, LACIRIGNOLA, C., *An overview of protected agriculture in the mediterrnean region*, Agadir, 1993.

HART, D.M., *Notes on the Rifain community of Tangier, The Middle East Journal*, 1957.

HESNARD, A. [et al...], *Aires de production des gréco-italiques et un Dr 1, Collection de l'Ecole française de Rome*, 114, 1989.

HESNARD, [et al...], *Les Négociants italiens en Maurétanie avant l'annexion, B.C.T.H*, NS 19B, 1983.

HORIEN, M., *Metaphysie de Averroes, 1197, nache dern Arabischien übersetzt und erlantert*, Halle, 1912.

HUICI MIRANDA, A., *El Reinado del califa almohade al Rachid hijo de Al-Mamun, Hesp.*, 1er-2e trim, 1954.

HUREAU, J.C., MONOD, Th., *Check list of the North Eastern Atlantic and of the Mediterranean*, Paris, 1973, 2 vol.

IBN MARZUQ, *Le Musnad : extraits* / ed. et trad. Levi-Provençal, *Hesp.*, vol.5, 1er trim., 1925.

INSTITUT AGRONOMIQUE ET VETERINAIRE HASSAN II, UTAH STATE UNIVERSITY, *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc, phases I, II, et III*, Rabat, 1993.

JAAIDI, B., *Les Environnements sédimentaires actuels et pléistocènes du plateau continental atlantique marocain entre Larache et Agadir*, Th. 3e cycle, 1981.

JAMOUS, R., *La Segmentation et le mariage arabe. Annales Marocaines de Sociologie*, 1963.

JARIR, M., *Errachidia et l'organisation régionale de la vallée du Ziz*, Th. 3e cycle, Tours, 1983.

JEHAMY, G., *Averroes : Paraphrase de la logique d'Aristote*, Beyrouth, 1982, 3 vol.

JODIN, A., *L'Exploitation forestière du Maroc antique, Act. du 93e Congr. Nat. des Stés. Sav., Tours, 1968*, Paris, 1980.

KEHOE, D. P., *Pastoralism and agriculture, J.R.A*, 3, 1990.

KHATIBI, A., *Tryptique de Rabat*, Paris.

KHATIBI, A., *Un été à Stockholm*, Paris, 1990.

KHATIBI, A., EL MALEH, E.A., MARAINI, T., *La Peinture d'Ahmed Cherkaoui*, Casablanca, 1976.

KHETTOUCH, M., *Zaïd ou Hmad, Lamalif*, n° 128, Sept. 1981.

KHUSAIM, A. F., *Zarruq the Sufi*, Tripoli, 1976.

KRANDEL BEN YOUNES, A., *La Nécropole rurale de Thigibba Bure, Djebla, Reppal*, 7 - 8, 1992 - 1993.

LAFUENTE, M., *La Vie humaine dans un groupement berbère du Haut Atlas de Marrakech : les Aït Oucheg, R.G.M.*, n° 14, 1968.

LAHJOMRI, A., *L'Image du Maroc dans la littérature française : de Loti à Montherlant,* Alger, 1973.

LAKHDAR, M., *La Vie littéraire au Maroc sous la dynastie Alawide, 1075 - 1311 H / 1664 - 1894*, Rabat, 1971.

LAMB, H. F., EICHER, U., SWITSUR, V.R., *An 18000 years record of vegetation : lakelevel and climatic change from Tiguelmamine, Middle Atlas Journ. biogeogr.*, 16, 1989.

LANCEL, S., *Tipasitana - II : la nécropole préromaine occidentale de Tipasa, rapport préliminaire, campagne de 1966 - 1967, B.A.A*, 3, 1968.

LAOUST, E., *Le Mariage chez les berbères du Maroc, A.B.*, I, 1915.

LASINIO, F., *Il commento medio di Averroes alla Poetica di Aristotele*, Pise, 1872.

LASINIO, F., *Il Commento medio di Averroes alla Retorica di Aristotele*, Florence, 1877.

LATHAM, J. D., *The Strategic position and defence of Ceuta in the later muslim period. Islamic Quaterly*, XV, 1971.

LEBEL, R., *Les Voyageurs français du Maroc*, Paris, 1936.

LEFEBURE, C., *Accès aux ressources collectives et structure sociale : l'estivage chez les Aït Atta (Maroc)*, in *Production Pastorale et société*, Cambridge, Paris, 1979.

LEGLAY, M., *A la recherche d'Icosium, Antiquités Africaines*, 2, 1968.

LEGLAY, M., *Les Dieux de l'Afrique romaine, Archeologie*, n° 40, Mai-Juin 1976.

LEGLAY, M., *Saturne africain : histoire*, Paris, 1966.

LEVY, R., DRUDERER, W., *Considération sur la nappe prérifaine d'après les travaux de la société chérifienne des pétroles*, in *C.R 19e Congr. géol. int.*, Alger, 1952.

DAGUIN, F., *Contribution à l'étude géologique de la région prérifaine*, Rabat, 1927.
DAKHLIA, J., *L'Oubli de la cité*, Paris, 1990.
DAN, Père F., *Histoire de Barbarie et de ses corsaires...*, Paris, 1637.
DAPPER, O., *Description de l'Afrique*, Amsterdam, 1686.
DEJEUX, J., *Littérature maghrébine de langue française*, Québec, 1978.
DESANGES, J., *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962.
DESCOLA, J., *Histoire de l'Espagne*, Paris, 1959.
DHINA, A, *Les Etats de l'Occident musulman aux 13è, 14è et 15è siècles*, Alger, 1984.
DIEHL, C., *L'Afrique byzantine*, Paris, 1896.
DIRECTION DE LA STATISTIQUE, *Résultats des R.G.P.H, 1960 - 1971, 1982, 1994*, Rabat, 1995.
DOZY, R., *Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age*, 3e éd., Paris, 1881.
DRACH, P., *Embranchement du cephalocorbie*, in Grasse, PP, *Traité de Zoologie*, Paris.
DUBREUIL, B, *Les Pavillons des Etats musulmans, H.T*, vol. 1, fasc. 3, 1960.
DUFOURCQ, Ch. E., *Les Relations de la péinsule ibérique et de l'Afrique du Nord au 14e S. Annuario estudios medievales*, 1970 - 1971, vol. 7.
DUFOURCQ, Ch. E., *Les Relations du Maroc et de la Castille pendant la première moitié du 13e S, R.H.C.M*, n° 5, 1968.
DUFOURCQ, Ch. E., *Un projet castillan du 13e S : la croisade de l'Afrique, R.H.C.M*, n° 1, 1966.
DUNLOP, D. M., *Averroes on the modality of proposition. Islamic Studies*, (Karachi), I, 1962.
EL-BADISI, *El Maqsad ash-sharif*, trad. G.S Colin, *A.M.*, vol. 26, 1926.
EL BOUZIDI, A., *Vallée moyenne de l'Oued Lebène (Prérif, Maroc) : étude de cartographie géomorphologique*, Th. 3e cycle, Poitiers, 1987.
EL FASSI, M., *La Littérature marocaine*, in *Maroc. L'Encyclopédie coloniale et maritime*, Paris, 1948.
EL MASOR, B., *Les Problèmes de l'eau dans la vallée moyenne du Ziz et la plaine du Tafilalet*. Th. Doct. Nancy II, 1988.
EL MANSOUR, M., *Urban Society in Fez : The Rumat during the modern period, 17th - 19th centuries, Maghreb Review*, vol. 22, n° 1, 1997.
ELSNER, J., *Musique arabe : congrès du Caire 1932*, Le Caire, 1992.
EMBERGER, L., *Les Limites naturelles de la forêt de Mamora, Bull. Sté. Sc. Nat. Maroc*, 9, 1929.
EMPEREUR, J. Y, HESNARD, A., *Les Amphores hellénistiques du bassin occidental de la Méditerranée, in Céramique Hellénistique et Romaine*, 2, 1987.
ENNAJI, M., *Soldats, domestiques et concubines: l'esclavage au Maroc au 19e S*, Casablanca, 1994.
ENNAJI, M., BEN SRHIR, K., *La Grande Bretagne et l'esclavage au Maroc au 19e S, H.T*, vol. XXIV; Fasc. 2, 1991.
ESCALIER, R., *Citadins et espace urbain au Maroc*, Tours, 1981, 2 vol.
EUZENNAT, M., *Le Limes de Tingitane : la frontière méridionale*, Paris, 1989.
FAGNAN, *Un chant algérien du 18e S. à l'occasion du bonbardement d'Alger par les danois, R.A.*, vol. 38.
FASSI, D., *La Forêt dans l'histoire de la terre*, in *Le Grand livre de la forêt marocaine*, Belgique, 1999.
FASSI, D., *Les Formations carbonatées secondaires : croûtes et travertins, R.G.M.*, 1994.
FAUGERES, J. C., *Les Rides sud-rifaines : évolutions sédimentaire et structure d'un bassin atlantico mésogéen de la marge africaine*, Th : Bordeau I, 1978.
FEINBERG et LORENZ, G., *Nouvelles données stratigraphiques sur le miocène supérieur et le pliocène du Maroc nord-occidental, Notes Mem. Serv. Geol., Maroc*, T. 30, n° 225, 1970.
FERHAT, H., *Abºl-'Abbas : contestation et sainteté, Al-Qantara*, vol. 13, Fasc. 1, 1992.
FERHAT, H., *Littérature eschatologique et espace sacré au Maroc : le cas de Massa, S.I*, 80, 1994.
FRIANG, E., *Les Zkara et leur évolution devant l'Islam*, Mém. fin de stage des contrôleurs civils, 1946.
GAILLARD, H., *Une ville de l'Islam, Fès*, Paris, 1905.
GALLOTI, J., *Le Jardin et la maison au Maroc*, Paris, 1925, 2 vol.
GASPAR REMIRO, M., *El Negocio de Ceuta entre Jaime II de Aragon y Aburrebia Sulaiman, sultan de Fez contra Muhammed III de Granada, in Relaciones de la Corona de Aragon con los estados musulmanes de Occidente*, Madrid, 1925.
GATJE, H., *Die Epitome der Pane Naturalia des Averroes*, Wiesbaden, 1961.
GAUDEFROY - DEMONBYNES, M., *Masalik el -absar*, Paris, 1927.
GAUTIER, E. F., *Mœurs et coûtumes des musulmans*, Paris, 1931.
GHANEM, H., *Contribution à la connaissance des sols du Maroc*, Th. Agr. 1981, 2 vol.
GIMENEZ SOLER A., *Caballeros españoles en Africa y Africanos en España, Revue Hispanique*, 1905.

BORSON, L., *Aperçu de l'élevage bovin dans l'antiquité, ethnozootechnie*, 32, 1983.
BOUBE, J., *Les Amphores de Sala à l'époque préromaine, B.A.M.*, 17, 1987 - 1988.
BOUBE, J., *La Circulation monétaire à Sala à l'époque préromaine*, Rome, 1992.
BOUBE, J., *Introduction à l'étude de la céramique à vernis noir de Sala, B.A.M*, 16, 1985, 1986.
BOUBRIK, R., *Saints et société en Islam : une confrérie ouest saharienne, la Fadiliyya*, Paris, 1999.
BOUCHET CHANTON, R., *Zoologie 1, Invertébrés*, Paris, 1962.
BOUDERBALA, N. [et al...], *La Question agraire au Maroc, B.E.S.M*, n° 123 / 125.
BOUDY, P., *Economie forestière nord africaine*, Paris, 1950.
BOUGHALI, M., *Espaces d'écriture au Maroc*, Casablanca, 1987.
BREBION, Ph., *Etude biostratigraphique et paléoécologique du quaternaire marocain, Ann. Paléont.*, 65, 1979.
BRUNHES, J., *L'Irrigation : ses conditions géographiques, ses modes d'organisation dans la péninsul ibérique et dans l'Afrique du Nord*, Paris, 1902.
BUKKALI, M.M., *Contribution à l'étude de la transhumance au Maroc*, Toulouse, 1972.
BURKE, E., *Prelude to Protectorate in Morocco*, Chicago, 1976.
BUTTERWORTH, C.E., *Averroes three short commentaries on Aristotele : Topics, Rhetoric, and Poetic*, Albany, 1977.
CAILLE, J., *La Petite histoire du Maroc : 3e série, 1850 - 1912*, Rabat, 1954.
CAMPS, G., *Les Berbères : mémoire et identité*, Paris, 1987.
CAPMANY, *Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunos Reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde el siglo XIII hasta el XV*, Madrid, 1974.
CARO BAROJA, J., *Un santon sahariano y su familia, Estudios saharianos*, 1955.
CASANOVA, J., *Morphologie et biolithogenèse des barrages de travertins*, Paris, 1981.
CASTRIES, H. de., *Les Sept patrons de Marrakech, Hesp.*, IV, 1924.
CASTRO Y PEDRERA, F. de, *Melilla préhispanica*, Madrid, 1945.
CAUTIER, D. J., *Monnaies et économie dans l'Espagne du nord et du centre, H.T*, 1962.
CELERIER, J., *L'Atlas et la circulation au Maroc, Hesp.*, vol. 7, 4e trim., 1927.
CELERIER, J., *La Dépression du Serou (Moyen Atlas Central), R.G.M*, VI, 1928 - 1929.
CENIVAL, P. de, *L'Eglise chrétienne de Marrakech au 13e S., Hesp.*, vol. 8, 1927.
CHARLES-ROUX, F., CAILLE, J., *Missions diplomatiques à Fès*, Paris, 1955.
CHATER, K., *Dépendance et mutations précoloniales : la Régence de Tunis de 1815 à 1857*, Tunis, 1984.
CHEBBI, J., *Ribât, E.I*, Nlle éd., Leiden, vol. 8.
CHEIKHA, J., *Les Ribats d'après les livres de Tabaqat, La Rapita islamica : historia institucional I altres Estudis Regionals. I Congres de les rapites de l'Estat Espanyol, 7 - 10 sept. 1989*, 1993.
CHELBI, F., *La Céramique à vernis de Carthage*, Tunis, 1992.
CHOUBERT, G., *Essai de chronologie hercynienne, N.S.G.M*, vol. 4, n° 83, 1951.
CHRAIBI, D., *Le Passé simple*, Paris, 1954.
CICARD, *L'Organisation des Zaers, R.M.M*, 1910.
CINTAS, P., *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Paris, 1954.
COLIN, G. S., *Massa, E.I*, Nlle éd., vol. 5.
COLIN, G. S., *La Noria marocaine et les machines hydrauliques dans le monde arabe, Hesp.*, 1er trim., 1932.
COLIN, G. S., RICARD, R., *Tanger et Ceuta dans un boniment de jongleur espagnol du 15e S., Bull. Hispanique*, 48, 1946.
CONTAMINE, Ph., *La Guerre au Moyen Age*, Paris, 1980.
CORNELL, V.J., *Ribat Tit - n - Fitr and the origine of Morroccan maraboutism islamic studies, Islamic studies*, XXVII, 1988.
CORREA DE FRANCA, A., *Historia de la muy noble y fidelisima ciudad de Ceuta, Transfretana*, n° 3, 1983.
CORRIERAS, J., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara, A.F. : R. C.*, 1906.
COSSE - BRISSAC, Ph. de, *Les Rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie, 1830 - 1847*, Paris, 1931.
COURTOIS, C., *Les Vandales et l'Afrique*, Paris, 1955.
CRAWFORD, F. S., *Averroes Cordubensis Commentarum Magnum in Aristotelis de Anima libros*, Cambridge (Mass.), 1953.
CRESSUER, *De un ribat a otro : una hipotesis sobre los ribat-s del Magrib al-aqsa (A paraître).*
*Cultures protégées en climat méditerranéen, Bull. de la F.AO.*, n° 90, 1988.
CUNNINGHAME, R., *Maghreb el-Acksa : A journey in Morocco*, Evanston (Illinois), 1997.
CUSSANE BALIN, *Un raid au sud de Sefrou, L'Illustration*, n° 3600, 24 fev. 1912.

## Supplément
## à
## la bibliographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie


ABES, M., *Les Izayan d'Oulmès, A.B.*, 1915.

ACKERMAN, G. M., *Les orientalistes de l'école britannique*, Paris, 1991.

*Actes du 14e Congrès international des orientalistes, Alger 1905*, Paris, 1905, vol. 1.

ADOLPHE, J. P., BILLY, C., *Biosynthèse de calate par une association bactérienne aerobie, C.R.A.S*, (Paris), T. 278, 1974.

AGERON, C.R., *Histoire de l'Algérie contemporaine, 1871 - 1954*, Paris, 1979.

AIT BRAHIM, L., CHOTIN, P., *Mise en évidence d'un épisode compressif dans les calcaires plio-quatenaires du Bassin de Saïs, C.R.A.S*, T. 296, 1983.

AKERRAZ, A, [et al...], *Patrimoine culturel et territoire de la région du Gharb*, Rabat, 1996.

ALEMANY, J., *Milicias cristianas al servicio de los sultanes musulmanes del Almaghreb*, in *Homenaje a D. Francisco Codera*, Zaragoza, 1904.

ARCELIN, P., CAYOT, A., *Réflexions sur l'abandon de l'agglomération héllénistique de Saint-Blaise (Saint-Mitre-les-Remparts), Rev. Archéol. de Narbonnaise*, 17, 1984.

AYME, V., *Lettre à Mr Mouliéras à propos d'ethnologie berbère, B.S.G.A. Oran*, 1904.

BABIN, G., *Au Maroc par les camps et par les villes*, Paris, 1912.

BADAWI, A., *Averroes : paraphrases*, in *Libros Rhetoricorum Anstolelis*, Le Caire, 1960.

BASSET, H., LEVI-PROVENÇAL, E., *Chella : une nécropole mérinide*, Paris, 1923.

BASSET, R., *Recherches sur la religion des Berbères, Revue de l'Histoire des Religions*, vol. 41, n° 3.

BEL, A., *Le 14e Congrès international des orientalistes d'Alger 1905, Bull. trim. Soc. Géo. Archéo. Oran*, vol. 25, Fasc. 103, Avr.-Juin 1905.

BELARBI, M., *Zerhoun : population et structures agraires : étude de géographie rurale*. Th. 3ème cycle : Géo, Bordeau I, 1980.

BELLAKHDAR, J., *La pharmacopée marocaine traditionnelle : médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

BENABDELJALIL, A., *Le chant et la musique, G.E.M : Civilisation marocaine*, Casablanca, 1996.

BENABID, A., *Flore et écosystèmes du Maroc*, Paris, 1999.

BENABOUD, M., *Problems of American Protection in Morocco*, in *The Atlantic conncetion 200 years of Moroccan - American Relations, 1786 - 1986*, Rabat, 1990.

BEN BOUAZZA, T., *La Naissance du syndicalisme ouvrier au Maroc*, Casablanca.

BENCHENEB, M., *3e [Troisième] section langues musulmanes dans le congrès d'Avril 1905 à Alger, R.A*, 2e - 3e trim., 1905.

BENCHERIFA, A., *Le Monde rural marocain : diversité spatiale et culturelle, G.E.M. : géographie humaine*, Rabat, 1989.

BENDAOU, K., *Impact des accords du GATT sur les exportations agricoles du Maroc*, Rabat, 1997.

BEN JELLOUN, T., *L'Enfant de sable*, Paris, 1981.

BEN JELLOUN, T., *La Nuit sacrée*, Paris, 1987.

BEN YOUNES, H., *La Nécropole punique d'El-Khayma, mai 1984, Reppal*, 2, 1993.

BERGGREN, W. A, VAN COUVERING, J. A., *The Late Neogene : biostratigraphy, geochronology and paleoclimatology of the last 15 million years marine and continental sequences, Palaeogeography, palaeoclimatology*, vol. 16, n° 1 - 2, 1974.

BERNARD, A., *Les Confins algéro-marocains*, Paris, 1911.

BERQUE, J., *L'Intérieur du Maghreb*, Paris, 1978.

BERRAHO, A., *Ressources halieutiques et potentialités aquacoles au Maroc*, Lisbonne, 1998.

BERTHIER, P., *Les Anciennes sucreries du Maroc et leurs réseaux hydrauliques*, Paris, Rabat, 1965, 2 vol.

BISI, A. M., *Le Commerce des amphores puniques : quelques remarques à propos des découvertes de Mellita (Sabrata), B.C.T.H.*, N.S 19 B, 1985.

BLANCARD, L., *Documents inédits sur le commerce de Marseille au Moyen Age*, Marseille, 1884, 2 vol.

BLUMBERG, H., *Epitome of Pana Naturalis*, transl. from the original arabic and the hebra and latin version with notes and introd., 1961.

تم طبع الجزء 14 من معلمة المغرب
بمطابع سلا وبمطبعة النجاح الجديدة
في رمضان عام 1422 / نونبر 2001

مطابع سلا
قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
الحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا

IMPRIMERIE DE SALÉ

**Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane**
**Zone Industrielle de Tabriquet**
**B.P. 596 SALÉ**

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

**14**

Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé**

**"SALA"**

**2001 - 1422**

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN (Tome XIV) 9981 - 03 - 020 - 1

Encyclopédie
du
Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

15

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2002 - 1423

# معلمة المغرب

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984/629



ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك X - 021 - 03 - 9981 (الجزء 15)

بسم الله الرحمن الرحيم

أعد هذا الجزء من معلمة المغرب
بدعم من وزارة الثقافة والاتصال
ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق
عبارات الشكر والامتنان.

# معلمة المغرب

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ . | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في هذا الجزء

محمد **إحدي**، كلية الآداب ـ أگادير
عبد الحميد **احساين**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
ميلود **أحمَنّ**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **أخريف**، وزارة التربية الوطنية ـ القصر الكبير
الفقيه **الإدريسي**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد **أديوان**، كلية الآداب ـ الرباط
شفيق **أرفاك**، كلية الآداب ـ أگادير
عبد الرزاق **ازريكم**، كلية الآداب ـ مراكش
مصطفى **أعشي**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط
عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **الأكلع**، كلية الآداب ـ مراكش
العربي **اكنينح**، وزارة التربية الوطنية ـ فاس
محمد **الأمراني**، أستاذ باحث
حسن **أميلي**، كلية الآداب ـ المحمدية
خالد **أوشن**، باحث ـ أگادير
عباس **برادة السني**، وزارة الخارجية
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب ـ المحمدية
عبد اللطيف **برحو**، المعهد الوطني للبحث في الصيد البحري
محمد **بلعربي**، باحث ـ الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عائشة **البلغيتي**، كلية الآداب ـ الرباط
رقية **بلقدم**، كلية الآداب ـ القنيطرة
علي **البليشي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **بنجلون**، باحث ـ الرباط
محمد **بندعنون**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
زينب **بنرحمون**، أستاذة باحثة ـ الرباط
**زليخة بنرمضان، كلية الآداب ـ المحمدية**
عبد المالك **بنعبيد**، **المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا**
عثمان **بناني**، **كلية الآداب ـ الرباط**
رحال **بوبريك**، **كلية الآداب ـ أگادير**
محمد **بوخبزة**، باحث ـ تطوان
عبد القادر **بوراس**، المركز الجهوي التربوي ـ القنيطرة
أحمد **البوزيدي**، **كلية الآداب ـ فاس**
محمد **بوسلام**، **وزارة التربية الوطنية ـ الرباط**
مصطفى **بوشعراء**، **باحث ـ سلا**
عبد الله **بوصحابة**، **كلية العلوم، فاس**

إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد المجيد **بوكاري**، باحث ـ الرباط
أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية ـ تيزنيت
جامع **بيضا**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد ابن **تاويت التطواني**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد الله المرابط **الترغي**، كلية الآداب ـ تطوان
أحمد **التوفيق**، محافظ الخزانة العامة ـ الرباط
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية ـ مراكش
الحسين **جهادي الباعمراني**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
محمد **الحاتمي**، كلية الآداب ـ أگادير
عبد اللطيف **حافظ**، كلية الآداب ـ بني ملال
حسن **حافظي علوي**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة
أحمد **حرزني**، المعهد الزراعي، سطات
عبد الرحمان **الحريشي**، باحث ـ الرباط
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب ـ فاس
محمد **حمام**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **حنداين**، وزارة التربية الوطنية ـ أگادير
يحيى **الخالقي**، كلية الآداب ـ بني ملال
علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **خريوعة**، المعهد العلمي ـ الرباط
خالد **الخضري**، وزارة الثقافة ـ الرباط
**نجاة الخياطي**، كلية العلوم ـ الرباط
محمد عبد العزيز **الدباغ**، **وزارة الثقافة ـ فاس**
محمد معروف **الدفالي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
**نفيسة الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب ـ مراكش
علال **ركوگ**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط
بوجمعة **رويان**، **كلية الآداب ـ القنيطرة**
**فريد الزاهي**، وزارة **الثقافة ـ الرباط**
أحمد **زروال**، كلية الآداب ـ مراكش
قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط
**خليل السعداني**، كلية الآداب ـ بني ملال

محمد **السعدين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا
عبد السلام **السعيدي**، باحث ـ مراكش
المهدي **السعيدي**، كلية الآداب ـ أگادير
أحمد بن بنعاشر **السفياني**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا
م. الحسن **السكراتي**، كلية الآداب ـ أگادير
رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **السماحي**، كلية الحقوق ـ الرباط
إبراهيم **السودي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
محمد **السوسي البهاوي**، باحث ـ تطوان
أحمد **السوسي التناني**، باحث ـ سلا
مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط
إدريس **شحو**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **الشريف**، باحث ـ تطوان
محمد عزيز بن عبد الله **الشفشاوني**، مهندس باحث ـ الرباط
أحمد **الشكري**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط
صالح **شكاگ**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
الحسن **شوقي**، وزارة التربية الوطنية ـ قلعة السراغنة
المصطفى **شويكي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط
مبارك **الشيكر**، باحث ـ القنيطرة
مبروك **الصغير**، المعهد الوطني لعلوم الآثار ـ الرباط
علي **الصقلي**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
علي العزيز **الضعيفي**، كلية الآداب ـ بني ملال
أحمد صالح **الطاهري**، المعهد الوطني لعلوم الآثار ـ الرباط
محمد **الطيلسان**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **الظريف**، كلية الآداب ـ المحمدية
عبد العزيز ابن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة ـ مكناس
زين العابدين ابن **عبد النبي**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
عدي **عَزِّي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
أحمد **عزّاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد ابن **عزوز** [illegible]ث ـ تطوان
محمد **علالي**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
عبد العزيز **العلوي**، باحث ـ فاس
أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة
الحاج موسى **عوني**، كلية الآداب ـ فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط
حياة **الغراس**، أستاذة باحثة ـ مراكش

إدريس **الفاسي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد الإلاه **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
حسن **الفگيگي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **الفقير**، باحث ـ سلا
بوشتى **الفلاح**، المعهد العلمي ـ الرباط
محمد **الفلاح العلوي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
المصطفي **فنيتر**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد **أبو القاسم**، باحث
حمزة **الكتاني**، باحث ـ الرباط
محمد **كربوط**، كلية الآداب ـ الرباط
مصطفى **لالي**، باحث ـ وجدة
محمد **اللبار**، كلية الآداب ـ فاس
عبد الإله **مالك**، مدرسة الشرطة ـ القنيطرة
الملكي **المالكي**، كلية الآداب ـ تطوان
محمد **ماگامان**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
أحمد **متفكر**، باحث ـ مراكش
الحسن **المحداد**، كلية الآداب ـ أگادير
المكي **مربي**، باحث ـ مراكش
نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد العربي **المساري**، جريدة العلم ـ الرباط
مصطفى **المسناوي**، وزارة الثقافة ـ الرباط
عبد العلي **مشروح**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **المكاوي**، كلية الآداب ـ الجديدة
محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **الموسوي**، وزارة الشبيبة والرياضة
محمد **الناصري**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب ـ الرباط
علي **نجيب**، باحث مغربي في السويد
محمد **هشمي**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة
إبراهيم **الوافي**، كلية الآداب ـ أگادير
محمد **وحيد**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
عبد الرحيم **وطفة**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد عزيز **الوكيلي**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

# بيبليوغرافيا إضافية
# إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة


أحد تلاميد **الشيخ** سيدي الغازي

- *مناقب الشيخ أبي القاسم الغازي*، مخطوط.

إسماعيل ابن **الأحمر**،

- *حديقة النسرين في أخبار بني مرين*، مخطوط.

ف. **الإدريسي**،

- *الجباية في عهد الدولة السعدية*، د. د. ع. كلية الآداب فاس 94 - 1995 .

**ارشيبالد لويس**،

- *القوة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط*، القاهرة، 1960 .
- *مجموعة جريدة السعادة*، خ. ع الرباط،
- *ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية باريس ونانط*.

أحمد سعيد **أعراب**،

- *ترجمة مطولة للشيخ الشطيبي*، جريدة الميثاق طنجة، ع. 42 - 43 - 44.
- *حول تأليف كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان*، مجلة دعوة الحق، ع. 1 السنة 13، 1969.
- *نظرة في كتاب صنعة الفلاحة لأبي عبد الله الشطيبي*، مجلة دعوة الحق، ع 1.
- *أبو عبد الله بن صالح الغماري من شعراء البادية*، مخطوط.

حسن **أفـا**،

- *ديوان البونعماني*، الرباط، 1996.
- *الشعر العربي في سوس بين الاتباع والابتداع*، أطروحة مرقونة بكلية الآداب، أگادير، 2001.

م. بن التهامي **أفيلال**،

- *تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والأعراس*، تطوان، 1976.

محمد **الأكلع**،

- *دراسة جيومورفولوجية للنهاية الشرقية للحوز*، الرباط، 1989 .

أ. **أمزيان**،

- *مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي المغربي خلال القرن 19. فگيگ ما بين 1845 - 1903*، د. د. ع مرقون كلية الآداب الرباط.

محمد فال بن **بابه العلوي**،

- *كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة*، تح. أ. ولد الحسن، تونس، 1986.

ع. الجليل **بادو**،

- *الأثر الشاطبي في الفكر السلفي بالمغرب*.

أبراهيم **باشا البغدادي**،

- *هدية العارفين*، بيروت، 1982.

ماريا نوايباس **بالاو**،

- *بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة*، مجلة تطوان، ع 8، 1963.

يوسف **بجاجا**،

- *رحلة إلى كتامة وما جاورها عبر تضاريس المخدرات والتهريب أسبوعية الصحيفة*، ع 18، 2001.

محاند علال **البخلالي**،

- *مؤرخ طنجة محمد بن الحاج العياشي سكيرج*، مرقون.

م. فهد **بدري**،

- *العمامة*، مطبعة الحكومة، 1968.

كينيث **براون**،

- *موجز تاريخ سلا 1000 - 1800*، تر. محمد حيدة و انس لعلو، 2001.

عكاشة **برحاب**،

- *التهريب والحدود في شمال شرق المغرب (1845 - 1912)*، ضمن *وقفات في تاريخ المغرب* كلية الآداب، الرباط، 2001.
- *السعيدية أو سعيدة عجرود صلة وصل بين المغرب والجزائر*، مجلة جمعية *تاريخ المغرب*، وجدة، 1993 .

م. بن حمو **البنحياتي**،

- *مذكرات*، مرقونة.

سعيد **بنسعيد العلوي**،

- *الاجتهاد والتحديث، دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب*.

ع. العزيز **بنعبد الله**،

- *مظاهر الحضارة المغربية*، الدار البيضاء، 1957 .
- *معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى*، المحمدية، 1972.

محمد **بنعبد الله**،
- *فكرة تأسيس مسجد باريس بين اقتراح المولى محمد بن عبد الله وتنفيذ المولى يوسف*، دعوة الحق. ع 268، مارس، 1988.

شوقي **بنعزوز**،
- *الماء ذلك التحدى المستمر*، الرباط، 1994.

عبد العزيز **بنكاعو**،
- *الأركيولوجية المغربية من خلال أعمال لويس شاتلان*، بحث لنيل الاجازة مرقون كلية الآداب، الرباط، 1989.

ع. اللطيف **بنمنصور**،
- *مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية*.

م. **بنهاشم**،
- *العلاقات المغربية الأمريكية، دراسة في تاريخ التمثيل الدبلوماسي الأمريكي بالمغرب*، فاس، 2000.

الزاكي **بنيونس**،
- *أبو القاسم السهيلي مفسراً*، د. د. ع. مرقونة كلية الآداب، وجدة.

ع. القادر **بوراس**،
- *جانب من مقاومة أيت عطا، مقاومة بوگافر بجبل صاغرو*، مراكش، 1990.

إبراهيم **بوطالب** وآخر،
- *سبتة ومليلية - تاريخ وواقع*، الدار البيضاد، 1981.
- *لويس شينيي قنصلاً ومؤرخاً*، *المناهل* عدد 16 سنة 1987.

م. **بوطربوش**،
- *أبو عبد الله الشطيبي، آثاره ومنهجه في التفسير*، د. د. ع. مرقون كلية الآداب الرباط، 1990.

محمد **بوعزيز**،
- *اليسار المغربي الجديد ... النشأة والمسار*، مراكش، 1993.

بوشتى **بوعسرية**،
- وطنيو مكناس الموقعون على عريضتي *المطالبة بالاستقلال*، جمعية *أساتذة التاريخ*، مكناس، 1990.

م. **بوغالي**،
- *الفكر الباطني بالمغرب والأندلس والحركة المناهضة له حتى أواسط القرن السادس الهجري*، د.د. ع. مرقون كلية الآداب، مراكش، 2000.

م. **بوكبوط** وأحمد **البوزيدي**،
- *وثيقة مغربية عن معركة بوگافر هيسبريس تمودا*، ع 35، 1997.

محمد **بوهلال**،
- *المهرجان الأول لإبداعات الشباب*، 1998.

ضياء الدين ابن **البيطار**،
- *الجامع لمفردات الأدوية والاغدية*، 1992.

إبراهيم **التادلي**،
- *زينة النحر بعلوم البحر*، مخطوط خ. ع رقم 1347 د.

ع. الهادي **التازي**،
- *أزمور مولاي بوشعيب من خلال التاريخ المحلي والدولي للمغرب*، مجلة *المناهل*، ع 35 دجنبر، 1986.
- *جامع القرويين*، بيروت، 3، 798.
- *قصر البديع*، مجلة *البحث العلمي* ع. 28، 1978.

المهدي **التجكاني**،
- *دار بريشة أو قصة مختطف*، الدار البيضاء، 1987.

عبد السلام **تشاح**،
- *جغرافيا النبات*، الدار البيضاء، 1990.

ابن مريم **التلمساني**،
- *البستان*، الجزائر، د. ت.

ع. الرحمن **التمنارتي**،
- *الفوائد الجمة*، مخطوط، ص 48 - 49 - 154.

م. **التميمي**،
- *المستفاد في مناقب العباد*، مخطوط.

**الجزيري**،
- *المقصد المحمود*، مخطوط.

عبد الحميد **الجلامي**،
- *مونوغرافية صخور الرحامنة*.

**الجماعة القروية** سيدي العايدي،
- *مونوغرافية سيدي العايدي*، مرقون.

**جماعة من الكتاب**،
- *أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية*، 1988.

- *دراسات حول المختار السوسي*، ضمن أعمال ندوة المختار السوسي، الدار البيضاء، 1986.
- *زهرة الآس في فضائل العباس*، الرباط، 1997.
- *العرب وإفريقيا*، بيروت، 1993.

مصطفى **الجنابي**،
- *البحر الزخار والعيلم التيار*، مخطوط.

**جواهري**،
- جامع *الفنا*، الرباط، 2001.

يسرى **الجوهري**،
- *شمال إفريقية دراسة في الجغرافية الاقليمية*، القاهرة، د. ت.

عبد الرحمن **حجي**،
- تقديم *شرح بحرق الكبير على لامية الأفعال*، سلا، 1939.

م. المهدي **الحجوي**،
- *حياة الوزان الفاسي*، 1935.

المحجوب بن **الحرش**،
- *سيدي رحال، مركز هامشي في طريق التمدن*، بحث لنيل الاجازة مرقون كلية الآداب، مراكش، 1996.

أحمد ابن **حسون الوزاني**،
- *فهرسة*، *69*، مخطوط.

ح. **حسني عبد الوهاب**،
- *مختصر تاريخ تونس*، تونس، 1980.

المفضل **الحضري**،
- *عبد الصادق شقارة*، الاتحاد الاشتراكي 15 ـ 11، 1998.

م. **الحلوي**،
- *معجم الفصحى في العامية المغربية*، الدار البيضاء، بيروت، 1988.
- *الروض المعطار*، بيروت، 1975.

محمد **حمام**،
- *جوانب من تاريخ وادي دادس وحضارته*، الرباط، 2001.
- *النساء في الصلاح والولاية بالمغرب في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري* (14 م)، الرباط، 1998.

*حوالة أحباس المساكين لمكناس*، مخطوط.

م. **الحيمر**،
- *جيش العبيد والدولة المغربية منذ التأسيس إلى 1757*.

الفقيه **الحيوني**،
- *رحلة الحيوني*، مخطوط.

يحيى **الخالقي**،
- *الأنظمة الهيدرولوجية الكارستية للهضاب الجنوبية الغربية للأطلس المتوسط*، أطروحة مرقونة، الرباط.

خالد **الخضري**،
- *موقع الأدب المغربي من السينما المغربية*، الرباط، 1981.

ف. **خشيم**،
- *أحمد زروق والزروقية*، ليبيا.

محمد العربي **الخطابي**،
- *أمير سعدي في خدمة البلاط الإسباني*، مجلة *المناهل*، ع 13، 1978.
- *سبتة رجالها ومكانتها وصلاتها العلمية بمختلف الحواضر الاسلامية*، *المناهل*، ع 22، يناير، 1982.
- *المغرب في طريق الاستقلال*، الدار البيضاء، 1955.
- *مساهدات ديبلوماسي في عهد المولى عبد الرحمان*، مجلة دعوة الحق، ع 264، 1987.

عبد الكريم **الخطيب**،
- *مسار حياة*.

ل. ابن **الخطيب**،
- *مثلى الطريقة*، الرباط، 1973.

إدريس **خليفة**،
- *الحركة العلمية الثقافية بتطوان*، 1994.

ع. العزيز **الخمليشي**،
- *المخزن والضرائب المفروضة على التجارة الداخلية 1856 ـ 1896*، د. د. ع، الرباط، 1989.

المهدي **الخياري**،
- *مدرسة سيدي الزوين، نشأتها ومنهجها في القراءات*، بحث جامعي مرقون بمراكش، 1986.

تعيمة **الداويميش**،
- *الجماعة المحلية والتنمية نموذج صخور الرحامنة*.

عصمت ع. اللطيف **دندش**،
- *دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا*، بيروت، 1988.

أشفورد **دوكلاس أي**،
- *التطورات السياسية في المملكة المغربية*، تر. عائدة سليمان عارف وآخر، الدار البيضاء، 1964.
علال **ركوك**،
- *الغناء الشعبي المغربي، أنماط وتجليات*، مراكش، 2000.
محمد بن سليمان **الروداني**،
- *صلة الخلف*، تح. م. حجي، بيروت، 1988.
ميشيل **روسي**،
- *المؤسسات الإدارية المغربية*، الدار البيضاء، 1993.
د. **رينو**،
- *الطب والأطباء بالمغرب، صحيفة معهد الدراسات الشرقية*، 1937.
ع. المجيد **الزبادي**،
- *رحلة*، مخطوط.
مرتضى **الزبيدي**،
- *ألفية السند*، مخطوط.
- *تاج العروس من جواهر القاموس*، تح. عبد الستار أحمد فرج، الكويت، 1965.
م. **الزجالي**،
- *أمثال العوام في الأندلس*، تح. م بن شريفة، فاس، 1986.
محمد **زروال**،
- *دراسة جيومورفولوجية للحاشية الشمالية لأطلس مراكش ما بين وادي الزات وغدات*، الرباط، 1987.
عبد القادر **زمامة**،
- *هذه الألوان وهذه الأسماء*، مجلة الثقافة المغربية، ع 7، 1970.
محمد **زنيبر**،
- *شذرات من تاريخ مدينة سلا*.
**الزهري**،
- *كتاب الجغرافية*، تح. م حاج صادق، الإسكندرية، د. ت.
قاسم **الزهيري**،
- *جنيف والعالم العربي*، الرباط، 1988.
- *مذكرات دبلوماسي*، الرباط، 1990.
أ. **سجلماسي**،
- *المغرب السينمائي*، منشورات شراع، العدد 65، الرباط، 1999.
العباس **السجلماسي الحجرتي**،
- *الروض الطيب العرف*، مخطوط.
**السخاوي**،
- *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، بيروت، د. ت.
محمد المكي **السرغيني**،
- *الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة*، مخطوط، خ. ع.
الميرالاي إسماعيل **سرهنك**،
- *حقائق الأخبار في دول البحار*، مصر، 1312.
ع. ابن **سعيد المغربي**،
- *القدح المعلى*، تح. إ. الابياري.
- *مختصر المغرب في حلى المغرب*، تح. شوقي ضيق.
م. **السقطي**،
- *في أدب الحسبة*، بيروت، 1987.
أحمد **سكيرج**،
- *منهل الورود الصافي*، مخطوط.
ع. الغني **سكيرج**،
- *ديوان حب الحصيد*، تطوان، 1987.
محمد بن الطيب **سكيرج**،
- *الشافي في علمي العروض والقوافي*، مخطوط.
م. بن العياشي **سكيرج**،
- *قرة العين، برحلة يومين*، مخطوط.
**سلفاتوري**،
- *العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط*، مجلة البحوث التاريخية، 1986.
أبو عبد الرحمن **السلمي**،
- *طبقات الصوفية*، تح. نور الدين شريبة، ط 3، القاهرة، 1997.
محمد **السليماني**،
- *اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب*، الرباط، 1971.

محمد **السمار**،
- *مدينة الرباط من التأسيس إلى نهاية القرن السابع عشر الميلادي*، أطروحة مرقونة، الرباط، 2000.
ع. السلام **السميج**،
- *مقدمة تحفة الأنجاب في تسهيل علم الفرائض ومسائله الصعاب*، مخطوط.
م. الرضي **السناني**،
- *إعانة ذوي الخصاصة والإملاق بإخراج واجب زكاة الأوراق*، فاس، 1341 هـ.
- *الشذرات والتقاط الفوائد وغرر العوائد*، الدار البيضاء، د. ت.
أحمد ابن **سودة**،
- *في حديث المفتي، مسيرة نضال وثبات*، ط 2، الدار البيضاء، 1987.
علي **السوسي الفاسي**،
- *عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة*، مخطوط.
م.المختار **السوسي**،
- *أنا والأدب*، مخطوط.
عبد الله **السويسي**،
- *تاريخ رباط الفتح*، الرباط، 1979.
مصطفى **الشابي**،
- *النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر*، المحمدية، 1995.
التهامي **الشاكري**،
- *الأدوية الرواقي من أداء الاختلافات في ماء السواقي*، تح. حسن حافظي علوي، مراكش، 2001.
عبد القادر **الشاوي**،
- *السلفية والوطنية*، مجلة المناهل. عدد خاص : *السلفية ثوابت وسياقات*.
عمر كمال **شبانة**،
- *الدولة الموحدية وتأملات في تاريخها*، مجلة *البحث العلمي* ع 20 / 21 السنة العاشرة 72 - 1973.
**شجرة عائلة شعشوع**،
- *رسم محرر بفاس بتاريخ 5 ربيع الثاني 1292*، مخطوط.
محمد المعطى **الشرقي**،
- *سفر المرائي والبشارات*، مخطوط.
م. بن الطيب **الشركي**،
- *إرسال الأسانيد*، مخطوط.
- *إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس*، تح. ع. السلام الفاسي وآخر، المحمدية، 1983.
أ. **الشريشي**،
- *أنوار السرائر وسرائر الأنوار*، مخطوط، خ. ع.
أبو القاسم **الشريف السبتي**،
- *رفع الحجب المستورة*، تح. محمد الحجوي، المحمدية، 1997.
محمد **الشريف**،
- *الأسطول السبتي بين الجهاد والتجارة في القرن (12 - 14 م)*، مجلة البحث العلمي، ع. 15، 1998.
ع. الله **شقرون**،
- *فجر المسرح العربي بالمغرب*، تونس، 1988.
علال ابن **شقرون الكريمي**،
- *كناشة علمية*، مخطوط.
أحمد **شقور**،
- *ديوان سليمان الحوات*، مخطوط.
أ. **الشكري**،
- *الإسلام والمجتمع السوداني*، أبو ظبي، 1999.
حمو بن محمد **الشكري**،
- *تقاييد*، مخطوط.
محمد **شلال**،
- *كناش محمد شلال*، خ. ح 1319 - 1323.
محمد **شماعو**،
- جريدة *الوداد*، سلا.
الشيخ أ. ابن **الشمس**،
- *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، القاهرة، 1330 هـ.
ابن **الشماع**،
- *الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية تح : المعموري، ليبيا - تونس*، 1984.
محمد الأمين **الشنكيطي الصحراوي**،
- *مقدمة الارتجال*، مخطوط خ. ع.

م. **الشنكيطي السباعي**،
- *مجموع مختصر من كلام الشيخ أحمد التيجاني*، مخطوط خ. ع.

أحمد **شهبون**،
- *كتاب الجغرافية المغربية*، فاس، 1315 / 1898.

أليكس **شوتان**،
- *الرحلة الفنية إلى الديار المصرية، تعريب عبد الكريم بوعلو*، الرباط، 1932.

الحسن **شوقي**،
- *قبيلة السراغنة خلال القرن التاسع عشر*، مرقون.

محمد **الشوكاني**،
- *إتحاف الأكابر في إسناد الدفاتر*، حيدر أباد.

المصطفى **شويكي**،
- *علاقة مدينة سطات بالشاوية*، حوليات كلية الآداب عين الشق ـ الدار البيضاء، ع 5، 1988.

زينب **الشيكل** وأخرى،
- *الزاوية المعاشية ودورها الاجتماعي والسياسي*، بحث للإجازة في التاريخ، مرقون، الجديدة 93 ـ 1994.

أحمد **الصبيحي**،
- *باكورة الزبدة في تاريخ أسفي وعبدة*، الرباط، 1993.

ع. الله **الصبيحي**،
- *كناشة علمية*، مخطوط خ. ص.

أ. ابن **الصديق**،
- *سبحة العقيق بذكر مقامات الشيخ سيدي محمد ابن الصديق*، مخطوط.

خالد، **بن الصغير**،
- *المغرب وبريطانيا العظمى في القرن 19 (1856 ـ 1886)*، الدار البيضاء، 1990.

م. **الصفريوي**،
- *فهرس*، مخطوط.

علي **الصقلي**،
- *لمحة عن الشاعر محمد الفاطمي الصقلي*، الدار البيضاء، 2001.

عمر **صلادي**،
- *كاتلوغ تأبين*، مراكش، 1993.

**ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية**،
- *تطوان*، تطوان، 1952.

لحسن **ضعيف**،
- *عوامل التطور العمراني بالمدن الصغرى نموذج شيشاوة*، بحث مرقون.

م. بن الوليد **الطرطوشي**،
- *سراج الملوك*، تح. جعفر البياتي، لندن، 1990.

عبد الفتاح **الطوخي**،
- *السحر الأحمر*، بيروت.

محمد **الظريف**،
- *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، د. د. ع مرقون كلية الآداب، الرباط، 1986.
- *ديوان العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنگيطي*، سلا، 2000.

م. ابن **عاصم**،
- *جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى*، تح. صلاح جزار، عمان، 1989.

محمد ابن **العباس السوسي**،
- *المواهب القدسية في أسانيد المشايخ الصوفية*، مخطوط.

محمد ابن **العباس القباج**،
- *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية*.

ح. ابن **عبد الوهاب**،
- *تاريخ القضاء في شمال المغرب*، تطوان، 2000.

محمد **العبدوني**،
- *يتيمة العقود الوسطى في مناقب محمد المعطى*، مخطوط.

ص. **العبيدي**،
- *الملابس العربية الإسلامية*، بغداد، 1980.

ماء العينين **ابن العتيق**،
- *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط.

أحمد ابن **عجيبة**،
- *رحلة ابن حمادوش الجزائري*، الجزائر.

محمد **العرايشي**،
- *الثقافة بمكناس، أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية*، 1988.

ابن **العريف**،
- *محاسن المجالس*، نشر أسين بلا سيوس، باريس، 1933.
أحمد **عزاوي**،
- *الأسطول، التجارة، القرصنة فيما بين القرنين 6 و8 (12 - 14 م) ضمن البحر في تاريخ المغرب*، المحمدية، 1999.
محمد ابن **عزوز حكيم**،
- *معلمة معركة وادي المخازن*، تطوان، 2002.
أحمد **العزفي**،
- *إثبات ما لابد منه لمريد الوقوف*، مخطوط.
- *دعامة اليقين في زعامة المتقين*، تح. أحمد التوفيق، 1989.
ابن **عطاء الله الاسكندري**،
- *لطائف المنن*، بيروت، 1998.
ع. الله علي **علام**،
- *الدولة الموحدية في عهد عبد المومن بن علي*، مصر، 1968.
التقي **العلوي**،
- *أصول المغاربة*، مجلة البحث العلمي، ع 33.
- *التنظيم الجماعي والإداري*، مراكش، 1992.
الزكي **العلوي**،
- *مطالع الزهراء، الجامع لأسماء بني الزهراء*، مخطوط خ. ح رقم 656.
عبد الحميد **العلوي**،
- *تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد*، الدار البيضاء، 1958.
محمد بن الطيب **العلوي**،
- *العلامة محمد السدراتي*، دعوة الحق، ماي 1978، ص 98.
محمد ابن **علي الدكالي السلوي**،
- *نبذ من تاريخ سلا*، مخطوط خ. ص.
ابن **العماد الحنبلي**،
- *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، بيروت، د. ت.
محمد **عمارة**،
- *الإسلام وفلسفة الحكم*، ط. 2، بيروت، 1979.
**عمالة شيشاوة**،
- *مونوغرافية شيشاوة*، الدا البيضاء.
ج. د. **العمراني اشيطار**،
- *طنجة بين سنتي 1900 - 1912*، د. د. ع، الرباط، 95 - 1996.
محمد **عمراني**،
- *جامعة القروين*، 1914 - 1934، د.د. ع مرقون كلية الآداب الرباط، 1988.
محمد **عمراوي**،
- *دور التجارة والخدمات في التوسع الحضري لمدينة شيشاوة*، بحث مرقون.
**العمري**،
- *مسالك الأبصار*، الجزائر، 1924، الرباط، 1979.
أحمد **العمّاري**،
- *نظرية التحديث والمواجهة عند علي السوسي السملالي ضمن أعمال ندوة الاصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، الرباط، 1986.
عبد الله **عنان**،
- *فهارس الخزانة الملكية*، الرباط.
م. **عناني**،
- *الشاشية التونسية*، مجلة الأمل الثقافي، أكتوبر، 1970.
ف. **العيساوي**،
- *كلف البوادي المغربية*، ندوة البوادي المغربية الرباط، 1999.
ألبير **عياش**،
- *المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية*، 1985.
المختار **غازي**،
- *إشارات من تاريخ سطات*، الدار البيضاء، د. ت.
عبد الرحيم **غنيمة**،
- *تاريخ الجامعات الإسلامية*.
محمد **الغيث النعمة**،
- *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*، تح. م المختار المداح، د. د. ع مرقون، الرباط.
عبد الاله **الفاسي**،
- *مدينة الرباط وأعيانها*، الرباط.

ع. الحفيظ **الفاسي**،
- *الترجمان المعرب عن أشهر فروع الشاذلية بالمغرب*، مخطوط. خ. ع.
ع. **الفاسي**،
- *تحفة الأكابر*، مخطوط.
علال **الفاسي**،
- *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة.
محمد **الفاسي**،
- *شعراء الملحون*، مجلة *المناهل* عدد 23.
محمد المهدي **الفاسي**،
- *الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع*، مخطوط.
أبو **الفدا صاحب حماة**،
- *الأخبار القوية عن الحوادث القديمة*، مصر، 1919.
ابن **فركون**،
- *ديوان ابن فركون*، الدار البيضاء، 1987.
ابن الفقيه **الهمداني**،
- *مختصر كتاب البلدان*، ليدن، 1302.
حسن **الفكيكي**،
- *الموريسكيون بمنطقة مضيق جبل طارق الثلث الأول من القرن الحادي عشر (17 م)* مجلة **الأكاديمية**، عدد 15.
أحمد **القادري**،
- مع هؤلاء : *أبحاث ومذكرات*، الرباط، 2001.
**القاضي النعمان بن محمد**،
- *تأويل الدعائم*، تح. محمد حسن الأعظمي، مصر، د. ت.
- *كتاب المجالس والمسامرات*، تح. الحبيب الفقي وآخرون، تونس، 1978.
محمد **القبلي**،
- *حول التحركات البشرية بمجال المغرب الأقصى فيما بين منتصف القرن الثاني عشر ونهاية القرن الثالث عشر للميلاد* ، مجلة *كلية الآداب*، الرباط، ع. 21 - 22، 1997.
- *قراءة في زمن أبي محمد صالح*.
عبد المجيد **قدوري**،
- *ابن أبي محلي الفقيه الثائر*، الدار البيضاء.
أ. **القدميري**،
- *إطلالة على دائرة تاهلة عمالة إقليم تازة*، 1982.
صالح بن **قربة**،
- *المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد* ، الجزائر، 1986.
زكريا **القزويني**،
- *آثار البلاد وأخبار العباد*.
- *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات*.
ع. بن يوسف **القفطي**،
- *إنباه الرواة عن أنبا النحاة*، تح. م. أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1952.
عثمان **الكاديكي**،
- *الأمراض المعدية*، بنغاري، د. ت.
جاك **كايي**،
- *السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا* ، مجلة *تطوان*، ع. 6، 1961.
إدريس **الكتاني**،
- *المغرب ضد اللادينية*، الدار البيضاء، 1958.
عبد الكبير **الكتاني**،
- *روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية*، مخطوط.
محمود **كعت**،
- *تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس*، تح. هوداس ودولافوس، انجي، 1913.
**الكفيف الزرهوني**،
- *ملعبة الكفيف الزرهوني*، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1987.
عبد الصمد **كنون**،
- *مواكب النصر وكواكب العصر*، طنجة.
عبد الله **كنون**،
- *التعاشيب*، تطوان، د. ت.
عبد القادر **الكوهن**،
- *فهرس*، مخطوط.

محمد **الكيكي**،
- *مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال*، تح. أ. التوفيق، بيروت، 1997.

محمد **اللبار**،
- *حول مقاومة المغرب للأهداف التوسعية الرومانية خلال منتصف القرن 1 م*. أعمال مهادة لابراهيم بوطالب، الرباط، 2000.
- *دور المغرب الشرقي في عرقلة الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية*، جمعية تاريخ المغرب، يونيه، 1993.

سعيد بن عمر **لمعاشي**،
- *تحفة الحواشي في مناقب سيدي علي المعاشي*، الرباط، د. ت.

أبو بكر **المالكي**،
- *رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية*، تح. بشير البكوش ومحمد العروسي، بيروت، 1983.

**المؤتمر التأسيسي لحزب الشورى والاستقلال**،
- *ميثاق الاستقلال القومي*، الدار البيضاء، 1946.

أحمد **متفكر**،
- *ذيل الإعلام*، مخطوط.

**مجهول**،
- *تقييد في ترجمة الصفار*، مخطوط.
- *الرئاسة البحرية، ورجال القوة في المغرب*، مخطوط، خ. ع.
- مجموع مؤلف من ظهائر شريفة وعقود أنكحة متعلقة بالشرفاء السجلماسيين وغيرهم، مخطوط. خ. ع.
- *مراحل رحلات مولاي الحسن*، مخطوط.

الحسن **المحداد**،
- *الماء بحوض سوس، إسهام في دراسة نظام مائي مغربي جنوب أطلسي*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1999.

محفظات المولى عبد الرحمان بن هشام، *وثائق خ. ح.*
محفظة 1323، *وثائق خ. ح.*

حسن أحمد **محمود**،
- *قيام دولة المرابطين*.

عبد الحليم **محمود**،
- *أبو الحسن الشاذلي الصوفي*، القاهرة، 1967.
- *المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي*، القاهرة، د. ت.

مصطفى **محمود**،
- *السر الأعظم*، القاهرة، د. ت.

**مديرية الإحصاء**،
- *المغرب في أرقام 1999*، الرباط، 2000.

م. خليل **المرادي الدمشقي**،
- *سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر*.

**مربيه ربه**،
- *قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين*، مخطوط.

**مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية**،
- *التقرير الاستراتيجي للمغرب 1995 - 1996*، مجلة أبحاث، عدد خاص، الرباط، 1977.

**المركز السينمائي المغربي**،
- *الفيلم المغربي الطويل*، جرد فيلموغرافي، الرباط، 2000.
- *الفيلم المغربي القصير*، جرد فيلموغرافي، الرباط، 2000.

نجاة **المريني**،
- *الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي*.

محمد العربي **المساري**،
- *المغرب ومحيطه*، الرباط، 1998.

محمد **المسعودي**،
- *بطاقة تقنية حول الصباغة النباتية*، الدار البيضاء، 1989.

مصطفى **المسناوي**،
- *أبحاث في السينما المغربية* منشورات الزمن، العدد 27، الرباط، 2001.

**المشرفي**،
- *الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف الحسنية*، تح. ع. الكريم الفيلالي، المحمدية، 1966.

حسن أحمد **المصمودي**،
- *صفحات في تاريخ المغرب المعاصر*، تطوان:

أحمد **معنينو**،
- *المجلس الوطني الاستشاري ومعارضة حزب الشورى والاستقلال 1956 - 1959*، الدار البيضاء، 1986.

الشفيق **مقار**،
- *السحر في التوراة والعهد القديم*، لندن، 1990.

**المقريزي**،
- *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تح. ع. القادر عطا، بيروت، 1997.
**المكاوي**،
- *صورة أوروبا في الكتابات المغربية خلال القرن 19 تنازع الانفتاح والانغلاق*، أطروحة، فاس، 1996.
- *مسألة الإصلاح عند المفكرين المغاربة في النصف الثاني من القرن 19*. د. د. ع مرقون، فاس، 1988.
محمد **مكيمل** وآخر،
- *زاوية سيدي إسماعيل*، بحث لنيل الإجازة مرقون بكلية الآداب، الجديدة، 1991.
عمر ابن **الملقن**،
- *طبقات الأولياء*، تح. نور الدين شريبة، القاهرة، 1973، تح. مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1998.
صلاح الدين **المنجد**،
- *تقرير بعثة معهد المخطوطات العربية إلى المغرب*، 1959.
**المندوبية السامية للمقاومة**،
- *تراجم الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال*، الرباط، 1996.
م. **منصور**،
- *تصوف الشرفاء، الممارسة الدينية والاجتماعية للزاوية من خلال مناقبها*، الرباط، 1989.
ابن **منكلي**،
- *كتاب الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في البحر*، مخطوط، دار الكتب المصرية، القاهرة.
م. **المنوني**،
- *ركب الحاج المغربي*، تطوان، 1953.
- *المولد النبوي الشريف في المغرب المريني*، دعوة الحق، ع 1. 1988.
م. **المهناوي**،
- *بعض مظاهر أزمة ممارسة الشورى بدولة الاسلام من خلال فتوى ابن ناجي في قضية تمليك الحراطين.*
ع. **المودن**،
- منوغرافيا دائرة بولمان إقليم بولمان *1982.*
سوزان **ميلار**،
- *صدفة اللقاء مع الجديد رحلة الصفار إلى فرنسا (1845 - 1846)*، الرباط، 1995.
أحمد الخليفة ابن **ناصر**، والحسين ابن **شرحبيل**،
- *رسائل ووصايا ناصرية*، مخطوط خ. ع.
جعفر **الناصري**،
- *سلا ورباط الفتح واسطولهما الجهادي*، مخطوط.
المهدي **الناصري**،
- *نعت الغطريس الغسيس هيان بن بيان المنتمي إلى سوس*، مخطوط.
م. **الناني ولد الحسين**،
- *صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا*، أطروحة مرقونة كلية الآداب، الرباط، 1997.
أبو الحسن **النباهي**،
- *المرقبة العليا، تاريخ قضاة الأندلس*، بيروت، 1983.
درويش **النخيلي**،
- *السفن الإسلامية على حروف المعجم*، جامعة الاسكندرية، 1974.
أ. **النويري**،
- *نهاية الأرب في فنون الأدب*، تح. م. أبو ضيف، الدار البيضاء، 1985.
دافيد منتغومري **هارت**،
- *أيت عطا بالوسط الجنوبي المغربي*، مجلة واجهة، ع مزدوج، 2001.
م. **الهبطي المواهبي**،
- *مُفتون منسيون بغمارة وشفشاون*، 2000.
إبراهيم **الهلالي**،
- *التبيان لمعركة ماء أبي فكران*، الدار البيضاء، 1985.
أ. **الهلالي**،
- *فهرست*، تح. رشيد المصلوت، 1981.
تقي الدين **الهلالي**،
- *الهدية الهادية للطائفة التجانية.*
م. بن سعيد **الهنا**،
- *كنز الأسرار لواقع الأفكار*، مخطوط.
ابن جابر **الوادي آشي**،
- *برنامج ابن جابر الوادي آشي*، تح. م. الحبيب الهيلة، تونس، 1981.
وثائق كوسومار، الدار البيضاء.
وثائق المكتب الوطني للسكك الحديدية.

محمد **وحيد**،
- *مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء نموذجاً*، أطروحة دكتوراة مرقونة، الرباط، 2001.
ابن **الوردي**،
- *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*، القاهرة، 1939.
**وزارة الاشغال العمومية**،
- *تعبئة المياه بواسطة السدود الكبرى*.
عبد العلي **الوزاني**،
- *خاطبات من فاس*، مجلة المناهل، دجنبر، 1979.
محمد حسن **الوزاني**،
- *خطب وتصريحات صحفية، أربعة أجزاء* - بيروت، 1988.
- *دراسات وتأملات، ثلاثة أجزاء* - بيروت، 1987.
م. أيت بومهاوت **الوسخيني**،
- *مدار السعود عن تفراوت الملود ومدرستها العتيقة*.
**وفد حزب الشورى والاستقلال بالشرق**،
- *هذه هي الحماية في مراكش*، القاهرة، 1953.
بنعبد الله **الوكوتي**،
- *مذكرات مقاوم*، الرباط، 1996.
مختار **الوكيل**،
- *جنيف والسياسة الدولية*، جنيف.
محمد التهامي **الوكيلي**،
- *السحر*، الرباط.
**ولاية أگادير**،
- *منوغرافية جهة سوس - ماسة - درعة*، أگادير، 1999.
المختار **ولد حامد**،
- *حياة موريتانيا* - الجغرافيا - بيروت، 1994.
جعفر بن منصور **اليمن**،
- *كتاب الكشف*، تح. مصطفى غالب، بيروت، 1984.

**Supplément**
**à**
**la bibliographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie**

AIMEL, G., *Le Palais d'El-Badi, A.B.*, III, 1918.

ALLAIN, Ch., *Reconnaissances archéologiques dans le Massif des Rehmna et la Bahira, Hesp.*, 1er - 2e tri., 1954.

ARRIBAS PALAU, M., *Cartas de recomendación cursadas Al Sultan Abu Said Utman III de Marruecos por el Rey de Aragon Fernando I. El Antequra, H.T.*, 1960, fasc. 3, vol. 1.

ARRIBAS PALAU, M., *Intercambio de embajadas entre Abu Said Utman III de Marruecos y Fernando I de Aragon*, Tetuan, 1956.

ARRIBAS PALAU, M., *Las treguas entre Castilla y Granada firmadas por Fernando I de Aragon*, Tetuan, 1956.

AYAD, M., LE COZ, J., *Vers une nouvelle ère hydraulique au Maroc*, in *Aspects de l'agriculture irriguée au Maroc*, Rabat, Montpellier, 1991.

BARDEL, G., *L'urbanisme*, Paris, 1959.

BARROUQUERE, C., CLARET, C., *Settat: centre historique de la Chaouia*, Paris, 1919.

BASSAC, *Note sur le Tafilalet et sur le Ziz, B.S.G.A.*, 3e trim., 1929.

BEGUIN, H., *L'organisation de l'espace au Maroc*, Bruxelle, 1974, 2 vol.

BELAL, A., *L'investissement au Maroc, 1912 - 1964*, Paris, 1976.

BELKAID, S., *La tannerie dans la ville de Marrakech*, Th. 3e cycle, Nice, 1983.

BELLAKHDAR, J., *La pharmacopée marocaine traditionnelle : médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

BENEVOLO, L., *Aux sources de l'urbanisme*, Paris, 1972.

BENCHENEB, M., *Origine du mot chéchia, R.A.*, n° 51, 1907.

BENHATI, A., *La politique marocaine des barrages*, in *Les problèmes agraires au Maghreb*, Paris, 1977.

BENZAKOUR, S., *Essai sur la politique urbaine au Maroc 1912 - 1975*, Casablanca, 1978.

BERNARD, P., *Les anciens impôts de l'Afrique du Nord.*

BERQUE, J., *Note sur l'histoire des échanges dans le Haut Atlas occidental, A.E.S.C.*, n° 3, 1953.

BONO, S., *Les corsaires en Méditerranée*, Rabat, 1998.

BOUBE, J., *Documents d'architecture maurétanienne au Maroc, B.A.M.*, 7, 1967.

BOUBE, J., *Fouilles archéologiques à Sala, H.T.*, 1966.

BOUBE, J., *Les nécropoles de Sala*, Paris, 1999.

BOULANGER, P., *Le cinéma colonial de l'Atlantide à Lawrence d'Arabie*, Paris, 1975.

BOURDON, G., *Ce que j'ai vu au Maroc : les journées de Casablanca*, Paris, 1908.

BRESSOLETE, H., DELAROSIERE, J., *Fès-Jdid : de sa fondation en 1276, au milieu du 20e S, H.T.*, fasc. un, 1982-1983.

BRUNOT, L., *Les babouches et leur décoration, F.M.*, n° 3, 15 mai 1917.

CAILLE, J., *Une ambassade autrichienne au Maroc en 1805*, Paris, 1957.

CANARD, M., *Les relations entre les mérinides et les mamelouks au XIVe siècle, A.I.E.O.*, V, 1939-1941.

CARCOPINO, J., *La côte océanique du Maroc : ce qu'en ont connu les anciens*, Rabat, 1949.

CASTELLS, M., *La question urbaine*, Paris, 1972.

CATTENOZ, G., *La fiscalité marocaine*, Paris, 1927.

CERDA, I., *La théorie générale de l'urbanisme*, Paris, 1973.

CHACK, P., *Du Maroc à l'Océan indien*, Paris, 1939.

CHALMETA, P., *Le barnamag d'Ibn Abi l-Rabi', Arabica*, fasc. 2, juin 1968.

CHOAY, F., *L'urbanisme : utopies ou réalités*, Paris, 1980.

CHOUIKI, M., *Settat et son rôle régional*, Th. 3e cycle : Géo, Univ. Tours, 1985.

CHOUIKI, M., *Settat une ville moyenne au rôle régional compromis*, in *Petitles villes et villes moyennes dans le monde arabe*, Tours, 1986, T. 2.

CHOVIN, G., *Aperçu sur les relations de la France avec le Maroc, des origines à la fin du Moyen Age, Hesp.*, 3e -4e trim., 1957.

COLIN, G., *Shawia, E.I.*, 1ere éd.

CORNEVIN, R. et M., *Histoire de l'Afrique : des origines à nos jours*, Paris, 1956.

CORNICE, *Notice sur les Cherarda, A.B.*, vol. 4, fasc. 1-2, 1919-1920.

COTE, M., LEGRAS, J., *La variabilité pluviométrique inter annuelle au Maroc, R.G.M.*, n° 10, 1966.

COUR, A., *Les derniers mérinides, B.S.G.A.*, 1905.

CUOQ, J., *Recueil des sources arabes concernant l'Afrique occidentale*, Paris, 1985.

DELORME, H., *Note sur l'origine des Sraghna*, Dactyl.

DEMUCE, J., *L'Afrique au 16e siècle et le commerce anversois*, Anvers, 1937.

DERMENGHEM, E., *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Paris, 1954.

DESMAZIERES, B., *L'évolution des grands courants commerciaux à l'intérieur du Maroc*, Mémoire C.H.E.A.M., 1948.

DEVERDUN, G., GHIATI, M.B.A., *Deux Tahbis Almohades, Hesp.*, 3-4 trim., 1956.

*Dossier sur le cinéma marocain, Souffles*, n° 2, 1966.

DRESCH, J., LEPINY, J., *Guide alpin de la montagne marocaine : le Massif de Toubkal*, Rabat, 1938.

DUCROCQ, M., PASCON, P., *La mise en valeur du périmètre de la Tassaout (Haouz de Marrakech), H.T.E.*, n° 6, 1973.

DZIUBINSKI, A., *L'armée et la flotte de guerre marocaine à l'époque des sultans de la dynastie saadienne, H.T.*, XIII, fasc. uni., 1972.

ECOCHARD, M., *Casablanca : roman d'une ville*, 1955.

EISENBETH, M., *Les juifs au Maroc*, Alger, 1948.

EL MOUVTASSER, M., *Collectivités traditionnelles et espaces montagnards dans les zônes d'arrière pays atlasiques méridionaux*, Th. : Géo, Aix-Marseille II.

EMBERGER, L., *Aperçu général sur la végétation du Maroc*, Berne, 1939.

EMBERGER, L., *Aperçu général sur la végétation du Maroc : commentaire de la carte phytogéographique du Maroc au 1/1.500.000*, Rabat.

ESCALIER, R., *Citadins et espaces urbains au Maroc*, Tours, 1984, 2 vol.

EUZENNAT, M., *Le limes de Tingitane : la frontière méridionale*, Paris, 1989.

FAGNAN, E., *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924.
FLOURIOT, J., *L'oleiculture dans la région de Marrakech, R.G.M.*, n° 9, 1966.
GALLAOUI, M., *La critique au pluriele*, Casablanca, 2002.
GODINHO, *L'économie de l'empire portugais, 15-16e s*, Paris, 1930.
GOULVEN, J., *Les Mellahs de Rabat-Salé*, Paris, 1927.
GRAILLOT, M., *Le culte de Cybèle, mère des dieux à Rome et dans l'empire romain, B.E.F.A.R.*, 1912.
GRAILLOT, M., *Les dieux tout puissants Cybèle et Attis et leur diffusion dans l'Afrique du Nord, R.A.*, I, 1904.
GRASSET, Cap., *A travers la Chaouia avec le corps de débanquement de Casablanca*, Paris, 1906.
GROVE, A.T., *Africa South of Sahara*, Oxford, 1967.
GUIHO, P., *La nationalité marocaine*, Paris, 1961.
HEIM, M., *A travers le vieux Maghreb*, Paris, 1926.
HOST, G., *Histoire de l'empereur du Maroc Sidi Mohammed Ben Abdallah*, Rabat, 1998.
HUOT, *La situation politique en Chaouia, Août-Décembre 1907, B.S.G.M.*, fasc. 2-3, 1922.
*L'industrie marocaine des parures, B.I.D.M.*, juil. 1942.
JAIDI, M. D., *Cinégraphiques*, Rabat, 1995.
JAIDI, M. D., *Le cinéma au Maroc*, Rabat, 1991.
JAIDI, M. D., *Public(s) et cinéma*, Rabat, 1992.
LA CHAPELLE? F. de., *La formation du pouvoir monarchique dans les tribus berbères du Haut Atlas Occidental, Hesp.*, vol. 8, 3e-4e trim., 1928.
LE CORBUSIER, *La charte d'Athènes*, Paris, 1971.
LE CORBUSIER, *Manière de penser l'urbanisme*, Paris, 1963.
LE TOURNEAU, R., *Les débuts de la dynastie saadienne jusqu'à la mort de Mohammad Ach-Chaykh, 1557*, Alger, 1954.
LAHBABI, A., *Villes et politiques urbaines au Maroc*, Th. 3e cycle, Grenoble, 1976.
LAHLIMI, A., *Les terres irriguées et le monde rural dans la Tassaout moyenne, R.G.M.*, n° 11, 1967.
LENOIR, E, BRONQUIER-REDDI, V., *Bibliographie du Maroc antique, Africa Romana*, 1998.
LINARES, F. J., *Voyage au Tafilalet avec S. M. le sultan Moulay Hassan en 1893, B.I.H.M.*, juil. - sept. 1932.
LLABADOR, F., *Port Say et son fondateur*, Oran, 1955.
LUCCIONI, J., *Avénement de Sidi Mohammed Ben Youssef au trône du Maroc, 1927, R.O.M.M.*, XII, 1972.
MAILLOT, D., *Le régime administratif du cinéma au Maroc*, Rabat, 1961.
MAS-LATRIE, *Traité et documents divers concernant les relations des chrétiens et des arabes au Moyen Age*, Paris, 1868.
MASSON, P., *Histoire des établissement et du commerce français, 1560-1793*, Paris, 1903.
MATHIAS, J., *L'artisanat marocain, B.E.S.M.*, n° 96-97, 1963.
MAUDUIT, R., *Le makhzen marocain, A.F.*, n° 12, 1903.
MAUNY, A., *La magie et l'astrologie*, Paris, 1860.
MAUNY, R., *Découverte à Gao d'un fragment de partie émaillée du Moyen Age musulman, Hesp.*, 3e-4e trim., 1959.

MEUNIER, J., *Le grand riad et les batiments saadiens du Badi à Marrakech, selon le plan publié par Windus, Hesp.*, 1-2 trim., 1957.

MICHAUX-BELLAIRE, E., *Les habous de Tanger, A.M.*, XXII. 1914.

MICHAUX-BELLAIRE, E. *Les impôts marocains, A.M.*, vol. 1, n° 1, mars 1904.

MICHAUX-BELLAIRE, E., *Tanger et sa zône, in villes et tribus du Maroc*, vol. 7, Paris, 1921.

MINISTERE DU TOURISME, *Randonnées pédestres dans le massif du Mgoun*, Casablanca, 1989.

MORSY, M., *North Africa, 1800-1900*, London, 1974.

MORSY, M., *La relation de Thomas Pellow : une lecture du Maroc au 18e s*, Paris, 1983.

MURDOCK, G.P., *Africa : its peoples and their culture history*, New York, 1959.

NIANE, Dj. T., *Le Soudan occidental au temps des grands empires*, Paris, 1975.

OLIVIER, F., *Mémoire sur l'évolution économique des tribus de la banlieue de Meknès depuis l'occupation française*, Mémoire C.H.E.A.M., 1937.

PAVIS D'ESCURAC, H., *Le Magna Mater en Afrique, B.A.A.*, VI, 1975-1976.

PERUGIA, J. D., *Noms de lieu d'origine berbère dans le sud-ouest de la France, H.T.*, vol. 18, fasc. un, 1978-1979.

PIANEL, G., *Conquête du Soudan par Mawlay Al-Mansour, Hesp.*, 1953.

RENE - LECLERC, C., *La presse au Maroc : aperçu historique et situation en juillet 1908*, in *Congrès de l'Afrique du Nord, Paris, 6 - 10 octobre 1908, compte-rendu de travaux*, Paris, 1909, tome 1.

ROUCH, J., *Saïdia, port méditerranéen du Maroc français. La géographie*, LX, n° 1-2, 1933.

SEGONDS, *La Chaouia et sa pacification*, Paris, [s.d].

SIGELMASSI, *Les plantes médicimales au Maroc*, Casablanca, 1993.

SMAILI, M.A., *Les années terribles du Maroc Oriental, 1844-1945*, Oujda, 1996.

SOUIBA, F., EL-ALAOUI, F.Z., *Un siècle de cinéma au Maroc, 1907-1995*, Rabat, 1995.

TARRIT, C., *Le cercle de BeniMellal : étude sur le front chleuh, pays Aït Srir, B.S.G.M.*, III, 1923.

TASSERIE, G., *Contribution à l'étude de la tuberculose au Maroc*, Th, Doct., Paris, 1921.

TERRASSE, H., *Note sur les ruines de Sigilmassa, R.A.*, 3e-4e trim., 1936.

TIMOULE, A., *Les chroniques maritimes du Maroc : les statuts du marin et du navire marocains*, Casablanca, 1980.

TROIN? J.F., *Vision et utilisation des souks au Maroc*, in *Connaissances du Maghreb : sciences sociales et colonisation*, Paris, 1984.

TUBERT, *La Chaouia, Bull. Sté. d'Alger, et de l'Afrique du Nord*, 1e-2e trim., 1914.

VOINOT, L., *Une époque d'entente cordinale avec l'Amel d'Oujda, 1881-1885, R.A*, 1926.

WEISGERBER, F., *Les Chaouia*, Paris, 1907.

ZAFRANI, H., *Mille ans de vie juive au Maroc*, Paris, 1983.

ZARTMAN, I.W., *Government and politics in Northern Africa*, London, 1963.

## Liste des principales abréviations des périodiques

**A.A** : *L'Afrique et l'Asie.*
**A.A.N** : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
**Acad. Sc. Col.** : *Académie des Sciences Coloniales.*
**A.E.S.C** : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
**A.F** : *Afrique Française.*
**A.F : R.C** : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
**A.I.E.A** : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
**A.I.E.O** : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
**A.M** : *Archives Marocaines.*
**A.M.S** : *Archives Marocaines de Sociologie.*
**And.** : *Al-Andalus*
**Ann. Rech. Forest. Maroc** : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
**Ant. Afr.** : *Antiquités Africaines.*
**B.A.M** : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
**B.A.R** : *British Archeological Reports.*
**B.C.T.H** : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
**B.E.P.M** : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
**B.E.S.M** : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
**B.G.M** : *Bulletin de Géographie du Maroc.*
**B.I.D.M** : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*
**B.I.F.A.N** : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
**B.M.S.A.P** : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
**B.L.O.A.B** : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
**B.L.S** : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
**B.S.G** : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
**B.S.G.A** : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
**B.S.G.A.O** : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
**B.S.H.M** : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
**B.S.O.A.S** : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
**B.S.P.M** : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
**Bull. Archéol.** : *Bulletin Archéologique.*
**C.A.A** : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
**Cah. Rech. Agron.** : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
**C.A.T.A.N** : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
**C.B.E.T** : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
**C.C.E.J** : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
**C.E.A** : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
**C.H.I** : *Cuadernos de Historia del Islam.*
**C. Méd.** : *Cahiers de la Méditerranée.*
**C.R.A.I.B.L** : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**C.R.A.S** : *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
**C.T** : *Cahiers de Tunisie.*
**E.B** : *Encyclopédie Berbère.*

**E.I.1 :** *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
**E.I.2 :** *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
**E.T.A.M :** *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
**Et. Medit. :** *Etudes Méditerranéennes.*
**F.M :** *France - Maroc.*
**F.S.S.A.N :** *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
**G.E.M :** *Grande Encyclopédie du Maroc.*
**Hesp :** *Hespéris.*
**H-T :** *Hespéris-Tamuda.*
**H.T.E :** *Hommes, Terre et Eaux.*
**I.G :** *Information Géographique.*
**I.H.E.M :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**I.H.E.M : N-D :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. :** *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
**I.S.C :** *Institut Scientifique Chérifien.*
**Isl. Cult. :** *Islamic Culture.*
**I.S.P.M :** *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
**J.H.S.N :** *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
**M.A.I.B.L :** *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**Medit :** *Méditerranée.*
**M.E.F.R :** *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
**N.A.M.S.L :** *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
**P.I.H.E.M :** *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**P.S.A.M :** *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
**P.S.H.M :** *Publications de la Section Historique du Maroc.*
**R.A :** *Revue Africaine.*
**R.A.P :** *Revue de l'Action Populaire.*
**R.C.C :** *Revue de la Chambre de Commerce.*
**R.D.M :** *Revue des Deux Mondes.*
**R.E.A :** *Revue des Etudes Anciennes.*
**R.E.I :** *Revue des Etudes Islamiques.*
**R.E.L :** *Revue des Etudes Latines.*
**R.G.L :** *Revue de Géographie de Lyon.*
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. :** *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
**R.G.M :** *Revue de Géographie du Maroc.*
**R.H.C.M :** *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
**R.H.E :** *Revue d'Histoire Economique.*
**R.H.M.C :** *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
**R.M.D.E.D :** *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
**R.M.E :** *Revue Maroc-Europe.*
**R.M.F :** *Revue Militaire Française.*
**R.M.F.P.E :** *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
**R.M.M :** *Revue du Monde Musulman.*
**R.P.P :** *Revue Politique et Parlementaire.*
**Rev. Inst. Hist. Mil. :** *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
**S.G.L :** *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
**S.I :** *Studia Islamica.*
**S.I.H.M :** *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. :** *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

**سجلماسة** تطلق على مجال جغرافي واسع، وهي كنفيس ودرعة تحمل معنى مزدوجا لأنها اسم لمدينة ولمحيطها القروي. وقد ضبط القلقشندي لفظ سجلماسة بكسر السين المهملة وكسر الجيم وسكون اللام وفتح الميم ثم ألف وسين مهملة مفتوحة وهاء في الآخر (*صبح الأعشى*، 5: 163). وذكر الوزان أن قائدا رومانيا بنى هذه المدينة وسماها سجلوم ميسي لأنها كانت آخر ما افتتحه من مدن ماسة، لأنها كانت كالخاتم الذي يسجل نهاية فتوحاته، فحرف هذا الاسم بعد ذلك وتحول إلى سجلماسة (*وصف إفريقيا*، 2 : 127).

صارت رواية الوزان هاته مصدر آراء عدد كبير من المؤرخين في موضوع تسمية سجلماسة، فذهب كولين Colin إلى القول بأن هذه الكلمة مشتقة من سجلوم Sigillum، وهي كلمة لا تينية مأخوذة عن الكلمة اليونانية Giyihhiov، واستعملت في اللغة العربية للدلالة على صكوك المبايعات، وعلى كتاب يكتب به القاضي صورة الدعاوي والحكم فيها، كما استعملت للدلالة على الكتابة، وقد سلم فقهاء اللغة ومفسرو القرآن بأن كلمة سجيل من الدخيل على اللغة العربية، ونسبها بعضهم إلى الحبشية والبعض الآخر إلى الفارسية. والسجل بمعنى الوثيقة المكتوبة شائع معروف في اللغة العربية، لكن يبقى الجزء الأخير من الاسم غير مفهوم، ويظهر أنه ليس لا تينيا ولا عربيا (*دائرة المعارف الإسلامية*، 1 : 297).

أورد ماكوك ملاحظات في غاية الأهمية حول رواية الوزان الخاصة باسم سجلماسة، وأشار إلى أن المعنى الشائع لكلمة سجلا Sigilla هو مجموعة من الرسوم أو الصور ولكن مفردها الذي هو سجلوم، يمكن أن يعني أثراً أو سمة أو علامة، وقال بأن كلمات مشابهة لها سميت بها بعض الأماكن في بريطانيا الرومانية، كما هي الحال في مدينة Sigilocom، مع العلم بأن Locom تعني المكان، وأضاف بأنه حتى وإن كان لفظ سجيل دخيلاً على العربية فهو لا يدعم حتما التعليل الذي أتى به الحسن الوزان (*الرواية التاريخية*، 42).

وخلص الأستاذ العربي مزين إلى القول بأن تركيب هذه الكلمة غريب عن اللاتينية والعربية معا، وقال بأنها من أصل أمازيغي وأنها مركبة من كلمتي سيگ + إماس. وكلمة سيگ تعني فوق أما إماس فتعني الماء في الأمازيغية قبل أن تتأثر هاته الأخيرة باللغة العربية فيكون معنى سجلماسة هو المكان المشرف على الماء، أو المكان الذي يوجد به الماء، وقد أضيفت إلى هذه الكلمة المركبة تاء الآخر بغرض تعريبها (*مذكرات من التراث المغربي*، 2 : 25 و*sur l'etymologie*, p. 20).

ويستعمل لفظ تافيلالت كمرادف للفظ سجلماسة، وذهب موني Meunié إلى القول بأن لفظ تافيلالت وليد العصور الحديثة، واستدل على ذلك بكون الوزان الذي ألف كتابه *وصف إفريقيا* في النصف الأول من القرن العاشر (16 م) لم يستعمل قط لفظ تافيلالت وإنما ذكر تلك المناطق باسم عاصمتها القديمة سجلماسة (*Abbar*, p. 10) والحقيقة أن هذه التسمية تعود إلى تاريخ أقدم من ذلك، فقد استعمل ابن خلدون لفظ تافيلالت كمرادف لسجلماسة أثناء حديثه عن مواطن أولاد حسين وأولاد أبي الحسين من عرب المعقل (*العبر*، 6 : 77 . 87 . 89).

اختلفت الروايات في شأن تاريخ تأسيس مدينة سجلماسة اختلافا بينا، ويمكن تقسيمها إلى قسمين : روايات تجعل تاريخ بنائها في الفترة الإسلامية وأخرى تعود به إلى الفترة الرومانية. وأقدم الروايات الإسلامية التي هي رواية البكري تؤرخ لتأسيس هذه المدينة بثلاثة تواريخ مختلفة. ذكر البكري في موضع من كتابه *المسالك والممالك* أن سجلماسة بنيت عام 140 / 757، وفي موضع آخر عام 104 / 723، وفي موضع ثالث قال إن بانيها هو مدرار بن اليسع بن أبي القاسم الذي قدم إليها من الأندلس عند وقعة الربض (*المغرب*، 148 و149). وثورة الربض كما

هو معروف تمت على مرحلتين بقرطبة زمان خلافة الحكم بن هشام بن عبد الرحمان : الأولى سنة 189 / 806 وقد تمكن هذا الخليفة من إخمادها بسهولة، والثانية في سنة 202 / 818، وكانت أعنف من سابقتها، وهي التي أسفرت عن تشريد أهل الربض في جميع أقطار الأندلس ومنهم من جاز البحر إلى العدوة بالأهل والولد (*البيان*، 2 : 77) وبذكر البكري لاسم مدرار بن اليسع يكون قد نسب تأسيس سجلماسة إلى ثلاثة أمراء من أمراء بني مدرار وهم بالإضافة إلى مدرار المذكور أبو القاسم سمكو بن واسول وعيسى بن يزيد الأسود. غير أنه قال بعد كل ذلك بأن الرواية القائلة بتأسيسها من قبل أبي القاسم سمكو بن واسول وعيسى بن يزيد الأسود أصح في عمارتها من غيرها (*المغرب*، 149).

ويبدو أن سجلماسة أسست عام 140 / 757 وهو الأرجح، لأن تاريخ 104 ما هو إلا تحريف لرسم سابقه وهو من صنع الناسخين، أما تأسيسها إثر ثورة الربض

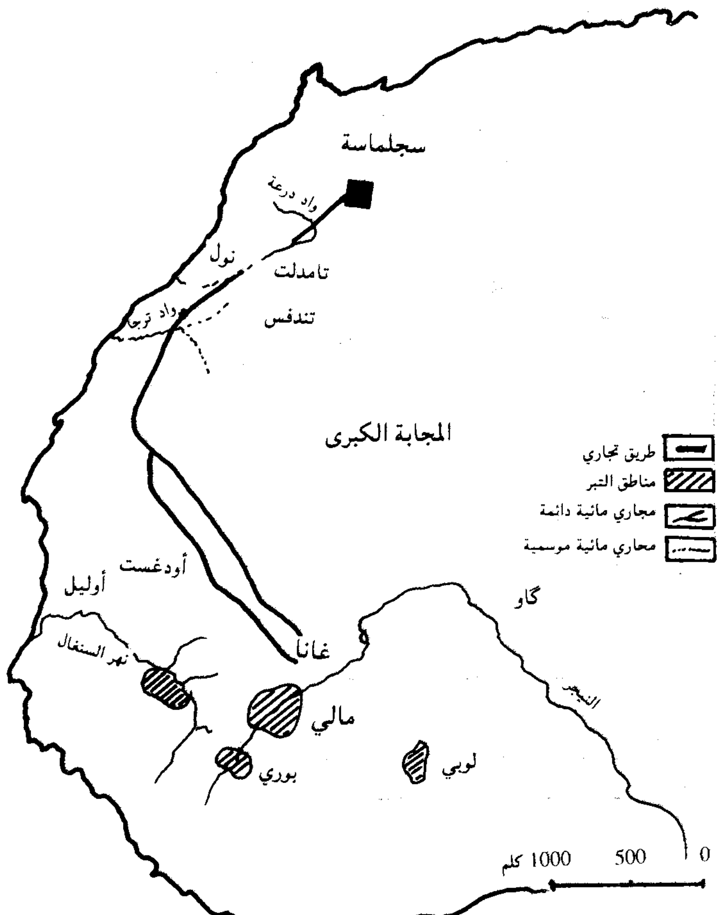


فمستبعد، لأنه لا يعقل أن يتأخر بناء سجلماسة حتى عهد الرابع من أمرائها الصفرية.

وقد نقل صاحب *الاستبصار* عن البكري روايات التأسيس هاته وحرف فيها بعض التحريف (*الاستبصار*، 101) وعنهما نقل كل من الحميري والقلقشندي (*الروض المعطار*، 305 ـ 306 وصبح *الأعشى*، 5 : 163).

أما الروايات القائلة ببناء سجلماسة في الفترة السابقة للفتح الإسلامي فأولها رواية ابن سعيد الغرناطي الذي قال بأنها من بناء الإسكندر الأكبر (Fagman, *Extraits*, 19)، وهو ما قاله الوزان أيضاً في إحدى رواياته ونسبه للعامة (*وصف إفريقيا*، 2 : 127). وقال الزياني إنها من بناء بني مدرار قبل الإسلام (*الترجمانة*، 97) وقال الوزان إن مؤسسها حسب بعض مؤلفينا قائد روماني ذهب من موريطانيا فاحتل نوميديا بأسرها، ثم زحف شطر الغرب حتى ماسة، وسماها بـ : سجلوم ميسي (*وصف إفريقيا*، 2 : 127).

أثارت رواية الوزان هاته اهتمام الدارسين الأوربيين على وجه الخصوص، وحاول بعضهم البحث عن عناصر مدعمة لها، فنسبوا كل الآثار المبنية بالحجارة المقطوعة بتافيلالت إلى أصل روماني (Bassac, *Note sur le Tafilalet*, 409 ؛ *الرواية التاريخية*، 39) مع العلم بأن ما سجله التاريخ من حضور روماني بتلك المناطق لم يتجاوز حملة سريعة قام بها القائد الروماني Seutonius Paulinus سنة 41م لتأديب قبائل (De la chapelle. Getules .*L'expédition de Seutonius*, p. 107)

وإذا كانت لفظة سجلماسة تعني المدينة وإقليمها كما سبق الإلماح إليه أعلاه فان المجال الذي شمله نفوذ هذه المدينة لم يكن ثابتا على الدوام، فقد اتسع ليشمل مناطق بعيدة عنها أحيانا، وتقلص ليقتصر على مساحات ملتصقة بها أحيانا أخرى تبعا للتطورات السياسية التي شهدتها تلك المناطق في مختلف مراحلها التاريخية. فسجلماسة في فترة حكم المدراريين تدل على إمارة واسعة امتد نفوذها غربا حتى مناطق درعة وقسم كبير من بلاد القبلة، ثم عرفت هذه الإمارة اتساعا كبيراً في عهد المغراويين الذين سلطوا نفوذهم على مناطق قريبة جدا من فاس، ثم خضعت بعد ذلك لمختلف الدول المغربية الكبيرة كالمرابطين والموحدين والمرينيين، ثم أصبحت في القرن الثامن (14 م) قاعدة لإمارة شمل نفوذها كل المناطق الجنوبية للمغرب الأقصى بعد أن استقل بها أبو علي عمر المريني وكون بها جيشا من عرب المعقل افتتح به معاقل الصحراء والسوس ومراكش. ثم استقل بها بعده أبناؤه وحفدته قبل أن تعرف اضطرابات كثيرة بسبب حروب بطون عرب المعقل فيما بينهم ويأتي عليها الخراب شيئاً فشيئاً (*سجلماسة*، 23).

كانت مدينة سجلماسة تضم مباني جميلة قارنها ابن حوقل بمباني الكوفة (*صورة الأرض*، 90) وأكد غيره على

جمالية معالمها المعمارية، لكن ما وصلنا من معلومات في هذا الباب لا يساعد على وصف تلك المعالم وصفا دقيقا ولا يوفر المادة الكافية لمعرفة خطط هذه المدينة، وكل ما نعرفه أن شكلها كان مستطيلا بناء على ما أثبتته الصور الجوية التي أخذت على علو خفيف والتي أكدت أن خرابها يمتد على مساحة 3 كلم طولا وما بين 500 و1000م عرضا (Terrasse, *Note sur les ruines*, p. 581) وموضع خرابها الذي تظهر به بقايا الهدم اليوم يحد من جهة الشمال بالساقية المسماة "واد الشرفاء" وفي الغرب بوادي زيز وفي الشرق بالريصاني وقصر أبو عام وقصيبة الحدب وفي الجنوب بقصر گرينفود (*سجلماسة*، 102).

انفرد الإدريسي بقول إن سجلماسة لم تكن محاطة بسور (*وصف إفريقيا الشمالية*، 37). وذكر المقدسي أن سورها من طين (*أحسن التقاسيم*، 231) وذكر البكري أن بانيه هو اليسع أبو منصور بن أبي القاسم سنة 199 / 815 (*المغرب*، 148). ويرى مارگا Margat أن بقايا السور التي تظهر إلى اليوم بموضع سجلماسة تعود لعهد متأخر، لكن مواد بنائها لا تختلف عن مثيلتها التي بني بها سور سجلماسة القديم (*Note sur la morphologie*, p. 256) في حين ذهب تيراس Terrasse إلى القول بأن تلك البقايا ليست من السور الذي بناه اليسع، لكن تاريخ بنائها يعود إلى القرن السادس (12 م)، ومنها ما يعود إلى القرنين السابع والثامن (13 و14 م) (*Note sur les ruines*, p. 584). وقال ليسار Lessard إن سور سجلماسة كان مكونا من سورين : سورخارجي لا يحمل الأبراج وآخر داخلي به الأبراج يبلغ سمكه مترين، وبينهما مسافة تتراوح ما بين سبعة وثمانية أمتار (*Sigilmassa*, p. 9).

كان لسجلماسة عدد كبير من الأبواب حصرها البكري في اثني عشر باباً، الثمانية منها حديد (*المغرب*، 148) وأورد المقدسي أسماء بعضها وهي : باب القبلي، باب الغربي، باب غدير الجزارين، باب موقف زناتة (*أحسن التقاسيم*، 131). كما ذكر ابن أبي زرع اسم أحدها وهو باب تاخنست (*القرطاس*، 296) وهو باب تاحسنت عند الناصري (*الاستقصا*، 3 : 18).

لا نعرف تاريخ اندراس مدينة سجلماسة بنوع من التدقيق. ذكر الوزان أن تخريبها كان في نهاية فترة حكم السلطان المريني أبي العباس أحمد، أي سنة 796 / 1393. غير أن العملات المرينية التي ضربت بها تفيدنا أن دار سكتها استمرت في ضرب النقود حتى السنوات الأخيرة من القرن الثامن (14 م). وقد ضرب بها أبو فارس عبد العزيز المريني ثلاث عملات ذهبية بعد التاريخ المذكور أعلاه (*سجلماسة*، 101). ويغلب على الظن أن سجلماسة عانت كثيراً من غارات عرب المعقل في أواخر القرن الثامن (14 م) وبداية التاسع (15 م) ، واضطرب حبل الأمن بها بسبب حروب عرب المنابهة والعمارنة من جهة وأبناء عمومتهم أولاد حسين من جهة ثانية، فاختفت المدينة في خضم تلك الحروب (*سجلماسة*، 408 - 413) لكن التنقيب الأثري وحده قادر على إعطاء جواب شاف لهذا الموضوع.

اشتهرت سجلماسة بنشاطها التجاري مع بلاد السودان الغربي حتى كاد ذكر اسمها أن يقترن بالتجارة الصحراوية. وارتبطت مع أودغست وولاته بطرق ظلت لفترة طويلة من الزمن نشيطة وحيوية. لكن سجلماسة التي ازدهرت على حد زعم الكثيرين، بفعل مرور التجار في الذهاب إلى بلاد السودان والإياب منها، واختفت بتحول اتجاه الطرق التجارية عنها، عرفت بوفرة إنتاجها الفلاحي وجودة مصنوعاتها الصوفية والمعدنية، الأمر الذي يؤكد أنها لم تكن مجرد محطة للعبور بل قطب إنتاج مهم زود التجار بحاجياتهم من السلع التي تلقى إقبالا في الأسواق السودانية.

وقد اختصت منطقة سجلماسة بإنتاج بعض المواد الفلاحية التي لا تنمو أشجارها أو نباتاتها إلا في مثل وسطها الطبيعي. يتعلق الأمر بالتاكاوت التي كانت تستعمل في الدباغة، كما يتعلق بالحناء والنيلة اللتين كانتا تستعملان في الصباغة (*المغرب*، 152 ؛ *الاستبصار*، 201 ؛ *وصف إفريقيا الشمالية*، 38). كما أنتجت سجلماسة القطن (*وصف إفريقيا الشمالية*، 38) لكن المصادر الجغرافية والتاريخية لم تشر إلى صناعة المنسوجات القطنية بها على الرغم من أن النساء السجلماسيات اشتهرن بمهارتهن في غزل الصوف، حتى بلغ ثمن الإزار من نسيجهن خمسة وثلاثين دينارا وأكثر (*آثار البلاد*، 42 ومعجم *البلدان*، 192).

وأكدت المصادر الجغرافية وفرة إنتاج سجلماسة من الكروم في الفترة الواقعة بين القرن الخامس والقرن الثامن (11 و14 م). وذكرت أن عنبها الذي لا تناله الشمس لا يزبّب إلا في الظل ويعرف باسم الظلي (*المغرب*، 148 ؛ *الاستبصار*، 801 ؛ *آثار البلاد*، 42 وصبح *الأعشى*، 5 : 164).

كما أنتجت سجلماسة الحبوب بكثرة في العصر الوسيط، ولم يقتصر إنتاجها على توفير حاجياتها المحلية منها، بل تعداه إلى التصدير، فكان قنطار القمح السجلماسي يباع بأودغست بستة مثاقيل (*صورة الأرض*، 90). وتجب الإشارة هنا إلى أن هذا القمح السجلماسي لم يكن من النوع الجيد فهو رقيق صيني يسع مد النبي ﷺ منه خمساً وسبعين ألف حبة، وخلقه ما بين القمح والشعير (*صورة الأرض*، 90 و*المغرب*، 151) وقد سماه الإدريسي بيردن تزواو (*وصف إفريقيا الشمالية*، 37 - 38) وإذا ما استبدلنا واو الآخر بنون كطريقة للاستقراء لتصير هذه الكلمة على النحو الآتي : يردن تزوان يكون معناها القمح الذي ذهبت بقوته رياح الشرقي فضعف وتغيرت حاله، وهو ما يسميه أهل تافيلالت اليوم بالقمح المشروب (*سجلماسة*،

303) ونظراً لارتفاع كمية الحبوب المنتجة بسجلماسة في العصر الوسيط، اضطر فلاحوها إلى الحد من المساحات المزروعة من القمح حتى لا يكثر القمح في الأسواق ويهون ثمنه. قال القزويني : "حدثني بعض الفقهاء من المغاربة وقد شاهدها - يعني سجلماسة - أن مزارعها اثنا عشر فرسخاً من كل جانب، لكن لا يزرع في كل سنة الاخمسها ومن أراد الزيادة على ذلك منعوه" (*آثار البلاد*، 42).

لكن ما اشتهرت به سجلماسة أكثر في مجال الإنتاج الزراعي هو التمور. ذكر ابن حوقل أن بها رطباً أخضر في غاية الحلاوة (*صورة الأرض*، 90) وذكر القزويني أن بها ستة عشر صنفا ما بين عجوة ودقل (*آثار البلاد*، 42). وقال الإدريسي إن بها أنواعاً من التمر لا يشبه بعضها بعضاً، وفيها الرطب المسمى بالبرني وهي خضراء جداً وحلاوتها تفوق كل حلاوة ونواها صفار في غاية الصغر (*وصف إفريقيا الشمالية*، 38) وقال أبو حامد الغرناطي إن بها نوعاً من التمر الجيد يسمى البتوني (Fagman, *Extraits*, 28) وورد في *التشوف* اسم نوع آخر من الأنواع الجيدة هو اليراري (*التشوف*، 307). وقال القلقشندي إن تمرها يفضل تمر سائر بلاد المغرب حتى يقال إنه يضاهي التمر العراقي (*صبح الأعشى*، 5 : 164) وقال ابن بطوطة : "وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر، لكن تمر سجلماسة أطيب وصنف إيران منه لا نظير له في البلاد" (*تحفة النظار*، 2 : 773).

كان التجار يتجهزون بتمور سجلماسة إلى مختلف المناطق المغربية (*مسالك الأبصار*، 140) وإلى بلاد السودان الغربي. ذكر الإدريسي أن أهل لملم لا يصلهم شيء من الفواكه الرطبة، إلا ما يجلب إليها من التمر من سجلماسة أو بلاد الزاب، يجلبه إليهم أهل وارگلان (*وصف إفريقيا الشمالية*، 5) كما وصل التمر السجلماسي إلى الأسواق الأوربية في القرن السابع (13 م) والقرن الثامن (14 م) (Mas Latrie, *Traité*, 99).

كما اشتهرت سجلماسة بجودة مصنوعاتها النحاسية معتمدة في ذلك على مناجم النحاس في كل من تيحمامين وهي تازلافت في وقتنا هذا وتنودادن وهي مجران في وقتنا هذا (*المغرب*، 156). كما عرفت سجلماسة صناعة الأواني الفخارية على نطاق واسع، وأثبتت التنقيبات الأثرية التي أنجزت في بعض المواقع السودانية أن أكثر من 60٪ من الأواني الفخارية التي نقلت إلى أودغست ما بين القرن الثالث (9 م) والقرن السادس (12 م) هي من صنع سجلماسي (J. Devisse, *Sigilmassa*, 19) كما تم العثور على الفخار السجلماسي والفاسي في ضواحي مدينة گاو (R. Mauny, *Découverte à Gao*, 516).

كان لهذه المنتجات السجلماسية أثر كبير في إنعاش قطاع التجارة بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي في العصر الوسيط. وعليه فإن سجلماسة لم تكن مجرد محطة للاستراحة كما زعم الكثيرون بقدرما كانت مركزاً فاعلا في عملية المبادلات التجارية بما وفرته من سلع فلاحية وسلع مصنعة.


المقدسي، *أحسن التقاسيم*، لندن، 1909 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، بيروت، د. ت ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر، 1965 ؛ مجهول، *الاستبصار*، الدار البيضاء، 1985 ؛ القزويني، *آثار البلاد*، بيروت، 1969 ؛ الإدريسي، *وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية*، الجزائر، 1957 ؛ ابن عذاري، *البيان*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ي. الحموي، *معجم البلدان*، ج 3، بيروت، 1957 ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، تح. مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء ؛ ابن بطوطة، *الرحلة*، ج 2، بيروت، 1975 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، ج 5، القاهرة، 1915؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 6 و7، بيروت، 1981 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1984 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1 و2، الرباط، 1982 ؛ ماك كوك، *الرواية التاريخية*، الدار البيضاء، 1895 ؛ ح. حافظي علوي، *سجلماسة وإقليمها في القرن 8 هـ / 14م*، المحمدية، 1997.

E. Fagman, *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924 ; Mas Latrie, *Traité et documents divers concernant les relations des chrétiens et des arabes au Moyen Age*, Paris, 1868 ; Bassac, *Note sur le Tafilalet et sur le Ziz*, *B.S.G.A*, 3ème trim., 1929 ; R. Mauny, *Découverte à Gao d'un fragment de partie émaillée du moyen âge musulman*, *Hesp.*, XXXIX, 3 et 4ème trim., 1959 ; J. M. Lessard, *Sigilmassa la ville et ses relations commerciales au XI siècle d'après El Bekri*, *H.T.* vol. X, fasc. 1 - 2, 1969 ; H. Terrasse, *Note sur les ruines de Sigilmassa*, *R.A.* 3 - 4ème trim., 1936 ; De laChapelle, *L'expédition de Suetonius Paulinus dans le Sud-Est du Maroc*, *H.T.* XIX, 1939 ; L. Mezzine, *Sur l'étymologie du toponyme Sigilmassa*, *H.T.* vol. XXIII, 1984.


حسن حافظي علوي

**السجلماسي الحجرتي**، أسرة فيلالية انتقل بعض أفرادها إلى فاس في القرن الثاني عشر (18 م) وكان منهم العالم الكبير محمد بن عبد الرحمن السجلماسي الحجرتي شيخ الجماعة بفاس آتي الترجمة، فنسب الحجرتيون الفاسيون إليه ودُعُوا أولاد ابن عبد الرحمن. وكان في فاس فرقة أخرى يدعون أيضاً أولاد ابن عبد الرحمن أصلهم من قبيلة لمطة انقرضوا أواسط المائة الثالثة عشرة (19 م).


ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج. 2 : 106.


**السجلماسي الحجرتي، أحمد** بن محمد بن عبد الرحمن الفيلالي ثم الفاسي. فقيه مشارك كأبيه آتي الترجمة، متمكن من فروع الفقه المالكي. نشأ بفاس ودرس بها على والده ومن في طبقته من الشيوخ، حلاّه في *إتحاف المطالع* بقوله : "كان فقيها مدرساً في جل الفنون، تولى النيابة عن قاضي الجماعة بمقصورة الرصيف وبقي عليها إلى أن توفي".

توفي بفاس زوال يوم الخميس حادي عشر جمادي الثانية عام 1303 / 18 مارس 1886 ودفن بالقباب بروضة العلماء أو قريباً منها.

العباس السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب العرف في التعريف بأهل المائة الثانية بعد الألف*، مخطوط ؛ إ. الإدريسي، *وفيات أهل القرن الثالث عشر والرابع عشر*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2765.

**السجلماسي الحجرتي، العباس** بن محمد بن عبد الرحمن الفيلالي ثم الفاسي. حلاه صاحب *إتحاف المطالع* بـ "العلامة المعتني المطلع المشارك المحرر النحرير" وذكر أن له عدة كنانيش علمية وقف على بعضها واستفاد منها مادة لكتابه *الإتحاف*.

ألف العباس عدة كتب في التراجم، منها *الروض الطيب العرف في التعريف بأهل المائة الثالثة بعد الألف*، تركه مخطوطاً في مسودته غير مرتب على السنين إلاّ قليلاً ؛ *ولوامع الدرر من رجال أهل القرن الثالث عشر*، مخطوط كذلك.

توفي بفاس يوم الأربعاء عاشر ذي القعدة عام 1311 / 15 ماي 1894 ودفن بالقباب قريباً من والده آتي الترجمة.

العباس السجلماسي الحجرتي نفسه، *الروض الطيب العرف*، مخطوط ؛ إ. الإدريسي، *وفيات أهل القرن القرن الثالث عشر والرابع عشر*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 2797.

**السجلماسي الحجرتي، محمد** بن **إدريس**، حفيد شيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمن آتي الترجمة. ولد بفاس عام 1282 / 1865 وبها نشأ ودرس على عمه أحمد السجلماسي الحجرتي، وعلى الشيوخ محمد گنون وأحمد ابن الخياط والمهدي الوزاني وغيرهم، وتخرج فقيهاً متمكناً كأبيه وجده. وأسند له القضاء على التوالي في مدن ابن سليمان وسيدي قاسم والقنيطرة، وتولى رآسة مجلس الاستيناف الشرعي بالرباط.

توفي بالقنيطرة وهو قاض بها يوم الخميس سابع عشر جمادى الثانية عام 1366 / 8 ماي 1974، ودفن في الزاوية الدرقاوية.

أ. الإدريسي، *وفيات أهل القرن الثالث عشر والرابع عشر*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 9 : 3223.

**السجلماسي الحجرتي، محمد** بن **عبد الرحمن** الفيلالي أصلاً ثم الفاسي. ولد بفاس عام 1201 / 1787 وبها نشأ ودرس على شيوخ عصره، أمثال الطيب ابن كيران، ومحمد بن عمرو الزروالي، وإدريس العراقي وغيرهم. فتخرج فقيهاً متمكناً من أصول الفقه وفروعه واشتغل بالتدريس طيلة حياته حتى عدّ شيخ الجماعة في عصره.

قال عنه ولده عباس الحجرتي في *الروض الطيب العرف* : "انتهت إليه في وقته رياسة التدريس قد أعطي ملكته، وسلم له أهل عصره، وانفرد برياسة العلم في وقته ومصره، جميل المخاطبة، حسن الأخلاق عالي الهمة، كثير التؤدة، مجلسه مجلس سكون ووقار، وخشية وتذكار، كذلك سمعت من غير واحد ممن حضر مجلسه، ولم يتفق لي أن (أحضره) لصغر سني" وقد اعتذر مؤلف الروض عن التقصير في حق المترجم قائلاً " ولولا الرحم والقرابة لوفيته بعض حقه من غير إطراء". مع أن ترجمته أطول ترجمة في الكتاب، اشتملت على إجازات المترجم والكتب الفقهية التي درّسها من *شروح خليل* وحواشيه ولامية *الزقاق* و*تحفة ابن عاصم* وغير ذلك من كتب فروع المالكية. كما أورد نصوص ما قيل فيه من مراث قصائد كثيرة ومقطعات لأشهر شعراء فاس وفقهائها.

توفي بفاس ضحوة يوم الجمعة 17 محرم عام 1275 / 27 غشت 1858، ودفن بالقباب قرب الشيخ عبد العزيز الدباغ.

عباس السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب العرف*، *مخطوط*، إ. الإدريسي، *وفيات بعض أهل القرن الثالث عشر والرابع عشر*، مخطوط ؛ ص. 22ـ25 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 : 2612.

محمد حجي

**السجلماسي الحسني** (أسرة) ← **شرفاء سجلماسة**
**السجلماسي الحسني، أحمد** بن عبد الواحد ←
**الحسني السجلماسي، أحمد**
**السجلماسي الحسني، عبد الله** بن علي بن طاهر ←
**الحسني السجلماسي**، عبد الله
**السجلماسي الحسني، عبد الهادي** ←
**الحسني السجلماسي**، عبد الهادي
**السجلماسي الحسني، عبد الواحد** ←
**الحسني السجلماسي**، عبد الواحد

**السجلماسي الحسني، عمر** بن هاشم أمير ركب الحاج من سجلماسة إلى الحجاز، كان رحيما بالحجاج في السعة والضيق، يشبع الجائع ويكسي العاري، ويدفع العدو عن الحجاج (*الأنوار السنية*، 71). قال الزكي العلوي إنه كان أميراً لركب الحاج مرّات متعددة (*مطالع الزهراء*، 115) وتذكر الرواية الشفوية أن عدد إمارته على الركب بلغ ستّاً وثلاثين مرة.

كان يسافر إلى الحجاز بأهله وخصوصا زوجه الشريفة وله عيال بطيبة وعيال ببلده سجلماسة (*مطالع الزهراء*، 115). يقصد زاوية أو فوس بالرتب وهي الزاوية التي أسسها المترجم له لإطعام ابن السبيل.

ذكره أحمد بن عبد القادر القادري الحسني في رحلته

المسماة *بنسمة الآس* عقب ما ذكره فيها من أنه لما قفل من الحج سنة 1101 / 1689 ونزل بطرابلس رابع عشر شعبان / 17 ماي 1689 مع الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي لقي هناك الركب القادم من فاس مشرقا ومعهم العلامة الحسن اليوسي وابن السلطان مولاي إسماعيل وهو مولاي المعتصم والأميرة ست الملك قال : "وكان للركب أميران : أحدهما مولاي عمر بن هاشم الحسني السجلماسي والآخر الحاج محمد الحسيني كان الله لهما وأعانهما" (*سلوة الأنفاس*، 2 : 270 و*رسالة مولاي إسماعيل إلى أمير مكة*، 140).

كان عمر بن هاشم يحمل إلى السلطان مولاي إسماعيل مراسلات من شريف مكة أحمد بن غالب كلما زار الحجاز، وكان العاهل المغربي يتقبل هذه الخطابات ويجيب عنها برد السلام وليس أكثر من رد السلام (*رسالة مولاي إسماعيل إلى أمير مكة*، 140).

توفي عمر بن هاشم سنة 1101 / 1689 أو في السنة التي بعدها. فقد جاء في الرسالة التي بعث بها السلطان مولاي إسماعيل إلى أمير مكة والمدينة سعد بن زيد إثر توليته أميراً سنة 1102 / 1690 ما يلي : "ولقد كان ابن عمنا مولاي عمر بن هاشم رحمه الله أيام قدومه للحجاز تعارف معه - يعني شريف مكة أحمد بن غالب - واصطحبا وعمل معه خيراً كثيراً" (*رسالة مولاي إسماعيل إلى أمير مكة*، 140). وعليه تكون سنة 1101 / 1689 هي آخر سنة تأمر فيها عمر بن هاشم على الركب السجلماسي، وأنه توفي في تلك الحجة أو بعدها بقليل لكن قبل تاريخ مراسلة مولاي إسماعيل لأمير مكة المشار إليه أعلاه. وقد خلفه في إمارة الركب السجلماسي ابنه حفيد بن عمر (*ركب الحاج*، 35) وتذكر الرواية الشفوية أن وفاة عمر بن هاشم كانت بالحجاز وأنه دفن هناك.

المشرفي، *الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف الحسنية*، تح. ع. الكريم الفيلالي، المحمدية، 1966 ؛ الزكي العلوي، *مطالع الزهراء الجامع لأسماء بني الزهراء*، مخطوط خ. ح.، رقم 656 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 2، فاس، 1316 ؛ م. المنوني، *ركب الحاج المغربي*، تطوان، 1953 ؛ ع. الهادي التازي، *رسالة هامة من السلطان مولاي إسماعيل ملك المغرب إلى الأمير سعد بن زيد أمير مكة والمدينة في بداية القرن الثاني عشر الهجري أواخر القرن 17 الميلادي*، مجلة دعوة الحق، العدد، 282، مارس، 1991.

## السجلماسي الحسني، الفضيل بن علي،

ذكره الفضيلي في الفرع السابع من فروع مولاي يوسف بن مولاي علي الشريف وحلاه بالفقيه العالم النحرير (*الدرر البهية*، 1 : 315). أخذ عن جماعة من أعيان علماء عصره ببلده خصوصا أحمد بن عبد العزيز الهلالي وهو عمدته (*مطالع الزهراء*، 153 و*الدرر البهية*، 1 : 315).

كان فقيها عاقلا لبيبا عارفاً بأمور القضاء. ولاه السلطان سيدي محمد بن عبد الله قضاء بلده الرتب بسجلماسة، فحسنت سيرته، وأقام قاضيا مدة من السنين على كبر سنه، سالم الحواس، لينا في فصال الناس، قوالا للحق، قائما مع الحق لا يراقب إلا الله (*مطالع الزهراء*، 153 و*الدرر البهية*، 1 : 316).

ذكره ابن زيدان في سلسلة من أخذ عنهم مولاي العباس بن عبد الرحمن بن هشام *دلائل الخيرات* (*الإتحاف*، 5 : 421).

قرظ الفضيل بن علي كتاب *الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي* لمؤلفه التهامي بن عبد الله الحسني (*الأدوية الرواقي*، 77) وعليه، يكون الفضيل قد توفي بعد سنة 1210 / 1795.

الزكي العلوي، *مطالع الزهراء الجامع لأسماء بني الزهراء*، مخطوط خ. ح.، رقم، 656 ؛ الفضيلي، *الدرر البهية*، تح. أ. ابن المهدي العلوي وم. بن أحمد العلوي، المحمدية، 1999 ؛ عبد الرحمن بن زيدان، *الإتحاف*، ج 5، الرباط، 1933 ؛ التهامي ابن عبد الله الحسني، *الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي*، تح. ح. حافظي علوي، مراكش، 2001.

## السجلماسي الحسني، محمد الأمين بن جعفر،

يتصل نسبه بمولاي علي الشريف كان له خبرة بعلم الحساب والتنجيم وعلم الأزياج والجداول (*الدرر البهية*، 1 : 316 و*مطالع الزهراء*، 153) وكان له إلمام بالفقه ويتعاطى طريق القوم، يقرأ كتب التصوف ويتقرب من أهله، ولا يجالس إلا المساكين، وكان ألين الناس جانبا ولأهل الشر مجانبا، يميل للخمول ويتحمل ثقل الكل المملول (*مطالع الزهراء*، 153). صاهره السلطان مولاي سليمان بابنته السيدة عائشة، ولم تزده مصاهرة أمير وقته إلا تواضعا (*الدرر البهية*، 1 : 316 و*مطالع الزهراء*، 153).

توفي بفاس قبل سنة 1255 / 1839 وهي السنة التي انتهى فيها الزكي العلوي من تأليف كتابه *مطالع الزهراء*. ففي بداية ترجمته له قال : "ومنهم خليلنا الأود" وفي آخرها قال : "ولم يزل كذلك دأبه - يعني اتباع طريق القوم - إلى أن لقي الله" (*مطالع الزهراء*، 153).

الزكي العلوي، *مطالع الزهراء الجامع لأسماء بني الزهراء*، مخطوط خ. ح.، رقم، 656 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، تح. أ. ابن المهدي العلوي وم. بن أحمد العلوي، المحمدية، 1999.

## السجلماسي الحسني، محمد الصادق بن محمد

الهاشمي المدغري يتصل نسبه بمولاي علي الشريف (*الدرر البهية*، 1 : 284 ؛ *الروضة المقصودة*، 2 : 739 و*الإعلام*، 7 : 339). قرأ ببلده سجلماسة ثم ارتحل إلى فاس، وأخذ عن عدد كبير من شيوخها كالإمام الرهوني وأحمد بن التاودي ابن سودة المري وعبد القادر بن شقرون والزروالي والطيب ابن كيران (*الدرر البهية*، 1 : 284 و*الإعلام*، 7 : 339).

اشتغل بالتدريس في فاس وسجلماسة وانتفع به خلق كثير (*الدرر البهية*، 1 : 284). وكان له باع في الأصول والفروع والتفسير والمنطق والبيان غير أنه كان لا يجارى في أمور الفتوى وأحكام القضاء، كان ملما بكتاب *المعيار* للونشريسي يكاد يمليه من حفظه (*الدرر البهية*، 2 : 284 ؛ *الإعلام*، 7 : 339).

تولى قضاء سجلماسة ونواحيها في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن وابنه سيدي محمد (*الإعلام*، 7 : 38)، وكانت ترد عليه النوازل من سائر أقطار المغرب ويفتي فيها (*الدرر البهية*، 1 : 284).

وهو شيخ السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن في علم الحديث، وكان لهذا السلطان فيه كبير اعتقاد. يدعوه كل سنة لقراءة *صحيح البخاري* (*الإعلام*، 7 : 341 ـ 342).

حلاه في *الروضة المقصودة* بالعالم الذكي، الفاضل السري، الماهر المتفنن الأصيل الجاري على سنن أسلافه في علمه ودينه ومروءته وإنصافه وقال بأنه أديب وقته وأورد له قصيدة رائية في المديح من البسيط (*الروضة*، 2 : 739).

كما حلاه الفضيلي بالولي الصالح العامل الناصح، وقال بأنه كثير العبادة والأذكار مع جلال قدر ونفوذ وكان قد أخذ طريق القوم عن الشيخ سيدي أحمد البدوي زويتن الفاسي (*الدرر البهية*، 1 : 284 و*الإعلام*، 7 : 239 ـ 240).

له *ختمة على المختصر* أخذها مولاي محمد العلوي ومولاي عبد المالك الضرير في ختمتيهما على المختصر، ثم أخذ سيدي محمد العراقي القاضي ختمته على المختصر من ختمة مولاي محمد العلوي كما قال محمد القادري (*الإعلام*، 7 : 341 ـ 342).

توفي محمد الصادق بمراكش يوم 3 شوال عام 1279 / 22 مارس 1862 لما وفد على السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن لقراءة *صحيح البخاري* على عادته، ودفن بداخل قبة مولاي علي الشريف بجنب ضريح السلطان مولاي سليمان. وذكر الفضيلي أن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن هو الذي وضعه في قبره بيده (*الدرر البهية*، 1 : 258).

س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. ع العزيز تيلاني، ج. 2، الدار البيضاء، 1994 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، تح. أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، المحمدية، 1999 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 7، الرباط، 1997.

## السجلماسي الحسني، محمد بن عبد الرحمن

المدغري من ذرية مولاي محمد بن علي بن طاهر. أخذ عن قاضي سجلماسة الصادق العلوي المدغري والقاضي عبد الهادي بن عبد الله العلوي وعن الفقيه محمد بن عبد الرحمن الحجرتي الفيلالي وأخذ عنه جعفر الكتاني ومَحمد القادري.

كان آية باهرة في العلوم، وله مشاركة في جميع الفنون، إماما حافظا ضابطا ثقة أمينا ثبتا صدوقا، تقيا نقيا مهذبا لا تأخذه في الله لومة لائم (*الدرر البهية*، 1 : 310).

اشتغل بالتدريس بأمسيفي، إحدى قرى الغرفة بتافيلالت، بلد عبد العزيز المغراوي. ولما كتب السلطان مولاي عبد الرحمان لقاضي سجلماسة محمد الصادق بن محمد المدغري أن يبعث إليه برجل من أهل العلم والدين والشرف ليعلم أولاده بمراكش أشخصه إليه، فطلب منه السلطان أن يعلم أولاده مبادئ العلوم كالمقدمة في النحو، فأجابه بأنه يصلح لقراءة التفسير والحديث والفقه. فأذن له بالتدريس بجامع ابن يوسف.

ولاه السلطان عبد الرحمن بن هشام خطة القضاء بفاس بعد وفاة القاضي الطالب ابن الحاج وذلك في 7 صفر سنة 1274 / 18 يوليوز 1832 فحسنت سيرته، قالوا : ولا يعرف أنه أخذ مدة توليته رشوة، أو حابى في دعوة، إلا أنه كان لا يبرم الأحكام عن عجل بل كان يماطل الخصوم رجاء أن يتصالحوا، وكان يعاب عليه ذلك فيعتذر بكثرة الفجور، وأنه لا يعرف المحق من المبطل.

حج سنة 1282 / 1866 وحضر دروسا كثيرة لشيخ المالكية بالديار المصرية محمد عليش في إقرائه *للمختصر* من غير أن يعرف. وكان له اعتقاد في الشيخ العارف الزاهد محمد بن علي الحبشي الإسكندري، وأخذ عنه كغيره من المتأخرين، وكان الحبشي المذكور يحضر درسه أيضاً فيما كان يُقرئه.

توفي في 27 رمضان سنة 1299 / 12 غشت 1882 ودفن بزاوية الصقليين قرب باب الجيسة بفاس. قال الفضيلي : وقبره الآن مزارة.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج. 1، فاس، 1316 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 7، الرباط، 1997.

**السجلماسي الحسني، محمد بن عبد الله** ←
**الحسني السجلماسي، محمد بن عبد الله**
**السجلماسي الحسني، محمد بن عبد الواحد** ←
**الحسني السجلماسي، محمد بن عبد الواحد**

**السجلماسي الدويري، عمر** بن عبد الواحد، اشتغل بالتدريس بمسجد سيدي غانم بالزاوية العباسية بمراكش. حلاه العباس بن إبراهيم بمفتي مراكش وصنو قاضيها (*الإعلام*، 9 : 306). وهو من الذين أفتوا في قضية إمضاء بيع الصفقه التي وقع التداعي فيها بمراكش عام 1286 / 1869 وقال بإمضاء بيع الصفقة حيث اتحد المدخل ولا يتوهم ضم وقد ثبتت الحاجة وأمضى القاضي (*الإعلام*، 3 : 269).

توفي بعد سنة 1286 / 1869.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج. 9 و3.

حسن حافظي علوي

**السجلماسي الرباطي، محمد** بن أبي القاسم، الفيلالي الزيزي أصلا، فقيه متمكن من أصول الفقه وفروع المذهب المالكي، ورع زاهد. أخذ أكثر ما أخذ عن الشيخ المعطى ابن الصالح الشرقي في بوجعد ولازمه حتى مات فبقي ملازماً لولده الفقيه العربي بن المعطى. قال عنه الحجرتي في *الروض الطيب العرف* : "كان فقيهاً مجتهداً في القراءة والتدريس، وبلغ مبلغاً عظيماً في نهاية العلم من غير كثرة رواية ولا تدريس" وتصدر للإفتاء فكان الناس يستفتونه من مختلف الجهات، فلا يأخذ عن الفتوى سوى "موزونة" (ربع درهم) لقوته، لأنه لم يكن يأخذ من بيت المال شيئاً.

طلب منه السلطان المولى سليمان الانتقال لحاضرته لقراءة *صحيح البخاري*، فامتثل مكرهاً، وكان بذلك من شيوخ هذا السلطان العالم. وألف السجلماسي عدداً من الكتب في الفقه والنوازل وما جرى به العمل في أحكام القضاء، وكذلك في قواعد اللغة وتراجم المالكية والسير. منها : *شرح العمل الفاسي* لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، طبع مراراً على الحجر بفاس وعلى الحروف، واعتمد كمرجع أساسي في التدريس والإفتاء ؛ وشرح العمل المطلق المسمى *فتح الجليل الصمد في شرح التكميل والمعتمد*، وقد طبع كذلك واعتمده الدارسون والمفتون ؛ *ومفتاح الأقفال ومزيل الإشكال على ما تضمنه مبلغ الآمال من تصريف الأفعال*، طبع كذلك بفاس مرتين ؛ وشرح *اليواقيت الثمينة فيمن انتمى لعالم المدينة* ؛ *ونظم رجال بدر*، إضافة إلى *مجموعة فتاواه الفقهية*.

أقام السجلماسي مدة برباط الفتح فنسب إليه. وأكثر إقامته بأبي الجعد دارساً ومدرساً ومؤلفاً إلى أن توفي هناك عن سن عالية ليلة الأربعاء سابع وعشري رمضان عام 1214 / 22 فبراير 1800، ودفن قريباً من شيخه المعطى ابن الصالح.

عباس الحجرتي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط ؛ ع. القادر الكوهن، *فهرس*، مخطوط ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، بيروت، 1349 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، تونس، د. ت ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1974 ؛ سركيس، *معجم المطبوعات* ترجم له ـ خطأ ـ ثلاث مرات بأسماء مختلفة ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، مخطوط.

محمد حجي

**السجلماسي السلوي، أحمد** بن **مَحمد** بن ناجي، فقيه تولى القضاء بسلا والرباط ونواحيهما نحو عشرين سنة. ثم ولي قضاء فاس العليا والسفلى مراراً وعزل عنه، "وكان يتعاقبه مع القاضي أبي عبد الله بردلة". كما أسند إليه قضاء مدينة مكناس ومهمة الخطابة والفتيا بالقرويين، وكان يشرف على أوقاف هذه الأخيرة وتجريد حوالاتها التي يصادق عليها قائد المدينة، أبو علي الروسي.

اشتغل ابن ناجي كذلك بالتدريس في سلا، وكان يعظم العلم وأهله، ويعتبر أحمد بن عاشر الحافي السلاوي من أبرز تلامذته. ذكر مترجموه أنه كان من خواص الحضرة الإسماعيلية، وأن كلمته كانت نافذة عند السلطان المولى إسماعيل وغيره، الأمر الذي يفسر تصدي المترجم للدفاع عن وجهة نظر المخزن الإسماعيلي في قضية تمليك الحراطين، والرد على علماء فاس المناهضين لهذه العملية. وكانت فتوى ابن ناجي في هذا الموضوع خلال عامي 1120 و1121، عالج فيها الحيثيات التي ارتبطت بتمليك الحراطين، مبرزا نية السلطان من جمعهم ومؤكداً احتياج السلطة المركزية لهم.

توفي أحمد بن ناجي السجلماسي بمكناس يوم الجمعة 24 رجب عام 1122 / 17 شتنبر 1710، ودفن بروضة عائشة العدوية.

أ. السجلماسي ابن ناجي، *فتوى ابن ناجي*، *خزانة خاصة* ؛ أ. ابن عاشر الحافي، *فهرس*، تح م. السعديين، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، ص. 216 ـ 217 ؛ م. القادري، نشر، 3 : 210 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، 1986، ص. 111، *إتحاف أشراف الملا*، مخ. خ. ع، 11 د، ص. 64 ؛ ع. التازي، جامع القرويين، 3 : 798 ؛ م. المهناوي، *بعض مظاهر أزمة ممارسة الشورى بدولة الإسلام من خلال فتوى ابن ناجي في قضية تمليك الحراطين*، جريدة الاتحاد الاشتراكي، الملحق الثقافي، عدد 12، دجنبر، 1993 ؛ م. الحيمر، *جيش العبيد والدولة المغربية منذ التأسيس إلى 1757*، رسالة د. د. ع، مرقون كلية الآداب بالرباط، 1996 ـ 1997، ص. 122 وما بعدها.

محمد السعديين

**السجلماسي، عبد الرحمن** بن علي "من لا يخاف" كان عبداً صالحاً كثير الخشية ورعاً زاهداً منزوياً عن الدنيا وأهلها (*التقاط الدرر*، 20 ودوحة *الناشر*، 90). حدث عنه الثقات بأنواع من الكرامات. قال ابن عسكر : وكان الفقيه الأستاذ أبو الحسن بن عبد العزيز إذا ذكره يثني عليه بخير ويقول هو والله من الأولياء (*دوحة الناشر*، 90 ونشر *المثاني*، 1 : 41). كان يحفظ كتاب الله العزيز ويجوده للطلبة (*درة الحجال*، 3 : 100).

اختُلف في تاريخ وفاته قال ابن القاضي إنه توفي سنة 999 / 1591 (*لقط الفرائد*، 323 ودرة *الحجال*، 3 : 100) وقال القادري إنه توفي سنة 1002 / 1593 حسب ما جاء في *مرآة المحاسن* (*نشر المثاني*، 1 : 41) وقبره اليوم مزار معروف بزاوية أولاد من لا يخاف جنوب الغرفة بالريصاني لكن ابن القاضي قال في درة الحجال إنه توفي بمكناس (*درة الحجال*، 3 : 100).

م. ابن عسكر، دوحة *الناشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1977 ؛ أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد / ألف سنة من الوفيات*، تح. م. حجي، الرباط، 1976 ؛ *درة الحجال*، ج. 3، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1970 ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي القاسمي، بيروت، 1983 ؛ *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، ج. 1، الرباط، 1977.

حسن حافظي علوي

**السجلماسي الفاسي، علي** بن الزبير الملقب بالعضد، فقيه أديب شاعر. ونحوي متمكن حتى اعتبر إمام النحاة في عصره. أخذ عن مشيخة فاس كالقاضي عبد الواحد الحميدي، والعارف عبد الرحمن الفاسي ويحيى السراج، وأحمد الزموري ولازمه سنين عديدة، وعبد الرحمن أعراب المكناسي.

درّس بفاس وتطوان، وقال عنه المحبي في *خلاصة الأثر*: "كان يحسن التدريس، إذا قرر المسألة لا يزال يكررها بعبارات مختلفة حتى تظهر، لذلك كثر الآخذون عنه" وفي مقدمة تلاميذه الشيخ عبد القادر الفاسي.

لقيه أحمد المقري في فاس أثناء رحلته الأولى إليها عام 1009 /1600، وقال عنه في *روضة الآس* (ص. 340) : الفقيه النحوي الأديب المشارك المتفنن البارع الخط ... وأورد له مقطعات ومساجلات شعرية مع أدباء عصره.

يلاحظ في أدبيات المترجم الإكثار من الغزل المذكر وذكر الخمر. ولعل الجانب الأخلاقي هذا في شخصيته هو الذي سبب له المتاعب سواء في جانب التدريس حيث لُطخ كرسيه مرة في تطوان بالنجاسة أو في حياته المهنية حيث أقصي عن مصاف أقرانه الأدباء من الكتاب وغيرهم في مرافق الدولة، وذلك ما تحدث عنه بحسرة أحمد المقري : "أخّره الدهر وحقه أن يقدّم، وهدم بناء علمه وحقه أن لا يهدم".

توفي بفاس عام 1035 / 25 ـ 1626.

أ. المقري، *روضة الآس*، الرباط، 1983، ص. 340 ـ 341 ؛ م. المحبي، *خلاصة الأثر*، مصر، 1284 هـ، ج. 1 : 116 ـ 117 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط حجر فاس، د. ت. ص. 124، ج. 1 : 338 ـ 339 ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 3 : 1272 ؛ ع. گنون، *النبوغ*، ط 2، بيروت، د. ت، ص. 753 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ط 2، تطوان، د. ت.

محمد حجي

**السجلماسي الفيلالي، عبد الرحمن** الفقيه الصالح البركة، الناسك المتعبد. كان أسمر اللون، طويل القامة، بإحدى عينيه بياض. وكان دأبه الاعتكاف بجامع القرويين بسارية لا يبدلها بغيرها، ولا يرى عندها إلا قائما يصلي أو جالسا يذكر الله (سلوة الأنفاس، 3 : 297).

توفي بفاس سنة 1195 / 1781.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 297.

**السجلماسي اللّمطي، أحمد** بن مبارك بن محمد بن علي نسبة إلى لمطة، قرية من قرى سجلماسة تعرف اليوم باللماطي، يتصل نسبه بأبي بكر الصديق، ولد في حدود سنة 1090 / 1679 (*الروضة المقصودة* ؛ 1 : 290، *التقاط الدرر* ؛ 393 *وسلوة الأنفاس*، 2 : 203). أخذ بسجلماسة القراءات السبع عن ابن خالته وابن عم جد والده الإمام أحمد الحبيب اللمطي كما قرأ عليه شيئا من النحو. ثم رحل إلى فاس سنة 1110 / 1698، وسنه يومها عشرون سنة، فأخذ عن عامة شيوخها في العلم وقتئذ كمحمد بن عبد القادر الفاسي ومحمد بن أحمد القسنطيني وعلي الحريشي وأحمد الجرندي ومحمد بن العربي بن أحمد بردلة ومحمد المسناوي الدلائي (*الروضة المقصودة*، 1 : 290 ؛ *سلوة الأنفاس*، 2 : 203 ؛ *التقاط الدرر*، 393 وLakhdar, *La vie littéraire*, 185). أخذ عنهم جميع فنون العلم السائدة وقتئذ من عربية وكلام ومنطق وحساب وفلسفة وأصول وفقه وحديث وتفسير وقراءات.

اشتهر أحمد بن مبارك بسرعة الحفظ وجودة الضبط والاتقان، فانتهت إليه الرياسة في جميع العلوم (*الروضة المقصودة*، 1 : 291). واشتغل بالتدريس وكانت له عارضة فيه، لم تكن لغيره، حفظاً وبحثاً ومعارضة واستنباطا، وربما أدركه البكاء وهو على الكرسي في مجلس درسه، وربما غلبه الضحك وتمادى به جداً، وكان يصرح لنفسه بالاجتهاد في المسائل، ولا يبالي بمن يخالفه فيما ينفرد به، ويرد على الأكابر من المتقدمين والمتأخرين، ويقول إنهم لو أدركوه لانتفعوا به، وكان يقرأ صحيح البخاي زمن الشتاء قبل طلوع الشمس بضريح سيدي أحمد بن يحيى (الروضة المقصودة، 1 : 291 ؛ التقاط الدر، 393 وسلوة الأنفاس، 2: 203 و204).

سلك أحمد بن مبارك طريق أهل الحقيقة على يد قريبه الشيخ أحمد الحبيب اللمطي ثم اتصل بالولي الصالح أبي فارس عبد العزيز بن مسعود الدباغ قبل سنة 1130 / 1718 ولازمه، وكان يجالسه في الأسواق التي لا يمر بها غير من له فضل علم ومروءة، ويناوله ما يحتاج إليه مما ليس شأن مثله أن يناوله، فظهرت عليه آثار صحبته، وانتفع غاية النفع بمعرفته. وألف في شيخه الدباغ هذا مجلداً ضخماً سماه : *الذهب الابريز في مناقب الشيخ عبد العزيز*، وقال الكتاني : "وألف بعضهم في الرد عليه فحاد عن سواء السبيل (*سلوة الأنفاس*، 2 : 204).

وله تآليف أخرى في مختلف الفنون منها : *تآليف في تفسير قوله تعالى* "وهو معكم أينما كنتم" وكشف *اللبس عن المسائل الخمس*، ورد *التشديد في مسألة التقليد*، اختصره تليمذه محمد بن الحسن التناني، *وتأليف في دلالة العالم على بعض أفراده*، وهو بحث في الأصول. وطرر *على شرح سعيد قدورة على شرح السلّم في المنطق*، وله تقاييد عديدة وأجوبة (*سلوة الأنفاس*، 2 : 204 *والتقاط*

*الدرر*، 393 و394 *ونشر المثاني*، 4 : 42) وأضاف محمد الأخضر إلى هذه المؤلفات العناوين التالية :

*القول المعتبر في بيان أن جملة الحمد إنشاء لا خبر* ؛ *ومبلغ الآمال لطالبي التصريف في الأفعال*؛ *وتقاييد وأجوبة*؛ وحاشية على *جمع الجوامع* ؛ *وفهرسة*. ووقفت له على عدد آخر من المؤلفات هي :

*تقييد في النفقة على العالم* على من تكون ؛ *ورسالة في أحكام الطاعون* ؛ *ورسالة في الدلالات وجواب في شأن الفرار من الطاعون* ؛ *ورسالة في الأفعال الداخلة على المبتدا والخبر* ؛ *ورسالة* في قول خليل في فرائض الوضوء ؛ وشرح *أرجوزة في المجاز والحقيقة* للطيب بن كيران ؛ *وجواب لمن سأل عن دلالة المعجزة* ؛ *ومقالة الصواب في بيان حال بني مزاب*. ومع هذا كله فإن ما ألفه أحمد بن مبارك ما يزال غير معروف بتمامه.

توفي بالطاعون يوم الجمعة 18 جمادى الأولى عام 1156 على ما ذكره تليمذه محمد بن الطيب القادري وتاريخ 18 جمادى الأولى لا يوافق يوم الجمعة بل يوافق يوم الأربعاء، ويقابله في التاريخ الميلادي 10 يوليوز 1743. وفي *السلوة*، *والتقاط الدرروشجرة النور*تواريخ أخرى متقاربة..

م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي القاسمي، بيروت، 1983 ؛ *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1986 ؛ ابن مخلوف، *شجرة النور الزكية*، بيروت، د. ت.

M. Lakhdar, *La vie littéraire au Maroc sous la dynastie Alawite (1075-1311/1664-1894)*, Rabat, 1971.

**السجلماسي المراكشي، محمد** بن الطيب، كان فقيهاً مؤدباً ومجوداً لكتاب الله يعطي مخارج الحروف حقها، ويحسن نطقها. قرأ القرآن بالروايات السبع على الأستاذ المعطي بن أحمد السرغيني المراكشي. وكان صاحب جد ومتجر رابح، حج بيت الله الحرام مرتين (الإعلام، 6 :315 ـ 316).

توفي بالمدينة المنورة في حجته الثانية سنة 1864/1281.

ع. إبراهيم، *الإعلام*، ج. 6، الرباط، 1977.

حسن حافظي علوي

**السحر في المغرب**، حقيقة السحر السعيُ إلى قلب قوى النور واستنباط نقيضها منها هي ذاتها، وتحويلها بالتالي إلى قوى من ظلمات أوقوى تضرّ ولاتنفع، أو تنفع في بعض الأحيان ولكن إلى حين، لأن نفعها مؤقت وزائل، لأنها، وهذا هو الأهم، صادرة عن اعتقاد خاطئ وعن إصرار من لدن الساحر على المعصيّة وعلى مخالفة الشرع. وهذا وحده كاف لتجريد الفعل السحري من المنفعة.

إن السحر بهذا التعريف ليس إلا نقيضاً للدين، وقلباً لحقائقه الثوابت وقواه النورانية. ولذلك كان الكفار قديماً ينعتون الأنبياء بالسحرة لما كانوا يرونه منهم من المعجزات ويسمعونه من الكلام الحكيم المؤثر في العقول والأفئدة.

إن أحسن مثال يمكن أن تضربه لتقريب الفعل السحري من الأذهان لهو مثال الصورة في المرآة، حيث تعكس المرآة الأشياء والموجودات كأنها هي فعلاً، ولكنها في حقيقتها صور مقلوبة بالمقارنة مع واقع الأشياء وحقائقها. ومن هنا تأتي قوة الفعل السحري على الانطلاء على أشد العقول صلابة وأوفرها علماً، ومن هنا أيضاً تأتي قدرة السحرة على الإغواء وعلى تحريف الاعتقاد وتزييف الشعائر بتحويلها إلى طقوس وتطبيقات غالباً ما تكون متلبسة بلباس الحق والنور والخير والفضيلة. وكم من عالم زاهد سار على درب القرب من الحق جلّ جلاله حتى إذا بلغ من مساره شأواً عالياً نزل فتصدر عنه أعمال سحرية قد يعتقدها هو نفسه من صميم الممارسة الدينية، كأن يصنع الأوفاق والجداول ويستعمل في ذلك آيات بينات وأسماء حسنى ويقول إن ذلك من الأسرار الإلهية التي جعلها الله سبحانه وتعالى هبة لعباده المقربين.

وبما أن الظلمات يحكمها التعدد والتنوع والتضارب والاختلاف، فإن السحر يتصف هو الآخر بهذه الصفات، فتتعدد أنماطه وتطبيقاته وأشكاله بحسب الاعتقادات التي يقوم عليها والأهداف التي يرمي السحرة إلى إصابتها.

من هنا جاء تعدد الطرق السحرية وتنوعها في جميع بقاع العالم عموماً، وفي المغرب على الخصوص. ولو أن الدارس سعى إلى تصنيف الممارسات السحرية في بلادنا وترتيبها بناء على فكرة ارتباط السحر بالعقيدة، لوجد على الخصوص الأشكال التالية :

1 ـ السحر الأسود، كما يسميه سحرة الغرب، وهذا يقوم على استخدام أشياء كانت في ملك الضحية (ضحية عمل الساحر) بجعلها لباساً أو جزءاً من دمية تصنع خصيصاً لهذا الاستعمال، وترافق هذا الاستخدام طقوس أخرى تتعدد وتختلف بحسب الطريقة التي ينتمي إليها الساحر، والمدرسة التي ينحدر منها، كأن تراق دماء أضاحي من الحيوانات أو الطيور على الدمية مع ترداد حروف وأعداد وكلمات لها صلة باسم الضحية المراد إصابته بالفعل السحري، أو غير ذلك من التطبيقات التي من شأنها أن تجعل علاقة باطنية خفية بين الدمية والشخص الذي تمثله، حتى إذا استعملت الدمية في نهاية المطاف لغرض من الأغراض صار ذلك قابلاً للانتقال إلى الشخص المستهدف (بالفتح)، فيتلوى من الوجع أو من الأرق أو تتراجع حالته الصحية أو يأخذ في الهلوسة والهذيان دون سبب ظاهر... وكل ذلك بحسب الاستعمال الذي تخضع له الدمية والتمائم والتعازيم التي ينطق بها الساحر أثناء الفعل السحري.

ويجدر القول إن هذا النمط من السحر إفريقي المنشأ. إذ يكثر العمل به عند الزنوج على الخصوص، وربما كان هؤلاء هم من نقلوه إلى جنوب القارة الأمريكية وإلى بقاع

أخرى كالهند على سبيل المثال، علماً بالسبق الزمني للحضارة السوداء النابعة في العالم القديم أو القارة القديمة إفريقيا.

2 ـ السحر القائم على الوفق، ويرجع هذا النوع إلى علم الفلك والتنجيم. ويقوم على استعمال الحروف المكونة لاسم الشخص المستهدف واسم أمه، وإخضاع هذين الإسمين لعمليات حسابية بعد تحويل كل حرف إلى عددين يدلان على ترتيبه الأبجدي وقوته الخفية (مثلاً حرف اللام ترتيبه الأبجدي 12 وقوته 30)، وتوزيع حروف الاسم على خانات جدول من الجداول المستعملة لهذا الغرض (رباعي أو خماسي أو سداسي أو نحوه بحسب عدد الحروف في الإسمين) والسعي من وراء ذلك إلى إدراك الشخص المستهدف من خلال طالعه أو طابعه من أجل التغيير فيهما بحسب قوة الساحر ورغبته أو الرغبة المعبر عنها من لدن طالب العمل السحري والمستفيد منه.

وقد لوحظ من خلال العينات المستعملة في هذا النمط استخدام أسماء أخرى لملائكة أو شياطين بحسب نوع العمل المراد إنجازه إن كان خيراً أو شراً، واستخدام بعض الآيات القرآنية أو أسماء الله الحسنى، ممّا يضفي على العمل والوفق مسحة دينية مغلوطة سرعان ما تنطلي على العامة، كما يلاحظ أن هذه الآيات والأسماء تصير مقلوبة ومحرفة عن مواضعها بمجرد توزيع حروفها على خانات الجداول، ذلك أنها تصير مكتوبة من اليمين إلى اليسار والعكس، ومن أعلى إلى أسفل والعكس، وهذا مالا يصح فعله في أسماء الله عز وجل وآياته الكريمة.

أما السبب في الاستخدام المزدوج لاسم الشخص المستهدف واسم أمه، فإنه يعود بالأساس إلى الرغبة في ضبط لحظة تكون الشخص ذاته عندما كان جنيناً في رحم أمه، وضبط لحظة ميلاده وتوافقاتها الفلكية من برج وسمت وكواكب وحالات هوائية أو مائية أو نارية أو ترابية، ومن حالات الرطوبة والجفاف ... إلى آخر قائمة هذه التوافقات، وكل ذلك بغرض توجيه العمل السحري إلى تلك اللحظات والرموز بالذات، فكأنما الساحر يمس ويصيب المسحور في لحظة نشوئه الدنيوي الأول أو لحظة ميلاده، وبطبيعة الحال فإن هذا المستهدف يكون في تلك الآونات بالذات أكثر ضعفاً وتعرضاً لكل الأضرار مهما كانت عليلة كنسائم الأماسي الربيعية !

3 ـ السحر المستعمل (بالكسر) لبعض الشخص المسحور أو المستهدف (بالفتح) للعمل السحري. وهذا يختلف عن النمط الأول القائم على استعمال متاع المسحور وحاجاته وأشيائه. إذ يتعلق الأمر هنا باستخدام جزء من الشخص نفسه، كمنيه، أو أظافره، أو شعره، أو حتى بوله وغائطه، أودمه وهذا يعتبر الأكثر قوة وفعالية في نظر مستخدمي هذه الطريقة.

4 ـ السحر المستخدم (بالكسر) للأعضاء البدنية للموتى والذي يقوم على الاعتقاد بقدرة الميت على سلب الشخص الحي المستهدف، فيسلبه صحته وعافيته، أو يسلبه قدرته البدنية، أو فحولته، أو يصيب عمله وتجارته بالبوار والموت... الخ.

وقد لوحظ وجود هذا النوع من الممارسة السحرية بكثرة في المغرب على الخصوص، ربما بسبب الانتماء الإفريقي لبلادنا، ولحضارتها وجزء من ثقافتها المتعددة والمتنوعة، وهو الانتماء الذي جعل في موروثنا الثقافي بعضاً من ثقافة "الڤودو" السحرية وعقدياتها التي كانت تصل بين الأموات والأحياء فتجعل الأوائل أكثر قدرة على الفعل وعلى التأثير مما كانوا عليه إبان حياتهم !

كما لوحظ تواتر هذا النوع لدى القبائل البدوية من الأعراب، مما يدعو إلى احتمال وجود علاقة بين هذه الممارسة وثقافات الشرق الأوسط (الفرعونية والآشورية والكلدانية والبابلية ...).

5 ـ السحر القائم على الخط والكتابة والرمز وعلى الطلاسم. وهذا يقوم على اعتقاد راسخ بأن الحروف والكلمات كائنات حية في الباطن وفي وسعها أن تؤثر بالتالي في أصحابها وفي غيرهم من المستهدفين، ولذلك يكون العمل في هذا النمط من السحر معتمداً على الحروف والكلمات كتابة أو نطقاً أو بهما معاً.

وفي هذا النمط نجد كتابات يطلب محوها بالماء أو بأي محلول آخر يصفه الساحر، فيُشرب أو يُدهن به أو يُغسل به أو تُرش به الأمكنة أو الملابس ... إلى غيرها من الاستعمالات المرتبطة بالسوائل.

وفي هذا النمط أيضاً نجد كتابات تُعلق كالرّقيات، أو تحفظ في أماكن معينة، وتخاط بالجلد أو النحاس اعتقاداً بأن ذلك يحفظها من البطلان، وغالباً ما تصاحب هذه الكتابات جداول كتلك المستعملة في النمط التنجيمي، أو صور ترمز إلى أشخاص معينين أو إلى خدام مفترضين من الجان أو غيرهم. وقد لوحظ هذا النوع من الاستعمالات في منطقة سوس على الخصوص، وبدا ذلك دليلا على وجود علاقة له مع المعتقدات التي سادت لدى السكان الأصليين بالمغرب والشمال الافريقي، والتي ربما كان لها احتكاك فعال ومؤثر مع حضارات أخرى كالفينيقية والوندالية والبيزنطية والرومانية ...

6 ـ السحر السيميائي (Archimique) القائم على استعمال المعادن والأتربة والمحاليل الكيماوية، والذهاب بذلك إلى غاية سقيه للشخص المستهدف أو إدخاله إلى بدنه بطرق أخرى مختلفة، لكي يحدث تأثيره الفعال والمباشر داخل أحشاء هذا الأخير وفي مجرى عروقه ودورته الدموية.

ويعتبر هذا النوع من السحر تسميماً بكل معنى الكلمة، وهو الذي يطلق العامة عليه اسم "التوكال" (أي الإطعام السحري) ويغلب على الظن أن الأشخاص

المتعرضين لهذا النوع من السحر يكونون مرضى بدنيين ومصابين بتسممات متعددة ومختلفة أكثر منهم مسحورين ومسلوبي الإرادة. فالرجل الذي ينزف الدم من دبره أو يتقيأ طعامه وشرابه بدون أدنى سبب ظاهر لا يعتبر مسحوراً بل مصاباً بتسمم يكون السبب الأساسي فيما يقع لنفسه وعقله وصوابه من تيهان وقلق وخوف وهلوسة.

7 ـ السحر القائم على استخدام قوى عقلية يقال إنها من الجن، تكون ساكنة في جسم الساحر فتتحدث من خلال لسانه بلغة أو لغات لا يعرفها الساحر الوسيط ذاته، وتكتب بها، وتمارس بها كتاباتها السحرية، وقد تزيد على ذلك بأن تطلب من الشخص اللاجئ إلى خدماتها القيام ببعض الترتيبات الأخرى والتي قد تكون منتمية إلى أحد الأنماط الستة السابقة الذكر، كأن تطالبه بأضحية مصحوبة بطقوس وتطبيقات معينة، أو بحرق أنواع من البخور ومن المواد القابلة للاحتراق، أو إقامة ليلة زار وحضرة تنضم إليها فرق متخصصة في هذا النوع من النشاط البدني العقلي، مثل گناوة أو عيساوة، أو غيرهم.

8 ـ السحر القائم على الحركات الجسدية وعلى الغناء أو الإنشاد، وهذا النمط إفريقي لا محالة، ويعتمد على الإيقاع الشديد والحركات الجسدية العنيفة، ولكنه ظهر في مواقع أخرى خارج إفريقيا كالهند وأمريكا اللاتينية، ويغلب الظن أنه إفريقي المنشأ.

هذه، إذن هي الأنماط السحرية المعروفة والمتداولة في المغرب، وهي كما ذكرنا، ذات أصول عقدية مختلفة، هي عين الأصول التي فعلت فعلها في الثقافة المغربية المتميزة بالتعدد والتنوع، حيث منها ما يعود إلى الحضارة السوداء أو حضارة الزنوج الأفارقة، ومنها ما ينتمي إلى الحضارات الشرق أوسطية، كالفرعونية، والعبرانية، ومنها ما ينحدر من أصول مشتركة هندية إفريقية مايوية (نسبة إلى حضارة المايا بأمريكا الجنوبية).

ويبقى القول، من باب التذكير، إن السحر هو النقيض الفعلي للدين، ولذلك وردت فيه آيات بينات تصفه بعدم الفلاح وبالكذب والتلبيس والتلفيق، وتصف أهله واللاجئين إليه والمنتفعين من تفاعلاته بالضالين وبالمشركين لأنهم يتخذون مع الله أرباباً آخرين من الجن والملائكة والشياطين ومن أئمة الطرائق السحرية القدامى ورؤوس أعلام مدارسها الضاربة في الضلالة والابتداع.

ع. الفتاح الطوخي، *السحر الأحمر*، بيروت، م. التهامي الوكيلي، *السحر*، الرباط ؛ الشفيق مقار، *السحر في التوراة والعهد القديم*، لندن، 1990 ؛ مصطفى محمود، *السر الأعظم*، القاهرة ؛ م. الوكيلي، *المدارس الباطنية بين العلم والفلسفة والعقيدة والدين*، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة، جامعة محمد الخامس، 1998.
A. Mauny, *La magie et l'astrologie*, Paris, 1860.

محمد عزيز الوكيلي

**سْحَيّتَة، الجيلالي** مقاوم ولد سنة 1930 بمدينة الدار البيضاء، تشبع بالروح الوطنية منذ صغره، الشيء الذي دفعه إلى العمل ضمن منظمة المقاومة السرية المغربية بهذه المدينة تحت مسؤولية المرحوم الزيراوي وأحمد بركات.

وقد شارك مشاركة فعالة في تنفيذ العمليات الفدائية صحبة أخيه محمد سحيتة من تاريخ 20 غشت 1953 إلى غاية 7 شتنمبر 1955 حيث استطاعت الشرطة أن تطوق الحي لتلقي عليهما القبض لكن الشهيد رفض الاستسلام فقتلته الشرطة رميا بالرصاص أمام المنزل ـ أما أخوه، فقد جرح واعتقل، وذلك يوم 7 شتنبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم، رقم 409197.

**السُخرة** لغةً كلُّ عمل أُنجز تكليفاً وقهراً بلا أجرة. بيد أن دلالته في سياق التداولات الوظيفية للخطاب المخزني المغربي، يحيل على معنى مغاير للمعنى اللغوي، إذ يقصد به المال الذي كان يقدمه قواد وحكام الإدارات المخزنية المحلية نيابة عن جماعات القبائل على وجه الإلزام والوجوب لموظفي وموفدي المخزن المركزي أجرة وتعويضا عن الخدمات ومشاق التنقل التي تجشموا عناءها. وتتقاطع السخرة عبر هذا المؤدى مع المئونة وتتكامل معها من جهة التكليف والفرض، فكلاهما يدفعان للوافدين من ممثلي ومبعوثي المخزن على القبائل برسم تنفيذ أمر سلطاني أو تفقد حال من الأحوال أو القيام بمهمة من المهام، مع فارق شكلي، يتمثل في كون الأولى، تقدم نقدا والثانية عينا في غالب الأحيان، إما على شكل مواد غذائية أو علوفات للبهائم والدواب.

وليس ثمة من شك، في أن السخرة كتكليف ضريبي، لازمت سيرورة الممارسة الجبائية والمالية المغربية عبر حقب تارخية مختلفة. إذ اقترن وجودها دائما بأنماط التسخيرات والوظائف والكلف غير الشرعية المتعددة التي كان المخزن لا يتورع عن مطالبة السكان بها في البوادي والحواضر على السواء، وذلك بهدف إنجاز الأعمال والخدمات الأساسية والحيوية التي يقتضيها الوجود الوظيفي للمؤسسة المخزنية عبر المجال، أداء وتسييراً وتنظيماً، ومن جهة أخرى، للاقتصاد في حجم الإنفاقات المالية المسرفة حفاظا على السيولة النقدية والتوازنات المالية المأمولة.

وإذا كانت الأستغرافيا المغربية لاتتحدث بما يكفي من الوضوح والبيان عن نظام السخرة وحيثيات فرضها على المجتمع القبلي تقديراً وتحصيلاً وتكلفة، فإن الوثائق والكنانيش المخزنية إبان القرن الثالث عشر (19 م) تقدم إفادات بالغة الأهمية والتنوع عن كلف السخرات وطرق تحصيلها ومقاديرها المالية ورموز الهيئات المخزنية المستفيدة منها والنتائج المترتبة عنها وسط مجموعات القبائل. إذ يتجلى بكيفية أوضح، من خلال مستندات وسجلات تلك الوثائق والكنانيش أن السخرات كانت

تستهدف بوجه مخصوص الكيانات القبلية من خلال القواد والعمال الذين كانوا يتولون توزيع أعبائها بسعر متساو على مجموع السكان، كما هو الحال بالنسبة لباقي النفقات الأخرى الطارئة، اعتماداً على أنساق التقسيمات والتفريعات الاجتماعية التي كانت تنتظم عضويا البنيات القبلية بدءاً بوحدات الكوانين والخيام وانتهاء بالأرباع والأخماس. وعلى خلاف ذلك، كانت الفئات صاحبة ظهائر الإنعام والتوقير من الشرفاء ورجال الزوايا والعلماء والقضاة، معفاة من هذه السخرات وغيرها من أصناف الأعباء الجبائية الأخرى غير الشرعية اعتباراً لمقتضى الأعراف والعادات المتواترة في هذا الشأن منذ عدة قرون خلت.

ولما كانت السخرة أجرة تدفع تعويضا عن خدمة مخزنية معينة، فإن تحديد سعرها لم يكن موكولا للتلقائية أو لتقديرات الجهة الدافعة، بل كان خاضعا في واقع الأمر، لشروط ومقاييس معيارية ترتبط في الأغلب الأعم بالاعتبارات التالية :

- مكانة ومركز المسخر في بنية الجهاز المخزني
- نوعية وأهمية العمل الموكول للمسخر
- المدة الزمنية المستغرقة في تنفيذ المهمة
- عدد المسخرين
- قيمة صرف العملة

وإذا حصل في بعض الأحيان أن المسخر لم يقتنع بقيمة السخرة المدفوعة له بناء على المقاييس والتقنينات المتداولة، فإن القائد أو الممثل المخزني يطلب في رسالة استشارية تدخل السلطان لتحديد القدر الواجب أداؤه لفائدة الجهة المسخرة. غير أن مثل هذه الحالة كانت تمثل في الواقع، وضعا شاذا لا يحدث إلا في ظروف نادرة واستثنائية للغاية. لأن ممثلي المخزن في مختلف الإيالات والأقاليم كانوا يحرصون حرصاً شديداً على أن يكون مقدار السخرات المدفوعة مرضيا ومقنعا للأطراف المسخرة، بل كانوا في أحيان كثيرة يمنحون مبالغ إضافية على شكل أعطيات ورشاوي، إذا كان الأمر يتعلق بجهات نافذة في دواليب المخزن المركزي، قد يستعان بها في وقت من الأوقات العصيبة لقضاء حاجة من الحاجات، أو لدرء خطر من الأخطار المحتملة.

ويستفاد من خلال الوثائق المخزنية والمصادر التاريخية التي يزخر بها مغرب القرن الثالث عشر (19م) أن مستويات ودرجات هيئات المسخرين الذين ترددوا في مهمات رسمية على البوادي المغربية كانت تتسم بقدر من التنوع والتراتبية، سواء على مستوى إطارها الوظيفي والمهني أو على مستوى أصولها ومراكزها الاجتماعية. ويمكن رصد عناصر هذه الهيئات على سبيل النمذجة في الفئات التالية :

- الخراصون والأمناء والجباة
- الرقاصة وأصحاب البريد
- القواد وفرق الجيش
- أعوان المخزن
- المسخرون أو المخازنية التابعون لإدالات الجيش الموجودة باستمرار داخل دار المخزن
- رموز وشخصيات مدنية

على أن القضايا والانشغالات التي استأثرت بصورة أساسية بأنشطة وأعمال المسخرين عبر المجالات القبلية ارتبطت بوجه أعم بمسائل التخريص والجباية وخدمة أملاك المخزن، فضلا عن المظالم والنزاعات والحركات العسكرية وغيرها. وعلى الرغم من أن السخرات لم تكن تؤدى إلا في مناسبات استثنائية على عكس باقي الأداءات الجبائية الأخرى المنتظمة والواجبة كالزكاة والأعشار وهدايا الأعياد، فإنها مع ذلك كانت تشكل إلى جانب الفروض والكلف الأخرى الطارئة عبئا ثقيلا ومرهقا لكواهل مجموعات القبائل، مما كان يؤدي بالبعض منها إلى الفرار من مواطن استقرارها صوب مجالات أخرى جديدة، أو البحث بشتى الوسائل الممكنة عن امتيازات الإعفاء، وإن كانت هذه الوسائل والمسالك تتعارض أحيانا مع الشرعية القانونية وأسس الانتماء إلى الجماعة الوطنية (الحمايات الفردية). ولعل ما كان يزيد من شدة وطأة هذه السخرات، سطوة القواد وتعسفاتهم أثناء توزيع قسماتها وأعبائها على أفراد الجماعات القبلية، إذ كانوا عادة ما يكيلون بمكيالين للسكان، يحابون المقربين وأولي "النسب والحسب" ويتشددون في المقابل، مع عوام الناس، ناهيك عن الأسلوب المشترط في عمليات التوزيع الذي لم يكن يقيم اعتباراً للتفاوتات القائمة موضوعيا بين وحدات الكوانين والخيام سواء على مستوى حجم ثرواتها الاقتصادية أو على مستوى مكوناتها العددية وهي ظاهرة لسوء ما خلفته من أضرار فادحة على صعيد المجتمع القبلي، ومارافقها من اختلالات جبائية أخرى موازية على صعيد الإدارة المالية، أدت بالمخزن المركزي إلى القيام ببعض المبادرات الإصلاحية للنظام الجبائي والمالي ككل، توجت الأولى على عهد السلطان الحسن الأول بإحداث ترتيب 1884، بينما أثمرت المبادرة الثانية على عهد المولى عبد العزيز ترتيب 1891.

ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 1 : 192 ـ 239، *إتحاف أعلام الناس*، 2 : 397 ـ 98 ؛ 4 : 423 ـ 24 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، 2 : 64 ـ 66 ؛ ن. هراج التوزاني، *الأمناء بالمغرب*، 38 ـ 46 ـ 171 ـ 182 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي*، 513 ـ 517 ؛ ع. الرحمن المودن، *البوادي المغربية*، 351 ـ 353 ؛ ج. عياش، *دراسات*، 79 ـ 120 ؛ ف. العيساوي، *كلف البوادي*، ندوة البادية المغربية، 1999 ؛ ف. الإدريسي، *الجباية في عهد الدولة السعدية*، 1 : 316 ـ 317، رسالة جامعية، كلية الآداب، 1994 ـ 1995، ظهر المهراز، فاس.

E. Michaux-Bellaire, *Les impôts marocains*, *A.M.*, vol. 1, n° 1, mars 1904 ; J. Erckmann, *Le Maroc moderne*, Paris, 1895, p. 126 ; G. Cattenoz, *La fiscalité*

*marocaine*, Paris, 1927 ; P. Bernard, *Les anciens impôts de l'Afrique du Nord*, juin 1924, janvier 1925, p. 59.

الفقيه الإدريسي

**السّخيري**، أسرة تطوانية قديمة انقرضت، ورد ذكرها في وثائق القرن الثاني عشر (18م) وكان منها عدول، منهم عبد السلام بن قاسم السخيري عام 1116 ؛ وعبدالسلام بن محمد السخيري ورد ذكره بشكله العدلي بين عدول عام 1119 ومحمد بن عبد السلام السخيري كان يشهد عام 1157 ـ 1184.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

محمد بوخبزة

**السداهي** المكي بن الحاج علي. مقاوم ولد سنة 1925 بدوار تيرانت قبيلة بني بشير قيادة تبرانت إقليم الحسيمة، انضم إلى جيش التحرير بمركز باب الحيط في أكتوبر 1955 وكان ينتمي إلى التشكيلة التي يرأسها علوش والحطاط. وقد قام بأعمال جليلة مع إخوانه المجاهدين حيث أبلى البلاء الحسن إلى أن سقط في ساحة الشرف شهيداً على إثر إصابته برصاص جنود الاستعمار يوم 11 مارس من سنة 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520860.

**سد مجنون** : مستنقعة موسمية سبخة، بقعر سهل البحيرة جنوبي مراكش، وهو مقعر مستطيل محصور بين سلسلة الجبيلات الهرسينية جنوبا وهورست هضبة الرحامنة شمالا، تبلغ مساحته حوالي 2000 كلم2 قسمه الشرقي منفتح على واد تساوت وأم الربيع، أما قسمه الأوسط والغربي فهو حوض مغلق ذو جريان داخلي، مساحته حوالي 1200 كلم2 تتجمع به مياه المسيلات الموسمية النابعة من الجبيلات ومياه واد گاينو ذي الجريان الموسمي، والكثير من هذه المجاري يكمل مسيرته بجريان منتشر، تتجمع مياهها بقعر الحوض مكونة مستنقعة أو بحيرة موسمية تتراوح مساحتها ما بين 16 إلى 35 كلم2 لكن عمقها لايزيد عن 60 إلى 80 سنتيمتراً هذا إن امتلأت في سنوات غزيرة المطر لكنها تفقد جل مياهها صيفا بالتبخر، يبلغ علوها عن سطح البحر 404م. تنتشر المستنقعة بين جماعة المحرة وواد أملول بدائرة بن گرير بإقليم قلعة السراغنة فوق أراضي جماعية لقبيلة بني حسان ولذلك كانت تعرف قديما بكلتة بني حسان، كما يسميها سكان سهل البحيرة بسد المسجون باعتبار مائها مسجونا لامسلك له ليتصل بالوديان المجاورة، لكن الجغرافيين الفرنسيين الأوائل الذين وضعوا الخرائط للمنطقة كتبوا عليها (خطأ) سبخة سد مجنون.

ويتوالي سنوات الجفاف منذ بداية عقد الثمانينيات وتراجع معدل الأمطار إذ سجل بأقرب محطة إليها بمركز سيدي بوعثمان 219 ملم في الفترة 1974 ـ 1994، جفت مياه البحيرة ولاتعاود الظهور شتاء بعد هطول الأمطار إلا

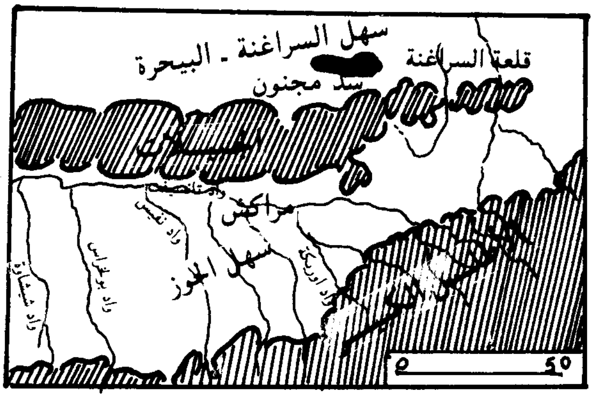


على شكل ضايات منفصلة وأراضٍ موحلة، لكنها تتحول صيفا إلى مرعى جماعي وإن كانت نباتاتها هزيلة ضعيفة القيمة الغذائية أهمها الغسول والحرمل وأعشاب صغيرة، ذلك أن المياه سواء السطحية الموسمية أو الجوفية للآبار المجاورة لها تتميز بملوحتها التي تتراوح ما بين 2 غرام / لتر بالهوامش إلى 5 بوسطها حيث تجمعت المياه وتبخرت تاركة أملاحها طيلة آلاف السنين. ويرجع سبب ملوحتها إلى التبخر السطحي لمياه فرشة باطنية كانت عميقة، بل تعتبر مياه السبخة جزءها العلوي، كما أن بعض المجاري المغذية لها خاصة واد گاينو الذي يتميز بحوض واسع 640 كلم2 يمر على سحنات سطحية ملحية تعود إلى الكريتاسي وأحيانا إلى اللياس والبرموترياس. ويلاحظ أن الملوحة متركزة في الطبقة العليا للمياه الجوفية والتربة حيث يسود طمي حديث ضعيف النفاذية ورصيص وحصى ومواد رملية وقشرات كلسية مستنقعية. أما المياه العميقة التي يتجاوز عمقها 100 متر فإنها عذبة أو ضعيفة الملوحة، توجد في خزانات شبه منفصلة لتكوينات قارية رباعية وبليوفرانشية ترتكز فوق طبقات من الإيو سين. إن ملوحة مياه المستنقعة وتربتها ومياهها الجوفية دفعت الدواوير إلى الاستقرار بعيداً عنها بعدة كيلومترات. ويطرح استغلالها اليوم إشكالا إذ لا تجود الحبوب ولو كانت شعيراً بضفافها ولهذا تحولت منذ القديم إلى أراضي رعي جماعي. وقد أنشأ فلاح مقدام بضفافها ضيعة لزراعة القمح الصلب والرطب باستعمال المياه الجوفية في الرش لكن المردودية جاءت ضعيفة جداً. وتقوم حاليا مصالح البحث الزراعي تحت إشراف المركز الفلاحي لقلعة السراغنة بتجارب علمية لاستنبات نباتات تتحمل الملوحة، فنشروا بها بذور أعشاب

مستوردة وزرعوا عينات من الفصة تتحمل الملوحة كما شرعوا في برامج تشجير بأشجار لكطف وأنواع من السنط والكينا والكولزا والزيتون البري وفستق مهجن من إيران ونوعيات خاصة من الأوكلبتوس. إن الجفاف المتزايد يتسبب في إفراغ المنطقة مما يدعو إلى إعادة إعداد المجال الفلاحي على أسس إيكولوجية علمية تساهم في حماية البيئة وترشيد استغلال مواردها.

*بحث ميداني، ملعومات من المرشدين الفلاحيين لسيدي بوعثمان وتقارير علمية* حول الدراسات والتجارب العلمية بسهل البحيرة ومستنقعتها من المركز الفلاحي لقلعة السراغنة.

أحمد هوزالي

**سدراتة** أو أيت سَدْرات، قبائل توجد في وقتنا الحاضر في ثلاث مناطق مختلفة في إقليمي ورزازات وزاگورة، وتحديدا في عالية ووسط وادي دادس، وكذا في عالية وادي درعة جنوب مركز أگدز الحالي. وتفيد المعلومات التاريخية القليلة المتناثرة في بعض المصادر أن هذه القبائل نزحت إلى هذه المناطق الجنوبية الشرقية من مناطق أخرى من المغرب الأقصى في فترات معينة. فماذا نعرف عنها ؟

ورد عند ابن أبي زرع في *القرطاس* أن أيت سدرات هم من القبائل الزناتية الأولى التي استقرت بشمال المغرب الأقصى وكانوا من جملة القبائل التي بايعت إدريس الأول سنة 789/172. أما الباحث الفرنسي جورج كوڤرور Georges Couvreur فقد اعتبرها من قبائل المخزن الإدريسي معتقداً أن استقرارها بمنطقة دادس تم خلال القرن الخامس (11 م) وذلك بإيعاز من بعض الشرفاء الأدارسة الذين كانوا قد أحكموا سيطرتهم عليها قبل ذلك. وجدير بالذكر هنا تواتر رواية شفوية لدى أيت سدرات إلى اليوم تزعم أن أصلهم من أيت سادن القريبين من فاس عاصمة الأدارسة، وحسب نفس الرواية فإن قدومهم إلى أسيف ـ نْ ـ دادس كان بطلب من شريف إدريسي يدعى مولاي بوعمران كان حاكما على المنطقة وقتئذ. ولما توفي دفن في المكان الذي يحمل اسمه إلى اليوم. وظهرت به زاوية لاتزال تحمل اسمه على الضفة اليمنى لوادي دادس قريبا من مركز قلعة مگونة الحالي. وهذه الزاوية يقام بها موسم ديني كل سنة في عاشوراء.

غير أن المادة المصدرية المتوفرة لا تؤكد ما تناقلته هذه الرواية الشفوية وتبين بالتالي أن استقرار أيت سدرات بوادي دادس لم يتم في غضون القرن الخامس الهجري كما ذهب إلى ذلك جورج كوڤرور، بل تؤدي بنا إلى الاعتقاد أن استقرارهم به ربما تم في فترة متأخرة عن القرنين الخامس والسادس (11 و12 م) بدليل أن المصادر التي أشارت إليهم خلال نفس الفترة ذكرت وجودهم في أماكن أخرى من المغرب غير منطقة دادس. ففي سنة 1062/454 ورد ذكرهم ضمن قبائل فاس التي قامت في وجه يوسف بن تاشفين أثناء محاصرته لهذه المدينة. وذكر ابن أبي زرع أيضاً أن هذا السلطان المرابطي قاتل أيت سدرات وأهل صفرو سنة 465 / 1072. ويظهر أن أيت سدرات ربما توغلوا داخل الأطلس المتوسط في غضون النصف الأول من القرن السادس (12 م). ذلك أن البيذق تحدث عنهم بعد استيلاء عبد المؤمن بن علي على بلدة أزرو بالأطلس المتوسط. وإثر ذلك تفرق جيشه إلى فريقين : فريق توجه إلى بني كانون وآخر إلى تيظاف "فوجد أيت سدرات، وبني أمرسال وأهل ملوية". أما الشريف الإدريسي فقد سجل أن أيت سدرات أو على الأقل فريقا منهم كان يراقب الطريق الرابط بين تلمسان وسجلماسة.

كما نجده يوطنهم في مكان آخر بين مدينتي مراكش وسلا على الساحل الأطلسي. وفي هذا الصدد يقول : "ومن مدينة مراكش إلى مدينة سلا على ساحل البحر تسع مراحل أولها تونين. وتونين قرية على أول فحص أفيح لا عوج به ولا أمتا، وطول هذا الفحص مرحلتان ويسكنه من قبائل البربر قزولة ولمطة وسدرات".

وورد في *المقصد الشريف* لعبد الحق بن إسماعيل البادسي ما يفيد أن فصيلا من أيت سدرات كان موجوداً في المناطق الشمالية قريبا من فاس. ذكر ذلك في ترجمته للفقيه إسحاق بن مطهر الورياغلي المعروف "في وقته بالأعرج لأنه خرج عليه اللصوص ليلا في مسجد من بلاد سدراتة، حين قراءته فيها".

وقد ظلت جموع من أيت سدرات متمركزة شمالي فاس أثناء ظهور حركة بني مرين في شمال شرق المغرب في بداية القرن السابع (13 م) وكانوا من جملة القبائل التي بايعت الأمير عثمان بن عبد الحق بعد مقتل أبيه الأمير عبد الحق المريني مع ابنه إدريس من طرف قبائل بني رياح العربية سنة 614 / 1217. ولم يكتف أيت سدرات بمبايعة إخوانهم بني مرين بل وقفوا إلى جانبهم وشدوا عضدهم في القضاء على خصومهم الثائرين عليهم. وهكذا اعتمد عليهم الأمير يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني في محاربة الثائر عمر بن عثمان بن يوسف الذي تحصن في قلعة فندلاوة بجبال بني يازغة في بداية ولايته. وفي هذا الشأن يقول ابن أبي زرع : "وأمر الأمير يوسف قبائل بني عسكر ومن في تلك الجهات من قبائل البربر من سدراتة وبني وارثين وبني يازغة وبني سيتان وغيرهم بحصاره وقتله، فحاصروه مدة من شهر ثم خرج أمير المسلمين إليه بنفسه ... [ولما] علم أن لا طاقة له بالحصار ولا مقدرة له على مدافعة أمير المسلمين، فبعث إليه الصلحاء يأخذون له الأمان منه، فأمنه ونزل إليه فبايعه وصرفه إلى تلمسان بجميع أهله وماله".

إن ما يمكن استخلاصه من التحليل السابق، هو أن وادي دادس ربما شهد استقرار أيت سدرات به في غضون القرن السابع (13 م). وهذه الفترة هي فترة عرف فيها المغرب الأقصى انهيار النظام الموحدي وقيام النظام المريني محله. وقد صاحب ذلك تحركات بشرية كبرى همت المجال

المغربي برمته شمالا وجنوبا كان من نتائجها إعادة توطين كثير من القبائل في مواطن غير المواطن التي كانت فيها إلى ذلك الحين. وهذه التحركات الكبرى قامت بها خاصة قبائل زناتة بزعامة بني مرين وقبائل عرب بني معقل. ويبدو أن هذه القبائل كانت متنافسة في السيطرة على المجال المغربي. ففي الوقت الذي بسطت فيه قبائل بني مرين نفوذها على مناطق شمال المغرب، نزحت قبائل بني معقل مضطرة إلى سهل سوس عبر ما سماه محمد القبلي "بالمغرب الخارجي" أي مناطق القبلة أو بلاد الواحات. ولمنع تسرب بني معقل إلى السهول الشمالية الغربية قام بنو مرين بإبعادهم عن مداخلها ورصدوا من أجل ذلك حواجز بشرية دونها "على طول وادي ملوية ما بين بلاد الزيز ووادي صا، وذلك إما بواسطة قبائل مرينية أو زناتية أخرى كمكناسة وبني نجاسة وبني يرنيان، وإما بواسطة قبائل حليفة ...". ولهذا ليس مستبعداً أن يكون أيت سدرات قد استقدموا إلى دادس من طرف عشيرتهم بني مرين وذلك في إطار هذه السياسة التي كانت ترمي إلى محاصرة بني معقل في مناطق الواحات وسهل سوس التي امتسحوها من قبل. وكونهم سيطروا على دادس الأوسط وكذا عاليته يدل دلالة واضحة على أنهم أحكموا السيطرة عليه لمنع كل تسرب محتمل لهذه القبائل نحو مناطق الشمال عبر ممراته.

ومن جهة أخرى، أدى هذا النزوح الزناتي إلى وادي دادس ممثلاً في قبائل أيت سدرات إلى حدوث نزاعات بينها وبين قبائل صنهاجة القبلة التي كانت تستوطنه من قبل وخاصة منها قبائل إيمْگون التي تم استيطان هذه القبائل النازحة على حساب بعض أراضيها. وقد اشتدت حدة هذه النزاعات بين الجانبين مع مرور الوقت بسبب التنافس على مجالات الرعي وخاصة في جبل صاغرو الذي حاولت السيطرة عليه قبائل أخرى مثل إيمغران وأيت عطا. ونظراً لتضارب مصالح مختلف هذه القبائل فإن ذلك كان مدعاة للتحالف في ما بينها ضد بعضها البعض. فبرز حلفان قويان في مناطق القبلة والأطلس الكبير والأوسط والشرقي هما حلف أيت عطا وحلف أيت يفلمان. فالأول حسب المهدي الناصري في مؤلفه *نعت الغطريس* كان ينتصر له في المعارك أيت مصّادْ ومن تبعهم من قبائل إحنصالنْ وأيت بوگمّاز وإيمگون وبني محمد وأهل الغرفة ومن تبعهم في تافيلالت وأيت يوسي وأيت نضير وأيت إمگليد وإشقيرن بالأطلس المتوسط. أما الثاني فكان يقف إلى جانبه في المعارك أيت سدرات وإيمغران وأيت يسري وزيان وإيگروان.

ويبدو أن أيت سدرات شكلوا قوة سياسية وعسكرية مهمة كان يحسب لها حسابها في هذه المناطق. ويتجلى هذا الأمر بصفة خاصة في استنجاد سكان درعة العليا بهم للوقوف أمام استفزازات وتعسفات قبيلة أولاد يحيى خلال الثلث الأول من القرن الثاني عشر (18 م). وحسب الرواية الشفوية المتداولة فإن الولي الصالح سيدي منديلْ دفين قصر تانسيخت هو الذي توسط في أمر تدخلهم هناك لما كان يحظى به لديهم من احترام وتقدير. وتضيف نفس الرواية أن سكان درعة العليا تعهدوا لأيت سدرات بأن يتخلوا لهم عن نصف الأرض التي سيحررونها من قبضة أولاد يحيى. وقد انتهز أيت سدرات الفرصة وأبعدوا أولاد يحيى عن درعة العليا وفرضوا حمايتهم على المنطقة وأقاموا فيها قصورهم. وهذا التوسع زادهم قوة ونفوذاً في هذه المنطقة كلها. كما يظهر أن أيت سدرات استطاعوا إدماج قبائل جديدة ضمن قبيلتهم الكبرى وهذا ما حدث في فترة يصعب تحديدها ويتعلق الأمر بقبيلة أيت تُوخْسينْ التي يوجد مجالها حاليا في عالية دادس وتحديداً بين المضايق (تيسضْرينْ) وامسمريرْ. وهذه القبيلة انضمت إلى أيت سدرات وقدمت لهم تيغرسي (أي الذبيحة) بعدما غادرت موطنها الأصلي في أيت سيدي علي أوبورك بجبل صاغرو. وإذا كنا نجهل أسباب وظروف مغادرتها هناك فمن المحتمل أن يكون أيت عطا الذين سيطروا على جزء كبير من جبل صاغرو هم الذين كانوا وراء ذلك.

وكما سبق الذكر فقد شكل أيت سدرات قوة بشرية وسياسية مهمة في جنوب شرق المغرب ضمن النسيج القبلي لهذه المنطقة. كما أنهم شكلوا وحدة ثقافية متميزة سواء بلهجتهم أو بتراثهم الثقافي المتراكم المتمثل في التقاليد والأعراف المرتبطة بالحياة الخاصة والعامة، فرصيدهم في الغناء الأمازيغي بمختلف ألوانه (تمديازتْ، وتمنضين أو تيماويين، وأحيدوس بشقيه : إزلي وتكوري) يعتبر غنياً وأصيلاً لبراعتهم فيه أداءً ولغة. وقد اشتهر لديهم شعراء كثيرون أمثال أوردّو وأوفارق وحدو أوكماتْ وآخرون.


ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، بور سعيد، الظاهر، د. ت. المجلد الأول ؛ البيدق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ *المقتبس من كتاب الأنساب*، الرباط، 1971 ؛ ي. التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1404 / 1984 ؛ ع: الحق البادسي، *المقصد الشريف*، تح. سعيد أعراب، الرباط، 1402 / 1982 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. م. حجي وأخرين، الرباط، 1408 ـ 1409 / 1988 ـ 1989، ج. 2 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار*، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ المهدي الناصري، *نعت الغطريس الغسيس هيان بن بيان المنتمي إلى السوس*، مخطوط ؛ م. القبلي، حول *التحركات البشرية بمجال المغرب الأقصى فيما بين منتصف القرن الثاني عشر ونهاية القرن الثالث عشر للميلاد*، *مجلة كلية الآداب*، الرباط، عدد مزدوج، 21 ـ 22، 1997 ـ 1997، ص. 74 ـ 75 ؛ م: حمام، *جوانب من تاريخ وادي دادس وحضارته*، الرباط، 2001.

G. Couvreur, *La vie pastorale dans le Haut-Atlas Central, R.G.M.*, n° 13, 1968 ; Charles de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* (1883-1884), Paris, 1985 ; D. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien, des origines à 1670*, Paris, 1982, 2 vol. ; J. Mazel, *Enigmes du Maroc*, Paris, 1971 ; L. Mezzine, *Le Tafilalt, contribution à l'histoire du Maroc au XVII° et XVIII° siècles*, Rabat, 1987 ; G. Spillman, *Districts et tribus de la haute vallée du Dra*, Paris, 1931 ; H. Zafrani, *Mille an de vie juive au Maroc*, Paris, 1983.


محمد حمام

**السدراتي**، أسرة سلوية عريقة، اشتهر منهم أشخاص احتلو مكانة مرموقة في القضاء والأمانة، كما اشتغلوا بالحرف والتجارة والفلاحة، منهم أحمد بن الحاج محمد السدراتي من فقهاء سلا توفي سنة 1282 / 1865 وأبو بكر السدراتي من شعراء الملحون له قصائد في موضوعات متنوعة. توفي سنة 1135 / 1722، وعبد الحق السدراتي كبير رجال المدفعية بسلا توفي بعد سنة 1292 / 1875، والحاج عبد الله بن عبد السلام السدراتي الرئيس البحري والأمين بمرسى العدوتين توفي قبل سنة 1244 / 1828.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 2، ص. 172 ؛ *معلمة المغرب*، ج. 5، ص. 1539 ؛ ع. الرحمن المودن، *البوادي المغربية*، ص. 64 - 81 - 171 ؛ *التنظيم، الجماعي والإداري*، 1992.
*Villes et tribus du Maroc*, Rabat, Tome III, p. 150.

**السدراتي، أحمد** بن المكي (الحاج -) فقيه سلاوي أخذ عن علماء بلده وعلماء فاس وولي القضاء بمسقط رأسه سنة 1203 وأعفي منه، ثم أعيد إليه سنة 1226 وأخر عنه ثانية وولي القضاء مرة ثالثة سنة 1247 حتى توفي سنة 1253 ودفن قرب ضريح الشيخ الحراثي إزاء مقبرة الشيخ الحاج أحمد بن عاشر.

له تقاييد تاريخية، وهو من شراح *الموطأ* في نحو 850 صفحة وعنوانه *تقريب المسالك لموطإ الإمام مالك* يُوجد بالخزانة الصبيحية السفر الأول من أسفاره الأربعة تحت رقم 136.

ومن مآثره أنه حبس آباراً للشرب بين عين إسمير (الولجة) والخندق بسلا.

م. بن علي، *الإتحاف الوجيز*، 49 - 87، ط 2 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 259 - 260، ط 2 ؛ التعريف، 2 : 57 - 149 - 164 - 241 - 249 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 21 و171 و 9 : 46 ؛ *تاريخ الضعيف*، 366 و368 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 249 ؛ جعفر الناصري، *سلا ورباط الفتح*، 5 : 963 (مرقون بالخزانة الصبيحية) ؛ م. بن الطيب العلوي، *العلامة محمد السدراتي*، دعوة الحق، ماي 1978، ص. 98 ؛ *وثائق بنسعيد* ؛ *وثائق خ. ص* ؛ *رواية شفوية* للحاج محمد بنسعيد شيخ الملحون.

مصطفى بوشعراء

**السدراتي، أبو ثابت** عامر بن فتح الله، من أيت سدرات إحدى قبائل الأطلس المتوسط. وأسرة السدراتيين معروفة كأسرة مخزنية خدمت ملوك بني مرين منذ قيام دولتهم، وكان من أشهر أفرادها أبو سالم فتح الله السدراتي والد المترجم ووزير السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (656 / 1258 - 685 / 1286). أما عامر فقد استطاع، بفضل رصيد أسرته السياسي وتربيته المخزنية وما تمتعت به شخصيته من سماحة وكرم وجود ودهاء، استقطاب اهتمام السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب (710 / 1310 - 731 / 1331) إليه وخلق موقعا متميزاً له بين حاشيته حتى أدرك المناصب العليا والثقة الكبرى في إسناد خطة الوزارة إليه. وعندما استعاد أبو سعيد نفوذه على مدينة سبتة بعد ثورة بني العزفي بها سنة 728 / 1328 استعمل كبار رجالاته وخواص مجلسه في أعمالها ومن بينهم وزيره عامر الذي عقد له على حاميتها.

وفي عهد السلطان أبي الحسن (731 / 1331 - 752 / 1351) ظل عامر أحد أبرز وزرائه والأقرب إلى قلبه حتى إنه كان لا يعقد مجالسه السياسية والعلمية إلا بحضوره، كما أنه كان يخصه بمهام خطيرة وأمور ثقيلة دون غيره لثقته به، ومن ذلك أن ولاه إلى جانب الوزارة النظر في أمور العمال ومعرفة أخبار النواحي والأقطار البعيدة. وقد استمر السدراتي على اتصاله الوثيق بالسلطان أبي الحسن المريني والتفاني في خدمته إلى أن استشهد في وقعة طريف عام 741 / 1340.

مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، الرباط، 1972، ص. 87 - 160 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973، ص. 298 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 174 - 177 - 248 - 249 - 253 - 361 - 362 ؛ ابن الأحمر، روضة النسرين، الرباط، 1962، ص. 18 - 24 - 26 ؛ *النفحة النسرينية واللمحة المرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 37 - 48 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 515 - 636 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 461؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج. 3، ص. 44 - 115 - 177 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج. 8، ص. 11 - 12.
A. Khaneboubi, *Les premiers sultans mérinides, Histoire politique et sociale*, Paris, 1987.

رشيد السلامي

**السدراتي، عبد الله** بن عبد السلام السلوي، من رياس الأسطول المغربي خلال عهد سيدي محمد بن عبد الله، ومن أبرز قواده السلاويين العاملين تحت الإشراف المباشر لقائد الأسطول عبد الله العسري. وقد ورد ذكره في لائحة الرياس الذين أنعم عليهم السلطان بهبته الملكية في سنة 1198 / 1784.

عبد الهادي العسري، *كناش في أمور البحر*، خ. ع. مخطوط رقم 1907 د، ص. 34.

حسن أميلي

**السدراتي، محمد** (الحاج -) بن أحمد بن الحاج المكي فقيه مدرس أخذ عن علماء سلا وفاس، وكان سنة 1282 / 1865 كاتباً لسفارة الشرگي وبنسعيد إلى فرنسا. ولي القضاء بسلا سنة 1316، وبأسفي سنة 1319. كان إماماً وواعظاً وخطيباً بالمسجد الأعظم بسلا، وتوفي في ذي القعدة عام 1330 / أكتوبر - نونبر1912.

مصطفى بوشعراء

**السِّدْرة**، سبق لنا أن عالجنا هذه المادة تحت مدخل أزگارْ الاسم الأمازيغي الشائع لنبات السدرة أو النّبق أو العُنّاب أو الضال الذي ينتمي إلى جنس زيزيفوس Zizyphus وفصيلة السدريات أو النبقيات .Rhamnaceae

وهو جنس زيزيفُوسْ يضم نوعين طبيعيين من السدرة بالمغرب، ونوعين دخيلين على الأقل من العناب أو الزّفيزَف أو الزفزُوف :

ـ النوع السائد من السدرة في المغرب هو زيزيفُوسْ لُوتُسْ Zizyphus lotus : إضافة إلى الاستعمالات التي أشرنا إليها تحت مادة أزگار، بعد التفاصيل المتعلقة بالصفات النباتية والتوزيع البيوجغرافي نود أن نشير إلى أن النبق يعتبر مقوّياً ومضاداً للحمى والديدان التي تعيش في الأمعاء، ولمرض الجذري والحصبة. بينما تستعمل الأوراق في صيانة الشعر وضد الإسهال ومرض الجهاز البولي. وفي بعض الحالات يستعمل رماد السدرة مخلُوطاً مع الخل لمعالجة لدغات الثعابين.

أما من حيث التغذية فإن طحين الثمر من الممكن أن يعطي خبزاً جد محبب عند الرحل الذين يعتبرون كذلك النبق المجفف مادة رئيسية في تكوين زادهم في تنقلاتهم الكبرى.

ينتج النحل الذي يرعى في أزهار السدرة عسلا رفيعا وثمينا.

ـ النوع الطبيعي الآخر هو زيزيفُوسْ موريسيانا Zizyphus mauritiana الذي لا يصادف بالمغرب إلا في السافانات الصحراوية في منطقة وادي الذهب. يتميز هذا النوع عن النوع الأول بأوراقه المكسوة بوبر كثيف على وجهها السفلي، وبسيقانه الفتية المزغبة، وبصغر حجم ثماره.

لا تختلف استعمالات هذا النوع عن تلك التي ذكرت بالنسبة للنوع الأول.

ـ النوعان الدخيلان من العناب هما زيزيفُوسْ فُولْگاريسْ Zizyphus vulgaris وزيزيفُوسْ سْبِينَاكْريسْتي Zizyphus spina-christi. إن أصلهما من آسيا بالنسبة للنوع الأول ومن إفريقيا السودانية والساحلية. وقد غرسا كنوعين شجريين مثمرين لأن ثمارهما أكبر حجما من النبق العادي. وقد انتشرت زراعتهما كما هو الشأن بالنسبة لأنواع أخرى تغرس لثمارها في كل أرجاء بلدان المناطق الحارة وشبه الحارة، لكن في الأراضي المروية. وهكذا نجدهما يغرسان، وخاصة النوع الأول، في حدائق فاس ووجدة ومكناس ومراكش وفي جل الواحات.

ثمار العُنّاب لحمية وذات لب أبيض ولذيذة المذاق، تؤكل طازجة أو مجففة، وتستعمل لعدة أغراض في التطبيب التقليدي.


A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.


عبد المالك بنعبيد

**السّدود بالمغرب**، ظلت تمثل على الدّوام إحدى المقومات الحيوية والثابتة التي يتأسس عليها الاقتصاد الحضري والريفي وباقي القطاعات الاجتماعية على حدّ سواء. وإلى الآن ما زالت البادية المغربية تحفل بعدد هائل من منشآت خزن ونقل الماء قد شيّدت منذ أقدم العصور، من حواجز لتحويل المجاري المائية ونشر مياه الفيضانات وغُدران وخطارات وناعورات وشادوفات و "نطفيات"... لكن السدود القارة والمرتكزة على قواعد تكنولوجية عصرية لم تبرز للوجود إلا مع نهاية العشرينيات من القرن العشرين.

إن افتقار المغرب من جهة إلى مصادر الطاقة، وتوفره من جهة أخري عل شبكة مائية مستقلة وكثيفة نسبيا في المناطق الشمالية وعلى تضاريس متباينة تسمح في العديد من النقط بتخزين المياه قد دفعا سلطات الحماية في أول الأمر إلى استغلال الموارد المائية لأغراض الشرب والإنارة وتزويد خطوط السكك الحديدية بالطاقة الكهربائية وتشغيل الصناعة العصرية الناشئة. أما قطاع الري فظل مهمشاً ولم يتستأثر بالاهتمام إلا في مطلع الأربعينيات،

وسواء تعلق الأمر بالسدود المشرفة على القطاعات المسقية أو التي تزود المدن، فإن إدارة الحماية لم تعمل على إنشائها وتوطينها إلا بالقدر المحدود الذي يخدم مصالح المعمرين قبل كل شيء. فكانت الحصيلة مع بداية الاستقلال متواضعة : 12 سداً كبيراً وحقينة إجمالية لا تتعدى 1,75 مليار م3 ومساحة مسقية تبلغ 56.000 هـ ورقعة قابلة للري لا تتجاوز 150 000 هـ وإنتاج مائي يتراوح بين 770 و850 كو / س.

تعتبر العشر سنوات الأولى من الاستقلال فترة انتقالية

ومناسبة إعادة هيكلة التركة الاستعمارية وتحديد السياسة المائية وتحضير القوانين (قانون الاستثمار الفلاحي) واسترجاع أراضي الاستعمار الرسمي (1963) والقيام بدراسات حول الري بالقطاعات الصغيرة والمتوسطة. خلالها سيفضّل المغرب الانكباب على تجهيز الأراضي القابلة للري وسيكتفي باستهلاك الإرث الاستعماري وبناء ثلاثة سدود فقط ذات مخزون ضعيف لتسديد نفقات الواردات وجلب العملة الصعبة لتحقيق التوازنات والزيادة في الإنتاج الغذائي والحد من النزوح نحو المدن. وتجدر الإشارة إلى أن المكتب الوطني للري، كان يهتمّ بجميع مراحل الري ويتوفر على صلاحيات واسعة، حيث قام بدراسة مشروع سبو كأول خطة فلاحية ـ مائية مندمجة واتخذ دائرة تادلة كمختبر لبرامجه، لم يعمّر طويلاً (1961 ـ 1965) بسبب نهجه سياسة إصلاحية عاجلة حسب اعتقاد السلطات العمومية.

أما المرحلة الثالثة (1967 ـ 1980) فعرفت أوجاً لتكثيف بناء السدود والتجهيزات المائية. ذلك أنه تم بناء 12 سداً كبيراً بمخزون إجمالي يفوق كل ما تم تجميعه في السدود 12 التي شيدت في العهد الاستعماري أربع مرات تقريباً. ولم يتسنّ ذلك دون رصد نصيب ضخم من ميزانية الدولة بشأن التهيئة المائية وإقامة السدود. فبلغت ذروة 26٪ في مخطط 1968 ـ 1972 لتتراجع في مخطط 1973 ـ 1977 (13٪).

لقد تم إنشاء المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي سنة 1966 لجعلها مؤسسات عمومية ذات شخصية معنوية واستقلال مالي، وذلك لتكليفها بالإشراف اللامركزي على تجهيز وتدبير القطاع الفلاحي في الدوائر المسقية الكبرى التسع. وفي السنة الموالية تم إنشاء مديرية المياه لتشرف على التحكم في الموارد المائية واستغلالها ودراسة وبناء السدود، كما تم الإعلان في خطاب العرش عن سياسة ري مليون هكتار في أفق سنة 2000. وهي سياسة اكتست أبعاداً رمزية في الأول قبل أن تتضمن حقائق تاريخية فيما بعد. فضلاً عن ذلك تم صدور قانون الاستثمار الفلاحي عام 1969 صحبة مجموعة من قوانين الماء، ثم استرجعت كل أراضي الاستعمار الخاص سنة 1973 لتنضاف إلى الأراضي المسترجعة من الملك الاستعماري الرسمي سنة 1963. بهذا الرصيد العقاري ستتمكن الدولة من نهج سياسة تقنقراطية في بداية المرحلة تستهدف الإنتاجية والمردودية (اعتماداً على الري بالخصوص) قبل أن تتخذ سياسة لرأسمالية الدولة عبر الشركات العمومية وفي إطار الجهوية المستحدثة ابتداء من 1971.

غير أن مخطط 1978 ـ 1985 صادف حلول أزمة غذائية دفعت إلى ردّ الاعتبار إلى القطاع البوري بهدف الاكتفاء الذاتي الغذائي وإعادة التوازن بينه وبين القطاع المسقي.

المرحلة الرابعة الممتدة في 1981 و1992 تميزت بمواصلة التجهيزات وبناء السدود الكبيرة (10) ولكنها اتسمت على الخصوص بتدشين عهد جديد في هذا الميدان، وهو عهد السدود الصغيرة (54) والمتوسطة (1). وللمحافظة على التقدم المسجل في هذا المجال تمت خلال هذه العشرية مراجعة قانون الاستثمارات الفلاحية ومباشرة البرامج الفلاحية القطاعية والمشاريع المندمجة بإشراك القطاع الخاصّ. وبالمقابل كان يتعين على البلاد أن تواجه ضغوط ومخلفات العمل بسياسة التقويم الهيكلي وأن تراجع نسبة الميزانية الاستثنائية التي كانت تحول لقطاع الماء والسدود وأن تعيدها لمستوى قريب من 5٪ من ميزانية الدولة. كما اضطرت أن تقاوم آثار أطول مرحلة جافة في التاريخ المائي المغربي المعاصر.

لقد ترسّخت سياسة السدود منذ انطلاق سلسلة الأعوام الجافة والمتعاقبة بداية من 1981، وهي السنة التي تأسس فيها المجلس الأعلى للماء والمناخ. فأوصى بدفعة قوية تقضي بتشييد سدّ كبير خلال كل سنة ابتداءً من 1987 لاستنفاد المساحة المسقية الموعودة، وكذا لبناء 500 سد صغير في الأفق البعيد للتخفيف من الاختلال القائم بين القطاعات المسقية العصرية الكبرى والتقليدية الصغرى، وذلك بهدف ترقية الوسط الريفي وتثبيت سكانه وتحسين دخلهم ومحاربة البطالة والعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي وأيضاً تطوير تكنولوجيا وطنية حديثة في ميدان السدود وهندسة المياه والبناء بمواد مستخرجة عموماً في عين المكان أو مصنوعة محلياً. هكذا، وبعد أولى الدراسات التي ترجع إلى 1973 والتي تم التخلي عن تطبيقها على أرض الواقع لمدة عقد كامل، تقرر الشروع في تشييد السدود الصغرى والمتوسطة ابتداءً من 1984 بتعاون بين وزارات الفلاحة والداخلية والتجهيز، على أن تتكلف هذه الأخيرة بالدراسات التصورية والتأطير والإمداد بالآلات الضرورية للبناء. وبعد إحصاء 352 موقع محتمل آنذاك وقع الاختيار على 210 موقع لدراستها.

وأخيراً تميزت الحقبة الحالية (انطلاقاً من 1993). بانتهاء "العصر الذهبي" للسدود الصغرى (3 فقط) ولكن ببروز واضح للسدود المتوسطة (8) والاحتفاظ بوتيرة بناء السدود الكبيرة (11). كما شهدت هذه المرحلة وضع مشاريع ودراسات، بل وحتى الشروع في تشييد 23 سداً كبيراً و31 سداً متوسطاً و136 سداً صغيراً. وهو ما يعادل على التوالي، مقارنة بالرصيد الموجود إلى حدّ الآن النصف و3،5 مرات ومرتين ونصف. في هذه الفترة أيضاً تم إنشاء سد الوحدة الذي يعد أكبر سد في إفريقيا بعد السد العالي المصري، وتم في 1995 تحديث النظام القانوني للماء الذي

أسس بموجبه لإحداث الأحواض النهرية ومكن إبرام شراكات بين الإدارات والجماعات المحلية في ميدان الاستغلال وسمح للقطاع الخاص بتدبير القطاع المائي والاستثمار فيه. وقد تبلورت إنجازات هذه الحقبة في ظرفية حافلة بالإكراهات التي ترجع بالأساس إلى تجذر وتوالي سنوات الجفاف، وكذا استفحال المستلزمات التنموية المتقلصة بفعل السياسة السابقة للتقويم الهيكلي ومختلف المتطلبات الاجتماعية المتراكمة (شغل، تعليم، صحة، سكن ...)، وأيضاً تزايد المنافسة الأوربية لصادراتنا وإغلاق الأبواب دونها عقب تحقيق وحدتها.

الآن وبعد مرور أكثر من 70 سنة على التجربة المائية يمكن الإقرار بدون مغالاة واستناداً على الحصيلة الكمية الإيجابية، بأن المغرب يتفرد باكتفائه المائي الذاتي لمدة قد تطول أو تقصر وبتوقعه وتجنبه الأزمات المائية التي تتخبط فيها الكثير من دول جنوب البحر المتوسط. فهو حالياً يتوفر على 112 سدّ منها 48 كبيرة و9 متوسطة و55 صغيرة، وعلى مخزون يعادل 16،3 مليار م3 من مجموع الكمية القابلة للتعبئة (22،5 مليار م3)، كما تمكن من تحقيق منجزات استثنائية في هذا الميدان، حيث يعتبر سد الوحدة ثاني أكبر سد إفريقيّاً والحسن الأول أكبر سد إفريقي مبني بالتراب والمركب المائي لسد علال الفاسي - مطماطا فريداً من نوعه. وذلك علاوة على الأنظمة الكبرى لتحويل المياه بين المناطق (من سبو إلى الجنوب ونحو ملوية، ومن اللكوس نحو الجنوب ومن المجاري المتوسطة نحو ملوية السفلي) والتكثيف من بناء السدود الصغيرة والمتوسطة.

غير أن الاستعمالات القطاعية لمخزون المياه مازالت تمنح الامتياز المطلق للقطاع الفلاحي على حساب الماء الصالح للشرب والمستغل في تشغيل الصناعات، إذ كانت الفلاحة المسقية تستأثر بحوالي 95٪ من مجموع الذخيرة المائية قبل أن تتحول النسبة إلى 91،5٪ ابتداءً من 1990 و83٪ انطلاقاً من سنة 2000.

توفر التساقطات المطرية والثلجية في المغرب 150 مليار م3 سنوياً، مع تباينات سنوية في حجم الموارد تخلف دورياً تذبذبات قد تصل تارة إلى أقل من ثلث ذلك المعدل وتارة أخرى أكثر منه بمرتين ونصف. أما "التساقطات النافعة" غير المبخرة التي تصرف بالمجاري والفرشات المائية فلا تتعدى 30 مليار م3، والكمية القابلة للتعبئة السطحية تناهز 22،5 مليار م3 (مقابل 7،5 مليار م3 من المياه الجوفية). الآن يتم استغلال حوالي 70٪ من الاحتياطي القابل للتخزين، والملفت للنظر أن الفلاحة المسقية هي أكبر مستهلك للماء، حيث لا تترك للقطاعات الأخرى سوى 17٪ مقتسمة بين الماء الصالح للشرب والماء المستعمل في الصناعات، وذلك في أحسن الأحوال.

بالنظر إلى الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية المتكاملة أحياناً والمتعارضة أحياناً أخرى، والتي يكتسي بعضها صبغة استراتيجية والبعض الآخر طابعاً اضطرارياً واستدراكياً، هناك صراع ملموس حول الماء بين شتى القطاعات. إذ بصرف النظر عن أهمية القطاع السياحي الذي يعوّل عليه أكثر فأكثر في الأمد القريب والمتوسط، وعلاوة على ضغوطات النمو الديمغرافي والتمدين، مازال قطاع الري يمثل إحدى أهم الأولويات التي تعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي وتوفير العملة الصعبة والشغل والتقليل من الهجرة إلى المدن وتقليص الفوارق بين الدوائر المسقية الكبرى والصغرى... والتي تبرز بإصرار الحاجة إلى ترقية نمط العيش بالاستهلاك وكذا تحسين أوضاع وظروف عيش الوسط الريفي الذي انتقلت فيه نسبة الأسر المنخرطة في شبكة توزيع الماء الصالح للشرب من 14٪ سنة 1990 إلى 53٪ سنة 2002.

كل هذه العوامل تبرز مدى إلحاح الطلب على الماء والمنافسة على استعماله، والذي من شأنه حث الدولة على البحث عن طرق أنجع لتدبيره وكذا بذل المزيد من الجهود الاستثمارية لمواكبة العرض للطلب.

فضلاً عن ذلك يعرف قطاع السدود عجزاً وتدهوراً في الموارد السطحية يرجع بالأساس إلى توحل الحقينات وتلوث الماء وتقلبات المناخ التي تسفر عن تباينات بين الفصول والسنوات والمناطق التي يستقبل بعضها 2000 ملم سنوياً (أعالي الريف والأطلس) وبعضها أقل من 100 ملم (الجنوب والجنوب الشرقي). ويجدر التأكيد على أن المغرب يعيش سنوات متوالية من الجفاف منذ 1981 (باستثناء 1989 و1994 و1996 و1997)، إلى درجة اعتماد تقنين توزيع الماء أحياناً في بعض المدن والإخلال بتطبيق المخططات الاجتماعية والإنتاجية والسياحية والسقوية. وقد أدى نقص الماء المهول في صيف 1995 إلى تنظيم رحلات مكوكية لأربعة سفن لنقل 30 000 طن لكل واحدة منها من الجرف الأصفر إلى طنجة.

وقد نجم عن ذلك مباشرة استمرار تراجع مخزونات السدود التي وصل بعضها إلى درجة الإفراغ التام (ابن بطوطة، الحاشف، الدخيلة...). مما انعكس سلباً على الوضعية الاقتصادية بالمغرب ودفع سكان الأرياف إلى استغلال المياه الجوفية التي لا تفي بالحاجيات. وللتخفيف من وطأة الأزمة تم فتح حساب بنكي عمومي (رقم 111) مخصص لتبرعات المتضامنين سنة 1995.

وبلغت نسبة ملء الخزانات في منتصف شهر فبراير 2002 حوالي 46٪ أي أقل من مثيلتها في سنة 2001 (52٪)، من بينها تسعة سدود كبيرة بلغت نسبة أقل من 20٪ و12 سداً كبيراً فاقت نسبتها 80٪.

كما تعتبر ظاهرة التوحل الوجه السيء للتساقطات التي تعرف نظاماً تتناوب فيه الفترات الجافة والفترات المطيرة العنيفة التي تجرف بعمق التكوينات السطحية

## السدود الكبرى (إلى سنة 2002)

(الوظائف : إ ـ مقاومة الإطماء. ت ـ إعادة تزويد الفرشة المائية. ر ـ ري. ش ـ شرب. ص ـ صناعة.
ف ـ الوقاية من الفيضانات. ك ـ كهرباء. م ـ توريد الماشية)

| السدود | المجاري المائية | سنة الشروع في العمل أو التجميع | الأحواض النهرية | طاقة التخزين (مليون م3) | الوظائف | المساحة القابلة للري | أقرب مدينة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| س. سعيد معاشو | أم الربيع | 1929 | أم الربيع | 2.00 | ش ـ ص ـ ك | - | أزمور |
| المالح | الملاّح | 1931 | الرباط البيضاء | 8.20 | ر ـ ش | 400 | البيضاء |
| قصبة تادلة | أم الربيع | 1931 | أم الربيع | 0.10 | ر ـ ك | 27970 | ق. ـ تادلة |
| علي التهيلات | لاو | 1935 | الشمال الغربي | 30.00 | ر ـ ف ـ ك | 1816 | شفشاون |
| الكنصرة | بهت | 1935 (1969) | سبو | 273.00 | ر ـ ش ـ ص. ك | 28750 | س. سليمان |
| للاّ تاكركوست | نفيس | 1935 (1980) | تانسيفت | 68.80 | ر ـ ش | 9800 | مراكش |
| إمفوت | أم الربيع | 1944 | أم الربيع | 18.20 | ر. ش ـ ص ـ ك | 50000 | سطات |
| زمران | زمران | 1950 | أم الربيع | 0.60 | ر. | 60 | خريبگة |
| الدورات | أم الربيع | 1950 | أم الربيع | 9.50 | ك. | - | سطات |
| بين الويدان | العبيد | 1953 | أم الربيع | 1300.30 | ش ـ ك | 105120 | أزيلال |
| أيت أوعرضة | العبيد | 1954 | أم الربيع | 4.00 | ر ـ ك | - | أزيلال |
| تاغدوت | عمارة | 1956 | جنوب الأطلس | 3.00 | ر. | 200 | تازناخت |
| النخلة | النخلة | 1961 | الشمال الغربي | 5.70 | ر. ش ـ ص | 700 | تطوان |
| أسفي | سحيم | 1965 | الجديدة ـ آسفي | 2.00 | ش ـ ص | - | آسفي |
| محمد الخامس | ملوية | 1967 | ملوية | 410.90 | ر. ش. ص. ف. ك | 65 400 | تاوريرت |
| أجراس | أجراس | 1969 | الشمال الغربي | 3.00 | ر. | 700 | تطوان |
| مولاي يوسف | تاساوت | 1969 | أم الربيع | 190.00 | ر. ك | 31 520 | دمنات |
| الحسن الداخل | زيز | 1971 | جنوب الأطلس | 346.80 | ر. ف | 2750 | الرشيدية |
| المنصور الذهبي | درعة | 1972 | سوس ماسّة | 528.90 | ر. ف ـ ك | 25000 | ورزازات |
| يوسف بن تاشفين | ماسّة | 1972 | سوس ماسّة | 303.80 | ر. ش | 18260 | تزنيت |
| إدريس الأول | إناون | 1973 | سبو | 1207.00 | ر. ف ـ ك | 72 300 | فاس |
| س. م. ب. عبد الله | بورقراق | 1974 | أبورقراق | 486.00 | ش. ص | - | الرباط |
| ابن بطوطة | مهرهر | 1977 | الشمال الغربي | 39.00 | ش. ص | - | طنجة |
| واد المخازن | اللوكوس | 1979 | الشمال الغربي | 772.70 | ر . ش. ص. ف. ك | 39 050 | القصر الكبير |
| تيمي نوتين | تاساوت | 1980 | أم الربيع | 5.30 | ش. | - | دمنات |
| عبد المومن | إيسّن | 1981 | سوس ماسة | 214.60 | ر. ش. ص. ف | 13 000 | أگادير |
| م. ب.ع.ك الخطابي | نكور | 1981 | الساحل المتوسطي | 33.50 | ر. ش. ص | 5 720 | الحسيمة |
| وقاية اللوكوس | اللوكوس | 1981 | الشمال الغربي | 4.00 | ر. | - | العرائش |
| سيدي إدريس | لخضر | 1983 | أم الربيع | 3.70 | ر. ف | - | قلعة السراغنة |
| الدّخيلة | إيسّن | 1986 | سوس ماسة | 0.70 | موازنة | - | أگادير |
| الحسن الأول | لخضر | 1986 | أم الربيع | 262.60 | ر. ش. ص. ك | 43 400 | أزيلال |
| علال الفاسي | سبو | 1990 | سبو | 81.50 | ر. ش. ص. ك | 24 600 | صفرو |
| أولّوز | سوس | 1991 | سوس ماسة | 108.20 | ت. ش. ص. | - | أولّوز |
| سمير | سمير | 1991 | الشمال الغربي | 43.00 | ش. ص. | - | تطوان |
| وقاية سبو | سبو | 1991 | سبو | 40.10 | ر. | 11500 | القنيطرة |
| 9 أبريل 1947 | الحاشف | 1995 | الشمال الغربي | 300.90 | ش. ص. | - | طنجة |
| الوحدة | ورغة | 1996 | سبو | 3800.00 | إ. ر. ش. ص. ف. ك | 100 000 | وزان |
| سيدي شاهد | ميكس | 1997 | سبو | 170.00 | ش. ص. | - | فاس |
| الحسن الثاني | زا | 1998 | ملوية | 275.00 | ر. ش. ص. ف | 2000 | تاوريرت |
| أحمد الحنصالي | أم الربيع | 2001 | أم الربيع | 740.00 | ر. ش. ص. ك | 36 880 | زاوية الشيخ |
| أسفالو | أسفالو | 2001 | سبو | 317.00 | ر. ك | 8300 | فاس |
| مشرع الحجر | سبو | 2001 | سبو | 18.00 | ر. | 74 000 | فاس |
| الطواهر | إنّاون | 2001 | سبو | 40.00 | ر. ش | 3350 | تازة |
| أيت مسعود | أم الربيع | 2002 | أم الربيع | 13.00 | ك. | - | قصبة تادلة |
| مداز | سبو | 2002 | سبو | 597.00 | ر. ش. ص. ك | 16 000 | صفرو |
| عين تيمدرين | سبو | 2002 | سبو | 3.00 | ك. | - | صفرو |

## السدود المتوسطة (إلى سنة 2002)

| جمعة | جمعة | 1992 | الشمال الغربي | 6.50 | ش. | - | تارگيست |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| إمي الخنگ | برحيل | 1993 | سوس ماسة | 11.00 | ت. ر.ف | - | أولاد برحيل |
| ساهلة | ساهلة | 1994 | سبو | 62.00 | ت. ر.ش | 5000 | تاونات |
| الساقية الحمراء | الساقية الحمراء | 1994 | الصحراء | 110.00 | ت. ف | - | العيون |
| أگاي | أگاي | 1994 | سبو | 1.25 | ف | - | صفرو |
| أنجيل | تاغوشت | 1995 | سبو | 12.70 | ر. ش | - | بولمان |
| بوهودا | حوض ورغة | 1999 | سبو | 56.00 | ت. | - | تاهلا |
| باب الوطا | حوض ورغة | 1999 | سبو | 37.00 | ش. | - | تارودانت |
| شاكوكان | حوض سوس | 2000 | سوس ماسة | 50.00 | ر. | - | تارودانت |

## السدود الصغرى (إلى سنة 1998)

| عالية القواسم | الشگيگة | 1984 | أم الربيع | 0.30 | ر. | - | أولاد عبّو |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| سيدي الضاوي | أم الربيع | 1984 | أم الربيع | 5.50 | ر. ش. ص | 1000 | أزمور |
| أيت المرابطية | ختازة | 1985 | بورقراق | 0.20 | ر. | - | الماس |
| عريض | عريض | 1985 | بورقراق | 0.70 | ش. | - | الرماني |
| إيمي الأربعاء | تيغزنيت | 1985 | تانسيفت | 0.78 | ر. | 80 | أيت ورير |
| سافلة القواسم | الشگيگة | 1985 | أم الربيع | 3.00 | ر. | - | أولاد عبّو |
| مسخسخة | مسخسخة | 1985 | ملوية | 3.00 | م. | - | عين بني مطهر |
| نزالة العزري | بومرهان | 1985 | تانسيفت | 0.50 | ر. | 100 | س. بوعثمان |
| الصفا | الصفا | 1985 | سوس ماسة | 0.70 | ف. | - | أيت باها |
| سيدي علي | سيدي علي | 1985 | ملوية | 1.00 | م. | - | بني مطهر |
| تاگنزا | تاگنزا | 1986 | سوس ماسة | 0.35 | ر. | 60 | أگادير |
| سيدي المياري | تاغزريت | 1986 | أم الربيع | 1.10 | ر. | 300 | ق. تادلة |
| بوكردان | بوكردان | 1986 | ملوية | 0.44 | ر. | 50 | ميسور |
| أكروز | أكروز | 1986 | جنوب الأطلس | 0.65 | ر. | 30 | گلميمة |
| أشبارو | گايز | 1986 | جنوب الأطلس | 1.00 | ر. | 50 | أرفود |
| بوتاعريشت | بوتاعريشت | 1986 | جنوب الأطلس | 0.70 | ر. | 30 | الريش |
| حمّو أورزاك | حمّو أورزاك | 1986 | جنوب الأطلس | 1.60 | ش. م. | - | بوعرفة |
| سافلة تيزگيت | تيزگيت | 1986 | سبو | 0.12 | ف. | - | إفران |
| بني سمير | واد زم | 1986 | أم الربيع | 0.94 | ت. | - | واد زم |
| أگافاي | عريسة | 1986 | تانسيفت | 0.52 | ر. م. | - | گنّاوت |
| ثلاث بوبكر | إرهان | 1986 | ملوية | 3.00 | ر. | 250 | عين زورة |
| أقا نوسيكيس | أوسيكيس | 1986 | ملوية | 1.00 | ر. م. | 70 | بولمان |
| غزالة | رمان | 1986 | الرباط البيضاء | 0.07 | ر. م. | - | بوزنيقة |
| بوموسى | سطات | 1986 | الرباط البيضاء | 0.015 | استجمام | - | سطات |
| خنگ الهدا | مسيد | 1986 | ملوية | 3.80 | م. | - | دبدو |
| الرويضات | الرويضات | 1987 | الرباط البيضاء | 2.92 | ر. م. | 600 | سيدي يحيى |
| عزيب الدويراني | شعبة الابيض | 1987 | تانسيفت | 0.60 | ر. ف. م. | - | شيشاوة |
| بطمة الرّما | عين حمّو | 1987 | ملوية | 0.76 | ر. م. | - | تاوريرت |
| أمان سايرنين | الدفالي | 1987 | سبو | 0.35 | ر. ف. | - | الحاجب |
| إمي الحدّ | زدير | 1987 | تانسيفت | 0.40 | ر. | 50 | سميمو |
| عين تاورطوت | بالگران | 1987 | أم الربيع | 0.85 | ر. م. | 200 | أگلموس |
| مويلح | مويلح | 1987 | أم الربيع | 0.46 | ر. ف. | 60 | بجعد |
| مزامزا | بالآبار | 1987 | الرباط البيضاء | 0.066 | ر. استجمام. | - | سطات |
| عين كرمة | عكراش | 1987 | الرباط البيضاء | 1.31 | ر. م. | - | عين العودة |
| عين عودة | سهب عرگوب الكلخة | 1988 | الرباط البيضاء | 0.12 | م. | - | عين العودة |
| طويلتس | طويلتس | 1989 | أم الربيع | 1.00 | ر. م. | 85 | واد زم |
| إتزر | تيفيتشوت | 1989 | أم الربيع | 0.66 | ر. | 55 | إتزر |
| بوخالف 3.2.1 | مصابر - ماگايور سوناريت | 1989 | الشمال الغربي | 0.028-1.10 0.002 | ر. | 300 | طنجة |
| عريشة | عريشة | 1990 | أم الربيع | 1.80 | ر. | 300 | بنحمد |
| راس بلفيران | بلفيران | 1990 | سبو | 0.30 | ر. ش. م. | 20 | فريطيسا |
| الدويس | الدويس | 1991 | جنوب بالأطلس | 0.95 | ر. م. | 80 | بودنيب |
| بلاد الگعدة | بوفكران | 1991 | سبو | 2.90 | محاربة التلوث | - | فاس |
| عالية تيزكيت | تيزگيت | 1991 | سبو | 0.75 | استجمام | - | إفران |
| الصابون | الصابون | 1991 | الشمال الغربي | 1.10 | ر. | 250 | طنجة |
| الصغير | الصغير | 1991 | الشمال الغربي | 2.30 | ر. | 530 | طنجة |
| جرف الغراب | جرف الغراب | 1992 | سبو | 0.90 | إ.ش. | - | أورتزاغ |
| السّاف | السّاف | 1992 | سبو | 1.00 | ر. | 250 | طنجة |
| إيماون | إيماون | 1992 | جنوب الأطلس | 0.23 | ف. | - | بويزاكارن |
| أغرغيس | أسيف نتفلاّ | 1992 | جنوب الأطلس | 0.28 | ش. ف. | - | بويزاكارن |
| مهراز | مهراز | 1992 | سبو | 0.62 | ف. محاربة التلوث | - | فاس |
| عربات | عربات | 1995 | سبو | 1.70 | ش. | - | سلوان |
| بن يخلف | - | 1997 | ملوية | 0.028 | ف. | - | بركان |
| غربية | - | 1998 | سبو | 0.75 | ر. ش. م. | - | تاونات |

## لائحة السدود في طريق أو نهاية الإنجاز أو لها دراسات جاهزة (1998 ـ 2002)

### السدود الكبرى

| السدود | المجاري المائية (أحواض) | طاقة التخزين (مليون م3) | الوظائف | المساحة القابلة للري | أقرب مدينة (إقليم) |
|---|---|---|---|---|---|
| مريجة | أم الربيع الأسفل | 20.00 | ك. | - | (سطات) |
| مشرع الصفا | أم الربيع الأسفل | 22.00 | ك. | - | (سطات) |
| إمزيلفان | أم الربيع الأعلى | 72.00 | ك. | - | (خنيفرة) |
| تاسكدرت | أم الربيع الأعلى | 20.00 | ك. | - | (خنيفرة) |
| تاجموت | أم الربيع الأعلى | 7.00 | ك. | - | (خنيفرة) |
| تاغزيرت | درنة (أم الربيع) | 235.00 | ر. ش. ك | - | (بني ملال) |
| أمسا | أمسا | 82.00 | ش. ص. | - | (تطوان) |
| مارتيل | مارتيل | 100.00 | ر. ش. ص. | 3000 | (تطوان) |
| الرّوز | الرّوز | 30.00 | ش. | - | (تطوان) |
| إفاسيّين | غيس | 230.00 | ر. ش. ص. | 13000 | (الحسيمة) |
| س. م. ب عبد الله | أبورقراق | 480.00 | ش. ص. | - | (الرباط) |
| (الزيادة في الارتفاع) | | 1280.00 | | | |
| أيت حمّو | أوگار | 110.00 | ش. ص. | - | (أگادير) |
| تامري | تامري | 50.00 | ش. ص. | - | (أگادير) |
| سيدي سعيد | ملوية | 400.00 | إ. ر. ص. | - | - |
| أنسگمير | أنسگمير | 130.00 | ر. ش. | - | (ميدلت) |
| طركة أوماضي | زبزيت | 250.00 | إ. ر. ف. | - | (تازة) |
| تيليدانين | ملوية | 800.00 | إ. ر. ش. | - | (گرسيف) |
| كرّوسة | گير | 220.00 | ر. ف. | 1800 | (فگيگ) |
| الگلتة الزرگا | درعة | 9.50 | ر. ش. | - | (طانطان) |
| أگلموس | (جنوب الأطلس) | - | - | إ. ف. | - |
| الصيّاد | الصياد | 30.00 | ت. ر. ش. | - | (گلميم) |
| الصاكا | الصاكا | 65.00 | ر. ش. | - | (گلميم) |
| جبل الكحل | بوعنان | 430.00 | ر. | 4800 | بوعنان |

### السدود المتوسطة

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| شاشا نملاّح | أم الربيع الأعلى | 193.00 | إ. | - | (خنيفرة) |
| النكور | النكور | 15.60 | إ. | - | (الحسيمة) |
| تيزملال | (الساحل المتوسطي) | 21.25 | إ. م. | - | (تارگيست) |
| بوكركور | (ساحل الرباط البيضاء) | 30.00 | ر. ش. م. | - | (بنحمد) |
| نفيفيخ | نفيفيخ | 53.00 | ش. ف. م. | - | (بنسليمان) |
| عين كواشيّا | إيكم | 11.00 | ر. ش. | - | (الصخيرات) |
| الشراط | الشراط | 7.00 | ش. | - | (بوزنيقة) |
| خنوسة | خنوسة (أبورقراق) | 23.00 | ش. | - | (الرماني) |
| سيدي عمّار | (أبورقراق) | 63.00 | ش. ف. | - | كهف النسور (خنيفرة) |
| سيدي عمر | (أبورقراق) | 35.00 | ر. | - | (المعازيز) |
| إيگي نأوعقا | (سوس ماسّة) | 10.50 | ت. ر. | - | أولاد برحيل (تارودانت) |
| سيدي عبد الله | (سوس ماسّة) | 10.37 | ت. ر. | - | تاملوكت (تارودانت) |
| المداد | (سوس ماسّة) | 11.30 | ت. | - | (تارودانت) |
| آن زمّور | (سوس ماسّة) | 9.50 | ر. ش. م | - | أمسكرود (أگادير) |
| زا | زا (ملوية) | 55.00 | إ. | - | كفايت (جرادة) |
| تيمكيت | (جنوب الأطلس) | 14.00 | ت. ر. | - | (تينجداد) |
| تيوزاگين | (حوض گير) | 10.20 | ر. ش. | - | (گورآمة) |
| فالت | (جنوب الأطلس) | 15.00 | ت. ر. | - | (بوعرفة) |
| خنگ گرو | (خنگ گرو) | 90.00 | ت. ر. | - | (بوعنان) |
| تيوين | درعة | - | ف. | - | (ورزازات) |
| تاديغوست | حوض زيز | - | ر. | - | (الرشيدية) |
| أمزميز | (تانسيفت) | 11.00 | إ. | - | (أمزميز) |
| تاسكورت | (تانسيفت) • | - | ر. | - | (إمينتانوت) |
| بولعوان | سكساوة | 80.00 | ر. | - | (سيدي بوعثمان) |
| تازاران | (سبو) | 9.20 | إ. ر. م. | - | (باب برّد) |
| عين عبدون | (سبو) | 10.50 | إ. ر. | - | (تاونات) |
| أولاّي | (سبو) | 22.50 | إ. ر. | - | (غفساي) |
| سيدي عبّو | (سبو) | - | ر. | - | (عين عيشة) |
| أداروش | بهت | 48.00 | ر. ش. م. | - | (أزرو) |
| زريزر | إسلان | 6.00 | إ. ر. ش. | - | (تاونات) |
| أزنجار | (سبو) | - | ر. | - | (رباط الخير) |

• قناة الساقية الحمراء (10.5 كلم) صبيب 9 م3/ث، تزويد الماشية، العيون

والتربات العارية والصخور اللينة، ثم تلقي بها في الأودية في مدة وجيزة. وتتضافر عدة عوامل لتشدد على استفحال عملية زحف الطمي على الخزانات المائية، أهمها شكل التضاريس الجبلية والمتموجة التي تبلغ حوالي 70٪ من المساحة الإجمالية، والضغط البشري الذي يخلف اجتثاث المساحات بما يناهز 100 000 هـ. سنوياً (من بينها 31 000 هـ تقتطع كل عام من الغابة).

إدارة هندسة المياه، وزارة الأشغال العمومية، *تعبئة المياه بواسطة السدود الكبرى*، الخطة الخماسية 1993 ـ 1997، يونيو 1992 ؛ شوقي بنعزو، *الماء ذلك التحدي المستمر*، منشورات بانوراما، الرباط، 1994 ؛ م. گريوط، *الري التقليدي بالمغرب*، *معلمة المغرب*، ج. 14، 2001، ص. 4573 ـ 4578.

A. Benhati, *La politique marocaine des barrages*, in *les problèmes agraires au Maghreb*, Paris, 1977 ; M. Ayad et J. Le Coz, *Vers une nouvelle ère hydraulique au Maroc*, in *Aspects de l'Agriculture irriguée au Maroc*, Rabat, Montpellier, 1991 ; *Les petits barrages, réalisation 1984-1992*, Pub. de l'Administration de l'Hydraulique, Min. des Travaux Publics, fév. 1993 ; *Les grands barrages au Maroc*, Pub. de l'Adm. de l'Hydraulique, Min. des Travaux Publics, 1994 ; *Les barrages du Royaume*, Direction de l'Hydraulique, juin 1998 ; *Annuaires statistiques du Maroc*, Direction de la Statistique, Min. de La Prévision éco. et du Plan, 1980-2000.

مصطفى عياد

**سرّاج، محمد**، مقاوم ولد سنة 1905 بخنيفرة انخرط في صفوف جيش التحرير منذ انطلاقته بجبال الريف تحت قيادة السيد عبد الله الصنهاجي، شارك في عدة هجومات على قوات المستعمر بالمنطقة كما كلف عدة مرات بإيصال السلاح والتعليمات إلى بعض المراكز المجاورة بالناحية.

توفي في 25 شعبان عام 1415 / 26 يناير 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 516805.

**سرّار، صالح**، مقاوم ولد سنة 1926 بأبي الجعد. انضم لصفوف النضال الوطني عند انطلاق الشرارة الأولى للمقاومة حيث أصبح عنصراً نشيطاً داخل الحركة الوطنية، وهو ما جعله يتحمل مسؤولية خلية المنظمة السرية بأبي الجعد، كما كان صلة وصل بين المنظمة بالدار البيضاء ومقاومي أبي الجعد. وقد قام بأعمال جليلة في مجال الفداء والتضحية من أجل استقلال البلاد حيث خطط لثورة 20 غشت التي عرفتها مدينة وادي زم.

توفي في 4 جمادى الأولى عام 1416 / 29 شتنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 528308.

**السراغنة**، المجال السرغيني جزء من المجال الأطلنتي الداخلي. يمتد على سهلين تفصل بينهما سلسلة الجبيلات الشرقية هما : سهل السراغنة ـ البحيرة شمالا وسهل الحوز الشرقي جنوبا. يحده من الأطراف الشمالية جزء من منخفض وادي أم الربيع الذي يفصل السراغنة عن هضاب قبيلتي الشاوية وبني مسكين. وتحده من الشرق النهاية الغربية لأطلس بني ملال وادي العبيد الذي يفصله عن بلاد تادلا السهلية. تتمثل حدوده الجنوبية في الحاشية الشمالية لأطلس دمنات التي تستوطنها قبيلتا فطواكة ولتانة. أما حدوده الغربية فتتمثل من الجنوب نحو الشمال في الحوز الأوسط، الجبيلات الوسطى، سهل البحيرة الوسطى، الكنتور. وهي مجالات تشغلها قبيلتا زمران (جزء من الحوزين الأوسط والشرقي) والرحامنة الذين يشغلون ما تبقى من هذه المجالات. وتنتمي القبيلتان إدارياً لإقليم قلعة السراغنة (انظر الخريطة 1 والخريطة 2). وبذلك تمثل بلاد السراغنة صلة وصل بين عالمين بشريين هما العرب شمالا والبربر جنوبا، بين مجالات الري ومجالات الزراعة البعلية. كما كان يمر منها الطريق التجاري الذي كان يربط بين مراكش وفاس ـ مكناس. تعتبر بلاد السراغنة حاليا جزءاً من جهة مراكش ـ تانسيفت الحوز.

1 ـ التضاريس

يتكون المجال السرغيني من أربع وحدات مورفلوجية هي من الجنوب نحو الشمال : منخفض الحوز الشرقي، الجبيلات الشرقية، الجزء الشرقي من السهل المقعر للسراغنة ـ البحيرة ثم تضاريس الكويسطا المشكلة في الحوض الرسوبي الفوسفاطي للكنتور الشرقي.

1 ـ 1 ـ منخفض الحوز الشرقي :

هذه الوحدة هي الامتداد الشرقي لمنخفض الحوز السهلي الذي يعتبر أخدود فصل من أصل بنائي. وقد لعب هذا المنخفض دور حوض رسوبي قاري تراكمت فيه تدريجيا تكوينات فتاتية غرينية ناتجة عن تحطيم السلسلة الأطلسية خلال النيوجين والرباعي. يصل سمك هذا الردم إلى أكثر من 200 م. وتتشكل هذه المواد الفتاتية رصيصا عناصره متغايرة القياس والنوع الصخري. تتكون ركيزة من الزمن الأول. تتوضع فوق هذا الأخير مواد حثية طينية حمراء بريموترياسية. في الحاشية الجبلية نجد فوق الترياس مواد كلسية من اللياس تتعاقب من دكات صلصالية. يبرز اللياس بتجاعيد الصهريج المحدبية، ثم يغوص شمالا لينتهي مائلا.

تشكل المواد الفتاتية النيوجينية والرباعية مخاريط انصباب مختلفة الأحجام أهمها اطلاقا مخروط واد تساوت، أو منخفضات سهلية كمنخفض الصهريج.

1 ـ 2 ـ الجبيلات الشرقية :

تتكون أساسا من مواد أولية قديمة تتمثل في الصفحث (الفليش) الفيزي الذي تغطيه فرشة زاحفة أولية كمبرو أردوفيسية. وانطلاقا من كديتي مولاي علي (747 م) والمنجل (693 م)، وبالضبط شرق واد كاينو، تنتظم التضاريس على شكل أعراف متوازية شمالية ـ جنوبية

الاتجاه مكونة من صخور مقاومة (مروة، حث سيليسي). تفصل بين الأعراف منخفضات مشكلة في صخور هشة مالحة (صلصال مصفر، فليش). تتخللها أحيانا عروق صخرية متواضعة الارتفاع تدعى محليا "الصخور" مثل صخر علال بن علال وصخر الزو صخيرات القطاع، أو تدعى الريش مثل الصخور التي توجد شرق مدينة القلعة بدوار "الرويش"، تصْغيراً للريش. ويستمر هذا التنظيم حتى ثغرة وادي تساوت حيث تقل الارتفاعات وتغوص الأعراف الأولية تحت الغطاء البريموترياسي والبليورباعي. هذا التنظيم هو تنظيم التضاريس الابلاشية.

1 ـ 3 ـ مقعر السراغنة ـ البحيرة :

عبارة عن أخدود مقعر عريض محصور بين كتلة الجبيلات جنوبا وتضاريس الكويسطا ثم نجد الرحامنة ـ السراغنة شمالا. تتكون ركيزته الجيولوجية من صخور أولية تغطيها صخور رسوبية ثانوية تنتمي للترياس والكريطاسي، وثلاثية تتمثل في الإيوسين ثم في الردم القاري النيوجيني ـ الرباعي الناتج عن تحطيم سلسلة الجبيلات. ويحمل هذا الأخدود اسم سهل البحيرة ـ السراغنة. وهو عبارة عن منخفض بنيوي حوضي الشكل شبه مغلف داخلي التصريف، حيث نجد في وسطه غرب مدينة قلعة السراغنة سد المسجون الذي يبلغ طوله 15 كلم وعرضه بين 2 و3 كلم. ويطلق عليه السكان اسم سد المجنون تحريفا لسد المسجون.

تتكون الجبيلات على طول الحاشية الشمالية من مجموعة من المخاريط الانصبابية أهمها المخروطان اللذان شكلهما كل من واد تساوت بعد خروجه من ثغرته الحالية بالجبيلات الشرقية وأحد فروعه القديمة بعد خروجه من ثغرة وادي كاينو، حيث خلف تكوينات بليورباعية متراصة بالقرب من قلعة السراغنة.

1 ـ 4 ـ منطقة الحدرة :

يطلق على المجال الممتد بين جبل خاو بالرحامنة وسافلة وادي تساوت عند مقرنه بواد أم الربيع اسم الحدرة. وهي منطقة هضبية فسيحة تعتبر امتداداً لهضبة الشاوية ـ بني مسكين الكريطاسو إيوسينية نحو الجنوب. ويفصل الحدرة عن هذه الهضبة واد أم الربيع بعد أن تعمق فيها. ومن نتائج هذا التعمق تقطع هضبة الحدرة وخلق مناظر تضاريسية متنوعة هي :

ـ تضاريس الكويسطا التي يطلق عليها وعلى سكانها اسم الحافات والتي تطل على منخفض متضرس شاسع، ينحدر سطحه في اتجاه وادي أم الربيع حيث يوجد سد المسيرة.

ـ كما نجد هنا وهناك تلالا شاهدة مسطحة القمم ومتوجة بصخور كلسية صلبة، ودراديق. وتدعى هذه الأشكال محليا بالأوتاد.

ـ تضاريس أولية مبعوثة أشار إليها مارمول كربخال في *وصف إفريقيا* باسم الجبال الخضراء الشبيهة بجبال صخور الرحامنة غربا (وارد عند J. Pégurier 1972). وتشكل صخور هذه الجبال (النضيدية والمروية) ركيزة الحدرة الجيولوجية والشبيهة كذلك بما نجده بالمسيطا المغربية الغربية. ويطلق السكان على هذه التضاريس اسم الضلوع أو الصخور.

2 ـ البيومناخ والأتربة :

2 ـ 1 ـ البيومناخ :

2 ـ 1 ـ 1 ـ المعطيات المناخية :

رغم أن المناخ لا يمثل سوى عنصر من عناصر النظام الطبيعي ببلاد السراغنة، فإن تأثيره حاسم. ذلك أنه يتحكم في الثروات النباتية الطبيعية التي يتوقف عليها النشاط الفلاحي خاصة النشاط الرعوي، وفي نوعية النباتات التي يمكن زراعتها أو إدخالها، وأخيراً في نوع الأتربة وكمية الثروات المائية.

مناخ المجال السرغيني عامة مناخ قاري طابعه الأساسي الجفاف وعدم الانتظام الزمكاني.

2 ـ 1 ـ 1 ـ 1 ـ الحرارة مفرطة (انظر الجدول 1)

المتوسطات الحرارية السنوية مرتفعة إذ يصل المعدل الحراري السنوي بمحطة القلعة عاصمة بلاد السراغنة 19,7 مئوية. كما أن معدل الحرارة العليا السنوي قوي في كل مكان إذ يصل 29,2 بنفس المحطة، في حين تكون الحرارة العليا القصوى في فصل الصيف جد عالية إذ تسجل أرقاماً قياسية خاصة أثناء هبوب رياح الشركي. فهي دائما أكثر من 45°، بل سجلت 50,5° في شهر يوليوز من سنة 1924. معدل الحرارة العليا لأسخن شهر 39°.

أما معدل الحرارة الدنيا السنوي فهو 11,7°. والحرارة الدنيا القصوى التي سجلت هي 3° بشهر يناير من سنة 1918. معدل الحرارة الدنيا لأبرد شهر هو 4,5°، مما يجعل المنطقة تتعرض لظواهر الجمد والصقيع "الجريحة" من نونبر إلى أبريل.

كما يتميز مناخ بلاد السراغنة بفروق حرارية يومية وفصلية قوية : المدى اليومي في المتوسط 17° صيفا و13° شتاء. أما المدى السنوي فهو 17,5°.

2 ـ 1 ـ 1 ـ 2 ـ التساقطات ضعيفة وغير منتظمة زمانيا ومجاليا (الجدول 2).

يتراوح المعدل السنوي للأمطار بالمجال السرغيني بين 200 و500 ملم. متوسط محطة قلعة السراغنة 257 ملم سنوياً. ويعرف هذا المتوسط تغيرات مجالية إذ تزداد التساقطات من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي، أي نحو أطلس دمنات : 200 ملم بسد المسجون بالبحيرة الذي يعتبر جزيرة صحراوية حقيقية بهذه المنطقة، يصبح المعدل حوالي 500 ملم بسور العز بالقرب من دمنات ارتباطا بعامل الارتفاع.

كما تعرف الأمطار تغيرات بيسنوية إذ تتوالى على

المنطقة سنوات رطبة مثل 1939 حيث تلقت محطة قلعة السراغنة 469 ملم، وأخرى جافة مثل 1982 حيث لم تسقط سوى 92,3 ملم بنفس المحطة أي بنسبة تفوق 5. كما تعرف الأمطار تغيرات فصلية : الشتاء أرطب الفصول (40٪ من الأمطار)، والصيف أجفها (5,2٪ فقط)، مما يظهر الحاجة الملحة للماء في هذا الفصل.

2 . 1 . 1 . 3 . الرطوبة، التبخر ونظام الرياح :

متوسط الرطوبة عموما ضعيف. الرطوبة النسبية تتراوح بين 73٪ في شهر يناير و33٪ في يوليوز. كما أنها تتغير على طول اليوم الواحد وبكيفية مهمة، بحيث يمكن أن تنزل إلى 18٪ بعد الظهر خلال فصل الصيف وأحيانا 0٪ عندما تهب رياح الشركي والسيروكو الجافة.

الرياح السائدة بالسراغنة غربية وشمالية - غربية، أي رياح محيطية وهي المسؤولة عن التهاطلات المطرية. كما تتعرض المنطقة لهبوب رياح قارية جافة شرقية (الشرگي) وجنوبية (السيروكو أو القبلي) ينتج عنها انخفاض عنيف في الرطوبة وتزايد مفرط في التبخر وحدوث عواصف رعدية وغبارية وتجفيف وذبول للنباتات وسقوط أوراق وثمار وأزهار الأشجار المثمرة. ويبلغ هبوبها في المتوسط أربعين يوما مع انخفاض خلال شهور الربيع وارتفاع خلال شهور الصيف.

لذا فإن مناخ بلاد السراغنة يتميز بضعف الأمطار وانخفاض الرطوبة الجوية، وعدم انتظام التهاطل مجاليا وزمانيا، مما يؤدي إلى حدوث فترات عجز مطري (جفاف) يمكنها أن تؤدي حسب طبيعتها ومدتها إلى كوارث حقيقية. وبتوالي عدة سنوات جافة، يتخذ الجفاف مظاهر فظيعة : هلاك القسم الأعظم من القطيع، هبوط الأثمان وحدوث مسغبات ثم مجاعات. كما يتميز المناخ بمتوسطات وفروق حرارية قوية، وبحدوث موجات صقيعية متأخرة غير مرتقبة وغير عادية وموجات ريحية ساخنة وجافة مبكرة أحيانا. كلها عوامل بنيوية تشكل عوائق حقيقية يجب التكيف معها من طرف سكان بلاد السراغنة وخاصة مع الأوضاع القصوى لأن المتوسطات أقل أهمية. ذلك أن لهذه الظروف المناخية انعكاسات على النبات والمياه والأتربة والأنشطة البشرية بمجال السراغنة.

2 . 1 . 2 . الغطاء النباتي :

تتجلى القحولة التي تطبع المجال السرغيني في نوع ومظهر الكساء النباتي السائد، بحيث يتكون من أنواع متدهورة جداً مخلفة عن التشكيلة المناخية. وحسب R. Négre يجب أن تسود بالسراغنة غابة مفتوحة مكونة من الأصناف التالية : السنط أو الأقاقيا من نوع Acacia gummifera الذي يدعى محليا "بالطلح"، والعفصية Tetraclinis articulata مصحوبين بالعتم أو الزيتون البري الذي يسمى "الزبوج" محليا Olea europea، والدوم Chamaerops humilis خاصة بالأطراف الجنوبية المحادية للأطلس الكبير (صنهاجة، المحمادنة، سور العز)، أي أطلس دمنات.

وحسب L. Emberger، تسود بالمنطقة سهوب مفتوحة من العناب أو السدر Ziziphus lotus، البطم أو فستق الأطلس Pistacia atlantica اللذين يميزان المستوى الجاف. وقد تعرض فستق الأطلس للتدهور الكبير. كما توجد بالمنطقة بضعة عناصر من نبات الخروب Ceratonia siliqua كما هو الحال بجبل خروبة بالجبيلات الشرقية.

بالإضافة إلى هذه الأصناف توجد أنواع تميز المجال الجاف وهي الهليون بنوعيه الأخضر الذي يدعى محليا "بالسكوم" والأبيض الذي يطلق عليه اسم "الشبرك" Asparagus alba وAsparagus stipularis. كما نجد نبات "تيرمط" أو "تيرنط" "Withania frutescens"، الحرمل Peganum harmala، الشيح Artemisia herba-alba، العلمد Ephedra fragilis الذي يتسلق السدر. كما نجد أنواع الفملحية أهمها "القطف" Atriplex halimus.

كل هذه الأصناف تعرضت للتدهور الشديد، مما أدى إلى اختفاء بعضها كالدوم والعفصية، أو ندرتها الكبيرة كالزيتون البري والخروب ما عدا بالأطراف الجنوبية الشرقية من مجال السراغنة حيث نجد بعض العناصر لكنها محدودة. كما أن العناصر الأخرى المتبقية بكثرة نسبيا (العناب، السنط، الهليون بنوعيه، و "العلمد" تعرضت للإفقار بفعل التدخل البشري القوي، خاصة في السنوات الأخيرة. وقد أصاب هذا الافقار كل المجال السرغيني وبالخصوص الجبيلات والشمال الغربي الذي يطلق على سكانه حاليا اسم أهل الغابة نسبة إلى الغابة التي كانت تغطيه بكثافة حتى القرن الثالث عشر (19 م) كما أشار إلى ذلك الغوجدامي قائلاً : "في بلد السراغنة قدام القلعة في محل يسمى ازنادة ... كانت حينئذ غابة من الزرب (السدر) المتصل لا يمكن حرثها لتراكم السدر فيها"، ثم اختفت لعوامل مناخية (نزوح نحو التجفيف) وبشرية كما أشار إلى ذلك الحسن الوزان. وهكذا يلاحظ حاليا تصحر تدريجي وتصاعدي من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي.

2 . 2 . الأتربة :

تسبب إفقار الغطاء النباتي وتدهوره في إفقار وتدهور الأتربة وتعرية السطح على مجالات شاسعة. وقد ساهم في هذا التدهور والافقار الاستعمال البشري المكثف وغير العقلاني للمجال (توسع مهم للزراعة رعي واسع جائر).

وتوجد ببلاد السراغنة مجموعة من الأتربة التي تطلق عليها أسماء محلية كباقي مناطق البلاد وهي : تربة الحمري، ورقوان، وبياضة، والتيرس واملاحة.

كما نجد أتربة هيكلية قليلة التطور فوق السطوح الأولية أو بظهر الكويسطا بالحدرة.

3 ـ الثروات المائية :

3 ـ 1 ـ الثروات المائية السطحية :

يعبر المجال السرغيني وادان دائما الجريان هما واد تساوت وواد الأخضر اللذان تتفرع عنهما شبكة كثيفة من السواقي. ذلك أن السراغنة كانوا دائما يعملون على تعبئة وتحريك الماء الذي يعتبر العائق الرئيسي للإنتاج الفلاحي في مثل الظروف المناخية التي تميز مجالهم. وهكذا نجد ما يزيد على أربعين ساقية مأخوذة من الوادين فقط من دخولهما بلاد السراغنة حتى مقرنهما بالحاشية الجنوبية للجبيلات، بل إن جزءاً من مياههما تم تحريكه وتوجيهه إلى سهل السراغنة ـ البحيرة شمال غرب قلعة السراغنة. عبر ثغرة واد كاينو بواسطة ساقيتي اليعقوبية نسبة إلى يعقوب المنصور الموحدي والغابية نسبة إلى أهل الغابة. هذا بالإضافة إلى شبكة ثانية من السواقي تتفرع عن واد تساوت من مقرنه بواد الأخضر إلى مصبه بوادي أم الربيع؛ والتي تروي جزءاً مهما من سهل السراغنة ـ البحيرة.

كما يحد المجال السرغيني من الشمال واد أم الربيع. ورغم أن هذه المحاور المائية تعبر أو تحد بلاد السراغنة، فإن هذه الأخيرة تستفيد من مياهها بعد تشييد ثلاثة سدود كبرى هي : سد مولاي يوسف (أيت عادل سابقا) على واد تساوت، سد مولاي الحسن الأول (أيت اشواريت سابقا) على واد الأخضر ثم سد المسيرة على واد أم الربيع. ويوجد بسافلة كل من سد مولاي يوسف ومولاي الحسن الأول سد احتياطي : سد تيمينوتين بواد تساوت وسد سيدي إدريس بواد الأخضر شرق الصهريج. توجه مياه هذه السدود للشرب أو الري داخل بلاد السراغنة أو خارجها نحو بلاد زمران والحوز الغربي. كما تستقبل بلاد السراغنة جزءاً من مياه واد العبيد (سد بين الويدان) عبر قناة تساوت 2 لري سهل السراغنة شمال مدينة القلعة. كما تجري ببلاد السراغنة سيول موسمية منحدرة من الأطلس الكبير نحو وادي تساوت والأخضر، ومن الجبيلات في اتجاه سهل السراغنة ـ البحيرة الذي تتحول بعض أجزائه لحظيا وخلال فترات التهاطل إلى مستنقعات تجف بفعل التبخر الشديد لدرجة أنها تدعى ببلاد السراب.

3 ـ 2 ـ الثروات المائية الباطنية :

يمكن التمييز داخل بلاد السراغنة بين أربع مناطق متفاوتة الأهمية من حيث الثروات المائية الجوفية. وهي من الأقل أهمية إلى الأكثر أهمية الحدرة، الجبيلات الشرقية، الحوز الشرقي ثم منخفض السراغنة ـ البحيرة.

3 ـ 2 ـ 1 ـ الحدرة :

هي امتداد لكتلة الرحامنة الهرسينية نحو الشرق. تتكون هذه الوحدة الهيدروجيولوجية من مواد قديمة قليلة النفاذية جداً. وبذلك فإن السريان الباطني للماء يتم على مستوى الشقوق والتصدعات ومجالات التفسخ التي أصابت الصخور النضيدية والمروية (الكوارتزيتية).

وبالتالي فإن امكانية خزن وتوفير الماء للشرب وورد الماشية قائمة. لكن إمكانات الري تبقى محدودة. ومع ذلك يلاحظ حاليا وتحت وطأة الجفاف، تطور لعمليات حفر الآبار وضخ مياهها، مما سمح بظهور واحات خضراء وسط مجال بوري قاحل واسع.

3 ـ 2 ـ 2 ـ الجبيلات ·انظرها في *المعلمة*، ج. 9 : 2921).

3 ـ 2 ـ 3 ـ الحوز الشرقي جزء من خزان سهل الحوز (انظره في *المعلمة*، ج. 11 : 36359).

3 ـ 2 ـ 4 ـ خزان سهل السراغنة ـ البحيرة (انظرها في *المعلمة*، ج. 4 : 1083).

النشاط الفلاحي :

بلاد السراغنة منطقة فلاحية بالدرجة الأولى كما يظهر ذلك من خلال المساحة المنزرعة أو الانتاج الفلاحي أو التجهيزات الهيدروفلاحية واستثمار الأراضي الفلاحية. الرقعة الزراعية المستغلة مهمة وتتوزع كما يلي : 52٪ أراضي بعلية (بورية)، 28٪ مراعي، 19٪ أراضي سقوية و1٪ غابات. ومن حيث إمكانات الانزراع حسب التغيرات المطرية توجد بلاد السراغنة ضمن المجال حيث الزراعة بدون سقي تكون تارة ممكنة وتارة أخرى غير ممكنة، أي ضمن المنطقة شبه القاحلة (Cote Legras, 1966). ذلك أن المناخ يتحكم في التوزيع الزمكاني للثروات المائية : فكلما كانت التحولات المناخية مرتفعة كلما أصبح اللجوء إلى الموارد المائية غير المطرية ضرورة حيوية. وهذه حالة بلاد السراغنة إذ يلاحظ أن هناك علاقة بين استغلال الثروات المائية وقدم التعمير وانزراع الأرض، بينما قلة الماء أو انعدامه يفسر اللجوء إلى الكسب والرعي.

تحتل زراعة الحبوب الدرجة الأولى من حيث المساحة المخصصة لها. ويحتل الشعير المقدمة من حيث المساحة (53٪) والانتاج (49٪)، ثم القمح الرطب (21٪ من المساحة و32٪ من الانتاج)، القمح الصلب (23٪ من المساحة المخصصة للحبوب و17٪ من الانتاج). الذرة (3٪ من المساحة و2٪ من الانتاج).

كما يتعاطى السراغنة لزراعة الكمون خاصة بالمجالات البورية ذات التربة الخشنة النسيج كما هو الحال بمنطقة الحدرة. وتخضع هذه الزراعة من حيث الانتاج والمردود للتقلبات المناخية : في السنوات الرطبة يرتفع الانتاج، لكن الثمن ينخفض دون أن ينزل عن 25 درهما للكيلوغرام، وفي السنوات الجافة حيث يقل الإنتاج ويرتفع الثمن الذي قد يصل إلى 100 دهم.

كما يمارس السراغنة الغراسة أو الشجارة بكيفية متنوعة. وهي حسب الأهمية : الزيتون، اللوز، المشمش، التين، الحوامض، الرمان، التفاح، البرقوق، ثم أنواع أخرى. وتعتبر شجرة الزيتون رمز بلاد السراغنة التي تمثل جزءاً مهما من مجالات انتشارها بالمغرب. وتمتد مجالات زراعة الزيتون حول مدينة القلعة وعلى طول وادي الأخضر

وتساوت وبالقطاعات السقوية الحديثة. وشجرة الزيتون لا ترتبط بنوعية التربة. فهي كما يقال "نبات غني لتربة فقيرة" بل تطورها مرتبط بحصيلة التربة من الماء أي بإمكانية الري. وإذا كانت شجرة الزيتون منذ قرون الشجرة الأساسية بالمجال السرغيني، فإن الحركة السريعة في غراستها ترجع للخمسينيات ابتداء من 1950، إذ يعتبر هذا التاريخ بداية ظهور المغارس الجديدة. وفي هذا الصدد قال J. Flouriot : "من الأكيد أنه يتم الغرس أكثر بدائرة السراغنة. في كل مكان نرى الفلاحين بالحقول يغرسون فسيلات جديدة. وتظهر المنطقة وكأنها أصيبت بجنون غراسي" (R.G.M., n° 9, p. 94) وتبقى أسباب هذا التوسع غير واضحة، لكن ترتبط كلها بعوامل اقتصادية وبشرية. ذلك أنه إذا كانت الظروف الطبيعية عموما ملائمة لشجرة الزيتون، فإن من المؤكد أن مغارسها هي قبل كل شيء من عمل وصنع الإنسان السرغيني. لذا ارتبط انتشارها بالعوامل التالية :

- إمكانية تحريك المياه السطحية.
- غراسة الزيتون وسيلة لتمليك الأرض ذات النظام الجماعي، الشيء الذي يفسر التزايد المدهش للمغارس والذي عزره أيضاً إبطال نظام الكلفة "التويزة" منذ 1956.
- تطور استغلال الثروات المائية بعد تشييد سدي مولاي يوسف والحسن الأول وكذلك توسع عملية حفر الآبار والضخ الآلي للمياه الجوفية.
- اعتبار شجرة الزيتون ثروة أساسية، خاصة بعد ارتفاع ثمن المنتوج.

وتتم هذه الزراعة في إطار استغلاليات متفاوتة الحجم : هناك استغلاليات صغيرة تضم بضعة أشجار وأخرى كبرى. الاستغلاليات الصغرى عديدة جداً هدفها الاستهلاك الذاتي وتسويق جزء من المنتوج. ويتم الاستغلال بطريقتين : مباشرة وهي الأكثر انتشاراً وغير مباشرة عن طريق الشراكة بالمغارسة أو بالرباعة أو عن طريق الاقطاع. أما الاستغلاليات الكبرى فيتم استغلالها بكيفية واسعة أو عن طريق البيزرة. وبصفة عامة يتم الاستغلال بتقنيات بسيطة وعتيقة سواء في الجني أو العصر. ولقد شهدت غراسة الزيتون توسعا ملحوظا في السنوات الأخيرة من القرن (20م) وبإيقاع سريع جداً لدرجة أنها تسيطر بنسبة 85٪. كما أدخلت بجوار نوع Ascolana، أصناف جديدة إلى بلاد السراغنة مثل البيكوات "Piquate" والمانزاني "Manzani". ويلاحظ كذلك تحسن في تقنيات الاستغلال : استعمال الأسمدة والأدوية، التقليم (الزبير)، تعميم الجني باليد حتى لا تتحطم الفروع المتفننة المنتجة، إنشاء صناعات تحويلية للمنتوج، تسويق نحو الخارج خاصة وأن انتاج بلاد السراغنة من الزيتون يفوق 100 ألف طن سنويا.

كما أدخلت إلى بلاد السراغنة أنواع جديدة من التفاح مثل "Hana"، والمشمش من نوع جيليتانو "Gelliitano"، واللوز مثل فيرانيس "Veranisse" وفيرادوي Verradouille، والكروم من نوع الجوهرة الملكية "King's Rubis"، التي تستعمل أساساً لإنتاج سائل السكر والزبيب. كما أدخلت لبلاد السراغنة مزروعات صناعية مثل القطن والفلفل الأحمر. كما عرفت زراعة الخضروات أو البقالة وزراعة الكلأ (الفصة والبرسيم) توسعا مضطرداً ارتباطا بأهمية قطاع تربية الماشية.

ومن الناحية البشرية تم تعمير بلاد السراغنة التي كانت خالية أو قليلة السكان إثر توافد وتدفق الموجات العربية. وبحكم الاختلاط وترسبات الفتح الإسلامي وتوالي حكم الدول المغربية الكبري وتوالي النزوح العربي من الشرق، تعرب الصنهاجيون وامتزجوا وأصبح العنصر العربي هو الغالب.

ومن ترسبات الهلاليين بالسراغنة دريد، أولاد صبيح، أولاد عطية سفيان، بنو جابر، بنو عامر، أولاد عريف، أولاد بوعلي، أولاد يعگوب، أولاد سعيد.

ومن الشرفاء ببلاد السراغنة نجد العلويين المتمثلين في أولاد سيدي أبي الغيث الذين قدموا في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان بالقرن الثالث عشر (19 م) من تافيلالت عبر تادلة، ثم الشرفاء الأدارسة وجلهم متمركزون بشمال ووسط بلاد السراغنة وهم أولاد عطية قرب العطاوية، أولاد الكرن بالوناسدة، الدشرة، أولاد سيدي بوعنان، أولاد الشيخ إبراهيم ببني عامر، أولاد سيدي إدريس بواد امهاصر، أولاد سيدي رحال المتمركزون بالسراغنة الغربية بالجبيلات وبالجنوب المجاور لبلاد زمران حيث مدفن جدهم بقرية أنماي (الزاوية الرحالية حاليا).

كما توجد ببلاد السراغنة عناصر مصمودية مثل رگراگة بني عامر إخوة رگراگة الشياظمة.

وهكذا عرفت بلاد السراغنة تعميراً واستقراراً قديمين. كما أنه من الصعب فرز البربر الذين عمروا البلاد قبل مجيء الهلاليين. لذا فإن سكان بلاد السراغنة متنوعون أتوا من جميع الآفاق وأسسوا تنظيماتهم الاجتماعية والاقتصادية بطرق مختلفة. وكانت حياتهم في البداية مرتبطة بالرعي ارتباطا قويا. وكان هذا النشاط يعتمد على الترحال والنجعة. ثم بدأوا يتخلون عن حياة التنقل بفعل استئناسهم بحياة الزراعة. إلا أن هذا الاستقرار لم يكن متزامنا في كل أنحاء بلاد السراغنة.

ورغم نوبات الجفاف والمجاعات والأمراض الفتاكة التي مرت على بلاد السراغنة خلال القرن الثالث عشر (19 م)، والتي كانت تؤدي إلى نقصان حاد في أعداد السكان، فإن الكابتان Cornnet ذكر في كتابه "A la conquête du Maroc du sud" أن سكان السراغنة كانوا ستين ألفا سنة 1912. بكثافة 34 ن / كلم2. وبذلك تحتل السراغنة المرتبة الثانية في المغرب بعد الريف وعبدة، كما كانت بلاد السراغنة دائما أرض لقاء وهجرة (وارد عن J. Pégurier, 1981).

الجدول 1 : الحرارة المتوسطة الشهرية والسنوية (25 ـ 1963 بالسهل، 33 ـ 1963 بالدير)

| المحطة | الارتفاع بالمتر | الموقع الجغرافي | المعدلات الشهرية بالدرجات المائوية | | | | | | | | | | | | المعدل السنوي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | 1 | 2 | 3 | 4 | 5 | 6 | 7 | 8 | 9 | 10 | 11 | 12 | |
| قلعة السراغنة | 470 | السهل قلب بلاد السراغنة | 11 | 13 | 15,6 | 17,1 | 21,2 | 25 | 29,1 | 29,4 | 25,6 | 21,2 | 16,2 | 12,5 | °19,7 |
| دمنات | 950 | الدير : الحدود ج. ش. لبلاد السراغنة | 10,8 | 11,8 | 13,94 | 15,11 | 18 | 21 | 25,41 | 26,56 | 22,41 | 18,27 | 12,43 | 9,91 | °18,3 |
| سيدي رحال | 660 | الدير : الحدود ج. غ. لبلاد السراغنة | 10,9 | 13,1 | 14,4 | 15,6 | 18,3 | 22,3 | 27,5 | 27,1 | 24 | 19,7 | 15,8 | 12,2 | °18,5 |

الجدول 2 : معدلات التساقطات الشهرية والسنوية

| المحطة | الارتفاع بالمتر والموقع الجغرافي | المعدلات الشهرية بالملم | | | | | | | | | | | | المتوسط السنوي بالملم |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | 1 | 2 | 3 | 4 | 5 | 6 | 7 | 8 | 9 | 10 | 11 | 12 | |
| قلعة السراغنة | 470 بالسهل قلب بلاد السراغنة | 32 | 32 | 35 | 30 | 14 | 7 | 2 | 3 | 14 | 19 | 30 | 39 | 257 |
| دمنات | 950 بالدير : الحدود ج. ش. لبلاد السراغنة | 56,2 | 64 | 86,5 | 93,5 | 50,3 | 13,9 | 2,8 | 3 | 23,3 | 47,8 | 66,8 | 79.5 | 587,6 |
| سيدي رحال | 660 الدير : الحدود ج. غ. لبلاد السراغنة | 41 | 44 | 53 | 55 | 29 | 7 | 3 | 5 | 17 | 51 | 35 | 52 | 392 |

الجدول 3 : تطور سكان بلاد السراغنة من 1971 ـ 1994

| | الإحصاء / الدائرة أو المدينة | 1971 | | 1982 | | 1994 | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | العدد | ٪ | العدد | ٪ | العدد | ٪ |
| الحضريون | مدينة قلعة السراغنة | 17163 | 7,26 | 33330 | 10,53 | 51373 | 14 |
| | مدينة تاملالت | 1593 | 0,67 | 3498 | 1,10 | 8700 | 2,37 |
| | مدينة العطاوية | تعتبر مركزا ريفيا | . | 3200 | 1,01 | 11215 | 3,05 |
| الريفيون | دائرة قلعة السراغنة | 94946 | 40,17 | 118613 | 37,48 | 141378 | 38,50 |
| | دائرة العطاوية | 122684 | 51,90 | 157863 | 49,88 | 154453 | 42,07 |
| | المجموع | 236376 | 100 | 316504 | 100 | 367119 | 100 |

وضع الجدول اعتمادا على الجريدة الرسمية

بلغ سكان منطقة السراغنة 367119 نسمة حسب إحصاء 1994 جلهم يقطنون في الريف بنسبة 80,58٪ (انظر الجدول 3)، وبالتالي لا يمثل السكان الحضريون سوى 19,46٪.

تراوحت نسبة التزايد السكاني بين 2٪ و3٪ خلال الفترة 1971 ـ 1982 المعدل الوطني 2,6٪. أما خلال الفترة 1982 ـ 94 فلم تتعد 2,11٪. الكثافة السكانية العامة حوالي 70 نسمة / الكلم2. غير أنها تختلف من مكان لآخر : فهي تفوق 100 نسمة / الكلم2 بالقطاعات السقوية، في حين تتراوح بالمجالات البعلية (البورية) بين 20 و100ن / الكلم2. وتزداد الكثافة عموما من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي. عدد المهاجرين السراغنة بالخارج يتراوح حاليا بين أربعة وستة عمال من كل ألف ساكن. وهو في تزايد مستمر خاصة نحو إيطاليا.

يستقر سكان الريف ببلاد السراغنة في دواوير يزيد عددها على 413 دواراً موزعة على 30 فخذاً وخمسة بطون هي أهل الغابة، بنو عامر، أولاد خلوف، أولاد يعقوب وأولاد سيدي رحال (عبد الوهاب بن منصور 1976). وتشكل هذه البطون قبيلة السراغنة. والدوار أو العظم أو "الجذرة" ببلاد السراغنة وحدة سكنية تضم عدة أسر أو كوانين أو عائلات. وكان الدوار قديما مؤلفا من "نوالات" أو خيام، في حين كانت الدور والقصور والقصبات المبينة بالطابية محدودة ومقتصرة على القواد والعمال المخزنيين.

حاليا يلاحظ تطور عميق في السكن الريفي الذي أصبح صلبا 100٪ تقريبا. وتستعمل فيه بالإضافة إلى المواد المحلية (الحجارة، الآجور الطيني، القصب والخشب) مواد الاسمنت المسلح. وظهرت مساكن من الطراز الحضري العصري.

إداريا تتجمع الدواوير في إطار دائرتين هما : دائرة العطاوية ودائرة القلعة، تضم كل دائرة عدة قيادات وجماعات قروية إذ يصل عدد الجماعات 37 جماعة قروية بمجموع التراب السرغيني حسب التقسيم الجديد.

أهم التجمعات الحضرية بالمجال السرغيني مدينة قلعة السراغنة مقر لعمالة إقليم قلعة السراغنة ولبلديتها، مدينة العطاوية مقر بلدية، ثم تاملالت مقر بلدية كذلك. كما عرف المجال السرغيني تجمعات حضرية قديمة بسهل البحيرة - السراغنة والتي كشفت عنها تنقيبات Ch. Allain وهي سبتة، للاكارة، بنكفيز والصافي التي تسمى كذلك مدينة الهري. وتعتبر الصافي أهم تجمع سكني قديم. حاليا تعتبر مدينة قلعة السراغنة أهم تجمع حضري ببلاد السراغنة إذ تضم أكثر من 72٪ من الحضريين (الجدول 3). وقد كانت عبارة عن حصن عسكري مرابطي مزامن تقريبا لمدينة مراكش والذي أسس في مجال شبه فارغ وغير آمن لمحاربة البرغواطيين ومراقبة بربر الأطلس وليكون كحصن متقدم على الخط التجاري الرابط بين مراكش وفاس ومكناس. وظل هذا الحصن يحمل اسم لكرار الذي يعني الحصن العسكري المبني بالحجارة والدائري الشكل إلى عهد السعديين وإلى أن جدده المولى إسماعيل. ومنذ ذلك الوقت أصبح يحمل اسم قلعة السراغنة.

ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، 1968 ؛ أبو عبيد البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، باريس، 1823 ؛ ش. الإدريسي، *المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس*، ليدن، 1823 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن (19 م)، إينولتان، 1850 - 1912*، ط. 2، الدارالبيضاء، 1983 ؛ أ. زروال، *الجبيلات، معلمة المغرب*، الجزء 9، مطابع سلا، 1419/1998 ؛ *دراسة جيومورفلوجية لدير أطلس مراكش*، الرباط، 1987 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980 ؛ ح. شوقي، *قبيلة السراغنة خلال القرن (19 م)*، 1822 - 1912، الرباط، 1991 ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. م. حجي وجماعة من الأساتذة، الرباط، 1984 ؛ م. الغجدامي، *التسلي عن الآفات بذكر الأحوال وما فات*.

A. Lahlimi, *Les terres irriguées et le monde rural dans la Tassaout moyenne, R.G.M.*, n° 11, 1967 ; Ch. Allain, *Reconnaissances archéologiques dans le massif des Rehmna et la Bahira, Hesp.*, T. XLI, 1er et 2ème trim., 1954 : Direction de l'Hydraulique, *Carte hydrogéologique de la plaine du Haouz (Maroc occidental)* au 1 : 200.000, Rabat, 1980 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris, 1920 ; Ed. Michaux-Bellaire, *Villes et tribus du Maroc*, T. I, vol. X, *Région des Doukkala*, Paris, 1932 ; H. Delorme, *Note sur l'origine des Sraghna*, dactylographiée ; H. Delannoy, *Aspects du climat de Marrakech et sa région, R.G.M.*, n° 20, 1971 ; J. Flouriot, *L'oléiculture dans la région de Marrakech, R.G.M.*, n° 9, 1966 ; J. Pégurier, *Espaces urbains en formation dans le Tensift*, Rabat, 1981 ; L. Emberger, *Aperçu général sur la végétation du Maroc, commentaires de la carte phytogéographique du Maroc au 1 : 1.500.000* ; M. Cote et J. Legras, *La variabilité pluviométrique inter-annuelle au Maroc, R.G.M.*, n° 10, 1966 ; M. Ducrocq et P. Pascon, *La mise en valeur du périmètre de la Tassaout (Haouz de Marrakech), H.T.E.*, n° 6, 1973 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, T. 1 et 2, Rabat, 1977 ; P. Hevelin, *Carte géologique et gitologique des Jbilets au 1 : 200.000* ; *Etude géologique et gitologique du massif hercynien des Jbilets (Maroc occidental)*, Rabat, 1977 ; R. Negre, *Recherches phytogéographiques sur l'étage de végétation méditerranéen aride (sous étage chaud) au Maroc occidental*, Rabat, 1959.

أحمد زروال

**سرانُو** ويكتب أيضاً شرانُو، أسرة تطوانية أصلها من الأَندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Serrano ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1378.

**السرايري**، أسرة تطوانية - رباطيّة، تنسب - على غير قياس - إلى صناعة السراير أو الأسرة أي البنادق. وذكر الشيخ داود في كتابه عائلات تطوان أن فرع الرباط أصله من تطوان. وقد انقرضت هذه الأسرة اليوم من تطوان.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان*، تطوان، 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**السرايْري، أحمد** بن **محمد** التطاوني، والسرايري نسبة إلى السرير والمراد به هنا: سرير البندقية (المكحلة) وسريرها : الخشبة التي تنجر وتجعل فيها الجعبة والزناد، ويربط على الجميع بربائط من الفضة أو الذهب أو النحاس أو الرصاص وتستعمل هذه النسبة للمحترفين بهذه الحرفة بتخفيف الهمزة ولعل والد المترجم له أو أحد أسلافه كان يحترف هذه الحرفة. وهو تطاوني المولد والمنشأ والوفاة. قال القادري : لستُ أعرفه حق المعرفة إلا أني سمعتُ الثقات يُثنون عليه خيراً، وكان خطيبا بليغا حضرت خطبته لعيد الأضحى في تطوان عام 1151 فرأيت عليه أثر الخشية والخير والبركة، وخطب يومئذ خطبة حسنة وكانت فيه دُعابة خفيفة.

من تلاميذة الفقيه محمد بن أحمد العباس نسباً التطاوني، والفقيه الرحالة الشيخ عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري. أخذ عنه وكان ينزل بفندق للمترجم له إذا ورد تطاون، قرأ عليه *ألفية العراقي* في السيرة، قال : ولم أر من يُحسنها مثله، خبيراً بها نصا وشرحا على حد تعبيره، وكان يدرسها بجامع العيون قرب زاوية الشيخ علي بن مسعود الجعيدي، واستجاز ابن حمادوش المترجم له فأجازه سنة وفاته، وأثبت نص إجازته في *رحلته*. والمترجم له هو الذي أخرج حواشي شيخه بركة على *شرح المكودي لألفية ابن مالك* في النحو، وهي مخطوطة. كما وقفت له على نسخة من أرجوزة شيخه التي حاذى بها المرشد المعين لابن عاشر مع الذيل عليه.

توفي بالطاعون يوم الخميس 17 شوال 1156 / 4 دجنبر 1743 ودفن خارج باب المقابر من تطاون.

م. القادري، *نشر المثاني*، تح. حجي والتوفيق، الرباط، 4 : 42 ؛ *التقاط الدرر*، طبع الرباط، تح. هـ. العلوي، ص. 394 ؛ أ. بن عجيبة، *أزهار البستان في طبقات الأعيان*، مخطوط ؛ *رحلة ابن حمادوش الجزائري*، الجزائر، ص. 32 ـ 67 ـ 68 ـ 99 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، 4 : 132 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، تطوان، 3 : 41.

محمد بوخبزة

**السرايري، البدوي** الرباطي، فقيه مدرس خطيب، بعد تخرجه على يد صهره الفقيه المكي البناني مفتي الرباط رحل إلى فاس فدرس بالقرويين واتصل برجال المخزن فكان له نفوذ ووجاهة. كان خطيبا بجامع مولاي سليمان ومدرسا بجامع عطية يدرس فيه *المختصر*. ومن تلاميذه عبد الله ملين والعربي التهامي الوزاني، ويقال إنه تشوف إلى القضاء في آخر عمره إلا أن المنية أدركته قبل أن ينال أمنيته.

توفي في 28 جمادى الأولى سنة 1295 / 30 ماي 1878.

دينية، *مجالس*، مخطوط، ص. 198 ؛ بوجندار، *الاغتباط*، ص. 278.

**السرايري، عبد الرحمن** الرباطي، فقيه مفت نوازلي تولى القضاء بالرباط بعد أن أخذ العلم عن شيوخ وقته ورحل إلى فاس فتتلمذ على شيوخ عصره. ذكره سليمان الحوات من جملة تلاميذ الشيخ بناني. له جملة وافرة من الفتاوي. اضطلع بالإفتاء والإرشاد والتدريس. له عدة تآليف، منها شرح *الزقاقية* جمع فيه بين شرح شيخه أبي حفص الفاسي وشرح ميارة.

ذكره الضعيف في معرض حديثه عن أحداث جمادى الأولى من سنة 1205 عندما روى الفتنة التي نشبت بين أهل الرباط بمناسبة توجيه محمد البوعزاوي بولقرايح على رأس خمسين فارسا من طرف السلطان مولاي اليزيد إلى الرباط للبحث عن المال الذي سلبه الوزير قادوس في عهد أبيه سيدي محمد بن عبد الله. وقال الضعيف بأن الفقيه عبد الرحمان السرايري كان على اتفاق مع محمد البوعزاوي والحاج عباس السرايري وابن القاضي التلمساني ضد ثلة معارضة من أعيان الرباط الذين ألقي القبض على بعضهم وجلد بعضهم الآخر كالفقيه ابن إبراهيم فرج والرايس محمد بن مبارك وأولاد مرسيل ومحمد فرج. لكن يظهر أن هؤلاء أقنعوا السلطان ببراءتهم مما جعل الكفة تنقلب على عبدالرحمن السرايري وأصحابه الذين أخرجوا بنسائهم من الرباط إلى سلا ثم وجهوا إلى مكناس.

توفي سنة 1207.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. ذ العماري، الرباط، 1986، ص. 224 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 365 ؛ دينية، *مجالس*، ص. 127.

**السرايري، محمد** بن عبد الرحمان لسيت هناك معلومات عنه سوى ما جاء عند الضعيف الذي قال "وفي يوم الأحد 6 شوال 1230 توفي الطالب محمد ولد الفقيه السيد عبد الرحمان السرايري الرباطي ودفن بوزان".

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. ذ العماري، الرباط، 1986، ص. 392.

عبد الإله الفاسي

**سرْبيرَة** وتكتب أيضا سلبيرَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Servira وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1189 / 1775.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1380.

محمد ابن عزوز حكيم

**السرج** من أهم وسائل تجهيز الخيل وتطوير النقل والتنقل بواسطة الدواب في مختلف العصور. والسروج والبراذع لها دور مزدوج الفائدة فهي تحافظ على الدابة وتريح الراكب، وصناعة السروج كانت مهمة فيما مضى لشدة الطلب عليها ولما تتطلبه من مهارة وإتقان ومواد أولية؛ وتختص الخيول عند امتطائها بالسروج، أما البراذع فخاصة بالبغال والحمير. وقد نجد في بعض الفترات والجهات وعند بعض الفئات اختلافا في الاستعمال مثل وضع سروج على ظهور البغال والحمير. ووضع براذع على ظهور الخيول : أما الإبل فلها سروج وبراذع خاصة بها تلائم طبيعتها الفيزيولوجية.

اشتهر المغرب بسروجه (*التشوف*، 120 ؛ *وصف إفريقيا*، 2 : 259 ـ 260 و261) فصناعتها تطورت عبر التاريخ خاصة في المدن والحواضر الكبري حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم لتصبح تحفة وقطعة فنية تغني تراثنا

الصناعي الأصيل لما أودعهُ فيها الصانع المغربي من إبداع وفن متنوع من تزويق وتطريز وترصيع وتوشية وما إلى ذلك حتى أصبحت هذه السروج والخيول الفارهة تكون قطعة متجانسة تسر الناظرين وكلاً لا يتجزأ، أي لا تكتمل جودة الفرس وقيمته وأناقته الا بسرج ثمين.

تختلف السروج باختلاف المستوى الاجتماعي لمقتنيها فالصانع المغربي لبى طلب جميع الفئات الاجتماعية وجميع الأذواق، فالمصادر أشارت إلى سروج باهظة الثمن. منها من أشار إلى سروج من الذهب (*تاريخ الضعيف*)، وهناك السروج المتوسطة والبسيطة، وقد اشتهرت بصناعتها في المدن العتيقة مثل فاس وسلا ومراكش وغيرها عائلات ما تزال بعض ألقاب حفدتها تذكر بها (عائلات السراج) (وصف إفريقيا) (موسوعة أعلام المغرب) لشدة إتقان الصناع المغاربة للسروج كان الطلب عليها كثيراً من داخل البلاد ومن خارجها وبلغت أثمنتها في مختلف العصور أرقاماً خيالية (مارمول، 1 : 69 و70 و71) وأرسلها الملوك. ومن الهدايا الملوكية التي يتردد ذكرها في المصادر كثيراً : الخيول بجهازاتها ويقصد بها السروج واللجم والركابات (*المسند*، 453).

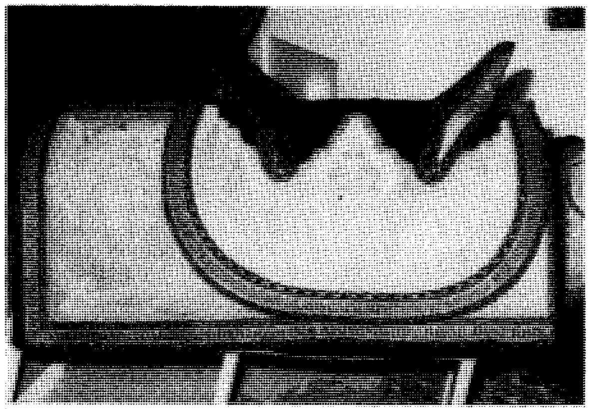

تأخذ الأحزمة التي تشد السروج إلى الخيول أسماء ومصطلحات خاصة : النطاق وهو حزام البطن.

- الصدرية وهو حزام الصدر وله تواشيح وتزيين يحمل الاسم نفسه.

- الطفر أو الثفر (*أمثال العوام*، 2 : 107) وهو الحزام الذي يشد السرج إلى الخلف ويمر أسفل الذنب ؛ وتتدخل في صناعة السروج عدة صناعات فرعية منها الدباغة بجميع أنواعها والنجارة (صناعة القرابيس) والنسيج والخياطة والطرز والزواقة والصباغة ؛ السروج العصرية المستعملة في رياضة الخيول اليوم لا علاقة لها بالسروج المغربية الأصيلة فهذه ما تزال موجودة في الفروسية التقليدية (التبوريدة) وما تزال صناعتها رائجة في نطاق محدود تقتصر على مدينة أو مدينتين (فاس ومراكش).

ي. التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1948، بيروت، 1983 ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، الجزائر، 1924، الرباط، 1979 ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، المحمدية، 1976 ؛ *نفاضة الجراب*، القاهرة د. ت ؛ الزجالي، *أمثال العوام*، فاس، 1971 ؛ الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. العماري، الرباط، 1986 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ مارمول، *إفريقيا*، الرباط، 1989 ؛ م.الطويل، *النقل والتنقل في المغرب الوسيط*، أطروحة مرقونة، كلية الآداب بالرباط، 1998.

محمد حجاج الطويل

**السَّرْدُورْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Sardor وSardon ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1156 / 1743.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1382.

محمد ابن عزوز حكيم

**سرْديرا**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازلت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Cerdera وCerdeira ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1383.

محمد ابن عزوز حكيم

**السردين**، سمك بحري مشهور في المغرب العربي بصفة عامة، يصنف إلى طائفة الأسماك الشائكة الزعانف وفصيلة الصابوغيات Clupeidae. والكلمة معربة تنسب إلى جزيرة سردينيا الإيطالية. يدعى أيضاً البلشار في بعض المعاجم وفي الشرق العربي نسبة إلى اسمه العلمي ساردينا بيلشاردس، Sardina pilchardus walbaum 1792. يعيش في بحار المناطق المعتدلة وشائع في البحر المتوسط والأماكن الدافئة من المحيط الأطلسي. سمك سطحي وينتقل عموديا وأفقيا في أسراب متعددة الأفراد ويصاد بكميات كبيرة على طول السواحل المغربية.

الجسم ممدد وتقطيعه بيضوي، تحمل الجانبية البطنية سلسلة من الدرقات الصغيرة، الفكان شبه متساويين ؛ الجهة السفلية للغشاء الخيشومي محززة ب 5 ـ 3 خطوط شعاعية واضحة، مصدر الزعنفة الظهرية في الجهة الأمامية من وسط الجسم. مصدر الزعنفة الشرجية في الجهة الخلفية ومبتعدة من الزعنفة الظهرية، الشعاعان الأخيران أطول بوضوح من الأشعة الأخرى. الطول الأقصى للكبر لا يتعدى 25 سم وشائع بين 15 ـ 20 سم.

الظهر أخضر زيتوني، الجوانب مذهبة إلى فضية جهة البطن، مجموعة من البقع الداكنة على الجهة العلوية من الجانبيتين، يعلوها أحيانا صف ثان أو ثالث من البقع. يعرف لنوع السردين صنفان وعدة سلالات محلية موزعة كالتالي :

1 ـ Sardina pilchardus sardina في المحـيـط الأطلسي من مضيق جبل طارق إلى النرويج.

2 ـ Sardina pilchardus sardina في البحر المتوسط وفي البحر الأسود وفي المحيط الأطلسي من مضيق جبل طارق إلى موريتانيا.

سمك سطحي ساحلي يعيش على طول الهضبة القارية في أعماق تصل إلى 180 م وتكثر كثافته في أعماق تتراوح بين 25 ـ 55 م في النهـار وبين 15 ـ 35 م في الليل. تعـرف أربعة مخزونات طبيعية للسردين في السواحل المغربية : المخزون المتوسطي ويمتد على طول السواحل المتوسطية من سبتة إلى السعيدية والمخزون الأطلسي الشمالي بين طنجة والجديدة والمخزون الأطلسي الوسطي بين آسفي والعيـون والمخزون الجنوبي بين بوجدور ولگويرة.

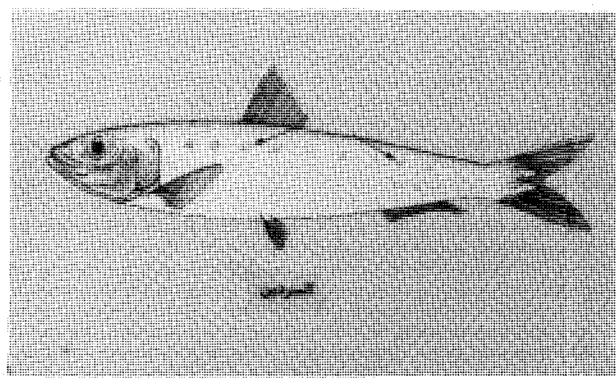

تقوم مجموعات المخزونات الأطلسية بتنقلات متزامنة على طول السواحل الأطلسية، نحو الشمال في فصل الصيف ونحو الجنوب في الشتاء. تقترب من السواحل المغربية منذ أواخر الربيع إلى الخريف وتكون أسرابا كثيفة وتبتعد عن السواحل متوجهة نحو أعالي البحار خلال الشتاء وبداية الربيع في أسراب صغيرة الحجم ومتفرقة. يتوالد من نونبر إلى مارس وتعتبر المناطق الممتدة من رأس درعة إلى طرفاية ومن رأس كـارنيت إلى رأس بارباس من الأمـاكن الأكـثـر استقرارا لتكاثر السردين بالمغرب. يستقر البيض بداخل الكتلات المائية السطحية وتصير الصغار ناضجة جنسيا بعد سنة يتراوح طولها بين 10 ـ 20 سم. تقدر الخصوبة ب 5300 إلى 38500 بيضة. يتكون غذاؤه من القشريات الصغيرة العالقة ومن حيوانات أخرى من العوالق.

صيد السردين في المغرب تقليدي في شمال البلاد وشبه صناعي وتقليدي في الجنوب. يصاد بحبال الصنانير العمقية والساحلية وبالشباك المزودة بالإنارة وبالجيبيات القعرية والسطحية وبالشباك المستقيمة القعرية والسطحية. وهو سمك موجود بانتظام في الأسواق السمكية الوطنية ويباع طريا، مبرداً، مجمداً، مملحا، مبخراً، معلبا أو على شكل زيت أو دقيق. يستعمل أيضاً طعماً للصيد.

بدأ استغلال سمك السردين في المغرب بشكل مكثف منذ بداية القرن العشرين مع ظهور صناعة تعليب وتصبير الأسـمـاك السطحـيـة (Industrie de conserve) وكـانت الأساطيل آنذاك تتكون من وحدات أجنبية مجهزة بأحدث معدات الصيد والتبريد ومن وحدات مغربية أقل أهمية تقوم بصيد موسمي فصولي لتزويد مصانع التصبير. كثفت وحدات الصيد نشاطها على المخزون الأطلسي الشمالي بين طنجة والجديدة خلال النصف الأول من القرن العشرين وكانت كمية الصيد السنوية لا تتجاوز 15000 طنا (سنة 1942). عرفت هذه المنطقة انخفاضا ملموسا في مخزون السردين خلال الفترة الممتدة بين 1960 ـ 1973 ويعتبر ميناء الدار البيضاء وميناء العرائش من أهم موانئ المنطقة لاستقبال سمك السردين.

شرع استغلال صيد سمك السردين في المنطقة الممتدة بين أسفي وسيدي إفني مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية تلبية لرغبة الحاجيات إلى الأسماك المعلبة خلال 1930 ـ1950. وقد كـان الأسطول يتكون من الوحدات المغربية فقط. كانت تتراوح. كميات صيد الأسماك السطحية الصغيرة بين 100000 ـ 200000 طنا (300000 طنا سنة 1973 و91000 سنة 1978) يشكل فيها سمك السردين حوالي 94٪ ؛ وقد عرف المخزون انخفاضا ملحوظا خلال العقد الأخير إذ لم تتجاوز كمية الصيد 50000 طنا خلال 1881 ـ 1992.

عرفت المنطقة الممتدة بين سيدي إفني والعيون نشاطا مكثفا لصيد الأسماك السطحية الصغيرة خلال العقود الثلاثة الأخيرة وقد بلغت كمية الصيد 130000 طنا سنة 1977 و1982 و1985. يتكون أسطول الصـيـد من وحدات مغربية ووحدات الاتحاد الأوروبي حسب اتفاقية الصيد المبرمة بين الطرفين. وقد أعطى ميناء طانطان المشيد سنة 1982 نفسا جديداً لاستقبال الأسماك إذ ارتفعت كمية الصيد من 25000 طنا سنة 1983 إلى 230000 طنا سنة 1991. وبالنسبة لميناء العيون المشيد سنة 1989 ارتفعت كمية الصيد السنوية من 16000 طنا سنة 1989 إلى 235350 طنا سنة 1997.

عرف مخزون الأسماك السطحية الممتد من بوجدور إلى لگويرة استغلالا مكثفا من طرف الأساطيل السوفياتية والبولونية خلال السبعينيات والثمانينيات تبعا لاتفاقيات الصيد المبرمة بين المغرب وهذين البلدين. وهي أساطيل كبيرة تتوفر على معامل للتصبير ومجهزة بمعدات الصيد والتبريد الحديثة. يكثر نشاطها في أعالي البحار حيث تقضي مدة طويلة دون أن تعود إلى الموانئ.

يعطي الجدول التالي مقارنة بين كميات الأسماك الساحلية وكميات سمك السردين المصطادة في البحار المغربية خلال السنوات الأخيرة.

| الكمية بالطن / السنة | 1994 | 1995 | 1996 | 1997 | 1998 | 1999 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الأسماك الساحلية السطحية والقاعية | 609952 | 728722 | 525022 | 661646 | 607129 | 622160 |
| السردين | 463681 | 570914 | 393362 | 497821 | 436048 | 430715 |

يعتبر السردين من أكثر الأسماك استهلاكا في المغرب وتتراوح كمية المصايد الشهرية بين 15000 ـ 70000 طنا يتم توزيعها على مصانع دقيق الأسماك والتعليب ويستهلك منها حوالي 25 ـ 30٪ أي ما يعادل حوالي 10000 طن في السنة. ويقدر معدل الاستهلاك السنوي الفردي للأسماك بست كيلوغرامات وهو معدل يقل بكثير عن 9 كغم المتوقع خلال السنوات الأخيرة. ومن باب المقارنة فإن معدل الاستهلاك السنوي الفردي للأسماك في فرنسا يبلغ 20 كغم وفي بريطانيا يبلغ 30 كغم و32 كغم في إسبانيا. يوضح الجدول التالي كميات السردين الموجهة إلى التعليب ودقيق الأسماك خلال سنتي 1998 ـ 1999 :

| | 1998 | 1999 |
|---|---|---|
| التعليب : الكمية بالطن | 164111 | 190000 |
| عددوحدات التعليب | 61 | 65 |
| دقيق الأسماك : الكمية بالطن | 255309 | 230000 |
| مجموع السردين المصطاد : بالطن | 436048 | 430715 |

م. رمضاني، *الأنشوفة*، *معلمة المغرب*، الجزء، 3، ص. 642 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.
D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, Rome. FAO, 1998 ; Ministère des Pêches Maritimes, *Rapport d'activité, 1999*, 63 p. ; *La mer en chiffre*, Rabat, 1999.
محمد رمضاني وعبد اللطيف برحو

**سر الحروف** والكلمات، علم روحاني يرجع أصله إلى ما كان من تركيز أحبار اليهود على الأسلوب الكتابي في التوراة فوجدوا أن الحروف موضوعة بتنسيق محكم ينمّ عما يرمي إليه من استعمال لقوى النور الكامنة في كل حرف، حسب استعمالاته في الكتاب المنزل.

ولأنهم كانوا كعادتهم منذ القديم يرمون إلى استخدام تلك القوى بقلبها لتصبح آلة هدم في أيديهم يحققون بها الغلبة، فقد استنبطوا من تموضعات الحرف وشكله وهيروغليفيته قاعدة حسابية أطلقوا عليها اسم "علم الحساب"، جعلوا فيها حرف "الياء" وينطق عندهم هكذا "يود" ويكتب بهذا الشكل (لا) أساسا لجميع الحروف، واعتبروه كالواحد في الأعداد، وأقاموا عليه ميزانا جعلوا على إحدى كفتيه حروفا قالوا إنها مذكرة وترمز إلى الرجل، وعلى الكفة الثانية حروفا قالوا إنها مؤنثة وترمز إلى المرأة، ثم جعلوا للحروف تقسيما يوافق الأبراج السماوية الاثنى عشر، وتموضعات توافق مواقع الكواكب السيارة، واستخدموا كل ذلك في الاتصال بأسماء أئمة الكفر القدامى من الأولين والآخرين، واستعملوه كذلك في التأثير على الناس، وفي استجلاب القوى الباطنية الظلمانية والإتيان بكرامات على غرار سحرة فرعون.

اعتمد بنو إسرائيل في هذا الأمر على ترتيب الحروف الأبجدية العبرية (المطابق لترتيب الأبجدية اللاتينية، ثم العربية فيما بعد : أ ـ ب ـ ج ـ د ـ ه ـ و ـ ز ـ ح ـ ط ـ ي ـ ك ـ ل ـ م... إلخ) وهذا الترتيب كان نتيجة العلوم التي جاء بها الأنبياء على امتداد الحقب الإسرائيلية، واستخرجوا منه قوى كل حرف بجعل علاقة بين رقمي الترتيب في الأبجدية ومقدار قواه وجعلوا يطبقون حساب هذه القوى والترتيبات لاستخراج الأسرار المتعلقة بالأسماء والأفعال التي تكوّنها الحروف الخاضعة لعمليات الحساب، للتأثير بها على الأشياء، أو التأثير على أصحابها.

وهكذا جعلوا للحروف المذكورة ترتيبا تتابعيا من 1 إلى 22، وترتيبا آخر للقوى يبدأ من الواحد إلى عشرة، ثم من عشرة إلى مائة (بالعشرات) ومن مائة إلى ألف (بالمئات).

وأخذوا يضربون ترتيب الحرف في قوته ويضربون الحاصل في حواصل الحروف المكونة للاسم المراد التأثير فيه أو معرفة أسراره، ويستخرجون من عملية الضرب رقما كبيرا يحولون أعداده إلى حروف من جديد حسب الترتيب التتابعي للحروف، فيعطيهم اسما غريبا يعتبرونه "اسما لخادم الاسم" الخاضع للعملية ("جفرا") فيكون بمثابة العدد الذي يكرّر به ذكر اسم الخادم في كل عملية اتصال به، ويخضعون هذا الجفر لحسابات أخرى معقدة يعرفون بها الكوكب المطابق للاسم، وبرجه، وموقع الكوكب فيه، واليوم والساعة والدقيقة التي ينبغي أن تتم فيها عملية الاتصال وممارسة التأثير، وسموا كل ذلك "سحرا عاليا" (أو ساميا) (Haute Magie) ونسبوه إلى من سموه بالسامري الطيب.

وكان بنو إسرائيل بما وصلوا إليه يحاولون معرفة سر اسم الله تعالى بحثا عن الاسم الأعظم أو غير المنطوق الذي يعتقدون بأن الوصول إليه يعتبر منتهى المطلوب لكونه تتحقق به جميع المآرب، فكانوا يخضعون أسماء الله للقلب والتحريف عن المواضع مع جعل صلة لها بعناصر الطبيعة هكذا مثلا :

الله = ا ل ل ه

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| العنصر الأول للماء | ا | ل | ل | ه |
| العنصر الثاني للهواء | ل | ا | ه | ل |
| العنصر الثالث للتراب | ل | ه | ا | ل |
| العنصر الرابع للنار | ه | ل | ل | ا |

وتبعاً لذلك، يلجأ الذين يستعملون أسرار الحروف بالمغرب كما هو الشأن في مختلف البلاد العربية والإسلامية، إلى نفس الأساليب المذكورة باستخدام الأبجدية العربية المرتبة على نسق الأبجدية العبرية (ا ج ا د ه و ز ح ط ي ك م ن س ع ف ص ق ر ش ت ...) المكونة من 22 حرفا فحسب، مع إضافة في العربية تشمل الحروف الهجائية العربية المتبقية ظ، خ ... الخ.

وتستخدم في الطرق الأساليب المشار إليها أسماء لها علاقة بالكائنات التالية :

- الشخص موضوع العمل السحري ؛
- أمه، من أجل ضبط لحظة الميلاد، وتلك هي اللحظة الحاسمة التي يتم فيها العمل بصورة بعدية ؛
- الكواكب المتوافقة مع الإسمين الأولين ؛
- الملائكة المتوافقون مع الكواكب المعنية إن كان العمل المراد تنفيذه خيرا ؛
- الشياطين والجان من المردة أو العفاريت بحسب المهمة، وحين يكون الفعل المراد إنجازه لا يدخل في مجالات اختصاص الملائكة في زعم السحرة.

غير أن النمط الأكثر شيوعا بين المشتغلين بسر الحروف المغاربة، المتمكنُ منهم والمشعوذُ على السواء، هو نمط الأوفاق القائم على الجداول، والذي تنقسم فيه هذه الأخيرة إلى خانات بعدد حروف الأسماء المعروضة على الفعل السحري، وبطبيعة الحال، فإن الحروف تحول إلى أعداد (كما سبقت الإشارة) ثم إلى أسماء جديدة منبثقة عن ضرب الأعداد في بعضها وطرحها وقسمتها ... الخ باستخدام أعداد جديدة لها علاقة بالحروف المكونة لرموز الكواكب السيارة...

| ب | ط | د | و | ا | ح |
|---|---|---|---|---|---|
| ا | و | ب | ح | د | ط |
| د | ح | ط | ا | ب | و |
| ح | ا | و | د | ط | ب |
| و | ب | ا | ط | ح | د |
| ط | د | ح | ب | و | ا |

نموذج جدول للوفق يستعمل في علاج "جريان الدم عند المرأة وقطعه عنها" وفيه تسعة أشكال، والشكل أعلاه لعلاج الدورة الشهرية الغزيرة عند المرأة.

ويلاحظ استعمال نفس السداسية من الحروف الرامزة إلى الأسماء والخدام المراد استخدامهم في هذا الفعل السحري (ب، ط، د، و، ا، ح) وقد تم وضعها هي ذاتها في أوضاع مختلفة في باقي الخانات. ويراد بهذه الأوضاع المختلفة المكنة حصر الأسماء المطلوب استخدامها من جميع جوانبها والإحاطة بها من كل جهة خلال كل وضع محتمل مثلا :

فالإحاطة الكلية بالتركيبة الرباعية (1.2.3.4) هي :

4.3.2.1
1.4.3.2
2.1.4.3
3.2.1.4

وليس معنى هذا أن هذه هي الأوضاع الوحيدة المحتملة فهناك مثلا الوضعان 4.2.3.1 و4.1.3.2 وهما غير واردين أعلاه، ولكن المطلوب هو عمل دورة كاملة على التركيبة العددية بحيث تبدأ بالعدد الأول إلى الأخير، ثم بالتالي إلى الأول، ثم بالثالث إلى الثاني، ثم الرابع إلى الثالث.

ومن المؤلفين المغاربة في الأوفاق وسر الحرف ابن عزوز المراكشي في مؤلفه *ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة* ؛ وأبو محمد بن تومرت في مؤلفه *قطرة الصانع في سمة الطبائع* ؛ ومحمد بن أبي بكر التواتي في مؤلفه *السر المغتبط في المخمس الخالي الوسط* ؛ وابن البناء في تأليفه *بذل المشتاق في علم الأوفاق* ؛ جلال الدين السيوطي، *كتاب الرحمة في الطب والحكمة*، بيروت، ص. 217.

Papus, *La Cabbale* (Tradition secrète de l'occident), Docteur Gerard Encause, p. 17 ; *La Cabbale*, p. 74 ; *Le tarot des bohémiens Clef absolue de la science occulte, Le plus ancien livre du monde*.

محمد عزيز الوكيلي

**السرابة** في الشعر الملحون منظومة شعرية يمهد بغنائها غالبا لإنشاد القصائد. وكانت العادة في البدء أن يمهد الناظم لقصيدته بسرابة تضبط ميزانها. ولذلك قالوا : "من لايوزن بسراربْ ميزانُو يبقى عايبْ".

وقد كان الشيخ الجيلالي امثيرد أول من سن هذه العادة، غير أنها انقطعت فيما بعد، فأصبح الأشياخ ينظمون قصائدهم دون اسرارب.

وقد ضاعت أغلب السرارب المنظومة، وأصبح أكثر الموجود منها مجهول المؤلف، وهي التي يطلق عليها "اسراربْ احراميينْ". وممن اختص في نظمها الشيخ نصيلة ومولاي الحسن البوعناني وبعض كبار أشياخ الملحون أمثال الجيلالي امثيرد، والتهامي المدغري، وسيدي قدور العلمي، والحاج أحمد الغرابلي.

تقوم السرابة من حيث النظم على ثلاثة اجزاء هي :

- الدخول : وهو أبيات قليلة يمهد بها للسرابة.
- الناعورة : أبيات قصيرة لاتقل عن الثلاثة، وهي ذات شطرين من نوع لمبيت. وتتلو الناعورة بقية أبيات السرابة.
- الردمة : شطر يتيم من النظم المرسل، تختم به السرابة، ويفضي إنشاده إلى الدخول في إنشاد القصيدة.

أما البنية الموسيقية للسرابة فتقوم من حيث اللحن على نفس الطبع الموسيقي الذي تنشد عليه القصيدة الممهد لها، ومن حيث الإيقاع على أحد الأسلوبين التاليين :

الأسلوب الأول : الگباحي، وهو إنشاد حثيث خماسي الإيقاع، يصاحبه ضرب قوي ومتواصل بالأكف.

الأسلوب الثاني : الحضاري وهو إنشاد سريع مسترسل يقوم على إيقاع ثنائي الضربات.

ومن خلال تتبع نموذج كامل للسرابة يمكن ملاحظة أن أداءها يقوم على حركتين موسيقيتين هما :

1 ـ مقدمة آلية تتلوها توشية قصيرة.

2 ـ غناء أجزاء السرابة، وعبرها يسير الغناء في تجاوب بين المنشد المنفرد وبين المجموعة الصوتية (الشدادة) التي يكاد ينحصر دورها في ترديد القفلات النهائية للأبيات، وكأن غناءها صدى لما ينشده المغني المنفرد. وفي نهاية السرابة يجنح الانشاد إلى البطء تمهيداً للدخول في أقسام القصيدة :

ع. الجراري، معجم مصطلحات الملحون، مجلة الفنون، السنة الخامسة، العدد الأول، رمضان 1398 / 1978، ص. 32، م. الفاسي، معلمة الملحون، القسم الأول من الجزء الأول، السفر الرابع عشر، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1986، ص. 91 و148.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**السَّرَّاج**، أسرة فاسية ـ تطوانية كبيرة أصلها من حمير من مدينة رندة بالأندلس انتقل فريق منهم إلى فاس في النصف الثاني من القرن السابع (13م) وأشهرهم الشيخ يحيى بن أحمد السراج صاحب *الفهرس الكبير*، وحفيده يحيى بن محمد السراج مفتي فاس وخطيب القرويين آتيا الترجمة.

كما انتقل فريق آخر من أولاد السراج إلى تطوان. ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Abencerraje ؛ وكانت هجرتها من غرناطة سنة 897 / 1492، ومن بين أفرادها محمد ابن محمد السراج الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1186 / 1772، ومحمد السراج آخر كان يزاول خطة الحسبة سنة 1292 / 1875.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون ؛ م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1377.

محمد ابن عزوز حكيم

**السَّرَّاج، يحيى** بن **أحمد** الحميري الرندي (الجدّ). فقيه محدث انتهت إليه رآسة الحديث في وقته. انتقل إلى فاس واستوطنها وصحب بها بلديّه الصوفي الكبير محمد بن عباد، وكانت بينهما مراسلات وإشارات. وإلى يحيى السراج هذا كتب ابن عباد *رسائله الكبرى* الشهيرة.

اشتهر السراج *بفهرسته* التي قال عنها صاحب *فهرس الفهارس* : "أجمع ما ألفه أهل فاس في هذا الباب وأوسع". وكان المترجم واسع الاطلاع كثير القراءة والرواية والسماع قال عنه ابن القاضي في *الجذوة* : "قلما تجد كتاباً في المغرب ليس عليه خطه، انتهت إليه رياسة الحديث وروايته".

توفي بفاس عام 805 / 2 ـ 1403 على الأصح، ودفن مع ابن عباد في ضريحه داخل باب الفتوح.

أ. ابن القاضي، جذوة، الرباط، 1974، 2 : 539 ؛ *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي، القاهرة، 1970 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 2 : 143 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، باعتناء إحسان عباس، ط 2، بيروت، 1982، 2 : 993 ـ 994 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت. ص. 356 ـ 357.

**السراج، يحيى** بن **محمد** (الحفيد) مفتي فاس وشيخ الجماعة بها وخطيب القرويين، صاحب كراسي التفسير والفقه والنحو في جامعي القرويين والأندلس ومدرستي العطارين والحلفاويين.

ولد بفاس سنة 921 / 1515 وكان أكثر قراءته الفقهية *مختصر خليل*، والنحوية *مغنى اللبيب* لابن هشام. وكانت طريقته في الإلقاء والتفهيم حسنة وصفها تليمذه إبراهيم الگلالي في كتابه *تنبيه الصغير من الولدان*، ولو أنه كان كثير الصياح على من تكلم في مجلسه بكلام عيي أو ملحون.

توفي بفاس يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى عام 1007 / 17 دجنبر 1597، ودفن يوم السبت الموالي بإزاء الشيخ عبد الرحمن الهزميري.

أ. المنجور، *فهرس*، الرباط، 1976، ص. 79 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، الرباط، 1974، 2 : 540 ـ 541 ؛ *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي، القاهرة، 1970 ؛ *لقط الفرائد* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 3 : 1098 ؛ إ. الگلالي، *تنبيه الصغير من الولدان*، مخطوط ؛ ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ ع. الرحمن الفاسي، *المنح البادية*، مخطوط ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ط. حجر فاس، 2 : 332 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 2 : 362.

محمد حجي

**السَّرُّوخ، عبد السلام** بن المبارك، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني گرفط انضمّ إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف أحمد الريسوني؛ وشارك في عدة معارك ولقي الشهادة في المعركة التي جرت باللوزيين يوم 18 مارس 1919.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**سرطان البحر**، يطلق في مفهومه الواسع على أجناس وأنواع حيوانات بحرية يفوق عددها مائتي نوع في المياه المغربية، وهي من اللافقريات المفصليات ومن طائفة القشريات ورتبة عشاريات القوائم القصيرات الذيل

الماشيات. تسمى بعض الأنواع منها بوجنيبة وأبو جلمبو. والكلمة اللاتينية Cancer مشتقة من الكلمة الهندية القديمة كرناتي Crnati وتعني الكسر أو التفتيت أو القتل، ولعل هيئة السرطان التي تبعث الاشمئزاز والانزعاج ومنظر درقته الخشنة وقوائمه الخطافية وملاقيطه المهددة ومشيه على الجوانب هي سبب تسميته هكذا. ولكن على الرغم من هذه المميزات البشعة فهو حيوان غير شرير يخشى الإنسان بصفة عامة ويستخدم ملاقيطه فقط في حالة الدفاع عن النفس والقبض على الفريسة أو في العراك مع بعضه بعضا.

والسرطان Cancer في علوم الحيوانات اسم يطلق في مفهومه الضيق على جنس من فصيلة السرطانيات Canceridae ويشتمل على نوعين يعيشان في البحار المحيطة بالمغرب :

ـ السرطان المسنن Cancer billianus Johnston, 1861 يسمى بالفرنسية Tourteau denté وبالإنجليزية Toothed rock crab وبالإسبانية Jaiba de roca dientuda درقته الظهرية بيضوية الشكل ومسطحة تتخللها تجاعيد قوية، يبلغ طولها 13 ـ 14 سم ويتعدى عرضها أحيانا 20 سم، لونها أسمر بني شاحب إلى رخامي داكن ومحمر. مؤخرة القوائم سوداء، شعيراته طويلة ومصفرة. تحمل الجبهة 5 أسنان مفرجة وصغيرة، تحمل الجهة الجانبية الأمامية 9 أسنان. تنتهي زوجة القوائم الأمامية بملاقط قوية وخشنة يحمل كفها درينات مستدقة الرأس وبداخلها أسنان حادة. زوجات القوائم الأربعة الأخيرة متشابهة ونحيلة تحمل شعيرات وصفوفا من الشويكات.

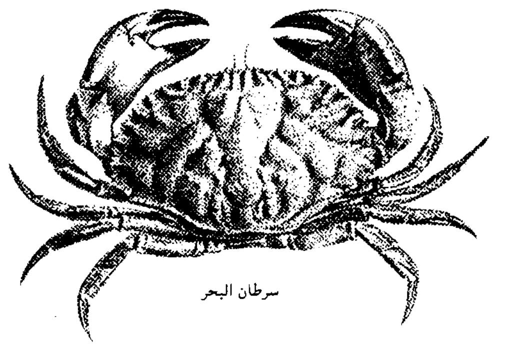

سرطان البحر

يقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل الأطلسية الشرقية الممتدة من شمال أوروبا إلى شواطئ العيون جنوب المغرب وشائع أيضاً في البحر المتوسط وبضواحي جزر الكناريا ومديرا والآصور. يعيش بعيداً عن الشواطئ في أعماق تتراوح بين 37 ـ 620 م. يصاد في المغرب بالجيبيات العمقية وغالبا ما يصدر إلى الأسواق الأوروبية حيث يكثر الإقبال عليه.

يتكاثر بالبيض وغالبا ما تضع الأنثى في فصل الشتاء بضعة آلاف من البيض تفقس يرقات غريبة الشكل شفافة وصغيرة. تعيش اليرقات طافية فوق الماء وتسلخ غطاءها الكيتيني من وقت لآخر، مغيرة شكلها في كل انسلاخ. وفي النهاية تستقر في القاع وتأخذ شكلها الأخير.

ـ الجنبري الصالح للأكل يدعى علميا سرطان باجارس Cancer pagurus Linnaeus يسمى بالفرنسية Tourteau poupart وبالإنجليزية Ox crab وبالإسبانية Jaiba de roca masera. درقته الظهرية بيضوية الشكل، محدبة وقليلة التجاعيد، يبلغ طولها الأقصى 20 سم وعرضها 30 سم، لونه أسمر محمر شاحب والصغار شديدة الحمرة. مؤخرة القوائم والملاقط سوداء. تحمل الجبهة 5 أسنان منفرجة وصغيرة، تحمل الجهة الجانبية الأمامية 9 أسنان عريضة ومنفرجة ذات رأس دائري. تنتهي زوجة القوائم الأمامية بملاقط كبيرة جداً وملساء خالية من السنينات وخشنة يحمل كفها درينات مستدقة الرأس وبداخلها أسنان حادة. زوجات القوائم الأربعة الأخيرة متشابهة ونحيلة تحمل شعيرات سوداء وعديمة الشويكات.

يقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل الأطلسية الشرقية الممتدة من شمال أوروبا إلى شواطئ القنيطرة شمال المغرب التي تمثل الحدود الجنوبية لانتشاره الطبيعي. ويعيش أيضاً في السواحل المتوسطية الشمالية. يعيش قريبا من الشواطئ في أعماق تتراوح بين 6 ـ 100 م ويفضل الأماكن الصخرية والرملية. يصاد في المغرب بالجيبيات العمقية وبالأقفاص المخصصة لصيد القشريات. تصدر معظم المصايد إلى الأسواق الأوروبية حيث يكثر الإقبال عليها. تؤكل عضلات البطن والملاقط ويستهلك طريا. نادر في الأسواق السمكية المغربية.

م. منيوي، بوجنيبة، *معلمة المغرب*، الجزء 5، ص. 1647 ـ 1648 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, Rome, FAO, 1998.

محمد رمضاني

**السرغيني، صالح** بن محمد. مقاوم ولد عام 1918 بقلعة السراغنة. والتحق بصفوف جيش التحرير المغربي بصحراء المغرب تحت مسؤولية لمرابط الأنصاري محمد بن المختار وخاض مع رفاقه عدة هجومات منها الهجوم الذي وقع على دار المراكشي بدوار عركوب ناحية إفني واستشهد في الساعة الخامسة صباحا من يوم فاتح يناير 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 501104.

**السرغيني، الكبير** فقيه صالح زاهد، ترجم له صاحب *السلوة*، وذكره بالعنبري كذلك، ناعتا إياه بالفقيه الإمام العلامة الهمام الزاهد الورع الصوام القوام الذاكر المسبح

الساجد الراكع في تفرغ أوقاته على الدوام، المدرس المحصل النفاع، المنور التلامذة والأتباع، ذو الخشية والمراقبة، والدأوب على الطاعة والمواظبة، مواصلا عنه بقوله بأن هذا العالم كان أحد أعلام الزمان المشهورين بالعلم والتحصيل والإتقان والزهد والورع والولاية والعرفان ".

ظهرت ألمعية الكبير السرغيني بفاس وسط العامة والخاصة، فكان أن ولي خطبة جامع الحمراء بفاس العليا، حيث كانت إقامته هناك مدة، بعدها انتقل للاستقرار بفاس الإدريسية، فتصدر لتدريس الفقه وعلم التوقيت والفلك.

توفي بفاس في 4 جمادى الثانية عام 1164 / 30 أبريل عام 1751 ودفن هناك بقبة سيدي أحمد اليمني.

م. القادري، *نشر المثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، 4، ص. 84، الرباط، 1986 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج. 2، ص. 342 ؛ الحسن شوقي، *قبيلة السراغنة خلال القرن التاسع عشر*، مرقون.

الحسن شوقي

**السرغيني، محمد** فنان تشكيلي ولد بمدينة أصيلا سنة 1341 / 1923 وبها قضى مرحلة الصبا وتلقى الدروس الابتدائية ليرحل بعد ذلك إلى مدينة تطوان قصد متابعة الدراسة الثانوية وبعد نهايتها عاد إلى مسقط رأسه استعداداً للرحيل خارج أرض الوطن من أجل التخصص في الفن التشكيلي. وقد تأتي له ذلك حين التحق بالمدرسة العليا للفنون الجميلة (San Fernando) بمدريد شعبة الحفر (Gravisme) وبموازاة دراسته الفنية حصل كذلك على الإجازة في العلوم الاجتماعية من جامعة غرناطة. كما كان يؤدي بعض الدروس في مؤسسات إسبانية في الفن التشكيلي وبعد حصول المغرب على الاستقلال التحق بأرض الوطن ليعين أستاذاً للرسم في التعليم الثانوي وبمدرسة الفنون الجميلة حيث كان أول إطار مغربي يدرس هذه المادة التي كانت حكراً على الأوربيين، وقد تخرج على يده العديد من الفعاليات في ميداني التشكيل والمعمار،

يعد محمد السرغيني رائداً للتشكيليين المغاربة الذين عملوا ومازالوا على الغور في جذور أصالة الثقافة المغربية والبيئة الصرفة التي نشأوا فيها، وقد أهله لذلك المحيط الأسروي الذي نشأ فيه وكذا المدينة الشاطئية الصغيرة أصيلا التي ألهمته بجمالها وبساطة أهلها.

شارك محمد السرغيني في عدة معارض جماعية وفردية في كل من الرباط والدار البيضاء وتطوان ومدريد والأسكندرية وتونس والكويت وموريتانيا وفرنسا والسويد والدانمرك وسان فرانسيسكو بالولايات المتحدة وعدة بلدان أخرى.

اتسمت أعمال السرغيني بالأصالة حيث جاءت تعكس رؤيا فاحصة للواقع المعيش وللحياة اليومية التي تعج بالمعاناة ولتكشف عن خبايا المجتمع المغربي من خلال نظرة ناقبة توحي بها رسوماته ومنحوتاته. يعتبر محمد السرغيني من المؤسسين الأوائل للجمعية المغربية للفنانين التشكيليين .

توفي حوالي سنة 1415 / 1995.

م. أديب السلاوي، *أعلام الفن التشكيلي العربي بالمغرب*، بغداد، 1982، ع 1، سنة 1999.

محمد بلعربي

**السرغيني، محمد الصالح** بن محمد المدني بن المقرئ محمد المعطي بن أحمد ينتهي نسبه - كما ورد في كتاب *حديقة الأزهار* - إلى الولي الصالح أبي موسى عمران ابن عمران بن محمد دفين غريس بدادس في ضاحية قلعة مگونة.

ولد بقبيلة السراغنة، فرقة فطناسة حوالي عام 1267 / 1850 ولما بلغ الرابعة من عمره أخذ والده يعلمه القراءة والكتابة مع تحفيظه القرآن الكريم في الكتاب التابع لمدرسة زاوية جده أبي محمد المعطي ولم يكد يبلغ (14) من عمره حتى كان قد حفظ القرآن الكريم، وأتقن تجويده، مضيفا إلى ذلك حفظ جملة غير قليلة من الأحاديث النبوية مع إلمام بمبادئ العقيدة والشريعة، وأهم علوم اللغة العربية.

وفي سنة 1281 / 1864 بعثه والده إلى مدرسة سيدي الزوين القرآنية القريبة من مراكش. وقد مكث بهذه الزاوية مدة ثلاث سنوات استظهر فيها القرآن الكريم بالقراءات السبع على يد منشئ الزاوية وإمامها الذي أجازه في ذلك وفي استيعاب معطيات علوم القرآن.

وفي عام 1283 / 1866 عاد إلى مسقط رأسه ليمضي هناك زهاء سنتين اختبره والده خلالهما في حصيلة رحلته العلمية الأولى قبل أن يأذن له في التوجه إلى مدينة مراكش حوالي عام 1284 / 1867 بنية الأخذ عن مشايخ العلم بجامعة ابن يوسف.

ثم شد الرحال إلى مدينة فاس عام 1288 / 1871 للأخذ عن علماء جامعة القرويين. ولم أقف على شيوخه بكلتا الجامعتين. وقد كانت السبع سنوات التي قضاها بفاس كلها كد واجتهاد مما لفت إليه أنظار شيوخه، ولما لمسوا فيه من تضلع في شتى المعارف الإسلامية، والآداب العربية، فأجازوه كتابة، أو ثناء عليه في المجالس العلمية وهذه الحظوة التي نالها من شيوخه جعلتهم يرشحونه للتدريس بجامعة القرويين، وفي بعض المساجد الأخرى، فاستجاب لدعوتهم. وقضى السنوات الثلاث الأخيرة من مقامه بفاس في القيام بمهمة التدريس والوعظ.

ويغادر مدينة فاس عام 1298 / 1880 عائداً إلى مسقط رأسه حيث تأهل ووضع اللبنات الأولى لبناء أسرته، وقضى هناك سنتين تخللتهما عدة رحلات إلى مراكش، ورباط شاكر، ورباط أبي محمد صالح.

وفي سنة 1300 / 1882 حل بمراكش وسكن بحي باب

أيْلاَنْ، ولم تمض على إقامته بمراكش مدرساً واعظاً مرشداً أكثر من سبع سنوات حتى أجمع علماء المدينة على تقليده منصب شيخ الجماعة للمدينة.

وعندما احتُل المغرب من طرف الاستعمار الفرنسي رأى الشيخ محمد الصالح أن يلزم بيته لا يغادره إلا للصلاة في المسجد المقابل لبيته، أو المسجد الكائن قرب درب قايد راسو يتطوع فيه بإعطاء دروس، ويتولى فيه إمامة الخمس وخطبة الجمعة.

وفي أوائل ربيع الثاني عام 1321 / 1903 التحق ـ على رأس جماعة من علماء مراكش ـ بالشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني بقصد الرفقة لأداء فريضة الحج عبر البحر.

توفي صبيحة يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر محرم عام 1347 / 26 يونيه 1928.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

**السرغيني، محمد** بن **محمد** المراكشي، ولد في أوائل العشرة الأخيرة من القرن (13 هـ / 19 م). وعاش يتيما في كفالة أعمامه وإخوته (*الإعلام*، 7 : 177).

درس العلوم الإسلامية على عدد من شيوخ العلم بمراكش وفاس منهم : عمه محمد المدني (ت. 1309 / 1891)، وابن عمه محمد الصالح، وأخوه للأب عبد السلام، والشيخ محمد ازنيط المراكشي. ثم لقي الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني بمراكش واخذ عنه، فأجازه في العلم والطريقة : (فظهر عليه فضله وانتشرت اسراره) (*الإعلام*، 7 : 177). وله فيه أمداح. كما حضر دروس الشيخ عبد الحي الكتاني بمراكش ووالده عبد الكبير بفاس.

أشار مترجموه إلى مكانته العلمية وتفوقه في الكتابة النثرية والنظم الشعري، فقال فيه صاحب : (*السعادة الابدية*، 1 : 53) : (كان من الحفاظ المحصلين، والفقهاء المحدثين، مليح الخط، جيد الضبط، كثير التقييد، ماهراً، أديباً، شاعراً) وقال فيه صاحب *الإعلام* (7 : 180) (كان ... ذا قلم بارع في النظم والنثر، واقدام على شرح الحقائق الصوفية).

مؤلفاته :

ـ *ديوان شعر في مدح النبي* ﷺ وأمداح شيوخه ؛ أورد صاحب *الإعلام* (7 : 178) نماذج منها.

ـ *شرح الطلاسم في شرح صلاة القاسم*، للشيخ محمد الكتاني (مطبوع بمصر).

ـ *روض الجنان في ما لشيخه من الخصوصية والعرفان*.

ـ *المنحة العطوفية في جواز الرقص للصوفية* : قرظه إدريس بن علي السناني.

ـ شرح على *الانموذجية*، وآخر على *الحكم* (لم يكمل).

توفي يوم 9 أو 10 رجب عام 1329 / 7 يوليوز 1911 بمراكش ودفن بروضة باب اغمات.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ط. 2، 1974 ـ 1983 ؛ م. ابن المؤقت، *السعادة الابدية*، طبعة حجرية، 1335.

حسن جلاب

**السرغيني، محمد** بن **المعطي** المراكشي، ينتسب إلى السادات العمرانيين، جاء أسلافه إلى السراغنة بتاساوت.

ولد في حدود 1245 / 1829. نشأ في بيت محافظ، مرفه العيش، وترعرع في وسط علمي حيث تعهده والده بالرعاية والتربية والتعليم. قرأ القرآن على الشيخ المهدي الدكالي. وبعد حفظه للقرآن الكريم انكب على تلقي العلم، ومجالسة الشيوخ. ويعتبر والده أول شيوخه حيث درس عليه القرآن بالروايات السبع، وسمع منه *الشاطبية*، وضبط الخراز، وشيئا من مورد *الظمآن*، *والمرشد المعين*، *والآجرومية*. كما درس على محمد بن الطيب السجلماسي المراكشي، وعلى أحمد بن حنين السرغيني الحمزاوي، والحاج أحمد المرنيسي والطالب بن حمدون ابن الحاج الفاسي بفاس زمن قضائه بمراكش وغيرهم كثير.

وبعد استكماله الدراسة وحصوله على الإجازة من جل شيوخه تصدر للتدريس والإفتاء بمراكش، وأخذ عنه جماعة من أهل العلم، وختم قراءة *صحيح الإمام مسلم* بضريح مولاي علي الشريف بمراكش، وحضر هذا الختم علماء المدينة والخليفة ووزراؤه وقال في ذلك قصيدة تضمنت مدح الكتاب ومؤلفه.

توفي ليلة ثاني عشر محرم 1296 / 6 يناير 1879، ودفن بجانب ضريح القاضي عياض عن يسار الداخل. أما تآليفه فهي :

1) *حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخيار* : فهرسة شيوخه ترجم فيها لجماعة من مشايخه وهي أشبه بمجموعة أدبية. مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط.

2) *شرح بردة المديح* سماه *التوشيح لبردة المديح*. مخطوط خ. ع.

3) *كناشة* : مشحونة بالفوائد، متنوعة الموضوعات، مخطوط خ. ع.

م. المؤقت، *السعادة الأبدية*، 1 : 91 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 29 ؛ م. السرغيني نفسه، *حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخبار*.

أحمد متفكر

**سركوح، يحيى** بن أحمد مقاوم من مواليد سنة 1930 بزيني ناحية طنطان. كان شديد الغيرة على وطنه، وعلى الرغم من تنقل عائلته التي تمارس الكسب المستمر بحثا عن الكلأ لماشيتها فقد كان من الأفراد الأوائل الذين التحقوا بصفوف جيش التحرير المرابط بالصحراء المغربية حيث عمل بالمقاطعة السابعة تحت قيادة إيدا ولد التامك.

شارك مشاركة فعالة في جميع المعارك التي خاضها جيش التحرير أبان خلالها عن شجاعة صادقة وواصل كفاحه بكل تفان وإخلاص إلى أن استشهد سنة 1959 بالساقية الحمراء.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 500495.

**سَرْنُو**، (قرية -) ذكرها ابن الزيات على أنها بدكالة، وزاد مارمول أنها مدينة صغيرة مسوَّرة، ويقول أحمد التوفيق، معلقاً على ما ورد في *التشوف* إن آثارها معروفة ولا ينطبق موقعها على موضعه عند ماسينيون في خريطة دكالة، كما رسمها في كتابه *المغرب في أوائل القرن السادس عشر*.

وما تزال أطلال هذه المدينة قائمة على بعد ثمانية عشر كيلومتراً تقريباً من مدينة أسفي، شمال شرقي هذه المدينة وغيرَ بعيد عن سيدي مبارك مولى الوليد. ويظهر من الأطلال التي تغطي مساحة تبلغ اثني عشر هكتاراً أن هذه المدينة كانت واسعة جداً، غير أنه لم يبق منها اليوم سوى سور غليظ كان مبنيّاً على الطريقة الإفريقية القديمة (التّابْية).

وسرنو من الأماكن التي تتوفر على الماء بواسطة الآبار التي كانت موجودة فيها. وفي داخل هذه المدينة، توجد مئات المطامير في حالة إهمال كامل، وهي شديدة الشبه بالآبار، الشيء الذي جعل دوتي يعتقد أن سرنو هي مدينة مائة بير التي وصفها الحسن الوزان. وفي هذا الصدد يقول بوشرب إنه لا عبرة بهذا الإدّعاء، لأن الأوصاف التي أعطاها الرحالة المغربي تنطبق على مدينة كانت على الجرف الرابط ما بين سهل عبدة ونجد الكنتور.

أما الحفر غير المنتظمة التي توجد خارج سور المدينة والتي تبعد عن بعضها بعضاً بخمسة وعشرين متراً، فيظهر أنها كانت مجرد مقاطع لا ستخراج الأحجار التي شيدت بها جدران هذه المدينة وأبراجها. وما زلنا نلاحظ آثار بعض هذه الأبراج خارج السور. وتدل آثار المطامير الكثيرة الموجودة في هذه المدينة على كثرة إنتاج الحبوب بهذه الناحية.

ولقد كانت سرنو مقراً للمتعاون يحيى بن تاعفوفت الذي كان يتصرف فيها ويستخلص ريعها كما لو كانت ملكاً خالصاً له، بعد أن وهبها له ولأولاده ملك البرتغال إيما نويل الأول برسالة مؤرخة في 25 غشت 1514، جزاءً له على صموده في وجه الوطاسي وعلى الهزيمة التي ألحقها بقواد هذا الأخير في معركة الجمعة يوم 14 أبريل 1514.

ولما حاول الناصر الوطاسي مطاردة يحيى بن تاعفوفت، تفادى هذا الأخير الاصطدام معه واكتفى بتسميم الآبار وإغلاقها لإرغام الوطاسي على مغادرة المنطقة، فلم يبق في استطاعة الناصر الوطاسي إلاّ تخريب سرنو. وتقول بعض المصادر البرتغالية إنه بقي بسرنو بعد تخريبها من الحبوب الشيء الكثير.

وفي سنة 1517، قام أهل عَبده وبعض رجال الغربية بنهب قرية سرنو. ويقول مارمول إن هذه القرية عمرت مرة ثانية بعد أن أخلى المسيحيون أسفي، لأن البلاد جيِّدة كثيرة القمح والمراعي.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء ؛ بوشرب، *دكالة*، الدار البيضاء ؛ دوتي، *مراكش* ؛ مارمول، *إفريقيا*، الرباط.

محمد الشياظمي

**السرنوف العكري** أو السرفوق العكري كما هو شائع في المغرب، وعقاب نسرانية كما في بعض معاجم الحيوانات بالشرق العربي، طائر من الكواسر النهارية، كبير الحجم يألف الصخور والأجراف الساحلية وضفاف الأنهار. ومصبات البحيرات. يصنف في رتبة الجوارح Rapaces falconiformes وفصيلة الصقريات Accipitridae. السرنوف إسمه الشائع في المغرب ويسمى في الشرق العربي وفي مصر المنسوري والناسوري والقريع والكتاف. يدعى علميا Pandion haliaetus وبالفرنسية Bulbuzard pêcheur وBulbuzard fluviatile وبالإنجليزية Osprey وبالإسبانية Aguila pescadora وبالإيطالية Falco pescatore.

يشبه السرنوف العقاب الصغير في شكله ؛ وتتميز الذكور منه برأس أبيض متوج بريش بني. العينان محفوفتان بالسواد، قزحيتهما صفراء شاحبة، الريش بني داكن على الظهر وأبيض على البطن والصدر. المنقار معقوف وقوي أبيض مخضر، المخالب مقوسة بيضاء مخضرة. تتميز الإناث بشريط طويل من الريش البني على الصدر. أسفل الذيل مخطط بالأبيض والبني ؛ يبلغ طول الجسم 60 - 70 سم ويزن 1200 - 2000 غراما، تبلغ بسطة الجناحين 150 - 190 سم. يعيش منعزلا أو مزدوجا ونادراً وسط مجموعات قليلة الأفراد. يشتهر بالمهارة في صيد الأسماك ويقدر نجاح حصوله على فريسته أثناء الغطس بـ 90٪. يحلق في الفضاء راسما حلقات دائرية واسعة وبعد تمييز فريسته بداخل الماء يطوي جناحيه إلى الخلف ويرخي مخالبه ثم ينطلق عمودياً كالسهم ليغطس في الماء بضعة ثوانٍ ثم يعود إلى صخور الأجراف ماسكا السمكة بين مخالب إحدى القائمتين.

السرنوف العكري

السرنوف العكري طائر نادر على الصعيد العالمي ويرجع إحداث المنتزه الوطني للحسيمة إلى وجود سرب كبير من هذا الطائر يفوق عدده 40 فرداً مستقر طول السنة في المنطقة الوسطى لجبال الريف. وتعتبر هذه المجموعة من أكبر المجموعات في العالم تتوالد غرب الحسيمة وعلى صخور أجراف مناطق بقوية Massif de Bokkoyas. يأوي هذا المنتزه الوطني أيضاً عدة مجموعات من أنواع الطيور كنورس أودواني وغيره وتبلغ مساحته 4700 هكتاراً. يحمل خاتم المنتزه الوطني للحسيمة صورة لطائر السرنوف كما يظهر ذلك على الرسم وذلك لتحسيس سكان وزوار المنطقة بحماية هذا الطائر.

يتوالد السرنوف في بضعة مناطق ساحلية بحوض البحر المتوسط وفي شمال أوروبا، ومن بين هذه المجموعات 30 ـ 50 زوجة تأتي من أوروبا كل سنة لتشتو من شتنبر إلى مارس في بضعة مناطق رطبة بشمال المملكة نذكر منها مرجة مولاي بوسلهام ومحمية سيدي بوغابة وسد سيدي محمد بن عبد الله ومشرع كليلة وسد القنصرة وسد عبد المومن الذهبي قرب ورزازات ووادي تنكرت ووادي سوس ووادي ماسة ووادي شبيكة ومصب وادي ملوية. يتراوح عدد الأفراد في هذه المناطق بين 1 ـ 5. من المحتمل أن بعض الزوجات تضاف كل سنة إلى السرب المستقر بالحسيمة. يمكن مشاهدة هذا الطائر طول السنة في المنطقة المتوسطية الساحلية الممتدة بين الحدود الجزائرية وسبخة بوعرك ومن الحسيمة إلى وادي مطير. تمت مشاهدة تسعة أفراد تحمل خاتما وضع في السويد وفرد من فنلندا وآخر من شمال بريطانيا وفردين يحملان خاتمين من السنغال.

يتوالد في المغرب منذ أبريل إلى غاية شهر يوليوز. ينصب الزوجان العش بين أطراف صخور الأجراف الساحلية الصعبة المنال غرب الحسيمة وعلى بعض صخور الجزر الجعفرية Iles Chaffarines وعلى الصخور المقابلة لها بمنطقة مصب وادي ملوية ورأس كبدانة، وهو عش ضخم قد يبلغ قطره أحيانا متراً ونصف ويتعدى علوه مترا ؛ يتكون من الأغصان اليابسة ومن الطين ويفرش بقطع الأعشاب وأوراق الأشجار. يستعمله الزوجان كل سنة مع إعادة ترميمه. تبيض الإناث 2 ـ 4 بيضات بيضوية الشكل مصفرة ومزركشة أو منقطة بالبني المحمر وأحيانا بالرمادي، يبلغ طول قطريها 36,6 × 61,6 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 33 ـ 38 يوما. تبقى الصغار بداخل العش حوالي شهرين قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز.

السرنوف طائر محمي لا يصاد، يتكون غذاؤه خاصة من الأسماك ويأكل أحيانا الطيور الصغيرة والقشريات المائية. يعيش في مختلف المناطق الساحلية المغربية وبالمناطق الرطبة القارية بكثافة ضعيفة جداً. بعض المجموعات تتوالد في شمال أوروبا وفي جزيرة كورسيكا وجنوب فرنسا وإسبانيا.


م. رمضاني، بولحية، *معلمة المغرب*، الجزء 6، ص. 1845 ؛ *الرخمة*، *معلمة المغرب*، الجزء 13، ص. 4323 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان ـ ط. 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

P. Bergier, *Les falconiformes marocains. Statuts. Répartition et Ecologie. Annales CEEP (ex. CROP)*, n° 3, 1987 ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North African and the Middle East*, 1979 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977.


محمد رمضاني

**السرْو** شجر، أو سروال أو عريش بالعربية، أو أزل أريلاً أو بِّستان بالأمازيغية، سيپري Cyprès بالفرنسية هي أسماء لجنس كوبريسوس Cupressus الذي ينتمي إلى فصيلة السّرويات Cupressaceae التي تضم أجناس العرعر (انظر العرعر، أزوگا، أيفس، أوال) والتُويا الشرقية أو تُويا الصين وهي علميّاً بيوطا أوريونطاليس Biota orientalis.

يُمثل جنس السرو في المغرب بعدة أنواع، منها نوع واحد طبيعي وقبسي خاص بالسفوح الجبلية لوادي نفيسْ بالأطلس الكبير الغربي. أما الأنواع الأخرى فهي دخيلة.

من أهم أنواع السرو بالمغرب :

- سرْو الأطلس بالعربية أو آزل أو آريلاً بالأمازيغية المحليةَ هو كوبريسوسْ أطلنطيكا Cupressus atlantica. إنه النوع الطبيعي الخاص بالمغرب. ويتميز عن الأنواع الأخرى بجمال هيئته ولون أوراقه.

نوع شجري طويل القامة قد يبلغ 40 م من الارتفاع. وقد يتجاوز قطر جذعه المتر. له هيئة مخروطية الشكل ومنتصبة لكنها متهدلة. لحاء جذعه رقيق أملس في الصغر وقشرته مشققة طولانيا في الكبر وذات لون أشهب ومسمر. أغصانه رشيقة ومتدلية وغير منتصبة. أوراقه حرشفية، مثلثة، فضية اللون. ثماره كروية أو شبه كروية الشكل، صغيرة الحجم إذ يتراوح قطرها ما بين 18 و22 مم.

تصادف الأنظمة البيئية لسرو الأطلس في غابة أغبار الموجودة في حوض وادي نفيس العلوي على مساحة تقدر بحوالي 6000 هـ، ما بين 1100 و1800 م من الارتفاع أي في الطابقين المتوسطي الدافئ والمتوسطي وفي البيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب.

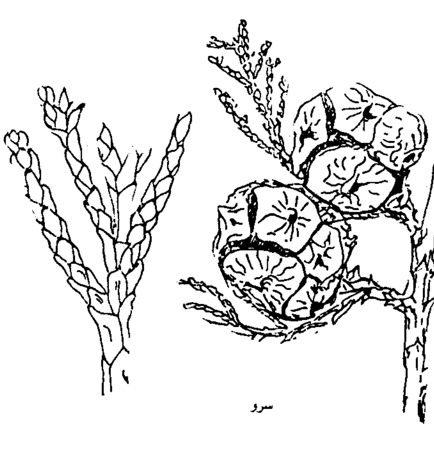

سرو

يختلط سرو الأطلس في المستويات السفلى مع العرعر البربري والعرعر الأحمر، وفي المستويات العليا مع البلوط الأخضر.

نظراً لندرة وخاصية هذا النوع القبسي، أحدثت محمية أغبار للمحافظة على أنظمته البيئية الفريدة، والمحيطة بمسجد تينمل العتيق مهد الدولة الموحدية.

يعطي سرو الأطلس خشبا متينا مستديما غير متعفن يصلح لنجارة الأثاث وللخدمات وللمعادن، ولإنشاء سقوف المنازل كما هو الشأن بالنسبة لخشب أنواع العرعر. كما تستعمل أوراقه في التطبيب التقليدي.

لكنه نادراً ما يستعمل في عمليات التشجير بالرغم من سعة نموه وجمال هيئته ولونه.

- السرو المتوسطي أو السرو دائم الاخضرار هو كوبريسوسْ سمبرفيرينس Cupressus sempervirens الذي هو أكثر شيوعا في كل المناطق المتوسطية العالمية حيث يوجد طبيعيا واستعمل منذ أقدم العصور للزينة ولإنشاء الأسيجة الحية المحيطة بالضيعات أو بمقابر المسيحيين واليهود.

وموطنه الأصلي هو حوض البحر المتوسط حيث مازال ينظم بعض الغابات في كل من تونس (غابة مكثر) وليبيا بالجبل الأخضر واليونان وسوريا وإيران ...

يتميز السرو المتوسطي عن النوع السابق بقصر قامته إذ لا يتعدى 30 م من الارتفاع، وبأغصانه الكثيفة غير المتهدلة التي تكون إما أفقية بالنسبة للضرب الأفقي var. horizontalis أو منتصبة بالنسبة للضرب الهرمي var. pyramidalis. كما يتميز أيضاً بأوراقه ذات اللون الأخضر الداكن، وبثماره الكروية أو البيضوية الشكل ذات الحجم المتراوح ما بين 20 و40 مم طولا. (الهرمي : ما بين 20 و35مم، الأفقي : ما بين 35 و40 مم).

استخدم السرو المتوسطي منذ أقدم العصور للزينة في الحدائق أو بجوانب الطرق أو لإنشاء الأسيجة الحية كمصدات الرياح حول الحقول والضيعات، أو لإحاطة الأماكن المقدسة عند المسيحيين واليهود، وذلك في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة الحارة منها والمعتدلة والباردة.

يستخدم خشب السرو المتوسطي في الخراطة لصناعة الخزائن وأشياء أخرى وكذلك الأعمدة وصناعة الصناديق.

كما تستعمل الصمغة والأوراق والثمار في التطبيب التقليدي.

- سرو لامبيرْ أو سرو كالفورنيا أو كوبريسوسْ ماكروكاربا Cupressus macrocarpa وهو أكثر الأنواع استعمالا في المناطق المتوسطية الساحلية، وذلك لتكوين الأسيجة الحية ومصدات الرياح.

ينفرد عن النوعين السابقين بهيئته ذات الشكل الهرمي وقاعدته الموسعة وقمته المسطحة عند تقدمه في العمر الذي لا يدوم طويلا، وكذلك بأغصانه التي تكوّن مع الجذع بصفة منتظمة زاوية قدرها 45 درجة. لحاء جذعه أكبر سمكا. أوراقه ذات لون أخضر مفتوح يميل إلى الاصفرار، وجد عطرة، وعطرها يشبه عطر الليمون. ثماره ذات حجم يتراوح ما بين 25 و35 مم، ولون أسمر يميل إلى الاحمرار، ومجتمعة في أغلب الحالات في مجموعات مشكلة من 6 إلى 10 مخروطات.

الموطن الأصلي لسرو لا مبير هو منطقة خليج مانتوري على ساحل المحيط الهادي بوسط كالفورنيا ذات المناخ المتوسطي الشكل. ولأنه سريع النمو فقد أدخل بعد اكتشاف أميركا إلى كل المناطق الساحلية من البلدان المتوسطية بحوض البحر المتوسط ووسط الشيلي، وجنوب إفريقيا وجنوب غرب استراليا.

ففي المغرب نجده يفضّل عن النوع السابق في استخدامه على طول السواحل حيث تسمح الحرارة الملطفة والمعتدلة بغرسه لأجل إنشاء مصدات الرياح أو الأسيجة الحية حول الحقول والبساتين.

يغرس بدون ري في البيومناخات شبه الرطبة والرطبة.

نظراً لنموه السريع وعمره القصير، يعطي هذا السرو خشبا أقل جودة، لا يستعمل إلا استثنائيا في النجارة والخدمات.

- سرو أريزونا أو كوبريسوسْ أريزونيكا Cupressus arizonica الذي يتميز عن سابقيه بقامته التي لا تتجاوز 15م من الارتفاع وبجذعه القصير وتاجه الكثيف والمخروطي الشكل، وبقاعدته العريضة وقمته المستديرة، وبفروعه الأفقية، وباللون الأحمر المفتوح الظاهر على لحاء الأغصان والجزء الأعلى من الجذع، وبقرفه الليفي والمشقق على الجزء السفلي من الجذع. لكن أهم ما ينفرد به هو اللون الأخضر الفضي المائل للزرقة الظاهرة على أوراقه ذات العطر القوي. ثماره شبه كروية وذات قطر يبلغ 20 مم.

الموطن الأصلي لسرو أريزونا هي المناطق الجبلية الجافة أو شبه الجافة المتواجدة في غرب الولايات المتحدة الأمريكية وشمال غرب المكسيك حيث يصادف إلى ارتفاع 2500 م فوق سطح البحر.

أدخل هذا السرو كشجرة زينة نظراً لجمال لونه وهيئته في جل المناطق المعتدلة والمتوسطية وشبه المدارية.

يغرس في المغرب للزينة أو في عمليات التشجير الجبلية في جل البيومناخات ما عدا الصحراوية منها والجافة. وأهم عمليات التشجير بهذا النوع هي التي أنجزت بالجزء الأوسط من الأطلس المتوسط، وخاصة بفرجات غابات الأرز والبلوط الأخضر.

من الممكن استعمال خشبه ذي اللون الأسمر المفتوح والعطر الزكي في النجارة وبعض الخدمات.

A. Benabid, *Flore et écocystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000 ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

**سْرُو** (واد -) يحد حوض واد سرو (الشكل رقم 1) شمالا وغربا بحوض نهر أم الربيع، شرقاً وجنوباً بواد ملوية العلوي. ويصرف كل المنطقة الجنوبية والجنوبية الشرقية لهضبتي أجدير وسرو، ويأخذ منبعه من المنخفض الطولي للزاد وجبل إكردان (2258 م) حيث يوجد واد زاد الذي يعد من أهم روافده العليا.

يعتبر واد سرو من أهم روافد نهر أم الربيع، ويتميز بحوض شبه طولي ذي اتجاه عام شرق شمال شرق - غرب جنوب غرب، يصل مؤشر تراصه (k) إلى 1,2 وهي قيمة تقترب من المربع (k = 1.12) الشيء الذي يجعل فيضاناته شبه قوية. فإذا كان مؤشر التراص يساوي 1 فهذا يعني أن الحوض يتميز من جهة بشكل دائري ومن جهة ثانية باستجابة سريعة للتساقطات مما يؤدي إلى فيضانات كارثية، في حين تدل القيم العليا لهذا المؤشر على أحواض طولية وعلى فيضانات ضعيفة وغير مدمرة. ومن أهم روافده نجد واد اشبوكة في الضفة اليمنى وأسيف ندونا في الضفة اليسرى.

تشكل معظم حوض واد سرو فوق صخور طينية ملحية ترياسية غير نافذة، يتلقى تساقطات تتراوح بين 500 ملم (محطة شاشا نملح، 780 م) و900 ملم في المرتفعات الشرقية (Martin, 1981) تتساقط على شكل ثلوج فوق المرتفعات التي يفوق ارتفاعها 1900 م. ويصل معدل الحرارة إلى 20.8C° بمحطة دشر الواد، في حين يمكن للنهايات العليا أن تسجل 40.3C° خلال شهر شتنبر، و1,3C° بالنسبة للنهايات الدنيا خلال شهر يناير.

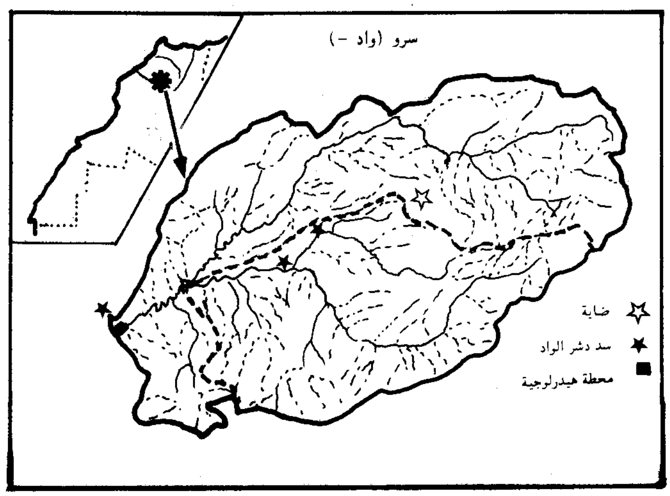


يندرج حوض واد سرو من الناحية البيومناخية ضمن نطاقين : نطاق شبه جاف في الواجهة الغربية من الحوض ونطاق شبه رطب ويوافق المناطق التي تتعدى ارتفاعاتها 1600 م.

يتميز بغطاء نباتي منفتح ومتدهور على شكل ماطورال يتكون أساسا من العرعار الأحمر والمجنح والزيتون البري والخروب وينتشر في المنخفضات وفي السفوح الجنوبية الشرقية الجافة، في حين تعرف منطقة ثالرين - كروشن وجزء كبير من هضبة سرو غطاء نباتيا عبارة عن غابة حقيقية تتشكل أساساً من الأرز والبلوط الأخضر.

النظام الهيدرلوجي : يعرف واد سرو نظاما هيدرلوجيا يتميز بتغيرات فصلية مهمة (الشكل رقم 2) :

- فترة المياه العليا وتوافق شهور دجنبر، يناير، فبراير، مارس وأبريل.
- فترة المياه الدنيا وتوافق شهور ماي، يونيو، يوليوز، غشت، شتنبر، أكتوبر ونونبر.

تعد المياه العليا والدنيا ظواهر هيدرلوجية فصلية تتميز بها جميع الأنهار كيف ما كانت ظروفها البيومناخية والصخارية، أما الفيضانات وفترات الشح فتعتبر من الظواهر الهيدرلوجية الاستثنائية وتتميز بعدم انتظامها في الزمان والمكان : الفيض عبارة عن انتفاخ سريع ومهم للصبيب ويمكن أن يحصل في أي لحظة خلال الدورة الهيدرلوجية، أما الشح فهو عبارة عن صبيب هزيل وضعيف، غير اعتيادي. ولإعطاء صورة واضحة عن الخصائص الهيدرلوجية، نسوق الجدول التالي الذي يمثل مقارنة بين الصبيب الاعتيادي لواد سرو عند محطة شاشا نملح (1400 كلم2) ونهر أم الربيع عند محطة ثغاط بخنيفرة (1060 كلم2) :

| المحطات | DCM | DC1 | DC3 | DC6 | DC9 | DCE |
|---|---|---|---|---|---|---|
| شاشا نملح | 13,5 | 9,1 | 5 | 3,4 | 1,9 | 1,4 |
| ثغاط | 24 | 22,2 | 18,8 | 14 | 12,6 | 11,2 |

DCM : الصبيب الاعتيادي للفيض وهو صبيب يتم تجاوزه 10 مرات خلال السنة.
DC1 : صبيب يتم تجاوزه 30 مرة خلال السنة.
DC3 : صبيب يتم تجاوزه 60 مرة خلال السنة.
DC6 : الصبيب الإعتيادي الوسيط وهو صبيب يتم تجاوزه 6 أشهر خلال السنة.
DC9 : صبيب يتم تجاوزه 9 أشهر خلال السنة.
DCE : الصبيب الإعتيادي للشح وهو صبيب يتم تجاوزه 355 يوما خلال السنة.

تكمن أهمية دراسة صبيب الشح للأودية في كونها ظواهر هيدرلوجية عادة ما توافق فصل الصيف وهي الفترة التي تعرف فيها المجالات المتوسطية طلبا متزايداً على الماء لأغراض مختلفة (سقي، تزويد المدن بالماء الصالح للشرب، إنتاج الطاقة الكهرومائية).

ويتضح من خلال الجدول أن واد سرو يعرف فترة شح طويلة وحادة نتيجة عوامل مناخية (جفاف) وعوامل بشرية (السقي) وعوامل صخارية تتمثل أساسا في بروز مواد

ترياسية غير نافذة من جهة وفي ضعف الخزان الكارستي المتمثل في فرشات مائية معلقة لا تسمح وضعيتها البنيوية بتشكيل خزان مهم يدعم وينظم الصبيب طيلة السنة من جهة ثانية. في حين يتميز نهر أم الربيع بالرغم من صغر مساحته بصبيب شح مرتفع يصل إلى 11,2م3/ ث، وذلك بفضل الدور الكبير الذي يلعبه الخزان الكارستي في تغذية وديمومة الصبيب. كما يتضح هذا الإختلاف على مستوى الصبيب النوعي إذ يصل إلى 15,8 ل / ث / كلم2 بنهر أم الربيع، بينما لا يتعدى 4,8 ل / ث / كلم2 بواد سرو.

الموارد المائية : تشكل العيون والأودية المورد الأساسي داخل الحوض، فسيادة الصخور الكلسية والدلوميتية المتشققة والمكرستة تسمح بتسرب مياه الأمطار التي تخرج على شكل عيون انسكابية عادية، تتمركز أساساً عند اتصال الصخور الكاربوناتية بالمواد الطينية الملحية الترياسية التي تشكل قاعدة غير نافذة للفرشة اللياسية. كما توفر المواد الغرينية على طول الأودية موارد مائية لا بأس بها تتمثل في فرشات طليقة تشتغل بواسطة آبار يتراوح عمقها بين 2 و5 أمتار. سمحت هذه الموارد، خاصة العذبة منها، بوجود فلاحة سقوية تتمثل في الأشجار المثمرة والخضروات، تنتشر بكيفية أساسية على طول أسيف ثومليلين، أروكو وأقا تاشبانت.

إشكالية الملوحة : تشكل ملوحة مياه واد سرو عائقا كبيراً في تطور القطاع الفلاحي بالمنطقة، إذ تتراوح كمية الأملاح ($NaCl$) بها بين 3200 و5800 ملغ / ل (أي 3,2 و5,8 غ / ل)، أما الموصلية فتتأرجح، من العالية إلى السافلة، بين 11400 و6040 µs /سم. وتعود أهمية الأملاح بمياه واد سرو إلى الانتشار الواسع للمواد الطينية الترياسية الغنية بالملح، وهي مواد تتميز بإذابة سريعة تفوق 1500 مرة إذابة الصخور الكاربوناتية وبدون تدخل غاز ثاني أكسيد الكاربون. وهكذا ينقل واد سرو كمية مهمة من الأملاح تتراوح بين 460000 و620000 طن سنويا (مشروع واد سرو، ص. 57 ـ 58).

إشكالية التعرية : فبالإضافة إلى مشكلة ملوحة المياه، يعرف حوض سرو تعرية مهمة تتمثل أساسا في التعرية المائية وفي الإنزلاقات، وتتداخل مجموعة من العوامل لتفسير هذه الظاهرة، من بينها نجد :

ـ الصخارة : وتتجلى من جهة في الإنتشار الواسع للمواد الطينية الملحية الترياسية في القاعدة ومن جهة ثانية في وجود مواد قفصية دلوميتية المرتفعة النفاذية في الأعلى.

ـ المناخ : ويتمثل في عدم انتظام التساقطات وتركزها في الزمان والمكان إذ تأخذ خلال فصل الصيف والخريف طابعا عاصفيا.

ـ نظام الإنحدارات : ويتجلى في شدتها ووعورتها، الشيء الذي يساعد على قوة وعنف السيل.

ـ الغطاء النباتي والإنسان : ويتجلى في تدهور وانفتاح الغابة وكذا في طرق الحرث واستغلال الأرض والرعي.

تفاعل كل هذه العوامل من شأنه أن يرفع من حدة التعرية التي تزود الواد بحمولة صلبة تتراوح بين 500000 و700000 طن في السنة (مشروع واد سرو، ص. 58)، الشيء الذي سيعرض المنشآت المائية، خاصة منها سد دشر الواد، إلى خطر التوحل. ولهذا يجب على المتدخلين في السياسة المائية وضع برنامج تهيئة مندمج للحوض يأخذ بعين الإعتبار جميع مكونات الوسط الطبيعي في علاقاتها مع احتياجات الإنسان القروي، يكون هدفه الأساسي الحد من التعرية ومواجهة التحديات المستقبلية (الماء الصالح للشرب والسقي).


إ. أمراروم، *آيت تدارت*، 1992 ـ 1993، عالية أم الربيع، دراسة هيدرلوجية بحث لنيل الإجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال ؛ *المعطيات الهيدرلوجية*، وكالة الحوض المائي لأم الربيع، بني ملال.

P. Dubreuil, *Initiation à l'analyse hydrologique*, Paris, 1974 ; J. Martin, *Le Moyen Atlas central : étude géomorphologique*, Rabat, 1981 ; G. Remenieras, *L'hydrologie de l'ingénieur*, 1986 ; *Projet Oued Serou. Etude de base. Rapport général : analyse de la situation actuelle*. Rabat, 1988.


يحيى الخالقي

** مشروع واد سرو. يعرف هذا الحوض مشاكل متعددة تظهر على ثلاث مستويات:

المستوى الأول يتجلى في الاستغلال المفرط للموارد الطبيعية التي لا يمكن لوحدها أن تلبي حاجيات ساكنة تتزايد بشكل كبير.

المستوى الثاني اقتصادي يتمثل في قلة المجالات الزراعية وضعف مردوديتها التي لا تعوض المجهود المبذول في الاستغلال (1500 درهم كمعدل سنوي للفرد).

المستوى الثالث يتجلى في كونه مجالا معزولا يعرف فقراً شديداً في التجهيزات الأساسية إذا ما قورن بباقي مناطق المملكة.

نظراً لهذه الأسباب فقد شهد هذا المجال تدهوراً كبيراً خاصة في المجال الغابوي الذي أدى كنتيجة حتمية إلى تراجع إمكانية تسرب المياه وإلى تسريع نشاط التعرية وكلها عوامل ساهمت بالإضافة إلى ضعف الدخل في الزيادة من وتيرة الهجرة التي قدرت ب 10٪ من الساكنة الإجمالية.

ضمن هذه المعوقات يدخل مشروع واد سرو في إطار التعاون الثنائي التقني بين المملكة المغربية والجمهورية الفدرالية الألمانية وقد بدأ العمل به سنة 1987 بتوقيع الاتفاقية بين البلدين تكلفت بتنفيذه عن الجانب المغربي مديرية المياه والغابات والمحافظة على التربة وعن الجانب الألماني Deutsche Gesellschaft für technische Zusammenarbeit GTZ وقد اختيرت 5 محاور أساسية للتدخل بعد جمع وتحليل المعطيات الطبيعية والبشرية وهي :

ـ تجهيز المناطق المسقية بمنشآت مائية صغيرة ومتوسطة بإعداد وحفر الآبار، خلق صهاريج شرب الماشية، تجهيز

العيون وإنشاء قنوات سقي إسمنتية. وقد تمت هذه الأوراش بشكل يجعل عملية الاستغلال جماعية تهدف إلى التوافق وتجاوز الصراعات بين السكان.

- المحافظة على التربة عن طريق مقاومة أساليب التعرية بإعداد وتجهيز الخدات ميكانيا وبيولوجيا، بإنشاء أحزمة من الحجارة كسدود لمقاومة الانحراف وبخلق وتطوير مشاتل لتشجيع التشجير داخل الحوض. وقد لعبت هذه التدخلات دوراً كبيراً في حماية المنشآت المائية من التعرية خاصة الموجودة منها في المناطق المنحدرة.

- تنمية وتشجيع الأغراس المثمرة لدورها المزدوج سواء في حماية التربة أو الزيادة من مردود الاستغلاليات الفلاحية.

- تنمية وتطوير تربية الماشية بتشجيع الزراعات العلفية من جهة وتحسين المؤهلات الجينية للأبقار من جهة ثانية.

- تنمية وتحسين ظروف عيش المرأة القروية.

*Projet Oued Srou* (déc. 1988), *Rapport Général. Analyse de la situation actuelle.* DPA, Khénifra ; *Projet Oued Srou* (Fév. 2001), *Note de présentation du projet Oued Srou*, DPA, Khénifra.

عبد اللطيف حافظ

**سرويلُ**، أسرة سلوية يظن أن أصلها من الأندلس، من ذوي المروءة والعفاف، كانوا يسكنون بحي حمام الطالعة. واشتغلوا بالتجارة والعدالة والإدارة والجهاد.

وتذكر الوثائق منهم محمد سرويلُ الطبجي، ورد اسمه تحت عدد 81 في قائمة المجاهدين الطبجيين السلويين الذين أنعم عليهم السلطان الحسن الأول بصلة في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875 ؛ ومنهم محمد بن بنعيسى سرويل الذي كان سنة 1292 عدلاً بمرسى العدوتين.

*وثائق خ. ص* ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996 ؛ *التعريف بني سعيد السلاوين*، الرباط، 1991، ج 2 : 151 و279.

محمد حجي

**سْري** (أيت -) إحدى إتحاديات قبائل جنوب الأطلس المتوسط أو مجموعة واد العبيد، إلى جانب اتحادية أيت سخمان واتحادية أم البخت وغيرها.

وكان عدد كوانينها إبان مطلع عهد الاستعمار حوالي 4500 خيمة. وتحدد موقع ترابها من الشرق بواسطة خندق واد واويزغت، وفي الغرب بسهل تادلا، وفي الشمال الشرقي بواسطة إيشقيرن وعيون واد واويزغت وأيت حودي وفي الجنوب الغربي بواسطة جبل تاسميطت الذي يرتفع حتى 2138 متراً.

ويعد جميع أيت سري تقريباً مستقرين لأنهم أقاموا في بلاد غنية مشهورة بسقيها وبزراعة الحبوب وبقطعانها الجيدة.

وبينما قسم الضابط بيروني أيت سري إلى ثلاث قبائل هي أيت ويرا ؛ وأيت سعيد أوعلي ؛ وأيت عبد لولي، قسمهم القبطان طاري إلى قبيلتين فقط، متجنباً ذكر أيت سعيد.

وإلى جانب الزراعة وحياة الاستقرار بواد العبيد، اشتهر أيت سري إلى جانب أيت سخمان بحركاتهم الانتجاعية، مستفيدين من شساعة ترابهم وأهمية جريان الماء لديهم والمتمثل في أودية درنة، وواد رنت، ودرنت، وأم الربيع أيت أم البخت. وظلت مراعي القبيلة من الأهمية بمكان، وكان المنتجعون يقيمون في الربيع على منحدراتهم. وينظم السكان كل عام في أحنو وأغبالو نتروسو موسم حيدوس أيت ويرا احتفالاً بمقدم الربيع. واستفاد أيت سري من مراعي أيت داود أُوعلى المجاورين في ممر واد العبيد والمنحدرات الجنوبية لجبل غنيم المواجهة للشمس والأقل برداً من بلاد "الظل". وأما مراعي أيت سعيد أوعلي من أيت سري فكانت قطعانهم ترعى فيها من ماي إلى غشت على مرتفعات البراكيك أو البراقيق وفي إيغرغر، وعلى الجانب الشمالي في أمازرو تيميسكر. وكانت قيعان الأودية أشبه بسهول صغيرة تتدرج مثل طوابق مسرح وتستغل للزراعة في كل من إيكيس وإيفيرد وغيرها.

وأهم مسالك التوغل في بلاد أيت سري العليا خط درنت - أسارات المطابق لسلسلة تاداوت ناري ؛ ثم خط أغزيف - إيفسفس - أغبار المطابق لتاسميطت، وبوحازم، وتاوريرت نتيني ؛ وأخيراً واد العبيد الذي تجاور مع جبل أسناين وجبل أحنو وجبل أو تروسو، وأدار إيمليوي، وتاماروشت.

وتمثلت وظيفة المواصلات في تنشيط الأسواق، سواء في الدير عند نقطة انطلاق الشرايين الكبرى، أو في محطاتها النهائية بواد العبيد. وأهمها أسواق الدير وهي سوق السبت بزاوية الشيخ، وسوق الحد بقصيبة أحسن أسواق بلاد أيت ويرا، وسوق الخميس بتاگزيرت ومثيله بفرياطة، وسوق اثنين فم العنصر، وسوق أربعاء أدوز، ومثيله ببنشرو، وسوق أربعاء ناور.

ثم أسواق واد العبيد : خميس أيت حمزة بتيفرت، وحد إيمداحن بتاگلفت، وسوق أيت بوتفردة وأربعاء أيت أو مناسق باغبالا.

وأهم الفجاج التي تسهِّل مرور المسافرين في واد درنة العليا : تيزي نيفار ؛ وتيزي نوسعيد ؛ وتيزي نيشوان وتفضي إلى ناور وقصيبة وأنوفي ؛ ثم إيمي نوفسو في حوض أغبالا.

H. Catherine, in *R.G.M.*, t. VI, 1927 ; R. Peyronnet, *Tadla, pays Zaïan, Moyen Atlas*, Alger, 1922 ; C. Tarrit, Commandant, *Le Cercle de Beni-Mellal, Etude sur le Front Chleuh, Pays Aït Sri*, *B.S.G.M.*, 1923, t. III.

الملكي المالكي

**سريري، الصديق**، مقاوم ولد سنة 1937 بقصر أولاد غانم قيادة الجرف دائرة أرفود إقليم الرشيدية، من والده أحمد بن حمادي وأمه عائشة بنت حماني.

كان عضوا نشيطا بصفوف جيش التحرير، حيث شارك في العديد من المعارك الطاحنة. وعندما أحرز المغرب على استقلاله انخرط في القوات المسلحة الملكية إلى أن أحيل على التقاعد.

وافاه أجله المحتوم بتاريخ 17 ربيع الثاني عام 1416 / 13 شتنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 506190.

**سريف** (أهل -) قبيلة جبلية تنسب لجبل سريف، والاسم مشتق من اسم أسرة "سرافة" أو "السريفي" جزء من قبيلة غمارة أو كتامة. كانت قبيلة سريف في الماضي تنقسم إلى خمسة أخماس، ثم أصبحت مكونة من أربعة أرباع هي : ربع اللوطويين، وربع مرقد الضباب، وربع بني إدريس، وربع الجبلية، واليوم بعدما اقتطع منها خمس بني يقمح وضم إلى بني گرفط، وجزء قرب سد وادي المخازن ضم إلى إقليم سيدي قاسم، أصبحت اليوم تضم جماعتين هما : جماعة أبي جديان، وجماعة تطفت.

كانت بلاد سريف تحتوي على عدة أسواق منها ما اندثر مثل سوق أربعاء الجائزة أو سوق سيدي أبي بكر الجناتي الذي كان في الطريق المؤدي إلى سوق اثنين بني زكار والذي كان ياتي إليه تجار البندقية كما أشار إلى ذلك الحسن الوزان. إضافة إلى سوق اثنين سيدي أحمد الجباري، وسوق خميس أبي جديان وسوق تطفت الحاليين.

ويتميز جبل سريف بوجود أنهار مهمة نظرا للتساقطات المهمة التي كانت تتراوح بين 400 و800 مم في الغالب وقد تزيد لأنها تدخل في المناخ الرطب الذي يميز منطقة الشمال الغربي المغربي، رغم ما يعرفه المناخ من تذبذب وجفاف على العموم، وأهمها نهر لكوس الذي أنشئ عليه سد وادي المخازن. ونهر وادي المخازن الذي وقعت على ضفافه معركة وادي المخازن. إضافة إلى أنهار صغيرة مثل وارور، ورشكاوة.

وكان لأهل سريف دور فعال في مقاومة الاحتلال البرتغالي لثغور الشمال، واشتهر من قواد المجاهدين السريفيين ابن غانم السريفي، وشاركوا في معركة وادي المخازن وفي محاصرة سبتة، وأثناء ثورة الأمير ابن عبد الكريم الخطابي كان للسريفيين دور مشرف في مناصرته ومهاجمة الإسبانيين المحتلين.

م. أخريف، *أخطاء ميشو بلير في قبيلة أهل سريف*، مخطوط ؛ *وثائق محلية، وروايات شفوية*.

E. Michaux Bellaire, *Quelques tribus de montagne de la région du Habt*, *A.M.*, vol. XVII, 1911.

محمد أخريف

**السريفي، إبراهيم** بن محمد، شهرته بالصياد القصري، أصله من جبل سريف. ذكره مترجموه وخاصة أبناء الزاوية الفاسية بما يدل على حسن انتسابه لأهل التصوف ورووا من سيرته ما يفيد إدراكه لمرتبة الولاية بما أثر عنه من الأحوال والكرامات وصفات الورع. يعد إبراهيم السريفي أحد أبرز أصحاب الشيخ أبي المحاسن الفاسي فقد انقطع عن داره وأهله منذ أول لقاء بينهما وقضى عشرين سنة في خدمته، ونقل رسائله، والسهر على أمور زاويته. وقد بلغت بينهما المودة حدا جعل شيخه ينزله منه منزلة الولد ويكثر من الثناء عليه ويقدمه في رفقته.

توفي بفاس عام 1008 / 1599 - 1600.

ع. الفاسي، *ابتهاج*، مخطوط، 287 - 289 ؛ م. الفاسي، *ممتع*، طبع حجر، 210 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 55 ؛ م. القادري، *نشر*، ج. 1، 73 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج. 2، 325.

نفيسة الذهبي

**السريفي، عبد السلام** بن الطاهر بن حمّ. لا توجد مصادر تتحدث عن هذا القائد باستثناء ميشو بيلير Michaux Bellaire الذي تحدث عنه ولكنه أخطأ في كل ما يتعلق به، من مقر سكناه وكيفية توليته ومدة حكمه، يقول : "ومن أجل التهدئة المؤقتة لانتفاضة أهل سريف الذين لم تخضعهم الحملة الموجهة ضدهم، قام المخزن بتعيين حاكم خاص ينتمي إلى القبيلة نفسها، هو القائد عبد السلام من مدشر عين بوعامر الذي ابتدأ يحتاط من أعدائه فاتخذ القصر إقامة له في جل الأوقات... كيفما كان الحال فقد حكم القبيلة لمدة سنة واحدة".

جاء في إحدى الوثائق غير المنشورة التي توجد لدينا : "الحمد لله وحده اشترى الخليفة الأسعد الرئيس الأمجد السيد عبد السلام بن الطاهر بن حم الخلف السريفي... أحد عشر وثلاثمائة وألف".

يرى بيلر أن توليته كانت نتيجة لعدم قدرة المخزن على إخضاع قبيلة أهل سريف، في حين أن الفتنة أو الانتفاضة التي قامت بها القبيلة كانت موجهة بالدرجة الأولى ضد عامل العرائش الذي أغلظ عليهم في الضرائب، والذي استدعى الإمدادات لمحاربة القبيلة بدعوى أنها خارجة عن الطاعة. ولما افتضح أمره أثناء المعارك استدعى السلطان أعيان القبيلة فحكموا له، فما كان من السلطان إلا أن عين عليهم قائدا منهم هو عبد السلام بن حم السريفي الذي كان شيخا على القبيلة منذ سنة 1284.

لم يكن القائد عبدالسلام بعيدا عن قبيلته بل كان يعيش في مدشره، وهناك صور أخذتها في عين المكان لإقامته بمدشر الغراف، وكان يقوم بعمله العادي من رسائل وغيرها مثل الرسالة الموجهة إلى الشريف المختار بن الحاج الخراز لتوقيره واحترامه، تقديراً للعلم والأستاذية.

توفي بعد عام 1311 / 93 - 1894.

*وثائق* عند حفيد القائد السيد عبد الحميد بن حمّ السريفي : *رسالة* من القائد عبد السلام السريفي إلى الشرفاء الشبليين.

Michaux Bellaire, p. 239 - 240.

محمد أخريف

**سطات**، مدينة تقع على مقربة من الحافة الفاصلة بين الشاوية السفلى [سهل] والشاوية العليا [هضبة]. وتمتد على ضفاف واد بوموسى الذي يتعمق داخل الهضبة فيشكل ممرا طبيعيا بين جزءي الشاوية.

يرجع أصل المدينةإلى وجود عين متفجرة على الضفة اليمنى للواد، استغلت قديما كمحطة على الطريق الرابطة بين مراكش والمدن الساحلية وخاصة منها الدار البيضاء والرباط. وتعززت وظيفة هذا الموقع كنزالة مع تشييد السلطان مولاي إسماعيل قصبة بجوار عين سطات في نهاية القرن السابع عشر، ضمن سلسلة القصبات التي أقامها لضمان الأمن والاستقرار بالسهول الأطلنتية الوسطى. وكان لتشييد هذه القصبة دور كبير في نشأة وتطور المدينة بتوفيرها للأمن بالنسبة للمسافرين الذين يضطرون لعبور الحاجز بين طرفي الشاوية عبر الممر الطبيعي الذي يوفره وادي بوموسى، وباجتذابها السكان للاستقرار بجوار أسوارها، وبالتالي بخلقها للظروف الملائمة لتطور تجمع تجاري بهذا الموقع. كما أن تشييد القصبة أعطى لسطات مبكرا وظيفة إدارية باتخاذها مقرا للقواد الذين حكموا الشاوية الداخلية. وكان أبرزهم القائد الغازي بل المدني (1792 - 1818) الذي فرض على أعيان القبائل الاستقرار بسطات مع أتباعهم. فظهرت نتيجة لذلك تجمعات سكنية حول القصبة كانت تسمى النزالات وتحمل أسماء أعيانها أو أصول سكانها. ومازالت العديد من أحياء المدينة تنعت بالنزالة وتحمل اسم نواتها الأصلية.

وشهدت سطات انطلاقة جديدة لتوسعها ونموها خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) مع تطور المبادلات بين المغرب وأوربا انطلاقا من ميناء الدار البيضاء. فانتصبت كمركز تجاري مهم داخل الشاوية جلب العديد من التجار اليهود ومن فاس لكثافة دوره في تجميع المنتجات الفلاحية [حبوب، صوف، جلود...] وفي توزيع المنتجات المستوردة.

وعززت سطات مكانتها كمركز تجاري مع الاحتلال الفرنسي الذي أحيا دورها كموقع عسكري لمراقبة الشاوية الداخلية والمحور الطرقي بين الساحل والداخل ولتوفير الحماية للمعمرين الذين جلبتهم خصوبة الأراضي الفلاحية المجاورة لسطات. وبذلك رسخت سطات دورها كعاصمة إدارية للقبائل المجاورة لها. ونتيجة لذلك أصبحت خلال عهد الاستعمار أكبر سوق أسبوعي داخل الشاوية وأول تجمع للتجارة القارة بالشاوية الداخلية وقطبا مهما للهجرة القروية بها. فتطورت ساكنتها بسرعة كبيرة.

تطور ساكنة مدينة سطات خلال عهد الاستعمار

| السنة | عدد السكان | السنة | عدد السكان |
|---|---|---|---|
| 1913 | 2032 | 1931 | 12804 |
| 1916 | 2975 | 1936 | 18146 |
| 1926 | 7834 | 1952 | 25205 |

ومع نهاية عهد الاستعمار دخلت المدينة فترة أزمة حادة ارتبطت بمغادرة التجار اليهود والأجانب وحتى بعض الفاسيين لها، وببزوغ مراكز حضرية أخرى داخل الشاوية (برشيد وابن احمد والبروج...). كما أن تطور وسائل المواصلات قلص المسافة الفاصلة بين سطات والدار البيضاء وبالتالي قوى من نفوذ هذه الأخيرة داخل الشاوية. فجاءت محاولة إنعاش المدينة عن طريق تقوية وظيفتها الإدارية. فتمت ترقيتها إلى منصب عاصمة إقليم سنة 1967. ونتج عن ذلك استقطاب المدينة للعديد من المصالح الإدارية ولفئات واسعة من الموظفين، وبالتالي ساهمت هذه الترقية الإدارية في تنشيط الحركة التجارية والعمرانية بالمدينة. فانتعشت من جديد وتيرة نموها الديموغرافي :

تطور ساكنة مدينة سطات خلال النصف الثاني من القرن العشرين

| السنة | عدد السكان | السنة | عدد السكان |
|---|---|---|---|
| 1960 | 29617 | 1982 | 65203 |
| 1971 | 42325 | 1994 | 96217 |

وعلى إثر التقطيع الجهوي لسنة 1997 أصبحت سطات عاصمة لجهة الشاوية - ورديغة التي تضم إلى جانب إقليم سطات إقليمي خريبگة وبن سليمان. وبذلك أضحت سطات تحتل اليوم مواقع متميزة سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الجهوي، الشيء الذي انعكس إيجابيا على الحياة العمرانية والاقتصادية بها.

فمدينة سطات التي ظلت منحصرة داخل قاع واد

بوموسى إلى غاية العقد الأول من عهد الاستقلال، أصبحت اليوم تمتد على السفوح المشرفة عليه وتتعداها لتنتشر على سطح الهضبة في اتجاه الشرق والغرب والجنوب. فتعددت أحياؤها وتباينت أشكالها العمرانية والهندسية. ففي الشمال تشكل حي إداري من مستوى راق جدا، ومع تهيئة وسط المدينة ابتداء من عقد الثمانينيات توسع المركز التجاري واتخذ طابعا عصريا وتهيكل المجال الحضري حول محور حديث من حيث شكله ووظائفه. وفي الجنوب تشكل حي صناعي (20 هك) يزداد اتساعا باستمرار. وبشكل عام شهدت المدينة حملات متعددة وواسعة لمحاربة السكن غير اللائق وإعادة هيكلة مجالها الحضري جعلت هذه المدينة تكتسب بنية حضرية حديثة وواضحة المعالم.

فقدت سطات اليوم الكثير من دورها كمركز تجاري وكمحطة طرقية داخل الشاوية، لكنها أصبحت أساسا مركزا إداريا ذا بعد إقليمي وجهوي وتجمع سكاني ارتقى إلى مصاف المدن الكبرى وينوع باستمرار من أنشطته ووظائفه داخل محيطه. فإلى جانب قطاع التجارة والخدمات الذي يتطلبه الحجم الديموغرافي المتنامي للمدينة تطورت العديد من الخدمات المرتبطة بالوظائف الإدارية للمدينة. وبشكل مواز لذلك شهد العقد الأخير من القرن العشرين استقرار العديد من الوحدات الصناعية بها، تجاوز عددها 40 وحدة تهم ميادين الزجاج، النسيج، الدباغة، المواد البلاستيكية، المعدات الفلاحية، الطباعة، الشموع، مواد البناء، المعدات الكهربائية، المواد الغذائية (مشتقات الحبوب، تصبير الخضر، المواد الدهنية...).

وإذا كانت الصناعة لم ترق بعد إلى مستوى قطاع أساسي في ميدان التشغيل حيث تظل الصدارة لكل من التجارة والخدمات، فإنها مع ذلك قد دشنت تنوع سوق الشغل بهذه المدينة التي ظلت منذ نشأتها تعتمد بالأساس على الأنشطة المرتبطة بشكل أو بآخر بالفلاحة. وتعزز تنوع وظائف المدينة من خلال ترقيتها إلى مستوى مدينة جامعية مع إنشاء جامعة الحسن الأول التي تتكون من كلية للحقوق وأخرى للعلوم والتقنيات ومدرسة عليا للتجارة والتدبير. هذا فضلا عن معهد للبحث الزراعي ومعاهد للتكوين والتأهيل المهني. وفي نفس الاتجاه تبحث المدينة عن سبل الارتقاء إلى مستوى قطب سياحي من خلال تجهيز مركب سياحي وملاعب للكولف وللفروسية...

إن مدينة سطات التي شهدت انتعاشا ملحوظا خلال عهد الاستعمار الذي عززت خلاله موقعها كقطب إداري وتجاري قد ارتقت بعده إلى مصاف المدن الكبرى مع تقوية وظائفها الإدارية وتنويع أنشطتها الاقتصادية. وبذلك دخلت نادي المدن التي تواجه مشاكل التطهير السائل والصلب والنقل الحضري والتعمير والتشغيل... وإذا كانت تعتبر من المدن التي استفادت كثيرا من تدخل الدولة، فإن نشأتها وتطورها على مقربة من الدار البيضاء جعل إيجابيات هذا القرب تتآكل مع مرور الوقت، هذا في الوقت الذي عززت فيه سطات موقعها كقطب محوري للهجرة بالشاوية الداخلية. وذلك ما يفرض على هذه المدينة، اليوم أكثر من الأمس، أن توسع قاعدتها الاقتصادية.

** أما إقليم سطات فقد أُحدث سنة 1967 على إثر تفكيك إقليم الدار البيضاء الذي كان يضم أقاليم سطات، الجديدة، خريبگة، بني ملال، أزيلال، بن سليمان. ويحده من الشمال ولاية الدار البيضاء الكبرى وإقليم بن سليمان ومن الشرق إقليمي خريبگة وبني ملال ومن الغرب إقليم الجديدة ومن الجنوب إقليم قلعة السراغنة. ويمتد الإقليم على مساحة 9.750 كلم2 أي ما يفوق 58٪ من مساحة جهة الشاوية - ورديغة التي تضم أيضا إقليمي خريبگة وبن سليمان.

يطابق إقليم سطات إلى حد كبير منطقة الشاوية المتكونة من سهل برشيد (الشاوية السفلى) والشاوية العليا التي تشكل جزءا من هضبة الفوسفاط. ويتوفر على منفذ ضيق على البحر (جماعة سيدي رحال الشاطئ) بين ولاية الدار البيضاء وإقليم الجديدة. ويتميز بمناخ معتدل تتراوح به التساقطات ما بين 450 - 500 مم بالساحل و250 - 300 مم بالداخل حيث تظهر المؤثرات القارية وتطغى معالم الجفاف.

يتكون إقليم سطات من قبائل : أولاد حريز، أولاد سعيد، المزامزة، أولاد بن داود، أولاد بوزيري، امزاب بالإضافة إلى بني مسكين الذين لا ينتمون إلى قبائل الشاوية. وقد بلغت ساكنته حسب إحصاء 1994 : 847.500 نسمة، يقطن منها ما يزيد عن 72٪ بالعالم القروي. ويرجع ضعف نسبة التمدين بهذا الإقليم إلى قرب مدينة الدار البيضاء التي تشكل الوجهة الأولى للمهاجرين من الأرياف والمدن على السواء. ورغم ذلك فقد شهد الإقليم تطورا سريعا لساكنته الحضرية التي لم تكن تمثل سوى 4٪ سنة 1931 لتتجاوز 14٪ سنة 1960، أي أن هذه الساكنة التي تزايدت بمعدل 1.100 نسمة في السنة ما بين 1931 و1952 قد أصبحت تتكاثر بمعدل 5.500 نسمة سنويا بين 1982 و1994. ويرجع ذلك إلى ترقية العديد من التجمعات السكانية إلى مستوى مراكز حضرية وتطوير وظائفها الإدارية وتجهيزاتها العمومية، الشيء الذي زاد من جاذبيتها للسكان. وبالتالي فمدينة سطات التي كانت تحتكر حوالي 73٪ من السكان الحضريين للإقليم سنة 1931 لم تتعد نسبتها منهم 40٪ سنة 1994.

بشكل مواز لسرعة التمدين بالإقليم تعرف الأرياف هجرة مكثفة تتجلى أبرز انعكاساتها في تراجع وتيرة نمو السكان القرويين. ومع ذلك تشهد العديد من الأرياف بالإقليم تزايدا ملحوظا في كثافاتها السكانية بحيث انتقلت الكثافة العامة بالبوادي من حوالي 30 نسمة / كلم2 في منتصف القرن العشرين إلى حوالي 65 نسمة / كلم2 في نهايته. وانتقلت بذلك الكثافة العامة للسكان من مستوى

40 نسمة / كلم2 إلى حوالي 90 نسمة / كلم2 خلال نفس الفترة.

بعد ترقية دائرة بن سليمان إلى إقليم قائم الذات سنة 1975 أصبح إقليم سطات يتكون من أربع دوائر (سطات، برشيد، ابن احمد، البروج) تنقسم إلى 36 جماعة قروية. وإذا كانت الدوائر لم تتغير منذ ذلك الحين فإن عدد الجماعات القروية قد بلغ حاليا 62 جماعة. وبشكل مواز انتقل عدد البلديات من واحدة (سطات) إلى 8 حاليا.

وتبعا لتزايد عدد السكان ولتطور التقطيع الإداري شهدت البنية الحضرية للإقليم تحولا واضحا. فخلال النصف الأول من القرن العشرين لم يكن الإقليم يتوفر على مدن من الحجم الكبير والمتوسط، بحيث كانت أكبر مدينة هي سطات ولم يتجاوز عدد سكانها 25.000 نسمة في منتصف القرن. وحاليا أصبح الإقليم يضم مدينة كبيرة تفوق 100.000 نسمة (سطات) ومدينة متوسطة تفوق 50.000 نسمة (برشيد) و11 مركزا يتراوح حجمها بين 4.000 و20.000 نسمة. لكن هذا التحول لم يؤد إلى تشكل شبكة حضرية قائمة الذات. فالقرب من الدار البيضاء يعوق تطور العديد من مدن الإقليم كما يعوق تطور العلاقات بينها، بحيث تخضع كلها بدون تمييز لنفوذ العاصمة الاقتصادية للمغرب التي لم يفقدها احتلالها لقمة الهرم الحضري للمغرب مكانتها كعاصمة للشاوية، رغم ترقية سطات إلى رتبة عاصمة إدارية لهذا الإقليم.

تتركز أهم ومعظم المراكز الحضرية للإقليم على المحاور الطرقية التي تربط الدار البيضاء بالمناطق الداخلية للمغرب وخاصة منها الحوز وتادلة. وهكذا بحجم موقعه على مشارف الدار البيضاء التي تستقطب أهم المحاور الطرقية للبلاد، يستفيد إقليم سطات من ثلاثة من بين المحاور الأربع الكبرى التي تربط العاصمة الاقتصادية بمختلف جهات المغرب : محور الدارالبيضاء - أكادير عبر الجديدة ومحور الدار البيضاء - مراكش عبر سطات ومحور الدار البيضاء - بني ملال عبر برشيد. وهذا ما يجعل الإقليم عبارة عن منطقة عبور، الشيء الذي ساهم في تطور العديد من المراكز الحضرية والتجمعات الطرقية وبالتالي توسع أنشطة التجارة والخدمات.

رغم التحولات العميقة التي شهدها يحتفظ إقليم سطات بمكانته ضمن الأقاليم الفلاحية ذات البعد الوطني، بحيث ظل إلى عهد قريب يعرف بخزان الحبوب للمغرب. وتبعا لهذه التحولات أصبح الإقليم يتكون من ثلاثة نطاقات فلاحية متباينة :

- النطاق الساحلي حيث تسود زراعة الخضر وتتوسع في ارتباط بالسوق البيضاوية وبالتصدير نحو الخارج. ويتشكل بالأساس من جماعات سيدي رحال الشاطئ والسوالم والساحل حيث تمتد زراعة الخضر على حوالي 25.000 هك. ويتوسع هذا النطاق باستمرار نحو الداخل على حساب زراعة الحبوب عبر محاور متعددة : مديونة - برشيد وبرشيد - سطات وبرشيد - أولاد عبو وبرشيد - ابن أحمد، والسوالم - أولاد عبو.

- نطاق السهل الداخلي الذي يغطي الجزء الأكبر من الشاوية السفلى أو ما يعرف بسهل برشيد حيث تسود زراعة الحبوب (القمح والذرة) في تناوب مع القطاني. ويشهد هذا النطاق منذ حوالي عقدين تحولات عميقة تتمثل في تراجع زراعة الحبوب أمام زراعة الخضر مع توسع السقي عبر استغلال المياه الجوفية.

- نطاق الشاوية العليا حيث تتكامل زراعة الحبوب وتربية الماشية. ففي الجزء الشمالي حيث تنتشر تربة التيرس تشكل زراعة الحبوب في تناوب مع القطاني النشاط الرئيسي للسكان، أما في الجزء الجنوبي حيث يزداد الجفاف وتقل التربة الصالحة للزراعة فتسود تربية الماشية (الأغنام من فصيلة الصردي التي تشتهر بها بني مسكين). وبين هذين الجزئين (امزاب، أولاد بوزيري، أولاد بن داود) يعتمد السكان على التكامل بين زراعة الحبوب وتربية المواشي (أغنام وأبقار).

لقد أدى توالي سنوات الجفاف خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين إلى حدوث تحولات عديدة في النشاط الفلاحي بالإقليم، بحيث أصبح الفلاحون يتجهون أكثر فأكثر نحو زراعة الخضر عبر كل أنحاء الإقليم، في ارتباط بحركة التمدين وبتنامي مكانة الدار البيضاء كأكبر سوق استهلاكية بالمغرب. وتبعا لذلك تطور اللجوء إلى السقي الذي تعززت مكانته بالإقليم بانتشار تقنية الأذرع المحورية بكل من بوفروج (600 هك) وخميسات الشاوية (280 هك) وبولعوان (1.500 هك) والحمري (6.000 هك) ودخل بذلك الإقليم عهد تنويع الإنتاج الفلاحي بإدخال المزروعات العلفية والمعدة للصناعة.

شهد إقليم سطات خلال العقدين الأخيرين تطورا ملموسا في الميدان الصناعي إذ أصبح يضم 165 وحدة صناعية يتركز معظمها ببرشيد وعلى مقربة من الدار البيضاء، أي أن القرب من العاصمة الاقتصادية قد مكن من جلب الإقليم للأنشطة الصناعية التي لم يعد لها مكان بأكبر تجمع سكاني بالمغرب أو التي تبحث عن الاستفادة من الامتيازات التي يمنحها الخروج عن الحدود الإدارية للدار البيضاء الكبرى. وبذلك أصبحت الصناعة بالإقليم توفر ما يزيد عن 10.000 منصب شغل. وهي بذلك لا ترقى إلى مستوى الفلاحة التي تشغل ما يزيد عن نصف السكان النشيطين أو التجارة والخدمات التي تشغل ما يزيد عن ثلث هؤلاء السكان. ومع ذلك فقد أصبح الإقليم يتوفر على ثلاثة أقطاب (برشيد، سطات، السوالم) التي يمكنها أن توفر المحيط الضروري لانطلاقة فعلية للتصنيع بالإقليم.

في انتظار ذلك يشهد هذا الإقليم تطورا مضطردا لأنشطة التجارة والخدمات. ويرتبط هذا التطور بالدينامية

التي يعرفها القطاع الفلاحي وبدور الإقليم كمنطقة عبور على أبواب الدار البيضاء. ويتجلى ذلك من خلال عدد الأسواق الأسبوعية الذي يبلغ 35 سوقا، من بينها 5 تعد من أكبر الأسواق بالمغرب (اثنين برشيد، اثنين بن احمد، أحد السوالم، أحد البروج، جمعة قيصر) ومن خلال التزايد المضطرد للمحطات الطرقية وتجمعات التجارة القارة بالأرياف. هذا فضلا عن ارتكاز كل مدن الإقليم على التجارة والخدمات كأنشطة أساسية لسكانها وكقاعدة اقتصادية لإشعاعها داخل محيطها.

اشتهر إقليم سطات منذ القرن الثالث عشر (19م) كمنطقة فلاحية تحتل مكانة متميزة في إنتاج الحبوب بالمغرب. وكان لقربه من الدار البيضاء دور كبير في تطور النشاط الفلاحي به وفي حركة التمدين التي أعادت هيكلته خلال القرن العشرين. غير أن هذا القرب قد تحول إلى مصدر من العديد من المعوقات. يتمثل أبرزها في تركز حركة التصنيع بالإقليم على الهوامش المحيطة بالدار البيضاء، وفي استقباله للصناعات الملوثة التي اضطرت لمغادرة المجال الحضري البيضاوي، وفي جلبه العديد من المبادرات الحرة التي لا تولي أي اهتمام بالتوازنات البيئية من خلال انتشار العديد من الوحدات الصناعية داخل المجالات الفلاحية وما يصاحب ذلك من انتشار للسكن غير اللائق نتيجة استقرار اليد العاملة بطرق عشوائية قرب المصانع. هذا بالإضافة إلى تحويل العديد من الضيعات الفلاحية إلى قصور لإيواء الفئات الميسورة من سكان العاصمة الاقتصادية. وبذلك يتعزز تفوق الدار البيضاء داخل هذا الإقليم في اتجاه تحويله إلى ضاحية يتخلص فيها عملاق المدن المغربية من العديد من مشاكله وتفاياته.

المصطفى شويكي، *علاقة مدينة سطات بالشاوية*، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الدار البيضاء، عدد 5، 1988، ص. 77 - 84.

S. Arraki, *Trois petites villes de la Chaouia intérieure: Settat, Ben Ahmed, El Gara*, Mémoire de D.E.S., Rabat, 1966 ; C. Barrouquere - Claret. C, *Settat, centre historique de la Chaouia*, Paris, 1919 ; M. Chouiki, *Settat et son rôle régional*, Thèse de Doctorat de 3ème cycle, Géographie, Université de Tours, 1985 ; *Settat une ville moyenne au rôle régional compromis*, in *Petites villes et villes moyennes dans le monde arabe*, Tours, 1986, T. 2 ; F. Weisgerber, *Casablanca et les Chaouia en 1900*, Casablanca, 1935.

المصطفى شويكي

**السَّطّاشْ** وتكتب أيضا بالصاد (الصطاش)، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Astaz ؛ وكان مقر سكناها بحومة العيون. وجاء في رسم وصية مؤرخ في عام 1193 هـ : "أشهدت السيدة خديجة بنت السطاش الأندلسي التطاوني". وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط ؛ م. ابن عزوز حكيم، كشاف *أسماء عائلات تطوان*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1385.

م. ابن عزوز حكيم

**السَّطّي**، أسرة تطوانية نسبة إلى قبيلة سطة قرب مدينة وزان. انقرضت الآن. وكان منها الفقيه السيد عبد السلام السطي التطاوني عام 1192 هـ والفقيه الكاتب في الحكومة الخليفية بتطوان السيد العربي السطي المتوفى عام 1380 هـ وهناك عائلة طارئة على تطوان تدعى أيضا السطي من قبيلة بني يحمد مازالت.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

**السطي، العربي**، الفقيه العلامة المشارك الكاتب، رائق الخط والإنشاء. قال محمد داود : "أخبرني رحمه الله أن أصل عائلته من بني الوزير".

وهو آخر من بقي من أعضاء الحكومة الخليفية التي أسست برئاسة الصدر محمد ابن عزوز المراكشي لأول عهد الحماية الإسبانية بشمال المغرب بعاصمته تطوان، والخليفة السلطاني مولاي المهدي بن إسماعيل العلوي.

انتقل المترجم له بعد انتهاء عمله في الحكومة المذكورة من الشمال وتولى القضاء بعدة ثغور. واستقر أخيراً بمدينة وزان. ولما حصل المغرب على استقلاله أحيل على المعاش لكبر سنه.

توفي بمدينة وزان آخر المحرم عام 1380 / 25 يوليوز 1960

م. داود، *عائلات تطوان*، نسخته بخطه بخزانته الداودية بتطوان ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 9 : 3354، 1996.

محمد بوخبزة

**السطّيّ، محمد** بن علي بن سليمان، ولد بفاس حيث كانت عائلته قد استقرت حديثا، فنشأ بها وأخذ العلم عن كبار علمائها. فقد تتلمذ على أبي الحسن الصغير في الفقه، وأخذ الفرائض عن أبي الحسن الطنجي اليفرني، وختم عليه كتاب *الحوفي* ثماني مرات. كما أخذ الفقه عن إبراهيم اليزناسني.

كان أبو عبد الله السطي من أحفظ الناس للمذهب، حتى وصفه ابن مرزوق في *المسند* بخزانة مذهب مالك مع مشاركة تامة في الحديث والأصلين وعلوم اللغة. وقد أثبت له الونشريسي في المعيار عدداً من الفتاوي التي تدل على علو كعبه في الفقه ومنهجه في الفتوى. له شرح *جليل على الحوفية*، وتعليقان على *المدونة* وعلى *ابن شاس* فيما خالف فيه المذهب. أخذ عنه خلق كثير من أشهرهم ابن خلدون والعقباني والمقري الجد والعبدوسي والقباب ومحمد ابن مرزوق، وهم جميعا من أعلام المغرب.

عرف محمد بن علي بن سليمان السطي بحظوته لدى السلطان المريني أبي الحسن الذي اختاره مع آخرين لمصاحبته ومجالسته، فكان يدرس في حضرته ويؤم به ويخطب، ويقوم بإنجاز المهام التي يكلفه بها بين الحين والآخر، كالنظر في المظالم إلى جانبه، حينما كان يجلس بقباب العدل التي أنشأها لتلقي الشكايات؛ أو توزيع صلاته على أهل الجزيرة بالأندلس بعد أن استولى عليها العدو صلحا، أو المشاركة في الوفد الذي كلفه السلطان أبو الحسن بخطبة ابنة السلطان أبي يحيى أبي بكر التي عقد عليها قرانه.

كان محمد السطي، من ضمن كبار العلماء الذين استصحبهم أبو الحسن المريني في حركته إلى إفريقية سنة 748 / 1347. وهنالك كان له المقام الرفيع والصيت الحسن، فقد لازمه محمد ابن عرفة وأتم على يده قراءة *الحوفية*، وجملة من كتاب *التهذيب* قراءة بحث ونظر، وأخذ عنه محمد ابن خلدون كتاب التبصرة لأبي الحسن اللخمي. كان أبو عبد الله السطي يحضر مجالس السلطان العلمية بتونس إلى جانب ثلة من الفقهاء والنحاة وغيرهم. وأعجب كثيراً بالفقيهين التونسيين ابن عبد السلام والرماح ونوه بهما.

اشتهر السطي بمتانة دينه وشدة ورعه حتى وصفه المقري في *أزهار الرياض*، بالرجل الصالح وبولي الله، علاوة على ما يؤثر عنه من كثرة المطالعة والتأمل، والإقلال من الكلام إلى أن يسأل، وكان ذلك دأبه حتى في مجلس السلطان.

حضر موقعة القيروان التي انهزم فيها أبو الحسن سنة 748 / 1347. ثم انسحب صحبة السلطان إلى تونس التي حوصر المرينيون بها مرتين إلى أن قرر أبو الحسن الرجوع إلى المغرب. وفي طريق العودة فاجأت العاصفة الأسطول المريني قبالة ساحل بجاية، وغرق جل من كان فيه ومن جملتهم الفقيه محمد السطي رحمه الله.

م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح*؛ اع. الرحمن ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته*؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*؛ أ. بن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ج. 1؛ أ. المقري؛ *أزهار الرياض*، ج 3، أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 3.

محمد فتحة

**السْطيطو**، ـ بطاء مرققة ـ أو الستيتو أسرة تطوانية أصلها من قبيلة (وادْراسْ) الجبلية القريبة من تطوان من مدشر (التجالة) ومن غيرها، مازالت حتى اليوم بتطوان، منهم الفقيه المفتي العربي السطيطو نزيل طنجة.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

**السطيطو، العربي** بن العياشي بن أحمد بن الطيب الودراسي التجالي ثم الطنجي، الفقيه العلامة المدرس المفتي النوازلي الخطيب المجاهد.

ولد بمجشر (التجالة) من قبيلة ودراس الجبلية التي تقع على بعد خمسة وعشرين كيلومترا من تطوان تقديراً عام 1287 / 1870 وتربى في حجر والديه، وحفظ القرآن على الفقيه محمد بن عبد الرحمن بوتفاح الودراسي، ثم انتقل إلى قبيلة بني حسان فأخذ بها رجزي ابن عاشر المرشد المعين وتحفة الحكام لابن عاصم الغرناطي و*ألفية ابن مالك* وغيرها. ثم قصد قبيلة بني جرفط مع أخويه الفقيهين أحمد ومحمد ومكث بها خمس سنوات بمجشر (الاهْرا) يتلقى الفقه وغيره على الفقيه عبد السلام ابن الحاج، وبعدها رحل إلى مدينة فاس لاستكمال دراسته، فأخذ بها عن ألمع شيوخها يومئذ الفقيه أحمد ابن الخياط، ولازمه وكان سارد درسه، والمهدي الوزاني وغيرهما، وأجازوه، وأشاروا عليه بالانتصاب للتدريس والفتوى. فرجع إلى مسقط رأسه، ومكث به عاما واحدا إماما ومدرسا بجامعه. ولما رأى اضطراب حبل الأمن واستحالة الاستقرار به، انتقل إلى قرية (العوّامة) قرب مدينة طنجة، ومكث بها إماماً وخطيباً، إلى أن علم بوجود السلطان عبد الحفيظ بعد اعتزاله، فاستقدمه لطنجة وأكرمه وعيّنه مدرسا لأبنائه، وظل في رعايته يخطب ويدرس ويشهد، ويفتي ويحكم في النوازل المستعصية التي ترفع إليه، إلى أن عزل عن الشهادة والفتوى من القاضي الهواري بسبب امتناعه من مجاراته في قضية، فصار يصدر الفتاوي بأسماء غيره من المفتين للجوء الناس إليه لأن فتواه ـ كما قيل ـ كانت تقطع النزاع. هذا مع استمراره في التدريس بالجامع الأعظم. وكانت دروسه تمتاز بالتحقيق واستيعاب ما يقال في الموضوع، ويحضرها نجباء الطلبة والعلماء، ويحكى أن الشيخ شعيب الدكالي زار طنجة وحضر رسالته في الفقه فقال: "إن هذا النفَس لا يوجد الآن حتى بفاس".

ومن برور مولاي عبد الحفيظ به أنه ساعده على بناء منزله بضاحية (جامع المقرع) الذي مازال به أولاده إلى الآن وامتحنه الثائر أحمد الريسوني وسُجن مع ثلة من علماء الجبل لامتناعهم عن بيعته ثلاث سنوات. ولما احتل الإسبان قبيلته ودْراس بعد خروجه من السجن، تولى قيادة المجاهدين، والإشراف على مقاومة المحتل برباط (الدّشْرين) القريب من تطوان.

وبعد تمام الاحتلال اعتزل بمدشر (التجالة) يعبد ربه حتى أتاه اليقين في شهر جمادى الثانية عام 1350 / أكتوبر ـ نونبر 1931 ودفن ثمة رحمه الله، وخلف أبناء ولم يترك أثرا إلا فتاواه المتكاثرة بصكوك الدعاوى بأيدي الناس.

م. گنون، *مواكب النصر وكواكب العصر*، طبع طنجة، ص. 70؛ *معلومات شفوية* من أخيه السيد الطيب وابنه الأستاذ السيد أحمد بتطوان.

محمد بوخبزة

**سطيك تيودور** Steg Théodore 1868 ـ 1950، هو ثاني المقيمين العامين الفرنسيين في عهد الحماية، خلف المارشال ليوطي، فهو أول من اقتعد كرسي المقيم العام من المدنيين. ولد بمدينة ليبورن Libourne (مقاطعة الجيروند، إقليم بوردو) يوم 19 دجنبر 1868. كان من وجهاء الجمهورية

الثالثة المرموقين. وقد سار في خطى والده جول سطيك الذي كان من بناة الجمهورية ومن مساعدي جول فيري وباقي زعماء الحزب الرادكالي الداعي إلى إخراج فرنسا من التقاليد الواهية والسير بها إلى الأمام بخطى حثيثة. نشأ تيودور سطيك في ذلك الوسط التقدمي نشأة المثقف النابغة، فإنه اجتاز مباراة التبريز في الفلسفة وجاء في الصف الأول على صغر سنه، وأيضا نشأة السياسي المقتنع بأفكاره، المناضل عنها بكل وجوه الجدل. وسرعان ما انتخب نائبا في المجلس الوطني الفرنسي تحت لواء حزبه الرادكالي الاشتراكي الذي كان في العقود الأولى من الجمهورية الثالثة منعوتا بالتطرف إلى اليسار. وتصدر تيودور سطيك المجلس بصفة كونه مقررا عن ميزانية وزارة التعليم. وصار من الخبراء بشؤون الجامعة. وما لبث أن عين وزيراً للتربية العمومية والفنون الجميلة (مارس 1911 ـ يناير 1912). وقد عاد إليها بعد ذلك مرتين سنة 1913 ثم سنة 1917، ليتقلب فيما عدا ذلك على عدة كراسي وزارية أخرى، بناء على ما كان يهيمن على النظام الجمهوري من سوء الاستقرار الحكومي.

كان تيودور سطيك وزيرا للداخلية عدة مرات، ووزيرا للعدل، ووزيرا للمستعمرات، بل ورئيسا للحكومة مدة أسبوعين (من 13 إلى 26 دجنبر 1930)، ثم وزيرا للدولة في حكومة الجبهة الشعبية بقيادة ليون بلوم (1936 ـ 1937). ولكن الذي يعني تاريخ المغرب من شأنه أنه تولى منصب الولاية العامة في الجزائر المستعمرة من 21 يوليوز 1921 إلى أن حل محل ليوطي في الإقامة العامة في الرباط يوم 11 أكتوبر 1925. وظل يمارس وظيفة المقيم العام إلى بداية 1929. وقد كان له بالغ الأثر في مسار الحماية وتاريخ المغرب المعاصر بصفة أعم. ذلك أن الحزب الرادكالي الاشتراكي الذي كان تيودور سطيك من وجهائه وزعمائه لم يبن صرح النظام الجمهوري في فرنسا فحسب، بل إنه بنى أيضا صرح إمبراطوريتها الاستعمارية في آسيا وإفريقيا، علما بأن الرابطة الجدلية بين الأمرين لا مراء فيها. فما كان النظام الجمهوري ليرسو في فرنسا بصفة ثابتة لو لا ما أتيح أمامه من إمكانيات التوسع الاستعماري والانتشار في المعمور، بحيث وجدت الطبقات المتناحرة على الحكم في فرنسا منذ الثورة الكبرى الأولى سنة 1789، متنفسا ومجالا أفرغ فيه ما كان يحفز الشرائح الاجتماعية الفقيرة من أسباب النقمة والغضب. كما وجد أبناء الأرستقراطية الفيودالية مجالا للقتال وكسب الرتب العسكرية العليا، إذ كان ذلك هو شغلهم وشغل أجدادهم. ووجد البورجوازيون مجالا لتوظيف أموالهم وتوسيع آفاق الربح السريع. ووجد صعاليك فرنسا مجالا للتحرر مما كانوا يعانون في أم ديارهم من وجوه الاستغلال والكبت والحرمان. وكان الرادكاليون الاشتراكيون يعتبرون ذلك من أسباب إصلاح خاطر الفرنسيين مع أنفسهم. ومبرره في نظرهم أن رسالة حزبهم على التخصيص ورسالة فرنسا على وجه التعميم رسالة إصلاح ورقي وتقدم. ولا ينبغي أن تنحصر عند التراب الفرنسي. ولا بد أن تمتد إلى "ما وراء البحار" لتستفيد منها الشعوب التي لم تنعم بعد بفوائد العلم والتمدن العصري. ولذلك كان الرادكاليون الاشتراكيون من أنصار الاستعمار، مدفوعين إلى ذلك بدوافع المصلحة الطبقية ودوافع القناعة واليقين. وبهذه الروح تصرف سطيك بشؤون الجزائر، فهو الذي وضع اللبنات الأولى للاحتفاء بذكرى مرور مائة سنة على احتلال الجزائر، وذلك منذ دجنبر 1923. وبهذه الروح جاء إلى المغرب ليطوي صفحة ليوطي التي كانت أحزاب اليسار قد سئمتها فانتهزت فرصة تفوقها في انتخابات 1924 لتتخلص من المارشال، وتعين مكانه أحد مناضليها تيودور سطيك الذي كان قد عاد من الجزائر في طليعة سنة 1925 ليتقلد مهام وزارة العدل، ثم ليعين مقيما عاما في الرباط في أكتوبر من السنة نفسها بقصد تسكين الأوضاع بعد هزة حرب الريف وفتح أبواب الاستعمار أمام كل من هب ودب من الأوربيين خلافا لخطة ليوطي.

وأول ما قام به سطيك من الأعمال أن جعل حداً لحرب الريف. ففتح باب التفاوض مع الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي. ودارت المباحثات في وجدة في مارس 1926. ولكنها انتهت بالفشل نظرا لتعارض ما كان يتوخاه منها كل جانب، فالمجاهدون الريفيون كانوا يرغبون في شكل من الاستقلال الذاتي، بينما كان الفرنسيون ينتظرون منهم استسلاما غير مشروط بعد أن باتت أراضيهم مطوّقة بالجيوش الإسبانية والفرنسية من كل جانب. وكان يكفي أن تمتد في زحفها داخل أودية الريف ليضطر محمد بن عبد الكريم ورفاقه في الجهاد إلى الاستسلام. وقد فضل الاستسلام كما هو معلوم للجانب الفرنسي. ولعل وجود رجل من اليسار الفرنسي مثل سطيك على رأس الإقامة كان له تأثير في ذلك. وما أن وضعت تلك الحرب أوزارها حتى اشتغل المقيم العام بضمد ما خلفت من الجراح والقلق لتسترسل أعمال استعمار المغرب في تمام الهدوء والاستقرار. ففتح الأبواب أمام كل الراغبين في ذلك، وبخاصة أمام كل من لم يساعدهم الحظ في الجزائر من المرشحين للاستعمار الذين كان ليوطي متحفظا منهم ومما تعودوا عليه من الغطرسة والاستخفاف بحقوق أبناء البلد الأصليين. وكان تيودور سطيك على العكس منه يرى أنهم لا يشكلون قواعد حزبه فحسب، ولكنهم أيضا قواعد الوجود الاستعماري الفرنسي فيما وراء البحار، فتخلى عن كل تحفظات ليوطي وفتح أبواب المغرب في وجه كل من هب ودب من الشرائح الاجتماعية الأوربية الدنيا التي ستدعي بعد حين من الاستطيان أنها هي المالكة للمغرب. وقد اجتهد تيودور سطيك لإرضائها. فإنه تفطن بعد ما جرب من شؤون الجزائر أن تدبير شؤون الماء هو سر كل شيء في المغرب. ويعزى له قولة بالغة الشأو وهي أن الحكم في المغرب إمطار. وهو الذي أمر ببناء أول سد عصري في البلاد، وهو سد الكنصرة على

وادي بهت، الذي فتح سهول الغرب أمام المعمرين فجعلوها جنات زاهية بشتى أنواع الحوامض. ومن مبادرات تيودور سطيك أيضا، إحداث الغرفة الثالثة في مجلس شورى الحكومة (1926) الذي كان موقوفا منذ نشأته الأولى (1919) على المزارعين وأصحاب التجارة والصناعة من المعمرين، وكان أصحاب المهن الحرة من محامين وأطباء وصيادلة ورجال التعليم لا تمثيل لهم فيه، مع أنه كان بمثابة مجلس استشاري يأخذ المقيم برأيه فيما يرجع لقضايا استعمار المغرب. وكان إحداث تلك الغرفة الثالثة خطوة ملموسة من أجل ترسيخ الوجود الفرنسي. ويرتبط بذلك ما أقدم عليه تيودور سطيك من محاولة تعزيز النظام القضائي الفرنسي في المغرب على حساب الشرائع الإسلامية، وذلك بناء على ما كان متشبعا به من نظريات اليسار العلماني الفرنسي، ومنها أن الأنظمة القضائية الأوربية متقدمة بكثير على أنظمة الإسلام، وأن السهر على نشرها عبر العالم من أنبل مهام الحركة الاستعمارية. وذهب به الحال إلى حد إدخال الكيوتين (Guillotine) في المغرب، وهي الآلة التي ابتكرها ثوار 1789 لقطع رؤوس المحكوم عليهم بالإعدام. ولكن أخطر ما سار تيودور سطيك إليه، هو التمهيد لإصدار ظهير يفصل القبائل الأمازيغية عن مقتضيات الشرع، على اعتبار أن تلك القبائل غير العربية ليست متمسكة بالإسلام تمام التمسك، ويمكن إدخالها في حيز القضاء الفرنسي كمرحلة أولى على درب العلمنة في المغرب. وهذا الظهير هو الذي أشرف على استصداره خلف تيودور سطيك في الإقامة العامة لوسيان سان. وكان من أسباب تأخر تلك الخطوة الماكرة، مقاومة السلطان المولى يوسف لكل ما كان يعرض عليه من المقترحات التي تمس بقواعد الشريعة الإسلامية وبرسوخ جذورها في المغرب. حتى إنه نفر من تيودور سطيك تمام النفور، فإنهما كانا على طرفي نقيض. وامتنع المولى يوسف من التوقيع على ظهير إدخال الكيوتن لمنافاتها للشريعة، فأمر المقيم العام بالعمل بها دون نشر الظهير في الجريدة الرسمية، لأنها كانت في رأيه أداة ردع مرهبة. كما رفض السلطان الإصغاء لكل ما كان يعرض عليه لفصل القبائل الأمازيغية عن حكم الشريعة. بينما كان للمقيم في ذلك غايات قضائية وأخرى سياسية. وبلغ التنافر بين السلطان والمقيم ذروته بشأن ما لم يخفه تيودور سطيك من التحفظ إزاء الأمير المولى إدريس المقدم لولاية العهد، الذي لم يكن سلوكه لينال رضاه في المغرب، ولا بالأحرى في فرنسا يوم رافق والده في رحلته إلى باريس لتدشين مسجد الحي اللاتيني هناك. ولذلك ما أن توفي المولى يوسف فجأة يوم 17 نونبر 1927 حتى بادر تيودور سطيك إلى السعي في إبعاد المولى إدريس والسعي في بيعة أصغر أبناء السلطان الراحل سيدي محمد الذي كان في السابعة عشرة من عمره، على أن يكون أكثر انصياعا لرغبات السلطات الفرنسية، وأكثر انسياقا مع رياح التجديد التي أثارها الاستعمار. ولم يكن في حسبان المقيم العام أن هذا العاهل الشاب الذي رضيه الاستعمار أول الأمر هو الذي سيمقته في نهاية المطاف بعد أن تزعم هو بنفسه حركة المطالبة بالاستقلال. ولكن تيودور سطيك كان من أولئك الذين يرون أن الوجود الفرنسي في المغرب لا شيء يهدده لا في القريب ولا في البعيد لشدة ما كانت عليه فرنسا من التفوق والمغرب من التخلف. ولذلك دأب على معاملة من ظل يقاوم من القبائل المغربية بنوع من الليونة غير الخالية من الاستخفاف الأبوي. لدرجة أن صهره اختطف في تادلة في خريف 1928. ففضل سبيل التفاوض مع المختطفين وكانوا من قبائل جبال بني ملال، ولم يطلقوا سراح الشخص المختطف إلا مقابل فدية معتبرة من المال ألزموا المقيم العام بأدائها بالسكة الحسنية، مع أن تلك السكة كان قد انتهى التعامل بها في المناطق المحتلة من البلاد، فوجدت السلطات الفرنسية حرجا في جمع المبلغ المطلوب بالسكة المذكورة وفي نقلها إلى حيث طالب المجاهدون بتسلمها. وهل كان لهذه الواقعة أثر على قرار تيودور سطيك في اعتزال الإقامة العامة للعودة إلى احتلال كرسيه عضواً في مجلس الشيوخ ؟ الثابت هو أنه غادر المغرب في نهاية سنة 1928 لأنه كان مضطراً للاختيار بين البقاء مقيما عاماً في الرباط أو المحافظة على مقعده في مجلس الشيوخ، ففضل متابعة مساره السياسي في باريس كما ذكرنا آنفا. وقد ظل مع ذلك يتتبع أحوال المغرب. حتى إنه جاء في ربيع سنة 1937 على رأس لجنة برلمانية لتقصي وسائل تمويل برامج التنمية الاقتصادية في البلاد بناء على مقترحات المقيم العام يومئذ وهو الجنرال نوكيس، الذي أدرك أن ما أصبح للحركة الوطنية المغربية من الصيت والنفوذ مرتبط بما حصل من تشرذم الجماهير المغربية التي تضررت كثيراً من عواقب الأزمة العالمية ومن الجفاف الذي ضرب المغرب في منتصف الثلاثينيات. وقد كان لتقرير تلك اللجنة ولدعاية تيودور سطيك في صفوف أصدقائه من الجبهة الشعبية تأثير في رصد الأموال اللازمة للنهوض بعدد من الأوراش الاقتصادية والاجتماعية التي ستذكر في ترجمة الجنرال نوكيس من هذه المعلمة.

توفي في باريس يوم 19 دجنبر 1950.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة، د. ت ؛ م. ابن الحسن الوزاني، *مذكرات، حياة وجهاد*، بيروت، 1982، 6 مجلدات.

R. Letourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane, 1920 - 1961*, Paris, 1962 ; G. Oved, *La gauche française et le nationalisme marocain, 1905 - 1955*, Paris, 1984, 2 vol. ; D. Rivet, *De Lyautey à Mohammed V*, Paris, 1999 ; J. Luccioni, *Avènement de Sidi Mohammed Ben Youssef au trône du Maroc* (1927), R.O.M.M., XII, 1972.

إبراهيم بوطالب

**السعادة** (جريدة –) أسبوعية عربية أسستها المفوضية الفرنسية في طنجة في أكتوبر 1904 وتأتي هذه المبادرة بفعل عوامل مختلفة يمكن حصر أهمها فيما يلي :

ـ أدرك الفرنسيون أن الصحافة من الوسائل التي يمكن أن يراهنوا عليها لتحقيق أهدافهم الاستعمارية، فهي تدخل ضمن ترسانة "التدخل السلمي" إلى جانب التعليم والطب وغير ذلك.

ـ أصبحت الحاجة ملحة في نظر مسؤولي المفوضية إلى إيجاد جريدة عربية تعوض القراء المغاربة عن تلهفهم إلى الصحف العربية المشرقية التي كثيراً ما تتضمن أخباراً وتعاليق لا تساير المصالح الفرنسية في منطقة شمال إفريقيا.

ـ اقتنعت هذه المفوضية أيضاً أن الظرف العام، داخليا وخارجيا، كفيل بأن يضمن للمشروع النجاح المرجو لدى القراء المغاربة. فعلى الصعيد الداخلي، كان الناس يتشوفون إلى معرفة تطورات حركة الجيلالي الزرهوني المعروف ببوحمارة. وعلى الصعيد الخارجي، كان من المتوقع أن تشكل الحرب الروسية اليابانية مادة تستقطب اهتمام النخبة المغربية.

2152 — 17e Année

« ES-SAADA »

TION ET REDACTION

RABAT (Maroc)

Téléphone 174

السعادة

NOVEMBRE 1910

جريدة سياسية ادبية اقتصادية

لم يكن إصدار جريدة *السعادة* يتجاوز المائة نسخة في بداية مسيرتها. ولكن بعد سنة واحدة ارتفع هذا العدد إلى خمسمائة، وفي السنة التالية بلغ ثمانمائة. وفي أجواء مؤتمر الجزيرة الخضراء، وحرصا على الدعاية لوجهات نظر الدبلوماسية الفرنسية في شأن ما يعرف آنذاك بالمسألة المغربية، تحول إصدار الجريدة الطنجاوية إلى مرتين في الأسبوع، وهي وتيرة تسمح بمواكبة التطور السريع للأحداث. وتجدر الإشارة هنا أن القيمين على المشروع سعوا جادين إلى استمالة القراء المغاربة، على قلتهم. ويمكن تتبع وسائل الإغراء بدءاً بعنوان الصحيفة المشحون بفال الخير والتفاؤل في وقت قلت فيه بشائر هذا الأفق. وللغرض نفسه، تم إضفاء رداء إسلامي على الجريدة باستجلاب محرر لها من الجزائر في شخص إدريس الخبزاوي. وقد كلف هذا الأخير، وهو الذي اشتغل بشؤون العدلية في مسقط رأسه تلمسان قبل حلوله بالمغرب سنة 1904، بأن يمرر الخطاب الفرنسي على أعمدة السعادة بأسلوب لا يتنافى والمشاعر الدينية لعموم القراء المغاربة. فقام الرجل بهذه المهمة حتى 1906 حيث رجع إلى بلده وأنعمت عليه الإدارة الفرنسية بترقيته إلى منصب قاض شرفي جزاء له على الخدمة التي أسداها للمشروع الفرنسي في المغرب.

وفي السنة ذاتها أسندت الإدارة الفرنسية مهمة تحرير الجريدة للشامي الماروني وديع كرم الذي تفنن بأسلوب أدبي راق في التجاسر على البلاد والعباد. فأثار هذا التوجه على السعادة نقمة صفوة من النخبة المغربية التي نعتتها بالشقاوة وبادرت إلى الرد عليها بكتابات أهمها :

ـ الطاعون : وهي جريدة مخطوطة أصدرها محمد بن عبد الكبير الكتاني سنة 1907.

ـ مقالة من سنان القلم لتنبيه وديع كرم : لصاحبها محمد العابد بن سودة (طبعة حجرية، فاس، 1908).

ـ مفاكهة ذوي النبل والإجادة حضرة مدير السعادة، لعبد الحي الكتاني (طبعة حجرية، فاس، 1908).

ـ تنبيه المستبد من حيث على جهله يعتمد (لمحمد بن يحيى الصقلي، طبعة حجرية، فاس 1908).

ـ الجيش العرمرم لهزم وديع كرم (مخطوطة لمجهول، ألفت سنة 1908).

ولعل أغرب ردود الفعل ضد السعادة تلك التي صدرت عن تجار مغاربة مقيمين بالشرق الأقصى (سنغفورا وجاوا)، ذلك أنهم وجهوا في شأنها رسالة إلى المخزن بتاريخ 3 أكتوبر 1910.

ولما استتب الأمر للفرنسيين بالمغرب بفرضهم لعقد الحماية في مارس 1912، نصب المقيم العام الجنرال ليوطي حاضرة الرباط عاصمة إدارية للبلاد. وفي إطار تنظيم أمورها استقدم إليها جريدة السعادة في أبريل 1913 حيث وكل أمر الإشراف عليها إلى الضابط الفرنسي المستعرب أوجين ماركو، كما تم تزويدها بتعليمات جديدة تجعلها تتفادى المساجلات وكل ما من شأنه أن ينفر قراءها المغاربة المسلمين. وهكذا فإنها أخذت تنشر كل ما يقدم صورة فرنسا على أنها صديقة حميمة للإسلام والمسلمين، وهو ما يتفق تماما مع السياسة التي سلكها ليوطي، خاصة بعد اندلاع الحرب العظمى. ومن جهة أخرى أولت الجريدة للكتابة الأدبية حيزاً كبيراً جعل عدداً غير يسير من القراء في المغرب يقبلون عليها ويساهمون في الكتابة على أعمدتها. وقد تجاوز عدد الذين ساهموا فيها على مدى حياتها الطويلة التي ناهزت نصف قرن خمسمائة كاتب. ولعل أغزر هؤلاء كتابة الآتية أسماؤهم : محمد الأوراوي وعبد الله القباج وعلي العلوي ومحمد بوجندار وصالح أبو رزق ومحمد الغربي وفتى الحي (اسم مستعار) وأحمد النميشي وعلي الطرابلسي وأحمد الهواري ومحمد السليماني...

ساهم عدد من الكتاب بأسماء مستعارة وآخرون أغفلوا توقيع مقالاتهم بشكل مقصود لأن السعادة كانت منبراً رسميا للإقامة العامة ولم يكن المتعامل معها في بعض

الظروف في منأى عن الغمز واللمز. ومع ذلك، فإن صفحاتها شكلت سجلا غنيا بمختلف المواضيع التي يمكن ترتيبها حسب أهميتها كالتالي : الآداب - التعليم - الإسلام - الرباط (العاصمة) - السلطان سيدي محمد بن يوسف - فاس المخزن - العلاقات المغربية الفرنسية. وطبعا، فإن هذا الترتيب يمنح فرصة قراءة تاريخية قد لا تخلو من الفائدة. إنه على كل حال رصيد متنوع عكس مختلف الأنشطة الرسمية وخلد أسماء المسؤولين والأعيان والأدباء والمفكرين. كما شكل مرآة للحياة اليومية للمواطن العادي عندما يقدم للقارئ صورة عن أوضاع السوق والمشاكل اليومية للسكان وتطور العمران، الخ. ولما تزامنت حياة هذه الجريدة مع فترة رزح فيها المغرب تحت الهيمنة الاستعمارية، فإن هذه الجريدة شكلت، علاوة على كل ما سبق، مصدراً أساسياً للتأريخ لهذه المرحلة.

وبعد حصول البلاد على استقلالها، انتهت مهمة جريدة السعادة، فصدر آخر عدد منها يوم 27 دجنبر 1956، وهو العدد 9864.

مجموعة جريدة *السعادة*، خ. ع.، الرباط، أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية في كل من باريس ونانط.

C. René-Leclerc, *La presse au Maroc. Aperçu historique et situation en juillet 1908*, in *Congrès de l'Afrique du Nord tenu à Paris du 6 au 10 ocotbre 1908.Compte-rendu des travaux*, tome I, Paris, 1909 ; Margot, *La presse arabe en 1927*, Rabat, s.d. (1927 ?) ; J. Baïda, *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*, Rabat, 1996.

جامع بيضا

ابن **سعادة، عيسى**، يكنى أبا موسى : فقيه زاهد من أهل فاس، ونسبه ابن بشكوال إلى سجلماسة. كان من كبار علماء المغرب في القرن الرابع (10 م) وفضلائهم ومشاهيرهم، من طبقة أبي ميمونة دراس ابن إسماعيل الفاسي (تـ. 357).

أخذ بفاس عن الفقيه الزاهد جبر الله بن القاسم الأندلسي نزيل عدوة الأندلس منها، الذي يعتبر "ممن أدخل فقه مالك إليها، ومن مشاهير فقهائها ومتقدميهم" (*المدارك*).

رحل ابن سعادة إلى الأندلس فأخذ عن علمائها مثل أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم من كبار فقهاء قرطبة وابن الخراز. ثم قام برحلة إلى المشرق سنة 352 / 963 وهو عالم يؤخذ عنه، وصحبه في رحلته عالمان شهيران هما أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (تـ. 392 / 1001) وأبو الحسن القابسي (تـ. 403 / 1012) الذي رافقه من القيروان، وقد روى الثلاثة عن حمزة بن محمد الكناني الحافظ.

وقد تصدر ابن سعادة في طريقه إلى المشرق لنشر العلم، فأخذ عنه بالقيروان الإمام أبو محمد بن أبي زيد القيرواني (310 - 386 / 922 - 996)، وغيره من علماء عصره. وفي نفس الوقت روى ابن سعادة ورفيقه الأصيلي عن كبار علمائها مثل أبي الحسن بن الإمام، وأبي الحسن علي بن محمد العبدري الدباغ، وأبي العباس عبد الله بن أحمد الأبياني.

ومن مناقب ابن سعادة العلمية شهادة أبي الحسن القابسي، التي ذكر فيها أنه "لم يتكلم قط في مسألة حتى يتقنها" (*المدارك*)، ومنها تفوقه في حفظ الحديث النبوي والفقه على السواء، بحيث فاق غيره في ذلك، مع بلاهة في أمور دنياه.

توفي رحمه الله بمصر سنة 355 / 966، وقد بلغ من مكانته عند علمائها في المدة القصيرة التي قضاها هناك أن تنازعه الفقهاء والمحدثون عندما توفي، فكل فريق كان يرى أنه أحق بالصلاة عليه.

ق. عياض، *ترتيب المدارك*، ج. 6، تح. سعيد أحمد أعراب، الرباط، ط. 1، 1401 / 1981، ص. 277 - 279 ؛ ابن بشكوال، *الصلة*، تح. السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ط. 1، 1955، ج. 2، ص. 418، رقم 950 ؛ ابن الزبير الغرناطي، *صلة الصلة*، تح. ع. السلام الهراس وس. أعراب، الرباط، ط. 1، 1414 / 1994، ج. 4، ص. 57 - 58 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ج. 1، ص. 174، ج. 2، ص. 279.

محمد المغراوي

**السعداني، هاشم**، من شعراء الملحون بفاس، وشيخ أشياخها، عاصر مجموعة من فحول شيوخ الملحون، كالهادي بناني الذي كانت له مساجلات معه في تنويع الراوي على مستوى الموضوع الواحد مع الاحتفاظ بالمرمّة.

وقد سماه محمد الفاسي : "محمد بن أبي بكر السعداني، كان له دكان بسوق السبّاط بفاس، وذكر "كولان" في تقييد له أن قصيدة "دْخُولْ وجْدة" له مطبوعة على الحجر بفاس. (*معلمة الملحون*، ج. 2، ق. 2، ص. 349).

وقد أشار محمد الفاسي في *معلمته*، أن هاشم السعداني من شعراء الملحون الذين تنوعت موضوعات قصائدهم، وأدركوا حظوة رفيعة لدى معاصريهم، حتى نالوا لقب "شيخ الشيوخ"، وتعني عندهم "أمير الشعراء"، والشيخ الأثير، الذي يرجع إلى محفوظه وإنتاجاته ومعارفه في كل نازلة من النوازل الأدبية والفنية.

وحين نظم قصيده "دْخول وجدة" وشاع خبرها وذاع، وملأ المحافل والأسماع، لُقّب عند أهل الملحون، شاعر وجدة، حتى إن البعض جعله من شعراء المنطقة الشرقية، لأنه اشتهر بها أكثر من غيرها وسجّل بها احتلال المدينة حيث أدت دوراً كبيراً في الأوساط الشعبية التقليدية، وكانت من الإنتاجات الأدبية التي أسهمت في استنهاض الهمم والتعريف بالقضية الوطنية وبخطر الاستعمار في المنطقة الشرقية يومئذ. ويوجد النص الكامل لقصيدة "دخول وجدة" في الجزء الثالث من "معلمة الملحون" الصادر لسنة 1990، ص. 143.

وتوجد هذه القصيدة أيضا مشروحة ومحققة في سلسلة *ديوان الملحون*، المحور الثالث، الكتاب الخامس، ص. 206. مطبعة المناهل للطباعة والنشر - الرباط -. لقد ارتبط هاشم السعداني بعمله اليومي بسوق "السّبّاط" بفاس، كما ارتبط

بفنه. نعم، فإذا كان يدعوه إلى التنقل من هنا وهناك، ومن هذه المدينة وتلك، فإن حبه لفن الملحون، والتعريف بكنانيشه وكراساته، جعله يجمع في رحلاته بين الغايتين معاً : التجارة، والفن. ولعل ظاهرة "شعراء الملحون الرّحّل" انبثقت من ظروف الشعراء الشعبيين الذين كان جلهم يستقر في مدينة واحدة. وهذه الظاهرة تعتبر من الظواهر الاجتماعية، والفنية الفريدة من نوعها، والتي ساعدت بدورها على انتشار فن "الملحون" في مختلف جهات المغرب وخارجه كالجزائر وتونس وليبيا وموريطانيا.

يعتبر السعداني من شعراء الملحون الذين استفادوا استفادة كبيرة وهامة من الإنتاجات الأدبية التي كانت تروج لمجموعة من شعراء "المنطقة الشرقية"، مثل الشاعر عبد القادر الجزائري، الذي سبق أن نظم قصيدة طويلة، أرخ بها لاحتلال "الجزائر"، والشيخ الوجدي المعروف بالأكحل، وهو ـ أيضا ـ من شعراء المنطقة الشرقية الذين ساندوا القضية الجزائرية، كما استفاد السعداني من أشعار أبي عثمان التلمساني، ومن الشاعر أحمد التريكي، والمصمودي، والمغراوي، ومن الشيخ ابن مسايب، والشيخ أحمد عنقود الدالية، ومن غيرهم من فحول شعراء المحلون القدامى والمعاصرين له. (*سلسلة ديوان الملحون*، ع. 1، ص. 206) وحين جاهر الأديب الشعبي، الشيخ الأكحل الوجدي، بالدعوة إلى الجهاد من داخل المنطقة الشرقية، بواسطة قصيدته الزجلية التي ضمّنها أحداث القطر المجاور "الجزائر"، فإن هذه القصيدة قد فعلت مفعولها في النفوس، وتركت أثرا طيبا في نفس هاشم السعداني، فحذا حذوه، وأخذته الغيرة من الاحتلال الذي تعرضت له مدينة "وجدة" سنة 1907، فنظم قصيدته المعروفة بـ"دخُول وجدة" وفي حربتها "أي اللازمة" يخاطب المسلمين عامة، وسكان المنطقة الشرقية خاصة، فهو يستغيث بهم، ويدعوهم إلى البكاء، كما بكى كل غيور على ما أصاب سكان المدينة من إذلال، وخضوع للمستعمر الغاشم، الذي دخل ديارهم، في واضحة النهار، وقد غنمها بدون حرب ولا مواجهة. يخاطب أهل المدينة "وجدة" في لازمة قصيدته التي تتكرر عدة مرات، مع كل قسم من أقسام هذه القصيدة التي بلغ عددها (23) قسما، واقتربت أبياتها من مائتي بيت، وكل قسم يتكون من مجموعة أبيات، وكل بيت يتألف من شطرين، يلازم كل قسم "عروبي"، يتكون من مجموعة أشطار وردمة، تقول "حربة" هذه القصيدة ما نصّه :

يَا لِسْلاَمْ ابْكِواْ على دْخولْ وجْدة

دونْ حَرْبْ، اغنَمْها لَعْدو، ونَالْ المْرادْ

توفي الشيخ هاشم السعداني بفاس في أواسط شهر رمضان عام 1352 / أوائل يناير 1934.

م. الفاسي، *معلمة الملحون*، ج. 2، ق. 2 ؛ الجزء الثالث، الرباط، 1990.

عبد الرحمن الملحوني

**السعدي** ← أحمد الأعرج ابن محمد القائم بأمر الله
**السعدي** ← أحمد بن محمد الشيخ الأصغر(مولاي العباس)
**السعدي** ← أحمد المنصور الذهبي بن محمد الشيخ المهدي
**السعدي** ← الحران بن محمد الشيخ المهدي
**السعدي** ← أبو حسون محمد بن زيدان بن أحمد الأعرج
**السعدي** ← داود بن عبد المومن
**السعدي** ← زيدان بن أحمد الأعرج
**السعدي** ← زيدان بن أحمد المنصور
**السعدي** ← عبد الرحمن بن محمد الشيخ المهدي
**السعدي** ← عبد القادر بن محمد الشيخ المهدي
**السعدي** ← عبد الله بن أحمد المنصور (الزبدة)
**السعدي** ← عبد الله الغالب بن محمد الشيخ المهدي
**السعدي** ← عبد الله بن محمد الشيخ المامون
**السعدي** ← عبد الله بن اليزيد (مقاوم)
**السعدي** ← عبد الملك بن أحمد المنصور الذهبي
**السعدي** ← عبد الملك بن زيدان بن أحمد المنصور
**السعدي** ← عبد الملك بن أبي فارس
**السعدي** ← عبد الملك بن محمد الشيخ المامون
**السعدي** ← عبد الملك المعتصم بن محمد الشيخ المهدي
**السعدي** ← عبد المومن بن محمد الشيخ المهدي
**السعدي** ← عثمان بن محمد الشيخ المهدي
**السعدي** ← علي بن أحمد المنصور الذهبي
**السعدي** ← عمر بن محمد الشيخ المهدي
**السعدي** ← أبو فارس بن أحمد المنصور
**السعدي** ← محمد الشيخ الأصغر بن زيدان بن أحمد المنصور
**السعدي** ← محمد الشيخ المامون بن أحمد المنصور
**السعدي** ← محمد الشيخ المهدي بن محمد القائم بأمر الله
**السعدي** ← محمد بن عبد القادر
**السعدي** ← محمد بن عبد المومن
**السعدي** ← محمد القائم بأمر الله (المؤسس)
**السعدي** ← محمد المتوكل بن عبد الله الغالب (المسلوخ)
**السعدي** ← محمد بن محمد الشيخ المامون (زغودة)
**السعدي** ← منصور بن محمد الشيخ المهدي
**السعدي** ← الناصر بن عبد الله الغالب
**السعدي** ← الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور
**السعدية** ← مريم بنت محمد المهدي الشيخ

**السعديون**، أسرة شريفة حكمت المغرب خمسين ومائة عام (915 ـ 1069 / 1509 ـ 1658) وتُعدّ الدولة المغربية السادسة بعد الأدارسة والمرابطين والموحدين والمرينيين والوطاسيين. وكانوا أيام ملكهم يُدعون بالشرفاء الزيدانيين الحسنيين، نسبة لجدهم زيدان بن أحمد بن قاسم من ذرية الحسن بن علي وفاطمة الزهراء. وأحمد بن قاسم هذا أتى به

الدرعيون من ينبُع النخل بالجزيرة العربية في أواخر القرن السابع (13 م) كما أتى أهل سجلماسة من بعده بأخيه الحسن الداخل جد الشرفاء العلويين، لتصلح ثمارهم وتسلم من العاهات. ولم تطرح قضية نسب السعديين إلاّ في أواخر دولتهم لما ضعفوا وثار عليهم العلويون وغيرهم في مناطق متعددة. وجاء في رسالة لمَحمد بن الشريف أمير تافيلالت رداً على رسالة عتاب بعث بها إليه سلطان مراكش محمد الشيخ الأصغر بن زيدان بن أحمد المنصور : "وعتابكم أننا عزيناكم لبني سعد بن بكر بن هوازن ... تالله ما فهنا بذلك عن معايرة لكم ولا جهلا بكم... بل اعتمدنا في ذلك بعد الله على ما نقله الثقاة المؤرخون لأخبار الناس من علماء مراكش وتلمسان وفاس ومكناسة الزيتون، ولقد أمعن الكل التأمل بالذكر والفكر فما وجدوكم إلا من بني سعد بن بكر".

والحق أن التشكيك في نسب الشرفاء الزيدانيين ونعتهم بالسعديين كان عملاً سياسياً لتحطيم ما بقي من نفوذهم وجاههم، ثم اختفت ظاهرة التشكيك لدى العلويين أنفسهم بعد أن توطد ملكهم وأصبحوا يُعلنون شرف الزيدانيين "السعديين" وقرابتهم منهم. وذكر الزياني في *الترجمان المعرب* (ص. 343) حواراً طويلا مباشراً مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله حين جرى في مجلسه ذكر السعديين وذكر له الخلاف الذي جرى في ثبوت نسبهم "قال لي - رحمه الله - اسكت ولا تعد لهذه المقالة، فإنهم إخواننا وبنو عمنا وجدنا وجدهم واحد، وقريتنا وقريتهم بالينبوع واحدة يقال لها بنو إبراهيم، وجدهم أحمد خرج للمغرب قبل جدنا حسن بنحو الثلاثين سنة، وهما أخوان ...".

كان كبير الشرفاء الزيدانيين في مطلع القرن العاشر (16 م) فقيهاً وجيها يدعى محمد بن عبد الرحمن يعلم الصبيان القرآن في أحد قصور واحة تاگمادارت في الضفة الشرقية لنهر درعة، في وقت كانت بلاد ما وراء الأطلس موكولة إلى نفسها لا أثر فيها لنفوذ الوطاسيين، والبرتغاليون يعيثون في سواحلها فساداً، ولا سلطة تقف في وجههم إلاّ جماعات متفرقة من المجاهدين المنتسبين إلى الزوايا الجزولية الشاذلية في تافيلالت ودرعة وسوس. وكان زعيم السوسيين في الجهاد ضد البرتغاليين المحتلين لمنطقتي فونتي وماسة هو الشيخ بركات بن محمد التيدسي، وكان البرتغاليون يفاجئون السكان بغاراتهم فيستفزونهم من قراهم ويأسرون من رجالهم ونسائهم وأطفالهم، فيسعى الشيخ بركات في فداء الأسرى وعقد هدنة لمدة محدودة فيأبى البرتغاليون أن يفاوضوا إلاّ أميراً سياسياً الأمر الذي دّفع سكان الجنوب إلى التفكير في إقامة حكومة جديدة قادرة على مواجهة الأوضاع المتردية وتبنى الفكرة الشيخ بركات والشيخ محمد بن مبارك صاحب زاوية أقّا. وعرضت عليهما رآسة هذه الحكومة فأبيا إلاّ مبايعة شريف درعة لشجاعته وكفايته في قيادة المجاهدين ونسبه القرشي الذي لا يعارض فيه أحد من سكان المغرب قاطبة.

وخلال عام 915 / 1509 استدعى الشيخ محمد بن مبارك الشريف محمد بن عبد الرحمن الدرعي إلى زاوية أقا، واتفقا على المبادئ والوسائل، وحضرا في السنة الموالية تجمعاً عاماً في زاوية تيدسي بضاحية تارودانت، حيث بايع الحاضرون الشريف محمد بن عبد الرحمن أميراً للمومنين ولقبوه بالقائم بأمر الله. فقام بالجهاد هو وولداه البكر أحمد الأعرج والصغير محمد أمغار الذي لقب فيما بعد محمد المهدي الشيخ.

طالت مرحلة تأسيس الدولة السعدية خمساً وأربعين سنة (915 ـ 961 / 1509 ـ 1554) لثلاثة أسباب :

أولاً : ضعف الوسائل المادية لديهم في هذه الفترة إذ لم يكن لهم بيت مال منظم، ولا مداخيل قارة غير الزكاة الشرعية نظراً لاحتلال الثغور واختلال شؤون الفلاحة والتجارة، والتعبئة العامة للسكان لمهاجمة المحتلين على طول سواحل سوس وعبدة ودكالة، وبالتالي ضعف التسلح.

ثانياً : قوة الخصم المتجددة بما كان يتلقى من إمدادات بشرية وسلاح بواسطة سفن لا تفتأ غادية رائحة بين الموانئ البرتغالية والثغور المغربية المحتلة.

ثالثاً : مناوشات الوطاسيين ملوك فاس الذين كانوا يناصرون في البداية الشرفاء السعديين كمجاهدين يقاومون الاحتلال الأجنبي في الجنوب، لكن بعد أن حقق السعديون انتصاراتهم الأولى ووسعوا رقعة نفوذهم في بلاد الحوز قلب الوطاسيون لهم ظهر المجن واستجمعوا قُواهم، وهاجموهم أكثر من مرة.

وقد تمكن محمد المهدي الشيخ المقيم في تيدسي ثم في المحمدية (تارودانت) خلال هذه الفترة من تحسين الوضع المادي للدولة الناشئة بتحكمه في تجارة القوافل الصحراوية مع السودان، وتنشيط زراعة قصب السكر وتصفيته، وإعادة فتح التجارة البحرية مع الأوربيين بعد أن طرد البرتغاليين من سواحل سوس وهدم على رؤوسهم حصن فونتي وأنشأ على أنقاضه مدينة أگادير سنة 947 / 1541، ومن ثم تزوّد بما يحتاج إليه من سلاح ناري بواسطة سفن الهولنديين والفرنسين الذين قايضهم به السكر والشمع والنيلة وغيرها من منتجات سوس. ومهّد أحمد الأعرج المقيم في مراكش بلاد الحوز وحرر قبائل عبدة ودكالة من نير البرتغاليين وإتاواتهم الجائرة بعد أن أرغمهم على الاعتصام بأسوار الحصون التي يحتلونها، وأنهى الحروب المتكررة مع الوطاسيين بصلح مشرع بوعقبة سنة 943 / 1536 الذي قسم المغرب إلى شمال للوطاسيين وجنوب للسعديين.

اعتبر محمد المهدي الشيخ أخاه أحمد الأعرج عاجزاً قصير النظر، فاعتقله سنة 951 / 1545، وباشر بنفسه قطع المراحل الباقية لتمهيد البلاد وتوحيدها، يساعده في ذلك ولداه البطلان المغواران : الحرّان وعبد القادر، ويسانده شيوخ التصوف، فقضى على نفوذ الوطاسيين في بلاد تامسنا

والغرب وسايس، وتم توحيد المغرب تحت سلطة السعديين يوم السبت 24 شوال عام 961 / 22 شتنبر 1554، وهو اليوم الذي تمكن فيه محمد المهدي الشيخ من صرع آخر الوطاسين أبي حسون على أبواب مدينة فاس، وتمزيق أنصاره من الأعراب وأتراك الجزائر.

ساءت بعد ذلك العلاقات بين محمد المهدي الشيخ وشيوخ الزوايا لمّا حرمهم من الامتيازات وفرض عليهم "النائبة"، وبينه وبين أتراك الجزائر الذين طاردهم إلى ما وراء مجرى نهر شلف. ودفع حياته ثمناً لسياسة التحدي هذه حيث اغتيل على يد جماعة من المحتالين الأتراك. وعاش المغرب بعد ذلك نحو عقدين من الزمن في هدوء نسبي مع عبد الله الغالب الذي صرف عنايته للتعمير والتعليم، فرمّم مآثر مراكش وشيّد فيها جامع الأشراف بحومة المواسين والمدرسة العجيبة بجوار جامع ابن يوسف. لكنه لما عهد بالخلافة لابنه محمد المتوكل، أنف من ذلك أخواه عبد الملك المعتصم وأحمد، وكانا لاجئين عند العثمانيين، فدخلا إلى المغرب على رأس جيش تركي، واستطاعا أن يزيحا عن العرش محمداً المتوكل الذي التحق بعد هزائمه بسيبستيان ملك البرتغال متطارحاً عليه.

لم يكد عبد الملك المعتصم يستلم مقاليد الأمور ويبدأ في تنظيم الجيش المغربي على صورة الجيش التركي نظاماً ولباساً وأسلحة حتى نزلت القوات البرتغالية في ناحية العرائش والقصر الكبير مع محمد المتوكل المخلوع لاكتساح البلاد.

وجرت معركة وادي المخازن الحاسمة أو معركة الملوك الثلاثة يوم الاثنين متم جمادى الأولى عام 986 / 4 غشت 1578 هلك فيها غرقاً في الوادي كل من سيبستيان ملك البرتغال، ومحمد المتوكل (المسلوخ). كما مات في بداية المعركة عبد الملك المعتصم، وكان مريضاً محمولاً على محفة، فأُخفي خبر موته إلى ما بعد انتهاء المعركة. ومات مع سيبستيان أو أسر معظم نبلاء البرتغال، وافتُدي الأسرى بمبالغ طائلة أخلت بيت مالهم فاضمحل شأن البرتغال وضُمّت بلاده وممتلكاته إلى التاج الإسباني، وبقي كذلك نيفاً و ستين سنة.

بويع أحمد أخو عبد الملك على أرض المعركة ولُقب بالمنصور ثم الذهبي، وبايعته بعد ذلك حواضر المغرب وبواديه، واستمر ملكه ستاً وعشرين سنة (986 - 1012 / 1578 - 1603) ويعتبر أحمد المنصور الذهبي واسطة عقد السعديين وعهدُه أزهى عهود هذه الدولة رخاءً وعلماً وعمراناً وقوة وجاهاً. وهو الذي بدأ ربط العلاقات السياسية والاقتصادية مع الأوربيين وبخاصة انجلترا. ومهد بلاد الصحراء ونظّم قوافلها التجارية وفتح بلاد السودان سنة 999 / 1591 وانتشر نفوذه إلى حوضي النيجر والسينغال، وشيد خلال سبع عشرة سنة بمراكش قصر البديع الذي لم يُسمع بمثله سعة وزخرفة وتذهيباً. وقد هدمه المولى إسماعيل غير تارك منه سوى الأطلال، لكن كتاب *مناهل* الفشتالي احتفظ بوصف دقيق وافٍ لهذا القصر العظيم. كما شيّد المنصور أو وسّع وزيّن مساجد وخزائن علمية وقلاعاً وحصوناً حربية وقناطر ومصانع السكر بمراكش وحاحة والسوس الأقصى، فكثر السكر في أيامه وصار يصدّر إلى أوربا.

ولما مات أحمد المنصور سنة 1012 / 1603 تنازع أبناؤه على الملك : زيدان ومحمد الشيخ المامون وأبو فارس، وقامت حرب أهلية مريعة في فاس ومراكش وسائر الجهات هلك فيها كبار قواد الجيش ومعظم الجنود، وهلك فيها أيضاً الأمراء أبو فارس ومحمد الشيخ المامون وابنه عبد الله، واستقر زيدان أخيراً في مراكش منهوك القوى صارفاً نظره عن فاس وشمال البلاد.

توارث أبناء زيدان وأحفاده ملك مراكش، فلم تكن تطول مدتهم ويقتتلون علناً أو غدراً، لأن الثورات لم تنقطع. وأشهر الثوار على السعديين في عصر الاضطراب :

- الدلائيون في الأطلس المتوسط، كوّنوا إمارة قوية امتد نفوذها شمالا إلى السواحل الأطلسية وبلاد الغرب بما في ذلك سلا ومكناس وفاس.
- والسملاليون في إيلغ شمل نفوذهم بلاد السوس وما جاورها جنوباً.

وانتهت دولة السعديين بقتل أحمد العباس حفيد زيدان سنة 1069 / 1658 بيد أخواله الشبانات. ومازال بفاس أسرتان تحملان اسم "السعدي" إحداهما شريفة يظن أنها من بقايا الملوك السعديين، منهم آل المنجرة الشرفاء.

وهذه قائمة الملوك السعديين ومدة حكمهم :

- محمد بن عبد الرحمن القائم بأمر الله (915 - 923 / 1509 - 1517)
- أحمد الأعرج بن محمد بن عبد الرحمن (923 - 951 / 1517 - 1545)
- محمد المهدي الشيخ بن محمد بن عبد الرحمن (951 - 964 / 1545 - 1556)
- عبد الله الغالب بن محمد المهدي الشيخ (964 - 981 / 1556 - 1573)
- محمد المتوكل بن عبد الله الغالب (981 - 983 / 1573 - 1575)
- عبد الملك المعتصم بن محمد المهدي الشيخ (983 - 986 / 1575 - 1578)
- أحمد المنصور الذهبي بن محمد المهدي الشيخ (986 - 1012 / 1578 - 1603)
- أبو فارس بن أحمد المنصور ( 1012 / 1603)
- محمد الشيخ المامون بن أحمد المنصور (1012 / 1603)
- زيدان بن أحمد المنصور (1012 - 1037 / 1603 - 1627)
- عبد الملك بن زيدان (1037 - 1040 / 1627 - 1630)
- الوليد بن زيدان (1040 - 1045 / 1630 - 1635)

- محمد الشيخ الأصغر ابن زيدان (1045 - 1056 / 1635 - 1646)

- أحمد العباس بن محمد الشيخ الأصغر (1056 - 1669 / 1646 - 1658)

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. ع. الله گنون، تطاون، 1964 ؛ أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور*، تح. م. رزوق، الرباط، 1986، *رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح*، تح. م. البوعناني، د.د.ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط ؛ أ. المنجور، *فهرس*، تح. م. حجي، الرباط، 1979 ؛ أ. ابن أبي محلي، *إصليت الخريت*، مخطوط ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1976 ؛ قاسم ابن القاضي، *تنوير الزمان بقدوم مولانا زيدان*، مخطوط ؛ أ. بابا التنبكتي، *كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج*، تح. م. مطيع، المحمدية، 2000؛ ع. التمگروتي، *النفحة المسكية في السفارة التركية*، طبع مصوراً في باريز، د. ت. ؛ مصطفى الجنابي، *البحر الزخار والعيلم التيار*، مخطوط ؛ شهاب الدين الخفاجي، *خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا*، مخطوط ؛ *ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا*، بولاق مصر، 1866 ؛ محمود كعت، *تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس*، تح. هوداس ودولافوس، أنجي، 1913 ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية التگمادرتية*، تح. كولان، الرباط، 1934 ؛ ع. الرحمن السعدي، *تاريخ السودان*، باريس، 1898 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، الرباط، 1964 ؛ ع. الرحمن بن عبد القادر الفاسي، *لمحة في تاريخ دولة الشرفاء*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، ط. 2، بيروت، 1983 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. م. حجي وآخرين، الرباط، 1984، ج 1 و2 ؛ ديكودي طريس ؛ *تاريخ الشرفاء*، م. حجي وم. الأخضر، سلا 1988؛ س. الحوات، *البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج. 5 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1976 ؛ *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988 ؛ إ. حركات، *السياسة والمجتمع في العصر السعدي*، الدار البيضاء، 1987 ؛ إ. شحاتة، *معركة وادي المخازن في تاريخ المغرب*، الدار البيضاء، 1979 ؛ أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984 ؛ ع. الهادي التازي، قصر البديع، *البحث العلمي*، عدد 28، 1978 ؛ م. العربي الخطابي، *أمير سعدي في خدمة البلاط الإسباني*، *المناهل*، عدد 13، 1978 ؛ ع. القادر زبادية، *مملكة سنغاي في عهد الأسقيين*، الجزائر، 1971 ؛ ع. الكريم كريم، *المغرب في عهد الدولة السعدية*، الدار البيضاء، 1977 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

G. Aimel, *Le Palais d'El-Badi*, *A.B.*, III, 1918 ; P. Berthier, *Les ancienenes sucreries du Maroc*, Rabat, 1996 ; A. Cour, *L'établissement des dynasties des chorfa au Maroc*, Paris, 1904 ; J. Démucé, *L'Afrique au 16è siècle et le commerce anversois*, Anvers, 1937 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, 3 vol., Rabat, 1959 ; A. Dziubinski, *L'armée et la flotte de guerre marocaine à l'époque des sultans de la dynastie saâdienne*, *H.T.*, vol. XIII, fasc. unique, 1972 ; Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1952 ; R. Le Tourneau, *Les débuts de la dynastie saâdienne jusqu'à la mort de Muhammad ach-Chaykh, 1557*, Alger, 1954 ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du 16è siècle*, Alger, 1906 ; P. Masson, *Histoire des établissements et du commerce français, 1560 - 1793*, Paris, 1903 ; J. Meunier, *Le grand riad et les bâtiments saâdiens du Badi à Marrakech selon le plan publié par Windus*, *Hesp.*, 1 et 2 trim, 1957 ; Ch. Penz, *Les captifs français du Maroc au 17è siècle*, Paris, 1944 ; G. Pianel, *Conquête du Soudan par Moulay al-Mansur*, *Hesp.*, 1953.

محمد حجي

**سعّود**، أسرة تطوانية عريقة انقرضت، ذُكر منها عام 1116 قاسم بن محمد سعّود. وفي أسفل شارع المصلى القديم ضريح عليه قبة من طراز قباب صلحاء البلد الأقدمين يسمى سيدي سعّود. عده سكيرج والرهوني من صلحاء البلد ولم يذكرا عنه شيئاً. وأحسب أنه أندلسي لأنه دفن حيث كانت تطوان القديمة في القرن السادس (12 م) فما بعده، وعلى بُعد بضعة أمتار من ضريحه يقع (الجامع الخضراء) من أقدم مساجد تطوان أو أقدمها، وقد تحيفها الناس ولم يتركوا منها إلا القليل، وجُدد الباقي الآن.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

محمد بوخبزة

**سعيد** (ابن -) أو بنسعيد، أسرة سلوية عريقة، أصلها من صنهاجة سوس من فرقة الركنيين، قدموا إلى سلا في القرن الثامن (14 م) على عهد السلطان أبي عنان المريني كحرفيين وأنجبت بيوتات منهم وُلاة وأمناء وعدولاً.

ويوجد أبناء سعيد أيضا في فاس ومكناس وغيرهما، قال صاحب *إزالة الالتباس* (2 : 186) : "وقفت على أن أولاد ابن سعيد الذين هم بمدينة سلا وفاس ومكناس أصلهم واحد من سلا انتقل البعض إلى فاس وإلى مكناس".

ويرى محمد ابن عزوز حكيم أن أسرة ابن سعيد التطوانية أصلها من الأندلس، حيث ظل هناك بعض أفراد الأسرة بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Zaete - Çahet - Çaet ؛ ولم تهاجر هذه الأسرة مباشرة من الأندلس إلى تطوان بل توجهت إلى مدينة سلا ومنها أتت إلى تطوان حيث تعرف بهذا الاسم ابن سعيد وبأولاد السلاوي. ومنهم أحمد ابن سعيد الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1212 إلى سنة 1215 (1798 - 1800).

ج. الناصري، بنو سعيد *السلاويون* منشور في كتابي التعريف ببني سعيد، 1 : 1297؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 14.5 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون في جزءين ؛ م. بوشعراء، *الأصول الاجتماعية لأهل سلا*، مخطوط ؛ م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون، تطوان 1999، رقم 345.

**ابن سعيد، إدريس** بن عبد الله السلوي، أديب وصحافي. ولد بسلا عام 1300 / 1883، وعاش بطنجة. أخذ عن علماء بلده وعلماء فاس، وحضر بعض مجالس الشيخ محمد ابن عبد الكبير الكتاني. تعلم الإسبانية بطنجة، وأتقنها بعد انخراطه في أسلاك الإدارة الإسبانية، وتعلم الفرنسية على يد محمد گدُودُو الغَزولي الجزائري ترجمان الحاج محمد المقري. ثم شارك في تحرير جريدة "الإصلاح" لسان الإقامة العامة الإسبانية بتطوان. وكلفته السلطات الحامية بمهمات دقيقة للاتصال بأحمد الريسوني فسجن لذلك

ثلاث سنوات بجزر كبدانة من 1916 إلى 1918، وبرجال ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي في شأن تحرير الأسارى الإسبانيين لديه، ففتحت مصالح الحماية تحقيقاً في شأن ولائه لها، فأخذت تحتاط منه، ولم تمض شهور قليلة حتى وقع اغتياله عند خروجه من المعسكر الإسباني بالكدية الحمراء بقبيلة تافرسيت على يد الجناح المتصلب من الإسبانيين، لكنها تظاهرت بعطفها عليه وشيعت جنازته إلى مقبرة سيدي وارياش قرب مليلية.

كان مولعاً بالأدب ومطالعة الصحف، ويقال إنه ترجم إلى العربية مقالات ومسرحيات إسبانية، لكن عليه مآخذ من أجل ولائه لإسبانيا وكتابته بجريدة "الإصلاح"، ثم تلبسه بالحماية الإسبانية، تقية أو خوفاً من العودة إلى السجن. وكان يسافر إلى الخارج والتقى مرات عديدة في إسبانيا بالسلطان عبد الحفيظ بن الحسن المنفي هناك.

وتوفي غيلة بنواحي الريف يوم 29 شوال 1342 / 14 يونيو 1923.

م. بوشعراء، *التعريف*، 1، ص. 43-44 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *ومضات مضيئة عن الحرب الريفية* من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني، 32-35-41-42-44-180-181 ؛ ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية بالمغرب العربي*، ص. 118 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، ص. 199 ؛ *وثائق آل بنسعيد*.

ابن **سعيد، عبد الله** بن الحاج محمد السلوي. عامل سلا بعد وفاة أبيه سنة 1310. ولد بسلا سنة 1282 / 1865. عين أميناً بمرسى العدوتين ثم أميناً بمرسى طنجة سنة 1312 مع احتفاظه بالولاية على مسقط رأسه. وفي سنة 1896 نشب خلاف بينه وبين قاضي سلا الحاج علي عواد فنقل عواد إلى القضاء بالجديدة وعين بنسعيد بدار النيابة بطنجة. وفي سنة 1905 أُقيل من منصبه بعد زيارة إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني لطنجة. وبقي عاملا على سلا إلى أن عزل في السنة نفسها من جميع وظائفه لاتهامه بالميل إلى ألمانيا. ولكن مولاي عبد الحفيظ رده وعينه خليفة لمحمد الگباص نائبه بطنجة، ومكث هناك إلى أن نُفي خلال سنوات الحرب العظمى إلى الجديدة، وما كاد يفرج عنه سنة 1919 حتى أبعد إلى وجدة طيلة سنتين لأنه كان متضامناً مع تجار العدوتين في رفض فرض ضريبة البطانطا عليهم، وكان كثير النقمة على السلطات الفرنسية.

كان رجلا قوي الشكيمة، شديد الغيرة على وطنه ولغته وأصالته، وخلف مراسلات ووثائق وبرنامجا إصلاحيا نشر بعضها في "التعريف" يشهد له بذلك. وقد ورث ثروة كبيرة عن أبيه وجده.

توفي بسلا سنة 1342 / 1924.

م. بوشعراء، التعريف، 1 و2 في صفحات مختلفة ؛ *ذيل الإتحاف الوجيز*، 199، ط. 2.

ابن **سعيد، العربي** (الحاج -) بن عبد الله، فقيه أديب من أعيان سلا المرموقين. كان عضواً مستشاراً باللجنة البلدية بسلا في عهد الحماية. وكانت له خزانة كتب ووثائق ورثها عن أبيه وجده فكان يقدمها للراغبين في معرفة تاريخ المغرب.

ولد بطنجة عام 1315 / 1898 وتوفي بسلا فجر يوم الجمعة 4 شوال 1411 / 19 أبريل 1991 ودفن بالزاوية القادرية.

*وثائق آل ابن سعيد*.

ابن **سعيد، محمد** بن **أحمد**، السلوي، فقيه ومحدث وصوفي، كان مدرساً بالزاوية الكتانية بسلا، تجول بعدد من مدن المغرب، وسافر إلى مصر وحج عدة مرات. ولما احتلت فرنسا الدار البيضاء سنة 1907 سافر بأهله إلى الحجاز ومات هناك محرماً ودفن بالمعلاة بمكة.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 144 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، ص. 199.

ابن **سعيد، محمد** (الحاج -) بن محمد بن محمد (ثلاثا). عامل سلا من سنة 1278 / 1862 إلى وفاته سنة 1310 / 1893. كان أول أمره أمينا بأسفي إلى أن سُمي عاملا على مسقط رأسه؛ وكان سنة 1283 / 1865 سفيراً ثانيا مع الحاج محمد الشرگي إلى فرنسا لدى الملك نابوليون الثالث. وقد خلف وثائق كثيرة حفظها حفيده الحاج العربي ابن عبد الله بخزانته وضمها إلى وثائق والده. ومنها أيضا *رحلته إلى فرنسا*، نشرت في الجزء الأول من *التعريف*.

كان فقيها نابها وكيسا، وتأثل كثيراً.

ج. الناصري، بنوسيعد *السلاويون* ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، ج. 1 ؛ *ذيل الإتحاف الوجيز*، 199، ص. 2 ؛ *وثائق بنسعيد*.

مصطفى بوشعراء

ابن **سعيد، محمد** شيخ الملحون السلاوي، ولد سنة 1341 / 1923. وقد أحس في نفسه الميل إلى طرب الملحون وعمره لا يتجاوز الثانية عشرة، ويرجع الفضل في ذلك إلى الجو الفني الذي نشأ فيه. فقد كان خاله الحاج عبد القادر البهلول من مشهوري حفاظ قصائد الملحون، وكان بيته بسلا

ملتقى أشياخ الكريحة. ولم يفتأ الفتى أن تأثر بما كان يسمعه في مجالس خاله، وسرعان ما أشربت نفسه حب الملحون والولع بإنشاده.

وفي سنة 1935/1354 ضمه صهره كبير أشياخ الملحون أيامئذ بسلا محمد بن غانم إلى جوقه، وأخذ يصحبه معه موسّدا بيديه، ثم ناقراً للتعريجة. وفي سنة 1944 بدأ يحضر الحصص الإذاعية التي كانت تخصص لطرب الملحون وتبثّ من مركز الإذاعة السابق بمقر وزارة البريد.

وقد تهيأ له في إطار مجموعة ابن غانم أن يتصدر يوما للإنشاد بسبب غياب شيخه، فحظي بالقبول والاستحسان، ومنذئذ انخرط في زمرة المنشدين ليصبح فيما بعد من المشهود لهم بسعة الحفظ وجودة الأداء.

شارك المرحوم ابن سعيد في كثير من التظاهرات الفنية المقامة بأرجاء المغرب، وفي المهرجانات الدولية منشدا وعراجا، ومنها المهرجان الدولي الذي أشرف على تنظيمه المجلس الدولي للبحوث الموسيقية ببرلين خلال فبراير 1986، بمدن ميونيخ وهامبورغ وبرلين.

كان مثالا لنبل الأخلاق، كثيرا ما يتمثل بغرر شعر الملحون في مجالساته. وقد وافاه الأجل يوم الاثنين 29 رمضان 1416 / 19 فبراير 1996.

*جريدة الأنباء*، 24 - 2 - 1982؛ *معلومات شخصية*.

*Musik Aus Nordafrika*, I not Fur Vergleichende Musikstudien, 8 - 12 Februar, 1986.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

ابن **سعيد، محمد** بن **محمد** الريفي، مقاوم ولد سنة 1916 بدوار اسقيمت ملحقة بني عمارت إقليم الحسيمة.

ترعرع وسط عائلة متواضعة الحال ومحافظة على القيم الإسلامية، وما أن سمع بنداء الوطن حتى بادر إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير.

شارك في عدة معارك واتصف بالشجاعة النادرة خلال كفاحه المسلح ضد جنود الاحتلال وقد واصل نضاله دفاعا عن استقلال البلاد إلى أن استشهد بمركز باب الحيط بتاريخ 23 / 11 / 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 521220.

أبو **سعيد الأول، عثمان** بن عبد الحق المريني، عرف بلقبه المختصر وهو أبو سعيد الأول كما اشتهر عند زناتة باسم أدرغال ومعناه الأعور. ولد سنة 593 / 1197 أو 597 / 1201 وعاش في كنف والده وتربى على الفروسية وحمل السلاح، وعندما اشتد عوده شارك والده عبد الحق بن محيو جد ملوك بني مرين في حروبه ضد الموحدين بالشمال الشرقي من المغرب الأقصى. وبعد مقتل والده وأخيه الأكبر إدريس في معركة واجهران (أو واجرمان) بالقرب من وادي سبو يوم الأحد 22 جمادى الثانية من سنة 614 / 26 شتنبر 1217 بايعه الأتباع أميراً عليهم وزعيما لبني مرين. تملكت أبا سعيد رغبة الانتقام من عرب رياح قاتلي والده وأخيه، لذلك استجمع قوته من جديد وشرع في محاربة أعدائه والتنكيل بأشرافهم حتى قتل منهم أعداداً كبيرة، الشيء الذي دفع بزعماء رياح إلى طلب الصلح والعفو والدخول في طاعة أبي سعيد الذي عفا عنهم مقابل إتاوة يدفعونها له في كل سنة. لقد كان إخضاع الأمير المريني لعرب رياح بمثابة الضربة القاصمة التي هدت قوتهم وساهمت في إزاحة أخطر منافس وأكبر عائق أمام طموحاته ورغبته في توسيع نفوذ بني مرين خارج مجال عصبية زناتة أي في ما وراء نهر ملوية في اتجاه فاس والمناطق الغربية والجنوبية.

كان المغرب الأقصى منذ ظهور بني مرين وخاصة بعد بيعة أبي سعيد، يعيش في وضعية متأزمة تميزت بانتشار الفتن بين قبائله واشتداد الخوف وانعدام الأمن في الطرقات، وزاد الأمر تفاقما واستفحالا إهمال وعجز ملوك الموحدين عن تأدية دورهم في مواجهة هذه الأزمات والحد من اتساع نطاقها، فخرجت عن حكمهم البوادي وكثير من الحواضر شمال وادي أم الربيع. وتحركت على خلفية هذه الأزمة جيوش أبي سعيد في أنحاء البلاد ونجح منذ سنة 616 / 1219 - 1220 في استقطاب كثير من القبائل إلى جانبه كهوارة وتسول ومكناسة وبطوية ومطلاسة وجزناية وبني يرتيان وغياثة ومجاصة وصاريوة وبني مكود، وفتح بلدانا عديدة كبلاد بني كانون وجبال زرهون وبلاد أوربة وصنهاجة وفشتالة وسدراتة ولمطة وبني واريتن وجزء كبير من بلاد غمارة وفرض عليها الخراج مالا أو زرعا خفارة على بلادهم كل سنة. كما خضعت له حواضر كبرى مثل فاس ومكناسة وتازة وقصر كتامة وغيرها وفرض عليها ضرائب سنوية مقابل أمنهم وسلامتهم. وقد ذكر المؤرخون أن ما كان يجتمع لأبي سعيد من المغارم على فاس ومكناسة ورباط تازة فقط يصل إلى 10.000 دينار في السنة مما يوحي بأن المبالغ المحصلة من تلك المناطق الواسعة كانت كبيرة جداً وهو ما جعل أبا سعيد يعين حفّاظاً لجمع تلك الضرائب وضبطها كمؤشر بداية تكوين مخزن مريني يعوض المخزن الموحدي القائم. لقد ساهمت هذه

النجاحات العسكرية في توفير إمكانيات وموارد بشرية ومالية مهمة زادت من قوة الجيش المريني وفتحت أكثر شهية الأمير أبي سعيد للتوسع وفتح مناطق جديدة نحو الأطلس المتوسط كبلاد فازاز ثم نحو بلاد الغرب في أزغار والهبط حيث أصبحت خيول بني مرين، حسب ابن عذاري، رائحة غادية تستأصل الاعداء في كل حاضرة وبادية (*البيان*، ق. م. 351) إلى حدود سنة 625 / 1228. وبعد تسع سنوات من الفتوحات استطاع هذا الأمير المحارب بسط نفوذ بني مرين على كل شمال المغرب الأقصى من وادي ملوية إلى رباط الفتح على الساحل الأطلسي. كانت مجهودات أبي سعيد العسكرية والتنظيمية انطلاقة حقيقية دَعَّمها خلفاؤه من بعد في أفق تكوين دولة مرينية في كل بلاد المغرب الأقصى. لم تعد المصادر تذكر أخبار أبي سعيد بعده سنة 625 باستثناء حادثة الاغتيال التي تعرض لها سنة 638 / 1240 (أو 636 ـ 637) بوادي ردات (قرب مشرع بلقصيري) حيث تمكن أحد أعلاجه، بتحريض من قائد الموحدين عبد الله ابن وانودين، من طعنه بحربة أردته قتيلا.


أبو فارس الملزوزي، *نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك*، الرباط، 1963، ص. 70 ـ 73 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، قسم الموحدين، تح. مجموعة من الأساتذة، بيروت، الدار البيضاء، 1985، ص. 351 ـ 354 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 34 ـ 38 ـ 53 ـ 58 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، الرباط، 1973، ص. 287 ـ 289 ؛ مجهول، *الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية*، تح. س. زكار وع. القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979، ص. 172 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 112 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين في دولة بني مرين*، الرباط، 1962، ص. 16؛ نفسه، *النفحة النسرينية واللمحة المرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 33 ـ 34 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج 7، ص. 349 ـ 351 ؛ المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تح. م. ع. القادر عطا، بيروت، 1997، ج 1، ص. 404 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ط. 2، الدار البيضاء، 1954، ج 3، ص. 9 ـ 10.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986 ; A. Khanebouli, *Les premiers sultans mérinides (1269-1311). Histoire politique et sociale*, Paris, 1987.


رشيد السلامي

**أبو سعيد الثاني، عثمان** بن أحمد بن أبي سالم، درج البعض على اختصار اسمه هكذا : أبو سعيد الثاني لأنه الثاني من ملوك بني مرين الذين حملوا هذا اللقب بعد فتح مراكش سنة 668 / 1269، أو أبو سعيد الثالث وأبو سعيد الأصغر وذلك لأنه ثالث وآخر من تلقب بهذا اللقب من ملوكهم منذ ظهور أمر بني مرين بالمغرب الأقصى سنة 610 / 1211. بويع أبو سعيد بعد وفاة أخيه السلطان أبي عامر عبد الله يوم الثلاثاء 30 جمادى الثانية من عام 800 / 18 مارس 1398 ولم يتجاوز سنه السادسة عشرة، وبقي في الحكم إلى حين اغتياله هو وأسرته وبعض رجالاته من طرف وزيره عبد العزيز بن محمد اللبابي وذلك سنة 823 / 1420. اعتبرت فترة حكم هذا السلطان الأسوأ في تاريخ الدولة المرينية، فقد ابتلي منذ بيعته بخروج المتمردين والثائرين عليه طمعا في الحكم، وكان عليه أن يواجه أخطر ثورة هددت أركان دولته بزعامة أحد أقربائه الملقب بالسعيد أي الأمير محمد بن عبد العزيز بن أبي سالم. كان السعيد هذا في بداية أمره معتقلا عند صاحب غرناطة يوسف الثالث (810 / 1408 ـ 820 / 1417) الذي كان يعتبر صاحب فاس وراء الأزمة السياسية التي عرفتها مملكة غرناطة حينذاك خاصة بعد قيام ثورة أهل جبل طارق على بني الأحمر وإعلان رغبتهم في الانضمام إلى السلطان المغربي والدخول في طاعته. فلم يكن أمام يوسف الثالث إلا الانتقام من السلطان المغربي وإذكاء نار الفتنة في بلاده كعادة أسلافه مع أغلب ملوك فاس. في هذا الاتجاه، فسرّح صاحب غرناطة الأمير المريني المعتقل لديه وأرسله سنة 813 / 1410 في أسطول على رأس جيش كبير لمحاربة ملك فاس. وعند جوازه إلى بلاد الريف نظم حملة واسعة على العاصمة المرينية وحاصرها مدة طويلة بفضل مساعدة الأعراب، ثم احتل مدينة تازة وعاث في أرض المغرب فساداً وخرب القرى والمداشر والمدن والقصور الشيء الذي كان له وقع خطير على استقرار المغرب الأقصى وساهم في انهيار دولة بني مرين. إلا أن محاولة السعيد في الانقضاض على السلطة باءت بالفشل وانهزم جيشه بضواحي فاس سنة 816 / 1413 ثم فر إلى غرناطة أو إلى تونس حسب رواية ابن حجر، مع جملة من أتباعه. وفي السنة الموالية أي 817 / 1414 قام ثائر آخر هو يعقوب بن عبد الله الجاناتي الفاسي بعد أن حزفي نفسه ما رآه من فساد وخراب بفاس بسبب الفتنة التي تأججت نارها بين السعيد وأبي سعيد، فدعا إلى إزالة أسباب الفتنة وأخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فازدادت دعوته قبولا وانتشاراً، وتضاعف أتباعه خارج مجال فاس، فاستمر الأمر على تلك الوتيرة حتى بعد مقتل السلطان المريني.

ينفرد ابن فركون بالإشارة إلى ثورة أخرى ضد السلطان أبي سعيد تزعمها أحد إخوته وهو أبو علي الذي كان مستبداً بحكم مراكش. ومنها قام بحركة عسكرية لمحاربة أخيه سنة 819 / 1416، ولم يكن صاحب غرناطة بعيداً عن هذه الثورة بل قدم للثائر دعما كبيراً وأغراه بالملك، لكن محاولته فشلت بفشل ثورة أبي علي ومقتله بظاهر فاس. إن أخطر مشكلة واجهت السلطان أبا سعيد وكانت لها أبعاد وخيمة على السيادة المغربية فيما بعد هي بداية تعرض السواحل المغربية للتهديدات الأجنبية والتي دشنت باحتلال البرتغال لمدينة سبتة سنة 818 / 1415 في الوقت الذي كان فيه أبو سعيد غارقا في صراعاته وحروبه الداخلية، منشغلا بولائمه ولهوه. ولم يخف بعض المؤرخين المعاصرين اتهامهم الصريح لأبي سعيد بالاهمال والتردد في الدفاع عن المدينة والتفريط في

واجب الجهاد بالرغم من محاولته استرجاعها سنة 822 / 1419. وإذا كنا نجهل حقائق كثيرة بالنسبة لهذا الموضوع فإن الأمل في معرفة هذه الحقائق مازال قائما حتى يتم العثور على المصادر المعاصرة لذلك الحدث وخاصة انتاجات مؤرخ السلطان أبي سعيد ومدون أخبار دولته وسيرته الكاتب أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد التاورتي. لم يكن احتلال سبتة حدثا وحيداً في عهد أبي سعيد بل سبقه هجوم الاسطول القشتالي على مدينة تطاوين سنة 803 / 1399 ـ 1400 وتخريب دورها وتهجير ساكنتها.

كانت حدة المشاكل الداخلية تفرض على السلطان المريني نهج سياسة سلمية في علاقاته الخارجية والتخفيف من وتيرة التوتر خاصة مع جيرانه الحفصيين وكذلك بني الأحمر والذين يظهر أنهما كانا يشكلان تحالفا مناوئاً لأبي سعيد وكانا وراء إشعال الفتن بالمغرب المريني بل والتدخل مباشرة في شؤونه، ومن ذلك مثلا قيام السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز (796 / 1394 ـ 837 / 1434) بحملة عسكرية سنة 812/ 1409 تمكن خلالها من التوغل إلى داخل المغرب الأقصى ولم يتوقف إلا عند مشارف مدينة فاس عندما عبر السلطان المريني عن رغبته في عقد السلم والصلح مع السلطان الحفصي الذي اضطر بعدها للعودة إلى إفريقية. ومنذ فشل أبي سعيد سنة 804 / 1401 في محاولة السيطرة على تلمسان تمكن أخيراً من فرض مرشح له وهو أبو مالك عبد الواحد سنة 814 / 1411 بالمغرب الأوسط وأن يهدئ الأحوال مرحليا في الجبهة الشرقية. أما العلاقات بين المغرب المريني ومصر المملوكية فكانت طيبة في هذه الفترة كما تؤكد الرسائل المتبادلة بين أبي سعيد والسلطان المملوكي فرج بن برقوق (801 / 1398 - 815 / 1412) والتي تتناول مجموعة من القضايا التي تهم البلدين وخاصة الأخبار والتطورات المتعلقة بحملة تيمور لنك في بلاد الشام ورغبة السلطان أبي سعيد في تقديم العون اللازم لمواجهة هذا الخطر المغولي على بلاد الشام ومصر.

أما فيما يتعلق بالجانب الأوربي من العلاقات المغربية الخارجية فإن بعض المصادر والوثائق خاصة الفرنسية والأراغونية تذهب إلى إعطاء البعد السلمي موقعا متميزاً في العلاقات مع المغرب الأقصى وهذه الوثائق تحكي عن تردد السفارات والبعثات الدبلوماسية بين الطرفين وتؤكد أن مدينة فاس شهدت سنة 804 / 1402 وصول وفود من الفرنسيين والقشتاليين بهدف التفاوض مع السلطان أبي سعيد حول إطلاق سراح 258 أسيراً فكانت استجابة السلطان أسرع في تحقيق مطالب تلك الوفود. وفي سنة 813 / 1410 استطاع السلطان المريني التدخل لإنقاذ حياة أحد الفرنسيين المرتزقة بالمغرب من الأسر والإعدام. وبالنسبة لمملكة أراغون، سجلت وثائق أرشيفها أخبارا تتعلق بإرسال أبي سعيد لسفارة مغربية إلى ملك أراغون فيرناندو الأول Fernando I ورسائل وسفارات من قبل هذا الأخير إلى السلطان المريني وكذلك إلى وزيره عبد العزيز بن محمد اللبابي، وهي تهم الفترة ما بين 816 / 1413 و818 / 1415، تحث جميعها على عقد السلم بين البلدين والسماح لتجار أراغون بحرية التنقل في الموانئ المغربية والعناية بالجنود المسيحيين العاملين في الجيش المريني والإفراج عن الأسرى من رعايا الملكين.

إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين في دولة بني مرين*، الرباط، 1962، ص. 40 ـ 43 ؛ ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا*، ضمن كتاب *العبر*، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 1219 ـ 1222 ؛ *ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث*، تح. ع. الله گنون، تطوان، 1958، ص. 50 ـ 52 ـ 62 ـ 67 ـ 134 ـ 136 ـ 147 ـ 148 ـ 179 ـ 180 ـ 184 ـ 186 ؛ ديوان ابن فركون، تقديم وتعليق م. بن شريفة، الدار البيضاء، 1987، مقدمة *المحقق*، ص. 69 ـ 94 ؛ *نص الديوان*، ص. 161 ـ 174 ـ 198 ـ 201 ـ 207 ـ 216 ـ 331 ـ 334 ـ 370 ـ 379 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، القاهرة، د. ت. ج. 7، 407 ـ 411، ج. 8، 103 ـ 106 ؛ الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، تخ. م. ماضور، تونس، ط. 2، 1966، ص. 123 ـ 126؛ المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تح. م. ع. القادر عطا، بيروت، 1997، ج. 6، ص. 368 ـ 369 ـ 400، ج. 7، ص. 22 ـ 23؛ ابن حجر العسقلاني، *إنباء الغمر*، بيروت، 1986، ج. 3، ص. 395 ـ 404 ؛ ج. 4، ص. 258 ـ 259 ؛ ج.6، ص. 236 ـ 237؛ ج. 7، ص. 28 ـ 28 ـ 427 ـ 485 ؛ ابن الشماع، *الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية*، تح. الطاهر المعموري، ليبيا ـ تونس، 1984، ص. 113 ـ 116 ؛ السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، بيروت، د. ت. ج. 2، ص. 47 ؛ ج. 4، ص. 233 ـ 234 ؛ ج. 8، ص. 62؛ ج. 10، 283 ؛ ابن غازي، *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون*، الرباط، 1952، ص. 15 ـ 16 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، 1983، ج. 1، ص. 209 ـ 210 ـ 283 ـ 284 ـ 318 ؛ الجنابي، *البحر الزخار والعيلم التيار*، ضمن كتاب Fagnan (E), Extraits inédits relatifs au Maghreb, Alger, 1924, pp. 297-300 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس*، الرباط، 1974، ص. 87، 457 ـ 474 ـ 475، 539 ؛ ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، بيروت، د. ت. ج. 7، ص. 124 ؛ الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1954، ج. 4، ص. 86 ـ 95 ؛ ماريانو أيباس بالاو، بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة، مجلة تطوان، العدد 8، السنة 1963، ص. 197 ـ 198 ؛ المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1979، ص. 186 ـ 188 ؛ م. حجي، (محقق)، *ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب*، الرباط، 1976، ص. 139 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، المحمدية، 1988، ج. 7، ص. 115، 150 ـ 151، 159 ـ 160، 162، 193 ؛ ع. الله العروي، مجمل *تاريخ المغرب*، بيروت، 1999، ج. 3، ص. 14، 17 ـ 22 ؛ ر. السلامي، *وثائق مرينية*، دراسة وتحقيق، رسالة جامعية مرقونة، نوقشت بكلية الآداب، الرباط، 1989، ص. 393 ـ 398.

Mas-Latrie, *Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale du moyen âge*, Paris, 1866, (introduction historique, pp. 260 - 262) ; A. Cour, *Les derniers mérinides*, *B.S.G.A.*, Alger, 1905 ; Ibid, *La dynastie marocaine des Beni Outtas*, Constantine, 1920 ; M. Canard, *Les relations entre les mérinides et les mamelouks au XIVe siècle*, *A.I.E.O.*, Alger, T. V, 1939 - 1941 ; M. Arribas Palau, *Las treguas entre Castilla y Granada firmadas por Fernando I de Aragón*, Tetuán, 1956 ; Ibid, *Intercambio de embajadas entre Abu Saïd Utman III de Marruecos y Fernando I de Aragón*, Tetuán, 1956 ; Ibid, *Cartas de recomendación cursadas Al Sultán Abu Saïd Utman III de Marruecos por el rey de Aragón*.

*Fernando I, El de Antequera, H.T.*, vol. 1. fasc. 3. 1960 ; G. Chovin, *Aperçu sur les relations de la France avec le Maroc des origines à la fin du moyen âge*. *Hesp.*, T. XLIV, 3 - 4e trim., 1957 ; R. Arié, *L'Espagne musulmane au temps des nasrides*, Paris, 1973 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986.

رشيد السلامي

أبو **سعيد الثالث** ← **عثمان** بن **أبي يوسف يعقوب**

**سعيد** بن **اليزيد** العلوي (الأمير). على إثر هزيمة زيان (1819) ومبايعة أهل فاس إبراهيم بن اليزيد في شهر نونبر 1820 انقسم شمال المغرب بين من بايعوا السلطان الجديد ومن تشبثوا ببيعة عمه المولى سليمان. وبمجرد مبايعة إبراهيم بفاس توجه الثوار الملتفون حول هذا الأمير إلى مدينة تطوان التي انضمت إلى الحركة المناوئة للسلطان سليمان. لكن إبراهيم توفي بعد حوالي أربعة أشهر من مبايعته، وكان وقتئذ بتطوان، فسارع أهل المدينة وحلفاؤهم من أهل فاس وبعض القبائل وأقطاب بعض الزوايا إلى مبايعة أخيه سعيد، وذلك يوم 17 مارس 1821.

وبينما كان سعيد وشيعته متحصنين بمدينة تطوان استنفر المولى سليمان قبائل الحوز وجيش العبيد والودايا وتوجه شمالا لتضييق الخناق على المتمردين. وقبل أن يضرب الحصار حول تطوان خرج سعيد بن اليزيد وأنصاره وقصدوا مدينة فاس. وقبل أن يصلوا إليها فاجأهم جيش الأوداية فقتل منهم العدد الكثير واستولى على أموال طائلة كان الثوار قد نهبوها من يهود تطوان. لكن سعيد بن اليزيد تمكن من دخول فاس فأغلق عليه أبواب المدينة، وبدأ التراشق بالمدافع بين فاس الجديد الموالية لسليمان وفاس الإدريسية حيث تحصن الثوار واستمرت الحرب ما يقرب من عشرة أشهر سئم على إثرها أهل فاس ويلات الحرب وقلة المدد وانقطاع الاتصال مع الخارج فقرروا الاستسلام وفتحوا أبواب المدينة في شهر أبريل 1822 وتوجهوا إلى المولى سليمان طالبين عفوه، فعفا عنهم وكان في مقدمة من استفاد من هذا العفو سعيد بن اليزيد والعربي الوزاني شيخ الزاوية الوزانية ومحمد بن الغازي الزموري.

م. داود، *تاريخ تطوان*، المجلد 3، 1962 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، الجزء 8.

محمد المنصور

**سعيدو** (المعلم -)، الطنجي، موسيقي من بين تلامذة "الآلة" الأندلسية بدار الجامعي بفاس على عهد السلطان الحسن الأول، وبمعيته محمد بن عبد السلام البريهي، ومحمد منصور، وأحمد الشرقاوي، والطالب عمور، وإدريس بن جلون، وعبد السلام البوسدراوي، ومحمد البلغيثي المعروف بالشقيرني، وعبد الكريم القيوتي.

وقد أصبح من كبار شيوخ الطرب الأندلسي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) وبداية الذي يليه. اشتهر ببراعته في عزف آلة الكمان "زايد نقط"، وإليه ينسب إدخال هذه الآلة عام 1915 إلى حظيرة الجوق الأندلسي.

أخذ عنه عمر الجعايدي، والحاج عبد السلام بنيوسف، وأحمد بن المحجوب زنيبر. وقد شكل هؤلاء الثلاثة امتدادا لأسلوبه في عزف الكمان وتعزيز دوره في الأجواق الأندلسية بمدن المغرب.

صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، ص. 112 ؛ حاتم الوكيلي، *الموسيقى الأندلسية من خلال مسيرة الفنان مولاي أحمد الوكيلي*، ص. 87 - 88.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**السعيدي**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد أقرب القبائل الجبلية إلى تطوان شرقا على شاطئ البحر المتوسط. وأسلافهم من بني سعيد الذين كانوا بإشبيلية في الأندلس. ولعل منهم سيدي السعيدي صالح تطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

محمد بوخبزة

**السعيدي، أحمد** بن عبد السلام بن محمد بن عبد الواحد باشا مكناس الشهير بـ"الباشا القيلو"، أصله من أولاد سعيد بالريف. ولد بمدينة طنجة سنة 1293 / 1875. ولا يعرف شيء عن مراحل نشأته وتعلمه.

صاهر أحمد السعيدي قدور بن غبريط الذي كان يعمل مترجما بالمفوضية الفرنسية بمدينة طنجة، ففتحت له تلك المصاهرة الأبواب لتولي عدة وظائف مخزنية. وهكذا شارك أحمد السعيدي صحبة صهره في الفترة ما بين 1902 / 1903 في مختلف اللجن التي كلفت برسم الحدود بين المغرب والجزائر. ثم أسندت إليه وظيفة العلاف التي كانت أولى خطواته في الوظائف المخزنية وهي بالتتابع :

- عامل على مدينة فگيگ (1907 - 1911).
- باشا لمدينة الصويرة (1911 - 1915).
- وظيفة بالبنيقة الكبرى بالرباط (1915).
- أمين للديوانة بالإدارة الشريفية المركزية بالرباط (1915 - 1918).
- باشا لمدينة آسفي (1918 - 1919).
- باشا لمدينة مكناس (1920 - 1939).

لعب أحمد السعيدي دوراً هاماً في أحداث بوفكران التي عرفتها مدينة مكناس سنة 1937، وقد تناقضت مواقفه بين التأييد لمطالب المكناسيين في بداية الأحداث والمعارضة لهاته المطالب بعد الأحداث.

وفي بداية سنة 1940 أرغمه جيرانطو Jiranto المندوب المخزني بمكناس على تقديم استقالته من منصب الباشوية، وانعزل السعيدي بعد ذلك، وضاقت حاله فاضطر إلى بيع أملاكه ليتعيش منها، وظل كذلك إلى أن وافته المنية في 19

صفر 1373 / 22 أكتوبر 1953 ودفن بمكناس بزاوية سيدي الحريشي.

*أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية* بنانط، Carton N° 158, inv. 4 ؛ بوشتى بوعسرية، *أحداث بوفكران*، ص. 197 - 198 ؛ *مكناس المدينة الجديدة*، ص. 260 و266.

رقية بلمقدم

**السعيدي، عبد المالك** بن علي الطنجي. يتوزع السعيديون على عدد من الفرق والشعب في جلّ جهات المغرب. ومنهم من يدّعي النسب الشريف، ومنهم من يصرّح بالانتساب إلى أصل عربي. على أن الفرع الذي نجد له ذكراً في مصادرنا، هو الذي ينتسب إلى مدينة طنجة، إذ كان منه الأمناء، والقواد على الخصوص، استخدموا في هذه المدينة ومدن أخرى، كمكناس ووجدة مثلاً.

والغالب على الظن أن المترجم من هذا البيت. فقبل تعيينه عاملاً على مدينة وجدة والقبائل التي كانت تابعة لها كبني إزناسن، وأنكاد، وتريفة، والزكارة، والمهاية، والشجع، وبني بوزگو، وبني يعلا، في يوليوز 1881، شغل منصب خليفة باشا مدينة طنجة، ثم بعده استقلّ بباشوية مدينة أصيلا.

وبالرغم من أننا لا ندري متى ولا أين ولد، ولا ظروف نشأته وتربيته، وحظّه من التعليم، ولا حيثيات وسطه الاجتماعي، فإن ما نقتطفه من معلومات في شأنه، هنا وهناك، يسمح، مع ذلك، بتكوين فكرة عن الرجل والتعريف ببعض المراحل من حياته العملية، بعد انخراطه في الجهاز المخزني، في حدود السبعينيات من القرن التاسع عشر. والسلطان المولى الحسن (1209 - 1311 / 1873 - 1894)، ينوّه به ويثني عليه، في رسالة اعتماده سفيراً له لدى رئيس الجمهورية الفرنسية وقتئذ، جول كَريفي (Jules Grévy)، في مطلع سنة 1885، حيث قال عنه ما يلي :

"... وقد انتقينا الخديم المذكور من أولي الصدق، والجدة (هكذا)، والنصيحة، والنجدة، وأذكى أقرانه، وأمثل زمانه...". ويدلّ هذا الكلام على مكانة صاحبنا عند العاهل المغربي من جهة، واطلاعه الواسع ومعرفته الدقيقة بمشاكل إيالته، وبالنصوص المتعلقة منها بالحدود والتي كانت في مقدمة القضايا التي أسندت إليه مهمة التفاوض في شأنها مع الجانب الفرنسي.

وبالفعل، فإن الرجل قد حالفه النجاح حتى الآن، في التخفيف من حدة التوتر "اللّفوفية" التي كانت تعصف بالمنطقة، بين الفينة والأخرى، في دوّامة من الحروب والافتتان، غالبا ما كان يتسبب في إضرام نيرانها فرقاء خمسة رئيسيون وأتباعهم وهم بنو إزناسن، وبنو بوزگو، والمهاية، والشجع، وأهل أنكاد للاستفادة أكثر من غيرهم من مياه العيون وأنواع مصادرها الأخرى، أو امتلاك الأرض واستغلال المراعي، أو الأخذ بالثأر من ظُلم أو حيف، أو إهانة لحقت بالأسرة أو العشيرة من قبل الخصم.

طبعا، إن ما كان يهم المخزن من هذا كله، في المقام الأول، هو استقرار الأوضاع، واستتباب الأمن في ربوع المنطقة، وتأمين السبل والمسالك، ونشر وترسيخ النفوذ المخزني، والحفاظ على حسن الجوار مع السلطات الفرنسية بالجزائر.

على أنه، في بداية سنة 1886، تأزمت العلاقات بين القائد السعيدي وقبيلة المهاية، إذ اتهمته بالانحياز إلى خصومها من قبائل بني إزناسن، والتحالف معها للوصول إلى أغراضه، متسبّبا بذلك في ايقاد عادة اللفوفية. فثارت ثائرة قائدها بوبكر المهياوي الذي استنفر أتباعه، وتقدم على رأسهم قاصداً مدينة وجدة. وما كادت الطلائع الأولى للمنتفضين تقترب من المدينة، وتبين للعامل أن لا قدرة له على مواجهتهم، حتى بادر إلى الفرار، حيث التجأ ومن معه إلى القصبة السعيدة بعجرود.

ويبدو أن المترجم تسرّع في تنفيذ خطّته، وتسرّبت معلومات وتفاصيل عنها قبل الأوان، الأمر الذي عرّضه لانتقاد عدد من أعوان المخزن المحليين، ومن بينهم أمين المستفاد بوجدة وقتئذ أحمد الركينة الذي أخبر السلطان بواقع الأمر.

وأمام استفحال الأزمة، واستعصاء أمر حلها، قرر الخليفة السلطاني بفاس الأمير مولاي إسماعيل، صنو السلطان المولى الحسن، إيفاد مبعوثين رفيعي المستوى إلى المنطقة، ويتعلق الأمر بالشريف العربي بن العباس بن عبد الرحمن بن هشام، والقائد الطيب ولد أبّ محمد الشرگي. وقد التحق بهما، فيما بعد، الفقيه الكاتب مصطفى الحاشمي، محملا هو أيضاً بمجموعة من رسائل السلطان إلى قواد ومرابطي قبائل عمالة وجدة.

وأثناء الاجتماع الذي عقدوه مع القواد النّاقمين على سلوك عاملهم، تسلم كل واحد منهم خطاب السلطان الموجه له. وبعد أن اطلعوا على مضمونه، وبدا واضحاً أن المخزن واقف إلى جانب خصمهم، إذ نصّ في الرسالة على ضرورة "شد عضده"، غادروا المكان فجأة، معلنين عزمهم على تجهيز حركة كبرى، والزحف بها إلى قصبة عجرود لإخراج العامل من معقله.

أمام فشل مجهودات البعثة الأولى، ارتأى المخزن إيفاد مبعوثين آخرين، فعيّن تسعة من كبار قواد قبائل الريف، وگلعية، وكبدانة، وأمرهم بالانتقال إلى وجدة، بعد أن عهد برئاسة الوفد إلى القائد مبارك الدوبلالي الذي كان ينسق سياسة المخزن في هذه المناطق، ويسهر على تنفيذ أوامره، فضلاً عن اضطلاعه بدور الوسيط بينه وبين سلطات الاحتلال بمدينة مليلية السليبة. بيد أن هذه المحاولة باءت بالفشل هي الأخرى، وعاد الدوبلالي ورفقاؤه بخفي حنين، أمام تشبث المهاية بمطلبهم المتمثل في عزل القائد السعيدي عن منصبه، وهو الأمر الذي ظل المخزن يرفضه، إذ فيه مس واضح بهيبته وتنصل سافر من عمل عونه.

وفي هذه الأثناء حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ قُتل

قائد المهاية بوبكر المهياوي في معركة دارت رحاها على مشارف المدينة، فانتهزها المخزن فرصة مواتية لإشاعة خبر تجهيزه حركة كبرى بمدينة فاس، يعهد لها بتأديب المتمردين وقمعهم. وبالفعل، نجحت الخطة، وانطلت عليهم حيلة المخزن، إذ أخذ الخوف يدبّ في نفوسهم، والشقاق ينتشر في صفوفهم، وارتدعوا لهذا الخبر، ووضعوا حداً لتمردهم. وفي المقابل، وسعيا إلى طي صفحة الخلاف والنزاع هذه، اتخذ المخزن قراراً ذكياً وجريئاً في نفس الآن، وذلك بتعيين ابن القائد الهالك، ويُدعى السهلي بن بوبكر المهياوي، قائداً على إخوانه المهاية، والانفراد بشؤونهم دون حاجة إلى وساطة عامل وجدة.

وهكذا انتهت هذه المواجهة بانتصار المترجم، وهو الأمر الذي يدل على المكانة والحظوة اللتين كان يتمتع بهما في الدوائر المخزنية العليا. وهذا ما تأكدت دلالاته فيما بعد، إذ نجده أواخر سنة 1889 على رأس محلة كبرى، بصفته قائداً عسكريا لها، كلفت بالتوجه إلى بلاد قبائل هوارة الأحلاف (ناحية گرسيف)، والتسول، والبرانيص، ومكناسة ...، لاستيفاء ما تخلدَ بذمة قوادها من واجبات وفروض لفائدة المخزن.

واضح أن مهمة من هذا الحجم، وفي منطقة كالتي حلّ بها المترجم ومن كان بمعيته من الجند وحراك القبائل، وأعوان المخزن، حيث ظلوا يتنقلون في أرجائها مدة تقرب من خمسة شهور، ما بين 26 نونبر 1889 و27 أبريل 1890، دون كلل ولا ملل، لخير دليل على المكانة الرفيعة التي كانت للمترجم عند السلطان المولى الحسن وأعوانه الكبار، كإدريس بن يعيش مثلا، قائد المشور وقتئذ، والذي كان يُخاطبه في مطلع رسائله إليه ب "حبّنا ..."

ومن ذلك أيضاً تعيينه قائداً للمشور في مخزن الخليفة السلطاني بمراكش، الأمير مولاي مَحمد بن الحسن، أواسط شهر مارس سنة 1894. وظل يشغل هذا المنصب إلى أن نودي عليه، أواخر شهر يونيو من السنة الموالية، لتوليّ عمالة مدينة القصر، في منطقة الهبط، و"أمر عامّة الزاوية"، أي أهل وزان غير الأشراف، ومن كان يسبح في فلكهم، ويخوض في مياههم من الأتباع والمتعلقين بهم، علما بأن عامل العرائش هو الذي كان يختصّ حتى الآن، بالإشراف على شؤون "عامة" وزان وعدد من قبائل جوارها، وهو أمر له دلالته بالنسبة لما ذهبنا إليه من القول من أن السعيدي كان بالفعل رجل الأوقات الحرجة والمهمات الصعبة. فهذه المرة أيضاً، صادف مجيئه إلى منطقة الهبط وجبالة "تحرك رياح الفتن بوزان ونواحيها، بسبب خوض بعض الشرفاء وذبحهم على بني مستارة وغزاوة ورهونة، استنهاضاً لإعانتهم على فاسد قصدهم ...".

ويبدو أن مساعيه كللت بالنجاح، سيما بعد أن عزز جانبه بالقائدين الخلخالي والسريفي اللذين أُمرا بالالتحاق به، على رأس حراك إخوانهما، فعاد الهدوء إلى المدينة وناحيتها.

ومهما يكن من أمر، فإن المصادر لم تعُد تتحدث عن الرجل بعد هذا التاريخ، إذ كل ما استطعنا الظفر به من معلومات في شأنه، يتلخص في مضمون وثيقة مخزنية بتاريخ 25 ذي الحجة 1318 / 15 أبريل 1901، ويتعلق الأمر برسالة نقيب الشرفاء العلويين بمدينة تازة، عزوز بن حفيد الإمراني إلى الوزير الصدر المختار بن عبد الله بن أحمد، ينعي له فيها وفاة "الفقيه السيد عبد المالك السعيدي ..."، الأمر الذي يُحتمل معه أن قد يكونِ أنهى خدمته في الجهاز المخزني عاملا على مدينة تازة.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي، 1873 ـ 1907*، د. د. ع، ك. أ. ر، جزآن، 1987 ؛ *وثائق خ، ح، كنانيش*، أرقام 162، ص. 12 ومابعدها ؛ 348، ص. 283 ـ 423، ص. 3 ـ 4، *محفظات*، عهد مولاي الحسن، رقم، 78 ـ 105 ـ 167 ـ 236 ـ 238 ـ 242 ـ 244 ـ 245 ـ 248 ـ 249 ـ 250 ـ 251 ـ 252 ـ 254 ـ 256 ـ 258 ـ 260 ـ 261 ـ 267 ـ 268 ـ 269 ـ 403 ؛ عهد مولاي عبد العزيز، محفظات، رقم، 401 / 1 ؛ 404 / 6 ؛ 427 / 3 ؛ 423 / 5 ؛ وثائق وزارة الحرب بفانسين.

A.G.V., 3h3, Rapp. en date du 12 août 1881 ; A.G.V., 3h3, Rapp. du Cap. Thomas n° 100, du mois de février 1893 ; Gouvion, *Kitab Aayane al-Marhrib l-Akça*, Paris, 1939.

**السعيدي، العربي** بن علي، يعود أصل أسرته إلى قبيلة بني سعيد الريفية، تقلد العديد من أفرادها مناصب هامة داخل المخزن المغربي من القرن التاسع عشر، خاصة منها منصب عامل مدينة طنجة (طنجة بين سنتي 1900 ـ 1912، 1 : 366). وقد تولاه المترجم خلال مرحلتين، الأولى في عهد السلطان المولى سليمان، والثانية في عهد خلفه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام.

بالنسبة للمرحلة الأولى ابتدأت بعد خلع المولى سليمان لعبد السلام بن عبد الصادق الذي كان قد ولاه عاملا على طنجة في بداية 1817 مكان المهدي السعدي، وحتى 1818 كان لا يزال يشغل هذا المنصب (Tanger et sa zone, 101). وقد تزامنت تولية المترجم على طنجة بانتشار وباء الطاعون بها وكذلك بعموم المغرب فيما بين 1818 و1820، مما ساهم في تردي الأوضاع السياسية والأمنية بالبلاد، خاصة بعد هزيمة السلطان المولى سليمان أمام البربر في وقعة ظيان في ماي 1819 وتمرد جيش العبيد والأوداية وإقدامهم على خلعه ومبايعة ابن أخيه المولى إبراهيم بن اليزيد (*تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب*، 104 ـ 141). وفي هذا الإطار برز المترجم كأحد أشياع المولى سيمان المخلصين الذين وقفوا إلى جانبه في القضاء على المتمردين، إذ يذكر أكنسوس أن إبراهيم بن اليزيد عندما بويع بفاس في 24 محرم 1236 / 1 نوفمبر 1820 اشترط عليه أهلها إخراج الأوداية من المدينة، ولما فشل في ذلك توجه به البربر إلى المدن الساحلية "وكتبوا لأهل العرائش فأجابهم بالمنع والرد وكذلك أهل طنجة إلا قاضيها السيد أحمد الفلوس أجابهم بالقبول سرا واستدعاهم

وهون عليهم دخولها إذا قدموا إليها فلما تحقق عاملها العربي السعيدي وأعيانها فعل القاضي أخرجوه وطردوه وولوا موضعه السيد خالد فلم يقبلهم إلا أهل تطوان فذهبوا إليها وأخذوا ما في خزائن السلطان من مال المرسى والسلاح والملف والكتان..." (*الجيش*، 1 : 217 ـ 218).

ولما بايع أهل تطوان السعيد بن اليزيد مكان أخيه إبراهيم بعد وفاته لم ينضم إليهم المترجم وظل موالياً للسلطان المولى سليمان، وكان الذي انضم إلى هذه البيعة كما جاء في نصها "من ثغر طنجة، قاضيها السيد محمد ابن الحاج بوعزة أحرار والفقيه سيدي ابن أحمد الفلوس وقائدها الشاب السيد محمد بن عبد المالك والقائد محمد بن عمر الشرقي والقائد محمد بن عبد السلام وجم غفير" (*تاريخ تطوان*، 3 : 262). وبالرغم من موقف هؤلاء، فقد ظل المترجم متحصناً بالمدينة ولم يبرحها، ومنها كان يخبره سلطانه المولى سليمان بماجريات الأمور. فعندما علم أشياع السعيد بقرب وصول السلطان إلى تطوان قادما إليها من مراكش خرجوا به نحو فاس فأخبر المترجم المولى سليمان بذلك، فرجع هذا الأخير "يؤم فاساً ويسابق السعيد إليها فوافياها في يوم واحد" (*الاستقصا*، 8 : 153).

وقد استمر العربي السعيدي عاملا على طنجة إلى حين وفاة المولى سليمان وتولي المولى عبد الرحمان بن هشام مكانه فقام بعزله وتولية محمد أميمون الگرواني مكانه (*الجيش*، 2 : 16) ودام ذلك حتى سنة 1243 / 1827 ـ 1828 حيث عزله المولى عبد الرحمان (*الإتحاف*، 7 : 228)، وولى مكانه المترجم وهي التولية الثانية. وقد ورد خبر هذه التولية في رسالة بعثها المولى سليمان في 29 جمادي الأولى 1244 / 7 دجنبر 1828 إلى قائد تطوان محمد بن عبد الرحمان أشعاش يأمره فيها بأن يرسل من تطوان إلى طنجة حيث يوجد القائد العربي السعيدي ثلاثمائة مكحلة (*تاريخ تطوان*، 8 : 173 ـ 174)، وهكذا استمر عاملا على طنجة إلى أن ولّى عليها المولى عبد الرحمان باشا العرائش الكاتب الطالب عبد السلام السلاوي وذلك في 18 ربيع الأول 1253 / 22 يونيه 1837 (محفظة التعيينات والإعفاءات في عهد المولى عبد الرحمان، خ.ح. الرباط)، وطلب منه إبعاد المترجم عن المدينة لكي لا يجد سبيلا إلى الوسوسة والإفساد، وذلك في رسالة منه إليه بتاريخ 21 جمادى الأولى 1253 / 23 غشت 1837، مما جاء فيها بعد المقدمة (محفظة الأمن الداخلي والخارجي في عهد المولى عبد الرحمان، خ. ح. الرباط) :

"وبعد فاعلم أن خديمنا العربي السعيدي قد كبر في الخدمة وطعن في السن ولم نرد أن نجمع عليه مرارة العزل والذعيرة في آن واحد حتى تطمئن نفسه [...] وقد بلغنا أنه هو الذي كان يدخل بين ولد ميمون وقنصوات الأجناس أيام ولايته هناك بالوسوسة حتى أفسد عليه العمل معهم..."

ولم يقف الأمر عند إبعاده عن طنجة بعد عزله، بل تم في وقت لاحق سجنه هو وأولاده من أجل استخلاص الذعيرة التي فرضها عليه المخزن كما يبدو ذلك من الأمر السلطاني الصادر لعبد السلام السلاوي في 10 جمادى الثانية 1254 / 21 غشت 1838 بإطلاق سراحه، مما جاء فيه بعد المقدمة (محفظة الأمن الداخلي والخارجي في عهد المولى عبد الرحمان، خ. ح. الرباط) :

"وبعد فإن العربي السعيدي طال سجنه وأولاده بلا طائل فبوصول كتابنا هذا إليك سرحهم جميعاً للسعي على أهليهم..."

ويبدو أن عبد الرحمان لم يكن راضياً على طريقة أداء المترجم لعمله في كثير من القضايا، من ذلك النزاع بين أهل أنجرة ونصارى سبتة بشأن الحد بينهما، كما يتضح ذلك من رسالة منه إلى عبد السلام السلاوي بتاريخ 13 جمادى الأولى 1253 / 15 غشت 1837 بشأن الكتاب الذي أجاب به القنصل الإسباني مما جاء فيه (*تاريخ تطوان*، 8 : 302 ـ 303) :

"إن الحد الذي جعل أهل أنجرة العسة فيه هو الأصل الذي وقع عليه العقد بين سيدي الكبير قدسه الله وجنسكم ونحن إنما جددنا عليه وأقررناه، والحد الذي أحدث خديمنا أميمون إنما هو رجل بدوي لا يعرف مثل هذه، ولا يقتدى به في ذلك وتبعه السعيدي على ذلك ..."

هذا وسوف يستعيد أحد أفراد أسرة المترجم وهو حمان السعيدي حكم مدينة طنجة وذلك حوالي 1860 (*Tanger et sa zone*, 105).

*وثائق خ. ح.* بالرباط، محفظة التعيينات والإعفاءات في عهد المولى عبد الرحمان ومحفظة الأمن الداخلي والخارجي في عهد المولى عبد الرحمان : م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، ط. فاس ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 5 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 8 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، مجلد 3 و8 ؛ م. أ. البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*، الدارالبيضاء، 1992 ؛ ج. أ. العمراني اشطيار، *طنجة بين سنتي 1900 ـ 1912*، د.د.ع. الرباط، 95 ـ 1996.

Ed. Michaux-Bellaire, *Tanger et sa zone*, in *villes et tribus du Maroc*, vol. 7, Paris, 1921

مصطفى الشابي

**السعيديّ، محمد** بن موحى والمكي، مقاوم ولد سنة 1933 بأيت بوجدور إقليم خنيفرة. انضم إلى صفوف إحدى فرق المقاومة والتحرير المنبثقة من الدار البيضاء والمتسربة إلى الأطلس المتوسط والصحراء في أوائل شهر غشت 1954 بعدما اتصل بالمگوني الإدريسي مولاي عمر ومحمد بن عمير.

وقد ابتدأ عمله الفدائي مع الفرقة كعضو نشيط ينفذ الأوامر، فقام بعدة أعمال كالإتلافات والحرائق ضد مصالح الاستعمار بخنيفرة، كما كان مهيئا للثورة المسلحة التي كان من المقرر القيام بها في الأشهر الأولى من سنة 1955 وبقي متفانيا في عمله إلى يوم 20 غشت 1955 حيث شارك في المظاهرة التي عرفتها خنيفرة وأبان عن نشاط كبير في

المعارك التي شهدتها المدينة في هذا اليوم وسقط شهيدا برصاص العدو أمام مركز الشرطة بخنيفرة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاق مقاوم رقم 525371.

**السعيدي، المهدي**، من قبيلة بني سعيد الريفية، تقلد العديد من أفرادها مناصب هامة داخل المخزن المغربي في القرن الثالث عشر (19م)، منها منصب عامل مدينة طنجة بين سنتي 1900 و 1912، اشتهر منهم في عهد المولى سليمان شخصان كلاهما ولي عمالة طنجة هما : المهدي السعيدي والعربي السعيدي.

نكاد لا نعرف شيئا عن المترجم قبل التحاقه بمخزن المولى سليمان سوى أنه كان فقيها، وكان أيضا من أعيان المدينة (*Tanger et sa zone*, 102). ولعل هذا ما أهله لولوج الإدارة المخزنية والتدرج في أسلاكها من خليفة لعامل طنجة الحاج عبد الرحمان أشعاش حوالي سنة 1805 إلى عامل طنجة بعد وفاة عاملها مَحمد السلاوي سنة 1815.

في هذا الإطار، يخبرنا السفير النمساوي الكونت دي بويي (Le Comte de Pouilly) الذي حل بطنجة في ماي 1805 في طريقه إلى مكناس حيث يوجد السلطان المولى سليمان، أن الذي استقبله هو المهدي السعيدي بمقر إقامته بالقصبة، وذلك بالنيابة عن باشا المدينة الحاج عبد الرحمان أشعاش الذي كان يتولى أيضا حكم مدينة تطوان وبها كانت إقامته الاعتيادية (J. Caille, 14). كما رافق السفير إلى مكناس في يونيه من نفس السنة لتقديم أوراق اعتماده إلى المولى سليمان، وبأمر من هذا الأخير انتقل الحاج عبد الرحمان أشعاش إلى طنجة للقيام بشؤونها أثناء غيبة المهدي السعيدي عنها (نفسه، 47). وكان المولى سليمان قد ولى الحاج عبد الرحمان أشعاش على تطوان في 1210 / 1796 (*تاريخ تطوان*، 3 : 233) وأضاف إليه في 1800 حكم طنجة وما والاها من المراسي الشمالية - *Tanger et sa zone*, 99) (100 واستمر في ذلك إلى أن عزله السلطان المولى سليمان عنها في 1808 وأسند أمرها إلى عامل العرائش مَحمد السلاوي الذي كان غالب استقراره بهذه الأخيرة، ومنها كان يقوم بالاتصال بالقناصل الأجانب الموجودين بطنجة (M. El-Mansour, T. 1, 80). وفي هذا المضمار لا نعرف ما إذا كان المهدي السعيدي قد حافظ على منصبه كخليفة لعامل طنجة أم أنه تولى مناصب أخرى في الفترة المحصورة بين صيف 1805 ووفاة مَحمد السلاوي السابق الذكر في 5 أكتوبر 1815 (*الضعيف*، 393). ويذكر الضعيف أن المولى سليمان بعث الحاج عبد الرحمان أشعاش، الذي سبق أن عزله، في محرم 1231 / دجنبر 1815 عاملا على طنجة وتطوان، ولما وصل إلى هذه الأخيرة كرهه أهلها وكتبوا للسلطان فعزله عنهم. ولعل هذا العزل شمل أيضا مدينة طنجة إذ أن الذي كان عاملا عليها هو القائد المهدي السعيدي كما يستفاد من رسالة من المولى سليمان إلى التاجر مَحمد بن عمر بجة (قنصل المغرب بجبل طارق فيما بعد) بتاريخ 25 ذي الحجة 1230 / 28 نوفمبر 1815 (*تاريخ تطوان*، 8 : 40). وكان يقوم، في الوقت نفسه، واسطة بين المخزن المغربي وبين القناصل الأجانب بطنجة، وهو ما توضحه رسالة من المدعو محمد بن أحمد - لعله عامل العرائش - إلى القنصل البريطاني بطنجة گرين (J. Green) في 29 جمادى الأولى 1231 / 27 أبريل 1816، مما جاء بعد المقدمة (M. El-Mansour, T. II, Doc. 70)

"أما بعد فاعلم أن مولانا أمير المومنين نصره الله أمرنا مشافهة بلسانه أن نبعث إلى جبل طارق ليأتي إلينا لثغر العرائش معلم ماهر في رمي المهراس والمدفاع [...] وأنت الباب الذي يدخل عليه في هذا فنريدك بمحبتك في جانب مولانا نصره الله ونظره لك الجميل أن تعتني بأمره الشريف وترسل إلى جبل طارق ليأتي المعلم عزما ولا بد وقد كتبنا للقائد المهدي السعيدي بهذا وهو واسطة بيننا وبينك..."

وحتى شهر نوفمبر 1816 كان المهدي السعيدي مايزال عاملا على طنجة ونائباً في نفس الوقت عن السلطان في مباشرة الشؤون الخارجية مع القناصل الأجانب بها، كما تبينه رسالة من الوزير الصدر أحمد بن مبارك إلى نائب القنصل الأنجليزي گرين (J. Green) بطنجة بتاريخ 1 محرم 1232 / 21 نوفمبر 1816 (المنصور، م. س، II، وثيقة 72). ولم يلبث السلطان أن عزل المهدي السعيدي عن طنجة بعد هذا التاريخ، وولّى مكانه عبد السلام بن عبدالصادق.

ويتضح أن القصد إلى مَحمد السلاوي والمهدي السعيدي، وهو ما يفند ما ذهب إليه ميشو بيلير (Ed. Michaux-Bellaire) من أن الذي خلف مَحمد السلاوي على طنجة هو عبد السلام بن عبد الصادق وليس المهدي السعيدي (*Tanger et sa zone*, ibid., 100)، كما أنه ليس هناك ما يؤكد قوله إن المترجم تولى على طنجة في عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام (نفسه، 102).

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، مجلد 3 و8 ؛ *جمال الدين العمراني اشطيار، طنجة بين سنتي 1900 و1912*، د.د.ع.، الرباط، 1995 - 1996.

J. Caille, *Une ambassade autrichienne au Maroc en 1805*, Paris, 1957 ; Ed. Michaux-Bellaire, *Tanger et sa zone*, in *villes et tribus du Maroc*, vol. 7, Paris, 1921 ; *Les Habous de Tanger*, *A.M.*, vol. XXII, 1914 ; M. El-Mansour, *Political and social developments in Morocco during the reign of Mawlay Sulayman* (1722-1822), Ph. D. 2 tomes, Londres, 1981.

ميلود أحسن

**السعيديّة** (مدينة وقصبة وشاطئ)، مدينة صغيرة تقع على ساحل البحر المتوسط في أقصى شمال شرق المغرب بمحاذاة الحدود المغربية - الجزائرية، وتعد مركزا إداريا تابعا لعمالة أبركان. وكانت في الأصل قصبة مخزنية بُنيت في عهد السلطان الحسن الأول سنة 1883 لتكون معلمة على خط

الحدود بين المغرب والجزائر عند مصب وادي كيس في البحر (وادي عجرود).

وترجع أسباب تشييد هذه المعلمة إلى اتفاقية مغنية حول الحدود بين المغرب والجزائر سنة 1845، التي أشهرت الخط الحدودي بين البلدين باعتبار مصب وادي عجرود في البحر المتوسط منطلق الحد في أقصى الشمال الشرقي، ويعتبر وادي عجرود امتدادا لوادي كيس، الذي أضحى يمثل حدا طبيعيا في وقتنا الحاضر بين البلدين، انطلاقا من تجمع ينابيعه جنوب مدينة أحفير إلى مصبه في البحر. وقد ورد ذكر مرسى عجرود في بعض المصادر التاريخية الوسيطية (البكري، *المغرب*).

وكان اللوبي الاستعماري في الجزائر المحتلة، يسعى إلى نقل الحدود من وادي كيس (عجرود) إلى وادي ملوية غربا، وحجته أن هذا الأخير كان في عهد السيطرة الرومانية على شمال إفريقيا يشكل الحد بين موريطانيا القيصرية (الجزائر) وموريطانيا الطنجية (المغرب)، وبرّر ذلك باعتبار فرنسا هي وريثة المستعمرات الرومانية القديمة في شمال إفريقيا، وهذا تفكير أصبح سائدا منذ احتلال الجزائر في الأوساط الاستعمارية الفرنسية، ووجد امتداده بعد توقيع عقد الحماية بالمغرب سنة 1912، وتناقلته الكتابات الاستعمارية الخاصة بالمغرب فيما بعد.

وقد نص اتفاق مغنية على عدم إشهار معالم الحدود بالحجارة أو ما شابه ذلك، كما نص على عدم البناء بخط الحدود من هذا الجانب أو ذاك. إلا أن السلطات الفرنسية بالجزائر خرقت ذلك في عدة مناسبات، منها إقدامها على بناء برج غير بعيد عن وادي كيس سنة 1882، بدعوى حماية سوق أسبوعي كان يُعقد على الضفة اليمنى للوادي المذكور، ويبعد عن البحر بحوالي 4 كلم (سوق الحيمَر)، وفي هذا الوقت بالذات نظم بعض النواب البرلمانيين بوهران وبعض كبار الضباط حملة في الصحف الفرنسية بهدف الضغط على حكومة بلادهم لنقل الحدود إلى وادي ملوية، وادعوا أن المفاوضين الفرنسيين قد غُرر بهم أثناء مفاوضات مغنية سنة 1845، وقد حان الوقت في نظرهم لتصحيح هذه الوضعية ومراجعة ترسيم خط الحدود، وواقع الحال - كما تؤكده الوثائق المغربية والفرنسية - يكشف أن المفاوض المغربي هو الذي غُرِّر به، ووقع في شباك الإغراءات المالية فوافق على نقل خط الحدود من وادي تافنا إلى واد كيس.

أثارت هذه الأطماع مخاوف السلطان الحسن الأول، فطالب بإثبات معالم الحدود بشكل لا يترك مجالا للنزاعات في المستقبل، وهو ما رفضته السلطات الفرنسية بالجزائر، لأنها كانت تخطط لضم أجزاء أخرى من التراب المغربي إلى التراب الجزائري، مستفيدة من الغموض وعدم الدقة اللذيْن ميزا اتفاق مغنية. ووعيا من هذا السلطان بخطورة الأوضاع، فقد بادر إلى تشييد قصبة عن مصب وادي كيس (عجرود) لتكون بمثابة شهادة إثبات ومعلمة بارزة تحصّن التراب المغربي من كل توسع محتمل في شمال شرق البلاد، بينما أخفقت كل مساعيه الرامية إلى تحصين الحدود في الجهة الجنوبية الشرقية.

ويُستفاد من الوثائق أن دوافع أخرى حفزت السلطان إلى تشييد قصبة السعيدية، وفي مقدمتها محاربة التهريب الذي كان متفشيا عبر خط الحدود، إذ كان وادي كيس في مجراه الأسفل يعد من المسالك الرئيسية للمهربين بين المغرب والجزائر، إلا أن هذه التجارة المحرمة كانت مصدر نزاع وتوتر بين المخزن والسلطات الفرنسية بالجزائر. كما أن ظاهرة الجفاف والقحط والمجاعة التي كانت من السمات المميزة لشمال شرق المغرب، أدخلت قبائل المنطقة في تبعية شبه دائمة لغرب الجزائر بخصوص التزود بالقوت في أوقات الشدة، نظرا لما كانت توفره السلطات الفرنسية هنالك من إمكانيات لمد الأسواق الجزائرية في فترات الشدة بالحبوب، بينما كانت السبل البرية بين شرق المغرب وغربه غير مأمونة (وجدة وفاس)، وبالتالي كثيرا ما تعذّر على المخزن نقل الحبوب من سهل الغرب أو من الشاوية إلى ناحية وجدة. كما أن غياب مرسى مفتوح للتجارة بشمال شرق المغرب فرض ما يشبه العزلة على المنطقة المذكورة. ومن الملاحظ أن جل المراسي المفتوحة للتجارة الخارجية كانت توجد بالساحل الأطلسي، وكانت مرسى الغزوات أقرب مرسى جزائري إلى التراب المغربي. وبدون شك فإن تفكير المخزن اتجه إلى فك العزلة عن المناطق الحدودية عن طريق إقامة محطة تجارية بعجرود، واستمالة قبائل الحدود إليها، وصادف ذلك اقتناء المخزن الباخرة المسماة "الحسني" (1882)، وعلى سبيل المقارنة فإن القصد من بناء قصبة السعيدية بعجرود شبيه بما أقامه المخزن بساحل طرفاية لحراسة المنطقة من أي تدخل أجنبي، ومن المرجّح أن تكون هذه العوامل جميعها وراء قرار المخزن القاضي ببناء "القصبة السعيدة"، وقد أبانت السِّنون فيما بعد أن القرار المخزني كان صائبا وينم عن بعد نظر في تدبير شؤون البلاد.

وتكشف الوثائق الفرنسية عن عنصر آخر شجع المخزن على بناء قصبة السعيدية، حيث كان هذا الأخير مستاءً من مواقف فرنسا أثناء انعقاد مؤتمر مدريد سنة 1880 بشأن مشكل الحماية القنصلية، فراجت إشاعات بين الهيئات الدبلوماسية الأجنبية المعتمدة بطنجة (1881 - 1882) حول نية سلطان المغرب منح ألمانيا محطة بشاطئ عجرود، بهدف تخزين الفحم الذي تحتاج إليه السفن الألمانية العاملة بحوض البحر المتوسط، وهذا امتياز من شأنه إثارة قلق فرنسا بناء على العداوة التقليدية التي كانت تكنّها لألمانيا آنذاك فسارعت إلى خرق أحد بنود اتفاق مغنية وشيدت بُرجا على مقربة من الضفة اليمنى لوادي عجرود. فقام المخزن بالمثل وبادر إلى بناء قصبة بجوار خط الحدود (السعيدية). وظل مشروع منح بعض الامتيازات لألمانيا بشاطئ عجرود قائما إلى سنة 1907، وكان يشكّل بحق مصدر قلق وانزعاج

للحكومة الفرنسية، التي حملته على محمل الجد. هذه بعض دواعي بناء "القصبة السعيدة" بعجرود، والتي صارت تعرف فيما بعد باسم السعيدية.

كان الشروع في وضع تصميم البناء في شهر رجب 1300/ مايو 1883، حيث حُدد الموقع غير بعيد عن الضفة اليسرى لوادي كيس، وتفصله عن البحر مسافة لا تتجاوز 300 متر. أما البناء فقد انطلق في بداية شهر يونيو من السنة نفسها تحت إشراف عامل وجدة وناحيتها عبد المالك ابن علي السعيدي. فاستنفر المخزن القبائل المجاورة، وألزمها السُّخرة والمساهمة بالمال حسب العادة الجارية آنذاك. ورغم الاستعجال في بناء القصبة، فإن الأشغال لم تنته إلا خلال سنة 1884. فجاء البناء على شكل مربع قُدّرت مسافة كل ضلع من أضلاعه بحوالي 125 متر، وتتخلل الأسوار أبراج كما هو معهود في القصبات المخزنية مع باب واحدة من جهة الشرق، إلا أن داخل القصبة كان خاليا من كل بناء، وقد خيمت بالقصبة حامية عسكرية بمجرد انتهاء العمل بها.

كانت وثائق وزارة الحربية الفرنسية (قصر فانسين) سبّاقة إلى نعت البناء الجديد باسم برج عجرود، (1883 - 1884)، لكن بعد سنوات معدودة من تاريخ البناء صارت تنعته تارة باسم Saïdia (السعيدية)، وتارة أخرى باسم قصبة السعيدية، بينما كانت الوثائق المغربية تنعته بعدة مسميات متقاربة، وهي : قصبة عجرود وسعيدة عجرود والقصبة السعيدة، والسعيدة، وظل الحال على هذا النحو إلى تاريخ احتلال القصبة المذكورة في شهر أبريل 1907.

كل المعطيات التاريخية من الجانب المغربي - منذ التأسيس إلى تاريخ الاحتلال (1883 - 1907) - تؤكد أن القصبة كانت تُنعت وفق القاموس اللغوي المستعمل آنذاك من كتبة دواوين الجهاز المخزني المركزي، حيث كانت التسميات الأكثر تداولا في المراسلات بشأن قصبة عجرود هي : "سعيدة عجرود - القصبة السعيدة - السعيدة"، ومن باب الاختصار نظرا لكثرة التداول جرت العادة بنعتها باسم "السعيدة"، وتختزن مديرية الوثائق الملكية بالرباط مئات المراسلات بهذا الشأن (انظر ملف وجدة).

وكان العرف المخزني يقضي أن كل ما يُنسب إلى الدولة يُنعت بصفة "السعيد" تيمّنا وتفاؤلا، والأمثلة كثيرة على ذلك في تاريخ المغرب، نذكر منها : "البابور السعيد"، ويُقصد بها سفينة في ملكية الدولة، فكان يقال مثلا "البابور الحسني السعيد"، و"البابور التركي السعيد"، وهما سفينتان مغربيتان اقتناهما المخزن في نهاية القرن التاسع عشر. كما أن جيش الدولة كثيرا ما كان يُنعت باسم "الجيش السعيد". هذا مجمل ما يُستفاد من الوثائق المغربية، التي لا تتضمن ما يفيد أن القصبة كانت تنعت باسم السعيدية، في حين كانت الوثائق الفرنسية تسمي القصبة المذكورة باسم السعيدية.

وقد اقترن اسم "السعيدة" بقصبة عجرود لمدة تزيد عن ربع قرن، في حين شيّد المخزن عدة قصبات في الفترة ذاتها ولم يلتصق بها الاسم السعيد، ويُرجّح أن يكون ذلك ناتجا عن كثرة استعمال اسم "القصبة السعيدة" في المراسلات المخزنية، إلى أن صارت تنعت باسم "السعيدة" اختصارا لاسم القصبة السعيدة.

أما اسم السعيدية الذي طغى فيما بعد وأصبح هو الاسم الرسمي لقصبة عجرود، فبدون شك أن السلطات الفرنسية بالجزائر كان لها دور في ذلك. فبعد حوالي سنتين من بناء القصبة تحول الاسم في الوثائق الفرنسية من برج عجرود أو قصبة عجرود إلى اسم السعيدية، وهذا أمر له ما يبرره. وتكشف بعض المؤشرات عن التحريف الذي طال نقل رسم "السعيدة" إلى الحروف اللاتينية، فقد ورد الاسم في النص الفرنسي لاتفاقية الجزائر الموقعة في 20 أبريل 1902 على الشكل التالي : Saidia d'Adjeroud، بينما النص العربي رسمها على النحو المستعمل في الوثائق المغربية، أي "سعيدة عجرود" (البندان الرابع والسابع). ومن المرجح أن يكون ذلك التحريف مقصودا أو مبنيا على تأويل مغلوط، إذ من

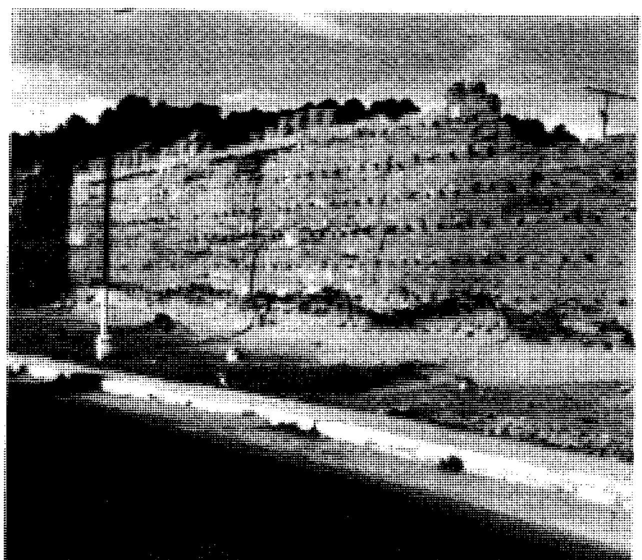

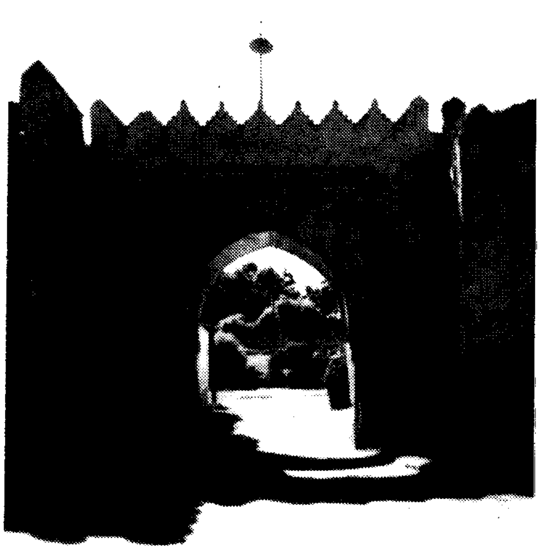

السهل إدراك الفرق بين الرسمين من حيث الدلالة والمعنى، وهذا أمر لم يكن بخاف عن التراجمة الفرنسيين.

وقد رجّح بعض الدارسين المغاربة أن يكون اسم "السعيدية" منسوبا لرجل السلطة الذي نفذ الأوامر المخزنية، وقد كان اسمه عبد المالك السعيدي، وكان آنذاك عاملا لمدينة وجدة وناحيتها، إلا أن المراسلات المخزنية في عهده لم تكن تنعت القصبة باسم السعيدية. وليس من المستبعد أن تكون السلطات الفرنسية هي التي أشاعت استعمال اسم السعيدية، خصوصا بعد السفارة التي ترأسها العامل المذكور إلى باريس سنة 1885، أي بعد مرور سنة واحدة على إنهاء القصبة وكانت المعلمة الجديدة قد أُنجزت على يده، وأبان عن جهود كبيرة بهدف تحسين العلاقات بين القبائل المغربية والسلطات الفرنسية بالجزائر، فكان تشييد القصبة بمثابة إنجاز شخصي برهن به أمام السلطات الفرنسية على إرادة المخزن لتحسين العلاقة بين البلدين عبر الحدود، وقد أشادت السلطات الفرنسية بفترة ولايته على وجدة وناحيتها، واعتبرتها فترة تفاهم وصداقة.

وإذا كانت التسمية الأصلية هي "السعيدة" كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فإن السلطات الفرنسية بعد احتلال شرق المغرب سنة 1907، فرضت التسمية التي كانت سائدة لديها، وحكّمت إدارتها فصارت هي التسمية الرسمية، رغم أن المسنين من أهل البلد ظلوا ينعتون القصبة باسم "سْعيدَة" إلى وقت قريب (بسكون حرف السين وفتح حرف الدال).

ومن اللافت للنظر أن مدينة جزائرية تحمل الاسم نفسه، وهي مدينة "سْعيدة" الواقعة جنوب مدينة وهران بغرب الجزائر. وهذا أمر يثير تساؤلات كثيرة، ويبعث على التفكير في تفسير آخر محتمل لاسم السعيدية، ومفاده أن سلطات الاحتلال قد تعمدت تحريف اسم "السعيدة" إلى السعيدية لتمييز "سعيدة" الجزائر عن "سعيدة" المغرب، وهذا احتمال وارد، لكون السلطات الفرنسية هي التي تحكمت في البلدين معا آنذاك.

وفي بداية القرن العشرين استحدث المخزن ديوانة بالقصبة لاستخلاص رسوم التعشير، وبذلك صارت مركزا حدوديا نشيطا، وكانت في الوقت ذاته تعد محطة رئيسية لنقل الجيوش إلى شرق البلاد، وإمدادها بكل ما تحتاجه بواسطة بعض السفن المخزنية، خصوصا إبان ثورة الجيلالي الزرهوني المشهور باسم الروگي بوحمارة، وفي هذا السياق ورداً على قرار السلطات الفرنسية بإغلاق الحدود سنة 1906، بادر المخزن إلى طلب مساعدة ألمانيا لبناء مرسى بعجرود في مقدوره استقبال سفن المخزن التي كانت تتردد على "القصبة السعيدة" لأغراض مختلفة. ويؤكد هذا المعطى نية المخزن في الاستفادة من قدرات الدولة الألمانية ومنحها موطن قدم قرب مستعمرة فرنسية (غشت 1906)، رغم أن المشروع قد استفز الحكومة الفرنسية ولم يكتب له النجاح لأسباب كثيرة، حيث بادرت فرنسا إلى احتلال شرق المغرب في أقل من سنة من بدء المشاورات مع ألمانيا لتنفيذ المشروع (أبريل 1907).

وبعد الاحتلال ظلت السعيدية مركزا حدوديا بين المغرب والجزائر، حيث استأنف مركز الديوانة نشاطه سنة 1908، وظل يشتغل إلى بداية الاستقلال، ومن جهة أخرى شيدت سلطات الحماية قنطرة على وادي كيس غير بعيد عن باب القصبة لتربط بين السعيدية من جهة المغرب ومرسى پور صاي (مرسى بلّمهيدي حاليا) من جهة الجزائر. وقد ظل الجسر قائما بعد استقلال البلدين، لكن فيضايات أعوام منتصف الستين جرفته.

وقد شهدت مدينة السعيدية تطورا عمرانيا كبيرا في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وتركز نشاطها في ميدان الاصطياف نظرا لاتساع شواطئها وجودة رمالها، فلذلك يقصدها المصطافون من عدة مدن مغربية. وفي إطار فك العزلة عنها، تم ربطها بمشروع الطريق الساحلي انطلاقا من طنجة في اتجاه وجدة عبر منطقة الريف، وقد تحقق جزء منه في نهاية سنة 2000، حيث شيد جسر فوق وادي ملوية قرب مصبه في البحر غرب السعيدية، للربط بين مدينتي وجدة وطنجة عبر منطقة الريف في إطار مشروع متكامل. ويدخل هذا المشروع ضمن برامج وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية في عمالات وأقاليم الشمال المحدثة منذ سنة 1995.


ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873 - 1907*، الدار البيضاء، 1989 ؛ السعيدية أو سعيدة عجرود صلة وصل بين المغرب والجزائر، *مجلة جمعية تاريخ المغرب* - وجدة - العدد الأول سنة 1993 ؛ *التهريب والحدود في شمال شرق المغرب (1845 - 1912)* ضمن *وقفات في تاريخ المغرب*، دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2001، ص. 337 - 363 ؛ جاك كايي، *السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا*، *مجلة تطوان*، العدد السادس، 1961.

L. Voinot, *Une époque d'entente cordiale avec l'Amel d'Oujda, 1881 - 1885, R.A.*, 1926 ; A. Bernard, *Les confins algéro-marocains*, Paris, 1911 ; J. Rouch, *Saïdia, port méditerranéen du Maroc français*, *La Géographie*, tome LX, n° 1 & 2, 1933 ; F. Llabador, *Port-Say et son fondateur*, Oran, 1955 ; Smaïli Moulay Abdelhamid, *Les années terribles du Maroc Oriental, 1844 - 1945*, Oujda, 1996.


عكاشة برحاب

**سغروشن** (أيت -) اسم موحد لمجموعات بشرية متباعدة ومنشقة حاليا، ومتفاوتة أهمية ومختلفة تركيبة وعيشا، ومن ثم دينامية. يتعلق الأمر أحيانا بقبائل، أو بفخذات أودواوير سغروشنية ملحقة بقبائل أخرى.

اسم "سغروشن" - كما تتداوله الرواية - مكون من كلمتين أمازيغيتين تعنيان "جَمَّدَ الذّئب" أو يَبَّسَه، علاوة على أيت التي تعني كل من يتبعون شخصاً مّا... وهذا اسم له علاقة بما يزعمه هؤلاء من الانتماء إلى الشرفاء الأدارسة. يقال إن الجد الموحد لكل هذه المجموعات كان يصلي وبجواره قطيعه فأراد ذئب مهاجمة القطيع. إلا أن بركة المصلي كانت حاضرة بحيث جمد الذئب بمجرد نظر الشريف إليه.

إذا كان هذا الاسم موحدا، فتشتُّتُ المجموعات وعدم تجانس تركيبتهم الاجتماعية يشكلان أمرا محيرا فيما يخص وحدتهم وتاريخهم. قد يكون سبب تشتتهم مرتبطا فعلا برغبة موسى ابن أبي العافية في سفك دمائهم والقضاء عليهم كأدارسة في مطلع القرن الرابع (10م). مما دفعهم إلى التشتت والاختفاء.

على كل حال فإن اسم أيت سغروشن يحمله عدد من المجموعات البشرية المنتشرة بين الأطلس الكبير الشرقي والأطلس المتوسط المشرف على السايس مرورا بوادي ملوية.

أهم هذه المجموعات أربع :

- أيت سغروشن سيدي علي (بجبل تيشكوت).
- أيت سغروشن حريرة بكوس المنزل - مطماطة - تاهلة.
- أيت سشغروشن إيموزار كندر.
- أيت سغروشن تالسينت (الأطلس الكبير).

أما المجموعات السغروشنية المحدودة فهي :

- أيت سغروشن (الأشراف) داخل إغزران.
- أيت سغروشن المُغْلاَزْ (داخل جماعة تاروطة).
- أيت سغروشن الواتة (داخل جماعة أغبالو أقرار).

وكل هذه المجموعات السغروشنية بإقليم صفرو حاليا ولها علاقة إما مع أيت سغروشن سيدي علي أو مع حريرة.

- أيت سغروشن تسويت داخل قبيلة أيت ازدگ.
- أيت سغروشن (قصر أولاد الطير) داخل قبيلة أيت أوفلا، وجماعة ميبْلَك ن حاليا، وهم تابعون لدائرة ميدلت إقليم خنيفرة.

1 - أيت سغروشن سيدي علي، يستوطنون كتلة تيشُوكْت وهوامشها ويتجاورون مع أيت يوسي من جهات الجنوب والغرب والشمال، ومع مرموشة من الشرق، ومع بني علاهم من الشمال الشرقي. قد يكون حلولهم بموطنهم هذا تم في القرت العاشر (16م). أما تقسيمهم من طرف Reisser et B. فشبيه بتقسيمه "لإخوانهم" بإيموزار كندر، فهم ثلاث فئات : الأصليون والآخرون والمُلحقُون، كل واحدة تنقسم بدورها إلى تقسيمات متعددة. فهم إذاً خليط يجمعهم الاسم والحدود التي سطرها المعمر للقبيلة من أجل هدف إداري (للإشارة، كان سكان سكورة ، وسكان بني غْرايَم بوادي گيگو سابقين لمجيء أيت سغروشن).

وبسبب رغبة المعمر في تسهيل الإدارة قسم أيت سغروشن سيدي علي إلى فخذات جغرافية إدارية - وهي المعتمدة إلى الآن، وبعد الاستقلال وزع المجال بين جماعتين قرويتين : سكورة (مداز) والمرس.

يغطي مجال أيت سغروشن سيدي علي مساحة تقدر ب 80000 هكتار موزعة كالتالي :

جماعة سكورة مداز 43500 هكتار.

جماعة المرس 36500 هكتار.

وهي أراض تتشكل من كتلة تيشُوكت المنتمية للأطلس المتوسط الملتوي حيث توجد إحدى أعلى قممه قمة تيشوكت (2793م) حيث التضاريس جبلية وعرة، والمناخ قاسٍ. فجزء من الكتلة تغطيه الثلوج لشهور عديدة من السنة. وتوجد هذه الظروف وراء الانتشار الواسع للأراضي الغابوية. وتوفر موارد مائية على شكل عيون (مثل عين السخون بقعر وادي گيگو بعالية سكورة، وعين تادوت بهضبة تادوت المشرفة على سكورة) ومجارٍ دائمة مثل واد مداز، وواد گيگو. وهي التي تفسر التعارض الواضح بين الواجهتين الشمالية والجنوبية للكتلة وبين الأودية وأعالي السفوح من الناحية المناخية والبيومناخية.

في هذا الإطار استقر السكان المنضوون تحت اسم أيت سغروشن سيدي علي معتمدين على تربية الماشية، وعلى الزراعة بما في ذلك الزراعة المسقية القائمة على الحبوب وضمنها الذرة، وعلى الأشجار خاصة الزياتين كما هو الحال بوادي گيگو بين سكورة وبني غْرايم.

لكن قساوة الظروف الطبيعية وضعف الموارد الرعي - زراعية المرتبطة بها قد تكون دفعت أيت سغروشن سيدي علي إلى البحث عن موارد خارج الكتلة وهو ما تسبب في صراعات مع جيرانهم نحو الشمال خاصة أيت يوسي.

ونظرا لأهمية ظاهرة انخراط رجال القبيلة في صفوف الجيوش الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية، وكإجراء لإسكات هؤلاء بعد نهاية الحرب وعودتهم إلى دواويرهم، أقدمت سلطات الحماية على إعداد القطاع المسقي المسمى بسكورة بهدف تجزئة الأراضي. وقد شرع في تنفيذ الخطة واستفادت أسر سغروشنية كثيرة من توزيع الأرض في البداية. لكن المشروع لم يتقدم كثيرا بعد الاستقلال.

في هذا الوقت تزايدت الساكنة واستفحلت المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. ومعها ظاهرة النزوح (وخاصة النزوح المرتبط بالانخراط في الجيش والقوات الأخرى).

فعدد سكان أيت سغروشن سيدي علي تزايد لكن بوتيرة بطيئة بالمقارنة بأيت سغزوشن إيموزار كندر وبأيت سغروشن حريرة. فعددهم الذي كان 8000 ن سنة 1936 ارتفع إلى 10015 في1960 ثم إلى 14061 ن في 1994. وهو ما رافقته أرقام منخفضة بالنسبة للكثافة السكانية العامة 10ن / كلم$^2$ في 1936 ثم 12,5 ن/كلم$^2$ في 1960 و17,6 ن / كلم$^2$ في 1994. وهذا مرتبط مع ضعف الإمكانيات الزراعية والنزوح.

فالأرض الزراعية لا تغطي سوى 8221 هـ أي 10.3٪ فقط من المساحة العامة والباقي غابات ومراع وأرض ميتة. ولا يسقى من الأراضي الزراعية سوى 1751 هكتار أي 21.3٪ معظمها بسكورة، 64٪ منها مخصصة للحبوب.

أما قطاع الماشية فيلعب دورا كبيرا في حياة واقتصاد السغروشنيين. بحيث وصل عدد رؤوس الماشية إلى 45281 رأس في 1996 موزعة بين 25130 من الغنم و19431 من الماعز و 720 من الأبقار.

وبجانب الزراعة والماشية تبقى موارد هجرة الانخراط في الجيش وموارد معاشات قدماء المحاربين ركيزة أساسية لاقتصاد أيت سغروشن سيدي علي. وهذا الوضع قابل للتحسن مع إمكانية تحسين قطاع الزراعة والماشية وتنمية أنشطة أخرى كالسياحة، لكن شريطة فك العزلة عنها وإعادة تقييم مؤهلاتها وإخضاع مواردها لاستغلال معقلن.

2 - أيت سغروشن حريرة، مجموعة قبلية تستوطن جزءا من الهضبة الكلسية (le Causse) شرق خوانق وادي سبو بالأطلس المتوسط الشمالي، يجاورها من الغرب بني سادَّن والحياينة، ومن الشمال والشرق بني ورايَن، ومن الجنوب بني يازغة.

تمتد أراضيها على مساحة 23700 هـ. وهي مشكلة من هضبة كلسية يقطعها كل من واد مطماطة وواد بُوزملان وروافدهما. وهي هضبة يتراوح ارتفاعها بين 450 م شمالا و950 م جنوبا (بالنسبة لما يهم أيت سغروشن).

وبالرغم من كون المنطقة تتوصل بكمية مطرية سنوية تفوق 450 مم تسمح بانتشار الزراعة البعلية، فالموارد المائية الدائمة التي تسمح بقيام زراعة مسقية تبقى محدودة.

إن المجال الذي يستوطنه أيت سغروشن حريرة مجال قريب من ممر إيناون الذي سلكته المجموعات البشرية والحركات السلطانية والقوافل التجارية والحجيجية... مجال يبدو أنه استوطن من طرف مجموعات بشرية قوية مثل فندلاوة، وصريَوة وبني ايستن... (ومازالت هذه الأسماء قائمة كأسماء أماكن إلى اليوم) وهي ملاحظات تطرح مسألة تاريخ حلول

أيت سغروشن حريرة بالمنطقة والظروف المصاحبة لذلك وكذلك مدى وحدة وتجانس مكونات قبيلتهم.

والواضح أن أيت سغروشن حريرة كانوا خلال القرن الثالث عشر (19 م) حلفاء لبني وراين النازلين من الجبل نحو إيناون، وكانوا في صراع مع بني سادن. وقد يكون لهذا الوضع علاقة بغياب القرى وبتقسيم القبيلة على أساس عشائري حتى أيام الاستعمار.

خلال هذه الفترة احتفظ بالقبيلة كوحدة إدارية تابعة لتاهلة. وفي سنة 1959 أصبحت القبيلة جماعة قروية بدائرة تاهلة، إقليم تازة. ومازال الأمر كذلك إلى اليوم (سنة 2002).

ظل سكان أيت سغروشن حريرة، شأنهم في ذلك شأن أيت سغروشن سيدي علي، ريفيين إلى الآن. لكنهم تطوروا بسرعة أكثر، الشيء الذي جعل كثافتهم أكثر بكثير كما يظهر في المعطيات التالية :

| السنة | 1936 | 1960 | 1994 |
|---|---|---|---|
| الساكنة ن | 5590 ن | 9102 ن | 17112 ن |
| الكثافة (كلم2) | 23,6 | 38,40 | 72,2 |

ومع هذا التطور يلاحظ أن الضغط على الموارد الطبيعية كبير. فالكثافة السكانية مرتفعة بالمقارنة مع المعدل الوطني العام وجد مرتفعة بالنسبة لمعدل الأرياف.

يعتمد السكان على الزراعة وتربية المواشي في إطار يتميز بالازدواجية بين ما هو عصري وُرِث عن الاستعمار وما هو تقليدي. فمساحة الأراضي الزراعية المقدرة ب 12095 هـ تمثل 51٪ من المساحة الإجمالية للقبيلة لكن لا يسقى منها سوى 371 هـ أي 3٪ فقط. ويتوزع استعمال هذه الأرضي الزراعية بين الحبوب بحصة 68٪ متبوعة بالقطاني بحصة 16٪. ولا تمثل حصة الأشجار إلا 5,4٪. ومما يدل على أهمية الضغط على الأراضي كون حصة الأراضي المستريحة لا تمثل سوى 8,8٪.

أما 49٪ الباقية من المساحة الإجمالية فمعظمها مراعٍ للماشية المكونة من 2492 رأس من الأبقار، و25897 رأس من الأغنام و 4826 رأس من الماعز، وكذلك ما يقرب من 3500 رأس من الخيول.

وإذا كان القطاع الفلاحي قد أمن حدا أدنى من التشغيل ومن الموارد للساكنة. فهو اليوم عاجز بسبب توالي سنوات الجفاف، ولم يعد أمام الساكنة التي ظلت ريفية سوى النزوح، وهي ظاهرة بدأت انعكاساتها تظهر في تركز الأسر بمركز بُوزَمْلاَن حيث ينعقد السوق الأسبوعي وحيث مقر الجماعة وبعض الخدمات.

ونظرا لهذا التطور تعمل الجهات المسؤولة مع المجلس المنتخب على تحسين الوضع اقتصاديا واجتماعيا وبيئيا بإدراج الجماعة في برامج التنمية التي أعدتها وكالة تنمية الأقاليم الشمالية.

3 - أيت سغروشن إيموزار كَندر، يشكلون قبيلة تشغل المجال الممتد بين ضاية إفراح جنوبا، والنهاية الجنوبية للسايس شمالا، وهي بذلك تتجاور مع أيت يوسي من الجنوب والشرق والشمال الشرقي ومع أيت عياش في الشمال وبني مطير من الغرب. وتشمل ما يسمى بمقعر إيموزار كندر، وهو مجال ينتمي للأطلس المتوسط المنضدي حيث سيادة الكلس. لتزداد ارتفاعاته من السايس شمالا نحو الجنوب.

وكونه مجالا مفتوحا نحو الشمال، جعله يستفيد من المؤثرات الرطبة المحيطية، فالأمطار تصل إلى 600 مم على شكل ثلوج أحياناً في الأجزاء الجنوبية المرتفعة.

هذه الظروف الطبيعية جعلت مجال أيت سغروشن إيموزار مجالا غنيا بالمياه على شكل ضايات مثل ضاية عوا ؛ وعيون مثل عيون الغربي، البرواك، السلطان، الجراح، أيوع، الشفاء...؛ ومجارٍ مائية مكسوة بغابات البلوط الأخضر، وهي ظروف تساعد على تنوع في النشاط الاقتصادي وعلى السياحة وعلى استقرار الساكنة.

4 - أما أيت سغروشن تالسينت في الأطلس الكبير فتشتمل على جماعات بوشاون، وتالسينت وبومريم.


علي ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. القدميري، *إطلالة على دائرة تاهلة*؛ عمالة إقليم تازة، 1982، *منوغرافيا* ؛ ع. الموذن، *مونوغرافيا دائرة بولمان*، إقليم بولمان، 1982 ؛ ح، جباري، *الإنسان والأرض في الأطلس الكبير الشرقي (نموذج گرامة گير الأوسط)*، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1986 ؛ *إحصاءات السكان والسكنى* 1960 - 1971 - 1982 - 1994، مديرية الإحصاء، الرباط ؛ *خريطة قبائل المغرب أقاليم الشمال* ؛ *خريطة التقسيم الإداري*.

Kerbout M, *Quelques, aspects de l'évolution quantitative du peuplement dans le Moyen Atlas et le Bassin de la Moulouya, R.G.M.,*. vol. 12, n°1, 1988, pp 33-49 ; Reissier (C ne) et Bachelot (C ne), *Notice sur le cercle de Sefrou*. n°4, février 1919 ; Ministère de l'Agriculture, du Développement rural et des Pêches Maritimes, *Recensement Général de l'Agriculture. Résultats par commune Régions : Fés-Boulemane ; Meknès-Tafilalet ; Oriental ; Taza-AlHoceima-Taounate*, Rabat, janvier 2000.


محمد كريوط

**السفرجل** المستعمل في العربية أُخذ عن الفارسية وهو النبات المسمى علميا سِيدونيا مَاليفُورْميسْ Cydonia maliformis المنتمي إلى فصيلة الورديات Rosaceae التي تشمل التفاح والإجاص والمشمش والخوخ إلى غير ذلك من الأشجار المثمرة وكثيرا من الأجناس الأخرى البرية منها والمدجنة.

وتجدر الإشارة إلى الضرب ذي الثمار الصغيرة الحجم والمسمى في المغرب بـ"اللَّقِيم" الذي يظهر نادرا في أسواق بعض المدن العتيقة بأثمان مرتفعة نسبيا نظرا لكونه يستعمل لتحضير بعض الأطباق المحبذة عند المغاربة.

شجرة السفرجل قصيرة القامة لا يتعدى ارتفاعها 8 أمتار، جد مُدْغلة، ذات جذع وفروع متعرجة. أغصانها الفتية مكسوة بَزغب قبل أن تتحول إلى جرداء. أوراقها قصيرة العنق، بيضية الشكل، ذات طول من 5 إلى 10 سم، وعرض من 3 إلى 7 سم، ذات وجه علوي أجرد ووجه سفلي مكسو بوبر حريري قصير يعطيه لونا أبيض. أزهارها تظهر منفردة وإبطية ذات لون وردي باهت. ثمارها كبيرة الحجم، مستديرة أو إجاصية الشكل، لحمية، ذات لون أصفر ليموني، ومغطاة بزغب ناعم.

السفرجل

السفرجل شبه طبيعي بالمغرب. وموطنه الأصلي آسيا الغربية والجزء الغربي من آسيا الغربية والجزء الغربي من آسيا الوسطى حيث مازالت ضروبه البرية تعيش في اليمن وإيران ومناطق القوقاز وتوركمانستان وأوزباكستان وقرغستان وتادجيكستان. وقد غرس كشجرة مثمرة منذ أقدم العصور في المناطق المعتدلة والمتوسطية وشبه المدارية من العالم القديم ثم أدخل إلى أمريكا واستراليا بعد اكتشافهما.

يغرس السفرجل في البساتين والحقول المروية في جل المناطق المغربية باستثناء تلك التي تشتد فيها البرودة، أي أنه ينمو في كل الطوابق النباتية ماعدا الطابقين الجبلي المتوسطي وفوق الجبلي المتوسطي أما من حيث التربة فإنه يحبذ الأراضي السميكة الموجودة في وديان جبال الريف والأطلس.

يغرس السفرجل خاصة لثماره التي تؤكل طازجة وهي حالة نادرة أو في أغلب الحالات مطهوة مع السكر والقرفة ومصحوبة بالملوخية (انظر الملوخية) بالمعنى المغربي أو البامية بمعنى المشرق العربي وهي هِيبِيسْكُوسْ إِسْكولانْتُوسْ Hibiscus esculentus. كما تستعمل وحدها أو مخلوطة مع التفاح والإجاص في صناعة المربيات والمصبرات الغذائية.

كما يغرس السفرجل لإنشاء الأسيجة الحية إضافة إلى إنتاج الثمار، أو كشجرة مطعمة حاملة للضروب الممتازة من نفس النوع أو من التفاح أو الإجاص.

وتستعمل ثمار السفرجل أو بذورها في التطبيب التقليدي لمعالجة أمراض اللثة والجهاز الهضمي ولتحسين الصوت أو لتليين الشعر.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

**السفن المغربيّة**. يعتبر جواز طارق بن زياد وجيشه من طنجة إلى الأندلس سنة 92 / 711 م على متن عدد من السفن أقدم إشارة إلى استعمال المغاربة للسفن في العصر الإسلامي. ولا ندري هل كانت هذه السفن من صنع محلي أم من عتاد البحرية الأموية، خاصة وأن القائد موسى بن نصير كان قد أنشأ دارا لصناعة السفن بإفريقية.

ورغم أن دولة الأدارسة والدويلات اللاحقة لها لم تكن دولا بحرية، فقد وردت الإشارة إلى عدد من المراسي المغربية خلال القرون الثالث ـ الخامس (9 ـ 11 م) مما يدل على ارتباط المغاربة بالبحر خاصة في التنقل والصيد، في الوقت الذي ظلت فيه سفن الأمويين بالأندلس هي المسيطرة على الملاحة بالحوض الغربي للبحر المتوسط، باستثناء مدينة سبتة التي احتفظت بتقاليدها الراسخة في التعامل مع البحر، حيث نجد مثلاً أن قطعها البحرية بقيادة المعز بن سكوت البرغواطي قد تمكنت من هزم البحرية المرابطية سنة 476 / 1083 قبل أن تتدخل بحرية إشبيلية العبادية لإنجاد المرابطين.

ومنذ استقرار الأمر للمرابطين عرفت صناعة السفن بالمغرب انطلاقها فبلغ عدد السفن المرابطية في عهد يوسف ابن تاشفين حوالي 100 سفينة ما بين شيني وطريدة وشلندي، وكان أغلبها في البداية معدا لنقل الجنود والعتاد إلى الأندلس وليس للقتال، ثم تطورت السفن الحربية بعد أن أصبح قادة البحر المرابطون، خاصة من أسرة بني ميمون، يهاجمون سواحل شمال إسبانيا وجزر البحر المتوسط الغربية. ثم تعززت تلك الصناعة خلال العصر الموحدي، وظل الأسطول الموحدي يتكون من نفس العدد تقريبا لمدة لا بأس بها، فعند تحرك عبد المؤمن لفتح المهدية سنة 554 / 1159 كان عدد قطع أسطوله يتراوح بين 70 و100 سفينة، لكن هذا الخليفة سرعان ما أحس بأهمية الأسطول فشجع صناعة السفن، وبلغت أوجها في عهد ابنه يوسف وحفيده المنصور مما جعل السلطان صلاح الدين الأيوبي يستنجد بالأسطول المغربي للقتال ضد الصليبيين. وخاضت السفن المغربية خلال هذا العصر معارك شتى في الأندلس وفي عرض البحر المتوسط. وبلغ عدد السفن الموحدية في فتح ميورقة سنة 601 / 1204 حوالي 300 سفينة، بين غراب وطريدة، ومراكب كبيرة، وأغلبها قوارب.

ومن بين المدن التي كانت بها دور صناعة السفن خلال هذا العصر سبتة وطنجة وقصر مصمودة والمعمورة، وكانت بنواحي فاس دار لصناعة المراكب الصغيرة. وكانت سفن الأسطول المغربي موزعة بين المراسي الخاضعة للدولة الموحدية (120 في سلا والمعمورة، 100 في مراسي سبتة وطنجة وبادس ومراسي الريف، و100 في مراسي وهران وهنين وتونس، و80 في مراسي الأندلس) (*القرطاس*).

خلال مرحلة ضعف الدولة الموحدية تضرر نشاط صناعة السفن كثيراً، إلى أن جاء السلطان أبو الحسن المريني (731 ـ 749 / 1331 ـ 1348) فقام بتشجيعها من جديد، وبلغت سفن أسطوله عدة مئات. وأنشأ داراً للصناعة بسبتة وأخرى بسلا، وذكر ابن منكلي أنه "لما كان في أيام السلطان أبي الحسن المريني كان بدار الصناعة بسبتة سبعمائة قادوم، وأنه عُملَ له طريدة في يوم وليلة فحملت ثمانين فرسا، وذلك في سَنة اثنتين وأربعين أو ثلاث وأربعين وسبعمائة. وكذلك مدينة طنجة بها إنشاء مراكب" (ابن منكلي، ص. 21).

ورغم الكارثة التي تعرضت لها حملة أبي الحسن إلى إفريقية وغرق قطع كثيرة من أسطوله، فقد تابع ابنه السلطان أبو عنان الاهتمام بصناعة السفن، وقد قال الشاعر أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني نزيل الإسكندرية أبياتا في غراب لأبي عنان توجه إلى مصر برسالة سلطانية :

فلله ما أنشأته من مراكب ترادفها في البحر منه تكاوس
قطائعها مثل النجوم قلوعها وغربانها قطع من الليل دامس
كأن مجاديف الغراب قوادم يطير بها والنسر في الأفق كانس

وبعد عهد أبي عنان بدأ التدهور يدب في صناعة السفن بالمغرب. واستمر ما يقرب من القرنين، باستثناء دار صغيرة ببادس لصناعة الزوارق والمراكب الصغيرة ذكرها الحسن الوزان. ثم استأنف السعديون الاهتمام بصناعة السفن أواسط القرن العاشر (16 م)، كرد فعل ضد الغزو البحري الأيبيري، فأنشأ عبد المالك السعدي أوراشا لها بالعرائش وسلا، وظهرت محاولات بالجنوب في أگادير، وكانت بعض السفن تصنع بفاس وتنقل إلى سلا عبر نهر المعمورة. وبلغت هذه الصناعة أوجها في عهد أحمد المنصور الذهبي حيث مثلت تلك الخطورة رفعا للتحدي البحري الأوربي الكبير الذي كان مفروضا على المغرب. ولكنها سرعان ما انكسرت بعده.

وظلت حركة الجهاد البحري التي عرفتها عدد من المدن الساحلية كبادس وتطوان وأصيلا والعرائش وسلا ابتداء من القرن العاشر (16 م) مسؤولة إلى حد كبير عن ازدهار صناعة السفن خاصة الصغيرة والمتوسطة. ومما يؤكد تطور صناعة السفن المغربية في هذه الفترة أن بعضها كان يقوم بمطاردة سفن أوربية متطورة من نوع الكارافيلا. وكان البرتغاليون يسمون سفن المجاهدين المغاربة باسم Fusta. واستمر الجهاد البحري خاصة بمدينة سلا إلى أوائل القرن الثالث عشر (19 م). ومما يؤكد على قوة السفن المغربية تمكنها خلال ثلاثة قرون من أسر مئات السفن الأوربية.

- أنواع السفن :

من الملاحظ في المصادر المغربية عدم التدقيق في أسماء وأنواع السفن التي كانت مستعملة، كما تغيب المعلومات عن أحجامها وطاقتها في الحمولة، وتقنيات صنتاعتها. ومن الأسماء الشائعة في المصادر الزوارق والمراكب والأجفان والسفن، وكانت الفروق بينها كبيرة خاصة في الحجم والسرعة. وهناك أنواع أخرى عرفت بأسماء معربة عن اللاتينية والبيزنطية. وقد ذكر ابن منكلي (كان حيا بمصر سنة 778) : "وأما البحر الرومي يركبه من مراكب المسلمين والفرنج مراكب عدة ليس فيها مركب يشبه الأخرى، فيها صنف القراقر بثلاث ظهور وممشى، وهذه أكبر القراقر" (*الأحكام الملوكية*، ص. 112).

ومن أنواع السفن التي أشارت إليها المصادر المختلفة منذ العصر المرابطي :

- الجفن : مركب كبير لنقل المسافرين والبضائع والحيوانات.
- الزورق أو المركب : قارب صغير يستعمل عادة في الصيد يحركه رجل واحد.
- السفينة : مرادف للجفن.
- القارب (ج. قوارب) : وهو مركب صغير كان يستعمل في الصيد، وأيضاً في الملاحة النهرية بالأنهار المغربية الكبرى مثل لكوس وسبو وأبي رقراق وأم الربيع. وقد يكون من بعض المواد غير الخشب مثل الخب أو السمار.
- القرقورة (ج. قراقير) : ،سفينة طويلة ضخمة، كانت تقوم بتموين الجيوش في البحر. لها ثلاثة قلاع، وبها ثلاث طبقات، وقد تصل حمولتها إلى 80 فرسا. كما كانت تستخدم في نقل المسافرين. وهي أنواع منها قرقورة سطح تستعمل في النقل وقرقورة حربية.
- الشيطي (في المصادر اللاتينية Saete أو Sageete) : مركب صغير يستخدم في الاستطلاع البحري، وتقوم بنقل المعلومات بين رؤساء السفن الكبيرة.
- الغراب (ج. أغربة وغربان. في المصادر اللاتينية Guarapi) : سفينة سوداء مقدمتها على شكل رأس غراب، تستعمل لحمل الجنود، وتسير بالقلاع والمجاديف التي قد تصل إلى 180 مجدافا.
- الطريدة أو الطراد (ج. طرائد وطرادات. في المصادر اللاتينية Taride أو Taretes) : وهي عبارة عن مركب حربي صغير وسريع غالبا ما كان يستقله قائد البحر.
- الشيني (ج. شواني) : وهو مركب طويل يسير بحوالي 100 مجداف، ويبلغ متوسط ركابه 150 بحاراً. ويستعمل في الدفاع والهجوم في المعارك البحرية.
- الحراقة (ج. حراقات) : سفينة كانت تحمل أدوات القتال الثقيلة خاصة المجانيق.
- الشلندي (ج. شلنديات، في المصادر البيزنطية Chelandios) : وهي سفينة مسطحة تتكون من طبقتين، يركب المقاتلون في الطبقة العلوية، ويوجد المجدفون في طبقتها السفلية.
- الفلوكة (ج. فلايك) : وزروق صغير يحمل حوالي 10 رجال كان مستعملا في الجهاد البحري منذ القرن العاشر (16م).

وقد أصبح المغاربة منذ العصر الموحدي يطلقون على سفنهم أسماء خاصة، فقد كان ضمن سفن سبتة مركب يعرف بالمخلوف كان يحمل الحجاج إلى المشرق. أما أبو علي ابن خلاص صاحب سبتة فقد أنشأ سفينة سماها الميمون. وفي العصر العلوي سنجد أسماء أخرى منها مثلاً مركب جهادي في عصر مولاي عبد الرحمن بن هشام يحمل اسم الأسكونة، وآخر يحمل اسم مسعودة.

وعرف المغاربة في العصور المتأخرة أنواعا أخرى مثل الباخرة التي كان يطلق عليها اسم البابور، والغليوطة (ج. غلائط، Galiote) والبارجة وغيرها. وزيادة على أسماء السفن دخلت لغة المغاربة عدة مصطلحات أوربية تتعلق بالملاحة وصناعة السفن خاصة من اللغة الإسبانية.

ابن منكلي، (كان حيا سنة 778)، *كتاب الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في البحر*، مخطوط بدار الكتب المصرية، المكتبة التيمورية، القاهرة، مصورة عنه بدون رقم ؛ ع. بن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ع. العزيز سالم، وأ. مختار العبادي، *تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس*، بيروت، ط 1، 1969 م. الشريف، الأسطول السبتي بين الجهاد والتجارة في القرن (12 - 14 م)، مجلة *البحث العلمي*، العدد، 45 : 1998، ص. 29 - 43 ؛ أ. عزاوي، الأسطول، التجارة، القرصنة فيما بين القرنين، 6 و 8 (12 - 14 م)، ضمن *البحر في تاريخ المغرب*، منشورات كلية الآداب بالمحمدية، 1999، ص. 84.

محمد المغراوي

* * وفي العصر الحديث انتعشت السفن المغربية بعد فترة ركود طويلة مرت بها في آخر العهد المريني، اضطلعت بهذا الانبعاث قاعدتا باديس (قبل الاحتلال) وتطوان، قبل أن تتسلم الريادة منهما قاعدة سلا المستفيدة من وفود جالية أندلسية متحمسة معززة بمن انضم إليها من العلوج، لتوفر للمغرب على امتداد القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17 و18 م) أسطولا جهاديا قويا (قراصنة سلا)، لا يقل شأنا عن أساطيل الإيالات التركية في الجزائر وتونس وطرابلس، ويتميز عنها بطابعه الملاحي العامل في مجال أرحب هو المحيط الأطلنتيكي.

لقد تميزت السفن ذات المواصفات المتوسطية الخفيفة الحمولة بعدما أُخضعت للعمل المحيطي، وتعززت بالسفن الدائرية المتسمة بانخفاض السطح وضعف الغاطس، والتي كانت أحجامها ونوعياتها تتباين حسب طبيعة المراسي. وقد شكلت هذه الخاصيات سمات سفن الجهاد البحري على امتداد القرنين المذكورين، باعتبارها مراكب تعتمد على أشرعة متفاوتة ومدعمة بالمجاذيف، مما كان يسمح لها باليسر في المناورة وبمجابهة مختلف الظروف الملاحية،

وبالإفلات من ملاحقة السفن الأوربية الضخمة، حيث كانت ظروف العمل تفرض على الرياس المغاربة الامتناع عن استعمال السفن المتسمة بالثقل وبالصعوبة في الانقياد وهو ما لا يتماشى وعمليات المطاردة والانسحاب، وفرضت عليهم بالمقابل التقيد بالسفن الخفيفة السريعة المجهزة بالمعدات القتالية الضاربة، التي لا تتعدى حمولتها 150 طنة، والمسلحة بدزينة من المدافع وعدد أكبر من المنجانيقات، وبطاقم يصل إلى 100 رجل.

ونظراً للانطلاقة المتأخرة للأسطول السلاوي عن أساطيل الجهاد الأخرى، وتركز جولاته في مياه المحيط الأطلنتيكي، إلى جانب الصعوبة الطبيعية التي يتسم بها مدخل مرسى سلا الجديد، فرضت على وحداته الاستفادة من الريادة المغاربية في هذا الميدان، وتحليها من جهة بمواصفات ملاحية تمكن من مجابهة مخاطر المحيط وعواصفه الهوجاء، ومن جهة أخرى التقيد بأحجام محددة يسهل عليها اجتياز أقاصير المصب.

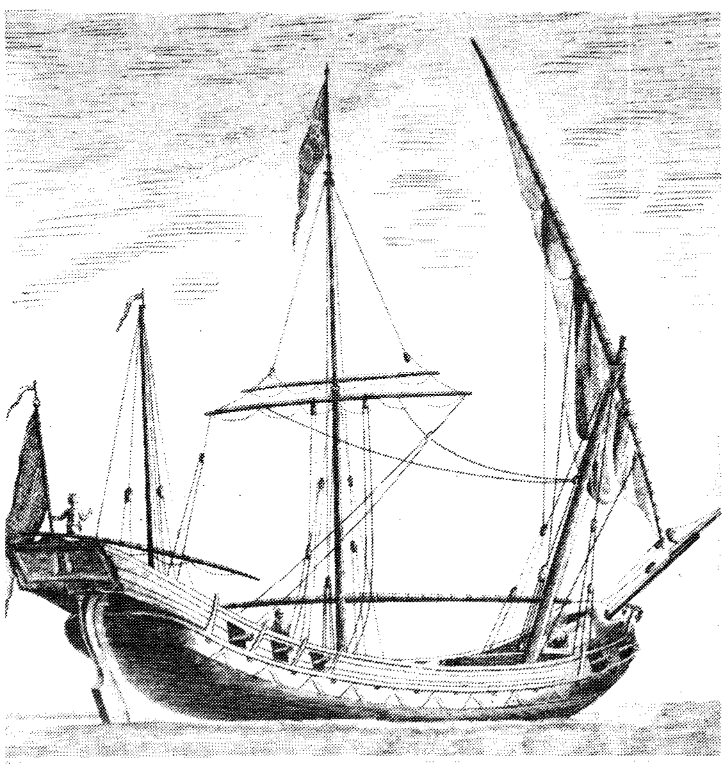

ولهذا السبب برزت السفن الشراعية بشكل ضارب لمناسبتها للعمل الجهادي، لا سيما وأن الرياس طعموها بالمجاذيف التي مثلت عنصر القوة في القوادس بما توفره من إمكانية التقدم والتراجع حتى في ظروف الرياح غير المواتية. وقد مكنتها هذه الشروط من الحركية المستمرة بدل الارتهان للعامل الطبيعي، مما كان يساعدها على تنفيذ الملاحقات الناجحة من جهة، والانسحاب اليسير من وجه البوارج العسكرية من جهة أخرى بامتياز مضاعف. ونتج عن هذا أنه في الوقت الذي كانت فيه السفن المجذافية تشكل العمود الفقري لأساطيل الجهاد في مراكز البحر المتوسط، كانت السفن الشراعية أساس البحرية السلاوية باستفادتها من تطور السفانة وصناعتها، وبداية انتشار الأشرعة في وحدات الأسطول التركي بالجزائر منذ 1606م.

ورغم مشكل الدلالات اللفظية التي تجعل تحديد أنواع السفن وأوصاف التقنيات أمراً عسيراً نظراً لعموميات التسميات العربية من جهة، ولتداخل التسميات الأوربية وتعارضها أحيانا وعدم تطابق مواصفاتها الهيكلية والتقنية والبشرية من جهة أخرى، فإن هذه الأنواع لم تخرج إجمالا عن نطاق مجموعتين متباينتين :

مجموعة السفن المجذافية : وهي من فصيلة القادس والغليوطة، وكانت تجهز للعمليات الموجهة على طول الشاطئ وأساساً في منطقة جبل طارق. وتأتي في الدرجة الثانية من حيث الاهتمام، ولا تبدو إلا لماما في العمليات المهمة.

- مجموعة السفن الشراعية : وهي المجهزة بالصواري، والمتسمة بشكلها الدائري، مثل السنبك والقرقورة والبينك والبولاكر : وكانت هي المراكب الأساسية في العمل داخل المحيط الأطلنتيكي وبحار شمال غرب أوربا، وبها اكتسب السلاويون صيتهم وشهرتهم العالمية. وحسب الأب دان فإن هذه الأنواع بمقابل افتقارها إلى نفس قوة سفن رياس الجزائر، مكنت نظراءهم السلاويين من سرعة أكبر وخفة أكثر.

وحسب الوثائق نجد ذكرا لعدة أنواع كونت وحدات الأسطول تفوق العشرين، تختلف خصوصياتها بين سفن تتوفر على صارية واحدة إلى أخرى ذات خمس صواري، وحمولة تتراوح بين الخمسين طنة والثلاثمائة، وغاطس بين المترين وثلاثة أمتار، وطواقم تتراوح بين الخمسين والثلاثمائة رجل، ومن مدفعين إلى مائة مدفع، تحت التسميات المتعددة الواردة في الدليل التقريبي أدناه.

وقد كانت أول وحدة في الأسطول السلاوي عبارة عن طراد مجهز للحرب حوالي سنة 1617 م، وهو زورق كبير بهيئة طولية، حامل لصاري مثلث الشراع. وكان معروفا استخدامه في البحر المتوسط، مما يجعل أسطول الجهاد السلاوي - باعتبار تأثره بالأسطول التركي في الجزائر - يتكون أصلا من سفن النوع المتوسطي، قبل أن يجذبه التطور السريع الذي لحقه منذ عشرينيات القرن الحادي عشر (17 م) من جراء تنوع المغانم وحصول المجاهدين على سفن من مختلف الجنسيات إلى جعله مفتوحا على كل مظاهر السفانة الأوربية الحديثة، وتأثره بها ومحاكاته لها، خاصة السفن الهولندية والانجليزية. واستمر الاعتماد على السفانة الأوربية وتجهيزاتها الملاحية المستوردة حتى خلال المراحل الأخيرة للقرن على عهد مولاي إسماعيل.

إن ما توفر من أعداد بخصوص حجم القطع المغربية العاملة موسميا خلال هذه الفترة لا يمكن أن يشكل إلا مقياسا نسبيا للأنواع الرئيسية للسفن العاملة التي لم تتجاوز فيها أفضل طنة تقديرية لأهم فترات الأسطول (1624-1640) عشرة آلاف طنة، في ظرف كانت فيه الطنة

العامة لأسطول الجزائر عشرين ألفا تقريبا، والطنة السنوية العامة لأساطيل إنجلترة وفرنسا والأقاليم المتحدة وإسبانيا في نهاية القرن العاشر (16 م) معدل مائتي ألف طنة، كل على حدة. وهذا ما كان يمثل عجزاً بليغا يصل نسبة 1 / 20 في الحد الأدنى، على اعتبار أن متوسط التجهيز المغربي لم يكن يتجاوز خمس عشرة إلى عشرين قطعة رئيسية، تتراوح حمولتها بين مائة وخمسين طنة ومائتين، أي ما يمثل ثلاثة إلى أربعة آلاف طنة.

إن أولى الإشارات إلى قوة بحرية مغربية متكاملة نسبيا تعود إلى سنة 944 / 1537، حينما أقدم محمد المهدي الشيخ على إنشاء نواة أسطول عامل في مياه مملكة مراكش انطلاقا من قاعدة تافطنة، مكون من 10 إلى 12 مركبا من نوع الشراعي (Zabra)، بالإضافة إلى قطع مملوكة للخواص بقيادة رياس من العلوج. ويبدو أن مقتله لم يحل دون استمرارية الأسطول في عهد عبد الله الغالب (30 قطعة)، ويعتقد أنه بلغ في عهد عبد المالك المعتصم 40 قطعة. بيد أن هذه التجربة أجهضت مع انشغال السلاطين اللاحقين بالسياسة القارية، باستثناء بعض الجهود المحققة محليا في بعض المراكز، مثل مصب أبي رقراق وتطوان.

ومع بزوغ القرن الحادي عشر (17 م) برزت سلا كقاعدة بحرية رئيسية بصناعتها ونشاطها البحري، ارتقى معها حجم الأسطول في ظرف بضع سنوات إلى 10 قطع في سنة 1620، وإلى ما ينيف عن 60 مركبا عاملا في سنة 1626، باستغلال النجاح المطرد لمواسم الجهاد، وبتحقيق التراكم العلمي والتقني الذي استمر في وتيرته المنتظمة لأزيد من عقد كامل، مع الإشارة إلى مساهمة مرسى تطوان بأقل من 6 فرقاطات خلال تلك الفترة.

وقد أدى الاضطراب السياسي والاجتماعي الذي عرفته منطقة مصب أبي رقراق بين سلا القديمة وسلا الحديثة (الرباط) وحصار الأميرال الانجليزي ويليام راينسبوروه

جدول تقريبي لسفن الجهاد المغربي خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17 و18 م)

| النوع | المصطلح الأعجمي | البعد أو الحجم | الصواري | الغاطس | الحمولة (طنات) | الطاقم | المدافع | المنجنيقات | المجاذيف |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| إبريق | Brick | صغير | 3-2 | 2-2,5م | 100 | 100 | 18-8 | - | - |
| بارجة | Vaisseau | 9/25م | 5-3 | 2.5-3م | 200 | 200-150 | 30 | 36-26 | - |
| بوكراع | Chebec | 8/17م | 3-2 | 2,5م | 200 | 200-60 | 24-14 | - | 30 |
| بينك | Pinque | 8/15 | 3-2 | 2,5م | 300-200 | 200 | 20 | - | - |
| حمالة | Flûte | صغير | 2-1 | 2-2,5م | 100 | 140-100 | 22-16 | - | - |
| خفارة | Patache | صغير | 1 | 2م | 100-70 | 100 | 24-8 | - | - |
| خفاف | Pinasse | 12/20م | 3-1 | 2,5م | 100 | 120 | 20 | - | - |
| خيطية | Caïche | صغير | 1 | 2-2,5م | 100-50 | 100 | 10-4 | 24-18 | - |
| دعومة | Brigantin | متوسط | 3-1 | 2,5م | 150-60 | 100-50 | 24-12 | - | 20-15 |
| زورق | Barque | صغير | - | 0,5م | 30-20 | 50-30 | 1 | 4 | 25-12 |
| سيتي | Saëttie | 8/16م | 3-1 | 2,5 | 100-60 | 120-80 | 24-10 | - | - |
| سينو | Senneau | صغير | 2-1 | 2,5-2 | 100-50 | 100 | 10-4 | - | - |
| صندل | Gabarre | صغير | 1 | 2 | 100-80 | 100 | 6-2 | - | 6-4 |
| صيادة | Goëlette | صغير | 2-1 | 2,5م | 150-100 | 100 | 12-8 | - | - |
| طريدة | Tartane | 8/15م | 3-1 | 2,5 | 300-200 | 200-140 | 20-12 | - | - |
| غلاسة | Galléasse | متوسط | 3-2 | 3 | 200 | 150 | 20 | - | 50-30 |
| غليوطة | Galiote | 8,5/18م | 2-1 | 2-2,5م | 150-100 | 120-50 | 10-2 | - | 38-26 |
| غليون | Galion | متوسط | 3-2 | 4 | 200 | 150-100 | 24 | - | - |
| فالوشي | Balancelle | صغير | 2-1 | 2 | 100 | 100-80 | 10-6 | - | - |
| فرقاطة | Frégate | 10/27م | 3-1 | 2,5م | 200-100 | 300-150 | 24-14 | - | - |
| فليبو | Flibot | صغير | 2 | 2م | 100 | 100-80 | 10-6 | - | - |
| فيست | Fuste | متوسط | 2 | 2-2,5م | 300-200 | 150 | 20 | - | - |
| قاباق | Trapu | صغير | 1 | 2 | 100-80 | 100 | 20-10 | - | - |
| قادس | Galère | 6/45م | 2 | 2,5م | 150-80 | 150 | 24-14 | 10-4 | 50-25 |
| قارب | Barcasse | صغير | - | 0,5م | 30 | 50-30 | - | 4 | 30-20 |
| قرقورة | Caraque | متوسط | 2-1 | 2,5-2 | 100 | 120-70 | 20 | - | - |
| كارافيلا | Caravelle | 8/20م | 5-2 | 2,5-3م | 200-150 | 200-100 | 10-8 | 25-20 | - |
| مربع الأشرعة | Polacre | متوسط | 3-2 | 2,5-3م | 200 | 200-100 | 20 | - | - |
| 1/2 قادس | D. Galère | صغير | 1 | 2 | 100-50 | 100-50 | 6-2 | - | 30 |
| يخت | Yacht | صغير | 2-1 | 1,5 | 100-80 | 100-50 | 10 | - | - |

(W. Rainsborough) للمرسي إلى تقهقر كفاءة الأسطول العامل إلى بضعة مراكب فقط سنة 1638 من أصل 30 سفينة لسنة 1636، بفعل تعرضها للإحراق والإغراق، دون أن يكون بمقدور المراكز الملاحية الأخرى تقديم أكثر من 5 سفن.

إن هذا ما يفسر لجوء التقارير الأوربية إلى القول بتجديد بناء الأسطول الرئيسي ثانية خلال العهد العلوي مع سيطرة مولاي الرشيد على تلك القاعدة، حيث نهض الأسطول مجدداً من أدنى مستوياته ليبلغ 10 مراكب في ظرف ست سنوات (1666 - 1671). وقد تمركز بالأساس بمرسى سلا، مع مساهمة بسيطة لقاعدتي الوليدية وأزمور، تحت الإشراف المباشر للسلطة المركزية وتحت تأثير المواسم الجهادية، وذلك رغم الضغوط الفرنسية العنيفة بقيادة القائد دو شاطو رونو (Ch. Renaud).

واقتداء بهذا الاهتمام، برز عهد مولاي إسماعيل بمثابة انبعاث حقيقي لحجم الأسطول لم تعرفه القاعدة الرئيسية سلا فحسب، وإنما أيضاً مراكز أخرى وعلى رأسها تطوان، ولا سيما خلال العقد الأول من حكمه، حيث ارتفع متوسط الأسطول إلى معدل 16 مركبا، ثلثاها بسلا الحديثة، والثلث الباقي بتطوان. وتواصل مجهود السلطة المركزية والخواص على حد السواء للحفاظ على كفاءة المغرب الملاحية، خاصة وأن الأسطول قد تعززت قواعدة بتحرير المعمورة والعرائش وطنجة.

وقد شكل عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله مرحلة ازدهار جديدة للأسطول بفعل رغبته الشديدة في مضاهاة القوات البحرية الأخرى، الأمر الذي جعله يبدي اهتماما خاصا بالأوراش الملاحية وينفق من أجلها المبالغ الطائلة في مصب أبي رقراق والعرائش، حتى بدا عهده من أفضل الفترات التي عرفتها السفانة المحلية بعد مرحلة انحطاط، استرجعت خلالها مستوياتها السابقة (10 سفن) بعد عقد من توليته (1766). وانطلاقا من تلك السنة كان التطور محلوظا تضاعف معه العدد الإجمالي للقطع بصورة تدريجية، قبل أن يدرك مستواه الأقصى 50 قطعة منها 20 سفينة كبيرة و30 فرقاطة وغليوطة.

ورغم ارتفاع حجم الأسطول فإنه كان يتسم نوعيا بضعف الاستغلالية، حيث كان معدل السفن العاملة فعليا لا يتجاوز 15 مركبا متوسط التجهيز، مما كان يؤشر على استحالة سيره على منوال السفانة المتطورة لاعتماده على الملاحة المجذافية التي أضحت متجاوزة وشبه ميتة لدى الأساطيل الأوربية، ويجبر السلطان على الإقرار بضرورة الاعتماد على مراكب الدول الأجنبية في الضروري من المهام.

ويفسر ازدهار حجم أسطول سيدي محمد بن عبد الله احتفاظه بنصف كفاءته - على الأقل - بعد وفاة السلطان المذكور، حيث بلغت القوة البحرية في مطلع عهد مولاي سليمان 28 سفينة سنة 1793. ولم تتمكن من الحفاظ على هذا الحجم لأزيد من عقد واحد، حيث ستتراجع بسرعة وتصل في نهاية عهده إلى 10 سفن فقط، كلها في حالة تدهور. وقد سعى خلفه مولاي عبد الرحمن إلى محاولة تأجيل اندثار الأسطول عن طريق الاقتناء من جبل طارق وساردينيا والولايات الأمريكية، وإعادة بعث الأوراش.

ح. أميلي، *الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن (17)*، رسالة د. د. ع. مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1989 ؛ إ. التادلي، *زينة النحر بعلوم البحر*، مخطوط خ. ع. رقم 1347 د ؛ سرهنك، الميرالاي إسماعيل، *حقائق الأخبار عن دول البحار*، ج. 1، مصر، 1312 ؛ النخيلي درويش، *السفن الإسلامية على حروف المعجم*، جامعة الإسكندرية، 1974.

S. Bono, *Les corsaires en méditérranée*, Trad. A. Somaï, Rabat, 1998 ; L. Brunot, *La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et Salé*, Paris, 1920 ; Henri De Castries [et al.], *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1° série et 2° série ; L. Chenier, *Journal du consulat général de France au Maroc (1767-85)*, Publié par Charles Penz, Casablanca, 1943 ; R. Coindreau, *Les corsaires de Salé*, Rabat 1993 ; P. Dan, *Histoire de barbarie et de ses corsaires*, Paris, 1649 ; Clas Broder Hansen et Peter Knuth, *ABC de la marine à voile*, Trad. de l'allemand par Anne-Marie Tattevin, Paris 1990 ; G. Höst, *Histoire de l'empereur du Maroc Sidi Mohammed Ben Abdellah*, Trad. E. Damgaard et P. Gailhanou, Rabat, 1998 (1e éd. 1791).

حسن أميلي

** لم يكن عدد السفن التجارية المغربية في بداية القرن العشرين يزيد على أربع عشرة وحدة بلغت حمولتها 10000 طن سنة 1932، ثم أضيفت إليها خمس وحدات لا تتعدى حمولتها 3000 طن سنة 1944. وفي سنة 1946 تم اقتناء سفن عصرية متخصصة لنقل الحوامض والبواكر مثل "سعادة" و"مولاي بوشعيب" والباخرة المسماة "المغرب" المخصصة لتجهيز السفن. كما تم اقتناء سفينتين عصريتين تتوفران على مخازن مكيفة : "جرادة" و"الأوداية" سنة 1948 من طرف الشركة الفرنسية الشريفة التي ستأخذ اسم الشركة المغربية للملاحةCOMANAV سنة 1959. وبلغ عدد وحدات الأسطول التجاري المغربي سنة 1949، 35 وحدة حمولتها الإجمالية 32000 طن، من بينها ثلاث سفن مهيأة للمسافات البعيدة.

وعرفت السفن المغربية بعد الاستقلال نشاطاً كبيراً تلبية لما يكتسيه قطاع الملاحة البحرية من أهمية في ميدان نقل المسافرين والسيارات والشاحنات ومختلف البواكر والحوامض والمعادن والغازات والبضائع والسوائل والصيد وحماية السواحل الوطنية. وخير دليل عل هذا الاهتمام خلال العقدين الأخيرين إنشاء وزارة الصيد البحري والملاحة التجارية سنة 1981 وانفصالها إلى وزارتين مستقلتين سنة 2000 وتشييد عدة موانئ على طول السواحل الوطنية

وتجهيزها بأحدث المعدات لاستقبال مختلف أصناف السفن التجارية والنقل والصيد البحري.

لقد تطور نشاط الأسطول البحري الوطني مع قواعد الاستقلال التي وضعت أسس البحرية العصرية استجابة لتطور نشاط التجارة الخارجية، وعرفت السنوات الأخيرة تكاثر الشركات الصغرى التي أقبلت على الاستغلال التجاري للسفن الصهاريج وناقلات الركاب وحاملات المنتجات الفلاحية والمعدنية والنفط والغازات والصيد البحري. وهكذا أصبح عدد الشركات الصغرى في السنوات الأخيرة يفوق 20 وحدة أغلبها مرتكزة في الموانئ التجارية الرئيسية : الدار البيضاء وطنجة وأگادير والمحمدية والقنيطرة والناظور والجرف الأصفر وأسفي. وتعدُّ شركة كوماناف COMANAV أكبر الشركات المغربية نشاطا في قطاع الملاحة التجارية والنقل وتنافسها في هذا المجال عدة شركات نذكر من بينها :

Atlas Navigation, Ciment du Sahara, Comarid, Comapgnie Chérifienne d'Armement, Cotrama, Générale Maritime, Limadet, Maghreb navigation, Navimar, Penav, Servimar, Sofruma, Sonama, Transtour, Unimar, Union Maritime et Minière.

تبلغ الحمولة الإجمالية للأسطول المغربي في الوقت الراهن حوالي 500 000 طن وبهذا يحتل المغرب الصف الرابع على صعيد الملاحة البحرية الإفريقية.

تعد سفينة "ويرگان" حاملة الحاويات "containers" وسفينة الحسيمة حاملة البواكر، التابعتان للشركة المغربية للملاحة، من أعظم السفن المغربية، مهيأتان لقطع المسافات الطويلة ولنقل مختلف البضائع التجارية.

عرف قطاع نقل المسافرين والسيارات والشاحنات عبر البحر المتوسط وعبر المحيط الأطلنطي نشاطا مكثفا خلال العقود الأخيرة مع تزايد عدد العمال المغاربة في الخارج وازدهار السياحة. وتتوفر هذه السفن على مرافق ترفيهية ومطاعم ومقاهي ومتاجر وملاهي للأطفال. نذكر من بين هذه السفن الباخرة "مراكش" الرابطة بين طنجة وسات الفرنسية و"ابن بطوطة" الرابطة بين طنجة والجزيرات ومالقة. يتوفر المغرب على عدة خطوط بحرية تربط الناظور بألميرية ومالقة، وطنجة بالجزيرات ومالقة وسات وطرابلس، وأگادير بجزر الكناريا.

ويتوفر المغرب في ميدان الصيد بأعالي البحار على أسطول مختلف الأصناف والتخصصات ومجهز بأحدث معدات الصيد. يتكون حاليا من 450 سفينة تبلغ حمولتها الإجمالية 454 ألف طن. ويتكون أسطول الصيد التقليدي الساحلي من 2543 باخرة تبلغ حمولتها الإجمالية 470 ألف طن. يوضح الجدولان التاليان أصناف سفن الصيد وتطور عددها خلال السنوات الأخيرة.

أصناف سفن الصيد في أعالي البحار المسجلة في السنوات الأخيرة

| صنف السفينة | 1997 | 1998 | 1999 |
|---|---|---|---|
| سفن صيد الرخويات | 336 | 336 | 333 |
| سفن الإربيان - قمرونيات | 59 | 60 | 59 |
| جيبيات مثلجة للأسماك السطحية | 5 | 5 | 5 |
| سفن صنانير التون مثلجة | 4 | 4 | 4 |
| جيبيات مثلجة | 28 | 28 | 24 |
| سفن مبردة | 21 | 21 | 21 |
| المجموع | 453 | 454 | 446 |

أصناف سفن الصيد التقليدي الساحلي
في السنوات الأخيرة

| صنف السفينة | 1997 | 1998 | 1999 |
|---|---|---|---|
| سفن جيابة (جيبيات) | 428 | 436 | 449 |
| سردينيات | 397 | 408 | 426 |
| سفن الصنانير | 971 | 976 | 970 |
| جيبيات ـ سردينيات | 286 | 279 | 287 |
| صنانير ـ سردينيات | 214 | 211 | 204 |
| جيبيات ـ صنانير | 87 | 86 | 82 |
| سفن الطحالب | 22 | 22 | 22 |
| سفن المزربة | 22 | 22 | 22 |
| سفن المرجان | 15 | 15 | 15 |
| أصناف أخرى | 65 | 65 | 65 |
| المجموع | 2507 | 2520 | 2542 |

تتوفر البحرية الملكية على عدة وحدات من السفن الحربية Frégates لحماية السواحل، ومنها سفينة القريب المجهزة للأبحاث في علوم البحار كمسح الخرائط وتحديد أعماق السواحل المغربية.

يتوفر المعهد الوطني في الصيد البحري على سفينتين علميتين : الشريف الإدريسي والأمير مولاي عبد الله، لدراسة وتقييم المخزون السمكي ومراقبته المستمرة من أجل استغلال رشيد للثروات البحرية والمحافظة عليها وتحقيق تنمية مستديمة. تتوفر السفينة الحديثة الأمير مولاي عبد الله على تجهيزات ومعدات ضرورية للبحث العلمي من شأنها أن تسمح بالإقدام على تقييم ومراقبة المخزون السمكي بكيفية دائمة ومستمرة، أي ما يساعد على صيانة المخزون السمكي المذكور مع السماح بالصيد المنتظم في حدود كميات هامة متزنة بدون إفراط. تم صنعها في اليابان، وسلمت إلى المغرب في مارس 2000. بفضل تجهيزاتها ومعداتها المتقدمة، تستطيع هذه الباخرة القيام بمجموعات واسعة ومتنوعة من العمليات الاستكشافية والتقنية تتعلق بدراسات علم المحيطات وموارد الصيد البحري.

تتلخص مميزات سفينة مولاي عبد الله التقنية كالآتي : الطول الكلي 38.5 م والعرض 7.8 م، الحمولة 298 برميلا عيار خام وقوة المحرك 1000 فرس (736 كيلواط)، السرعة 10 عقد، الإيواء 14 عضواً من الطاقم و7 باحثين. تتوفر على مختبرات علمية ومنظومة متكاملة لتسجيل الأصوات والصدى وتجهيزات لدراسة المحيطات وللصيد البحري وجهاز السونار للاستشعار الأفقي لأسراب الأسماك السطحية ولاستشعار أسراب الأسماك الموجودة في المناطق الضعيفة العمق، وجهاز المرجاس CTD (موصلة، درجة الحرارة، عمق) ومنظومة الضبط ومسبار الشباك لمعرفة عمق شباك الجر والمنافذ العمودية والأفقية لشباك الجر واتساع صفائح شباك الجر وكمية الأسماك التي تدخل في الشباك.

والهدف من هذه الأبحاث العلمية تحديد ورصد أهم المناطق التي تعمرها ثروات الصيد ؛ تحديد أهم مميزات الحياة المائية بالسواحل المغربية ؛ تحديد المميزات البيولوجية للأنواع المستهدفة ؛ تقييم الكتلة الحية السمكية المطلقة والنسبية ؛ تحليل البنية الديموغرافية للساكنات السمكية ؛ متابعة التغيرات التي يتعرض لها المخزون السمكي من خلال السلسلات الزمنية ؛ دراسة جودة وسلامة الوسط البحري ؛ تجريب تقنيات الصيد (الشباك الجيبية والمعدات السالبة) ؛ التنقيب في المناطق الصخرية والأعماق الكبرى ؛ المسح الخرائطي للسواحل الوطنية من أجل إنجاز خرائط المصائد وأعماقها.


ع. تيمول، *البحرية المغربية*، *معلمة المغرب*، ج 4، ص. 1077 ـ 1080.

Ministère des Pêches Maritimes, *La mer en chiffres, 1997, 1998 et 1999*, 38 p. ; A. Timoule, *Les chroniques maritimes du Maroc : Les statuts du marin et du navire marocains*, Casablanca, 1980.


نجاة الخياطي

**سفيان**، بطن من بطون أثبج بن ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة دخلوا المغرب الأقصى سنة 584 / 1188 على عهد يعقوب المنصور الموحدي ضمن مجموع قبائل جشم العربية. وكان المنصور قد نقل جشم من إفريقية إلى المغرب الأقصى عقابا لهم على مساندتهم لبني غانية (مادة جشم، *المعلمة*، 9 : 3028 وزهر *البستان*، 42). وأسكنهم تامسنا ما بين سلا ومراكش، وأسكن بني عمومتهم رياح بلاد الهبط وأزغار (*العبر*، 6 : 37 و*الاستقصا*، 2 : 168 ـ 169) واستفادت دولة الموحدين من عرب سفيان، كما استفادت ممن رافقوهم إلى تامسنا في فترة قوتها، فحاربت بهم برغواطة وما كان لها من آثار فكرية بمجالات تامسنا، وجبت منهم الجبايات، واستعانت بهم في جهاد الكفار بالأندلس (*العبر*، 6 : 37 ـ 38 وزهر *البستان*، 39). حتى إذا ضعفت الدولة الموحدية انقلب هؤلاء الأعراب عليها، واستعلوا على عدد من الخلفاء، وساهموا في اضطراب حبل الأمن، وأحكموا السيطرة على مجال نفوذهم. ولما أقام المرينيون دولتهم على أنقاض حكم الموحدين، لم تكن بالمغرب الأقصى قبيلة أقوى من جشم (*العبر*، 6 : 37 ـ 38).

وإذا كانت جشم أقوى قبائل العرب زمان قيام دولة المرينيين ـ على حد قول ابن خلدون ـ فإن سفيان تعد أهم بطون جشم وأقواها على الإطلاق. فقد كانت لهم الرئاسة على جميع قبائل جشم وقت مجيئهم إلى المغرب الأقصى، وكان عرب الخلط ينازعونهم تلك الزعامة. وعليه لا يمكن فهم طبيعة العلاقة بين عرب سفيان والموحدين في المائة السابعة للهجرة (13 م) بمعزل عن خلافهم مع عرب الخلط وصراعهم معهم حول زعامة جشم. فقد تقرب عرب سفيان

من خلفاء بني عبد المؤمن كلما كان هؤلاء الخلفاء في خلاف مع الخلط، وشقوا عصا الطاعة عليهم كلما تقربوا من أعدائهم الخلط. ولعل هذا ما يفسر تأرجحهم في الطاعة بين الخلفاء من بني عبد المؤمن وأمراء بني مرين (انظر تطور الزعامة في أولاد جرمون، *معلمة المغرب*، 9 : 2964 ـ 2968).

ارتبطت قوة عرب سفيان وزعامتهم على جميع عرب جشم بالعصر الموحدي، ومع حلول العصر المريني تخلت سفيان عن دورها في زعامة عرب تامسنا لعرب الخلط بعد أن أصهر السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني لبني المهلهل في عائشة بنت مهلهل بن يحيى بن مقدم أم السلطان أبي سعيد عثمان الثاني، فانحازت جموع سفيان منذ ذلك الحين إلى أطراف تامسنا مما يلي آسفي ومن بطونها من انتجع ضواحي مراكش وأرض السوس وقفاره كما هي الحال بالنسبة للحارث والكلابية (*العبر*، 6 : 38 ؛ *وصف إفريقيا*، 1 : 43 ؛ *الاستقصا*، 2 : 174 *وأثر القبائل العربية*، 96).

وفي عهد السلطان مولاي إسماعيل نالت سفيان حظوة كبيرة لما كان لها من فضل خئولة لفرع الدوحة الهاشمية، فهم أخوال مولاي زيدان، ولذلك أفرد لهم محمد بن العياشي المكناسي تأليفاً خاصاً سماه : *زهر البستان في نسب أخوال سيدنا المولى زيدان*، التقط فيه أخبارهم من كتاب *العبر*.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 188 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1، الرباط، 1980 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 2، الدار البيضاء، 1954 ؛ *معلمة المغرب*، ج 9، سلا، 1998 ؛ م. ابن العياشي المكناسي، *زهر البستان في نسب أخوال سيدنا المولى زيدان*، مخطوط خ. ع. رقم، 2152 د ؛ م. أ. أبو ضيف، *أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين*، الدار البيضاء، 1982.

حسن حافظي علوي

**السفياني**، أسرة سلوية عريقة أصلها من قبيلة سفيان المتفرعة عن جُشم الهلالية الكبرى. والمستقرة في سهل الغرب شمالي مدينة سلا. ومن السفيانيين السلويين الذين تحدثت عنهم الوثائق ولم نعرف لهم ترجمة مطولة : أحمد السفياني أحد عدول مدينة سلا، وكان ينظم قصائد الملحون وتوفي في منتصف القرن الرابع عشر (20 م) ؛ عبد السلام ابن المعطي السفياني من عدول سلا المنتصبين للشهادة كان حيا سنة 1307 ؛ محمد بن بناصر السفياني تاجر سلاوي عين سنة 1312 أميناً على صائر بناء قصبة القنيطرة ؛ محمد بن حجي السفياني أحد عدول سلا، كان بقيد الحياة سنة 1217 ؛ محمد بن مَحمد السفياني فقيه مدرس نسخ كتباً بخطه، وكان حياً سنة 1278. ويوجد السفيانيون أيضاً في الحواضر المتاخمة لسهول الغرب مثل مكناس وفاس منذ القرن التاسع (15م).

وذكر مؤلف *إزالة الالتباس* (2 : 187) أن السفيانيين قديمون في فاس أصلهم "من أيت يوسي أهل حسب ودين وصلاح ومعاش وحرفة. يدّعون الشرف ولاحظ لهم فيه. ومنهم الشيخ الصالح الحسن بن إبراهيم السفياني ـ آتي الترجمة ـ وينسب إليه مسجد سيدي الحسن السفياني ... ويوجد جنان السفياني بالمرج خارج باب الخوخة". وجاء في *كشف الحجاب* أن بفاس فرقة أخرى من السفيانيين شرفاء، أصلهم من الوداغير الحسنيين أهل فگيگ، انتقل جدهم محمد بن عثمان الوداغري إلى فاس في منتصف القرن الحادي عشر (17م) ونزل عند الشيخ الحسن السفياني سابق الذكر فزوّجه إحدى بناته ومات محمد الوداغري وترك زوجه حاملاً بأحمد الذي اشتهر بالسفياني لتربيته في حجر جده لأمه.

شجرة *نسب السفيانيين الوداغريين بفاس*، وقف عليها ونقل عنها صاحب *كشف الحجاب* ؛ أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، ط. 3، 1381/ 1961، ص. 170 ـ 171 ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز* ؛ *التعريف*، 2 : 57 ـ 61 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة*، 193 ؛ *التنظيم الجماعي والإداري*، 1992 ؛ وثائق بنسعيد ووثائق خ ص.

محمد حجي

**السفياني، إبراهيم** بن محمد، قائد رئيس جيش حوز مراكش عينه السلطان عبد الملك السعدي عاملا بالقصر الكبير، وبصفته قائد القواد ترأس مقدمة الجيش في معركة وادي المخازن، وهو الذي تزعم حركة مبايعة أحمد المنصور الذهبي خلفا لأخيه عبد الملك بأرض المعركة عشية يوم 30 جمادى الأولى 986 / 4 غشت 1578.

ويقول الفشتالي في *مناهل الصفا* إنه عندما عين مولاي أحمد المنصور ابنه مولاي محمد الشيخ خليفة عنه بفاس وكان آنذاك طفلا صغيرا، عين بجانبه القائد السفياني الذي يصفه الفشتالي بعظيم الدولة وكبيرها.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، الرباط، 1972، ص. 34، 43، 47، 58، 61، 62، 66، 98.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jordana del Rey Don Sebastian* (*S.I.H.M.* France, I, p. 575 - 627) ; Bautista Morales, *Jordana de Africa del Rey Don Sebastian de Portugal*, Sevilla 1622 y Madrid 1889.

محمد ابن عزوز حكيم

**السفياني، أحمد** بن الطيب الحسني الفاسي، التجاني طريقة. أديب شاعر وشاح زجّال، صحب الشيخ أحمد التجاني وهو صغير، فكان لا يفارق والده المقدم الطيب السفياني في الحضور عند الشيخ أحمد التجاني ويجلس قرب والده للتمتع بكلام الشيخ والنظر في وجهه والاقتباس من مشكاة أنواره، ودعا له الشيخ بخير فظهر أثر ذلك عليه. وكان عمره يناهز ثلاث عشرة سنة حين وفاة الشيخ التجاني.

كادت تكون جميع أشعاره الفصحى والملحونة في مدح الشيخ التجاني. ووقف مؤلف *كشف الحجاب* على ديوان

لأحمد السفياني، ونقل جملة من شعره في هذا الكتاب، وفي *رفع النقاب* كذلك جملة وافرة من القصائد والمقطعات والموشحات لأحمد السفياني.

توفي يوم الاثنين ثاني صفر سنة 1285 / 25 ماي 1868 ودفن بجبل الزعفران خارج باب عجيسة قرب قبر والده.

أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، ط. 3، 1381 / 1961، د. م. ؛ *رفع النقاب بعد كشف الحجاب*، تطوان، د. ت. الربع الثاني ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 : 2640.

**السفياني، الحسن** بن إبراهيم الفاسي، الشيخ الصوفي الكبير، أصله من قبيلة سفيان سهول الغرب، أخذ عن الشيخ مَحمد ابن سليمان الجزولي بوسائط. وكان "سالكا ومجذوبا، والجذب أغلب عليه، وكان له أصحاب وأتباع، وتلامذة وأشياع يأثرون عنه كرامات، وخوارق للعادات" (*سلوة*، 1 : 140).

إليه ينسب السفيانيون الشرفاء الوداغريون حيث نزل عليه جدهم محمد بن عثمان حين هاجر من فگيگ إلى فاس، فزوجه المترجم له ابنة فأنجبت له طفلا ولد بعد وفاة أبيه فسمي أحمد ودعي السفياني، فكان رأس السفيانيين الشرفاء بفاس كما سبق.

كان الشيخ الحسن السفياني يربي مريديه بزاويته داخل عين اصليتن من عدوة فاس القرويين، وكانت له زوايا أخرى في البوادي والحواضر.

توفي بفاس في خامس ذي القعدة عام 1098 / 10 شتنبر 1687.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت 1996، ج. 4 : 1694 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 1300، 1 : 140 ؛ أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، ط. 3، عام 1381 / 1961، د. م. ص. 170.

**السفياني، الطيب** بن محمد الوداغري الحسني الفاسي. رفيق الشيخ أحمد التجاني. وكبير مريديه ومقدم طريقته في حياته. حلاه في *كشف الحجاب* بـ "الفقيه الجليل، الشريف الأصيل، المقدم البركة، المؤيد بتوفيق الله في السكون والحركة". كان أولا على طريق السادة أهل وزان منسوباً إليهم في جميع أموره إلى أن ذهب إلى الحج واطلع على كتاب *جواهر المعاني* للشيخ أحمد التجاني عند المقدم عبد الواحد بناني المصري وحدثه هذا بكرامات الشيخ ومناقبه. فلما رجع إلى فاس سارع إلى ملاقاة الشيخ التجاني ولقي منه إقبالا عظيما.

كان للمترجم دنيا واسعة وثروة طائلة، تمتد فروع تجارته من فاس إلى الجزائر وقسنطينة ينفق منها عن سعة في وجوه البر ويصل بسخاء آل البيت الكرام. وقد طلب يوما من شيخه التجاني أن يدعو له أن يتوفاه الله على محبته، فدعا له بذلك وقال له : "استعد للفقر جلبابا" فصارت الدنيا تنقص من يده شيئاً فشيئاً وقلبه مطمئن إلى أن وافاه الأجل وهو فقير.

ألف المترجم كتاب *الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية*، جمع فيه بعض ما تلقاه من كلام الشيخ أحمد التجاني مشافهة (وبواسطة بعض الأصحاب ممن حفظه عن الشيخ)، ويذكر السبب الذي صدر لأجله كلام الشيخ، ورتبها على حروف المعجم. وقد أخذ منها الشيخ ابن السائح في كتابه *البغية* وانتقد بعض الإفادات شاكاً في أن تكون منقولة بالنص من كلام الشيخ التجاني. وكذلك فعل أحمد سكيرج في *كشف الحجاب*، فأورد طائفة كبيرة من إفادات الطيب السفياني التي سلمها ابن السائح.

توفي صاحب الترجمة بفاس عام 1259 / 43 ـ 1844 ودفن بجبل زغوان خارج باب عجيسة.

الطيب السفياني نفسه، *الإفادة الأحمدية*، مخطوط ؛ أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، ط. 3، سنة 1381 / 1961، د. م. ص. 170 ـ 184 ؛ *رفع النقاب*، تطوان، د. ت. ص. 235 ـ 249 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعةأعلام المغرب*، بيروت، 1966، ج 7: 2567.

**السفياني، عبد الرحمن** بن محمد الفاسي ← **سُقّين، عبد الرحمن**

**السفياني، عبد السلام** بن عمر السلاوي. صحافي ساخر وكاتب مسرحي. ولد بسلا في 19 رجب عام 1340 / 20 مارس 1922 ودرس في مدرسة الشيخ زين العابدين ابن عبود بحي بارمادة سلا، قرأ عليه قواعد اللغة العربية وآدابها، والعلوم الشرعية والعقدية خاصة الفقه أصوله وفروعه. كان رياضيا يهوى الملاكمة وله موهبة في الكتابة يكيفها مع ما جبل عليه من فكاهة وهزل واصطبغ ذلك بالسياسة بعد أن أصبح محرراً في جريدة *الرأي العام* ناقدا لاذعا يقلق راحة خصومه السياسيين. وكتب عدة مسرحيات وربما شارك في تخريجها وتمثيلها منها مسرحية "*بين نارين*" التي مثلت على الخشبة في عدد من المدن المغربية.

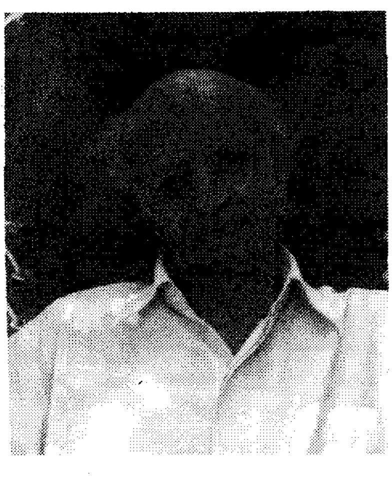

وبعد توقيف *الرأي العام* عمل محرراً في جرائد أخرى وفي الإذاعة المغربية، وأصدر جريدة *المطرقة*، نقدية هزلية، وآخر مؤسسة عمل بها هي جريدة *الميثاق الوطني*.

توفي بالرباط يوم الاثنين 29 شعبان عام 1404 / 28 ماي 1984.

*وثائق عائلية ومهنية، ومعرفة شخصية.*

محمد حجي

**السفياني، العربي** بن بنعاشر السلوي. ولد بمدينة سلا سنة 1339 / 1921. وتتلمذ على يد الشيخ زين العابدين ابن عبود وبعض علماء سلا وفاس، وكان يحسن اللغات العربية والفرنسية والإسبانية، والأمازيغية الشلحية...

عمل كمستشار فني في شركة الغزل والنسيج "لاسافط" بالرباط وشركات أخرى بالبيضاء.

انخرط مبكراً في الحركات الكشفية والسياسية لا سيما في منظمة الكشافة المغربية الإسلامية. وكمناضل في حزب الشورى والاستقلال، شارك ـ ضمن وفد الحزب ـ في استقبال المغفور له جلالة الملك محمد الخامس ـ بفرنسا ؛ وفي حفلات استقباله بالمغرب.

عرف السجون والمنافي في حوادث 1944 للمطالبة باستقلال المغرب وترسيخ نظام الشورى كأداة للحكم والنهوض بالأمة المغربية إلى مصاف الدول الراقية العصرية.

وله *دراسات* فنية في مجالات صناعة الغزل والنسيج، نُشرت في مجلات كانت تعنى آنذاك بهذه الصناعة العصرية الحديثة.

مات شهيداً في مجزرة سوق أربعاء الغرب وهو يترأس كتيبة كشفية كانت في استقبال أول عامل عُين على عمالة الرباط التي كانت تضم أيضاً ناحية الغرب، وذلك يوم الاثنين 9 جمادى الثانية عام 1375 / 23 يناير 1956.

جريدة *الرأي العام*، أعداد يناير وبراير، 1956 ؛ *وثائق عائلية*.

أحمد بن بنعاشر السفياني

**السفياني، محمد** بن **عبد الرحمن** الفاسي ← **سُقّين، محمد** بن عبد الرحمان

**السفياني، مَحمد** بن **عيسى** المكناسي ← ابن **عيسى، مَحمد** (الشيخ)

**السقاوة** طائر من الكواسر النهارية كبير كما هو شائع في الشرق العربي وفي المعاجم، يصنف إلى رتبة الجوارح Rapaces Falconiformes وفصيلة الصقريات Accipitridae. ويعيش منه في المغرب نوعان يغلب عليهما اسم حميمق أو باقة.

ـ سقاوة وحشية Buteo rufinus تسمى بالفرنسية Buse féroce وبالانجليزية Long-legged Buzzard وبالإسبانية Ratonero moro وبالإيطالية Pioana codabianca. طائر أكبر حجما من السقاوة العادية ويصعب التمييز بينهما في حالة الطيران. يختلف عنه بلون ريشه الشاحب الموحد على الذيل والأسود الداكن على البطن. المنقار أسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء. الذيل دائري قليلا وبدون خطوط. يبلغ طول الجسم 60 ـ 66 سم ويزن 600 ـ 1800 غرام، تبلغ بسطة الجناحين 125 ـ 150 سم. الإناث أكبر حجما ووزنا من الذكور. يعيش منعزلا أو مزدوجا.

المجموعات المغربية مستقرة تنحدر إلى ضرب B. rufinus cirtensis وأفرادها موزعة على مختلف المناطق الجافة وشبه الجافة بجبال الأطلس والهضاب العليا الوسطى والشرقية والحوز وتافيلات وتنغير وورزازات والساقية الحمراء والعيون ورأس درعة ووادي شبيكة وگلتة زمور وشمال موريتانيا. نادر في المناطق الساحلية بخلاف مناطق طنجة والرأس الأسود قرب تطوان ونادر أيضا في المناطق الغابوية والرطبة التي تفوق تساقطات أمطارها 350 ملم في السنة. تتوالد منذ فبراير إلى أبريل وينصب الزوجان العش على صخور الأجراف وعلى أشجار الأدغال وهو عش ضخم قد يبلغ قطره أحيانا متراً ونصفاً ويتعدى علوه متراً ؛ يتكون من الأغصان اليابسة ومن الطين ويفرش بقطع الأعشاب والصوف. تبيض الإناث 1 ـ 4 بيضات عليها نقط شقراء، يبلغ طول قطريها 44 × 55 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 28 ـ 31 يوما. تبقى الصغار بداخل العش حوالي 40 يوما قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز.

يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا الطائر على إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وآسيا الوسطى ونادر جدا في أوروبا حيث توجد منه حوالي 100 زوجة تعيش في البلقان فقط. يتكون غذاؤه من الجيف والزواحف كالضب والثعابين والضفادع والفئران وصغار الطيور والحشرات كالجراد والخنافس. صيده ممنوع في المغرب وهو طائر محمي.

- سقاوة عادية Buteo buteo تسمى بالفرنسية Buse variable وبالانجليزية Buzzard وبالإسبانية Ratonero comun وبالإيطالية Poiana. يختلف هذا الطائر عن العقاب برأس دائري وصغير وبجناحين قصيرين نسبيا على شكل V عند التحليق في الفضاء. لون ريشه شاحب بني داكن ويختلف من فرد لآخر. المنقار معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء. الذيل دائري قليلاً ومحفوف بريش أسود ؛ يبلغ طول الجسم 50 ـ 56 سم ويزن 500 ـ 1400 غرام وتبلغ بسطة الجناحين 110 ـ 130 سم. الإناث أكبر حجما ووزنا من الذكور.

يتوالد في أوروبا وآسيا من سبيريا إلى اليابان ومعظم مجموعات أوروبا الغربية مستقرة، والمجموعات التي تتوالد في الشمال وفي الشرق تهاجر شتاء إلى الجنوب. يأتي إلى المغرب ما بين 3000 ـ 5000 فرد كل خريف عبر مضيق جبل طارق لقضاء فصل الشتاء في إفريقيا ثم العودة إلى أوروبا بين مارس ويونيو. تتوزع الأفراد منعزلة أو مزدوجة على مختلف المناطق المغربية بين أكتوبر ومارس شوهدت منه عدة أفراد تحمل خاتما من أوروبا الشمالية في كل من گولمين وماسة وورززات وأحفير وسيدي علال التازي وسيدي بنور وگرسيف. كما أن عدة أفراد تقطع الصحراء المغربية لتشتو في موريتانيا والسنغال والدول المجاورة.

يستبعد أن يتوالد هذا الطائر في المغرب، ويتكون قوته من مختلف أنواع الزواحف والضفادع والفئران وصغار الطيور والحشرات الكبيرة.

م. رمضاني، بولحية، *معلمة المغرب*، الجزء 6، ص. 1845 ؛ *الرخمة*، *معلمة المغرب*، ج 13 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، ط 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

P. Bergier, *Les falconiformes marocains. Statuts, Répartition et Ecologie. Annales CEEP (ex. CROP)* n° 3, 1987, 160 p. ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*. Paris, 1977.

محمد رمضاني

**السقَاية**، منشأة معمارية ذات نفع عام تجمع الماء وتخزنه بعد وصوله إليها من مصادره بغرض توفيره للسكان، وتيسير سبل الحصول عليه، لتلبية ما يستلزمه عيشهم اليومي من شرب وطهارة وأشغال. ولذلك فهي مرفق حيوي مميز للمدينة المغربية قبل 1912. يلاحظ ذلك في كثافة مواقعها في النسيج الحضري لهذه المدينة، وتغطيتها لكل الأماكن التي تعرف فيها حضورا بشريا، وفي وجود درب من دروب كل حومة يحمل اسم درب السقاية.

والسقاية نهاية لشبكة من الآليات والمنشآت. كانت تستخدم في تزويد المدينة بالماء، وجعله قابلا للاستهلاك. بدءاً من مصادر استخراجه الطبيعية، مرورا بتقنيات نقله السطحية ـ السواقي ـ أو الجوفية ـ الخطارات ـ ثم جمعه وتخزينه في الصهاريج، وأخيرا إعادة توزيعه على المدينة عبر قنوات وسواق، ليصل إلى السقاية، نقطة الالتقاء بين المستهلك وهذا النتاج الطبيعي الحيوي.

سقايات مراكش، أحصى القاضي عباس بن إبراهيم عدد سقايات مراكش في زمانه بتسع وثمانين سقاية (*الإعلام*، 1 : 99). وليس بمستبعد أن يكون نفس العدد أو ما يقرب منه هو ما كان قبل القرن العشرين. ولعل مما يدعم ذلك أن عدد سقايات فاس في عهد الموحدين بلغ ثمانين سقاية حسب إحصاء مخزني رسمي (*جني زهرة الآس*، 44)، أما ما أشارت إليه الجزئيات المتوفرة عن سقايات المدينة قبل القرن العشرين، فمحدود جدا ويتلخص في اللوحة التالية :

| الزمن | الوحدات | الوضعية الحالية | | |
|---|---|---|---|---|
| | | موجودة | مندثرة | بقايا آثار |
| المرابطون | سقاية قرب جامع ابن يوسف | | | X |
| | سقايات قرب قصر الحجر | | X | |
| الموحدون | سقايات من جنوب المدينة إلى شمالها | | X | |
| | سقاية خارج باب تاغزوت | | X | |
| السعديون | سقاية جامع المواسين | X | | |
| | سقاية جامع باب دكالة | X | | |
| | سقاية اشرب وشوف | X | | |

سقاية جامع ابن يوسف : هي عنصر من مركب مائي، يقع بجوار جامع ابن يوسف، يتكون من السقاية المذكورة وخزان تتزود منه بالماء وحوض. لا تقدم المصادر المتداولة معلومات عن هذا المركب كلا أو جزءا. رغم أنه النموذج الأصلي المحتذى في بناء باقي سقايات المدينة بعده. والإشارة العرضية الوحيدة التي تكررت في بعض من هذه المصادر، ولها فيما يبدو صلة بالموضوع هي : جامع السقاية، كتسمية ثانية لجامع ابن يوسف (*المقتبس*، 58 ؛ وثيقة وقف موحدية. *Deux Tahbis Almohades*, 415 ؛ *البيان*، 4 : 98 ؛ *رحلة الوافد*، 182). ومن المرجح أن تكون للتسمية علاقة بالجوار (*Deux Tahbis*, 419 - 420).

والسقاية ذات شكل مستطيل يقدر بـ 5,14 x 4,5 مترا، تتوزع إلى أقسام ثلاثة يفصل بينها عقدان (*Marrakech*, 1:

105)، تُقابل واجهة التزود منها، الواجهة الجنوبية للجامع، وتستقبل الماء من خزان ملاصق لها عبر فتحات بها أنابيب مصنوعة من البرونز.

سقاية جامع الأشراف بالمواسين : تقع هذه السقاية في وسط المدينة، وبُنيت في عهد حكم السلطان السعدي عبد الله الغالب، وبأمر منه، كمرفق من مرافق جامع الأشراف والحومة التي انتظمت حوله، حومة المواسين (*نزهة الحادي*، 107)، تتوزع إلى ثلاث وحدات متصلة خاصة لشرب الحيوانات، وسقاية منفصلة عنها مغلقة خاصة بالماء الشروب للسكان (*Marrakech*, I : 371 - 372).

سقاية جامع باب دكالة : تقع غرب وسط مراكش، وهي من ملحقات جامع باب دكالة الذي أمرت ببنائه مسعودة الوزكيتي أم السلطان السعدي أحمد المنصور عام 995 / 1588 (*نزهة الحادي*، 146). وينسبها بعض أهل المدينة إلى الحْسَنْ وُعْلي، أحد صلحاء حومة باب دكالة المغمورين. يكاد تصميمها ومكوناتها المعمارية يتطابقان، وتصميم ومكونات سقاية جامع الأشراف، وهي ملاحظة تدعم رجوع تاريخ بنائها إلى عهد السعديين (*Marrakech*, 415).

سقاية اشْرَبْ وشُوفْ : تقع وسط المدينة في حومة أسول العتيقة.، لا نعرف بالضبط تاريخ تأسيسها ولا مؤسسها، إلا أن الاطمئنان إلى زمن حكم السعديين، يبدو تاريخا مقبولا لنشأتها لكون ميزاتها المعمارية، طغت عليها هندسة وجماليات معمار الفترة (*Marrakech*, 461). ولعل لاسم هذه السقاية دلالة مزدوجة، صحية وجمالية، تظهر من خلال علاقة التسمية بأداة وطريقة الشرب في حالة عدم وجود إناء للشرب، وجمالية الزخرف الذي يعلو الواجهة الخارجية لسقف السقاية. وانعكاس الزخرف في الماء، حيث تتداخل هذه العناصر فيما بينها في زمن واحد، هو زمن تناول الماء لشربه من السقاية، وذلك بعد ملء اليدين مجتمعتين، وانحناء الرأس نحوهما، حيث حوض تجمع المياه. ففي الوقت الذي تتم فيه عملية الشرب تكون العينان مفتوحتين على الحوض الذي تنعكس فيه زخارف سقف السقاية، وهذا الانعكاس يستوجب كشرط لوضوحه صفاء الماء ونقاء الحوض. وهو مؤشر على ما كانت تتوفر عليه سقاية اشرب وشوف من ضمانات صحية وثروة فنية تبرز القيمة الرفيعة التي كان الماء يحظى بها في مجتمع المدينة.

الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، طبعة الجزائر، 1957 ؛ مجهول، *الاستبصار*، تح. سعد زغلول ع. الحميد، البيضاء، 1985 ؛ البيذق، *المقتبس من كتاب الأنساب*، طبعة دار المنصور، 1971 ؛ ابن عذاري، *البيان*، ج. 4، تح. إحسان عباس، بيروت، 1967 ؛ الجزنائي، جني *زهرة الآس*، تح. ع. الوهاب بنمنصور، الرباط، 1991 ؛ الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشادلي، البيضاء، 1998 ؛ التاسافتي، *رحلة الوافد*، تح. علي صدقي أزايكو، الرباط، 1992 ؛ ع. ابن إبراهيم. *الإعلام*، الجزء الأول، ط. 2، الرباط، 1974.

G. Deverdun et Mhammed ben Abdeslem Ghiati, *Deux Tahbis Almohades*, *Hesp.*, XLI, 3° - 4°, tr., 1954 ; *Marrakech des origines à 1912*, 2 tomes, Rabat, 1959 - 1966.

محمد رابطة الدين

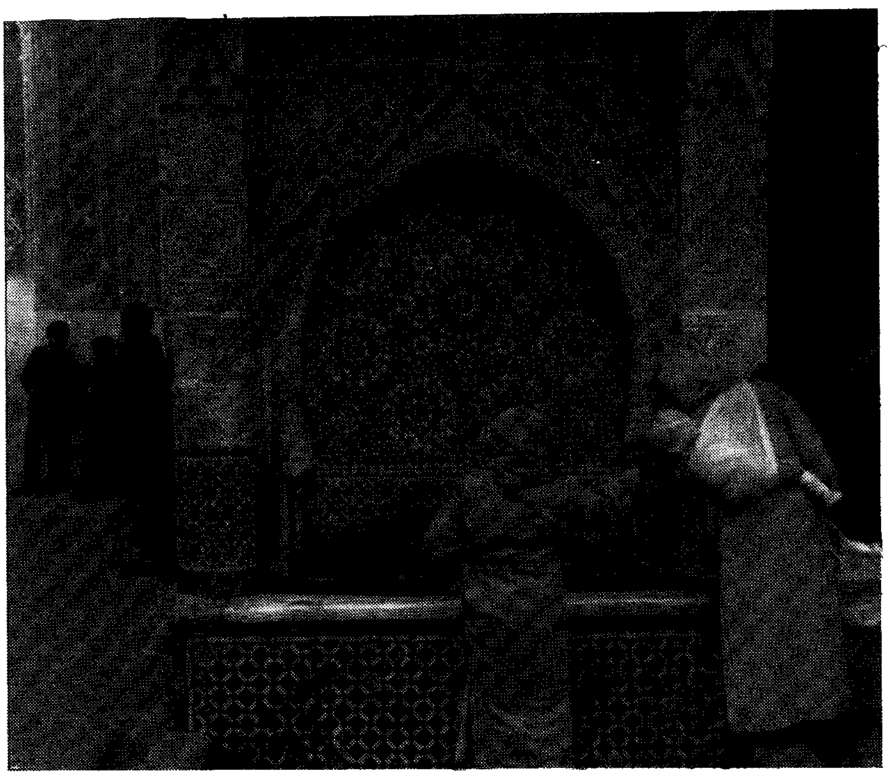

**السقاط**، أسرة فاسية عريقة، قال عنها في *إزالة الالتباس* : "أهل تجارة ومال ومعاش وحرفة وطلب". وذكر صاحب زهر الآس أنهم على فرق كثيرة، منهم فرقة زنقة حجامة ودرب الحمام من وسعة رحبة الزبيب ؛ وفرقة أهل القطانين واليوم بجزاء برقوقة ؛ وفرقة الفقيه المدرس محمد ابن محمد السقاط بالدرب المقابل للباب الكبرى من زاوية الولي سيدي محمد بن الفقيه، ثم درب سيدي حكيم من وسعة العيون ؛ وفرقة درب الروم.

ع. الكبير الكتاني، زهر *الآس*، الدار البيضاء، 2002، ج 1 : 493-494 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

**السقاط، عبد الرحيم**، موسيقي ولد بمدينة فاس في أعوام الثلاثين، وتابع دراسته الابتدائية بإحدى المدارس الحرة، ثم التحق بثانوية المولى إدريس حيث حصل على شهادة البكالوريا عام 1953. وخلال دراسته الثانوية تفتقت موهبته الفنية، وتبدّت أمارات تعلقه بالموسيقى، فاقتنى ناياً كان يواظب على حمله طيّ أدواته المدرسية، تعلقا بالموسيقى، فإذا أسعفه الوقت اختلى بأصدقائه وأخذ ينفخ فيه مرجعا ما علق بذاكرته من ألحان ؛ ثم اقتنى عودا وراح يلامسه بأنامله موقعا عليه أولى محاولاته في العزف والتلحين.

وقد تملكه هاجس الانقطاع للموسيقى، فقرر الرحيل إلى مصر، محتذيا حذو فئة من شباب المدينة الذين اختاروا متابعة دراستهم العليا بالديار المشرقية. وهكذا غادر المغرب نحو القاهرة سنة 1953، حيث انخرط في شعبة الموسيقى بجامعة فؤاد الأول متفرغا لدراسة قواعد الموسيقى العربية والعزف على آلة العود.

وخلال السنوات الأربع التي قضاها في القاهرة، حاول أن يسجل أحد أعماله الموسيقية مع إذاعة "صوت العرب"، فلم يفلح بدعوى أن عمله لا يعكس الوجه الأصيل للموسيقى المغربية، وأن عليه أن يتعامل مع معطيات التراث الموسيقي المغربي بدل الاكتفاء بتقليد القوالب المصرية.

وأمام انسداد سبل الاشتغال في القاهرة لم يجد السقاط بديلا عن العودة إلى وطنه، فغادر مصر عام 1957، وحل بالرباط حيث التحق بالجوق الوطني لدار الإذاعة، ورئيسه يومئذ أحمد البيضاوي ؛ فلما دبت عوامل الخلاف بين عناصر الجوق بسبب التهافت على رئاسته، وآل الأمر بعد ذلك إلى تشكيل أجواق محلية بمدن طنجة وفاس ومكناس سنة 1960 آثر السقاط أن يرحل إلى فاس للعمل مع المجموعة التي كان يرأسها أحمد الشجعي.

ولم تطل إقامة السقاط بفاس، إذ لم يفتأ أن رحل مع أسرته إلى الدار البيضاء، وهناك اشتغل فترة قصيرة في إحدى المؤسسات البنكية قبل أن يتم توظيفه للعمل ضمن جوق الإذاعة الجهوية.

وواكب السقاط مسيرة تطور الأغنية المغربية وهي تسير في ركاب قوالب الأغنية المصرية، ثم وهي تنفلت من قيود التقليد الأعمى لهذه الأغنية، لتشق طريقها نحو اكتساب مقومات الهوية المغربية، وقد أسهم في تطوير الأغنية المغربية بما أبدعه من مقطوعات غنائية تعامل فيها مع الشعر الفصيح والزجل العامي. وكان موفقا في اختيار الأشعار التي لحنها، مثلما كان موفقا في اختيار الأصوات التي تؤدي أغانيه. وقد غنى من ألحانه خيرة المطربين كالمعطي بلقاسم، وإسماعيل أحمد، ومحمد المزگلدي، وعبد الهادي بلخياط، وفتح الله المغاري، وعبد الوهاب الدكالي، ومحمد الحياني، وحميد شكري، وعبد المنعم الجامعي، كما غنى له من المطربات نعيمة سميح، وبهيجة إدريس، وسعاد حجي، والمطربة المصرية دلال وحيد. ويتوزع أغانيه غرضان أساسيان هما :

العاطفي، ومنه : ياقلبي هذي والتوبة، عييبو عليا، اعلاش ياغزالي، اللي بغيتو بغاني، قطار الحياة، كاس البلار، والله ما نلومك، والله ما نخون العهد، وشاية، مابان عليه اخبار...

الوطني، ومنه : عش للمنى، العرش يزهو، عيد النور، احنا معاك يا بلادنا، يا مليكي، مع النصر موعدنا، يا فرحة العيد.

وبعد حياة حافلة بالعطاء، توفي عبد الرحيم السقاط يوم الجمعة 17 صفر عام 1406 / 1 نوفمبر 1985.

م. بوهلال، *كتاب المهرجان الأول لإبداعات الشباب*، تر. السقاط، ماي 1998 ؛ *معلومات شخصية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**السقاط، علي** بن محمد بن العربي الفاسي، محدث كبير، وصوفي ناسك. أخذ بفاس عن الشيخ المعمّر محمد بن عبد السلام بناني وبتطوان عن عمر بن عبد السلام لوكس وأجازوه إجازة عامة، ولما حج سنة 1114 / 1702 أجازه أعلام شيوخ المشرق أمثال البصري، والنخلي وإبراهيم الفيومي وعبد الباقي الزرقاني ومصطفى البكري وغيرهم.

ألف *فهرساً* جمع فيه أشياخه ومروياته عنهم الحديثة والصوفية، أخذه عنه عدد من علماء المغرب وصوفيته، ثم انتقل إلى مصر فأخذه عنه كثير من مشاهير علمائه وترجموا له في مؤلفاتهم وفهارسهم وأثنوا على علمه وصلاحه الثناء العاطر. منهم الحافظ مرتضى الزبيدي في *ألفية السند*، والمرادي في *سلك الدرر* الذي قال عنه : "كان فرداً من أفراد العالم فضلا وعلماً وديانة وزهداً وولاية". ووصفه الأمير الصغير في رسالته في الحديث المسلسل بعاشوراء "بالإمام

الحافظ ذي الأسانيد العالية. وألف في أسانيد السقاط تلميذه شمس الدين بن فتح الفرغلي المصري ثبتاً سماه *الضوابط الجلية*".

توفي علي السقاط بمصر سنة 1183 / 69 ـ 1770.

علاوة على المصادر المشرقية المذكورة داخل النص أعلاه. ترجم للسقاط : ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، ط 2، باعتناء إحسان عباس، بيروت، 1986، 2 : 1006 ـ 1008 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*، ط 2، الدار البيضاء، 1960، ج 2 : 319 ـ 320 ؛ *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2395 .

**السقاط، محمد التاودي** بن محمد الفاسي، أديب كاتب، وفقيه مشارك، وصوفي ناسك. ولد بمدينة فاس في العشرة الثالثة من القرن الثالث عشر، وبها نشأ وقرأ على عدد من شيوخ العلم والأدب، لكن أكثر ما أخذ عن شيوخ التصوف الصالحين، وفي مقدمتهم والده (ت. 1242)، والولي العارف الحاج المختار البقالي الفاسي، وعبد القادر العلمي المكناسي (سيدي قدور العلمي) صحبه سبعاً وعشرين سنة.

عمل السقاط كاتباً عند عامل فاس الطيب البياز، ولما قُبض على هذا الأخير سنة 1260 /1844 ووقع البحث عن أصحابه، نجّى الله المترجم من التبعة، ثم صار كاتباً مع عامل فاس القائد محمد بن الطالب الهنتيفي نحو سبع سنين. توجه بعدها إلى الحج صحبة الثري الفاسي الشهير الأمين الحاج الطالب بن جلون وكتب رحلة سماها *المنح الوهبية في الرحلة الحجازية*، أكثر فيها من مدحه. ثم توجه إلى الجزائر سنة 1277 / 1860 رفقة السفير الحاج العياشي بنيس والقائد عمر الزراري. وبعد ذلك التحق بمراكش ولقي بها الصالح الشيخ محمد الفران، وألف في مناقبه كتاب *خرق العوائد واستجلاب الفوائد* ترجم فيه لنفسه وذكر ما وقع له مع الشيخين محمد الفران وقدور العلمي وغيرهما. وفرغ من تأليفه في 20 صفر عام 1288.

توفي بفاس بعد سنة 1290 / 1873.

م. التاودي السقاط نفسه، *خرق العوائد واستجلاب الفوائد*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1977، ج 6 : 328 ـ 329 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*، ط 2، الدار البيضاء، 1960، ص. 206 و 365 ؛ *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2677.

**سُقَّيْن، عبد الرحمن** بن علي العاصمي السفياني القصري الفاسي، نشأ بفاس ودرس على الإمام محمد ابن غازي، وهو أول من دخل عليه حين قدم من مكناسة لاستيطان فاس، والشيخ أحمد زروق ومحمد الطنجي وعيسى الواواسي وعبد العزيز البورجي وغيرهم، وارتحل إلى المشرق سنة 909 للحج والتوسع في العلم على قلة ذات يده، فلقي في مصر أبا الفتح القلقشندي وغيره من أصحاب الحافظ ابن حجر، "وأقام بالحرمين الشريفين مدة طويلة لأخذ الحديث والتوسع فيه وفي سنده وضبط ألفاظه ومشايخ السند حتى حصل له من ذلك علم كثير ورواية واسعة لم تحصل لغيره من أهل عصره من علماء فاس (*فهرس المنجور*، ص. 60).

اجتاز في طريق رجوعه إلى فاس ببلاد السودان كما مرّ بها في ذهابه ودخل مدينة كنُو على ضفاف نهر النيجر، "وحدّث هناك بمحضر ملوكهم فعظموه وأجلسوه يحدث على الفرش الرفيعة ووصلوه بالصلات الجزيلة من جوار أبكار وغيرها، وافتض كثيرا جدا، حدّث بعض أصحابه عنه أنها تقرب من المائة ونال عندهم من المنزلة الرفيعة، وولد بعض أولاده هناك، ثم انفصل عنهم بعد سنين كثيرة إلى وطنه فاس مملوء الحقائب، موفى الآمال والرغائب، ووصلها سنة أربع وعشرين وتسع مائة (924 / 1518)"، (المصدر السابق من نفس الصفحة).

عاش سقين في فاس بعد سياحاته في المشرق والسودان 32 سنة قضاها في التعليم بجامع الأندلس، يلقي كل يوم دروسا عديدة في التفسير والحديث، ويقرئ كتابي *العمدة والموطأ*، وصحيحي *البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه*، وغيرها متى طُلب منه. وقد أخذ عنه جيلان من علماء فاس وطلبتها، فكان من تلاميذه الشيخ محمد اليسيتني، وعبد الوهاب الزقاق، وأحمد المنجور وأبو النعيم رضوان الجنوي وطلبتهم. فإذا انتهت الدروس وتفرق المجلس بقي قاعداً في جامع الأندلس غالب النهار في انتظار من يروي عنه شيئا من كتب الحديث. وكان علم الحديث ضعيفا في المغرب فأحياه الشيخ سقين ورواه عنه كثير من علماء فاس وأجازهم. ومن مجازيه أحمد المنجور الذي أصبح شيخ الجماعة بدون منازع، وكان سقين إلى جانب اختصاصه في الحديث مشاركا في الفقه والأدب والطب والتصوف.

وكان لسقين كرسي الفقه في المدرسة المتوكلية (البوعنانية) قبل خروجه إلى السودان فاستناب عنه الفقيه محمد المدغري وتنازل له عنه. وبعد وفاة الشيخ أحمد الزقاق سنة 932 / 1526 أسندت إلى سقين الخطابة بجامع الأندلس، وبعد مدة يسيرة أسندت إليه أيضا الفتوى بعد موت الفقيه محمد القوري.

"وكان صلاته موجزة في تمام، وكان لا يطول في خطبته في الجمعة والعيدين كما هي السنة، وما رأيت أحلى منه فيها ولا أرق سيما العيدية، وكانت تبكيني بخلاف خطبة غيره" (*فهرس المنجور*، ص. 61).

وقد وصف المنجور شيخه سقين فقال إنه كان رجلا طوالا على لون العرب وكان ذا سمت، وقيّد بخطه من الفوائد الحديثية وغيرها أدبية وغيرها ما لم يقيده أحد من معاصريه بفاس، ورأيت كثيرا من ذلك بعد موته، وعلى خطه رونق ويشكل ويضبط ما يحتاج إليه، ويقرب من شيخه ابن غازي في الضبط والاتقان لمقيداته. كما ذكر أنه كان يستأجر دائما

على نسخ الكتب العلمية ذا الخط والطلب ينفق في ذلك المال الكثير.

توفي بفاس في شهر محرم عام 956 / يناير - يبراير 1549.

أ. المنجور، *فهرس أحمد المنجور*، الرباط، 1976، ص. 59 - 62 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط، 1976، ص. 58 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، القاهرة، 1974، 3 : 96 - 97 ؛ أ. بابا، *كفاية المحتاج*، تح. م. مطيع، المحمدية، 2000 ؛ *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ م. مخلوف، شجرة، القاهرة، 1930، ص. 279 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، فاس، 1345، ج. 4 : 102 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، باعتناء إحسان عباس، بيروت، 1984 ؛ ل. بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. ع. القادر الخلادي، الرباط، 1977، ص. 78 والهامش 2.

**سُقَّيْن، محمد** بن عبد الرحمن العاصمي السفياني الفاسي، ابن سابق الترجمة، ولد بفاس حوالي عام 944 / 1537 وتوفي والده الإمام والمترجم له ابن اثنتي عشرة سنة فلم يأخذ عنه، وإنما أخذ عن تلاميذه وتلاميذهم. وأشهر شيوخه عبد الرحمن الفاسي العارف. ويبدو أنه كان فقيها متمكنا فقد أسند إليه منصب القضاء، كما كان خطيباً مثل أبيه.

توفي بفاس سنة 1054 / 1644، معمرا كأبيه عن تسعين سنة.

ع. الرحمن الفاسي، *أزهار البستان*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 4 : 1420.

محمد حجي

**سُقُمْري** أو اسقمري، جنس أسماك بحرية يصنف إلى طائفة شائكات الزعانف وفصيلة الإسقمريات Scombridae وجنس Scomber. هكذا هو شائع في المعاجم وفي معظم أسواق أسماك الدول العربية، ويدعى في المغرب كَبَايْلا وزروك وماكرو وتونين. إنها أسماك لاحمة شرسة تعيش بين الكتل المائية العمقية والسطحية في بحار المناطق المعتدلة وشائعة في البحر المتوسط والأماكن الدافئة من المحيط

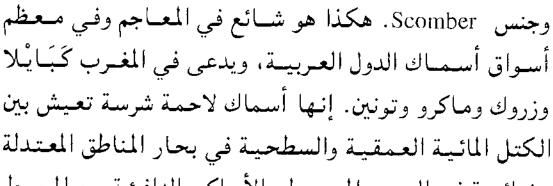

سقمري

الأطلسي. نوعان يعيشان في البحار المحيطة بالمغرب، يتنقلان عموديا وأفقيا في أفواج ويشكلان مخزونا مهما للتغذية في المغرب، صيدهما صناعي وشبه صناعي وتقليدي على طول السواحل المغربية. يصاد الاسقمري بالشباك الحلقية الدائرية والشباك المزودة بالإنارة والجيبيات العمقية والشاطئية والشباك المستقيمة وحبال الصنانير العمقية وشباك الحواجز وصنارة اليد. يوجد بانتظام في الأسواق السمكية الوطنية. يستهلك طريا ومبرداً ومجمداً ومملحا ومجففا ومبخراً ومعلبا ومنه كميات كبيرة تستعمل في صنع الدقيق لتغذية المواشي وغيرها. يعطي الجدول الموالي الكميات المصطادة في المغرب خلال السنوات الأخيرة.

| السنة | 1994 | 1995 | 1996 | 1997 | 1998 | 1999 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الكمية بالطن - السواحل المتوسطية | 980 | 1756 | 834 | 757 | 361 | 1604 |
| الكمية بالطن - السواحل الأطلسية | 38215 | 28351 | 16154 | 28016 | 11261 | 16431 |
| مجموع الكميات بالطن | 39195 | 30107 | 16988 | 28773 | 11622 | 18035 |

الكمية المصطادة سنويا في المغرب من سمك سقمري

هناك نوعان شائعان في الأسواق السمكية الوطنية وفي السواحل المغربية :

- سقمري عادي يدعى علميا Scomber scombrus وبالفرنسية Maquereau commun وبالانجليزية Atlantic mackerel وبالإسبانية Caballa del atlantico. يسمى سكومبري في تونس كبايلا في العرائش وطنجة والحسيمة وسقمري وماكرو وزروك وتونينة وبوقة في المحمدية والبيضاء وأكادير والعيون والداخلة. يتميز بجسم طويل ممد وبخطم مستدق الرأس، ظهره أزرق مخضر. تتخلله سلسلة من الخطوط السوداء، الجانبان معدنيا اللمعان والبطن أبيض لامع. السويق الذيلي رقيق والجوانب الأمامية والخلفية للعينين مغطاة بجفن شحمي. الزعنفتان الظهريتان مفصولتان بوضوح، تتكون الأولى من 11 - 13 شوكة ؛ يحمل السويق الذيلي 5 نتوءات ظهرية و5 نتوءات شرجية وغاطسين صغيرين على كل جانب بقرب قاعدة الذيلية. الأسنان صغيرة ومخروطية على الفكين وعلى القوس الفوهي؛ الأشواك الخيشومية أقصر من الخيوط الخيشومية. الحراشف كبيرة وواضحة خلف الرأس وحول الصدرتين وصغيرة وغير واضحة على الجزء الآخر للجسم. الخط الجانبي معوج بوضوح. الذيلية متشعبة جداً. عائمة السمكة منعدمة.

يعيش في مجموعات مهمة من حيث العدد ومتجانسة القامة منذ سطح البحر إلى 250 م من العمق. يفضل المياه العميقة في الشتاء ويقترب من سطح البحر في الصيف.

يتوالد في الشتاء وفي بداية الخريف في المياه القليلة العمق بالهضبة القارية. ينضج جنسيا بعد 2 ـ 3 سنوات بطول يناهز 30 سم ويتغذى من صغار الأسماك وخاصة منها السردين والأنشوفة.

ـ سقمري إسباني يدعى علميا Scomber japonicus وبالفرنسية Maquereau espagnol وبالإنجليزية Chub mackerel وبالإسبانية Estornino. كثير الشبه بالنوع السابق ويدعى بنفس الأسماء السابقة حسب المناطق. يختلف عنه في الظهرية الأولى التي تتكون من 8 ـ 10 أشواك وفي وجود عائمة السمكة. الظهر أزرق فولاذي تتخلله خطوط سوداء معوجة أو مقوسة، الجهة السفلية للجانبين والبطن صفراء فضية اللمعان وتتخللها عدة بقع سوداء. يعيش في مجموعات مهمة العدد ومتقايسة القامة منذ سطح البحر إلى 300 م من العمق. يقوم بهجرات فصولية مهمة ويتوالد في الصيف من يونيو إلى غشت. يتغذى من اللافقريات السطحية الصغيرة ومن الأسماك السّطحية الصغيرة وخاصة منها السردين والأنشوفة.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي، في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, Rome, FAO, 1998 ; Ministère des Pêches Maritimes, *La mer en chiffres*, Rabat, 1999.

محمد رمضاني

**سكتانة**، قبيلة كبيرة وقديمة بجبل جزولة (الأطلس الصغير). وقد لعبت دورا مهما في تاريخ المنطقة، نظرا لموقعها المتحكم في الممرات التي توصل بين سهل سوس وواحات باني الشرقية من جهة، ومن جهة أخرى بين أحلاف جبل جزولة وأحلاف أيت واوزكيط وراء جبل سيروا. وتضم قبائل متعددة، جعلتها أكثر القبائل قوة وبأسا، الأمر الذي مكنها من أن يعبر اسمها عن أكبر الأحلاف في منطقة سوس : هو حلف سكتانة العدو اللدود لحلف إيگيزولن، والذي يسمى أيضا حلف "تحكات".

كانت سكتانة مناصرة للدولة الموحدية، غير أن الثورة التي قامت بها أيت واوزكيط سنة 1155 و1182 م جعلت منطقة سكتانة شبه مستقلة عن السلطة الموحدية. وازدادت استقلالا في الفترة المرينية، عندما أسس حدو بن يوسف مملكة صغيرة، واتسعت سنة 1281 في عهد عمر بن حدو، حيث اتخذ لقب "أگليد". وحكم منطقة تمتد من نفيس إلى بيباون (Montagne, *Les berbères*, p. 76)، وإلى سوس جنوباً، حتى أن عرب الحارث والشبانات كانت مساندة له. وليس من المستبعد أن تنضم إلى حكمه قبائل سكتانة المجاورة.

وفي العهد السعدي، أشار إليها صاحب *ديوان قبائل سوس* في قوله : "...وسكتانة جبلا وفحصا بما ذكر [أي خمسمائة سرجة] (الحساني، *ديوان*، 15). واشتهرت، هذه القبائل أكثر بزاويتها "زاوية ابن ويسعدان"، التي عرفت شهرة "عظيمة لكثرة من آوى إليها من المريدين والمساكين، والأيتام والأرامل، فضلا عن الطلبة الذين بلغ عددهم سبعمائة طالب..." (حجي، *الحركة*...، 2 : 565). ولم تكن علاقة سكتانة مع المخزن السعدي جيدة، حيث أيدت الملك المخلوع محمد المتوكل (...) فاعصوصبت من حوله قبائل الأطلس الكبير بإشارة من الشيخ ابن ويسعدان، ولم تنته إلا بمعركة تينزرت الكبرى التي كان الظفر فيها لجيش أحمد المنصور" (حجي، *الحركة*...، 2 : 566).

وبعد انهيار السلطة السعدية، أصبحت المنطقة شبه مستقلة. ولعلها تكن تعاطفاً لأبي زكريا الحاحي، بحكم انتمائها إلى حلف سكتانة المعارض لحلف إكيزولن الذي يتزعمه السملاليون.

ولا شك أن نفس الوضعية استمرت خلال الفترة العلوية، حيث لم تورد المصادر معلومات عن سكتانة.

ونجد في كناش مخزني، أن قبيلة سكتانة قد أدت للمخزن سنة 1251 / 1835 ما مقداره 8021 مثقال من المال وعدد مهم من الجمال، والخيول، والبغال، وزراب، وحلي متنوع (كناش رقم 15 خ / ح، الرباط). ويدل هذا على أن هذه القبيلة تدخل في مجال الأحكام المخزنية.

إ. الحساني، *ديوان قبائل سوس*، تح. عمر أفا، الدار البيضاء، 1989 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978 ؛ *كناش ما يحصل عليه المخزن*، خ. ح. رقم 15، الرباط.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, Casablanca, 1989.

محمد حنداين

**السكتاني، أبو بكر** بن يوسف، ويعرف في مراكش بالمغارتي (*صفوة*، ص. 112) : العالم الزاهد الرحالة. والسگتاني بكاف معقودة نسبة إلى قبيلة سگتانة، إحدى قبائل سوس المشهورة، الواقعة مواطنها شرقي مدينة تارودانت.

وكما نجهل تاريخ ولادته، نجهل مراحل حياته الأولى، إذ لا تخبرنا عنه المصادر إلا في أثناء مراحل طلبه العليا. أخذ عن بعض علماء عصره، منهم أحمد بابا التنبكتي وأبو القاسم الدرعي بالمغرب. ارتحل السگتاني إلى المشرق ثلاث مرات، فجاور بالحجاز سنين عديدة، وحج أكثر من عشر مرات. ثم سافر إلى بيت المقدس، فأخذ بها العلم والتصوف عن أحمد العلمي. كما جاور بمصر التي أخذ بها عن كبار العلماء، منهم أبو الأمداد إبراهيم اللقاني، الذي أنزله بداره من جملة أولاده، وعبد الرحمن اليمني ويوسف الزرقاني.

ثم رجع إلى المغرب، فألقى عصا التسيار بمدينة مراكش، متصدرا للتدريس ونشر العلم، حيث كان عارفا بفن

القراءات، وله فيه أجوبة نظما ونثرا. كما برَّز في علم الحديث ومصطلحه. فانثال عليه الناس للأخذ عنه، وانتفع به خلق كثير (*صفوة*، ص. 112). ويرتفع إسناده إلى ابن غازي المكناسي من طريق محمد بن أحمد بن مجبر المساري.

ومن أشهر تلاميذه محمد بن سعيد الميرغثي والشيخ مَحمد بن ناصر الدرعي وأبو سالم عبد الله العياشي، الرحالة الشهير. وهذا هو الذي ترجمه، ولقيه بمصر سنة 1059 / 1649؛ ثم صحبه إلى المغرب في الرجوع. وفي أثناء تلك الرحلة سمع عنه بعض الشمائل، وأخذ عنه الذكر بظاهر بسكرة، واستجازه في سائر مروياته في علمي الظاهر والباطن، فأجازه عن جميع أشياخه، وكتب له ذلك بخطه (*اقتفاء الأثر*، ص. 115 ـ 116). لذلك لا غرابة أن يكون ثناؤه على شيخه كبيرا، حيث قال : "شيخنا الموطأ الأكناف، الكثير الإسعاف، العالم العلامة الحاج الرحالة، الفقيه المتفنن، الزاهد المتدين، النزيه المتعفف، النبيه المتصوف...". لا يعرف من آثاره المكتوبة سوى نظم العلوم الشرعية التي جعلها بعضهم اثني عشر، ذكر ذلك الحسن اليوسي في *الفهرس* (ص، 130).

توفي بمدينة مراكش سنة 1063 / 1653، ودفن خارج باب الدباغ.

أبو سالم العياشي، *اقتفاء الأثر*، ص. 115 ـ 116 ؛ ع. الله الفاسي، *الإعلام بمن غبر...*، ص. 71 ؛ اليوسي، *الفهرسة* ؛ م. بن. ع. الرحمن الفاسي، *المنح البادية*، ص. 7 ؛ الإفراني، *الصفوة*، ص. 112. 113 ؛ م. المكي الناصري، *فتح الملك الناصر*، ص. 87 ـ 88 ؛ م. ابن الطيب القادري، *نشر المثاني*، 2 : 66 ؛ *التقاط الدرر*، ص. 133 ؛ الحضيكي، *طبقات*، 1 : 162 ؛ ابن الموقت، *السعادة*، 1 : 135 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 215 ـ 218 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 391.

أحمد عمالك

**السكتاني، حسن** بن أحمد. مقاوم ولد بتالوين سنة 1920 إقليم ورزازات، انضم إلى حركة المقاومة السرية بالدار البيضاء وشارك في عدة عمليات مسلحة إلى جانب رفاقه في الحركة. اعتقلته السلطات الفرنسية، وقامت بتعذيبه إلى أن وافته المنية تحت التعذيب بمركز الشرطة بالجديدة بتاريخ 10 شتنبر 1954.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، ورقة مقاوم رقم 400514.

**السكتاني، عبد العزيز** بن عبد الله. ولد سنة 950 / 1543 ـ 44. ودرس في مسقط رأسه وفي حاضرة السعديين مراكش، وتخرج عالماً أديباً شاعراً، تميز من بين معاصريه بإتقان الخطوط المغربية والأندلسية والمشرقية، وتصدر لتعليمها بجامع الاشراف بمراكش على غرار ما كان معروفاً في القاهرة، فكانت له مشيخة النساخين في عصره. وألف عدة كتب اطلع عليها ابن القاضي وكانت آنذاك لم تكمل، ولم يعرف عنها شيء بعد ذلك.

توفي بعد عام 999 / 1591.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح الأحمدي، القاهرة ـ تونس، ج. 3 : 131 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1977، ج. 8 : 433؛ م. حجي، *الحركة*، المحمدية، 1977، ج. 2 : 386.

**السكتاني، عبد الله** بن محمد بن علي السوسي من العلماء المغاربة الذين درسوا في مسقط رأسهم واستكملوا دراستهم خارج الوطن وخاصة في تونس ومصر، فتتلمذ لعدة شيوخ، منهم إبراهيم الجمنى (ت. 1134) وعبد الله بن سالم البصري وإبراهيم الفيومي (ت. 1137) ومنصور المنوفي، وأخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ أحمد بن مَحمد ابن ناصر، وله *نظم في سندها* من طريقه. وله أيضاً *ثبت شيوخه* (خ. ع. رقم 1233 ك) وتقريظ كتاب *ذخيرة المحتاج* للشيخ محمد المعطى الشرقي. يوجد التقريظ ضمن سفر الاجازات حسب ما ذكره صاحب *فهرس الفهارس*.

بحلول سنة 1130 حصل على إجازات شيوخه فتميز بمشاركته في النحو والبيان والفقه والحديث وعلم الكلام وتصدر للفتيا والتدريس بتونس وولاه الباشا علي باي مشيخة المدرسة العاشورية وبقي فيها إلى حين وفاته. وخلال اشتغاله بالتدريس تخرج به الكثير من الطلبة منهم ولداه أحمد ومحمد وقاضي صفاقس حسن بن أحمد الشرفي وأخوه أحمد الصفاقسي الشرفي والحسين الورتلاني الجزائري ...

توفي بتونس عام 1169 / 55-1756.

ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 750 ـ 751 ـ 781 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، 345 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، 1 : 176.

محمد ماكامان

**السكتاني، علي** بن أبي بكر، من العلماء السوسيين الذين تكونوا تكويناً متيناً في مدينة فاس على كبار الشيوخ الذين تجمّعوا فيها خلال النصف الأول من القرن العاشر (16 م) : مغاربة وأندلسيين وتلمسانيين ووهرانيين وتونسيين، بحكم الظروف السياسية والعسكرية السائدة آنذاك في الضفتين الشمالية والجنوبية للبحر المتوسط. وهو رفيق الشيخ أحمد المنجور في الطلب والأخذ عن الإمام محمد اليستيتني وغيره. ترجم له المنجور في *فهرسه* ترجمة حافلة وحلاه بصفات رفيعة : الفقيه النحوي الفرضي النوازلي ... كان آية الله في الفصاحة وحفظ النقول في تدريس التفسير والفقه والنحو وغير ذلك، دأباً على التدريس والمطالعة لايمل ذاكراً لنوازل كثيرة من الفقه بحاثاً عنها ... سمعت يوماً شيخنا الإمام (اليستيتني) يمدح السكتاني ويقول "سيدي على نوازلي"...

لم يقتصر السكتاني على الأخذ عن شيوخ فاس، وإنما عُني أيضاً باستخراج أمهات الكتب من أصولها ينسخها بيده ويستأجر ويشتري بالمال الكثير، كما قال المنجور. وهذا يدل على أن السكتاني كان ثرياً موسعاً عليه في الرزق.

وإليه يرجع الفضل في استخراج *المعيار* للونشريسي من مسودته التي لم تكد تكون تقرأ.

ولي قضاء مراكش حين دخلها الشرفاء السعديون، وكان وثيق الصلة بمؤسس دولتهم محمد المهدي الشيخ يجالسه ويصاحبه في أسفاره إلى أن قُتل معه غيلةً من طرف الانكشارية الأتراك بالأطلس الكبير يوم 29 ذي الحجة عام 964 / 23 أكتوبر 1557.

ولا يُذكر للسكتاني من تأليف إلا شرح *مختصر خليل* وصل فيه إلى باب النكاح، حسبما ذكره رفيقه أحمد المنجور.

م. ابن عسكر، دوحة، تح. م حجي، الرباط، 1979، ص. 94 و104 ؛ أ. المنجور، *فهرس*، تح. م. حجي، الرباط، 1976، ص. 38. 39 ؛ أ. بابا التنبكتي، *كفاية المحتاج*، تح. م مطيع، المحمدية، 2000 ؛ *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت. ص. 213. 214 ؛ أ. ابن القاضي، درة *الحجال*، تح. الأحمدي، القاهرة، 3 : 256 ؛ *لقط الفرائد / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 2 : 897. 898؛ م. الإفراني، نزهة *الحادي*، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998، ص. 94. 95 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1980، ج. 9 : 186. 187 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، ج. 2 : 375.

محمد حجي

**السكتاني، عيسى** بن عبد الرحمن، الركراكي النسب، السكتاني المولد، الروداني النشأة، المراكشي الدار، أبو مهدي، أحد الأعلام المحققين، شيخ المعقول والمنقول المفتي، قاضي القضاة بمراكش. أجمع سائر من ترجموه على علو كعبه في فنون العلم، ونوهوا باستقامته وسمو همته، ومحبته لأهل الصلاح.

ذكر المحبي (*خلاصة الأثر*...، ص. 323) أن المترجم ولد بمدينة مراكش، وهو خطأ ؛ إذ الراجح أنه ولد بقبيلة سكتانة السوسية ؛ ومنها انتقل، في تاريخ غير معروف، إلى مدينة تارودانت، حاضرة سوس آنئذ، فقرأ بها. ثم انتقل وهو في سلك الطلب إلى مراكش فأخذ بها عن بعض كبار علمائها، مثل الفقيه محمد ابن أبي القاسم الشريف الفيلالي، خطيب جامع الشرفاء ؛ والفقيه مبارك بن علي السكتاني، ومفتي مراكش أحمد بن محمد السملالي. ولما ارتحل إلى فاس أخذ عن جملة من علمائها، منهم، قاضي الجماعة عبد الواحد بن أحمد الحميدي، والمفتي يحيى بن محمد السراج، والفقيه الحسن بن عبدالله بن مسعود الدرعي، والإمام أحمد المنجور وغيرهم.

وبعد مرحلة الطلب، استقر بتارودانت فتصدر بها للقضاء والتدريس. وهنالك أخذ عنه الحسن اليوسي، وعبد الرحمن التمنارتي، وعبد الله بن يعقوب السملالي، وعلي بن أحمد الرسموكي وغيرهم.

وعلى إثر استيلاء يحيى الحاحي على مدينة تارودانت، حين دعا لنفسه، وكان قد استشار العالم أبا مهدي السكتاني "فيما عزم عليه فلم يوافقه على ذلك، ولم يساعده على مراده لما فيه من الخروج على السلطان بلا موجب، فغضب عليه أبو زكرياء حتى أمر بقتله فيما قيل" (*الاستقصا*...، 6 : 61) ؛ خرج إلى مراكش حوالي سنة 1023/ 1614. فاستقر بها وتصدر للتعليم. وعلى الرغم من ولايته لقضاء الجماعة طوال أربعين سنة، فلم يصرفه ذلك عن عقد مجالس العلم، صباح مساء، ومناظرة كبار الفقهاء "في اجتهادات جرى بها العمل في جنوب المغرب كله" (*الحركة الفكرية*...، 2 : 391).

وقد دأب المترجم في كل ذلك دأب العلماء المخلصين الناصحين، الذين لم تكن تأخذهم في الصدع بالحق لومة لائم، كما يتضح ذلك من فتاواه ونصيحته لأبي زكرياء الحاحي. فضلا عن ذلك كان السكتاني يتمتع بحس سياسي قوي، يهدف إلى جمع الشمل، والتمسك بالبيعة للسلطان الشرعي حتى وإن كان جائرا. وهذا واضح من الخطاب الذي وجهه للحاحي، حين قال : "وأن الواجب في حق من رأى منهم ما يكره الصبر والاحتساب، إذ غائلة الجور، وإن تفاحش، أقل بكثير من غائلة الخروج الذي يترتب عليه فساد المهج والأموال والأعراض والأديان..." كما أبدى السكتاني تحاملا شديدا على بعض متصوفة ذلك العصر، من الذين دعوا لأنفسهم كابن أبي محلي، إذ ينبغي ـ في نظره ـ أن يكون هؤلاء قدوة في اتباع الإمام ولم الشمل ورتق الفتق.

وبالجملة، فقد أبدأ في ذلك الخطاب وأعاد من حيث الإتيان بالشواهد المتنوعة، من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، ومن كلام العرب والأمثال والشعر، والسياسة الشرعية ؛ مما يبين عن طول باع صاحبها في ميادين علمية متنوعة (*الاستقصا*...، م. س. ص. 61. 68). واستفتاه بعد ذلك، أبو حسون في قضية البيعة التي ابتناها اليهود بمدينة إيليغ، فأفتى بعدم جوازه، لكونها مدينة إسلامية حديثة البناء. فأمر صاحب سوس بهدم البيعة المستحدثة (*إيليغ قديما وحديثا*، ص. 62).

خلف السكتاني مصنفات لاتزال كلها مخطوطة، نعرف منها *حاشية على شرح أم البراهين*، *وكتاب في النوازل*، منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط (340 د)، والأجوبة الفقهية (خ. ع. 1016 ج).

توفي عيسى السكتاني حسب كل من اليوسي والتمنارتي والإفراني والقادري عام 1062 / 1652، ووافقهم عليه آخرون ؛ وهو مخالف لما جاء به محمد المختار السوسي؛ الذي ضبط تاريخ وفاته، فجعلها في سابع صفر من عام 1061 / 30 يناير 1651 (*المعسول*، 5 : 15) ؛ مجاريا المحبي. ودفن خارج باب الخميس، بضريح أبي القاسم الجراوي.

ع. الرحمن التمنارتي، *الفوائد*، مخطوط، ص. 48. 49. 154 ؛ م. ابن سليمان الروداني، *صلة الخلف*، تح. م. حجي، بيروت، 1988 ؛ ع. الفاسي، *تحفة الأكابر*، ص. 4 ؛ ح. اليوسي، *فهرسة*، ص. 133؛ الإفراني، *صفوة*، ص. 111. 112 ؛ *نزهة* ؛ المحبي، *خلاصة الأثر*، ص. 323 ؛ ابن الطيب القادري، *الإكليل والتاج*... ص. 79 ؛ *نشر المثاني*، 2 : 59 ؛ *التقاط*، ص. 131. 132 ؛ الحضيكي، *طبقات*، ص. 322 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 6 : 61. 68 ؛ ع. ابن

إبراهيم، *الإعلام*، 9 : 413 ـ 416 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 5: 15 ؛ *إيليغ قديما وحديثا*، ص. 62 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*، 2 : 314 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 5 : 104 ؛ ك. بروكلمان، ذيل، 2 : 695 ـ 696 ؛ ليفي بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، ص. 260 هامش 2 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 2 : 391.

أحمد عمالك

**السكراتي** أو السكرادي من الأسر العلمية الصوفية بسوس، اعتباراً للدور العلمي والديني الذي لعبه رجالاتها، وتعدّ فرعا من فروع الشرفاء الذين استوطنوا هذا القطر.

استمدت الأسرة تسميتها من "ايسكراد" إحدى قرى قبيلة إغير ملّولن التي توجد على بعد 45 كلم جنوب شرق تزنيت، في منطقة تفصل بين قبيلة أيت جرار وقبيلة تازروالت.

وقد اعتاد أبناء الأسرة أن يقولوا في تسمية جدهم ـ السكراتي ـ بالتاء لا بالدال، خلافا لما كتبه مؤرخ المنطقة المختار السوسي الذي يرى أن الأصل في تسمية الأسرة ـ السكرادي ـ نسبة لإيسكراد، وهي كلمة لها دلالة محلية إذ يقصد بها الأحجار الملساء من الصفوان التي تغسل فوقها الثياب، والتي اتضح من خلال المعاينة وجودها بكثرة في موطن الشيخ أحمد السكراتي، الجد الأعلى للأسرة، وباني مدرستها وزاويتها.

**السكراتي، أحمد** بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مسعود، ويتصل نسبه بالحسن السبط بن علي بن أبي طالب"، كما تشهد بذلك مشجرات أنساب الأسرة، والظهائر السلطانية التي في حوزتها وكما أثبتها مؤرخو المنطقة.

عاش الشيخ أحمد السكراتي أواخر القرن العاشر وأكثر من نصف الحادي عشر الهجريين، تربى وتعلم على يد كبار شيوخ عصره، خاصة منهم شيخ المشايخ آنذاك وصديق أبيه، الصوفي الكبير داود الدادسي، حيث أخذ عنه علوم العصر إضافة إلى التصوف. لذا لا يستبعد أن يكون الشيخ الدادسي هو الذي أذن للشيخ أحمد السكراتي ببناء زاويته التي اختار لها مكانا عاليا فوق عين "سكرات" بقبيلة إيغير ملولن ثم أضاف إليها بناء مدرسة بجانبها.

كان هدف الشيخ أحمد السكراتي من تأسيس الزاوية والمدرسة هو مد الإشعاع الديني والصوفي والعلمي، ليسير على نهج طريقة شيخه الصوفي داود الدادسي. وعموما فقد أدت هذه الزاوية ذلك الدور، حيث أصبحت قبلة للمريدين والطلبة، بل تنازلت قبائل مجاورة لها عن جزء من ملكها لشيخها بقصد مساعدتها وتموينها. وقد بقيت هذه الزاوية تؤدي نفس الأدوار حتى بعد وفاة قطبها بفضل استمرار أبنائه وحفدته في أداء رسالته، علما أن هذا الشيخ الصوفي أعقب اثني عشر ولدا من صلبه ظلوا جميعا سائرين على نهجه في الخير والصلاح. والمعروف أن ذريتهم تفرقوا بسوس وأحواز مراكش خدمة للعلم والدين الإسلامي.

توفي بمسقط رأسه سنة 1067 / 1657.

**السكراتي، الحبيب** بن عبد السلام، من كبار علماء تارودانت، وإمام وخطيب مسجدها الكبير، وعضو مجلسها العلمي، إضافة إلى كونه عمل بها كمدرس وكمفت، تلك كانت أعماله وخصاله إلى أن لقي ربه في 2 شوال عام 1397/ 16 شتنبر 1977.

**السكراتي، الزاكي** من حفدة موسى بن الولي الشيخ أحمد السكراتي. قال عنه المختار السوسي : "فقيه حسن من المفتين الآن. ومن البارزين بين جملة العلوم العربية في (تارودانت) عرفناه وجالسناه مراراً وقد حصل على النجاح للقضاء منذ سنين كثيرة (...) ممن يجرون في مضمار الإفتاء". وقد ظل هذا العالم مخلصا لرسالة العلم بتارودانت ونواحيها إلى أن لبى داعي ربه في 2 جمادى الأولى 1407 / 3 يناير 1987.

**السكراتي، علي** بن **الحبيب**، نشأ في بيت علم وأدب، فاهتمّ بفنون الأدب منذ صغره وحفظ أشعاراً وقصائد. أخذ عن شيوخ كبار كالمحفوظ الأدوزي والحسين بن عمر ببيبس، وعلى يد أبيه الذي ربى فيه حب العلم، بل كان يوصي أبناءه بالاشتغال بالعلم عوض جمع المال، لأن هذا الأخير يزول والعلم يدوم. وعندما لمع في ميدان العلم والأدب، وبعد وفاة أبيه، اختاره القواد الجراريون مدرسا وقاضيا وخطيبا ومفتيا لمركز قيادتهم "تالعينت"، لذا ظل ملازما لهم.

هذا هو مؤرخ الأسرة، وأديبها الكبير، يرجع إليه الفضل في جمع وتدوين أخبار العشرات من علماء وأدباء الأسرة السكراتية، ويعتبر كتابه *تحلية الطروس وبهجة النفوس في مناقب آل سوس* مصدراً هاماً من مصادر التاريخ السوسي، ترجم فيه صاحبه لفئة معينة من السوسيين ـ الأعيان والعلماء والمتصوفة ـ فهو بهذا تاريخ إقليمي يدخل ضمن كتب التاريخ الإسلامي تضمن مادة تاريخية إلى جانب ما هو أدبي وماله اتصال بالكرامات.

أشار المختار السوسي أن الدافع لتأليف هذا الكتاب هو القائد عياد الجراري من أجل تخليد مآثره وإنجازاته تشبُّها بالأكابر. غير أنه من الارجح أن هناك دوافع أخرى وراء تأليف هذا الكتاب ومنها : دفاع السكراتي عن طريقته التجانية، وشيوخها ومريديها بسوس أمام الهجمات التي تتعرض لها من الطرق المنافسة لها، الناصرية والدرقاوية، خاصة بعد اقدام المؤرخ الإكراري على تأليف كتابه المدافع عن الناصريين أكثر من غيرهم، وقد يكون هذا التنافس من بين حوافز المختار السوسي الدرقاوي الطريقة، للكتابة أيضا في مناقب الدرقاويين.

على كل فهذا الكتاب هو مساهمة في التعريف ببعض جوانب تاريخ سوس، أثنى عليه وعلى صاحبه المختار

السوسي بقوله : "هذا هو الذي له على تاريخ رجال سوس من الفضل العظيم ما لا يقدره قدره إلا أمثالنا الذين ينقطعون على تلفيق ترجمة عن أحد علمائنا". وأضاف قائلاً : "فتركه لي فوجدته طافحا بالغرائب والعجائب وهو كتاب منشيء ساجع، يحلي كلامه بالحكم والأمثال وبطرائف الأخبار والأشعار، مع نزاهة حاول أن يلازمها في كل كتابه".

**السكراتي، عيسى** بن أحمد بن محمد الشيخ، درس بمراكش وأقام بها، وأسس بها في درب ابن صالح زاويته ومدرسته المعروفتين، حيث تصدر للتدريس والتربية الروحية. كان السلطان المولى الرشيد العلوي يحيطه بالكرم والعطف، مما أدى إلى مرافقته له في رحلته لسوس للقضاء على إمارة إيليغ. وعند مرور السلطان بقرية سكرات، أطلعه عيسى على قبر والده الشيخ أحمد السكراتي، فأمر المولى الرشيد بإقامة ضريح عليه مازال قائما إلى اليوم.

وبعد رجوع السلطان إلى مراكش، نصبه نقيبا على الشرفاء السكراتيين بمراكش وتارودانت وسوس.

توفي هذا العالم آخر القرن الحادي عشر الهجري بمراكش، ودفن بمسجد السمارين.

**السكراتي، المامون** هو أخ الزاكي الروداني سابق الترجمة، ولد عام 1335 / 1917، أخذ علوم عصره على يد شيوخ كبار، وانخرط كاتبا في وزارة الأحباس سنة 1938، وما لبث أن عين عدلا من الدرجة الأولى بنظارة الأحباس بتارودانت وعندما بدأت بوادر الحركة الوطنية في الظهور، انخرط في صفوفها مناضلا، فظلت الرقابة العامة تتعقبه إلى أن تم عزله من منصبه في يونيو 1954 كما سجن عدة مرات منذ بداية الخمسينيات.

وبحصول المغرب على استقلاله، عين قائداً على قبيلة هشتوكة، ثم في قيادات أخرى بمناطق مختلفة من المغرب إلى أن تقاعد سنة 1978، وقد اشتهر باستقامته ونزاهته في عمله إلى أن لقي ربه عام 1418 / 1997. قال عنه المختار السوسي: "من رجالات الأسرة البارزين في ميدان الرجولة، قدمته أعماله فتولى القيادة على جميع (هشتوكة) بعد الاستقلال (...) وهو من أصحابنا الذين يمثلون ما يطلب من أمثاله أن يمثلوه".

**السكراتية، نجمة** بنت عيسى بن أحمد سابق الترجمة، خلفت والدها على زاويته بمراكش وسارت على سيرته في التربية الصوفية حتى وفاتها بعد والدها بحوالي عشرة أعوام، وضريحُها شهير بزاوية والدها بحومة ابن صالح بمراكش.

علي بن الحبيب السكراتي، *تحلية الطروس وبهجة النفوس في مناقب آل سوس*، مخطوط : م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1963، ج 11 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس*، طنجة، 1989 ؛ *خلال جزولة*، تطوان، مجهول، *وفيات الرسموكي* ؛ م. البعقيلي، *مناقب البعقيلي*، تح. م. المختار السوسي، الرباط، 1987.

م. الحسن السكراتي

**سكساوة** (أو إسكساون)، تغطي منطقة سكساوة في وقتنا الحالي تقريبا المنطقة الجبلية لإقليم شيشاوة الواقع غربي مدينة مراكش. وهي تشكل حوضا لأسيف ـ ن ـ سكساون أو وادي إسكساون. وهذا الحوض محاط من ثلاث جهات بجبل عال هو بمثابة حائط طبيعي. وتقع هذه المنطقة في السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي، وينحدر وادي إسكساون شمالا في اتجاه الدير والسهل المعروف اليوم ببوجمادة. وهناك يختفي اسم هذا السيل ليحمل ـ ابتداءً من المكان المسمى تُوزُّمت (بالزاي المفخمة) ـ اسما آخر هو وادي القاهرة نسبة إلى حصن كان أبو عنان المريني قد بناه هناك سنة 753 / 1352.

ينبع أسيفْ ـ ن ـ سكساون من جبل تيشكا الذي يتراوح ارتفاعه ما بين 3000م و3400م (حسب الأماكن). وللعلم فإن أسيف المال وأسيف نفيس الموازيين لوادي سكسكاوة ينبعان أيضاً من هذا الجبل. وإذ تقف الجبال أمام وصول الرياح الرطبة القادمة مباشرة من الغرب (أي المحيط الأطلسي)، فإن ذلك لم يمنع تعرض المنطقة للسحب الكثيفة القادمة من الجنوب الغربي.

ومن المميزات الطبيعية لمنطقة سكسكاوة كذلك أنها محصنة من جهة الشرق بحائط جبلي في حين تحيط بها بعض الكثبان خصوصا من جهة متوگة وحاحا.

ومنطقة سكسكاوة بحكم طبيعتها الجبلية تشهد تساقط كميات هامة من الأمطار والثلوج خلال السنة ولا سيما في فصل الشتاء. وهذا ما جعلها منطقة غزيرة المياه مما يعني أننا في منطقة فلاحية أقل ما يقال عنها إنها منطقة استقطاب واستقرار وذات استمرار تاريخي. وقد أشار ابن خلدون إلى هذه الأهمية وذكر بها الزرهوني أو مُرابط تسافت حين نعتها بميزان المياه إشارة منه إلى أنها خزان للمياه. وكما قال جاك بيرك هي كذلك خزان لأشياء أخرى كما هو معروف.

وجبل سكسكاوة لافت للانتباه، فالذي يصعد نحو عبر الوادي يلاحظ مدى اتصاله جنوبا وشرقاً وغرباً. ومنطقة سكسكاوة توجد محصورة بين جبلين في اتجاه الشمال والجنوب : جبل بويباون غرباً من ناحية دمسيرة، وجبل أفوزار شرقاً من جهة إگدميوْن (كدميوة). وفي هذه المنطقة يسير وادي سكسكاوة في اتجاه الجنوب على نحو مقعر.

ورغم أن منطقة سكسكاوة تبدو مغلقة إذ تحيط بها تضاريس عالية، فإن ذلك لم يحل دون انفتاحها على المناطق المجاورة البعيدة وذلك عبر الممرات التي تتخللها في أماكن معينة. غير أنها في نفس الوقت استطاعت أن تحتفظ بشخصيتها المتميزة.

من سمات أرض منطقة سكساوة أنها تتفاوت لونا وجودة وذلك باختلاف المكونات الطبيعية لها وهكذا، وانطلاقا من تيزي أوماشو يتغير لون الأرض تدريجيا بحيث يمكن التمييز بين ثلاثة أقسام مختلفة الألوان : هناك أرض بيضاء تليها حمراء وثالثة سوداء.

فالتربة البيضاء تنتشر في اتجاه الشمال الغربي وخصوصاً في مجال قبيلة متوگة وتمتد من هناك إلى إيمنتانوت ودويران ومزوضة (إمزوضن) وگدميوة (إگدميون) مروراً بتمگو وأركوسْ.

وهذا التدرج في لون الأرض نجده أيضاً حينما ننتقل إلى وسط سكساوة شمالي الجهة السابقة انطلاقاً من المكان المسمى مزاوتْ. ومن هناك يمكن تتبع الألوان الثلاثة بشكل واضح، فالتربة البيضاء تغطي حوض أيت موسى في اتجاه الجانب المسطح من منطقة دويران وتحديداً في واومريغت ووافگا Waffaga وتنتشر إلى أبعد من ذلك لتصل إلى منطقة كطوس (Kattos). وبعد ذلك يظهر الحجر الأحمر المسمى بـ تافزا الذي يكتسح منطقة إمليلن وعلى ارتفاع 1000 م في سافلة هذه المنطقة وبعد أن يمر الوادي بسوق الخميس القديم في اتجاه تابيا يتصادم مع جرف أسود اللون كما هو الحال في العالية.

وحينما ندرس الغطاء النباتي المنتشر بمنطقة سكساوة يتأكد لنا هذا التدرج الطبيعي ابتداءً من علو 740 م عند مجاز تاگنامتْ إلى علو 3400 عند رأس مولاي علي.

إن التفاوت في التعرض لأشعة الشمس ينعكس على التباين في العلو ونجد لذلك أثراً في أسماء الأماكن مثل أنمّر وهو المكان المعرض للشمس وأمالو الذي هو الظل. ومنطقة سكساوة تتعرض للتأثيرات الأطلسية من جهة الغرب وتقل أهمية في اتجاه الشرق خاصة في گدميوة (إگدميون).

وهذا التباين الطبيعي انعكس أيضاً على الغطاء النباتي بحيث يطبعه التنوع ويتأقلم مع التضاريس.

ففي سافلة المنطقة تنتشر شجرة الزيتون عبر الأودية إلى حدود منطقة زينيتّ (بالزاي الفخمة) ومغدير وتصل إلى حدود علو 1100م. كما تنتشر بهذه المنطقة شجرة اللوز التي تبدو كأنها في تنافس مع الزيتون ويصل انتشارها إلى علو 1800م. غير أن شجرة الزيتون نجدها هنا وهناك خاصة في وانشكرير وأضرضور. غير أن شجرة اللوز انطلق انتشارها خصوصا عند علو 1400م ليصل إلى علو 2350 م ونجدها بكثرة خاصة في مناطق أو سيكيس وأيت حديوس وإيدارجربون.

وفضلاً عن ذلك هناك سهب حلفاوية تغطي منطقة يتراوح ارتفاعها ما بين 800 و1600 م وخصوصا في منطقة إمليلن التي تعتبر الحد الفاصل بين سكساوة ودويران. وهذه المنطقة مكسوة بتربة حمراء وغير آهلة بالسكان اتخذتها قبيلة أيت إدما منطقة لرعي ماشيتها. تنبت فيها النباتات الشائكة وخصوصا شجرة الحلفاء التي هي نوعان يسميان بالأمازيغية تنالت وأوري. وهذا النوع الأخير نجده خارج هذه المنطقة ليصل إلى ممر تبكورتْ حيث ينبت هناك في تنافس مع نباتات علفية أخرى مثل الصنف المسمى أزگري أو ترغا.

وتنتشر الغابة المسماة بغابة مزاوتْ في المنطقة التي تفصل بين الوادي الرئيسي ووادي أمّرْن وعندما نخترقها عموديا نميز فيها مناطق مغطاة باللوز وأخرى بالعناب وثالثة بالعرعر. أما شجر البلوط فينمو بكثرة انطلاقا من علو 1400 م وخصوصاً منه البلوط الأخضر المعروف بالأمازيغية بتسافتّ. غير أن هذه الغابة قد اعتراها التدهور ولاسيما بين ارتفاع 1500م و1600م. وإذا أصبحت كثيفة عند ارتفاع 2000م فانها تتخللها هنا وهناك بعض الأماكن المفتوحة المخصصة للزراعة. أما انتشار هذه الشجرة فيصل إلى حدود ارتفاع 2800 م وتنتشر كذلك بهذه الغابة شجرة السرو التي يمتد مجالها إلى حدود ارتفاع 3250 م.

وهناك أصناف أخرى من الأشجار والنباتات بهذا المجال الغابوي منها على وجه الخصوص النبات المسمى بالأمازيغية أزمو Azmu الذي ينمو بكثافة في الأماكن الرطبة والمعلوم أنه يوجد في قمة تيشكا (ارتفاع 2.600م) وهو مكان مخصص للرعي. وعموما يلاحظ أن النباتات الأخرى التي تضمها غابة سكساوة هي ذات أزهار صفراء تظهر في شهري ماي ويونيو (ربيع متأخر) وهي : أغوزيرْ، وأشفود، وأناغود، وأماتر، وألوگو.

والملاحظ أيضاً أن مكان تلاقي الأودية الصغيرة بالوادي الرئيسي له طابعه الخاص. فهذا إيمي أو نسيف يضم غابة الدفلى أشجارها كبيرة.

أما إيمي لكيس فتنمو به أشجار التين والرمان. وفي هذه المنطقة نصادف أيضاً نباتا يسمى أفرتْ وكالْ وهو نبات ذو طعم حلو يستعمل في الشاي.

ومن الأشجار الأخرى المثمرة التي لها حضور مهم في أودية هذه المرتفعات شجر الجوز.

وعموماً، كما سبق الذكر، فإن الغطاء الغابوي بمنطقة سكساوة أصابه تدهور واضح في عدة أماكن وذلك بسبب عوامل متعددة منها الاستغلال المكثف (الرعي والحطب) والنزاعات والحروب التي كانت المنطقة مسرحا لها خلال القرون الماضية، وانجراف التربة وتعرض المنطقة لرياح قوية، والاجتثاث من أجل الحصول على أرض فلاحية، وكذا عدم تجديد أغراسها.

ونظراً لوعورة تضاريس المنطقة، فإن المحاط الزراعي تطلب باستمرار من ساكنة سكساوة جهدا كبيرا لتثبيت الأرض الصالحة للزراعة، والتغلب على جريان المياه المنسابة بقوة من الجبل. وهكذا قام الفلاحون بتشييد عدد من السطوح والمرتفعات لزراعة الحبوب على علو يصل إلى 2000م. واكتسح المجال الفلاحي جنبات الأودية والشعاب الضيقة مما يبرز حيوية السكان والجهود المضنية التي بذلوها

باستمرار في سبيل ذلك. وإذا كان المجال الفلاحي ثمرة مجهودات فردية وعائلية فإن المجال الرعوي ظل مجالا جماعيا تستفيد منه الجماعات المتساكنة بالمنطقة.

السكان والسكن :

أحصى جاك بيرك بالمنطقة ثمانين تجمعا سكانيا منبثا في أعماق الأودية التي تخترق المنطقة. وذلك أثناء قيامه بدراسته المشهورة حول سكساوة في الخمسينيات من القرن العشرين وكان مجموع سكانها يمثل آنئذ ما مجموعه 12.000 نسمة وهو رقم مهم ينم عن كثافة سكانية عالية. وهذه الكثافة السكانية المهمة تفسرها الظروف والمؤهلات الطبيعية التي توفرها المنطقة للسكان وتتجلى أساساً في غزارة المياه ووجود غطاء نباتي متنوع وكذا توفير الحماية الطبيعية.

ويتجمع السكان في قرى متراصة أقل ما يقال عنها أنها أشبه في تصميمها بتصميم المدن العتيقة. تتكون من عدة منازل تسمى تيگما (مفرده تيگمي) وكل واحدة منها تقطنها عائلة واحدة. وقد لا حظ جاك بيرك أن تنظيم السكان في هذه المنازل كان لا يخضع بالضرورة إلى الانتماء العظمي ولا يوجد إلا بصورة استثنائية خاصة لدى قبيلة أيت محند، وقد لاحظ في نفس الوقت وجود نوعين من المنازل يختلفان حسب طبيعة مواد البناء : فهناك المنازل المشيدة بالتراب أو الطابية (التابوت بالأمازيغية)، والمنازل المبنية بالحجر. فالصنف الأول منها ينتشر من الدير إلى وسط سكساوة تقريباً، وبعد ذلك فبقدر ما يرتفع الجبل بقدر ما تنتشر الدور المشيدة بالحجارة. فإذا كانت المنازل لدى أيت موسى بعضها مشيد بالتراب وبعضها الآخر بالحجر، فإن المنازل المشيدة بالتراب أخذت تقل خصوصاً بزينيت (بالزاي المضخمة) وإمتدانْ لتختفي تماما لدى أيت إدما ومن في عاليتهم. وما يميز المنازل المبنية بالحجر في هذه المنطقة معانقتها للسماء بحيث تتكون من طابقين إلى ثلاثة. ومن سمات هذه المنطقة أيضاً أن مجموعة من المنازل بها تكون ملتصقة فيما بينها تسمى تيگمّي يگيزْ وهي شبيهة بخلايا النحل وبإمكانها أن تؤوي عدداً من العائلات. ويوجد بهذه المنطقة نوع آخر من البناء المنمق يشبه في مظهره البناء الحضري ولاسيما في زينيتْ (بالزاي المفخمة). وقد وصل إلى ذروته لدى أيت حديوسْ وخير مثال على ذلك دار أمغار أو موليد الذي كان من كبار شيوخ سكساوة في فترة سابقة.

ويقسم المنزل إلى أجزاء محددة وفق ما تقتضيه ضرورات الحياة القروية. فالطابق الأرضي المسمى أگرورد يكون عادة إصطبلات لإيواء البهائم. وفوقه تقام بيوت العائلة أو ما يسمى ينوالينْ (مفرد تنوالت : النوالة). أما الطابق الثالث فتوجد فيه تنصريتْ التي هي مجال حياة ذكورية واستقبال الضيوف. وفي أعلى المنزل يوجد أسقيفْ الذي هو بمثابة مخزن مفتوح.

* * وعن تاريخ سكساوة تفيد المعلومات التاريخية القليلة جداً أن وجود سكساوة (إسكساونْ) بجبل درن غربي مراكش عرف منذ ما يزيد عن ثمانية قرون. وكما سبق القول فهذا الاسم ينطبق على الوادي الذي ينبع من جبل تيشكا في اتجاه السهل. وهذا الاسم يشير أيضاً إلى المجموعات البشرية المنتسبة إليه والمتناثرة في نفس الحوض. وهي مجموعات كانت تجمعها عادات وتقاليد اجتماعية ومؤسسات سياسية متقاربة. وبتعبير آخر، فإن منطقة سكساوة كانت لها شخصيتها المتميزة. بيد أننا ـ لسوء الحظ ـ لا نتوفر على معلومات دقيقة وكافية تؤرخ لها. وعلى عكس قبائل أمازيغية مغربية أخرى فإن قبائل سكساوة لا يجمعها نسب واحد، بل هي قبائل متعددة الأصول والمشارب.

وهكذا، فاسم سكساوة لا يربط بالقرابة بين الذين ينتسبون إليه بقدر ما هو مجرد لفظ يُنطق به وهو ذو محتوى محدود. ومع ذلك فهذا الاسم، من حيث الدلالة المجالية، يتضمن تدقيقات طبوغرافية يبدو أنها ظلت ثابتة منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وهي الفترة التي وصلتنا عنها بعض المعلومات المكتوبة. إننا هنا في إحدى مناطق الاستقرار القديمة بالمغرب. لكن ذلك لا يعني البتة أن السكان ظلوا دوما هم نفس السكان، وإذا ظل اسم سكساوة ثابتا لا يتغير فإن المنطقة شهدت باستمرار منذ التاريخ المشار إليه سابقا، وصول واستيطان سكان جدد قدموا إليها من مناطق أخرى وخاصة من سوس. وهذا الاستقطاب السكاني المهم أدى حتما إلى تراجع إن لم نقل ذوبان السكان القدامى (الأصليين). وقد لاحظ جاك بيرك في الخمسينيات من القرن العشرين أن عددهم أصبح ضئيلا أمام السكان الطارئين الذين أصبحوا يشكلون الأغلبية في تلك الحقبة.

واسم سكساوة ربما له دلالة طبوغرافية. ويرى جاك بيرك في هذا الصدد أن سكساوة بهذا الرسم يعود إلى الفترة السعدية. لكنه ورد بنفس الرسم قبل ذلك بكثير خاصة في العهد الموحدي (البيذق). أما ابن خلدون فقد رسمه "سكسيوة". ويظهر أن سكساوة وسكسيوة هما تصحيف للاسم الأمازيغي إسكساونْ الذي مازال سكان المنطقة يطلقونه على أنفسهم إلى اليوم. وإسكساون هو صيغة الجمع ومفرده إسيسكو. لكننا نجد في مناطق أمازيغية أخرى بالمغرب كلمة قريبة في نطقها لهذه الكلمة وهي كلمة إسكسا التي هي الأخرى صيغة جمع (مفرد أسكسي) ومعناها أمشاط (مفرده مشط) الصوف. فهل معنى ذلك أن إسكساونْ يمثل تطوراً للكلمة السابقة في هذه المنطقة ؟ وإذا سلمنا بهذا الأمر فهل معنى ذلك أيضاً أن سكان المنطقة كانوا معروفين بإنتاج الصوف وغزله في فترة تاريخية معينة؟ هذا ما نجهله.

إلا أننا نرجح أن يكون الاسم الأصلي لإسكساون هو إزگزاونْ ومعناه المخضرّون ومصدره يزگزوتْ أي الخضرة. وجغرافيا فهذه المنطقة ذات خضرة جذابة ويغطيها نبات

متنوع. لهذا ليس مستبعداً أن يكون الاسم القديم إزكزاون قد تطور بفعل تغير بعض الصوتيات وخصوصاً تغير الزاي إلى السين، وتغير الگاف إلى الكاف، وأدى ذلك إلى استقرار هذا الاسم على الشكل الذي هو عليه إلى اليوم : إسكساونْ. وعليه يمكن رسم تطور الكلمة على النحو التالي:

- الاسم الأصلي : إ - ز - گ - ز - ا - و - نْ
- الاسم الحالي : إ - س - ك - س - ا - و - نْ

ولعل أول من أشار إلى وجود إسكساون (سكساوة) في الأطلس الكبير الغربي قريبا من مراكش هو أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق في كتابه الموسوم بـ "المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب" الذي يعتبر من المصادر الأولى والأساسية لبداية الدولة الموحدية، وحسب ما ورد فيه فإن إسكساون خلال تلك الحقبة كانوا فخذا من أفخاذ قبيلة گنفيسة الكبرى التي صنفت ضمن المهاجرين في الترتيب الموحدي للقبائل. والملاحظ أن گنفيسة وأفخاذها كانت من قبائل الأطلس الكبير التي تأخرت في مساندة الدعوة الموحدية. وربما كان هذا سببا كافيا لتمييزها (تصفيتها) من طرف محمد المهدي بن تومرت إثر وقعة البحيرة الشهيرة التي انهزم فيها الموحدون بزعامة محمد البشير أمام المرابطين خارج مراكش سنة 524 /1130 أما الاعتراف (التمييز) الثاني الذي قام به خلفه عبد المومن الگومي سنة 541 / 1147 فلم يشمل قبائل گنفيسة مما ينهض دليلا على أن هذه القبائل أدمجت نهائيا ضمن التنظيم الموحدي وقتئذ.

وخلال العهد المريني وتحديداً بعد منتصف القرن الثامن الهجري / منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، تحولت منطقة سكساوة إلى ملجأ وملاذ للناقمين والمعارضين للسلطة المرينية. فلما اختل أمر المغرب عقب الصراع المعروف بين أبي الحسن وابنه أبي عنان توالت الثورات في كثير من مناطق المغرب. ولم تشذّ منطقة سكساوة عن هذا المنحى فاستبد بها زعيمها عبد الله السكسيوي الذي استطاع أن يستقطب إليه الأمير أبا الفضل الثائر هو الآخر على أخيه أبي عنان. وقد كان ذلك بعد رجوعه من الأندلس، ولمواجهة هذه الوضعية الخطيرة هناك قام أبو عنان سنة 754 / 1353 ببناء حصن بدير جبل سكساوة سماه القاهرة "لتجمير كتائبه". ومن هناك شدّد عليهما الحصار فاضطر أبو الفضل إلى الفرار نحو درعة التي ألقي القبض عليه بها من قبل عاملها عبد الله بن مسلم الذي سلمه لأخيه أبي عنان ليلقى مصيره المحتوم أياما قليلة بعد سجنه سنة 756 / 1355.

ومهما يكن من أمر، فيبدو أن أبا عنان لم يتمكن من دحر قائد سكساوة الذي استمر في حكم المنطقة بعد وفاة هذا السلطان بدليل أن عامر بن محمد الهنتاتي المستبد بأمر مراكش وما إليها جهز جيشا قوياً إليه قدّر ابن قنفذ القسنطيني أنه كان يزيد على ستة آلاف مقاتل. ويضيف ابن قنفذ في هذا الصدد أن الهنتاتي تراجع عن مقاتلته نزولا عند رغبة الولية عزيزة السكسيوية التي "ألزمت له طاعة السكسيوي فرجع وجاءه كتابه بخدمته وطاعته". ويستفاد من المعلومات القليلة التي أوردها ابن قنفذ في كتابه "أنس الفقير وعز الحقير" عن عزيزة السكسيوية السابقة الذكر، أنها كانت عنصراً أساسياً في الحياة السياسية والدينية بجبل سكساوة خلال نفس الحقبة. كانت لها حظوة كبيرة لدى سكان المنطقة وغيرهم فطبقت شهرتها الآفاق. وأصبح ورعها محط إعجاب وتقدير وأتاها الناس من كل حدب وصوب للتبرك بها وإصلاح ذات البين.

وإذا لم يعرف تاريخ وفاة للاعزيزة فإن ذكراها ظلت عالقة بأذهان الناس ليس في منطقة سكساوة فحسب بل في مناطق أخرى من جنوب المغرب مثل سوس ودرعة ودادس وتافيلالت وغيرها. وقد استمر ذلك إلى وقتنا الحاضر. وقد ظهرت بسكساوة - وتحديداً بزنيتْ (بالزاي المفخمة) في تاريخ يصعب تحديده - زاوية تحمل اسمها، ويوجد بها ضريحها الذي يستقطب جموعا غفيرة من الناس من سكساوة وخارجها للاحتفال بموسمها السنوي الذي يتزامن مع عيد المولد النبوي الشريف. وكباقي المواسم الدينية المعروفة في كثير من المناطق المغربية، فإن موسم للاعزيزة تطبعه طقوس احتفالية غنية بالرموز والدلالات التي لها علاقة ما بالتاريخ المحلي للمنطقة. ومن ثمة فهي، إذا ما تمت دراستها دراسة دقيقة، يمكنها أن تساعد الباحث على فهم بعض جوانب تاريخ المنطقة السياسية منها والثقافية. وعموما تتمثل تلك الطقوس في ذبح عدد معين من الأغنام والأبقار بالزاوية وفق تقاليد مضبوطة. وهذه الذبائح تقدمها بعض القبائل كقرابين للولية وزاويتها. وهناك مظهر آخر لاحترام وتقدير السكان لها يتجلى في المستفاد الذي يؤدونه لها طيلة السنة. وما يسم هذا المستفاد تنوعه بحيث يشمل جميع المحاصيل الزراعية التي تنتجها المنطقة.

ويبدو واضحا على وجه الإجمال، أن الدور الديني والسياسي والاجتماعي الذي اضطلعت به عزيزة السكسيوية في حياتها بجبل درن كان بمضي الوقت وراء نسج أسطورة حول شخصيتها، ظلت متوارثة بين الأجيال إلى عصرنا هذا. وهذه الاسطورة التقطها الرحالة الفرنسي بريڤ (BRIVES) عندما كان ماراً بهذه المنطقة في بداية القرن العشرين. وقد أوردها - نقلاً عنه - جاك بيرك في كتابه حول *"البنى الاجتماعية للأطلس الكبير"*.

ولحسن الحظ فإننا نتوفر على بعض المعلومات القيمة عن منطقة سكساوة تهم الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان خلال القرن السادس عشر للميلاد. وهذه المعلومات سجلها كل من الحسن الوزان أو ليون الإفريقي ومارمول كربخال. فالأول وصف سكساوة بأنها "جبل موحش، شديد الارتفاع والبرد، تغطيه غابات كثيرة، ولا يزول منه الثلج أبدا، تعود سكانه أن يضعوا على رؤوسهم قلنسوات بيضاء". أما الثاني فأضاف أن تربية المواشي كانت النشاط الأساسي للسكان. أما زراعة الحبوب فهي منعدمة. ولذلك فسكساوة

كانت وقتئذ مشهورة بإنتاج الجبن والسمن والزبد واللبن وربما حتى الصوف. أما الحبوب فكان يؤتى بها من مناطق أخرى. وقد أكد مارمول "أن اللحم لا ينقصهم طوال السنة". وقد انعكس نمط عيشهم هذا إيجاباً على حياتهم فكانوا يُعمرون طويلا. ويقول عنهم مارمول بخصوص هذا الموضوع : "يعيشون (أي سكان سكساوة) كالمتوحشين بصحة جيدة، بحيث إنهم عندما يبلغون من العمر مائة وستا وعشرين سنة لا يظهرون مسنين، ولا يشتغلون بشيء آخر طوال حياتهم سوى رعي قطعانهم. ومن العجب كيف يرتدون ملابس قليلة يتقون بها هذا البرد الشديد، إذ ليس لهم سوى عباءة تلفهم وأحذية نصفية من الجلد الطري وخرق يلفونها حول أقدامهم". أما الوزان فسجل في هذا الصدد أن "شيخوختهم قوية خالية بطبيعتها من العلل التي تحملها معها السنون، فهم يسيرون وراء بهائمهم إلى أن يدركهم الموت ...".

وهكذا يتضح بناء على المعطيات السابقة، أن منطقة سكساوة كانت إلى حدود القرن السادس عشر للميلاد منطقة رعوية بالأساس وأن الفلاحة بها لم تنتشر بها إلا بعد ذلك. وربما كان وراء ذلك عدة عوامل كالحصار الذي يمكن أن تتعرض له المنطقة لمدة طويلة مما أجبر السكان على الاشتغال بزراعة الحبوب إلى جانب اشتغالهم بالرعي، أو نزوح بعض السكان إليها ممن لهم دراية بالفلاحة وأشغالها. وعلى أية حال، فانتشار زراعة الحبوب وغيرها بجبل سكساوة زاد السكان قوة وأمناً مهما ضد أعدائهم وجيرانهم المتربصين بهم للوقوف أمام هجماتهم المتكررة.

وقد أدت هذه الوضعية الانعزالية التي انفردت بها منطقة سكساوة إلى تنامي ظاهرة الزعامة المحلية بها فخضعت بالتالي إلى سلطة بعض الشيوخ (إمغارن) والقواد. ومن جملة الشخصيات التي تركت صدى بالمنطقة نجد بويزگمان الذي كان أمغاراً على إمتدانْ خلال فترة معينة من القرن الثامن عشر للميلاد، وإلى جانبه تظهر شخصية الحاج بوجمعة الذي استحوذ على شياخة أيت إدما في نهاية نفس القرن ويعتبر الشيخ محمد أو منصور من قبيلة أيت باحمو من الشيوخ الذين ترقوا إلى رتبة قائد خاصة في عهد الحسن الأول. لكن الملاحظ أن قيادته على أيت حدِّيوسْ لم تدم طويلا لرفض السكان له. وعيّن محله شخص حاجي الأصل من حاشية السلطان يدعى أمشتاك ورفضه السكان أيضاً.

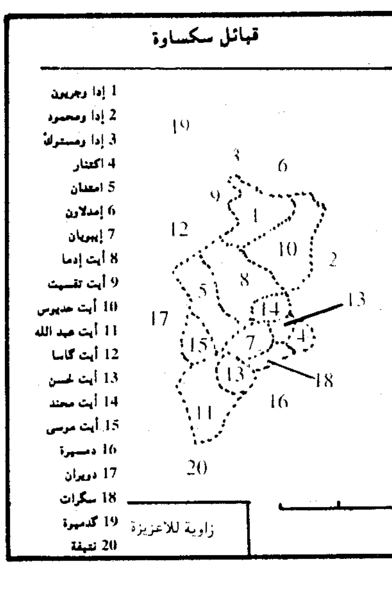


في الوقت الراهن تنتمي منطقة سكساوة من الناحية الإدارية إلى دائرة إيمنتانوت التابعة لإقليم شيشاوة المحدث قبل بضع سنوات. وهي مقسمة إلى ثلاث جماعات قروية رئيسية هي : سيدي غانم، وللاعزيزة، وأيت حدو ـ و ـ يوسف.

أبو بكر بن علي الصنهاجي، البيذق، *المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب*، الرباط، 1971 ؛ أخبار المهدي بن تومرت، الرباط، 1971 ؛ ع. الرحمان ابن خلدون، *كتاب العبر*، بيروت، 1399 / 1979، ج. 7 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، تح. محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1965 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1400 / 1980، ج. 1 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. محمد حجي وآخرين، الرباط، 1989، ج. 2 ؛ م. حمام، *النساء في الصلاح والولاية بالمغرب خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري الرابع عشر للميلاد*، نموذجا مؤمنة التلمسانية وعزيزة السكسيوية، ضمن كتاب *فكر وتاريخ*، دراسات وأبحاث مهداة للدكتور ما نويل ڤايشر، منشوات كلية الآداب بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 23، 1998، ص. 97، ص. 115.

J. Berque, *Structures sociales du Haut-Atlas*, Paris, 1955.

محمد حمام

**السكساوية، لالة عزيزة** بنت إبراهيم المرابطية الرگراگية، تنتسب إلى عائلة أيت علي العريقة بسكساوة، يجهل تاريخ ولادتها ووفاتها بالمنطقة لكن من المؤكد أنها عاشت في بداية عصر المرينيين في القرن السابع (13 م) حين توالت حملاتهم العسكرية على الحوز الغربي، فقامت اضطرابات والتجأ قسم من السكان إلى أعالي الجبال. ويقال إنها تدخلت لعقد صلح بين القائد عبد الله السكسيوي عندما نشب نزاع بينهم وبين أبي عنان المريني الذي دخل المنطقة بجيش لإخضاع سكانها لسلطة المخزن. ويقال إنها كانت في صباها راعية غنم أبيها، وكانت لها أحلام وتطلعات كبيرة، فسافرت خارج المنطقة لطلب العلم ووصلت في ترحالها إلى تلمسان وتلقت العلم والتصوف على يد الفقيه أبي مدين الغوث، ورجعت إلى بلدها كمتفقهة صوفية تعظ الناس خاصة النساء بكلام فصيح، تجيب عن أسئلتهم بذكاء وإقناع، وقد بدأت الزيارة إليها وهي حية حيث كان الناس يقصدونها للتبرك والاستفادة من علمها يستفتونها في مشاكلهم ويطلبون مساعدتها وتحكيمها. وكانت لها بركة "في جلب الخصب بل إنها فجرت الماء من سفح جبل عندما شكا الناس إليها من أزمة عطش وجفاف" وذلك حسب الروايات الشفوية الشائعة بالمنطقة. وتذكر الروايات أنها لم

تتزوج ولم تخلف نسلا. وبعد وفاتها أخذ الناس يتبركون بضريحها وبنيت فوقه قبة أحاطت بها غرف فتحول بعد زمن إلى زاوية يشرف عليها مقدم يختار لمدة سنة من دوار زنيت ويتوفر مقدم الزاوية اليوم على 16 ظهيراً موجهة من مختلف ملوك المغرب يأمرون بالعناية بهذه الزاوية واحترام موسمها وأملاكها. ويوجد ضريح لالة عزيزة بدوار زنيت، 311 ن، بقلب حوض سكساوة على ارتفاع 1.050م، وإلى جانبها توجد دار لالة عزيزة وهي بناية متواضعة تشبه منازل الدوار تفتح لخدمة زوار المنزل وخزن الزاد كالحبوب والحطب والسمن كما يتوفر على مطفية لخزن الماء. تحيط بهذا الدوار أضرحة أولياء آخرين وأماكن طبيعية مقدسة. يرتبط بمؤسسة لالة عزيزة موسم ديني صغير ينعقد يوم عيد المولد النبوي يخضع لتقويم السنة الهجرية القمرية مما يجعل الموسم يتصادف في بعض السنوات مع أيام الشتاء الباردة، لكن بعض السكان يذكرون أن الموسم كان يعقد في 15 يوليوز الفلاحي في بداية عقود القرن العشرين.

ولم يكن السكان المحليون يطلقون على هذه التظاهرة موسما بل معروفاً وهي كلمة عربية دخلت إلى الأمازيغية، وتعني تظاهرة دينية تقام بالأضرحة والمقابر، عبارة عن صدقة يساهم فيها السكان المستفيدون كل حسب استطاعته على مستوى دوار أو قبيلة أو فخذة لشراء أضحية: بقرة غالبا، تذبح ويتغذى من لحمها المشاركون أو يحملون نصيبهم إلى منازلهم باعتبارها "باروك". ويتخلل المعروف مجموعة من العادات تتناول قراءة أذكار وأمداح نبوية وتوزيع الخبز على الأطفال، ويشرف على سير الموسم وممتلكات لالة عزيزة أشخاص من قبيلة إيمتضان الذين يعتبرون أنفسهم خدام لالة عزيزة وتساهم جل أسر أربعة دواوير قريبة من الضريح في اكتتاب لتمويل متطلبات احتفال الموسم، وتوزع الباروك وهو قطعة من اللحم والخبز على جميع الزوار الذين يطلبونها.

يعتقد المشاركون أن روح الولية الصالحة تحميهم من المصائب والشياطين وتنزل الغيث وتكثر البركات، لكن شباب هذا الجيل بدأ ينصرف عن هذه المعتقدات، ويبدو من شهادات السكان أن موسم لالة عزيزة في تراجع منذ سنوات فلم تعد مدته تتجاوز بضع ساعات فبعد قراءة الفاتحة وذبح البقرة يتفرق السكان ويفضلون الالتحاق ببيوتهم حيث تتم الزيارات العائلية في هذا اليوم الذي هو يوم عيد المولد النبوي ولا يبقى في جوار الزاوية إلا بعض الأطفال. وقد كانت تحج إليه سابقا كل قبائل سكساوة تقدم كل واحدة أضحيتها، كان الإقبال على الموسم كبيراً تتخلله احتفالات أحواش وغيرها إذ تعقد حلقات الفرجة لترويض الأفاعي والفكاهة ورواية قصص الأنبياء والأحاديث النبوية، كما تحدث منافسة بين فرق أحواش المنتمية لكل قبيلة، تدوم الاحتفالات عدة أيام، ويشتهر موسمها بالزواج حيث تأتي النسوة الراغبات في ذلك دون ولي أو أقارب غالباً، ومن اختار امرأة من الرجال واتفق على الزواج والصداق يقسمان عند قبر الولية ويتعاهدان بضمان السعادة والوفاء لبعضهما وينصرفان متزوجين، وقد يكتب لهما عدلان العقد أو يستغنيان عنه وفي كل سنة يقدمان ذبيحة للولية. ومازالت تحدث بضع حالات زواج في كل موسم لكنها ظاهرة في طريق الانقراض خاصة بعد تدخل السلطة التي تفرض شروطا لا يفي بها الأرامل والعوانس. لكن فتيات القبيلة مازلن يزرن الولية ويقدمن لها الصدقة للتعجيل بتزويجهن.

لقد اختفت جل هذه المظاهر، لكن مازال للولية أراضيها وبساتينها ومياهها المحبسة عليها منتشرة بأراضي سكساوة بالإضافة إلى مداخيلها من صندوق الضريح، ويختلف تقسيم المداخيل بين القبائل والجيران والمشرفين من فترة لأخرى، وقد تدخل جاك بيرك وجعل المداخيل تقتسم بالتساوي بين أكبر عدد من المعنيين.

ويلاحظ اليوم أن نصف الزوار يكونون من سكساوة والباقي من أبناء البلد المهاجرين الذين أتوا لزيارة أهلهم في الدرجة الأولى ولعل أهم ما يعوق توسع الزيارة الدينية وتحويلها إلى نوع من السياحة الشعبية كما نجد في ستي فاضمة ومولاي إبراهيم هي صعوبة طريق الوصول بالوادي الجبلي: 12 كلم، فأغلب الزوار القريبين يأتون مشيا على الأقدام أو الدواب، أما البعيدون فيأتون على الشاحنات أو سيارات البيكاب العاملة بدون ترخيص. وتنعدم كذلك وسائل الترفيه فلا فنادق ولا مطاعم ولا مقاه... لكن مازال للولية تقدير ومحبة في وجدان أهالي سكساوة، فهم يقسمون باسمها ويتعاهدون عند ضريحها ولا تزال سيرتها موضوعا لأغاني وأشعار أمازيغية وابتهالات دينية، كما أطلق اسمها على الجماعة القروية الموجودة بها.

ولعل أهم ما يعوق توسع الموسم هو: ضيق المكان، كما في جميع الأودية فإن المساحة المستوية نادرة، فمكان الموسم عبارة عن زقاق طوله 200 م وعرضه 4 م يسمى تاسوكت يخترق دوار زنيت يتكدس بجوانبه التجار والحرفيون بشكل فوضوي رغم إشراف المقدم وأعوان السلطة على تنظيمه، وأهم ما يباع به، مواد التغذية من خضر ولحم وسكر... ولا وجود لملابس ولا أوان فخارية أو معدنية... كما أن موضع الموسم يبعد عن نهاية الطرق حيث تقف السيارات والشاحنات مما يفرض نفقات إضافية لنقل البضائع على ظهور الدواب. كما فقدت الزاوية دورها التعليمي بتقلص عدد الكتاتيب التي كان يدرس بها فقهاء يفدون من سوس غالبا. لكن يبدو أن أخطر عائق يتسبب في تراجع أهمية الموسم هو ارتباطه بالتقويم الهجري: 12 ربيع 1 إذ يتصادف أحيانا مع أيام الشتاء الباردة وقد يفيض الواد ويقطع الطريق، ولا يتفق مع العطل الصيفية وفصل جني المحاصيل عندما يحتاج القرويون إلى تجديد مشترياتهم والتمتع ببعض الراحة والترفيه. فمواسم فصل الشتاء لا يشارك فيها إلا أفراد قلائل من دوار زنيت وقبيلة إيمتضان، فتحويل تاريخ الموسم إلى 15 يوليوز للسنة الفلاحية الشمسية كما كان عليه

سابقا شيء حيوي لبقائه وتوسعه. يضاف إلى كل هذا بعده عن أي مدينة كبرى يمكن أن تنعش حركته بزوارها وأموالها.

*بحوث ميدانية*، *معلومات من د. الإفريقي محمد* كلية العلوم، مراكش ؛ أسكور إبراهيم، *موسم لالة عزيزة من الزيارة الدينية إلى السياحة الشعبية*.

P.N.U.D., *Etude monographique de la province de Chichoua*, Octobre 1997 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut Atlas Occidental, Seksaoua*, Paris, 1955.

أحمد هوزالي

**ابن السكّاك،** أسرة فاسية عريقة، أصلها من قبيلة مكناسة الزناتية، وبيتهم بيت فقه وعلم وحسب. ومازال بنو السكاك بفاس، وينطق بهم اليوم "السكاك" - بدون - ابن -

ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، ج 2 : 178.

**ابن السكّاك، علي** أحد نساك مدينة فاس وعبادها خلال النصف الثاني من القرن السادس (12 م) ولعله أقدم من عرف من بني السكاك بفاس، ترجم له محمد التميمي في كتابه *المستفاد* وهي ترجمة مبنية على المشاهدة العيانية للمؤلف، ومن خلالها نعلم أن علياً السكاك خرج من فاس لأداء فريضة الحج وأقام بمكة مجاوراً ثم انتقل إلى دمشق وأقام بها أعواماً ثم رجع إلى مكة وأقام بها أعواماً، وهناك لقيه الفقيه محمد التميمي واجتمع به بالحرم الشريف واستمع إلى مواعظه وحكَمه، وتركهُ هناك مجاوراً، وقد انتقل الشيخ ابن السكاك إلى مدينة حلب وأقام بها، وقد وصفه التميمي بالصلاح والتعبد والنسك والاجتهاد في العبادة.

توفي بعد 603 / 1207.

التميمي، *المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد*، مخطوط خاص، ورقة 126 - 127 ؛ إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، شارك في تأليفه إسماعيل ابن الأحمر، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص. 67.

محمد الشريف

**ابن السكاك، محمد** بن أبي **غالب** المكناسي العياضي، يكنى أبا يحيى، الفقيه المشارك قاضي الجماعة بفاس. رفيق ابن خلدون في الطلب، أخذا معاً عن الشريف التلمساني "قيل إنهما باتا عند الشيخ ليلةً فُولد له تلك الليلة ولد سماه عبد الرحمن باسم ابن خلدون وكناه أبا يحيى كنية ابن السكاك.

ألّف ابن السكاك عدة كتب، منها شرح الشفا للقاضي عياض "وأجاد فيما شرح منه" ؛ وتأليف في الأذكار ؛ ونصح ملوك الإسلام بالتعريف لما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام، في ثلاث نسخ، صغرى ووسطى وكبرى. طبعت الصغرى، ووقف عبد السلام ابن سودة على الوسطى، وأما الكبرى فتعتبر اليوم مفقوده.

توفي بفاس ليلة الثلاثاء الثاني عشر لشهر ربيع الأول عام 818 / 22 ماي 1415، وصلى عليه إمام جامع القرويين أبو يوسف الحلفاوي وأدخله قبره بروضتهم مع الشيخ محمد ابن عباد الرندي داخل باب الفتوح.

أ. الونشريسي، وفيات ؛ أ. ابن القاضي، لقط الفرائد / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 2 : 732 - 733 ؛ جذوة الاقتباس، الرباط، 1973، ج 1 : 238 ؛ أ. بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، بيروت، د. ت. ص. 284 ع. الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين، موسوعة أعلام المغرب، 2 : 732.

محمد حجي

**ابن السكاك، محمد بن محمد** بن أبي البركات الفاسي. ولد بفاس عام 720 / 1320. ورحل مع والده إلى تلمسان فنشأ وقرأ بها على العالم الشهير أبي عبد الله الشريف التلمساني، والإمام العالم محمد الآبلي العبدري. تولى قضاء سبتة ثم قضاء الجماعة بفاس في أيام حكم السلطان موسى ابن أبي عنان. ثم عاد إلى قضاء سبتة كما امتهن التدريس أثناء ولايته الأولى بمسجد مقربة زجلو، وخلال ولايته الثانية بالمدرسة الجديدة خلفا للشيخ أبي محمد ابن أبي حجة. كما درس أيضا بمسجد زقاق ابن عيسى الأسفل وبالجامع الأعظم. فكان يقرئ التفسير والأصول والفروع. ويتحدث عن معاني القرآن وبلاغته المعجزة، وينص كلام شرف الدين في تفسيره، ويستظهر التبيان في علم البيان له، ويأتي بكلام أبي القاسم الزمخشري في الكشاف، وينبه على ما ينطوي عليه من الاعتزال. كما اعتمد في الأصول على أصلي ابن الحاجب والمستصفي للغزالي بقراءة أبي زيد ابن أبي حجة وفي الفقه على الجواهر لابن شاش والوثائق لابن القاسم الجزيري وغيرها. ويلاحظ عليه عدم اعتنائه بالرواية (*بلغة*، 184 ؛ *نيل*، 481).

من مآثر ابن السكاك أنه كان سكونا رابط الجأش جزلا مهيبا لا يعبأ بأهل الباطل مهينا لهم. يذكر أنه حضر بين يديه يوما والي سبتة في ميراث فنهاه القاضي ابن السكاك فلم يأبه لكلامه فقال القاضي : "أعوذ بالله من خطاب من لا يفهم، ولعلك تريد الاستبداد والجور". وأغلظ له القول فخرج الوالي منكسر الشوكة من دون أن ينال مطلبه. وفي نهار الغد عاد الوالي مطأطئ الرأس معتذرا عما صدر منه. فقال له الشيخ باقتضاب : "الآن أنت مسلم".

توفي بسبتة في محرم فاتح 800 / 1398 وله من العمر ثمانون سنة.

*بلغة الأمنية ومقصد اللبيب*، تح. م. ابن تاويت، مجلة تطوان، العدد 9، 1964، ص. 184 ؛ أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1398 / 1989، ص. 481 - 482 ؛ ابن محمد مخلوف، *شجرة النور الزكية*، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349، ص. 251 ؛ الونشريسي، *وفيات*، تح. م. حجي، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1396/ 1976، ص. 138 ؛ ابن القاضي، درة *الحجال في أسماء الرجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الثاني.

زوليخة بنرمضان

**السكّال، أحمد** زكريا، أحد رموز المقاومة وجيش التحرير بالجنوب، من مواليد سنة 1925 بدوار الزاوية بأيت باعمران. تميزت حياته بكفاحه المستميت من أجل كرامة البلاد واستقلال الوطن وقد تكلل كفاحه بأعمال فدائية جليلة. ونتيجة نشاطه هذا تم اعتقاله عدة مرات من السلطات الاسبانية ونفته إلى الداخلة ثم إلى جزر الخالدات ولم يطلق سراحه إلا بتدخل من السلطات المغربية، وقد ظل وفيا لمبادئه إلى أن وافاه أجله المحتوم يوم 23/ 11 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 522809.

**السّكّان، ولدْ حْميدْ**، هذا هو الاسم الذي اشتهر به البطل الشريف محمد بن أحمد الخراز شهيد معركة السلالم التي جرت بقبيلة بني عروس يوم 10 رمضان 1340 / 7 ماي 1922.

ولد حوالي سنة 1292/ 1875 بقرية السكان من فرقة الظهر بقبيلة بني عروس في أسرة شريفة تنحدر من سلالة المولى عبد السلام بن مشيش وأفرادها هم سدنة ضريح الولي المذكور.

نجهل الكثير عن حياة هذا المقاوم فيما قبل سنة 1913 لعدم وجود مصادر مغربية تتعلق بالمقاومة المسلحة ورجالاتها في شمال المغرب، الأمر الذي يجعلنا نعتمد أساسا على ما كتبه الأجانب خصوصا منهم الإسبانيين والفرنسيين حيث تقول عنه الوثائق الاستعمارية إنه "كان رجلا مقداما يشارك بصفة فعالة في أغلب المعارك منذ أن فرضت الحماية على بلاده".

وجاء في تقرير للإقامة العامة الاسبانية بتاريخ 7 ماي 1922 أنه "كان محبوبا من طرف قومه رغم الرتبة السامية التي كان يحتلها في قيادة الثورة التي كان يتزعمها الشريف الريسوني فكان خليفته ويده اليمنى يساعده في جميع الأعمال وينوب عنه في كثير من الأشياء وينفذ أوامره بكل دقة وأمانة".

والوثيقة الاستعمارية الأولى التي أشارت إلى وجود المترجم له بجانب الشريف الريسوني هي البرقية التي وجهها المقيم العام الاسباني إلى وزير دفاع بلاده يوم 18 ماي 1913 يقول له فيها : "لقد أصبح من المؤكد أن الريسوني استطاع في الجمع الذي دعا إليه وانعقد يوم 7 من الشهر الجاري (بعزيب الحاج قدور بعين الدالية) أن يتفق رؤساء القبائل على الاعلان عن عصيانهم من أجل مقاومة حمايتنا، والجدير بالذكر أن العنصر الأكبر صلاحية الذي يعتمد عليه الشريف الريسوني هو شريف آخر اسمه احميدو السكان".

وهذا يدل على أن المترجم له قد انضم إلى المقاومة المسلحة منذ اليوم الأول الذي اندلعت فيه الثورة فأصبح يقوم مقام زعيمها في جميع الأمور التي لم يتمكن الشريف الريسوني من القيام بها أو مباشرتها بنفسه ؛ وقد شارك في 50 معركة منذ اندلاع الثورة يوم 3 ماي 1913 إلى أن لقي الشهادة في معركة السلاليم التي جرت يوم 7 ماي 1922.

وكان المترجم له رجل الثورة الوحيد الذي كلفه الشريف الريسوني بالقيام بمذاكرات سياسية مع ممثلي الدولة الإسبانية مثل المذاكرات التي أدت إلى اتفاقية الهدنة المبرمة بقرية امطوط بقبيلة بني گرفط يوم 6 غشت 1915.

وتشهد الوثائق الإسبانية بأن للشريف ولد حميد السكان يعود الفضل في التحاق المجاهدين الريفيين بصفوف المقاومة المسلحة الهبطية الغمارية الجبلية حيث التحق الشريف حميدو الوزاني من قصبة اسنادة بالريف بمعسكر الشريف الريسوني يوم 9 يونيو 1919.

وفي يوم 20 ماي 1920 انعقد بقبيلة بني يسف مؤتمر مصغر بين قيادة الثورة بالشمال وقيادة الثورة بناحية وزان حضره الشريف الريسوني وبجانبه المترجم له من جهة ومن جهة أخرى الشريف ولد سيدي الحماني زعيم المقاومة بمنطقة الحماية الفرنسية بحوض اللوكوس ؛ وقد أسفرت المذاكرات عن تكوين جبهة موحدة للمقاومة المسلحة ضد التدخل الفرنسي والاسباني بالناحية.

وفي يوم 4 سبتمبر 1920 كتب المقيم العام الاسباني الجنرال بيرينگير Berenguer يقول في مذكراته : "لقد فشلت جميع المحاولات التي قمنا بها من أجل جلب حميد السكان إلى جانبنا، ولم نحصل إلا على مقاومته الشديدة لنا".

والجدير بالذكر هنا أن المترجم له كان ذات يوم يتفاوض مع المقيم العام المذكور وقال له هذا الأخير : "عليك أن تعلم أن إسبانيا دولة قوية تتوفر على جيش عظيم لا طاقة لكم به أنتم معشر المجاهدين" فكان جواب ولد حميد هو "والله لولا أن الموت تأكل الموت ما دخلتم بجيوشكم حتى بيت العنكبوت".

وقد أصبحت هذه المقولة على ألسنة الجميع لدرجة أن الأمير شكيب أرسلان كان يذكّر بها قادة الحركة الوطنية فيقول لهم في رسائله : "هذه الجملة هي زبدة الكلام عن مصائب الإسلام، جملة قصيرة تفيد أكثر من رسالة ومن كتاب ولا يبلغ مداها كلام بليغ لما فيها من الانطباق على الأحوال".

وقد استشهد البطل ولد حميد السكان بمعركة السلاليم التي جرت بقبيلة بني عروس يوم 10 رمضان 1340 / 7 ماي 1922.

م. ابن عزوز حكيم، *بطل جبالة ولد احميدو السكان*، الرباط، 1982؛ والمصادر المذكورة في آخر الكتاب.

محمد ابن عزوز حكيم

**السكة الحديدية بالمغرب**، عرفت ظهوراً مبكراً ابتداء من سنة 1860، حيث وضعت الجيوش الإسبانية 11 كلم من السكة بين ريومارتان وتطوان، اعتبرت من بين السكك الحديدية الأولى بإفريقيا، وقد تم التخلي عنها سنة 1862 بعد أن أحبطت انجلترا هذه المحاولة الأولى للاستعمار.

وبعد 27 سنة حاولت الحكومة البلجيكية إنجاز استعراض سككي بالمغرب، حيث طلب المهندس "لوكران"، وهو أصل هذا المشروع، من معمل كروب بميونيخ، صنع قاطرة صغيرة، أنزلت بالعرائش في دجنبر 1887 ونقلت إلى مكناس لتقدم هدية إلى السلطان مولاي الحسن الذي حضر إلى تجربتها على سكة (حوالي 1 كلم) وضعت في شكل دائرة بحدائق بأگدال، إلا أن هذه التجربة لم تكلل بالنجاح، الشيء الذي جعل السلطان لا يبدي اهتماما كبيراً بهذا الإنجاز. وتم الاحتفاظ بهذه القاطرة لتعرض فيما بعد بمحطة الرباط من طرف إدارة شركة السكك الحديدية المغربية. ومن المؤسف أن تختفي هذه القاطرة الأولى في دوامة الحرب العالمية الثانية.

وهكذا، فإن تاريخ السكك الحديدية في المغرب يتميز بتطورات هامة حيث خضع للتقلبات السياسية الدولية التي عرفتها البلاد. خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م). كما طبع التطور الذي عرفته الشبكة الحديدية حدثان من التاريخ السياسي هما : معاهدة الجزيرة الخضراء سنة 1906 والاتفاقية بين فرنسا وألمانيا سنة 1911. وقد نصت هاتان الاتفاقيتان على أنه لا يمكن بناء أي خط سككي قياسي بالمغرب قبل بداية استغلال الخط الدولي طنجة - فاس.

1 - سكة بتباعد 0،60 متر

ابتداء من سنة 1911 اضطرت السلطة العسكرية الفرنسية إلى بناء سكك حديدية بالمغرب لضمان تنقلاتها. وطبقا للاتفاقيتين سالفتي الذكر لم يكن ممكنا إنشاء هذه السكك الحديدية بسكة قياسية. وهكذا، انطلقت خطوط الشبكة العسكرية بسكة ذات تباعد 0،60 متر من وجدة في اتجاه موانئ الدار البيضاء والقنيطرة. وقد أنشئت أول الخطوط ذات التباعد 0،60 متر بسرعة وباقتصاد متتبعة تعرجات التضاريس، ومجتنبة كلما أمكن المنشآت الفنية.

وقد بدأ استعمال مختلف الخطوط في التواريخ التالية :

- الدار البيضاء - الرباط : 1912
- القنيطرة - فاس : 1915
- الدار البيضاء - وادي زم لنقل الفوسفاط : 1917
- الدار البيضاء - بن جرير : 1918
- بن جرير - مراكش : 1920
- وجدة - فاس 1921

ومن المثير للانتباه أن الشبكة العسكرية ذات تباعد 0،60 متر كانت سنة 1921 تشبه الشبكة الحالية المؤلفة من خطوط قياسية.

فتحت هذه السكك ذات تباعد 0،60 متر في وجه العموم يوم 27 مارس 1916. ومن الناحية التجارية، قدمت سكة 0،60 متر خدمات جليلة مكنت من تطور البلاد في انتظار إنشاء سكة قياسية ابتداء من سنة 1923، حيث كانت محاذية لسكك 0،60.

وفيما يخص المعدات الموجودة آنذاك فقد تم استعمالها لأغراض عسكرية وكذلك للحاجيات التجارية على خطوط 0،60 متر التي أنشئت فيما بعد، وهي كالتالي :

- خط فرعي يمتد في اتجاه ملوية العليا بين گرسيف وأوطاط الحاج ابتداء من سنة 1923 ليبلغ ميدلت سنة 1930.
- تطعيم خط القنيطرة - ثلاثاء - بلقصيري سنة 1923 بثلاثة خطوط فرعية هي :
- ثلاثاء - مشرع الحادر في الشمال الغربي للغرب سنة 1924.
- مشرع بلقصيري - عين الدفالي - فاس البالي - أو تزاغ - عين عائشة والذي يخترق بعمق سلسلة الريف، بين 1923 - 1928.
- عين الدفالي - وزان عبر سهل ورغة سنة 1924.
- خط فرعي يربط بئر طمطم وأهرمومو ليتصل بخط فاس - وجدة ويلج نحو منطقة بني وراين سنة 1925.
- خط القائد التونسي - الجديدة بخط مراكش سنة 1927.
- خط فرعي يربط كذلك الرباط بتيفلت والخميسات سنة 1927.
- التمهيد لبناء الخط الفرعي ذي السكة المترية بين مكناس وأزرو سنة 1928 والذي تم التخلي عن أشغاله قبل الانتهاء منها.

انطلاقا من سنة 1928 بدأ العمل تدريجيا في بناء الطرق الكبرى وتطوير النقل الطرقي، وتم التخلي عن خطوط 0،60 متر المتفرعة عن الخطوط القياسية. وآخر خط من هذه الخطوط هو خط سهل ملوية الذي تم التخلي عنه سنة 1935، ومن تلك الشبكة ذات تباعد 0،60 متر والتي بلغت أيام توسعها الكبير نحو 1500 كلم لم تبق إلا الذكرى.

2 - خط طنجة - فاس :

تطبيقا لمعاهدة الجزيرة الخضراء الموقعة يوم 7 أبريل 1906 والمعاهدة الفرنسية - الألمانية الموقعة يوم 4 نونبر 1911، منح سلطان المغرب امتياز بناء واستغلال خط طنجة - فاس للشركة الفرنسية - الإسبانية وذلك في 18 مارس 1914. وتسببت الحرب العالمية الأولى في تأخير بناء هذا الخط حتى شهر غشت 1917، وقد فتحت مختلف الخطوط في التواريخ التالية :

- سيدي قاسم - مكناس - فاس : 5 أبريل 1923
- سيدي قاسم - مشرع بلقصيري : 12 غشت 1925
- مشرع بلقصيري - سوق الأربعاء 1 يوليوز 1926
- سوق الأربعاء - طنجة : 25 يوليوز 1927
- طنجة المدينة - طنجة البحرية : يونيو 1934

3 - خطوط شركة السكك الحديدية المغربية

بعد سنة 1918 أُلغيت الاتفاقيتان المبرمتان بين فرنسا وألمانيا سنتي 1906 و1911، وفي 29 يونيو 1920 منحت الحكومة الشريفة لشركة السكك الحديدية المغربية امتياز استغلال الخطوط التالية :

- سيدي قاسم - القنيطرة
- القنيطرة - الرباط والدار البيضاء
- القنيطرة سوق الأربعاء
- الدار البيضاء - مراكش
- سيدي العايدي - وادي زم
- فاس - الحدود الجزائرية (بعد وجدة)

وفي 6 نونبر 1929، وقعت اتفاقية تكميلية مع شركة السكك الحديدية المغربية، تمنح بموجبها خطا سابعا هو خط بن جرير - آسفي.

وقد بدأ تشغيل مختلف الخطوط على النحو التالي :

- يوم 5 أبريل 1923 : خط الرباط - القنيطرة - سيدي قاسم. وقد مكن هذا المقطع إضافة إلى خط طنجة - فاس من توفير استمرارية الربط بين الرباط - القنيطرة - سيدي قاسم - مكناس - فاس.
- في 1 شتنبر 1923 : الدار البيضاء - خريبكة
- في 13 يوليوز 1925 : خريبكة - وادي زم
- في 21 أبريل 1925 : الدار البيضاء - الرباط
- في 7 نونبر 1928 : سيدي العايدي - مراكش
- في 15 ماي 1932 : وجدة - تازة
- في 15 أبريل 1934 : تازة - فاس
- في 7 ماي 1936 : بن جرير - آسفي

ولم يتم بناء خط القنيطرة - سوق الأربعاء

إضافة إلى ذلك، وحتى يتسنى استيعاب نمو حركة نقل الفوسفاط، تمت تثنية السكة على الخط الرابط بين الدار البيضاء وخريبكة على عدة مراحل :

- 1950 / 1951 : الدار البيضاء - النواصر
- 1957 / 1958 : النواصر - سيدي العايدي
- 1962 / 1964 : سيدي العايدي - خريبكة

4 - خطوط شركة السكك الحديدية للمغرب الشرقي

برسم اتفاقية وقعت يوم 25 نونبر 1928، منحت الحكومة الشريفة امتياز استغلال خط وجدة - بوعرفة إلى شركة السكك الحديدية للمغرب وشركة معادن بوعرفة.

وقد تكونت شركة السكك الحديدية للمغرب الشرقي من هاتين الشركتين لاستغلال هذا الخط الجديد.

أما أشغال البناء التي بدأت في أكتوبر 1927 فقد تم الانتهاء منها في فبراير 1931.

كما حصلت هذه الشركة على امتياز خط قنفودة - حاسي بلال التي بدأ تشغيلها يوم 18 أبريل 1952.

5 - إنشاء المكتب الوطني للسكك الحديدية(الم.و.س.ح)

بعد إعلان استقلال المغرب سنة 1956، انطلقت المحادثات من أجل استرجاع الدولة المغربية للشركات الحاصلة على امتيازات استغلال الخطوط الحديدية. وابتداء من فاتح يناير 1963 قام المكتب الوطني للسّكك الحديدية مقام شركة السكك الحديدية المغربية وشركة سكك حديد المغرب الشرقي.

أما عن الشركة الفرنسية - الإسبانية لسكة حديد طنجة - فاس، فقد استمر الامتياز الممنوح لها إلى غاية 31 دجنبر 1999. إلا أنه في إطار عقدة أبرمتها مع المكتب الوطني

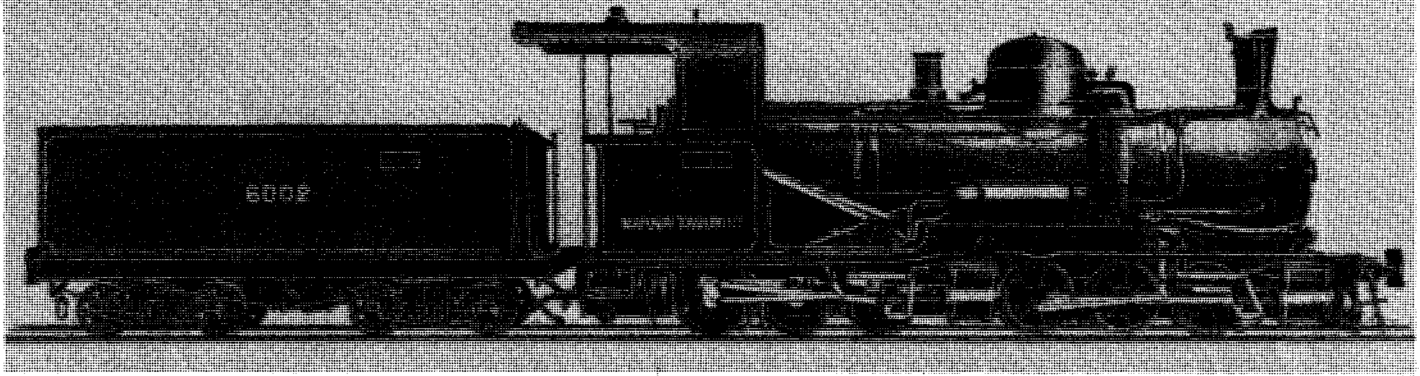

للسكك الحديدية في 12 غشت 1964، فوضت لهذا الأخير ولصالحها التدبير الإداري والتقني والمالي للخط الممنوح لهذه الشركة.

وفي إطار الاتفاقيات المصادق عليها في 5 غشت 1965 حولت مجموع أملاك وحقوق والتزامات الشركات سالفة الذكر لصالح المكتب الوطني للسكك الحديدية. ومنذ إنشائه، قام المكتب الوطني للسكك الحديدية فيما بعد بأشغال تجديد السكة وعصرنة المحطات والمعدات ومنشآت الأمن.

أما فيما يتعلق برفع القوة الاستيعابية للشبكة، فقد قام المكتب بأعمال :

- تثنية الخط بين الدار البيضاء - خريبكة (143 كلم) سنة 1964.

- تثنية الخط بين الدار البيضاء والرباط أگدال (80 كلم) سنة 1984 وتشغيل قطارات مكوكية سريعة تربط الدار البيضاء والرباط بسرعة تجارية تبلغ 160 كلم / ساعة مما يمثل إنجازا ينفرد به المغرب في القارة الإفريقية والعالم العربي.

- تثنية السكة بين الرباط أكدال والقنيطرة (43 كلم) سنة 1996.

- تثنية السكة بين القنيطرة وسيدي قاسم (83 كلم) 1999.

- وفي طور الإنجاز، تثنية السكة بين سيدي قاسم ومكناس (53 كلم) والتي سيتم الانتهاء منها في متم سنة 2003.

- مشروع تثنية السكة بين مكناس وفاس (57 كلم) وسيتم الانتهاء منها سنة 2004.

وفيما يخص توسيع الشبكة تم إنجاز :

- خط النواصر - الجرف الأصفر (111 كلم) سنة 1987.

- ربط مطار محمد الخامس بالشبكة (12 كلم) سنة 1992.

أما فيما يخص المشاريع المستقبلية، فيجب التذكير بمشروع تاوريرت الناظور (117 كلم) ومراكش العيون (961,6 كلم) وخاصة مقطع مراكش أگادير اللذين سيخرجان إلى الوجود على المدى المتوسط.

6 - الاستراتيجية المستقبلية

تستمد الاستراتيجية التي اعتمدها المكتب لتنمية النمط السككي على المدى القريب والمتوسط خطوطها العريضة من التحولات الجديدة التي يشهدها المحيط الاقتصادي عموماً وقطاع النقل خصوصا. فهذا المناخ المتغير، أصبح يفرض على المؤسسة تحقيق مستويات مرتفعة من النمو المتوازن والدائم لإنتاجيتها ويقتضي إزالة جميع العراقيل باعتماد استراتيجية هادفة لتطوير النقل السككي عبر نهج سياسة تنموية جديدة موجهة بالأساس نحو الاستجابة للمتطلبات الحقيقية للزبناء، يكون قوامها :

- الرفع من مستوى الأداء التجاري للمؤسسة بالتأثير على مختلف مكونات جودة المنتوج السككي وبلورة خدمات لوجيستيكية متكاملة وفق منظور يتماشى والمعطيات الحالية والمستقبلية للسوق ؛

- تنقيح الإطار المؤسساتي والتنظيمي للمكتب بما في ذلك عملية تحويله إلى مؤسسة مجهولة الاسم، وهو ما يعتبر إحدى الوسائل التي ستمكنه من نهج تدبير مطبوع بالفعالية والجودة التنافسية، وكذا تزويده بالآليات القانونية التي

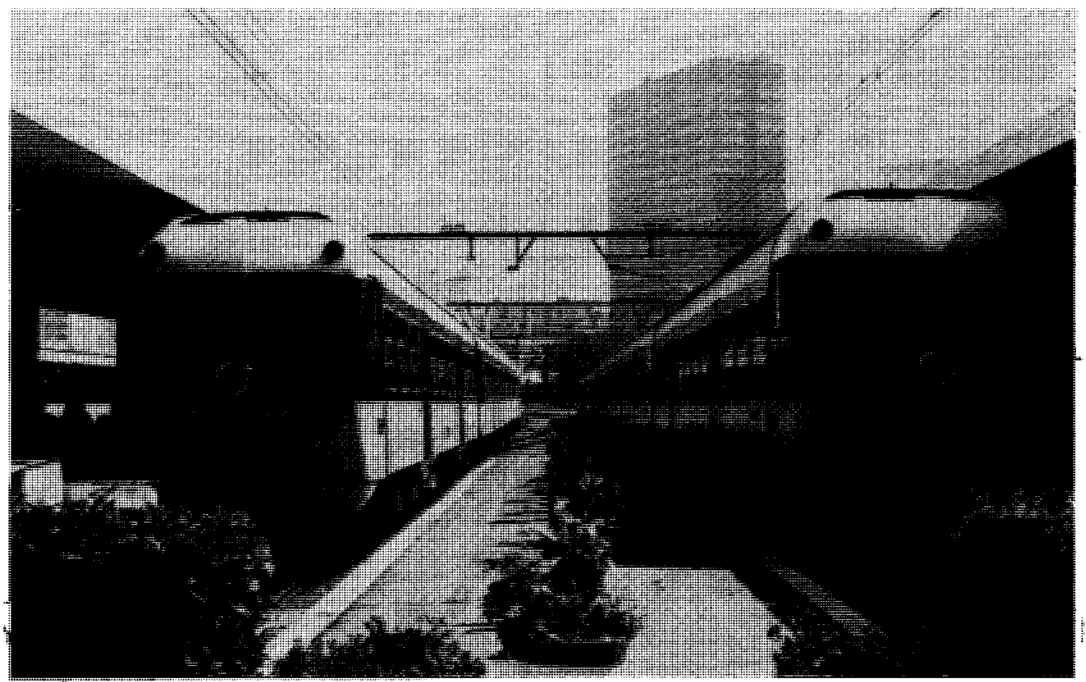

تخول المرونة اللازمة في تدبير شؤونه ؛

- بلورة شراكة بناءة مع الفاعلين الاقتصاديين قوامها التعاون المثمر لصالح الطرفين وذلك في إطار مواصلة سياسة تفويت الأنشطة الموازية على أساس التحكم في جودة المنتوج السككي واحترام مبدأ الاستقلالية والاحتكار للأنشطة المفوتة والرفع من عامل "الجودة التكلفة" ومراعاة الجوانب الاجتماعية ؛

- بناء شبكة سككية قادرة على أن تستجيب بشكل أفضل للتطورات الاجتماعية والاقتصادية، وذلك عبر إعداد آليات الانتاج ومواصلة عصرنتها وتجديدها ضمن مخططات استثمارية محكمة ومتناسقة، مع البحث عن الصيغ الناجعة لإخراج المشاريع السككية الهامة المتعلقة بتوسيع الشبكة.

والجدير بالذكر أن المكتب ينكب حاليا، بمساعدة مكاتب دولية متخصصة، على إعداد دراسات معمقة لتوضيح الرؤية المستقبلية للاستراتيجية التجارية الواجب اعتمادها لتنمية حصة النمط السككي داخل السوق الوطنية للنقل، وكذا التنظيمات الهيكلية التي تتوافق مع الأهداف المتوخاة على المدى القصير والمتوسط. وستكون هذه الدراسات إن شاء الله جاهزة في القريب العاجل.

*وثائق المكتب الوطني للسكك الحديدية.*

المكتب الوطني للسكك الحديدية

**السكر**، تم اكتشافه في قصب السكر الذي كان ينمو بطريقة طبيعية في جزر المحيط الهادي الجنوبية، وذلك منذ ما يناهز 4000 سنة. وتعتبر الهند أول بلد قام باستخراج العصير الطبيعي لقصب السكر لاستعماله في صناعة السكر الخام الذي كان يسمى آنذاك "الگور" Gur (تمت ترجمة هذا المصطلح بالعبارة التالية "مذاق حلو" وذلك زهاء سنة 500 قبل الميلاد.

وبعد الهند، انتشر فن استخراج السكر عند العرب في الشرق الأوسط، ثم في أوربا أثناء الحروب الصليبية. وعلى امتداد عدة قرون، كان السكر يعتبر بمثابة نوع من المواد نفيسة الثمن، يستعمل بالخصوص لدى الملوك والأعيان.

حمل كريستوف كولومب قصب السكر لزراعته في جزر الأنتيل، وبذلك أعطى الانطلاقة لإنتاج السكر في العالم الجديد.

وفي أواسط القرن الثامن عشر، اكتشف عالم ألماني بديلا لقصب السكر، ويتعلق الأمر بالشمندر السكري، الذي أصبح منذ تلك الحقبة أول مصدر لإنتاج السكر في أوربا وفي بعض دول إفريقيا الشمالية وخاصة المغرب.

وفي أوربا، خرج السكر إلى حيز الوجود سنة 996، بالضبط في مدينة فنيزيا. وقد تعرف سكان هذه المدينة على تقنيات تصفيته بفضل العرب. وأعطي للسكر اسم "قالب فنيزيا" كناية على شكل مدينة ماركو بولو، حيث أصبح يعرف اليوم باسم "قالب السكر".

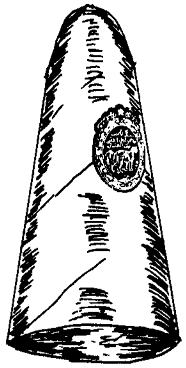

قالب السكر

وفي المغرب، ظهر السكر خلال القرن السادس (12م)، وكان إنتاجه يتم بواسطة قصب السكر الذي كان يزرع في جهات سوس وشيشاوة، وازدهرت صناعته أيام السعديين خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 - 17م).

أما فيما يتعلق بالإنتاج العصري للسكر المصفى انطلاقا من السكر الخام المستورد، فإنه يرجع إلى سنة 1929 عند بناء مصفاة كوسومار من الشركة الفرنسية سان لويس، في حين ابتدأ إنتاج السكر انطلاقا من نبتة الشمندر منذ سنة 1963 وانطلاقا من القصب السكري سنة 1972.

يوجد السكر كمادة سكرية طبيعية في جميع الفواكه والخضر، وهو المنتوج الأساسي للتخليق الضوئي الذي تنتجه النباتات عل شكل ذرات من السكر تسمى غلوكوز (سكر العنب) وفروكتوز (سكر الثمار).

ويتجمع الغلوكوز والفروكتوز داخل النبات ليشكل ما يسمى بالسكروز (سكر القصب أو الشمندر) الذي نطلق عليه عامة اسم السكر.

ويوجد السكر بكمية وافرة في قصب السكر والشمندر السكري اللذين يستعملان سويا في الإنتاج التجاري للسكر. وينتصب قصب السكر كنبات طويل القامة ينمو في مناخ حار ورطب ويجمع السكر في ساقه. أما الشمندر السكري فيتناسب أكثر مع المناخ المعتدل ويجمع السكر في جذوره البيضاء.

يلعب السكر عدة أدوار في المنتجات الغذائية، زيادة على مذاقه الحلو، فهو فاعل ضروري في المحافظة على المربيات والمواد المجمدة من حيث وقايتها من الجراثيم.

ويمكن السكر المستعمل في الحلويات، من المحافظة على رطوبتها ووقايتها من فقدان الخضرية التي تتم ملاحظتها عندما تجف. كما يساهم السكر في الرفع من جودة تركيبة أجسام الفواكه والخضر وألوانها عندما تكون معلبة.

كما يمكن السكر من تفادي تجمع الندائف الثلجية في الخلائط المجمدة كالقشدة المثلجة ويساعد على نجاح عملية تخمير بعض المواد كالخبز وهكذا يلعب السكر دوراً هاماً ومتنوعا في كل هذه المواد وكذا في مواد أخرى.

استعمالات السكر غير الغذائية
يستعمل السكر لعدة أغراض أخرى :

- إبطاء تجمد الغراء والإسمنت،
- في صباغة الجلد،
- في مداد آلات الطباعة،
- في صناعة النسيج في أطوار الصماغة والغليات النهائية،
- يعتبر كمادة فعالة في تخمير بعض المواد التي تحتوي على الكحول (كمشروب الخمر).

يبتدئ مسلسل إنتاج السكر من عملية فصل السكر الطبيعي الموجود في ساق قصب السكر أو في جذر الشمندر السكري، عن باقي النبتة.

في ما يتعلق بقصب السكر يتم طحن سيقانه لاستخراج عصيره ثم تتم تغلية العصير إلى أن يصير سائلا ويتبلور لونه، فيتم تمرير البلورات داخل "طاردة نابذة "لإنتاج السكر الخام، قبل أن يرسل إلى مصفاة، حيث يتم تذويبه وتطهيره وتصفيته قبل بلورته ثم تجفيفه وتعليبه.

أما بالنسبة للسكر الناتج عن الشمندر فإنه يتم تنظيفه وتقطيعه وتبليله في الماء الساخن لاستخراج العصير الذي يحتوي على السكر. بعد ذلك يتم تطهيره وتصفيته وتركيزه وتجفيفه عبر مجموعة من المراحل شبيهة بتلك التي يمر منها قصب السكر.

**صناعة السكر من الشمندر**

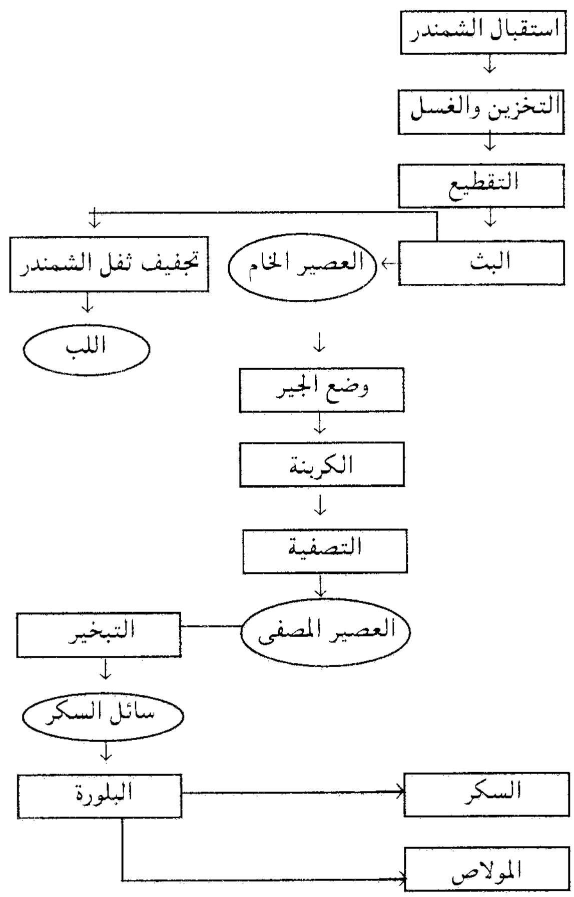


**عملية التكرير**

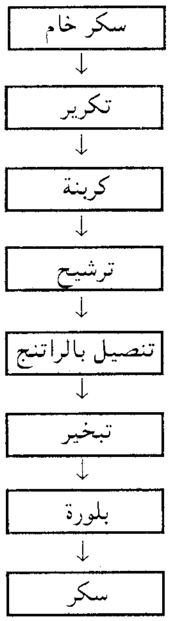


تشمل صناعة السكر في المغرب ثلاثة أنواع من المعامل:

- وحدات تصنيع وتكرير السكر : عددها 7 وحدات، منها 4 وحدات لتحويل الشمندر، ووحدتان لتحويل قصب السكر، ووحدة مزدوجة. وتبلغ الطاقة الإجمالية لمجموع هذه الوحدات ما يناهز 330.000 طن من السكر سنوياً.
- وحدات إنتاج السكر الخام : عددها 6 وحدات، منها 5 وحدات لتحويل الشمندر السكري، ووحدة لتحويل قصب السكر. وتقدر طاقتها الإجمالية بحوالي 280.000 طن سنويا من السكر الخام.
- وحدات التكرير : عددها وحدتان تقومان بتكرير السكر الخام المستورد والمحلي، لتصنيعه على شكل قالب، وقطع وحبيبات (سنيدة)، بطاقة إجمالية تصل إلى 650.000 طن سنويا.

وتتميز هذه الصناعة بإمكانيات توسعية هامة، غير أنها تعاني في سنوات الجفاف من صعوبة التموين بالمادة الخام، خاصة بمناطق الغرب، واللوكوس وملوية ومؤخراً بتادلة.

ويعرف معدل استعمال الطاقة التحويلية للسكر تذبذبا هاما حسب المناطق والسنوات، ويبلغ متوسط استعمال هذه الطاقة 84٪.

كما تعرف مصانع السكر اختلافا كبيراً من حيث نسبة التباين التقني في الوسائل.

أما المردودية الحالية فتصل إلى 54 طن / هكتار بالنسبة للشمندر و76,8 طن هكتار بالنسبة لقصب السكر.

يستهلك المغرب حاليا ما يناهز 940.000 طن من السكر أي بنسبة تفوق 32 كيلوغراما للفرد الواحد. ويعتبر المغرب

من الدول الأكثر استهلاكا لهذه المادة التي تعتبر من المواد الاستراتيجية بالنسبة للمغاربة.

الأهمية السوسيو اقتصادية لقطاع السكر

تتجلى أهمية هذا القطاع في المؤشرات التالية :

- رقم المعاملات الإجمالي للقطاع يتعدى 6 ملايير درهم سنويا

- يوفر القطاع ما يناهز 5000 منصب شغل قار ومليون يوم عمل في صناعة وتحويل الشمندر وقصب السكر.

- يمكن القطاع من إنجاز 5,5 مليون يوم عمل في القطاع الفلاحي

- يستفيد من هذا النشاط ما يناهز 80.000 فلاح.

- معمل كوسومار

يعتبر معمل كوسومار من أعرق وأكبر منتجي السكر في المغرب. تاريخ كوسومار حافل بالتمديدات، وبعصرنة آليات الانتاج وكذا ملاءمة حاجيات المستهلك المغربي.

أنشئت وحدة كوسومار سنة 1929 من شركة سان لويس الفرنسية بطاقة استيعابية يومية تقدر بـ 100 طن ومخصصة فقط لصناعة قالب السكر تحت علامة "النمر".

تعد كوسومار حاليا أكبر وحدة لتصنيع السكر بالمغرب بطاقة إنتاجية تناهز 640.000 طن سنويا. ويتم إنتاج السكر على أربعة أشكال : قالب السكر، السكر المصفح والمقرط والحبيبات (السنيدة).

ألحقت كوسومار "لمجموعة أونا" سنة 1985 وتم إدخالها لبورصة الدار البيضاء في نفس السنة.

يحتل قالب السكر مكانة متميزة في الحياة اليومية للمواطن المغربي منذ عقود حيث يتم استعماله كغذاء وكهدية.

- تنتشر نباتات السكر (الشمندر والقصب) في العالم على مساحة تفوق 31 مليون هكتار، وتوجد هذه النباتات في 111 دولة، 38 منها متخصصة في زراعة الشمندر و65 في زراعة قصب السكر و8 في زراعة قصب السكر والشمندر.

- يُوجد في العالم زهاء 2440 مصنع سكر، منها 1560 مصنع لتحويل قصب السكر و790 مصنع لتحويل الشمندر.

يناهز رقم معاملات هذا القطاع حوالي 65 مليار دولار بدون احتساب الضريبة.

- يضم القطاع 80 بلداً مصدراً و150 بلداً مستورداً.

- ويمكن القطاع من تشغيل أكثر من مليوني نسمة

عرف استهلاك السكر في العالم تطوراً هاماً منذ بداية القرن، حيث تزايد من 8 مليون طن سنة 1900، أي بمعدل 5,1 كيلوغرام للفرد، إلى 126 مليون طن سنة 1998 أي بمعدل 20,4 كيلوغرام للفرد.

جدول أهم الدول المنتجة

(إجمال إنتاج هذه الدول يقارب 62٪ من الإنتاج العالمي)

| البلد | مصدر السكر | الكمية x 1000 طن |
|---|---|---|
| البرازيل | قصب السكر | 21.400 |
| الهند | قصب السكر | 16.900 |
| الصين | قصب السكر الشمندر | 9.700 |
| الولايات المتحدة | قصب السكر الشمندر | 7.530 |
| الطايلاند | قصب السكر الشمندر | 5.500 |
| المكسيك | قصب السكر | 5.000 |
| استراليا | قصب السكر | 4.800 |
| فرنسا | الشمندر | 4.600 |
| ألمانيا | الشمندر | 4.400 |
| كوبا | قصب السكر | 3.800 |

أهم الدول المستهلكة

| البلد | الكمية x 1000 طن | كلغ / الفرد / السنة |
|---|---|---|
| الهند | 16,250 | 14 |
| البرازيل | 9,400 | 16 |
| الولايات المتحدة | 9,300 | 31 |
| الصين | 8,500 | 6 |
| روسيا | 6,000 | 37 |
| المكسيك | 4,500 | 41 |
| الباكستان | 3,300 | 24 |
| ألمانيا | 3,100 | 33 |
| أندونسيا | 3,000 | 12 |
| اليابان | 2,500 | 18 |

*وثائق كوسومار، وأبحاث شخصية.*

جواد الخطابي وعبد الصمد بوربح

**السكُّوم** أو الهِلْيَوْن بالعربية أو أسْبِرْج Asperge بالفرنسية أو علميا أسْبَراكُوسْ Asparagus الجنس الذي ينتمي إلى فصيلة الزنبقيات Liliaceae. يشمل الجنس ثمانية أنواع طبيعية بالمغرب، وأكثر من ثلاثة أنواع دخيلة، نذكر منها نوعا واحدا يغرس كخضر، ونوعان آخران كنبات زينة وهما السكوم الريشي أو أسْباراكُوسْ بْلومُوزا Asparagus plumosa وسكوم سْبْرِينْجَر أو أسْباراكُوسْ سْبْرِنْجري Asparagus sprengeri. من المعتقدات الشعبية عند التلاميذ أن وضع غصين من السكوم الريشي في الدفتر يسهل عليهم حفظ المواد.

أنواع السكوم جنيْبات منتصبة أو معترشة متسلقة. جذورها جذمورية. أوراقها حرشفية أو معوضة بسيقان ورقية أو ورق كاذب. أزهارها صغيرة. ثمارها كروية الشكل حمراء أو سوداء.

تستعمل بعض الأنواع في التطبيب التقليدي. كما تجمع في فصل الربيع السيقان الفتية لجل الأنواع لاستعمالها كخضر تطبخ عادة وحدها أو مع البيض أو غيره.

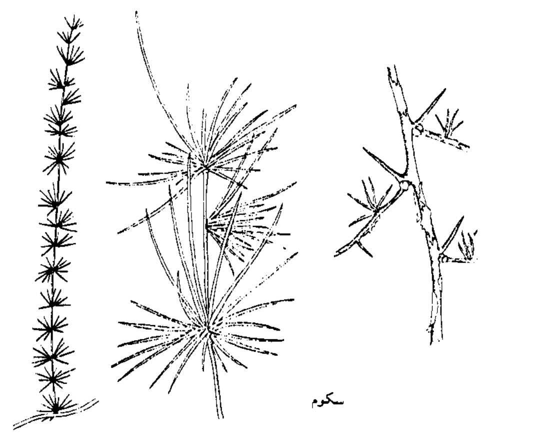

سكوم

ـ السكوم ذو الورقة الحادة أو أسْباراكوسْ أكوتيفولْيوس Asparagus acutifolius : نوع يتميز بسيقان شبه متسلقة، وأوراقه الكاذبة المجتمعة من 4 إلى 12 والمتصلبة والمنتهية بأطراف حادة من الممكن أن تُؤلم، وبأزهاره الصفراء المخضرة وبثماره التي تسود عند نضجها بعد أن تكون خضراء.

يعيش النوع طبيعيا في غابات وأحراج السهول والجبال على أراض سميكة وغنيةبالدبال، في مناطق بيومناخية شبه جافة وشبه رطبة ورطبة، وفي الطابقين المتوسطي الدافئ والمتوسطي.

ـ السكوم المتسلق أو أسْباراكوسْ ألْتيسيمُوسْ Asparagus altissimus : يتميز النوع بسيقان معترشة متسلقة طويلة ورقيقة وجد متفرعة، وبأوراقه الكاذبة المجتمعة في مجموعات عدد كل منها يتراوح ما بين 4 و9.

يتسلق أشجار أركان والعرعر البربري والبطم الأطلسي ويعيش في المناطق الجافة وشبه الجافة في الجنوب المغربي.

ـ السكوم المشوك أو أسْباراكوسْ سْتيبولاريسْ Asparagus stipularis : جنيْبة كثيرة الأشواك، قد يتراوح علوها ما بين 40 و80 سم.

الموطن الأصلي للنوع هو المنطقة المتوسطية وآسيا الغربية. يصادف في غابات وأحراج ومراعي وحقول وسهوب المناطق الجافة وشبه الجافة وشبه الرطبة ولا يعيش إلا في الطوابق النباتية لتحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ والمتوسطي.

ـ السكوم الأبيض أو أسْباراكوسْ ألْبُوسْ Asparagus albus : جنيبة يتراوح علوها ما بين 80 و150 سم وتتميز بسيقانها البيضاء. وأوراقها الكاذبة مجتمعة في أحزمة يتراوح عددها ما بين 2 و30 وتظهر في إبط الأشواك.

يتوطن النوع الجزء الغربي والأوسط من المنطقة المتوسطية. أما في المغرب فيصادف في الغابات المنفرجة والأحراج والمراعي والسهوب، وذلك في السهول والجبال المنخفضة الخاضعة للبيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب. ويوجد في الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ. وفي هذه المناطق يفضل العيش في المنظومات البيئية المشكلة بالزيتون البري أو العرعر البربري أو غير ذلك.

ـ السكوم المغروس أو أسْباراكوسْ أُوفيسيناليسْ Asparagus officinalis أو السكوم الطبي : يعرف بَسيقَانه الفتية المستهلكة من طرف الإنسان بعد طبخها طازجة أو مصبرة.

الموطن الأصلي للنوع هو أوربا وآسيا الغربية ومنها أدخل إلى شمال إفريقيا حيث يزرع كخضر في بعض السهول المغربية كسهل الغرب وذلك لتصدير القدر الكبير من الكمية المنتجة نظرا لكون الاستهلاك الداخلي ضعيفا جدا.

*أبحاث شخصية.*

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997.

زينب بنرحمون وعبد المالك بنعبيد

**سكّوم الجمل** أو الرتم الرقيق أو الألنْدة أو الشديدة بالعربية أو زازا أو تالگيتْ نْأوداَدنْ بالأمازيغية، أسماء تطلق على أنواع جنس إيفِيدْرا Ephedra الذي ينتمي إلى فصيلة ورتبة الإيفيدرات Ephedrales, Ephedraceae. ومعلوم أن قسم كَلاميديات البذور Chlamydospermae الذي يضم هذه النباتات القليلة العدد يوجد في موضع انتقالي داخل فرع النباتات البذرية ما بين عاريات البذور Gymnospermae التي تشمل المخروطيات من صنوبريات وسرويات وأروكاريات... من جهة، ومستورات البذور Angyspermae التي تضم أغلب النباتات المزهرة غير المخروطيات.

يشمل جنس إيفدْرا خمسة أنواع بالمغرب، كلها نباتات غير شجرية لكن خشبية، منها المعترشة التي تتسلق نباتات أخرى، ومنها المنتصبة السيقان. سيقانها مفصلية، عجراء

أي كثيرة العقد، ذات يخضور يمكنها من التمثيل الضوئي. أوراقها متقابلة أو كوكبية، جد صغيرة. أزهارها فردية أو ثنائية المسكن، وفي بعض الحالات خنثية. الأزهار الذكرية في ازهرارات هرية الشكل، إبطيـــة، مكونة من 2 إلى 6 أسدية. الأنثية طرفية منفردة أو مجتمعة في مجموعات من 2 إلى 3 أزهار محـاطة بـ4 إلى 8 قُنَّابات من الممكن أن تصير لحمية وملونة، محمرة عند نضج الثمار.

تستعمل أنواع سكوم الجمل في التطبيب التقليدي للاجهاض أو غيره أو كمادة صابونية.

سكوم الجمل

- الألَنْدا أو إيفيدْرا ألَنْدا Epherdra alenda : جنيبة ثنائية المسكن، قد يصل ارتفاعها إلى 3 م، منتصبة، جد متفرعة، ذات أغصان رِئَديّة زاحفة في الرمال، وأغصان هوائية غليظة خضراء مصفرّة، وأوراق متقابلة وملتحمة في شكل غمد، وثمار من 10 إلى 16 مم.

هذا النوع جد نادر ويعيش في الرمال أو في مناطق الرق الرمالية بالصحاري المغربية والجزائرية والتونسية وأيضا في كل المناطق الصحراوية والسندية.

- إيفيدْرا المعترشة أو إيفيدْرا آلْتسيما Ephedra altissima جنبة ثنائية المسكن، سرعيّة منَ الممكن أن تتسلق الأشجار إلى ارتفاع 10 م، ذات أغصان متدلية ومتهدّلة، وأوراق متقابلة أو كوكبية يصل طولها إلى 1,5 سم على الأغصان الفتية. أزهارها الذكرية مجتمعة في عُثكولات جد متفرعة، ذات 2 أو 3 أسدية. حجم ثمارها من 7 إلى 9 مم، بيضوية أو شبه كروية الشكل ومحاطة بقنّابات لحمية ذات لون أحمر قاتم أو أبيض.

يكثر هذا النوع في الجزء الغربي من حوض المتوسط في جل الغابات المنفرجة والأحراج كتشكيلات العرعر البربري والعرعر الأحمر وأرگان والأجرف الصخرية، وذلك في الطوابق النباتية تحت المتوسطية والمتوسطية الدافئة والجزء السفلي من المتوسطي، أي ما بين سطح البحر و1800 م من الارتفاع. أما من حيث البيومناخ فإن النوع يعيش في المناطق الجافة وشبه الجافة الدافئة والمعتدلة.

- إيفيدْرا رولانْديي Ephedra rollandii : جنبة ثنائية المسكن جد متفرعة، متسلقة في حالة انعدام الرعي، ذات أغصان رقيقة ولون أخضر فضي وأضلاع عندما تكون فتية، أغصانها المعمرة منعدمة الأضلاع، شهباء أو شهباء مسمَرّة. أوراقها متقابلة، أو كوكبية من 3 أوراق، ملتحمة في شكل غمْد شفاف أبيض. ثمارها عنبية الشكل وبيضاء.

نوع قبسي نادر جدا، ولا يوجد إلا في الوديان والأجرف الصخرية الصحراوية ما بين السمارة وأدرار سطوف بوادي الذهب.

- الرتم الرقيق أو إيفيدرا فْراجيليسْ Ephedra fragilis : جنبة ثنائية المسكن، عديمة الأوراق، جد متفرعة، متسلقة للأشجار والصخور إلى ارتفاع 3 م، أو منتصبة. أغصانها الفتية مضلعة وذات لون أخضر داكن، والمعمرة رمادية أو رمادية مسمرة. ثمارها مجتمعة في كتلتين، شبه كروية الشكل، من 8 أو 9 مم، محاطة بقنابات جد لحمية، حمراء.

يوجد هذا النوع في كل السهول والهضاب والسفوح الجبلية الموافقة للطوابق النباتية تحت المتوسطية والمتوسطية الدافئة والمتوسطية، وخاصة في أحراج العرعر الأحمر والعرعر البربري والطلح المغربي وأرگان.

- إيفيدْرا مَاجُورْ Ephedra major : جنيبة ثنائية المسكن، منتصبة وغير متسلقة، لا يتجاوز ارتفاعها 1,5 م. أغصانها رقيقة، جد متفرعة وكثيرة الكثافة. أوراقها متقابلة وشفافة. ثمارها شبه كروية، محاطة بقنابات لحمية حمراء أو صفراء.

يكثر هذا النوع في الأحراج والأجرف الصخرية الجبلية ما بين 800 و3000 م أي في جميع الطوابق النباتية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000 ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

**السكنى والتعمير بالمغرب**، كلمة "التعمير" بمفهومها الحديث، هي ترجمة للكلمة الفرنسية Urbanisme، بدأ تداولها في المغرب مع إقامة الاستعمار في أوائل القرن العشرين وتأسيس المدن الأوروبية.

وقد عـرّفت وثيقة "معاهدة أثينا" (La Charte d'Athènes) الصادرة عن المؤتمر الدولي للهندسة المعمارية العصرية (C.I.A.M.) سنة 1933 باليونان، بكون التعمير "تهيئة للمجالات والبنايات التي يجب أن تحتضن نمو الحياة المادية والروحية والوجدانية والفكرية بجميع أشكالها الفردية والجماعية" بعيداً عن كل خصوصية ثقافية وحضارية.

فهذا التعمير الحديث لم يصدر من عدم. فقد استقى مرجعيته الفكرية مماسمّي "بما قبل التعمير" (Préurbanisme) الذي تبلور من خلال أفكار جاءت بها خيارات إديولوجية إصلاحية نشأت في القرن التاسع عشر بأوروبا إثر حدوث الثورة الصناعية وتأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للبروليتاريا، وتقهقر ظروفها السكنية، فضلا عن الفوضى والعشوائية التي انتشرت بضواحي المدن بسبب التحضر المطرد الذي أصبحت مسرحا له.

انتقدت هذه التيارات المدينة الصناعية الرأسمالية وسلبياتها الاجتماعية والمجالية، واستهدفت بمقترحاتها، رغم اختلاف نوعيتها، خلق إطار حضري جديد للعمل والسكنى والترفيه تسوده "علاقات إنسانية من نوع جديد".

فالمهندس المعماري الأوربي كان فهمه سلبياً للتعمير المغربي، إذ أوحى له بالغموض وغياب العقلنة، ورأى في المدينة العتيقة مجرد متاهة (Labyrantie) لا تخضع لأي نظام، جاهلا بذلك مرجعية رموزها وأسس مقوماتها فأدار ظهره عنها وفرض نموذجه.

- التعمير الاستعماري: استراتيجية ومنجزات 1912 - 1956.

1 - التوجهات والاجراءات الكبرى.

لقد أصر الاستعمار غداة إقامته بالمغرب أن يجعل من هذا الأخير فلكا تابعا له، يؤخذ منه المواد الأولية (المعدنية والفلاحية) ويصدر إليه منتجاته الصناعية فضلا عن استعماله ميدانا خصبا لاستقطاب الرساميل الأجنبية وخزانا لليد العاملة الرخيصة.

2 - خلق مدن جديدة لفائدة الأوربيين كدعامة للنظام الاستعماري (1912 - 1948).

إن تحقيق المشروع الاستعماري هذا كان رهينا بوضع سياسة حضرية تخدم مصالح النظام الجديد. فأول قرار يصب في هذا الاتجاه اتخذه ليوطي، هو إعطاء أوامره إلى المهندس المعماري هنري بروست (H. Prost) سنة 1913 قصد وضع تصاميم تهيئة لعشرة مدن جديدة سبق أن قرر تأسيسها وهي: الدار البيضاء والرباط ومكناس وفاس ومراكش وتازة ووزان وأگادير وصفرو، وبعد ذلك القنيطرة. (Port Lyautey).

حرص بروست على خلق مدن جديدة كدعامة مجالية للنظام الجديد: الفصل بين المدينة الأروبية والمدينة الإسلامية مع احترام الانسجام العمراني والاجتماعي للأولى والحفاظ على الطابع التقليدي للثانية خلافا لما تم تطبيقه بالجزائر.

وغداة الاستقلال طمحت القوى السياسية الوطنية إلى إعادة النظر في الإرث الاقتصادي والاجتماعي الاستعماري، وبناء مشروع وطني للتنمية يهدف إلى تحقيق إصلاح زراعي للحد من الهجرة القروية وإقامة صناعة ثقيلة خلاّقة لفرص الشغل (التصميم الخماسي 1960 - 1964). غير أن هذا الاختيار لم يكتب له أن يرى النور. وأخذ مكانه توجه ليبرالي (التصميم الثلاثي 1965 - 1967) جاء باستراتيجية تنموية استهدفت توسيع القاعدة الإنتاجية للرأسمال في إطار التقسيم العالمي للشغل حيث احتفظ المغرب بدور تصدير المواد الأولية أو مواد تحويلية واستيراد المنتجات الصناعية.

- إن الانفجار الحضري الذي اندلع بالمدن المغربية إبان مرحلة الاستعمار أضحى متواصلا بسبب الهجرة القروية ونزوح أفواج الريفيين إليها. فالأوضاع بالبوادي تشكو من ضعف البنيات الإنتاجية التي زادها تقهقراً الجفاف الذي بات مخيماً على البلاد منذ ما يقرب من عشرين عاماً ابتداءً من شتاء 1981 - 1982.

فالإحصاءيات العامة تطلعنا على أن الفترة الفاصلة بين 1971 و1982 سجلت هجرة سنوية لما يعادل 000 .65 ريفي نحو الوسط الحضري وقد ارتفع هذا العدد إلى 000 .95 في المرحلة الواقعة بين 1982 و1994. الأمر الذي ساهم بصفة فعالة في تضاعف ساكنة المدن كل 15 سنة بوتيرة سنوية تعادل 3،6٪ في الوقت الذي تنخفض فيه هذه النسبة السنوية إلى 0،7 في العالم القروي.

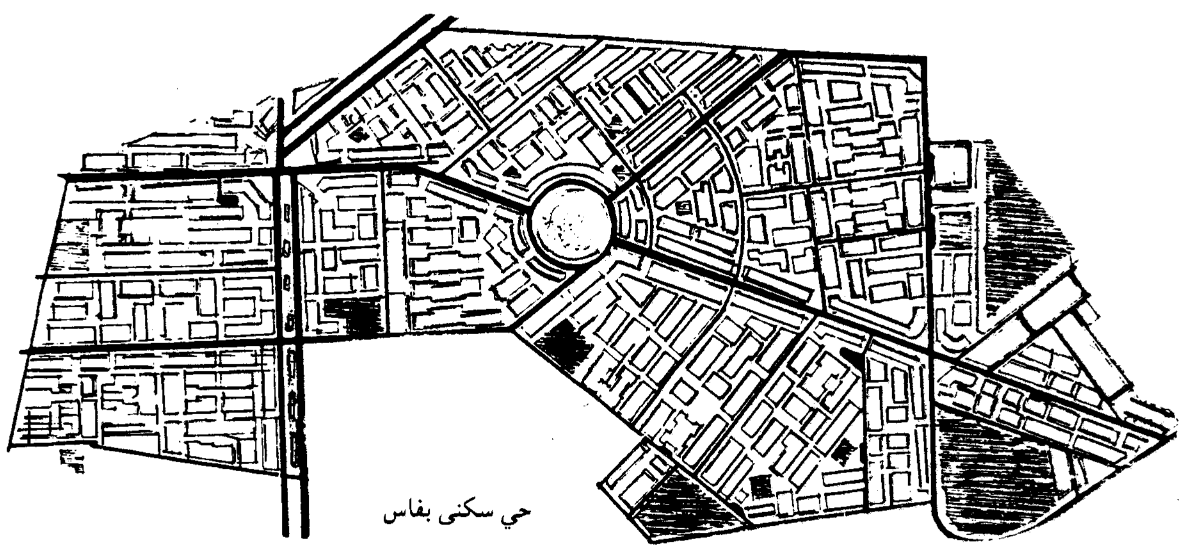

حي سكنى بفاس

تطور الساكنة الحضرية بالمغرب (بالآلاف)

| الوسط | 1960 | ٪ | 1994 | ٪ | 2020 | ٪ |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الساكنة الحضرية | 3.400 | 35 | 13.407 | 51.4 | 30.000 | 75 |
| الساكنة المغربية | 10.000 | 100 | 26.000 | 100 | 40.000 | 100 |

فهذا التضخم الهائل لساكنة الحواضر في ظروف بنيات اقتصادية هشة له انعكاسات سلبية عميقة عمرانيا ومجاليا.

ويشكل استفحال ظاهرة مدن الصفيح إحدى الانعكاسات السلبية الناتجة عن التزايد الديمغرافي الحضري على العموم وعن حركة الهجرة القروية المتنامية على وجه الخصوص.

فغداة الاستقلال تم إحصاء 414.000 ساكن لمدن الصفيح أي ما يعادل 15٪ من مجموع الساكنة الحضرية. غير أن ما يثير الانتباه هو تزايد عدد هؤلاء السكان بغض النظر عن التراجع النسبي الذي عرفه، حيث وصل سنة 1982 إلى 1.593.720 نسمة (أي 12.8٪ من مجموع السكان الحضريين) وزاد ارتفاعا إلى 2.358.280 نسمة.

إلا أن انتشار مدن الصفيح لا يمثل المشكل الوحيد الذي تعاني منه المدن المغربية باعتباره معضلة اجتماعية وسكنية وبؤرة للفقر والتهميش، بل نجدها عرضة كذلك لتوسع حضري فوضوي وامتدادات مجالية عشوائية في تجاوز تام وخرق سافر لقوانين التعمير المعمول بها. وقد تعاملت السلطات بتهاون واضح إذا لم نقل بغض الطرف عن تنامي هذه الظاهرة، مما أدى إلى انتشار أحياء غير مجهزة فوق أراض ومواضع طبغرافية غير ملائمة على هامش المراكز الحضرية. ففي سنة 1982 وحسب بعض التقادير اتسعت هذه الأحياء فوق ما يقرب من 3000 هكتار تجمع بها ما يزيد عن مليون نسمة: يتوزع معظمها على كبريات المدن.

- الرباط ـ سلا : 189 000 من مجموع 868 .000
- فاس : 129 000 من مجموع 517 .000
- مراكش : 110 000 من مجموع 485 .000
- وجدة : 90 000 من مجموع 260 .000
- طنجة : 55 000 من مجموع 320 .000
- تطوان : 55 000 من مجموع 200 .000

تأسست وزارة السكنى والتعمير وإعداد التراب الوطني غداة الاستقلال وأسندت إلى الدكتور ابن بوشعيب، لكنها لم تعمر طويلا وألحقت بوزارات أخرى، ثم تكونت من جديد سنة 1972 وتغيّر اسمها أكثر من مرة، وهي الآن في حكومة عبدالرحمن اليوسفي تحمل اسم وزارة إعداد التراب والبيئة والتعمير والإسكان. وقد أعطت وزارة السكنى الأسبقية لمحاربة مدن الصفيح، وعملت بتوجيه من البنك الدولي على وضع خطة جديدة لمحاربة هذه المدن، تفاديا لأي تفاقم من شأنه أن يؤدي إلى انفجار الأوضاع، علما أن بداية السبعينيات تزامنت مع ظرفية سياسية دولية تميزت ببروز حركات وطنية ويسارية مناهضة للامبريالية (فيتنام، صالفادور، نيكاراكوا). ووعيا منها بخطورة المناخ السياسي والاجتماعي العام جاءت بمقترحات جديدة تمنح ظروف الاستقرار والاندماج لأوسع الفئات القاطنة بهذه الأحياء.

- إعادة الهيكلة (La restructuration). إن التجارب التي خاضتها المصالح المعنية في عقد الستينيات في ميدان محاربة مدن الصفيح قد باءت بالفشل وأظهرت عجزها عن تلبية الحاجيات السكنية المتزايدة. فعمليات توزيع الأراضي التي أشرفت عليها لم يستفد منها إلا المحظوظون، وبالتالي كان وقعها الاجتماعي جد محدود.

فالجديد في سياسة إعادة الهيكلة يكمن في وضع مشاريع تنموية حضرية انتقائية، حسب برمجة وطنية شرع في إنجازها ابتداء من التصميم الثلاثي 1978 ـ 1980، وترمي هذه السياسة إلى تحقيق اندماج حضري عن طريق تعبئة إمكانيات وقدرات السكان من أجل تحسين أوضاعهم السكنية وتغيير واقعهم بإسهاماتهم الخلاقة.

اعتمدت هذه الخطة على مبدإ حق تملك القطعة الأرضية التي تحمل البراكة من طرف الساكن، الأمر الذي ساعد على إشعاع الأمن والاستقرار في نفسه وتحفيزه على تحمل تكلفة التجهيزات التحتية وبناء سكنه بوسائله الذاتية. كما استهدفت التخفيف من الكثافة السكانية بنقل 10٪ من السكان وإعادة إسكانهم في أحياء جديدة، وإقامة برامج تجهيزات اجتماعية، من شأنها أن توفر شروط الحياة اليومية داخل الأحياء (مدارس مستوصفات دور للشباب الخ)، إضافة إلى خلق مناطق صناعية على مقربة من أماكن السكنى، قصد جلب أنشطة صناعية وتشغيل اليد العاملة الوافرة والتقليل من نسبة البطالة المنتشرة.

طبقت هذه المشاريع أساساً على مدن صفيح تتراوح ساكنتها بين 30 و40 ألف نسمة ويمثل كريان سنطرال بالدار البيضاء التجربة الأولى في هذا الميدان والتي استفادت منها 12.325 أسرة أي ما يساوي 72.000 نسمة. وتم بعد ذلك توسيع مجال تطبيقها إلى دوار الدوم بالرباط، وبرج مولاي عمر بمكناس، وسيدي يوسف بن علي بمراكش والساكنية بالقنيطرة إلى غير ذلك، واستصلح على مستوى وطني ما حجمه 63.500 قطعة.

- عمليات تهيئة حضرية كبيرة لإعادة الإسكان (Le recasement).

لعبت الدولة هنا كذلك دور المحفز الأساسي والمحرك الرئيسي لتعبئة القدرات المالية والطاقات الخلاقة في البناء لساكنة الصفيح المتوسط والصغير، قصد القضاء على السكن غير اللائق المتناثر هنا وهناك داخل النسيج الحضري، حيث قامت بتنظيم عمليات تجزئة أرضية، في إطار مشاريع تهيئة حضرية متكاملة الوظائف، من سكنى وتجهيزات اجتماعية وأنشطة اقتصادية، خضعت في إعدادها لمبدإ

التنظيف. فعلى مستوى عددي، تم إلى حدود نهاية الثمانينيات توزيع 59.500 قطعة تتراوح مساحتها بين 60 و120 م2 استفادت منها معظم المدن المغربية.

وبمدينة سلا التي استفحلت بها ظاهرة مدن الصفيح إلى أن وصل عدد السكان بها سنة 1982 أزيد من 52.500 نسمة من مجموع 000 289، عرفت في نهاية الثمانينيات انطلاقة مجموعة من مشاريع تهيئة حضرية، تدخل في إطار محاربة التهميش الاجتماعي والتدهور المعماري، عبر القضاء على جزء مهم من الدواوير، وخلق أحياء جديدة تتلاءم ومستلزمات الحياة الحضرية. ومن أهم الأحياء التي نشأت في هذا الإطار نذكر حي مولاي إسماعيل الذي امتد على أزيد من 70 هكتاراً عند مدخل حي القرية (جنوب شرق المدينة) استفادت منه 2707 أسرة، وكذا حي الرحمة، وهو أضخم مشروع إعادة إسكان عرفته سلا، حيث امتد على مساحة 143 هكتار شمال تابريكت في اتجاه بوقنادل، استفادت منه هو الآخر 6512 أسرة.

غير أن أنجح تجربة خاضتها الدولة في إطار محاربتها لأحياء الصفيح عن طريق إعادة الإسكان، هي تلك التي قامت بها في مدينة تازة، حيث تم القضاء بصفة شاملة وسريعة على مجموع الدواويرالتي تكاثرت حيث وصل عددها سنة 1983 إلى 25 يقطنها ما يفوق 23.500 ساكن من مجموع 95.000 نسمة. ونظمت بذلك مشاريع تجزئات بين 1983 و1989 وهي السعادة، الكوشة القدس 1، القدس 2 والمسيرة 2، استطاعت أن تقضي على هذه الظاهرة. غير أن هذه التجربة الرائدة كتب لها النجاح لكونها استفادت من أرضية عقارية وافرة وإسهامات مسبقة للمستفيدين وتأطير ناجح باشراك فعاليات مختلفة.

وخلافا لما كانت تعمل به وزارة السكنى من تسيير مباشر لمخططاتها الإسكانية عن طريق الصندوق الوطني للتهيئة والدراسات التقنية (F.M.A.E.T.) في السبعينيات بهدف توفير شروط نجاح أكثر لسياستها الجديدة، قامت بخلق مؤسستين عموميتين، تتمتعان باستقلالية مالية لتسيير البرامج والسهر على تطبيقها وهما "الوكالة الوطنية لمحاربة السكنى غير اللائق" (A.M.H.I.)، تتدخل على مستوى وطني، وشركة التشارك التي ينحصر مجال عملها داخل الدار البيضاء. كما أنها ركزت على إشراك "المؤسسات الجهوية للتهيئة والتجهيز" (E.R.A.C.) ودعم السلطات والجماعات المحلية لوصول هذا الهدف.

فهذه السياسة الجديدة وإن لم تستطع أن تقضي على دور الصفيح لأسباب عديدة أو أن تحد من انتشارها، حيث إن وتيرة تزايد ساكنتها وصلت سنويا إلى 5,6٪ وهي نسبة أسرع من وتيرة تزايد مجموع ساكنة المدن بالمغرب والتي تساوي 4,2٪، فإنها توصلت إلى التخفيف نسبيا من التهميش والطرد بفضل المنجزات الضخمة التي سهرت على تحقيقها والتي ساعدت على التقليل من حدة التناقضات السوسيومجالية الصارخة التي أضحت تميز المدن المغربية، كما ساهمت في نشأة بيئة حضرية ملائمة للإستقرار والاندماج وتحقيق "السلم الاجتماعي".

غير أن آفاق هذه السياسة السكنية التي استفادت منها فئات شعبية واسعة، أصبحت مهددة بحكم التغييرات الاقتصادية التي سيقبل عليها المغرب مع دخوله معركة العولمة وبسط سلطان الشركات العملاقة العالمية، حيث إن الدولة لم تنجح في إيجاد الحلول الشاملة لظاهرة الصفيح، وهي في عز نفوذها، فكيف سيتطور الوضع غداة تخليها عن دورها الاستراتيجي في هذا القطاع الاجتماعي الحساس ؟

ومن الأسباب التي أضعفت دور تصاميم التهيئة في توجيه وعقلنة تنظيم المجال الحضري، أنها كانت ولمدة عقود طويلة تنجز في غياب أي دراسة مسبقة أولا تدعمها أية سياسة عقارية من شأنها أن توفر لها حظوظ النجاح، فضلاً عن بطء الإدارة في إصدار النصوص القانونية لتغطيتها.

**- مخططات توجيهية للتهيئة والمعمار لتغطية الفراغ (S.D.A.U.).**

ظلت تصاميم التهيئة إلى حدود الستينيات في القرن الماضي الأداة الوحيدة لتوجيه التنظيم المستقبلي للمدن فيما يخص توزيع مختلف الوظائف السكنية والاقتصادية وتوطين التجهيزات التحتية والاجتماعية وتحديد المناطق المحظورة للبناء.

إلا أنه أمام حصيلة حضرية اتسمتْ بالفوضى مع انتشار دور الصفيح والسكن العشوائي، برز وعي انتقادي لضعف سياسة التعمير. وتبلور هذا الوعي في إصدار وثيقة أساسية سنة 1969، تمثلت فيما سمي "بقانون الإطار للتهيئة القروية والحضرية (Loi cadre d'aménagement rural et urbain)، من طرف مركز الدراسات والأبحاث والتكوين (C.E.R.F.) جاءت هذه الوثيقة برؤية جديدة ومقترحات حلول لمشاكل السكنى والتعمير تنطلق من مبدإ إدماج التعمير والتخطيط في إطار سياسة التهيئة وإعداد التراب الوطني بهدف ترقب التغييرات الاقتصادية والاجتماعية ووضع التدابير الناجعة للحد من آثارها السلبية والفوضوية.

لم تتم المصادقة على هذا المشروع المتكامل والطموح كأداة للتهيئة الشاملة بسبب أنه أنجز في معزل عن قرارات الدولة، التي كانت آنذاك غير قادرة على نهج سياسة إعداد التراب مبنية علي استراتيجية طموحة إلى ضرب أسس الاختلالات الجهوية والحضرية الموروثة عن فترة الاستعمار.

إلا أنه احتفظ ببعض مقترحاتها ومن ضمنها المخططات التوجيهية للتهيئة والمعمار. لقد جاءت هذه الأخيرة لتغطية فراغ كبير في ميدان التوجهات والاختيارات الأساسية للتنمية الحضرية المستقبلية والتي تفتقر إليها تصاميم التهيئة. وتعتمد هذه الأدوات الجديدة في مقترحاتها للتخطيط المستقبلي للمدن على دراسات متعددة التخصصات تهدف إلى البحث عن تنظيم ناجع لمختلف

الوظائف السكنية والاقتصادية وتوزيع منسجم للتجهيزات، مع حماية المواقع الطبيعية والمعالم التاريخية. وتشكل، بطابعها الدراسي المعمق هذا، إطاراً توجيهيا أساسيا يدعم تصاميم التهيئة بترقبات وتوصيات أكثر واقعية وأكثر موضوعية، من شأنها أن تُعارض التوسع الحضري التياري (Tendantiel) المتميز بالفوضى والتبدير.

إن أول مخطط توجيهي أنجز كان لفائدة مجموعة الرباط وسلا سنة 1970. وجاءت منذ ذلك الحين مخططات التنمية الاقتصادية والاجتماعية الوطنية ببرامج تغطية، وضعت حسب نظام تراتبي للأسبقيات أخذ بعين الاعتبار ضخامة المشاكل الحضرية وطابعها الاستعجالي. وقد حظيت المدن الكبرى هي الأولى بهذه التغطية واستفادت بعد ذلك منها المدن المتوسطة ولازال المجهود متواصلا في هذا الميدان، حيث أن آخر مخطط وطني 1999 - 2003 يفيدنا ببرمجة مكثفة لمواصلة دراسات جديدة تهم مجموعة من المدن والمناطق ومراجعة القديم منها.

ويبدو من خلال ما سبق أن الدولة استطاعت أن تعزز سياسة التهيئة المجالية الحضرية وتوسيع مجال نفوذها. غير أن ما تحمله هذه السياسة من نقط ضعف على مستوى التوجه الوطني العام وكذا على مستوى الدراسة والتطبيق حال دون تحقيق أهدافها أكثر من مرة.

برنامج المخططات التوجيهية في طور الإنجاز
حسب مخطط 1999 - 2003

| | 1992 | 1993 | 1994 |
|---|---|---|---|
| المدن والمناطق | سيدي قاسم<br>الساحل التطواني<br>مكناس<br><br>طنجة<br>تطوان<br>شفشاون | ورزازات<br>بني ملال<br>والقطاع السقوي<br>طنطان والشاطئ<br><br>الصويرة<br>أصيلة والساحل<br>العرائش<br>القصر الكبير<br>الخميسات<br>تيفلت | العيون والشاطئ<br>تيزنيت<br><br>سيدي إيفني والساحل<br>تارودانت<br>أولاد تايمة<br>قلعة السراغنة<br>الساحل الطنجاوي<br>سيدي سليمان<br>سيدي يحيى الغرب<br>سوق الأربعاء |

(يحدد الجدول تاريخ انطلاقة الدراسات)

**إن غياب توجهات وطنية واضحة للنمو المستقبلي للبلاد يراهن بمصداقية خلاصات وملتمسات المخططات التوجيهية، كما أن كثيراً ما يتم الكشف عن المقترحات المجالية المستقبلية قبل الإنجاز النهائي، الأمر الذي يشجع على المضاربة العقارية ويؤدي إلى إفشال أهداف التخطيط، فضلا** عن أن الدراسات كثيراً ما تستغرق سنين طوال، مما يجعل نتائجها متجاوزة وبعيدة عن الواقع المتغير.

ومما ساهم كذلك في إضعاف هذه المخططات كونها لم تستفد من مشروعية قانونية إلا بعد تعديل قانون تعمير 1952 وتعويضه بقانون 1992. فلمدة عقدين من الزمن حُرمت هذه الأخيرة من سلطة القانون، ولم يتم استعمالها إلا كإطار توجيهي لتدخلات القطاع العمومي.

وإذا كان للاختيارات اللبرالية دور هام في نشر مظاهر الحضارة الغربية، فإن إغراء وانبهار الأهالي "بتفوقها" جعلهم ينغمسون في استهلاك نماذجها الجاهزة.

ويبقى دور المهندسين المعماريين المكونين في المدارس الأروبية أساسياً (إلا نادراً) في تعميم النماذج الغربية بممارساتهم وإنجازاتهم ذات التصورات الغربية، مكرسين بذلك القطيعة مع الذات، وضاربين عرض الحائط بتراث ثقافي وحضاري من أغنى وأروع ما أنتجته عبقرية الإنسان. فأبدل المنزل المفتوح على الصحن المكشوف أو الرياض بالڤيلا والعمارة المنغلقتين من الداخل وعُوض الزقاق الحميمي بفضاء السيارة.

وإذا كانت المشاريع التعميرية تخدم بالأساس أهدافاً اقتصادية واجتماعية، فإنها لا تخلو من أبعاد ثقافية وحضارية. ولكي ندرك هذا البعد يجب أن ندخل مدرسة التاريخ حتى لا نستمر في إعادة إنتاج كتابات وتعابير غريبة عن الذات تجعلنا نتساءل بالفعل هل مدينة الاستقلال مدينة مغربية ؟

G. Bardet, *L'urbanisme*, 1959 ; H. Beguin, *L'organisation de l'espace au Maroc*, Bruxelles, 1974, 2 vol. ; A. Belal, *L'investissement au Maroc 1912 - 1964*, Casablanca 1976 ; S. Benzakour, *Essai sur la politique urbaine au Maroc 1912 - 1975, du rôle de l'Etat*, Casablanca 1978 ; L. Benevolo, *Aux sources de l'urbanisme*, 1972 ; I. Cerda, *La théorie générale de l'urbanisation*, 1973 ; F. Choay, *L'urbanisme, utopies ou réalités*, 1980 ; M. Castells, *La question urbaine*, 1972 ; M. Ecochard, *Casablanca, roman d'une ville*, 1955 ; R. Escalier, *Citadins et espaces urbains au Maroc*, Tours 1984, 2 vol. ; A. Lahbani, *Villes et politiques urbaines au Maroc*, Thèse 3 cycle, Grenoble 1976 ; Lecorbusier, *Manière de penser l'urbanisme*, 1963 ; *La charte d'Athènes*, 1971 ; Al Maouil, *Les bidonvilles, où en est on au Maroc*, n° 2, 1991 ; M. Ameur, *Habitat clandestin, problèmes et potentialités*, n ° 3, 1992 ; A. El Belghiti Alaoui et L. Rharbi, *Les schémas directeurs pour quoi faire ? Revue Al Omrane*, n° 2, 1981 ;A. El Belghiti Alaoui et L. Rharbi, *Urbanisation périphériques, évaluation et enjeux, Revue de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat*, 1988 ; M. Ecochard, *Notes sur l'habitat*, n° 1680, C.H.E.A.M. ; P. Masson, *Urbanisation et habitat du grand nombre, Cahiers d'Outre-Mer*, n° 9, 1950 ; M. Naciri, *Des formes de l'habitat "sous-intégré", Herodote*, 1980 ; *Études des possibilités de restructuration et de prévention de l'habitat clandestin, Synthèse préliminaire*, Ministère de l'Habitat et de l'Aménagement du Territoire, 1983 ; *Etudes démographiques, population et emploi*, Rabat, 1992 ; *Plan quinquennal 1999-2003, Document provisoire ; Plan quinquennal 1960-1964 ; Plan quinquennal 1965-1967 ; Recensement général de la population et de l'habitat, 1960, 1971, 1982 et 1994*, Direction de la Statistique ; *Textes et circulaires juridiques relatifs à l'urbanisme*, Ministère de l'Habitat de l'Aménagement du Terretoire 1979 ; *Texte du Dahir relatif à l'urbanisme datant du 17 juillet 1992* ; Enquêtes personnelles.

عائشة البلغيثي

**السكندراني**، أسرة تطوانية عريقة نسبة إلى الإسكندرية، وبعضهم ينطقها : الإسكندراني، وقد انقرضت الآن، كان منهم الفقيه العدل محمد بن أحمد السكندراني عام 1138. وقد وقفت على نسخة من كتاب *الدر المنظم في مولد النبي المعظم* للعزفيين بخطه الحسن. وفي سنة 1300 ذُكر فيه منهم المعلم محمد بن الحاج أحمد السكندراني التطاوني.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

محمد بوخبزة

**سكُورة** ويكتب أيضا شكُورَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Segura وهو نفس الاسم الذي تحمله بعض الأسر الإسبانية حاليا نسبة إلى مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1171 / 1758.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1387.

محمد ابن عزوز حكيم

**سكوڤاصو** (ستيفانو -) Stefano Scovasso، تاجر إيطالي بجبل طارق، وصل إلى طنجة سنة 1860 للتجارة بها. وعين قنصلا عاما لإيطاليا سنة 1868 خلفا لأدولفو كاستيليناردو A. Castillenardo. وفي15 غشت 1871 سُمي وزيرا مقيما لإيطاليا بالمغرب، ومكث نحو 18 سنة فأصبح كبير الديبلوماسيين بطنجة سنة 1886.

عاش عازبا طول حياته، وربط صلات قوية بأسرة الساڤوا الملكية، فكان يشتري لها التمور ويمسحها بنفسه بفرشاة صغيرة ثم يبعث بها إلى الملك. اشتهر بقوته العضلية الهرقلية إلى حد تكسير قطع النقود بين أصابعه.

,قد أضاف إلى التجارة المباحة تجارة بيع صكوك الحماية للناس، فقال إنها "مادة تجارية تباع لأكبر مغال في الثمن"، فكان اليهود أعظم متهافت عليها. فقد ذكر سنة 1882 أن عدد المحتمين بدولته بلغ 139 فردا، منهم 66 من المحميين القنصليين والاستثنائيين و73 من السماسرة، نواب التجار سواء الإيطاليين منهم أو المحميين.

لم يكن سكوڤاصو على أحسن حال مع السلطات المخزنية ولاسيما مع مَحمد بن عبد الرحمان برگاش نائب السلطان بطنجة الذي كان شديد العتب عليه، ودارت بينهما مشادات ومجادلات كلامية وخصوصا أثناء فترة المشاورات بطنجة قبل اجتماع مؤتمر مدريد سنة 1880 حول قضايا حماية الأجانب للمغاربة.

كان كثير المطالب ضد الولاة ناقما عليهم، ففي سنة 1883 اتهم سكوڤاصو أحد قواد قبيلة بني حسن بمنطقة الغرب وباشا الرباط عبد السلام السويسي بخرق حقوق المحميين الإيطاليين وبالعدوان على يهود هاته المدينة الأخيرة وسماسرة تجار إيطاليين، وتوتّرت العلائق حتى ذهب السويسي سنة 1883 إلى طنجة للتصالح مع نائب إيطاليا في شأن ذلك وفي شأن الديون التي هي في ذمة أهل الرباط.

أما بطنجة فقد قدم سكوڤاصو لائحة طويلة بمطالب بلاده، متعللا بكون محتسب المدينة سجن امرأة مغربية محمية كانت تخدمه، ثم ألزم جوابا مستعجلا عنها وإلا أنزل علم إيطاليا.

وبلغ عدد الدعاوى التي قدمها سنة 1884 على الولاة والعمال والشيوخ من أجل النهب والديون الحقيقية أو الوهمية 111 قضية، تراوح مبلغها بين 245 و250 ألف فرنك، وكان في ذلك يهدد باستجلاب قطع من الأسطول الإيطالي.

كان النائب السلطاني برگاش يعرف جيدا طبعه المتقلب، ولذلك كان يتمهل في دراسة مطالبه، مما كان يخرج سكوڤاصو عن طوره ويزيد في سورة غضبه، لأنه كان يكره التأخير في بحث دعاويه، وهو الذي اعتاد فصالها بسرعة.

عزل سكوڤاصو من وظيفته بطلب من المخزن، ومع ذلك بقي في المغرب إلى أن توفي في أكتوبر 1887.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 586. 589، 745. 746 ؛ *التعريف*، 1 : 21 ؛ 2 : 174 ؛ *الوثائق*، 4 : 36 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 2 : 373 ؛ *وثائق مخزنية*.

M. Bargach, *Une famille au cœur de l'histoire*, p. 131 ; J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 2 : 556 ; 4 : 81 ; 5 : 153 - 154 ; A. Laroui, *Les origines...*, 246 ; H. de La Martinière, *Souvenirs du Maroc*, p. 126 ; Anonyme, Paul Campon, *Ambassadeur...*, p. 107.

مصطفى بوشعراء

**سكوگو** (أيت -) من المجموعات البشرية المستوطنة بين قبائل زيان الغرب الملقبين بزيان موحند أوحمّو من الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية وبين قبائل بني مگيلد في الشمال المنتمين إلى أيت عبدي في الشرق وقبائل گروان وزمور في الشمال والشمال الغربي وهم جزء من اتحادية قبائل أيت أومالو.

وبهذا الموقع، وفي غياب معلومات كثيرة عن هوية هذه المجموعات، هناك من ينسبهم إلى زيان ويقدّمهم كزيان الشرق أو زيان أو قبلي (قائد معاصر لموحند أوحمّو، كان في صراع معه من أجل النفوذ) وهناك من يقربهم من بني مگيلد وقد طرح هذا الإشكال بوضي .Beaudet G منذ ثلاثة عقود خلت.

تتشكل مجموعة قبائل أيت سگوگو من ثلاث قبائل مقسمة إلى "عظام أو أغصان" وهي :

أيت عمر : وتتكون من 5 عظام وتعيش فوق مجال واسع حول لماس كله بالهضبة الوسطى.

المرابطين : ويتكونون من 3 عظام : أيت سيدي عبد العزيز، وأيت سيدي علي، وأيت سيدي العربي.

العميين (أو العاميين) : وهم على ما يبدو خليط يتزعمهم عظم أيت عبدوس.

وإذا كان اسما القبيلتين الأخيرتين مصدر إثارة للفضول حول أصلهم، فتوزيع مواطنيهما يزيدُ في هذه الإثارة بحيث يتقدم هذا التوزيع على شكل فسيفساء. فسكانهما يختلطان تارة وتارة ينفصلان عن بعضهم، كما أنهما يملكان جماعيا أراضي شاسعة نحو الشمال الغربي تفصلهم عن أيت عمر وعلى مقربة من ضاية ويوانْ في الجبل.

ومما لاشك فيه أن هذا التقسيم وموطن المجموعات ساهما في وضع حدود الجماعات القروية في 1959 وفي التقسيم الأخير 1992 الذي عدل وتمم في 1996. لكن المعطيات الطبيعية هي الأخرى ساهمت فيه.

فالمجال المعمور من طرف أيت سگوگو يمتدّ على مساحة تقدر بـ 2230 كلم2 تقريبا في شكل ممدد حسب اتجاه جنوبي - شرقي شمالي - غربي مسافة 100 كلم وبعرض 30 إلى 60 كلم وذلك من جوار ضاية أگلمان أزگزا بالكوس إلى مشارف تدآسْ بالهضبة الوسطى. وهو موزع بين وحدتين طبيعيتين متميزتين :

- الأطلس المتوسط الهضبي المنضدي الممثل في هضبة الحمام الكلسية التي تتراوح ارتفاعاتها بين 1600 و2059م وتتوصل بكميات كبيرة من التساقطات وتعرف برودة كبيرة في فصل الشتاء. فهي مجال لغابات الفلين الأخضر والأرز ولمساحات رعوية شاسعة وبها توجد منابع نهر أم الربيع.

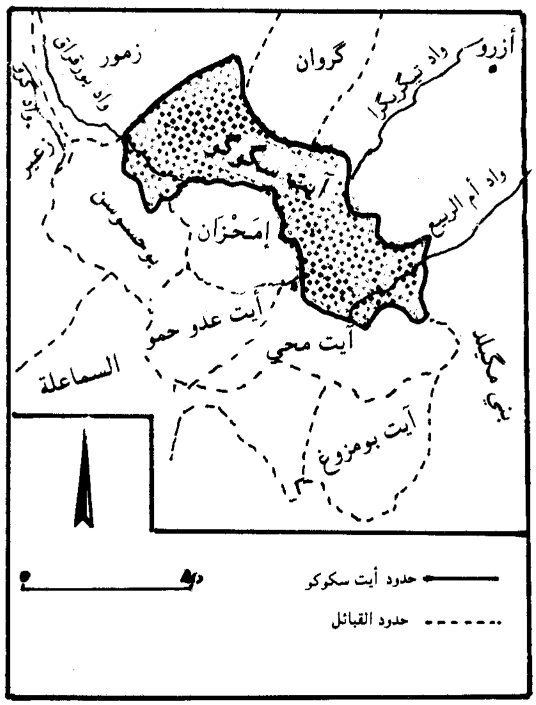


- الهضبة الوسطى وهو مجال يشرف عليه الكوس لأن ارتفاعاته تبقى دون 1300م. وتضاريسهُ موزعة بين أعراف مصففة تفصلها منخفضات وبين أجزاء هضبية وهذه خصائص مرتبطة بطبيعة صخور وبنية الوحدة. فالأمر يتعلق بوحدة قديمة تنتمي إلى الزمن الأول وهو ما يفسر ضعف انتشار التربات الغنية وضعف إمكانيات تخزين المياه في الباطن. أما الارتفاعات والتضاريس فتفسر ضعف كمية التساقطات بالمقارنة مع الكوس ولطف حرارة الشتاء.

لعب هذا الاختلاف الطبيعي دوراً كبيراً في توحيد نمط عيش وحياة السكان إلى منتصف القرن العشرين وهو نمط نصف الترحال بين الهضبة الوسطى (الازغار) حيث كان السكان يقضون الشتاء بقطيعهم ويزرعون الحبوب البكرية وبين الكوس (الجبل) حيث يقضون الصيف ويزرعون الذرة في الأراضي المسقية التي غالبا ما كانت بجوار "للإغرمان والقصبات".

وكنتيجة لإرث ثقافي وكذلك لحتمية طبيعية تميزت محاطات المجموعات المكونة لأيت سگوگو بالتفكك والتضاعف بين الجبل والآزغار ويذهب الأمر أحيانا إلى التفتت (G. Beaudet). وسادت الأراضي الجماعية وغابت مظاهر التحضر.

بدأ هذا الوضع يتغير منذ بداية القرن العشرين تحت تأثير عوامل عامة همت كل المجالات الريفية بالمغرب وعوامل خاصة بالمجال السگوگوي فقط، وكحصيلة لما يقارب قرنا من التحول يمكن الرجوع إلى استنتاج (G. Beaudet, 1969, pp. 56 - 59) القائل بأن "مجال أيت سگوگو هو منطقة متأزمة". وهذا حكم مازال جاريا في الوقت الراهن.

وإذا كان لتحديد الغابة وإدخالها في ملكية الدولة ولتحديد الأراضي الجماعية ..." وللتقسيم الإداري والجماعي دور واضح في الدفع نحو الاستقرار وفي تضييق إمكانيات الاستغلال والإنتاج، فدور العامل الديموغرافي يبقى على ما يظهر أكبر.

ويفترضُ بوضي Beaudet أن لعامل القدم النسبي للاستيطان دورا في تفسير كثافة سكانية أكبر مما كان عند الجيران منذُ مطلع القرن العشرين. ويفترض أن سرعة وتيرة النمو الديموغرافي عندهم بالمقارنة مع جيرانهم عملت على ارتفاع الضغط السكاني على الأرض وهو وضع لا يتلاءم وحياة نصف الترحال ويفسر توسيع الأراضي الزراعية على حساب الغابات والمراعي خاصة بالأزغار، وتقليص حجم القطعان، والزيادة في خلط رؤوس أنواع الماشية وتطور السكن، وضيق الحيازات. ونضيفُ النزوح خلال العشريتين الأخيرتين.

فأكيد أن العامل الديموغرافي يلعب دوراً كبيراً في تحول المجال السگوگوي بحيث تزايد السكان بين 1936 و1994 بحوالي 3 مرات ماراً من 28.864 ن إلى 83.811ن مما زاد في الكثافة السكانية وذلك على النحو التالي :

وبهذا التطور وزيادة الضغط على الموارد الرعيزراعية، وتوالي سنوات الجفاف ليس هناك من حل أمام الكثير من

الأسر سوى النزوح بحثاً عن موارد للعيش. وظاهرة الهجرة لم تُعرف قبل السبعينيات من القرن العشرين عند أيت سگوگو وعند جيرانهم. وظهورها وتناميها منذ ذلك التاريخ هو المحرك الرئيسي للتمدين بالمجال السگوگوي.

فإلى حدود الستينيات من القرن الماضي كانت الساكنة السگوگوية تعيش كلها في البادية. وفي 1971 تم إحصاء 7.759 ن بمركزي مريرت ولماس وفي 1982، أحصي 22.092ن بالمركزين وبمركز تغزا.

وفي 1994، 35.676 ن منهم 25.942 ن بمريرت التي ارتقت إلى صف بلدية. وهكذا يُمكن تتبع نسبة التمدين التي ارتفعت بالتوالي من 14،6٪ إلى 42،56٪.

وهذا النمو السريع لساكنة المدن الناتج عن النزوح من البادية يطرحُ عدة مشاكل بسبب تموقع السكان في تجمعات لا تتوفر على البنى التحتية وليس لها ركائز اقتصادية متينة تسمح بتشغيل الباحثين عن العمل. أكيد أن خلق وظائف إدارية بهذه المراكز والرقي ببعضها إلى وضع بلدية قد يساهم بعض الشيء في التنشيط، لكنه لا يحل المشاكل الكبرى. ويكفي الإشارة إلى ما تعانيه مريرت من محنة فيما يخص التزود بالماء وفيما يخص التخلص من الماء المستعمل ومن الأزبال. ووضع واد تغزا الملوث خير شاهد.

كان للعامل الإداري هو الآخر دور واضح في تحول المجال السگوگوي وذلك بالدفع نحو الاستقرار وتكسير وحدة نمط العيش التي تحدث عنها بوضي Beaudet والدفع إلى تصور جديد للمجال المعيش ولتنظيمه.

فإذا كان أيت سگوگو تابعين لنفوذ القائد أو قبلي الذي كان في صراع مع القائد محند أحمّو، فهذه الوحدة ستتكسر أيام الاستعمار الفرنسي الذي ألحق أيت عمر بجهة الرباط والمرابطين والعاميين بجهة مكناس. وهو وضع كرسه التقسيم الإداري والجماعي بعد الاستقلال. فآيت عمر الذين قسموا بين جماعتين قرويتين أصليتين لماس وبوقشمير ظلوا تابعين لنفوذ الخميسات كدائرة في إقليم القنيطرة أولاً وكإقليم مستقل ثانياً.

أما المرابطيون والعاميون، فاحتفظ بهم مجتمعين داخل جماعة الحمّام نسبة إلى المركز. وهي جماعة ألحقت إداريا بدائرة أزرو التابعة لإقليم مكناس سابقاً قبل أن تلحق بدائرة وإقليم خنيفرة.

ونظراً للتطور الديموغرافي وما يصاحبه من مشاكل من جهة ولشساعة مساحة الجماعات القروية الأصلية والتباين المتزايد لمصالح السكان ولانشغالاتهم بسبب المسافات من جهة ثانية، وأخيراً رغبة وبحثا عن إنعاش التنمية خضعت كل من جماعة الحمام وبوقشمير الأصليتين إلى تقسيم جديد شأنهما شأن معظم جماعات المملكة وذلك في 1992 مع تعديل في 1996.

فجماعة الحمّام القروية الأصلية توزعت كالتالي :

- جماعة الحمّام القروية المتفرعة
- بلدية مريرت
- جزء من جماعة البرج المتفرعة

وكلها موجودة بالهضبة الوسطى

- جماعة أم الربيع القوية المتفرعة. وتهم الجزء الجبلي أي الهضبة الكلسية.
- أما جماعة بوقشمير الأصلية فأعيد تقسيمها بين :
- جماعة بوقشمير المتفرعة
- وجماعة أيت يشو

ومن الأكيد أن خلق هذه الحدود في وقت تراجعت فيه حركة الانتجاع سيعجّل بانتهاء ما تبقى من مظاهر ذلك النمط من الحياة المعتمد على نصف الترحال.

إن انطباع كل من تجول بالمجال السگوگوي هو الطابع الريفي شبه المطلق لساكنته ولاقتصادها، وعزلته بالرغم من اختراقه من طرف الطريق الرئيسي رقم 24 الرابط بين فاس

جدول 1 : تطور ساكنة أيت سگوگو (بالنسمة)

| المجموعات / السنوات | 1936 | 1960 | 1971 | 1982 | 1994 | الكثافة السكانية (ن/كلم2) 1936 | الكثافة السكانية (ن/كلم2) 1994 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| أيت عمر (جماعات ولماس، بوقشمير وأيت يشو القروية) | 8792 | 12693 | 17043 | 19438 | 24966 | 8.6 | 24.3 |
| المرابطين والعاميين (جماعتا الحمام وأم الربيع القرويتان) | 20072 | 28564 | 35990 | 46424 | 58845 | 15.7 | 46.2 |
| المجموع | 28864 | 41257 | 53033 | 65862 | 83811 | 12.5 | 36.4 |

المصدر : الإحصاءات العامة للسكان والسكن

ومراكش عبر خنيفرة وبني ملال وهو ما يعني تخلف هذا المجال.

فاقتصاد أيت سگوگو يقوم على الفلاحة الجامعة بين الزراعة وتربية الماشية في إطار تقليدي يهدف إلى الاكتفاء الذّاتي.

وبالنظر إلى تزايد عدد السكان الذي يستوجب الرفع من الإنتاج ليس هُناك من خيار سوى توسيع الرقعة المحروثة وتكثيف النظام الزراعي والزيادة في عدد رؤوس الماشية مع تحسين ظروف تربيتها كلما أمكن ذلك. لكن أمام ضعف إمكانيات التكثيف تبقى الزيادة في الرقعة المحروثة الحل المعتمد. وهو حل يغير من وضع الأرض القانوني، ومن تركيبتها من حيث استعمالاتها الكبرى ومن تركيبة استعمال التربة بالأرض الزراعية من جهة ومن ظروف تربية الماشية من جهة أخرى.

فأهمية أراضي الملك الخاص تزداد على الأقل بوتيرة متناسبة مع توسيع الأرض الزراعية وذلك على حساب الأراضي الجماعية خاصة التي لم يتم تحديدها وهو ما يقلص المراعي ويفقرها من حيث التنوع النباتي.

أما أهمية الأراضي الزراعية فقد تطورت بشكل ملموس إذ تضاعفت مساحتها بما يقرب 4 مرات بالمقارنة مع وضعية 1930.

ففي 1996 وصلت مساحة هذه الأراضي إلى 50.214 هكتار موزعة بين أيت عمر بحصة 21.000 هـ، وهي موزعة بين القطاع البوري بحصة 95٪ وبين القطاع المسقي بحصة 5٪ فقط ويتم استعمالها على النحو التالي :

65٪ مخصصة للحبوب البكرية (القمح والشعير أساساً).

32٪ تترك للراحة،

03٪ فقط مخصصة للقطاني والخضر والعلف وللأشجار...

ويبقى استعمال التربة هذا شبيها بما كان عليه الحال في مطلع القرن العشرين أي استعمالاً واسعا جداً وهو مالا يساير التطور الديمغرافي.

ونظراً لضعف مردود زراعة الحبوب وتذبذب كمية الإنتاج، فالقطيع يبقى ركيزة اقتصاد الأسر ورمز استقرارها واستمرارية الحيازة وهو ما يدفع إلى الاعتقاد بأن عدد رؤوس الماشية في تزايد.

لكن التحول الذي يعرفه قطاع تربية الماشية يظهر العكس بحيث يلاحظ بجانب التخلي عن التنقل بالقطيع في إطار حركة نصف الترحال، وخلط أنواع الماشية في القطيع الواحد تراجع في الثروة الحيوانية وهي ملاحظات قام بها بوضي Beaudet.

وبالاعتماد على معطيات دراسته التي لم تدرج أيت عمر (أي المجال الموزّع حاليا بين جماعات ولْماس، بوقشمير وأيت يشو القروية) ونتائج الإحصاء الفلاحي العام لسنة 1996 يمكن تقدير نسبة تراجع عدد رؤوس الماشية (أبقار، أغنام وماعز) بين 1930 و1996 بـ 40٪.

فعدد رؤوس الماشية عند مجموع أيت سگوگو في 1996 لم يسجل سوى 218.347 موزعة بين 9.612 رأس للأبقار و148.918 رأس للأغنام و59.817 رأس للماعز. وهو عدد يحدد متوسط حصة كل أسرة في 15 رأس (وفي 24 رأس إذا نحن أخرجنا أسرَ بلدية مريرت من الاعتبار).

بالنظر إلى المساحة الزراعية واستعمالها وإلى عدد رؤوس الماشية وبنية القطيع حسب الأنواع وإلى الساكنة نخلص إلى كون الأسر السگوگوية المكونة من 6 أفراد كمتوسط تعيش كل واحدة من استغلال 5 هكتارات لا يزرع منها سنويا سوى 3 مخصصة للحبوب التي قد تأتي غلتها أو لا تأتي ومن منتوج قطيع متوسط مكون من 15 رأساً منها بقرة. إنها معطيات تدل على ضعف المدخول وتنبئ بنزوح في المستقبل وبخطر تدهور الموارد الطبيعية.

يدخل المجال السگوگوى ضمن المجالات الجبلية وغير الجبلية التي تعاني من العزلة والتي يتحتم على ساكنتها البحث عن الحلول لإرضاء حاجياتها الأساسية بعين المكان عن طريق تعبئة المواد الطبيعية المتوفرة. وبما أن هذه المجالات هشة وموادها محدودة فهي معرضة للتدهور وجزء من ساكنتها محكوم عليه بالنزوح إلى تجمعات الفقر حيث تغيب البنى التحتية والأسس الاقتصادية المتينة الكفيلة بضمان العمل وحياة أفضل لكل المتوافدين.

إنه جانب من جوانب إشكالية إعداد التراب وإشكالية التنمية المستديمة ببلادنا. وهما إشكاليتان متصاحبتان لن يتأتى حلهما بدون معرفة دقيقة للميدان أولاً وبدون رغبَة أكيدة في العمل من أجل إيجاد الحلول للقضايا المطروحة على المستوى المحلي في إطار مقاربة شمولية يُراعى فيها مبدأ التكامل والتضامن.

فهل معرفة هذه المجالات وقضاياها في مستواها الحالي كافية ؟ وهل كل الأطراف المعنية والمسؤولة ملمة ومؤمنة بهذه المقاربة ؟ وهل العمل ميدانيا فيما يخص إعداد وتنمية المجالات الريفية المهمشة مثل مجال أيت سگوگو متناسب مع الخطاب ؟

في انتظار جمع عناصر الجواب ومستقبل يكون أفضل يبقى المجال السگوگوي كما لخّص وضعيته بوضي منذ ثلاثة عقود خلت "منطقة متأزمة".


الإحصاءات العامة للسكان والسكن، 1936 ـ 1960 ـ 1971 ـ 1982 ـ 1994 ؛ الإحصاء الفلاحي العام، 1996.

M. Abès, *Les Izayan d'Oulmès*, *A.B.*, vol. I, Fasc. 2, 1915 ; G. Beaudet, *Les Beni Mguild du nord, étude géographique de l'évolution récente d'une confédération semi-nomade*, *R.G.M.*, n° 15, 1969 ; *Le plateau central marocain et ses bordures, étude géomorphologique*, Rabat, 1969 ; E. Laoust, *L'habitation chez les transhumants du Maroc central*, *Hespéris*, n° VI, Paris, 1935 ; R. Peyromet, *Tadla, pays zaïan, Moyen Atlas*, Alger, 1923.


محمد كربوط

**السكونتي، زايد** بن حساين، وينطق به محلياً الشيخ زايد أُوسكونتي. وُلد حوالي 1307/ 1890 بقصر تاسكونتيت في منطقة إدمسوما، ذات المسالك الوعرة في أعالي نهر غريس. وهي منطقة تابعة لقيادة أملاكو بدائرة الريش، إقليم الرشيدية. وكان والده "حساين أو سكونتي" ينتمي إلى فرقة "أيت طالب" وهي الفرقة التي يطلق عليها أيضاً "إعشاقن"، وتنتمي هذه الفرقة إلى "أيت عيسى إزم" من أقوى أخماس أيت مرغاد بسبب خصالهم الحربية ووفرة عدد الفرسان والمحاربين الذين يمكن استنفارهم في حالة الحرب كما حدث في معركة تيلوين التي وقعت بين أيت مرغاد وأيت عطا سنة 1884 وتفوق خلالها أيت مرغاد. ومكنت هذه المجابهة من إبراز قيادات وشخصيات حربية ضمن "أيت عيسى إزم".

كان والد زايد أوسكونتي ضمن الشخصيات الحربية وضمن أصحاب الرأي السديد في قبيلته. ونظراً لما أبرزه زايد أو سكونتي من ذكاء وشجاعة وقدرة على تحمل المشاق أرسله والده ليستكمل تربيته إلى إحدى بيوتات ميدلت أي لدى "القائد حمو عسو" : أحد أبرز أعيان منطقة زيز. ومكنته الإقامة في ميدلت من الاطلاع على ما يجري في البلاد خاصة وأن ميدلت تعد الممر الأساسي من تافيلالت نحو العاصمة فاس أو نحو مكناس. ومنذ ذلك الحين أدرك "زايد أو سكونتي" الأخطار التي تهدد البلاد وساهم ذلك في تكوين شخصيته الجهادية بالإضافة إلى مجموعة من الأحداث سبقت ولادته بقليل أو رافقتها، ومن ذلك انهيار المجتمع المغربي بعد وفاة السلطان الحسن الأول وفتح المجال لقطاع الطرق وتعرض فقراء الفلاحين للنهب فأصبح التنقل من منطقة إلى أخرى يتطلب الحيطه والحذر. وفي هذا الوقت بدأت تتأكد التهديدات الفرنسية انطلاقا من الجزائر وبدأت في اقتضام أجزاء من التراب الوطني وإضافتها إلى مستعمرتها سالفة الذكر.

في خضم هذه الأحداث، استشعر الشيخ زايد أو سكونتي ووالده الأخطار المحدقة بالبلاد فانتقلا إلى واحة تاديغوست في سافلة نهر غريس، أحد روافد زيز، وأخذ يعد للدفاع عن الوطن، وحتى يلعب دوراً قياديا، فقد سعى إلى توفير الشروط المادية لحركته.

وهكذا تزوج من سيدة غنية هي السيدة" عائشة واسو" التي وضعت ثروتها المتواضعة رهن إشارة زوجها لتموين الجهاد. كما لعبت زوجته الثانية "يطو حمو" من أيت عيسى أزم دوراً هاماً في تشجيعه على الجهاد.

فانطلق المجاهد زايد أو سكونتي ينظم جماهير الفلاحين عبر مسافات شاسعة من البلاد تمتد أحيانا من أعالي نهر ملوية وأعالي نهر زيز والأطلس الكبير المركزي إلى تخوم تافيلالت وواحات غريس، وفركلة وتدغة، وانضمت إليه قبائل أيت حديدو وأيت ازدك وأيت مرغاد (أيت يافلمان) وكذلك أيت عطا وأيت سخمان، بحيث وحد خلفه جماهير الفلاحين ونظمهم للنضال الوطني ودخل في حرب طويلة الأمد مع القوات الفرنسية امتدت من 1908 إلى 1933.

وخلال الفترة الممتدة ما بين 1908 و1930 شارك زايد أو سكونتي في كل المعارك التي شهدتها الناحية الوسطى للأطلس الكبير الأوسط والواحات وما بين 1930 و1933 قاد بنفسه المقاومة والجهاد. ومع مرور السنوات أخذت صورته تتألق بفضل الانتصارات المتتالية التي حققها في كل المعارك البطولية على خط يمتد من واحات تافيلالت وغريس وفركلة وتدغة إلى أعالي جبال الأطلس الكبير والأوسط، فقد شارك في معارك بودنيب (1326 / 1908) حيث لبّى نداء مولاي أحمد بن الحسن السبعي، الذي نادى بالجهاد لصد الغزو الفرنسي على بودنيب وغيره من المراكز التي تعرضت للاحتلال الفرنسي ما بين 1907 و1908، وقد استنفر أو سكونتي ووالده جماعة من المقاومين من أيت مرغاد (أيت يافلمان) فشارك في الانتصار الذي حققه المقاومون على الجيوش الفرنسية في معارك بودنيب والمنكوب 1908، إلا أن هذه الانتصارات لم تمنع الجيوش الفرنسية من الزحف على تافيلالت، فأدرك أوسكونتي عدم جدوى المجابهة المكشوفة مع عدو يتفوق في الأسلحة والتنظيم، وزادت معارك تافيلالت من تعميق هذه الفكرة.

وفي معارك تافيلالت 1336 / 1918 استجاب أو سكونتي وجماعة من أيت مرغاد للنداء الذي وجهه مبارك بن الحسين التوزنيني وخليفته بلقاسم النكادي، فالتحق بالمقاومة، وشارك كذلك في الانتصارات التي حققها المقاومون في معارك البطحاء وتيغمارات، إلا أن النزاع حول الزعامة انتهت بمقتل التوزنيني من طرف النكادي مما أدى إلى إضعاف المقاومة، فاستخلص أوسكونتي الدروس من كل هذه المقاومات، فأخذ ينظم أتباعه من أيت مرغاد لتنظيم المقاومة بشكل يراعي تفوق الجيوش الفرنسية من حيث العتاد الحربي واعتمد في مقاومته على استغلال التضاريس الوعرة للمنطقة ومباغتة طوابير الاحتلال في المسالك الجبلية الوعرة.

أمّا المعارك التي قادها زايد أوسكونتي ففي بداية 1348 ـ 1930 التجأت جماعة من المقاومين المنتمين إلى قبائل أيت حمو تالسينت إلى منخفض تاردة، ولما علمت الجيوش الفرنسية بقصر السوق (الرشيدية) بوجود هؤلاء المقاومين، باغتتهم بالهجوم، وقد كان أوسكونتي يقيم بقرية تاديغوست على مقربة من مكان إقامة أيت حمو، ولما بلغه خبر الهجوم الاستعماري استنفر بسرعة أتباعه الذين حاصروا الجيوش المغيرة من كل جانب، ومنعوا عليهم فرص الانسحاب والتقهقر وبذلك حققوا انتصاراً باهراً سجلته صحف الاستعمار وتقارير ضباط الشؤون الأهلية ومنذ ذلك الحين أصبح أوسكونتي مطاردا من جيوش الاحتلال، فالتجأ إلى قمم الجبال لتنظيم مقاومته.

وقد وصف العقيد جون صولاي Cl J. Saulay في كتابه تاريخ الكوم المغاربة حصيلة معارك تاردة بقوله "لقد كانت الحصيلة جد مأساوية، وهكذا فقد اللفيف الأجنبي من بين

صفوفه 3 ضباط من رتب عالية، و60 جندياً، وكلهم قتلوا في الميدان، أما الكوم فقد فقدوا 30 جنديا، في حين قتل من المجندين بين القبائل 60 مجندا.

وظلت أشلاء هؤلاء جميعا وجثثهم في ساحة المعركة إلى أن تم دفنهم بتاردة لاحقا".

ومعارك بادو سنة 1933 : قبل مواجهة الجيوش الاستعمارية في جبل بادو الواقع في الأطلس الكبير المركزي الشرقي، خاض أوسكونتي مجموعة من المعارك بغية استدراج القوات الفرنسية إلى قمم جبل بادو ذات المسالك الوعرة ومن بين هذه المعارك :

- معارك "تالاتن يغشي" بأعالي نهر غريس
- معارك اغبالو نكردوس.

وكانت خطط أوسكونتي تقوم على مهاجمته للقوات الاستعمارية في أماكن مختلفة ومتباعدة نسبياً وذلك لزرع الرعب في صفوف القوات الاستعمارية المغيرة، وتشتيت قواتها، كما استعان بالفقهاء والعلماء وذلك بإصدار الفتاوى وتحريض الناس على الجهاد، وبذلك دحض ادعاءات الكتابات الاستعمارية التي جعلت من مقاومته عملا من أعمال السيبة والانشقاق، ومن أشهر العلماء الذين افتوا بضرورة الجهاد "سيدي محمد بن الحاج اوتالت فراوت" والذي ساهم في التفاف الجماهير حول مقاومة أوسكونتي".

وقد حقق هؤلاء انتصارات في مجموعة من المعارك منها معركة "تالاتن يغشي" التي وقعت يومي 5 و6 غشت 1933، وكتب عنها العقيد فوانو Voinot. يقول : "بعد تكوين وتنظيم القوات المكلفة باحتلال "تالاتن يغشي" تقدمت هذه القوات نحو هدفها يوم 6 غشت إلا أنها فوجئت بهجومات مباغتة للمنشقين القادمين من "بادو" وأرغمت هذه الغارات قواتنا على التراجع نحو ضفاف أحد روافد وادي "تالات ن يغشي" وكانت خسائرنا في هذه المعركة قد بلغت 44 قتيلا و51 جريحا ومقتل 4 ضباط من رتب متفاوتة بين عقيد ومقدم ونقيب ..."، وقد كان "زايد أوسكونتي" هو الذي خطط لهذا الانتصار الساحق ضد القوات الاستعمارية. وأثارت هذه المعارك معارضة داخلية في فرنسا.

أخذت الجيوش الاستعمارية تضيق الخناق على أوسكونتي وتفرغت للقضاء على مقاومته، بعد إخماد مقاومة جبل صاغرو بزعامة عسو وبسلام خلال مارس 1933، ودفعت هذه الظروف أوسكونتي للاعتصام بقرون الجبل وقممها الوعرة مثل قمم اسكروسو وبادو. وهي جبال شاهقة تطل على واحات غريس. وقد جندت الجيوش الفرنسية قوات ضخمة يقودها ضباط لامعة أسماؤهم في الغزو العسكري للمغرب بينما لا يتوفر أوسكونتي وأتباعه إلا على حوالي 300 بندقية منزوعة في أغلبها من الجيوش الاستعمارية، وقد عوض المقاومون هذا التفوق الاستعماري بمعرفتهم لتضاريس المنطقة. ومباغتة الجيوش الاستعمارية وهي تقنية عسكرية يتفانى أوسكونتي باستمرار في استغلالها لتحقيق الانتصارات. وإلى جانب ذلك حاول الرفع من معنوية أتباعه باستصدار فتوى من الفقيه المسمى "سيدي محمد بن الحاج أوتالت تافراوت" إذ سأله أوسكونتي بحضور المقاومين عن المستقبل الذي ينذر بسيطرة الاستعمار على المغرب فأجابه الفقيه بما معناه :

"الجهاد الجهاد ... إن الله لا يرضى لعباده الكفر ولكن إذا قدر الله وسقطتم تحت نيران المستعمرين فهناك بيت لا يدخله الكفر وهو القلب" وأردف قائلا "بأن الاستسلام كفر" وقد استشهد هذا الفقيه بجبل بادو والسلاح في يده.

حاصرت الجيوش الاستعمارية جبل بادّو ودارت معارك طاحنة خلال النصف الأول من شهر غشت 1933 على ارتفاع 3000م واستعمل الطيران الحربي لقنبلة عيون الماء والماشية. كما حل الجنرال جيرو بتنغير وذلك على مقربة من جبل بادو للإشراف على العمليات العسكرية، وتطبيق الحصار على المقاومين وذلك قصد إرغامهم على الاستسلام بفعل الجوع والعطش والأوبئة. وانطلاقا من 23 غشت 1933 سيطرت جيوش الاستعمار على عيون الماء المتبقية في أيدي المقاومين وأمام هذه الوضعية المتأزمة اضطر أوسكونتي إلى فتح المفاوضات مع قادة الاستعمار. وفي 29 غشت 1933 استقبل الجنرال هوري أوسكونتي بكل ما يستحق من تقدير كبطل من أبطال المقاومة في الأطلس الكبير والمتوسط الوسط. كما حضر فريق سينمائي لتصوير مراسيم الاستسلام، وظل أوسكونتي وغيره من أبطال المقاومة يجسدون الروح الوطنية لدرجة أن الأوساط الاستعمارية كانت تهابه وتقدر شجاعته، وتهافت كتاب نظام الحماية ومؤرخوه على بيته المتواضع لدراسة سيرته الذاتية وفي نفس الوقت ظلت هذه الأوساط تكن له العداء بسبب الهزائم التي ألحقها بجيوشها مما جعلها تستعين بعملائها لاغتيال أوسكونتي وذلك بدفعه من أعلى قمة جبل غدرا سنة 1944 أثناء رحلة للصيد. وبذلك انطفأ نجم أحد أكبر زعماء المقاومة العفوية المسلحة.


م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1985 ؛ م. المعزوزي وهاشم العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935*، الرباط، 1986 ؛ ع. القادر بوراس، *ملامح عن مقاومة زايد أوسكونتي، مقاومة أهالي تافيلالت والأسطوغرافيا الاستعمارية، مجلة دار النيابة*، العدد 28، 1991، ص. 38 - 44.

G. Spillman, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Rabat, 1936 ; Gl. A. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central*, Paris, 1946 ; Cl. L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 ; J. Saulay, *Histoire des Goums marocains*, t. I, Paris, 1981 ; Cl. B. Lancon, *Les dernières étapes de la pacification dans le grand Atlas marocain, 1931 - 1933, Revue Militaire Française*, Aout-Septembre 1934.


عبد القادر بوراس

**السّكُونْدُو** ويكتب أيضا الشّقُنْدي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Segunti نسبة إلى مدينة السكوندو Secunda

الإسبانية الواقعة قرب قرطبة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1170 / 1757.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1389.

محمد ابن عزوز حكيم

**سكياط**، زاوية ركراكية بقبيلة الشياظمة على الضفة الجنوبية لوادي تنسيفت : اشتهرت في القرن الثالث عشر (19 م) بالفقيه الصوفي عبد الله بن علي السكياطي، وابنه الفقيه مَحمد اللذين أضفى عليهما السلطان عبد الرحمن بن هشام وابنه محمد سرابيل التوقير والاحترام.

**السكياطي، عبد الله** بن علي بن مسعود الرجراجي، عالم زاوية سكياط الرجراجية بقبيلة الشياظمة في الضفة الجنوبية لوادي تانسيفت، أستاذ إمام مقرئ متفنن، قال عنه الكانوني : "كان رحالة إماما، رحل لمراكش وفاس، ومصر، والحرمين الشريفين، ومكث بمصر سنة، واستغرقت مدى رحلته عشر سنين، ورجع بعلم غزير بثه في صدور الرجال." (*أسفي وما إليه*، ص. 26).

كان السكياطي قد تعاهد مع محبه الشيخ محمد التهامي الأوبيري بأن من تقدم منهما موتا يكتب عنه الآخر، فمات السكياطي أولا، فكتب عنه الأوبيري كتابا بعنوان : إتحاف الخل المواطي ببعض مناقب الإمام السكياطي، قال عنه فيه : "كان رحمه الله شيخا حسن العمة (كذا) (ولعلها النغمة)، كثير الهمة، مليح الوجه، طاهر اللون، رجلا بين الرجلين، أبيض مشوباً بصفرة، مثل لون أهل الجنة، منور الشيبة تجللته السكينة والوقار، مشتهراً بالخير، كأنه نار على علم أو منار، صدوق اللهجة، رافقته أكثر من عشر سنين، فما رأيت أصدق لهجة منه، أحرز ملابس الثناء، كثير الحياء... ومع حيائه الكثير، فهو ـ رحمه الله ـ في الحق سيف صارم، لا يخاف في الله لومة لائم...

ومن ورعه أنه امتحن أيام السلطان مولانا سليمان بطلبه للقضاء، فذهب إليه راغبا منه أن يعفيه من ذلك، فلم يرفع له رأسا، وقال له : مثلك يجبر بالسجن والضرب على تولية القضاء، وذلك لما سمعه عنه من صرامته في الحق، وكتب له إني وليتك القضاء، ولا يتعرض لك أحد، فسكت، ولما رجع عنده فر بنفسه حتى أنجده الله بصدقه في عدم إرادته تلك الخطة... فصرف له السلطان بأني أعفيتك من ذلك، فرجع إلى موضعه".

أخذ عبد الله السكياطي عن محمد بن أحمد بن العربي الرجراجي أصلا المراكشي مولداً ووطناً، كان خيراً ديناً رقيق القلب، كثير البكاء، وكان خطيبا بمسجد هيلانة، مات بمراكش ودفن بصحن مسجده، ومدرسته المعروفة له هناك بباب داره في حومة باب هيلانة أحد أبواب مراكش.

كما أخذ عن أحمد بن طاهر الأندلسي أصلا المراكشي مولداً ووطناً وهو عمدة قراءته بمراكش في الفقه والنحو والأدب، وكان جامعا مانعا موصوفا بالديانة، والورع والصيانة كثير الصيام ؛ وعن علي البوعناني جزءاً من الشاطبية في القراءات السبع، وعن أحمد الشاوي لقباً التادلي نسبا المراكشي وطنا، قرأ عليه بعضا من الألفية لابن مالك في النحو، وصدرا من رسالة ابن أبي زيد القيرواني كما أخذ عن السيد محمد بن علي الدكالي الهلالي العبني المشارك النحوي أخذ عنه الألفية وتصوير الهمز والضبط والدرر اللوامع، وبعضا من الشاطبية.

ومن مشايخ السكياطي الشيخ السيد علي بن أحمد الوزاني، ومحمد بن عبد السلام الناصري قرأ عليه المرشد المعين ليلا في سفره معه لحج بيت الله الحرام عام أحد عشر بعد الستين وألف، كما أخذ عن مشيخة فاس : محمد التاودي ابن سودة، ومحمد بن عبد السلام الفاسي، والطيب ابن كيران، وعبد القادر ابن شقرون واضرابهم. وفي مصر أخذ عن الشيخ الأمير المالكي وعلي البلي الضرير، وعبد العليم السنهوري وغيرهم.

كان الشيخ عبد الله السكياطي مسموع الكلمة في بلده، وفي الطائفة الرجراجية فهو عالمها الورع المتمكن، الذائع الصيت والشهرة، فحظي بالاحترام والتوقير من السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، وقد وقفت عند أحفاد السكياطي على ظهيرين رحمانيين موجهين إلى الشيخ عبد الله السكياطي وولده مَحمد بالتعظيم والتوقير.

هذه المكانة العلمية للشيخ السكياطي جعلته مرموقا عند أولي الأمر بالإضافة إلى شأن أسلافه المرابطين الرجراجيين، فاجتمع له فضل العلم وفضل النسب، فنال بذلك ما هو أهل له من التجلة والتوقير والتعظيم والذكر الحسن كما شمل ذلك التوقير أسرته وأقاربه.

توفي بمراكش عام 1244 / 28 ـ 1829.

م. التهامي الأوبيري، إتحاف الخل المواطي ببعض مناقب الإمام السكياطي، مخطوط ؛ ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 7 : 2539.

إبراهيم الوافي

**سكيرج** أو السكيرج ـ بالتعريف ـ من الأسر المغربية التي اشتهرت بالعلم والأدب تنتسب إلى الأنصار الخزرج، وتنحدر من بعض الحصون الأندلسية المسماة بهذا الاسم (سكيرج) هاجر بعضهم إلى المغرب واستوطنوه، منهم من أقام بتطوان، ومنهم من انتقل إلى فاس، ومازالت فروع الأصلين إلى الآن بالمدينتين أقدم من عرف منهم بتطوان : الحاج عبد الرحمن السكيرج، ناظر أحباس ضريح سيدي السعيدي عام 1026 قال الفقيه الرهوني وهذا التاريخ قريب من تاريخ الهجرة الأخيرة من الأندلس عام 1017 فيكون هذا الفرع قد هاجر إلى تطوان قبل هذا التاريخ، إذ لا يستحق

في الغالب النظارة في البلد إلا من استوطنها مدة مديدة لا من كان طارئا عليها من نحو تسع سنوات.

أخرجت هذه العائلة كثيراً من العدول والعلماء والفقهاء والتجار الأثرياء منهم بتطوان الفقيه المؤرخ السيد عبد السلام وابنه الشري عبد الخالق والمهندس الزبير، والطبيب الدكتور محمد بن أحمد وغيرهم. ومازالوا موفورين بها.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

محمد بوخبزة

**سكيرج، أحمد** بن **حمو** بن عبد الوهاب الفاسي، من الوراقين المشهورين في أيام المولى سليمان العلوي كان يعني بنسخ كتب السيرة حريصا على إذاعتها، محبا لها لأنها تربطه بالروح الدينية التي شب عليها، فوالده حمو هو الشاعر المشهور بمدح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر شمائله ولقد سار على نهجه في المحبة ورغب في إذاعة الكتب الدينية التي لها ارتباط بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أو بذكر الصحابة رضي الله عنهم يوجد في الخزانة الحسنية السفر الثاني من الاكتفا للكلاعي منسوخا بخطه عام 1237 مسجلا تحت الرقم 7743.

م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، ص. 212.

محمد عبد العزيز الدباغ

**سكيرج، أحمد** بن **العياشي** الخزرجي الأنصاري الأندلسي الفاسي. الفقيه الأديب الشاعر المؤلف القاضي.

وُلد في حدود عام 1295 / 1878 وتلقى العلم بفاس عن علمائها الأكياس، كالشيوخ أحمد ابن الخياط، ومَحمد القادري، وعبد الله البدراوي، ومَحمد كنون، وعبد السلام الهواري، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، ومحمد بن عبد القادر ابن سودة، وقد أجازه هذا اجازة عامة وغيرهم.

تولى أولا الكتابة مع الوزير الكَباص بطنجة، ثم القضاء بمدينة وجدة، ثم عضواً بمحكمة الجنايات بالرباط. كما تولى القضاء أيضاً بثغر الجديدة ثم بمدينة سطات. كما كان عضواً بجمعية أحباس الحرمين الشريفين.

رزق حظا وافراً في الشعر والنثر، وأعطى جَلَداً على الكتابة والتأليف حتى أربت مؤلفاته على المائتين والخمسين فيما قال شقيقه الفقيه محمد. منها : *الفذلكة الجامعة في صرف الجامعة*، طبعت. وشرح أرجوزة محمد بن الطيب سكيرج التي عارض بها (الشمقمقية) لابن الونان وكشف *الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الأصحاب* طبع على الحجر بفاس، وذيله وشرح *مختصر بنيس في الطريقة التجانية* سماه *الكوكب الوهاج بشرح درة التاج* طبع بتونس في مجلد. وله نظم كثير جداً منه *معشرات* على حروف المعجم في المديح النبوي طبعت على الحجر بفاس، ويلاحظ أن معظم مؤلفاته في الدفاع عن الطريقة التجانية وصاحبها مع مبالغة وغلو. وله مدائح مع صديقه الحميم الشيخ عبد الحي الكتاني.

وله إخوة على رأسهم شقيقه الفقيه الأديب محمد، وأبناء على رأسهم الأديب الشاعر عبد الكريم والطبيب الدكتور محمد. وفي سنة 1352 في شهر جمادى الأولى زار المترجم له مصر في طريقه إلى الحج فاحتفل لمقدمه التجانيون ومدحوه شعراً ونثراً جمع في جزء طبع بمطبعة الصاوي بعنوان ذكرى *زيارة سيدي أحمد سكيرج*. وفي عودته أقيم له احتفال أكبر جمعت مواده في جزء ثان طبع بمطبعة الصدق بالقاهرة بعنوان *ذكرى سفر سيدي أحمد سكيرج إلى الأقطار الحجازية*، وعودته *إلى مصر* في طريقه إلى بلاد المغرب وفيه تسمية من رافق المترجم له في رحلته. ومن لقيه بالحرمين من العلماء وغيرهم. وأخبار تتعلق بذلك. وكان للدكتور تقي الدين الهلالي المغربي معرفة وثيقة بالمترجم له ومساجلات أدبية. وقد كلفه بتدريس الأدب لابنه عبد الكريم.

وتنيف مؤلفاته المعروفة على مائة كتاب، كثير منها مطبوع :

1 ـ *الأجوبة المرضية عن الألغاز النحوية*، وهي نونية أجاب بها عن الغاز أبي سعيد فرج بن لب الثعلبي في النحو وهي نحو الستين لغزا.

2 ـ *الأدلة المقنعة في شرح المنفرجة*.

3 ـ *إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي*، فرغ من تأليفه في غرة عام 1316 هجرية. طبع مع *الروضة اليانعة والثمرة النافعة في صرف الجامعة* بالمطبعة الحجرية بفاس بخط مؤلفه، ترجم إلى اللغة الفرنسية.

4 ـ *أسنى المطالب فيما يعتني به الطالب*. كناش جمع فيه بعض الفوائد.

5 ـ *استخراج تراجم النحو من البسملة*.

6 ـ *الإنباء بنصح الأبناء*.

7 ـ *إيقاظ القرائح لتقييد السوانح*. يوميات نحو الأربعة شهور ابتداء من فاتح محرم 1328 في صفحات 92.

8 ـ *الإيمان الصحيح في الرد على مؤلفات الجواب الصريح*. طبع بتونس سنة 1357 صفحاته 132.

9 ـ *البدر المنير في الطب التجاني المرفوع لمولانا الكبير*.

10 ـ *بستان المعارف فيما أورده الوارد من اللطائف عند بعض المواقف*. تدبر في بعض الآيات من القرآن الكريم في صفحات 63.

11 ـ *تاج الرؤوس بالتفسح في نواحي سوس*. رحلة منظومة في صفحات 69 طبع بالمطبعة الجديدة بفاس.

12 ـ *تجريد أسئلة الحكيم الترمذي*. وهي 155 سؤالاً من الفتوحات المكية لابن عربي.

13 ـ *تجريد أسئلة الشيخ محمد الكتاني*. وهي 155 سؤالاً جعلها الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني ديناً في عنق التجانيين في تأليفه *خبيئة الكون* وهي التي شرع في الجواب عنها بكتابه المعنون *بقرة العين في الجواب على أسئلة مؤلف خبيئة الكون* في نحو 100 صفحة.

14 ـ *تحفة الانام بتراجم من خمَّس أبياتاً حفظتها في المنام*.

15 ـ *تخميس البردة المسمى بالوردة*. مطبوع على الحجر بفاس عام 1333 وصفحاته 28.

16 ـ *الترصيف لما لمؤلفه من التصنيف*. تعريف بتآليفه ذكر فيه نحو العشرين تأليفا.

17 ـ *تطبيب النفوس بما كتبته منّ بعض الدروس والطروس* (في نحو 300 صفحة)

18 ـ *تفريج الشدة بتشطير البردة*.

19 ـ *تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لايلقنها إلا من له اذن صحيح طول الزمان ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيف ما كان*، طبع بتونس في سنة 1339 / 1921 في صفحات 232.

20 ـ *تنوير الأفهام بختم تحفة الحكام*. طبع على الحجر بفاس في قالب صغير صفحاته 48.

21 ـ *تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني*.

22 ـ *ثمرة الفنون في فوائد تقرّ بها العيون*.

23 ـ *جنة الجاني بتراجم بعض أصحاب الشيخ التيجاني*. ترجم فيه لثلاثة عشر من أصحاب الشيخ التجاني في منظومة تصل إلى 360 بيتاً.

24 ـ *الجواهر المنتشرة في الجواب عن الأسئلة الاحدى عشرة*.

25 ـ *الجوهر المنظوم من كلام القطب المكتوم*. من كلام الشيخ التجاني رضي الله عنه.

26 ـ *الحجارة المقتية لكسر مرآة المساوئ الوقتية*، في الرد على ابن الموقت. طبع الجزء الأول بفاس في صفحات 104 والثاني في صفحات 134.

27 ـ حديقة أنسي في التعريف بنفسي.

28 ـ *حسن الوسائل في الأجوبة عن بعض النوازل*. وهو كناش كبير جمع فيه البعض من فتاويه.

29 ـ *حضرة التداني من شرح أبيات الختم التجاني*. طبع على الحجر بفاس صفحاته 14.

30 ـ *الحق المبين في انتصار التجانيين على علماء القرويين*. دفاع عن الفقيه النظيفي الذي أفتى علماء القرويين بحرق كتبه.

31 ـ *الحوض المورود في مدح سيد الوجود*. ديوان فيه قصائد في مدح الرسول الاكرم عليه السلام.

32 ـ *حياة القلب الفاني بمدح القطب التجاني*.

33 ـ *خزانة أدبية وفرائد علمية*.

34 ـ *الدراري المنوطة بالشعر المذكور في البخاري*.

35 ـ *الدر الثمين من فوائد الأديب بلا مينو الأمين*.

36 ـ *الذخيرة للآخرة*. ديوان قصائد تقرب من السبعين في مدح الرسول عليه السلام.

37 ـ *ذكرى زيارة أحمد سكيرج للقطر المصرى سنة 1352* في طريقه إلى المدينة المنورة. طبعت بالقاهرة في 20 صحيفة.

38 ـ *الذهب الخالص في محاذاة كبرى الخصائص*. نظم جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

39 ـ *الراية المنشورة في الجواب عن الأسئلة المنوطة بالصداق والشورة*.

40 ـ *الرحلة الحبيبية الوهرانية الجامعة للطائف العرفانية*. طبعت بخط المؤلف بالمطبعة الحجرية بفاس سنة 1329 في صفحات 142.

41 ـ *الرحلة الزيدانية*.

42 ـ *الرحلة لتدشين مسجد باريس سنة 1925*.

43 ـ *رسالة الامتنان والرحمة إلى سائر الأمة*. في التصوف صفحاتها 29.

44 ـ *رفع النقاب بعد كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب*. في أربعة أجزاء.

45 ـ *الروضة اليانعة والثمرة النافعة في شرح الفذلكة الجامعة في صرف الجامعة*. طبع في المطبعة الحجرية بفاس.

46 ـ *رياض السلوان بمن اجتمعت به من الأعيان*.

47 ـ *الزرابي المبثوثة*. كناش كبير تقرب صفحاته من 300.

48 ـ *زهر الأفانين في الأجوبة عن الأسئلة الثلاثين*.

49 ـ *زوال الحيرة بقاطع البرهان بالجواب عما نشرته جريدة الزهراء* تحت عنوان أين حماة القرآن ؟ طبع بفاس سنة 1358 صفحاته 86.

50 ـ *سبيل الرشاد في المحاورة بين ذوي الانتقاد والاعتقاد*. طبع بفاس عام 1358 صفحاته 64.

51 ـ السحر البابلي الموجه للعارف التادلي. طبع بالأسكندرية سنة 1347 في صفحات 32.

52 ـ السحر الحلال في مدح سيد الرجال. طبع بالمطبعة الحجرية بفاس صفحاته 16.

53 ـ السر الباهر بما انفرد به الجامع عن الجواهر.

54 ـ السر الرباني في رد ترهات ابن ما يانا العاني، التي تبجح بها في تاليفه مشتهى الخارف الحاني. طبع بالدار البيضاء في صفحات 58.

55 ـ شراب أهل الاختصاص من بحر السطة بين الخواص.

56 ـ شراب المدام بتخميس أبيات رأيتها في المنام.

57 ـ شفاء الأحزان في حديث "الراحمون يرحمهم الرحمن". هذا التأليف تكلم فيه على عدد من العلوم وجمع كثيراً من المواد لتخريجه.

58 ـ شفاء العليل بتحويل البردة من بحر البسيط إلى بحر الطويل.

59 ـ الشطحات السكيرجية. طبعت بالقاهرة سنة 1352 في 64 صفحة.

60 ـ الصراط المستقيم في الرد على مؤلف النهج القويم. طبع الجزء الأول بتونس سنة 1358 في صفحات 95.

61 ـ ضوء الظلام في مدح خير الأنام.

62 ـ طرق المنفعة بالأجوبة عن الأسئلة الأربعة. طبع بالقاهرة سنة 1345 ـ 1927 صفحاته 76.

63 ـ الظل الوريف في محاربة الريف. أخبار الحرب الريفية املاها عليه السيد محمد ازرقان عند نفيه إلى الجديدة سنة 1343 / 1924 في نحو ثمانين صفحة لم يطبع.

64 ـ العبرة بطول العبرة. طبع بالقاهرة قالب صغير صفحاته 32.

65 ـ العدة من إنشاء همزية من البردة.

66 ـ عقد المرجان الموجه إلى الشيخ محمد بن سليمان. طبع بتونس صفحاته 16.

67 ـ غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود. وهي رحلته التي كان رافق فيها سيدي محمود التجاني إلى الرباط وذلك سنة 1329 في صفحات 202.

68 ـ الاغتباط في الجواب عن الأسئلة الواردة من الغواط.

69 ـ الغنية الباردة بترجمة سيدنا الوالد مع سيدتنا الوالدة.

70 ـ غنية المحتاج في شرح واضح المنهاج.

71 ـ فتح الباري بشرح الحكم بالمذاكرة مع عمي الحاج الزكاري.

72 ـ الفتح المبين في ختم المرشد المعين.

73 ـ فهارس الشيوخ لصاحب قدم الرسوخ.

74 ـ الفيوضات العرفانية في الرد على الافريقي مؤلف الأنوار الرحمانية.

75 ـ قدم الرسوخ لما لمؤلفه من الشيوخ. ترجم فيه لما يقرب من ستين شيخاً.

76 ـ قرة العين في الجواب على اسئلة مؤلف خبيئة الكون. هي للشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني.

77 ـ القصيدة الكافية بتضمين الهمزية في كاملية كافية.

78 ـ القطوف الدانية بشرح الجامعة العرفانية. وهو شرح رجز للمولى عبد الحفيظ سلطان المغرب سابقا في فضائل أهل الطريقة التجانية نظمها رحمه الله بغرناطة سنة 1340 وطبعت بتونس سنة 1349 ـ 1930 في صفحات 44. وقد شرح منها تسعة وعشرين بيتا فقط في نحو 84 صفحة بخطه.

79 ـ القول المفهوم في ختم ابن آجروم. في صفحات 10 بخطه.

80 ـ المجموعة السكيرجية.

81 ـ مطالع الأسرار لمدارك الأحرار في شرح صلاة الفاتح لما اغلق بالحروف المهملة طبع على الحجر بفاس صفحاته 16.

82 ـ معارضة مقصورة ابن دريد.

83 ـ المنتخبات. مثل تطبيب النفوس في نحو خمسين ومائتي ورقة من القالب الصغير.

84 ـ المنفرجة. قصيدة من بحر المتدارك على منوال منفرجة ابن النحوي.

85 ـ منهل الورود الصافي والهدى من فتح الكافي في شرح الشافي في علمي العروض والقوافي.

86 ـ مورد الصفا في محاذاة الشفا. هو نظم شفا القاضي عياض رضي الله عنه في أبيات 7747.

87 ـ مورد الوصول لإدراك السول. شرح لجوهرة الكمال بالحروف المهملة طبع على الحجر بفاس سنة 1332 صفحاته 12.

88 ـ النتائج اليومية في السوانح الفكرية. مذكرات نحو الشهرين ابتداء من يوم الثلاثاء 15 ربيع الأول عام 1330 في 67 صفحة.

89 ـ نسمات الأسحار في نظم الأشعار. كناش كبير بل ديوان حفيل من دواوينه الأولى وقد كتب على دفته اليمنى الحمد لله أوراق هذا الديوان إحدى وستون ورقة هكذا 61 ...

90 ـ نصيحة الاخوان في سائر الأوطان. وهي قصيدة نونية طويلة مطلعها :

علي أرى فرضا نصيحة اخواني      ومن لي بأن يصغوا بقلب وآذان

طبعت على الحجر بفاس صفحاتها 22 وطبعت أيضاً بالقاهرة على نفقة الشيخ محمد الحافظ.

91 ـ نصيحة الصبيان في سائر الأوطان. هي تشطير لقصيدة محمد الحجوي الثعالبي التي سماها حفظ الرمق بالتربية والتهذيب.

92 ـ نظم العهود، في أبيات 291.

93 ـ نظم النقاية.

94 ـ النفحات الربانية في الأمداح التجانية.

95 ـ *نفع العموم بالمسامرة ببعض العلوم*. طبعت بتونس سنة 1336.

96 ـ *نهج الهداية*. في معنى الختمية التي تظاهر بها الشيخ التجاني صفحاته 120.

97 ـ *نور السراج في شرح إضاءة التاج* على منظومة سيدي الغالي السنتيسي لدرة التاج طبع على الحجر بفاس صفحاته 62.

98 ـ *نيل الأرب في أدب العرب*. مسامرة ألقاها بالمدرسة العليا بالرباط طبعت سنة 1341 / 1922 في صفحات 28.

99 ـ *نيل الأماني في الطب الروحاني والجثماني المروي عن الشيخ التيجاني*. في جزئين.

100 ـ *هدية الزائر لنادي الترقي بالجزائر*. مسامرة ألقاها بنادي الترقي بالجزائر عام 1346 موافق 17 نونبر 1927 صفحاتها 28.

101 ـ *الوصية الشافية*. وهي منظومة طويلة في الحكم والعلوم.

102 ـ *وقاية العطب ببعض الخطب*.

103 ـ *الطريقة التجانية*. وهي من إملاء المؤلف على السيد محمد امغارة التطواني طبع على الحجر بفاس عام 1333 صفحاته 127.

104 ـ *يواقيت المعاني في مذهب الشيخ التجاني*.

105 ـ *النفحة العنبرية في الأجوبة السكيرجية* طبع القاهرة 1332 في 160 صفحة.

وقبل وفاته ذهب المترجم له إلى الجزائر العاصمة في شأن يتعلق بجمعية أحباس الحرمين. وبعد رُجوعه أصيب بمرض ذهب من أجله إلى مراكش للعلاج، فوافته المنية بعد خمسة أيام من وصوله بأحد مستشفياتها في منتصف ليلة 23 شعبان عام 1363 / 13 غشت 1944 ودفن بضريح القاضي عياض.

أ. سكيرج نفسه، *رفع النقاب بعد كشف الحجاب الربع الرابع أثناء الترجمة للسلطان مولاي سليمان رحمه الله، الرسالة السليمانية* ؛ م. ابن العباس القباج، *الأدب العربي في المغرب الأقصى* ؛ إبراهيم السلمي، *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية* ؛ أ. سكيرج ؛ ع. الغني سكيرج، *ديوان حب الحصيد*، مخطوط ؛ م. المهدي الحجوي، *حياة الوزان الفاسي*، المطبعة الاقتصادية عام 1935 ؛ ع. ابن إبراهيم *الإعلام*، الجزء السادس، ص. 86 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ تقي الدين الهلالي، *الهدية الهادية للطائفة التجانية* ؛ ع. السلام ابن سودة، *سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3177 ؛ ع. الكريم سكيرج، *قائمة مؤلفات سيدي أحمد سكيرج في 16 صفحة*.

محمد عبد العزيز الدباغ ومحمد بوخبزة

**سكيرج، الزبير** بن عبد الوهاب الفاسي ثم التطواني الفقيه النزيه المهندس البارع الحيسوبي الميقاتي، السفير، الخيّر الديّن الفاضل.

ولد بفاس عام 1270 / 1853 وانتقل مع أهله صغيراً إلى تطوان، ونزل على عم له كان بها، فقرأ بها القرآن على الفقيه الأكحل بكُتّابه بالسوق الفوقي، ثم رجع إلى فاس، ووقع الاختيار عليه ضمن البعثة التعليمية الحسنية إلى لندن، وكان عدد هذه البعثة خمسة عشر طالبا مختاراً وجهوا أولا إلى طنجة وأقاموا بها ثلاث سنوات تعلموا خلالها مبادئ الحساب واللغات الأجنبية برئاسة السيد محمد الكبّاص الذي صار بعد صدراً أعظم، ثم توجهوا إلى دول : انجلترا، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا. وبعد سنوات في الدراسة ثمة أحرز على الإجازة في الهندسة، وعاد إلى تطوان واستوطنها نهائيا، وتزوج بها وأنجب. ولم يجد في أول أمره عملا يعيش منه، فاضطر للاحتراف بالخرازة. حدثني الأستاذ داود أن المترجم له بينما هو منهمك في صنعة الخرازة بالخرازين بتطوان، إذ بصُر به بعض أقرانه في الدراسة من الانجليز ـ وكان دخل تطوان سائحا ـ فوقف عليه وسلم وقال : أنت فلان؟ قال : نعم، قال : ما هذا ؟ كيف تعمل خرازا وأنت مهندس كبير مثلي ؟ فأجابه الزبير : هذا فرق ما بين دولتي ودولتك.

ثم عمل المترجم له ترجمانا بطنجة وقام بمهمات هندسية وادارية في الحكومة، ثم عين مديرا للاملاك المخزنية بتطوان، وتولى الإشراف على المدرسة الأهلية (أول مدرسة وطنية عصرية بالمغرب) وخدمها بحزم ونشاط، ووضع تصميم الزاوية التجانية بتطوان، وكان من أبرز رجالها، وظل على حاله الحسنة، وسيرته المستحسنة، لطيف المعشر، حلو الحديث، متأنيا في كلامه وسائر أحواله إلى أن توفي بتطوان في 23 شوال عام 1351 / 19 فبراير 1933.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، 6 : 49 مخطوط خاص ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 4 : 465، ط. المغرب ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* ، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 8 : 3019.

**سكيرج، عبد السلام** بن أحمد التطاوني الفقيه العدل المؤقت الموثق المدرس المؤرخ صاحب دعابة وخفة رُوح يخرج بها أحيانا عن حد اللياقة، وقد ذكر الرهوني في ترجمته من (العمدة) طرائف وحكايات تدل على ذلك.

ولد عام 1145 / 1732 تقريبا. وقرأ القرآن على عدة مدررين، وأخذ عن علماء بلده كأبي زيد عبد الرحمن الحايك القاضي، وابن قرّيش، والجنوي الكبير وغيرهم ممن ضمنهم تاريخه مع مقروآته الكثيرة والمتنوعة. ويلاحظ أنه كثيراً ما يقول : قرأت على فلان صحيح البخاري ومسلم مراراً ومختصر خليل بشروحه لفلان وفلان مراراً. وكذا وكذا مراراً، وهذا يوهم مالا يسعه العمر مهما طال، وتأويله : أنه قرأ من هذه الكتب الكثيرة الطويلة فصولا وأبوابا.

ثم رحل إلى فاس وأخذ عن شيوخها كالتاودي ابن سودة ومحمد بن الحسن بناني وغيرهم، ثم رجع إلى مسقط رأسه تطوان فتعاطى التدريس والإمامة بجامع العيون حيث سكناه

والزاوية الفاسية، وعمل مؤقتا بمنار الجامع الكبير في بعض الأوقات والشهادة بالحانوت التي كانت تحت صومعة جامع العيون، وقد أزيلت هذه الحانوت الآن في الإصلاح الأخير الذي غيرت فيه معالم الجامع رأسا على عقب.

والمترجم له أول من كتب في تاريخ تطوان كتابه الشهير الذي سماه : نزهة الإخوان وسلوة الأحزان في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان قال الرهوني : وقد أجاد فيه وأفاد، بل انفرد بأخبار هذه المدينة دون من تقدمه أو تأخر عنه من النقاد.

والموجود الآن من هذا الكتاب نسختان ناقصتان أتمُّهُما نسخة الفقيه الرهوني وهي الآن عند بعض حفدته، والنسخة الأخرى نسخها الأستاذ داود بخطه عن الأولى إلا أنها تنقص عنها قليلاً، وأفاد الفقيه محمد السكيرج الطنجي أنه كان يوجد تاما بخزانته في مجلدين لا تقل صفحات المجلد منهما عن خمسمائة. إلا أنه اختلس منها حسب قوله. وثمة أوراق منه عند آل العطار وآل الفاسي من نسخة ثالثة لا أدري مصيرها.

ويلاحظ مَن يقف على هذا التاريخ أن فيه أوهاما تاريخية وخرافات نبّه على بعضها الفقيه الرهوني، كما أنه يبالغ في أوصاف مترجميه بكلام مسجوع بارد، وقد أشار في تاريخه إلى أنه الذي أنشأ وكتب بخطه (وكان جميل الخط) بيعة أهل تطوان لمولاي عبد الرحمن بن هشام، كما أنه انفرد بأخبار وتسمية أعلام، الشيء الذي دفع بعض المتسرعين إلى رميه بالكذب وأنه اختلق اسماء عُمال لا وجود لهم في زعمه كالقواد : الوسخ وبوردان والذيب. وهذا قذف مجرد، ومازالت بتطوان عائلتا الذيب وبوردان ومازالت قصبة الذيب ماثلة للعيان إلى الآن. ومما ينبغي أن يُعلم أنه عثر منذ سنوات على رخامة بيضاء نقش عليها اسم لعامل تطوان محمد حسن من أهل القرن الحادي عشر، ولم يذكره أحد من مؤرخي المغرب، إلا أنه ورد ذكره كما قال لي الأستاذ داود في مصادر انجليزية لعلاقات تجارية وسياسية كانت بينه بصفته عامل تطوان وحكام جبل طارق. كان المترجم له ربعة إلى الطول، اشيب، احدودب ظهره في آخر عمره، وكان في يديه انقباض وقصر في ذراعيه وداره بحومة العيون مازالت معروفة بزقاقه، توفي عن سن يناهز المائة عام 1250 / 1834.

م. سكيرج نفسه، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 6 : 285، طبع تطوان.

محمد بوخبزة

**سكيرج، عبد الغني** الفاسي ثم الطنجي وُلد بمدينة فاس سنة 1335 / أوائل سنة 1917، وتلقى تعليمه بالقرويين وبرع في المجال الأدبي وكان ذا روح مرهفة وشاعرية جذابة قادرة على التصوير البديع وهادفة إلى الإصلاح الاجتماعي بحيث يشعر من يقرأ شعره بصدق اللهجة وقوة البيان وسلامة النفس وطهارتها من الكذب والنفاق، تلك سمات لا تتوفر إلا عند الذين وهبهم الله شعوراً بالمسؤولية وتقديراً للقيم.

كان حريصا على أن ينقل مبادئه للآخرين وان يفهمهم بأن السكوت عن الجهر بالحق جريمة لا تغتفر ولقي من أجل ذلك عناء كبيراً أدى به أحيانا إلى أن يتلقى في عهد الحماية لطمة شديدة على خذه من أحد الفرنسيين المسؤولين عن إدارة مدرسة كان يعمل بها بمدينة فاس نظراً لأن ذلك المدير لاحظ أن هذا المعلم يلقن بعض المبادئ لتلامذته لا تتلاءم مع السياسة الفرنسية آنذاك وأنه يحث المعلمين على حفظ كرامتهم وعزتهم وعدم قبولهم للذل والصغار وكانت هذه اللطمة من أسباب انتقاله من مدينة فاس إلى مدينة طنجة حيث واصل بها أعماله الاصلاحية والتعليمية والأدبية إلى أن توفي شهر شوال عام 1417 هجرية موافق عشرين يبراير 1997.

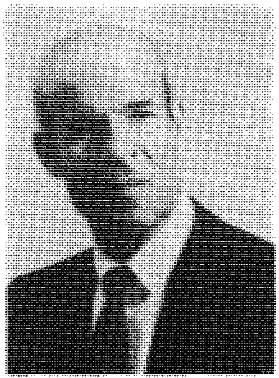

كان مدى حياته مثالا للحزم والعمل ومواصلة الدرس والبحث والمشاركة في مختلف النشاطات الثقافية على الصعيد الوطني والصعيد العالمي بحيث لا يقتصر انتاجه على ما يهز عواطفه من أحداث داخلية ولكنه كان عالمي الشعور، يغضب من أجل الحق ويترجم غضبه إلى قصائد رائعة وإلى محاضرات مفيدة يشهد بها أهل طنجة في كل محافلهم.

شارك في ميدان التأليف بمؤلفات عديدة منها المطبوع ومنها الذي ينتظر الطبع وقد سجل في دفة بعض كتبه المطبوعة نماذج نذكر منها ما ياتي :

1 - *حب الحصيد*، ديوان طبع سنة 1987.
2 - *الطلع النضيد*، ديوان طبع سنة 1995.
3 - هؤلاء عرفتهم، في النقد الاجتماعي، طبع سنة 1987.
4 - *أحسن ما قرأت من طرائف الشعر والنثر.*
5 - *الأدب العربي في المغرب الأقصى.*
6 - *الروض المتأرج في تراجم بعض آل سكيرج.*
7 - *تجربتي الشعرية*، طبع سنة 1991.
8 - *أقطاب الحركة العلمية بالمغرب* (الشيخ أحمد سكيرج).

9 ـ *مشاهدات من البقاع المقدسة* (1972 ـ 1973).

10 ـ *من أحاديث الشعر والنثر*، حلقات كانت تذاع بمحطة اذاعة طنجة (الجزء الأول).

11 ـ *خمسة عشر يوما بالاتحاد السوفيتي*.

12 ـ *خمسة عشر يوما بجنيف*.

13 ـ *معجم جغرافي لأسماء مدن المغرب وقراه*.

14 ـ *معركة الوظيفة*، طبع سنة 1991 تحدث فيه عن اثنين وثلاثين سنة من ممارسته لمهنة التعليم.

15 ـ *سبتة اوغادة الشمال*، نال به جائزة تشجيع.

ونظراً لما أسهم به في الميدان المعرفي والتوجيه الوطني ولمواقفه المشرفة الدالة على التزامه بمبادئه الخلقية أقامت من أجله جمعية ابن بطوطة للثقافة والفن بطنجة حفلا تكريميا من 13 ـ 15 أكتوبر سنة 1994 شارك فيه عدد من الأساتذة الجامعيين والأدباء على مختلف بلاد المغرب بأبحاث وأبرزوا فيها ما للشاعر عبد الغني سكيرج من فضل على الثقافة المغربية في شتى المجالات.

توفي بطنجة يوم الخميس 18 شوال عام 1417 / 20 فبراير 1997. وقد أمر ورثته أن يكتبوا على قبره بيتين ختم بهما ديوانه *حب الحصيد* :

قيل لي ما الذي جمعت ليَوْمٍ
فيه كلٌّ بما لديه رهينُ

قلت عندي في الله ظني، وحسبي
أنه لا تخيب فيه الظنون

ع. الغني سكيرج نفسه، *ديوان حب الحصيد* ؛ إبراهيم السولامي، *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية*، ص. 238، الدار البيضاء، مجموعة البابطين، الجزء الثالث، ص. 236.

**سكيرج، عبد الكريم** بن أحمد بن العياشي الفاسي الأديب الأنيق والخطاط المبدع الذي جمع بين جمال الأسلوب ورونق العبارة وجاذبية الحديث.

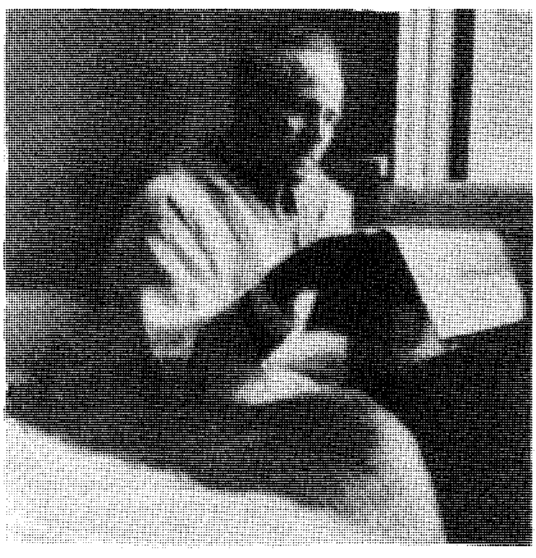

ولد بمدينة فاس ليلة يوم الثلاثاء 15 ربيع الأول عام 1322. ودرس بجامعة القرويين. عُني والده القاضي الحاج أحمد سكيرج بتربيته واعد له عند مغادته لمدينة فاس بعض الأساتذة الخصوصيين الذين كان لهم تأثير واضح في تزويده بأصول الأدب وأمهات الكتب وفي تلقينه لغة أجنبية يستطيع أن يواجه بها الواقع الذي يعيشه المغرب آنذاك.

ولما أطل على سن الشباب وجد نفسه مهيئاً للمشاركة في الدعوة إلى الاصلاح الاجتماعي فنظم قصائد في الموضوع تدعو إلى وجوب الاهتمام بالعلم وإلى ضرورة تعليم المرأة يوجد بعضها في كتاب الأدب العربي في المغرب الأقصى لمحمد بن العباس القباج.

ورغم استعداده الذاتي لمواصلة الابداع الشعري فقد اختار جانبا آخر من الابداع إنه التلوين الخطي المتجلي في مختلف الأنواع التي مارسها سواء كانت مشرقية أو مغربية ومن آثاره في هذا المجال :

أولاً ـ الكتابات المنقوشة على جدران ومحراب المسجد الإسلامي في باريس الآيات القرآنية بالخط الكوفي والقصائد الشعرية بالخط المشرقي والأندلسي وهي من انشاء والده.

ثانياً ـ أنواع الكتابات المنقوشة في قصر الستينية بمراكش.

ثالثاً ـ رسم عناوين بعض الصحف المغربية مثل جريدة المغرب وبعض المجلات مثل الثقافة المغربية.

رابعاً ـ ابداعه للخط التعبيري وقد نقل الفقيه المنوني من هذه الخط نموذجين عن مجلة الثقافة المغربية في كتابه *تاريخ الوراقة المغربية* وسأضيف نموذجا آخر في هذا البحث سلمنيه إياه ولده محمد الكبير وهو عبارة عن قول الشاعر (يطوف بالحب قلبي فراشة). وقد جمع بين جمالية الخط وجمالية الانتقاء مما انتجه الآخرون فانه كان ذواقاً للأدب حريصا على تسجيل ما يسمعه من الفوائد وعلى تدوين ما يدور في بعض المجالس العلمية من الحوارات الهادفة والمساجلات القيمة ويتجلى ذلك في بعض ما خلفه من مؤلفات منها :

ـ *دفتر ثغر الجديدة لتقييد فوائد عديدة*. وهو كتاب مفيد أهم ما فيه ما سجله من شعر بعض شيوخه وأصدقائه وعلماء وقته وفيه ذكر بعض منتجات والده.

ـ *شاعر الجنوب* ويقصد به أحمد بوستة يحتوي على قصائد عدة لهذا الشاعر ربما لا توجد في مصدر آخر.

ـ ملف خاص يحتوي على عدد من اشعاره وعلى كثير من رسائله الموجهة إلى بعض أصدقائه من الأدباء والعلماء.

ـ *معجزة المغرب* وهو عبارة عن ذكر سيرة أستاذه محمد بن عبد القادر الفيلالي الذي أصبح فيما بعد معروفا بمحمد تقي الدين الهلالي وقد كنت اطلعت على هذا الكتاب واملى علي بنفسه كثيراً مما فيه خصوصاً بعض الرسائل التي وجهها إليه هذا الأستاذ بعد تنكره للطريقة التجانية.

توفي بالدار البيضاء عاشر شعبان عام 1403 / 23 ماي 1983 ودفن بروضة سيدي مسعود بوصيته بذلك.

م. القباج، *الأدب العربي في المغرب الأقصى* ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية* ؛ س. حجي، مجلة الثقافة المغربية، العدد الثاني، شتنبر، 1941 ؛ تقي الدين الهلالي، *سبيل الرشاد*، الجزء الأول أثناء ذكره لنبذه من حياته ؛ إبراهيم السولامي، *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية*، ص. 202 ؛ م. بنعبد الله، فكرة تأسيس مسجد باريس بين اقتراح المولى محمد بن عبد الله وتنفيذ المولى يوسف، دعوة الحق، العدد 268، مارس، 1988.

**سكيرج، محمد** بن **الطيب** بن عبد القادر بن الحاج حم ابن عبد الوهاب الفاسي الأديب العروضي تلقى دراسته بمدينة فاس وكان أحد طلبة جامع القرويين الذين ظهر نبوغهم في الدراسات الفقهية والأدبية وكان يصاحبه في الطلب عدد من الأعلام الذين تميزوا فيما بعد بمعرفتهم الفقهية والتاريخية فقد ذكر الزياني أنه حينما كان يتلقى دروسه في الفقه على أبي حفص عمر الفاسي كان من جملة الطلبة الفاسيين الذين يحضرون معه مجلس هذا الفقيه جماعةٌ منهم سكيرج هذا وآخرون كالوليد العراقي ويحيى الشفشاوني ومحمد الهواري ومحمد بن عبد السلام الفاسي وعبد القادر ابن شقرون وأمثالهم.

ومما عُرف به محمد بن الطيب سكيرج أنه كان خبيراً بعلم الفلك أديباً شاعراً قادراً على التعبير الدقيق والأسلوب السهل الهادف وإلى بلوغ المقاصد من غير تعقيد، الشيء الذي خول له أن يكون من أشهر كتاب السلطان سيدي محمد ابن عبد الله زيادة على براعته في النظم وعلى حسن استخدامه للمحسنات البديعية من غير ابتذال ولا تعسف.

وكان يمتاز برقة الطبع، وجمال الخط وسرعة البديهة، ويعتبر ضمن الشعراء الذين كان لهم وجود أدبي في هذه الحقبة، وكانت بينه وبين ابن الونان المعاصر له مساجلات كلامية بلغت إلى حد الهجاء المتبادل.

ولعل اهتمام أسرة سكيرج في مدينة فاس بالعلم وانتماءها إلى الأنصار، كانت من بواعث التقدير لهذا الأديب الناشيء الذي أضاف إلى ما ورثه عن آبائه من عطاءات ما يساعد على استمرار نشاطهم العلمي والفني، فقد كان حاضر البديهة، دقيق الملاحظة، يجمع بين النظم الأنيق، والنثر البديع والقوة على التوضيح، بحيث لا تحس وأنت تقرأ ما كتب بغموض في القول، ولا بتعقيد في المعاني، وبذلك وصفه كثير ممن ترجموا له قديماً وحديثاً.

قال عنه الجريري شارح الشمقمقية أنه كان آية في علم المعقول والمنقول، وهو ابن مقلة زمانه في ترصيف الخط وابداع الرسم، مما تضرب به الأمثال في ذلك، وكان مخترعاً فنانا في بسط الخط المغربي والمشرقي والكوفي.

وقال عنه المؤرخ الضعيف ما ياتي : "إنه ركب يوما مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله القارب للتعدية بين الرباط وسلا في وادي أبي رقراق، فأنشد بيتين أجازه عليهما بمائتي دينار، وهما قوله :

ولما رأيت البحر في الجود آيـــــة
ومن جوده الدر النفيس المقلــد
سألته مـــن في الناس علمك النـدى
فقال أمير المومنين محمــــــد

ووسمه المؤرخ سليمان الحوات بأنه خاتمة أهل الأدب الذي كانت قريحته تسهل من البلاغة على كل حدب يتيمة الدهر في سلوك جواهر الفخر.

له مؤلفات أغلبها في التوقيت والأدب منها :

1) *حواش على شرح ابن مرزوق على الخزرجية*.

2) *منظومة في أطوال وعروض بعض مشاهير البلدان الإسلامية* توجد ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط مسجلة تحت رقم 457.

3) *معينة الطلاب على التوصل للأسطرلاب* (خ ع ضمن مجموع مسجل تحت رقم 497).

4) *أرجوزة في العروض*.

توفي عام 1194 / 1780.

م. بن الطيب سكيرج نفسه، *الشافي في علمي العروض والقوافي*، مخطوطة ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج. 4، ص. 122 ؛ أ. سكيرج، *منهل الورود الصافي والهدى من فتح الباري في شرح الشافي في علمي العروض والقوافي*، مخطوط ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، ص. 147 ؛ م. الدباغ، *بحث حول م. بن الطيب سكيرج*، دعوة الحق، السنة 33، العدد 283، بتاريخ أبريل، 1992 ؛ ق. الزياني، *الترجمانة الكبرى* ؛ *فهرس المخطوطات العربية* المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، المجلد الأول أعداد ليقي بروفنصال ومراجعة صالح التادلي وسعيد المرابطي ؛ ع. الله كنون، *النبوغ المغربي*، ج. 3، ص. 704، ط. 2، 1997 / 1998 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 6، ص. 86.

محمد عبد العزيز الدباغ

**سكيرج، محمد** بن **العياشي** الخزرجي الأنصاري الأندلسي الفاسي الفقيه المدرس المفتي الناظم الناثر الصوفي.

ولد بفاس عام 1292 / 1875 وحفظ القرآن وبعض المتون العلمية، وتوجه إلى القرويين عام 1304 وأخذ عن علمائها ومن شيوخه بها : عبد الملك العلوي الضرير وعبد الله البدراوي، وعبد السلام بن عمر العلوي ومحمد بن عبد القادر ابن سودة وغيرهم، ثم أصهر إلى الفقيه المهندس الزبير السكيرج من البعثة التعليمية الحسنية إلى أوربا، فتزوج ابنته، ولذلك انتقل لسكنى طنجة حيث يعمل صهره، وتولى بها الكتابة بدار السلف مع أخيه الفقيه الأديب الحاج أحمد الذي انتقل لسكناها أيضا لنفس السبب ثم غادرها لتوليه القضاء بوجدة ثم سطات.

وتعاطى المترجم له الشهادة بتطوان وطنجة، والفتوى والتدريس والخطابة، وكان له نشاط في التأليف فألف فهرسة لشيوخه ومقروآته. وكتاب رياضة البهجة في تاريخ مدينة طنجة يوجد مصورا (بخزانة الرباط العامة في سبع مجلدات،

الدرر اللآلي في ثبوت النسب البقالي) طبع مرتين الأولى على الحجر بفاس في حياته، والثانية على الحروف بطنجة بعد وفاته و(نبذة التحقيق في ترجمة الشيخ محمد ابن الصديق) و(قرة العين في رحلة يومين) وهي في سفر المؤلف ضمن وفد حكومي تطواني إلى مدريد لتهنئة الجنرال فرانكو بانتصاره عام 1359 / 1940 إلى نحو أربعة وستين مؤلفا معظمها رسائل، وكانت له مع بعض أصدقائه المتأدبين رسائل إخوانية ومساجلات شعرية، وقفت على مجموعة منها بينه وبين الفقيه الأديب السيد البشير أفيلال التطواني. وكان مقدماً في الطريقة التجانية إلا أنه أقل حماسة فيها من أخيه.

توفي بطنجة بعد مرض طويل في رابع محرم عام 1385 / 5 ماي 1965 ودفن بضريح الشيخ محمد الحاج البقالي (بوعراقية)

م بن العياشي سكيرج نفسه، *قرة العين، برحلة يومين*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ ع. الصمد كنون، *مواكب النصر وكواكب العصر*، طبع طنجة، ص. 58 ؛ محاند علال البخلالي، *مؤرخ طنجة محمد بن الحاج العياشي سكيرج*، بحث مرقون.

محمد بوخبزة

**سلا** - جغرافيا - من أقدم المدن المغربية على ساحل المحيط الأطلنتي. تتوسط الشريط الساحلي الرابط بين شمال المغرب وجنوبه في موقع يتحكم في الطرق الآمنة التي كانت صلة وصل معتادة بين مراكش وفاس. فكان من أسباب أهميتها هذه الوضعية الاستراتيجية التي تجعل من المدينة مرحلة متميزة في طريق المسافرين العاديين أو مواكب السلطان التي كان يتعذر عليها أحيانا المرور مباشرة من فاس إلى مراكش عبر تادلة والمناطق المحاذية أو العابرة بجبال الأطلس المتوسط.

انشئت هذه المدينة في موقع له دلالات تاريخية وطبيعية فقد ذكرت المصادر المكتوبة كما بينت الحفريات المنجزة في ضفتي أبي رقراق قدم وعراقة الاستقرار العمراني بمصب الوادي حيث توالى الفينيقيون والرومان على إنشاء مراكز عمرانية منها ما اندثر أثره تماما بينما ظلت آثار بعضها قائمة كما هو الحال في شالة على الضفة اليسرى لأبي رقراق.

انطلق العمران الأصلي للمدينة الحالية في القرن الخامس (11 م) من موقع مشرف على البحر وعلى النهر، وذلك على ذروة تل رملي صلب يندرج في منظومة الكثبان الرملية المتحجرة التي تمتد من "بوقنادل إلى جنوب الرباط طولا ومن الشاطئ نحو الداخل عرضا. وتتخلل هذه الكثبان ممرات موازية للشاطئ انتشرت فيها المزارع (السواني) لجودة أتربتها وقرب الفرشة المائية فيها من السطح. وقد كونت هذه المنخفضات مسالك سهلة استغلتها الطرق المعبدة لربط شمال العدوتين بجنوبهما.

برزت النواة الأولى للمدينة في هذا الإطار التاريخي والطبيعي عندما شيد بنو عشرة قصراً في موقع مرتفع مُحاذٍ لموقع المسجد الأعظم. إلا أن هذه الانطلاقة العمرانية اندثر أثرها فيما بعد. وقد امتدّ العمران بعد ذلك من هذا المنطلق المشرف إلى حضيض "العقبة" متجها نحو البليدة حيث كان أول المستقرين فيها الوافدون من سوس. امتد العمران بعد ذلك نحو الأماكن المستوية التي توجد فيها الأسواق الحالية، متجها نحو جامع الشهبة الموجود حالياً في حي "سيد التركي". وتجدر الإشارة هنا إلى المستوى المنخفض لهذا المسجد إلى عهد قريب مقارنة بمستوى الحي والمساكن المحيطة به، مما يبعث على الاعتقاد بوجود تراكمات مطمورة لم ينلها بعد البحث الاركيولوجي.

انتظم العمران القديم داخل أسوار تمتد على شكل مستطيل ممتد من البحر إلى الداخل، جانبان منه يحاذيان البحر من جهة الغرب ووادي أبي رقراق من جهة الجنوب. وقد أثار التناسق الهندسي لأسوار المدينة تساؤلات حول أسبابه. فتصميم المدينة القديمة يتسم بشكل هندسي يتقاطع داخله محوران أساسيان، يربط الأول منهما "الباب الجديد" بـ "باب سبتة"، ويصل الثاني بين الأحياء الموجودة في "راس العقبة" و "باب الخميس" أو "باب فاس "الموجود شرق المدينة. ومن المفترض أن هذا الشكل يعود إلى آثار رومانية لأن استقرار الرومان العمراني في الضفة اليسرى لواد أبي رقراق (شالة حاليا) كان له امتداد زراعي على الضفة اليمنى. حيث أقام الرومان مزارع (ڤيلا) اتخذت أشكالاً هندسية متساوية تتعامد في تقاطيعها المنتظمة مع الامتداد الطولى لنظام الكثبان الرملية. وقد خلفت هذه الضيعات بعد انقراضها آثارها على شكل مستطيلات متحاذية تبدو واضحة المعالم عنه دراسة الصور الجوية للمنطقة المكسوة بالسواني إلى وقت قريب. لكل هذه الأسباب أخذ شكل الأسوار المنحى الهندسي المذكور الذي يتناسق مع إشارات الطبيعة والارث التاريخي الزراعي القديم. وقد ذكر ابن خلكان أن سلا جديرة بالمقارنة بالإسكندرية لما تتسم به من اتقان في البناء وحسن التقسيم.

تطور العمران داخل الأسوار : تحيط الأسوار بمساحة لا تزيد عن مائة هكتار تقريبا لم يكن معظمها مبنيا في أوائل القرن الرابع عشر (20 م). فلم تحتل البنايات جميع المجال الداخلي للأسوار بل كانت تحيط بها الأجنة، ولم تأخذ هذه السواني بالتراجع أمام زحف البناء إلا في الثلاثينيات فلم يتبق منها إلا تلك التي كانت موجودة بالقرب من ضريح سيدي عبد الله ابن حسون والتي كانت بملاصقة مع السور الممتد بين "باب سبتة" و "باب شعفة"، إلا أن فترة ما بعد الاستقلال كانت المرحلة النهائية لوجود السواني في المدينة القديمة حيث انقرضت تحت وطأة الامتداد العمراني الكثيف الذي عرفته سلا بسبب الوافدين على المدينة من كل حدب وصوب. وقد اتخذ هذا الزحف السكني ثلاث مراحل :

- بناء الأراضي الزراعية المتبقية داخل الأسوار
- إعادة بناء المتداعية والآيلة للسقوط
- رفع طبقة أو طبقتين من المنازل فوق المساكن القديمة

أدى إلى اكتظاظ السكان وارتفاع الكثافات التي كانت تتراوح بين 750 و1000 نسمة في الهكتار الواحد، حسب الأحياء، حيث ارتفعت إلى 1500 ن / هـ في مركز سلا القديم أي حي "البليدة" وقد نتجت عن اكتظاظ السكان وارتفاع الكثافات مشاكل متعددة في مجال تصريف المياه الحارة وذلك لتداعي الشبكة القديمة واختناق قنواتها، مما كان له انعكاس على الأوضاع البيئية والصحية في المدينة القديمة.

كان لهجرة السلاويين لمساكنهم في المدينة أثر بين على صيانة الدور التقليدية القديمة التي جزئت تارة وتارة أخرى تعرضت للإهمال والاندثار، خاصة في الحالة التي توجد فيها على الشياع مما لا يتيح توفر الامكانات المادية للمحافظة على هيكل ورونق المعمار. فالمحاولات التي بُذلت لإنقاذ بعض هذه الدور لم تنجح لحد الآن كما لم يعرف مشروع إنقاذ الفنادق والبيوتات التقليدية طريقه للانجاز.

التغيرات الاقتصادية والاجتماعية : لعبت سلا دوراً اقتصاديا هاماً في تاريخها كنافذة للمغرب على البحر. وقد ساهم انفتاح المغرب على التجارة الأوربية في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) في تمتين علاقتها التجارية بالمدن الداخلية والساحلية، حيث تمكنت من مد إشعاع تجاري قوي بلغ مداه الأقصى شمالا وشرقا العرائش وفاس وذلك عبر أسواق الغرب، إذ كان للسواقة السلاويين حضور متميز في الشبكة التجارية التي تربط البوادي بأهم المدن حينذاك. وقد احتفظت سلا بهذه العلاقة التجارية خلال فترة الحماية، وذلك عن دورها كوسيط بين الدار البيضاء والأسواق في الغرب والسهول وزعير. ولكن التغيير الذي حصل في وسائل النقل في نهاية الخميسنيات جعل معظم الزبناء من تجار الجملة يتوجهون مباشرة إلى الدار البيضاء لشراء الثياب والأقمشة. فاضمحلت تجارة الملابس والأثواب واتجهت إلى توفير هذه المنتجات لاستهلاك القاطنين بها والوافدين من المناطق القروية المجاورة.

وقد تعرضت الأنشطة الحرفية لنفس التطور، فبعد الأزمة الحادة التي لحقت بالعمل الحرفي في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) بسبب انفتاح المغرب على البضائع المستودة من الخارج، أخذت الأنشطة الحرفية في التدهور بعد ذلك خلال النصف الأول من القرن العشرين بسبب مزاحمة المنتجات العصرية. فاختفت حرف متعددة من بينها صناعة الجلود والحبال والحُصر. والمهن التي كانت تمد بصفة عامة السكان بحاجياتهم المنزلية أخذت تتقهقر بدورها إلى أن اختفت تماما كصناعة القنب وأدوات القزدير، وترتب عن هذا التطور عزوف أبناء السلاويين عن تعاطي المهن الحرفية. وقد خلفهم في بعض الحرف متوافدون من أهل سوس في مجال صنع البلغة كما برزت حرف جديدة من جملتها الخياطة، خياطة الأقمشة للاستهلاك القروي أو خياطة الخيام بعد الاستقلال من طرف منحدرين من نواحي دكالة.

استمرت الحيوية في قطاعي البناء والتجارة وذلك لارتباطهما بحركة العمران داخل المدينة. إلا أن أغلبية الأنشطة التجارية غادرت المدينة ولم يلبث منها إلا المعاملات المتعلقة بالتموين وببعض المرافق الخدماتية التي تحتاجها الساكنة القاطنة في الأحياء القديمة. فأغلبية الأنشطة هجرت المدينة وتضاءل مركزها التجاري الذي كان يمثله "سوق

الخميس" المنعقد في عقر سلا أي في السوق الكبير. فقد انتقل بدوره إلى طريق مكناس ليستقر ردحاً من الزمن بها ولكنه ما لبث أن استقر نهائيا في قرية أولاد موسى.

إن هذا التطور الذي عرفته المدينة القديمة في اتجاهين معاكسين : اكتظاظ المدينة بالسكان وتدهور أنشطتها المنتجة، لم يحجب تماما ما تعودته المدينة القديمة من تكيف بالأوضاع السائدة وقدرة على إيجاد مخرج من أزمتها في بعض المجالات خاصة التجارية منها. فالتجارة في الحرير والذهب أبانت على ديناميكية غير متوقعة بحيث ربطت في تكيفها بين التقليد والتحديث. فمن المعلوم أن الحرف والمتاجر كانت في الماضي منتظمة في أزقة متخصصة لكل حرفة وتجارة متميزة. ولكن بعد انقراض الحنط التي كانت تهيكل هذه الأنشطة اختلطت جميع المرافق بعضها ببعض بحيث فقدت الأزقة طابعها المتميز. إلا أن هناك القليل من الأنشطة التي احتفظت بطابعها المتكتل في زقاق متميز كالحرارين مثلا الذين احتفظوا بموقعهم ما بين القيسارية ومحكمة القاضي حاليا. إلا أن تجارة الحلي من الذهب والتي كانت لا تزيد عن ثلاثة أو أربعة متاجر أصحابها من اليهود مالبثت أن قامت بالزحف الوئيد على المتاجر المجاورة حتى حلوا محل الحرارين الذين انتقلوا بدورهم جماعة إلى زنقة الحجامين. ويدلُّ هذا التحول على حركية متميزة تمثلت في استعادة الهيكلة التقليدية للأنشطة في مدينة إسلامية.

التحولات النوعية والكمية في ميدان التعمير والإسكان: وقع تحول أساسي في ميدان التعمير عندما توافدت الهجرة من جميع أنحاء المغرب على المدينة التي لم تطق استيعاب جميع المقبلين عليها. فعندما اكتظت المدينة وارتفعت كثافتها انتشر العمران حولها بصفة عشوائية وبدون تخطيط مسبق إلا لبعض الأحياء كحي بطانة وتابريكت. فقد قامت الحماية بتخطيط موجه لكلا الحيين، الأول كان من المرتقب أن يستقبل سكانا أوربيين، والثاني خصص لأحياء شعبية، ولكن تطلعات المخططين لم تصمد لوقع الأزمة التي تلت الحصول على الاستقلال. فحتى المنطقة الصناعية التي شيدت لجلب الاستثمارات بخلق شغل واقامة صناعات مختلفة ظلت فارغة لما تلا سنوات الاستقلال الأولى من مصاعب مختلفة في الفترة الانتقالية التي استمرت إلى أواخر الستينيات. لذا فالتوافد على المدينة حوّل حي بطانة عن وظيفته الأولى فصار حيّاً لاستقبال السلاويين النازحين من المدينة القديمة. أما حي تابريكت فقد اكتظت عماراته بسرعة مما جعل فيض السكان يتجه وجهتين : الأولى بعيداً عن المدار الحضري نحو "الشيخ المفضل" حيث أخذ البناء العشوائي ينمو بسرعة، والثانية إلى مدن القصدير "كدوار جديد" ودوار "السماعلة" وقد اتجه التمدين بعد ذلك إلى منطقة السواني حيث أخذت الأنشطة الزراعية تنقرض بصفة حثيثة وتحل محلها الأحياء العشوائية خاصة بين المدينة القديمة وضريح سيدي موسى على الشاطئ.

إن فورة التعمير تقع بصفة متوازية بين ما هو مندرج في عملية التخطيط العمراني وبين ما هو عشوائي، فكلما أقدم المخططون على عملية عمرانية واسعة النطاق إلاّ ونشأت في التوازي معها حركة بناء عشوائي. فقد كان بناء حي السلام متزامنا مع انطلاق قرية أولاد موسى في الجهة المقابلة له. فالعمران انتشر في تداخل بين الأحياء على جميع المحاور بين الشاطئ وضفة الوادي على شكل نصف مروحة تشتبك في فضائها جميع أنواع السكن القانونية وغير القانونية. إن معظم هذه الأحياء لا تتمتع بالمستوى الضروري من تجهيزات قاعدية ومرافق صحية وخدماتية وتعليمية.

ويمكن ادراك التفاوت الحاصل بين انتشار السكن وقلة التجهيزات إذا اعتبرنا السعة التي تنامت بها الساكنة السلاوية. فقد انتقل عدد السكان في ظرف سبعين سنة من 25 ألف نسمة في بداية الثلاثينيات إلى ما يزيد عن ستمائة ألف في بداية التسعينيات، بحيث صارت هذه الساكنة مرشحة إلى بلوغ المليون نسمة خلال السنوات العشر المقبلة. فوتيرة النمو كانت أكثر سرعة من أي مدينة في المغرب بحيث بلغت 9٪ سنويا ما بين 1971 و1982 ثم بلغت ما بين هذه السنة و1994 نسبة 5.6٪ في السنة. وهذا يعني أن عدد السكان يتضاعف كل 12 سنة.

ومن الملفت للنظر أن هاته الزيادة السريعة في عدد السكان ناتجة عن تنامي سكان المدينة والتوافد عليها من جميع أنحاء المغرب. فلا توجد أي منطقة ريفية أو مدينة على طول البلاد وعرضها لم تساهم في نمو ساكنة سلا الديموغرافي، بحيث صارت لوحدها تمثل مجموع ساكنة البلاد.

إذن فالمدينة التي كان يقال عنها : "ها سلا ها حوانتها" صارت من المدن الكبرى في المغرب ولكنها لم تجن من هذه الميزة فوائد كبيرة، بل راكمت المشاكل العمرانية أكثر من استفادتها من حجم ونشاط ساكنتها. وذلك لانعكاس أثر الرباط عليها.

لقد ظلت العاصمة خلال عدة عقود في ركود عمراني نظراً للحزام العقاري المتمثل في الوضعية القانونية للأراضي المحيطة بها، والتي لم تكن مفتوحة للتعمير، مما جعل سلا ملجأ لكل وافد يعمل في الرباط ولكن لا يجد له مسكنا فيه. فتحولت الفئات الفقيرة والمتوسطة للسكن في سلا بينما ظلت تشتغل في الرباط. فصارت عدوة سلا عبارة عن ملجأ للنوم، أما العمل ومردوده من حيث المداخيل والإمكانات فكان من نصيب الرباط. ولقد زاد هذه الوضعية استفحالا كون التقطيعات الجماعية والإدارية زادت من الأزمة التي تتخبط فيها المدينة فتعدد البلديات وضعف الإدارة وندرة المؤسسات الاقتصادية والإدارية جعل من الصعوبة بمكان القيام بمتطلبات المدينة والنهوض بجميع مرافقها. فإذا أخذنا مثلاً بسيطاً من أمثال الاختلالات التي تتضرر منها المدينة ويكتوى بنارها السكان مشكلة النقل بين العدوتين نجد من العاملين في الرباط والقاطنين بسلا من يقضى أكثر من ساعة للتنقل بين المدينتين في حافلات

مكتظة ليس لها أوقات مضبوطة ولا ظروف نقل مريحة. إن عدم التكافؤ بين المدينتين في مجال المداخيل وتبعثر السلطة بين فاعلين متعددي المشارب والصلاحيات يجعل من الصعب تدبير شؤون المدينة في مجموع مرافقها ناهيك عن استعادتها لدورها المتميز في ميدان الثقافة والعلم والإنتاج.

يتبلور التساؤل المطروح أخيراً حول مستقبل سلا حول آفاق تطورها مستقبلا. هناك بوادر واحتمالات يمكن أن تحد من الاختلالات التي تعرفها المدينة في جميع أنواع مرافقها ومصالحها وإمكاناتها المادية والمعنوية. من جملة هذه الارهاصات :

- خلق تعليم جامعي في المدينة يجب أن يكون بين يد مسوؤلين نزهاء وأكفاء.

- قرار خلق كل الإدارات المقبلة في مدينة سلا عوض الرباط لاكتظاظها بمرافق ومنشآت الإدارة المركزية.

- إمكانية توحيد المدينة من الناحية الإدارية والمؤسسات البلدية حتى يحل التناسق والتكافل مجموع أطراف المدينة عن طريق وحدة الرؤية وعقلانية التسيير في إطار وحدة المدينة.

- تلبية رغبة السلاويين في مد وضعية العاصمة حتى تشمل مدينة سلا، فيصير التنسيق في ظل المجموعة المدينية كلها بين العدوتين.

- اتباع تخطيط حضري على شاكلة "سلا الجديدة" المرشحة لإسكان ما يزيد عن مائة ألف نسمة.

ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، الجزء السابع، الصفحة 9 ؛ كينيث براون : *موجز تاريخ سلا، 1000 - 1800*، ترجمه عن الانجليزية، م. حيدة وأنس لعلو، منشورات أمل، 2001، ص. 128 ؛ م. السمار، *مدينة الرباط من التأسيس إلى نهاية القرن السابع عشر الميلادي*، أطروحة نوقشت في كلية الآداب بالرباط، تاريخ 8 يوليوز، 2000.

M. Naciri, *Salé, étude de géographie urbaine*, *R.G.M.*, 1963, n° 3-4 ; Kenneth L. Brown, *Les gens de Salé. Les Slawis. Tradition et changement de 1830 à 1930*. Préface Mohammed Naciri, Casablanca, 2001 ; El Hassani Abdelamid, Khadiri Abdeslam, Naciri Mamoun, *Médina de Salé : analyse et propositions*. Unité du pédagogique d'archtecture de Toulouse, 1980, 211 p. ; *Mecanismes et formes de croissance ubraine au Maroc : le cas de l'agglomération de Rabat - Salé*, Rabat, 1984, 3 t ; *Salé, cité millénaire*, sous la direction d'Ismaïl Alaoui et Driss Mrini, 1997, 212 p.

محمد الناصري

**سلا**، (تاريخ) مدينة أزلية - كما تصفها المصادر القديمة - وتؤكد الأدلة الأثرية وجود حياة إنسانية في منطقة سلا منذ عشرات آلاف السنين، فجمجمة إنسان سلا التي عثر عليها في مقلع دار القايد بلعروسي على بضع كيلوميترات من المدينة قدر الجيولوجيون بعدها الزمني بـ 165.000 سنة. تتفق المصادر التاريخية على أن سلا كانت موجودة قبل مجيء الرومان إلى هذه البلاد لكنها تختلف في تحديد عصر تأسيسها، يذكر البعض أنها فينيقية من المراكز التي أسسها الفينيقيون على سواحل المغرب في القرن 11 ق م. مثل طنجة وليكسوس، ويرى آخرون أنها قرطاجية أسسها حانون أثناء رحلته الشهيرة في القرن 5 ق م. ضمن المستعمرات السبع التي سماها ووصف مواقعها ولو أن تحديدها بالضبط يصعب اليوم لتغير الأسماء وتشابه المواقع، لكن علماء الآثار اجتهدوا في عملية التحديد اعتماداً على المسافات والأوصاف الواردة في الرحلة، ومنها أرامبيز arambys التي تعني المصب عند مارسي Marsy وتطابق سلا أو شالّة.

وهنا نتساءل عن العلاقة العددية بين المستعمرات السبع في *رحلة حانون* وما تحتفظ به الذاكرة الشعبية في مدينة سلا وعند شعراء الملحون عموماً من كون سلا تعدّ من المدن السبع القديمة في المغرب (سبعْ مْدُونْ).

تأتي المرحلة الرومانية بعد ذلك لتجنيس المدن المغربية وإعطائها طابعاً رومانيا بعد القضاء على قرطاجة سنة 146 ق. م وذلك بإسكان مجموعات رومانية في المدن المغربية وإقامة علاقات بينهم وبين الأهالي "الموريين" والعمل على تحويل هؤلاء تدريجياً إلى مواطنين رومانيين. وبعد مرور قرنين على احتلال روما للمغرب الكبير وقيام ثورات أتعبتها قررت في حدود سنة 44 م تقليص مناطق نفوذها وترسيخ احتلالها المباشر عن طريق تقسيم موريتانيا الطنجية غرب نهر ملوية (المغرب) وموريتانيا القيصرية شرق ملوية (الجزائر).

كانت مدينة سلا / شالة تكوِّن الحد الجنوبي الأقصى لموريتانيا الطنجية تقيم فيها فرق من الخيالة والمشاة والرماة ويمر بجنوبها الخط الدفاعي الحدودي "الليمس" الذي يبتدئ من تامودة (تطوان) شمالا، وينزل جنوباً إلى سلا / شالة حيث يمتدّ في الضفة الجنوبية لنهر سلا (أبي رقراق) على مسافة نحو 20 كلم من البحر إلى عكراش.

كانت سلا كولونيا في عهد الرومان على الضفة اليمنى للنهر وتمتد إلى الضفة اليسرى، وربما كانت سلا وشالّة في الأصل اسماً واحداً اختلف نطقها بإهمال السين أوإعجامها كما هو الشأن في مدينة قادس وقادش بشبه الجزيرة الإيبيرية، وقد نبّه إلى ذلك بعض المؤلفين العرب القدامى كصاحب *الاستبصار*.

وعلى أي حال ظلت سلا وشالة قائمتين إلى الفتح الإسلامي. وتذكر كتب التاريخ أن يوليان الغماري حاكم سبتة من قبل قوط إسبانيا قام بتسليم مدينة سلا إلى طارق ابن زياد مولى الفاتح موسى بن نُصير والي إفريقية من قبل الأمويين. ثم أصبحت سلا مقر إمارة إدريسية تابعة لمملكة فاس على إثر وفاة إدريس الأزهر سنة 213 / 828 يشمل نفوذها شالة وبلاد تامسنا وزمور. وفي خضم الاضطرابات التي عمت المغرب في مطلع القرن الرابع (10 م) بسبب انحلال الدولة الإدريسية قام بنو يفرن بزعامة موسى بن أبي العافية بالاستيلاء على فاس والقضاء على المراكز الإدريسية في الأقاليم، ومنها مدينة سلا التي خرّبوها وعفّوا على آثارها فكان ذلك نهاية سلا القديمة واختفاءها من خارطة

المنطقة. نصّ على ذلك الرحالة العرب المعاصرون لسلا القديمة، كأبي عبيد البكري الأندلسي الذي تحدث في *المسالك والممالك* عن وادي سلا ومدينة سلا القديمة عاصمة إمارة عيسى بن إدريس ابن إدريس، وابن حوقل البغدادي الذي زار المغرب والأندلس سنة 331 / 942 وقال في *رحلته* عن سلا إنها خربت في أوائل القرن الرابع (10 م). كل ذلك يفنّد ما زعمه بعض المؤرخين والرحالة المتأخرين القصيري النظر من أن شالة التي ظلت أطلالها قائمة على الضفة اليسرى هي العتيقة ومعها سلا، وأن لا وجود لمدينة في الضفة اليمنى متجاهلين النصوص المشار إليها آنفاً أو مؤوليها تأويلاً بعيداً. على أن الشاهد الأثري الحاسم هو ما عُثر عليه سنة 95 . 1996 أثناء تهييئ المدار الخارجي للطريق السيار بولجة سلا من قاعدة باب روماني كبير وأجزاء من السور مع قطع من الفخار وغيره من الآثار الرومانية، الأمر الذي يحتم ـ علمياً ـ القيام بحفريات أركيولوجية في منطقة الولجة لا سيما الربوة الضخمة المجاورة لعين أسمير التي كان المؤرخ السلوي محمد ابن علي الدكالي لا يشك في أنها تغطي معالم مدينة سلا القديمة.

أما سلا الحديثة القائمة بين شاطئ البحر ومصب النهر التي نعيش فيها اليوم، فقد أسست في أواخر القرن الرابع أو أوائل الخامس (10 . 11م) واشترك في تأسيسها عنصران : بنو عشرة، وهي أسرة عريقة في المجد والثراء تنتسب إلى الكاتب النابه أحمد بن مدبّر البغدادي أخي إبراهيم وزير المعتمد على الله العباسي، وبنو يفرن الزناتيون الذين ورثوا ملك الأدارسة. شيد بنو عشرة الحي المحيط بالجامع الكبير. في حومة الطالعة، وبنى الزناتيون حي زناتة في الشمال الشرقي للجامع واتخذوا من سلا الحديثة حاضرة لإمارتهم التي امتد نفوذها من فاس إلى تادلا وأغمات عبر الدير وجذور الأطلس الكبير. وإذا كان الزناتيون أبطال حرب أبلوا البلاء الحسن في مقاومة البرغواطيين المارقين في تامسنا، فإن بني عشرة كانوا علماء أدباء كرماء تقاطر عنيهم الكتاب والشعراء من الأندلس يمدحونهم وينوهون بحاضرتهم سلا وقصرهم المشيد الذي يبدو أنه كان على جانب عظيم من السعة والفخامة. وشجعت الصلات السخية التي كان العشريون يمدون بها قُصادهم على تزايد الأدباء في أبوابهم، واستقرار بعضهم في سلا، فكان ذلك منطلق حياة فكرية ستتأصل وتتطور في القرون التالية.

ولما جاءت دولة المرابطين وأنهى يوسف بن تاشفين مسألة بورغواطة وشرّد بهم من خلفهم قضى على بني يفرن الزناتيين في سلا في إطار توحيد المغرب، وأكرم مثوى العشريين وجعل منصب القضاء في سلا وقفاً عليهم يتوارثونه، وأسند إلى بعضهم القضاء خارج سلا. وكان القضاة ـ كما هو معلوم ـ في قمة هرم السلطة والجاه والثروة على عهد المرابطين.وعرفت الحياة المادية والفكرية في مدينة سلا تطورات أساسية خلال القرنين الهجريين السادس والسابع (12 . 13 م) واندمجت المدينة أكثر في محيطها القريب والبعيد، فبعد فترة قصيرة من النفور ومقاومة الدولة الناشئة تمنعت فيها سلا على الموحدين وثار ضدهم محمد ابن هود الماسي السلاوي، انتهى الخلاف بهدم أسوار المدينة، واتخذ الخليفة عبد المومن من سلا دار مقام له بعد مراكش يقيم في

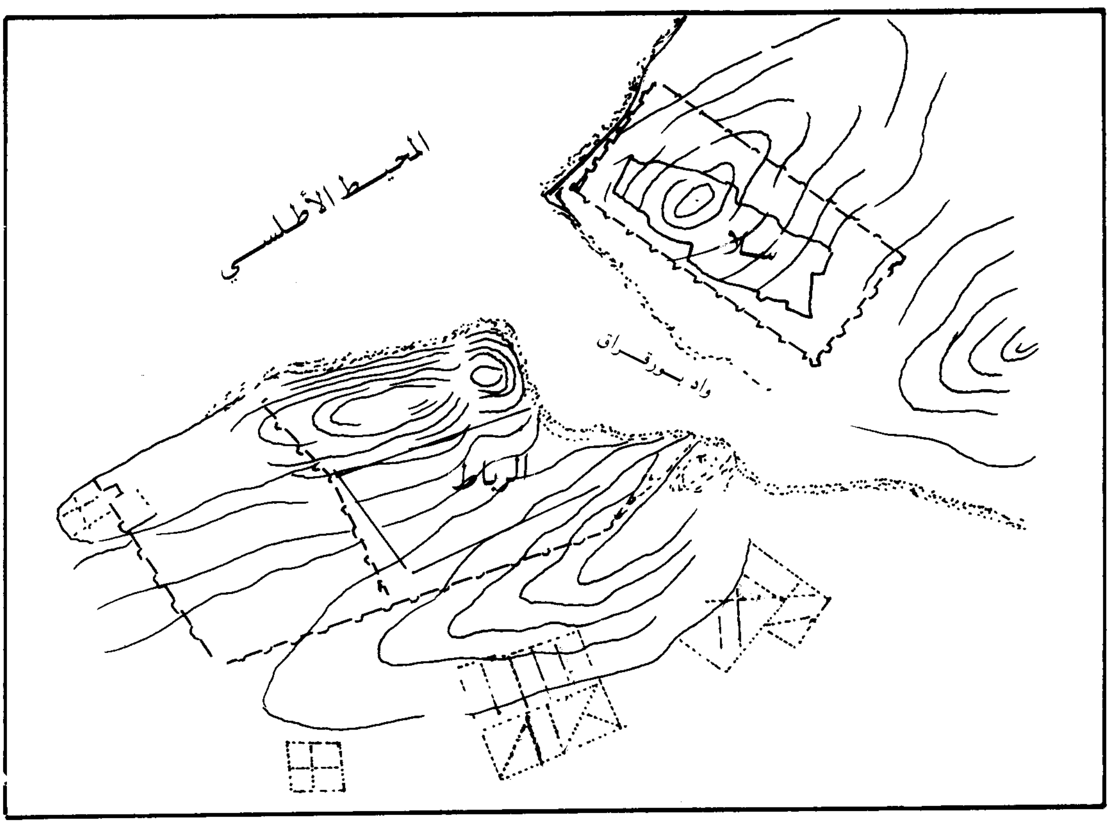

قصر بني عشرة الأسابيع والشهور لاستقبال وفود الأندلس والإشراف على أطراف دولته الشمالية والشرقية، وتجييش الجيوش وتعبئة الأساطيل لتمهيد أقطار المغارب. ومات عبد المومن في سلا سنة 558 / 1163 بعد أن اجتمع له فيها 480.000 فارس وراجل انتشروا في الضفة الجنوبية للنهر - وكانت الرباط لم تبن بعد - إلى عين غبول، وفي ضواحي مدينة سلا إلى حلق المعمورة، كان يريد العبور بهم إلى الأندلس لوضع حد للزحف المسيحي.

هذا الاهتمام وهذه الحركة الغير العادية التي عرفتها مدينة سلا مع طلائع الموحدين كان لهما انعكاس إيجابي على الحياة العامة بالمدينة، واقتصادياتها واتصالاتها بالخارج، وعن ذلك يحدثنا الجغرافي الشريف الإدريسي السبتي في *نزهة المشتاق*، وهو معاصر للأحداث قائلا : "وسلا الحديثة على ضفة البحر الملح منيعة من جانب البحر لا يقدر أحد من أهل المراكب على الوصول إليها من جهته، وهي مدينة حسنة حصينة في أرض رمل، ولها أسواق نافقة وتجارات، ودخل وخرج، وتصرف لأهلها، وسعة أموال، ونمو أحوال، والطعام بها كثير رخيص جداً، وبها كروم وغلات وبساتين وحدائق ومزارع، ومراكب أهل إشبيلية يقصدونها بالزيت الكثير وهو بضاعتهم، ويتجهزون منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية... وفي هذا الوادي أنواع من السمك وضروب من الحيتان، والحوت بها لا يكاد يباع ولا يشترى لكثرته وجودته، وكل شيء من المأكولات في مدينة سلا موجود بأيسر القيمة وأهون الثمن".

وكان ليعقوب المنصور ثالث الخلفاء الموحدين نفس التجاوب والتعاطف مع مدينة سلا، ففيها بويع بعد رجوعه من الأندلس، وشيد جامعها الأعظم على أنقاض جامع بني عشرة إثر انتصاره في معركة الأرك سنة 593 / 1196. كان يعمل في بناء هذا الجامع ونقل حجارته سبعمائة أسير من أسارى الإفرنج في قيودهم، وبنى في الجهة الجوفية من الجامع مدرسة عظيمة تعد من أوليات المدارس العلمية بالمغرب. واهتم بمنطقة سلا على العموم، فأسس في نفس الفترة على الضفة الجنوبية مدينة رباط الفتح، وأعمر قبل ذلك سهول تامسنا وأزغار الغرب بقبائل الأعراب الهلالية التي أتى بها من تونس.

كان ذلك كله بردا وسلاما على مدينة سلا الحديثة، التي اتسع عمرانها وازدادت ساكنتها بمن دخلها من طارئين حضريين وبدويين، وأصبحت أم مدن المنطقة ينسب إليها الرباط (رباط سلا) والقصبة (قصبة سلا) وشالة (شالة سلا) وتسمى مجتمعة "مدن سلا" سواء في كتب التاريخ والوثائق الإسلامية والأوربية إلى القرن الثاني عشر الهجري (18 م).

وإذا نظرنا إلى حالة مدينة سلا في العهد المريني، وهو يمتد على نحو ثلاثة قرون (من منتصف القرن السابع إلى منتصف العاشر (13 - 16 م) فإننا نجدها في تطور مستمر بالرغم على الأزمات والكوارث السياسية والطبيعية التي أصابتها، ونلاحظ بروز ظاهرتين حضاريتين أصبحتا منذ هذا التاريخ تطبعان المدينة ولا تنفكان عنها :

أولاهما ظاهرة أخلاقية تتمثل في انتشار الزهد والصلاح، وذلك تطور طبيعي للحركة الصوفية النشيطة التي عرفتها المدينة خلال القرن السادس (12 م). واشتهرت داخل المغرب وخارجه كمكان مفضل للخلوة والعبادة والنسك، وانتقل إليها عدد من الشيوخ العارفين والمريدين السالكين، وعلى رأسهم العالم الصالح قمة الزهد والورع سيدي بنعاشر : أحمد بن محمد ابن عاشر الشميني الأندلسي.

يتعذر الحديث عن تطور التصوف في هذه الفترة بمدينة سلا من خلال تراجم رجاله، لذلك نحيل من يتشوف للتعرف على مصدرين أساسيين معاصرين، جاء مؤلفاهما إلى سلا في إطار السياحة الصوفية وتحدثا عن صلحائها وزواياها وأضرحتها، أولهما محمد بن أبي بكر الحضرمي (ت. 787 / 1385) من سبتة مؤلف *السلسل العذب والمنهل الأحلى*، نشرته في السنوات الأخيرة الخزانة العلمية الصبيحية. والثاني أحمد الخطيب ابن قنفذ (ت. 810 / 1407) من قسنطينة مؤلف *أنس الفقير وعز الحقير* نشره المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط سنة 1965. ولا يمكن إغفال مؤلف معاصر آخر عاش متزهداً متصوفا في سلا بعد أن ترك الرآسة والوزارة، هو لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي الذي لا يكاد يخلو مؤلف من مؤلفاته، وهي تربو على الخمسين، من حديث عن سلا وصلحائها ومعالمها الحضارية.

الظاهرة الحضارية الثانية بسلا في هذا العصر تتمثل في تقدم الصناعات والمعارف بفضل المؤسسات التي أقامها ملوك بني مرين بهذه المدينة. كدار الصناعة من عمل يعقوب ابن عبد الحق، ومدرسة الطالعة من إنشاء أبي الحسن، والمدرسة الطبية أو المارستان من عمل أبي عنان. وأرى أن لعناية هؤلاء الملوك بسلا علاقة بظاهرة التصوف الأولى، إذ كان لهم اعتقاد في أولئك الصالحين، ومطارحات أبي عنان مع الشيخ ابن عاشر معروفة في كتب التاريخ والمناقب.

أسست دار الصناعة سنة 659 / 1261 لبناء السفن الجهادية والتجارية على المستوى الوطني، وأصبح الصناع السلويون (البلالطية) يبنون سفنا شراعية ضخمة لا نتوفر على أعدادها، ولكن الإشارات التاريخية تدل على أن السفن التي خرجت من باب المريسة أمكنها منذ العقود الأولى أن تعيد التوازن إلى الأسطول المغربي. فقد تمكن المؤسس يعقوب ابن عبد الحق المريني من الجواز إلى الأندلس أربع مرات صحبة جيشه الجرار لإنجاد المسلمين وإيقاف الممالك النصرانية عند حدها. وهاجمت أساطيل أبي الحسن المريني سفن المسيحيين في بحر الزقاق وحطمتها، وفي سنة 740 / 1340 جاز أبو الحسن المريني من سبتة إلى الأندلس، ومعه ستون ألفا من الجند "فانتظمت الأساطيل سلسلة واحدة من العدوة إلى العدوة... ولما تكاملت العساكر بالعبور أجاز هو في أسطوله مع خاصته وحشمه". ونزل بساحة طريف ولو أن الله محص المسلمين في هذه المعركة. وبعد ثمان سنوات رحل أبو الحسن إلى تونس برا لتفقدها وتمهيدها، ورجع منها بحرا في ستمائة سفينة.

وبنيت المدرسة المرينية بالطالعة سنة 742 / 1314 من طابقين، طابق أرضي به صحن جميل مفروش بالزليج الرفيع تحيط به أروقة مفتوحة، وتتصدره من جهة القبلة قاعدة للصلاة والدراسة. وطابق علوي به بيوت لسكنى الطلبة، وأكثر من كان يقيم بها الطلبة الأفاقيون الذين يشدون إليها الرحال من البوادي وحتى من الحواضر.

وقد ذكر ابن علي الدكالي في *التقييد* الذي خصصه لتاريخ هذه المدرسة بأن عدد أساتذتها وطلبتها كان كثيراً جداً بسبب وفرة الأحباس التي أوقفها عليها أبو الحسن المريني بسلا والرباط فكانت الأموال التي تتجمع من مستفادها توزع بسخاء على المدرسين والمتعلمين، وأفاد ابن الخطيب في كتابه *مثلى الطريقة* أن أهل سلا في عصره (منتصف القرن الثامن (14 م) "كانت لهم مشاركة كبرى في سائر العلوم واختصاص ببعضها التي لا يتعاطاها سواهم إذ ذاك". والدليل على هذا الاختصاص أن أعيان علماء فاس وغيرها كانوا يرحلون إلى سلا لأخذ الطب والتصوف عن أساتذتها وشيوخها.

أما المدرسة البوعنانية أو المارستان بحومة باب حساين فهي مدرسة متخصصة في الطب والصيدلة أسست سنة 757/ 1356 على غير نمط المدارس الأخرى، تحيط بفنائها الواسع بيوت أرضية وعلوية، بعضها لتعليم الطلبة وتحضير الأدوية المفردة والمركبة، وبعضها لإيواء المرضى الذين يقيمون بها في سعة من العيش ويتلقون العلاج إلى أن يتم برؤهم. ومن أشهر أطباء هذا المارستان الطبيب عمر ابن غياث السلاوي المعروف في لسان العامة بسيدي مغيث، والطبيب أبو الفضل العجلاني السلوي، وكلاهما له تآليف في الطب والتشريح والعلاج. ومن المتخرجين على يد غياث الطبيب محمد القوري المكناسي ثم الفاسي.

وفي العصر الحديث، عصر الشرفاء السعديين والعلويين (القرون الخمسة الأخيرة) وهو عصر التفتح على الخارج والتعامل مع أوربا الجارة وبلاد السودان وراء الصحراء، وما نشأ عن ذلك من عطاءات ومبادرات، ومصاعب وأزمات، فنجد سلا تتفاعل مع الأحداث بحذر وأناة، وتقوم بدورها كاملا كمدينة عريقة أصيلة. وسنجتزئ من تاريخها الحضاري الحافل في هذا العهد بإشارات خاطفة.

استوطنت مدينة سلا في هذه الفترة جالية أندلسية مستعجمة بعد قرار الطرد النهائي، وأتت معها باللغة الإسبانية فأصبح السلاويون يتكلمونها في البيوت والأسواق، إلى جانب العربية، حسبما جاء في *رحلة* الأسير الفرنسي مويط، وطوَّر هؤلاء المهاجرون وسائل الري في الحقول والبساتين، وأدخلوا شجر التوت وتربية دود القز، فقامت صناعة الحرير في سلا إلى جانب صناعاتها القديمة في القطن والكتان والصوف.

وقامت إمارة المجاهد العياشي السلاوي أثناء الفترة العصيبة بين نهاية دولة السعديين وبداية دولة العلويين، فشملت منطقة نفوذه مدينة فاس ومكناس وتطوان وسائر شمال المغرب من وادي أم الربيع إلى الثغور المحتلة في الشمال، فأسهم بنصيب وافر في إيقاف الزحف المسيحي، وضيق الخناق على محتلي مازاغان (الجديدة) والمهدية والعرائش وطنجة وحقق عليهم انتصارات عديدة، وأشرف في نفس الوقت على تكوين وتسيير أسطول الجهاد البحري الذي يسميه الأوربيون أسطول "قراصنة سلا"، وتطور الجهاد البحري بعد العياشي فأصبح تحت إمرة الدلائيين يُسيره ديوان ثلاثي منتخب من أعيان سلا والرباط والقصبة، إلى أن انتزع السلطة منهم المولى الرشيد بن الشريف العلوي بعد أن وحد المغرب تحت سلطته.

وفي الأخير نشير إلى بعض الأعمال الثقافية الاصلاحية التي اضطلع بها رواد الفكر والوطنية في سلا في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن لنصح المخزن ومساعدته على مواجهة الضغوط الخارجية والأطماع الأوربية، أمثال قاضي القضاة عبد الله ابن خضراء مستشار الدولة وأمين مصاريفها، والقائد عبد الله بنسعيد نائب المندوب السلطاني بطنجة، وعلي زنيبر صاحب مشروع الدستور الذي اقترح حلولا ملائمة للمشاكل التي كان المغرب يتخبط فيها.

كما نشير إلى سبق سلا وريادتها في ميدان الصحافة والنشر، فقد صدر فيها خلال الثلاثينيات جريدة *المغرب*، أول جريدة يومية حرة بالمغرب، ودورية ثقافية ملحقة بها "الثقافة المغربية" لسعيد حجي، وجريدتان أسبوعيتان : *الوداد* لمحمد اشماعو، *والتقدم* لمحمد بن حساين النجار. وفي "مطبعة المغرب" التي أسسها سعيد حجي في الثلاثينيات كذلك بحي سيدي التركي نُشرت كتب في تاريخ المغرب وحضارته، واللغة العربية وآدابها، مثل *المعجب في تلخيص أخبار المغرب* لعبد الواحد المراكشي بتحقيق الأستاذ محمد الفاسي، وشرح *بحرق الكبير على لامية الأفعال* بتحقيق عبد الرحمان حجي، وأجزاء من سلسلة *البدائع* الأدبية.

وأهم ما يستلفت النظر في سلا بعد الاستقلال، اتساع الأحياء خارج المدينة بحيث أصبحت سلا داخل الأسوار لا تمثل إلا جزءاً بسيطاً من سلا الكبرى، وآخر ما أحدث فيها "سلا الجديدة" في وطا حصين وهي مدينة واسعة بجميع المرافق الضرورية، وتضخمت الساكنة بأفواج المهاجرين من المدن والقرى وحتى الموظفين العاملين بالإدارات العمومية بالرباط.


ابن عبد الحكم، *فتوح مصر والمغرب والأندلس*، القاهرة، 1914 ؛ ابن حوقل، *المسالك والممالك*، ليدن، 1873 ؛ البكري، *المسالك والممالك*، تح. أدريان وآخر، بيروت، 1992 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ط. إيطاليا، د. ت ؛ م. الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1975 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب*، تح. م. الفاسي، سلا، 1938 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، بيروت، 1985، ج 3 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1956، أجزاء، 4 و6 و7 ؛ ل. ابن الخطيب، *مثلى الطريقة*، الرباط، 1973 ؛ *أعمال الأعلام*، الدار البيضاء، 1964 ؛ *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار*،

الأسكندرية، 1958 ؛ أ. الحضرمي، *السلسل العذب والمنهل الأحلى*، سلا، 1988 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير وعز الحقير*، تح. م. الفاسي، وأ. فور، الرباط، 1965 ؛ مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، تح. سعد زغلول ع. الحميد، الدار البيضاء، 1985 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، ط 2، بيروت، 1983 ؛ م. كربخال، *إفريقيا*، تر. م. حجي وآخرين، الرباط، 1989 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، تح. سعيد أعراب، المحمدية، د. ت ؛ أ. ابن عاشر الحافي، *فهرس*، مخطوط ؛ *تحفة الزائر بمناقب الحاج أحمد بن عاشر*، تح. م. بوشعراء، سلا، 1988 ؛ *كناشة*، مخطوط ؛ مويط، *رحلة الأسير مويط*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1990 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ م. ابن علي الدكالي، *تقييد في تاريخ مدرسة الطالعة بسلا*، مخطوط ؛ *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996 ؛ *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط ؛ *كناشة*، مخطوط ؛ ج. الناصري، ابن الخطيب بسلا، سلا، 1988 ؛ *سلا ورباط الفتح وأسطولهما الجهادي*، مخطوط ؛ *قضاة سلا*، مخطوط؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1988 ؛ م. بن شريفة، أسرة *بني عشرة*، مجلة تطوان، 1965 ؛ ج. كوستي وق. عشاش، *بيوتات مدينة سلا*، تح. نجاة المريني، سلا، 1989 ؛ ع. اللطيف الشاذلي، *الحركة العياشية*، الدار البيضاء، 1982 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق*، سلا، 1989 ؛ مصطفى بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا قبيلة بني حسن*، الدار البيضاء، 1996.

Association Bou Regreg, *La réhabilitation des cités anciennes*, actes du colloque international - Salé les 6 - 7 - 8 octobre 1988, Casa, 1990 ; K. L. Brown, *An Urban of Moroccan History, Salé 1000 - 1800, H.T.*, vol. XII, 1971 ; *Poeple of Salé. Tradition and charge in a Moroccan city, 1830 - 1930*, Manchester U.P. 1976 ; L. Brunot, *La mer dans les traditions indigènes à Rabat et Salé* ; P. Carcopino, *Le Maroc Antique*, Paris, 1943 ; P. Champion, *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1927 ; Dr. Chastel, *Rabat - Salé, vingt siècle de l'oued Bou Regreg* ; R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé*, Paris, 1948 ; Collectif, *Salé cité millénaire*, Salé, 1997 ; Collectif, sous la direction de Marcello Balbo, Daniel Pini, *Médina di Salé*, Milano, 1993 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1830 - 1894*, Paris, 1961 ; H. Terrasse, *Les portes de l'Arsenal de Salé*, *Hesp.*, 4ème trim., 1922.

محمد حجي

**سَلاَبُــوس** Salabos ثائر أمازيغي أيام الرومان. يعدّ ديون كاسيوس المؤرخ الروماني الوحيد الذي تحدث عن سلابوس عبر فقرة يتيمة. فكان هذا الأخير ثالث ثائر أمازيغي ينال الاهتمام في المصادر الرومانية بعد يوغورطة Jugurtha الذي أفرد له سالستيوس Sallustius كتاباً كاملا وتاكفاريناس Tacfarinas الذي تحدث عنه وعن ثورته المؤرخ تاكيتوس عبر بعض صفحات الكتب الثاني والثالث والرابع من حولياته.

وهكذا أهمل ديون كاسيوس شخصية سلابوس وظروف وملابسات ثورته، ولم يسلط الضوء إلا على فترة جد وجيزة من حياة هذا الثائر وهو في حالة حرب ضد الرومان.

هذا وإذا ما تساءلنا عن بلينيوس الشيخ وعن شهادته، فحري بنا أن نذكر أنه مؤرخ لاتيني الأصل (23 ـ 79 م)، معاصر لأحداث ثورة سلابوس، وأنه هو صاحب المؤلف المشهور "التاريخ الطبيعي (Naturalia Historia) الذي جعله في سبعة وثلاثين جزءاً، وصلت إلينا كاملة. وأنه أفرد الجزء الخامس من مؤلفه هذا للحديث عن إفريقيا الشمالية طبيعيا وبشريا وضمنه بعض المعلومات التاريخية.

إلا أن شهادته التي أوردها عن حملة سويطونيوس بولينوس إلى ما وراء الأطلس، وإن كانت ذات أهمية، فهي لا تشبع فضول الباحث ولا تشفي غليل تساؤلاته. وذلك لسبب واضح للغاية هو أن هذا "الجغرافي" الذي لم يكن شاهد عيان ـ لم يأخذ من تقارير سويطونيوس بولينوس عن حملته إلا ما يخدم غايته من مؤلفه وهو يدون أوصافه للمنطقة بكل اقتضاب. فجاءت إشارته عن ثورات شرق المغرب آنذاك إشارة هزيلة أهملت كل شيء عن الأهالي الثوار وعن زعامتهم وعن ظروف وملابسات ثورتهم وما ارتبط بها من الأسباب والحوافز والنتائج.

أما الباحثون المحدثون فقد تجاهلوا سلابوس ونشاطه، فاكتفى بعضهم ـ وهم قلة قليلة ـ بالإشارة إلى ثورته وبذكر اسمه، ولم يتعد البعض الإشارة الخفيفة إلى القائدين الرومانيين. وانفرد الباحث دولاشابيل (De la Chapelle) بمقالة عن "حملة سويطونيوس بولينوس"، محورها في إطار يدرس بالدرجة الأولى إشكالية الربط البري بين الموريطانيتين الطنجية والقيصرية. هذا الربط الذي لم يكن في نظره إلا في الحالات الاستثنائية، مؤكداً أن حملة هذا القائد كانت أساسا ضد رعاة رحالة صحراويين كانوا يقضون فصل الشتاء في الصحراء، ويتبعون في الصيف مياه نهر ملوية أو الهضاب المجاورة له قاصدين سهول ملوية السفلى وما جاورها في الشمال، فيهددون بحركتهم تلك كل ربط وتواصل آمن بين الموريطانيتين. هؤلاء الرعاة الرحالة الذين لم يتورع دولاشابيل عن نعتهم بالنهاب والسراق، مرجحا أن يكون سويطونيوس بولينوس قد انطلق من غرب موريطانيا القيصرية ليشن ضدهم غاراته، سالكا طريقه عبر تلمسان دبدو، وتندرارة وسهل تاملالت، وعين الشعير عند سفح الأطلس، على امتداد ثلاث مائة كيلومتر بمعدل ثلاثين كيلومترا في اليوم، وتعدى الأطلس بعد ذلك إلى وادي كير بضواحي بوعنان وربما دخل تافيلالت نفسها.

وبناء على ما سبق، فإن الأسئلة الملحة التي تفرض نفسها هي : من يكون هؤلاء الأهالي الثوار الذين نعتهم دولاشابيل بالنهاب والسراق ؟ ومن يكون زعيمهم سلابوس؟ وما هي ظروف وملابسات ثورتهم ؟

مما لاشك فيه أن محاولة التعريف بالموريين الذين حاربهم القائدان الرومانيان سويطونيوس بولينوس وهوزيديوس جيتا أمر صعب جدا، ما دامت النصوص التاريخية التي أوردها بلينيوس وديوس كاسيوس لا تذكر هؤلاء الأقوام بصريح العبارة.

إلا أن الاقتناع برأي دولاشابيل بخصوص انطلاق حملات القائدين الرومانيين من غرب المغرب الأوسط واتجاههما نحو تافيلالت عبر النجود العليا والأطلس، اقتناع يساعد على تحديد المجال الحيوي لهؤلاء الأقوام على الأقل،

ويمهد انطلاقا من هذا المجال لكشف هوية أولئك الذين كانوا يستغلونه خلال القرن الأول للميلاد.

ولما كان نص بلينيوس يذكر بصريح العبارة الأطلس ونهرا باسم كير Ger، فإن الأقرب إلى الصواب هو أن تنطلق التحريات من هذه المعالم الجغرافية في شكل ثلاث ملاحظات:

أولها : أن القائد سويطونيوس بولينوس قد تجاوز الأطلس ووصل إلى نهر يدعى كير Ger، رأى فيه الباحثون النهر المعروف بنفس هذا الاسم - إلى يومنا هذا - إلى الشرق من تافيلالت ؛ منطلقين من أن هذه التسمية في حد ذاتها جذر أمازيغي يعني واداً أو نهراً.

ثانيها : أن الأوصاف التي أوردها بلينيوس عن المنطقة التي عبرها هذا القائد في ظرف عشرة أيام قبل وصوله إلى الأطلس تنطبق إلى حد كبير على جغرافية النجود العليا الشرقية بما فيها من صحاري ذات رمل أسود تتخللها من مكان لآخر أكمات صخرية سوداء، كأنها محروقة، تعرف اليوم باسم الكارات في المنطقة.

ونستدل على ذلك بأن لفظة بركم أو بركنت - الاسم العتيق لمدينة عين بني مطهر اليوم - تختزل هذه الطبوغرافيا السوداء اللون. ونرجح أن تكون اللفظة بركم / بركنت، مجرد نطق مخفف للفظة تبركنت التي تعني السوداء في بعض اللهجات المحلية. كما نرجح أن تكون تبركنت هذه هي تلك المدينة التي أشار إليها جغرافي رافنا باسم لاتاني مركب بصيغة (Ripae Nigrae) (Ripas Nagras) بمعنى الضفاف السوداء أو المرتفعات السوداء.

ثالثها : أن الأطلس الذي ذكره بلينيوس، وديون كاسيوس كذلك، وانطلاقا من الملاحظتين السالفتين لا يمكن أن يكون إلا شرق الأطلس الكبير الفاصل بين النجود العليا الشرقية شمالا وبين وادي كير وتفيلالت جنوبا.

أما بخصوص احتمال وصول أحد القائدين الرومانيين أو كليهما إلى واحات تافيلالت، فإننا نميل إلى تأييد هذه الأطروحة، خاصة وأننا نجد لحملاتهما صدى عند المؤرخ الرحالة الحسن الوزان Léon L'Africain الذي ينسب تأسيس مدينة سجلماسة إلى "قائد روماني ذهب من موريطانيا ... ثم زحف شطر الغرب حتى ماسة. فبنى المدينة وسماها سجلوم ميسي لأنها كانت آخر مدن دولة ماسة. ولأنها كانت كالخاتم الذي يسجل نهاية فتوحاته، فحرف هذا الاسم بعد ذلك وتحول إلى سجلماسة. بل أكثر من ذلك نجد لهذه الأطروحة صدى كذلك في الروايات الشفوية التي يتناقلها أهل تافيلالت من جيل إلى جيل إلى يومنا هذا، والتي تعود بتأسيس مدينة سجلماسة إلى الفترة الرومانية.

واعتماداً على ما سبق، يتضح جليا أننا مقتنعون بأن القائدين الرومانيين قد انطلقا من غرب المغرب الأوسط وسلكا الطريق من هناك إلى تافيلالت عبر تلمسان، وسبدو، وعين بني مطهر، وتندرارة، وعين الشعير، وبوعنان أو عين الشواطر، فبوذنيب، مخترقين أراضي كان ينتجع فيها أقوام ضمن مجال حيوي أوسع وأشمل. مجال حيوي يمتد ما بين الوهرانية شرقا والأطلس المتوسط غربا، ويبتدئ من البحر الأبيض المتوسط شمالا ليتوغل إلى تخوم الصحراء بواحات وادي كير الأعلى وتافيلالت جنوبا. فمن كان هؤلاء الأقوام أنذاك ؟

كان من اليسير علينا أن نعرف هؤلاء الأقوام بسهولة لو أن الأركيولوجيا مدتنا بالنقائش التي تخلد وصول القائدين إلى تافيلالت، وتأسيس مدينة سجلماسة، أو بتلك التي تضبط ظروف وبنود معاهدة السلم التي اتفق عليها هوزيديوس جيتا مع الزعيم الموري سلابوس. لأننا متيقنون أنه ما كان من عادة الرومان أن ينجزوا أعمالا في مثل مستوى تأسيس مدينة أو تحقيق نصر دون تدوين ذلك على الصخر. ومما يقوي يقيننا في ذلك كون التاريخ احتفظ لنا في فوروم وليلي بنقيشة ماركوس فاليريوس سفروس (Marcus Velerius Severus) التي كانت تزين قاعدة التمثال الذي أقيم تكريما لهذا القائد الروماني واعترافا بجميله وحسن بلائه في القضاء على ثورة إيدمون (Aedemon) المعاصرة لثورة سلابوس.

وهي نقيشة غير مؤرخة تحكي حدث مساهمة سكان هذه المدينة بكافة شرائحهم في إقامة تمثال تذكاري لكايوس فولكينيوس أوبتاتوس (Caïus Fulcinius Optatus) الذي أحبط هجوما بكواطيا على مدينتهم، فاستحق بذلك شرفا لم ينله أحد قبله في هذه المدينة.

وحول تاريخ هذه النقيشة اختلف الباحثون اختلافا كبيراً، فهذا كانيا (Cagnat) رأى بتحفظ شديد أنها دونت حدثا وقع في عهد الإمبراطور سبتيموس سفروس (193 - 211).

وربط توفونو (Thouvenot) تاريخ هذه النقيشة بالإضطرابات التي عرفتها الموريطانيتان في عهد الامبراطورين ماركوس أوريليوس (161 - 180) وكومودوس (176 - 192).

واقترح كاركوبينو (Carcopino) بعدما فند ادعاءات سابقيه أن هذه النقيشة تؤرخ لحدث معين وقع في عهد الإمبراطور هادريانوس (117 - 138) ما بين سنتي 117 و122، حدث انتهى برفع تمثال شرفي لكايوس فولكينيوس أو بتاتوس في كارطناي من جهة، وبإقامة السلم مع هؤلاء البكواط الذين أطلق هادريانوس أيديهم في أراضي الأوطولول - الذين كانوا يستغلون المجال المحصور بين نهر سلا وجبل الأطلس - ضاربا بذلك عصفورين في آن واحد من جهة ثانية.

وإذا كانت نقيشة كارطناي تفهمنا أن حاكم هذه المدينة كايوس فولكينيوس أو بتاتوس قد حارب البكواطيين، وردهم على أعقابهم وحال دون دخولهم مدينته، فإن كل القرائن السالفة ترجح بطريقة تلقائية أن انطلاق حملات سويطونيوس بولينوس وهوزيديوس جيتا ضد الثوار الموريين

كان من هذه المدينة بالذات.

كما تدل هذه القرائن على أن هذين القائدين حاربا حلفا موريا كان برأسه الزعيم سلابوس ويضم الباكواطيين والمكنيسيين على الأقل. ولعله كان أول حلف معروف بين الطرفين، اقتضته ظروف الثورة ومواجهة الاستعمار الروماني. هذا الحلف الذي تلته عدة أحلاف أخرى في ما بعد نجد لها صدى واضحا في بعض النقائش التي احتفظت بها مدينة وليلي والمؤرخة بسنوات 173 / 175.

أما عن قيادة الثورة فنعتقد أن كل من وقف عند النصوص التي أوردها بلينيوس الشيخ وديون كاسيوس حول ثورة سلابوس في شرق المغرب قد لاحظ ما تميزت به تلك النصوص من البخل بخصوص المعلومات التي من شأنها أن تسلط بعض الضوء على زعامة هذه الثورة.

إلا أن كل القرائن التاريخية التي تجعل من سلابوس زعيم حلف باكواطي مكنيسي، وكل المعارك التي خاضها قادة رومان كبار ضد هذا الحلف (سويطونيوس بولينوس وهوزيديوس جيتا)، ومعاهدة السلم الموقعة بين الطرفين الموري والروماني في حدود سنة 43، إن كل ذلك كفيل وحده أن يقنع المتتبع لهذه الأحداث أن قيادة هذه الثورة كانت على غرار قيادات معظم الثورات المورية في يد أمينة قوية مؤمنة بقضيتها المصيرية لا نرجح إلا أن يكون صاحبها سلابوس على علاقات وثيقة مع أنصاره، علاقات تطبعها الثقة المتبادلة بينهم، وأن يكون في حد ذاته متميزا بأخلاق عالية أو أن يكون سليل أسرة ذات سمعة طيبة في بيئتها المحلية والجهوية، وأن يكون رجلا شهما ذكيا شجاعا على غرار شهامة وذكاء وشجاعة كافة قادة المقاومة ورجال المقاومة في كافة عصور تاريخ المغرب.

هذا ومما لاشك فيه أن روما عقب اغتيال الملك بطليموس سنة 40 نهجت كعادتها في مثل هذه الظروف سياسة هجومية عدوانية على أراضي المملكة الموريطانية الشاسعة بهدف ضمها نهائيا ورسميا إلى ممتلكاتها في إفريقيا الشمالية آنذاك.

ومما لاشك فيه أيضاً أن روما - باعتبارها قوة استعمارية - قد نهجت في سبيل تحقيق أهدافها التوسعية في المنطقة كل الوسائل والأساليب الاستعمارية المعروفة، السياسية منها والحربية على حد سواء.

ومما لاشك فيه أيضاً أن الأهالي الموريين قد تصدوا لهذه الهجمة الاستعمارية الرومانية بكل ما أوتوا من قوة وإيمان مدافعين عن كرامتهم وأرضهم طمعا في المحافظة على استقلالهم. فانطلقت إذاك - سنة 40 - ثورة إيدمون في شمال ما سيعرف فيما بعد بموريطانيا الطنجية، وكان هجوم الباكواط انطلاقا من النجود العليا على مدينة كارطناي إيذانا بإشعال فتيل الثورة في عموم شرق المغرب إلى تخوم الصحراء بزعامة سلابوس.

إلا أن المكر الاستعماري الروماني كان أقوى من استعداد المقاومة المورية للمواجهة آنذاك إذ عملت روما على عادتها في سبيل تنفيذ سياستها الاستعمارية على إثارة أطماع رؤساء بعض القبائل وعملت على ربطهم بمصالحها بواسطة الأماني والوعود أو بواسطة بذل الأموال لهم بسخاء. فاشترت بذلك ذممهم وولاءهم. بل أكثر من ذلك رفعت روما بعض هؤلاء الرؤساء درجات وجعلت منهم أمراء وملوكا وخلعت عليهم أردية الإمارة والملوكية، وأتحفتهم بالهدايا : صولجان فضة مذهب، وتاج فضي مزين بأحجار كريمة، ومعطف أبيض وقميص أبيض وأحذية مطرزة بخيوط مذهبة.

وبفضل هذه الإغراءات ضمنت روما لنفسها حلفاء موريين - فوق التراب الموريطاني - متواطئين معها كما أشار إليهم ديون كاسيوس بصريح العبارة وهم يرشدون طريق القائد هوزيديوس جيتا ويعززون صفوف جنده ويزحفون معه ضد سلابوس وثواره.

وقد كان هذا التواطؤ من مثبطات المقاومة المورية في المنطقة، مما اضطر الزعيم سلابوس إلى الإنسحاب إلى الصحراء بعد انهزامه في معارك نظامية كلاسيكية وجها لوجه مع القادة الرومان، ومما اضطره كذلك إلى التخاطب في السلام مع روما.

هذا وإذا كانت المصادر المتوفرة حول ثورة سلابوس تنهي حديثها عن ثورات شرق المغرب بعقد معاهدة سلام مع روما سنة 43 فإن كل القرائن التاريخية توحي بأن تلك الحملات العسكرية المتوالية التي جهزتها روما ما بين سنتي 40 و43 على النجود العليا إلى تخوم الصحراء قد كلفت الرومان عدة تضحيات بشرية ومؤونة حربية باهظة الثمن عجزت خزينتهم على تغطية مثيلات لها فيما بعد من جهة. كما توحي نفس القرائن، من جهة ثانية، بأن الرومان - الذين عجزوا عن بسط نفوذهم في هذه المنطقة - قد فهموا جيدا أن المغامرة هناك تعب كبير ونفع قليل.

هذا ويستشف من تاريخ الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية بصفة عامة أن المنطقة - الممتدة ما بين مدينة نوميروس سيروروم (مغنية) (Numerus Syrorum) شرقا ومدينة وليلي (Volubilis) غربا وعلى امتداد عمقها من البحر المتوسط شمالا إلى ما وراء تافيلالت إلى تخوم الصحراء جنوبا - أن هذه المنطقة قد بقيت على طول هذا التاريخ منطقة خارج النفوذ الروماني، مما يدل قطعا على قوة واستمرارية صمود أهلها في وجه هذا الاستعمار. بل أكثر من ذلك يفهم من سياق تاريخ إفريقيا الشمالية في العهدين الوندالي المتأخر والبيزنطي أن هذه المنطقة بالذات قد ظلت دوما خارج مناطق نفوذ الوندال والبيزنطيين وأنها حافظت على استقلالها إلى أن دخلها العرب المسلمون الفاتحون في منتصف القرن السابع الميلادي.

وختاما، تكمن أهمية ثورة سلابوس في كونها كانت خلال منتصف القرن الأول للميلاد مقاومة معرقلة للوجود الروماني في إفريقيا الشمالية عامة وضد الأهداف التوسعية الرومانية في شرق المغرب خاصة، لكونها كانت سباقة إلى

إعلان الثورة العارمة ضد الاستعمار الروماني في ممتلكات المملكة الموريطانية سابقا، إن لم تكن هذه المقاومة في حد ذاتها من الأسباب العميقة التي كانت من وراء تقسيم هذه المملكة وتنظيم أراضيها في ولايتين متميزتين : موريطانيا القيصرية وموريطانيا الطنجية.

م. سعود التازي، حرب يوغورطة والمؤرخ اللاتاني سالوست، 1981 ؛ م. اللبار، دور المغرب الشرقي في عرقلة الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية، مجلة جمعية تاريخ المغرب، وجدة، العدد الأول، سلسلة جديدة، يونيو، ص. 11 ـ 24، 1993 ؛ م. اللبار، الربط البري بين الموريطانيتين الطنجية والقيصرية، مجلة كلية الآداب الرباط، العدد 19، ص. 123 ـ 137، 1994 ؛ م. اللبار، حول مقاومة شرق المغرب للأهداف التوسعية الرومانية خلال منتصف القرن الأول للميلاد، ضمن وقفات في تاريخ المغرب، دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، سلسلة بحوث وداسات رقم 27، الرباط، 2001، ص. 275 ـ 303 ؛ ح. الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. لخضر، ج. 2، الرباط، 1982.

Albertini [et al.], *L'Afrique du Nord Française dans l'histoire*, Paris, 1955 ; M. D'. Avezac, *Histoire et description de l'Afrique*, Paris, 1844 ; Marcel Benabou, *La résistance africaine à la romanisation*, Paris, 1976 ; Idem, *Tacfarinas, insurgé berbère contre la colonisation*, in *les Africains*, VII, Paris, 1990 ; R. Cagnat, *La réorganisation de l'Afrique sous Dioclétien*, *Mélanges Louis Havet*, Paris, 1909, pp. 65 - 75 ; *L'armée romaine d'Afrique*, Paris, 1912 ; Gabriel Camps, *Les Bavares peuple de la Mauritanie césarienne*, R. A.., T. XCIX, 1955, pp. 241 - 288 ; J. Carcopino, *Le Maroc Antique*, Paris, 1948 ; F. De la Chapelle, *L'expédition de Suetonius Paulinus dans le sud-est du Maroc*, *Hesp.*, T. XIX, pp. 107 - 124 ; Jehan Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; Idem, *Permanence d'une structure indigène en marge de l'administration romaine : la Numidie traditionnelle*, Ant. Afr., T. XV, 1980, p. 77 - 89.

محمد اللبار

**السلاح النارّي بالمغرب**، تفيد كثير من الدراسات القديمة والحديثة أنّ السلاح الناري بالمغرب قد ظهر في وقت مبكر نسبيا، وبالخصوص آلات الحصار والدّفاع، حيث استعمله جيش السلطان المريني يعقوب المنصور، أثناء عمليات اقتحام مدينة سجلماسة في شهر رجب من سنة 672، الموافق لشهري بناير وبيراير 1274، لنزعها من يد يغمراسن ابن زيان، زعيم أسرة بني عبد الواد وقتئذ، بالإضافة إلى ما كان يُستعمل عادة من آلات الحصار والدفاع التقليدية كمدافع الحجارة، وقوس الزيار، والعرادات، والأنفاض، والمجانيق.

بيد أن انتشار وتنوع استعمال السلاح الناري، من أنفاض، وبُوزات، ومهاريس، وبنادق قصيرة (Mousquetons)، إلى غيرها من أفواه النار، لم يتم على نطاق واسع في صفوف الجيش المغربي ومن كان ينضم إليه من حراك ومتطوعة القبائل، إلا على عهد السعديين، وبالخصوص أيام السلطانين عبد المالك السعدي وأخيه وخلفه أحمد المنصور الذهبي.

على أنه، ولأسباب متعددة ومختلفة، منها ما هو راجع إلى الجمود والشلل اللذين أصابا بنى البلاد السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، بعد بارقة وادي المخازن سنة 1578، ومنها ما هو مرتبط بالتطورات والإنجازات المادية والتقنية التي تحققت في المجتمعات في أوربا الغربية على الخصوص منذ هذا التاريخ، بل قبله بعشرات السنين، لم يطرأ أي تحول إيجابي يُذكر على قطاع الأسلحة النارية المستعملة من قبل عناصر الجيش المغربي.

ولذلك كان في مقدمة العيوب والنقائص التي ظل يُعاني منها الجيش المغربي، على امتداد القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، افتقاره إلى سلاح ناري حديث ومُتطور، على غرار ما كانت تتوفر عليه جيوش عدد من دول أوربا الغربية وقتئذ من عتاد حربي متنوع وفتاك، كان يُساعد على إرهاب وإسكات الخصم، واقتحام معسكره ومعاقله، وتشتيت صفوفه وجموعه. فإذن، والحالة هذه، لا عجب أن ينهزم المغاربة، كلما اضطرتهم الظروف وملابسات الوقائع والأحداث إلى خوض غمار معركة كبرى ضدّ جيش من جيوش أوربا الغازية، دفاعاً عن العقيدة، والشرف، والكرامة، وحوزة الوطن.

ومن المعلوم أيضا أن مجهودات الدولة المغربية في مجال تأسيس صناعة حربية وطنية قد مرت بمراحل مختلفة، واصطبغت كل واحدة منها وتأثرت بشخصية، وميولات، وانشغالات العاهل الحاكم، وما يكون قد تخلل فترة حكمه من أحداث ووقائع سياسية وعسكرية على الخصوص. ولمّا استعاد المغرب عافيته وسكينته على عهد السلطان محمد ابن عبدالله بعد سنوات عديدة من الاقتتال والاضطرابات وعدم الاستقرار، مدة حكم والده السلطان عبد الله بن إسماعيل (1142 ـ 1171 / 1729 ـ 1757)، حيث انتشر الهدوء والأمن في ربوع البلاد، ونشطت التجارة البحرية، الأمر الذي ارتأى معه العاهل اقتناء السلاح من الخارج، والسماح للتجار الأوربيين بأداء ديونهم للمخزن في شكل كمّيات من الأسلحة والذخيرة، عوض التفكير في تأسيس صناعة حربية محلية.

وقد حاول تدارك هذا الأمر السلطان عبد الرحمن بن هشام، فشجع صُنع البنادق والبارود في معامل بعض المراسي والمدن الداخلية كتطوان، وطنجة، والعرائش، ومكناس ... بيد أن هذا كله كان يتم في إطار تقليدي وطائفي وبوسائل عتيقة، أي أنّ إنتاج البنادق مثلا كان يتم في إطار تخصصات معينة، حيث كان كلٌّ من "الزنايدية"، وهم الصناع المختصون في صنع صفائح آليات القذف، و "السرايرية" ويختصون في صنع القناة الخشبية التي تُركب في الجعبة، و"الجعايبية"، وكانوا يتولون صُنع الأنبوب الحديدي الذي يملأ بالبارود، يشتغلون في معزل تام بعضهم عن البعض.

وهذا النوع من البنادق هو الذي كان يُدعى "مكحلة بوشفرة"، أو المكحلة العربية التي تزند بالحجر، وهي التي كانت أكثر انتشاراً من غيرها، سواء في التنظيمات

العسكرية المخزنية، أو في صفوف مقاتلي القبائل. وكانت الطلقة النارية تنطلق منها بواسطة شارة يحدثها نوع من الحجر الخاص بالبنادق، يثبتُ في مطرقة صغيرة، يحركها زنبرك (Ressort) متى شاء مستعملها، وذلك بأن يضغط بأصبعه على الزناد. وكان طولها يصل إلى متر وستين سنتمتراً، في حين يبلغ عيّارها حوالي ثلاثة عشر ميليمتراً. وبالإضافة إلى هذه البندقية، كان الجنود المغاربة يستخدمون أنواع أخرى من البنادق، أجنبية الصنع، إنجليزية، وبلجيكية، وفرنسية، وأمريكية وهي :

السلاح الناري

الشكبيطة (Escopette)، وبوحبه، وبوحفرة، وبوشكة، وبوذن، وبوغطاء، والبلجف، والمنبهية، والسطاشية، ومارتيني - هنري (Martini - Henry)، وكومبلان (Comblain)، ووِنشستر (Winchester)، وشاسبو (Chassepot)، ولُبل (Lebel)، وموزر (Mauser)، ورمنگتان (Remington)

ونفهم مما يرد في العديد من الوثائق المخزنية من معطيات وبيانات حول مؤسسة الجيش وشؤونها في القرن التاسع عشر على الخصوص، أن هذه البنادق الحديثة الصنع والتي كانت تُجلب من الخارج لم تكن قط بيد جميع فرق الجيش المغربي وتنظيماته، إذ كان المخزن يفضل تسليحهم بالبنادق المغربية الصنع التي تزند بالحجر أو ذات المكبس، فيصبح سلاح الجميع اليدوي عبارة عن خليط عجيب من البنادق. وتنطبق هذه الملاحظة أيضاً على العتاد الحربي الثقيل، أي المدافع، والمهاريس، إذ كانت جلّ قطعه يعود تاريخ صنعها إلى عدة سنين خلت، وأهديت للسلطان، في مناسبات معينة، من قبل بعض الدول الفرنسية.

وأيا كان الأمر، فإنه من الصعب جداً، إن لم نقل من المستحيل، تقديم أرقام دقيقة عن عدد البنادق، أوبطاريات المدافع المختلفة الحجم والأصل. فضلاً عن باقي المعدات والأدوات الحربية الأخرى، من خرطوش، وبارود... والتي كانت في مخازن العدة، أو بيد الجند، أو أبناء القبائل، وبالخصوص في منطقة الريف، وجبال بني يزناسن وغياثة، وقبائل التخوم الشرقية، وقبائل زعير، وأعراب الرباط، وسوس.

وتسمح الوثائق المخزنية والمصادر العربية، إضافة إلى وثائق وزارة الحرب الفرنسية بفانسين بباريز وكتابات الأوربيين الأخرى عن المغرب وشؤونه، بإبداء بعض الملاحظات والخروج بمجموعة من الخلاصات، نجملها في النقط الآتية :

1) حرص المخزن الدؤوب على فرض مُراقبة شديدة ومتواصلة على مسألة الأسلحة والاختصاص بها وحده، ومحاولة عدم تسربها إلى القبائل. ولهذا مثلا، كانت البنادق والذخيرة لا توزع على الجند إلا ساعة بداية القتال لتسحب منهم بعد انتهاءه مباشرة.

2) يصحب السلطان، أثناء تنقلاته عبر مختلف جهات البلاد، الجزء الأكبر من العتاد الحربي الثقيل المتكون أساساً من مدافع ومهاريس نحاسية وحديدية. فهذا مثلا السلطان محمد بن عبد الله، وهو يتأهب لضرب حصاربرّي على مدينة البريجة (الجديدة فيما بعد)، في غرّة شهر مارس من سنة 1768 بهدف استردادها من قبضة المحتلين البرتغاليين. وهذا السلطان المولى عبدالعزيز بدوره يصحب معه ما لا يقل عن 29 مدفعا، من أنواع وأحجام وعيارات مختلفة، بالإضافة إلى 4 مدافع هون (Mortiers)، و6 مدافع رشاشة من نوع گاردنر (Mitrailleuses Gardner)، خمسة من هذه الأخيرة كانت تستخدم قرطوس من نوع لي مدفورت (Lee Medfort)، وواحدة قرطوس من نوع مارتيني.

3) تتوزع مخازن السلاح والذخيرة أساسا على العواصم الثلاث، فاس، ومكناس، ومراكش، علاوة على ما كان مودعا منها في أهم المدن الساحلية تطوان، وطنجة، والعرائش، وسلا ورباط الفتح، والجديدة وأسفي، والصويرة...

وكان السلطان يعهد لأمناء الصائر وأمناء المراسي بتدبير شؤون هذه المخازن، وضبط كميات وأعداد ما بها من عتاد حربي وذخيرة، وتسجيل الكل في كنّاشة خاصة، وما كانوا يسلمونه من هذه المواد إلى الغير، أو يبعثون به إلى السلطان، حين يؤمرون بذلك. على أن قائد الحامية العسكرية بالمدينة كان يتحمل جانبا من المسؤولية في تدبير شؤون هذه المخازن، كأن يكون بيده مثلا، أو بيد من ينوب عنه، مفتاح ثان لمخزن الذخيرة، زيادة في الاحتياط والحذر. إلا أن ذلك كان لا يمنع من وقوع أحداث مؤلمة، كانت تتسبب في خسائر بشرية ومادية، بسبب وضع هذه المواد المتفجرة رهن إشارة أشخاص غير متمرنين على تداوُلها. أضف إلى هذا سوء تدبير هذه المرافق وتهاون القيمين عليها في القيام بأعمال

الصيانة والتفقد الضرورية كي لا يتعرض ما فيها من آلات، وأدوات، ومواد إلى الضّياع والإتلاف.

4) ما من شك أن المغرب كان في الفترة التي تعنينا هنا يفتقر إلى الأسلحة كما وكيفا، ولا تمكنه قط من الدفاع عن النفس، في حال وقوع اعتداء خارجي على أراضيه، كما شاهدنا ذلك في القرن التاسع عشر على الخصوص. ثم لا بُد من الإشارة هنا إلى أنه بالإضافة إلى فقدان الخبرة في القتال، وانعدام الروح العسكرية، وعتاد حربي جل قطعه عائبة وقديمة، كان لمزوّدي المخزن من التجار الأجانب بالأسلحة، دور هام في إفساد عملية تسليح وتجهيز الجيش المغربي، إذ كان معظمهم لا يترددون في بيعه القديم منها، أو العائب، أو ما كان منها على وشك الإقصاء والتعويض بأحدث منها صُنعا وأحسن إتقانا.

*وثائق خ. ح.* : *محفظات المولى عبد الرحمن بن هشام*، أرقام 19 / 1 38 / 1 15 / 6 24 / 6 24 / 14 7 /9 ؛ *الكنانيش* : ك47 ؛ ك117 ؛ ك347 ؛ ك348 ؛ ك113؛ ك467؛ ك694 ؛ ك429 ؛ ك374 ؛ ك443 ؛ ك763 ؛ مديرية الوثائق الملكية بالرباط، محفظة رقم 1، ملف 11، وثيقة رقم 19274، سنة 1263 / 1847 ؛ خ. ص.، سلسلة 3، حرف - ب - محفظة 23، وثيقة رقم 3331، سنة 1305 / 1887 ؛ سلسلة 3، حرف - ب - محفظة 25، وثيقة 3642، بتاريخ فاتح ربيع الأول 1314/ 10 غشت 1896 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، المطبعة الوطنية، الرباط، 1929 - 1933، ج. 1، ص. 380، ج. 2، ص 115 - 549، ج. 3، ص.365.148 و 366-577، ج. 5، ص 1، 274 ؛ ث. برادة، *الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر*، منشورات، ك. أ. ر، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء، 1997 ؛ م. ابن الخوجة، *رسالة في طريقة تحديث الجيش المغربي*، مخطوط، خ. ع. ر، رقم ؛ 2733؛ م. بن إبراهيم السباعي، *البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عدّ مآثر السلطان مولاي الحسن*، خ. ع. ر، مخ رقم د 1346 ؛ م. المنوني، *ورقات عن حضارة المرينيين*، الدار البيضاء، 1996 ؛ *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، جزآن ؛ م. المهناوي، *السلاح الناري بمغرب السعديين*، د. د. ع، فاس، 1988 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج. 3، ص. 36 ومابعدها، ج. 8، ص. 3 - 72 (القسم الثاني) ج. 9، ص.112.

Archives Ministère Guerre, Vincennes, A.G.V, 3h2, Rapp. sur Organisation de l'Armée marocaine, 7 septembre 1870 ; A.G.V., 3h2, Rapp. Erckmann, n° 7, année 1878 ; A.G.V., 3h3, Rapp. Cap. Martin, mars-avril 1882 ; A.G.V., 3h4, Rapp. Cdt Levallois, 1er mars 1884 ; A.G.V., 3h8, Rapp. n° 17, année 1892 ; A.G.V., Rapp. Schlumberger, année 1894 ; A.G.V., 3h9, Rapp. n° 30, année 1895 ; A.G.V., 3h21, Rapp. Cap. Larras : L'occupation du Maroc, 25 mars 1900 ; Archives Affaires Etrangères, Paris, A.E.P., Corresp. Pol., année 1847 ; A.E.P., Corresp. Pol., vol. 38, année 1872 - 73 ; Cap. Delhomme, Les armes dans le Sous occidental, Arch. Berb., Vol. II, 1917.

مصطفى الشابي

**السلاحف** والسلحفيات (كلمة فارسية معربة) حيوانات من الزواحف تضم نحو 250 نوعا أغلبها برية منتشرة في المناطق الاستوائية والمعتدلة وغير موجودة في المناطق الصحراوية الحارة. للسلاحف البرية أربعة قوائم تمشي عليها بينما تحولت قوائم الأنواع البحرية إلى شبه زعانف تستخدمها في السباحة ولا تستطيع أن تنكمش داخل البيت القرني (الترس) كما تفعل سلاحف الأرض. يرجع بطء السلاحف البرية في تنقلاتها إلى القوائم القصيرة رغم قوتها ومتانتها فهي صالحة لدعم الجسم وحمله عن الأرض أكثر مما هي صالحة للمشي والتنقل. يسمى المفرد منها في المعاجم السلحفاة والسلحفاء للأنثى والغيلم للذكر، والفكرون في الدارج بأقطار المغرب العربي وبالأمازيغية أفكرون وئفكر وثفشر.

تصنف السلاحف علميا إلى الفقاريات من رتبة الزواحف وفصيلة السلحفيات أو السلاحف Cheloniens وتعد من أقدم أنواع الحيوانات الفقارية الموجودة الآن حيث نشأت في العصر الترياسي - حوالي 200 مليون سنة - واستمرت مع تطور بسيط حتى اليوم. تنمو ببطء وتعيش أعمارا مديدة قد تفوق مائة سنة، كما أنها تتحمل الجوع عدة أسابيع. العينان مغطاتان بغشاء ولاجفن لهما، الرقبة طويلة تتثنى وتذهب بالرأس بعيداً عن الجسم في كل اتجاه لتبحث عن الأكل ؛ الفم عديم الأسنان والفكان مدعمان بمنقار قرني ذي حواف حادة لقطع وتمزيق المأكولات. تختلف بنية الأطراف تبعا لمعيشة الأنواع وعاداتها، فهي قصيرة ممتلئة وتنتهي بمخالب قوية عند السلاحف البرية، ومكففة لتستخدم في العوم في حالة سلاحف الأنهار والبحيرات العذبة، وعلى شكل مجاذيف عند الأنواع البحرية. الجسم مغطى جهة الظهر بدرع (Carapace) من الصفائح العظمية وجهة البطن بدرقة سفلية شديدة الصلابة (Plastron) تسمى جوشنا، ملتحمة بالعظم الصدري ومتصلة بالدرع الظهري تاركة فتحتين من الأمام والخلف يبرز منهما الرأس والذيل والقوائم. الدرقة والدرع جزءان من الهيكل العظمي يتكونان من صفائح عظمية مغطاة عادة بدروع قرنية. الكثير من الأنواع البرية يسحب الرأس والذيل والقوائم إلى داخل البيت القرني (الترس) لحماية نفسه من الأخطار. وهذا الغطاء القرني يتخذ أشكالا جميلة تختلف تبعا للأنواع ويعتمد عليها في التصنيف. السلاحف تشم وتذوق ولكن سمعها ضعيف. تتنفس مثل باقي الزواحف بواسطة رئتين تبتلعان الهواء بدفع الرأس والقائمتين الأماميتين إلى الخلف ثم إلى الأمام مع ضيق وانبساط تجويف الصدر. تبقى سلاحف البحر فترة طويلة من الزمن بداخل الماء وعندما تصعد إلى السطح يظهر منها الجزء الأعلى من الرأس خارج الماء ليبتلع الهواء.

كل السلاحف بيوضة، تحفر الأنثى في التراب أو في الرمال لتضع البيض بداخل الحفرة وتردمه وبهذا تنتهي كل واجباتها نحو أجيالها. يفقس البيض تبعا للحرارة والرطوبة (بين 80 - 106 يوما بالنسبة للأنواع البحرية). يأكل الإنسان

والثعابين والطيور بيض السلاحف كما أن حساء بعض الأنواع البحرية مشهور في أوروبا ويعرف باسم Turtle soup يكثر الإقبال عليه في بعض مناطق العالم.

ثمانية أنواع من السلاحف موجودة في المغرب، نوع واحد بري والثاني يألف المياه العذبة وستة أنواع تعيش في جميع البحار والمحيطات العالمية بخلاف المناطق الباردة بالقطبين الشمالي والغربي، تم ذكرها في عدة محطات بالسواحل المغربية كما أن عدة أفراد جنحت وألقى بها البحر على الشواطئ.

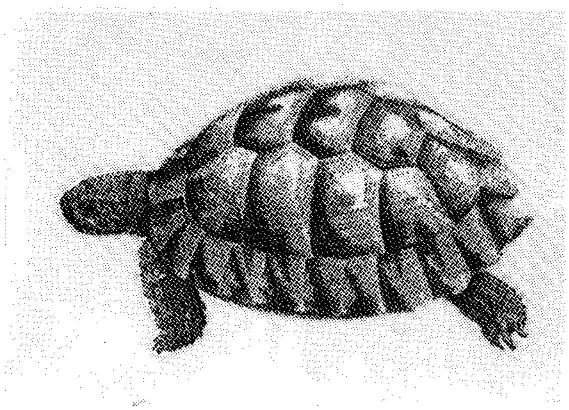

تنتمي السلحفاة البرية أو السلحفاة الاغريقية او المورية (Tortue grecque ou tortue mauresque) إلى فصيلة تيستودينيدي Testudinidae وتسمى علميا تيستيدو كريكا Testudo graeca Linnaeus, 1758 وبالإنجليزية Greek turtle وبالإسبانية Tortuga mora. الدرع الظهري محدب جداً ويبلغ طوله 25 ـ 30 سم ؛ تزن الكبار بين 3,2 - 4 كلغ ؛ الذيل لين وقصير ؛ تحمل القائمتان الخلفيتان زائدة قرنية على شكل صيصة واضحة جهة الخلف. القوائم قصيرة ومدملكة تنتهي بمخالب تستعمل للحفر. يتوالد في أواخر الربيع وبداية الصيف وتضع الإناث بين 4 ـ 12 بيضة في كل سنة، بيضاء صلبة القشرة، يبلغ طول قطريها 31,5 ـ 38,5 x 24,5 ـ 31 ملم. تدوم مدة الحضانة بداخل الحفرة 70 ـ 90 يوما. تظهر الصغار عادة في شتنبر وتتغذى من الأعشاب فقط وتعمر حوالي 100 سنة. يشتو هذا النوع غالبا بين أكتوبر ومارس ويعيش في الحدائق والبساتين والمناطق الغابوية المغربية ويتغذى على أوراق الخضراوات وبعض الفواكه ويخشى الحرارة التي تتعدى 35. يقتصر توزيعه على البلدان المجاورة للبحر المتوسط وبعض أقطار آسيا الغربية. تربى عدة أفراد منه في المنازل كحيوان مستأنس يفضله الأطفال. يستعمل الهيكل العظمي الخارجي في التحف الفنية وفي تركيب بعض الآلات الموسيقية التقليدية، الشيء الذي يهدده بالانقراض على الصعيد الوطني.

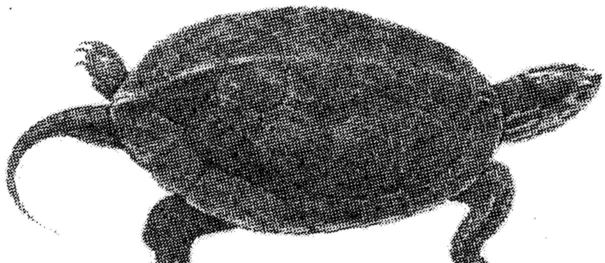

تعيش سلحفاة المياه العذبة جزئيا في الماء وجزئيا على الأرض ؛ تسمى في المعاجم الحمسة وبالإنجليزية Terrapin وبالفرنسية Cestude وبالإسبانية Galapago europeo. تنتمي إلى فصيلة إيميديدي Emydidae وتسمى علميا إيميس أوربيكولاريس (Emys orbicularis (Linnaeus 1758. الهيكل العظمي الخارجي محدب قليلا ويبلغ طوله 16 ـ 24 سم. القوائم مغطاة بحراشف صغيرة وتنتهي بمخالب ؛ الذيل طويل نسبيا ومستدق الرأس. يألف هذا النوع البرك والمستنقعات والبحيرات القارية في أغلب المناطق المغربية الشمالية والوسطى. يتغذى من صغار الأسماك والضفادع والحشرات والقواقع وتنبثق منه رائحة قوية نتنة يبعد بها أعداءه. يتوالد في شهر أبريل وتضع الإناث 4 ـ 16 بيضة في السنة، يبلغ طول قطريها 20 ـ 22 x 31 ـ 39 ملم.

يردم البيض بالتراب وتظهر الصغار بعد 3 ـ 4 أشهر بطول يساوي 25 ـ 30 ملم وتصير بالغة بعد عشر سنوات بالنسبة للذكور وبين 15 ـ 20 سنة بالنسبة للإناث. يعمر حوالي 100 سنة.

ـ تتكون السلاحف البحرية من ستة أنواع في السواحل المغربية، معظمها لاحمة ونشالة. تسمى في المغرب سلحفاة وفكرون البحر. نوعان منها شائعان نسبيا في السواحل المغربية : السلحفاة الخضراء والحنفاء. الأنواع الأخرى نادرة على الواجهتين.

تنتمي السلحفاة الجلدية العملاقة Dermochelys coriacea coriacea (Vandelli, 1761) إلى فصيلة ديرموكيليدي Dermochelidae وتدعى بالإنجليزية Leatherback وبالفرنسية Tortue cuir وTortue-luth وبالإسبانية Tortuga laùd. الجسم أسمر داكن، مسطح ومغطى بترس جلدي سميك صلب أملس بدلا من الدروع القرنية، تتخلله 7 قنزعات طويلة واضحة على الظهر و5 قنزعات على البطن، يتجاوز طول الجسم 200 سم وتقدر المسافة بين الزعانف الأمامية بحوالي 270 سم. يبلغ الوزن الأقصى للكبار 750 كيلوغراما وشائع بين 120 ـ 160 كلغ. القوائم مسطحة على شكل مجاذيف وخالية من المخالب، الأماميتان كبيرتان جداً والخلفيتان مرتبطتان بغشاء مع

الذيل عند الكبار. الرأس صغير ؛ يحمل الفك العلوي سنا قرنية على كل جانب ويحمل الفك السفلي سنا واحدة وسطية. الهيكل العظمي غير ملتحم بالترس كما هو الشأن عند سائر أنواع السلاحف.

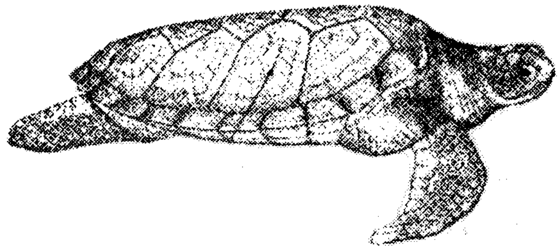

حيوان سطحي يألف البحار الدافئة بالمناطق الحارة والمعتدلة ويتحمل الحرارة الباردة التي لا تقل عن 11 $^{\circ}C$. يقطع مسافات طوالا أثناء الهجرة وتتخذ عدة أفراد منه السواحل المغربية المتوسطية والأطلسية مسلكا لها. يعيش في أعالي البحار ويقترب من الشواطئ ليبحث عن الأكل. تغادر الإناث البحر ليلا خلال فترة التوالد لتلتجئ إلى الشواطئ الهادئة وتحفر حفرة بجوار الحد الأقصى لخط المد والجزر، لا يتجاوز عمقها 80 سنتمترا وتتوفر فيها ظروف ملائمة لعوامل الحرارة والرطوبة لتطور البيض الذي يتطلب 50 - 72 يوما من الحضانة بداخل الرمال. تضع الأنثى بين 10 - 20 بيضة وتعود مباشرة إلى البحر. يتكرر وضع البيض من طرف الفرد الواحد 4 - 10 مرات متتالية ومفصولة بحوالي 10 أيام ليبلغ عدد البيض 50 - 150. البيض كروي أبيض يبلغ قطره 5.5 سم ويبلغ طول جسم الصغار بعد التفقيس حوالي 5.5 سم وهي كثيرة الشبه بالكبار.

يتغذى من قناديل البحر وبالأخص منها جنس ريزوستوما Rhizostoma ومن القشريات المختلفة وأحيانا من الأسماك الصغيرة والأخينوسات والطحالب. وهو مطارد من طرف سمك القرش والأركة Orque épaulard ومن طرف الإنسان الذي يستعمل شحومه لاستخراج الزيوت ويأكل بيضه. لحمه غير مرغوب فيه.

يرجع تقلص عدده على الصعيد الوطني والعالمي إلى شدة مضايقته من طرف الإنسان والتلوث التصاعدي وكذلك إلى افتراس الصغار بعد تفقيسها من طرف الكلاب والذئاب والكواسر من الطيور وغيرها من الحيوانات البحرية الشرسة وهي في طريقها نحو البحر بدون سلاح وبدون أبوين يحميانها. يحظى هذا النوع إلى جانب أنواع السلاحف البحرية الأخرى بحماية تمنع صيده والتقاط بيضه وصغاره في معظم الدول. توجد نماذج من ترس هذا النوع في المتاحف الوطنية : المعهد العلمي بالرباط والمعهد الوطني للبحث في الصيد البحري.

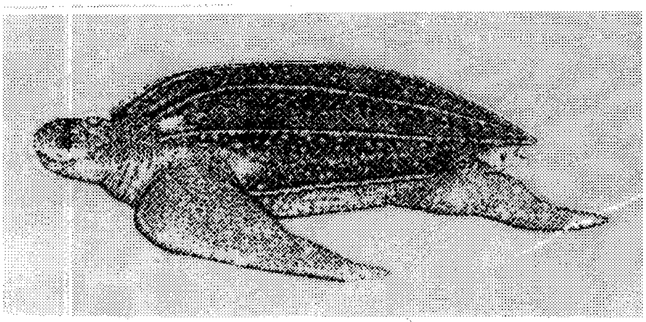

السلحفاة الخضراء Chelonia mydas mydas (Linnaeus, 1758) أو سلحفاة ميدا المعروفة بلذة لحمها وبجلدها (الذبل) المستعمل في الحلي التقليدية وصناعة التحف الفنية. تنتمي إلى فصيلة اللجنيات Chelonidae وتسمى بالإنجليزية Green sea turtle وبالفرنسية Tortue verte وTortue franche وبالإسبانية Tortuga verde. سميت بالخضراء للون شحومها ؛ مظهرها الخارجي أسمر زيتوني داكن جهة الظهر ومبيض شاحب جهة البطن. الترس مسطح بيضوي الشكل يحمل 4 أزواج من الصفائح الجانبية ويبلغ طوله الأقصى 125 سم وشائع بين 80 - 90 سم. تحمل القوائم مخلبا واحدا نام أكثر عند الذكور، يحمل الرأس زوجة واحدة من الصفائح على الجبين. تزن الكبار حوالي 250 كلغ.

تفضل سواحل البحار المدارية وشبه المدارية الدافئة القليلة العمق والغنية بأعشاب زوستيرا وتدخل نادرا المياه الباردة ؛ تقطع بعض الأفراد مسافات طوالا وتقترب أحيانا من الشواطئ المغربية الأطلسية والمتوسطية.

يتوالد في الصيف وتخرج الإناث ليلا إلى الرمال الرطبة الشاطئية مرتين أو ثلاث مرات في السنة لتضع 20 - 240 بيضة تدفنها في حفرة بجانب الشاطئ ثم تعود مباشرة إلى البحر. تقلصت الأماكن الملائمة لوضع البيض على الصعيد العالمي بكيفية مدهشة ولم يبق منها في البحر المتوسط إلا بضعة شواطئ محمية في قبرص وتركيا. والإناث وفيات لأماكن الولادة وتضطر للرجوع إليها بعد قطع مسافات طوال تتعرض خلالها إلى أخطار مختلفة تهدد حياتها. البيض كروي يبلغ قطره 4.5 سم ويحضن بداخل الرمال مدة 45 - 70 يوما ويبلغ طول ترس الصغار بعد التفقيس حوالي 5 سم. يتم النضج الجنسي بين 8 - 15 سنة. تتغذى الصغار من بيض الأسماك ومن القشريات الصغيرة وتتغذى الكبار من الأعشاب البحرية والطحالب وأحيانا من الرخويات الصغيرة ويستعمل لحمها وبيضها كطعام وحساء في عدة مناطق من العالم ويستخرج الزيت من شحومها.

الذبل أو اللجأة المقرمدة أو المفلسة Eretmochelys imbricata (Linnaeus, 1758) من فصيلة اللجئيات كيلونيدي Chelonidae وتسمى بالإنجليزية Hawksbill turtle وبالفرنسية Tortue à écailles - Tortue imbriquée - Caret وبالإسبانية Tortuga de carey. الترس بيضوي مسطح يتكون من حراشف قرنية متراكبة بعضها يستبدل خلال أطوار النمو. يحمل الترس 4 أزواج من الصفائح الجانبية ويبلغ طوله الأقصى 90 سم وشائع بين 50 - 70 سم. تحمل القوائم مخلبين على الجانب الخارجي، يحمل الرأس زوجة واحدة من الصفائح على الجبين وينتهي الفم بمنقار قرني. تزن الكبار حوالي 120 كلغ.

تخرج الإناث ليلا إلى الشاطئ مرتين إلى أربع مرات في السنة لتضع بين 70 - 180 بيضة في حفرة لا يتعدى عمقها 50 سم. البيض كروي يبلغ قطره 3,5 - 4 سم ويزن حوالي 28 غراما. يحضن بداخل الرمال مدة 45 - 60 يوما ويبلغ طول ترس الصغار بعد التفقيس 4,5 سم. يتم النضج الجنسي بين 8 - 15 سنة. تتغذى من بيض الأسماك ومن القشريات والرخويات والاسفنجيات والحيوانات المرجانية.

تصنع من حراشف الترس الأمشاط وغيرها من التحف الفنية ويؤكل لحمها وبيضها. شائعة في البحر الأحمر والمحيط الهندي ونادرة جداً على الواجهتين بالشواطئ المغربية.

سلحفاة كيمبي Lepidochelys kempi (Linnaeus, 1758) من فصيلة اللجئيات Chelonidae وتسمى بالإنجليزية Kemp's Ridley turtle وبالفرنسية Tortue de Kemp وبالإسبانية Tortuga lora. الترس رمادي مسطح وشبه دائري يحمل 5 أزواج من الصفائح الجانبية ويبلغ طوله الأقصى 75 سم وشائع بين 50 - 60 سم. تحمل القوائم مخلبا واحدا على الجانب الخارجي، يحمل الرأس زوجة واحدة من الصفائح على الجبين. تزن الكبار حوالي 45 كلغ.

تتوالد على وجه الحصر في خليج المكسيك وتخرج الإناث نهاراً إلى الشاطئ مرتين إلى ثلاث مرات في السنة لتضع بين 55 - 185 بيضة في حفرة لا يتعدى عمقها 45 سم. البيض كروي يبلغ قطره 3,5 - 4 سم ويزن حوالي 32 غراما. يحضن بداخل الرمال مدة 45 - 60 يوما ويبلغ طول ترس الصغار بعد التفقيس حوالي 4,2 سم. يتم النضج الجنسي بعد 8 سنوات. تتغذى من السرطانات والإربيان وقناديل البحر والأسماك.

سلحفاة نادرة في السواحل الأطلسية المغربية الجنوبية ولا يعيش على الواجهة المتوسطية. لحمه غير مرغوب فيه وبيضه لذيذ. يعد من الحيوانات المهددة بالانقراض ويوجد حاليا تحت الحماية في جميع الأماكن المنتشر فيها.

السلحفاة الزيتونية Lepidochelys olivacea (Linnaeus, 1758) من فصيلة اللجئيات Chelonidae وتسمى بالفرنسية Tortue olivâtre وبالإنجليزية Olive-back loggerhead turtle و Pacific Ridley sea turtle و Olive Ridley و Lora وبالإسبانية Tortuga oliva. يعتبر هذا النوع من أصغر السلاحف البحرية حجما (60 - 70 سم) ووزنا (لا يتعدى 30 كغم وشائع بين 20 - 30كغم). الترس شبه دائري على شكل قلب، مسطح الوسط وشديد الانحدار على الجوانب، يحمل 5 أزواج من الصفائح الجانبية. الصفائح رمادية فحمية عند الصغار ؛ البطن أبيض والظهر رمادي عند الأفراد الغير البالغين ؛ الصفائح الظهرية مخضرة زيتونية داكنة عند الكبار والبطن مصفر فاتح. تحمل القوائم مخلبا واحدا على الجانب الخارجي ويحمل الرأس زوجة واحدة من الصفائح على الجبين.

سلحفاة البحار الحارة بالمناطق الاستوائية وشائعة في المحيط الهندي والهادي والأطلسي والبحر الأحمر ومنها مجموعات وافرة العدد في السواحل الشرقية للمحيط الهادي الممتدة من المكسيك إلى الإكوادور وكذلك في سواحل الفليبين وماليزيا وشمال أستراليا وفي الخليج البنغالي.

يحتمل وجود بضعة أفراد في سواحل ضواحي الرأس الأبيض ولگويرة جنوب المغرب خلال فترة الهجرة وتعد هذه المنطقة الحدود الشمالية القصوى لتوزيعه الجغرافي في السواحل الإفريقية. تخرج الإناث ليلا إلى الشاطئ مرتين إلى ثلاث مرات في السنة لتضع في ظرف ساعة 60 - 80 بيضة في حفرة لا يتعدى عمقها 45 سم وقطرها 80 - 100 سم. البيض كروي يبلغ قطره 3,5 - 4 سم ويزن حوالي 30 غراما. يحضن بداخل الرمال مدة 50 - 63 يوما ويبلغ طول ترس الصغار بعد التفقيس 3,5 - 6 سم. تعتبر شواطئ السنغال وأنغولا والمكسيك وكوستاريكا من بين الأماكن المفضلة لوضع البيض.

أنشطة الإنسان المختلفة على الشواطئ والتلوث والإنارة الليلية، من العوامل السلبية التي تهدد هذا النوع.

حيوان لاحم يتغذى من الإربيان والسرطانات الصغيرة والقواقع والمحار الدرية وقناديل البحر والأخينوسات وبيض الأسماك ويبدو أنه يتغذى أحيانا من الطحالب في البحر الأحمر.

الحنفاء سلحفاة بحرية من فصيلة اللجئيات تدعى علميا Caretta caretta caretta (Linnaeus, 1758) وبالإنجليزية Loggerhead وبالفرنسية Caouanne وبالإسبانية Tortuga cahuama (= tonta) وقد سبق ذكرها في معلمة المغرب، ج. 11، ص. 3624.

م. منيوي، *الحنفاء*، *معلمة المغرب*، ج. 11، ص. 3624 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، معجم *الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، معجم *الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

M. Ramdani et N. Elkhiati, *Flore et faune marines du Maroc: Biodiversité, Biologie, Ecologie et Biogéographie*, Expo 98, Lisbonne, Rabat, 1998 ; D. Lloris et J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, FAO, 1998.

محمد رمضاني

**السلاسي**، أسرة تطوانية نسبة إلى قبيلة (سْلاس) الجبلية بإقليم (تاونات) شمال مدينة فاس بالمغرب، منها فرع يلقب (برغوث) مازال حتى اليوم بتطوان. منهم الفقيه محمد السلاسي. وكان منهم عدول وفقهاء، أقدم من عرف منهم : الحسن بن محمد السلاسي ت. 1197.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

محمد بوخبزة

**السلالجي، عبد الوهاب** أحد صلحاء مدينة فاس في القرن السادس (12 م) لم نقف على ترجمته فيما رجعنا إليه من كتب المناقب والطبقات والتراجم ومعاجم الأعلام، باستثناء ترجمة مقتضبة أفردها له محمد التميمي (ت. 603 أو 604 / 1207 ـ 1208) في كتابه المستفاد وعده "من أصحاب الكرامات". ومن المرجح أن هذا الشيخ ينتمي إلى بيت بني السلالجي الذي يعد من "بيوت الثروة والفقه"، إلا أن "المستفاد" لا يفصح عن هذا الانتماء، مع العلم أن رواة التميمي في هذه الترجمة هم تجار من بيت السلالجي، والكرامات التي يوردها له متعلقة بالميدان التجاري (العثور على المتاع المسروق ـ إزالة العوائق من على الطريق ...).

م. التميمي، *المستفاد في مناقب العباد*، *مخطوط*، ورقة، 67 ـ 68 ؛ إسماعيل ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 45.

محمد الشريف

**السلامات** (في الملحون) مفردها "سْلام". وهو أحد أصناف الزجل المندرجة تحت ألوان الشعر الشعبي في المغرب. تشكل السلامات المتداولة ـ على ندرتها ـ تراثا شعبيا قائما على العربية العامية، يشق الوقوف على مبدعيه، ومثلها في ذلك ـ كمثل العيطات الحوزية والجبلية والعروبيات التي تتخلل قصائد الملحون.

استمدت السلامات تسميتها من استهلال مطالعها بعبارة "صِفَطْتْ لك سْلامي" ومعناها : بعثت إليك تحيتي ؛ وبذلك فهي عبارة عن أبيات متتالية، صيغت بدورها في أسلوب خبري تتلوها أعجاز استفهامية ومن نماذجها :

1 ـ صِفْطتْ لك سْلامي فالمشماش
واش احبيبي فالقلب ولا ما ابقاش ؟
2 ـ صِفْطتْ سْلامي فالتفاح
واش احبيبي اهنا ولاراح ؟
3 ـ صِفْطتْ سْلامي فالمشموم
واش احبيبي فارح ولامهموم ؟

(عباس الجراري، القصيدة، ص. 70)

وفي المسرح الغنائي أطلق لفظ السلامات في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين على المارشات والأناشيد التي كان المطربون في مصر يرددونها على هامش العروض المسرحية والتمثيليات الغنائية.

وقد اشتهر بابتكارها الملحن المصري الشيخ سلامة حجازي (ت. 1917) الذي كان ينشدها مع أعضاء فرقته المسرحية في بدايات العروض وفي نهاياتها. ومن السلامات التي ألفها لهذا الغرض : سلام مطلعه :

مرحبا بالسادة النجب — سادة العرفان والأدب

وآخر مطلعه : دُم يازمانَ المنى.

وثالث أوله :

حمداً لربِّ العالمين — قد قرب الفتح المبين

وقد انتقلت هذه السلامات وغيرها إلى المغرب مع الفرق المسرحية التي توافدت عليه من الشرق في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين، وضمنها مطربون ومطربات كان فيهم محمد عز الدين، وفتحية شريف، وليلى حلمي، ومحمد عبد المطلب.

ومن بين السلامات التي تبناها المغاربة سلام "حمداً لرب العالمين"، وهو من نظم شاعر المهجر ميخائيل نعيمة في مدح السلطان العثماني عبد الحميد.

وقد جرى الشباب على ترديده على عهد الحماية الفرنسية، فاقبلوا على مغربة كلماته بما يصبح مناسبا لواقع الحياة الوطنية في البلاد، وبذلك استبدلوا الأبيات التي تنوّه بالسلطان عبد الحميد ومنها :

ياربّنا كن واقيا — عبد الحميد الغازيا
ملك سما وتعززا — وعلى الملوك تميزا

بأخرى في الدعاء بحياة ملك المغرب المغفور له محمد الخامس وولي عهده المولى الحسن ومنها :

يا ربّنا كن واقيا — مولى البلاد الساميا
بتمام هذا العرش الزاهي — ودوام هذا الملك الباهي
يعيش لنا سلطاننا — وليحيى ولي عهدنا

جريدة *السعادة*، العدد 4415، 23 يناير 1937 ؛ 4425 يوليوز 1937 ؛ *المجلة الموسيقية*، العددان 10، أكتوبر 1974، ص.15 و18، القاهرة ؛ ميخائيل نعيمة، *المجموعة الكاملة*، المجلد الأول، ص. 79، بيروت ؛ ع. الله شقرون، *فجر المسرح العربي بالمغرب*، ص. 95 ـ 114 ـ 119، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، تونس، 1988.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

**سَلاَمَة** وابن سلاَمة أسرتان تطوانيتان أصلهما من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çelma - Çalema - Ben Salema ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Ben Zalema - Zalama, Salama ؛ وقد هاجرت أول مرة إلى قبيلة الجرة ومنها انتقلت إلى تطوان. ومنهم محمد بن محمد سَلاَمة فقيه زاول خطة العدالة إلى أن وافته المنية سنة 1225 (1810).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1391.

محمد ابن عزوز حكيم

**السلاوي**، أسر متعددة في تطوان وفاس وغيرهما. فسلاويو تطوان ينتسبون إلى مدينة سلا، ومن أقدم من عُرف منهم أحمد بن علي السلاوي ناظر أوقاف الزاوية العيساوية بالفدان عام 1216؛ والعلامة الكبير أحمد بن محمد السلاوي وأخوه الوزير علي بن محمد السلاوي آتيا الترجمة. قال الشيخ داود في كتابه *عائلات تطوان*: أخبرني صديقنا الوجيه السيد محمد بن الحاج أحمد السلاوي أن جده الرابع الحاج مَحمد هو الذي وفد على تطوان من مدينة سلا. ويقال بأنهم من عائلة بني سعيد السلاويين الشهيرة وأن النسبة عرضت لهم بعد انتقالهم إلى تطوان.

أما سلاويّو فاس فقال في *إزالة الالتباس*: هم "على فرقتين فرقة من الأندلس رأيت في *نشر المثاني الكبير* صحيفة 321 من نسختنا عند كلامه سنة ثلاث وستين ومائة وألف أن الذي جدد بناء سقاية الشيخ أبي غالب دفين حومة صاريوة القائد حدُّ السلاوي" انتهى. وهم أهل معاش وحرفة وطلب، منهم الشيخ الصالح الحاج الأبر أبو العباس أحمد السلاوي الفاسي أخذ عنه الشيخ التاودي ابن سودة وذكره في *فهرسته*، توفي بالحجاز عام أربعة وسبعين ومائة وألف. ومنهم العلامة الأديب الشاعر المشارك الطاهر بن علي السلاوي توفي في نيف وتسعين ومائة وألف.

والفرقة الثانية من البواخر أهل معاش وحرفه ومال، ومنهم الوزير محمد بن عبد السلام السلاوي آتي الترجمة. ثم صار لا يفرَّق بينهما لطول العهد وعدم البحث والاعتناء.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

محمد بوخبزة

**السلاوي، أحمد** بن **إسماعيل** بن لب، أحد عباد مدينة فاس خلال النصف الثاني من القرن السادس (12 م) ويرجع الفضل لمحمد التميمي (ت. 603 أو 604 / 1207 - 1208) في التعريف بهذه الشخصية الصوفية التي لم يرد لها ذكر في المصنفات المناقبية أو كتب الطبقات والتراجم المتداولة. وتكتسي ترجمة التميمي له أهمية خاصة لكونها قائمة على المعاينة الشخصية ومستمدة مباشرة من الشيخ السلاوي الذي صحبه محمد التميمي مدة من الزمن.

وقد وُصف الشيخ أحمد السلاوي بكونه كان "مشتغلاً بحاله لا يعرفُ شيئاً مما فيه الناس" إلا أن ذلك لم يمنعه من تولي الخطابة بجامع القرويين. حيث كان يخطب يوم الجمعة "وهو على هيئته في ملبسه في سائر الأيام، إلا أنه كان ينظف ذلك ليوم الجمعة. وكان يغتسل يوم الجمعة ولا يترك ذلك، للحديث الذي جاء في ذلك". كما أنه كان "أستاذاً في النحو يقرئه للناس ويقبل الإجارة على ذلك". وكان الشيخ السلاوي يفرق الأجرة التي يقبضها على الفقراء ممن يحضر عنده وغيره، مثله في ذلك مثل معاصره وبلديه أبي عبد الله محمد التاودي المعلم. وقد وصفه التميمي بالزهد والتقلل من الدنيا وأبرز منحاه التقشفي المتمثل في المداومة على الصيام، إذ لم يكن يفْطر إلا في الأيام المنهي عن صيامها، ولا يفطر إلا على الخبز والماء دون إدام، إلا أن يكون من المباحات التي لا تُتملَّك بزراعة، مثل البقل وأشباهه. ولم يكن يلبس كتاناً ولا قطناً وإنما كان لباسه عبارة عن "جبة صوف وإحرام صوف وسراويل صوف وغفارة صوف". وكان شديد الحرص على اكتساب الحلال بحيث لم يكن يأكل اللحم لا من أضحيته أو من وجه طيب. وكانت أضحيتُه تأتيه من موضع يعرفُ طيبه، ولا يُخالط الناس في شيء مما يأكلون مما هو شهوة، ولا يلبس إلا من غزل زوجته من الصوف من أضحيته، ومن الموضع الذي يرْضاه، فكانت زوجته تدبر له ذلك.

وقد شاعت كراماته بين أهل البلد وغيرهم. وأورد له التميمي كرامتين إحداهما متعلقة باستئناس الطير الذي كان يفرخ في الصومعة التي كان يؤذن فيها، والأخرى متعلقة برؤيته للأولياء السابحين في الهواء والماشين على الماء.

م. التميمي، *المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد*، مخطوط، ورقة 115 - 177.

محمد الشريف

**السلاوي، أحمد** (الحاج -) بن **محمد** بن أحمد بن عبد القادر بن مَحمد التطواني. الفقيه العلامة المفتي المحقق المدرس الموثق المشارك ممن فرضت الفتوى عليهم بتطوان زمنا. ولد بتطوان عام 1238 أو 1240 وحفظ القرآن وتلقى عن علماء بلده ما عندهم، ثم أم مدينة فاس وأخذ عن علمائها. ولما وقع احتلال تطوان الأول من طرف الإسبان رحل المترجم له فيمن رحل من المهاجرين عام 1276 / 1860 وكان من العلماء الذين استشارهم الشيخ عبد السلام ابن ريسون في الخروج من تطوان بعد تهديد الإسبان وبلوغهم مشارف البلد، وفشل الجيش السلطاني في ردهم وعجز الأهالي عن المقاومة، ومع هذا صدرت الأوامر المخزنية بعد الهجرة فأفتوا بوجوب الهجرة، وخرج مَن خرج ومنهم المترجم له خرج ونزل الخ.. ونزل مدينة فاس، وتصدى للإقراء والتدريس بالقرويين فأكب عليه الطلبة وطار له صيت لحسن إلقائه، وجودة بيانه، ورجع إلى تطوان بعد مرور أيام المحنة، واستأنف أعماله في التدريس والفتوى والشهادة والإمامة والخطابة بالجامع الأعظم وكان مما درسه مراراً صحيح *البخاري والموطأ*، ومختصر *خليل والمرشد المعين وتحفة ابن عاصم والزقاقية والألفية* وغيرها، وقد أخذ عنه الفقيه أحمد الرهوني فقال يصف درسه: رأيت من حسن تدريسه وفصاحته وتأنيه وإبلاغه المعاني إلى حدود المحسوسات، ما يبهر العقول ولايبقي لقائل ما يقول. وكان من عادته أن يكتب على الكتب المقروءة طرراً مركزة جد مفيدة، ولا يخلو كتاب من كتب خزانته المتوسطة المختارة من تصحيح وتوضيب واستدراك، وقفت على كثير منها بين طويل

كمفاتيح *الغيب* للرازي، وشرح *المواهب* للزرقاني، وإرشاد *الساري* للقسطلاني، وحاشية *الرهوني* الوزاني على شرح الزرقاني *لمختصر خليل*. ومتوسط *كبهجة التسولي والإتقان* للسيوطي وغيرها. ولو جمعت تلك الطرر لكانت حواشي قائمة برأسها، ورأيت له على نسخة من سعود المطالع لنجا الأبياري، وهو في مبادئ واحد وأربعين فنا: تحقيقات وتصويبات واستدراكات على فنون رياضية وعلمية بحتة كالهندسة والمساحة والحساب والتوقيت والتشريح مما يستغرب صدوره من فقيه مُفْتٍ في مثل بلده، والنسخة آلت إلى الخزانة الداودية بتطوان.

وله تقاييد ورسائل في موضوعات متعددة إلا أنها لا تأخذ شكل تأليف، وربما كان يفعل ذلك تواضعا، أما فتاويه في الدعاوي فلا تحصى كثرة. وهو الذي تولى كتب وإنشاء بيعة أهل تطوان لمولاي عبد العزيز عام 1311 وقد أورد نصها الشيخ داود في التاريخ.

وفي عام 1289 ولي قضاء طنجة وجلس للحكم أياما فعرضت عليه قضية رجل محمي من دولة أجنبية، يطلب تبني ولد من يهودية صرح أنه زنى بها فقال له القاضي: إقرارك بهذا يوجب إقامة الحد عليك، فأجابه الريفي: السلطان الذي ولاك لا يقدر على إقامة الحد عليَّ فضلاً عنك، فطرده وكتب للسلطان يتعفى، وركب بغلته وعاد لبلده، فروجع للعودة إلى القضاء على أن ينفذ حكم الشرع في الرجل الريفي فأبى، واقتصر على أعماله الصالحة من التدريس والإمامة بقية عمره، وأورد له الرهوني في *العمدة تقييداً في مسألة رؤية الهلال* في موضعين، وغيره، ورثاه بقصيدة رائية.

توفي رحمه الله بعد مرض خفيف يوم الجمعة 11 رمضان عام 1320 / 1902 ودفن يوم السبت بضريح الشيخ علي بركة الشهير بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 6 : 124، مخطوط خاص، ع. الرحمن ابن زيدان، 3 : 122، الرباط؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

محمد بوخبزة

**السلاوي، إدريس** ينتمي إلى أول جيل من الشباب المغربي الذي تخرج من المدارس والجامعات الفرنسية، والذي سخّر ما لقّن فيها من المعلومات العصرية لدحض الدعاية الاستعمارية ومقاومة الاحتلال الأجنبي قبل سنة 1955، ولخدمة الوطن وتجديد صرح الدولة المغربية على أسس عصرية متقنة بعد استرجاع السيادة وعودة الملك محمد الخامس من المنفى.

ولد يوم الأحد 6 جمادى الثانية عام 1345 / 12 دجنبر 1926 في مدينة فاس وسط أسرة من التجار الوطنيين المتشوفين إلى الحداثة. وكان منزلهم بدرب ابن يعيش بالطالعة الصغيرة مأوى للتجمعات واللقاءات الهادفة. فنشأ إدريس السلاوي متشبعا بحب الوطن راغبا في النضال، منذ الوقت الذي كان يتابع فيه دراسته الثانوية في كوليج مولاي إدريس، دون أن تحول الدروس النظرية بينه وبين ممارسة بعض أنواع الرياضة البدنية مثل كرة السلة وكرة الماء. وما أن تأسس حزب الاستقلال حتى كان من الشباب المنخرط في صفوفه. وقد شارك في الإضراب الذي انتظم احتجاجا على ما جرى من اضطهاد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال في يناير 1944. ثم إنه حصل في السنة التالية على شهادة الباكلوريا، فانتقل مع باقي شباب جيله إلى الديار الفرنسية لمتابعة الدراسات العليا. ويبدو أنه تردد فترة بين العلوم الرياضية والعلوم القانونية، إلى إن مال به الخيار إلى القانون فانكب على دراسته، دون أن يتوقف عن البحث عن أنجع سبل النضال، مما جعله يبتعد عن حزب الاستقلال ليقترب من نظريات الحزب الشيوعي. وذلك يوم عاد إلى المغرب حاملا لشهادة المحاماة سنة 1952، انضم إلى هيأة تحرير الأسبوعية المغربية الشيوعية "إسبوار"، إلى أن منعتها السلطات من الصدور بعد مظاهرات دجنبر من تلك السنة. وكان إدريس السلاوي من تلك الثلة المعدودة من المحامين المغاربة في الدار البيضاء في السنوات الثلاث الأخيرة من عمر الحماية التي كانت كلها قمعا وإرهابا.

ولما استرجع المغرب سيادته، وجدت الدولة في إدريس السلاوي وأمثاله خير خديم. فبادر إلى التخلي عن مهنة المحاماة ليشتغل بإدارة ديوان المرحوم أحمد باركاش أول باشا على مدينة الدار البيضاء بعد الاستقلال، مما جعله مؤهلا للمهمة التي أنيطت به بعد ذلك وهي مهمة مدير الأمن الجهوي في تلك المدينة، مهمة لم تكن بالأمر الهين في تلك اللحظات الحرجة من الانتقال من السلطة الفرنسية الزائلة إلى إقامة سلطة مغربية ناجعة. لكن إدريس السلاوي أبدى من الرصانة ومن الحزم في غير شدة ما جعله يتغلب على كل الصعاب، ويثير انتباه الملك الراحل إلى ما كان يتحلى به من حميد الخصال. ولذلك عيّنه كاتبا للدولة في الداخلية سنة 1958، فانفتحت أمامه مسيرة لن تنتهي إلا بوفاته من العمل في أعلى مناصب المسؤولية السياسية والإدارية في عهد محمد الخامس، ثم في عهد المرحوم الحسن الثاني. فكان كاتبا للدولة في التجارة سنة 1959. وفي شهر ماي من سنة 1960، عيّن وزيراً للتجارة والصناعة. وفي سنة 1961،

أسندت إليه الكتابة العامة لمنظمة البلدان الموقعة على ميثاق الدار البيضاء، وهي المنظمة الممهدة لمنظمة الوحدة الإفريقية. وفي شهر مارس 1961، عاد ليحتل كرسي وزير التجارة والصناعة والمعادن والصناعة التقليدية والملاحة التجارية. وفي سنة 1962، عيّنه الملك الحسن الثاني مديراً عاماً للديوان الملكي، ثم في طليعة السنة التالية وزيراً للمالية. وفي شهر نونبر من تلك السنة نفسها، عيّن وزيراً للاقتصاد الوطني والملاحة التجارية والفلاحة، إلى أن عيّن والياً عاماً على بنك المغرب في شهر غشت من سنة 1964، حيث قضى أربع سنوات على رأس هذه المؤسسة، قبل أن يعيّن وزيراً للعدل سنة 1968. ثم عاد الملك الحسن الثاني فأناط به مهمة إدارة الديوان الملكي التي ظل يمارسها إلى سنة 1971. وكان إدريس السلاوي وهو يمارس تلك المسؤوليات الجسام، لا يغضّ الطرف عن شؤون الرياضة، ذلك أنه ترأس الفدرالية الملكية المغربية لكرة القدم فيما بين 1963 و1967. وقد ابتعد فيما بين 1971 و1974 عن المسؤوليات الكبرى ليشتغل بالتدريس في كلية الحقوق في الدار البيضاء. لكن الملك الحسن الثاني عاد فعيّنه ممثل المغرب الدائم لدى الأمم المتحدة. ثم إنه نادى عليه من جديد ليعمل بجانبه بصفة مستشار (أكتوبر 1977). وبعد ذلك أسندت إليه مهمة تسيير الشركة الوطنية للاستثمار التي سيغادرها ليعود في منتصف الثمانينيات (1986) إلى تمثيل المغرب في منظمة الأمم المتحدة. ويوم انتهت مهمته هنالك، عاد ليعمل رئيسا لمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود في الدار البيضاء. لكن الملك الحسن الثاني الذي كان يعتبره من أقرب خدام الدولة إليه، ما لبث أن عيّنه مستشاراً لديه مع ثلة من ذوي الحظوة لديه. وتلك آخر وظيفة مارسها إدريس السلاوي إلى أن لبى داعي ربي يوم 20 شوال عام 1419 / 7 فبراير 1999، مأسوفا عليه من قبل الجميع، مذكوراً بلسان الخير في سائر الأوساط، ذلك أنه تقلد أعلى المسؤوليات أزيد من أربعين سنة دون أن يتدنس بما يتخللها حتما من الأدران.

K. Naciri, Vie *et œuvre de Driss Slaoui, La communauté internationale et les droits de la personne humaine*, Travaux dédiés à la mémoire de Driss Slaoui, Casablanca, Fondation du Roi Abdul-Aziz Al Saoud, 2000.

إبراهيم بوطالب

**السلاوي، الحسين.** أحد رواد الأغنية المغربية الشعبية المعاصرة. ولد بمدينة سلا في مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، وبها شب وترعرع على حب الموسيقى والغناء، فأقبل على حفظ الأهازيج والأغاني التراثية، ولم يمنعه ولعه بالتراث من الانفتاح على أصناف الموسيقى العربية والمغاربية، فحفظ الأغاني المصرية والتونسية عن طريق المحطات الاذاعية.

وفي الثلاثينيات دخل ميدان النظم والتأليف الموسيقي، فجمع حوله نخبة من محترفي العزف والغناء بسلا، وشكل منهم مجموعة موسيقية كانت تقوم بتداريبها في بعض سواني سلا، حتى إذا اكتملت له شروط العمل الفني فتحت له الإذاعة المغربية أبوابها، فسجل بها أغانيه، ثم قام برحلة فنية إلى العاصمة الفرنسية حيث سجل أغانيه على أسطوانات خاصة.

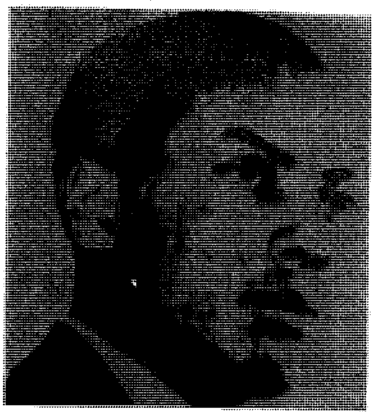

وقد خلف الحسين السلاوي مجموعة كبرى من الأغاني تطبعها خفة الإيقاع وبساطة الألحان. ومن خلال الاستماع إلى انتاجه يستطيع المرء أن يتلمس وجوه التأثير التي طبعت ألحانه ووسمت طريقة ادائه الصوتي، الأمر الذي يؤشر - من جهة - لزخم المحفوظات - التي اختزنتها ذاكرته، ويعكس - من جهة أخرى - تفتحه على ألوان الموسيقى العربية، ونزوعه إلى توظيف القوالب الغنائية العربية في أغانيه ؛ وبذلك يمكن القول : إنه أسس لتوجه جديد ومبتكر في تأليف الأغنية الشعبية لمغرب الخمسينيات، عمدته صيغ لحنية تحمل المستمع إلى أجواء الموسيقى العربية المشرقية آنا بما يكسوها من أرباع النغمات، وآنا آخر إلى أجواء الغناء الأمازيغي الذي يرجع أصداء المقام الخماسي، وقوامُه أداء دافئ ينساب عبر نبرات صوتية وديعة معبرة، ويضبطه إيقاع خفيف متدفق، ووشاحه كلمات كان ينظمها بنفسه تعتمد السهولة في اللفظ ورشاقة المقاطع وتتخللها حكم ومواعظ. أما موضوعات أغانيه فغالب ما كان يستوحيها من صميم الواقع المغربي وصلب الأحداث الطارئة، فقد عاصر الحرب العالمية الثانية، فغنى عن "الأميركان" عندما نزلت جيوشهم بشواطئ الدار البيضاء، وتحدث عن دهاء العروبي في أغنية "العروبية مطورين"، ونقل حدث فرض العمل بالبون للحصول على المؤونة. وفي هذا نظم أغنية على نهج الملحون يقول فيها :

انْساو ارْجال متسابْقين ... أعْلا البونات كاملين

لقد كان الحسين السلاوي بحق أحد رواد الأغنية المغربية الشعبية الحديثة. وقد استطاع أن ينتزع إعجاب الجمهور الواسع، وأن يفرض إنتاجه كلون فني أصيل، وخاصة في المدن التي بدأت آنذاك تعرف غزو الأغنية العربية الشرقية.

توفي الحسين السلاوي في حدود عام 1380 / 1960.

ع. العزيز بن عبد الجليل، *مجلة الفنون*، س 5. ع 1 : 1398 / 1978 وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط ؛ أ. العلج، *مجلة الفنون*، ع 6، س 2 : 1399 / 1979.

عبد العزيز بنعبد الجليل

**السلاوي، عبد الرحمن** بن عبد القادر مقاوم من مواليد سنة 1932 بسلا عندما تأسس جيش التحرير بالمنطقة الشمالية ليقوم بمهمة الدفاع عن مقدسات الوطن. التحق بصفوفه عدد كبير من الوطنيين المخلصين.

كان عبد الرحمن بن عبد القادر السلاوي يعمل في البداية ضمن الجيش الفرنسي دفعته غيرته الوطنية للالتحاق بصفوف جيش التحرير حيث قام باغتيال أحد الحراس والاستيلاء على بعض الأسلحة.

وفي محاولته للالتحاق بمركز جيش التحرير المغربي مع مجموعة من أصدقائه اعترضت دورية إسبانية سبيلهم حيث ألقت عليهم القبض وأعدمتهم جميعا بمن فيهم عبد الرحمن ابن عبد القادرالسلاوي سنة 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 505404.

**السلاوي، علي** بن محمد بن أحمد التطواني، شقيق أحمد سابق الترجمة. الأديب الأريب، الوزير، السياسي المحنك، الأمين، الفيلسوف.

قال الفقيه الرهوني في وصفه : " كان أعجوبة الزمان في الفصاحة والبلاغة والإغراب بالحكايات والأدبيات، مولعاً بالأمثال العربية، ومنشور الحكم وغيرها".

ولد بتطوان عام 1260 / 1844 وأخذ بها عن علمائها بعد حفظ القرآن على العادة، ثم انتقل مع أهله إلى فاس بعد الاحتلال الإسباني الأول لتطوان عام 1276 / 1860 ثم عاد إلى تطوان ودَرَس بها، ثم اشتغل بالتجارة مدة واحترف الخرازة.

وفي عام 1315 / 1897 تولى أمانة مدينة وجدة. ولما ألفت الحكومة الخليفية الأولى بتطوان بعد الاحتلال الإسباني الثاني أسندت إليه وزارة الأحباس.

كان المترجم له واسع النظر مفكراً طُلَعَة، يتطلب أخبار الدول، ويتتبع تطورها العلمي والعمراني، ويقرأ الصحف العلمية، ويراقب التقلبات السياسة، مخالطا للأجانب، على اتصال دائم بالراهب المستعرب (الرشوندي) المقيم بنطجة، وبسبب اطلاعه على أحوال أوربا وتقدمها الصناعي والمدني. كان ينتقد أوضاع المغرب ورجاله أشد الانتقاد، ويرى أن حلول الأجانب بالمغرب هو الذي سينقذ المغرب من تأخره وجهله، فكان بهذا سابقا لأوانه، لم يكن يشبهه في بعض هذا من أعيان تطوان وعلمائها إلا السيد علال الخطيب، ولهذا كان هدفا لانتقاد المحافظين الذين كان معظمهم غارقا في الخرافة والجهل، وقد حُكي عنه - مما يترجم عن موقفه من حال أهل بلده - انه لما توفي الشيخ عبد السلام ابن ريسون - وكان لأهل تطوان فيه غلو زائد - قال : لعلهم - يعني قومَه - يقولون : إنه لم يمت وإنما غاب ليحضر. وكان يلقب الشيخ المذكور بسيد (الأتايْ) لأنه كان يومئذ المنفرد بإقامته وشربه في مجالسه.

امتحن المترجم له باختطاف البدويين له من غرسته خارج تطوان، وظل عندهم في الجبل في أسوأ حال إلى أن افتدي بمال عظيم، ثم عاد إلى عمله في وزارة الأحباس إلى أن توفي بتطوان في 16 شوال عام 1342 / 21 ماي 1924.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 6 : 140، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 5 : 229، طبع تطوان.

محمد بوخبزة

**السلاوي، عمر** بن أحمد الفاسي، من الرعيل الأول للمثقفين المغاربة الذين درسوا بأوربا، حيث حصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق من إحدى الجامعات الفرنسية، وبعد رجوعه إلى المغرب استقر بالدار البيضاء مع والده الذي كان من أعيان تجارها. وشارك في الحركة الوطنية النشيطة بهذه المدينة أيام اشتداد الأزمة المغربية في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي.

اغتالت المنظمة الإرهابية التي كونها شبان فرنسيون متعصبون للاستعمار ضداً على منظمة اليد السوداء الفدائية. وذلك صباح يوم الجمعة خامس محرم عام 1374 / 3 شتنبر 1954 وعمره لا يتجاوز ثلاثين سنة. وكان موكب جنازته حافلا بالدار البيضاء على غرار جنازة الشهيد الطاهر السبتي سابق الترجمة الذي اغتالته نفس المنظمة الارهابية بعد أربعة أشهر.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3295.

محمد حجي

**السلاوي، محمد** بن **الراضي**، مقاوم ولد سنة 1927 بمدينة فاس ونظم أول تشكيلة للمقاومة السرية بها وألقي عليه القبض يوم 12 يناير 1954، وأصدرت المحكمة العسكرية الدائمة بالدار البيضاء حكمها عليه بالإعدام بتاريخ 7 (11 مارس 1954) بتهمة تكوين عصابة والمشاركة في جرائم القتل وتفجير مفرقعات في الأماكن العمومية ثم محاولة الاغتيال.

ونفذ هذا الحكم في حقه بسجن العاذر بتاريخ 23 ربيع الثاني 1373 / 4 يناير 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 400860.

**السلاوي، محمد** بن **عبد السلام** البخاري أحد موالي السلطان مولاي سليمان الذي أشرف على تربيته وقلده عدة مناصب مخزنية هامة.

بدأ محمد بن عبد السلام السلاوي حياته المخزنية ككاتب مع مولاي الطيب، أخ السلطان، عندما كان خليفة

بطنجة خلال السنوات الأولى من حكم المولى سليمان. وإقامة السلاوي بطنجة، وهي آنذاك عاصمة المغرب الديبلوماسية، جعلته يتمرس على إدارة الشؤون الخارجية ويتعرف على ممثلي الدول الأوربية المعتمدين بمدينة البوغاز. وعندما استدعى السلطان أخاه مولاي الطيب وكلفه بعمالة الدار البيضاء ونواحيها في سنة 1797 ظل السلاوي مباشراً للشؤون الخارجية تحت مظلة الوزير محمد بن عثمان المكناسي على ما يظهر. لكن وفاة هذا الأخير في وباء 1799 جعلت المولى سليمان يعهد إليه كلية بمهمة الكلام مع ممثلي الدول الأوربية فأصبح منذ ذلك الحين يوقع المراسلات المخزنية كـ "مكلف بأمور أجناس النصارى وأمور البحر"، ثم في وقت لاحق :. "وزير البحر المكلف بأمور الأجناس".

وبعد سنة 1802 كلفه السلطان بعدة مهام إدارية بالإضافة إلى احتفاظه بالشؤون الخارجية. وهكذا نجده عاملاً بفاس ثم بالعدوتين والقبائل القريبة منهما (1804). وفي السنة التالية 1805، عينه المولى سليمان عاملاً على العرائش والقبائل الجبلية. ثم في سنة 1807، وبعد عزل القائد عبد الرحمان عشعاش نصبه السلطان عاملاً على تطوان، أو بالأحرى أضاف تطوان وأحوازها إلى ماكان تحت تصرفه من مناطق، فأصبح السلاوي بذلك يراقب جزءاً هاماً من منطقة الشمال. ومع مرور الوقت اتسعت اختصاصاته فأصبح يشرف على مجموع الشمال الغربي، بما في ذلك منطقة الريف، وهذا دون أن يتخلى عن تسيير الشؤون الخارجية. توفي محمد بن عبد السلام السلاوي عام 1203 / 1815، فكانت وفاته خسارة جسيمة للمولى سليمان الذي لم يجد موظفاً مخزنياً في مستواه لإدارة الديبلوماسية المغربية خلال السنوات الأخيرة من حكمه.

ع. الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الجزء الرابع، الرباط، 1932 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، المجلد 3، تطوان، 1962 ؛ أبو القاسم الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط، خ. ع.

محمد المنصور

**السلطان**، مفهوم السلطان من صميم مفاهيم الفكر السياسي الإسلامي. ورد ذكره في التنزيل في عدة آيات، تارة بمعنى الحجة والبرهان، وتارة بمعنى القوة والغلبة. فمن المعنى الأول قوله تعالى : (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) (آل عمران، 151). وقوله في سورة هود، 96 : (لقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين)، وفي سورة إبراهيم، 11 : (وما كان لنا أن ناتيكم بسلطان إلا بإذن الله). أما بمعنى الجبروت والإكراه، فقوله تعالى في سورة إبراهيم، 22 : (وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي). وفي سورة الإسراء، 33 : (ومن قُتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل). وفي سورة القصص، 35 : (قال سنشدّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا). ولقد عمّ هذا المعنى الثاني مع ترسيخ الدولة الإسلامية وامتداد نفوذ الإسلام في كل اتجاه، بدليل الحديث الذي أورده البخاري بأن السلطان ظل الله في الأرض يأوي اليه الضعيف والملهوف. فالسلطان إذن هو الجهاز الحكومي الذي وكل به الشرع الإلاهي والطبع البشري أمر شؤون الجماعة. ومن ذلك قوله عز من قائل : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (النساء، 59). ويرتبط بهذا المفهوم مفهوم الإمامة ومفهوم الخلافة، إذ لا بد لكل جماعة مومنة من إمام يؤم بها في الصلوات، ويأخذ بيدها في الملمات، كما أنه لابد ممن يخلف النبي المصطفى في الأمة التي بعث فيها. مما يساير عند النصارى مفهوم السوفران Souverain المشتقة من اللفظ اللاتيني سوبيرانوس Superanus يعني المتفوق من كلمة سوبير Super يعني فوق. ولا سبيل إلى تتبع كل ما قيل في هذا الصدد نثرا ونظما باللغة العربية، فمنه في الحكمة أن سلطانا تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها.

وكان السلطان في العصور الأولى من انتشار الإسلام وبناء صرح الدولة الإسلامية بيد الخلفاء الراشدين الذين كان ثانيهم عمر يدعى بخليفة رسول الله، فاستثقل الناس ذلك، فوقف الكلام على لقب خليفة رسول الله. ثم جاء الأمويون، واحتفظوا باللفظ، وإن خرجوا به عن الشورى وجعلوه ملكا وراثيا سواء في المشرق أم في المغرب. ثم قام العباسيون معتمدين على أنصارهم من الفرس، فتحول سلطان الإسلام امبراطورية كسروية، بلغت ذروتها وامتدادها في عهد الخلفاء العشرة الأوائل، لتقع بعدهم فريسة ما تكاثر عليه من التناقضات التي كان من تجلياتها السياسية انقسام المؤسسة الحاكمة الإسلامية إلى خلافة لا سلطان لها، وإلى سلطان لا شرعية له في الخلافة. ذلك بأن اتساع رقعة الدولة وتطاحن العصبيات أو وهن الخلافة حتى لم يعد لها وجود إلا بالصورة. بينما اشتد نفوذ الجند، سواء ذلك الذي كان يحيط بالخليفة أم ذلك الذي كان يقيم في الأقاليم النائية ويكاد يستقل بالحكم فيها. وهكذا ظلت الخلافة واحدة وتكاثر السلطان. حصل ذلك في بغداد، مثلما حصل في قرطبة، علما بأن الخلافة الأموية في الأندلس انهارت هي الأولى، بينما ظلت الخلافة العباسية قائمة تحت رماح الجند الديلمي ثم التركي، إلى أن وقعت هي الأخرى تحت سنابك فرسان التتر، شأنها في ذلك شأن الخلافة الفاطمية الشيعية التي قامت تنافسها لأزيد من قرنين في مصر إلى أن انقرضت على يد السلطان الأيوبي الذي خلفه بعد حين سلطان المماليك. وهؤلاء اندثروا بدورهم أمام السلطان العثماني في مطلع القرن السادس عشر من الميلاد. وكان ملوكهم يتلقبون بلقب السلطان دون سواه.

وقد جرى شيء من ذلك في المغرب. فإن الدولة الإدريسية قامت أول الأمر على شكل خلافة معتمدة على ما كان للقبائل الأمازيغية التي ناصرتها من سلطان. لكن ما أن انقسمت الخلافة الإدريسية بين أبناء إدريس الثاني وأحفاده،

حتى تغلب في المغرب أيضاً مفهوم السلطان على مفهوم الخلافة، تنازعه وتناحر عليه، في مرحلة أولى، قبائل زناتة وبني إفرن. ثم جاء المرابطون من أقصى الصحراء فتلقب ملوكهم بلقب أمير المسلمين. وخلفهم الموحدون الذين ادعوا الخلافة وإمارة المؤمنين، بسبب ما ذاع من صيت المهدي محمد ابن تومرت. ولما اتسع سلطانهم في الغرب الإسلامي، فإنهم وحدوا أجزاءه، ورتقوا ما كان قد انصدع منه منذ انهيار الخلافة الأموية. على أنهم سرعان ما دخلوا هم بدورهم أطوار الانحطاط والفشل. وحل محلهم بنو مرين الذين كانوا يتلقبون بأمراء المؤمنين في الغالب، وإن عمّ لقب السلطان في عهدهم، مثلما عمّ في ملوك الطوائف في الأندلس في العصر نفسه، وعند دولة المماليك في مصر. يشهد على ذلك في المشرق القلقشندي في كتابه *صبح الأعشى*، وفي الأندلس والمغرب لسان الدين ابن الخطيب في مختلف كتبه وبخاصة في كتاب الإحاطة وفي ديوان رسائله الرسمية. ففيه مثلاً خطاب من السلطان بن السلطان بن السلطان من بني الأحمر الغرناطي إلى السلطان بن السلطان بن السلطان من بني مرين أصحاب فاس والمغرب. وبذلك تحول مفهوم السلطان إلى معناه الثالث الذي رسى عليه في الفترة الحديثة، وهو لقب الأمير الحامل للأمانة الكبرى، سواء في الدولة العثمانية أو في الدولة المغربية، علما بأن السلطنة العثمانية أصبحت في خبر كان منذ 1919، وأن السلطنة المغربية لاتزال قائمة الذات والنفوذ على ما دخلها من التغيير في اللقب.

ولما كان مفهوم السلطان متأصلا في الدين والشريعة، فإن الفقهاء تناولوه بالدرس والتحليل من كل جوانبه ومما يترتب عليه من المسؤوليات. فقد عقد ابن قتيبة أول باب من كتابه *عيون الأخبار* في السلطان مذكراً بالحكم الفارسية والعربية في شأنه، من ذلك قول عمر رضي الله عنه بأن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف والقوي في غير عنف. وقد أطنب الطرطوشي في هذه المعاني في كتابه *سراج الملك*. بينما قام الماوردي قبله ببضعة عقود بشرح الأحكام السلطانية، مبتدئا بالإمامة وبكيفية انعقادها، ومنتهيا بالحسبة والشرطة، بعد ذكر الوزارة والقضاء والإمارات الإقليمية والجهوية والإمارات العسكرية المركزية الذائدة عن النواة السلطانية الأصلية أو المتنقلة في حملات عارضة تأديبية أو جهادية. وما كان ابن خلدون ليغفل موضوع السلطان في مقدمته. فإنه تناوله بأسلوب لم يسبق إليه. مستنكفا عن كل اعتبار أخلاقي أو وصف سطحي ليبرز معاني السلطان في المجتمع السياسي وما ينبني على ذلك من القواعد العلمية الموضوعية، وبأنه إذا كان بأمر شرعي، فإنه من أعمال البشر، فلا ينعقد إلا بعصبية في مجتمع قائم على التشكيلة القبلية. والسلطان جهاز لازم وليس شخصا بالذات أو نزوة من النزوات. يقول ابن خلدون : "اعلم أن مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله أو ملاحة وجهه أو عظم جثمانه واتساع عمله أو جودة خطه أو ثقوب ذهنه، وإنما مصلحتهم فيه من حيث إضافته إليهم، فإن الملك والسلطان من الأمور الإضافية، وهي نسبة بين منتسبين، فحقيقة السلطان أنه المالك للرعية القائم في أمورهم عليهم، فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان، والصفة التي له من حيث إضافته لهم هي التي تسمى الملكة، وهي كونه يملكهم، فإذا كانت هذه الملكة وتوابعها من الجودة بمكان حصل المقصود من السلطان على أتم الوجوه فإنها إن كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم، وإن كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضراً عليهم وإهلاكا لهم".

وهكذا أضحى كل ذي سلطة سياسية عامة في مجال يضيق أو يتسع يدعى سلطانا. نقف على كيفية الانتقال من مفهوم السلطان إلى الشخص الذي يمارسه مثلاً في الأنيس المطرب إذ جاء فيه عن حكام فاس : "وهي الآن قاعدة ملوك بني مرين أطال الله أيامهم وأعلا أمرهم وخلد سلطانهم" (ص. 33). ثم قال : "وفي سنة 369 دخل بلوكين بن زيري بن مناد المغرب ونزل على مدينتي فاس فقتل سلاطينهم محمد بن علي بن قشوش صاحب القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة الأندلس" (101). وورد في نفس الكتاب مخاطبة يانشو بن ألفونس بالسلطان (359). وجاء في قرار ليحيى أو تاعفوفت يوم كان يحكم السهول الغربية الجنوبية تحت حماية البرتغال في مطلع القرن السادس عشر ما يلي : "بيمن الله وتوفيقه وبإذن من له الأمر والأحكام السلطانية بمدينة أسفي". وقد عم اللقب مع الوطاسيين والملوك السعديين في الغرب، مثلما عم في الشرق مع الدولة العثمانية. واختفى لقب الخليفة منذ ذلك العصر. وتمسكت العامة بلقب السلطان، فتلقفه الأوربيون يوم صارت تجارتهم إلى الرواج في ديار الإسلام. ودأب أصحاب القلم يفخمون من ألقاب ملوكهم مثل صاحب *مناهل الصفا* الذي يقول عن أحمد المنصور : "أمير المؤمنين ... إمام الجماعة ... وركن الإمامة... والخليفة المخصوص بتراث الرسالة ومالك إمرة المؤمنين" (ص. 1). ولكن الإفراني يكتفي بذكر الخبر عن دولة السلطان أبي العباس الأعرج أو ذكر الخبر عن دولة السلطان الأفخم مولانا الرشيد بن الشريف. وكذلك يفعل الزياني والناصري الذي يكتفي بلقب السلطان ابتداء من بني مرين، فيذكر "الجواز الأول للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد"، ويقول عن سلطان عصره : "خرج السلطان مولاي الحسن أيده الله غازيا صحراء تافيلالت". ويقول ابن زيدان عن المولى إسماعيل في المنزع اللطيف : "فخر سلاطين البسيط السلطان الجليل الهمام الأثيل [...] إمام الدين والدنيا [...] ظل الله في أرضه [...] أعظم ملوك المغرب الذي دانت له سائر الأمم، وخضعت لجلاله سلاطين العرب والعجم" (ص. 23-24). ولما راج هذا اللقب على ألسن الخاص والعام، تأكد عند الأوربيين أن ملوك ديار الإسلام يدعون بالسلاطين. ولعل أول من روجّ لذلك عندهم الرحالة

الإيطالي ماركو بولو Marco Polo الذي نقل لفظ السلطان محرفا في لفظ "سودان"، فظل كتابهم يتكلمون عن سودان مصر مثلاً، أو "السودان الأكبر" شارة إلى السلطان العثماني. لكن رحالة العصر الحديث وفلاسفة عصر التنوير صححوا اللفظ وأدخلوه في قاموسهم فعم عندهم تداوله وانتشر بأقلام مونطسكيو Montesquieu وفولطيرVoltaire وأقرانهم الذين تعمدوا اعتبار السلطان نموذج الحاكم المستبد الذي يفصل في أمور رعيته بمحض ما يشتهي. وجرت العادة في المراسلات الديبلوماسية بمخاطبة ملوك المغرب على شكل ما جاء في وثائق ابن زيدان مثلا في القرن التاسع عشر : "إلى حضرة الجناب العالي [...] السلطان الأعظم والمولى الأفخم السلطان عبد الرحمان بن هشام، سلطان مراكشة وفاس ومكناس وسوسة والعدوتين وسجلماسة وسائر بلاد المغرب في إفريقيا : (ص. 100). وقد أبرمت كل المعاهدات بين المغرب ومختلف الدولة الأوربية في العهد العلوي باسم سلطان المغرب بما في ذلك معاهدة الحماية المبرمة بين جلالة السلطان الشريفة ودولة الجمهورية الفرنسية. وقد جاء في الفصل السادس من مشروع أول دستور مغربي سنة 1908، والذي بقي حبراً على ورق، ما يلي : "يلقب السلطان بإمام المسلمين وحامي حوزة الدين". أما بعد فرض الحماية، فإن الاحتكاك باللغتين الفرنسية والإسبانية بعد سنة 1912، من جهة، وما جرى من انهيار السلطنة العثمانية غداة الحرب العالمية الأولى وقيام ملكية منفصلة في مصر غداة الحرب العالمية الأولى من جهة أخرى، كل ذلك كان له أثر على التقاليد السلطانية المغربية ابتداء من العشرينيات والثلاثينيات، إذ صار الشباب الوطني يرغب في التملص مما أخذ يتآكل من الماضي لدخول عصر جديد يحتفى فيه بعيد تربع ملك شاب وهو سيدي محمد بن يوسف على العرش العلوي يوم 18 نونبر من كل سنة. واستحسن المغاربة تحيته في اللقاءات الجماهيرية بيحيى الملك ووجدوها أحلى في اللسان وأرقى من يحيى السلطان. وتكرس هذا التحول غداة الاستقلال عندما أصبح سيدي محمد بن يوسف يدعى محمد الخامس. وبويع لولي عهده بعده بالحسن الثاني. وأثبت ذلك في الدستور المغربي الذي لا يذكر السلطان إلا بكونه ملك المغرب. ففي الفصل 19 من دستور 1962، جاء : "أن الملك أمير المومنين والممثل الأسمى للأمة ورمز وحدتها وضامن الدولة واستمرارها، وهو حامي حمى الدين والساهر على احترام الدستور، وله صيانة حقوق وحريات المواطنين والجماعات والهيئات، وهو الضامن لاستقلال البلاد وحوزة المملكة في دائرة حدودها الحقة".

بيد أن العامة وبخاصة منها الشرائح المتقدمة في السن لا تزال تستعمل لفظ السلطان. ولا أدل على ذلك من رواج العديد من الحكم الشعبية بهذا اللفظ، فيقال مثلاً : "الشمس والشتاء والسلطان على خاطره" في بيئة مطبوعة بالجفاف وعدم انتظام الأمطار. كما أن الأعراف الشعبية وما يرمز لها من الأهازيج تجعل من كل ما هو في مرتبة التصدر والترفع سلطانا ولو للحظات عابرة، مثلما هو الأمر في حفلات الأعراس التي يحتفى فيها بالعريس على أنه سلطان. والدليل العكسي على ذلك، أن الوثائق السلطانية القديمة كثيراً ما كانت تستعمل مصطلحات النكاح وفض الخاتم لوصف دخول السلطان دخول منتصر في المناطق المستعصية.

علي بن محمد الماوردي، *الأحكام السلطانية والولايات الدينية*، القاهرة، 1966 ؛ م. بن الوليد الطرطوشي، *سراج الملوك*، تح. جعفر البياتي، لندن، 1990 ؛ أ. العزاوي، محقق *رسائل موحدية جديدة*، القنيطرة، 1995 ؛ علي ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ لسان الدين ابن الخطيب، *الإحاطة بأخبار غرناطة*، تح. ع. الله عنان، القاهرة، 1973 - 1975، 3 ج ؛ *ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب*، تح. ع. الله عنان، القاهرة، 1980، ج. 2 ؛ ع. الرحمان ابن خلدون، *المقدمة*، تح. ع. الواحد وافي، القاهرة، 1965، 4 ج ؛ ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا*، تطوان، 1964 ؛ م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا لتاريخ المغرب الأقصى*، ط. 2، الدار البيضاء، 1960، 9 ج ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1929، 5 ج.

إبراهيم بوطالب

ابن **سُلطان**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Soltan وSoltanet؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Sultan ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 342.

محمد ابن عزوز حكيم

**سلطان الطلبة بفاس**، كان من عادة طلاب القرويين في فاس عند حلول فصل الربيع من كل سنة أن يقيموا مهرجانا يروّحون به على أنفسهم، ويلتمسون فيه من السلطان القائم ومن خدامه أن ينعموا عليهم ببعض الإنعامات. وكان المهرجان بمثابة مسخرة يضحك منها الجميع ويتسلى بما كان يتصور فيها من هشاشة السلطة وعرضيتها مهما كان من فخامة ما ترتديه من أردية الجاه والفخر. ففي شهر أبريل من كل سنة، أو في شهر ماي إن كان أبريل شهر صيام، يشتري أحد الطلاب وظيفة سلطان الطلبة التي تعرض ليلة يوم الجمعة على المزاد العلني فترسو على من يستطيع المزايدة فيها إما بوسائله الخاصة وإما بمساعدة من له بعض الأغراض لدى المخزن من التجار أو غيرهم، ويحتاج إلى من يتوسط له في ذلك. وكان السلطان الشرعي لا يرد ملتمسات سلطان الطلبة. ويدوم المهرجان أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع عل شكل نزهة تقام تحت الخيام على ضفاف وادي فاس خارج أسوار المدينة. ويكون المنطلق، بعد إرساء الصفقة على من

تمكن من المزايدة فيها في سوق الكتب بجوار جامع القرويين، من المدرسة التي يقطن فيها. وفيها يجري تعيين أفراد المخزن الوهمي من حاجب وقائد مشور ووزراء وأمين مكلف بجمع الأموال اللازمة لإقامة "النزاهة". ويكون ذلك تقليدا للمخزن الحقيقي، ولكن بلسان السخرية والتهكم، إذ تكتب الرسائل الطنانة الرنانة إلى التجار وإلى كل من يتوسم فيهم القدرة على المساهمة في نفقات الحفل، تخبرهم بأن أمير المؤمنين أصدر أمره المطاع للطلاب بإقامة حفلتهم، وأنه يتعين على رعاياه الأوفياء أداء الواجب لسلطان الطلبة، حتى لا يرميهم بما لا قبل لهم به من كذا وكذا من جيوش البرغوث وجيوش البق وما إلى ذلك من أدوات الفتك. ثم يخرج أمين سلطان الطلبة محاطا بمساعديه وبمحتسب وهمي، يطوفون أسواق المدينة مرتدين أردية مضحكة لجباية الأموال بشتى ما تجود به قرائحهم من أشكال الهزل والسخرة. وتنتهز المناسبة للتهكم على الراعي والرعية بكل ما تجود به مخيلة الشباب الطلابي، وعلى ما يكون من تطاول الجباة الحقيقين في تلك الحالة، وعلى ما يكون من تحايل الملزمين بالضرائب من حيل التملص من الأداء، سواء في ذلك الأغلبية المسلمة أو الأقلية اليهودية.

وفي يوم الجمعة، يخرج سلطان الطلبة في موكب رسمي محاطاً بما يمده به السلطان القائم من شارات السيادة ورموزها، من بين جواد بسرجه وكساء سلطاني ومظلة، ومخازنية يذبون عنه الذباب وجنود وحرس باشا المدينة يحملون الرماح. أما الجوق الموسيقي، فإن سلطان الطلبة يكتفي برفقة غياطة المدينة وطباليها والنافخين في النفير، الذين يجتذبون الغفير من الجمهور في أزقة فاس الضيقة، متجهين إلى مسجد الأندلس لقضاء صلاة الجمعة. ثم يخرج الموكب بعد الصلاة من باب الفتوح إلى ضريح ولي الله سيدي علي بن حرزهم الذي هو سيد العلم وسيد الطلبة. وبتلك المناسبة، يبيع أصحاب سلطان الطلبة شيئا من الفواكه اليابسة أو الطازجة، يشتريها الناس تيمنا وتبركا، ويعزز بها المخزن الطلابي بيت ماله. ويعود سلطان الطلبة عند اقتراب المغرب إلى مدرسته، لينطلق في اليوم التالي بعد صلاة الظهر في مسجد القرويين نحو مقر النزاهة عبر سوق العطارين والطالعة الكبرى، فيخرج إلى ضفاف وادي فاس على باب المحروق. ويصل إلى مقر محلته في خيام يقيمها باشا حي فاس الجديد الذي كان هو المكلف الرسمي بالسهر على أمن الحفل وسلامته. وكانت المحلة تقام حول خيمة ضخمة متوسطة تكون هي المسجد، وبجانبها تقام خيمة سلطان الطلبة، يحميها، على سبيل الازدراء، مدافع من قصب أو طين يصنعها بالمناسبة فخارة المدينة. وحول هاتين الخيمتين، يقيم جمهور الطلبة خيامهم. ويوزع عليهم الأمين الوهمي ماينوبهم من المونة. وتنطلق بذلك النزاهة التي يشارك فيها السكان، فمنهم من يقيم لنفسه وذويه خيما ويجاور الطلبة طول مدة المهرجان، ومنهم من يكتفي بقضاء يوم معهم، يتفرج على ألعابهم ومسخراتهم ويستفيد من الطبيعة في فصل انبعاث معالم جمالها من جديد، وسط أصناف المأكولات الحضرية والبدوية وكؤوس الشاي المنعنع، وما إلى ذلك مما يريح البال وينسي فصل الشتاء القارط وجميع الهموم. وعادة ما يكون يوم الأحد الأول من المهرجان

يوم راحة. لكن الأيام التالية كلها تكون حافلة بالزيارات وبالسهرات المصحوبة لزوما ببعض الهدايا. وكان من العادة أن يكون أول من يأتي لزيارة سلطان الطلبة، أمير من أمراء الأسرة العلوية الحاكمة، يستقبله السلطان الوهمي استقبالا رسميا في اليوم الثالث أو الرابع، ويتلقى منه ما أمر به السلطان القائم من الهدية الرسمية للطلبة، قوامها أغنام ودقيق وزيت وسمن وشمع وسكر فضلاً عن مبلغ من المال، ويسلم ذلك بناء على التقاليد المرعية فيما يهدى إلى المخزن من الهدايا. ومن المضحكات الطلابية، أن كان اليهود هم أيضاً يأتون بهديتهم، فيعلن عنها ويطبل ويزمّر لها على أنها قطعان لا حصر لها من الأغنام والأبقار، فإذا هي أقفاص تتغالى فيها القطط والفئران، أو يقول البراح بأنها مبالغ لاتعد ولا تحصى من المال، فإذا هي صناديق ضخمة مطوية على قطيعات نقدية رديئة. وعلى سلطان الطلبة أن يتظاهر بالاشتغال بما يشتغل به السلطان الحقيقي. فإنه يجلس إلى وزرائه وخدامه محاطا بكتابه، ويأمر بتدوين أوامره في مراسلات وظهائر يبدي فيها نجباء الطلاب قدرتهم على الكتابة بالأسلوب المخزني الرفيع، ولكن في كل ما لا صلة له بأمور الجد فلا يثير إلا الضحك والاستملاح. وفي اليوم السادس، كان السلطان القائم يخرج لزيارة سلطان الطلبة في محلته. وتجري الملاقاة في تمام الترتيبات التشريفية، إذ يتقدم كلا السلطانين أحدهما نحو الآخر، ثم يقفان على بعد ثلاثين خطوة محاطين كل واحد منهما بحاشيته المخزنية وبحرسهما. وتجري تمثيلية سخرية بالمناسبة، إذ ينطق صاحب سلطان الطلبة مخاطبا السلطان أمير المومنين متعجبا من جرأته، وهو مجرد سلطان المغرب على المثول بين يدي أقوى سلاطين الدنيا، سلطان الطلبة الممتد حكمه، كما لا يخفى على أحد، على ما لا يحصى من البق والقمل والبرغوث والبعوض. وكان من العادة أن يمثل الطلاب أمام الحاشية المخزنية الرسمية مسرحية التباهي بالسلطة مستخفين بها ساخرين، مثل أن يتناول مضحك سلطان الطلبة الكلمة وهو على ظهر جمل ماسكا بقصبة طويلة وبسبحة خيطها من دوم مفتول وحباتها من تين مجفف، وقد ضخّم بطنه بركام من الوسادات، وجعل على رأسه مكبا من دوم من الشكل الذي تغطى به الأطباق الكبرى. أما الساعة المعلقة عليه، فهي كسرة خبز مدورة منظومة في سلسلة من قنب، وفي تلك الحالة المشوهة المزرية، ينطق بثبات ووقار، فيقول مثلاً : "الحمد لله الذي جعل لنا الأسنان وألحق بها الأصابع واللسان، وأمرنا بازدراد الدجاج والرمان". أو يقول : "اسمعوا وعوا، يا أيها الناس، فبمجرد ما يخرج مني آخر الأنفاس، الرجاء منكم أن تغسلوني بالألبان وأن تجعلوا كفني من الرغفان، ولتكن عمامتي من القديد وفراشي في القبر من السميد". يقول ذلك وهو ينظر من حين لآخر في ساعته، يعني خبزته، بأن يلتقم منها لقمة، أو يتظاهر بالذكر على سبحته، يعني الشريط المنظم بالتين، بأن يلتهم حبة منه. وعندما تنتهي المقابلة يستأذن السلطان سلطان الطلبة في الانصراف، فيؤذن له. ولكن قبل أن ينصرف يبادر سلطان الطلبة بالترجل والهرولة نحو ركابه لاثما إياه متمسحابه، وهو يتقدم بملتمسه الذي يكون إما طلب وظيف أو إعفاء من الضريبة أو تسريح مسجون، إما لفائدته أو لفائدة عائلته أو رفاقه في المدرسة، أو لصالح أشخاص آخرين ممن تبرع ومكنه من شراء منصب سلطان الطلبة. وكان السلطان لا يكتفي بتلبية المطلب، بل يأذن للطلاب بتمديد مهرجانهم ونزهتهم أسبوعا إضافيا. وفي الليلة الأخيرة من تلك الحفلات، كان على سلطان الطلبة أن ينسحب خفية من محلته، ويعود إلى مدرسته تحت جناح الظلام. أما إذا أصبح عليه الصباح وهو لا يزال في المحلة، فإن نعمة السلطنة تنقلب نقمة بما كان يتعرض له صاحبها من الضرب والركل والتنكيل والتغطيس في مياه الواد، عودة به إلى أرض الواقع، وانتقاما مما تمتع به من لذات الجاه، وتذكيراً له بعبثها وقابليتها للزوال. وكان هذا المهرجان إذن مهرجاناً طلابياً يطلق فيه الطلاب العنان لأريحية الشباب ونزواته، ويعبرون فيه عما كانوا يعانون من الحرمان أو يتطلعون إليه من التطلعات. كما كان مناسبة للاحتفال بحلول فصل الربيع، يشارك فيها الخاص والعام، ويتحرر فيها أهل البلد من معاناة الدور المغلقة والأزقة الضيقة ومتاعب الصناعات والتجارات ومختلف الوظائف بالاحتكاك بشباب الطلبة ومسايرتهم في ألعابهم وهزلياتهم. وكانت حفلة سلطان الطلبة حفلة رسمية تقام بإذن من السلطان وبرضاه وحضوره، كلما كان مقيما في فاس، أو حضور خليفته وأعلى سلطات المدينة على كل حال. فهي حفلة طلابية بفصل الربيع مأذون بها من قبل الدولة. مما يحيلنا على أسباب قيامها الثلاثة، التي منها ما هو حديث ملموس الظهور، ومنها ما هو ضارب في القدم عريق في المجتمع المغربي بل وفي باقي المجتمعات فتآكلت جذوره حتى صار من المستحيل الوقوف عليها أو تمييز ما هو محلي منها مما هو بشري وكوني.

فأما الأسباب الملموسة، فإنها تتصل بقيام الدولة العلوية وبمؤسسها السلطان المولى الرشيد الذي يبدو أن طلبة المدارس والزوايا الموجودة شرقي المغرب قد قاموا بدور فعال في نصرته والانخراط في جموعه الأولى التي مكنته من التغلب على أخيه المولى محمد (فتحا) أول الأمر، ثم بعد ذلك من افتتاح أطراف المغرب الواحد تلو الآخر حتى اجتمع حكمها في قبضته في بضع سنوات. ولذلك اعتنى المولى الرشيد تمام العناية بشؤون العلم والعلماء، التي منها شؤون طلاب العلم، بأن جدد كراسي التعليم في القرويين ورمم المدرسات التي كانت مأوى الطلاب، وبنى لطلاب الشرق المغربي مدسة خاصة بهم هي مدرسة الشراطين. وكانت إقامة "نزاهة" للطلاب عند حلول فصل الربيع مما أنعم به عليهم، ومن علامات عنايته بشؤونهم وحرصه على الأخذ بيدهم. نعلم ذلك بإشارة مفصلة من قدماء المؤرخين المغاربة الذين كانوا

يربأون بأقلامهم عن الكتابة في سخافات من صنف حفلة سلطان الطلبة، ولكن نستنبطه مما نقله بعضهم عن أسطورة اليهودي ابن مشعل الذي يقال بأنه استبد بالنفوذ في المناطق الشرقية، حتى جاء المولى الرشيد وسمع بذلك فدفعته الغيرة على الملة والدين إلى الفتك به رفقة جماعة من الطلاب. وتلك أسطورة غامضة المجرى. ولا يصح منها إلا ما كان من استعانة المولى الرشيد ببعض طلاب العلم في منطلق فتوحاته لتأسيس الدولة العلوية. كما أن الثابت الملموس، هو أن الفرنسيين عند احتلالهم للمغرب وجدوا حفلة سلطان الطلبة من التقاليد الراسخة في فاس باستمرار، وفي مراكش في بعض الأوقات. وهم الذين اعتنوا بكيفية إقامتها وحاولوا إدراك أصولها التاريخية القريبة والثقافية العريقة.

وتمتزج الأسباب الثقافية ولاشك بما لا سبيل إلى سبر أغواره من المعتقدات الوثنية المشتركة بين شعوب البحر الأبيض المتوسط التي يتميز المناخ فيها بانفصاله إلى أربعة فصول، كان للناس فيها أعراف مبنية على لحام من الطقوس المادية والروحانية. وكان من المعتقد لديهم أن الحياة تتجدد عند حلول فصل الربيع، وأن الآلهة تلزم الإنسان بمسايرة تلك الدورة. وبناء عليه فإن الخروج إلى الطبيعة في ذلك الفصل تحول إلى أكثر من نزهة، إذ صار في أزمنة الجاهلية واجبا دينيا وعرفا من الأعراف الملزمة. لكن الرسالة التوحيدية في أشكالها الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلامية، ما لبثت أن أتت على تلك المعتقدات، حتى لم يبق منها إلا حاجة بشرية مبسطة لتجديد العهد بالأشجار والبادية عند بزوغ فصل الربيع، وهو ما يسميه المغاربة" نزاهة"، وتبلور في مسخرة حفلة سلطان الطلبة منذ تربع الدولة العلوية على عرش المغرب للأسباب الآنفة الذكر. ذلك بأنه لا إشارة لتلك الحفلة، أو لما يشبهها، فيما قبل ذلك من كتب التاريخ أو الرحلات. ولو كانت تقام، لما أغفل الحسن بن محمد الوزان مثلا ذكرها وهو يصف مدينة فاس في طليعة القرن السادس عشر وصفا مطولا مدققا. ولذلك لا نجد ذكرا وافيا عن ما جريات حفلة سلطان الطلبة إلا في كتب بعض الفرنسيين قبل عقد الحماية أمثال كابرييل شارم Gabriel Charmes أو بيير لوتي Pierre Loti، أو المكلفين بالتمثيل القنصلي أمثال أوجين أوبان Eugène Aubin أو هانري كايار Henri Gaillard، الذين كان الفضول الاستغرابي أو الوظيفة الاستعلامية يلزمهم باستكناه الشاذة والفاذة من أحوال المغرب.

وقد اعتنت سلطات الحماية تمام العناية بحفلة سلطان الطلبة، وأدركت ما كان فيها من فوائد الترويح عن المكبوتات الاجتماعية للتخفيف من حدتها وإثارة انتباه أولي الحل والعقد إلى درجة خطورتها. وكانت الحفلة مناسبة ينتفض فيها المجتمع الفاسي انتفاضة تشارك فيها كل الشرائح بقيادة النخبة الطلابية، التي كانت تمثل باقي أقاليم البلاد بما يتوافد على القرويين من الراغبين في استكمال الدراسة العليا. وظلت جريدة الاستعمار في فاس "لو كوريي دو ماروك" *Le Courrier du Maroc*، التي امتد صدورها من 1929 إلى 1961، تنقل بانتظام مراسيم الحفلة كل سنة، وتعرف بها على أنها وقفة من وقفات فاس العريقة التي تستحق الفضول العلمي والسياحي، إلى أن اشتدت مقاومة الاستعمار في مطلع الخمسينيات من القرن العشرين، وأقدمت سلطات الحماية على عزل السلطان الشرعي للبلاد سيدي محمد بن يوسف (محمد الخامس)، وتمكين محمد بن عرفة، أحد أبناء عمومته، من العرش، فكانت الثورة العارمة للشعب المغربي، وامتنع طلاب القرويين من أن يدخلوا لعبة سلطان الطلبة مع سلطان منزوع من الشرعية.

واسترجعت البلاد استقلالها سنة 1956. ولكن حفلة سلطان الطلبة ظلت معطلة بسبب انشغال الجميع في بناء صرح السيادة الوطنية على أسس مجددة، ودخول الطلاب المغاربة في عصر لم يقطع الصلة بالقرويين ولكنه جعلها وراء ظهره، بما كان من إحداث جامعة محمد الخامس في الرباط سنة 1957 وتوجهاتها نحو العلوم والمناهج الحديثة، وبما كان أيضاً من نشأة نقابة طلابية عصرية تحت اسم الاتحاد الوطني لطلبة المغرب سنة 1958، التي كان أعضاؤها أكثر ميلا للوقوف في صف المعارضة منهم لتجديد ما كانت حفلة سلطان الطلبة ترمز إليه من تواطؤ حملة السيوف مع حملة الأقلام. وقد رام الملك الحسن الثاني نفض الغبار عن الحفلة وإحياءها ليكف الطلاب عن الإضراب والشغب، وليدركوا ما يربط بينهم وبين الدولة من الأواصر الظاهرة والباطنة. وأقيمت الحفلة بأمر منه سنتي 1968 و1969. ولكن الأجواء كانت قد تغيرت، والناس قد تبدلوا، والوظائف الاجتماعية والسياسية قد حالت من حال إلى أخرى، فلفظت حفلة سلطان الطلبة آخر أنفاسها، بعد أن فقد سلطان الطلبة، ولاشك، ما كان يحمي به حماه ويرعب به منافسيه وخصومه من الجيوش المدمرة.


P. de Cenival, *La légende du Juif Ibn Mech'al et la fête du Sultan des Tolbas à Fès*. *Hesp.*, T. V, 1925, 2e trim., pp. 137 - 218.


إبراهيم بوطالب

**سلطان الطلبة بمراكش**، حفل سنوي كان يقيمه طلبة جامع ابن يوسف على غرار حفل سلطان الطلبة بفاس. يعقد الطلبة اجتماعات تمهيدية بمدرسة ابن يوسف لتنظيم الحفل وإعلان سمسرة السلطنة بين الطلبة الآفاقيين الذين يتغربون عن بلدانهم وأهلهم السنين الطوال في سبيل العلم، فتقع المزايدة بين الطلاب إلى أن ترسو على أحد الطلاب، وعند انتهاء المزايدة وإعلان اسم الطالب الفائز، يشرع في اختيار هيأته الوزارية، وحاجبه وقواد المشور، وأمينا لمصروفات النزهة التي تدوم أسبوعا كاملاً، وتجمع المصروفات من المقدار الذي اشترى به سلطان الطلبة سلطنته، وهدايا السلطان المحلية، وتبرعات أعيان وتجار المدينة.

كما يعين محتسباً استعدادا للهزل والمزاح، يجول في الأسواق، ويراقب الأسعار، ويعير الموازين ويحلل المبيعات،

ويستحصل الضرائب والذعائر التي يتعمدها والتي يؤديها جميع التجار بارتياح كبير تنشيطا للطلبة، ومشاركة منهم في نزهة سلطان الطلبة.

وعندما تهيّأ جميع لوازم الحفل يغادر سلطان الطلبة مدرسة ابن يوسف في موكب رسمي، ممتطيا فرسا وبرفقته جميع وزرائه وحاجبه، قاصدين جنان الحارثي المهيأ لإقامة هذا الحفل البهيج. وهنا يصعد خطيب يتسم بالمرح وخفة الروح فيلقي أمام السلطانين وأمام الجماهير الغفيرة خطبتين هزليتين في التنويه (بالزرود) والحمد للذي أوجدها وهيأها للمعدة ... وعندما ينتهي الخطيب يقدم سلطان الطلبة مرغوبه الذي يحظى بالقبول وهو : إما اطلاق سراح سجين من عائلته، أو نيله لوظيفة ... ويكتب هذا المرغوب في صورة ظهير يمضيه سلطان الطلبة.

وفي آخر ليلة من النزهة يغادر سلطان الطلبة مكان النزهة سراً إلى مدرسته قبل أن يثور عليه رعاياه الطلبة هازلين مازحين حيث يصبح بعد انتهاء حفلات النزهة مثلهم.

*ملحق جريدة المغرب*، عدد 5، ص. 69، 5 ماي 1938 ؛ *جريدة السعادة*، 16 أبريل 1950 ؛ م. عبد الرحيم غنيمة، *تاريخ الجامعات الإسلامية*.

أحمد متفكر

## السلطانة زيدانة ← عائشة مباركة

**السلفية بالمغرب** مصطلح أخذ مكانه ضمن تاريخ الفكر الإسلامي ليدل على كل محاولة تجديد تدعو للرجوع إلى الأصول الإسلامية الأولى لإصلاح حالة من حالات واقع مناطق العالم الإسلامي في مرحلة من المراحل، وبتوالي مراحل التاريخ الإسلامي المختلفة تعددت الحركات السلفية التي تتبنى الفكر الإسلامي الأصيل النابع من الكتاب والسنة لتربط بينه وبين الواقع الذي تعيشه، فتحاول إصلاح ما فسد من أوضاعه وما ظهر فيه من بدع وضلالات مهتدية بالمبادئ الإسلامية الصحيحة، محاولة الاجتهاد في ضوء فهمها لتلك المبادئ، وقد جاءت تلك المحاولات في غالب الأحيان كرد فعل على وضعيات أزمة وتدهور مر منها تاريخ العالم الإسلامي شرقا وغربا. إلا أن أهم مرحلة اكتسب فيها هذا المصطلح شهرته هي مرحلة نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين الميلاديين حينما اشتهرت الحركة السلفية المشرقية التي تزعمها رواد النهضة في المشرق الإسلامي في الوقت الذي أصبح فيه العالم الإسلامي عموماً يواجه خطر التدخل الأجنبي والاستعمار، فتبلورت في مختلف بقاعه حركات سلفية حاولت مواجهة هذا الواقع بالدعوة للرجوع إلى الأصول الإسلامية للبحث عن الحلول الناجعة لمختلف المشاكل التي تخبط فيها المسلمون آنئذ.

لقد عرف المغرب بدوره كغيره من بلدان العالم الإسلامي حركة موازية للحركة السلفية في المشرق يمكن إبراز أهم جوانب تطورها التاريخي كالتالي :

تستند السلفية المغربية في نهاية القرن التاسع وبداية العشرين إلى أصلين داخليين أساسيين بالإضافة إلى بعض التأثير الذي اكتسبته من المعطيات الخارجية المرتبطة بالسلفية المشرقية إضافة إلى التطورات العامة في البلاد حين مواجهتها للأجانب في نفس المرحلة.

يتجلى الأصل الداخلي الأول للسلفية المغربية في المعطيات التي تراكمت من خلال التجارب التاريخية السابقة في عهود سالفة والتي أنتجت عدة معطيات فكرية ساهمت في بلورة خصوصية الفكر السلفي المغربي ويمكن إجمال مظاهر هذه التجارب التاريخية في ظهور عدد من المصلحين المجددين في أمور الدين وعلاقته بالسلوك الاجتماعي للأفراد والجماعات وقد حاول هؤلاء التنبيه إلى بعض المفاسد والبدع التي كان المجتمع مسرحا لها وذلك من خلال دعواتهم الاصلاحية التي ضمنوها في الغالب بعض مؤلفاتهم، ونادوا فيها إلى الرجوع للكتاب والسنة انطلاقا من تطبيقهم للمبدأ الإسلامي الشهير : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أشهر هؤلاء :

1 - أبو عبد الله محمد بن الحاج (ت. 737) من خلال كتابه "المدخل" إلى تنمية الأعمال.

2 - إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي (ت. 790) من خلال كتابيه "الموافقات" و"الاعتصام بالكتاب والسنة".

3 - أبو العباس أحمد بن أحمد زروق (ت. 899) صاحب كتابي : "النصيحة الكافية" وعدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت".

4 - عبد الله الهبطي صاحب الألفية المشهورة "في قمع البدع".

5 - أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوي الدلائي مؤلف كتاب "جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر" الذي دافع فيه عن آراء ابن تيمية منتصراً للعقيدة الحنبلية.

وعلى الرغم من أن كل واحد من هؤلاء وغيرهم قد ساهم في بلورة الفكر السلفي والدعوة إلى الالتزام بالأصول الإسلامية الأساسية أي الكتاب والسنة والاحتكام إليها في كل شيء فإن أكثرهم تأثيراً في ذلك هو الشيخ الشاطبي الأندلسي الذي ابتكر منهجا في التفكير انطلاقا من أصول الفقه وأعطى للعقل مكانة مهمة في التعامل مع التراث الإسلامي نابذا بذلك التقليد وداعيا إلى التجديد والمرونة في التعامل مع المشاكل الطارئة.

أما الأصل الداخلي الثاني لنشأة الفكر السلفي في المغرب فيتجلى في السياسة الدينية للدولة والتي ابتدأت بالمحاولة الأولى للدولة الموحدية لإحياء السنة والعمل بالحديث بعد أن كان الفقهاء في عهد المرابطين قد ركزوا الدراسات الفقهية المحضة التي تعتمد على كتب الفروع دون الأصول. وإذا كانت هذه المحاولة لن تتجاوز العهد الموحدي بسبب خروجها عن إطار المذهب المالكي السائد في المغرب، فإن هذا الاتجاه في الاصلاح الديني السياسي سيظهر مجدداً مع سلاطين الدولة العلوية بصورة أكثر وضوحا خصوصا مع

السلطان سيدي محمد بن عبد الله ومن جاء بعده منهم، حيث ارتكزت هذه السياسية الدينية على محاولات عدة لإصلاح التعليم والقضاء ومحاربة بعض ممارسات الطرق الصوفية وانتشار بعض المنكرات والأمراض الاجتماعية. وهكذا ألف هذا السلطان عدة كتب وضح فيها رأيه الذي يجمله في قوله إنه "مالكي مذهبا حنبلي اعتقاداً". كما شدد السلطان مولاي سليمان في الانكار على أهل البدع والطوائف الضالة رغم ما واجهه في سبيل ذلك من صعوبات داخلية تزعمها بعض العلماء المحافظين، ومع ذلك فقد تواصلت مظاهر هذه السياسة الدينية في عهود بقية السلاطين العلويين خصوصا بعد تزايد التدخل الأجنبي في البلاد وما واكبه من تأثر بالأجانب وتزحزح في الثوابت الاجتماعية فتم التركيز منذ ذلك الوقت على تثبيت الاخلاق الإسلامية داخل المجتمع وفي هذا الصدد تشتهر الوصية القرنية للسلطان الحسن الأول الموجهة إلى عموم الرعية وإلى العمال خاصة من أجل تفعيل مقتضياتها التي ترمي إلى الإصلاح الديني والاجتماعي وقد تكرر مثل هذا الاتجاه في سياسة كل من السلاطين الموالين بعد ذلك.

لقد أثرت هذه السياسة الدينية بالخصوص في الدفع بالسلفية إلى التطور بالنظر لعلاقتها بمجالات اهتمامات العلماء وبواقعهم الاجتماعي والعلمي. وفي هذا الصدد اشتهرت مجالس الدروس الحديثية التي كان يترأسها السلاطين أنفسهم حيث أصبحت تقليداً علميا مخزنيا يشجع العلم ويوجه العلماء نحو الاهتمام بالحديث والسنة بالإضافة إلى الفقه الذي كان يستأثر بجل اهتماماتهم، وقد تركزت عادة إقامة هذه الدروس منذ العهد الحسني الذي بلغت فيه 36 مجلسا حسنيا. وانبثق عن ذلك عناية خاصة بعلماء الحديث الذين كانوا ينفردون بمبايعة خاصة لهم للسلطان، هذا بالإضافة إلى العناية الخاصة التي كان يوليها مولاي الحسن بالخصوص لبعض فحول العلماء الذين اشتهروا باتجاهاتهم السلفية مثل الشيخ عبد الله السنوسي وأبي شعيب الدكالي.

بالإضافة إلى كل ما سبق لاشك أن هذه الأصول الداخلية المبلورة للفكر السلفي المغربي قد تطعمت ببعض المؤثرات الخارجية التي تراكمت بدورها بشكل تدريجي منذ أصداء الحركة الوهابية المشرقية في القرن (18 م) التي لم يتجاوز تأثيرها بعض الانتشار الجزئي لأخبارها في المغرب دون التجاوب مع أفكارها التي لاقت الكثير من التحفظ إلى درجة تأليف رسائل في الرد عليها مثل ما قام به أبو الحسن علي بن طاهر الوتري في مؤلفه "ما أبرزته الأقدار في نصرة ذوي المناقب والأسرار" منتصراً فيه للمتصوفة ومبينا أوجه الاختلاف بين الوهابيين والطرقيين.

إلا أن المؤثرات الخارجية المساهمة في تطوير الاتجاه السلفي المغربي ستبرز بشكل خاص خارج مدينة فاس وبعيدا عن جامع القرويين الممثل الرسمي لاتجاهات العلماء الفكرية وذلك في المدن الساحلية وبالخصوص عدوتي الرباط التي اشتهر فيها علماء حاولوا ترسيخ بعض التقاليد العلمية المختلفة عن مثيلاتها في فاس خصوصا في ميدان التعليم حيث جنح هؤلاء إلى التبسيط والسهولة كمنهج تدريسي واستخدام بعض الكتب الأكثر وضوحا وبساطة في مجالها والعناية بتدريس الحديث دراسة بحث وتحقيق بعد أن كان الاكتفاء بسرده فقط للتبرك بتلاوته وكذلك بالاهتمام بدراسة التفسير والتأليف فيه كما فعل إبراهيم التادلي الذي ألف حاشيتين على تفسيرين هامين هما تفسير الجلالين وتفسير البيضاوي، هذا بالإضافة إلى إحياء تدريس بعض العلوم الأخرى مثل الأدب والرياضيات والتاريخ.

ولعل السبب في تزايد مثل هذه التوجهات الجديدة في أوساط بعض العلماء ما كان يصل إلى المغرب من صحافة مشرقية وتونسية بدأت تحظى باهتمام البعض من النخبة العلمية المغربية بالنظر لما تنقله من أخبار التطورات الفكرية والسياسية المشرقية وآرائها في أوضاع المغرب الداخلية وعلاقته مع الأجانب، بالإضافة إلى تواصل المغاربة مع المشارقة عن طريق رحلات الحج والعلم والمراسلات الخاصة، ولاشك أن مجلة المنار المصرية التي كان يصدرها محمد عبده قد لقيت اهتماما من طرف بعض المغاربة رغم أن محمد عبده لم يزر المغرب رغم وصوله إلى كل من تونس والجزائر.

إذا أضفنا إلى كل ما سبق أن التدخل الأجنبي الأوربي في المغرب قد بلغ أوجه في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وبداية العشرين وترتبت عليه جملة من القضايا التي كانت تمس رتابة الاتجاهات الفكرية عند العلماء وتستفز مشاعرهم الدينية وتطرح عليهم جملة من النوازل التي يجب البث فيها بطريقة لا تتعارض مع الشريعة وفي نفس الوقت تأخذ بعين الاعتبار مصلحة المغرب وضرورة الخروج بحلول ملائمة لهذه المشاكل تكون في صالح البلاد والعباد خصوصا في علاقاتهم بالأجانب التي أصبحت أمراً واقعاً يجب التعامل معه بحذر.

هكذا واجه العلماء معضلات متعددة من أبرزها :

- مفهوم الجهاد وضرورة الأخذ به في هذه الظروف.
- الحمايات الشخصية الأجنبية.
- حدود التعامل مع الأجانب في التجارة وغيرها.
- النظام الضرائبي وعلاقته بالشرع عند اضطرار المخزن لتطبيق الاصلاحات المالية بدءا بالمكس والمعونة والتوظيف ووصولا إلى الترتيب.
- تجديد الفقه انطلاقا من إصلاح التعليم ونظام القضاء والافتاء.
- ضرورة مواجهة التدخل الأجنبي الذي تطور إلى استعمار سياسي وحماية.

لقد ساهمت القضايا السالفة الذكر وغيرها كثير في بلورة الاتجاه السلفي المغربي ودفعته إلى التغير والتطور واكتساب التراكمات الفكرية التي أعطتنا في نهاية المطاف حركة سلفية مغربية لها خصوصياتها وسياقها التاريخي

الذي أفرز ثلاثة اتجاهات رئيسية انبثق كل منها من سابقه ثم تجاوزه ليختلف عنه مع ملاحظة مزامنة القديم منها للجديد وعدم اندثاره بشكل كلي، وهي كالتالي :

1 ـ السلفية الدينية المحضة

يعتبر هذا الاتجاه الأول من نوعه من حيث السياق التاريخي فهو مرتبط ببداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد واكب البدايات الأولى للتوغل الأجنبي في البلاد، ويعد امتدادا لحركات الإصلاح والتجديد عند علماء المغرب في العهود السابقة.

وقد انبثق بالخصوص من داخل جامع القرويين باعتبار أقطابه من أعلام المدرسين داخل القرويين الذين تميزوا بعدم تعاملهم مع المخزن في أية وظيفة لها علاقة بالسياسة باستثناء مجالات التعليم والقضاء والافتاء باعتبارها خططا دينية محضة.

لقد اعتبر هذا الاتجاه الإصلاح تطبيقا للشرع حسب ظاهر النصوص وهذا ما جعل بعض الباحثين ينعت سلفيته بسلفية النصوص لابتعادها عن أي اجتهاد ومحاولة للتأويل والاستنباط وهو بهذا يقترب من الوهابية من حيث المنهج إلا أنه يختلف عنها كثيراً لتشبثه بالمذهب المالكي وبتفريعاته الفقهية المختلفة، كما يختلف عنها في كونه لا يرفض التصوف مطلقا بل بعض جوانبه الطرقية ومغالاة بعض أقطابه بالإضافة إلى محاربته جوانب من الممارسات الشعبية لأتباع المتصوفة الطرقيين.

بالنظر لمحدودية الاجتهاد في هذا الاتجاه فهو لا يتطلع إلى أي تحديث أو ملاءمة للوقائع مع الشرع. لهذا كانت مواقفه من القضايا الطارئة مع التدخل الأجنبي متشددة إلى درجة الرفض الشامل لكل ما له علاقة مع الأجانب فتبلورت فيه فكرة رفض الغرب وقوانينه الوضعية خوفا على الإسلام والهوية العربية الإسلامية، وهكذا كانت دعوته إلى الجهاد ضد الأجانب دائمة ومستمرة بغض النظر عن تفوقهم وضعف المسلمين والمناداة باستمداد القوة والعون من الله عن طريق تطبيق الشريعة والرجوع إلى أصولها في الكتاب والسنة، ومن خلال هذا الرأي تنبثق كل الآراء الأخرى لهذا الاتجاه الممانعة في التعامل مع الأجانب تحت أي ظرف من الظروف وملاحقة أصحاب الحمايات الشخصية القنصلية والمناداة بالهجرة من الأماكن التي يوجد فيها النصارى هروبا بالدين وخوفا من الفتنة إلى غير ذلك من المواقف التي تسير في نفس هذا المسار بخصوص التجارة واستعمال المخترعات الغربية وأساليب التعامل الوضعية.

أبرز من تزعم هذا الاتجاه الفقيه محمد بن المدني كنون وعلماء الزاوية الكتانية كمحمد بن عبد الكبير الكتاني ومحمد بن جعفر الكتاني وغيرهم الذين كان همّ سلفيتهم دينياً محضاً لا يدرك سوى حقيقة واحدة هي الدفاع عن الإسلام، في محاولة للمقارنة بين ما كان عليه تطبيق الدين في عهد السلف الصالح وما أصبح عليه تطبيقه في عهدهم المتأخر رافعين ثلاثة شعارات أساسية هي :

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- مقاومة كل البدع والمحدثات
- ضرورة العودة إلى تطبيق الإسلام الصحيح حسب مواصفات كتب السنة وظاهر النصوص.

وقد ألف أقطاب هذا الاتجاه عدة كتب اشتهر بعضها في إبراز جوانب اتجاههم السلفي نذكر منها على سبيل المثال : مجموعة كتب النصيحة لمحمد بن المدني كنون التي لقيت عناية خاصة في محاولة لنشرها بين الناس عن طريق طبعها طباعة حجرية بفاس حينما ازدهرت هذه الوسيلة في النشر نهاية العهد الحسني وأيام السلطان مولاي عبد الحفيظ بالخصوص. وقد ركزت هذه الكتب على إبداء الرأي في كثير من نوازل الوقت كمخالطة الأجانب والحجر الصحي وفساد الافتاء والقضاء وظلم المخزن والتسري بالجواري وغيرها... كما اشتهر بعد ذلك بتوضيح هذا الاتجاه كتاب محمد بن جعفر الكتاني : "نصيحة أهل الإسلام" الذي طبع بدوره على الحجر بفاس.

وعلى الرغم من كون رائد هذا الاتجاه محمد بن المدني كنون من كبار العلماء المدرسين بالقرويين حيث تتلمذ على يديه جم غفير من العلماء إلا أن قلة منهم ممن أتبع نفس خصوصيات سلفيته من أمثال قريبه محمد بن عبد السلام كنون الذي كان يدرس الحديث والتفسير بشرح البيضاوي.

2 ـ السلفية الاصلاحية السياسية

تطورت السلفية بعد ذلك في اتجاه آخر ارتبط بصفتي الاصلاح والسياسة نظراً لأن أهم ما يميز أقطابه هو الاشتغال مع المخزن في مهام ووظائف لها علاقة بالسياسة وتدبير الشأن العام، بالإضافة إلى المهام التقليدية لمجمل العلماء في مجالات التعليم والقضاء وما يتعلق بها، وقد ساهمت هذه الخاصية في تطوير الاتجاه السلفي الديني من اتجاه راديكالي صرف إلى اتجاه واقعي مرن لا يرفض منطلقات الاتجاه الأول ولكنه ينطلق منها ويكيفها حسب منهجية جديدة استفادت كثيراً من قواعد الفقه والتراث الإسلامي بالاعتماد على مبادئ وقواعد وأصول كلية مقبولة شرعا وتعطي للعقل حيزاً مهما في التعامل مع النوازل والمشاكل، وذلك باستغلال تلك المبادئ والقواعد مثل : درء المفسدة وجلب المصلحة ارتكاب "أخف الضررين" الضرورات تبيح المحظورات، وغير ذلك من القواعد الفقهية المستعملة في فقه النوازل وما جرى به العمل في إطار الفقه المالكي وحتى خارجه.

وقد اعتمد هذا الاتجاه كثيراً على منهجية التفكير التي عرفت عند الشيخ الشاطبي الأندلسي التي تماثل في أهميتها أهمية قواعد علم العمران عند ابن خلدون، باعتبارها غايات ومقاصد التشريع في التعامل مع الوقائع والنوازل أولى من الوقوف عند النصوص في خصوصيتها بل النظر إلى النصوص في إطار نظرة شاملة تستحضر كلية الشريعة وأهدافها العامة.

هذا الاتجاه أعطى آراء وتحمل مواقف كلها تأييد للمخزن وبحث عن المبررات الممكن إعطاؤها لإضفاء الشرعية الفقهية والمسوغات الدينية للمواقف التي اضطر المخزن لتبنيها منذ العهد الحسني وإلى الثلث الأول من القرن العشرين، ابتداء بما أعلنه الناصري وانتهاء بما وصل إليه الحجوي في مواضيع عدة تجملها الخطوط الرئيسية التالية :

- ضرورة التخلي عن فكرة الجهاد وإعطاء مبررات لذلك تحول الجهاد ضد الأجانب إلى جهاد داخلي لإصلاح النفس من أجل الوصول إلى مرتبة الآخر من أجل مقاومته.

- ضرورة الأخذ بكل ما يمت إلى التحديث والتطور والتقدم بصلة في مجالات : التجارة والضريبة والتعليم والمرأة وغيرها واقتباسه من الغرب ما لم يتناقض مع أسس الشريعة الإسلامية وما دام يسير في نفس اتجاه مقاصدها وغاياتها الهادفة إلى إصلاح المجتمع وتقويم سلوك الناس وممارساتهم.

- ضرورة مهادنة فرنسا والاستفادة من تنظيماتها والبحث عن حلول لتطوير المجتمع والمحافظة على اللغة العربية والهوية الإسلامية في إطار هذه المهادنة.

بين الناصري والحجوي برزت داخل هذا الاتجاه الثاني عدة أسماء لكل منها خصوصيته داخل الإطار العام نذكر منها :

علي السملالي السوسي - عبد الله السنوسي - أحمد بن المواز - أبو شعيب الدكالي وغيرهم. إلا أن الموقف من فرنسا المستعمرة هو ما سيخلق بين هؤلاء وغيرهم من العلماء السلفيين المتنورين كذلك في ظل نظام الحماية فارقا أساسيا سيؤدي إلى خلق وبعث اتجاه جديد للحركة السلفية المغربية سيركز على نفس مبادئ الاتجاه الثاني ولكنه سيقف موقف المتشدد من كل ما له علاقة بتأييد سياسة الحماية أو مؤازرتها أو على الأقل تجاهلها ليدخل الحركة السلفية في إطار سياسي جديد يعتمد على مناهضة أساليب الحماية وإدارتها ومحاولة الضغط عليها لتحقيق غاية أساسية هي الاستقلال وقد كان حلقة الوصل في هذا الاتجاه الشيخ محمد ابن العربي العلوي الذي تتلمذ على يديه جيل السلفيين الجدد بزعامة علال الفاسي، وبذلك دخلت السلفية المغربية في طور جديد مع الاتجاه الثالث الذي اشتهر باسم السلفية الوطنية الجديدة.

3 - السلفية الوطنية الجديدة

في هذا الاتجاه الثالث تكمن خلاصة التطور الذي آلت إليه الحركة السلفية المغربية باحتفاظها بأصولها التاريخية وتكيفها مع الوقائع والأحداث وبروز اختلافاتها الواضحة مع السلفية المشرقية المعاصرة لها والمرتكزة على مبدأ التوفيق بين الغرب والإسلام فقط.

لقد تجاوزت السلفية المغربية في هذا الاتجاه غاياتها الأساسية التي دعا إليها الاتجاهان السابقان وحققا فيها تراكما مهما لتصبح وسيلة لا غاية وأداة عمل عند مجموعة من روادها الذين سيعملون بواسطتها من أجل تحقيق الانعتاق والتحرر من الاستعمار وبذلك نعتها كل الباحثين بأنها الإطار الفكري الذي تبنته الحركة الوطنية أي إديولوجيتها الفكرية التي تربط السياسي بالديني ربطا جدليا، لدرجة جعلت السلفية والوطنية تعنيان شيئا واحدا عند المتتبعين لهذا التطور، فقد أصبح بعدها السياسي، أكبر من ذي قبل، مرتبطاً بتحقيق مفاهيم سياسية جديدة تتجاوز قبول الأمر الواقع وتحقيق النظام والأمن إلى توسيع مفهوم الاصلاح وربطه بمفاهيم التحرر وبناء الاستقلال، وفي هذا الإطار ركزت السلفية في اتجاهها الجديد هذا على الجوانب الأكثر خدمة لهذه الغاية كمحاربة الفكر الغيبي والتخلص من ممارسات الطرقيين التي يستغلها المستعمر لتثبيت وجوده، واعتبار العمل السياسي والنضال الوطني جهادا جديدا ضد المستعمر لابد من مزاوجته مع الفكر السلفي.

لقد أوضح علال الفاسي هذا التطور في عدد من مؤلفاته نخص بالذكر منها : الحركات الاستقلالية - مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها - دفاع عن الشريعة - النقد الذاتي وفي غيرها من كتاباته وقد ركز بالخصوص على دور العقل في التحرر الفكري والسياسي وبالتالي تدعيم غايات السلفيين الجدد لتحقيق مشروع النهضة والتحديث وبناء الدولة الوطنية، وهذه الدعوة إلى العقل يتم تأصيلها بالرجوع إلى التراث الإسلامي وفهمه بكيفية لا تعارض فيها مع ما يقتضيه العقل والعلم، وذلك بالنظر إلى الأمور انطلاقا من مقاصد الشريعة وأصولها لا بدلالات النصوص القطعية وبالتالي الخروج باجتهادات تنسجم مع هذه المقاصد ولا تتعارض مع العلم والتطور والمعاصرة.

عموماً فإن الربط بين التجديد والتغيير والتحرر والتحديث هو ما شغل هذا الاتجاه في ربط للحياة والوسائل العصرية بالبيئة الإسلامية لجعلها قادرة على التأثير والتأثر. وبهذا حافظت السلفية في نهاية المطاف على كل الجوانب الإيجابية في الاتجاهين السابقين من بدايتهما عند الشيخ محمد بن المدني كنون إلى تطورهما عند محمد بن الحسن الحجوي وتجاوزت كل ذلك باستخدامه كوسيلة للتحرر من الاستعمار وبناء مجتمع إسلامي عصري بعد ذلك.

لقد كانت أبرز مميزات هذا الاتجاه الثالث ما يلي :

- دعوة صريحة للاعتماد على العقل والعلم والابتعاد عن التفكير الغيبي التقليدي

- اعتماد الفقه المقاصدي في البحث عن حلول لكل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية في علاقتها بالشريعة الإسلامية.

- ربط الاصلاح الديني بنظيره الاجتماعي والسياسي

- الدعوة إلى الاجتهاد واستنباط الأدلة اعتمادا على الأصول الكلية للشريعة

- السعي لمحاربة الاستعمار وبناء الدولة الوطنية في أبعادها العربية والإسلامية

- محاربة كل مظاهر السلوك الاجتماعي والسياسي التي تتنافى والغايات السالفة الذكر.

لقد تبلورت مجمل هذه الأفكار بالخصوص عند علال الفاسي في مرحلة ما بعد إعلان الظهير البربري سنة 1930، وأصبحت السلفية منذ ذلك الحين مرتبطة بالحركة الوطنية وبالتطورات السياسية التي أدت في نهاية الأمر إلى إنشاء الأحزاب السياسية ليتبنى أفكارها مع كثير من التطوير والتحوير والدمج مع أفكار أخرى حزب الاستقلال إلى حين وفاة زعيمه السلفي علال الفاسي.

*الكتب المذكورة داخل النص* ؛ ع. الجليل بادو، *الأثر الشاطبي في الفكر السلفي بالمغرب* ؛ سعيد بن سعيد العلوي، *الاجتهاد والتحديث*، دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب ؛ م. الفلاح العلوي، *جامع القرويين والفكر السلفي* ؛ ع. القادر الشاوي، *السلفية والوطنية* ؛ ندوة، الحركة السلفية في المغرب العربي، مجموعة مقالات ؛ مجلة *المناهل* عدد خاص، السلفية ثوابت وسياقات.

محمد الفلاح العلوي

**السلكة** في اصطلاح القراء المغاربة هي ختم القرآن إما حفظا وإما قراءة، وقد اختص هذا المصطلح بالمغاربة دون المشارقة. ولذلك يطلق على السُّلْكة اسم "الختمة"، وتعرف أيضاً بـ "الحَذْقَة". والحذق والحذاقة : المهارة في كل عمل. وحذق الغلام القرآن : مهر فيه وتعلمه كله، ويقال لليوم الذي يختم فيه الصبي القرآن : هذا يوم حذاقه (*المعيار*، 8 : 240 ؛ *المعسول*، 1 : 34) "الحَذْقَة".

وكذلك ختم القرآن في وقت واحد وفي جلسة واحدة، يسمى سلكة، ويكون هذا الختم جماعيا، أي يتم توزيع أجزاء القرآن على الأفراد الحاضرين في منزل صاحب الوليمة أو صاحب السلكة، كل فرد يتكلف بقراءة جزء معين. والهدف من هذا ختم القرآن أو إتمام سلكة في ذلك المنزل لتعم أهله البركة وينالون الأجر والثواب. وتسمى هذه الختمة بـ "تَحَزَّابْت" أو "التفريق" وهي محدثة (م. السوسي، مدارس، 35 ـ 36).

وقد يطلق مصطلح السُّلْكة أيضاً على ختم المتون عن طريق الحفظ، كسلكة خليل (التازي، *جامع*، 3 : 751 الهامش، و*الأجرومية* و*الألفية* (م. *الهبطي*، *مفتون*، 21 ـ 119). ويصف الفقيه أيت بومهاوت هذه السلكة بأنها "عبارة عن مأدبة تقام ويدعى إليها حفظة القرآن الكريم لتلاوة أجزاء القرآن "التفريق" وما تيسر من الأمداح النبوية، وتقام غالبا بعد المناسبات الدينية والاجتماعية كالوليمة والعقيقة والرجوع من الحج ..." (*منار السعود*، ص. 358).

وقبل حصول الطالب على السُّلْكة فإنه يختم عدة ختمات صغرى ؛ أي يختم جزءاً بعد جزء حتى ينهي حفظه للقرآن كله، وبذلك يكون قد ختمه الختمة الكبرى النهائية (السلكة). وقد يكرر حفظه للقرآن من جديد عدة مرات حتى يستقر في صدره جيداً ويضبطه رسما وترتيلا، بل كان من الفقهاء من يختم القرآن في اللوح كل سنة خشية أن ينساه (ابن مريم، *البستان*، 91).

أما الفترة المفضلة لحفظ القرآن الكريم فهي فترة الطفولة؛ أي المرحلة الدراسية الأولى، فقد حفظه بعض العلماء فيما بين السنتين السابعة والعاشرة، ومنهم من تجاوز ذلك. وهذا راجع أساسا إلى تفاوت درجات تركيزهم ومدى قوة ذاكرتهم واختلاف ظروف نشأتهم وتربيتهم، إلا أنه وجد من حفظ القرآن في كبره (في سن الكهولة مثلا) (فهرس *المنجور*، 63 ـ 64).

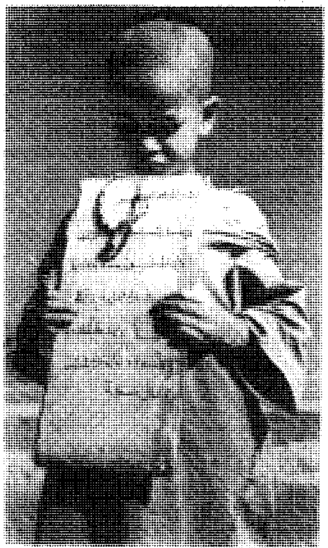

ومعظم القراء بالمغرب حفظوا القرآن برواية ورش، ومنهم من ختمه حفظا بالقراءات السبع، والطالب الذي ختم القرآن بالقراءات السبع يسمى "المسبّع"، كما وجد من ختمه بالقراءات العشر (مفتون، 17، 45 ـ 50 ـ 97).

أما مدة ختم القرآن حفظا فإنها قد تطول أو تقصر حسب همة واجتهاد كل طالب ومدى قوة ذاكرة الحفظ لديه، فمن الطلبة من استغرق عدة سنوات، ومنهم من تمكن من حفظه في مدة أقل كسنة أو سنتين.

وتجدر الإشارة إلى أن عملية الحفظ تلك لم تقتصر على الذكور فحسب، بل تعدتهم إلى الإناث، فمنهن من حفظن القرآن المجيد على أيدي آبائهن أو أقاربهن من العلماء، ومنهن من استفدن من فقهاء أجانب في إطار من الحياء والحشمة.

ولتقريب صورة الاحتفال بالسلكة نقدم نموذجا مما جرت به العادة في بلاد سوس، خاصة بمدرسة الملود، فعندما يحصل الطالب على سلكة لأول مرة يعمه الفرح والابتهاج، ويعمد إلى محو إحدى جهتي لوحته، ويرسم فيها دائرة في وسطها، يتراوح قطرها ما بين 15 و11 سم على حسب عرض اللوحة وطولها، ثم يسطر داخل الدائرة ويكتب فيها الآيات الأخيرة من سورة البقرة انطلاقا من "آمن الرسول ..."، هذا إن ختم القرآن من الأسفل إلى الأعلى ؛ أي من سورة الناس إلى سورة البقرة، أما إن فعل العكس، فإنه يكتب في الدائرة المذكورة سورة الإخلاص والمعوذتين، وبعد كتابة ذلك يذهب

بلوحته إلى أستاذه الذي يكتب فيها بدوره بعض الآيات والأبيات الشعرية.

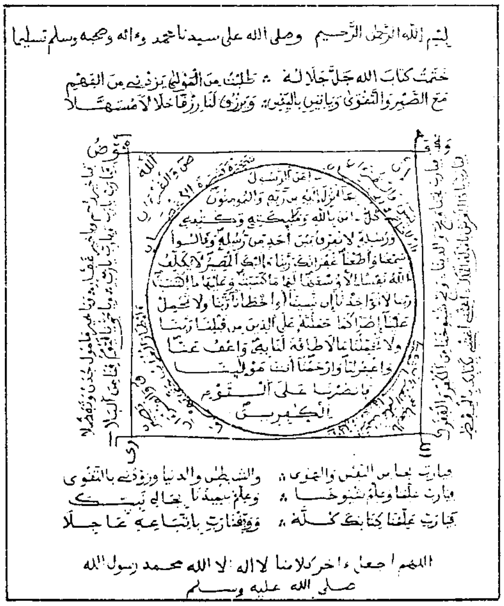


ثم تلف لوحته في منديل مزوق جديد من خز يسمى "تاسبنيت"، وهو أحسن قناع تغطي به المرأة رأسها في المحافل، يأتي به بعض أبناء الأغنياء من داره بأمر من الأستاذ، وبعد ذلك يذهب التلميذ بهذه اللوحة إلى أقاربه ليتبركوا بها، وقد تبقى عندهم أيام عطلة السلكة كلها. (الإلغي، *المدرسة*، 63).

ويمنح التلميذ الذي حصل على السلكة مع أصدقائه عطلة استثنائية لمدة يوم أو يومين، ثم يستأنفون دراستهم من جديد.

أما أسرة الطالب صاحب السلكة فتقيم حفلا تكريما له ولأستاذه، لأنها تدرك أن ابنها قد قطع مرحلة مهمة جداً في تعلم القرآن الكريم وحفظه، ويشارك في هذا الحفل زملاؤه وأقرباؤه، وتشجيعا له، فإن جلهم يستصحب معه هدية يقدمها إليه، وغالبا ما تكون نقدية.

هذا وقد تختلف مراسيم حفل السلكة من منطقة إلى أخرى، لكن الاحتفال بها يبقى عاما في كل المناطق المغربية على وجه الخصوص.


أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1400، 8 : 240 وما بعدها ؛ م. ابن مريم التلمساني، *البستان*، الجزائر، د. ت.، 91 ؛ أ. المنجور، *فهرس المنجور*، تح. م. حجي، الرباط، 1976، 63 ـ 64 ؛ م. المختار السوسي، *مدارس سوس العتيقة*، طنجة، د. ت. 35 ـ 36، *المعسول*، الدار البيضاء، 1960، 1 : 34، صالح الإلغي، *المدرسة الأولى*، وصف شامل للتعليم الأولي بالمدرسة القرآنية في سوس، نموذج مدرسة إلغ، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1998، 46 ـ 49 ـ 63 ؛ م. أيت بومهاوت الوسخيني، *مدار السعود عن تفراوت الملود ومدرستها العتيقة*، د. ت. ولا م، 358 ؛ إ. خليفة، *الحركة العلمية الثقافية بتطوان*، 1994، 1 : 282 ـ 283 ؛ م. الهبطي المواهبي، *مُفتون منسيون بغمارة وشفشاون*، 2000.


عبد العزيز الضعيفي

**السلّ**، داء قديم تتسبب فيه مكروبات من نوع العصيّات، تقدمت معرفته مع القرن التاسع عشر عندما تمكن العالمان الفرنسيان لاينيك Laennec (1781 ـ 1826) وڤيلمان Villemin (1827 ـ 1892) من التوصل إلى كون المرض معدياً ويصيب جميع أعضاء الجسم. وفي سنة 1882 تمكن الألماني كوخ Koch من اكتشاف المكروب المسبب للسل وهو نوعان :

- بشري وينتقل من شخص إلى آخر ويوجد في لعاب المصابين بالسل وثيابهم وكذا في غبار الطريق.
- حيواني ويوجد في ألبان الأبقار المسلولة ولحومها.

وتتم العدوى عن طريق الرذاذ المنبعث من فم المصاب أثناء الكلام أو السعال أو العطس أو من الغبار الحامل للمكروب بعد جفاف البصاق على الأرض. كما يلعب الذباب دوراً مهما في نقل السل.

ويمكن للسل أن يصيب أي جزء أو جهاز من أجهزة الجسم البشري، على أن أهم جهاز تهاجمه عصيات كوخ هما الرئتان، لذلك كان السل الرئوي من أكثر أنواع السل تفشيا بين الناس. وهو الذي يهمنا هنا وتتميز أعراضه بما يعتري المبتلى به من هزال مع انتفاء شهوة الأكل. بالإضافة إلى السعال والبصق وربما نفث المصاب الدم أثناء سعاله. وتنتاب المسلول كل مساء عوارض من الحمى وتصبب العرق. وقد تشتد حالة المريض ويزداد هُزاله إلى أن يموت.

كان داء السل يسمى عند المغاربة "بمرض السل" أو "مرض الرية" أو "الضرّ الكبير" وأحياناً "المرض القبيح"، وهي تسميات تنم عن خطورته وخبث الإصابة به. وقد تعذر علينا تتبع تفشيه بين المغاربة في الحقب السابقة لدخول الفرنسيين إلى المغرب، بسبب شح المصادر في هذا الباب بحيث لم نعثر في ماوقع بين أيدينا من مراجع على ذكر لداء السل إلا ما ورد في إشارة لدى صاحب *الترجمانة الكبرى* تتعلق بالسلطان المولى عبد الله العلوي إذ يقول "وكان [المولى عبد الله العلوي] مريضا بداء الرئتين الذي أصابه أثناء حملته على بني مطير في فصل الثلوج حيث قضى ما يقرب من سنة في هذه الحرب ... وبقي في قصره بفاس مقعداً بمرضه العضال الذي كان سببا في نهاية أجله سنة 1171 / 1757.

وأفاد الأطباء الذين عملوا ببعض مدن المغرب في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أن داء السل وخاصة الرئوي منه كان قليلا بالمغرب، فأشار ديسبين Despine، وهو من الأطباء الذين عملوا بالصويرة سنة 1840 إلى أن داء السل كان مجهولا بها، وأكد ذلك الطبيبان Thevenin وOllive اللذان عملا بعده بعدة سنوات في الصويرة. ووردت إشارات لدى كل من وايزجيربر Weisgerber وهيرزن Herzen ودوزانس Douzans وريملينجير Remlinger وهم من الرعيل الأول من الأطباء الذين قدموا إلى المغرب، تفيد كلها ندرة السل الرئوي بين المغاربة وقلة عدد المبتلين به.

غـيـر أن أعـداد المصـابين بـالسل على قلتـهم كـانت تتصاعد، كما يستفاد من إحصاءات المستشفى الفرنسي بطنجة في الجدول التالي :

| السنوات | عدد المرضى بالسل الرئوي المقبولين بالمستشفى | عدد الوفيات بالسل الرئوي |
|---|---|---|
| 1903-1900 | 15 | 2 |
| 1907-1904 | 28 | 4 |
| 1911-1908 | 88 | 22 |
| 1915-1912 | 96 | 22 |
| 1919-1916 | 121 | 33 |

وأمـام تكاثر المصـابين بعـد أن كـانوا قلة، طرحت على المهتمين بالصحة مسألة ما إذا كان داء السل قد طرق المغرب مع من أمه من الوافدين الفرنسيين، أم أن له أسباباً داخلية ساهمت في تفشيه. والظاهر أن العاملين معا ساهما بشكل فعال في نشر السل ومده بأسباب التكاثر والاستشراء. ذلك أن الطبيبة دولانوي Delanoé، وهي من الطبيبات اللائي عملن بالمغرب منذ سنة 1913، قد لاحظت أن مصالح الإعانة الطبية واجهت منذ سنة 1919 كارثة خطيرة هي داء السل، حيث ساهم وباء "الزكام الإسباني" الذي ألم طائفه بالبلاد متسللا من أوربا وأهلك قرى بكاملها في منطقة جبالة، إذ جعل رئات من أصيبوا من المغاربة بهذا الداء أقل مقاومة لعيث العصيات المسببة للسل.

وتفيد تقارير المستوصفات في بداية العشرينيات أن عدد الاستشارات الطبية الخاصة بالمسلولين كانت تسير في تصاعد كما يلاحظ من الجدول التالي الخاص بمستوصف فاس:

| | المعدلات العامة | | |
|---|---|---|---|
| | 1921 | 1922 | 1923 |
| الاستشارات العامة | 808 | 1618 | 1833 |
| اسشتارات المسلولين | 217 | 351 | 460 |
| النسبة المائوية لاستشارات المسلولين | ٪26,9 | ٪21,7 | ٪25,1 |

وأدى تفـاحش السل وعلى الخصوص في الأوساط الحضرية إلى تركيز الاهتمام على مكافحته فظهرت مستوصفات خاصة بمقاومته أردفتها سلطات الحماية في سنة 1924 بخلق العصبة المغربية لمكافحة السل، وسنت ظهير أبريل 1925 الذي يصنف السل ضمن الأمراض ذات الإعلان الاجباري.

ومع ما خلقته الأزمة الاقتصادية لسنة 1929 من اضطراب في الأحوال انعسكت آثاره سلبا على اقتصاد المغرب ومجتمعه في بداية الثلاثينيات، ارتفع عدد الوفيات بالسل سنة 1932 بشكل خطير كما في الجدول التالي المتعلق بمن تأويهم مستوصفات بعض المدن من المصابين بالسل :

| المدينة | عدد المرضى بمستوصفها | عدد المتوفين منهم بالسل |
|---|---|---|
| فاس | 189 | 100 |
| مراكش | 59 | 33 |
| مكناس | 50 | 32 |

ساهم جفاف 1937 - 1938 في تفاحش الإصابات بالسل وارتفع عدد من قضوا به من المغاربة مسلمين ويهودا في المدن البلديات وحدها إلى 1652 سنة 1937 و1660 سنة 1938. أما الأوربيون فقد ذهب الداء بـ 30 شخصا منهم من ضمنهم 19 فرنسيا فيما بين دجنبر 1937 وماي 1938. وتفيد تقارير بعض المستشفيات لسنة 1938 بارقام حول نسبة الوفيات من بين المرضى المسجلين بتلك المستشفيات وهو ما يتضح من الجدول الآتي :

| المستشفى | عدد المرضى | نسبة المتوفين منهم |
|---|---|---|
| مولاي يوسف (الرباط) | 239 | ٪50 |
| كوكار (فاس) | 201 | ٪67 |
| موشان (مراكش) | 110 | ٪35 |

وخلقت الحرب العالمية الثانية ظروفا ملائمة لاستفحال السل بما تسببت فيه من تدهور في أحوال المغاربة ونقص في مواد التغذية والنظافة واللباس، وزاد من حدة الوضع ما أصبحت تعانيه إدارة الصحة من تقلص في عدد الأطباء والمستخدمين وقلة في الأدوية والعقاقير، فأعضل أمر السل وارتفع عدد الوفيات من جرائه بشكل غير مسبوق كما يتضح ذلك من الأرقام أسفله :

| السنوات | عدد الوفيات بالسل |
|---|---|
| 1939 | 1371 |
| 1940 | 1427 |
| 1941 | 2074 |
| 1942 | 2676 |
| 1943 | 2868 |
| 1944 | 2533 |
| 1945 | 3541 |

وحاربت سلطات الحماية داء السل في إطار برنامجها

الصحي الذي كان يرمي إلى الحفاظ عل الأوربيين ومن يتصل بهم من العمال والمستخدمين المغاربة، فأنشأت مجموعة من المستوصفات بفاس والدار البيضاء ومكناس والرباط ومراكش، كانت تعمل بتنسيق مع العصبة المغربية لمكافحة السل. واحترازاً من هذا الداء ولوقاية الأطفال من شره ظهر ماكان يسمى يومئذ حدائق الشمس، وهي دور تعنى بمن نال منهم الهزال وضعف البنية من الأطفال، حيث تؤويهم طيلة النهار وترجعهم إلى عائلاتهم مساء بعد أن يكونوا قد استمرأوا طعاما متوازنا وتعلموا بعض مبادئ النظافة وحفظ الصحة. واشتهرت من هذه المؤسسات اثنتان : الأولى بالرباط وكانت تضم 35 طفلا، والثانية بسلا وتؤوي 48 من الأطفال ذكوراً وإناثاً وعلى الرغم من تولي العصبة المغربية لمكافحة السل هذه الحدائق بالتعهد والرعاية فإن ما كان يقدم لها من إمكانيات ظل محدوداً لا يسمح بإيواء عدد أكبر من الأطفال.

وبادرت إدارة الحماية من جهة أخرى إلى جمع التبرعات لمكافحة الداء فنظمت حملات لبيع الطوابع الخاصة بداء السل، وهي طوابع بريدية كانت تباع في الأسواق والدكاكين والمدارس والإدارات في ما بين فاتح دجنبر وفاتح يناير من السنة، وقد تأتى من خلال هذه العملية جمع 94.995,85 فرنك في مابين دجنبر 1935 ونهاية يناير 1936.

واعتمد القائمون بشؤون الصحة على عملية التلقيح باستعمال مصل ب س ج (B C G). واعتمدت الحماية باتفاق مع منظمة الصحة العالمية والصندوق الوطني لانقاذ الطفولة، على برنامج يقضي بتنظيم حملات للتلقيح في ما بين 1949 و1950 تستهدف ثلاثة ملايين شخص. ونظراً لارتباط داء السل بالفقر وسوء الأحوال الاجتماعية، فان محاولات الحماية لتطويقه والقضاء عليه ظلت محدودة. واستمر يعيث في الأوساط الفقيرة من المغاربة بعد الاستقلال حيث بلغ عدد المصابين به في سنة 1980 : 24.000 شخصاً، وفي 1995 : 29.939 شخصاً، وجاء في بعض قصاصات الجرائد أن السل في المغرب يذهب كل سنة ب 600 شخص من ضمن 30.000 مصاب.

داود الأنطاكي، *تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب*، بيروت، د. ت ؛ عثمان الكاديكي، *الأمراض المعدية*، بنغازي، د. ت؛ أبو القاسم الزياني، *الترجمانة الكبرى*، مخطوط ؛ *جريدة الاتحاد الاشتراكي*، 11 ـ 4 ـ 1997 ؛ *جريدة الأحداث المغربية*، 12 ـ 3 ـ 2001، *السعادة*، 20 نونبر و6 دجنبر 1930.

*Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1931 - 1950; Maroc - Médical*, 1920 - 1950 ; G. Tasserie, *Contribution à l'étude de la tuberculose au Maroc*. Thèse pour le doctorat en médecine. Paris, 1921.

بوجمعة رويان

ابن **سلاّم**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Zellam.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقم 340.

**سَلاّمة** (أولاد -) قبيل معروف بعدد من الجهات مثل إقليم فگيگ حيث يوجدون في تندرارة ويعيشون إلى جانب أولاد بادّة وأولاد بلقاسم وأولاد بنعمرو. وهناك أولاد سلامة العمريّون من فرقة عامر التحتية المشتملة على عامر السفلى وأولاد سلامة وكلتاهما بشمال مدينة القنيطرة، ومن قبيلة بني حسن. وقد بلغ عدد خيامهم في مطلع القرن العشرين 169 وحدة تتألف من أولاد سعود وأولاد زيد وأولاد عمرو وأولاد منصور وأولاد الطيبية زيادة على الغزاونة وهم أولاد سلاّمة ـ بتشديد اللام ـ فخذة من قبيلة عرب الصبّاح جنوب الرباط. وأشهر قوادهم في القرن التاسع عشر هم عبد الله ولد مريم (ت. بعد 1295 / 1878) والحاج بوسلهام بن الخياط (ت. 1314 / 1896) وبوعزة بن علي ولد الرّوانية (ت. بعد 1313 / 1896) ومَحمد (فتحا) بن عبد القادر الحشلافي (ت. بعد 1321 / 1904) وبوسلهام بن حميدة بن المعطي الذي ولي قبل انتصاب الحماية ومكث بعدها سنوات أخرى.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، 153 ـ 157 ـ 162 ـ 166 ـ 170 ـ 174 ـ 208 ـ 210 ؛ *التقسيم الإداري والجماعي*، 1992.

*Villes et Tribus du Maroc*,. Rabat, Tome III, Tome I *Banlieue de Salé*, passim et surtout p. 183 ; *Tribus et fractions de tribus de la zone française du Maroc*, p. 11, Rabat, août 1955.

مصطفى بوشعراء

ابن **السلمان، محمد** السلمان مقاوم من مواليد سنة 1931 بالعيون انخرط في صفوف جيش التحرير بالمقاطعة التاسعة مركز تافودارت وذلك سنة 1956. عرف بين رفاقه بالإخلاص والتفاني في العمل، شارك في عدة معارك أبان فيها عن روح نضالية قوية إلى أن استشهد في معركة تكل سنة 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514225.

**سلْمُون** وابن سلْمُون أسرتان تطوانيتان أصلهما من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Salmon ومعناه سمك سليمان ؛ وهناك فرقة أخرى من قبيلة وَدْرَاس القريبة من تطوان غرباً يدعون (سلْمونشْ) وقد انقرضت هاتان الأسرتان بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقم 343 و1395.

محمد ابن عزوز حكيم

**سلوان**، قصبة تاريخية ومدينة. ظهرت القصبة بتراب خُمْس بني بويفرور القلعي على الضفة اليسرى من واد تياوت الذي يحمل اسم واد سلوان أيضاً، بعد أن أمر المولى إسماعيل سنة 1090 / 1679 بتأسيسها. غير أن تأسيس القصبة لم يثر فضول أحمد بن القاضي الگعداوي القلعي في تقييده ولا المصادر الإسبانية.

وشكل القصبة شبه مربع، سورها مشيد من الطين المدكوك يصل علوه إلى سبعة أمتار، وعرضه نحو المترين، تبرز منه مجموعة من الأبراج المربعة الموزعة على أبعاد السور الأربعة وزواياه. ولها ثلاثة أبواب، فالباب الرئيسي شرقي الوجهة، ثم الغربي فالجنوبي. وقد بُنيت بداخلها عدة مساكن مخصصة لإقامة قواد الحركة المخزنية وللوافدين عليهم من قواد الريف الشرقي، لا سيما على الجناح الجنوبي، حيث ما تزال آثارها باقية، بينما بقي معظم المساحة الداخلية فارغا. وما يزال في الوقت الراهن بالقرب من امتداد السور الشمالي أثر حفير طولي مجزأ إلى قسمين، نعتقد أن واحدا منهما كان مخصصا لتخزين الزرع المستخلص من الجباية، أما الآخر فقد اتخذ معتقلا مؤقتا للمساجين. وتحدثت الوثائق عن وجود مسجد بداخل محيط القصبة حيث لا وجود له اليوم، بعد أن انمحى أثره على عهد الحماية.

ومن المؤكد أن الشعور الوطني المناهض للوجود الأجنبي بمليلة هو الدافع إلى تأسيس القصبة، على عكس المعروف عن ظهور القصبات الإسماعيلية بمختلف أرجاء البلاد، إذ أنها كانت مركز القوات الرسمية المساهمة في حراسة حدود مليلة، منذ أن ظهر عبيد البخاري بالقصبة أول مرة سنة 1106 / 1694، متزامنا مع مشروع حصار سبتة. كان عبيد البخاري سنة 1110 / 1697 بالقصبة تحت إمرة المولى محمد ابن إسماعيل. ومنهم كانت المقاومة تستمد قوتها، خاصة ما يعود إلى السلاح الناري، وسيستمر وجود العبيد بالقصبة إلى أن اضطرتهم ظروف ما بعد وفاة المولى إسماعيل للانسحاب. وقد حاول رئيس المجاهدين وقائد قلعية الطاهر ابن عمر القيطوني المتوفى سنة 1148 / 1735 استعادة العبيد إلى القصبة على عهد المولى عبد الله.

وسيتم تعمير قصبة سلوان من جديد على عهد السلطان محمد بن عبد الله تبعا لما كان بصدده من تخطيط مشروع حصار مليلة. حل السلطان بالقصبة يوم 4 شوال عام 1188 / 8 ديسمبر 1774، ليتجه نحو ميدان مليلة في اليوم الموالي. وتضاءل شأن القصبة بعد محمد بن عبد الله، ولم يعد إليها سابق عهدها إلا أيام المولى الحسن، حيث حل بها وقضى بها رمضان سنة 1291 / 1875، في نطاق جولته بالشمال الشرقي المغربي ومحاربة الثائر بوعزة الهبري المتحصن آنذاك بجنوب الريف الشرقي. وقد حضر استقبال القلعيين للسلطان بقصبة سلوان الفقيه المدرس الشيخ علال التانوني القلعي وهو صبي ضمن فتيان كتاتيب قلعية، في نطاق استدرار شفقة السلطان على أهل القبيلة. وشهدت القصبة أثناء إقامة المولى الحسن صدور دفعة من تعيينات قواد المنطقة، طبق ما كان يجري في ذهنه من تفكيك سلطة القيادات القبلية الكبرى إلى وحدات صغرى تصل إلى حد الفرقة الجامعة لعدد من المداشر فقط. ويتعلق الأمر بالنسبة لقبيلة قلعية من تقليص نفوذ أسرة القائد المختار ألغم المحتكرة إلى ذلك الحين قيادة قبيلة قلعية منذ أواخر عهد السلطان عبد الرحمن بن هشام.

تخصصت قصبة سلوان ابتداء من عهد المولى الحسن وما بعده في استقبال رؤساء الحركة المخزنية المعروفة بالحركة الريفية، سواء أثناء توجهها لجمع الزكوات والأعشار والدعائر، أو أثناء إرسال الإدالات الخاصة بمعالجة أحوال القبيلة وحوادث حدود مليلة. وإلى غاية سنة 1310 / 1892 التي زارها مخبر أوغست موليراس كانت ما تزال وحيدة منعزلة بالمكان، وليس بها من الجنود سوى ما يكفي لحراستها، مما استعجل الروكي بوحمارة للاستيلاء عليها واتخاذها مركزاً لثورته في أوائل سنة 1903 لإخضاع قبيلة

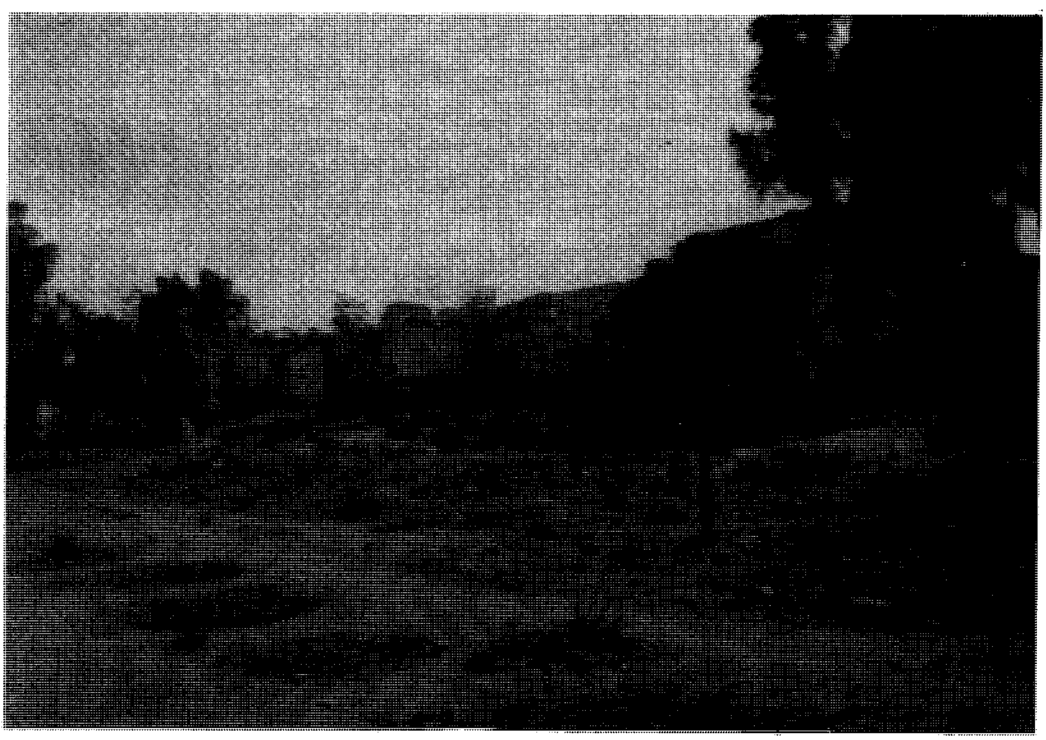

قلعية وقبائل الريف الشرقي وملاحقة القوات المخزنية العزيزية بقصبة جنادة فرخانة والاتصال بالإسبان لتسهيل مناورتهم في الاستحواذ على معدن جبل إكسان، إلى أن تم طرده منها على يد مجاهدي الشريف محمد أمزيان في آخر سنة 1908. غير أن القصبة تم احتلالها من طرف الجيش الإسباني في خريف سنة 1909 في نطاق التوسع الاستعماري الذي أدى إلى القضاء على الثورة وفرض الحماية.

كان للقصبة أرضها الفلاحية المحبسة عليها، وهي المحيطة بها من جهة الشرق في اتجاه ضريح سيدي علي الحساني، يقوم العمال بحرثها بإذن من السلطان على طريقة التويزة. قسم من تلك الأرض مسقي بساقية ثم أسندت فلاحتها للسكان المجاورين للقصبة من بني بويفرور على يد عاملهم.

أما مدينة سلوان فنشأت لما بدأ تعمير الأراضي المجاورة لقصبة سلوان منذ أوائل عهد الحماية نتيجة تمركز القوات الإسبانية بها، وبذلك ظهرت النواة العمرانية إلى جانب القصبة. وقد لاحظنا كشاهد عيان في الأربعينيات أن العمران اقتصر على محطة وقوف الحافلات المنظمة من مليلة أو الناظور في اتجاه أسواق الريف الشرقي، إلى جانب الإدارة وبعض الحوانيت التي وجدت لتلبية حاجات السكان وحامية القصبة. وهي مشهورة بانعقاد سوق السبت الذي يقصده أهل القبائل المجاورة.

وعرف عمران المدينة النمو منذ سنة الاستقلال، نتيجة الهجرات الوافدة من مختلف جهات الريف الشرقي، فأصبحت حدودها الإدارية الحالية ممتدة إلى سبخة بوعرك وبني وكيل وأولاد ستوت وجبل إكسان وأعروي، ويبلغ عدد سكان المدينة حسب إحصاء 1994 نحو 18.334 ساكن، وتتألف من جماعة سلوان التي انشئت سنة 1959 ويتكون المحيط الإداري من 23 مدشراً أو جماعة انتخابية.


وثائق خ. ح. *ومديرية الوثائق الملكية* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ *ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية* ؛ *معلمة المغرب* ؛ ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، مذكرات المغرب، *التحري الميداني* ؛ مستندات جماعة سلوان الحضرية.

*Recensement 1994, Population légale du Maroc*, 1995; Moulieras, *Maroc Inconnu*.


حسن الفكيكي

**السَّلْوَى** أو السُّماني طائر من القواطع يصنف إلى رتبة الدجاجيات Galliformes وفصيلة التدرجيات Phasianidae. إسمه الشائع في شمال إفريقيا السلوى والملاح وإسمه في مصر والعراق السماني والسمان والسمن والفري في لبنان وسوريا. ويقول القزويني في عجائب المخلوقات إن هذا الطائر أنزله الله تعالى على بني إسرائيل كما جاء في القرآن. يدعى علميا Coturnis coturnis وبالفرنسية Caille des blés وبالإنجليزية Quail وبالإسبانية Codorniz وبالإيطالية Quaglia.

طائر ريشه بني مصفر اللون ومخطط بالأسود على الظهر وفاتح مصفر جهة الصدر، يحمل الجانبان خطوطا طولية متقطعة سوداء. تتميز الذكور بحلقة سوداء وبيضاء على العنق وتتميز الإناث ببقع سوداء بنية على الصدر. المنقار رمادي قصير وقوي يساعد على أكل الحبوب بمختلف أنواعها وبراعم النباتات والحشرات الصغيرة والديدان. يبلغ طول الجسم 17 - 18 سم وتزن الكبار 80 - 125 غرام. بسطة الجناحين لا تتعدى 36 سم. يعيش مزدوجا ونادراً وسط مجموعات قليلة الأفراد. عدة مجموعات تغادر المغرب لتشتو في إفريقيا الوسطى ثم تعود إلى المغرب وأوروبا خلال فترة التوالد.

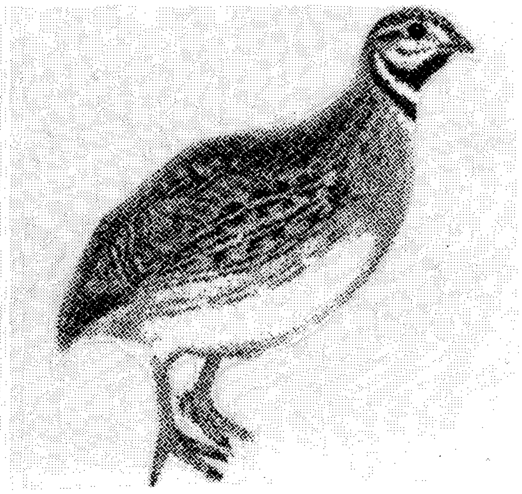

تتكون المجموعة عادة من عدة إناث وذكر واحد وتتوالد خلال الفترة الممتدة بين مايو ويوليوز في المناطق الزراعية والمراعي العارية. والعش عبارة عن حفرة تصنعه الأنثى بين الأعشاب وتفرشه بقطع مختلفة من النباتات اليابسة. يبلغ عدد البيض 7 - 16 بيضاء مصفرة ملساء ومنقطة بالسواد، يبلغ طول قطريها 23 x 30.4 ملم وتزن 8 - 9 غرام. يحضن البيض من طرف الزوجة 16 - 21 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. تغادر الفراخ العش مباشرة بعد التفقيس وتأخذ حريتها تدريجيا وتحسن الطيران بعد 19 يوما.

طائر من القواطع مفضل عند الصيادين. يطير غير بعيد عن سطح الأرض ويفضل المشي والاختفاء في المناطق الزراعية. يعيش في مختلف المناطق الجافة وشبه الجافة المغربية. ويعيش أيضاً في أوروبا بخلاف الدول الاسكندنافية وفي شمال إفريقيا والشرق العربي وأسيا الغربية. ومنه عدة مجموعات تشتو في ليبيا ومصر وبعض الدول الإفريقية. طائر السلوى محبوب جداً عند الصيادين للحمه اللذيذ وتشير معطيات الصيد الأخيرة إلى انخفاض ملحوظ في عدده خلال العقود الأخيرة : تم صيد 12.000 وحدة سنة 2000 مقابل 17.000 سنة 1999. عرفت تربيته نجاحا هاما في كل من بوزنيقة ومهدية هدفها تكاثر طائر السلوى وتزويد مناطق الصيد في مختلف المناطق المغربية. يفتح

موسم صيد السلوى ابتداء من فاتح أكتوبر وينتهي في 18 فبراير. يرخص صيده للمغاربة كل يوم أحد ويرخص صيده للسواح الأجانب الغير المقيمين بالمغرب أيام الجمعة والسبت والأحد والاثنين شريطة أن لا يتجاوز عدد طرائد السلوى 20 وحدة لكل صياد في اليوم الواحد المرخص للصيد. تقدمت الجامعة الملكية المغربية للصيد باقتراحات تتعلق بتقليص فترة موسم صيد السلوى بين فاتح نونبر و15 فبراير ابتداء من سنة 2001 وباستبدال يوم السبت عوض الأحد مع إضافة أيام العطل وبحذف يوم الاثنين بالنسبة للأجانب.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، بيروت، ط 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

*La chasse au Maroc, Revue de la Fédération Royale Marocaine de Chasse*, n° 9, juillet 2000 ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977.

**السلوقي العربي**، نوع من الكلاب تُنسب إلى قرية في اليمن، وتنحدر من سلالة كلاب سريعة العدو تستعمل للسباق بداخل الحلبة ولقنص الحجل والحمام والتدرج والأرنب والثعلب وابن آوى وغيرها من الطرائد.

يدعى بالفرنسية Sloughi وLévrier arabe وبالإنجليزية Saluki. يتميز باستطالة الجسم والقوائم ويبلغ علوه عند الغارب 55 ـ 75 سم ويتراوح وزنه بين 29 ـ 32 كغم. الجلد رقيق يكسوه شعر قصير ناعم، أبيض متسخ إلى مصفر شاحب وأسمر، تتخلله عدة بقع سوداء متفاوتة الحجم. الرأس مسطح وطويل، الخطم مستدق الرأس وطويل، العينان كبيرتان وداكنتان، الأذنان كبيرتان نسبيا، مثلثتان ومتهدلتان، الظهر مستقيم وطويل، الصدر طويل وقوي، الخصر نحيل، القوائم طويلة جدا، الذيل طويل ومستدق الرأس، العضلات نامية وقوية.

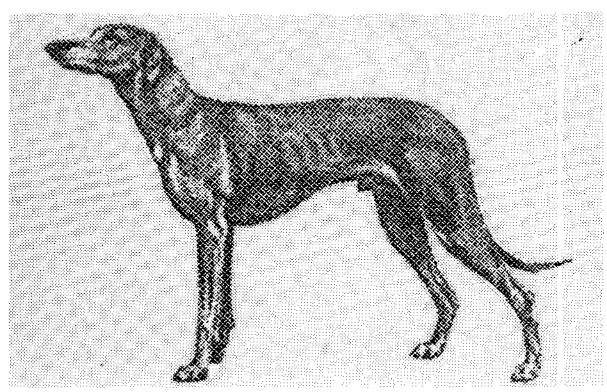

موطنه الأصلي الفيافي والسهوب الأسيوية وقد عرفه الفراعنة منذ القرن الثالث ق. م. وأدخله العرب بعد ظهور الإسلام إلى شمال إفريقيا. اعتنى المغاربة بهذه السلالة وحافظوا عليها وطوروها في مجال القنص. شديد الحذر وكثير الصمت ولا ينبح إلا نادرا ويمتاز بحدة في النظر وبقوة فائقة في حاستي الشم والسمع. لطيف مع مربيه ويلبي رغباته في ميدان القنص باحثا عن الطريدة بكيفية ذكية ويأتي بها في فمه. يقول المثل المغربي في شدة ذكائه واحتياله مقارنة مع الذئب "اللي قراه الذئب حفظه السلوقي".

انتشر السلوقي العربي في جميع بقاع العالم وقد أثبتت أخيراً أبحاث الفيدرالية العالمية لمحبي الكلاب أن السلوقي على التراب الأوروبي ينحدر من سلالة مغربية الأصل وليس من سلالة فرنسية كما كان يزعم من قبل.

E. Dechambre, Les *chiens : origine, histoire, évolution*, Paris, 1971 ; J.L. de Waziers, *Chiens d'aujourd'hui, de chasse, de défense et autres ; élevage et dressage*, , Paris, 1967

محمد رمضاني

**السليطنْ**، أسرة مراكشية معروفة بانتسابها إلى الشرفاء السملالين، أصلهم من سوس، وكان أول استقرارهم بمدينة مراكش أواخر القرن الثاني عشر (18 م) حين قصدها جدهم الأول محمد السملالي طلبا للعلم ومكث فيها إلى أن تخرج عالماً كبيراً. ويقال في سبب لقبه أن قومه أخبروه حين أراد الخروج إلى مراكش أن المراكشيين سيلقبونه ـ على عادتهم ـ فاختار لنفسه لقب السلطان. وقيل إنه لُقب بذلك للمكانة التي كان يحظى بها وسط طلبة جامع ابن يوسف، حيث كان يؤمَّر عليهم وقت النزهة الربيعية التي كان يقيمها طلبة ابن يوسف وكانوا يلقبونه استملاحاً "السليطن" تصغير "سلطان" وأصبح معروفاً بهذه اللقب.

**السليطنْ، محمد** السملالي المراكشي، حلاه صاحب *الإعلام* بقوله : "كان استاذاً فقيهاً مجوداً حافظاً للعشرين، مدرساً مفتياً حيسوباً محققاً، عدلاً موثقاً، ورعاً زاهداً، شيخ الجماعة بمراكش في القراءات". (ج 6 : 314 ـ 315) ألف كتاباً مرحاً سماه *دواء الموت*، على غرار *مختصر الأفاريد*. وكان معروفاً بمواقفه الصّلبة في نصرة الحق والدفاع عن العدل، مهما كلفه ذلك من ثمن، وكثيراً ما كان "يعترض في فتاويه على أحكام القاضي أبي عبد الله عاشور، ويفتي بنقضها، ووقع بينهما لجاج" فتضايق منه القاضي، ومنعه من الفتوى، بل أمر بسجنه، ولما بلغ السلطان المولى عبد الرحمن ما وقع أمر بتسريحه، لما كان يعلم من فضله وورعه. واضطر في أخر حياته إلى التخلي عن خطة العدالة، حيث أمر بالشهادة في قضية فامتنع من ذلك، وعاش بقية حياته "ورعاً زاهداً".

عاش نحو مائة سنة وتوفي في حدود سنة 1270 / 1845.

م. السليطن نفسه، *دواء الموت*، *مجلة البينة*، ع 10، سنة 1936، تقديم م. الفاسي ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج 6 : 314 ـ 315.

المصطفى فنيتر

**سليلوز المغرب**، شركة مغربية متخصصة في صنع عجين الورق. أنشأت سنة 1957 وتوجد إدارتها المركزية في

الرباط. أما المعمل المنتج للعجين فإنه يوجد على بضع كيلومترات من سيدي يحيى الغرب على الطريق المؤدي إلى سيدي سليمان الغرب. أختير إسم سليلوز المغرب لأن عجين الورق كيفما كان مصدره الخشبي الأصلي (ورقي أوصنوبري) فانه مكون من السليلوز وهو المعمل الوحيد بالمغرب.

أما السليلوز فإنها مادة عضوية تحتوي عليها النباتات. من حيث الكم، تعتبر سليلوز أكبر مادة عضوية تنتجها الأجسام الحية. إنها تكوّن المركب الجوهري في بنية الخشب بحيث تتراوح نسبتها ما بين 40٪ و60٪ (من الوزن الجاف) حسب أنواع أخشاب الأشجار واختلاف توضعها داخل نفس الجذع لشجرة ما. يمكن أن تصل هذه النسبة إلى 100٪ تقريبا في القطن مثلاً. الجدول التالي يعطي فكرة عن معدل نسبة السليلوز لبعض المنتجات الطبيعية.

| المنتجات الطبيعية | نسبة سليلوز (٪) من الوزن الجاف للمادة |
|---|---|
| القطن (Coton) | 98 |
| الخشب (Bois) | 50 |
| الخزيران (Bambou) | 45 |
| اللحاء (Ecorce) | 25 |

من حيث التشكيلة فان السليلوز مكونة من عدد كبير من وحدات الغلوكوز (Glucose) المنتج من طرف التخليق الضوئي (Photosynthèse). إذن فالسليلوز هو شنيط من نوع السكريات العدادية (Polysaccharides) مكون من عدد من سلسلات خيطية أولية كل واحدة منها مكونة من 200 وحدة من الغلوكوز. هذه السلسلات الأولية تتكثف في ما بينها لتكوّن وحدات تركيبية تتجمع بدورها على شكل ميكرولُييفات تتكثف هي أيضاً بالتلاصق في ما بينها طولانيا لتعطي الليْفات. وتتكثف هذه الليفيات للمرة الأخيرة لتكون ما نسميه بالسليلوز. تكثف السليلوز بهذا الشكل يكوّن خاصية مميزة بدرجة الشناظة (Degré de polymérisation = DP) التي تدل على عدد الوحدات من الغلوكوز الموجودة في واحد مُول السليلوز. لقد وُجد أن هذه الدرجة (.D.P) تتغير حسب أنواع المواد الطبيعية كما يبين الجدول التالي :

| المادة | درجة الشناظة DP |
|---|---|
| القطن | 15.000 |
| الخشب | 10.000 |
| عجين الورق | أقل من 1.200 |

أكّدتْ الدراسات الفيزيائية للسليلوز بواسطة الأشعة السينية أنها تتميز بتشكيلة فيزيائية مكونة من مناطق بلورية وأخرى لا بلورية وأن نسبة هذه المناطق البلورية تتغير حسب أنواع السليلوزات كما يوضح الجدول التالي :

| نوع السليلوز | نسبة المناطق البلورية (٪) |
|---|---|
| قطن | 73 |
| عجين الخشب | 66 |
| عجين الخزيران | 60 |
| مركب سليلوزي | 45 |
| سليلوز متجددة | 35 |

إن معرفة نسبة تبلور السليلوز ودرجة شناظها مهمة جداً لكونها تساعد على توجيه واتخاذ القرار من حيث كيفية استعمالها. يتبين من الجداول السابقة أن القطن يتميز بنسبة عالية للتبلور ولدرجة الشناظة. ويعني هذا أن سليلوزه متين وصلب فهو إذن صالح لصنع خيط النسيج. أما السليلوز الذي يتوفر على أماكن لابلورية فانه يكون سهلا للتفكيك بواسطة المواد الكيماوية التي لا تجد أية صعوبة لتنفذ داخل التشكيلة من أجل التفاعل التحليلي للسليلوز وتحويله إلى أبسط المواد التي ستكون مصدر مواد لصنع عدد كثير من مشتقات السليلوز.

ان مادة السليلوز في حالتها الخالصة كما في حالة القطن تكون بيضاء اللون. فلهذه الميزة تُستخلص السليلوز من الخشب الورقي أو الصنوبري على شكل عجين لغرض صنع أنواع الأوراق المختلفة والورق المقوى كما هو الشأن في معمل سليلوز المغرب الذي كان ولازال يستعمل خشب الاوكاليبتوس (Eucalyptus) كمادة أولية لصنع عجين الورق ذي الألياف القصيرة.

كان معمل سليلوز المغرب في أوائل إنشائه ينتج حوالي 7.000 طن من عجين الأوكاليبتوس الموجه إلى صنع عدة أصناف من الأوراق. نذكر كذلك أن ما بين 1959 و1962 كان المعمل ينتج نوعا آخر من العجين : العجين الخالص للذوبان المستعمل غالبا في صناعة النسيج ومشتقات السليلوز. ولكن نظراً للصعوبات التي واجهها المعمل في إنتاج هذا العجين بالجودة العالية المطلوبة على مستوى السوق العالمي فقد قررت الشركة التخلي نهائيا على صنع هذا النوع من العجين والتخصص في إنتاج عجين الورق العادي فقط ومن ذلك الوقت بدأت القدرة الإنتاجية للمصنع تتصاعد تدريجيا لتصل في 1988 - 1989 تقريبا إلى 108.000 طن من العجين سنويا. أما معدل الإنتاج فيبلغ 90.000 طن سنويا ويتطلب سنويا 280.000 طن من المادة الخام وهو الخشب، كمعدل للفترة ما بين 1981 و1985 والتي كانت كلها تنتج محليا أو وطنيا و325.000 طن للفترة ما بين 1986 و1991 استورد نصفها من البرازيل والأرجنتين، والكونغو.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإنتاج الوطني لخشب الاوكاليبتوس بدأ يتقلص تدريجيا منذ أوائل النصف الثاني من الثمانينات. ولقد عالجت شركة سليلوز المغرب هذا النقص الحاصل في إنتاج الخشب المغربي باتخاذ قرارين مهمين. أولهما إستيراد أصناف الأوكاليبتوس لتغطية حاجيات المعمل فوراً من الخارج. والقرار الثاني يتعلق بإنشاء شركة الإنتاج للخشب "Eucaforest" التابعة لشركة سليلوز المغرب. والهدف من إنشاء هذه الشركة هو الاعتماد على انتاجها للخشب لفائدة المعمل. ففي هذا الإطار ستقوم الشركة بتشجير وصيانة 25.000 هكتار وهي المساحة الموكلة لها من طرف الوزارة المكلفة بالمياه والغابات حسب العقدة المبرمة بينهما.

يتضح من خلال دراسة مبيعات الشركة من العجين ما بين 1981 و1991 أن السوق الداخلي المغربي يستهلك تقريبا ما بين 20 و25٪ من الانتاج السنوي للمعمل. ويرتقب أن ترتفع هذه النسبة بصفة تدريجية استنادا على التحديات التي تنتظر الحكومات المغربية المقبلة من أجل محو الأمية في المغرب. أما معدل كمية العجين المصدرة إلى الخارج فإنها تتراوح ما بين 70 و80٪. يُكَوِّن المخزون داخل المعمل حوالي 3٪ من الإنتاج ولقد عرف هذا المخزون تراكما ملحوظا منذ 1989 وصل إلى 27٪ سنة 1991، ويرجع هذا إلى التنافس الشديد الذي عرفته شركة سليلوز المغرب على صعيد السوق العالمي للعجين ولاسيما في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال) على الساحة الأوروبية وكذلك البرازيل على ساحة أميركا اللاتينية. هذه المشكلة أرغمت سليلوز المغرب على شراء معمل "وراقة تطوان" المتخصصة في صنع جميع أنواع ورق الطباعة مما ساعد الشركة في توجيه فائضها من العجين إلى وراقة تطوان لتحويله إلى ورق الطباعة لتصديره إلى بلدان عديدة ليس لها مصانع للورق.

يُصدر عجين خشب الأوكاليبتوس أساساً إلى سوق أوروبا الموحدة خصيصا إلى بريطانيا وإيطاليا وفرنسا وإلى تركيا وتونس الخ .. تجدر الإشارة إلى أن المغرب يستورد عجين الورق ذا الألياف الطويلة غالبا من الدول الإسكندينافية كالسويد وفنلاندا. والمعروف أن خشب الأوكاليبتوس يحتوي على الألياف القصيرة فقط، غير أن صنع ورق الطباعة يستوجب خليطا من العجين ذي الألياف القصيرة والعجين ذي الالياف الطويلة. وهذا النوع الأخير من العجين لا يصنع في المغرب لحد الآن.

أما في ما يخص الآفاق فيمكن القول إن شركة سليلوز المغرب شركة كبيرة ولها إمكانيات للتطور والإزدهار في هذا الميدان ولا سيما في مجالين مهمين وهما :

أ ـ إنتاج عجين الورق ذي الألياف الطويلة. إن هذه الألياف الطويلة موجودة في خشب جميع أصناف الأشجار الصنوبرية التي اعتمدت عليها سياسة التشجير في المغرب وكذلك في الحلفاء التي أكدت دراستها أنها تعطي عجيناً يتوفر على جودة عالية في ميدان صنع الورق الممتاز. وسيصير إنتاج عجين الورق ذي الألياف الطويلة مربحا للمغرب من حيث العملة الصعبة وكذلك لسليلوز المغرب لأنه سيشجعها على التقليص من إنتاج عجين الاوكاليبتوس الذي يعرف منافسة شديدة على مستوى السوق العالمي. كما سيعطيها توازنا بين الإنتاج والتسويق في الداخل والخارج على حد سواء.

ب ـ عودة إلى الإنتاج الجزئي للعجين الخالص للذوبان من أجل توسيع استعمالاته في صنع مشتقات السليلوز التالية :

ـ نترات السليلوز (Nitrates de cellulose) : المستعملة في عدة مجالات حسب درجة الاستبدال بنترات ونذكر منها اللّدائن (Matières plastiques)، صباغة اللاك (Laque)، الأفلام (Pellicule)، الغراء (Colle)، المتفجرات (Explosifs)...

ـ كبريتات السليلوز (Sulfates de cellulose) : التي تستعمل كعامل لتخثير السوائل كالصباغة مثلا (Agent épaississeur).

ـ فوسفاطات السليلوز (Phosphates de cellulose) : المستعملة في مجال معالجة الأخشاب من حيث تعطيل الاحتراق وكذلك في صناعة النسيج.

ـ خلات السليلوز (Acetates de cellulose) : التي لها تقريبا نفس استعمالات نترات السليلوز ويكون نوع الاستعمال مرتبطا كذلك بدرجة الاستبدال بالخلات.

ـ أثيرات السليلوز (Ethers de cellulose) : التي تحتوي على خمسة أنواع حسب المواد المتفاعلة المستعملة ودرجة الاستبدال الكيميائي. استعمالاتها كثيرة نذكر منها تحضير الأقراص الصيدلية، مراقبة تصلب الاسمنت، النسيج، أوراق عوازل حرارية، مواد غذائية أو تجميلية، منظفات، مستحلب الصباغة (Emulsion de peinture)، صناعة الخزف (Céramique) ...

ـ زانتات السليلوز (Xanthates de cellulose) : مشتق مهم جداً يدخل في تحضير المركز السليلوزي (Fibre viscose) المستعمل في النسيج وفي صناعة أوراق سلّوفان (Papier cellophane).

ـ ورق سليلوزي مبدّل الأيونات (Papier échangeur d'ions) المستعمل بكثرة في المختبرات من أجل الفصل الأحيائي أي البيولوجي أو الكيميائي.

M. Hachmi et A. Sesbou, *Pâte à papier du bois des eucalyptus : Bilan et situation du Maroc*, In : *Les Eucalyptus au Maroc*, édité par M. Fechtal et A. Achhal El Kadmiri, Rabat., 1994 ; D. Fengel et G. Wegener, *Wood chemistry ultrastructure reactions*. Berlin, 1984 ; Ja M'Hamaed A., *Les déterminants internationaux du marché de la pâte à papier "place du Maroc dans le marché international*, Mémoire de 3ème cycle de l'Ecole Nationale Forestière d'Ingénieurs, Salé, 1993.

محمد هشمي

**سليمان** بن **محمد** بن **عبد الله** العلوي السلطان، أحد الأبناء المتأخرين للسلطان سيدي محمد بن عبد الله. ولد بمراكش سنة 1180 / 1766 وتلقى تربيته الأولى بمراكش حيث حفظ القرآن، ومنها انتقل إلى زاوية ببلاد أحمر حيث تعلم رسم القرآن. ثم أرسله والده إلى مدينة القصر الكبير حيث تتلمذ على الشريف سيدي محمد بن عبد الصادق الريسوني قبل أن يأمره والده بالاستقرار بتافيلالت مع اثنين من إخوته وذلك سنة 1197 / 82 ـ 1783. وهناك عين له والده فقيهاً يشرف على تعليمه. وكان سيدي محمد بن عبد الله يقصد من وراء هذا الاجراء أن يوفر لأبنائه تعليما لا يقل جودة عن ما يتلقاه الطلبة بالحواضر لكن في منطقة نائية لا يتعلق فيها البال بالانشغالات السياسية.

وبالفعل حرص سيدي محمد على إرسال ألمع علماء فاس لتعليم أبنائه بتافيلالت، منهم عبد القادر بن شقرون ومحمد ابن الطاهر الهواري وحمدون ابن الحاج. وعلى يد هؤلاد العلماء وغيرهم تلقى المولى سليمان تعليمه الديني الذي طبع شخصيته فيما بعد، فدرس تفسير القرآن والحديث ومبادئ التصوف من خلال *إحياء علوم الدين* للغزالي. أما تعليمه بمدينة فاس فلم يستغرق إلا وقتا قصيراً وتم بعد وفاة والده سنة 1204 / 1790. إن هذا التكوين الديني الذي تم بعيداً عن الساحة السياسية هو الذي يفسر ضعف اهتمام المولى سليمان بالأمور المخزنية إذ لم يتقلد منصباً سياسياً إلا بعد أن تولى أخوه اليزيد حكم البلاد في سنة 1204 / 1790 فعينه حينئذ خليفة عنه بمراكش. لكن المولى سليمان لم يمكث طويلا في هذا المنصب إذ سرعان ما تذرع برغبته في أداء مناسك الحج، لكنه في الواقع انتقل إلى مدينة فاس حيث اشتغل بتحصيل العلوم من جديد. والإقامة بالحاضرة الإدريسية، وإن كانت قصيرة، فقد سمحت له بحضور مجالس أشهر علماء المغرب آنذاك، وفي مقدمتهم شيخ الجماعة محمد التاودي ابن سودة وولده أحمد، ومحمد الطيب ابن كيران.

الخلافة المفروضة : الحقيقة أن المولى سليمان عندما طلب منه تولي زمام الأمور في شهر مارس من سنة 1792 لم يكن يتوفر على أي تكوين سياسي أو خبرة إدارية تسمح له بتحمل مسؤولية السلطنة. وحسب صاحب تذكرة المحسنين عبد الكبير بن المجذوب الفاسي، فإن المولى سليمان "لم يكن مرشحاً للخلافة ولاهمة له إليها، وإنما همته تعلم العلم حتى كان الناس يظنون أنه لا يحسن ركوب الفرس".

إن التربية التي تلقاها المولى سليمان كان لها أثر قوي على شخصيته كسلطان وتفسر إلى حد كبير اختياراته السياسية والدينية. فمولاي سليمان اتخذ من الشريعة مرجعاً دائماً لقراراته، وكثيراً ما كان يخضع اختيارات سياسية هامة لجانب الشريعة، من ذلك مثلاً إلغاؤه للمكوس ومنعه لزراعة التبغ رغم ما كان هذان الموردان يوفرانه من دخل هام لبيت المال. وتجلت اهتماماته الدينية كذلك في الاتصال الدائم الذي كان له بحملة الشريعة عبر مجلسه العلمي أو عبر مشاركته لهم في نقاش الكثير من القضايا الدينية من ذلك حضه المتواصل للعلماء لقراءة إحياء علوم الدين للغزالي وتدريسه، أو الكتابة في مواضيع معينة، أو إسهامه هو نفسه بالتأليف في بعض القضايا كمسألة السماع واستعمال الغناء من طرف بعض الصوفية، كما ألف رسالة في مسألة الكسب بيّن فيها التزامه بالعقيدة الأشعرية.

سياسة المولى سليمان الداخلية :

إن أهم ما يميز سياسة المولى سليمان الداخلية هو محاولته حكم البلاد بجهاز مخزني محدود وإصراره في نفس الوقت على نهج سياسة تطبعها المركزة الشديدة، وهو الأمر الذي سيُسبب له متاعب جمة سواء في علاقته مع القبائل أو مع القوى التقليدية ذات التأثير في المجتمع.

كانت السياسة التي اتبعها السلطان سيدي محمد بن عبد الله في المجال الداخلي تقوم على تعامل مرن مع القبائل يتجنب حضوراً مخزنياً متشدداً غالباً ما يكون مكلفاً للدولة، ويسمح بنوع من الاستقلال أو "السيبة" المحدودة إذا كان ذلك لا يمس بالمصالح الحيوية للمخزن. وتقترن هذه السياسة بتخفيف الضغوط الجبائية على القبائل والبحث عن مصادر دخل أخرى. لكن المولى سليمان عكس هذه السياسة فألغى المكوس وبدل الاعتماد على التجارة البحرية اختار أن يعتمد على جباية القبائل، الشيء الذي يتطلب مراقبة العصيان القبلي. هذه السياسة المتسمة بالتصلب والتشدد كثيراً ما جعلته يسقط في مواجهات خطيرة مع بعض القبائل الصعبة المنال كقبائل زيان وأيت أومالو والتي جرت عليه هزيمة نكراء في سنة 1819.

ومما يميز سياسته القبلية كذلك إخفاقه في استغلال التناقضات القبلية والمحافظة على حلفاء الدولة التقليديين كبرابرة السهول والدّير، الذين ينعتهم الزياني "ببرابرة الدولة". فسياسة العلويين، بدءاً بالمولى إسماعيل، كانت تقوم على كسب هؤلاء البرابرة للتصدي لقبائل الجبل، لكن المولى سليمان لم ينهج سياسة واضحة تعزز حلف برابرة الوطاء وتجعل منهم حاجزاً بينه وبين القبائل الأطلسية العاصية، بل نجده يجهز الحركات ضد بني مطير وكُروان أو يحجم عن مؤازرتها عندما تتعرض لاكتساح برابرة الجبل. وهذا التخاذل المخزني كان له دور في الدفع بهؤلاء الحلفاء التقليديين إلى أحضان المرابط أبي بكر أمهاوش (انظره) الذي استطاع أن يوحد معظم القبائل الأطلسية تحت زعامته وأن يسدد الضربة القاضية لمخزن المولى سليمان في ربيع 1234 / 1819.

وانعكست سياسة المولى سليمان الهادفة إلى مركزة أكبر بشؤون الدولة على علاقته بالقوى الاجتماعية الأخرى كالشرفاء والزوايا والأعيان المحليين. وهنا كذلك عكس المولى سليمان سياسة والده الذي يفوض صلاحيات مخزنية واسعة لشيوخ الزوايا والأعيان المحليين مبتغياً من وراء ذلك تخفيف أعباء الدولة وإشراك هذه القوى في تسيير الشؤون

المحلية. ويكفي أن نقف على حالة واحدة ليتضح الفرق بين السلطانين، وهي حالة الزاوية الوزانية التي فوّض سيدي محمد لشيخها صلاحيات واسعة تتعلق بتعيين القواد والقضاة ومراقبتهم في المناطق المحيطة بمدينة وزان. ولكن المولى سليمان تراجع عن ذلك كله وأفهم شيخ الزاوية أن "وزان بلد من المغرب" يجري عليه ما يجري على غيره، محرمة من الامتيازات التي منحه ايّاها والده، وألغى ما كانت المدينة تتمتع به من "حرم" بحيث أصبح يُلاحق الفارين من عدالة المخزن حتى وإن استحرموا بالزاوية وهذا أدى بالضرورة إلى توتر شديد في علاقة الدولة بالزاوية الوزانية ودفع بشيخها مولاي العربي إلى الوقوف ضمن الأعيان الذين خلعوا المولى سليمان وبايعوا سلطاناً آخر عقب هزيمة زيان.

وفي نفس الإطار تدخل سياسة التهميش التي اتبعها المولى سليمان تجاه أعيان الحواضر، خاصة بمدينة فاس التي فرض عليها قواداً برانيين على حساب الرؤساء التقليديين، وخاصة رؤساء الرماة. وهنا كذلك نجد هؤلاء الرؤساء يتزعمون حركة التمرد بالمدينة على إثر هزيمة زيان ويلعبون دوراً قيادياً فيما يسمى بفتنة فاس التي أدت إلى خلع المولى سليمان في سنة 1820.

سياسته الخارجية :

تولى المولى سليمان حكم البلاد في ظروف دولية صعبة تميزت بحروب الثورة الفرنسية والصراع الفرنسي ـ الانجليزي في حوض البحر المتوسط الذي لم يسلم المغرب من انعكاساته، كما شهدت المرحلة الأولى من حكم المولى سليمان (1792 ـ1797) تدخلاً إسبانياً سافراً في شؤون البلاد أدى إلى تقسيم المملكة إلى مملكتين وأخر توحيد البلاد تحت حكم واحد.

وعلى الرغم من السياسة الإسبانية هذه فإن المولى سليمان أبقى على باب المغرب مفتوحاً أمام التجارة الخارجية وحاول بشكل خاص أن يكسب إسبانيا إلى جانبه عن طريق الامتيازات التجارية الهامة التي منحها لها خلال العقد الأخير من القرن الثامن عشر. لكن استكمال توحيد البلاد تزامن مع احتداد الصراع الفرنسي ـ الانجليزي وتزايد المخاوف المغربية من سياسة التوسع النابوليونية، خاصة بعد احتلال مصر ثم ضم إسبانيا إلى الدولة الفرنسية فأصبحت الثغور المغربية المحتلة بالشمال بحكم ذلك تمثل منطلقات محتملة لعملية احتلال فرنسية شبيهة بتلك التي وقعت بمصر. ونظراً للمواجهة البحرية بين الأساطيل الأوربية في المتوسط أصبح من الصعب جداً على السفن المغربية أن تغامر بالسفر، إذ غالباً ما كانت تقع فريسة سهلة في يد أحد المتصارعين، فتضيع أموال التجار وتكبُر التظلمات والاحتجاجات الدبلوماسية. إن هذه الوضعية الدولية الصعبة هي التي أدت إلى إضعاف الاتصال بالعالم الخارجي أكثر من غيرها من العوامل.

ومع ذلك فما أن وضعت الحروب الأوربية أوزارها في سنة 1814 حتى ظهرت بوادر الانفتاح بوتيرة أكبر على العالم الخارجي. لكن المغرب عاش بعد سنة 1816 وضعية اقتصادية صعبة تمثلت في سنوات متتابعة من الجفاف وهو الأمر الذي لم يسهل حركة التبادل التجاري مع الأسواق الخارجية. كما أن وباء 1818 ـ 1820 دفع بالكثير من التجار الأوربيين إلى توقيف نشاطهم بالموانئ المغربية (تماماً كما حدث خلال الوباء الأول، 1799 ـ 1800). لكن المولى سليمان الذي كان في حاجة إلى المال لمواجهة التمردات الداخلية لم يجد بداً من فتح الموانئ المغربية أمام التجارة الأوربية، فكانت السنوات الأخيرة من حكمه سنوات اتسمت بإرادة قوية لتشجيع التجارة مع العالم الخارجي.

سياسته الدينية وعلاقته مع الزوايا والشرفاء :

ورث المولى سليمان من والده توجهاً نحو إصلاح الدين، لكن اختياره في هذا المجال تم في إطار المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية عكس سيدي محمد الذي عبر عن ميول حنبلية واضحة. وهذا الاختيار المتمشي مع التقاليد الدينية الموروثة تم في انسجام مع العلماء الذين رحبوا بتراجع السلطان الجديد عن التوجه الحنبلي لوالده.

وقد أوضح المولى سليمان في بعض مؤلفاته تشبثه بمبادئ العقيدة الأشعرية سواء في ما يتعلق بمسؤولية الإنسان عن أفعاله، أو فيما يتعلق بمسألة تكفير مرتكب الكبائر. ومن المسائل التي خالف فيها المولى سليمان والده مسألة علم الكلام والخوض في العقائد. فالمولى سليمان لم يجد حرجاً في الكتابة في هذا المجال كما شجع العلماء على تناول قضايا تتعلق بالعقيدة. وعُرف عن المولى سليمان تشجيعه لقراءة ودراسة إحياء علوم الدين للغزالي، وهو أمر لم يكن والده يحبذه إطلاقاً.

ولكن هذا التشبث بالثوابت المالكية والأشعرية لم يمنع المولى سليمان من محاولة إصلاح الدين بالرجوع إلى سنة السلف ومحاربة البدع الشائعة في أوساط العامة على الخصوص. ومن أجل هذا شجع العلماء على التنديد بالعديد من الممارسات الشعبية التي تتنافى مع الدين، كما كتب هو نفسه خطباً موجهة ضد بدعة المواسم واجتماع المتصوفة للغناء والرقص. ومع ذلك فإن المولى سليمان لم يكن معادياً للتصوف بل كان يعارض التصوف كما تمارسه بعض الطرق الشعبية ويحث على تصوف سُني يوجد في متناول الخاصة فقط.

ولقد رأى المولى سليمان في الدعوة الوهابية بعض الجوانب الإيجابية المتمثلة في محاربة البدع ونهي العامة عن بعض الممارسات المتعارضة مع العقيدة السنية، لكنه لم يشارك الوهابيين المنطلقات والأسس التي بنوا عليها مذهبهم كمسألة تكفير مرتكب الكبائر، وإنكارهم لكرامات الأولياء وعدائهم للتصوف والمتصوفة. لكن تعاطفه المحدود مع الوهابيين وإقدامه على محاربة البدع والممارسات الشعبية

كما كانت تتم في إطار "إسلام الزوايا" جعلت العديد من الطرق الصوفية والشرفاء يقفون ضده ويُعلنون عداءهم لتوجهاته الإصلاحية. ولم يكن من باب الصدفة أن نجد في مقدمة من أقدم على خلعه في سنة 1236 / 1820 شيخي الزاويتين الوزانية والدرقاوية وأقطاب العديد من الأسر الشريفة.

توفي بمراكش يوم ثالث عشر ربيع الأول عام 1238 / 28 نونبر 1822.

أبو القاسم الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط، خ. ع قم د ، خ. ع،339؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مخطوط، رقم د 1275 الرباط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، الجزء الثامن.

M. El Mansour, *Morocco in the Reign of Mawlay Sulayman*, Londres, UK, 1990.

محمد المنصور

ابن **سليمان**، أسرة تطوانية ـ فاسية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية وما زالت بإسبانيا أسر مسيحية تحمل هذا الاسم ؛ وقد انقرضت بتطوان.

وهناك أسرة أخرى بتطوان تحمل نفس الاسم أصلها من إحدى قبائل جبالة ويوجد بالمدينة ميسجد كان يعرف بجامع ابن سليمان ويعرف اليوم بجامع الحداد يقع بحومة بين الخنادق. وذكر في *إزالة الالتباس* أن أسرة ابن سليمان الفاسية فرقتان : فرقة أصلها من الأندلس من غرناطة أهل علم وجاه وثروة ومعاش وحرفة، إليهم ينتسب الشيخ أحمد ابن العربي ابن سليمان آتي الترجمة. وعقبه هم القاطنون بحي جزاء ابن عامر من عدوة فاس القرويين وعندهم نسخة *صحيح البخاري* المعروفة بالشيخة التي كانت في ملك الشيخ أبي المحاسن الفاسي، انتسخت له من نسخة ابن سعادة ؛ وفرقة ثانية تعرف بأولاد ابن سليمان الطنجي، وهم الساكنون في حومة المعادي أهل مال وفلاحة ومعاش.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 181 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقم 344.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **سليمان، عبد الكريم** بن محمد الفاسي، كاتب ووزير من أبرز وجوه الدولة العزيزية. قال عنه صاحب *فواصل الجمان* : "كاتب رفيع الجناب من بيت رياسة مديد الأطناب، مليح الخط والشارة، ومصيب الفراسة والإشارة، إلى وقار يوده ثبير ورضوى، وتمسك بالتقوى بالسبب الأقوى".

خلّفه والدُه طفلا في كفالة أمه وكانت من الإماء السودانيات. "فنشأ الولد، كما قال صاحب *فواصل الجمان*، على ما يقتضيه وصف يتمه، إلى أن حصل من العلم ما حصل، وتوسل بأدبه فتوصل"، إذ استُكتب من قبل باشا فاس يومئذ، وهو عبد الله ابن أحمد من بيت الحجابة الملوكية أباً عن جد منذ المولى سليمان. ثم إنه دخل في زمرة كتاب الحاجب أحمد بن موسى الذي استكتبه في بنيقة وزارة الشؤون الخارجية، فصار على اتصال بنواب الأجناس وبقناصلهم وتجارهم. ولما توفي الحاجب المذكور استقل عبد الكريم ابن سليمان بتلك الوزارة. وأوفده السلطان المولى عبد العزيز في سفارة كبرى إلى الديار الفرنسية ثم الديار الروسية في صيف سنة 1901. وقد استطاعت السلطات الفرنسية أن تقنعه بوجهات نظرها، وأن لا أحد من باقي الأقطاب يمكن أن يتقدم على فرنسا في مساعدة المغرب على الإصلاح. وكان من نتائج سفارته إلى باريز أن تم التوقيع على اتفاقية الحدود بين الدولتين (يوليوز 1901) التي أطلقت يد الفرنسيين ليتدخلوا في شؤون المغرب من الجهة الشرقية، فضلا عما انتزع بمقتضاها من الأقاليم الصحراوية في الجنوب الشرقي انطلاقا من وادي زوزفانة إلى واحات توات وتيديكلت. واشتدت الوطأة الفرنسية باتفاقية إضافية وقعها عن المغرب مساعد المترجم له وصهره محمد الجباص في السنة التالية (ماي 1902). ومعلوم ما كان لهاتين الاتفاقيتين من الوقع السيئ على عموم المغاربة الذين اعتبروا ذلك بمثابة خيانة وصفقة فاضحة بيعت أجزاء من التراب المغربي بمقتضاها للفرنسيين. وكان عبد الكريم ابن سليمان ممن يحث المولى عبد العزيز على دخول باب الإصلاح دون تردد. وهو الذي أشار عليه بإصلاح نظام الجباية، فنصح على حد قول صاحب *فواصل الجمان* "بترتيب الجباية على نهج سوي ونمط أوربوي، واستحلاف الموظفين على المصحف الكريم على أن لا يقبضوا رشوة من مدع ولا من غريم لينقطع تظلم الرعية من عمالها وتثق بالأمن على أموالها".

مما يفيد أن عبد الكريم ابن سليمان وجد نفسه من حيث كان يدري أو لا يدري في قلب العاصفة الهوجاء التي صارت تعصف يومئذ بسيادة الدولة المغربية، وهو يحاول أن يوفق بين حاجة البلاد إلى الإصلاح مع عجزها عن القيام به بوسائلها الذاتية، وضرورة الاستعانة بالأجانب الذين كان الإصلاح في يدهم وسيلة من وسائل الاستعمار. وقد راوغ ما استطاع أن يراوغ، يشهد له بالذكاء وعلوّ الكعب في الممارسات الديبلوماسية كل من اتصل به من القناصل الأوربيين، وبخاصة منهم الفرنسيون، مثل سان ريني طايانديه Saint-René Taillandier وسانطولير Saint-Aulaire الذي تقلب على عدة بعثات ديبلوماسية فرنسية في أمريكا وأوربا واتصل بكبار الديبلوماسيين، ويقول في *مذكراته* بأنه لم يتعرف في مساره الطويل على من كان يفوق أو يضاهي ما كان عليه عبد الكريم ابن سليمان من الفطنة والدهاء والقدرة على الدفاع عن مصالح دولته بمنتهى اللباقة في منتهى الحزم. مما زاد رتبته علواً لدى المولى عبد العزيز الذي أسند إليه الصدارة العظمى غداة مؤتمر الجزيرة الخضراء، بعد إبعاد الفقيه فضول غريط عنها. ولكنه

لم يستمرئ المنصب إلا لوقت وجيز، ذلك بأن الثورة عمت البلاد، وقام المولى عبد الحفيظ على أخيه في مراكش. والتقى الحزبان بإقليم السراغنة في معركة دارت دائرتها على المولى عبد العزيز. ونجا عبد الكريم ابن سليمان من الواقعة بمعجزة، وعاد مسلوبا إلى الرباط، ومنها تعلق بأصدقائه الفرنسيين الذين نقلوه إلى فرنسا حيث مكث بضعة أشهر، إلى أن استتبت الأمور للمولى عبد الحفيظ، فعاد المترجم له إلى فاس، ونزل منزله الفاخر الذي كان قد شيده قريبا بعقبة الفيران. وطمحت نفسه إلى خدمة السلطان القائم. لكنه لم يلق منه إلا النفور والصدود. فاهتم لذلك واشتد همه بما نزل به من المرض الذي سرعان ما قضى عليه.

مات منبوذاً مهجوراً يوم 15 من ذي القعدة عام 1326 / 9 دجنبر 1908 وكان من علامة سخط الراعي والرعية عليه أن نُبش قبره في روضتهم بالقباب. بعد وفاته بأيام، وقطع رأسه وأحرق شلوه. فهل فعل ذلك بعض السفهاء ممن أصر على التشفي فيه ولو بعد موته، أم فعله من جاء بأمر السلطان المولى عبد الحفيظ الذي سبق منه يمين بقطع رأسه، على ما قال الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور نقلا عن الحاجب محمد حسن ابن يعيش ؟ وفي رواية ثالثة سمعتها من السيد يحيى بن الفاطمي ابن سليمان أن مدبر تلك الفعلة الشنعاء هو عبد الحي الكتاني الذي كان المولى عبد الحفيظ قد نفذ له دار عبد الكريم ابن سليمان الفاخرة، ثم تراجع عن التنفيذة، فأبى عبد الحي الكتاني إلاّ أن ينتقم ولو من شلو الوزير الراحل. وكان من مصير تلك الدار أن اشتراها الملك سيدي محمد بن يوسف من الورثة في الثلاثينيات من القرن العشرين وأقام بها مدرسة.

وخلاصة القول أن عبدالكريم ابن سليمان كان من رجالات الدولة العزيزية، وكان لابد أن يجسد ما اعتراها من الإحباط وهي تتصدى للزحف الاستعماري.


إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، الطبعة الحجرية الفاسية ؛ م. غريط، *فواصل الجمان*، فاس، المطبعة الجديدة، 1348 / 1930 ؛ ع ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، الجزء 8 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع، سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996.

Georges Saint-René Taillandier, *Les origines du Maroc français, Récit d'une mission*, Paris, 1930 ; C. Saint-Aulaire, *Confession d'un vieux diplomate*, Paris, 1953.


إبراهيم بوطالب

ابن **سليمان، الغالي** بن المكي بن أحمد الغرناطي الفاسي، مؤرخ وأديب وكاتب وموسيقي، ينحدر من أصول أندلسية. كان أبوه محتسبا أما جده فكان فرضيا. لقي عدداً من الشيوخ بمدينتي فاس ومراكش أخذ عنهم الفقه والأصول والتصوف والمنطق والتوثيق والعروض وغيرها من المعارف، من أبرزهم محمد بن المدني گنون، المهدي بن الحاج، وجعفر الكتاني، وعبد الواحد ابن المواز والقاضي أحمد بن سودة.

كان ابن سليمان من الموظفين في الشؤون الخارجية ثم الداخلية في عهد السلطان مولاي الحسن، اتهم باختلاس مال للدولة فأرسل إلى مراكش، وحبس وضيق عليه فأدى ما اتهم باختلاسه (*الزركلي، الإعلام*، 6 : 324).

ترك ابن سليمان عدداً من التآليف المنظومة والمنثورة في معارف متنوعة : تاريخ، تراجم، لغة، مساجلات أدبية، أمثال وغيرها. فقد وضع في التاريخ "أرجوزة في دول المغرب". عرّف فيها بإيجاز بدول المغرب الأقصى إلى بداية عهد السلطان مولاي عبد العزيز وقد اعتمد على "المعتمد المعين" لابن زاكور في خمس دول من الأدارسة إلى المرينيين، وهي الأرجوزة التي شرحها عبد القادر بناني المراكشي ضمن كتابه "تلخيص ما عليه المعول في أخبار من بالمغرب من الدول"، كما وضع في المجال ذاته قصيدة من البحر الطويل في تاريخ الدولة العلوية تتكون من 100 بيت، فرغ منها سنة 1310 / 1892، هي التي قام بشرحها المؤرخ القاضي محمد المشرفي في كتابه "الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية". كما نظم في رحلة السلطان مولاي الحسن إلى تافيلالت سنة 1311 / 1893، مقدما تفاصيل دقيقة عنها لأنه كان مصاحبا للركب السلطاني.

ومن مؤلفاته، *التحفة العرائشية على الصلاة المشيشية* ألفه لما كان في العرائش، وترك في مجال المناقب *بدائع الاقتباس في مناقب أبي العباس*، أي أبي العباس السبتي دفين مراكش، و*بادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال* وضعه زمن رحلته بمعية السلطان مولاي الحسن إلى مراكش سنة 1294 / 1877، وله *الجواهر الحسان في نغم الألحان*، عالج فيه الموسيقى الأندلسية، وله كذلك تأليف في الأمثال المغربية، و*أرجوزة في ذكر أشياخه* وما أخذ عنهم من علوم في حوالي مائة بيت، و*ديوان شعر* في مجلد رتبه على حروف المعجم. و*نظم اللئال في اللغة*، وألف *السيف المشرفي بقطع لسان المشرفي*، وهو في الرد على المؤرخ العربي المشرفي الذي ذمّ أهل فاس في تقييد صغير.

ومن حواشيه وشروحه *حاشية على المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل* لمحمد الإفراني، وشرح *قصيدة ابن الفارض* زدني بفرط الحب فيك تحيرا، و*نزهة الأبصار في شرح قصيدة الأنصار*، وله *منادمة الأقيال في معنى طيف الخيال ولوامع الغرر في جمع الطرر*. كما شرع في شرح قصيدة المالقي المسماة بأنجم السياسة، غير أنه لم يكمله.

توفي ابن سليمان بمراكش يوم الأحد 13 شعبان 1317 / 17 ديسمبر 1899، ودفن بضريح أبي إسحاق ابن الحاج بمراكش.


ع. القادر بناني، *تلخيص ما عليه المعول في أخبار من بالمغرب من الدول*، مخطوط، خ. ح رقم 12385 ؛ م. المشرفي، *الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية*، مخطوط، خ. ع رقم د 1463 ؛ ع. الرحمان

ابن زيدان، *إتحاف*، ط 2، الرباط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الأعلام*، ط. 2، الرباط، ج 10 ؛ خير الدين الزركلي، *الأعلام*، ط 7، ج 6 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، الدارالبيضاء، 1960، ج 1 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2.
أحمد المكاوي

ابن **سليمان، الفاطمي** بن محمد ابن أخ وزير السلطان المولى عبد العزيز والصدر الأعظم لديه، سابق الذكر، ولد في فاس يوم 9 شتنبر 1898، ونشأ في أحضان والده الذي كان من أمناء الدولة واشتغل في مراكش في عهد المولى عبد العزيز، ثم في طنجة في عهد المولى عبد الحفيظ. وفي طنجة التحق الفاطمي ابن سليمان بالثانوية الفرنسية المحدثة قريبا (والتي مازالت قائمة إلى يومنا تحت اسم أوجين رينيو السفير الفرنسي الموقع على عقد الحماية)، فكان من الأفواج الأولى ممن دخلها من الشباب المغربي لتعلم اللسان الفرنسي. ثم إنه عاد إلى فاس ليلتحق بثانوية المولى إدريس. لكنه ما لبث أن فضل الانخراط في جامعة القرويين، تمسكا بثقافته العربية الإسلامية ورغبة في الحصول على الشواهد الأصلية. ولما تخرج من القرويين، اشتغل عدلا بأمانة الجمارك بميناء الجديدة، سيراً على نهج والده ونهج أصهاره من آل الكباص. وقضى في تلك المهمة بضع سنوات، إلى أن اقتضى نظر السلطان سيدي محمد بن يوسف تعيينه خليفة باشا مكناس، وذلك على إثر أحداث وادي بوفكران في خريف سنة 1937.

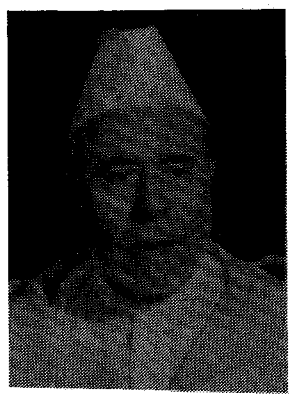

وأصبح المترجم له منذ ذلك الحين من خدام المخزن المحمدي المرموقين. ففي سنة 1944 أسند السلطان سيدي محمد بن يوسف إليه مهمة المندوب لدى الصدر الأعظم في التعليم، نيابة عن أحمد بركاش الذي أبت سلطات الحماية إلا أن يعزل نظراً لمواقفه الوطنية في أحداث المطالبة بالاستقلال في يناير من تلك السنة. ثم اشتغل الفاطمي ابن سليمان بعد ذلك رئيسا للمحكمة العليا الشريفة التي لم يقض فيها إلا أشهراً معدودة، إذ أسندت إليه في شهر غشت 1945 باشوية فاس خلفا للباشا محمد التازي. وجرى حفل التنصيب بقراءة ظهير التعيين أمام الملأ في القرويين. ثم جاء المقيم العام الفرنسي، وهو يومئذ كابريبل بيّو Gabriel Puaux، ليدلي بدلوه في التعريف بالباشا الجديد وكأنه يود التكفير عما أنزل من العقاب بالمدينة في أحداث السنة السابقة. وامتدت إدارة الفاطمي ابن سليمان لباشوية فاس ثماني سنوات، مسك خلالها بزمام الأمور بحزم خال من كل شدة ولين لا يشوبه الوهن، مع إخلاص تام لدينه ووطنه وملكه. ويوم صارت سلطات الحماية تحوك خيوط المؤامرة لعزل السلطان سيدي محمد عن عرشه، تصدى الفاطمي ابن سليمان رفقة باشا صفرو مبارك البكاي وباشا مكناس أحمد الجنان وباشا الرباط العباس التازي وباشا سلا محمد الصبيحي لتلك المناورة، منددين بمدبريها من المغاربة ومسفهين مقاصدهم. ولما نفذت المؤامرة وعزل السلطان الشرعي في غشت 1953 ونفي إلى جزيرة كورسيكا ثم إلى جزيرة مدغشقر، بادرت السلطات الاستعمارية إلى عزل أقرب خدامه إليه، ومن جملتهم الفاطمي ابن سليمان الذي كان يومئذ كعادته منذ عدة سنوات في مكة المكرمة على رأس وفد الحجاج المغاربة إلى بيت الله الحرام. ولكن سرعان ما تبين للدولة الحامية أنها وقعت فيما لا تحمد عقباه، إذ انتفض الشعب المغربي انتفاضة من لم يعد يطيق صبراً على الضيم والغطرسة. وتبين أن أمثال الفاطمي ابن سليمان ممن لا يمكن الاستغناء عنهم لتجديد الصلة بالسلطان المنفي، وخاصة في صيف 1955 عندما اقتنعت الحكومة الفرنسية بضرورة الاستماع إلى ممثلي الرأي المغربي. ودارت تلك المباحثات غير الرسمية في مدينة إيكس ليبان Aix-Les Bains في فرنسا، وكان الفاطمي ابن سليمان من جملة من بدا من الضروري استطلاع وجهة نظرهم في النزاع الخانق بين فرنسا والمغرب. وتقرر أن يبعد السلطان محمد بن عرفة المفروض قهرا، وأن يحلّ محله مجلس وصاية على العرش، على أن يعيّن ذلك المجلس حكومة انتقالية تفتح باب التفاوض الرسمي مع الحكومة الفرنسية لجعل حد لعهد الحجر والحماية. ووقع الإجماع بين المسؤولين الفرنسيين وبين قادة الحركة الوطنية على اختلاف مشاربهم على أن تسند رئاسة تلك الحكومة إلى الفاطمي ابن سليمان الذي كان من أول من سافر إلى مدغشقر لملاقاة السلطان الشرعي سيدي محمد بن يوسف والأخذ بآرائه وتعليماته. وتم تعيينه لرئاسة الحكومة في منتصف أكتوبر 1955، دون أن يسفر الأمر عن تشكيل الهيأة الوزارية، بفضل ما كان من تطور الأحداث بسرعة جعلت السلطان سيدي محمد يعود منصوراً نصراً مجدداً إلى فرنسا في طليعة شهر نونبر، ثم إلى المغرب وإلى عرشه في منتصف الشهر نفسه، ذلك أن الحكومة الفرنسية كفت عن التلكؤ فاعترفت بحق المغرب في استرجاع سيادته كاملة وبتحرره من التبعية الاستعمارية. وتشكلت حكومة من أعضاء الأحزاب الوطنية التي كان من قراراتها الأولى أن قسمت البلاد إلى مجموعة من العمالات المقامة حول الحواضر الكبرى. وكان من شبه الطبيعي أن تسند عمالة فاس إلى الفاطمي ابن سليمان. فهو الذي وضع اللبنات الأساسية فيها في أقل من سنة ليلتحق بعد ذلك بسلك

الديبلوماسية المغربية الناشئة، ويعمل سفيراً للمغرب في بغداد ثم في عمان ثم في بيروت ثم في الكويت ثم في جدة التي انتهى به فيها المطاف الإداري.

وكان الفاطمي ابن سليمان من ذلك الجيل المعدود الأفراد الذين كتب لهم أن يفتحوا أعينهم على المغرب المستقل القديم وأن يواكبوا فترة الحماية الأجنبية برمتها فيقفوا عن كثب بل ويشاركوا في كل ما طرأ على الوطن من أسباب التغيير بعد أن أدركوا باكراً أن لا مناص من الإمساك بها. وكان من رضى الله على هذا الجيل أن امتد بهم العمر حتى شاركوا في معارك الاستقلال وفي بناء صرح الجهاز الحكومي المغربي الحديث. وكان من حظهم أن قاموا في تاريخ المغرب في القرن العشرين بصلة الوصل بين الأصالة والحداثة، وبين السلف الصالح والأجيال التواقة إلى التفتح على المستقبل. وأمثال هؤلاء هم رموز الاستمرار والمحافظة ودعاة الانعتاق من التزمت للنهل من العلوم العصرية بأوفر نصيب، في ظل ما أصاب المغرب من مصائب الاستعمار. وكما كان الفاطمي ابن سليمان من أول من ولج الثانويات الفرنسية، فإنه كان في الثلاثينيات من أول من أدخل بناته أسلاك ذلك النوع من التعليم في مدينة الرباط، ساهراً في الوقت نفسه على أن لا يتغافل فلذات كبده عن ثقافتهم الأصلية، وواعيا بما للمرأة من خطورة الشأن في بناء المجتمع الجديد. وقضى السنوات الأخيرة من عمره مهاجراً في الديار المقدسة. وكان قد أوصى بأن يدفن هناك، أو إذا أدركه الموت في دار من ديار الإسلام فليكن فيها مثواه الأخير.

ولما لبى داعي ربه يوم 4 ربيع الثاني عام 1401 / 9 فبراير 1981 في الرباط دفن في مقبرة الشهداء، حيث رثاه عبد الرحمان الفاسي بكلمة وقعت من الجميع بأحسن موقع. كما خصه السيد أحمد العلوي في صحيفة "لو ماتان" بافتتاحية ذكّرت بما أسدى الفقيد لوطنه ولملكه من صادق الخدمة وبما كان عليه من حميد الخصال.

*استجواب الأستاذ يحيى بن الفاطمي ابن سليمان في جلستين،* الجمعة 14 دجنبر 2001 و*Le Courrier du Maroc*، عدد 4969، 26 شتنبر 1945 ؛ عدد 4971، 28 شتنبر 1945 ؛ عدد 4977، 5 أكتوبر 1945 ؛ Le *Matin* . عدد 3381، 11 فبراير 1981 ؛ عدد 3382، 12 فبراير 1981 ؛ عدد 3383، 13 فبراير 1981.

G. Grandval, *Ma mission au Maroc*, Paris, 1956 ; G. Spillman, *Du protectorat à l'indépendance, Maroc, 1912 - 1956*, Paris, 1967 ; C-A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes, 1415-1956*, Paris, 1978.

إبراهيم بوطالب

ابن **سليمان، محمد** بن **إدريس** (الحاج –) الفاسي من ألمع شيوخ الملحون في القرن الثالث عشر (19 م) نشأ في أسرة كان ربها مولعا بالطرب الملحون يحيى لياليه في بيته على عادة كثير من الأسر الفاسية المترفة يومئذ ومن حوله شيوخ الملحون من مدينة فاس أو ممن كانوا ينزلون بها.

وفي هذا الجو الفني ترعرع الفتى وشب على تذوق الشعر الملحون، وما فتئ أن برع في نظمه حتى أصبح ينافس خيرة الأشياخ من معاصريه ويحظى منهم بالتقدير والأعجاب.

وتتفق الروايات على أن ابن سليمان تتلمذ عل شيخ الملحون حامل لقب "المعلم" محمد بن علي العمراني الشهير بولد رْزِينْ والمتوفى حوالي عام 1240. وربما كان مبدأ هذه التلمذة في بيت والده الحاج إدريس يوم كان الفتى ما يزال في مقتبل الشباب.

وقد تطورت العلاقة بين ابن علي وابن سليمان، ثم تحولت فيما بعد إلى تنافس شديد أفضى بهما إلى الدخول في معارك هجائية أفرزت قصائد رائعة في هذا الغرض تحفل بمساجلات فنية بليغة. فمما نظمه ابن سليمان في هجاء أستاذه ابن علي قصيدة "ليل الزهو" التي منها :

رجلي عْلَى اقفات الظالـم     من لا يكون فارس ناجم

راني على لْحروب ملازم

وقصيدة "القرصان" التي تقول حربتها :

هكذا قول للدعي ايدير قرصان ويخـرج

كيف من سافر بين امْواجـو

واغنم وانجا

ومع حدة هجاء ابن سليمان لشيخه ابن علي لم ينكر فضله عليه.

ويحكى عن ابن سليمان أنه كان في أول شبابه ولوعا بالحياة الماجنة، وقد دفعه إلى ذلك سعة من المال ورثه عن أبيه بعد وفاته، فانطلق يترع من متع الحياة حتى أعتل قلبه وأصابه الوهن، فلزم فراش المرض وعاجلته المنية وهو في ريعان الشاب لم يتجاوز من العمر ثلاثا وثلاثين سنة، وذلك حوالي سنة 1248 / 1832.

وتعتبر السنوات الأخيرة من عمره أخصب الفترات انتاجا، ففيها نظم ـ وهو تحت وطأة المرض وضنك الألم ـ أروع قصائده وأبلغها وأصدقها معاناة. ومنها قصيدة "الوردة" التي جاء في دخولها قوله :

آه من رشگات انبال الأقواس     والحاجب صردي

عند رامي دگت انشـــــابي     جـاتْ مْجـهدة

والتي تقول حربتها :

لا تْلوموني في ذا الحــال     جيتْ نشهدْ ونودّي

أعْدُولي في الموت اسبابي     خــالْ فْــي وردة

ومنها أيضاً قصيدة "الطبيب"، وهي صرخة حرى في أعماق النفس، وكأنما كان ابن سليمان يحس بدنو أجله، وهو يعاني سكرات الموت ولا يملك من نفسه القدرة على مغالبة المرض كما لا يملك من حطام الدنيا ما يدفع به غلواء الداء وغلاء الدواء يقول في حربة هذه القصيدة :

الطبيبْ عْرفْ دايا والعلاج سوموغالي

عالجوني ياناسي لا نْموتْ موت الغفلة

وله قصائد أخرى كثيرة في مختلف أغراض الشعر الملحون، منها : الزين الفاسي ـ الوصاية ـ الرعد ـ الربيعية ـ الغزيل ـ الطير ـ الحمام ـ حجوبة ـ الحجام ـ الباقي.

توفي أوائل القرن الرابع عشر (20 م).

ع. الجراري، *القصيدة*، ص. 404 ـ 406 ـ 625 ـ 627 ؛ م. الفاسي، معلمة *الملحون*، القسم الأول من الجزء الأول.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**ابن سليمان، محمد التطواني**، الفقيه الكاتب الأديب اللغوي الشاعر المطبوع ولد بتطاون أواخر القرن الحادي عشر الهجري (17 م)، ودرس بها على الشيخ علي بركة وطبقته. وانتقل إلى فاس وقرأ بها، واتصل بآل القائد علي بن عبد الله الريفي، وعاش في عهد هذا وابنه الباشا أحمد وفي كنفه. وعمل لهم وسما قدره بينهم. ويظهر أنه كان موسّعا عليه في الدنيا، لأن بتطاون زُقاقا بحي الصياغين (بين الفنادق) كان يحمل اسمه، (درب ابن سليمان) وبمنتهاه مسجد صغير يسمى (جامع ابن سليمان) كما أن ترجمته الحافلة التي خصصها له صديقه الحميم الأديب الشاعر محمد بن الطيب العلمي في كتابه العُجاب *الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب* تتضمن معلومات وإشارات إلى ما كان يقدمه المترجم له إلى العلمي من مساعدات ورفد، حتى إنه ألف كتابه باسمه ونزولا على رغبته، فقال في صفحة 336 إنه هو الذي كان السبب فيه وهو الذي أشار علي بتأليفه وتلافيه، ووعدني بالصلة إن رآه وتَلاَ فيه، فوجبت علي مساعدتُه الجائزة، وقلت : عليّ التأليف وعليك الجائزة.

قال محمد داود بعد هذا في *تاريخه* : يرحم الله الأديب ابن الطيب، لولاه ما عرفنا شيئا عن الأديب ابن سليمان ولقد بحثت عن مصدر آخر أعرف منه شيئا عن ابن سليمان هذا فلم أعثر عليه، ومن يدري فكم من جواهر كانت تسطع، وسيوف كانت تقطع، فانمحى أثرها، واندثر ذكرها، وصارت نسيا منسيا، ولله الأمر من قبل ومن بعدُ. ثم انحى الأستاذ داود باللائمة على أثريائنا، وذوي الجدة من أغنيائنا. ولفت نظرهم إلى المترجم له وكيف خُلد ذكره، ودونت مناقبه وآثاره، بسبب إحسانه إلى عالم حتى ألف باسمه كتابا سار مسير الشمس. أودعه من أخباره ورسائله وأشعاره المرقص المطرب بينما يموت ذكر الأغنياء بموتهم، وإن ذكروا لمأثرة فإلى حين.

وقد أورد ابن الطيب من قصائد المترجم له ومساجلاته وألغازه، ونثره الفني الجميل ما يذكرك بالفتح ابن خاقان في قلائده ومطمحه، وابن الخطيب وابن زمرك وهذه الكوكبة، كما أشار إلى تمكنه من اللغة والبيان واقتداره على التصرف في فنون الشعر والنثر، نذكر شعراً اهملت كلماته من النقط وآخر أعجمت كلماته إلى رسائل وطرائف ونوادر، وفقر وحكم مختارة سارت مسير الأمثال، منها مما لازال دائراً على الألسنة : إذا حصلت الألفة، سقطت الكلفة.

وكان المترجم له صَناع اليد، مولعا بصنعة التسطير والتشجير. بلغ فيهما الغاية وهما من صنائع زخرفة الخشب، وله في التفضيل بينهما شعر.

ولعل ابن سليمان هذا من عائلة ابن سليمان التي مازال بعض أفرادها بتطاون على أن الرهوني ذكر أن أصله من القصر الكبير، ولم يذكر مستنده. أما تاريخ وفاته ومكانها فلم يعرفا، ولعله لم يتأخر عن العقد الخامس من القرن الثاني عشر الهجري والله أعلم.

م. العلمي، *الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب*، طبع حجر بفاس، ص. 204 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، طبع تطوان، 3 : 42.

محمد بوخبزة

**ابن سليمان، محمد اللمطي** من رؤساء أهل فاس خلال مرحلة الاضطرابات التي تلت وفاة أحمد المنصور. تزعم إحدى الثورات وحاول أن يثأر لمقتل والده الذي سبق أن قام بفاس فتوعد معارضيه بالانتقام ومن بينهم الشيخ عبد الرحمن الفاسي (العارف) الذي هدد بهدم زاويته بالقلقليين، غير أن انتفاضته انتهت بمقتله بطريقة شنيعة في مواجهة مع أهل فاس سنة 1029 / 1620.

م. ابن عيشون، *الروض العطر*، 156 ؛ م. القادري، *نشر*، ج 1، 232.

نفيسة الذهبي

**السُّلَيْماني**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çuleyma - Çuleymen.

وتوجد بتطوان أسرة أخرى تحمل نفس الاسم ولكنها تعرف بأسرة "الغنمية" وهم شرفاء حسنيون يوجدون أيضاً بفاس هاجرت إليها من معسكر الجزائر، ينتسبون إلى سليمان بن عبد الله أخي إدريس الأكبر.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1396.

محمد ابن عزوز حكيم

**السليماني، عبد المالك** بن محمد الغريسي الحسني. ولد بفاس في 14 ربيع الثاني عام 1332 / 12 مارس 1914، وبعد وفاة والده في نفس السنة انتقل مع أخيه الأكبر إلى الرباط فدرس في مدرسة أبناء الأعيان وأتم دراسته بثانوية

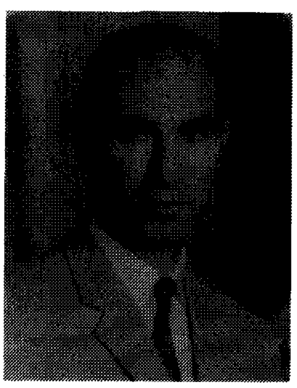

مولاي يوسف، ثم حصل على الإجازة في الآداب، قبل أن يشتغل بالتعليم، فتفتيش المعلمين وإرشادهم. وأصدر سنة 1366 / 1947 بالرباط مع زميليه المفتشين محيي الدين المشرفي والعربي المسعودي كتاب *نصائح وإرشادات في التربية والتعليم لمدرسي اللغة العربية*. فكان فتحاً جديداً للمدرسين باللغة العربية في المدارس العصرية، بما قدّم لهم من مبادئ بيداغوجية حديثة نظرية وتطبيقية. ولشدة الإقبال على هذا الكتاب أعيد طبعه بالمطبعة الدولية بطنجة سنة 1371 / 1952.

كان عبد المالك السليماني كما وصفه مؤلف *معجم المطبوعات المغربية* : هيناً ليناً كريم الأخلاق، طيب الأعراق، من الذين يعملون بجد واجتهاد وإخلاص مع هدوء وسكون وتواضع وحياء ولطف. اختير مدة لإلقاء دروس في الترجمة بمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط، ثم أسند إليه في آخر عهد الحماية منصب مندوب الصدر الأعظم في المعارف. وأنهى مسيرته المهنية مشرفاً على المصالح التربوية في وزارة التعليم.

توفي بالرباط في 21 حجة عام 1397 / 3 دجنبر 1977.

ع. المالك السليماني نفسه، *نصائح وإرشادات*، الرباط، 1947 ؛ إ. الإدريسي، معجم *المطبوعات المغربية*، سلا، 1988.

محمد حجي

**السليماني، محمد** بن **عبد القادر** المدعو ابن الأعرج الشريف الحسني الغريسي، فقيه محدث. وفد على فاس واستوطنها ضمن كوكبة من الأسر التلمسانية وغيرها التي هاجرت من المغرب الأوسط إلى فاس وعدد من المدن المغربية منذ بداية الغزو الفرنسي.

وهو سليل أسرة مجاهدة، استشهد جده خلال حصار مدينة وهران التي كانت محتلة من قبل الإسبان، كما استشهد عدد من أقربائه في المواجهات مع قوات الاحتلال الفرنسي، وكان الأمير عبد القادر الجزائري يخاطبه بقوله "الأخ في الله، محمد بن عبد القادر ابن المجاهدين"، وظلت العلاقات وطيدة بينهما وتبادلا الخطابات حول قضايا عامة وعائلية.

كان محمد بن عبد القادر أول من لُقب من هذه الأسرة بابن الأعرج"، وذلك لأنه تربى في حضانة خاله الأعرج لموت الجد وجميع القرابة في الدفاع عن الوطن". (*اللسان المعرب*، 34)، وتدل تقاريظ كتاب نجله المؤرخ محمد السليماني *اللسان المعرب* على أن محمد بن عبد القادر عاش طويلا، وتحلّيه بالفقيه المسن الصالح.

توفي سنة 1332 / 1913.

ع. الحفيظ الفاسي، *معجم الشيوخ*، الرباط، 1931، ص. 68 - 69، 1931، ج. 1 ؛ م. السليماني، *اللسان المعرب*، الرباط، 1971.
E. Michaux-Bellaire, *Les musulmans d'Algérie au Maroc*, *A.M.*, T. 2, 1907.

**السليماني، محمد** بن **مَحمد** بن عبد القادر الغريسي المعسكري الحسني، المعروف - كأبيه - بابن الأعرج، مؤرخ كاتب شاعر من أصل جزائري، يتصل نسبه حسبما ورد في "عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس" بسليمان بن عبد الله الكامل، الذي تملك أبناؤه المغرب الأوسط أيام أخيه إدريس الأكبر.

ولد السليماني بمدينة فاس في 10 ذي القعدة 1285 / 22 فبراير عام 1869. عنى به والده محمد بن عبد القادر، الذي كان فقيها ومحدثا، فقرأ عليه الفقه والتوحيد والعربية، وقرأ القرآن بمدرسة درب السعود بحومة الجزيرة بعدوة الأندلس، على شيخه أحمد بن محمد الفشتالي. وبعد أن حفظ *الأمهات ومختصر خليل* كالعادة، ولج جامعة القرويين سنة 1305 / 1887، ومن جملة المصنفات التي درسها *صحيح البخاري والموطأ ومختصر خليل* وكان من أبرز شيوخه في القرويين التهامي بن المدني گنون، وعبد الله بن التهامي الوزاني، وأحمد ابن الجيلالي الأمغاري.

اضطر محمد السليماني أن يبتعد عن التحصيل العلمي، فاتجه إلى التجارة، ونزح عن فاس إلى تلمسان، حيث كان يقيم عدد من التجار الفاسيين، فاتخذها مقراً له، مقتصراً على زيارة فاس بين الفينة والأخرى. لكن تجارته كانت متواضعة، وقد زاوج بينها وبين المطالعة والكتابة، إذ كان شغوفا بالاطلاع على الصحافة الدولية ولاسيما التي لها نزعة تحررية. وأسس في تلمسان ناديا لتبادل الآراء والأفكار، عرف لاحقا بنادي الشبيبة الجزائرية. وقد أمّ هذا النادي الأعيان والقضاة والمثقفون لمناقشة قضايا تاريخية واجتماعية.

عاد السليماني إلى فاس وقت اشتداد الضغط الفرنسي على المغرب، وكان من المناوئين للسياسة الفرنسية إزاء المغرب، فكتب ونظم مثيراً الحماس لمجابهة هذه السياسة، من ذلك قصيدته البائية، التي نظمها وهو في وجدة سنة 1329 / 1911. لما حوصرت فاس، استنهض فيها الهمم لمقاومة المدّيْن الفرنسي والإسباني (*اللسان المعرب*، 151 - 153).

كان للسليماني تعاطف مع قضايا العالم الإسلامي، من ذلك نشوته بانتصار الأتراك على اليونانيين في موقعة إزمير، فنظم بهذه المناسبة قصيدة دالية عنونها بـ "تركيا الجديدة". وارتبط السليماني بالكتابة في بعض الصحف، مثل "السعادة"، التي نشرت له عدة مقالات في قضايا مختلفة، كما نشرت له بعض الصحف التونسية قصائد منها قصيدة عن الحرب العالمية الأولى.

وبسبب النشاط الوطني للسليماني تعرض للمضايقة من قبل سلطات الحماية الفرنسية، وكان من أبرز إسهاماته في العمل الوطني، مشاركته الفعالة في إنشاء مدرسة حرة في حومة رأس الجنان بفاس سنة 1340 / 1921. ووضع دليلا لأساتذة هذه المدرسة، شمل كذلك توجيهات وإرشادات ونماذج من الدروس في القراءة والكتابة والتربية الخلقية والعلوم

العصرية وغيرها. ويذكر أن السليماني تحمس لإصلاح التعليم خاصة إدخال النظام إلى القرويين. وقد نوّه بما عزم عليه معاصره محمد الحجوي حينما شرع في ذلك سنة 1333/ 1914، فنظم قصيدة شعرية أشاد فيها بما أقدم عليه الحجوي، وحينما فشل المشروع بعث إليه بقصيدة أخرى تأسف فيها على مآل إصلاح نظام التعليم في القرويين (*الفكر السامي*، 198 ـ 199).

ازدادت مضايقة سلطات الاحتلال الفرنسي للسليماني إبان الحرب الريفية، التي حرص على تتبع مجرياتها بتعطش وانفعال شديدين، فكان يتأثر بالأخبار التي تفيد حصول الوهن أو التصدع في صفوف المجاهدين.

خلف السليماني عدة تآليف، أكثرها تداولا *اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب*، وهو في التاريخ، تطرق فيه إلى أحوال الأندلس والمغرب الأوسط، وتتبع تدخل الأوربيين في شؤون المغرب، وأورد فيه ما عاينه من وقائع قبيل فرض الحماية الفرنسية مثل تمرد الجيلالي الزرهوني "بوحمارة" وبيعة مولاي عبد الحفيظ وحصار مدينة فاس. ومثّل هذا الكتاب، حسب مؤلفه، عملا توجيهيا، إذ اعتبر نفسه مرشدا للناشئة المغربية يقدم لها إطاراً للعمل من أجل النهوض، فنصح بالتعليم لتحقيق هذه المهمة، وعرض في هذا الكتاب تصوراً متكاملا عن المعارف العصرية التي يجب اكتسابها، حاثا على إجبارية التعليم، مفصلا في ترتيب المدارس وبرامج القراءة والفنون، بما لم يسبق له أي مؤلف مغربي آخر.

وحض في إطار دعوته إلى الإصلاح الاقتصادي على الاستغناء عن الأجانب في الحاجات الضرورية واستهلاك المنتجات المغربية مميزا بين التجارة السلبية والتجارة المربحة، مقدما مجموعة اقتراحات بشأن إزالة الخلل في الميدان الاقتصادي. وناقش في هذا الكتاب مفهومي الحرية والمدنية والشُّبَه الناشئة عن الفلسفة الحديثة.

ومن مؤلفاته المخطوطة "*زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ*"، في أربعة مجلدات، و"*تسهيل المطالب لبغية الطالب*"، وهو شرح لمنظومة الإمام الغبريني، المسماة "*بغية الطالب في ذكر الكواكب*"، ويضم تراجم عدة أعيان من أشراف وعلماء وأعيان غريس في القرن العاشر (16 م)، وخلف محاضرات في التاريخ وعلم الاجتماع كان يلقيها في نادي الطلبة بفاس. وديوان شعر، نشرت منه بعض القصائد في عدد من الكتب.

توفي بفاس يوم الأحد ثالث وعشري حجة عام 1344 / 4 يوليوز 1926، ودفن بفدان الغرباء قرب قبة الشيخ علي ابن حرزهم خارج باب فتوح.


م. السليماني، *اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب*، ط 1، الرباط، 1971 ؛ *زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ*، 4 أجزاء ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، ط. 2، المدينة المنورة، 1397 / 1977، جزآن ؛ ع. الله الجراري، *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين*، جزآن، الرباط، 1406 / 1985 ؛ خير الدين الزركلي، *الأعلام*، ج 7، بيروت، 1986 ؛ مصطفى بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، 1989 ؛ أ. المكاوي، *مسألة الإصلاح عند المفكرين المغاربة في النصف الثاني من القرن 19 من خلال بعض النماذج*، د. د. ع، كلية الآداب، فاس، 1988.


أحمد المكاوي

**السليمانيون**، طائفة بدعيّة ذكرها الفقيه الحافظ يوسف بن موسى المحساني السبتي (كان حيّاً عام 686 / 1287، وكان يقرئ بجامع باب السلسلة بفاس) وذلك في شرحه على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والموسوم "بالإفادة". وفسر نحلتهم بأنهم يجمعون بين النساء والرجال، وجعلهم الطائفة البدعية الثانية الموجودة بالمغرب على عهد بني مرين، خلال القرن السابع (13 م) إلى جانب العكازين أتباع المهدي بن تومرت (ت. 524 / 1129)، وأفتى فيهم بأن يتقدم إليهم فإن تابوا وإلا قتلوا. ومثله عند إمام جامع القرويين الشيخ يوسف بن عمر الأنفاسي (ت. 761 / 1359) في تقييده على الرسالة أيضاً. وكان فقيهاً صالحاً، وقد بلغ مائة سنة. وقريب منه عند قاضي القضاة بمصر الفقيه محمد ابن إبراهيم التتائي (ت. 942 / 1535)، وذلك في شرحه على الرسالة وعنوانه *تنوير المقالة*. ونقله عن أبي يعقوب المحساني، واقتصر على ذكر السليمانيين ولم يفسرهم. ووقف قاضي الجماعة بفاس الفقيه محمد بن الحسن المجاصي (ت. 1103 / 1691) على نسخة من الشرح المذكور وبها على هامش النقل الذي يهمنا، وبخط الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي "العارف" (ت. 1036 / 1626)، طرة نصها : الذين يجمعون بين النساء والرجال.

وقد تم النظر إلى السليمانيين في سياق التيارات الفكرية التي عرفها المغرب المريني، وأسلكوا ضمن الجماعات المتطرفة التي سجل إمامان من أعلام العصر قلة وجودها بالبلاد، وهما المحساني المذكور والإمام محمد ابن الحاج العبدري (ت. 737 /36 - 1337)، وذلك في كتابه "المدخل"، الذي قرر فيه فضل العلماء في ارتداع كثير من أهل البدع وفي اختفاء كثير من العوائد الحادثة في المائة السادسة للهجرة وما قبلها. حيث لم تَعْدُ الجماعات المتطرفة التي عاصرها هذان العلمان الفاطمية المتفرعة إلى أكثر من فرقة، والعكازون أتباع المهدي بن تومرت، والسليمانيون.

وإذا كانت العبارة التي فسر بها المحساني نحلة السليمانيين ضيقة لا تزيد على القول إنهم أهل إباحة. فإن افتاءه باستتابتهم ينفي عنهم النسبة إلى أهل الإباحة العامة، وهم الزنادقة المطلقون الذين لايرون تكاليف الشرع على الاطلاق، ويستبيحون المحرمات بدون تقيد بشرط ولا شخص مع التستر بظاهر الإسلام، والذين يقتلون ولا تقبل توبتهم. ويقطع حكمه بنسبتهم إلى أهل الإباحة الخاصة من الغلاة المتسللين من شتى النحل، والقائلين ببلوغهم حالة بينهم وبين الله ترتفع معها الشرائع عنهم، ويباح كل شيء لهم.

ولا يزيد تواتر ذكر السليمانيين في الشروح الفقهية المذكورة، والمصنفة خلال القرون 7و8 و10 / 13 و14 و15، عن

نقل وتكرار ما جاء في "الإفادة" بصددهم. ولا سبيل إلى معرفة المسالك التي تسللوا منها إلى بدعتهم، وهل ينتمون إلى أهل التصوف أو غيرهم من الطوائف التي تنوعت مشاربها وتعددت اتجاهاتها على عهدهم ومن قبلهم، في المغرب وفي غيره من بلاد الإسلام ؟ وهل الاتفاق في اللقب الواقع عليهم وعلى بعض الفرق المشهورة مثل السليمانية شيعة سليمان بن جرير، والذين يعرفون بالجريرية أيضاً، يسوغ القول بوجود جامع ومشابهة أوجبت اطلاق لقب هؤلاء الرافضة عليهم ؟ أم أنهم على حالة غير حالتهم ؟ وهل نحلتهم - كما رجح المجاصي - مطلق بدعة وتهاون في الدين؟

وتجدد الاهتمام بالسليمانيين خلال القرن الحادي عشر (17 م)، لكن في سياق لا يمت بصلة لتاريخهم. وذلك في مناسبتين، وإن تباعدتا في زمانهما، وتعارضتا في قصدهما، إلا أنهما تتفقان في توظيف وإقحام خبر السليمانيين في تاريخ طائفة أخرى نشأت بالمغرب خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م)، واتهمت في نهايته بالإباحة والجمع بين النساء والرجال. والطائفة المقصودة هي اليوسفية التي تفرعت عن الطريقة الراشدية، واتهم شيعتها بالغلو في محبة الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524) صدر الطبقة الزروقية الأولى، وأن غلوهم ترتب عنه القول بالإباحة. وقد عرفت هذه الطائفة بتسميات متعددة، منها ما ارتضاها أتباعها لأنفسهم مثل اليوسفية والأحمدية والملاينة، ومنها ما أطلقها خصومهم عليهم مثل البضاضوة والشراقة والعكاكزة أو العكازين.

وتعود المناسبة الأولى إلى مطلع العقد الثاني من القرن الحادي عشر (17 م)، وبالضبط عام 1012 / 2-1603 الذي يؤرخ لنشوب الخصومة الشديدة بين الفقيه الثائر أحمد بن أبي محلي (ت. 1022 / 1613) وصهره عبد القادر بن محمد بوسماحة المعروف بسيدي الشيخ (ت. حوالي 1030 / 1641)، ومؤسس الطائفة الشيخية، ولما أصبحت بدعة اليوسفيين تهمة تلفق لمن نظمت بينه وبينهم صلة من الصلات، وصلة الشيخيين بهم وثيقة. فهم اخوانهم في الراشدية، وشيخهم أبو سماحة تلميذ الشيخ محمد بن سليمان السهيلي (ت. 936 / 1530) أحد كبار تلامذة الشيخ أحمد بن يوسف. فقد استخدم ابن أبي محلي هذه التهمة ضد صهره وشيعته الذين جعلهم يؤولون في بعض صورهم إلى نحو ما عليه اليوسفيون، وقال باستباحتهم الزنى وسفك دماء المسلمين. وأوصل حبلهم أيضاً بالطائفة السليمانية التي تهمنا، وفي هذه الصلة إشارة إلى جامع صريح وهو الاشتراك في النساء، وفيها تلميح إلى مشابهة مضمرة وهي المواطأة في اللقب الواقع على الطائفتين، إذ يعرف أولاد سيدي الشيخ بأولاد سيدي سليمان أيضاً.

وإذا كنا لا نعرف سليمان الذي نسب إليه معاصرو الفقيه أبي يعقوب المحساني، فان اسم سليمان قد تعدد في أجداد الشيخ عبد القادر السماحي. فأول من انتقل من أسلافه البكريين من الحجاز إلى المغرب، وذلك أواخر القرن الثامن (14 م) أو أوائل القرن الذي يليه، يعرف بمحمد بن سليمان العلي. وجده المباشر اسمه أيضاً سليمان بن بوسماحة، وهو جد أولاد سيدي الشيخ كافة، وهو يعد من كبار صحب الشيخ أحمد بن يوسف، ومن أعلام الطبقة الراشدية الأولى التي ينتمي إليها شيخ حفيده سيدي الشيخ.

وكما اشتهر اسم سليمان في عمود نسب الشيخ عبد القادر السماحي حتى عرف حفدته به، فان نفس الاسم قد سلف في آباء بعض مشايخ الطبقة الراشدية الأولى : فشيخه السهيلي ينسب إلى سليمان، وقد يكون والده أوجده. كما يعرف مؤسس الطائفة اليوسفية بعمر بن سليمان، وهو مذكور الاسم في السيرة المبكرة والمفردة في الشيخ أحمد بن يوسف غداة انتصاف القرن العاشر (16 م). ويجعله مؤلف هذه السيرة من كبار الطبقة من صحب الراشدي، ومن المقربين من أتباعه الذين كانوا يقضون الليل في بيته، وذلك في قرية مصراتة المجاورة للقلعة من البلاد الراشدية. ودأب اليوسفيون، أباً عن جد، على ذكر شيخهم بهذا الاسم حتى مطلع القرن الرابع عشر (20 م) وهذا وجه آخر من وجوه التداخل بين تاريخ الشيخيين اليوسفيين، ومن مسوغات القول بمآلهم إلى السليمانيين تسمية ونحلة.

وتمت المناسبة الثانية عام 1080 / 69 - 1670 الذي شهد محاكمة اليوسفيين في خلافة السلطان المولى الرشيد، وجاءت في الأجوبة المحررة في نازلتهم من قبل قاضي الجماعة بفاس الفقيه محمد بن الحسن المجاصي. وقد ذهب فيها إلى القول بردة اليوسفيين، وساق من جملة الشواهد لصحة هذا الحكم الفتاوى التي أصدرها فقهاء القرنين السابع والثامن (13 و14 م) في العكازين شيعة المهدي بن تومرت، لمواطأة لقبهم للقب العكاكزة التي اشتهر به اليوسفيون أواخر القرن الحادي عشر (17 م)، وأقدمها فتوى الفقيه المحساني.

ولما كانت الطائفة الثانية المنبه عليها في هذه الفتوى هم السليمانيون كما أسلفنا، فقد اهتبل المجاصي بالجامع بينهم وبين اليوسفيين في الجمع بين النساء والرجال، وقال إن نحلة هؤلاء هي نحلة أولئك تحقيقاً، وان زاد أصحاب النازلة خبائث أخر كترك الصلاة والصيام وأكل الميتة. ولم يكتف المجاصي بفتوى المحساني وحدها، بل تتبع النقل عنها عند كل من الأنفاسي والتتائي، وجمع النقول المتفرقة في الشروح التي صنفوا، والتي تواتر بها ذكر السليمانيين خلال القرون السابع والثامن والعاشر (13 و14 و16 م).

ويحتمل تاريخ السليمانيين سياقاً يتسع عن سابقيه من قبل ومن بعد، ويفيض عن زمان وجودهم في المائة السابعة للهجرة، وزمان استحضارهم في المائة الحادية عشر للهجرة. وهو سياق النحل التي تواضع المحدثون على تسميتها بالمراسيم والشعائر الجنسية، والمتواترة في مصادر تاريخ المغرب من عهد القديس أغسطين (ت. 430 م) إلى هلم جراً.

م. المجاصي، *نوازل*، ط. حجرية، فاس، 91، 95، 111، 112، 125؛

م. المنوني، *ورقات*، 245، 247، 255 ؛ إسماعيل العربي، *معجم الفرق والمذاهب الإسلامية*، الدار البيضاء، 1993، 213 ؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب*، 381.

J. Berque, *Ulémas*, 56-65.

عبد الله نجمي

**السلينسي** أو **السلويون** أو **السلاتيون** نسبة إلى نهر سلا (أبي رقراق) ويذكرهم جغرافي راڤينا تحت اسم سلينسيس (Salensis). وكلمة السلينسي قريبة من كلمة السلاتي (Salathi) الذين يضعهم بطليموس في ليبيا الداخلية. بينما يضع بلينوس الشيخ مواطنهم شمال الماساتيين الذين كانوا يستقرون على مشارف نهر ماسة في الجنوب من جبال الأطلس. كما تم العثور على كلمة سالينسيس في نقائش لاتينية بفوروم موقع سلا (شالة). نشر بعضها جيروم كاركوبينو والبعض الآخر لوي شاتلان. وبما أن بطليموس يذكرهم جنوب (الأمازيغ) والڤيريبكاي، فمن المحتمل أن نحدد مواطنهم حول موقع سلا (شالة) وضفاف نهر سلا. إلا أنه يبدو أن القسم الأكبر من أبناء القبيلة كانوا موجودين خارج النفوذ الروماني، وأن مجالهم فلاحي مما جعلهم عرضة لهجمات الأوطولول حسب بلينوس الشيخ. هذا والجدير بالإشارة إلى أن كاركوبينو حاول أن يحدد مواطنهم في نواحي سبتة اعتماداً على افتراض يدعي فيه وجود مدينتين تحملان نفس الاسم أي سلا. إلا أنه مستبعد مادام ليس هناك ما يؤكده.

م. أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية بين المور والرومان في موريطانيا ما بين 140 و285 ميلادية*، د. د. ع. الرباط، 20 / 06/ 1980، الفصل الثاني.

Ptolémée, *Géographie* ; Pline L'Ancien, *H. N.*, V, 17 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1943 ; L. Chatelain, *Le Maroc des Romains*, Paris, 1968 ; R. Roget, Le *Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1929 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962.

مصطفى أعشي

**سُماتة**، إحدى قبائل منطقة الهبط، تنحصر أراضيها الجبلية بين مجرى واد المخازن من جهة الشمال حيث تمتد أراضي بني عروس وتنتهي حدودها الغربية عند جبل بني گرفط، تقف عند حدودها الجنوبية قبيلتا بني يسف وأهل سريف. وتشغل أراضيها تجمعات الشناتفة وشفراوش وكدية الحيط وزعرورة وسيدي مزوار وبوحمصي والرميلات.

يرتبط تاريخ القبيلة وتعميرها بالانتشار الإدريسي إثر انتهاء ملكهم بفاس، فهي التي تلقت أولى الهجرات الإدريسية بالشمال الغربي المغربي، باستقرار سيدي مزوار، أحمد بن علي حيدرة بن محمد بن إدريس بجبل الحجر، وما تلا بعد ذلك من تأسيس قلعة حجر النسر بأرضها في حدود سنة 313، وخوض الحرب الأولى مع موسى بن أبي العافية ما بين سنوات 317 ـ 321، ثم ما كان من حرب ثانية على يد الحسن بن كنون ضد التدخل المرواني الأندلسي بالمغرب ما بين 360 و375 وما آل ذلك إلى الصراع على القلعة الإدريسية السماتية.

لم تشر كتب الجغرافيا للعصر الوسيط الأول ولا حوليات ابن حيان الأندلسي إلى اسم سماتة، مما أدى إلى خلو المصادر التالية من الاسم، مكتفية بالإشارة جميعها إلى قلعة الحجر كنقطة سكانية حربية. وأغلب الاعتقاد أنها مثل جاراتها القبائل الجبلية المحيطة بها، كانت في طريق التكوين والوحدة الجغرافية، إلى أن عرفت تجمعاتها باسم سماتة، وذلك قبل القرن الثامن الهجري، ودون أن نعرف سبب ذلك وعلاقته باسم سماطة الواقعة بناحية تونس حسب الوارد عند البكري. وثبت في منتصف القرن الثامن الهجري أن جماعات سماتية كانت بحوز غرناطة على عهد أبي الحسن المريني، منتظمة في جيش النصريين من بني الأحمر.

وكيفما كان الأمر فإن اسم القبيلة كان بارزاً في القرن العاشر (16 م)، وحدود القبيلة ومواقع تجمعاتها معروفة بأسمائها لدى برتغاليي أصيلا وطنجة. غير أن الحسن الوزان ورديفه مارمول كاربخال لم يعرفا بسماتة مثلما سلكا مع جارتها قبيلة بني عروس. وتبدأ المعلومات التي لدينا مما قدمه بيرناردو رودريكيس البرتغالي، صاحب *حوليات أصيلا*، وهي تخص غزوات جنود أصيلا البرتغاليين للقبيلة، ذلك أن حاكم أصيلا نظم نحو القرية غارتين خلال سنة 1519، كانتا من نصيب قريتي تولا وخربة الشناتفة على سفح جبل سريخ. واغتنم الحاكم مرة أخرى فرصة غياب السلطان أحمد الوطاسي لمحاربة محمد الشيخ السعدي في مايو 1526 لتنظيم حملته الأولى على سماتة، بتوجيه من المنتصر ضيوغو دي سلفيرا الكرفطي في اتجاه قريتي وارموت والهوتة. والمعروف لدينا أن حاكم أصيلا عاد إلى الغارة على أرض سماتة في غشت سنة 1529 عبر طريق قب النبش بإرشاد من المنتصرين أرتور رودريكيس وأنطونيو سلفيرا. ولم تنج قرية عين بيضا من هذا الغزو. ونظراً لما جمعه البرتغاليون من سماتة من رؤوس الماعز البالغ عددها خلال جميع الغارات نحو 2000 رأس فإنهم أضافوا إلى اسمها كونها بلد الماعز.

ونعرف من السماتيين الشيخين سيدي مالك، جد الشرفاء الحراقيين وعمر الشنتوف المشارك في معركة وادي المخازن، وإليه تنسب اليوم فرقة الشناتفة. وتعرفنا أيضاً منها على كاتب السلطان محمد بن عبد الله المدعو محمد السماتي.

ولم يتعرف مخبر موليراس على قبيلة سماته، نتيجة عزلتها في داخل المنطقة. وحسب الروايات الشفوية المحلية المنتمية إلى القرن الثالث عشر (19 م)، منها ما قصه عالم سماتة السيد عبد السلام حسون سنة 1880 من أن القبيلة السماتية كانت في حرب دائمة مع جاراتها قبائل بني يسف والأخماس وبني عروس وآل سريف وبني زكار بسبب الحدود، مما ترتب عنه تحالف هذه على أخرى. ومن ذلك حربها مع بني يسف وحليفتها الأخماس على قرية الحرشة.

واشتهر بسماتة معاهد للدراسات الفقهية خلال أواخر القرن الثالث عشر وبداية الموالي له، منها معهد عين بيضا الذي كان على رأسه الشيخ أحمد بن يرمق الذي تتلمذ عليه عدد من فقهاء الريف الشرقي، والمرابط أحمد التلمساني. وحسب مصادر فترة الحماية قبل سنة 1936 أنها تكونت من ثلاث فرق وهي شناتقة والحيط وسيدي مزوار، وبلغ عدد دورها نحو 700 دار، أي ما يعادل 3500 ساكن. وقد عدت سماتة من الجهات ذات الخطورة على الزحف الإسباني في نطاق إخضاع قبائل جبالة، ووصلت إليها القوات الإسبانية يوم 6 مايو 1921.

ابن خلدون، *العبر* ؛ ح. الفگيگي، *المقاومة المغربية للوجود الإيبيري بالثغور الشمالية الغربية*، أطروحة مرقونة، الرباط 1991 ؛ م. عمراني، *الشرف والمجتمع والسلطة السياسية*، أطروحة مرقونة، الرباط، 2001 ؛ ع. المنصوري، *العلاقات المغربية البرتغالية*، أطروحة مرقونة، الدار البيضاء، 2001 ؛ *معلمة المغرب* ؛ المريني العياشي، *صور من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة* ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، تطوان، 1951.

*Geografía de Marruecos*, t. 2, Madrid, 1936 ; B. Rodrigues, *Anais de Arzila*.

**السماتي، أحمد** بن المكي اليرمقي، من أولاد بني يرمق السماتيين القاطنين بمدشر عين بيضا، فقيه وإمام الأئمة وشيوخ علماء جبالة وغمارة والريف. لا نعلم عن بداية أمره سوى أنه ولد وعاش بقريته "عين بيضا" بين أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر (19 ـ 20 م) اعتباراً لكون شيخه الفقيه عبد الله بن الحاج علي زيطان الخمسي كان حيا سنة 1285 / 1865. ويمكن أن نساير امتداد حياته من خلال روايات عدد من تلامذته الغماريين والريفيين خاصة، بدءاً من الشيخين علال التانوتي القلعي والحاج محمد التوزاني سابق الترجمة، وذلك قبل سنة 1909. كما أن القاضي حمو بن محمد الشكري القلعي آتي الترجمة درس عليه ما بين سنة 1915 و1919 على أقل تقدير، وكان آنذاك شيخا وقوراً في نظر الفقيه الشكري. وستكون النتيجة المستخلصة من كل ذلك أنه كان في مستهل العقد الثالث من القرن العشرين مازال على قيد الحياة، معاصراً للزحف الإسباني الاستعماري على قبيلته واحتلالها يوم 6 مايو 1921.

يرسم اتصال أحمد بن يرمق بالشيخ عبد الله بن الحاج علي زيطان من أحياء سنة 1285 / 1869، أولى خطوات رحلته الدراسية، وذلك بمسجد لهرى الكرفطي، ثم تابع الدراسة بقبيلة بني يدر، حيث تتلمذ على الشيخ أحمد شتوان بمدشر اشتوغة، وعلى الفقيه السرحاني اليدري.

توجه أحمد السماتي إلى فاس ودرس بالقرويين على محمد بن المدني گنون، (ت. 1326 / 1909). ومنه نعرف أن إقامته بفاس كانت قبل هذا التاريخ، إذ من الثابت أنه كان بسماتة مشتغلا بالتدريس سنة وفاة شيخه، حسبما نعلمه من رواية تلميذيه علال التانوتي ومحمد التوزاني.

وكانت إقامته بفاس مناسبة لتوثيق الصداقة مع الشيخ ماء العينين، (ت. 1910) مما حمله على زيارته بعد ذلك بزاوية اسمارة في العقد الأخير من القرن الثالث عشر (19م)، إذ أن بناء المدينة والزاوية بدأ حوالي سنة 1885، ثم بالشريف المهدي بن محمد الوزاني (ت. 1342 / 1924)، صاحب *النوازل الكبرى والصغرى*.

عاد أحمد السماتي إلى وطنه بسماتة متشبعا بفكرة تأسيس المراكز العلمية فشرع في إحداث عدة مجالس دراسية بمساجد المنطقة، مثل مسجد طردان ببني عروس ومسجد أورموت ببني كرفط وعين بيضا بسماتة. والمشهور عن مداشر سماتة، الشرفاء الأدارسة بالشمال، أنها كانت تتبارى منذ القديم في مجال الشرف واحتضان المراكز العلمية كغيرها من قبائل الشمال الغربي المغربي، حتى إنه يكاد يكون لكل مدشر رئيسه العلمي ودليل شهرته ونبوغ أبنائه، مثلما أصبح المترجم عالم مدشر عين بيضا، فقد عرف أنه هو الذي استغل جامع مدشره لتأسيس معهد لدراسة العلوم الفقهية واللغوية، ليكون منه مركزاً ثقافيا مشهوراً في آخر القرن الثالث عشر والنصف الأول من الموالي له.

ومدشر عين بيضا السماتي، أصغر مداشر فرقة سيدي مزوار، واقع على السفح الشمالي من جبل الخلوة، يقابله من جهة الشمال السفح الجنوبي من جبل الصريخ. كان المدشر في عصر الشيخ أحمد السماتي صغيراً لم يتجاوز عدد دوره الثمانية والعشرين داراً أو أسرة، وهو ما يعادل مائة وأربعين نفراً غير أن شهرته تجاوزت المنطقة بفضل ظهور شيخ العلم السماتي.

وعرف عن هذا الشيخ أنه كان ضليعا في مختلف الفنون والعلوم، واهتم إلى جانب ذلك بضبط التوقيت بالمساجد، فلم يجد فرصة لتلبية حاجات الناس أفضل من الإشراف على صناعة الساعة الشمسية في كل مسجد حل به لإقامة الخطبة. ويروى عن الشيخ أنه كان يتقن كل علوم عصره حتى ما يتعلق بالموسيقى، ويمارس القضاء والإفتاء بالإضافة إلى التدريس الذي كان عمله الأساسي الدائم بالمساجد الكبرى بجبالة.

وقد شهد تلميذه الفقيه حمو الشكري آتي الترجمة في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين أن المسجد كان معروفا في أوساط جبالة بمعهد ابن يرمق، وعن تدريسه، قال : "يدرس الفقه *كالشيخ خليل والتحفة* ثم البلاغة والمنطق والنحو، وكان سلس العبارة ميالا إلى الإطناب" وحسب نفس الرواية كان "قوي الشخصية طويل النفس في الجمل، يحث على الاستقصاء في البحث والتعمق في الدرس والصبر على الرجوع إلى المراجع".

نعرف من طلبته بالشمال الغربي كلا من عبد السلام بن الطاهر الشاوي المتوفى عام 1910 ومحمد العمراني المجلاوي المتوفى 1933، وهو من قرية ميجلاو المنتسبة إلى قبيلة الساحل الشمالي وأحمد بن عبد السلام الحراق (ت. 1344 /

1925) والفقيه الدغاي من بني يسف المتوفى عام 1958 والفقيه العبدي العروسي والفقيه المزكلدي ومحمد بن عبد السلام بن احساين الصروخ الكرفطي والفقيه محمد النخشة (ت. 1351 / 1932). ومحمد الناصري والفقيه الحاج عبد السلام المرابط (ت. 1985). وممن درس عليه من طلبة الريف الشرقي مجموعة من فقهائه، منهم الشيخان محمد التوزاني وعلال التانوتي والفقيه القاضي حمو بن محمد الشكري والفقيه قاضي القضاة محمد ابن عبد الله التوزاني شركي (ت. 1937).

ومن الآثار المكتوبة التي تُذكر له : شرح على *قصيدة ابن بري* في القراءات، وآخر على *مقدمة ابن آجروم* وثالث على *أرجوزة المقنع*، وكلها مفقودة إلى حد الساعة.

وبمسجد عين بيضا بقي الشيخ أحمد السماتي يدرس إلى وفاته في تاريخ لم يتحقق بعد، مع الترجيح أن يكون التاريخ المحدد هو سنة 1339 / 1921، ودفن في زاوية من المسجد بجانب ولده سيدي الأمين، الشهيد ضد الاستعمار الإسباني بمعركة سيدي اليماني.

ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، 1982 ؛ المريني العياشي، *صور من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة* ؛ م. الهبطي المواهبي *مفتون منسيون بغمارة وشفشاون*، الرباط، 2000 ؛ م. بن عبد الرحمن بن خليفة، *أعلام القصر الكبير*، طنجة، 1994 ؛ ع. الصمد العشاب، *أحمد بن المكي يرماق* ؛ حمو بن محمد الشكري، *تقييد* ؛ م. بن حمو البنيحياتي، *مذكرات مرقونة* ؛ ع. الله عاصم، *العلامة محمد التوزاني*، الرباط، 1999، *معلمة المغرب*، *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، تطوان، 1952. Geografia de Marruecos, t. 2.

حسن الفكيكي

**السماحي**، أسرة سلوية أصلها من قبيلة بني مالك المتفرعة عن قبيلة بني هلال العربية، لذلك يُوجد آل السماحي اليوم ببلاد المشرق وبالمغرب الكبير.

نزل بنو مالك ببلاد الغرب، على مقربة من حد كرت، وإليها ينتسب آل السماحي الذين دخلوا إلى مدينة سلا، في أواخر العهد السعدي، ويعرفون بآل السماحي المالكي الزياني، تمييزاً لهم عن غيرهم الذين يختارون التسمية اسما شخصيا فقط، يضيفونه إلى أسمائهم العائلية، تمييزاً لهم كذلك عن أبناء عمومتهم بالغرب، الذين يسمونهم الزيازنة ؛ وقد كانوا أهل علم وتقوى وزهد، آخر عالم منهم الفقيه السيد عبد الله السماحي الزيزوني، تولى القضاء على عهد السلطان الحسن الأول، وتوفي قبل الحماية وعاصره في سلا ابن عمه المحجوب السماحي.

يعتبر المحجوب بن الحاج محمد بن الحاج الطاهر السماحي من حفدة المجاهد السلوي مَحمد العياشي، كما أكد ذلك المؤرخ محمد بن علي الدكالي لابن المحجوب الأصغر أحمد السماحي، وقال له : إراثتكم عندي، وكذا رسم ملكية المجاهد العياشي للسانية، مقر مدرسة أبناء الأعيان بالسور. (مدرسة مولاي المكي العلوي حالياً).

**السماحي، أبو بكر** بن محمد بن المحجوب السلاوي، شارك في الحركة الوطنية بسلا مشاركة فعالة، فكان أمين مال جمعية المحافظة على القرآن الكريم بسلا. وسهر سنة 1933 على تنظيم أول حفل لعيد العرش بالمغرب غير متهيب لما يتوقعه من ردود فعل سلطة الحماية، ولا تعقبها فيما بعد للنشاط التجاري للعائلة وعرقلته، ولا الخسارة المادية التي ستلحق المنسوجات التي رصدها للحفل والزينة ذلك اليوم.

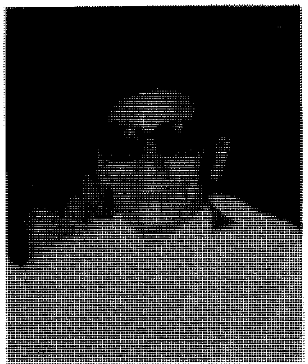

لم يتوقف أبو بكر عند ذلك، بل زاده نجاح تظاهرة عيد العرش عزما وإصراراً على المضي قدماً في حقل الكفاح الوطني، وتقبل التضحيات بشأنه.

دخل أبو بكر السماحي السجن بسبب نشاطه السياسي سنة 1936 و1937 و1944. وكان أحد الثلاثة بالمدينة الذين اعْتقلوا في الوطنية ثلاث مرات متتالية، وبعد الاستقلال ولي وجهه شطر الوظيفة فالتحق بالتعليم وللضرورة أحكامها. إلى أن وافته المنية سنة 1413 / 1993 عن سن تناهز الثانية والثمانين سنة.

*وثائق عائلية، معرفة شخصية.*

محمد السماحي

**السماحي، عبد القادر** بن محمد بن سليمان الفگيكي الشيخ الصوفي المدعو بوسماحة نشأته الأولى غامضة، وربما كان ظهوره حوالي سنة 940. ومن المؤكد أن جده سليمان تعهده واعتنى بتربيته وتنشئته، بدأ بحفظ كتاب الله، ثم أسلمه إلى الشيخ المتصوف محمد بن عبد الجبار على أساس التأهيل للانخراط في سلك المتصوفة، لكن محمد مات، فخلفه على كرسي التحصيل ولده أبو القاسم، وعنه أخذ المترجم صحيح البخاري ومسلم وشفا القاضي عياض وبعضا من النحو والأدب.

ونقلا عن أحمد ابن أبي محلي، فإن السماحي قضى شطراً مهماً من حياته بفگيگ بينما قضى الشطر الباقي متنقلا بين مختلف مدن ومداشر الجنوب الشرقي كبو سمغون، وبني عباس وگورارة، وأبيض سيدي الشيخ، وبهذه الأخيرة كانت آخر أيامه ووافاه بها الأجل.

وتقول الكاتبة الفرنسية Anne Levinck في مذكراتها

التي دونتها في كتابها *L'Oasis de Figuig, revue géographique* سنة 1884، سيدي الشيخ ولي صالح عاش في القرن (16 م) كان معروفاً في التل والصحراء، أسس زاويته في قصر بالغرب بالبيوض. وفيه مات حوالي سنة 1614 كانت له سبع نساء، أنبلهن من عذراوات فجيج، خلف 14 ولداً، وبعد وفاته بنيت له قبة (ضريح) وكانت مقدسة ومعظمة من طرف سكان القصور. كانت لهذه القبة نهاية مأساوية وأهمية سياسية غير منتظرة ولا متوقعة، فبعد تدميرها من طرف الجنرال Negrimer سنة 1881 أعاد بناءها الجنرال Thomassin بالرغم من رفض سكان الجزائر الفرنسيين...

بعد هذه الإشارات تنتقل الكاتبة الفرنسية إلى نقطة أخرى وتقول "والذي يهمنا هنا هو أن بوعمامة من سلالة سيدي الشيخ والذي ينتمي إلى أكبر أسرة بالجنوب الغربي، وبحكم تعدد زوجاته أصبحت له علاقة مصاهرة مع السلطان المغربي عبد الرحمن" ...

وبالرجوع إلى ما كتبه ابن أبي محلي نستفيد بأن مترجمنا السماحي، كان يتمتع بشهرة واسعة في المنطقة الشرقية وأن زاويته التي ما تزال إلى يومنا هذا بفجيج في مكان يسمى أجدل شرق الحمام الفوقاني كانت مورداً مورداً يغص بالمريدين الذين خلدوا اسمه بأماديح لازالت محفوظة بين ثنايا المخطوطات في الخزانات العامة والخاصة، ومن بين الذين مدحوه شعراً ونثراً ابن أبي محلي نفسه.

ولكن في نفس الوقت نلاحظ بأن العلاقة بين الشخصيتين انقلبت من المودة والصفاء إلى العداوة والجفاء والهجاء، فابن أبي محلي الذي خلع على السماحي حللا سندسية من أرفع الصفات وأنبل الشيم، قلب له ظهر المجن. ورماه بكل ساقطة وفاسدة وألف كتبا ومقالات تحمل من التشنيع عليه والتعريض به، ما يكفي لأن يجعل من السماحي خزيا ظاهر العار. ومن الواضح أن هناك دوافع وأسباباً جعلته ينقلب على السماحي، وحسب ابن محلي فإن المترجم حاد عن طريق الهدى واتبع هواه وارتكب ما يوجب جب الأنف وذاقة الحتف.

ولكن، رغم هذه الثورة، وهذه النعوت والأوصاف، فقد ذاع صيت السماحي. وامتلأت بذكره بقاع المنطقة الشرقية الجنوبية، ولاتزال العامة تحتفظ ببعض أخباره، وترد على مقامه بالحمام الفوقاني وفود الزوار من العائلات والأسر تبركا به، بينما يردد الناس في ضريحه بالتراب الجزائري بأبيض سيدي الشيخ، كل جمعة قصيدته المشهورة التي تعرف تارة باسم السلسلة وتارة أخرى باسم الياقوتة وهذا الاسم الأخير اشهر بين الناس. وقد نظمها لينخرط بها في سلك المتصوفة الأبرار والأولياء الصالحين الأخيار، معارضا تائية المتصوف الشهير الشيخ عبد القادر الجيلاني. والمعروف عنها أنها من الطوال تتجاوز 160 بيتا ومطلعها :

بدأت بحمد الله قصدا لنجح ما

أروم من استفتاح نظم قصيدتي

ومن المعروف أن ابن أبي محلي طعن في هذه القصيدة واعتبرها منحولة عليه من طرف أحد تلامذته.

وحسب المخطوط السابق الذكر يشير نقل ذيل به في الصدر الثاني بأن السماحي كان ثريا له 18 ناقة لا تخدم إلا للزاوية، وكان له أصول في فگيگ أجنة وماء، كان له 80 جنانا ومن الماء 60 خروبة (والخروبة ساعة مائية تساوي 43 دقيقة).

توفي يوم الجمعة ثاني جمادى الثانية عام 1025 / 17 يونيه 1616.

أ. ابن أبي محلي، *الإصليت*، الفصل الأول، مخطوط ؛ *سم ساعة*، مخطوط ؛ *القسطاس*، مخطوط ؛ *مهراس*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، طبع حجر فاس، د. ت.

لالي مصطفى

**السماد** ربما أمكن تقريب معنى التسميد من التسمين، حرفا ومعنى، وعليه يصير أقرب ما يكون إلى معناه بالإفرنجية، الذي يفيد الرفع من المقدور التغذوي للأتربة. ومعلوم أن الأتربة تضم أصلا عناصر غذائية، تتحرر بها انطلاقا من مكوناتها العضوية والمعدنية. وقد دعت الرغبة في تقوية المردود الزراعي إلى استعمال التسميد المعدني. لذلك نلاحظ تعاظم صناعة موازية في ميدان إنتاج الأسمدة.

تحتاج الزراعات إلى ستة عشر من العناصر الغذائية الأساسية، ومنها الآزوط والفسفور والبوطاسيوم التي تُعتبر عناصر كبيرة أو جوهرية، يحصل استهلاكها بمقادير أكبر. أما العناصر الدقيقة (الحديد، المنغنيز، البور، النحاس، ...) فيكون تقديمها بمقادير خفيفة. بل وإن الجرعات المطلوبة منها أقرب ما تكون من جرعات التسميم النباتي. لذا وجب التزويد بهذه العناصر على أساس من الدقة يحترم متطلبات الزراعة المعتبرة والمعطيات التحليلية للتربة.

أصناف الأسمدة الأكثر استعمالا من أجل التزويد بالعناصر المغذية الأساسية هي : سُلفات الأمنيوم، نترات الأمنيوم، ثلاثي الفوسفاط الممتاز، فوسفاط أحادي الأمنيوم، سُلفات البوطاسيوم وأسمدة أخرى مثلثة التركيب (N-P-K) كما هو الشأن بالنسبة لتركيبة 14 ـ 28 ـ 14. تصاغ جل هذه الأسمدة في شكلها الصلب وحسب فئات حُبيبية مختلفة. توجد كذلك أسمدة سائلة، بغرض الاستعمال الورقي.

من الملاحظ أن تنامي اللجوء إلى تقنية السقي التسميدي، التي تقتضي الاستعمال المختلط للأسمدة مع ماء السقي، قد سمحت باقتصاد السماد وبتقسيم التزويد به. كما نتج عن هذا التعاطي تطويرُ أشكال أخرى من السماد متلائمة مع الذوابية السهلة والسريعة.

يتم تحديد المقادير الواجب تقديمها ومختلف فترات التزويد بالنظر إلى معطيات تحليل الأتربة، التي تعبر عن المستوى الراهن للخصوبة، وكذلك حسب الصيغة الزراعية المزمعة والمردود الاقتصادي المنتظر.

عرف الاستهلاك السنوي للأسمدة (N - P - K) بالمغرب تزايداً بادي السرعة منذ "عملية الأسمدة" التي دعمت مكانة هذه المواد عند المزارعين. ويناهز الآن 700.000 طن الموافقة لحوالي 350 000 طن من العناصر المغذية ($N+P_2O_5+K_2O$). والواقع أن استهلاك الأسمدة، باعتبار وزن الوحدات المخصبة ($N+P_2O_5+K_2O$)، قد عرف تزايداً هاماً ما بين 1980 و1990.

لكن حصل بعض التراجع في الاستهلاك بعد هذه المرحلة نظراً لضعف التساقطات المطرية المسجلة خلال المواسم المذكورة. وقد هم التراجع بصفة خاصة تسميد الأساس، إذ يتجنب الفلاحون الاستثمار في تسميد الأساس الذي يوافق بداية الموسم، ولا يتدخلون من أجل تقويم المردود لا عندما تتضح ملامح السنة المطرية في الاتجاه الإيجابي، وذلك بالقيام بتسميد التغطية بواسطة المواد الأزوطية.

أما بالنسبة لاستهلاك الزراعات، فيبلغ المعدل الإجمالي 45 كلغ ($N+P_2O_5+K_2O$) /هكتار، وهو قدر شديد التواضع. إلا أن هذا الاستهلاك يعرف تفاوتاً هائلا عبر المجال الجغرافي، إذ يتم استعمال 58٪ من الوزن الإجمالي للأسمدة على مستوى الأراضي السقوية التي لا تمثل إلا 10 إلى 12٪ من الأراضي الزراعية، مقابل 42٪ في أراضي البور التي تحتل 90٪ من أصل المساحات الزراعية النافعة.

كما يتفاوت الاستهلاك حسب الزراعات، حيث تستعمل قرابة 32٪ من الأسمدة من طرف الحوامض والزراعات السكرية وزراعات البُقول التي لا تهم إلا 5٪ من المساحات المنزرعة، وجلها بالمجال المسقي. وعلى النقيض، فإن زراعات الحبوب التي تشمل 76٪ من الأراضي الزاعية لاتستهلك إلا 40٪ من المقادير الإجمالية للأسمدة.

معلوم كذلك أن فائض التسميد، غير المستعمل من طرف المزروعات، يمكن أن يتسبب في خلق التلوث. من ذلك أن الفسفور والأزوط، المنقولين على شكل شتيت أو محلول، يعرضان مياه السطح إلى التأجين، أي إلى رفع تركيزها من المواد الغذائية. أما في حالة الأزوط، فإن الزائد يتحلحل إلى عمق التربة متسببا في التلويث النيتري للمياه الباطنية.

ومن جهة أخرى، وعلى مستوى التسويق، فإن الأسمدة بالمغرب تعرف ثلاثة مسارات تجارية وهي البيع المباشر من طرف شركات الأسمدة، البيع لدى الوسطاء المرخصين، والبيع عبر شركات الإنتاج.

عرف القطاع ما جرى على غيره من إجراءات التطبيع. ذلك أنه، ابتداء من يوليوز 1990، وفي إطار التقليص من تدخل الدولة وسياسة التقويم الهيكلي، قررت السلطات العمومية تحرير استيراد وتسويق الأسمدة. وتبعا لذلك، تكاثر عدد المتدخلين فأصبح لزاما تنميط الأسمدة من أجل ضمان جودة المنتوج الذي يباع للفلاحين.

في هذا الإطار، باشرت هيئة وزارية إعداد نص تنميط الأسمدة بالمغرب. يضم النص 26 مواصفة، تمَّ نشرُها في الجريدة الرسمية. وتشمل المواصفات المصطلحات المستعملة في الموضوع، التصنيف، التكييف ومناهج تكوين العينات وإجراء التحاليل على الأسمدة.

يمثل التنميط الخطوة الأولى فقط في سبيل ضمان جودة الأسمدة التي تباع عبر البلاد، ذلك أنه لا يتمتع بقوة القانون. لاشك أن حال الجودة سيكون أفضل لما يرتفع شأن التنميط إلى مستوى التقنين الملزم.

يعاني القطاع حالياً من بعض النقص في موضوع تقنين ظروف وطرق التخزين والتوزيع. كما يلاحظ القصور في المستوى التقني المتوفر لدى وسطاء البيع، الأمر الذي يحرم المستعملين من الاستفادة من النصح المناسب والخبرة المطلوبة.

بجوار الأسمدة المعدنية، يوجد السماد العضوي أو مواد الدَّمل والتخصيب العضوي. يأتي على رأسها روث مختلف الأنواع الحيوانية (الأبقار، الضأن، الماعز، الدواجن،...). يستعمل الروث (الغبار بالمغرب) خصوصا في غراسة الأشجار المثمرة وفي زراعة البقول. ويتمتع بقيمة تخصيبية عالية، تسمح بالتزويد التدريجي بالمواد المغذية عن طريق التعدين.

لكن للتزبيل التلقائي بعض السلبيات التي تكمن في إشاعته للعوامل الممرضة ولبذور النباتات الدخيلة المنافسة للزراعة. ينصح حاليا استعمال محضرات الأزبال الروثية والنفايات الزراعية الخضراء من أجل القضاء على هذه العيوب.

تسمح الإدمالات العضوية، إضافة إلى التزويد بالعناصر المغذية، بتحسين الخاصيات الآلية للتربة وعموم البنية، وترقية طاقة احتجاز الماء وقدرة التبادل الكاتيوني. نشهد حاليا بالمغرب تطور وحدات متخصصة في إنتاج خلائط التسميد العضوي. لكن هناك فراغاً بمستوى تنميط الجودة في خليط التسميد الناتج.

إبراهيم السودي

**السمَّار** أو الأسل اسمان يُطلقان على أنواع جنس يونكوسْ Juncus من فصيلة الأسليات Jucaceae. يشمل الجنس حوالي 30 نوعا طبيعيا بالمغرب. كما يطلق الاسمان أيضاً على بعض أنواع جنسي السّعْد أو سيبيروسْ Cyperus الذي يضم 11 نوعا طبيعيا بالمغرب وسيربوس Scirpus الذي يحوي 7 أنواع طبيعية بالمغرب. والجنسان الأخيران من فصيلة السعديات Cyperaceae.

جل هذه الأنواع تعيش في المستنقعات أو على ضفاف الأنهار أو البحيرات أو الضايات الموجودة في المناطق الرطبة ذات المياه العذبة أو قليلة الملوحة واستثنائيا المالحة لبعضها. وذلك في أغلب أنحاء العالم.

من بين هذه النباتات أنواع عشبية حولية وأخرى

جُنَيْبِيَّة أو جُنَيِّبِيَّة معمرة تستعمل في صناعة الحصائر والسلال والقبعات وغير ذلك (انظر المادة الموالية). كما تستعمل بعض الأنواع للزينة كالنوع الدخيل البردي Cyperus papyrus الذي يغرس في أحواض الحدائق في المناطق الساحلية.

تتميز الأنواع المعمرة بجذور جذمورية مشكلة من المفاصل السفلية للسيقان، وبثمار علبية. تختلف أشكال الأوراق حسب اختلاف الأنواع فبالنسبة للأنواع الجنيبية والجنيبية تكون الأوراق صلبة وملساء ولامعة ذات شكل شريطي أو مستطيل أو في غالب الحالات اسطواني. تظهر الازهرارات في قمة السيقان.

ونذكر من أهم هذه الأنواع :

- الأسل أو السمار الحاد أو يونكوسْ سوبولاتوسْ Juncus subulatus : ويتميز بسيقان صلبة ومنتصبة من الممكن أن تبلغ أو تتجاوز متراً واحداً من الطول. تبلغ أوراقه 20 سم من الطول.

- الأسل أو السمار المعروف أو يونكوس كونگلوميراتوسْ Juncus conglomeratus : وينفرد بكثافة ازهراراته المتواجدة في أطراف السيقان التي يتراوح علوها ما بين 30 و75 سم.

- الأسل أو السمار الشائك أو السمار الغنمي أو يونكوس أكوتوسْ Juncus acutus : ويسير بسيقان شديدة الصلابة وذات علو كبير قد يصل إلى 180 سم، وتحمل في طرفها السفلي أعمدة سمراء أو شقراء لامعة. وكذلك بأوراقه ذات الطرف الحاد أو الشائك.

- الأسل أو السمار البحري أو السمار البقري أو يونكوس ماريتيموسْ Juncus maritimus : نوع ذو سيقان صلبة وملساء وذات طول يتراوح ما بين 60 و100 سم أوراقه كلها قاعدية وذات أطراف شائكة.

- الأسل أو الديسْ البحري أو سيربوس ماريتيموس Scirpus maritimus : نوع ذو سيقان يتراوح علوها ما بين 30 و100 سم. أوراقه شريطية.

*أبحاث شخصية.*

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد وزينب بنرحمون

**سماط العدول** بسبتة، مكان داخل المدينة العتيقة على نحو ما كان وما يزال موجوداً في الحواضر المغربية الكبرى القديمة مثل فاس ومراكش وسلا ووجدة وغيرها. وبالنظر إلى وظيفته الاقتصادية والاجتماعية أخذ مكانة وسط الأسواق المتخصصة. فهو يتصل بسوق العطارين الأعظم حيث توجد المدرسة الجديدة التي ابتناها السلطان أبو الحسن المريني (731 - 752 / 1331 - 1351)، شمال الجامع الأعظم. وهو عبارة عن زقاق تصطف على جانبيه دكاكين العدول الموثقين الذين يقومون بتوثيق عمليات البيع والشراء والقران والديون وغيرها.

الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، الرباط، 1403 - 1983، ص 36.

زليخة بنرمضان

**السمّاع**، أحد أنماط الموسيقى المغربية، ويراد به إنشاد القصائد والمولديات على طبوع الموسيقى الأندلسية من قبيل البردة والهمزية للإمام البوصيري، والقصيدة *البغدادية* لابن رشيد البغدادي المتوفى عام 663، وقصيدة *المنفرجة* لابن النحوي.

وتندرج هذه القصائد ضمن المستعملات الغنائية التي يتناشدها المسمعون من رجال الزوايا دون استخدام للآلات الموسيقية.

ويقابل فن السماع عند هؤلاء ما يعرف بفن المديح، وهو إنشاد مقطعات شعرية مديحية من صنعات وازجال وبراول وتواشيح مما يرجعه أهل الذكر المزمزمون بالرقيق من كلام الشيخ أبي الحسن الششتري وكلام غيره من المتصوفة".

ويرجع ظهور فن السماع إلى عهد الموحدين عندما استحدثت أسرة العزفيين التي كان رجالها من أعلام سبتة ورؤسائها عادة الاحتفال بالمولد النبوي ... وألف كبيرهم أحمد بن محمد المتوفى سنة 633 / 1236 كتاب *الدر المنظم في مولد النبي المعظم* الذي أكمله فيما بعد ولده الرئيس أبو القاسم المتوفى عام 677 / 1279.

وإلى هذا الفن يلمح صاحب *الاستقصا* إذ يقول : إنه ظهر على عهد الموحدين نوع جديد من الغناء يعرف بالسماع أواخر هذا العهد وتولع به الخلفاء مثل المرتضى من أواخرهم. كما يرد ذكره في شعر ابن المحلي السبتي إذ يقول في إحدى قصائده :

إذا هز أرباب السماع تواجد    فحظي منه رفدة وصياح

وفي قصيدة مدحية لأحمد بن الصباغ الجذامي :

يا شاديا يشدو بأمداح أحمد
سماعك طيب ليس يعقبه نكس

وفيما يخضع أداء فن المديح لأنساق الصنعات المتداولة في النوبة الأندلسية، فإن مستعملات السماع تقوم على نسق خاص تواضع المسمعون على اتباعه في حلقاتهم وفق ما أقره رجال هذا الفن ومنظروه في سياق التعامل مع طبوع الموسيقى الأندلسية المغربية.

وفي وسعنا بهذا الصدد الوقوف على مدرستين أو اتجاهين هما :

1 - اتجاه يعكس طريقة الزاوية الفاسية. ويمثله كل من محمد المهدي بن الطالب ابن سودة المتوفى عام 1294 وابن أخيه محمد العابد بن أحمد بن الطالب ابن سودة المتوفى عام 1359 صاحب كتاب *استنزال الرحمات بإنشاد بردة المديح بالنغمات*.

وتقوم هذه الطريقة على تقسيم البردة إلى أقسام، ينشد القسم الأول منها على طبع موسيقي معين، وتنشد بعده جملة من المقطعات الشعرية المديحية على نفس الطبع، ثم يتم التحول إلى انشاد القسم الثاني وملحقاته من الأشعار المديحية على طبع آخر. وهكذا تتعاقب أقسام القصيدة وملحقاتها وتتعدد بتعددها الطبوع إلى نهاية الحصة الغنائية.

2 ـ اتجاه يمثله كل من أحمد بن محمد بن العربي أحضري (ق 13) في مجموعة *ديوان الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع وبيان تعلقها بالطبائع الأربعة*، ومحمد بن العربي الدلائي المتوفى عام 1285 صاحب كتاب *فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار*.

وتقوم هذه الطريقة كسابقتها على تقسيم القصيدة إلى أقسام بعد كل قسم جملة من الاشعار المديحية، غير أن إنشاء هذه الأقسام وملحقاتها يجري على طبع واحد إلى نهاية الحصة الغنائية. ويبدو هذا الاتجاه أكثر التصاقا بتقاليد أداء النوبة في موسيقى الآلة حيث يجري العمل بوحدة الطبع من بدايتها حتى نهايتها.

ع. العزيزالفشتالي، *مناهل الصفا*، ص. 237 ؛ ع. الله گنون، *النبوغ المغربي*، ج 1، ص. 132، ط 2 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 1، ص. 208 ؛ ابن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، ج 3، ص. 151 ؛ *ديوان ابن الصباغ الجذامي*، خ. ع. رقم 109 ؛ م. المنوني، مجلة البحث العلمي، ع 14 و15، يناير 1969، ص. 169.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**السماعلة**، مجموعة قبلية تنتمي إلى قبائل تادلة رقم. تستوطن القسم الشمالي الشرقي لدائرة واد زم. يحملون هذا الاسم نسبة إلى جدهم : إسماعيل أو الشْماعْلا بن علي ورديغ بن جابر الرتمي. ينتمون إلى القبائل العربية التي استقدمت إلى المغرب زمن الموحدين. واستوطن بنو جابر منهم دير الأطلس المتوسط وسهل تادلة.

شكلوا إلى جانب جيرانهم "بني خيران" خمسا قائما بذاته إلى جانب باقي أخماس تادلة. ومثلوا قوة أساسية أواخر القرن 19. فكانوا حاضرين بقوة في مختلف اللفوف التي عرفتها المنطقة في إطار استراتيجيات مجالية محلية. ففي سنة 1846، لم يتوقف "أولاد مَحمد والأعشاش من إعانة السماعلة على مقاتلة ورديغة وشد عضدهم على بعضهم..." وتشير المراسلات سنة 1848 إلى "هؤلاء السماعلة الذين غلبوا على بني خيران وأخرجوهم من بلادهم وسكنوا بها". وفي ماي 1883، تعرضت دشرتهم بالبراكسة إلى هجوم عنيف من طرف المخزن المركزي، خلف عدداً كبيراً من الضحايا من الطرفين. ومازالت السماعلة تؤرخ لهذا الحدث بأغنية تعرف بـ"الشجعان". في بداية القرن العشرين، شكلوا إلى جانب مجموعات بشرية أخرى أحد أعمدة الفرع العرباوي من الزاوية الشرقاوية.

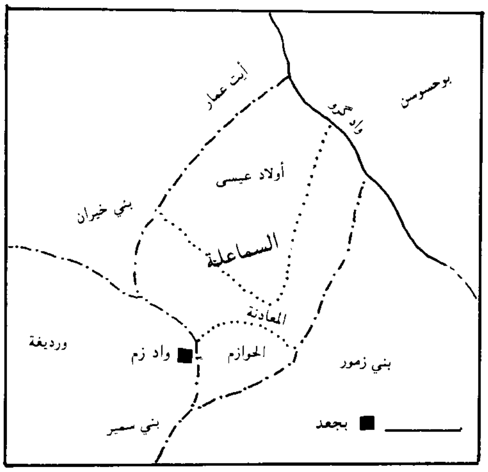


في سنة 1909، كان التنظيم الإداري والحجم الديمغرافي للسماعلة على الشكل التالي :

| الفرقة | الفخذة | عدد الخيام | القائد |
|---|---|---|---|
| المعادنة | العشاشكة | 250 | محمد ولد الدريوش العربي البركوسي |
| | الطرش | 400 | |
| | البراكسة | 350 | |
| | أولاد الديك | 290 | |
| أولاد عيسى | ولاد فنان | 370 | محمد ولد السربوت محمد ولد بوعزة |
| | الحوازم | 250 | |
| | السيالغة | 230 | |
| | أولاد حمادي | 210 | |

وشاركت قبيلة السماعلة بقوة في مقاومة الغزو الفرنسي. كانوا الأغلب في عدة معارك وكانوا في أخرى إلى جانب مقاومي قبائل المنطقة من بني خيران وورديغة وزايان... وبرز "ولد كَردة" كقائد عسكري في صفوفهم. وهكذا واجهوا المستعمر في عدة معارك طاحنة، نذكر منها على سبيل المثال.

| | |
|---|---|
| معركة بيار مزوي | 16 دجنبر 1912 |
| معارك واد زم | 16 ـ 18 ـ 23 فبراير 1913 |
| | 2 ـ 3 ـ 26 مارس 1913 |
| معركة سيدي محمد لبصير | 19 فبراير 1913 |
| معركة كدية الريح | 15 مارس 1913 |
| معركة دشرة بني سمير | 17 مارس 1913 |
| معركة وارغوس | 25 ـ 26 مارس 1913 |

وخلال فترة الحماية، انقسم تراب السماعلة إلى قيادتين تابعتين لدائرة واد زم، التابعة بدورها لجهة الدار البيضاء.

| القيادة | | عدد الخيام | القائد |
|---|---|---|---|
| المعادنة | | 17193 | بوشعيب بن رحال |
| | العشاشكة | 9563 خيمة | |
| | البراكسة | 3657 خيمة | |
| | الطوش | 3973 خيمة | |
| أولاد عيسى | | 10111خيمة | بلحاج بن بوعزة |
| | الحوازم | 2024 خيمة | |
| | أولاد الديك | 879 خيمة | |
| | أولاد فنان | 3730 خيمة | |
| | أولاد حمادي | 950 خيمة | |
| | السيالغة | 2528 خيمة | |

شكل السماعلة عماد ثورة 20 غشت 1955 بواد زم، فهاجموا رموز الاستعمار من تجهيزات ومصالح ومزارع... فخربوا وأحرقوا وقتلوا، وفي المقابل سقط منهم شهداء وأسرى كثيرون. تنقسم اليوم إلى عدة جماعات، تابعة لدائرة واد زم، إقليم خريبگة، جهة الشاوية ورديغة.

وفيما يلي معطيات إحصائية حسب إحصاء شتنبر 1994.

| الجماعة | عدد المنازل | عدد السكان | نسبة الذكور ٪ | نسبة الإناث ٪ | أقل من 15 سنة ٪ |
|---|---|---|---|---|---|
| البراكسة | 1164 | 7653 | 50,36 | 49,64 | 42,13 |
| الطرش | 1324 | 9077 | 51,09 | 48,91 | 41,57 |
| المعادنة | 1194 | 8062 | 50,06 | 49,94 | 40,14 |
| أولاد عيسى | 901 | 6149 | 48,15 | 51,85 | 45,16 |
| أولاد فنان | 1416 | 9273 | 50,95 | 49,05 | 39,09 |

مؤلف مجهول، *مراحل رحلات مولاي الحسن*، مخطوط خ. ح؛ *الوثائق الملكية*.

Peyronnet, *Tadla, pays Zaïn, Moyen Atlas*, Alger, 1923 ; *Recensement général de la population et de l'habitat de 1994*, Rabat.

صالح شگاگ

**السماعلي، لبصير** بن محمد، مقاوم ولد سنة 1914 بدوار الاحوازم قبيلة السماعلة ناحية وادي زم. كان من الذين حركتهم الغيرة الوطنية فواجهوا المستعمر أشد مواجهة. ولما اختيرت مدينة وادي زم الشهيدة ونواحيها لتكون مسرحا للمواجهة يوم 20 غشت 1955 كان السماعلي مشاركا متحمسا وبطلا باسلا حيث أظهر قدرة فائقة في مجابهة المستعمر وقوات أمنه لكن السلطات الفرنسية عندما اشتد بها الأمر وأصبحت غير قادرة على التحكم في الوضع لجأت إلى الاستعمال العشوائي للسلاح بغية خلق الرعب في نفوس المتظاهرين وبالتالي فرض سيطرتها على الوضع الأمني، ومن بين الضحايا الذين سقطوا في ميدان الشرف السماعلي البصير بن محمد الذي أطلق عليه النار أحد المعمرين الحاقدين المسمى "اطروشيك" حيث أرداه قتيلا في نفس اليوم 20 غشت 1955 الموشوم على الذاكرة الوطنية.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520855.

**سُمامة**، جنس طيور برية طويلة الجناحين قصيرة القائمتين والمنقار مسطحة الرأس سريعة الطيران، تقضي النهار محلقة في الفضاء وتكاد تكون دائمة الطيران. تشبه خطاف الشعر السنونو في هيأته وتشعب ذيله لكنها من غير رتبته وفصيلته. لا تميز العامة بينها وبين خطاف الشعر، وتسمى خُطّف وصيص في لبنان وأبابيل في الهند وخطاف جبلي وخشاف في العراق ومصر وعُوار وعوهق وبلسك في الشرق العربي، وهو طير أبابيل الوارد في القرآن الكريم في سورة الفيل. تعد من أنفع الطيور لما تلتهمه في طيرانها من حشرات مضرة للإنسان ولا سيما البعوض. طيور مسرولة القائمتين تصنف إلى رتبة مشقوقات المناقير Apodiformes وفصيلة السمائم عديمات القوائم Apodidae. لا تقف ولا تمشي على الأرض بتاتا ونادرا ما تستريح على قضبان وأسلاك الكهرباء وأغصان الأشجار. الجناحان طويلان جدا منجليّا الشكل ومستدقّا الرأس يساعدان على السرعة حيث تتعدى أحيانا 100 كلم في الساعة. الإناث شبيهة بالذكور.

• السمامة السوداء تدعى علميا Apus apus وبالفرنسية Martinet noir وبالإنجليزية Swift وبالإسبانية Vencejo comun وبالإيطالية Randone. تعد السمائم الشائعة في المغرب، سوداء المنقار قصيرته، ريشها بني أسود على سائر الجسد وعلى أسفل المنقار بقعة فاتحة. يبلغ طول الجسم 16 - 17 سم وتزن الكبار 30 - 50 گراما وتبلغ بسطة الجناحين 40 سم. الذيل مشعب قليلا وقصير، تعيش في أسراب متعددة الأفراد وأحيانا مزدوجة وتألف الصخور والأجراف وجدران القرى والمدن وتبني العش على حاشية سقوف المنازل وبين صخور الأجراف. تتوالد بين مارس ويونيو وتبيض مرة في السنة 2 - 3 بيضات ناصعة البياض يبلغ طول قطريها 16 x 25 ملم وتزن 3,2 - 4,2 گرام، يحضنها الزوجان بالتناوب 16 - 21 يوما. تبقى الصغار بداخل العش 5 - 8 أسابيع ويقدم لهم الأبوان الأكل على شكل كريات صغيرة تتكون من 200 - 300 حشرة صغيرة. يتوالد هذا النوع في شمال المغرب وتونس والجزائر وفي أوربا ويهاجر إلى إفريقيا الوسطى والجنوبية في بداية أكتوبر ليقضي الفصول الباردة.

• السمامة الشاحبة تدعى علميا Apus pallidus وبالفرنسية Martinet pâle وبالإنجليزية Pallid Swift وبالإسبانية Vencejo palido وبالإيطالية Rondone pallido. تتوالد في المغرب بصفة منتظمة وهي نادرة جدا في أوربا،

سوداء المنقار واسعته، ريشها بني أسود على الظهر والجناحين والبطن وأبيض شاحب على العنق. كثيرة الشبه بالسمامة السوداء ويصعب التمييز بينهما. يبلغ طول الجسم 16 سم وتزن الكبار حوالي 50 غراماً، وتبلغ بسطة الجناحين 40 سم. تعيش غالبا في أسراب متعددة الأفراد وتألف الصخور والأجراف وجدران القرى والمدن وتبني العش على حاشية سقوف المنازل العالية القديمة وبين صخور الأجراف. تتوالد بين مارس ويونيو وتبيض 2 ـ 3 بيضات ناصعة البياض تحضنها 19 ـ 20 يوما. يقضي هذا النوع فصلي الربيع والصيف في المغرب والجزائر وتونس وفي الشرق العربي وتركيا ويهاجر بعد التوالد إلى إفريقيا الوسطى والجنوبية في بداية أكتوبر.

• سمامة فلسطين تدعى علميا Apus affinis وبالفرنسية Martinet à croupion blanc وبالإنجليزية Little swift وHouse swift وبالإسبانية Vencejo real وبالإيطالية Rondone alpino. أصغر الأنواع حجما إذ لا يتعدى طول الجسم 12 سم وتتميز بذيل غير متشعب وببقعة كبيرة من الريش الأبيض على الردف. الريش على الظهر والجناحين بني شاحب إلى أسود. تتوالد في المغرب والجزائر وتونس وفي الشرق العربي وتركيا وتشتو على السواحل الأطلسية المغربية والجنوبية.

• سمامة بيضاء الردف تدعى علميا Apus cafer وبالفرنسية Martinet de cafrerie وبالإنجليزية White-rumped Swift وبالإسبانية Vencejo cafro وبالإيطالية Rondone cafro. أكبر بقليل من سمامة فلسطين وتختلف عنها في تشعب الذيل وفي صغر حجم البقعة البيضاء على الردف. يبلغ طولها 14 سم ومنها مجموعة كبيرة تتوالد في الأطلس المتوسط والكبير ولا وجود لها في أوربا والشرف العربي. تشتو في إفريقيا الجنوبية.

• سمامة السهول تدعى علميا Apus unicolor وبالفرنسية Martinet de plaine وبالإنجليزية Plain swift. أصغر من السمامة السوداء وريشها بني داكن موحد على الجسم. يبلغ طولها 15 سم ومنها عدة مجموعات تشتو على السهول الساحلية الأطلسية. لا تتوالد في المغرب ولا وجود لها في أوربا وفي الشرق العربي. تشتو أيضا على سواحل إفريقيا الوسطى والجنوبية.

تحظى طيور السمامة بعطف واحترام من الإنسان الذي يعتبرها من الطيور المقدسة كطيور خطاف الشعر فلا يؤذيها ولا يقترب من أعشاشها.

م. رمضاني، *خطاف الشعر*، *معلمة المغرب*، الجزء 11، ص. 3773 ـ 3774 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britan and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

**السماهري، الطاهر** بن محمد بن عبد الله الباعمرانتي، نسبة إلى السماهرة بأيت باعمران، وبذلك لقب واشتهر، وهو عالم أديب، قال فيه المختار السوسي : "أحد الأدباء العلماء الذين رفعوا راية العلم في أزغار اليوم ـ ضواحي تيزنيت ـ. وبهم بقيت هناك صبابة من العلوم والآداب لاتزال تدرس وتتداول، ولولاهم لأقفرت تلك البلاد من قبس يسترشد به الجيران". وكان هذا العالم يدرس بجد في مدرسة أگلو الوگاگية وله كتاب في ترجمة شيخه علي الدرقاوي.

توفي عام 1369 / 49 ـ 1950.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في سوس* ؛ *المعسول*، 13: 336 ـ 345 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 90 ؛ *أوراق أحمد أبي القاسم*، مخطوطة.

أحمد أبو القاسم

**سمبل، صامويل** يهودي مغربي، من مواليد مدينة أسفي، عمل لحساب تاجر من مارسيليا. تمكن بعد استقراره بسلا من نيل الحظوة لدى السلطان محمد بن عبد الله العلوي، إلى أن أصبح دوره في العلاقات الخارجية المغربية أساسيا في ربط العلاقات مع إسبانيا والسويد والدانمرك والبرتغال. ودوره بارز أيضاً في المجال الدبلوماسي الخاص بالتفاوض في شأن العلاقات التجارية والتدخل في مسألة حدود الثغور مع حاكم سبتة والحكومة الإسبانية، على عهد كارلوس الثالث. كان من نتائج تلك التدخلات ظهور اتفاق 28 مايو 1767. استمر صامويل سمبل في نفس المهمة خلال حياة السلطان محمد بن عبد الله، ثم انقطعت عنا أخباره بعد ذلك.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلة* ؛ عثمان المنصوري، *العلاقات المغربية البرتغالية*، أرشيف القنصلية البرتغالية بطنجة.

P. Grillon, *La correspondance du Consul Louis Chénier*, Archivo Historico Nacional de Madrid.

حسن الفگيگي

ابن **سمجون**، أسرة طنجية عالمة من قبيلة لواتة استقر فريق منهم بسبتة، وتوارثوا الفقه والقضاء بالمغرب والأندلس أجيالاً عديدة. وأول من لُقب منهم بسمجون هو عبد الملك بن إبراهيم والد محمد ومروان آتيي الترجمة. وفي هامش السفر الخامس من كتاب *الذيل والتكملة* بنقل محققه إحسان عباس لأحد النسابة السبتيين : "وبنو سمجون الطنجيون لواتيون، وابن الزبير وغيره من الأندلسيين ينسبهم "هلاليون" وليس بصحيح، ولهم عندنا بسبتة بقية".

ابن **سمجون، عبد الرحمن** بن علي بن عبد الملك اللواتي الطنجي. روى عنه ابنه عليّ آتي الترجمة ؛ كان فقيهاً حافظاً ؛ ولي القضاء بمكناسة مدة طويلة إلى أن توفي في حدود سنة 500 / 1107 (*المدارك*).

ابن **سمجون، عبد الله** بن علي بن عبد الملك الطنجي، لا تعرف له ولاية منصب قضاء ولاغيره، ولد سنة 444 أو آخر سنة 447. نسبه ابن الأبار في *التكملة إلى عيسى* بن صالح الهلالي، وكذا فعل ابن الخطيب في *الإحاطة* ؛ لكن ابن الأبار عندما ترجم له ثانية في الغرباء *بالتكملة* نسبه لبني سمجون اللواتيين. روى عن أبيه علي وعن عمّه مروان وغيرهما.

كان فقيها حافظاً للفروع، وقد أقرأها بغرناطة، وبها تفقّه عليه أكثر شيوخها، وصفه ابن الأبار بكونه من جلة العلماء وحفّاظ المسائل ؛ ولاّه يوسف بن تاشفين قضاء الجزيرة الخضراء، ثم نقله إلى قضاء غرناطة في شعبان سنة 490 (في *الإحاطة* عام 470 ولعله مجرد خلط بين الرقمين : تسعين وسبعين)، وخلال سنة 503 شارك في غزوة طلبيرة مع الأمير علي بن يوسف، واستمر في قضاء غرناطة إلى 20 من ربيع الثاني سنة 508 حيث استعفى، فولي قضاء تلمسان وبها توفي سنة 524 / 1130، وبقي عقبه بغرناطة.

ابن **سمجون، عبد المنعم** بن مراون بن عبد الملك، كنيته أبو محمد، روى عن ابن عم أبيه القاضي عبد الله بن علي ابن سمجون سابق الترجمة وعن القاضي أبي بكر بن العربي وغيرهما *صلة الصلة*، وهو فقيه جليل نبيه ذكيّ ولي قضاء إشبيلية ثم نقل إلى قضاء غرناطة خلال عهد الأمير المرابطي علي بن يوسف، ثم نقل إلى قضاء ألمرية سنة 517. كان عادلا في حكمه، لا تأخذه في الله لومة لأئم، فاشتدّ على أهل الفساد، ثم أعيد إلى قضاء إشبيلية فغرناطة، ورفض الأمير إعفاءه من قضائها لما استعفى.

أصاب الناس قحط أيام قضائه بغرناطة سنة 524 فاستسقوا به فسُقوا. وبعدها انتقل إلى ألمرية فتوفي بها في شهر شعبان عام 524 / يوليوز - غشت 1130.

ابن **سمجون، علي** بن **أبي بكر** بن عبد الرحمن، جعل ابن الخطيب نسبه هلالياً ووصفه بكونه "شيخاً جليلاً عارفاً نبيلاً ... من بيت حسب وعلم ودين ... وكانت له كتب كثيرة" ؛ وقد أورد إحسان عباس في تحقيقه للسفر الخامس من كتاب *الذيل والتكملة* أنه وجد بهامشه ترجمة لأبي الحسن بن سمجون لأحد النسابة السبتيين ورد فيها ما يلي : "علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن سمجون ... منكبيّ، طنجي أصل السلف ؛ لقي أشياخا جلة وأخذ عنهم، وكان فقيها عارفا جليلا، ذا مروءة كاملة وحسن خلق، وكانت له خزانة كتب حافلة".

ومن غير المستبعد أن يكون هو نفس الشخص الذي ذكره صاحب *مفاخر البربر* بصيغة "ابن سمجون قاضي المنكب" ووصفه بكونه عالي الرواية.

توفي بمدينة المنكب بالأندلس - وشك ابن الخطيب في ذلك - صباح يوم الثلاثاء السادس من رمضان عام 596 / 20 يونيه 1200.

ابن **سمجون، محمد** بن مروان ؛ فقيه زاهد، ولي قضاء مكناسة لكن لم يمكنه الاستمرار لشدته في الحق، فنُقل إلى قضاء ألمرية فعدل في أحكامه أيضاً فلم يقدر مع فساد الزمان على الاستمرار، فارتحل إلى مراكش مستعفيا، غير أن أمير المسلمين علي بن يوسف المرابطي جعله على قضاء إشبيلية فاستعفى فنقل إلى قضاء غرناطة، فبقي بها إلى وفاته في الطريق عائداً من المرية في حدود عام 517 / 1124.

ابن **سمجون، مروان** بن عبد الملك بن إبراهيم اللواتي الطنجي، كنيته أبو محمد، ولد سنة 421 وتنقل في سكناه بين سبتة وطنجة، وتجول في طلب العلم، فأخذ عن بعض علماء الآفاق : سجلماسة والأندلس ومصر ؛ فتنوعت معارفه وأصبح من أهل العلم والفقه والأدب، وصفه القاضي عياض بزعيم المغرب وشيخه. ومن قصيدة لبعض تلامذته قالها فيه :

وضمّ إلى الرأي متن الحديث ... وعلم الكلام وفهم الجدل

اشتغل بالإقراء بسبتة في أول أمره وخاصة تدريس *المدونة*، ثم ولي الفتيا والخطبة والصلاة بها أيام البرغواطيين، ولما دخل يوسف بن تاشفين سبتة دعاه للقضاء بها فامتنع، وانتقل إلى طنجة فكلفه بالقضاء فيها إلى جانب الخطبة والصلاة، ثم أسند إليه أمور القضاء في المغرب والأندلس مفوضاً إليه في ذلك ؛ وكان صلباً في دينه، مهيب الجانب، يدعى بالفقيه.

أخذ عنه أبناؤه الفقهاء، وخلفه منهم ثلاثة على قضاء طنجة : عبد الخالق بن مروان أكبر الأبناء، ولي قضاء طنجة مكان أبيه، وكان محمود السيرة، توفي بطنجة ؛ وعبد الوهاب بن مروان، ولي قضاء طنجة بعد أخيه عبد الخالق، وكان لا يخاف في الله لومة لائم، توفي أيضاً بطنجة ؛ وعبد الرزاق بن مروان، حصل علوما متنوعة منها الفرائض والحساب والآداب، ولي قضاء طنجة وبقي بها قاضيا إلى وفاته كذلك *(المدارك)*. كما تتلمذ على أبي محمد مروان بعض شيوخ القاضي عياض.

توفي مروان بطنجة يوم الأربعاء 20 رجب سنة 491 / 23 يونيه 1098.

القاضي عياض، *الغنية*، ط. بيروت، 1982، 197 - 198 ؛ *المدارك*، تح. س. أعراب، المحمدية، 1983، جزء 8 : 177 - 178 ؛ ابن الأبار، *التكملة*، تح. الهراس وس. أعراب، بيروت، د. ت. ق 2 : ص. 253 - 303 - 304، ق 3، ص. 153، ق 4، ص. 130 ؛ م. ابن ع. الملك، *الذيل والتكملة*، تح. إ. عباس، بيروت، 1965، 5، ق 1، ص. 192، 3 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. ع. السلام الهراس وس. أعراب، المحمدية، 1993، ق 3، ص. 6، العدد 64، ق 4 : 24، 154 - 155 ؛ ابن عذاري، *البيان*، 4، تح. إ. عباس، بيروت ؛ مجهول، مفاخر البربر، ص. 210، ضمن كتاب *ثلاثة نصوص عربية*

عن البربر في الغرب الإسلامي، تح. م. يعلى، مدريد، 1996 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. ع الله عنان، القاهرة، 1977، 4 : 185 . 186 ؛ ع. السلام شقور، *ملحق الإحاطة*، طنجة، 1988، ص. 80 . 213.

أحمد عزاوي

**سمبسون جيمس** (James Simpson) قنصل أمريكا بجبل طارق. على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله عندما اعترف المغرب باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية في 20 دجنبر 1777. ولم يتم توقيع أول اتفاقية سلم بين البلدين إلا في 26 دجنبر 1786، وهي الاتفاقية التي صادق عليها الكونغريس في السنة الموالية، ولم يعضدها أي تمثيل دائم لأمريكا بالمغرب. وفي سنة 1795 دعا السلطان المولى سليمان الأقطار الأجنبية إلى ضرورة تجديد اتفاقياتها، لكي يتم السماح لسفنها بالمرور عبر المياه الإقليمية المغربية، ولهذا الغرض قررت واشنطن في 28 ماس 1795 أن تدخل في مفاوضات مع دولة المغرب، وعينت لهذه المهمة قنصلها بجبل طارق جيمس سمبسون. وقد وصل هذا المبعوث الأمريكي إلى طنجة في يوليوز من نفس السنة لتجديد اتفاقية 1786، وقدم بعد ذلك الهدايا للعاهل المغربي كما تقتضيه الأعراف الدبلوماسية. واستمرت المفاوضات مدة شهرين. وبعد أخذ ورد بشأن تحديد شروط الاتفاقية تم توقيع المعاهدة بين البلدين، وتكفل سمبسون بإبلاغ رسالة السلطان المغربي إلى الرئيس الأمريكي لتأكيد استمرار أواصر المحبة والصداقة بين القطرين.

وتمّ عقب ذلك تعيين جيمس سمبسون قنصلا دائما لأمريكا بالمغرب ما بين 1797 و1820، وهي مدة طويلة إذا ما قورنت بقصر الفترات التي سيقضيها من سيتولى المهام القنصلية فيما بعد. وترتبط أسباب ذلك إجمالا بضعف الراتب ورداءة المسكن حيث يقيم القناصلة الأمريكيون. وقد عرفت العلاقات المغربية الأمريكية توترا حادا أثناء أداء سمبسون لمهامه، ومرد ذلك محاصرة الولايات الأمريكية لطرابلس سنة 1801، وإعلان المولى سليمان تضامنه مع ليبيا ورغبته في إرسال بعض السفن المحملة بالحبوب إليها. وإمام رفض القنصل سمبسون تسليم جوازات سفر لتلك السفن تم طرده ليتم بعدئذ إعلان الحرب مباشرة ضد أمريكا. وكان رد فعل واشنطن قويا على هذه التطورات إذ احتجزت سفينتين مغربيتين، اضطر معهما المغرب إلى الجنوح إلى السلم وقبول وساطة الإنجليز لتسوية النزاع سنة 1803.

م. بنهاشم، *العلاقات المغربية الأمريكية، دراسة في تاريخ التمثيل الدبلوماسي الأمريكي بالمغرب*، 1786 . 1912، أطروحة دكتوراة الدولة، تاريخ كلية الآداب ظهر المهراز ـ فاس، 1999 . 2000 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم*، المجلد التاسع ؛ المنصور، *أمريكا الشمالية والمغرب*، *معلمة المغرب*، الجزء 3.

J. B. Bookin - Weiner and M. El Mansour (éd.), *The Atlantic Connection*, Rabat, 1990 ; R. Irwin, *The Diplomatic Relations of the United States with the Barbary Powers*, 1931.

خليل السعداني

**السَّمْعاني، محمد** الحاج الأبر الشيخ الصوفي المشهود له بالخير والصلاح، من أصحاب الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري. والسمعاني نسبة إلى سَمعان ولا أدري من هو هنا.

أثنى عليه عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في *ابتهاج القلوب*، فقال : و"منهم ـ أي أصحاب الشيخ أبي المحاسن ـ السيد الفاضل، السالم الديّن، الحسن النية، القاطع للطمع في المخلوقين، الحاج الأبر، أبو عبد الله محمد السمعاني التطاوني، من فقراء أهل الحزب هناك. ومن المشهود لهم بالفضيلة، المشهورين بالخير والصلاح، توفي سنة تسع عشرة وألف".

وذكر محمد بن الطيب القادري في *نشر المثاني والتقاط الدرر* أنه توفي عام 1015 / 1606 وذكر مرة أخرى في *النشر* أنه توفي عام 1019 / 1610.

ووقع في نفس الاضطراب أيضا المستشرق كرول في ترجمته للنشر.

قال محقق *التقاط الدرر* : لعل الأرجح أنه توفي عام 1019 / 1610.

م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1 : 156 ؛ *التقاط الدرر*، الرباط، ت. العلوي، ص. 48 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ ع. الرحمن الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، طبع تطوان، 1 : 321.

محمد بوخبزة

**السمك** أو الأسماك، طائفة من الحيوانات الفقارية تعيش في مختلف الأوساط المائية وتتميز بتنوع كبير في أشكالها ومقاييسها وألوانها وعاداتها وقدرتها الحسية. تسميه العامة الحوت في شمال إفريقيا، والحوت في اللغة السمك وقد غلب على الكبير منه والحيتان ليست من الأسماك بل من الثدييات البحرية (انظر مادة الحوت والحيتان في *المعلمة*).

والسمك رأس وجذع وذيل ولا رقبة له، ينتهي الرأس حيث ينتهي غطاء الغلاصم ويندمج عضل الجذع في عضل الذيل فلا يكاد يتضح بينهما فاصل. من بين خصائص الأسماك الجسم المغزلي وطبيعته الهيدروديناميه التي تساعد على التنقل السريع مع توفير كبير للطاقة وتنفسه الأوكسجين الذائب في الماء بواسطة فتائل تضمها أنسجة مقوسة تدعى الخياشيم وتنقلاته بواسطة ذيل وزعانف تختلف كما وكيفا حسب الأنواع. تستعمل الزعانف الصدرية والبطنية للغوص والتوجيه والموازنة وتستعمل الزعانف الظهرية للتثبيت والاستقرار. يقع الفم في الرأس ويحتوي على أسنان بدون جذور وعلى لسان قصير يحمل أسنانا عند بعض الأنواع. تقع العينان عادة على جانبي الرأس أو على الظهر كما هو الشأن بالنسبة لسمك موسى والراية والرعاد والترس. تدرك الأسماك تغيرات الضغط واهتزازات الماء بواسطة الخط الجانبي فتحس بالحواجز الطارئة وتتجنبها.

الجلد مغطى على العموم بحراشف يختلف حجمها وشكلها حسب الأنواع وهي قشور تنبت في نظام وتشكل خطوطا طولية متوازية كما أنها تتركب من حلقات بعضها فوق بعض تعبر كل حلقة منها عن مبلغ النمو كل سنة فيعتمد الدارسون عليها لمعرفة عمر الأسماك. تملك معظم أنواع الأسماك مثانة سابحة على شكل جراب بداخله غاز شبيه بالهواء تفرزه غدة تسمى الجسم الأحمر، والمثانة عضو هيدروستاتي يضمن التوازن والضغط المائيين بالقدر المطلوب، تمتلئ بالغاز فتصعد السمكة إلى السطح والعكس بالعكس كما أنها تستعمل لدى بعض الأنواع للتنفس فترة من الزمن خارج الماء. تعوز هذه المثانة عدة أنواع نذكر من بينها سمك القرش الذي يملك ما يغني عنها : كبد كبير مليئ بالزيت يساعد على الطفو.

موطن الأسماك الملونة بحار المناطق الحارة التي تتوفر على صخور مرجانية ملونة وتفتقر السواحل المغربية لهذه الأنواع.

الأسماك على جنسين منعزلين على العموم لا يتصلان عند الإخصاب وتتوفر بعض المجموعات الخنثى على مناسل أنثوية وأخرى ذكرية في آن واحد. تتجمع الأعداد الكثيرة من الذكور والإناث في أماكن التوالد فتزخر المياه بالخلايا التناسلية من الجانبين ويتم الإخصاب في المياه المكشوفة. يختلف التكاثر الجنسي حسب الأنواع فمنها البيوضة أو السروءة تبيض ومنها السرلودة (البيوضة الولودة) تحضن بيضها داخل بطنها إلى أن يكتمل نمو صغارها التي تقتات من مح البيض نفسه كما هو الشأن عند عدة أنواع من سمك القرش.

تنقسم الأسماك إلى مجموعتين : الأسماك الغضروفية أو الشلقيات والأسماك العظمية أو العظميات. تعتبر الأسماك الغضروفية من الأنواع البدائية لا تتوفر على هيكل عظمي وتنقسم بدورها إلى رتبة القرشية ومنها أنواع سمك القرش وأبو منشار ورتبة الشفنينيات المتميزة بغرابة أشكالها وكثرة تنوعها ومنها أنواع الراية والرعادة.

تنتمي أغلبية أنواع الأسماك بالسواحل المغربية إلى العظميات التي تنقسم بدورها إلى عدة رتب وفصائل منها الصابوغيات التي تضم السردين والشابل والرنجة ومنها أيضا الاسبوريات والسلمونيات والأنقليسيات وغيرها من الفصائل وردت عدة أنواع منها بالتفصيل في هذه *المعلمة*.

البحار والمحيطات والبحيرات القارية والأنهار بيئات متعددة وأعماق متفاوتة وحرارات متباعدة لها تأثيرات بالغة على العادات ونمط العيش وشكل الأنواع وألوانها، نتج عن هذه العوامل تنوع حيوي مرتفع إذ تم جرد حوالي 25.000 نوع من الأسماك في العالم، من بينها ما يقرب من 1.200 نوع تعيش في المياه المالحة والعذبة المغربية. تستغل من بينها أزيد من 330 نوع في قطاع الصيد البحري نذكر من بينها السردين والشابل والميرو والأنشوفة وسمك النازلي والشرن واللاتشا والتون والإسقمري والروجي والروبيو والصول وغيرها.

أدت الانعكاسات السلبية الناتجة عن تلوث الأنهار والشواطئ ومجهودات الصيد المكثفة على السواحل المغربية من طرف الأساطيل الأجنبية والوطنية إلى انهيار بليغ في معظم المخزونات السمكية في المياه الإقليمية، تضرر بفعلها حوالي 90 نوعاً تتصدرها أنواع الشابل والسردين والأنكليس والميرو.

يبين الجدول الكميات السنوية للأسماك الساحلية المصطادة في السواحل المغربية خلال السنوات الأخيرة :

| السنة / الكمية بالطن | 1994 | 1995 | 1996 | 1997 | 1998 | 1999 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الأسماك الساحلية السطحية والقاعية | 609952 | 728722 | 525022 | 661646 | 607129 | 622160 |
| أسماك أعالي البحار | 39200 | 13938 | 13280 | 38178 | 3393 | 23419 |
| السردين | 463681 | 570914 | 393362 | 497821 | 436048 | 430715 |
| إسقمري - ماكرو - | 39195 | 30106 | 16988 | 28775 | 11622 | 18035 |
| الأنشوفة | 7894 | 11181 | 12447 | 24955 | 40992 | 40220 |
| الشرن | 29468 | 30475 | 15471 | 12512 | 9936 | 12799 |
| التونيات | 3212 | 6305 | 5727 | 8780 | 8605 | 6715 |
| الدرعي - القاروس | 107 | 80 | 167 | 153 | 138 | 169 |
| الزريقة - دنيس | 127 | 138 | 229 | 111 | 133 | 147 |
| الروبيو (دجاج) | 1823 | 2012 | 2286 | 2216 | 2834 | 3160 |
| سمك النازلي - ميرلا | 4910 | 5491 | 2750 | 2074 | 1070 | 1988 |
| القرب | 1385 | 904 | 869 | 1542 | 1263 | 2462 |
| الباجو | 7655 | 7568 | 6971 | 7876 | 7456 | 7228 |
| سمك موسى - الصول | 1407 | 1545 | 1340 | 1675 | 1543 | 2622 |
| الأنقليس | 85 | 55 | 29 | 21 | 27 | 28 |


الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, Rome, FAO, 1998.


محمد رمضاني

**سملالة** (قبيلة) ← **إدا وْسملال**

**السملالي، إبراهيم** بن **بلقاسم** من العلماء السوسيين الذين لهم ضلع في علم الحساب، ألّف في ذلك منظومة تعرف *"بالسملالية"*، وهي مشهورة كان يدرس بها في المدارس السوسية إلى عهد قريب. فقد انحدر من بيت تسلسل فيه العلم والصلاح، وله أخ إسمه يعزى بن بلقاسم، وهو عالم كبير أيضاً.

توفي إبراهيم في أواخر القرن التاسع (15 م).


م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في سوس*، طنجة، 1989 ؛ *سوس العالمة*، ص. 177.


أحمد أبو القاسم

**السملالي، إبراهيم** بن **محند** بن محند مكررا، قال عنه مؤرخ أسرتهم العدل سيدي إدريس : الأستاذ العالم

السالم سيدي إبراهيم... كان عالما مدرسا مشاركا في العلوم كلها، ربّانيا... يُلقب "بأقْرَبْ" لكثرة حفظه للقرآن وللعلوم : عقليها، ونقليها... يقضي ويشارط. وسبب انتقاله من سملالة هو الوباء الواقع سنة 1214 هـ، فاستقر ببني بعمرانة، حيث بنى داره ومسجدا أمامها، (*المعسول*، ج. 12، ص. 299).

ووصفه الإكراري *روضة الافنان* (ص. 217) بقوله : وأما سيدي إبراهيم ـ أقْربْ ـ فهو ولي كبير، كما شهد بذلك غير واحد...

أورد المتوكل عمر الساحلي، أن سيدي إبراهيم بن محند ـ أقربْ ـ من الذين شارطوا في مدرسة الخميس بأيت بوبْكر، وهو نزيل ـ إدْوَانْكيضا ـ بالساحل.

أقول : زرت موضع إسملالن عدة مرات، ومازال الفقهاء والمدرسون فيهم، وقد عمروا بالتعليم المدرسة العتيقة ـ بتيغانيمين ـ حتى الآن، ولهم مجموعة من المخطوطات في الأمهات الفقهية والعربية.

توفي بأيت باعمران سنة 1243 / 27 ـ 1828.

إ. السملالي، تقييد في رجال سملالة، مخطوط ؛ الاكراري، *روضة الأفنان*، تح. حمدي أنوش، أكادير ؛ ع. المتوكل الساحلي، *المدارس العلمية العتيقة بسوس*، ج 3 : 360 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، المحمدية، ج 12 : 299 ؛ ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط.

**السملالي، أحمد** بن **إبراهيم** الباعمراني، من قبيلة أيت إخلْفْ، وله أخوان : علي بن إبراهيم، سافر إلى فاس، فجاور هناك حتى تفوّق (*المعسول*، ج. 12، ص. 301)، وله رسالة من فاس إلى اهله تعد من أهم النصوص التاريخية في بابها والأخ الثاني هو مَحند بن إبراهيم أقْرَب قال عنه صاحب المعسول : أتقن القراءات وألمّ بمعلومات توفي سنة 1350.

أما المترجم فكان كنور على علم وعلى سوس كلها، وليس كنار كما يقال، قال عنه المؤرخ أرقّاكْ : "الفقيه النازلي، البياني المنطقي الأصولي، أبو العباس، سيدي أحمد ابن إبراهيم السملالي... كان رحمه الله عالما صالحا كاملا، تقيّا كبيرا صوفيا شهيرا فقيها دينا خيرا ناسكا بينا، فاق أهل عصره تحقيقا، وفي المسائل تدقيقا...

أخذ عن أشياخ فاس... وعليه تدور أحكام سوس، وبالحق الصميم بسوس، لا معارض حقا لفتواه، ولا مقارع لفحواه... يُعمّر مجالسه بالفوائد، بعد أن ملأها بالموائد"... (*روضة الأفنان*، ص. 215).

وقال عنه صاحب المعسول : "هو ثالث أولئك الإخوة، وياقوتتهم بل ياقوتة العلماء كلهم (بسوس) أخذ أولا عن العربي الأدوزي، ثم استتمّ بفاس... وكان يديم نسخ الكتب، وقد خلف خزانة عظيمة ذهبت نهبا لجيش ابن دحّان (*المعسول*، ج. 12، ص. 303).

و"كان يحضر مجالس المولى الحسن في سنة 1303، فجرت يوما مذاكرة في المنطق، فأفاض فيه بما يحفظه، فانقطع دونه منْ حضر... وفي تلك الليلة مات فجأة، فنشأت خرافة أن العلماء من حاشية السلطان قتلوه". (*رجالات العلم العربي في سوس*، ص. 143).

أقول كان هذا الفقيه مصاحبا لجدي القائد أحمد الخنفي وبفضل ذلك اطلعت على بعض أحكامه، من ذلك حكمه بين القبيلة وآل با الشيخ.

أما الإطراء الذي أورده الإكراري فليست فيه مبالغة، ومن شك في ذلك فليراجع كلا من المجموعة الفقهية الإلغية، وكذلك المحاورة بين مترجمنا هذا، وشيخه الأدوزي، حول ـ غابة باحْمان ـ في الموضع إيسْك بأيت باعمران، وقد اطلعت على نسخ من تلك الأحكام لدى عائلة ـ حْمايْدّوش الباعمرانية ـ (*المعلمة*، ج. 11، ص. 3578)، وكذلك *المدارس العلمية العتيقة بسوس*، ج. 3، ص. 363 المتوكل عمر الساحلي، ومهما قيل : فإن سمعة هذا الفقيه بين العامة والخاصة، وعلمه الغزير في المنقول والمعقول، وما عرف به من كرم الضيافة وأصاله مَحْتده، والظروف السياسية في ذلك الوقت، هي التي تضافرت كلها مع انتهاء الأجل، في تعجيل موته.

وما سجلنا هنا إلا ما اطلعنا عليه، أو سمعناه، وما كنا للغيب حافظين.

*المصادر المذكورة داخل النص.*

الحسين جهادي الباعمراني

**السملالي، أحمد** بن **الطاهر**، أصله من مدينة أزمور، وتلقى التعليم بمراكش على يد علمائه. ثم اشتغل بنسخ الكتب إلى أن رجع إلى بلده فصار كاتبا لعامل أزمور والجديدة الحاج موسى بن محمد الغربي، ولما توفي هذا سنة 1263 / 1847 أصبح السملالي عاملا مكانه، فدامت ولايته إحدى عشرة سنة أي إلى سنة 1274 / 1858، وفيها عُزل وأودع السجن لأنه يروى أنه اشتط في حكمه مثل سلفه، وسطا على أموال الدولة والخواص، حتى كرهه الناس وسموه "سَمْ يْلالي" أي "سُمّ يضيء"، ويقال إنه وجد عنده يوم اعتقاله نحو من ثلاثة ملايين ونصف مليون ريال. ولكنه بعد ذلك استعمل على مراكش، وأدى على ما يظهر الغرامة التي يفرضها المخزن عادة على الولاة الفاسدين أو المتأثلين بدون حق. انتقل إذن إلى مراكش فوصفه العباس ابن إبراهيم السملالي بأنه كان "فقيها متضلعا نبيها ذا سمت حسن، مهيبا وقورا، جميلا في الهيأة والملبس، رفيع الهمة، ذا شيبة حسنة، وله خط رائق وإنشاء فائق".

مكث في ولايته أربع سنوات من 1863 إلى 1866 وهي سنة وفاته. فلما مات أمر السلطان بإحصاء متخلفه فحيز ولم يبق شيء لأولاده الذين انتقلوا إلى الجديدة فصاروا فقراء مهملين.

ومما يذكر عنه أنه كان يتعاطى تجارة التصدير، فكان يطالب من التاجر الفرنسي المستعرب پول لامبير P. Lambert المقيم بمراكش والجديدة أن يترجم له الجرائد لمعرفة أسعار المنتجات القطنية وغيرها.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 416 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 3 : 969 ـ 1120 ـ 1135 ؛ *الوثائق*، 4 : 214 ؛ *وثائق مخزنية*.
J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 129 ; 3 : 29 - 138 ; *Villes et tribus du Maroc. Doukkala*, tome II, 170.
مصطفى بوشعراء

**السملالي، الحسين** بن **محمد** بن عبد الرحمان وقد سقط اسم والده محمد في *إتحاف المطالع*. وفيه أنه "كان فقيهاً مدرساً مفتياً، أكثر تدريسه مع طلبة البادية، ملازماً لضريح المولى إدريس بن إدريس بفاس". وهو مؤلف كتاب *الفتوحات الوهبية في سيرة مولانا الحسن السنية ومفاخر اختراعاته البهية*، تناول فيه مجمل الأحداث التي وقعت في عهد السلطان الحسن الأول، ويبدو من السرد أن المؤلف كان معجبا بسياسة هذا السلطان، وأنه ربما كان من بين العلماء المقربين من المخزن بفاس. والكتاب مازال مخطوطاً بخزانة مؤسسة علال الفاسي وتتضمن هذه النسخة رسالة لنفس المؤلف بعنوان *ذكر الخبر عمن فارق الجماعة واستعان بالكفرة* (16 ص) وهو جواب على سؤال وجهه السلطان الحسن الأول إلى علماء المغرب حول قضية حماية شيخ الزاوية الوزانية الشريف عبد السلام الوزاني بفرنسا سنة 1300 / 1883. تبنى السملالي في رسالته تكفير الوزاني بترجيحه لبعض النصوص والأحكام، وبين أضرار الحماية الفرنسية على الدولة المغربية. وتابع المؤلف تطور قضية الشريف إلى غاية ظهور أسباب فشله وبداية عزلته، وأشاد بالأسلوب الدبلوماسي المعتمد من طرف السلطان في حل المشكل.

توفي بفاس يوم الأربعاء ثاني عشر جمادى الثانية سنة 1309 / 13 يناير 1892. ودفن بضريح الشيخ أبي عبد الله الخياط بالدوح.

ح. السملالي نفسه، *الفتوحات الوهبية في سيرة مولانا الحسن السنية ومفاخر اختراعاته البهية*، مخطوط، خ. مؤسسة علال الفاسي، رقم 314 ع ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، 1989، الجزء الثاني، ص. 96 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 : 2787.
محمد عمراني

**السملالي، عبد اللطيف**، ولد بمدينة أزمور بإقليم الجديدة سنة 1357 / 1938، وكان أكبر إخوته السبعة، تلقى تعليمه الابتدائي بأزمور والثانوي بالدار البيضاء قبل أن يرحل إلى سوريا لمتابعة دراسته الجامعية ضمن الرعيل الأول في عهد الاستقلال للبعثات الطلابية التي كانت تلتحق بالبلاد العربية قصد الدراسة.

وبعد حصوله على الإجازة في الحقوق عاد إلى أرض الوطن ليلتحق بسلك المحاماة ابتداء من سنة 1965، بعد أن تلقى تدريبه المهني في مكتب النقيب المعطي بوعبيد، وظل يشتغل بالمحاماة إلى غاية سنة 1981، حيث تم تعيينه كاتبا للدولة في الشبيبة والرياضة في الحكومة التي كان يرأسها المرحوم المعطي بوعبيد.

وفي 30 نونبر من سنة 1983 عين عبد اللطيف السملالي وزيرا للشبيبة والرياضة، ليظل في هذا المنصب رغم تعاقب الحكومات طيلة اثنتي عشرة سنة وإلى غاية 10 غشت من سنة 1992.

كان عبد اللطيف السملالي من ضمن المجموعة القليلة التي بادرت إلى جانب المعطي بوعبيد إلى إنشاء حزب الاتحاد الدستوري سنة 1983، علما أنه كان أيضا من قياديي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

وقد انتخب عبد اللطيف السملالي عضوا في أول مكتب تنفيذي للاتحاد الدستوري منذ المؤتمر التأسيسي المنعقد بالدار البيضاء في أبريل من سنة 1983، وظل عضوا قياديا في الاتحاد الدستوري إلى أن انتخب أمينا عاما للحزب في المؤتمر الاستثنائي المنعقد بتاريخ 10 ماي من سنة 1998 بالدار البيضاء.

وكان السملالي نائبا برلمانيا على دائرة أزمور لولايتين تشريعيتين، كما كان رئيسا لجهة عبدة دكالة منذ أكتوبر 1997. كما شغل عدة مناصب، وتحمل عدة مسؤوليات وطنية ودولية في المجال الرياضي، فقد شغل منصب رئيس الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم على الصعيد الوطني. كما شغل منصب الرئيس الأول للاتحاد العربي للرياضة، وكان عضوا في الإدارة العامة للألعاب العربية الثالثة لسنة 1961، وذلك على الصعيد القومي. أما على الصعيد الدولي فقد عين السملالي عضوا في اللجنة التقنية للجامعة الدولية لكرة القدم، وعضوا معينا من طرف اللجنة التنفيذية في اللجنة التنظيمية لكأس العالم لكرة القدم خلال دورتي 1994 و1998.

توفي عبد اللطيف السملالي يوم الجمعة 24 شوال عام 1421 / 19 يناير 2001 مخلفاً ثلاثة أولاد وبنتا واحدة.

*معرفة شخصية ؛ وثائق عائلية وإدارية.*

حمزة الكتاني

**السملالي، علي** بن مَحمد السوسي الفاسي، حلاه في *إتحاف المطالع* بأنه "كان عالماً نحوياً مشاركاً أديباً يقول الشعر. له شرح على *ألفية ابن مالك* ؛ ومعارضة *همزية البوصيري* واشتغل أيضاً بتدوين تاريخ المغرب السياسي على عهد السلطان الحسن الأول وهو من المعجبين بالعهد الحسني. له مؤلفات عديدة أهمها *مطالع الحسن واتباع السنن، بطلوع راية مولاي الحسن*، دون فيه أخبار السلطان المذكو إلى أيامه. وتتخلل الموضوع الرئيسي استطرادات كثيرة مفيدة. وكتاب *مطالع السعادة في فلك سياسة الرياسة*، استعرض فيه قواعد السياسة السلطانية بشكل عام وسياسة السلطان مولاي الحسن الأول بشكل خاص، وهو مخطوط توجد نسخة منه بالخزانة الحسنية رقم 11445. وتأليف *منتهى النقول ومشتهى العقول*، وهو عبارة عن رحلة تمت في إطار البعثة التي وجهها السلطان الحسن الأول برئاسة أخيه الأمير عرفة وكان المترجم المؤلف من بين أعضائها إلى منطقة وجدة لمراقبة الحدود بين المغرب والجزائر سنة 1301 ـ 1884. وله رسالة بعنوان *عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة* كجواب على سؤال السلطان الحسن الأول حول الحكم الشرعي في توظيف المعونة لأجل تحديث الجيش.

نظم علي السملالي قصائد عديدة في مناسبات مختلفة مدح بها نفس السلطان *كالفتح الرباني الذي يطمع فيه الأول والثاني*، نظمها بمناسبة الرحلة الحسنية إلى جبال الأطلس المتوسط سنة 1305 / 1886، وأخرى بعنوان *نهاية المقول في تنبيه هم الفحول*.

توفي بفاس ليلة السبت تاسع وعشرى جمادى الثانية 1311 / 6 يناير 1894. ودفن بمطرح الأجلة بالقباب خارج باب الفتوح.

علي السملالي نفسه، *مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولاية الحسن*، مخطوط، خ. ح. رقم 11445 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2796 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الجزء الثاني، 1989، ص. 96.

محمد عمراني

**السملالي، محمد** بن **عبد الكريم**، شيخ القراء في سوس، أتقن العشرين وعلّمها، ولد بقرية أيت طالب إبراهيم بالأخصاص عام 1303 من أسرة تسلسل فيها العلم والصلاح، وينتهي نسبه إلى العباسيين السملاليين. أخذ القراءات عن المشاهير الكبار أمثال الشيخ أحمد بن ملود العبدلاوي الباعمراني في مدرسة الجمعة، ومحمد بن العربي الهواري بمدرسة سيدي بوالبركات، ثم أخذ معارفه عن الفقيه محمد بن إبراهيم في مدرسة سيدي إبراهيم بن علي 1328 وما بعدها، ثم شارط في مدرسة سيدي محند بن الحسن الأخصاصية منذ عام 1335 / 1917 يدرس القراءات بجد واجتهاد، وقل من لم يأخذ عنه من قُراء سوس وحاحة المشهورين.

توفي وهو يزاول التعليم بالمدرسة يوم 2 شوال 1387 / 2 يناير 1968، عن عمر يناهز التسعين.

*أوراق صهره الأستاذ العبدلاوي يحيى الباعمراني، ومن خطه نقلت وفاته ؛ روايات شفوية عن كثير من عارفيه من القراء والعلماء السوسيين؛* م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 113 ـ 134.

إبراهيم الوافي

**السملالي الهرواشي، محمد** بن **إبراهيم**، من أسرة سملالية وگاگية تقطن بسوق جمعة إداوْسملال بالأطلس الصغير شرق مدينة تزنيت، وقد أقيم السوق الأسبوعي المذكور على جزء من أرض أجدادهم، ومازال من هذه الأسرة بقايا وأبناء عمومة بموطنهم الأصلي إلى اليوم.

ولد المترجم بقرية هرواش بأيت بعمران حوالي عام 1270/ 1853 وحسب الروايات الشفوية للأسرة طلبة ومسنين، فإن الجد الأعلى الذي نزح من الموطن الأصلي بسملالة إلى أيت بعمران بهرواش هو "السيد داود" الجد الثالث للمترجم، وقيل جده الثاني المدعو (إبراهيم)، وأيا كان منهما فإن سبب مجيئه هو ذهاب بعض أعيان أيت سيدي يوسف البعمرانيين إلى فقيه زاوية سيدي وگاگ بأگلو يطلبون منه أن يعين لهم طالبا من بين طلبته الحفظة لكتاب الله قصد المشارطة في مسجدهم بسيدي يوسف، فاختار لهم "داود" الوگاگي حسب ما أشير إليه، وكان من دواعي اختيار شيخه له ما ظهر عليه من صبر وتواضع، وتوقف أحواله وظروفه على ذلك التشارط؛ فما كان من أعيان أيت سيدي يوسف إلا أن أكرموا وفادته بعد أن تبين لهم جده وإخلاصه وتفانيه في القيام بالواجب من إقراء وتربية وتوجيه ولم شمل الجماعة على إعمار المسجد والعمل الجاد، فقاموا من أجل الإبقاء عليه عندهم بالمصاهرة معه وتزويجه منهم، ولما ولد له ولده البكر اتفقوا على أن يهبوا له أرضا صالحة للإقامة وشيء من الحرث، وخيروه بين جهتين إحداهما قريبة من موقع المسجد ومخالطة لهم والثانية نائية من مساكن الجماعة نسبيا، فاختار الجهة النائية حتى يحافظ على الاحترام بينه وبين جماعته، ومازالت تلك الأرض التي منحوه تدعى "بحيرة سيدي داود" إلى اليوم. ثم استقروا في السفح الجبلي المعروف بهرواش وهو جزء من جبل "تلو" الواقع على الطريق المعبدة اليوم، والرابطة بين أربعاء الساحل وسوق الحد "بيفورنا" و"تيغزى" على مقربة من موضع يدعى (تمكرضت نهرواش) أي رقبة هرواش.

وهرواش اسم لصخور حمراء بارزة هناك من جبل تلو، وفي أسفلها يقع منزل الوگاگيين السملاليين الذين عرفوا بالهرواشيين، وتكونت اليوم منهم ساكنة هناك يشكلون وحدة

سلالية ينتمي جميع أعضائها إلى جد واحد مشترك، ثم تفرعت منهم فروع أولاد وأحفاد، نساء ورجال أذكر من مواطنهم الرباط والبيضاء وأقرمود بالشياظمة، وأگادير، وإنزكان وأيت ملول وأكلميم وأيت عميرة بهشتوكة وتارودانت وغيرها...

نشأ محمد بن إبراهيم السملالي الهرواشي في حجر والديه على العفاف والصيانة والمحافظة على الأخلاق الكريمة، وكان والده من الأعيان يتاجر ويفلح الأرض ويرعى المواشي، واشتهر ببيعه للبارود، وتفرغ ولده المترجم في بداية الأمر إلى القراءة في المسجد ورعي الماشية ولما شب على الطوق قصد المدرسة البوبكرية بخميس أيت بوبكر التي كان قد أحياها وأنعشها سيدي حسين الشرحبيلي في جملة ما أحيا من المدارس والأسواق (*روضة الأفنان*، ص. 69). ثم انتقل إلى المدرسة البونعمانية بأيت بريم قريبا من تزنيت جهة الجنوب، فلازم شيخه مسعود بن محمد السملالي قبيلا، الطالبي إيعزا فصيلا نسبة إلى أيت الطالب إيعزا من تاجاجت بمجاطة وهو موطنهم الأصلي (*المعسول*، 13 : 20).

ومن أشهر تلامذة الهرواشي محمد بن أحمد الإكراري الرفاكي صاحب كتاب *روضة الأفنان*، ومحمد بن عبد الله بن برشيل الكلفاني، والجامع اليعزاوي، ومحمد بن علي البوكرفاوي، والفقيه المؤرخ محمد بن المؤذن السملالي (ت. 1339).

لا شك أن ولوع الفقيه الهرواشي بالتاريخ والتوثيق والتدوين والتدقيق في ذلك قد انتقل منه إلى تلامذته، وجاروه في ذلك، ومنهم من تفوق عليه وفاته بمزيد العناية والاهتمام مثل المؤرخ الإكراري، وكذا ابن المؤذن هذا، علما بأن الفقيه الهرواشي كان قد اهتم في كناشته بتسجيل أحداث عصره الخطيرة. وجاء ما كتبه غاية في الضبط والشمول والموضوعية مقارنة مع ما كتبه غيره في نفس الأحداث.

كوّن الفقيه السملالي الهرواشي نفسه تكوينا علميا وأخلاقيا أهله للظهور في الساحة العلمية بين أعلام وقته. وكوّن خزانة علمية عبثت بها الأيدي، فصارت أثرا بعد عَيْن، فوجدت من تلك البقايا رسوما تعكس ذلك الكد والجهد الذي بذله الفقيه الهرواشي شأن أي عصامي آخر الذي انطلق من بيت قفر من رائحة العلم والكتب، فما كان منه إلا أن صيره منتدى للعلم والعلماء، وزينه بخزانة طافحة بالنفائس والنوادر من المخطوطات والمطبوعات...

ومن آثاره العلمية *طرر على تفسير الجلالين* و*تقييده التاريخي المركز الجامع والمانع لأحوال الحاحيين بسوس*، خصوصا القائد سعيد الكيلولي (1314 - 1318)، وقد غطى الفقيه هذه الفترة تغطية شاملة لأثر هذه الحركات الخطيرة في سوس في العهد العزيزي.

توفي في رجب 1331 / يونيه - يوليوز 1913.

الاگراري، *روضة الأفنان*، الدار البيضاء، 1998 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 11.

إبراهيم الوافي

**السمّ**، كل ما يقتل أو يساعد على القتل باستعمال مواد تدخل جسم الإنسان إما بالأكل أو الشرب أو النفث. كان الأطباء العرب قد تعرفوا عن طريق ديوسكوريد Dioscoride وجالينوس Galieu من خلال أعمال الترجمة على *"كتاب السموم"* لأحد الهنود، ونهلوا منه بعض معلوماتهم عن السم. وأفرد ابن سينا القسم السادس من الكتاب الرابع من كتابه *"القانون"* لمبحث السم، وذكر اللسعات واللدغات المسمومة، وكذا السعار.

تقل المعلومات عن موضوع السم وآثاره في المصادر المكتوبة عن تاريخ المغرب، إلا ما كان من بعض الإشارات المتفرقة التي ترد عند وفاة أحد السلاطين مسموما، كما هو الشأن بالنسبة لإدريس الأول، أو بالنسبة لبعض حكام الدولة المرينية مما نجده في روضة النسرين.

وذكر لامبريير Lemprière الذي زار المغرب سنة 1789 أن السم كان شائعا بين الجواري وحريم السلطان، وأنهن كن يشترين الزرنيخ لاستعماله في التسميم، ويورد هذا الطبيب الأنجليزي أن إحدى زوجات السلطان سيدي محمد بن عبد الله كانت ضحية تسمم من بعض نساء البلاط الأخريات، فانتابتها اختلاجات وانحراف صحي ذبل على أثره جمالها واعتراها الوهن والهزال وتقلحت أسنانها، وأصبحت على شكل هيكل عظمي.

وأورد ليناريس Linares في ما كتبه عن رحلته مع مولاي الحسن إلى تافيلالت أن القائمين بأمر المحلة، اضطروا في المرحلة التاسعة من الرحلة (من تجام إلى الخوخات) إلى ترحيل الافراگ نحو منطقة أخرى، لكثرة ما رآه السلطان هناك من العناكب (بوصيحة) المعروفة بلسعاتها السامة القاتلة.

وأولت الحماية الفرنسية بالمغرب اهتماما كبيرا بموضوع السم، لكثرة ما كان يصيب جنودها ومعمريها من لدغات العقارب والأفاعي أو من تناول بعض النباتات السامة في بيئة مجهولة، فاتجهت إلى دراسة السموم بالمغرب أملا في درء ما قد تسببه من أخطار.

وكان من أشهر من تصدوا لدراسة السموم، أحد الصيادلة المتخصصين في العلوم الطبيعية، يدعى شارنو A. Charnot الذي كتب في سنة 1934 مقالا صنف فيه العقارب الموجودة بالمغرب، ثم أردفه في سنة 1945 بكتابه الشهير "مبحث السمامة بالمغرب *La toxicologie au Maroc*" وفيه صنف السموم إلى ثلاثة :

- سموم من أصل حيواني
- سموم من أصل نباتي
- سموم من أصل معدني

فأما السموم ذات الأصل الحيواني فتتضمن الذبابة الهندية، وبيض الحرباء بالإضافة إلى سموم العقارب والأفاعي والعناكب وبعض الزنابير. ويمكن هنا أن نفصل بين نموذجين من هذه السموم وهي الأفاعي والعقارب. ففيما

يخص الأولى أي الأفاعي، قام أحد المهتمين بهذا الميدان في سنة 1933 بمحاولة لتصنيفها فعدد خمسة عشرة نوعا، لم تكن كلها سامة ولكن معظمها يحتوي على لوزة رضابية لإفراز السم. وأهم هذه الأنواع وأكثرها سما :

- أفعى مونپوليي Montpellier ويصل طولها إلى 1.98م لونها مخْضر مع لطع سمراء، تعيش في الأحراش. وعندما تلدغ عضوا ينتفخ وتعتري صاحبه حمى واضطرابات عصبية.
- الناجا أو الصّل أوبوسكة عند عامة الناس، وهي سامة جدا تكفي بعض القطرات من سمها لقتل كلب في ربع ساعة. تعيش في سوس وما يتولاها من المناطق الصحراوية.
- أفعى لاتاست Lataste وتوجد في الأماكن الصخرية من الأطلس المتوسط، تعيش على القوارض، وسمها أقل خطرا على الإنسان والحيوان.
- أفعى مينوت Minute، رمادية ضاربة إلى الصُّهبة مع خطوط سمراء متموجة، تسكن المناطق الصخرية لسعتها خطيرة جدا، إذا لم تقتل الملسوع فإنها تترك آثارا على صحته.
- الأفعى اللاطمة Heurtante توجد في سوس، كثيرة السم وسمها يقتل في بضع دقائق وعلى الخصوص عندما يسري مع شريان رئيسي.
- أفعى ذات قرنين، وهذه تعيش في الصحراء، سمها خطير وسريع القتل، يودي بحياة جمل أو حصان في وقت وجيز.

أما العقارب فكثيرة بالمغرب قد تصل إلى ثلاثين نوعا منها الأصفر والأسود، وتتكاثر في ما بين ماي وأكتوبر من السنة، وغالبا ما تصنف العقارب إلى صفراء وسوداء.

فالصفراء على نوعين :

- Heterometrus maurus Linné : وتنتشر في ضواحي الرباط وأزرو ووزان وحتى مراكش وأوريكة.
- Buthus occitanus Amoreux : توجد في المناطق الساحلية وكذا في المناطق الداخلية من المغرب. كما وجدت في رمال شواطئ الرباط وفي منطقتي ولماس وأزرو.

وتكون لدغة العقرب الصفراء ذات مفعول محلي، تبدأ بألم حاد وسريع يشبه ما تحدثه لسعة الزنبور، ولا يتعدى اشعاع الألم المناطق المحيطة بالعضو الملدوغ، ثم يعود الشخص بعد 24 ساعة إلى حالته الطبيعية.

أما العقارب السوداء فهي أخطر من الصفراء حيث يشتمل سمها على عناصر أقوى من المواد الموهنة والمميتة، وهي نوعان كذلك :

- Prionurus tingitanus Pallary : وهذه قليلة الانتشار، وجد بعضها في خرائب حسان وشالة خلال فترة الحماية، ووجدت في مناطق ارتفاع 2000 م وفي تادلا.
- Prionurus Liouvillei Pallary : وينتشر هذا النوع بكثرة في مناطق زعير - أزمور - الحاجب، واد زم.

وتتسبب لدغة العقرب السوداء في ألم حاد جدا، فيشعر الإنسان أثناء دبيب السم في عضوه الملسوع كما لو أن النمل يمشي على ذلك العضو أو كأنما تسقط عليه قطرات من المطر البارد. وكلما سرى السم في أوصال الانسان اعترته اضطرابات معدية متباينة مع غزارة اللعاب والغثيان والقيء المرّي، بالإضافة إلى الإسهال المتكرر والعرق واطراب ضربات القلب. وقد يعود الملدوغ إلى حالته الطبيعية ما بين 24 و48 ساعة، كما قد يلقى حتفه من جراء اللدغة.

سموم من أصل نباتي

- تكّاوت : وهي نبات يشبه الصبار، وهو خطير بحيث إذا أصاب ماؤه العين تسبب في العمى. تستعمل النساء هذه المادة لإعطاء الشعر لونا فاحما، غير أنها مع الأيام تلحق الضرر بمنابت الشعر وتتسبب في التهابات بجلد الرأس. وتستعمل تكاوت كذلك كمادة للتسميم في إطار ما يسمى عند عامة الناس "التوكال"، إذ بمجرد وصولها إلى أحشاء الإنسان تنتفخ كليتاه وينتابه انحراف صحي يؤدي به إلى موت محقق.
- بيض الغول : ويسمى أيضا تفاح الجن، عبارة عن نبات تتوغل جذوره في التراب على شكل جسم الانسان. تستعمل النساء هذه النبات لزيادة الوزن وعلاج البرودة الجنسية. وإذا دُس لشخص في الطعام تسبب له في تسمم قد يودي بحياته. وقد وقعت في سنة 1932 حالة تسمم بسبب بيض الغول في معسكر من معسكرات الحاجب، ذلك أن أحد الجنود الفرنسيين أقدم على تقطيع أوراقه ليجعل منها سلطة مكان أوراق الخس ربما ظنا منه أنها نوع من الخس وبعد ساعتين من تناوله اعتراه دوار وقيء وجف ريقه ولم يعد يقوى على المشي مستويا، كما ثقلت أعضاؤه وعلت بصره غشاوة. ولم تغب عنه هذه الأعراض إلا بعد يومين من المعاناة، ولم يعد بصره عاديا إلا بعد ستة أيام.
- الداد : وهي جذور نبتة مشوكة، تستعمل كثيرا في "التوكال" حيث يصاب من دست له مع طعام بارتفاع في تحلون الدم (Glycémie) ثم ارتفاع كبير في ضغط الدم مع الوهن والاسترخاء وقد يصاحب ذلك انتفاخ في الدماغ وتشنج، وربما أدّى إلى الموت على إثر انحباس التنفس.
- شدق الجمل : كان يستعمل كدواء ضد التشنج والربو، كما استعمل كمادة مثيرة للرغبة الجنسية، لكنه مادة سامة يكفي قدر قليل منها للقضاء على حياة شخص.

سموم ذات أصل معدني

أورد شارنو Charnot أحد عشر نوعا منها، غير أن أشهرها :

- الرهج، أو الزرنيخ الأصفر، وهو حجر صغير ذو لون أصفر في حجم الحمص، وكان يستخدم في أغراض طبية لمعالجة الجرب والقضاء على القمل، كما كان يستخدم للتسميم والقتل، حتى إن عامة الناس تكاد تتفق على أن فعل "رهّج" يعني "وكّل" من التوكال، أي دس السم لأحد في الأكل أو الشرب.

ـ الزنجار أو صدأ النحاس، كان الناس يستعملونه لعلاج القروح وإبادة الحشرات والجرذان، كما استعمل سما قاتلا تكفي كمية قليلة منه لجلب الموت.

ـ الزواق : استعمله الأطباء القدامى في معالجة قروح الزهري، واستغله الكثيرون في تحضير وصفات الموت.

وقد شاع بين الناس استخدام السم لأغراض إجرامية في ما عرف "بالتوكال" و"هو كل ما يتم دسه للإنسان في الطعام من مواد سامة بغاية إلحاق الأذى به". وأشهر الأطباق الصالحة لدس السم هي :

ـ الكسكس : حيث أن طريقة تحضيره والمواد المكونة له بالإضافة إلى ذوقه، ميزات تجعله قابلا لاحتواء كل أنواع السم دون أن يتنبه لذلك أحد. ويشير شارنو في هذا الصدد إلى أنه عثر في معدة أحد ضحايا التوكال على قطعة من الرهج ذات لون أصفر في حجم جلبان مكسر.

ـ الحريرة : شكلت الحريرة بمذاقها اللذيذ وإقبال الناس بنهم على شربها، غذاءا مُسوّغا للسم، ويعود شارنو ليتحدث عن فحص قام به لحريرة تقيأها أحد المستهدفين حيث وجد فيها أطرافا من الرهج الأصفر. ولعل عبارة "شاربو في الحريرة" التي تتردد أحيانا عند عامة الناس مما يؤكد شيوع دس السم في الحريرة.

ـ الشاي والقهوة : مشروبان صالحان لدس السم لأن لونيهما يخفيان ما قد يشوبهما من مواد دخيلة، ويذكر شارنو مرة أخرى أنه وجد في أوراق شاي مستعملة أي ما يسمى عند المغاربة "الطبخة"، بعضا من أوراق السيكران وحبوبه، وهو نبات تكفي 15 إلى 20 من حباته إذا نزلت إلى معدة الإنسان لترديه قتيلا.

ولم تكن وصفات الموت، التي كانت تدبر باستعمال بعض ما أتينا على ذكره من أنواع السموم، تردي الإنسان لتوه، حتى ولو كان بعضها زعافا يقطع الأمعاء، بل أنها كانت تمهل المبتلى بها لأيام معدودات، بل لبضعة شهور تنحرف خلالها صحته، وتعتريه نوبات متتالية من الغثيان والقيء، فيزمن به الداء ولا تدركه المنية إلا بعد أن ينال منه الهزال ويصبح غير قادر على المقاومة، وتلك طريقة غالبا ما تبعد عن الجاني ما قد يحوم حوله من شكوك.

وكان المغاربة يعالجون ما كان يلم بهم من عوارض السموم بطرق مختلفة فتراهم عندما يتعلق الأمر بلدغات الأفاعي أو العقارب أو العناكب يلتجئون إلى شرط المنطقة الملسوعة واستخلاص ما خلط بدمها من سم عن طريق المص مع ربط العضو الملدوغ بخيط محكم مما يلي الشرايين المؤدية إلى القلب. ثم يُحمى على مكان اللدغة بالنار.

ولاحظ لنياريس قبل ذلك في رحلته مع مولاي الحسن كيف كان سكان بعض مناطق المغرب يعالجون من لسعة بوصيحة (نوع من العناكب السامة)، حيث يحفرون حفرة ويوضع فيها الملسوع متمددا ثم يرد عليه التراب حتى الذقن، وتوقد فوقه النار لبعض الوقت ثم يخرج من تحت التراب بعد أن يكون قد تبلل من العرق.

أما عندما يتعلق الأمر بالتوكال فكان أهل المصاب يهيئون له وصفات تثير الغثيان لعل التقيؤ يساعد على إخراج ما بأحشائه من سم، وقد أخبرنا بعض الناس أن ذلك يتم بمزج ماء البحر مع أوراق الدفلى وفليو، ويتناول المصاب جرعات من نقيع ذلك.

وشاع بين الناس استعمال مادة ضد السم تسمى "بيض المهر"، ويطلق عليها بادزهر، وهي كلمة فارسية تعني غسل السم، وهي عبارة عن أحجار بيضوية الشكل نسجت حولها كثير من الأساطير حيث ظن البعض أنها تخرج من أحشاء الظباء، وقال آخرون أنها بيض طائر الرخ الذي ورد ذكره في رحلات السندباد. وكان المغاربة يثقون كثيرا في نجاعة هذا البيض في شفاء المسمومين، لكن دراسة الطبيب أرنو Arnaud المعتمدة، قد كشفت النقاب عن سر هذا البيض، فإذا هو حجر كالأحجار لا يجدي فتيلا في معالجة السم.

وعلى الرغم من تقدم الطب، ووجود مصلحة خاصة بالسموم، فإن العقارب ما زالت تعيث في سكان القرى المغربية النائية والدواوير المنزوية، لبعدها عن مراكز الاستشفاء، ومازال الانتقام بدس السم من الأمور الجارية في مجتمعنا.


جلال الدين السيوطي، *كتاب الرحمة في الطب والحكمة* : داود الأنطاكي، *تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب*، بيروت، د. ت. : نادية بلحاج، *التطبيب والسحر في المغرب*، الرباط، 1986 : جريدة *الأحداث المغربية*، 7 أبريل 2001 : 20 يوليوز 2001 : *رواية شفوية*.

M. Akhmisse, *Médecine, magie et sorcellerie au Maroc*, Casa, 1985 : L. Arnaud, *L'œuf du faon ou la survivance inattendue du Bézoard*, in *Maroc Médical*, oct. 1926 ; A. Charnot, *La toxicologie au Maroc*, Paris, 1945 ; *Les scorpions du Maroc, leur venin, leur danger pour l'homme et les animaux*, *BIHM*, oct. - déc. 1934 ; F.J. Linarès, *Voyage au Tafilalet avec S.M. le sultan Moulay Hassan en 1893*, *BIHM*, juillet-sept. 1932 ; L. Raynaud, *Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc*, Alger, 1902 ; *Serpents venimeux du Maroc*, in *Maroc Médical*, mars 1933; A. Sigelmassi, *Les plantes médicinales du Maroc*, Casablana, 1993.


بوجمعة رويان

**السمّار**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çamar - Asmar ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Azamar ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان. وما تزال بمدينة سلا مجموعة من آل السمّار.

وفي تطوان أسرة أخرى تدعى السمار أصلها من الجزائر، ومنهم علي بن محمد السمار فقيه كان حيا سنة 1172 / 1759، وعبد الله بن محمد السمار، زاول خطة العدالة من سنة 1133 إلى 1170 (1721 . 1757)، وعبد الرحمن بن العربي السمار، زاول العدالة من سنة 1161 إلى 1182 (1748 . 1768)، ومحمد بن محمد السمار، فقيه توفي سنة 1173 / 1760، وعبد السلام بن محمد السمار، فقيه كان

بقيد الحياة سنة 1194 / 1780، ومحمد بن أحمد السمار، زاول خطة العدالة سنة 1273 / 1857.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1397.

محمد ابن عزوز حكيم

**السَّمَّار، محمد** بن زيد السبتي، وصفه صاحب *بلغة الأمنية* بالفقيه المشارك. جلس للإقراء بالمسجد الأسفل من زقاق أبي يحيى حيث كان يوجد مقر سكناه. كما امتهن التوثيق بالسماط. ثم تخلى عن ذلك كله فارتدى لباس الزهد والخمول وعكف على طلب رزقه بتسمير الدواب وكان لا يقرب الخيل والبغال خشية أن يقصده الأمراء وذوو الجاه، ومن ثم جاء لقبه بالسمار. فانطوى على نفسه واستصغرت الدنيا في عينيه وهانت نفسه عليه. يذكر صاحب *بلغة الأمنية* أن الشيخ الزاهد الشهير محمد بن موسى الحلفاوي الإشبيلي نزيل فاس، أحد تلامذة المتصوف الشهير يعقوب الزيات صاحب الطريقة المعروفة، لما علم بحاله، استدعاه للسكنى معه. فرحل من سبتة بأهله وولده ونزل بفاس يجاوره.

وكانت وفاته بعد سنة 750 / 1349.

مجهول، *"* تح. م. ابن تاويت : *مجلة تطوان*، العدد التاسع، 1964.

زوليخة بنرمضان

**السمَّار، محمد** السلاوي، أحد المجاهدين البحريين الذين كانوا أسرى بفرنسا واستخدموا في سفنها وأوراشها ما بين أعوام 1111 - 1139 / 1699 - 1727. وكان عبد الله ابن عائشة طالب بإطلاق سراح محمد السمار لما كان سفيرا بفرنسا فلم يتيسر له ذلك. ولما كان ببريصط Brest راجعا إلى المغرب كتب رسالة إلى صاحبه التاجر جوردان بتاريخ 11 قعدة 1110 / 16 ماي 1699 يلح فيها عليه بالتدخل لإطلاق سراح المترجم. ثم كتب رسالة أخرى بتاريخ فاتح رجب 1111/ 23 دجنبر 1699 إلى القنصل الفرنسي J.B. Estelle في نفس الموضوع، ولم تسعفنا المصادر في معرفة مآل هذا الأسير وهل أطلق سراحه أم لا.

محمد السعديين

**السمَّارين** (باب -) بفاس، أحد الأبواب الرئيسية بالمدينة البيضاء المسماة أيضا فاس الجديد التي شيدها السلطان المريني أبو يوسف يعقوب عام 674 / 1276 لتكون مقراً لحكمه. وقد أحاطها بسورين غاية في المتانة والضخامة لضمان حمايتها من الأعداء. وأقام فيها مجموعة من الأبواب من أشهرها باب الدكاكين وباب الأمر وباب السمارين.

يقع هذا الأخير في السور الداخلي، وكان معروفا باسم باب عيون صنهاجة، يقول صاحب *الذخيرة* في هذا الموضوع :

"وفي سنة 679 هـ بنى (أبو يوسف يعقوب) في المدينة المذكورة الأسواق من باب القنطرة إلى باب عيون صنهاجة" (*الذخيرة*، ص. 162).

ويعد باب السمارين المدخل الأساسي لفاس الجديد من الجهة الجنوبية، إذ يفضي إلى شارع رئيسي، فسيح نسبيا، يبلغ طوله حوالي نصف الميل، وتنتشر حوله الدكاكين والمرافق الاجتماعية والاقتصادية بفاس الجديد (الوزان، ج. 1، ص. 282).

وتوحي تسمية باب السمارين - التي لا يعرف متى أطلقت عليه - إلى أمرين :

- وجود الحرفيين الذين يقومون بدق المسامير في أرجل الخيول والدواب، وقد أشار الحسن الوزان إلى انتشار اصطبلات الخيول حول باب الدكاكين وفي ناحية باب عيون صنهاجة (*وصف إفريقيا*، ج. 1، ص. 282).
- وجود الحراس الليليين بالباب المذكور، حيث يقضون الوقت في المسامرة والأحاديث.

وقد شهد باب السمارين تغيرات هامة منذ تشييده خلال النصف الثاني من القرن السابع (13 م). ويشير بعض الباحثين إلى أن الباب فقد كثيرا من ملامحه الأصلية بفعل التعديلات التي توالت عليه (Delarosière et Bressolete, p. 260).

ابن أبي زرع، *الذخيرة*...، الرباط، 1972 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، الرباط، ص. 2، 1983.

H. Bressolete et J. Delarosière, *Fès-Jdid de sa fondation en 1276 au milieu du XXe siècle*, *H.T.*, Fasc. uni. 1982 - 83.

الحاج موسى عوني

**السمارين**، بمراكش مجموعة أسواق تجارية تمتد على جانبي ممر محوري تجاري بقلب مدينة مراكش العتيقة، صار مقصورا على الراجلين فقط، يمتد من جامع الفناء وبالضبط من سوق التمر المرتبط بها، يتجه مستقيما إلى الشمال نحو المركز التاريخي للمدينة : جامع ابن يوسف. طوله 500 م. ينتهي عند باب الطالعة، لينحرف قليلا إلى الشمال الشرقي ليشرف على أبواب جامع ابن يوسف ومآثره التاريخية.

هذا الطريق الذي لم يرق إلى مستوى شارع بالمفهوم الحديث، وتجاوز كثيرا مستوى زنقة تقليدية، يعتبر اليوم ممرا حيويا وسوقا ومركبا اقتصاديا لأنشطة تجارية وسياحية وحرفية وترفيهية عديدة، فهو أشهر ممر بمراكش يعرفه جل من زارها سواء كان سائحا أجنبيا أو وطنيا، فهو يكون مركز الثقل الاقتصادي والاجتماعي للمدينة العتيقة، يربط بين نواتين رئيسيتين هما :

جامع ابن يوسف : الذي انطلقت منه المدينة كنواة لتوسعها التاريخي فأحاطت به أقدم الأحياء التاريخية من جهة الشمال والشرق والغرب : حي أسول وقاعة بناهض وحارة السورة وزاوية الحضر، ومجموعة أسواق وفنادق حرفية

وتجارية تاريخية تنطلق منها محاور طرقية تتجه إلى الأبواب الرئيسية لمراكش، مثل طريق بين الفنادق شرقا الموصل إلى ساحة الموقف المتصلة ببابي الدباغ والخميس، وطريق باب تاغزوت شمالا وطريق روض العروس فباب دكالة، وطريق المواسين والقصور المتجه غربا إلى جامع الكتبية والأسوار الغربية.

جامع الفناء : وهي ساحة تاريخية كبرى بجنوب الممر تفصل بين أحياء الشمال الحرفية والسكنية الشعبية، وأحياء الجنوب الراقية حيث المشور والقصر الملكي وحي القصبة وأحياء رياض الزيتون والقنارية والملاح. وكانت هذه الساحة مخصصة لعرض منتوجات ذات حمولة ثقيلة كالحطب والخشب والفحم الوافد من بساتين الدير والغابات الجبلية، والزيتون واللوز والجوز والصوف والحبوب والجلود... كانت تحمل على الدواب، يطرح بعضها للبيع بالساحة مثل الخشب والفحم وينقل الآخر إلى الأسواق الحرفية والتجارية المتفرعة من ممر السمارين. ولم تطلق هذه التسمية سوى على المقطع الأول من الممر حيث كانت محلات عدد من الحدادين مختصين في تصفيح الدواب بالصفائح والمسامير التي تفرغ حمولتها بمختلف الأسواق وتقفل راجعة للمبيت مع أصحابها بفنادق فحل الزفريتي وباب فتوح المنتشرة شمال جامع الفناء. وينتهي مقطع السمارين عند باب الفحل بمنتصف الممر، أما بقيته فتطلق عليه أسماء أخرى مشتقة من النشاط السائد بها، في مقدمتها السوق الكبير، ثم يتفرع الممر إلى فرعين ينحرف أحدهما يسارا يعرف بسوق خراز البالي وهو الاسم الذي يطلق اليوم على كل الممر الذي كان يبتدئ بسوق السطايلية وينتهي بسوق الحناء التي اختفت نهائيا، ويفضي هذا الممر للأسواق المهمة كسوق السماط (البلغة والأحذية المتنوعة) وسوق اللبادين (ج. لبدة وهي بساط صوفي صغير للصلاة) وسوق العطارين الذي صار متخصصا في الأواني النحاسية والمفضضة الخاصة بالشاي، وسوق الحدادين وسوق القشابين (خياطو الجلابيب). أما الفرع الآخر الذي يمتد شمالا على استقامة الجزء الأول، فيطلق على المقطع الأول منه سوق الربايعية (ج. ربيعة : وهي صندوق خشبي شائع لخزن الملابس وغيرها). يأتي بعده مقطع سوق الشكايرية (الشكارة : محفظة جلدية يحملها الرجال) ثم سوق الشراطين (صانعو القنب) الذي ينتهي بباب الطالعة وكان ولايزال به مجموعة دكاكين صغيرة للبقالة وبيع التغذية الشعبية للحرفيين، ويعرف قسم منه بسوق الشعرية (حيث تبيع النسوة ما يحضرنه بمنازلهن من الشعرية المصنوعة من العجين).

وعلى طوله تتوزع على اليمين واليسار عدد من الأسواق الفرعية مثل سوق الرحبة القديمة حيث كانت تباع الحبوب وقد تحول الآن إلى سوق العشابين وبازارات، وسوق الغزل حيث كان يعرض قديما العبيد والجواري وتحول إلى سوق الصوف الخام في عهد الحماية ويباع به حاليا الملابس الجديدة والقديمة والقليل من الصوف. ويتفرع من الرحبة القديمة سوق البطايَنْ (ج. بطانة) وهي جلود المواشي وقد انتقل مؤخراً إلى باب الخميس حيث فتح له باب بالسور يشرف على واد إيسيل وحل محله سوق الملابس الشعبية، وسوق الزرابي الذي توسع على حساب سوق العدة أي الأسلحة بعد اختفائها من السوق. وفي الهامش الغربي للرحبة القديمة يوجد أقدم سوق لبيع السمك الذي لازالت به بعض الدكاكين لهذا النشاط بينما انتشر في بقيته دكاكين لصناعة أنواع الغربال والرابوز (منفاخ لإيقاد النار بالفحم والحطب). كما يتفرع من ممر السمارين عدد من السويقات المغلقة بها عدد من الحوانيت لا تتجاوز عشرين كانت تباع بها الأثواب أو تزاول بها بعض الأنشطة الحرفية تعرف بالقيسارية أو السوق، تسمى باسم النشاط المزاول بها كسوق الفخارين وسوق الدلالة وسوق أحايك (الحياك) وسوق الشراطين (صانعو القنب) وسوق السراجين وسوق الحرارين الجديد (صانعو الحرير) وسوق التكموتيين (نسبة إلى قبيلة تكموت)، يصنع ويباع به الحلي الذهبية والفضية وسوق الغربال. ومنها ما يسمى بالأشخاص مثل قيسارية مولاي علي، والتبر، والحاج عبد السلام والأحباس والقيسارية الوسطى. والفرق بين السوق والقيسارية هو أن الأول يصنع به الحرفيون منتوجاتهم ويبيعونها بالتقسيط أو الجملة أما القيسارية فهي سوق تجاري، ووردت هذه التسمية من الشرق العربي، اقتبست من الرومان الذين كانوا يطلقونها على أسواق (قيصرية) للمنتوجات الراقية كالملابس والحلي والعطور، لكنها تعني هنا مجرد سوق لمنتوج تجاري معين.

لقد كتب اسم السمارين على بداية الطريق بأولى الخرائط التي وضعها الأوربيون لمراكش في نهاية القرن الثالث عشر (19 م). وباعتبار السمارين أول ما يصادفه الزائر المنطلق من جامع الفناء، فقد توسع مدلول الاسم تدريجيا حتى صار يطلق على كل المركب التجاري الحرفي السياحي لوسط المدينة العتيقة الذي اشتهر بسوق السمارين.

*بحث ميداني ؛ تحليل تصميم مدينة مراكش ؛ معلومات من التجار المحليين ومن تاريخ المغرب.*

**السمن**، مادة دهنية حيوانية تستخرج من الزبدة الحيوانية، وهو شائع الاستعمال في جميع أرجاء المغرب لاهتمام الريفيين من فلاحين مستقرين ورحل وأنصاف الرحل بتربية المواشي ومعالجة حليبها. يعرف عند القبائل الأمازيغية بأودي أو السمن كذلك. وكانت جميع الأسر بالمدن والأرياف تحرص على اختزان كمية من السمن بقوارير من الفخار كاحتياطي غذائي باعتبار السمن أهم مادة دهنية يمكن أن تختزن مدة شهور أو سنوات، وتكون أنواع الخبز أو الرغيف المدهون بالسمن وجبة غذائية دسمة للمناسبات العائلية المهمة والوجبات السريعة قديما.

وللحصول على السمن، يترك الحليب الطازج في أواني بضعة أيام حتى يتخثر بفعل خمائر طبيعية من الهواء ثم

بمخض في قربة خاصة (الشكوة) وحاليا في براميل بلاستيكية معلقة بقنب، فتنفصل المادة الدهنية وتلتئم جزيئاتها مكونة الزبدة وهي المادة الخام لجميع أنواع السمن، وهي ثلاثة أنواع رئيسية :

ـ السمن المدوب أو الحلو : كانت الأسر الريفية تجمع كمية من الزبدة التي تحصل عليها لعدة أسابيع بإضافة كمية قليلة من الملح ثم تطبخ على النار في قدر كبير فتتخلص مما تبقى فيها من الماء بالتبخر وبقايا الحليب وغيره بالترسب في قعر القدر، فتحصل على سمن مدوب نقي معقم، وينقص وزن الكمية الابتدائية بحوالي 20-25 ٪ تضيف بعض الأسر أعشابا مثل الزعتر أو الشيح وغيرهما مما يعطي رائحة ومذاقا خاصا للسمن فيتميز ببعض الأسماء تختلف حسب الأقاليم. والسمن المدوب لا يقبل الخزن لأكثر من سنة.

ـ السمن الحار أو سمن بودراع : يتكون من زبدة تضاف إليها كميات من الملح بالتدريج كلما أضيفت إليها كمية جديدة، ثم يعجن المنتوج ويدلك لتكوين مادة متجانسة وهو لا ينضج على النار لذا يبقى محافظا على وزنه الأصلي، له رائحة نفاذة قوية، يمكن أن يختزن لبضع سنوات.

ـ السمن الحايل : عندما يترك السمن الحار مدة تتجاوز السنة تظهر به فطريات خاصة تميل إلى الخضرة، ثم يعجن ويدلك لإعطائه تجانسا فيكتسب لونا يميل إلى البرتقالي ويصبح له طعم مر لاذع خاص، ويستعمل كنوعية غذائية متميزة أو كدواء لتحفيز حيوية الجسم أو معالجة برودته ولمقاومة بعض أمراض الروماتزم والمعدة... وهذا النوع قل عليه الطلب كثيرا ويكاد يختفي من الأسواق.

أما المادة المعروفة بالخليع فهي لا تحتوي على سمن حقيقي إذ تتكون من لحم مقدد بدون عظام ينضج مع قدر محدد من زيت الزيتون والشحم الحيواني.

كان السمن بأنواعه إنتاجا عائليا عاديا، تنتجه الأسر الريفية للاستهلاك الذاتي وتقدم جزءا منه كهدية لأقربائها الحضريين أو كنصيب من ثمرات الشراكة أو استغلال بستان. لكن الحاجة إلى النقود تدفع بعض الأسر إلى بيع قسم منه خاصة عندما يكثر في فصل الربيع أو في سنوات الخصب. وكان هناك تجار وسطاء يجمعون منه ما يعرض للبيع في بعض الأسواق الريفية لتزويد البقالة بالمدن، وكان بكل المدن التقليدية خاصة الكبرى منها أسواق بقالة، مختصة في بيع الزيوت وأنواع السمن، توضع الزيوت في قدور وقرب من جلد الأبقار والماعز أو في قرعات وهي قوارير كروية الشكل سعتها 5 - 12 لتر، تصنع من نبات القرعيات الذي يترك حتى ييبس فيثقب من أعلاه ويفرغ جوفه بتقنية خاصة، ومنها استمد المغاربة تسمية القرعة التي يطلقونها على كل زجاجة لخزن السوائل. أما السمن فيخزن في قدور فخارية ونادرا بقرب من جلد الماعز.

ضمت أسواق البقالة بالمدن الكبرى عشرات الدكاكين لكن تطور الاقتصاد وظهور الزيوت النباتية وأنواع الزبدة المستوردة والمحلية ومنها الزبدة النباتية، التي تعرض بكل دكاكين الأحياء غير الأوضاع، وهكذا تحول سوق البقالة بمراكش مثلا إلى سوق الملابس والأحذية البلاستيكية والأواني المنزلية ولم يبق به من البقالة سوى سبعة دكاكين صارت متخصصة في بيع الزيتون وزيته والسمن.

لقد تزايد الطلب على السمن في السنوات الأخيرة لسبب رئيسي هو استعماله في دهن طعام الكسكس الذي شاع استهلاكه لدى الأسر المغربية يوم الجمعة، وهكذا يشتد الطلب على السمن في هذا اليوم وفي رمضان والأعياد الدينية حيث يستعمل في دهن رغيف رقيق : المسمن كفطور يوم العيد. ويلاحظ أنه في الوقت الذي تزايد فيه الطلب على السمن تراجع إنتاجه كثيرا بعد أن صار جل الريفيين يبيعون حليبهم للتعاونيات وشركات معالجة الحليب التي تصنعه وتغني بمشتقاته المتنوعة الإنتاج الاستهلاكي الحضري. فلم تعد الأسر المغربية الريفية تقوم بمخض حليبها واستخراج الزبدة لصناعة السمن إلا في المناطق الريفية المنعزلة أو لدى الأسر الفقيرة التي تنتج منه كمية قليلة لا تستحق عناء التسويق. لكن بدأ يعوض هذا النقص ظهور تجار متخصصين يشترون ما توفر من الزبدة البلدية أو السمن وتحويلهما إلى نوعيات السمن المطلوب، وهكذا ظهر تجار جملة للسمن يزودون زبناءهم من البقالة بالأسواق الحضرية، وبذلك تتوسع تجارة داخلية إقليمية له تحاول تلبية طلب السوق وتتم غالبا بين المدن التقليدية الكبرى والأقاليم الزراعية المرتبطة بها، فنجد بقالة مراكش يحصلون على حاجتهم من السمن المدوب من سوس، والسمن الحار من دكالة. بل تصدى لإنتاج السمن شركات معالجة الحليب خاصة عندما يكثر الحليب والزبدة في بعض الفصول، فتحول كميات من الزبدة إلى سمن يباع خاصة في الأسواق الممتازة وبقالة الأحياء، لكن يحد من توسع هذا النشاط حاليا ضعف إنتاج الزبدة الطازجة ومحدودية الربح لأن ثمن السمن 60 درهم والزبدة الطازجة 40 ـ 50 درهما. وعملية تحويلها يفقدها جزءا من وزنها. ولا توجد للسمن تجارة وطنية لحد الآن فهو لا يصدر ولا يستورد لأن الكميات الرائجة في الأسواق مازالت محدودة، فحسب تقدير بعض التجار المختصين، يباع بمراكش من أنواع السمن ما يتراوح بين 7.000 و10.000 كلغرام سنويا.

*معلومات من بعض البقالين ومنتجي السمن بمراكش.*

أحمد هوزالي

**السُّمْنة**، جنس من الطيور البرية متوسطة القد إلى صغيرة، جميلة المنظر طيبة اللحم حسنة الصوت، (ج. سمان وسُمْنان)، وهي غير السماني الذي ذكر في مادة ـ سلوى ـ. تصنف السُّمنان إلى رتبة الجواثم المشرومات المناقير أو العصفوريات Passeriforme وإلى فصيلة الشحروريات Turdidae. من بين الأنواع الشائعة في المغرب خمسة من جنس توردس Turdus ونوعان من جنس مونتيكولا Monticola :

ـ سُمنة الدبق أو سمنة الهدال كما في المعاجم تسمى علميا Turdus viscivorus وبالفرنسية Grive draine وبالإنجليزية Mistle thrush وبالإسبانية Zorzal charlo وبالإيطالية Tordela. تعد من أكبر الأنواع حجما وتتميز ببقعة كبيرة من الريش الأبيض أسفل الجناحين. الريش رمادي بني موحد على الظهر والجناحين. تتخلل الصدر والبطن بقعا

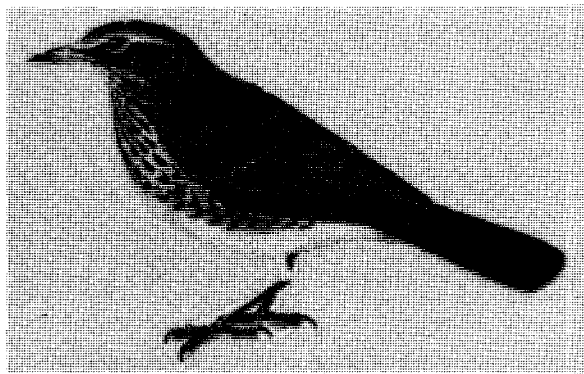

كبيرة ومنتظمة من الريش البني. يبلغ طول بسطة الجناحين 44 سم وطول الجسم 27 سم وتزن الكبار 80 ـ 120 غراما. الذيل طويل مستقيم المؤخرة وينتهي ببقعة صغيرة بيضاء. إنها السمنة الوحيدة التي تستقر وتتوالد في المغرب. تألف غابات وأدغال جبال الأطلس وجبال الريف والهضاب الوسطى. تمثل المناطق المتوسطية المغربية والجزائرية والتونسية الحدود الجنوبية لتوزيعها الجغرافي، وتعيش أيضا في أوربا الوسطى والجنوبية ومنها عدة مجموعات تتوالد في أوربا الشمالية. تتوالد مرتين في السنة من مارس إلى يونيو وتبني الأنثى العش وحدها على الأشجار وهو مكون من الطين المبلل ومفروش بدقة من قطع الأعشاب الدقيقة. تبيض 3 - 6 بيضات زرقاء مخضرة منقطة بالبني، طول قطريها 22 x 31 ملم وتحضنها 12 - 15 يوما. تغادر الفراخ العش بعد أسبوعين. تتغذى من العناكب والحشرات والقواقع الحلزونية ومن الثمار العنبية. صيدها مرخص في المغرب بين فاتح أكتوبر و25 فبراير يومي السبت والأحد وأيام العطل شريطة أن لا يتعدى العدد 20 فردا لكل قناص.

ـ سمنة مطربة تدعى علميا Turdus philomelos وبالفرنسية Grive musicienne وبالإنجليزية Song thrush وبالإسبانية Zorzal comun وبالإيطالية Tordo bottacio. موطنها أوربا الوسطى والشمالية وآسيا الغربية ومنها عدة مجموعات تشتو في غابات وأدغال جبال الريف والأطلس. تتميز بريش رمادي زيتوني على الظهر والجناحين، الصدر والبطن مبقع بانتظام بريش بني ومصفر. بقعة كبيرة من الريش المصفر البرتقالي أسفل الجناحين. تتغذى من الثمار العنبية والحشرات والديدان والعناكب والقواقع. يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 36 سم وطول الجسم 21 - 22 سم. الذيل طويل ومستقيم المؤخرة. يشتو من شتنبر إلى فبراير في المناطق الشمالية المغربية ـ سهول وجبال الريف والأطلس المتوسط وسهول الغرب. يهاجر إلى أوربا في بداية الربيع ليتوالد منذ أبريل إلى يونيو. ينصب العش على الأشجار. تبيض الإناث 4 - 6 بيضات ملساء زرقاء مخضرة، يبلغ طول قطريها 20,8 x 27,4 ملم. تحضن الإناث البيض 12 - 14 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتبقى بداخل العش حوالي أسبوعين قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا. يتوالد بعض الأفراد أكثر من مرتين في السنة. بعض الأفراد تقترب من المدن والقرى والمزارع والحقول. صيده مرخص بين أكتوبر وفبراير.

ـ سمنة حمراء Turdus iliacus تدعى بالفرنسية Grive mauvis وبالإنجليزية Redwing وبالإسبانية Zorzal malviz وبالإيطالية Tordo sasselo. ينحدر أصلها إلى الشحرور الأسود والعندليب وأبو الحناء وهي أصغر أنواع السمنة حجما. تتميز عن سائر أنواع السمنة ببقعة كبيرة من الريش الأشقر الزاهي تحت الجناحين وبحاجب أبيض مصفر متواصل من المنقار إلى مؤخرة الرأس. الريش أغبر داكن موحد على الظهر والجناحين. تتخلل الصدر والبطن بقعا منتظمة من الريش البني. يبلغ طول بسطة الجناحين 34 سم وطول الجسم 21 سم وتزن الكبار 50 - 80 غراما. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. تألف الغابات والأدغال وتقضي الفصول الباردة في أوربا الجنوبية ومنها عدة مجموعات تأتي إلى غابات وأدغال جبال الأطلس وجبال الريف وتمثل المناطق المتوسطية المغربية والجزائرية والتونسية الحدود الجنوبية لتوزيعها الجغرافي. تهاجر إلى أوربا الوسطى والشمالية منذ بداية الربيع لتتوالد مرتين في السنة وتبيض 4 - 6 بيضات تحضنها 13 - 14 يوما. تغادر الفراخ العش بعد أسبوعين. تتغذى من الحشرات والقواقع الحلزونية ومن الثمار العنبية. يكثر الإقبال على صيدها في فصل الخريف في مختلف الأقطار المتوسطية.

ـ سمنة مطوقة أو دج مطوق الصدر كما هو شائع في الشرق العربي Turdus torquatus يدعى بالفرنسية Merle à plastron وبالإنجليزية Ring ouzel وبالإسبانية Mirlo collarizo وبالإيطالية Merlo dal collare. الذكور تشبه الشحرور الأسود ـ جحموم ـ في حجمه ولونه وتختلف عنه بلفافة عريضة من الريش الأبيض تطوق الصدر، ريشه بني داكن على سائر الجسد. تختلف الإناث عن الذكور في الحجم واللون فهي أصغر حجما، رمادية بنية على الظهر ومبقعة البطن، صدرها مطوق بريش أبيض مصفر ؛ يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 34 سم وطول الجسم 24 سم وتزن الكبار حوالي 60 غراما. المنقار بني مصفر والذيل طويل ومستقيم المؤخرة. يعيش مزدوجا ويألف الصخور والغابات بالمناطق الجبلية. يتغذى من الحشرات ومن الثمار العنبية. تهاجر كل المجموعات التي تعيش في المغرب إلى أوربا الجنوبية منذ بداية الربيع لتتوالد مرتين في السنة وتبيض 3 - 6 بيضات زرقاء فاتحة ومنقطة بالبني، طول قطريها 21,5 x 31,4،

تحضنها 13 - 14 يوما. تغادر الفراخ العش بعد أسبوعين. تتغذى من الحشرات والقواقع الحلزونية ومن الثمار العنبية. طائر غير شائع في المغرب ولا يقترب من القرى والمدن.

- سمنة أو طائر الشحارير أو الدج كما يسمى في الشرق العربي. اسمه العلمي Turdus pilaris وبالفرنسية Merle litorne وبالإنجليزية Fieldfare وبالإسبانية Zorzal real وبالإيطالية Cesena. طائر يشبه الشحرور الأسود - جحموم - في حجمه ولونه ويختلف عنه بلفافة عريضة من الريش الأبيض تطوق الصدر، ريشه رمادي أزرق رصاصي على الرأس وعلى مؤخرة الجسد وبني رمادي داكن على الجناحين، الذيل أسود طويل ومستقيم المؤخرة. يبلغ طول بسطة الجناحين 70 سم وطول الجسم 25,5 سم وتزن الكبار حوالي 90 غراما. يعيش مزدوجا أو في مجموعات لا تتعدى 30 فردا ويألف الغابات والبساتين وضفاف الأنهار والبحيرات ويتغذى من الحشرات ومن الثمار العنبية. موطنه أوربا وآسيا ومنه مجموعات قليلة تشتو في المغرب منذ أكتوبر إلى فبراير. يعد من الطيور النادرة في المغرب الذي يمثل الحدود الجنوبية لتوزيعه الجغرافي.

- سمنة زرقاء أو سكلة زرقاء كما تسمى في الشرق العربي Monticola solitarius تدعى بالفرنسية Merle bleu وبالإنجليزية Blue roch thrush وبالإسبانية Roquero solitario وبالإيطالية Passero solitario. طائر يعيش في المناطق الصخرية والجبلية الجافة المجاورة لحوض البحر المتوسط. كل المجموعات التي تشتو في المغرب بين شتنبر وفبراير تهاجر إلى أوربا الجنوبية لتتوالد. تتميز الذكور بريش أزرق رصاصي زاهي في الصيف وبريش أزرق داكن في الشتاء. تتميز الإناث بريش بني أزرقَ على الظهر وبني فاتح مخطط بالرمادي على الصدر. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 30 سم وطول الجسم 19 - 20 سم وتزن الكبار حوالي 50 غراما، يعيش مزدوجا ويفضل أكل الثمار العنبية والحشرات والعناكب ويألف الأجراف والصخور والمنازل المهجورة. تبيض الإناث 3 - 6 بيضات زرقاء شاحبة طول قطريها 20 X 27 ملم تحضنها حوالي 14 يوما. طائر مستقر في مختلف الأماكن الصخرية الساحلية والجبلية بالمغرب ومنه عدة أفراد يشتون في جنوب المغرب. يعيش أيضا في أوربا الجنوبية والشرق العربي وشمال إفريقيا.

- سمنة الصخور أو سَكَلة الصخور Monticola saxatilis يدعى بالفرنسية Merle de roche وبالإنجليزية Roch thrush وبالإسبانية Roquero rojo وبالإيطالية Codirossone. طائر تشبه الذكور الشحرور الأسود في حجمه، الريش أزرق رصاصي على الظهر والجناحين وأشقر برتقالي على الصدر والبطن والذيل. ريش الإناث بني أشقر مبقع بالبني الفاتح. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. طول الجسم 19 سم وتزن الكبار حوالي 50 غراما. يعيش مزدوجا ويفضل العيش مختفيا بين الصخور، يتغذى من العناكب والحشرات ومن الثمار العنبية. يتوالد في الأطلس المتوسط وجبال الريف وفي أوربا الجنوبية وآسيا الغربية ويشتو في إفريقيا من أبريل إلى يونيو وينصب العش بين الصخور وحفر الجدران. تبيض الإناث 4 - 6 بيضات زرقاء شاحبة وكبيرة نسبيا، يبلغ طول قطريها 19,5 x 26 ملم. تحضن الإناث البيض 14 - 15 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. تبقى الصغار بداخل العش حوالي أسبوعين.

م. رمضاني، *البلبل*، *معلمة المغرب*، الجزء 4 ؛ *الجحموم*، *معلمة المغرب*، الجزء 9 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with north Afria and the Middle east*, 1979 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

**سَمُوگَن**، أو سَامُوگَن قبيلة سوسية تقع مواطنها على وادي سموگن جنوب شرق تافراوت. يحدها بالشمال إگونان وبالغرب كل من أيت موسى المجاطيين وإدابراهيم التاغجيجتيين، وبالشرق صحراء تاگراگرا وبالجنوب تمارت.

اختلف حول أصل السموگنيين، كما هو الحال بالنسبة للحربيليين، وتتحاشى بعض العائلات الانتماء إلى هذا الأصل، كما هو الحال بالنسبة للإلغيين، ويتحفظون من رواية الحضيگي في هذه النازلة.

وتفيد الرواية المحلية أن العائلات التي استقرت بسموگن نزحت إليها من تامدولت، واستقرت أول الأمر بحصن أگادير - ن - تبْسيسْت. لكنهم طردوا منه حوالي القرن العاشر (16مَ) على يد أيت علي المجاطيين الذين استغلوا مناعته للتخزين، وبذلك اشتدت صولتهم. ويُعد هذا الحصن الآن من القصور المندثرة. ومنذ استقرارهم به اقترن باسمهم.

ويبدو أن عمليات الطرد للأصلاء لم تتوقف، إذ طردت فروع أخرى إلى تاگجگالت، مما يفسر حركية بنية السكان المستمرة والمتجددة. لكنها إذا قورنت بمحيطها نجد غلبة عنصر البيضان ومعظمهم من الجزوليين.

في إحصاء 1926 كان عدد الدور خمسمائة دار ومن أهم المراكز : أنامر وأوگرضا.

لقد كانت القبيلة مثار قلاقل، إذ يستشف من وثائق محلية متناثرة وقليلة، أنها في تجاذب بين جيرانها من التمنارتيين والأمانوزيين والمجاطيين والتاغجيجتيين.

ولعل ضعف جانبها يرجع إلى انقسام فروع القبيلة بين لفي تاحگات (سكتانة) ولف تاگزولت. وكانت الغلبة للتاحگاتيين وتراجع نفوذ الإيلغيين والتمنارتيين خاصة بعد انهزامهم أمام صقور أيت علي وأيت موسى المجاطيين.

لقد حاول المخزن تعضيد صولة القيادة الكثيرية التمنارتية بالمنطقة لكنه فشل لضعف الإمكانيات المتاحة. ولا يعني هذا أن إمكانيات سموگن الدفاعية ذات بال، فقد

تقوى جانبها باعتمادها على لف تاحگات. ويفيد تقرير دونيس Denis أنها لم تكن تتوفر سنة 1926 إلا على أربع بنادق سريعة الطلقات، وعدد المحاربين بها ضعيف جدا بالمقارنة مع محيطها القبلي (الأطلس الصغير وباني الغرب). ورغم ذلك لم تستسلم إلا سنة 1934 حين دخلتها الجيوش الفرنسية في إطار احتلال الأطلس الصغير.

على مستوى التسيير الداخلي آثرت القبيلة نظام انفلاس على نظام المشيخة، وعدد النفاليس أحد عشر يتداولون تدبير شؤون القبيلة بالتناوب، ويبقى القرار النهائي بيد الجماعة. وثمة عرف يحمل تاريخ آخر ربيع الثاني 1309 شبيه بأعراف الجهة، وكفيل بتفسير البنى السائدة.

في ظل تردي الوضع الداخلي والخارجي بالقبيلة اضطرت ثلة من العلماء والفقهاء والمرابطين إلى الهجرة إلى مدارس سوسية قريبة مثل دّوگادير وتمنارت... أو بعيدة مثل تيزنيت وطاطا وحواضر أخرى وأهمها تارودانت.

ويبدو أن من أهم الزوايا التي لها نفوذ كبير على سْمُوگن هي زاوية دوگادير.

م. الحضيگي، *طبقات الحضيگي*، *ومقدمة التحقيق*، الترجمة 600، ص. 14 ؛ الأگراري، *روضة الأفنان* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الأجزاء : 1، 2، 8، 9، 11، 13 ؛ *أرشيف أگرض بتمنارت* ؛ *أرشيف فانسين*، تقرير دونيس Denis.

**السّمُوگني** أو السامـوگني، **الحسن** بن الطيفور بن محمد، التيزنيتي استقرارا، من عائلة طافحة بالعلم، ترجم الحضيگي لجده إبراهيم بن إبراهيم السموگني، وكان والده عدلا.

تخرج على يد الشيخ أحمد بن محمدالتمگدشتي وبه اشتد عوده في الفقه وعلوم اللغة العربية، واشتغل مدرساً في مدرسة زاوية الهناء بطاطا، وكان له يد في تكوين زمرة من الطاطائيين والسموگنيين بها. ثم مدرسة أيت صواب إلى أن نزل به عصا التسيار بتزنيت وعمّرها بالتدريس لأنواع العلوم عقدين ونيفاً.

ولم يمنعه هذا الجولان من المشاركة في الفتاوى والنوازل بشكل لافت للنظر، ودخل في مناجزة مع أعلام أدوزية وإگرارية وجشتيمية، بل وأعلام تمگدشتية (الحسن بن أحمد). وكان النقاش حول قضايا سوسية على رأسها قضية بيع الثنيا. لقد أثبت جزءا منها في كتابه *الردود الزنجفورية عن الأسئلة الطيفورية*، طبع بتونس. وتناثرت نوازله كذلك في مظان *المجموعة الفقهية* للمؤرخ السوسي وفي مخطوطات بقيت حبيسة خزانات خاصة.

خلف كذلك شروحا ونظما في قضايا لغوية كانت خير معين للطلبة السوسيين، وكانت له اليد الطولى كذلك في علم الأوفاق.

وعلى غير العادة، اختلف مع شيوخه، فآثر الطريقة الأحمدية التجانية، وكان محمد أكنسوس نبراسه، وعلى يد السموگني - حسب رواية السگرادي في *تحلية الطروس* - انتشرت التجانية بالسوس الأقصى في ظرف انحصر صيتها بين فطاحلة العلماء وعلية التجار والرؤساء.

توفي بتاريخ 20 جمادى الثانية عام 1278 / 23 دجنبر 1861.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 5، 6 : 92-209، 231، 8 : 251، 9 : 43-105، 11 : 156-157، 266-282، 13 : 12، 234، 305، 313 ؛ *رجالات العلم العربي*، *المجموعة الفقهية*، ص. 28-17؛ ح. العبادي، *فقه النوازل في سوس*، أگادير، 1999، ص. 318-310.

شفيق أرفاك

**السموگني، العربي** بن محمد، أحد أعلام سوس الكبار في ميدان العلم والأدب والتدريس، قال عنه محمد المختار السوسي : "كان علامة كبيرا غواصا على المعاني، حلالا للمشكلات، مستحضرا في النحو واللغة غاية الاستحضار... كما كانت له بالفقه وما إليه مقالات لا تجهل، أما الأدب فهو فيه ريحانة الأنيس، وزهرة الجليس... كان مطلعا كبيرا مستحضرا للتاريخ عامة وللأدب الأندلسي خاصة، دارسا للأشعار العربية. (*المعسول*، 9 : 48).

ولد هذا العالم بدوار "تامسولت" من وادي "ساموگن" سنة 1279 / 62-1863 وحفظ القرآن الكريم على يد والده المشارط بمسجد "إمتضي".

أما العلوم العربية والشرعية فقد تلقاها على يد عدد من الشيوخ : محمد بن عبد الله الإلغي، والشيخ علي الدرقاوي، والحاج محمد اليزيدي، وأبي الحسن الإلغي، وأحمد أمْزّارگو، واستجاز الأستاذ أحمد الجيشتمي هو ورفيقه الطاهر الإفراني لما زارا تارودانت سنة 1306 هـ.

أظهر العربي الساموگني نبوغا وتفوقا في الدراسة، مما أهله لأن يكون مساعدا لأستاذه اليزيدي في تعليم المبتدئين. وانخرط في الطريقة الدرقاوية ضمن مريدي الشيخ الحاج الحسن التاموديزتي، وهو مازال في طور الطلب، بيد أن أستاذه صرفه عن مهيع التصوف وأرجعه إلى الميدان العلمي الذي له خلق.

كما أنه اشتغل فترة بفض النوازل ببلده، كما اشتغل كاتبا للقائد الحاج أحمد التامانارتي، بيد أن المدني الناصري لقيه صحبة القائد بتاغجيجت، وأنّبه على خدمة هذا القائد الأمي، فصرفه عن تلك الخدمة.

أعمل الرحلة مع رفيق عمره الشاعر الكبير الطاهر الإفراني إلى فاس سنة 1314 هـ، فلقيا هناك عددا من العلماء منهم الحاج محمد گنون الصغير، والأدباء كالبلغيثي وابن شقرون. بيد أنهم لم يجلسوا إلى أي شيخ من الشيوخ لإضراب الطلبة عن القراءة بالقرويين لمدة ثلاثة أشهر.

بدأ المترجم مرحلة التدريس بمدرسة أداي الحربيلية التي كانت أولى محطات مشارطاته، وبعدها انتقل إلى المدرسة الإغشانية، وفيها بدأت شهرته تطير وهمته في التعليم ونشر

العلم تسير بها الركبان، ثم غادر هذه المدرسة إلى مسجد أيت موسى بمجاط، ثم غادره ليرجع إلى المدرسة الإغشانية ثانية، وثالثة ورابعة، فكان كلما غادرها إلا ورجع إليها، وهي التي انتهى فيها مطافه التعليمي سنة 1327 هـ. وكان في كل مدرسة يحل بها يتحلق عليه العشرات من الطلبة الذين يأخذون عنه العلوم العربية والشرعية، وكان يسير في تعليمه على نهج أستاذه أبي عبد الله الإلغي، فيتمشى في تلاميذه بالتدريج، ويؤاخذهم بالاستظهار وتلاوة كتب الأدب أوقات الراحة، وبالإنكباب على مطالعة الدروس وإعادتها، فبذلك نجب منهم كثيرون. (*المعسول*، 9 : 48 - 49).

لم يُخلِّف العربي الساموگني وراءه سوى مجموعة من الأشعار والرسائل كان يتبادلها مع معاصريه ولا سيما رفيقه الشاعر الطاهر الإفراني. وهذا الإنتاج الأدبي مازال مشتتا في الخزائن الخاصة، وقد ألم بطرف منه محمد المختار السوسي في *المعسول*.

لزم في آخر عمره بيته بدوار تابوحنايفت بعدما أثل أملاكا اشتغل باستثمارها إلى أن توفي عام 1329 / 1911.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء 9 ؛ الإگراري، *روضة الأفنان*، تح. حمدي أنوش.

محمد الحاتمي

**السميحي، عبد القادر**، روائي، مسرحي شاعر. ولد بطنجة في 11 شوال عام 1343 / 5 مايو 1925 وتلقى تعليمه الأولي في مسقط رأسه، في الكتاب بحي بني يدر، وفي مدرسة الجمعية الخيرية، وفي المدرسة الإسلامية الحرة التي أسسها عبد الله گنون. كما كان يغشى الدروس الحرة التي كانت تنظم بالمساجد، ويتردد على دروس مسائية لتلقي الإسبانية.

وفي سنة 1357 / 1938 كان ضمن البعثة الطلابية التي توجهت من تطوان إلى القاهرة لاستكمال الدراسة الجامعية.

وورد في وثيقة رسمية اشتملت على أسماء أفراد البعثة البالغ عددهم أربعين، مع ذكر مساقط رؤوسهم وأعمارهم، أن سنه كان إذذاك 19 سنة، أي أنه ربما يكون قد ولد في سنة 1338 / 1919.

التحق بالمدرسة السعيدية في مصر، ثم بجامعة فؤاد الأول التي نال فيها الإجازة في الآداب في نوفمبر 1945. وفي 1955 نال الدبلوم العالي لمعهد الدراسات العربية العليا التابع للجامعة العربية في القاهرة أيضاً. وفي 1958 انتقل إلى باريس ليلتحق بمعهد "الأليانس فرانسيز". وفي 1960 سجل في السوربون دراسة موضوعها *آداب الحياة التكاملية عند أبي العلاء المعري*. لكنه قطع ذلك المشروع والتحق بسلك وزارة الخارجية المغربية في 1961. وفي 1977 عين بسفارة المملكة المغربية بتونس كمستشار، وبقي هناك حتى سنة 1985.

بدأ حياته الأدبية في القاهرة بالنشر في الصحف منذ سنة 1940، كما تردد على النوادي الأدبية هناك. واشتغل بدار الكتب المصرية من 1950 إلى 1985. ونشر في *رسالة المغرب والأنوار*، وبعد ذلك في *العلم*، ودعوة *الحق*، و*آفاق*، و*مجلة القصة والمسرح*، و*الاتحاد الاشتراكي*.

أبرز مصطفى يعلى في رصد بيبليوغرافي لأعمال السميحي، تضمن استقصاء بيوغرافيا استقينا منه المعطيات المذكورة سلفا، أن إنتاج السميحي متنوع في مجالي الأدب والفن. فبالإضافة إلى الكتابة كان له اهتمام بتصميم واجهات الكتب، حيث نظم في 1971 و1972 و1991 معارض لأغلفة الكتب التي صممها، وهي منشورات لكتاب وشعراء مشهورين من المغرب وغيره من الأقطار العربية.

نشر فيما بين 1946 و1995 أعمالا سردية منها : *أشياء لا تنتهي*، رواية 1983. ومجموعة قصصية بعنوان *في انتظار الذي لن يأتي* 1988. وله أعمال قصصية منشورة مثل *الرايس خبزة* و*الطفل يمضي أخيرا* و*بيكاسو الصغير* و*الأطفال لا يكبرون*. وقد ترجم بعضها إلى الإسبانية والسويدية والإنكليزية. وله سيرة ذاتية لم تنشر بعنوان *أسفار من ذاكرة الأيام*.

وفي المسرح نشر عدة نصوص في الجرائد والمجلات، منها *الطاحونة الحمراء* و*الفاكهة المحرمة* و*السقوط* : آه من يظن نفسه هامان. كما ألف في تاريخ المسرح المغربي، وخاصة بطنجة، كتاب *نشأة المسرح والرياضة في المغرب*.

وفي الشعر نشر نصوصا ذات طابع ملحمي وفلسفي. سجل الناقد المصري محمد مندور أنها تستقي نفسها ورمزيتها من أسفار العهد القديم. وقال عن نص له بعنوان *في الهجران ونهاية الصمت* : نرى المؤلف يعيد صياغة عدة *آيات من سفر أيوب* البالغ الروعة. وهذا اتجاه لا أدري لماذا لا نجده كثيراً عند الأدباء المسلمين بالرغم من أن ديننا يعترف بهذه الأسفار. وذكر مندور أن أدباء المهجر، وأغلبهم مسيحيون، متأثرون بما في كتبهم المقدسة، وأما المسلمون

ففيما عدا السميحي لم يجد مندور مثالا آخر سوى إبراهيم المازني.

ولاحظ محمد برادة أن كتابات السميحي تتميز بسخريتها وجرأتها. واستغرب خلو قصصه من ذاكرته المصرية. ولاحظ عليه كذلك صمته الطويل عن الكتابة. ولم يفته أن يشير إلى معاناة الكاتب مع الناشرين. كما أن نصوصه لا تحتملها الجرائد السيارة. وقد لاحظ محمد أنقار أن رواية *أشياء لا تنتهي*، التي طبعت في 1983، قد سبق للسميحي أن نشر فصلين منها في 1946، وفصلا في 1965.

صنف هذا الباحث عبد القادر السميحي ضمن الواقعية، وسجل أن المؤلف قام بالتنظير لواقعيته في مقدمة وطأ بها للرواية. وأكد الباحث أن واقعية السميحي المختلفة عن واقعية غلاب في *دفنا الماضي*، وواقعية مبارك ربيع في *رفقة السلاح والقمر*، تقع ما بين فكي الالتزام والوجودية، وهما قطبان فكريان سادا الثقافة العربية خلال عقدي الستينيات والسبعينيات. ويقول : تبقى واقعية السميحي رافدا من روافد واقعية الرواية المغربية الحديثة، وظاهرة ثقافية وأسلوبية في حاجة ماسة إلى الدراسة والتحليل.

ويقر من كتبوا نقدا عن أعمال السميحي أنها لم تنل حظها من لدن الجمهور والخاصة معا، فهو من الكتاب الذين همشوا أو اختاروا طوعا منطقة الظل. وبكل تأكيد فإن انعزاليته وزهده في اللمعان قد أثارا انتباه كل من عرفوه. وقد سجل ذلك أستاذ المستعربين الإسبان بيدرو مارتينيث مونتافيث، الذي عايش السميحي سنوات طويلة في القاهرة، فكتب عنه : السميحي محدث ممتاز، صاحب الكلمة الطيبة الودودة، عميق المفاهيم والهموم، يتمتع بالفضيلة الكبيرة التي تمنعه من أن يكون بطل الحديث، في حين يكاد يستحق دائما تلك الرتبة، بفضل حساسيته ومعلوماته، فهو صاحب التواضع السامي الرفيع، عندما يتكلم، وعندما يصمت، وعندما ينصت.

توفي سنة 1421 / 2001.

*مؤلفات المترجم والكتب والمقالات التي تحدثت عنه المذكورة داخل النص ؛ وثائق عائلية ؛ معرفة شخصية.*

م. ع. المساري

**سمير، عبد الله**، ولد سنة 1892، بمدينة بربنيون في فرنسا، وكان اسمه Henri Raynaud. تخصص في الصيدلة، ونال فيها درجة الدكتوراة، كما حصل على إجازتين في العلوم.

في سنة 1923 كان من أعضاء اللجنة الصحية لمدينة مراكش، التي كلفت بدراسة موارد المياه الصالحة للشرب بالمنطقة. وفي شتنبر 1938 التحق بالمغرب بصفته قبطاناً ـ صيدلياً بالمستشفى العسكري بمراكش. وبعد اندلاع الحرب أرسل إلى تونس، لكنه ما لبث أن عاد لأسباب صحية، فاستقر بمراكش واشتغل بالصيدلة، إذ فتح صيدلية بجامع الفنا سماها "Croix d'or".

أسلم وأدى فريضة الحج، وحصل على الجنسية المغربية سنة 1961، وغير اسمه فصار : سمير عبد الله.

كانت له ثقافة موسوعية، فبالإضافة لتخصصه، درس الجيولوجيا والتاريخ والموسيقى، وكانت له دراية كبيرة باللغات القديمة : الهيروغليفية، السومرية، الاكادية، الأشورية، لغة المايا. ومن مؤلفاته :

- *Contribution à l'étude hydro-géologique du Haut-Atlas occidental et de la plaine du Haouz : Les Eaux de Marrakech*, Lyon, 1925.

- *Le Tetracorde en musique*, مخطوط

- *La Musique Orientale*, مخطوط

- مخطوط، مبتور، حول الميثولوجيا المقارنة.

- مخطوط، حول المغرب وشمال إفريقيا (ما قبل التاريخ، والتاريخ القديم).

كما ألف مقطوعات موسيقية لآلة البيانو التي كان يعزف عليها.

توفي بمراكش في 24 قعدة عام 1398 / 26 أكتوبر 1978.

*كتب المترجم المذكورة في النص ؛ معرفة شخصية.*

حياة الغراس

**سميرس** (أسرة -) ← **بناني**

**سميرس**، طائر يدعى أيضا في المعاجم ونغر ونجار، جنس طير حسن الصوت من رتبة الجواثم Passeriformes ومن فصيلة الشرشوريات Fringillidae التي تضم 247 نوعا في العالم منها 11 نوعا يعيش في المغرب. سمي بالترنج لصفة لونه ويطلق عليه في المغرب أسم سمريس أو سميرس وترنجي في الشام ومصر. يدعى علميا Serinus serinus وبالفرنسية Serin cini وبالإنجليزية Serin.

يبلغ طوله 11.5 سم ويزن 10 . 12 غراما. ريشه أصفر مخضر جهة البطن والعنق والرأس وفوق العجز عند الذكر ورمادي مصفر مخطط بالسواد عند الأنثى. المنقار قصير وقوي. الجناحان مخططان بالرمادي والأسود عند الزوجين.

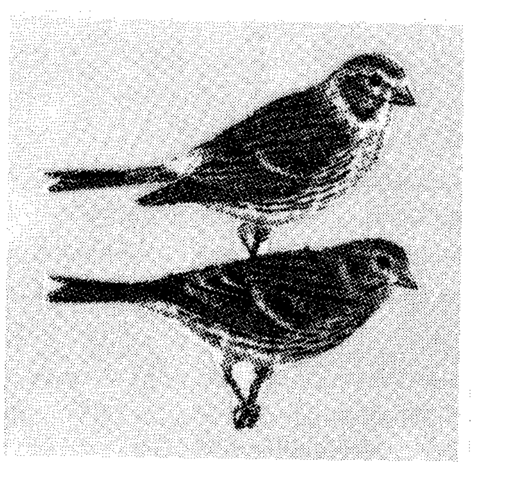

يتغذى من الحبوب وخاصة منها الصغيرة الموجودة في النباتات الشوكية. يعيش في المزارع والحقول والبساتين والأدغال والغابات ويبني عشه بين أغصان الأشجار ابتداءً من شهر فبراير. تتكون الأعشاش من قطع الجذور والأغصان والحشائش وتفرش من الداخل بالريش والصوف أحيانا. تمتد مدة الولادة من فبراير إلى ماي وتضع الأنثى من 3 إلى 5 بيضات بيضاء مخضرة منقطة بالأسود يبلغ طولها 16,7 x 11,9 ملم. تدوم مدة الحضانة 13 يوما وتبقى الفراخ وسط العش بعد التفقيس 14 يوما يغذيها ويحرسها الآباء ويستمر تقديم الأكل للفراخ أسبوعا واحدا بعد مغادرة العش.

يعيش سميرس في جميع مناطق المغرب من شمال البلاد إلى جنوب الأطلس الصغير وتقضي بعض المجموعات فصل الربيع في بعض المناطق الصحراوية. يقتصر توزيعه الجغرافي على الدول المحاطة بالبحر الأبيض المتوسط وأوربا الوسطى والغربية.

تضاف إلى المجموعات المغربية المستقرة مئات الأزواج المهاجرة تأتي من أوربا عبر جبل طارق ابتداء من شتنبر لتشتو في المغرب.

أ. معلوف، معجم *الحيوان*، القاهرة، 1932.

محمد رمضاني

**السميري، قدور** عبد القادر، مقاوم ولد سنة 1919 بمدينة وادي زم إقليم خريبكة.

كان منتميا لمنظمة اليد السوداء ويعتبر من المقاومين البارزين الذين قاموا ببطولات كبيرة أثناء مظاهرة 20 غشت 1955 بمدينة وادي زم حيث شارك في التهييء لهذه المظاهرة.

في صبيحة نفس اليوم انطلق السميري حاملا بندقيته من نوع "الجويجة" وظل يقاتل جنود الاستعمار إلى أن أصيب برصاص في يده وعاد إلى منزله حيث ضمد جراحه، والتحق من جديد بساحة المعركة وبقي يجاهد حيث سقط شهيداً على إثر إصابته برصاص المستعمر.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 521974.

**سُمَيْلي**، طائر صغير القد من القواطع، كما هو شائع في اللسان الدارج، يصنف إلى رتبة الجواثم مخروطيات المناقير Passeriformes وإلى فصيلة الشرشوريات Fringillidae. يألف الغابات والمناطق الزراعية ويتغذى من الحشرات ومن الفواكه العنابية. يدعى علميا Carduelis spinus وبالفرنسية Tarin des aulnes وبالإنجليزية Siskin وبالإسبانية Lugano وبالإيطالية Lucherino.

تختلف الإناث عن الذكور في اللون، ريش الذكور مخطط بالأخضر المصفر والأسود وريش الإناث رمادي مخضر مبقع بالأسود. يبلغ طول الجسم 12 سم ولا يتعدى وزن الكبار 20 كرام. الذيل قصير نسبيا ومتشعب، القائمتان رماديتان ونحيلتان جداً. يعيش في مجموعات قليلة الأفراد.

موطنه الأصلي أوروبا، ومنه عدة مجموعات تشتو في سهول المغرب الساحلية وجبال الريف، وقد تمت مشاهدة عدة أفراد تحمل خاتما وضع عليها في هولندا وبلجيكا وذلك في كل من المحمدية ومغشوش والضويات وضواحي تطوان. يأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طاق في بداية أكتوبر ثم يعود إلى أوروبا في بداية الربيع ليتوالد في الغابات الصنوبرية منذ فبراير إلى غاية شهر مايو. يتكون العش من قطع الأشن والنباتات والأغصان ويفرش بالصوف والريش. تبيض الإناث عادة 3 ـ 5 بيضات زرقاء شاحبة ملساء ولامعة تتخللها نقط شقراء، طول قطريها 12.3 × 16.4 ملم. تحضن الأنثى البيض حوالي أسبوعين وتغادر الفراخ العش بعد حوالي أسبوعين.

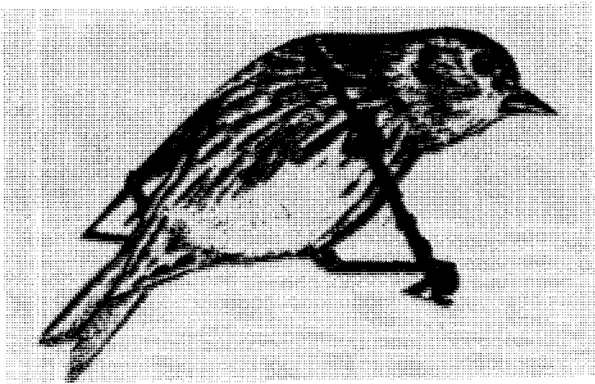

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988؛

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

**السمِيِّج، عبد السلام** بن محمد بن أحمد أعرجان، السرغيني الأصل، ولد بمدينة مراكش عام 1332 / 1913، ونشأ في بيئة متمسكة بالتعاليم الإسلامية. ولما بلغ سن السادسة من عمره أدخله جده أحمد إلى كتاب الفقيه الحاج محمد بن علال، وقد أظهر الطفل نجابة وقدرة على التحصيل. ولما أتم حفظ القرآن الكريم مع مجموعة من المتون، التحق بالجامعة اليوسفية فانكب إلى مجالسة الشيوخ، والتنقل بين حلقاتهم. فمن شيوخه والده الفقيه محمد بن أحمد، والصوفي الورع أحمد ولد الحاج المحجوب وهو عمدته، ومولاي أحمد العلمي، ومحمد بن عمر بن نوح السرغيني السملالي، والحاج الحسن الشاوي، ومولاي أحمد القاضي صهر السلطان مولاي يوسف.

وكان كلما ختم أشياخه فنا من الفنون المدروسة نظم قصيدة يذكر فيها فضل المؤلف والشارح والشيخ. وقد أجازه مجموعة من الشيوخ، منهم : العلامة أحمد ولد الحاج المحجوب الذي حلاه بقوله : (... وكان الفقيه البركة الذكي

الحيي النبيه سيدي عبد السلام بن سيدي محمد السرغيني يكنى باعرجان، جعله الله ممن فتح عليهم في السر والاعلان...). كما أجازه العلامة محمد بن عمر السملالي والعلامة سيدي المدني بن الحسني...

ولما بلغ سن العشرين من عمره أسندت إليه إمامة الصلوات الخمس بمسجد روض الزيتون الجديد، والخطابة بمسجد القنارية القريب من سكناه، وقد أعطى دروسا تطوعية - في كلا المسجدين - لطلبة العلم، ودروساً وعظية لسكان الحي. ففي مسجد روض الزيتون درس المواد التالية :

*رسالة ابن أبي زيد القيرواني* - ابن عاشر - *المرشد المعين* - *مختصر الشيخ خليل* - *لامية الزقاق* - *نظم السلم* للخضري - *موطأ* الامام مالك - *الالفية* - *قطر الندى* - *الشفا* - *الجوهر المكنون* -

وفي مسجد القنارية كان يعطي دروسا بعد صلاة الجمعة، وتارة بين العشاءين.

وعندما أسس النظام بالجامعة اليوسفية عام 1358 / 1939 أخذ يعطي دروسا تطوعية، أو ينيبه رئيس الجامعة العلامة محمد بن عثمان أثناء مرض بعض الشيوخ. ولما لمس فيه الكفاءة العلمية، والقدرة على التدريس إلى جانب الاخلاص والنصح ألح عليه بالانضمام إلى سلك الأساتذة بصفة رسمية، أقبل عليه الطلبة وتزاحموا على حلقاته، حين وجدوا فيها ضالتهم. فقد كانت دروسه تتسم باليسر، وعدم التعقيد، وكثيرا ما كان ينظم الدروس المسندة إليه ليسهل على الطلبة حفظها وفهمها. وقد حباه الله بحب الناس له، وجعل له القبول وليس هذا بغريب على رجل نشأ نشأة صالحة لم ينزلق فيها مزالق الشباب، ولم تستهوه زخارف الحياة. وقد أجمع الذين عايشوا طفولته وكهولته على أنه قطع حياته في طاعة الله وخشيته.

وفي سنة 1365 / 1945 اختاره محمد الخامس - رحمه الله - لتدريس العلوم الدينية للأمراء والأميرات بالمدرسة المولوية، كما كان يلقي دروسا وعظية في الفقه والسيرة النبوية بين العشاءين بمسجد أهل فاس بالمشور الذي كان يسكن بجواره. وكان يسلك في هذه الدروس مسلك البساطة والتيسير، وتقريب المفاهيم لرواد مجلسه.

كما عين قاضيا بمحكمة الاستيناف القسم الشرعي، ثم بالمجلس الأعلى للقضاء، ثم مستشارا به. وأظهر من التفاني والإخلاص والعفة ما لفت إليه الأنظار لهذا السلوك المثالي النزيه.

من آثاره :

1 - نظم لكتاب *التزامات الحطاب* : يقرب من 800 بيت. ولما اطلع عليه بعض علماء الرباط طلبوا منه وضع شرح لهذه المنظومة، فلبى رغبتهم بوضع شرح.

2 - نظم كتاب *الورقات* : في علم الأصول لإمام الحرمين.

3 - شرح *الطرفة*في مصطلح الحديث .

4 - *الفوائد الجامعة في عدة مسائل نافعة* : جمع فيه فوائد كثيرة من أدب، ونحو، وحديث، وتاريخ، ومستملحات، ومواعظ. طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية عام 1411 / 1991.

5 - *تحفة الانجاب في تسهيل علم الفرائض ومسائله الصعاب* : نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عام 1413 / 1993.

توفي بالمدينة المنورة أثناء أدائه مناسك الحج، ودفن بالبقيع يوم 22 ذي الحجة سنة 1396 / 14 دجنبر 1976.

ع. السلام السيمج نفسه، مقدمة *تحفة الانجاب في تسهل علم الفرائض ومسائله الصعاب*، مخطوط : أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

## السناني، إدريس ← الحنش

**السناني، محمد الرضى**، نجل الأديب إدريس بن علي الفاسي المعروف بالحنش سابق الترجمة. ينتسب إلى أولاد سنان أحد بطون قبيلة بني مالك وسفيان. كان جده قد رحل من قبيلته في الغرب إلى فاس على عهد السلطان عبد الرحمان ابن هشام.

ولد محمد الرضى السناني بفاس وبها تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم. كما نال قسطا من التعليم الأولي في مكناس. بعد ذلك شرع في دراسة العلوم بجامع القرويين وغيره، وكان من شيوخه والده إدريس الحنش والفقيه محمد ابن جعفر الكتاني، والفقيه خليل الخالدي العامري المعسكري، والقاضي عبد السلام الهواري، والميقاتي محمد بن علي الأغزاوي وغيرهم. ولازم الفقيه أحمد بن الجيلالي الأمغاري، اثني عشر عاما. وبعد أن أنهى تعليمه سنة 1329 / 1911، تحول إلى إلقاء الدروس بجامع القرويين وغيره، متدرجا في المراتب العلمية إلى أن تبوأ صدارتها، وقام بوظيفة إمام بالزاوية الناصرية بحي السياج بمدينة فاس لمدة عشرين عاما حيث جمع بين الإمامة والخطابة.

وحينما أسس النظام الدراسي الجديد بالقرويين سنة 1350 / 1931 طُلب منه الالتحاق بهيئة التدريس، لكنه أبى وواصل تقديم الدروس في القرويين بشكل تطوعي إلى أن غادر فاسا باتجاه الدار البيضاء مكرها بسبب تهمة ملفقة ضده سنة 1351 / 1932.

استقر في الدار البيضاء حوالي عشرة أعوام، كان خلالها يعطي دروسا بجامع الحمراء بالمدينة القديمة، ثم رحل إلى أزمور عام 1362 / 1943 حيث كان يقدم دروس الفقه والتفسير والحديث بمسجد سيدي الخادم. ويذكر أنه لما ختم دروس الأربعين النووية سنة 1367 / 1947 احتفل أهل أزمور بذلك الاختتام بالطعام والشاي (*الشذرات*، ج. 2 : 129،

133)، وأقرأ بهذه المدينة توحيد المرشد المعين عام 1382 / 1960.

ألّف محمد الرضى السناني في معارف شتى، لكنه كان يضيق بالنقاش، وأهم مؤلفاته المطبوعة *الشذرات والتقاط الفوائد وغرر العوائد*، وهو شبيه بمحاضرات الحسن اليوسي. اشتمل في جزءيه على شذرات لغوية، صوفية، حكمية، طبية، نصحية، أدعية، كرامات، وصايا، فرائض، أشعار، ألغاز، تراجم ومعلومات عامة، جلها منثور وبعضها منظوم، وقد دلّت هذه الشذرات على تنوع معارفه، وإن كان بعضها لا يستند إلى أساس علمي. وذكر السناني أن له كتابا آخر يحمل نفس العنوان لكن مضمونه مختلف "هو خاص *بالمسائل الفقهية حاذينا به حذو مختصر خليل*". وورد في كتابه *الشذرات* إشارات إلى بعض مؤلفاته وسياق تأليفها أحيانا، وكثيرا ما وضع لها أزيد من عنوان، ومن هذه المؤلفات:

- *تقييد في تسهيل ما عنيت إيضاحا للهمزة والنون من قبل ابن أجروم أنيْت*، وقد وضعه بمناسبة قراءة المؤلف لمقدمة الإمام أبي عبد الله محمد بن داود الصنهاجي الفاسي المعروف بابن أجروم في أزمور سنة 1956/1376.
- *إبداء التيسير لقراءة التفسير*، سماه كذلك *إزالة التعسير عن قراءة التفسير*.
- *المقالة المرومة في الرحلة إلى تلمسان وندرومة*.
- *الأجوبة المرضية عن أسئلة عالم مدينة مشرية*.

كان السناني في بعض آرائه مسايرا لظروف العصر وقضاياه الجديدة مثل قوله بجواز تركيب الأسنان الاصطناعية (*شذرات*، 2 : 123) وحلية الخميرة الرومية (*شذرات*، 2 : 158 - 159)، كما أجاز الضمان التجاري أو ما كان يعرف آنذاك بالسِّكُرْطة، وقد وافقه بعض علماء الوقت على فتواه منهم المفتي العباس التازي الذي عمل قاضيا في مدينتي وجدة والدار البيضاء (*شذرات*، 2 : 244 - 256).

أما مؤلفاته المخطوطة، فهي *السيف الباتر في التنبيه على أن الشيخ مولانا عبد القادر أعلى مقاما من أوائل الأولياء والأواخر*، *الحنانة فيما يتعلق بالحضانة*، *تأليف في الانتصار للشيخ العلامة الميقاتي سيدي محمد العلمي* فيما وقع بينه وبين الفلكيين من معاصريه. وطبع له، فضلا عن الشذرات، *الإتحاف والوداد ببعض متعلقات الأولاد*، *التودد ببيان حكم الفسخ عند التعدد*، *تنبيه الأمة على حكم زكاة السّهمة*، *تنبيه الكبير والصغير على غلط فاحش وقع لشراح الجامع الصغير*، *تنبيه الحاضر والمسافر على مقدار مسافة القصر بالمياتر*، *إغاثة ذوي الخصاصة والاملاق بإخراج واجب زكاة الأوراق*، وقد خالف في هذا المؤلف مفتي مصر الشيخ علّيش الذي أفتى بعدم وجوب الزكاة في الأوراق المالية، وذيّل هذا التأليف بتقييد رد فيه على بعض معاصريه ممن لم يوافقوه الرأي أي جواز زكاة الأوراق النقدية.

نظم السناني الشعر، ويحفل كتابه الشذرات بالعديد من القطع المنظومة في أغراض مختلفة، لكن جلها في المواعظ والنصائح.

توفي في مدينة أزمور صباح يوم الخميس 24 صفر 1385/ 24 يونيه 1965، ودفن في مسجد ضريح مولاي أبي شعيب السارية.

م. الرضي السناني نفسه، *الشذرات والتقاط الفوائد وغرر العوائد*، الدار البيضاء، د. ت.، جزآن ضمن سفر واحد؛ *إعانة ذوي الخصاصة والاملاق بإخراج واجب زكاة الأوراق*، فاس، 1341 هـ؛ ع. الله الجراري، *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين من 1900 إلى 1972*، الرباط، ط. 1، 1985؛ م. المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، *الفترة المعاصرة*، 1790 - 1930، ج. 2، مطبعة فضالة، المحمدية، 1989؛ م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الاخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، 1992.

أحمد المكاوي

**السنبك** (Chebec)، مَرْكب يدعى أيضا سبّاك وسنبوق، وعاميا "صندوق" و"بوكراع". وهو مَرْكَب من السفن الشراعية المتوسطية المنحدرة من القادس والغليوطة، مجهز بصاريين إلى ثلاثة، وذو سطح مجسر وبهيئات دقيقة حيث تبدو حافة الجؤجؤ بارزة على شاكلة مقدمة سمك السيف (Es-padon)، ويقوم كوثلها على أرضية خارجية مكونة من خشبة بين جناحين جاعلة المتراس ممتدا ومحاطا بجسر، الشيء الذي ميزه بصورة أفضل عن غيره من السفن الأخرى، وجعله أكثر قدْرة على مجابهة ظروف الطقس، لا سيما وأنه كان - إلى جانب الأشرعة - مجهزا بقوة مجذافية تصل إلى ثلاثين وحدة.

وقد شكلت خفة السنبك وضعف غاطسه دافعين أساسيين ليصبح أكثر السفن ملاءمة للإبحار في المياه الضحلة، وخاصة لتجاوز خطورة الموج عند الأقاصير. ولذلك بادر المغاربة إلى استبدال دوره من مركب للصيد إلى سفينة حربية صغيرة، مجهزة ببطارية مدفعية تتراوح بين عشر قطع وخمس وعشرين، وجاهدوا من أجل جعلها أقل حجما وأكثر سرعة من النوع المتوسطي منذ منتصف القرن الحادي عشر (17 م).

ويشير بعض الباحثين إلى أن استعماله الناجح في النشاط الجهادي هو ما دفع البحريات الأوربية إلى اعتماده بدورها كسفينة مطاردة للسفن المعادية. وقد صار السنبك على امتداد قرنين - إلى جانب الفرقاطة والغليوطة - نوعا رئيسيا في السفانة المعتمدة في الأسطول الجهادي المغربي، يتراوح طاقمها بين مائة ومائتي رجل، وحمولة لا تتجاوز في الأقصى مائتي طنة.

ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف...، ج. 3، ص. 259 - 260؛ مجهول، *الرئاسة البحرية ورجال القوة الجهادية في المغرب*، مخطوط خ. ع. ميكروفيلم رقم 43، ص. 1 - 2؛ درويش النخيلي، *السفن الإسلامية على حروف المعجم*، الإسكندرية 1974، ص. 70 - 71، 73 - 74.

L. Chenier, *Journal du Consulat Général de France à Maroc (1767 - 85)*, Publié par Charles Penz, Casablanca, 1943 ; *Recherches historiques sur les Maures et histoire du Maroc*, T. III, Paris, 1787 ; L. Brunot, *La mer dans les*

*traditions et les industries indigènes à Rabat et Salé*, Paris, 1920 ; R. Coindreau, *Les corsaires de Salé*, 1993 ; P. Chack, *Du Maroc à l'Océan Indien*, Paris, 1939 ; H. Des Champs, *Pirates et flibustiers*, Paris, 1973, et Salvatore Bono, *Les corsaires en Méditerranée*, Trad. A. Somaï, Rabat, 1998 .

حسن أميلي

**السنتيسي**، أسرة مكناسية أصلها أمازيغي، وتوجد فرقة منها بفاس. وهم "أهل تجارة ومال ومعاش وحرفة".

**السنتيسي، الغالي** بن المكي المكناسي. حلاه ابن زيدان في *الإتحاف* بقوله : "فقيه أديب كاتب شاعر معقولي مدرس" دَرَس في مسقط رأسه على الشيخين المفضل السوسي والمفضل ابن عزوز، ورحل إلى فاس فأخذ عن الفقيه محمد كنون مُختصر الرهوني على خليل ومحمد بن التهامي الوزاني ونظرائهم. عمل كاتباً في بلاط الحسن الأول وابنه عبد العزيز، ثم ناظراً للأحباس بمكناس في عهد عبد الحفيظ. فتصدر للتدريس وأخذ عنه جماعة وافرة من نبهاء طلبة مكناس. وألف في اللغة والأدب والسيرة شروحاً وحواشي، منها *حاشية على الرسموكي على الجُمل* ؛ وتأليف في إعراب أما بعد ؛ و*هدية المنهاج* في شرح قصيدة الهمزية المعنونة *بكفاية المحتاج* ؛ في جزءين ؛ و*شرح همزية النبهاني*؛ وديوان شعر في الأمداح النبوية رتبه على حروف المعجم، في كل حرف قصيدة من عشرين بيتاً ؛ و*تحفة الأشياخ والأطفال بما بقصة الزباء من الأمثال*، وهي أرجوزة مطلعها :

حمداً لمن زان بحلية الأدب جيد الفنون وبه نيل الأرب

توفي بمسقط رأسه ليلة الاثنين سابع عشر شعبان عام 1338 / 6 ماي 1920 ودفن بالزاوية الكتنية من حومة صدراته.

ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف، ط 2، الرباط، 1990، ج 5 : 508 ـ 515 ؛ ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 8 : 2912.

**السنتيسي، المختار** بن محمد بن المكي المكناسي، فقيه مشارك حلاه في *إتحاف المطالع* بالعلامة المشارك المطلع، الخير الناسك... مع دين متين وأخلاق كريمة، قضى حياته في التدريس بمسقط رأسه، وتولى إدارة المعهد الديني، وأصبح رئيس المجلس العلمي بمدينة مكناس.

توفي يوم الجمعة خامس وعشري شعبان عام 1389 / 6 نونبر 1969 ودفن بزاوية الشيخ ابن عبد الصادق بمكناس.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3417 ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 184.

محمد حجي

**السنجاب**، حيوان من الثدييات الوحشية، كما هو في كتب اللغة، وبوسبولة في مناطق سوس، واسمه في الشرق العربي سنجاب وبعضهم يقول قرقذون وقرقذان. مذكور في عدة معاجم. والكلمة فارسية معربة ؛ يتخذ من جلده الفراء المشهورة. يصنف إلى رتبة القوارض Rongeurs وفصيلة السناجب Sciuridae. يعيش في المغرب نوعان :

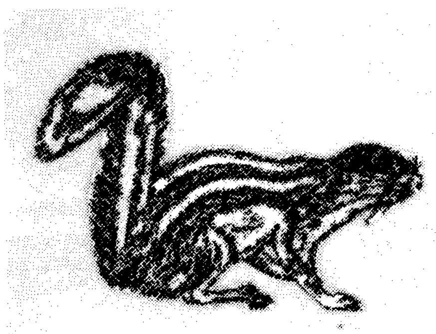

ـ السنجاب المغربي ويسمى علميا Atlantoxerus getulus Linnée وبالفرنسية Ecureil de Barbarie وبالإنجليزية Barbary ground-squirrel وبالإسبانية Ardilla moruna موطنه على وجه الحصر إفريقيا الشمالية (المغرب والجزائر).

متوسط القامة وذيله طويل غزير الشعر ؛ رأسه دائري وأذناه قصيرتان. شعره رمادي أسمر على الظهر ويحمل الجانبان خطوطا طولية بيضاء. البطن رمادي فاتح. يتراوح وزن الكبار بين 60 و120 غرام ويبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 16 ـ 22 سم وطول الذيل 12,5 ـ 17,5 سم.

صيغة أسنانه كالتالي : 1/1 أسنان، 0/0 أنياب، 2/2 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 22 سنا.

نشيط نهارا ويعيش بداخل الجحور أو بين الأحجار المتراكمة في الحقول الزراعية والمراعي. يألف الأماكن الصخرية غالبا على وجه الأرض رغم حسن تسلقه الأشجار. يعيش منفردا أو مزدوجا أو في مجموعات صغيرة ويتكون غذاؤه من مختلف الثمار وبالأخص منها ثمار الزيتون والفستق والعرعر مع ميول كبيرة لثمار شجر الأركان ولحبوب القمح والشعير والخرطال. يعيش في المناطق الصخرية وخواصر الجبال ذات الكسور والحقول المزروعة والمنازل المهجورة في الأرياف في كل من جبال الأطلس المتوسط والكبير والصغير وفي الهضاب العليا بالمغرب الشرقي وفي سهوب وادي درعة والساقية الحمراء باستثناء الأوساط الصحراوية الحارة. يقترب نادرا من الغابات باستثناء غابة الأركان بناحية سوس ويخشى الكواسر الليلية والنهارية والإنسان.

يتوالد في الربيع وبداية الصيف وتدوم مدة الحمل 36-40 يوما وتلد الإناث 3-7 صغار عارية تفتح عينيها بعد 30 يوما وتدوم مدة الرضاعة 5-6 أسابيع. تصير بالغة بعد سنة وتعمر حوالي 10 سنوات.

ـ السنجاب الأرضي السنغالي يسمى علميا Xerus

erythropus (Geoffroy, 1803) وبالفرنسية Rat palmiste و Ecureuil terrestre du Sénégal وبالإنجليزية Stripped ground-squirrel. يعيش في المغرب على وجه الحصر في مناطق سوس فقط ولا علاقة له بالنخيل كما جاء في تسميته بالفرنسية. موجود أيضا في المناطق الصحراوية الإفريقية من موريتانيا والسنغال إلى إثيوبيا وكينيا وأوغندا.

تكبر قامته نسبيا عن قامة السنجاب المغربي ويتراوح طول الجسم بين 22-30 سم وذيله طويل غزير الشعر بني مصفر ضارب إلى اللون الأحمر والأسود، يبلغ طوله 18-27 سم ؛ رأسه طويل، شعره على ظهره غزير بني اللون يتخلله خط أبيض رقيق على الجانبين تصعب مشاهدته في الميدان. البطن أبيض فاتح. مخالبه طويلة مقوسة وقوية. صيغة أسنانه شبيهة بصيغة أسنان السنجاب الأسود.

تعتبر المجموعات التي تعيش حاليا في مناطق سوس من بقايا المجموعات الكبيرة التي كانت منتشرة قديما على طول سهوب الساحل الأطلسي من سوس إلى السنغال. نشيط نهارا ويعيش في سهول سوس بين أشجار الأركان وبقرب حقول الفلاحة. لا يتسلق الأشجار ويبحث عن الأحجار المتراكمة ليتخذها مسكنا له كما يفعل السنجاب المغربي. نمط العيش والتكاثر متشابه عند النوعين.

يبقى توزيعه الجغرافي المتقطع والمنحصر على سهول سوس أمرا غامضا يحتاج إلى دراسة بيئية وفزيولوجية للتمكن من معرفة دقيقة لتأقلم هذا النوع في المنطقة الجنوبية.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc, les Mammifères. Albums didactiques*, Rabat, 73 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc.*, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

**السنشولي، محمد** من الرياس العلوج العاملين في أسطول سيدي محمد بن عبد الله. وكان خلال الفترة الممتدة من سنة 1769 إلى 1772 يعمل انطلاقا من مرسى تطوان، رايسا لسفينة غليوطة صغيرة مجهزة بثلاثين مجذافا وبمدفعين اثنين فقط، وتحت إمرته طاقم مؤلف من مائة رجل.

Chenier, *Journal...*, pp. 103 - 104, 111 - 112, 117 - 118, 125 - 127 ; Coindreau, *Les Corsaires*, p. 92.

حسن أميلي

**السنْطِير**، آلة موسيقية وترية من أنواع القانون ـ بطاء مرققة ـ. يشد عليها في العادة أربعة وخمسون وترا تسوى كل ثلاثة منها على نغمة واحدة، ويضرب عليها بضربين من خشب على هيئة شفرة السكين، بينما يضرب على القانون بالاصبع نقرا.

وقد ورد ذكر هذه الآلة في بعض المصادر المغربية والأندلسية باسم القانون حيناً والسنطور أو السنطير حينا آخر : ذكرها الشقندي المتوفى عام 629 هـ باسم القانون واعتبره من بين الآلات التي ليس في العدوة منها شيء إلا ما جلب من الأندلس. وذكره بعد ذلك بسنوات قليلة عبد الرحمن ابن خلدون، فجعله مربع الشكل يعزف عليه قرعا بعود أو تمريراً بقوس وبذلك جاء أقرب إلى صورة العود. أما محمد بن الطيب العلمي فقد أورد هذه الآلة تحت اسم السنطير، وساق إبراهيم التادلي الرباطي ذكرها تحت اسم القانون.

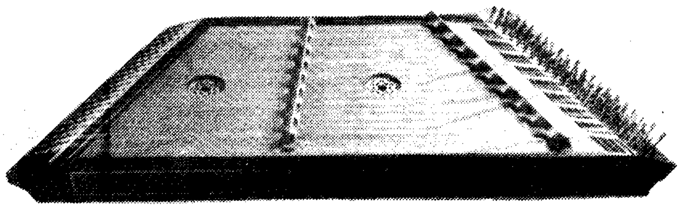

ولعل مما يبرر تسمية هذه الآلة بالسنطير عند العلمي بدل القانون أن يكون قد نقل ذلك عن شيخه محمد البوعصامي الذي نعلم أنه قضى فترة من الزمن بمصر حيث درس الموسيقى وتلقى جملة من المعارف الموسيقية الشرقية التي يبدو أثرها في رسالته *إيقاد الشموع*.

تدل شهادة أوردها المؤرخ الرباطي محمد الضعيف(ت. 1239) في كتابه على شيوع استخدام السنطير بالرباط في عهد السلطان المولى سليمان حينما قال : "في ليلة الأحد 17 صفر عام 1226 بعث السلطان المولى سليمان في طلب الحاج أحمد بن الطيب بناني الرباطي، فطلع عليه لأنه يعرف ضرب السنطير مع الآلة، فبات يضرب السنطير مع العود والرباب" وسوف يأتي التادلي ليؤكد استخدام هذه الآلة بالرباط ويحلها الرتبة الرابعة من بين أحسن آلات الطرب.

أ. المقري، *نفح الطيب*، 2 :51، المطبعة الأزهرية المصرية ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *المقدمة*، ص. 424، مصر ؛ م. العلمي، *الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب*، ط. حجرية، فاس، ص. 178؛ إ. التادلي، *أغاني السقا ومغاني الموسيقى* ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري، ص. 370.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**السنوسي**، أسرة فاسية، "فرقة منها من قبيلة شراكة ينتمون إلى الشرف الحسني أهل جاه ومال ومعاش وحرفة، وفرقة ليسوا بشرفاء وأصلهم من تلمسان أهل تجارة ومعاش وحرفة" (*إزالة الالتباس*). ويذكر الشيخ عبد الحفيظ الفاسي أنه سأل شيخه العالم السلفي عبد الله السنوسي دفين طنجة عام 1350 عن أصلهم ومحل وفادتهم، فلم يجزم له بشيء،

وأن عائلتهم السنوسية الفاسية لا علاقة لها بمشاهير السنوسيين الموجودين بتلمسان والذين منهم الشيخ محمد بن يوسف السنوسي (ت. 895) صاحب العقائد، ولا بالسنوسيين الخطابيين الموجودين في شلف بالجزائر والذين منهم الشيخ العالم محمد بن علي السنوسي (ت. 1276) صاحب الطريقة السنوسية نزيل الحجاز أولا ثم جغبوب بليبيا ثانيا. ولا علاقة بينهم وبين السنوسيين الموجودين بتونس، الذين منهم الحفيد محمد بن عثمان السنوسي (ت. 1318 / 1900) صاحب كتاب *مسامرات الظريف* وغيره.

ذكر الشيخ المهدي بنسودة في فهرسته أنه وقف على كتابة بخط شيخه سيدي محمد بن أحمد السنوسي يصرّح فيها بانتسابه للشرف، "وهو لسان صدق، والناس مصدقون في أنسابهم". ولم يُعلم أنهم نوزعوا في هذا الانتساب، كما يحدث للكثير من الأسر الدعية للشرف. غير أنه لم تعرج على ذكرهم بالشرف أو بغيره كتب الأنساب الحسنية والحسينية التي اختصت بشرفاء فاس والمغرب.

ولا ذكر لأسرة السنوسي الفاسي بمدينة فاس قبل القرن الثالث عشر للهجرة، إلا أن بيتهم خلال هذا القرن وما بعده سيكون "بيت علم ومجد ووجاهة". وأول من نبغ من أبناء هذه الأسرة بالعلم هو شيخ جماعة القراء والمحدثين بفاس محمد بن أحمد السنوسي (ت. 1257)، ثم نبغ بعده ابنه العلامة المحدث الراوية إدريس السنوسي (المتوفى بالمدينة المنورة عام 1295 هـ). ونبغ بعده أبناؤه الثلاثة : المفكر الداعية العلامة السياسي إبراهيم بن إدريس السنوسي (ت. 1304 بالاسكندرية) سفير الخليفة العثماني إلى السلطان المولى الحسن الأول. ثم أخوه الشيخ السياسي عمر بن إدريس الذي قام مقام أخيه، فكلف بمهمة السفارة بين العثمانيين وسلاطين المغرب : الحسن الأول، وخلفه عبد العزيز. ثم أخوهما العالم السلفي الداعية المجدد الشيخ عبد الله بن إدريس نزيل طنجة والمتوفى بها عام 1350. ثم ولد هذا الأخير أحمد بن عبد الله السنوسي الأديب الشاعر.

ويوجد هذا النسب السنوسي في غير موضع في المغرب، ولا سيما في الجهة الشرقية : تازا ووجدة، وما يحيط بها، إذ يجري اسم السنوسي ليدل على الاسم الشخصي تارة، وعلى اللقب العائلي تارة أخرى. ومن هذه الجهة فقيه وجدة وعلامتها الشيخ العربي السنوسي المتوفى بوجدة عام 1389/ 1969.

وقد توارث الأبناء والأحفاد في هذه الأسرة شهرة العلم والجاه. ومايزال عدد من أفراد هذه الأسرة اليوم في كل من مدن طنجة والرباط وفاس. ومنهم من تصدر في مناصب كبرى في الدولة.

م. ابن سودة، *فهرسة*، مخطوط ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، ط. فاس، 1350 .

**السنوسي، إبراهيم** بن إدريس من مواليد فاس. نشأ بها وقرأ على شيوخها. في مقدمتهم القاضي محمد بن عبد الرحمن السجلماسي الحجرتي (ت. 1275). واستفاد من والده الشيخ إدريس السنوسي كثيراً فلازمه في الحضر والسفر وتخرّج به.

ورحل أكثر من مرة إلى المشرق لأداء فريضة الحج ولقاء علمائه. وكان ذلك في رفقة والده الشيخ إدريس السنوسي وأسرته في بعض المرات.

وإذا كان والده الشيخ إدريس قد توفي وهو بالمشرق في المدينة المنورة منتصف عام 1295، فإن بقية أبنائه : إبراهيم وعمر وعبد الله قد فضلوا الاستقرار بالمشرق، ولم يعد منهم بصفة نهائية إلا الشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي الذي توفي في وقت متأخر بطنجة عام 1350.

وقد كان الشيخ إبراهيم ما يزال في المغرب عام 1275 حين حضر وفاة شيخه القاضي محمد بن عبد الرحمن الحجرتي، ورثاه بشعر. غير أنه رحل بعد هذا التاريخ إلى تونس ليقضي به وقتاً ليس قصيراً. وهناك أقام علاقات صداقة وأخوة مع الطليعة المثقفة في تونس فكانت له مراجعات شعرية مع الشيخ الشاعر التونسي محمود بن علي الشريف قابادو (ت. 1288 / 1871).

ولم يغادر إبراهيم السنوسي تونس إلا بعد فتنة تدخّل الفرنسيين في تونس، وبعد محنة أقلقته ظروفها كثيراً ليرحل إلى مصر ويستقر بها.

ويتصل في القاهرة بالشيخ الحبابي وكيل المغرب آنذاك بمصر، فيقربه إليه ويختاره ليكون ممثلاله بالإسكندرية. وهناك وبتنسيق مع الداعية الإسلامي الشيخ ظافر الأزدي المدني صاحب الطريقة المدنية الدرقاوية، يبدأ نشاطه السياسي فيتصل بالباب العالي ويصبح من دعاة الجامعة الإسلامية في ظل الخلافة العثمانية.

وإذا كانت عيون متطلعي الاستعمار الفرنسي قد فطنت إلى خطورة ما تمثله شخصية إبراهيم السنوسي في الواجهة السياسية، وراقبت حركته في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، فوسمتهُ في كتاباتها وتقارير رجالها بالمغامر، ووصفت حياته بأنها مليئة بالمؤامرات والدسائس الكثيرة التعقيد - فإنه في إطار موقفه السلفي المتجدد، وفي إطار دعوته السياسية إلى الوحدة الإسلامية في ظل الخلافة العثمانية، قد حاز ثقة دعاة الجامعة الإسلامية ليصبح أحد المفكرين المتميزين بينهم. وحاز ثقة الخلافة العثمانية، فاستُقدم إلى الأستانة ليكلفهُ الخليفة العثماني بمهمة السفارة، والاعتماد عليه في الخطاب وإدارة حوار الإقناع السياسي.

وهكذا كلف بالسفارة إلى المغرب عام 1296، فحمل أكثر من رسالة كتابية وشفوية من الخليفة العثماني عبد الحميد. ومن كبير وزرائه إلى سلطان المغرب المولى الحسن الأول وإلى بعض كبار المشهد السياسي في المغرب آنذاك. وكان الخطاب فيها جميعاً هو تنسيق الموقف الإسلامي والحض على التمسك بتعاليمه وخدمته وحمايته، مع الدعوة إلى خلق تقارب سياسي يفضي إلى قيام وحدة إسلامية.

قضى المترجم بقية حياته بمصر مشتغلا بالسياسة والدعوة إلى الوحدة الإسلامية، وخدمة العلم، منتقلا بين الفينة والأخرى إلى بلاط الخلافة بالباب العالي حين يستقدمه الخليفة ويستدعيه. وبمصر توطدت علاقات السنوسي بمثقفي عصره فتبادل وإياهم المكاتبات والرسائل.

من مؤلفات إبراهيم السنوسي :

1 - *سيف النصر بالسادات الكرام أهل بدر*، نظماً ونثراً. وهو من كتبه التي طبعت بمصر عام 1305.

2 - *تفسير القرآن الكريم*. لم يتم.

3 - *شرح صحيح البخاري*.

4 - *شرح مختصر خليل*.

وفي هدية العارفين أنه لم يوافه الأجل لإتمام تأليفها. غير أن أشهر كتبه هو :

5 - *النور اللامع في بيان الأصل الجامع*. ولا ذكر له في هدية العارفين ولا عند معجم المؤلفين لكحالة. وهو كتاب حاول أن يبين فيه آفاق الدعوة إلى الجامعة الإسلامية عن طريق إقامة وحدة سياسية إسلامية تجمع شعوب الإسلام تحت نظام الخلافة العثمانية.

والكتاب في حجم متوسط، صفحاته 78 صفحة في النسخة المخطوطة التي اطلعت عليها. وقد بناه مؤلفه كما بين في طالعته على : مقدمة وبابين وخاتمة.

توفي إبراهيم السنوسي في القاهرة عام 1304 وأقبر بالأسكندرية حيث ما يزال مشهده مشهوراً.

إ. السنوسي نفسه، *النور اللامع في بيان الأصل الجامع*، مرقون ؛ *سيف النصر*، ط. مصر عام 1305 بعناية ع. السنوسي ، *رسالة الخليفة عبد الحميد العثماني وجواب السلطان الحسن الأول عليها* ، مخ خ. ع، ج 845، والرسالتان منشورتان بمجلة الإيمان، 1980، أعداد، 91 - 99، إصدار جمعية شباب النهضة الإسلامية، الرباط ؛ بيرم التونسي، *صفوة الاعتبار*، 4 : 80 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، الاتحاف، 2 : 361 - 5 : 378 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 8 : 74 - 387، المطبعة الملكية، الرباط ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، 2: 81 ؛ إسماعيل البغدادي، هدية *العارفين*، 5 : 44 ؛ رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، 1 : 11 ؛ م. المنوني، *مصادر تاريخ المغرب*، 2 : 129.

**السنوسي، إدريس** بن محمد بن أحمد ولد بفاس في العقد الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) ونشأ بها في حضن والده المشتغل بالعلم والدرس آنذاك، فأخذ عن مشيختها واستفاد منها. في مقدمة شيوخه والده الشيخ محمد بن أحمد السنوسي (ت. 1257)، والشيخ محمد صالح الرضوي في رحلته إلى المغرب عام 1261، وأجازه كتابة، وغيرهما.

واشتغل إدريس بالعلم والرواية، وان لم يذكر له تأليف أو يعرف له تقييد. ولا تسعفنا المصادر المتيسرة بين أيدينا في الكشف عن أوجه نشاطه وهو في فاس، أو عن تحديد مستواه وأسلوبه في الدرس، إلا أن وصفه في بعض الكتابات بالعلامة المحدّث، وورود اسمه في أسانيد بعض الروايات الحديثية، يجعلنا أمام شخصية علمية متميزة يحرص معاصروه من الراغبين في العلم، على الأخذ عنه واللقاء به والاستفادة منه.

وهكذا كان من تلامذته الآخذين عنه : أبناؤه الثلاثة، العلماء إبراهيم وعمر وعبدالله والأمير العباس ابن السلطان عبد الرحمن بن هشام، والشيوخ محمد المدني ابن جلون الكومي (ت. 1298) وأجازه كتابة عام 1286، والشيخ أحمد بن الطالب بنسودة (ت. 1312) والقاضي العربي بن رحال الرحماني المراكشي (ت. 1354) وعبد الملك ابن عبد الكبير العلمي (ت. 1320) ومحمد بن محمد العلوي المدغري (ت. 1325)، ومحمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي (ت. 1324) وغيرهم كثير.

ويبدو أن جاذبية المشرق وإغراءات تأدية مناسك الحج كانت لها قوة تحريك شوق الرحلة عند إدريس السنوسي، فكانت له أكثر من رحلة نحو المشرق صحب فيها أسرته وأبناءه الذين فضلوا الاستقرار هناك.

توفي إدريس السنوسي بالمدينة المنورة، في منتصف ربيع الثاني عام 1295 / 18 أبريل 1878.

ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، فاس، 1350، 2 : 81 - 120 ؛ *استنزال السكينة الرحمانية*، تطوان، 1373 - 1853 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، ط. 2 بيروت، 1 : 434، 2 : 1054 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 5 : 421 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2. الرباط، 7 : 140 - 145 ؛ ع. السلام ابن سودة ، *إتحاف المطالع*، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996.

**السنوسي، محمد** بن أحمد الفاسي اشتهر بابن السنوسي من الفرقة التي تنسب للشرف. وقد وقف تليمذه المهدي ابن سودة على نسبته الشريفة بخطه، "وهو لسان صدق، والناس مصدقون في أنسابهم". وهو أول من نبغ في أسرته.

نشأ بفاس وقرأ على شيوخها، إذ أدرك منهم زمرة شهيرة في مقدمتهم : الشيخ التاودي بنسودة (ت. 1209)، وقد اعتبر من آخر تلامذته بالمغرب، والشيخ محمد بن عبد السلام الفاسي (ت. 1214) وقد أصبح شيخ جماعة القراء بفاس بعده، والشيخ النحوي محمد العثماني الطرنباطي (ت. 1214) والشيخ عبد الكريم اليازغي (ت. 1199) والشيخ عبد القادر بن شقرون الفاسي (ت. 1219) وهو عمدته، وكان القارئ عنده بحلقته، وغيرهم.

واستوى الرجل عالماً متمكناً يجمع بين العلم الواسع والسلوك الحسن. ولذلك فهو في نظر تليمذه ابن حسون الوزاني "شيخ كبير ومحدث شهير"، وهو في الصورة التي رسمه بها في كتاب *السلوة* "الفقيه العلامة، البركة الفهامة، ذو الأفعال الحسنة والأخلاق المستحسنة، السري الصالح، الساعي في المصالح ...".

اشتغل بالعلم والتعليم، فكان يدرس *صحيح البخاري* ومختصر *خليل* في جامع القرويين، وكانت له مجالس درس

أخرى يقرئ فيها البلاغة بالسعد، والنحو، وعلوم الآلة. ويذكره الشيخ المهدي بنسودة، وقد قرأ عليه في هذه المجالس وحضر عنده واستفاد منه، بأنه "ذو فهم رائق وتعْبير شائق". وبأنه يسير معهم أحسن السير. واختصه السلطان فقربه منه، وكلفه ببعض المهمات للفصل فيها، ثم قلّده خطة الإمامة والخطابة وقراءة البخاري بالضريح الإدريسي، وبقي بها إلى وفاته حيث خلفه فيها الشيخ الوليد العراقي (ت. 1265).

كان محمد السنوسي "ممن تُردّ إليه مشكلات الخصام، وهو أحد المجتمعين على فصل ما طال عند القضاة من النزاع والكلام. يعيّنه مع غيره لذلك السلطان أبو زيد، لأنه معروف في الفضل بالزّبْد. وكان رحمه الله لا تأخذه في الله لومة لائم، يغيّر جهر المناكر والمآثم، ويصدع بالحق، وله التقدم والسبق".

وإذا كان الشيخ السنوسي قد حظي بالحضور العلمي لصدقه، واتساع روايته الإسنادية، وازدهار حلقته التدريسية بكثرة طلبته والراغبين في الجلوس إليه، فإنه قد حظي بالاعتبار عند شيوخ التصوف في بيئته. ولذلك اعتبر من خاصة الخاصة عند التجانية وشيخها. فكتبوا عنه، ونوّهوا بصلاحه. ونَسب له تلامذتُه كرامات ومرائي حسَان. ولم يحفظ عن محمد السنوسي اشتغاله بالتأليف والكتابة. إلا أنه خلّف طلبة متميزين بالعلم والرواية والتصنيف، وبضع إجازات خصّ بها بعض هؤلاء الطلبة. في مقدمتهم: ولده الشيخ إدريس بن محمد السنوسي (ت. 1295)، والشيخ التهامي ابن رحمون (ت. 1263) وكتب له إجازة عامة، والشيخ المهدي بن سودة المرّي (ت. 1294)، والشيخ علي بن أحمد بن عبد الصادق الركراكي الصويري (ت. 1308) وقد كتب له إجازة تاريخها عام 1256، والشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني (ت. 1289) والشيخ الحسن كنبور اللجائي (ت. 1283)، والشيخ أحمد بن حسون الوزاني (ت. 1282) والشيخ القاضي أحمد بن محمد بناني الشهير بحميد (ت. 1327)، وغيرهم.

توفي بفاس سادس عشر ربيع الأول عام 1257 / 7 ماي 1841 وأقبر خارج باب الفتوح بأعلى روضة العلماء.

أحمد ابن حسون الوزاني، *فهرسة*، 69 مخطوطة؛ المهدي بنسودة، *فهرسة*، 44 مخطوطة؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة*، 2 : 369، ط. فاس الحجرية؛ أ. السكيرج، *كشف الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الأصحاب*، ط. 2 : 1381 ـ 1961؛ ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، 2 : 81، فاس، 1350، ع. السلام بنسودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1966، 7 / 2561، 1417 ـ 1996؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، ط 2. بيروت، 3 : 155.

عبد الله المرابط الترغي

**ابن سهل، إبراهيم**، وهو كما في *المسلك السهل*، للإفراني المراكشي إبراهيم بن أبي العيش بن سهل، فمعرفته بابن سهل، إنما هو من قبيل جده الأدنى أو الأعلى الذي صار علما على الأسرة أو البيت، مما لم يكن يعدو إلى أكثر من جد واحد أو جدين غالبا، والكنية بأبي العيش، مما يرغب فيه اليهود، في المغرب الذين لم يكونوا يدعى لهم من قبل المسلمين إلا بالعيش، هكذا: "الله يعيشك" لأنهم كانوا، كما يوخذ من القرآن الكريم، حريصين على الحياة فيما عرف لأبناء إسرائيل (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) وتحداهم الله بتمني الموت، فقال: (فتمنَّوا الموت إن كنتم صادقين").

وقد عرف إبراهيم في المغرب بابن سهل الإشبيلي أو الإسرائيلي بحسب ما كان عليه من دين يلازمه الجنس، فلم تكن الاسرائيلية، مقصوداً بها اليهودية، بعرفها عندنا من الالتصاق بالدين خاصة، بل كان المراد الأصل الجنسي غالبا.

وقد اختلف في صدقه وإخلاصه للإسلام الذي اعتنقه وأطال الناس في ذلك والاستشهاد له أو عليه. وسئل هو عن ذلك، فأجاب بما كان عليه أن يجيب، حقيقة وهو في قفص الاتهام الغبيّ، ففهم من إجابته هذا وفهم منها غير هذا. ونحن لا نضع في أهميتنا شيئاً من الاثنين، بل الذي يهمنا أن الرجل كان شاعراً، شهر بشعره في الأندلس والمغرب والمشرق. بل إنه كان، إلى جانب شعره، كاتبا مترسلا؛ وإلا لما رتبه أبو علي ابن خلاص في ديوان كتابته بسبتة المدينة التي لم تكن تخالف الأندلس في شروط كتابها الرسميين الذين نجد منهم جهابذة، أواخر العهد الموحدي، وطيلة العهد المريني. مما لم تكن تتوفر عليه عواصم المغرب لذينك العهدين، وإن ظهر شيء من ذلك فإنما هو من الأندلسيين أنفسهم...

نعود إلى التعرف على الرجل فهو إشبيلي، من ناشئة القرن السابع الهجري، ظهر نبوغه في هذا العصر في الشعر خاصة. وكان له زملاء لهم وزنهم في هذا الفن، منهم، أو على رأسهم علي بن موسى ابن سعيد اليحصبي، أو الذي عرف في المشرق بالمغربي صاحب التآليف العديدة في التراجم الأندلسية، الأدبية والمتعلقة بالشعر خاصة.

وقد ربطت الزمالة بين الرجلين في ميولهما الجامحة وفي سعيهما نحو الاستجداء بفنهما، فكان من مواقفهما في هذا ما كان منهما على أعتاب حاكم سبتة المستبد بها اليانشتي فمدحه ابن سعيد بقصيدة قال فيها:

بالعدل قمت وبالسماح فدن وجـــد
لا فارقتك كفاية وعطـــاء

وقال ابن سهل قصيدة عامرة في خمسة وأربعين بيتا ومطلعها:

طاول بجدك فالاقدار عنــوان
واحكم فما لصروف الدهر عصيان

وكأني بهما كانا على اجتماع عند هذا المدح، فهو في لهجته واحد وان كان ابن سهل، استعان بابن هانيء في مدحه للفاطمي وبالجراوي في مدحه للخليفة الأول الموحدي زيادة على تلبسه بلباس ابن دراج القسطلي المغربي الأصل.

وقد كان ابن سهل في انتجاعه، كابن دراج فطاف البلاد واتجه إلى إحدى الجزائر الشرقية الأندلسية "مَنُرقَة"؛ كما

كان ابن دراج قبله بنيف ومائتي سنة اتجه إلى شرق الأندلس "دانية" حيث مدح صاحبها العامري ثم أم سبتة حيث صاحبها الحمودي. وكلاهما كان كاتبا مرسما في حضرة الإمارة والخلافة. نعم حتى إنَّ ابن سهل عمل في الخلافة الموحدية وفي حاضرة "مراكش" كما يذكر ذلك زميله ابن سعيد في كتابه "المغرب". وان كان ذكره بشاعر الخلافة بمراكش فإنا نستظهر أنه لم يكن شاعراً فحسب، بل كان في تلك الفترة المضطربة كذلك كاتبا للموحدين. بعد أن كان كاتبا لصاحب سبتة ابن خلاص أبي علي الحسن الإشبيلي الثائر كما في *القدح المعلى* لابن سعيد. وهذا الوصف بالثورة لاشك أنه تلبس به، بعد أن خرج عن طاعة الموحدين الذين أقاموه على سبتة، فبايع لأبي زكرياء يحيى الحصفي الذي كان قد انفصل عن الموحدين أيضاً وأعلن استقلاله بحكم إفريقية.

وتقدم أن ابن سهل من رجال القرن السابع ولكن تاريخ ميلاده لا يعرف بالضبط والغالب أنه كان في العقد الثاني من هذا القرن، أما تاريخ وفاته، فقد أجمع السابقون على كونه كان في حادث غرق الأسطول السبتي الذي كان يقل ابن المستبد أو القائم على حكم سبتة وفيه ابن هذا الحاكم وكاتبه ابن سهل. وكان ذلك الأسطول متوجها إلى إفريقية بهدايا يقدمها لأبي زكريا الحفصي الذي كان قد بايعه ابن خلاص، وكان أقوى أمير بالشمال الإفريقي عامة.

وقد اختلف في إخلاصه للإسلام، وسواء كان إسلامه حقا أم كان ظاهريا، فان ثقافته الاسرائيلية الإسلامية بادية بقوة في شعره بقوة ليست لشاعر أو أديب، غير ابن سهل اليهودي النشأة. بل وجدنا الاقلال من ذلك هو الواقع وفي لمحات من أوائلها قول الحطيئة في مدح عمر بن عبد العزيز :

أتى الخلافة أو كانت له قـدراً

كما أتى ربَّهُ موسى على قـدر

ومن أواخرها قول معاصر ابن سهل، ميمون الخطابي في رثاء ابن الوزير ابن الجد ممدوح ابن سهل كذلك :

أرجة الصعق يوم النفخ في الصور

أم دكة الطّود يوم الصعق في الطورِ

وإلى جانب شهرته بالشعر وقرضه له منذ الحداثة، كما يذكر ابن سعيد في *القدح المعلى* وأشاد به، وجعل غيره في عصره دونه، فإنه اشتهر كذلك في الموشحات التي أبدأ فيها وأعاد، وتفنن في نظمه لها، بكل الفنون التي سبق بها وغالبُها، إن لم يكن كلها من الفصيح ويكاد يستأثر بالقدح المعلى في هذه الموشحات خاصة وفي مقدمتها :

هل درى ظبي الحمى أن قد حمـى

قلب صب حلّه من مكنـس

ومما تجدر ملاحظته كذلك، أن المغرب لم يهتم بشاعر أندلسي اهتمامه بابن سهل الذي ألف في شرح توشيحه المذكور محمد ابن الصغير الإفراني المراكشي.

كما أنه أخيراً أقدم على طبع ديوانه طبعة غير حجرية منذ نصف قرن ولعله كان من قبل أبناء القادريين الذين اختصوا في فاس بالمكتبات التجارية التي كانت منها ثلاث كبار تواجه أحد أبواب جامع القرويين فيما مضى.

حقيقة أن العناية بأشعار الأندلسيين، كانت منذ قدم الشعر الأندلسي وكان الشريف الغرناطي السبتي يقدم على شرح مقصورة القرطجني في القرن الثامن. لكن هذا السبتي الشريف لم يكن يفرقه عن الأندلسيين فارق، بل أقام بالأندلس نفسها فنسب لغرناطة. لكن الإفراني المراكشي كان يختلف عنه تمام الاختلاف واهتمامه كمغربي بابن سهل ربما أتى من إسلامه وإقباله على مدح النبي وفيما عدا التوشيح فهذا نموذج نأتي به تمثيلا لشعره ونثره معا ففي *القدح المعلى* أنه كتب لصديق له بالجزيرة الخضراء، بهذه الرسالة مظهراً أن البعد أقل صبره واحتماله :

إليكم يحنُّ القلب في كل ساعـة

ونحوَ مغانيكم تلفَّت ناظـرى...

نداء ما له جواب إلا لتنفس الصعداء من المنادي والكتم بها من شماتة أعدائي في محفل النادي فقد فقدت والله بعدك بهجة الأنس التي كنت بين هذه المنازه أعتادُها، وحالت في عيني أحوال الأيام حتى ودعت منها جُمَعها وأعيادها. أين تلك المجالس المونقة الارجاء المملوءة من المحاسن بكل ما هو أحسن من بلوغ الأمل والرجاء..

لطائف آداب فكاهـة مجلـس

موائد أمثال نوادر أشعـار

سرائر آيـات حبيت بفضلهـا

تبين ما خصت به قدرة الباري

ثم أن البدل النحوي ومنه العوض فيه لا يزيد إلا بهتا في هذا البيت :

وكيف أصبر عنكم بعد معرفتـي

أن ليس لي عوض منكم ولا بـدل

وفي النثر تنفس الصعداء من المنادي والكتم بها من شماتة الأعادي في محفل النادي تبرّج طالما تزيت به شمطاء العواجز فقيل فيها :

عجوز تمنت أن تكـون فتيـة

وقد يبس الجنبان واحدودب الظهـر

وهكذا نصدق ابن سهل حينما يتجلى في نثره فيقول : "حالت في عيني أحوال الأيام حتى ودعت منها جمعها وأعيادها" فهو في تصدعه لا يملك إلا أن يتكيء على عصا الحريري في قوله "رميت منه بداهية حل لها كل صبر حُباه".

وقسمه مدين للبيد في كون أيدي الشباب تطرز أيامه، هذه الأيام نفسها التي أفرغت لياليه في قوالبها "بمواصلة النعيم المستطاب" كل ذلك أسمال بالية من كل جدة خالية. ومعذرة فقد تسلطت عليّ الأسجاع السهلية، وهلك عني سلطانية ونعوذ بالله من الغلِّ. الحقيقة أن الأدب العربي في الأندلس ضرب بعصا الذل يوم ذلّت الأندلس نفسها، فكان القرن السابع نذيراً بالانهيار فاختفت هذه الأرواح ولم تبق إلا الأشباح فلا غرابة أن يقول ابن سهل :

إني له عن دمى المسفوك معتــــذر

أقول حملته في سفكه تعبا

ولا يد لليهودية والذمة في هذا الكلام إنه كلام الجميع وقد ارتفعت الأقلام وطويت الصحف ولم يبق في الأدب إلاَّ ذَماء ولادماء. فكان في نزعه الطويل ينتظر اللفظة الأخيرة، فكانت آخراً قد لفظها حتى فحول الكتاب والشعراء وعلى رأسهم ابن الخطيب، وما أدراك ما ابن الخطيب. معارض ومعارض كثيرة وشخوص وشخوص متزاحمة متناكبة ولا خير في هذه ولا في تلك إلا أن تكون نائية...

هذا هو ابن سهل في شعره ولاشك أنه هو في نثره وان لم يكن بيدنا منه نماذج تمكننا من الحكم النهائي. غير أن الاشباه والنظائر تقول لنا ما قلنا وإن كانت له قصائد عوامر فهي ببضاعة السابقين وحتى اللذيذ منها والطيب لنا إنما هو اجترار لما كان قبلنا طعاما طعمه الأولون، فكان الأخيرون هرَرَهُم تتلقف منهم مضغهم فلنعد إلى تلك القصيدة العامرة فنجدها بعد الأبيات الثلاثة تستمر هكذا :

ترى المقاتــل أنصــارا وربتمــا

أصغت لأمر المنايا فهــي آذان

إن الملوك وإن عزّوا وان كثروا

وخالفوك فقد ذلوا وقد هانوا...

توفي ابن سهل سنة 643 / 45 ـ 1246 حسب ما ذكره ابن عذاري في الجزء الثالث من تاريخه *البيان المعرب*. ولكن هذا التاريخ ينص صراحة على المبايعة، ثم يذكر أن ابن خلاص بعث بهدية مع ولده في غراب جديد، فغرق الغراب بها وبالولد ولم يخرج منه أحد وفيه الكاتب أبو إسحاق بن سهل وفي غيره تأخر عن هذا التاريخ فيحتمل أن واقعة الغرق تأخرت عن البيعة إلى سنة ست وأربعين، كما نقل عن *تحفة القادم* لابن الأبار أو سنة تسع وأربعين، كما نقل عن *فوات الوفيات* لابن شاكر. وعلى كل الاحتمالات والنقول فإن وفاة ابن سهل حصلت في العقد الخامس من القرن السابع، وهو لم يسلخ العقد الرابع من حياته.

ابن سعيد المغربي، *القدح المعلى*، تح. إبراهيم الابياري، مختصر ؛ *المغرب في حلى المغرب*، تح. الأستاذ شوقي ضيف ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، الطبعات المصرية ؛ م. الإفرني المراكشي، *المسلك السهل*، تح. م. العمري ؛ *ديوان ابن سهل*، نشر دار صادر ؛ *البيان المعرب*، الجزء الثالث، تح. ويسي بمساهمة م. إبراهيم الكتاني وم. ابن تاويت.

محمد ابن تاويت التطواني

**السهلي، عمر** بن علي، مقاوم ولد سنة 1934 بقبيلة بني أحمد ملحقة تبرانت إقليم الحسيمة.

تشبع بالروح الوطنية منذ صغره، الشيء الذي دفعه إلى الالتحاق بصفوف جيش التحرير الثائر بشمال المغرب و عمل ضمن الفرقة التي كانت تحت قيادة محمد لحطاط.

وقد عرف بين أفراد فرقته بالشجاعة والإقدام، إذ شارك في عدة معارك وهجومات إلى أن استشهد يوم 24 /11 / 1955 بجبل جرفات بتبرانت عندما كان في طريقه إلى مركز باب الحيط حاملا بعض الأسلحة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 513735.

**السهلي، محمد** الصُّغَيِّر، ـ بالتصغير ـ (دوحة، 135 ؛ *ممتع*، 28) بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم العمري بسكون الميم من أولاد عمرو، من قبائل عرب سوس. ويعرف بالسهلي نسبة إلى أخواله عرب السهول (*ممتع*، 28).

اشتهر أمره في عالم التصوف في أواخر القرن التاسع (15 م)، وبداية المائة الموالية. وكان دخل هذا العالم على يد الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، صاحب الطريقة الجزولية الشاذلية، وهو الذي لقبه بالصّغير (ممتع، 28). وهذا يعني أن محمد الصغير السهلي كان جزولي السند والطريقة، ومن رجال الطائفة الجزولية الأوائل. بل لقد اعتبره محمد المهدي الفاسي "كبير" أصحاب الشيخ الجزولي، وأكد على ذلك عندما وضع ترجمته في *ممتع الأسماع* على رأس تراجم رفاقه في صحبة الشيخ المذكور (*ممتع*، 28).

ويترجم علو مقام الصغير السهلي في الطائفة الجزولية قربه الشديد من شيخه، والدور الكبير الذي قام به هذا الرجل في نشر الطريقة الجزولية. ولنا على هذا الدور وذلك القرب دلائل قوية، منها اعتماد شيخه الجزولي عليه في الدعاية للطريقة الجزولية، إيمانا منه، ولا شك، بقدرة تابعه هذا على كسب الأنصار. وقد لخص صاحب *ممتع الأسماع* هذا الدور في ترجمته للصغير، فقال : "كان عند شيخه يصطاد الرجال بهمته ويتصرف فيهم بنظرته" (*ممتع*، 28 ؛ *سلوة*، 2 : 211). كما يستفاد من الأخبار التي أوردها محمد المهدي الفاسي عن هذا الرجل أن نشاطه لم ينحصر في الدعاية للمشروع الجزولي، وإنما شارك في وضع عدة الطريقة للمريدين الجزوليين. حيث أشار إلى أنه أدخل زيادات مهمة على النص الأصلي لحزب الجزولي، وأن شيخه أقره على ذلك (*ممتع*، 25). كما ذكر صاحب *سلوة الأنفاس* من جهته، في هذا الصدد، أن الصغير السهلي "هو صاحب النسخة السهلية من *دلائل الخيرات*، وهي أصح نسخة وأعلاها" (*سلوة*، 2 : 211). وهذه إشارات هامة تدل على أن الشيخ الصغير السهلي كان من المقربين جدا من صاحب الطريقة الجزولية، الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، وأن مقامه في الطريقة الجزولية كان عاليا جدا. دون أن ننسى، طبعا، تصدر الشيخ الصغير السهلي للمشيخة في زاويته في حياة شيخه.

وبعد وفاة ذلك الشيخ، صار الصغير السهلي كبير الجزوليين وشيخهم جميعا. نسجل هذا الأمر، رغم أن المصادر لا تشير إليه بصريح العبارة. لكن إذا علمنا أن الشيخ عبد العزيز التباع، المشار إليه باعتباره صاحب الإراثة من بعد الشيخ الجزولي، إنما كمل حاله، وتمت تربيته على يد الصغير السهلي، في زاوية هذا الأخير، بوصية من شيخهما الجزولي (*سلوة*، 2 : 211 ـ 212)، فليس من الخطإ القول بذلك الحكم.

بل لم يكن محمد الصغير السهلي كبير رفاقه في الطائفة الجزولية فحسب، وإنما كان أيضا "من أكابر الأولياء المحققين، وأحد الأفراد الواصلين، ومن ذوي الهمم العالية، ومن المقربين" (ممتع، 28)، وكان منزله بخندق الزيتون، قرب وادي اللبن، بأحواز فاس. وفي هذا المنزل ـ الزاوية قصده المتشوفون إلى التصوف الجزولي، والزائرون الراغبون في البركة، "فانتفع به كثيرون، وتخرج على يده رجال عديدون، أشهرهم قطب الجزوليين من بعده الشيخ عبد العزيز التباع دفين مراكش (دوحة، 137)، والشيخ أبو عثمان سعيد السايح المالكي دفين موضع يقال له المرجومة بأحواز فاس (دوحة، 73)، والشيخ أبو محمد عبد الحق الزليجي دفين جبل زرهون، والشيخ أبو البقاء عبد الوارث اليلصوتي دفين مدشر بني دركول في قبيلة بني زروال، والشيخ الكامل محمد بن عيسى الفهدي دفين مكناس (ممتع، 54، 56)، وغيرهم.

توفي عن سن عالية، سنة 918 هـ /13 ـ 1514 م، ودفن بزاويته، وتبرء بها مشهود مشهور.


. ا[illegible] عسكـ [illegible] حة الناشر، تح. م. حجي، الرباط، 1397 / 1977؛ م. المهدي الف[illegible] ممتع الأسماع، طبعة حجرية بفاس، 1313 هـ؛ م. بن جعفر الكتاني، سر[illegible]، طبعة حجرية بفاس، 1318 هـ، ج. 2؛ ع. السلام بن ع. الله الخياط القادري، التحفة القادرية، مخطوط خ. ع.، الرباط، رقم 2321ك، ج. 1.


أحمد الوارث

**السهوب**، جمع سهْب، يدل على المستوي من الأرض في سهولة أو على السهول الشاسعة الانتشار أو على الأراضي المنخفضة أو على ما يغطيها من الاستبس أو استيبا وهو المفهوم الذي نتطرق إليه هنا.

فالسهوب أو الاستبس تشكيلة نباتية مكونة من الحشائش الصلبة أو الجنيّبات القزمية الجفافية تصادف عموماً في المناطق الجافة أو شبه الجافة من قارات الكرة الأرضية، وخاصة في النصف الشمالي منها، حيث تمتد على مساحات شاسعة من قلب أوراسيا وأمريكا الشمالية.

لفظ استبْس رُوسي الأصل لأن جنوب روسيا والبلدان التي كانت تكوّن الاتحاد السوفياتي في حدوده الجنوبية تتميز بسهوبها الواسعة الانتشار التي عرفت تطوراً كبيراً في علوم التربة وفي ميدان بعض المزروعات الفلاحية، وتربية المواشي. واعتماداً على هذا اللفظ سُمّي جنس الحلفاء باسْتيبا Stipa (انظر حلفاء) الذي ينتمي إلى فصيلة النّجيليات Poaceae والذي يشمل عدة أنواع تعيش جلها في المناطق التي تقل فيها الأمطار. لكن المفهوم الحالي للسّهب اتسع ليشمل التشكيلات النباتية المكونة من أجناس أخرى من النجيليات أو غيرها من الفصائل الأخرى كالنجميات أو المركبات Asteraceae والسّرمقيات Chenopodiaceae.

بالرغم من كون السهوب الأوروآسيوية والأمريكية تعيش في المناطق الجافة أو شبه الجافة القارية الموجودة ما بين المنطقة المعتدلة وسافانا المنطقة المدارية، إلا أنها تعطي تربة جد خصبة استغلها الانسان للرعي أو للزراعة البورية أو المروية بواسطة مياه حقونات السدود، وذلك بعد اجتثاث التشكيلة النباتية. ومن أهم الزراعات التي تطورت على حساب السهوب نذكر زراعة الحبوب بأمريكا وبروسيا، وكذلك أيضاً زراعة القطن في هذين البلدين وفي أوزباكستان حيث أدت هذه الزراعة إلى كارثة بيئية تمثلت في تصحّر مناطق شاسعة من البلاد وتقلص مهول لمساحة بحر الآرال وتقهقر سواحله إلى مسافات بعيدة جداً عن مواقعها في الثلاثينيات من القرن العشرين. وذلك نتيجة إنشاء السدود على الأنهار التي تصب في هذا البحر من أجل ري زراعة القطن. وقبل انتشار الزراعة في مناطق الاستبس كان الرعي وما يزال النشاط السائد في السهوب التي لم تجتث بعد. ففي بعض البلدان كأستراليا والأرجنتين وبلدان آسيا الوسطى، تعتمد الحياة الاقتصادية في السهوب اعتماداً رئيسياً على الرعي وتربية الخيول.

أما في المغرب فإن السهوب تمتد على مجالات شاسعة من البيومناخات الصحراوية والجافة وشبه الجافة في شرق وجنوب البلاد بالإضافة إلى قمم الجبال العالية للأطلس المتوسط الشرقي والأطلس الكبير حيث تصادف السهوب المتميزة بتواجدها في ظروف مناخية قاسية جداً تتمثل في شدة البرودة لفصل الشتاء.

من حيث المساحة المكسوة بالسهوب المغربية، لم يتم بعدُ تقييمها إلا بالنسبة للحلفاء التي يقدر اتساعها بحوالي ثلاثة ملايين من الهكتارات. أما التشكيلات السُّهبية الأخرى فهي تغطي عدة أضعاف من مساحة سهوب الحلفاء.

تعتبر الهضاب العليا وعالية وادي ملوية أهم مجالات سهوب الحلفاء والشيح أو أرطميسْيا إنكولتا Artemisia inculta (انظر شيح) اللتين تنظمان عدة عشائر نباتية خاصة بكل واحد من النوعين. ففي هذه المجالات يكاد ينعدم وجود الأشجار باستثناء المنخفضات ذات التربة الخصبة والتي تتجمع فيها مياه الأمطار، وضفاف الأنهار الجارية.

يتميز مناخ هذه المجالات بشدة برودة فصل الشتاء، وبالحرارة المفرطة لفصل الصيف، وبقلة الأمطار. ويعود انعدام الأشجار إلى جفاف المناخ الذي يستفحل بقوة وكثرة الرياح.

تصادف عشائر الحلفاء على الأراضي المنحدرة والحصوية أو الصخرية، بينما تكسو عشائر الشيح الأراضي المستوية والمنخفضات الطمية والطينية.

أما السهوب المغربية الأخرى فمنها ما يصادف في المناطق الصحراوية على جل امتدادات الرق التي تكسوها بصفة متناثرة عشائر تنظمها على الخصوص أجناس السرمقيات Chenopodiaceae المتحملة لأقصى ظروف الجفاف، تاركة بذلك المنخفضات الطمية الرملية لتشكيلات أنواع الطلح (انظر طلح)، ومنها تلك التي تعيش في

المرتفعات الأطلسية في ظروف بيئية تتميز أحيانا بأقصى البرودة. وتتكون هذه الأخيرة من أنواع نباتية مختلفة تنتمي إلى فصائل الفوليات أو الفراشيات Fabaceae، والنجميات أو المركبات Asteraceae أو الخيميات أو البقدنوسيات Apiaceae.

من حيث الجانب الدينامي للسهوب المغربية نجد من بينها التشكيلات المناخية أي التي تتكون حسب الظروف المناخية المحلية للمنطقة المتواجدة بها، ويتعلق الأمر هنا بجل السهوب. أما السهوب الأخرى فهي تنتج عن تدهور تشكيلات شبه سهبية أو شبه غابوية للعرعار البربري أو للعرعر الأحمر أو للبطم الأطلسي أو للبلوط الأخضر.

يوجد جزء من السهوب المغربية في حالة جيدة يستعمل للرعي وخاصة سهوب الحلفاء والشيح (انظر *حلفاء* وشيح) في الهضاب العليا التي تعتبر المراعي الخاصة بأغنام سلالة بني گيل المتميزة بلحمها المعطر بفضل أكلها للشيح. أما الجزء الآخر فهو إما اندثر أو في حالة جد متدهورة. وذلك لعدة أسباب منها الرعي المفرط ومنها الاجتثاث للزراعة أو لتحسين المراعي كما حدث في مناطق ميدلت وبوعرفة وبني مطهر حيث اجتثت على مساحات شاسعة تشكيلات الشيح لتعويضها بنباتات دخيلة لم تتحمل الظروف البيئية المحلية فاندثرت. وتطورت عملية تحسين المراعي إلى عملية تدمير من طرف الدولة لهذه الموارد الطبيعية المتجددة المحلية التي تعيش في توازن مع الظروف البيئية لهذه المناطق (انظر شيح).

فيما يخص الاستعمالات الأخرى لموارد سهوب الحلفاء والشيح نوجه القارئ لمراجعة هاتين المادتين في *المعلمة*.

*أبحاث شخصية*.

L. Emberger, *Aperçu général sur la végétation du Maroc*, Berne, 1939 ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000.

عبد المالك بنعبيد

**السهول**، قبيلة معدودة من بني حسن، ينتمي أهلها إلى عرب معقل وهلال، استوطنوا أحواز سلا في عهد أبي ثابت المريني على الراجح، وهم اليوم جزء من عمالة سلا الجديدة يكونون جماعة قروية تحمل اسم "السهول".

كان عدد خيام السهول في العقد الأول من القرن العشرين يبلغ 1037، ويتوزعون على خمسة بطون هي :

- الجوانب (210 خ) : بنو عبد اللي، وأولاد الحمراء وأولاد بورزين وبنو بْروز.
- الجياهنة (200 خ) فخّودة (الكعابة) والعيايدة والخلالقة.
- أولاد جابر (214 خ) : الجبابرة (أولاد البهلول) وأولاد إبراهيم وأولاد كامل وأولاد عگيل.
- أولاد علوان (153 خ) : الأشياخ وأولاد يحيى والهبايضة.
- أولاد عزيز (260 خ) : أولاد الشرقي وأولاد عيسى والزلالجة والعزوزيون والمفالحة.

ومن أشهر قوادهم في القرنين الثالث عشر والرابع عشر (19 ـ 20 م) :

أحمد الصغير (ت. 1296). محمد بن إبراهيم الجابري (ت. بعد 1284). بنحسون بن العربي (ت. بعد 1285). مَحمد بن الجيلالي الهياضي (ت. بعد 1307). عبد القادر الجيهاني (ت. قبل 1306). الحنفي بن بوعزة العلواني (ت. 1309). التهامي بن ميمون البورزيني العلواني (ت. بعد 1295). المصطفى العزيزي العلواني (ت. بعد 1296). بوعزة السهلي (ت. بعد 1296). العربي بن بوعزة بن قدور الجيهاني (ت. 1304). محمد بن زينة الجابري (ت. بعد 1317). محمد بن أحمد السهلي (ت. بعد 1311). أحمد بن رحال الجانبي (ت. بعد 1327). أحمد بن الگناري الجيهاني (ت. 1315). إبراهيم بن حمادي البورزيني الجانبي (ت. بعد 1329). عبد الحگ الجابري (ت. بعد 1320). علال بن البقال الجانبي (ت. بعد 1330). علال بن حسون الجيهاني (ت. بعد 1332). محمد بن الطاهر العزيزي العلواني (ت. بعد 1328). محمد (الكبير) بن محمد الجابري (ت. 1328). بوعزة بن الجيلالي العلواني (ت. بعد 1329). محمد (الصغير) بن محمد الجابري (ت. بعد 1330). خشان بن المعطي العزيزي (ت. 1379 بمكة). محمد بن الحاج البشير (ت. بعد 1375)

م. بوشعراء، علاقة المخزن بأحواز سلا، 175 ـ 190 ـ 209 ـ 211 ؛ وثائق مخزنية.

*Villes et Tribus du Maroc, Rabat et Salé*, Tome I, p. 243 et passim.

مصطفى بوشعراء

**السهول**، منطقة تقع على الهضبة الواقعة بين وادي أبي رقراق في الشمال الغربي ورافده وادي كرو في الجنوب الغربي والغرب، أما من جهة الشرق فإن مكان تقارب الواديين جنوب مولاي إدريس أغبال، يشكل نهاية لمنطقة السهول. تخترق الهضبة مجموعة من الشعاب الرافدة لأبي رقراق مثل الصفصاف، والمسدادية، والوزغات. وشعبتا الحرشة وعين الخشبة الرافدتان لوادي كرو.

تتميز سفوح وادي كرو والسفوح الشمالية الشرقية المطلة على أبي رقراق بقوة انحدارها، بفعل تعمق الأودية في صخور القاعدة الأولية مما يعطي أشكال الخوانق الضيقة. بينما السفوح الشمالية الغربية يصبح شكلها مركباً أو محدباً أحياناً، ذات انحدار خفيف، تتكون ضمن صخور الصلصال الميوبليوسيني، وتعطي تربات جيدة للاستغلال الزراعي، خصوصاً تلك المطلة على منخفضي أربعاء السهول وبحيرة السد، حيث يتسع مجرى الوادي ويشكل مصاطب غرينية، ذات تربات خصبة من الناحية الزراعية.

يغطي سطح هضبة السهول تربات متحدسلة حمراء ومغسولة ذات تطور قديم، تكون رملية في الشمال الغربي،

وتصبح رملية حصوية في الجنوب والجنوب الغربي، كما تظهر على شكل تربات ميهة ومتحددة في مواقع انتشار الضايات.

تخضع المنطقة لمناخ شبه جاف، يتراوح معدل تساقطاته السنوية ما بين 474 ملم في السنة عند أربعاء السهول، و487 ملم عند مولاي إدريس أغبال. وتعرف تركزاً فصلياً حيث يسقط جلها في الشتاء وخصوصاً خلال شهري دجنبر ويناير. في حين يسيطر الجفاف خلال فصل الصيف. ويصل المتوسط السنوي لعدد أيام المطر في السنة إلى 66 يوماً.

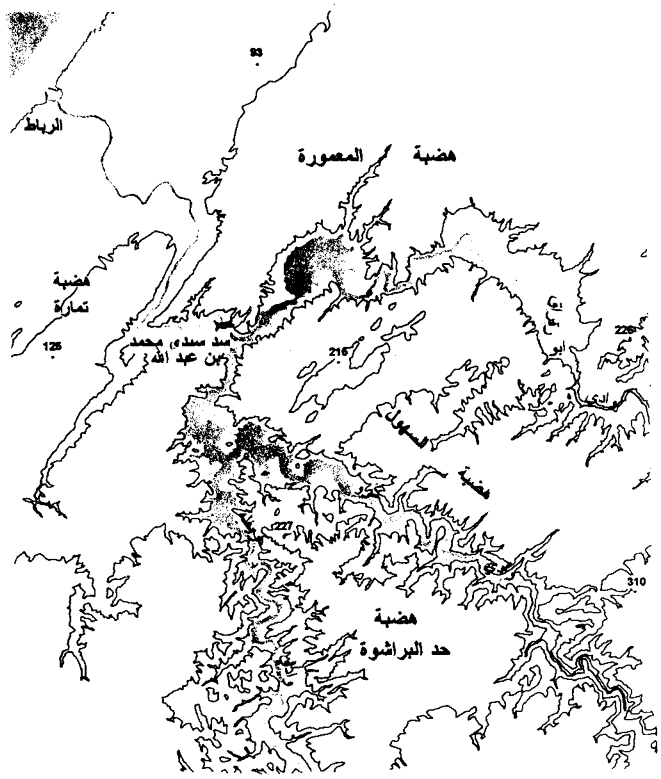


معدل الحرارة السنوية بالنسبة لشهر يوليوز 23°، وبالنسبة للشهر الأبرد 11° وبالتالي فإن الفارق الحراري متوسط إلى ضعيف بفعل القرب من البحر. كما تصيب المنطقة رياح الشركي بمعدل 5 ـ 10 أيام في السنة في نهاية الصيف وبداية الخريف.

تغطي غابة السهول جزءاً من سطح الهضبة وتتألف أساساً من البلوط الفليني حيث تصل مساحتها إلى 8.500 هكتار تتشكل غالبيتها من البلوط الذي يغطي حوالي 5.270 هكتار والباقي من الأنواع المشجرة مثل الصنوبر والأكاليبتوس والأكاسيا. وتشكل الغابة مورداً مهماً لسكان المنطقة سواء للرعي أو للاستعمال المنزلي.

تستقر في المنطقة قبيلة السهول العربية حيث تظهر على سطح الهضبة عدة مراكز قروية من أهمها، مركز مولاي إدريس أغبال وسبت عين الخشبة وسيدي عزوز وسيدي عبد العزيز، بينما يوجد مركز أربعاء السهول في المنخفض على وادي أبي رقراق. أما مركز العرجات الحديث فيوجد في الهوامش الجنوبية للمعمورة، حيث يضم المركز الإداري والاقتصادي لجماعة السهول حالياً، التي تشمل بالإضافة لهضبة السهول جزءاً من الضفة اليمنى لوادي أبي رقراق المشرفة على منخفضي أربعاء السهول وبحيرة السد.

من الناحية الإدارية تتبع جماعة السهول لعمالة سلا الجديدة وتضم مجموعة من الدواوير تمثل فخذات القبيلة هي الجياهنة، العزوزيين، أولاد عزيز، الجوانب، أولاد علوان، أولاد عيسى. ويصل عدد سكان الجماعة حسب إحصاء 1994 إلى حوالي 20.000 نسمة، لكن النمو الديمغرافي ضعيف بمعدل 15,5٪ خلال ثلاثين سنة من 1960 حتى 1994، بينما كان معدل النمو الوطني لنفس الفترة بحدود 55٪.

يقطن السكان في سكن هش ومتفرق على هوامش الغابة والسفوح ومع تحول حديث نحو السكن الصلب، ويمارسون الرعي الواسع كنشاط أساسي داخل الغابة وعلى السفوح حيث يعتبر من تقاليد قبيلة السهول، مع زراعة بورية أساسها الحبوب لكن مردودها ضعيف. أما منطقة العرجات فعرفت منذ الثمانينيات تكثيفاً للاستغلال الزراعي وتحولاً نحو الزراعة المسقية وتربية الأبقار والدواجن، وذلك انطلاقاً من الآبار التي تضخ مياه الفرشة المائية.

تعاني منطقة السهول من عدة مشاكل حالياً من أهمها :

- شبه عزلة بعد بناء سد سيدي محمد بن عبد الله حيث تكونت بحيرة واسعة عند مقرن وادي أبي رقراق ورافده كرو، مما أدى إلى قطع الطريق الرابطة بين السهول ومدينة سلا، وأصبح لزاماً على سكان السهول قطع مسافة 40 إلى 50 كلم للوصول إلى المدينة.
- ضعف التجهيزات الأساسية : كالطرق والكهرباء، والماء الصالح للشرب، والصرف الصحي.
- ارتفاع نسبة الأمية (62 ٪) وانخفاض نسبة التمدرس إلى (44 ٪)
- نقص فرص العمل وارتفاع معدل البطالة في جماعة السهول (15,7 ٪) مما يدفع بالكثير من الشباب للهجرة نحو المدينة القريبة سلا.

كل ذلك يجعل معطيات التنمية البشرية بمنطقة السهول أدنى من المعدل الوطني للعالم القروي على الرغم من كون المنطقة تشكل جزءاً من عمالة حضرية كبرى هي سلا الجديدة.

*تحريات ميدانية.*

عبد الرحيم وطفة

**السُهَيلي** (الإمام -) **عبد الرحمن** بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي المالقي ثم المراكشي الضرير، يكنى أبا القاسم وأبا زيد وأبا الحسن وأبا علي، إلا أنه اشتهر بأبي القاسم وأبي زيد. والسهيلي نسبة إلى سهيل وادٍ بالأندلس من كورة مالقة، (*معجم البلدان*، 3: 291) ويذكر ابن الخطيب أنه "حصن حصين يضيق عن مثله هند وصين" (*معيار الاختيار*، 85).

حدد السهيلي تاريخ ميلاده بنفسه جوابا على سؤال تلميذه ابن دحية اذ أخبر أنه وُلد سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقة، وتكاد تتفق المصادر على أن بصره قد كف وهو ابن سبع عشرة سنة أو نحوها (*بغية الملتمس*، 367، و*محاضرات الابرار*، 1 : 140) وذلك لمرض عضال ألم به كما جاء عند ابن الأبار : وكف بصره بما نزل به (*التكملة*، ترجمة رقم 1613) لذا أدرجه الصفدي ضمن المؤلفين العميان في كتابه *نكت الهميان*.

نشأ السهيلي بمالقة فقيراً معوزاً "يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف" كما قال عنه تلميذه ابن دحية (*المطرب*، 233) وكان من أسرة علم ودين وفقه : فقد كان والده وجده معدودين من العلماء، لذا قال عنه بعض مترجميه بأنه كان من بيت علم وخطابة. واستطاع بذكائه وطموحه أن يتعلم ويكوِّن أسرة من عدة أولاد، كما تشهد على ذلك كناه، ويصبح من أعلام اللغة والحديث والفقه في الغرب الإسلامي، ولم يحد من هذا الطموح لا عاهته ولا فقره.

حفظ القرآن وتعلم مبادئ العربية على يد والده، وأخذ باقي العلوم المتداولة في عصره على يد مجموعة من كبار الفقهاء والعلماء من مالقة وغيرها من الحواضر الأندلسية الشهيرة، إذ كانت له رحلات علمية إلى قرطبة وإشبيلية وغرناطة، وأحصى له بعض مترجميه أزيد من ثلاثين شيخا، منهم :

ابن الابرش : أبو القاسم خلف بن يوسف الشنتريني (ت. 532 / 1137) أخذ عليه النحو واللغة (المطرب، 232) ؛ وابن الرماك : أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد (ت. 541 / 1146) أخذ عنه النحو بإشبيلية، وكان لغويا مبرزاً، بارعاً في شرح *كتاب سيبويه* (*المطرب*، 232) ؛ وابن سرحان : أبو الحسن عباد (ت. 540 / 1145) أجازه في الحديث (*المطرب*، 232) ؛ وابن الطراوة : أبو الحسن سليمان بن محمد السبائي (ت. 528 / 1133) من أكبر حفاظ *كتاب سيبويه* بالأندلس. أخذ عنه السهيلي النحو، ولزمه طويلا، وأثر في منهجه في التاليف، وتناول القضايا، وكان يحترمه ويقدر علمه إذ لم يذكره في مؤلفاته إلا بلفظ "شيخنا" (*المطرب*، 231) ؛ وأبو بكر ابن العربي المعافري (543 / 1148) أخذ عنه السهيلي الحديث والأصول والتفسير، ولزمه بإشبيلية طويلا، وتبنى كثيراً من مواقفه وآرائه العلمية ولم يكن يذكره في تاليفه إلا بعبارة "شيخنا الحافظ" (*المطرب*، 231).

تصدر السهيلي للتدريس بمالقة وكان يدرس السيرة والحديث واللغة، وأملى بعض كتبه على طلبته، ويشهد على مستوى هذه الدروس وأهميتها العدد الكبير من الطلبة والعلماء الذين أخذوا عنه، وتخرجوا على يديه، ومنهم الأزدي : أبو الحسن سهل بن الحاج أبي عبد الله محمد بن سهل الغرناطي (ت. 639 / 1241) أخذ عنه *الموطا*، والسيرة والقراءات وسمع عليه كتابه *الروض الأنف* وغيره من كتب اللغة والأدب، (*برنامج الرعيني*، 60) ؛ والأموي : أبو القاسم أحمد بن يزيد ابن عبدالرحمن بن بقي بن مخلد (ت. 625 / 1227) سمع عنه تاليفه *الروض الأنف*. (*المرقبة العليا*، 117 ـ 118) ؛ والبكري : أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد المالقي (ت. 616 / 1219) روى عن السهيلي واختص به، وتادب عنده في العربية، وكان الشيخ معجبا بذكائه وفهمه (*الذيل والتكملة*، قسم 1 ترجمة 236) ؛ وابن حوط الله : أبو محمد الحجاج بن سليمان بن داوود الأنصاري (ت.607 / 1210) أشار الذهبي في *تذكرة الحفاظ*، (4 : 1397 ومابعدها) إلى أخذه عن السهيلي وهو محدث الأندلس وحافظها الكبير ؛ وابن دحية، أبو الخطاب بن دحية الكلبي (ت. 633 / 1235) أكبر طلبة السهيلي ترجمه في كتابه (*المطرب*، 231 ـ 239) ترجمة وافية، أخذ عنه الحديث والسيرة واللغة وسمع عنه كتابه *الروض الأنف* وغيره.

خلف السهيلي مؤلفات في الحديث والسيرة واللغة والفقه، إلى جانب شعره الجيد الرقيق في موضوعات المدح والتصوف، وقد جمع الأستاذ بنيوسف الزاكي شعره وأحصى له 28 مقطوعة أهمها عينيته المشهورة :

يامن يرى ما في الضمير ويسمع
أنت المرجى لكل ما يتوقع

التي تم تربيعها وتخميسها ومعارضتها من طرف الشعراء على مر العصور وقد دأب أهل المغرب على إنشادها في المناسبات الدينية. ومن مؤلفاته :

1 ـ *الروض الأنف والمشرع الروى، في تفسير ما اشتمل عليه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتوى* : نبه فيه على ما في السيرة من لفظ غريب أو إعراب غامض أو كلام مستغلق أو نسب عويص، أو موضع فقه ينبغي التنبيه عليه، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته. طبع عدة مرات بالمطبعة الجمالية بمصر سنة 1914 وطبعة دار الفكر بتقديم وتعليق طه عبدالرؤوف سعد وطبعة دار النصر بالقاهرة سنة 1970 بتحقيق عبدالرحمان الوكيل.

*نتائج الفكر* : اعتنى فيه بخمسة أشياء : الدلالة والعلة والعامل، ونظم القرآن، ونقد المصطلحات والتعريفات. حققه محمد إبراهيم البنا. ونشر مرتين الأولى بليبيا سن 1978، والثانية بمصر سنة 1986.

*كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية* : اهتم بذكر مصادر المواريث في كتب السنة وأقوال الصحابة. حققه محمد إبراهيم البنا، وصدر عن جامعة قار يونس بليبيا سنة 1980.

*التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام* : عرف فيه بمبهمات القرآن، وقد ذيله واستدرك عليه عدد من العلماء كابن عسكر المالقي وابن فرتون السلمي، وبدر الدين ابن جماعة ومحمد بن علي البلنسي وغيرهم. نشر مرات في بيروت وطرابلس.

مجموعة من *الأمالي والمسائل المفردات* : نشر محمد إبراهيم البنا قطعة منها سماها *أمالي السهيلي*، مطبعة السعادة 1970 تضم مسائل في النحو واللغة والفقه.

- مسائل في النحو واللغة والحديث والفقه : تضم مسائل عديدة في هذه العلوم، نشرها طه محسن في *مجلة المورد* العراقية، م 18 عدد 3 سنة 1989. واعتبرها مكملة لما نشره محمد إبراهيم البنا.

وللسهيلي مسائل أخرى كثيرة في موضوعات مختلفة ذكرها في بعض مؤلفاته أو وردت في مؤلفات غيره.

وقد تميزت مؤلفات السهيلي بالجدة في التناول، والتوسع والاستقصاء في البحث، والموسوعية. هذه المكانة العلمية كانت من أسباب استدعاء الموحدين للسهيلي، فقد اشتهر يوسف بن عبد المومن باستدعاء العلماء البارزين وجمع الكتب النادرة كما أفاد ذلك صاحب *المعجب*، (ص. 236 و242) : "ولم يزل يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب، ويبحث عن العلماء، وخاصة أهل علم النظر إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك المغرب".

لذا وقد وجدت الدعوة هوى في نفس السهيلي الذي كان بحاجة إلى كرم الخليفة وعطفه لأنه - كما هو معروف - كان فقيرا ضريرا محتاجا، كان من مؤيدي الدعوة الموحدية المقتنعين بمذهبها، عبر عن ذلك صراحة في مقدمة كتاب *الروض الأنف* عندما قال : "الحمد لله الذي الحقنا بعصابة الموحدين، ووفقنا للاعتصام بعروة هذا الأمر المتين، وخلقنا في إبان الإمامة الموعود ببركتها على لسان الصادق الأمين، إمامة سيدنا الخليفة أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ..." كما أنه نظم أمداحا في يوسف وبعض الأمراء الموحدين (*الإحاطة*، 2 : 328).

كان انتقال السهيلي إلى مراكش حدثاً كبيراً أضفى عليه الخليفة هالة عظيمة عندما أرسل إليه المراكب كما وصف ذلك تلميذه ابن دحية عندما قال : (فأمروا بوصوله إلى حضرتهم وبذلوا له مراكبهم وخيلهم ونعمتهم) وكان ذلك سنة 579 / 1183 لأن الثابت أنه قضى بها زهاء ثلاث سنوات.

والمعروف أنه تصدر للتدريس بمراكش : علوم الحديث والسيرة واللغة. وكذا كتابه *الروض الأنف* حسبما ذكر ابن مفرج اللخمي شيخ الرعيني (*برنامج شيوخ الرعيني*، 142).

أما مسألة توليه لقضاء الجماعة فمشكوك فيه لأن أخص طلبته وملازميه لم يذكرها. كما لم يذكره صاحب *المعجب* ضمن قضاة الموحدين، ولم يترجمه النباهي ضمن قضاة الأندلس فضلا عن أنه كان ضريراً يفتقد شرطا أساسيا من شروط صحة تولي القضاء وهو البصر.

وبالمقابل فإن المصادر التي ذكرت خبر توليه القضاء متأخرة ترجع إلى القرنين الثامن (الصفدي، ت. 764 / 1262) والتاسع (ابن الجزري 833 / 1429) . بينما عاش السهيلي في القرن السادس (12 م).

كانت علاقة الإمام السهيلي بالموحدين جيدة في البداية حسبما ما أفاده تلميذه ابن دحية (... وفي كل يوم كان يُجنيهم من حديثه أزهاراً، ويُقطفهم من ملحه آسا وبهاراً، حتى حسده الطلبة، وجردوا لملامه حساما، وحددوا للكلام فصولا...) (*المطرب*، 232-233).

وفي كلام ابن دحية إشارة إلى ما سيتعرض له السهيلي من إقصاء سواء كان ذلك بسبب حسد الطلبة المذكور أو بسبب ما أشارت إليه مصادر أخرى من خطإ وقع فيه السهيلي في كتابه عن الموحدين عندما جعل المنصور من آل البيت.

المهم أنه لم يلق منهم ما كان ينتظره من حفاوة وتكريم، أما ما انفرد ابن المؤقت بذكره عن إعداد سكن خاص للسهيلي بحي القنارية يشبه سكنه بمالقة، وإحضار أهله إليه دون علمه (*السعادة الابدية*، 2 : 104) فلم يذكره غيره ممن سبقوه.

وقد عوّضت الأقدار للإمام السهيلي إهمال الموحدين له باختياره ضمن رجال مراكش السبعة.

توفي الإمام السهيلي بمراكش يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان عام واحد وثمانين وخمسمائة 22 نونبر / 1185، ودفن وقت الظهر بروضة باب الرب. (*المطرب*، 233). وقد ذكر كل مترجميه هذا التاريخ باستثناء صاحب *بغية الملتمس*، (ص. 367) الذي جعل تاريخ وفاته سنة 583 / 1187 وتبعه في ذلك صاحب *نفح الطيب*، (4 : 370) والتاريخ الأول هو الصحيح.

*أمالي السهيلي*، تح. م. إبراهيم البنا، ط. 1، مصر، 1970 ؛ أبو الحسن علي الرعيني، *برنامج شيوخ الرعيني*، تح. إبراهيم شبوح، دمشق، 1962 ؛ أبو الحسن النباهي، المرقبة العليا، *تاريخ قضاة الأندلس*، 5، بيروت، 1983 ؛ م. الدين ابن عربي الحاتمي، *محاضرات الابرار ومسامرات الأخيار*، بيروت ؛ أ. الضبي، *بغية الملتمس*، القاهرة، 1967 ؛ م. ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، نشر عزت العطار الحسيني، مصر، 1956 ؛ أ. بن الزبير أبو جعفر، *صلة الصلة*، نشر ليفي بروفنصال، الرباط، 1938؛ م. بن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. م. بنشريفة، 1 و8 وإحسان عباس، 5 و6، ط. بيروت، 1965 - 1973 ؛ ش. الدين الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، ط 3، بيروت، 1374 ؛ ع. بن يوسف القفطي، *إنباه الرواة عن أنباه النحاة*، تح. م. أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1952 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب*، تح. م. س. العريان وم. العربي العلمي، ط. القاهرة، 1949 ؛ ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، بيروت ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات *الذهب*، بيروت، د. ت ؛ *ابن عسكر وابن خميس، أدباء مالقة، مخطوط* ؛ م. بن ع. المنعم الحميري، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، تح. إحسان عباس، ط 2، بيروت، 1984 ؛ ح. خليفة، كشف *الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، مكتبة المثنى، بيروت ؛ أبو الخطاب بن دحية، *المطرب من أشعار أهل المغرب*، تح. إبراهيم الابياري، ط. مصر، 1955 ؛ ص. الدين الصفدي، نكت *الهميان*، مصر، 1911 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. ع. الله عنان، ط. 1 القاهرة 1973 - 1977، *معيار الاختيار*، تح، م. كمال شبانة، المحمدية، د. ت ؛ م. الكتاني، سلوة، ط. حجرية فاسية. 1316 ؛ إ. باشا البغدادي، هدية *العارفين*، بيروت، 1982 ؛ م. ع.الله عنان، *الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال*، ط. 2، القاهرة، 1961 ؛ م. المؤقت المراكشي، *السعادة الابدية*، ط. حجرية فاسية، 1335 ؛ بنيونس الزاكي، *أبو القاسم السهيلي مُفسرا*، د.د.ع مرقونة بكلية الآداب وجدة ؛ م. بنشريفة، *أبو المطرف أحمد ابن عميرة المخزومي*، الرباط، 1966 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1960 ؛ ح. جلاب، *الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب*، مراكش 1994، 3 أجزاء.

حسن جلاب

**السواحل المغربية** (إعداد) موضوع مركزي ضمن مواضيع إعداد التراب في المغرب، وذلك لسببين، امتداد الساحل على حوالي 3500 كم، من السعيدية إلى الگويرة، وتركز ساكنة هامة في المجالات الساحلية، وخاصة منها ساكنة المدن، إضافة إلى تلاقي أنشطة متنوعة، قد تكون متناقضة على شريط مساحي ضيق.

ويميل الساحل المغربي، كما هو الحال في جل البلدان المتوسطية إلى أن يصبح مجالاً مستعملاً بإفراط، بسبب اتساع رقعة المدن، واستقرار الأنشطة الصناعية، والترفيهية، وموانئ التجارة والصيد البحري. وغالبا ما تنتج عن هذا التركز المفرط، مظاهر إتلاف، قد تستحيل معها إمكانات تدبير أجود وإعداد أفضل في المستقبل.

ذلك أن عملية التركز الساحلي للسكان والأنشطة، متقدمة وسريعة، إلى درجة خلق عدم توازن صارخ، في مجال الإعداد، بين الجهات الساحلية النامية، والمناطق الداخلية التي تشكو من التراجع وضعف الاستثمار. ويخفي هذا النمو الساحلي مشاكل عدة، تتمثل في التلوث الحضري والصناعي المركز حول المستوطنات البشرية والمنشآت الصناعية، وفي تضاؤل بعض الموارد البحرية، وتنشيط انجراف بعض الشواطئ الرملية، والتي تعتبر القاعدة التي ينبني عليها النشاط السياحي. كل هذا يؤدي إلى طرح قضية مستقبل الساحل والوسط البحري، باعتبار الاختيارات الأساسية في ميدان الاعداد، بحثا عن سياسة تضمن التدبير المتزن لهذه الأوساط الحيوية.

ويتّضح أن التدخلات من أجل الحفاظ على السواحل، أو إعادة تأهيل ما تدهور منها، لا يمكن أن تتم إلا ضمن خطة مندمجة، تنبني على مبادئ واضحة وبسيطة، وفي إطار قانوني قوامه الإنصاف والتعاضد، تسبقها حملة واسعة من أجل التوعية تهدف إلى ظهور سلوكات جديدة.

يعرف النظام الساحلي تغيرات عميقة للأسباب التالية :

- التغير المناخي الشمولي، المؤدي لارتفاع مستوى البحار، سينتج عنه إذا ما تحقق بسرعة تقلبات أحيائية، من أهمها إتلاف العديد من الموارد والتنقيص من التنوع البيولوجي.
- الاكتظاظ الساحلي للسكان والأنشطة، بسبب الهجرة نحو السواحل وتركز الاستثمار الصناعي والسياحي والخدمات فيها، يؤدي إلى اتساع رقعة المجالات المبنية على حساب المواقع الطبيعية. كما أن هذا الضغط المفرط يلوث المجالين الساحلي والبحري ويخلف متاعب صحية وبيئية.
- الاستثمار الخاص والتشييد في المجال الساحلي، الذي يعتبر ثروة عمومية يقصي العامة ويمنعها من الاستفادة، ولو بالترفيه والمشاهدة من هذا المورد الأساسي.
- التنافس بين الأنشطة المختلفة وطبيعة كل منها، قد يتسبب في تجابه ميداني، ينتج عنه إقصاء البعض منها. فالصناعة بملوثاتها تقصي السياحة، وإمكانات الحفاظ على المواقع الطبيعية أو الاركيولوجية النادرة.

لذا فإن الاعداد مطالب بمراعاة هذه الجوانب المختلفة :

- الساحل تراث طبيعي نادر، بسبب طبيعته المبنية على التقاء اليابسة والبحر، ولذا نجد به فصائل نباتية وحيوانية وأنظمة حيوية خاصة، إضافة إلى مشاهد رائعة، على الساحلين المتوسطي والأطلنتي، نذكر منها هور كبدانة، وأجراف الريف (بقوية، جبل موسى، رأس سبارطيل) وأهوار مولاي بوسلهام، والوالدية وخنيفيس، ومصب درعة، وخليج الداخلة). كما تتميز البحار المجاورة بثروة سمكية جد متنوعة.
- الساحل ميدان عمومي يضم مواقع لها أهمية اقتصادية خاصة، نذكر من بينها الموانئ المحمية، ومصبات الأنهار والشواطئ الرملية. وكل هذه المواقع رهينة باستقبال أنشطة ومستوطنات خاصة. فالموانئ مجال تركز لأنشطة الصيد والتجارة والصناعة وتمثل إلى جانب ذلك مواقع للمدن الاقتصادية الكبرى. وهذا حال الدار البيضاء وطنجة وآسفي وأگادير. والشواطئ الرملية والأهوار الساحلية مجال استقبال السياحة بنوعيها الشاطئي والبيئي.

وهذا ما يبرز أهمية المورد الساحلي وضرورة إعداد متزن، يسعى إلى تلافي أوضاع التدهور. فعلى الساحل المغربي تتركز 61٪ من ساكنة المدن الكبرى، و80٪ من العمال الدائمين في الصناعات الكبرى، و53٪ من الطاقة الاستيعابية للسياحة إضافة لى النقل البحري والصيد. والبحر مجال استقبال جل المياه الحارة التي تنتجها مدن ومصانع الشريط الساحلي. والإشكال يزيد تعقداً بسبب ضعف التحكم في النمو الحضري، وفي الامتداد العقاري للمنشآت السياحية، وفي قذف المياه الحارة والأزبال وهذا ما جعل مياه كثير من الشواطئ غير صالحة للاستحمام، وأسماك وقواقع كثير من المواقع غير قابلة للاستهلاك. إضافة إلى انجراف رمال الشواطئ العديدة، والذي ينتج عنه تحول جذري في ميزانية النقل والارساب، بسبب تصليب أعالي الشواطئ بالبنايات والطرق، أو بسبب اقتلاع الرمال من أجل البناء. فمن بين 47 شاطئا تمت دراستها من طرف الجهات المختصة، يتضح أن سبعة منها قد امحت كليا وصارت صخرية، وتسعة عشر أخرى في طور الانجراف السريع. ولذا فإن النشاط السياحي القائم على هذه الشواطئ الرملية مهدد بدوره بالتراجع.

من هنا تبرز أهمية خطة مديرية للسواحل، تراعي كل هذه الجوانب، وتنبني على اختيارات سياسية هامة، تمثل الإطار الذي ينبني عليه الإعداد المستقبلي للمجال الساحلي. ومن الواجب أن يهيئ هذا الاصلاح الادوات القانونية والتربوية اللازمة لتلافي التنافس بين الأنشطة، والتدهور المفضي إلى الإتلاف، واختيار مواقع الأنشطة غير المتكيفة، والسلوكات غير المتزنة.

عبد الله العوينة

**السواك**، يطلق على المواد النباتية التي تستعمل لتنظيف الأسنان أو لتجميل الشفاه واللثات أو ضد أمراض الفم. ومنها نوعان معروفان :

ـ سواك قشرة جذور الجوز أو يُوكُلانْسْ ريجْيَا Juglans regia (انظر مادة الجوز) الواسعة الاستعمال في الدول العربية والإسلامية كما هو الشأن في المغرب.

تنزع القشرة فتجفف لكي تباع على شكل رزم من القطع المستطيلة.

يمضغ أو يدلك سواك الجوز في أقطار الوطن العربي لأجل تبييض الأسنان وتحمير الشفاه واللثات أو لمحاربة الروائح الخبيثة للفم أو التهاب اللثة.

ـ السواك أو المسواك والمعروف أيضا بالآراك أو عود الآراك أو سيقان السواك هو النبات المسمى علميا سالْفادورا بيرسيكا Salvadora persica الذي يصادف بصفة نادرة جدا بالمغرب حيث لا يعيش إلا في بعض المناطق الصحراوية. لكن موطنه الأصلي يمتد من المحيط الأطلسي إلى الهند التي يستورد منها عجين الأسنان المسمى المسواك والمصنوع من خلاصة الآراك. كما يستورد عود الآراك من السينغال ومن شبه الجزيرة العربية وخاصة من طرف الحجاج.

ونبات الآراك شجرة أو شجيرة كثيفة الأغصان. يتراوح ارتفاعها من 2 إلى 5 م. أغصانها متدلية ومتهدلة. أوراقها متقابلة، بيضية الشكل، خضراء وفضية اللون، جرداء، وعصارية. ازهاراتها عنقودية. أزهارها صغيرة خضراء، مركبة من 4 سبلات و4 بتلات. ثمارها لحمية، وحيدة النواة، بيضية الشكل.

يتميز عود الآراك بفعاليته لضمان صحة الفم. ولذلك كان يستعمله الرسول سيدنا محمد ﷺ، مما جعل الإنسان يحترم البعض من أشجار هذا النوع فيتركها تعمر طويلا.

إضافة إلى هذه المزايا تعطي شجرة الآراك ثمارا تؤكل أو كما هو الشأن بالنسبة للأوراق تستعمل في التطبيب التقليدي.

ونظرا لكل هذه المنافع نجد في الجنوب المغربي أن بعض أشجار هذا النوع تصير جد ضخمة عندما تكون قريبة من القصور، كتلك التي تصادف بتينْ نْتازارْتْ بناحية طاطا.


A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité.* Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.


عبد المالك بنعبيد

**سْوال، حمّو** بن محمد، مقاوم من مواليد 1916 بقبيلة أيت عيسى بني تاجيت إقليم فكيگ. انخرط في صفوف المقاومة ضمن تشكيلة ثورة الأطلس بواد غريس، فكان يعقد الاتصالات والاجتماعات بين المقاومين والوطنيين بسرية في منزله، وتم التخطيط للقيام بهجوم شامل على مراكز القوات الاستعمارية إلا أن السلطات الاستعمارية علمت بالأمر فدبرت مكيدة لقتله وروجت دعاية مفادها أنه سقط من أعلى الجبل.

وكان استشهاده سنة 1955.


المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520593.


**السوالم**، مركز يقع داخل جماعة السوالم، في الجزء المشرف على البحر من إقليم سطات، أي في الجنوب الغربي لمدينة الدار البيضاء، على الطريق الوطنية رقم 1 الرابطة بين الدار البيضاء وأگادير عبر الجديدة.

ويحتل موقعا متميزا بين مجال الكثبان الرملية الساحلية المتماسكة والتي تشكل نطاقا لزراعة الخضر والسهل الداخلي للشاوية الذي يشكل نطاقا لزراعة الحبوب. ويقع بالضبط على الحدود بين جماعتين قرويتين (السوالم وأولاد احريز الساحل) اللتين تفصل بينهما الطريق الوطنية رقم 1. ونتيجة لذلك جاء المركز يتكون من شطرين منفصلين إداريا، رغم أنهما يشكلان في الواقع وحدة حضرية متماسكة تهيكلها الطريق الوطنية رقم 1 التي هي في نفس الوقت الشارع الرئيسي للمركز والحاجز الإداري بين شطريه. فالجزء الشرقي يدعى مركز أولاد احريز الساحل ويقوم بدور مقر للجماعة القروية التي تحمل نفس الاسم. والجزء الغربي يشكل مركز جماعة السوالم ومقرا لقيادة السوالم التي تضم الجماعتين. غير أن هذا التقسيم لن يدوم طويلا لأن تصميم التهيئة العمرانية التي وضع مؤخرا للمركز يعتبر السوالم وحدة حضرية متماسكة ستصبح مستقلة عن الجماعتين القرويتين معا.

حسب إحصاء 1994 يضم مركز أولاد حريز 1.616 نسمة ومركز السوالم 1.849 نسمة. وبذلك يظل المركز في مجموعه صغير الحجم (3.465 نسمة) لكنه شهد تطورا هائلا خلال السنوات الأخيرة وخاصة بعد إحداث منطقة صناعية به، في إطار سياسة تخفيف الضغط على الدار البيضاء التي لا تفصله عنها سوى مسافة 35 كلم. ونتيجة لذلك أصبح يستقطب الباحثين عن الشغل من الشاوية ودكالة وحتى من الدار البيضاء. مما أدى إلى استفحال ظاهرة السكن العشوائي به. فتم وضع مخطط عمراني يتوقع أن ترتقي السوالم إلى مستوى مدينة قد يبلغ حجمها الديموغرافي 60.000 نسمة في أفق 15 سنة. وفي هذا الصدد تعرف السوالم منذ خمس سنوات حركة نشيطة في ميدان البناء تجلب الباحثين عن الارتقاء إلى ملكية السكن من بين الفئات الوسطى من الدار البيضاء وخاصة في إطار الوداديات.

إن مركز السوالم الذي نشأ وتطور كسوق أسبوعي (الخامس في إقليم سطات بعد اثنين برشيد، اثنين بن احمد، أحد البروج، جمعة أولاد عبو) وكمحطة طرقية على أبواب الدار البيضاء وبين إقليمي سطات والجديدة، يتجه اليوم نحو

تعزيز مكانته كتجمع سكاني وكمجمع صناعي مندمج في الدار البيضاء الكبرى. ومن خلال ذلك يمكنه أن يرسخ مواقعه المتعددة داخل إقليم سطات وعلى أبواب الدار البيضاء الكبرى وبين مجالات فلاحية متباينة ومتكاملة وبينها وبين الدار البيضاء وإقليمه. وقد ظهرت بوادر هذا التوجه من خلال أهمية الصناعات الغذائية التي استقرت به والمرتبطة بتحويل المنتوجات الفلاحية لمحيطه المباشر (إنتاج البيض، الدواجن، تصبير الخضر ومشتقات الحبوب...) والصناعات المرتبطة بالسوق البيضاوية (مواد البناء، المعدات الكهربائية، النسيج، المواد البلاستيكية...). ويتعزز موقعه كمحطة طرقية من خلال التطور الكمي والنوعي الذي تشهده التجارة والخدمات المرتبطة بحركة النقل والعبور عبر الطريق الوطنية رقم 1 والمحور الطرقي الذي يربط إقليم سطات بالبحر (برشيد - سيدي رحال)، هذا فضلا عن تعزيز موقعه كقطب إداري للجزء الغربي من قبائل أولاد حريز الذي سيتسع مع ترقيته المرتقبة إلى رتبة بلدية.

وهكذا يعتبر مركز السوالم من التجمعات التجارية والسكنية الصغرى القليلة بإقليم سطات التي استفادت وتستفيد من قربها من الدار البيضاء. لذلك يتوقع مخطط التهيئة الذي وضع له أن يشكل مكونا أساسيا من مكونات الحزام الحضري الذي يعول عليه مستقبلا في هيكلة ضواحي العاصمة الاقتصادية للمغرب. وسيساعده في ذلك كونه المركز الوحيد الذي يحتل موقعا متميزا في الجنوب الغربي لهذه المدينة.

*دراسة ميدانية*

المصطفى شويكي

**السودان** (جمهورية -). أقامت المملكة المغربية علاقات ديبلوماسية مع جمهورية السودان منذ استقلالها، سنة 1375/ 1956. وضع لبنة هذه العلاقات محمد الخامس ثم تطورت واتسعت آفاقها بعد ذلك. وتميزت المراحل الأولى للعلاقات المغربية السودانية بالصعوبة نتيجة للأوضاع الداخلية للبلدين، الموروثة عن الاستعمارين الانجليزي بالسودان والفرنسي بالمغرب.

ومع ذلك ظلت العلاقات المغربية - السودانية قائمة على مبادئ الاحترام المتبادل للسيادة الوطنية، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والتعاون المثمر في كل المجالات : السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية، على أساس القوانين والمعاهدات الدولية. وتندرج تلك العلاقات أيضاً في إطارها الدولي، ضمن العلاقات العربية - العربية، والعربية - الإفريقية، والعربية - الإسلامية.

وفي سياق ذلك، ارتبط البلدان بعدة اتفاقيات ثنائية وبْرُوتُوكولات التعاون في جميع المجالات التي لا تخرج عن الأبعاد السالفة الذكر. وسُجل تبادل الزيارات بين الوفود الرسمية لكلا البلدين للتشاور والتنسيق بين الحكومتيْن في المجال السياسي. وعرض مشاريع التعاون المشترك وآفاق توسيعها. وتقيم جالية سودانية بالمغرب، تضم كثيراً من الطلبة الذين يتابعون دراساتهم في عدة تخصصات بعدة كليات ومعاهد ؛ وأطراً وعاملين في مجالات مختلفة يعملون بالقطاع الخاص، كما تقيم جالية مغربية بالسودان، تضم بعض الطلبة، وأطراً عليا كالمهندسين والتقنيين والخبراء المتخصصين في المجالات الزراعية والصناعية، والتجارية.

ويمكن القول بأن سنة 1958، هي التي شهدت انطلاق التعاون بين البلدين في المجال السياسي، وتمثّل ذلك في حضور البلدين إلى جانب تونس ومصر وليبيا وغانا وليبريا، المؤتمر الأول للدول الافريقية المستقلة في مدينة أكرا بغانا. وكان هذا المؤتمر مهما لأنه أشار إلى أنّ " لا الإسلام ولا الصحراء الكبرى يشكلان حاجزاً لا يمكن عبوره بين إفريقيا السوداء والعربية ..."، وبرزت في القمة النظرة القائلة بأن لدى بعض الدول الإفريقية السوداء قواسم مشتركة على الصعيد السياسي مع بعض الدول العربية أكثر مما لها مع جاراتها المباشرات، (*العرب وإفريقيا*، 102). وشارك السودان إلى جانب المغرب في إنجاح عدة مؤتمرات إقليمية ودولية، ومن بينها :

- مؤتمر تأسيس منظمة الوحدة الإفريقية، سنة 1963،
- مؤتمر تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي بالرباط، سنة 1967،
- المؤتمرات الخاصة بالجامعة العربية،
- المؤتمرات الخاصة بالأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها.

ويشترك المغرب والسودان في تبني مواقف سياسية ثابتة مثل : دعم الكفاح الوطني للشعب الفلسطيني، مكافحة الاستعمار في إفريقيا وآسيا ومساندة حركات التحرر فيها، مناهضة العنصرية بكل أشكالها وتفعيل آليات التعاون والتضامن العربي - الإفريقي (مؤتمرات : 28 / 7 و1 - 8 - 1975 لكامبالا بأوغندا ؛ 19 / 22 / 4 - 1976 بدكار بالسنغال؛ يناير 1977 بِلُومي بالطوغو) ... الخ.

وقد حظي السودان باحتضان المقر الرئيسي للبنك العربي للتنمية الاقتصادية في إفريقيا، تطبيقا لقرار مؤتمر القمة العربية السابع المنعقد في الرباط من 28 إلى 29 أكتوبر 1974 (*العرب وإفريقيا*، 101 - 120).

وقد عرف عقد الثمانينيات بروز التكتلات الاقتصادية القوية، وتطور ظاهرة العولمة، فصار العالم مترابطا مما استدعى حل عدة مشاكل خطيرة، والبحث عن سبل حل أخرى كانت ما تزال قائمة، وأدى ذلك إلى نشوء رغبة للتعاون في كل المجالات بين الدول الفقيرة والغنية، وتطور منتدى باريس للحوار بين الشمال والجنوب (الذي ظهر سنة 1975 بفرنسا)، فصار منتدى الحوار العربي - الإفريقي - الأوربي الذي يهدف إلى إرساء قواعد جديدة للعلاقات بين الدول المشاركة فيه لمحاربة التخلف والفقر والبطالة. ولم تفت البلدين فرصة الانتماء إلى مثل هذه المنتديات لتطوير اقتصاديهما استعدادا للدخول في مرحلة اقتصاد السوق.

وتنعقد اللجنة العليا المختلطة المغربية السودانية بين الحين والآخر، لدراسة أوجه العلاقات الثنائية بين البلدين، وبحث مشاريع الاتفاقيات والبروتوكولات الخاصة بالتعاون في كل الميادين، والاستثمار، وما إلى ذلك. ففي سنة 1995، حمل وزير الثقافة المغربي رسالة من جلالة الملك إلى رئيس دولة السودان قصد دعم علاقات البلدين (4 / 4 / 1995)، وحصل نفس الشيء مع سفير السودان بالمغرب يوم 25 / 6 / 1995 ؛ ووصل وفد حكومي سوداني إلى المغرب، يرأسه وزير التجارة للمشاركة في أشغال اللجنة المختلطة المغربية السودانية يومي 29 ـ 30 / 6 / 1995. وقد وقّع الجانبان على عدة اتفاقيات في المجالين الاقتصادي والثقافي. وكانت بعد ذلك لقاءات عديدة بين المسؤولين المغاربة والسودانيين.


يسري الجوهري، *شمال إفريقية*، دراسة في الجغرافية الإقليمية، مصر، د. ت ؛ جماعة من الأساتذة، *العرب وإفريقيا*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط. 1، 1993 ؛ مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية، *التقرير الاستراتيجي للمغرب، 1995 / 1996* ؛ مجلة أبحاث، عدد خاص، س، 13، 1997، الرباط، المغرب ؛ م. العربي المساري، *المغرب ومحيطه*، الجزء الأول، الرباط، 1998.

R. et M. Cornevin : *Histoire de l'Afrique, des origines à nos jours*. Paris, 1956 ; G. P. Murdock : *Africa, Its Peoples and their Culture History*. New York, 1959 ; I. W. Zartman : *Government and Politics in Northern Africa*. London, 1963 ; A. T. Grove : *Africa South of Sahara*. Oxford University Press. 1967 ; M. F. Thomas and G. W. Whittington : *Environment and Land Use in Africa*. London 1969 ; Viviana Pâques : *Les Peuples de l'Afrique*. Paris 1974 ; M. Morsy : *North Africa 1800-1900*. London and New York 1974.


خالد أوشن

**السودان الغربي والمغرب.** يُطلق اسم السودان الغربي على النطاق الفاصل ما بين الضفة الجنوبية للصحراء الكبرى ومقدمة الغابة الاستوائية. وبذلك فالسودانيون يشغلون ـ تقريبا ـ المجال المنحصر فيما بين خطي عرض 11 و17 درجة شمالا. وفيما شكل المحيط الأطلنتي حدا طبيعيا من جهة الغرب، امتد مجال انتشار السودان شرقا إلى غاية بحيرة كوري (تشاد) وهوامشها الشرقية.

فوق هذه الرقعة الجغرافية، قامت وتعاقبت عدة وحدات سياسية سودانية خلال العصر الوسيط، وهي : مملكة غانة، وسلطنة التكرور، وامبراطورية مالي، وامبراطورية سنغاي.

يصعب تحديد تاريخ مملكة غانة ونشأتها أو الحديث عن مؤسسيها الأوائل، وكل ما يمكن تأكيده بهذا الصدد، هو أنها كانت قائمة الوجود كوحدة سياسية في منطقة أوكار قبل القرن الثاني (8 م) (المسعودي، ج. 2 ص. 377). وحسب رواية البكري (ص. 184)، فإن اسم غانة يُطلق على المملكة وعاصمتها، كما أنه يمثل لقباً للملك.

وانطلاقا من غانة العاصمة (كومبي صالح). كان الملك يباشر سلطته، ويساعده في مهامه عدد من الوزراء والموظفين. كما كان للملك ولاة ينوبون عنه في تسيير شؤون الجهات والأقاليم.

ويظهر أن علاقة الملك برعاياه، كانت تستند على قيم اجتماعية ـ ثقافية أصيلة، لعل أهمها سمة العدل التي تطبع بشكل متميز سلوك العاهل تجاه رعيته. وفي المقابل كانت الرعية تبادله صدق الولاء، وتترجم إجلالها له في عادة التتريب. يقول البكري، (ص. 176) : "فإذا دنا أهل دينه منه [أي الملك] جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم فتلك تحيتهم له".

وبحكم مجاورة أهل غانة لصنهاجة الصحراء من جهة الشمال، فقد نشأ بينهما احتكاك، كان يأخذ في بعض الأحيان طابعا صداميا مثلما وقع أثناء صراعهما على مدينة أودغشت خلال القرن الرابع (10 م). على أن الصراع بينهما حول المصالح الاقتصادية لم يؤد إلى تنافر أو قطيعة ثقافية، بل شكل عنصراً مساعداً في تزايد احتكاك وتثاقف البربر المسلمين (صنهاجة) من جهة والسودانيين من جهة أخرى. الشيء الذي أدى إلى اعتناق عدد من السودانيين للإسلام، وذلك حتى قبل قيام الحركة المرابطية (ابن حوقل، ص. 98، البكري، ص. 174).

ومما يشهد على هذا الاحتكاك الإيجابي أن السودانيين كانوا يرحبون بالإسلام، ويقدرون أيما تقدير كل مسلم تاجر أو فقيه دخل بلادهم. ولا غرو والحالة هذه أن يحتل المسلم مكانة رفيعة في السودان، حتى إن الملك الغاني كان يستعين بالمسلمين في تسيير دواليب الحكم، حيث كان يتخذ منهم تراجمته وصاحب بيت ماله وأكثر وزرائه (البكري، ص. 175).

إن الصورة الدينية التي حاول البكري أن يرسمها لنا عن غانة في منتصف القرن الخامس (11 م)، تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن المملكة كانت غارقة في تقاليدها الوثنية (الأرواحية)، شأن باقي الإمارات السودانية الأخرى (كوكو، ومَلَلْ، وتكرور)، بيد أن الحضور الجنيني للإسلام سواء في العاصمة أو غيرها من مدن السودان، كان يؤشر على تحولات عميقة لاحقة. وهذا ما ستبرهن عليه شهادات الشريف الإدريسي في منتصف القرن السادس (12 م)، حيث أصبح جل أهل غانة يعتنقون الإسلام، ويعتمدونه كمرجع أساسي في حياتهم. وأكثر من ذلك أصبح أهل غانة يصرّون على القيام بفريضة الحج. في حين أخذ ملوكهم يتهافتون على ادعاء النسب لآل البيت، ويعلنون عن تبعيتهم للخلافة العباسية (الإدريسي، ص. 6 الزهري، ص. 125).

وتندرج هذه المواقف في إطار التنافس الديني فيما بين مملكة غانة وسلطنة تكرور المصاقبة لها من جهة الغرب.

وتكرور عاصرت مملكة غانة، وقد ظهرت كإمارة صغيرة على نهر السنغال. وبفعل التعامل التجاري الكثيف مع صنهاجة الصحراء، اعتنق أهل تكرور الإسلام منذ بداية القرن الخامس (11 م) ومنذئذ وهو يعملون بدورهم على نشر الإسلام بموازاة مع توسيع مجال نفوذهم. وفي منتصف القرن السادس (12 م)، أصبحت الإمارة عبارة عن سلطنة إسلامية

منافسة لمملكة غانة (البكري، ص. 172 ؛ الإدريسي، ص. 4.3).

إن ما عرفته مملكة غانة من تطورات وتحولات إبان القرن السادس (12 م). لا يستقيم مع ما شاع لدى بعض الإخباريين ـ ومن سعى سعيهم من الباحثين ـ من أن المملكة تعرضت لغزو كاسح ومدمر من طرف المرابطين أدى إلى انهيار دولة غانة عام 469 / 1076.

لقد عاشت مملكة غانة بعد الإدريسي عدة عقود، وربما امتد عمرها حتى مطلع القرن السابع (13 م)، حيث انهارت واضمحلت على إثر هجوم شعب الصوصو عليها. وحينئذ اختفت المملكة نهائيا وتركت المجال مفتوحا لبروز قوة سياسية جديدة هي امبراطوية مالي (*العبر*، م 6 ص. 434).

يستفاد من الشهادات المصدرية العربية والبرتغالية أن ملل أو ملّ أو مالي شهدت عدة تطوات فيما بين منتصف القرن الخامس (11 م) ومستهل القرن العاشر (16 م) على أن مرحلة ظهورها على الساحة السودانية كقوة بارزة، لا تتجاوز الفترة المتراوحة ما بين عام 628 ـ 834 / 1230 ـ 1430. ففي خلال ذينك القرنين عرفت مالي نشأتها الحقيقية، واتسعت حدودها لتشمل جل الإمارات والممالك السودانية : مملكة غانة، وسلطنة تكرور، وإمارة كوكو (كاغ). وبانصهار هذه الوحدات في كيانها، أصبح نفوذ الإمبراطورية يغطي جل مناطق بلاد السودان.

ويعتبر قبيل الماندينغ أو الماندگ (Manding) المتمركز في أعالي نهري السنغال والنيجر (النيل السوداني)، يعتبر العنصر الأساسي الذي ساهم في تأسيس وتكوين الدولة. ويظهر أن طموح الماندينغ في الحصول على جزء من أرباح التجارة الصحراوية، دفع بهم خارج مجالهم في اتجاه الشمال، وذلك على طول مجرى النيل السوداني وروافده المتشعبة. فكان لهم احتكاك بالمغرب والمغاربة وليس لدينا شك في أن انتشار الإسلام ببلاد السودان خلال القرنين السادس والسابع (12 ـ 13م) كان له أثر في توحيد القبيل وتركيز قوته تجاه أعدائه الصوصو.

وكان الماندينغ قد تعرفوا علي الإسلام خلال النصف الأول من القرن الخامس (11 م)، حيث أشار البكري (ص. 178) إلى أن أول ملك مالي اعتنق الإسلام كان يُعرف بالمسلماني. وقتها كانت ملل عبارة عن إمارة صغيرة توجد في أقصى جنوب بلاد السودان. وعند نهاية القرن السادس (12م)، عرفت الدعوة الإسلامية انتشاراً واسعاً بين قبائل الماندينغ، بفضل نشاط اللمتونيين الصنهاجيين وتحركات تجار الونجرا.

والونجرا أو الونقارة يشكلون إحدى أهم قبائل الماندينغ. وبحكم تعاطيهم التجارة، انتشروا في جل المراكز والمدن السودانية المتأثرة بالإسلام، الشيء الذي يفسر كثرة الإشارات المصدرية إليهم (J. Cuoq, Recueil; p. 135-136). وقد أدى احتكاكهم المستمر بالمسلمين إلى اعتناقهم للإسلام، ثم في مرحلة لاحقة، أصبحوا رسل الدعوة الإسلامية في بلاد مالي. وبما أن الأمر تجاوز نطاق العمل الفردي المحدود للفقيه أو التاجر المسلم، وارتبط بفعالية فئة عريضة من المجتمع (الونجرا)، فقد انعكس ذلك إيجابيا على سيرورة انتشار الإسلام بين قبائل الماندينغ، حيث شملت الدعوة فئات واسعة منهم، وعلاوة على ذلك لم يتطلب أمر انتشارها وقتا طويلا.

لقد تغلب الصوصو على مملكة غانة، واستعبدوا أهلها وأصاروهم في جملتهم على قول ابن خلدون. ويستشف من خلال الرواية الشفوية أن شعب الصوصو الوثني بقيادة سوما نجورو، كانت له طموحات سياسية كبيرة. ذلك أنه بمجرد إخضاع غانة وربما كذلك سلطنة تكرور، توجهوا نحو الجنوب للسيطرة على بلاد مالي حيث مناجم الذهب، ثم بسطوا نفوذهم على قبائل الماندينغ لبضعة عقود أذاقوهم خلالها مرارة القهر والتسلط (أحمد الشكري، ص. 179).

وفي خضم هذه الأحداث برزت شخصية ماري جاطة (سندياتا) كزعيم مسلم، استطاع أن يقود قبائل الماندينغ في مواجهة الصوصو. وتمكن في نهاية الأمر من الانتصار عليهم حوالي 633 / 1235. وبذلك حرر البلاد من سطوتهم، ودعم مكانته بين زعماء القبائل، مما حدا بهم إلى تنصيبه كإمبراطور عليهم (*العبر*، 5، ص. 413).

وبعد وفاة ماري جاطة عام 652 / 1255، استمر خلفاؤه في توطيد أركان الدولة وتوسيع حدودها إلى نهاية القرن السابع (13 م). وتهيأت البلاد بعدئذ لتلج منعطفاً جديداً، اتسم بالازدهار والانفتاح على العالم الإسلامي. والمغرب الأقصى بصفة خاصة وتصدر هذه المرحلة كل من السلطان منسا موسى (712 ـ 737 / 1312 ـ 1337) وأخيه السلطان منسا سليمان (741 ـ 761 / 1341 ـ 1360)، اللذين كانت لهما علاقة وطيدة مع السلطان أبي الحسن المريني وولده أبي عنان. وبلغت امبراطورية مالي في عهدهما قمة ازدهارها وأوج عظمتها (محمود كعت، ص. 38).

وقد وقف ابن بطوطة أثناء سياحته بالمنطقة على مظاهر مختلفة تبرز تعلق أهل مالي بالعقيدة الإسلامية، تجلت في مواظبتهم على الصلوات، وحرصهم الشديد على حضور صلاة الجمعة، وحث الأبناء على حفظ القرآن، وإحاطة حرمة المسجد بهالة من القدسية يصعب حتى على السلطان أن يمسها أو يخدشها.

وإذا كان السودانيون قد تعرفوا على الإسلام بفضل أهل المغرب، واستمروا في الاستعانة بالفقهاء المغاربة خاصة في الخطط الدينية، فليس غريبا أن تصطبغ مجموع المظاهر والاحتفالات الإسلامية لديهم بالصبغة المغربية، كما ليس غريبا أن يأخذوا مثلهم بالمذهب المالكي.

لقد امتدت التأثيرات المغربية لتشمل جوانب مختلفة من حياة السودانيين سواء منها الدينية مثل التي وقفنا عندها، أو الحضارية (العمارة). وفي المقابل برهن السودانيون على استعداد لتجاوز مرحلة استيعاب قواعد الشريعة الإسلامية،

فأصبحوا يتشوفون إلى فضاءات الثقافة العربية الإسلامية. وفي هذا الإطار أخذ بعض الطلبة من أهل مالي يتطلعون لاستكمال دراستهم بفاس ومراكش، كما كانت الرحلة الحجية للسودانيين، تتيح لهم فرصة الاستزادة بالقاهرة أيام المماليك (السعدي، ص. 57 ابن خلدون، ج. 6، ص. 416).

ثم قامت امبراطورية سنغاي على أنقاض مالي، وارتبطت نشأتها في بداية الأمر بمدينة كوكيا، لكن سرعان ما تحول عنها السنغيون إلى مدينة كوكو (كاغ أو گاو) حيث أصبحت مستقر أمرائهم في منتصف القرن الرابع (10 م)، واستمرت عاصمة لهم طيلة عهدهم.

وقد عرفت إمارة سنغاي بكوكو أحداثا سياسية عند منتصف القرن السابع (13 م) أدت - في ظروف نجهل الكثير عنها - إلى تقلّد أسرة سُنّي للحكم مكان أسرة زا. (672 - 898 / 1275 - 1493) مع صعود الماندينغ وتأسيسهم لامبراطوريتهم كما رأينا سابقا. والأكيد أن إمارة سنغاي خضعت لحكم مالي، خاصة أيام قوتها وازدهارها، شأن غانة وتكرور. غير أن أمراء سنغاي لم يستسلموا بصفة نهائية وظلوا يعملون على التخلص من هيمنة الماندينغ كلما سمحت لهم الظروف بذلك (السعدي، ص. 6 - 7).

وبمجرد ما بدأ الضعف يدب في جسم امبراطورية مالي على نحو ما رأينا، استغل السنغيون الفرصة، واعلنوا عن استقلالهم وإن ظلوا تابعين لها شكلياً.

وحينما استقرت الأوضاع السياسية، وأخذت الطبقة الحاكمة تتطلع لترتيب أمور الدولة وتنظيم أحوال المجتمع، برزت شخصية الحاج أسكيا محمد كقائد عسكري مسلم، استطاع بحنكته أن يهزم خَلَف سني علي ويستولي على الحكم عام 899 / 1493. وبذلك أسس لمرحلة جديدة من تاريخ امبراطوية سنغاي في ظل أسرة جديدة عُرفت بأسرة أسكيا.

أصبحت سنغاي جزءاً لا يتجزأ من دار الإسلام، بفعل انتشار الدين الحنيف بين فئات واسعة من الناس. كما أن حصيلة اتصالات السودانيين بالمراكز العلمية الإسلامية مثل فاس والقاهرة أفضت في بداية القرن العاشر (16 م) إلى تشكيل نخبة من العلماء والفقهاء السودانيين تمركزوا في تنبكت وجني وغيرهما من حواضر السودان.

وكانت هذه النخبة العالمة تتمتع بتقدير رفيع عند الناس، مما حذى بالأسكيين إلى التقرب والتودد إليها، للاستعانة بها في توجيه دفة الحكم على النمط الإسلامي.

وحسب الشهادات السودانية كان السلطان أسكيا محمد ابن أبي بكر توري، رجلا تقيا ورعا، حريصا على القيام بمصالح المسلمين وإعانتهم على طاعة الله وعبادته. كما كان محبا لأهل العلم والصلاح، فاتخذ منهم بطانته، يستشيرهم في أمور دينه أو فيما يلزمه من أمر الحل والعقد (السعدي، ص 72 ومحمود كعت، ص. 59).

وبموازة مع جهاده للموشي كانت للحاج أسكيا محمد تحركات عسكرية، استهدفت المناطق الشرقية في بلاد الحوس، وهمت أغدس وكشن وكنو، حيث أخضعها وعمل على ترسيخ الإسلام بها. وبفضل توسعاته أصبحت امبراطورية سنغاي تبسط نفوذها على جل مناطق بلاد السودان. وعم الأمن والاستقرار، مما شجع على ضخ دماء جديدة في المحاور التجارية الصحراوية، وذلك على الرغم من الأحوال السياسية المضطربة في الشمال سواء في مصر أو المغرب الأقصى.

وقد حاول الوطاسيون ملوك فاس - بالرغم على الظروف الداخلية الصعبة إنعاش العلاقات التقليدية بين المغرب والسودان، فبادر محمد الوطاسي البرتغالي بإرسال سفارة إلى الحاج محمد أسكيا حوالي عام 918 / 1531. وكان ممن سار في الوفد السفاري المغربي الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، الذي دوّن لنا الكثير من مشاهداته وملاحظاته حول بلاد السودان في مؤلفه *وصف إفريقيا*، (ج 2. ص. 116). وانتقل بعد ذلك عدد من الفقهاء المغاربة إلى السودان، في مقدمتهم عبد الرحمن سقين (ت. 956 / 1549). ومحمد بن عبد الكريم المغيلي (ت. حوالي 930 / 1523) صاحب الفتاوي المنشورة بعنوان *أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي*. وبعد موت أسكيا الحاج محمد سار ابنه أسكيا داوود على نهجه في التقرب من العلماء ومهاداتهم والتودد إليهم، وإلى جانب ذلك كان مولعا بالثقافة العربية الإسلامية ومهتما برجالاتها. ولهذا الغرض اتخذ النساخ ينسخون له مؤلفات الفقه المالكي (محمود كعت، ص. 94).

وبعد وفاة أسكيا داوود عام 990 / 1582، عادت أحوال الامبراطورية إلى ما كانت عليه من الضعف والوهن، وتعرضت الكثير من جهاتها لهجومات الفولانيين والبمبر والطوارق، وفي خضم ذلك أخذت بعض الأقاليم تعلن استقلالها عن الحكم المركزي. وفي ظل هذه الأوضاع المتدهورة، وصلت طلائع الحملة العسكرية التي أرسلها أحمد المنصور الذهبي إلى بلاد السودان عام 999 / 1591 ولم يتمكن أسكيا إسحاق 2 (996 - 999 / 1588 - 1591) من مواجهة الجيش السعدي، فانهارت امبراطوية سنغاي على إثر ذلك، ونزح ما تبقى من أمراء الأسكيين إلى دندي في أقصى جنوب شرق الامبراطورية المتهاوية (السعدي، ص. 153).

وبالجملة فإن الصلات بين السودان الغربي والمغرب الأقصى ظلت قائمة منذ أن أخذ السودانيون في اعتناق الإسلام خلال القرن الهجري الثاني (8 م)، تضعف تارة وتقوى أخري، "وانتقل إلى بلاد السودان عبر القرون عدد من العلماء المغاربة أقاموا فيه مدداً قصيرة أو طويلة، ينشرون لغة القرآن وتعاليمه، بل استقر بعضهم هناك نهائياً وأنجبوا الأولاد، وبخاصة في تمبكتو. كما انتقل عدد آخر من الطلبة السودانيين إلى الشمال فدرسوا على أعلام الصحراء وسوس ومراكش وفاس.

وقد مكث الباشوات المغاربة الذين حكموا السودان الغربي باسم السعديين منذ مطلع القرن العاشر (16 م)

ومعهم عدد غير قليل من الأسر المغربية، وتأقلموا مع محيطهم، وانصهر عقبهم في الوسط السوداني وبقوا على رأس السلطة هناك إلى أن أطاح بهم المستعمرون الأوربيون في مطلع القرن الرابع عشر (19 م). وبالمقابل دخل إلى المغرب عدد كثير من السودانيين في ظروف مختلفة طوال العهد الإسلامي، واندمجوا اندماجا تاما مع السكان الأصليين.

أ. البكري، كتاب *المغرب*، باريس ميزونوف، 1965 ؛ المسعودي، *مروج الذهب*، بيروت، 1979 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، بيروت، 1979 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ليدن، 1968 ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، الابواب 8 ـ 14، الدار البيضاء، 1988 ؛ ع. الرحمان ابن خلدون، *كتاب العبر*، بيروت، 1961 ؛ م. ابن بطوطة، *تحفة*، بيروت، 1985 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، بيروت، 1983 ؛ م. كعت، *تاريخ الفتاش*، أنجي بريدن، 1913 ؛ ع. الرحمان السعدي، *تاريخ السودان*، أنجي بريدن، 1898 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، المحمدية، 1976 ؛ أ. الشكري، *الإسلام والمجتمع السوداني*، أبوظبي، 1999.

Djebril Tamsir Niane, *Le Soudan occidental au temps des grands empires*, Paris, 1975 ; J. Cuoq, *Recueil des sources arabes concernant l'Afrique occidentale*, Paris, 1985.

أحمد الشكري

ابن **سودة** أو بنسودة (أسرة –)، بيت بني سودة من أعرق البيوتات العربية في فاس، ينتسبون إلى بني مُرّة القرشيين، انتقل هذا الفرع منهم إلى دمشق الشام ثم منها إلى الأندلس واستوطنوا إقليمي إلبيرة (وهو إقليم غرناطة) ورية (وهو إقليم مالقة) على حد قول ابن حزم في *جمهرة أنساب العرب*. وقد ذكر ابن الخطيب في *الإحاطة* من وجوههم محمد بن سودة بن إبراهيم بن سودة المري من أهل القرن السابع الهجري فقال عنه : "كان شيخا جليلا كاتبا مجيدا بارع الأدب رائق الشعر سيال القريحة سريع البديهة عارفا بالنحو واللغة والتاريخ ذاكرا لأيام السلف طيب المحاضرة مليح الشيبة حسن الهيئة مع الدين والفضل والطهارة والوقار والصمت"، إلى أن قال : "أصابه في آخر عمره نكبة ثقيلة أسر وأولاده فكانت وفاته أسفا لما جرى عليهم"، وقد توفي في حدود سنة 637 من الهجرة. وذكر أيضا محمد بن محمد بن علي بن سودة المري فقال إنه "من نبهاء بيوتات الأندلس وأعيانها، سكن سلفه البشارة، بشارة بني حسان، وولي جده الأشغال، حميد السيرة معروف الإدانة"، ثم قال : "و هذا الفتى من أهل الخصوصية والسكون والحياء المانع من كثير من الأعراض، مال إلى العلوم العقلية [...] فتصدر للعلاج وعاني الشعر وأرسم الكتابة وعدّ من الفضلاء، وظهرت على عباراته اصطلاحات الحكماء وتشوف إلى العهد للرحلة الحجازية والله ييسر قصده". وقال عن شيوخه : "قرأ الطب والتعديل على الحبر طبيب الديار السلطانية، فارس ذينك الفنين إبراهيم بن زرزار اليهودي، ورحل إلى العدوة فقرأ على الشريف العالم الشهير رحلة الوقت في المغرب أبي عبد الله العلوي وبلقياه نجح.

وقد أورد ابن الخطيب قصيدة له في مدح سلطان العصر من بني الأحمر قائلا "فالجل معدود من السراة بيتا وتخصصا".

ويبدو أن محمد بن محمد بن علي بن سودة المري هذا هو الذي استقر بفاس في حدود سنة 754 من الهجرة، فهو الذي ورد ذكره في روضة النسرين لابن الأحمر بصفة كونه أحد كتاب السلطان المريني المتوكل على الله موسى بن أبي عنان الذي ولي الأمر فيما بين 786 و788، فهو مؤسس البيت السودي في الحاضرة الفاسية، ومنه تفرعت فروعهم المنتشرة إلى يومنا في المغرب، حيث لاتزال هذه الأسرة العريقة تستمد من نبوغ أفرادها هنا وهناك عبر البلاد ما يثبت صدارة رجالها منذ أزيد من سبعمائة عام في ميادين العلم والتأليف والقضاء والخطابة وإمامة الصلاة، مع ما ترتب على تلك المهام من النعم والخيرات، حتى أضحى لقبها العائلي من الأعلام الجغرافية تعرف به بعض أحياء فاس وبعض القرى من أحوازها.

وما الأسرة السودية إلا نموذج ناصع من تلك الأسر العربية التي انتقلت من الأندلس بسبب تفكك أحوال العروبة والإسلام هنالك، واستقرت بالحواضر المغربية صونا لدينها ولكرامتها ومساهمة منها في دعم أركان الحضارة العربية الإسلامية في العدوة الجنوبية من مضيق جبل طارق، حيث اتصلت مصائرها بمصائر البلاد، ولم يلبث شيوخها أن تصدروا مجالس الحل والعقد فارتسم ذكر أعمالهم وأمجادهم باسترسال في كتب التاريخ والتراجم، مثل القاضي أبي القاسم ابن سودة المتوفى سنة 1004 الذي أورد اليفراني في الصفوة والقادري في نشر المثاني ظهيرين لأحمد المنصور الذهبي يسند بمقتضاهما له وللقاضي ابن أبي النعيم قضاء مكناس وتازا والقبائل المجاورة : "لما قاما به من أوصاف زائدة على وصف العلم، وهي الانتماء بصريح الخدمة وصحيح المحبة إلى الجانب العلي الإمامي وإعمال رحلة الشتاء والصيف سنين عديدة إلى بابه الكريم السامي حتى انتظموا بذلك في سلك من شملته عنايتنا واختصته بالإيثار وتنبيه المقدار عنايتنا". وورد أيضا لدى هذين المؤرخين ذكر حفيده القاضي الذائع الصيت في عصره، وهو محمد بن محمد بن أبي القاسم الذي مازال درب من دروب فاس، وهو درب القاضي في حي العيون، ينسب إليه. قال عنه اليفرني إنه كان : "متوسعا في العلوم بارع الحفظ، له اليد الطولي في الأدب بحيث كان يحفظ *ديوان المتنبي* عن ظهر قلب، ولي الفتوى وقضاء الجماعة بفاس سنين عديدة ودارت عليه الشورى"، ولد سنة 1003 وتوفي سنة 1076، قبل دخول المولى الرشيد مدينة فاس بقليل، وهو الذي قال عنه صاحب *العمل الفاسي* :

وحلف ابن سودة الشهودا     وفي اللفيف لفجور زيدا

وله أبيات رد بها بأمر من المولى محمد (فتحا) بن الشريف العلوي على قصيدة من نظم محمد أجانا، بعث بها السلطان السعدي أبو العباس أحمد الشيخ الصغير إلى

الأمير العلوي يحذره من أهل فاس والغرب عامة عند احتلاله لتلك الأقاليم سنة 1059 وهو الذي ذكره اليوسي في *المحاضرات*، قائلا إنه كان يؤخر صلاة الصبح في القرويين حتى : "لا تمشي بها إلا بالمضلة"، يعني بعد طلوع الشمس بكثير، إشارة لطيفة إلى مكانة هذا القاضي في عصره.

وبنفس الحظوة أو أكثر منها حظي الشيخ الجليل والعالم النحرير قاضي القضاة الفقيه المفتي أبو عبد الله محمد التاودي بن الطالب بن علي بن قاسم بن محمد بن علي بن قاسم بن أبي قاسم بن محمد بن عبد الله ابن سودة، الذي كان من مفاخر دولة سيدي محمد بن عبد الله في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري الموافق للنصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي. فقد ذاع صيته حتى صار راية توحي بعلوّ كعب المغاربة في العلم. وقد خصه المؤرخ المصري عبد الرحمان الجبرتي بترجمة وافية، جاء فيها : "كانت فتاويه وأحكامه مؤيدة مع غاية التحرز والصيانة والإتقان، وبالجملة كان عين الأعيان في عصره، شهير الذكر، وافر الحرمة، مهيب الصورة، يغلب جلاله على جماله، قليل التبسم". ثم قال : "ولما توفي مولاي محمد سلطان المغرب ووقع الاختلاف والاضطراب بين أولاده اجتمع الخاصة والعامة على رأي المترجم فاختار المولى سليمان وبايعه بشرط السير على الخلافة الشرعية والسنن المحمدية". وأخبار الشيخ التاودي مدونة بجميع تفاصيلها في الكتاب الذي ترجم له به تلميذه المعجب به أبو الربيع سليمان الحوات الشريف الشفشاوني الموسوم *بالروضة المقصودة والحلل الممدودة في مئاثر بني سودة*، ذكر فيه نشأته وسيرته وغزارة علمه وشيوخه ومصنفاته ومن تخرج على يديه. وممن تخرج على يديه أولاده محمد وأبو بكر وأحمد، وبعض حفدته من ولده أحمد هذا، الذي ظهر نبوغه في حياة والده فتقدم للأحكام وسنه لم تتجاوز حدود الثلاثين، وربما فاق والده من حيث ما أغدق عليه في عهد المولى سليمان من المنن والنعم. ومقابر هذا الفرع الكريم من النسبة السودية بزاويتهم التي أسسها الشيخ التاودي بحومة زقاق البغل في فاس.

ولقد كان منهم ثلاثة فروع حسب ما وقف عليه صاحب *الدرر البهية* في مطلع القرن الثالث عشر (أواخر التاسع عشر من الميلاد) متفرقين بين حومة المعادي من زقاق البغل وزنقة الرطل وحومة المخفية. وقد نبغ من فرع المخفية شيوخ كبار وعلماء أحبار في ذلك العصر، وهم يلتقون مع فرع الشيخ التاودي : "في الجد الخامس وهو علي بن قاسم" على ما قال صاحب *الدرر*، ذكر منهم الطالب بن محمد : "أحد الأفراد المشار إليهم الملحوظين بعين التعظيم والإجلال الموصوفين بأوصاف الكمال وأحد عدول هذه الحضرة المبرزين". وقد أنجب هذا الشيخ "خمسة أنجال كرام أفضال" محمد وعمر والمهدي وعبد القادر وأحمد كانوا كلهم من العلماء الفقهاء تخرج على أيديهم أجيال من حملة العلم الشريف، فضلا عن أولادهم وأحفادهم الذين تنظر ترجمة بعضهم في الأعمدة اللاحقة، وفي كتاب ابن عمهم المؤرخ الموثق الكبير عبد السلام بن سودة، دأبوا في عهد الحماية الأجنبية على المحافظة على الأصول وتبليغ الرسالة المحمدية من حيث كلياتها والفروع ووعظ الأمة وإرشادها والنضال في الحركة الوطنية. فقد كان الأستاذ محمد بن محمد بن عثمان بن سودة من مؤسسي حزب الاستقلال في فاس. كما ذاع صيت الأستاذ أحمد بن يحيى بن سودة مناضلا في صفوف حزب الشورى والاستقلال قبل 1956، ثم في الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية سنة 1959، ووزيرا في حكومات الاستقلال الأولى وسفيرا، ملحوظا بعين العطف والرضى من لدن الملك الحسن الثاني الذي جعله من جملة مستشاريه ومازال يتمتع بتلك الصفة بالرغم مما أقعده من المرض شفاه الله. أما باقي أفراد الأسرة السودية فلا سبيل إلى تتبع سيرهم بما حصل من تكاثرهم وهجرة عدد كبير منهم إلى مختلف مدن المغرب، بل وإلى بلدان السودان الغربي مثل گامبيا والسينغال وكوت ديفوار، سعيا في كسب أسباب الرزق إما من الوظائف العمومية وإما من المهن الحرة كالطب والصيدلة والمحاماة وإما من ممارسة الصناعات والتجارات العصرية، مسايرين بذلك ما طرأ على المجتمع المغربي جملة وتفصيلا من أسباب التطور والتغيير.

ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، القاهرة ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، القاهرة، 1956 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، 1991 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. عبد اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1979، الجزء الأول ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. ع. العزيز تيلاني، الدار البيضاء، 1994.

ابن **سودة، أحمد** بن **التاودي** (1153 ـ 1235)، الفقيه العلامة القاضي الدراكة، خير خلف لخير سلف، نهل من علوم والده الشيخ التاودي مفتي الديار المغربية، وأخذ عن جميع شيوخ عصره. تجلى نبوغه باكرا وتصدر للتدريس والإفادة منذ العشرينات من عمره في حياة والده. تعرف عليه صاحب الروضة المقصودة عن كثب، وأفاض في ترجمته مثبتا بعض ما قيل في محامده وفضائله. كما أورد ظهير تعيينه قاضيا على فاس سنة 1206، جاء فيه بلسان الأمر السلطاني : "وقد انتخبناه وتخيرناه لهذا المنصب الشريف وطوقناه إياه لما نعلم من علمه ودينه أن المسلمين لن يصيبهم معه إن شاء الله حيف ولا تحريف، ويكون عنده في مقطع الحق سواء القوي والضعيف والشريف والمشروف [...]" وقال عنه صاحب *الدرر البهية* : "كان من الأعيان الكبراء والسراة الفضلاء له عارضة قوية ويد في صناعة الفتوى وباع وحسن ملكة واتساع، جالت أفكاره في غوامض القضايا وجاب منها الوهاد والثنايا". وقال عنه صاحب سلوة الأنفاس : "الإمام العالم العلامة المشارك القدوة الفهامة، السيد الأعمد والهمام العلم الأحمد [...]، نشأ في حجر أبيه في عفة وصيانة ومروءة وديانة، لا يلاعب الصبيان في ملعب ولا يخالطهم

في غير مكتب". أخذ كل منطوق ومفهوم من المتداول بين الناس يومئذ من تلك الفنون على والده وهو عمدته في التفسير والحديث والفقه والأصول والكلام والمنطق والبيان والتصريف والتصوف وغير ذلك. كما أخذ عن الشيخ محمد الحسني الجنوي والشيخ محمد بن الحسن بناني والشيخ عمر الفاسي والشيخ عبد القادر بوخريص الفيلالي وآخرين. ولما اشتد ساعده وتجلت مؤهلاته، أذن له والده في التصدر للتدريس فاستفاد منه كبار طلبة فاس وأخذ منه علماء الربع الأول من القرن الثالث عشر. ولي قضاء فاس في حياة والده، وبقي على الخطة سنين وعقودا بما كان له من المهارة في ممارسة الأحكام ومن الحظوة لدى ملوك العصر، وبخاصة منهم المولى سليمان الذي كان يعظمه ويبجله ويشاوره في كبريات الملمات. كما أنه خلف والده في الإشراف على فرع الزاوية الناصرية بإذن من شيخها أبي الحسن علي بن يوسف ابن ناصر الدرعي.

ثم إن القاضي أحمد بن التاودي أصيب في بصره فلم يعد قادرا على ممارسة الأحكام فاستعفى فأعفي من الخطة. واستأذن السلطان المولى سليمان في إجلاس ولده العباس بن أحمد مكانه فصدر الإذن له بذلك. وكان ولده لم يتجاوز سن الثلاثين بعد، فمارس الوظيفة بمساعدة والده، إلى أن اضطربت الأحوال العامة في فاس وتسيّبت سكانها. وجرى نزاع بين القاضي الشاب وبين المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم بسبب شريفين من آل الشفشاوني والعراقي. ولما رفع الأمر إلى السلطان، رأى الحق مع القاضي، وأخر المفتي عن خطته، فقامت قائمة جماعة من المدرسين والطلبة، وتعصبوا للمفتي وكتبوا رسالة للسلطان يشتكون من القاضي العباس بن أحمد. ومما جاء فيها نظما من الهجاء الموحي بما كان يتخلل المدينة من التناقضات الباطنية

جاء الولاية وهو من شبيبته
يرى القضا حرفة يجني بها وطرا
يأتي الحكومة عباسا ومنقبضا
مما به من سقام يجلب الكدرا

واطلع السلطان على ذلك، واعتبره من باب ما يقع بين الأقران من التنافس فأغضى عنه. لكن حالة الشغب التي كانت عليه فاس يومئذ والمغرب عامة الذي ثارت فيه عدد من القبائل على المولى سليمان، لم تكن ليرتدع بها خصوم القاضي العباس بن أحمد. فقد هجم عليه في مجلس حكمه الشريف محمد الطاهر الكتاني ورماه بكابوس، لكنه أخطأه. فدخل القاضي منزله. وأقام أهل فاس قاضيا آخر من انتخابهم، ثم راموا مبايعة الأمير المولى إبراهيم بن اليزيد دون أن ينجحوا في مسعاهم.

توفي القاضي أحمد بن التاودي سنة 1235 / 1820. وتوفي والده العباس بعده بقليل سنة 1241 / 1829.

س. الحوات، *الروضة المقصودة*...، تح. ع. العزيز تيلاني، فاس، 1994 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، فاس، الطبعة الحجرية ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة*، فاس، الطبعة الحجرية ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1960، 9 أجزاء، الجزء الثامن ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة أعلام المغرب، تح. م. حجي، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء السابع.
Mansur Mohammed, *Morocco in the Reign of Mawlay Sulayman*, Wisbech, Menas Press, 1990, 248 p.

ابن **سودة، أحمد** بن **عبد السلام**، بن الشيخ القاضي أبي عيسى المهدي بن الطالب. كان فقيها عالما مشاركا ميالا إلى القنوت والذكر والتبتل. تخرج على يد عم والده الشيخ القاضي أحمد بن الطالب، وعمه الشيخ المكي بن المهدي، وعمه الشيخ التاودي بن المهدي، والشيخ أحمد بن محمد بن الخياط الزكاري، والشيخ عبد الله البدراوي الحسني، والشيخ عبد السلام بن محمد الهواري، وآخرين من كبار شيوخ العصر. أقام بعض حلقات التدريس في جامع الرصيف حيث قرأ عليه صاحب *إتحاف المطالع مختصر البخاري* لابن أبي جمرة، فقال : "فاستفدت منه بما عاد عليّ نفعه". لكن الغالب عليه حب الخمول وعدم الدعوى.

توفي يوم الاثنين 13 ذي الحجة عام 1371 / 3 شتنبر 1952.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال*، *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع

ابن **سودة، إدريس** بن عبد السلام (1282 - 1319)، حفيد القاضي الشيخ أبي عيسى المهدي، علامة مشارك مدرس متقن مطلع، له *كناشة علمية*. ولد سنة 1282 وتوفي في مهل ربيع الثاني عام 1319 / 18 يوليوز 1901. ودفن بزاويتهم أسفل العقبة الزرقاء.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *وسل النصال*، *موسوعة أعلا م المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن **سودة،** أبو **بكر** بن التاودي، من أبناء الشيخ التاودي قطب البيت السودي والمفتي الكبير. كان من رجال العلم المبرزين، مشاركا مطلعا. قال عنه صاحب الروضة المقصودة : "نشأ في حجر أبيه ساعيا فيما يعنيه، فقرأ القرآن بالروايات السبع، وأحكم أحكامه على طريق الإفراد والجمع، وحفظ المتون العلمية المتداولة بحسب العناية الوقتية، وتأدب وتهذب وحفظ من الأشعار والتواريخ والأخبار بما تعلو به الرتب". تولى الخطبة في جامع الشرابليين، ثم بمسجد القصبة السلطانية بدار الدبيبغ، ثم بالمدرسة المتوكلية. كان ذا حظوة كبرى لدى السلطان المولى يزيد الذي ساعده على أداء فريضة الحج في أحسن الظروف.

توفي سنة 1215 / 1800 - 1801، ودفن في زاويتهم بزقاق البغل.

س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. ع. العزيز تيلاني، فاس، 1994؛ ع. السلام ابن سودة، *سل النصال*،*موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، 10 أجزاء.

ابن **سودة، جعفر** بن الطالب، من حفدة الشيخ التاودي، فهو جعفر بن الطالب بن أحمد بن الشيخ التاودي. كان عالما مشاركا أديبا يقرض الشعر، خطيبا بليغا مجيدا. له ديوان شعر ومجموعة خطب.

توفي يوم 12 حجة عام 1276 ودفن بزاويتهم بزقاق البغل.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء السابع

إبراهيم بوطالب

ابن **سودة الجلود، محمد** بن عبد الواحد، من حفدة الشيخ التاودي، فهو محمد بن عبد الواحد بن القاضي أحمد ابن الشيخ التاودي، عرف بالجلود. كان من العلماء المشاركين والمدرسين النافعين. تولى خطة الخطابة بمسجد الديوان أولا، ثم بمسجد الأندلس إلى أن وافاه الأجل المحتوم. حج وزار وتبرك بالوقوف على خير المشاهد وأزكى الآثار.

أما سبب تسميته بالجلود، فلأن بعض عمال السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان أخذ منه بزّا جلد بقرة كان الفقيه ذبحها لصناعة الخليع وهو القديد المصبر، فاغتاظ من ذلك حتى ذهب به الأمر إلى التشنيع بتلك العملية الابتزازية في خطبته يوم الجمعة مبتهلا إلى الله داعيا : "يا ودود أهلك كل من كان سببا في أخذ الجلود". وطار الخبر بذلك إلى السلطان وهو يومئذ في مراكش. فصدر الأمر بإرجاع الخطيب من فاس إلى عاصمة الجنوب. فرحل وهو شبه يائس من النجاة من سطوة المخزن. لكن العكس هو الذي حصل، ذلك بأن السلطان المذكور استقبله أحسن استقبال، وطلب منه فقط أن يعيد على أسماعه الخطبة بحذافيرها. فلما وصل إلى الجملة المذكورة من الدعاء، قال له السلطان لقد لبى الله دعوتك، فإن المسؤول عن انتزاع الجلود قد انتقم الله منه. ورجع الفقيه محمد بن عبد الواحد إلى فاس معززا مكرما، محملا بظهير توقير واحترام حتى لا يعود أحد من العمال إلى التجرؤ على ساحته.

توفي يوم الجمعة 9 ذي القعدة 1299 / 22 شتنبر 1882، ودفن بزاويتهم بزقاق البغل.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء السابع.

ابن **سودة، زينب** بنت الشيخ المهدي، المرأة الصالحة العابدة المتبتلة، نشأت في أحضان والدها الشيخ القاضي أبي عيسى المهدي، وإخوتها الأربعة محمد والتاودي والمكي وعبد السلام، وكلهم من علماء عصرهم، فكرعت من مناهلهم الفياضة، وتفقهت بما كانوا يحملون من علوم الشريعة حتى كانت تنطق بمصطلحاتها في الفرائض والسنن. وقد دأبت على جمع أبناء إخوانها في مفتتح شهر رجب من كل عام ليسردوا بمحضرها صحيح البخاري يوميا إلى تمام رمضان، ويكون الختم في آخره. وتحتفل بهم كل يوم وتستقصيهم عن بعض المشاكل فيشرحوا ذلك ويفسروه. كما كانت تقيم عيد المولد النبوي بحضور العلماء ووجوه القوم والمسمعين، وتنفق على ذلك بسخاء المومنات الصالحات.

وبعد أن رزئت في ولدها الأوحد محمد من زوجها وابن عمها الشيخ العابد بن أحمد بن الطالب، احتضنت حفيدها من ابنتها، المؤرخ المرحوم الأستاذ عبد السلام ابن سودة. فإنه أقر بما كان لها عليه من الفضل دينا ودنيا إلى أن بلغ الحلم فزوجته من مالها.

توفيت يوم 10 قعدة 1344 / 22 ماي 1926، ودفنت بزاوية والدها أسفل العقبة الزرقاء.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *وسل النصال*، *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

إبراهيم بوطالب

ابن **سودة، الطالب** بن محمد (1297 ـ 1375). بن القاضي المهدي بن الطالب بن مَحمد ـ فتحا ـ، الفقيه العلامة المشارك المطلع الشاعر، تخرج على يد والده وهو عمدته، وعلى يد عمه الشيخ المكي، وابن عمه الشيخ إدريس بن عبد السلام، وعم والده القاضي الشيخ أحمد بن الطالب، وعلى يد الشيخ عبد السلام الهواري، والشيخ أحمد بن الخياط الزكاري، والشيخ أحمد الجيلالي الأمغاري، كما أجازه الشيخ مَحمد ـ فتحا ـ القادري الحسني إجازة عامة، فعنه كل مروياته. حج مرتين، الأولى في حياة والده سنة 1328، والثانية بعد وفاته في نهاية الأربعينيات ومهل الخمسينيات من القرن الرابع عشر. وما أن تجلى نبوغه وسعة إدراكه حتى تصدر للتدريس بالقرويين. وكان يدرس النحو والآداب والبلاغة. ثم إنه عيّن قاضيا في أكادير. لكنه سرعان ما أخر عن الخطة لنزاع وقع بينه وبين بعض الحكام الفرنسيين، انتهى بصفع القاضي لهذا الحاكم. فكان ذلك سببا في رحلته الثانية إلى المشرق. ولما عاد منها اعتكف على التدريس في القرويين طبقا للنظام الجامعي الذي أحدثه السلطان سيدي محمد بن يوسف، محمد الخامس. وظل مخلصا لملكه ووطنه

يوم أقدمت سلطات الاستعمار على عزل السلطان المذكور في مطلع السبعينيات (1953 م)، ولم يبايع السلطان ابن عرفة المتنزي على العرش. وصدر الأمر بتأخيره عن التدريس، فالتزم بيته إلى أن وافاه الأجل المحتوم يوم الاثنين 17 شوال عام 1375 / 28 ماي 1956، ودفن بزاوية جده أسفل العقبة الزرقاء. أدركته وتبركت بلثم يديه فهو عم الوالدة، وزودني بدعائه الخالص مرارا رحمه الله، ولم أنهل من فيض علمه شيئا، لما صار أبناء الجيل الذي أنتسب إليه يقتحمونه من أساليب التعليم العصري الموسوم آنذاك بالتعليم الفرنسي الإسلامي.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / موسوعة *أعلام المغرب*، تح. م. حجي، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

ابن **سودة، الطاهر** بن محمد، من حفدة الشيخ التاودي، فهو الطاهر بن محمد بن أحمد بن الشيخ التاودي، فقيه عالم مطلع مشارك فصيح خيّر ذاكر. قال عنه المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة بأنه : "من آخر من مثل السلف الصالح دينا ودنيا وسمتا"، أخذ عن والده وهو عمدته، وعن الشيخ المهدي ابن الحاج، والشيخ عبد السلام ابن الطائع بوغالب، والقاضي أبي عيسى المهدي بن الطالب ابن سودة والقاضي مَحمد ـ فتحا ـ بن عبد الرحمان العلوي، والشيخ محمد بن المدني كنون، والشيخ أحمد بن أحمد بناني كلا، والشيخ عبد الهادي بن أحمد الصقلي وآخرين من شيوخ العصر. تولى الخطابة والإمامة في جامع الأندلس والصلاة بمصلى باب الفتوح في الأعياد بعد وفاة والده عام 1299، وبقي على ذلك إلى أن وافاه الأجل المحتوم عام 1335/ 16 ـ 1917. وكان يقصده الخاص والعام، ويجله الجميع، "يذهب في الشفاعات ويصالح الخصوم"، لما كان عليه من سلامة اليقين والعقل الرصين. وقد حلاه بعض المعجبين به قائلا بأنه ممن : "فاق بحكمته أرسطو وجالنوس وبذكاء عقله بقراط وبطليموس". وكان يتعاطى الشعر في المناسبات. ودفن بروضتهم بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / موسوعة *أعلام المغرب*، تح. م. حجي، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن **سودة، العباس** بن أحمد، من حفدة الشيخ التاودي، فهو العباس بن أحمد بن العباس بن الشيخ التاودي، علامة مشارك، صاحب الخط الحسن، على حد قول المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة. أخذ عن ابن عمه الشيخ محمد بن عبد الواحد المدعو الجلود، وعن الشيخ المدني كنون، وعن الشيخ عبد السلام الهواري، وعن الشيخ محمد الوزاني، وعن الشيخ عبد الله البدراوي. كان ينسخ كتب الحديث، وبخاصة منها صحيح البخاري. كما كان ناظرا على زاوية جده الشيخ التاودي.

توفي يوم الجمعة 15 شوال عام 1346 / 6 أبريل 1928، ودفن بزاويتهم الأخرى بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / موسوعة *أعلام المغرب*، تح. م. حجي، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن **سودة، عبد الرحمان** (1302 ـ 1365)، بن علي بن عبد القادر بن الطالب بن مَحمد ـ فتحا ـ، قال عنه صاحب *إتحاف المطالع* : "العلامة المشارك الفرضي الحيسوبي المفتي النبيه المطلع". اشتهر بالإفتاء في فاس فكان يقصده الجميع. أخذ عن والده وعن عمه الشيخ محمد بن عبد القادر، وعن الشيخ محمد بن عبد السلام بناني الطبيب، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ القادري الحسني وعن الشيخ محمد الهواري وغيرهم. كان ماهرا في علم الوثائق والحساب والفرائض. أدركته وأنا في العقد الأول من عمري فارتسم في ذهني منه صورة العالم العامل الشهم الحازم الذي حلب الدهر أشطره.

توفي يوم الجمعة 15 ذي القعدة عام 1365 / 11 أكتوبر 1946، ودفن بروضة السوديين في رأس القليعة داخل باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / موسوعة *أعلام المغرب*، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

إبراهيم بوطالب

ابن **سودة، عبد السلام** بن عبد القادر المري الفاسي. يتصل نسبه بأبي القاسم بن محمد بن علي ابن سودة الغرناطي، وغرناطة مقر أسلافه منذ قدموا إلى الأندلس من الشرق مع الفاتح بلج بن بشر القشيري أوائل القرن الثاني (8م). وانتقل أبو القاسم هذا إلى المغرب ليكون كاتباً في بلاط بني مرين بفاس، وله ترجمة في *الإحاطة* لابن الخطيب، حلاه فيها بالمري.

ولد المترجم بفاس عام 1319 / 1902 ورباه جده للأم الشيخ العابد بن أحمد ابن سودة، لأنه لم يكن له ولد، فصار لايفارقه حضراً ولاسفراً. ذهب معه إلى الجديدة لما عُين الشيخ العابد قاضياً بها، ثم عاد إلى فاس فالتحق المترجم بالقرويين وهو ابن ثمان عشرة سنة. واشتغل بعد ذلك بالتدريس في المدارس العصرية، ثم بالشهادة في سماط العدول، وناب عن جده العابد في الخطابة بضريح المولى إدريس الأزهر. لقي في مراحل وظائفه مضايقات كثيرة من السلطات الاستعمارية لميوله الوطنية. وكان أثناء ذلك كله ذا حس تاريخي مرهف يقرأ كتب التاريخ والتراجم المغربية والأندلسية والمشرقية، ويُمعن النظر فيما يقع بين يديه من رسوم عدلية قديمة ويقتني منها ما استطاع، ثم عُين للبحث في الخروم بخزانة القرويين، فاطلع على عدد وافر من بقايا المؤلفات المغربية النادرة، وتجمعت له من ذلك كله مادة تاريخية وافرة عن الحياة الفكرية والاجتماعية في المغرب عامة ومدينة فاس خاصة.

وبعد ذلك لزم بيته زهاء ربع قرن منقطعاً للقراءة والتأليف، مهتماً بكتب الطبقات والفهارس والمناقب والإجازات وغيرها، وتأثر بصفة خاصة بـعَلَمَيْن من أعلام المترجمين المغاربة، هما أحمد ابن القاضي المكناسي الفاسي ومحمد بن الطيب القادري الفاسي. ذلك أن أحمد ابن القاضي أكمل الكتابين الشهيرين في التراجم : *وفيات الأعيان* لأحمد ابن خلكان، و*شرف الطالب في أسنى المطالب* لأحمد ابن القنفذ : ذيَّل *وفيات الأعيان* بكتابه *درة الحجال في أسماء الرجال* مبتدئاً بترجمة ابن خلكان نفسه المتوفى عام 681، ومنتهياً بعام 999. كما ذيل كتاب *شرف الطالب* بكتابه *لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد*، مبتدئاً بعام 700، ومنتهياً كذلك بعام 999. معتبراً هذه السنة نهاية القرن العاشر.

وجاء محمد بن الطيب القادري فذيل كتاب ابن القاضي *درة الحجال ولقط الفرائد* بكتابه المطول *نشر المثاني لأهل القرن الحادي والثاني*، ومختصره *التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر، من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر*، بدأهما معاً بعام 1001، معتبراً سنة 1000 نهاية القرن العاشر. وانتهى إلى عام 1170. وهنا يستلم الزمام عبد السلام ابن سودة.

نعم ألف المغاربة بعد محمد بن الطيب القادري عشرات الكتب في التراجم، لكنها لم تصطبغ بصبغة الشمولية والإحاطة، فلم ترق إلى درجة كتب ابن القاضي وابن الطيب القادري. ومن أشهرها *الدرر المرصعة، في أخبار أعيان درعة* لمحمد المكي الناصري الدرعي، وطبقات الحضيگي السوسي، و*سلوة الأنفاس* لمحمد بن جعفر الكتاني الفاسي، و*إتحاف أعلام الناس* لعبد الرحمان ابن زيدان العلوي المكناسي، و*الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام* لعباس ابن إبراهيم المراكشي، و*المعسول* لمحمد المختار السوسي. هذه الكتب وغيرها ـ على أهميتها وطول نفسها ـ بقيت جزئية محلية محدودة، واذخر الله لعبد السلام ابن سودة فضل ربط سلسلة تراجم أعيان هذه البلاد من عصر النبوة إلى أيام الناس هذه، فتهيأ بذلك ليكون ثالث أعلام التراجم البارزين بالمغرب دون منازع : أحمد ابن القاضي في القرن العاشر، ومحمد بن الطيب القادري في القرن الثاني عشر، وعبد السلام ابن سودة في القرن الرابع عشر.

ترجم عبد السلام ابن سودة لنفسه في آخر فهرسه *سل النصال* وذكر من مؤلفاته ستة عشر، وأغفل كتاباً قيماً له هو قصة *بَّاهدراز*، ربما لأنه كتبه بعد الفهرس.

وهذه مؤلفاته :

1) *الدروس النحوية* كتبها عندما كان مدرساً

2) *الزهر من أكمامه في الشطرنج وأحكامه*

3) *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، أول كتاب في مصادر تاريخ المغرب، تجاوز عدد المصادر فيه 2300 بين مخطوط ومطبوع. طبع *الدليل* أولاً في تطوان سنة 1950 ثم في الدار البيضاء سنة 1960 في جزءين فاعتمده الباحثون بالمغرب والمشرق.

4) *زبدة الأثر، مما مضى من الخبر، في القرن الثالث والرابع* عشر، وهو الكتاب الأساس الذي ذيل به عبد السلام ابن سودة *نشر المثاني*. يبتدئ من حيث وقف القادري، أي من عام 1171، وينتهي بعام تمام تأليفه وهو 1370. يتفق كتاب ابن سودة هذا مع كتب ابن القاضي وابن الطيب القادري في المزاوجة بين تراجم الأشخاص، والإشارة إلى أهم الأحداث التاريخية المعاصرة لهم، سياسية كانت أو طبيعية أو اجتماعية، ويتفق أكثر مع كتب القادري في ترتيب التراجم على السنين. ويختلف كتاب *زبدة الأثر* عن مؤلفات ابن القاضي والقادري في اقتصاره على تراجم رجال المغرب الأقصى، في حين يترجم الآخران لعدد من غير المغاربة.

5) *إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع*. وهو اختصار *لزبدة الأثر*، بين المؤلف سبب اختصاره في مقدمة *الإتحاف* بقوله : "فجاء ـ يعني زبدة الأثر ـ كتاباً كبير الحجم، عظيم العلم، يسع نحو أربعة أسفار ضخم، يصعب على المستعجل البحث فيه والاستفادة منه، وهو على منوال *نشر المثاني* وأسلوبه... ولما جمعته وخرجته من مسودته، ظهر لي أن أختصره في هذه العجالة". و*إتحاف المطالع*، فضلاً عن كونه وحيداً في بابه، لا يحل غيره محله، ولا يسد مسده، يمتاز بمحاسن كثيرة، نشير إلى بعضها :

أ ـ تثبت المؤلف في تحلية المترجمين، ـ إلا عندما يجمح به القلم للتحامل على بعض المنحرفين في نظره ـ وتحريه غالباً فيما يستحقون من ألقاب علمية أو دنيوية، بحيث

يتمكن القارئ من أن يعرف دون عناء هوية المترجم، ويدرك ما إذا كان فقيهاً أو أديباً أو مشاركاً أو شيخاً متصوفاً أو حاكماً صالحاً أو فاسداً، أو قائداً حربياً.

ب - حرصه على ذكر تآليف المترجم لهم، ووصف ما وقف عليه منها، والتنبيه على ما عَرَف من عناوينها ومحتواها أثناء مطالعاته وقراءاته في الكتب المخطوطة بصفة خاصة.

ج - أمانته في النقل، إذ يعزو كل شيء اقتبسه إلى صاحبه، ويتوقف عندما لا يقف على تاريخ وفاة، أو تحديد مكان، أو تعليل حادثة.

6) *الذيل التابع لإتحاف المطالع*. يزداد التشابه فيه ويشتد التقارب بين معاجم التراجم لكل من ابن القاضي والقادري وابن سودة، ذلك أنهم جميعاً أنهوا كتبهم في تواريخ محددة، وأمد الله في أعمارهم فأضافوا تراجم أخرى ألحقت بكتبهم. فابن القاضي الذي توقف في *درة الحجال ولقط الفرائد* عام 999، كتب تراجم من توفوا في العشرة الأولى من القرن الحادي عشر، وأدمجها هو أو أدمجت بعده في الكتابين. ومحمد بن الطيب القادري الذي أتم *نشر المثاني والتقاط الدرر* عام 1170، كتب بعد ذلك تراجم أخرى أثبتها في المقصد الثاني من خاتمة *التقاط الدرر*، استمرت إلى عام 1180.

أما عبد السلام ابن سودة فقد عاش بعد إنهائه *إتحاف المطالع* ثلاثين سنة كتب فيها ثلاثة ذيول :

أ - يتناول الذيل الأول - وهو الذي سماه *الذيل التابع لإتحاف المطالع* - فترة ست سنوات : 1371 - 1376 / 1951 - 1956. أطلق فيه لقلمه العنان في تسجيل الدواهي والفواجع التي عرفها المغرب مع نهاية عهد الحماية والأحداث المجيدة التي عاشتها البلاد في فجر الاستقلال، وأثبت عدداً من النصوص والوثائق، خوفاً على ضياعها - كما قال -. وبذلك طغت الحوادث على الوفيات، وأربى الذيل على الأصل، إذ خرج في مجلدين تنيف صفحاتهما على 700. لكنه اختصره في كتيب مفيد سماه *وفيات الذيل التابع*.

ب - ويسجل الذيل الثاني وفيات ووقائع إحدى وعشرين سنة (1377 - 1397).

ج - بينما يختص القسم الثالث من الذيل بالسنوات الثلاث الأخيرة : 1398 - 1400 لأن المترجم ظل يكتب إلى ما قبل وفاته ببضعة أيام. وقد طبع *إتحاف المطالع* بذيوله في بيروت سنة 1996 مفرداً وضمن موسوعة *أعلام المغرب*.

7) *إزالة الالتباس عن عائلات* سكان مدينة فاس، جمع فيه أكثر من ألفين وخمسمائة عائلة استوطنت مدينة فاس وكان لها بها ذكر. سواء كانت ما تزال موجودة أو اضمحلت ولم يبق إلا اسمُها. في جزءين.

8) *أمثال أهل فاس وما إليها*، جمع فيه ما يقرب من خمسة عشر ألف مثل يستعملها أهل فاس سواء باللغة الدارجة أو باللغة الفصحى، مع شرح بعْضها، في ثلاثة أجزاء.

9) *قضاة مدينة فاس*، حوى كلّ من تولى القضاء بمدينة فاس مع فاس الجديد من تأسيس العدوتين إلى الآن، مرتب حسب السنين، وفيه كثير من توقيعات هؤلاء القضاة، يقع في مجلدين.

10) *معجم تآليف رجال المغرب الأقصى* ضمّ أسماء ما وقف عليه من تآليف رجال المغرب من أول الإسلام إلى الآن، مرتب على حروف المعجم جمع فيه أكثر من عشرة آلاف اسم كتاب مع نبذة عن حياة المؤلفين.

11) شعر *أبي حفص الفاسي* المتوفى عام ثمانية وثمانين ومائة وألف.

12) *إخراج كتاب تاريخ الطب العربي* في عصور دول المغرب الأقصى من مسودته، من تأليف محمد بن أحمد العبدي الكانوني المتوفى عام سبعة وخمسين وثلاثمائة وألف.

13) مجموعة *مقالات* كتبها، منها ما نشر في الجرائد والمجلات ومنها ما لم ينشر.

14) مجموعة *الرسائل* الواردة عليه من الأساتذة والعلماء يتعلق جلها بأسئلة تاريخية وأدبية واجتماعية تفيد الباحث.

15) *لب الغيبة إلى مكة وطيبة*، وهي رحلة إلى البقاع المقدسة عام ثلاثة وثمانين وثلاثمائة وألف.

16) *سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، فهرس ذكر فيه بعض شيوخه.

أما قصة *بَاهدراز* فهي من أفيد ما كتبه المترجم، بأسلوب مزيج من الفصيح والعامي، قدّم فيها صوراً حية جذّابة للمجتمع الفاسي خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م) في جده وهزله وكده ومرحه، وأفراحه وأتراحه، وكان بعض أصدقائه الفنانين عازماً على إخراج "قصة بَاهدراز" فيلماً سينمائياً.

توفي عبد السلام ابن سودة بمركز بوقنادل في ضاحية سلا فجر يوم الأحد 29 شوال عام 1400 / 12 يوليوز 1980 بعد وعكة خفيفة ألمت به بضعة أيام، ودفن بعد ظهر نفس اليوم بسلا في المقبرة المشرفة على البحر التي تحدث عنها لسان الدين ابن الخطيب، غير بعيد عن قبر المؤرخ السلوي أحمد بن خالد الناصري.

ع. السلام ابن سودة نفسه، ترجمته بقلمه، *سل النصال* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1997، ج 9، ص 232 - 228 ؛ جماعة من الأساتذة أصدقاء المترجم، *أعمال حفل تأبينه بمدينة سلا يوم 11 قعدة 1400/ 21 شتنبر 1980*. مخطوط عند أبنائه ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا 1988، ص 167، كُتبه الأخرى المذكورة في نص الترجمة ؛ م. حجي، *جولات تاريخية*، بيروت، 1995، ج 1 : 445 - 450.

محمد حجي

ابن **سودة، عبد القادر** بن محمد بن الطالب (1301 - 1389)، والد المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة، ولد يوم

السبت 28 رجب عام 1301. العلامة المحدث المشارك المطلع المدرس الفصيح الرحالة الذائع الصيت. أخذ عن والده وعن عمه القاضي أحمد بن الطالب، وعن الشيخ مَحمد ـ فتحا ـ بن قاسم القادري الحسني، وعن الشيخ عبد السلام الهواري، وعن الشيخ عبد السلام بناني الطبيب، وعن الشيخ أحمد بن عبد الواحد بن المواز، وعن شقيقه الشيخ محمد، وعن عمه الشيخ علي بن عبد القادر وآخرين. حج سنة 1328 في حياة والده. ثم جال عدة أقطار، منها السنغال وفرنسا وتونس وطرابلس الغرب، إذ كان مولعا بالرحلة والأسفار.

قام بتدريس الفقه والحديث وعلوم الآلة في القرويين. وولي خطابة الجامع الذي أسسه الملك محمد الخامس بالفخارين. له تآليف عديدة، منها *الرحلة الكبرى في أخبار هذا العالم برا وبحرا*، طبع السفر الأول منها. وله *رحلة إلى باريز*، و*مولد الرسول* نظما، وهو مطبوع، وتائية على طريق أهل التصوف. اعتقل سنة 1335، على يد شرطة الاستعمار بتهمة التعامل مع الألمان أثناء الحرب العالمية الأولى، فقال في تائيته المذكورة، من جملة ما قال :

لقد ربطوني بالرباط وما دروا     بأن رباط الحق يطلق ربطتي

توفي يوم 12 محرم 1389 / 31 مارس 1969.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، ثم *سل النصال* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

ابن **سودة، عبد الكريم** بن محمد بن عبد القادر بن الطالب ابن سودة (1311 ـ 1395)، فقيه مشارك عالم أديب شاعر تولى القضاء سنين ممتدة. أخذ عن والده وهو عمدته، وعن عمه الشيخ علي بن عبد القادر، وعن شقيقه الشيخ محمد بن محمد، وعن الشيخ عبد الله العلوي الفضيلي، وعن الشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري وغيرهم. مال إلى العمل فعزف عن التدريس، ورغب في التوظيف فكان أمينا للأملاك في بني ملال، ثم تولى القضاء في بني عمير بتادلة، ثم قضاء تاونات إلى أن توفي. له ديوان شعر ضاع جله، ومجموع أحكامه في مجلدين. اتهم بالتعامل مع الاستعمار في المؤامرة المدبرة على الملك محمد الخامس، فنفر منه الناس مدة، إلى أن تبينت براءته من تلك الوصمة فسرح ما كان قد ثقف من أمواله بعد أخذ ورد طويل.

توفي سنة 1395 / 75 ـ 1976.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

ابن **سودة، عبد الهادي** بن محمد بن عبد القادر بن الطالب (1309 ـ 1370)، عم المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة، العلامة المطلع المقتدر المحرر النحرير، ذاع صيته في فنون التوثيق فكان الطلاب يتهافتون على دروسه للنهل من علمه. وكان يقول الشعر على الطريقة الأندلسية. أخذ عن والده الشيخ محمد بن عبد القادر وهو عمدته، وعن شقيقه سميّ والده الشيخ محمد، وعن الشيخ محمد بن رشيد العراقي، وعن الشيخ القاضي أبي عيسى المهدي بن الطالب ابن سودة، وعن الشيخ محمد بن عبد السلام ابن سودة، وعن الشيخ العباس بن أحمد ابن سودة. تصدر للتدريس، ثم تركه لعلة بدنية أقعدته عن المشي. له ديوان شعر في مجلد ومجموعة فتاوي في مجلد أيضا. ذكره المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة من جملة شيوخه.

توفي سنة 1370 / 50 ـ 1951، ودفن بروضة العبدلاويين بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

ابن **سودة، العربي** بن **أحمد** بن التاودي، خير خلف لخير سلف، أسهب صاحب الروضة المقصودة في ترجمته وأطنب في ذكر خصاله الطيبة ومحامده فقال : "ربي في كفالة أبيه وجده، في أطيب نشأة وأجمل وصف، وأدخل الكتاب لتعلم القرآن، وكان له الظهور في النجابة على الأقران، فحفظه تجويدا في أقرب مدة، وأخذ في حفظ أمهات العلوم بعده، فحصل منها ما هو متداول في هذه الأزمان، معتنيا بتكرارها في كل وقت مخافة النسيان، ونور نجابته لائح ومسك صيانته فائح، لا يشارك الصبيان في ملعب، وليس له في غير القراءة مأرب". تصدر للتدريس والتأليف. فله عدة تآليف، منها شرح على الموطأ لم يكمل، و*المنح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية*، و*نهاية المنى والسول في حب آل الرسول*، و*فتح الملك الجليل في حل مقفل فرائض الشيخ خليل*، و*تحقيق الأنباء فيما يتعلق بطاعون الوباء*، و*القول الكاشف في التخصيص والتقييد لنية الحالف*، و*تسهيل المطالب للطالب في الرد على من حرم سكر القالب*، و*حاشية على شرح المكودي للألفية*. كان معظما محترما لدى السلطان المولى سليمان الذي استفتاه في عدة قضايا وتبادل المراسلة معه.

توفي يوم الأحد 10 شوال 1229 / 25 شتنبر 1814 في حياة والده، ودفن بزاويتهم بزقاق البغل.

س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. عبد العزيز تيلاني، فاس، 1994 ؛ ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام

المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء السابع.

ابن **سودة، العربي** بن **الطالب** بن عثمان ابن سودة (1309 ـ 1392)، العالم المشارك، الشاعر المطلع، صاحب الخط الحسن. أخذ عن والده وهو عمدته، وعن الشيخ حماد الصنهاجي، وعن الشيخ محمد الإيراري، وعن الشيخ عبد السلام الهواري، وعن الشيخ أحمد ابن الخياط الزكاري، وعن الشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري، وعن الشيخ مَحمد ـ فتحا ـ بن قاسم القادري الحسني، وعن الشيخ أحمد بن المامون البلغيثي، وعن الشيخ عبد الرحمان ابن القرشي الإمامي، وعن الشيخ شعيب الدكالي، وعن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني وآخرين. له تآليف كثيرة وشعر متوسط الجودة في نظر المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة الذي يعده من شيوخه. مارس الوظيف وتقلب على عدة خطط مخزنية في فاس والرباط، إلى أن عيّن خطيبا في مسجد باريس مناوبة مع خطباء الجزائر وتونس.

توفي عام 1392 / 72 ـ 1973.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع، ثم سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

ابن **سودة، علي** بن عبد القادر بن الطالب (1254 ـ 1333)، عالم آخر من علماء هذا البيت، مطلع دراكة حيسوبي شاعر. ناب عن قاضي مكناس مدة. له *شرح على همزية البوصيري*، ونظم في مصطلح الحديث، وديوان شعر.

توفي يوم الخميس 17 محرم 1333 / 4 دجنبر 1914. ودفن بزاوية الشرادي قبالة درب الدروج.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع، ثم سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن **سودة، عمر** بن محمد بن المهدي بن الطالب بن مَحمد ـ فتحا ـ (1288 ـ 1359)، سيدي وجدي الذي أدركت منه لحظاته الأخيرة في هذه الحياة الدنيا، فمازلت أحس يده اللينة تمسح على رأسي وهو يدعو لي بخير. كان من علماء التلقين والتدريس والوعظ والإرشاد. تخرج على يده من القرويين أجيال المغرب الجديد. وتولى خطبة جامع الرصيف سنين عديدة. أخذ عن والده الشيخ محمد بن المهدي، وعن الشيخ مَحمد ـ فتحا ـ بن قاسم القادري، وعن الشيخ عبد المالك العلوي الضرير، وعن عمه الشيخ المكي بن الشيخ المهدي، وعن الشيخ عبد السلام بن محمد الهواري، وعن الشيخ المهدي الوزاني وغيرهم من علماء نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر. كان رحمه الله نموذج العالم المسلم، دمث الأخلاق، نقي الظاهر والباطن، حليما رؤوفا. كانت خزانة كتبه تبهرني بامتداد رفوفها طولا وعرضا. ويقول المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة إنه قرأ عليه من أول المختصر إلى آخر البيوع والألفية مرتين. وكان الطلبة يحبونه لفصاحته وحسن تبليغه.

توفي يوم فاتح شوال عام 1359 / 2 نونبر 1940، وشيعه أهل فاس في محفل رهيب. ودفن بزاوية جده الشيخ المهدي الكائنة أسفل العقبة الزرقاء.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع، ثم سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

ابن **سودة، محمد التاودي** بن **الطالب** بن مَحمد ـ فتحا ـ بن علي بن محمد بن علي بن أبي القاسم بن محمد ابن أبي القاسم بن محمد القادم المدعو أبا القاسم بن محمد بن علي المري القرشي النجار الغرناطي ثم الفاسي الدار. والتاودي نسبة إلى تاودة قرية من أقاليم فاس، صار أهل المغرب عامة وأهل فاس خاصة يلقبون بها أبناءهم، تيمنا بولي الله محمد التاودي دفين خارج باب الجيسة. والشيخ التاودي ابن سودة واسطة عقد البيت السودي دون منازع، تبلور في شخصه أمجاد السلف كأنه يخبر عما كان عليه الخلف من الصيت والظهور. حلاه كل من ترجم له بأسمى عبارات الإجلال والإكبار، لما كان عليه من سعة العلم وحسن الطوية وسلوك النهج القويم في كل ما يقدم عليه. أفرده تلميذه سليمان الحوات بترجمة ضخمة وسمها *بالروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة*، جعلها على تسعة أبواب، لا تخلو من حشو واستطراد، لكنها تصور بأوضح تصوير لمسيرة الشيخ التاودي العلمية، ولما كان له من التأثير في مجتمعه ونبل الخصال وخفة الروح والمكانة، حتى صار قدوة عصره والمدار الذي تدور عليه الفتوى في نوازل الدين والدنيا. فإنه كان أبهى صورة العالم المسلم الثابت اليقين المتضلع في علوم الشريعة المتشبع بأدق علوم الإسلام، ممن تفتحت أبصارهم وقلوبهم على حد سواء، فلا يقولون إلا ما يفعلون ولا يفعلون إلا ما يقولون.

أخذ علوم الوقت من نحو ولغة وتفسير وحديث وفقه ومنطق وبلاغة وعروض من جماعة من الأشياخ ذكرهم في فهرسته من أمثال أحمد ابن جلون وأحمد الوجاري وأحمد الشرادي وأحمد السلجماسي اللمطي وهو عمدته، والشيخ محمد ابن الكندوز والشيخ يعيش بن الرغاي الشاوي والشيخ محمد التماق والشيخ محمد بن قاسم جسوس، هذا في المنقولات والمعقولات. أما في التصوف والروحانيات التي كان يميل إليها ميلا في بعض لحظات حياته حتى كاد أن يغوص في بحارها لولا نهي بعض شيوخه عن ذلك، وهو الحاج بوجيدة بن قاسم الزموري، الذي كان له فيه اعتقاد وإرادة، طلب الشيخ منه الدعاء ذات يوم فقال له الشيخ بوجيدة : "عليك بالعلوم، عليك بالقراءة، ولا تتبع المتفقرة، فإن ما قدر لك من ذلك يأتيك، والعلم إذا فوّت طلبه لم تجده". وهكذا تذوق الشيخ التاودي حلاوة السياحة الروحانية دون أن يغصّ بها، وركب بحار التصوف على متن ما انطوى عليه صدره من علوم اليقين، فخرج ناجيا بالرغم مما اغترف

من تلك المناهل على يد أمثال المولى أحمد بن محمد الصقلي وشيخ الطريقة الناصرية الذي وكل به أمر الإشراف على فرع زاويته بفاس، وغيره من الشيوخ، بمن فيهم ثلاث نسوة من الصالحات العابدات القانتات. وقد أولع الشيخ التاودي بالقطب المولى عبد السلام بن مشيش. كان يزور ضريحه بانتظام بحيث تبرك بالوقوف على قبره أكثر من سبعين مرة، ومن إنشاده في ذلك قوله :

أتيتكم شيخا وكهلا وناشئا

وفي كلها أرجو نوالكم الجما

ولما عاد من تلك الزيارة لحقه ما يلحق في مثل تلك الأحوال بذوي الرغبة الخالصة في الفناء والإيمان حتى لزم الفراش أزيد من سنة.

وقد حج الشيخ التاودي سنة 1191 / 1778، فاستفاد من علماء المشرق كالشيخ السمان والشيخ المرتضى الحسني، شارح *الإحياء والقاموس*. وأفاد كل من سمع منه في مصر وفي الديار المقدسة. وتخرج على يده في المغرب أقطاب الجيل اللاحق، وفي طليعتهم ولده أحمد وجماعة أحفاده المبرزين، وأيضا الشيخ الحسن الجنوي والشيخ محمد بن علي الوزاني والشيخ أحمد الملوي والشيخ الطيب ابن كيران والشيخ إدريس العراقي والشيخ يحيى الشفشاوني والشيخ محمد الزروالي والشيخ حمدون بلحاج والشيخ سليمان الحوات مترجمه والشيخ محمد الرهوني وآخرون. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على ما كان عليه الشيخ التاودي من الصيت العظيم والرتبة السامية لدى الخاص والعام حتى صار القطب الذي بيده الحل والعقد في كل الملمات. فإنه على حد قول صاحب *سلوة الأنفاس* : "كان مجتهدا في العبادة، حسن الخلق، محبا لآل البيت، شديد الاعتناء بأمور الناس، رقيق القلب، كثير البكاء غزير العبرة، وله مآثر شهيرة ومناقب كثيرة وبركات حميدة ومكاشفات عديدة". وهو في قول صاحب *الدرر البهية* : "الإمام الهمام العالي المقام والطود الشامخ السنام فخر الليالي والأيام، من فات الأتراب والأقران وساده، وتوسده هذا القطر فكان نعم الوساد".

له تآليف عديدة منها حاشيته على شرح الزرقاني لمختصر خليل وعنوانها *طالع الأماني*، وشرح على *التحفة* لابن عاصم، أقبل الناس عليه إقبالا كبيرا منذ تأليفه إلى يومنا، وله *فهرسة* ذكر فيها من أخذ عنهم من العلماء غربا وشرقا، وتقييد بمن انتفع بهم من الأولياء والصلحاء. ولذلك كان معظما مبجلا لدى الجميع. قال تلميذه سليمان الحوات : "وهو شيخ ظاهر النفع كثير التلميذ [...] بلغ من الرئاسة مع السلطان مولانا محمد ابن مولانا أمير المؤمنين عبد الله ما لم يبلغه غيره حتى اكتسب من ذلك هو وأولاده أموالا كثيرة وأكسبوا غيرهم ممن تعلق بهم ما به الغنى، واجتمع له ولأولاده أيضا من المناصب والولايات والأخذ من وفر الأوقاف ما لم يتفق لغيره قط". وقد تأتى له ما لم يتأت لأحد قبله أو بعده، أن قدم ولده أحمد للتدريس، وهو مازال في العقد الثالث من عمره. ولم يكن ذلك من التملق والانصياع المغرض. وإنما كان من عمق دراية الشيخ التاودي بمقاصد الشريعة وبألفاظها ويقينه بأنه لا يخشى الله من عباده إلا العلماء. فإنه استفتي من قبل السلطان سيدي محمد من جملة من استفتي من العلماء سنة 1176، في العمل بالمكوس، فأفتى بجوازها خلافا للجمهور ليقينه بحاجة بيت المال يومئذ إلى ذلك، إذ كان السلطان سيدي محمد بن عبد الله مقدما على تجديد صرح الدولة بعد ما نال منها من الفتن في عهد والده المولى عبد الله بن إسماعيل. ولكن يوم استفتى السلطان المذكور العلماء سنة 1187 فيما رغب فيه من طرد سكان الرباط من مدينتهم لما تمادى عليه منهم من وجوه العصيان والشغب، بدعوى أنهم مقيمون على أرض من أراضي الدولة، لم يتردد الشيخ التاودي في الإفتاء بعدم شرعية ذلك لفظا ومعنى. وقد غضب السلطان عليه وأمر بتجريده من كل الرتب والوظائف. لكنه سرعان ما تراجع، مدركا أن الشيخ التاودي محضه النصيحة، فرد عليه كل ما كان ينعم به. واستمر ذلك في عهد المولى يزيد بن محمد على قصر عهده المنحصر بين سنتي 1204 و1206 / 1790 ـ 1792. وبعد مقتله، هاجت أحوال المغرب وماجت بسبب تنافس الأمراء على العرش. وكانت البلاد في حاجة إلى من يدلها على من يصلح لإمارة المؤمنين. فوقع الإجماع على تطويق الشيخ التاودي بتلك المسؤولية، فأفتى بمبايعة تلميذه المولى سليمان فانعقد له الأمر وصار على نهج والده من الصلاح والإصلاح. وكان الشيخ التاودي قد بلغ من العمر عتيا، ممتعا بحاستي السمع والبصر على نحافة جسمه. وكان من إكبار السلطان المولى سليمان لشيخه أن أمر ببناء مسجد قرب منزله بزقاق البغل ليؤدي فيه الصلوات الجامعة بأقل عناء. وهذا المسجد هو الذي دفن فيه الشيخ التاودي بعد وفاته يوم الخميس 19 ذي الحجة 1209 / 7 يوليوز 1795، وصار زاوية خاصة بدفن أولاده وأحفاده.

س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. عبد العزيز تيلاني، الدار البيضاء، 1994 ؛ إ. العلوي الفضيلي، *الدرر البهية*، فاس، الطبعة الحجرية ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، الطبعة الحجرية ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدارالبيضاء، 1960، 9 أجزاء، الجزء الثامن ؛ ع. الرحمان الجبرتي، *عجائب الآثار في التراجم والأخبار*، القاهرة، 1386 /1967، 9 أجزاء، الجزء الرابع ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

ابن **سودة، محمد التاودي** بن **المهدي** (1247 ـ 1319)، أحد أبناء القاضي الشيخ أبي عيسى المهدي، علامة مشارك مدرس مطلع فصيح اللسان. تولى قضاء طنجة مدة. له رحلة إلى بلاد الأستانة. أورد المؤرخ ابن زيدان رسالة مخزنية تشير إلى أنه رام الانتساب إلى آل البيت النبوي، فرفع جريدة عدلية في ذلك إلى نظر السلطان المولى عبد العزيز سنة 1318، فجاء الجواب بعدم ثبوت ذلك في أي عصر من العصور. ولما علم عمه القاضي أحمد بالقضية

تنصل منها بصريح العبارة.

توفي عام 1319 / 1 - 1902 ودفن بزاويتهم الكائنة أسفل العقبة الزرقاء.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، فاس، المطبعة الوطنية، 1350 /1932، 5 أجزاء، الجزء الرابع ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع، ثم سل النصال/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن **سودة، محمد** بن **الطاهر** (1305 - 1382)، من حفدة الشيخ التاودي، فهو محمد ابن الطاهر بن عبد الواحد ابن القاضي أحمد بن الشيخ التاودي، عالم مشارك، خطيب فصيح، خيّر ذاكر، متبتل شاكر، عامل رضي مرضي. أخذ عن والده الشيخ الطاهر وعن الشيخ المهدي الوزاني، والشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري. قام مقام والده في خطبة مسجد الأندلس منذ سنة 1335. وكان لخطبه بالغ الأثر على المصلين، تبكيهم في الغالب وتحملهم على التذكر والاتعاظ. وكان يخطب أيضا في مصلى باب الفتوح في الأعياد وصلوات الاستسقاء. ولما أبعد السلطان محمد الخامس عن عرشه على يد سلطات الاستعمار، امتنع الفقيه المترجم له من الدعاء للسلطان ابن عرفة، فأخر عن الخطبة وأمر بإجلاء الدار المحبسة على الخطيب في ظرف أربع وعشرين ساعة. فامتحن بذلك امتحانا، ولجأ إلى السكنى لدى بعض المحبين المحسنين، إلى أن عادت الأمور إلى نصابها، فأكرمه الملك محمد الخامس وعوضه عما حل به من تجاوزات الاستعمار.

توفي يوم الجمعة 2 رجب عام 1382 / 9 نونبر 1962، ودفن بروضتهم الكائنة بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع، ثم سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

إبراهيم بوطالب

ابن **سودة، محمد العابد** بن أحمد الفاسي، من علماء فاس خلال القرن الرابع عشر (19 م)، له مؤلفات في مختلف العلوم والفنون، ومنها كتاب *الأنباء المشهودة في شمائل رجال بيت بني سودة* الذي أتمه عام 1352 / 1933. وقد عرّف فيه بالأسرة وترجم لعلمائها. ومن مؤلفاته أيضا :

- *بغية الأدباء والأكياس في معرفة قسم وادي فاس.*
- *مسامرة الأعلام وتنبيه العوام بكراهية القيام.*
- مقامة في *تفضيل فاس على سائر المدن.*

وقد وضع محمد العابد في الموسيقى كتابا سماه *استنزال الرحمات بالطبع والنغمات* أو *بإنشاد البردة بالنغمات*، وفرغ من تأليفه عام 1359 / 1940. وهو ما يزال مخطوطا. مهد المؤلف لكتابه هذا بمقدمة مسهبة عرف فيها بالموسيقى عموما والموسيقى الأندلسية خصوصا، ثم انتقل إلى ذكر الطبوع، فصنفها وعرف بمبتكريها، كما ألم بفترات انتقال موسيقى الآلة إلى المغرب معرفا ببعض مصطلحاتها. وبعد المقدمة انتقل المؤلف إلى صلب موضوع الكتاب الذي هو "فن السماع"، فبسط القول في طريقة المسمعين من أهل فاس في إنشاد *البردة* و*الهمزية* للإمام البوصيري.

وتتلخص هذه الطريقة في تقسيم *البردة* إلى ثلاثة عشر قسما، يلحق بكل قسم منها إنشاد "بيتين" ومجموعة من الموشحات والأزجال والبراول، فينشد القسم الأول على طبع معين، وتتلوه الأقسام الأخرى بتوابعها مغناة على طبوع أخرى إلى أن يستوفي المنشدون الأقسام كلها في ثلاثة عشر طبعا من طبوع الموسيقى الأندلسية، وهي على التوالي : الحجاز المشرقي، والصيكة، والاستهلال، والماية، والرصد، وغريبة الحسين، والغريبة المحررة، ورمل الماية، والأصبهان، والحجازي الكبير، ورصد الذيل، والعشاق، وعراق العجم.

توفي محمد العابد بفاس عام 1359 / 1940.

ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، رقم 2036، ج. 2، ص. 441 ؛ م. المنوني، *مجلة البحث العلمي*، العدد 14 و15، ص. 169، السنة 1969.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **سودة، محمد** بن **عبد القادر** (1261 - 1338)، جد المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة. العالم المحدث المشارك، القاضي المدرس النفاعة المفتي المحرر المطلع. أخذ عن كبار شيوخ العصر، من أمثال الشيخ عبد السلام بن الطائع بوغالب الحسني، والشيخ محمد بن المدني كنون، وعن الشيخ المهدي بن الطالب بن سودة وشقيقه القاضي أحمد، وهما عماه، والشيخ أحمد بناني كلا، والشيخ عبد الله بن إدريس البدراوي وغيرهم. تولى قضاء طنجة مدة وحمد الجميع سيرته. ثم كان قاضيا على فاس الجديد. وكانت له اليد الطولى في الإفتاء، يعينه قاضي فاس الإدريسية الشيخ محمد بن رشيد العراقي لحل المشاكل العويصة، لما كان عليه من الذهن الثاقب والفراسة التامة. له *حاشية على صحيح البخاري*، جمعها من تلقينه للكتاب في القرويين. لحقه حفيده المؤرخ عبد السلام فأخذ عنه شيئا من علمه.

توفي يوم 29 شعبان عام 1338 / 18 ماي 1920، ودفن بروضة الشيخ ابن عباد بكدية البراطيل داخل باب الفتوح. رثاه محمد بن المفضل غريط بقصيدة مطلعها :

وما كان إلا سيف فصل لمشكل    أصار الردى بطن التراب له غمدا

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع، ثم سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن **سودة، محمد** بن أبي **القاسم** (1003 - 1076)، الفقيه الجليل العلامة الفاضل، آخر قضاة العدل والدين وكمال المروءة بفاس. أخذ عن الشيخ عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي، وقال سمعت منه جملة من التفسير والرسالة والحكم لابن عطاء الله وتحفة ابن عاصم بشرح ميارة. ثم ولي قضاء فاس الإدريسية مهل شعبان 1057. وكان من الرعيل الأول من المبايعين للدولة العلوية في طور نشأتها. فإنه كتب على لسان المولى محمد بن الشريف العلوي، لدى

دخوله مدينة فاس سنة 1059، إلى آخر ملوك الدولة السعدية محمد الشيخ الصغير ردا على رسالة بعث له بها ينصح له بالحذر من أهل فاس خاصة ومن أهل الغرب بصفة أعم، والرسالة نثر ونظم. تصور لما اشتد من التنافس على الحكم في المغرب يومئذ بين الدولة السعدية الآفل نجمها والدولة العلوية التي كانت في نضالاتها الأولى والزاوية الدلائية التي رام آخر شيوخها ملء الفراغ السياسي في البلاد وجعل حد للفتنة والشغب والتناحر.

وللقاضي محمد بن أبي القاسم تقاييد وأجوبة. وإليه ينسب درب القاضي حيث كانت دار سكناه على يمين الداخل للدرب.

توفي يوم الأحد 25 ذي القعدة عام 1076/ 29 ماي 1666. وأوصى بأن يدفن في روضة سيدي علي بن حرزهم خارج باب الفتوح، وأن تنشد في جنازته أبيات مطلعها :

إلاهي المالك الناصر أتاك عبدك القاصر

م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1402/ 1982 ، 4 أجزاء، الجزء الثاني ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1419 /1998 .

ابن **سودة، مَحمد** بن **محمد** بن **عزوز** الوطني الغيور والمناضل الكبير الذي تفانى في الدفاع عن حرية الوطن وكرامته. كان في طليعة الصفوف الوطنية الأولى في مدينة فاس منذ أواخر العشرينيات من القن العشرين. تابع داسته بالتعليم العصري، وكان من الأفواج الأولى التي التحقت بثانوية المولى إدريس. ولما كان على جانب كبير من موهبة التنظيم والتأطير، فإنه جعل تلك الموهبة في خدمة جيله من الشباب الفاسي. فكان من مؤسسي ومنشطي الجمعيات الرياضية أول الأمر، وبخاصة منها جمعية النجاح الرياضي، التي كان لها الفضل في بث روح التباري الرياضي العصري في الناشئة الفاسية الصاعدة. ثم كان من ركائز جمعية قدماء تلاميذ ثانوية المولى إدريس. ولا يخفى ما كان لهذه الجمعية من الأدوار الملموسة في استقطاب الشباب في صفوف الحركة الوطنية، ومن المواقف المذكورة في تنوير العقول وفتح الآفاق على باقي الثقافات.

كان المترجم من مؤسسي ومسيري الحزب الوطني ثم حزب الاستقلال في فاس، فهو من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، بحيث كان منزله قبلة للمناضلين وناديا تلتقي فيها الإرادات وتشحذ فيه الهمم. مما حمل عيون السلطات الاستعمارية ومسامعها على تتبع حركاته وسكناته دون فتور، فلا تقع واقعة وطنية نضالية إلا وكان أول من يلقى عليه القبض في فاس. فدخل السجن بعد أحداث يناير 1944، ولقد رأي كاتب هذه السطور بأمّ عينيه من أعلى سطح الدار الذي كان يقطنها والتي تطل على دار المترجم الزبانية الاستعمارية تفتشها تفتيشا دقيقا وتنبش ركاما صلدا من الرمل بقي من بعض الترميمات السابقة بحثا عن المناشير والوثائق الحزبية. ثم كانت أحداث دجنبر 1952 فكان من أول من أودع السجن مرة أخرى.

ولما استرجعت البلاد استقلالها، انضم على التو ومن تلقاء نفسه إلى أطر وزارة الشبيبة والرياضة حيث أسندت إليه مسؤوليات عليا فيها، فمارس شيئا منها في الدار البيضاء، ثم في الإدارة المركزية في الرباط، بنفس الروح التي ما فتئ طيلة حياته يؤدي بها واجباته الوطنية وبنفس القدرات التنظيمية التي كانت من خصاله المتميزة.

وافاه الأجل المحتوم فجأة في القطار سنة 89 ـ 1390 / 1970 وهو في طريقه من باريز إلى فيينا لقضاء العطلة لدى صديقه عبد الكبير الفاسي سفير المغرب يومئذ في النامسا. ونقل جثمانه من هناك ووُوري في مثواه الأخير بمقبرة ابن مسيك في الدار البيضاء.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال للنضال* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9.

إبراهيم بوطالب

ابن **سودة، محمد** بن **محمد** بن **محمد** بن عمر الملقب بالشيخ التاودي. ولد بفاس عام 1330/1911 وبها نشأ ودَرَس في النظام الجديد بالقرويين إلى أن أحرز على شهادة العالمية من القسم الشرعي عام 1358 / 1938 وانخرط في سلك القضاء وعمل في جهات مختلفة، منها قبيلة زعير جنوب الرباط، وانتهى به المطاف قاضيا مستشاراً بالمجلس الأعلى، وشارك في *تخريج المعيار* للونشريشي في طبعته الثانية إلا أنه توفي قبل إنهاء الجزء الموكول إليه فأتممته

عنه. كما كان هاوياً للتاريخ وخلال توليه منصب القضاء بزعير خلال السنوات السبع التي سبقت إعلان الاستقلال ألف كتاب *قبيلة زعير*، وهي أصعب فترة في تاريخ المواجهة المغربية الفرنسية، تفجرت فيها طاقات الوطنية والمقاومة وثار فيها بركان الاستعمار فأصابت حممه مختلف الجهات ومن بينها بلاد زعير.

اعتمد المؤلف في هذا الكتاب على مصادر متنوعة، بعضها مكتوب وبعضها مسموع من أفواه "الطاعنين في السن وأكابر القبيلة وأعيانها الذين لهم خبرة ومعرفة واطلاع بشؤون قبيلهم" واهتدى ـ بحكم تكوينه الفقهي التوثيقي ـ إلى نقد هذه المصادر وتمييز الصحيح المقبول من الباطل المرفوض. "وكنت أحرص كل الحرص ـ يقول المؤلف في المقدمة ـ على ألا أقيد في تلك الدفاتر إلا ما صح عندي من الأخبار والآثار، وأبتعد عن نقل وحفظ ما لا ترجى من ورائه كبير فائدة، وعلى هذا المنهج سرت في عملي".

ينقسم الكتاب إلى قسمين أو جزئين، أولهما ـ وقد طبع منذ بضع سنوات ـ في تاريخ القبيلة وذكر أصولها وفروعها ومواطنها القديمة والحديثة، ولغاتها المستعربة والمستعجمة، وعاداتها، وأسواقها وفلاحتها وعلاقتها بمن يجاورها من القبائل والعشائر. وخصص الجزء الثاني لتراجم أعلام زعير في العلم والجهاد والسياسية والرئاسة، وابتدأه بترجمة مطولة لعبد الله بن ياسين شيخ المرابطين دفين كريفلة من بلاد زعير، كما ترجم لجماعة من الفقهاء الذين تولوا منصب القضاء في زعير وترجم لنفسه من بينهم.

توفي بالرباط يوم الجمعة 20 محرم عام 1401 / 28 نونبر 1980.

م. ابن سودة نفسه، كتاب *قبيلة زعير*، الجزء الثاني، ص. 157 ـ 164 ؛ م. حجي، جولات *تاريخية*، بيروت، 1995، ج 2 : 455،451.

محمد حجي

ابن **سودة، محمد** بن **المهدي** بن الطالب بن مَحمد ـ فتحا ـ (1257 ـ 1344)، العلامة المشارك المطلع المدرس النفاعة النحرير الخطيب المصقع، صاحب الذهن الثاقب والعلم الصائب. أخذ عن والده وهو عمدته، وعن عمه القاضي الشيخ أحمد بن الطالب، وعن الشيخ عبد السلام بن الطائع بوغالب الحسني، وعن الشيخ أحمد بناني كلا، وعن الشيخ محمد بن المدني كنون، وعن الشيخ المهدي بن الحاج، وعن الشيخ عبد المالك العلوي الضرير وآخرين من كبار شيوخ العصر. له تآليف عديدة، منها شرح على اليوسي في رثاء الزاوية الدلائية في نحو ثمانية أسفار ضخام، وشرح على الألفية في مجلد. ومما يسترعي الانتباه من مؤلفاته، أنه كان يحرر ما يجري بينه وبين أشياخه وأقرانه من المذاكرة، فخرج من ذلك مؤلف قريب مما يسمى اليوم بالمذكرات. تولى خطابة جامع الرصيف. وكان أهل فاس يتهافتون للإصغاء إلى خطبه. ولما سئل عن ذلك قال إنها تعجبهم لعدم طولها، ولما تنبني عليه من الأحاديث الصحاح دون غيرها. فإنه كان سلفي العقيدة، نفورا من كل من يدعي الوساطة بين الخالق والمخلوق، مفوضا أمره إلى الله، مدركا لعيوب المجتمع مثل آفة الاسترقاق متنصلا منها. التزم بيته من يوم فرضت الحماية على المغرب، ولم يبرحه إلى أن وافاه الأجل.

توفي قبيل مولدي بأزيد من عشر سنوات. ومع ذلك يخيّل إليّ أنني عرفته عن كثب، مما سمعت من أوصافه الجليلة، ومن سيرته الصارمة الحازمة على لسان الأخوال والخالات، فإنه آخر من تمثلت في شخصه الأبوة القديمة بين أولاده وأحفاده، وقد تزوجوا وأنجبوا تحت رعايته، في غرسته الممتدة في حي الدوح التي توزعها الورثة بعد موته ليقيم كل واحد منزلا لأسرته المنحصرة على الطريقة العصرية.

توفي يوم 3 رمضان عام 1344 / 17 ماي 1926.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن **سودة، المكي** بن المهدي (1263 ـ 1317)، أحد أبناء القاضي الشيخ المهدي، عالم مشارك مطلع مدرس، له شرح على تائية الشيخ الحراق، وشعر متوسط. تولى قضاء فاس الجديد والصويرة.

توفي عام 1317 / 1899 ـ 1900.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن **سودة، المهدي** بن **الطالب** بن مَحمد (1220 ـ 1294)، القاضي الجليل والعالم الحبر النحرير. ذاع صيت الشيخ المهدي في ديار الإسلام غربا وشرقا بما كان عليه من سعة العلم والتثبت في الفقه والتمكن من كل أصناف المعقول والمنقول. حلاه كل من ترجم له بأعلى عبارات التحلية، فقال عنه صاحب *الدرر البهية* : "هو العالم العلم الذي لا يجهل، وعليه العمل الذي يعمل ولا يجهل". وقال عنه صاحب *سلوة الأنفاس* : "كان فقيها محدثا أصوليا منطقيا نحويا مشاركا، درّس فأفاد، ونفع العباد، وكان بديع الدقائق والفهومات، غريب الأبحاث والإشكالات، مع اتساعه في العلم وتجرده والغوص على نفائسه وإشارته وتدبره". وقال عنه صاحب *الإتحاف* : "ضابط متقن راوية ذرب اللسان ثبت الجنان سياسي ماهر مطلع خبير بصير بالعواقب حامل لواء التحقيق في زمانه مشار له بالبنان بين أقرانه درّس العلم بأقطار المشرقين والمغربين فأجاد وأفاد". أدار المجالس العلمية التي كانت تقام بحثا في *صحيح البخاري* في شهور رجب وشعبان ورمضان في حضرة ملوك عصره، المولى عبد الرحمان بن هشام وسيدي محمد بن عبد الرحمان والمولى حسن بن محمد.

رحل الشيخ المهدي إلى الديار المقدسة مرتين، مرة أولى

سنة 1269 من الهجرة، فحج وزار واجتمع بعلماء المشرق الكبار وألقى الدروس بمصر وبالحرمين فأعجب الجميع به ولهجت الألسن بذكره ومدحه أكثر من واحد، منهم الحسن بن علي اللقاني الذي قال :

هسام له في الفضل والعلم والعلى
خصائص قد جلت على الحصر والعد
هو البحر بحر العلم والحلم والتقى
وكشاف ما تخفي العبارة من قصد

وحج مرة ثانية سنة 1274 رفقة أنجال السلطان المولى عبد الرحمان، مكلفا بأن يصل شيوخ الأزهر على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم بما أمر لهم به هذا العاهل من الهبات النقدية، وقد ذكرهم صاحب *الإتحاف* بأسمائهم. وكان الشيخ المهدي قد ولي قضاء الجماعة من مدينة مكناس سنة 1272، فيما بين تلك الحجتين، وبقي على الخطة إلى أن لبى داعي ربه، رغم ما كان عليه من شديد التنصل منها وميله إلى الوقوف عند التدريس والتأليف، وكان يتوسل في ذلك بالوزير الطيب بن اليمني بوعشرين. لكن السلطان ظل يفضل تقديم حقوق الأمة على حقوق الشخص بما تميز به الشيخ المهدي في ممارسة واجبات القضاء من غزارة الحكمة وصفاء الطوية والسير على السنن الشرعي القويم.

تخرج على يد كبار علماء العصر من أمثال عبد السلام الأزمي، وهو عمدته في المعقول، وعبد القادر الكوهن، وهو عمدته في الفقه، ومحمد الحراق، وهو عمدته في التفسير والحديث، وعلي بن إدريس قصارة الذي أخذ عنه النحو والحساب والعروض، وبدر الدين الحمومي شيخ الجماعة، ومحمد بن عبد الرحمان الفيلالي وغيرهم.

أما المتخرجون على يده، ففي المغرب أخوه أحمد بن الطالب قاضي مكناس من بعده، ومحمد گنون وأحمد بن الخياط الزكاري والعباس بن أحمد التازي وجعفر الكتاني والقاضي حميد بناني، هذا في فاس، وأما في مكناس، فممن أخذ عنه فضول ابن عزوز وفضول السوسي وابن الجيلالي السقاط والمختار الأجراوي وآخرون. وأخذ عنه في مصر الشيخ عليش والشيخ عبد الهادي نجا الأبياري، وفي دمشق الشيخ دكدوك.

وكان الشيخ المهدي ابن سودة من جملة من استفتاهم السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان من العلماء بعد هزيمة الجيوش المغربية في حرب تطوان سنة 1276 / 1860، عندما صم عزمه على إصلاح شؤونها بكفها عن أساليب الكر والفر وتمرينها على حرب النظام. فكتب الشيخ المهدي في ذلك جوابا نشره المرحوم محمد بن عبد الهادي المنوني، يبدي مدى خبرته بالأصول وملازمته لها ومدى تفتحه وإدراكه لضرورات الإصلاح في مجتمع تجمد على الثوابت خوفا من البدعة حتى دخل عليه الاستعمار، مستدلا على محاسن فنون القتال العصرية بالآيات البينات والأحاديث الصحيحة. وله إلى ذلك تآليف أخرى، منها حاشية على شرح الخرشي على المختصر، وحاشية على شرح المحلي على جمع الجوامع، وحاشية على شرح بناني على السلم وحاشية على رسالة الوضع، وفهرسة.

توفي الشيخ المهدي يوم 4 رمضان سنة 1294 / 12 شتنبر 1877 ودفن في زاويته الكائنة أسفل العقبة الزرقاء التي هي مدفن أبنائه وحفدته.

إ. العلوي الفضيلي، *الدرر البهية*، فاس، الطبعة الحجرية ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، الطبعة الحجرية ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 2، الدارالبيضاء، 1960، 9 أجزاء، الجزء التاسع ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، فاس، 1350 / 1932، 5 أجزاء، الجزء الرابع ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن **سودة الهندي، محمد،** حفيد القاضي الشيخ أبي عيسى المهدي من ولده محمد التاودي، فقيه جليل وعالم فاضل وطبيب ماهر. أخذ عن والده وهو عمدته، وعن عمه الشيخ المكي المتوفي عام 1319، وعن الشيخ محمد بن التهامي الوزاني، والشيخ أحمد بناني كلا، وعن عم والده القاضي أحمد بن الطالب، وعن إدريس البدراوي وآخرين. اشتغل بالتدريس مدة. ثم توجه إلى الحج فأدى الفريضة، وأبعد في الرحلة فذهب إلى الهند، فمن ذلك لقبه بعد عودته إلى فاس محملا بالتحف والعجائب، وقد أتقن صناعة الطب. وصار يداوي الناس بدون مقابل. ودفن بزاويتهم بالعقبة الزرقاء.

توفي بفاس عام 1331 / 12 ـ 1913.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

إبراهيم بوطالب

**السور الجديد** بالدار البيضاء. وهو سور طويل يحيط بميدان فسيح يشمل مساحة كبيرة من عدة هكتارات، أمر ببنائه السلطان مولاي الحسن إلى الغرب من مدينة الدار البيضاء القديمة. وكان الدافع لبنائه هو ضيق المدينة، ومنافسة الأجانب للمغاربة في الحي الشعبي "التناكر". فقد كانت البناءات المخصصة للمتاجر الأجنبية تضايق الحي الشعبي وتتوسع على حسابه، ولإبعاد الاحتكاك بين الطرفين ولعزل سكنى التجار الأجانب حتى لا يضيقوا على السكان الفقراء، أمر السلطان ببناء السور الجديد، وخصص مساحته للجالية الأوروبية لتبني فيه مساكنها وأهريتها. لكن الأجانب فضلوا البقاء قرب المرسى بالمدينة ورفضوا الانتقال إلى السور الجديد. وقد تكلف بالصرف على البناء في البداية الأمين محمد بن سعيد الرباطي، ثم بعده الحاج عبد الخالق فرج الرباطي.

ولما بقيت أرض السور الجديد فارغة من البناء، أصبحت مكانا لتخييم الحركات السلطانية عند مرورها بالدار البيضاء، ومتنزها لسكان المدينة، حيث كانت تقام الاحتفالات الشعبية، خاصة الاحتفال بنزهة سلطان الطلبة.

وقد حاول التجار الأجانب، وفي مقدمتهم التجار الألمان اتخاذ ساحة السور الجديد محلا لغسل ونشر الجلود. وتدخلوا لدى السلطان مولاي عبد العزيز (1894 ـ 1908) من أجل ذلك، لكن السلطان رفض وأمر بتعيين محل لما طلبوه، مبينا بأن "بقعة السور الجديد حوطها المخزن لغرض مهم ولا يمكن استعمالها في ما طلبوه"، (من رسالة سلطانية، أنظرها في *إتحاف أعلام الناس*، 1 : 443).

وفي سنة 1907 لما اضطربت أحوال الشاوية نتيجة للتوتر بين المغاربة والفرنسيين، الذين شرعوا في بناء مرسى الدار البيضاء، خيمت محلة من الجيش بقيادة مولاي الأمين عم السلطان بالسور الجديد. وبعد حادث مقتل تسعة عمال أوروبيين بمرسى الدار البيضاء، انتهزت الحكومة الفرنسية الفرصة لتحتل المدينة، ولهذا تدخل الأسطول الفرنسي فقصف المدينة ووجهت قنابل البوارج إلى الحي الشعبي "التناكر"، ففر سكانه إلى السور الجديد حيث توجد القوات المخزنية للاحتماء. لكن السفن الحربية الفرنسية، ارتكبت مجزرة بشعة بين السكان الذين التجأوا للسور الجديد، وبين أفراد الجيش المغربي المخيم بعين المكان. والثابت أن تلك المجزرة ارتكبت عن قصد وسبق إصرار بهدف إرهاب المغاربة. لأن القنصل الفرنسي كان قد اتفق مع مولاي الأمين على أن يلتجئ السكان الخائفون إلى السور الجديد، ولما تجمعوا هناك بلا نظام هاربين من قنابل البوارج الحربية، وجهت تلك البوارج مدافعها نحو السور الجديد فأحالت جمعهم إلى ركام من الجثث (*التدخل الأجنبي والمقاومة*، 261 ـ 262).

ع. الرحمن بن زيدان، *إتحاف*، الجزء الأول ؛ ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، 1991.

G. Bourdon, *Ce que j'ai vu au Maroc, les journées de Casablanca*, Paris, 1908.

علال الخديمي

**سورية والمغرب**. سبقت سورية المغربَ إلى التحرر، إذ أُلغي الانتداب الفرنسي عليها سنة 1941 والحرب العالمية الثانية مازالت مستعرة، وتم استقلالها بجلاء الجنود الأجنبية عن ترابها سنة 1946. وقد عملت سوريا ـ مع الدول العربية المستقلة الأخرى آنذاك ـ على تأسيس جامعة الدول العربية (7 ربيع الثاني عام 1364 / 22 مارس 1945) ولما استقل المغرب بمقتضى التصريح المشترك المغربي الفرنسي الذي وضع حداً للحماية الفرنسية على المغرب (18 رجب 1375 / 2 مارس 1956) بادر محمد الخامس بالانضمام إلى الجامعة العربية وربط علاقات ديبلوماسية مع الدول العربية المستقلة، ومنها سورية الشقيقة، ووقع تبادل السفراء بين البلدين منذ البداية.

سارت العلاقات المغربية السورية سيراً طبيعياً طوال العقود الماضية رغم ما كان يخيم عليها من ظلال بسبب قضية تحرير الأراضي العربية وإشكالية قيام الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف والممارسات العدوانية الإسرائيلية.

وبهذا الصدد يمكن القول إن هناك تطابقاً في وجهات النظر بين المغرب وسورية تجاه هذه الثوابت التي ينبغي أن تحكم العمل العربي المشترك، وتبايناً غير معلن في أدوات الإنجاز وكيفية التعاطي مع ما يستجد بخصوص القضايا المطروحة.

المغرب وسورية كانا ولازالا يلتقيان على أرضية واحدة لا بديل عنها بالنسبة للصراع العربي الاسرائيلي، وتتمثل في تنفيذ قرارات الشرعية الدولية، وهو مطلب سوري ومغربي لا يلين، فيما تظل الجوانب الإجرائية لتحقيقه موضع تباين في المواقف بين البلدين الشقيقين.

ناهيك عن قيام الجنود المغاربة مع نظرائهم في الجيش السوري، وخوضهم لمعارك حرب رمضان 1393/ أكتوبر 1973 في سبيل إجلاء الجيش الاسرائيلي المحتل عن مرتفعات الجولان السورية، وهي المعارك التي أبلى فيها المغاربة البلاء الحسن في القتال بشجاعة قل نظيرها، والاستشهاد إلى جانب إخوانهم السوريين كما تدل على ذلك أضرحتهم في مقبرة الشهداء قرب العاصمة السورية.

وبعد فتور خيم على العلاقات بين البلدين على إثر قيام المغرب باسترجاع صحرائه بعد انسحاب الإسبان منها ومعاكسة الجزائر له، وتباين مواقف الدول العربية، عرفت العلاقات المغربية السورية تطورات سعيدة خلال السنتين الأخيرتين.

شكلت زيارة الرئيس بشار الأسد إلى المغرب في أبريل 2001 بدعوة من جلالة الملك محمد السادس محطة رئيسية لتعزيز العلاقات المغربية ـ السورية في مختلف الميادين، وتوجت بالتوقيع على اتفاقية إنشاء لجنة عليا مغربية سورية مشتركة برئاسة الوزيرين الأولين في البلدين.

وأعطت الزيارة دفعاً قوياً للتعاون بين البلدين، حيث تلتها حركة دؤوبة للوفود المغربية باتجاه سورية، توجت بزيارة الوزير الأول لها على رأس وفد وزارى هام، وذلك في إطار انعقاد الدورة الأولى للجنة المشتركة العليا في دمشق بتاريخ 21 أكتوبر 2001 بمشاركة رجال الأعمال المغاربة.

وقد اختتمت أشغال هذه الدورة بالتوقيع في 23 أكتوبر 2001 على أربعة عشر اتفاقاً وبرنامج تنفيذي ومذكرة تفاهم بالإضافة للاتفاقية المتعلقة بإنشاء اللجنة المشتركة العليا التي كان قد وقع عليها بفاس بتاريخ 11 أبريل 2001، أما بقية الاتفاقيات والبرامج فهي كما يلي دون ترتيب :

ـ اتفاق إنشاء مجلس رجال الأعمال السوري ـ المغربي.

ـ اتفاقية حول تشجيع وحماية الاستثمارات وملحقها.

مذكرة تفاهم بشأن إقامةمنطقة تجارية حرة.

ـ اتفاق تعاون بين المركز المغربي لإنعاش الصادرات والمركز السوري للتجارة الخارجية.

ـ اتفاق تعاون في مجالات التشغيل والعمل والتنمية الاجتماعية.

- البرنامج التنفيذي لاتفاق التعاون السياحي.
- اتفاق للتعاون العلمي والفني في مجالات المواصفات والمقاييس ومراقبة الجودة ومنح شهادات المطابقة بين مصلحة المواصفات الصناعية المغربية وهيئة المواصفات والمقاييس العربية - السورية.
- مذكرة تفاهم للتعاون في مجال الصحة والعلوم الطبية.
- اتفاقية في مجال الصحة البيطرية.
- برنامج تعاون علمي وفني في المجال الزراعي.
- مذكرة تفاهم في مجالات النقل المختلفة بين وزارة النقل والملاحة التجارية المغربية وبين وزارة النقل في الجمهورية العربية السورية.
- اتفاق بين حكومة المملكة المغربية وحكومة الجمهورية العربية السورية بشأن الاعتراف المتبادل برخص السياقة.
- اتفاق التعاون في مجال حماية البيئة بين البلدين.
- اتفاق تعاون في مجال إعداد التراب والإنشاء والتعمير بين البلدين.

وقد عرفت المبادلات التجارية بين المغرب وسورية في السنوات الأخيرة نمواً ملحوظاً، حيث يستورد المغرب من سورية القطن وخيوط النسيج والتوابل والمواد المنجمية، فيما يصدر إليها مصبرات السمك والأسمدة والعطور... وستتعزز العلاقات أكثر بين البلدين الشقيقين بالزيارة التي قام بها جلالة الملك محمد السادس لسورية في شهر يونيه 2002 والتي تؤكد اتجاه نية البلدين إلى مرحلة جديدة من العلاقات تُقدَّم فيها المصالح الآنية المتبادلة على الاعتبارات الجيوسياسية التي حكمت السياسة الخارجية للبلدين والعلاقات بينهما خلال حقبة من الزمن. وينتظر أن تكون الترسانة الدبلوماسية والقانونية التي تمّ ويتم توقيعها وإقرارها من قبل المسؤولين في البلدين حافزاً مساعداً على تطوير العلاقات الأخوية القائمة بين المملكة المغربية والجمهورية العربية السورية من أجل الوصول بها إلى المستوى المطلوب.

عباس برادة السني

**سوريگة** (Souriga) مدينة قديمة حدد بطليموس موقعها على خط طول 8 وخط عرض 29 بين أس أوساديون ونخر أونة.

وهي تطابق حسب تيسو موقع قوبية الموجود على نهر تيدسي، على بعد سبعة أميال إلى الجنوب من رأس مسيح.

ويشكل وادي تيدسي ما يشبه واحة في هذا الساحل الجذب.

Ptolémée, *Géographie*, IV, 1, 2 ; Tissot, *Géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, p. 253.

عبد العزيز بل الفايدة

**السُّوري**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Suri أو Soriano نسبة إلى مدينة صوريا Soria شمال إسبانيا، منهم المهدي السوري بن محمد زاول خطة العدالة سنة 1171 (1758). وكان فريق منهم بتطوان عام 1284 / 67 - 1868 يقطنون حي "المطْمَر" ويوجد منها بقية في بني زيات الغمارية إلى الآن، منهم الفقيه المقرئ محمد السوري.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط ؛ م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1407.

محمد ابن عزوز حكيم ومحمد بوخبزة

**سوس**، مصطلح جغرافي قديم في المغرب. وهو أيضا من المصطلحات التي مايزال مدلولها اللغوي غامضا، فجل الدراسات التي اهتمت بسوس، لم تشر إلى الجانب الطوبونيمي للمصطلح إلا بشكل عرضي، الشيء الذي يجعل البحث في هذا الباب تكتنفه صعوبات جمة.

وعندما نقوم بتتبع كلمة "سوس" في المكان، فإن أول ملاحظة يمكن الانتباه إليها هي تكرارها في مناطق عديدة خارج المغرب. حيث نجدها في كل من تونس (سوسة) والنيجر (أووس) وتشاد... كما نجدها في إيران. فقد ذكر البكري (ق. 11) أن "السوس بضم أوله وبسين مهملة أيضا في آخره، وهو مدينة الأهواز في قديم الدهر..." (البكري، معجم...، ص. 767) وهو أيضا "بلدة من بلاد خوزستان..." (الحموي، *معجم البلدان*...، ص. 280 / 282).

ويربط اللسانيون انتشار هذا المصطلح الجغرافي، باللغات الحامية / السامية Chamito-sémitiques، التي نقلتها شعوبها بين الشرق والغرب، تاركة بصماتها وآثارها على أسماء الأماكن الجغرافية التي مرت منها أو التي استقرت بها. وكلمة "سوس" التي يرجع جذرها اللساني (S.S) إلى الأصل الحامي/السامي تعني شيئا مسطحاً (J. Pérugia) أي الأرض السهلة التي تنعدم فيها التضرسات. وإن كلمة ssu تعني "سطح" plat. وهذا المدلول هو ما تطابقه الكلمة، في أغلب المناطق التي تطلق عليها. ففي جنوب فرنسا تم إحصاء كلمات عديدة من نفس عائلة "سوس" وهي ...sus, sousse, suse وكلها تطابق عموما سهلا قابلا أن يسقى، وهو ما تطابقه في المغرب، وتونس، والنيجر والتشاد. أما في الأهواز، فقد أشار البكري إلى أن "السوس [...] بالفارسية شوش أي جيد..." (معجم...، ص. 767). وأضاف ياقوت الحموي (ق. 12 - 13) أن "السوس تعريب الشوش [بالفارسية] بنقط الشين ومعناه الحسن والنزه والطيب، واللطيف" (معجم...، ص. 280 / 281).

ونجد أن المناطق السهلية الساحلية بالغرب والمعروفة بتامسنا، كان يطلق عليها "السوس" (*البيان*، ج. 1 : 6).

إن هذه الأوصاف (الجيد، الحسن، النزه، الطيب) التي قدمها لنا هؤلاء الجغرافيون القدامى، عن المكان الذي يطلق عليه "السوس"، ينطبق على الأراضي السهلية، والجيدة،

والخصبة، والطيبة. كما أن ما قدمته لنا الدراسة اللسنية يدل على أن هذه الكلمة، تأخذ مضمونا يطابق الأراضي السهلية. وبين لنا الرصد الجغرافي لكلمة "سوس" أن العنصر المشترك بين المناطق التي تطلق عليها هذه التسمية هو كونها مجالا سهليا. ولم نعثر من خلال جرد للمناطق التي تحمل اسم "السوس" على ما يدل على أنها غير سهلية وغير خصبة، وأن أغلب الجغرافيين يجمعون على أن تلك المناطق هي أراض جيدة، وخصبة.

يمكن أن نخلص الآن إلى القول بأن كلمة "سوس" - اعتمادا على هذه المعطيات السابقة، اللسنية، والجغرافية والتاريخية - تعني "السهل الجيد" كمصطلح جغرافي.

ومع ذلك، ليس في وسع الباحث، إلا أن يطمئن اطمئنانا أوليا لهذا الاستنتاج، إذ يتعذر علينا أن نحسم بشكل مطلق، في مثل هذه الدراسة التي تتطلب وسائل معرفية وعلمية أخرى، لم تكن دائما سهلة المنال.

وكلمة "سوس" من المصطلحات التي لها حمولة تاريخية عميقة، حيث واكبت التاريخ المغربي، منذ بدايته إلى الآن. وعرفت تحولات في المكان، من حيث الامتداد والانكماش الجغرافيين، وتغيرات من حيث الاسم، من السوس الأقصى إلى السوس الأدنى. هذه التحولات والتغيرات ميزت مصطلح "سوس" عن باقي المصطلحات الجغرافية المغربية الأخرى.

في الفترة القديمة، اهتم الجغرافيون القدامى بالسواحل المغربية منذ رحلة حانون. وتركوا لنا معلومات نادرة عن القبائل والمدن والأنهار المغربية في العهد القديم. ويعتبر Pline L'ancien (23/79) وPtolémée (II°s ap. J.C) من أشهر الجغرافيين القدامى الذين تركوا لنا بعض المعلومات عن المنطقة الجنوبية. فقد أشار بلين، إلى استقرار أوتولول Autololes في ساحل موكادور (الصويرة) أمام الجزر الأرجوانية (Iles purpuraires) . . Carcopino (Le Maroc.... p. 259)، ثم في منطقة سوس بين روسادير Rusaddir (Agadir) ووادي سوس [Quosemun] ثم دفعوا بعيداً إلى جوار السود (Aethiopas).

لم نعثر في هذه النصوص القديمة على أية إشارة واضحة إلى كلمة "سوس". لكننا نجد Pline قد أشار إلى نهر سوس الذي سماه (flumen-Quosemun). هل يمكن القول إن كلمة "قوسينوم Quosenum" هي فقط تحريف بسيط للكلمة المحلية سوس ؟ أم أن كلمة "سوس" هي التي انحرفت عن الأولى ؟

إننا إذا ألقينا نظرة، على أغلب أسماء الأنهار الأخرى المغربية، كما ذكرها بلين Pline، نجدها لا تبتعد كثيرا من الناحية الصوتية عن الأسماء التي تحملها حاليا. منها Molochath (ملوية) Lixus (لكوس) Sububus (سبو) Quosémus (تانسيفت) (Thouvenot, La côte...) وMasatat (ماسة) وDarat (درعة). كما أن أغلب أسماء المناطق التي توجد بها هذه الأنهار أخذت من أسماء أنهارها، مما يؤكد أن كلمة "سوس" بدورها قد تكون مشتقة من اسم النهر "Quosemun". وقد أشار مارمول (ق. 16) إلى ذلك بقوله : "اتخذ إقليم سوس اسمه من نهر هو أكبر أنهار بلاد البربر في جهة الغرب..." (مارمول، *إفريقيا*...، ص. 33). واعتمادا على مصادر العصر الوسيط، أشار ماسينيون Massignon إلى أن "...اسم سوس مشتق من اسم نهر سوس" (Massignon, *Le Maroc*..., p. 193).

وبخصوص قوسينوم "Quosemun" فإننا لم نجد في المصادر التي جاءت بعد الفترة القديمة، أية إشارة إلى هذه الكلمة، باستثناء ما انفرد به ياقوت الحموي (ق. 12) إذ يقول : "والسوس أيضا : بلد في المغرب كانت الروم تسميها قمونية..." (الحموي، معجم...، ص. 280 / 281).

هل لكلمة قوسينوم "Quosemun" علاقة مع كلمة "قمونية" الواردة عند ياقوت الحموي؟

إن ندرة المصادر في هذه النقطة، تجعلنا نتحفظ في تأكيد وجود علاقة ما بين الكلمتين. غير أنه من الممكن القول : إن الحموي اعتمد على معطيات معينة لتأكيد قوله. وإن الشيء المؤكد عندنا هو أن الحموي يعرف معرفة جيدة أن "للروم" علاقة بسوس وأن لهم اسما خاصا بهم لسوس وهو "قمونية". هذه المعطيات تسمح لنا بالقول بأن كلمة "قمونية" قد تكون تحريفاً لـ "Quosemun" الواردة عند بلين Pline.

في العصر الوسيط، نجد أن المصادر العربية تشير إلى كلمة سوس، بنوع من الإسهاب. فقد أشار ذ. عمر أفا إلى معظم المؤلفين العرب الذين تحدثوا عن سوس في العصر الوسيط (*مسألة*...، ص. 66). ونستنتج من ذلك أن أغلب نصوص أولئك المؤلفين حول سوس تتشابه وتتكرر. ونستنتج أيضا أن مصطلح "السوس" كان يشمل المغرب تقريباً، من وراء طنجة إلى درعة، ومن غرب سجلماسة إلى البحر، ومن تلمسان إلى سجلماسة. وهذا المجال الواسع لم تتفق حوله كل النصوص، ولكنه يشكل الحد الأقصى لسوس في النصوص الوسيطية. وتشير كذلك إلى السوس الأدنى والسوس الأقصى. فالسوس الأدنى يمتد من الشمال (خلف طنجة، وتامسنا...) إلى نواحي مراكش. أما السوس الأقصى فهو يمتد في ما وراء مراكش إلى مصب درعة. وتوصل أحد الباحثين إلى نفس الاستنتاج قائلا : "كان اسم السوس يطلق في العصور الوسطى على جميع البلاد التي تمتد جنوب مراكش بين المحيط ووادي درعة. والقسم الشمالي يسمى غالباً بالسوس الأدنى والآخر بالسوس الأقصى (شبانة، *الدولة الموحدية*...، م. البحث العلمي، ص. 144).

هذا هو امتداد سوس في العصر الوسيط كما تورده النصوص. وسيعرف تغييرات كبيرة في العصر الحديث.

وأما في العصر الحديث، فنجد أن النصوص تتجه نسبياً إلى تحديد أكثر دقة وأقرب إلى واقعه الحالي.

ففي بداية القرن التاسع (15 م) أصبح مصطلح سوس

ينطبق فقط على ما سمي في القرن الماضي بالسوس الأقصى. "ويبدو أن مصطلح السوس الأدنى - الذي كان يشمل شمال المغرب مع إدخال طنجة كعاصمة - قد عوض بمصطلح الغرب" (Meunié, *Le Maroc*, T. I, p. 338). ولذلك فإن أغلب النصوص الحديثة، ستتحدث عن السوس الأقصى، وأن السوس الأدنى سيختفي مؤقتاً قبل أن يعود في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ليشمل فقط القسم الشمالي لسوس بين واد سوس إلى واد والغاس. أما الحسن الوزان (ق. 16) فهو يحدد سوس فيما وراء جبل درن، ويقول : "ناحية سوس الواقعة وراء الأطلس إلى جهة الجنوب، المقابلة لبلاد حاحة أي في أقصى إفريقيا، تبتدئ غرباً من المحيط، وتنتهي جنوباً في رمال الصحراء وشمالاً في الأطلس عند حدود حاحة، وشرقاً عند نهر سوس الذي سميت به هذه الناحية" (الوزان، *وصف*...، 113).

وفي نفس الفترة كتب إبراهيم بن علي الحساني (ق. 16) *"ديوان قبائل سوس"*، حدد فيه ضمنياً حدود سوس الأقصى حسب القبائل التي أحصاها الديوان، وهي تمتد "من السفوح الجنوبية للأطلس الكبير إلى وادي درعة ومن رأس الواد إلى المحيط الأطلسي" (الحساني، ديوان...، ص. 11). وهو تحديد لا يختلف كثيراً عن التحديد الذي وضعه الحسن الوزان. ولاشك أن هذا التحديد هو الذي استمر طيلة القرنين السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر على الأقل، لدى الجغرافيين ولدى المخزن كذلك.

أما في القرن الثاني عشر (18 م)، فهنالك مصدر مهم، أشار إلى سوس بشكل وضح فيه حدوده وأقسامه : وهو رحلة الوافد لصاحبه عبد الله ابن إبراهيم التاسفتي (18/12)، فهو يقول : "وعدد ما في سوس الأقصى والأدنى والمغرب والفائجة إلى أرض الصحراء وبلاد الأندلس كله بل إفريقيا كلها من الفراسخ ثلاثة آلاف فرسخ طولاً على ما قاله صاحب الجغرافية. كما عد ذلك في الجزء السادس منها قائلا : "وبين بلاد نول من سوس إلى أرض جناوة مسيرة ثمانين يوماً (...) وعرض سوس من جبل درن في الشمال إلى مدينة نول في الجنوب ثمانون فرسخاً ومن الأيام ثمانية أيام..." (التاسفتي، *رحلة*...، ص. 165).

ومن خلال هذا النص، نجد أن حدود سوس تتخذ مجالا جديدا، تمتد فقط "من جبل درن في الشمال إلى مدينة نول في الجنوب" على أبواب الصحراء، فلم يشر التاسفتي إلى المجال الذي يحتله سوس في القرون السابقة في شمال وادي العبيد، مما يدل على أن مجاله قد تقلص ليقترب من مجال المنطقة الجنوبية التي يحتلها حالياً. ويقدم لنا هذا المؤلف نصا آخر يبين فيه حدود قسمي سوس : السوس الأقصى والسوس الأدنى فيقول : "...وبلاد سوس عندهم على قسمين : سوس الأقصى وسوس الأدنى، فالأقصى من بلاد ماسة قرب تارودانت، وهو على يمين القبلة من جبل درن إلى أن يتصل بأرض الصحراء، والأدنى من وادي العبيد قرب مراكش إلى ماسة" (*رحلة*...، ص. 195). ونلاحظ أن سوس الأقصى قد اتخذ حدوده النهائية في نهاية القرن الثاني عشر (18 م)، بينما مازال السوس الأدنى يشمل جزءا شمال جبل

جدول يبين التطور التاريخي لمصطلحي المغرب وسوس

| المصطلح | العصر الوسيط | الفترة الحديثة | الفترة المعاصرة |
|---|---|---|---|
| المغرب | يشمل مصطلح المغرب أثناء الفتوحات الإسلامية رقعة جغرافية واسعة غرب الإسكندرية.<br>بعد ذلك أخذ يطلق فقط على ما يشكل حاليا الجزائر والمغرب.<br>- ياقوت الحموي (ق. 13) يطلق المصطلح على المناطق التي يعيش فوقها البربر وأحيانا المغرب الحالي.<br>(ذ. ع. العروي، أصول، 57-59). | ق. 16 أصبح مصطلح المغرب يقتصر فقط على المغرب بعد تقسيمه إلى منطقتين :<br>منطقة خاضعة للأتراك ومناطق خاضعة للدولة الشريفة.<br>ويتكرر في النصوص مصطلحا:<br>- المغرب الأدنى<br>- المغرب الأقصى (نفس المصدر). | المغرب أصبح يطلق بوضوح على المغرب الحالي.<br>وأن المغاربة يعرفون أنفسهم بـ"أرباب المغرب"، ويتكرر أحيانا المغرب الأقصى.<br>ع. العروي، أصول، 57-59. |
| سوس | يشمل مصطلح سوس مناطق واسعة تكاد تقارب المغرب كله.<br>أبوحيان التوحيدي يجعل سوس تمتد من طنجة إلى تلمسان وسجلماسة نحو الصحراء. وينقسم إلى سوس الأدنى وسوس الأقصى. هذه المعلومات يكررها الجغرافيون العرب طيلة هذه الفترة. | ق.16 أصبح سوس يشمل مناطق ما وراء جبل درن إلى الصحراء. وتكرر النصوص سوس الأدنى وسوس الأقصى.<br>(الحسن الوزان، مصادر العصر الحديث)<br>النصوص المخزنية تتحدث عن أهل سوس. | استقر مصطلح سوس. وأصبح يطلق على سوس الحالية. ويطلق سوس الأدنى في القسم الذي يمتد من واد سوس إلى واد ماسة، بينما يطلق سوس الأقصى من واد ماسة إلى واد نون والصحراء. |

درن لكنه يمتد إلى وادي ماسة (والغاس) وهو الحد الذي اتخذه في نهاية القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر. وهو ما حدده المؤرخ السوسي المخضرم محمد الإكراري القرن الثالث عشر (19 ـ 20 م) بقوله : "سوس الأقصى من وادي أولغاس إلى الساقية الحمراء" (*روضة...*، ص. 61).

أما السوس الأدنى، فنجد أنه يتأرجح بين الجزء الشمالي لسوس مع جزء آخر شمال جبل درن، ويمكن تفسير ذلك بالتقسيم الإداري الذي نجده عند المخزن الإسماعيلي في النصف الثاني من القرن الحادي عشر والنصف الأول من القرن الثاني عشر (17 ـ 18 م). حيث نجد أن سوس أصبح ينضوي تحت إقليم مراكش الذي يشمل : دكالة، حاحا، اگلاوة، زانبي، وطاطا. هذا رغم أن الزياني يشير إلى إقليم سوس قائلا : "...وفي عام عشرة ومائة وألف (1110) (...) ولى [المولى إسماعيل] على إقليم السوس ولده محمد العالم..." (*البستان...*، ص. 41).

في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، أصبحت الوثائق الرسمية والنصوص تتحدث عن سوس وراء جبل درن، إلى أبواب الصحراء، بقسميه : الأدنى الذي يمتد من جبل درن ورأس الواد، إلى واد والغاس، والأقصى الذي يمتد من واد والغاس إلى الصحراء. ونجد هذا التمييز بين السوسين حتى في المراسلات المخزنية، الشيء الذي لم يكن معهوداً في ما قبل. ففي مراسلة المولى اليزيد المؤرخة في ديسمبر 1205 / 1790 يقول : "من عبد الله أمير المؤمنين محمد المهدي اليزيد الحسني كان الله له آمين سلطان فاس ومراكش وتافيلالت ودرعة وسوس الأقصى وسوس الأدنى وسائر ممالك المغرب..." (Arribas. *Cartas*, p. 122).

وعندما ستظهر إمارة تازروالت من جديد سنة 1810 سيتكرس هذا التقسيم، حيث سيكون السوس الأدنى قسماً تابعاً للمخزن، بينما سيكون السوس الأقصى تابعاً لسيدي هاشم. وسيستمر هذا التقسيم فيما بعد. ففي رسالة السلطان المولى عبد العزيز المؤرخة في 10 صفر 1321/ 8 ماي 1903 خاطب المخزن أعيان جنوب أولغاس بقواد سوس الأقصى. وفي وثيقة أخرى جاء : "وبعد فقد اتفق عمال سوس الأقصى كافة، عربها وعجمها، من حد وادي نول إلى وادي والغاس على...".

نخلص إلى القول إن مفهوم سوس قد انتقل من الدلالة على مجال واسع، يمتد في العصر الوسيط من طنجة شمالا إلى تامسنا إلى جبل درن. وفي الفترة الحديثة، يمتد إلى ما وراء جبل درن حتى الصحراء. ثم انقسم إلى قسمين : السوس الأدنى والسوس الأقصى، ليشمل في القرن الثامن عشر المجال الذي أشرنا إليه سابقاً، وهو المجال الذي تشمله هذه الدراسة التي نحن بصددها : سوس والمخزن في القرن الثامن عشر.

ولكن ما هي الأسباب التي جعلت مصطلح "سوس" يتخذ هذا البعد ويشمل القسم الأكبر من المغرب ؟ وما هي العوامل التي جعلته يتقلص ليشمل القسم الجنوبي من المغرب، ويتخذ صفة سوس الأقصى ؟

أليست هناك علاقة بين تطور مصطلح سوس وتطور مصطلح المغرب ؟

إن وضع تقابل بين التطور التاريخي للمصطلحين يعطي الانطباع بأن هناك تزامناً وتتابعاً في التطور. فتطور مصطلح المغرب ـ كما عرضه ذ. العروي ـ كان يشمل مناطق شاسعة من شمال إفريقيا، قبل أن يتقلص مجاله ليشمل المغرب فقط، ويتخذ صفة "الأقصى". وهو ما عرفه مصطلح سوس تقريباً.

ويبدو من خلال هذه المقارنة، أن المصطلحين عرفا نفس التطور التاريخي. فبقدر ما يتقلص المجال الذي يشمله مصطلح المغرب في شمال إفريقيا ليستقر مدلوله في القسم الغربي للمنطقة، بقدر ما يتراجع مصطلح سوس بدوره ليشمل المناطق الجنوبية نحو الصحراء.

إن هذا التلازم يعطي الانطباع بأن مصطلح سوس كان يطلق على المغرب في فترة زمنية محددة. لكننا لا نستطيع التأكد من ذلك من دون الاعتماد على علوم أخرى مساعدة كالحفريات واللسانيات المقارنة.


ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822-1906)*، الدار البيضاء، 1988 ؛ أ. البكري، *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع*، الجزء الثالث، تح. مصطفى السقا، ط. 3، 1983 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، المجلد الثالث، بيروت، 1979 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، الجزء الأول، بيروت، ط. 2، 1980 ؛ مارمول، إفريقيا، تر. م. حجي وم. زنيبر، الجزء الأول، الرباط، 1984 ؛ شبانة عمر كمال، *الدولة الموحدية وتأملات في تاريخها*، مجلة *البحث العلمي*، عدد 20/21 السنة العاشرة، 1972/1973 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الجزء الأول، بيروت، ط. 2، 1983 ؛ الحساني إبراهيم، *ديوان قبائل سوس*، تح. ع. أفا، الدار البيضاء، 1989 ؛ ع. الله ابن إبراهيم التاسفتي، *رحلة الوافد*، *لحظات من تاريخ أدرار ن درن (أطلس مراكش) وسوس في القرن 12/18*، تح. علي صدقي أزايكو، الرباط، 1992 ؛ م. الإكراري، *روضة الإفنان*، تح. أنوش حمدي، د.د.ع، الرباط، 1989 ؛ أبو القاسم الزياني، *البستان الظريف*، مخطوط، خ. ع. د 1577.

Jean del Pérugia, *Noms de lieu d'origine berbère dans le sud-ouest de la France*, *H.T.*, vol. XVIII, fasc. unique, 1978-1979 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1943, 2 t. ; *La côte océanique du Maroc, ce qu'en ont connu les anciens*, Séance du 29 avril 1949, p. 8 *pub. services des antiquités du Maroc*, s. d. ;D.J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines au XVI° siècle*, 1982, tome 1 ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVI° siècle*, Alger, 1906 ; Arribas Palau Mariano, *Cartas arabes de Marruecos en el tiempo de Maulay Al Yazid (1790/1792)*, Tetuan, 1961.


محمد حنداين

**سوس**، منطقة بأقصى بلاد المغرب. ترد هذه الكلمة مُعرَّفةً (السوس) كلما تعلق الأمر باستعمالها بمعنى إقليم، في حين تسقط ال الشمسية عنها كلما تعلق الأمر بالحديث عن النهر الذي يخترق الإقليم، أي وادي سوس. ويغلب على الظن أن تاريخ استعمال لفظة سوس بدون تعريف للدلالة

على الإقليم يعود إلى القرن السابع (13 م)، كما في *المعجب* الذي يستعمل تسمية : سوس الأقصى، وأقصى سوس للدلالة على ما كان عند غيره بالسوس الأقصى (*المعجب*، 337 و483 و489) واستعملت هذه اللفظة بمعاني كثيرة في كتب الجغرافيا وكتب التاريخ. فقد سمى الزهري القسم الغربي من بلاد المغرب باسم السوس الغربي وقال إن من مدنه مدينة تاهرت (*الجغرافية*، 113) ولم يشر في تقسيمه لأقاليم بلاد المغرب إلى المغرب الأوسط، وقال إن بلاد المغرب ثلاثة أصقاع هي : صقع إفريقية وصقع المغرب الأقصى وصقع السوس الأقصى (*الجغرافية*، 117). واعتبر المقدسي السوس كورة بأقصى المغرب تارة ومدينة بأوله تارة أخرى (*أحسن التقاسيم*، 221) وهو ما ذهب إليه القلقشندي حين جعل موقع مدينة السوس حيث الطول 8° والعرض 26°، وقال إنها على طرف من البر داخل في البحر أربعين ميلا، ومن جانبها الشمالي نهر يأتي من المشرق من جبل لمطة (*صبح الأعشى*، 5 : 169 و170).

ميز الكثير من المؤرخين القدماء في السوس بين منطقتين هما : السوس الأدنى والسوس الأقصى، وخير من عبر عن ذلك ابن عذاري حين قال : "وإذا جزت سلا، وأخذت على ناحية الجنوب تركت مغرب الشمس يمنة، وأخذت منها قافلا إلى القبلة، فتسمى تلك البلاد بلاد تامسنا، ويقال لها أيضا بلاد السوس الأدنى، وحدها إلى جبل درن" (*البيان*، 1 : 5 و6). أما السوس الأقصى فيشمل كل ما يقع إلى الجنوب من جبل درن، ويتصل ببلاد الصحراء إلى بلاد السودان، ومنهم من كان يسمي السوس الأقصى ببلاد ماسة (*البيان*، 1 : 5 و6 و*أعمال الأعمال*، 1 و*فتح العرب للمغرب*، 4 و*مجتمع المغرب الأقصى*، 1 : 58).

يعود هذا التمييز بين السوس الأقصى والسوس الأدنى إلى فترة الفتوحات الإسلامية للمغرب الأقصى على الأقل. فقد ورد ذكر السوس الأقصى عند الرقيق القيرواني في معرض حديثه عن حملة حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع على المناطق الجنوبية للمغرب الأقصى. وسمى الرقيق القيرواني السوس الأقصى بالسويس الأقصى، وانفرد بذاك، وهو عنده مرادف لصحراء المغرب الأقصى التي هي صحراء الملثمين (*تاريخ إفريقية*، 72 وابن عبد الحليم، 17).

وعلى هذا فإن السوس الأقصى عند القدماء يشمل المناطق التي تقع إلى الجنوب من جبال درن، أي ما كان يعرف ببلاد القبلة بما فيها درعة وسجلماسة. قال الزهري : "وفي بلاد السوس من المدائن سجلماسة وتاقرسيت وهي الآن خراب وكانت حاضرة وادي درعة، وفيه مدينة تارودانت وتاشكة وأتفركان ونول" (*الجغرافية*، 117) وهذا ما أكده أيضا ابن سعيد الغرناطي (*تحفة الملوك*، 177 من خلال Fagnan, *Extrait*). وقال أبو الفدا إن السوس يطلق على ما وراء جبل درن من جهة الجنوب إلى الصحراء. ومن المناطق التابعة له لمطة وقاعدتها أنون وتارودانت وبلاد درعة، وهي بلاد جليلة قد تضاف إلى السوس وقد تضاف إلى سجلماسة (*تقويم البلدان*، 130). ومعنى ذلك أن سلجماسة ليست من السوس كما زعم كل من الزهري وابن سعيد الغرناطي في الرواية الواردة أعلاه.

كما يشمل السوس الأقصى الصحاري الواقعة إلى الجنوب منه في اتجاه بلاد السودان. قال ابن الفقيه إن بلاد أنبية، التي هي عنده صحراء لمتونة، من السوس الأقصى، وقال بأنها مسيرة سبعين ليلة في براري ومفاوز (*مختصر كتاب البلدان*، 64 و81) وعليه، فإن ما أصبح يعرف في العصور الحديثة ببلاد شنقيط هي من السوس الأقصى. وشنقيط في الأصل تطلق على مدينة من مدن أدرار، واقعة فوق جبل، في جهة غرب الصحراء الكبرى، ثم سمي به القطر كله، فصار من باب تسمية الشيء باسم بعضه (*الوسيط*، 422). وقد ناقش أحمد بن الأمين الشنقيطي في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) مسألة مغربية بلاد شنقيط وجزم بمغربية تلك البلاد وساق العديد من الحجج التي تثبت ذلك (*الوسيط*، 422 و424).

وذكر شارل دوفوكو أن لفظ سوس يطلق في شمال المغرب على المناطق الواقعة جنوب حوض واد سوس، في حين يطلق هذا اللفظ عند المحليين على المناطق الواقعة في حوض هذا الوادي (*Reconnaissance*, 124). وميز J. Meunié في هذا المجال بين ثلاثة نطاقات متباينة من الناحية الهدروغرافية والنباتية وهي النطاق الأطلنتيكي والنطاق الصحراوي لجبال الأطلس الصغير ثم نطاق جبال باني والسباسب المجاورة لها (*Greniers citadelles*, 15).

يُحد السوس الأقصى، حسب ما ورد في المصادر الجغرافية القديمة، بالبحر الأعظم في المغرب، وبالصحراء المتصلة ببلاد لمتونة التي تتصل ببلاد زناتة في المشرق وبجبل الذهب ببلاد السودان في الجنوب، وبالجبل الأعظم المسمى بجبل درن في الشمال (*الجغرافية*، 113 و117 و*تحفة الملوك*، 177 من خلال Fagnan, *Extraits* و*القرطاس*، 157).

ذكر المقدسي أن قصبة السوس هي طرفانة ومن مدنها أغمات ويلا وريكة تندلي ماسة وغيرهن (*أحسن التقاسيم*، 221). وذكر البكري من قواعد السوس المهمة مدن إيجلي وماست وتامدلت ونول لمطة (*المسالك والممالك*، 2/ ف 1425) وذكر ابن سعيد الغرناطي أن بالسوس من المدن تارودانت وهي قاعدته وتافريست وهي الآن خربة (*تحفة الملوك* من خلال Fagnan, *Extraits*, 18 - 19) كما أكد ابن سعيد المغربي أن قاعدة السوس في زمانه هي تارودانت (*الجغرافيا*، 124). وذكر ابن الوردي أن بالسوس الأقصى مدنا عظيمة أشهرها تارودانت (*خريدة العجائب*، 17 - 18). وقال ابن خلدون إن قصور الصحراء بالسوس من اختطاط زناتة تماما كما هي الحال مع قصور توات وقصور جودة (*العبر*، 6 : 78).

اشتهرت السوس بإنتاج كميات وفيرة من التمر في

العصر الوسيط. قال البكري : وهي كثيرة الفواكه، وربما بيع حمل التمر بها بثمن دون ثمن كراء الدابة من البستان إلى السوق (*المسالك والممالك*، 2 : 854 و*الروض المعطار*، 71). وقال الزهري : والتمر أكثر فاكهتهم، ومن بلدهم كان يجلب إلى بلاد المغرب والأندلس وبلاد الروم (*الجغرافية*، 118 ـ 119) وقال الوزان إن تمر سوس غير جيد لأنه لا يحتفظ به طول السنة (*وصف إفريقيا*، 1 : 90).

كما اشتهرت السوس بإنتاج كميات وفيرة أيضا من قصب السكر، ومنها كان يحمل السكر إلى جميع بلاد المغرب في القرن الخامس (10 م) (*المسالك والممالك*، 2 : 853). قال البكري وقصب السكر أكثر شيء بها يحمل الرجل بربع درهم ما يؤذيه ثقله، ويعمل بها السكر كثيرا، وقنطار سكرها يباع بمثقالين وأقل (*المسالك والممالك*، 2 : 854 و*الروض المعطار*، 71). وقال ابن الوردي إن قصب السكر الذي بالسوس ليس على وجه الأرض مثله طولا وغلظا وحلاوة، حتى قيل إن طول العود الواحد يزيد على عشرة أشبار في الغالب ودوره شبر وحلاوته لا يعادلها شيء، حتى قيل إن الرطل الواحد من سكره يحمل عشرة أرطال من الماء وحلاوته ظاهرة. ويحمل من بلاد السوس من السكر ما يعم جميع الأرض لو حمل إلى البلاد ويصل فاضله إلى أقصى خراسان (*خريدة العجائب*، 17 ـ 18 و*الروض المعطار*، 329).

كما اختصت السوس بإنتاج زيت أرگان، لأنه لا يوجد هذا الزيت في معمور الأرض إلا بها، وهم يأكلونه ويسرجون منه، ويبيعونه بأغمات ومراكش، وبالسوس أيضا عسل يعرف بالمناني يجنيه النحل من نوار شجر أرگان وقد سمى المختار السوسي هذا العسل باسم الزمردي (*الجغرافية*، 118 ـ 119 و*خلال جزولة*، 164). وهي بلاد حنطة وشعير وأرز ممكن بأيسر قيمة، (*الروض المعطار*، 330).

واشتهرت بعض مناطق السوس بوفرة العنبر بها. قال الوزان ويوجد بماسة على شاطئ البحر العنبر الجيد يباع بأحسن الأثمان إلى التجار البرتغاليين والفاسيين لا يكاد يقل ثمن الأوقية منه عن مثقال (*وصف إفريقيا*، 1 : 90 ـ 93).

وبالسوس تصنع الدرق اللمطية التي تهدى إلى ملوك المغرب والأندلس، وهي من جلود حيوان اللمط الذي لا يوجد إلا في هذا الصقع (*الجغرافية*، 118 ـ 119). ويصنع بها الخز العتيق، ويعمل بها الأكسية الرقاق، ومن الثياب ما لا يقدر أحد على عمله، ولنسائهم حذق بصناعات أيديهن (*الروض المعطار*، 329). واشتهرت إيجلي بإنتاج النحاس المسبوك الذي كان يتجهز به التجار إلى بلاد الشرق وبلاد السودان (*المسالك والممالك*، 2 / ف 1426 و*الروض المعطار*، 71 و330).

والغالب على أهلها الجفاء، وغلظ الطبع، وهم أخلاط من البرابر والمصامدة، وزيهم لباس أكسية الصوف التفافا، ولهم بشعرهم اهتمام يغسلونه بالحناء في كل جمعة مرتين برقيق البيض والطين الأندلسي، ويأكلون الجراد أكلا لما مقليا ومملوحا. وفي نسائهم جمال فائق، وحسن بارع (*الروض المعطار*، 329 و330).


ابن الفقيه الهمذاني، *مختصر كتاب البلدان*، ليدن، 1302 ؛ المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، القاهرة، 1991 ؛ البكري، *المسالك والممالك*، ج. 2، تح. أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس، 1992 ؛ الرقيق القيرواني، *تاريخ إفريقية والمغرب*، تح. ع. الله العلي الزيدان وعز الدين عمرو موسى، بيروت، 1990 ؛ الزهري، *كتاب الجغرافية*، تح. محمد حاج صادق، الإسكندرية، د. ت. ؛ ابن عبد الحليم، *كتاب الأنساب*، تح. محمد يعلى، مدريد، 1996 ؛ ابن سعيد المغربي، *كتاب الجغرافيا*، تح. إسماعيل العربي، بيروت، 1970 ؛ المراكشي، *المعجب*، تقديم ممدوح حقي، الدار البيضاء، 1978 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان*، ج. 1، بيروت، 1983 ؛ أبو الفدا، *تقويم البلدان*، نشر دوسلان، باريس، 1840 ؛ ابن الوردي، *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*، القاهرة، 1939 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، ج. 5، القاهرة، د. ت. ؛ الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1984 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1970 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج. 7، بيروت، 1988 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1982 ؛ الشنقيطي، *الوسيط*، القاهرة، 1958 ؛ المختار السوسي، *خلال جزولة*، تطوان، د. ت. ؛ حسين مؤنس، *فتح العرب للمغرب*، القاهرة، 1947 ؛ هاشم القاسمي العلوي، *مجتمع المغرب الأقصى*، فضالة، 1995.

E. Fagnan, *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924 ; Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc 1883 - 1884*, Paris, 1888 ; J. Meunié, *Greniers-citadelles au Maroc*, Paris, 1951.


حسن حافظي علوي

**سوس ـ ماسة ـ درعة** (جهة)، إن جهة سوس ـ ماسة ـ درعة بموقعها وسط المغرب، وبامتدادها بشكل مستعرض بين الساحل الأطلنتي والتخوم المغربية الجنوبية الشرقية، تشكل بالفعل مجالا انتقاليا تتداخل عنده خاصيات المغرب الصحراوي بمميزات المغرب المتوسطي طبيعيا وبشريا واقتصاديا.

1 ـ التنظيم الإداري

1 ـ 1 المكونات الإدارية

بناء على التقسيم الإداري الأخير الذي عرفته المملكة سنة 1997، أحدثت جهة سوس ـ ماسة ـ درعة لتشكل إحدى أهم الجهات التي تغطي التراب الوطني. تحدها من الشمال جهتا مراكش ـ تانسيفت ـ الحوز وتادلة ـ أزيلال، ومن الجنوب جهة كلميم ـ اسمارة، ومن الشرق جهة مكناس ـ تافيلالت، ومن الغرب المحيط الأطلنتي. تمتد هذه الجهة على مساحة 70.653 كلم2، أي حوالي 9,9٪ من مجموع مساحة التراب الوطني. وتتشكل من الأقاليم التالية :

ـ إقليم أگادير ـ إداوتنان يغطي 3,2٪ من مجموع مساحة الجهة ؛

ـ عمالة إنزكان ـ أيت ملول تشغل حوالي 0,4٪ من هذه المساحة ؛

- إقليم شتوكة ـ أيت باها يغطي 4,9٪ ؛
- إقليم تزنيت يمثل 9,8٪ ؛
- إقليم تارودانت ويمثل 22,4٪ ؛
- إقليم ورزازات يغطي 27,8٪ ؛
- إقليم زاگورة يغطي 31,4٪ ؛

1 ـ 2 التقسيم الإداري

مجموع هذه الأقاليم السبعة المكونة للجهة تتشكل من 20 دائرة، و212 جماعة قروية، و27 جماعة حضرية. وتتوزع هذه الدوائر والجماعات على النحو التالي :

| الإقليم | عدد الدوائر | عدد الجماعات | | المساحة (كلم2) |
|---|---|---|---|---|
| | | القروية | الحضرية | |
| أكادير ـ إداوتنان | 1 | 12 | 4 | 2.294 |
| إنزكان ـ أيت ملول | 1 | 3 | 3 | 296 |
| شتوكة ـ أيت باها | 3 | 20 | 2 | 3.446 |
| تزنيت | 5 | 40 | 4 | 6.936 |
| تارودانت | 5 | 82 | 7 | 15.802 |
| ورزازات | 3 | 32 | 5 | 19.664 |
| زاكورة | 2 | 23 | 2 | 22.215 |

2 ـ جهة سوس ـ ماسة ـ درعة : تضاريس معقدة ومؤهلات طبيعية متنوعة

2 ـ 1 البنية والتضاريس : بنية جيلوجية معقدة وتضاريس شديدة التغير

بنيويا، يشكل ميدان الأطلس الصغير والميدان الأطلسي وما عرفه مجال اتصالهما من تطورات، العمود الفقري لجيلوجية وتضاريس جهة سوس ـ ماسة ـ درعة. وعليه فإن هذه الجهة تتركب من ثلاث وحدات تضاريسية كبرى متوازية هي الأطلس الصغير والأخدود الجنوب ـ أطلسي والسفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي والأوسط.

2 ـ 1 ـ 1 الأطلس الصغير : وحدة بنيوية قديمة

هذه الوحدة المرفبنوية هي عبارة عن تقبب كبير يمتد بين الساحل الأطلنتي وتافيلالت، تطور عند قدم الدرع الإفريقي القديم، تعود تكويناته الصخرية إلى ما قبل الكمبري والزمن الأول. ونظرا لاتساع مجال امتداد هذه الوحدة وقدمها، فإنها تتميز بمظهر تضاريسي متنوع يجمع بين مظهر الكتل القديمة المشكلة من الأعراف والقمم الجبلية الحادة المتوافقة مع البروزات الصخرية البلورية والمتحولة، والمنخفضات المغلقة عند مختلف البهرات، وذلك إلى جانب العارضات الكوارتزيتية الطويلة والهضاب الكاربوناتية التي تقطعها الأودية العميقة. وإذا كان الأطلس الصغير يتميز بنوع من التكتل عند قسمه الغربي، فإنه يعرف عند القطاع الشرقي تقطعا كبيرا نتج عن تأثير واد درعة وروافده الذي يعتبر النظام النهري الوحيد الذي يستطيع اختراق وحدة الأطلس الصغير من الشمال إلى الجنوب.

وبالقياس إلى الاستقرار البنيوي الذي يميزه، وإلى قدم تضاريسه، فإن الأطلس الصغير يتميز بارتفاعات متواضعة يصل أقصاها إلى 3.304 م عند كتلة سيروة البركانية التي تجعله يتقدم شمالا نحو الأطلس الكبير، ويقطع بذلك استمرارية الأخدود الجنوب ـ أطلسي المتوافق مع سهلي سوس وورزازات.

2 ـ 1 ـ 2 الأخدود الجنوب ـ أطلسي

لقد تطور هذا الأخدود على شكل مر طويل بفعل تهدل مهم لحق بالهامش الشمالي لوحدة الأطلس الصغير. وينقسم هذا المر إلى منخفضين تفصل بينهما كتلة سيروة الشاهقة :

أ ـ منخفض سوس

يشكل منخفض سوس في الواقع وهدة واسعة عند الهامش الشمالي ـ الغربي للأطلس الصغير، تطور على شكل مثلث منفتح على المحيط الأطلنتي. عند قسمه الشمالي يتخذ مظهر سهل غريني منحصر بين قدمي الأطلسين الصغير والكبير ليشكل السهل المعروف بسهل سوس ـ ماسة، ويتحول في اتجاه الجنوب الغربي، أي جنوب واد ماسة، إلى هضبة حقيقية تعرف بهضبة تزنيت. وبسبب وضعه الطبوغرافي المنخفض فإن سهل سوس تمكن من تطوير غطاء ترابي غني، ومن استقطاب وخزن مياه المناطق الجبلية العليا الرطبة المحاذية له، الأمر الذي أهله لاحتضان قطاع زراعي مسقي كثيف.

وتسجل هذه الظروف الجيدة تدهورا واضحا في اتجاه الساحل بسبب سيادة التكوينات السطحية الرملية، وأيضا في اتجاه الجنوب بسبب تزايد حدة الجفاف وما يترتب عن ذلك من ندرة في الموارد المائية.

ب ـ منخفض ورزازات

بشكل متماثل مع منخفض سوس وشرق كتلة سيروة، تطور منخفض ورزازات المعروف أيضا بسهل الخلا، وذلك على شكل مر ضيق منحصر بين سفحي الأطلس الصغير الشرقي والأطلس الكبير الأوسط. وقد استقبل هذا المنخفض طمرا سميكا من المواد الغرينية الثلاثية والرباعية، تعرضت للقطع على شكل قدات وعناصر هضبية متدرجة، وذلك تحت تأثير عمل روافد أودية درعة وواد دادس وتودغة وغريس المنحدرة عبر السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط.

2 ـ 1 ـ 3 الأطلس الكبير : وحدة جبلية شاهقة

تغطي أراضي جهة ـ سوس ـ ماسة درعة قسما هاما من وحدة الأطلس الكبير، يتوافق مع السفح الجنوبي لوحدتي الأطلس الكبير الغربي والأوسط.

يتشكل الأطلس الكبير الغربي من ركائز صخرية قديمة عبارة عن شست وحث وكوارتزيت من الزمن الأول، مع بروزات من الغرانيت وعناصر صخرية بلورية أخرى مرافقة. ويعتبر هذا القسم أعلى وحدات الأطلس الكبير بسبب حركة الرفع القوية التي تعرض لها عند هذا القطاع وجعلته يحتضن قمة توبقال الشهيرة الموجودة عند علو 4.165 م، وهي أعلى قمم إفريقيا الشمالية.

في اتجاه الغرب يتناقص الارتفاع تدريجيا وتختفي المواد الصخرية الأولية تحت غطاء رسوبي سميك من الزمن الثاني والثالث متنوع الطبقات، تعرض لحركات التوائية متنوعة، وعرف تعمقا قويا للشبكة المائية عند قطاع إداوتنان الذي يشرف على المحيط الأطلنتي بأجراف قوية السمك.

إلى الشرق من ممر تيزي - ن - تشكا يمتد الأطلس الكبير الأوسط، وهو عبارة عن تقبب كبير تغطيه طبقات كاربوناتية سميكة تنتمي للياس والجوراسي. ويتميز الأطلس الكبير الأوسط بتضاريس وعرة عبارة عن هضاب متقطعة وأعراف وقمم حادة، ويحافظ على ارتفاعات شاهقة يصل أقصاها إلى 4.071 م عند جبل مكون الذي يشكل الحد الشمالي لحوض درعة الأعلى.

وجدير بالذكر أن الأطلس الكبير يتصل عموما بميدان الأطلس بواسطة الحادث البنيوي الكبير المعروف باسم "الحادث الجنوب - أطلسي"، وهو عبارة عن عنصر بنائي يتخذ مظاهر متنوعة إما على شكل انكسارات أو انثناءات أو طيات... وهو حادث لايزال لم يحقق بعد استقراره البنائي مما يجعله يتميز بزلزالية نشيطة، يبقى من أشهر حركاتها حادثة زلزال أگادير الذي دمر هذه المدينة بشكل يكاد يكون تاما سنة 1960.

2 - 2 ظروف مناخية سريعة التغير وغطاء نباتي فريد

إن الامتداد الواسع لجهة سوس - ماسة - درعة وموقعها الوسطي والتنوع التضاريسي الذي يطبع تضاريسها، كلها عوامل تجعلها تتميز بمناخ شديد التغير يتدرج بين المناخ الجبلي الرطب المفرط في البرودة والمناخ الصحراوي الساخن المفرط في الجفاف.

فالأطلس الكبير يشكل شريطا رطبا يبلغ معدل ما يتلقاه من تساقطات مطرية 800 مم في السنة، ويتعدى هذا المعدل هذا الحد بكثير إلى حدود 1.200 مم عند المستويات الجبلية العليا عند كتلة توبقال وكتلة جبل مكون. أما عند الأطلس الصغير، وبسبب تواضع ارتفاعاته وموقعه الجنوبي البعيد عن ممرات اضطرابات النطاق المناخي المعتدل، فإن القطاعات الرطبة لا تشكل بداخله سوى مجالات منعزلة وضيقة حول جبل سيروة وجبل الكست.

في اتجاه الجنوب يمتد شريط شبه - جاف يتلقى 250 مم كمعدل مطري سنوي. ويعرف هذا الشريط امتدادا واسعا عند القطاع الغربي من جهة سوس - ماسة - درعة، إذ يغطي حوضي سوس وماسة وسلسلة أحواض إداوتنان وكتلة إفني. وفي اتجاه الشرق يعرف هذا الشريط تراجعا واضحا ليقتصر فقط على مرتفعات الأطلس الصغير الشرقي، وعلى شريط ضيق من السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط.

ما تبقى من أراضي جهة سوس - ماسة - درعة يشكل مجالا جافا لا يتعدى معدل التساقطات المطرية بداخله 100 مم في السنة. وفي نفس الوقت يتميز بحرارة مرتفعة تجعل معدل الحرارات العليا يتجاور 36 ° بكثير. ويشغل هذا المجال قطاعات مهمة من منخفض ورزازات وحوض درعة الأوسط بإقليم زاگورة.

عند كل هذه المناطق يتميز نظام التساقطات المطرية بطابع متوسطي، فالنسبة العالية من الواردات المائية المطرية تنزل خلال فصل الشتاء البارد بينما يسود خلال فصل الصيف الساخن جفاف حاد. غير أن هذا لا يمنع من حدوث اضطرابات صيفية عنيفة ذات نشأة محلية أو ذات أصل

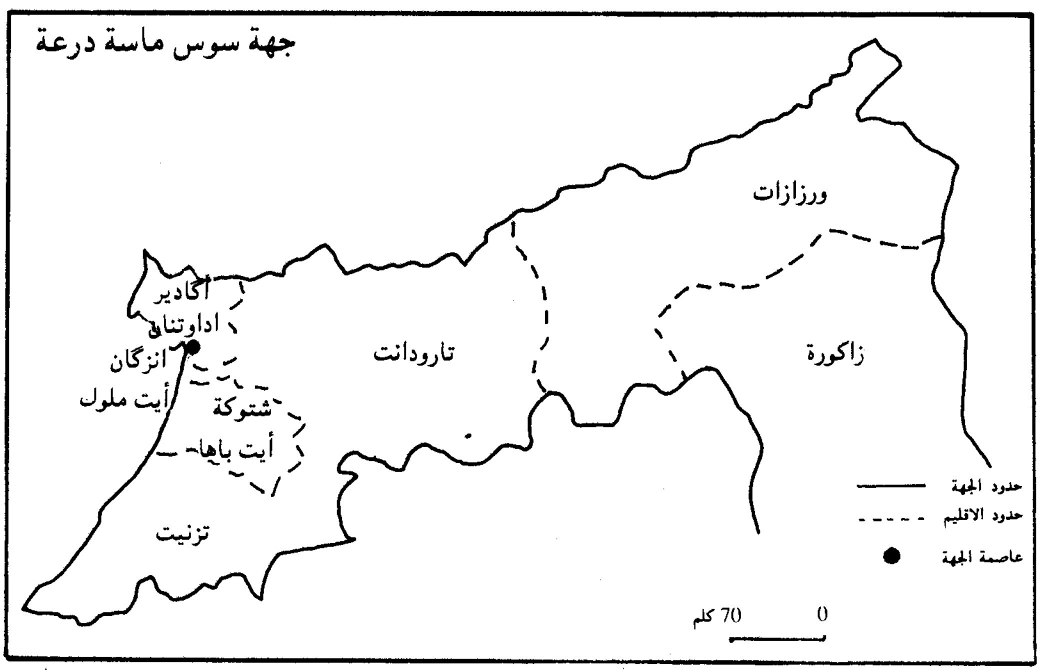

مداري تأتي بواردات مائية تختلف أهميتها حسب السنوات، وتتخذ أحيانا طابعا كارثيا.

نفس التدرج المناخي يتبعه تدرج نباتي، بحيث إن الشريط الرطب الممتد عبر سفوح الأطلس الكبير الغربي والأوسط تكسوه غابات كثيفة مشكلة أساسا من البلوط والعصفية (التوبيا)، وفي اتجاه الجنوب تنتشر تشكيلة البراري الواسعة الغنية بالنباتات الشوكية المتكيفة مع الجفاف الحاد والحرارة المفرطة.

وبين هذين التشكيلتين تظهر عند القسم الغربي من جهة سوس ـ ماسة ـ درعة تشكيلة أركان التي تمثل غابة فريدة من نوعها على الصعيد الوطني والدولي. وتعتبر شجرة أركان التي تكسو سفوح الأطلس الأطلنتي وتتوغل بعيدا داخل سهل سوس وتغطي مساحات هامة من الأطلس الصغير الغربي، نوعا نباتيا مداريا كان مجال انتشاره يغطي في السابق مساحة أوسع داخل التراب الوطني، لكنه تراجع حتى الحدود الحالية بسبب التغيرات المناخية التي عرفتها المنطقة خلال الزمن الرابع.

لقد تمكن السكان، عبر الزمن، من تطوير نظام عيش متكيف ومتوازن مع غابة أركان الفريدة. لكن التحولات التي عرفتها المنطقة وعرفها باقي التراب الوطني خلال العقود الأخيرة، والمتمثلة في تزايد عدد السكان وفي تزايد الطلب بالتالي على الموارد الطبيعية، جعل الغابة تسجل تراجعا متواصلا، الأمر الذي دفع بالهيئات الوصية نحو تبني مسألة صيانة وتنمية الرصيد الغابوي في إطار برنامج "الإنسان والمحيط الحيوي" المعروف باسم (الماب) الذي تسهر على تنفيذه منظمة اليونسكو. وقد تم ذلك بالفعل بعد اعتراف هذه الهيئة الأممية بـ"محمية أركان للمحيط الحيوي"، والعمل جارٍ حاليا على تفعيل هذا المشروع بمشاركة السكان.

وفي نفس السياق، ومن أجل صيانة وحماية المجال الواحي من آثار التصحر، فإن مصالح وزارة الفلاحة والتنمية القروية منهمكة في إعداد دراسة معمقة في سبيل إدراج المجال الواحي ضمن شبكة محميات المحيط الحيوي السالفة الذكر.

2 ـ 3 الموارد المائية بين الندرة وعدم انتظام التوزيع

إن الشريط الجبلي المرتفع الذي يشكله الأطلس الكبير الغربي وجزء من الأطلس الصغير الغربي يعتبران المصدر الرئيسي للمياه داخل الجهة. وذلك بسبب الواردات المائية المطرية والثلجية التي تتمكن قممهما من استقطابها وتصريفها لتغذية الجريان السطحي وكذلك الجيوب المائية الجوفية المستقرة عند قدم هذا الشريط التضاريسي المرتفع.

2 ـ 3 ـ 1 المياه السطحية : أهمية الواردات وتركز الجريان

تهيكل أراضي جهة سوس ـ ماسة ـ درعة ثلاثة أحواض رئيسية هي سوس وماسة ودرعة، إضافة إلى حويضات قطاع إداوتنان وكتلة إفني. وما يميز هذه الأحواض هو كونها نافذة نحو البحر، وتعرف تفاوتات كبيرة من حيث مساحتها ومن حيث شكلها الهندسي، مما ينعكس على حجم وارداتها المائية، إضافة إلى كون أنظمة جريانها تنطبع بشكل تام على نظام التساقطات المطرية الذي يجعلها تتميز بتركز كبير. فالجريان يتم على شكل فيضانات عنيفة تقوم بصرف حمولة ضخمة في فترة قصيرة، لذلك فإن جل عمليات الإعداد المائي التي استفادت منها الجهة جاءت على شكل سدود كبرى خازنة شيدت على محاور الجريان الرئيسية قصد جمع وتركيم أكبر حجم ممكن من مياه الفيضانات وإطلاقها عند الحاجة.

إن جهة سوس ـ ماسة ـ درعة اليوم تتوفر على أربعة سدود كبرى تبلغ حقينتها الإجمالية حوالي 1.2 مليار متر مكعب، وتتوزع على النحو التالي :

ـ سد أحمد المنصور الذهبي، شيد منذ سنة 1972 على واد درعة بحقينة 454 مليون م3 لتنظيم سقي سلسلة الواحات الممتدة حول مجرى واد درعة الأوسط بين أكدز والمحاميد ؛

ـ سد يوسف بن تاشفين بدأ يشتغل خلال نفس السنة على واد ماسة لتغذية مشروع شتوكة الزراعي العصري، وضمان استمرار تزويد قطاع ماسة التقليدي، انطلاقا من حقينة تتجاوز 310 مليون م3 ؛

ـ سد عبد المومن الذي أصبح جاهزا للعمل منذ سنة 1981 لتحويل حوالي 216 مليون م3 من مياه واد إسن، أحد أهم روافد واد سوس المنحدرة عبر سفوح الأطلس الكبير، وذلك قصد سقي قطاع زراعي عصري مستحدث، وقصد إنقاذ قطاع الحمضيات عند سافلة سهل سوس الذي كان مهددا بالتراجع بفعل تزايد نضوب الفرشة المائية الجوفية المحلية ؛

ـ سد أولوز الذي أنجز سنة 1990 على واد سوس قبل خروجه إلى السهل، وجاء هذا السد بحقينة 110 مليون م3 للعمل على تغذية فرشة سهل سوس الجوفية ورفع مستوى سطحها الذي يعرف نزولا متواصلا فاق كل التصورات.

وبالإضافة إلى هذه المنشآت المائية الكبرى، فإن الجهة تتوفر على مجموعة من السدود الصغرى، وعلى شبكة ري واسعة تضمن تزويد الدوائر السقوية التقليدية والعصرية، كما أن هناك مجموعة من السدود المبرمجة على المدى القريب.

2 ـ 3 ـ 2 تمثل فرشة سهل سوس المكمن المائي الجوفي الرئيسي

نظرا لطبيعة بنية أراضي جهة سوس ـ ماسة ـ درعة التي تسود بها الركائز الصخرية غير النافذة، وبسبب خضوع مجالات واسعة من أراضيها لمناخ جاف، فإن فرص توفر الجيوب المائية الجوفية تبقى محدودة. وفي غياب فرشات عميقة ذات جودة كيميائية مقبولة، فإن الفرشات القريبة من السطح المرتبطة بالتكوينات السطحية الحديثة تبقى هي المصدر الأساسي للمياه العذبة، وهي فرشات تنتشر على مساحات محدودة على طول محاور الجريان الرئيسية أو عند المنخفضات الغرينية.

وتعتبر فرشة سهل سوس أشهر وأهم هذه الفرشات المعروفة جنوب الأطلس الكبير على الإطلاق. وهي عبارة عن سديمة حرة ومستمرة منفتحة على البحر، يلعب واد سوس وروافده دورا أساسيا في موازنتها نظرا لكونه يساهم في تغذيتها عن طريق حقنها بقسم من مياه الفيضانات. وتقدر مصالح هندسة المياه احتياطي هذه الفرشة بحوالي 40 مليار م3، لكن هذا الحجم لا يتجدد في الظروف المناخية الحالية إلا بشكل محدود.

إن فرشة سهل سوس دخلت خلال العقود الأخيرة في وضعية عجز لم تستطع الخروج منها بسبب توالي السنوات الجافة، وبسبب الضغط المتزايد الذي تتعرض له من أجل سد حاجيات مياه السقي والماء الشروب. وقد قدر متوسط العجز خلال الثلاث عقود الأخيرة بحوالي 260 مليون م3 في السنة.

لا توجد أية مكامن مائية جوفية خارج سهل سوس بنفس المواصفات، سواء من حيث الغزارة أو النوعية. فالجيوب المائية المتوفرة في الغالب هي عبارة عن جريان خفي للمجاري المائية أو عبارة عن فرشات سطحية محدودة الامتداد والمخزون. وعلى الرغم من ضعف مردودية هذه المكامن فإن لها دورا أساسيا في تزويد السكان بمياه الشرب، وفي توفير المياه اللازمة لنشاط تربية الماشية، وتمثل في بعض الأحيان مصدرا مائيا تكميليا لسقي القطاعات التقليدية المنتشرة على طول المجاري المائية المنحدرة عبر سفوح الأطلسين الكبير والصغير.

2 . 4 الموارد الطاقية والمعدنية

إن طبيعة بنية الجهة الجيلوجية التي تتميز بالاتصال بين ميدان الأطلس الصغير والميدان الأطلسي، لم تقدم إلى الآن أية مؤشرات واضحة حول إمكانيات توفر مكامن مهمة للمحروقات داخل الحوض الرسوبي الثنائي ـ الثلاثي الواسع والمستمر تحت المياه البحرية. غير أنه في غياب مصادر الطاقة الأحفورية فإن الجهة تتوفر على طيف معدني واسع اشتهرت باستغلاله منذ القديم.

إن الامتداد الواسع للقاعدة القديمة وغطاءها المتحول عند الأطلس الصغير والأطلس الكبير، يجعل الجهة تتوفر على طيف واسع من المعادن تجمع بين كل الفلزات المعروفة بالمغرب: الذهب والفضة والزنك والرصاص والمنغنيز والنحاس والكوبالت والحديد... إضافة إلى معادن كيميائية مثل البارتين والجبس والرخام بأصناف متعددة. ويختزن جوف أرض هذه الجهة عند حوض الأخدود الجنوب ـ أطلسي بسهل سوس وسهل ورزازات عروقا من الرمال الفوسفاطية، لكنها لا تقدم نفس ظروف الاستغلال المعروفة عند مثيلاتها بمناجم الهضاب الفوسفاطية بشمال البلاد ومناجم الساقية الحمراء بالجنوب.

3 . النمو السكاني والتوسع الحضري

3 . 1 الوزن الديموغرافي لجهة سوس ـ ماسة ـ درعة

إن عدد السكان المستقرين حاليا بجهة سوس ـ ماسة ـ درعة يناهز ثلاثة ملايين نسمة، وهو ما يعادل حوالي 10,1٪ من مجموع سكان المغرب، بكثافة متوسطها حوالي 42 نسمة/ كلم2 وهي كثافة متساوية مع متوسط الكثافة الوطنية، كما أنها تمثل أعلى كثافة تسجلها المناطق الواقعة جنوب الأطلس الكبير. وتتميز هذه الجهة بدينامية ديموغرافية نشيطة على الصعيد الوطني جعلت حجم ساكنتها تنتقل من حوالي 1,2 مليون نسمة سنة 1960 إلى أكثر من 1,5 مليون نسمة سنة 1972، ثم إلى ما يناهز مليوني نسمة سنة 1982، وأصبحت تتجاوز 2,6 مليون نسمة حسب نتائج إحصاء 1994، أي بنسبة نمو سنوي لا يقل معدلها عن 2,4٪ ما بين 1960 و1994، وهي نفس النسبة المسجلة على الصعيد الوطني.

توزيع ونمو ساكنة جهة سوس ـ ماسة ـ درعة

| إقليم / عمالة | عدد السكان 1982 | عدد السكان 1994 | النمو السنوي ٪ | الكثافة ن/كلم2 |
|---|---|---|---|---|
| أكادير ـ إداوتنان | 227.638 | 365.965 | 4,04 | 159,7 |
| أنزكان ـ أيت ملول | 150.007 | 292.799 | 5,73 | 979,3 |
| شتوكة ـ أيت باها | 202.096 | 240.092 | 1,45 | 72,3 |
| تزنيت | 313.140 | 347.821 | 0,88 | 50,0 |
| تارودانت | 558.501 | 693.968 | 1,83 | 42,2 |
| ورزازات ـ زاكورة | 533.892 | 694.884 | 2,22 | 16,7 |
| المجموع | 1.985.274 | 2.635.529 | 2,39 | 37,2 |
| الوسط الحضري | 386.403 | 896.140 | 7,26 | - |
| الوسط الريفي | 1.598.871 | 1.739.389 | 0,70 | - |

مصدر المعطيات : مديرية الإحصاء، الرباط

يرتبط بالطبع هذا النمو الديموغرافي بالتزايد الطبيعي للسكان، لكنه يرجع في نسبة عالية منه إلى كون هذه الجهة أخذت تتحول من حوض مغذ للتيارات الهجرية الوطنية والدولية إلى قبلة لتوافد السكان من كل الجهات المغربية، خاصة في اتجاه مراكزه الحضرية التي يعرف توسعا مضطردا. وقد أدت هذه النزعة إلى توسع المدن القائمة وظهور مراكز حضرية جديدة، وجعلت نسبة التمدن تتوسع تدريجيا إلى أن أصبحت تتجاوز 34,1٪ سنة 1994، بعدما لم تكن تتجاوز 5٪ عند السنوات الأولى من الاستقلال.

أما السكان الريفيون فعلى الرغم من تباطئ وتيرة تزايدهم، فإن عددهم لا يقل اليوم عن 1,7 مليون نسمة، ويتركزون بشكل خاص بالمجالات السهلية حيث تتوفر مصادر المياه مثل سهل سوس، وداخل المجالات الواحية مثل حوض درعة الأوسط حيث تتجاوز الكثافة 100 نسمة /

كلم2. وتخف هذه الكثافة بشكل واضح داخل المناطق الجبلية العالية والمناطق الجافة حيث تشح وتختفي مصادر المياه كما هو الأمر في هضاب الأطلس الصغير.

3 . 2 أگادير الكبرى نحو المدينة المتربُول

إن الظاهرة الحضرية ليست غريبة عن جهة سوس ـ ماسة ـ درعة، ويعود ظهور المستوطنات البشرية الحضرية إلى العصور القديمة. غير أن التحولات الاقتصادية والاجتماعية العميقة التي عرفتها هذه الجهة أدت إلى تبلور جهاز حضري يتكون اليوم من 33 مدينة تحتضن قرابة مليون شخص، أي حوالي 7٪ من مجموع السكان الحضريين بالمغرب. ويتشكل هذا الجهاز من مدينة واحدة يتجاوز حجمها 100 ألف نسمة، و13 مدينة تتراوح ساكنتها بين 20 ألف و100 ألف نسمة، و19 مركزا حضريا يقل عدد سكانها عن 20 ألف نسمة. عند بداية الستينيات لم يكن عدد المراكز الحضرية يتجاوز 7 مراكز، وكانت كلها عبارة عن مراكز صغيرة لا يتعدى مجموع ساكنتها 62 ألف نسمة، ولا يمثلون إلا 1,8٪ من مجموع السكان الحضريين المغاربة.

وتتميز هذه المراكز الحضرية بنمو وتوزيع غير متكافئ، فالمدن القديمة مثل تارودانت وتزنيت تعرف نموا بطيئا على عكس المراكز الناشئة مثل ورزازات وأگادير التي تسجل دينامية سريعة جعلت جهة سوس ـ ماسة ـ درعة تعرف انفجارا حقيقيا للظاهرة الحضرية. وقد جعل هذا النمو مدينة أگادير والمراكز المحيطة بها تتطور نحو تجمع مدني متراص يأوي حاليا أكثر من نصف مليون نسمة حول مصب واد سوس، أي حوالي 20٪ من مجموع سكان الجهة، وأكثر من 56٪ من ساكنتها الحضرية. وإن هذا التجمع المدني مرشح للتوسع أكثر في المستقبل القريب بسبب قوة الجذب التي يتوفر عليها بالنسبة للاستثمارات الوطنية والأجنبية وما يتبع ذلك من تيارات هجرية.

4 ـ ركائز الاقتصاد الجهوي : الفلاحة، السياحة والصيد البحري

إن جهة سوس ـ ماسة ـ درعة بموقعها وتعدد مواردها الطبيعية والبشرية والثقافية، استطاعت أن تبني وتطور قاعدة اقتصادية ترتكز بالدرجة الأولى على الفلاحة والسياحة والصيد البحري، وعلى قطاعات أخرى متعددة منها ما يحتل مركزا جيدا على الصعيد الوطني مثل النشاط المعدني.

4 . 1 الاقتصاد الفلاحي

تمثل الأراضي الزراعية بجهة سوس ـ ماسة ـ درعة أكثر من 600 ألف هكتار، وهي حصة محدودة إذا ما قورنت مع مجموع مساحة هذه الجهة. غير أن الملفت للنظر هو أهمية حصة الأراضي السقوية التي تمثل حوالي ثلث هذه المساحة ممتدة على مساحة حوالي 180 ألف هكتار. باقي تراب الجهة تحتله مجالات غابوية بنسبة 15٪ ومجالات رعوية شاسعة.

توزيع استعمال التربة بجهة سوس ـ ماسة ـ درعة والمغرب

| الاستعمالات | جهة سوس ـ ماسة ـ درعة | | المغرب | |
|---|---|---|---|---|
| | هكتار | ٪ | هكتار | ٪ |
| الأراضي الزراعية | 616.500 | 8,7 | 9.291.000 | 13,1 |
| ـ البورية | 431.500 | 6,1 | 8.411.000 | 11,8 |
| ـ المسقية | 185.000 | 2,6 | 880.000 | 1,2 |
| أراضي الأحراش والغابات | 1.092.940 | 15,5 | 8.969.600 | 12,6 |
| الأراضي الرعوية والغير صالحة للزراعة | 5.355.860 | 75,8 | 52.824.400 | 74,3 |
| المجموع | 7.065.300 | 100,0 | 71.085.000 | 100,0 |

مصدر المعطيات : ـ المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بسوس ـ ماسة وورزازات
Annuaires statistiques du Maroc

4 . 1 . 1 الإنتاج الفلاحي

ارتباطا بظروف النشاط الفلاحي تقدم الجهة إنتاجا شديد التنوع يجمع بين مواد الفلاحة المعاشية التقليدية المسوقة محليا، ومواد الزراعة العصرية المسقية المضاربة الموجهة للتصدير بالدرجة الأولى.

تعتبر زراعة الحبوب النشاط الفلاحي الرئيسي الممارس داخل الجهة، ويقدر متوسط المساحة التي تغطيها هذه المزروعات بحوالي 260 ألف هكتار/ سنة، يقدر متوسط إنتاجها بحوالي 2.4 مليون قنطار / سنة. يحتل الشعير حوالي 54٪ والقمح الطري حوالي 33٪ من مجموع المساحة المخصصة لزراعة الحبوب. والمساحة المتبقية يتم تخصيصها لأنواع أخرى مثل القمح الصلب والذرة لكن في إطار تقليدي وأحيانا عصري.

إن المنتجات الفلاحية ذات القيمة المضافة العالية هي التي يوفرها القطاع المسقي العصري على الخصوص والمتمثل في المحيطات السقوية العمومية المعتمدة على مياه السدود أو المياه الجوفية، وهي محيط شتوكة ومحيط إسن ومحيط عالية سهل سوس، وذلك إلى جانب القطاع المسقي الخاص الممتد بسهلي سوس وماسة وحوض درعة الأوسط.

وإذا ما تم الاعتماد فقط على المساحة التي تغطيها المزروعات داخل هذه المحيطات السقوية، فإن الأشجار المثمرة تأتي على رأس القائمة، فهي تغطي أكثر من 110 ألف هكتار، وتنتج حوالي 2,6 مليون طن من الغلال المتنوعة. وفي مقدمة هذه الغلال يوجد النخيل الذي يغطي أكثر من 35 ألف هكتار ويجعل بذلك جهة سوس ـ ماسة ـ درعة تحتل المكانة الأولى على الصعيد الوطني في هذا القطاع.

الحمضيات تتجاوز مساحتها 26 ألف هكتار، أي أكثر من ثلث المساحة المخصصة للحوامض على صعيد كل التراب الوطني. تتركز هذه الزراعة بسهل سوس، وتنتج في المتوسط أكثر من 630 ألف طن في السنة، يصدر منها ما يناهز النصف ويغذي الباقي السوق الوطنية والوحدات الصناعية المحلية.

باقي مساحة قطاع الأشجار المثمرة يحتله الزيتون واللوز والجوز إضافة إلى غلال أخرى آخذة في التوسع كالموز مثلا الذي أصبح يغطي حوالي 2.100 هكتار، أي أكثر من نصف مساحة زراعة الموز بالمغرب.

وتبقى زراعة البقليات البكرية هي أشهر قطاعات الزراعة المسقية العصرية بالجهة وأكثرها مردودية على الإطلاق، ومع أنها لا تغطي إلا 11 ألف هكتار لكنها تنتج حوالي 600 ألف طن / سنة، أي 3/4 الإنتاج الوطني، وتصدر حوالي 170 ألف طن / سنة، أي حوالي ثلثي مجموع الصادرات الوطنية من البواكير. وتعتبر الطماطم هي الإنتاج الرئيسي إذ أنها تغطي حوالي ربع المساحة المخصصة للبقليات بالجهة. أما البقليات الموسمية فإنها وإن كانت لا تغطي سوى 2٪ من المساحة المخصصة لها على الصعيد الوطني فإنها تساهم بحوالي 4٪ من الإنتاج، أي حوالي 145 ألف طن / سنة.

تحتل الزراعات العلفية في الواقع الدرجة الثانية من حيث المساحة بحيث تغطي أكثر من 25 ألف هكتار، وهي زراعة ترتكز بالدرجة الأولى على الفصة، وتزدهر على الخصوص داخل القطاعات السقوية التقليدية حيث تحتل تربية الماشية وإنتاج الحليب النصيب الأوفر من دخل الفلاحين.

4 . 1 . 2 تربية الماشية

إن شساعة المساحات الرعوية وتنوعها، وأهمية المساحات الغابوية وخاصة منها غابة أرگان التي تخضع لنظام قانوني نوعي يضمن للسكان حق استغلالها بشكل مستمر، كلها عوامل تجعل من قطاع تربية الماشية نشاطا أساسيا داخل نظام الإنتاج الزراعي ولدى شريحة عريضة من سكان الأرياف بجهة سوس ـ ماسة ـ درعة. ويتخذ هذا النشاط أوجها مختلفة تجمع بين النمط المستقر ونمطي نصف ـ الترحال والترحال، وبين النمطين المغلال والمقلال.

يرتبط حجم القطيع بشكل وثيق بالتغيرات البيسنوية للتساقطات المطرية، وقد بلغ خلال موسم 97 ـ 1998 حوالي 2.5 مليون رأس، مثلت فيه الأغنام 47٪، والماعز 44٪، والأبقار 10٪، أما الإبل فإنها لا تمثل إلا نسبة محدودة وتتركز بإقليمي ورزازات وزاگورة. وجدير بالذكر أن الجهة تتوفر على أصناف خاصة من الأغنام مثل صنف سيروة المعروف بجودة صوفه، وصنف الدمان المعروف بإنتاجيته المرتفعة. كما أن الجهة، وخاصة مناطقها الشمالية ـ الغربية، تستقبل خلال فترة طويلة من السنة قطعان الرعاة الرحل القادمين من الجهات الصحراوية الجنوبية.

تساهم تربية الماشية في تغطية جزء هام من حاجيات المنتجات الحيوانية، فقد تجاوز على سبيل المثال، خلال نفس الموسم المذكور، حجم إنتاج اللحوم 14 ألف طن، وتعدى حجم الحليب المعالج داخل الوحدات الصناعية المحلية 47 مليون لتر.

وارتباطا مع المنتجات الحيوانية نذكر أن الجهة تتوفر على ما يقارب 0.16 مليون خلية للنحل، في ملكية حوالي 7 آلاف مستغل، تنتج أكثر من 660 طن من العسل. كما تتوفر على عدد من وحدات تربية الدواجن التي تنتج حوالي 5.700 طن من اللحوم، وأكثر من 42 ألف بيضة في السنة.

4 ـ 2 الصيد البحري

إن طبيعة سواحل جهة سوس ـ ماسة ـ درعة وانفتاحها على أهم المصايد البحرية الأطلنتية المغربية أو قربها منها، جعلت الصيد والنشاط البحري بشكل عام أحد الدعائم الرئيسية في اقتصاد هذه الجهة. وقد سمح لها توفرها على مركب مينائي كبير بأگادير بأن تلعب دورا رياديا في هذا المجال على الصعيد الوطني، وسيتعزز هذا الدور أكثر حينما يتم الانتهاء من أشغال وضع التجهيزات الساحلية المبرمجة مثل ميناء إفني وميناء إمسوان، وأيضا توسيع قاعدة وحدات معالجة وتحويل المنتجات البحرية.

يتشكل أسطول الصيد حاليا من أكثر من 3 آلاف وحدة، وتغلب عليه قطع الصيد الساحلي التي تمثل أكثر من 90٪ من مجموع الوحدات، لكنه لا يمثل إلا 3,5٪ من السعة الإجمالية للأسطول. ترسو غالبية هذه الوحدات بميناء أگادير، ولا ينال منها ميناء سيدي إفني إلا حظا ضئيلا لا يتجاوز 10٪. أما قطع الصيد في أعالي البحار فهي في حدود 267 وحدة، تبلغ سعتها الإجمالية أكثر من 95 ألف برميل، وتتشكل في غالبيتها من سفن الجر المتخصصة في صيد الرخويات التي تمثل 83٪ من مجموع الوحدات و87٪ من السعة الإجمالية.

تجاوز حجم الكميات المصطادة بواسطة أسطول الصيد الساحلي 78 ألف طن سنة 1997، وهو ما مثل آنذاك حوالي 12٪ من الحجم المصطاد على الصعيد الوطني، وحوالي 27٪ من مجموع مداخيل الصيد البحري الوطنية. نصف حجم ناتج الصيد البحري تتم معالجته داخل وحدات التصبير المحلية، وحوالي 40٪ تتم تحويلها إلى مواد صناعية، والباقي يوجه للاستهلاك المباشر. أما حجم صيد أسطول أعالي البحار فإنه قد بلغ سنة 1996 حوالي 69 ألف طن، وجلب حوالي 300 مليون دولار من المداخيل المالية.

ويبقى قطاع الصيد البحري من القطاعات الاقتصادية الواعدة داخل الجهة، وذلك بسبب ما يتوفر عليه من موارد، وبسبب تزايد المواد البحرية الحية في الاقتصاد العالمي، وبسبب ما يتميز به من انعكاسات اجتماعية على مستوى خلق فرص التشغيل المباشر وغير المباشر، وأيضا بما له من قدرة على إثارة وتنشيط القطاعات الأخرى مثل الصناعة والتجارة.

4 ـ 3 النشاط السياحي

إن جهة سوس ـ ماسة ـ درعة بمؤهلاتها السياحية الجذابة، استطاعت في وقت وجيز أن تستقطب حجما مهما من الاستثمارات الوطنية والأجنبية، وتيارا سياحيا دوليا كثيفا،

مما أهلها لتحتل المكانة الأولى على الصعيد الوطني في هذا المضمار سواء من حيث عدد الأسرة أو من حيث عدد الليالي السياحية المسجلة، وبالتالي من حيث المداخيل المالية.

فالموقع الجنوبي المشمس، والمناظر الطبيعية الخلابة المتنوعة، والسواحل الطويلة حيث تتواتر الشواطئ الرملية الواسعة الامتداد والأجراف الصخرية السميكة، والانفتاح الواسع على المشاهد الصحراوية الفسيحة، والموروث الثقافي المتنوع والغني... كلها عوامل ومؤهلات جعلت الدولة تهتم بهذه الجهة منذ أن قررت الاعتماد على السياحة الدولية كوسيلة للتنمية عند بداية الستينيات، وخاصة بمحطة أگادير التي كانت قد عانت حينئذ من زلزال مدمر.

إلى حدود سنة 1997 بلغت الطاقة الإيوائية السياحية الممثلة في الفنادق المصنفة 27.640 سريرا، وهو ما يمثل حوالي ثلث الطاقة الإيوائية الوطنية المصنفة. هذه الأسرّة تتوزع على 117 وحدة فندقية، أي بحجم معدله 236 سرير بالنسبة لكل وحدة سياحية. وفي ذلك دلالة على نوع المنتوج السياحي الذي تخصصت فيه الجهة وهو سياحة إقامة المجموعات الكبرى عند الشاطئ. لذلك فإن 77٪ من الطاقة الإيوائية تم تركيزها بمدينة أگادير، والباقي ينتشر داخل المجال الواسع للجهة مع نوع من التركز الذي يطبع حوض درعة الذي استطاع أن يجذب إليه 19٪ من مجموعة الأسرة المصنفة المتوفرة بالجهة، وخاصة محطة مدينة ورزازات التي أصبحت تشكل قطبا سياحيا واعدا في نمو متواصل عند هوامش محطتي أگادير ومراكش.

تمشيا مع خصوصيات سياحة الإقامة، فإن بنية الطاقة الإيوائية تتميز بسيادة الفنادق الكلاسيكية التي توفر 56٪ من مجموع الأسرة، 21٪ منها من فئة فنادق الدرجات الدنيا والمتوسطة من صنف 1 و2 و3 نجوم، و36٪ تقدمها فنادق الدرجات العليا من صنف 4 و5 نجوم. وتأتي في الدرجة الثانية القرى السياحية بنسبة 29٪ من مجموع الأسرّة، ثم الإقامات السياحية التي تقدم حوالي 14٪ من الأسرة المصنفة المتوفرة بالجهة.

وقد استطاعت الجهة خلال نفس السنة، تسجيل أكثر من 4 ملايين من الليالي السياحية، وهو ما مثل 37٪ من مجموع الليالي السياحية المسجلة على الصعيد الوطني. وبالطبع فإن 87٪ من هذه الليالي سجلت بمحطة أگادير الشاطئية مما يجعل منها المحطة الأولى داخل البلاد. وعلى رأس الجنسيات الوافدة يوجد الفرنسيون متبوعين بالألمان، وفي ذلك تأكيد على أن الجهة تعتمد على السوق الأوربية في المقام الأول.

وعلى غرار الأنشطة الاقتصادية الأخرى، فإن جهة سوس - ماسة - درعة لاتزال لم تتمكن من استثمار كل إمكانياتها السياحية، ومن الممكن أن يزدهر هذا القطاع أكثر في حالة تنويع المنتوج المقدم وتطويره نحو البعد الثقافي والبيئي، وفي حالة الانفتاح على أسواق سياحية أخرى بالإضافة إلى السوق الأوربية التقليدية.

4.4 استغلال الطاقة والمعادن

في غياب أية مؤشرات إيجابية تتعلق بوجود مكامن للمحروقات، فإن المعادن الفلزية تبقى هي القاعدة الأساسية داخل هذا القطاع. وقد جعلت طبيعة البنية الجيلوجية جهة سوس - ماسة - درعة تتمتع بأغنى طيف معدني داخل المغرب، عمل السكان على استغلاله منذ القديم، إلى درجة أن صدى خبرة سكان الجهة في ميدان استخراج وسباكة المعادن تردد في مصادر حقب تاريخية متعددة.

حاليا يتم استغلال معادن متنوعة من المناجم المتوفرة بالجهة، وخاصة بإقليمي ورزازات وزاگورة، من أهم المعادن المستغلة هناك النحاس والحديد والمنغنيز والكوبالت والبارتين والرصاص والفضة... غير أن هذا النشاط المعدني يعاني من عدم الانتظام بسبب التغيرات المفاجئة التي تطرأ على أثمنة بيع المعادن الخام على صعيد الأسواق العالمية.

إن جهة سوس - ماسة - درعة بموقعها الانتقالي بين المغرب الصحراوي والمغرب المتوسطي، تمثل مجالا غنيا بموارده المتنوعة، لكنه يمثل في نفس الوقت مجالا طبيعيا هشا يتعرض لضغوطات متزايدة تحت تأثير التزايد الديموغرافي وتضخم الظاهرة الحضرية، وكل ما يتولد عن ذلك من متطلبات تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية. واليوم فإن النمو المتوازن للجهة لن يحصل دون التوصل إلى الصيغ التنموية القادرة على حل مشاكل تراجع الموارد الطبيعية المحلية مثل المياه والغابات بسبب استمرار تزايد حجم الطلب عليها، وبسبب استفحال مظاهر التصحر والتلوث، وأيضا البحث عن السبل الكفيلة بتقليص التفاوتات الاجتماعية والاختلالات المجالية في ميدان سياسة إعداد التراب الوطني.

ح. المحداد، *الماء بحوض سوس : إسهام في دراسة نظام مائي مغربي جنوب أطلسي*، أطروحة دكتوراه الدولة مرقونة في كلية الآداب، الرباط، 1999، 740 ص. ؛ ولاية أگادير، *منوغرافية جهة سوس - ماسة - درعة*، 1999.

E. El Mahdad et L/ Ouhajou, *Le patrimoine hydrique face aux dangers de l'explosion urbaine dans les milieux arides et semi-arides. Cas du Maroc sud-atlasique.* Colloque International des Chaires maghrébines UNESCO-GAS NATURAL, "*Le Développement durable du Maghreb. l'ouverture sur la Méditerranée et la valorisation du patrimoine écologique, humain et culturel*". Rabat, 27-29 avril 2000 ; J. Ouhajou, *Espace hydraulique et société au Maroc, les systèmes d'irrigation dans la vallée du Dra*. Agadir, 1996 ; M. El Mountasser, *Collectivités traditionnelles et espaces montagnards dans les zones d'arrière-pays atlasiques méridionaux : Cas de la communauté Aït Seddrate-Dadès*. Thèse de Doctorat en Géographie, Aix-Marseille II ; Ministère de l'Habitat et de l'Aménagement du Territoire, *Atlas des ressources naturelles*, Rabat, 1984 ; Direction des Statistiques, *Résultats des différents recensements de la population et de l'habitat*, Rabat ; *Annuaire statistique du Maroc 1999*, Rabat, 2000.

الحسن المحداد

**سوسان**، أسرة فاسية - بإشباع فتحة السين الثانية وبدون ابن - تتكون من عدة فرق : فرقة تنتسب إلى الشرف،

وهم أبناء أعمام اليعقوبيين أولاد خبيزة المعروفين بفاس، وفرقة من تلمسان انتقلوا إلى فاس وقف مؤلف *إزالة الالتباس* على ذكرهم في وثيقة في رق غزال مؤرخة بعام 1041. ونزل بعضهم بمدينة زرهون. ووقف في رسم مؤرخ بعام 1092 على اسم سوسان الهروسي ؛ وفي آخر مؤرخ بعام 1199 على مسعود بن علي سوسان الأندلسي. قال : و"الآن لا يمكن أن يفرق بينهم".

**سوسان، علي** الفاسي. كان كبير سكان عدوة الأندلس أيام الفتن التي أعقبت وفاة أحمد المنصور الذهبي، وفي خضم الحرب الأهلية الطويلة التي عرفتها فاس بين أبناء المنصور وحفدته قُتل علي سوسان غدراً بحومة جرنيز عام 1037 / 1628 ـ 27.

م. القادري، *نشر المثاني* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 189.

محمد حجي

**السوسن** أو **السوسان**، زهر يسمى علمياً إيريسْ Iris، جنس نباتي ينتمي إلى فصيلة السوسنيات Iridaceae ويشمل أكثر من عشرين نوعا طبيعيا بالمغرب وبعض الأنواع الدخيلة وكل الأنواع أعشاب معمرة بجذورها البصلية الشكل أو الجذمورية.

ومن أهم الأنواع تلك التي تستعمل للزينة أو في التطبيب التقليدي.

ـ السوسن الطنجاوي أو إيريسْ تينجيطانا Iris tingitana : عشب أجرد وذو لون أخضر ضارب إلى الزرقة. يتراوح طول ساقه ما بين 50 و100 سم. ازهراره طرفي. أوراقه ملساء، مستطيلة يتراوح طولها ما بين 30 و70 سم. أزهاره زرقاء بنفسجية ضاربة إلى اللون الأرجواني.

يوجد هذا النوع في الجنوب الغربي من المنطقة المتوسطية. خاصة في شمال المغرب أي في الريف والغرب والأطلس المتوسط والأطلس الكبير.

يعيش هذا النوع على أتربة طينية على العموم، وفي بيومناخات شبه رطبة ورطبة.

من أهم استعمالاته نذكر استخدامه كنبات زينة في الحدائق أو في التطبيب التقليدي أو في صناعة مواد التجميل بواسطة أبصال الجذور بعد تجفيفها.

ـ سوسن الماء أو إيريسْ بسوداكوروس Iris pseudacorus: عشب أخضر اللون أجرد جذوره جذمورية لحمية وجد متشعبة. سيقانه قائمة وملساء، ذات طول يتراوح ما بين 50 و130 سم، متفرعة في أجزاءها العلوية. أوراقه طويلة وذات طول يتراوح ما بين 50 و100 سم. أزهاره ذات لون أصفر فاقع، تظهر ما بين مارس وأبريل.

يصادف هذا النوع في أوروبا وشمال إفريقيا وآسيا الغربية، حيث يعيش في المستنقعات لكن بصفة نادرة. ويستعمل لنفس الأغراض المذكورة بالنسبة للنوع السابق.

ـ السوسن الجرماني أو إيريسْ جرمانيكا Iris germanica : عشب أخضر ضارب إلى الزرقة أجرد يبلغ ساقه ما بين 60 و80 سم. أوراقه سيفية الشكل. أزهاره بنفسجية اللون أو ضاربة إلى البياض.

يعتقد أن الموطن الأصلي لهذا النوع هو الجزء الشرقي من المنطقة المتوسطية ومنها أدخل في مناطق شاسعة من المنطقة الأروبية وشمال إفريقيا. وذلك كنبات زينة ونبات طبي وعطري. وهكذا ولهذا الغرض اشتهرت مدرجات الأطلس الكبير المغربي بزراعته كنبات عطري وطبي. كما يصادف في الحدائق المغربية كنبات زينة.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997 ; R. Maire, *Flore de l'Afrique du Nord*, Paris, 1952.

زينب بنرحمون

**السوسي**، أحد بحور القصيدة في شعر الملحون. وتخضع فيه أقسام القصيدة من وجهة النظم لشق محدد تتسلسل فقراته وفق الآتي :

1 ـ استهلال القسم ببيت مثنى تتحد قافيته مع روي الأقسام السابقة في القصيدة.

2 ـ يتلو ذلك مجموعة من المطلعات (الكراسا)، وهي عبارة عن اشطار أقرب إلى النثر المرسل، لا يوحدها وزن ولا قافية، وإنما يتحكم في إيقاعها الإنشاد.

3 ـ يتلو ذلك بيتان أو ثلاثة أبيات موزونة ومقفاة.

ومن أمثلة بحر "السوسي" القسم الأول من قصيدة الزمْنية والعصرية لحسن اليعقوبي :

1) البيت الأول :

يالحضرا سمعوا ما صار      بين زوج ابنات افلكحار

2) المطيلعات :

شابا عصريا بكرا * والأخرى زمْنيا عذرا * فرجوني بين الحضرا * وكنت حاضر * نصغى لخصامهم

نسمع العصريا * اتْقول للزْمينا * يا جارتي اهنيا

سمعي مني اخبار ...

3) بيتان

ع. الجراري، *القصيدة*، ص. 144، *مجلة الفنون*، س 5 رمضان، 1398، غشت، 1978، ص. 33 ـ 34، المغرب ؛ ع. العزيز ابن ع. الجليل، *مجلة التراث الشعبي*، ع 10، س 11، ص. 115 ـ 1980، بغداد.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

**السوسي، احْمّاد بن إبراهيم**، مقاوم ولد سنة 1357/ 1938 بمدينة فاس والتحق بصفوف المقاومة السرية، وعمل ضمن الخلية التي كانت تحت مسؤولية الحبيب بن العربي بدرب أولاد البقال بفاس الجديد.

ومن أهم الأعمال الفدائية التي نفذها :

توزيع المناشير، ورسائل التهديد... وحث الجماهير على المظاهرات في كل المناسبات وتخريب مصالح المعمرين الفرنسيين والاضرار بها، وكان وطنيا مخلصا استشهد سنة 1373 / 1954 في مظاهرة بمدينة فاس.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 526.086.

**السوسي، أحمد بن إبراهيم**، مقاوم وُلد بأولاد عيسى قيادة برحيل، بإقليم تارودانت وتلقى التعليم الديني في تلك الناحية ثم هاجر إلى الدار البيضاء سنة 1353 / 1934 واستقر بالمدينة القديمة حيث امتهن الخياطة. انخرط في كتلة العمل الوطني، وقد بشَّه حزب الاستقلال في حي عمال "كوسيمار" (Cosumar) سنة 1945 معلماً لأبنائهم، فقام بدور وطني لهم في حشد همم العمال على الخصوص إلى غاية أواخر 1952، إذ تعرض للاعتقال إثر الإضراب العام الذي دُعي إليه احتجاجاً على اغتيال النقابي التونسي فرحات حشاد يوم 5 دجنبر 1952 من قبل أفراد تنظيم "اليد الحمراء" الإرهابي. اقتيد إلى السجن المدني بالدار البيضاء (اغبيلة) ثم إلى سجن القنيطرة. أطلق سراحه أواخر عام 1954.

توفي سنة 1420 / 2000.

شهادة من حسن ثابت *الحداوي* ابن أخت صاحب الترجمة ؛ م. وحيد، *مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء، 1952 ـ 1956*، أطروحة دكتوراه، مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 2001.

محمد وحيد

**السوسي، أحمد بن علي** المراكشي أصله من قبيلة مداس المصمودية، من بيت فضل وورع. ولد بمراكش في سنة 1050 / 40 ـ 1641، وبذلك تكون حياته قد امتدت طيلة سبع وسبعين سنة، شكلت فترة مهمة من بداية الدولة العلوية. لاتسعفنا المصادر المتوفرة، لمعرفة مراحل حياته الأولى غير جده لأمه، قد حج معه وهو صبي (*الإعلام*، 2 : 363) وبعد أن رجع إلى مراكش مات جده فانقطع عن طلب العلم ومال إلى التصوف فاتصل أول الأمر بالشيخ أبي القاسم بن اللوشة السفياني الإدريسي بفاس. ومكث بصحبته مدة ثم انفصل عنه واتصل بأحد نساك هذه المدينة، وطلب منه إرشاده إلى شيخ يشد بيده ويقوده إلى مبتغاه. فنصحه بالعودة إلى أبي القاسم. فقبل نصيحته، ورجع إليه. وتمكنت صحبة هذا الشيخ منه. فصار من أقرب الناس إليه. أخذ عنه الكثير في ميدان العلم والصلاح. وأصبح من أخلص خدام زاويته ثم رحل إلى الشرق صحبة على بن عزوز، أحد كبار تلامذة شيخه اللوشي فجاور مدة في الديار المقدسة. وأتاحت له الإقامة بها الاتصال بالعديد من علمائها، وصلحائها، وفي طريق عودته إلى المغرب، أقام بمصر مدة وأخذ عن صلحائها، ثم انتقل إلى تونس صحبة علي بن عزوز، الذي ظهر بها بعد ذلك، كشيخ صوفي، له سمعة واسعة بين أهلها "فشاعت بركاته وكثر زائروه" فصار السوسي من تلامذته. وبعد أن قضى مدة من التلمذة والتحصيل، أذن له علي بن عزوز بالعودة إلى مراكش والتصدر للمشيخة فيها. فجاءها سنة عام 1080 / 69 ـ 1670.

"كان ـ رحمه الله ـ عالي الهمة على بصيرة من أمره، متعففاً غير مكترث بولاة الأمر ولا مداهن لهم ولا يغشى أبوابهم، وطالما حاولوا منه ذلك فلم يحصلوا منه على طائل، ورزق من الفهم في طريق التصوف والخبرة بكلام القوم ما لم يكن لغيره، فتجده يغوص على دقائق الإشارات ويهتدي لأسرار كلام الأولياء بحيث تجد عند مجالسته سائر الكلام واضحاً جارياً على القانون" (*الإعلام*، 2 : 364).

وما كاد يستقر بمسقط رأسه حتى اشتهر بجودة الفهم. وبلاغة التعبير. وأصبح مشهوداً له برسوخ قدمه في العلم. وينظر إليه بعين التعظيم والإكبار، خاصة عند طلابه وتلامذته الذين كانوا يترددون على دروسه. (الإفراني، *درر الحجال*، 59) ولما تيقن من كثرة أتباعه كوّن زاوية صارت من أكبر الزوايا بهذه المدينة تتلمذ عليه فيها، علماء وشيوخ ومنهم المؤرخ محمد بن الصغير الإفراني.

توفي بمراكش سنة 1130 / 1717 ـ 1718 وضريحه بهذه المدينة كثير الزوار ويقع بدرب يحمل اسمه، قرب ضريح الشيخ الجزولي.

م. الإفراني، صفوة، ط. حجرية، *درر الحجال في مناقب سبعة رجال*، تح. حسن جلاب، مراكش، 2000، ص. 59 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، الرباط، 86 (صفحات، 11 ـ 46 ـ 55) ؛ م. الموقت، *السعادة الأبدية*، ع. ط. حجرية، 1335 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974، ج 2، ص. 364 ـ 365 ـ 366 ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، ج 3، البيضاء، 1985، ص. 551.

عبد السلام السعيدي

**السوسي، أحمد بن موسى** بن العربي الرسموكي أصلا الروداني إقامة، من علماء سوس الكبار، تولى نيابة القضاء بتارودانت. فقد تخرج بكل من داود الرسموكي الشاعر، ثم انتقل إلى فاس، وأخذ عن بعض علمائها. وفي

أواخر عمره تولى خطة العدالة بتارودانت بعد أن كان نائب القاضي مدة. له مجموعة شعرية ورد بعضها في *المعسول*، 18 : 23 وما بعدها.

كان المترجم محافظا على خزانة أبيه القيمة الضخمة إلى أن توفي فبددها أبناؤه إذ باعوها للسماسرة - على ما قيل لي - بثمن بخس، لا يساوي ثمن مخطوط واحد فيها. فضاع بذلك تراث ضخم لا يقدر عدده ولا قيمته.

م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *خلال جزولة*، 4 : 174 ؛ اليزيد الراضي، *شعر داود الرسموكي*، ص. 250، جمعية إليغ، 1992

أحمد أبو القاسم

**السوسي البهاوي، أحمد** بن الحسين خطاط ماهر، ولد سنة 1346 / 1928 بقرية "الملاليّين" بأحواز تطوان. وبهذه القرية استقر والده بعد أن هاجر في شبابه من مسقط رأسه الكائن بأيت باها أو ملال بقبيلة هشتوكة السوسية .. درس أحمد في طفولته بكتّاب القرية، ثم انتقل إلى مدينة تطوان حيث تابع دراسته الابتدائية والثانوية بمعهد مولاي المهدي. وعمل في بداية حياته العملية موظفاً بأحد مكاتب المشور الخليفي، ثم عمل عدة سنوات بإدارة الأشغال العمومية بتطوان. واتجه بعد تقاعده النسبي إلى أعمال حرة.

ظهرت موهبة أحمد السوسي في فن الخط العربي منذ أواخر الأربعينيات، ولم يتلق قواعد الخط وأصوله على أحد، وإنما اعتمد - هو وشقيقه محمد - على مجهودات ذاتية تتمثل أساساً في التقليد ومحاكاة نماذج خطية لكبار الخطاطين في المشرق والمغرب.

شارك أحمد في مسابقة للخط العربي والزخرفة نظمتها نيابة التربية والثقافة بتطوان سنة 1949. وهو الذي رشّح لكتابة "المصحف الحسني" من لدن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فكتبه بخط مغربي مبسوط رائع سنة 1967. وكتب مصحفاً ثانياً بخط النسخ تولت طبعه دار النشر بالدار البيضاء. وفاز بالجائزة الأولى في مسابقة للخط المغربي والتزويق نظمتها وزارة الشؤون الثقافية بالرباط سنة 1969. كما كان أحد الفائزين في المسابقة الدولية الثانية التي نظمتها بإستانبول خلال سنة 1989 اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري الإسلامي، وهي تعمل كأحد الأجهزة التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي.. وكان هذا الخطاط يجيد بالإضافة إلى الخط المغربي جل أنواع الخطوط العربية المعروفة. ومن ثم فقد خلف - علاوة على المصحفين المذكورين - أعمالاً خطية منوعة كثيرة (عناوين كتب، لوحات فنية، شهادات، كتابات ببعض المساجد والأضرحة، بطاقات دعوة، عناوين مؤسسات ومحلات تجارية، الخ).

توفي بتطوان إثر سكتة قلبية يوم 23 صفر عام 1421/ 27 ماي 2000، ودُفن بمسقط رأسه قرية الملاليين.

*معرفة شخصية ووثائق عائلية.*

محمد السوسي البهاوي

**السوسي، سليمان** مقاوم من مواليد سنة 1345 / 1927 بأيت باعمران أقا تيزنيت كان من المنخرطين الأوائل في صفوف المقاومة وجيش التحرير منذ سنة 1954 في المنطقة الجنوبية بأيت باعمران حيث خاض معارك عديدة ضد المستعمر الفرنسي والإسباني مدافعا عن أرض الوطن. كما أنه كان عضواً في صفوف المقاومة بالدار البيضاء حيث ساهم في عدة عمليات فدائية وعمل على توزيع الأسلحة بين المجاهدين، وعلى إثر نشاطه هذا تم اعتقاله لمدة بمدينة الداخلة من طرف السلطات الإسبانية ورغم ذلك ظل مقاوما إلى أن أحرز المغرب على استقلاله وتم استرجاع باقي الأجزاء المغتصبة.

توفي يوم 2 شوال عام 1415 / 4 مارس 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 006 522.

**السوسي، علي** بن محمد السملالي الفاسي، من ذرية محمد التزكورتي من بني بعقيل بسوس، فقيه نوازلي نحوي مؤرخ وشاعر. درس بسوس والصويرة ومراكش ثم بفاس. وكان من أبرز شيوخه في العاصمة الإدريسية الفقيه النوازلي علي التسولي ومحمد الحراق. كلفه السلطان عبد الرحمان بن هشام بتدريس الحساب لبعض العساكر المتخصصين في المدفعية بمدينة تطوان، وعيّنه خلفه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان معلما للعلوم بالقصر الكبير، وتولى مهمة كاتب ومستشار ضمن البعثة التي ترأسها مولاي عرفة، وقد عهد إليها السلطان مولاي الحسن بمراقبة الحدود الشرقية سنة 1301 / 1884 والقيام بدور الوساطة لدى القبائل الحدودية وتحديداً الخنافسة من أهل توات، الذين أبلغوا بالرسالة السلطانية وأجابوا بالطاعة والامتثال.

نتج عن هذه المهمة أن ألف المترجم كتاب *منتهى النقول ومشتهى العقول* عرّف فيه بالقصور من فكيگ إلى توات، والطريق من هذه الأخيرة إلى تنبكتُ. وتضمن التأليف إفادات عن التنظيمات الإدارية في فكيگ معرفًا بالوضع الاقتصادي للمغرب الشرقي معالجا مدى ارتباط السكان بالمخزن وصمودهم في وجه المد الفرنسي، كما احتوى على استطرادات في مواضيع مختلفة مثل حديثه عن علماء وأشراف فاس. وقد نقل المؤلف جزءاً من هذه الرحلة وضمّنه كتابه اللاحق *نهاية المقول في تنبيه همم الفحول*.

أوعز باشا فاس عبد الله بن أحمد إلى السوسي الفاسي بالإجابة عن استشارة السلطان مولاي الحسن بخصوص الحكم الشرعي لتوظيف المعونة لإقامة جيش حديث، وكان جل العلماء قد تهربوا من الإجابة عن الاستشارة المذكورة ماعدا محمد بن عبد الوهاب ابن سودة. وألف السوسي السملالي،

استجابة لطلب الباشا، كتاب *عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة*، الذي يحمل عنوانا آخر هو *قمع أهل الرعونة في اطلاق المكس على المعونة*، نقل فيه فقرات مطولة عن شيخه التسولي للاستشهاد بها في تبرير سياسة المخزن الحسني بشأن فرض جباية إضافية على الرعية، وتشدد في موقفه، إلى حدّ أنه رأى ضرورة ضرب أعناق العلماء الذين يظهرون المعارضة لما عزم السلطان على تنفيذه "وقال أن للإمام أن يسوسهم بما تقتضيه سياسته في التوظيف حتى في إزالة دماغ من فسد مزاجه، ولم تنفع فيه المداواة" (*عناية*، 65).

إن عدداً من مؤلفات السوسي الفاسي تهم عهد السلطان مولاي الحسن جزئيا أو كليا، منها *نهاية القول في تنبيه همم الفحول*، وهذا المؤلف شرح لقصيدة من البحر الكامل نظمها السملالي في سيرة السلطان المذكور، وضمّن هذا الشرح استطرادات كثيرة، وقد فرغ منه سنة 1302 / 1885، ومنها *مطلع السعادة في فلك سياسة الرآسة*، تناول فيه سياسة السلطان المذكور كذلك ضمن معالجته لقواعد السياسة السلطانية بشكل عام، ومنها *مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولاي الحسن*، تضمن أخبار السلطان واستطرادات كثيرة، منها تفاصيل رحلة المؤلف إلى الأطلس المتوسط سنة 1305 / 1885. ومنها قصيدة من البحر الطويل من 265 بيتا عن حركة مولاي الحسن إلى سوس عام 1299 / 1981، وأخرى في مدح الرسول "صلعم"؛ وشرح *لألفية ابن مالك*، *وتقاييد وطرر* في مسائل نحوية وفقهية ومقامات.

توفي بفاس منتصف ليلة 19 جمادى الثانية سنة 1311/ 28 دجنبر 1893.

ع. السوسي الفاسي نفسه، *عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة*، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 480 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة*، طبعة حجرية، فاس، 1316، ج 3 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، ج 9 ؛ ع. الله الجراري، *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن 20* (من 1900 إلى 1972)، الرباط، ط 1، 1985 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن 19 (اينولتان 1851 - 1912)*، ط 2، الرباط، 1983 ؛ أ. العماري، *نظرية التحديث والمواجهة عند علي السوسي السملالي*، ضمن أعمال ندوة، *الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن 19*، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1986 ؛ أ. المكاوي، *مسألة الإصلاح عند المفكرين المغاربة في النصف الثاني من القرن 19* (من خلال بعض النماذج)، د. د. ع، كلية الآداب، فاس، 1988.

A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830/1912*, Paris, 1978.

أحمد المكاوي

**السوسي، محمد** بن **أحمد** الزاهد المعروف بالمغربي، من أقدم الزهاد المغاربة الذين احتفلت المصادر المشرقية بذكرهم، وقد ذكره السلمي في الطبقة الثانية من الصوفية، طبقة أبي القاسم الجنيد البغدادي (ت. 297).

انتقل من المغرب إلى إفريقية واستوطن القيروان مدة، ثم غادرها في رحلة إلى المشرق، فأخذ عن علي بن رزين (ت. 225) من أصحاب الحسن البصري. وصار من أعلام التصوف المرموقين فأخذ عنه من شيوخ التصوف بالمشرق إبراهيم الخواص (ت. 291)، وإبراهيم بن شيبان العراقي الذي لازمه 30 سنة.

بلغ السوسي درجة متقدمة من الزهد، فاعتبرته الأدبيات الصوفية من الأوتاد، "وكان متجرداً من الدينا... دائم الأسفار على التجريد والتوكل" (*معالم*)، ويكتفي بأكل العشب.

كان تصوفه سنيا، وقد نقل عنه تلاميذه أقوالا كثيرة في التصوف تترجم الدرجة العالية التي بلغها فيه علما وسلوكا، منها تعريفه للزهد بقوله : "الزهد تجريد القلوب ونزوع النفس بالانصراف سراً وجهراً"، ومنها قوله : "أفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات". ومنها أيضاً : "يحتاج الفقير إذا سافر إلى أربعة أشياء : علم يحرسه، ووجد يحمله، وورع يسوسه، وذكر يؤنسه". وكان يقول الشعر أيضاً، ومن شعره :

يا من يعدّ الوصال ذنبا ... كيف اعتذاري ولي ذنوب
إن كان ذنبي إليك حبي ... فإنني منه لا أتوب

توفي سنة 299 / 912 بجبل طور سيناء بعد أن عمر حوالي 120 سنة، ودفن بجوار قبر شيخه ابن رزين.

ع. الرحمن الدباغ، (ت. 696)، *معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان*، ج 2، تح. محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضور، تونس، د. ت، ص. 285 - 287 ؛ السلمي أبو عبد الرحمن (ت. 412)، *طبقات الصوفية*، تح. نور الدين شريبة، القاهرة، ط 3، 1418 / 1997، ص. 242 - 245 ؛ أبو بكر المالكي (ت. 464)، *رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية*، تح. بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، بيروت، 1983، ج 1، ص. 196 - 197 ؛ عمر ابن الملقن (ت. 804)، *طبقات الأولياء*، تح. نور الدين شريبة، القاهرة، ط 1، 1393 / 1973، ص. 402 - 403.

محمد المغراوي

**السوسي، محمد** بن **عبد الله** أحد كبار شيوخ التصوف في القرن الحادي عشر (17 م)، أصله من تمليت الواقعة في المجرى الأسفل لواد تمنارت أحد روافد نهر درعة ببلاد سوس الأقصى. ألف فيه وفي أتباعه أحمد بن يعقوب الولالي *مباحث الأنوار، في أخبار بعض الأخيار*. تربى المترجم في وسط أسرة غلب عليها طابع العلم والزهد والورع، وقد حرص والده عبد الله بن يعقوب على تعليمه قصد ظهوره بالعلم، لكنه تخلى عنه عندما رآه مجتذبا إلى ناحية أخرى (*مباحث الأنوار*، 4). حلاه مترجموه بصفة الخمول وكثرة التستر. أما طريقته فسماها "الطريقة العمرية" نسبة إلى عمر بن الخطاب وعن أصل هذه الطريقة ذكر صاحب الترجمة أن الكتاب يأمره وينهاه والسنة تربيه. لذلك كان تارة يلازم قراءة القرآن الكريم، وتارة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يسمع منه غيرهما. وترد عليه الواردات.

عُرف محمد بن عبد الله السوسي بمحبته الشديدة في آل البيت ولما اشتهر أمره بمراكش، وُشي به إلى السعديين فأوقفوه عن نشاطه الصوفي ثم توجه إلى البقاع المقدسة للمجاورة فيها، ومر في طريقه بالزاوية الدلائية فأقام عند سلطانها محمد الحاج الدلائي عشرة أيام (*الزاوية الدلائية*، 135). كما دخل الصومعة من تادلا ورحب به أهلها والفقيه محمد بن عبد الرحمان الصومعي التادلي وعظموه وأخذ طائفة منهم عنه.

أخذ عن صاحب الترجمة أحمد بن سعيد الكنسوسي المراكشي، والشيخ يحيى الهشتوكي، ومحمد ابن سعيد الميرغثي - مؤلف *المقنع* - والشيخ علي العكاري الذي طلب منه تيسير العلم والعمل. وكان يدعو لمريديه بالأوصاف الواردة في الآيات "قد أفلح المومنون" إلى "الذين يرثون الفردوس".

توفي محمد بن عبد الله السوسي بمكة عام 1079 / 1668.

أ. ابن يعقوب الولالي، *مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار*، تح. ع. العزيز بوعصاب، رسالة د. د. ع. مرقونة، كلية الآداب، بالرباط، 1407/1984؛ أ. بن عاشر الحافي، *فهرس*، تح. م. السعديين، رسالة د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 1991، ص.221-222؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، 135.

محمد السعديين

**السوسي، محمد المختار** بن علي الإلغي. ولد في قرية "دّوكادير" في بسيط "إلْغْ" صبيحة أحد أيام صفر سنة 1317 / يونيو سنة 1900 من والده الشيخ علي بن أحمد ابن محمد، ومن والدته السيدة رقية بنت محمد بن العربي الأدوزي، وهذه الأم هي التي علمت ابنها محمد المختار وجميع إخوته القراءة والكتابة وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، ثم حفظ القرآن بعد تنقله في عدة كتاتيب قرآنية لمدة سبع سنوات.

بعد وفاة الشيخ علي الدرقاوي أصبح محمد المختار تحت كفالة أخيه الأكبر محمد الخليفة الذي كان يتولى مشيخة الزاوية ورئاسة الأسرة، ورعاية أمه وزوج أخته سعيد التناني.

هذه الرعاية كانت بمثابة زاد معنوي أمده بالتشجيع الكافي لمتابعة الدراسة في عدد من المدارس العتيقة بسوس. وفي تعليمه الابتدائي تنقل بين عدد من هذه المدارس وتلقى العلوم لدى عدد من أساتذتها، ومنها:

- المدرسة الإلغية في قريته سنة 1911 عند الفقيه الولوقتي التزنيتي لمدة سنة.
- مدرسة إيغشّان في سنتي 1912 - 1913 عند عبد الله الإلغي لمدة سنتين.
- مدرسة بونعمان، الواقعة جنوب تزنيت بحوالي 20 كلمترا لمدة سنة 1914.
- مدرسة تانكرت بإفران الأطلس الصغير لدى العلامة المشهور الطاهر الإفراني إلى سنة 1918. وفي هذه المدارس تلقى مبادىء العلوم الشرعية واللغوية، ثم التحق بمدرسة السعيدات شرق مراكش بحوالي ثمانين كيلومترا لمدة سنة كاملة.

وفي محرم - صفر عام 1338 / أكتوبر من سنة 1919 التحق بجامعة ابن يوسف، وقضى فيها خمس سنوات من الدراسة، وقد وصف قدومه لأول مرة لمدينة مراكش بقوله: "في عشية يوم أقبل هذا الفتى راكبا على "فرس أحمر" يتطلع من بعيد إلى صومعة الكتبية العالية، ويقارن ما إذا كانت مراكش أكبر من الصويرة التي زارها منذ أيام". وقد سكن إذ ذاك في مدرسة ابن يوسف، فانصرف إلى القراءة، وأخذ عن ثلة من العلماء أمثال: ابن عمر السرغيني، وبوشعيب البهلول، والحسن السرغيني، وعمر الجراري، وأحمد العلمي، واليزيد الروداني.

كما تميزت هذه المرحلة أيضا بتأثره بدروس الشيخ أبي شعيب الدكالي، فكان ذلك فتحا جديدا في حياة المختار السوسي، يقول: "في سنة 1342 / 1925 طلع علينا السعد بطلوع الشيخ أبي شعيب الدكالي، فكان ذلك في حياتي إجافة (إغلاقا) لباب وفتحا لباب آخر" (*الإلغيات*، 2: 225).

والباب الجديد الذي فتحه الشيخ أبو شعيب الدكالي في حياة المختار السوسي هو باب الفكر السلفي بعد أن كان المختار السوسي غارقا في التصوف الطرقي. فها هو يعيش تجربة الصراع بين القديم والحديث بين الطرقية التي كان غارقا فيها ومنسوبا إليها وبين رياح التغيير السلفي الإصلاحي.

تحت طائلة هذا الإحساس قرر محمد المختار الرحيل إلى جامعة القرويين، وبقي بها أربع سنوات بين 1925 و1928. وفي فاس اتضحت غلبة الفكر السلفي في شخصيته، نظرا لكون فاس تعتبر في هذه الفترة من بين المدن التي تركز فيها التفكير في فجر المغرب الجديد، وبعث النهضة الحديثة،

ولتحديد موقع فاس في ثقافته يقول : "في فاس استبدلت فكرا بفكر، فتكون لي مبدأ عصري على آخر طراز، قد ارتكز على الدين والعلم والسنة القويمة".

أخذ عن الشيوخ الرسموكي، والحجوجي، والعباس بناني، ومحمد ابن جعفر الكتاني، ومحمد بن الطيب البكراوي، ومحمد بن العربي العلوي، وعبد السلام الفاسي.

وقد شمل نشاطه الطلابي الاهتمام بالقضايا الثقافية والسياسية، حيث بادر إلى الإسهام في تأسيس جمعيتين : الأولى هي "جمعية الحماسة"، وكان يتولى رئاستها بنفسه ؛ والثانية جمعية "سياسية سرية" تعمل في إطار الدفاع عن القضية الوطنية، وترأسها علال الفاسي. كما تطوع للتدريس في المدرسة الناصرية التي شكّلت ملجأ يستقطب الوطنيين في تلك الظروف التي التهبت فيها حماسة السكان ضد الاستعمار في فاس، وفي أغلب مدن المغرب وقراه، وقد بادرت سلطات الاستعمار إلى نفي مدير هذه المدرسة عن فاس، وضايقت كل الطلاب الناشطين سياسيا، وكانت هذه المضايقة سببا في مغادرة المختار السوسي فاسا إلى الرباط.

حل بالرباط في يونيو 1928، فاستقر بها حوالي سنة كاملة اعتبرها أغنى سنوات تعليمه، حيث كان في هذه المرحلة قد اندمج في بيئة مدنية متحضرة عرفت مختلف وسائل التثقيف، فساير التطور الذي تشهده بلاده بصفة خاصة والعالم بصفة عامة ملازما لدروس شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي والمدني ابن الحُسني، ومحمد السايح ؛ مقبلا على شتى فنون المعرفة، مخالطا لنخبة المثقفين أمثال محمد بن العباس القباج، ومحمد بن أبي بكر التطواني، وأبي بكر بناني، وعبد الله بن العباس الجراري، وعبد الرحمن الدكالي ؛ مساهما بنشاطه في مختلف الأندية الثقافية والفكرية.

وهكذا قضى في مرحلة التعليم زهاء تسع عشرة سنة، تنقل خلالها عبر بيئات مختلفة بدوية وحضرية، وقد حدد بإحصاء دقيق مجمل العلوم والفنون التي حصلها خلال هذه المرحلة من التعليم، مما جعله مؤهلا لأداء رسالته التربوية والوطنية والحضارية، ولا بد من تقديم ملاحظات حول هذه المرحلة قبل الانتقال إلى ما بعدها.

في شهر يونيو سنة 1929 رحل محمد المختار السوسي إلى مراكش، وحل بزاوية والده بباب دكالة حي الرميلة، وبدأ مرحلة جديدة من حياته قرر فيها مع نفسه أن المهمة التي خلق من أجلها هي : التعليم والتربية وتكوين الرجال، كيفما كانت الظروف زمانا ومكانا، فأينما حل وارتحل يسرع إلى تكوين حلقات دراسية في المدارس والمساجد والمعتقلات، وهو في هذا المجال صاحب طاقة علمية وقدرة بيداغوجية تؤهله لأن يصل إلى أذهان مستمعيه، فيبلغ النتائج التي تجعله دائما يشعر بالرضى والاطمئنان.

كان سلوك محمد المختار السوسي وهو يُحوِّل زاوية والده بحي الرميلة بباب دكالة من زاوية إلى مدرسة داخلية يترجم بوضوح التحولات العميقة التي وقعت في تفكيره، والانتقال من العمل الصوفي الطرقي إلى العمل السلفي، وقد أوجد لمدرسته الوسائل الكفيلة بإنجاح مشروعه التعليمي من توفير المأوى والمأكل والملبس للتلاميذ الوافدين من خارج المدينة من سوس والصحراء والشياظمة وعبدة والرحامنة وسائر جهات المغرب، وبلغ عددهم في فترة وجيزة ثلاثمائة طالب، فاستعان في ذلك بعائدات اشتراكه في الفلاحة مع بعض الفلاحين في السراغنة والرحامنة، وبمساعدات بعض تجار المدينة ممن يقدمون العون، ويدفعون منحا خاصة للطلبة على شكل "وجبات يومية"، فتحمل كل منهم نفقات طالب أو أكثر طيلة مدة انتسابه إلى المدرسة.

دام جهاده التعليمي في هذه المدرسة حوالي أربع عشرة سنة استمرت المرحلة الأولى منها ما بين سنوات 1929 و1937، ثم نفي وعاد إليها لتستمر المرحلة الثانية (1946 و1951)، حيث انتقل بعد ذلك إلى الدار البيضاء للإقامة وممارسة التدريس بها أيضا.

وتخرج من هذه المدرسة على يد المختار السوسي طوال هذه المدة كثير من العلماء والأدباء ورجال الحركة الوطنية، منهم : محمد بن عبد الله الروداني، وعبد القادر حسن، وسعيد التناني، وعلي بن المعلم، والأخوان محمد الدكالي، وأحمد شوقي، وغيرهم كثير.

وبموازاة التدريس كان محمد المختار السوسي يقوم بنشاطات أخرى : فمن الناحية الدينية كان يلقي دروسا عمومية للوعظ والإرشاد في مختلف المساجد، ومن الجانب التعليمي وقع الاعتراف به كمدرس في جامعة ابن يوسف سنة 1935. وفي المجال الاجتماعي ساهم في تأسيس الجمعية الخيرية بمراكش، وترأس مكتبها، وفي هذه الفترة تزوج برفيقة عمره السيدة صفية بنت إبراهيم، وقد ساهمت إلى جانبه بصورة فعالة في مختلف المراحل والمواقف، فكانت نعم المعين والرفيق.

ونتيجة الدور الذي قام به المختار السوسي في الساحة السياسية بمراكش تعرض لعدة اعتقالات، وعاش حياة القمع والمنافي. ومن الصعب تحديد إجابة دقيقة عن طبيعة التزامه السياسي، دون الاقتناع بمبدإ التوفيق، وإن قبوله الالتزام داخل جمعيات سرية في فاس ومراكش وهي من تأسيسه، يعتبره التزاما علميا وخلقيا وفريضة، لأن الأمر يتعلق بمواجهة الاحتلال الأجنبي الذي يمس تطلعات الأمة وهويتها الوطنية والإسلامية واللغوية، فيجعل العلم إلى جانب السياسة أداة للوصول إلى نفس الهدف، وهو محاربة الاستعمار والقهر، والدفاع عن كيان الأمة، وهذا الاقتناع يؤكده في إطار الالتزام الحزبي في نطاق حزب الاستقلال بقوله : "وإن كنت لا أعدو أن أكون فقيها في الحزب وليس زعيما من زعمائه".

نظراً لنشاطه السياسي بمراكش قررت السلطات الفرنسية نقله إلى مسقط رأسه بقرية "دوكادير" في منطقة "إلغ" بتاريخ 11 مارس 1937، وقد حمل في سيارة قديمة عبر مدينة تارودانت وإيغرم ليصل إلى مسقط رأسه، وهناك عهدت الحكومة إلى أخيه الأكبر محمد الخليفة بمراقبته، وفي هذه الأثناء ونظرا لما كان للرجل من أهمية في العمل الوطني احتج سكان مراكش بقوة على هذا النفي، كما استنكرت الجرائد الوطنية هذا التعسف مثل جريدة *الأطلس* وغيرها،

ورفع السكان عرائض احتجاج للسلطان محمد الخامس، وأخرى للمقيم العام بالرباط.

وقد تميزت مرحلة هذا النفي بانقسامها إلى قسمين : ففي القسم الأول منه وقع تشديد الحراسة عليه، بحيث لا يتصل بأي شخصية أجنبية من غير أسرته أو بعض فقراء الطريقة الدرقاوية، فكان مشتغلا بالكتابة، وقد استغرق هذا القسم خمس سنوات.

أما القسم الثاني فقد استغرق أربع سنوات أخرى، وتميز بأن سلطات الحماية سمحت له بالتنقل داخل إقليم سوس، فقام بأربع رحلات سجل مذكراته عنها في كتابه *خلال جزولة*، وفي هذه الفترة جمع معلومات ساعدته على كتابة مؤلفاته، بحيث تمكن من الاطلاع على ما في الخزانات السوسية من كتب ومخطوطات ووثائق، وكان قد اهتم بتاريخ سوس والمغرب والعالم بصفة عامة، في وقت هيمنت فيه على الأحداث وقائع الحرب العالمية الثانية التي عايشها المختار السوسي بعواطفه، وظهرت آثار ذلك في إنتاجه الأدبي، سواء في مجال النثر أو فيما نظمه من قصائد، وأخيرا رفع عنه قرار النفي في نهاية سنة 1945، فتوجه إلى مراكش صحبة زوجته وأطفاله الثلاثة الذين ولدوا في المنفى.

استمرت مرحلة ما بين المنفيين سبع سنوات (1946 و1952) أمضى خمس سنوات منها في مراكش، ثم انتقل إلى الدار البيضاء، وأثناء عودته إلى مراكش زاول نشاطه المعتاد فقام بعدة أعمال ؛ حيث عاد إلى التدريس في مدرسة الرميلة، وإلقاء الدروس العمومية في المساجد، وأسس جمعية لبناء مدرسة محمد الخامس، وأرسله السلطان محمد الخامس في وفود رسمية منها : وفد الحجاج إلى الديار المقدسة 1946، ووفد جمعية أحباس الحرمين الشريفين إلى تونس 1948، وزاد نشاطه الوطني بعدما عرفت الحركة الوطنية انتشارا في عموم مدن المغرب، وكان على رأس الموقعين على عريضة الاحتجاج على حملات الاستعمار التعسفية.

ونظرا لتحرشات السلطات الاستعمارية نقل على وجه السرعة إلى الدار البيضاء بواسطة تنسيق رجال المقاومة بين المدينتين في آخر دجنبر سنة 1950، فاستأنف نشاطه الوطني هناك، وكان يمارس التدريس والإرشاد والتوجيه في بعض مساجد المدينة، حتى قامت مظاهرات في صفوف العمال احتجاجا على اغتيال الزعيم التونسي فرحات حشاد يوم 7 دجنبر 1952، فقامت الحماية بسلسلة من الاعتقالات في صفوف الزعماء الوطنيين، وشمل الاعتقال المختار السوسي وبعض أصدقائه، وتم نفيهم إلى تافيلالت.

استغرق الاعتقال الثاني بتافيلالت حوالي سنة ونصف سنة، ابتداء من 10 دجنبر 1952 أمضى سبعة أشهر منها بمركز "تينجداد" حيث ذاق مع غيره من الوطنيين أصنافا من المعاملة السيئة والتشديد، وكان يملأ وقته بقراءة القرآن والانصراف إلى الكتابة والتأليف. أما القسم الثاني من هذا الاعتقال فقد قضاه بمركز "أغبالو نكردوس" إلى جانب بقية المعتقلين الذين ناهز عددهم خمسين معتقلا، وتميزت هذه الفترة بإعطاء المعتقلين حرية التصرف داخل المعتقل، فوضعوا برنامجا يوميا يشتمل على دروس ومحاضرات، وسماع الأخبار ومناقشتها، وبرامج ترفيهية ورياضية، وكتب مذكرات هذا المعتقل ضمنها كتابه *معتقل الصحراء*. وقد كان ختام هذه الاعتقالات بتاريخ 10 يوليوز 1954.

وبعد عودة محمد الخامس من المنفى سنة 1955 شكلت أول حكومة مغربية في عهد الاستقلال تقلد فيها المختار السوسي منصب وزير الأوقاف، وبقي في هذا المنصب مدة استمرار الحكومة الوطنية الأولى، وهي أحد عشر شهرا، وفي الحكومة الوطنية الثانية تقلد منصب وزير التاج، كما تقلد مهمة القاضي الشرعي للقصور الملكية. وقام بمهام وأنشطة ثقافية كثيرة، مثل حضوره بعض المؤتمرات الخاصة بالقضايا الإسلامية، وإلقاء محاضرات ودروس دينية يومية، وتسجيل أحاديث إذاعية بالعربية والأمازيغية، لكن أهم عمل انكب عليه وكرس له كل أوقاته هو إتمام تآليفه بالمراجعة والتنقيح، ثم دفعها للمطابع المتعددة والعمل على نشرها بين القراء بكل الوسائل.

للمترجم مؤلفات كثيرة منها المطبوع والمخطوط :

أ ـ المؤلفات المنشورة في حياته :

• *المعسول*، طبع بالدار البيضاء والمحمدية والرباط ما بين 1960 ـ 1963، (20جزءا).

• *سوس العالمة*، المحمدية، 1960، أعيد طبعه.

• *خلال جزولة*، تطوان، (1961 ـ 1963)، (4 أجزاء).

• *الرسالتان البونعمانية والشوقية*، تطوان، (د. ت.)، (ملحق بكتابة *خلال جزولة*، ج. 1).

• *الترياق المداوي في أخبار الشيخ الحاج علي السوسي الدرقاوي*، تطوان، 1960.

• *منية المتطلعين إلى من في الزاوية الإلغية من الفقراء المنقطعين*، تطوان، 1961.

• *أصفى الموارد في تهذيب الرحلة الحجازية للشيخ الوالد*، الدار البيضاء، 1961.

• *من أفواه الرجال*، في عشرة أجزاء، طبعت ثلاثة، تطوان 1962.

• *الإلغيات*، الدار البيضاء، 1963، 3 أجزاء.

• *على قمة الأربعين*، (انظر الإلغيات، 1963، ج. 3، ص. 207 وما بعدها).

• *بين الجمود والجحود*، رواية في أفكار إسلامية نشرت في تسع حلقات، مجلة دعوة *الحق*، أعوام الستينيات.

• *إيليغ قديما وحديثا*، تح. محمد بن عبد الله الروداني، الرباط، 1966.

• *معتقل الصحراء* (الجزء الأول)، الرباط، 1982، (الجزء الثاني مازال مخطوطا).

• *حول مائدة الغذاء* (مذكرات)، الرباط، 1983.

• *ذكريات*، الرباط، 1984.

• *طاقة ريحان من روضة الأفنان*، مختصر روضة الأفنان للرفاكي، الرباط، 1984.

• *مدارس سوس العتيقة*، نظامها وأساتذتها، طنجة، 1987.

• *رجالات العلم العربي في سوس*، طنجة، 1989.

• *المجموعة الفقهية في الفتاوي السوسية*، إعداد الأستاذ عبد الله الدرقاوي، الدار البيضاء، 1995.

• *كيف عرفتُ الأدب ؟*، محاضرة ألقاها على أدباء مراكش سنة 1936. نشرت بالرباط.

2 ـ المؤلفات المخطوطة (مرتبة حسب المواضيع) :

• *أدوار سوس التاريخية*، كتاب تناول فيه العصور الأخيرة بسوس.
• مجموعة في *أنساب السوسيين*.
• *الصالحون المتبرك بهم في سوس*.
• *الرؤساء السوسيون*.
• *الثوار السوسيون*، محاضرة.
• *من الحمراء إلى إلغ*، رحلة تتضمن معلومات تاريخية عن حاحة وإداوتنان وأكادير.
• *مراكش في عصرها الذهبي*.
• *الرد على كولان*، حول جامعة القرويين.
• معتقل الصحراء، (الجزء الثاني).
• *دروس أغبالو نكردوس*، ألقاها على المعتقلين هناك.
• *توفيق الرحمن إلى مراجعة القرآن*، في كيفية تعليم القرآن بسوس.
• *مواقف مخجلة*، ألفه في منفاه بتنجداد.
• حياة الشيخ الوالد.
• *إتحاف النبيه ببعض مآثر سيدي أحمد الفقيه الركني*.
• *وصف الغطريس*، مختصر كتاب المهدي الناصري في أخبار المقاومين في تافيلالت.
• *مترعات الكؤوس في بعض آثار أدباء سوس*.
• *جوف الفرا*، مجموعة أدبية، قصائد ورسائل ذات طابع تاريخي.
• *حاشية على الكشاف للزمخشري*، مخطوط.
• *وشي المطارف في ثبوت الهلال بالخبر الرسمي من الهاتف*.
• حديث سيدي حمو، في شكل رواية.
• *قطائف اللطائف في الحكايات والنوادر السوسية*.
• *نضائد الديباج في المراسلات بين المختار والقباج*.
• *الألفاظ العربية في الشلحة السوسية*.
• *أمثال الشلحيين وحكمهم نظما ونثرا*، بلغت 1050 مثلا.
• *مشيخة الإلغيين من الحواضر من فاس ومراكش والرباط*، 17 إجازة.
• *إجازات المختار السوسي*.
• *أسانيد وإجازات سوسية*.
• *عقود العقيان في إجازات الإخوان*.
• *أحاديث إذاعية دينية، باللغة العربية والأمازيغية*، بلغت 90 حديثا.

توفي يوم الاحد 29 جمادي الثانية عام 1383 / 17 نوفمبر 1963، ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1960 ؛ *الإلغيات؛ الترياق المداوي*، مقدمة؛ *معتقل الصحراء*، الرباط، 1982 ؛ *دليل مخطوطات مؤلفات المختار السوسي*، الرباط، 1988 ؛ *أنا والأدب*، تقديم ع. الله الدرقاوي، *زهرة الآس في فضائل العباس*، الرباط، 1997 ؛ عمر أفا، عبد المجيد الصغير، صدقي علي أزايكو، عبد الغني أبو العزم، أحمد التوفيق، *دراسات حول المختار السوسي*، *أعمال ندوة المختار السوسي*، *الذاكرة المستعادة*، الدار البيضاء، 1986 ؛ م. خليل، *محمد المختار السوسي، دراسة لشخصيته* وشعره، الدار البيضاء، 1985 ؛ عمر أفا، *أرصدة التراث المخطوط* بسوس، *أعمال ندوة التراث الإسلامي المخطوط* بسوس، أكادير ؛ ع. المتوكل الساحلي، *المعهد الإسلامي والمدارس العتيقة* بسوس، الدار البيضاء، 1985 ؛ ح. أفا، *الشعر العربي في سوس بين الاتباع والابتداع*، دكتوراة دولة مرقونة بكلية الآداب، أكادير، 2001 ؛ *ديوان البونعماني*، الرباط، 1996 ؛ مجلة *الإيمان*، يناير ـ فبراير، 1982 ؛ م. الشليح وآخرون، *محمد المختار السوسي*، سلسلة *أعلام المغرب*، الدار البيضاء، 1996، *رواية شفوية* عن عبد الله الدرقاوي بالرباط، والمهدي الدرقاوي بأكادير.

عمر أفا

**السوسي، المختار** (الحاج –) ابن الوزير عبد الله بن أحمد بن مبارك، سليل الأسرة المخزنية المعروفة "آل بّا أحماد"، ولد بمدينة مكناس ونشأ بها، وتتلمذ على يد كبار علماء عصره من أمثال المحدث عبد القادر العراقي والقاضي أحمد بن سودة وإبراهيم التادلي الرباطي والمفضل السوسي وغيرهم..

كان المختار، إلى جانب عمله، يتصف بأخلاق سامية وسجايا حميدة، بشوشا كريما حسن السمت، هينا لطيف المحادثة والمجاملة (ابن زيدان، *الإتحاف*، 4، ص. 306).

كما كان يتمتع بمهارة في السياسة وحسن التدبير للأمور، لذلك استوزره السلطان الحسن الأول مع ولده وخليفته مولاي محمد، وعينه السلطان عبد العزيز وزيراً لعمه وخليفته بفاس مولاي عرفة. ثم أسندت إليه مهمة الكاتب الأول بالصدارة العظمى خلفا للطاهر البلغيثي. ورشح لمنصب الصدارة العظمى خلفا لابن عمه أحمد بن موسى بعد وفاته في فاتح عام 1318 / 7 ماي 1900 إلا أنه عزل أواخر ذي الحجة من نفس السنة، وامتحن وصودرت أملاكه وسلبت ضمن المصادرات التي شملت كل المقربين ممن لهم أدنى اتصال أو قرابة من الوزير أحمد بن موسى. وأخرج من مراكش إلى مكناس بعد أن سلبت كل أملاكه، ومع ذلك لحقت به كتيبة من الخيل بالطريق وفي معيتها مكلف من قبل المخزن للإتيان بجميع ما خرج به من مال ومتمول فسلب منه ذلك كله على وجه التعنيف والانتقام كما صدرت الأوامر المخزنية لفاس بإحصاء جميع أملاكه ومصادرتها (*الإتحاف*، 4، ص. 307).

وعند وصوله إلى مدينة الرباط اعتقل من قبل عاملها ومنع من التوجه إلى مكناس، ثم نفي إلى تطوان، وهناك تصدر للتدريس إلى أن أذن له بالعودة إلى مكناس حيث أقبل على نشر العلم والتفرغ له غير مكترث بما حصل له من امتحان وعزل وسلب. فأخذ عنه كثير من علماء مكناس فذكر منهم : الفقيه عبد السلام الطاهري ومحمد العرائشي، وعبد القادر بن زيدان، والمولى راشد بن علي الشبيهي، والمؤرخ عبد الرحمن بن زيدان.

وتعرض المختار لمحنة أخرى أثناء تمرد القبائل المحيطة بمدينة مكناس ضد مولاي عبد الحفيظ (1909 ـ 1911) الذين اعترضوا طريقه وهو متوجه ضمن قافلة إلى مدينة مكناس قادماً إليها من فاس فسلبوهم حتى من ملابسهم ولم يتركوا لهم إلا ما يسترون به العورة.

توفي بمكناس أواسط شعبان عام 1335 / أوائل يونيو 1917 ودفن بالزاوية الكنتية من حومة صدراته.

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، 4، ص. 306 ـ 307 ؛ مصطفى الشابي، *النخبة المخزنية*، المحمدية، 1995.

**السوسي المكناسي، أحمد** بن علي رأس الأسرة السوسية المكناسية، أصله من الساقية الحمراء، فقيه عالم مدرس مشارك في كثير من المعارف والعلوم، بلغت شهرته العلمية السلطان المولى سليمان، فأرسل إليه من يأتيه به من مسقط رأسه بالساقية الحمراء، ولما ورد وجد السلطان بالحضرة المكناسية، فرحب به ترحيبا كبيراً وأكرم مثواه، وأنزله بمدرسة الجامع الأزهر المعروف اليوم بجامع الروى بناء على رغبته، وهناك تصدر للتدريس.

ولما علم عبد القادر العلمي (سيدي قدور) بمقدمه سعى إليه واجتمع به وأخذ عنه خاصة كما يقول ابن زيدان "سر أسماء الله الحسنى" (*الإتحاف*، 1، ص. 362).

وبعدما طالت مدة إقامته بمدينة مكناس طلب من السلطان أن يرده إلى مسقط رأسه فرفض، وزوجه من إحدى الشريفات، وعندما توفيت زوجه بأخرى ركراكية.

وبقي أولاده بمكناس يحملون نسبة السوسي.

لا يُعرف تاريخ وفاته ولا وفاة ولده المكي الذي كان من أعيان علماء وقته وعدولهم المبرزين، إلاّ أنهما عاشا في النصف الأول من القرن الثالث عشر (19م).

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 362.

**السوسي المكناسي، محمد** بن **أحمد** بن المكي بن أحمد بن علي فقيه علامة مشارك في علوم التفسير والحديث ومصطلحه، والسيرة النبوية والأصلين واللغة والبيان كما كان بارعا في اللغة وفي النحو والصرف والعروض والقوافي، عالماً بالفقهيات.

ولد بمكناس سنة 1285 / 68 ـ 1869، بدأ مراحله التعليمية الأولى في الكتاب العلوي بالخضارين على يد محمد بن العياشي القبري (ت. 1312). وتابع دراسته فنهل من روافد متعددة على يد ثلة من الفقهاء المكناسيين منهم عمه محمد المفضل السوسي (ت. 1320) وهو عمدته، وأخوه الفقيه محمد بن أحمد السوسي (ت. 1316)، ومحمد المفضل بن عزوز (ت. 1319)، ومحمد القصري العبدري (ت. 1324) ومولاي عبد الله بن إدريس البدراوي (ت. 1317) وقاضي مكناس أحمد بن الطالب ابن سودة المرى (ت. 1319)، وغير هؤلاء من علماء مدينتي مكناس وفاس.

وفي طريقه إلى الحج سنة 1330 اتصل في مصر بالشيخ عبد الجليل بن عبد السلام برادة الفاسي الأصل وأخذ عنه وعن الشيخ عبد الحميد الشهير بسلامة المصري، ويوسف بن إسماعيل النبهاني.

بعد ذلك تصدر للتدريس الذي لم يتوقف عنه طيلة حياته منذ أن سجل في قائمة طبقات علماء مكناس عام 1311 حتى وفاته. وتقلد عدة وظائف إلى جانب التدريس أهمها : العدالة بسماط العدول بمدينة مكناس سنة 1311، والنيابة عن قاضي مكناس أحمد بن بوبكر عواد السلاوي (1341-1386)، ثم العضوية بمجلس الاستيناف الشرعي الأعلى بالرباط (1342 ـ 1346). وأخيرا قاضي مدينة مكناس في شعبان 1346 ظل يشغله حتى أوائل عام 1359 حيث أحيل على المعاش. وكان له دور محمود في أحداث بوفكران.

له مؤلفات عبارة عن شروح وحواش وختمات، منها :

*شرح موسع لهمزية البوصيري*، *حاشية على شرح أرجوزة مصطلح الحديث* للعربي الفاسي، ختم الرسالة القيروانية باسم : *عون الموصوف بالجلالة على ألفاظ ختم الرسالة*، *ختم المرشد المعين*، والشمائل الترمذية بعنوان : *عون الطالب السائل على فهم الأثرين المختوم بهما الشمائل*، *وختم المختصر والألفية*.

توفي في 3 شوال 1369 / 19 يوليوز 1950 ودفن بالزاوية الكنتية بمكناس.

م. المنوني، دعوة *الحق*، العدد 7، السنة 16 غشت، 1974، ص. 151 ـ 159 ؛ ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران*، ج 1، ص. 216.

**السوسي المكناسي، محمد** بن **الحسين** المنبهي الزيادي الشهير بأبي مدين، ولد بمكناس ونشأ بها وأخذ العلم عن علماء عصره، وقرأ على الحسن بن مسعود اليوسي، وهو عمدته. فظهر نبوغه واشتهرت براعته. وكان يتميز بفهم ثاقب وذهن وقاد وذكاء نادر وسرعة بديهة. إلى جانب براعة كبرى في الخطابة والكتابة وكان على حد تعبير ابن زيدان مقتدراً على الترسيل فصيحاً بليغاً سيال القلم خطيباً مصقعاً بل أخطب أهل زمانه.

كل ذلك مكنه من تصدر مكانة مرموقة ضمن علماء المدينة الاسماعيلية وقرّبه المولى إسماعيل إليه وقلده خطة القضاء والفتوى. بمدينة مكناس. إلا أن جفاء حدث بينهما لا تتحدث المصادر عن سببه فعزله عن القضاء في أواسط شوال عام 1088 وولي مكانه بالتتابع كلا من أحمد بن سعيد المجيلدي (1094)، ومحمد بن الحسن المجاطي (1103).

إلا أن القاضي محمد السوسي ولما كان يتمتع به من براعة كبرى وباع طويل في الخطابة والبلاغة إلى جانب الذكاء وحضور البديهة، انتهز فرصة إمامته للصلاة يوم عيد النحر من سنة 1089 فألقى بين يدي السلطان اسماعيل خطبة بليغة أطراه فيها وقال: "لو رآه والده الجليل، في هذا الجمع الحفيل، لقال : "الحمد لله الذي وهب لي على الكبر

إسماعيل..." فأعجب به السلطان وخلع عليه وأعاده إلى منصبه قاضيا للجماعة ومفتيا إلى أن توفي.

إلى جانب القضاء والفتيا تصدر محمد السوسي للتدريس فأخذ عنه كثيرون أمثال : محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بصري وابن عاشر الحافي السلوي، وعبد الوهاب العرائشي وعبد الوهاب بن أحمد بن محمد بصري.

وترك *شرحا على منظومة الأخضري في المنطق* وله كذلك في الأصلين أبحاث وتحقيقات ؛ وفوائد وتدقيقات؛ وله الخطب التي لم يسبق بمثلها ؛ والمنشآت التي يقف فحول الأدباء عند حدها. كما ترك شعراً جميل النظم، يوجد في *الاتحاف* (4، ص. 86 ـ 88) بعض من نظمه ونثره.

توفي بمكناس في شوال 1120 / دجنبر 1708 ـ يناير 1709.

*حوالة أحباس المساكين بمكناس*، ج 3، ص. 11 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 4، ص. 85 ـ 88 ؛ م. القادري، *النشر*، ج 3، ص. 201؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس*، ج 1، ص. 191.

**السوسي المكناسي، المفضل** بن المكي. المعروف أيضاً بفضول، ولد بمدينة مكناس ونشأ بها، وتعلم على يد شيوخها من أمثال : شيخ الجماعة الحاج مبارك الفيضي، والعباس بن محمد بن كيران، والمهدي بن سودة والهادي بادو وغيرهم. وعرف عنه أنه حاد الذكاء، قوي الإدراك جم التحصيل. مبرزاً على الخصوص في العلوم اللسانية ما جعل ابن زيدان يصفه بقوله : "كان صدراً شهيراً عالماً علماً أصيلاً ... منطلق اللسان مشاركاً نقاداً حسن العبارة، مقتدراً على التفنن في أفانين التعبير، إماما في العربية..." يقرأ في دروسه الليلية عدة مؤلفات في مجلس واحد يتخلص من فن لآخر بأبرع تخلص وأحسنه لا يجارى في ذلك ولا يبارى، فلا يقدر أحد على حد تعبير ابن زيدان من الآخذين عنه في حلقة درسه أن يتحرك أو يتنحنح أو يفوه ببنت شفة يجلسون أمامه كأنما على رؤوسهم الطير (*الإتحاف*، 4، 328)، وقد تخرج على يده عدد من العلماء الأعلام كالشيخ محمد القصري المكناسي، والفقيه الحاج المعطي بن عبود، والعلامة الغالي بن المكي السنتيسي والوزير أحمد بن موسى وعبد القادر بن زيدان. له *قصائد شعرية*، *وتقاييد أدبية يضم الإتحاف* نماذج منها.

ترك المفضل بن المكي السوسي كرسي التدريس في آخر عمره، ولازم الخدمة المخزنية مع تلميذه الوزير أحمد بن موسى إلى أن لبى داعي ربه ثم لازم بعده المهدي المنبهي وكان يظعن بظعن السلطان ويقيم بإقامته إلى أن وافته المنية بمدينة فاس في 7 ربيع الثاني عام 1320 / 14 يوليوز 1902. ودفن بالزاوية الناصرية هناك.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 4، ص. 328 ـ 333.

رقية بلمقدم

**السوق** عبارة عن تجمع تجاري يعقد مرة في الأسبوع في الهواء الطلق، ويعرف باسم اليوم والمكان اللذين يقام فيهما. وعادة ما يوجد مقر السوق على حافة الطريق أو قريباً منها، على حدود مجموعة من القبائل أو الفخذات، قريبا من الماء، أو من ضريح ولي من الأولياء يحجه سكان المنطقة، وأحيانا فوق أنقاض مدينة قديمة.

يشهد انعقاد الأسواق على وجود علاقات تبادل تجارية قديمة ومستمرة بين مختلف المناطق التي كانت كل منها في حاجة إلى الأخرى لتسويق منتجاتها والحصول على ما لا تنتجه من مواد. ونظراً لأهمية الأسواق، فإنها كانت تعقد تحت حماية المخزن، أو زاوية من الزوايا خصوصا عند ما يتعلق الأمر بالمواسم / المعارض (موكار) الكبرى، أو في المناطق غير الخاضعة مباشرة للمخزن (بلاد السيبة) تحت رقابة أحد كبار القياد. لتوفير الأمن للتجار والمترددين على السوق، لذلك كانت المبادلات تخضع لتقنين محكم متعارف عليه.

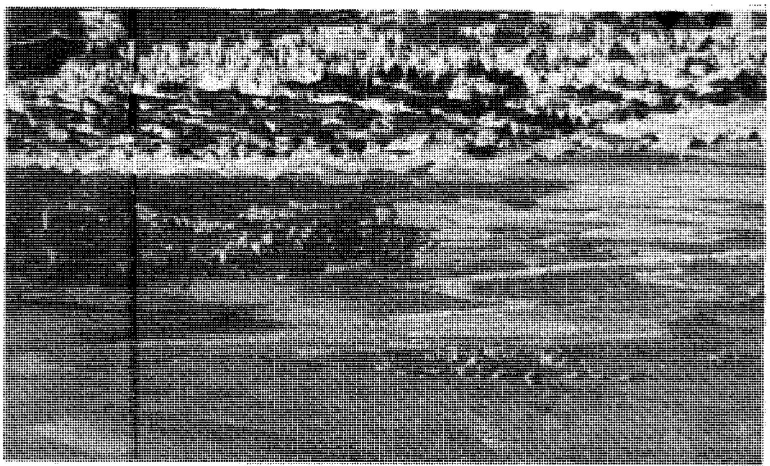

وللسوق، كمؤسسة موغلة في القدم، أبعاد أساسية ثلاثة : بعد اقتصادي وبعد اجتماعي وبعد سياسي.

على الصعيد الاقتصادي، يمثل السوق مجالا لتبادل ما ينتجه سكان القبائل التي تحجه من ماشية ومواد فلاحية ومنتجات حرفية، وما يعرضه تجار المدن المجاورة من سلع مصنعة أو مستوردة يحتاجها القرويون ولا يستطيعون إنتاجها (سكر، شاي، شمع...).

على المستوى الاجتماعي، كان السوق مجالا للتواصل بين سكان المنطقة والقبائل المجاورة، لتبادل الأخبار وإبرام الصفقات وتحرير العقود العدلية، ولإعلان التحالفات أو عقد المعاهدات بين الأفراد والأسر، لتكوين الرأي العام، لمحاكمة المجرمين ومعاقبتهم، كما كان كذلك مكانا للفرجة والتسلية.

أما سياسيا، فقد كان السوق مجالا ومناسبة للقبائل لحل نزاعاتها، لاتخاذ القرارات الحاسمة المتعلقة بالسلم أو

الحرب، لمناهضة المخزن، ولربط المتمردين عليه بباقي أفراد الأمة ؛ كما كان السوق مكانا ومناسبة للمخزن للاطلاع على أحوال الساكنة، لإبلاغ قراراته، ومراقبة ما يحدث على صعيد القبائل قصد التحكم فيها وتطويعها، إذ كانت محاصرة الأسواق تمثل وسيلة لإرغام القبائل المتمردة على تأدية الضرائب والامتثال للمخزن.

لهذه الأسباب أولى الفرنسيون الذين كانوا بالجزائر - قبل عقد الحماية - أهمية كبرى للأسواق المغربية (خصوصا بالمناطق المحادية للجزائر)، لم يكونوا يروجون فيها بضائعهم التي تنافس الإنتاج المحلي فقط ولكنها تجعل التعامل النقدي يحل أكثر فأكثر محل المقايضة، بل كانوا كذلك يعقدون صفقات شراكة مع بعض المغاربة بخصوص الأرض أو الماشية، ويبيعون بطاقات الحماية القنصلية ؛ كما كانوا يجسون نبض السكان لمعرفة موقفهم من الأجنبي وتهيئهم لتقبل الحماية كحل لمختلف مشاكلهم.

وفي فترة الاستعمار، أصبح التحكم في الأسواق من الأهمية بمكان، إذ من خلالها يمكن مراقبة السكان والتحكم فيهم وإحصاء ما ينتجونه وفرض الضرائب عليهم، تسوية النزاعات التي تنشب بينهم، وإخضاعهم للإدارة الجديدة. ولتحقيق هذه الأهداف حُولت الأسواق إلى جانب الثكنات العسكرية أو إلى جوار المكاتب الإدارية (مكتب الحاكم والقايد، الضرائب، مستوصف، مدرسة...)، مما سيحول تدريجيا الأسواق إلى قرى صغيرة سينمو بعضها لتصبح فيما بعد مراكز حضرية ثم مدنا صغيرة ومتوسطة أحيانا.

ومع انتشار وسائل النقل الحديثة، أضحى السوق نقطة عبور للاتصال بالمدن والهجرة القروية، مما سيؤدي إلى نوع من المثاقفة يتجلى أساسا في انتشار منتجات جديدة وعادات استهلاك جديدة، وأفكار لم تكن من قبل متداولة بين القرويين. هكذا ستمثل المدينة عامل جذب بالنسبة للقرويين الراغبين في الاستفادة من إيجابيات الحضارة الحديثة.

بعد الاستقلال، تعززت وظيفة السوق الإدارية، إذ استقرت به مجموعة من المصالح المثلة للسلطة بغية مراقبة السكان سياسيا. لكن سير البلاد في الاتجاه الديمقراطي مكن الأحزاب السياسية والجمعيات المدنية من التقرب من القرويين وتأطيرهم.

A. Adam, *Etude économique et sociologique d'un souq du Haut Atlas occidental : Imin-Tanout*. Actes du IV° Congrès international des sciences anthropologiques et ethnologiques, Vienne, 1952 (publié en 1956) ; J. Berque, *Note sur l'histoire des échanges dans le Haut Atlas occidental, A.E.S.C.*, n° 3, 1953 ; B. Desmazièrers, *L'évolution des grands courants commerciaux à l'intérieur du Maroc*, Mémoire C.H.E.A.M., 1948 ; E. Doutté, *Marrakech, 1905* ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc. Essai sur la transformation politique des berbères sédentaires (groupe Chleuh)*, Paris, 1930 ; F. Olivier, *Mémoire sur l'évolution économique des tribus de la banlieue de Meknès depuis l'occupation française*, Mémoire C.H.E.A.M., 1937 ; P. Pascon, *La maison d'Illigh et l'histoire sociale du Tazeroualt*, Rabat, 1984 ; J.-F. Troin, *Les souks marocains. Marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc*, Aix-en-Provence, 1975; *Vision et utilisation des souks au Maroc : histoire d'un décalage, Connaissances du Maghreb. Sciences sociales et colonisation*, Paris, 1984.

عبد الجليل حليم

**سوق أربعاء الغرب،** مدينة صغيرة (43269 نسمة سنة 2000) تقع شمال منطقة الغرب وهو رابع مدينة داخل التراتبية الحضرية للمنطقة بعد القنيطرة وسيدي قاسم وسيدي سليمان. ترجع نشأتها إلى بداية القرن الرابع عشر (20 م) بسبب استغلال إمكانيات سوقها الأسبوعي من طرف بعض المعمرين خاصة "بواسي" Boisset وقد تأكد ذلك فعليا سنة 1923 عندما تقرر ترقية سوق الأربعاء لتصبح مقراً لدائرة سبو مكان مشرع بلقصيري. مازالت المدينة إلى اليوم تفرض نفسها على تنظيم المجال الجهوي على مستوى الغرب الشمالي. وترجع أسباب قوتها إلى مستوى تجهيزها التجاري (سوق أسبوعي نشيط جدا). والخدماتي، غير أن دورها كمركز طرقي تأثر سلبا بنشاط الطريق السيار الرباط - طنجة.

**سوق ثلاثاء الغرب،** مركز قروي صغير (حوالي 2000 نسمة) يوجد على بعد 15 كلمتر جنوب سوق الأربعاء مازال يظهر بمظهر الدوار الريفي لولا وجود بعض المصالح ذات الطابع الحضري : القيادة، المدرسة، البريد، مركز التنمية الفلاحية، وبعض الدور ذات الطابع الحضري كحي بام، غير أن أغلب ساكنته مازالت تعتمد على أنشطة القطاع الأول.

مبارك الشيكر

**سُولانا،** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Solana ؛ وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1408.

محمد ابن عزوز حكيم

**السوني، عبد السلام** مقاوم ولد سنة 1926 ببني زروال غفساي، دفعته غيرته الوطنية لينضم إلى صفوف المقاومة السرية حيث ساهم في العديد من العمليات الهجومية ضد الاحتلال وعلى اثر انطلاق جيش التحرير انخرط في صفوفه تحت قيادة محمد المكناسي وظل يناضل إلى جانب إخوانه إلى أن حصل المغرب على استقلاله.

توفي في 11 شوال عام 1416 / 2 مارس 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 505650.

**سَوّاق الجمال**، طائر من رتبة طوال الساق الزقزاقيات Charadriiformes ومن فصيلة Glareolidae وهو طائر أغبر اللون، يألف الأماكن الرملية بالمناطق الصحراوية وشبه الصحراوية الجافة. يسمى هكذا في المغرب وفي أقطار شمال إفريقيا لطول ساقيه ولسرعته الفائقة في المشي والركض. توجد منه عشرة أنواع تعيش في آسيا وإفريقيا ونوع واحد شائع في المغرب يدعى علميا Cursorius cursor وبالفرنسية Courvite isabelle وبالإنجليزية Cream-coloured courser وبالإسبانية Corredor وبالإيطالية Corrione biondo.

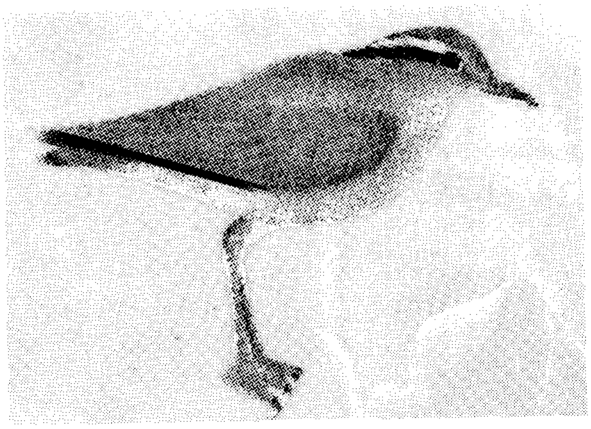

يتميز بخصلة صغيرة من الريش الرمادي على مؤخرة العنق والرأس محفوفة بلفافتين رقيقتين من الريش الأبيض والأسود خلف العينين. سائر الجسد مغطى بريش بني أغبر شبيه بلون الرمال. الجناحان محفوفان بريش أسود. المنقار مقوس قليلا، رمادي مصفر، مستدق الرأس يساعد على أكل الحشرات والديدان والقواقع والزواحف الصغيرة. الإناث شبيهة بالذكور ؛ يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 42 سم وطول الجسم 21 ـ 23 سم. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. القائمتان طويلتان رماديتان مصفرتان، لا تتوفران على الأصبع الرابع المتوجه نحو الخلف عند معظم أنواع الطيور، وهذه ميزة الطيور الراكضة السريعة المشي كالنعامة والحبارى. يعيش في مجموعات قليلة الأفراد وتصعب مشاهدته لشدة تشابه لونه بالتربة. يركض بسرعة قوية عند الإزعاج ليحتجب عن أعدائه ويحسن الطيران أيضاً.

طائر مستقر في المناطق المغربية الجنوبية والشرقية ويتوالد منذ فبراير إلى غاية شهر مايو. تضع الإناث البيض مباشرة على الأرض دون أن تتخذ فراشا لأعشاشها. تبيض 2 ـ 3 بيضات بيضوية الشكل ملساء غير لامعة، رمادية مصفرة ومنقطة بالأسود، طول قطريها 27,1 x 34,7 ملم. يحضن الزوجان البيض بالتناوب ويجهل إلى حد الآن عدد أيام الحضانة. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتغادر العش مباشرة بعد التفقيس.

يعيش هذا النوع في جميع المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية بالمغرب وفي إفريقيا والجزيرة العربية وآسيا الجنوبية، ومنه مجموعات تهاجر صيفا شمال تركيا. يعد من الطيور المفضلة عند الصيادين لصعوبة قنصه.


م. رمضاني، *الحبارى*، *معلمة المغرب*، الجزء، 10، ص. 3303 ـ 3304 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط.3 ـ 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrisson, Les nids, *les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977.


محمد رمضاني

**سويد**، قبيلة عربية من فوع قبيلة بني مالك المستوطنين اليوم في سهول الغرب شمالي مدينة سلا. وهم من زغبة من بني هلال المضريين وكانت لهم خدمة ومكانة مكينة عند بني مرين لا سيما أبا الحسن وأبا عنان. وافترقت أسرة السويدي المكناسية القديمة إلى فرقتين فرقة عرفت بابن الأكحل (انظر ابن الأكحل إبراهيم في *المعلمة*). عاش أفرادها في القرنين التاسع والعاشر (15 ـ 16 م) وبعد ذلك ظهرت فيها فرقة أخرى من أسرة سويد، غير أن هذه تحمل لقب الشاهد، فيعرضها الديوان الإسماعيلي هكذا : "أولاد الشاهد من سويد"، ويعرف الآن من أفرادهم خمسة أسماء :

1 ـ علي بن ضيف الله : عدل ثان في وثيقة مؤرخة بأواسط القعدة عام 1016. حوالة الأحباس الكبرى بمكناس، مصورة خ. ع، 5، ص. 182.

2 ـ عبد القادر بن ضيف الله السويدي : بوثيقة وصية مؤرخة في 8 شعبان 1048. المصدر، ص. 273.

3 ـ عبد الرحمن بن عبد القادر بن ضيف الله السويدي: مترجم في *الدرر المرصعة*، مخطوط، خ. ع، ك 265 ص.

4 ـ العربي بن عبد القادر بن ضيف الله، المعروف بالشاهد، ناظر الأوقاف بمكناس، حيث يسجل ـ بوصفه واسمه ـ في وثيقة شراء *للجامع الكبير للسيوطي*، حسب مخطوطة، خ. ع. ق 26.

5 ـ محمد بن العربي الشاهد : عدل في وثيقة إثبات نسب، بتاريخ أواسط صفر عام 1141. حوالة الأحباس الكبرى بمكناس، مصورة، خ. ع 5 ص ومن القريب أن تسلسل هذه الأسماء من الثاني إلى الخامس : قد يشير إلى أن أربعتهم يؤلفون بيتا واحداً يبتدئ من عبد القادر، فابنه عبد الرحمن، فحفيده العربي، والد محمد بن العربي.

وإلى هؤلاء يوجد اسم إبراهيم بن عبد السلام بن كحلة: عدل ثان في نسخة رسم مؤرخ في عام 1126 / (*حوالة أحباس الزوايا بمكناس*، مصورة خ ع ص 251 ـ 252). عدل شاهد على تسجيل القاضي في وثيقة إثبات نسب بتاريخ أواسط صفر 1141. ( *حوالة الأحباس الكبرى بمكناس*، مصورة خ ع 5). فهل يكون هذا من أسرة الأكحل الذي نعلق على ترجمته، بعدما طرأ على لقبه العائلي تحريف من الأحكل إلى كحلة؟

والآن : فإن أسرة السويدي ـ بفرقتيها ـ انقطع ذكرها بين عائلات مكناس.

محمد المنوني

**السويد والمغرب**. السويد من أقدم شعوب أوروبا. ارتبط تاريخه القديم بشعب الفيكيين، وهم الذين بلغوا إلى شاطئ بلاد البربر بسفنهم لأغراض التجارة والغصب ولا سيما في القرون الوسطى.

أما في العصر الحاضر فيوجد في السويد الحديثة 11000 شخص من أصل مغربي 6000 منهم وُلدوا بالمغرب. ويوجد حوالي ثلثي هؤلاء المهاجرين في وضعية مواطنين سويديين، يحتفظ معظمهم بالجنسية المغربية. ويوجد حوالي 70٪ من المهاجرين المغاربة إلى السويد في العاصمة سطوكهولم وفي كوتينبيرغ ومالمو.

ترجع علاقات المغرب بالسويد إلى عام 1763 عندما انعقدت أول معاهدة بين البلدين، ثم عرفت العلاقات فتوراً لا سيما في عهد الحماية الفرنسية بالمغرب. وبعد حصول المغرب على الاستقلال فتحت السويد سفارة بالرباط.

يعتبر المغرب من أهم الدول الإفريقية التي تربطها علاقات تجارية بالمغرب إذ يأتي في الدرجة الثالثة بعد جنوب إفريقيا ومصر، فهناك عدد كبير من الشركات السويدية تشغل في المغرب وتتخذ فيه مقراً ومنها سكانيا Scania وأب ABB و إريسكون Eriscon وطيطرا ـ باك Tetra Pak، إلخ. وتبلغ صادرات السويد إلى المغرب حوالي مائتي مليون في وحدات العملة السويدية، وتشمل الشاحنات ومواد المواصلات والخشب المستعمل في البناء ومنتجات مصنعة متنوعة. أما مستوردات السويد من المغرب فتبلغ حوالي 209 مليون سيك SEK (عام 2000)، وتشمل الحوامض والخضر وغيرها من المنتجات الفلاحية. وللأوساط السويدية اهتمام كبير بقضية الصحراء المغربية.

وفي ميدان محاربة داء السيدا تمول الوكالة السويدية الدولية للتنمية عدداً من المشاريع بالمغرب.

ومما تجدر الإشارة إليه أن سفيراً سابقاً للسويد بالمغرب وهو كنوت محمد برنسترومKnut Mohamed Bernstroem قد اعتنق الإسلام عندما كان يزاول مهامه بالمغرب، ولكنه كتم إسلامه إلى أن تقاعد عام 1983. وقد نشر عام 2000 أول ترجمة للقرآن إلى اللغة السويدية الحديثة، وتلقى من الحكومة السويدية معونة قدرها 58000 دولار بقصد نشر ترجمته للقرآن في 900 صفحة.

علي نجيب

**السويدي، رحيمي** مقاوم، ولد سنة 1932 بصبوية أيت باعمران إقليم تزنيت.

انخرط في صفوف جيش التحرير بمنطقة أيت باعمران منذ سنة 1956 ضمن المقاطعة الحادية عشرة بمركز گولمين تحت إمرة قاضي ملال. وقد عمل بكل اخلاص وشجاعة إلى جانب اخوانه المجاهدين حيث خاض معارك ضارية ضد الاستعمار الإسباني تسببت في إعاقته إلى أن لبى داعي به. بسيدي إفني يوم 28 / 7 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504101.

**السويدي، أبو زيان** عريف بن يحيى بن عثمان من سويد أحد بطون زغبة من عرب بني هلال. وهو أمير سويد وشيخها، كان له حضور متميز في البلاط المريني خلال حكم كل من أبي سعيد عثمان وأبي الحسن علي وأبي عنان فارس. فمنذ أن نشب خلاف بين عرب بني هلال وصاحب تلمسان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو (718 / 1318 ـ 737 / 1337) نزع عريف وعشيرته إلى بني مرين وأصبحوا من شيعتهم، واتصل بالسلطان المريني أبي سعيد سنة 720 / 1320 وقربه إليه وأكرمه وجعله من جلسائه وخاصته. وبعد وفاة أبي سعيد اتخذه خليفته أبو الحسن بطانة له وكان منه "بمنزلة الصاحب والخليل الذي تسقط معه مؤونة التكلف في الغالب" (*المسند*، 367). وكان أبو الحسن "لا يصدر أمراً إلا وله فيه معرفة، فكان مولانا لا يخفي عنه من أموره القليلة والجليلة شيئاً" (*المسند*، 368). ولذلك أصبح عريف من أبرز رجالات المخزن المريني وأكثرهم مصدراً للثقة وأحسن من يكلف بالمهام الصعاب.

عندما أصهر السلطان أبو الحسن إلى السلطان الحفصي أبي بكر أبي يحيى (718 / 1318 ـ 747 / 1346) في إحدى بناته المسماة عزونة، بعث في ذلك عريف بن يحيى مع وفد من رجالات دولته ونجح في خطبتها للسلطان المريني وزفها إليه سنة 746 / 1345. كما بعثه سنة 738 / 1338 في سفارة إلى سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون ضمن وفد من خواص أبي الحسن وكبار دولته يحملون هدية عظيمة ونسخة من المصحف الكريم كتبها بخط يده ليوقفها بالحرم الشريف بمكة. لم يقتصر دور عريف على السفارة إلى إفريقية ومصر والأندلس بل شارك أيضاً إلى جانب مخدومه في حصار تلمسان سنة 737 / 1337 ثم في حملته على إفريقية سنة 749 / 1348، كما تكلف بقمع بعض الثورات التي قامت ضد أبي الحسن كثورة ابن هيدور.

استمر أبو زيان عريف في ولائه وخدمة ملوك فاس إلى أن وافته المنية سنة 755 / 1354 بسلا وهو بصحبة السلطان أبي عنان ودفن بشالة إلى جانب قبر السلطان أبي الحسن.

ونظراً لأهمية هذه العلاقة الحميمية بين عريف وسلاطين بني مرين المذكورين حظي أولاده أيضاً بمكانة متميزة خاصة ونزمار الذي خلف والده على إمارة بدو زغبة ثم أبو بكر ومحمد. ولأولاد عريف هؤلاء قصة مع المؤرخ ابن خلدون الذي يذكر أنه لجأ إليهم وأقام بينهم في قلعة ابن سلامة وسكن بالضبط في قصر أبي بكر مدة أربعة أعوام يكتب مقدمته المشهورة.

*ملعبة الكفيف الزرهوني*، تح. محمد بن شريفة، الرباط، 1987، ص. 97 ـ 99 ـ 126 ـ 133 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1985 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، ج 6، وج 7 ؛ *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً*

وغرباً (ضمن كتاب *العبر*، الجزء 7، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، الجزائر، 1903، ج 2) ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، مصر، د. ت، ج 8 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، بيروت، د. ت. ج 2 : ص. 454 ؛ الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، تح. محمد ماضور، تونس، 1966، ص. 64 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ص.2، الدار البيضاء، 1954، ج 3 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ط. 2 : 1997، ج 9 : ص. 40 ـ 41 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1979، ص. 146 ـ 156 ـ 158.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*. Paris. 1986.

رشيد السلامي

**السويدي، عميرة** بن محمد مقاوم ولد سنة 1934 بالساقية الحمراء انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956، فكان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله، نشيطا في عمله قوي الإيمان معروفا بغيرته الوطنية متفان في الجهاد من أجل استرجاع ما تبقى من أرض وطنه.

شارك في جميع المعارك منذ التحاقه بصفوف جيش التحرير إلى أن استشهد سنة 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*؛ بطاقة مقاوم رقم 501839.

**السويدي، ونزمار** بن عريف أبو يعقوب. يمكن الحديث عنه من خلال موقفين متكاملين يعبران عن قوة شخصيته وأهمية مكانته، هما على الخصوص الجانبان العسكري والسياسي :

الدور العسكري للشيخ ونزمار : برز الدور العسكري لقبيلة سويد تحت زعامة شيخها ونزمار في خدمة الدولة المرينية بسبب ما كان يثير ضدها أعداء الدولة خاصة بني زيان من صعوبات : ـ فقد عقد السلطان أبو الحسن في أول عهده للشيخ ونزمار على قبيلة من سويد وبني مالك وجعل له رئاسة البدو حيث كانوا من أعماله" لمواجهة بني عبد الواد وحلفائهم واستعداداً لحصار تلمسان التي كانت تثير المشاكل للسلطان أبي الحسن بدعم أخيه المتمرّد عليه في سجلماسة واستقبال المتمرّدين على السلطة ؛ هذا بينما كان أبوه عريف ملازماً لمجلس السلطان أبي الحسن ؛ فكان ونزمار يكلّف بمهام عسكرية نيابة عن أبيه، ومن ذلك تكليفه بمحاربة بني عامر ـ لانحيازهم إلى بني زيان بعد انحياز عريف وقومه سويد إلى جانب المرينيين منذ أيام السلطان أبي سعيد، في الوقت الذي كان أبوه عريف يقيم في المنصورة مع السلطان أبي الحسن ويتحرك معه خارجها لتفقّد أحوال جيشه المحاصر لتلمسان، هذا الحصار الذي استمرّ فيما بين سنوات 735 و737 (*العبر*، 7 : 353 ـ 540).

ـ وبعد حادثة القيروان وتحرك بني عبد الواد سنة 749 غربا لاستعادة إمارتهم واجههم ونزمار بن عريف في قومه من سويد وقبيلتي الحارث وحصين من أجل إعادة تلمسان إلى الطاعة، وكان معه في هذه الحركة الناصر بن السلطان أبي الحسن، غير أن الجيش المريني تعرض للهزيمة (*العبر*، 7 : 588 ؛ *بغية الرواد*، 1 : 236) ؛ وعلى إثرها التحق شيخ سويد عريف بن يحيى بالمغرب، وكان غير راغب في البقاء بإفريقية تاركا ابنه ونزمار بجانب السلطان أبي الحسن (*العبر*، 7 : 246).

ـ عند نزول أبي الحسن بالجزائر أوائل سنة 751 بعد كارثة الأسطول عمل ونزمار على تجميع القبائل لنصرته فالتفت حوله قبائل توجين والعطاف والديالم وحصين ... (*بغية الرواد*، 1 : 243) ؛ غير أن أبا عنان أرسل من فاس دعما إلى بني زيان ليتمكنوا من منع أبيه من الوصول إلى المغرب، فكان لقاء أبي الحسن بهم في معركة شلف التي انهزم فيها وفقد ابنه الناصر في المعركة ؛ فسار مع سويد إلى مواطنهم قبلة جبل ونشريس ثم إلى جبل راشد ومنه إلى سجلماسة ومعه ونزمار "حيث ارتحل معه بالناجعة من قومه" (*العبر*، 7: 594)، بينما عاد أمير بني زيان بالغنائم التي جمعها من معسكر أبي الحسن إلى تلمسان فدخلها في مفتتح شوال 751 (*بغية الرواد*، ص. 244).

ـ رحب أهل سجلماسة بالسلطان أبي الحسن غير أن ابنه أبا عنان جهز نحوه جيشا لا طاقة له به، "فأجفل عنه ونزمار وليه في قومه سويد بعدما هدد أبو عنان أباه عريف بن يحيى وأخاه عنتر، فآثر ونزمار رضى أبيه فلحق بالزاب" إلى أن انضم إلى أبي عنان فيما بعد (*العبر*، 7 : 594).

ـ عاد عريف بن يحيى إلى المغرب في الفترة بين حادثة القيروان والحادثة البحرية لأسباب لانعرفها واكتفى ابن خلدون بقوله إنه كره المقام في إفريقية، ويظهر أن الأسباب تتعلق بتوزيع المواقف بينه وبين ابنه موازاة مع توزيع الوضع السياسي بين أبي الحسن وابنه أبي عنان ضمانا لمستقبل وضع قبيلة سويد، فبينما كان عريف في المغرب قريبا من أبي عنان، كان ابنه في إفريقية ثم المغرب الأوسط يجمع الأنصار حول أبي الحسن خاصة في منطقة الجزائر، ثم رأيناه يشارك معه في معركة شلف، ويتحرك معه إلى سجلماسة، إلى أن يئس من انتصار أبي الحسن، فانسحب نحو الشرق بدعوى أنه لا يريد مخالفة موقف والده المهدد من أبي عنان ؛ وتغير الموقف بعد موت أبي الحسن سنة 752 وصفا الجو لأبي عنان، حيث جدد ونزمار ارتباطه به وهو في المغرب الأوسط يستكمل فتحه.

ـ وبعد فرار الأمير أبي ثابت قائد جيش تلمسان شرقا، تتبع فلوله السويديون بزعامة ونزمار وبعض أنصار المرينيين وهزموا بني عبد الواد في أحواز الجزائر، وبعد أن تم القبض على زعيمهم من طرف أمير بجاية الحفصي سلمه لونزمار الذي جاء به إلى أبي عنان فقتله (*بغية الرواد*، 1 : 246 ـ 247 ؛ *العبر*، 7 : 599 ـ 600).

ـ بعد موت أبي عنان استقر ونزمار بقومه في منطقة أگرسيف واتخذ هذه المدينة مكانا له، وكان موقفه الداعم

للدولة المرينية يجعله عرضة لهجمات بني زيان كلما أمكنتهم الفرصة خاصة وأنهم يشعرون بتضييق هذه العصبية عليهم من الغرب ومن الشرق، فقد كانت منطقة حوض شلف وما شرقها حيث عصبية سويد وأحلافها بما فيها مدينة الجزائر تحافظ على ارتباطها بالمرينيين وتستنجد بهم ضد بني زيان مما جعل أمير هؤلاء يشن سنة 770 حملة خربت جهاتهم وخاصة "قلعة ابن سلامة بما كانت أحسن أوطانهم" والقبض على زعيمهم هناك محمد بن عريف، فالتجأ أخوه الأكبر أبو بكر (وهو أصغر من ونزمار) إلى المغرب ببني مالك أجمعهم من أحياء سويد والديالم والعطاف واستقروا ببسائط ملوية طالبين الغوث من السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز بواسطة ونزمار، (وكان السلطان أبو فارس اكتشف مراسلات بين عامر الهنتاتي الثائر بمنطقة مراكش وبني زيان)، فوجه حملة كان طليعتها سويد بقيادة ونزمار انتهت بإعادة فتح تلمسان أول سنة 772 فبقي بها السلطان المريني إلى وفاته سنة 774 (*العبر*، 7 : 274 ـ 275 ـ 7 : 682).

ـ خلال انشغال السلطان أبي العباس أحمد المريني بحصار مراكش حيث الأمير عبد الرحمن هاجم أبو حمو صاحب تلمسان الثغور الشرقية حتى تازة، فحرك الشيخ ونزمار عرب الأحلاف المعقليين معه لدعم الوزير المستخلف على فاس علي بن مهدي العسكري، فلما تمكن السلطان من فتح مراكش تراجع الزياني نحو تلمسان بعد أن خرب قصر مرادة الذي ابتناه ونزمار في نواحي بطوية، ثم تحرك السلطان نحو تلمسان ومعه ونزمار مع قومه سويد ففتح تلمسان 785، وهذا ما دفع ابن الأحمر لتوجيه أمير مريني منافس تمكن من دخول فاس في غياب أبي العباس وهو موسى بن أبي عنان (*العبر*، 7 : 727).

أما بالنسبة لتلمسان فقد استعاد السلطان أبو العباس فتحها سنة 791 مدعما لابن أميرها الثائر على أبيه فنصبه في الإمارة مبايعا للسلطان المريني (العبر، 7 : 757 ـ 758)، واستمرت تبعية تلمسان بشكل مباشر أو غير مباشر حتى نهاية العقد الأول من القرن اللاحق (9) على الأقل أي إلى حين انهيار الوضع المريني الذي أدى إلى سقوط سبتة وبداية الضغط الأجنبي على السواحل المغربية.

* الدور السياسي لونزمار :

وصفه ابن مرزوق بـ "الشيخ الفاضل الأصيل الماجد الذي خلف والده وأحيى طريقته .. كان إذا قدم [على مجلس السلطان] يخلي له والده العشيات، فيقوم مقامه، ويجري حسن الوساطة وجميل الطريقة على ما عهد من أبيه بل زاد سراوة ومكارم، وله في الخدمة المرضية الأعمال التي لا تداني والفعلات التي قصر عنها كثير من فضلاء الأوائل" (*المسند*، ص. 246) ؛ وصفه ابن الخطيب عندما دعاه وقومه ـ باسم سلطانه ـ إلى الجهاد في الأندلس بـ "الشيخ الأمير الزاهد الصالح" (*نفاضة*).

سار ونزمار بعد وفاة أبيه على سيرته مع السلطان أبي عنان مدعما له في حركاته ومناهضا لخصومه إلى أن توفي هذا آخر سنة 759، ووقع انقسام داخل البيت المريني الحاكم واستبد الوزراء على السلاطين فانصرف ونزمار مؤقتا إلى المغرب الأوسط بعد أن حاول أمير تلمسان استمالته وتغيير موقفه من قبائل سويد في المغرب الأوسط المعادية بشكل شبه دائم لأمير تلمسان، فأقطعه قلعة ابن سلامة وجباية المنطقة حولها "فأصبحت بطون توجين كلها خولا لسويد وعبيدا لجبايتهم ..." (*العبر*، 7 : 282 ـ 283).

غير أن ونزمار لم يلبث أن ارتبط بالسلطة المرينية فكان خير ناصح وأحسن وسيط في المهام التوفيقية والسياسية الناجحة التي تخدم غالبا السلطة المركزية وتحث على تجنب العصيان، خاصة في فترة ضعف السلطة المركزية، وقد اكتسب الكثير من خصال أبيه في هذا الباب، فمن مواقفه الحسنة :

ـ أنه ساهم خلال سنة 763 في تقليل التوتر بين السلطة المركزية بفاس وكل من أبي ثابت عامر شيخ هنتاتة المدعم لأحد الأمراء المرينيين بمراكش، وكذا أبناء الأمير عبد الحليم (ابن عمر المعروف بصاحب سجلماسة الذي تمرد بها على أبيه أبي سعيد ثم على أخيه أبي الحسن)، فحاول أبناء عبد الحليم مزاحمة سلطان فاس فيما قرب منها كتازة ومكناسة مدعمين من طرف أمير تلمسان. (*نفاضة*، 3 : 69 ـ 70 ؛ *الغرب الإسلامي* ـ دراسة تاريخية، ص. 189 ـ 191) (مرقونة).

ـ ثم توسط ونزمار بين الوزير عمر بن عبد الله والأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ـ من أحفاد عمر صاحب سجلماسة المذكور ـ المتمرد بمنطقة دبدو طالبا الاستعانة بقبائلها، وإقناعه مع وزيره ابن ماساي المحرض له على التمرد بتخليهما عن الفتنة وتوجههما للجهاد بالأندلس، فانتقلا إليها في أول سنة 767 (*العبر*، 668 ـ 669 ؛ *الغرب الإسلامي*، ص. 192 ـ 193، دراسة تاريخية، مرقونة).

ـ وفي سنة 776 بعد استقرار السلطان أبي العباس أحمد بفاس أراد التقرب إلى سلطان غرناطة الذي ساعده على تولي العرش فأغرى وزيره محمد بن عثمان على قتل ابن الخطيب في معتقله بفاس، ثم وجه الشيخ ونزمار مع الوزير المذكور رسولين عنه إلى ابن الأحمر سنة 778 (*العبر*، 7 : 711).

وعندما تمرد الوزير المخلوع أبو بكر بن غازي سنة 779 مدعما من أمير تلمسان وعرب الأحلاف المعقليين حتى وصل إلى تازة، ثم تراجع أمام جيش السلطان، تدخل ونزمار لإقناعه بالتوقف عن التمرد، فاستجاب لنصيحته (*العبر*، 7 : 712 ـ 713).

وخلال إبعاد السلطان أبي العباس إلى الأندلس بعد الانقلاب عليه، ثم حدوث انقلاب آخر ضد الوزير محمد بن عثمان وسلطانه، حاول هذا الوزير اللجوء إلى ونزمار لحمايته، فرفض تجنبا لإثارة المشاكل مع سلطان فاس الجديد

وحفاظا على الوحدة كما نجده يحرص عليها عادة (*العبر*، 7: 733).

- ولما أعيد أبو العباس إلى السلطنة وجد في ونزمار خير معين في المهام التوفيقية رغم أنه دعم أبا العباس في حركته هذه نحو فاس - من ذلك أنه توسط بين أبي العباس المذكور وهو محاصر للبلد الجديد وبين الوزير مسعود بن ماساي المتحصن داخله، فحصل على الأمان من السلطان أبي العباس بواسطته وسلم البلد الجديد (رمضان 789).

توفي ونزمار بعد سنة 789 / 1387.

م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر، 1981؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، الدار البيضاء، 1989 ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد*، الجزائر، 1980 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1956، ج.6.

أحمد عزاوي

**السوير** (أد نوفاس) موقع أثري يعود للقرن الثاني الميلادي عُثر به على آثار رومانية وذلك في الضفة اليسرى لوادي الخروب، في بلاد بني عروس، على بعد 41 كلم من مدينة طنجة.

إن تطابق المسافات والأهمية الزراعية لهذه المنطقة الآهلة بالسكان منذ القديم تجعل من المنطقي أن نوطن المحطة الرومانية "Ad Novas" بهده النقطة والتي من الممكن أن تكون محطة وسطى بين طنجة والقصر الكبير (أو بيدوم نوڤوم).

M. Euzennat, *Les voies romaines du Maroc dans l'itinéraire d'Antonin, Mélanges A. Grenier*, II, p. 602 - 603 ; Ch. Tissot, *Géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, p. 299-300 ; T. Garcia Figueras, *La ignognita del valle del jarub : las ruinas romanas de suiar, I. Congreso arqueologico del Marruecos Español*, Tetouan, 1953, p. 331-335.

عبد العزيز بلفايدة

**سويسرا** والمغرب. أو الاتحاد التعاهدي السويسري La Confédération hélvétique جمهورية اتحادية تأسست في القرن الثالث عشر سنة 1291 وتكونت بالتدريج إلى أن أصبحت تتألف من ثلاث وعشرين مقاطعة أو محافظة Canton لكل واحدة منها استقلالها الذاتي. يحدد الدستور الفدرالي واجبات وصلاحيات الاتحاد بينما يترك للمقاطعات السيطرة التامة على أهم الشؤون، ويحقق بذلك أسلوباً فريداً من الديمقراطية المباشرة. يرتكز الدستور السويسري على ثلاثة مبادئ أساسية : المبدأ الديمقراطي حيث يعتبر الشعب صاحب السلطة العليا، والمبدأ الاتحادي ويكرس الدولة الكونفيدرالية التي تتمتع بصلاحيات خارجة عن صلاحيات المقاطعات، والمبدأ الليبيرالي الذي يضمن حقوق الفرد وحرياته.

يتجسم النظام السياسي السويسري في مجلسين منتخبين : الجمعية الاتحادية (بمثابة مجلس النواب) ومجلس الدولة (بمثابة مجلس الشيوخ) ومن مجلس الاتحاد (الحكومة) ؛ ينتخب رئيس الدولة من بين أعضائه بصفة دورية لمدة سنة واحدة. ومن الخصائص الهامة للنظام السياسي السويسري ممارسته للديمقراطية مباشرة. فالمواطن السويسري يحق له التدخل في شؤون الدولة مباشرة حيث تخضع القوانين والقرارات الاتحادية ذات الأهمية العامة للتصويت الشعبي La votation والاستفتاء Le référendum لتعديل الدستور حسب شروط معينة.

يعتبر الحياد ركيزة للسياسة الخارجية السويسرية منذ القرن السابع عشر، فلم تشارك في الحربين العالميتين ولم تنضم لهيئة الأمم المتحدة وإن كانت تعتبر عضواً مراقباً فيها. ويحتضن كانطون جنيف المكتب الأوروبي للمنظمة العالمية وأغلب اللجان المختصة التابعة لها وتنعقد بها المؤتمرات الدولية التي تمس الحاجة إليها وكثيراً ما يقع الاختيار عليها.

هذه المواصفات أهلت سويسرا لاحتلال مركز خاص في السياسة الدولية، وجعلت الدول تكثف تمثيلها على الصعيدين الثنائي والدولي.

وقد سارع المغرب منذ الاستقلال في أواخر سنة 1955 إلى اعتماد سفارة بعاصمة الكونفيدرالية السويسرية وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها، وتعيين سفارة في أوائل الستينيات بالمكتب الأوروبي لهيئة الأمم المتحدة. وكلتا السفارتين تعتبران من الأهمية بمكان بارز، كما يعتبر المغاربة الذين تعاقبوا عليهما من المقام الرفيع وعياً من المسؤولين بأهمية سويسرا في حد ذاتها وكمركز مراقبة هام من الوجهتين السياسية والدبلوماسية.

يضاف إلى هذا وذاك أن جنيف تتوفر على تمثيل لجامعة الدول العربية ومكتب إعلامي تابع له. ولما طلب من الحكومة المغربية أن تسهم بأحد سفرائها في التمثيل الخارجي للجامعة عينت أحد المواطنين مندوباً دائماً ورئيساً لمكتب الجامعة في جينف. وكان ذلك في أواخر الستينيات، وقد أدى المكتب خدمة متميزة في حرب الستة أيام بوجه خاص (يونيو 1967).

ومما يجدر التذكير به أن سويسرا وجنيف بالأخص لعبت دوراً إعلامياً متميزاً بالنسبة للعرب بعد الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918 وفي عهد عصبة الأمم، وكذلك أثناء النضال المغربي والأزمة الفرنسية - المغربية (1930 - 1944) ويطول الحديث عن هذه الفترة وعن النضال الذي قام به القادة العرب دفاعاً عن حرية بلادهم. من بين هؤلاء الشيخ محمد عبده، مصطفى كامل، محمد فريد، رياض الصلح، جميل مردم، إحسان الجابري، خير الدين الزركلي، محمد باش حامبا، وبالأخص شكيب أرسلان. كلهم استقروا بسويسرا بعض الوقت لمكافحة الاستعمار الذي كان في أوج طغيانه بعد إبرام معاهدة سايس - بيكو الفرنسية الانجليزية عام 1916 ووعد بلفور 1914. ومن بين العديد من الاصدارات التي نشرها أولئك المهاجرون *مجلة مغرب*، الجزائر، تونس،

المغــرب، طرابلس" "Algérie, Tunisie, Maroc, Tripoli" التي كان يصدرها محمد باش حامبا التركي الأصل التونسي مقراً وكفاحاً.

لكن أمير البيان شكيب أرسلان هو الذي كان له الفضل الكبير في الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي والانجليزي في المشرق والمغرب حيث اتخذ جنيف مركز عصبة الأمم مقراً له وأصدر صحيفة *الأمة العربية* التي أصبحت لسان حال الحركات التحريرية في الثلاثينيات وخلفت "مجلة مغرب" الآنفة الذكر ومجلة "La tribune d'Orient" منبر الشرق" التي كان يصدرها علي الغاياتي المصري. كانت *الأمة العربية* لسان حال الوفد السوري ـ الفلسطيني لدى عصبة الأمم في الأصل، لكن الأمير شكيب أرسلان سخرها في سبيل تحرير العالم العربي كافة وخص صفحات كثيرة منها في الدفاع عن المغرب بعد ما اتصل بقادة الحركة الوطنية، إذ ذاك الحاج أحمد بلافريج، الزعيم علال الفاسي، الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني، الأستاذ محمد الفاسي وكان يعتبرهم من أبنائه الروحيين. وقد أبلى الأمير شكيب أرسلان البلاء الحسن في سبيل الدفاع عن القضية المغربية إلى أن وافاه الأجل.

خير الدين الزركلي، *الأعلام*، بيروت، 19 ؛ مختار الوكيل، *جنيف والسياسة الدولية* ؛ روجي باسكيي، *سويسرا بين يديك* ؛ أنطوان فلوري، *الحركة القومية في جونيف* ؛ ق. الزهيري، *جنيف والعالم العربي*.

قاسم الزهيري

**السويسن**، آلة موسيقية من ذوات الأوتار، وهو أصغر أنواع الفرخ بعد آلتي الهجهوج والكنبري.

يستخدم هذه الآلة أصحاب طرب الملحون، ويطلقون عليها، أحيانا السويسدي أو الفريخ.

والسويسن عبارة عن قطعة من خشب على شكل إحاطة يحفر جزؤها الأسفل في وسطه، فتصبح على شكل الرباب، ثم تلف بقطعة من الجلد وعلى وجه الجلد يوضع وتران ممتدان من الحمّار إلى أعلى العنق، وهما مشدودان على نغمتي الرمل (صول) والذيل (ضو).

ويتم العزف على السويسن بواسطة مضراب كالريشة يمسك بالسبابة والابهام، وهو ما يعرف بالسطعة.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

**السويسي**، أسرة رباطية عريقة يقال إن أصلها من الساقية الحمراء، برز فيها عدة شخصيات خلال القرن الثالث عشر (19 م) على الخصوص وابتداءً من عهد السلطان مولاي سليمان. وإليهم ينسب الحي الأرستوقراطي بضاحية مدينة الرباط.

**السويسي، أحمد**، تولّى عمالة الرباط سنة 1318 / 1900. وعندما احتل الجيش الفرنسي مدينة الدار البيضاء ظهر رد فعل سكان الرباط ـ كغيرهم من المغاربة ـ الذين أرادوا تفجير غضبهم ضد الأوربيين القاطنين بالمدينة مما جعل هؤلاء يخافون على أنفسهم ويحتمون بالقائد أحمد السويسي، ونظراً لوجوده في موقع المسؤولية لم يجد بدا من حماية هؤلاء الأوربيين الذين أقام أمام أبواب دورهم الحراس.

قتل أحمد السويسي في المعركة التي جرت بين السلطان مولاي عبد العزيز وأخيه مولاي عبد الحفيظ سنة 1326 / 1908. وحمل إلى الرباط ودفن بمقابر سيدي الخطاب.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 289، ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 191.

Mission scientifique du Maroc, *Villes et Tribus du Maroc. Rabat et sa région*. V.I, p. 11.

**السويسي، عبد السلام** بن محمد الرباطي، ولي عمالة الرباط بعد والده المتوفى سنة 1855. وقد حقق أطول مدة في العمالة حيث عمل مع ثلاثة سلاطين وهم مولاي عبد الرحمن وسيدي محمد بن عبد الرحمان ومولاي الحسن. وكان السلطان الأخير يسند إليه النظر في تعيين الأمناء بالمراسي.

توجه سفيراً إلى مدريد عام 1294 ومعه العالم علي دينية ككاتب خاص له، بقي في العمالة مدة تقرب من ثلاثين سنة إلى أن توفي عام 1302 / 1885.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 210، ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 114.

**السويسي، عبد الله** ولد بالرباط حوالي سنة 1909، وبها درس وتعاطى في شبابه لتجارة الزرابي في شارع القناصل. وكان يستعين به بعض كبار تجار الزرابي ليقوم بالعمليات الحسابية التي تخص تجارتهم.

شارك في الحركة الوطنية وبعد الاستقلال التحق بوزارة الداخلية وعين قائداً بالمقاطعة الأولى بالرباط. ثم أصبح مديراً لديوان عامل الرباط. وفي سنة 1975 أحيل على التقاعد، وألف كتاب *تاريخ رباط الفتح* الذي نشر سنة 1979. اهتم فيه بتطور المدينة منذ تأسيسها وذكر مظاهرها الاجتماعية وعادات سكانها ومآثرها العمرانية وأشهر عائلاتها ورجالاتها. وجاء في تقديم ناشر الكتاب : "فقد اطلع المؤلف على كثير مما كتب عن الرباط وأفاد منه، ثم أضاف من معلوماته الخاصة الشيء الكثير مما عرفه كرباطي صميم من عادات اجتماعية تكاد تنقرض، ومعالم عمرانية تتغير أو توشك أن تختفي. وسجل بأمانة ما عاين في مسقط رأسه ـ كرجل سلطة ـ من تغييرات إدارية، وأنظمة مستحدثة، واحصاءات مدققة، فجاء كتابه هذا موفيا بغرض الافادة عن تاريخ رباط الفتح في القديم الحديث. وفي خزانته عدد من وثائق أسرة السويسي وهي عبارة عن ظهائر تعيين أجداده العمال ومراسلات مخزنية.

توفي يوم الثلاثاء 29 رمضان 1421 / 26 دجنبر 2000 ودفن بالرباط.

ع. الله السويسي نفسه، *تاريخ رباط الفتح*، الرباط، 1979 ؛ *وثائق عائلية ومعرفة شخصية*.

عبد الإله الفاسي

**السويسي، عبد النبي** عينه السلطان مولاي عبد الحفيظ قائداً على الرباط بعد وفاة أخيه أحمد سابق الترجمة، غير أنه لم يستمر سوى سنة واحدة حيث انتهت مدة ولايته سنة 1327 / 1909، ليعوّض بشخص من أسرة أخرى هو الصديق برگاش الذي كان خليفة للعامل.

ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 141.

عبد الإله الفاسي

**السويسي، علال** بن التهامي بن القائد المحجوب. ولد بمكناس حوالي عام 1344 / 1925، ونشأ في بيئة موسيقية منذ طفولته، فأحب الموسيقى وولع بها، كان والده التهامي من حفاظ الملحون، يمارس العزف على الكنبري بمعية الفقيه المدرر الشيخ المحجوب الملقب بـ "بوگنيبر"، كما كان عمه الحاج عبد القادر وجده من والدته الحسين الغريسي من رواد الزاوية العلمية.

أخذ علال السويسي عن هؤلاء، كما تعلم العزف على العود، ثم استبدل به الكمنجة بتشجيع من شيخ الملحون بنعيسى الدراز، وأصبح منذ الأربعينيات متفرداً بالعزف على هذه الآلة بين أشياخ الملحون، وخاصة بعد وفاة أقطابها يومئذ بمكناس : محمد بن الحسن، وسيدي المدني بلكورة، وفتح دادة، ومحمد الرزمة.

من رجال الملحون الذين عاشرهم السويسي في شبابه : عازفو الكنبري : الجيلالي التوروكي، والتهامي التوروگي، وبنعيسى الكدار، ومحمد الريفي. ومنهم الشيخ محمد الوانجلي المنشد وضارب الهندقة، ومحمد بن عمرو ضارب الطرّ والتعريجة، والمنشد عازف الكمان مَحمد الخياطي، والگراح المتميز الشيخ المحجوب الملقب "بوحمارة".

ويذكر السويسي أن عدد عازفي الكمنجة في أجواق الملحون كان قليلا، ثم تكاثر بعد الاستقلال، كما يذكر أن شيخ الملحون كان يستقبل في أبواب الدور بالزغاريد احتفاء به وتكريما له.

ومن شيخات الملحون بمكناس اللواتي عرفهن السويسي أيضاً : الشيخة الوشام، والشيخة بنت هاشم، والشيخة الإدريسية، وكن يستخدمن التعريجة في مصاحبة الإنشاد.

التحق السويسي منذ السبعينيات بجوق الحسين التولالي، فكان عمدته في العزف على الكمنجة، وشارك إلى جانبه في إنجاز الأشرطة التي سجلها بدار الإذاعة الوطنية أو في الاستوديوهات الخاصة، كما شارك في جل الرحلات والجولات الفنية التي قام بها داخل الوطن وخارجه.

توفي علال السويسي بمكناس يوم الاثنين 14 الثاني عام 1421 / 17 يوليوز 2000.

بطاقة شخصية من انجازي.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**السويسي، محمد الرباطي**، ذكره الضعيف عندما حكى التمرد الذي قاده أهل الرباط والخرازون منهم على الخصوص على عاملهم الحاج عبد الرحمان عشعاش التطواني. وانضاف العوام وعدد من الأطفال إلى الخرازين وتبعوا العامل ورموه بالحجارة فاضطر السلطان مولاي سليمان إلى استبدال عشعاش بالحاج محمد السويسي سنة 1226 / 1811 الذي بقي في الخطة إلى 19 ربيع 1 عام 1229/ 11 مارس 1814.

الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري، ص. 392، الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 111.

**السويسي، محمد بن القائد محمد** ولي عمالة الرباط بعد أخيه عبد السلام وبقي عاملا أربع عشرة سنة من 1302 إلى 1317 / 1885 إلى 1899. عثر محمد بن علي دينية على رسالة كان وجهها له العالم عمر عاشور يعزيه بها في أخيه المتوفى ونعلم منها الاحترام والتقدير اللذين كانا يشملان القائدين المتوفى والجديد خصوصا وأن الرسالة هي خطاب عالم له وزنه الكبير. وقدم له فيها نصائح ووصايا دينية وأخلاقية لممارسة مهنته.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 210، ع. الاله الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 141.

**السويسي، محمد** بن **محمد** تولى عمالة الرباط قبل 1244 / 1829، وبقي فيها أكثر من 15 سنة إلى أن ثار عليه أهل الرباط وعزله أعيانها بزعامة محمد بن الطاهر الزبدي الذي حل محله سنة 1261 / 1845.

أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج 9، ص. 55، ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 114.

عبد الإله الفاسي

**سويطونيوس بولينوس** Caïus Suetonius Paulinus والمغرب القديم. هو قائد روماني شهير وصفته المصادر القديمة بالقائد النزيه الرزين المتزن. شارك في العديد من الحروب الإفريقية في العقد الرابع من القرن الأول للميلاد والحروب البيزنطية خلال العقد السادس من نفس القرن.

اعتقد الكثير من الباحثين خطأ أن روما كلفته ما بين سنتي 41 و44 م بمحاربة الزعيم الموري ايدمون الذي ثار في موريطانيا الغربية عقب اغتيال بطليموس ملك موريطانيا آنذاك، على غرار تكليفها خلفه هوزيديوس جيتا Hosidius

Geta بنفس المهمة. إلا أن دقة الأبحاث التاريخية التي اهتمت بوضعية المغرب القديم بعد اغتيال الملك بطليموس سنة 40 م أوضحت أن القادة الرومان الذين تصدوا لمحاربة إيدمون هم Marcus Valerius Severus وMarcus Licinius Crassus Frugi .

تقلد سويطونيوس في حياته السياسية والعسكرية عدة مناصب سامية، منها منصب بريتور Préteur حسب ديون كاسيوس ؛ ومنها منصب القنصل حسب ما أورده بليونس، وأكده تاكيتوس مضيفا أن ذلك كان سنة 66 م بمعية لوكيوس تليسينوس Luccius Telisinus ؛ ومنها كذلك أنه كان حاكما لولاية بريطانيا مدة ثلاث سنوات ما بين سنة 59 وسنة 61 م، وأنه استطاع خلال هذه المدة أن يسحق العديد من الثورات المحلية هناك.

تجمع العديد من الأبحاث واعتماداً على نصوص مصدرية لبلينوس الشيخ وديون كاسيوس أن سويطونيوس انطلق من غرب موريطانيا القيصرية إلى ما وراء الأطلس الكبير ليشن غارات ضد موريي شرق المغرب آنذاك سالكا طريقه عبر تلمسان وسبدو وعين بني مطهر وتندرارة وسهل تاملالت، وعين الشعير عند سفح شرق الأطلس الكبير، على امتداد ثلاثمائة كيلومتر بمعدل ثلاثين كيلومترا في اليوم وتعدى الأطلس الكبير بجيوشه بعد ذلك إلى وادي كير Ger بضواحي بوعنان وعين الشواطر، وربما دخل تافيلالت نفسها. والراجح أن كايوس سويطونيوس بولينوس كان في حملته هاته يحارب حلفا موريا يضم قبائل الباكواطيين والمكنيتيين برآسة زعيم ذكرته المصادر باسم Salabos سالابوس.

م. اللبار، *دور المغرب الشرقي في عرقلة الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية*، مجلة جمعية *تاريخ المغرب*، العدد الأول، السنة الأولى، سلسلة جديدة، يونيو، 1993، ص. 24 ؛ *حول مقاومة المغرب للأهداف التوسعية الرومانية خلال منتصف القرن الأول للميلاد*، الأعمال المهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، الرباط، 2000 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، دوسلان، الجزائر، 1857، طبعة منقحة، باريز، 1956 ؛ إ. بوطالب، وبوغالب العطار، *سبتة ومليلية، تاريخ وواقع*، الدار البيضاء، 1981.

J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1948 ; F. De la Chappelle, *L'expédition de Suetonius Paulinus dans le sud est du Maroc, Hesp*, T. XIX, 1934 ; Dion Cassius, *Histoire romaine*, LX, 9, 1 - 6 ; Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, Livre V, 14 - 15 ; Tacite, *Les Annales*, Livres I - XVI ; *Vita Agricolae* ; Vivien De Saint Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine. Etude historique et géographique*, 1863 ; *Carte topographique du Maroc au 1/500.000, Feuille d'Oujda*, Paris, 1954 ; P. Ricard, *Maroc, les Guides Bleus*, Paris, 1948 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; *Index de topographie antique du Maroc*, Paris, 1938 ; C. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878.

محمد اللبار

**السياحة بالمغرب**، كانت تعتبر نشاطا ثانويا لا يساهم فيه سوى نخبة من الأثرياء، لكن بعد التحولات الاجتماعية والحضارية لمنتصف القرن العشرين، التي حولت الشعوب إلى مجتمعات استهلاكية، صارت في متناول كل شخص واكتست أهمية اقتصادية عالمية إذ صارت من أهم صادرات العالم وتحولت إلى سياحة جماهيرية، فعرفت أنشطتها توسعا مذهلا وتزايد أعداد السواح بوتائر عالية.

تحظى السياحة في المغرب اليوم بأهمية كبرى نظراً للدور الذي تلعبه في التنمية من خلال مساهمتها في التشغيل وإعداد المجال وتنشيط قطاعات اقتصادية كثيرة. وقد حققت تطوراً كبيراً بفضل مؤهلات المغرب الذي يتميز بتنوع تضاريسه ومناظره، فهناك السواحل الممتدة على طول 2.936 كلم تختلف إمكانياتها السياحية، فالسواحل المتوسطية : 512 كم يغلب عليها الأجراف والصخور لكن يوجد بينها سواحل رملية ضيقة تتميز بجماليتها ودفئها وهدوء مياه بحرها. وتتسع الشواطئ الرملية كثيراً على الساحل الأطلنتيكي 2.422 كلم لكنها تعرف عوائق كهبوب الرياح وبرودة المياه وقوة الموج ووجود سواحل صخرية أو أحزمة تلال رملية قديمة متصلبة أو حديثة متحركة يصل ارتفاع بعضها إلى 80 م كما نجد بالساحل بين العرائش وسلا وأحيانا أشرطة رملية واسعة يصل عرضها إلى 3 كم بين الصويرة ومصب واد تنسيفت. كما تنتشر بها الأجراف العالية خاصة بالجنوب، لكن هناك شواطئ محمية من هذه السلبيات أفضلها شواطئ أگادير والجديدة والصويرة المحمية بخلجان أو جزر، والسواحل المنخفضة المنحصرة بين المهدية والجديدة. لكن كل السواحل المغربية تتميز بكثرة الأيام المشمسة 210 - 270 يوما في السنة ولا تنزل حرارتها الدنيا عن 16 درجة وتظل مرتفعة في خليج أگادير مما يسمح بالسباحة طول السنة.

وهناك مجالات جبلية واسعة غنية بتنوع مناظرها، تتجاوز مساحتها 100.000 كم2 تضم 350 قمة + 3.000 م وثماني قمم تزيد عن 4.000 م تكثر بها أودية جبلية رطبة وشلالات وبحيرات طبيعية واصطناعية وغابات متنوعة الأشجار، تغطي قممها وهضيباتها العالية الثلوج عدة أشهر في السنة، توفر مجالات غنية لممارسة أنشطة سياحية ورياضية.

وتمثل المناظر الصحراوية بيئة فريدة من نوعها تجتذب بآفاقها الواسعة ومناظرها ودفئها ونوعية عمرانها هواة كثير من الأوروبيين وغيرهم. كما تقدم الطرق والمسالك الجبلية الوعرة والصحراوية بصعوباتها وأخطارها المثيرة نموذجا آخر لأنشطة سياحية ورياضية يتزايد محبوها باستمرار لتنظيم رحلات على دراجات نارية وسيارات متنوعة. كما أن الطريق الصحراوي سواء الداخلي أو الساحلي الرابط بين المغرب الشمالي وإفريقيا الغربية، يَعِد ببرامج سياحية رياضية مهمة

مستقبلا، وقد صار ميدانا مفضلا للرالي الشتوي : باريس - دكار.

يزخر المغرب بتراث حضاري عريق يتجلى غناه في النقوش الحجرية بالجبال ومآثر الحضارات الفينيقية والقرطاجية والرومانية، والتراث المغربي الإسلامي الذي يغني الكثير من المدن العريقة، أضيف إليه مخلفات فترة الحماية من مآثر ومنشآت عمرانية وثقافية واقتصادية عديدة. وهناك مظاهر حضارية أخرى تستهوي السيّاح تتجلى في تحف الصناعة التقليدية والفنون الشعبية وكثرة الأسواق الريفية والمواسم والمهرجانات السياحية وتنوع العادات والتقاليد التي تذكر البعض بجو ألف ليلة وليلة، بالإضافة إلى منشآت ترفيهية جديدة كملاعب الكولف والكازينوهات والمسابح وغابات الصيد السياحي...

ومع هذا يجب التحفظ من المؤهلات السياحية لأنها ليست هي العامل الأساسي في إنجاح المشروع إذ يرجع أساسا إلى العلاقات السياسية الدولية بين الدولة المستقبلة والدولة الباعثة للسياح، كما أن الاستقرار الاجتماعي والسياسي ووعي السكان يلعب دوره في جلب السياح وكذلك العلاقات التاريخية، واللغوية. كعلاقة الدول المستعمرة بمستعمراتها السابقة حيث خلفت أجيال مستعمريها السابقين بصماتهم العمرانية والاقتصادية والثقافية. لكن الذي يلعب الدور الحاسم هو خطط الشركات السياحية التي غالبا ما تكون تابعة لشركات النقل الجوي أو شركات فندقية فهي التي تخلق الجو السياحي وتروج له وتكيف أذواق السياح وتضطر الدولة المستقبلة لتلبية هذا الذوق وتكييف بنية الاستقبال والخدمات والترفيه لتستجيب له. فالمنتوج السياحي يدخل في الصادرات يستهلك من أجانب لكن يجب على المستهلك أن ينتقل إلى داخل البلد لاستهلاكه، ومن أمثلة ذلك ادعاء نادي البحر البحر الأبيض المتوسط خلق الإنتاج السياحي : أكادير، وجلب السياح للإقامة بمركبه هناك، غير أن الواقع يثبت أن أكادير استفادت كذلك في انطلاقتها من إسقاطات السياحة الأوروبية نحو جزر كناريا.

تنقسم السياحة من حيث المضمون إلى قسمين :

- سياحة دولية : تحظى باهتمام الدول النامية لأنها تجلب العملة الصعبة، تفترض وجود مناطق إرسال خارج المغرب تنطلق منها فئات لها من الدخل ما يمكنها من التجول خارج مجال استقرارها الأصلي. وتلعب الوضعية الجغرافية والاقتصادية دوراً في تحديد نوعية السياحة واختيار السياح، كقرب المغرب من أوروبا الغربية التي تكون أهم مصدر للسياح في العالم إذ يمكن للسائح أن يصل إليه عن طريق السيارة بالإضافة إلى الجو والبحر، وهنا تتجسد علاقات التبعية شمال - جنوب، فالتجهيزات السياحية الجديدة موجهة لخدمة الأجانب مقابل عملة صعبة يحتاجها المغرب لدفع تكاليف مشترياته من الخارج. فسياحة المغرب تدخل في إطار العلاقات بين المركز والهامش، فجل السياح يأتون من بلاد بعيدة مما يتطلب وسائل مهمة تكون غالبا بين أيدي شركات الدول الباعثة. فالمبادرة هي غالبا بيد شركات سياحية وطنية أو متعددة الجنسية، فالسائح يثق ويرتاح لشركته الوطنية وأحيانا يكون زبونا مخلصا لها كأعضاء نادي البحر المتوسط، ويصبح المشكل أكثر حدة كلما ابتعد البلد الباعث للسياح حيث تصبح المبادرة كليا بيد شركاته السياحية المهتمة بالإشهار وبيع التذاكر كما يحدث في دول اسكندفانيا وألمانيا. وهكذا يشكل المغرب في إطار السياحة الدولية منطقة استقبال بالدرجة الأولى، يساعد انخفاض أسعار الخدمات والفنادق والنقل وبالتالي رخص الرحلات على جلب زبناء معظمهم من الفئات المتوسطة والمتقاعدين والشبان غير النشيطين.

ورغم وقوعه بمنطقة سياحية عالمية، فإن له منافسين أقوياء يتوفرون على مؤهلات وبنية سياحية أفضل، مثل إسبانيا وإيطاليا واليونان ومصر وتونس. كما أن التيار السياحي المعاصر يتجه من بلدان متقدمة إلى بلدان متقدمة أخرى توفر للسائح ظروفا مادية أفضل وحرية أكبر مثل الولايات المتحدة بالنسبة لليابانيين والأوروبيين، وبحر الكرايب وجزر المحيط الهادي والهندي بل الصين وجنوب شرق آسيا وكذلك أوروبا الشرقية التي انفتحت مؤخراً وتحتاج إلى عملة صعبة، بحيث لا يحظى حوض البحرالمتوسط إلا بحوالي 5٪ من السياحة الدولية والمغرب 0.38٪ (1999) ويلاحظ أنه أضاع مرتبته السياحية الأولى على مستوى إفريقيا بعد 1988 لصالح مصر وتونس التي استقبلت 5 مليون سائح. إن نصيب السياحة بكل الدول النامية لا يتجاوز 10٪ من السياحة العالمية وغالبا ما يزورها السائح للوقوف على خصائصها الحضارية ومظاهر تخلفها مرة واحدة، كما يلاحظ أن الكثير من دول إفريقيا والشرق الأوسط تعرف وتائر نمو سياحي يبلغ 15٪ تفوق مثيلتها بالمغرب. ويعرف هذا النشاط من آن لأخر أزمات خطيرة تهدد بتوقفه لانعكاساتها السلبية مثل حرب الخليج 1990 - 1991 أو تدهور العلاقات مع إسبانيا أو فرنسا، ومؤخراً انعكاس أحداث 11 شتنبر 2001 بأمريكا، مما يؤدي إلى إلغاء كثير من الرحلات المبرمجة بالمغرب.

ويلاحظ أن سياحة المغرب بدأ يغلب عليها طابع سياحة البحر والشمس بعد أن كانت سابقا تتسم بطابع الجولات الاستكشافية والثقافية والاستجمام، فأغلبية السياح صاروا يأتون من نفس المجموعات الدولية والاجتماعية في إطار رحلات منظمة جماعية، لهم أهداف وتصرفات متشابهة فحوالي 76٪ منهم يطلبون ثلاثية S : الشمس والبحر والرمال 15٪ تجتذبهم المناطق الصحراوية و11٪ الجبال. فجل التجهيزات الجديدة تتجه للسواحل حتى المشاريع التي تنجز ضمن "قانون الإطار" الجديد لإنعاش السياحة المتفق عليه بين الحكومة المغربية والكونفدرالية العامة للمقاولات المغربية، ورفع قدرة الاستقبال بالمغرب سنة 2010 إلى 10

ملايين سائح، تركز على إعداد شواطئ جديدة وتوسيع المنشآت السياحية بالسواحل الجنوبية خاصة خليج أگادير بالسعيدية وخميس الساحل والحوزية والصويرة وتاغزوت وگلميم.

لم تكن الطاقة الإيوائية عند الاستقلال تتجاوز 200 فندق و7.300 سرير، وظل هذا العدد يتزايد إلى أن وصل إلى 461 فندقا مصنفا بطاقة 74.383 سريراً سنة 1980 وبلغ في 1 / 1 / 2000 : 568 فندقا مصنفا و39 إقامة سياحية و26 قرية سياحية طاقتها 93.383 سريراً منها 14،25٪ تعود لفنادق 5 نجوم و27،15٪ لفنادق 4 نجوم حيث يبيت 45٪ من الأوربيين و20،33٪ لفنادق 3 أنجم و9،25 لنفادق 2 أنجم و6,63٪ لفنادق نجمة واحدة. يضاف إلى هذا حوالي 20.000 سرير بفنادق غير مصنفة وعدد متزايد من المخيمات ومركبات الاستجمام ذات الطابع الاجتماعي تملكها مؤسسات عمومية وشبه عمومية والأندية الرياضية بالإضافة إلى الإقامات الثانوية الخاصة، كما تنتشر بالمناطق الجبلية مآو تابعة لهيآت رياضية وسياحية وغرف المبيت لدى السكان المحليين. وكان المسؤولون بالمغرب يعملون على رفع الطاقة الإيوائية إلى 100.000 سرير بالفنادق المصنفة سنة 1992 لكن ذلك لم يتحقق حتى في سنة 2000. ويتوقع "قانون الإطار" استثمار 30 مليار دهـ 70٪ منها بالسواحل وإضافة بناء 80.000 غرفة إلى غاية سنة 2010.

توزيع التجهيزات والمجالات السياحية :بعد أن كانت معظم المنشآت مركزة في مثلث طنجة إفران الجديدة، فإنها عرفت خلال العقود الأخيرة توزيعا تميز بالدفع بالسياحة نحو السواحل والجنوب، كما ظهرت مجالات سياحية جديدة كالواحات والمراكز الجبلية. وأصبحت أگادير هي قطب السياحة المغربية إذ ارتفعت طاقتها الإيوائية إلى 187. 21 سرير و76 فندقا، وظهرت بها فنادق كبيرة : 1.000 سرير، وتمثل اليوم حوالي 25٪ من الطاقة الإيوائية بالمغرب مقابل 6,8٪ سنة 1964 بعد أن عرفت انفجاراً سياحياً في عقدي السبعينيات والثمانينيات. ولهذا تعزز دور المنطقة الجنوبية الساحلية التي ستعرف أهمية أكبر بعد إنجاز مشاريع خليج أگادير حيث يتوقع إنشاء خمس وحدات سياحية على طول 100 كلم بين رأس گير ومصب واد ماسة، يساهم في هذا المشروع شركات أجنبية وأبناك ومنظمات تنموية عالمية. وهذا يعزز سياحة الإقامة الشاطئية، ومع ذلك مازالت أگادير بعيدة عن حيوية جزر كناريا التي يزورها سنويا 15 مليون سائح. كما بدأت تظهر مراكز أخرى بأقصى الجنوب مثل العيون : 8 فنادق و619 سرير وتارودانت 5 فنادق و745 سرير، وبهذا يكون نصيب جهة سوس ماسة درعة أو الجنوب الكبير الساحلي والداخلي 28.580 سرير تمثل 3،60٪.

كما عرفت المنطقة المتوسطية نمواً متوسطاً وتمديداً نحو الشرق إلى السعيدية وظهرت بها أقطاب جديدة كالحسيمة وواد لاو وبساحل تطوان، يتركز خاصة في طنجة : 7.050 سرير بـ 38 فندقا مصنفا، وتطوان 4.213 سرير و22 فندقا وبالحسيمة 2.146 سرير بـ 10 فنادق تعززت بنادي البحر المتوسط : 1.200 سرير تنتشر منشآته فوق 90 هكتاراً. وبهذا تكون الطاقة الإيوائية للشمال : العرائش طنجة الحسيمة 15,66٪. ويلاحظ أن إقبال الأجانب على الساحل المتوسطي يتزايد بوتيرة أقل مما في الجنوب رغم قربه من قطب سياحي دولي هو إسبانيا حيث يمكن الدخول معها في برامج للاستفادة من ثروتها السياحية. ويلاحظ أن طنجة فقدت الكثير من أهميتها كباب للمغرب السياحي بعد تراجع أعداد السياح القادمين على سياراتهم عبر المضيق إذ صار جلهم يحلون بمطارات المراكز التي اختاروها كأگادير ومراكش، إلا أن هذا الفراغ بدأ يسده السياح العرب والجزائريون والمغاربة المهاجرون خاصة العائدون إلى بلدهم على سياراتهم. وكذلك السياح الوطنيون القادمون من مختلف مدن المغرب مثل مراكش والدار البيضاء وفاس الذين يتزايدون بوتائر كبيرة للاصطياف وللاستفادة من تجارة الأسواق شبه الحرة بالشمال.

يلاحظ تقلص نسبي للسياحة الأجنبية بالشاطئ الأطلسي بين طنجة والصويرة، رغم محافظة المدن الكبيرة على بنية فندقية مهمة كالدارالبيضاء : 7.809 سرير بـ 50 فندقا والرباط 3.714 سرير في 25 فندقا والجديدة 648 سرير في 7 فنادق. لكن تعرف هذه المنطقة توسعا كبيراً للإقامات الخاصة والقرى السياحية ومخيمات رسمية أو تلقائية. وتضم منطقة الوسط الأطلسي ما بين القنيطرة والصويرة 17,43٪ من الطاقة الإيوائية تستأثر الدار البيضاء بـ 53,52٪ منها.

ومن المناطق التي عرفت نمواً سياحياً كبيراً منطقة الجنوب الداخلي خاصة مراكش : 18.007 سرير بـ 72 فندقا مصنفا ويوجد بها فندق اللوكس فوق التصنيف هو المامونية و8 فنادق من فئة 5 أنجم و15 من فئة 4 أنجم و15 فندقاً من فئة 3 أنجم. وتبلغ الطاقة الإيوائية بجهة مراكش تانسيفت الحوز 10.013 سرير أي 20,36٪. يلاحظ اتجاه عام نحو الفنادق الكبرى التي تتسع لمآت السياح خاصة بالمناطق التي تسودها سياحة الإقامة كأگادير والحسيمة أو سياحة المؤتمرات والأعمال كمراكش والدار البيضاء، فجل الفنادق الجديدة بأگادير تتسع لأكثر من 400 سائح لتستجيب للسياحة الجماعية إذ يجب أن يتسع الفندق لحمولة طائرة كبيرة على الأقل، فالفنادق تتجه نحو الضخامة، ففي 1964 كان معدل حجم الفنادق المصنفة 80 سريراً وارتفع إلى 131 سنة 1978 ثم وصل 164،40 سنة 1999. ويبلغ معدلها في أگادير 214،88 بعد إنشاء فنادق كبرى تتسع لأكثر من 1.000 سرير مثل "الموگار"، لكن مراكز سياحة العبور لا تزال فنادقها صغيرة.

ونظراً لموسمية هذا النشاط فإن معدل استهلاك الطاقة الإيوائية السنوية يبلغ 63٪ لكن الطلب يتميز بعدم المرونة إذ يتكدس في قمة الموسم مما يجعل الطاقة الإيوائية غير كافية.

ويلاحظ أن عدد الأسرة الحقيقي الموجه للسياحة خاصة الوطنية يفوق كثيراً هذا العدد بعدة أضعاف إذا ما أدخل في الاعتبار الفنادق غير المصنفة والمخيمات، والاقتناء المتزايد للإقامات الثانوية وكراء منازل وغرف بالأحياء الشعبية وتخصيص بعض الأحياء الجامعية وداخليات بعض المدارس العليا والمنشآت الخصوصية الموجهة لاصطياف العاملين بها.

ويلاحظ أن معظم التجهيزات السياحية مازالت ترتبط بالمدن وذلك على ثلاثة مستويات :

- اندماج المجال السياحي داخل المجال الحضري كما في بعض الأحياء بالدار البيضاء ومراكش وأگادير، مما يطرح منافسة بين المجالين السكني والسياحي، ويوجه جزءا من ميزانية البلدية لفائدة السياح.

- توطين المنشآت السياحية بضواحي المدن كما في طنجة وحي المشتى بمراكش لكنه يطرح مشاكل عند توسيع المدينة.

- استقرارها بعيداً عن المجال الحضري كما هو الحال في محطات الساحل المتوسطي بين مارتيل وسبتة ومنطقة النخيل بضفاف تانسيفت قرب مراكش أو بالأطلس الكبير. وهذا يطرح مشكل سكن عمال الفنادق، ويتسبب في استلاب الريفيين إذ تغري أجوره المرتفعة والسهلة نسبيا الشباب بترك العمل الزراعي، وسلب مساحات زراعية ومياه.

النقل السياحي :

يشمل الاهتمام بالسياحة جانبا آخر هو النقل وما يرتبط به من تأمين وحوادث ... فعلى المستوى الداخلي طور المغرب النقل البري بتوسيع شبكة الطرق السيارة وترصيف المزيد من الطرق وإصلاحها وكذلك النقل الحديدي والبحري والجوي، ويقدم قروضا وتشجيعات لاقتناء عربات النقل المريحة وتكوين شركات السيارات والجيبات 4 × 4 للقيام بجولات حضرية وريفية. وفيما يخص النقل البحري ازداد عدد البواخر التي تنقل الركاب والسيارات عبر المضيق من الخزيرات وموانئ جنوب إسبانيا وفرنسا إلى طنجة والناظور والدار البيضاء زيادة على سبتة وتستأثر بحوالي 50٪ من حركة عبور المضيق، كما بني عدد من موانئ اليخوت خاصة بالساحل المتوسطي بين مارتيل وسبتة. وحقق النقل الجوي أكبر تقدم وذلك بتوسيع المطارات وتجهيزها وتوسيع نشاط الخطوط الجوية الملكية التي تقوم بتكثيف الرحلات مع البلاد الموفدة للسياح، إلا أن الشركات العالمية تلعب دوراً مهماً في نقل السياح من بلدها إذ تمتلك وكالات الأسفار وفنادق وتنظم حملات الإشهار وبيع التذاكر.

في سنة 1999 تم دخول السياح الأجانب عبر الطرق التالية :

- الطريق البري 17,6٪ منها 16,1 من باب سبتة و0,3٪ من بني نصار قرب مليلية أما محطة زوج بغال قرب وجدة فقد تراجعت كثيراً بسبب إغلاق الحدود وسجلت مساهمتها 19٪ سنة 1989.

- الطريق الجوي : 46,8٪ منها 18,9 بمطار محمد الخامس بالدار البيضاء و11,5 بمطار مراكش المنارة و9,6 بمطار أگادير المسيرة و2,3 بمطار طنجة و0,8 بمطار الرباط سلا و0,5٪ بمطار فاس سايس. ويأتي حوالي نصف السياح إلى المغرب على طائرات شارطر مكتراة خصيصاً لرحلة جماعية.

الطريق البحري : 36,2٪ منها بطنجة و0,3٪ بالدار البيضاء. أما حركة سبتة فلا تدخل حاليا ضمن الإحصاءات المغربية.

نمو الحركة السياحية :

حقق تزايد السياح وتائر نمو كبيرة لكنها دون الطموحات الوطنية التي كانت تتوقع استقبال 10 مليون سائح سنة 2000. لقد تزايد عددهم بالفعل من 189.236 سنة 1962 إلى 2.350.895 سنة 1999 وإذا ما أضيف إليهم المهاجرون المغاربة وسياح الرحلات البحرية يصل العدد إلى 4.095.256. حقق تزايد السياح قفزة كبيرة خلال عقدي الستينيات والسبعينيات حيث تضاعف 11 مرة بين 1961 و1973 إلا أن هذه الزيادة ليست منتظمة إذ تتبع منحنى منشاريا، تتراجع في بعض السنوات بسبب أزمات سياسية أو اجتماعية أو خلاف مع شركات سياحية...

ولإعطاء السياحة دفعة قوية عقد في مطلع سنة 2001 مؤتمر بمراكش لدراسة مشاكلها وأبعادها وأصدرت السلطات المختصة "قانون إطار" جديد لإنعاش الاستثمارات السياحية أملا في استقبال 10 ملايين سائح سنة 2010.

تعرف بنية السياح تحولا نوعيا في السنوات الأخيرة إذ بدأت نسبة الأوروبيين تتراجع نسبيا وتتزايد نسبة سياح الدول العربية وأمريكا الشمالية وجنسيات أخرى، لكن مازالت أوروبا الغربية تعتبر أكبر باعث للسياح بنسبة 82,83٪. ومازال السياح الفرنسيون يحتلون المرتبة الأولى 1999 :

1 - الفرنسيون 811.805 سائح يمثلون 34,53٪ من المجموع.

2 - إسبانيون 255.333 سائح يمثلون 10,86٪.

3 - ألمانيون 228.620 سائح يمثلون 8,62٪.

4 - إنجليز 134.635 سائح يمثلون 5,72٪.

5 - بلجيكيون 88.443 سائح يمثلون 3,76٪.

6 - هولنديون 82.122 سائح يمثلون 3,49٪.

مازال السائح الفرنسي هو الزبون التقليدي، وقد عرف المغرب قبل عهد السياحة الجماهيرية، ويفسر ذلك بالعلاقات التاريخية وبتنقل القرى السياحية والأندية الفرنسية مثل نادي البحر الأبيض المتوسط. وللسائح الفرنسي تصرفات خاصة فهو يمارس سياحة عبور وإقامة وسياحة ثقافية. ويعتبر أهم زبناء مراكش + 60٪ ولوحظ أن بعضهم تربطهم علاقات عاطفية بالمغرب كمولد بعض أفراد أسرهم خلال الحماية أو من اليهود المغاربة الذين استوطنوا فرنسا وغيرها ولبعضهم علاقات عائلية مع المغاربة كما يأتي بعضهم كرجال أعمال ومتعاونين. تبلغ عندهم نسبة إعادة زيارة المغرب أعلاها 40٪ سنة 1995.

يمثل السائح الألماني نموذج سياح شمال أوربا، تتزايد أعدادهم بنسب كبيرة يقومون بأسفار جماعية تهيمن عليها شركات قوية تفرض نموذجا هو سياحة الإقامة بالشواطئ، يعتبرون أهم زبناء أگادير، يتوزع قدومهم على طول السنة خاصة في الشتاء، يفضلون الابتعاد عن السكان إلى آفاق رحبة مشمسة.

برزت أهمية السياح الإسبان والإيطاليين في السنوات الأخيرة لتفتح بلدانهم على المغرب والعمل على تمتين العلاقات الاقتصادية معه، يغريهم انخفاض الأسعار النسبي، تجتذب الإسبان سياحة إقامة بالشمال ويصلون في تنقلاتهم جنوبا إلى الدار البيضاء بل مراكش وتوبكال إذ تعتبر نواديهم الجبلية من زبنائه الرسميين، كما يقبل الإيطاليون على زيارة العواصم التاريخية.

يتذبذب عدد السياح الأمريكيين الشماليين من سنة لأخرى وإن كان يعرف نسبة نمو لا بأس بها إذ بلغ عدد الأمريكيين 129.707 سائح والكنديين 30.686 سائح يأتي 90٪ منهم من أوربا، وسياحتهم ثقافية أكثر مما هي ترفيهية إذ يرغب الكثير منهم في وضع قدمه بإفريقيا.

أما السياح العرب فقد تراجع عددهم بسبب إغلاق الحدود الجزائرية فتراجع عدد الجزائريين من حوالي مليون سائح إلى 17.965. ويبلغ عدد سياح المغرب العربي الكبير 60.368 منهم 28.193 تونسيا و9.235 ليبيا. أما سياح الدول العربية بالشرق الأوسط فقد بلغ عددهم 69.648 منهم 32.891 سعوديا و12.277 مصريا و2.617 كويتيا. يأتي معظمهم لقضاء عطلات ترفيهية بالمدن الكبرى خاصة طنجة والدار البيضاء وأگادير حيث يجدون وسائل الترفيه والمتعة التي يفتقدونها في بلدانهم.

وقد أبعد إحصاء المغاربة العاملين بالخارج ضمن السياح إذ يقيمون في منازل لدى عائلاتهم وليس بالفنادق. وسياح الرحلات البحرية الذين يتوقفون ببعض الموانئ فإنهم يحصون على حدة إذ يبيتون بيخوتهم وقد يقضون في المدينة الشاطئية بضع ساعات أو أيام لكنهم يتبضعون منها، بلغ عددهم 271.274. ولتشجيع هذا النشاط أنشأ المغرب عدداً من الموانئ الترفيهية لهؤلاء السياح بطنجة وتمارة وأگادير، لكن أهمها يوجد بالساحل المتوسطي بجنوب سبتة. ويلاحظ أن 80٪ من السياح رجال نصفهم من الأطر الإدارية العليا والمتوسطة والربع من ذوي المهن الحرة. 70٪ منهم متوسطو الاعمار 40 سنة و10٪ شيوخ (دراسة لوزارة السياحة 1995).

لقد أنجز كل هؤلاء السياح 13.063.800 مبيتة سنة 1999 بزيادة 9٪ عن سنة 1998 منها 35,73٪ بمنطقة الجنوب الساحلي و27,47٪ بالمنطقة الجنوبية الوسطى حيث مراكش و14,48٪ بالمنطقة الوسطى حيث الدار البيضاء والرباط و7,85٪ بالمنطقة الوسطى الشمالية، و8,84٪ بالساحل المتوسطي و4,09٪ بالجنوب الصحراوي الكبير. ويقدر معدل إقامة السائح في المغرب بـ 5.55 أيام سنة 1986 (بمراكش 3،1 أيام وبأگادير 8،3). وهي تتجه نحو تمديد أكبر إذ بلغت 11 يوما سنة 1995. ويلاحظ أن القسم الأكبر من السياح يزور المغرب بين مارس وشتنبر لكن بالنسبة للجنوب: أگادير مراكش ورزازات، تتم أغلب الزيارات في الشتاء والربيع بين أكتوبر وماي وهذا ما يدل على أن الشمس والشاطئ هما اللذان يجتذبان السياح.

وأما السياحة الجبلية فتحظى بجاذبية خاصة إذ تبدو الجبال المغربية بغاباتها ووديانها وقممها المكللة بالثلوج كجزر من الخضرة والرطوبة بين سهول شبه جافة، اشتهرت منذ القديم بجاذبية صيفها بطقسه المعتدل ومياهه الباردة. لذا كانت تجتذب الزوار دائماً للاستجمام والنزهة، كما تجتذب أسواقها ومواسمها أعداداً من الزوار، لكن شتاءها كان فصلا عبوسا تشتد فيه البرودة، وكان ارتياد الجبال عملية صعبة بالنسبة للحضريين. لكن التطور الحديث وانفتاح المناطق الجبلية لمختلف التيارات والمواصلات الحديثة وتطلع الإنسان إلى آفاق جديدة للاستطلاع والترفيه وتعميم الذوق الاستهلاكي الذي جعل من المجالات الواسعة والفارغة ومن البرودة والمنحدرات الصعبة والغابات والوديان والقمم العالية والثلوج النقية التي تعد من النفائس في بلد إفريقي مجاور للصحراء، عنصراً ثمينا للسياحة والرياضات الجبلية خاصة وأن معظم المساحات بقيت مجالا للحياة الطبيعية. ذلك أن تدخل القرويين لإعداد المجالات الفلاحية ظل مقتصراً على مساحات ضئيلة بقعور الأودية والسفوح الدنيا وبعض المراعي. ولما كانت السياحة الجبلية مرتبطة أساسا بالجغرافية فإن المميزات التضاريسية منحتها إمكانيات سياحية ورياضية مهمة، أدرك الأوروبيون الوافدون على المغرب منذ بداية عهد الحماية أهميتها، فمناظر القمم والأودية والغابات والإرث الحضاري الذي ينعكس على القرى والأسواق والملابس والعادات، اجتذب الباحثين والمستكشفين ثم السياح والرياضيين والمستثمرين، فاستثمروا أموالهم وخبراتهم لاستغلال المناجم والغابات وتكوين مزارع حديثة بالأودية والأحواض، وأنشأت السلطات العمومية مراكز إدارية وتجارية وفتحت الطرقات التي عبرت الأودية والفجاج للتنقل والاستطلاع والاستثمار، وأقام بعض الأجانب محطات استراحة على الطرق تطور بعضها إلى مراكز اصطياف واستجمام مثل أسني وويرگان... كما عمل المسؤولون على إنشاء مراكز عمرانية جديدة لاستقبال المصطافين وهواة الرياضة الجبلية مثل إفران وأنشأوا حولها عدداً من محطات التزحلق، كما أنشأوا محطة أوكايمدن للتزحلق، وبتوسع شبكة الطرق الوطنية تم ربط عدد من مدن الدير المشهورة مثل آزرو والحاجب وصفرو والقصيبة ودمنات بتيارات السياحة الحديثة. فظهرت بها فنادق ومنشآت سياحية متنوعة، وهكذا بدأت المجالات السياحية الجبلية تتوسع تدريجيا.

وبنمو مجالات السياحة والرياضات الجبلية تميزت بينها نماذج عديدة أهمها :

- مدن للاصطياف والاستجمام قديمة مثل آزرو وإيموزار والقصيبة أو جديدة مثل إفران ومراكز وادي أوريكا، بنيت بها فنادق وإقامات متنوعة ومخيمات ومنازل للكراء.

- مراكز طرقية للاستراحة والتغذية خاصة بالطرق العابرة للفجاج وطرق الأودية.

- مجالات ريفية واسعة يتم التجول فيها بين القرى والغابات والجبال عبر طرق ومسالك والمبيت بمآو للقرويين غالبا أو مخيمات خفيفة، وغالبا ما تتم الجولات هنا في إطار منظمات متخصصة.

- مجالات جبلية فارغة من السكان تتناول القمم والأودية العليا ينجز رحلاتها هواة صعود القمم والتسلق التقني وتزحلق الأعماق بالسفوح غير المجهزة.

- محطة التزحلق المجهزة مثل أوكايمدن وميشليفن تربطها طرق جيدة بالمدن الكبرى الباعثة لهواتها من الأسر والأطفال والشباب وممارسي رياضة التزحلق.

- محطة البحيرات الاصطناعية والطبيعية لممارسة الرياضات المرتبطة بالمياه : سباحة، قوارب، صيد، وغالبا ما يبيت هواتها بخيامهم الخاصة يقيمونها بمخيمات منظمة أو عشوائية.

وهناك مجالات جبلية احتياطية تتميز بأصالتها وجمالها لكن الإقبال عليها مازال ضعيفا فهي تنتظر دورها عندما تكتظ المجالات السابقة، ذلك أن السياحة الجبلية والبيئية تنفر من الازدحام والتلوث، فمادامت تبحث دوما عن المجالات الطبيعية النقية فإنها متوفرة بمناطق عديدة بالمغرب، مثل كتلة العياشي بالأطلس الكبير الشرقي حيث تبرز قمة جبل العياشي المشرفة على مدينة ميدلت وعلى الحوض الأعلى لوادي ملوية، والريف الأوسط حيث تغطي سلاسل منطقة واسعة تشمل كل شمال المغرب المشرف على البحر المتوسط شمالا كما تشرف على سهل الغرب بتلال مقدمة الريف.

*وثائق متنوعة ودراسات قطاعية لوزارة السياحة*، أفكار حول السياحة المغربية من الجرائد الوطنية خاصة *الاتحاد الإشتراكي والعلم والأحداث المغربية*، *بحوث طلبة السنة الرابعة جغرافية حول السياحة*، كلية الآداب، مراكش ؛ أحمد هوزالي، *التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي*، كلية الآداب، الرباط، 1987 ؛ وزارة التربية الوطنية، *الجغرافية للسنة الثانية ثانوية*، الدار البيضاء، 1989 ؛ وزارة التوقعات الاقتصادية والتخطيط، مديرية الإحصاء، *المغرب في أرقام، 1999*.

J. Dresch et J. Lepiny, *Guide alpin de la montagne marocaine : le massif du Toubkal*, Rabat, 1938 ; Ministère du Tourisme, *Randonnées pédestres dans le massif du Mgoun*, Idéal, Casablanca, 1989 ; *Villes et montagnes marocaines* (guide touristique), Rabat, 1964 ; M. Berriane, *L'espace touristique marocain*, D.E.S. Université de Tours, 1979 ; *Tourisme national et migration de loisirs au Maroc, Etude géographique*, Rabat, 1992 ; *Réflexions à propos du tourisme national*, *Lamalif*, n° 142, janvier 1983; R. Lanquar, *Le tourisme international*, *Paris* ; R. L. et Y. Raynourt, *Le tourisme social*, *Paris* ; *L'Atlas du Maroc : Tourisme international et espace touristique*, notice + carte.

أحمد هوزالي

**السي المُوذّن**، «الكاتب الفقيه، الأديب اللبيب النبيه، الحاذق الإخباري النسابة المؤرخ». بهذا حلاه القادري في *نشر المثاني*، ولم يستحضر اسمه قال : "جرى على ألسنة الناس تعيينه بنسبه". وأهله بنو الموذن من سجلماسة أصبحوا من أعيان قبائل حضور فاس وقدماء سكانها.

كان المترجم شاعراً ناثراً يحسن الانشاء والترسيل، بديع الخط سريع البديهة خفيف الروح ينشئ الكلام اللائق بالمجلس وياتي في الجواب بالعجب العجاب. أراد السلطان المولى الرشيد بن الشريف أن ينسخ كتبا لنفسه، فكان السي الموذن ممن استؤجر لكتابة بعضها، فاستحسن السلطان خطه فاتخذه كاتباً له وصار من جلسائه يُضحكه وينطق بين يديه بمالا يقدر أحد أن ينطق به أمامه، يستشيره السلطان في مهمات الأمور فإذا أشار عليه بأمر كانت عاقبته خيراً.

ولما توفي الرشيد خدم السي الموذن أخاه المولى إسماعيل وتمتع لديه بنفس الحظوة. وأورد القادري نماذج من الخدمات الدينية والسياسية والاجتماعية التي تمت في فاس أيام المولى الرشيد والمولى إسماعيل بواسطة السي الموذن الذي كان يشير على العاهلين بما تقتضيه المصلحة العامة في بعض الأحداث الداخلية بسبب اختلاطه بعامة الناس واطلاعة على الأحوال.

لم يذكر القادري تاريخ وفاة السي الموذن، بالضبط وإنما أورد ترجمته في خاتمة الكتاب ضمن الذين لم يقف على تعيين وفاتهم. ولعله توفي في أواخر عهد المولى إسماعيل حوالي سنة 1135 / 1723.

م. القادري، *نشر المثاني* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 6 : 2272 ـ 2274.

محمد حجي

**سيباستيان، ضون** Don Sebastian ملك البرتغال. ولد بلشبونة يوم 20 يناير 1554 بعد ثمانية عشر يوما من وفاة والده الأمير خوان Juan ابن الملك خوان الثالث Juan III فكان حفيده سيباستيان وارث عرشه الوحيد ؛ وحيث إنه لم يكن له من العمر آنذاك سوى ثلاث سنوات فقد تولت وصاية العرش جدته الملكة كاطالينا دي أو سطريا Catalina de Austria أرملة الملك خوان الثالث وابنة امبراطور قشتالة كارلوس الخامس Carlos V ثم تولى الوصاية على العرش البرتغالي سنة 1562 الأسقف إنريكي Enrique أخ الملك خوان الثالث وذلك إلى غاية يوم 20 يناير حيث بويع سيباستيان ملكا على البرتغال.

تقول المصادر البرتغالية إن سيباستيان تربى في وسط تهيمن عليه روح الكنيسة وبخاصة بعد أن تولى الأسقف إنريكي وصاية العرش ؛ هذا بالإضافة إلى أن الملك الشاب كان له ولوع كبير بمطالعة كتب التاريخ خصوصا منها الكتب المتعلقة بالفتوحات البرتغالية ؛ وكان الأسقف الملازم له

گاسپار ماوريثيو يوهمه بأن الله يريد منه أن يتابع الحرب المقدسة ضد "الكفار" ببلاد المغرب.

وكان سيباستيان يقارن بين ما كانت عليه بلاده من صولة بأرض المغرب حيث كانت تحتل عدة جيوب، وما آلت إليه في زمانه حيث لم تعد البرتغال تمتلك بالشواطئ المغربية سوى ثلاثة مراكز هي : سبتة وطنجة ومازاگان (البريجة) ؛ وحيث إن سيباستيان كان قد تربى وترعرع في جو مفعم بالعداء للإسلام والمسلمين، فقد اعتقد بأنه مطالب ليس فقط باسترجاع مكانة بلاده بأرض المغرب، بل عليه أن يستولي على المملكة المغربية برمتها.

وفي هذا الصدد تقول المصادر البرتغالية إنه منذ سنة 1570 أصبح سيباستيان يستعد لتنظيم حملة صليبية ضد المغرب لم يسبق لها مثيل في تاريخ الفتوحات البرتغالية، حيث "صار يعمل ويخطط بل ولا يعيش إلا من أجل تحقيق حلمه حيث إن فكرة الاستيلاء على المغرب لم تعد تفارقه لحظة واحدة".

وفي 24 غشت حل بسبتة للاطلاع على ما يجرى فيها وظل بها إلى يوم 30 يصطاد الخنزير بأرض أنجرة ؛ ثم توجه إلى طنجة فمكث بها إلى يوم 25 أكتوبر، يقوم يوميا بجولة تفقدية بضواحي المدينة.

ولما علم السلطان المتوكل بالاستعدادات التي كان يقوم بها عمه عبد المالك بالجزائر ؛ اقترح على ملك إسبانيا فيليبي الثاني إبرام حلف دفاعي بين المغرب وقشتالة ضد الأتراك العثمانيين.

وفي يوم 28 يناير 1576 اجتمع مجلس الدولة القشتالية وقرر قبول اقتراح المتوكل وإخبار الملك سيباستيان به قصد انضمامه إلى الحلف المقترح ليكون حلفا ثلاثيا.

وكان لانتصار عبد الملك على المتوكل في معركة الركن ليوم 17 مارس 1576 واستيلائه على فاس حيث تمت مبايعته يوم 31 من نفس الشهر أثر كبير على كل من ملك قشتالة والبرتغال، وأعلن سيباستيان أنه يفضل الاستيلاء على العرائش.

لم يكن فيليبي الثاني يشاطر سيباستيان رأيه في غزو المغرب، وقام بعدة محاولات من أجل أن يقنعه بالتخلي عن ذلك دون جدوى.

وفي يوم 20 نوفمبر 1577 التجأ المتوكل إلى قصبة أسنادة بالريف لكي يكون بالقرب من جزيرة بادس المحتلة من طرف قشتالة ويمكنه اللجوء إليها عند الحاجة. وانتهت سنة 1577 ولا حديث للعامة والخاصة في البلدان الأوربية إلا على الحملة الصليبية التي يستعد لها الملك سيباستيان لغزو المغرب.

وفي يوم 14 يونيو ترأس سيباستيان القداس الذي أقيم بكاتدرائية لشبونة لتلاوة الصك البابوى الذي يبارك الحملة الصليبية ويغفر ذنوب جميع من يشارك فيها.

وفي نفس اليوم ركب سيباستيان السفينة الرئيسية لأسطول الحملة بميناء لشبونة وظل على متنها إلى يوم 25 حيث غادر الأسطول العاصمة البرتغالية وكان يتكون من ألف قطعة بين كبيرة وصغيرة ويرأسه الأميرال بيگو ذي صوثا.

حل سيباستيان بطنجة يوم 7 يوليوز وفي اليوم التالي استقبل المتوكل على ظهر سفينته، فكانت هذه المقابلة الأولى بين الرجلين، فلا صحة لما يؤكد بعض المؤرخين بأن المتوكل كان قد سبق له أن توجه من سبتة إلى لشبونة ؛ وفي يوم 11 يوليوز غادر سيباستيان ميناء طنجة متوجها إلى أصيلا صحبة المتوكل، وفي اجتماع الضباط الذي ترأسه سيباستيان بأصيلا يوم 20 يوليوز تم الاتفاق على احتلال القصر الكبير ثم العرائش لكن معركة وادي المخازن أو تامده Tamida جرت يوم الاثنين 30 جمادى الأولى 986 موافق 4 غشت 1578 وفيها لقي حتفه الملك سيباستيان والسلطان المتوكل المخلوع، وأما السلطان عبد المالك المعتصم فقد وافته المنية أيضا وقت المعركة على إثر مرض ألزمه الفراش.

م. ابن عزوز حكيم، *معلمة معركة وادي المخازن*، تحت الطبع وبها بيبليوغرافيا تحتوي على 605 مصدر ومرجع بجميع اللغات.

محمد ابن عزوز حكيم

**السَّيبة**، حالة عدم الخضوع للحاكم أو التمرد عليه في المغرب. تستعمل كلمة السيبة في عبارات مثل "بلاد السيبة" و"بلاد المخزن" أي البلاد التي لا تنالها أحكام السلطة المركزية (المخزن) والبلاد التي هي تحت مراقبة هذه السلطة. ويتذكر الناس أيام السيبة ويقصدون بها على الخصوص أيام ضعف سلطة الدولة مما جعل بعض القبائل تتحلل من سلطتها، وتجلى ذلك في عدم أداء الضرائب أو عدم الاستجابة لأنواع أخرى من المطالب والفروض أو حتى القيام بأنواع من أعمال الشغب تستهدف على الخصوص القواد والشيوخ المخزنيين. ولا يعني هذا أن القبائل السائبة تبقى

على حالة الفوضى، بل إنها في غالب الأحيان ما تنصب متولين لتسيير أمورها حسب أعرافها، وقد يكون حكمها بالتناوب بين مختارين من الأقسام التي تتكون منها القبيلة السائبة.

ما من شك أن أصل الكلمة في القاموس العربي حيث يعني السائب المهمل ففي معجم *مقاييس اللغة* لابن فارس : السائبة : "العبد يسيب أي يترك في غير ولاء، يضع ماله حيث يشاء". والسيبة باللسان العربي الدارج بالمغرب هي حالة ناس خرجوا من وضع الرعية المنقادين لأمير هو صاحب السلطة المخزنية المركزية.

وقع ترويج مبالغ فيه لكلمة سيبة في الكتابات الأوربية الواصفة لأحوال المغرب في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكانت تعني على العموم الوضعية التي كانت توجد فيها عدة مناطق لم يكن فيها ممثلون مخزنيون يحصلون الجباية لبيت المال ويتولون استنهاض الحركات العسكرية وتنفيذ الأوامر المخزنية بصفة مباشرة. وهذا الغياب راجع إما لانقراض أولئك الممثلين وعدم تجديدهم على يد المخزن أو لانقطاعهم عن الاتصال بالمخزن استضعافا له ولقيام جماعة القبائل باستبدالهم بآخرين عندما يقدرون أن يد السلطة المركزية أضعف من أن تصل إليهم أو طمعا في اغتنام ولو فرصة قصيرة تتنفس فيها الجماعة الصعداء بعد ضغط قد يكون فيه شيوخ مخزنيون من بني جلدتها مستعملين فيه.

غير خاف أن ما يمكن أن نسميه بالحضور المخزني في مختلف مناطق البلاد، ولا سيما في البوادي النائية والجبال الوعرة، كان على امتداد التاريخ حضوراً غير متساو في كثافته ولاتام، وذلك بسبب طبيعة وسائل الدولة في استعمال الإكراه وهذا النقص ليس ظاهرة جديدة في القرن التاسع عشر، ذلك أن نفوذ الدولة كان دوما في تمدد وتقلص حسب عدد من العوامل كقوة شخصية السلطان ومدة حكمه، وظروف الرخاء أو الشدة السائدة في البلاد، وبحسب ما إذا كانت الدولة في بدايتها وعنفوانها أو في طور شيخوختها واضمحلالها، وبالنظر إلى ضغط مشاغلها الخارجية، وتعرضها للتقلبات المناخية أو الكوارث الطبيعية، وتبعا لحكمة الحاكم أو تهوره. وكيفما كان الحال فإن الدولة التي كان لها أكثر من مركز تاريخي واحد كانت تربطها بمختلف نواحي البلاد خيوط تدق كلما ابتعدنا على المركز في فترة من الفترات. ولطالما اضطرت إلى الاكتفاء بالولاء المعنوي من طرف عدد من القبائل أو بهدية موسمية رمزية تكون بمثابة اعتراف بنفوذها وسيادتها غير المنازعة سياسياً من حيث المبدإ. أما المجتمع، ولاسيما في البوادي فله بُناه السياسية المحلية ونظمه الشرعية والعرفية وتقاليده الاجتماعية، ينصب شيوخه أو يقترحهم على المخزن ويحتكم في كثير من نزاعاته إلى عرفائه أو فقهائه أو مرابطيه أو مجالس أعيانه، كما كان يكفل طلبته (مدرسيه) وأئمة مساجده. ومتى عين المخزن قاضياً في بادية واسعة فإنما يحتكم إليه من يريد أن يحتكم أو يستطيع الوصول إليه.

إن من بين ما يميز البنية السياسية للقبائل عن البنية المخزنية هو أن القبائل قد تختار شيوخها لمدة محدودة، مالم يستبد بعضهم، بينما كان المخزن يزكي بعض الأعيان المقترحين في القبائل أو المستبدين بها من الشيوخ فيعينهم عمالا. وإذا لم يتوفروا، ووصل نفوذ المخزن إلى القبائل البعيدة ولا سيما في الجبال، فقد يعين عليها، أشخاصا أجانب من خارجها يسمون حينئذ عمالا أو قواداً، فيكون عليهم أن يحاولوا أن ينتزعوا من المجالس العرفية للجماعات بعض سلطها في التحكيم والتقرير، لأنها في الغالب سلطات مثمرة. أما ما عدا هذا من الأنظمة والشؤون فقلما يتدخل فيه المخزن، لأن هذا الموقف يخفف من أعبائه ويتناسب مع طبيعته، إذ كان يحبّذ ترك الأمور تصرف على عوائدها حتى عندما تتوفر له وسائل التدخل. وما أن تضعف القوة المخزنية في المراكز حتى تنقلب القبائل على حكامها ولا سيما إذا كانوا قد تعسفوا مستنصرين بقوة الدولة، وحينئذ ترجع هذه القبائل إلى نظام الشيوخ المختارين المؤقتين أو نظام العرفاء المسمون في بعض جهات الجنوب بالنفاليس.

ولا شك أن النقطة الحساسة في هذا التمفصل هي الجباية والتسخيرات إذ أن القبائل لا ترفض المخزن مالم يطالبها بأموال وخدمات لاتطيقها، وهي قلما تطيق نظراً لضعف إنتاجها. وإذا اضطرت إلى الرفض فإن شرطة الدولة تخرج إليها في "حركات" قد ينتج عنها الاصطدام. أما إذا كان للمخزن جهاز أسس عاملا على إذلال الرقاب فإنه ما يزال يبتز الأموال ويعتصر الذمم إلى أن يقع الانفجار، وقد تكون وفاة سلطان هي الفرصة المواتية لهذا العصيان الذي يدخل القبائل في حالة "سيبة" فيعود بعضها بوعود السلطان الجديد إلى الطاعة أو يضطر إلى الخروج عنها، وهو ما يستغرق بعض الوقت.

غير أن مسألة الجباية وحدها لا يمكن أن تخفي وجود عناصر ثقافية ونفسية كامنة وراء هذا الصراع، عناصر لا يمكن للمؤرخ أن يتلمسها إلا من خلال نتف إشارات عارضة في الوثائق، ولكنها تنبئ عما كوّن على الدوام مدار التفاهم أو عدم التفاهم بين الحاكمين والمحكومين، بين القبائل على الخصوص وبين المخزن، ذلك أن نفور المحكومين الذي يؤدي إلى الحالة التي يحكم عليها المخزن والموالون له بحالة "السيبة" هو نوع من التعبير على الاعتراض لم يطرح بكيفية واقعية من طرف المنظرين لسلوك المخزن أي الذين يبررونه في جميع حالات العنف ومن هذا القبيل ما نجده من عبارات بعض الكتاب المخزنيين أو المؤرخين أو حتى الفقهاء من الحكم المطلق على القبائل بأنها بطبيعتها فاسدة على الدوام أو مجبولة على العصيان. وهكذا يطرح صراع تاريخي بصيغة الصلاح والفساد. وقد تشبع بهذا المنظور حملة ثقافة الخوف من الفتنة حتى ولو كانوا من صغار الطلبة الكتبة،

فالمنعوتون بالسيبة هم طرا جميع المخالفين على صاحب السلطة مهما كان وبقطع النظر عن الملابسات والدوافع والظروف.

وهكذا فكلمة السيبة لم ترد في المراسلات والوثائق المخزنية لأن استعمالها من باب استعمال تابوات يعد ترويجها إقراراً بواقعيتها. ولكن الكلمة حملت مع الأيام مضامين خوارجية ورفضية حتى إن السكان كانوا يستعملونها في حق أنفسهم فيقولون : "نگا السيبت" أي نحن سائبة أو دخلنا حالة السائبة ولا يعنون بها سوى أنهم صاروا غير محكومين من طرف وال مخزني.

والحقيقة أن كلمة "السائبة" التي تقابل "الرعية" أي الذين لا حاكم عليهم لسبب من الأسباب قد وردت في كتابات الفقهاء النوازليين منذ أواخر العصر المريني. فإذا كان ابن خلدون لم يستعملها فإنه أقر الظاهرة وهو يتحدث في مقدمة تاريخه عن تدرج قوة الحكم في الضعف بقدر الابتعاد عن مركز الدولة. بيد أن الفقهاء المتخصصين قد طرحوا منذ هذا الوقت على الأقل مسألة الإشهاد ومسألة صحة العقود المترتبة عليها ومسألة الحيازة وصحتها في علاقة مع جهات البلاد التي لا تجري فيها الأحكام أي تلك التي ليس فيها ممثل مخزني، قاضياً كان أو عاملاً. وقد وردت كلمة "السياب" أي الذين هم في حالة "السيبة" خمس مرات في تاريخ الدولة السعدية التاگمادرتية" الذي ألفه مجهول في النصف الثاني من القرن السابع عشر لتعني الممتنعين عن الخضوع للسلطان أو العصاة أو المتآمرين أو الثوار وأطلقت حتى على المعتصمين داخل أسوار فاس عندما حاصرها محمد الشيخ السعدي. أما في القرن الثامن عشر فقد استعمل هذا المصطلح فقيه في فرقة كرول من قبيلة إينولتان التي مركزها دمنات اسمه محمد الكيكي (ت. 1185) حيث وضع فتوى تتعلق بحكم الحيازة بعنوان : "مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال"، وقد شرح معنى البلاد السائبة بأنها "البلاد التي تجري فيها الأحكام لشغورها عن الإمام أو لبدء الجور والإهمال في الحكام". ويظهر أن هذا هو التعريف الدقيق لحالة "السيبة" لا كما كان ينظر إليها الفقهاء فحسب بل كما يمكن للمؤرخ أن يستقصي طبيعتها ويوضح الظروف التي تؤدي إليها، فهي ثلاث حالات :

- حالة غياب ممثل للمخزن في حالة قصور المخزن عن تعيين هذا الممثل أو إقراره ؛
- حالة وجود حاكم ولكنه جائر، أي لا يمثل العدل السلطاني ؛
- حالة غياب ممثل للمخزن لأن القبيلة طردته أو استعصت عن قبوله، لتعسفه في غالب الأحيان.

ومنطق الفقيه المشار إليه ومن استند إليهم كيوسف بن عمر الأنفاسي (661 - 761) ومحمد بن إبراهيم التتاني المتوفى عام 942 يقتضي أن تتصور أن الوضع الطبيعي هو أن يكون الناس رعية يرعاهم نائب عن الأمير الشرعي ويقيم فيهم العدل حتى تكون كل عقودهم جارية في شروط صحة وهي شروط الحرية واستبعاد الإكراه وكل أنواع المفسدة المخلة. أما مجالس الجماعات فحتى لو "عدلت" فلا عبرة بها لأنها إنما تحكم بالأعراف، بينما يعتقد هؤلاء الفقهاء أن الطلاب (كتاب العقود) المفتين والمرابطين الذين يرجع إليهم رجال القبائل في شؤونهم يعتبرون غير كفاة مادامت آراؤهم غير معززة بأنواع الزجر والإلزام الذي لا يوفره إلا وجود الحاكم.

يشهد الواقع التاريخي أن القبائل كانت دائما في إحدى هاتين الحالتين، فإما هي متروكة لأمرها وهي "حالة الشغور" نظراً لضعف الجهاز المخزني، وإما هي ثائرة ضد حاكم متعسف أو مهمل وهي "حالة الجور" وفيما عدا هاتين الوضعيتين فالقبائل كانت رعية ولم تكن "سائبة". وعلى كل حال فإن أحداً لا يستطيع أن يتحدث في حالة "السيبة" إلا إذا نظر من مركز حكم في حالة عجز أي أنها إدانة للمخزن قبل أن تكون اتهاما للقبائل. أما إذا نظر من داخل القبائل فأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية لا تتغير إلا بقدر ما تتعرض له من المطالب أو التعسفات. وفي حالة الاعتدال فهي منقادة ومرتبطة بالدولة بخيوط ولاء متعددة. ولهذا السبب نفخت بعض الكتابات الأجنبية كلمة السيبة (قصد الطعن في فعاليات الدولة في أواخر القرن 19 وأوائل القرن 20 في حين أن الانتقادات ذات النزعة الوطنية جاءت ردوداً إنكارية قاطعة، أو بين الحدين (توجد السيبة أو السائبة) أمراً واقعاً كمصطلح له أصله وكوضعية لها جذورها في نمط اقتصاد معين وفي طبيعة دولة لا تتوفر إلا على وسائل هيمنة محدودة. فإذا استبعدت من حقل الدراسة ميول النزعة الاستعمارية المغرضة والوطنية المدافعة بقي على الباحث أن يستقصي في كل زمان حالات السيبة التي تعود إلى قصور في وسائل الدولة وتملص القبائل لامن الطاعة بل من الواجبات المترتبة عليها، وحينئذ ينصرف الاهتمام إلى كشف البنى الذاتية للقبائل وآليات تنظيمها بدون تدخل مباشر للدولة المركزية وأن يستجلي الحالات التي نتجت فيها السيبة عن القيام والانتفاض ضد حكام جائرين أو مهملين، وبهذه الوضعية ترتبط ظاهرة تاريخية أخرى هي ظاهرة الفورات الشعبية التي عرفها المغرب كما عرفتها بلدان أخرى.

م. الكيكي، *مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال*، تح. أ. التوفيق، بيروت، 1997 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن 19 إينولتان*، 1850 - 1912.

De Lachapelle, *La formation du pouvoir monarchique dans les tribus berbères du Haut Atlas Occidental, Hesp.*, T. 8, 3ème et 4ème trim., 1928 ; M. Lahbabi, *Le gouvernement marocain à l'aube du 20ème siècle*, Rabat, 1958 ; Michaux-Bellaire, *L'organisme marocain, R.M.M.*, n° 23 ; R. Montagne, *Les berbères et le makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1932 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, 1830-1912*, Casablanca..

أحمد التوفيق

**سيبيل** (Cybèle) معبودة فريجية دخلت عبادتها إلى روما بعد الأزمة التي عرفتها خلال الحرب البونيقية الثانية أثناء مواجهتها لجيوش حنبعل. اعتبرت عبادتها بمثابة عبادة وطنية وأخذت مكانة هامة، وعلى نطاق واسع طوال فترات تاريخ روما. فما هي المكانة التي حظيت بها في إفريقيا الشمالية وفي المغرب على الخصوص ؟

إن الشواهد الأثرية المتعلقة بعبادتها كثيرة في إفريقيا حيث إنها تغطي هذا المجال من حدوده الشرقية إلى حدوده الغربية أي من لبتس ماگنا في الطرابلسية إلى بناصا في المغرب.

حملت سيبيل لقب "الأم الكبرى" أو "أم الآلهة"، فهي في اعتقادهم أم كل الأشياء التي تمنح الخصوبة وتشرف على عالم الأرواح والأموات.

إنها عادة ما تجسد إلى جانب عشيقها أتيس (Attis) ويبدو أن الإغريق والرومان والفريجيين كانوا يقدسون هذا الأخير في صورة روح للطبيعة وتبدو هذه العلاقة بينهما كذلك من خلال بعض الاهداءات التي تم العثور عليها في مختلف المواقع.

ويبدو أن عبادتها احتفظت في ظل الامبراطورية بمظهرها الرسمي الذي تبنته عند دخولها إلى روما وكان يشرف على ممارسة الطقوس جهاز كهنوتي منظم بالإضافة إلى جمعيات كهنوتية مثل الدندروفورس (Dendrophores) والمتدينين (Religiosi) وجمعية الارشگاليس (Archigales) التي تنحصر مهمتها في إعطاء التعليمات أثناء إقامة الطقوس القربانية.

ومعلوم أن أهم قربان يقدم لسيبيل هو قربان الثور والكبش (Taurobole et Crisbole) وتشير النقائش أيضا إلى بعض اللوازم التي تصاحب الطقوس مثل الكرنوس (Cernos) وهو عبارة عن مزهرية من الفخار تستعمل لاحتواء الأشياء المقدسة.

لقد أقيمت لها معابد في المجال الرسمي للمدينة مثل معبدها في لبتس ماگنا الذي أقيم جنوب الفوروم ومعبد قرطاج الموجود في السفح الشرقي لتل بيرصا ومعبد مكتار في الجهة الشمالية من المدينة.

أما في موريطانيا الطنجية فقد أقيم لها معبد في مدينة بناصا خلال حكم انطونينوس الورع بقرار من المجلس المحلي وعلى نفقة المدينة (IAM, 2, 93) ويمكن أن نستنتج من خلال الشواهد التي عثر عليها في كل من بناصا وقرطاجة أن عبادتها دخلت إلى إفريقيا ابتداء من الفترة الانطونينية لكن يبدو أن الازدهار الذي شهدته العبادة تزامن مع فترة السيويريين (Sévères) وخلاصة القول إن عبادة سيبيل عرفت انتشاراً واسعاً نظراً لكونها أصبحت ربة حامية للامبراطورية وفقدت مقوماتها الشرقية وأصبحت معبودة رسمية.

M. Graillot, *Le culte de Cybèle, mère des Dieux à Rome et dans l'empire romain*, *BEFAR*, 1912 ; *Les dieux tout puissants Cybèle et Attis et leur diffusion dans l'Afrique du Nord*, *R.A.*, I, 1904 ; H. Pavis d'Escurac, *La Magna Mater en Afrique*, *B.A.A.*, VI, 1975-76.

عبد العزيز بل الفايدة

**السيتي** (Saëttie) سفينة من النوع المتوسطي المستعملة منذ القرن الخامس (11 م)، وهي عبارة عن مركب صغير خفيف غير مغطى يصل طوله إلى عشرين متراً، ويتميز بغاطسه الضعيف الذي كان ييسر له الملاحة في الخلجان والمصبات ؛ لكنه منذ القرن العاشر (16 م) عرف تعديلات مهمة جعلت منه مركبا مجسرا، وزادت من كفاءة حمولته وعدد مجاذيفه وتصريته من صار واحد إلى ثلاثة.

ظلت السيتي ضمن السفن الصغيرة المستعملة في الأسطول المغربي طوال القرن الحادي عشر (17 م)، وكانت حمولتها تتراوح بين ستين ومائة طنة، وطاقم مؤلف من مائة رجل، لكن وجودها سوف يندثر في القرن الثاني عشر (18 م).

*S.I.H.M.*, 2e série, *France*, T. I, p. 279-80 et A. du Sein, *Histoire de la marine de tous les peuples*, Paris, 1879, p. 41.

حسن أميلي

**السيحل**، قبيلة تنتشر فوق جزء من الأطلس الصغير الغربي، وتمتد من الشرق إلى الغرب في الضفة اليسرى لوادي "أُودُودُو" حتى المحيط تحدها قبائل أگلو في الشمال، وأيت باعمران إلى الجنوب، وأيت برايبم في الشرق، والمحيط الأطلنتي في الغرب.

تعني الكلمة في النطق المحلي المجال المشرف على البحر أو الأكثر ارتباطاً به. ينتمي سكانها الأصليون إلى الغور اللمطي القديم (صنهاجة)، انضافت إليهم مجموعات من القبائل المجاورة وخاصة من قبائل اتحادية إيداولتيت. وتنقسم قبيلة السيحل إلى أربع وحدات : إيفردا، أيت الربج، إيدوانگيضا، تيغانيمين، كما أُلحق بها سنة 1934 جزء من قبيلة أيت النص الباعمرانية. تعد القبيلة ممراً أساسياً للقوافل التجارية القادمة من منطقة واد نون. كما عرفت بتحالفاتها مع قبائل أيت باعمران وأگلو في إطار لف تاگوزولت. ومما يبين الأهمية العسكرية للقبيلة أنها كانت تتوفر خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) على 1800 بندقية و200 فارس. ومن أبرز الأحداث التي شهدتها القبيلة :

- تعيين حسون بن عمارة قائداً على قبيلة السيحل خلال رحلة السلطان الحسن الأول إلى سوس 1882.
- مساندتها لمحمد بن الحسين الاليغي في مواجهة القائد الگيلولي سنة 1315 / 1897 - 1898.
- دعمها لحركة أحمد الهيبة وأخيه مربيه ربه.
- تصديها لحملتي حيدة بن مّايس 1916، والجنرال دولاموط 1917 نحو أيت باعمران.

استعمال أراضيها من طرف جيش التحرير بتمرير الأسلحة إلى أفراد المقاومة بأيت باعمران.

ومن مزارات القبيلة سيدي أبو الصدقات، وهو مجهول الأصل والنسب، وإنما تروج عنه عدة كرامات. بنيت عليه قبة عام 1278 / 1862. ويقام على مشهده موسم ديني خلال شهر غشت من كل سنة. وبجانبه تقع مدرسة إفردا العلمية، وهي مشهورة بأدوارها التعليمية. كما نجد مدرسة الكرية بوسط مدشر إخربان، ومدرسة تيغانيمين، وكلها مازالت تؤدي رسالتها التعليمية والارشادية. ومن العلماء البارزين داخل القبيلة سواء في مجال التدريس أو التأليف : أحمد بن إبراهيم الكريمي (امجّوط)، الطاهر السماهري، إبراهيم التيغانيمني (بيرعمان)، محمد بن الحسين بشوارين، اليزيد بن محمد أبلوش، ابراهيم كزور المعدري، أحمد بن يابولوقت...

ع. المتوكل الساحلي، *المدارس العلمية العتيقة بسوس*، الدار البيضاء، 1990، ج. 3، ص. 195 ـ 221 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 13 : 188 ـ 201 ـ 190 ـ 309 ؛ م. الأكراري، *روضة الافنان*، تح. حمدي أنوش.

Alfred le Chatelier, *Tribus du Sud-Ouest marocain : bassins côtiers entre Sous et Draa*, Paris, 1891, p. 19.

أحمد بومزكو

## السيدا بالمغرب ← فقدان المناعة

**السيدالي، الحاج علال** وُقدّور. قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني سيدال انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي مَحمد امزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور وقد شارك في عدة معارك واستشهد في معركة سيدي ورياش بقبيلة مزوجة يوم 24 شوال عام 1327 / 7 نوفمبر 1909.

*أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي*، (1909 ـ 1912) تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

**السيدالي، محمد** قائد قلعية على عهد المولى عبد الرحمن بن هشام، وهو من فرقة القضيا المندرجة في خمس الكعدة أو بني سيدال من قبيلة قلعية. سبق لمحمد السيدالي أن كان مقدم مجاهدي خمس بني سيدال المرابطين بميدان مليلة بناء على طريقة النوبة حسبما اقتضته عادة قبيلة قلعية، ثم اختير قائداً للقبيلة كلها. ظهر بالوثائق أول مرة بتاريخ أوائل ذي الحجة 1264 / أواخر أكتوبر 1848، كان ذلك بسبب احتلال الإسبان لجزر كبدانة، حين أمره السّلطان بالاستعداد للجهاد، فور وصوله إلى قرية عين زورة من قبيلة المطالسة، إحدى قبائل الريف الشرقي.

صادف قائد قلعية محمد السيدالي تصاعد استعدادات جنود مليلة لغزو الأراضي القلعية، محاولة منهم للقضاء على المقاومة، وكان تحت قيادته استعدادا لمواجهة هذا التطور الحربي الجديد قوة وصلت إلى تسعة آلاف محارب، فكانت النتيجة وقوع سبعة من جنود الإسبان أسرى يوم 22 يوليوز 1858 على يد مقدم بني شكر محمد الحطري وتم تسليمهم للمقدم القائد محمد السيدالي، حيث بقوا بمعتقله ببني سيدال، كان منهم كاتب قصة الاعتقال خوان ديانا Juan Diana، إلى أن تم نقل السجناء إلى فاس، ليتأتى للقنصل الإسباني تسلمهم يوم 16 مارس 1859 بحضور محمد السيدالي، غير أن القائد القلعي لم ينج من مكيدة اغتياله أثناء طريق العودة في 26 شعبان عام 1275 / آخر مارس 1859.

ح. الفكيكي، *قلعية ومشكل الوجود الإسباني بمليلة*، الرباط، 1997 ؛ وثائق خ. ح. ومديرية الوثائق الملكية بالرباط ؛ ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، تطوان، 1951.

Juan Diana, *Un presionero en el Rif*, Madrid.

حسن الفكيكي

**السيفي، الحسن** بن محمد البكري الدغمي فقيه مشارك متمكن، اهتم بعلم التنجيم، حسن الكتابة ماهر في الخط يعدّ من أعلام الوراقين بالمغرب في القرن الثاني عشر (18 م). استقر بزاوية بجعد من تادلا، وصحب محمد الصالح الشرقي وأخذ عنه ولازمه مدة إقامته بها واستمر ببجعد بعد وفاة صاحبه وفي إبان ولاية خليفته محمد المعطي صاحب "ذخيرة المحتاج" كما تذكر المصادر الشرقاوية.

كان من رفقائه سيدي محمد بن يوسف الدلائي والسيد أحمد بن الصغير السمعلي البركوسي والزايدي السمعلي الريكي، والفقيه محمد بن الحنيشي السالمي. ونفاجأ بسكوت كبير فيما يخص حياته ومسيرته العلمية غير أن مصادر شرقاوة تذكره في ثنايا أحاديثها عن رجالات الزاوية خلال القرن (12 هـ) .. أما قبل هذا التاريخ الذي اتصل فيه السيفي بزاوية شرقاوة فإننا لا نعرف عنه شيئاً ... ويرجح أن يكون قدم إلى بجعد في عهد ولاية محمد الصالح على زاوية أجداده إثر رجوعه إليها من مراكش بعد وفاة والده.

وعن ظروف اتصاله بالشيخ المذكور تحكي مناقب شرقاوة أنه سمع بمحمد الصالح في أحد المجالس واستمع إلى كراماته في هذا الشأن وأحب أن يرى ذلك رأي العين فليس الخبر كالعيان.. فكان أن قدم عليه واجتمع به فأصبح من خاصته وأهل وداده.

منتهى القول في شأن اتصال السيفي بمحمد الصالح أنه استقر لديه طويلا، وحضر مجلسه وصحبه في بعض رحلاته إلى أحواز الزاوية... بل إنه حضر وفاته وشهد سره بمحضر بعض أصحابه ومنهم العهداني صاحب *"الروض اليانع في مناقب أبي عبد الله المدعو بالصالح"*، والفقيه علي بن المنصور السمكتي وهو من أصحاب أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي.. وآخرون.

وقد كان السيفي مقيماً بمصرية قرب دار الشيخ المذكور ببجعد كان قطن بها الفقيه أحمد بن فتوح التازي أيام إقامته بالزاوية. وتذكر مصادر زاوية بجعد أن السيفي رحل إلى

الشرق رفقة الفقيه علي بن محمد العوني.. وهما من خيار أصحاب سيدي صالح.. فخرج يشيعهما وأظهر لهما محبته ودعا لهما بالدعاء الصالح..

شغل السيفي شغل الإمامة في عهد سيدي محمد الصالح كما ذكر في "الروض اليانع" (ص. 211)، يصلي به الأوقات الخمسة، وهو وظيف أهله لملازمة الشيخ وحضور مجالسه التي كانت عامرة بالعلم والعلماء جمة الفوائد.

وكان هو الكاتب الرسمي لرسائل الشيخ التي يبعثها لمن أراد إن لم يتول الشيخ ذلك بيده، ولذلك تجد بخطه من غالب الرسائل الصادرة عن الشيخ آلافاً مؤلفة من كل ناحية كان فيها الفقراء إذاك. هذا علاوة على القيام بأغراض أخرى مثل كتابة بعض المؤلفات العلمية التي يحتاج إليها الشيخ.

ومن منتسخات السيفي :

1 ـ *خلاصة الوفا* للسمهودي عام 1131 (خ ع. 27 ك).

2 ـ السفر الأول من *"بهجة النفوس"* لابن أبي جمرة عام 1140 (خ ح. 9707).

3 ـ تفسير النسفي في سفرين عام 1143 (خ ع 2062ك).

4 ـ السفر الأول من *"تحفة الباري بشرح البخاري"* لزكريا الأنصاري (خ ح 3874).

5 ـ السفر الأخير من *"بهجة النفوس"* لابن أبي جمرة (خ ع 4017).

6 ـ شرح *البردة* البوصيرية للغبريني في سفرين (خ ع 776 ز).

7 ـ *صحيح البخاري*، ن. خ (بدون تاريخ).

هذه فضلاً عن مؤلفات أخرى انتسخها من أهمها "النسخة العشارية" من صحيح البخاري" التي كانت معتمدة بزاوية بجعد.

وتدل بعض الإشارات في أدبيات شرقاوية أن السيفي كان على قيد الحياة في أعوام الخمسين من القرن الثاني عشر الهجري... وفي هذا التاريخ كان محمد المعطي الشرقي يؤلف كتابه الشهير *"ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج"* ويروى أن السيفي رأى رؤيا في شأن هذا الكتاب وقصها على المؤلف في سياق إظهار سر هذا الكتاب وبيان مزيته لذوي الألباب (يتيمة، ص. 289).. مما يعني أن السيفي استمر في الإقامة ببجعد بعد وفاة صاحبه سيدي محمد الصالح عام 1139.

محمد المعطي الشرقي، *سفر المرائي والبشارات*، بذيل *يتيمة العقود الوسطى* (17 فيلم)، ص. 371 ؛ المعداني، *الروض اليانع الفائح في مناقب أبي عبد الله المدعو بالصالح*، ص. 175 ـ 180 ـ 211 ومواضع أخرى، (86 ج) خ ع ؛ العبدوني، *يتيمة العقود الوسطى في مناقب محمد المعطي*، 289 ـ 391 ـ 392، 305 ك ؛ الشرقي المكي بن المعطي، *اختصار يتيمة العقود الوسطى*، ورقات، 33 ظ. 34 ـ 35 ـ 47 ظ. ومواضع أخرى (905 ج). خ ع؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، ص. 132 ـ 133.

عبد المجيد بوكاري

**سيدي أحمد أوموسى ← أحمد أوموسى**

**سيدي إسماعيل**، مركز وزاوية وسط دكالة على بعد 50 كلم جنوب مدينة الجديدة في طريق أسفي. نسبة إلى دفينهما الشيخ الصالح المجاهد إسماعيل بن سعيد بن محمد الدكمالي المشنزائي، المدعو أيضاً ـ كأبيه ـ بوسجدة (انظر بوسجدة في المعلمة) أخذاً من كنية جدهما الشيخ الصوفي علي بن أبي القاسم السبخاني المعروف بأبي سجدة دفين مراكش (انظر أبا سجدة في المعلمة).

انظر خريطة التقسيم الإداري لجهة دكالة عبدة (دكالة / *المعلمة*).

م. الكانوني، *أسفي وما إليه*، مصر، 1353 ؛ محمد مكيسل ومحمد سديري، *زاوية سيدي إسماعيل*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، كلية الآداب بالجديدة، 1991.

أحمد الوارث

1 ـ **سيدي إفني ← إفني**

2 ـ **سيدي بوزكري ← بوزكري**

3 ـ **سيدي بوزيد ← بوزيد**

4 ـ **سيدي بوسجدة ← بوسجدة** (إسماعيل وسعيد)

5 ـ **سيدي بوعبيد ← الشرقي**

6 ـ **سيدي بوعثمان ← بوعثمان**

7 ـ **سيدي حرازم ←** ابن **حرزهم**

8 ـ **سيدي حْماموش ← حْمَاموش**

**سيدي رحال** (المركز) ويسمى أيضا أنْمَاي، ينتمي مركز سيدي رحال إلى إقليم قلعة السراغنة، ويقع ضمن مجال قبيلة زمران على الطريق الثلاثية رقم 6205 الرابطة بين مراكش ودمنات، يبعد عن مراكش بحوالي 50 كلم نحو الشرق بمحاذاة الحاشية الشمالية للأطلس الكبير وعن قلعة السراغنة بحوالي 52 كلم في اتجاه الشمال على امتداد سهل الحوز الشرقي.

يقع على الضفة اليمنى لمخروط وادي غدات أحد أهم روافد واد تانسيفت. يشغل المركز جزءاً هاماً من منطقة الدير المنحصرة بين الحاشية الشمالية للأطلس الكبير وسهل الحفر. تشرف على المركز من الجنوب تضاريس تلية تنتمي إلى الحاشية الشمالية للأطلس الكبير أهمها تل يدعى "كُدية العفو" بارتفاع يقدر بـ 700 م، تتكون أساسا من صخور بركانية وطينية تنتمي للزمن الجيولوجي الثاني ـ الترياس".

يمتاز مناخ سيدي رحال بحرارة مرتفعة خلال فصل الصيف حيث تصل إلى 46 بينما تنزل في فصل الشتاء إلى حدود 3 درجات.

أما التساقطات فهي نادرة وغير منتظمة تتركز بين شهري دجنبر وأبريل ولا يتعدى معدلها 300 ملم.

يرتبط تاريخ هذا المركز بمؤسسه الشيخ سيدي رحال البدالي (انظر البدالي في *المعلمة*) وكان يدعى قبل ذلك

«أنماي» نسبة إلى ربّي يهودي "يعقوب ناحيماس" الذي كوّن خلية سكنية تقطن داخل حي الملاح، ومايزال قبر الربي اليهودي موجوداً إلى الآن جنوب "كدية العفو"، بالإضافة إلى معبد صغير. وعن أنماي المركز يقول الحسن الوزان الفاسي في *وصف إفريقيا* : "أنماي بلدة صغيرة واقعة في منحدرات السهل على بعد نحو أربعين ميلا من مراكش في الطريق الذاهبة إلى فاس المحاذية لسفوح الجبل، ويمر نهر أغمات على نحو خمسة عشر ميلا من هذه البلدة، والبادية فيها بين النهر وأنماي ممتازة كبادية أغمات تماما".

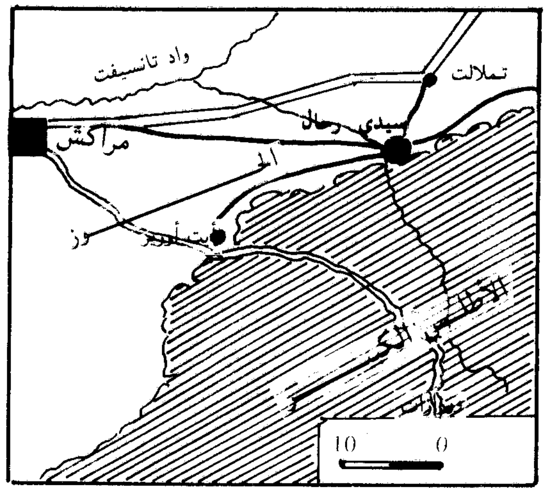


ولمّا قدم سيدي رحال إلى المنطقة نزل في أنماي وربطته علاقة ودية مع الربي لكن سرعان ما تدهورت فأسس سيدي رحال زاوية بضاحية البلدة، نمت العمارة حولها واحتوت أنماي القديمة. وأصبح المركز يعرف بسيدي رحال، وبوسطه قبة مشيدة على هذا الصالح.

عرف مركز سيدي رحال تطوراً ملحوظاً بعد الاستقلال، تضاعفت ساكنته ثلاث مرات تقريبا في أقل من 30 سنة حيث انتقل من 2708 ن سنة 1971 إلى 6292 ن سنة 1994.

كان مركز سيدي رحال يتكون سنة 1971 من ثلاثة أحياء فقط وهي الزاوية، الملاح، الحي الإداري. إلى حدود سنة 1982 حيث أضيف حي البهجة وحي بياضة.

وعلى مستوى التعمير ظل المركز يعاني من نقص كبير رغم التطور السكاني الذي عرفه ورغم قدم استقرار السكان بالمركز الذي لم يعرف إلاّ تشييد خمسة أحياء هي حي الملاح، الزاوية الرحالية، الحي الإداري (المنزه) البهجة ثم بياضة وهي أحياء بسيطة جداً تنعدم في أغلبها مواصفات أحياء المدينة بالمفهوم الصحيح.

ومن الناحية الاقتصادية تسجل سيادة القطاع الثالث المتمثل في الخدمات والمبادلات التجارية حيث نجد حسب إحصاء 1994 أن نسبة المشتغلين في قطاع الفلاحة ضعيفة لا تتعدى 10،2٪ رغم موقع المركز ضمن مجال فلاحي، بينما لا يتجاوز عدد المشتغلين في قطاع الصناعة نسبة 1،7٪ وفي المقابل تشكل نسبة المشتغلين في القطاع الثالث التجارة والخدمات والإدارة أزيد من 88٪.

أ. زروال، *دراسة جيومورفولوجية للحاشية الشمالية لأطلس مراكش ما بين وادي الزات وغدات*، الرباط، 1987 ؛ م. الأكلع، *دراسة جيومورفولوجية للنهاية الشرقية للحوز*، الرباط، 1989 ؛ الحسن شوقي، *تاريخ قبائل السراغنة في نهاية القرن (19 م)*، الرباط، 1991 ؛ بن الحرش المحجوب، *سيدي رحال، مركز هامشي في طريق التمدن*، مراكش، 1996، بحث لنيل الإجازة.

محمد الأكلع

**سيدي الزوين** (زاوية -) تقع غرب مدينة مراكش في الكيلو ميتر 36 على الطريق الرئيسية إلى أكادير، أسسها الشيخ محمد بن مَحمد الشرادي العمري الفحلي الشهير بسيدي الزوين في منتصف القرن الثالث عشر (19 م) بأمر من شيخه محمد الحاج الشريف الإدريسي الهواري ومباركة شيخه محمد التهامي الأوبيري الحمري. تلاحق بها الطلبة والمريدون وبنوا حولها بيوتهم بالطين والقصب.

كان الشيخ سيدي الزوين يطعم الطلبة اعتماداً على ما يقدمه الوافدون من صدقات، وما يقدمه سكان القبائل المجاورة من أعشار وهبات، أو يقومون به من حرث الأراضي التابعة للزاوية ورعي غنمها مع أغنامهم. وكانت تصله إعانات وهبات من المخزن مساعدة له على تعليم كتاب الله تعالى حفظا وقراءات. وكلما توفر له مال اشترى به أملاكا وحبسها على الزاوية دون أفراد أسرته، إلى أن دعاه السلطان مولاي الحسن إلى إدخال أبنائه ضمن الحبس حتى لا يتركهم يتكففون.

وبعد وفاة سيدي الزوين وسع ابنه محمد المدرسة وسكنى الطلبة والمسجد، وشيدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في منتصف الستينيات من القرن العشرين قاعات للدرس وغرفا حديثة لسكنى الطلبة، وخزانة للكتب ومكاتب إدارية ومرافق صحية.

وخلال التسعينيات أضيفت إلى الزاوية عمارات حديثة تشرف المدرسة وتاريخها المجيد وتوفر للطلبة المناخ الملائم للحفظ والتعلم.

يبدأ الطلبة الوافدون على الزاوية بحفظ القرآن الكريم على الطريقة التقليدية : كتابة الألواح وتصحيحها وحفظها على يد الفقيه وبعض مساعديه من الطلبة المتقدمين في الدراسة. وبعد حفظ القرآن يتعلمون القراءات السبع الواحدة بعد الأخرى، ومبادئ النحو والفقه والتفسير والحديث ... على الطريقة التقليدية.

وكان الشيخ سيدي الزوين يحرص على ختم *صحيح البخاري* كل سنة ويستدعي لذلك الفقهاء والعلماء من مدينة مراكش. ومن أشهر المدرسين بهذه الزاوية بعد الشيخ المؤسس وابنه محمد، وإخوته شيوخ الزاوية عبد الله وحامد والعربي، وبوطبيب حفيد الشيخ. والمعطي المسكيني، وحمادي العيشي

وعروب المسفيوي، ومحمد المصلوحي، وبلغالي الرحماني، وسعيد الجرموني، وعلال بن إسماعيل العشراوي القاسمي، والحاج عابد بن محمد الگرسيفي القاسمي والمختار بوستة الغجدامي. وعبد الكريم بن صالح الراجي الشيظمي ومحمد ابن أحمد الزيدي الأموي، محمد بن العروسي بلعواد، وسمير ابن محمد بن محمد الزوين وإبراهيم بن عبد الرحمن العاطفي الذي دَرَس بالزاوية ثم عين أستاذاً بها سنة 1401 / 1980.

وقد كانت زاوية سيدي الزوين دائماً محط عناية ملوك الدولة العلوية ينعمون على شيوخها بظهائر التوقير والاحترام، ويرسلون إليها الهدايا والهبات في المواسم والأعياد. ومازالت الزاوية تؤدي هذه الرسالة النبيلة إلى اليوم.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. 2، الدار البيضاء، 1954 - 1956 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. 2، الرباط، 1977 ؛ المهدي الخياري، *مدرسة سيدي الزوين، نشأتها ومنهجها في القراءات*، بحث مرقون بمراكش، 1986.

حسن جلاب

**سيدي سعيد**، مركز أثري بمنطقة الغرب، يعتقد الباحث ربيفا (Rebuffat) أنه يطابق المدينة القديمة : بابا يوليا كمبستريس "Babba Iblia Compestris" نظراً للدور التكتيكي لأبراج المراقبة التي تشرف على الموقع ونظراً للموقع الذي احتله المكان في لائحة جغرافي راڤينا، لكنه لا يؤكد قطعا هذه المطابقة ويترك الباب مفتوحا للنقاش.

وقد مكنت البعثة المغربية - الفرنسية المشرفة على التحريات في حوض سبو من إعادة توطين هذا الموقع قرب سيدي قاسم إذ تم الكشف عن معسكر روماني مستطيل الشكل حيث كانت ترابط الكتيبة الثالثة المكونة من الغاليين بالإضافة إلى مخلفات أثرية أخرى وجدت على الضفة اليسرى لوادي الردم.

ومكنت عملية الالتقاط السطحي من القول إن الموقع يمتد على مساحة 12 هكتاراً تقريباً.

R. Rebuffat, *Histoire de l'identification des sites urbains antiques du Maroc, Africa Romana XIII*, Djerba, 1998 ; *L'implantation militaire en Maurétanie Tingitane, Africa Romana IV. Atti del Convegno di Studio Sassari*. Dic., 1986.

عبد العزيز بل الفايدة

**سيدي سعيد** بن أبي **بكر** المشنزائي، صاحب الضريح الشهير بالحي الذي يحمل اسمه بمدخل مدينة مكناس. سلك طريق التصوف على يد الشيخ أبي عثمان سعيد الداعي، دفين مدشر المقرمدة، على وادي إيناون من حوز فاس (*ممتع*، 93). ونعلم أن هذا الأخير من أصحاب الشيخ مَحمد بن سليمان الجزولي، أو مريده الشيخ عبد العزيز التباع (*مرآة*، 191، *ممتع*، 94).

اشتهر المترجم بالزهد والتقشف، حتى قيل إنه ما كان "يلبس سوى مرقعة خشنة، وقلنسوة كذلك من الصوف"، وشدة التوكل، حتى قيل إنه لم يكن يُرى له سبب ولا حراثة، ومع ذلك كان يطعم الطعام، بل يكفل الضعفاء والأيتام. كما اشتهر أيضاً بأنه كان "كثير الخشية، لا يفتر عن ذكر الله تعالى... كثير الصمت والفكرة، له موضع بزاويته يلازم الجلوس فيه، فلا يرى قائما إلا إلى الصلاة" (*دوحة*، 77)، حتى "إذا كان يوم الجمعة... يجمع الفقراء في زاويته، ويذكرون، فيهتز الشيخ لذلك ويتواجد" (*ممتع*، 93).

حظي سيدي سعيد بشعبية واسعة في صفوف العامة، الراغبين في نيل البركة "ترد زاويته الوفود في كل يوم وليلة، ونعم الله تشمل جميعهم وتعمهم". وقد اعتبر ذلك من باب الفتح الرباني، لأن الله يبسط الرزق لمن يشاء (*دوحة*، 77). كانت زاويته تضم مرافق عديدة منها خزائن الزرع، وزريبة للبهائم، وله مكلفون بتلك الخزائن، ورعي تلك المواشي.

كان لزاوية سيدي سعيد حَرَم معروف، يحترمه الوطاسيون وعمّالهم حتى إن الذي يفعل ما عسى أن يفعل من عظائم الجنايات ويلجأ إلى ساحة الزاوية فلا يتبعه أحد، وحد الحرم من ناحية البلد (مكناسة) الساقية الجارية بالماء، وهي إلى البلد أقرب منها إلى الزاوية. ولقد رأيت الحكام (يقول ابن عسكر) يتبعون الجاني حتى إذا وصل الساقية رجعوا عنه ... وما رأيت بزوايا المغرب ومصارع الأولياء حرما مثل حرم زاوية هذا الشيخ. وإن الأمراء يتحامون حماها احترازاً..." من غضب شيخها (*دوحة*، 78).

ظل سيدي سعيد، مواليا لبني وطاس، رغم انتقاده لسياستهم السلبية، ولا سيما الضريبية والجهادية، مثل غيره من أرباب الزوايا في مملكة فاس التابعة لبني وطاس، غير أن تنامي حركة الأشراف السعديين على حساب بني وطاس، ثم اختيار الوطاسيين، نتيجة ذلك، سياسة التحالف مع الأتراك العثمانيين، بعد انهزامهم في معركة درنة سنة 952 / 1545، جعل سيدي سعيد المشنزائي، وباقي أرباب الزوايا الجزولية في الشمال يقلبون ظهر المجن للوطاسيين، ويعلنون الدعوة للأشراف السعديين. (*الأولياء*، 653 - 655).

توفي سيدي سعيد عام 956 / 1549، ودفن في زاويته. وروضته شهيرة بها في الربع الغربي الجنوبي من مكناس خارج باب يعرف باسمه : باب سيدي سعيد، ويقال له باب الملاح وباب وجه العروس. كما صار الحي الذي بني حول ضريحه يحمل اسمه كذلك : حي سيدي سعيد. وقد اعتنى بضريحه الأمير زين العابدين بن الحسن الأول، الذي أمر بتزليج أرض ضريحه، وما انضم إليه، وبناء الصفة الواقعة خارج بابه، "وذلك أيام الفتنة التي حدثت في دولة أخيه السلطان مولاي عبد الحفيظ عام 1327".

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ج 10؛ م. ابن عسكر، دوحة، تح. محمد حجي، الرباط، 1977؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية فاس. 1324/1906؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، طبعة حجرية بفاس، 1313/1896، ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1410/1990؛ أ. الوارث. *الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرن العاشر (16م)*، رسالة جامعية مرقونة، كلية الآداب بفاس، ظهر المهراز.

أحمد الوارث

**سيدي سعيد مْعاشُو**، بن علي، من آل الشيخ عامر المكنى أبا السباع دفين سوس الأقصى، الذي ينتهي نسبه إلى إدريس بن إدريس (*تحفة الحواشي*، 6 ـ 7).

ويذكر أن والد سيدي سعيد، أبا الحسن علي معاشو، ولد في بلاد أولاد بوالسباع بمحل يدعى أيت الصغير (*الزاوية المعاشية*، 9)، ثم رحل إلى الشياظمة، وبقي يتنقل فيها من مكان إلى آخر، إلى أن استقر به المقام في أفوغال، مقر الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، وبه توفي حوالي عام 870/ 1464.

وفي أفوغال، بعيدا عن الصويرة بنحو 30 كلم في اتجاه الشمال، أسس سيدي علي مْعاشو زاويته، المعروفة بزاوية المعاشات الأم، التي قامت بجوار ضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي. وفي أفوغال نفسها ولد سيدي سعيد مْعاشو. وفي زاوية والده نشأ وتعلم، وتفقه وتصوف، حتى غدا عالما كبيرا، وصوفيا كاملا، ولاشك أنه كان جزولي الطريقة مثل والده.

لكن سيدي سعيد مْعاشو سرعان ما فارق أفوغال ومن فيها من أب وإخوة، وراح يمشي في الأرض إلى أن استقر به المقام في الشاوية. واختار النزول على الضفة اليمنى من شط أم الربيع، في جهة الحدود مع دكالة.

حظي سيدي سعيد بسمعة فائقة، وأدركت زاويته شهرة واسعة بالنظر إلى ما استقطبته من أعداد وفيرة من طلبة العلم والمريدين. ونجد صدى ذلك واضحا في شهادة وافية بالمرام، قال فيها أحدهم بأنه : "كان رضي الله عنه كثير التلميذ والأتباع..."، وكان له "... الصيت العظيم والذكر الفخيم والرسوخ في العرفان والولاية" (*تحفة الحواشي*، 12).

وإذا كنا لا ندري العلوم التي درسها في الزاوية، فإنه كان "... له أوراد ودعوات وأسماء وأحزاب معروفة" (*تحفة الحواشي*، 12). مما يفيد تصدره للمشيخة وتربية المريدين في زاويته.

وإلى جانب طلبة العلم والمريدين قصده عامة الناس وخاصتهم للإستشفاء، إذ اشتهر بعلاج المصابين بداء الكَلَب أو السعار، على غرار والده، وسائر المعاشيين في حاحا ودكالة والشاوية.

توفي في منتصف القرن العاشر (16م).

سعيد بن عمر لمعاشي، *تحفة الحواشي في مناقب سيدي علي لمعاشي*، الرباط، د.ت؛ زينب الشيكل وكوات نجية، *الزاوية المعاشية ودورها الإجتماعي والسياسي*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، كلية الآداب بالجديدة، 1994.93، *روايات شفوية محلية ومشاهدات عينية*.

أحمد الوارث

** أمّا سدّ سيدي سْعيد مْعاشو فهو آخر سدّ على نهر أمّ الربيع صوب سافلة مجراه، حيث لا يبعد عن المصب إلا بحوالي 35 كلم، وتفصله عن سدّ الدورات (1946 ـ 1950) مسافة 60 كلم. لكنه يعد أول سد تم بناؤه على الصعيد الوطني بين 1925 و1929.

في هذا الموقع يرسم المجرى المائي ثلاثة منعطفات واسعة ذات شكل نفلي تمتد على طول 13 كلم، وفي هذا المستوى يشكل النهر حداً فاصلاً طبيعيا بين الكثبان المتصلبة لساحل دكالة وسهل الشاوية الأسفل ؛ مما جعل سد ودوار سيدي سعيد يتموقعان بالقرب من مفترقين طرقيين يربطانهما بالجديدة وأولاد سعيد ـ سطّات وإثنين الشتوكة ـ أزمور وبير الجديد ـ الدار البيضاء.

إن الطبيعة المتموّجة للتضاريس المتاخمة من جهة دكالة وتعمق النهر حتى حدود المحيط، وكذا تموضع السد في سافلة الوادي، كلها عوامل حالت دون تمكين استعمال مياهه لريّ جزء من سهل دكالة. وقبل كل شيء كانت سلطات الحماية في أمس الحاجة آنذاك إلى الطاقة الكهربائية دون اهتمامها بعد بالسقي، وذلك لتوفير الإنارة للمدن التي أخذت تتوسع باطراد ولكهربة السكك الحديدية الحديثة العهد وكذا تشغيل الصناعات الناشئة، وبالأخص في الدار البيضاء. كما كان طلبها ملحاً على وجه التحديد على الطاقة المائية التي ظل إنتاجها يفوق حجم الطاقة الحرارية بأربع مرات في المتوسط على مدى فترة الحماية، نظراً لافتقار المغرب لمصادر الطاقة الحرارية من فحم ونفط وغاز.

لقد بنيت المنشأة السدية على صخور صلصالية تنتمي إلى حقبة الترياس وتعلوها هنا وهناك مدرجات نهرية طمية ترجع إلى الرباعي الأوسط أو تكوينات رصيصية نهرية وبحرية تعود إلى حقبة البليوسين. ويمتد السد التحويلي على طول إجمالي قدره 150 م وعلى ارتفاع عن الأساس بمقدار 20 م. وهكذا يستطيع رفع منسوب الماء إلى علو 8،6 م وبالتالي تخزين مليوني م3.

يتكون الجزء الأوسط من السد من خمس مدقات تخترقها أربعة أسكار مزدوجة علوها 8 أمتار. وكل سكر يشتمل في جزئه الأعلى على أجنحة متحركة بارتفاع 2،5م تسمح بإفراغ 500 م3 في الثانية. فضلاً عن ذلك قد وضع حاجز ترابي في الضفة اليسرى تغطيه خرسانة على سمك مترين، وبني كذلك جدار مصرف على الضفة اليمنى. وتعلو كل هذه المكونات قنطرة طرقية تمكن من تصريف مياه الفيضانات التي يبلغ صبيبها الأقصى 4500 م3 في الثانية. لذلك يطلق على هذا الصنف من المنشآت اسم السد القنطرة.

تتم عملية إنتاج الكهرباء على النحو التالي. يؤخذ الماء من نقطة على الضفة اليمنى ليدفع عبر سرداب صرّاف باطني قطره 6،5 م وطوله حوالي 1500 م نحو حجرة ماء سعتها 24000 م3. ومن هذه الحجرة ينسكب الماء على شكل شلاّل ارتفاعه الصافي 17 م لينصب على العَنَفات الأربع المولدة للكهرباء.

يتميز إنتاج المحطة الكهربائية بتذبذب كبير خلال السبعين عاما من عمرها. ذلك أن متوسط الإنتاج كان يعادل

إلى حدود الثمانينيات 65 مليون كيلواط في الساعة، قبل أن يتقهقر وينزل إلى 15 مليون منذ 1981، بسبب توالي الجفاف، حتى إن السد أضحى يعتبر الآن ثاني أصغر سد بحوض أم الربيع الذي يضم 12 منشأة مائية وأصبحت المحطة الكهربائية تعد ثاني أصغر وحدة أيضاً بنفس الحوض الذي يشمل تسع محطات، أي تقريباً نصف عدد المحطات المائية بالمغرب.

| السنوات | إنتاج الكهرباء مليون ك. و / س |
|---|---|
| 1979 | 51 |
| 1981 | 33,6 |
| 1983 | 10,5 |
| 1985 | 1,2 |
| 1987 | 8,5 |
| 1989 | 33,8 |
| 1991 | 38,2 |
| 1993 | 1,2 |
| 1995 | 0,3 |
| 1997 | 0,4 |
| 1999 | -- |

إضافة إلى الخط الكهربائي الرابط بين محطة سيدي سعيد والدار البيضاء عبر البير الجديد، ينطلق من المعمل الكهربائي خطان آخران نحو الجديدة (ثم مولاي عبد الله)، الأول مباشرة والثاني عبر أزمور. وابتداءً من 1952 تمّ جلب مياه السدّ بواسطة ست مضخات لمعالجتها محلياً وجرها بعد ذلك نحو شبكة الماء الصالح للشرب بالدار البيضاء عبر قناة طولها 175 كلم.

شوقي بنعزو، *الماء ذلك التحدي المستمر*، منشورات بانوراما، الرباط، 1994 ؛ مصطفى عياد، *أم الربيع (نهر -)*، *معلمة المغرب*، عدد 3، 1991، ص. 781 - 785.

J. Loup, *L'Oum-Er-Rebia*, Rabat, 1960 ; *Les barrages du Royaume*, Direction Générale de l'Hydraulique, Ministère de l'Equipement, Juin 1998 ; *Annuaires statistiques du Maroc*, Direction de la Statique, Ministère de la Prévision Economique et du Plan, 1980-2000.

مصطفى عياد

**سيدي سليمان**، مدينة متوسطة (79339 نسمة سنة 2000) وهي ثاني مدينة بإقليم القنيطرة، تعود نشأتها إلى فترة الحماية حينما قررت السلطات الاستعمارية خلق تجزئة حضرية أولى عند ملتقى خط السكة الحديدية والطريق المؤدية إلى مشرع بلقصيري، وبذلك ستصبح سيدي سليمان مقراً إدارياً واقتصاديا لأولاد يحيى - الصفافعة وعندما تقرر بناء سدّ القنصرة - الذي سيمنح الكهرباء ومياه السقي - نجد أن سيدي سليمان ستكون أكبر مستفيد من هذا الإنجاز لأنها توجد في قلب القطاع السقوي المبرمج (قطاع بهت). وهكذا ستشهد المدينة أول توسع سنة 1937 بإضافة 20 هكتار جديدة لمدارها الحضري.

وغداة الحرب العالمية الثانية، لعب عاملان حاسمان لصالح توسع المدينة : توسيع تجهيز القطاع السقوي لبهت وإقامة القاعدة الجوية الأمريكية.

وبعد الاستقلال، ارتفع عدد ساكنتها بوتيرة سريعة جدا : من 11484 نسمة سنة 1960 إلى 69645 نسمة 1994 الشيء الذي يؤكد مكانتها داخل التراتبية الحضرية لمنطقة الغرب.

ويبدو أن لهذه الأهمية علاقة وطيدة بالموقع الجغرافي لسيدي سليمان وسط القطاع السقوي لبهت الذي ينتج أساسا زراعات صناعية (شمندر، حوامض، فلفل، تبغ قطن...) وبمستوى تجهيزها التجاري والخدماتي.

مبارك الشبكر

**سيدي العايدي**، مركز سكني ومحطة طرقية وضريح وجماعة قروية بإقليم سطات. يقع على الطريق الوطنية رقم 7 الرابطة بين الدار البيضاء ومراكش على بعد 57 كلم من الدار البيضاء. وقد ظهر كمركز طريقي في بداية عقد الثلاثينيات واتخذ أهمية استراتيجية باعتباره نقطة تفرع الخط الحديدي المكهرب والمزدوج المنطلق من الدار البيضاء إلى فرعين، خط منفرد مكهرب يتجه جنوبا إلى مراكش وخط مزدوج مكهرب يتجه شرقا إلى مناجم الفوسفاط بخريبگة وواد زم. وقد اتخذ اسمه من ضريح الولي سيدي العايدي الذي وفد قبل قرون من فاس ومنحه السكان أرضا خصص جزءاً منها لمقبرة لازالت تحيط بضريحه على بعد 5 كلم شمال المركز، وكان مزاراً مهما باعتبار "بركته التي تحمي السكان والمواشي من عين الحسود كما تشجع على الزواج والإنجاب" وذلك حسب ادعاء بعض السكان.

وبتوالي العقود ازدادت أهمية المركز كمحطة طريقية حديدية وبرية وتكاثرت دكاكينه ومقاهيه ومنشآته الخدماتية العمومية والخصوصية كما جدد سوقه الأسبوعي، إذ يمر به حاليا كل يوم آلاف الحافلات والشاحنات والسيارات الخصوصية، أما محطة القطار فيمر بها 18 قطاراً للركاب و24 قطاراً للفوسفاط و8 قطارات للبضائع في حركات ذهاب أو إياب. لكن منازله السكنية ظلت محدودة إذ اقتصرت على سكن بعض التجار والموظفين ولازال جل العاملين بمنشآته من مقاه وحرف إصلاح ... يسكنون القرى المجاورة. فالمركز ذو طابع قروي محض بلغ عدد سكانه 245 بالمركز التجاري و288 بالمحطة (1994) ولم يرق التجمع بعد إلى مستوى مركز حضري، لكن الإقبال المتزايد عليه دفع السلطات إلى إنشاء ثلاث تجزئات سكنية ومنطقة صناعية مساحتها 10 هـ تقع بالزاوية الجنوبية الشرقية بين الطريق

الرئيسي المتجه إلى مراكش وسكة الحديد إلى خريبكة بها مطحنة عصرية ومخزن للحبوب يتكون من عدة صوامع ومعمل لمعالجة الزيتون ومحطة معالجة الماء الشروب التي تستمد ماءها من عدة آبار وثقوب بجوارها.

أما المنشآت العمومية فتتكون من القيادة ودار الجماعة القروية يعمل بها 47 موظفا بنيت سنة 1990 ومسجد لصلاة الجمعة ومراكز للأشغال العمومية والفلاحة والمياه والغابات والبريد ومركز جهوي للبحث الزراعي ومركز لبيع البذور المنتقاة والأسمدة ومدرسة إبتدائية وإعدادية ومستوصف كما يوجد بالمركز طبيب خاص وصيدلية وطبيب بيطري. أما البنية التجارية فقد توسعت بعد بناء مركز تجاري حديث ومحطة واسعة لوقوف السيارات أمامه تتكون من حوالي 50 دكانا منها 24 للجزارة، إذ يشتهر المركز ببيع اللحوم وبتوفره على 6 مقاهي تتميز بشي قضبان اللحوم على الفحم ولهذا يتوقف المسافرون والسياح به للاستراحة وتناول وجبات شهية. كما يتوفر المركز على سوق أسبوعي حديث ينعقد يوم الخميس مجهز بمجزرة وأروقة ودكاكين ببابه لبيع التجهيزات الفلاحية تفتح أبوابها طيلة الأسبوع، وكل منشآت المركز مجهزة بالماء الشروب والكهرباء، لكنه لا يتوفر على نظام قنوات الصرف مما يفرض على كل منشئة دفن فضلاتها السائلة في مطمورة خاصة بذلك. ويلاحظ أن كل منشآت المركز تمتد بشرق الطريق الرئيسي وتتوسع شرقا. أما بالجهة الغربية فيحد توسعها وجود الخط الحديدي ومحطته، إذ لا يوجد بينه وبين الطريق الرئيسي سوى شريط ضيق من الأرض لا يتجاوز 25 م خصص للنباتات الطبيعية وأشجار الظل والزينة.

تبلغ مساحة جماعة سيدي العايدي 135 كلم2 تنتشر فوق جزء من سهل الشاوية السفلى، مستو ذي تربة طينية سوداء خصبة : التيرس كلها صالحة للزراعة باستثناء 94 هـ. وتمتد أراضيه على طول الطريق الرئيسية لمسافة 16 كلم وعلى طول السكة الحديدية لمسافة 19 كلم يحدها جنوبا ضواحي مدينة سطات وحادورها الذي يفصل بين الشاوية العليا جنوبا والشاوية السفلى شمالا وهو ينطبق على خط ساحل قديم عندما كانت مياه البحر تغمر كل أراضي الشاوية السفلى. تتميز الجماعة بمناخ معتدل شبه قاري رطب نسبيا يصل معدل أمطاره إلى 400 ملم / السنة، يستفيد من المؤثرات المحيطية التي تنعش زراعته بندى ليلي يغذيها برطوبة وبلل يعادل 200 ملم من الأمطار مما يجعل الإقليم مناسبا لزراعة القمح.

بلغ سكان الجماعة 13.540 (1994) وكان في حدود 17.578 (1982) ويرجع سبب هذا التراجع إلى تقسيم الجماعة، ينتمون كلهم إلى قبيلة المزامزة وتذكر المعطيات التاريخية أنهم ينحدرون في معظمهم من قبائل أمزميز (*مونوغرافية الجماعة*) يتوزعون على أربع مشيخات و47 قرية أكبرها قرية أولاد منصار الترس : 737 نسمة ولازالت القرى هنا تعرف بالدوار الذي شاع منذ أن كان سكان الشاوية الوافدون إليها بعد خراب تامسنة يهتمون بتربية الشاة ومنها استمدوا تسميتهم، كانوا يقيمون خيامهم على شكل دائري تتوسطها قطعان أغنامهم لتشديد الحراسة عليها.

تعتبر الزراعة وتربية المواشي النشاط الرئيسي للسكان، وذلك بتطبيق أساليب عصرية ورأسمالية، فالملكية الخاصة هي السائدة أما أراضي الجموع السلالية فلا تتجاوز أربع بقع مساحتها الكلية 400 هـ تستغل كمراعي. وبعد أن تفتت الملكيات الزراعية بتوالي التقسيم بين الورثة عبر الأجيال حتى فقدت أهميتها، فإنها أصبحت تندمج تحت الضغوط الاقتصادية والاجتماعية الجديدة، ذلك أن الملاكين الجدد وجلهم حضريون من مدينة سطات والدار البيضاء وبرشيد أو من أبناء المهاجرين المحليين، يشترون ملكية صغيرة ثم يضيفون إليها بالشراء تدريجيا هكتارات مجاورة بإغراء الملاكين الصغار والورثة خاصة الجدد، وبهذا تكونت ضيعات عصرية كبيرة وصغيرة 5 ـ 20 هكتارا بها إقامات ذات منظر حضري تزود غالبا بمولدات كهربائية وخزانات مائية، كما تجهز الضيعة بأموال الأنشطة الحضرية والهجرة بالآبار والمضخات التي بلغ عددها في منتصف عقد التسعينيات 300 بئراً وحوالي 100 ثقب عميق كلها مجهزة بمضخات بخارية وأحيانا هوائية إذ شاعت المضخات التي تشغلها مراوح فوق أعمدة فولاذية بالشاوية منذ عهد الحماية بضيعات بعض المعمرين الأروبيين، وآبار قروية لتزويد سكانها بالماء الشروب، وتتميز الجماعة بفرشة مائية غنية كان عمقها 25 م لكنها اليوم انخفضت بسبب الإستنزاف إلى 50 م أو أكثر. ويشيع بالجماعة العمل الفلاحي الآلي إذ تتوفر على 82 جراراً و26 آلة حصاد و10 وحدات للبذور و10 وحدات لجمع التبن، كما تتوفر على تعاونية لجمع الحليب وثلاث تعاونيات لتسويق الحبوب. وتقدر المساحات المسقية بمياه الآبار وأنابيب البلاستيك أو الرش والتنقيط بحاولي 11.000 هـ، ويهتم المزارعون بزراعة الخضر لتزويد المدن خاصة الدار البيضاء وسطات : بطاطس جزر بصل جلبان بطيخ قرعيات ... كما يستفيد القمح كذلك من السقي ويعطي مردوداً مرتفعا بإضافة الأسمدة والمبيدات : 40 ـ 50 ق / هـ أما القمح البوري المعتمد على الأمطار فقط فلا يتجاوز مردوده 15، وقد انخفض عن ذلك كثيراً في السنوات الجافة الأخيرة، كما يهتم المزارعون الجدد بزراعة الأشجار المثمرة التي بلغ مجموع مساحتها 160 هـ يستخدم المزارعون العمل المأجور من طرف عمال وعاملات القرى المجاورة التي صارت كل مبانيها صلبة بعد أن كانت أكواخا وخياما في بداية عهد الحماية. أما المواشي فتربى في حظائر مجهزة معتمدة على مخازن علفية وتبن لأن جميع الأراضي تزرع بالحبوب وغيرها شتاءا، فلا يبقى هناك مجال للرعي. ولوفرة الحصائد صيفا فإنها تكرى للكسابين الذين يأتون بقطعان

الأغنام لتسمينها من مناطق بعيدة خاصة من أقاليم السراغنة والحوز وتادلة، ولهذا يهتم المزارعون بزراعة العلف كما يحولون فضلات القمح والذرة والخضر إلى علف. ويقدر قطيع الأبقار بحوالي 4200 رأس والأغنام 15.500 رأس. أما الدواب من خيل وبغال وحمير وإبل فإنها في تراجع مستمر إذ لم يعد القرويون يعتمدون عليها لا في العمل ولا في التنقل، ويقدر ما تبقى منها بحوالي 1.000 رأس وتعرف تربية الدجاج الاصطناعي في حظائر عصرية توسعا لازال مستمراً إذ تجد في الدار البيضاء والمدن المحيطة بها سوقا كبيراً مغريا.

الجماعة القروية، *مونوغرافية سيدي العايدي، بحث ميداني.*

أحمد هوزالي

**سيدي علال التازي** مركز قروي صغير (2500 نسمة سنة 2000) يتوسط المسافة الفاصلة بين القنيطرة وسوق الأربعاء يتخذ صفة تجمع طرقي ثانوي ويستفيد من نشاط سوق أسبوعي مهم "سوق أحد أولاد جلول" ومن النشاط الصناعي لمعملي السكر "سوناك" ومعالجة الأرز "سكاري".

مبارك الشيكر

**سيدي الغازي**، أبو القاسم بن محمد درعي الأصل سجلماسي الدار والقرار. شيخ صالح ومربّ شهير. أسس هو وأتباعه زوايا في الحواضر والبوادي المغربية. كان له عدد غفير من المريدين أشهرهم تلميذه المجدوب، أبو حامد سيدي الحاج العربي الرندي الأندلسي المتوفى سنة 1177 / 1716 المدفون بدار برأس "الشراطين" من فاس. ويصعد إليها الآن بالأدراج في مقابلة وجه الداخل للزنقة المقابلة لباب مدرسة الشراطين بانحراف، وهي أيضاً المكتنفة بين زاوية سيدي مسا الخير ودار الجبس. (*روض الأنفاس العالية*، ص. 13).

وقد تحولت تلك الدار فيما بعد، إلى زاوية يجتمع فيها أتباع سيدي الغازي،، ويقيمون «الحضرة» أثناء الذكر بالشطح والنقر على بعض الآلات الجلدية (الطبلة) جيلا بعد جيل. وصارت أيضاً مقبرة دفن بها عدد من الصلحاء. وكانت تقام بها الصلاة ولها أوقاف يستفيد منها الإمام والمؤذن والمكلف بوظيفة التدريس. وهناك زوايا غازية عديدة في سلا وغيرها من المدن والقرى.

توفي سيدي الغازي في شعبان سنة 981 / نونبر - دجنبر 1573. ودفن بتبوبكرت بسجلماسة وقبره هناك مشهور يتردد عليه عدد من الزوار.

أحد تلاميذ الشيخ سيدي الغازي، *مناقب الشيخ أبي القاسم*، مخطوط : م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تح. النوحي، د. د. ع مرقون ؛ ع. الكبير، الكتاني، *روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية*، ميكروفيلم الخزانة العامة بالرباط، رقم 63.

العربي اكنينح

**سيدي قاسم**، مدينة متوسطة (67.622 ن سنة 1994، حوالي 80.000 ن في 2002) تلعب دور المركز الجهوي لمنطقة الغرب، تتميز عن باقي مدن المنطقة بتوفرها على نواة حضرية قديمة (قبل القرن العشرين) ممثلة بزاوية سيدي قاسم. وقد فرضت سيدي قاسم نفسها كمركز جهوي نشيط منذ بداية القرن (حينما كانت تسمى Petit-Jean) بفضل دافع نشاط المعمرين بالأرياف المجاورة واكتشاف البترول وأخيراً بفضل موضع المدينة في مفترق الطرق والسكك الحديدية ويرتبط نموها في الوقت الراهن بتطور وظيفتها الإدارية (عاصمة إقليم منذ 1982) وبوظيفتها التجارية (جمع المنتجات الفلاحية وخاصة الحبوب) وأيضا بنشاطها الصناعي المتميز (تكرير البترول). وكذلك بتمركز شبكة للطرق والخطوط الحديدية بين الرباط وفاس وطنجة.

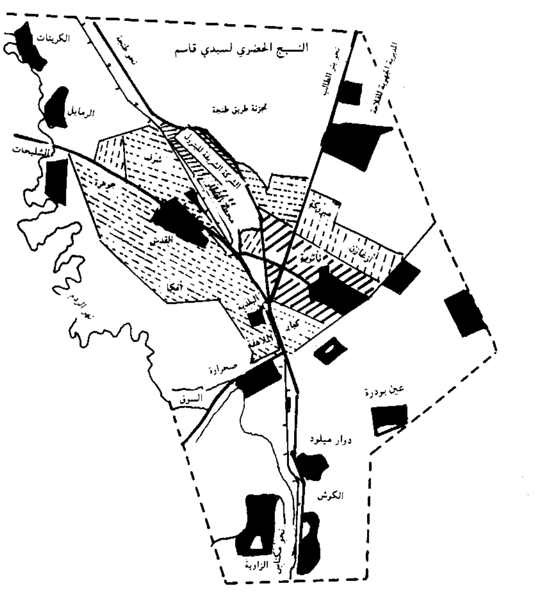


** يمتد إقليم سيدي قاسم على مساحة 4060 كلم مربع، ويكون مع إقليم القنيطرة جهة الغرب الشراردة بني حسن. بلغ عدد سكان الإقليم 645.872 نسمة حسب إحصاء 1994، ويفترض أن يصل سنة 2010 إلى 779.000 نسمة (على أساس نسبة نمو 1,2٪ بين 1994 و2010) وتتوزع ساكنة الإقليم إلى 470512 قرويا و360 175 حضريا، بينما يصل معدل الكثافة السكانية إلى 159 نسمة في الكيلومتر المربع.

من أهم القبائل الموجودة بالإقليم هناك :

- قبيلة الشراردة حول سيدي قاسم.
- قبيلة بني حسن حول مشرع بلقصيري ودار الگداري.
- قبيلتا بني مالك وسفيان حول أحد كُرت وجرف الملحة.
- قبيلة صنهاجة حول وزان.

يضم الإقليم ست جماعات حضرية وأربعة وثلاثين جماعة قروية تنتظم إداريا حول أربع باشويات وأربع دوائر وأربع عشرة قيادة واثنتي عشرة مقاطعة حضرية.

من الناحية الاقتصادية تعتبر الفلاحة أساس الاقتصاد بالإقليم، وينقسم مجاله الفلاحي إلى قطاعين مختلفين :

قطاع سقوي يدبره المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للغرب (وتبلغ مساحته 55.000 هكتار) وقطاع بوري تابع للمديرية الإقليمية للفلاحة. وتشغل الفلاحة عددا من الأسر بالإقليم أي حوالي 50.000 فرد، وتمون قطاع الصناعة الغذائية النشيط الذي يتضمن 16 مؤسسة بالإقليم. تشكل الحبوب الزراعة الأولى بالإقليم (55٪ من المساحات) متبوعة بالزراعات الصناعية (22٪) المكونة أساسا من الشمندر وقصب السكر. وبفضل توفره على المياه ينتج الإقليم نسبة مهمة من الإنتاج الوطني من الحوامض والقطن والأرز.

وفيما يخص تربية المواشي فالإقليم يتوفر على أزيد من 700.000 رأس، تعتبر الأغنام والماعز الأكثر عدداً (61،5٪) وبالرغم من قلة عددها (29٪ من المجموع الإقليمي) فإن الأبقار تساهم مساهمة فعالة في تلبية حاجيات السوق الداخلية من الحليب (حوالي 20 مليون لتر سنويا) واللحوم.

ومن شأن إنشاء سد الوحدة (3، 8 مليار متر مكعب من المياه، منها 1،1 مليار مخصصة لسقي الشطر الثالث للري بالغرب) أن تواكبه حتما زيادة كبيرة للإنتاج الفلاحي بالإقليم.

في مجال الصناعة، تعتبر الصناعة الفلاحية أهم عنصر في هذا الميدان حيث يضم الإقليم معملا لتحويل الشمندر إلى سكر وآخر لمعالجة قصب السكر بمشرع بلقصيري، ومعملا لحلج القطن (كومابرا) ووحدتين لمعالجة الحوامض، ووحدة عصرية لمعالجة الزيتون بوزان.

ورغم العدد البسيط للمؤسسات ولمناصب الشغل المرتبطة بها، فإن إقليم سيدي قاسم يتوفر على ظروف مثلى لتنمية القطاع الصناعي، كما يتوفر على مؤهلات سياحية هائلة ممثلة أساسا في مآثره التاريخية (مدينتا بناصا الرومانية، والبصرة العربية الإسلامية) وفي أصالة صناعته التقليدية خاصة في مدينة وزان.

مبارك الشيكر

**سيدي لحسن**، منجم رصاص - فضة يوجد في بهرة دبدو، على بعد 50 كلم إلى الجنوب الشرقي من تاوريرت، بالمغرب الشرقي.

تمعدنات الرصاص المحتوي على الفضة، معروفة بسيدي لحسن منذ العصر الوسيط حيث انصبت الأشغال على الركاز الرئيسي، فوصلت إلى عمق 30 م اضطرت معه إلى التخلي عن الاستغلال بسبب العرقلة المائية.

حصل استئناف للأبحاث في سنة 1918، لكن لم يتيسر الاستغلال إلا سنة 1979، على يد شركة مختصة (مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية BRPM والشركة العربية للمعادن ARMICO) زاولت العمل لبضع سنين فقط ثم توقفت.

شرع حاليا في البحث من جديد بواسطة الشركة المنجمية لتويسيت (CMT). تتمتع التمعدنات الرصاصية لسيدي لحسن بمضمون مرتفع من الفضة يصل إلى 1000 غ في الطن الواحد.

عدي عزّى

**سيدي محمد بن عبد الله** (سد -)، يوجد في المنخفض المسمى باسمه على وادي أبي رقراق بضاحية مدينة سلا. كان دوّارا مسكونا قبل أن تغمره مياه بحيرة السد. وقد تم التفكير ببناء السد لسببين رئيسيين :

- الحد من خطورة فيضانه على مدينتي الرباط وسلا،
- تجميع المياه لأجل استغلالها في التصفية وتأمين الماء الصالح للشرب للشريط الساحلي بين الرباط والدار البيضاء.

وتم اختيار موقعه على مقرن وادي أبي رقراق مع رافديه كرو وكريفلة، حيث توجد خوانق ضيقة منحوتة في صخور الحث المتحول الأولى لأبي رقراق وصخور صلبة أخرى من أهمها الكلس الديفوني، والتي تشكل موقعاً نموذجياً لبناء السد.

تم تدشينه سنة 1974، حيث يبلغ ارتفاعه 5.67م، وطوله 340 م، ويصل ارتفاع الماء فيه إلى حدود 50 م فوق مستوى البحر. يستطيع تخزين ما قدره 480 مليون م3، تقدر مساحة البحيرة في حالة الملء ب 28 كلم2، ويصل أقصى عمق فيها إلى 35 م.

أقيمت على السد محطة تستطيع أن تضخ 860000 م3/ اليوم، وترفعها إلى محطة التصفية في سطح الهضبة المشرفة على وادي عكراش، عند ارتفاع 150 م، والتي تبلغ قدرتها على تصفية 720000 م3 /اليوم. وهي أكبر محطة للماء الصالح للشرب بالمغرب.

لكن بحيرة السد تعاني من مشكلين أساسيين :

المشكل الأول التوحل : تقدر مصلحة تدبير المياه بإدارة هندسة المياه أن معدل ما يترسب في قعر بحيرة السد من أوحال حوالي 889 مليون م3 / السنة، أي بمعدل 2.28 م3 / ثا. تتوزع على قعر البحيرة بمعدل 271 م3 / كلم2، وتزداد في السنوات الرطبة، في حين تتناقص في السنوات الجافة. وهذا ما يقلل من عمر بحيرة السد ويجعل المدى العمري المؤقت للسد لا يتعدى 50 سنة منذ 1983.

المشكل الثاني تلوث مياه بحيرة السد : يأخذ التلوث أهمية كبيرة في سد سيدي محمد بن عبد الله من كون مياهه مخصصة أساساً للماء الصالح للشرب. ومن أهم مظاهر التلوث فيها ما يلي :

1 - ازدياد كمية المادة العضوية في بحيرة السد بمعدل 3 - 6 غ / م2 / اليوم. بمعدل سنوي يصل 5.1 مليون طن.

2 - تزايد نسبة الفوسفور ((Po4 في الشريحة العليا لسطح مياه البحيرة.

3 - ارتفاع حدة الأملاح وخصوصاً النترات ((NH4 في أعماق البحيرة.

4 ـ ارتفاع حدة PH التي تتراوح بين 7.7 و4.9 وتعرف أقصاها في فصل الصيف وذلك ارتباطاً بتمثيل Co2 بواسطة عملية Phytoplancton والتي يؤثر فيها عاملان أساسيان هما الأوكسجين الذؤوب والنترات.

ويقوم المكتب الوطني للماء الصالح للشرب بالتعاون مع منظمات دولية ووطنية من أجل حل هذه المشاكل أو التخفيف من حدتها.

رفع القدرة التخزينية للسد : أدى تزايد احتياجات سكان الشريط الساحلي للمياه الصالحة للشرب من جهة، وتناقص القدرة التخزينية للبحيرة بفعل التوحل من جهة ثانية، إلى التفكير في الرفع من مستوى ملء البحيرة من 50 م إلى 70 م، وذلك لرفع القدرة التخزينية من 480 مليون م3 إلى 5.1 مليار م3، وبالتالي مضاعفة مساحة البحيرة لتصل إلى 56 كلم2، مما سيوفر كمية مائية تصل إلى 245 مليون م3 سنوياً لكنه في نفس الوقت سيغمر أراضي زراعية واسعة تشمل عدة دواوير في عمالتي سلا الجديدة والصخيرات تمارة تضم 224 أسرة.

دراسة ميدانية.

عبد الرحيم وطفة

**سيدي يحيى الغرب**، مدينة تحتل الرتبة الخامسة ضمن التراتبية الحضرية لمنطقة الغرب (33840 نسمة سنة 2000) وترجع نشأتها هي أيضاً إلى ظروف الحماية التي قررت سلطاتها سنة 1926 خلق مركب استعماري عند سيدي يحيى على مشارف المرجة الكبيرة المجففة، ثم بعد ذلك خلق تجزئة غابوية شاسعة لأشجار الأوكليبتوس بين سيدي يحيى وسيدي سليمان.

مازالت المدينة حتى اليوم تركز أهم أنشطتها على استغلال خشب الأوكليبتوس وأيضاً على وجود معمل عجين الورق (سيليلوز الغرب)، بينما يشكل سوقها الأسبوعي نشاطا مكملا. ولكن مدينة سيدي يحيى تعاني كثيراً من قرب القنيطرة (28 كلم) التي تتعامل معها كتابع حقيقي.

مبارك الشيكر

**سيدي يوسف** بن **علي** الصنهاجي المراكشي المعروف بالـمُبتلَى وبصاحب الغار، لأنه كان يعيش في كهف بعد ما ابتلي بالجذام، وقد اطلق على ذلك المكان رابطة الغار، وحارة الجذمى، يقع خارج باب أغمات شرقي مدينة مراكش. وتعرف المدينة رابطات أخرى شبيهة هي : رابطة أبي إسحاق داخل باب أيلان، ورابطة الصالحين بحومة النجارين.

أخذ سيدي يوسف بن علي الطريقة عن شيخه أبي عصفور يعلى بن وين يوفن الأجذم، أحد مشايخ مراكش وسادات العارفين في وقته، وكان عبداً صالحاً (ت. 583 / 1187). وهو تلميذ أبي يعزى يلنور بن ميمون، وعاش سيدي يوسف بن علي في عصر الموحدين الذي انتشر فيه التصوف، وكثرت الرباطات ويمكن الوقوف على ذلك من خلال ما ورد من أخبار الصوفية ومواقفهم في كتاب *التشوف*.

واعتبر من رجالات مراكش السبعة المشاهير، واطنب المؤرخون في ذكر أسباب البدء به، واعتباره أولهم، فالناس إنما اصطلحوا على جعل أبي يعقوب أولهم لأنه يمني. ولعل من أسباب هذا الاختيار كذلك تقليد الطواف حول الكعبة فضريح المترجم يقع قبلي مراكش، فأشبه الركن اليماني من كونه قبلي البيت، لأنه ناظر إلى جهة الشرق والانطلاق منه إلى باقي الأضرحة (*بادرة الاستعجال*، 20).

وهو قريب كذلك من القصر السلطاني بالقصبة منطلق السلاطين ورجال الدولة للزيارة، فهم يخرجون منه يمينا لبدء الطواف الذي ينتهي بالإمام السهيلي.

توفي في شهر رجب عام 593 / ماي ـ يونيه 1197 ودفن خارج باب أغمات برابطة الغار، إلى جانب شيخه أبي عصفور يعلى بن وين يوفن كانت هذه الرابطة حارة للجذمى بمراكش قبل أن تنقل خلال العصر السعدي إلى الحي المسمى حالياً بالحارة خارج باب دكالة.

وعند الإفراني أن سيلا جارفا أصاب المدينة سنة 1134 / 1721 ودخل رابطة الغار وجرف البيوت الموجودة حولها، فأعيد بناء الضريح من جديد من طرف والي المدينة، بحضور المؤرخ المذكور (*درر الحجال*، 140).

ي. ابن الزيات، التشوف، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984؛ م. الإفراني، *درر الحجال في مناقب سبعة رجال*، تح. جلاب، مراكش، 2000 ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، طبعة حجر فاس، 1335 ؛ أ. ابن العريف، *محاسن المجالس*، نشرة اسين بلاسيوس، باريس، 1933 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *معلمة المدن والقبائل*، المحمدية، 1977 ؛ ع. ابن إبراهيم، *إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال*، مخطوط ؛ *الإعلام*، الرباط، 1974 ؛ م. الغالي بن المكي الأندلسي، *بادرة الاستعجال في مناقب سبعة رجال*، مخطوط ؛ ح. جلاب، *الحركة الصوفية بمراكش*، 1994.

حسن جلاب

**السيروا** (جبل –) تتحدد إحداثيات القمة من جبل السيروا بخط عرض 42 30 شمالاً، وخط طول 37 7 غرباً، وبارتفاع 3305 م. وهي كتلة جبلية متميزة، تمثل نقطة الربط بين الأطلسين الكبير والصغير، فاصلة بذلك ما بين سهل سوس إلى الغرب، وباقي المنخفض الجنوب أطلسي الممتد من ورزازات إلى ما بعد الرشيدية.

تنتمي القمة بالتأكيد إلى الأطلس الصغير بمختلف المقاييس الطبيعية. لاشك أن أهمها أنه من الجبال الموجودة إلى الجنوب من "الحادث البنيوي الجنوب أطلسي". وهو بذلك يخرج من ميدان النظام البنيوي الأطلسي الصرف، المنتسب للمجال المتوسطي، ويدخل في عداد الميدان الإفريقي الأكثر رسوخا واستقراراً. وعلى هذا الأساس، تكون كناية الأطلس في تسمية الأطلس الصغير إشارة لإقليم جغرافي بدون أية

إحالة على الوضع البنيوي. حيث من المعلوم أن الميدان البنيوي الأطلسي يقتصر في المغرب على الأطلسين المتوسط والكبير، من نفس المنطلق الذي يجعل سلسلة الريف تنتسب للنظام الألبي.

لكن يبقى جبل السيروا، رغم خروجه عن النظام الأطلسي الحقيقي، شديد التأثر به نظراً لقربه الكبير منه. وذلك بسبب وضعه اللصيق بالشفة الجنوبية لنطاق الانفصال الجنوب أطلسي، تماماً كما هو الشأن في كتلة توبكال الوثيقة الصلة بالشفة الشمالية.

وقد تصح المقابلة بين الكتلتين على مستويات عدة.

فكما أن توبكال محصور بين الحادث الجنوب أطلسي والانكسار الكبير للتيزي نتاست شمالاً، فإن السيروا معزول بين نفس الحادث الجنوب أطلسي وما يسمى بالحادث الرئيسي للأطلس الصغير جنوباً. وكلها انكسارات نشيطة، تأججت حركيتها على الخصوص في سياق البنائية الأطلسية في الحقب الثالث، مع احتدام في الميوجين والرباعي.

لكن هذا الأمر أعطى امتيازا خاصا للسيروا، إذ حسم في مصيره وأحاله إلى بركان حديث العهد، باعتبار المقاسات الجيولوجية، غطى القاعدة القديمة للركيزة المحلية بفيوض من الأدفاق البركانية. زلزال مدينة أگادير، سنة 1960، شاهد حالي على النشاط الانتهاضي العميق الجذور لهذا النطاقي البنائي الحدودي، والذي يهز بحركيته، ليس القشرة الأرضية وحدها، ولكن المعطف الأعلى كذلك.

ومن جهة أخرى، فإنه لولا السيروا، لكان توبكال هو آخر مجال إلى الجنوب، في مجموع الحوض المتوسطي، يتميز بمظاهر التشكيل الجمدي الموروثة عن الحقب الرابع، وإن كانت هذه الأشكال خافتة في السيروا بسبب الارتفاع الأقل والمواجهة الأقرب للصحراء. كذلك الخفوت النسبي للغطاء النباتي. لكن تبقى عادات السكان، في تربية الماشية والزراعة وأنماط السكن، شديدة التشابه.

وتكاد المقابلة مع توبكال تتوقف عند هذا الحد.

أما من حيث الأساس البنيوي، فلا تختلف قاعدة السيروا عن باقي مكونات الأطلس الصغير، القديم التركيب. فهي أولا بهرة شديدة القدم، شبيهة بكل تلك التي تكون السلسلة، من جناحها الغربي إلى امتداداتها في الوسط والشرق، وصولا إلى الصاغرو والوگنات. تهم البهرة تقبُّب الأساس الهرسيني المغلّف بالطبقات الكمبرية الشيستية والكلسية، التي تكشف عن القلب المكون من الصخور قبل ـ الكمبرية، وأساسها الگرانيت مع بعض الشيست والكوارتزيت والحمم القاعدية.

لكن أهم حدث مميز للكتلة هو التشييد المتأخر، من فوق القاعدة القديمة، لمخروط تراكمي هائل مكون من أدفاق الفونوليت، تتخلله طبقات قارية ميو ـ بليوسينية.

ولقد تشكل، من جراء هذه الأزمات الاختراقية النيوجينية ومن تراكبها مع حطام التعرية والمواد القارية عموما، ذلك البركان الطبقاتي الذي أعطى الهيئة والحجم النهائيين للجبل، والذي قدرت له القياسات النظائرية عمراً من فئة 10،5 إلى 6،5 مليون سنة (A. Rique, *Géol. Mar.*, 1994). وقد اكتسبت المنطقة من وضعها البنيوي مشاهد بركانية فريدة من نوعها اتساعا وجمالا. ومن أهم مظاهرها حقول أنابيب الأرغن النادرة في غيرها من المناطق المغربية بكل الأعمار، والتي تناهز ارتفاعاتها هنا الخمس مائة متر (تيكنيوين).

لذا جاءت القمة مخالفة لكل ما حولها شكلا وتطوراً. وقد زاد من تفردها انعزالها عن السلسلتين الجبليتين بفجاج عميقة، هي دون قمتها بألف متر عند الاتصال بالأطلس الكبير وألفي متر جهة الأطلس الصغير. أما بالنسبة للقادم من سوس في الغرب أو من مقدمة الصحراء في الشرق، فإن القمة تبدو شامخة، فاصلة بين عالمين.

يتجلى الاعتراض في كل شيء ظاهر. إذ تتمتع قمة السيروا، مع بقع قليلة أخرى محدودة تخص أعلى ما في الأطلس الصغير، بتساقطات من فئة 500 مم، لكن مع تناقض صريح بين السفحين الغربي، المنفتح على التأثيرات المحيطية، والشرقي، الملفوح بالرياح المتاحة الآتية من الصحراء، الشديدة الحر والجفاف. تستقبل مدينة أولوز، إلى غرب الجبل وفي أقصى عمق السوس، معدلا مطريا بـ 360 مم، تليها تاليوين، في القدم الجنوبية الغربية، بمعدل 240 مم، لكن تازناخت، في القدم الجنوبي الشرقي لا يتعدى 120 مم. على أن التضارب لا يتوقف عند التفاوت في مقادير التساقطات، بل هو حقيقة الحدّ الفاصل بين نظامين بيومناخيين واضحي الاختلاف.

إلى الغرب، يتمثل الفصل الرطب في الفترة بين أكتوبر وأبريل، مع أقصى مستوى له في دجنبر ـ يناير. أما في الشرق فلا ينتظر المطر إلا في شتنبر إلى نونبر أو دجنبر، ويكاد لا يكون إلا على شكل زخات عاصفية شديدة التأرجح في الزمان. فيكون عدد أيام التساقط النافع بحدود الثلاثين يوما في الغرب، في حين أنها لا تتعدى العشرة أيام في الشرق. وتبلغ على القمم الخمسين يوما، مع نصيب من الثلوج منتظم في فصل الشتاء.

لذا فإن الطريق الرئيسية الرابطة بين تارودانت وورزازات، التي تحف في وسطها بقدم الجبل من جهته الجنوبية، تصلُ في وقت وجيز بين طرفي نقيض. فهي إذ تأتي من الغرب، صاعدة وادي سوس الأعلى، اليانع الخضرة، سرعان ما تواجه المجال الشرقي القاحل، وإن كان به بعض الشعاب الرافدة لوادي درعة.

بين أولوز ووادي تيفنوت، من عالية سوس، والجبل، توجد روائع نباتية لا مثيل لها من حيث التموضع. منها آخر تجمع كبير للأركان (Argania spinosa) في اتجاه الشرق، الشجرة الثمينة الفريدة بجنسها في العالم، والتي استطاعت أن تعطي لسهل سوس رغم جفافه (حيث يبقى التساقط في

كل مكان منه دون 300 مم) خضرة وكثافة الحياة في الغابات.

وتجدر الإشارة، إلى أنه آخر موقع إلى الشرق من "محمية أركان للمحيط الحيوي". وهي محمية تشكل كل الإقليم الطبيعي للتشكيل الغابوي لشجرة أركان، حظيت بالاعتراف الدولي بوصفها إحدى أهم الجهات الطبيعية والحضارية في العالم. وتأتي الحظوة من كونها تضم شجرة الأركان بالذات، وذلك لما للشجرة من التفرد المطلق بالجنس، وهو بالطبع إسهام فريد في تراث التنوع الحيوي الكوني، وما تتميز به من أدوار في مكافحة التصحر. وقد تم التسجيل باللائحة الدولية لمحميات المحيط الحيوي، المقامة من طرف منظمة اليونسكو، وبالضبط في إطار برنامجها البيئي التنموي الهام الذي يحمل اسم الإنسان والمحيط الحيوي، المعروف بالماب (Man and Biosphere : MAB))، وذلك بمقر المنظمة بباريس في ثامن دجنبر من سنة 1988.

أما إذا واصلنا التحرك صوب قمة جبل السيروا انطلاقا من مدينة تاليوين، وهي بالضبط المدخل الرئيسي لكيانه الضيق، يلاحظ تكاثر العرعر المغاربي (Tetraclinis articulata) مع عناصر ثانوية من العرعر الأحمر (Juniperus phoenicea) والخروب (Ceratonia phoenicea) والضرو (Sistacia Lentiscus) وغيرها. ثم صعوداً إلى القمم، تنتشر غابات زگموزن والسيروا من قواعد العرعز المغاربي إلى البلوط الأخضر (Quercus rotundofoléa)، (Boudy P. 1958) ولا شك أنها آخر مناسبة إلى الجنوب يبين فيها البلوط الأخضر عن بعض الحيوية، إذا ما استثنينا بعض العناصر المشتتة والمتداعية التي لا يعتد بها.

ومعلوم، من جهة أخرى، أنه انطلاقا من هنا سرعان ما يتراجع ظهور العرعر المغاربي، يعوضه في اتجاه الشرق، بصفة كلية، العرعر الأحمر.

وفي جل الحالات هنا، عندما تختفي التشكيلات الشجرية، تحت الضغط الحثيث للإنسان، خاصة عندما تتضافر القارية والارتفاع لجعل تدهورها لارجعيا، يتحول الغطاء النباتي الطبيعي إلى سهوب الشيح (Artemisia) والزعتر (Thymus). كما تبدو بعض أعالي السفوح على شكل حافات انهيال، حطامها مهيكل ومنتظم التفريش. وينتهي التشكيل على القمم إلى تجويفات جمدية عريضة موجهة صوب الشمال والشمال الشرقي. وكلها شواهد، ثمينة في هذا الموقع رغم تواضعها، تدل على ما سلف من الفترات الرطبة والباردة من الرباعي.

يعتبر الموقع العام للسيروا من الوجهة المشهدية مجال إمتاع طبيعي. ولخلوه من الطرق المعبدة، فإنه يرتاد من أجل الاستجمام أو النزهة الرياضية. وهو في مجمله عبارة عن مخروط هائل مفلطح القمة، تعلوه تشكيلات بديعة من أعمدة الصخر البركاني، وتنحدر منه أودية عميقة بشكل شعاعي، تشكل العاليات منها خوانق سحيقة تتخللها العزبان وملاجئ القطعان المنتجعة صيفا. أما ما دون حوالي الألفي متر، فتتقاسمه الأحراج وما تبقى من الغابات، على البيأنهار، والمنشآت الريفية المتكاثفة في الأودية.

المشهد الريفي بسيط، تقليدي في الإقليم، قوامه حقول الشعير الشتوي المتسلقة للمصاطب السفحية والمقواة بالدعامات الحجرية، وهي في الغالب مصحوبة بأشجار أو جنان اللوز.

**جبل سيروا في إطاره البنيوي المبسط**

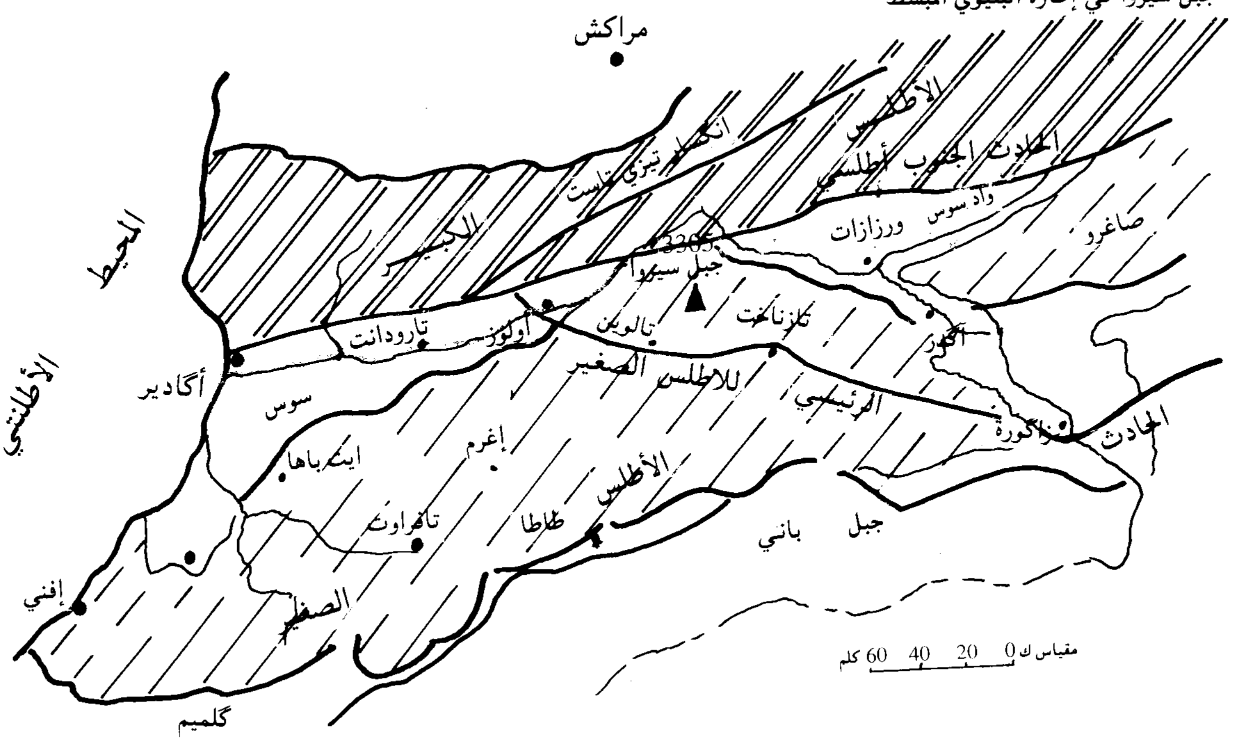

أحدث ما في الجبل، القطاع السقوي لسد تاغدوت في جنوبه الشرقي، في العالية المباشرة لمدينة تازناخت. وهو أقدم السدود العصرية جنوب الأطلس، وأصغرها (Ressources en eau du Maroc, t. 3, 1977). انتهى من بنائه سنة 1956، ولا يروي إلا مائتي هكتار، يبدو أنها قابلة للزيادة إلى الضعف بشيء من الإصلاح. يقوم بتنظيم مياه وادي عمارة، رافد واد نايت دوشان ورافد لهذا الأخير هو واد ورزازات. توجد جل أراضي القطاع على المصاطب الدنيا بالضفة اليسرى من الوادي. تنمو بها مغارس اللوز وتتواتر على حقولها منتوجات الخضر والأعلاف وخاصة الحبوب ومنها الذرة.

تلزم الإشارة إلى أن هذا السد العصري، القديم نسبيا، والذي يكاد يكون مجهولا لصغره ومحدودية وسائله، يطرح مع ذلك الإشكالية المعقدة والمفيدة المتسائلة عن النسق التقني المناسب وظيفيا والذي يجب أن تتميز به سدود المناطق الجافة، وخاصة منها الموجودة في مقدمة الصحراء. ذلك لأنها مطالبة بأن تفيد في كل الأغراض المعروفة التي تضطلع بها السدود على العموم، لكن مع أقل ضرر ممكن بالبيئة الطبيعية، ذات المواصفات الخاصة هنا، والموسومة بالهشاشة الشديدة، وكذلك بأقل تدخل غير عارف ولا مسؤول بالبيئة البشرية الشديدة الغنى بالمكونات الحضارية ذات الأهمية (التصحر : الجزء السابع من *المعلمة*، ص. 2384).

لاشك أن سد تاغدوت يتميز بالحجم التجريبي المناسب، وبالعمر المعياري للتقويم، من أجل استشراف المقاسات المواتية لحقينات هذه الفصائل من أساليب التخزين، وذلك في علاقتها مع طاقة التبخر السائدة، وسلاسة تصريف الفائض حتى يعبر إلى الخطارات مثلا ويطعم زراعات السافلة ويزود بما يمكن أن تحتاجه مواقع الصمود الأمامي في وجه التصحر.

جدير بالذكر، هنا كذلك، الإشعار بأنه بمجرد المرور إلى السفح الشرقي من السيروا، وبالتالي إلى الحوض الأكبر لوادي درعة، يتحقق الولوج إلى المحمية الثانية من محميات المحيط الحيوي المغربية. وتعتبر أكبر محمية من هذا الطراز في ما يسمى بالجهة الغربية من التقسيم المعتمد باليونسكو، لكونها تجمع بين الحوض الأعلى والأوسط لدرعة والحوض الإجمالي لوادي زيز واغريس وما بينهما. وقد أعلن عن المصادقة في عاشر شهر نونبر من سنة 2000 بتسمية محمية المحيط الحيوي لواحات الجنوب المغربي.

واستحقت المحمية الاعتراف والعناية الدوليين بوصفها آخر نموذج واسع ونشيط من نماذج نطاق مقدمات الصحراء، الموجود في حاجة ماسة إلى الصون والدعم حتى يُتمكن من مواصلة مكافحة الزحف الصحراوي. وتقترح خطاطة تدبير المحمية أن يكون الاعتماد المادي في بلوغ ذلك، بالأساس، على إعادة التأهيل الطبيعي للسفح الجنوبي من الأطلس الكبير، والعناية الفائقة بما لازال قائما من المهارات البشرية وبالموروث الحضاري من أجل الإدراك الحقيقي لدواليب التنمية المستدامة في الإقليم ومنها في مجالات الخصاص المائي بصفة عامة.

ومن جهة أخرى، عرف الموقع، منذ عهد بعيد، العديد من الأنشطة في القطاع المعدني، ولازال يعرف بعضها ولو جزئيا. الآثار الفلزية الغالبة من حول الجبل هي ولا شك المنغنيز، الذي عرف استغلالا مكثفا إلى عهد قريب حول مركز بوتازولت بالمنجم المعروف بإيميني في الشمال الشرقي. ومن العناصر الأخرى، القابلة للاستثمار، الجبس والرصاص والزنك. ولاشك أن من أهم المواقع وأقدمها منجم الفضة بالزكوندر، مباشرة إلى الشمال الغربي من القمة. وهو من القدم والرسوخ إلى حد أنه أكسب الساكنة مهارات في صياغته (الزكوندر : *المعلمة*).

في الواقع، تتمتع الجهة بالعديد من ميادين الخبرة، جعلت السكان يبرزون في منتوجات تستحق إفاضة في الإشهار على الصعيد الوطني وحتى العالمي. فبالإضافة إلى عمل الفضة، يتميز الإقليم، من جملة ما يزخر به، بزراعة الزعفران (Crocus sativus) وصناعة الزرابي النفيسة.

تسمى الحقول المتخصصة في استنبات الزعفران محليا بالزعفرانيات، ويمارس هذا النوع من الزراعة تقليديا بالأساس في واحات الجنوب، وفي الأطلس الكبير. كما أن للزعفران عاصمة، تضم تعاونية المنتجين، هي مدينة تاليوين، عند المدخل الجنوبي الغربي لجبل السيروا. مشاهد رائعة يمكن أن تكتشف إلى الجنوب من قمة السيروا (3305 م) وقمة گيليز (2905 م) والخوانق المحدقة، حيث قرية تاكويامت، أكبر تجمع سكني بالكتلة الجبلية، ومن حولها حقول الزعفران الدائبة النشاط. يعتبر الزعفران المغربي من أجود الضروب نكهة، لكنه لا يمثل إلا النزر القليل جدا، بالمقارنة مع الجارة إسبانيا مثلا التي تسيطر على الإنتاج العالمي، ويحتاج بالتالي إلى دفع جديد حتى ترتفع مردوديته ويتسع تسويقه.

كما أن كل المجتمع البشري المحيط بالسيروا، من آولوز غربا إلى تازناخت وما بعدها شرقا، يبدي حذقا متناهيا في صنع الزربية. وقد عرفت بها قبائل سكتانة وزكيطة، واتخذت من تازناخت عاصمة لأثمن الزرابي، وهي عامة أصغر حجما من سجاد الأثاث المتعارف عليه، تستعمل بسطا لتغليف الفرش وكذلك للتزيين. وتباع بالمدينة كذلك أنواع البرنس الأمازيغي الصوفي المصنوع محليا. عمل الصوف هنا متقن بديع، يضع المنتَج الأصيل من ضمن أغلى ما يوجد في السوق المغربية على الإطلاق.

بالنظر لكل هذه الخاصيات، فإن جماليات المشهد ليست حكرا على مظاهر الطبيعة وحدها، وإن كانت تجلب في حد ذاتها سنويا العديد من الزوار العارفين، خاصة في فصل الربيع تجنبا لبرودة الشتاء في الأعالي. بل تنضاف المنشآت البشرية إلى البيئة الطبيعية من أجل الإمتاع المتكامل. هناك

بالطبع مناظر التدبير الزراعي، التي تندرج من الإطار البديع للمدرجات النهرية وللزعفرانيات، إلى رياض اللوز التي تبهر الزائر بألوان إزهارها الشتوي، غير المألوف في ما عداها.

روعة من نوع آخر يصبغها التناسق الحاصل بين الخوانق والأجراف العالية والقصبات المعلقة من فوقها، التي تبدو عاتية ممتنعة، كما هو الشأن في تيسكي، جنوب شرق قمة كليز، حيث تطل المنازل القديمة من أعلى شاهق بمئات الأمتار، وقد استحالت في الحاضر إلى خزانات للحبوب.

مناظر من هذا القبيل، تنمقها أنواع الصخور في ألوانها الزاهية واختلاف تشكيلها، بزخم لا يوجد لا في القواعد القديمة والبنيات البركانية، تزينها خضرة الأودية والغابات، والأعراف المتوجة بالثلوج، المشرفة على المجالات الرحبة الوضاءة، وشموخ القصبات وحميمية الأسواق التي تبدو، ومعها الحياة النشيطة بها، كما لو كانت موروثة عن حكايات الأزل، هي التي استدعت صانعي السينما العالمية لإنجاز بعض أضخم الأفلام التاريخية بها، وبعض أروع إنتاج المتخيل البشري.

معلوم أن ورزازات، في شرق المنطقة، تعتبر "هوليود" المغرب. كما يمكن أن نسوق من بين الأمثلة كيف أن قمم الأطلس الكبير والقصبات المجاورة، إلى الشمال، قد استعملت في إنتاج سينمائي ضخم حديث (1996) لتشخيص جبال الهيمالايا والتبت ! وقبل ذلك، سنة 1952، وإلى الغرب هذه المرة، استعيرت مناظر سوسية، جنوب شرق تارودانت (تيوط) لالتقاط مشاهد الفيلم الدولي الكبير علي بابا، الذي قام بالبطولة فيه الأمريكي يول باينر والفرنسي فرنانديل، ونخص بالذكر ممن شارك فيه من الفنانين المغاربة المرحوم البشير العلج (انظره في *المعلمة*).

سيطرح جبل السيروا باستمرار، ورغم حجمه الصغير نسبيا، مسألة انتمائه الإقليمي. ذلك لأن أهميته الحقيقية تكمن في العوالم التي يربط بينها، والتي تمثل جل سحنات المغرب الواسع الممتد جنوب الأطلس جمالا وروعة وعبقرية.

إدريس الفاسي

**السينغال** والمغرب، السينغال قطر صغير مساحته تزيد قليلاً عن مائتي ألف كلمتر مربع، يقع على شاطئ المحيط الأطلسي في مجموعة إفريقيا الغربية. جوه معتدل بالمقارنة مع بقية الأقطار المجاورة له. تحقق تقدمه في العمران والتجهيزات الاقتصادية والاجتماعية على مدى ثلاثة قرون عاشها الشعب السينغالي تحت الاستعمار الفرنسي. كما تكونت نخبة من المتعلمين والمثقفين السينغاليين أكثر عدداً من سائر الأفارقة. توفقوا في ميادين التعليم والإدارة والعسكرية، ونبغ منهم كتاب ومفكرون لا معون. انتشروا في فرنسا وفي غيرها من الأقطار.

حصل السينغال على الاستقلال سنة 1960 وأصبح جمهورية على رأسها الرئيس ليوبولد سيدار سنغور. مر من تحالفات واتحادات عدة إلى أن استقر الوضع بانفصال السودان (مالي) وقيام الجمهورية السينغالية وبداخلها جمهورية غامبيا، وبجانبها جمهورية مالي. وفي بداية سنة 1961 بادر المغرب بربط علاقات دبلوماسية مع السينغال على مستوى تبادل السفراء.

علاقات المغرب بالسينغال كانت وثيقة الارتباط في الواقع على مدى قرون بعد الفتح الإسلامي للمغرب وامتداده إلى السينغال بواسطة الفتوحات الواردة عليه مما جعل تاريخ البلدين يلتقي في فترات عديدة وتعاطفهما يزداد. وتبلغ نسبة المسلمين في السينغال تسعين في المائة، الكثرة الكاثرة منهم أتباع الطريقة التجانية ممن يهوون بأفئدتهم إلى فاس حيث ضريح الشيخ أحمد التجاني صاحب الطريقة. وإلى جانب هؤلاء أتباع الطريقة القادرية المعروفون بالمريدين الذين يتمتعون بنفوذ كبير اعتباراً للدور الاقتصادي وخاصة الزراعي الذي يقومون به.

لذلك ظلت علاقات الود والتعاون وطيدة بين السينغاليين والمغاربة بالرغم من الزحوف الاستعمارية وما أقامته من حواجز بينهم. ولقد أقامت جالية مهمة من المغاربة في ربوع السينغال أبا عن جد يتعاطون التجارة، وكانوا يتمتعون بالاعتبار والتقدير. اختلطوا بالسينغاليين وتصاهروا معهم.

رعياً لكل هذه الاعتبارات، اتجهت حكومة المغرب المستقل إلى تمتين علاقاتها مع إفريقيا السمراء وخاصة مع السينغال، وصدرت أول محاولة لتوحيد الدول الافريقية حديثة العهد بالاستقلال قام بها جلالة محمد الخامس في يناير 1960 فانعقد أول مؤتمر للقمة بالدار البيضاء. ولأول مرة كذلك امتد جسر بين ما كان يسمى بإفريقيا السوداء وإفريقيا البيضاء حيث كان الاستعمار يحرص كل الحرص على التفريق بينهما. وتابع مناوراته. فكانت تقوم تكتلات مفتعلة لا تلبث أن تنهار.

وفي آخر سنة 1960 بعث جلالة محمد الخامس "وفد ود وصداقة" إلى الدول الإفريقية قام برحلة إلى اثنتي عشرة دولة ما بين 10 نوفمبر إلى 10 دجنبر. كان من ضمن مهام الوفد : الحصول على دعم كفاح الجزائر في سبيل الاستقلال، والدعوة للتضامن الإفريقي وتعاون المغرب مع جميع الدول الإفريقية، والتنسيق في القضايا الدولية، والحوار حول قضية موريتانيا التي كانت موضوعة.

ولقد حصل الوفد المغربي على نتائج طيبة سواء في الأقطار الإفريقية التي كانت تعرف بالدول المتكلمة بالانجليزية أو الناطقة بالفرنسية. ولقي حفاوة كبيرة في السينغال من لدن الرئيس ليوبولد سيدار سنغور الذي سبق أن تابع القضية المغربية إبان اشتداد الأزمة بين المغرب وفرنسا حين كان عضواً في حكومة ايدغار فور التي أسهمت في حلها بقبول عودة محمد الخامس من المنفى وما ترتب عن ذلك من إعادة المشروعية والاستقلال. لم يمر شهر على رجوع

وفد الود والصداقة المغربي إلى الدول الإفريقية حتى تقرر فتح سفارة مغربية في دكار في 13 يناير 1961.

على مدى كل هذه العقود ظلت الوشائج طيبة لا يشوبها شيء بين المغرب والسينغال، وكذلك التعاون في شتى المجالات. خاصة في المجال الثقافي والدبلوماسي والسياسي. وقد ساعد الرئيس سنغور على التوفيق بين المغرب وموريتانيا، واستمر السينغال في تأييد وحدة المغرب. وقام كل من المغفور له جلالة الحسن الثاني وجلالة محمد السادس بزيارة دولة للسينغال كما قام الرئيسان عبده ضيوف وواد بزيارة المغرب. وأبرمت عدة أوفاق بين البلدين. ويوجد المئات من الطلبة السينغاليين يدرسون في المغرب.

ق. الزهيري، *مذكرات دبلوماسي*، الرباط، 1990.

قاسم الزهيري

**السينما** بالمغرب. تعرّف المغرب على السينما خلال السنوات الأولى لظهورها بأوروبا. فبعد أقل من عامين على تنظيم أول عرض سينمائي عمومي بباريس يوم السبت 28 دجنبر 1895، شهد المغرب سنة 1897 تنظيم أول عرض سينماتوغرافي به، وقد تم ذلك بالقصر الملكي بمدينة فاس. وابتداء من توقيع معاهدة الحماية بين فرنسا والمغرب عام 1912 أخذت العروض السينمائية ودور العرض في الظهور والانتشار بمختلف المدن المغربية.

إلا أنه قبل هذا التعرف، وبالموازاة معه، مثل المغرب فضاء مفضلاً للتصوير السينمائي، حيث بعث الأخوان لوميير بطاقم تصوير إلى المغرب في الفترة المتراوحة بين 1895 و1905 قصد إنجاز أفلام قصيرة لأماكن وسحن وعادات تبدو غريبة إذاك في أعين المشاهد الأوروبي (تتوفر قائمة المشاهد الخاصة بشركة الأخوين لوميير على "فيلم" قصير يحمل عنوان "راعي الماعز المغربي"، كما قام المصور والصحافي فيليكس ميسغيش بتصوير مدينة الدار البيضاء عام 1907، أثناء مهاجمة القوات البحرية الفرنسية لها وشروعها في احتلالها، فيما يمكن اعتباره لحد الآن أول وثيقة سينمائية مصورة عن بدايات الاحتلال الفرنسي للمغرب، وهي وثيقة تملك، فوق ذلك، أهمية خاصة بسبب ما تؤشر إليه من علاقة بين السينما والاستعمار.

وفعلاً، فقد عرف المغرب ابتداء من سنة 1919 وإلى حدود حصوله على استقلاله سنة 1956 تصوير قرابة 80 فيلماً روائياً غربياً طويلاً، يدخل تصوير معظمها في إطار النظرة العجائبية المتعالية التي يحملها الغرب تجاه العالم العربي الإسلامي، إلا أن هذا التصوير كان يؤكد، في الوقت ذاته، نجاح السلطات الاستعمارية الفرنسية في السيطرة على البلاد، وتحويلها إلى مكان آمن بالنسبة للغربيين.

إن أول فيلم أجنبي تم تصويره بالمغرب، وهو "مكتوبٌ" للفرنسيين ج. بانشون ودانيال كانتان، يعود تاريخه، كما سلف، إلى عام 1919. وهي فترة كانت قد مرت فيها 7 سنوات على إعلان الحمايتين الفرنسية والإسبانية على المغرب في 30 مارس و27 نونبر 1912 على التوالي، بما يعني أن السلطة قد استقرت في يد قوات الاحتلال بمدن مغربية مختلفة، مما مكن من تصوير الفيلم دون أي مشكل في مدن الدار البيضاء وطنجة ومراكش.

لقد صار تصوير الفيلم الأوروبي على أرض المغرب، بهذا المعنى، تأكيداً لنجاح سلطات الحماية في "تهدئة" البلاد وإخضاعها. لذلك لم تتوان هذه السلطات عن تقديم مختلف أشكال الدعم لهذا النوع من الأفلام. ففي عام 1922 ولأجل تصوير فيلم "دم الله" للفرنسي لويتزمورا، قامت السلطات المحلية لمدينة مراكش بتجنيد حوالي 12.000 فرد، واحتجاز قرابة 4.000 حصان، و2.000 جمل لمدة 3 أشهر قصد تصوير الفيلم. كما أن المقيم الفرنسي العام، المارشال ليوطي، قام بالشيء نفسه بالنسبة لفيلم "الرجال الجدد" (1922) للفرنسيين دوناتيان وفيولي، حيث جند جميع مصالحه المدنية والعسكرية للمساعدة على ظهور الفيلم في أحسن صورة ممكنة. يضاف إلى ذلك أن فيلم "الغرب" (1928) للفرنسي هنري فيسكور تم تصويره بمساعدة القوات العسكرية الاستعمارية وعرض في باريس وسط ضجة كبرى، وبحضور عدة جنرالات على رأسهم وزير الحربية الفرنسي، والمقيم العام لفرنسا بالمغرب.

لا يعني ذلك أن كل الأفلام التي صورت بالمغرب كانت أفلاما دعائية لصالح السلطات الاستعمارية، وإنما هو يعني فحسب أن عدد الأفلام التي برزت عالمياً وسط ذلك الكم قليلة جداً ومعدودة على أصابع اليد الواحدة، مثل : "اللعبة الكبرى" (1934) لجاك فايدر، "عطيل" (1949) لأورسون ويلز، "الوردة السوداء" (1949) لهنري هاتاواي، و"الرجل الذي كان يعرف أكثر مما يلزم" (1955) لألفريد هيتشكوك.

ومثلما فتحت فرنسا الفضاء المغربي لتصوير أفلام أجنبية، أنشأت أولى قاعات العرض السينمائي بالمغرب. ومع أن هذه القاعات كانت موجهة بالأساس إلى جمهور المعمرين الفرنسيين المقيمين بالبلاد، قصد التخفيف من إحساسهم بالعزلة والاغتراب، ومواصلة ربطهم ثقافياً وفنياً ببلدهم، فإنها استطاعت أن تجد لها جمهوراً آخر وسط "الأهالي" الذين لم يخفوا افتتانهم بالفرجة الجديدة أو الفن الجديد. هكذا سيرتفع عدد قاعات العرض ليصل إلى 50قاعة سينمائية قبيل الحرب العالمية الثانية، ثم إلى 131 قاعة بالمدن الكبرى و61 قاعة في المناطق القروية سنة 1954.

وإذا كانت السلطات الفرنسية رأت في هذا الانتشار نجاحا لها ولسياستها في "تحديث" المجتمع المغربي، مثلما رأى فيه مالكو القاعات إمكانية استثمار مربحة من الناحية الاقتصادية، فإن المشاهد المغربي اتخذ منه وسيلة للتواصل مع سينما أخرى (غير غربية) هي السينما المصرية، مقيماً، بذلك، وشائج ثقافية فنية جديدة ومتينة مع عمقه القومي العربي الذي حاولت الحماية الفرنسية فصله عنه، وموفراً

المزيد من أسباب المقاومة ورفض الاحتلال. هكذا تحول عرض الأفلام بدوره، وبشكل عفوي وغير منتظر، إلى مجال لصراع سياسي قوي بين الاستعمار الفرنسي وحركة المقاومة الوطنية، بلغ أوجه في مطلع عام 1944.

ففي نفس الفترة، تقريبا، التي عرفت توقيع "عريضة المطالبة باستقلال المغرب" وتقديمها إلى الإقامة العامة بالرباط (11 يناير 1944) صدر بالجريدة الرسمية (يوم 8 يناير 1944). ظهير يقضي بإنشاء المركز السينمائي المغربي"، ووضعه تحت سلطة "مدير الشؤون السياسية" الخاضع مباشرة لسلطة المقيم العام. كما أنشئت في السنة نفسها "استوديوهات السويسي" بتمويل هام من "البنك الوطني (الفرنسي) للتجارة والصناعة (الذي سيحمل، فيما بعد، اسم "بنك باريس الوطني")).

فمن جهة، كانت هناك "عريضة الاستقلال" التي تطالب بجلاء الاستعمار الفرنسي عن المغرب، ومن جهة أخرى كان ظهير 8 يناير يهدف، وعلى العكس من ذلك، إلى توفير مقومات جديدة لمواصلة الاستعمار، انطلاقاً من فهم للدور الذي يمكن أن يلعبه الفن السابع في الحد من تنمية الحس الوطني، وفك الارتباط بين المواطن المغربي وعمقه القومي العربي.

لقد استطاع المواطن المغربي أن يوطد صلاته بهذا العمق العربي انطلاقاً من مشاهدة الأفلام المصرية التي كانت تحظى بإقبال شديد في المغرب منذ أواخر ثلاثينيات القرن الماضي، بخلاف الأفلام الغربية التي لم تكن تحظى بمتابعة وإعجاب سوى نخبة قليلة من المشاهدين المغاربة، لذلك تمثلت إحدى المهام الرئيسية للمركز السينمائي المغربي آنذاك في إنتاج أفلام ناطقة بالعربية الدارجة المغربية، شبيهة في مضمونها وبنائها بالأفلام المصرية.

إلا أن الفرنسيين المشرفين على إنجاز هذا المشروع لم يكونوا قادرين على فهم كنه الفيلم المصري وطبيعة علاقته بالمشاهد العربي، فاختزلوه في الرقص والغناء وقصص الحب والغرام، التي تدور في أجواء غرائبية ترتبط بالتخيل الاستشراقي أكثر مما ترتبط بالمتخيل العربي.

هكذا، وخلال سنتين فقط (1946 ـ 1947)، ساعد المركز السينمائي على ظهور أزيد من عشرة أفلام من هذا النوع، منيت بفشل شديد عند عرضها في القاعات السينمائية المغربية. ويقول الناقد الفرنسي غي هانيبال تفسيراً لذلك إن هذه الأفلام لم تحظ بالإقبال المنتظر لسببين : أولهما غياب الواقعية عنها، بحيث إن المشاهد المغربي لا يجد فيها حقيقة وضعه ولا أصالة مطامحه السياسية ؛ وثانيهما "عجز الأفلام الكولونيالية عن تملك الميلودراما وإعادة توجيهها بما يتيح لها استقطاب الأهالي" (السينما الكولونيالية، انظر قائمة المراجع أدناه، ص. 11 ـ 12).

وفعلاً، فمن قراءة لملخصات الأفلام المذكورة يتبين أنها أخفقت في التواصل مع المشاهد المغربي، بالضبط لأنها اختارت مضامين لا تبتعد عن مضامين الأفلام الكولونيالية، بحيث ركزت على الخرافات والحكايات الشعبية المحلية (أو ما تعتقد أنه كذلك)، مبتعدة عن الواقع وقضاياه، بل ومبتعدة عن "النزعة الواقعية" كما تعرف عليها الجمهور المغربي انطلاقاً من عدد لا بأس به من الأفلام المصرية.

ومن اللافت للنظر أن الغالبية العظمى من الأفلام الفرنسية المصورة بالمغرب، حتى وإن كان أصحابها من المخرجين المتميزين في وقتهم، ظلت سجينة الرؤية الاستشراقية في أكثر صورها تطرفا : فموضوعات هذه الأفلام لا تخرج عن الغرابة والهوى والسحر والغيرة القاتلة والتطرف في الانفعال بوجه عام، كما لم يخرج مجالها البصري عن الرمال والنخيل وقوافل الجمال ومآذن المساجد وقبابها والأزقة الضيقة والشمس الحارقة، الخ ... ولم تتعد مضامينها مجال الخرافة أو الحكاية الشعبية.

هذه الخاصية التي ميزت الأفلام المسماة "كولونيالية" لم ينتبه إليها أصحابها، مثلما لم ينتبه إليها أفراد من النخبة المغربية ذاتها، أعجبوا بالسينما وعبروا عن اهتمامهم بها. نشير هنا، مثلاً، إلى فيلم "وردة السوق (أو الريح الشرقية)" (1930)، الذي أخرجه جاك سيفيراك عن حكاية شعبية رواها له محمد المعمري، وكيف أن هذا الأخير بعث برسالة إلى المخرج يوم 29 يوليوز 1931 يقول فيها (فيما يمكن اعتباره أول نص مغربي في النقد السينمائي) : "أجدد لك كل تهانئي. إن فيلم "وردة السوق"، وأكرر لك، هو من تلك الأفلام النادرة التي لا تجرح كرامة المسلم. لقد عرفت كيف تتجنب عقبة مزج الشخصيات الأروبية بشخصيات أهلية. فإلى حدود اللحظة، كان الدور الجميل يعطى للأوائل، وهو شيء مفهوم بقدرما يبعث على الأسف.

"إن فيلمك يظل ضمن إطار مغربي، بشخصيات مغربية، والحكاية قابلة للتصديق، كما أن طريقة عرضها فنية جداً. وفي ظني أنه، إذا نحن استثنينا بعض المسائل التفصيلية، فإنه لاشيء بحاجة إلى إعادة تناول وتنقيح" (م م. ص. 55 ـ 56).

ومن المحتمل جداً أن تكون وجهة النظر الشخصية هذه مشتركة بين صاحبها وعدد من أفراد النخبة المغربية، الذين كان أقصى ما يطلبونه من السينما كما يتصورونها، هو أن تعبر عن الفضاء المغربي، انطلاقا من حكايات شعبية محلية، وبشخصيات مغربية، وذلك دون أن تخطر على بالهم مطلقا إمكانية تصوير فيلم محلي يتناول مجال الواقع لا الخرافة، وبإمكانيات أبناء البلاد أنفسهم لا بإمكانيات الأجانب.

ولعل ما يظل غائباً عن هذه المحاولة الفرنسية لإخراج أفلام "مغربية" هو التفكير في إنجازها بأيدي مغاربة، حيث لم تكن هناك أية محاولة جدية من طرف سلطات الحماية للعمل على تكوين مغاربة في إحدى مهن السينما، وأقصى ما قدمته هذه السلطات من تنازل يتمثل في ظهور مغاربة

كممثلين يلعبون أدواراً رئيسية في أفلام المرحلة الجديدة، بعد أن كان وجودهم في الأفلام "الكولونيالية" السابقة مجرد تكملة لديكورها ومناظرها الطبيعية.

إلا أن هذا الموقف، الذي ينم عن نظرة متعالية تعتبر "الأهالي" مجرد تابعين منفعلين، لم يحل دون ظهور "مخرجين" وتقنيين عصاميين في مجال السينماء استفادوا من الاحتكاك بسينمائيين أجانب، أو كونوا أنفسهم وصمموا على ولوج ميدان الإخراج السينمائي، مثل المخرج محمد عصفور.

فهذا المخرج الذي قدم إلى الدار البيضاء من البادية واشتغل في مهن يدوية عديدة سرعان ما استهواه الفن الجديد، فعمل على اقتناء كاميرا تصوير هاوية أنجز بواسطتها، بعد عدد من التمارين الفاشلة، مجموعة من الأفلام القصيرة ابتداء من مطلع الأربعينيات، وشرع في عرضها على الأطفال في مرائب لا يتطلب تجهيزها أكثر من مقاعد طويلة للجلوس، وملاءة بيضاء على الحائط وآلة عرض هاوية. وبما أن محمد عصفور لم يكن يتوفر وقتها على حمولة جمالية وإيديولوجية تجعله يختط لنفسه طريقه الخاص ويختار موقعه تجاه الواقع المغربي لذلك الوقت، فقد اكتفى بتقليد أفلام غربية شاهدها ونالت إعجابه : "ابن الغابة" (1941) الذي يقلد فيه طرزان، "أموك الذي لا يقهر" (1948) ويقلد فيه "روبن هود"، إضافة إلى سلسلة أفلام "جحية" التي قلد فيها شارلي شابلن.

وقد حافظ محمد عصفور على تصوره هذا للسينما، أي باعتبارها مجرد تقليد لمشاهدات سابقة، حين أتيح له أن يخرج فيلمه الروائي الطويل الأول "الكنز المرصود" (1970)، فجعل من هذا خليطا من أفلام الغرب الأمريكي والمصارعة والميلودراما الهندية والفيلم الغنائي المصري وأفلام المغامرة... بما يجعل الفيلم عنده مجرد أداة للتسلية والترويح عن النفس، ويحصر جمهوره في الأطفال أساسا، في عمل أقرب إلى الهواية منه إلى الاحتراف، يقع على هامش دوائر الإنتاج والتوزيع القائمة.

من هنا يمكننا أن نتحدث عن إخفاق عام للسلطات الاستعمارية في توظيف السينما من أجل تثبيت دعائم سيطرتها على البلاد، وإن كان هذا لا يمنع من الاعتراف، مع ذلك، بفضلها في إدخال هذا الفن إلى المغرب، رغم ما يمكن تسجيله على طريقة دخوله تلك من مآخذ، على رأسها ربط السينما في المغرب باللغة والثقافة الفرنسيتين، مما جعلها عاجزة لحد الآن عن الاندماج ضمن باقي مكونات الثقافة المغربية التي تعبر عن نفسها أساساً باللغة العربية (القصة والرواية والمسرح، بوجه خاص).

بعد حصول المغرب على استقلاله بما يزيد قليلاً عن سنتين، أعيد النظر في وظيفة المركز السينمائي المغربي ابتداء من 7 نونبر 1958، بحيث أصبح مكلفا بمراقبة مهنة السينما بالمغرب، والسهر على تطبيق التشريع المنظم لها ولممارستها، والإشراف على عملية توزيع الأفلام وعرضها، إضافة إلى "إنتاج أفلام سينمائية".

ويكتسي النص على هذه المهمة الأخيرة طابعا خاصا، وذلك لكونها، رغم التأويل المحدود الذي أعطي لها، والمتمثل في إنجاز نشرة أسبوعية مصورة لتغطية الأخبار الرسمية وإخراج أفلام دعائية قصيرة للإنجازات الحكومية، فإنها تفتح المجال واسعاً أمام إلقاء مسؤولية إنتاج الأفلام في المغرب المستقل على عاتق القطاع العام.

لقد ظهر أول فيلم روائي مغربي طويل عام 1968، تحت عنوان "الحياة كفاح"، ومنذ ذلك الحين إلى الآن ظهر قرابة مائة فيلم مغربي طويل وأزيد من مائتي فيلم قصير، تم إنتاج معظمها بفضل المركز السينمائي المغربي، إما مباشرة أو عن طريق "صندوق الدعم السينمائي" (العامل ضمن المركز) في صيغته الجديدة التي عرفت النور ابتداء من سنة 1980.

ففي سنة 1954، كانت سلطات الحماية الفرنسية قد أنشأت في إطار المركز السينمائي المغربي صيغة لتشجيع انتشار السينما بالمغرب أطلق عليها اسم "صندوق دعم السينما". وقد استمر العمل بهده الصيغة ست سنوات، دون نتيجة تذكر، إلى أن تم إيقافها عام 1959. تتمثل هذه الصيغة في فرض رسم ضريبي إضافي على تذاكر الدخول إلى قاعات العرض السنمائي، يخصص لإنعاش استغلال القاعات وإنتاج الأفلام. لكن الذي حصل، عمليا، هو تخصيص مبالغ الدعم لترميم القاعات وتحسينها وتطويرها من الناحية التقنية، دون أن يذهب أي قسم منها لمجال الإنتاج.

وبعد حوالي عشرين سنة على إيقاف هذه الصيغة، قدمت غرفة مهنيي السينما، المتضررة من ضريبة إضافية عام 1963 وبلغت نسبتها 21 بالمائة من المداخيل، مجموعة من المقترحات إلى المركز السينمائي المغربي على رأسها ضرورة العودة إلى صيغة صندوق الدعم القديمة، مع إيلاء أهمية خاصة لإنتاج الأفلام.

هكذا ظهر "صندوق الدعم" في صيغته الجديدة ابتداء من عام 1980، على أساس أن تأتي وارداته من الرسم الضريبي الإضافي على تذاكر السينما، وتقسم نسبة تتراوح بين 94 و93 بالمائة من مداخيله بالتساوي بين الإنتاج السينمائي وترميم القاعات السينمائية القائمة وإنشاء قاعات سينمائية جديدة. وإذا كانت هذه الصيغة الجديدة غير مكتملة، مما حتم تعديلها مرتين، مرة أولى عام 1988، ومرة ثانية عام 1997، فإن المهم هو أنها أدت إلى ظهور كم هام من الأفلام يقدر بحوالي 80 فيلما روائياً طويلاً و60 فيلما قصيراً خلال الفترة الممتدة من 1980 إلى 1999. علما أن مداخيل القاعات السينمائية في تناقص مستمر، بحكم الإحجام المتزايد عن ارتياد القاعات السينمائية وتناقص أعدادها، مما حتم تدخل الدولة ممثلة في وزارة الاتصال (ثم الثقافة والاتصال، فيما

بعد) من أجل ضخ مبالغ إضافية في صندوق الدعم رفعت المبلغ الإجمالي السنوي الذي يتصرف فيه إلى 20 مليون درهم.

وبحكم هذا الوضع الخاص للفيلم المغربي، يعتبر المهرجان الوطني للسينما المغربية أداة هامة لترويجه والتعريف به داخل المغرب وخارجه. وقد أنشأ المركز السينمائي المغربي هذا المهرجان لأول مرة عام 1982، وإلى حدود شهر فبراير من العام 2001 عقدت منه، وعلى نحو غير منتظم، ست دورات، كانت أولاها بالرباط، والثانية بالدار البيضاء (1984) والثالثة بمكناس (1991)، والرابعة بطنجة (1995)، والخامسة بالدار البيضاء (1998) والسادسة بمراكش.

لكن رغم ذلك يلاحظ أن معظم الأفلام التي تم إنتاجها خلال الثلاثين سنة الأخيرة لاتجد طريقها إلى قاعات العرض، أو تعرض لوقت وجيز قبل أن تسحب لتخلي مكانها لأفلام أخرى، أجنبية في الغالب. ويمكن تفسير هذا الأمر بانعدام الحوافز، التشريعية والمادية، التي تشجع مستغلي القاعات على إعطاء الأولوية للفيلم المغربي، إلا أنه يمكن تفسير الأمر كذلك باندراج الفيلم المغربي، بوجه العموم، ضمن جماليات تختلف عن تلك التي تعود عليها المشاهد المغربي ونحتت ذائقته على مر السنين.

إن هذا المشاهد، الذي ارتبط منذ نعومة أظفاره بنوع خطي من السرد، يعتمد على القصة البسيطة سريعة الإيقاع، ذات البداية والوسط والنهاية، والتي تحقق الانتقال بين المشاهد بسيولة يساعد عليها توظيف الموسيقى والمؤثرات الصوتية، يجد صعوبة في متابعة أفلام ذات سرد متقطع، وإيقاع رتيب أو غير منتظم، يسودها صمت قاتل. كما أن المشاهد المتعلم، الذي تلقى تكوينه في أحد الأندية العاملة ضمن الجامعة الوطنية للأندية السينمائية (تأسست عام 1972، وكانت تضم في النصف الأول من ثمانينيات القرن الماضي قرابة 40 ألف منخرط)، يجد صعوبة في الحكم على الفيلم المغربي انطلاقاً من مشاهداته لروائع السينما العالمية.

لذلك كانت الأفلام السينمائية المغربية التي حظيت بترحيب الجمهور أو هواة السينما أو هما معا قليلة جداً، نذكر من بينها : "وشمة" (1970) لحميد بناني "ألف يد ويد" (1972) لسهيل بنبركة، "أحداث بدون دلالة" (1974) لمصطفى الدرقاوي، "الشركي، أو الصمت العنيف" (1975) لمومن السميحي، "أليام أليام" (1978) لأحمد المعنوني، "السراب" (1979) لأحمد البوعناني، "عرائس من قصب" (1981) للجيلالي فرحاتي، "حلاق درب الفقراء" (1982) لمحمد الركاب، "باديس" (1988) لمحمد عبد الرحمن التازي، "أيام من حياة عادية" (1991) لسعد الشرايبي، "البحث عن زوج مراتي" (1993) لمحمد عبد الرحمن التازي.


خالد الخضري، *موقع الأدب المغربي من السينما المغربية*، الرباط، 1981، *دليل المخرجين المغاربة*، الرباط، 1999 ؛ مصطفى المسناوي، *أبحاث في السينما المغربية*، منشورات الزمن العدد، 27، الرباط، 2001 ؛ أ. سجلماسي، *المغرب السينمائي*، منشورات شراع العدد، 65، الرباط، 1999 ؛ المركز السينمائي المغربي، *الفيلم المغربي الطويل، جرد فيلموغرافي*، الرباط، 2000. الفيلم المغربي القصير جرد فيلموغرافي، الرباط، 2000.

P. Boulanger, *"Le cinéma colonial : de "l'atlantide" à "LAwrance d'Arabie"*, Paris, 1975 ; D. Maillot, *"Le régime administratif du cinéma au Maroc"*, Rabat 1961 ; *Souffles* (revue), n°2, 1966, Rabat, *"Dossier sur le cinéma marocain"* ; My Driss Jaidi, *"Le cinéma au Maroc"*, Rabat, 1991 ; My Driss Jaidi, *"Public(s) et cinéma"*, Rabat, 1992 ; *"Cinégraphiques"*, Rabat, 1995 ; *"Vision(s) de la société marocaine à travers le court métrage"*, Rabat, 1994 ; F. Souiba, F. Z. El Alaoui , *"Un siècle de cinéma au Maroc : 1907-1995"*, Rabat, 1995 ; Gallaoui (Mohamed), *"La critique au pluriel"*, Casablanca, 2002.


مصطفى المسناوي

**السيّار، العربي**، موسيقي ولد بمدينة طنجة عام 1309 / 1892 ومنذ طفولته ظهر تعلقه بالموسيقى الأندلسية وولعه بحفظ مستعملاتها، فكان يواظب على حضور منتديات الفنانين، حتى إذا شب عن الطوق لم يتردد في الترحال إلى المدن المغربية وخاصة فاس رغبةً في تعلم العزف وأخذ الصنعات من أفواه رجال الفن، وهكذا تعرف على الفقيه محمد المطيري وغيره، ولم يمض بعض الوقت حتى أتقن الضرب على آلة الطر، ومهر في الإنشاد، فضلاً عن حفظه للنوبات الأحدى عشرة ؛ وبذلك تجمع لديه رصيد هام من مستعملات الآلة ساعد على تفتق موهبته وملكته في التلحين.

وقد شغله إلى حد كبير هاجس استكمال ميازين النوبات وشجعه على ذلك ما لمس في نفسه من نزوع إلى التلحين، فقام بإنجازين فنيين أسهما في إغناء الرصيد الكمي للموسيقى الأندلسية المغربية :

أولهما تلحينه لبعض صنعات ميزان القائم ونصف من نوبة الحجاز المشرقي. وقد جاء عمله هذا على نحو مغاير لما سيصنعه من بعده محمد بن عمر الجعايدي. ولعل الحاج إدريس بن جلون يكون قد استفاد من صنيعه واتخذه نواة لما أثبته في تحقيقه لكناش الحايك.

وثاني الإنجازين تلخيص ميزان درج العشاق، وقوامه ثلاث عشرة صنعة، وقد أطلع السيار أستاذه الفقيه المطيري على هذا الإنجاز في لقائهما بفاس بمناسبة احتضانها للمؤتمر الأول للموسيقى المغربية في ماي 1939.

وبالرغم على المكانة الفنية التي بلغها السيّار فقد عرف بأنه كان يأبى على نفسه التكسب بالموسيقى، ومن ثم آثر تعاطي التجارة فاتخذ له متجراً بمدينة الدار البيضاء.

وقد عاد في أواخر حياته إلى مسقط رأسه طنجة، ومكث بها إلى أن وافته المنية في 13 حجة عام 1383/ 26 أبريل 1964 عن عمر يبلغ الثانية والسبعين.


الوكيلي، *الموسيقى الأندلسية من خلال مسيرة الفنان مولاي أحمد الوكيلي*، سلسلة المعرفة للجميع، مارس، 1999، ص. 61 ؛ *معلومات شخصية*.


عبد العزيز بن عبد الجليل

# ش

**شابس**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Chavez وChaves ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1189 /1775.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1467.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشابل** كما هو شائع في المغرب، أو الصابوغة في بعض المعاجم، حيوان من الأسماك العظمية شائكات الزعانف وفصيلة الصابوغيات Clupeidae، يسمى بالفرنسية Alose وبالإنجليزية Shad. منه نوعان يعيشان في السواحل المغربية:

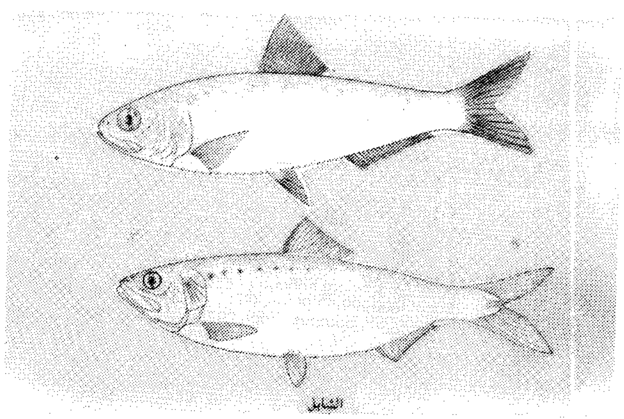

ـ الشابل الكبير أو الشابل الحقيقي ألوزا ألوزا يدعى بالفرنسية Alosa, alosa, Linnaeus, 1758 وبالإنجليزية Allis Shad وبالإسبانية Sabalo comun . ظهره أزرق قاتم وجوانبه فضية، بقعة داكنة على مؤخرة الزاوية العلوية لغطاء الخياشيم متبوعة أحيانا ببقعة أو بقعتين تكميليتين، مغزلي الشكل مضغوط جانبيا شيئا ما. مصدر الزعنفة الظهرية متقدم قليلا عن وسط الجسم. مصدر الزعنفة الشرجية في الجهة الخلفية من قاعدة الزعنفة الظهرية. يحمل القوس الخيشومي الأول 85 ـ 130 شوكة خيشومية، طويلة ورقيقة. جانبيته البطنية محفوفة بدرقات متسلسلة ويحمل الفك العلوي فتحة متوسطية تلج فيها مقدمة الفك السفلي. لا يتعدى طول الكبار منه 70 سم وشائع بين 25 ـ 50 سم.

ـ الشابل الصغير ألوزا فالاكس Alosa fallax Lacepède 1803 يدعى بالفرنسية Alose feinte وبالإنجليزية Twaite Shad وبالأسبانية Saboga. أصغر حجما من الشابل الكبير ولا يتعدى طوله 60 سم. ظهره أزرق داكن وجوانبه فضية، بقعة داكنة على مؤخرة الزاوية العلوية لغطاء الخياشيم متبوعة بعدة بقع على طول الخط الجانبي، الجسم مغزلي الشكل ومضغوط جانبيا شيئا ما يحمل القوس الخيشومي الأول 80.30 شوكة خيشومية، قصيرة وغليظة.

يعيش النوعان في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ويلجان أعالي مياه الأنهار العذبة لوضع البيض فيها حيث يقطعان أحيانا حوالي 700 كلم بداخل الأنهار. يعود الكبار إلى البحر مباشرة بعد وضع البيض. والشابل سمك سطحي بحري، يعيش في مجموعات متعددة الأفراد ويقوم بهجرات طويلة المسافة. يصير بالغا بعد 4 سنوات بالنسبة للإناث.

يوضع البيض على سطح الماء ثم يستقر في الأعماق. تخرج الصغار من البيض بعد 4 ـ 8 أيام في مياه تتراوح حرارتها بين 18.17، تبقى الصغار سنة أو سنتين في الأنهار قبل الذهاب إلى البحر. سمك لاحم يتغذى من العوالق وخاصة منها القشريات مجذافيات القوائم وعشاريات القوائم والأفوزياسيات وصغار الأسماك. تتغذى الصغار في الأنهار من القشريات مجذافيات وبراغيث الماء ومن يرقانات الحشرات. صيد النوعين تقليدي في المغرب ويصاد في مصبات الأنهار بشباك الحواجز وفي الهضبة القارية بحبال الصنانير والشباك المزودة بالإنارة والجيبيات العمقية والسطحية والشباك المستقيمة القعرية والسطحية. سمك نادر في أسواق المغرب بعد أن كان شائعا خلال النصف الأول من هذا القرن. يستهلك طريا ولحمه لذيذ المذاق يكثر الإقبال عليه.

صيد أنواع الشابل مرخص لشركات وتعاونيات الصيد في مصبات الأنهار والبحيرات الساحلية بواسطة الظهير الشريف الصادر بتاريخ 23 يناير 1957 و16 يونيو 1961. ومن أهم الشركات نذكر شركة صيد الشابل بالقنيطرة (COPAK). والشابل سمك مهاجر يدخل الأنهار للتوالد بين دجنبر - مايو فيتم صيده بكيفية مكثفة في معظم مصبات الأنهار المغربية وعرف هذا النشاط ازدهاراً في قطاع الصيد البحري والتبادل التجاري بين مختلف البلدان منذ القرن السادس عشر الميلادي.

والصيد الحرَفيّ للشابل كان متمركزاً في مطلع القرن العشرين بالأساس في المناطق الوسطى لمصبات أنهار أم الربيع وأبي رقراق وسبو واللكوس وملوية بواسطة مراكب خشبية ذات مجاذيف لا يتعدى طولها 5 م. ثم تطورت باستعمال الشباك المستقيمة الثابتة أو الهائمة البالغ طولها 230 - 180 م وعرضها مترين. تنصب الشباك متعامدة مع النهر خلال فترة الجزر وتجمع على حوالي كل نصف ساعة لاستخراج المصايد المتكونة من الشابل والشبوط والبوري وأحيانا من الدرعي وسمك موسى (الصول).

لقد عرفت كمية مصايد سمك الشابل بالأنهار المغربية خلال أواخر القرن العشرين تراجعا مدهشا، فقد انخفضت من ألف طن سنة 1917 إلى 671 طنا سنة 1965 و19 طنا سنة 1986 وبين 3 - 8 أطنان خلال العشر سنوات الأخيرة 1990 - 1999. يرجع هذا الانخفاض أساسا إلى الصيد المكثف من طرف الشركات خلال موسم التوالد وإلى حدة التلوث لهذه الأنهار من طرف الأنشطة البشرية المختلفة (نفايات معاصر الزيتون ومعمل السيلولوز والدباغة) وإلى بناء السدود: لقد انقطع نشاط صيد الشابل في نهر أم الربيع مباشرة بعد بناء سد سيدي سعيد معاشو سنة 1929 وفي ضواحي فاس على نهر سبو سنة 1970 على إثر تلوث المياه.


الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du* Maroc, Rome, FAO, 1998.


محمد رمضاني

**الشابني، الحاج عبد السلام** التطواني، ولد هذا الرحالة بمدينة تطوان حوالي عام 1773/1187، ونشأ بها وتعلم. ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره، رافق والده التاجر في سفر طويل من فاس إلى تنبكتو حيث مكث ثلاث سنوات ثم انتقل إلى مدينة الهوسة وأمضى بها كذلك ثلاث سنوات ثم عاد إلى تنبكتو وبقي فيها سبع سنوات أخر قبل أن يعود إلى المغرب، وقد بلغ من العمر سبعاً وعشرين سنة وحقّق أرباحا طائلة بتجارته في السودان.

التحق الشابني بمسقط رأسه تطوان، وخرج منها في قافلة متوجهة عن طريق مصر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وسعياً كذلك في طلب الربح بواسطة التجارة، فقضى في الذهاب من تطوان إلى مكة والرجوع إلى فاس سنتين، أدى الفريضة وحقق بعض الأرباح في تجارته.

استقر الشابني في تطوان مع والده وأصبح يتاجر مع جبل طارق في الأبقار والدجاج وغيره. وفي تلك الأثناء تعرّف على القنصل الأنجليزي لُوقا Lucas الذي كانت له علاقة طيبة مع عائلته. وفي أحد الأيام، ركب البحر قاصدا الميناء الألماني هَمبُورج Hambourg لشراء الأقمشة، وفي طريق عودته اعترض القراصنة مركبه وسيق إلى الميناء البلجيكي أوسْتاند Ostende ومنه إلى الميناء الإنجليزي دُوفْر Douvre، حيث تمَّ إطلاق سراحه بفضل تدخل القنصل الأنجليزي لُوقا الذي لم يكتف بذلك، بل قدَّم الشابني إلى بُوفْوا Beauvoi، كاتب الجمعية الإفريقية، فأنس به وحكى له الشابني ما شاهده طوال أكثر من ثلاث عشرة سنة بتنبكتو والهوسة فأُعجب بُوفْوا بالقصة ودونها باللغة الإنجليزية من إملاء الرحالة. وقد ترجمها بعد ذلك إلى الفرنسية الكاتب أ. جاكسن A. Jackson، صاحب كتاب *وصف المغرب* *Description du Maroc*، ونشرها في مجلة *الحوليات الجديدة للأسفار*.

ظلت هذه الرحلة مجهولة عند المغاربة. لم يتحدث عنها أحد. وقد قمت بترجمتها إلى العربية منذ أكثر من عشر سنوات لقيمتها التاريخية، إذ يحدثنا الشابني فيها عن التجارة التي كانت تُمارس في العبيد والذهب بالسودان وعن الصعوبات التي كانت تواجه القوافل في الصحراء، وعن الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في تلك الديار أثناء الربع الأخير من القرن الثاني عشر (18م).

يقدر تاريخ وفاة الشابني في منتصف القرن الثالث عشر (19م).


Beauvoi, *Nouvelles annales des voyages.*


محمد الشيظمي

**شابُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Chavo ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1779/1193 ؛ غير أنه كانت بتطوان أسرة أخرى شريفة النسب تحمل نفس الاسم وإليها ينتمي الفقيه محمد بن محمد شابو الذي زاول خطة العدالة من سنة 1254 إلى 1280 (1838 - 1864).


م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون، 1999.


محمد ابن عزوز حكيم

**شاتلان** (لويس) فرنسي متخصص في التاريخ القديم والآثار. من مواليد 1883، حاصل على دبلوم المدرسة التطبيقية للدراسات العليا (E.P.H.E.) وأحد أعضاء المدرسة الفرنسية بروما.

يعتبر شاتلان مؤسس مصلحة التاريخ القديم والاركيولوجيا بالمغرب إذ كان أول مدير لها. وقد لعب دوراً بارزاً في تدوين العديد من المخلفات الأثرية المكتشفة بالمغرب خلال فترة الحماية.

عينه المارشال ليوطي سنة 1915 مسؤولا عن الأبحاث الأثرية في وليلي وهكذا أشرف على تنظيم حفريات منظمة في وليلي وتاموسيدا وأخرى في بناصا.

وقد كللت أعماله باكتشاف نماذج فنية مثل الكلب البرونزي، ورأس الفتى الجميل بوليلي، والعديد من النقائش اللاتينية أهمها نقشية ماركوس ڤاليريوس سيڤوس بالإضافة إلى بعض الأشكال الفسيفسائية. ومكنت حفرياته بشالة من التعرف على ساحتها العمومية وعلى بعض نقائشها فضلاً عن نقائش أخرى تم اكتشافها في مدينة طنجة.

وقد مكن هذا الكم الهائل من التحف الفنية من التفكير في بناء متحف لعرض هذه الآثار، وهو المتحف الذي سيحمل اسمه خلال عهد الحماية (متحف لويس شاتلان بالرباط) قبل أن يحمل اسم المتحف الأثري في عهد الاستقلال.

رجع شاتلان إلى فرنسا سنة 1941 حيث عين أستاذاً محاضراً بجامعة Rennes، وفي سنة 1942، قدم أطروحة بعنوان *مغرب الرومان* ولم ينقطع اتصاله بالمغرب إذ ظل على ارتباط دائم به إلى حين وفاته عن سن يناهز 67 سنة..

ترك شاتلان العديد من الأعمال والمنشورات التي تتعلق بالمجال الأثري المغربي - لا يسع المجال لذكرها - وسنكتفي بأعطاء فكرة عن طيماتها، وقد صدرت في شكل مقالات في مجلات أثرية متخصصة أهمها : (CRAI) و(B.C.T.H) و(B.S.A.F) و(HESPERIS) و(PSAM).

ويبقى كتابه *مغرب الرومان* من أهم مؤلفاته وهو عبارة عن تعريف بأهم المدن والمراكز الرومانية بالمغرب حيث أخذت مدينة وليلي حيزاً كبيراً من هذه الدراسة، وهو نتيجة خمس وعشرين سنة من البحث والتقصي كما ساهم في نشر *جامع النقائش اللاتينية المغربية* (I.L.M.).

ومن خلال قراءة المواضيع التي تطرق لها، يتضح أنه أعطى اهتماماً كبيراً للمواقع الرومانية، مثل بناصا وتموسيدا وسلا وطنجة، ووليلي وغيرها، كما أنه كان من الباحثين الذين اهتموا بمجال الابيغرافيا حيث نشر العديد من النقائش. أما بالنسبة للمعالم الأثرية، فقد كان له دور في إبراز الفوروم بمدينة شالة، وقوس النصر بوليلي بالإضافة إلى قصر گورديانوس بنفس المدينة.

وعلى مستوى التحف الفنية وخاصة البرونزية منها، فقد كتب مقالات عن الحصان البرونزي وعن مجموعة أخرى من البرونز اكتشفت في مدينة بناصا. وتجدر الإشارة إلى أن شاتلان اهتم كذلك بمجال الفسيفساء حيث كتب مقالا خصصهُ لفسيفساء وليلي.

كتب لويس شاتلان ما يقرب من 140 مقالاً، كلها تصب في حقل الآثار، وبالرغم مما يؤاخذ عليه من نظرة كولونيالية كغيره من الأثريين الفرنسيين، فقد ساهم في وضع لبنات البحث الأثري في المغرب.

توفي حوالي سنة 1950.

ع. العزيز بنكاعو، *الاركيولوجية المغربية من خلال أعمال لويس شاتلان*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، الرباط، 1988 - 1989.

E. Lenoir, V. Bronquier-Reddi, *Bibliographie du Maroc antique Africa Romana : Atti del XIII Convegno di Studio*. Djerba, Dicembre 1998.

عبد العزيز بل الفايدة

**شاجعي، ميلود** مقاوم ولد بمدينة سيدي قاسم سنة 1931 انخرط في صفوف جيش التحرير منذ سنة 1955 وذلك بعد فراره من صفوف الجيش الفرنسي الذي كان يعمل به كجندي حيث سجن عدة مرات وذلك لرفضه المشاركة في الهجوم على مراكز جيش التحرير بأكنول وتازة وتاونات وحين وجوده بالسجن خطط للهروب مع مجموعة من المجاهدين حيث التحقوا بصفوف جيش التحرير بمركز باب الحيط الذي كان يرأسه مصطفى بن عثمان. وقد شارك في عدة هجومات منها معركة الخندق وفرحلة كما عمل تحت قيادة بلبقال الذي حل محل مصطفى بن عثمان. وقد ظل يكافح إلى أن أحرز المغرب على استقلاله.

توفي بتاريخ 14 يوليوز1995 .

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504472.

**الشادلي، إسماعيل** بن محمد الريفي تولى تسيير الحركة الجهادية بقبيلة قلعية ضد الإسبان ابتداء من سنة 1328 / 1910، بعد وفاة والده القائد محمد الشادلي آتي الترجمة، وذلك بصفته شيخ قبيلة قلعية. ولد سنة 1297 / 1880 وهو أكبر إخوته، بقي وحيدا في الميدان بعد أن استشهد اثنان منهم سنة 1908 خلال العمليات الحربية الدائرة بقلعية، أحدهما أخوه عبد العزيز، أما الثاني فلا نعرف اسمه. والأحياء منهم كانوا سنة 1909 مازالوا صغاراً.

يظهر أن إسماعيل كان في بداية سنة 1910 مستقراً بأرض صبرة من قبيلة أولاد ستوت، على الضفة اليسرى من واد ملوية بعد نزول الإسبان برأس الماء بكبدانة واحتلالهم لأراضي قلعية سنة 1909. هذا ما ظهر من مراسلة وهران، 16 يونيو 1910، التي أعلنت مجيء عدد من أقربائه (عمر بن ميمون أخي المتوفى محمد الشادلي وحمو أحدو عم أو خال أبناء الشادلي) إلى حاكم بركان الفرنسي لطلب الدخول في حماية منطقة النفوذ الفرنسية.

وربما رغب الإسبان في استباق الفرنسيين إلى احتضان الأسرة الشادلية. ففي الوقت الذي كان الشيخ إسماعيل الشادلي معسكراً خلال شهري غشت وشتمبر 1910 بصبرة مع 300 من الخيم القلعية المهاجرة بعثوا إليه قصد استمالته إلى الخدمة لقاء راتب مهم. وكان مما أجاب به الشيخ إسماعيل: "إنه لا يمكن أن يتعامل مع أولئك الذين هدموا

دار والده ولو أنهم وعدوا بإعادة بنائها". وزاد "إنه مستغني عن منحة الإسبان ومترفع عن هداياهم، وأنه سيعبر قريبا مجرى واد ملوية إلى الضفة اليمنى للعيش في نطاق النفوذ الفرنسي إذا لزم الأمر ذلك. وهذا القرار الأخير هو الذي لجأ إليه إسماعيل الشادلي على ما يبدو خلال عهد الحماية أو فترة منها، إذ أن بعض أفراد الأسرة كانوا في بداية الاستقلال ما يزالون بمدينة زايو، حسب شهادة تقييد الحاج حمو الشكري آتي الترجمة، كان منهم في يناير 1954 الأخوان علي الشادلي والخضر الشادلي.

*ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، تطوان، 1952 ؛ *معلمة المغرب*؛ الحاج حمو الشكري، تقييد 26 يناير 1954.

Affaires du Maroc. *Documents des Affaires Etrangères de la République Française* ; G. Calvo. *España en Marruecos*; A. Riera, *España en Marruecos*; E. L. Alarcon, *Melilla* 1909; *Documentos Presentados a las Cortes en la Legislatura de 1893.*

**الشادلي، محمد** الريفي أحد أعيان قبيلة مزوجة القلعية وقوادها خلال العقد الأول من القرن العشرين. ولد حوالي سنة 1864/1281 ولا نعرف إلى حد الساعة شيئاً عن أسلافه. ينتمي من حيث الموطن إلى فرقة بني أنصار المزوجية، ومدشر سيدي محمد المجاهد المشرف على مدينة مليلة المحتلة التي لا يبعد عنها سوى بخمس كيلومترات، وعن الحدود المغتصبة إلا بنحو ثمانمائة متر. ومنزله هناك بارز ومشهور يماثل منظره القلعة المحصنة. ومن موقع مدشره وموضع منزله كان يراقب لحساب الروكي بوحمارة القسم الشمالي من سبخة بوعرك (البحر الصغير) وموقع تل تاليوين ومعبر الفتق الشمالي من الجزيرة.

لا تشير الوثائق إلى ماضي محمد الشادلي قبل التحاقه بركب بوحمارة، وفي غالب الاعتقاد أنه كان من الأعيان التجار الأثرياء. ويمكن إبراز دورين في حياته، أولهما المدة التي قضاها مناصرا للروكي بوحمارة ما بين سنة 1903 وسنة 1908، وقد لعب أثناءها دوراً مزدوجا بين الإسبان وبوحمارة، ثم المدة التي قضاها مجاهداً ضد الإسبان إلى وفاته سنة 1909.

ففي الوقت الذي كان فيه بوحمارة ما يزال بتازا كان محمد الشادلي، إلى جانب كل من حميدة بنشلال البويفروري والحاج عمر بوطيب السيدالي، من الأوائل الذين مهدوا له الطريق لامتداد نفوذه إلى قلعية، فأصبح من قواده معتمداً على خمس مزوجة وعلى مساعديه من مدشره ومن جماعة فرخانة المجاورة خاصة.

ومحمد الشادلي من الذين قادوا الحملة العسكرية الروكية التي حاصرت المخزن العزيزي بقصبة جنادة فرخانة في 20 محرم 18/1321 أبريل 1903 ومن المساهمين فيما تعرضت له من التخريب. وكانت حراسة ممر جزيرة سبخة بوعرك أو الناظور من مهامه، وذلك لاعتراض طريق القوات المخزنية المتسربة من كبدانة والحيلولة بينها وبين الوصول إلى قصبة جنادة فرخانة عبر ذلك الممر، مثلما فعل عدة مرات في أكتوبر سنة 1905 ومارس 1906.

لعب محمد الشادلي دور الوسيط بين حاكم مليلة والروكي بوحمارة في مشروعهما بقلعية بخصوص التعاقد في شأن استغلال معدن جبل ن إيسان (إكسان) إلى أن تم بنجاح في يوليو 1907. وقد قدمت له الشركة المعدنية هدايا نقدية عدة مرات لتسهيل مد الخط الحديدي عبر أراضي مزوجة إلى جبل ن إيسان. (مراسلة بوحمارة إلى الشادلي بتاريخ 1908/1326).

وتبعا لتلك الخدمات رقاه بوحمارة إلى مرتبة أمين مزوجة بعد 4 يوليو 1906، غير أنه سرعان ما قرر عزله يوم 13 يونيو 1908 وسجنه ثم أطلق سراحه يوم 18 من نفس الشهر والسنة. ويعود العزل إلى عدة أسباب تناقلتها المراجع الإسبانية. فقيل إن من جملة تلك الأسباب ما لوحظ عليه من عدم رضاه عن نزول الإسبان بفتق "الريستينكا" من جزيرة سبخة بوعرك ثم برأس الماء من كبدانة. كما كان محمد الشادلي قد غير رأيه في تمكين الإسبان من استغلال معدن الحديد بقلعية. وهذا كان في نظره تدخلا أجنبيا يستلزم المقاومة.

وهناك رأي مرتبط بسابقه وهو ظهور ميل محمد الشادلي إلى مبايعة المولى عبد الحفيظ، إذ أن مناسبة بيعة قبيلة قلعية تمت في أكتوبر 1908 بسوق خميس جزولة بني بويفرور بحضور الشريف محمد أمزيان لأول مرة بعد دخول السلطان إلى مدينة فاس في أول يونيو 1908 (*المعلمة*، 9)، إذ أن محمد الشادلي كان نتيجة لقرار قلعية قد بعث إلى فاس أربعة فرسان مع رسائل الاعتراف والبيعة، مكلفا بهذا الأمر ابنه عبد العزيز.

استقر محمد الشادلي بعد العزل بمليلة برهة، ما بين صيف 1908 وآخر خريف نفس السنة. كان في أغلب الاعتقاد خلال تلك المدة يرتب سراً مع الشريف محمد أمزيان وزعماء الريف الشرقي لطرد بوحمارة أولا. وقال الإسبان إن أصداء قوله بلغت إلى قبيلتي تمسمان وبني ورياغل مشيرة إلى ما صدر منه عن كشف حقيقة ما ادعاه من النسب العلوي، مضيفا إلى ذلك ما قام به من بيع معدن جبل وكسان للإسبان وما ترتب عن ذلك من احتلال أراضي قلعية (415)، وسيساعده في كل ذلك نجله إسماعيل.

يعتبر طرد بوحمارة من قصبة سلوان آخر سنة 1908 بداية نجاح تنسيق محمد الشادلي مع الشريف محمد أمزيان ضد الإسبان، ويظهر ذلك باقتسام الزعامتين الحربية والروحية بقلعية التي كانت من نصيب الثاني. وهذا هو الطريق الذي سلكه الشريف أيضاً أثناء ثورة بوحمارة، إذ أنه احتفظ بسر العداوة الدفينة للإسبان، ثم أظهرها بمجرد اختفاء الثائر من قلعية. وإثر إعلان تضامن محمد الشادلي مع الشريف محمد أمزيان سارع الأول إلى نقل أفراد أسرته من منزله ببني أنصار إلى أعلى جبل أوكسان ومعها جميع أملاكه من

رؤوس الأغنام، وقد رد الإسبان عن هذا الموقف الجديد أن هدمت المدفعية الإسبانية مسكنه ومساكن المجاورين له إلى أن استأصلت أسسه ولم تترك حجرا قائما بالمكان.

وحسب الرواية الإسبانية في 2 يوليو 1909 وما أدلت به وثيقة مخزنية بتاريخ 2 ذي القعدة عام 1327 أن محمد الشادلي كان قد سار في خط مقاومة الشريف محمد أمزيان لتدبير توقيف توسع الجهاز الحربي الإسباني ببني أنصار. ورواية محمد ابن أحمد الشكري تحكي عن أول اجتماع شارك فيه الزعيم القلعي بزاوية سيدي محمد أمزيان بأزغنغان لترتيب ما يوجبه تنظيم الجهاد والمقاومة. وتظهر نتيجة قرار الاجتماع المذكور في الخطة الحربية المتفق عليها قبل يوم 9 يوليو 1909 لتخريب السكة الحديدية التي شق طريقها الإسبان من مرسى مليلة إلى المكان المعروف لديهم في بني أنصار بالمحطة الثانية (Segunda Caseta)، تمهيداً لمد الخط عبر أراضي مزوجة وبني بويفرور في اتجاه جبل ن إكسان لاستغلال منجم الحديد.

وتبعاً للأحداث نعرف من رواية الفقير محمد الشكري أن تطبيق تعليمات الاجتماع أدى إلى تكوين الخلية الجهادية الأولى في تاريخ مقاومة الشريف محمد أمزيان، مؤلفة من ستة وعشرين مجاهداً بمساهمة جميع أخماس قلعية، فكان منهم إلى جانب محمد الشادلي بصفته قائد مزوجة، السيد عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري، شيخ قبيلة بني شكر ومحمد النصري، أحد شيوخ بني أنصار.

وتظهر استعدادات 20 يوليو 1909 أن محمد الشادلي كان زعيم حركة المقاومة، مسموع الكلمة في عموم الريف الشرقي، ولا ينتظر سوى اكتمال تعبئة جميع الريف ووصول رجالها إلى الميدان. المقاومة يقوم بها بني يفرور بني بوكافر ومزوجة وبني شكر وبني بويحيى ومطالسة وأولاد ستوت.

ويشهد ما أسفرت عنه معركة 27 يوليو 1909 من الخسائر البشرية التي مني بها الجيش الإسباني بمكانة تاريخ المقاومة بالشمال الشرقي المغربي ضد توسعات حكام مليلة، وذلك بمقتل العديد من ضباطه، في ميدان خندق سيدي موسى من بني انصار في مساء ذلك اليوم وعلى رأسهم الجنرال بينتوس.

استمر محمد الشادلي بعد معركة 27 يوليو الشهيرة في تأطير المقاومة، ففي منتصف غشت كان المجاهدون مسيطرين على الوضع ببني أنصار. ولكن الأهم هو الخبر الذي أعلن في 18 شتمبر 1909 عن توجهه سرا إلى فاس للقاء المولى عبد الحفيظ وتقديم الوضع الراهن بالميدان وإشعاره بخطورته والمتمثل في خطة الزحف الإسباني المدبر على أراضي قلعية. وهذا هو ما تم بالفعل.

فحسب التقارير الصادرة بين 20 و28 شتمبر 1909 قصد الإسبان بني شكر بقوة 24.000 عسكري ووصلوا إلى تيغرفاتين على حدها الجنوبي الغربي ونزلو بحرا بالقرب من زاوية الشرفاء القادريين بهورك على الساحل الشرقي، وعميدها الحاج محمد القادري، رفيق الشادلي ثم قصدوا سوق أحد بني شكر، كما أنهم احتلوا جبل أكركور (سيدي أحمد الحاج) مروراً بأراضي مزوجة يوم 2 أكتوبر 1909.

ربما عاد محمد الشادلي من فاس على عجل ليقابل التوسع الإسباني بقلعية، لكنه لم يلبث أن عاد سريعا برفقة الحاج محمد القادري لإتمام مهمته بفاس الحفيظية، إذ أننا نعرف أنه غادر قلعية قبل 22 أكتوبر، وكان بالعاصمة يوم 25 أكتوبر 1909. هذا ما علمناه من التصريح الذي انتزعه منه قنصل فرنسا بفاس يوم 25 أكتوبر 1909. ومن جواب محمد الشادلي نفهم أن أمله كان كبيراً لإيقاف الزحف الإسباني تجاه البادية، كما أن مجيئه إلى فاس كان من أجل الحصول على المعونة الحربية. وحسب مراسلة بركان الصادرة يوم 7 ديسمبر 1909 : فإنَّ الشادلي كان ما يزال بفاس في انتظام صدور ما كان ينتظره من مساعدة المولى عبد الحفيظ.

غير أننا من جهة أخرى نشعر من خلال التصريح أن هناك جديداً مبعثه من خيبة أمل الحصول على المساعدة الذكورة. ويعبر عن هذا مطلبه من الفرنسيين الترخيص له لسكنى الضفة اليمنى من واد ملوية. والمفاجأة التي لم نجد لها صدى في الوثائق الإسبانية هي الإعلان عن وفاة محمد الشادلي بفاس، بناء على ما صرحت به مراسلتا الإدارة الفرنسية ببركان يومي 16 أو 17 أبريل 1910 وما رددته مراسلة وهران يوم 16 يونيو 1910. وسرعان ما خلفه في الزعامة الجهادية ابنه البكر إسماعيل سابق الترجمة.

ح. الفكيكي، *وثائق مديرية الوثائق الملكية*؛ جنادة، جزولة *بمعلمة المغرب*؛ ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، تطوان، 1952 ؛ حمو بن محمد الشكري، *تقييد*؛ وثائق خاصة في ملك محمد البنيحياتي.

*Documents des Affaires Etrangères de la République Française* ; G. Calvo. *España en Marruecos* ; A. Riera, *España en Marruecos* ; E. L. Alarcon, *Melilla 1909* ; *Documentos Presentados a las Cortes en la Legislatura de 1909.*

حسن الفكيكي

**الشاذلي،** أبو **الحسن** علي بن عبد الله الغماري، ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب (*لطائف المنن*، 51)، راس الطائفة الشاذلية. ولد بقبيلة الأخماس ببلاد غمارة، فرقة بني زرويل، شمال المغرب سنة 1195/591. وفي بعض المصادر سنة 1197/593.

نشأ بقريته وحفظ بها القرآن، ثم رحل إلى فاس فدرس على كبار علمائها من أمثال محمد بن علي ابن حرزهم.

ولم يسلك طريق القوم حتى أخذ قسطا وافرا من العلم الظاهر وكان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة؛ ثم تزهد وتنسك، وخرج من بلاده باحثا عن الشيخ المربي، وقاصداً حج بيت الله الحرام حوالي سنة 1223/620.

حل بشاذلة قرب مدينة تونس واستقر بها مدة، فنسب إليها، وكان خلال ذلك يلجأ إلى جبل زغوان للخلوة برفقة صاحبه أبي عبد الله بن سلامة الحبيبي من أهلها، وكان هدفه

من ذلك التفرغ للعبادة قصد معالجة علل نفسه وعيوبها والتغلب على هواه، والابتعاد عن كل أنواع الفتنة.

وكان يعيش على نبات الأرض وعشبها أثناء ذلك مع صاحبه المذكور، وكانت سلطات شاذلة تتعقب خطاه وتحركاته لما له من تأثير في عامة الناس في شخص ابن البراء قاضي الجماعة. وقد خرج الشاذلي بسبب ذلك إلى تونس حيث لقي عدداً من الأصحاب والأتباع، ومكث مدة ثم توجه إلى الإسكندرية على نية الحج والبحث عن الشيخ، إلا أنه لم يجد بها ما كان ينتظره من اهتمام بسبب وشاية ابن البراء التي سبقته إلى الديار المصرية. فترك الاسكندرية إلى القاهرة حيث لقي استقبالا أفضل، واعتذر له السلطان بنفسه عما بدر منه، وبقي بها زمنا ثم تابع طريقه إلى الديار المقدسة حيث أدى فريضة الحج، ومن الحج دخل بغداد، واجتمع بالصوفية يسألهم عن القطب فقال له أحدهم - ولعله أبو الفتح الواسطي - أنت تبحث عن القطب في العراق وقد تركته في بلادك، يقصد الشيخ عبد السلام ابن مشيش (*درة الأسرار*، 23).

عاد الشاذلي إلى بلاده للالتقاء بالشيخ ابن مشيش دفين جبل العلم سنة 1225/622، وكان متمسكا بالكتاب والسنة عاملا بهما، فلازمه مدة إلى أن فتح الله عليه. ثم عاد إلى تونس واستقر بها مدة قبل التوجه من جديد إلى الديار المصرية لتربية المريدين اعتماداً على رؤية رآها في منامه تحثه على ذلك. فنزل بالإسكندرية في برج من أبراج السور حبسه عليه سلطان مصر. ومعه عدد كبير من الفقراء يعبدون الله ويذكرونه.

وهناك تزوج ورزق أولاداً ذكرت بعض المصادر اسماءهم وهم: شهاب الدين أحمد، وأبو عبد الله محمد شرف الدين، وزينب وعريفة الخير (*درة الأسرار*).

وكانت حياته بمصر هادئة، تفرغ فيها للتربية والتوجيه والعبادة، والتف حوله المريدون ورُوِي عنه قوله عن حياته بمصر (ذهبت أيام المحن، وأقبلت أيَام المنن) (*درة الأسرار*). وفي سنة 1258/656 عزم على السفر لأداء الحج من جديد. فوافته منيته بصحراء عيذاب، بين قنا والقصير. وعند احتضاره جمع أصحابه وزودهم بوصاياه ومن أهمها: مداومة تلاوة حزب البحر، بعدما استخلف عليهم تلميذه أبا العباس المرسي، (*درة الأسرار*).

كان أبو الحسن آدم اللون، نحيف الجسم، طويل القامة، خفيف العارضين، طويل أصابع اليدين، ... فصيح اللسان، عذب الكلام، غير متزمت في المأكل والمشرب، يحب الخيل ويقتنيها ويركبها ويرتدي الثياب الحسنة، وكان يقول: لا تسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها، أو تنحل أعضاؤك لها، فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها، (*لطائف المنن*، 129). وكان يكره من المريد البطالة وسؤال الناس.

وقد قيلت فيه أقوال كثيرة تصف حاله، وعلمه، وطرق معاملته لمريديه، ومن أهمها قول تقي الدين بن القشيري عنه: (ما رأيت أعرف بالله من الشيخ الشاذلي) (*لطائف المنن*، 51). وقول ابن عطاء الله الاسكندري (لم يختلف في قطبانيته ذو قلب مستنير، ولا عارف بصير).

ويعد الشاذلي مجدداً للطريقة الصوفية في القرن السابع الهجري، والناشر لها والداعي إليها، في عصر شهد أقطاب التصوف على اختلاف اتجاهاتهم: كابن عربي، وابن سبعين، وأبي مدين الغوث، وأبي يعزى، وأبي الحسن الششتري، وغيرهم.

ترتكز الطريقة الشاذلية على العمل بالكتاب والسنة ومحاولة التوفيق بين الشريعة والتصوف، وكل ما عارضها تركه ولم يعتبره، وإباحة الاستفادة من الخيرات في الطيبات من مأكل ومشرب ومركب، فقد كان الشاذلي يقول عن طريقته: ليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشعير والنخالة ولابقية الصناعة، وانما هو بالصبر على الأوامر، واليقين في الهداية، والتيسير والتبسيط ونبذ الرموز الفلسفية الغامضة، والشطحات الصوفية المشينة، والدعوة إلى الجهاد في سبيل الله ومحاربة الغزاة الأجانب المحتلين لبلاد الإسلام. أعطى المثال من نفسه عندما شارك في موقعة المنصورة بالرغم من تقدمه في السن.

وللشيخ الشاذلي مؤلفات وأحزاب وأدعية وردت في كتب التصوف *كلطائف المنن*، ودرة *الأسرار* وغيرها، منها: *نزهة القلوب وبغية المطلوب*؛ *والسر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل*؛ وحزب رواه عنه ابن عطاء الله ولم يضع له عنوانا، أوله: الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم؛ وحزب *الفتح* أو حزب *الأنوار*: وحزب *البحر*؛ وحزب *اللطيف*؛ *والحزب الكبير*.

وسند الشاذلي في التصوف متعدد الطرق، أشهرها المتصلة بالشيخ أبي مدين الغوث دفين العُبّاد، عن علي ابن حرزهم عن القاضي ابن العربي دفيني فاس مسلسلا إلى أبي القاسم الجنيد ثم إلى الحسن البصري عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ.

وقد انتشرت الشاذلية في العالم الإسلامي كله من جنوب شرق آسيا إلى غرب إفريقيا وتركيا وغيرهما من بلاد الإسلام.

توفي أبو الحسن الشلذلي بصحراء عيذاب بمصر في صفر عام 656/ فبراير 1259.

ابن عطاء الله الاسكندري، *لطائف المنن*، بيروت، 1998 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، تح. م. الفاسي وأ. فور، الرباط، 1963 ؛ م. ابن العباس السوسي، *المواهب القدسية في أسانيد المشايخ الصوفية*، مخطوط؛ عمر ابن الملقن، *طبقات الأولياء*، تح. مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1998؛ ع. التليدي، *المطرب في مشاهير أولياء المغرب*، ط.2، 1987 ؛ ع. الحليم محمود، *المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي*، القاهرة؛ *أبو الحسن الشاذلي الصوفي*، القاهرة، 1967.

حسن جلاب

**شارابات، محمد** الخلفي في موضع إدْ بَّادنيا، من شهداء معركة تيزي سنة 1917، يعد من رجال الحرب ومن أعيان القبيلة ومن الذين يخططون كيفية إجراء المعركة إلى جانب الداهية عيسى بن عثمان الخلفي.

كان المترجم شجاعاً ومحارباً ورامياً بشكل دقيق، ويعد من القلائل الذين يملكون البندقيات المتطورة، مثل - تامنبهيت TAMNABHIT والرباعية. وكان شارابات هذا هو الوحيد في تلك الجهة الذي يستعمل السيف في المعركة.

ولشجاعته كان يعلن في - أجموع - قبل المعركة: من يشتري مني البندقية من نوع كذا التي سآخذها غنيمة من العدو، وكان يتوغل في الصحراء المغربية غازيا الجيوش الفرنسية في جهة تيندوف، كما كان يتصل ببرابرة الأطلس المتوسط الذين غنموا من فرنسا البندقيات المتطورة وينقلها إلى أيت باعمران.

كان هذا الرجل يلازم المجاهد القائد محند بن علي الخلفي حتى استشهدا معا في معركة - تيزي - ضد حملة الجنرال - دو لاموطْ - سنة 1917 إلى جانب 600 شهيد (ستمائة شهيد) وبتلك المعركة، انتقمت سلطة الحماية من أيت باعمران لحملة الباشا - حيدا - في معركة - إيگالفنْ في نفس السنة.

فإذا كان شارابات وأمثاله الشعبيون الشجعان، لم يحظوا بمداد أقلام الفقهاء فإن ما تسجله الثقافة الشعبية، يكون أبلغ أحيانا من الرسميات ومن ذلك قول الناظمات المتداول حتى الآن: شعر:

- أجّيگ ؤزاغارْ - لبركت - نـْ ميتْ أتّوفيتْ - يسد - لقايد
- محند أگيون يساكانْ أيّيس - نتّاد - شارابات - د - أيت - ربّي غْ ؤ غاراس.

ترجمة معنى ذلك:

- أيّ نُور وأي نَور وأيّ نَورْ نلتها يازهور - أزاغارْ -
- فهل بفضل مرور فرس القائد محند وشارابات وأهل الله معهما في الطريق ؟

بحث ميداني، الروايات الشعبية، جانب من *تاريخ أيت باعمران*.

الحسين جهادي الباعمراني

**الشّارفْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Xarafi و Xerafi؛ وقد هاجرت هذه الأسرة أول مرة إلى قبيلة بني يدر ومنها انتقلت إلى تطوان. منهم أحمد بن محمد الشارف، زاول خطة العدالة سنة 1055 (1645).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان، 1999، والمراجع العربية والأجنبية الرقم 1412.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشاري، علي** بن محمد السبتي، اشتهر بكنيته أبي الحسن، واختلف الكتاب في إيراد نسبه. يقدم ابن رشيد السبتي نسبته على هذا النحو: علي بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الغافقي (*إفادة*، 105)، أما ابن عبد الملك المراكشي فيورد نسبته على الشكل التالي: علي بن محمد بن علي بن يحيى ابن عبد الله [بن يحيى ابن يحيى الغافقي]. ويرفع نسبته اعتماداً على أحد النبهاء من أهل بيته وهو أبو مروان عبد الملك بن محمد، إلى أمير الأندلس عبد الرحمان بن عبد الله بن مخش بن زيد بن جبلة بن [ظهير بن] العائد بن غافق بن الشاهد بن علقمة بن عك بن عدنان (*الذيل*، 196). يكنى أبا الحسن ويعرف بالشاري. أصله من شآرة فلين بجوفي مرسية. انتقل أبوه منها أيام فتنة 1167/562. واستقر بسبتة وبها ولد يوم الخميس من شهر رمضان عام 1176/571 وبها نشأ وتعلم علوم عصره (*إفادة*، 105 ؛ *جذوة*، 486).

أخذ أبو الحسن الشاري عن شيوخ بلده أولهم أبوه محمد ابن علي بن محمد الغافقي الشاري الذي علمه القرآن. كما كان يرشده في اقتناء الكتب وينهاه عن كتب الجاحظ (*التكملة*، 2: 687). وأخذ القراءات السبع عن أبي بكر الهوزني الإشبيلي. وسمع *الموطأ* والكتب الخمسة *والمسند الكبير* لأبي بكر البزار *وسيرة ابن هشام* وغيرها من كتب الحديث والفقه. وتلا بالسبع في ختمة واحدة وهو ما يزال يافعا على يد الفقيه عبد الله بن حجر بن محمد بن علي الحجري المعروف بأبي محمد بن عبيد الله (*إفادة النصيح*، 106). ومن مشايخه أيضاً أبو الصبر أيوب بن عبد الله بن أحمد الفهري الذي سمع عليه من أول كتاب البخاري إلى كتاب المغازي، ومحمد بن حسن بن عطية الشهير بأبي عبد الله بن غازي السبتي. ثم رحل إلى فاس حيث تتلمذ في علم الكلام وأصول الفقه عن الإمام الأصولي أبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي المشهور بابن الكتاني. ولقي بفاس أبا الحاج ابن نموي وسمع منه. كما أخذ عن أبي القاسم عبد الرحيم ابن الملجوم، وأبي محمد عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي. كما لقي بفاس علي ابن محمد بن علي بن محمد الحضرمي الإشبيلي النحوي المكنى بأبي الحسن والمعروف بابن خروف، فحضر مجالسه العلمية وأخذ عنه كتب العربية. كما التقى بالرحالة الزاهد أبي الحسن أحمد بن جبير الأندلسي وسمع منه بعض أشعاره. كما أخذ عن أبي القاسم ابن جبيش، وأبي زيد السهلي، وأبي عبد الله ابن الفخار المالقي وغيرهم كثير. وأجاز له معظمهم (*إفادة*، 108؛ *الذيل*، 186؛ *الإحاطة*، 4 : 189؛ *جذوة*، 486).

عندما استكمل تكوينه عاد إلى مسقط رأسه سبتة حيث بدأت مرحلة العطاء من حياته العلمية الحافلة، "وأحيا بها العلم حيا وميتا" كما يقول ابن رشيد الفهري بحيث شيد المدرسة والمكتبة المنسوبتين إليه، وقد بنى المدرسة بقرب باب

القصير أحد أبواب سبتة، وأوقفها للطلبة من أهل العلم، وحبس عليها خيار أملاكه وأفضل رباعه متتبعا في ذلك طريقة أهل المشرق. وهي المدرسة التي أكثر علماء عصره حولها وحول صاحبها القول نظما ونثراً تخليداً لهذه المنقبة النبيلة التي تنبّه لها وسبق إلى التفرد بها بين أهله وفي بلده، من بينها القصيدتان اللتان كانتا من نظم كل من القاضي الأديب أبي القاسم بن عمران وأبي الحسن بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الاغماتي مهنئين بها شاكرين صاحبها عليها (*الذيل*، 197 ـ 199). وقد عرف عن أبي الحسن عنايته بجمع الكتب وباقتناء الأعلاق الثمان، ونافس في ذلك وبذل الأموال الطائلة لاقتنائها وربما ارتحل من أجل ذلك. وحبس منها جملة بالمكتبة المذكورة (*الإحاطة*، 4 : 188؛ *إفادة*، 105 : *اختصار*، 29).

جلس أبو الحسن للإقراء والتحديث بمدرسته وبجامع سبتة الأعظم وغيرهما، فكانت له مشاركة في القراءات ومعرفة بطرق التحديث والتاريخ. كان جيد التقييد حسن التعريف بالأشياخ والمصنفين. ومما يؤثر عنه أنه كان كامل المروءة والعدالة، سنيا، مبغضا لأهل البدع. ومما يذكر عن نزاهته أنه لم يباشر قط ديناراً ولا درهما، إنما كان يتصرف له في ذلك وكلاؤه والقائمون بأعماله (*الإحاطة*، 4 : 188؛ *الذيل*، 201). فكان معظما لدى الخاصة والعامة من أهل بلده. وقد تتلمذ على يديه جملة من العلماء من بينهم أبي الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي الذي قرأ عليه بالجامع الأعظم من سبتة صحيح البخاري وكتاب الالماع في تصحيح الرواية والسماع لعياض، وأبو فارس عبد العزيز بن إبراهيم ابن عبد العزيز بن أحمد بن نبيه الذي أخذ عنه جميع الجامع الصحيح بقراءة الرعيني (*إفادة*، 109).

ظل أبو الحسن الشاري بسبتة إلى أن غرب مجبراً عن وطنه إلى ألمرية وذلك قبل أن يتمم مشروعه الذي بدأه من أجل الزيادة في المدرسة التي ابتناها. وقد حدث ذلك في منتصف سنة 1244/641. وقد يخطئ ابن الخطيب عندما ينسب محنة تغريب أبي الحسن الشاري إلى اليانشتي الذي انتهت فترة حكمه لسبتة سنة 1238/635 ؛ إذ الصحيح أن الظرفية تناسب فترة حكم ابن خلاص المستقل بحكم سبتة (635/37 ـ 1238 ـ 646/47 ـ 1248) وبالضبط فترة إعلان هذا الأخير التبعية لأبي زكرياء الحفصي. يقول ابن الزبير "فعاق عن كمال غرضه في ذلك قواطع الفتن الموجهة لإخراجه عن بلده وتغريبه" (*صلة*، 153). قد يكون لابن خلاص يد في هذا الإزعاج الذي امتحن به أبو الحسن الشاري، وربما عكس الحدث موقفا معينا لأبي الحسن مخالفا لسياسة ابن خلاص الذي خرج عن طاعة الدولة الموحدية الأم، وارتمى في أحضان حكام إفريقية. لا تفيد المصادر المترجمة له أي شيء حول الموضوع سوى أنه قضى بقية حياته في الأندلس. نزل أول الأمر في ألمرية حيث استقبله أميرها ووزراؤها وأعيانها وأهل العلم منها بما يليق بعالم مثله من كرم الحفاوة وجزيل العطاء.

وقد مكث بألمرية أعواما. لكن عندما اختلت أحوال المدينة خاصة وشرق الأندلس عامة غادرها فراراً من الفتنة (*الذيل*، 201). وقد قضى بقية حياته متنقلا بين كبريات حواضر الأندلس: غرناطة وألمرية ومالقة. يقوم بتدريس معارفه أينما حل. وقد حاول العودة إلى بلده سبتة لكنه لم يفلح. وفي آخر عمره استقر به المقام في مالقة مع نهاية محرم أو أوائل صفر من سنة 1250/648. ومكث بها إلى أن أدركته المنية ضحوة يوم الخميس 29 من رمضان سنة 1251/649. وكان من بين أهل مالقة وغيرهم ممن أخذوا عنه أبو جعفر بن الزبير المترجم له والمحدث أبو عبد الله الطنجالي وأبو بكر القرطبي المدعو بحميد وأبو العباس بن علي الماردي وأبو القاسم عبد الكريم بن عمران. كما حدث بالإجازة عنه أبو عبد الله بن الأبار (*الإحاطة*، 4 : 189؛ *الذيل*، 197 : *صلة*، 152). لم يخلف أبو الحسن أي تأليف على ما يبدو سوى ما ذكره الرعيني من أن له استدراكات نبيهة على كتاب *الصلة* لابن بشكوال أطلعه على بعضها. كما أطلعه على بعض أسانيده في *الجامع الصحيح* للبخاري (برنامج الرعيني، 75).


ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. عزت العطار، 1955، القسم الثاني؛ ابن رشيد السبتي، *إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح*، تح. م. الحبيب ابن الخوجة، الدار التونسية للنشر، ص 105 ـ 112 ؛ علي الرعيني، *برنامج شيوخ الرعيني*، تح. إبراهيم شبوح، دمشق، 1962/1381، ص 74 ـ 75 ؛ أ. ابن الزبير، *صلة الصلة*، ط. بروفنسال، الرباط، ص. 149 ـ 153 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، الرباط، 1403/ 1983، ص. 29 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1975/1395، ج. 4، ص. 187 ـ 190 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بن شريفة، 1984، القسم الأول ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974.


زليخة بنرمضان

**شَارِيّة** ويكتب أيضاً شرّية أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Sarria وهو نفس الاسم الذي تحمله حاليا بعض الأسر الإسبانية نسبة إلى مدينة Sarria الإسبانية.


م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان، 1999، والمراجع العربية والأجنبية ذكرها في الرقم 1413.


محمد ابن عزوز حكيم

**شاسبو**، نوع من البنادق الأوربية كمارتيني ـ هنري (Martini Henry)، وكومبلان (Comblain)، وگرا (Gras)، ووينشستر (Winchester) ... وكان أول عاهل مغربي قد استخدم بندقية شاسبو في جيوشه هو السلطان محمد بن عبد الرحمن (1276 ـ 1859/1290 ـ 1873).

وقد أعطي لها هذا الاسم تكريما لصانع ماهر في السلاح

الناري الخفيف في وقته يُدعى أنطوان ـ ألفونص شاسبو (Antoine Alphonse Chassepot) (1833 ـ 1905).

بدأ تعلُّمه في هذه المهنة على يد والده الذي كان يشتغل مُراقبا لصُنع السلاح بمعمل بمدينة موتزيگ (Mutzig) الواقعة في حوض نهر الرين الأسفل (Bas- Rhin) بمقاطعة الألزاس (Alsace) بفرنسا، وهو المنصب الذي أُسند إليه، بعد أن أتمَّ تكوينه، واتضحت موهبته وقدرته على الإبداع والابتكار.

وبالفعل، ما إن بلغ سنّ الأربع والعشرين سنة من عمره، حتى قدم مشروعا متطوراً للبندقية التي تشحن من الخلف (Culasse)، وذات إبرة ومكبس، وهي من اختراع خبيرين ماهرين في الأسلحة النارية، وهما صامويل بولي (Samuel Pauly) السويسري الأصل، وتلميذه ومساعده يوحنا نيقولوس فان دريز (Johann Nickolaus Dreyse) ومن خصوصيات هذه البندقية التي أجريت عليها تجارب تقنية سنتي 1858 و1862، أنها تشحن بالبارود من الخلف، وزنادها منعزل عن باقي أجزائها الأخرى، يسدّ بواسطة قطعة من المطاط دائرية الشكل، كما أن خلفها طويل الشكل وإزلاج مغلاقه دائري هو الآخر.

وبعد ذلك، عكف صاحبنا على تطوير وتحسين أداء بندقيته، وبالخصوص فيما يتعلق بقدراتها الباليستيكيّة، فأثمرت جهوده بندقية سنة 1866 التي زوّدت بقذيفة جديدة، فاقت مثيلاتها جودة وإتقاناً. فبفضل هذا الإنجاز، اكتسب شهرة واسعة. في أوساط صناعة الأسلحة في فرنسا وخارجها، إذ وُفّق كل التوفيق في تقدير وضبط التناسب الأمثل ما بين شحنة البارود الأسود، ووزن وكثافة وعيار القذيفة (Projectile) من جهة، ووزن البندقية الإجمالي من جهة أخرى.

وهكذا، إذا كانت سُرعة القذيفة عند خروجها من جعبة البندقية تبلغ 480 متراً في الثانية، فإن وزنها يجب أن يُساوي 25 غراما، كما يخفض عيّارها إلى 11 ميليمتراً، الأمر الذي يمثل في حدّ ذاته إنجازاً عظيماً، إذا ما قيس بما كان معمولا به وقتئذ في هذا المجال.

أضف إلى هذا أنّ الثمانمائة دورة (Rotation) التي تنجزُها في الثانية، كانت تكسبُها قوة قاتلة فظيعة.


Y. Cadiou, *La Winchester* 1895, *la Gazette des Armes*, n° 24, 1975 ; J. Florentüs, *Histoire du Fusil*, Paris, 1975 ; P. Lorain, *Petite Histoire du Projectile*, *Gazette des Armes*, n° 24, 1975 ; D. Venner, *Les Armes à feu françaises*. Ed. Grancher, Paris 1979.


مصطفى الشابي

**الشاشية** أو غطاء الرأس. لم يكن هندام الشخص في المغرب يكتمل إلا بوضع الشاشية على الرأس وتعتبر الجزء الرئيسي في اللباس كله، وهذا تقليد متوارث في المغرب من عدة قرون ولم يكن بوسع أحد أن يخرقه. وكانت أغطية الرؤوس المتداولة في المغرب قبل انتشار اللباس العصري وما ارتبط به من كشف للرأس وحلق للشعر وكشط للحي تتألف من أربعة أصناف هي العمائم والطرابيش والطاقيات ثم الشاشيات. ومما تجدر الإشارة إليه أن الشاشيات التي تختلف وظيفتها وجودتها باختلاف الإمكانات المادية والمواقع الاجتماعية تنتمي إلى أصل فارسي. فالشاشية مذكرها شاشي وهما في الأصل سكان مدينة شاش "الموجودة فيما وراء النهر من بلاد فارس" (المسعودي، *مروج الذهب*، الجزء الرابع، ص. 319)، هذه المدينة التي توارث أهلها التخصص في نسج الصوف وحياكة الزرابي وتفننوا في تلبيد الصوف لصناعة السجاجيد وأغطية الرؤوس ومنها انتقلت إلى العراق وبلاد الشام وتركيا ثم إلى باقي بلدان شمال إفريقيا بانتشار الحضارة الإسلامية وازدهار صناعاتها. وكانت أول مدينة انتشرت فيها صناعة الشاشيات المغربية هي مدينة فاس فتراكمت لدى صناعها الخبرة الكافية واجتمع فيها ما لايحصى عدده من اللبادين والشواشيين ومنها انتقلت هذه الصناعة إلى مكناس والرباط ومراكش. لكن صناعة الشاشيات بدأت تتلاشى في البلاد ابتداء من 1898 منذ أن بدأت المصانع الفرنسية والنمساوية تحاكي صناعة هذا النوع من الطرابيش الأهلية وتنتجها في المعامل الأوروبية وتوزعها في سائر أرجاء العالم الإسلامي بأسعار منخفضة وبجودة صنع كبيرة.

تنقسم الشاشيات المستعملة في المغرب إلى ثلاثة أنواع هي:

ـ الشاشية المخزنية: وهي عبارة عن غطاء رأس مقعر من صوف ملبد مخروطي المنظر لونه أحمر يشبه إلى حد كبير شكل ولون فلفلة حمراء مجوفة من الوسط، وتكون في أعلى قمته هدب سوداء متدلية تسمى "الشوشة" أو ينتهي بقطعة صوف ملبدة سوداء ناتئة في حجم قلم الرصاص تدعى "البلوطة". وقد كان هذا النوع من غطاء الرأس خاصا بالمستخدمين في القصور السلطانية والمرتبطين بالوظائف المخزنية من مشاورية وفرسان ومخازنية ومسخرين وأصحاب حنط داخلية (عبد الرحمان بن زيدان، *العز والصولة*، الجزء الأول، ص. 144). كان هؤلاء وغيرهم ممن يعمل في وظيفة مخزنية يضع الشاشية وجوبا على رأسه وحدها دون غيرها

باستثناء قائد المشور وقواد الفرسان وقواد المسخرين وقواد المخازنية الذين كانوا يلفون حولها عمامة بيضاء.

ـ الشاشية التونسية: وتدعى أيضاً الطربوش التونسي وطربوش الشوشة وطربوش الطاسة، وسميت كذلك لأن أحسنها وأجودها كان ومازال يُصْنَعُ في تونس وكان شكلها يشبه شكل الوعاء النحاسي الذي كان السقاء يمنح فيه الناس الماء ليشربوا ويدعى عند المغاربة بالطاسة، وتنتهي في أعلاها بهدبة من صوف ملبد أسود أو في الغالب السائد بخيوط مجدولة سوداء تتدلى على جانبيها أو في مؤخرتها تسمى الشوشة. وكان استعمال هذا الغطاء في مغرب القرن (19 م) مقتصراً على الجنود حيث كان يوضع على الرأس تحيط به عمامة بيضاء ثم انتقل في مرحلة لاحقة إلى صفوف المدنيين، وفي عهد الحماية الفرنسية ساد تداوله لدى عامة الناس من الفئات الوسطى من الحرفيين والتجار والبحارة وسائر الناس.

ـ شاشية اليهود: كان اليهود المغاربة يتميزون عن المسلمين بلباسهم الأسود بما في ذلك غطاء الرأس. وكانت الشاشية اليهودية تشبه إلى حد كبير الشاشية التونسية فيما عدا اللون فإنه كان أسود. وكان الذكور من اليهود يضعونها في أعلى قمة الرأس فوق شعر كثيف وغير محلوق ولحية كثة سوداء. إلا أن الفصائل الشابة منهم تخلت عن هذه الشاشية منذ مطلع القرن 20 وعوضتها بالبرنيطة كما عوضت اليلكة والجوخة والهندام الأسود التقليدي بالبذلة الأوربية.

ص. العبيدي، *الملابس العربية الإسلامية*، بغداد، 1980 ؛ م. بن أحمد شماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته خلال خمسين سنة*، الرباط، 1980 ؛ م. عناني، *الشاشية التونسية*، *مجلة الأمل الثقافي*، دون عدد ولا مكان الطبع، أكتوبر، 1970 ؛ م. فهد بدري، *العمامة*، مطبعة الحكومة، دون مكان، 1968 ؛ ع. الحميد العلوي، *تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد*، الجزء الأول، الدار البيضاء، 1958؛ محمد السليماني، *اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب*، الرباط، 1971 ؛ م. رضا شرف الدين، لباس الرأس في المغرب، د. ت. و. د. م.

M. Heim, *A travers le vieux Maghreb*, Paris 1926; J. BALDOUI, *L'artisanat marocain à la croisée des chemins*, Alger, [s.d.] ; L. Golvin, *Aspects de l'artisanat en Afrique du Nord*, Paris, 1975 ; P. Ghiho, *La nationalité marocaine*. Paris, 1961 ; J. Goulven, *Les mellahs de Rabat-Salé*, Paris, 1927 ; J. Mathias, *L'artisanat marocain, B.E.S.M*, n° 96 et 97, 1963; M. Eisenbeth, *Les juifs au Maroc*. Alger, 1948 ; H. Basset, *Les rites du travail de la laine à Rabat, Hesp.*, tome 2, 1er et 2e tri, 1922 ; M. Bencheneb, *Origine du mot Chéchia, R.A.*, n° 51, 1907.

محمد بوسلام

**الشاط**، أسرة عربية أنصارية أندلسية كان موطنها في القرن الخامس الهجري بجهة مرسى الشاط على ساحل مالقة وبه سميت. وقد ذكر محمد الأنصاري السبتي أن معنى اللفظ هو الطويل. وقد انتقلت الأسرة إلى شمال المغرب في فترة تالية. وما تزال أسرة الشاط إلى يومنا هذا بالمنطقة، بواد راس، وقد تعرفنا منها على عدة أفراد، منهم: الشاط شيخ أنجرة أثناء غزوات المجاهد محمد العياشي. كان من الداخلين في الحركة الجهادية العياشية ضد سبتة وطنجة. فحينما كان سليمان بن يوسف أخديم وأحمد أبو علي وآل المفضل، من مجاهدي جبل حبيب يستعدون للغزوة انضاف إليهم أهل أنجرة ووادراس بزعامة الشيخ الشاط، ومن جبل حبيب نظم الجميع الغزوة الأولى في نفس الشهر على سبتة بنحو 1000 من الفرسان و6000 من المشاة الهبطيين. والشاط سيدي لا يعرف اسمُه كذلك، وهو من موريسكيي إشبيلية التجار، هاجر من إشبيلية من مرسى سانت ماريا بقادس واستقر بتيطاوين. لا ندري متى عبر ولا الظروف التي مر بها، لكن من المعتقد أن ذلك تمّ خلال السنوات الأولى من القرن الحادي عشر الهجري. ففي سنة 1606/1004 كان بتطوان مشتغلاً بالتجارة مثلما كان بإشبيلية، وبعد سنتين كان بجوار القائد أحمد النقسيس. والأسرة معروفة بأنجرة الداخلية منذ ما قبل القرن الحادي عشر الهجري (17 م).

**الشاط، علي** مجاهد حظي باهتمام زورارا خلال غزوة أبي زكرياء يحيى الوطاسي، وقد استعنا لرد الاسم إلى أصله المغربي بناء على ما علمناه عنه من وصفه بضخامة الجثة وطول القامة، اعتماداً على ما أفادنا به محمد الأنصاري في معنى لفظ الشاط. ربما كان أصله من قبيلة وادراس، عملاً بما علمناه بعد ذلك من ظهور أفراد الأسرة بالقبيلة الودراسية.

م. الأنصاري، *اختصار الأخبار*؛ أبو عبيد الله البكري، *المغرب في أخبار المغرب*؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*؛ ح. الفكيكي، *الموريسكيون بمنطقة مضيق جبل طارق*، الثلث الأول من القرن (11 هـ/17 م) الأكاديمية، عدد، 15.

G. Ianes de Azurara, C. de D Pedro, *Archivo General de Simancas*, Estado, Legajo 2639 ; F. de Meneses, *Historia de Tanger*.

حسن الفكيكي

ابن **الشاط، قاسم** بن عبد الله بن محمد الأنصاري، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الشاط نسبة إلى جده الذي يقال عنه إنه كان طَوالاً، فجرى عليه هذا الاسم. ولد بمدينة سبتة عام 643 / 1246، وبها نشأ وتتلمذ على علماء عصره متأثراً بالمناخ الفكري الذي كان يطبع عصره. فغرف من العلوم الدينية والعربية والعقليات. قرأ على الأستاذ أبي علي الحسين بن أبي الربيع، وعلى الحافظ أبي يعقوب المحاسبي. أجازه أبو القاسم بن البراء، وأبو محمد بن أبي الدنيا، وأبو العباس بن الغماز، وأبو جعفر الطباع، وأبو بكر ابن فارس، وغيرهم (*درة*، 3 : 271 ؛ *الديباج*، 226 ؛ *برنامج*، 170). جلس للإقراء بسبتة واعتبر إمام الأصول والفرائض والحساب. كما عد نسيج وحده في أصالة النظر، ونفوذ الفكر، وجودة القريحة، وتسديد الفهم إلى حسن الشمائل، وعلو الهمة، والعكوف على العلم والاقتصار على

الآداب السنية، والتحلي بالوقار والسكينة. وكان مجلسه حافلا بالطلبة والنبلاء من العامة (*الديباج*، 226). أخذ عنه جملة من أجلة العلماء مغاربة وأندلسيين من بينهم محمد ابن أحمد بن علي بن موسى الحسيني (*الإحاطة*، 2 : 184)، ومحمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (*الإحاطة*، 3 : 135)، ومحمد بن علي هانئ اللخمي السبتي (*الإحاطة*، 3 : 134). كما أخذ عنه أبي زكريا بن هذيل، وأبي الحسن بن الحباب، والقاضي أبي بكر بن شبرين، وغيرهم. التقى به ابن الزبير الأصغر بسبتة عام 1287/686 (درة، 3 : 270). من تآليفه *أنوار البروق في تعقب مسائل القواعد والفروق*، و *غنية الرائض في علم الفرائض*، و "*تحرير الجواب في توفير الثواب*"، و"*برنامج ابن أبي الربيع*" وغيره. توفي بسبتة عام 1323/723 (*الديباج*، 226).

ابن فرحون، كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، بيروت، ص. 225 ـ 226 ؛ الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تح. ع. الوهاب بن منصور، الرباط، 1983/1403، ص. 18 ؛ ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تح. م. الأحمدي أبو النور، تونس ـ القاهرة، الجزء 3، ص. 270 ـ 271 ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1975/1395، الجزء الثاني، ص. 184، الجزء الثالث، ص. 134 ـ 135؛ الوادي آشي، برنامج ابن جابر الوادي آشي، تح. م. الحبيب الهيلة، تونس، 1401 / 1981، ص. 170.

Z. Benramadane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles*, Thèse de Doctorat de 3 ;cycle, Aix-Marseille I, 1987 ; P. Chalmeta, *Le Barnamag d'Ibn Abi l-Rabi'*, *Arabica*, juin, 1968, fasc. 2.

زليخة بنرمضان

**الشاطبي**، أسرة فاسية أصلها من مدينة شاطبة الأندلسية. قال عنهم صاحب *إزالة الالتباس* كان لهم ذكر بفاس، ومازالت تنسب إليهم أرض خارج باب الفتوح بفاس إلى الآن، وانتقل بعضهم إلى مراكش على عهد السعديين.

ع. ابن السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 192.

**الشاطبي، أحمد** بن أبي القاسم المراكشي، من الفقهاء الشباب الذين نشؤوا في عهد المنصور الذهبي وتحت رعايته. درس على والده أبي القاسم، قاضي الجماعة بمراكش وعلى أقرانه كبار الفقهاء المتوافرين بالحاضرة السعدية، أمثال عبد الواحد بن أحمد الحسني وعبد الوهاب ابن إبراهيم الدكالي المشنزائي ومحمد بن علي السالمي وغيرهم.

برع في الفقه، أصوله وفروعه، وحذق الكتابة والتوثيق على حداثة سنه، فكان ينوب عن والده في القضاء والخطابة والتدريس بجامع المنصور بقصبة مراكش.

توفي بالوباء المنتشر في مراكش، بعد سنة 1010/01. 1602.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، القاهرة، 1970، ج 1 : 172 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974، ج 2: 243 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 2 : 385.

**الشاطبي أبو القاسم** بن علي بن قاسم بن مسعود المراكشي، يكنى أبا محمد، قاضي الجماعة بحاضرة السعديين زهاء ثلث قرن، وخطيب جامع المنصور بالقصبة السلطانية والمدرس به، وقارئ صحيح البخاري بين يدي أحمد المنصور بحضور أعيان علماء المغرب وكبار رجال الدولة أيام رمضان، حتى كان يحفظ الصحيح من كثرة التكرار.

ولد سنة 1527-26/933. ذكره معاصره أحمد المنجور في فهرسه ضمن من ذاكرهم واستفاد كل من صاحبه، وحلاه بالفقيه العلامة القاضي الخطيب. وأثنى عليه كذلك من معاصريه أحمد ابن القاضي، وعبد العزيز الفشتالي الذي قال عنه في *مناهل الصفا* : "العلامة جملة الفضل الصلب العود القوي الشكيمة، صدر الفئة أثير الخلفاء سفير الأئمة خطيب الخطباء، بلبل منابر الجمع والأعياد". وذكروا له قصائد في مدح أحمد المنصور ومولديات كان يُقدَّمُ في إلقائها بين يديه في الاحتفالات المشهودة التي كانت تقام بقصر البديع بمناسبة المولد النبوي الشريف.

كان المترجم محط عناية المنصور وتقديره، وأرسله سفيراً عنه إلى الخليفة العثماني بالقسطنطينة سنة 989/ 1581، وكانت العلاقات قد تدهورت بين المغرب وتركيا، فلما وصل الشاطبي أمام الخاقان "صنع كلاماً بليغاً أعرب فيه عن فضل الدولتين، وقرر فيه حق أهل البيت، وأطرى المنصور غاية الإطراء، وحض على اتحاد كلمة الاسلام". ففرح بذلك الخاقان واهتز لسماعه، وأحسن إلى السفراء المغاربة. (*الحركة*، 2 : 378).

وقد حرف محمد الطيب الفاسي في كتابه *مطمح النظر* اسم المترجم فجعله علي ابن مسعود واعتبر أبا القاسم كنية له، وتبعه في ذلك الإفراني في *الصفوة*، والحضيكي في *الطبقات*. والصواب ما ذكرناه نقلا عن معاصريه المذكورين.

توفي بمراكش عام 1002/93 ـ 1594 ودفن قريباً من ضريح الشيخ أبي عمر القسطلي بحي رياض العروس.

أ. المنجور، *فهرس* تح. م. حجي، الرباط، 1976، ص 79 ؛ أ. ابن القاضي، درة *الحجال*، القاهرة، 1974، ج 3 : 284 ـ 285 ؛ *المنقى المقصور*، تح. م. رزوق، الرباط، 1986، ج 1 : 249 و409 ؛ ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. ع. الله كنون، تطوان، 1964 ؛ م. الطيب الفاسي، *مطمح النظر*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس، د. ت. *نزهة الحادي*، تح. ع اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، 98، ص. 157 ؛ م. القادري، *نشر المثاني* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 3: 1077 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، د. د. ع مرقون كلية الآداب، الرباط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج 5: 154 ـ 155 ؛ ع. المراكشي، *الإعلام*، ط 2، الرباط، ج 9 : 193 ـ 195 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، ج 2: 378.

**الشاطبي، محمد الفاسي**، حلاه مؤلف *السلوة* "بالفقيه الأرضى المشارك المرتضى، الأستاذ" ولم يذكر مشيخته ولا مهنته إلاّ ما يفهم من الأستاذ أنه كان يدرس

علوم القرآن، ولا ندري إن كان له اتصال بنوّة بشاطبيي مراكش سابقي الترجمة.

توفي بفاس يوم تاسع شعبان عام 12/1079 يناير 1669 ودفن بباب الجيسة قرب ضريح الأستاذ محمد بن محمد البوعناني.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 4 : 1557 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 1300، ج 1 : 200؛ م. الطالب ابن الحاج السلمي، *الإشراف على من بفاس من الأشراف*، 3 : 306.

محمد حجي

**شاطنيير** Chatinières Paul من الأطباء العسكريين الذين عملوا بالمغرب خلال النصف الأول من فترة الحماية. من مواليد 1884، التحق بالمغرب قبيل الحرب العالمية الأولى كطبيب مساعد. وكانت أولى مهامه إلى سوس حيث قطع جنوب المغرب في ما بين 1914 و1916 وسجل مشاهداته وأعماله هناك في كتاب صدر له سنة 1919 تحت عنوان: *"Dans le grand Atlas marocain"* عمل شاتنيير منذ 1917 على رأس المجموعة الصحية بمراكش (G.S.M) ولعب دوراً مهماً في عملية التدخل السلمي بالمغرب وذلك بما كان يقوم به جاهداً من أعمال تقربه من المغاربة وتفتح قلوبهم نحوه، حتى نشأت بينه وبين سكان تارودانت الذين كان يقيم بين ظهرانيهم علاقة خاصة جعلته يساهم بنصيب وافر في بسط إشعاع فرنسا ونشر نفوذها الروحي في تلك الربوع.

توفي شاتنيير وهو يقاوم التيفوس الذي طرق المغرب في سنتي 1927 و1928 حيث مسه طائف منه أودى بحياته في فبراير 1928، ودفن بتارودانت. وقد جاء في برقية المقيم العام تيودور ستيگ Théodore Steg إلى المفوض لدى الإقامة أوربان بلان Urbain Blanc "لقد تلقيت ببالغ الألم وفاة الدكتور شاطنيير الذي مات ضحية مجهوده الرائع. أرجو أن تكونوا المعبر عن عرفان الحكومة وامتنانها لدى عائلته وزملائه".

سجلت الحماية الفرنسية هذا الطبيب ضمن لائحة من سقطوا خدمة للواجب وجعلته من الحاصلين على ميدالية الذهب في مقاومة الأوبئة.

*Le Figaro artistique illustré*, Mai 1931, p. 36-37; *Maroc Médical*, Février 1928, p. 67 ; *Maroc Catholique*, Mars 1928.

بوجمعة رويان

**الشاعر** (أولاد –) شرفاء يملحيّون من جبل العلم كان لهم ذكر بفاس، ولم يبق لهم اليوم ذكر بها. قال في *إزالة الالتباس*: "ويوجدون بمدينة تطوان بكثرة وبمدشر بني گرفط القريب منها، وهو موطنهم الحقيقي".

ع. ابن السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 193.

**الشاعر الجرفطي، عبد السلام** الحسني الفاسي، حلاه في *السلوة* بالفقيه الأستاذ الشهيد. كان مقيماً بفاس، يخالط رجال المخزن، وفي أثناء الاضطرابات التي قامت في أواخر أيام المولى سليمان وقيام السعيد بن اليزيد عليه في فاس اتّهم المترجم بميله إلى المولى سليمان وقتل صبراً بحي الصفارين سنة 1236 / 1820 . 21.

م. الطالب ابن الحاج، *الإشراف على من بفاس من الأشراف*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 1300، 3؛ 306. 307 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2510.

**الشاعر اليجمي، أحمد**، من قبيلة بني يجم المعروفة اليوم باسم بني حزمر المقابلة لتطوان. كان يقيم بمدشر بوخلاد القريب من مدشر دار بن قرّيش. حلاه معاصره ابن عسكر في *الدوحة* بقوله: "كان فقيها نزيها عارفاً بالله تعالى كثير الورع والزهد حافظاً للتاريخ ومولعاً به كثير الاطلاع، شأنه الفكرة والاعتبار" ولم يذكر الكتب التي كان يرجع إليها المترجم لكن يبدو من السياق أنه كان يهتم بكتب التراجم والحوليات.

كانت له عُريصة - يقول ابن عسكر - بإزاء داره يزرع فيها شيئاً من الزرع وينبشها بفاس بيده فما جاء فيها من الزرع فذلك عولته وعولة عياله، ويطعم منها الطعام لكل من نزل بالمسجد الذي بإزاء داره على محجة الطريق من أبناء السبيل. وكان يذهب كل يوم جمعة على قدميه مسافة اثني عشر ميلاً من مدشره إلى مدينة تطوان ليصلي بها الجمعة حاملاً قفة في يده ليشتري ما يحتاج إليه ويحمله فيها حتى ورمت يده اليسرى فإذا أراد أحد المارين أن يحملها عنه امتنع من ذلك وقطب وجهه.

يعتبره ابن عسكر من شيوخه في التاريخ والاعتبار، صحبه سنين كثيرة فكان إذا لقيه لا يتكلم معه إلا في علم التاريخ وأخبار من تقدم من العلماء والصالحين والملوك وغيرهم، فإذا فرغ من حديثه قال: البقاء لله. ألا إلى الله تصير الأمور. كل شيء هالك إلا وجهه. ثم يصفر لونه ويعتريه حال وينصرف.

ومازال عقب الشيخ اليجمي حتى اليوم يقيمون بجوار ضريح المترجم المعروف بجوار مسجده بضاحية تطوان. وقد لقي محمد داود أحد حفدته بهذا المسجد، وهو على سن جده نسكاً وحسن سمت، وسمع منه أخبار وكرامات ذكرها في تاريخ تطوان.

توفي في حدود سنة 1558/965، ودفن بإزاء مسجده في ضاحية تطوان.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 2 : 901 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ط 2، تطوان، د. ت. ج 1 : 155 . 156.

محمد حجي

**الشافعي** (ابن –) **أحمد** المسكيني القائد، أصله من

دوار أولاد مَحمد أحد مداشر فخذة أولاد العكارية، المنصورية تحت لواء قبيلة بني مسكين، إحدى قبائل الشاوية الجنوبية الكبرى (Répertoire alphabétique. p. 42). يعرف بالقائد الشافعي.

على الرغم من أن قبيلة بني مسكين لم تكن "تخرج عن الجادة" إلا قليلا؛ حيث نجدها ضمن القبائل التي تدفع للمخزن باستمرار "ما نابها" من جبايات؛ فإن قوادها لم يكونوا من بين المشاهير. وهكذا فإن القائد الشافعي المترجم كان من القواد المغمورين، إلى غاية عام 1293/ 1876، حين بعث به السلطان المولى الحسن ليأخذ له الثأر من قبيلة غياثة، التي كان المتمردون من رجالها قد نصبوا لجيشه كمينا ذهب ضحيته عدد كبير منهم؛ وجرح أثناءها الأمير المولى عرفة. ولم ينج السلطان بنفسه إلا بأعجوبة (*الاستقصا*، 9 : 108 . 109 ؛ *الإتحاف*، 2 : 160).

ولما بعث إليهم بجيش ثان لقي نفس مصير الجيش الأول. فتوجه إليهم القائد الشافعي "في خصوص أبطال إخوانه"، فأوقع بهم وقعة شنعاء، ورجع سالما منصوراً، حاملا لرؤوس من مات منهم، فشكر السلطان صنيعه، وأثنى على شهامته. وبسبب شهرة هذا القائد أصبح مدشر أولاد مَحمد يدعى دار الشافعي.

وتنقطع أخباره بالمرة، مما يدل على أنه لم يعمر بعد ذلك إلا قليلا، حيث تفيد رسالة سلطانية مؤرخة بعام 1302/ 1885 أن ابنه أحمد بن الشافعي مصاب في يده اليمنى، مما تسبب له "في الوهن وضعف في حركته". وهذا ما دعا السلطان إلى أن يأذن له في التوجه إلى طنجة بقصد التداوي؛ حيث بعث برسالة إلى النائب مَحمد بركاش يأمره بمساعدته على إيجاد من يعالجه إما بطنجة، وإما بجبل طارق، "وإما بغير ذلك من بلاد النصارى، حتى يرجع مجبور الخاطر واليد مسروراً.." (*رسالة سلطانية* مؤرخة في 25 ذي الحجة عام 1885/1302 خ.ح. ك 364 ص. 231). ومما يدل على المكانة التي أصبح هذا القائد بدوره يتبوؤها لدى السلطان، ما خاطب به بركاش موصيا به: "واعتن به ولا تقصر في البرور به وتبصرته". فلا يدل هذا العطف إلا على تفاني القائد في خدمة المخزن. وتزداد تبينا من حدب السلطان على مخدومه حين يردف قائلا: "فإنه رجل حبي غير عارف بما يأتيه في ذلك وما يذره بحيث إذا سافر لأي محل يكون تحت نظرك وإشارتك حتى لا يقع له شيء.." والغالب على الظن أن عملية الاستفتاء قد أتت أكلها، لأن القائد أحمد بن الشافعي رجع إلى مباشرة المخزنية؛ إذ تخبر رسالة أخرى أنه دافع المهاجمين من الرحامنة والسراغنة وأولاد بوزيدي، و"فساد بني مسكين" الذين هاجموا داره ونهبوا كل ما وجدوه من متاع المخزن، وأحرقوا وخربوا. جاء ذلك في سياق الهرج الذي نزل بالمغرب على إثر وفاة السلطان المولى الحسن، حيث قصدت القبائل مختلف رموز المخزن للانتقام منهم. ويعزو الشافعي ما فعل به إلى تفانيه في خدمة المخزن حيث يقول: "ما فعلوا بنا هذا الفعل إلا لما تحققوا من نصحنا واستغراقنا في خدمة أعتاب مولانا خلفا عن سلف.." (*رسالة سلطانية* مؤرخة في 19 ربيع الثاني عام 1312 خ.ح. مح 13). وقد صمد الشافعي في وجه المهاجمين طويلا، حتى إذا انفض من حوله مختلف خدامه ولم يبق معه إلا ابنه، لاذ بالفرار لاجئا عند أخواله الموجودين في عين بلال - إحدى فخذات قبيلة بني مسكين، على بعد حوالي ساعتين من داره.

ويبدو أن الشافعي لم يستطع إعادة الاستقرار لإيالته إلا بعد أن جاءته الإمدادات من قواد تادلا وبعض عمال المراسي، الذين شدوا له العضد "على فساد قبيلته".

وتنقطع أخباره منذ عام 1897/1314، حيث تفيد *رسالة سلطانية* مؤرخة في 17 رمضان 1315 أن الذي ولي قيادة بني مسكين هو ابنه محمد بن أحمد بن الشافعي (خ.ح. مح 415).

استمرت القيادة في عقبه حتى سيطرة السلطات الفرنسية على تراب قبيلة بني مسكين سنة 1914، حيث تم خلع القائد حسن ابن الشافعي، وصودرت أملاكه، وأجبر على الانتقال إلى مدينة مراكش التي مكث بها حتى وفاته سنة 1916 ؛ فآل هذا المنصب إلى أسرة بوحافة المنتمية إلى فخذة ليساسفه.

وللشافعي خط جميل ورسائل ممهورة بأسلوب جيد، مما يدل على أن بضاعته العلمية لم تكن مزجاة. وكان يوقع رسائله بالعبارة التالية: "خديم المقام العالي بالله أحمد بن الشافعي أمنه الله".

*وثائق* خ. ح ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *إتحاف*، ط. 2، الرباط، 1990، 2 : 160 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ط. 2، الدار البيضاء، 1956، 9 : 108 109.

**الشافعي الشاوي، أحمد** الرباطي، فنان موسيقي ظهر ولعه بالطرب الغرناطي وهو ما يزال فتى يافعا، فأقبل منذ مطلع الثلاثينيات على مجالس هذا الفن بالرباط، ومعه ثلة من شباب المدينة، يحدوهم ما كانوا يلقونه من تشجيع عشاق هذا الفن على تعلم أصوله وحفظ مستعملاته. وسرعان ما ظهر تفوقه بين أقرانه في العزف على العود، وفيهم يومئذ أحمد بيرو، والحسين بن المكي الحجام، ومحمد ابن عبد الله، والحسني التازي وآخرون.

وقد أهله نبوغه ليكون من بين أعضاء فرقة الطرب الغرناطي التي مثلت المغرب في معرض باريز للفنون الشعبية الذي أقيم بغابة بولوني تحت شعار "القرية المغربية" عام 1935/1353، وإلى جانبه محمد بن صالح على آلة الطر، ومصطفى المعروفي عازفا على الرباب، والحسين بسباطة منشداً وعازفاً على الكمان وآخرون.

اشتغل لفترة أستاذاً للطرب الغرناطي في معهد مولاي رشيد بالرباط إلى جانب الحسين بلمكي، ومحمد امبيركو، والحاج أحمد الدكالي، وأحمد بنغبريط، وأحمد بناني.

وقد انضم إلى جوق الإذاعة الوطنية للموسيقى الأندلسية الذي أسندت رئاسته إلى الفنان الفاسي مولاي أحمد الوكيلي عام 1952، فكان عمدته في العزف على العود، وإليه يوكل أداء الوصلات الآلية الفردية في الجوابات والتغطيات.

وقد بلغ من تمكنه في استخدام هذه الآلة أن أصبحت طوع أنامله، تتنقل بين أوضاع دسْتانها بسهولة ويسر، وتبدع في "تصوير الطبوع وتحويل درجات قراراتها إلى دجات نغمية أخرى؛ غير أنه كان شديد التكتم على أسرار مهنته، إذ قلّما ينشرح صدره للبوح بها لزملائه.

توفي يوم 11 أكتوبر 1983 بعد حياة حافلة بالعطاء، وخاصة في مجال العزف على العود، وذلك ما تشهد عليه التقاسيم الرائعة التي تختزنها الأشرطة المودعة بدار الاذاعة الوطنية.

*رواية شفوية لعازف العود المختار المفرج التطواني.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الشافعي الشاوي، الحسن** بن المكي الرباطي. درس على شيخ الجماعة بالرباط إبراهيم التادلي واختص به مدة طويلة منكباً على نسخ مصنفاته وتعليقاته. وقد كتب هوامش على مؤلفات الشيخ التادلي - وأكثرها تعليمية - ممّا سمعه منه حولها في تقريراته بالمجالس العلمية. وبعد وفاة الشيخ التادلي تصدر الشافعي للتدريس بمساجد الرباط إلى أن وافته المنية في حدود سنة 1897/1315.

ع، ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2813 ؛ ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، د. ت. ج 2 : 294.

محمد حجي

**الشافعي** (ابن -) **مبارك** بن محمد، مقاوم ولد سنة 1920 بدوار مسعود بني خلف إقليم خريبگة. كان معروفا بين رفاقه بالغيرة الوطنية حيث قام بعدة أعمال من أجل الحرية والاستقلال إلى أن استشهد رميا بالرصاص وذلك يوم 20 غشت 1955 في أحداث مظاهرة ذكرى نفي رمز الأمة جلالة المغفور له محمد الخامس بوادي زم حيث تم إحراق جثمانه من طرف جنود الاستعمار الفرنسي كما تمت مصادرة جميع ممتلكاته.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524285.

**الشافعي، أبو مدين** (الدكتور -) شعلة ذكاء وفطنة، وطاقة جياشة متفجرة، وانتهازية متوثبة لاقتناص الفرص، مهما كانت وفي أي نطاق بدت، حضر إلى المغرب من الجزائر، إثر نيله لشهادة "الباكلوريا" بإحدى مدارس تلمسان.

وكان حضوره إلى تطوان أواخر سنة 1938 وهي تحتفل بتوديع البعثة المغربية، التي كانت ستتوجه إلى مصر بعد يوم أو يومين، فحضر الحفل الذي ألقيت فيه خطب بهذه المناسبة، أنهيت إحداها بتحية الجزائر.

فما كان من الضيف الكريم، إلا أن صعد المنصة، وقال: بم تحيي الجزائر ؟ أتحيى وهي مكبلة في أغلال العبودية، أتحيى وهي ترسف في قيود الاضطهاد ؟ أتحيى ... أتحيى ... وهي كذا وكذا ؟.

كلاّ، إنها لن تحيى إلاّ إذا كانت لها بعثة كبعثتكم هذه، تحيى... إن قدّر لها مصير كهذا المصير الذي ينتظر من هؤلاء الشباب، القاصدين إلى المعاهد والديار، للارتواء من المعارف والاهتداء بنور العلم الوهاج...

بمثل هذا المضمون صار يركز كلامه، وينطلق يقلب خطابه، فتأثر الجميع أن يكون أبو مدين محروماً من هذه المائدة الشهيّة التي سيتناول منها إخوانه الطلبة المغاربة.

وودعنا المغرب في حفل مؤثر، كان يجهش به رصيف سبتة، وقد امتطينا باخرة كانت ستحملنا إلى مدينة الجزيرة الخضراء... ملوحين بأيدينا إلى اهلينا وآبائنا... وألسنتهم تبتهل بالدعاء إلى الله، وقلوبهم تخفق لفلذات الأكباد، الذين كان فيهم من يودع الوداع الأخير، ولالقاء الا في اليوم الآخر.

وبعد أسبوع كنا نرسو على رصيف بور السعيد، وكان بعض الزملاء السابقين، وبعض الأساتيذ من المصريين في استقبالنا. وامتطينا القطار الذي حملنا إلى القاهرة، حيث وجدنا "بيت المغرب" قد أعدّ لنا، وأثث بأدواره الثلاثة ورجال الخدمة قائمين عليه.

وفي اليوم الثاني أو الثالث، كان احتفال بنا يقام، شارك فيه كبار رجالات الفكر والعلم والسياسة والصحافة والفن من المصريين، وخطب الخطباء، وكان فيهم آنذاك وزير المعارف (محمد هيكل باشا)، الذي فاجأنا بثورته على العربية، التي كنا نحترم قواعدها، فكان هو يهضم حقها هضما... وانتهى الحفل، بقطعة موسيقيّة عزفها سامي الشوا، الذي لم يكن في الموسقيين من يباريه في عزف الكمان خاصة.

في هذا الحفل، كان أبو مدين يحضر إلينا، فابتهجنا لحضوره، ووجم القائمون بمهام الأمور والعالمون بمجاريها، لحضوره... وبدأت المحاولات والمناورات، التي لم تجد في اقتلاع هذا الجذر، الذي كان قد ارتكز على فرصة عداء سافر كان المقيم العام الإسباني "بيكبيدر" يحمله لفرنسا، ويمد يده المطلقة إلى كل من يطربه بهذه النغمة، وكان صاحبنا يحسنها ويختار لها إيقاعها وموقعها، فسلم إليه المقيم بعد أن تمكن هذا من لقائه، تذكرة الطائرة "طاوا"، ولاشك أنه سلم إليه نقوداً "محترمة" تسعفه وتسعده في رحلته إلى مصر ...

وحطت الطائرة في "روما" حيث التقى بالزعيم عبد الخالق الطريس، الذي احتضنه كعادة منه كريمة، فارتبط به ارتباطا جعله يبيع التذكرة التي كان بها سيتابع رحلته هذه إلى مصر، ولذلك احتفظ بثمنها، وصار في ركاب الطريس "سيدي لا أفارقك"...

لقد كان الطريس في طريقه إلى مصر، سيركب سفينة من إحدى الموانىء القريبة من "روما"، فأركب معه الشاب الوطني الجزائري، ليلتحق هذا بنا، وليمثل هو المغرب في ذكرى وعد "بلفور" المشئوم، التي حضر إليها رجال العالم العربي والإسلامي، فأقيمت بمصر...

وأخيراً وزعت أفراد البعثة على المعاهد التي سيلتحقون بها، بعد امتحان عقد لها بدار المغرب، على يد جماعة من العلماء الرسميين، أذكر منهم إسماعيل مظهر، فكنا الأربعة، أبو مدين، وابن تاويت الطنجي، ومحمد مشبال، وأنا العبد لله، نوجه إلى جامعة فؤاد الأول. والتحق كل منا، بشعبته من كلية الآداب فكان الشافعي من نصيب قسم الفلسفة، فواظب على التلقي من محاضراته، التي كان بعضها يضم كل الأقسام بالكلية فكنا نحضر معا، محاضرات المرحوم "أبو العلاء عفيفي" ومحاضرات الدكتور إبراهيم مذكور بيومي.

وكان هذا يعجب الشافعي جداً، خصوصاً أنه كان يعتمد على رجال الفلسفة من الفرنسيين، بخلاف عفيفي الذي كان يعتمد على رجالها من الانجليز، ولم يكن أبو مدين يحسن أو يعرف شيئا من الانجليزية ولكنه تداركها بجد واجتهاد فيما بعد.

كان أبو مدين على قدرة عظيمة في الفرنسية، تضاهي قدرته في العربية، فكان لهذا تأثير في نفسه وفي غيره، حيث أصبح إلى جانب دراسته، يقوم بتعليم الفرنسية للمصريين، الطلبة والطالبات، في البيوت، فيتلقى على ذلك مقابلا ماليا سينفعه فيما بعد، وقد احتفظ به وضمه إلى ما كان له من ذي قبل...

وشق طريقه المستقيم، وأدى امتحاناته بكل نجاح وتوفيق، فنال شهادة "الليسانس"، ثم حضّر رسالة نال بها درجة "ماجستير" وفي النهاية أحرز درجة "دكتوراة" في الفلسفة.

وكان ينال الإعجاب من الجميع في قدرته العربية واطلاعه على قديمها، وهو من الشباب الذين كونهم مصلحو الجزائر من الإبراهيمي وسلفه ابن بادس، رحمهما الله.

طلبت منه أن يكتب لي مقولات الفيلسوف "كنت" التي جعلها اثنتي عشرة، بدل عشرة، قال بها ارسطو واتبعه في عددها من أتى بعده من المسلمين وغيرهم قدماء ومحدثين، فكتبها لي منظّرا بها، تلك التي رمز لها بالبيتين اللذين كان يحفظهما :

| | |
|---|---|
| زيد الطويل الأزرق ابن مالك | في بيته بالأمس كان متكي |
| بيده سيف لــواه فالتــوى | فهذه عشر مقولات ســوى |

فاستغربت لهذه الموسوعية، وإن كان موضوعه الفلسفي ورجال تدريسه على اضطلاع ما قيل فيه، ولقد استغربت يوما من "إبراهيم مذكور" استأذنه بعض الطلبة في طبع محاضرات، فأجابهم ببيت للمقري في "إضاءة الدجنة" كنا نحفظه ونحن ندرسها بالقرويين :

| | |
|---|---|
| ومن يقل بالطبع أو بالعلة | فذاك كفر عند أهل الملة |

وكذلك قدر لأبي مدين الشافعي، فقد حدث إثر العدوان الثلاثي على قنال السويس، أن شرّد اليهود من حارتهم التي كانت بباب اللوق بالقاهرة، وسجن بعضهم لخطرهم المكتشف أو لتلبسهم بتهم مريبة.

فكان من هؤلاء الاخيرين من كانت زوجته يعالجها الدكتور الشافعي. ولخوفها على نفسها أو من زوجها عند السراح، فإنها طلبت من الدكتور أن يعمل على مغادرتها لمصر، فأسعفها في ذلك. ولما أطلق سراح زوجها اكتشف الأمر الذي دبّر عليه.

فما كان من هذا اليهودي إلا أن حمل خنجراً حاداً معه، وتوجه لزيارة الدكتور في مستوصفه أو مصحته، فلما اجتمع معه أخرج خنجره وذبحه واقفا على قدميه فخر يتخبّط في دمه الفضولي، ولم يرث له أحد في هذا المصير المحزن، كما لم يرث لزميله الورتلاني سابقا.

لم يكن هذا من اليهودي انتقاما لعرضه، فإن الشافعي كان أبعد الناس عن انتهاك الأعراض، من هذا النوع، فلم يكن من أولئك "الفحول" الذين يفتنون بغريزة المرأة، أو يفتنون بغرائزهم المرأة، بل كان أبعد الناس عن هؤلاء وأولئك، كل البعد، لكن الفضول، وقبح الله الفضول، هو الذي أوقعه في هذه المصيبة الشنيعة، التي دنست كل ما كان من طاهر، وطمست كل ما كان له من محاسن وذهب هكذا، ما بكت عليه السماء والأرض، وما دمعت لمصرعه عين أو خفق له قلب ـ رحمه الله ـ ووقانا شر ما لقي من هذا المصير الأليم.

لقد ألف الدكتور كتبا متوسطة، تتصل باختصاصه، إلى جانب رسالتيه المذكورتين، وطبع الجميع بمصر، وليس بيدنا من كتبه إلا كتابه *"الاطمئنان النفسي"* الذي ضمنه تجاربه الخاصة، وتناوله تناولا تجريبيا، أكثر من كونه تناولا علميا أو نظريّا. وهو مفيد للغاية في إعادة الاطمئنان إلى النفوس الحائرة، التي يعصرها عالمنا الحالي، الذي تفسخت فيه عقد الدين، فتركت فراغا، استولى على الكبير والصغير. وصار كل ينعى على غيره، وقد افتقد الزمام، وصارت الأفكار تتصارع مع نفسها، والأخلاق تتناحر فيما بينها، والمجتمع العالمي في هرج ومرج لا يدري ماذا يصنع، وإن درى فانه لا يقدر، وإنْ قدر فإنه لا يثبت ولا يستمر ولله الأمر من قبل ومن بعد.

محمد ابن تاويت التطواني

**شاكر، محمد** القصّار الدمشقي السلاوي، ولد ونشأ في دمشق بالشام، درس بها ثم في بيروت، وتخرج في الكلية الطبية العثمانية في بيروت، ثم نزح إلى المغرب أوائل القرن (14 هـ) ليستقر بسلا، حيث زاول مهنة الطب ولقي إقبالا ونجاحا كبيرين بفعل علمه وأخلاقه وليونته مع المرضى من العدوتين (سلا والرباط).

ظل شاكر الدمشقي على صلة بالمشرق، يتلقى من هنالك

الصحف والدوريات العلمية والمطبوعات الجديدة الصادرة في الشام، وكان يقوم بإطلاع النخبة المثقفة بالعدوتين عليها، وبذلك أسهم في التواصل الفكري بين المغرب والمشرق وفي نشر الثقافة العصرية في العدوتين.

كان لشاكر الدمشقي خزانة علمية حافلة بالمطبوعات العلمية والتاريخية والأدبية، تشتت بعد مماته. ذهب إلى أداء مناسك الحج وزيارة موطنه الأصلي سنة 1314/ 1896، ثم عاد إلى سلا، التي تزوج بها مخلفا ولداً واحداً، توفي في هذه المدينة ودفن بها سنة 1323 / 1905.

م. ابن علي الدكالي، *إتحاف أشراف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا*، مخطوط خ. ع.، الرباط، رقم 11 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تاريخ العدوتين، تح. مصطفى بوشعراء، سلا، 1986 ؛ ع. الله الجراري، من *أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، الرباط وسلا*، ج 2، ط 1، الرباط، 1971.

أحمد المكاوي

**الشاكري، التهامي** بن عبد الله بن إبراهيم بن عثمان بن طاهر بن الحسن بن يوسف بن مولاي علي الشريف، من شرفاء أولاد شاكر بالرتب، إحدى مناطق تافيلالت، ينسب إليها بالشاكري. يوقع أجوبته ب: وكتب عبد الله محمد التهامي بن عبد الله (*الأدوية الرواقي*، 76 أ). ذكره محمد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي (ت. 1857/1273) في ترجمته لمعاصره، حفيد المترجم له، عبد الهادي بن عبد الله، قاضي الجماعة بفاس، وصهر السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام. وقال عنه: "كان علامة مشاركاً، محققاً في جميع علوم العربية والمنطق والحساب والفرائض والميقات والتعديل، متبحراً في التفسير والحديث والتصوف والأصول، أقعد أهل عصره بمعرفة الفقه، مستحضراً للنوازل، مشاركاً في الفتاوي والأحكام، شاعراً، ورعاً زاهداً" (*الإشراف*، 146). وحلاه الزكي العلوي بالعالم المشارك، الحافظ الضابط، الشاعر الناثر، المعقولي المنقولي، الفقيه المحدث، الأصولي البياني وقال: "اجتمع فيه ما افترق في غيره، توجه الهلالي بتاج المعرفة التامة، ورداه برداء الفهم الثاقب والبصيرة النافذة، وصاغه في قالب لا يدرك شأوه" (*مطالع الزهراء*، 183). وحلاه الفضيلي بالإمام الحافظ وبالعالم العلامة المشارك النفاعة، الناظم الناثر، ذو التآليف العديدة والتقاييد المفيدة (*الدرر البهية*، 1 : 298).

أخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي، وهو عمدته في سائر الفنون، ولا ينتسب إلا إليه. وبعد وفاة شيخه الهلالي رحل إلى فاس، وأخذ علم التعديل والميقات عن خاتمة الحكماء بالديار المغربية الشيخ سليمان بن أحمد الفشتالي (ت. 1208/ 1793). كما أخذ أثناء حجته عن بعض شيوخ المشرق الإسلامي. فقد ذكره صاحب *فهرس الفهارس* فيمن أخذ من المغاربة عن أبي الفيض مرتضى الزبيدي الحسيني المصري، وفيمن أغفل هذا الأخير ذكرهم من كبار الآخذين عنه في كتابه المعجم المختص (*فهرس الفهارس*، 2 : 541) وأجازه الشيخ مرتضى بجميع مروياته في سائر الفنون (*الإشراف*، 146). وذكره الكتاني أيضاً في معرض حديثه عن مروياته لفهارس الهلالي أبي العباس أحمد، وكل ما له، إجازة وسماعاً، عن أبي العلاء إدريس بن قاضي فاس أبي محمد عبد الهادي بن عبد الله عن والده عن جده أبي محمد التهامي بن عبد الله عن الهلالي.

ولي القضاء بمدغرة والرتب بتافيلالت كما ولي الفتيا وانتهت إليه الرياسة فيها (*الإشراف*، 146).

كان التهامي بن عبد الله الحسني ولياً صالحاً ورعاً زاهداً، أخذ بيد أقوام بتلقين الورد الجيلاني، انتفع به خلق كثير ظاهراً وباطنا، وكان كثير البكاء والخشية، سيما إن كان يخطب، يكون دمعه ساكباً، وقلبه على فرس الخوف راكباً، وكان له في الإحسان يدٌ طويلة (*مطالع الزهراء*، 183 *والدرر البهية*، 298).

ألف التهامي بن عبد الله الحسني عدداً من الكتب ذكر منها حمدون بالحاج: *أرجوزة* نظم فيها تلخيص المفتاح (*الإشراف*، 164). وهي في علم المباني وأحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند، وأحوال المسند إليه، وأحوال متعلقات الفعل والقصر والإنشاء والإيجاز والإطناب؛ وفي علم البيان في التشبيه والحقيقة والمجاز، وفي علم البديع، وقفت على نسخة منها ضمن مجموع يحمل رقم: 2893 بالخزانة الحسنية. كما له أيضاً *أرجوزة* تعرض فيها لنسب الأشراف العلويين، وقال إنه استقرأ فيها جل فروعهم وأصولهم (*الإشراف*، 164)، ومختصر *فتح القدوس في شرح خطبة القاموس* (*الإشراف*، 164). وذكر الفضيلي أنه نظم جمع الجوامع (*الدرر البهية*، 1 : 289).

ووقفت له على عدة تآليف منها: نظم سماه *سبل الفلاحة لمن أراد الحكم في الملاحة* موضوعه كراء المملحات وأجوبة فقهية عن مسائل أصولية وكلامية ومنطقية ونحوية، وأبيات متلوة بشرحها في قسمة الكسر، وأبيات ستة في علم الحساب والفلك والتوقيت مع شرحها ونظم من ثلاثة أبيات في تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتوي في المختصر في باب الاستحقاق منه أو المجهول الحكم بخط يده. وتخميس *همزية البوصيري* ألفها بإشارة من الولي الصالح سيدي الطيب الدرعي، وقصيدة في رثاء شيخه أحمد بن عبد العزيز الهلالي نقلها محمد بن الطيب القادري في *الدر السني* في معرض حديثه عن شيخه الفقيه الهلالي المذكور. وقصيدة يرثي فيها فرسا للسلطان مولاي اليزيد نظمها بطلب من السلطان المذكور. وقصائد في زيارة بعض المزارات كمزار الولي الصالح سيدي أبي نعامة : أبو عبد الله محمد، ومزار الولي العلامة مولاي عبد الله بن علي طاهر بمدغرة، *والأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي*.

توفي التهامي بن عبد الله الحسني الشاكري ضحى يوم الخميس 6 جمادى الأولى عام 19/1210 نونبر 1796 كما وقف عليه الفضيلي بخط حفيده الفقيه العلامة القاضي عبد

الهادي بن عبد الله. قال الفضيلي: "وحدث عنه أنه لما دنت وفاته كان يقول: نصعد إلى الرفيق الأعلى اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن طلعت روحه رحمه الله ورضي عنه" (*الدرر البهية*، 1 : 298). وذكر حمدون بالحاج أنه توفي وهو ابن ست وستين سنة (*الإشراف*، 164).

التهامي بن عبد الله الحسني الشاكري، *الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي*، تح. حسن حافظي علوي، مراكش، 2001 ؛ م. الطالب ابن الحاج، *الإشراف على بعض من بفاس من الأشراف*، مخطوط خ. ح.، رقم 11732 ؛ الزكي العلوي، *مطالع الزهراء الجامع لأسماء بني الزهراء*، مخطوط خ. ع.، رقم 656 ؛ الفضيلي، *الدرر البهية والجواهر النبوية*، قابله وراجعه أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، الرباط، 1999 ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1982.

**الشاكري، عبد الهادي** بن عبد الله الحسني من شرفاء أولاد شاكر بالرتب من بيت قديم في العلم والعمل. ولد بأولاد شاكر ونشأ في حجر جده مولاي التهامي، ولازمه في جل الفنون المتداولة، ولما توفي جده ارتحل إلى فاس، وأخذ عن جمع من الأعلام بها كالشيخ أبي محمد عبد القادر بن شقرون والطيب بن كيران وغيرهما (*الإشراف*، 164). وأخذ عنه جم غفير من طلبة فاس كحمدون ابن الحاج وجعفر الكتاني ومحمد بن حمادي المكناسي (*الإشراف*، 164 *وسلوة الأنفاس*، 1 : 117 *والإعلام*، 8 : 507).

قال في *الإشراف* : شيخنا مولاي عبد الهادي أحد الأئمة المعتبرين، والأعلام المشهورين، مشارك في عدة فنون، بصير بالمذهب وفروعه، ضابط لقواعده، عارف بصناعة الأحكام، فصيح اللسان، صحيح النظر، قوي الحجة، جماع للدواوين، متجر في معرفة أسماء الكتب، كثير المطالعة (*الإشراف*، 164 *والإعلام*، 8 : 506). وذكر مولاي إدريس ابن المترجم له أن والده كان له حفظ بارع، وروى أنه دخل عليه مرة في المحكمة فقال له: اذهب إلى خزانة الكتب واتني بشرح الحطاب، فإنني حكمت في قضية وقع لي الشك فيها، ثم راجع فوجد النص فيه كما حكم به، وقال له إنني طالعت فيه هذه المسألة بالصحراء تحت النخلة الفلانية في اليوم الفلاني (*الإعلام*، 8 : 507).

انتهت إليه رياسة العلم في وقته ورياسة الفتوى وصار من أهل الشورى، وكان لا يقبض على عمله مرتبا قبل أن يتولى خطة القضاء (*مطالع الزهراء*، 183 *وسلوة الأنفاس*، 1 : 117).

تولى خطة القضاء بسجلماسة ونواحيها، ثم وليها أيضاً بفاس وما والاه مرتين المرة الأولى في 10 جمادى الأولى سنة 1240 / الجمعة 31 دجنبر 1825 بعد عزل الفقيه محمد بن إبراهيم الدكالي، ثم أخر في 6 ربيع الأول عام 1247/ الأحد 15 غشت 1832 وولي بعده العربي بن الهاشمي الزرهوني، ثم ولي بعد الزرهوني أبو الحسن علي التسولي. والمرة الثانية عام 1835/1250، لما أعفي التسولي، وبقي بها إلى أن توفي، وقد بلغت مدة اشتغاله بخطة القضاء أزيد من عشرين سنة أحيى فيها موات هذه الخطة وجدد معالمها، وكان ينوب عنه إذا تغيب لسبب من الأسباب محمد الزعري المباركي (*سلوة الأنفاس*، 1 : 117 *والإشراف*، 163 *والدرر البهية*، 1 : 299 *والإتحاف*، 5 : 225 ـ 226 *والإعلام*، 8 : 506).

صاهره السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام ببنته الأميرة خديجة، ولم تزل عنده إلى أن توفيت في حياته، فلم يتزوج بعدها إلى أن لقي ربه (*الدرر البهية*، 1 : 300 *وسلوة الأنفاس*، 1 : 117).

كان عظيم الحرمة شديد المهابة، وكان يقول الحق ولو في نفسه أو في عظماء أبناء جنسه، لا يواجه أحداً ولا يداريه، ولا يحاذي الجور ولا يجاريه، وكان يخاطب السلطان وحواشيه بكلام لا يقدر أحد أن يخاطبهم به (*الدرر البهية*، 1 : 299 *وسلوة الأنفاس*، 1 : 117).

خلف عبد الهادي بن عبد الله الحسني عدداً كبيراً من الكتب أكثرها تداولا كتاب: *شرح جمع الجوامع* وشرح اختصار الكتب الست المسمى *بتيسير الوصول إلى جامع الأصول* لابن الديبع الشيباني (*الدرر البهية*، 1 : 300 *ومطالع الزهراء*، 183 *وسلوة الأنفاس*، 1 : 117) وذكر الفضيلي أن له غير هذا غير أنه مخدر، أي أن كتبه غير مشهورة (*الدرر البهية*، 1 : 300).

وذكر العباس بن إبراهيم الذي ترجم لعبد الهادي بن عبد الله باسم عبد الهادي بن عبد الرحمن العلوي أنه قرأ في ديوان الوزير ابن إدريس العمراني عدة قصائد في مديح المترجم له (*الإعلام*، 8 : 507 و508).

توفي عبد الهادي بن عبد الله الحسني ضحوة يوم الأربعاء تاسع رمضان المعظم سنة 14/1272 مايو 1856. وذكر الفضيلي أن وفاته كانت في أواخر رمضان من نفس العام (*الدرر البهية*، 1 : 300) ودفن عصر يومه بزاوية التاودي بن سودة قريبا منه، وحضر جنازته أهل فاس على التمام وأهل الدائرة السلطانية وولد السلطان مولاي عبد الرحمن سيدي محمد (*سلوة الأنفاس*، 1 : 117).

م. الطالب ابن الحاج، *الإشراف على بعض من بفاس من الأشراف*، مخطوط، خ. ح، رقم 11732 ؛ الزكي العلوي، *مطالع الزهراء الجامع لأسماء بني الزهراء*، مخطوط، رقم 656 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية والجواهر النبوية*، تح. أ. بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، الرباط، 1999 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 1، فاس، 1316 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5، الرباط، 1933 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 8، الرباط، ط. 2، 1977.

حسن حافظي علوي

تم طبع الجزء 15 من معلمة المغرب
بمطابع سلا وبمطبعة النجاح الجديدة
في رجب عام 1423 / شتنبر 2002

مطابع سلا
قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
الحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا

IMPRIMERIE DE SALÉ

**Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane**
**Zone Industrielle de Tabriquet**
**B.P. 596 SALÉ**

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

15

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

"SALA"

2002 - 1423

ISBN 9981 - 03 - 000 - 7 (Ensemble)
ISBN 9981 - 03 - 021 - X (Tome 15)

Encyclopédie
du
Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

16

من إنتاج

الجمعية المغربية

للتأليف والترجمة والنشر

نشر

مطابع سلا

2002 - 1423

# معلمة المغرب

## المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984/629



ردمك 7 - 00 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 8 - 022 - 03 - 9981 (الجزء 16)

بسم الله الرحمن الرحيم

أعد هذا الجزء من معلمة المغرب
بدعم من وزارة الثقافة والاتصال
ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق
عبارات الشكر والامتنان.

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ . | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في هذا الجزء

محمد **إحدي**، كلية الآداب - أگادير
عبد الحميد **احساين**، كلية الآداب - الدار البيضاء
ميلود **أحمَنّ**، كلية الآداب - مراكش
محمد **أخريف**، وزارة التربية الوطنية - القصر الكبير
الفقيه **الإدريسي**، كلية الآداب - بني ملال
محمد **أديوان**، كلية الآداب - الرباط
شفيق **أرفاك**، كلية الآداب - أگادير
عبد الرزاق **ازريكم**، كلية الآداب - مراكش
مصطفى **أعشي**، معهد الدراسات الافريقية - الرباط
عمر **أفا**، كلية الآداب - الرباط
محمد **الأكلع**، كلية الآداب - مراكش
العربي **اكنينح**، وزارة التربية الوطنية - فاس
محمد **الأمراني**، أستاذ باحث
حسن **أميلي**، كلية الآداب - المحمدية
خالد **أوشن**، باحث - أگادير
عباس **برادة السني**، وزارة الخارجية
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب - المحمدية
عبد اللطيف **برحو**، المعهد الوطني للبحث في الصيد البحري
محمد **بلعربي**، باحث - الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب - القنيطرة
عائشة **البلغيتي**، كلية الآداب - الرباط
رقية **بلقدم**، كلية الآداب - القنيطرة
علي **البليشي**، كلية الآداب - الرباط
أحمد **بنجلون**، باحث - الرباط
محمد **بندعنون**، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا
زينب **بنرحمون**، أستاذة باحثة - الرباط
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب - المحمدية
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا
عثمان **بناني**، كلية الآداب - الرباط
رحال **بوبريك**، كلية الآداب - أگادير
محمد **بوخبزة**، باحث - تطوان
عبد القادر **بوراس**، المركز الجهوي التربوي - القنيطرة
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب - فاس
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية - الرباط
مصطفى **بوشعراء**، باحث - سلا
عبد الله **بوصحابة**، كلية العلوم، فاس

إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب - الرباط
عبد المجيد **بوكاري**، باحث - الرباط
أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية - تيزنيت
جامع **بيضا**، كلية الآداب - الرباط
محمد ابن **تاويت التطواني**، كلية الآداب - الرباط
عبد الله المرابط **الترغي**، كلية الآداب - تطوان
أحمد **التوفيق**، محافظ الخزانة العامة - الرباط
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية - مراكش
الحسين **جهادي الباعمراني**، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء
محمد **الحاتمي**، كلية الآداب - أگادير
عبد اللطيف **حافظ**، كلية الآداب - بني ملال
حسن **حافظي علوي**، كلية الآداب - مراكش
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب - الدار البيضاء
محمد **حجي**، كلية الآداب - الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب - وجدة
أحمد **حرزني**، المعهد الزراعي، سطات
عبد الرحمان **الحريشي**، باحث - الرباط
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب - فاس
محمد **حمام**، كلية الآداب - الرباط
محمد **حنداين**، وزارة التربية الوطنية - أگادير
يحيى **الخالقي**، كلية الآداب - بني ملال
علال **الخديمي**، كلية الآداب - الرباط
محمد **خريوعة**، المعهد العلمي - الرباط
خالد **الخضري**، وزارة الثقافة - الرباط
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم - الرباط
محمد عبد العزيز **الدباغ**، وزارة الثقافة - فاس
محمد معروف **الدفالي**، كلية الآداب - الدار البيضاء
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب - القنيطرة
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب - مراكش
علال **ركوگ**، كلية الآداب - بني ملال
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي - الرباط
بوجمعة **رويان**، كلية الآداب - القنيطرة
فريد **الزاهي**، وزارة الثقافة - الرباط
أحمد **زروال**، كلية الآداب - مراكش
قاسم **الزهيري**، باحث - الرباط
خليل **السعداني**، كلية الآداب - بني ملال

محمد **السعدين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا
عبد السلام **السعيدي**، باحث ـ مراكش
المهدي **السعيدي**، كلية الآداب ـ أگادير
أحمد بن بنعاشر **السفياني**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا
م. الحسن **السكراتي**، كلية الآداب ـ أگادير
رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **السماحي**، كلية الحقوق ـ الرباط
إبراهيم **السودي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
محمد **السوسي البهاوي**، باحث ـ تطوان
أحمد **السوسي التناني**، باحث ـ سلا
مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط
إدريس **شحو**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **الشريف**، باحث ـ تطوان
محمد عزيز بن عبد الله **الشفشاوني**، مهندس باحث ـ الرباط
أحمد **الشكري**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط
صالح **شكاگ**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
الحسن **شوقي**، وزارة التربية الوطنية ـ قلعة السراغنة
المصطفى **شويكي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط
مبارك **الشيكر**، باحث ـ القنيطرة
مبروك **الصغير**، المعهد الوطني لعلوم الآثار ـ الرباط
علي **الصقلي**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
علي العزيز **الضعيفي**، كلية الآداب ـ بني ملال
أحمد صالح **الطاهري**، المعهد الوطني لعلوم الآثار ـ الرباط
محمد **الطيلسان**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **الظريف**، كلية الآداب ـ المحمدية
عبد العزيز ابن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة ـ مكناس
زين العابدين ابن **عبد النبي**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
عدي **عَزّي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
أحمد **عزّاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان
محمد **علالي**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
عبد العزيز **العلوي**، باحث ـ فاس
أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة
الحاج موسى **عوني**، كلية الآداب ـ فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط
حياة **الغراس**، أستاذة باحثة ـ مراكش

إدريس **الفاسي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد الإلاه **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
حسن **الفگيگي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
محمد **الفقير**، باحث ـ سلا
بوشتى **الفلاح**، المعهد العلمي ـ الرباط
محمد **الفلاح العلوي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
المصطفى **فنيتر**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد **أبو القاسم**، باحث
حمزة **الكتاني**، باحث ـ الرباط
محمد **كربوط**، كلية الآداب ـ الرباط
مصطفى **لالي**، باحث ـ وجدة
محمد **اللبار**، كلية الآداب ـ فاس
عبد الإله **مالك**، مدرسة الشرطة ـ القنيطرة
الملكي **المالكي**، كلية الآداب ـ تطوان
محمد **ماگامان**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش
أحمد **متفكر**، باحث ـ مراكش
الحسن **المحداد**، كلية الآداب ـ أگادير
المكي **مربي**، باحث ـ مراكش
نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد العربي **المساري**، جريدة العلم ـ الرباط
مصطفى **المسناوي**، وزارة الثقافة ـ الرباط
عبد العلي **مشروح**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **المكاوي**، كلية الآداب ـ الجديدة
محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **الموسوي**، وزارة الشبيبة والرياضة
محمد **الناصري**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب ـ الرباط
علي **نجيب**، باحث مغربي في السويد
محمد **هشمي**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش
أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة
إبراهيم **الوافي**، كلية الآداب ـ أگادير
محمد **وحيد**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
عبد الرحيم **وطفة**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد عزيز **الوكيلي**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

# Liste des principales abréviations des périodiques

**A.A :** *L'Afrique et l'Asie.*
**A.A.N :** *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
**Acad. Sc. Col. :** *Académie des Sciences Coloniales.*
**A.E.S.C :** *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
**A.F :** *Afrique Française.*
**A.F : R.C :** *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
**A.I.E.A :** *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
**A.I.E.O :** *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
**A.M :** *Archives Marocaines.*
**A.M.S :** *Archives Marocaines de Sociologie.*
**And. :** *Al-Andalus*
**Ann. Rech. Forest. Maroc :** *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
**Ant. Afr. :** *Antiquités Africaines.*
**B.A.M :** *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
**B.A.R :** *British Archeological Reports.*
**B.C.T.H :** *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
**B.E.P.M :** *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
**B.E.S.M :** *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
**B.G.M :** *Bulletin de Géographie du Maroc.*
**B.I.D.M :** *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*
**B.I.F.A.N :** *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
**B.M.S.A.P :** *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
**B.L.O.A.B :** *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
**B.L.S :** *Bulletin de Liaison Saharienne.*
**B.S.G :** *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
**B.S.G.A :** *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
**B.S.G.A.O :** *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
**B.S.H.M :** *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
**B.S.O.A.S :** *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
**B.S.P.M :** *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
**Bull. Archéol. :** *Bulletin Archéologique.*
**C.A.A :** *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
**Cah. Rech. Agron. :** *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
**C.A.T.A.N :** *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
**C.B.E.T :** *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
**C.C.E.J :** *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
**C.E.A :** *Cuadernos de Estudios Africanos.*
**C.H.I :** *Cuadernos de Historia del Islam.*
**C. Méd. :** *Cahiers de la Méditerranée.*
**C.R.A.I.B.L :** *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**C.R.A.S :** *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
**C.T :** *Cahiers de Tunisie.*
**E.B :** *Encyclopédie Berbère.*

**E.I.1 :** *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
**E.I.2 :** *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
**E.T.A.M :** *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
**Et. Medit. :** *Etudes Méditerranéennes.*
**F.M :** *France - Maroc.*
**F.S.S.A.N :** *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
**G.E.M :** *Grande Encyclopédie du Maroc.*
**Hesp :** *Hespéris.*
**H-T :** *Hespéris-Tamuda.*
**H.T.E :** *Hommes, Terre et Eaux.*
**I.G :** *Information Géographique.*
**I.H.E.M :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**I.H.E.M : N-D :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. :** *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
**I.S.C :** *Institut Scientifique Chérifien.*
**Isl. Cult. :** *Islamic Culture.*
**I.S.P.M :** *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
**J.H.S.N :** *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
**M.A.I.B.L :** *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**Medit :** *Méditerranée.*
**M.E.F.R :** *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
**N.A.M.S.L :** *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
**P.I.H.E.M :** *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**P.S.A.M :** *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
**P.S.H.M :** *Publications de la Section Historique du Maroc.*
**R.A :** *Revue Africaine.*
**R.A.P :** *Revue de l'Action Populaire.*
**R.C.C :** *Revue de la Chambre de Commerce.*
**R.D.M :** *Revue des Deux Mondes.*
**R.E.A :** *Revue des Etudes Anciennes.*
**R.E.I :** *Revue des Etudes Islamiques.*
**R.E.L :** *Revue des Etudes Latines.*
**R.G.L :** *Revue de Géographie de Lyon.*
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. :** *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
**R.G.M :** *Revue de Géographie du Maroc.*
**R.H.C.M :** *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
**R.H.E :** *Revue d'Histoire Economique.*
**R.H.M.C :** *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
**R.M.D.E.D :** *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
**R.M.E :** *Revue Maroc-Europe.*
**R.M.F :** *Revue Militaire Française.*
**R.M.F.P.E :** *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
**R.M.M :** *Revue du Monde Musulman.*
**R.P.P :** *Revue Politique et Parlementaire.*
**Rev. Inst. Hist. Mil. :** *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
**S.G.L :** *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
**S.I :** *Studia Islamica.*
**S.I.H.M :** *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. :** *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

**شالّة**، ورد ذكر موقع شالة عند المؤلفين القدامى كمدينة صغيرة تقع على نخر يحمل اسم "سلا" يرجع تاريخ تأسيس شالّة أو "سلا" إلى القرن السابع أو السادس ق. م إذ أبانت الحفريات الأثرية عن مواد خزفية فينيقية، تدفع إلى الاعتقاد بأن الموقع قد لعب على العهد الفينيقي دور محطة تجارية مهمة في الحركة الملاحية بين مدينة ليكسوس، قبالة العرائش، وجزيرة موكادور. وفي عهد المملكة المورية، ازدهرت المدينة وما لبثت أن اكتسبت مكانة تجارية هامة بحوض البحر المتوسط جعلتها تربط علاقات تبادل مع شبه الجزيرة الإيبيرية وإيطاليا. وعلى عهد الملكين يوبا الثاني وابنه بطوليميوس، شيدت بشالة / سلا عدة بنايات عمومية عكس جلها التأثير الهلنستي والروماني، واستطاعت المدينة أن تحصل على استقلالها وتسك نقوداً تحمل اسمها.

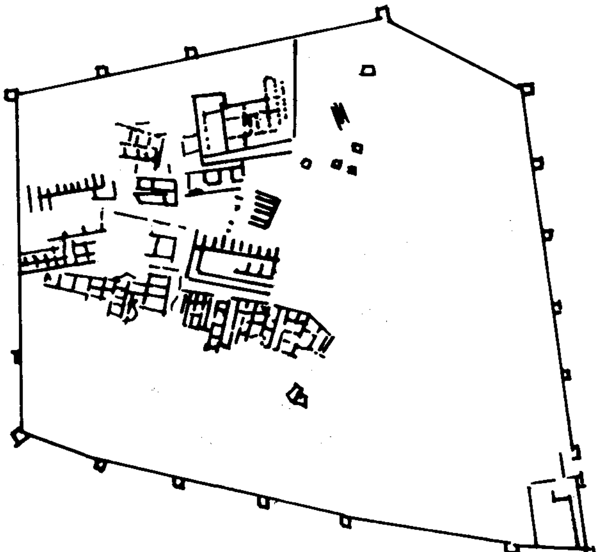

شالة : تصميم للموقعين الروماني والإسلامي

ابتداء من سنة 40 ميلادية، شهدت شالة تحولا جذريا بسبب الاحتلال الروماني للمنطقة وضواحيها، تمثل في تغيير مكوناتها وإعادة تهيئة جزء كبير من تشكلها الحضري بإنشاء الساحة العمومية (الفوروم) والحمامات والمعبد الرئيسي (الكابيتول) وحماية أراضيها بحائط محصن بخندق وأبراج للمراقبة، امتد جنوب المدينة، من الساحل الأطلسي إلى حدود وادي عكراش. وفي سنة 144 ميلادية، أحيطت أحياء سلا من طرف ماركوس سيلبيسيوس بسور من الحجر المنجور للدفاع عن المدينة والحد من هجمات القبائل المورية خاصة قبيلة الأطولول، لتبقى بذلك خاضعة للاحتلال الروماني حتى أواخر القرن الرابع أو بداية القرن الخامس الميلادي.

يظهر من خلال النصوص العربية للعصر الوسيط، أن شالة التي بقيت منذ العصور القديمة مهجورة تحول موقعها إلى رباط فسيح يتجمع فيه المسلمون لمواجهة قبيلة برغواطة، وصفه ابن حوقل بقوله: "وادي سبو هو وادي فاس، ومن ورائه إلى ناحية بلد برغواطة على نحو بريد، وادي سلا، وإليه تنتهي سكنى المسلمين وهو رباط يرابط فيه المسلمون وعليه المدينة الأزلية المعروفة بسلا القديمة، قد خرجت والناس يسكنون ويرابطون برباط يحف بها وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان (...)، ورباطهم على برغواطة". (ابن حوقل، 1873، ص. 56) ويظهر من خلال مصادر أخرى أن الموقع احتضن في هذه الفترة مدينة عامرة، بحيث يروي ابن أبي زرع أن موسى بن أبي العافية المكناسي قد ملك في عام 313 / 926 مدينتي فاس وجميع بلاد المغرب، وأجلى جميع الأدارسة عن بلادهم وأخرجهم من ديارهم وملك مدينة أصيلا ومدينة شالة وغيرها من بلادهم..." (*القرطاس*، ص. 50).

إلا أن هذه الحاضرة سرعان ما تعرضت للضعف والانحطاط، ويصفها الإدريسي في القرن السادس (12 م) بأنها قد هجرت وخربت : "ومدينة سلا الحديثة (تقع) على ضفة البحر، وكانت في القديم من الزمان مدينة شالة على ميلين من البحر، وموضعها على ضفة نهر أسمير الذي يتصل الآن بمدينة سلا الحديثة وهناك مصبه في البحر. وأما

شالة القديمة فهي الآن خراب وبها بقايا بنيان قائم وهياكل سامية، ويتصل بخرابها عمارات متصلة وزروع ومواش لأهل سلا الحديثة" (نزهة *المشتاق*، ص. 47).

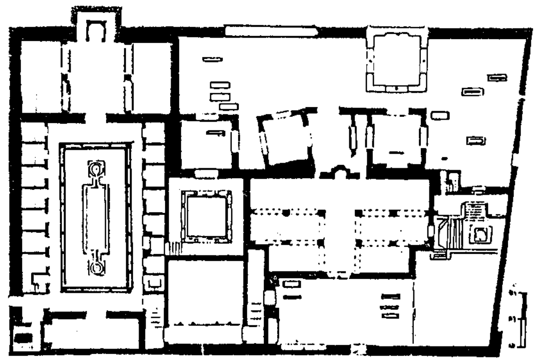

وتظل الفترة التالية غامضة بالنسبة لشالة إلى أن اتخذ السلطان أبو يوسف يعقوب، سنة 1284/683، من الموقع مقبرة لدفن ملوك وأعيان بني مرين، حيث شيد النواة الأولى لمركب معماري ضم مسجداً وداراً للوضوء وقبة دفنت بها زوجته أم العز بنت محمد ابن حازم، وفي سنة 1286/685 توفي أبو يوسف بقصره بالجزيرة الخضراء، فحمل جثمانه إلى شالة حيث دفن بإحدى قبب المقبرة السلطانية.

وفي القرن الثامن (14 م) أحاط السلطان أبو الحسن شالة بسور خماسي الأضلاع وأمر بتوسيع المقبرة الملكية وزخرفتها. أما ابنه السلطان أبو عنان فقد خص الروضة بعناية فائقة، فبنى المدرسة، شمال المسجد، والحمام شمال غرب الخلوة، وزين أضرحة أجداده بقبب مزخرفة ومنمقة تعتبر نموذج حيا للفن المعماري المميز لدولة بني مرين.

لكن هذا الازدهار لم يعمر طويلاً، وتراجعت شالة مباشرة بعد قرار المرينيين بإعادة فتح مقبرة القلة بفاس، شمال غرب باب الجيسة، فأهملت بناياتها، وتعرضت في بداية القرن التاسع (15 م) للنهب والتدمير على يد أحمد اللحياني (816 ـ 822 / 1417 ـ 1437)، الذي ثار على بني عمومته، بني مرين، وشكل إمارة بمكناس امتدت حتى بلاد تامسنا. وفي القرن الحادي عشر (17 م) تحولت الأسوار إلى ثكنة احتمى بها أفراد من الجيش، رسمت بواخر معاصرة على واجهات الباب الرئيسي للروضة. وقد استطاعت قبائل صبّاح العربية السيطرة على الموقع واستعملته لتخزين غنائمها التي سلبتها أثناء حملاتها على قبائل ضاحية مدينة الرباط، ولم تبرحه إلا في سنة 1790 بعد أن فتحها السلطان مولاي اليزيد. إلا أن جيوش قائده، أبي يعزى الفشتالي، لم تكتف بطرد أهل الصباح، بل أقدمت على تدمير وتحطيم الأسوار، لتفقد شالة جزءاً آخر من مكوناتها.

انطلقت الحفريات الأولى سنة 1929/1347 على يد الأميرة المصرية خديجة فؤاد، ومكنت من الكشف على جزء عريض من الحي العمومي للمدينة الرومانية وخاصة قوس النصر والساحة العمومية والمحكمة والكابتول. وتواصل التنقيب بشكل منتظم ابتداء من سنة 1958 حتى سنة 1986، وهم حوض الحوريات والحمامات والمخازن. وفي سنة 1966 تم حفر مجموعة من المقابر شرق وجنوب أسوار رباط الفتح، تجاوز عددها ثلاث مائة قبر، ترجع كلها إلى الفترة الرومانية الممتدة من القرن الأول حتى القرن السادس الميلادي. في نفس الفترة وخاصة ما بين سنتي 1950 و1960، نظمت أبحاث وحفائر بالخلوة، كشفت النقاب عن المدرسة وعدد من القبب والمقبريات التي دمرت وأطمرت بعد إخلاء الروضة والتخلي عنها في بداية القرن التاسع (15 م).

لقد مكنت مختلف هذه الحفريات من الكشف عن جملة من الخاصيات الحضرية والتاريخية لشالة، من أبرزها انتظام المدينة في حيها العمومي على جانبي شارع رئيسي (الديكومانوس ماكسيموس) مرصف ينتهي جزئياً في أقصى الجهة الشرقية بالساحة العمومية (الفوروم) لينطلق منها وينعطف في زاوية قائمة نحو الجنوب ثم في اتجاه الشمال، ويمتد خارج السور المريني، صوب ميناء المدينة على ضفة النهر. أما شمال غرب الساحة فيُوجد معبد موري مكون من خمس مقصوات يبرز من خلال مكوناته المعمارية بعضا من خاصيات العمارة الدينية المحلية وانفتاحها على التيارات الخارجية. كما كشفت الحفريات جنوب الشارع الرئيسي عن حوض الحوريات ومخازن وحمامات عمومية أعيد استعمالها في العصر الوسيط. أما المعبد الرسمي (الكابتول) فقد بني شمال قوس النصر فوق صف من الدكاكين المقببة ومسطبة مسطحة، حتى يتمكن، جريا على عادة جل المدن الرومانية، من الهيمنة على الفضاءات الأخرى للمدينة.

وفي القرن الثامن (14 م) أحيط الموقع بسور خماسي الأضلاع، تقويه أبراج مربعة الشكل وتتخلله ثلاث بوابات أكبرها وأجملها زخرفة وعمارة الباب الرئيسي الذي ينفتح بواسطة قوس منكسر ومتجاوز يصل ارتفاعه إلى 4،80 مترا، قبالة السور الموحدي لرباط الفتح. أما داخل الموقع فقد تم تشييد أربع مجموعات معمارية مستقلة ومتكاملة تجسد كلها عظمة ومكانة مقبرة شالة في العهد المريني. ففي الزاوية الغربية للموقع ترتفع بقايا الترالة وهي عبارة عن فندق يضم فناء وغرفا خصصت لإيواء الحجاج والزوار. وفي الجزء السفلي تنتصب بقايا المقبرة المرينية المحصنة التي اشتهرت عند عامة الرباط بالخلوة، والتي تضم مسجداً ومجموعة من القبب من أهمها قبتي السلطان أبي الحسن وزوجته شمس الضحى والمدرسة التي تبقى بمنارتها المكسوة بزخرفة هندسية متشابكة ومتكاملة وزليجها الرقيق المزركش نموذجا أصيلا للعمارة المغربية في القرن الثامن الهجري / الرابع العاشر الميلادي.

وقد بنيت المدرسة من طرف السلطان أبي عنان شمال الخلوة، وجاءت وفية لشاكلة أخواتها بكل من فاس ومكناس وسلا، إذ تنتظم في جزءين، يضم الأول بيت الصلاة. هذا الأخير يأخذ شكلا مستطيلا، يصل طوله إلى 15,95 مترا وعرضه إلى 5,90 أمتار، وينقسم بواسطة دعامات من الآجور المشوي إلى بلاطين متعامدين مع جدار القبلة. أما الجزء الثاني فيشكله صحن مستطيل ومكشوف، يتوسطه صهريج وتحيط به أربعة أروقة تحملها أعمدة رخامية بيضاء وسواري مزدوجة مكسوة بالزليج، تفضي إلى بقايا مجموعة من الغرف المخصصة لسكنى الطلبة.

في الجهة الشمالية الشرقية للموقع، يرتفع أحد أروع حمامات القرن الثامن (14 م) بالمغرب، بقببه النصف دائرية التي تحتضن أربع قاعات: قاعة لخلع الملابس وثانية باردة وثالثة دافئة ثم رابعة ساخنة.

أما حوض النون، فيقع في الجهة الجنوبية الغربية للخلوة وقد تخلى عن وظيفته الأصلية كقاعة للوضوء تابعة لمسجد أبي يوسف يعقوب وتحول، بعد أن نسجت حوله الذاكرة الشعبية خرافات وأساطير عدة، إلى عين مقدسة تؤمها فئة عريضة من ساكنة الرباط ونواحيها قصد التبرك بها.

ابن حوقل، *صورة الأرض*، بيروت، 1979 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، نشر دوسلان، باريس، 1965 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، د. ت ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار*، نشر سعد زغلول عبد المجيد، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، الجزء الأول، تر. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1971 ؛ عثمان عثمان إسماعيل، *تاريخ شالة الإسلامية*، بيروت، 1975 ؛ *حفائر شالة الإسلامية*، بيروت، 1978.

Basset H. et Lévi-Provençal E., *Chella, une nécropole mérinide, Hesp.*, Paris, 1921-22; Boube J., *Fouilles archéologiques à Sala, H.T*, 1966, p. 23-32 ; *Documents d'architecture mauré-tanienne au Maroc, B.A.M.*, T. 7, 1967 ; *Les Nécropoles de Sala*, Paris, 1999 ; Chatelain L., *Le Maroc des Romains: étude sur les centres antiques de la Maurétanie occidentale*, Paris, 1944; Euzennat M., *Le limes de Tingitane: la frontière méridionale*, Paris, 1989; Gascou J., *Inscriptions antiques du Maroc*, Paris, 1982; Tissot Ch., *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878.

أحمد صالح الطاهري

**شالوبة** ترجمة لفظية للزورق الفرنسي (Chaloupe)، وهي زورق هجومي، من المراكب الحربية الصغيرة المجهزة بالمدفعية التي استخدمت في الأسطول الجهادي المغربي والتي استعملت في العمليات الخاطفة على مقربة من المراسي وخاصة في مرسى أبي رقراق خلال القرن (17 م)، وبصورة متميزة كزوارق ملحقة بالسفن العاملة على مقربة من السواحل الإيبيرية، لسهولة استعمالها في الهجمات السريعة ضد السفن ضعيفة التسليح، وأيضاً للقيام بإنزالات مباغتة على السواحل. وتتميز الشالوبة بصغر حجمها الذي لا يتعدى عشرة أمتار طولا ومترين ونصف عرضا، تجهز أحيانا بصار واحد، مع تمتعها بجؤجؤ مرتفع قادر على تحمل عنف الموج، ومجهزة بقوة مجذافية من حوالي اثنتي عشرة وحدة، وقابلة لحمل ما متوسطه ثلاثون مقاتلا. نظراً لتكاليفها

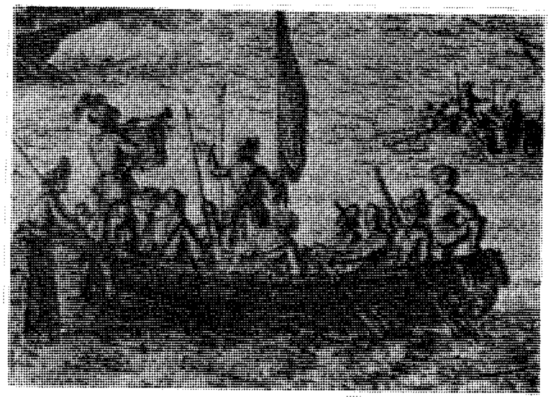

البسيطة وليسر استعمالها، ظلت الشالوبة من القطع واسعة الانتشار في المراسي المغربية حتى القرن (19 م) وبأعداد وافرة، حيث كانت البركاصات والماعونات وما شابهها تتحول إلى شالوبات عند تجهيزها للعمل العسكري بقطعتين مدفعيتين على الأقل أو بعض الحجارات.

النخيلي، *السفن الإسلامية*، ص. 72، وأيضاً.

*S.I.H.M. - Les Pays-Bas*, T. IV, p. 248, 326-27, T. V - p. 438 ; note, Brunot, *Op. cit*, p. 249.

حسن أميلي

**الشام، عبد السلام** بن الشيخ مفتاح سبط الشيخ ماء العينين وولد ابن أخيه الشيخ مفتاح ابن الطالب بوي. ولد في اسمارة سنة 1909/1327 وتعلم العلوم الدينية والأدبية في مدارس الزاوية المعينة.

ساهم بدور فعال في الحركة الوطنية في الصحراء المغربية بشعره وخطبه ومقالاته التي كان ينشرها بالجرائد الوطنية التي اختصت في الصحراء.

له أشعار متنوعة أغلبها في الدفاع عن وحدة المغرب نشر بعضها في جريدة *صحراء المغرب وصحراؤنا*. يتميز شعره ببداوته وانفتاحه على المحاولات التجديدية التي ظهرت في شعر الصحراء بعد استقلال أقاليم المغرب الشمالية، كما له شعر حساني متميز.

توفي سنة 1407 / 1987.

ماء العينين ابن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، ورقة 70 ؛ *صحراؤنا*،، عدد 50. 10 ماي 1968 ؛ *باقة شعر من أقاليم الجنوب*، ص. 37، مطبوعات وزارة الثقافة ؛ *ديوان العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنكيطي*، ص. 264، تح. م. الظريف، سلا، 1: 2000.

محمد الظريف

**الشامي**، بيت الشاميين في فاس من أكبر وأشهر البيوتات. "والبيوت، على ما قال صاحب الدرر البهية، تعظم بأحد أمور أو بجلها أو مجموعها كالعلم والولاية والثروة والجود والشجاعة وأسبابها". وقد ذاع صيت

الشامين في فاس منذ أن استوطنوها، بما كان رجالاتهم يتداولونه أبا عن جد من الخطط الرفيعة والولايات الجليلة وبما كانوا عليه من الخصال الحميدة مع النباهة والعلم والإقدام. وإنهم يرفعون نسبهم لسعد بن عبادة الخزرجي الصحابي، كما هو مثبت في رسومهم، يصرحون بذلك ولا ينكر عليهم أحد. وقد نزلوا أول الأمر في واحة تيكورارين، إحدى واحات توات، حيث يوجد ضريح أحد أجدادهم الولي الصالح سيدي عمر بن محمد الصالح الخزرجي الشامي، وهو مقام كبير هنالك بشهادة أبي سالم العياشي في رحلته. ثم إن فرعا منهم انتقل من تيكورارين إلى فاس واستقر بها في تاريخ مجهول. لكن صاحب النشر ترجم لبعض رجالهم اسمه عبد الواحد، ذاكراً بأنه توفي سنة 1024، وقائلا عنه "وبيتهم بيت ثروة وملأ"، ومشيراً إلى وفاة" الفقيه أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن إبراهيم الشهير بالشامي في ربيع الثاني من سنة 920، ومترجما للفقيه الأديب أبي الحسن علي بن أحمد الشامي الخزرجي، صديق المقري الذي أورد الكثير من منظوماته في روضة الأزهار. وقال المرحوم عبد السلام ابن سودة في *دليل مؤرخ المغرب* بأن له تأليفاً في الشرفاء الطالبيين. كما أن صاحب *سلوة الأنفاس* ذكر من هؤلاء الشاميين الشيخ عبد الرحمان بن محمد (فتحا) بن محمد بن عبد الحق الشامي، قائلا إنه "كان من كبار الأولياء وصدور الأصفياء ذا أحوال ربانية ونعوت كمالية عرفانية، وكانت له يد كبرى في علوم الأسماء وخواصها وله في ذلك تأليف". ونقف في بعض الكتب على ذكر بعض رجالاتهم. فقد ذكر ابن زيدان في ترجمة السلطان المولى الرشيد أنه قدَّم لدى دخوله فاس العدل مسعود الشامي لنظارة الأحباس، فامتنع من ذلك فسجن سبعة أشهر إلى أن استجاب للأمر: "على شرط أن لا يتعرض له قاض ولا وال لأن الأحباس كلها حازها اللصوص والأشراف أيام الفترة حتى كادت تستأصل كلها. واشتغل (مسعود الشامي هذا) بالبحث عنها واستظهارها، ومن اتهم بربع أو أرض أو جنان أو دكان يحوز ما عنده من الرباع، فما ظهر رسمه رده له وما وجد مغصوبا أو لا رسم عنده علم أنه مغصوب فيحوزه للحبس، حتى ردّ الأوقاف كلها وزاد عليها ما وجد مغصوبا من الوقف أو غيره". وقال الضعيّف الرباطي إن بيعة أهل فاس للسلطان محمد ابن عربية بتاريخ 28 جمادى الثانية عام 1149، خرجت من دار عبد الرحمان الشامي، وكان ذلك سبب امتحانه على يد السلطان المولى المستضيء فيما بعد، على ما جاء عند ابن زيدان. وعند ابن زيدان أيضاً نقرأ في ترجمة السلطان عبد الله بن إسماعيل، أنه عيّن عام 1154 لخطبة جامع القصبة بباب المحروق بفاس الفقيه أحمد الشامي. كما ذكر هذا المؤرخ في ترجمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله أن محمد بن أحمد الشامي" المدعو النقيب، كان ناظراً على مسجد القرويين، ورد ذكره كذلك بدفتر الأحباس المكناسية".

وكانت بيوت آل الشامي موزعة على أحياء المخفية ودرب القليلي والسبيطريين والعقبة الزرقاء. أما في عصر صاحب *الدرر البهية* فكان ثلاثة فروع منهم ساكنين بالمخفية ودرب مشماشة، وهي: بيت الناظر علال بن إدريس الشامي وبيت محمد بن الحفيد وبيت عبد الرحمان بن أحمد. ومن هذه البيوت تفرعت الأسرة في عهد الحماية وبعدها، فبقي في فاس من بقي وانتقل إلى باقي مدن المملكة، وبخاصة منها الرباط والدار البيضاء، رجال ونساء يتعاطون فيها المهن الحرة والوظائف الإدارية الحكومية وغير الحكومية على اختلاف أصنافها.

أ. بن محمد المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، صندوق إحياء التراث الإسلامي، 5 أجزاء؛ محمد بن الطيب القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي والثاني*، تح. م.حجي وأ. التوفيق، الرباط، دار المعارف، 5 مجلدات، 1398 / 1978؛ م. الضعيف الرباطي، *التاريخ*، الرباط، دار المأثورات، 1986؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية والجواهر النبوية*، فاس، الطبعة الحجرية؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، 5، مجلدات، الرباط، 1929 - 1933؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب*، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1960، مجلدان.

**الشامي، أحمد** بن محمد الفاسي، ولد يوم 9 شوال 30/1279 مارس 1863 في بيت المروءة والديانة والجاه، وربّي تربية حسنة إذ حفظ كتاب الله ولقن أساليب التجويد وأصول القراءات من قبل كبار العلماء الماهرين في تلك العلوم، منهم محمد بن مسعود ومحمد الدجناتي والشريف الغالي المنصوري. والتحق بجامعة القرويين ليملأ عقيرته من علوم الوقت من نحو ولغة وفقه وتوحيد وأدب وسير، آخذا عن محمد بن التهامي الوزاني وعبد الله بن حمدون بناني المدعو فرعون، والشيخ الكامل بن محمد - فتحا - الأمراني، وأحمد بن الجيلالي المغاري، وأحمد بن الخياط الزكاري وأحمد بن الطالب ابن سودة، وعلي بن عبد القادر ابن سودة، وعن عمه محمد الحفيد بن محمد الشامي، وعن حماد الصنهاجي، وعن محمد - فتحا - بن قاسم القادري ومحمد بن رشيد العراقي ومحمد بن عبد الواحد الإدريسي الشبيهي. وجرى بينه وبين فطاحل علماء وقته من أمثال الشيخ شعيب الدكالي مناظرات. وقد أجازه هذا الشيخ إجازة عامة يوم 21

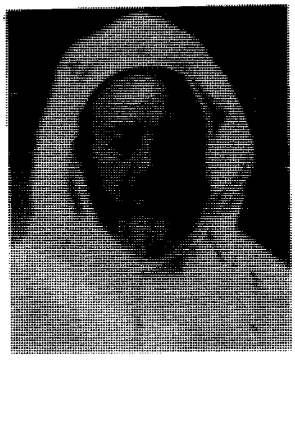

شوال 1327. ثم إنه اعتكف على التدريس بالقرويين وببعض المساجد الأخرى. وعندما تجلى علمه وظهر نفعه، عيّنه القاضي في عهد المولى عبد العزيز من جملة رجال الدرجة الرابعة. ثم ترقّى إلى الدرجة الثالثة فالثانية سنة 1321 وصدر له الإذن بتعاطي خطة العدالة فلم يزاولها بانتظام، مع ما كان ملحوظاً به من عين الرضى والإكبار لدى الخاصة والعامة. وقد قربه السلطان المولى عبد الحفيظ وقدمه لسرد الحديث بمجلسه، مكلفا إياه بالسهر على ما صار يطبع بالمطبعة الحجرية والسلكية من كتب العلم كشرح الحطاب على *المختصر* و*البحر* لأبي حيان والأبي والسنوسي. حج بيت الله سنة 1327 في الركب الرسمي، وتوقف بالقاهرة للسهر على طبع الكتب المذكورة. ووزع بالبقاع المقدسة ما أمر به السلطان أن يوزع من الهبات على العلماء وذوي الحاجة من المهاجرين، والتقى بأمير الحجاز وأكرم وفادته. ثم عاد إلى المغرب وإلى التدريس، إذ كان يدرس *خليل* بعد صلاة الفجر و*ألفية* مالك في الصباح، ودرسا في *تحفة ابن عاصم*، ودروسا في الوعظ والإرشاد بعد العصر، وكل ذلك بالقرويين. أما دروس السيرة و*البردة* و*الهمزية* فكان يلقيها في مساجد أخرى. مما جعله مرجعا يرجع إليه في كل الملمات والمعضلات. ولما أنشئ النظام الجديد في القرويين، عيّن أحمد بن محمد الشامي في الطبقة الثانية، فعمت الفائدة من علومه، إلى أن نزل به المرض فأقعده في الفراش حتى لبى داعي ربه يوم الثلاثاء 29 رمضان 1364، فدفن في روضة الشاميين بالقباب قرب الشيخ الغياثي. وقد قال المؤرخ عبد السلام ابن سودة إنه أخذ عنه الألفية وشيئاً من *المختصر* بشرح الخرشي، وكتاب *الاستقصا* في النظام الجديد وأجازه إجازة تامة عامة بخطه.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع*، ثم *سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، دار الغرب الإسلامية، 10 أجزاء، الجزء 9.

**الشامي، إدريس** بن محمد أخ الفقيه أحمد سابق الذكر، ولد عام 1281 / 65 ـ 1866، علامة مشارك عدل موثق، من آخر من أتقن تلك الفنون في فاس، وكتب الوثائق بشروطها وقيودها وما يراد من عمومها وخصوصها عن

دراية وتثبت، وعناية بجودة الخط. أخذ عن أحمد بن الطالب ابن سودة، وعن محمد بن التهامي الوزاني، وعن أحمد بن الخياط الزكاري، وعن محمد ـ فتحا ـ القادري، وعن عبد المالك العلوي الضرير. وأخذ عنه عبد السلام ابن سودة المؤرخ الحساب والفرائض وأسلوب التوثيق. ولما لبى داعي ربه، دفن بروضتهم بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع*، ثم *سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 10 أجزاء، الجزء 9.

**الشامي، العربي** بن إدريس يتصل نسبه بسعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري الصحابي الجليل. ولد في فاس عام 1321 / 03 ـ 1904، وحفظ القرآن بالمكتب المجاور لسيدي المخفي بأعلى حومة المخفية على الفقيه محمد السملالي التازي، كما قرأ هناك أيضاً سلكتين على يد الفقيه أحمد الخمسي. ثم التحق بجامعة القرويين للنهل من معينها. فأخذ عن الفقيه الصوفي محمد الراضي السناني الألفية بالموضح وعن شيخ الجماعة مولاي عبد الله الفضيلي *جمع الجوامع* بالمحلى و*المختصر الخليلي* بحواشيه و*رسالة الوضع للعضد* بشرح السمرقندي والأزهري الصريح واستعارة الشيخ الطيب ابن كيران بالبوري، وقد لازمه وتأثر به وهو عمدته. وأخذ عن أحمد بن المامون البلغيثي *كتاب أحكام القرآن* للقاضي أبي بكر بن العربي المعافري و*التلخيص بمختصر السعد*. وأخذ عن أحمد بن الجيلالي الأمغاري *مختصر خليل* بحواشيه. وأخذ عن الطائع ابن الحاج السلمي *المختصر الخليلي* بحواشيه و*الألفية* بالخضري. وأخذ النحو عن محمد بوعشرين و*الألفية بالمكودي* عن محمد بن عبد القادر ابن سودة، و*التحفة* بالشيخ التاودي ابن سودة و*الألفية بالمكودي* عن عمه أحمد الشامي و*صحيح الإمام البخاري* عن محمد بن أحمد ابن الحاج السلمي بالضريح الإدريسي، و*الشمائل المحمدية* للترمذي بضريح مولاي أحمد الصقلي عن القاضي محمد بن رشيد العراقي، ومسند *الإمام ابن حنبل* عن محمد السائح الرباطي، و*كتاب البخاري* عن الشيخ شعيب الدكالي، وعلم البيان عن محمد بناني، و*المختصر بالزرقاني* عن محمد بن العربي العلوي، و*التلخيص بمختصر السعد* عن محمد أقصبي، كما سمع عن علماء آخرين واستفاد منهم من أمثال أحمد ابن الخياط الزكاري ومحمد ـ فتحا ـ بن عبد الكبير ابن الحاج السلمي. فتخرج من الجامعة مشبعا بعلومها، بعد أن اختبرت ذلك منه لجنة مركبة من أحمد بن الجيلالي الأمغاري ومحمد بن إدريس البدراوي وعبد الواحد الفاسي والشريف التاكناوتي وعبد السلام بن عمر العلوي. وعيّن مدرسا بالقرويين سنة 1352، فدرس بالأقسام الابتدائية النحو بـ*المقدمة الأجرومية* بشرح الأزهري وحاشية أبي النجا وقواعد اللغة العربية و*قطر الندى وبل الصدى* لابن هشام الأنصاري. ثم انتقل للتدريس بالأقسام الثانوية فدرس

النحو بـ*الألفية* مشروحة بابن عقيل والموضح والبلاغة بالتلخيص بـ*مختصر السعد والجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون* للدمنهوري والفقه بـ*التحفة* بشرح التاودي ابن سودة و*المختصر* بالدردير. أما في الأقسام العليا، فإنه درس في النهائي الشرعي جمع *الجوامع* بالمحلى والتفسير. كما درّس في كلية الشريعة بعد تأسيسها في عهد الاستقلال أصول الفقه، وظل يلقي محاضراته إلى أن أحيل على التقاعد.

توفي صبيحة يوم السبت 16 صفر عام 1405، الموافق ليوم 10 نونبر 1984، مأسوفا عليه مذكوراً بلسان الخير لدى الخاص والعام ممن عرفه وقدر فيه ما كان عليه من حب الخير للناس ومن الاستقامة والتواضع والترفع عن السفاسف وكرم النفس. ووري مثواه الأخير بروضتهم بالقباب خارج باب فتوح.

م. بن الفاطمي ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، 1992.

**الشامي، علال** بن إدريس. كان من أعيان خدام الدولة العلوية، في عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام. تولى خطة الحسبة في فاس. ثم تولى عمالتها. وقد ورد ذكره في ظهيرين من السلطان المذكور إلى ولده وخليفته سيدي محمد بن عبد الرحمان، يأمر في الأول، بتاريخ فاتح شعبان 1256، بأن يقوم علال الشامي ببعض الأغراض المخزنية، ويأمر في الثاني، بتاريخ 11 رمضان 1262، بأن يدفع "الطالب علال الشامي" ثلاثين مداً من القمح للقاضي الحاج عبد القادر بن محيي الدين" إعانة له على مؤونته وينظر له دارا يسكنها مناسبة لحاله، وإن كان أهلا للتدريس يجعل له ما يستحقه من المشاهرة". ولم نقف لا على تاريخ ولادة المترجم له ولا على تاريخ وفاته.

ع. الرحمان ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال تاريخ حاضرة مكناس*، الرباط، المجلد الخامس، 1933.

إبراهيم بوطالب

**الشامي، محمد صادق** بن سليم بن ياسين بن القطب الشهير حامد العطار، الدمشقي المغربي هجرة. هكذا عرّف الشامي نفسه في رسالته التي طبعت في طنجة سنة 1901. لا يعلم على وجه الدقة تاريخ حلوله بالمغرب. ولكنه كان موجوداً على أرضه أواخر سنة 1311/1893. 1894 حسبما يظهر من خطاب بعثه في 11 ديسمبر من هذه السنة إلى محمد الطريس، النائب السلطاني، واصفا فيه مظاهر الحفاوة التي استقبل بها ماء العينين في مدينة مراكش. ولم يوضح في رسالته المطبوعة تاريخ هجرته إلى المغرب ولا الظروف المحيطة بها، غير أنه سجل فيها أنه استوطن مراكش وكسب فيها مالاً وعقاراً، كما ربط صلات وطيدة مع أعيان مغاربة أبرزهم إبراهيم بن بوشعيب الهنتاتي من مدينة أزمور.

يبدو أن الشامي وفد إلى المغرب لتعقب نشاط بعض المناهضين للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني، خاصة أعضاء من جمعية "تركيا الفتاة"، فحرر سنة 1319/ 1901 منشوراً، باعتباره وكيلا للسلطان العثماني ومديراً للطباعة العثمانية، وقد خاطب فيه المسؤولين في المخزن العزيزي وحذرهم من بعض العثمانيين الذين شقوا عصا الطاعة على الدولة وفروا إلى أوربا ومنها إلى المغرب، حاضا إياهم على طرد هؤلاء بل قتلهم. وطالب أعضاء المخزن وسماهم: المهدي المنبهي، عبد الكريم بن سليمان، محمد الطريس، فضول غرنيط، محمد التازي وعبد الله بن سعيد، بتنبيه السلطان مولاي عبد العزيز والرعايا المغاربة لشأن هؤلاء اللاجئين "حتى تجري المخابرات الرسمية في حقهم".

وفي السنة ذاتها، وبالضبط بتاريخ 1901.8.17 ورد في أحد خطاباته إلى المخزن أن حياته معرضة للخطر على يد علي بوطالب. وهو شخص كانت له صلات واتصالات بالأتراك، دون أن يبين علّة هذا الاتهام. ولعل ذلك حصل في إطار صراع مصالح بين رجلين لهما نفس الارتباطات بالسلطنة العثمانية.

ويظهر أن المترجم لم يلتزم بالمهمة التي جاء من أجلها إلى المغرب، أي مراقبة الأعضاء الهاربين إلى المغرب من المنتسبين إلى جمعية "تركيا الفتاة" فخاض في أمور جرّتْ عليه نقمة السلطان مولاي عبد العزيز. الذي صادر أملاكه وبهائمه وأمواله، وذلك قبيل وفاة الصدر الأعظم أحمد بن موسى (باحماد) سنة 1318/1900، وحينما فشل في استرجاع أملاكه والمحافظة على صلاته مع كبار المسؤولين بعد وفاة باحماد، فرّ إلى جبل طارق وأخذ يتهجم بشدة على السلطان وكبار رجال المخزن، مما جعل المخزن يترصده للإيقاع به، وهو ما أفصحت عنه رسالة من وزير الخارجية آنذاك عبد الكريم بن سليمان إلى النائب السلطاني محمد الطريس مؤرخة في 20 أكتوبر 1904، إذ طلب منه الاجتماع مع بناصر غنام ومحمد المقري لأجل اتخاذ التدابير الضرورية لإسكات صوته أو القبض عليه بمساعدة ممثلي فرنسا وألمانيا وانجلترة، أو توظيف الحيلة لاستقدامه إلى طنجة وإعلان العفو عنه إذا ما أشهر توبته وتخلى عن ادعاءاته في حق المخزن.

خلف الشامي "*رسالة*"، تدخل في باب الرسائل النصحية، وقد فرغ من تأليفها سنة 1901 حسبما تدل على ذلك التواريخ المثبتة في الصفحتين الأولى والخامسة منها. وتمتزج في أسلوبها العامية بالفصحى. وقد تعمد كتابتها بهذه الكيفية حتى يتمكن من تبليغ أفكاره إلى أكبر عدد من المتلقين حسب قوله.

عالج في هذا الكتيب أوضاع العالم الإسلامي ناقداً وناصحاً، ساعياً إلى ائتلاف الجامعة الإسلامية، مركزاً على أحوال الدولة العثمانية والمغرب في عهد السلطانين عبد الحميد الثاني ومولاي عبد العزيز، ومن بين ما تناوله في هذه الرسالة خط سكة الحديد الرابط بين الشام والحجاز، مثنيا

على سياسة عبد الحميد بعبارات فيها الكثير من المداهنة والتملق. وتأرجح بين تمجيد مولاي عبد العزيز وانتقاده وإلقاء اللوم عليه، ولعل ذلك بسبب المصادرة المذكورة سابقا. وقد خلّف ما كتبه بشأن السلطان مولاي عبد العزيز ردود فعل سلبية في أوساط المخزن المغربي. وهو ما يدل عليه خطاب منه إلى الطريس بتاريخ 17.8.1901، حاول فيه تبرئة نفسه من التهم الموجهة إليه، معتبراً أنه قام بدور الناصح.

ومن الأمور التي تناولها في رسالته "النصحية" ظروف تولي مولاي عبد العزيز العرش وتمرد الرحامنة بزعامة مبارك ابن الطاهر بن سليمان، وتقاطر مبعوثي الدول الأوربية على البلاط العزيزي للضغط والحصول على الامتيازات.

توجد في رسالته هاته، الكثير من صيغ التملق لأسرة آل موسى، وخاصة الحاجب باحماد الذي قارنه ببسمارك واللورد سالسبوري واللورد غلادستون، معتبراً موته "كرفد الفاتحة من القرآن" (*رسالة*، 98). وما يبرر ذلك أن هذه الأسرة أحاطته بالرعاية والعطاء. وأثنى على الوزراء فضول غرنيط، المهدي المنبهي، عبد الكريم بن سليمان، محمد التازي والنائب السلطاني محمد الطريس، وبناصر غنام وعبد الله بن سعيد، ناعتا إياهم بالحكمة والدهاء وحسن التدبير والخصال الحميدة ونعوت أخرى مليئة بالغلو والتملق. وقد ذكر أنه بصدد طبع كتاب في مصر لإظهار فضائلهم، وبالفعل تجسد ذلك في مؤلفه "*الثغر البسام في مآثر الوزير سيدي أحمد بن موسى الهمام*" حيث عرَّف فيه بهذا الحاجب معدداً مزاياه، مترجما لعدد من أعضاء المخزن وبعض العلماء من فاس والرباط.

توفي بعد عام 1319 / 1901 .

م. العطار الشامي، *رسالة*، مطبعة الآباء الفرنسيسكانيين، طنجة، 1901 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 455 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2، 1987 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، الرباط، 1989 ؛ أ. المكاوي، *أضواء على رسالة محمد العطار الشامي الصادرة في طنجة*، مجلة *دار النيابة*، العدد، 26 ـ 27، 1990.

أحمد المكاوي

**شانا، محمد** مقاوم ولد سنة 1926 بأيت وعلي أيت القال قبليين جماعة سيدي الغندور إقليم الخميسات. انخرط في صفوف المقاومة منذ سنة 1953 وقد عرف بوطنيته الصادقة. قام بعدة أعمال فدائية يشهد له بها رفاقه في درب الكفاح، ونتيجة لنشاطه هذا فقد تعرض للاعتقال والتعذيب ورغم ذلك ظل وفيا لقيمه الوطنية حتى تحقق الأمل باستقلال البلاد وقد وافاه الأجل المحتوم يوم 17 فبراير 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 516106.

**شَانَّة** ويكتب أيضاً شَنَّة أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم *Chana*.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1415.

محمد ابن عزوز حكيم

**شاهين**، طائر من أنواع الكواسر سباع الطير النهارية، متوسطة القد بين الصقر والباز، تسمى أيضاً في بعض مناطق المغرب "الساف". تصنف سلالات الشاهين إلى فصيلة الصقريات Facconidae ورتبة الجوارح النهارية Rapaces Falconiformes يعيش نوعان منه في المغرب وينتميان إلى أربع سلالات :

شاهين المغرب أو الشاهين البربري Falco pelegrinoides يسمى بالفرنسية Faucon de Barbarie وبالإنجليزية Barbary falcon. طائر أصغر من صقر شاهين Falco peregrinus ويختلف عنه بلون ريشه الشاحب على الصدر والضارب إلى الحمرة على مؤخرة العنق وعلى تويج الرأس. ريشه أسود على الرأس والذنب ضارب إلى الزرقة وأبيض ضارب التوشيم على الصدر. قصير الرقبة والساقين والفخذين والذنب، طويل الجناحين، غائر العينين، محدب الظهر وعريض الهامة. أخضر الكفين وطويل الأصابع. المنقار أسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء، الذنب دائري قليلاً وبدون خطوط. يبلغ طول الجسم 38 ـ 46 سم وتزن الذكور 500 ـ 600 كرام والإناث 900 ـ 1200 كرام، تبلغ بسطة الجناحين 90 ـ 100 سم. الإناث أكبر حجما ووزنا من الذكور. يعيش منعزلا أو مزدوجا في أغلب الحالات.

أفراد المجموعات المغربية موزعة على مختلف المناطق الجافة وشبه الجافة بجبال الأطلس والهضاب والنجود العليا الوسطى والشرقية وتافيلالت وتنغير وورزازات وبوعنان والساقية الحمراء والعيون وگلتة زمور. نادر في المناطق الغابوية. من الصعب التمييز بين سلالات شاهين المغرب الثلاث Brookei وPelegrinoides وMinor إذ يكمن

الاختلاف في الحجم وفي الخطوط الصدرية فهي عريضة وداكنة عند السلالة الأولى ورقيقة عند الثانية ومتلاشية غير واضحة عند الأخيرة.

يتوالد مرة في السنة بين فبراير وأبريل وينصب الزوجان العش على صخور الأجراف الصعبة المنال ويتخذ أحياناً عش البوم أو عش أنواع أخرى من الصقور. تبيض الإناث 2 ـ 4 بيضات ملساء داكنة، يبلغ طول قطريها 40.5 × 50 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين حوالي 30 يوما. تأخذ الصغار حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز.

تم إحصاء حوالي ثلاثين زوجة على طول السواحل المتوسطية الممتدة من سبتة إلى مليلية وأقل من 5 زوجات في ضواحي الرباط والصويرة وعدة زوجات مستقرة في الحوز وفي الجنوب الشرقي من البلاد. وحسب ما جاء في قول Meade-Waldo كان هذا الطائر يتوالد فوق صومعة الكتبية بمراكش سنة 1901 ويحتمل أيضاً أنه كان يتوالد فوق صومعة حسان. يتكون غذاؤه من الطيور فقط كالبط والحجل والسلوى والحمام والزرزور والهدهد ومختلف أنواع العصافير. إنه طائر محمي في المغرب ومنه عدة أفراد تربى لتستعمل في ميدان صيد الحجل والسلوى والحمام بعد تدريبها من طرف البزادرة.

يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا الطائر على المغرب والجزائر وتونس ومصر والشرق الأوسط وآسيا الوسطى.

الشاهين الجوال أو صقر شاهين Falco peregrinus يسمى بالفرنسية Faucon pélerin وبالإنجليزية Peregrine وبالإسبانية Falcon comun وبالإيطالية Pelligrino. لون ريشه رمادي أزرق على الظهر والبطن ناصع البياض عليه خطوط سوداء متقطعة. المنقار أسود يميزه عن الصقور والبزاة، الذيل طويل نسبيا ومخطط بريش أسود وأبيض؛ يبلغ طول الجسم 38 ـ 50 سم ويزن 900 ـ 1300 كرام وتبلغ بسطة الجناحين 95 ـ 110 سم. الإناث أكبر حجماً ووزناً من الذكور.

يتوالد في أوروبا ومعظم مجموعات أوروبا الغربية مهاجرة تأتي إلى المغرب كل خريف عبر مضيق جبل طارق لتقضي فصل الشتاء في السواحل المغربية وفي شمال موريتانيا من الرأس الأبيض إلى نواكشوط. تعود إلى أوروبا بين فبراير ومارس ولاتتوالد في المغرب ويتكون قوته من مختلف أنواع الطيور الكبيرة والصغيرة.

تتوزع الأفراد منعزلة أو مزدوجة على مختلف المناطق المغربية بين أكتوبر ومارس. كما أن عدة أفراد تقطع الصحراء المغربية لتشتو في موريتانيا والسنغال والدول المجاورة.


م. رمضاني، بولحية، *معلمة المغرب*، الجزء 6، ص. 1845 ؛ *الرخمة*، *معلمة المغرب*، الجزء 13 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، ط 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

P. Bergier, *Les falconiformes marocains. Statuts. Répartition et Ecologie. Annales CEEP (ex. CROP)* n° 3, 1987 ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europ with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris 1977 ; Meade-Waldo, E.G.R, 1903, *Birds notes from Morocco and the Great Atlas*, Ibid. : 196-214 ; *Fauconnerie et Faucon pélerin "Encyclopédie Microsoft Encarta 2000"*.


محمد رمضاني

**الشاوش** (أولاد –) أسرة تطوانية فاسية، لعل أصلهم من تلمسان. ذكر صاحب *إزالة الالتباس* أنه وقف على وثيقة مؤرخة بعام 1144 تدل على إقامتهم بفاس، واستمر وجودهم بها إلى سنة 1267/1851 حسب وثيقة أخرى وقف عليها. ولهم جنان بامراح خارج باب الخوخة ينسب إليهم إلى الآن، يعرف بجنان ساحل شاوش.

وأول من هاجر منهم إلى تطوان محمد بن مصطفى بن إبراهيم الشاوش وبها توفي ودفن بالزاوية الريسونية. وانتقل ابنه عبد السلام إلى القصر الكبير وبها توفي عن أولاده أحمد وعبد الكريم ومحمد، وعاد أحمد إلى تطوان واشتغل بالتجارة، ثم عين أميناً لصندوق شركة التعاون الصناعية إلى أن توفي عام 1371 وكانت ولادته عام 1313/1896.


ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 193 ؛ *روايات شفوية عن آل الشاوش التطوانيين ومعرفة شخصية*.


**الشاوش، حميدة ← الشتاشني**

**الشاوش، عبد السلام** بن أحمد التطواني كان متأدباً متطبباً غريب الأحوال يكتب مقالات وأحيانا روايات اجتماعية طبع بعضها في حجم صغير، ويكتب إسم الجلالة أو بعض الآيات بخطوط يتأنق فيها بالأصباغ ويصنع لها أطراً ويبيعها، ورأيته يبيع بعض الأدوية التي يركبها ويشرح فائدتها وكيفية استعمالها.

توفي في 30 شعبان 1369/17 نونبر 1950.


م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.


**الشاوش، محمد العربي** بن عبد السلام التطواني الأستاذ الكاتب الأديب الصحفي. ولد بتطوان عام 1339/ 1921-20 ودرس بالمدارس الحرة، وانتسب على كبر إلى كلية أصول الدين بتطوان التابعة لجامعة القرويين، وحصل على إجازتها، ثم انتسب إلى دار الحديث الحسنية، وحصل على إجازتها أيضاً، وهو عضو برابطة علماء المغرب، وعمل في سلك التعليم مدة طويلة.

كتب مقالات وأبحاثاً منشورة في صحف حزب الإصلاح الوطني بتطوان وحزب الاستقلال وفي مجلة *دعوة الحق* وغيرها. وله نظم رصين.

ألّف *دليل أضواء على الحركة الوطنية* ومسرحيتين: *أملنا فيكم أيها الشباب؛ رجال المستقبل*، وأصدر جريدة *المجتمع* لكنها لم تعمرّ.

توفي محمد العربي الشاوش بتطوان عام 1413/14 سبتمبر 1993 وخلف أولاداً يعملون في التعليم.

مصطفى الشعشوع، كتاب عن ذكرى وفاة محمد العربي الشاوش، مخطوط.

محمد بوخبزة

**الشاوي**، أسرة فاسية نسبة إلى قبيلة الشاوية الشهيرة ببلاد تامسنا. وهم - حسب القادري صاحب *نشر المثاني*، فرقتان، فرقة يوصفون بالخزرجيين في رسوم أنكحتهم وأملاكهم قديماً، منهم عبد الواحد الشاوي (ت. 1024/1615) والفقيه المدرس القاضي علي بن محمد بن عبد الوهاب (ت. 1522/928) وقد انقرضوا من فاس. والفرقة الثانية من عموم قبيلة الشاوية، وهم آل الشيخ الصالح سيدي أحمد الشاوي صاحب الضريح الشهير بحي الجرف المعروف اليوم بحي سيدي أحمد الشاوي.

م. ابن الطيب القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 3 : 1226 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 194.

**الشاوي، أحمد** ( سيدي - ) بن محمد من أشهر أولياء فاس وصلحائها المنتفع بنفحاتهم الروحانية والمعتقد في بركتهم في حياتهم وبعد مماتهم، إذ تحول ضريحه بحي الجرف المعروف اليوم باسم حي سيدي أحمد الشاوي إلى زاوية مقصودة، ثم إلى مسجد يصلي فيه الجمعة سكان هذا الحي وأحياء الدوح والزيات وباب الحديد وزقاق البغل والعيون. ينتسب هذا الولي إلى إقليم الشاوية، وهم أعراب من بني هلال استوطنوا السهول الممتدة في جنوب شرقي الدار البيضاء في العهد الموحدي. انتقل الولي المذكور إلى فاس بعد بلوغه سن الحلم، وذلك في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) والتزم من حينه بأحد أولياء فاس المبرزين، وهو سيدي أحمد بن يحيى اللمطي، دفين النواعريين الذي "سلب له الإرادة وألقى إليه قياده"، على ما جاء في بعض التراجم. فصار له كالعبد المسخر، واقفا بباب داره يقضي الأغراض المنزلية ويسهر على أحوال فرس الشيخ في الأروى، ويلبس المهين من الثياب، ويفتل العسف إذا اقتضى الحال، ولا يشارك في السماع مع باقي الإخوان. ثم إن شيخه زوّجه بامرأة من داره، وأسكنه بيتا بين الأروى والدار "لا يظهر منه وسطها"، ثم أسكنه داراً بجوار داره فأقام سيدي أحمد الشاوي بها حتى مات الشيخ فانتقل إلى دار في الجرف، التي تحولت زاوية ثم ضريحا ثم مسجداً جامعاً. وكان عندما يظهر عليه أثر الأحوال الربانية، ينطق بأقوال لا تردد فيها ولا احتشام، فيطلب من شيخه مثلا أن يعطيه الدنيا والآخرة، أو أن يعطيه أربع نساء، أو أن يطلب منه من يقوم بخدمته، "وكذا، على ما تقول التراجم المتناقلة، مما لا اختيار له فيه". كما كان يطلب في سجوده ربعة مملوءة بمثاقيل الذهب، وذلك من باب الاندفاع الرباني ومسايرة الأمر الإلاهي وليس الشهوات الذاتية، وإلا فكيف وأهل البدايات أول قدم لهم في الطريق النزع عن الدنيا ومحوها في القلب بالكلية". وكان شيخه يعتني به ويربيه، ومن مناهجه في ذلك أن كان يتعمد "إخفاء ذلك عن بعض الحاضرين فيزجره بلسانه ويظهر عدم الإقبال عليه وهو يمده باطنا"، وذلك بناء على أن "ما لا يدفن لا يتم نتاجه"، وأن "صون البداية ضامن لحصول النهاية"، وأن المسك إذا غمت رائحته أعبق وفاح". وكان شيخه على بينة من أنه هو صاحب المدد بعده، وتذكر له في ذلك أقوال وتنبؤات. فقد خرج أحمد الشاوي ذات مرة إلى لمطة شمال فاس ليقطف توت الزرب لأهل الشيخ اشتهينه، وكان الشيخ مع بعض الأتباع فسألوه عن وارث سره، فقال" ذهب بها صاحب التوت". وقال مرة أخرى: "ذهب بها الأصلع"، وذلك من أوصاف أحمد الشاوي. وعندما حضرته الوفاة وكان في النزع الأخير فأغمي عليه ثم استفاق فسأل من بالباب فقيل له أحمد الشاوي، فقال قبل أن يلفظ الأنفاس: "ما أراد الله إلا الشاوي". وقد توفي الشيخ أحمد ابن يحيى في منتصف العقد التاسع من القرن العاشر. وانتقلت بركته إلى الشيخ أحمد الشاوي، الذي أقام زاوية خاصة به في حي الجرف، كما أقام أربع زوايا في بلاد لمطة، كانت عبارة عن ضيعات تدرّ عليه من الخيرات والغلات ما بوأه مبوأ المحسن الطاعم لجماعة أتباعه وكل من يقصده للتبرك به. وتقول التراجم إنه كل شديد الحرص على ترتيب شؤون زواياه"، حتى إنه ليقول لبعض القبائل المتعلقين به، فيما نقل عنه، إذا رفعتم طرفا من اللحم فاجعلوا منه عظما للشاوي". كما كان شديد الغيرة على أتباعه لا يقبل منهم أن ينصرفوا إلى زوايا أخرى، إذ قال لبعض من بدا منه ميل إلى ذلك: "من لم يقنعه السبع أكله الذيب". وكان لا يحب أن يرى أتباعه يتسولون ويتكففون. مما ينمّ عن سموّ النفس وعن قدرة خارقة على الأخذ والبذل. تعرض بسبب ذلك إلى حسد بعض إخوانه الذي رام الغدر به فرماه فجأة بقوس لكنه أخطأه، وكان ذلك سبب انتقال الشيخ إلى داره في الجرف. أما طريقته فطريقة الجذب القوي والفيض الروي، يقع له الفيض أحيانا وتظهر عليه سطوة الحال وصولته، ويصرح بالإعطاء والمنع، والنفع والدفع، منطلق اللسان بذلك شأن المتصرف المأذون، على ما قال مترجمه ابن عيشون. أما أصحابه: "فيستعملون السماع بين يديه، وتظهر الأحوال على كثير منهم، ويتحركون ويتواجدون مع تحريهم الصدق ومراعاة الأدب، ومن ظهر عليه في حاله خلاف الأدب أدبه بزواله". وكثر أتباعه ولهجت بذكره الألسن، وبخاصة أهل لمطة. وكان هو نفسه يتردد على زيارة ثلاثة مشايخ، هم السادة عبد السلام بن مشيش وأبو يعزى وأبو سلهام. وإذا كان قد انتفع من الناس، فإن الناس قد انتفعوا منه بما خلد من الأوقاف في سبيل الله فكثرت على يديه بما لم يسبق لأهل فاس به نظير. كما أقدم على إصلاح بعض المرافق العمومية مثل إصلاح قنطرة ابن طاطو خارج باب الگيسة التي ذهب بها السيل

وإصلاح ماء مسجد الأندلس الجاري من ناحية باب الجديد. وحفظت له الذاكرة الصوفية أقوال منها أن: "الصحبة رقعة في الثوب فلينظر أحدكم ما يليق بثوبه"، ومنها:المومن لا يغفل ولا ينام"، ومنها: "لكل شيء وقت ولا يحدث شيء قبل وقته"، ومنها: "المريد الصادق لا ينتفع من شيخه إلا بعد وفاة شيخه". أما كراماته، فلا تعد ولا تُحصى سواء ما كان منها في حياته أم بعد وفاته ولا تختلف على العموم عن المألوف في كرامات الأولياء والصالحين من إغاثة المضطر الواقع في الضائقة، أو الانتقام الرباني من رجل سلطة لم يراع للشيخ حرمة زاويته في متابعة ذوي الجرائم المستظلين بظلالها، أو ما لحق إحدى زوجاته الأربع التي أبت إلا أن تتزوج بعد موته فأصابها الجذام هي وبعلها. مما يوحي بما صار للشيخ أحمد الشاوي من الرغبة والرهبة في نفوس العباد. ولذلك كان ضريحه مقصوداً. ولذلك أقدم السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1282 على إصلاحه وإعداده لصلاة الجمعة.

توفي بفاس عام 31/1014 ـ 1932.

م. ابن عيشون، *الروض العطر الأنفاس*، تح. زهراء النظام، الرباط، 1997 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1977، 5 مجلدات ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. ع. العزيز تيلاني، الدار البيضاء، 1994 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، الطبعة الحجرية، 3 مجلدات.

إبراهيم بوطالب

**الشاوي، بلقاسم** قائد قلعية ورئيس المجاهدين بها على عهد المولى الرشيد وبداية عهد المولى إسماعيل. أصله من أهل مدشر إشاوين المستقرين بجبل القرمود من جماعة فرخانة. تم تعيينه سنة 1074 / 1663، وهي السنة التي ضبطنا فيها طاعة قبيلة قلعية للمولى الرشيد أثناء جولاته بالريف الشرقي ومحاولة تكوين نواة حركته به قبل الإعلان الرسمي عن توليته. اضطلع بمهمة قيادة القبيلة ورئاسة الجهاد بمساعدة مقدمي أخماس القبيلة، لاسيما مقدم خمس الكعدة محمد بن مسعود القيطوني، انطلاقا من رباط مليلة المعرف به سابقا.

كان إسبان مليلة المحتلة قد استغلوا فرصة اضطرابات ما قبل معركة وادي المخازن، ثم ما بعد وفاة أحمد المنصور السعدي فشيدوا سلسلة من الأبراج خارج أسوار المدينة بفحصها الغربي، دعوها بالأبراج الخارجية، مما شكل خطراً على رباط مليلة والأراضي القلعية، فوجب على قائد قلعية التدبر في مواجهة تلك الخطورة. ويعد القائد بلقاسم الشاوي أول من طرح فكرة غزو أبراج مليلة وهدمها مع رفيقه المقدم محمد بن مسعود القيطوني الكعداوي، حسبما نستمده من تقاييد معاصرهما أحمد بن القاضي الكعداوي القلعي، علاوة على المستمد من المراجع الإسبانية.

تلخصت فكرة هدم الأبراج الخارجية المقترحة في طريقتين: إما بالهجوم على البرج مباشرة بعد الاستدارة به وعزله عن المدينة المحتلة، أو بحفر الأنفاق قصد الوصول إلى أساسه وتفجيره بالبارود الموضوع في قارورة من طين. وهذه الطريقة هي التي سيتم استخدامها في باقي الثغور المغربية، لا سيما أثناء استرجاع العرائش ومحاصرة سبتة على العهد الإسماعيلي. وقد سبق أن فصلنا الحديث عن تلك الغزوات الخاصة بميدان مليلة.

فخلال المدة التي بقي فيها بلقاسم الشاوي قائداً ورئيسا للمجاهدين نظم أربع غزوات: اثنتان خاصتان بالأبراج وهما: هدم برج سانتو طوماس دي كانتيرا (Santo Tomas de Cantera)، وذلك يوم 5 ربيع الثاني عام 1078 / 24 شتنبر 1667 وهدم برج أقمقوم في السنوات الموالية. كما نظم غزوتين وجهتا نحو أسوار مليلة، واحدة تمت في نفس السنة التي بعد غزوة أقمقوم، بينما نظمت الأخرى سنة 1669/1080 لإنقاذ مجموعة من الأسرى القلعيين.

احتفظ بلقاسم الشاوي بالقيادة إلى سنة 1084/ 1673، وهي السنة التي عين فيها المولى إسماعيل مساعده ومقدم خمس الكعدة القلعي برباط مليلة محمد بن مسعود القيطوني الكعداوي، دون أن نتأكد من مصيره.

أ. بن القاضي الكعداوي، *تقييد*، مخطوط، خ.ح.ر ؛ م. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، الرباط، 1997 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، تطوان.

Juan Antonio, *Poblacion General de España*, Madrid 17 ; Gabriel, 1952, Gabriel Morales, *Efémerides* ; *Diario de Melilla*.

حسن الفكيكي

**الشاوي البوزيري، محمد** بن داود من مشايخ الصوفية في العهد الوطاسي، وهو تلميذ الشيخ عبد العزيز التباع وأورد محمد المهدي الفاسي في *ممتع الاسماع* قصة انتقاله من مشيخة القبيلة إلى المشيخة الصوفية وتخليه عن متاعه وزينة الحياة الدنيا وقال عنه بأنه كان من عتاة المشايخ بأولاد بوزيري بالشاوية فأرسل إليه الشيخ عبد العزيز التباع تليمذه عبد الله الغزواني ليعطيه الإدام لحاجة أتباعه الفقراء إليه؛ فصادف هذا الطلب إحساسا صوفيا كامنا في نفسه ومن الغد ارتدى ملابس الفقراء واتخذ رمحه عكازا ورافق عبد الله الغزواني إلى مراكش والتقى بالشيخ التباع الذي اهتم به وقال له: "قبلت مالك ورددته عليك فاعمل زاوية".

ولما عاد إلى قبيلته أسس زاويته وصار من أهل الخصوصية وذاع صيته وانتفع أهل البادية بتربيته وامتد تأثيره الروحي إلى تادلا التي أدركه فيها أجله حوالي سنة 33/940 ـ 1534 بهضبة وازراراگ أو (ازراق) على بعد 10 كلمترات من القصيبة.

م. ابن عسكر الشفشاوني، *دوحة الناشر*، 95 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، ص. 59 ـ 67 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 128.

محمد ماگامان

**الشاوي، بوشعيب** بن محمد الرامي بن محمد البهلولي المولود عام 1869/1286 بقبيلة البهالة ضواحي سطات. درس القرآن والعلوم الأولية بمسقط رأسه ثم شد الرحلة إلى مدينة فاس للدراسة على شيوخ القرويين. وبعد حصوله على مرغوبه من المعارف عاد إلى سطات وعقد حلقات دراسية بمساجدها، بعدها التحق بمدينة مراكش للتدريس بالجامعة اليوسفية، وببعض مساجد المدينة. كما تولى الإمامة والخطبة بجامع الكتبيين. وقد تخرج عليه جماعة من العلماء الذين كان لهم حضور في الساحة الفكرية بمدينة مراكش.

له تأليف: *الكواكب النيرات في شرح العمريطي للورقات* (مخطوط).

توفي عام 1930/1349.

المختار غازي، *إشارات من تاريخ سطات*، ج 1، ص. 162 ؛ *روايات شفوية*.

أحمد متفكر

**الشاوي، ثريا** أول فتاة مغربية تعلمت قيادة الطائرة من عائلة فاسية معروفة، ذكية، طموحة، متفتحة، مشبعة بروح وطنية صادقة ورثتها عن أبيها وأسرتها. فهي بنت عبد الواحد الشاوي (1330-1388/1911-1968) رائد النهضة الفنية في المغرب فقد كان من مؤسسي الحركة المسرحية المغربية.

ولدت ثريا بمدينة فاس في 7 رمضان 1353/14 دجنبر 1934، وشبت في وسط أسري يؤمن بالحرية وبالكفاح من أجل الوصول إليها، تابعت دراستها في مدينتي فاس والدار البيضاء، ولما كان والدها يؤمن بتحرير المرأة فقد أشرك ابنته في نشاطه الفني ومثلت في بعض مسرحياته وهي ابنة ثماني سنوات، وكانت بذلك أول فتاة مغربية وقفت على خشبة المسرح. ولازمت والدها وقاسمته جل نشاطاته الفنية خاصة وأنه كان يعتبر المسرح والفن رسالة وطنية. وانتقلت مع والدها إلى مدينة الدار البيضاء سنة 1948 وهناك تابعت دراستها، وتعلمت سياقة الطائرات. وشاركت في عدة نشاطات وطنية خاصة في الفترة التي تم فيها نفي السلطان محمد بن يوسف (20 غشت 1953 - 16 نونبر 1955).

وعندما عاد من المنفى كانت طائرتها ترمي المناشير مرحبة بعودة السلطان فوق سماء مدينة سلا والرباط.

وفي عشية يوم الخميس ثامن عشر رجب عام 1375/ فاتح مارس 1956 تعرضت ثريا للاغتيال من قبل مجهولين، ومازال سر مقتلها وما أحيط به غامضا حتى الآن.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9: 3310 ؛ *أرشيف المندوبية السامية للمقاومة* ؛ زين العابدين الكتاني، *المرحوم عبد الواحد الشاوي* : *مجلة الفنون*، الرباط، العدد 2، دجنبر، 1973، ص. 14-16، الرباط، *مجلة اللقاء*، العدد 16، السنة 2، ص. 73-75، غشت، 1969.

رقية بلمقدم

**الشاوي، عبد الرحمان** بن أبي **القاسم** الغنامي أصلا، من أعلام الشاوية وقضاتها في منتصف القرن الثاني عشر (18م). ولا يعرف تاريخ ولادته ولا وفاته. كتب *رحلة حجازية* ومن خلالها نقف على أهم شيوخه وعلى رأسهم محمد بن عبد السلام بناني ومحمد بن زكري، الأمر الذي يدل على أنه درس بجامع القرويين بفاس. وتعتبر هذه الرحلة التي لا تتجاوز 23 صفحة من بين المصادر العشرين للمؤرخ الأديب محمد الصغير الافراني في كتابه *صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر* حيث اعتمدها في ترجمته للمجاهد السلوي مَحمد العياشي المالكي: "...والرحلة لسيدي رحو الغنامي الشاوي. ورحو مختصر لاسم عبد الرحمان عند المغاربة. ورجع إليها كذلك في كتابه *نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي* عند الحديث عن نفس المجاهد الشهيد حيث أشار إلى كرامته ومعاناة سكان أزمور مما لاقوه من إذلال على يد البرتغاليين المحتلين للبريجة المعروفة بالجديدة بعد تحريرها وتجديد بنائها. وقد وصف الإفراني القاضي الشاوي بقوله: "الفقيه العلامة قاضي تمسنا في حينه أبي زيد عبد الرحمان بن أحمد الغنامي الشاوي...".

وأول مصدر لترجمته رحلته الحجية سنة 1141 المسماة *رحلة القاصدين ورغبة الزائرين*. وقد افتتحها بالتعريف بنسبه وذكر هدفه من تأليفها الذي هو الاهتمام بالجانب الديني ومناسك الحج وملاقاة العلماء وأهل الصلاح وزيارة الاحياء منهم والأموات حسب الإمكان فلم يهتم بوصف الطريق ولا الحياة الاجتماعية ولا الكتابة بأسلوب أدبي. ومع صغر حجمها فلا تخلو من فوائد علمية وتاريخية وأوصاف لركب الحجيج وذكر المشايخ، مثل محمد بن عبد السلام بناني الذي حج معه ومحمد بن عبد الرحمان الدلائي خطيب مسجد المولى إدريس بفاس الذي وافاه أجله وهو في طريقه إلى المدينة. ودفن بوادي فاطمة في 24 حجة عام 1141 هـ.

كان يسعى لزيارة العلماء في القاهرة أو مكة أو المدينة. ففي المدينة المنورة قدم إفادات عن مكتبتها الزاخرة بمختلف التآليف والمصاحف بأحجام متنوعة وفي طليعتها مصحف الخليفة عثمان بن عفان الذي قيل له بأنه في صندوق

بالروضة الشريفة لا يخرج إلا عند الدواهي العظام للاستشفاع به. وأن المؤلفين في العالم الإسلامي يتشرفون بإهداء كتبهم إلى المقام النبوي رجاء إقبال القراء عليها. وأما في القاهرة فيستفسره الشيخ عمر الصعيدي عن الفقيه محمد بن زكري فيحدثه عنه عبد الرحمان الشاوي بالتقدير والاحترام والتضلع في العلوم، فيؤكد السائل كفاءة علماء المغرب الذين زاروا المشرق فيقول: "سبحان الله فقهاء المغرب لهم الحفظ التام والفهم الكثير، كذلك ورد علينا فقهاء من ناحية المغرب مثل محمد الصغير وغيره...".

وفي 24 شوال عام 1142 عاد الشيخ عبد الرحمان الشاوي إلى المغرب عبر تطوان بعد عنائه من أهوال البحر والخوف من القراصنة المسيحيين. توفي بعد هذا التاريخ في سنة غير محددة.

عبد الرحمان الشاوي الغنامي، *رحلة القاصدين ورغبة الزائرين*، مخطوط م. الملكية، 56 ؛ م. الافراني، *صفوة من انتشر*، ص. 89 ؛ *نزهة الحادي*، طبعة هوداس، ص. 268 ؛ ع. السلام بنسودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ج. 2 رقم 1474 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج. 1 رقم 497 ؛ م. ماگامان، *الرحلات المغربية في القرنين 11 و12 للهجرة*، د.د.ع مرقونة بكلية آداب الرباط.

محمد ماگامان

**الشاوي، عبد الرحمان** بن **محمد** الفاسي لقبا، المكناسي دارا وقرارا، والمعزاوي نسبا؛ فقيه ورع مبرز في التعديل انتهت إليه رئاسة الموقتين بالجامع الأعظم بمكناس في العهد الإسماعيلي بظهير ملكي مؤرخ بـ13 حجة عام 1123 تضمن الثناء عليه والتنويه بصفاته الحسنة. فهو رجل صالح وناسك ومرابط وساع إلى الخير. وهو موقت ومزوار المؤذنين. وهذا الظهير هو تجديد لما بيد الشاوي من ظهائر شريفة وإقرار في وظيفته الدينية التي بين أهميتها وتفصيلها. وختمه بالرعاية الملكية والتوقير له ولأسرته. وظل عبد الرحمان متوليا هذه الخطة إلى أن خلفه فيها ابنه محمد عام 1716/1128.

توفي بعد هذا التاريخ وتسلسلت هذه الوظيفة في عقبه.

عبد الرحمان بن زيدان، *الإتحاف*، 5 : 285.

**الشاوي، عبد القادر** بن **عبد الرحمان** بن سعيد حافد عبد الرحمان سابق الترجمة، تخرج فقيها وعالما متضلعا في التوقيت، فاسترجع رئاسة التوقيت بعد وفاة جده على مرحلتين : المرحلة الأولى شاركه فيها مؤقت آخر لصغر سنه، المرحلة الثانية انفرد فيها بهذه الخطة وأعفي شريكه بظهير الملك المولى سليمان بتاريخ 8 شوال عام 1225.

ولما تولى المولى عبد الرحمان جدد ظهيره للموقت عبد القادر الشاوي مع أخيه في 8 شعبان عام 1241 هـ وبقي في رئاسة توقيت الجامع الكبير بمكناس إلى حين وفاته.

توفي بمكناس عام 1842/1258.

عبد الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، 5 : 334 ـ 335.

**الشاوي، عبد القادر** بن **محمد** بن عبد الرحمان، أخذ عن والده رئيس المؤقتين بمكناس وعن الشيخ العربي بن عبد السلام الفاسي ودرس عليه *بغية الطلاب* للحباك وكتاب ابن البنا وعدة أبواب من *الزيج الحديث* وأخرى من *الزيج القديم* وغيرها من كتب هذا الفن. وأجازه إجازة عامة في أوائل قعدة عام 1134 هجرية وتصدر للتدريس.

توفي شهيداً مع والده تحت ردم زلزال سنة 1756/1169 الذي اجتاح عدة مناطق من المغرب.

ع. الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، 5 : 331 ـ 332.

**الشاوي عبد الواحد** الفاسي، يُعدّ من طليعة الرواد الذين نهضوا بفن المسرح بمدينة فاس، عند النشأة، وأحد صفوة الفنانين الموهوبين الذين تجاوز نبوغهم أي تكوين في أية مدرسة باستثناء مدرسة الحياة والعمل.

ولد بفاس عام 1911/1330، وبدأ دراسته بمسقط رأسه، إلا أنه لم يواصل تعليمه الثانوي لأسباب غير معروفة، لكنه تتلمذ على الفقيه محمد القري، وتأثر به، مما مكنه من تكوين نفسه واكتساب ثقافة أدبية عالية خاصة وأنه كان شغوفاً بالقراءة والمطالعة مما ساعده على كتابة مسرحيته ومقالاته الصحيفة. وبرز كأول ممثل كبير للمأساة، وجمع بين التأليف والتمثيل والإخراج.

كان الشاوي شديد الحب لوطنه كما كان يبغض الاستعمار ويميل وينزع للعدل فجعل من الكتابة والتمثيل وسيلة لتبليغ رسالته الوطنية والحضارية في وقت كان كل شيء فيه مصادراً في المغرب.

وهكذا أسس وثلة من شباب مدينة فاس الوطنيين كالمهدي المنيعي وعبد السلام التويمي ومحمد بوعياد وغيرهم من الرواد أول فرقة تمثيلية في المغرب، شخصت رواية "صلاح الدين الأيوبي". وأسس صحبة زملائه جمعية "الجوق الفاسي" التي ترأسها وقد جاهدت هاته الفرقة جهاداً كبيراً وأصبحت فيما بعد تدعى "فرقة الاتحاد المسرحي" وقامت بعرض مسرحياتها في مختلف المدن المغربية.

كان عبد الواحد الشاوي وزملاؤه من المؤلفين المترجمين يجعلون من إبداعاتهم وسيلة لتعرية نوايا الاستعمار، لذلك

كانت مواضيعهم تستمد مضامينها من تاريخ الإسلام أو من الأحداث السياسية المعيشة

وإلى جانب التمثيل والإخراج ألف الشاوي عدة مسرحيات من بينها: اليتيم المهمل، مجنون بإرادته، قف أيها المتهم، خطورة الزواج، بالعلم ينتهي الفساد، أصدقاء أم لصوص، يتيم الصحراء، فاين دواك يا مريض، حلقات الملاهي، المتفرنج، عوائدنا في الزواج، في سبيل المجد، الداء والدواء، في ظلال العرش، المثري العظيم ابن الاحسان، نحن أطفال ضعاف.

كانت هاته المسرحيات مقترنة بقضايا الشعب المغربي، وتعكس مرحلة تتصف بالنضال لذلك حاول الشاوي من خلالها أن يبلور أهدافا سياسية واجتماعية وطنية.

بالإضافة إلى ذلك حاول تبليغ هاته الأهداف بكسر الحدود التي خلقها وجسدها الاستعمار فقام برحلة إلى الجزائر مع فرقته حيث قدم على خشباتها المسرحية عدة عروض.

وإلى جانب نشاطه المسرحي قام بأداء دور في السينما في فيلم "الباب السابع" مع جورج مارشال، وإيميك لاربون، وماريا كازا ريس. ومثلت معه ابنته ثريا التي شاركته في عدة مسرحيات - دوراً في هذا الفيلم.

كان المترجم يؤمن ويعمل على أن الفن بالنسبة إليه ليس مجرد هواية أو ميلا بل رسالة وواجبا عليه الاستمرار فيه، وذلك ما سبب له الكثير من المعاناة.

إلى جانب المسرح كان الشاوي أيضاً من الرواد في المجال الصحفي، فاشتغل بجريدة السعادة وخاصة في المجال الفني. وأصدر في 20 ربيع الأول 1356 الموافق 31 ماي 1937 أول عدد من جريدة *"راديو المغرب"* بفاس، وهي عبارة عن جريدة أسبوعية أدبية فنية صدر منها حوالي سبعة أعداد لمدة سنتين. ولقد امتاز أسلوبه بالسلاسة والوضوح، كما كان تعبيره متزناً يهدف نحو البناء والتطور، ويهدف من ورائه إلى خلق طاقة فنية مغربية.

انتقل الشاوي سنة 1948 إلى مدينة الدار البيضاء حيث شغل منصب مدير "الوكالة المغربية للنشر والأخبار". غير أنه أصيب بمرارة وخيبة أمل بعد مقتل ابنته ثريا في فاتح مارس 1956 فتخلى عن كل نشاط، واكتفى بالنشر في عدة مجلات، وأصبح وكيلاً عاماً لمجلة التعاون الوطني. إلى أن أصيب بمرض عضال أدى إلى وفاته في 23 صفر 1388 / 22 ماي 1968.

ع. القادر السميحي، *نشأة المسرح والرياضة في المغرب*، الرباط، 1986، ص. 274 ـ 298 ؛ ع. الواحد الشاوي، *تقلب الفن المسرحي بالمغرب*، *جريدة السعادة*، 29 غشت، 1933، ص. 3 ؛ ز. العابدين الكتاني، *عبد الواحد الشاوي، رائد النهضة الفنية*، *مجلة الفنون*، العدد 1، فاتح نونبر، 1973.

رقية بلمقدم

**الشاوي، قاسم** بن **بوشعيب**، مقاوم، ولد بمدينة سيدي قاسم سنة 1914 دفعته غيرته على وطنه إلى خوض معركة التحرير إلى جانب التدلاوي والزرهوني فشارك مشاركة فعالة في المظاهرة التي عرفتها مدينة سيدي قاسم يوم 3 غشت 1954 كباقي مدن المملكة احتجاجا على السياسة العدوانية المتبعة من طرف المستعمر.

وفي هذا اليوم المشهود كان الشاوي مكلفا صحبة رفاقه في الكفاح بعمليات فدائية تستهدف اغتيال أحد المتعاونين مع الاستعمار وأثناء تنفيذه لإحدى العمليات أصيب بطلقة نارية في كليتيه فسقط على إثرها شهيداً في ساحة الفخر والاعتزاز ودفن بمقبرة القرناني بمدينة سيدي قاسم بجانب جماعة من شهداء معركة ذلك اليوم المشهود.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 511784.

**الشاوي، أبو القاسم** بن **دْرَى** (بفتح الراء) المكناسي، خدم السلطان مولاي إسماعيل.

علامة جليل، وأستاذ مقرئ، له مهارة كاملة وقدم راسخ ومعرفة زائدة بعلوم القراءات السبع كما شهد بذلك شيخه العلامة شيخ الإقراء في زمانه محمد بن عبد الرحمن بصري الذي حلاه في إجازته بـ: "الطالب النجيب، الحافظ المتقن المجود الاريب، الضارب في فن القراءة بسهم نافذ مصيب..."

أخذ أبو القاسم عن الشيخ بصري المذكور وختم عليه سبع ختمات من القرآن جمع في الأولى بين روايتي نافع وابن كثير وفي الثانية والثالثة رواية أبي عمرو بن العلاء، وجمع في الباقي بين الأئمة السبع.

ومن مشايخه أيضاً أبو عبد الله محمد الهواري وأبو العلاء إدريس المنجرة، وأبو عبد الله محمد الصواف الفيلالي، وغير هؤلاء من المبرزين في علم القراءات.

وانتصب بعد ذلك للتعليم فأجاد وانتفع به جمع كثير وجم غفير، وأصبحت له لدى سيده السلطان مولاي إسماعيل مكانة مكينة، واعتبار ورفعة وهذا من الميزات التي عرفت عن هذا السلطان أي تقريبه لأهل العلم.

ترك أبو القاسم عدة مؤلفات منها: *حفظ الأماني* شرح الجعبري شرحا عجيبا متقنافي مجلدات وهو ما يدل على اقتدار المؤلف وباعه الطويل، وشرح *الهمزة والكنز والحرز* وتقييداً على ابن بري ... وغيره. كما كان يقرض الشعر ويتقنه، أورد بعضاً منه ابن زيدان في *الإتحاف*.

توفي عام 1150 / 37 ـ 1738.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 4، ص. 536 ـ 541 ؛ علال معكول، *الحركة الثقافية في مكناس خلال القرن الثاني عشر الهجري*، *أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية*، 1988، ص. 332.

رقية بلمقدم

**الشاوي، محمد** بن **عبد الرحمان** المعزاوي نسبا (نسبة إلى بومعزة) والمكناسي دارا. أخذ عن والده وهو الذي

فتح له مجال الاهتمام بعلم الفلك والحساب قبل أن يتوجه إلى فاس للأخذ عن مشايخها، أمثال محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي والعربي بن عبد السلام الفاسي وعبد الواحد بن محمد بن هارون والعربي بن عبد السلام بن إبراهيم الدكالي ومحمد بن أحمد ابن الحاج. وأجازه الثلاثة الأولون إجازة عامة في التعديل والتوقيت. وأثنوا عليه ونوهوا بمكانته العلمية في هذا الفن. وقد أورد ابن زيدان نصوص إجازاتهم له مع الإشارة إلى الكتب التي درسها وأتقنها والآلات التي استعملها. ولما استوفى رغبته العلمية عاد إلى مدينة مكناس لتولي رئاسة التوقيت بجامعها الأعظم بظهير إسماعيلي مؤرخ بـ29 حجة عام 1128 هـ.

ظل الشاوي في مهامه إلى أن توفي شهيدا مع ابنه عبد القادر تحت الردم في زلزال عام 1169 / 55- 1756.

وتسلسلت خطة التوقيت في عقب عبد الرحمان الشاوي الذي كان يدعى بمزوار المؤذنين وحصل أبناؤه وأحفاده على ظهائر الملوك العلويين من المولى إسماعيل والمولى سليمان والمولى عبد الرحمان تزكيهم في رئاسة التوقيت بمكناس وتشملهم بالرعاية والتوقير وتحدد لهم نصيبهم من الوقف.

عبد الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، 4: 88 إلى 96 ؛ 5 : 285 و331 و334.

محمد ماكامان

**الشاوي، محمد** بن **عمرو** بن أبي القاسم المعروف بالجزائري. نسب إلى الجزائر لإقامته بها سنين مع الأخوين السعديين عبد الملك وأحمد المهاجرين إليها خوفاً من بطش أخيهما عبد الله الغالب، وظل الشاوي معهما مغترباً إلى أن رجعا إلى المغرب بمعونة الأتراك. فلما تولى الملك عبد المالك المعتصم كتب له، ثم كتب لأخيه أحمد المنصور من بعده. حلاه معاصره عبد الواحد السجلماسي الحسني رئيس كتّاب أحمد المنصور ـ على تشدده وتحريه ـ بأوصاف سامية منها: "الفقيه الأديب الكاتب الذي ارتفع في مقامات الأخلاق وسما، وغدا بين النظراء في عذوبة الشمائل علماً، وحصل من الأدب اليانع على حظ وافر ونصيب، ورمى إلى غرض الإجادة في منازعه بالسهم المصيب..." كما حلاّه رفيقه أحمد ابن القاضي في المنتقى المقصور "بالفقيه الكاتب اللوذعي". وله أشعار متفرقة في الحوليات وكتب التراجم.

عاش المترجم في رغد من العيش بمراكش، لما أفاض عليه الخلفاء السعديون من هدايا وعطايا. لا سيما أحمد المنصور الذي سوّغه خراج قبيلة مسفيوة كلها عدا اعشار الزيت، فاجتمع من أعشار الزيت في إحدى السنين خمسون قنطاراً فكتب إلى المنصور أبياتاً يمدحه ويذكر حاجته إلى هذه الزيت.

... فمنها اصطباحي في الدجي وتطيبي
ودهن طعامي ثم منها تعطري

فترك له المنصور أعشار زيته مادام حياً، فكان يبيع منها بالآلاف من العين كل سنة.

أ. ابن القاضي، *المنتقى*، تح. م. رزوق، 1 : 409، *والهامش*، 1 : م. الإفراني، *نزهة*، تح. ع اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، 1998، ص. 204 وفي مواضع أخرى ؛ ع . الله كنون، *النبوغ المغربي*، ط 2، بيروت، د.ت. ص 873؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1976، ج 5 : 180 ـ 182؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5: 146.

**الشاوي، المفضل** (الحاج -) بن الغماري الحريزي المنياوي، فقيه متصوف، له *رسالة الأصفياء في التبرك بآثار الأولياء*، طبعت بالدار البيضاء سنة 1355/1936؛ *رسالة المحقق في صفات الموثق*، طبعت على الحجر بفاس؛ *نور المشكاة في مسائل الزكاة*، طبعت بالرباط سنة 1365.

توفي بعد عام 1365/1945.

إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988، ص. 186.

محمد حجي

**الشاوية** ـ جغرافيا ـ جزء السهول الأطلنتية الوسطى الواقع بين واد النفيفيخ شمالا وواد أم الربيع جنوبا، والذي يمتد نحو الداخل ليشمل الجزء الجنوبي من هضبة الفوسفاط حتى مشارف الرحامنة. وتحتل بذلك هذه المنطقة موقعا متميزا سواء على صعيد المغرب ككل أو على صعيد المغرب الأطلنتي الذي تتوسطه. ويمكنها هذا الموقع من الانتصاب كمنطقة عبور بين شمال وجنوب المغرب وبين الساحل الأطلنتي والمناطق الداخلية، وخاصة الحوز وتادلة، وبالتالي تفرض الشاوية نفسها كصلة وصل بين مناطق مختلفة وكقطب جهوي ووطني على العديد من المستويات.

رغم اشتهار الشاوية كمنطقة جغرافية متميزة بموقعها وبشخصيتها الطبيعية التي يعطيها إياها طابع الانبساط وضعف تقطع السطح، فإنها لا تخلو من تنوع في مكوناتها الطبيعية. فهي تتكون من ثلاثة نطاقات متباينة :

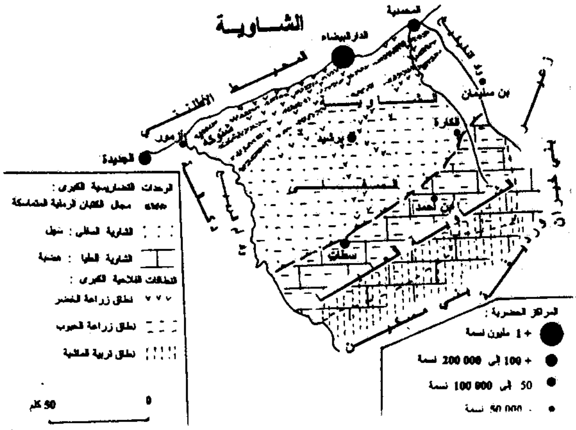


ـ النطاق الساحلي المتكون من كثبان رملية متماسكة اتخذت شكل تلال طولية لا يتعدى ارتفاعها 180 مترا تمتد

بشكل مواز للساحل وتنتشر نحو الداخل على عمق 20 إلى 30 كيلومترا. ويتميز هذا النطاق بمحدودية إمكانياته الفلاحية نظرا لانتشار القشرة الكلسية على قمم وسفوح التلال ولتكدس التربة (الرمل والحمري) في المنخفضات. غير أن اعتدال المناخ والوفرة النسبية للأمطار به (450 مم سنويا) والرطوبة الجوية المرتفعة وتوفر فرشات مائية غزيرة المياه قد جعلته يفرض نفسه كنطاق فلاحي قائم الذات داخل الشاوية.

- السهل الداخلي أو سهل برشيد الذي يشكل مع النطاق الساحلي الشاوية السفلى، يتميز بانبساطه وبتربته الخصبة (التيرس). وإليه يرجع الفضل في اشتهار الشاوية بدور خزان الحبوب المغربي. غير أن عدم تجاوز المتوسط السنوي للأمطار به حاجز 400 مم، يشكل عائقا أمام انتظام زراعة الحبوب وخاصة خلال فترات الجفاف الأخيرة، وبالتالي دفع العديد من الفلاحين إلى استبدال الحبوب بمزروعات أخرى. وبذلك يدخل السهل الذي استمدت منه الشاوية شهرتها عهد التحولات الفلاحية التي ستمكنه من التكيف مع متطلبات السوق ومع إعادة توزيع الأدوار داخل الشاوية.

- الشاوية العليا: تشكل الجزء الجنوبي من الشاوية ككل وتتكون من هضاب كلسية يتراوح ارتفاعها بين 300 م في الغرب و700 م في الشرق. ونتيجة لذلك يتخذ جزؤها الشرقي طابع مجال شديد التقطع من جراء تعمق مجاري المياه به. ويترسخ الطابع الهضبي لهذا الجزء من الشاوية من خلال امتداد الطبقات الفوسفاطية به إلى مشارف مدينة سطات، وعبر إشرافه على الشاوية السفلى بواسطة حافة يتراوح ارتفاعها بين 100 و150 مترا، تقطعها مجاري عديدة للمياه. وتتميز الشاوية العليا بضعف ملحوظ للتساقطات وخاصة في جزئها الجنوبي والشرقي حيث يتراوح المتوسط السنوي للأمطار ما بين 250 و350 مم. ويتعزز التباين داخل الشاوية العليا بسبب تنوع التربة وتباين خصوبتها بين التيرس والحمري والحرش... ومع ذلك يحافظ هذا الجزء من الشاوية على طابعه كمجال تسود به زراعة الحبوب.

إن تنوع المكونات والخصائص الطبيعية لمنطقة الشاوية لا يقلل في شيء من أهميتها الفلاحية بقدر ما يجعل منها مجالا يتنوع ويتكامل إنتاجه الفلاحي وموارد عيش سكانه باستمرار.

تتكون ساكنة المنطقة من مجموعة قبائل الشاوية التي يرجعها المؤرخون إلى قبائل برغواطة التي شكلت السكان المعروفين لهذه المنطقة. وأهم فروعها الحالية: أولاد حريز، أولاد سعيد، المزامزة، أولاد بوزيري، امزاب، المذاكرة، مديونة، زناتة، أولاد زيان، الزيايدة. وتجاورها من الشمال الشرقي قبائل زعير وبني خيران ومن الجنوب ورديغة وبني مسكين والرحامنة ومن الغرب دكالة وشتوكة.

وبحكم موقعها كمنطقة عبور وقربها من الدار البيضاء وتزايد عدد وحجم مدنها شهدت الشاوية تزايدا ملحوظا في حجم سكانها، بحيث انتقل عددهم من حوالي 1.5 مليون نسمة سنة 1960 إلى ما يزيد عن 4 ملايين نسمة سنة 1994، الشيء الذي يجعلها اليوم تضم حوالي 15٪ من مجموع سكان المغرب على رقعة لا تتجاوز 1.5٪ من مساحته العامة وبكثافة سكانية تناهز 350 نسمة في الكيلومتر المربع مقابل 40 نسمة / كلم2 كمعدل وطني. ويقطن أكثر من 80٪ من سكان الشاوية بالمدن. ويرجع هذا الحجم الديموغرافي الكبير وهذه النسبة العالية للسكان الحضريين بالأساس إلى الدار البيضاء الكبرى التي تمثل حوالي 80٪ من مجموع سكان المنطقة و82٪ من ساكنتها الحضرية. ولذلك فباستثناء الدار البيضاء الكبرى تبدو الشاوية منطقة قروية بطابعها العام وبساكنتها وبنشاطها الاقتصادي.

تتميز الشاوية بكونها منطقة يترسخ طابعها الفلاحي باستمرار ومجالا يعزز دورة كقطب اقتصادي يستأثر بالصدارة على الصعيد الوطني كأكبر تجمع صناعي وكأول سوق تجارية. وبفضل تعدد أدوارها وضخامة التركز الاقتصادي بها فقد أصبحت تلعب دورا محوريا في هيكلة التراب المغربي واكتسبت بها الأنشطة الاقتصادية دور المكانة الأولى في هيكلة مجالها الحضري والجهوي.

بفضل مؤهلاتها الطبيعية أصبحت الشاوية خلال القرن العشرين واحدة من أغنى المناطق الفلاحية بالمغرب، وخاصة في ميدان إنتاج الحبوب. ونظرا لقربها من الدار البيضاء ولانفتاحها المبكر أمام تصدير المنتوجات الفلاحية فقد شهدت مجموعة من التحولات مست النشاط الفلاحي في بنياته وإنتاجه. ويتجلى ذلك بالخصوص من خلال هيكلة المنطقة في شكل ثلاثة مجالات فلاحية متميزة:

- مجال زراعة الخضر الممتد على طول الساحل داخل نطاق الكثبان الرملية المتماسكة من المحمدية إلى منطقة شتوكة المشرفة على نهر أم الربيع. ورغم اشتهاره بزراعة الطماطم فقد تنوع إنتاجه الفلاحي ليشمل مختلف أنواع الخضر وحتى بعض الفواكه (الموز، البطيخ...) وقد ساعدت الرطوبة الجوية المرتفعة إلى جانب تنوع الإنتاج على توسع هذا المجال بشكل مضطرد نحو الداخل، على حساب زراعة الحبوب. ففي شمال الدار البيضاء تتوسع زراعة الخضر بشكل مواز لواد المالح لتمتد نحو الجنوب على طول أحد روافده المتمثل في واد حصار، في اتجاه مديونة ومنها إلى برشيد، في شكل حزام نصف دائري يحيط بمدينة الدار البيضاء ويتطور في ارتباط بها. وفي جنوبها توسع هذا النطاق انطلاقا من جماعات دار بوعزة وبوسكورة والسوالم ليشمل جماعات الساحل والغنيميين وسيدي المكي وسيدي العايدي أي أنه تجاوز برشيد ليشرف على مدينة سطات. وبذلك يكون نطاق زراعة الخضر أكثر المجالات الفلاحية بالشاوية دينامية على المستوى النوعي والكمي. وقد استفاد في ذلك من استغلال مياه الفرشة الباطنية في ميدان السقي.

- مجال زراعة الحبوب الذي ظل إلى عهد قريب يطابق

الشاوية السفلى عموما وسهل برشيد على الخصوص والذي يعتبر من أهم مناطق زراعة الحبوب بالمغرب (معدل مردود الحبوب يفوق به 20 قنطاراً في الهكتار). وقد أدت مجموعة من التحولات إلى تراجع هذه الزراعة بشكل متواصل أمام زحف زراعة الخضر وانتشار الصناعة داخل الأرياف وتطور ظاهرة الإقامات الفخمة لسكان المدن على طول المحاور الطرقية وخاصة منها محاور: الدار البيضاء ـ برشيد، برشيد ـ سطات، برشيد ـ بن احمد، مديونة ـ برشيد، الدار البيضاء ـ أولاد عبو... وقد شجع على ذلك إحداث نطاق للزراعة الكثيفة تقوم على السقي بالأذرع المحورية في جماعة لحساسنة (بوفروج) وأولاد سعيد قرب بولعوان وأولاد بوزيري (سيدي محمد برحال). ونتيجة لذلك تفقد الشاوية السفلى تدريجيا مكانتها كخزان للحبوب بالمغرب، ويتراجع طابعها القروي والفلاحي وتتعزز مظاهر ومكونات الحياة الحضرية بها. وبشكل مواز لذلك تتعدد بها التجمعات التجارية والخدماتية والسكنية ذات الطابع الحضري: سيدي العايدي، بوفروج، لغنيميين، الدروة، أولاد صالح...

وإزاء هذا التطور توسعت زراعة الحبوب داخل الشاوية العليا وخاصة في جزئها الجنوبي الذي أصبح يضاهي الشاوية السفلى. وبذلك تعزز دور النطاق الممتد من سطات إلى بني اخلوق وأولاد مراح ومن أولاد سعيد إلى بن احمد كمجال لزراعة الحبوب (الشعير والقمح والذرة) في تناوب مع القطنيات (الحمص والفول والعدس...). غير أن توالي سنوات الجفاف خلال العقدين الأخيرين قد أدخل الشاوية العليا بدورها في مسلسل من التحول شبيه بالذي يشهده سهل برشيد، حيث تكاثر اللجوء إلى استغلال المياه الجوفية من أجل إنتاج الخضروات: موالين الواد قرب سطات، ضواحي قيصر، أولاد بوزيري، المعاريف ـ أولاد امحمد قرب ابن احمد...

ـ نطاق تربية الماشية: يتمحور حول المجال الذي تحتله قبائل بني مسكين التي لا تنتمي لقبائل الشاوية لكنها ألحقت بها إداريا منذ عهد الاستعمار. غير أن النجاح الكبير الذي لقيه نشاط تربية الأغنام وخاصة فصيلة الصردي جعل هذا النشاط ينتشر في معظم أرجاء الشاوية العليا، في تكامل مع زراعة الحبوب. وبذلك فتربية الأغنام التي تشكل ببني مسكين نشاطا شبه وحيد للسكان أصبحت بمثابة مورد لا يمكن الاستغناء عنه في الشاوية العليا عموما وخاصة منذ أن أصبح الجفاف ظاهرة تتكرر باستمرار.

يتجلى من خلال التوزيع المجالي للإنتاج الفلاحي ومن التحولات التي شهدها أن الشاوية قد دخلت برمتها عهد تنوع الإنتاج وتعزيز ارتباطه بالسوق البيضاوية وبالتصدير نحو الخارج وبظاهرة التمدين التي تكتسح هذه المنطقة بشكل مضطرد.

وفي ارتباط بهذه الدينامية شهدت الصناعة تطورا ملحوظا منذ بداية القرن العشرين. فإن كانت مدينة الدار البيضاء تشكل القطب الرئيسي لهذا النشاط داخل الشاوية وعلى صعيد المغرب فإن ذلك لم يمنع من تأثر المنطقة ككل بهذا النشاط. ففي ارتباط بالدار البيضاء كميناء للتصدير وللاستيراد وكسوق استهلاكية وكمجال صناعي تتعدد به فرص وقنوات ترابط وتكامل الصناعات، تطورت مجموعة من المراكز الصناعية المتفاوتة الأحجام والمضامين داخل الشاوية. وتشكل مدينة برشيد (حوالي 50 وحدة صناعية) أولها بحكم تطورها بضواحي الدار البيضاء وفي ارتباط بها. وعلى مقربة منها تطورت أيضا مجموعة من التجمعات الصناعية الأخرى مثل: أحد السوالم، تيط مليل، مديونة، بوسكورة، عين حرودة... هذا فضلا عن مدينة سطات التي يتخذ بها حضور الصناعة (حوالي 30 وحدة صناعية) أبعادا كمية ونوعية لا تخلو من أهمية اقتصادية واجتماعية.

وبهذا الحضور المتعدد الأبعاد والأشكال للصناعة بها أصبحت الشاوية مندمجة في دور القطب الصناعي الذي تضطلع به الدار البيضاء، أي أن هذه المدينة التي شكلت عاصمة للشاوية منذ عهد البرغواطيين وقبل أن تصبح عاصمة اقتصادية للمغرب كله قد ساهمت في الاندماج التدريجي لمحيطها الجهوي كأول قطب اقتصادي بالمغرب.

ولم تكن الدار البيضاء لتجر الشاوية في فلكها ولتشركها في وظائفها الاقتصادية لولا توفر هذه المنطقة على البنيات التحتية الضرورية لذلك. وفي هذا الصدد تعتبر الشاوية من المناطق المغربية التي تتوفر على شبكة طرقية كثيفة (1 كلم من الطرق المعبدة في كل 5 كيلومترات مربعة، مقابل 1 لكل 20 كمعدل وطني) وتستجيب هذه الكثافة المرتفعة لكثافة الرواج التجاري وحركة السكان بهذه المنطقة. غير أن تمحور شبكة الطرق حول مدينة الدار البيضاء يجعل كثافة هذه الشبكة تتراجع كلما تم الابتعاد عن العاصمة الاقتصادية. كما أن هذه المنطقة تعد أكثر تجهيزا على الصعيد الوطني في ميدان السكة الحديدية بحيث تخترقها أربعة خطوط ذات اتجاهات مختلفة. وهذا ما يساهم في تنشيط حركة الرواج داخلها وبينها وبين باقي جهات المغرب.

تلعب مدينة الدار البيضاء دورا محوريا في الهيكلة المجالية للشاوية على كل المستويات. فحجمها كأكبر مدن المغرب ووظيفتها كعاصمة اقتصادية قد جعلاها تزكي وضعيتها كعاصمة للشاوية وكقطب مهيمن داخلها. وهذا ما يفرض على باقي مدن المنطقة مهما تنامت أحجامها الديموغرافية وتنوعت وظائفها الاقتصادية أن تظل خاضعة لنفوذ الدار البيضاء وضعيفة التأثير حتى داخل المحيط المباشر لها. وهذا شأن مدينة سطات بالأساس التي رغم ترقيتها إلى رتبة عاصمة إقليم ثم عاصمة جهة، تظل خاضعة لنفوذ العاصمة الأولى للشاوية على كل المستويات.

ويؤدي النفوذ القوي للدار البيضاء داخل الشاوية إلى عدم تشكل شبكة حضرية متوازنة ووظيفية بهذه المنطقة. فرغم انتقال عدد المراكز من 8 سنة 1960 إلى 24 سنة 1994

وانتقال مجموع السكان الحضريين بها من 1.066.900 نسمة سنة 1960 إلى 3.205.630 نسمة سنة 1994، فإن مدينة الدار البيضاء تظل مهيمنة بحجمها وبحصتها من السكان الحضريين التي انتقلت من 90,5٪ سنة 1960 إلى 82٪ سنة 1994. ومما يزيد من حدة هذا التركز الحضري أن المدينة الثانية بالشاوية التي هي المحمدية قد نشأت وتطورت في ارتباط وثيق بالدار البيضاء فظل حجمها متواضعا أمامها (170.000 نسمة). ورغم ارتقاء مدينة سطات إلى مستوى المدن الكبرى (96.217 نسمة) ورغم موقعها بعيدا نسبيا عن الدار البيضاء فوضعيتها لا تختلف كثيرا عن وضعية المحمدية. أي أن الشاوية التي تسجل أعلى وتيرة للتمدين بالمغرب تظل أحادية القطب وشديدة التركز في هذا الميدان.

ويجسد هذا التركز العمراني التركيز الحاصل على المستوى الوظيفي للشبكة الحضرية الذي يجعل الدار البيضاء على رأس الجهاز الإنتاجي الصناعي ومحور الشبكة التجارية بمختلف مكوناتها ومحرك آليات الرواج المالي ومختلف الخدمات الموجهة للمقاولات وللأفراد. ويساهم قصر المسافات (أبعد نقطة عن الدار البيضاء داخل الشاوية لا تتعدى 120 كلم) وتوفر وسائل المواصلات في جعل مختلف مدن الشاوية مجرد محطات في طريق الدار البيضاء.

أمام الهيمنة المتنامية للدار البيضاء داخل الشاوية لجأت الإدارة الترابية منذ عهد الاستعمار إلى إعطاء هذه المنطقة هيكلة إدارية ترتكز على استراتيجية تشجيع تطور العواصم المحلية. وفي هذا الصدد تعددت محاولات عزل المنطقة إداريا عن الدار البيضاء، سواء عند إدماج الشاوية في جهة الدار البيضاء أو مع إحداث دوائر ومقاطعات مدنية: الشاوية الشمالية، الشاوية الوسطى، الشاوية الجنوبية. فكان من نتائج هذا التقطيع بزوغ ثلاث عواصم محلية: سطات، برشيد، ابن سليمان. وبعد عهد الاستعمار انتقلت الشاوية من مجموعة دوائر تابعة لجهة الدار البيضاء إلى أقاليم تابعة لجهة الدار البيضاء أيضا. ورغم كون التقطيع الجهوي لسنة 1997 قد جعل الشاوية تشكل إلى جانب ورديغة جهة منفصلة عن الدار البيضاء فإن عدم تفعيل هذا التقطيع لم يغير أدنى شيء من تبعية الشاوية للدار البيضاء، وبالتالي من خضوع هيكلة مجالها في شموليته للتيارات المتشعبة التي تتحكم فيها العاصمة الفعلية للشاوية.

انطلاقا من كل هذا يتجلى أن الشاوية التي كان لها دور أساسي في نشأة وتطور مدينة الدار البيضاء قد ظلت مشدودة إلى عاصمتها الأولى رغم التحولات العديدة التي شهدتها المنطقة في بنياتها ومرتكزاتها العمرانية والاقتصادية، ورغم التموضع الجديد للدار البيضاء على الصعيد الوطني. وكان من نتائج ذلك تحمل هذه المنطقة انعكاسات روابطها القوية بعاصمتها الأولى والمتمثلة أساسا في كونها تزداد اكتظاظا في تعميرها وكثافة في استغلال مجالها الفلاحي وسرعة في إيقاع التمدين بها. وهذا ما يجعلها تعزز يوما بعد يوم اندماجها في الوظيفة القيادية التي تضطلع بها الدار البيضاء اقتصاديا داخل المغرب. غير أن قوة جذب الدار البيضاء وحدة التركز بها قد حولت الشاوية برمتها إلى ضاحية تساير تطور العاصمة الاقتصادية وأحيانا ضحية تتخلص فيها وبواسطتها هذه المدينة من نفاياتها ومشاكلها وفائضها الديموغرافي. وتبعا لذلك أصبح التلوث بالشاوية يهدد بتدهور خطير للبيئة وأضحى مشكل السكن الذي تعاني منه الدار البيضاء يجد حلولا له داخل الشاوية بأشكال وأساليب تهدد التوازنات البيئية والديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية داخل هذه المنطقة.

المصطفى شويكي، *علاقة مدينة سطات بالشاوية. حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية* ـ عين الشق، الدار البيضاء، عدد 5، 1988، ص. 77 ـ 84.

M. Chouiki, *Settat et son rôle régional*, Thèse de doctorat de 3ème cycle, Tours, 1985 ; R. Fosset, *Le réseau urbain des bas plateaux atlantiques moyens au Maroc*, in fascicule n° 3, Tours, 1978 ; *Société rurale et organisation de l'espace : les bas plateaux atlantiques du Maroc moyen: Chaouia - Doukkala - Abda*, Thèse d'Etat, Montpellier III, 1979.

المصطفى الشويكي

* * وعن تاريخ الشاوية يذكر دو شيني De Chenier الذي كان قنصلا لفرنسا بالرباط من 1767 إلى 1787 مواقع الشاوية من تادلة إلى دكالة. وكذلك فرق دومباي Dombay (1801) بين إقليم تامسنا والشاوية؛ فتامسنا تمتد عنده من وادي الشراط إلى وادي أم الربيع وهي ما ينطبق على سهل الشاوية اليوم، تحد شرقا بتادلة والشاوية وشمالا ببني حسن وغربا بالمحيط وجنوبا بدكالة. أما الشاوية فاعتبره إقليما تابعا لمملكة فاس، "يقطنه قوم عصاة نهاب"، وبين أنه يحد "غربا بإقليم تامسنا وشمالا ببني حسن حيث يشتبكون معهم في صراع لا ينقطع". وهكذا يغلب على الظن أن اسم الشاوية قد تعمم في عهود لاحقة لاستقرار القبائل العربية والزناتية في سهل تامسنا الواسع وسهوب تادلا، على سكان الشاوية اليوم؛ عندما زحف الرحل الباحثون عن المراعي الخصبة لماشيتهم، من السهوب الداخلية نحو السهول الساحلية الرطبة غربا، واختلطوا مع السكان المحليين فغلب على الجميع اسم الشاوية.

ويظهر أن اسم الشاوية بدأ يغلب على اسم تامسنا شيئا فشيئا منذ القرن السابع عشر وإلى نهاية القرن الثامن عشر على أقل تقدير؛ إذ منذ بداية القرن التاسع عشر بدأت كلمة الشاوية تحل محل كلمة تامسنا في الكتابات المخزنية.

أما اسم الشاوية فهو جمع شاوي ويعني ملاكي قطعان الغنم أو رعاة الشاة، والمقصود به مجموعة القبائل التي كانت تتعاطى لرعي الماشية وخاصة ماشية السلطان. وتتفق روايات الإخباريين المغاربة على أن الشاوية ينتمون إلى حسان بن أبي سعيد الصبيحي نسبة إلى صبيح بالتصغير وهو بطن من بطون سويد. وسويد هي إحدى قبائل بني مالك ابن زغبة الهلاليين. وكان دخول حسان وأخيه موسى بن أبي

سعيد إلى المغرب الأقصى أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني مؤسس الدولة المرينية (1269 ـ 1286 م). ويثبت الناصري نقلا عن ابن خلدون، أن الشاوية كانوا "يتصرفون في الدولة على ما كان لسلفهم من ولاية الشاوية والنظر في رواحل السلطان والظهر الذي يحمل من الإبل". وهكذا يتأكد أن القبائل العربية التي تحالفت مع المرينيين هي التي غلبت اسم الشاوية على الإقليم الجغرافي الذي كان يسمى تامسنا. ولاشك في أن تلك القبائل هي التي زحفت مع قبائل زناتة مثل مغراوة ومزاب وكتامة، من المغرب الأوسط نحو سهول المغرب المطلة على المحيط، وانضافت للقبائل العربية من بني هلال، التي كان يعقوب المنصور الموحدي (1184 ـ 1199م) قد نقلها من المغرب الأدنى (تونس) والمغرب الأوسط (الجزائر) إلى المغرب الأقصى. وعلى هذا الأساس قد يكون لشاوية المغرب الأقصى علاقة قرابة مع شاوية المغرب الأوسط المنتشرين في منطقة الأوراس بالجزائر.

ومهما يكن فإن الشاوية أصبحت، منذ القرن الثالث عشر (19 م)، تكوِّن اتحادية قبلية كبيرة وقوية، متشكلة من عناصر سلالية متعددة ومختلفة الأصول. اختلطت فيها الأصول العربية بالأصول البربرية ـ كما هو شأن معظم المجموعات القبلية المغربية ـ وامتزجت عناصرها لتكون في النهاية قبيلة كبيرة زادها الموقع الجغرافي تماسكا وتجانسا واضحين، وصهرتها عوامل تاريخية واقتصادية وسياسية وعسكرية منذ زمن بعيد. فالشاوية اليوم تتكون من قبائل بعضها من أصول مصمودية وزناتية وصنهاجية، وبعضها من بني هلال وبني سليم وبني معقل. ومع أخذ هذه الحقيقة بالاعتبار، يجب أن نثبت أن لغة هذه الاتحادية هي العربية وهذا الواقع معروف بالشاوية منذ زمن بعيد.

ويظهر أن تكوّن اتحادية الشاوية لم يطرأ عليه تغيير منذ القرن الثامن عشر، بيد أنها عرفت تطورات في توزيع عناصرها نتيجة لعوامل إدارية وجبائية. فالشاوية كانت تتكون من اثنتي عشرة قبيلة في سجلات المخزن هي: أولاد حريز ـ المذاكرة وأولاد علي ـ مزاب والأعشاش ـ المزامزة ـ أولاد سعيد ـ أولاد بوزيري ـ أولاد سيدي بنداود ـ كدانة ـ زناتة ـ مديونة ـ أولاد زيان ـ الزيايدة وبني أوري. وكانت هذه القبائل موزعة على مجموعتين كبيرتين هما:

مجموعة أولاد بورزق : وتشمل المزامزة ـ أولاد سعيد ـ كدانة ـ أولاد سيدي بنداود ـ أولاد بوزيري ـ زناتة.

مجموعة أولاد بوعطية : وتضم مزاب والأعشاش ـ المذاكرة وأولاد علي ـ أولاد حريز ـ مديونة ـ أولاد زيان ـ الزيايدة، وهذه القبائل الثلاث الأخيرة كانت متحدة في مجموعة تسمى الشهاونة.

كان أساس التنظيم الاجتماعي بالشاوية مبنيا على إحصاء عدد خيام كل قبيلة. وكانت كل قبيلة تتوزع إلى دواوير، وكل دوار يتكون من مائة خيمة. ولاشك في أن هذا التنظيم أحدثه المخزن لمعرفة كيفية توزيع الجبايات على القبائل، مثل الزكاة والعشر، والكلف المخزنية مثل الحركة والعسكر والهدية وصيانة رواm المخزن المعدة للنقل ومواشيه، وسخرة الذين يكلفون ببعض المهام في القبائل.

ويبدو أن هذا التنظيم أصبح ساري المفعول منذ عهد السلطان مولاي عبد الرحمان (1822 ـ 1859)، بدليل أن قبائل أخرى عرفت نفس التنظيم في عهده مثل قبيلة زعير. وتبرز المستندات الرسمية أن الشاوية كانت موزعة في سنة 1890 أي في عهد مولاي الحسن (1873 ـ 1894) إلى مائة (100) دوار؛ وكان كل دوار يضم مائة (100) خيمة. وهكذا كانت كل مجموعة من المجموعتين السابقتين، أولاد بوعطية وأولاد بورزق، تمثل نصف الشاوية على حدة، أي أن كل مجموعة تتكون من خمسين دوارا موزعة على الشكل الآتي:

أولاد بوعطية: (أولاد حريز ـ المذاكرة ـ أولاد علي : 12,5 دوار ونصف دوار؛ مديونة وأولاد زيان: 18 دوار ؛ مزاب والأعشاش : 12,5 دوار ؛ الزيايدة وبني اورى : 07 دواوير.

أولاد بورزق: المزامزة وكدانة: 13 دواراً ؛ أولاد سعيد : 13 دوار؛ أولاد بوزيري : 13 دوارا وثلاثة أرباع الدوار؛ أولاد سيدي بنداود : 02,1 دوارين وربع ؛ زناتة : 08 دواوير.

وهكذا كانت الدواوير موزعة حسب أهمية كل قبيلة من حيث عدد سكانها وكوانينها. وكانت الواجبات الجبائية تفرض على أساس هذا التوزيع. فمثلا كان واجب الزكاة والعشر المفروض على الشاوية يساوي 150.000 ريال خلال القرن التاسع عشر (50.000 ريال زكاة المواشي و100.000 ريال أعشار الحبوب)، فكان نصيب كل مجموعة نصف هذا المقدار. وكان نصيب أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي ثمن المقدار المذكور، أي 18.750 ريال لأنهم يمثلون ثمن الشاوية (12,5 دوار).

والملاحظ أن الشاوية كانت مقسمة إداريا إلى قيادات عديدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. لكل قبيلة قائد، سوى قبائل المذاكرة وأولاد حريز وأولاد علي فكانوا خاضعين لنفوذ قائد واحد من عائلة برشيد الحريزية. كما كانت قبيلة كدانة مضافة إلى قيادة المزامزة. وكان مزاب والأعشاش يكونون قيادة كبيرة تابعة لأسرة ابن احمد المزابية. وسرعان ما توزعت إلى 6 قيادات في عهد مولاي الحسن وإلى 14 قيادة، في عهد السلطان مولاي عبد العزيز (1894 - 1908). وبدون شك، فإن تفتيت قبائل الشاوية إلى قيادات صغرى كانت تمليه ضرورات إدارية وسياسية. ويجب أن نلاحظ كذلك أن عملية إخضاع القبائل إلى قواد عديدين، كانت تزداد كلما اقتربنا من نهاية القرن التاسع عشر. وهذا الأمر يفسر بتزايد التدخل الأوربي في الشؤون المغربية، مع ما كان يصحبه من استغلال رأسمالي، ومن تفشي عواقب نظام الامتيازات الأجنبية، في ميدان الحمايات القنصلية والمخالطات بين التجار الأجانب والفلاحين. لقد زاحم التجار

الأجانب أهل الشاوية في قوتهم اليومي وشاركوهم فيما يملكون. كما زاحموا حكام القبائل في النفوذ، وتسببوا في تدهور هيبتهم. ونشأ عن كل ذلك فتن واضطرابات اجتماعية اعتبرها المراقبون الأجانب سيبة مرتبطة بالتنظيم الاجتماعي، ولم يفهموها في إطار ظروفها المكانية والزمانية. وقد استغل التجار الأجانب تلك الاضطرابات لرفع قضايا ودعاوى عديدة ضد المخزن، كان الهدف منها تخريب الدولة المغربية من الداخل. واستجابة لتلك التحديات كان السلاطين يضاعفون من مراقبتهم لقبائل الشاوية التي عرفت الاستغلال الرأسمالي أكثر من غيرها من القبائل. وهذا ما يفسر توزيع الشاوية سنة 1897 إلى 28 قيادة، بينها 7 قيادات كبرى، والباقي وعدده 21 قيادة موزعة على مزاب والأعشاش (14 قيادة)، الزيايدة (4 قيادات)، أولاد بوزيري (3 قيادات)، كما يتضح من الجدول التالي.

التوزيع الإداري للشاوية حوالي 1898-1897/1315

| القبيلة | الفرقة | عدد القواد | أسماؤهم |
|---|---|---|---|
| اولاد سعيد | ؟ | 1 | العياشي السعيدي |
| المزامزة | المزامزة + گدانة | 1 | المعطي بن عبد الكبير المزامزي |
| زناتة | زناتة | 1 | بوشعيب الزناتي |
| أولاد سيدي بنداود | اولاد سيدي بنداود | 1 | الجيلالي بن الرغاي الداودي |
| أولاد بوزيري | ؟<br>؟<br>؟ | 3 | أحمد بن صالح الزيراوي<br>البهلول بن سالم الزيراوي<br>مسعود بن محمد الزيراوى |
| أولاد حريز أ. علي المذاكرة | أولاد حريز أولاد علي المذاكرة | 1 | عبد السلام بن رشيد الحريزي |
| مديونة | مديونة + سوالم | 1 | أحمد بن العربي المديوني |
| اولاد زيان | أولاد زيان | 1 | لحسن بن العايدي الزياني |
| الزيايدة | موالين الوطى<br>موالين الغابة<br>؟<br>بني أورى | 1<br>1<br>1<br>1 | عبد الله الزيادي الوطاوي<br>محمد بن أحمد الزيادي<br>ابن المعطي الصلحاوي<br>الشرقي الوراوي |
| مزاب | بني إبراهيم<br>أولاد شبانة<br>الأحلاف<br>حمداوة<br>أولاد مراح | 1<br>1<br>1<br>1<br>1<br>2 | العباس الإبراهيمي<br>الجيلاني المسيعدي الشباني<br>عبذ القادر الحلفي<br>بوزيان الحمداوي<br>ابن خمليش المراحي<br>احمد بن البهلول المراحي |
| الأعشاش | أولاد فارس<br>أولاد عريف<br>الخزازرة<br>الأولاد<br><br>أولاد محمد<br><br>معاريف | 1<br>1<br>1<br>2<br><br>2<br><br>1 | أحمد بن التومي الفارسي<br>أحمد بن حجاج العريفي<br>ابن العربي الخزاري<br>بنداود الولدي<br>إبراهيم الولدي<br>الجيلاني زريول المجمدي<br>عبد السلام المحمدي<br>عمر المعروفي |

والجدير بالذكر، أن الشاوية كانت تمثل منذ تكونها كتلة بشرية معتبرة ذات أهمية سياسية واقتصادية كبيرة في البلاد. وكان المخزن يعتمد باستمرار على جباياتها المنتظمة، ومساهماتها الدائمة في التكاليف المفروضة على المجتمع المغربي. وتأتي أهمية الشاوية من موقعها المتوسط، ومن خصوبة تربتها ووفرة إنتاجها ومداخيل مرسى الدار البيضاء الواقع بتراب قبيلة مديونة. وكانت للمخزن بالشاوية أمراس لخزن الزرع الاحتياطي لمواجهة الطوارئ والأزمات في المغرب. وكان المخزن يعتمد على قبائل الشاوية في المحافظة على قسم كبير من الخيل والبغال والإبل والمواشي. فعلى سبيل المثال والمقارنة، كان بالشاوية سنة 1896 حوالي 887 من بغال المخزن الموزعة على القبائل، و268 من الجمال، في حين كان عدد الجمال بدكالة المجاورة 212 وبعبدة 77. وقد نبهت كتب الرحلات الأوربية الاستطلاعية إلى أهمية إنتاج الشاوية من الحبوب والأصواف والمواشي. كما نبهت إلى أهميتها الاستراتيجية، ولا غرابة بعد هذا أن يستهدف الاحتلال الفرنسي قبائل الشاوية سنة 1907 ويستخدمها في مخططه الاستعماري للمغرب.


ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1959، ج. 6 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. 2، الدار البيضاء، 1954 - 1956 ؛ ح. الوزان (ليون الإفريقي)، *وصف إفريقيا*، تعر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت ؛ م. السليماني، *اللسان المعرب*، مخطوط، خ. ح ؛ *كناش رحلات السلطان مولاي الحسن*، مخطوط، خ. ح. ؛ *وثائق خ. ح.* ؛ ع. الوهاب بنمنصور، *قبائل المغرب*، الرباط، 1388 / 1968 ؛ ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، الدار البيضاء، 1994.

A. Adam, *Histoire de Casablanca des origines à 1914*, Aix-En-Province, 1968 ; M. Chenier De, *Recherches historiques sur les maures et histoire de l'empire du Maroc*, 3 T., Paris, 1787 ; G. Colin, *Shawia, E.I.*, 1er éd. ; De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc, 1884-1885*, Paris ; Grasset Capitaine, *A travers la chaouia avec le corps de débarquement de Casablanca*, Paris, 1906 ; Huot Lt-Cl, *La situation politique en Chaouia, Aout-Décembre 1907, Décembre-Janvier 1908, Bull. de la société de géographie du Maroc*, FASC, 2-3, 1922 ; E. Miège, *Notes sur les Mzab et les Achache, A.B*, vol. 3, Fasc. 2-3, 1918 ; M. Quedenfeldt, *Division et répartition de la population berbère au Maroc*, traduit de l'Allemand par H. Simon, Alger, 1904 ; Segonds Lieutenand, *La Chaouia et sa pacification*, Paris [s.d.] ; P. Tubert Lt., *La Chaouia, Bull. Soc. d'Alger et de l'Agrique du Nord*, 1914, 1er et 2ème trim. ; *Villes et tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, 2 T., Paris, 1915 ; F. Weisgerber, *Les Chaouia*, Paris, 1907 ; *Casablanca et les Chaouia en 1990*, Casa 1939.


علال الخديمي

**الشاوية - ورديغة**، جهة من الجهات المغربية الست عشرة تمتد جنوب جهة الدار البيضاء، على مساحة 16940 كم2، وتضم ثلاثة أقاليم. سطات وخريبگة وبن سليمان. ساكنة الجهة تبلغ 1.5 مليون نسمة (حسب إحصاء 1994).

وللجهة عدة مؤهلات طبيعية، إذ كل ترابها ضمن المجالات الملائمة للنشاط الفلاحي، بسبب استواء السطح داخلها، وامتداد أتربة جيدة بها. أما المياه الباطنية، فتقتصر على الفرشة المائية للشاوية السفلى (منطقة برشيد).

ترتفع الجهة من الساحل إلى الجنوب، الشيء الذي يسمح بتقسيمها إلى أشرطة متوالية:

- شريط المجال الساحلي، ذي الأتربة الرملية.

- سهل برشيد، وهو عبارة عن مجال غني بأتربته الجيدة وفرشته المائية الهامة.

- هضبة بن أحمد - سطات وامتداداتها الشرقية في منطقة الخطوات.

- هضبة البروج الجنوبية، والمتميزة بالجفاف وفقر الأتربة وقلة المياه.

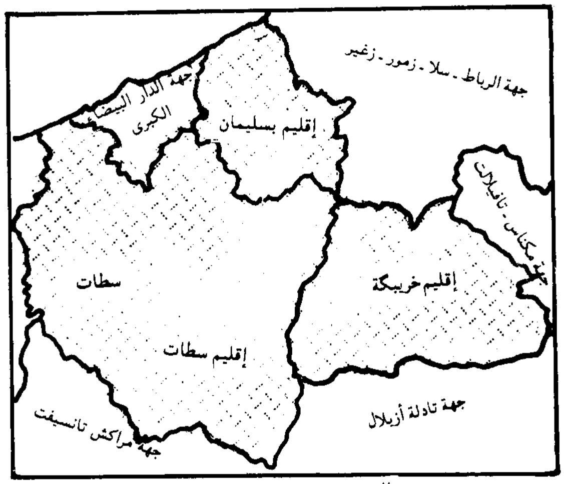


الشاوية ورديغة (جهة -)

يمثل سكان الجهة 5٪ من مجموع سكان المغرب، على مساحة لا تتعدى 2.4٪ من مساحة البلاد، بكثافة تصل في متوسطها إلى 90 نسمة / كم2. إلا أن معدل النمو السنوي 82 - 94 ضعيف بالمقارنة مع المتوسط الوطني ولا يتعدى 1.3٪. وهكذا نجد بعض الجماعات، تعرف نمواً سلبيا خلال هذه العشرية (في إقليم خريبگة على الخصوص) بينما تتزايد الساكنة بوتيرة عالية في سهل برشيد والمجال الساحلي.

ورغم قربها من الدار البيضاء، فإن الجهة تحتفظ بسيادة الطابع القروي، إذ تمثل ساكنة الأرياف نسبة تفوق 60٪ من المجموع، ولا ترتفع نسبة التمدين إلا في إقليم خريبگة، بسبب سيادة النشاط المعدني، على حساب النشاط الزراعي. رغم ذلك تحتضن الجهة 23 مركزاً حضرياً، أهمها مدينتا سطات وخريبگة. وخريبگة وحدها، بسكانها المائة وخمسين ألفا، تمثل ربع السكان الحضريين في الجهة. أما سطات، وادزم وبرشيد فهي من فئة المدن المتوسطة. وتعرف سطات نمواً ديمغرافيا هاماً بسبب استفادتها من استثمارات صناعية، إضافة إلى ربطها بالطريق السيار بمدينة الدار البيضاء. وتسجل مدينة برشيد أعلى وتيرة نمو، بتزايد سنوي يقترب من 5٪، بسبب موقعها بجوار جهة الدار البيضاء، مما جعلها تستفيد من سياسة تشجيع اللامركزية الصناعية.

من أهم المدن كذلك، مدينة بن سليمان وأبي الجعد، أولاهما في نمو مطرد، بينما الثانية ذات نمو ضعيف، مقداره 1.35٪، وهي أخفض وتيرة تعرفها مراكز الجهة.

أما السكان القرويون، فيتركزون في الجماعات المتاخمة للدار البيضاء، وفي محيط سطات وخريبگة.

نسبة السكان النشيطين متواضعة في الجهة، إذ لا يتعدى النشيطون المشغلون ربع مجموع السكان، نصفهم يعمل في القطاع الفلاحي والغابوي. أما المناجم، فهي لا تشغل أكثر من 3٪ من السكان. لكنها تساهم في خلق مناصب شغل متعددة في الإدارة والخدمات.

وتبقى الركيزة الفلاحية أساساً هاماً في نمو المنطقة. ذلك أن الجهة تحتوي على 1.1 مليون هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة، جلها بورية ومختصة في زراعة الحبوب. ويمتد السقي على 8000 هكتار، بتقنية ضخ مياه الفرشة الباطنية.

وتحتل الجهة المرتبة الأولى في المغرب من بين الجهات ذات الإنتاج المنجمي، بسبب احتوائها على أهم المكامن والمذخرات الفوسفاطية في المغرب.

وتعرف الصناعة نمواً هاماً، إذ تشغل 17٪ من اليد العاملة (238 مؤسسة صناعية)، وتتركز أساساً في إقليم سطات.

وتعاني الجهة من ضعف تجهيزاتها الاجتماعية، إذ تشكو من تواضع نسبة التمدرس وارتفاع نسبة الأمية، وانخفاض نسبة ربط السكان بالماء الشروب والتيار الكهربائي. إلا أن الجهة تحتوي على تجهيزات هامة في ميدان النقل (سكة حديدية مزدوجة وكثافة الطرق) إضافة إلى ربطها بالطريق السيار. وقربها من مدينة الدار البيضاء، يجعل الجهة في مقدمة المجالات المستقبلة للاستثمار، رغم ظاهرة تهميش المجالات الجنوبية من إقليم خريبگة.


م. الأسعد، م. محيي الدين، م. امدافعي و ع. س. ابن زاهير، جهة *الشاوية - ورديغة، دراسة في الجغرافيا الإقليمية*، *مجلة جغرافية المغرب*، مجلد، 19، 2001، ص. 61 - 79 : مديرية إعداد التراب، *جهة الشاوية - ورديغة*، 1999، منشورات عكاظ.


عبد الله العوينة

**شايب - عينو، قدور**، من رياس الرباط المرموقين العاملين في صفوف أسطول سيدي محمد بن عبد الله، ومن بين الرجال الأساسيين في الملاحة الجهادية. كان خلال الفترة الممتدة من سنة 1766 إلى 1772 م يقود سفينة سنبوك كبيرة مجهزة ببطارية مؤلفة من أربعة عشر مدفعا، وتحت إمرته طاقم مكون من ثمانين رجلا.

وقد أصبح شايب عينو من كبار الرياس المعتمدين من قبل السلطان في المهام الملاحية الرسمية، حيث شارك في سنة 1203 / 1789 في البعثة المغربية التي ترأسها القائد محمد الزوين الرحماني الموفدة إلى القسطنطينية.

توفي بعد عام 1203 / 1789 .


ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 3، ص. 260، و263، و306.

Chenier, *Journal*, pp. 96-97, 103-104 et 125-127.


حسن أميلي

ابن **شَبّاد، أحمد** محمود بن محمد، مقاوم من مواليد سنة 1930 بإقليم أسا من والديه محمد بن شباد والسالكة بنت إبراهيم.

اختار الشهيد العمل المسلح ضمن صفوف جيش التحرير بالمقاطعة السابعة تحت مسؤولية إيدا ولد الثامك حيث شارك مشاركة فعالة في العديد من العمليات التي قام بها جيش التحرير إلى أن استشهد في معركة وادي الصفا بالصحراء. وبذلك سجل اسمه ضمن لائحة شهداء الاستقلال الأبرار الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الحرية والكرامة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 501391.

**الشبانات**، قبيلة تنتمي إلى عرب بني معقل، وتتألف من بطنين كبيرين: بطن بني ثابت وبطن أولاد علي (*قبائل المغرب*، 1 : 427). كانت جموعها أول الأمر، تتخذ من نواحي ملوية جنوبا إلى حدود البحر الأبيض المتوسط شمالا، مواطن لظعنها وتحركها إلى جانب قبيل ذوي منصور وعبيد الله (*تاريخ ابن خلدون*، 6، 71). ولم تلبث أن انتقلت بعد ذلك للاستقرار ببسائط سوس الأقصى بعد أن استصرخها علي بن يدر الزكندري ضمن قبائل معقلية أخرى ضد جزولة سنة 1218/615 (*زهر البستان*، 35 ـ 36). ومنذ ذلك الحين، صار لقبيلة الشبانات شأن مميز في تاريخ هذه الجهة من المغرب، حيث استأثرت بطونها وعشائرها بمعية إخوانهم من ذوي حسان بالأراضي الخصبة وألزموا جزولة وغيرها من المجموعات القبلية المحلية بأداء الضرائب والإتاوات (*تاريخ ابن خلدون*، 6، 91). وبحكم شدة شكيمتها وكثرة أعدادها تحولت إلى قوة اجتماعية وازنة تجاوزت تأثيرات نفوذها نطاق السياق المحلي لجهة سوس لتشمل سياقات أوسع أفقا، اختلفت حيثياتها باختلاف الظرفيات السياسية والاجتماعية التي كانت تفرزها الساحة المغربية مع توالي الفترات التاريخية.

فمنذ أن أوشكت الدولة الموحدية على نهايتها، دخلت قبيلة الشبانات إلى جانب بني حسان في معارك دامية مع بقية أمراء بني يدر بإقليم سوس، حيث لقي الأمير علي بن يدر مصرعه في أحد فصولها المروعة سنة 668. واستمرت الحرب سجالا بين الطرفين إلى غاية تدخل الأمير أبي علي بن السلطان المريني أبي سعيد في منطقة سوس بعد تملكه لسجلماسة، حيث أجهز كلية على إمارة بني يدر بقتل أميرها عبد الرحمن بقاعدة تارودانت، وانحاشت إليه، بالمقابل، قبيلة الشبانات التي أغرته بغزو قرى سوس وحفزته على أخذها عنوة (*العبر*، 6 : 91 ـ 92). وقد سجلت قبيلة الشبانات بصنيعها هذا ميلا مبكرا نحو خدمة المخزن المغربي والإذعان لمقتضى سلطته. فقد شاركت في الحملة العسكرية التي قادها أبو يعقوب ضد يغمراسن بتلمسان سنة 670 / 1271. كما لعبت دورا مشهودا في حملة السلطان أبي الحسن المريني على قصور سوس حيث أعانته على اقتحامها وإعادة إلحاقها بسلك الطاعة المخزنية من جديد. ويبدو من خلال هذه الوقائع التاريخية أن المجال الحيوي لتحركات قبيلة الشبانات لم يخرج عن دائرة سوس الأقصى طيلة القرنين 14 و15 حيث ظلت تتنازع السيادة على أراضي هذا الإقليم مع إخوانها من عرب بني معقل وتقتسم معهم حاصلات الإتاوات التي كانت تفرض قسرا على الأهالي المحليين.

غير أنه مع الاجتياح البرتغالي لسواحل سوس في مطلع القرن العاشر (16م) اتجهت قبيلة الشبانات ـ شأنها في ذلك شأن باقي القبائل الأعرابية الأخرى ـ إلى التعاون مع المحتل البرتغالي في الإغارة على سكان القرى والمداشر القريبة من الشواطئ والمشاركة في مصادرة ممتلكاتهم وتخريب أراضيهم الزراعية (*جوانب من تاريخ تزنيت*، 25). لكن مع ظهور الحركة السعدية وحملها لواء الجهاد ضد قوات الاحتلال البرتغالي، دخلت قبيلة الشبانات ومعها معاقلة عرب سوس منعطفا جديدا ستتبلور في خضمه معالم العلاقة المستقبلية التي ستجمع بين هذه الفصائل القبلية برمتها والسلطة السعدية الصاعدة. فقد انخرطت قبيلة الشبانات، أسوة بغيرها من القبائل السوسية، في عمليات الجهاد التي خاضها الشرفاء السعديون الأوائل ضد القوات البرتغالية الجاثمة بحصن فونتي، كما شاركت، في الوقت نفسه، في الحملات التي قادها هؤلاء الشرفاء ضد بعض المناطق في الجنوب لإخضاع سكانها واستتباعها لسلطتهم الجديدة. وقد شكلت قبيلة الشبانات في هذا السياق مكونا أساسيا ضمن فرق جيش أهل سوس الذي أنشأه أحمد الأعرج وأخوه محمد الشيخ بعد أن استتب لهم الأمر وتمكنوا من تارودانت التي صارت مقرا لإمارتهم السياسية الناشئة (*Notice sur les Cherarda*, p. 38). ونظرا للدور الوظيفي الذي اضطلع به جيش أهل سوس في سيرورة بناء الدولة السعدية وتثبيت دعائمها في المجال، عمد السعديون منذ ابتداء أمرهم، إلى الاحتماء بفرق هذا الجيش والاستناد إليها في المهام الأمنية والوظائف العسكرية البالغة الحساسية باعتبارها كانت تمثل شوكة الدولة وعصبيتها الأولى بدون منازع. ولهذا السبب تحديدا وزعت وحدات هذا الجيش على شكل أحزمة بشرية بضواحي المدن والمراكز التي كانت تشكل مجالات حيوية لتأمين سلطة الدولة وحماية مصالحها الاستراتيجية.

وتفيد بعض الأدبيات التاريخية أن السعديين لما دخلوا إلى مدينة مراكش وقضوا على الإمارة الهنتاتية عملوا على توطين فرقة من الشبانات بضواحي المدينة ضمن فرق أخرى معقلية استقدموها من سوس تضم أولاد مطاع وأولاد جرار وزرارة (*Les tribus Guichs*, p. 4)، كما قام محمد الشيخ المهدي بخطوة أخرى مماثلة حينما دخل إلى فاس وأجهز على الإمارة الوطاسية حيث وطن في بسيط أزغار مجموعة من الوحدات القبلية المعقلية بهدف مراقبة وتطويق قبائل الخلط

وسفيان التي كانت تشكل فيما سبق الدرع العسكري الداعم للدولة المرينية (Le Haouz, I, 240).

ومنذ أن حلت فرقة الشبانات بحوز مراكش كفرقة جيش في الجهاز العسكري السعدي صارت أعدادها تتزايد بوتيرة مستمرة بفعل الهجرات المتتالية لعناصر القبيلة الأم من مجال استقرارها بسوس، لدرجة أصبح معها الوجود الشباني في منطقة الحوز يمثل تجمعا قبليا صلب القاعدة والوزن. وقد أسهمت وحدات جيش هذا التجمع، من دون شك، في إقرار الأمن وتكريس سلطة المخزن عبر المجال، من خلال المشاركة في الحملات العسكرية والحركات السلطانية التي كانت تنظم بين الفينة والأخرى بحسب مقتضى الحاجة والغاية، فضلا عن دور الجهاد والمراقبة للشواطئ الذي كان يضطلع به قبيل بني عميرة أحد الفروع الشبانية بالسوس الأقصى (Les tribus Guichs, p. 3). ويظهر أن هذه الأدوار قد اكتست طابعا أكثر عضوية وفعالية بعد الإصلاحات والتنظيمات التي استحدثها السلطان أحمد المنصور في الميدان العسكري، حيث صارت قبيلة الشبانات، ومعها قبائل جيش أهل سوس، تؤلف "وحدات عساكر النار" (*مناهل الصفا*، 203) تتوفر على نظام تأطيري خاص بها وتنعم ببعض المرتبات المالية والاقطاعيات لقاء خدماتها المخزنية (Notice sur les Cherarda, p. 38).

ومع وفاة السلطان أحمد المنصور سنة 1603/1012، حذت قبيلة الشبانات حذو باقي قبائل الجيش الأخرى، حيث انخرطت في لجة الصراع الذي انفجر على أوسع نطاق بين الإخوة الأمراء المتنازعين حول ولاية العهد، حيث شايعت الأمير زيدان بعد أن تمكن من السيطرة على مراكش وخاضت ضمن معسكره حروبا تعددت فصولها ومواضعها بتعدد الأطراف المتنازع معها. فقد ناصرته في المواجهات الدامية التي قادها ضد أخيه أبي فارس، وابن أخيه عبد الله بن محمد الشيخ المامون (S.I.H.M., *Angleterre*, T. II, p. 349). كما عضدته أيضا في المنازلات التي جرت بينه وبين الثائر ابن أبي محلي (*وصف الممالك المغربية*، 149، 154، 162، 168). ونظرا للنفوذ المتنامي الذي أضحت تتمتع به قبيلة الشبانات بفعل علاقات الخؤولة التي كانت تجمعها بالأسرة المالكة، ونظرا كذلك لما آل إليه الوضع في المغرب من تصدعات سياسية وانقسامات اجتماعية في ظل تآكل السلطة الشرعية بمراكش خلال النصف الأول من القرن 17، بادر الشبانيون، وفي خطوة غير مسبوقة، إلى اقتحام المعترك السياسي حيث أطاح زعيمهم عبد الكريم الشباني المدعو كروم الحاج بأبي العباس بن محمد الشيخ الأصغر آخر أمير سعدي سنة 1658، وأخذ البيعة لنفسه "فانتظمت له مملكة مراكش ونواحيها" (*نزهة الحادي*، 408) وأعقبه بعد اغتياله ابنه أبو بكر الشباني الذي لم تتجاوز فترة حكمه أربعين يوما. وقد استغرق الوجود السياسي للإمارة الشبانية مدة عشر سنوات (من 1069 إلى 1079) إلى أن أجهز عليها السلطان العلوي المولى الرشيد حيث نكل باتباعها أبشع تنكيل ولاحقهم حيثما اتجهوا أشد ما تكون الملاحقة إلى أن كسر شوكتهم وتمحضوا لسلطته سنة 1669 (*الدر المنتخب*، 5: 337 ؛ *المفاخر العلية*، 205). وعلى إثر هذه الواقعة، اندمجت في جيش المولى الرشيد مجموعة شبانية تقدر بـ6.000 جندي حيث قضت بضواحي مدينة فاس فترة من الزمن ثم عادت أدراجها إلى حوز مراكش بعد أن لم تتصل بالمرتبات والتعهدات الموعودة (*زهر الأكم*، 160). وفي نفس السياق ثار بفاس في ظل عهد السياب قائد شباني آخر يدعى أبو عبد الله الدريدي حيث استقل بحكم فاس الجديد مسنودا من قبل إخوانه عرب أهل سوس إلى أن دخل المولى الرشيد المدينة سنة 1664 فتصدى لحركته ضمن خطة شاملة استهدفت كل الزعامات الأخرى المستقلة ببعض الأحياء.

وبحكم تطلعها الجامح إلى إثبات قوة ذاتها ومناوءة كل من يروم منازعتها هذا المسعى المتجدد، ساندت قوى الكتلة الشبانية سنة 1675 الأمير أحمد بن محرز في ثورته ضد عمه السلطان المولى إسماعيل، حيث شاركت ضمن صفه في عدة مواجهات حاسمة. وقد منح هذا الأمير مساكن لبعض جماعاتها بمدينة مراكش اعترافا لها بخدماتها ومواقفها المنحازة (Histoire de Moulay Er-Rechid, p. 82). ولما تمادت الجموع الشبانية في ممارسة أعمال السطو والجور في حق الأهالي بالحوز محتكمة في ذلك لإرادة الانتزاء والتسلط في غياب أية سلطة رادعة، قام المولى إسماعيل سنة 1079 - 1679 بنقل هذه الجموع برمتها رفقة قبيلة زرارة إلى وجدة و"كتبهم في الديوان وقيد عليهم العياشي بن الزوغر الزراري" (*البستان الظريف*، 163)، وقد أنيطت حاميات هذه القبائل تحديدا بمهمة تضييق الخناق على بني يزناسن المشايعين للأتراك بإيالة الجزائر، ومنعهم من الحرث في بسائط أنكاد (*الروضة السليمانية*، ورقة أ / 61). ومن جهة أخرى، عمل المولى إسماعيل في إطار مشروع تكوين قبائل الجيش على إدماج فرقة من الشبانات كانت قد بقيت بفاس منذ ثورة الدريدي ضمن وحدات جيش الوداية بمدينة مكناس (*Les tribus Guichs*, p. 4).

وفي خضم التطورات الجديدة التي عرفها المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل وما رافقها من تفكك متسارع لبنية النظام العسكري، شرعت فرقة الجيش الشبانية، أسوة بغيرها من المجموعات المعقلية الأخرى، في مغادرة معسكراتها وقلاعها والعودة بشكل جماعي إلى مواطنها الأصلية بالحوز، ملحقة أبلغ الأضرار بكل الممتلكات والتجمعات البشرية التي صادفتها في طريقها (*زهر الأكم*، 248). وعلى الواجهة الجنوبية، تواصلت، في نفس الوقت، هجرة بعض الجماعات الشبانية من وسط القبيلة الأم بسوس. وإذا كانت المصادر التاريخية لا تقدم بعض الإفادات بخصوص مصير قبيلة الشبانات إبان النصف الثاني من القرن 18، فإن ذلك لا يعني البتة، أنها باتت مشلولة الحركة والفعل، بل فقط،

لأن مجال تأثيرها ارتبط، فيما يبدو، بالحدث المحلي داخل محيط الحوز في الأغلب الأعم.

على أن ما طرأ من توتر في العلاقة بين السلطان المولى سليمان وزاوية الشيخ أبي العباس الشرادي جعل الجماعة الشبانية تتصدر مرة أخرى واجهة الأحداث، إذ شاركت إلى جانب إخوانها من طوائف الشراردة كزرارة وأولاد دليم وتكنة وذوي بلال وغيرهم، في المواجهات الدامية التي جرت وقائعها بين المولى سليمان وشيخ الزاوية آنذاك المهدي الشرادي، مما أدى في نهاية المطاف، إلى هزيمة السلطان ونهب محلته التي توزعتها الشراردة شذر مذر كما جاء عند الناصري (*الاستقصا*، 8، 162). لكن لما تجددت وثبة المهدي الشرادي ضد سلطة المخزن، مرة أخرى، قام السلطان المولى عبد الرحمان بتخريب الزاوية الشرادية ومحق أتباعها، كما عمل في نفس الوقت، على ترحيل طوائف الشراردة وضمنهم المجموعة الشبانية سنة 1829 إلى مكناس ثم بعد مضي عام تقريبا، نقلهم إلى بسيط أزغار بالقرب من سيدي قاسم، حيث سجلهم في ديوان الجيش، ليتحولوا، منذ ذلك الحين، من قبائل ناكثة للطاعة، إلى قبائل عاملة في سلك الجندية بانتظام.

ويستفاد من مستندات الوثائق والكنانيش المخزنية لمغرب القرن الثالث عشر (19 م) أن الحضور الشباني في التنظيمات العسكرية والمخزنية للدولة، استمر قائما بدرجات متفاوتة الأهمية وزنا وعددا سواء على مستوى إدالات الجيش من المسخرين أو المخازنية التي كانت تلازم المؤسسة المخزنية باستمرار (*إتحاف*، 3، 554) أو على مستوى تنظيمات قبائل الجيش ممثلة، على وجه التحديد، في مجموعة قبائل الودايا (*Le Haouz*, 1, p. 242-43) أو مجموعة قبائل الشراردة (*Les tribus Guichs*, p. 4).

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 91، 7 : 305 ؛ م. مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*، 82 ؛ ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، 203 ؛ م. الصغير الافراني، *نزهة الحادي*، 408 ؛ م. ابن العياشي، *زهر البستان*، م.خ.ع.د. 2152، 35 ـ 36 ؛ أ. زيد ع. الرحمن الفاسي، *الأقنوم*، خ.ع. 90د، 2، 197 ؛ خ. دي هنين، *وصف الممالك المغربية*، 71، 149، 154، 162، 168 ؛ أ. القاسم الزياني، *البستان الظريف*، 163 ؛ الروضة السليمانية، م. خ. ع. د 1275، ورقة أ/ 61 ؛ ع. الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 160 ؛ م. بن عبد السلام الرباطي، *تاريخ الضعيف الرباطي*، 2، 543 ؛ ع. السلام اللجائي، *المفاخر العلية*، خ. ح. 460، 2، 205 ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، 5، 337 ؛ أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا*، 7، 51 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 3، 146 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 19، 148 ؛ *خلال جزولة*، 4، 98 ؛ ع. الوهاب بنمنصور، *قبائل المغرب*، 1، 427 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود*، 76، 79؛ تـ. برادة، *الجيش المغربي*، 123، 126 ؛ أ. بومزكو، جوانب من تاريخ تزنيت، ندوة تيزنيت وباديتها، 25.

A. Dziubinski, *L'armée et la flotte de guerre marocaines à l'époque des sultans de la dynastie saâdienne*, *H.T.*, vol. XIII, Fasc. Uniq., 1972 ; J. Le Coz, *Le Rharb, Fellahs et Colons, Rabat*, 1964, T. 1 ; *Les tribus guichs au Maroc*, *R.G.M.*, n° 7, 1965, pp. 3-4 ; G. Mouette, *Histoire des conquêtes de Moulay Er-Rechid et de Moulay Ismaïl et description du Maroc*, in *S.I.H.M.*, *Dynastie Filalienne*, France, T. II, pp. 67, 82 ; L. De la Chappelle, *Le Sultan Moulay Ismaïl et les berbères sanhaja du Maroc central*. *A.M.*, vol. XXVII, 1931 ; M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow une lecture du Maroc au 18ème siècle*, Paris, 19836 ; *Moulay Ismaïl et l'armée de métier*, *R.M.C*, T. XIV, avril-juin 1967 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1983, T. 1 ; S. Lieutenant Cornice, *Notice sur les Cherarda*, *A.B.*, vol. 4, Fasc. 1-2, 1919-1920 ; *S.I.H.M.*, *Angleterre*, T. II, p. 349.

الفقيه الإدريسي

**الشباني، أبو بكر** بن عبد الكريم، سليل أسرة ارتبطت وظيفيا بسلك الخدمة العسكرية، إسوة بغيرها من الأسر والعشائر المنحدرة من أصول شبانية معقلية بالحوز المراكشي. كان جده أبو بكر الشباني، شقيق أم الأمير زيدان السعدي، يتولى منصب قائد للجيش في عهد ولاية هذا الأمير. وقد خاض ضمن معسكره حروبا طاحنة ضد كل الأطراف التي نازعته شرعية الملك في مدينة مراكش (*وصف الممالك المغربية*، 149). أقام أبوه القائد عبد الكريم الملقب بكروم الحاج عام 1069 إمارة سياسية على أنقاض السلطة السعدية الآفلة بعد مؤامرة اغتيال ذهب ضحيتها أبو العباس بن محمد الشيخ الأصغر آخر أمير سعدي (*نزهة الحادي*، 374). تولى أبو بكر رئاسة الإمارة الشبانية مباشرة بعد مقتل والده عبد الكريم بطعنة رمح من قبل أحد جنده عام 1079 (*الإعلام*، 8، 180). بيد أنه لم يلبث على كرسي السلطة سوى أربعين يوما حتى داهم السلطان المولى الرشيد مدينة مراكش وأجهز على الإمارة الشبانية بصفة نهائية، دون أن يخلف أبو بكر أثناء هذه المدة الوجيزة أثرا يذكر به أو عملا يحسب له. ويفيد الأسير مويط في هذا الإطار، أن المولى الرشيد لم يجد مقاومة كبيرة من قبل أبي بكر وإخوانه من العصبة الشبانية، حينما هم باقتحام أسوار مدينة مراكش، ويعزى ذلك ـ حسب زعمه ـ إلى أن أبا بكر كان لحظتئذ منشغل العواطف بأخت الأمير أبي العباس التي كانت قد وعدته بالزواج منها، ومن جهة أخرى، أن جنده من الشبانات كانوا أقل انضباطا وعلى درجة كبيرة من التسيب وعدم الانتظام (*Histoire de Moulay Er-Rechid*, p. 34).

ونتيجة لهذا الوضع المختل، لم يجد المولى الرشيد فور زحفه على مراكش أية صعوبة في القبض على القائد أبي بكر وأفراد عشيرته، كما لم يلق في الوقت ذاته، أية مواجهة من قبل سكان المدينة، بحكم ما كانوا يشعرون به من ضجر وسخط عميقين من جراء طبيعة أسلوب مؤسسة الحكم التي كان أبوه عبد الكريم الشباني قد أسند شؤون إدارتها لشخص يهودي غريب عن المجتمع المحلي. ولعل هذا الموقف هو ما يفسر من جهة أخرى، انضمام هؤلاء السكان للمولى الرشيد ومبايعتهم له عند أول ظهور له على مشارف المدينة. وتؤكد معظم الأدبيات التاريخية في هذا السياق، أن المولى الرشيد قام بإعدام أبي بكر وعشيرته بعد أن كان يستعد للفرار إلى الجبال المجاورة بهدف التحصن بها، كما أخرج، في نفس الآن، أباه عبد الكريم من قبره وأحرقه بالنار، وذلك انتقاما

لمقتل الأمير أبي العباس السعدي وترامية على السلطة الشرعية بدون وجه حق، ومن ناحية أخرى، ثأرا لأفراد الأسرة المالكة التي انتهكت حرمتها واستبشعت كرامتها. وحتى يفل شوكة التكتلات الشبانية المتسلطة ويجهز على قواعد تحصنها وتجمعها قام المولى الرشيد بإبادة كل الجماعات الشبانية التي وقفت مدافعة معاندة في وجه جيوشه الحاركة، كما طارد بشدة كل العناصر الأخرى المنهزمة التي لاذت بالفرار إلى القصبة الموجودة بأحد الجبال القريبة من المدينة حيث حكم السيف في رقابها بدون هوادة إلى أن "قتل من أعيانهم نحو أربعة وعشرين رجلا، وعلقهم على أبواب مراكش" (*زهر الأكم*، 139)، واستنزل في المقابل "الفئة الشريدة من الصياصي وأخذهم بالأقدام والنواصي" (*نزهة الحادي*، 428).

وعلى إثر هذه الحملة العسكرية الكاسحة وما أسفرت عنه من نتائج ميدانية، اختفت الإمارة الشبانية - وإلى غير رجعة - من الوجود السياسي، وانتهت معها كلية طموحات الجموع الشبانية الهادفة إلى الاستبداد بالسلطة ضمن كيان سياسي قبلي مستقل بذاته. وقد عمل المولى الرشيد، في محاولة منه لتفكيك روابط اللحمة العصبية بين فصائل التجمع الشباني، ومنع أية محاولة محتملة للتمرد في المستقبل على السلطة الشرعية، على ترحيل بعض الفرق الشبانية إلى جهة المغرب الشرقي، كما ألحق البعض الآخر منها بتنظيمات جيش القبائل ووطنها بالقرب منه بالحاضرة الإدريسية فاس (*Histoire de Moulay Er-Rechid*, pp. 39, 67).

م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي*، 428 ؛ خ. دي هنين، *وصف الممالك المغربية*، 149 ؛ م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، 2، 181 ؛ ع. الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 139 ؛ أ. القاسم الزياني، *الترجمان المعرب*، 3، 717 - 18 (نسخة محققة، كلية الآداب - الرباط) ؛ أ. عبد الله محمد الكنسوسي، *الجيش العرمرم*، 1، 114 ؛ م. بن عبد السلام الرباطي، *تاريخ الضعيف الرباطي*، 1، 148 ؛ أ. ع. الله البزيوي، *تاريخ دول الإسلام*، م. خ. ح. 413، 135 ؛ م. عبد الرحمن بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 3، 52 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، 1، 217، 18.

D. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982, T. II, 723, 24 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1959, p. 460 ; G. Mouette, *Histoire des conquêtes de Moulay Er-Rechid et de Moulay Ismaïl et description du Maroc*, in *S.I.H.M.* ; *Dynastie Filalienne, France*, T. II, pp. 34, 39, 40, 67 ; *S.I.H.M.*, *France*, T. III, p. 579.

**الشباني، عبد الكريم** بن أبي بكر سابق الترجمة، ينتسب إلى قبيلة الشبانات إحدى أبرز المجموعات القبلية المعقلية التي كانت تستقر بمجال السوس الأقصى. كان أبوه قائدا في جيش الأمير زيدان السعدي (*وصف الممالك المغربية*، 149)، اشتهر اسمه على ألسنة العامة بكروم الحاج. بيد أن ذكره في الاستغرافيا المغربية الحديثة ارتبط بكيفية مخصوصة "بالإمارة السياسية" التي أقامها بمدينة مراكش عام 1659/1069 على إثر مؤامرة الاغتيال التي دبرها في حق الأمير أبي العباس أحمد بن محمد الشيخ السعدي، آخر رمز من رموز السلطة الشرعية المتداعية بمملكة مراكش (*Histoire du Maroc*, T. II, p. 280)). وتجمع أغلب النصوص التاريخية في هذا السياق، على أن واقعة الاغتيال هاته، لم تأت عبثا وبمعزل عن أي سبق ترصد أو تخطيط، بل جاءت في واقع الأمر، تجسيدا فعليا لإرادة سياسية تملكت الجماعة الشبانية بصورة غير مسبوقة، في إطار ما آلت إليه السلطة السعدية خلال النصف الأول من القرن 17 من تفكك وانحسار، من جراء تزايد نفوذ الإمارات الجهوية المستقلة، وتفاقم ظاهرة الانقسامات القبلية وتكالب الأطماع الأجنبية على السيادة الوطنية.

ولا غرو، أن إقدام القوى الشبانية على هذه الخطوة السياسية الحاسمة، بجرأة وجسارة، إنما يكشف بعمق عن حجم المكانة الوازنة التي صارت تتمتع بها هذه القوى القبلية في دواليب المخزن السعدي، وذلك بحكم علاقات الخؤولة التي كانت تجمعها بالأسرة المالكة في مملكة مراكش. ومن جهة أخرى، نتيجة لماضيها الراسخ في الخدمة المخزنية، حيث انتظمت فرق الشبانات في سلك تنظيمات قبائل الجيش منذ نشأة الإمارة السعدية بسوس إبان مطلع القرن 16. ومما لا ريب فيه، أن هذه الحيثيات، قد مثلت مجتمعة القاعدة الخلفية التي أسندت طموح الجماعات الشبانية إلى تملك السلطة والانقلاب بدون تردد على أولي نعمتهم، وهو الطموح الذي تحول إلى فعل ملموس، مع بداية النصف الأول من القرن 17، بعد أن استسلمت الشبانية أم الأمير أبي العباس السعدي لإرادة عبد الكريم الشباني "كبير حي الشبانات" منقادة وراء مشاعرها العاطفية، غير عابئة بمصير ابنها ومستقبل عرشه الآيل إلى الأفول. ولعل هذا الأمر، هو ما تشير إليه بعض المدونات الإخبارية، إذ تؤكد في هذا الخصوص، أن السيدة الشبانية "أحبت كروما الحاج حبا شديدا" فكان يتردد عليها في العلن بقصد الضيافة، فترسل إليه العلف وألوان الطعام فتضع أسفل القصع قطع الذهب والفضة وتجعل فوقها ما لذ من أصناف المطعومات، فكان كروم الحاج "يأخذ الذهب والفضة ويترك الطعام لمن حضر معه هنالك حتى طمع... في المملكة لأجل ما حصل بيده من المال" (*الدر المنتخب*، ج. 7، 338).

وبحكم هذه الحظوة البالغة التي نالها كروم الحاج لدى سيدة قصر مراكش نتيجة تعلقها وانجذابها الشديد إليه، فضلا عما شهده، بموازاة ذلك، مسار الحركية القبلية بمجال الحوز المراكشي في هذه الآونة التاريخية بالذات، من اشتداد شوكة الجماعات الشبانية وتطلعها الأكيد إلى فرض وصايتها وهيمنتها على المؤسسة المخزنية (*L'établissement des dynasties*, p. 168)، بادر كروم الحاج وبتواطئ مع السيدة الشبانية إلى تدبير مؤامرة اغتيال الأمير أبي العباس، تحقيقا لمسعاه الحثيث إلى الاستئثار بالسلطة، ومن جهة

أخرى، تلبية لمطلب السيدة الشباتية التي راودته بإلحاح عن نفسه (*تاريخ الضعيف*، 1، 147 ـ 48).

وتكريسا لهذه الإرادة الجماعية الناقمة أحكمت الجموع الشبانية المتوثبة حصارها على مدينة مراكش وأمعنت في مضايقة الأمير أبي العباس لعدة أشهر متوالية، بأشد ما تكون أشكال الحصار والمضايقة (*تاريخ دول الإسلام*، 135). وحيث لم تعد الحالة تزداد إلا استصعابا وتعقيدا، أقنعت السيدة الشبانية ابنها أبا العباس بزيارة أخواله الشبانات حتى يجبر خواطرهم ويزيل ما بأنفسهم ـ وهي في ذلك إنما تريد الإيقاع به ليس غير ـ فما كان منه، خوفا من سوء العاقبة، إلا أن امتثل لأمرها، فبعثت لكروم الحاج تخبره بذلك، وهكذا خرج أبو العباس قاصدا أخواله فاستقبله في منعطف الطريق القائد عبد الكريم بالترحيب والاكرام في موضع خال بوادي النفيس يعرف "بالمراح الواسع تحت زيتونة... وأمره أن ينزل على فرسه وكان تلقاه بالطعام فلما نزل وجلس بالأرض قتله غدرا" (*تاريخ الضعيف*، 1، 147). وبتنفيذ مؤامرة الاغتيال الخسيسة هاته، في حق الأمير أبي العباس سنة 1659، انتهت وإلى غير رجعة دولة الأشراف السعديين.

وعلى إثر هذه الحادثة المروعة، دخل عبد الكريم الشباني إلى مراكش خلسة من دون أن يطلع أحدا على فعلته، وسار حتى وصل إلى قصر الإمارة فأدخلته أم أبي العباس جهارا "وفرق الأموال وأعطى ما لا حد له ولا قرار" (*الدر المنتخب*، 5، 338)، وبذلك تحققت اللحظة الموعودة التي طالما انتظرتها السيدة الشبانية بشغف شديد، حيث تزوجها القائد عبد الكريم الشباني ودعا الناس في المقابل لبيعته، وأجبرهم على الانقياد لطاعته، وبحكم ما أظهره من شدة وحزم "انتظمت له مملكة مراكش ونواحيها" (*نزهة الحادي*، 408). ولدعم نفوذ إمارته على الصعيد الجهوي، لم يتورع عبد الكريم الشباني في هذا السياق عن توجيه حملة عسكرية ضد "آسفي وأعمالها" بهدف إلزامها على الاعتراف بشرعية سلطته وتقديم فروض البيعة له، غير أن هذه الحملة منيت بفشل ذريع (*الإعلام*، 8، 180).

أما فيما يرجع لطبيعة التوجه الذي نهجه في مجال إدارة الشؤون العامة، فقد اختلفت الرؤى والأحكام بشأنه في المتن الاستغرافي، تقييما وانطباعا، ففي الوقت الذي يؤكد فيه الافراني على طابع "السيرة الحميدة" بوصفه الخاصية الأساس التي ميزت ذلك التوجه، يقر الأسير مويط، عكس ذلك، إذ يشير إلى أن نهج إدارة عبد الكريم كان مصدر استياء وامتعاض شديدين من قبل كل الأهالي بمدينة مراكش، لأنه أوكل مهام الحكم في إدراته لشخص يهودي (*Histoire de Moulay Er-Rechid*, p. 4). على أن أبرز حدث شهده عهد عبد الكريم الشباني، وتلازم معه في الخطاب المصدري تلازم علة بمعلول، هو حدث القحط المفرط الذي اجتاح البلاد عام 1070، إذ خلف آثارا بالغة الخطورة على حياة الناس أفرادا وجماعات، بسبب ما نتج عنه من ارتفاع مهول في الأسعار وانتشار مفجع للمجاعات، لدرجة اضطر معها الناس إلى "أكل الجيف" (*نزهة الحادي*، 408 ؛ *المفاخر العلية*، 205).

وبالرغم من اغتصابه للسلطة الشرعية، فقد تمكن القائد عبد الكريم الشباني استنادا إلى عصبية بني جلدته ممثلة في التجمعات القبلية الشبانية، الاستمرار في حكم إمارته مدة تنيف عن عشر سنوات (1069/1079) إلى أن قتله أحد جنوده سنة 1668 (*الإعلام*، 8، 180)، ثم خلفه ابنه أبو بكر من بعده في زعامة الإمارة الشبانية، إلى أن قضى عليها كلية السلطان العلوي المولى الرشيد في إطار خطة عسكرية شاملة استهدفت كل الإمارات الجهوية المستقلة، وقام في هذا الاتجاه كذلك بإخراج القائد عبد الكريم من قبره وأحرقه بالنار جزاء ما اقترفه من بشيع الأفعال يوم دخوله قصر المملكة بمراكش حيث "فتك بالأبكار الشريفة بنات مولاي العباس وأخواته وغيرهن" (*تاريخ الضعيف*، 1، 148)، كما طارد بدون هوادة الجموع الشبانية حيثما اتجهت إلى أن كاد أن يفني جمعها قتلا وتشريدا.

م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي*، 75.374، 408 ؛ خ. دي هنين، *وصف الممالك المغربية*، 149 ؛ *ظهائر سعدية وعلوية*، ميكروفيلم، 23، خ. ع؛ م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، 2، 175 ؛ *التقاط الدرر*، 176 ـ 77 ؛ أ. القاسم الزياني، *البستان الظريف*، 119 ؛ م. ابن عبد السلام الرباطي، *تاريخ الضعيف الرباطي*، 147 ـ 148 ؛ أ. ع. الله البزيوي، *تاريخ دول الإسلام*، مخطوط خ. ح. 413، 135 ؛ ع. السلام اللجائي، *المفاخر العلية*، خ. ج. 460، 2، 205 ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، 5، 337 ـ 39 ك أ، بن محمد الرهوني، *عمدة الراوين*، 1، 272 (نسخة محققة مرقونة بكلية الآداب ـ الرباط) ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8، 180، 81 ؛ م. الكانوني، *آسفي وما إليه*، 38 ؛ إ. حركات، السياسة والمجتمع، 101 ـ 102.

A. Cour, *L'établissement des dynasties des chérifs au Maroc*. Paris, 1904, p. 168 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*. Casablanca, 1950, T. II, 208 ; G. Mouette, *Histoire des conquêtes de Moulay Er-Rechid et Moulay Ismaïl et description du Maroc*, in *S.I.H.M.* ; *Dynastie Filalienne, France*, T. II, pp. 34 - 36 ; *S.I.H.M., Angleterre*, T. I, p. VII.

الفقيه الإدريسي

**الشباني، عبد الله** بن علال، مقاوم ولد حوالي سنة 1343 / 1925 بدرب الاسبان بالبيضاء من أبويه علال بن المعطي وحادة بنت بوعبيد. كان منتميا لفرقة فدائية بالدار البيضاء صحبة المهدي الهرموشي، ولم يكتف بالعمل بالدار البيضاء بل امتد إلى مدن أخرى. خصوصا وأنه كان صانعا للقنابل اليدوية التي كان يوزعها على قصبة تادلة، وبني ملال ووادي زم. كما كان يقوم بأعمال مسلحة أخرى كوضع قنبلة في كنيسة بقصبة تادلة وتنفيذ عملية المسبح بتاريخ 14 يوليوز 1955، وواصل عمله بكل شجاعة ووطنية إلى أن أوشي به فألقي عليه القبض حيث مات تحت تأثير التعذيب بتاريخ 5 صفر عام 1375 / 23 شتنبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 513740.

**الشباني، عبد المالك** بن مَحمد بن الطالب المراكشي، من الشبانيين الشرفاء الحسنيين، ولد بمراكش عام 1346/ 1928 وبها دَرَس في جامعة ابن يوسف إلى أن تخرج منها بشهادة العالمية من شعبة الآداب.

درّس في التعليم الابتدائي وثانوية محمد الخامس بمراكش، ثم نجح في مباراة مفتشي التعليم الابتدائي سنة 1376 / 1956 فأصبح مفتشاً جهوياً للتعليم الابتدائي في مراكش وأقاليم الجنوب. وفي السنة التالية انتقل إلى الرباط للعمل داخل وزارة التعليم حيث أسندت إليه مهمة رئيس تحرير *مجلة التربية الوطنية* فعمل فيها بجدية وكفاية طوال ثلاث سنوات (1379 ـ 1381 / 1959 ـ 1961). كان مكتمل الثقافة طيب الأخلاق آتاه الله بسطة في المرح والذكاء الاجتماعي، وبفضله تميزت *مجلة التربية الوطنية* بحسن إخراج وصدور منتظم وتنوع في الموضوعات الشيقة المفيدة. ولو أنه لم يكن يوقع أغلب ما ينشر من بحوث ومقالات، ويكتفي أحياناً بالتوقيع باسم مستعار. وفي عام 1381 / 1962 توجه إلى لبنان ضمن بعثة من موظفي وزارة التعليم والفنون الجميلة حيث مكث سنة في التدريب بمركز تكوين الأطر التربوية العليا التابع لجامعة الدول العربية. وبعد رجوعه إلى الرباط أسندت إليه مهام تربوية داخل الوزارة، قبل أن يعين ملحقاً ثقافياً سنة 1397 / 1977 بسفارة المغرب بنواكشوط حيث مكث ثلاث سنوات، وبعد ذلك أسندت إليه مهمات في المصالح المركزية بوزارة الخارجية ووزارة الإعلام وعمادة جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء إلى أن أحيل على المعاش.

توفي بمراكش مساء يوم الأحد فاتح محرم عام 1317 / 19 ماي 1996. وأقيمت له ذكرى الأربعين بمراكش شارك فيها بكلمات وقصائد ثلة من أصدقائه ومحبيه نشرت في كتاب.

جماعة من الكتاب، *مولاي عبد الملك الشباني في ذكراه الأربعين*، مراكش، 1997 ؛ *معرفة شخصية*.

محمد حجي

**الشب** أو حجر الشب (Alun)، معدن يتكون من ثاني كبريت البوتاسيوم والألومينيوم المتموه، $K_2SO_4Al_2(SO_4)_3\ 24H_2O$ ؛ نظامه البلوري معيني، على شكل مجموعات أعراف ذات قواعد موشورية سداسية؛ صلابته 3,5 ـ 4 ؛ كثافته 2,65 ؛ لونه أبيض، أربد وأحيانا ضارب إلى الحمرة؛ انكساراته غير متساوية، وانفصاماته بارزة.

عند وضع مادة الشب داخل أنبوب مغلق، فإنها تهرم عندما يصبح لونها مائلا إلى الأحمر الداكن، وتفرز بعدها ماء حامضا. أما عند تسخين حجر الشب مجتمعا إلى نيترات الكوبالت فيصير الباقي منقعا، ويصبح لونه أزرق ويذوب عند اختلاطه مع الحامض الكبريتي.

من بين كل أنواع الشب، يعتبر شب البوتاس وشب الصودا، أهم مادة صناعية تستعمل في الصباغة كقارض وكمعالج للجلد. إلا أن أهمية الشب أصبحت تضمحل، وذلك لمنافسة سلفات الالومينيوم له. ومن خاصيات هذا المعدن، أن ذوبانه يزداد مع ازدياد الحرارة :

| حرارة °C | ذوبان الشب g/l |
| --- | --- |
| 0 | 29,5 |
| 30 | 84 |
| 100 | 1540 |

ويصعب ذوبانه إذا ما اختلط مع الكحول. أما إذا ما بردنا مادة الشب الذائبة في المحلول التي تبلورت فيه، فإنها تصبح كتلة زجاجية أطلق عليها اسم "شب الصخر". وعند تسخين هذه الأخيرة إلى درجة 100°C، فإنها تجفف رويداً رويداً؛ وحين وصول الحرارة إلى حوالي 200°C فإنها تصبح كاملة الجفاف، والمادة الباقية تظهر على حالة مضرعة.

إن شب الألومينيوم وشب الحديد عرفا منذ القديم، بحيث كانت صناعة الشب مصدراً للربح الكثير في تركيا التي كانت تصدرها إلى العديد من البلدان. بعدها تبوأت إيطاليا صدارة مصدري هذه المادة. ونشير أنه، وحتى منتصف القرن التاسع عشر، كانت أهم المنابع الطبيعية لاستخلاص هذه المادة:

1 ـ "حجر الشب" نفسه، المكون من ثاني كبريت البوتاسيوم والألومينيوم القلوي، ذات البنية البلورية الآتية : $K\ Al_3\ (SO_4)_2\ (OH)_6$

ويعتبر حجر الشب من أهم معادن البوتاسيوم والألومينيوم.

2 ـ توضّعات "النضيد البيريتي"، والتي كانت تحرق حتى حرارة 500°C، لكي لا تفقد الأنهيدريت الكبريتي. وعند وضع المتبقي في الماء، ينحل هذا الأخير، بحيث نلاحظ ترسيب جزء مهم من الألومينيوم الزائد؛ أما المحلول القلوي المتبخر فيعطينا ما يسمى "بشب روما" الظاهر على شكل مكعبات صغيرة.

يستعمل الشب في مجالات عديدة نذكر منها:

ـ صناعة الصباغة، حيث يعطي الألومينيوم المتموه المختلط مع العديد من الألوان، مادة اللَّك المثبت. وتستعمل هذه الخاصية في تقنيات التشبع بالقوارض. فمثلا، إذا ما أشبعنا ألياف الصوف بمحلول الشب الساخن المتموه، فإننا نتسبب في ترسب الألومينيوم داخل نسيج الصوف، مما يثبت الصباغة غاية التثبيت. أما إذا أردنا أن نحصل على نفس النتيجة بالنسبة لمادة القطن، فلا بد لنا من إضافة المحلول القلوي للصودا، والنتيجة في كلا الحالتين، هي الحصول على ألوان تمتاز بشدة مقاومتها أثناء عملية التنظيف، وعند تعرضها لشدة الضوء، وقوة صمودها لعملية التآكل.

ـ صقل وتَغْرية الورق، قصد سد المسام بتوضعات راتنج الألومنيوم.

ـ ميدان الدباغة، حيث يلعب الألومينيوم دور المثبت كما هو الشأن بالنسبة للصوف.

نجد مادة الشب في المغرب على شكل استدلالات جد نادرة في المناطق الآتية:

ـ نَجْد رأس الطرف (منطقة الريف) مجتمعة إلى الصخور البركانية المنسوبة إلى النيوجين (الزمن الثالث).

ـ إسْكْ نْودادَنْ (الخريطة الجيولوجية لمسيسي بمقياس 1/100.000).

ـ إستوالين (الخريطة الجيولوجية لگوليمة بمقياس 1/100.000).

عبد الله بوصحابة

* * تزايدت الحاجة إلى الشب بالمغرب وبلاد الإسلام عامة وأوربا في العصر الوسيط لاستخدامه في عدة صناعات هي: صياغة الذهب والفضة، وصباغة المنسوجات، والصيدلة. ولأن المناجم المعروفة منه كانت قليلة، فلا غرابة في إبعاد الرفاق الرحلة في طلبه من آفاق بعيدة. فمصادره المعروفة وقتئذ أرض الشحر من بلاد اليمن، (*عجائب المخلوقات*، 225) وبلاد الواحات بمصر، وأشهر مناجمه هناك منجم فرفرون الذي كان يحمل منه ألف قنطار في كل سنة إلى القاهرة، (*الخطط*، 1 : 417 و*صبح الأعشى*، 3 : 284 و455 و*كتاب الجغرافيا*، 128 ؛ و*نخبة الدهر*، 80). والصحراء الوسطى ببلاد المغرب ما بين تادمكة وغدامس، ومنها كان يحمل إلى مختلف مناطق بلاد المغرب وأوربا (*المسالك*، 2/ف 1476). أما ما كان يعرف بالشب الذفر فكان يجلب من بلاد الروم (*نخبة الدهر*، 80).

استخدم الشب الأبيض في تثبيت الصباغة على الثياب، لأن الصباغين إذا جعلوا الثوب في الشب الأبيض ثم جعلوه بعد ذلك في الصبغ، فإن الصبغ لا يفارقه (*عجائب المخلوقات*، 225). لكن أكثر الصناع حاجة إلى الشب بنوعيه الأبيض والأزرق هم الصاغة والعاملون بضرب الفضة والذهب من أهل الكيمياء بدور السكة (*كنز العطار*، 26 أ). ذلك أن الشب الأبيض كان يستخدم في صياغة الفضة، أما الشب الأزرق فكان يستخدم في صياغة الذهب (*كنز العطار*، 25 ب و26 أ). قال في قوانين الدواوين: "ويحتاج إليه في أشياء كثيرة، أهمها صبغ الأحمر، وللروم فيه من الرغبة بمقدار ما يجدون من الفائدة، وهو عندهم مما لابد منه ولا مندوحة عنه" (*صبح الأعشى*، 3 : 455).

ذكر البكري في القرن الخامس (11 م) أن التجار كانوا يتحملون مشاق السفر في المجابة التي يمر عبرها الطريق الرابط بين تادمكة وغدامس من أجل التزود بحجارة تاسي النسمت في الذهاب إلى بلاد السودان والتزود بالشب في طريق العودة منها، لأن معدن الشب لا يحمل إلا من تلك الصحراء إلى جميع البلاد (*المسالك*، 2 : 882)، لكننا لا نعرف مكان هذا المنجم اليوم.

وذكر الحميري في معرض حديثه عن انكلاس وهي أكبر بلاد كوار قطرا، أن بها الشب الخالص المتناهي في الطيب، وأن هذا الشب الذي يكون في بلد كوار بالغ في نهاية الجودة، ويتجهز به في كل سنة إلى سائر البلاد بما لا يحصى كثرة (*الروض المعطار*، 39). ولعل المقصود بمنجم انكلاس هو ما يعرف اليوم بمنجم قلالة القريب من بيلمة (*Tableau géographique*, 335). وقد عرف هذا النوع من الشب في بعض المصادر باسم الشب الكواري (*وصف إفريقيا الشمالية*، 24).

أما بخصوص استخدام الشب في مختلف الأغراض الصيدلية والعلاجية والعطرية، فنتوفر على معلومات لا بأس بها في كتب الطب والصيدلة والعطارة، لأن الشب استخدم في هذه الصناعات على نطاق واسع. والأنواع التي أستعملت منه فيها ثلاثة هي: المشقق والمستدير الذي يسمى في بعض كتب الطب بالمدحرج، والرطب. والأول أجودها، ويضاهيه في الجودة ما كان أبيض شديد البياض، ظاهر الحموضة، قابض على اللسان. وبهذين الخاصيتين يعرف المغشوش من الجيد من الشب. وأما المستدير فينبغي أن يكون تدويره طبعا لا مصنوعا، سريع التفتت. وأما الرطب، فتفوح منه رائحة، ويختار منه ما كان لينا متساوي الأجزاء في الرطوبة والميعان (*ما لا يسع الطبيب جهله*، 185 أ).

استخدم الشب في القرن الخامس (11 م) في الأكحال لقلع اللحم الزائد في العين والأجفان وإزالة الظفرة (*الأدوية المفردة*، 57 ب). وفي القرن الثامن (14 م) كان يخلط بورق الكرم والعسل ويطلي للجرح المتقرح، كما كان يخلط بالماء ويصب على مكان الحكة والآثار البيض في الأظافر فينفع، وكان يعجن بالشمع ويجعل على الداحس فيزيله، وكان يخلط جزء منه بجزء من الملح فينفع القروح الخبيثة ويمنعها من الانتشار، وكان يذاب بالماء ويحشى به الشعر فيقتل القمل. أما ماؤه فينفع من حرق النار ويقطع رائحة الإبط لطوخا. أما إذا جعل في صوفة، وجعل في فم الرحم قبل الجماع فإنه ينشفه، ويمنع من الحبل، وإذا دووم عليه أخرج

الجنين، وهو نافع لورم اللثة، واللهاة، والنغانغ، والفم درورا، وغرغرة، وطلاء من الخارج، وإذا مسك على السن المتخلخلة أمسكها وشدها (*ما لا يسع الطبيب جهله*، 185 أ و185 ب) كما كان يستعمل أيضاً في علاج القلاع (*الاكتفا*، 35 أ و35 ب). واستخدم على نطاق واسع في علاج أمراض المعدة من جميع أنواع العلل الحارة والباردة والرطبة واليابسة التي تعتريها (*الإيضاح في أسرار النبات*، 72). واستخدم أيضاً في قطع نزيف الدم، وتجفيف القروح المتآكلة (*عجائب المخلوقات*، 225). ومعلوم أن من أشهر خواص الشب أنه إذا طرح في الماء الكدر والنبيد الكدر صفاه وروقه (نخبة الدهر، 80).

ابن أبي الصلت أمية بن عبد العزيز، *الأدوية المفردة*، مخطوط، خ.ح. رقم، 1716 ؛ أ. البكري، *المسالك والممالك*، تح. أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس، ج 2 : 1992 ؛ ش. الإدريسي، *وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية*، نشر هنري بيريس، الجزائر، 1957 ؛ القزويني، *عجائب المخلوقات*، بيروت، 1973 ؛ المقريزي، *الخطط*، ج 1، بيروت، 1959 ؛ ابن كبير يوسف الخوبي الكتبي، *ما لا يسع الطبيب جهله*، مخطوط، خ. ح. رقم، 2628 ؛ الغزفي محمد بن يحيى، *الاكتفا في طلب الشفا*، مخطوط، خ. ح. رقم، 1044 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1984 ؛ شيخ الربوة، *نخبة الدهر في عجائب البر والبحر*، بطرسبورغ، 1923 ؛ الشيداني عبد الرحيم بن نصير، *الإيضاح في أسرار النبات*، مخطوط، خ. ح. رقم، 6838 ؛ مجهول، *كنز العطار*، مخطوط، خ. ح. رقم، 1716.

Godinho, *L'économie de l'empire portugais. XV - XVI siècles*, Paris, 1930; R. Mauny, *Tableau géographique de l'Ouest africain au Moyen Age*, Dakar, 1961.

حسن حافظي العلوي

**الشبوط** (سمك)، والسبوط والمبروك كما هو في بعض المعاجم وكما ينطق به في الشرق العربي والكارب ـ المعرب من الفرنسية والانجليزية Carpe ـ كما هو في الدارج بالأقطار المغاربية، تطلق على ثلاثة أنواع من السمك تألف الوديان وبحيرات المياه العذبة القارية. أدخلت هذه الأنواع إلى المغرب وتأقلمت بكيفية ناجحة في كل الأوساط المائية القارية المغربية. تصنف علميا إلى الأسماك العظمية شعاعيات الزعانف من رتبة مفتوحات المثانة Cypriniformes ومن فصيلة الشبوطيات أو الشبابيط Cyprinidae.

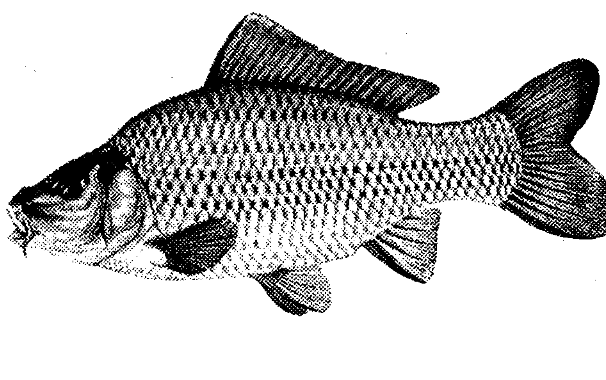

* الشبوط العادي سيبرينوس كاربيو Cyprinus carpio يسمى بالفرنسية Carpe commune وبالإنجليزية Common carp. موطنه الأصل الأودية والبحيرات القارية الأسيوية. تحكم الإنسان في استزراعه وتربيته منذ قرون سابقة للرومان والإغريق وقد طور الصينيون واليابانيون استزراعه وتمكنوا من فرز عدة ضروب وسلالات مختلفة الألوان ـ حمراء مذهبة، بيضاء، سوداء، مزركشة ـ تستعمل لتزيين الأحواض السمكية المنزلية وأحواض الحدائق والنافورات.

يرجع تاريخ إدخاله إلى المغرب إلى سنة 1936 بواسطة محطة تربية الأسماك بآزرو وذلك لتعزيز وتقوية الصيد الرياضي والتقليدي في بحيرات السدود والبحيرات الطبيعية الأطلسية. تأقلم الشبوط العادي في البحيرات المغربية بكيفية ناجحة، يفضل البحيرات والوديان الضعيفة الجريان والغنية بالوحل والأعشاب المائية.

الشبوط سمك دقيق الذنب عريض الوسط لين الزعانف صغير الرأس. الظهر بني داكن والجوانب فضية والبطن أبيض فاتح. يحمل الفك السفلي زائدتين لحميتين طويلتين وزائدتين قصيرتين (لحية صغيرة لينة). يحمل الخط الجانبي 33 ـ 40 حرشفة دائرية كبيرة. يبلغ طوله الأقصى مترا، والوزن الأقصى 30 كيلوغراما، الزعنفتان الظهرية والشرجية متقابلتان على مؤخرة الجذع ومتقايستان. الجسم مغطى بحراشف دائرية كبيرة، الفكان قويان يحملان أسنانا مستدقة الرأس وعديدة.

سريع النمو في المياه المغربية ويصير بالغا بعد 3 ـ 5 سنوات ويعمر حوالي 20 سنة. يفضل العيش في المياه التي تتراوح حرارتها بين 20 ـ 27 درجة. يتوالد في المغرب بكيفية طبيعية من يونيو إلى يوليوز بين النباتات المائية الكثيفة. يرتبط عدد البيض بالقامة والوزن ويقدر بحوالي 100.000 بيضة في الكيلوغرام الواحد. يبلغ قطر البيض 1 ـ 1.6 ملم. تخرج الصغار من البيض بعد 3 ـ 8 أيام بطول لا يتعدى 9 ملم.

سمك قارت يتغذى من براعم وأوراق مختلف النباتات المائية ومن الديدان والحشرات والقشريات المائية الصغيرة. يصاد بالصنارة المطعمة بالذرة والبطاطس والفول والديدان وبالشباك وهو سمك سريع وقوي يقبل عليه الصيادون كثيرا.

* الشبوط العاشب Ctenopharyngodon idella يسمى بالفرنسية Carpe herbivore وأمور أبيض Amour Blanc نسبة إلى نهر أمور بشمال الصين وبالإنجليزية Grass carp. الجسم طويل ونحيل يبلغ أحيانا 120 سم وشائع بين 40 ـ 60 سم، الحراشف دائرية وعريضة. موطنه الأصل الأنهار الصينية السريعة الجريان: نهر أمور ونهر يانك تسي. يتميز هذا النوع بنمط عيشي عاشب في استطاعته أن يأكل كمية من النباتات المائية تعادل 120 ـ 150٪ من وزنه في كل يوم وبهذا يلعب دورا هاما في محاربة ظاهرة التخاصب التي تهدد الأنظمة المائية القارية. يقتات من الطحالب المجهرية

والكبيرة وخاصة منها طحالب كاروفيتا Charophyta التي تكون مجموعات مكثفة وقصيرة يصعب قطعها بواسطة آلة تنقية الأحواض من النباتات (Faucardeur). يألف المياه المرتفعة الحرارة (18 ـ 27 درجة) ويمتنع عن الأكل تحت حرارة تقل عن 14 درجة. تم إدخاله من آسيا إلى أوربا في بداية السبعينيات الأخيرة ثم إلى المغرب سنة 1983 لمحاربة ظاهرة التخاصب في سد سيدي محمد بن عبد الله وبعد ذلك تم استزراعها في السدود الأخرى كسد المسيرة والقنصرة وبين الويدان وفي قنوات الري بحوض اللكوس بالعرائش وقنوات الري بحوض أم الربيع بدكالة وحوض سوس ماسة بضواحي أگادير.

تأقلم هذا النوع في المغرب بكيفية ناجحة إلا أنه لا يتوالد إلا عن طريق ولادة اصطناعية تحكم فيها المختصون في المركز الوطني لتربية الأسماك بأزرو وطوروها لتزويد مختلف الأنهار والسدود بالبلاعيط التي تربى في أحواض خاصة. كانت أول محاولة للولادة الاصطناعية سنة 1990 بمحطة الدورة قرب بني ملال، تمت عن طريق حقن هرمون الغدة النخامية في بطن الإناث والذكور البالغين. يستخرج هذا الهرمون من الغدة النخامية لنفس النوع أو لسمك قريب النسب في التصنيف العلمي. يلعب هذا الهرمون دورا فعالا في تنشيط وحث النضج الجنسي في آن واحد عند الجنسين. يستورد هذا الهرمون على شكل مسحوق يتم حقنه بواسطة جرعة مضبوطة ترتبط بقامة ووزن الذكور والإناث المختارين لإجراء عملية التلقيح. تحك جوانب بطن الذكور والإناث بعد حوالي 48 ساعة من عملية الحقن ويخلط روال الذكور بالبويضات ليتم التلقيح تحت حرارة مائية تقارب 20°C. تعرف محطة الدورة حاليا نشاطا كبيرا في التوليد الاصطناعي واستزراع الشبوط العاشب والشبوط آكل النباتات المجهرية بعد أن كان النوعان يستوردان من الخارج.

* الشبوط الفضي Hypophtalmychthys molitrix يسمى بالفرنسية Carpe argentée وأمور فضي Amour argenté بالإنجليزية Silver carp. الجسم طويل ونحيل يبلغ أحيانا 100 سم وشائع بين 40 ـ 60 سم، الحراشف دائرية وصغيرة فضية اللمعان. موطنه الأصل البحيرات والأنهار الصينية. يتميز بأكله للنباتات المجهرية الدقيقة وبهذا يلعب دورا هاما في محاربة ظاهرة التخاصب التي تهدد أنظمة مياه البحيرات القارية. تم إدخاله من آسيا إلى أوربا في بداية السبعينيات الأخيرة ثم إلى المغرب سنة 1983 لمحاربة التخاصب في سد سيدي محمد بن عبد الله وبعد نجاح تأقلمه والتمكن من توليده عن طريق الولادة الاصطناعية تم توزيعه على السدود الكبرى.

م. رمضاني، *سمك التروتة بالمغرب*، *معلمة المغرب*، جزء 7، ص. 2341 ـ 2342 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932 .

A. Zraouti, *Etude hydrobiologique et socio-économique des principaux plans d'eau à truite du Moyen Atlas*, Mémoire fin d'étude, ENFI, Salé, 1993 ; P. S. Maitland, *Les poissons des lacs et des rivières d'Europe*, Paris, 1977 ; B. J Muus et P. Dahlström, *Guide des poissons d'eau douce et pêche*, Paris, 1973.

محمد رمضاني

**الشبلي**، أسرة تطوانية ومكناسية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان. منهم أحمد الشبلي، فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنتي 1194 و1195.

**الشبلي، أحمد** بن **عبد المالك**، قائد وقع مع النائب السلطاني في الشؤون الخارجية السيد محمد الخطيب معاهدة الصلح بين المغرب وإسبانيا يوم 5 شوال 1276 (26 أبريل 1860).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1430.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشبلي، أحمد** (مولاي ـ) من أولياء مكناس المشهورين الذين يحج إليهم الناس للتبرك والدعاء.

تحليه الوثائق الحبسية بالشريف الحسني، وهو نسب يؤكد ما هو منقوش في جبص بدائرة مسجد ضريحه.

لا يعرف عنه سوى ما ذكره وأنه ولي صالح، والدعاء في ضريحه مستجاب وكما ورد عند ابن زيدان (*الإتحاف*، 1، ص. 303) : "لم أقف على من تعرض لترجمته ولا على من له أدنى معرفة بشيء من حاله".

ونظراً لما كان يوليه السلطان المولى إسماعيل من تقديس واحترام وتقدير للأولياء والصالحين فإنه بنى عدة أضرحة لأولياء عاصمته (*أوقاف مكناس*، 1 : 229 ـ 231) من بينها ضريح ومسجد مولاي أحمد الشبلي، يشهد بذلك نقش بأعلى القوس يسار الذاهب للضريح.

وهذا ينفي ما قيل من أن السيدة حبيبة بنت الطاهر بادو هي التي بنت ضريح الولي المذكور ومسجده من مالها الخاص لرؤيا رأتها وقد كانت كفيفة البصر فرد الله عليها بصرها، وهذا إن صح يُحمل على مزيد من التجديد والتنميق فقط.

وكان لهذا الولي: أوقاف داخل مدينة مكناس وخارجها حبست عليه من قبل المولى إسماعيل ومن قبل محبيه.

ع. الرحمان ان زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 169 ـ 303 ؛ م. المنوني، *وثائق ونصوص*، ص. 51 ؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس*، ص. 229 ؛ *حوالة أحباس صغرى مكناس*، 4، ص. 126.

رقية بلمقدم

**الشبلي الموسيقي**، لا يعرف اسمه، من أعلام الموسيقى الأندلسية بالمغرب في القرن الثاني عشر (18 م). ظهر بمكناس، وكان مقصد طلاب الموسيقى يأخذون عنه أصولها وقواعدها.

وقد عرض لذكره المؤرخ التطواني عبد السلام السكيرج في نزهة الاخوان، فأفاد أن المهدي بن طاهر الفاسي التطواني المتوفي عام 1764/1178 تتلمذ عليه في علم الموسيقى الأندلسية، فأتقن طبوعها الأربعة والعشرين، وأجاد العزف على الرباب والعود.

م. داود، *تاريخ تطوان*، ج. 3، ص. 69 ؛ م. المنوني، *مجلة البحث العلمي*، ع. 14 و15، السنة السادسة، 1969 ص. 161.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الشَّبَنْيالُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل إسم Espanyol وEspañol ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1006 (1598).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1421.

محمد ابن عزوز حكيم

**شبوكة** (واد -)، يحد حوض واد شبوكة شمالا بنهر أم الربيع وجنوبا بواد سرو. ويصرف كل المنطقة الجنوبية لهضبة اجدير ومجمل هضبة سرو، يأخذ منبعه من ضاية ميامي، جنوب غرب جبل إغود (1954 م) بهضبة اجدير.

يعتبر واد شبوكة من أهم روافد واد سرو، ويتميز بحوض شبه طولي ذي اتجاه عام شرق - غرب، يصل مؤشر تراصه (k) إلى 1,23. ومن أهم روافده نجد، في الضفة اليمنى، واد ماريغ (ماريغ كلمة أمازيغية تعني مالح) المنحدر من منطقة بومزيل والذي يلتقي سافلة مركز جنان اماس بواد نيسان الذي يتغذى من مجموعة من العيون الكارستية العذبة (عيون جنان اماس). وأخيرا أسيف ناروكو الذي يصرف المنطقة الغربية لهضبة اجدير (منطقتا اسول والمعراض 1407 م). أما روافد الضفة اليسرى فتتمثل في واد لحلو وواد ثوشنيط شمال مركز لهري.

تتكون صخور حوض واد شبوكة من صخور طينية ملحية ترياسية غير نافذة، تنتشر أساسا في المنخفضات، ومن صخور كاربوناتية، كلسية دوليميتسة لياسية، تشكل المستويات العليا لهضبتي سرو واجدير. ويتميز هذا المجال بشدة التقطع بحيث ساهمت كل من البنائية (انكسارات ش 15 وش 90) والمواد الترسالية الهشة بتدخل فعال للتعرية.

يتلقى هذا الحوض تساقطات مهمة تتعدى 900 ملم في السنة (Martin, 1981)، تتساقط على شكل ثلوج فوق المرتفعات التي يفوق ارتفاعها 1800 م. ويندرج هذا الحوض من الناحية البيومناخية ضمن نطاقين: نطاق شبه رطب في الواجهة الغربية ونطاق رطب ويوافق المناطق التي يتعدى ارتفاعها 1800 م. يتميز بغطاء نباتي منفتح ومتدهور على شكل ماطورال يتكون أساسا من العرعار الأحمر والمجنح والخروب وينتشر في المنخفضات وفي السفوح الجنوبية الشرقية الجافة، في حين تتطور غابة حقيقية تتشكل أساسا من الأرز والبلوط الأخضر في المستويات العليا لهضبتي أجدير وسرو.

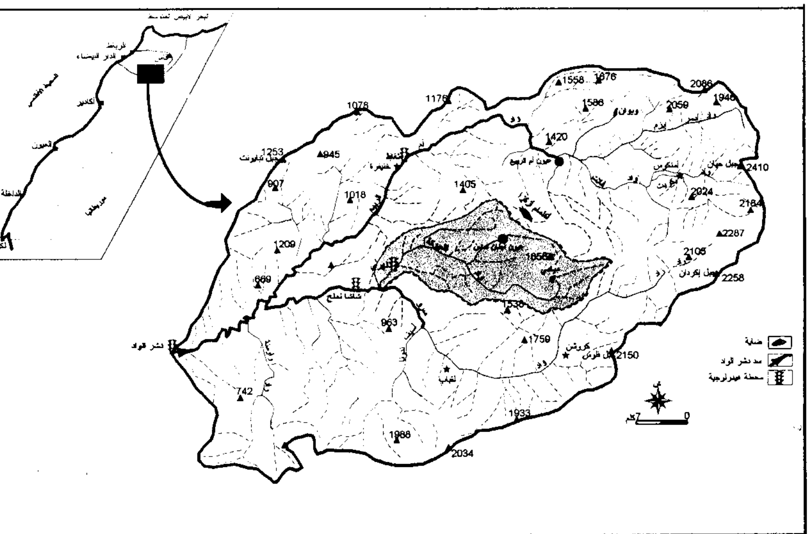

النظام الهيدرولوجي: يعرف واد سرو نظاما هيدرلوجيا يتميز بتغيرات فصلية مهمة :

* فترة المياه العليا وتوافق شهور دجنبر، يناير، فبراير، مارس، أبريل وماي.

* فترة المياه الدنيا وتوافق شهور يونيو، يوليوز، غشت، شتنبر، أكتوبر ونونبر.

تعد المياه العليا والدنيا ظواهر هيدرلوجية فصلية تتميز بها جميع الأنهار كيفما كانت ظروفها البيومناخية والصخارية، أما الفيضانات وفترات الشح فتعتبر من الظواهر الهيدرلوجية الاستثنائية وتتميز بعدم انتظامها في الزمان والمكان: الفيض عبارة عن انتفاخ سريع ومهم للصبيب ويمكن أن يحصل في أي لحظة خلال الدورة الهيدرلوجية، أما الشح فهو عبارة عن صبيب هزيل وضعيف غير اعتيادي.

يتميز واد شبوكة بصبيب نوعي مهم، يصل إلى 7,8 ل/ث/كلم2، مقارنة مع الصبيب النوعي لواد سرو الذي يسجل كمية تبلغ 4,8 ل/ث/كلم2.

يحيى الخالقي، *الأنظمة الهيدرلوجية الكارستية للهضاب الجنوبية الغربية للأطلس المتوسط، دراسة هيدرلوجية وهيدروكيماوية (عين اللوح - الحمام - أجدير - عيون أم الربيع)*، بحث لنيل دكتوراه الدولة، بني ملال؛ المعطيات الهيدرلوجية، وكالة الحوض المائي لأم الربيع، بني ملال.

J. Martin, *Le Moyen Atlas central étude géomorphologique*. Rabat.

يحيى الخالقي

ابن **شبونة، عبد الله** بن أحمد خلوف الازدي المعروف بابن شبونة أحد الشيوخ الحفاظ بمدينة سبتة في العهد المرابطي حيث عرفته طالبا وأستاذا ماهرا بجامعها بعد أن تخرج على يد عدد من شيوخها منهم أبو الأصبغ عيسى بن

سهل وأبو محمد بن جعفر والفقيه أبو عبد الله بن عيسى التميمي وغيرهم من العلماء السبتيين، ولما اجتاز الشيخ أبو علي الحسين الصدفي المعروف بابن سكرة بسبتة عقب عودته من رحلته المشرقية سنة 490 هجرية سمع منه عدد من السبتيين منهم ابن شبونة الذي برز في الفقه المالكي غير أن شنآنا وقع بينه وبين أستاذه ابن عيسى الذي تولى قضاء المدينة اضطره إلى مغادرة بلدته والتوجه إلى سلا عند أسرة بني عشرة التي أحسنت وفادته فاشتغل بالتدريس والإفتاء مدة إقامته عندها ثم شد الرحلة إلى أغمات حيث علا شأنه بها وكان له القدم الراسخ في التدريس والفتيا بها والمشاركة في الأدب مع التحلي بالورع والاستقامة وحلاوة الشمائل وكثرة الحفظ، فعلم الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بمكانته العلمية ودماثة أخلاقه فشمله بعطفه وكرمه إلى أن توفي بأغمات عام 537 وعمره ثمانون سنة.

القاضي عياض، *الغنية*، تر. ماهر زهير، الترجمة رقم 57 ص. 154 ؛ *المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي*، ص. 214 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *سبتة ومليلية معقلان مغربيان أساسيان على البحر الأبيض المتوسط*، ص. 43.

محمد ماكامان

**الشبيبة والرياضة** (وزارة –) غداة استقلال المغرب كانت مؤسسات الشبيبة والرياضة من جمعيات ونواد ودور الشباب ومخيمات ومسارح وملاعب بحجم ضئيل للغاية يقصر عن استيعاب الطاقات الهائلة التي كان يزخر بها مجتمعنا المغربي الخارج لتوه من أسْر الهيمنة الاستعمارية.

وبعد أن كان قطاع الشبيبة والرياضة مصلحة تابعة لوزارة التربية الوطنية، ثم قسما وبعدها مديرية تحت إشراف نفس الوزارة، ارتبط مصيره بقطاعات أخرى مثل الصحة، والأنباء وغيرها، كما تطورت هيكلته عبر السنوات: من مندوبية سامية إلى كتابة دولة، إلى وزارة قائمة الذات.

وحيث إن مسألة خلق مؤسسات جديدة على امتداد التراب الوطني كله تتطلب قواعد وأنظمة جديدة تفسح المجال أمام الشباب المغربي لممارسة حقه الطبيعي والمشروع في تنمية نفسه على النحو الذي يعود عليه وعلى وطنه بالخير والتقدم، دعت الحاجة إلى وضع تشريعات جديدة في مجال الحريات العامة؛ وكانت أول خطوة على هذا الطريق تتجلى في الظهير الشريف عدد 376 . 58 . 1 الصادر في 3 جمادى الأولى عام 1378 الموافق 15 نونبر 1958 والمنظم لحق تأسيس الجمعيات. وسرعان ما تلته مجموعة كاملة من الظهائر والمراسيم والنصوص التطبيقية لها، لتنظم مجالات نشاطات الشبيبة والرياضة على الصعيد الوطني. وهكذا فتحت تلك التشريعات والتنظيمات أمام الشبيبة المغربية آفاقا رحبة للعمل والنشاط المتنوعين. ونتج عن ذلك أن شهدت السنوات الأولى للاستقلال خلق العشرات من الجمعيات الثقافية والرياضية والفنية، التي جاءت لتعزيز عمل قطاع الشبيبة والرياضة للقيام بدور كبير في معظم التظاهرات الإنمائية التي نسوق فيما يلي، بعضا منها على سبيل المثال :

1957 : مشروع شق طريق الوحدة على امتداد 70 كلم بين شمال وجنوب المملكة. وقد شارك فيه ما يناهز 11000 من المتطوعين الشباب.

1960 : حملة وطنية لمحاربة الأمية التي شملت جميع عمالات وأقاليم المملكة.

1961 : ـ حملة بناء المدارس.

ـ حملة التشجير.

ـ المساهمة في عملية إنقاذ ضحايا زلزال أگادير.

وكان من الطبيعي، نتيجة للتطورات التي طرأت على نشاطات القطاع الحكومي للشبيبة والرياضة والقطاع الخاص من جمعيات وأندية وجامعات ثقافية ورياضية، أن تستقطب بلادنا العديد من التظاهرات الشبابية والرياضية القارية والجهوية والدولية مثل:

1962 : تنظيم الألعاب الرياضية العربية.

1965 : تنظيم أول مناظرة وطنية حول الرياضة.

1979 : تنظيم الدورة الرابعة لمهرجان الشباب العربي.

1983 : تنظيم الدورة التاسعة لألعاب البحر الأبيض المتوسط.

1995 : المساهمة في المؤتمر العالمي للمرأة ببيكين (الصين).

1997 : المساهمة في اللقاء العربي للمرأة الريفية بالقاهرة (مصر).

وتميزت الفترة ما بين 1964 ـ 1968 بنشاط ثقافي وتربوي حافل إذ كانت تشهد بداية كل سنة تدشين موسم ثقافي تساهم فيه جميع الشخصيات الأدبية والثقافية للبلاد. وقد شهدت مختلف جهات المغرب محاضرات وندوات حول مواضيع شتى، وكذا عروض مسرحية لفرقة المعمورة الشهيرة التي كان لها الفضل في احتضان أبرز الفنانين المرموقين في المجال المسرحي. كما كانت مختلف جهات المغرب تشهد عروضا سينمائية ومعارض للفنون التشكيلية وحصصاً لنوادي الكتاب الحي.

وأهلت الوزارة فريقنا الوطني في كرة القدم أربع مرات على التوالي لنهائيات كأس العالم وذلك في: سنة 1970 بالمكسيك؛ وسنة 1986 بالمكسيك ـ حيث وصل الفريق الوطني إلى الدور الثاني كأول بلد عربي وإفريقي؛ وسنة 1994 بالولايات المتحدة الأمريكية؛ وسنة 1998 بفرنسا.

بالإضافة إلى مشاركته المنتظمة في الدورات الأولمبية وحصاد أبطالنا لنتائج باهرة زكت المرتبة التي يحتلها المغرب بين مصاف الدول المتقدمة، وعكست بحق المجهود المبذول على شتى المستويات للرقي بالنشاط الرياضي ومنها :

ـ إحراز المغرب على كأس إفريقيا للأمم سنة 1976.

ـ إحراز المغرب على كأس إفريقيا للشبان سنة 1996.

كما ساهمت وزارة الشبيبة والرياضة في إعداد وإبراز

مؤهلات فردية عند العديد من الرياضيين المرموقين أمثال عبد السلام الراضي ؛ سعيد عويطة ؛ فاطمة عوام ؛ نوال المتوكل ؛ خالد السكاح؛ إبراهيم بوطيب ؛ إبراهيم بولامي ؛ صلاح حيسو؛ نزهة بدوان ؛ هشام الكروج ؛ عبد الحق عشيق؛ يونس العيناوي. وأحمد فرس، ومحمد التيمومي وبادو الزاكي ومصطفى حجي الذين حصلوا على الكرة الذهبية الإفريقية.

أما من الناحية التنظيمية والتشريعية فقد عرف قطاع الشبيبة والرياضة إصدار عدة نصوص تنظيمية وهكذا فقد صدر بتاريخ 11 جمادى الثانية عام 1406، موافق 21 فبراير 1986، مرسوم يحمل رقم 806 . 84 . 2 يتعلق بتحديد اختصاصات وتنظيم وزارة الشبيبة والرياضة. وفي فاتح جمادى الأولى 1407، موافق 2 يناير 1987، صدر مرسوم آخر يغير المرسوم الملكي رقم 66 . 1194 موافق 9 مارس 1967، بمثابة النظام الأساسي لموظفي وزارة الشبيبة والرياضة. وإذا كان المرسوم الملكي المؤرخ في 9 مارس 1967 كما وقع تغييره بالمرسوم المؤرخ في 2 يناير 1987 قد حدد شروط وظروف الولوج والتدرج في مختلف السلاليم الخاصة بموظفي هذا القطاع، فإن المرسوم الصادر في 21 فبراير 1986 قد رسم بكيفية واضحة اختصاصات وتنظيم وزارة الشبيبة والرياضة في شكلها الحالي.

وهكذا نجد الوزارة مكونة، إلى جانب ديوان الوزير، من:

1 ـ إدارة مركزية تضم :

ـ كتابة عامة ومفتشية عامة ومديرية للشباب والطفولة ومديرية للرياضات ومديرية للشؤون العامة وقسم لتكوين الأطر وقسم لشؤون المرأة.

ويعتبر في عداد المصالح المركزية كل من المعهد الملكي لتكوين الأطر المحدث والمنظم بموجب المرسوم عدد 381 . 79 . 2 بتاريخ 11 رجب 1400 موافق 26 ماي 1980 كما تم تعديله وتتميمه. وتضطلع هذه المؤسسة بتكوين أطر متخصصة في مختلف الدرجات والسلاليم. وهناك المركب الرياضي محمد الخامس بالدار البيضاء والمجمع الرياضي الأمير مولاي عبد الله بالرباط المرتبطان بالإدارة المركزية.

1 ـ مصالح خارجية: تغطي غالبية عمالات وأقاليم المملكة وتسهر على تنسيق وتتبع نشاطات مختلف المؤسسات التابعة لها أو المرتبطة بها عن طريق الوصاية، ويبلغ عدد نيابات الوزارة حاليا 59 نيابة.

كما صدرت عدة نصوص قانونية أخرى، منها : مرسوم رقم 2.57.497 بتاريخ 3 أكتوبر 1957 المتعلق بتنظيم الرياضة؛ ظهير رقم 1.70.235 بتاريخ 16 يونيه 1971 يتعلق بإحداث المجلس الوطني للشباب والرياضة ؛ ظهير رقم 1.57.245 بتاريخ 10 شتنبر 1957 يتعلق بنشاط الجمعيات والعصب والجامعات الرياضية.

الوسائل والبنيات التحتية: من أجل ضمان تأطير ملائم للشباب، قامت الوزارة بإحداث وتوسيع شبكة البنيات التحتية التربوية والاجتماعية والرياضية، وتحسين مرافقها وخدماتها باستمرار حتى تتمكن من الاستجابة لحاجيات الفئات المستهدفة. وهكذا تتوفر الوزارة حاليا، على الوسائل الذاتية التالية:

ـ 354 مؤسسة للشباب (مؤسسات تربوية وثقافية) تساهم في تنمية شخصية الشباب وإدماجهم في الحياة، مع تمكينهم من وسائل التعبير وتنمية مؤهلاتهم وتطلعاتهم، وذلك في إطار احترام ثقافتهم وقيمهم الوطنية ؛

ـ 1405 مسؤول ومنشط يسهرون على التأطير والتنشيط والتسيير ؛

ـ 15 مركزاً لحماية الطفولة منتشرة عبر مختلف جهات المملكة ؛

ـ مخيمات صيفية تستقطب سنويا ما يفوق 43000 طفل وطفلة ؛

ـ 39 جامعة رياضية ـ 147 عصبة جهوية ـ 6969 ناديا ـ 300 ألف منخرط ؛

ـ 199 منشأة رياضية من مركبات وملاعب وقاعات مغطاة موضوعة رهن إشارة الشباب لممارسة مختلف الرياضات، وتعد هذه التجهيزات أدوات حقيقية لتنمية الصحة، والتربية البدنية، وكذا لتأطير الشباب وخلق ظروف ملائمة للممارسة الرياضية ؛

ـ 1065 مؤطرا ومنشطا مختصا يسهرون على تدريب الشباب وتأطيرهم البيداغوجي وكذا على تسيير التجهيزات؛

ـ 279 مؤسسة نسوية، منها 151 نادى بالوسط القروي يستفيد منها سنويا أزيد من 126.000 رائدة ؛

ـ 124 مركزاً للتكوين المهني، منها 08 بالوسط القوي في شعب مختلفة وبمستويات التخصص والتأهيل، والتقني، حيث بلغ عدد المستفيدين منها 8000 فتاة. خلال سنة 2000. وتنظيم دروس محاربة الأمية يستفيد منها سنويا أزيد من 12.000 فتاة وامرأة.

ـ 1170 مؤطرة تسهرن على تسيير وتنشيط الأندية النسوية ومراكز التكوين المهني ؛

ـ 156 تعاونية تعليمية وخدماتية لفائدة النساء ورائدات المؤسسات النسوية حيث استفادت منها خلال سنة 2000 أزيد من 3600 امرأة وفتاة ؛

ـ وحدات متنقلة للتوعية والتكوين ومحاربة الأمية: تستهدف هذه الوحدات، الفتيات والنساء خاصة في المناطق القروية، وقد بلغ عدد المستفيدات من خدمات هذه الوحدات بالنسبة لسنة 2000 وحدها ما يناهز 27000 مستفيدة ؛

ـ 314 روضا للأطفال منها 115 بالعالم القروي يستفيد منها حوالي 8600 طفلا ؛

ـ 701 منشطة يسهرن على تنشئة الطفولة الصغرى ؛

ـ 59 نيابة تقوم بتمثيل وزارة الشبيبة والرياضة على مستوى العمالات والأقاليم. فهي تضطلع بتطبيق وتتبع العمليات المسطرة ضمن السياسة القطاعية للوزارة، من خلال مختلف المؤسسات المتخصصة التابعة لها.

*الظهائر والمراسيم المذكورة داخل النص؛ وثائق وزارة الشبيبة والرياضة.*

أحمد الموسوي

**الشبيه** (أولاد -)، شرفاء أدارسة مُعظمهم في زرهون وقليل منهم بمكناس وفاس وغيرهما ينسبون إلى جدهم الشريف أحمد الشبيه (تـ. 943 / 1536) المدعو كذلك لشبهه بالنبي عليه السلام لوجود صورة الخاتم النبوي بين كتفيه. وهم ولاة ضريح جدهم إدريس الأكبر، وكانوا أولا يُدعون "الشبيه" بدون ياء النسب، ثم أصبحوا يُعرفون بالشبيهي. تولوا نقابة الأشراف بالمغرب منذ عهد السلطان الرشيد بن الشريف الذي أسندها إلى عبد القادر بن محمد الشبيه(تـ. 1099) آتي الترجمة، واستمرت النقابة فيهم إلى الوقت الحاضر. وهم أربعة فروع بحسب الجد القريب الذي ينتسبون إليه، ثلاثة إخوة: النقيب عبد القادر، وأخواه محمد العربي وعبد الواحد، والرابع عمهم الطاهر.

كانت سكنى الشبيهيين أولاً بمدينة مكناس، ثم انتقل معظمهم إلى مدينة زرهون، ولازموا سكنى الزاوية بإزاء ضريح جدهم المولى إدريس، وبقي فرع منهم بمدينة مكناس، ثم توزعوا بين مكناس وزرهون وفاس والرباط. وبرز منهم علماء مشاركون، وفقهاء متمكنون، ومقرئون، وخطباء، وقضاة، ومفتون، وعدول، ونظار، ومحتسبون، وأمناء... كما أصبحوا مقربين من المخزن العلوي منذ عهد المولى رشيد (1075 ـ 1082 / 1666 ـ 1672) ذلك أن هذا السلطان أمر بضبط الأنساب للحد من عدد المدعين للشرف الذين تكاثروا أواخر الدولة السعدية، وفي هذا الإطار عين عبد القادر بن عبد الله بن محمد الشبيهي نقيباً للشرفاء الأدارسة بمدينتي مكناس وزرهون، فكان أول نقيب من الأسرة الشبيهية التي توارثت خطة النقابة أبا عن جد حتى عهد قريب. واستأثروا بالعطايا والصدقات التي كانت توهب للضريح الأدريسي وهم على حد تعبير صاحب *نشر المثاني* (ج 4، ص. 243) الولاة في هذا العصر لضريح جدهم الأمام مولانا إدريس الأكبر دفين جبل زرهون، وإن تخللت الولاية للضريح المذكور وقبض الصدقات التي تجيئ إليه لا لغيرهم من الشعب الجوطية المستقرين بمكناسة الزيتون الذين هم من عقب مولاي عبد الواحد المجاهد". وأصبح الشبيهيون منذئذ يتمتعون باحترام وإجلال وتبجيل من قبل السلاطين العلويين الذين خلعوا عليهم ـ وحتى عهد الحسن الثاني ـ ظهائر التوقير والاحترام.

ع. الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، 4، ص. 284 ؛ *العز والصولة*، 2، ص. 89 ـ 100 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 241 ـ 245 ـ 246 ؛ الطيب الطاهري، *تطيب الأنفاس بأخبار من استوطن من الطاهرين حاضرة مكناس*، ص. 12 ـ 13 ؛ م. القادري، *نشر المثاني* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، ج. 4 : 1697 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، المحمدية، 1999، ج. 2 : 18 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 197 .

رقية بلمقدم

**الشبيه، أحمد بن عبد الواحد** بن عبد الرحمن بن أبي غالب. ينتهي نسبه إلى يحيى الشريف الجوطي، أحد أحفاد القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله. وهذا يعني أنه من الفرع الجوطي الإدريسي الحسني (*إتحاف*، 1 : 317). ولقب "بالشبيه لشبهه بجده المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكانت له علامة بين كتفيه شبيهة بخاتم النبوة" (*ابتهاج*، 142).

ولد في آخر القرن التاسع (15 م). ولاشك أنه سلك طريق العلم في بداية حياته، بل لعله تفنن في العلوم النقلية والعقلية المعروفة في زمانه، وشاهد ذلك أنه يحلى في كتب التراجم بالعالم النبيل (*إتحاف*، 1 : 317). وسلك طريق التصوف على يد الشيخ محمد بن عبد الرحيم التازي المدعو ابن يجبش (تـ. 1514/920)، دفين تازا، وعن جماعة من الشيوخ، منهم عمه أبو الحسن علي بن يجبش التازي (تـ. 891 هـ) وطريقه غير معروف، ومنهم إبراهيم التازي، وهو عن أبي عبد الله الهواري، وعن أبي عثمان سعيد الصفريوي، وطريقته وفائية شاذلية، ومنهم أبو عبد الله محمد الزيتوني (تـ. 911 هـ)، دفين المسيلة من بلاد الجريد، وطريقته تنتمي إلى مولاي عبد القادر الجيلاني. كما أخذ ابن يجبش عن الشيخ أبي فارس عبد العزيز بن خليفة القسنطيني دفين خارج تونس (913 هـ)، وهو عن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الجزائري من الشاذلية، وعن أحمد زروق البرنسي الفاسي (تـ. 1490/899).

وإلى جانب ابن يجبش التازي لقي أحمد الشبيه الشيخ أبا محمد عبد الله الغزواني دفين مراكش (*ابتهاج*، 143 ؛ *إتحاف*، 1 : 318)، وطريقته، كما هو معلوم، جزولية شاذلية، وقد أخذها هذا الأخير عن عبد العزيز التباع، عن مؤسس الطريقة الإمام محمد بن سليمان الجزولي.

وأهم ما تميز به أحمد الشبيه في تصوفه هو النسك (*إتحاف*، 1 : 317)، على منوال الصوفية الزهاد، من جهة، والمحبة (*ابتهاج*، 142) على منوال الصوفية العشاق، من جهة ثانية. يعني أن من طريقه دوام النسك، و"من طريقة دوام النظر لإحسان الله إليه وضروب امتنانه عليه ومطالعة النعم التي لا تقبل الحصر والعد منة بعد منة، وذلك سبب تنوير القلب وزيادة الإيمان وعظم المحبة" (*ابتهاج*، 143)، عملا بحديث رسول الله "جبلت القلوب على حب من أحسن إليها"، حتى قيل عنه بأنه "محب عامل على شهود المنة" (*ابتهاج*، 142).

توفي الشيخ أحمد الشبيه في شعبان 1537/943، ودفن بروضة سيدي عمرو الحصيني خارج باب عيسى من بلده مكناسة الزيتون.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 1، الرباط، 1929/1347 ؛ ع. الرحمن الفاسي، *ابتهاج القلوب*، تح. حفيظة الدازي، رسالة جامعية في التاريخ، مرقونة كلية الآداب بالرباط ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*

*المحاسن*، ط. حجرية بفاس، 1324 هـ ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط ؛ ع. السلام القادري، *المقصد الأحمد*، ط. حجرية بفاس، 1351 هـ.

أحمد الوارث

**الشبيه، عبد القادر** بن عبد الله بن محمد بن عبد القادر الجوطي الإدريسي الحسني، نقيب الأشراف الأدارسة بمدينتي زرهون ومكناس. فقيه مشارك، نعته ابن زيدان (*الإتحاف*، 5 : 300) بـ "صدر أوحد، ركن معتمد فريد عصره... بهي السمت، وقور صموت يعتمد في مهمات الأمور عليه..." وكان يتصف بخصال عالية وسجايا حميدة، حسن السيرة، طاهر السريرة.

لذلك كانت له حظوة تامة ومكانة شماء لدى الملوك العلويين الذين عاصرهم، ينظرون إليه بعين الإكبار والإجلال، فاجتباه السلطان مولاي رشيد (1075 ـ 1082/ 1664 ـ 1672) وولاه نقابة الأشراف الأدارسة في مدينتي مكناس وزرهون، وكان أول من تولاها من الشرفاء الشبيهيين، فأحكم نظام النقابة وأجرى على مقتضى الشريعة أحكامها. "ولي النقابة على الأشراف بالمغرب بالحضرتين. خاتم المحققين لفصول ولايتها وآخر المتقنين لعلي مكانتها ملك زمامها فأحكم نظامها... وخطاباته الموجودة فيما وقع بيده من "الرسوم" تؤذن بعراقته فيما تعلق بها من العلوم..." (*التقاط الدرر*، 2 : 238). للمترجم تأليف سماه ديوان الأشراف وثق فيه فرق الأشراف كبيرها وصغيرها وأصنافها وميزهم عن أصحاب الدعاوي المجردة.

وهو أول من بني القبة على ضريح جده إدريس الأكبر بزرهون، إذ كان قبره قبل ذلك عارياً بلا بناء، يدور عليه حائط من بناء السلطان أبي سعيد بن يعقوب المريني (710 ـ 731/1310 ـ 1331) وقد جدد السلطان مولاي إسماعيل (1082 ـ 1139/1672 ـ 1727) للفقيه عبد القادر الشبيهي ولايته على خطة النقابة وأسبغ عليه وعائلته ظهائر التوقير والاحترام.

توفي في ربيع الأول عام 1099 / يناير ـ فبراير 1688 فتولاها بعده ابنه مولاي الطيب، ثم توارثها أحفاده من بعده.

ع. الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 319 ـ 320 ؛ العز والصولة، 2، ص. 81 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 241 ؛ القادري، *التقاط الدرر*، 2، ص. 237 ؛ ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب*، ص. 97 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، 1، ص. 178.

رقية بلمقدم

**الشبيهي** (أسرة) ← **الشبيه**

**الشبيهي، أحمد** بن **عبد الله** الفاسي. حلاه رفيقه إدريس الإدريسي "بالفقيه العلاّمة المدرس العدل المبرز المفتي الشهير الكاتب المقتدر" تعاطى خطة الشهادة قبل أن يعمل أستاذاً بثانوية مولاي إدريس بفاس، ثم عين عضواً بمجلس الاستيناف الشرعي بالرباط، ثم عضواً بالمجلس العلمي للقرويين قبل أن يحال على المعاش. له *مسامرة* ألقاها بثانوية مولاي إدريس بفاس في شعبان سنة 1343/ مارس 1925 طبعت بفاس.

أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، فاس، 1343 / 1924؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988، ص. 186 ـ 187 .

محمد حجي

**الشبيهي، أحمد** بن **الفاطمي** بن محمد بن محمد بن النقيب مولاي عبد القادر الشبيهي، ولد بزرهون، ونشأ في بيت عفاف وتدرج في مسالك التعليم بدءاً بشيوخ الزاوية الإدريسية الزرهونية، ثم انتقل إلى مكناس وبعدها مدينة فاس فأخذ عن الشيخ أبي عبد الله ابن الخياط العطار، وعن شيخ الجماعة بفاس سيدي محمد بن عبد الرحمن الفيلالي، وأحمد بن محمد المرنيسي وأحمد بناني، وعبد السلام بوغالب ومحمد بن حمدون ابن الحاج السلمي وغيرهم.

ومهر في علوم: الحساب والهيئة والتعديل والتنجيم والجداول وسرالأسماء. وتولى عدة مهام منها: إمامة الضريح الأدريسي بزرهون والنيابة عن النقيب به إلى جانب مهمتي التعديل والتوقيت. وأخذ الطريقة الدرقاوية عن سيدي مالك بن خدة، وانعزل في آخر عمره وأكب على العبادة والتلاوة والأذكار والتهجد في الأسحار والاعتكاف وملازمة الزاوية الدرقاوية والمسجد الجامع.

توفي بفاس في 26 ذي القعدة عام 1324 / 12 يناير 1907.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 : 463 ؛ *وثائق وظهائر عائلية لأسرة الشبيهي*.

**الشبيهي، عبد الرحمن** بن عبد القادر. لا تُعرف مراحل دراسته لكنه كان مبرزاً في الفقه وعلم الأنساب، وصفه ابن زيدان بالفقيه العلامة النسابة بينما نعته القادري (*النشر*، 4 : 243) بالرئيس الوجيه القائد. له تآليف منها: *خلاصة الدر النفيس* وهي عبارة عن أرجوزة ناقش فيها مؤلفي *الدر السني* و*درة التيجان* مع المسناوي في أغلاط وقعت لهم حول بعض فرق الجوطيين بفاس ومكناس، وله *تقييد صغير* في نفس الموضوع.

كان يتكسب بممارسة الفلاحة فحقق ثروة هامة وعينه السلطان عبد الله بن إسماعيل والياً على جميع جبل زرهون، إلا أنه فقد معظم ثروته أواخر حياته.

لا يعرف تاريخ وفاته بدقة إلا أنه مات أواسط القرن الثاني عشر (18 م).

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 284 ؛ القادري، *نشر المثاني*، 4، ص. 243 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ص. 216.

رقية بلمقدم

**الشبيهي، عبد السلام**، بن يوسف الإدريسي. ولد بمكناس في الثلاثينيات. وقد شب على حب الموسيقى، فكان يرافق عمه سيدي مشيش بن المختار الشبيهي إلى الزاوية العلمية، وهناك أقبل على حفظ مستعملات السماع والمديح حتى برع في إنشادها.

وقد تعرف على المرحوم الحاج إدريس ابن جلون التويمي بمناسبة تأسيس جمعية هواة الموسيقى الأندلسية عام 1958، فكان ذلك بداية دخوله إلى مجال طرب الآلة، وفي بحر العقد السادس دعي إلى الرباط للعمل في حظيرة جوق الآلة بالقصر الملكي.

ومنذ أن استقر بالرباط أصبح يلازم مجالس الذكر والمديح ضحى يوم الجمعة ويعاشر روادها من عشاق هذا الفن.

وتحتفظ الإذاعة الوطنية ببدائع مأثورة مما سجلته بصوته في حوالي عشر حلقات، وذلك ضمن البرنامج الفني الذي كان يشرف عليه الفنان الأستاذ عبد اللطيف بنمنصور تحت عنوان "الكواكب اليوسفية"، كما تحتفظ بشريط سجل فيه بصوته الأذان، وكانت - حتى عهد قريب - تواظب على إذاعته عند الإعلام بأوقات الصلوات الخمس. وكان يحفظ النوبات الإحدى عشرة، ويجيد إنشاد المواويل والبيتينيات.

توفي يوم 27 جمادى الثانية عام 4/1409 يبراير 1989 بمدينة الرباط.

*معلومات* أخذتها من أخي المترجم الشريف مولاي إدريس بمكناس.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الشبيهي، عبد القادر** بن عبد الله النقيب، عينه السلطان مولاي رشيد سنة 1670/1080 بظهير نقيبا عاما للأشراف خلفا لأبي العلاء بن محمد الطاهري. وقد كان هذا التعيين الرسمي نابعا من رغبة السلطان في تجديد خطة النقابة بسبب ما ترتب عن إهمالها أواخر العهد السعدي من نتائج سلبية على مستوى الشرف ومصالح الدولة العلوية الناشئة، ولما تميز به النقيب من مؤهلات، هي، حسب صاحب *نشر المثاني*، العلم وحسن السيرة والإنصاف. جدد له السلطان مولاي إسماعيل ولاية أشراف المغرب في المدن والبوادي وأنعم عليه بزكاة شرفاء مصمودة سنة 1700/1111 كما أصدر السلطان سنة 1705/1117 ظهيرا للنقيب حدد فيه مجال عمله وأمره باستعمال الصرامة في ضبط أمور الشرفاء. ينسب للنقيب عبد القادر الشبيهي *ديوان في الأنساب* على غرار دواوين العهد الإسماعيلي، تضمن فرق الشرفاء وأصحاب الدعاوى المجردة. توفي بعد عام 1705/1117.

م. القادري، *نشر المثاني*، الجزء الثاني، ص. 341-355 تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ م.عمراني، *ظهائر السلطان مولاي إسماعيل للنقيب عبد القادر الشبيهي*، كلية الآداب، القنيطرة.

محمد عمراني

**الشبيهي، عبد الواحد** بن عبد الرحمن، فقيه مشارك في علوم كثيرة، أخذ التصوف عن الشيخ مولاي الطيب بن محمد الوزاني. ولي الخطبة والإمامة بمسجد زاوية جده مولاي إدريس بزرهون فأجاد. وكان خطيباً فصيحاً بليغاً.

رحل إلى الحج وجاور بالمدينة ومكة مدة سنة ودخل مصر عام 1184 ثم رجع إلى المغرب واضطر إلى ترك مكناس وزرهون أيام الفتنة التي تلت وفاة المولى إسماعيل، فمكث إلى ما شاء الله إلى أن ولي أمر زرهون السلطان سيدي محمد ابن عبد الله في حياة والده، فعاد عبد الواحد إلى داره بزرهون واستقر بها. ومن صفاته المتواترة عنه أنه كان رجلاً صالحاً ناسكاً متعففاً فاضلاً صواماً قواماً صادق الأقوال والأفعال.

توفي بزرهون عام 1194 / 1780.

م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، 4 : 244 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 393 ؛ م. المنوني، *مصادر تاريخ المغرب*.

**الشبيهي، الفاطمي** بن محمد الحسني. فقيه، أديب، له باع طويل في الخطابة والتدريس يتسم بخصال عالية وأخلاق شريفة، ودين متين، ذو جاه ووجاهة ومكانة في مجتمعه.

أخذ عن والده أولاً فأتقن القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ثم واصل تعليمه فأخذ عن ابن الحاج السلمي الفاسي ومن في طبقته.

تولى الخطبة والإمامة بالمسجد الأعظم بزاوية جده بزرهون، كما تولى خطة القضاء إلا أنه أعفي منها، وأقر على الإمامة والخطبة وظل يمارسهما حتى وفاته. وله أرجوزة جمع فيها فروع شرفائهم الشبيهيين وألحق فيها أصاغرهم وأكابرهم.

توفي سنة 1840/1256 ودفن بجوار ضريح والده بخزانة الكتب الكائنة يسار المسجد الأعظم بزرهون.

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 517.

**الشبيهي، الفضيل،** بن الفاطمي، فقيه مشارك في كثير من العلوم إلا أن له اليد الطولى والبراعة الكبرى في الفقه أصوله وفروعه، وفي الحديث والتفسير، والإفتاء والنوازل.

وكان على حد تعبير ابن زيدان، "إمام المعقول والمنقول، وفارس ميدان الفروع والأصول، نقاد، بحاث، مطلع، صدر محقق ماهر دراكة كامل محدث حافظ... مفت نوازلي ذو ملكة كاملة ... ودين متين" (*الإتحاف*، 5 : 518).

أخذ أولاً عن والده وأعمامه بزاوية زرهون ثم رحل إلى فاس فأخذ عن الحاج الداودي التلمساني وأحمد المرنيسي ومحمد بن حمدون السلمي بن الحاج والمهدي ابن سودة وعبد السلام بوغالب وأحمد المرنيسي وغيرهم من شيوخ العلم بجامع القرويين.

تولى كأبيه وأسلافه الإمامة والخطبة بالمسجد الجامع بالزاوية الإدريسية، وقد أشاد ابن زيدان ببراعته الخطابية فقال: "وإذا ارتقى منصة الخطابة كان أطلق الخطباء لسانا، وأفصحهم بياناً" (*الإتحاف*، 5 : 518). كما كان يجلس على كرسي الحديث فيسرد الصحيح الجامع خاصة في الأشهر الحرم الثلاث فيفسر غوامضه ويوضح مشاكله ويطبق أحواله على الفروع المالكية، وتفقه على يده كثيرون منهم: عبد السلام بن عمر العلوي المدغري، ومحمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي، وابنه الفاطمي الشبيهي وغيرهم كما أجاز لكثير من أعلام الوقت.

وإلى جانب مكانته العلمية المرموقة كان المترجم يتحلى بسجايا عالية، وفضائل رفيعة، وإباء نفس وانبساط وبشاشة ممزوجة بأدب ووقار وحشمة، كما كان رقيق القلب سريع الدمعة يكثر من التلاوة فلا يفتر عنها غالباً.

توفي في 10 شعبان عام 1318/ 3 دجنبر 1900 ودفن خارج زاوية جده مولاي إدريس ـ ترك له مؤلفات منها: تعليق على الصحيح عنونه *بالفجر الساطع* في أربعة مجلدات كبيرة جمع فيه فأوعى، وطبق الأصول على الفروع. ونسخ بخط يده صحيح البخاري ومسلم نسختين بذل المجهود في تصحيحهما ومقابلتهما على الأصول المعول عليها بالمغرب فكانتا عديمتي النظير.

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 518 ـ 520.

**الشبيهي، محمد** بن **إدريس** الحسني، سليل النقيب الشهير عبد القادر بن عبد الله. ولد حوالي عام 1280/ 63-1864 عالم متميز، ذو ثقافة متنوعة، ومشاركة وبراعة في جملة مواد، فقها ولغة وتصريفاً ونحواً فضلاً عن الأدب والعروض والقوافي، مع مخالطة للسيرة النبوية. تميز بين زملائه من شيوخ مكناس ـ على حد تعبير العلامة محمد بن عبد الهادي المنوني ـ بالمشاركة في الأدب إلى جانب تفوقه في العلوم الأصلية، مما جعله في بلدته شاعر علمائها، وعالم أدبائها.

أخذ عن أعلام مدينة مكناس أمثال: الطاهر بن الهادي ابن العناية (1881/1306) ومحمد بن العربي المنوني (1898/1316)، والمفضل بن الهادي ابن عزوز (1319/ 1901)، والمفضل بن المكي السوسي (1902/1320) وعبد السلام بن محمد الصنهاجي (1903/1320). وقاضي مكناس أحمد بن الطالب ابن سودة (1321/ 1903)، ومحمد القصري (1906/1324) والمعطي بن محمد الكبير ابن عبود (1330/ 1912).

على يد هؤلاء الشيوخ اكتسب المترجم ثقافة متنوعة، فنبغ في الأدب كما نبغ في المعارف التقليدية، وظهر نبوغه الشعري مبكراً، ويعتبر بالنظر إلى مسلسل الحياة الأدبية في مكناس ـ أواسط القرن التاسع عشر ـ امتداداً لثلة من الشعراء المجيدين أمثال الطاهر بن الهادي بن العناية الشهير ببوحدو، ومحمد بن المعطي المسطاري. وأصبح من الشعراء المرموقين على مستوى أدب عصره، مع أن شعره لم يدون، ولا يعرف منه إلا القليل الذي يوجد متناثراً في بعض المؤلفات والمقيدات، ويشمل المديح النبوي والرثاء والمطارحات، والتقريظ وأدب الختمات الدراسية، يقول محمد بن عبد الهادي المنوني عن شعره إنه كان "يتميز بنصاعة الديباجة ومتانة التركيب، إلى معنى بديع، وخيال يزين نسيب الشاعر، مع اهتمام بالصنعة البديعية".

ولم تثنه ثقافته الأدبية العميقة عن التفرغ لنشر العلوم اللسانية والشرعية بل كان التدريس هاجسا التزمه طيلة حياته حيث قضى ما يربو عن أربعين سنة في تكوين طلابه جيلاً بعد جيل. فكان ثالث ثلاثة من أركان التعليم بمدينة مكناس، وهم شيخ الجماعة محمد بن الحسين العرائشي، والقاضي محمد بن أحمد السوسي. ويشف أسلوب تدريسه عن تمكنه من مادته، مع جودة إدراك وحسن تفهيم، وكان يسلك في إقرائه الطريقة المثلى في التعليم الأصيل، وبما أنه شاعر فقد كان يرجز لطلبته مسائل المادة التي يصعب تحصيل قواعدها.

وممن أخذ عنه: الفقيه إبراهيم بن محمد المسطاسي، ومحمد بن الحاج محمد ابن عزوز، ومحمد بن محمد بن قاسم بصري ومحمد بن سعيد بن عبد السلام الدكالي والقاضي محمد بن إدريس العلوي الاسماعيلي (1370/ 1953) ومحمد بن العربي المنوني (1968/1380) ومحمد بن المفضل برادة، ومحمد بن أحمد بن الفقيه، ومحمد المختار السنتيسي، ومحمد بن عبد القادر العرائشي والطيب بن عبد القادر الحريف (1986/1407) وغيرهم.

وإلى جانب التدريس أسندت له خطة العدالة بالمدينة سنة (1889/1307) إلا أنه رفض ممارستها فيما بعد. وفي سنة 1902/1319 تولى خطبة جامع الزيتونة، ورشح للوعظ في الجامع الكبير بكرسي الذخيرة والتفسير وما معهما. ولم يتصد للتأليف، بل كان يفضل نشر العلم بالتدريس.

إلى جانب ما ذكر، كان المترجم يتمتع بأخلاق سامية فقد

كان حسب ما وصفه به العلامة المنوني: "عزيز النفس في علو همة، يترفع عن مخالطة الولاة، ويبتعد عن حضور الرسميات، كما كان كشيوخ جيله متين الديانة حسن البزة يلازم ارتداء الكساء زي الفقهاء آنذاك كما كان يتجافى عن الانخراط في الوظائف الرسمية.

وكانت وفاته في 23 جمادى الأولى 22/1362 ماي 1943، ودفن في مقبرة أسرته في درب الشرفاء بسوق العطارين من مكناس.

ع. ابن زيدان، *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، الرباط، 1962، ص. 180 ؛ أ. سكيرج، *غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود*، فاس 1911، لوحة 120 ـ 122 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، طبعة حجرية، 1329، الجزء 2، ص. 18 ؛ أ. المنوني، *وثائق ونصوص عن أبي الحسن علي بن منون*، الرباط، 1976، ص. 197 ؛ محمد بن إدريس الشبيهي، *رمز النبوغ المبكر للشباب*، *مجلة دعوة الحق*، العدد 285، محرم 1412 غشت 1991، ص. 99 ـ 115.

**الشبيهي، محمد** بن **عبد الواحد** الحسني، فقيه إليه المرجع في الفتوى بزاوية مولاي إدريس زرهون، وبيده أزمة نواب قضاتها، وعليه كما يقول ابن زيدان التعويل في التعديل والتجريح. كما كان يتحلى بأخلاق حسنة، ودين متين، يحب أهل الخير ويواليهم ويسعى إلى مرضاتهم وإكرامهم.

تولى إلى جانب خطة الفتوى إمامة الخمس بضريح مولاي إدريس بزرهون، ومهمة الوعظ بالكرسي المخصص لذلك بالمسجد الجامع إثر صلاة الصبح فكان "يشنف آذان السامعين برقائق التفاسير القرآنية؛ وجوامع الكلم المصطفية؛ ونافع معارف السادات الصوفية؛ فترتاح لذلك القلوب وتنشرح الصدور لحسن تحبيره وتمكن تصديره" (ابن زيدان، الإتحاف، 4 : 285). كما مارس الفلاحة واستطاع من خلالها أن يكون له ثروة هامة.

له تقييد في أدب زيارة الأولياء والترغيب في ذلك، وآخر في جواز تأخير السحور إلى طلوع الفجر وطرر على صحيح البخاري من كتاب التفسير إلى الختام وغير ذلك مما لازال مخطوطاً تحت يد بعض أفراد من عائلته.

توفي ليلة 10 من ذي الحجة 25/1324 يناير 1907. ودفن بالروضة الشهيرة خارج باب زاوية زرهون.

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، 4، ص. 284 ـ 286 ؛ القادري، *نشر المثاني*، 4، ص. 243 ـ 245.

رقية بلمقدم

**الشتاء**، فصل من فصول السنة، يتميز في المغرب بحكم موقع هذا الأخير من العرض بكونه الفترة التي تتعرض فيها منطقته أكثر لمختلف المؤثرات المناخية المهيمنة على حركة الهواء في العروض الوسطى.

تسود فترة هذا الفصل ما بين الانقلاب الشتوي في 21 دجنبر والاعتدال الربيعي في 21 مارس تكون خلالها زاوية سقوط الأشعة عند حدوث الانقلاب الشتوي متعامدة مع مدار الجدي في نصف الكرة الجنوبي، بينما تصبح هذه الزوايا صغيرة عند مختلف عروض النصف الشمالي مما يعني انخفاضاً كبيراً في تركيز الطاقة الواصلة إلى سطح هذا النصف بفعل الميلان الكبير لهذه الأشعة وتعرضها إثر ذلك لعمليات تشتيت وتبديد كبيرين خلال اختراقها لمختلف طبقات الغلاف الجوي كما أن ميلانها هذا هو الذي يجعلها لا تصل بتاتا إلى القطب الشمالي حيث تسود عنده فترة ليل طويل تدوم ستة أشهر.

ولهذه الوضعية وقع جد هام على الخصائص الطاقية بوجه عام والمناخية بصفة خاصة إذ أنه بفعل ضعف تركيز الطاقة الواصلة إلى السطح وبسبب ميلان محور الأرض فإن مدة النهار تتناقص ومدة الليل تتزايد تناسبيا وذلك في كل عروض النصف الشمالي ودائما باتجاه القطب مما يؤثر على الميزانية الإشعاعية الإجمالية اليومية فتعرف حرارة الليل والنهار تفاوتا مهما في كل المناطق المغربية وخاصة القارية منها.

كما أن انتقال تركيز الطاقة إلى النصف الجنوبي تبعا للحركة الظاهرية للشمس ينتج عنه أيضا نزول نظام الضغط الجوي إلى عروض أكثر جنوبية دائما في النصف الشمالي يتبعها تزايد أكبر في تردد الكتل الهوائية الباردة على المغرب والآتية من المناطق القطبية عبر مسالك قارية أو بحرية الشيء الذي يجعل الحرارة عموما تسجل أكبر انخفاض لها خلال هذا الفصل فتتعدد عند ذلك حالات حدوث الصقيع خلال الليل في المناطق الداخلية وحتى في المناطق الساحلية أحيانا خاصة عقب حدوث استقرار كبير للهواء خلال سيادة الوضعيات الجوية الضد إعصارية لعدة أيام متتالية.

كما يسفر هذا النزوح جنوبا لنظام الضغط عن انتقال مسارات اضطرابات الجبهة القطبية للتعمق أكثر حول عروض المغرب وحوض البحر الأبيض المتوسط فترتفع وتيرة تردد الوضعيات الجوية المضطربة وخاصة منها الممطرة جداً كالاضطرابات الشمالية الغربية أو الاضطرابات الغربية وحالات نشوء الاضطرابات المحلية.

وتعتبر الأنواع الثلاثة من أنماط الطقس الرئيسية في المغرب لهذا الفصل، فالاضطرابات الشمالية الغربية تتميز بكونها تتسبب في تساقطات هامة جداً وذات انتشار مجالي واسع قد يشمل أحيانا حتى مناطق جنوب الأطلس الكبير بينما الاضطرابات الغربية أو الجنوبية الغربية تتميز بكونها تتسبب في تهاطلات على المناطق الشمالية وتقل فيها غزارة الأمطار كلما اتجهنا نحو الجنوب الذي يبقى نسبيا في منأى عن مسارات الاضطرابات حيث يسود فيه طقس صحو ومشمس. أما النوع الثالث فيتحقق على إثر انخفاض، ولفترة وجيزة، لسرعة التيار النفاث شبه المداري الذي يعلو منطقة الاضطرابات فيشكل رسمه في أعقاب ذلك انعراجات كبيرة تجعل الهواء القطبي البارد في الأجواء العليا يتقدم

أكثر نحو الجنوب عبر ما يسمى بالأودية الباردة فيزيد ذلك من عدم استقرار الجو واضطرابه مما يجعله من أكثر أنماط الطقس غزارة لا سيما وأنه من النوع الذي ينشأ ويتطور وينقرض عند المنطقة المغربية. كما يعرف هذا الفصل تساقطات ثلجية نسبيا مهمة خاصة إذا ما توفرت بعض الظروف الجوية الملائمة والمسببة لانخفاض كبير للحرارة والتي تكون من سيماتها أيضا نزول مستويات الارتفاعات التي تصبح عندها التساقطات ثلجية من ما بين 2000 و1500 متر إلى حوالي 1000 متر تقريبا ومن أهم هذه الوضعيات أن تصاحب الاضطرابات التي تهم المغرب تسربات لهواء قطبي قاري أو أركتي قاري تصل إلى المغرب من الشمال الشرقي عبر القارة الأوربية.

علي البليشي

**الشتاشني، حميدة** بن محمد بن عمر، المعروف بالشاوش، ينتسب إلى قبيلة أيت شتاشن الإينولسانية بناحية دمنات. وبها ولد في حدود 1894/1312. حسب ما حكاه عن نفسه، إلا أن تحديد ولادته في هذا التاريخ أمر مشكوك في دقته وضبطه. فقد حدث أن السلطان عبد العزيز عين المدني الأگلاوي عاملا على المناطق الجنوبية (*الإعلام*، 2 : 236) بعد مقتل الجيلالي بن حدو الدمناتي، ففرض المدني الأگلاوي على قبيلة أيت شتاشن عددا من الرجال والفرسان للمشاركة في الحركة المخزنية لتمهيد بلاد تافيلالت، ويذكر حميدة أن أسرته قد زودته بفرس و"مكحلة" ليشارك بهما في الحركة المخزنية فكيف يتأتى لحميدة أن يشارك في هذه الحركة، وهو لم يتجاوز بعد الربيع العاشر من عمره ؟ وإذا صح أنه شارك فعلا في هذه الحركة، فإنه قد يكون ولد على الترجيح في أواسط العقد التاسع من القرن الثالث عشر (19 م) أي قبل التاريخ الذي حدده لميلاده بثماني أو تسع سنوات على الأقل.

وبعد عودته من حركة تافيلالت استقر بمسقط رأسه وأقبل على ممارسة بعض الأعمال التجارية بأسواق المنطقة، إلا أن توتر علاقة حميدة بأفراد عائلته دفعه إلى مغادرة المنطقة والهجرة إلى الشاوية ثم منطقة الغرب، وقد صادف رجال المخزن يقومون بحملة للتجنيد في الطابور المخزني، فلم يتردد في الانضمام إلى صفوف المجندين، حيث نقل إلى العيش والتدريب بثكنات لفاس، وقد كان المشرفون على تدريب جنود الطابور المخزني ضباطا فرنسيين. وبعد ثورة الطابور المخزني بفاس يوم 17 أبريل سنة 1912 (*Au seuil*, 281)، اختفى حميدة عن الأنظار في جملة الفارين من الطوابير المخزنية، وبعد استقرار الأمور بفاس، التقطه الفرنسيون ضمن من التقطوه من قدماء المجندين في الطابور الذين لم تثبت مشاركتهم في أحداث فاس، فجُندوا ضمن سرايا الفرسان المعروفة آنذاك بالصبايحية (*Les spahis*). وقد رُحل حميدة إلى أوربا بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى.

وبعد انتهاء الحرب عاد حميدة إلى المغرب، حيث شارك إلى جانب القوات الفرنسية الغازية في معارك الأطلس المتوسط والشمال وبوذنيب. ولأسباب غير معروفة استغنى الفرنسيون عن خدمات حميدة، فعاد إلى مسقط رأسه بدمنات، لكنه لم يستطع التأقلم مع ظروف الحياة المدنية، فتوجه سنة 1920 إلى مركز أزيلال فأدمج "كمخزني" في القوات المساعدة أو المتحركة (Makhzen mobile) التي أنشأتها سلطة الحماية لتتقدم طلائع القوات الفرنسية الغازية. وبالرغم من بعض الصعوبات التي واجهت حميدة في بداية عمله الجديد، فإن معرفته الدقيقة بأحوال القبائل جعلت ضابط الاستخبارات بمركز أزيلال، ملازم أول، جورج سبلمان (Lieutenant Spillmann) بمباركة رئيس المركز آنذاك القبطان شاردون (Capitaine Charodon) يُرقي حميدة إلى رتبة شاوش. وقد رجحه بعد ذلك ليقوم بربط الاتصال بين الفرنسيين وبعض القبائل التي ما تزال تقاوم جيوش الدخلاء من أمثال قبائل أيت محمد وغيرها، وبقيادة المرابط موحا الحنصالي، ومما يؤكد نجاح حميدة الشاوش في هذه المهمة أن جورج سبلمان قد تلقى أول رسالة من نوعها من المرابط الحنصالي، فعجل سبلمان بالترخيص لحميدة الشاوش بالاتصال شخصيا بسيدي موحا الحنصالي، وبعد أربعة أيام من المفاوضات، عاد حميدة إلى أزيلال ومعه مقترح من الحنصالي من ثلاث نقط أهمها: عدم دخول الحنصالي وأتباعه في مجال نفوذ أسرة الأگلاوي والإبقاء على سلطة الحنصالي على كل القبائل التي كانت تابعة لأسلافه، وقد وافق الفرنسيون فورا على شروط المرابط الحنصالي (*Souvenirs d'un colonialiste*, 49) ويعتبر خضوع الحنصالي والقبائل التابعة له لسلطة الحماية نجاحا شخصيا لجورج سبلمان وحميدة الشاوش. ولأسباب غير واضحة نجد حميدة الشاوش اعتزل العمل من جديد والتحق بمسقط رأسه سنة 1926م. وفي سنة 1927 عين جورج سبلمان ضابطا للاستخبارات بمركز تلوات، القلب النابض لقيادة عائلة الأگلاوي، فأصبحت الحاجة ملحة لشخص في مثل كفاءة وقدرة حميدة الشاوش، فاستدعاه سبلمان من دمنات. وما كاد حميدة الشاوش يلتحق بتلوات، حتى وضعت سلطة الحماية رهن إشاراته كل الإمكانات العادية اللازمة، فانطلق في عملية استطلاعية واسعة استغرقت ثلاث سنوات، كان خلالها دائم التنقل بين القبائل في مجال يمتد من تارودانت غربا إلى قلعة مگونة شرقا ومن زاگورة جنوبا إلى ورزازات شمالا تمكن خلالها من ربط صلات قوية مع عدد كبير من أعيان قبائل أيت عطّا. وفي نفس الوقت كانت سلطة الحماية تقوم بجولات استطلاعية بالطائرات الخفيفة لتصوير مناطق الواحات وأسواقها وأهم التجمعات السكنية ويؤكد جورج سبلمان أن جل الصور التي التقطتها الطائرات الاستطلاعية تبقى دون فائدة تذكر إذا لم يقم الشاوش حميدة بتوضيحها وإعطاء التفسيرات الضرورية لكل صورة صورة على حدة، ويتضح دور حميدة الشاوش في

المعلومات الدقيقة والمضبوطة التي توصلت إليها سلطة الحماية عن مناطق الأودية بتدغة ودادس ودرعة. ويؤكد سبلمان، أنه بفضل حميدة الشاوش تمكن الفرنسيون من الاتصال بعدد من شيوخ وأعيان قبائل أيت عطا من أمثال الشيخ مُجداش ولد الحاج فاسكا، شيخ أيت بويَكْنفَنْ باميضر ناحية تدغة، وباسو ولد ميمون شيخ أيت سليلو بالنقب، ومبارك ولد الفُضيل شيخ أيت ولاّلْ بدرعة وتازرين (Les Aït Atta, 162) وبفضل هذه الجهود التي بذلها حميدة الشاوش خلال ثلاث سنوات متتالية، باتت سلطة الحماية الفرنسية على بينة تامة من أحوال القبائل المستقرة منها والمترحلة بالمجال الترابي المعروف آنذاك بدائرة ورزازات، وهكذا بدأت فرنسا زحفها على واحات وادي درعة منذ شهر يناير 1931 حيث نزل جورج سبلمان على رأس قوة من الگوم والمخازنية بزگيطة بعالية درعة، وأسس مكتب الشؤون الأهلية لدائرة درعة بموقع أگدز الحالي، وقد التحق حميدة الشاوش بجورج سبلمان الذي عهد إليه بقيادة قوات المخازنية (Souvenirs d'un colonialiste, 95) وانطلاقا من أگدز جدد حميدة الشاوش اتصالاته بأعيان وادي درعة، الذين أصبحوا يرون في حميدة الضامن لسلامتهم مما كانوا يعتقدونه أو يتوقعونه من الفرنسيين، فسارعوا إلى الاتصال بمركز أگدز. لم يمض إلا عام واحد على تأسيس مكتب الشؤون الأهلية بأگدز حتى كانت واحتا تينزولين وترناتة على استعداد تام لاستقبال القوات الفرنسية فتوجه سبلمان وحميدة الشاوش في نهاية شهر دجنبر 1931 إلى جبل زاگورة بالمدخل الجنوبي لواحة ترناتة وأسس سبلمان مركز الشؤون الأهلية بموقع مدينة زاگورة الحالية. وقد انتقل حميدة الشاوش إلى هذا المركز الجديد، ولا يزال المسنون من سكان المنطقة يذكرون الأدوار التي قام بها في التخفيف من آثار التوتر بين السكان وضباط الشؤون الأهلية.

وانطلاقا من زاگورة كثف حميدة الشاوش من اتصالاته السرية والعلنية مع أعيان القبائل بالواحات الجنوبية الثلاث من وادي درعة تمهيدا للزحف عليها وضبط أمورها، إلا أن صعود بعض قبائل أيت عطا إلى جبل صاغرو في مطلع سنة 1933 م، جعلت حميدة الشاوش ينتقل إلى جبهة القتال صحبة جورج سبلمان. ويعترف هذا الأخير بأن دور حميدة الشاوش كان حاسما في الاتصال ببعض القبائل الثائرة والتمهيد لإنهاء القتال بجبل صاغرو (Les Aït Atta, 166, 167) ونظرا لهذا الدور الكبير الذي قام به حميدة الشاوش في إنهاء القتال بصاغرو واستسلام قادة المقاومة لسلطة الحماية، فقد وشح حميدة الشاوش بثلاثة أوسمة من بينها الوسام العلوي، باعتبار أن تمهيد المناطق الجنوبية كان باسم المخزن. ويظهر أن انتقال جورج سبلمان من دائرة درعة، قد أثر على وضعية حميدة الشاوش لذلك قرر بدوره اعتزال العمل سنة 1934، فعاد إلى مسقط رأسه دون الحصول ولو على منحة للتقاعد تساعده على مواجهة متاعب الحياة. وقد أدرك القبطان شاردون حاكم دائرة ورزازات وضعية حميدة الشاوش، لذلك أوعز إلى الباشا التهامي الأگلاوي بتعيينه في أي وظيف يساعده على مواجهة ظروف الحياة فعينه شيخا على إحدى فرق قبائل الوداية بحوز مراكش، إلا أن ظهور زايد أوحماد بمنطقة تودغة وما ألحقه هذا المقاوم ضد القوات الفرنسية بالمنطقة، جعلت أنظار سلطة الحماية تبحث عن رجل قادر على مواجهة هذه الوضعية، فتوجهت مرة أخرى إلى حميدة الشاوش، فعينه التهامي الأگلاوي خليفة له على بلاد تدغة، فالتحق سنة 1936 م بمقر عمله بتنغير. ولا نتوفر على ما يسمح لنا بالتعرف على المراحل الأخيرة من حياة حميدة الشاوش وهو يمارس عمله كخليفة للأگلاوي بين قبائل أيت عطا. ولا تاريخ وفاته.

*وثائق محلية وتحريات ميدانية بدائرة زاگورة.*

G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Rabat, 1936 ; *Souvenir d'un colonialiste*, Paris, 1957.

أحمد البوزيدي

**شْتوكة** أو أشتُوكن أو هَشتوكة، قبيلة كبيرة تستقر وسط سهل سوس، ما بين نهري سوس وماسة. وقد وردت في مصادر مختلفة منذ العصر الوسيط، *كأخبار المهدي* للبيذق (ق. 12)، *وتاريخ ابن خلدون* (ق. 14)، كما وردت عند صاحب *ديوان قبائل سوس* (ق. 16) وأيضا عند مارمول (ق. 16). وتشير بعض المصادر إلى احتوائها على حوالي أربعين قرية، قسم منها يستقر في السهل والقسم الآخر في جبل جزولة.

ويصفها صاحب *الديوان* المذكور قائلا "هشتوكة جبلا وفحصا عندهم ألفان وخمسمائة سرجة. أهل مزال / وبنوباها / وإداونو / وإكونكا / إمجكيكيلن / وإداكاران / وأهل ميلك / وأهل لوكانة / وأهل الحلت/ وبنومريبط/ وكدية بني حامد /وأهل حامد / وأهل وادريم/ وسندالة". (الحساني، *ديوان*...، ص. 22-23). ولم تبق شتوكة كما كانت في القرن العاشر (16 م)، بل انضافت إليها قبائل أخرى، وردت في تقرير De Segonzac (ق. 19)، ولم ترد في الديوان المذكور وهي: أيت عميرة وأيت بكو وأيت بوطايب وأيت بولفاع وأيت علال وأيت عمر وإيد أوبوزيا وأيت إيعزا" (De Segonzac, p. 305). ولعلها وفدت على المنطقة في القرن السابع عشر والثامن عشر. وتتوفر بعض الأسر على وثائق تثبت أصلها الصحراوي.

إن استقرار قبائل شتوكة وسط سهل سوس الذي يربط بين الشمال والجنوب، يجعلها معرضة لزحف قبائل متعددة. لذلك فهي في تحول مستمر، وتساهم في مختلف الأحداث التاريخية، كما تتأثر بكل الحركات التي تمر بالمنطقة، فهي تساند الثورات، لكنها سرعان ما تتعاون مع المخزن، وذلك بسبب وقوعها وسط سهل مكشوف، على عكس المناطق الجبلية المحصنة.

ساهمت بقوة في الدفاع عن المخزن السعدي. فعندما استصرخ زيدان بأبي زكريا الحاحي ضد أبي محلي، هبت قبائل شتوكة لنصرته. ويقول عنها أبو زكريا في رسالة إلى أبي محلي ما يلي: "... وقد أتيتك بأهل البنادق والأضرار من شبانة ومن انتمى إليهم من بني جرار وأهل الشرور والبؤس من هشتوكة إلى بني كنسوس..." (الإفراني، *نزهة...*، ص. 208).

وفي عهد المولى إسماعيل، كان خليفة المخزن، المستقر بتارودانت يعتمد على القبائل العربية المستقرة بضواحي المدينة... وكذلك على كونفدرالية إيحاحان وأشتوكن (شتوكة) (Montagne, *Un magasin...*, p. 226). وفي عهد المولى عبد الله كانت قبائل شتوكة تناصره. ووجدنا أن السلطان، قد أرسل سنة 1737/1150 ظهير توقير لأحد فقهاء هشتوكة لما كان لهم من تأثير على السكان، وهو سيدي محمد بن أحمد التاكوستي من قبيلة أيت صواب وأذن له "... أن يقبض الجزية من يهود هذا الإقليم السوسي. أينما كانوا من جبل أو (أوطا) من غير منازع ولا معارض". (السوسي، *المعسول*، 8 : 75).

ويستنتج من هذا الظهير أن شتوكة كانت تابعة للمخزن في هذا الوقت، على عكس قبائل سوس الأقصى. وفي سنة 1754/1168 وقفت ضد الثائر الشريف الكثيري بوتكلا حيث "اتفقت عليه هوارة وشتوكة، فنهضوا إليه وقتلوه" (الضعيف، *تاريخ*، 118). ووقفت أيضا بنفس الطريقة ضد الثائر المكاوي "الذي تخطى واد الغاس ليستولي على عاصمة سوس (تارودانت) إلا أن الهشتوكيين وجيش الحكومة تحت سلطة المولى سرور خليفة السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل في تلك المدينة لاقوه في بسيط (هشتوكة) فأصيب الثائر في رأسه برصاصة..." (السوسي، *المعسول*، 4 : 26). يبين كل هذا أن قبائل شتوكة، كانت ناصرة للمخزن وشيعته، حتى في الفترات التي عرف فيها قمة ضعفه كالاضطرابات (1727 - 1757).

وتنتمي أغلب قبائل شتوكة إلى حلف "تحكات" أحد الأحلاف القبلية الكبرى بسوس، والذي يتميز عادة بتحالفه مع المخزن ضد حلف تاكوزولت المعارض للسلطة المركزية. وهذا ما يفسر كون قبائل شتوكة متحالفة مع المخزن، ضد مختلف الثورات، لأن أغلبها ينطلق من قبائل جزولة التي تنتمي إلى ذلك الحلف. ونجدها تقف إلى جانب السلطان ضد إمارة سيدي هاشم المرتكزة على حلف إكيزولن. وتؤدي للمخزن كل الكلف المفروضة عليها رغم وجود بعض التمردات من حين إلى آخر. وفي سنة 1834/1251 كانت ثلاث قبائل من شتوكة قد دفعت وحدها، للمخزن من المال 3.832 مثقال. (*كناش* رقم 15 خ. ح. الرباط).

وفي سنة 1882 وأثناء حركة الحسن الأول لسوس، قسم أشتوكن إلى قسمين: أهل أزغار وعين عليهم إبراهيم الدليمي، الذي يحكم على القبائل التالية: أيت الدليمي، وإيداومنو، وأيت بها وملال، وأيت عميرة، وإنشادن، وأيت بكو، وأيت بلفاع، وأيت إيلوكان، وأيت ملك، وأيت عمر. وبعد 1888 تسلم القيادة الحسين بن إبراهيم.

أما أهل الجبل والدير، فقد عين عليهم القائد علي الكارني ويحكم القبائل التالية: إيداوكان، وأيت إعزا، وأيت بوطايب، وإيكونكا، وأيمجكيكلن، وأيت باها ودرار، وأيت مزال، وإسندالن. "فلما رجع السلطان مولاي الحسن إلى مقره مراكش، قام أهل سوس، من وادي سوس إلى وادي ماسة، على ساق واحدة، ليمحوا من فيه رائحة المخزن، فهدموا ديار (القواد) بهشتوكة وهوارة ورأس وادي سوس..." (الاكراري، *روضة*، 70). وبعد ذلك أرسل المولى عبد العزيز محلته، وخيمت في وسط سهل شتوكة بتابوحنايكت سنة 1896/1314، فقامت شتوكة، ومن معها من القبائل الأخرى "فأكلوا المحلة". وجهز القائد المخزني سعيد الكيلولي محلة أخرى تمكن بواسطتها من السيطرة على شتوكة وهزمهم.

هكذا نجد أن قبائل شتوكة تعتبر من أكبر قبائل سوس التي لعبت أدوارا تاريخية في تاريخ سوس، وشكلت عماد المخزن في نشر نفوذه في سوس الأدنى، ومركز انطلاق الحركات المخزنية نحو سوس الأقصى، وخاصة ابتداء من القرن الثامن عشر. غير أن تحالفها مع المخزن يبقى مع ذلك مسألة نسبية.


بنعلي الحساني، *ديوان قبائل سوس*، تح. أفا عمر، الدار البيضاء، 1989 ؛ م. الإفراني، نزهة *الهادي*، إشراف السيد هوداس؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء الثامن، الدار البيضاء، 1962 ؛ الجزء الرابع عشر، مطبعة النجاح، البيضاء، 1962 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. العماري ؛ *كناش* رقم 15 خ. ح. ورقة 3، الرباط ؛ م. بن أحمد الإكراري، روضة الأفنان، تح. أنوش، أكادير، 1998.

M. De Segonzac, *Voyage au Maroc (1899-1901)*, Paris, 1903 ; R. Montagne, *Un magasin collectif de l'Anti-Atlas. Hesp.*, Tome IX, 2° et 3° trim., 1929.


محمد حنداين

**شتوكة ـ أيت بَـها**، أحد أقاليم جهة سوس ـ ماسة ـ درعة، يمتد على مساحة 3.644 كلم2، تحده من الشمال عمالة إنزكان ـ أيت ملول ومن جهة الشمال والشرق إقليم تارودانت، ومن الجنوب إقليم تزنيت، ويشرف من الجهة الغربية على المحيط الأطلنتي بساحل رملي يتعدى طوله 36 كلم. ويشكل في نفس الوقت أحد الأقاليم التابعة لولاية أگادير.

يعتبر إقليم شتوكة ـ أيت بها إقليماً فتياً، أحدث سنة 1992، بعدما كان يشكل دائرة تابعة لإقليم أگادير. يتكون من ثلاث دوائر هي أيت بها وبيوكرى وبلفاع ـ ماسة، ومن 22 جماعة، منها 20 جماعة قروية، وجماعتين حضريتين هما بيوكرى وأيت بها.

تمتد الدائرة الترابية لهذا الإقليم على مجال تضاريسي متنوع، تتجابه عنده التضاريس السهلية الممثلة في سهل

شتوكة ـ ماسة بالتضاريس الهضبية والجبلية التي تميز الأطلس الصغير الغربي.

فالتضاريس الجبلية، تمتد شرق الإقليم، وهي جزء من كتلة أكردوس، يتكون من صخور قديمة تعود إلى مرحلة ما قبل الكمبري، عبارة عن مواد اندفاعية شديدة التنوع وصخور متحولة من الكوارتزيت. هذه الصخور الصلبة ذات المقاومة العالية تتوافق مع مجموعة من الأعراف العالية يعتبر "جبل لكست" الذي يتجاوز علوه 2350 م من أشهر قممها.

وتشرف هذه الكتلة الجبلية في اتجاه الغرب على شريط هضبي متوسط ارتفاعه في حدود 750 م، وهو في الواقع عبارة عن سطح تعرية يقطع مواد السلسلة الرسوبية المنتمية للزمن الأول التي تغطي مواد الكتلة القديمة السالفة الذكر. وما يميز هذا الشريط الهضبي هو تقطعه الشديد، وإشرافه على سهل شتوكة في اتجاه الغرب بحافة جيدة التشخيص يتجاوز مداها 100 م. وترتبط هذه الحافة بانكسار مهم له علاقة بحادث شمال الأطلس الصغير، المسؤول عن تهدل سهل سوس ـ شتوكة ـ ماسة ورفع الأطلس الصغير.

سهل شتوكة ـ ماسة، عبارة عن سهل منحصر بين الساحل وحافة الأطلس الصغير، متوسط ارتفاعه 150 م. يتخذ مظهراً متموجا يزداد وضوحاً في اتجاه خط الساحل وذلك بالارتباط مع نشر المواد الرملية الشاطئية التي تتمكن من التوغل بعيداً نحو الداخل.

نظراً لموقعه الجنوبي فإن إقليم شتوكة ـ أيت بها يقع نظريا بنطاق جاف، غير أن الظروف المحلية التي تجعله يتمتع بتضاريس عالية من جهة، وتجعله ينفتح على البحر من جهة ثانية، تساهم بشكل قوي في تلطيف المناخ المحلي. فمتوسط الحرارة السنوية هو في حدود 21 درجة، مع فارق واضح بين حرارة الشتاء الدنيا 14 درجة وحرارة الصيف العليا 27 درجة. أما متوسط التساقطات المطرية فإنه في حدود 260 ملم، مع تفاوت واضح في التوزيع بين المناطق الجبلية التي يرتفع معدلها إلى حدود 300 مم (محطة أيت بها)، والمناطق السهلية التي ينزل معدلها إلى 220 مم (محطة بيوكرى).

إن هذا المناخ الملطف ساهم إلى حد كبير، على غرار باقي مناطق سوس، في وجود غطاء غابوي كثيف نسبيا يمتد على مساحة تتجاوز 90.000 هكتاراً، ويتكون أساسا من نوع نباتي فريد يتمثل في شجرة أركان التي تتكيف بشكل بديع مع ظروف الوسط الطبيعي المحلي. وتغطي شجرة أركان وحدها حوالي 84000 هكتار، هو ما يماثل حوالي 11,5٪ من مجموع مساحة غابة أركان المنتشرة داخل جهة سوس ـ ماسة ـ درعة التي ينتمي إليها الإقليم.

كما أن هذا المناخ يوفر إتاوات مائية تبقى مهمة نسبيا، تمكن من تغذية شبكة مائية سطحية يعتبر واد ماسة الذي يبلغ متوسط صبيبه السنوي حوالي 138 مليون م3 من أشهر عناصرها. كما تمكن الموارد المطرية من تغذية الفرشات الجوفية التي تعرف توسعا ملحوظاً عند سهل شتوكة ـ ماسة حيث تستقر فرشة يتجاوز متوسط مذخراتها المائية 41 مليون م3. وقد شكلت هذه الموارد المائية السطحية والجوفية، ومنذ القديم، قاعدة أساسية لقيام نشاط زراعي مسقي توسع وتطور اليوم بشكل كبير، حيث أصبح الإقليم يتوفر على إحدى الدوائر السقوية المهمة على الصعيد الوطني، وذلك

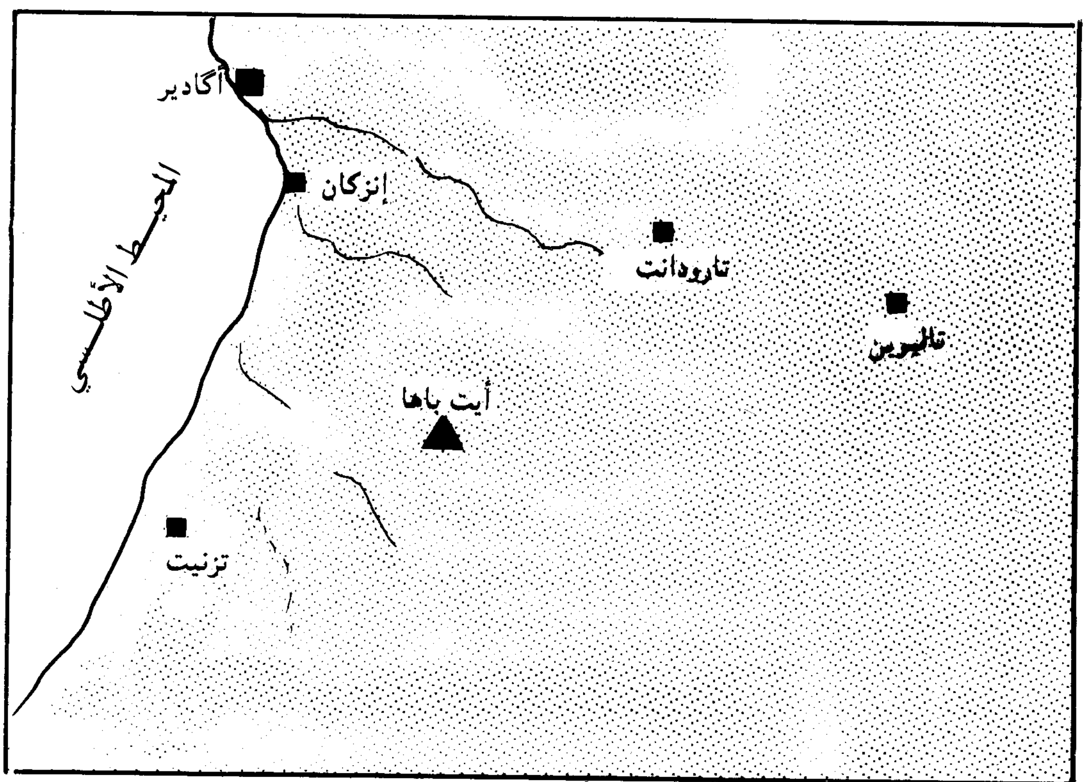


شتوكة أيت باها (إقليم)

بعد تجهيز واد ماسة بسد يوسف بن تاشفين منذ سنة 1973 ليخزن أكثر من 300 مليون م3.

يقدر حالياً مجموع ساكنة إقليم شتوكة ـ أيت بها بحوالي 256000 نسمة، وحسب نتائج إحصاء 1994 كان في حدود 240000 نسمة، وهو ما يعادل 9,1٪ من مجموع سكان جهة سوس ـ ماسة ـ درعة، وحوالي 0,9٪ من مجموع سكان المغرب. وبتتبع نمو سكان الإقليم خلال العقود الأخيرة يتبين أنه يعرف نمواً متواصلاً في عدد سكانه، فخلال سنة 1982 لم يكن يتجاوز 205344 نسمة، وهو ما يعني أنه يعرف نسبة نمو تتجاوز 1,3٪ في السنة.

ويرتبط هذا النمو في حجم السكان بقوة الجذب التي أصبحت تتمتع بها المناطق السهلية التي عرفت انتفاخا بينا في ساكنتها الريفية وتوسعا متواصلا للظاهرة الحضرية بها. وذلك على عكس المناطق الجبلية التي تسجل مختلف جماعاتها القروية تراجعا في حجم سكانها بلغ متوسطه السنوي ـ 0,62٪ بدائرة أيت بها خلال الفترة الفاصلة بين سنتي 1982 و1994.

بلغ مجموع السكان الحضريين سنة 1994 حوالي 25600 نسمة، وأكبر المراكز يبقى هو بيوكرى، عاصمة الإقليم، بساكنة بلغت 13885 خلال نفس السنة. وعلى الرغم من أن نسبة السكان الحضريين تبقى محدودة وتبتعد كثيراً عن المعدل الوطني لأنها لم تتجاوز 10,7٪، فإنه لابد من تسجيل أن الظاهرة الحضرية تعرف توسعا سريعا جعل بعض المراكز مثل بيوكرى تسجل نسبة نمو تتجاوز 11٪ سنويا خلال نفس الفترة الإحصائية المذكورة. وفي نفس الوقت توسعت مجموعة من الدواوير وتحسن مستوى تجهيزاتها الجماعية فأصبحت تشكل مجالا حضرياً حقيقياً مثل ماسة وإنشادن وبلفاع وأيت عميرة وسيدي بيبي.

ونظراً لخصوصياته الطبيعية، فإن اقتصاد إقليم شتوكة ـ أيت بها يرتكز على قطاعين أساسين هما الزراعة والسياحة. وإذا كان القطاع الأول قد عرف استثماراً مهما جعل الإقليم من المناطق الزراعية المتطورة على الصعيد الوطني، فإن قطاع السياحة مازال لم يجد الطريق نحو استثمار الطاقات والإمكانيات الواعدة المتوفرة في هذا الباب.

تبلغ مساحة الأراضي الزراعية حوالي 138000 هكتار، ويمكن التفريق داخل النشاط الزراعي بين قطاعين مختلفين قطاع البور الممتد على حوالي 110000 هكتار، والقطاع المسقي الذي يشمل حوالي 28000 هكتار. القطاع الأول ينتشر حيثما تتوفر الأتربة اللازمة لظهوره، لكن مردوديته تبقى محدودة بسبب ضعف التساقطات المطرية، ويقتصر في الغالب على زراعة الحبوب من نوع الشعير. وأما القطاع المسقي فإنه يظهر حيثما تتوفر المياه السطحية والجوفية، ويمكن التفريق بداخله هو الآخر بين القطاع المسقي الأصلي المعروف بـ "التقليدي" والقطاع المسقي "العصري" الذي عرف توسعا لافتاً بتدخل من الدولة وأيضاً بمبادرات القطاع الخاص.

يمتد القطاع المسقي التقليدي على طول المجاري المائية، وعلى الخصوص عند القطاعات التي توفر في نفس الوقت الأتربة اللازمة وإمكانية تعبئة المياه السطحية والجوفية سواء بالمناطق الجبلية أو السهلية. وتقدر المساحة الإجمالية لهذا القطاع بحوالي 10000 هكتار، ويبقى أهم قطاع مسقي تقليدي هو الذي يستقر حول مجرى واد ماسة الأسفل، وهو القطاع المعروف باسم "تسيلا وأوغزفن" الذي يغطي حوالي 1230 هكتار، وهو الآن يستفيد من جزء من مياه سد يوسف بن تاشفين، حيث تم الاعتراف بحقوق الفلاحين المائية القائمة قبل بناء السد.

أما القطاع المسقي العصري فإنه يتمثل في الدائرة السقوية المعروفة باسم شتوكة ـ ماسة التي أنشأتها الدولة على مساحة 18300 هكتار. وتشكل هذه الدائرة قطاعا مسقياً عصرياً متطوراً، وذلك لأنه أنشئ على أراضي بورية بالأساس، وتم تجهيزه بشبكة ري حديثة نصف ـ متحركة تعتمد على تقنية الرش. وقد وجه هذا القطاع لإنتاج البواكير الموجهة للتصدير بالدرجة الأولى، نظراً لما يتوفر عليه من خصوصيات طبيعية مواتية. وعلى الرغم من المشاكل المرتبطة بتواتر السنوات الجافة وما لها من انعكاس على عدم انتظام الواردات المائية، وعلى الرغم من الصعوبات التي أصبح يعرفها تصريف الإنتاج نحو أوربا، فإن قطاع شتوكة ـ ماسة يبقى من القطاعات الفلاحية المسقية المغربية الرائدة فيما يخص إنتاج وتصدير البواكير.

إضافة إلى هذا القطاع المسقي العمومي، فإن الإقليم يعرف توسعا متواصلا للمساحة المسقية العصرية بمبادرة من الخواص، ويتجاوز هذا القطاع حالياً 7500 هكتار.

وبسبب طبيعة إقليم شتوكة ـ أيت بها وما يوفره من مجال رعوي، يوفر للسكان إمكانية مزاولة نشاط تربية الماشية على نطاق واسع. وقد بلغ حجم القطيع خلال موسم 96 ـ 1997 حوالي 332000 رأس، 58٪ منها يمثله قطيع الماعز والثلث يمثله الغنم، والباقي يقدمه قطيع البقر الذي يقترب من 30000 رأس. وبالطبع فإن أهمية هذا القطيع الأخير يرتبط بالزراعات العلفية التي تمارس على نطاق واسع داخل الدوائر السقوية. وتجدر الإشارة إلى أنه بالإضافة إلى هذه القطعان المحلية، فإن تراب الإقليم يستقبل سنوياً قطعان القبائل الرحل الصحراويين. وإذا كانت هذه الظاهرة مألوفة وتعود إلى مراحل تاريخية قديمة، فإنها أصبحت تطرح مجموعة من المشاكل المتعلقة بتدبير المجال الرعوي المحلي، خصوصاً خلال السنوات الأخيرة التي أصبحت فيها قطعان الرحل تصل بأحجام كبيرة لا يحتملها المجال الرعوي المحلي.

يتمكن السكان عند الساحل من مزاولة نشاط الصيد البحري، غير أنه يبقى محدود الأهمية بسبب غياب البنيات التحتية، فالإقليم لا يتوفر على أي مرفأ. لذلك يقتصر هذا النشاط على الصيد بمراكب صغيرة لا يتجاوز عددها 400 وحدة، وأيضاً على الصيد السياحي عند الساحل. ويقدر مجموع حجم الصيد بحوالي 1000 طن في السنة.

لقد ساهم هذا النشاط الزراعي الكثيف في ظهور مجموعة من الأنشطة الموازية مثل الصناعة، وإن كان مستوى الاستثمار بهذا القطاع يبقى ضعيفا بسبب المنافسة القوية التي تحدثها مختلف الأحياء الصناعية بأكادير الكبرى المجاورة. فمجموع الوحدات لا يتعدى 24، وجلها متخصص في الصناعة الفلاحية المتمثلة في وحدات تلفيف الخضر والفواكه. مجموع مناصب الشغل المتوفرة في حدود 1500 منصب، وبالطبع فإن العمل يخضع لموسمية النشاط الفلاحي.

خارج النشاطين الزراعي والصناعي يعرف الإقليم نشاطا سياحيا محدوداً لا يتطابق مع ما يتوفر عليه من رصيد سياحي مهم. فإقليم شتوكة - أيت بها يتوفر على واجهة بحرية رملية، وعلى مشاهد طبيعية جبلية خلابة، وعلى تنوع أحيائي نباتي وحيواني كثيف، وعلى إرث ثقافي محلي غزير بمكوناته المعمارية والفلكلورية...، لكن هذا الرصيد لم يجد بعد طريقه نحو الاستثمار على الرغم من كون الواجهة البحرية تدخل في إطار مجال الشركة الوطنية لإعداد خليج أكادير التي لم تتمكن بعد من إخراج محطة "تفنيت" المبرمجة ضمن أنشطتها إلى الوجود. وكل ما يتم تسجيله من حركة سياحية حالياً يتم فقط على هامش محطة أكادير الدولية.

ومن بين الركائز والأنشطة المدرة للدخل داخل الإقليم لابد من الإشارة إلى عائدات الهجرة. إن إقليم شتوكة - أيت بها يعتبر من الأحواض الهجرية الأولى في المغرب. لقد تعود أبناءه على الهجرة منذ القديم من أجل العمل ومن أجل التجارة على الخصوص، سواء نحو دول أوربا أو نحو باقي الأقاليم المغربية.

إن إقليم شتوكة - أيت بها يعتبر من الأقاليم التي لا يزال الطريق أمامها طويلا من أجل تحقيق التنمية، غير أن هذا لا يمكن أن يتم دون أن تؤخذ بعين الاعتبار مجموعة من التحديات والرهانات التي لا يمكن تحقيق التنمية المتوازنة والدائمة دون رفعها.

فمن القضايا التي يجب الخوض فيها دونما انتظار هناك عدم التوازن الصارخ على مستوى إعداد التراب بين المناطق الجبلية التي تعرف تفريغاً حقيقياً والمناطق السهلية التي تعرف تكدسا بشريا بسبب استقطابه للعاملين من كل الآفاق. واستمرار هذه النزعة لا يمكن إلا أن يدعم هذا الاختلال وما يمكن أن يترتب عنه من مشاكل على مستوى تدبير المجال.

ومن القضايا المطروحة أيضاً يعرف إقليم شتوكة - أيت بها تطوراً ملحوظاً فيما يخص ظاهرة التمدين، فبعدما كانت نسبة الحضريين لا تتجاوز 5،4٪ سنة 1982 أصبحت تتجاوز 10٪ سنة 1994. ويرتبط هذا التضخم بالطبع بالدينامية الاقتصادية التي يعرفها الإقليم، لكن أيضاً بالضغط الذي تعرفه مراكز أكادير الكبرى، وبالتطور والنمو الذي عرفه قطاع النقل بين مختلف المراكز الحضرية بسوس الأسفل. وهكذا فقد أصبحت تتوسع مجموعة من التجمعات البشرية بسرعة فائقة وهو ما يتطلب وضع المخططات اللازمة والمحكمة للتحكم في الظاهرة والحيلولة دون الانزلاق نحو المشاكل التي يعرفها باقي المجال الحضري الوطني.

إن المحرك الحقيقي للتنمية بالإقليم وعموم أقاليم منطقة سوس - ماسة ظل ولا يزال هو الموارد المائية. غير أنه خلال العقود الأخيرة أخذ يتبين شيئاً فشيئاً أن المنطقة متوجهة لا محالة نحو وضعية خصاص في الآجال القريبة، وهو ما يمكن أن يندر بحجم المعضلة المتربصة بالمنطقة. صحيح أن السنوات الجافة المتلاحقة قد ساهمت في تقلص حجم الموارد المائية، لكن المسؤولية الكبرى تعود إلى نظام تدبير هذه الموارد وخصوصاً الموارد المائية الجوفية التي تتعرض لاستغلال لا يتوافق ومستوى تجددها. فقد أصبحت فرشة شتوكة، على غرار فرشة سوس، تسجل حصيلة سلبية متواصلة بلغت خلال سنة 1998 حوالي 18،5 مليون م3. وعليه فإن مستقبل الإقليم سيبقى رهيناً بالطريقة التي سيتم التعامل بها مع الموارد المائية.

وبالارتباط مع هذه العوامل مجتمعة، وما يرافقها من ارتفاع في الكثافة البشرية وفي تكثيف استغلال الموارد الطبيعية، وبالارتباط أيضاً مع طبيعة الوسط الطبيعي الهشة، فإن خطر التصحر لم تعد ملامحه خفية داخل الإقليم. فتراجع المساحة الغابوية أمر قائم، وكذلك تدهور التربة وزحف الرمال. غير أن الإقليم، ومن أجل معالجة الوضع وصيانة اختلالات البيئة المحلية، أصبح يتوفر على بعض الفرص ومنها منتزه سوس - ماسة الذي يغطي كل الجبهة الساحلية، وكذلك مشروع محمية أركان للمجال الحيوي الذي يغطي كافة الدائرة الترابية للإقليم. وزيادة على ذلك فإن الإقليم أصبح مشهوراً، على الصعيد الوطني، بنشاط وعمل الجمعيات المحلية التي أصبحت تأخذ بزمام المبادرة في كثير من قضايا التنمية المحلية.

*المصادر المذكورة داخل النص ؛ دراسة ميدانية.*

الحسن المحداد

**الشتوكي، إدريس**، رياضي من مواليد الدار البيضاء سنة 1928/1347،46 انضم إلى صفوف فريق الوداد البيضاوي منذ طفولته، وكان وحيد زمانه عطاء وممارسة إلى جانب ثلة من نجوم الكرة آنذاك، حيث شكل صحبة جُماد وعبد السلام أجمل وأفضل ثلاثي كروي عرفته الساحة الرياضية المغربية. من مميزات الشتوكي اللعب بطلاقة في أي مكان حتى حراسة المرمى. وقد قال عنه أحد الصحفيين الفرنسيين: لاعب سبق زمانه بما آتاه الله من موهبة وتقنيات قَلَّ نظيرها رغم نحافة جسمه وقصر قامته. اكتشفه في فرق الأحياء المدرب المحنك

الأب جيگو وأقحمه في صفوف الوداد الذي كان يسيره السيد بنجلون. اختير أحسن لاعب في شمال إفريقيا واحترف بأندية فرنسية كبرى كفريق نيس وفريق بوردو ولعب ضمن الفريق الوطني الأولمبي الفرنسي في فترة الحماية.

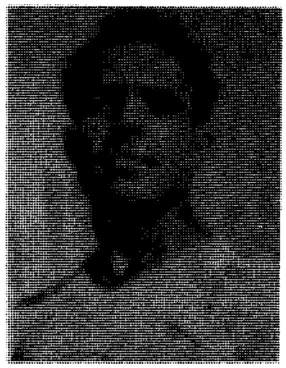

لم تنل من وطنيته كل الإغراءات التي بسطت أمامه وظل وفيا لبلده ولأبناء وطنه، حيث تقلد مسؤولية تأسيس فريق الجيش الملكي بأمر من الحسن الثاني الذي كان مغرما بطريقة لعبه لما كان وليا للعهد، وعمل الشتوكي كمدرب ولاعب واكتشف عدة مواهب كروية كالجنرال حسني بنسليمان والكولونيل بلمجدوب قبل أن يعاوده الحنين إلى فريقه الأول الوداد كلاعب. وبحكم عمله في إدارة المكتب الشريف للفوسفاط فضل الاستقرار بمدينة خريبگة ولعب مع الأولمبيك المحلي، ومن ثم تقاعد عن العمل ولزم البيت إثر وعكة صحية ألزمته الفراش.

عبقرية هذا الرجل غير موثقة وطنيا، لكن أرشيف الرياضة الفرنسية تحتفظ بأشرطة مصورة لإنجازات هذه المعلمة الرياضية.

توفي مساء يوم الجمعة 6 صفر 19/1423 أبريل 2002 ودفن بمقبرة الشهداء بالدار البيضاء.

ع. الله رشد، *تاريخ الرياضة بالمغرب*، 1918 - 1998، الدار البيضاء ؛ الحسين الحياني، *العربي بنمبارك لاعب القرن*، القنيطرة، 2000 ؛ جريدة *العلم*، ع 18967 - 21 - 4 - 2002 ؛ *رواية شفوية ؛ وثائق خاصة*.

محمد بلعربي

**الشتيوي، مصطفى**، قائد كان يرأس فرقة المدفعية في معركة وادي المخازن وإليه أوكل عبد المالك المعتصم مهمة اطلاق أول طلقة مدفعية ضد الجيش البرتغالي.

Ojeda Luis de, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian* (*S.I.H.M. France* I, pag. 575 - 627).

محمد ابن عزوز حكيم

**شَجَاعْدِينْ، البشير**، مقاوم ولد بقبيلة أولاد سعيد سنة 1919. درس بالمدرسة القرآنية في سيدي علال القيرواني بالمدينة القديمة في الدار البيضاء، حصل على شهادة التعليم الثانوي من ثانوية ابن يوسف بمراكش، ثم على شهادة العالمية من جامعة القرويين في فاس. درس بمدرسة محمد بن يوسف في الدار البيضاء. كان من مسيري خلايا حزب الاستقلال ومؤطرا لأول خلية فدائية تأسست في الدار البيضاء. ألقي عليه القبض سنة 1954 وتعرض للتعذيب مدة أربعين يوماً. حكمت عليه المحكمة بعشر سنوات سجنا انفراديا في سجن عين قادوس بفاس وضعفها نفيا خارج الدار البيضاء. درس في ثانوية الأرميطاج بالدار البيضاء.

توفي في زلزال مدينة أگادير ليلة الاثنين ثاني رمضان عام 1379 / 29 فبراير 1960.

من شهادة شقيق صاحب الترجمة.

محمد وحيد

**شجرة الطبوع**، مصطلح موسيقى "الآلة الأندلسية"، وهو جدول مرسوم يعكس طبوع الموسيقى الأندلسية المتداولة بالمغرب، يذكر أصولها، ويرد إلى كل أصل ما تفرع عنه من الطبوع.

وتعتبر رسالة محمد البوعصامي المتوفى أواسط القرن الثاني عشر، أول مصدر مغربي ورد فيه ذكر هذا المصطلح. يقول البوعصامي: وهذه شجرة تجمع الأصول والفروع إن شاء الله تعالى...

وإذا كانت نسخة الخزانة الحسنية الوحيدة خالية من رسم هذه الشجرة، فقد تناقلته مصادر أخرى من بينها كتاب *الأنيس المطرب* للعلمي في ترجمة لمحمد البوعصامي.

ويطلق على شجرة الطبوع في تونس مصطلح (ناعورة الطبوع).

م. البوعصامي، *إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع*، مخ. بالخزانة الحسنية ضمن مجموع (14) رقم 11333 ز من ص. 221 إلى ص. 245. تح. ع. العزيز ابن ع. الجليل، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة التراث، 1995 ؛ عبد العزيز بن ع. الجليل، معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، 1992، ص. 59 ؛ م. بن الطيب العلمي، *الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب*، ط. حجر فاس، ص. 163.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الشجع**، (قبيلة)، يُحدّد موطنها اليوم بعمالة تاوريرت التابعة لولاية وجدة حسب التقسيم الإداري الجديد، يخيم قسم منها بجوار مدينة العيون الشرقية - أي قصبة عيون سيدي ملوك سابقا - حيث يطغى على جل فصائله طابع الاستقرار، ويخيم قسم آخر بسهل تارفاطا شمال مدينة دبدو ويطغى عليه طابع الترحال. وتتفق مختلف المصادر على اعتبار القبيلة من أصول عربية، إلا أن هناك غموضاً في انتسابها إلى بني هلال أو إلى بني معقل، كما يلاحظ تباين بين المصادر في كتابة اسم القبيلة، تارة يُكتب اشجع وتارة

يُكتب السجع وتارة الشجع، ويرجح أن الصواب هو اشجع، وهناك قبيلة أخرى تحمل الاسم نفسه تستوطن أحواز مدينة فاس، غالبا ما تنعت بالشجع الشراگة. ومن الثابت أن بعض فصائل الشجع غادرت موطنها الأصلي بشرق البلاد واستوطنت أحواز فاس لما كانت في خدمة السلطان مولاي رشيد (*الاستقصا*، 7 : 41 ـ 42). مما يؤكد انتسابها إلى قبيلة الشجع المخيمة بشرق البلاد.

وكان الشجع يُعتبرون من عرب البدو الرحل، حيث كانوا يمارسون الانتجاع بين غرب بسيط أنگاد والهضاب العليا لمنطقة الظهرا جنوب رأس عين بني مطهر مرورا بسهل تافراطا، إلا أنهم كانوا يخيمون لمدة طويلة بجوار قصبة عيون سيدي ملوك. مما جعل بعض فصائلهم تميل إلى الاستقرار، فتعاطوا الزراعة إلى جانب الرعي، وهو ما أشار إليه الرحالة الفرنسي دوفوكو لما مرّ بموطنهم، ثم أكدت الوثائق المخزنية هذه الحالة في بداية القرن العشرين.

كانت قبيلة الشجع تتركب في الأصل من ثلاث فرق كبيرة وهي: الشراگة ـ الفلالْگة ـ الگنانة. لكن هذا التقسيم تغير مع مرور الزمن وتبدل الأحوال خصوصا في مطلع القرن العشرين، حيث صارت القبيلة تتكون من فرقتين رئيستين، استوطنت الأولى سهل تارفاطا واستقرت الثانية بجوار قصبة عيون سيدي ملوك، وهو ما يُلاحظ حاليا. وقد رسّخت أحداث الثائر الجيلالي الزرهوني المشهور باسم الروگي بوحمارة هذا التقسيم، حيث ناصرته فصائل الشجع أهل تارفراطا، بينما ظل الشجع المخيمون قرب العيون مناصرين للسلطة الشرعية. وفي العقد الأول من القرن العشرين تغيّر النسيج القبيلي حول قصبة العيون، إذ انضاف إلى قبيلة الشجع أولاد سيدي الشيخ إخوان الشيخ محمد العربي البوشيخي المشهور باسم بوعمامة، بعد أن صارت القصبة المذكورة مستقرا له ولأتباعه، وتعاظم أمر أولاد سيدي الشيخ بالمنطقة بعد فرض الحماية على المغرب سنة 1912، حيث صاروا يشكلون قبيلة مستقلة عن الشجع، وأصبحوا يعرفون باسم البوشيخيين، وبحكم الاستقرار وتقادم استغلال الأرض استحوذوا على مساحات كبيرة حول قصبة العيون كانت في الأصل ملكا لقبيلة الشجع، مما ترتبت عليه نزاعات بين الطرفين وجدت طريقها إلى المحاكم في خمسينيات القرن العشرين، وبناء على مبدإ تقادم الاستغلال صدر الحكم بتقاسم الأراضي بين الطرفين، والجدير بالتذكير أن المخزن سبق أن أوصي بذلك قبل عهد الحماية حين استفحل النزاع بين الجانبين.


ع. الرحمان ابن خلدون، *العبر*، 6 : 120، بيروت ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. 2، الدار البيضاء، 7 : 41. 42 ؛ اع. الرحمن ابن زيدان، *العز والصولة*، 1 : 161 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي*، ص. 70 . 71.

*Carte des tribus, Maroc, Province du Nord.* Division de la carte, Rabat, Réimpression en 1977 : Voinot, *Oujda et l'Amalat* ; La Martinière et La Croix, *Documents*, t. 1.


عكاشة برحاب

**الشجعي، أحمد** بن علال. ولد بفاس الجديد عام 1352/ 1933 من أسرة كان ربها يشتغل عاملا في شركة للنجارة. التحق أحمد بمدرسة سيدي مَجْبر الصناعية حيث حصل على "الكفاءة الصناعية" في الحدادة والترصيص والكهرباء عام 1951. وفي عام 1952 وظف عاملا في مصلحة البريد.

ظهرت ميوله نحو الموسيقى وهو ما يزال طفلا، فكان يحمل ضمن أدواته المدرسية نايا صغيرا. ويتصيد الفرص للنفخ فيه خلال فترات الاستراحة ومن حوله أصدقاؤه التلاميذ.

وقد اتضحت ملامح موهبته الفنية وتنامت لديه رغبة الانخراط في الحياة الموسيقية، فأخذ يرتاد محافل الغناء والطرب بالمدينة وبجنان السبيل التي كانت مقاهيها تتنافس في تقديم أجود الأغاني الشرقية والتونسية، كما أقبل على النوادي التي كان مطربو فاس يجتمعون بها لسماع الأغاني المشرقية والتمرن على أدائها، كنادي "جوق النهضة" بفاس الجديد الذي كان يرأسه عازف الكمان الفنان علي الهواري، ونادي الفنان بلعيد السوسي.

وقد تأتى للشجعي أن يتعرف على المطربين الفاسيين، وفي مقدمتهم المطرب محمد المزگلدي، والمرحوم عبد الرحيم السقاط الذي شجعه على تعلم العزف على الكمان، الأمر الذي حمل الفنان بلعيد على أن يفسح له مجال العمل في مجموعته.

وعلى امتداد سنتين كان أحمد الشجعي يترصد لحظات الفراغ من عمله الوظيفي ليقضيها في المحافل الموسيقية. فلما كانت سنة 1953 طلب منه الالتحاق بالرباط والانضمام إلى الفرقة الموسيقية التي تشكل منها الجوق العصري لدار الإذاعة.

وفي عام 1957 أسندت إليه بدار الإذاعة رئاسة "جوق المنوعات". وفي السنة نفسها أوفد إلى باريس للمشاركة في التدريب البيداغوجي التي احتضنته مدرسة مارتونو طوال شهر شتنبر.

وعندما دب النزاع عام 1960 إلى صفوف أعضاء الجوق الوطني البارزين بسبب التنافس على منصب الرئاسة عمدت الإدارة إلى الفصل بين هؤلاء بتنصيبهم على رأس الأجواق المحلية، فكان من نصيب أحمد الشجعي أن عين رئيسا لجوق إذاعة فاس، فيما عين المرحوم عبد القادر الراشدي على رأس جوق إذاعة طنجة، وعين محمد بن عبد السلام على رأس جوق ثالث بمكناس.

وفي فاس التأمت ثلة من الفنانين حول الشجعي، كان فيهم مغنون وعازفون وملحنون بارزون أمثال عبد الرحيم السقاط، ومحمد المزگلدي، ومحمد فويتح، والعابد ازويتن، والعربي بناني، وعبد الحي الصقلي. وسرعان ما أصبح جوق الإذاعة بفاس يَبُزُّ نظيره في العاصمة، وأصبح الفنانون الفاسيون يملأون الساحة بألحانهم، ومن بينها مقطوعات غنائية ووصلات ومعزوفات آلية أبدعها المترجَم.

وكان مما لحنه من الأغاني: نشيد الجلاء، وفرحة بلادي، وهما مما غناه المطرب محمد فويتح، ونشيد الوحدة الافريقية من غناء محمد الحياني.

ومن جهة أخرى أبدع الشجعي في تلحين مقطوعاته الآلية، ومنها: موسيقى أعراس، وفرحة السد، وإلهام، وأحلام، وزهور، وحبايب، وموسيقى أيام، وموسيقى سمراء، وفرحة الشعب، وذكرى، ونجوى العرش.

لقد كان أحمد الشجعي بحق واحدا من رواد "الموسيقى العصرية" بالمغرب الحديث، ملأ الأسماع بألحانه التي تفيض رومانسية وجمالا، كما كان عازفا متميزا على الكمان. وبوفاته في بحر السبعينيات فقدت الأوساط الفنية واحدا من أنشط عناصرها الفاعلين على مستوى العزف والتلحين والقيادة.

*حوار أجراه محمد الأزمي مع المترجم بإذاعة فاس عام 1970 ؛ معرفة شخصية.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الشجعي، حميدة** من كبار الموظفين المخزنيين في منتصف القرن الثالث عشر (19 م)، عيّنه السلطان عبد الرحمان بن هشام (1822-1859) عاملا عل مدينة وجدة خلفا للقائد علي بن الطيب الگنّاوي في 15 يوليوز 1844، أي قبيل معركة إسلي بحوالي شهر، ثم انتدبه للتفاوض مع السلطات الفرنسية بالجزائر المحتلة والتوقيع على اتفاقية خاصة بالحدود، طبقا لما نص عليه البند الخامس من معاهدة الصلح الموقعة بطنجة بين المغرب وفرنسا يوم 10 شتنبر 1844. ومن المرجح أن انتسابه لقبيلة الشجع ومعرفته لأحوال المنطقة الشرقية كان وراء تعيينه على رأس الوفد المغربي في مفاوضات للاّمغنية، وكانت الوثائق المخزنية في بعض الأحيان تسميه بأحمد الشرگي، ونرجح أن يكون ذلك نسبة إلى الشرگ، أي موطنه الأصلي بشرق المغرب، غير أن هناك من فسّر ذلك بانتمائه إلى الشجع الشراگة المخيمين بأحواز فاس، وهذه فرضية مستبعدة، لكون المترجم أنهى حياته العملية بصفته قائدا على إخوانه من قبيلة الشجع بشرق البلاد كما تؤكد ذلك الوثائق المخزنية.

اشتهر حميدة الشجعي في المصادر المغربية والفرنسية باعتباره مفوض السلطان في مفاوضات قرية للاّمغنية (أقصى غرب الجزائر)، إذ هو الذي وقّع اتفاقية الحدود يوم 18 مارس 1845 الشهيرة، والتي صارت فيما بعد قاعدة أساسية لإثبات معالم الحدود بين المغرب والجزائر. وقد تبيّن من تحفظ السلطان على بنود الاتفاقية المذكورة أنه لم يكن راضيا على رئيس الوفد المغربي، حيث اعتبر أن الحيف الذي لحق المغرب عقب توقيع الاتفاقية المذكورة ناتج عن سوء تدبير وتفريط من حميدة بن علي الشجعي، بل اتهمه السلطان بالسقوط في شباك الإغراءات الفرنسية، والمقصود بذلك سياسة "الضبلون" (أي الرشوة) التي اتبعتها فرنسا لنيل مبتغاها من المغرب الذي انهزم أمام جيوشها، غير أن تولي حميدة الشجعي ولاية وجدة بعد ذلك ثلاث مرات يؤكد أن المخزن قد أدرك ما يفرضه واقع الحال المترتب عن الغلبة والقوة على الطرف الضعيف في المفاوضات.

وللمترجم تجربة طويلة في الخدمة المخزنية منذ سنة 1844، حيث تولى ولاية وجدة ثلاث مرات كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ولما زار السلطان مولاي الحسن شرق البلاد سنة 1876، عينه قائدا على قبيلة الشجع وحدد له الإقامة بقصبة عيون سيدي ملوك (العيون الشرقية)، لكن السكان رفضوه وطالبوا تحكيم المخزن المركزي بينهم وبينه، وبعد التحقيق في أمر الخلاف الواقع بين الجانبين قرر السلطان إعفاءه من منصبه في نهاية سنة 1884. ومنذ هذا التاريخ انقطعت أخباره في الوثائق المغربية.

توفي بعد سنة 1301 / 1884 .

*ملف وجدة بمديرية الوثائق الملكية بالرباط، دورية الوثائق*، العددان 2.1 ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 5 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي*.

Voinot, *Oujda et l'Amalat* ; La Martinière et Lacroix, *Document*, 4 tomes ; I. Hamet, *Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger, Annale* 1, Alger, 1925 ; P. de Cossé-Brissac, *Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie 1830-1847*, *Hesp.*, 1931.

عكاشة برحاب

**الشخّار**، جنس أسماك متوسطة القد، تعيش في السواحل القليلة العمق بحار المناطق الحارة. كما هو شائع في اللسان الدارج بشمال إفريقيا تبث أصواتا خشنة ناتجة عن احتكاك الأسنان الحلقومية مما أدى إلى تسميتها بالشخار أو الزاجر. ثلاثة أنواع شائعة في البحار المحيطة بالمغرب، تصنف علميا إلى فصيلة هيموليدي Haemulidae. تصاد على طول السواحل المغربية عن طريق الصدفة بالشباك المستقيمة وبالجيبيات وبحبال الصنانير العمقية وبصنارة اليد. موجودة على طول السنة في الأسواق السمكية المغربية وتستهلك طرية.

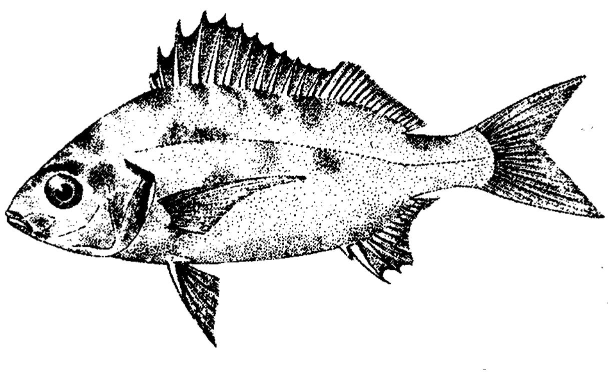

تتميز الأنواع بجسم مستطيل ومضغوط قليلاً. جانبية الرأس محدبة، الشفتان غليظتان والفم صغير إلى متوسط؛ يحمل الذقن من 2 إلى 6 مسام أمامية متبوعة أحيانا بشق

وسطي؛ يختفي الجانب العلوي للفك تحت محجر العين أثناء إغلاق الفم؛ الجانب العلوي للغشاء الخيشومي الأول محدب قليلاً ومسنن ؛ يحمل الغشاء الخيشومي شوكة غير واضحة. الأسنان خرطومية على صفوف ضيقة بالفكين وتوجد الأسنان الكبيرة على السلسلة الخارجية؛ القوس الفوهي بدون أسنان. زعنفة ظهرية واحدة تحمل 11 ـ 13 شوكة قوية و13 ـ 19 شعاعا لينا، تتكون الشرجية من 3 أشواك قوية ومن 7 ـ 13 شعاعا لينا، الصدريتان طويلتان؛ الذيلية مستقيمة إلى متشعبة قليلا. الحراشف مشطية وخشنة اللمس، تغطي الجسم بكامله والرأس ما عدا الخطم وأحيانا قاعدة الأشعة اللينة للزعانف.

ـ الشخار الزائف Pomadasysincisus يسمى أيضاً شبوكة في الدار البيضاء ورونفلور وبالفرنسية Grondeur métis وبالإنجليزية Bastard grunt وبالإسبانية Roncador وRonco mestizo يبلغ طول الكبار 50 سم وشائع بين 20 ـ 30 سم. لونه بني رمادي داكن جهة الظهر وفضي جهة البطن. يحمل الذقن سمَّين أماميين متبوعين بشق وسطي. عدد الأشواك الخيشومية السفلية 12 ـ 13 ؛ تتكون الظهرية من 12 شوكة والشرجية من 11 ـ 13 أشعة لينة. يعيش قرب الشواطئ على الرمال وبين الصخور في أعماق لا تتعدى 100 م. شائع في السواحل المتوسطية الجنوبية من مصر إلى المغرب وفي المحيط الأطلنطي من المغرب إلى أنكولا ويعيش أيضاً في البلقان وفي خليج ليون الفرنسي ونادر في جنوب إسبانيا.

ـ الشخار المخطط Parapristipoma (Diagramma) octolineatum يسمى بالفرنسية Grondeur rayé وبالإنجليزية African striped grunt وبالإسبانية Burro chiclero لا يتعدى طول الكبار 60 سم وشائع بين 20 ـ 30 سم. لونه بني بنفسجي على الظهر وفضي على البطن. تتكون الظهرية من 13 شوكة و14 ـ 15 أشعة لينة. يقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل المغربية والجزائرية والتونسية والإسبانية ويعيش أيضاً في السواحل الأطلنطية الممتدة من المغرب إلى أنكولا. يتغذى غالبا من الرخويات والقشريات ويعيش بين الصخور الشاطئية وفي الأعماق الرملية التي لا تتعدى 100 م.

الشخار المتوسطي Plectorhynchus medeterraneus يسمى أيضاً في الأسواق السمكية المغربية تغوالين وأباديش، وبورقيطي وتمتاش والميرو المزيف وبالفرنسية Grondeur rayé وبالإنجليزية Rubberlip grunt وبالإسبانية Burro chiclero. لا يتعدى طول الكبار 80 سم وشائع بين 45 ـ 60 سم. لونه أسمر وانعكاساته بنفسجية على الظهر وفضية على البطن. يحمل الذقن 6 مسام أمامية ولكن بدون شق وسطي؛ جانب الغطاء الخيشومي الأول مستقيم ويحمل أسنانا. على القوس الخيشومي الأول 19 ـ 20 شوكة خيشومية سفلية. تتكون الظهرية من 13 شوكة و14 ـ 15 أشعة لينة. يقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل المغربية والجزائرية والتونسية والبرتغالية الجنوبية ويعيش أيضاً في السواحل الأطلنطية المستدة من المغرب إلى أنكولا. يتوالد في فصل الربيع ويتغذى غالبا من الرخويات والقشريات ومن الحيوانات البلانكتونية. يعيش في الأعماق الرملية والوحلية وفي الحصى ونباتات بوزيدونيا في المياه الساحلية من 10 إلى 150 م.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي*، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, Rome, F.A.O. 1998.

محمد رمضاني

**الشداخ**، عائلة قيادية بقبيلة مسگينة، ضاحية أگادير، تولت القيادة رسميا أثناء نزول السلطان المولى الحسن في حركته الأولى بسوس سنة 1882/1299 في شخص القائد الحسين بن عبد الله الشداخ. ويُستشف من مظان مراسلات مخزنية أن جانبه كان ضعيفا بين جيرانه الكسيميين والحواريين، بل لقي حتفه في عراك مع هوارة سنة 1305. خلفه ابنه البشير بظهير حسني يحمل تاريخ 03 جمادى الأولى من سنة 1305 بعد أن زكاه مقدم زاوية بني تنانة وحلاه بالأهلية وتمكن من توقيع هدنة مع الهواريين.

بيد أن القلاقل لن تهدأ خاصة مع القائد الحاج أحمد الگسيمي بمركز إينزگان، الذي تمكن من أن يقتطع منه فرع أيت عباس وغدا إلى نظره رسميا، وبالتالي لم يعد الشداخ قائدا إلا على طرف من مسگينة.

بعد وفاة السلطان المولى الحسن تعرضت داره للخراب مثل معظم أقرانه عدا الگسيمي.

بعد سجنه هنيهة عاد إلى منصبه زمن السلطان عبد العزيز ووجد موقعا له في ظل سيادة الگلّوليين.

بالمقابل استمر صراعه مع الگسميين حول قضايا من أهمها: إدارة فرع أيت عباس، وتدبير شؤون الساقية الجهادية بالدشيرة وشؤون النزايل بين أگادير والصويرة، كما هو مثبت في شكاوى إلى المركز (1311ـ1312). وفي نفس الآن دب شنآن مرير مع الجيران : هوارة وهشتوكة (1313ـ1314) حسب روايات ممثلين مخزنيين "الزراوي والتمري الحاحي".

بعد ذلك فتك خليفة القائد عبد المالك المتوگي المهدي بأخ القائد البشير الشداخ (عبد السلام)، وعمت البلوى، وبعد حين دخلت المنطقة في مرحلة عصيبة.

بقي البشير حيا إلى زمن الحماية وفشلت ريحه، في حين احتفظت أسرة الگسيمي بجزء كبير من إشعاعها.

لقد كانت هذه الصورة انعكاسا لما عرفه السوس بكامله من فوضى زمن الگلولي والنفلوسي.

*أرشيف خ.ح* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 14 : 151ـ152 ؛ *المعلمة*، 835.

شيق أرفاك

**شدّاد، مولاي الحسن** بن أحمد، مقاوم ولد بإيداوتنانت بإقليم أگادير سنة 1924، ثم انتقل إلى الدار البيضاء، وكان عضوا نشيطا في صفوف منظمة الهلال الأسود، وكانت له قبل ذلك مشاركة في العمل الوطني بمدينة أسفي، فاضطر إلى مغادرتها بعد افتضاح أمره. عمل تحت إشراف الحسن الگلاوي، وزود منظمة الهلال بمسدس من عيار 6,35 ملم.

اغتيل يوم فاتح يناير 1956 بمدينة مراكش من قبيل أفراد أعضاء في "المنظمة السرية" إذ كانت الهلال الأسود ترفض عروض المنظمة السرية بإلقاء السلاح، لأنها ربطت ذلك بجلاء آخر جندي عن المغرب.

من شهادة المقاوم الهلالي عدنان محمد بنمسعودك ملف المقاومة رقم 400219.

محمد وحيد

**الشدادي**، أسرة فاسية - سلوية، ينسبون لبني شدّاد من القبيلة الزجلية بأعلى جبل شفشاون. وهم شرفاء أدارسة من العمرانيين غير الجوطيين. واختلف في نسب الجد عمران الذي ينتسبون إليه، قال النسابة علي ابن ريسون العلمي: الغالب على الظن أنهم ينتسبون إلى عمر بن إدريس الأصغر صاحب ترغة وصُحف اسمه إلى عمران. وقال غيره، وزعم أنه التحقيق، أنهم من ولد عبد الله بن إدريس دفين تَمْدُلت بسوس. والذي أعتمده الإمام القصار وغيره من النسابين أن جدهم عمران بن زيد من حفدة إدريس الأصغر دفين رأس القليعة من فاس. وذكر ابن علي الدكالي أن الشداد بين الفاسيين أصلهم من مدينة سلا، ومنها انتقلوا إلى سكنى فاس. وما زال بسلا طائفة منهم.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، المحمدية، 1999، ج 2 : 58 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 197.

**الشدادي، أحمد** بن علي الحسني الفاسي، فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، وخاصة ما يتعلق بفقه التوثيق وحساب الفرائض. ولي قضاء مدينة فاس الإدريسية والخطابة بجامع القرويين مرتين، وقضاء فاس الجديد ثم قضاء زرهون فوزان فطنجة، وكان لا ينقطع عن تدريس مختصر *خليل* وكتب الوثائق والحساب في القرويين، ألف *حاشية على الزقاقية، وأخرى على العمل الفاسي*، وله *تقاييد تاريخية مفيدة*.

توفي بفاس في 16 رجب عام 21/1163 يونيه 1750 ودفن خارج باب القريعة.

م. القادري، *نشر المثاني*، موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 6: 2161 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، ج 1 : 341 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*، الدار البيضاء، ط 2، 1960 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988، ص. 187.

**الشدادي، الحسن** بن عبد الرحمن بن أحمد الشريف الحسني الفاسي. ولد بفاس في حدود عام 1834/1250. حلاه تلميذه عبد الحفيظ الفاسي في *رياض الجنة* "بالفقيه العالم العدل ... "كان عدلاً مبرزاً شهير الفكر مقصوداً معظماً محترماً معروف القدر شهير الحسن، جميل السمت جميل السيرة حسن الاعتقاد كريم النفس" أخذ عن شيوخ عصره بفاس، أمثال محمد گنون وأبي عيسى ابن الحاج. كان مقبلاً على التدريس ثم انقطع عنه عندما انتصب لتعاطي العدالة.

أجاز تليمذه عبد الحفيظ الفاسي إجازة عامة وبما له من روايات مسلسلة كثيرة عن طريق مجيزه عبد القادر بن مصطفى المشرفي الراشدي المعسكري.

توفي بفاس في 13 ربيع الأول تمام 1329 / 14 مارس 1911.

ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، الرباط، 1931، ج 2 : 9 . 10.

محمد حجي

**الشدادي، الصديق** بن مَحمد الرباطي ولد بالرباط عام 92/1310 - 1893 وتلقى العلم على مشايخ مسقط رأسه كالفقيه محمد بن أحمد العياشي والفقيه عبد السلام بن إبراهيم والشيخ محمد الرغاي وأبي حامد البطاوري وأبي عبد الله الرندة والقاضي عبد الرحمان بريطل والتهامي الغربي ومحمد بن عمر دينية وغيرهم.

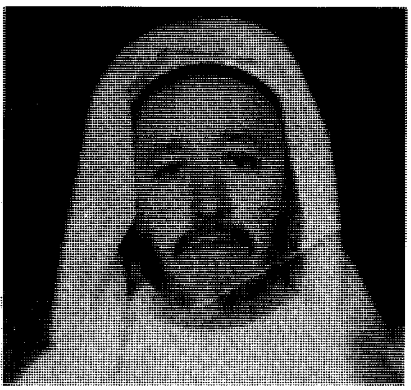

أول وظيفة شغلها الصديق الشدادي هي الانخراط في الجندية أيام شبابه على عهد السلطانين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ إذ كان مسيراً لإحدى الفرق العسكرية. وفي عهد الحماية، عندما أسست أول مدرسة حرة سنة 1919/1338 وهي مدرسة والزهراء على يد الحاج الفاطمي بركاش والمعطي بوهلال وغيرهما انخرط الشدادي في سلك التعليم فدرّس بها كما درّس بالزاوية المعطوية قبل أن تتحول إلى مدرسة حرة، ثم أصبح المترجم مديراً لثاني مدرسة حرة بالرباط ومقرها الزاوية الكتانية في الوقت الذي كانت سلطات الحماية تضع العراقيل في طريق تأسيس المدارس العربية الحرة. وكان الشدادي من متوسطي طلبة الرباط الذين لم يساعدهم الظرف على تتميم دراستهم. وأما المواد التي

كان يدرّسها لتلاميذه فهي الحساب والفقه. وكان شغوفا بمطالعة كتب التصوف وحفظ كلام القوم والتكيف بأحوالهم.

ونظراً لفصاحة الرجل اختير للخطابة بالمسجد العتيق بقصبة الأوداية، فخطب به مدةً طويلة. وكان يختار خطبه من المجلات الإسلامية المصرية التي كانت رائجة في المغرب كمجلة *الإسلام* ومجلة *المنار* للشيخ رشيد رضا المتسمة بالروح التجديدية.

وكان منخرطا في الطريقة الكتانية التي أسسها الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني ولقنه إياها محمد بن حساين النجار السلوي. ثم جدد العهد بالشيخ عبد الكبير الكتاني، وأصبح مقدما للزاوية وملقنا لأورادها، وتعاطى خطة الشهادة ودام فيها إلى أن وافاه الأجل يوم 7 صفر عام 1379/ 12 أكتوبر 1959.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، ج 1، ص. 55، ج 2، ص. 306 ـ 307.

عبد الإله الفاسي

**الشدادي، عبد الله** بن عبد النبي، قائد كان على رأس جماعة من المجاهدين من قبيلة سماتة. انضم إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني؛ وقد شارك في جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة كما شارك في عدة معارك كانت آخرها المعركة التي جرت بالمنزه (القصر الكبير) يوم 22 مارس 1918 حيث عد من المفقودين وربما كانت جثته بين الجثث التي استولى عليها الاسبان وعرضوها بسوق القصر الكبير.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشْديدْ**، أسرة من أعيان بيوتات فاس أصلهم من الأندلس، ينتسبون إلى الأنصار حسبما وقف عليه مؤلف *إزالة الالتباس* في رسم مؤرخ بعام 1667/1078، وهم أهل طلب ومعاش وحرفة، منهم عدول ثروة، وسكناهم بزنقة الرطل من حومة العيون، ولم يبق منهم اليوم بفاس إلا قليل.

م. القادري، *نشر المثاني/موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 5 : 1870 ؛ ع. الكبير الكتاني، زهر الآس، الدار البيضاء، 2002، 2 : 539 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 199 .

**الشْديدْ، أحمد** بن حمدون الفاسي، فقيه صوفي حلاه القادري في *نشر المثاني* بالفقيه العدل الأرضى الناظر العلامة المدرس الولي الصالح. درس على شيوخ عصره وسلك طريق القوم على يد الشيخ سيدي الحاج الخياط الرقعي مقدم الطريقة الوزانية بزاوية الشرشور بفاس، وكان يتردد على وزان لزيارة الشيخ سيدي محمد بن مولاي عبد الله الشريف، ثم ولده مولاي التهامي فحفيده مولاي الطيب.

تولى كرسي الرسالة بالمستودع القريب من باب الكتبيين الذي كان لجده مدة، ثم ولاه عامل فاس عبد الخالق عديّل على نظر أحباس فاس، فتغير حاله.

توفي بفاس في حدود عام 1772/1186.

م. القادري، *نشر المثاني/موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 6 : 2256.

**الشْديدْ، محمد بن حمدون** الفاسي، «كان من فقهاء فاس المعتبرين، وعدولها المرضيين» (*نشر المثاني*). أكثر تدريسه *لرسالة ابن أبي زيد القيرواني* بالمستودع الذي عن يسار الداخل من باب الكتبين إلى جامع القرويين.

توفي في ربيع الثاني عام 1110/ أكتوبر-نونبر 1698.

م. القادري، *نشر المثاني/موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 5 : 1870.

محمد حجي

**الشرابلي، أحمد بن علال**. ولد بمراكش، وكان من متصوفيها. يرجع سبب تلقيبه بالشرابلي إلى أنه سأل ذات يوم شيخه الفقيه المحدث أبا العباس أحمد بن أحمد السوسي الذي كان حيا عام 1147 هـ عن صفته، فقال: أنا رجل شرابلي. فجعل ابن علال يقول شراب لي شراب لي، فلقب بذلك.

ترجم له صاحب *السعادة الأبدية*، فوصفه بصاحب الأزجال المشهورة، وصنفه ضمن صلحاء حومة القصور وما والاها بمراكش. وعرف به التاودي ابن سودة في *فهرسه*، فنعته بالولي الصالح، وذكر أنه عندما مات حضر في جنازته من الخلق ما لا يحصى وجعل الناس كلهم يتأسفون على فقده ويثنون عليه ويذكرون كراماته.

وقد وقف ابن سودة على ديوان من كلامه بالملحون فيه توسلات ومقامات على نحو ما للساحلي في *منازل السائرين*، وفيه أدعية وأحوال الصالحين. ومن أزجاله المشهورة عند المنشدين للأمداح النبوية حسب الطبوع الموسيقية؛ وينشدها كذلك موسيقيو الآلة بَرْوَلة :

صلى اللهْ عْلى الهاشمي المجدد طه

من لا خلقْ الله في السما ولا في الأرضْ بحالُ

أحمد مولى التاج....

انظرها كاملة في *الإعلام* (2 : 399)

يوجد مقام الشيخ أحمد بن علال الشرابلي بحومة القصور من مراكش ويعمل له موسم في أول كل ليلة من رجب ينشدون أزجاله المشهورة في مدح النبي عليه السلام، وهو بقعر الدرب المسمى به، وبني عليه بيت هناك عن يسار الداخل.

توفي بمراكش خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18م).

التاودي ابن سودة، *الفهرس*، مخطوط ؛ م. الموقت المراكشي، *السعادة الأبدية*، ط. حجر فاس، ص. 133.132 و145.144 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. 2، الرباط، 1974، ج. 2 : 398 ـ 400.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الشراردة**، قبيلة تتكون من أربعة عظام هي: زرارة، تكنة، الشبانات، أولاد دليم، ودجاهيات. تنتشر حاليا على الضفتين اليمنيين لوادي سبو وزگوطة، على مساحة تقدر بـ 750 كلم[2]. (*Monographie de la région de Meknès*, p. 33).

وتنحدر هذه المجموعة البشرية من عرب بني معقل الذين دخلوا المغرب وانتشروا في قفار الصحراء، خلف جبال الأطلس، من ملوية إلى شواطئ المحيط الأطلسي، مع أواسط القرن السابع (13 م). وكانت الشراردة، وهي فرع من الشبانات في هذا التاريخ، تشكل، إلى جانب الأوداية، والمغافرة، فرقة من ذوي حسان، أحد فروع قبيلة بني معقل الرئيسية التي كانت تشمل ثلاثة بطون كبرى: ذوي عبد الله، وذوي منصور، وذوي حسان (*العبر*، ج. 6، ص. 139.138.137) وكانت مواقعهم في بداية استقرارهم بالمغرب، في نواحي ملوية، بجوار إخوانهم ذوي منصور (*العبر*، ج. 6، ص.137). إلا أنه بعد انقراض الأمبراطورية الموحدية، واضطراب الأحوال في البلاد، استنجد علي بن يدّر الزگندري، صاحب السوس، بهؤلاء القوم، وأنزلهم بهذا الإقليم، واستعان بهم على حرب قبائل گزولة الظواعن، وحصن نفسه بهم. وبعد تغلبهم على سكان المنطقة، واستقرارهم فيها، صارت لهم دالة على قصور سوس، ونول، وتارودانت، ووضعوا الإتاوات عليها. (*العبر*، ج. 6، ص. 138.137) وعندما وصل السعديون إلى الحكم، دخل الشبانات ومن ضمنهم الشراردة والأوداية، وأهل سوس من معقل، في طاعتهم، وصاروا يكونون نواة جند هذه الأسرة وحميتها العسكرية، وأصبحوا يندرجون في عداد قبائل الجيش التي انتخبها سلاطين هذه الدولة لتوطيد سلطتهم في البلاد، ودرء المخاطر التي كانت تحيط بهم. وقد ظلت هذه القبائل مجتمعة في إقليم سوس، تحظى برعاية الدولة، وتستفيد من الامتيازات التي أغدقها عليها سلاطينها طيلة القرن العاشر (16م). وعندما ذهبت ريحها، افترقت هذه القبائل، واتجهت فرق منها نحو الشمال.

وفي نهاية القرن الحادي عشر (17م) كانت الشبانات ومن ضمنها الشراردة، تنتجع في أحواز مراكش وتعيش في وئام تام مع الأوداية. فعندما دخل مولاي إسماعيل مدينة مراكش في سنة 1088 / 1676، كانت الشبانات ومن ضمنها الشراردة، تنتشر في بسيط البحيرة (*الاستقصا*، ج. 7، 51). وفي عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757-1790)، كانت منازل الشراردة غربي مراكش، على بعض يوم لهم.

وفي هذا التاريخ نشأ في الشراردة الشيخ أحمد الشرادي، من أهل الصلاح، ومن أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن ناصر الدرعي، فآمنوا ببركته وأعتقدوا فيه، ثم جاء بعده ابنه عبد فسار على نهج أبيه، وبنى زاوية منسولة إليهم (انظر الشرادي زاوية) (*الاستقصا*، 8 : 160).

ع. الرحمان ابن خلدون، *العبر*، الجزء 6، بيروت، 1959 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956.

A. Louis, (Commandant), *Monographie de la région de Meknès*, *B.S.G.M.*, n° 2, 1916.

العربي اكنينح

**الشراعي** (Zabra, Lougre)، مركب من فصيلة القادس وبنفس مواصفات الدعومة من حيث الهيئة والحجم، لا سيما في مرحلته الأولى خلال القرن العاشر (16 م)، بتوفره على صار واحد وعلى عدد مجاذيف مشابه لما سبقه.

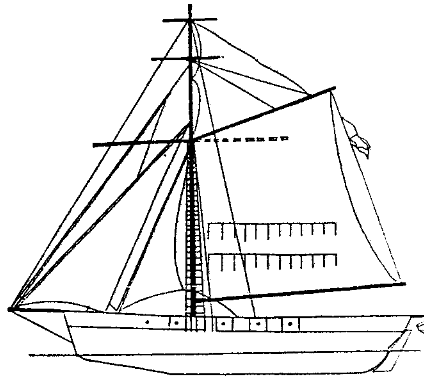

رسم لسفينة لوم شراعي

عن: "Les derniers corsaires de la Manche"

ونظرا لخفته وضالة طاقمه اعتمد الشراعي كخافرة للسواحل منذ عهد محمد الشيخ السعدي، خاصة في مرسى تافطنة قصد مراقبة نشاط الصيد المزاول من طرف إيبيريي جزر الخالدات، وأساسا في الناحية الجنوبية لمرسى أسفي، واستمر العمل به في تلك النواحي حتى نهاية القرن المذكور على الأقل.

*S.I.H.M.*, 1e série, *France*, T. I, p. 106-108 et T. III, p. 442.

حسن أميلي

**شْرَاگــة** أو شْراقة، قبيلة كبيرة تقع بين واد سبو وقبيلتي فشتالة والحياينة شمال مدينة فاس. تكونت في الأصل من أخلاط من القبائل، منها من ينحدر من أصل عربي مثل الشجع، وبني عامر، ومنها من ينتمي إلى أصل بربري مثل مديونة، وهوارة، وبني سنوس، بالإضافة إلى أولاد جامع الذين كانوا يحسبون منذ عهد مولاي رشيد على گيش هذه القبيلة (*Le Makhzen marocain*, p. 301). ولفظ شراقة في الأصل، لقب كان يطلق على عرب بادية تلمسان ومن انضاف إليهم، وسموا بذلك لأنهم كانوا في جهة الشرق من المغرب الأقصى. فأهل تلمسان كانوا يسمون أهل المغرب الأقصى مغاربة، وأهل المغرب الأقصى كانوا يسمون أهل تلمسان مشارقة (*الاستقصا*، ج. 7، ص. 41). وتنحدر أشجع شراگة من القبائل العربية التي كانت، في مطلع القرن الأول الهجري، تعيش بضواحي المدينة المنورة (*معلمة المغرب*، ج. 2، ص. 459). وقد دخلت إلى المغرب ضمن جموع عرب بني معقل وبني هلال الذين وصلوا إلى هذا البلد في القرن

7.6 هـ (13.12 م). وقد تحدث ابن خلدون عن أشجع في القرن الثامن الهجري (14 م). وكانوا في هذا الوقت، يعيشون في وئام تام مع عرب بني معقل، ضمن فرقة ذوي منصور التي كانت تنتشر من ملوية إلى درعة (*العبر*، ج. 6، ص. 121.120). وقد فرض هؤلاء القوم هيمنتهم على مناطق الواحات الجنوبية وملكوا قصور الصحراء، وفرضوا الأتاوات على أهلها، واستفادوا في الفترة المتأخرة من حكم الموحدين وبداية عهد بني مرين، من الإقطاعات التي أنعم بها عليهم الملوك المرينيون الأوائل مقابل تأمين الطرق التجارية، وسلامة القوافل المتنقلة بين سجلماسة وبلاد السودان، وقد ظلت أشجع مستقرة في المغرب الشرقي مدة طويلة، تمارس الرعي وتربية الماشية، وتستعين من عائدات تجارة السودان عن طريق خفارة القوافل التجارية العابرة لأراضيها. ففي عهد مولاي رشيد العلوي كانت أشجع تنتجع بين أنگاد وضواحي تلمسان. فعندما خرج هذا السلطان إلى تلك النواحي سنة 1665/1075 انضمت إليه الشجع، وبنوعامر، من العرب، ومديونة وهوارة وبنو سنوس، من البربر، وبايعوه، وناصروه (*الاستقصا*، ج. 7، ص. 41). ويعرف هؤلاء القوم جميعا بشراقة أو شراگة. ولمكافأة شيعته، أنزل مولاي رشيد الشجع، وعرب الشرق وبربره الذين شدوا عضده وآزروه بأحواز فاس، ونفذ لهم الأرض هناك. ولما تضرر الفاسيون من أعمالهم المشينة، وتضايقوا منهم، نقلهم إلى بلاد صدينة وفشتالة بين نهري سبو وورغة، وأقطعهم تلك الأراضي، وأمدهم بالمال لبناء قصبة الخميس، وجعلهم قبيلة واحدة، لم يتميز فيها عربها وبربرها، وذابوا في بوتقة واحدة (*الاستقصا*، ج. 7، ص. 42.41). غير أن أخبارا أخرى تتحدث عن وجود أفواج من جند شراگة بضواحي فاس، منذ عهد السلطان زيدان ابن المنصور السعدي (1613-1627). وقد اعتمد عليهم عبد الله بن الشيخ السعدي كذلك لتثبيت نفوذه واستيلائه على الحاضرة الإدريسية، إذ كان أغلب جنده من شراقة (*الاستقصا*، ج. 6، ص. 52). إلا أننا لا نعرف هل شراقة المتحدث عنهم في هذه الفترة، هم نفس القوم الذين صاحبوا مولاي رشيد العلوي إبان زحفه على فاس واستيلائه عليها سنة 1666م، أم أن لفظ شراقة إسم لقبيل كبير كان يطلق على جميع البطون القبلية التي كانت تنتجع في الهضاب العليا غرب مدينة تلمسان.

وردت في المصادر التاريخية، منذ عهد السلطان مولاي رشيد، إشارات كثيرة تتحدث عن الأدوار العسكرية التي اضطلع بها گيش شراگة لفائدة المخزن العلوي. فقد كان هؤلاء، إلى جانب الأوداية، وعبيد البخاري، يشكلون عصبية الدولة وحميتها. وقد برز منهم قواد كبار نذكر منهم على الخصوص حميدة الشجعي أو الشرگي الذي ترأس الوفد المغربي في مفاوضات للامغنية لتسطير الحدود بين المغرب والجزائر سنة 1845/1261، والعربي ولد ابّا محمد الشرگي الذي كان واليا على الشراگة أيام السلطان مولاي الحسن (1894.1873) والذي تنسب إليه إلى اليوم، قرية ابّا محمد التي تقع على بعد 60 كلم تقريبا شمال مدينة فاس (*الوثائق*، ج. 3، ص. 151).


ع. الرحمان ابن خلدون، *العبر*، ج. 6، بيروت، 1959 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 3 أجزاء، الدار البيضاء، 1956 ؛ *معلمة المغرب*، مطابع سلا، 1989، ج. 2 ؛ *مجلة الوثائق*، الرباط، 1976، ج. 3.

R. Mauduit, *Le Makhzen marocain, Revue de A.F.*, n° 12, 1903.


العربي اكنينح

* * وهناك شراگة أو شراقة الصوفية، عرفت بها الطائفة اليوسفية التي نشأت في المغرب خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م)، وتسللت من الطريقة الراشدية التي أسسها الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 1524/931) صدر الطبقة الزروقية الأولى. وقد ظهرت هذه التسمية، أول ما ظهرت، في الترجمة التي أفردها أبو حامد العربي الفاسي للشيخ الراشدي، في كتابه *مرآة المحاسن*، الذي توفي دون أن يتمه عام 1642/1052، وضبطها بتشديد الراء. وكلامه صريح في الدلالة على أن أهل زمانه كانوا يذكرون اليوسفيين بهذه التسمية، وأنها تشمل جمعهم، وتعرف بها طائفتهم. وتوالى وتتابع ذكرها في المصادر المصنفة خلال النصف الثاني من المائة الحادية عشرة للهجرة: فسمى المؤلف المجهول اليوسفيين بالشراقيين، وذلك في كتابه *تبصرة الرئيس الأمين*، الذي يبدو أنه قد ألفه في أواخر عهد السعديين. كما عرفهم الإمام الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1690/1102) بالشراقة، وبالشراقات. وأطلق عليهم قاضي الجماعة بفاس محمد بن الحسن المجاصي (ت. 1691/1103) لقب الشراقيين، وذلك في الفتاوى التي أصدرها في نازلتهم عام 1670.69/1080.

وهم في الأصل عرب بادية تلمسان، ومن انضاف إليها، وسموا بذلك لأنهم في ناحية الشرق من المغرب الأقصى. فأهل تلمسان وأعمالها يسمون أهل المغرب الأقصى مغاربة، وأهل المغرب الأقصى يسمون أهل تلمسان وأعمالها مشارقة، لكن العامة يلحنون في هذه التسمية فيقولون شراقة. وقد فرت قبائل برمتها من هؤلاء الأعراب في وجه الأتراك، واستقرت بسهول سايس وحوض سبو، وكونت أحد الأركان المهمة في الجيش السعدي.

وحينما نستعرض كافة القبائل المغربية التي احتضنت زوايا يوسفية، خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 و17م)، أوالتي ظلت على نحلة هذه الطائفة إلى أولية القرن الرابع عشر (20 م)، فإننا لا نجد لإحداها أصلا يمت إلى موطن قبائل الشراقة من بادية تلمسان وأعمالها، الأمر الذي يغنينا عن التفكير فيما لو كان نشوء الطائفة اليوسفية، بالمغرب الأقصى خلال الربع الأول من القرن العاشر (16م)، يؤرخ لموجة من موجات هجرات قبائل الشراقة من المغرب الأوسط إليه، أو الافتراض أن بعض قبائل الشراقة ربما كانت

من بين الفرق الأولى التي تفرعت عن الطائفة اليوسفية. فضلا عن أن الدخول الاضطراري لقبائل الشراقة إلى المغرب الأقصى، وفرارها في وجه الأتراك ينفي كل صلة لها بالطريقة الراشدية، التي نظمت بين مؤسسها الشيخ أحمد بن يوسف وبين عروج (ت. 1518/924) مـا هد دولة الأتراك بالمغرب الأوسط علاقة تعاضد وتآزر، استمرت من بعدهما بين مشايخ وأتباع هذه الطريقة، في هذه البلاد، والحكام الأتراك، ودامت حتى تاريخ الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830/1245.

ولكي نقف على الأسباب التي دفعت بمغاربة زمان الفترة ليقاربوا بين اليوسفيين والشراقيين، ويخلطوا بينهما، ويطلقوا لقب هؤلاء على أولئك، لا بد من اعتبار زمان ظهور تسمية الشراقة كتسمية تميز كافة الطائفة اليوسفية أوبعض فرقها، وهو القرن 17/11. فخلاله تفرقت السلطة السياسية بالمغرب أيادي سبأ، وقد تماثلت الأدوار التي لعبها كل من اليوسفيين والشراقيين زمنئذ. فاليوسفيون أدلوا بدلوهم، إسوة ببقية الزوايا والطوائف، وظهروا كقوة محاربة خطيرة. كما كرث الشراقة حاضرة فاس، وأشبعوا أهلها تنكيلا وتقتيلا، و"مدوا أيديهم في حرائم الناس، ونهبوا الأسواق، وجاهروا بالفساد، وأظهروا السكر في الطرقات، واقتحموا على الناس دورهم"، وكانت لهم أيام ووقائع مع أهم القوات السياسية في البلاد. وبالنسبة للمغاربة الذين عاشوا هذه الفترة الحالكة من تاريخ الدولة السعدية، التي أعقبت وفاة السلطان أحمد المنصور (ت. 1603/1012) وامتدت إلى نهاية دولة الشرفاء الزيدانيين (1659/1070)، فاليوسفية والشراقة قد مثلتا قوتين محاربتين طرأتا على المغرب من جهة واحدة وهي المغرب الأوسط، ودخلتا وطنهم في وقت واحد، وهو مطلع القرن 16/10، وجاءتا إليهم بكل الشرور التي امتحنت بها السنة وأهلها في بلادهم.

وهكذا فإن التطابق في الأدوار التي لعبتها هاتان القوتان اللتان دخلتا المغرب في زمان متقارب، وقدمتا إليه من مكان واحد، بالإضافة إلى قبول العديد من ممارسات قبائل شراگة لا تجد تفسيرات لها فيما شاع بين مغاربة هذا العصر عن تعاليم اليوسفية من إباحة قتل النفس وأكل مال الغير وانتهاك الحرمات، كلها عوامل ساعدت على توسيع دائرة استعمال تسمية الشراقة وإطلاقها على أتباع الطائفة اليوسفية، من قبيل التمايز والتنابز، وللتأكيد على أن هذه البدعة أجنبية عن المغرب الأقصى، وأنها تنتمي في أصولها المذهبية وعناصرها البشرية إلى تاريخ ومجتمع المغرب الأوسط.

م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، 224 ؛ مجهول، *تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين*، مخطوط ؛ ح. اليوسي، *رسالة العكاكز*، مخ. خ ع 1224 ك، 167، 171 ؛ أ. الهشتوكي، *هداية الملك العلام إلى حج بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام*، مخطوط خ ع 190 ق، 83 ؛ م. المجاصي، *نوازل*، ط. حجرية، 112 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشاذلي، 193، 289، 341-338، 346، 357، 383 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 51-50 ؛ م. المنوني، *ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة*، منشورات الجامعة التونسية ومركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، سلسلة الدراسات التاريخية، 1979، 79، الهامش 10 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة المدن والقبائل*، ملحق 2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط. فضالة، المحمدية، 1977، 287 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 52 ؛ ع. الشاذلي، *الحركة العياشية*، 168-166 ؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب*، 314-311.

E. Doutté, *Mérrâkech*, Paris, 1905 ; *Magie et religion dans l'Afrique du Nord*, Alger, 1909 ; *Missions au Maroc: En tribu*, Paris, 1914 ; E. Dermenghem, *Le culte des saints dans l'Islam Maghrébin*, Paris ; J. Berque, *L'intérieur du Maghreb*, Paris, 1978 ; *Ulémas, fondateurs, insurgés du Maghreb 17e siècle*, Paris, 1982..

عبد الله نجمي

**الشرايبي**، أسرة فاسية عريقة، قال عنها صاحب *إزالة الالتباس*: "أهل طلب وتجارة ومال ومعاش وثروة وحرفة". رأى ذكر آل الشرايبي في رسم مؤرخ بعام 1677/1088، وأورد تراجم مختصرة لبعض علمائهم القدامى والمحدثين، أولهم شيخ الجماعة بفاس في الحساب والفرائض أحمد بن عبد الجليل الشرايبي، وآخرهم الوطني المجاهد عبد الهادي الشرايبي آتيا الترجمة. وذكر الكتاني في *زهر الآس* الفرق الكثيرة لآل الشرايبي بفاس ومن توفي منهم وما ترك من أولاد، وتفرقهم في مراكش والجديدة ودكالة والدار البيضاء وغيرها.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 200 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002.

**الشرايبي، أحمد** بن **عبد الجليل** الفاسي، قال عنه في *إتحاف المطالع* : "كان فقيهاً مشاركاً عالماً بالفرائض والحساب، له تأليف في المحاصة". وتأليف آخر في الحساب سماه *الواحد الكامل*.

توفي بفاس ليلة الأربعاء ثاني وعشري شوال عام 4/1190 دجنبر 1776 ودفن بروضة الشيخ العايدي بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2408 ؛ *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 200؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002.

**الشرايبي، أحمد الفاسي**، أديب كاتب كان يتاجر في مدينة الجديدة مطلع القرن الرابع عشر (20 م) عينه الجنرال ليوطي المقيم العام لفرنسا بالمغرب عضواً في الوفد المغربي للمشاركة في المعرض التجاري المقام بمدينة ليون من فاتح مارس إلى 15 منه سنة 1919 (28 جمادى الأولى - 12 جمادى الثانية 1337) إلى جانب تجار آخرين من فاس والرباط ومكناس والدار البيضاء وأسفي ومراكش. ألف الشرايبي في ذلك رحلة سماها: *رحلة الوفد الميمون إلى*

مدينة *ليون*. تحدث فيها عن المعرض ومدينة ليون ومدن فرنسية أخرى زارها الوفد المغربي وما شاهدوه فيها من مآثر وصناعات حديثة.

توفي بعد 1387 / 1919.

أ. الشرايبي نفسه، *رحله الوافد الميمون إلى مدينة ليون*، مخطوط ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، المحمدية، 1989، ج. 2.

محمد حجي

**الشرايبي، أحمد** بن **محمد**، مقاوم ولد سنة 1341 / 1923 بمدينة فاس وقد انخرط في صفوف المقاومة حيث كان عضوا بمنظمة الهلال الأسود بالدار البيضاء، قام بعدة أعمال

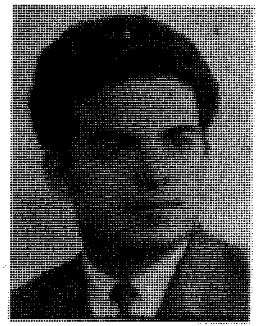

فدائية كما وزع مناشير تحث على مواصلة الكفاح إلى أن سقط شهيدا بتاريخ 25 جمادى الثانية عام 1375 / 8 فبراير 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 108.

**الشرايبي، عبد الهادي** بن عبد الكريم العالم المتفتح والمناضل الوطني المكافح، ولد في فاس سنة 1327/1909 وشرع في مسيرته العلمية بإتقان الكتابة والقراءة واستظهار شيء من القرآن الكريم على يد الفقيه هاشم أكومي بمكتبه بحومة كرنيز. ثم التحق بمدرسة سيدي بناني بالديوان، وقد

كانت أول مدرسة عصرية حرة أقيمت في المدينة بإشراف المرحوم التاجر الوطني السيد أحمد بن الطاهر مكوار والتاجر الشريف مولاي أحمد العمراني، وفيها أكمل حفظ القرآن الكريم على يد الفقيه بن ناصر الداودي. كما درس فيها مبادىء العلوم العربية على الأستاذ القاضي الحسن الداودي، ومبادىء الفقه والتوحيد على الفقيه مولاي إدريس بن علي العلوي. وبعد التخرج منها، التحق عبد الهادي الشرايبي بجامعة القرويين سنة 1340 لينهل من معينها العربي الإسلامي ويرتوي من دروس كبار علمائها، فأخذ *المختصر* بالخرشي و*الألفية* بابن عقيل عن الأستاذ الطائع ابن الحاج السلمي، و*المختصر* بالزرقاني والرهوني وبناني من باب البيوع عن شيخ الجماعة مولاي عبد الله الفضيلي، و*المختصر* بالشروح المذكورة من باب البيوع وباب الفرائض عن العلامة رئيس المجلس العلمي الشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري، والمختصر بالزرقاني من باب الصيام عن الفقيه الراضي السناني، وأخذ *الألفية* بابن عقيل عن الفقيه إدريس المراكشي، والألفية بالشرح المذكور و*حاشية الشيخ الطيب ابن كيران على الموضح* عن الفقيه العلامة عبد الرحمان الشفشاوني، و*الشاطبية بعلم القراءات* عن الفقيه محمد بن عبد المجيد أقصبي، ودروسا من *صحيح البخاري وصحيح مسلم* عن القاضي الوزير الفقيه الشريف محمد بن العربي العلوي، ودروسا في التوحيد على يد العلامة مولاي علي الدرقاوي، وأخذ *السلم* بشرح بناني على يد الفقيه العباس بناني، ورجز *الاستعارة* للشيخ الطيب ابن كيران على الفقيه الصوفي محمد بن عبد القادر بناني، ودروسا في *المختصر* بالخرشي على الفقيه محمد بن الحسن الصنهاجي. وعندما ارتوى من كل ذلك، فإنه اختبر لنيل شهادة العالمية أمام لجنة مركبة من مولاي عبد الله الفضيلي وأحمد ابن الجيلالي الأمغاري والطائع بن أحمد ابن الحاج السلمي وعبد الواحد بن عبد السلام الفاسي، فنال الإجازة العلمية سنة 1348. وصار يلقي دروسا في القرويين تطوعا، كما اشتغل بالتدريس في المدرسة الحرة برحبة القيس، ثم كان مديراً لها، ودرّس أيضاً بمدرسة درب الطويل وأشرف بعد حين على إدارة شؤونها. ذلك بأنه كان من الرعيل الأول من الشباب الوطني الذي أدرك أن مصيبة الاستعمار لم تأت إلا من تفريط المغاربة في العلم والدراسة. وقد تخرج في الثلاثينيات من القرن العشرين لينزل مع زملائه الوطنيين من أمثال علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني إلى ميادين النضال كفاحا، وليعتلي كل منبر سانح للصدع بحب الوطن وبحقوقه. ولذلك صارت حياته كلها جهاداً، وسجنا يدخله وآخر يخرج منه. وأول ما امتحن به، الضجة المفتعلة التي نسج خيوطها أرباب التزمت والبهتان والتضليل ممن كان يأكل من يد المعمرين ويتصدى لكل فكر تقدمي أو تعبير فطري عن حب الوطن. وكان عبد الهادي الشرايبي قد كتب مقالاً صدر في مجلة "*الإسلام*" التي كان يصدرها الأستاذ محمد داود في تطوان، في عدد شهر ذي القعدة 1352 (مارس 1934)، يتغنى فيه بما غلب عليه من حب الوطن بأسلوب عاطفي يقول فيه من

جملة ما قال: "فهل ألام ؟ دائماً أعبدها (يعني بلادي) ودائماً أختصها بالعبادة. ولقد تكون نفسي ثائرة مضطرمة، ولربما تكون ثورتها عنيفة إذا أنا فارقتها برهة من الزمن، فلا تهدأ ثورتها ولا يسكن جيشانها إلا حين تحتضنني أكنافها الرحيبة وتظللني سماؤها الصحوة الباسمة"، إلى كلام كله على هذا المنوال المعبر عن قوة الوعي الوطني وما كان يتطلع إليه ذلك الجيل المؤسس. ولكن سلطات الحماية وأذنابها من علماء السوء ما كانوا إلا ليسعوا في إسكات مثل هذه الأصوات. فمنع عبد الهادي الشرايبي من التدريس، وسحبت منه شهادة العالمية، ورمي بالانسلاخ عن حدود العقيدة. وكان ذلك أول معركة خاضها. ولم تزده إلا إيمانا بوجوب الكفاح والجهاد من أجل نصرة الوطن. فقد شارك في مظاهرات خريف سنة 1355 (1936) ودخل سجن عين قادوس لمدة شهر. وفي السنة التالية، شارك في مظاهرات أكتوبر 1937، فألقي القبض عليه، وحكم عليه بسنتين سجنا قضاها في برج النور في فاس، ثم في معسكر بكوليمة في الصحراء، لينقل بعد ذلك إلى سجن علي مومن في ناحية سطات ثم إلى سجن الدار البيضاء المدني. واستفاد من سجنه هنالك ليتعلم اللغة الفرنسية. ولما أقدم الوطنيون على المطالبة بالاستقلال سنة 1363 (1944)، كان عبد الهادي الشرايبي ممن زج بهم في سجون الاستعمار في الرباط ومكناس، وكان من المهددين بالإعدام بتهمة الاتصال بالألمان. وكانت تهمة ملفقة، اضطرت السلطات الاستعمارية لانعدام الحجة إلى إخلاء ساحته، واكتفت بإجباره على هجرة فاس، فانتقل إلى الدار البيضاء واستوطنها. وفيها عاد إلى مهنة التعليم في مدرسة محمد بن العربي العلمي الحرة مدرسا ثم مديرا. وبلغت المدرسة رتبة مرموقة في الحقل التربوي في تلك المدينة بفضل مجهودات مديرها ومواهبه. وفي الدار البيضاء كان آخر ما امتحنه به الاستعمار، إذ دخل سجن غبيّلة على إثر أحداث دجنبر 1952 المترتبة على مقتل الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد، ولكن سرعان ما أطلق سراحه.

ولما استرجعت البلاد استقلالها سنة 1956، انخرط عبد الهادي الشرايبي في سلك الديبلوماسية المغربية الناشئة، فكان مستشاراً في سفارة المغرب في تونس سنة 1375. ثم إنه هو الذي فتح أبواب السفارة المغربية في ليبيا بصفة قائم بالأعمال بدرجة وزير مفوض، وذلك عام 1376. ثم انتقل إلى سفارة المغرب في القاهرة بنفس الرتبة والدرجة، وفيها قام بتمثيل المغرب في جلسات الجامعة العربية. وعاد إلى المغرب إلى أن عيّن قائماً بالأعمال بسفارة المغرب في باكستان، واستفاد من مقامه هنالك ليتعلم اللغة الإنجليزية. وبعد باكستان، أصبح سفيراً في ليبيا وذلك إلى سنة 1384. وعاد إلى المغرب ليدير قسم الشؤون الثقافية في وزارة الشؤون الخارجية، وهو المنصب الذي انتهت به مهامه الإدارية يوم أحيل على التقاعد سنة 1392. وقد حج إلى بيت الله الحرام وتبرك بالبقاع المقدسة وزارها ثلاث مرات عام 1386 وعام 1393 وعام 1399.

وللأستاذ عبد الهادي الشرايبي عدة تآليف تثبت مكانته العلمية وقدرته على التبليغ وإفادة عموم القراء، منها *الفقه الواضح* في جزأين، قرأ فيه مبادئ الدين أجيال من الشباب المغربي. وله أيضاً *التلاوة العربية* في أربعة أجزاء، مشاركة مع محمد بن العربي العلمي وإدريس بن محمد بن جعفر الكتاني. وله كتاب بعنوان *ثمن الحرية*، وهو عبارة عن مذكراته في النضال الوطني، صدر بالدار البيضاء عام 1398 (1978). هذا فضلاً عما لا يحصى من المقالات في الصحف والمجلات، التي يروي متأسفا في كتابه الآنف الذكر أن بعض أقاربه بادر إلى إحراقها خوفا من التفتيش البوليسي في مظاهرات 1944. وكان عبد الهادي الشرايبي قد انضم إلى جانب محمد بن الحسن الوزاني بعد انشقاق الحركة الوطنية سنة 1937. فكان من كتاب جريدة الدفاع لسان حال الحزب القومي في الثلاثينيات، وفي جريدة الرأي العام في الأربعينيات والخمسينيات، وأيضاً في مجلة الثقافة المغربية التي أصدرها علال بن إدريس الجامعي ابتداء من سنة 1942 لتعوض مجلة الراحل سعيد حجي. وكان من قادة حزب الشورى والاستقلال. وبتلك الصفة، شارك في إعداد الوثيقة التي تقدم بها الحزب في شتنبر 1947 إلى المقيم العام الجنرال جوان بقصد استنباط النوايا التي عبر عنها في اللحظات الأولى من حكمه من أن نظام الحماية لابد أن يتغير. وشارك عبد الهادي الشرايبي في المباحثات التي جرت مع الإقامة إلى جانب محمد بن الحسن الوزاني وعبد القادر ابن جلون. ولما تبين سوء نية المقيم العام المذكور، انقطع الاتصال. وكان باختصار رجل علم وتعليم، ممن عرف كيف يصل الأصالة بالحداثة، وكيف يكرع من العلوم التقليدية ليجدد للثقافة العربية الإسلامية آفاق البحث العلمي. كما كان مناضلاً مقداما لا يتوانى عن التضحية من أجل استرجاع السيادة المغربية وصون الكرامة الوطنية.

توفي رحمه الله يوم الاثنين 16 ذي القعدة عام 16/1407 يوليوز عام 1987، ودفن بمقبرة الشهداء في الدار البيضاء.

عبد الهادي الشرايبي نفسه، *ثمن الحرية*، الرباط، 1398/ 1978 ؛
م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، (د. ت).

**الشرايبي، علال** الفقيه العلامة المشارك الموثق أخذ عن محمد - فتحا - بن قاسم القادري، وعن عبد الله البدراوي، وعن عبد المالك الضرير العلوي، وعن محمد - فتحا - كنون، وعن عبد السلام الهواري وعن أحمد بلخياط وعن آخرين ممن كانوا في رتبتهم. كان ماهرا في علم التوثيق والأحكام. وتولى قضاء الدار البيضاء سنة 1922، حيث حمدت سيرته وأحكامه.

وقد ذكر صاحب *سل النصال* أنه أخذ عنه في فاس شيئا

من علم النوازل وأسلوب كتابة الوثيقة. وجاء في رثائه في جريدة السعادة بقلم محمد بن يحيى الحسني الصقلي قوله بأنه: "الطود الراسخ الذي لم تؤثر فيه زعازع الأهواء، فكان يتلقاها بصدر رحب وثغر باسم عن فكر ثاقب وسياسة مثلى حببت فيه كل القلوب، رجل العدالة والنزاهة والصرامة في الحق والغيرة على إعلاء منار الشريعة السمحة التي عرف لها مكانتها وما هو واجب عليه من كونه حارس لها فلم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها".

توفي بالدار البيضاء على إثر عملية جراحية يوم الخميس فاتح صفر سنة 18/1350 يونيو 1931 فوُوري التراب هناك.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع؛ سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء 9.

إبراهيم بوطالب

**الشرايبي، الغالي**، موسيقي. ولد بمدينة فاس في مطلع القرن العشرين. ومنذ شبابه ظهر ولعه بالموسيقى الأندلسية، فأقبل على تعلمها وحفظ مستعملاتها على يد الفقيه محمد البريهي.

وقد التحق الغالي الشرايبي بجوق البريهي عازفا على الكمنجة، وكان إلى جانبه الفنانون مولاي أحمد الوكيلي (عود) وإدريس اسميرس (كمنجة) وعزوز بناني (طر) ومحمد دادي (طر) وعثمان التازي (عود).

وفي شهر ماي من عام 1939 كان ضمن أعضاء الجوق الذي شارك في المهرجان الأول للموسيقى المغربية المنعقد بفاس برئاسة الحاج عثمان التازي، حيث تم عرض صنعات من نغمة النهاوند على ميزان القائم ونصف.

انتقل الغالي الشرايبي إلى الرباط في الخمسينيات، وهناك انضم إلى جوق الإذاعة الوطنية برئاسة المرحوم الوكيلي. وفي عام 1965 التحق بمعهد مولاي رشيد أستاذا للصنعة والعزف على الكمنجة، ثم انقطع عن التدريس به عام 1968.

توفي يوم الأربعاء 7 ربيع الأول 7/1390 ماي 1970.

*روايات شفوية ومعرفة شخصية.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الشرايبي، محمد** بن المختار الفاسي، أديب شاعر صوفي، عاش في مراكش تاجراً ناسكاً. لا تعرف من آثاره الشعرية إلا ثلاث قصائد مطولة طبعها في حياته: *عقد الجواهر واللآلي والفتح الوهبي المتوالي* في الانتماء والتعلق بالشيخ العارف بالله سيدي محمد بن أحمد الملقب بسيدي رحال البدالي، (مطبعة الأمنية بالرباط، 1957/1377)؛ *قطعة شعرية في بعض مفاخر مراكش الحمراء* أذيعت من قاعة دار الطرب بمراكش يوم الأربعاء 18 ربيع الثاني عام 7/1358 يونيه 1939 وطبعت بمطبعة التقدم الإسلامية بمراكش؛ *المنهل الأوفر في التعلق بمولانا إدريس الأكبر*، ألقاها بضريح المولى إدريس في موسم العلميين بزرهون سنة 1366 / 1947 وطبعت بمطبعة الأمنية بالرباط.

توفي بعد سنة 1377 / 1957.

إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988، ص. 188.

محمد حجي

**شربار، فرجي**، مقاوم ولد سنة 1334 / 1915 بأسا من والديه حمدي بن عدي ومحيجيبة بنت علي.

انخرط في صفوف جيش التحرير منذ انطلاقته ضمن المقاطعة السابعة تحت مسؤولية إيدا ولد التامك.

وقد اتسم شربار بأخلاقه العالية وحبه لوطنه طيلة انخراطه ضمن صفوف جيش التحرير حتى سنة 1960، شارك في عدة معارك ضد الاستعمارين الاسباني والفرنسي كأم لعشار، ومرگالة، والرغيوة ووادي الصفا والساقية الحمراء وتلوين وثلاثاء صبويا وتاولاشت بأيت باعمران.

توفي يوم 29 رجب عام 1415/ فاتح يناير سنة 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 501335.

**شربار، محمد** بن حمدي، مقاوم ولد سنة 1317 / 1900 بأسًا.

التحق بصفوف جيش التحرير بالصحراء المغربية ابتداء من سنة 1957 ضمن المقاطعة السابعة تحت قيادة امبارك منار وإدريس بن بوبكر. وقد شارك في عدة معارك ضد المستعمر الأجنبي منها معركة أم العشار والتي أصيب فيها بجروح بالغة.

وقد وافته المنية يوم 8 ربيع الثاني عام 4/1416 شتنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 513311.

**الشَّرْبي**، عائلة أندلسية كانت موجودة بتطوان عام 1081 وما تزال أسر إسبانية تحمل اليوم اسم Sorbe وSorbas نسبة إلى مدينة إسبانية بنفس الاسم. ومنهم بتطوان أفراد عُرفوا بالتجارة والفلاحة، والخدمة المخزنية من أعلامهم الحاج عبد الله الشربي سفير السلطان محمد بن عبد الله بن إسماعيل إلى تركيا العثمانية، وقد كتب له رسالة مع رفيقه القائد مبارك بن هماد، وصفه فيها بمعرفة المشارقة ومخالطتهم وبعث معهما ستمائة ريال هدية للسلطان عبد الحميد العثماني، وذلك سنة 1198 / 1784 أورد نص الرسالة الشيخ داود في تاريخ تطوان. ومنهم عبد السلام الشربي أمين الديوانة بتطوان سنة 1257 / 1841، والحاج أحمد الشربي أمين الصائر بمراكش سنة 1255 ـ 1258 / 1839 ـ 1842.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 208، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 282، ط. تطوان ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطاون*.

محمد ابن عزوز حكيم ومحمد بوخبزة

**الشربي، الحاج محمد** من أعيان تطوان الذين مثلوا المدينة في مراسيم بيعة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن في شهر ربيع الأول 1276 (أكتوبر 1859).

ويقول عنه الكاتب الإسباني ألاركون Alarcon إنه ظل بتطوان أثناء الاحتلال الإسباني لها سنة 1276 (1860) حيث تعرف عليه وكان يزوره من حين لآخر بداره ووصفه بالشاعر الموهوب الذي ألف عدة كتب في الفقه والتاريخ وله ديوان شعر؛ الأمر الذي جعل ألاركون يهدي له قصيدة بالإسبانية عنوانها "إلى الشربي الشاعر المغربي" (A Chorby poeta marroqui) نشرها ألاركون في ديوان شعره.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشربيل**، من أحذية النساء في المغرب قبل انتشار الأحذية العصرية إلى جانب المشّاية والرِّيحيَّة. فالمشّاية بلغة بسيطة الصنع لها مقدمة دائرية تكون دائماً واطئة وبدون كعب ولا تبطين رقعتها تتخذ من الجلد العادي. وهي تلبس عادةً داخل المنزل أثناء القيام بمختلف الأشغال اليومية ويكون لونها إما أسود أو أحمر أو برتقالياً. وتختلف الريحية عن المشاية في أنها تكون في الغالب الأعم سوداء اللون ذات مقدمة مستديرة ومترهلة كانت المرأة تلبسها عندما تغادر بيتها لقضاء مآربها الخاصة. أما الشربيل فهو أحسن هذه الأحذية النسوية وأبهاها على الإطلاق من حيث الشكل ودقة الصنع والتطريز ورشاقة المنظر.

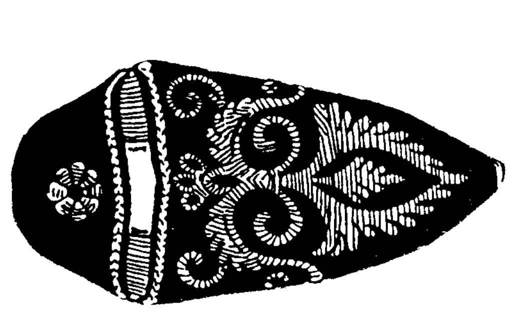

وكلمة شربيل تركية، أصلها شبربلا التي تطورت إلى شبربل ثم إلى شربيل. وكان هذا اللفظ يدل على الأحذية الجلدية السوداء التي تنتعلها بدون كعب داخل البلاط نساء الحريم في القسطنطينية قبل أن ينتقل استعمالها فيما بعد إلى سائر العالم العربي والإسلامي وخاصة بعد امتداد نفوذ الدولة العثمانية إلى بلدان شمال إفريقيا في القرن العاشر (16م).

وتطور الشربيل إلى حذاء نسوي رفيع تتنافس الإناث في تغطية رقعته بالطرز الجزئي أو الكامل بخيوط الحرير أو الفضة أو الذهب.

لقد ظل مجال الشربيل في المغرب مقتصراً إلى نهاية القرن (19 م) على حريم المخزن ونساء كبار الأعيان في البلاد. وشيئاً فشيئاً انتشر استعماله في صفوف الفئات المتوسطة الأوضاع الاجتماعية وتعدى هذا النطاق في القرن الرابع عشر (20 م) (عرف أكبر انتشار له فيما بين 1912 و1956) ليشمل معظم نساء المغرب. لذا كانت سائر النساء الحضريات موسرات ومعسرات يمتلكن زوجاً واحداً من الشربيل كما يمتلكن رداء واحداً من القفاطين الزاهية وجملة من الحلي والمجوهرات الفضية أو الذهبية.

وبما أن الشربيل يعتبر في المغرب أحسن وأجود الأحذية النسوية بل هو الأبهى والأزهى والأكثر أناقة ورشاقة من سائر الأحذية الأخرى فإن سعره كان بسبب ذلك مرتفعاً ويزداد أكثر كلما كان مثقلاً بالطرز والتوشية.

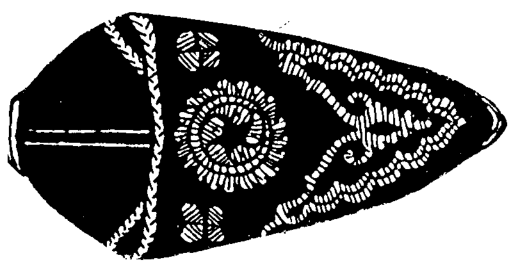

وكان أحسن أنواع الشربيل ما يتم صنعه "تحت الطلب" مما كان يندرج تحت اسم "شربيل الوصية" الذي يتخصص في تحضيره حرفيون مهرة يدعون "الشرابلية". أما متوسطة الجودة منها فكانت تصنع بالجملة وتعرض للبيع في القيساريات إلى جانب الأثواب والحلي والمجوهرات. وكانت فاس هي أكبر مركز على الصعيد الوطني في صناعتها ومنها كانت توزع بأعداد وافرة داخل المغرب وخارجه وكان من منتجات هذه المدينة من الشربيل ما يصل إلى السودان ومصر والنيجر والسينغال. كما كانت الرباط ومراكش ومكناس وتطوان من أكبر مراكز إنتاجها على الصعيد الجهوي. وقد نال المعلم محمد بن العربي بن إبراهيم والحسن المرنيسي، وهما أشهر صناع الشربيل في فاس، من الثروة والجاه والمال مالم ينله غيرهما من الحرفيين في المغرب، وقد استمر ذكر اسميهما إلى حدود النصف الأول من القرن (20)

في كل حواضر البلاد (R. Guyot, *Les Cordonniers de Fès*, p. 30). أما أكثرهم ثروة وجاها فكان هو المعلم السحاقي الذي كان "لا يخيط الشربيل إلا بالقنب البلدي وينمق بعضه بالقطن والحرير ويرصعه بالصقلي الحر ويبطنه بالملف". وقد كان هذا المعلم معاصر للسلطان سيدي محمد بن يوسف ويتوفر منه على ظهير للتوقير والاحترام موقع بيد الحاج محمد المقري بتاريخ 20 ماي 1933.

ومن مواصفات الشربيل أنه كان دائماً مغطى بالطرز، لكن هذا الطرز يختلف باختلاف الأذواق، فمنه الجزئي والكلي، ومن الكلي ما كان يغطي الرقعة بكاملها أو يغطيها في جزء منها بالحرير والجزء الثاني بخيط الفضة أو الذهب. ومن الشربيل ما كان امتلاؤه بالطرز خفيفاً وما كان ثقيلا ومنه ما كان مغطى أيضاً بخيوط النحاس مما عرف عند النساء الحضريات "بشربيل البلسيان". وكان أرفع الأنواع كلها هو الشربيل الممتلئ كليا والمطروز بخيوط الذهب مما يدعى "الصقلي"، وبما أن الطرز في هذا النوع كان يغطي كل مكان من رقعة الشربيل فقد سماه المغاربة "بلغة الصقلي الحر" أو "شربيل الصم" أو "الشربيل المغطوس". أما أدناه في مراتب الجودة فكان طرزه من خيوط النحاس الأصفر مما تسميه النساء "شربيل البلسيان" أو "شربيل الصقلي الحرامي". وكيفما كان نوع الطرز الذي يغطي رقعة الشربيل، فقد كانت كل النساء في المغرب تفضلنه على غيره من أنواع الأحذية فكانت هدايا العرائس لا تخلو من زوج منه سواء في الحواضر أو البوادي المغربية وبذلك كان قطعة لباسية لا يخلو منها صندوق أي امرأة.


أمين الريحاني، *المغرب الأقصى*، بيروت، 1975 ؛ حلمي محمد عشيش، *المغرب الأقصى كما رأيته*، القاهرة، دون تاريخ ؛ ع. العزيز بنعبد الله، معجم الملابس، الرباط، 1975 ؛ إ. بن الماحي، *إعلان الصناعة الفاسية بنهضتها السامية*، فاس، 1938 ؛ ع. أمهان، *الفنون المغربية الأصلية*، مجلة *أبعاد فكرية*، العدد الثاني السنة الأولى، 1989 ؛ جامعة الدول العربية، معجم اللباس، الرباط، 1975 ؛ م. حنيني، *نزعة التطور لدى المرأة المغربية*، مجلة *أمل*، العدد التاسع السنة الثالثة، 1997 ؛ ابتسام الصفار ومحمد بدري، *الأحذية والنعال*، النجف، 1973 ؛ علي طعمة، *المغرب تاريخه حضارته وحقيقته*، بيروت، دون تاريخ ؛ محمد عزيز حلمي، *عادات الزي في المغرب الأقصى*، د. ت. ود. م.

L. Brunot, *La cordonnerie indigène à Rabat*, *Hesp.*, T. 33, 1946; L. Bègue, *Les babouches et leurs décorations*, *France-Maroc*, n° 3, 15 mai 1917; R. Guyot *et al. Les cordonniers de Fès*, *Hesp.*, tome 23, 1936; A. Hardy, *Les babouchiers de Salé*, in *B.E.M.*, tome 5, 1938 ; S. Belkaïd, *La tannerie dans la ville de Marrakech*, Université de Nice, thèse de 3e cycle, 1983 ; Anonyme, *L'industrie marocaine des parures*, *B.I.D.M.*, juillet 1942; L. Massignon, *Enquête sur les corporations d'artisans et de commerçants au Maroc*, *R.M.M.*, vol. 58, 1924.


محمد بوسلام

ابن **شرحبيل** أو **الشرحبيلي الحسين** بن محمد بن علي بن شرحبيل الدرعي، يكنى أبا محمد وأبا علي، اشتهرت نسبته إلى جده الثالث شرحبيل (*الدرر*، 167 ؛ *طلعة*، 2 : 10 ؛ *المعسول*، 18 : 241).

كان مولده يوم الاثنين 11 شعبان 1079/14 يناير 1669 في درعة، وفيها نشأ وتعلم. وقد اهتم في البدء بعلوم الظاهر، حتى أتقنها وحققها (الحضيكي، 167 ؛ *المعسول*، 18: 240 ـ 241)، وتفنن في جملة من العلوم العقلية والنقلية فاستحق لقب العالم العلامة (*الدرر*، 167 ؛ *نشر*، 3 : 333)، ثم سعى وراء علوم الباطن فأخذها، وتضلع بعلومها وأحكمها (*طبقات*، 167 ؛ *المعسول*، 18 : 240).

قرأ أولا على الشيخ أحمد بن محمد أحوزي الهشتوكي، وعليه اعتمد، وأخذ عنه، وعن الشيخ أبي العباس أحمد الخليفة بن مَحمد ابن ناصر الدرعي شيخ الزاوية الناصرية في تمكروت وكبير الطائفة الناصرية وزواياها في المغرب، أخذ عنه الورد الناصري وصحبه واختص به، وكان المباشر له في غالب أحواله، وصاحبه في وجهتيه الحجازيتين، وشاركه فيمن لقي فيهما من المشايخ". وذكر في *الدرر المرصعة* أن ابن شرحبيل ألف تآليف برسم شيخه أحمد الخليفة وبإشارته، منها *شرحاه على صغرى السنوني*، وشرح *سيف النصر* للشيخ مَحمد ابن ناصر ثلاثة شروح، كبير، وصغير، ومتوسط. وكان شرع في شرح *غنيمة العبد المنيب* للشيخ المذكور، وفي جمع *مناقب شيخه أبي العباس أحمد الخليفة*، لكن اخترمته المنية قبل أن يتممهما. ولقربه منه زوجه شيخه أحمد الخليفة من أخته عاتكة، فأصبح صهراً له (*طلعة*، 2 : 10).

ومن ثم، جعله بعضهم وارث شيخه أحمد الخليفة ابن ناصر، واعتبره الحضيكي ممن حاز أسرار الطريقة الغازية، ونعته "بشيخ الطائفة الشاذلية، ووارث الطريقة الصديقية العظمى"، بل رفعه غيره إلى مقام القطبانية (*خلال جزولة*، 3 : 82).

ولهذه النعوت أهميتها، إذا علمنا أن شيخه أحمد الخليفة لما توفي عام 1129/ 1717، لم يخلف عقبا، وأن ابن شرحبيل كان ممن نافس شيوخ الأسرة الناصرية على الزعامة في زاوية تامگروت. وقد تجاذب الحبال في هذا الصدد مع موسى بن محمد الكبير بن محمد ابن ناصر، ابن أخي شيخه أحمد الخليفة ابن ناصر. وكان موسى من المتخرجين على يد عمه أحمد الخليفة ابن ناصر، في علوم الظاهر والباطن، مثل ابن شرحبيل.

وقد أكدت الكتابات الناصرية بالإجماع على وصية أحمد الخليفة لابن أخيه موسى، بينما تأبى بعض المصادر، ولا سيما منها السوسية إلا أن تؤيد ابن شرحبيل في دعواه بوراثة شيخه، وأنه "الوصي" بعد "الخليفة".

ومهما يكن من أمر، فإن ابن شرحبيل باشر فعلا بعد وفاة أحمد الخليفة أمور الزاوية الناصرية في تامگروت، وقضى على رأس الزاوية مدة تجاوزت حولين من الزمن بعد وفاة أحمد الخليفة. ولنا شهادة مهمة على ذلك، وهي الرسائل التي كان يبعث بها ابن شرحبيل إلى المقدمين على الطوائف و الزوايا الناصرية بصفته شيخ الزاوية الناصرية الأم

في تامگروت (*رسائل ووصايا*). وظل كذلك إلى أن اضطر إلى مبارحة تامگروت تحت ضغط الأسرة الناصرية. يفهم ذلك من رسالة بعث بها المسمى محمد بن إبراهيم بن محمد التاكوشتي الهشتوكي الصوابي، تلميذ ابن شرحبيل، من درعة إلى أهله في سوس سنة 1132/ 1720، يخبرهم فيها أنه انتقل مع شيخه ابن شرحبيل من تمجروت إلى أغلان في درعة، بأمر من الشريف خليفة والده السلطان إسماعيل لشكاية المرابطين الناصريين، وثم أمر ابن شرحبيل أصحابه بالانتقال إلى أغلان، معلقا على تلك الواقعة، بقوله "...والحاصل قد شتت أمر هذه [الزاوية]...". وكان انتقاله وصحبه في شهر شوال 1132، حسب تاريخ كتابة هذه الرسالة (*المعسول*، 18 : 242).

واستقر في زاوية أغلان نحو عامين، قبل أن يرحل عنها أيضا في اتجاه فاس، وقد كان بها سنة 1134 (*المعسول*، 18 : 245). وإذا كنا لا ندري سبب انتقاله إلى الحضرة الإدريسية من أغلان، ولا السنوات التي بقي فيها بجوار مولاي إدريس، فإننا نعلم أنه كان موجودا في عام 1139 هـ بسوس (*المعسول*، 18 : 245).

وقد استقر ابن شرحبيل في نهاية رحلته بسوس في الزاوية التي أسسها في المكان المسمى أمان ملولنين (الماء الأبيض) في قبيلة أيت تاكن (صنهاجة)، وهناك استقر به المقام، منذ عام 1139 هـ على الأقل (*المعسول*، 18 : 245).

وحقق ابن شرحبيل في زاويته الجديدة شعبية واسعة، وأقبل عليه السوسيون إقبالا عظيما، حتى صارت يده لا يعلى عليها في الطريقة هنالك (*المعسول*، 18 : 245). بل الظاهر أن نفوذ زاوية أمان ملولنين الشرحبيلية أثر كثيرا على نفوذ الزاوية الناصرية الكبرى التامگروتية نفسها في منطقة سوس، حيث صار لها أتباع ومقدمون لا يدينون بالولاء والتبعية سوى للزاوية الشرحبيلية، مما خلق متاعب جمة للزاوية التامگروتية ولشيخها، موسى بن محمد الكبير بن محمد ابن ناصر، وهو الذي جاذب ابن شرحبيل الحبال، كما علمنا.

وفي هذا الصدد كتب صاحب *الدرر المرصعة*، وهو محمد المكي ابن شيخ زاوية تامگروت موسى ابن ناصر، بمناسبة حديثه عما سببه تعاظم نفوذ ابن شرحبيل لوالده هذا من متاعب، قائلا: "...ثم لما حلت سنة اثنتين وأربعين سافر (والده موسى بن محمد بن محمد ابن ناصر) من حضرة الزاوية المحروسة قصد النظر والوقوف على ما لها، بقطر سوس الأقصى، من الأحباس، من زيت وزرع وحديد ونحاس، وغير ذلك، لعدم إيصال شيء منها إلى الزاوية لاستيلاء بعض الكفرة الفجرة من المقدمين على ذلك. فسافر حتى بلغ زاوية أبي علي ابن شرحبيل الموسومة بـ(أمان ملولنين) فلقيه بها وتكلم معه في ذلك. وكان المقدم المذكور من أصحابه وأتباعه المنوهين باسمه الزاعمين أنه الوصي. ووعده أن يكتب له، ويأمره برد ما أخذه ومنعه. وحاصل الأمر أنه لم يكتب له كما وعده، بل رجع عن مقالته، وركن إلى فعله الذميم (القديم). فخرج الوالد من عنده وبقلبه نار تستعر، واجتاز بمراكش ثم بدمنات، وبها ابتدأه المرض الذي مات به" (*الدرر*؛ الدرة، 134؛ *المعسول*، 18 : 246).

وقد نقل المختار السوسي كلام مؤلف الدرر، ثم كتب معلقا عليه: "انتهى المقصود الذي يفهم منه أن إشعاع سيدي حسين أكثر ضوءا من إشعاع سيدي موسى. وقد أتى سيدي موسى إلى سوس لعله ينقذ هناك ما يريد إنقاذه، ولكن غمرته أمواج سيدي حسين..." (*المعسول*، 18 : 246).

بل لم ينفك نفوذ ابن شرحبيل في امتداد، ولا سيما في سوس. وقصده الناس من كل وجه لأخذ العلم، وللزيارة والتبرك. فلما "...رأى اشتياق الناس إلى لقياه، أعمل الرحلة في جميع قبائل سوس في طائفة من الطلبة من أصحابه، يدرس فيهم ويرشد العامة، ويصالح بين المتحاربين، ويسعى في المصالح العامة، فأقام أسواقا، وفصل قضايا كثرت الحروب حواليها"، وبنى مدارس وزوايا.

ومن أشهر الأسواق المنسوبة إليه في سوس منذ تلك الرحلة: سوق الخميس من أيت بوبكر في بعمرانة، وثلاثاء الاخصاص، وجمعة تيمولاي، وخميس تاغجيجت. كما تنسب إليه من يوم جال هناك تلك الجولة الكبرى، عيون ماء، لاتزال تجري قسمة مياهها كما قسمها لأهلها يومئذ (*المعسول*، 18 : 240). أما الزوايا المضافة إليه فهي الزاوية الكبرى في أمان ملولنين، وأخرى في المنابهة، وثالثة في هوارة، ورابعة في مدينة تارودانت، وأخرى في درعة (*المعسول*، 18 : 249).

دامت رحلة ابن شرحبيل في سوس نحو سنة، وحين رجع لم يبق في داره إلا ثمانية أيام، فوافاه أجله يوم الخميس ثامن جمادى الثانية سنة 1142/ 29 دجنبر 1729. ودفن بزاويته الكبرى في أمنان ملولنين، وبنيت عليه بها قبة بديعة (الدرر، 168). ويعد امحمد بن أحمد الحضيكي (ت. 1189/ 1775) مؤلف المناقب المنسوبة إلى اسمه، من أشهر تلامذته (طبقات، 167 ـ 168).


أ. الخليفة ابن ناصر وابن شرحبيل الحسين ، *رسائل ووصايا ناصرية*، مخطوط خ. ع.، بالرباط، ضمن مجموع؛ محمد المكي ابن ناصر، *الدرر المرصعة في أخبار أعيان درعة*، تح. م. الحبيب نوحي، د.د.ع.، مرقون بكلية الآداب بالرباط؛ م. بن أحمد الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، د.د.ع.، مرقون بكلية الآداب بالرباط؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب أحمد الخليفة*، تح. أ. عمالك، د.د.ع.، 1406/1986، مرقون بكلية الآداب بالرباط؛ داود بن علي السملالي، *بشارة الزائرين الباحثين في الصالحين*، مخطوط؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 18، الدار البيضاء، 1381/1962؛ *خلال جزولة*، ج. 3، تطوان، دون تاريخ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي القاسمي، بيروت، 1403/1983؛ *نشر المثاني*، ج. 3، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1407/1986؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري في النسب الجعفري*، ج. 2، سلا، 1987.


أحمد الوارث

**الشرحبيلية**، زاوية تدعى أيضا زاوية سيدي حْسَيْن نسبة إلى مؤسسها الحسين الشرحبيلي سابق الترجمة. تقع بمكان يسمى "أمان ملولنين" بتراب ويسلست (قبيلة إيزناگن). ويبدو أن تداعيات اختيار الموضع نابع من كونه امتدادا طبيعياً لمجالي سوس ودرعة، تتوسطه مجموعة من القبائل: إيزناگن، أيت إمر، أيت سمكان وأيت وعزدة... إضافة إلى كون منطقة رأس وادي سوس، تعتبر المعقل التقليدي للطريقة الناصرية وقاعدتها المتقدمة، ونستفيد من أدبيات الزاوية نفسها، أن هناك ممهدات لتوغل الطريقة حتى قبل استقرار الشرحبيلي بها عن طريق أبناء المنطقة الذين تتلمذوا مباشرة على يد الشيخ محمد بن ناصر من أمثال: صاحب *"الأجوبة الناصرية"* محمد بن أبي القاسم الصنهاجي (تـ. 1143/ 1691 ـ 1692). كما اتخذها بعض رموز أفراد الأسرة الناصرية معقلا ذا قيمة روحية، في خضم الصراعات حول مشيخة تامگروت التي تنتاب أفراد الأسرة، كما هو الشأن بالنسبة لعلي بن محمد بن ناصر أثناء صراعه مع أخيه أحمد بن محمد. وظل هذا التأثير يمارس عبر مراسلات بين الزاوية الأم بتامگروت وأتباعها بالمنطقة.

لقد شكل الصراع حول خلافة الشيخ أحمد بن ناصر، منعطفا رئيسيا في تاريخ الزاوية الناصرية، اضطر معها الشرحبيلي إلى النزوح من تامگروت إلى قبيلة إيزناگن، حيث أسس زاويته المشهورة بأمان ملولنين سنة 1139 / 1725ـ 1726، وكانت تعرف بزاوية الرحمة والأمان، ولاشك أن مكانته العلمية والصوفية أهلته ليؤسس زاوية منظمة تجاوز نفوذها قبائل رأس الواد لتعانق مجالات جغرافية متباينة داخل الصقع السوسي، فانخرطت بسرعة في محيطها القبلي، وذلك من خلال الأدوار التي كانت تضطلع بها من قبيل: إطعام الطعام، التدريس والإرشاد وفض النزاعات... وطارت شهرة مؤسسها، وأقبل عليه الناس من كل الآفاق.

وكغيرها من الزوايا المشهورة آنذاك، ظلت موارد الزاوية الشرحبيلية تأتي من إعانات سكان المنطقة عن طريق تقديم جزء من المحصول يسمى (ترباعيّن). كما أن أحباسها أضحت منتشرة بشكل كبير في جميع أرجاء سوس، حيث لا يخلو أي مدشر أو قرية من أحباس موقوفة لصالح الزاوية كما تساق إليها الإعانات من هدايا وزيارات وذبائح...

وهكذا استقطبت الزاوية الناشئة بدورها عددا لا يستهان به من الأتباع، وازداد بذلك إشعاعها، وتحولت على إثره الإعانات التقليدية التي كانت تأخذ طريقها إلى تامگروت لصالح زاوية آمان ملولنين. ومن مظاهر هذا التحول رفض مقدمي الزاوية بسوس دفع عائدات الأحباس للزاوية الأم. وهذا ما كلف موسى الناصري عناء الانتقال إلى المنطقة لاسترجاع مواردها، وتجديد الصلة بفروع الزاوية الناصرية، بيد أن اتصالاته بغريمه الحسين الشرحبيلي آلت إلى الفشل "فخرج الوالد من عنده، وبقلبه نار تسعر" (*الدرر المرصعة*). ولا يستبعد أن يكون ذلك الإحباط، كما يستشف من كلام صاحب الدرر، سببا في مرض وفاته.

و"هكذا ختمت حياة هذا الرجل العظيم في بحبوحة متسعة من الشهرة الطنانة في سوس" (*المعسول*، ج. 187، ص. 246). ويظهر أن أتباعه وزواياه تكاثرت خاصة في حوض سوس (المنابهة، تارودانت، هوارة...). توفي المترجم ليلة الخميس 8 جمادى II 1142 / 9 يناير 1729 وقد واصل أولاده وأحفاده نفس النهج، وحافظوا على مكانة الزاوية العلمية والصوفية. وتستوقفنا المصادر عند البعض منهم من أمثال محمد بن عبد الله الشرحبيلي، مَحمد وأحمد الشرحبيلي، ممن كانوا يتصفون بصفات العلماء المتصوفة. ويبدو أن تألق نجم الزوايا الأخرى داخل المجال السوسي، آل إلى تراجع وتيرة الزاوية الشرحبيلية.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة*. تح. م. الحبيب النوحي. د.د.ع. الرباط، 1987، ص. 167، 241، 306، 459 ؛ م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، د.د.ع. الرباط، 1994، ترجمة رقم 254 ؛ ع. الرحمان الجشتيمي، *الحضيكيون*، تر. 48 ـ 49 ـ 50 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 18، ص. 238 ـ 245 ـ 248 ـ 249 ؛ ج. 19، ص. 232 ـ 236 ؛ ج. 20، ص. 162 ؛ *خلال جزولة*، 3 : 65 ؛ *وثائق خاصة*.

L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVI siècle*, *A.M.*, 1933.

أحمد بومزگو

**شـرّا**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Serra وJerra ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1426.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشرادي**، أسرة فاسية منسوبة إلى قبيلة الشراردة المعروفة بحوز مراكش حيث توجد زاوية الشرادي التي هي فرع عن الزاوية الناصرية. استقرت فرقة منهم قديماً بمدينة فاس، وهم أهل معاش وحرفة، والتحق بهم آخرون بعد تخريب زاويتهم الأمّ سنة 1244/1809.

ولما دخل الشيخ محمد بن أحمد الشرادي إلى فاس مرجعه من الحج سنة 1177/1764 استقبله الفاسيون بحفاوة وأخذوا عنه الطريقة، وبنوا الزاوية الشرادية بزنقة الدرج من عدوة فاس الأندلس، ورتب لهم فيها أوراد الوظيفة الزروقية وغيرها وأقيمت فيها الصلوات الليلية بإمام راتب، ونصب فيها كرسي لتدريس الفقه والتصوف. وبعد تخريب زاوية الشرادي الأم انتقل شيوخها إلى زاويتهم بفاس.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 6 : 2147 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 200.

محمد حجي

**الشرّادي** (زاوية –)، بحوز مراكش، أسسها أحمد بن عبد الله بن مبارك الشرادي، تلميذ أحمد ابن ناصر شيخ الطريقة الناصرية. وقد نجح أحمد بن عبد الله الشرادي في استقطاب أتباع كثيرين بنواحي مراكش، خاصة ضمن قبيلته الشراردة.

وبعد وفاته سنة 1160/47 ـ 1748 خلفه ولده محمد الذي حج في سنة 1177/1763 ـ 1764 وفي طريق عودته إلى موطنه مر بمدينة فاس وأسس بها فرعا للزاوية في عدوة الأندلس. وفي عهد المولى سليمان تولى أمر الزاوية ولده المهدي الذي لم ينل من العلم إلا قليلا حسب صاحب كتاب *الاستقصا*، لكنه ادعى معرفة السيمياء والحدثان "فازداد ناموسه وتمكن من جهلة قومه". واتسع صيته إلى ما وراء حدود قبيلته، وربما وصل به الأمر إلى التصريح بأنه "المهدي المنتظر"، وهو شيء يسهل تصديقه في خضم الأزمة الاقتصادية والسياسية التي طبعت السنوات الأخيرة من حكم المولى سليمان.

وجاءت هزيمة السلطان سليمان في ربيع 1819 وما تلاها من أزمة سياسية لتخلق الظرفية المواتية لاستفحال أمره وظهور علامات الخلاف بينه وبين ممثلي المخزن بمراكش وأحوازها. ومن أسباب الخلاف التي استفحلت بعد هزيمة زيان مسألة إيواء الزاوية للهاربين من عدالة المخزن ولجوء القائد قاسم الشرادي إلى إخراجهم منها سيرا على نهج المولى سليمان الذي لم يعترف في وقت من الأوقات للزوايا بحق حماية الجناة والمتمردين على الدولة. ويقول الزياني أن القائد المذكور أغرى السلطان بتأديب المرابط وشيعته، لكن الحملة العسكرية التي جهزت لهذا الغرض آلت إلى الفشل بعد أن رجع الجيش المخزني على أعقابه مسلوبا من الخيل والسلاح. وهذا ما حذا بالسلطان إلى تنظيم حملة أكبر استنفر لها عددا من قبائل الحوز، وفي طليعتهم قبيلة الرحامنة. ويلوم الزياني القائدين قاسم الرحماني وعمر بوستة على سوء نصحهما للسلطان والدفع به إلى التشدد ورفض تشفع الشراردة والتماسهم للعفو. ومرة أخرى هزمت الجيوش المخزنية ولم يفلت المولى سليمان إلا بانحيازه لجانب الشراردة الذين ساروا به إلى الزاوية قبل أن يصحبوه إلى أبواب مراكش في مشهد يذكر بهزيمة زيان قبل ثلاث سنوات تقريبا، وما أعقبها من إرجاع السلطان إلى دار ملكه على يد الذين هزموه بالأمس. وكانت هذه الهزيمة القاسية الضربة القاضية لمعنويات سلطان تجرع مرارة الهزائم وسئم الحياة، فكانت وفاته بعد ذلك بوقت يسير، تاركا لابن أخيه مولاي عبد الرحمان الذي أوصى له بالخلافة مهمة تدبير أمر الزاوية الشرادية.

وإذا كان المولى عبد الرحمان قد غض الطرف عن ما سبق من توتر بين الزاوية والمخزن فإنه أظهر ما يكفي من الحزم لزجر كل التجاوزات التي تخرج بالزاوية من المجال الديني الصرف إلى المجال السياسي. وكان من جملة ما يؤاخذ به المولى عبد الرحمان الزاوية الشرادية احتفاظها بعدد من المدافع والمهاريس التي استولى عليها مقاتلو الشراردة في حربهم مع جيوش المولى سليمان. وفي سنة 1244/1828 صمم المولى عبد الرحمان على وضع حد نهائي لوجود هذه الزاوية، فحشد الجيوش وحاصرها لمدة أسبوع قبل أن يقتحمها ويُخربها ويهدم أسوار قصبتها. وفرّ شيخها المهدي الشرادي وتم نقل من بقي منهم إلى ناحية الغرب. وبعد ثلاث سنوات من هذه الحملة التأديبية أرسل المهدي الشرادي من يتشفع له عند السلطان فعفا عنه المولى عبد الرحمان وسمح له بالسكنى مع أولاده بمدينة مكناس. ثم بعد حين ولاه على قومه لكنهم رفضوه بعد أن سقطت هيبته في نظرهم وحمّلوه ما أصابهم من مآسي.

أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا*، ص. 2، الدار البيضاء، 1956، الجزء 9 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام*، الرباط، 1974، الجزء 2.

محمد المنصور

**الشرّادي، أحمد** بن عبد الله بن مبارك الزراري القضاعي. والزراري نسبة إلى زرارة، إحدى قبائل گيش حوز مراكش، سليلة عرب معقل الصحراء. والقضاعي، نسبة إلى القبيلة العربية المشهورة بشبه الجزيرة العربية.

لا نعرف شيئا يذكر عن حياته الأولى، ولا عن طلبه للعلم. والغالب على الظن أن شهرته ارتبطت بانتسابه للشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، صاحب زاوية تامگروت (ت. 1129/ 1717)، حيث كان من بين من أخذوا عنه الورد، من طريق الشيخ الحسن اليوسي. كما كان يروي عن أبي سالم العياشي، والمرسلي التامگروتي.

وبناء على ما سبق، نستخلص أن شهرة الشرادي قد ارتبطت بالتصوف ؛ إذ تذكر المصادر التي ترجمته أنه كان راسخ القدم في هذا المضمار. قال القادري: "فمنهم الولي الصالح، العارف الناصح، ذو البرهان الواضح، معدن الأسرار، وكهف الوفود والزوار، الشائع ذكره في الحواضر والبوادي" (*النشر*، 4 : 59).

وتفيد المصادر أيضا، أنه كان مقيما بمدينة مراكش، التي اشتهر بها فروع الزاوية الناصرية الواقعة برياض العروس. فتعدد أتباعه ومريدوه، وصار الناس يترددون عليه بالزيارة، دون مقدم الزاوية الناصرية، محمد بن عبد الله الحمري، الذي كان له الإذن من الشيخ أحمد بن ناصر.

ومن ثم، سولت له نفسه الخروج عن الناصريين، فانعزل عنهم مع أتباعه، قبيل عام 1121/1709، كما يستفاد من رسالتين ؛ إحداهما للتاستاوتي، والأخرى للحمري (*طلعة المشتري*، 2 : 113 ـ 114 و*إعلام المراكشي*، 6 : 16 ـ 18). لكن الناصريين، شيوخا وتلاميذ، لم يسكتوا عما فعله الشرادي؛ حيث اعتبروه منشقا عنهم؛ الأمر الذي اضطر معه إلى مغادرة مراكش ليشيد زاوية خاصة به غربي هذه المدينة. وهنالك شاع ذكره، فقصده الناس من الآفاق البعيدة. ومن

أخذ عنه الطريقة سيدي محمد بن عبد الله، أوائل نزوله بمدينة مراكش ؛ حين كان خليفة والده بها (الحسن العبادي، *الملك المصلح*، ص. 62). كما أخذ عنه يحيى بن عبد الله الجراري السوسي (*الإعلام*، 2 : 379).

توفي أحمد الشرادي عام 1160/1747 ودفن بالزاوية المنسوبة إليه، التي استمرت قائمة العين والأثر حتى عام 1244/ 1829، حيث تم تخريبها على أيدي جيش السلطان عبد الرحمن بن هشام.

م. القادري، *نشر المثاني*، 4: 59 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، 2 : 113 . 114 ؛ ع. المراكشي، *الإعلام*، 2 : 378 و6 : 18 ؛ ح. العبادي، *الملك المصلح*...

أحمد عمالك

**الشرادي الفاضلي، محمد** بن إبراهيم، ولد يوم ثاني رجب 1338/ 25 دجنبر 1919 بالدار البيضاء. التحق بعد مرحلة الكتاب القرآني بمدينة سطات بالتعليم العصري المزدوج، الابتدائي بسطات والثانوي بثانوية مولاي يوسف بالرباط. وبعد حصوله على شهادة الدروس العادية الإسلامية انضم كتلميذ معلم إلى قسم تكوين المعلمين (C.E.N.M.) الملحق بالثانوية اليوسفية وتخرج منه. بعد تكوينه البيداغوجي، عُين معلما متدربا للغة الفرنسية في فاتح مايو 1939 بالمدرسة الابتدائية الإسلامية بمراكش القصبة. ومنها انتقل إلى التعليم بسلا فاستوطنها إلى آخر حياته، وحصل على دبلوم اللغة العربية من معهد الدراسات المغربية العليا، الشيء الذي أهله للاندماج في إطار الأساتذة المكلفين بالدروس، بثانوية الليمون في فاتح أكتوبر 1954، ثم بثانوية مولاي يوسف بالرباط. بعد ذلك تم تعيينه نائبا لمدير التعليم التقني بوزارة التربية الوطنية في فاتح نونبر 1961، ثم مفتشا للغة العربية بالتعليم الثانوي ورقي إلى مفتش أول بوزارة التعليم إلى أن أحيل على المعاش.

عرف المترجم بدماثة الخلق وحسن المعاشرة، والقدرة على التحليل بموضوعية، وشغف بعد تقاعده بالدراسات الإسلامية من علوم قرآنية ومختلف مدارس الحديث والفقه، محاولا كشف مدلول النصوص في ضوء سياقها التاريخي، مقارنا أحكام مختلف المذاهب وناقدا آراء الفقهاء والمتكلمين. شرع

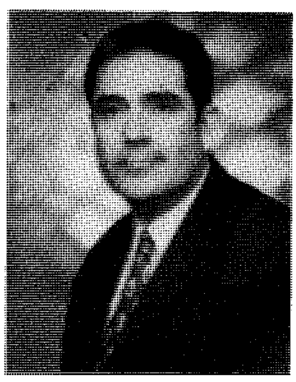

في ترجمة معاني القرآن الكريم بعد اطلاعه على ترجمات من سبقوه لذلك لكن رحيله المبكر حال دون تحقيق أمنيته.

ألف بالمشاركة مع ابن خاله محمد القباج كتاب *باقة من الأمثال المغربية* بترجمتها الفرنسية، في طبعة جيدة أنيقة، غفل من أية إشارة لتاريخ النشر أو للمطبعة وتوفي فجأة ليلة السبت 19 صفر 1406/ ثالث نونبر 1985، ودفن بباب معلقة ورثاه على قبره صديقه الشاعر علي الصقلي بكلمة مؤثره، ثم أقيم له حفل تأبين، ألقيت فيه كلمات وقصائد وأنشدت بدوري قصيدة شعرية مطلعها :

القلب أصبح واهي الأوتاد ... لما نعيت محمد الشرادي

م. الشرادي نفسه، *باقة من الأمثال المغربية*، د. ت ؛ *وثائق إدارية وعائلية ؛ معرفة شخصية*.

أحمد السوسي التناني

**الشرادي، محمد** بن **أحمد** الزراري القضاعي، ثاني شيوخ الزاوية الشرادية، الواقعة بحوز مراكش على بعد نصف مرحلة من المدينة في اتجاه الغرب، خلفا لوالده أحمد بن عبد الله الشرادي سابق الترجمة. بل تعتبر بعض المصادر محمد بن أحمد الشرادي هو مؤسس الزاوية، وليس والده (*الاستقصا*، ج. 8، ص. 160). ونعتبر هذا القول الأخير مجرد سبق قلم، إذ رغم أن كتب التراجم، التي تنسب الزاوية للشرادي الأب المتوفى حوالي 1160 / 1747، لا تحدد تاريخ تأسيس هذه الزاوية، فإنه يفهم مما ترويه كتب التاريخ عن لجوء الأمير سيدي محمد بن عبد الله، أيام كان خليفة لوالده بمراكش، إلى هذه الزاوية، بسبب فتنة الرحامنة، واتصاله فيها بأحمد الشرادي (*تاريخ الضعيف*، 1 : 277) أنها سابقة الوجود عن هذا التاريخ، أي أن الزاوية، تبعا لذلك، كانت قائمة زمنئذ، وأن محمد بن أحمد الشرادي، إنما خلف والده فيها.

وقد تتلمذ محمد الشرادي على يد والده، في نفس الزاوية، وأخذ عنه فيها علوم الظاهر والباطن. ويُذكر أنه بلغ في هذا وذاك مقاما عليا بشهادة المترجمين له، حيث وصف بالفقيه والعلامة والصالح الورع (*الإعلام*، 6 : 146)، ووصف بالشيخ المشارك الأديب المؤرخ (*الإعلام*، 6 : 147)، كما نعت بالفضل والقدر الكبير والعز الخطير والجلال والمجد (*نشر المثاني*، 4 : 95)، بل لم يتردد العلماء في مدحه، كما فعل المؤرخ الزياني في الفهرسة التي ذكر فيها شيوخ السلطان مولاي سليمان، حيث حلاه بقوله:

ومقصد العلوم والأوراد ... محمد ابن الصالح الشرادي

ولا غرو في ذلك، فقد خلف محمد بن أحمد الشرادي والده على رأس الزاوية الشرادية في حوز مراكش، وحظي، إبان مشيخته، بمكانة مرموقة لدى الخاصة والعامة وفي هذا الصدد يُذكر أن السلطان مولاي سليمان طلب منه أن يجيزه في مروياته، فأجازه إجازة عامة، حسبما أجازه شيخه الوالد عن أبي سالم العياشي، بما احتوت عليه فهرسة هذا الأخير.

بل لقد استغل الشيخ الشرادي هذه المناسبة فختم نص الإجازة بنصائح موجهة إلى السلطان مولاي سليمان نفسه، مما قال فيها: "...وعلى سيدنا إيثار العدل وقصد الحق والنصح لجميع الخلق مع الفحص عن الأحوال".

توفي عام 1212/ 1798، وقبره في الزاوية الشرادية القديمة.

أ. الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، البيضاء، تسعة أجزاء، 1954 . 1956 ؛ *طلعة المشتري في النسب الجعفري*، طبعة حجرية مصورة بالأفسيت، 1407/1987، جزآن ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط؛ م. بن أحمد الشرادي، *إجازة مولاي سليمان*، م. خ. ع. الرباط، رقم 2795 د، ضمن مجموع ؛ م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، أربعة أجزاء، 1397 . 1407/ 1977 . 1986 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف الرباطي*، تح. م. البوزيدي الشيخي، البيضاء، 1988.

أحمد الوارث

**الشرادي، محمد الرباطي**، أحد أفراد البعثة الطلابية التي وجهها الحسن الأول إلى أوربا سنة 1291/1874. وقد درس الهندسة الحربية في إسبانيا مع طالبين آخرين، هما عبد السلام الرباطي وأحمد بن العباس ابن شقرون الفاسي. ومكثوا هناك تسع سنوات إلى أن تم تكوينهم، وقد ألحق محمد الشرادي فور رجوعه بالخدمة المخزنية بحاشية الحسن الأول.

لا يعرف تاريخ وفاته بالضبط، ولكنه في حدود 1340/ 1922.

ع. الرحمن ابن زيدان، *العز والصولة*، الرباط، 1961، ج 2 : 150 . 160 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1988، ج 1 : 167 . 168.

**الشرادي، محمد الزوين ← سيدي الزوين**

**الشرادي، محمد الفاطمي** بن المقدم محمد بن حمادي الفاسي، يعرف فريقه بالشرادي بوعصا. فقيه مشارك تخرج على يد كبار شيوخ عصره: أحمد بن الخياط الزكاري، وهو عمدته، وعبد السلام الهواري، وعبد الله البدراوي وأضرابهم. ولي قضاء مدينة تارودانت مدة ثم رجع إلى فاس وانقطع للتدريس والتربية والتأليف أكثر إقرائه لمختصر خليل و*ألفية* ابن مالك، ومعظم مؤلفاته في الفقه المالكي، وهي صغيرة على العموم طبعت كلها على الحجر بفاس: *تسهيل النجعة بمراتب الشفعة*؛ *تشنيف السمع في حكم السبع*؛ *تقييد في نوني التوكيد*؛ *مسائل النحلة*؛ *وردة الدهان في أحكام الرهان*.

وكان خطيب جامع المنية، وأسندت إليه في آخر عمره عضوية المجلس العلمي بالقرويين إلى أن أدركته الوفاة بهذه الصفة.

توفي بفاس يوم الأربعاء 19 صفر عام 1344/8 شتنبر 1925 ودفن إلى جانب شيخه أحمد ابن الخياط بضريح الشيخ يحيى الزكاري بحي الرميلة.

ع. السلام، ابن سودة، *إتحاف المطالع/سل النصال/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2947 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988، ص. 188 . 189.

محمد حجي

**الشرادي، المهدي** بن محمد بن أحمد بن مبارك. تذكر المصادر أنه تصدر للمشيخة في الزاوية الشرادية بحوز مراكش، بعد وفاة والده، حوالي 1212/1798، ونهج نهج والده وجده، وجرى مجراهما في التصوف (*سلوة الأنفاس*، 3: 205 ؛ *الاستقصا*، 8 : 160). ويفهم من كتب المناقب أنه لم يكن يقل عن سلفه مستوى، لا في علوم الظاهر ولا في علوم التصوف. ومن ثم، وصفه بعضهم بالفقيه الذاكر الناسك (*سلوة الأنفاس*، 3 : 205)، لكن بعضهم أخذوا عليه غلوه في اعتماد علوم الغيب وإفشائه أسرارها للعوام، وبالغوا في انتقاد هذا المسلك إلى حد الطعن في صلاحه والتقليل من شأنه، فسماه بعضهم بالدجال (*الاستقصا*، 8 : 22)، ووصفه بعضهم بالفتان والضال (*إتحاف أعلام*، 5 : 22، 102)، وغير ذلك من هذه النعوت والصفات. وفي هذا الصدد كتب صاحب *الاستقصا* قائلا: "...نشأ المهدي الشرادي في دولة السلطان المولى سليمان رحمه الله، واتخذ شيئا من كتب العلم من غير أن يكون له فيه يد تعتبر، ثم تظاهر بمعرفة السيميا والحدثان، فازداد ناموسه، وتمكن من جهلة قومه، وربما نما شيء من أمره إلى السلطان فتغافل عنه" إلى أن استفحل أمره، وأعلن العصيان.

والواضح أن التقليل من شأن المهدي الشرادي يرتبط في كتابات منتقديه بمعارضته لسياسة المخزن، زمن المولى سليمان. وفي هذا الإطار، معلوم، أن السلطان المذكور تبنى، منذ توليه الحكم، سياسة ترمي إلى إخضاع مؤسسة الزاوية للشرع، ومن ثمة فرض هيمنة سياسية دينية كاملة للمخزن في البلاد. الأمر الذي أدى إلى نشوب مواجهات عنيفة بين المخزن وتلك المؤسسة الدينية ـ القبلية، خصوصا إبان الفترات التي اضطر فيها المخزن إلى جباية المستحقات الضريبية من القبائل في السنوات العجاف، كما حصل في بداية القرن 19 م. (*الأولياء*، ص. 822 . 827).

وإذ نجحت قوات المولى سليمان في إخماد ثورات قبائل عديدة، وامتحان الصوفية وأرباب الزوايا الذين قادوها أوعضدوها، فإنها لقيت الهزيمة أكثر من مرة، أخطرها هزيمتان، كانت إحداهما في حوز مراكش، أمام خدام الزاوية الشرادية، بقيادة الشيخ المترجم له، المهدي بن محمد الشرادي سنة 1230/1814.

وفي هذا الصدد ذكرت المصادر التاريخية أن نفوذ شيخ الزاوية الشرادية بلغ مستوى جعل أمر المخزن لا يستقيم في قبيلة الشراردة بحوز مراكش، الأمر الذي دفع المخزن إلى شن

الحرب على القبيلة وزاويتها وزعيمها. لكن الغزوة انتهت بهزيمة ساحقة لجيش المخزن، وهلاك كبار قواده. بل لم يقف الأمر عند هذا الحد، إذ "(...) زحف الشراردة إلى المحلة (السلطانية)...، فتوزعتها... شذر مذر، ... وتقدم (كبارها) إلى السلطان...، وكان راكبا على بغلته، فالتفوا عليه، وساروا به إلى زاويتهم، وأنزلوه بالدار المعروفة عندهم بدار الموسم، واحترموه وغدوا وراحوا في خدمته... وبقي عندهم ثلاثة أيام، وحضرت الجمعة فصلاها عندهم وخطبوا به، ومن الغد ركبوا وصحبوه إلى مراكش إلى أن وصل إلى عين أبي عكاز، فودعوه ورجعوا..." (*الاستقصا*، 8 : 106). وبقدر ما أثرت هذه الهزيمة على هيبة المخزن، زادت من استفحال نفوذ الشيخ المهدي الشرادي، حتى قيل إنه ادعى المهدوية (*الاستقصا*، 9 : 18).

لكن الظاهر أن هذا القول مبالغ فيه، لأنه بمجرد أن بويع السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام سنة 1822/1238، بايع الشيخ المهدي الشرادي السلطان الجديد، "(...) في جملة الناس، ولما قدم السلطان قدمته الأولى إلى مراكش، لقيه الشراردة في خمسمائة فارس بمشرع ابن حمى مؤدين الطاعة، ففرح بهم وأكرم وفادتهم. ولما عزموا على الرجوع كان في جملة ما قال لهم السلطان: إن ما فات قد مات، وما نهب في أيام الفتنة فهو هدر، ومن الآن من فعل شيئا يخاف على نفسه. فرجع الشراردة إلى بلادهم وعيَّد السلطان بمراكش عيد المولد (1243 هـ)، فحضرت الوفود، وحضر الشراردة في جملتهم، وساقوا للسلطان خمسة عشر جملا من الكتان وخمسة أحمال من الملف وأربعة آلاف مثقال عينا، مما كانوا نهبوه من صاكة الصويرة قبيل وفاة السلطان المولى سليمان... فكان من تمام إحسان السلطان إليهم، وتألفه إياهم أن قال لهم: افرضوا لي مائتي فارس منكم تذهب إلى درعة، وهذا الكتان والملف هو كسوتهم، والمال صائرهم، ففعلوا، وكساهم السلطان، وأنعم عليهم" (*الاستقصا*، 9 : 17).

لكن العلاقة بين السلطان مولاي عبد الرحمن والشراردة سرعان ما ساءت. وفي هذا الصدد كتب الناصري : "لما ولى (السلطان) أخاه المولى المامون على مراكش تمرضوا في طاعته، ودعا المهدي (الشرادي) تهوره إلى أن شكاه إلى السلطان، وهو بمكناسة يومئذ، ويعتد عليه بأنه يأخذ منهم الزكوات والأعشار على غير وجهها الشرعي، وأنه ولى عليهم أربعة عمال أو خمسة، عوض عامل واحد كان يتولى عليهم، فأغضى السلطان عن ذلك، وبالغ في إلانة القول له في كتابه، ووعده بأنه إذا وصل إلى مراكش يشكيه من أخيه. وفي أثناء ذلك، وقبل وصول كتاب السلطان إليه أغرى إخوانه بالخروج عن طاعة السلطان، والاشتغال بما يسخط الله ويرضي الشيطان، فانبثت خيولهم في الطرقات، ومخروها مخرا وانتسفوها نسفا، وعمدوا إلى قوادهم الذين ولاهم المولى المأمون عليهم فقبضوا عليهم وأودعوهم السجن وانتهبوا دورهم، ووصل المسافرون والتجار إلى باب السلطان مجردين عراة يشكون السلطان مادهمهم من أمر الشراردة" (*الاستقصا*، 9 : 17 ـ 18 ؛ *الإعلام*، 7 : 276).

وأضاف الناصري "...وكان المهدي قد عظم ناموسه، وتمكن من جهلة قومه، وكاد يتجاوزهم إلى غيرهم حتى صار يعرض أو يصرح بأنه المهدي المنتظر، وكان السبب في طغيانه وطغيان قومه ما اتفق له في هزيمة السلطان المولى سليمان رحمه الله، فظن المهدي وشراردته أن لا غالب لهم من الله" (*الاستقصا*، 9 : 18).

وعلى كل، فقد توجه السلطان في أوائل عام 1244 هـ، نحو الزاوية الشرادية، على طريق أسفي، على رأس جنود جرارة، وأحدق بها من جهاتها الأربع، ونشبت الحرب بين الطرفين، سبعة أيام متتالية من شهر ربيع النبوي 1244 هـ، تبادل فيها الجيشان الضرب بالمهارس والمدافع.

وزيادة في انتقاد الشيخ المهدي الشرادي، ذكر الناصري، أن اليوم الخامس من الحرب صادف عيد المولد النبوي من سنة 1244 هـ، "فأراد السلطان رحمه الله أن يعفي الناس من الحرب ذلك اليوم، فحمل الشراردة طغيانهم وبغيهم على أن تقدموا للجيش، وأنشبوا الحرب، فأمر السلطان بالزحف إليهم والنكاية فيهم، وكان المعلم الأكبر أبو عبد الله محمد ابن عبد الله ملاح السلاوي حاضرا في هذه الوقعة فتقدم إليه السلطان بالوصاية بالجد والاجتهاد في الرمي فرمى عليهم في ذلك اليوم مائتين وثمانين بنبة كلها في وسط الزاوية، تتفرقع عند نزولها فتأتي على ما جاورها من جدار وغيره حتى شاهدوا في ذلك اليوم الموت الأحمر، وكانوا هم أيضا يرمون بالكور والبنب من المدافع والمهاريس التي استولوا عليها في محلة السلطان المولى سليمان" (*الاستقصا*، 9 : 19).

وفي اليوم السابع، يضيف الناصري، ومن نقل عنه، افترقت كلمة الشراردة، وفر عنهم شيخهم المهدي الشرادي، وانهزموا أمام جيوش السلطان، و"...تفرقوا شذر مذر، وباتوا يتحملون بنسائهم وأولادهم إلى منجاتهم، والذين صعب عليهم الخروج اجتمعوا، وساروا إلى القواد الأربعة فسرحوهم، ورغبوا إليهم في الوساطة عند السلطان، فأصبحوا على أطراف المحلة يستأذنون على المولى المأمون، فأذن لهم، ودخلوا عليه، وشفعوا فيمن بقي منهم، وطلبوا الأمان فأمنهم، ثم تقدموا إلى السلطان، فاستأذنوا فأذن لهم ودخلوا وأخبروا بما عقد لهم المولى المأمون من الأمان فأمضاه لهم، ثم أمر السلطان بجمع الشراردة الذين بقوا بالقصبة، فجمع له منهم نحو الألفين، وعاثت الجيوش في بيوتهم وأمتعتهم، وقيل إن السلطان رحمه الله لم يؤمنهم، ولما قبض عليهم عزم على تحكيم السيف في رقابهم، فاستفتى العلماء فيهم فتحاموا الافتاء بإراقة الدماء، حتى إن منهم من أفتى، وهو الفقيه محمد بن المرابط المراكشي بأنهم تابوا قبل القدرة عليهم، فتوقف السلطان رحمه الله عن قتلهم"، لكنه أمر

بسور القصبة فهدم، وحيزت المدافع والمهاريس التي كانت منصوبة عليه، ونهبت الناس ما وجدت من الأثاث والذخائر والأنعام (*الاستقصا*، 9 : 20.19)، وصير السلطان تلك الزاوية بلاقع، وقلع أشجارها، ونقل ما كان بها من الزيتون والفواكه للجنان الكبير الذي اتخذه بمراكش وسماه الزهراء (*إتحاف أعلام*، 5 : 23)، ثم غرّب عيال المهدي وأولاده إلى مكناس، وفرق مساجين الشراردة، فسجن بعضهم برباط الفتح، وبعضهم بمكناسة، وبعضهم بفاس. ثم بعد مضي نحو السنة سرحهم ونقلهم إلى بسيط أزغار، وجمع إخوانهم من القبائل فضمهم إليهم (*الاستقصا*، 9 : 20 ـ 21). بينما بقيت الزاوية خالية لم تسكن إلى سنة 1249 هـ، حيث عمرها مولاي عبد الرحمن بأيت إيمور، ثم نقلهم، وأنزل محلهم الودايا (*إتحاف*، 5 : 23).

وأما زعيمهم المهدي الشرادي فإنه "انتحى إلى تيزكين من قبيلة گدميوة. . . ، ثم انتحى إلى سوس، والتحق بسيدي محمد أعجلي، وهو ساكن في قبيلة بعقيلة، لا بمعمرانة، كما قال صاحب *الاستقصا*" (*المعسول*، 5 : 292). وقد مكث صحبة الشيخ أعجلي ثلاث سنين، أي إلى حدود 1247 هـ، ثم بعث من شفع له عند السلطان، فقبل السلطان شفاعته، وجاء تائبا، ثم بعثه إلى مكناسة، فاجتمع بأولاده، وبعد مدة يسيرة ولاه السلطان على إخوانه (*الاستقصا*، 9 : 21).

وقد وقفنا بالفعل على ظهير أصدره السلطان مولاي عبد الرحمن للمهدي الشرادي عندما تولى القيادة، وهو بتاريخ رمضان 1252 هـ، يأمره فيه بالاهتمام بإقامة قواعد الإسلام بمحل ولايته، وإرشاد الناس إليها وتعليمهم أمور دينهم، وما يجب عليهم، وجبرهم على العمل به (*إتحاف أعلام*، 5 : 101).

وعلى كل حال فبعد عودة المهدي الشرادي من الحج، ولاه السلطان على إخوانه مرة أخرى، لكنهم لم يقبلوه، ثم سجن، ثم سرح، وتقلبت به الأحوال، وتأخرت وفاته إلى أوائل شوال من سنة 1293/أواخر أكتوبر 1876، في أول دولة السلطان الحسن الأول. وكانت وفاته بفاس، ودفن خارج باب الشريعة المعروف بباب المحروق). ويذكر أنه خلف عدة أبناء، بعضهم في مراكش، وبعضهم بحوز فاس قرب وادي ارضم، على قدر مرحلة من فاس، أشهرهم العباس بن المهدي، نزيل مراكش، والمتوفى بها عام 1321/1903.


أ. الناصري، *الاستقصا*، البيضاء، 1954 ـ 1956 ؛ أ. الوارث، *الأولياء والصوفية ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرنين 17 و18م*، مرقونة ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، الرباط، 1974 ـ 1983 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1347 ـ 1352/ 1928 ـ 1933 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، طبعة حجرية بفاس، 1318/ 1900 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1383 ـ 1383/ 1960 ـ 1963.


**الشرادية** (طريقة صوفية)، تنسب إلى الفقيه الصالح أحمد بن عبد الله الشرادي سابق الترجمة. وكان من المنتسبين إلى الطائفة الناصرية، إذ تذكر كتب التراجم أنه دخل عالم التصوف، على يد الشيخ أحمد الخليفة بن محمد ابن ناصر الدرعي، كما أخذ علوم الظاهر على يد كبار علماء هذه الطريقة مثل الحسن اليوسي، وأبو سالم العياشي فكان من الصوفية العلماء، على غرار كبار الصوفية المنتسبين إلى الطريقة الناصرية، بل يُذكر أنه بلغ في طريق الناصرية مقاما عاليا.

بيد أن الشيخ الشرادي سرعان ما نحا لنفسه اتجاها جديدا، جعله ينفصل عن شيوخه في الطريقة، ويصنَّفُ من قبلهم ضمن "الخائنين" المغضوب عليهم في الطائفة. فهل يعني هذا أنه أسس طريقة جديدة ؟ وإذا كان الأمر كذلك، ما هي هذه الطريقة ؟

لم يتخل عن الورد الناصري، وظل يلقنه لأتباعه إلى أن توفي حوالي عام 1160/ 1747. ومن أشهر من أخذ عنه هذا الورد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، الذي اتصل به في زاويته، لما حل بمراكش خليفة عن والده (*الإعلام* للمراكشي، 2 : 146 ؛ *الملك المصلح*، 62). وقد سار ابنه الفقيه محمد بن أبي العباس الشرادي، المتوفى بعد 1212/ 1798، على سنة والده "وجرى مجراه"، مثله مثل الشيخ الثالث للزاوية "الفقيه الذاكر السني" المهدي بن محمد بن أحمد الشرادي.

أحرزت الشرادية، بفضل هذا التوجه، على شعبية واسعة، وأحرز شيوخها، على "صيت كبير وذكر علي قوي شهير. . ."، في حوز مراكش، وصاروا في قومهم شيوخا معتقدين، وزعماء مسموعين ذوي رياسة عظيمة، حسبما دل عليه غنى أهلها، وكثرة ممتلكات الزاوية، وشساعة الأراضي الفلاحية التابعة لها، التي بلغت مساحتها زمن شيخها الأول، أحمد بن محمد الشرادي، خمسة آلاف هكتار (*Le Haouz*, 1 : 244). بل الظاهر أن نفوذ الشراديين تعدى مجال قبائل الشراردة، وإخوانهم من عرب الحوز، و". . .شاع ذكرهم في الحواضر والبوادي" (*الإعلام*، 2 : 378)، بلغ صداه إلى مدينة فاس، حيث صار للشراردة فيها، منذ عهد شيخهم الأول، أتباع وزاوية (*نشر المثاني*، 4 : 59).


أ. الناصري، *الاستقصا*، ط.2، 1954 ـ 1956 ؛ *طلعة المشتري*، ط. حجرية مصورة بالأفسيت، 1407/ 1987 ؛ ح. العبادي، *الملك المصلح سيدي محمد بن عبد الله العلوي*، البيضاء، 1987 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، أربعة أجزاء، 1397 ـ 1407/ 1977 ـ 1986 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. م. البوزيدي الشيخي، البيضاء، 1988 ؛ يحيى بن عبد الله الجراري، *فهرسة*، مخطوط خ. ع.، الرباط، رقم 71 ج.

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1983, 2 tomes.


أحمد الوارث

**الشراط** (وادي ـ)، يمثل مجرى وادي الشراط الحد الغربي والطبيعي الفاصل بين هضاب زعير خصوصا السفلى الغربية والهوامش الشرقية لهضاب الشاوية السفلى، المنتمية لبنية حوض برشيد. كما يشكل وادي الشراط أيضا، منطقة

اتصال بين هذه الأخيرة ومتون وتلال منطقة الخطوات، حيث تمتد عاليته، عبر تشعب روافد حوضه هناك.

يتراوح عمق وادي الشراط ما بين 460 م في العالية، و250 م في الوسط و40م قرب مصبه بالساحل الأطلنتي، متوسطا هضبة سيدي بطاش غربه، وهضبة بنسليمان شرقه. وذلك ضمن حوض نهري، تبلغ مساحته الإجمالية 700 كلم2، وبطول لا يزيد عن 70 كلم.

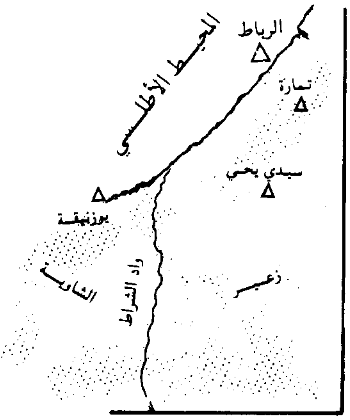


تشكل الوادي في مرتفع بنيوي، يمثله هورست الشراط الباليوزوي. في صخور متحولة، تتمثل في فليش الديفوني الأسفل. وعبر مجال يندرج الآن، ضمن سطح تحاتي فسيح، متعدد المراحل والأصول. يقطع قواعد صخرية باليوزوية. كانت تكون تضاريس جبلية هيرسينية. توافق بنية إلتوائية، ارتبطت بحركات بنائية تعرف باسمها، انطلقت خلال العصر الديفوني، لتنتهي في العصر البيرمي، أي قبل 245 مليون سنة من الآن.

تشهد التركات التي ساهم في تكوينها مجرى الشراط قرب مصبه الحالي، على أنه حديث. إذ من المرجح أن يكون منطلق تشكيل واديه، انطلق بتزامن مع تراجع الغمر البحري المسعودي، أي خلال المرحلة القارية السلاوية، الموافقة لنهاية الرباعي القديم (م. *الطيلسان*، 1999).

كما يعكس انعطاف الوادي العنيف، انطباعه وتحكم الحوادث البنائية في رسم قطاعه الطولي، نتيجة تجدد نشاطها خلال هذه المرحلة أيضا (*الطيلسان*، 1999).

يتسم مجرى وادي الشراط بضعف صبيبه، الذي لا يتعدى معدله 90 ل/ثا. إضافة إلى تذبذب جريانه. يعكسه تراجعه السريع مع توقف تساقطات فصل الشتاء. كما يقترب من حالة الشح، خلال فصل الصيف الجاف، ما بين يوليوز وأكتوبر. يبدأ صبيب مجرى الشراط في الانتعاش من جديد، مع حلول فصل الإمطار. إذ يبلغ أقصاه، كما حدث في 23 فبراير من سنة 1968، حيث تم قياس 86,5 ل/ثا. لكن دون أن يتجاوز معدل ما يصرفه سنويا 50 مليون م3.

لا يعكس صبيب مجرى وادي الشراط، خصائص مناخ المنطقة شبه الرطبة فحسب، بل يرجع بالدرجة الأولى إلى صغر حجم حوضه، الذي تشكل بسليله في ركائز صخرية راشحة، بل مقددة بالصدوع والإنكسارات، إضافة إلى قرب مصبه بالساحل الأطلنتي، الواقع في منطقة الغوازي، التي اشتهرت باستقرار الإنسان النيوليتي بها، منذ ما يزيد عن 3600 سنة قبل الآن (*الطيلسان*، 1999). حيث عثر على مقبرة بشرية، ترجع لهذا التاريخ (Daugas *et al*..., 1989).

G. Beaudet, *Le plateau central marocain et ses bordures, étude géomorgraphique*, Thèse de doctorat es-lettres ; J.P. Daugas, J.P. Raynal, A. Ballouche, P. Pichet, J. Evin, J.P. Texier, A. Debnath, *Néolithique nord-atlantique du Maroc : premier essai de chronologie par le radiocarbone*, *C.R. Acad. Sc.* Paris, T. 308, série II, 1989 ; A. Michard, *Elément de géologie marocaine*, 1976 ; *Les ressources en eau...* ; M. Tailassane, *Les bas plateaux des Zaers occidentaux et leur littoral, formations superficilles et l'évolution du milieu naturel depuis le Néogène*, Thèse de doctorat d'Etat. Univ. Med. V., Rabat., 1999.

محمد الطيلسان

**الشراط**، أسرة فاسية قديمة أصلها من قبيلة زناتة، أهل معاش وحرفة، لعل أصلهم من الأندلس، وقف مؤلف إزالة الالتباس على ذكرهو في حوالة فاسية مؤرخة بعام 1500/905. ويوجد جنان الشراط حتى اليوم خارج باب الحديد. ونقل مؤلف نشر المثاني في ترجمة مسعود الشراط دفين خارج باب الجيسة (ت. 1622/1031) عن جده في *المقصد الأحمد* أن الشيخ مسعوداً لُقب بالشراط لاحترافه بذلك في صغره. وفي فاس أولاد ابن عيشون الشراط لعلهم من هؤلاء. وقد تولى عدد منهم الخدمة مع المخزن أمناء ونظارا، واستوطن بعضهم مدينة مراكش.

م. القادري، *نشر المثاني/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 3 : 1252 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002، 2 : 406 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 200:2.

محمد حجي

**الشرّاط، أحمد**، من رجالات المخزن في نهاية القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر (20.19 م)، عهد إليه الوزير الأعظم الوصي على العرش أحمد بن موسى في نهاية سنة 1898 برئاسة الوفد المغربي في المفاوضات التي جرت بمدينة وجدة مع الوفد الفرنسي، بهدف حل المشاكل التي كانت تقع بالحدود المغربية ـ الجزائرية وتصفيتها في عين المكان. وكان المخزن قد استثقل حل مشاكل الحدود بطنجة على يد المندوب المخزني بها، حيث كانت خزينة الدولة تتحمل دفع التعويضات التي كانت تطالب بها السلطات الفرنسية بالجزائر، بينما أفلتت القبائل المغربية المطالبة بدفع الحقوق المترتبة عن أفعالها إزاء القبائل الجزائرية أو إزاء الجيش الفرنسي، كما أن حقوق القبائل المغربية كثيرا ما ضاعت لجهل أصحابها بالمسطرة الواجب اتباعها. ولتجاوز هذه المشاكل تقرر إجراء مفاوضات مباشرة واستخراج الحقوق في وقتها دون مماطلة من هذا الجانب أو ذاك. استمرت

المفاوضات زهاء سنة كاملة (1899)، وطرحت مشاكل مسطرية تسببت في تعثر المفاوضات بين الوفدين. وقد أبان أحمد الشراط عن دراية كبيرة وحنكة سياسية قل نظيرها بين رجالات المخزن، وذلك بشهادة رئيس الوفد الفرنسي، رغم صعوبة الاتصال السريع مع المخزن المركزي، حيث وقف بالمرصاد للمطالب الفرنسية، مطالبا المعاملة بالمثل في تسوية المشاكل المترتبة عن جوار قبائل البلدين، فأفشل مناورة فرنسية كانت ترمي إلى إلزام المغرب دفع تعويضات عن النفقات المترتبة عن حراسة الحدود واستنفار القبائل الجزائرية أثناء الفتن التي كانت تقع بناحية وجدة. وقد انتهت المفاوضات بالفشل يوم ثاني يوليوز 1899، بعد أن طالب أحمد الشراط أن يتضمن محضر التسوية طبيعة الحجج الجزائرية وقدر التعويضات المطلوبة والإقرار بحل الدعاوي المغربية بنفس الشروط. وفي نهاية المطاف تقرر أن تُستأنف المفاوضات بتلمسان في بداية سنة 1900 لتصفية أمر التعويضات، لكن فرنسا اشترطت إبعاد أحمد الشراط من كل مفاوضات مقبلة باعتباره مسؤولا عن فشل مفاوضات وجدة واتهامه بتهييئ دعاوي مغربية لا أساس لها من الصحة،، والتي يصعب على الجانب الفرنسي دحضها، وفعلا توبعت المفاوضات لكن بباريس وليس بتلمسان كما كان مقررا لها برئاسة وزير خارجية المغرب عبد الكريم بن سليمان، وانتهت بتوقيع ثاني اتفاقية خاصة بمناطق الحدود المغربية الجزائرية يوم 20 يوليوز 1901.

*ملف أحمد الشراط بمديرية الوثائق الملكية بالرباط* ؛ ع. برحاب، *المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين* (1912.1900)، الدار البيضاء، 2002، ص. 38.22.

عكاشة برحاب

**الشراط، قائد طنجة** على عهد آخر ملوك بني مرين عبد الحق المريني، نجهل اسمه والجهة التي ينتمي إليها، وإن كنا نرجح أنه من المنطقة الهبطية، حيث ما تزال إلى هذا الوقت قرية الشراط بفرقة سيلولة من قبيلة بني يدر الهبطية. ولا يعرف متى تسلم المهمة بعد وفاة صالح اليباني سنة 844/ 1440 أو بعد ابنه أبي بكر المتولي بعده. ويعود أول علمنا بوجوده على رأس المدينة في هذا المنصب إلى ما قبل يوم 5 ذي الحجة 862/ 14 أكتوبر 1458، حينما حل عبد الحق المريني بطنجة في بداية نوفمبر السنة بنية استكمال استعدادات حصار القصر الصغير المحتل من طرف ألفونص الخامس البرتغالي يوم 12 ذي الحجة 862/ 21 أكتوبر 1458.

شارك القائد الشراط في تنظيم عمليات الحصار المريني للقصر الصغير المحتل مرتين، الأولى بتاريخ 19 صفر 863- 26 ديسمبر 1458، والثانية بتاريخ 1 رمضان 22 شوال 863/ 2 يوليو 22 غشت 1459.

ونعلم بعد انتهاء الحصار الأخير أن السلطان عبد الحق كلفه بتنظيم حراسة قرى أنجرة والطريق الساحلي المؤدي إلى طنجة، خوفا من تعرضها لغزو برتغاليي القصر الصغير، تاركا بحوزته فيلقا مكونا من ثمانمائة فارس وثلاثة آلاف من المشاة. ومن أجل ذلك خلق نظام حراسة خاص بكل قرية اعتماداً على وسائلها الأولى الذاتية إلى حين وصول النجدات من طنجة.

غير أن أكبر مهمات القائد الشراط كانت منصبة على مراقبة القصر الصغير المؤدي إلى طنجة عبر الحوض الأدنى لواد أليان في اتجاه طرف المنار وطنجة البالية. كما اختيرت كدية تافغولت مقرا للحراسة، وهي واقعة غرب حد أنجرة، بجوار مدشر خندق الزرارع الحالي، والمدشر المعروف إلى يومنا بمدشر طلعة الشريف، الفاصل بينهما وادي سيدي قنقوش المعروف منذ القرن الخامس عشر بهذا الاسم. وعين الشراط لهذه المهمة مساعده المسمى القائد الطاهر الشريف، ووضع تحت تصرفه في محطة تافغولت لتلك الغاية أربعين من فرسانه، بينما حصن طنجة البالية.

وقد حضر القائد الشراط عدة مرات مما نعلمه عن الإخباري البرتغالي زورارا إلى أنجرة في محاولة إغاثة القرى المعرضة لغزوات قائد القصر الصغير ضون ضوارتي دي منيسيس، ابن قائد سبتة، مثل قرى الخراب، وابن أبي العيش والرصافة والرمان وملوسة بدون جدوى، غير أنه تمكن من الإشراف على تحصين طنجة البالية وإتقان الحراسة والدفاع عنها لمنع وصول البرتغاليين إليها براً وبحراً، وبذلك استطاع تدبير وسائل إفشال محاولاتهم العديدة خلال سنة 869/ 1464 لاحتلالها، إلى أن رددت مصادرها قول "إن طنجة هي مقبرة البرتغاليين". ولم نقف بعد هذا التاريخ عن أي خبر يخص تاريخ عزل القائد الشراط أو وفاته.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية الغربية*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، تطوان، 1952.

Zurara, *Cronica do D. Duarte de Meneses* ; F. De Meneses; *Histoire de Tanger*, Tanger, 1732 ; J. Mascarenhas, *Histoire de Ceuta*, Lisboa 1648. Rui de Pina, *Cronica de D. Duarte*, p. 100 ; Damiao de Gois, *Cronica* de Principe D. Joao, p. 50 ; David Lopes, *Os Portugueses em Marocos*, p. 438-477.

**الشراط، محمد** بن **أحمد**، مؤلف تقاييد مجموعة متعلقة بالمقاومة المغربية المنظمة ضد الثغور الشمالية المحتلة، مع التركيز على سبتة. عاش بقرية بنيونش المجاورة لسبتة خلال الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (19م). وطرفاً من الذي يليه، متصلاً بالشيخ أحمد الرهوني التطواني مؤلف عمدة *الراوين*.

سمّى الشراط هذه التقاييد التي ألفها *المختصر لأهم الأخبار عن حروب المجاهدين الأبرار من أجل استرداد المدن والأمصار من يد أعداء الله النصارى الكفار*، بعد أن جمعها من كنانيش مختلفة، مرتباً فصولها ترتيباً زمنياً. وكان الفراغ من التأليف يوم الجمعة متم شهر رجب عام 1350/ 11 ديسمبر 1931. وأصول المخطوطة مختلفة وجدت بخزانة

الفقيه أحمد الرهوني، وهي على النحو التالي: تقاييد قديمة منسوبة إلى الشريف أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن البقالي. يبدأ سردها من احتلال مدينة سبتة، لتغطي أحداث المقاومة إلى سنة 868/ 1464. كناش البيوت: تبدأ من سقوط أصيلا وطنجة سنة 876/ 1471 إلى سنة 1007/ 1599. *كناشة المجهول*، تبدأ من سنة 880/ 1476 للإعلان عن حصار مغربي جديد لسبتة وتابعه هجوم أمير شفشاون علي بن راشد على المدينة. *كناشة حوادث الزمن* لمجهول، تعرضت للفترة الممتدة بين سنة 907/ 1502 وسنة 1007/ 1599، مروراً بإعادة بناء مدينة تيطاوين. ثم تناولت حصار محمد البرتغالي لمدينتي أصيلا وطنجة وتبعتها محاولات علي بن راشد العلمي، حاكم الشاون في كل من سبتة وطنجة. وقد أورد صاحبها خبر انسحاب البرتغال عن أصيلا والقصر الصغير واستيلاء الإسبان على حجرة بادس. وأنهت الكناشة حديثها بمعركة وادي المخازن.

*كناشة المكي بن الحاج عبد السلام اللماعي*، القاضي بقرية البيوت الأنجرية: بدأ الحديث فيها عن الهجوم الأجنبي على تيكيساس الغمارية قبل سنة 1018/ 1608، وتوالي سرد المقاومة إلى تسهيل المامون السعدي استيلاء الإسبان على العرائش. وما قام به النقسيسيون والمجاهد محمد العياشي ضد سبتة، وانتهت الكناشة بذكر أطوار الحصار الذي عرفته المدينة من سنة 1720 إلى سنة 1727. *كناشة عبد السلام ابن عجيبة*: ركزت الحديث على حصار سبتة سنتي 1064 ـ 1065/ 1654 ـ 1655؛ *كناشة محمد بن محمد الزواق*: تبتدئ أحداثها من سنة 1068/ 1658 بالهجوم على سبتة، ثم تناولت مسألة تسليم البرتغال طنجة للإنجليز سنة 1073/ 1662 وما تعرضت له طنجة وسبتة ما بين 1075/ 1664 وسنة 1106/ 1694 من المقاومة؛ *كناشة البشير بن محمد العزيفي*. اختصت بالحديث عن الحصار الإسماعيلي لمدينة سبتة ما بين 1694 و1727؛ *كناشة اللغميش*: بدأ بها صاحبها من سنة 1727 ليتابع سرده سنة 1728. *كناشة عبد الله بن أحمد العشايري*: تتعلق بأحداث سنوات 1140/ 1728 إلى 1278/ 1862. أبرز من خلالها حصار المولى اليزيد لسبتة، وما حدث بعد ذلك من مواجهة مشكل تعيين حدود المدينة على عهد المولى سليمان، ثم على عهد المولى عبد الرحمن وما تلا إثر ذلك من اتفاق 1260/ 1844. وأخيراً ما قامت به قبيلة أنجرة من المعارضة التي ترتبت عنها فصول حرب تطوان إلى سنة 1278/ 1862.

بقيت المخطوطة بقرية بنيونش إلى أن حصل عليها الفقيه محمد بن عزوز، قاضي قبيلة بني گرير الغمارية، المتوفى سنة 1947، وتحولت إلى يد ابن أخيه محمد ابن عزوز حكيم، فقام بنشرها سنة 1979 ضمن كتاب *لماذا نطالب باسترجاع مدينتي سبتة ومليلية ؟*

توفي محمد الشراط بعد عام 1350/31 ـ 1932.

م. بن أحمد الشراط، *مختصر لأهم الأخبار عن حروب المجاهدين الأبرار من أجل استرداد المدن والأمصار من يد أعداء الله النصارى الكفار*، تح. ابن عزوز حكيم.

حسن الفكيكي

**الشراطين** (مدرسة –) بفاس، تقع بحي الشراطين الذي تقتبس منه اسمها، وتنفتح عليه ببابين، باب رئيسي يفضي إلى صحن المدرسة، وباب ثانوي يؤدي إلى دار الوضوء (وقد أزيل هذا الأخير وأقيم مكانه دكان). وللمدرسة باب ثالث رئيسي يطل على زنقة صفايرة (السبيطريين)، التي تربط المدرسة مباشرة بجامع القرويين.

ويطلق عليها المدرسة الجديدة لتمييزها عن المدارس المرينية القديمة. فقد شيدها المولى الرشيد، أول سلطان علوي حكم المغرب ما بين 1077 و1083/ 1666 ـ 1672. وقد بنيت على انقاض دار عزيز، وهذا الأخير شخصية مجهولة وإن كان صاحب *الاستقصا* يلقبه بالباشا (*الاستقصا*، ج. 7، ص. 41). ويشير عبد الهادي التازي إلى أن المدرسة أقيمت في مكان منجرة قديمة كانت من الأملاك المحبسة على جامع القرويين (*التازي*، ج. III، ص. 679، تعليق 94)، في حين يذهب الباحث الفرنسي بيريتيي أنها عوضت مدرسة اللبادين المرينية (Pérétié, p. 270). وتفيد المصادر التاريخية أن المولى الرشيد شرع في بناء المدرسة في أوائل شعبان 1081/ 1670 وذلك بعد عودته من الحملة التي شنها على زاوية إيليغ بمنطقة سوس. وإذا كانت المصادر تتفق على تحديد تاريخ انطلاق الأشغال بالشراطين، فإنها لا تعير اهتماما لتاريخ إنهاء المشروع ما عدا صاحب *الدرر الفاخرة* الذي يشير إلى أن المولى إسماعيل هو الذي أكمل بناءها. وقد استشهد ابن زيدان بقصيدة لعبد القادر بن علي الفاسي (تـ 1096/1684) تشيد بجمال المدرسة وبروعة بنائها وتاريخ بنائها بحروف الجمل «خطفت» 1089هـ.

ومما يؤكد هذه الحقيقة، الكتابات المنقوشة في مدرسة الشراطين، ذلك أن بعض النقوش تشيد بالمولى الرشيد والبعض الآخر بالمولى إسماعيل. وهكذا نقرأ مثلا في الكتابة المنقوشة على القنطرة الخشبية التي تعلو باب المدرسة ما يلي: [أمر ببناء هذه المدرسة السعيدة مولانا الرشيد بن مولانا الشريف أيد الله أمره وأعز ذكره...]. في حين أن الكتابة المنقوشة على الجبس والتي تحيط بمحراب قاعة الصلاة تنوه بالمولى إسماعيل: [النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا إسماعيل أمير المؤمنين].

من هنا نخلص إلى أن الكتابات المنقوشة تدعم ما ذهب إليه ابن زيدان من أن الشراطين معلمة أنشأها المولى الرشيد وأتمها خلفه المولى إسماعيل.

يدخل إنجاز المولى الرشيد لهذا المشروع العلمي في إطار حرصه على إحياء وتعزيز دور القرويين وملحقاتها، والرفع من مستوى العلم وأهله، ولقد عُرف بتعظيمه وتكريمه للعلماء وتشجيعه للطلبة مما كان له أثر فعال في رواج بضائع

العلم، فكثر المقبلون عليه وعمرت أسواقه بعد الكساد (*الدرر الفاخرة*، ص. 12).

والجدير بالذكر أن المولى الرشيد كانت له علاقات متميزة مع الطلبة. فهو الذي وافق على إقامة حفل سلطان الطلبة الذائع الصيت اعترافا منه بجميل هذه الشريحة التي كان لها دور بارز في تعزيز حكمه وتحقيق مقاصده.

وقد انخرطت الشراطين في تنشيط حفل سلطان الطلبة الذي كان يعقد خلال فصل الربيع، حيث يتجه طلبة المدينة إلى وادي فاس للنزهة على مدى أسبوعين. وارتباطا بالمهرجان المذكور، يورد الضعيف الرباطي حادثة الاختلاف بين طلبة فاس حول من يكون سلطانا عليهم، وقد وقع النزاع المذكور بمدرسة الشراطين، انحاز على إثره طلبة اجبالة إلى طلبة المدن، في حين انضاف طلبة الشاوية ودكالة إلى طلبة البادية. وبعد ذلك اختارت كل فرقة أميرا عليها، فخرج طلبة الجبل من مدرسة الصفارين بسلطانهم، وانطلق من الشراطين طلبة البادية بسلطانهم. وقد حدثت تلك الوقائع عام 1211/ 1796 (*كتاب الضعيف*، ج. II، ص. 518 - 519).

وشهدت رحاب الشراطين أيضا تنظيم بعض الحفلات الكبرى، ففيها صنع السلطان المولى سليمان عام 1213/ 1798 طعاما للطلبة بمناسبة زفاف أخته أم كلثوم بنت محمد بن عبد الله بالشريف السيد محمد بن الطاهر المدغري. وكان هذا الأخير إماما بالمدرسة وأحد طلبتها النجباء. (*كتاب الضعيف*، ج. II، ص. 541 و562).

وكان أغلب الطلبة القاطنين بالشراطين من تافيلالت والمناطق الشرقية (تازة، وجدة، بني يزناسن، الريف، الجزائر...) (Pérétié, p. 271)، وقد اختارها للسكن عدد من كبار العلماء والقضاة، ومن أشهرهم المؤرخ الضعيف الرباطي الذي ألف في أحد بيوتها القسم الأخير من كتابه المعروف وذلك عام 1201/ 1786 (*تاريخ الضعيف*، ج. I، ص. 153).

تعد الشراطين من أكبر مدارس فاس وأضخمها، فقد شيدت على مساحة فسيحة ذات شكل مستطيل نسبيا. وهي تتكون من مستوى أرضي وطابقين. تزين مدخلها الرئيسي المطل على شارع الشراطين نقوش وزخارف على الجبس والخشب. ويفضي الباب إلى الصحن عبر مدخل مستقيم وطويل. والصحن فضاء واسع الأكناف ذو شكل مربع، تتوسطه نافورة بديعة. وتنتظم حول الصحن أهم مكونات البناية. ففي الجهة الشرقية تنفتح عليه قاعة الصلاة بواسطة ثلاثة أقواس وذلك على غرار قاعة الصلاة بالمدرسة العنانية. في حين تتكون الواجهات الأخرى المطلة على الصحن من أعمدة بدينة ومركبة تمتد عموديا نحو الأعلى حيث تتقاطع مع القناطر الخشبية الأفقية التي تساعد على حمل السقوف، وتتشكل كل واجهة من ثلاث أقواس: قوس كبير بين قوسين أصغر منه حجما. ويلاحظ بأنه في كل زاوية من زوايا المدرسة الأربع يوجد فناء صغير تتوزع حوله غرف الطلبة، مكونة وحدات سكنية شبه مستقلة في الإضاءة والتهوية، يطلق عليها الدويرة، وتحتل دار الوضوء الزاوية الجنوبية الغربية من البناية.

ومن خصائص المدرسة أنها تشتمل على أروقة في كل طابق تفضي إلى غرف الطلبة، وهذا النسق يذكر بالمدرسة المصباحية.

وبالرغم من ضخامة المدرسة واتساع أرجائها (تحتوي على حوالي 232 غرفة)، واقتباسها لبعض العناصر التخطيطية من المدارس المرينية، فإن أهميتها الزخرفية تبقى محدودة، فواجهاتها الداخلية لم تحظ إلا بأفاريز خشبية منقوشة وإطارات من الجبس المنقوش حول الأقواس والنوافذ والأركان، وبالتالي تركت مساحات فارغة وخالية من الزخارف. ولم تخرج قاعة الصلاة عن هذه القاعدة، فباستثناء واجهة المحراب التي زينت بأشرطة من الجبس المنقوش (زخارف كتابية وهندسية ونباتية)، فإن باقي الجدران الداخلية مجردة من أي عنصر تزييني.

وخلاصة القول أن القائمين على إنجاز مدرسة الشراطين، وبالرغم من تأثرهم بالنمط المريني في البناء والزخرفة، فإنهم لم يتمكنوا من مجاراة ومحاكاة الطراز الفني الذي غرسه أسلافهم بالمدينة منذ قرون عديدة. وقد يكون لوفاة المولى الرشيد المباغت - أي بعد عامين من انطلاق العمل بالمدرسة - أثر على التشكيل النهائي لهذه المعلمة. ويبدو أن السلطان الرشيد، الذي كان يبجل العلماء ويحفز الطلبة بالعطايا والصلات، كان يطمح أن تكون مدرسته الجديدة نموذجا فريدا للأسلوب الفني والزخرفي الأصيل ومنارا للعلم والمعرفة بالحاضرة الفاسية.


ع. الرحمن ابن زيدان، *الدرر الفاخرة*، الرباط، 1356/1937 ؛ ع. الهادي التازي، *جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس*، بيروت، 1973 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف الرباطي*، تح. البوزيدي الشيخي، الدار البيضاء، ط. 1، 1928.

A. Pérétié, *Les Medersas de Fès*, *A.M.*, T. 18, 1912 ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'occident, Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne, Sicile*, Paris, 1954 : Ch. Terasse, *Medersas du Maroc*, Paris, 1927.


الحاج موسى عوني

**شَرّاعة**، قصبة مخزنية في شمال شرق المغرب، شيّدها السلطان مولاي إسماعيل في إطار سياسته الرامية إلى مراقبة قبائل بني ازناسن، حيث بُنيت بدير الجبل الذي يحمل إسمهم من جهة الشمال، بينما شيّدت قرينتها قصبة عيون سيدي ملوك من جهة الجنوب، وهي اليوم في طريق الاندثار، حيث لم يبق من أسوارها إلا النزر القليل (سنة 1995)، ويطلق إسم شراعة أيضاً على وادٍ يمر بمحاذاة القصبة المذكورة ويصب في وادي ملوية.

يبعد موقع قصبة شراعة عن مدينة أبركان - مقر عمالة الإقليم - بحوالي 10 كلم من جهة الغرب، وتعدّ القصبة من

الأسواق الحدودية التي تقرر مراقبة الحركة التجارية بها بموجب اتفاق الحدود الموقع بين فرنسا والمغرب سنة 1902، (البند الثاني من اتفاق الجزائر، 20 أبريل 1902)، وقد اشتهرت كثيراً أثناء مواجهة المخزن للروگي بوحمارة في مطلع القرن العشرين، حيث خضعت تارة لهذا الجانب أو ذاك

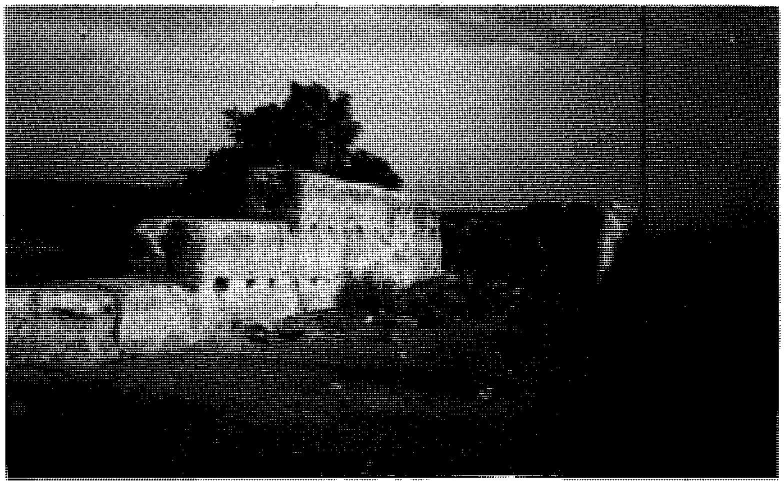

حسب ميزان القوة، لكن في نهاية المطاف آلت إلى سيطرة الجيوش المخزنية ابتداء من سنة 1906، فصارت قاعدة لها لمحاربة الروگي الذي اتخذ قصبة سلوان مستقرا له، وقد وصفها بعض المستكشفين الفرنسيين في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) بأنها سوق مزدهرة تُعقد مرتين في الأسبوع وترتادها قبائل بني ازناسن وقبائل عرب تريفة. إلا أن السلطات الفرنسية بعد احتلال وجدة سنة 1907 وإخضاع بني ازناسن نقلت السوق من قصبة شراعة إلى أبركان، حيث استحدثت مركزاً إداريا، كان نواة للمعمرين الفرنسيين بالمنطقة.

ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي، الدولة المغربية ومشكلة الأطراف في مطلع القرن العشرين.*
Louis Jean-Baptiste Say, *La frontière du Maroc*, *Bull. de la Sté de géographie commerciale de Paris*, 1888.
عكاشة برحاب

**شَرْقْرَقْ** أو شرقراق، طائر من القواطع زاهي الألوان بين زرقة وحمرة وسواد، في حجم اليمامة وأصغر من الحمام، كما هو في المعاجم وفي اللسان الدارج في المغرب وفي الشرق العربي ويسمى أيضاً غراب زيتوني في مصر وضوضو في الجزيرة العربية وأخيل في اليمن. يصنف إلى فصيلة الشرقراقيات Coraciidae ويدعى علميا Coracias garrulus وبالفرنسية Rollier de l'Europe وبالانجليزية Roller وبالإسبانية Carraca وبالإيطالية Ghiandaia marina.

المنقار قوي مسود، الريش على الجناحين والعنق والرأس أزرق مخضر وبني أشقر زاه على الظهر، الذيل أخضر يتوسطه ريش بني وينتهي ببقع سوداء. القائمتان بنيتان، يبلغ طول الجسم 33 سم ولا يتعدى وزن الكبار 200 كرام.

يعيش غالبا مزدوجا وأحيانا في مجموعات قليلة الأفراد. يتغذى من الحشرات يلتقطها وهي طائرة ومن القواقع والزواحف الصغيرة.

يشتو في إفريقيا الاستوائية والجنوبية ويهاجر إلى إفريقيا الشمالية وأوروبا الجنوبية والوسطى الشرقية منذ بداية الربيع إلى أواخر الصيف. يتوالد في معظم المناطق الغابوية المغربية منذ مايو إلى يونيو. ينصب العش بين شقوق جذوع الأشجار أو الصخور ويتكون من قطع النباتات والأغصان ويفرش بالصوف والريش. تبيض الإناث عادة 4 ـ5 بيضات بيضاء ملساء لامعة، طول قطريها 28.4 × 35.4 ملم. يحضنها الأبوان بالتناوب حوالي 18 يوما وتغادر الفراخ العش بعد أربعة أسابيع.

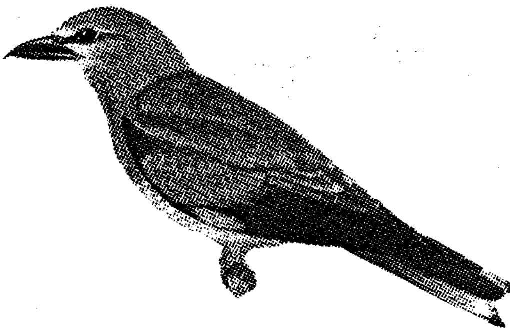

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان ـ الطبعة الثالثة، 1988.
H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrison, *Les nids, les oeufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977.
محمد رمضاني

**شرّو، رحو**، مقاوم ولد سنة 1908 بأيت بازة ناحية إيموزار مرموشة إقليم بولمان. التحق بالتشكيلة التي كانت مرابطة بجبال الأطلس المتوسط والتي كان يقودها إلياس ميمون أوعقّى منذ 20 غشت 1953 وذلك بحكم أنه ينتمي إلى نفس المنطقة الجبلية أي ايموزار مرموشة.

وأثناء عمله المسلح، ونضاله المستميت أظهر شرّو براعة فائقة في التصدي لعساكر العدو ومواجهتهم ـ وظل مناضلا إلى غاية 2 أكتوبر من سنة 1955، إذ عند مشاركته في هجوم على ثكنة تابعة للجنود الفرنسيين بإيموزار مرموشة ونظراً لضراوة المعركة أصيب برصاصة في رأسه ألقته طريحا في فراش الموت.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 526364.

**شَرْشْمة**، طعام من قمح ولبن يهيّأ للأطفال احتفالا بظهور الأسنان الأولى وهكذا يقع ترطيب القمح في الماء

والملح ثم يتم تكسيره بلطف حتى تزال قشرته. ثم يترك للإنضاج مع الحليب.. وبعدها يوضع في الأواني مع البيض والزبدة ويوزع على كل أهل الحي وكذلك على الحاضرين.

وترافق هذه المناسبة حفلة غناء ورقص. وعند نهاية الحفلة تعطي المدعوات أو الجارات بعض النقود لأم الطفل.

تحريات ميدانية.

علال ركوك

**شَرْشُور** ـ طائر ـ أو برقش أو أبو براقش كما هو شائع في المعاجم وفي بعض مناطق الشمال الإفريقي، من جنس الطيور البرية، صغير القد وحسن الصوت. يصنف إلى رتبة الجواثم مخروطيات المناقير أو العصفوريات Passeriformes وإلى فصيلة الشرشوريات Fringillidae. منه نوعان شائعان في المغرب يصنفان إلى جنس Fringilla :

شرشور الأشجار يدعى علميا Fringilla coelebs وبالفرنسية Pinson des arbres وبالإنجليزية Chaffinch وبالإسبانية Pinzon comun وبالإيطالية Fringuello. اسمه الظالم في مصر والصغنج في لبنان وسوريا. موطنه إفريقيا الشمالية وأوروبا الوسطى والجنوبية ومنه عدة مجموعات ترحل شتاءً إلى أوروبا الشمالية وآسيا الغربية ومصر وليبيا. يألف الغابات والأدغال وأشجار البساتين والحدائق. ريش الذكور رمادي أزرق باهت على الرأس والعنق والظهر، على كل جناح بقع واضحة من الريش الأبيض وبقع سوداء، ريش الصدر والبطن وردي مصفر فاتح. المنقار قرني قوي جداً والقائمتان بنيتان ونحيلتان، الذيل أسود وطويل نسبيا وريشه الجانبي أبيض. تختلف الإناث عن الذكور بريش بني زيتوني شاحب على الظهر ورمادي على الصدر والبطن. تبلغ بسطة الجناحين 26 سم وطول الجسم 15 سم ولا يتعدى وزن الكبار 30 كراما. الذيل طويل ومستقيم المؤخرة. يعيش مزدوجا ويتغذى من مختلف الحبوب ومن الثمار العنابية والحشرات والديدان والعناكب.

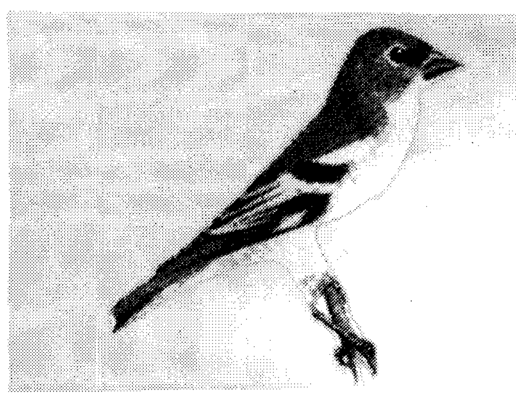

أغلب المجموعات مستقرة في المغرب وتضاف إليها في فصل الشتاء بعض المجموعات الأوروبية. شائع في المناطق الجبلية وفي الهضاب والسهول الوسطى والساحلية وغير موجود في المناطق الصحراوية. يتوالد منذ أبريل إلى يونيو وينصب العش بين أغصان الأشجار المورقة تصنعه الأنثى بدقة بالغة، تزين حاشيته بقطع الأشن وتفرشه بقطع الصوف أو القطن. تبيض الإناث غالبا 4 ـ 5 بيضات ملساء زرقاء مخضرة إلى بنية ومزركشة بنقط سوداء، يبلغ طول قطريها 14.6 × 19.5 ملم وتزن 1 ـ 2.5 كرام. تحضن الإناث البيض 11 ـ 13 يوما ويقوم الزوج بالحراسة والبحث عن الأكل. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتبقى بداخل العش حوالي أسبوعين قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا. تتوالد بعض الأفراد المسنة مرتين في السنة.

شرشور جبلي يسمى علميا Fringilla montifringila وبالفرنسية Pinson du Nord وبالإنجليزية Brambling وبالإسبانية Pinzon real وبالإيطالية Peppol. يختلف عن شرشور الأشجار بريش أبيض على الردف وبريش أسود لامع على الرأس والعنق وبداية الظهر. ريش الصدر والبطن برتقالي فاتح. يبلغ طول بسطة الجناحين 24 سم وطول الجسم 14 ـ 15 سم وتزن الكبار 25 ـ 30 كراما. يألف الغابات الصنوبرية والأدغال بأوروبا الوسطى والشمالية. عدة مجموعات تشتو في غابات جبال الأطلس وجبال الريف والهضاب الوسطى. تمثل المناطق المتوسطية المغربية والجزائرية والتونسية الحدود الجنوبية لتوزيعه الجغرافي يأتي إليها في الفصول البادرة.

يتوالد في أوروبا الشمالية من مايو إلى يوليوز وتبني الأنثى العش وحدها بين أغصان الأشجار وهو مفروش بدقة من قطع الأشن ومن الأعشاب الدقيقة والصوف. تبيض 5 ـ 7 بيضات زرقاء مخضرة منقطة بالبني، طول قطريها 14.6 × 19.5 ملم وتحضنها 11 ـ 13 يوما. تغادر الفراخ العش بعد أسبوعين. تتغذى من الحبوب والعناكب والحشرات ومن الثمار العنابية.


م. رمضاني، حسون، *معلمة المغرب*، الجزء، 10 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان ـ الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow. *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris 1977, 430 p. ; M. Thevenot, P. Beaubrun, R.E Baouab et P. Bergier, *Compte rendu d'ornithologie marocaine*, Rabat, 1982.


محمد رمضاني

**الشرطة**. كانت السلطات الأمنية في مغرب ما قبل الحماية موزعة بين المحتسب والباشا في الحواضر الكبرى، وبين "القياد" الذين كانوا يمارسون شطراً كبيراً من هذه السلطة في البوادي من جهة أخرى، معتمدين في ذلك على المخازنية الذين كانت مهمتهم هي تنفيذ الأوامر، والقرارات الصادرة سواء عن حكومة المخزن - السلطة المركزية - أو الباشا والقائد كسلطة إقليمية.

وقد عرفت الحواضر المغربية الكبرى كالرباط وسلا، وفاس ومراكش، وطنجة وتطوان أسلوبا أمنيا قوامه "البياتة" وهم عبارة عن عسس كان يستأجرهم التجار ليحرسوا محلاتهم خلال فترة تبتدئ قبيل صلاة العشاء، وتنتهي مع الخيوط الأولى للفجر.

أما أول إشارة وردت بضرورة إنشاء قوات أمنية في المغرب، فقد جاءت في اقتراح تقدمت به بعثة أرسلتها "لجنة المغرب" بالبرلمان الفرنسي (Comité du Maroc) إلى السلطان مولاي عبد العزيز برئاسة سان روني طايانديي (Saint-René Taillandier) حيث اقترحت عليه وضع برنامج للأشغال العمومية، وإنشاء بنك مركزي بالإضافة إلى إنشاء قوات أمنية للحفاظ على النظام.

ويؤكد عبد الله العروي في بحثه المنشور تحت عنوان *"مؤتمر الجزيرة"*... أن ألمانيا كانت قد نبهت المخزن إلى أن الدول لم تنتدب هذه البعثة، خلافا لما ادعاه رئيسها، فسأل المخزن إنجلترا إن كانت مستعدة لضمان انصراف المستشارين الفرنسيين بعد إنجاز الإصلاحات ؟ وكان في ذلك وسيلة للكشف عن أن قضية الإصلاحات لم تكن سوى ذريعة (أي لوضع المغرب أمام الأمر الواقع وإخضاعه للحماية) ومع ذلك فقد جمع مولاي عبد العزيز مجلسا للأعيان واستمع لشروح المبعوث الفرنسي، ثم أشار هذا المجلس بأنه لا ينبغي بأي وجه من الوجوه إنجاز هذه الإصلاحات بمساعدة دولة واحدة فقط، واعتمد المخزن على هذه الوصية وأجاب بجواب رسمي يوم 27 ماي 1905 يقول فيه إن على الدول الإثنتي عشرة المتمثلة في مؤتمر مدريد الذي انعقد سنة 1880 أن تساهم جميعا في إعداد الإصلاحات وتنفيذها". (*مذكرات من التراث المغربي*، 4 : 279).

وقد ظلت حكومة السلطان مولاي عبد العزيز متشبثة بموقفها إلى أن قرر مؤتمر الجزيرة الذي افتتح أشغاله يوم 15 يناير 1906 بحضور 12 دولة أوربية بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية واستمر إلى غاية السابع من أبريل، إنشاء قوات أمنية من 2000 إلى 2500 رجل يتولى قيادتهم الفعلية ضباط إسبانيون وفرنسيون.

وكانت سلطات الحماية قد بادرت منذ بسط نفوذها على المغرب إلى إصدار قرار وزيري سنة 1913 تأسست بمقتضاه "مصلحة الشرطة العامة" تحت مراقبة الكتابة العامة للحكومة الشريفة، وهي الهيئة التي أصبحت منذ سنة 1930 تحمل إسم "إدارة الأمن".

وفي سنة 1937 صدر قرار آخر جدد هذا الجهاز، ومنح مفوضيه مزيدا من السلطات وأطلق عليه اسم "إدارة الأمن العمومي".

وبعد استعادة المغرب لاستقلاله الوطني صدر يوم 16 ماي 1956 الظهير الملكي الذي تأسست بمقتضاه الإدارة العامة للأمن الوطني كهيئة مكلفة بالمحافظة على النظام العام، وأمن المواطنين وتنفيذ القوانين، إذ جعل منها الظهير المذكور مديرية عامة تابعة لوزارة الداخلية، لكنها تعمل تحت السلطة المباشرة لمدير عام - يعين بظهير ملكي - ذي سلطات أمنية عامة تشمل مجموع التراب الوطني.

لقد جاء تأسيس الإدارة العامة للأمن الوطني - أشهرا معدودات بعد رحيل الاستعمار - ليؤكد رغبة المغرب في تجسيد استقلاله من خلال هيئات وطنية قمينة بأن تلبي حاجيات أبنائه، في نطاق صون كرامتهم، وضمان حقوقهم، والدفاع عن عزتهم، ولذلك لا غرو أن يتزامن هذا التأسيس مع صدور الظهير الملكي الشريف المؤسس للقوات المسلحة الملكية في 14 ماي 1956 والظهير الشريف بشأن إحداث الدرك الملكي في أبريل 1957.

وفي نفس السنة استقبل العاهل الراحل جلالة الملك المغفور له محمد الخامس أول فوج متخرج من حراس الأمن بالقصر الملكي بالرباط وخاطبهم بقوله "على شرطتنا الفتية أن تقوم بواجبها في حماية الأمن الوطني والنظام العام دونما تمييز سواء بين المواطنين، أو بين من اختاروا الإقامة فوق تراب المغرب".

وقد راهن الأمن الوطني منذ تأسيسه على محو الصورة التي خلفتها ممارسة الشرطة الاستعمارية التي كان هدفها خدمة مصالح المستعمر، أما الرهان الثاني الذي كان على الأمن الوطني أن يحققه فهو تحصين أمن المواطنين وسلامة أرواحهم وممتلكاتهم، وضمان الظروف التي تساعد على ممارسة الحريات الفردية والجماعية في نطاق المشروعية والقانون.

تمارس الشرطة المغربية مهامها في الحفاظ على النظام العام وسلامة المواطنين وسلامة ممتلكاتهم وسكينتهم على مستويين الأول وقائي، والثاني زجري.

وتعتبر شرطة الزي أو شرطة الهيئة الحضرية، في طليعة المؤسسات التي تمارس الدور الوقائي للشرطة وذلك من خلال دوريات الشرطة الراجلة، أو المحمولة التي تحافظ على الأمن في المدن والدوائر الحضرية، وتمارس شرطة الشارع العام التي تحرص على استتباب النظام سواء في الشارع العام، أو بمناسبة تنظيم المهرجانات واللقاءات الرياضية.

وتحرص شرطة الهيئة الحضرية بتنسيق تام مع فرقة الأحداث التابعة لكل شرطة قضائية محلية أو إقليمية على حماية الأحداث بضمان تطبيق التشريعات التي تحظر استقبالهم في بعض الأماكن العمومية التي يحددها القانون، وإيقاف الجانحين منهم وإحالتهم على المصالح المختصة

بالبحث عنهم وتقديمهم إلى أولياء أمورهم وكفلائهم. وتمارس شرطة الهيئة الحضرية مهامها اليومية عادة بنظام التناوب المعروف بـ 4 × 8، بمعنى أن أفراد الفرقة يشتغلون ثمان ساعات، ليعودوا لممارسة مهامهم بعد أربع وعشرين ساعة على نهاية كل نوبة عمل، غير أن هذا النظام قد يتعرض للتعديل عندما تدعو إلى ذلك بعض الظروف الاستثنائية.

ومن مهام شرطة الزي الرئيسية تنظيم المرور في شوارع الدوائر الحضرية، والحرص على تطبيق التشريعات واللوائح المتعلقة بتنظيم السير والجولان. ومن أجل ذلك يعطي قانون السير لأعوان شرطة المرور حق تسجيل محاضر ضد السائقين والمشاة المخالفين، ويتوفر المحلفون من هؤلاء على صلاحية استخلاص غرامات تصالحية يؤديها المخالفون بخصوص بعض المخالفات التي لا تستوجب سحب رخصة السياقة.

أما على مستوى الزجر، فتمارس الشرطة المغربية دورها في قمع الجريمة بواسطة دوائر الشرطة التابعة للأمن العمومي التي غالبا ما تختص بالبحث في المخالفات والجنح الضبطية والتأديبية والجنايات التي تكون عناصر الواقعة الإجرامية فيها متوفرة. فيما تختص المصالح الإقليمية والولائية للشرطة القضائية في البحث في الجرائم الأكثر خطورة لاسيما تلك التي تتطلب اختصاصا ترابيا أوسع وإمكانيات أكبر لإيقاف المساهمين أو المشاركين في الجريمة.

ويمارس ضباط الشرطة هذا الدور بمقتضى قانون المسطرة الجنائية الصادر في فبراير 1958 الذي أناط بهم مهمة كشف الجرائم والبحث عن مرتكبيها وجمع الأدلة ضدهم وتقديمهم إلى المحاكم المختصة.

وهكذا يحدد قانون الإجراءات الجنائية لضباط الشرطة القضائية ثلاثة أطر للبحث في الجرائم:

أ ـ إطار التلبس بالجريمة (الجرم المشهود) الذي يمنحهم اختصاصات واسعة على غرار التفتيش والحجز، والاحتفاظ بالشهود، وتسخير الخبراء، والانتقال إلى عين المكان لإجراء المعاينات الضرورية، وذلك من أجل وضع حد سريع للاضطراب الناجم عن الجريمة، والذي يتطلب إمكانيات أوسع لجبر خاطر المجتمع، وإعادة السكينة الاجتماعية على وجه السرعة بإيقاف المجرم وتقديمه للعدالة.

ب ـ البحث التمهيدي: ويجرونه إما بمبادرة منهم أو بناء على شكاية أو وشاية أو تكليف من النيابة العامة، وعلى أية حال فإن هذا البحث يختص بالجرائم التي لا تندرج في إطار التلبس بالجريمة، حيث تكون سلطات ضباط الشرطة القضائية محدودة، إذ لا يمكنهم إجراء التفتيش بالقوة والقهر، بل بناء على إذن مكتوب من صاحب المنزل المراد تفتيشه، وفي حالة استثنائية تبعا لإذن مكتوب من النيابة العامة، كما لا يمكنهم أثناء إجراء البحث التمهيدي تسخير الخبراء إلا بطلب من النيابة العامة.

ج ـ الانتداب القضائي: ويتعلق بالإجراءات التي ينجزونها بناء على تفويض من السلطة القضائية، وغالبا ما يصدر هذا التفويض عن أحد قضاة التحقيق ليقوموا مقامه بعمل من أعمال التحقيق (الاستماع إلى شاهد، تفتيش... الخ).

رتب وأسلاك موظفي الشرطة:

تشمل شرطة الزي الأسلاك التالية :

1) سلك حراس الأمن والرقباء :

ويشتمل الرتب الآتية: حارس الأمن ـ مقدم مساعد ـ مقدم رئيس.

2) سلك ضباط الأمن :

ويشمل الرتبتين التاليتين: ضابط الأمن ـ ضابط أمن ممتاز.

3) سلك قواد حراس الأمن :

ويشمل الرتب التالية: قائد حراس الأمن ـ قائد حراس الأمن الممتاز ـ قائد الهيئة.

أما بالنسبة للشرطة المدنية فإنها تشمل الأسلاك التالية:

1) سلك المفتشين :

ويشمل رتبتين : مفتش الشرطة، ومفتش الشرطة الممتاز.

2) سلك مسعفات الشرطة :

ويشمل رتبتي مسعفة الشرطة ومسعفة الشرطة الممتازة.

3) سلك ضباط الشرطة :

ويشمل رتبتين : ضابط الشرطة، وضابط الشرطة الممتاز.

4) سلك مساعدات الشرطة :

ويشمل رتبتي مساعدة الشرطة ومساعدة الشرطة الممتازة.

5) سلك عمداء الشرطة :

ويشمل رتب: عميد الشرطة، عميد الشرطة الممتاز، وعميد الشرطة الإقليمي.

6) سلك المراقبين العامين :

ويشمل رتبة مراقب عام للشرطة.

7) درجة الوالي :

وتشمل رتبة والي الأمن.

وتجدر الإشارة إلى أن الإدارة العامة للأمن الوطني تتوفر منذ العام 1978 على معهد ملكي للشرطة بمدينة القنيطرة يتوفر على أكاديمية تختص أساسا بتكوين عمداء الشرطة، وضباط الشرطة وضباط الأمن، كما يتوفر المعهد على مدارس فرعية لتكوين مفتشي ومسعفات الشرطة، وحراس الأمن، توجد إثنتان منها على التوالي في كل من أبي القناديل بأحواز سلا، ومدينة إفران بالأطلس المتوسط.

وتصدر الإدارة العامة للأمن الوطني مجلة الأمن الوطني (الشرطة سابقا) المنتظمة الصدور منذ سنة 1961 وتنشر أبحاثا شرطية وقانونية لا تخاطب فحسب رجل الشرطة بل عموم القراء. وأخيراً فقد تعاقب على الإدارة العامة للأمن الوطني منذ الاستقلال حتى الآن أربعة عشر مديراً عاماً،

أولهم المرحوم محمد الغزاوي - أحد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944 - وآخرهم السيد حفيظ بنهاشم الذي يعتبر أول مدير عام سبق أن عمل في سلك الشرطة التي انخرط فيها منذ مطلع الاستقلال قبل أن يلتحق بوزارة الداخلية في مطلع السبعينيات، مديراً عاماً للأمن الوطني في ماي 1997.

عبد الإله مالك

**شرعاوي، محمد.** مقاوم، ولد سنة 1937/1355 بمدينة مراكش من أبويه مبارك بن علي وزينب بنت العربي. وبسالة جياشة وروح وطنية غيورة اندفع إلى صفوف الوطنيين الذين استنهضوا الهمم في الذكرى الثانية لنفي المغفور له محمد الخامس، فنظموا مظاهرة عارمة بمدينة مراكش لعدة أيام من شهر غشت 1955. وهكذا شارك الشهيد بحماس كبير في هذه المظاهرة التي لازمها اطلاق الرصاص منذ البداية على المتظاهرين فأصابته إحدى رصاصات المستعمر الغادر بحي المواسين، نقل على إثرها إلى مستشفى المدينة حيث لفظ أنفاسه الأخيرة يوم 3 محرم عام 1375 / 22 غشت 1955.

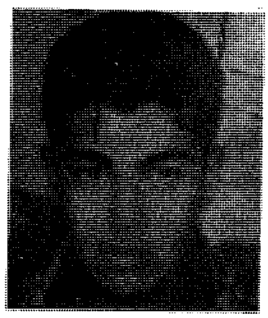

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 506986.

**الشرعي،** أسرة تنحدر من منطقة عين الحوت حوز مدينة تلمسان. هاجروا إلى المغرب واستقروا بمدينة القصر الكبير. وبعد مدة تحول فرع منهم إلى مدينة فاس، ومن فاس انتقل الشريف مولاي عبد السلام بن الغالي بن طاهر إلى مدينة مراكش عام (1289/ 1872) ومنه تفرعت الأسرة الشرعية القاطنة بمراكش. وقد وقفت على رسم عدلي يتضمن أبناء عمومتهم القاطنين بالقصر الكبير وهم : الحاج محمد بن إدريس بن محمد الشرعي، وأحمد بن مولود الشرعي، وأحمد بن ناصر الشرعي، ومَحمد (فتحا) بن محمد الشرعي، المنتسب لشرفاء عين الحوت الكائنة بحوز مدينة تلمسان من آل البيت.

*وثائق وكنانيش عائلية* عند عبد السلام بن مولاي إبراهيم الشرعي.

**الشرعي، عبد السلام** بن الغالي ولد ليلة 27 من رمضان عام 26/1267 يوليوز 1851، ودرس بمدينة فاس على شيوخ أجلاء أمثال: محمد (فتحا) گنون، والتهامي گنون، والهادي الصقلي. ثم رحل إلى مدينة مراكش عام 1872/1289، ومنها سافر لتونس حيث درس على بعض الشيوخ، وأجازه الشيخان أحمد بن محمد بن الخوجة وسالم بوحاجب. ثم سافر إلى الأسكندرية، ومنها إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وذلك سنة 1877/1294 وبعد أداء مناسك الحج رجع إلى مراكش ونفذ له قاضيها عبد الواحد بن المواز عام 1881/1298 خطبة جامع سيدي أبي العباس السبتي، وجعله قيما على خزانة كتبه، ثم تولى بعدها الكتابة بنيقة الصدر الأعظم احماد بن موسى.

وفي سنة 1885/1303 تولى القضاء بالنيابة بمدينة أسفي حسب وثيقة بخط المترجم له يقول فيها : "حللت ثغر أسفي عشية الأربعاء العاشر من ربيع الثاني عام 1303"، وأسند إليه نيابة القضاء بصفة رسمية عام 1308/ 1809 وفي هذه المدينة تزوج بالسيدة الغالية مولاة بنهيمة وانجب منها.

وفي عام 1899/1317 عاد إلى مراكش نائبا عن قاضيها المنيعي الذي غادر مراكش في مهمة مخزنية. وفي العام الموالي توفى المنيعي فعين المترجم خلفاً له. وكان يحكم بمقصورة ابن يوسف، ويخطب بجامعها بخطب يمليها من حفظه. كما درس همزية *البوصيري*، وكان يقرأ المواهب سرداً من حفظه.

وفي أخريات حياته كُفَّ بصره، فطلب الإعفاء من القضاء. وفي أخريات حكم السلطان عبد العزيز أسندت إليه الإمامة بقبة ضريح أبي العباس السبتي.

توفي قبيل المغرب يوم خامس ربيع الثاني عام 1334/ 10 فبراير 1916 ودفن بضريح أبي العباس السبتي.

ع. ابن إبراهيم *الإعلام*، الرباط، 8 : 505 ؛ *وثائق وكنانيش* عند حفيده *عبد السلام الشرعي*.

**الشرعي، محمد** بن عبد السلام، ولد بمدينة مراكش عام 1302/ 1885 ونشأ في بيت علم وعفاف، سهر والده على تنشئته تنشأة صالحة، وبعد حفظه للقرآن الكريم اهتم به والده بتعليمه وتثقيفه، وتلقينه علوم اللغة والدين. كما درس على جماعة من علماء ابن يوسف منهم: أحمد ولد الحاج المحجوب، والحسن الرحماني، الشيخ أبو شعيب الدكالي، وغيرهم.

ثم رحل إلى مدينة فاس فدرس بالقرويين على علمائها. وقد أجازه جلة علماء مراكش وفاس. ثم عاد إلى مسقط رأسه ليساعد والده أيام قضائه بمراكش. وبعدها اشتغل عدلا بنظارة الأحباس الصغرى. ثم كاتبا خاصا للخليفة السلطاني مولاي عبد الحفيظ عام (1321/ 1902).

وفي 25 رجب عام 1906/1325 عين كاتبا ببنيقة الصدر الأعظم محمد بن كبور في بداية الدولة الحفيظية، وبقي في

عـمله بدار المخـزن بفـاس والرباط، أيام الصـدر المدني الأگلاوي، ثم الصدر الحاج محمد الجباص، وفترة مع الصدر الحاج محمد المقري.

ولما توفي والده عام 1916/1334 عاد إلى مراكش نزولا عند وصية والده الذي كلفه قيد حياته بشؤون العائلة، ونظراً لحسن تصرفه وإخلاصه في العمل ارفقه الصدر الأعظم الجباص بشهادة حسن سيرته، وكذا وزير العدلية الشيخ أبو شعيب الدكالي. وأنعم عليه بوسامين الأول بتاريخ 10 أكتوبر 1916 والثاني في 17 يونيه 1937.

وبعد أن تقلد عدة مناصب إدارية تولى الإمامة والخطبة بمسجد الشيخ أبي العباس السبتي له *كناشة* متنوعة بين أدب، ولغة، وتاريخ، ودين، وتلخيص لمؤلفات. وهو الذي يرجع إليه الفضل في الحفاظ على *ديوان شاعر الحمراء* محمد ابن إبراهيم المخطوط إلى أن سلمه إلى ابن أخته الشاعر مولاي الطيب المريني، وعليه اعتمدت اللجنة الملكية التي سهرت على جمع شعر شاعر الحمراء.

توفي صباح يوم الخميس 23 ربيع الأول عام 1380/ 15 شتنبر 1960. ودفن بالضريح العباسي قرب والده.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط ؛ *وثائق عائلية عند حفيده عبد السلام الشرعي*.

أحمد متفكر

**الشرفاء في المغرب**، وهم المنتسبون لأهل البيت المنحدرون من ذرية الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول عليه السلام، لأن المغرب في نظر النسابين المغاربة لم يحتضن سوى هاذين الفرعين، وتبعا لذلك فإن شرفاء المغرب هم الحسنيون والحسينيون. وبالمقارنة يعتبر الحسنيون أكثر عدداً من الحسينيين، وينقسمون إلى عدة فروع يصعب حصرها، وأكثرها تشعبا وعدداً الأدارسة، بحكم أقدمية استقرارهم في البلاد.

يلتقي نسب الشرفاء الحسنيين في الجد الجامع عبد الله الكامل بن محمد النفس الزكية بن حسن المثنى بن الحسن ابن علي بن أبي طالب. ويتألف هؤلاء حسب كتب الأنساب من خمس مجموعات كبرى هم: الأدارسة والسليمانيون والعلويون والزيدانيون والقادريون.

الشرفاء الأدارسة

ينحدر الشرفاء الأدارسة من أبناء إدريس الثاني الذين تقاسموا الملك بعد وفاة أبيهم بإيعاز من جدتهم كنزة وهم: القاسم وعمر وداوود ويحيى وحمزة وعيسى وعبد الله وأحمد. بيد أن المؤرخين اختلفوا في عددهم وفي تحديد الأقاليم الخاضعة لحكمهم. وقد نتج عن هذا الاختلاف تفاوت في عدد الفروع الإدريسية وتضارب في مواطنها، مما جعل عملية ضبط الشرف الإدريسي من الناحية الجنيالوجية والجغرافية من الأمور المستعصية، ناهيك عن قوة انتشار الشرفاء الأدارسة في البوادي والمدن واختلاطهم بعامة الناس وكثرة نزوحهم عن المواطن الأصلية. ويظهر من خلال كتب الأنساب أن الجوطيين والعلميين مثلوا أشهر الفروع الإدريسية. فالأدارسة الجوطيون تقاسموا الشهرة القائمة على وضوح النسب مع الصقليين في فاس المرينية حسب رأي ابن السكاك. وبعد ذلك تمكن العلميون من فرض شهرتهم خلال فترة حكم السلطان أحمد المنصور الذهبي نتيجة لاستثمار رموز الشيخ عبد السلام بن مشيش وتصدرهم لميداني التصوف والجهاد في الشمال الغربي وبروزهم في معركة وادي المخازن، فتم الاعتراف بهم من طرف الجوطيين والتحقوا بشرفاء الدرجة الأولى في النسب.

الشرفاء العلويون

معلوم أن العلويين أحدث استقرارا، حيث قدم جدهم الحسن الداخل إلى سجلماسة بواحات تافيلالت، في بداية الدولة المرينية في حدود سنة 664/ 1266، على عهد السلطان أبي يوسف يعقوب. ومن هذا الجد تناسلت الأسرة العلوية، التي استوطنت خلال العهد العلوي الأول قصور الرتب والسيفة والقصر الفوقاني من تنجوت وأولاد عبيد وأخنوس وعلي بن محمد والمراسي والمطلع وقصبة مولاي الشريف وأبي حامد وصوصو وتيرمت والمخازن. أما الشرفاء الذين خرجوا من تافيلالت، فقد انتشروا في نفس الفترة في ملوية ومدغرة وفاس وبني زروال وصفرو وتوات ومراكش وأدخسان والشياظمة. وحسب شهادة صاحب *الدر السني* بلغ عدد أفراد الأسرة العلوية في عصره ما ينيف على ألف رجل، ولاحظ أن أولاد يوسف بن علي الشريف هم أكثر عدداً. ويتبين من كتب الحوليات التي تناقلت أخبار الشرفاء الفيلاليين أن هؤلاء كانوا يتمتعون بسمعة طيبة في مجتمع واحات تافيلالت خلال العهد المريني والسعدي. غير أن شهرتهم في النسب على ما يبدو من مدونات الأنساب تمت بعد وصولهم إلى الحكم حيث سيتقاسمون الدرجة الأولى مع العلميين، بينما تراجعت مكانة الجوطيين.

الشرفاء الزيدانيون

تتجاهل مدونات أنساب العهد العلوي الأول شرف الزيدانيين الذين كان لهم شأن في الحياة السياسية المغربية قبلهم. ولعل الطعن في شرفهم تم بإرادة ملوك الدولة العلوية الأوائل كما تدلنا على ذلك مجموعة من المصادر. وعلى عكس جل النسابة أكد بعض المؤرخين نسبهم الشريف، نذكر على سبيل المثال بما أورده أحمد بابا التمبكتي ومحمد الإفراني. تذكر المصادر أن جد الزيدانيين قدم إلى بلاد درعة في نفس تاريخ قدوم جد العلويين الحسن الداخل، لنفس الغرض. وإذاكان الزيدانيون بعد إقصائهم من النسب دخلوا تدريجيا في طي النسيان فإن زمام السلطان سيدي محمد بن عبد الله نص صراحة على وجودهم بفاس.

الشرفاء القادريون

يندرج القادريون ضمن السلالة الحسنية، وينتسبون إلى الجد الجامع الشيخ عبد القادر الجيلالي صالح بغداد، سليل

موسى الجون بن عبد الله الكامل. انتقلت جماعة منهم من الكوفة إلى الأندلس إثر نزاعهم مع الحسينيين واستوطنوا واد آش، ثم نزحوا إلى غرناطة في زمن غير معلوم لدينا. وفدت جماعة منهم إلى المغرب واستوطنت فاساً في بداية العهد المريني على ما يبدو. ومعلوم أن التأثيرات القادرية الصوفية بلغت إلى المغرب قبل هذا التاريخ. حصل القادريون على امتيازات مادية ومعنوية هامة في أواخر الدولة المرينية، وحلوا سياسيا مكان الجوطيين في البلاط المريني. كما كانت لهم وجاهة عند الوطاسيين تقديرا لدورهم السياسي المتمثل في مساعدة محمد الشيخ الوطاسي في السيطرة على فاس وانتزاع السلطة من الجوطيين سنة 1471، علاوة على استماتتهم في الدفاع عن الوطاسيين ضد السعديين. ولأجل ذلك عانى القادريون من مضايقات السلطة السعدية، وخصوصا على يد عبد الله الغالب بسبب التواطئ مع أتراك الجزائر. ثم انتعش القادريون في بداية الدولة العلوية، وتبوأوا مكانة رفيعة في مجتمع حاضرة فاس، وبرزوا في ثلاثة ميادين هي: التصوف والعلم والتجارة. كان القادريون خلال العهد العلوي الأول منقسمين إلى ثلاثة فروع هي: فرع محمد وفرع أحمد ابني الجد الداخل إلى فاس، والفرع الذي ينتسب إليه العالمان الشهيران عبد السلام ومحمد بن الطيب.

الشرفاء الحسينيون

ينقسم الشرفاء الحسينيون في المغرب إلى ثلاث مجموعات هم: الصقليون والعراقيون والمسفريون. تنحدر كلها من الحسين بن علي بن أبي طالب، ومن نسل ولده زين العابدين. انتقل الصقليون من موطنهم الأصلي صقلية إلى مدينة سبتة في أواخر العهد الموحدي، وعاشوا في رعاية العزفيين. ولما تزايدت شعبيتهم في الوسط السبتي، خاف يحيى العزفي على سلطته وقام بطردهم إلى الجزيرة الخضراء، فوقعوا أسرى في يد الإسبان. لكن السلطان المريني أبا عنان أطلق سراحهم مقابل فدية وعزز مكانتهم بسبتة. وحينما أتى الصقليون إلى فاس المرينية حملوا معهم شهرتهم وأصبحوا ينافسون الجوطيين أهل الدرجة الأولى في الشرف كما أورد ابن السكاك في *نصح ملوك الإسلام*. شكل الصقليون ثلاثة فروع هي: السبتيون أهل سبتة والطاهريون بفاس والصقليون المحتفظون بنسبهم الأصلي، ونالوا حظوة لا تضاهى في البلاط المريني.

مثّل الشرفاء عامّة في المجتمع المغربي فئة اجتماعية متميزة قائمة على الإرث السلالي، نجد نظيراً لها في بعض المجتمعات مع مراعاة الخصوصيات المحلية: ولعل أهم ما تميز به الشرفاء الرابطة السلالية والدفاع المشترك عن حيازة النسب الشريف بدافع الحفاظ على مكانة اجتماعية وسياسية. ولم يكن هناك من بد من الحفاظ على تلك المكانة إلا اعتماداً على تنظيم داخلي هو النقابة التي كانت المرآة التي عكست جانبا من وضعية الشرفاء. وإذا كان النسب الشريف هو الذي ميز فئة الشرفاء عن العامة، فإنه كما يبدو من مدونات الأنساب جسد درجات متفاوتة في الشهرة القائمة على وضوح النسب واستمرار تسلسل رموز البركة في الأسر الشريفة. وبما أن القيمة الأساسية المعترف بها للشرفاء من قبل العامة استندت إلى البركة فإن واقع الحياة الاجتماعية يجعلنا نميز بين صنفين من الشرفاء، أصحاب البركة وهم الشرفاء فوق العادة ويمثلون النخبة، ومجموعة الشرفاء العاديين الذين افتقروا إلى خاصية البركة الذين عرفوا بعامة الشرفاء. وانطلاقا من كون النسب الشريف هو أصل تقمص رمز البركة، فإن المعايير التي وضعها النسابون في اعتبار وضوح النسب المستندة إلى القاعدة الفقهية المعتمدة لإثبات النسب الشريف جعلت الشرفاء درجات متفاوتة في الشهرة. كما أعار النسابون الاهتمام في التصنيف الاجتماعي للشرفاء الوجاهة السياسية وتداول النقابة والبروز في ميدان الصلاح وامتلاك الثروة. وتجلى هذا التفاوت والتمييز بين الشرفاء في الحياة اليومية على مستوى تداول ألقاب التسييد.

وبالنظر إلى علاقة الشرفاء بالسلطة السياسية، جسدوا إحدى الأدوات الفعالة في دعم مشروعية الحكم، فهم من جهة طرف أساسي في بيعة السلطان، ومن جهة أخرى الوسيط المفضل لديه في حل النزاع مع القبائل الرافضة للأحكام المخزنية بطرق سلمية، وبنجاح الشرفاء في حمل القبائل على طاعة السلطان وأداء ما ترتب عليها من واجبات وتكاليف، مثلوا عنصراً فاعلا في بسط سيادة السلطان لايقل أهمية عن أسلوب الحركة. وبالمقابل منح السلطان للشرفاء الفاعلين في الحقل الرمزي امتيازات معنوية ومادية نجملها في التوقير والاحترام والاستقلال في القضاء فيما يتعلق بنزاعهم الداخلي العادي، وقبول شفاعتهم، والإنعام عليهم بمختلف الأصناف العقارية وإعفائهم من الضرائب، فضلا عن الصلات النقدية والعينية. وإذا كان الشرفاء في إطار هذه العلاقة مثلوا سنداً قويا للسلطة السياسية فإنهم استمدوا منها بدورهم مكانتهم الاجتماعية والسياسية.

م. ابن السكاك، *نصح ملوك الإسلام*، طبعة حجرية فاس، د. ت. ص. 14 ـ 17 ـ 19 ـ 21 ؛ ع. السلام القادري، *الدر السني*، طبعة حجرية، فاس، 1308، ص. 54 ـ 55 ـ 59 ـ 69 ؛ إدريس الفضيلي، *الدرر البهية*، الجزء الثاني، طبعة حجرية، فاس. د. ت، ص. 52 ـ 213 ـ 222 ؛ م. عمراني، *الشرف والمجتمع والسلطة السياسية ـ الشمال الغربي نموذجا ـ من القرن 16 إلى 19*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة نرقونة، كلية الآداب، الرباط، 2001، ص. 55 ـ 110.

محمد عمراني

**شرفاء سجلماسة** أو تافيلالت، سمّوا بذلك لأن بلاد سجلماسة لم يكن فيها شرفاء من آل البيت حتى حلّ بها الحسن بن القاسم من ذرية الحسن السبط بن علي بن أبي طالب سنة 664/ 1266 فعُرف هو وأبناؤه من بعده بشرفاء سجلماسة، ودُعوا أيضاً بالشرفاء الحسنيين نسبة إلى جدهم

الأعلى الحسن السبط، وبالشرفاء العلويين نسبة إلى جدهم القريب المولى علي الشريف دفين تافيلالت المتوفى سنة 847/ 1443.

يتفق النسابون على تواتر سلسلة نسب شرفاء سجلماسة التي تنتهي إلى محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهكذا يكوّن العلويون والأدارسة الفرع الحسني الأكثر انتشاراً لآل البيت بالمغرب، حيث يجتمعون معاً في جدهم عبد الله الكامل. كما يكوّن بنو عمهم الحسينيون آل الحسين السبط الصقليون والعراقيون والمسفريون الفرع الحسيني الأقل عدداً من آل البيت بالمغرب.

اشتهر شرفاء سجلماسة العلويون بالغيرة على نسبهم على كثرة عددهم وتفرقهم في البلاد بحيث "لا يمكن لدخيل أن يتسور عليهم، ولا أن يروم الوصول إليهم... وهذا ديدنهم حيثما حلوا ... لا يُنكحون بناتهم غير جنسهم" (*الدرر البهية*، 2 : 87) لذلك كان لهم نقباء من أنفسهم يسهرون على نقاء جماعتهم، ويقضون فيما يحدث بينهم من خلاف. ويسمى النقيب أيضاً مزواراً. وأشهر نقيب للعلويين المتأخرين بمكناس المؤرخ عبد الرحمن ابن زيدان مؤلف *إتحاف أعلام الناس*.

أ. العلوي، *الأنوار السنية في نسبة من في تافيلالت من الأشراف المحمدية*، المحمدية، 1966 ؛ م. الزكي العلوي، *المطالع الزهراء الجامعة لأسماء بني الزهراء*، مخطوط ؛ ع. السلام القادري، *الإشراف على من بفاس من الأشراف*، ط. حجر فاس؛ *الدر السني فيمن بفاس من النسب الحسني والحسيني*، ط. حجر فاس ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، المحمدية، 1999، الجزء الأول.

محمد حجي

**الشرفي**، بيت، على ما جاء في *الدرر البهية*، من "أعظم بيوتات فاس وأقدمها وأجلها مكانة وأعظمها، ثابت الأعراف والأصول، مثمر الأغصان والفصول، فكم فيه من ولي كبير، وعالم نحرير، وذي قدر شامخ شهير". ينتسبون إلى الشرف (بفتح الشين والراء، وإن سار اللسان الفاسي بضمّ الشين وجزم الراء)، وهي مرتفعات مطلة على إشبيلية من شمالها، اشتهرت باعتدال مناخها وكرم تربتها. انتقلوا إلى فاس قبل سقوط غرناطة، بدليل ما بيدهم من ظهائر ملوك بني مرين، وبخاصة منهم أبو عنان وعبد العزيز في أواسط المائة الثامنة من الهجرة. وكان قد ذاع صيت أحد رجالاتهم، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، خطيب قرطبة وصاحب شرطتها، على ما أثبت صاحب القاموس مستغربا، ولهذا القاضي المكلف بالشرطة شعر مذكور. وقد توفي سنة 396. وكان من رجالاتهم أيضاً أبو الدر ياقوت بن عبد الله الشرفي المعروف بالنوري الموصلي الكاتب، ويكنى أمين الدين، اشتهر بجودة الخط، وكانت النسخة من *صحاح الجوهري* بخطه تباع بأعلى ثمن. مات في الموصل سنة 618، مشهوداً له بأصوله الأندلسية. ومنهم العالم الدراكة محمد ابن الطيب بن محمد الشرفي، ازداد في فاس عام 1110 وتوفي فيها عام 1170. ومنهم الفقيه الشيخ أحمد بن محمد ابن عبد السلام الشرفي، ولد بمصر بعد استقرار والده بها، وكان شيخ رواق المغاربة في الأزهر، وبالقاهرة توفي سنة 1188.

ويرفع آل الشرفي نسبهم للولي الصالح أحمد بن قاسم دفين روضة الأنوار خارج باب الفتوح، وهو من أشياخ محمد والد أبي المحاسن يوسف الفاسي وهو عمدته، ورد ذكره في *مرآة المحاسن* وفي *ممتع الأسماع*، أخذ عن أبي الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي، دفين الروضة المذكورة، وهو عمدته، ومن رجال التصوف وأهل المقامات الروحانية في المائة العاشرة. وقد دأب ملوك الدولة العلوية على الإنعام على رجالات هذه الأسرة المجيدة بظهائر التوقير والاحترام، منذ السلطان المولى إسماعيل إلى الملك محمد الخامس، اعترافا بعلوّ مقامهم علماً وديانة ومروءة، وبأنهم من ذوي الفضيلة والصدارة، كان منهم الأئمة الفصحاء والموثقون النزهاء والأمناء والمحتسبون الأتقياء والكتاب والوزراء الماسكون بزمام اللغة نظماً ونثراً، اشتهر منهم في الديوان الإسماعيلي العربي بن المهدي بن محمد (فتحا) بن محمد بن إبراهيم بن الشيخ أحمد بن قاسم الجد الجامع لشعبتهم، وذاع في عهد الحسن الثاني صيت السفيرين الأستاذين السيدين عبد الله وعبد الوهاب مدّ الله في عمرهما، وأخيهما المرحوم القاضي السيد الطيب، والدهم القاضي السيد علي بن الطيب. وكانت مدينة فاس هي موطن الأسرة الشرفية قبل عهد الحماية. أما بعد ذلك وبعد استرجاع المغرب استقلاله فإن العديد من أفرادها خرجوا إلى باقي الحواضر المغربية بقصد الاشتغال في الإدارة العمومية وغير العمومية أو في المهن الحرة.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية والجواهر النبوية*، فاس، الطبعة الحجرية ؛ ع. الكبير بن هاشم الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات أهل فاس*، تح. علي بن المنتصر الكتاني، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1422/ 2002، مجلدان ؛ ع. الوهاب الشرفي، *نبذة مرقونة عن أخبار الأسرة الشرفية*، بحوزتنا.

**الشرفي، إدريس** بن عبد الرحمان بن محمد بن أحمد، ولد عام 1280/ 63 ـ 1864 عالم مشارك، وفقيه مطلع يقول الشعر وينتحله. أخذ عن والده الشيخ عبد الرحمان، وعن الشيخ عبد الله بن إدريس البدراوي الحسني، وعن الشيخ عبد المالك بن محمد العلوي الضرير، وعن الشيخ محمد (فتحا) القادري الحسني وآخرين. كان متتبعا لما جرى على المغرب من الوقائع الجسام زمن الاقتحام الاستعماري، ويروي ذلك بتفاصيله للمؤرخ عبد السلام ابن سودة، محتفظا، على ما قال هذا المؤرخ، بكل ما كان يصدر من الجرائد، ناقما بوجه خاص على الحاجب أحمد بن موسى، المدعو ابا احماد، وكذلك على أولاد التازي، مع إعجاب تام بالسلطان المولى الحسن وإجلال لما بذل من الجهود صونا لحرمة المغرب.

توفي يوم 23 ربيع الأول عام 13/1366 فبراير 1947. ودفن بروضة الشرفيين بالقباب، خارج باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *سل النصال/موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، المجلد 9.

**الشرفي، الطيب** بن علي بن الطيب بن عبد الرحمان، الفاضل اللبق الأريب، كان من أول المتخرجين من المدرسة الإدارية المغربية بعد إحداثها سنة 1948، من شعبة العدل والقضاء. ويوم استرجع المغرب استقلاله سنة 1955، كان من الركائز التي انبنى عليها نظام العدل المغربي المعاصر، بما أسند إليه في الحين من المسؤوليات الكبرى والمناصب العليا، فكان رئيساً للمحكمة الإقليمية في أگادير، ثم رئيساً للمحكمة الإقليمية في الرباط، ثم رئيساً للمحكمة الإقليمية في الدار البيضاء. وآخر ما مارسه من تلك الأشغال، أنه كان الوكيل العام للملك بمحكمة الاستئناف في الدار البيضاء عندما اختطفته يد المنون يوم 17 صفر عام 6/1400 يناير 1980، فدفن في مقبرة الشهداء بهذه المدينة.

ع. الوهاب الشرفي، *نبذة مرقونة عن أخبار الأسرة الشرفية*، بحوزتنا.

**الشرفي، العباس** بن عبد الرحمان المحتسب والوزير كان العباس من رجال العلم والمشاركة، يقول الشعر، له في ذلك ملكة جلية، ولد حوالي سنة 1290/ 1873 في فاس، وتخرج على والده، وعلى الشيخ أحمد ابن الخياط، والشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري، والشيخ محمد (فتحا) كنون، والشيخ عبد المالك الضرير والشيخ عبد السلام الهواري وغيرهم من تلك الطبقة. تولى الكتابة بدار المخزن منذ أيام السلطان المولى عبد العزيز، ثم في عهد المولى عبد الحفيظ. وترأس مجلس الجنايات في عهد المولى يوسف، وأسندت إليه وزارة الأوقاف، كما تولى النيابة عن الصدر الأعظم. وكان في كل ذلك مثال النزاهة والإخلاص. له ديوان شعر حافل على مثال أهل الأندلس، على ما ذكر المؤرخ عبد السلام ابن سودة. ونشر له المؤرخ عبد الرحمان ابن زيدان عدة قصائد قالها في مدح الرسول ومدح السلطان المولى يوسف، منها قصيدة في مولد عام 1337 مطلعها:

مولاي يوسف نور العصر نخبته
تاج الملوك وأعلى خيرهم أدبا
بعدله ابتهج الإسلام وانتشرت
راياته وتولّى الجهل واحتجبا

وقال عنه عبد الله الجراري بأنه: "يعدّ من علية أدباء المغرب وشعرائه المكثرين الذين طالما قصدوا ومدحوا في شتى المناسبات، وحلوا الألغاز والمعميات الأدبية، خاصة ما كان ينشر من آونة لأخرى على أعمدة صحيفة السعادة لسان حكومة الحماية". ومما أورد له، بيتان في درس الفقيه الحجوي صاحب *الفكر السامي*.

وفي ذلك، على ما يبدو، دعابة وخفة روح الشاعر أكثر مما فيه نقد أو مؤاخذة. فإن المترجم كان يحضر في الرباط دروس الشيخ شعيب الدكالي ودروس الشيخ محمد المدني ابن الحسني والشيخ أحمد بن المامون البلغيثي وغيرهم من دعاة السلفية الصالحة.

توفي العباس الشرفي في الرباط ووري في تربتها يوم الخميس 11 جمادى الأولى سنة 17/1359 يونيو 1940.

ع. الرحمان ابن زيدان، *اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب المولوي اليوسفي*، فاس، 1342؛ ع. الله، الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا*، الرباط، 1391/ 1971، مجلدان؛ ع. السلام ابن سودة، *سل النصال/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10. مجلدات، المجلد 9.

**الشرفي، عبد الرحمان** بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي جيدة بن أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن الولي الصالح أحمد بن قاسم الشرفي، وسط عقد هذه الأسرة الجليلة، ومجدد صرحهم، والجد الذي منه تفرع من لا يزال منتشراً منهم في كبريات الحواضر المغربية إلى يومنا. نشأ في أحضان والده الفقيه السيد محمد، محتسب فاس، "الذي كان من أعيان أهل زمانه ومن أهل الديانة والمروءة"، على ما قال صاحب الدرر البهية، ولي الحسبة مكرها، فحمدت سيرته وطهرت تلك الخطة على يده من الدنس. توفي عام 1269، مخلفا ولده عبد الرحمان، الذي أخذ العلم عن الشيخ محمد الفيلالي الحجرتي والشريف الوليد العراقي الحسني والعلامة القاضي عبد الهادي بن عبد الله العلوي والفقيه عبد القادر الكوهن والفقيه العباس ابن كيران وعن أضرابهم. وتضلّع في علوم الفقه فصار إليه المرجع في أصول المذهب المالكي وجزئياته. دخل السلك المخزني، مستكتبا أول الأمر لدى بعض عمال السراغنة فتجلت مواهبه. ثم كانت الخطوة الثانية هي الكتابة في الحضرة السلطانية إبان صدارة المختار الجامعي. ولما عزل الجامعي عن الوزارة، التزم المترجم منزله، إلى أن أسندت إليه حسبة فاس. فقام بالخطة على ساق الجد، وكان فيها "المحك الفاضح لكل ذي مكيال وقسطاس"، على ما جاء في *فواصل الجمان*. ثم عزل عنها بسبب تصرفه الصارم مع بعض عبيد الخليفة السلطاني سيدي محمد ممن كان يتعلم الصنائع في فاس، إذ قبض عليه وأمر بضربه ضرباً موجعاً دون أن يراعي انتماءه لخدمة الخليفة، كما أبعد بعض العدول من ذوي الحظوة عن خطة التوثيق. فبلغ ذلك عامل فاس المدعو ابن الطالب الذي كان "يسير، بقول صاحب *فواصل الجمان*، في الحاضرة بسيره في البادية"، فكاتب السلطان في تأديب المحتسب. ولما جاء الأمر بذلك، بلغ الغاية في الإضرار بالمترجم وعامله بتمام القسوة والتشديد. لكن صديق المحتسب عبد الرحمان الشرفي، الفقيه محمد غريط بادر إلى التشفع فيه وإخبار السلطان المولى عبد الرحمان بما كان من تهويل قضيته لديه. فصدر التوبيخ للعامل، كما صدر الأمر للفقيه الشرفي بالتوجه إلى المحلة السلطانية القائمة يومئذ بزمور، فتولى قراءة الحديث بحضرة

السلطان المولى عبد الرحمان الذي كان في اللحظات الأخيرة من أيامه. ولما توفي وبويع لولده سيدي محمد، فإنه أسند للمترجم أمر مباشرة الأشغال الأجنبية وتصفح الرسوم الدينية. وأوفده في السفارة إلى إنجلترا على ما قال صاحب *الجيش العرمرم*. مما لم يشفع له لدى ممثل إنجلترا في المغرب، وهو جون درامند هاي الذي كتب مرتين بشأن المترجم له، يوم كان كاتباً في أسفي مع العامل ابن هيمة، مشتكيا لدى نائب السلطان محمد بركاش "من ما ظهر من القبح والكراهية من الفقيه السيد عبد الرحمن الشرفي" وذلك في صيف عام 1287 الموافق عام 1870. وآخر ما تقلد المترجم من المناصب، أنه استوزر لدى خليفة السلطان المولى الحسن في مراكش، وهو أخوه المولى عثمان. وقد استخف الخليفة بوزيره. فما كان من السلطان إلا أن كاتب أخاه الأمير محذراً من ذلك قائلاً: "فإن كاتبنا الطالب عبد الرحمان الشرفي إنما أبقيناه معك لما نعلم من عقله وتجريبه للأمور [...] فلا بد كن عند إشارته فيما يشير به عليك [...] ولا تستبدّ دونه بأمر". مما يدرك منه ما كان للمترجم من المكانة في الجهاز المخزني، نالها مما استوعب من العلوم، ومما كان عليه من الإقدام في الأعمال السلطانية، وأيضاً من براعة القلم نظماً ونثراً. ولقد احتفظ ببعض شعره، يذكر منه الأبيات المكتوبة بأسفل منار مسجد الوادي بالعدوة في فاس، مطلعها:

ليس ارتفاعي لضـــر     لاكن علوت لخيـــر

وباشا فاس يومئذ الحاج عبد الله بن أحمد البوخاري صاحب البناء المذكور، الذي كان شبه خربة يرتادها الدعار فقام بإصلاحه ورده إلى بيت التقوى والعبادة.

مرض الفقيه عبد الرحمن الشرفي مرضاً ألزمه العودة إلى فاس والقعود في داره، إذ اختلّ عقله في آخر عمره.

توفي يوم الأربعاء 13 جمادى الأولى عام 1304/ 7 فبراير 1887 "وعمره على ما قال صاحب *فواصل الجمان* ست وسبعون سنة وتسعة وستون يوماً". ودفن بالقباب خارج باب فتوح.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، فاس، الطبعة الحجرية؛ م. غريط، *فواصل الجمان*، فاس، المطبعة الجديدة، 1346 ؛ ع. ابن إبراهيم، ط 2، *الإعلام*، الرباط، المطبعة الملكية، 1977 ؛ ع. الوهاب ابن منصور، *الوثائق*، العدد، 8، الرباط، 1412/ 1992 ؛ خالد ابن الصغير، *المغرب في الأرشيف البريطاني، مراسلات جون دراموند هاي مع المخزن، 1846 - 1886*، الدار البيضاء، ولادة، 1992.

**الشرفي، عبد السلام** بن الطيب بن عبد الرحمن، ولد بفاس عام 1292/ 1881 كان من رجالات العلم والذكر والتدريس. أخذ عن والده الشيخ الطيب المتوفى سنة 1334، وعن الشيخ محمد بن التهامي الوزاني، والشيخ عبد السلام الهواري، والشيخ عبد المالك العلوي الضرير، والشيخ عبد السلام بناني الطيب، والشيخ التهامي بن المدني گنون وغيرهم. له تأليف في *إعراب لفظة "ثمود"*، وآخر في *زيارة النعال* التي عند الشرفاء الطاهرين الصقليين بفاس، وآخر في مسألة السدل، عنوانه *زهرة الأفكار في الرد على المخالف بالقبض في هذه الأعصار*. قرأ عليه المؤرخ عبد السلام بن سودة عدة علوم في جامع سيدي العواد.

توفي يوم الخميس 2 رجب عام 1348/ 5 دجنبر 1929 ودفن بروضتهم بالقباب، خارج باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع؛ سل النصال/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10. مجلدات، المجلد 9.

**الشرفي، علي** بن الطيب بن عبد الرحمان بن محمد، الفقيه العلامة المشارك الموثق المدقق صاحب الخط الحسن، أخذ عن والده الشيخ الطيب بن عبد الرحمن، وعن الشيخ محمد بن رشيد العراقي الحسيني، وعن الشيخ عبد السلام ابن محمد الهواري، وعن الشيخ محمد بن قاسم القادري، وعن الشيخ أحمد بن محمد ابن الخياط الزكاري، وعن الشيخ عبد السلام بناني الطيب، وعن الشيخ التهامي بن المدني كنون وعمن كان في رتبتهم من علماء نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر (19 ـ 20 م) اشتغل بالتوثيق والتدريس. وذكر ابن سودة في *سل النصال* أنه قرأ عليه شيئاً من علم التوقيت. ولما ارتقت به علومه ومداركه إلى رتبة القضاء، وكان على وشك مباشرة تلك الوظيفة، اختطفته المنون.

توفي يوم 28 رمضان عام 1358/ 11 نونبر 1939 فووري التراب في روضة الأسرة الشرفية في القباب خارج باب فتوح.

له مؤلفات منها: *ضوء النبراس في ماء مدينة فاس*، و*اليواقيت الحسان فيما بفاس من الخير والإحسان*، و*تأليف في العائلة الشرفية*.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع : موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، المجلد 8.

إبراهيم بوطالب

**الشرقاوي**، أسرة سلوية ـ رباطية عريقة أصلها من بجعد تادلا، من آل الشيخ الشهير بوعبيد الشرقي (ت. 1012/ 1603) انتقلوا إلى سلا في القرن الحادي عشر (17 م) ويوجد الشرقاويون في عدة مدن أخرى، وغلب عليهم

لفظ الشرقاوي بدل الشرقي الأصلي لأجدادهم وقد تعاطى الشرقاويون السلويون الفلاحة والتجارة كما كان منهم فقهاء وقضاة وعدول وأئمة وصلحاء. اشتهر منهم الغزواني بن البغدادي الشرقاوي من صلحاء سلا وفقهائها (ت. 1143/ 1730) دفين منزله بسيدي مغيث قرب المسجد الأعظم؛ ومَحمد بن الحفيان الشرقاوي من فقهاء سلا كان حياً عام 1278/ 1862 ؛ وعبد السلام الشرقاوي من شعراء الملحون في القرن الثالث عشر (19 م)؛ ومحمد بن المعطي بن العباس الشرقاوي من عدول سلا كان بقيد الحياة سنة 1323/ 1905.

م. بوشعراء، *ملحق الإتحاف الوجيز*، ط. 2، الرباط، 1996.

محمد حجي

**الشرقاوي، أحمد الدبجعدي**، رسّام ولد سنة 1934 بمدينة بجّعد، وهو أحد روّاد الفن التشكيلي الحديث بالمغرب وأول من كرّس نفسه لفهم كنه الإشارات والرموز التراثية التي كانت تسكنه منذ صباه من دون منازع، ونقلها ببراعة على اللوحة باستخدام أسلوب فريد وإحساس تواصلي في منتهى الدقّة.

بعد مرحلة الشباب التي زاول فيها فن الخط العربي، انضمّ إلى أول فوج ذهب إلى الخارج قصد التكوين، إذ حصل على دبلوم الحرف الفنية بباريس سنة 1959، حيث أقام معرضه الأول، ثم سُجّل في العام الموالي بمرسم أوجام التابع للمدرسة الوطنية للفنون الجميلة، قبل أن يلتحق بأكاديمية الفنون الجميلة بڤارسوفيا ليدرس بها (1961) في إطار التبادل الثقافي المغربي البولوني. وفور مغادرته بولونيا فضّل الاستقرار بباريس بعد أن تمكّن من الحصول على منحة من اليونسكو للقيام بأبحاث حول موضوعي الحروفية العربية والعلامة الأمازيغية.

قادته تحرّياته إلى جبال الأطلس المتوسط ومناطق أخرى للغوص في السلطة الأسطورية للرموز والإشارات التي كانت تمارس على محيطه القريب وللكشف عن تعدّد معانيها واستعمالاتها الزخرفية والوظيفية - الاجتماعية. لكن مشروعه لم يعمّر طويلا، إذ باغتته المنية في سن لا يتعدى 33 عاما.

في هذه المدّة القصيرة من حياته الفنية أقام الشرقاوي 32 معرضاً، نصفها جماعيّ، في كل من باريس والرباط والدار البيضاء ومدريد وطنجة وڤارسوفيا وطوكيو والجزائر العاصمة وليون وكارلشتاد بالسويد، وحتى بعد وفاته نظم الكثير من زملائه معارض تكريمية له، كما سمّيت إحدى القاعات العمومية للعروض في الرباط باسمه في نهاية الثمانينيات، وتمّ عرض لوحاته في العديد من المناسبات بالداخل والخارج، كانت آخرها سنة المغرب بفرنسا (باريس 1999).

بدون إنكار انخراطه في محيط الثقافة الغربية، ظل الشرقاوي مرتبطاً بموطنه الأصلي ومتشبثاً إلى أبعد حدود بمرجعياته التخطيطية الفنية في علاقة عفوية وكذلك عن وعي فكري ومعرفي. حتى إنّه دفع بالنقاش الأبدي حول التجريد والتجسيد إلى دائرة أبعد، فكان همّه الشاغل على المستويين الوجودي والفني مبنيا على إشكالية التأليف والتلاقح بين المرجعية الأصلية التقليدية والحداثة الغربية، وذلك بمثابرة متواصلة وفي صمت تأمّلي، بل وفي نوع من الصوفية الإبداعية.

لقد استوحى أشكاله من الرموز التي تحفل بها الحضارة المغربية (من حلي وزرابي ووشم وخزف ...)، ولم يكتف باستنساخها وإعادة إنتاجها في حلّة "أخرى"، بل جرّدها وأعاد صياغتها وشحنها بحمولات رمزية وجمالية خاصة بغير قليل من المهارة والأحاسيس. وضمن هذا الانتقال في مواطن العلامة والرمز لم تنحصر إنجازاته في الإشارة والرمز فقط، بل هي كذلك تركيب.

ونذكر من بين أهمّ ملامح تطوّر تقنياته المستعملة والمتغيّر ولون المرئية الموظفة في تأثيث فضاء لوحاته : التخلّي تدريجياً عن استعمال مواد خشنة تلصق بسن اللوحة (خيش، ورق مضغوط،...)، وعن الاحجام الصغيرة واللون الواحد والأساسي الداكن والأشكال المشبعة والملمسات العجينية... بل أخذ شيأ فشيأ يستعمل أساساً فاتحاً وألواناً مضادّة بجانب الألوان الدافئة (أحمر، أصفر، بنّي) وامحت الحواشي الواضحة المعالم لتفسح المجال لتراكب لوني شفّاف متلاشي الجوانب. كما أن إحدى أهمّ المميّزات تتمثل في ترتيب مكوّنات اللوحة حسب تباعد / تقارب مركزي مع تماثل خادع أفقياً وعمودياً، وكذلك في تداخل الأشكال الأساسية ومشتقاتها التي يعزّز بعضها البعض (مثلثة، مربعة بيضوية، نقطية وتناسلها إلى أجزاء فرعية متراكبة.

E. A. El Maleh, A. Khatibi, T. Maraini, *La peinture de Ahmed Cherkaoui, l'expérience marocaine*, éd. l'Harmattan, Paris 1987 ; M. Sijilmassi, *L'art contemporain au Maroc*, Paris, Casa, 1989 ; T. Maraini, *Ecrits sur l'art*, Mohammédia, 1990 ; M. Riffi, *Le patrimoine symbolique dans l'art musulman*, mémoire, INSAP, Rabat, 1993 ; *Situation des arts plastiques au Maroc*, *Souffles*, n° 7-8, 1967.

مصطفى عياد

**الشرقاوي أحمد** (الحاج -) **الرباطي**، وطني كبير ولد بمدينة الرباط سنة 1315/1897. تلقى تعليمه الأولي في

الكتاتيب القرآنية ثم صار يتعاطى الدروس العلمية على علماء وقته وبصفة خاصة شيخ المحدثين العلامة السلفي الشيخ أبي شعيب الدكالي. وبفضل اجتهاده ومثابرته، تضلع أحمد الشرقاوي في العلوم الفقهية حتى حاز على إجازات من بعض علماء المغرب والمشرق، وأصبح له باع وقدرة على إعطاء دروس الوعظ والإرشاد في عدد من مساجد الرباط ومراكش، واستطاع أن يفعل نفس الشيء في الحرم المكي بالديار المقدسة أثناء حجه في عام 1933 (*وثيقة*، 24).

وبسبب نشاطه الكثيف ودعمه المادي والمعنوي في معركة مناهضة الشعب المغربي للظهير البربري، اعتقلته سلطات الحماية ثم نفته إلى مراكش في محاولة لضرب العناصر النشيطة للحركة الوطنية بالرباط.

وقد عُرف الحاج أحمد الشرقاوي بما قام به في المشرق العربي في بداية سنة 1933، فقد صادف الحال أنه ذهب إلى الديار المقدسة في نفس الوقت الذي ذهب فيه الشيخ عبد الحي الكتاني إلى المشرق في محاولة لئيمة للاتصال برجال الفكر الإسلامي، وكان مسلحا برسائل توصية من الأمير شكيب أرسلان. فلما بلغ أحمد الشرقاوي خبر وصول عبد الحي الكتاني إلى القاهرة قام بواجبه الوطني في التشهير بهذه الشخصية التي باعت نفسها للاستعمار، وأكثر من الاتصالات برجال مصر وعلمائها، فكانت اتصالاته مفيدة ومؤثرة ونجح في فضح عبد الحي الكتاني وكشف خباياه وإظهاره على حقيقته (أ. القادري، *مذكراتي*، 1 : 168).

وبفضل مكانته في صفوف الحركة الوطنية، كان أحمد الشرقاوي أحد المؤسسين للحزب الوطني لتحقيق المطالب المغربية في أبريل 1937، وقد كان عضواً في مجلسه الوطني ورئيساً لمكتبه بالرباط، ولذلك لم يجد الحزب أفضل من منزله قُرب زنقة القناصل بالمدينة القديمة بالرباط لعقد مؤتمره الخارق للعادة في 13 أكتوبر 1937 والذي ترأس أعماله الزعيم علال الفاسي، وذلك لدراسة الأحوال العامة في المغرب وتحديد سياسة صريحة العداء للحماية وتصرفاتها (ع. الفاسي، *الحركات*، 215)، وإصدار ميثاق وطني تقرر فيه قطع العلاقات مع الدوائر المسؤولة الفرنسية إلى أن توقف الاضطهادات التي كانت مسلطة على الشعب في مختلف القطاعات. وقد ترتب عن هذا الموقف اعتقال بعض زعماء الحزب الوطني كان منهم الحاج أحمد الشرقاوي الذي ظل بالسجن سنة كاملة قضى جزء منها في سجن لعلو بالرباط والباقي في سجن العذير ما بين أزمور والجديدة. وعند خروجه من السجن في نهاية سنة 1938، عمل الحاج أحمد الشرقاوي مع بعض زعماء الحزب الوطني من أجل ضمان استمرار نشاط الحركة الوطنية في الظروف المعقدة التي كان يمر منها المغرب وفرنسا والعالم في ذلك الوقت، وقد شكّل هؤلاء لجنة تنفيذية مؤقتة كان ضمنها الحاج أحمد الشرقاوي الذي كان كغيره من أعضاء اللجنة يستعمل إسما مستعاراً هو يعقوب المنصور. وقد وقّع هؤلاء البيان الذي عبّر فيه الحزب الوطني بتاريخ 14 يوليو 1939 عن موقفه من السلطات الفرنسية زمن الحرب وهو مطالبة الحكومة بما فيه مصلحة البلاد والتفاهم معها على ذلك، والتعاون النزيه معها كلما أظهرت استعدادها (أ. القادري، *مذكراتي*، 1 : 480).

وفي 29 غشت 1939 كان الحاج أحمد الشرقاوي ضمن وفد الحزب الوطني الذي قابل المقيم العام الجنرال نوگيس (Nogues) ليعبر له باسم الحزب عن موقفه إزاء ظروف الحرب وتضامن المغرب مع فرنسا. وكان الوفد يتشكل من محمد غازي، أبو بكر القادري والحاج أحمد الشرقاوي (أ. القادري، *مذكراتي*، 1 : 486). كان الحاج أحمد الشرقاوي أحد أعضاء "الطائفة" وهي الجناح السري في الحزب الوطني، وبصفته تلك كان أحد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال وأحد المؤسسين لحزب الاستقلال. كان الحاج أحمد الشرقاوي رجل تعليم من الطراز الأول، وقد اشتغل بالتعليم بعد خروجه من الوظيف سنة 1934، فأسس مدرسة بحي العكاري بالرباط، ثم أدار المدرسة الغازية بحومة بوقرون في نفس المدينة. وكان أحمد الشرقاوي من رواد تعليم الفتاة المغربية ومن المشجعين على قبولها في المدارس المختلطة، كما كان من السباقين للقيام بمكافحة الأمية بين الرجال والنساء. وعندما بدأ التفكير في بناء مدرسة ثانوية كبرى للتعليم الحر بالرباط كان الحاج أحمد الشرقاوي من اللجنة المؤسسة لهذه المدرسة التي أطلق عليها إسم "مدارس محمد الخامس" والتي أصبح مديراً مسيّراً لها طوال عشر سنوات من سنة 1947 إلى سنة 1957. وبفضل جهوده الحميدة وتشجيعه وحثه على متابعة التعليم العالي، توجه العديد من طلبة وطالبات مدرسته إلى بلدان المشرق العربي وخصوصا مصر وسوريا، ومازال كثير من هؤلاء يذكرون الدعمَ القوي الذي وجدوه عند مدير المدرسة الحاج أحمد الشرقاوي في وقت كان التوجه للمشرق العربي لمتابعة الدراسة من الممنوعات لدى سلطات الحماية. وقد ظلت مدرسة "مدارس محمد الخامس" في رعاية وتحت إدارة مديرها الحاج أحمد الشرقاوي مركزاً للتكوين الوطني ونشر الثقافة الوطنية طول الفترة التي سبقت الاعلان عن الاستقلال. وتجدر الإشارة إلى أن مجموعة من طلبة هذه

المدرسة انخرطوا في صفوف الفداء عند نفي الملك محمد الخامس (عبد الفتاح سباطة، *رواية شفوية*).

وقد عُرف أيضاً عن الحاج أحمد الشرقاوي نشاطه الجم في المجالات الخيرية التي كانت تتطلب مجهودات مادية ومعنوية، وقد كان دائماً يمزج بين أقواله وأفعاله، ولا يوفر جهداً ولا وقتاً ولا مالاً من أجل الرفع من مستوى العمل الخيري في المغرب، فكان أحد المؤسسين للميتم الإسلامي بالرباط، وكاتبا عاما للجمعية الخيرية المغربية الرباطية بين سنتي 1944 و1947، وهي الجمعية التي رعت أعداداً من الأطفال المغاربة الذين أصبح لهم شأن كبير في عهد الاستقلال (عبد الله الشرقاوي، رواية شفوية). ونظراً لبروزه في مجالات الحركة الوطنية المختلفة وبصفة خاصة في مجال تكوين الخلايا الوطنية بالرباط ومنها الخلية التي كان فيها الشهيد علال بن عبد الله، فقد تَعَرَّض أحمد الشرقاوي كغيره من زعماء الوطنيين لصنوف من القهر والاضطهاد والنفي والإعتقال، وقد نُفي ما بين سنتي 1952 و1955 بأقا وفم الحصن وميسر اللفت وكوليم وقلعة مكونة واغبالو نكردوس. وعندما أطلق سراحه وحصل المغرب على استقلاله أصبح عضواً في المجلس الوطني لحزب الاستقلال ومفتشا للحزب في سنتي 1956 و1957، إلى أن عين مستشاراً بالسفارة المغربية بجدة من سنة 1957 إلى سنة 1961، ثم وزيراً مُفوضا بوزارة الخارجية في سنة 1962 حيث انتقل في نفس السنة إلى ديوان وزارة الشؤون الإسلامية وظل به إلى أن انتخب عضوا في مجلس النواب في 17 ماي 1963 (*وثيقة*، 25).

وكما قالت عنه مجموعة من قدماء الوطنيين الذين عرفوه وخبروه وعملوا معه، فقد كان الرجل وطنيا صادقا، عميق الإيمان بحقوق وطنه، متشبثا بمبادئه وعقيدته لا تزعزه الأحداث ولا الصدمات، ثابت الجنان قوي الإرادة.

توفي بالرباط في 5 رجب عام 1397/ 22 يونيو 1978 ودفن بمقبرة العلو.

ع. الفتاح سباطة، رواية شفوية؛ ع. الله الشرقاوي، رواية شفوية؛ العربي المسطاسي، رواية شفوية ؛ أ. القادري، *المجاهد محمد اليزيدي*، الدار البيضاء، 1999 ؛ *مذكراتي في الحركة الوطنية*، الدار البيضاء، 1993، جزآن ؛ ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة، 1948 ؛ المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *وثيقة المطالبة بالاستقلال، تراجم الموقعين، الرباط*، الدار البيضاء، 1996.

**الشرقاوي، الحفيان** الرباطي، من الرعيل الوطني الأول الذي عايش فترة الحماية كلها بوعي كامل. فقد وُلد بالرباط في نهاية القرن الماضي سنة 1897، وتوفي بمنزله بالرباط في يناير 1961.

كا الحفيان الشرقاوي ضمن فئة من الرواد الوطنيين الذين عاصروا كل الأحداث الخطيرة التي رسمت تاريخ المغاربة في فترة الاحتلال الفرنسي للمغرب من فرض معاهدة الحماية إلى انفجار الثورة الريفية والقضاء عليها، ثم ما تلى ذلك من المؤامرات التي قصد بها الاستعمار الفرنسي ترسيخ وجوده في المغرب سياسياً واقتصادياً وثقافياً وحضارياً.

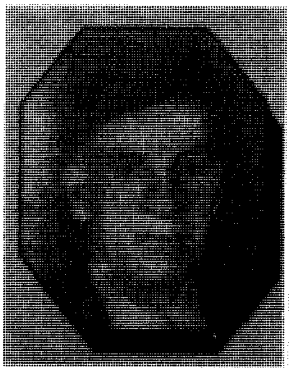

تَعرَّف الحفيان الشرقاوي على محمد اليزيدي أحد مؤسسي الحركة الوطنية المغربية في أواخر العشرينيات (أ. القادري، *مذكراتي*، 2 : 426)، وقد جمعت بين الاثنين أخوة صادقة وعلاقة وثيقة ظلت قائمة طيلة فترة نضالهما المشترك ضد الاستعمار. وقد أثرت هذه العلاقة على حياة ونشاطات الحفيان الشرقاوي الاجتماعية التي اكتست غطاء ثقافيا وفنِّيا مع أنها كانت في جوهرها نشاطات سياسية الغرض منها توعية المغاربة بالحالة التي هم عليها في فترة الحماية. وقد كان على اتصال وثيق بجمعية "إلى الملتقى" الرياضية التي كان اتجاهها ثقافيا تكوينيا، وجمعية "الجوق الرباطي" التي كان نشاطها ينحصر في بث الوعي الثقافي والاهتمام بتمثيل روايات تاريخية وإلقاء محاضرات وتنظيم مسامرات وما شاكل ذلك (أ. القادري، *مذكراتي*، 1 : 121).

كان صدور ما يسمى بالظهير البربري في 16 ماي 1930، فرصة للوطنيين المغاربة لتصعيد وبلورة هجومهم على الإدارة الفرنسية الاستعمارية، وكان الحفيان الشرقاوي ضمن مجموعة الرباط التي نظمت عملية قراءة اللطيف بمساجد الرباط طيلة شهر يونيو 1930، وهي العملية التي أدت في نهاية الأمر إلى الانتفاضة الشعبية ضد هذا الظهير، كما أنه كان ضمن الموقعين على العريضة التي قدَّمها أهل الرباط إلى السلطان محمد بن يوسف بتاريخ 17 غشت 1930 احتجاجا على صدور الظهير البربري (*وثيقة*، 26).

ومنذ هذا التاريخ، انغمر الحفيان الشرقاوي انغماراً كليا في العمل الوطني خاصة بعد نفي محمد اليزيدي إلى قلعة السراغنة واعتقال عبد اللطيف الأعتابي والمعطي بَّاخاي، وقد كانوا جميعا من النواة الصلبة في جماعة الرباط المناهضة للظهير البربري.

ونظراً للثقة الكبيرة التي كان يحظى بها الحفيان الشرقاوي، والمنزلة التي كان يحتلها عند إخوانه الوطنيين، ثم لكرمه الذي كان مضرب الأمثال، فقد أصبحت داره رقم 15 بزنقة باكستان بمارسة بالرباط منذ بناءها سنة 1934 داراً

للحركة الوطنية، ففيها كان يقيم سنوياً العديد من الوطنيين القادمين من جميع أنحاء المغرب للمشاركة في عيد العرش (الحبيب بن الحفيان الشرقاوي، رواية شفوية)، وفيها كانت تنعقد الاجتماعات السرية والعلنية وتُتَّخذ فيها أخطر الإجراءات والقرارات حتى غدت هذه الدار لكثرة ما شهدته من نشاطات سياسية واجتماعية وثقافية معلمة من معالم الحركة الوطنية بمدينة الرباط. وقد تمّ عقد أول مؤتمر لكتلة العمل الوطني في دار الحركة الوطنية هذه وذلك يوم 25 أكتوبر 1936، وهو المؤتمر الذي انتهى بصياغة المطالب المستعجلة للشعب المغربي التي قُدِّمت للقصر الملكي وللمقيم العام الفرنسي (أ. القادري، *مذكراتي*، 1 : 308).

وعندما قرّر بعض الزعماء الوطنيين في نهاية سنة 1938 تأسيس جماعة سرية لتسيير الحركة الوطنية والإشراف على نموها وتطورها، كان الحفيان الشرقاوي من العناصر الفاعلة في هذه الجماعة السرية التي كان لها الدور الهام والحيوي في تنظيم الحركة الوطنية على أسس ثابتة. وقد عُرفت هذه الجماعة بالطائفة، وكان أفرادها القلائل منبثين من بعض المدن المغربية وخاصة سلا وفاس والرباط. وقد نشأ عن هذه الطائفة حزب الاستقلال، واستمرّ نشاطها الوطني السري إلى غاية سنة 1953.

تعرض الحفيان الشرقاوي للاعتقال ولمختلف المضايقات الاستعمارية، فقد كان معروفا لدى إدارة الحماية بمواقفه ونشاطاته الوطنية، ويكفي أنه كان من أوائل الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944، وداره كانت دائماً تَعُجُّ بالنشاط الوطني، كما كان أحد المسؤولين بجانب المهدي بن بركة وعلال كراكشو بإعانة ومساعدة عائلات المعتقلين والمنفيين من الوطنيين بمدينة الرباط، وهذه كانت مهمة ذات حساسية خاصة نظراً لما كانت تتطلبه من عناية كبيرة، وسرية كاملة (الحبيب الشرقاوي، *رواية شفوية*).

واشتغل الحفيان الشرقاوي في السنوات من 1946 إلى 1949 بالتجارة وجعلها مصدر عيشه ووسيلة من وسائل اتصاله مع جمهور عريض من المواطنين، وقد كان شريكا لأحمد اليزيدي شقيق الزعيم الوطني محمد اليزيدي في تجارة الشاي والسكر بمتجر في ديور الجامع معقل الحركة الوطنية بالرباط.

وقد ظل الحفيان الشرقاوي طيلة فترات نضاله الوطني منسجما مع نفسه ومخلصا لمبادئه، ورفض بعد حصول المغرب على استقلاله تعيينه في أي منصب إداري، وظل حتى اللحظة الأخيرة من حياته دعامة قوية من دعامات الحركة الوطنية المغربية. وتوفي بالرباط ودُفن في مقبرة الشهيد علال بن عبد الله في رجب-شعبان عام 1380/ يناير عام 1961.

أ. القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية*، جزآن ؛ المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *وثيقة المطالبة بالاستقلال*، الحبيب بن الحفيان الشرقاوي، *رواية شفوية*.

عثمان بناني

**الشرقاوي، الشرقي** بن محمد الرباطي. أديب مدرس متصوف جزم في إتحاف المطالع أن أصله من طنجة. درس بالرباط على الشيوخ محمد الرغاي ومحمد السايح ومحمد المدني ابن الحسني. وكان يقرض الشعر ومنه قصيدة أبّن بها شيخ الجماعة محمد المكي البطاوري، وأخرى ردّ فيها على الشبان العصريين الذين كانوا يهاجمون الطرقيين، ولا يقومون - في نظرة - بأركان الدين. كما ألف في الموضوع كتاباً صغيراً سماه *نهاية الانتصار وغاية الانكسار على صاحب الإظهار*، رد فيه رداً عنيفاً على الشبان المنتحلين السلفية للتشهير بشيوخ التصوف الأحياء والأموات، ونعتهم بأقبح الصفات، وكان في طليعة هؤلاء المردود عليهم محمد المكي الناصري والأديب محمد بن العباس القباج اللذان كانا وراء إصدار اظهار الحقيقة بصفة مباشرة، ويقول المترجم في حقهم: "فأهم مسألة عندهم اليوم مسألة الأولياء والعلماء، والأفاضل والشرفاء، فهم مجتهدون بكل معنى الكلمة في بث روح التنفير منهم بين مواطنيهم، كأنهم يعبدون الله بذلك، وهم باطنَ الأمر جزاءً لهم مطرودون، يدعون معرفة الحقيقة والحقّ يعلم أنهم عنها مُبعدون".

أثار كتاب الشرقاوي ضجة كبرى في صفوف الشبان الناهضين وصدّروا الرد عليه الشاعر محمد بن اليماني الناصري الذي أصدر كتاب *ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الانكسار*، كال للشرقاوي فيه الصاع صاعين، واشتمل على نصوص تقاريظ أشهر الشبان الوطنيين الذين لمزوا المترجم بكل وصف جارح. وبقطع النظر عن اتجاه الفريقين فقد مثلت هذه النقائض طليعة الحوار والجدل الفكري المنشور بالمغرب في العشرينيات من القرن الماضي.

توفي بالرباط يوم الأحد 21 محرم عام 1390/ 29 مارس 1970.

الشرقي الشرقاوي نفسه، *نهاية الانتصار وغاية الانكسار على صاحب الإظهار*، تونس، 1345 ؛ م. اليمني الناصري، *ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الانكسار*، الرباط، د. ت؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 ؛ ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، د. ت. ج 2 : 443.

محمد حجي

**الشرقاوي، عبد الله** بن الحاج العربي بن بنداوود آتي الترجمة. ولد بأبي الجعد في 18 شعبان عام 1290/ 9 شتنبر سنة 1873 وبها قرأ على الشيخ الحسن بورقيبة الآسفي في مدرسة الزاوية، أخذ عنه علوم الفقه والحديث والأدب والبيان وغيرها، ثم أخذ من شيوخ مراكش وفاس، وكان له ميل خاص إلى الفقه ومدارسة مسائله.

تولى القضاء بأبي الجعد عام 1334/ 1916، وهو ما يزال في ريعان الشباب، واهتم بالتدريس، وكان يشرف على حفلات ختم *صحيح البخاري والشفا* لعياض *والذخيرة* لسيدي محمد المعطي الشرقي، حيث حبس عليها لتقرأ في مسجد مولاي سليمان ببجعد ولازالت أحباسها إلى الآن.

إن الممارسة السياسية لزاوية أبي الجعد في عهد القاضي عبد الله الشرقاوي قد اصطدمت بكثير من العراقيل والعوائق، ذلك أن الوجود الفرنسي بالمنطقة قد قلص من المكاسب التي حققتها الزاوية، وضيق عليها السبل، وبالرغم من ذلك فإن المترجم شارك في الفعل السياسي بشكل إيجابي للحفاظ على المكاسب والامتيازات بالمنطقة ومراقبة ما يحدث في مجالها، بل وخارجه، لقد كانت الزاوية ممثلة بالشيخين الحاج محمد وسيدي الحاج عبد الله وحاضرة في ورديغة إلى جانب الجنرال فرانشي ديسبيري (Franchi D'Espery) لاختيار قواد المنطقة.

وقد ذكر ابن سودة أن لعبد الله بن الحاج العربي *تقاييد في تاريخ المغرب وعوائده*، وقد أكد ذلك معاصره الحاج محمد بن العربي أنه رأى عنده بعض هذه التقاييد، وهي عن العوائد والأعراف والشخصيات والأنساب والمناقب ... بتادلا، غير أنها تفرقت - فيما يبدو - فيما تفرق من مكتبته بين الورثة، إضافة إلى مراسلاته مع علماء عصره والشخصيات البارزة فيه.

توفي في 7 ذي الحجة عام 1371، موافق 28 غشت سنة 1952، ودفن بجوار منزله بدرب عرباوة من بجعد، ويزور قبره بعض الأتباع من تادلا وورديغة والسماعلة.

ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، ج 9، 3278 ؛ *مقابلة مع الحاج محمد بن العربي الشرقاوي* في بجعد، خلال شهر نوفمبر 2001، وهو عدل بالمحكمة بأبي الجعد عاصر القاضي الحاج عبد الله بن الحاج العربي؛ *سجلات المحكمة المركزية بأبي الجعد* (ابتداء من عام 1335/ 1917) تقاييد الرسوم المتعلقة بالأملاك، تقاييد الشركات ورسوم الإيصاء، تقاييد المقالات والأجوبة والآجال، تقاييد رسوم النكاح والطلاق).

Eicklman, *Quelques aspects de l'organisation politique et économique d'une zaouia marocaine au XIXe s*, in Lamalif ; Niegle, *La Madersa et les bibliothèques de Boudjad*, *R.M.M.*, Tome 24, 1912.

**الشرقاوي، العربي** (الحاج -) بن بنداوود حفيد الشيخ سيدي بوعبيد الشرقي العمري البجعدي. عاش في كنف والده، ودرس بعض العلوم بزاوية أبي الجعد، كما ناب عن والده في القيام ببعض الأمور الجليلة وكأنه كان يهيئه لخلافته على أمور زاويتهم، فانتدبه لزيارة بعض أعيان المغرب وتبليغ رسائله، أو للتحكيم بين القبائل وفض النزاعات بينها... أو مرافقة بعض القوافل الجائزة من مناطق تصرف الزاوية... أو الإشراف على نفقات الزاوية واستقبال ضيوفها.

ولما توفي الشيخ بنداوود عام 1306/ 1889 ترك أولاداً كثيرين كانوا كلهم يتطلعون إلى خلافة والدهم.

لكن بحكم تجربة الحاج العربي وحنكته وعلاقته بالسلطان الحسن الأول اختير ليكون رئيسا للزاوية.

وقد عرفت الزاوية في عهده ثراء واسعا وانتعاشا قويا، وأدركت رخاء لا مثيل له، مما مكنها من مواجهة حاجياتها وتغطية مصاريفها المختلفة وبالتالي توسيع دائرة أنشطتها الاجتماعية فوجد في حرمها الأمن والغذاء والكساء.

وله أشعار كثيرة في التوسل والمديح الصوفي والنصائح أورد بعضها في *الفتح الوهبي*.

ألف المترجم *الفتح الوهبي في مناقب أبي المواهب سيدي العربي*. يعني جده العربي بن المعطي ابن الصالح.

توفي بمسقط رأسه عام 1316/ 1898.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2817 ؛ *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ج 1 : 237 . 238 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2 : 107 . 108 ؛ د. أيكلمان، *الإسلام في المغرب*، ص. 42 ؛ أ. بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، 1 : 257 . 260.

Cimetière, *Notice sur Boujad*, R.M.M., Sept. 1913, vol. 24.

عبد المجيد بوكاري

**الشرقاوي، محمد الصالح** بن محمد المعطى البجعدي التادلي. نشأ في بيئة صوفية تميزت حسب العبدوني بـ "العفاف والطاعة والديانة". وكان ما انتاب حياته من عدم استقرار بسبب مشاطرته والده في ترحاله وغربته، بعيدا عن بلدته وعشيرته، سببا فسح له المجال ليتردد على مجالس العلم بفاس ومراكش. فأخذ عن بعض أشهر شيوخ وقته، أمثال الحسن اليوسي، وأحمد بن ناصر الدرعي ومحمد بن سعيد الهبري الطرابلسي، وأحمد العطار، ومحمد بن عبد القادر الفاسي.

ومن خلال إجازة له، نتبين أنه حاز نصيبا غير يسير من علوم الحديث والعربية والشعر. وله منظومات شعرية موزونة وملحونة احتفظت بها كتب التراجم، وسند صوفي متنوع، حيث أخذ عن عدة شيوخ مغاربة ومشارقة. فمن المغاربة أخذ الورد الناصري عن الشيخ الحسن اليوسي والشيخ أحمد بن ناصر ؛ فتلقى الإذن بتلقين ذلك الورد؛ سيما بعد أن زار درعة، وتبوأ عند الشيخ الناصري حظوة رفيعة، كما يفهم مما قال له ذات يوم : "أنت بضعة مني، أنا كأنت وأنت كأنا، يسوؤني ما يسوؤك، ويسرني ما يسرك" (*الروض اليانع الفائح*، ص. 68 . 69). ومن المشارقة محمد بن سعيد الهبري، ومحمد بدر الدين القرافي. ولذلك اشتهر متصوفا

أكثر منه عالما. فكان كثير التلاوة لكتاب الله، كثير الذكر والسماع، زاهداً متقشفا، سخيا كريما، منفقا إنفاق من لا يخاف الفقر.

وتناقل كتّاب التراجم عنه الكرامات والمناقب والمكاشفات والأحوال. فقصده الناس من مختلف الآفاق من أجل الأخذ والاستشهاد بالرؤية والتبرك.

وبسبب الشهرة التي نالها محمد الصالح، فقد أعطى زخما جديدا للزاوية الشرقاوية، بما يسر من سبل الاستقرار والتعمير بها فكثر الوافدون عليها من طلبة العلم والورد؛ بل تردد عليها بعض كبار أعلام العصر أمثال: الحسن بن رحال المعداني، وعبد القادر ابن شقرون، ومحمد الصغير الإفراني. وقد امتن الأخير للمترجم بفضله عليه، حيث كان وراء تبييض كتابه *نزهة الحادي* الذي يعد فريدا في بابه.

توفي صاحب الترجمة يوم الأربعاء ثاني عشر صفر عام 1139/ 9 أكتوبر 1726، ودفن بقرية أبي الجعد وبني عليه ابنه محمد المعطى المشهد المعروف اليوم بضريح سيدي صالح.

ح. بن محمد المعداني، *الروض اليانع الفائح في مناقب الشيخ أبي عبد محمد الصالح*، مخطوط، خع. الرباط، رقم 1835 د ؛ م. بن عبد الكريم العبدوني، *يتيمة العقود الوسطى في مناقب أبي عبد الله سيدي محمد المعطي*، مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم 305 ك ؛ الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشادلي، ص. 436 ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة*، ص. 369 ـ 383 ؛ القادري، *التقاط الدرر*، 438 ؛ *الاستقصا*، 7 : 113 ـ 114 ؛ *إعلام المراكشي*، 6 : 37 ـ 43 ؛ أ. بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، ص. 103 ـ 107.

أحمد عمالك

**الشرقاوي، محمد** بن **عبد الرفيع** صاحب الضريح أمام ضريح سيدي فرج بالرباط كان من المرابطين الصلحاء ينتسب إلى الشيخ مَحمد الشرقي.

توفي بالرباط يوم الخميس 7 صفر 1202/18 نونبر 1787 وبنيت قبة على ضريحه. وظل الشرقاويون يتصرفون في ضريحه على الأقل إلى الوقت الذي عاش فيه ناقل خبرهم الكاتب محمد بوجندار المتوفى عام 1326/ 1908.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 114.

عبد الاله الفاسي

**الشرقاوي، محمد العربي** بن محمد المعطى بن محمد الصالح حفيد الشيخ مَحمد الشرقي البوجعدي. من المرجح أن ولادته كانت في العقد السادس من القرن الهجري الثاني عشر (18 م) (*الزاوية الشرقاوية*، ص. 110).

نشأ يتيما فكفله أحد أساتيذ الزاوية، الفقيه المحجوب الموسوي، فحفظ على يده القرآن الكريم، وأخذ عنه علم الرسم والتوحيد. وأخذ بالزاوية أيضاً عن محمد بن قاسم الفيلالي، الذي أجازه إجازة عامة مؤرخة في عام 1183. وليعمق معارفه، ارتحل إلى فاس فأخذ بها عن شيخ الجماعة محمد التاودي ابن سودة. وفي عام 1190/ 1776 سافر بقصد أداء فريضة الحج، فأخذ عن بعض الشيوخ المشارقة، نذكر منهم مرتضى الزبيدي الذي حلاه في إحدى إجازاته له بـ "سيدنا ومولانا سلالة الصالحين وخلاصة العلماء العاملين شرف الدين محمد العربي بن شيخ الجماعة ولي الله سيدي محمد المعطي بن الصالح العمري الشرقي التادلي". وأخذ أيضاً عن أحمد جاد الله الخناني، ومحمد بن الحريري الأزهري، والشهاب أحمد الدمنهوري؛ ويظن الكتاني أن الأخير أعلى من لقي. أجازه معظم هؤلاء كما هو مثبت في مخطوط *الفتح الوهبي*، لحفيده أبي حامد العربي بن داوود (ص. 214 ـ 242). ونقل الكتاني ما وصفه به قاضي مكناس أحمد بن عبد الملك العلوي، حيث قال: "السيد العربي هذا آية في الحفظ واستحضار الحديث والتفسير وسرد الصيام وإحياء الليل، دائم في القيام وإطعام الطعام". وأضاف أن المترجم كان كثير الاعتناء بعلم الحديث وبخاصة الصحيح، وتتبع مختلف أسانيده (الكتاني : *فهرس الفهارس*، 2 : 779).

وكما استجاز الشيخ العربي الشرقاوي فقد أجاز بعض أعلام عصره ؛ منهم السلطان المولى سليمان، والعربي بن أحمد ابن التاودي ابن سودة، وأحمد بن محمد بن عبد السلام البناني البلح الفاسي، ومحمد بن عبد الرزاق الفاسي وغيرهم. فضلاً عن ذلك كان الشيخ العربي الشرقاوي شديد الكلف بالكتب، فزود خزانة الزاوية بعدد وافر منها، بادلا فيها أنفس الثمن.

هذا عن جانب تكوينه العلمي، أما من حيث تكوينه الصوفي، فقد أخذ عن والده بواسطة محمد بن أبي القاسم الفيلالي. وأخذ الطريقة الخلوتية عن شيخها محمد الحفناوي الشافعي، في أثناء مقامه بمصر (*الزاوية الشرقاوية*، ص. 111، نقلا عن ع. الجبرتي، *عجائب الآثار*، 1 : 525).

كان المترجم كثير الزيارة للأولياء، كثير الذكر والتلاوة والصلاة والدعاء والمناجاة والبكاء، محافظا على الصلاة في الجماعة، زاهداً صابراً وقوراً طيب الأخلاق.

وبالرغم عما اشتهرت به الزاوية الشرقاوية من بعد صيت في عهد العربي الشرقاوي، فإنها عرفت كذلك أكبر اصطدام مع المخزن، حيث أقدم السلطان محمد بن عبد الله على تخريبها، ونفى شيخها المترجم مع سائر أفراد أسرته إلى مدينة مراكش، حيث سكن حومة القصور. وبعد ثلاث سنين رجع إلى زاويته، بعد وفاة السلطان سنة 1204/ 1790. واعتنى به السلطان اليزيد، فأتحفه بعدد وافر من الكتب.

وكان الشيخ محمد العربي الشرقاوي من بين من انحازوا إلى جانب الأمير المولى هشام، حيث بايعه، تبعا لمعظم أهل الجنوب المغربي، الذين استنكفوا عن بيعة المولى سليمان، ولأن الأمير المذكور هو الذي ساعده على الرجوع إلى زاويته (*الإعلام*، 6 : 186).

وهذا هو السبب الذي جعل المولى سليمان يشخصه إلى

مدينة فاس، ويأمره بالإقامة بها، حوالي عشرين شهراً. لكن ما لبث أن عفا عنه، فرجع من جديد إلى زاويته وأقام بها حتى وفاته، بالوباء الجارف الذي نزل بالمغرب؛ سنة 1234/1818، فيما بين جمادى الأولى وأواخر جمادى الثانية. (*الإعلام*، 6 : 184 ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 778).

ع. بن داوود الشرقاوي، *الفتح الوهبي*، ص. 214. 242 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 8 : 133 ؛ ع. بن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، 6 : 182 ـ 186 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 778 ؛ أ. بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، 1 : 110.

أحمد عمالك

**الشرقاوي، المعطي** بن العربي الرباطي ولد بالرباط سنة 1909. تَلَقى تعليمه الأولي في الكتاتيب القرآنية وخاصة عند الفقيه محمد بن الجيلاني الأزرق (ت. 1957) الذي كان كُتابه القرآني يتوفر على جماعة من الطلبة تخرجوا على يديه في استظهار القرآن الكريم وحفظه وحفظ نُبَذ هامة من المتون العلمية ساعدتهم على تلقي العلم بسهولة (ع. الجراري، *أعلام*، 2 : 416).

التحق المعطي الشرقاوي بميدان العمل الحر صغير السن بعد أن قضى فترة من الوقت يساعد الفقيه الأزرق في تسيير كُتابه، وقد كان لشقيقه الأكبر الوطني الغيور الحفيان الشرقاوي الموقع على وثيقة الاستقلال (ت. 1961) تأثيراً قوياً عليه وعلى توجهاته السياسية، وبواسطته دخل عالم الحركة الوطنية وارتبط ارتباطا وثيقا بعدة شخصيات لعبت دوراً كبيراً في نشأة الحركة الوطنية وبصفة خاصة الزعيم محمد اليزيدي (ت. 1989). ونظراً لنباهته ولُطف معاشرته وحُسن هيئته، ألحقه محمد اليزيدي بجمعية الجوق الرباطي التي كان يُشرف عليها والتي كان نشاطها ينحصر في بث الوعي الثقافي والاهتمام بتمثيل روايات تاريخية وإلقاء محاضرات وتنظيم مسامرات وما شاكل ذلك (أ. القادري، *مذكراتي*، 1 : 121)، وقد كان من جملة أفراد هذه الجمعية السيتل العيساوي، مصطفى بن عبد الله، عبد اللطيف العتابي، المعطي ابَّاخاي، وهؤلاء كانوا جماعة المعطي الشرقاوي، وكانوا كلهم من الرعيل الأول الذي كان في مقدمة المدافعين عن وحدة الأمة المغربية عنه انفجار قضية الظهير البربري.

زاول المعطي الشرقاوي أعمالا تجارية حرة وتنقل بين أسفي والدار البيضاء والرباط، وظل خلال ذلك مرتبطا بنشاطات الحركة الوطنية ورجالها، ولذلك كان في مقدمة المنخرطين في كتلة العمل الوطني المنعقد مؤتمرها الأول في منزل شقيقه الحفيان الشرقاوي بمارسة بالرباط بتاريخ 25 أكتوبر 1936. وعندما حمى الوطيس بين أعضاء الحزب الوطني وبين الإقامة العامة، قامت السلطات الفرنسية باعتقال ونفي عدد من زعماء الحزب وأعضائه النشطين، وكان من ضمن هؤلاء المعطي الشرقاوي الذي اعتقل في نهاية شهر أكتوبر 1937 وظل في السجن سنة كاملة قضى جزءاً منها في سجن لعلو بالرباط وجزءاً في سجن العدير بين أزمور والجديدة والباقي في سجن غبيلة بالدار البيضاء. يقول أبو بكر القادري عن هذه الفترة في *مذكراته* "ومن السجناء الذين انتقلوا معنا من سجن الرباط إلى العدير ثم غبيلة المرحوم الفقيه محمد غازي والمرحوم سيدي الحاج أحمد الشرقاوي والمرحوم عبد اللطيف العتابي والمرحوم المعطي الشرقاوي والمناضل الصامد الحاج محمد عليوة، فهؤلاء عرفتهم في السراء والضراء، فكانوا إخوة صادقين في وطنيتهم، ومخلصين في عقيدتهم ثابتين على مبادئهم ..." ثم يشير في مكان آخر إلى أن "كثير من الذكريات تبقى عالقة بالأذهان رغم مرور الأزمان، وأكثر منها تنسى مع مرور الأعوام ومن جملة ذلك مالا أزال أذكره في حق الأخوين: عبد اللطيف العتابي والمعطي الشرقاوي، فلقد كانا يعيشان في السجن كالشقيقين، فقلما تجدهما مفترقين، سواء في وقت الأكل أو في وقت اللعب، وإن كان العتابي لا يحسن أية لعبة، وإن كان كثير التعاليق واذاعة الأخبار. وذات يوم زار السجن أحد الأطباء أو أحد المساعدين لست أدري، ومعه بعض الأدوية أو بعض الحقن قال إنها اختراع جديد. وإن لها فوائد كثيرة، وكان قصده أن تجرب على المساجين، فطلب منا نحن المساجين أن نستعملها دون إلزام ـ والحق يقال ـ فما كان من العتابي والمعطي إلا أن يبادرا بقبول استعمالها، وهكذا لُقحا بذلك الدواء، فلم تمض إلا ساعات معدودات حتى أصابتهما حمى شديدة، اضطر بسببهما المسؤولون في السجن إلى أخذهما لعيادة السجن قصد معالجتهما، وبعد أيام عديدة رجعا إلينا وهما في حالة ضعف وتعب بسبب فضولهما رحمهما الله" (*مذكراتي*، 1 : 461). وتذكر السيدة عائشة الشرقاوي زوجة المعطي الشرقاوي أن الحقنة كانت خاصة بداء التيفويد وأن زوجها ظل يعاني من مضاعفات ما حصل في السجن لفترة طويلة (عائشة الشرقاوي، *رواية شفوية*).

وبعد الخروج من السجن، كان المعطي الشرقاوي ضمن جماعة من الوطنيين الذين حاولوا ضمان استمرار نشاط الحزب الوطني في الرباط وسلا رغم الظروف المعقدة التي كان

يمر منها المغرب وفرنسا والعالم في ذلك الوقت، وقد تشكلت تلك الجماعة من أبي بكر القادري ومحمد غازي والسعيد حجي وأحمد الشرقاوي والحفيان الشرقاوي والمعطي الشرقاوي والمعطي ابّاخاي وعبد اللطيف العتابي ومحمد البقالي (أ. القادري، *مذكراتي*، I : 473).

وعندما تأسس حزب الاستقلال سنة 1944، كان المعطي الشرقاوي في مقدمة مناضليه والمدافعين عن مبادئه، وكان من العناصر الأساسية الدائمة في النشاط الاستقلالي الخاص بدعم ومساعدة عائلات المعتقلين والمنفيين من زعماء حزب الاستقلال ومناضليه في مدينة الرباط.

وعندما تأسست مدارس محمد الخامس بالرباط وبدأت في ممارسة نشاطها في سنة 1946، تكونت جمعية أطلق عليها اسم "صندوق الطالب" كانت مهمتها مساعدة الطلبة المحتاجين ودعمهم ماديا ومعنويا لاستكمال دراستهم. وقد كان المعطي الشرقاوي من الأعضاء النشطين في هذه الجمعية التي كان على رأسها الحاج عثمان جوريو والحاج أحمد الشرقاوي (عثمان جوريو، *رواية شفوية*).

ونظراً لنشاطه الوطني المعروف، لم تتردد سلطات الحماية من اعتقاله ضمن مجموعة من الوطنيين قبيل أيام من نفي الملك محمد الخامس في 20 غشت 1953، وذلك تحسبا لما قد تقوم به الحركة الوطنية من ردود فعل ضد العدوان الاستعماري على العائلة الملكية.

وعندما حصل المغرب على استقلاله، تم اختيار المعطي الشرقاوي ليكون خليفة في أحياء العكاري وأكدال وديور الجامع لعامل العاصمة الحاج عباس التازي. وقد اشتهر طيلة مدة خلافته بالعفة والمصداقية والسمعة الطيبة وخدمة المواطنين. وقد نتج عن موقفه الرافض لعمليات التزوير في انتخابات سنة 1963 توتر بالغ بينه وبين وزارة الداخلية أدى إلى ايقافه عن عمله فترة من الوقت. وأحيل المعطي الشرقاوي على المعاش سنة 1972، وخرج من الوظيف على باب الله وهو لايملك سوى العفاف والكفاف والغنى عن الناس.

وقد عاش السنوات الأخيرة من حياته في مشاكل صحية ألزمته الفراش إلى أن انتقل إلى رحمة الله في 23 ربيع الأول عام 15/1408 نوفمبر سنة 1987، ودفن في مقبرة الشهداء بالرباط.

أ. القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية*، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1993، جزآن ؛ ع. الله الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، مطبعة الأمنية، 1971، 1971، جزآن ؛ عائشة الشرقاوي زوجة المعطي الشرقاوي، *رواية شفوية* ؛ الحاج عثمان جوريو، *رواية شفوية*.

**الشرقاوي، المفضل** بن محمد بن الحفيان الرباطي. ولد بالرباط في 6 رمضان عام 10/1345 مارس 1927. تلقى تعليمه الأولي في كُتاب الفقيه المكي بن أحمد بريبش، ثم في المدرسة الغازية التي كان يُديرها الوطني الكبير الحاج أحمد الشرقاوي. وبتوجيه من مدير المدرسة وبنصيحة منه، انتقل المفضل الشرقاوي إلى مدرسة أبناء الأعيان بحي لعلو سنة 1936، وفيها حصل بعد سنتين على الشهادة الابتدائية، ثم انتقل إلى ثانوية الليمون بحي الليمون، وفيها حصل على شهادة البكالوريا، والتحق بعدها بمعهد الدراسات العليا بالرباط حيث انهى دراسته بها سنة 1947 (شقيقه عبد الله الشرقاوي، شهادة شفوية).

ومنذ طفولته الأولى، اتصل المفضل الشرقاوي بمجموعة من الشخصيات كان لها دور كبير في توجهه السياسي والفكري، وكان على رأس هؤلاء محمد الرشيد ملين وأحمد رضا اكديرة.

وبفضل نفوذ محمد الرشيد ملين الذي كان والده حينئذ وزيراً للأوقاف، التحق المفضل الشرقاوي بنفس الوزارة عندما حصل على شهادة معهد الدراسات العليا، وظل فيها إلى أن استطاع بفضل دعم ومساعدة محمد الرشيد ملين الالتحاق بجامعة گرونوبل بفرنسا حيث حصل على إجازة الحقوق سنة 1955.

كان المفضل الشرقاوي رجل ثقة ونزاهة، وقد عُرف عنه الوفاء لأصدقائه والإخلاص والتفاني في عمله، ولذلك أصبح بمجرد عودته من فرنسا من العناصر الفعالة في جماعة محمد الرشيد ملين زعيم الاحرار المستقلين وقريبا جدا من أحمد رضا اكديرة، وبفضلهما اقترب كثيراً من القصر الملكي وبصفة خاصة من الملك الحسن الثاني في فترة ولايته للعهد ثم بصفة أخص بعد ذلك. عاش المفضل الشرقاوي في دائرة أحمد رضا اكديرة طيلة الفترة التي كان فيها هذا الأخير يحتل مناصب سامية عديدة في الدولة المغربية من وزارة امبارك البكاي (ت. 1961) في 5 دجنبر 1955 إلى 15 غشت 1964.

فخلال هذه الفترة التي امتدت على مدى تسع سنوات ونصف كان أحمد رضا اكديرة يتمتع بسلطات واسعة لسنوات طويلة باعتباره المدير العام لديوان ولي العهد ثم للديوان الملكي مع تفويض من الملك، بالإضافة لوزارة الداخلية والفلاحة والخارجية في فترات مختلفة (Sehimi,

(Guedira, 21). وقد بدأ المفضل الشرقاوي مسيرته في دواليب الدولة المغربية باحتلاله منصب مدير الديوان في وزارة الدفاع عندما تشكلت حكومة البكاي الأولى في 7 دسمبر 1955، وقد كان لهذا المنصب أهمية خاصة نظراً لما كان يجتازه المغرب حينئذ من ظروف معقدة أثناء إعادة بناء أجهزة الدولة المغربية ومؤسساتها وخاصة القوات الملكية المسلحة. وعندما أصبح أحمد رضا اگديرة وزيراً للأعلام والسياحة في حكومة امبارك البكاي الثانية بتاريخ 3 دجنبر 1956 التحق به المفضل الشرقاوي مديراً لديوانه. وعندما أقيلت حكومة البكاي في 16 أبريل 1958 انتقل المفضل الشرقاوي إلى وزارة العدل قاضيا بالمجلس الأعلى، ولكنه عاد بقوة ليحتل رئاسة ديوان بالديوان الملكي، وذلك عندما تشكلت حكومة جديدة في 27 ماي 1960 برئاسة الملك محمد الخامس، عُين فيها ولي العهد نائبا للرئيس وأحمد رضا اگديرة مديراً لديوان ولي العهد ونائب رئيس الحكومة. ونظراً لتكوينه القانوني وموقعه في حزب الأحرار المستقلين، كان المفضل الشرقاوي ضمن أعضاء المجلس الوطني الاستشاري الثمانية والسبعين الذين عينهم الملك محمد الخامس في 17 نوفمبر 1960 من أجل دراسة مشروع دستور "يكون في إطار احترام المبادئ الأساسية للإسلام مع مراعاة الطابع الخاص للمغرب مع إحداث مؤسسات ديموقراطية في نطاق الملكية الدستورية" (ع. *لوزي، المسألة الدستورية*، 49).

ولم تدم حياة هذا المجلس طويلا، إذ جاءت نهايته بعد مرور شهرين فقط على تنصيبه وذلك بعد أن قرر مجموعة من الأعضاء وعلى رأسهم محمد بن الحسن الوزاني وأصحابه، والمحجوبي أحرضان وأصحابه، وأحمد رضا اگديرة وأصحابه ومن بينهم المفضل الشرقاوي الانسحاب من المجلس بعد انتخاب الزعيم علال الفاسي رئيسا له (ع. لوزي، *لوزي، المسألة الدستورية*، 51).

ونظراً لاقتراب المفضل الشرقاوي من ولي العهد الذي كانت مجموعة أحمد رضا اكديرة تلتف حوله في هذا الوقت، فقد تم اختياره بعد وفاة الملك محمد الخامس وتولية الملك الحسن الثاني في 26 نوفمبر 1961 مديراً للديوان العسكري للملك، وظل كذلك بعض الوقت إلى أن أصبح عاملا على مدينتي الرباط وسلا لفترة قصيرة انتقل بعدها ليشغل منصب كاهية كاتب الدولة في الداخلية وكان صاحب هذه الوزارة حينئذ هو أحمد رضا اگديرة (شقيقه عبد الله الشرقاوي، *رواية شفوية*).

وعندما أراد الملك الحسن الثاني وضع الدستور الذي عرض على الاستفتاء الشعبي في 7 دجنبر 1962، انقسمت الأحزاب السياسية بين معارض ومؤيد، وقد عارض الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وحزب الدستور الديموقراطي والاتحاد المغربي للشغل والاتحاد الوطني لطلبة المغرب، وأيَّد حزب الأحرار المستقلين وحزب الاستقلال والحركة الشعبية، وقد كان حزب الأحرار المستقلين والمفضل الشرقاوي من عناصره الأساسية وعلى رأسهم أحمد رضا اگديرة هو القوة الضاربة المساندة والمؤيدة لدستور الحسن الثاني، وقد تم عقد العديد من الاجتماعات للخبراء الذين وضعوا مشروع خطوطه الرئيسية في منزل المفضل الشرقاوي نفسه وبحضور الملك الحسن الثاني في بعض الأحيان (زوجته طيبة الدبي، *رواية شفوية*).

بعد الاستفتاء والمصادقة على دستور سنة 1962، بدأت مرحلة التحالفات الحزبية للاستعداد للانتخابات التشريعية التي حُدِّد تاريخها في 17 ماي 1963. وكان هذا الاستحقاق الانتخابي سببا في بروز تحالف حزبي جديد أطلق عليه "جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية" برئاسة أحمد رضا اگديرة الذي كان في هذا الوقت يجمع بين وزارتي الداخلية والفلاحة. وقد تم تأسيس الجبهة في 20 مارس 1963، وكانت تتشكل من "حزب الأحرار المستقلين" وهو العمود الفقري للجبهة وقاطرتها، وحزب "الحركة الشعبية" بزعامة المحجوبي أحرضان، و "حزب الدستور الديموقراطي" بزعامة محمد بن الحسن الوزاني وبعض الشخصيات المستقلة (ع. لوزي، *لوزي، المسألة الدستورية*، 79).

وبفضل موقعه في هذه الجبهة أصبح المفضل الشرقاوي بعد انتخابات 1963 رئيسا للمجلس البلدي بالرباط ورئيسا لمجلس المستشارين، بينما أصبح عبد الكريم الخطيب رئيسا لمجلس النواب.

ولكن يبدو أن فشل "جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية" في الحصول على نتائج مقنعة بالنسبة للحسن الثاني في انتخابات ماي 1963، كان بداية لأفول نجم أحمد رضا اكديرة وأصحابه في حزب الأحرار المستقلين ومنهم المفضل الشرقاوي، خاصة بعد إقالة أحمد رضا اگديرة من وزارة الداخلية في 6 يونيو 1963 وظهور علامات انهيار التحالفات الحزبية داخل الجبهة، ثم انهيار الحزب الاشتراكي الديموقراطي الذي أسسه أحمد رضا اگديرة وأصحابه ومنهم المفضل الشرقاوي في 12 أبريل 1964 والذي لقي نفس مصير الجبهة بعد انسحاب أغلبية مؤسسيه في شهر ماي 1965 (Sehimi, *Guedira*, 119).

وقد كانت سنة 1965 سنة الانكماش والتراجع الكبير لجماعة حزب الأحرار المستقلين القديمة بعد 10 سنوات تقريبا من اللمعان والظهور، وفي المقدمة كان أحمد رضا اگديرة والدائرة الصغيرة المحيطة به من الأصدقاء الأوفياء ومنهم المفضل الشرقاوي، وقد تعمَّق هذا الانكماش والتراجع بعد أحداث مارس 1965 الدامية والتي ظهر فيها بوضوح تفضيل سياسة القمع وإسكات صوت المعارضة بجميع الوسائل. وقد زادت عزلة هذه الجماعة وابتعادها عن القصر الملكي عندما أعلن أحمد رضا اگديرة عدم موافقته على حالة الاستثناء التي أعلنها الملك الحسن الثاني في خطاب وجهه للشعب المغربي مساء يوم 7 يونيو 1965، كما أكد أحمد رضا اكديرة للملك أنه "إذا كانت الوضعية السياسية مهتزة فإن السبب

في ذلك هو التطبيق السيء للنظام التشريعي" ,M. Monjib) (La monarchie, 335، كما لم يتردد المفضل الشرقاوي رئيس مجلس المستشارين في الجهر بعدم دستورية إعلان حالة الاستثناء وذلك عندما استشاره الملك الحسن الثاني حسب ما ينص على ذلك دستور سنة 1962، بينما عبّر رئيس مجلس النواب عن رأي مخالف لذلك.

وبدأت من هذا الوقت حالة من الخمود بالنسبة للمفضل الشرقاوي، ولم يكن راضيا عن التغيير الذي أصاب المغرب وأدّى إلى هيمنة مجموعة من العناصر لا علاقة لها بالوطنية ولا بالوطنيين، ولم يبدأ في العودة إلى دائرة الضوء مرة أخرى إلا عندما عاد أحمد رضا اگديرة للحياة السياسية كوزير دولة مسؤول عن التخطيط وتكوين الأطر في 21 فبراير 1969. وتقول السيدة طيبة الدبي زوجة المفضل الشرقاوي أن زوجها كان على موعد مع الحسن الثاني بمناسبة عيد الشباب في 9 يوليوز 1970 وذلك من أجل تدبير مركز جديد له في دواليب الدولة، إلا أن الأقدار لم تمهله إذ اختطفته يد المنون وهو في الثالثة والأربعين من عمره في صباح يوم الثلاثاء 7 يوليو 1970، إذ أصيب بأزمة قلبية وهو يسبح في شاطئ الرمال الذهبية القريب من الرباط بين تمارة والصخيرات. وقد دُفن بأمر من الملك الحسن الثاني في زاوية سيدي السايح المقابلة لجامع مولاي المكي بحي سيدي فاتح بالرباط (شقيقته عائشة الشرقاوي، رواية شفوية).

عائشة الشرقاوي شقيقة، المفضل الشرقاوي، *رواية شفوية* ؛ ع. الله الشرقاوي شقيق المفضل الشرقاوي، *رواية شفوية* ؛ طيبة الدبي زوجة المفضل الشرقاوي، *رواية شفوية* ؛ ع. العزيز لوزي، *المسألة الدستورية والمسار الديموقراطي في المغرب*، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، سلسلة مواضيع الساعة، العدد الخامس، دا النشر المغربية، الرباط، 1996 ؛ ع. الله الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، الجزء الثاني، مطبعة الأمنية، الرباط، 1971.

M. Monjib, *La monarchie marocaine et la lutte pour le pouvoir*, Paris, 1992 ; Sehimi Mustapha, *Guedira - Fidélité et engagement*, Rabat, 1996.

عثمان بناني

**الشرقاوية**، طريقة صوفية، تنسب إلى الشيخ سيدي بوعبيد الشرقي دفين بجعد آتي الترجمة. وهي طريقة سلوكية تربوية، تفرض الصحبة والخدمة ومجاهدة النفس، باعتبارها السبيل الموصل إلى معرفة الله، على غرار سائر الطرق الصوفية. بيد أن المجاهدة في الشرقاوية، لا تعتمد السهر ولا الجوع ولا لبس المرقعات، وإنما تقوم أساسا على ما يعرف بالمجاهدة الروحية الخالصة، المرادفة لما يسمى في التراث الصوفي بالمحبة (*المرقي*، 272 وما بعدها). ومن ثم جاءت الوسائط لإحراز "الوصول" منسجمة مع هذا النوع من المجاهدة، وتمثلت أساسا في عنصرين أساسين، أولهما التربية بـ"الهمة"، وقد خص بها بوعبيد الشرقي الصفوة من أصحابه، أما الأسلوب الثاني، وهو الأهم، فتمثل في "المحبة" أولا، والذكر ثانيا.

ويقصد بالمحبة محبة الله الخالصة، وذلك بتقديم أوامره على هوى النفس حبا لا رجاء ولا خوفا ولا طمعا في الإثابة والجزاء في الدنيا أو الآخرة، ولو كان هذا الجزاء نعيم الجنة. فغاية المنى ونهاية المطلب، بل أشرف المطالب، النظر إلى المحبوب، والوقوف بين يديه في الدنيا قبل الآخرة. ويقصد بالمحبة أيضا محبة الرسول عليه السلام، والإكثار من الصلاة عليه، والتخلق بأخلاقه، وتمني رؤيته، وتمكن محبته وعظمته في قلب السالك، حتى إنه لا يملك نفسه عند سماع اسمه، وقد يخر صريعا من فرط محبته له (*المرقي*، 273 ـ 303).

وهذه أمور باطنية، كما يبدو، إنما كان لها انعكاس على ظاهر المنتمين إلى الطائفة الشرقاوية. ومن أهم ما ظهر منها ما يسمى عندهم "شدة الوجد"، ومعناه شدة الشوق إلى لقاء المحبوب، والرغبة في القرب منه، وهو ما يعبر عنه أيضا بالاشتياق، أي زيادة الشغف بالمحبوب إثر اللقاء مخافة القطيعة وعدم حدوث اللقاء ثانية (*المرقي*، 311 ـ 312).

وقد رتب بوعبيد الشرقي لأصحابه أذكارا، صارت له ولأتباعه أوراداً. ولم تخرج عن أحزاب الإمام مَحمد بن سليمان الجزولي، وعلى رأسها *حزب الفلاح*، يقرأونه صباح مساء، مع زيادات عليه من عنده "..فصار مجموع ذلك حزبا، وهو حزب الشيخ الشرقي"، إلى جانب *دلائل الخيرات*، الذي واظب مريدو زاويته على قراءته وتلاوته مرفوقا بعدد من الأدعية والابتهالات، بعضها من إنشاء أشياخ الزاوية. وذلك كله وفق البرنامج المعهود لدى الجزوليين. غير أن أهم مظاهر الذكر بروزا في طريقة بوعبيد الشرقي هو "السماع". كما جاء عند الحسن اليوسي في معرض ذكره للشيخ بوعبيد الشرقي: "...وطريقة هذا الولي الكبير... مبنية على السماع، وما فيه من الجذبات والشطحات الربانية والأحوال الصادقة والمعارف الصمدانية..."

وقد تحدث أحد أتباع هذه الطريقة عن الحضرة أيام الشيخ فقال: "كان سيدي بوعبيد الشرقي عادته السماع والتواجد عن غلبة حال منه، فإذا تغلغل فيه حضره أصحاب الأحوال من كل ناحية، واشتغلوا بالجذب معه، وهو يتكلم بسماع يفتح صم الجبال، ويهيّج أحوال الرجال، حتى يموت من حضر ذلك جماعة، وكانوا يعدّون أكفانهم لذلك اليوم، ولا يموت إلا من أحرق الحب كبده، فهم إذ ذاك بين باك ونائح، ولا يتفرقون إلا على أسرار ربانية وأمداد رحمانية وفيض قوي..." (*الفتح الوهبي*، 229).

ع. الخالق العروسي، *المرقي في مناقب القطب سيدي محمد الشرقي*، خ. ع.، الرباط، رقم 1911 د؛ ع. الكريم العبدوني، *يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ أبي عبد الله محمد المعطى*، مخطوط خ. ع.، الرباط، رقم 2306ك ؛ ع. اللطيف الشاذلي، *التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري* ؛ ع. بن داود الشرقاوي، *الفتح الوهبي في مناقب الشيخ أبي المواهب مولانا العربي*، م. خ. ع.، الرباط، رقم 2312 ك .

أحمد الوارث

**الشرقي، بوعبيد** (سيدي -) مَحمد بن أبي القاسم الجابري الرتمي المعروف بالزعري الشيخ الشهير. ينتسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب وقومه بنو جابر قبيلة عربية مشهورة في عداد قبائل جشم الهلالية التي استقرت بتامسنا، والرتمة إحدى بطون ورديغة المتفرعة عنها. وتغيرت صيغة النسبة عند حفدته المتأخرين، فأصبحت "الشرقاوي".

كان الشيخ سيدي بوعبيد الشرقي صالحاً مكاشفاً، كما كان والده أبو القاسم عارفاً ذا وفرة في الدنيا وتوسعة من غنم وبقر وإبل، (*يتيمة*، ص. 110). واتصل بالشيخ التباع وأصبح بعد ذلك شيخاً صوفيا ذا قدم راسخ وسند عال في طريق القوم.

ولد الشيخ أبو عبيد الشرقي بين عامي 926 و928 بعد رحيل والده أبي القاسم عن عشيرته وإقامته لزاويته بجوار أم الربيع (*يتيمة*، ص. 110) وحفظ القرآن وجوّده على يد والده، ثم انتقل إلى زاوية الصومعة حيث أخذ عن الشيخ سعيد أمسناو إلى أن توفي، فرجع إلى زاوية والده، كما أخذ التصوف عن أربعة أشياخ: والده أبي القاسم، والشيخ عبد الله ابن ساسي، وعبد الله الغزواني ومحمد بن عمر المختاري، والكل عن القطب سيدي عبد العزيز التباع.

سأل محمد بن عبد الكريم العبدوني شيخه صالح بن المعطى الشرقي عن الورد الذي تركه الشيخ لأصحابه بقصد أخذه عنه فقال له: "يا ولدي ما ترك لهم إلا حزب الفلاح يقرأونه صباحاً ومساء وزيادات عليه من عند أشياخ سيدي محمد الشرقي ومن عنده زادوها على حزب الفلاح فصار مجموع ذلك حزباً وهو حزب الشيخ الكبير الذي يقرؤه. أصحابه يبدؤونه بحزب الفلاح ويزيدون عليه ذلك". (*يتيمة*، ص. 265)، مع *دلائل الخيرات* يقرأونه على قدر ما استطاعوا، فمن قدر منهم على ختمه كله في النهارفَعَل، ومن قدر على قراءته ثلثاً ثلثاً في كل يوم فتلك الطريقة المثلى، يبدؤه يوم السبت يقرأ منه ثلثا ويوم الأحد ثلثا ويوم الاثنين يختمه ويوم الثلاثاء أيضاً يقرأ منه ثلثا ويوم الأربعاء ثلثا ويوم الخميس يختمه، ويوم الجمعة يقرؤه كله، وهذه الطريقة هي سنة المشايخ من أصحاب الجزولي... وكذلك يقرأ حزب الفلاح بعد صلاة الصبح. (*يتيمة*، ص. 265).

تحكي المصادر عن أولية محمد الشرقي أنه كان قاطنا قرب أبيه بدير جبل تادلا من ناحية أزراراق ببلاد ورديغة (*يتيمة*، ص. 118)، استقروا في تلك البلاد وكونوا لهم نفوذاً وعصبية (*يتيمة*، ص. 126). فأزعجه عن المكوث به مضايقة جيرانه له.

كان سعي سيدي بوعبيد إلى منطقة تكون غنية بعيونها ومياهها وأغراسها المنوعة وخيراتها العميمة، وذلك عامل من العوامل لاختيار الموقع والاستقرار فيه كبعض زوايا المنطقة مثل الصومعة وأكرض ... فهي مشرفة على السهل، مضمونة الأرزاق والخيرات، مأمونة من الغارات والسطوات.

ومن المرجح أن يكون أسس زاويته في بداية الستينيات من القرن العاشر (16 م) في منطقة خصبة بتادلا، فلم تعجبه وانتقل إلى أبي الجعد التي تمثل القسم الذي تبرز فيه القشرة الكلسية أو تقع قريباً من السطح تاركة تربة حمراء رقيقة قليلة الخصوبة في شكل هضاب ذات محدبات خفيفة الانحدار، تقطعها شبكة مائية تتكون من روافد موسمية لأم الربيع، يعتبر وادي أبي الجعد أكثرها جفافاً وجدبا بسبب قارية المناخ الذي يتميز بالحرارة المرتفعة صيفاً وضعف التساقطات وعدم انتظامها شتاء مما يفسر صعوبة قيام نشاط زراعي قار ويعطي للرعي والانتجاع أهمية كبرى.

شرع الشيخ الشرقي في بناء المرافق اللازمة لإقامة عائلته والوافدين عليه، فقطن فيه وسكنه "واستقر فيه واستوطنه، وحفر "بير الله"، وبني مسجداً للعبادة" (*يتيمة*، ص. 126)، ليصبح نواة عمرانية في مكان خلاء لاعمارة فيه، إذ توسعوا في البناء لتلبية حاجيات الزاوية، فخلفت تجمعاً سكنياً كان نواة لتكوين معلم من المعالم المشهورة في منطقة تادلا، "وأتته من كل بلد الطوائف والركبان من العرب والبربر والسوس الأقصى وجميع الجهات ... حتى عمرت ببركته تلك البلاد... وولد له فيها جملة من الأولاد".

عقد سيدي مَحمد الشرقي صلات كثيرة مع زوايا عصره في تادلا وخارجها... وتكونت له شهرة خارج منطقة نفوذه.. بل دخل في تحد مع أشياخ كثيرين حفظت لنا المصادر حلقات منه، وهو من قبيل "ما يقع من التخالف الذي أوجبه اختلاف المشرب" (*صفوة من انتشر*، ص. 25).. وإن كانت بعض المصادر تذهب في تفسير هذه الأحداث وتأويلها لصالح الجهة التي تنتمي إليها (*المرآة والمرقي* مثلا)، مما وسع من دائرة الخرق بين عدد من الشيوخ الصوفيين... وفي اعتقادنا أنه لا يخرج عن دائرة التنازع على الخلافة الصوفية، وهذا ما أبرزته الرسائل والمكاتبات التي صدرت عن الفريقين، وإن كنا لا نطمئن إلى بعض ما جاء فيها لما شابها من زيادة ونقصان..

ويؤثر عنه كلام عال في المعارف والحقائق جله ملحون هو خلاصة تجربته العرفانية وزبدة معارجه الروحانية في سماء القرب. وقد خصص صاحب *المرقي* فصلاً في ذكر شيء من كلام سيدي محمد الشرقي (من ص. 497 إلى ص. 503)، علاوة على *ديوان صغير* جمعت فيه بعض ملحوناته (يقع في عشرين ورقة، مسجل في لوائح الخزانة العامة بالرباط عدد 3027 ك)، إضافة إلى مخاطباته ومكاتباته مع أهل زمانه مثل الشيخ أبي الطيب صاحب ميسور (*يتيمة*، 238) وأبي المحاسن الفاسي (*يتيمة*، 239)، وأحمد بن امبارك التستاوتي (*يتيمة*، 236)...

توفي سيدي محمد الشرقي في اليوم الأخير من ذي الحجة عام تسعة وألف ودفن في اليوم الأول من المحرم فاتح 1010/ 2 يوليوز 1601 بين صلاة الظهر والعصر، عن سن تناهز 86 سنة.

ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، 212، ص. 216، مرقونة ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة*، ص. 49 ؛ *ممتع*، 11 ؛ الصومعي، *التشوف الصغير*، ورقة 86، 1103 د ؛ الإفراني، *صفوة من انتشر*، ص. 25 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 80 ـ 81 ؛ *الإكليل والتاج*، ص. 305 ـ 306، مرقونة ؛ م. العربي القادري، *الطرفة*، ص. 5، 2254 د ؛ ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، ص. 249 ـ 368، مرقونة ؛ العروسي، *المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي*، موضوع فيه، خ. ع 1911 د ؛ العبدوني، *يتيمة العقود الوسطى*، 230 ـ 269 ـ 273، خ. ع 305 ك ؛ المعداني، *الروض اليانع الفاتح*، 433 ـ 455، ومواضع أخرى، خ. ع 86 ج ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1: 193 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 5 : 193 ـ 194 ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، ج 5 : 474 ؛ ل. بروفنسال، *مؤرخو الشرفا*، ص. 300 ؛ أ. بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، 1 : 43 ؛ أ. عمالك، مادة تيغريت، *معلمة المغرب*، 8 : 2709 ـ 2710 ؛ م. عريوش، *أبو القاسم الصومعي*، ص. Cimetière, *Notice sur Boujad R.M.M.*, 7e année, Sept. 1913, Vol. 24 ; Niegel, *La Medersa et ls bibliothèques de Boujad, R.M.M.*, 7e année, Sept. 1913, Vol. 24.

عبد المجيد بوكاري

**الشرقي** (ابن -) **الحُصَري**، أحمد بن محمد المراكشي ينحدر سلفه من قبيلة أكلاوة بالأطلس الكبير، وأما هو فمراكشي المولد والنشأة والوفاة، ففي مدينة مراكش حفظ القرآن وتلقى تعليمه في مدارسها التي منها مدرسة الباشا ثم المدرسة الحرة للفقيه عبد القادر المسفيوي، وحضر دروس محمد المختار السوسي بمدرسته بحي الرميلة كما تابع بصفة اختيارية دراسته بكلية ابن يوسف قبل أن يشملها النظام التربوي سنة 1938، فكان جل أساتذته من رواد الحركة الوطنية التي عمت تنظيماتها جل حواضر المغرب وفي طليعتها مراكش التي واجه شبابها وشيبها وطلبتها وعلماؤها جبروت سلطات الحماية من تعذيب ومحاكمة وسجن ونفي فنال المرحوم أحمد ابن الشرقي ما ناله رفاقه في الكفاح من الممارسات العدوانية الاستعمارية، فعرفته مراكش شابا وكهلا وشيخا بوطنيته الصادقة ووجدت فيه مربيا محنكا وموظفا نزيها ومستشاراً مستقيما في أول مجلسها البلدي، ورأت فيها باحثا مدققا في تاريخها وحضارتها وملما بمعرفة اشهر بيوتاتها وراوية ثقة لمسار الحركة الوطنية بصفة عامة والحركة القومية وحزب الشورى والاستقلال بصفة خاصة فكان المراكشيون يقدرون نشاطه في المجال السياسي

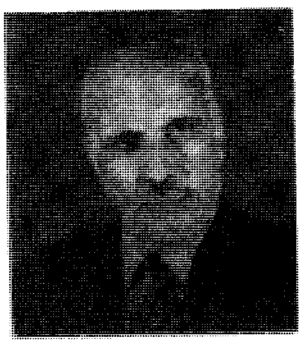

ويعتبرونه من الوطنيين القلائل الذين سعوا لتأسيس التنظيم السياسي بمراكش وبث النوعية في مختلف الأوساط الاجتماعية غير مبال بمراقبة الشرطة السرية لنشاطه الدؤوب وأسفاره المتعددة بين الدار البيضاء والرباط وفاس لحضور اجتماعات القيادة الوطنية وفروعها فكان من جملة المناضلين الذين ألقي عليهم القبض في أواخر أكتوبر 1937 وحكم عليه بالسجن سنة نافذة قضاها بسجن بوالمهاريز بمراكش وبعد اطلاق سراحه امتهن التجارة ولما أعلن عن تأسيس حزب الشورى والاستقلال سنة 1946 سعى لفتح فرع له بمراكش وضم إليه نخبة من الطلاب والمثقفين ثم بدا له أن يترك التجارة ويكرس جهوده للتدريس بالتعليم الحر فاشتغل معلما بالمدرسة العبدلاوية إلى صيف 1953 حيث امتدت يد المستعمر إلى العرش المغربي ونفي الملك محمد الخامس وفي نفس الوقت عمدت السلطات المحلية إلى تحويل المدارس الحرة إلى مدارس حكومية وطرد هيئة التعليم الحر منها.

فاضطر ابن الشرقي إلى مغادرة مراكش والعمل بمدرسة الأميرة عائشة بسلا نيابة عن مديرها الحاج أحمد معنينو الذي حكمت عليه المحكمة العسكرية الفرنسية بالدار البيضاء بـ 18 شهراً حبساً نافذاً.

ولما انتهت الأزمة المغربية وعاد الملك إلى عاصمته الرباط رجع ابن الشرقي إلى مراكش وتولى الإشراف على مكتب حزب الشورى والاستقلال وبعدما تأسست أول حكومة مغربية في دجنبر 1955 عين نائبا لمندوب الشبيبة والرياضة ثم انتقل إلى ورزازات كمندوب لنفس الوزارة وفي سنة 1960 عاد إلى مراكش موظفا بنفس المندوبية فقام بعدة مهام تربوية وثقافية واجتماعية منها إشرافه على مركز الملاحظة أي إعادة التربية للأطفال المنحرفين ومنها إشرافه على النادي الثقافي وعضويته في مكتب مأوى الشباب وحضوره الفعال في مهرجانات الشباب حيث كان شغوفا بالأسفار سواء داخل المغرب أو خارجه وعلاوة على مهامه الإدارية ومساهمته التطوعية في النشاط الجمعوي فقد ظل حريصا على الوفاء للوطن والعمل على تقدمه فشارك في الانتخابات البلدية بنجاح سنة 1960 وتم انتخابه عضواً في المكتب بصفته النائب الأول للرئيس الأستاذ محمد بوستة فكان مثالا للنزاهة والاستقامة. وبعد تقاعده تفرغ للبحث في تاريخ مراكش فألف كتاباً في جزئين تحت عنوان *ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش*. وبلغت مراجع بحثه باللغة العربية 26 منها 23 مرجعا مغربيا ومرجع أندلسي هو *المقتبس* لابن حيان واثنان للمشارقة هما *الكامل في التاريخ* لابن الأثير وظهر الإسلام لأحمد أمين. وأما مراجعه بالفرنسية فتصل إلى 31 موزعة بين الرحالين والمؤرخين والأثريين وعلماء الاجتماع وقد تناول في بحثه المحيط المراكشي بدءاً من العهد المرابطي ومنتهيا باسترداد المغرب استقلاله وكان بود المؤلف متابعة بحثه ولكن المرض ألزمه الفراش إلى أن توفي بتاريخ 24 رجب عام 1417/5 دجنبر 1996 عن سن يناهز السابعة والسبعين.

*روايات شفوية عن أصدقاء المترجم* ؛ أ. ابن الشرقي نفسه، *ارتسامات معطيات تاريخية حول مدينة مراكش*؛ أ. معنينو، *ذكريات*، 4 : 49.

محمد ماگامان

**الشرقي، الشاذلي** بن المفضل العمري، عالم فاضل، صالح كامل، صاحب الضريح الشهير بحي الجزاء بالرباط. كان من العلماء الصالحين المجابي الدعوة، ومن ذوي الكرامات والمتبرك بهم أحياء وأمواتا، وقد توفي في أوائل القرن الثالث عشر (19 م).

دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 85.

حسن أميلي

**الشرقي، العربي** بن المعطى بن الصالح العمري التادلي حفيد الشيخ سيدي بوعبيد. حفظ القرآن على يد الفقيه المحجوب المساوي، وأخذ النحو والتوحيد والفقه عن الشيخين محمد بن بلقاسم السجلماسي صاحب *العمل الرباطي* وشيخ الجماعة بفاس التاودي بن سودة، وأجازه إجازة عامة.

ثم توجه للمشرق بقصد الحج عام 1190 وأخذ عن شيوخ عديدين منهم محمد العقاد الفيومي بجامع الأزهر، ومحمد ابن أحمد الأثري الحنفي وحسن بن علي الجدادي المالكي، وعبد الباسط السنديوني والشيخ محمد مرتضى الزبيدي.

كان للمترجم حظوة عند السلطان المولى سليمان يستشيره في الأمور الجسام ويأخذ بمشورته ويقدر آراءه، غير أن الوشاة أفلحوا في الوشاية به ورموا الشيخ بالميل إلى مناصرة الخارجين على المخزن وإيوائهم.

توفي في شهر جمادى الأولى عام 1234/ فبراير - مارس 1819 متأثراً بأعراض الطاعون الذي اجتاح البلاد في هذا التاريخ.

العربي الشرقاوي، *الفتح الوهبي في مناقب أبي حامد مولانا العربي*، مخطوط : م. التازي، *الكوكب الأسعد*، ص. 18 - 21 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 1: 361، 3 : 179 - 182 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 180 - 184 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 133 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 7 : 2503 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2: 778 - 781 ؛ رسالة مولاي سليمان لسيدي العربي بن المعطي، خ. ع 1264 د (ص 361 - 365) ؛ رسالة مولاي سليمان إلى أبناء الشيخ العربي بن المعطي يعزيهم في وفاة والدهم عام 1234 (خ. ع. 147 ج، ص. 220).

*Villes et tribus : Casablanca et sa région*, Paris, 1915. Tome I, 226 ; Tome II, 182, 183, 230, 295 ; Eicklman, *Quelques aspects de l'organisation politique et économique d'une zawia marocaine au XIX siècle : un essai socio- historique*, p. 44, *B.S.H.M.*, N° 45, 1971-1973, Rabat.

**الشرقي، الغزواني** بن الشيخ سيدي بوعبيد (بوشاقور) كان عالما عاملا، تفقه في العلم الظاهر على الفقيه الأجل أبي العباس أحمد المنجور بمدينة فاس.

وتحكي أدبيات المناقب الشرقاوية عن رحلة الفتى الشرقي بحثاً عن طبيب مداو يشير عليه في دواء الروح، فانطلق في رحلته تلك يجوب الدنيا على أولياء الله في وقته، ويقطع في زيارتهم الفيافي والأوطان، وكل من وصل إليه منهم ورغبه في قضاء مراده يرده إلى وطنه وبلاده ويقول له: أنت ولد الشيخ الشرقي وحاجتك عند أبيك فارجع إلى دارك ولذ بأبيك في قضاء مآربك وأوطارك.

وذكروا أن سيدي الغزواني رحل إلى سلا لملاقاة سيدي عبد الله ابن حسون، وفي *"المرقي"* أنه تلقاه بباب المصلّى من سلا فرده من هناك إلى والده (*المرقي*، ص. 456). فرجع إلى أبيه بحنين وأنين.

له رباعيات زجلية كثيرة حاور ببعضها والده الشيخ وأحد إخوته.

توفي الغزواني بعد زمن يسير من ولايته خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر (17 م) ودفن بروضة رجال الميعاد ببجعد في موقع الزاوية الأول على بعد بضع كلمترات من بجعد الحالي. وقد أعيد ترميم روضته بمبادرة من أحد حفدته.

العروسي، *المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي*، ص. 457 (1911 د) ؛ العبدوني، *يتيمة العقود الوسطى في مناقب سيدي محمد المعطي*، ص. 86 (305 ك) ؛ ع. بن بنداود الشرقي، *الفتح الوهبي في مناقب مولانا أبي المواهب مولانا العربي*، ص. 234 - 239 (2312 ك).

عبد المجيد بوكاري

**الشرقي محمد** بن **صالح**، مقاوم وُلد سنة 1931 بقبيلة السلالمة الفقري أولاد سي عبد النبي إقليم خريبگة من والديه محمد بن صالح وحادة بنت قدور، وقد كان وطنيا غيورا، استرخص أعز ماالديه من أجل تحرير وطنه فانضم إلى تشكيلة فدائية بالإقليم تحت مسؤولية السيد المعطي، وكان ضمن هذه الجماعة يحرر المناشير ويسلمها للمكلفين بتوزيعها ويبعث برسائل التهديد إلى المتعاونين مع الاستعمار وكان يحث على مقاطعة بضائع المستعمر.

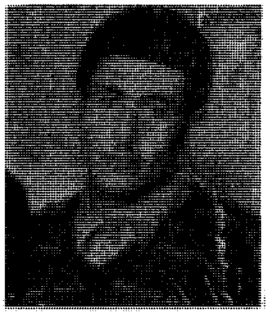

وفي يوم 20 غشت 1955 كان من بين أوائل المشاركين في مظاهرة وادي زم حيث قام بعدة أعمال تخريبية منها

تحطيم أعمدة الهاتف وإضرام الحرائق وقد استشهد يوم 21 غشت 1955 رميا بالرصاص بعدما قتل اثنين من المستعمرين.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم 525146.

**الشرقي، محمد المُعطَى** بن الصالح العمري البجعدي، مؤلف *الذخيرة*. بلغت الزاوية في عهده أوج ازدهارها وأدركت شأوا بعيدا في تادلا وخارجها، وحققت ثراء كبيرا ساهم في تكريس وجودها وإشعاعها.

وتحت رعاية والده تفقه في العلوم حفظا وفهما، فقرأ النحو والتوحيد والفقه على أبيه وعمه سيدي محمد بن المعطي، والأصول والبيان على الفقيه أحمد بن زاكور الفاسي، وعلم التصريف والحساب على الفقيه محمد الطيب الفيلالي، والحديث والتفسير والسير على الفقيه العافية الصومعي، وقرأ الطب على الفقيه عبد القادر بن شقرون المكناسي، والتصوف على أحمد بن حم السريفي بإذن من والده.

وتدل أحواله وأخباره على افتتانه القوي بالرسول صلى الله عليم وسلم ومحبته العميقة لذاته الشريفة، إذ كان ممن لهم القدم الراسخ والثناء الشامخ والمقام العلي الباذخ في محبته الفائقة وخدمته الشريفة، ليس له ما يشغله عنها ولا عنده ما يلهيه ولا يبعده منها، فقد كانت غيبته فيه صلى الله عليه وسلم تامه، ونفحته فيه مستغرقة عامة، ولا يستهتر إلا بذكره ولا يأنس إلا بمدحه وفخره، ولا يفنى إلا فيه، ولا يفيق إلا عند شم عطره، فبمدحه... تطيب أحواله، وبالصلاة عليه تنتعش أوصاله، روحه في جماله هائمه، وأنفاسه في بحور أوصافه عائمه، وهو الذي حق له أن يقول: "لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما أعددت نفسي من المسلمين..." (*يتيمة*، ص. 305).

وينقل في *اختصار اليتيمة* عن أحدهم في وصف حال الشيخ "قد كان... دائما في مقام الجلال، ولا تجده إلا في حالة القبض وكثرة خوفه ووجله من الله، ولا يجد راحة إلا إذا كانت المبيضة في يده يملي على الناسخ ما يكتب من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فتجده في تلك الحالة فرحا مسرورا، ولا يفتر عن ذلك إلا إذا قام يتوضأ..." (*اختصار*، ورقة 71 ظ).

ألف *ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج*، شرع في تأليفه في أعوام الخمسين من القرن الثاني عشر (18 م)، وهو أعظم كتاب في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. قال عنه الحضيكي: "وهو كتاب جليل عجيب لا نظير له في بابه" (*طبقات*، ص. 312).

وتوجد من هذا الكتاب أسفار كثيرة في الخزانات المغربية عامة وخاصة، وقد حصرنا من هذه المجموعات جملة وافرة قاربت الستين (56 سفرا) دون المكرر منها وهو كثير، مما يظهر قيمة الكتاب وصورة تداوله في زمان المؤلف وبعده.

وأغلب هذه المجموعات توجد في خ.ع. وخ.ح.، وتوجد مجموعة أخرى بخزائن متفرقة كالخزانة الصبيحية بسلا (11 سفرا) وخزانة علال الفاسي بالرباط وخزانة المسجد الكبير بوزان، وخزانة القرويين بفاس... هذا علاوة على مجموعة نفيسة منه بخزائن الأسر الشرقاوية ببجعد والرباط وسلا والبيضاء وغيرها.

وقد خصصت أحباس لقراءة كتاب *الذخيرة*، منذ عصر المؤلف، بزوايا ومساجد المغرب كما في بجعد ومكناس وفاس ومراكش وسلا...

توفي محمد المعطى عام 1767.66/1180، ودفن بضريح يثوي جثمان رفيقه وكاتبه محمد بن عبد الكريم العبدوني.

العبدوني، *يتيمة العقود الوسطى في مناقب محمد المعطى*، خ. ع. 305ك ؛ المكي بن المعطى، *اختصار يتيمة العقود الوسطى* (509 ج)؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 277، 278 ؛ *التقاط*، 2 : 446 ؛ *فهرس العميري*، ص. 197 (1361 ك)، خ. ع.؛ *فهرس التاودي بن سودة*، ورقة 40 ظ (163 د) خ. ع. ؛ الحضيكي، *فهرسة*، ص. 29، 30 (4582 د) خ. ع. ؛ *طبقات*، تح. م. بومزكو، ص. 312، (ترجمة 508)، مرقونة ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*، تح. أ. عمالك، ص. 383 ـ 390، مرقونة ؛ الزياني، *جمهرة التيجان*، ص. 230 (2839 د)، خ. ع. ؛ الحوات، *الروضة المقصودة*، ج. 2 : 510 ـ 512 ؛ ع. بنسودة، *إتحاف المطالع*، ضمن موسوعة *أعلام المغرب*، ج. 7 : 2387 ؛ ع. الفاسي، *تذكرة المحسنين*، ضمن *الموسوعة*، ج. 7 : 2390 ؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج. 1 : 780 ؛ *سلوة الأنفاس*، ج. 1 : 193 ؛ ليفي بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، ص. 236 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب*، ص. 288 ـ 290، (والهامش 42) ؛ أحمد بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، ج. 1 : 108 ـ 110 ؛ فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط، مج 5/ 282 ـ 283 ؛ م. حجي، *فهرس الخزانة الصبيحية بسلا*، ،ص. 255 ؛ *إسهام المغاربة في كتابة السيرة النبوية*: نموذج كتاب *الذخيرة* لمحمد المعطى بن الصالح الشرقاوي، ص. 57 ـ 65 ضمن ندوة مدينة أبي الجعد: *الذاكرة والمستقبل* (1995) ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، ص. 133.

Niegle, *La Médersa et les bibliothèques de Boujad*, *R.M.M.*, 7e année, septembre 1913, vol. XXIX ; L. Benjelloun Laroui, *Les bibliothèques du Maroc*, Rabat.

عبد المجيد بوكاري

**الشرقي، مَحمد مفضل** (سيدي -) بن أحمد العمري، يعرف بـ "مُولْ الكُمري" درس بفاس على شيوخها وبخاصة الأستاذ المؤلف المكثر عبد الرحمن ابن القاضي (ت. 1082/ 71 ـ 1672) أخذ عنه القراءات السبع وأجازه فيها، وسلك طريق التصوف على يد مريد والده الصالح محمد الحفيان الرتبي السجلماسي، وتخرّج على يده كثير من القرّاء والمريدين. وكان كثير الإطعام في زاوية جده ببجعد.

انتقل إلى سلا، في تاريخ غير محدود وسكن في ضاحيتها سائراً على نهجه في الإقراء والتربية. وحلاه المؤرخ ابن علي السلاوي في الاتحاف بالقاضي "وقد اشتهر قدره في الناس كثيراً، وكان يفرّ من ذلك، وإذا سأله أحد أن يتخذه

شيخاً يقول: نحن إخوة في الله، والدرهم الكامل ينفق منه" (*استقصا*، 7 : 103).

وكان له كلام كثير على طريق العروبي الملحون خاطب به الرئيس محمد الحاج الدلائي حين دخلت مدينة سلا تحت سلطة الدلائيين وللشيخ محمد مفضل نفوذ روحي فيها. مشت الوشاة بينهما، وجرت بينهما مكاتبات ومعاتبات.

توفي بأحواز سلا سنة 1071/ 60 . 1661 فحمل إلى المدينة ودفن بالطالعة قرب الجامع الأعظم وقبره مزارة مشهورة.

أ. التستاوتي، *اختصار ممتع الأسماع*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1955، ج 7 : 103 . 140 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ص. 121.

محمد حجي

**الشّرگ**، مصطلح سوسي يعني الجهة الشرقية من بلاد سوس بين منحدرات الأطلس الصغير الجنوبية وجبل باني الغربي والأوسط. اختلف حول منطلقه هل هو مركز بويزكارن أم مركز تاغجيجت، وتميل الرواية المحلية إلى هذا الأخير، بالمقابل حُسم في منتهاه وهو مجرى وادي درعة الأوسط. واستعمل بعضهم بدله مصطلح "القبلة"، بيد أن مجالها أعمّ يشمل الجنوب برمته.

أما حين نعتمد شواهد محلية مدونة، فقد أدرج محمد بن الحسين أوهاشم الإيليغي في رسالته إلى المركز بتاريخ 29 جمادى الأولى 1307 منطقتي تندوف والسودان الغربي في أخبار الشرگ.

بيد أن الإگراري تحدث عن مواقع كثيرة جنوب بويزكارن ولم يقترن المصطلح إلا بمركزين: تمنارت وأقا.

وأثناء الاحتكاك بالواقع، لاحظنا أن التغاجيجتيين والتمنارتيين يتحاشون الانتماء إلى الشرگ، ويذهبون إلى أن المقصود به ما وراء تيزگي ييريغن نحو طاطا وتسينت. وعليه تحمل الكلمة حمولة ثقافية في ذهن المحليّين وبها تتنابز القبائل بينها.

م. الإگراري، *روضة الأفنان*، تح. حمدي أنوش، أگادير، ص. 106 . 119 . 138 . 310 ؛ *وثائق خ. ح* ؛ *بحث للطلبة* بكلية الآداب، ابن زهر.

V. Monteil, *Notes sur Tekna*, p. 33.

شفيق أرفاگ

**الشرگي**، رياح محلية قارية حارة وجافة تهب على المغرب من حين لآخر وهي ذات اتجاه شرقي عموما لذلك تسمى بالشركي في المتداول المغربي والذي يميزها عن ما يسمى بالغربي والمقصود به الهواء الرطب أو المعتدل الحرارة والآتي من المحيط.

ورياح الشركي تظهر عموما في كل الفصول تقريبا لكن وثيرتها تزداد خاصة ما بين نهاية الربيع ونهاية الصيف، هبوبها من الشرق إلى الغرب يكسبها حرارة وجفافاً إضافيين بسبب خضوعها لظاهرة "الفوهن" والمترتبة عن الإرتفاع والنزول الاضطراري للهواء أثناء تخطيه لسلسلة جبال الأطلس المتوسط والكبير، فارتفاع الهواء المنقول بواسطة هذه الرياح فوق السفوح الشرقية أو الجنوبية الشرقية لهذه السلسلة يجعله يخضع للقاعدة العامة لإرتفاع الهواء مما سيجعله يتبرد ذاتيا نسبيا نتيجة لتباعد جزئيات هذا الهواء عن بعضها البعض وعند النزول الاضطراري لهذا الهواء على السفح الموالي فإن جزيئاته تنضغط وتصطدم أكثر فيما بينها مما يجعله يزداد حرارة وجفافا لاسيما وأن الهواء المنقول عبر رياح الشركي هو أصلا حار وجاف نظراً لطبيعة أصله الصحراوي الجاف لكن خضوعه لظاهرة "الفوهن" يزيد من حرارته وجفافه لذلك يلاحظ عادة تفاوت كبير في الحرارة والرطوبة ما بين السفوح الشرقية والمناطق الأطلسية الغربية وخاصة الساحلية منها.

وهذه الرياح تسببها وضعيات جوية محددة يمكن تلخيصها في أربع حالات متميزة.

الوضعية الأولى وهي التي يكون فيها المغرب موجوداً عند الهوامش الجنوبية لخلية الضغط المرتفع والممتد نطاقيا من جزر الأصور إلى سواحل شمال حوض البحر الأبيض المتوسط وأوروبا الغربية مما يعني أن الهواء الذي يهم المغرب يأتيه من الشرق أو من الشمال الشرقي وهو عادة هواء صحراوي تكون فوق المناطق الجافة والقاحلة لشمال إفريقيا.

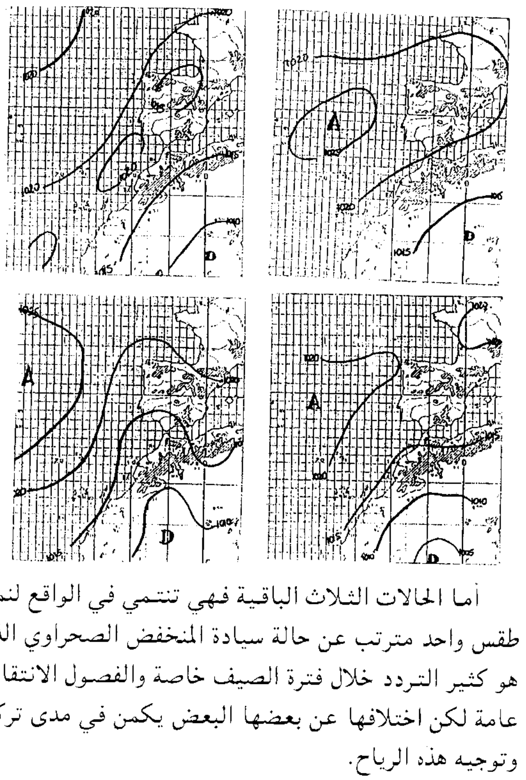

أما الحالات الثلاث الباقية فهي تنتمي في الواقع لنمط طقس واحد مترتب عن حالة سيادة المنخفض الصحراوي الذي هو كثير التردد خلال فترة الصيف خاصة والفصول الانتقالية عامة لكن اختلافها عن بعضها البعض يكمن في مدى تركيز وتوجيه هذه الرياح.

الحالة الأولى وهي ما يمكن تسميته بحالة طقس المنخفض الصحراوي ذي الممال الضعيف والذي يسفر عموما عن اقتصار تركيز رياح الشرگي على المناطق الجنوبية بصفة

خاصة بينما تتميز الحالة الثانية بكونها ذات مَال قوي يجعل حقل انتشار هذه الرياح يشمل أيضاً وبدرجة أكبر هذه المرة المناطق الشمالية مما يعني أن الحرارة خلاله ترتفع ويزداد جفاف الهواء أثناءها أكثر في المناطق الشمالية وخاصة منها المناطق الساحلية. في حين أن الحالة الثالثة يأتي تميُّزها من هبوب رياح الشركي هذه المرة من الجنوب الشرقي وهي وإن كانت ذات نسبة تردد جد إستثنائية إلا أن حدوثها يقترن وتسجيل أرقام قياسية للحرارة في المغرب وخاصة في مناطق السهول الداخلية كسهل الغرب وتادلة والحوز.

تأثير هذه الرياح في المغرب يبقى نسبيا محدوداً لكونها ذات ترددات شديدة التغير من سنة لأخرى لكن بوجه عام تبقى المناطق الساحلية الجنوبية انطلاقا من أسفي المنطقة التي تعرف أكبر نسب لتردد رياح الشركي بينما لا تكاد تقتصر في الشمال على المنطقة حول القنيطرة.

وعموماً تحمل رياح الشركي معها بوادر نهايتها في المناطق الساحلية بالذات حيث لا تعمر هناك أكثر من يومين إلى ثلاثة أيام بينما يمكنها أن تدوم أكثر من أسبوع في المناطق الداخلية ومرد ذلك إلى أن رفعها لحرارة المناطق الساحلية بشكل بارز ينجم عنه خلق تناقض هام ما بين حرارة القارة والبحر ينشط على إثره مفعول ما يسمى بنسيم البحر الذي يحمل عبر تيارات هوائية أفقية من البحر إلى القارة تأثيرات المحيط النوعية والجد ملطفة للحرارة والذي ينهي فعلها الآثار المحرقة والمجففة لرياح الشركي عند المناطق الساحلية.

علي البليشي

**الشركي، البشير** بن السناح يُعدُّ هذا الرجل من أبرز القواد العسكريين الذين تميزوا في صفوف فرقة گيش شراگة وأولاد جامع، بل في صفوف المغرب برمّته، أواخر القرن الثالث عشر (19 م)وبداية القرن العشرين. وقد أشارت إليه مصادرنا العربية والأجنبية، في سياق الحديث عن فتنة الفتان الجيلاني بن عبد السلام الزرهوني المدعو الروگي بوحمارة، وعن أعمال الاغتصاب والسطو التي كان يقترفها في منطقة فحص طنجة، المغامر الخطير أحمد الريسوني.

كان البشير واحداً من القادة العسكريين الذين ظل يعوّل عليهم السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن، من أجل إخماد فتنة الروگي بوحمارة. ففي مطلع سنة 1903، حلَّ بمدينة مليلية السليبة، عن طريق البحر، الأمير مولاي عرفة بن محمد، عم السلطان عبد العزيز، على رأس كتيبة من الجيش المغربي، بهدف تعزيز ودعم صفوف القوات المخزنية المرابطة بمنطقة گلعية وقصبة جنادة، بقيادة المترجم، قادماً لها من مدينة طنجة على متن السفينة المغربية "التركي". وبالمناسبة قام ربان هذه الأخيرة، الألماني ليونهارد كارو Leonhard Karow، بزيارة مجاملة وتعرف على القائد البشير، وترك لنا ارتساماته وانطباعاته عن هذا الرجل.

أجل، إن ما يهمنا، في المقام الأول، من هذه الشهادة، هو إعطاء فكرة، ولو تقريبية، عن تاريخ ولادة مترجمنا والذي قد يكون من مواليد العقد الرابع أو الخامس من القرن التاسع عشر، أي أن سنه في الوقت الذي التقى به، أول مرة مع الربان الألماني، كان يتراوح ما بين خمسين وستين سنة.

ويذكر محمد المختار السوسي، في *المعسول*، في سياق الترجمة التي أفردها للقائد الناجم بن مبارك الأخصاصي الدليمي الشرادي، أن البشير بن السناح الشرگي، كان من القادة العسكريين الأوائل الذين كلفهم السلطان بالقضاء على فتنة بوحمارة، وذلك منذ اشتعالها أواخر شهر أكتوبر من سنة 1902، إلى جانب قواد مرموقين من العسكر والگيش، كالقائد يرعى السباعي، ومحمد بن العربي بن حم البخاري، والجيلاني الشرادي، وصالح الزمراني، وأحمد المنبهي ...

ونجد لمترجمنا ذكراً أيضاً في الوثائق المخزنية. فقد ورد ذكره في مجموعة منها، بمناسبة توجهه، إلى جانب الأغوات القائد عبد السلام بن الراضي الحسناوي، والقائدين الناجم وصالح الزمراني السالفي الذكر، والقائد مولاي عمر المراكشي، والقائد ولد الحاج المعطي التادلاوي، وإلى سوس في خريف سنة 1896، في رفقة الأمير مولاي عثمان بن محمد، الخليفة السلطاني حتى هذا التاريخ بمدينة مراكش، والباشا الشهير حم بن الجيلاني البخاري.

وفي بداية صيف سنة 1903، زادت وضعية المخزن سوءاً وحرجا، على إثر اختطاف الصحافي الجاسوس و. ب هاريس (William Burton Harris) بالقرب من قرية زينات بمنطقة جبالة، معقل الريسوني وذلك في 16 يونيو 1903.

وقد تزامن هذا الحدث مع وصول السفينة "التركي" وربانها الألماني إلى ساحل قبيلة گلعية. وهذه المرة أيضاً، التقى كارو بصديقه القائد البشير الذي أكرم وفادته، جريا على عادته في الاعتناء والترحيب بضيوفه. إلا أن الرجل بدا له هذه المرة مهموماً، وغير راض عن السلطان ولا عن أعوانه الكبار، متهما إياهم بالتقصير في أداء مهامهم والتهاون في تدبير شؤون البلاد، كما تشكى له من ظاهرة التهريب وتسرب الأسلحة النارية الحديثة إلى هذه المناطق، عن طريق الجيوب الإسبانية في الشمال، والإيالة الجزائرية في الجهة الشمالية الشرقية، إلى درجة أن المتمردين وأهالي قبائل الريف على الخصوص، أصبحوا الآن مسلحين ببنادق متطورة وحديثة الصنع كالموزر مثلا من نوع سنة 1886 (Mauser)، في حين لم يعد في يد الجند ومقاتلي المخزن من أبناء القبائل سوى بندقية شاسبو (Chassepot) القديمة من نوع سنة 1873.

وأيا كان الأمر، فقد استمر المترجم على هذه الحال، في مواجهة الروگي بوحمارة وأتباعه، تارة في منطقة گلعية، وتارة أخرى في وجدة وناحيتها، مدة سنتين على الأقل بعد هذا التاريخ، أي حتى أواخر سنة 1905. وكأن الستار قد أسدل عن مرحلة أولى، أصيب المخزن عند انتهائها بخيبة أمل كبيرة، بعد أن عجزت قواته وفشلت مساعيه في إنهاء

الفتنة، لتبتدئ مرحلة أخرى، ظهرت خلالها وجوهٌ جديدة اقتصر الحديث عنها في مصادرنا، كالباشا عبد الرحمن بن عبد الصادق الريفي الذي عوّض الحاجب والأمين أحمد الركينة التطواني في مهام المشرف السياسي والعسكري العام على القوات المخزنية في المنطقة الشرقية، اعتباراً من أواخر شهر يوليو 1904، والباشا أحمد بن كروم الجبوري البخاري، عامل وجدة وكبير واحدة من المحال الثلاث التي كان رجالها يناوشون الروگي القتال، والقائد الأغا أحمد المنبهي الحراب، فضلا عن الشريفين من قرابة السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن، بوبكر بن الشريف ومصطفى بن عبد الرحمن.

وهذا ما يسمح بالتأكيد على أن الرجل لم يكن حاضراً في الهجوم الأخير الذي شنته القوات المخزنية على الثائر في مكان اختبائه بزاوية مولاي عمران بقبيلة بني مستارة بمنطقة جبالة، وذلك في 22 غشت 1909، أدّى إلى اعتقاله وإنهاء فتنته وإراحة البلاد والعباد من مشاكله وأضراره. ثم إننا لا ندري هل كان المترجم، في التاريخ، حياً يرزق، أم أنه قد فارق الحياة، بعد أن أبلى البلاء الحسن في خدمة المخزن، والدفاع عن مؤسساته.

خ. ح، *محفظات مولاي عبد العزيز بن الحسن*، كناش رقم 763 ؛ *وثائق وزارة الحرب بفانسين* (A.G.V.)، *محفظات* رقم : 3h14, 3h15, 3h16, 3h17... ؛ ع. الوهاب بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، المطبعة الملكية، الرباط، 1979، ج 1، ص. 303 وما بعدها؛ م. بن الحسن الثعالبي الفاسي الحجوي، *انتحار المغرب الأقصى بيد ثوارد*، مخ. خ. ع. ر. رقم ح 123 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء، 1961، ج 20، ص. 5 وما بعدها.

Leonhard Karow, *Neuf années au service du Maroc*, Trad. et note de M. et J.-L Miège, Rabat, 1998.

**الشركي، العباس** ولد بًا مُحمد، ينتمي هذا الرجل إلى إحدى كبريات الأسر المخزنية في مغرب القرن الثالث عشر (19 م). فقد اختص في الفترة الممتدة ما بين اعتلاء السلطان محمد بن عبد الرحمن العلوي عرش البلاد سنة 1859 وسنة 1912، بالإشراف على شؤون گيش شراگة وأولاد جامع من جهة، وباشوية فاس الجديد من جهة أخرى، فضلا عما كان يُسند إليها من مهام ومأموريات، بين الفينة والأخرى، كالولاية على مدن أخرى وقبائل في جوار مدينتي فاس ومكناس، كالبهاليل أو الزراهنة مثلا، وكقيادة الحركات والحملات العسكرية في مناطق الشمال على الخصوص، أو القيام بعمليات خرص حبوب عدد من القبائل هنا وهناك، وكلها خدمات كان السلاطين يكلفون بإنجازها ثلة من أعوانهم الكبار الذين كانوا تثقون فيهم ويعتمدون على خبرتهم، ونباهتهم وحزمهم، حتى يحصل المراد في أحسن الظروف.

ويرجع الفضل في كسب هذه الأسرة شهرتها المعهودة ومكانتها المرموقة في الجهاز المخزني إلى سلف المترجَم، الباشا محمد بن عبد الكريم الشرگي الذي قال عنه السلطان محمد بن عبد الرحمن، في رسالة اعتماده سفيرا لدى نابوليون الثالث (Napoléon III)، أمبراطور فرنسا، والرسالة بتاريخ 22 ربيع الثاني 14/1282 شتنبر 1865، ما يلي: «...وبموجب ذلك، عيّنّا للسفارة لديكم خالنا الأرضى الأنجد القائد محمد بن عبد الكريم الشرقي، وهو أحد باشات جيشنا ومن كبار رجال دولتنا مع ما تشرف به من قرابة الرحم لدينا...».

ويبدو أن المترجَم كان له قدر من الإلمام بمبادئ اللغة العربية، بعد أن تمكن ولا شك، في مرحلة أولى من تعلمه، من حفظ القرآن الكريم، إذ حلاه السلطان المولى الحسن (1290-1873/1311-1894) بـ«الخديم الطالب»، في رسالة وجهها إلى المصدق العوني، أحد قواد قبيلة دكالة، يُخبره فيها بورود العباس ولد أبَّ مُحمد عليه، للإشراف على عملية خرص حبوب إيالته، برسم سنة 1892/1310- 1893.

ولكن يبدو أن صاحبنا لم يكن دائما يحسن التصرف مع الغير، إذ كان يترك العنان أحيانا لنزواته وأطماعه، عابثا بممتلكات الغير، مما كان يؤدي إلى تعالي أصوات المتضررين من ممارساته، مطالبين بوضع حد لأذاه وضوره. وهذا ما تسمح مصادرنا بتلمس جوانب منه، نكتفي هنا بسوق حالتين إثنين، متباعدتين نسبيا في الزمان والمكان، ولكنهما تكتسيان دلالة خاصة بالنسبة لما ذهبنا إليه. فأما الحالة الأولى فقد تضمنتها رسالة الوزير الصدر أحمد بن موسى إلى المترجَم نفسه، وهي بتاريخ 25 جمادى الأولى 22/1315 أكتوبر 1897، في وقت كانت المحال السلطانية منتشرة في أراضي قبيلة الأعشاش المنتفضة ضد المخزن.

وأما الحالة الثانية، فنستقيها من مصادرنا عن الفترة التي تولى فيها المترجم مهام عمالة وجدة وناحيتها، في الفترة ما بين 26 غشت 1900، تاريخ حلوله بالمنطقة، و3 دجنبر 1901، تاريخ وفاته بها، بعد أن فشل سلفه في هذا المنصب القائد بوبكر بن محمد الحباسي، في فض النزاع المسلح الذي كان قد اندلع بين قبيلتي المهاية والشجع، وأودى بحياة قائد المهاية محمد بن بوبكر السهلي في نهاية سنة 1897.

فمنذ أن حل المترجم بهذه الربوع وهو في صراع ونزاع مع أهلها وبالخصوص سكان مدينة وجدة من جهة، وقبائل بني إزناسن بزعامة قائد قبيلة بني عتيگ بُولَنْوار لهبيل من جهة أخرى. وقد ظل هذا الأخير يوجه رسالة بعد أخرى إلى السلطان المولى عبد العزيز وأعوانه الكبار، متشكيا من سلوك العامل الجديد ومتهماً إيّاه بأنه: «...شدَّد عليهم، وذعرهم من غير جريمة، وبالغ في المكر بهم، وسمع كلام الوُشاة فيهم، وادّعى أنه اشتراهم من السلطان بعشرة آلاف ريال، فطلبوا من السلطان عزله وتولية من شاء عليهم حتى ولو كانت أمَةً، فإنهم يقبلون الخدمة معها...».

توفي بوجدة عاملا عليها سنة 1319 / 1901 .

خ.ح، محفظة رقم 78، وثيقة بتاريخ 9 رمضان 1303/11 يونيو 1886 ؛ خ.ح، محفظة رقم 162، وثيقة بتاريخ 7 صفر 1305/25 أكتوبر 1887 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف، الرباط، 1929-1933، ج. 2، ص. 194-195 ؛ ج. 3، ص. 318، 570 ؛ ج. 5، ص. 228، 235، 264، 499 ؛ ع. الكبير الكتاني، زهر الآس، الدار البيضاء، 2002 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، ط. 2، الدار البيضاء، 1956، ج. 9، ص. 116- 117.

مصطفى الشابي

**الشرگي، محمد** بن **الطيب** الصميلي الفاسي. ثالث ثلاثة من علماء المغرب المبرزين الذين طبقت شهرتهم المغرب والمشرق خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17- 18 م) : هما محمد بن سليمان الروداني والحسن اليوسي (انظرهما في *المعلمة*). وقد وهم الفضيلي في *الدرر البهية* حين عدّ المترجم من آل الشرفي (بالفاء) الأندلسيين.

وُلد محمد الشرگي بفاس عام 1110 / 98 - 1699، ولا يُعرف متى جاء أبوه أو جده إلى مدينة فاس من بلاد شراگة. ولا يبعد أن يكون ذلك في أواخر العقد الثامن أو أوائل التاسع من القرن الحادي عشر (17 م) مع الدلائيين المُغرَّبين إلى فاس لماله من خؤولة فيهم. درس الشرگي في فاس على أخواله الدلائيين وفي مقدمتهم شيخ الجماعة محمد المسناوي الدلائي، وعلى غيرهم أمثال محمد بن عبد القادر الفاسي والعربي بردلة ومحمد عبد السلام بناني، ثم درس على علماء المشرق أثناء رحلاته المتكررة إليه، ومن أشهرهم عبد الباقي الزرقاني وأبو طاهر الكوراني وعمر الباعلوي، وبلغ عدد شيوخه مائة وثمانين.

وأخذ عن الشرگي عدد لا يحصى من نجباء الدارسين بالمغرب والمشرق أمثال حمدون بن محمد بن عبد السلام بناني الذي أجازه الشرگي إجازة عامة ذكر فيها شيوخه المائة والثمانين، وأحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي مؤلف *فتح القدوس في شرح خطبة القاموس* (انظرهما في *المعلمة*). والحافظ مرتضى الزبيدي شارح *القاموس* الذي قال عنه في مقدمة *تاج العروس* : "وهو - الشرگي - عمدتي في هذا الفن، والمقلد جيدي العاطل بحلي تقريره المستحسن ... لا أدعي فيه دعوى فأقول شافهت أو سمعت أو شددت أو رحلت أو أخطأ فلان أو أصاب، أو غلط القائل في الخطاب، فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها شيخنا لقائل مقالا، ولم يُخل لأحد فيها مجالاً".

كان ابن الطيب الشرگي كثير الأسفار لا يكاد يستقر بمكان غرباً وشرقاً، وجاور بالحرم المكي سنتين درّس خلالهما كتب الصحاح الستة وغيرها من أمهات المسانيد، وكان علم الحديث والإسناد تخصصه الثاني بعد متن اللغة وفقهها.

خصص لابن الطيب الشرگي كبار الحفاظ وأصحاب كتاب التراجم ترجمات حافلة، وقال عنه خالد المرادي الدمشقي في *سلك الدرر* : "كان - الشرگي - فرداً من أفراد العالم فضلاً وذكاء، له حافظة قوية وفضله أشهر من أن يذكر". وحلاه الحافظ الكتاني مؤلف *فهرس الفهارس* بالإمام العلامة اللغوي المحدث المسند فخر المغرب على المشرق... نادرة عصره في اتساع الرواية وقوة العارضة ورُزق فيها سعداً مبيناً، وأخذ عنه بالشام والحجاز والعراق ومصر وغيرها من البلاد".

ألف ابن الطيب الشرگي نحو خمسين كتاباً، منها في اللغة حاشيته الكبرى على القاموس المحيط : *إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس* (طبعتها وزارة الأوقاف المغربية سنة 1403 / 1983 في ثلاثة أجزاء) وعلق عليها في *فهرس الفهارس* بأنّ مَنْ طالعها بالدقة يجد أمراً مهولاً من سعة حفظه واستحضاره، وكثرة تآليفه وواسع رحلته. وأعجب ماتجد فيها ما في أولها من أنه ألفها حالة مفارقته لأصوله وكتبه، قال : إلاّ ما علق بالبال، أو علّق في طرس بال... إن هذا الكتاب طُلب منا ونحن في أثناء أسفار ليس معنا من مواده ورقة فضلاً عن أسفار"؛ ومنها حاشية على *المزهر فقه اللغة* لجلال الدين السيوطي سماه *المسفر عن خبايا المزهر*".

وأشهر مؤلفاته في الحديث حاشية على *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري* لأحمد القسطلاني؛ وله رحلتان حجازيتان، وفهرستان تحدث فيهما عن شيوخه ومقروءاته ومروياته، كبرى بعنوان *إقرار العين بإقرار الأثر بعد ذهاب العين*، وصغرى بعنوان : *إرسال الأسانيد وإيصال المصنفات والمسانيد* ؛ وله مصنّفان في التعريف بمعاصريه المغاربة بعنوان *الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب* (يوافق اسمه اسم كتاب محمد العلمي المشهور) والمشارقة : *الأفق المشرق بتراجم من لقيناه بالمشرق*.

جاور ابن الطيب الشرگي في آخر عمره بالمدينة المنورة، حيث وافته المنية سنة 1170 / 56 - 1757.

م. بن الطيب الشرگي، إرسال الأسانيد، مخطوط؛ *إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس*، تح. ع السلام الفاسي والتهامي الراجي، المحمدية، 1983 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، بعناية احسان عباس، بيروت، 1986، ج 2 : 1067 - 1071 ؛ مرتضى الزبيدي، *ألفية السند*، مخطوط ؛ *تاج العروس*، الكويت، ج 1 : أ. الهلالي، *فهرست*، تح. رشيد المصلوت، 1981؛ م. خليل المرادي الدمشقي، *سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر*؛ *الاستانة*، 1291 ؛ ع. المجيد الزبادي، رحلة، مخطوطة ؛ محمد الشوكاني اليمني، *إتحاف الأكابر في إسناد الدفاتر*، حيدر أباد ؛ م. الطالب ابن الحاج، *كناشة*، مخطوطة ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، المحمدية، 1999، ج 2 : 336 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 1300، ج 3 : 52 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية بالمغرب في عهد الدولة العلوية*، الدار البيضاء، 1977، ص. 257 - 264.

**الشرگية، آمنة** بنت الطيب الفاسية، أخت محمد بن الطيب الشرگي سابق الترجمة تدعى يامْنة وتعرف بالعالمة. قال عنها مؤلف *إتحاف المطالع* : "كانت خيرة دينة صالحة متبتلة".

توفيت بفاس في أوائل حجة عام 1187 / أواسط فبراير 1774، ودفنت بالقباب قرب ضريح سيدي العايدي خارج باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2400.

**الشركية، زهرة** بنت محمد، بن موسى الفاسية، زوجة الحسن اليوسي، فقيهة محدثة، أخذت عن زوجها مروياته بسنده المذكور في *فهرسه*، وروى عنها ذلك ابن أخيها محمد بن الطيب الشركي سابق الترجمة وذكرها في *فهرسه*.

م. ابن الطيب الشركي، *إرسال الأسانيد*، مخطوط، ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، باعتناء إحسان عباس، بيروت، 1989 ؛ ج 2 : 1071.

محمد حجي

**الشرن** جنس أسماك بحرية تصنف إلى طائفة شائكات الزعانف وفصيلة الشيميات Carangidae وجنس Trachurus. والشرن كما هو شائع في اللسان المغربي الدارج يدعى أيضاً حينكا في الصويرة وصوريل في الدار البيضاء وجوريل في طنجة والعرائش والاسم مأخوذ من الإسبانية.

يعيش في بحار المناطق المعتدلة وشائع في البحر المتوسط والأماكن الدافئة من المحيط الأطلسي. كل الأنواع سطحية المعيشة وتتنقل عموديا وأفقيا في أسراب متعددة الأفراد وصيدها صناعي وشبه صناعي وتقليدي على طول السواحل المغربية. تصاد بالشباك الحلقية الدائرية والشباك المزودة بالإنارة والجيبيات العمقية والشاطئية والشباك المستقيمة وحبال الصنانير العميقة وشباك الحواجز وصنارة اليد. تقدر الغنائم بكميات كبيرة كما يوضح الجدول ذلك. يوجد بانتظام في الأسواق السمكية الوطنية. يستهلك طريا ومبردا ومجمدا ومملحا ومجففا ومبخرا ومعلبا وعلى شكل دقيق ويستعمل أيضاً كطعم للصيد.

أربعة أنواع شائعة في الأسواق السمكية الوطنية وفي السواحل المغربية. تتميز بزعنفتين صدريتين طويلتين ومنجليتي الشكل، متساويتي الطول مع الرأس. تحولت بعض الحراشف إلى درقات على الجهة الخلفية للخط الجانبي وكل الحراشف صغيرة ملساء ودائرية.

ـ الشرن المتوسطي يدعى علميا Trachurus mediterraneus وبالفرنسية Chinchard à queue jaune وبالإنجليزية Mediterranean horse mackerel وبالإسبانية Jurel mediterraneo.

الجسم ممدد ومضغوط قليلا يبلغ طوله الأقصى عند تشعب الذيلية 60 سم وشائع بين 10 ـ 50 سم. العينان كبيرتان وجفنهما الشحمي نام جدا ؛ الفك العلوي متوسط العرض ويمتد إلى أسفل الجانب الأمامي للعين ؛ الأسنان صغيرة على صف واحد بالفكين ؛ عدد الأشواك الخيشومية 13 ـ 17 علوية و36 ـ 41 سفلية على القوس الخيشومي الأول. تحمل الزعنفة الظهرية الأولى 8 أشواك، وتحمل الثانية شوكة واحدة و29 ـ 35 شعاعا لينا ؛ تتكون الشرجية من شوكتين مفصولتين عن باقي الزعنفة ومتبوعتين بشوكة و26 ـ 39 شعاعا لينا ؛ يرتبط الشعاع اللين النهائي للظهرية والشرجية بغشاء مع باقي الزعنفة. حراشف الجهة الأمامية على الخط الجانبي كبيرة وشبيهة بالدرقات على الجهة الخلفية يبلغ عددها 75 ـ 89 منها 35 ـ 44 درقة على الجهة المستقيمة. ينتهي الخط الجانبي الثانوي بين الشوكة الثامنة والشعاع اللين الثالث للظهرية. بقعة صغيرة سوداء على جانب غطاء الغلاصيم، الثلثان السفليان للجسد والرأس شاحبان عموما، مبيضان إلى فضيين.

سطحي المعيشة ومهاجر، يعيش في مجموعات كبيرة من سطح البحر إلى 600 م من العمق في القيعان الرملية والوحلية ويقترب من السواحل في الصيف ؛ يدخل أحيانا مصبات الأنهار ويتوالد في الصيف. يتغذى من السردين والأنشوفة ومن القشريات (الإربيان والميزيداسيات).

ـ الشرن الأوروبي يدعى علميا Trachurus trachurus وبالفرنسية Chinchard d'Europe وSaurel وبالإنجليزية Atlantic horse mackerel وبالإسبانية Jurel.

طوله الأقصى حوالي 60 سم وشائع بين 15 ـ 30 سم. الجسم ممدد ومضغوط قليلا، العينان كبيرتان وجفنهما الشحمي نام جدا ؛ الفك العلوي متوسط العرض ويمتد إلى أسفل الجانب الأمامي للعين ؛ الأسنان صغيرة على صف واحد بالفكين ؛ عدد الأشواك الخيشومية 15 ـ 18 علوية و 41 ـ 48 سفلية على القوس الخيشومي الأول. تحمل الزعنفة الظهرية الأولى 8 أشواك، وتحمل الثانية شوكة واحدة و29 ـ 33 شعاعا لينا ؛ تتكون الشرجية من شوكتين مفصولتين عن باقي الزعنفة ومتبوعتين بشوكة و 29 ـ 24 شعاعا لينا ؛ يرتبط الشعاع اللين النهائي للظهرية والشرجية بغشاء مع باقي الزعنفة. الحراشف صغيرة ودائرية ؛ عدد الحراشف والدرقات على الخط الجانبي 66 ـ 75 منها 31 ـ 36 درقة على الجهة المستقيمة. ينتهي الخط الجانبي الثانوي بين الشعاع اللين التاسع عشر والحادي والثلاثين للظهرية. الجهة العلوية للجسد والرأس داكنة إلى سوداء تقريبا أو رمادية إلى خضراء وزرقاء ؛ الثلثان السفليان للجسد والرأس شاحبان عموماً، مبيضان إلى فضيين.

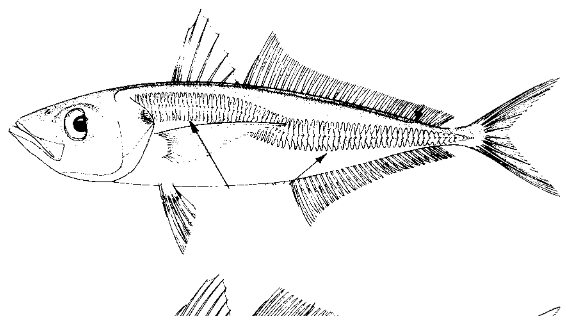

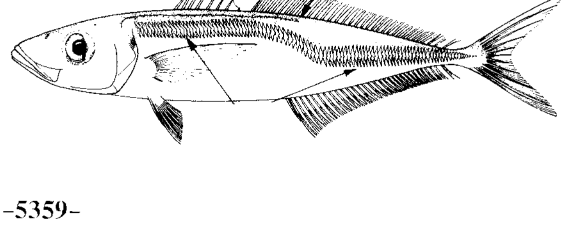

سمك سطحي المعيشة يتنقل في مجموعات متعددة الأفراد ويألف الأعماق الرملية بين 100 و 200 م، وأحيانا في المياه العميقة التي تبلغ حوالي 600 م. يتوالد من يناير إلى أبريل ونضجه الجنسي الأول عند 20 سم من الطول الكلي. يتغذى من مختلف الأسماك ومن القشريات والحبار.

- شرن أعالي البحار يدعى علميا Trachurus picturatus وبالفرنسية Chinchard du large وبالإنجليزية Blue jack mackerel وبالإسبانية Jurel de altura.

كثير الشبه مع نوع الشرن المتوسطي ويبلغ طوله 60 سم. ينتهي الخط الجانبي الثانوي بين الشعاع اللين السادس والشعاع اللين العاشر للظهرية ؛ العدد الإجمالي للحراشف والدرقات على الخط الجانبي 93 - 100 ؛ تقدر المسافة الفاصلة بين الشعاعين الأخيرين للظهرية والشرجية العلوية عند الكبار ب 1،7 مرات من طول المسافة التي تفصل الأشعة السابقة لهما. يألف أعماقا تتراوح بين 20 - 400 مترا ويعيش في مجموعات متعددة الأفراد.

- شرن مبقع يسمى شخورة في مصر ويدعى علميا Caranx rhonchus و Decapterus وبالفرنسية Cométe coussut وبالإنجليزية False scad وبالإسبانية Macarela rea و Jurel rea.

| السنة | 1994 | 1995 | 1996 |
|---|---|---|---|
| الكمية بالطن - السواحل المتوسطية | 5074 | 7345 | 4822 |
| الكمية بالطن - السواحل الأطلسية | 24394 | 23130 | 10658 |
| الكمية الكلية بالطن | 29468 | 30475 | 15470 |
| السنة | 1997 | 1998 | 1999 |
| الكمية بالطن - السواحل المتوسطية | 3933 | 2582 | 1855 |
| الكمية بالطن - السواحل الأطلسية | 8579 | 7354 | 10944 |
| الكمية الكلية بالطن | 12512 | 9936 | 12799 |

كمية سمك الشرن المصادة سنويا في المغرب

لونه بني زيتوني على الظهر وأبيض مخضر فاتح على الجانبين والبطن، على الزعنفة الظهرية الثانية بقعة سوداء تميزه عن الأنواع الأخرى. يبلغ طوله 60 سم وجسمه طويل ومضغوط قليلا جانبيا. أسنانه على الفكين موزعة على عدة صفوف غير منتظمة. تتكون الزعنفة الأولى من 8 أشواك والثانية من شوكة واحدة و28 - 32 شعاعا لينا. الحراشف صغيرة ودائرية. يعيش في مجموعات مهمة العدد ويألف الأعماق المتراوحة بين 30 - 50 مترا ويعيش أيضاً في أعماق تتعدى 200 م. يتوالد في الصيف ويصير ناضجا جنسيا بعد بلوغه 22 سم من الطول. يتغذى من القشريات والأسماك الصغيرة.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان - الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*. Rome, FAO, 1998, 263p.

محمد رمضاني

**شَرّيّان،** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Serria : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1145 / 1733.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1433.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشريحة،** التين المجفف الذي يعرف في الفصحى "بزبيب التين" ولعل الأصل في الاسم يرجع إلى طريقة تجفيفه إذ يتم تشريحه وتفتيته دون قطع أجزائه ونشره تحت الشمس أو في الظل حتى يجف.

لم ترد الكلمة في المصادر الوسيطية مما يعني أنها دخلت إلى المغرب متأخرة وأشارت إليها المصادر لاحقا. والفترة في تقديري هي نهاية العصر الوسيط وبداية الحديث ؛ فالبكري في (*المغرب*، 147) تحدث عن التين المجفف في عدة أماكن من الغرب الإسلامي : "مغيلة القاط حصن كبير له جامع وسوق كثير الأنهار والثمار معظم شجر التين ومنه يحمل زبيباً إلى فاس ..."

الإشارة الصريحة إلى الشريحة وردت عند ابن غازي (*الروض الهتون*، 6) وهو يتحدث عن خيرات مكناسة ويعددها ويصنفها ومنها الفواكه، ومما قال عن التين : "ومنها نوع جليل أبيض مائل للخضرة مستدير يقال له الانبضار يشرح فتأتي شريحته في غاية الطيب ..."، وعلق ناشر الكتاب قائلا : "الشريحة معروفة بهذا الاسم إلى اليوم وهو تين مستطيل شديد الحلاوة أسود اللون أو مائل إلى السواد".

تحيلنا الإشارة والتعليق عليها إلى ما يوجد اليوم في الأسواق، فالشريحة لم تعد نوعاً معيناً من التين بل أطلقت على كل أنواع التين المجفف (زبيب التين). والشريحة تباع اليوم على أشكال مختلفة منها البسيطة المجففة بشكل تلقائي وتسمى (الشريحة العطارية) وكانت توزن أو تكال بالمكاييل وشبيه بها التين الذي شرح (أي فتح) وترك للشمس حتى جف ويباع وزناً أو كيلا (هذه الأنواع اختفت أو هي في طريق الزوال لأنها من الأنواع الرديئة أو القليلة الجودة، أما الشريحة الجيدة فتباع على شكل أقراص جافة وطرية ومنظومة في حبال ملتصق بعضها إلى بعض أو تباع في صناديق صغيرة أو علب، هذا النوع يُمكن تسميته بالشريحة الصناعية اذ تدخل في تحضيرها تقنيات التلفيف والمعالجة والتصبير وما إلى ذلك.

ارتبطت الشريحة في المغرب بالصّلاح وزيارة الأضرحة

والمقابر، فتجد الزوار يتصدقون بها، ويرجع الزائرون إلى الأضرحة بها كبركة من ضريح الولي الفلاني؛ ولعل هذه العادة ترجع إلى الأصول فأغلب المتصوفة والزهاد من الصلحاء والأولياء كانوا يكتفون حسب المصادر بالقليل من الأكل حفنات من زبيب العنب أو سبحة من الشريحة يأخذون منها حبات معدودات، ولم يكن التين الطري من مأكولاتهم (التشوف، 296) لأنهم اعتبروه بذخاً.

البكري، *المغرب* الجزائر، 1911 ؛ ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1964 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1964 ؛ م. الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1988 ؛ مذكرات شخصية.

محمد حجاج الطويل

**شريشار**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Charche: وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1469.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشريشي**، أسرة سلوية أصلها من مدينة شريش بالأندلس، انتقلوا إلى سلا منذ منتصف القرن السادس (12 م) وعاشوا فيها وولد بعضهم فيها. وساح بعضهم إلى بلاد المشرق ومات هناك.

**الشريشي، أحمد** بن **محمد البكري** التيمي فقيه من أصل أندلسي من مدينة شريش، استوطن أسلافه مدينة سلا، وعين قاضياً بمكناس. وتوفي سنة 611.

**الشريشي، أحمد** بن **محمد القرشي** التيمي، يلقب تاج الدين ولد بسلا سنة 581، ونشأ بمراكش ثم رحل إلى بلدان المشرق العربي فأخذ عن جماعة، منهم محمد بن إبراهيم العنبني السلاوي لقيه بالفيوم. كان وافر الحظ من علم البيان وشاعراً محسناً وبارعاً في أصول التصوف والفقه. ولتاج الدين (وهو غير أبي العباس المذكور قبله) ديوان عنوانه : "*أنوار السرائر، وسرائر الأنوار*"، مخطوط الخزانة الصبيحية بسلا.

وتوفي بالفيوم من مصر سنة 641.

**الشريشي، الحسن البكاء** أبو علي، كان من أولياء الله، جال في بلاد المشرق. أصله من شريش ورحل إلى مراكش ثم نزل بسلا على بني حمدين. وقبره اليوم بالزاوية الدرقاوية بحومة باب حساين بسلا، زاوية بناها عليه بعض ملوك بني مرين، وصارت تلك الزاوية لأصحاب مولاي أحمد الصقلي الفاسي ثم انتقلت إلى أصحاب مولاي العربي الدرقاوي. وكان لأبي علي أتباع ومريدون انقرضوا بعد وفاته التي لا نعلم تاريخها، وهو من أهل القرن السادس الهجري.

أ. الشريشي، أبو *أنوار السرائر وسرائر الأنوار*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 125 - 143 ؛ م. ابن علي الدكالي، *إتحاف أشرف الملا*، ص. 39 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 264، ط 2 ؛ ع. بن إبراهيم، الإعلام، 1 : 326 ؛ التادلي، التشوف، العلم، 70 ؛ محمد بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 106 - 107، ط 2.

مصطفى بوشعراء

**الشريشي، محمد** أحد أطباء المغرب الذين برزوا في صناعة الطب علماً وتطبيقاً. اشتهر عند زملائه بالطبيب الماهر وعند العامة بحكيم الرعاء. وكانت حانوته برحبة الوزان بمدينة سبتة معروفة عند الخاصة والعامة. احترمه الأمراء والملوك من بني مرين لمهارته وحسن مشورته ودقة ملاحظاته الطبية وكانوا يستدعونه إلى فاس لتطبيبهم ولمناظرة أطبائها. وقد عده السلطان أبو عنان واحداً من أربعة رجال اختصت بهم مدينة سبتة دون سائر بلاد المغرب وتفوقوا في عصرهم. من أشهر تلامذته طبيبة سبتة عائشة ابنة الشيخ الكاتب والمحتسب محمد ابن الجيار. توفي محمد الشريشي عام 771 / 1370.

مجهول، *بلغة الأمنية*، الرباط، 1984، ص. 51 - 52 - 55 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 317.

رشيد السلامي

**الشريعة** (باب –) **بفاس** من أهم أبواب المدينة، يعرف الآن بباب المحروق، يخرج منه إلى قصبة الشراردة وظهر الخميس، ويعتبر مبدأ المحور النازل إلى المدينة على طريق الطالعة الكبيرة.

بناه الأمير الموحد محمد الناصر سنة ستمائة هجرية حينما أعاد بناء سور مدينة فاس، وجعله بناء ضخما يليق بالمهمة التي أعد لها، وأعني تنفيذ العقوبات وإقامة الحدود، ولذلك سماه باب الشريعة، شأنه في ذلك شأن باب الشريعة بمراكش وباب الشريعة بمدينة تازا.

وسبب تحوير اسم هذا الباب من باب الشريعة إلى باب المحروق يرجع إلى تاريخ تجديده على يد محمد الناصر سنة 600، فإنه حينما أتم بناءه ظفر بالعبيدي الذي كان قد دعا لنفسه بجبال ورغة وهو المعروف بمحمد بن عبد الله بن العاضد فنفذ فيه حكم الإعدام وعلق رأسه على هذا الباب واحرقت جثته بجانبه فسمى الباب منذ ذلك الحين بباب المحروق ولا علاقة لهذه التسمية بالحدث الذي وقع للسان الدين بن الخطيب حينما أخرجه اعداؤه من قبره وأحرقوه قرب هذا الباب سنة 776.

وتذكر كتب التاريخ أن أبا بكر بن العربي المعافري قد

وفد على المغرب من الأندلس لمبايعة عبد المومن بن علي مع وفد من مدينة إشبيلية، وأنه أصيب أثناء وفادته بمرض أدى به إلى الموت فدفن بمدينة فاس خارج باب المحروق. ولعل هذا الخبر لم يشر إليه المؤرخون إلا بعد تحوير اسم الباب لأن ابن العربي رحمه الله توفي قبل إطلاق لفظ المحروق على الباب بنحو ستين سنة.

جنى زهرة *الآس للجزنائي*، تح. ع. الوهاب ابن منصور، المطبعة الثانية، 1991 ؛ روض القرطاس لابن أبي زرع، تح. م. الهاشمي الفيلالي ؛ جذوة *الاقتباس* لابن القاضي القسم الأول، صفحة 229 وصفحة 300 طبعة دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط ؛ *البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب* لابن عذاري، تح. الكتاني وم. زنيبر وم. ابن تاويت وع. القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، مطبعة النجاح الجديدة ؛ *الاستقصا* للناصري ؛ *سلوة الأنفاس*، ج 2، ص. 47 ؛ فاس قبل الحماية لروجي لوطورنو، تر. م. حجي وم. الأخضر، ص. 87 ؛ *ذكر بعض مشاهير أهل فاس القديم* للشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي، ص. 4 من الملزومة الثانية.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

**الشريعة** (باب -) **بمراكش** هما في الأصل بابان تأسس الأول منهما خلال زمن حكم المرابطين، وظهر الثاني بعد تخريب الأول في عهد حكم الموحدين، اندرس ولم تكشف بعد من آثاره رسوم.

1 ـ باب الشريعة المرابطي :

حسب إشارات المصادر المتداولة، فإن موقع هذا الباب كان في نقطة من نقط القسم الجنوبي للواجهة الغربية لسور المدينة. (*نظم الجمان*، 159 ـ *البيان*، 4 : 84) وغير ممكن حاليا ضبط تاريخ تأسيسه، والمرجح أن تشييده تم داخل زمن بناء السور. أما تاريخ تخريبه فمحدد بدقة في ما قبل يوم الاثنين الخامس والعشرين من ربيع الآخر من عام تسع وسبعين وخمس مائة هجرية. وأصبح موقعه بعد ذلك جزءا من المجال الذي توسعت فيه المدينة، حيث نشأت حومة أگادير، ( *البيان*، 153 ـ 154) لم تحتفظ المصادر بأية جزئيات خاصة بمعمار ووظائف هذا الباب.

ولعل ما يميز الأحداث التي أشارت إليها بعض المصادر وشكل باب الشريعة المرابطي جزءاً من إطارها الجغرافي، هو طابعها العسكري، وزمنها المحصور في فترة من عام 524 / 1130، فهو أول باب من أبواب المدينة حاصره الموحدون، بعدما تمكنوا من الوصول إلى أسوار مراكش، وبخارجه وداخله جرت المواجهات السابقة لحصار البحيرة (*نظم الجمان*، 159 ؛ *البيان*، 4 : 84).

2 ـ باب الشريعة الموحدي :

حدد ابن عذاري بدقة بالغة تاريخ تأسيسه كما يلي : "وكان الابتداء في بناء الأساس صبيحة يوم الاثنين الخامس والعشرين من ربيع الآخر من السنة المؤرخة ـ سنة تسع وسبعين وخمسمائة ـ واتصل بناء السور، وبناء باب الشريعة مدة من أربعين يوما حتى كمل وجاء على ما قدر فيه وأمل" ( *البيان*، 154).

حسبما يلاحظ فإن إنشاء هذا الباب جاء في سياق توسيع مساحة المدينة جهة قسمها الغربي الجنوبي، حيث بنيت حومة أگادير كحل لأزمة السكن التي يبدو أن العاصمة الموحدية كانت تعاني منها في النصف الثاني من القرن السادس (12 م)، خاصة بعد ترحيل قبيلتي هسكورة وصنهاجة إليها ( *البيان*، 153 ـ 154).

حدد كل من ابن صاحب الصلاة وابن عذاري، موقع هذا الباب في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة *المن بالإمامة*، 214، *البيان*، ق. م. 154، وأكدته إشارة للعمري تفيد وجوده بين باب الرب وباب نفيس (188 ـ 186 ,*Masâlik*).

ويبدو أن Demombynes لم يميز في تحقيقه لهذا الباب، بين باب الشريعة المرابطي والآخر الموحدي، ويفهم من نفس التعليق أن الباب الأول، هو المقصود في الأخبار التي لها صلة بباب الشريعة، في فترة الموحدين (; 187 ,*Masâlik* *Citation* N°2) وهو وهم، وحسب الخريطة التي وضعها لمكونات المدينة، فقد وطنه في موقع توجد به بقايا باب مغلق ملاصق لضريح الإمام السهيلي، دون الإشارة في التعليق إلى ما يدعم ذلك من حجج وقرائن.

وقد تبنى Deverdun هذا التوطين، وحاول تأكيده بعثورة في مسجد عتيق، بحي سيدي ميمون حاليا، على مدفن مريدين من أتباع الصوفيين الجزولي والتباع، أشار صاحب *ممتع الأسماع* إلى أنهما دفنا داخل باب الشريعة من مراكش، واستنتج من ذلك أن أقرب باب إلى المسجد المذكور هو بالذات ما اعتقده Demombynes باب الشريعة (*Marrakech des origines*, 1/203-204).

ولعل المكان المشار إليه كموقع لباب الشريعة الموحدي، يبدو مستبعدا لاعتبارات متعددة، يمكن اختزالها في ملاحظات ثلاث هي :

ـ من خلال معاينة موقع المسجد الذي أشار إليه Deverdun، يبدو ما اعتبره أقرب باب إليه، غير ذي قيمة بالنسبة لهذه الملاحظة بالذات، فمجال حومة أگادير ـ سيدي ميمون حاليا ـ وحسب المصادر المتداولة، لم تكن تتوفر سوى على باب واحد، هو باب الشريعة، وأينما كان موقع هذا الباب في الحومة، فسيكون أقرب إلى المسجد المذكور.

ـ يقع الباب المقترح داخل الروضة التي بها قبر الإمام السهيلي، وهي المعروفة في فترة حكم الموحدين بجبانة الشيوخ، وكانت بها "مقابر أكابرهم وجبانات الأعيان" *ورقات* : 303، ومعلوم أن تاريخ وفاة أبي القاسم ضبطه بدقة تليمذه ابن دحية كما يلي : "وتوفي رحمه الله بحضرة مراكش يوم الخميس، ودفن ظهره، وهو اليوم السادس والعشرون من شعبان عام أحد وثمانين وخمسمائة" *المطرب من أشعار أهل المغرب*، 233. وفي ذلك ما يفيد وجود الروضة المذكورة ابتداء من تاريخ الشروع في توسعة المدينة،

اعتباراً إلى أن مكانها، كان فيما يبدو امتدادا" للبراح الذي كان ... متسعا في باب الشريعة المتصل بالشريعة القديمة وهو اليوم مدينة ثانية متصلة بمراكش القديمة" *المن بالإمامة*، 214، ومن خلال هذه الجزئيات يتبين أن جبانة الشيوخ كانت روضة مخزنية، والباب المؤدي إليها هو باب السادة *ورقات*، 303، وهذا مؤشر على أنها لم تكن من ملحقات أگادير وإن كانت تجاورها من الجنوب، وإذن فلا تبدو أية وظيفة للباب المقترح.

- من خلال محاولة تتبع مواقع الروضات الخارجية المشار إليها في فترة الموحدين، لم نعثر على أية حالة لباب في داخل روضة، بينما الملاحظ كقاعدة هو مجاورة الباب لها، مسألة تبدو على سبيل المثال في روضة باب أغمات وباب الدباغين وباب فاس.

إلى جانب ذلك فوجود الباب في الروضة يعيق وظائفه، وكانت ذات اعتبار بالنسبة لباب الشريعة، خاصة منها الاقتصادية، بحكم قربه من سوق الماشية والدواب *البيان*، ق. م، 320، *ورقات*، 304، وانفتاحه على مجال فلاحي غني، والأمنية حيث كانت تعلق به رؤوس الخارجين عن الطاعة، وإذا كان القاسم المشترك بين الوظيفتين هو ارتباطهما بحركة بشرية غير متقطعة، لتنشيط الرواج وتوسيع نشر خطاب الترهيب والترغيب، فإن اختيار بناء الباب داخل الروضة، يعتبر من دون شك عائقا أمام تحقيقهما معا.

جمع باب الشريعة الموحدي بين وظيفتين، الأولى عامة ودائمة، وتتعلق بخدمات التنقل من وإلى المدينة، وأداء المغارم واستخلاص المستفاد *رسائل موحدية*، 431، *البيان*، ق. م. 449، وتعليق رؤوس قتلى الخارجين عن طاعة المخزن *البيان*، ق. م. 338 - 337. أما الثانية فخاصة وظرفية منها خدمة دينية، لكون باب الشريعة يشكل أقرب باب يربط المدينة بمصلى العيدين. ولعل لهذه التسمية علاقة بهذه الشعيرة الدينية، (Notes de Toponomastique 210-234)، وخدمات مخزنية، حيث كانت تجري بخارجه الاستقبالات الرسمية للوفود الكبيرة *المن بالإمامة*، 213 - 214 - 243 - 242.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، تح. ع. الهادي التازي، بيروت، 1987 ؛ ابن دحية، *المطرب من أشعار أهل المغرب*، تح. إبراهيم الأبياري، حامد ع. المجيد، أ. بدوي، مراجعة طه حسين، بيروت، 1954 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. م. علي مكي، بيروت، 1990؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج. 4، تح. إحسان عباس، بيروت، 1967 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* قسم الموحدين، م. إبراهيم الكتاني، م. ابن تاويت، م. زنيبر، عبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1985 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، بدون تاريخ ؛ *رسائل موحدية*، مجموعة جديدة، تح. ودراسة، أ. عزاوي، الجزء الأول، الدار البيضاء، 1995.

Umari, *Masâlik al-absâr;* introduction et traduction annotée de Gaudefroy-Demombynes. Paris. 1927; Levi-Provençal (E), *Notes de toponomastique maghrébine, les noms des portes; le bab-al-saria et la saria dans les villes de l'occident musulman au moyen âge. A.I.E.O.* Alger 1930; Gaston Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, 2 vol., Rabat. 1959, 1966.

محمد رابطة الدين

**الشريف** بن **إسماعيل** بن الشريف بن علي العلوي، الأمير، من الذين ولاهم المولى إسماعيل على الأقاليم عام 1111/ 1700 ؛ هو والمولى مَحمد العالم شقيقان، أمهما رومية ( *زهر الأكام*، ص. 210 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 392). وفي عام 1114 / 1703 بعث به والده إلى درعة لمحاربة الأمير أبي النصر الذي كان قد طرد أخاه المولى عبد المالك واستولى على ذلك الإقليم. فنزل دار الإمارة بأغلان ؛ التي كانت مقر العمالة بوادي درعة. ومن خلال عدة قرائن يبدو أن وادي درعة شهد نوعا من الاستقرار، سيما من جانب قبائل أيت عطا الذين لم نقف على أي هجوم لهم على تلك الجهة في ذلك الإبان. فكانت هذه ولايته الأولى على تلك الجهة ؛ إذ مكث بها إلى عام 1118 / 1706 ؛ وهي السنة التي بعث به والده فيها إلى سوس للمشاركة في محاربة مَحمد العالم الثائر بها.

وتغيب عنا أخبار المترجم، بعد هذا التاريخ، فلا نعرف أي شيء عنه حتى سنة 1125 / 1713، حيث ولاه والده على درعة ثانية، مكان الخياط بن منصور.

والغالب على الظن أن درعة شهدت بعض الاستقرار، في أثناء ولاية المولى الشريف الثانية، باستثناء حركة العصيان التي تزعمتها قبائل منطقة محاميد الغزلان سنة 1135 / 1722 (*La relation de Thomas Pellow*, p. 188)، والتي لسنا على يقين من مشاركته في قمعها.

كما ساهم في زيادة التقارب بين المخزن والزاوية الناصرية. والدليل على ذلك أنه كان كثير التردد على مجالس الشيخ أحمد بن ناصر ( *الدرر المرصعة*، 187)، وأنه هو الذي حسم مادة النزاع بين الحسين الشرحبيلي وبين موسى الناصري لصالح الناصريين ؛ حيث تهدد الشرحبيلي بالضرب بالمنشار إن استمر في طلب مشيخة الزاوية الناصرية. وفي أثناء ولايته الثانية شاد القصبة التي وصفها محمد المكي الناصري ؛ كما يفهم مما قاله في ذلك السياق : "ولما أتم بناءها وشيدها وزخرفها، ونزلها بأهله وعمرها، لم تطل فيها مدته، ولم يبلغ فيها أمنيته، بل اخترمه هادم اللذات *الدرر المرصعة*، ص. 177. ومما يذكر أن المولى الشريف كان مائلا إلى أخيه المولى أحمد الذهبي، في أثناء النزاع على العرش *زهر الأكام*، ص. 180.

وقد أثنى عليه سائر من ترجموه. فذكر محمد المكي الناصري أنه كان أديباً مشاركاً في جميع العلوم، محبا لأهل العلم، مغرما باقتناء الكتب، سيما التاريخ والأدب. امتدحه الشعراء وأجزل لهم العطاء. توفي المولى الشريف بوادي درعة، في داره بقصبة أغلان الباشا بعد وفاة أبيه بشهرين، يوم الجمعة ثامن رمضان سنة 1139 / 1727، ودفن بزاوية سيدي عمرو، إزاء القصبة المذكورة، (م. س. 177).

ع. ابن موسى الريفي، *زهر الأكام*، تح. أ. بنعدادة، ص. 180 - 210؛ *الدرر المرصعة*، ص. تح. م. نوحي، 177 - 187 ؛ الخليفتي،

*الدرة الجليلة*، ص. 188 ؛ *الاستقصا*، 7 : 90 ؛ أ. البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي*، ص. 112 - 113 و133 - 188.

M. Morsy, *La Relation de T. Pellow*.

أحمد عمالك

**الشريف التلمساني**، محمد بن سعد بن الحاج، فقيه مشارك ماهر، تولى قضاء تلمسان مدة، حتى إذا دخل الفرنسيون إليها هاجرها في جملة من هاجر إلى المغرب، ودخل إلى فاس في مهل شوال عام 1257 / 16 نونبر 1841. من مؤلفاته : *شرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني* لم يكمل ؛ *وشرح على همزية البوصيري* كذلك.

توفي بفاس يوم 27 محرم عام 1264 / 4 يناير 1848 ودفن قرب الشيخ ابن حرزهم خارج باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2581.

محمد حجي

ابن **الشريف، حميد** الودغيري ويكتب أيضاً بنشريف. ولد بمدينة فاس سنة 1359 / 1940 وبعد إنهاء دراسته بثانوية مولاي إدريس، هاجر عام 1960 إلى السينغال للقيام بأعمال حرة، وهناك أنجز أول عمل فني له كمقدّم للأخبار باللغة العربية بإذاعة دكار بتعاون مع بعض المهاجرين اللبنانيين. وحين عودته إلى المغرب اشتغل بأعمال المونطاج بالإذاعة الوطنية إلى أن شرع في العمل بالتلفزة المغربية باستوديوهات عين الشق بالدار البيضاء، فالتحق بها كمساعد كاميرامان إلى جانب كل من أحمد حيضر ومحمد ظريف تحت إدارة المرحوم محمد الزياني في الوقت الذي كان البث التلفزيوني مباشرا. وهكذا تدرج حميد بنشريف في مهامه من كاميرامان مساعد إلى مدير تصوير، مركب أفلام، كاتب سيناريو، مخرج مساعد فمخرج ومعد برامج وأفلام تلفزيونية.

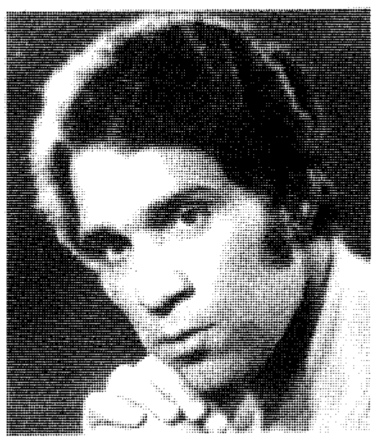

كان أول إنتاج تلفزيوني قام بإدارة تصويره إدارة كاملة سنة التحاقه باستوديوهات عين الشق عام 1963، فيلما وثائقيا من توقيع شقيقه رشيد بنشريف تحت عنوان فاس مهد الحضارة ونظراً لولع حميد بنشريف بالموسيقي أنتج وأخرج عدداً من الأغاني المصورة لفنانين مغاربة وعرب في الفترة ما بين 1964 و1970 وهي :

- القمر الأحمر وميعاد لعبد الهادي بلخياط
- سواح لعبد الحليم حافظ
- حلم لأم كلثوم
- وسط الطريق لنجاة الصغيرة

كما ساهم في إخراج برنامجين أسبوعيين (كاميرا 4) (مجلة الدار البيضاء) إلى جانب كل من شقيقه رشيد وحسن المفتي، وأحمد حيضر وأحمد العلوي ومحمد الركاب.

في عام 1980 أسس حميد بنشريف شركة إنتاج خاصة أطلق عليها اسم : "فيلمس فيلم" "Film's Films" وأنتج في إطارها أعمالا تلفزيونية وسينمائية على رأسها أغنية مصورة لعبد الحليم حافظ تحت عنوان (قارئة الفنجان). ثم انطلاقا من أغنية (القمر الأحمر) التي صورها سابقا، كتب وأخرج حميد بنشريف أول وآخر فيلم روائي سينمائي طويل له تحت عنوان (خطوات في الضباب). ومن أشهر أعماله التلفزيونية برنامج ترفيهي بعنوان (التلفزة 3) "T.V.3" رفقة الثنائي خديجة أسد وسعد الله عزيز.

وهكذا توزعت أعماله السينمائية منذ الستينيات إلى آخر حياته على النحو التالي :

- 1966 : إدارة تصوير فيلم وثائقي (شروق) إلى جانب المخرج عبد الله المصباحي من إنتاج وزارة الإعلام الكويتية.
- 1970 : ساعد في تصوير وإخراج (الكنز المرصود) فيلم روائي طويل لمحمد عصفور. كما قام بمهمة المونطاج للأفلام التالية :
- 1974 (الصمت اتجاه ممنوع) روائي طويل لعبد الله المصباحي
- 1975 : (فاس، رعاية وتجديد) وثائقي قصير للعربي بناني
- 1984 : (الناعورة) أو (مولاي عقوب) روائي طويل لكل من محمد عبد الكريم الدرقاوي والمرحوم مولاي إدريس الكتاني.

في حين حمل مشروع فيلمه الروائي الطويل الثاني عنوان (الجسر) حيث توفي حميد ولما يتجاوز المشروع مرحلة السيناريو.

أما آخر إنتاج وقعه المرحوم بنشريف فتجسد في تصوير وإخراج أغنية وطنية بمناسبة عيد الشباب لكل من سميرة بنسعيد ومحمود الإدريسي تحت عنوان *درس في الحب* وحدث ذلك عام وفاته.

توفي بالدار البيضاء يوم 19 ربيع الثاني عام 1407 / 16 دجنبر 1986.

خالد الخضري، *دليل المخرجين السينمائيين المغاربة*، ص.99/100، واتصال شخصي ؛ رواية شفوية عن شقيقة المخرج السيدة ثريا الودغيري وزوجها المخرج ومدير التصوير السيد محمد عبد الكريم الدرقاوي.

خالد الخضري

**الشريف السبتي، أحمد** بن **أبي القاسم الطاهري** ابن أبي الشرف رفيع الحسيني، من أشراف سبتة الطاهريين الصقليين الحسينيين الذين يتصل نسبهم بالحسين بن علي بن أبي طالب. ويكنّى أبا العباس الشريف. قدم هؤلاء الأشراف إلى المغرب مع جدهم أبي طاهر بن الحسين من جزيرة صقلية عبر الأندلس واستقروا بسبتة في منتصف القرن السادس (12 م)، وبعد ذلك انتقلت فروع أخرى من بني عمومتهم إلى فاس ومراكش. وقد تعايش الفرع السبتي من هؤلاء الأشراف مع بني العزفي أصحاب سبتة وصاهروهم، وبعد أن تزايد نفوذهم وعظمت مكانتهم بين أهل سبتة تضايق بنو العزفي من ذلك فتنكروا لهم وغربهم كبيرُهم يحيى العزفي إلى الجزيرة الخضراء فاعترضتهم مراكب النصارى في بحر الزقاق وأسروا الكثير منهم من بينهم أبو العباس صاحب الترجمة ووالده أبو القاسم محمد، ففداهم ملوك بني مرين بالمال الكثير واعتنوا بهم. وكانت لهذه الأسرة روضة مشهورة بسبتة تعرف بروضة الشرفاء الحسينيين تجمع قبور عدد كبير منهم تبلغ حوالي ثلاثين قبراً. يعد المترجم كبير أشراف سبتة الحسينيين بدون منازع في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، بل اعتبره المؤرخون خاتمة الشرفاء العظام بسبتة. قال ابن خلدون في نسبه : "ذو النسب الواضح، السالم من الريبة عند كافة أهل المغرب" وأضاف الأنصاري : "الشريف الكبير، الرئيس الشهير، الكاتب الأديب التاريخي السخي الجواد الفذ في عصره وزمانه". فقد طارت شهرته في كل أنحاء المغرب والأندلس، وكان العلماء والفقهاء يخطبون وده ويتنافسون في التقرب إليه، كما جله ملوك بني مرين واعترفوا له بالفضل والكرم والتقوى. ومن تجليات ذلك أن السلطان أبا سعيد عثمان (710 / 1311 ـ 731 / 1331) بدل المال الكثير في فدية أبي العباس الشريف ووالده عندما أسرهما النصارى في بحر الزقاق، وتقدر بحوالي 6500 دينار من الذهب حسب مضمون الرسم المعقود في ذلك والمؤرخ بالموفى عشرين محرم عام 720 / 1321. وكان حفيده السلطان أبو عنان (749 / 1348 ـ 759 / 1358) يستدعي هذا الشريف كل سنة إلى حضرة فاس لحضور احتفالات المولد النبوي ويخلع عليه الخلع الملوكية تقديراً له واحتراماً لشخصه وأسرته. وبهذه المناسبة كان السلطان يعد له ديناراً مسكوكاً يصنع بمدينة مراكش وزنته مائة دينار ذهبي يدفعه له مع تحف وجوائز أخرى. وفي إطار انفتاح المخزن المريني على قوة الشرفاء ومحاولة استقطابهم لما يمثلونه من نفوذ معنوي قوي على المجتمع، خصص لهذا الشريف عطاء مرسوم له من بيت المال يقدر بثلاثين ديناراً من الذهب في رأس كل شهر بالإضافة إلى امتيازات مادية أخرى. فقد كان فائد مضرب الميناء لسبتة مخصصاً لأبي العباس الشريف دون غيره وذلك مرة كل ثلاثة أيام، أي فائد اليوم الواحد له وفائد اليومين الباقيين لبيت المال، ويقدر مبلغ ما يحصل عليه عن طريق هذا الفائد ما بين 500 و700 دينار ويصل أحياناً إلى 2000 دينار في اليوم.

حظي أبو العباس بعناية كبيرة من ملوك فاس خاصّة أبو عنان الذي حفظ له دوره المؤثر في قيادة ثورة سبتة على والده السلطان أبي الحسن بعد واقعة القيروان سنة 749 / 1348 وإقامة الدعوة بها لولده أبي عنان والوقوف إلى جانبه وتسليمه إياه البلد، فعينه ناظراً على بلده سبتة وصاحب الشورى فيها بعد إزاحة بني العزفي عنها، وأمر صاحب قصبتها ألا يقطع أمرا إلا بمشورته. واستمر على ذلك النفوذ سائر أيام أبي عنان ومن أتى بعده، فكان العمال يخافونه ويشاورونه وكلما رأى من أحدهم حيفا أو خروجا عن الحق كتب إلى السلطان في شأنه فيعزل من فوره ويعوض بغيره. وكان يعد مجلسا في رياضه بالصفارين من سبتة لاستقبال رجالات المخزن بها فكان : "يأتي إليه صبيحة كل يوم صاحب القصبة مسلماً عليه ثم ينصرف، ثم يأتي الوالي على قبض الجباية مسلماً، ثم ينصرف بعد تقبيل قدمه، ثم يأتي صاحب الشرطة وكذا جميع أمراء سبتة إلا القاضي لمكان خطته". وقد أثارت هذه المكانة الكبيرة للشريف اهتمام كبار علماء عصره فخصوه بالزيارة، وأعجبوا بشخصه وقدروه لعظمة حفاوته بهم وكرمه، وحسن استقباله لهم وما يتحفهم به من ألوان الطعام والشراب يعجز الأمراء عن فعل مثله. وقد تحدثت المصادر، ومن بينها كتاب *الكواكب الوقادة في ذكر من دفن في سبتة من العلماء والصلحاء والقادة*، عن كثرة نزول لسان الدين ابن الخطيب عند الشريف كلما توجه إلى المغرب فكان يوسعه إكراما ويخرج به إلى بساتينه بقرية بليونش. ومن أشهر زياراته تلك التي قام بها في جمادى الثانية من عام 763 / 1362 بمعية السلطان أبي عبد الله محمد بن يوسف بن الأحمر عند رجوعه إلى غرناطة وقاضي حضرته أبي الحسن النباهي، فوصف جمال الاحتفال وكرم الضيافة وروعة الاستقبال. كما قام ابن خلدون بزيارة شريف سبتة عند رحلته إلى الأندلس سنة 764 / 1363 وروى كيف أنزله ببيته المجاور للمسجد الجامع، وكيف بالغ في الاحتفاء به وضيافته. لم يقتصر جود هذا الشريف وكرمه على الخاصة من الناس بل كان سخياً حتى مع عامتهم وضعفائهم ويصرف كل أمواله في إطعامهم. وبلغت شهرته الآفاق وتجاوز كرمه حدود سبتة، فكان التجار والضعفاء على السواء يرصدون وقت قدومه على فاس في أعياد الميلاد ويترقبون كذلك وقت قفوله عنها لينفق على الجميع من ماله ويرفع عنهم اللوازم المخزنية. عُرف عن الشريف امتلاكه لعقارات وأملاك كثيرة بمدينة سبتة وخارجها تحاكي ما كان يملكه العزفيون ومن ذلك الرياضات والبساتين والقصور والمنيات وغيرها.

توفي أبو العباس الشريف عام 776 / 1375 وعمره ينيف على الثمانين وقبره كان معروفاً بروضة أسرته التي ذكر المقري أنها بالجانب الشرقي من رابطة الفصال خارج الباب الأحمر من سبتة.

م. ابن مرزوق، *المسند*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 149 ـ 150 ؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 15 ـ 17 ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت، 1988، ص. 315 ؛ *العبر*، بيروت، 1978 ؛ ج 7، ص. 581 ـ 582 ؛ *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً*، ج 7، ص. 876 ـ 877 ؛ ابن السكاك، *نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام*، طبعة فاس، د. ت، ص. 17 ـ 18 ـ 21 ـ 30 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1983، ص. 24 ـ 25 ؛ مجهول، *بلغة الأمنية*، الرباط، 1984، ص. 53 ؛ مجهول، *مجموع مؤلف من ظهائر شريفة وعقود أنكحة متعلقة بالشرفاء السجلماسيين وغيرهم*، مخطوط د، 723، ص. 115 ـ 116 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 201 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، الرباط، 1978، ج 1، ص. 32 ـ 45 ؛ ع. السلام القادري، *الدر السني*، طبعة فاس، 1308، ص. 69 ؛ م. القبلي، *مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين*، ضمن كتاب مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، الدار البيضاء، 1987، ص. 84 ـ 87 ـ 90 ـ 91 ـ 94 ـ 103 ؛ ر. السلامي، *وثائق مرينية*، دراسة وتحقيق، د. د. ع، مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1989، ص. 280 ـ 282.

Calero (I), una familia ceuti en la Granada de los siglos XIV y XV: Los Banu L-Sarif Al-hasani; in "AL-Qantara", vol. VII, Fax.1, Madrid, 1986, pp.85-105.

**الشريف السبتي، أحمد** بن أبي القاسم **الغرناطي**، قاضي الجماعة بغرناطة أبا العباس وأبا جعفر. كان فقيهاً وقاضياً، أخذ عن أشهر شيوخ وقته الفقيه أبي سعيد فرج بن لب وغيره. كانت فتاويه مشهورة في بلاد الأندلس والمغرب نُقل بعضها في *معيار الونشريسي*. ومن أشهر تلامذته محمد بن عاصم الغرناطي صاحب كتاب *جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى*.

حظي أبو العباس كوالده بعناية فائقة عند ملوك غرناطة. فولاه سلطانها الغني بالله محمد الخامس (755 / 1355 ـ 793 / 1391) خطة الكتابة والقضاء واستمر في نفس المنصب في عهد أبي الحجاج يوسف الثالث (810 / 1408 ـ 820 / 1417). ويعتبر أبو العباس صديقاً حميماً لشاعر غرناطة أبي الحسن ابن فركون الذي كان يصفه بالشريف المعظم وقد عمل على تدوين بعض ملامح هذه الصداقة من خلال أشعاره الكثيرة التي قيلت في مناسبات عديدة وكذلك المراجعات الشعرية التي كانت بينهما وسجلها ابن فركون في ديوانه الموسوم *بمظهر النور الباصر*. لا نعرف تاريخاً مدققاً لوفاة أبي العباس الشريف. ويستفاد من كلام ابن فركون عنه أنه ظل حيا بعد سنة 812 / 1410.

ابن فركون، *ديوان ابن فركون*، تقديم وتعليق م. بن شريفة، الدار البيضاء، 1987، ص. 250 ـ 251 ـ 290 ـ 292 ـ 389 ـ 390 ؛ *مظهر النور الباصر في أمداح مولانا أبي الحجاج الملك الناصر*، إعداد م. بن شريفة، الدار البيضاء، 1991، ص. 26 ـ 33 ـ 35 ـ 86؛ م. ابن عاصم، *جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى*، تح. صلاح جرار، عمان، 1989، ج 1 : 173 ـ 174 ؛ ج 2 : 280 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، ط 2، بيروت، 1981، ج 3 : 32 ـ 35 ؛ أ. بابا التنبكتي، بيروت، د. ت، ص. 76 ـ 313 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968، ج 5 : 199 ؛ ج 6 : 27 ـ 147 ؛ *أزهار الرياض*، الرباط، 1978، ج 1 : 59 ـ 60.

**الشريف السبتي، أحمد** بن **محمد** المقرئ الحسني، اشتهر بإقراء القرآن وتجويده وبكونه من أئمة المجودين والقائمين على تعليمه بالمغرب. قرأ عليه بسبتة ثلة من علماء عصره كالفقيه النحوي محمد بن علي بن أحمد الخولاني المعروف بابن الفخار والشيخ المحدث محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير ومحمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بالشُّدَيِّد.

توفي هذا الشريف سنة 737 / 1337.

ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975، ج 3 : 36 ـ 157 ـ 199 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، تونس، 1970، ج 1 : 28 ؛ م. حجي، محقق، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 190.

**الشريف السبتي**، أبو **القاسم محمد** بن أحمد الغرناطي الحسيني، ويعرف أيضاً بالشريف الغرناطي. حلاه القاضي النباهي بقوله : "وكان ـ رحمه الله ـ نسيج وحده براعة وجلالة، وفريد عصره بلاغة وجزالة، إلى الشيم السنية التي التزم إهداءها، والسير الحسنة التي لا ينازع في شرف منتهاها". كما وصفه آخرون بأنه "رئيس العلوم اللسانية بالأندلس" وأنه كان "آية الله الباهرة في العربية والبيان والأدب". ترجم له الكثيرون من معاصريه وغيرهم واتفقوا على ريادته في علوم العربية وقدرته الفائقة في الجمع بين امتلاك ناصية العلم والتدريس ومزاولة القضاء. ولد أبو القاسم الشريف بموطن أسلافه الشرفاء الحسينيين بسبتة في السادس لشهر ربيع الأول من عام 697، ونشأ في بيت اشتهر بالعلماء والأدباء والقضاة. في عصر سبتة الذهبي ترعرع أبو القاسم وشب على مجالسة العلماء واصطحابهم، فقرأ في بدايته القرآن على والده أبي العباس ثم اتصل بمشايخ بلده ولازمهم وأخذ عنهم كثيراً من العلوم من أمثال شيخ العربية والأدب في زمنه أبي عبد الله بن هانئ والخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشيد والإمام أبي القاسم بن الشاط والقاضي الإمام أبي إسحاق الغافقي والخطيب أبي عبد الله المغاري والقاضي أبي عبد الله القرطبي والفقيه أبي عبد الله بن حريث. وقد تتلمذ على يديه علماء كبار كلسان الدين ابن الخطيب وأبي إسحاق الشاطبي والوزير الكاتب أبي عبد الله بن زمرك وأحمد ابن الخطيب القسنطيني الشهير بابن قنفذ والكاتب أبي القاسم ابن رضوان المالقي والأديب المحدث أبي عبد الله محمد بن جزي الكلبي وغيرهم. وفي إطار التواصل الفكري بين علماء المغرب وخاصة سبتة وعلماء الأندلس انتقل أبو القاسم إلى مالقة ثم غرناطة حيث اتصل بملوكها من بني الأحمر الذين أعجبوا بشخصه وعلمه فضلاً عن نسبه الشريف فقربوه إليهم وأمسكوه خطة القضاء والكتابة.

وهكذا عندما قدم إلى غرناطة في دولة أبي الوليد إسماعيل (713 / 1314 ـ 725 / 1325) قلده كتابة الإنشاء والقضاء والخطابة بالمسجد الجامع. كما استعمله في السفارة لملوك المغرب من بني مرين وملوك قشتالة. وبقي كذلك إلى أن عزله عن القضاء السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل في شهر شعبان من عام 747 / 1347، فانحاز إلى التدريس وإقراء العربية والفقه، لكنه أعيد مرة ثانية إلى القضاء بمدينة وادي آش ثم بغرناطة واستمر في هذا المنصب إلى أن هلك السلطان أبو الحجاج يوم عيد الفطر من سنة 755. وجدد خليفته الغني بالله محمد بن أبي الحجاج ولاية أبي القاسم على قضاء غرناطة ورفع رتبته وزاد من شأنه وبقي على تلك الحال.

توفي ضحى يوم الخميس 21 شعبان من عام 760 / 1359 أو 761 / 1360. ومن أشهر تآليفه *رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة*، شرح فيه مقصورة الأديب أبي الحسن حازم بن محمد القرطاجني التي مدح فيها السلطان الحفصي المستنصر بالله.


أبو القاسم الشريف السبتي نفسه، *رفع الحجب المستورة*، ج 4، تح. م. الحجوي، المحمدية، 1997 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. ع. الله عنان، القاهرة، 1975، ج 2 : 181 ـ 187 ؛ *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، بيروت، 1978، ص. 105 ـ 116 ؛ أبو الحسن النباهي، *المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا*، بيروت، د. ت، ص. 171 ـ 177 ؛ ابن فرحون، *الديباج المذهب*، تح. مأمون بن محيي الدين الجنان، بيروت، 1996، ص. 384 ـ 385 ؛ ابن الأحمر، *نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان*، تح. م. رضوان الداية، بيروت، 1967، ص. 231 ـ 235 ؛ *نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان*، تح. م. رضوان الداية، بيروت، 1976، ص. 145 ـ 149 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج 7 : 691 ـ 692 ؛ *التعريف بابن خلدون* ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، بيروت، د. ت، ج 3 : 352 ـ 353 ؛ م. ابن عاصم، *جنة الرضا* ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 306 ؛ *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1970، ج 2 : 268 ؛ المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968، ج 5 : 189 ـ 199؛ م. حجي، محقق، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976 ؛ ص. 123 ؛ إسماعيل باشا البغدادي، *هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين*، بيروت، 1955، ج 2 : 161 ؛ ع. الله گنون، أبو القاسم الشريف، ضمن سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب، العدد 1 ـ 2، بيروت، د. ت ؛ م. ابن تاويت، سبتة المسلمة، مجلة *المناهل*، العدد 22، يناير، 1982، ص. 151 ؛ م. العربي الخطابي، *سبتة رجالها ومكانتها وصلاتها العلمية بمختلف الحواضر الإسلامية*، مجلة *المناهل*، العدد 22، يناير 1982، ص. 75 ـ 76 ؛ م. بن عبد العزيز الدباغ، أبو القاسم السبتي الشهير بالشريف الغرناطي، ضمن كتابه *من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني*، الدار البيضاء، 1992، 76 ـ 115.

Calero (I), *una familia ceuti en la Granada de los siglos XIV y XV: Los Banu L-Sarif Al-hasani*. vol. VII. Fax.1, Madrid, 1986.


رشيد السلامي

**الشريف، عبد الله** (مولاي -) بن إبراهيم الحسني الإدريسي العلمي اليملحي الوزاني، اشتهر باسم مولاي عبد الله الشريف. يرتبط في هذا النسب بالفرع العلمي الشهير، وذلك من جهة أمه وأبيه، فأمه رحمونية علمية، بينما ينحدر والده من سلالة يملح أخي مولاي عبد السلام بن مشيش شيخ جبل العلم.

تربى مولاي عبد الله الشريف في أحضان أسرة معروفة بثرائها بين سكان مدشر تازروت في بني عروس ببلاد غمارة. وهذا المدشر هو مسقط رأسه سنة 1005 / 6-1597. واستفاد كثيرا من هذا الوضع في حياته التعليمية، ونعني بذلك تمكنه من مواصلة دراسته خارج تازروت، ولا سيما في فاس، التي قضى بها مدة طويلة امتدت من 1028 / 1619، إلى 1034 / 1625 (سلوة، 1 : 370 ; *La Maison du cautionnement*, 24, 67-77). حيث أخذ عن قاضي الجماعة أبي القاسم ابن أبي النعيم الغساني (ت. 1023 / 1623) وعلي بن قاسم البطوئي الفاسي (ت. 1039 / 1629)، والفقيه الصوفي محمد ابن عطية السلوي (ت. 1052 / 1642)، قرأ عليه النحو والحديث والتفسير والفقه "...وأجازه في جميع مقروءاته ومسموعاته ومناولاته ومعروضاته" (*سلوة*، 1 : 370).

وهذا يعني أن مولاي عبد الله الشريف قد صار في نهاية رحلته من المتفقهين في علوم الظاهر. ومن جانب آخر يبدو أن مولاي عبد الله الشريف تأثر إبان إقامته في الحضرة الإدريسية بالجو الصوفي السائد فيها. يفسر ذلك اتصاله ببعض أوليائها زمنئذ. وقد ذكرت المصادر منهم "الشيخ البهلول الملامتي سيدي عزوز دالله، وذلك في ابتداء أمره عند قدومه لفاس بنية طلب العلم" (سلوة، 1 : 290)، والولي الصالح الحسن بن محمد بن علي ابن ريسون (ت. 1055 / 1645) دفين فاس. ولعل هذا التأثر هو الذي جعل مولاي عبد الله الشريف يلازم في نهاية رحلته العلمية زاوية الشيخ ابن عطية السلوي، آخر أساتذته في علوم الظاهر، كما رأينا، حتى لقد ذهب القادري إلى اعتباره الشيخ الذي تخرج على يده مولاي عبد الله الشريف في العلم والعرفان.

بل يبدو أن التصوف صار الهدف الرئيسي للمترجم له منذ عودته من فاس إلى ديار أهله بجبال غمارة.إذ بدأ من هناك رحلة جديدة كانت هذه المرة عبارة عن سياحة صوفية. زار خلالها أضرحة مشاهير أولياء المغرب، وبعض كبريات الزوايا، قبل أن ينتهي به المطاف، في شهر ربيع الثاني 1026 / 1617 إلى زاوية الشيخ علي بن أحمد الجرفطي الصرصري، المتوفى أواخر العقد الثالث من القرن 11 (17م) بمدشر المغاصن من جبل صرصر ببلاد الهبط، على بعد حوالي 24 كلم شمال غرب وزان (*La Maison du cautionnement*, 82-85). فلازم هذه الزاوية، وصار من مريدي شيخها المفضلين. كما جعل مولاي عبد الله من شيخه هذا معتمدا له في طريق القوم، وإليه انتسب، وعليه عول في السلوك .

ويذكر الوزانيون أن طريقة مولاي عبد الله الشريف إحياء لطريقة جده مولاي عبد السلام بن مشيش من جديد، كما

فعل أبو الحسن الشاذلي. يؤكد ذلك ما تميزت به حياة مولاي عبد الله الشريف الروحية قبل ظهور أمره وبعده، من سلوكات، وما ارتبط بذلك من أخبار تدل كلها على أنه كان يرمي فعلا إلى إلغاء أية منة لأي شيخ وقتي عليه (راجع : *الروضة*، 469 ـ 470 ؛ *الترجمان*، 72 أ)، وأنه كان يرمي فعلا إلى سن "طريقة" خاصة به، لا يناظرها زمنئذ في شمال المغرب على الأقل "طريقة" أخرى. ويبدو أن ملامح هذه "الطريقة" ظهرت على سلوكات مولاي عبد الله الشريف، وهو لا يزال في صحبة شيخه الصرصري، مما جعل هذا الأخير يترك له إدارة أمور الزاوية في حياته، ويوصي له بالخلافة من بعده. وكان تخمينه في محله، حيث اشتهر "أمر" مولاي عبد الله الشريف والشيخ الصرصري كثيرا. وبلغ صدى هذه الشهرة مدينة فاس، مما جعل زوار ضريح مولاي عبد السلام ابن مشيش من أعيان الحضرة الإدريسية سنة 1037 هـ / 1628م، وهي السنة التي توفي فيها الشيخ الصرصري، يعرجون على جبل صرصر لمعاينة صاحب "الأمر الجديد" بها، والاطلاع بالتالي على ذلك الأمر "الجديد" (*La Maison du cautionnement*, 88-90).

خرج مولاي عبد الله الشريف إلى الناس في مدشر أبي شقرة، وصار لهم فقيها وإماما، ثم انتقل إلى مدشر آخر مجاور يدعى الميقال بجبل بوهلال في مصمودة نفسها، وبنى زاوية، ثم تركها وانتقل إلى وزان بسفح جبل مصمودة، حيث زاويته اليوم وزاوية أعتابه "...و نزل منه بالدار التي كانت تعرف هنالك منذ القديم بدار الشيخ الولي الكبير مولانا أبي سلهام دفين البحيرة..."، وهي التي اتخذها زاوية (*الروضة*، 464 ؛ *الترجمان*، 71 ب).

كما كان مولاي عبد الله الشريف ومن تبعه، في سماعهم بالجلالة وبالأحزاب ملتزمين بالسبحة، وليس بأية آلة أخرى (*Esquisse*, 244). ويفسر هذا كله ويدعمه ما عبر به محمد ابن جعفر الكتاني عندما جعل "معتمد الطريقة الوزانية على السلوك في الظاهر والجذب في الباطن" (*سلوة*، 1 : 231). وهو وصف من الدقة بمكان حيث يشير إلى عدم ظهور الجذبات والشطحات، أو ما يعرف بالأحوال العرفانية على شيخ الطريقة الوزانية وأتباعه في حضرتهم خصوصا، وفي حياتهم الروحية عموما. وإذا ظهرت فظهورها كعدمه، إذ لا يتعدى هذا الظهور الافتخار بعلو المقام، وإظهار كرامات، كان الحرص شديدا على أن تكون على مقاس معجزات الرسول (ص) (*نشر*، 4 : 64، 118، 205، 240 ؛ *الروضة*، 380، 475). ولعل هذا بالذات ما جعل العربي الدرقاوي يصف أتباع مولاي عبد الله الشريف بالصلاح أكثر من العرفان. وجعل أحمد التجاني ينظر إلى مولاي الطيب، وكان أكثر خلفاء مولاي عبد الله الشريف التزاما بطريقة جده، من أهل الدنيا لا الآخرة، فأحرى أن يكون وليا (*مجموع مختصر*، 11 ـ 12). ومن أهم ما نستحضره هنا بالذات ما قيل عن الناصرية الأم بأنها تزيين للظاهر وإصلاح للباطن، لحرص أهلها، كما هو معلوم، على عدم التميز عن الجماعة الإسلامية ظاهرا، ودعوتهم بالأساس إلى تغيير البواطن بإصلاحها وتجنب الكشف عن أسرارها، انسجاما، ولا شك، مع مبدإ تجنب الدعاوى، أحد المبادئ الأساسية لأهل الظاهر في التصوف.

وهناك إشارات تفيد تصدر مولاي عبد الله الشريف في زاويته لتدريس المواد العلمية التي تلقاها عن شيوخه، من حديث وتفسير وسير وتصوف وعلوم اللغة (*La Maison du cautionnement*, 78). ومن أشهر من تخرج على يده ابنه مولاي محمد بن عبد الله. وقد قيل عن هذا الأخير إنه كان مقصودا للزيارة من البادية والحاضرة، "وكان يجلس إليه العلماء الأئمة أعلام هذه الأمة فيأخذون عنه الأحاديث النبوية..." (*نشر*، 3 : 192). وأنه كان يعتني كثيرا في تدريسه "بالحكم والإحياء والقوت..." (*نشر*، 4 : 240).. وأنه كان يجيز العلماء بما أخذ عن والده (*نشر*، 2 : 348)، مما يشهد له ولوالده مولاي عبد الله الشريف بالمشيخة في العلم الظاهر، على غرار المشيخة في التصوف. ويشهد للزاوية الوزانية زمن مولاي عبد الله الشريف بكونها كانت مدرسة علم وزاوية تصوف.

توفي مولاي عبد الله الشريف بوزان عام 1089 / 1678، مخلفا وراءه زاوية كبيرة، وذرية شهيرة، وطريقة صوفية متميزة.


م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية بفاس، 1896 ؛ ع. الرحمن الفاسي، *ابتهاج القلوب*، تح. حفيظة الدازي، د. د. ع. 91 ـ 1992، مرقونة ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 77 ـ 1986 ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، ع. تيلاني، الرباط ؛ م. بن جعفر الكتاني، سلوة، طبعة حجرية بفاس، 1900 ؛ العربي الدرقاوي، *رسائل*، جمع ؛ أ. الزكاري، طبعة حجرية بفاس، 1334 ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *الترجمان المعرب عن أشهر فروع الشاذلية بالمغرب*، م. خ. ع. الرباط، رقم 4400 د ؛ م. الشنجيطي السباعي، مجموع مختصر من *كلام الشيخ أحمد التيجاني*، م. خ. ح. الرباط، رقم 1354 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، جزآن ؛ م. منصور، *تصوف الشرفاء، الممارسة الدينية والاجتماعية للزاوية من خلال مناقبها*، ضمن *التاريخ وأدب المناقب*، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، عكاظ، 1989، ص. 17.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951; H. El Boudrari, *la Maison du cautionnement: Les Shurfa d'Ouezzane*, These du Doctorat de 3e cycle en Anthropologie sociale et historique, École des hautes études en Science sociales, Paris, 1984.


أحمد الوارث

**الشريف** (مولاي ـ) بن **علي** بن محمد الحسني، أبو الأملاك جد الأسرة العلوية المالكة. وهو ينتمي إلى الفرع اليوسفي، مقابل الفرع المحمدي. ولد سنة 997 / 1589 بتافيلالت في هذا التاريخ كان قد مضى على ورود جده الحسن بن قاسم إلى بلاد المغرب أكثر من ثلاثمائة سنة ؛ مما

يعني أن أسرته قد انصهرت في "المجتمع" الذي حلت بين ظهرانيه.

لا نعرف شيئا يذكر عن طلبه ولا عن مستواه العلمي، لأن المصادر التي ترجمته قصرت الاهتمام على جانب وجاهته المعنوية. يفهم منها أنه كان أفضل إخوته التسعة وأشهرهم. ومن ثم تمتع بنفوذ كبير ؛ فكان "أهل سجلماسة وكافة أهل المغرب يقصدونه في المعضلات، ويستشفعون به في الأزمات، ويهرعون إليه فيما جل وقل من الملمات" (النزهة، 423). كما تفيد المصادر أنه كان يعمل من أجل الوصول إلى الملك، سيما وأن الظرف كان ملائما، بسبب استشراء التطاحن على السلطة بين أواخر أمراء السعديين، وتعدد الأدعياء في كثير من جهات البلاد، فضلا عن التهديد الأجنبي.

ولما بلغ أشده، صادف أن أضحت تافيلالت مهددة من قبل إمارة السملاليين، التي صارت تتطلع إلى التوسع شرقا ؛ سيما بعد أن امتد نفوذها إلى وادي دادس المتاخم لجهة تافيلالت ؛ والقبائل الرحل التي كانت تعد تلك الجهة أحد مجالات نجعتها ؛ قصده سكان قصور وادي إفلي، وعقدوا له البيعة سنة 1040 / 1631 (*الترجمان*، ص.1 ـ2).

غير أن تلك البيعة لاقت معارضة أحد أقوى قصور جهة السفالات، وهو قصر تابوعصامت ؛ الأمر الذي أفضى إلى تدخل كل من السملاليين والدلائيين في تافيلالت ؛ حيث استنجد المولى الشريف بأبي حسون واستصرخ بنو الزبير - أهل قصر تابوعصامت - بالدلائيين.

وإذا كان الدلائيون قد اقتصروا على بعث رسل محملين برسائل دعت الفريقين إلى حقن الدماء، فإن السملاليين تدخلوا عسكرياً ؛ وهو الأمر الذي جعل المترجم في "حيص بيص". لكن حسه السياسي ألهمه التنازل عن الملك لابنه المولى مَحمد، لما كان يتمتع به من قوة وشجاعة، وليتفادى ذلك الحرج الذي ألجأته إليه معارضة بني الزبير (م. س. ن) ولخص الزياني تاريخ توليته وتنازله في البيتين التاليين:

تقلد الشريف بالصحراء ... في عام امش 1041 أيام السراء

وعام همش 1045 سلم الأمر زهد ... ونجله محمد الملك قصد

وبذلك يسود الاعتقاد أن التنازل كان في العام المشار إليه سلفا.

غير أن السملاليين أدركوا مغزى ذلك التنازل، فاحتالوا على المولى الشريف ليعتقلوه. فتولى أمر ذلك عاملهم المدعو أبو بكر الذي تظاهر بالمرض، فدعا الشريف المترجم يستعيده. ولما زاره قام باعتقاله، وبعث به مسجونا إلى سوس، حيث حبس في حصن بقمة جبل جنوبي إيليغ، عاصمة الإمارة السملالية. ونقل المختار السوسي أن بودميعة اعتقل المولى الشريف يوم الثلاثاء آخر شعبان سنة 1047، وهو تاريخ غير صحيح. والراجح عندنا، ومما نفيده من عدة قرائن أن الاعتقال تم فيما بين 1045 و1047.

ويجمع كثير من الكتاب على أن السملالي وسع عليه، في أثناء الاعتقال. ودليلهم على ذلك أنه "أنعم عليه بسيدة تدعى مباركة المغافرية اقترن بها هناك، وهي أم مولاي إسماعيل". على أن هنالك من يذهب إلى أن المترجم تسرى بها (*إيليغ قديماً وحديثاً*، ص. 109 ـ 110).

وأياما كان الأمر، فإن المولى الشريف قضى مدة في "مطبق" تازروالت، اختلفت المصادر في تحديدها. وعمل أبناؤها، سيما المولى مَحمد والمولى الرشيد، على البحث عن وسيط لفك أسر والدهم. وفي هذا السياق توجهوا إلى الزاوية الدلائية، وكلهم أمل في وساطة محمد الحاج، لكن بدون جدوى. والغالب على الظن أن السملالي ظل محتفظاً برهينته حتى انهزم في وادي درعة، وولى الأدبار نحو سوس، يجر أذيال الخيبة. وكان ذلك سنة 1051 / 1641. وهي السنة التي تم فيها إطلاق سراح المولى الشريف، مقابل فدية كبيرة، قدرها البعض بما يزيد عن قنطار ذهبا (*إيليغ*، ص. 114). وتفيد المصادر أنه ولد له في أثناء الأسر ثلاثة أولاد، من بينهم المولى إسماعيل (*البستان الظريف*، ص. 39). توفي المترجم ثالث عشر رمضان من عام 1069 / ثالث يونيو 1659، ودفن بزاوية سيدي بوزكري، بتافيلالت (*نشر المثاني*، 2 : 89 ؛ *الدرر البهية*، ص. 180).

أ. بن محمد العلوي، *الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية*، الرباط، د. ت ؛ م. الصغير الإفراني، نزهة الحادي، تح، ع. الشادلي، الدار البيضاء، 1419 / 1998 ؛ م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1402 / 1982، الجزء 2، *والتقاط الدرر*، تح. هـ. العلوي، بيروت، 1403 / 1983، أبو القاسم الزياني، *البستان الظريف*، القسم الأول، تح. رشيد الزاوية، الريصاني، د. ت. ؛ *الترجمان المعرب*، القسم الخاص بالدولة العلوية، نشر هوداس، 1888 ؛ أ. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، ط. 2، مراكش، 1414 / 1994، الجزء الأول، أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، الجزء السادس ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ط. 2، المحمدية، 2001، الجزء الثاني، م. المختار السوسي، *إيليغ قديماً وحديثاً*، الرباط، 1386 / 1966.

أحمد عمالك

ابن **الشريف، محمد** مقاوم ولد سنة 1915 بدوار الزاوية ملحقة دائرة اكنول بإقليم تازة. انخرط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالمنطقة الشمالية بجبال الريف وعمل ضمن التشكيلة التي كانت مرابطة بمركز اسويل ببورد ناحية اجدير تحت قيادة عمر اشتاتو. وبقي يعمل ويناضل بكل نزاهة وإخلاص وببسالة نادرة حيث شارك في عدة معارك أبان فيها عن روح قتالية عالية كالهجوم على مركز المستعمر ببورد ومركز بوزينب.

وظل كذلك إلى أن استشهد في إحدى المواجهات بين جيش التحرير وقوات الاحتلال بمكان يدعى كدية الشوك بضواحي بورد وذلك بتاريخ 2 / 12 / 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514098.

**الشريف** بن **محمد الحسني** الدرعي من أشراف سجلماسة الذين طرأوا على وادي درعة بعد قيام الدولة العلوية خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17م).

يحليه صاحب *الدرر المرصعة* بالعالم العلامة الفقيه الأديب (*الدرر*، 138) لا نعلم شيئاً عن نشأته، وهل ولد في درعة أم في سجلماسة ؛ وكل ما نعرفه عنه أنه كان يعيش في نهاية القرن الحادي عشر (17م) وطيلة النصف الأول من القرن الثاني عشر (18م)، بواحة اكتاوة، حيث أسس قصبة خاصة به لا تزال تعرف إلى اليوم بقصبة مولاي الشريف.

ورغم أن الناصري، قد حلاه بالعلم والفقه فلم يثبت عنه أنه مارس التدريس كباقي علماء وقته بدرعة إذ يبدو من خلال بعض الإشارات أنه كان يمارس نشاطاً تجاريا بالمنطقة حيث كانت واحة لكتاوة إبانه ما تزال تحتفظ ببعض الأنشطة التجارية التي ورثتها منذ العهد السعدي. وفي غمرة الأحداث القبلية التي عرفتها واحتا اكتاوة ومحاميد الغزلان خلال العقد الرابع من القرن الثاني عشر الهجري (18م) (*Relation de Pellow*, 119)، تعرض الشريف بن محمد لبعض المضايقات، فقتل أحد أولاده على يد بعض الظلمة حسب تعبير الناصري (*الدرر*، 139)، وقد تأثر كثيراً لهذا الحدث، ورغم أن السلطان مولاي إسماعيل قد انتقم للشريف بن محمد فإنه فضل الانكماش على نفسه بقصبته، حيث أقبل على قرض بعض المرجزات (*الدرر*، 138 ـ 139) وتكشف هذه المقطعات الشعرية عن رهافة إحساس الشريف بن محمد الحسني، وتأثره العميق لمقتل ابنه في أحداث لا يَدَ له فيها.

وفي سنة 1149/ 36-1737 هجرية سافر الشريف بن محمد الحسني إلى تافيلالت فأدركه أجله بالقرب من سجلماسة عن سن عالية، فنقّل إلى موطن أهله حيث دفن هناك.

م. المكي بن موسى الناصري، *الدرر المرصعة*.
Thomas Pellow:, *Relation de Thomas Pellow*, Paris 1983.

أحمد البوزيدي

**الشريْط**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Axeret -chret - Xaret ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

محمد ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1435.

محمد ابن عزوز حكيم

**الششتري، علي** بن عبد الله النميري ولد بششتر إحدى قرى وادي آش بالأندلس عام 610 / 1213. واتصل بالمتصوف الأندلسي عبد الحق ابن سبعين عام 648، فدرس عليه الفلسفة، واشتهر بحفظ أزجاله وتواشيحه، ولازمه في تجواله بمدن المغرب والجزائر وتونس.

ولما توفي شيخه انفرد بعده بالإقامة على الفقراء المتجردين، فكان يتبعه في تنقلاته ما ينيف على أربعمائة منهم.

ألف الششتري عدة كتب منها : *الرسائل العلمية*، *والعروة الوثقي والمقاليد الوجودية في أسرار الصوفية*. وله ديوان شعر مشهور حققه الدكتور علي سامي النشار عام 1960.

اشتهر الششتري بما كان يتغني به في الأسواق من أزجال شيخه ابن سبعين أو بما نظمه هو نفسه من موشحات وأزجال على طريقة أهل الأندلس. وقد لقيت أناشيده بعد وفاته ـ وما تزال حتى اليوم ـ شيوعا واسعا، فأصبح بعضها مما يتغنى به فقراء درقاوة في المغرب.

أما في تونس فقد نحت المتصوفة من اسمه كلمة "الششتارة" وأطلقوها على جماعة الذكر، كما نحتوا منه لقب " الشيخ الششتري" في التدليل على شيخ العمل الذي يتولى في الحضرة نقر الطار ويشهد له بمعرفة الطبوع والأنغام وأسمائها.

ويحفل كناش الحايك بأشعار الششتري حتى لا تكاد تخلو منها نوبة من النوبات الاحدى عشرة. وقد أحصيت عددها في هذا الكناش فوجدتها تنيف على ثمانين صنعة أغلبها من التواشيح.

توفي في النصف الثاني من القرن السابع (13 م).

ع. الجراري، *القصيدة*، ص. 551 ؛ الصادق الرزقي، *الأغاني التونسية*، ص. 110 ؛ المقري، *نفح الطيب*، ج 7، ص. 161 ـ 167.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**شَشُّو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Xaxo؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1454.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشطرنج بالمغرب**، يمكن القول بأن الشطرنج جزء من تراث البشرية الفني والعلمي، وهو يضرب بجذوره في أعماق التاريخ، ولم يتفق العلماء والباحثون على إثبات موطنه الأصلي، وإن كان بعضهم يرجّح أنه من عمل بلاد الهند .. ومن الثابت أن العرب عرفوا الشطرنج فيما عرفوه من حضارات الأمم، أخذوه عن الفارسيين عندما دانت بلادهم للحكم الإسلامي.. وقد شُغف العرب بهذه اللعبة فتعلموها وبرعوا فيها، وإن المتصفح لكتب الأدب العربي يجدها زاخرة بأخبار الشطرنج ونوادره.. ومما لا شك فيه أن دخول الشطرنج

إلى القارة الأوربية تحقق على أيدي العرب، فعن طريق الأندلس وإيطاليا وعن طريق بلاد الشام إبان الحروب الصليبية كانت هذه اللعبة من جملة ما أخذه أهل أوربا من علوم العرب وثقافتهم وحضارتهم الخلاّقة.

عُرف بعض الشطرنجيين المسلمين ببراعتهم وجودة لعبهم، ومن أشهرهم : أبو العباس أحمد العدلي، وأبو القاسم التوزّي، وأبو بكر محمد الصولي، وأبو الفرج محمد اللجلاج... ومارس الشطرنج من قبيل الترفيه بعض الصحابة، منهم أبو هريرة، وعبد الله بن العباس، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي.. كما مارسه عدد من التابعين والفقهاء، منهم سعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، وعلي بن الحسين زين العابدين، وابن شخاب الزّهري، والقاضي أبو الحسن الماوردي، والإمام الشافعي.. كما مارس الشطرنج من الخلفاء والملوك يزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، وهارون الرشيد، والأمين، والمأمون، والسلطان محمود الغزنوي، وبطل الإسلام صلاح الدين الأيوبي، وغيرهم.. ومن الشعراء الفرزدق، وابن الرومي، وابن المعتز، وعلي بن الجهم وغيرهم.. وأخذ الشطرنج العربي في الماضي نقاشاً طويلاً بخصوص مكانه بين الحلال والحرام، فقد اختلف الفقهاء في حكمه بين الإباحة والكراهة والتحريم.. قال كثير من الفقهاء إن الشطرنج مباح شرعاً ولكن بشروط ثلاثة، أولها ألاّ يؤخر الإنسان بسببه صلاته عن وقتها، وثانيها ألاّ يُلعب كقمار أي رهان على مال، وثالثها أن يحفظ اللاعب لسانه حال اللعب عن الفحش والخنا ورديء الكلام.

عرف المغاربة الشطرنج منذ العهود الإسلامية الأولى، فقد ظل المغرب على صلة وثيقة بالأندلس العربية منذ نشأتها، ومن ثم كان التفاعل كبيراً بين هذين القطرين في كل ما يتعلق بمظاهر الحضارة من علوم وفنون وصناعات وغيرها.. ومما لاشك فيه أن لعبة الشطرنج كانت من بين الفنون الرفيعة التي اتسمت بها حضارة الأندلس الزاهية حيث تعاطاها رجال نبهاء تحدثت عنهم كتب الأدب والتاريخ كأمير قرطبة عبد الرحمن الثاني، ووزير المعتمد بن عباد أبي بكر محمد بن عمار، وقاضي قضاة إشبيلية أبي بكر ابن العربي المغافري.. وليس ببعيد أن يكون رجال المغرب بحكم الجوار والعلاقات المستمرة مع الأندلس قد تعلموا هم أيضاً فن الشطرنج وأولعوا به.. ولا تخلو كتب تاريخ المغرب من تلميحات طفيفة لبعض الشخصيات المغربية التي مارست لعبة الشطرنج، فقد جاء - على سبيل المثال - في كتاب "النبوغ المغربي" للبحاثة عبد الله كنون أن العلامة الشهير أحمد المنجور الفاسي الذي عاش في العصر السعدي "كان أحد الأبطال في لعب الشطرنج".. وقد استعمل بعض الأدباء في تعابيرهم ألفاظاً شطرنجية، من ذلك أن الشاعر المغربي "ابن الونّان" الذي عاش في القرن (18) قال في قافية شهيرة له :

ولا تحارب ساقط القدر فكم  من شهة قد غُلبت ببيذق

وعاش في القرن (17) شيخ وقور يدعى زنوف التازي، وكانت له دراية بأصول الموسيقى الأندلسية وطرائف اللعب بالشطرنج، ومن ثم ألف كتاباً بعنوان "مختصر الأفاريد" وضمنه باباً خاصاً بلعبة الشطرنج. وقد طبع هذا الكتاب بخط مغربي سنة 1300 بمطبعة حجرية فاسية.ومن هنا يتضح أن الشطرنج عرف بالمغرب منذ القديم وخاصة في كبريات المدن كفاس وتطوان وسلا والرباط ومراكش، غير أن لاعبيه كانوا قلة لا يضمهم ناد أو اتحاد، وإنما كانوا هواة متفرقين يمارسون اللعبة داخل دورهم أو في منتديات خصوصية.

وبلغ من اهتمام المغاربة بالشطرنج أن نظموا فيه بعض القصائد الشعرية، ومنها *ياقوتة الشطرنج* وهي أرجوزة قيمة أنشأها الأديب محمد بن محمد حركات السلاوي سنة 1333/ 1915، من 320 بيتاً.

وأخرى لمحمد بن محمد بن علي الدكالي، طبعت بالرباط د. ت. (حوالي 1927)، ومنها في وصف الرقعة قوله :

وثالثة شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم مدح بها الباشا التهامي الأگلاوي باسم *الشطرنج الناطق*، وذلك بأن ملأ بيوت الشطرنج الأربعة والستين بعددها من الكلمات، ثم كون من تلك الكلمات أبياتاً شعرية تختلف في بحورها وقوافيها، وتتألف معانيها من سير القطع الثمانية على الرقعة في مختلف الاتجاهات.

وفي مجال التأليف طبع بالرباط سنة 1926 كتاب صغير لمؤلفه مصطفى بن محمد الغربي الرباطي عنوانه *زهر النارنج في تعريف الشطرنج*. وهناك مخطوط لعبد السلام بن سودة بعنوان *الزهر من أكمامه في الشطرنج وأحكامه*، وقد فرغ من تأليفه سنة 1924.

ولا ريب أن المغاربة ظلوا يلعبون الشطرنج حسب أصوله وطرائقه العربية القديمة إلى حين احتكاكهم بالأوربيين الذين توافدوا على المغرب منذ القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر (19 - 20 م)، وعندئذ تعرّف المغاربة على الشطرنج العصري فأعجبوا به وحذقوه.. وقد عاش بمدينة سلا لاعب مقتدر اسمه الحاج عمر المالقي. ويقال إن سلطات الحماية استقدمت إلى المغرب بطلاً فرنسياً حيث أجرى بقاعة فندق المامونية بمراكش مقابلة شطرنجية آنية (سنة 1950) شارك فيها عدد من الهواة كان من بينهم الحاج عمر المالقي وهو يرتدي لباسه المغربي التقليدي، وقد نشرت الصحافة آنذاك خبر انتصار هذا اللاعب على البطل الأوربي الزائر.. وعندما أنشأ الأجانب بالمغرب إبان عهد الحماية أنديتهم الخاصة التي كانت تعنى بكل أنواع الرياضة البدنية والفكرية أخذ بعض المغاربة يرتادونها ويشاركون في أنشطتها، بل نالوا أحياناً قصب السبق في بعض أنواعها ومنها، رياضة الشطرنج.. ومما هو جدير بالذكر أن البطل الفاسي أحمد بنيس شارك في بطولة الجزائر سنة 1948 وانتزع رتبتها الأولى من أيدي جماعة من اللاعبين الفرنسيين.. وخلال الأربعينيات شارك

بطل تطوان إدريس ابن عبود في بطولات بإسبانيا وحظي هناك بالتقدير والإعجاب من لدن الشطرنجيين الإسبان.

وأسست بمدينة تطوان غداة استقلال المغرب سنة 1956 أول جمعية شطرنجية تحتضن هواة مغاربة هي الهيئة المغربية للشطرنج، وقد قامت منذ تأسيسها بعدة أنشطة، وشارك ممثلوها في كثير من المباريات التي جرت بالمغرب وإسبانيا، واستقدمت إلى تطوان ثلاثة أبطال إسبان (بيريس، بومار، مدينا) وبطلاً من البرتغال (دوراو). وفي نفس الوقت قام النادي الإسباني بمدينة العرائش بتنظيم عدة مباريات حبية بين فرق مدن مغربية وإسبانية. كذلك نظم هذا النادي في سنة 1964 مباراة دولية بين المغرب وإسبانيا، شارك فيها من جانب الفريق الإسباني ثلاثة أبطال مرموقين هم : أرتورو بومار، وأنطونيو مدينا، ورفاييل سابوريدو. أما الفريق المغربي فكان مؤلفاً من : إدريس ابن عبود، ومحمد بلعربي، وأحمد بنيس.

وشهد المغرب منذ أواخر الخمسينيات نهضة شطرنجية مطردة، إذ أقبل أبناء الوطن على ممارسة رياضة الشطرنج الذهبية، وتاقت نفوسهم إلى إجادتها حسب قواعدها ونظرياتها الحديثة، وأنشئت الجمعيات في كثير من المدن، وأقيمت المنافسات الودية بين الفرق.. وكُلِّلَتْ جهود الهواة بتأسيس *الجامعة الملكية المغربية للشطرنج* في الجمع العام التأسيسي الذي عقد بفندق زلاغ بفاس يوم 2 نوفمبر 1963.

اهتمت جامعة الشطرنج في البداية بتنظيم البطولات الوطنية الفردية للرجال، وقد بلغ مجموعها لحد الآن 29 بطولة. وأشرفت على تنظيم مباريات فرقية أخرى باسم "كأس العرش" ابتداءً من 1982. وقد بلغ مجموع هذه المنافسات لحد الآن 13 مباراة.

كذلك نظمت الجامعة 16 بطولة وطنية فردية خاصة بالشبان (دون 20 سنة). و14 بطولة وطنية فردية للإناث.

ومن بين الأنشطة الهامة التي أنجزتها جامعة الشطرنج المغربية تنظيمها مباراة دولية بإحدى قاعات "فندق الدار البيضاء" بالعاصمة الاقتصادية في شهر مارس 1974، شارك فيها عشرة أبطال يمثلون ثمانية بلدان (رومانيا، الفيليبين، يوغوسلافيا، روسيا، الولايات المتحدة، إسبانيا، المغرب، تونس).. وقد شرّف جلالة الملك الحسن الثاني جامعة الشطرنج باستقباله للاعبين الدوليين الذين شاركوا في هذه المباراة، وذلك أثناء المهرجان الذي أقيم قرب مدينة القصر الكبير بمناسبة تدشين بناء سد وادي المخازن. وكان يتقدم هؤلاء الأبطال في حفل الاستقبال الشيخ محمد المكي الناصري وزير الأوقاف والشؤون الثقافية والأستاذ محمد التبر رئيس الجامعة المغربية للشطرنج.

ويمكن القول بأن أكبر تظاهرة شطرنجية عربية شهدها المغرب تتمثل في *المهرجان العربي الثالث للشطرنج* الذي أقامته الجامعة المغربية - تحت إشراف الاتحاد العربي للشطرنج - بمدينة تطوان في أكتوبر 1985. وقد أقيم حفل افتتاح المهرجان بمنزل عبد السلام الحاج بتطوان بحضور وزير الشبيبة والرياضة عبد اللطيف السملالي، ورئيس الاتحاد الدولي للشطرنج فلورنسيو كامبومانيس، ورئيس الاتحاد العربي للشطرنج التونسي محمد رضا بلقاضي .. واشتمل هذا المهرجان على الأنشطة والأعمال الرئيسية التالية : (أ) تنظيم البطولة العربية الفردية للذكور والإناث. (ب) تنظيم الملتقى الأول للحكام العرب (ج) تنظيم ندوة عن تاريخ الشطرنج العربي، تولى تأطيرها عبد الرزاق أحمد طه رئيس اتحاد الشطرنج العراقي ومحمد مراد سكر رئيس الاتحاد اللبناني للشطرنج (د) اجتماع الجمعية العمومية للاتحاد العربي للشطرنج.. كذلك نظمت جامعة الشطرنج المغربية في نوفمبر 1998 مهرجاناً عربياً للشطرنج بمدينة أكادير حيث جرت بطولة عربية فردية للذكور وبطولة عربية فردية أخرى للإناث، بالإضافة إلى تنظيم بطولة فردية للفتيان وأخرى للصغار.

وشارك أبطال المغرب في بطولات عربية فردية أقيمت في عدد من العواصم والمدن العربية : تونس (1983)، دبي (1984)، تونس (1987)، الكويت (1989)، دبي (1991)، الدّوحة (فبراير 1993)، عمّان (ديسمبر 1993)، إربد بالأردن (1994)، بيروت (1995)، بغداد (1997).

وابتداءً من سنة 1986 نظمت تحت إشراف الجامعة المغربية عدة بطولات وطنية فردية خاصة بالفتيان والصغار ذكوراً وإناثاً (أقل من 16، 14، 12 سنة).. وجاءت بعد ذلك مشاركة أبطال المغرب الناشئين في العديد من البطولات الدولية والعربية التي أقيمت ببعض المدن الأوربية والعربية، وهي بطولات تنظم لصالح اللاعبين الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة أو أقل من ذلك.

وعلى الصعيد المغاربي نظمت جامعة الشطرنج البطولة المغاربية الأولى للفرق الوطنية بمدينة وجدة سنة 1990.. وتلا ذلك مشاركة ممثلي المغرب في منافسات مغاربية (فردية أو فرقية) أقيمت معظمها في تونس والجزائر.

ومن الأحداث الشطرنجية الطريفة التي عرفها المغرب في العقد الأخير تنظيم الجامعة المغربية لمباراة آنية للبطل الروسي العالمي "أناتولي كاربوف" حيث تقابل بأحد فنادق الدار البيضاء يوم 28 مارس 1992 مع 18 لاعباً ولاعبة كان من بينهم وزير مغربي وعدد من رجال المال والأعمال بالعاصمة الاقتصادية.. وكنشاط مواز لمباراة دولية مغلقة نظمت في ماي 1994 بالدار البيضاء (بمشاركة عشرة لاعبين دوليين) أقيمت ببهو بنك الوفاء يوم 7 ماي 94 مباراة آنية للبطل العالمي السابق "بوريس سباسكي" حيث تقابل فيها مع 23 مشاركاً كان من بينهم رئيس الجامعة واثنان من رؤسائها السابقين.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى مشاركة الفريق الوطني المغربي في المنافسات التالية :

- بطولة الأمم الأفريقية الأولى التي جرت بمدينة القاهرة في ماي / يونيو 1993.

- بطولة الأمم الأفريقية الثانية، ونظمت أيضاً بالقاهرة في يوليو 1997.
- البطولة العربية الأولى للأندية البطلة التي أقيمت كذلك بالقاهرة في أبريل 1999.
- الألعاب العربية التاسعة التي أقيمت بالأردن في أغسطس 1999.

وفي مجال التأليف الشطرنجي الحديث أصدر أحمد الشرقاوي إقبال سنة 1969 كتاباً بعنوان *لعبة الشطرنج في ماضيها الإسلامي*. وأصدر كاتب هذا العرض في سنة 1972 كتاباً عنوانه *شذرات من الشطرنج*، كما أخرج في سنة 1981 كتيباً طبع على نفقة الجامعة بعنوان *قوانين لعبة الشطرنج وطرق تنظيم مبارياتها*، وقد اعتبر هذا الكتيب التقني الأول من نوعه في الوطن العربي.

وينضوي تحت لواء الجامعة الملكية المغربية للشطرنج خلال موسم (1999/2000) 76 نادياً. واعتباراً للموقع الجغرافي تقسم خريطة الأندية الشطرنجية إلى ثمان عصب.

محمد حسين السوسي البهاوي

**الشط**، أبو **سالم إبراهيم**، من أبرز رياس البحر في عهد السلطان أحمد المنصور السعدي، اشتهر بشجاعته ونجابته في المعرفة بأحوال البحار والملاحة، وبإقدامه في تنفيذ العمليات الجهادية ضد السفن المعادية للمغرب، وخصوصاً بالمياه المتاخمة للشواطئ الممتدة بين سلا ومضيق جبل طارق، الشيء الذي جعل السلطان المذكور يعينه على إمارة الأسطول السعدي بظهير شريف من إنشاء الكاتب محمد بن عيسى، جاء فيه :

«هذا ظهير كريم ... للرايس الأنجد الأحظى الأمضى المجاهد الأوجه الأكمل أبي سالم إبراهيم الشط، ولما كان ممن علمت كفايته، واشتهرت في الجهاد عنايته، وأربت في البر والبحر على الغايات غايته، وأحاطت بتصاريف ذوات الألواح والرسى درايته، رأى أيده الله أن يقلده قيادة الأسطول ... ويسند إليه رياسة القطائع والشواني ويحط زمامها من يده بيد الحازم اليقظ الذي لا يلم به الكسل والتواني، فقدمه أعلى الله قدمه وعرفه الخير والبركة في كل ما توجه إليه عزمه، ويممه على العمارة البحرية والقطائع الجهادية، فليتقدم لذلك بما لديه من الجد والمضا، والكفاية التي يستمد منها الصارم والمنتضى، عاملا بما يقضي له من الله الثواب، ومنا مزيد العز ومزيد الرضى..."

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. ع. الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف، الرباط، 1972، ص. 129 - 30 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، ج 8، المحمدية، 1988، ص. 251.

حسن أميلي

**الشط البحري**، جزء من قاع البحر مرتفع عما حوله ولكن على عمق يكفي للسماح بالملاحة. ويمكن للشط أن يكون رمليا وحسب (اصطلاح محلي في المغرب العربي مثل هضبة الشطوط).

وبصفة عامة، فمصطلحات «شَط» وبالخصوص «شُطّ» وشطوط (جمع شط) تعرف بالمستنقعات المالحة وكذلك بالسبخات أو السباخ وهي أراضي ذات نزّ وملح وتعتبر الشطوط أيضاً كسبخات بحرية المنشأ.

وانطلاقا من هذه المعطيات، يمكن القول بأن التعريف العام لمصطلحات شَط، شُط، شطوط وكذا شُطّانٌ (جمع شط) يطرح إشكالية الترادف بين الشطوط والسبخات أو السباخ، والتي لكل منها مميزات وظروف ايكولوجية وبيئية وبيولوجية خاصة ومحددة على الرغم من تشابهها الكبير.

ومن جهة أخرى، اعتمدت المصطلحات العربية والتي هي الأصل والمصدر للتعريف بلفظات شط، شطوط، شطان في لغات أخرى وخاصة منها الفرنسية.

وتعتبر الشطوط كمرادفات للسباخ أو السبخات (جمع سبخة)، وفي هذا الباب عُرف بالشطوط أو السبخات كبحيرات أو مستنقعات مالحة والتي يحدث بها التبخر أثناء فصل الصيف تكون صفّاح ملحي خام أو طبقة ملحية.

ويطلق بشمال إفريقيا أيضاً مصطلحا شطوط وسباخ على المنخفضات المكونة من رواسب التِّقْن التي تغطيها الأملاح والتي لا تمكث بها المياه إلا في فترات من السنة.

وتُعرف الشطوط كذلك بمنطقة المغرب العربي كوهدات أو منخفضات بالصحراء والنجود العليا (المغرب، الجزائر، تونس)، خالية من الماء على العموم ومغطاة بقشرة ملحية أو صفاحات ملحية والتي يمكنها أن تمتلىء لفترة قصيرة بالأمطار التي تهم تلك المناطق.

وبالنسبة لعدد من الباحثين المهتمين بالأتربة المالحة والنباتات الالفملحية فالشطوط هي منخفضات ذات مساحات مختلفة (كبيرة وصغيرة) وتحتلها المياه المالحة. كما تصب بها مجاري مياه أو أودية مهمة وعادة مالحة. والميزة الأخيرة، حسب الباحثين أعلاه، هي ما يفرق أساساً بين الشطوط والسباخ أو السبخات. فهذه الأوساط الحياتية (السباخ) تعتبر في هذه الحالة كمنخفضات تتجمع فيها مياه مالحة ولا يصب فيها أي مجرى للمياه أو واد. والملوحة في هذه الظروف لها ارتباط بسيلان مياه الأمطار يحمل الأملاح المنحلة (صخوراً أو أتربة مالحة مجاورة للسبخات) أو التبخر وتركيز الأملاح على شكل قشرة أو طبقة ملحية.

وفي تعريف آخر، تعتبر الشطوط كمنخفضات كبيرة المساحة، يحيط بها جرف أو أجراف وتصب بها مجاري مياه ويمكنها أن تصبح يابسة جزئيا أو كليا خلال الفترات الجافة. وحسب بعض الباحثين تعتبر الشطوط بإفريقيا الشمالية (المغرب، الجزائر، تونس)، عبارة عن أحزمة أو رقع أرضية متراكزة ومالحة تحيط كليا بالسبخات. وهذه الاحزمة تكون أوساط حياتية تنمو بها عدة أنواع من السرمقيات والنباتات أليفة الملح.

أما بالنسبة لباحثين آخرين وخاصة منهم المهتمين بالزراعة والري فإن الشط يعني الشاطئ ويستعمل خطأ للتعريف بالجوانب التي تحيط بالبحيرات المالحة للسهول العليا بالجزائر.

وعلى الرغم من أن بعض الباحثين ربطوا استعمال مصطلحات شطوط، سبخات وسباخ بإفريقيا الشمالية أو المغرب العربي وخاصة بالمغرب والجزائر وتونس، يمكن القول بأن هناك أبحاث ومساهمات علمية بيّنت بأن استعمالها ودراسة بيئتها ونظمها الايكولوجية همَّ عدة جهات بالشرق الأوسط وجهات أخرى.

ويمكننا القول كذلك إن الجهات البيوجغرافية المتميزة للعراق بمناطقها الرطبة والمالحة بنهري دجلة والفرات وخاصة شط العرب (Chot al Arab) وأهواره (جمع هور) لها صلة وطيدة بالشطوط المالحة التي تنمو بها تشكيلات ونظم بيئية مختلفة بما فيها شبه المدارية الالفملحية.

وانطلاقا من كل هذه المعطيات ومصادر علمية أخرى يمكننا أن نعرف بالشطوط على النحو التالي :

"الشطوط هي منخفضات أو وهدات ترسيب نتيجة تأثير مياه الأمطار أو مجاري المياه والأودية وتذرية تحت عوامل تبخر مياهها وتجفيفها وكذا الأملاح أو المتبخرات التي تُكوّن القشرة الملحية.

فهي اذن أوساط حياتية ذات نظم ايكولوجية وبيئية خاصة ومتخصصة في تكيفها العالي مع الأملاح وتركيزها المرتفع. وتتميز أيضاً بخصوصياتها البيولوجية بما فيها تنوعها البيولوجي من فلورة وفونة وديناميكيتها الوظيفية السريعة المرتبطة بالتغيرات في درجات ملوحة ورطوبة تربتها ومياهها وكذا تغيرات مستوى أو عمق المياه السطحية أو الباطنية أو الطبقة المائية الجوفية. وكل هذه العوامل الايكولوجية والبيئية وتغيراتها في الزمان ولمختلف الأوساط الحياتية للشطوط لها ارتباط قوي بالظروف المناخية (أمطار وتهطال، درجات الحرارة، نوع وقوة الرياح ...) والإطار البيئي الموقعي (الأملاح والمتبخرات ونوعيتها وتركيزها، رطوبة التربة والرواسب، بنية وقوام ومسامية التربة، انحدار...). وعامل الإنسان والظروف السوسيو اقتصادية والتي، في معظم الأحيان إن لم نقل كلها، تؤدي إلى تدهور قوي أو تدمير وتصحر الشطوط.

ومن الناحية الجغرافية، فالشطوط مثلها مثل معظم السبخات تحتل مواقع بالمناطق الجافة وخاصة المناطق شبه الصحراوية والصحراوية وذلك تحت العوامل البيئية الرئيسية التي تمكن من تكونها ونشأتها وتطورها.

ومن الأمثلة البارزة للشطوط بشمال إفريقيا هناك شط تيگري (Chot Tigri) بالجنوب الشرقي للمغرب الشرقي، شمال غرب فگيگ وشمال شرق بوعرفة وشط (Chott Hodna) بالجنوب الشرقي للجزائر العاصمة وشط الجريد (Chott Jérid) بتونس الوسطى.

2 - الإطار الجغرافي والايكولوجي والبيئي :

2 - 1 - التوزيع الجغرافي :

تتوزع الشطوط في مناطق مختلفة عبر العالم على الرغم من أن معظم الباحثين الفرنسيين الذين اهتموا وساهموا في العديد من الدراسات العلمية المهمة حصروا وجود الشطوط ونشأتها والتعريف بها بإفريقيا الشمالية أو المغرب العربي وعلى وجه التحديد بالمغرب والجزائر وتونس.

ونظراً لارتباط وتكوّن وديناميكية الشطوط بالمتبخرات (الأملاح خاصة) ورطوبة أو تجفيف التربة وكذا بالبيئة الجافة، شبه الصحراوية والصحراوية والانحباس، فالشطوط والسباخ تجد بهذه المناطق الجيوغرافية الظروف الملائمة لتكونها.

وفي هذا الباب، لا بد من أن نؤكد على أن الدراسات في هذا الميدان أنجز الكثير منها بالجزائر على الخصوص وكذا تونس.

وبالنسبة للمغرب، انجزت في هذا الميدان بعض المساهمات المحدودة والتي اهتمت بالجنوب الشرقي أو المغرب الشرقي أو بسبخات الجنوب الغربي المغربي أو في مجال المياه المالحة بالمغرب.

وبيَّنتْ هذه المساهمات العلمية أن الشطوط وخاصة السبخات تتموقع بجنوب المغرب الشرقي والجنوب الشرقي المغربي والجنوب وكذا الجنوب الغربي للمغرب أي بالمناطق الجافة وبالخصوص شبه الصحراوية والصحراوية.

وكعيّنة لهذه الأوساط البيئية، هناك شط تيگري شمال شرق بوعرفة والشط الغربي جنوب شرق عين بني مطهر، والتي تمتد شرقاً بالجزائر وخاصة الشط الغربي.

ومن جهة أخرى فاستعمال مصطلحات سبخة وسبخات بالنسبة للمنخفضات المالحة بالمنطقة الجافة وشبه الصحراوية والصحراوية هو السائد.

واستعمال نفس المصطلحات يظهر بحدّة في المناطق البيوجغرافية بالجنوب الغربي المغربي.

ففي كل هذه المناطق الألفاظ المستعملة هي سبخة، سبخات وسباخ.

2 - 2 - الظروف الايكولوجية والبيئية :

2 - 2 - 1 الملوحة

ان الملوحة كما بيّناه في المجال المتعلق بالسبخات (انظر سبخة) هي العامل الايكولوجي الأساسي الذي يلعب دوراً بارزاً في بيئة الشطوط من نشأتها وتكوينها إلى تطورها. والملوحة تهم التربة والرواسب، والمياه المتجمعة على السطح، السديمة المغذية، والمياه الباطنية والجوفية.

وترتبط ملوحة الشطوط بتواجد أملاح مختلفة والتي تكون إما مدمصة بالنسبة للتربة على شكل كاتيونات (K+, Ca++, Mg+, Na+) أو منحلة على شكل كاتيونات (K+, Ca++, Mg++, Na+) وانيونات (Co3--, Co3H-, So4--, Cl-).

وكما هو الشأن بالنسبة للسبخات، وفيما يهم الكاتيونات فالكاتيون (تربة، مياه السديمة والباطنية) هو الصوديوم (+Na) الذي يفوق 50٪ مقانة مع الكاتيونات الأخرى، بل ويتعدى في حالات كثيرة 95٪. أما الكاتيونات الأخرى وخاصة المغنيزيوم ( ++Mg) والكالسيوم (++Ca) فتصل، بل وتتعدى في ظروف بيئية خاصة 40٪ أو 50٪. وتحتل هذه الكاتيونات أي ++Mg أو +Ca المرتبة الثانية بعد الصوديوم +Na. أما تركيز البوتاسيوم، فيبقى متواضعاً مقارنة مع الكاتيونات الأخرى.

وبالنسبة للأنيونات، يبقى الكلوريد (-Cl) هو السائد مقارنة مع الأنيونات للأخرى. وكما هو الحال بالسباخ، فالكلوريد يمثل أكثر من 40٪ بالنسبة للانيونات الأخرى. وفي معظم الأحيان، وحسب الظروف الإيكولوجية، فهو يفوق 50٪ أو 60٪ من مجموع الانيونات بالوسط البيئي الطبيعي للشطوط.

ويمثل انيون السلفات (--SO4) نسبة مهمة جداً، بل ويمكن أن يكون أكثر تركيزاً من الكلوريد (-Cl) نفسه وخاصة بالمناطق التي يوجد بها الجبس أو سلفات الكالسيوم (Ca-So4). وفي هذه الحالات، يمثل السلفات نسبا تتراوح ما بين 30٪ أو 40٪ إلى أكثر من 60٪ أو 70٪.

أما الانيونات الأخرى، أي البيكاربونات (HCO3) والكاربونات (CO3) فتبقى نسبها متواضعه عادة مقارنة مع الانيونات السالفة الذكر إلا في بعض الحالات الخاصة.

والملح السائد بالشطوط هو كلوريد الصوديوم (N2Cl2)، ويمثل كلوريد المغنيزيوم (MgSo4) نسبا مرتفعة جداً أيضاً في كثير من الشطوط المغربية. وفي حالات متميزة يمكن أن يكون الملح السائد هو سلفات الكالسيوم (Ca So4) وخاصة في الأوساط الطبيعية التي تحيط بها بيئة جبسية، أو كلوريد المغنيزيون (Mg So4).

وعلى العموم، فالأملاح بالشطوط المغربية متنوعة وقوية التركيز وخاصة في الفصول الجافة والحارة.

وتتعدد أنواع الأتربة بالشطوط حسب التركيبة الكيماوية. ونوع التربة السائد هو السولنشاك (Solontchaks) باختلاف أصنافه (Solontchak calcium, Solntc hak sodique). أما الأنواع الأخرى فهي السولونيتز (Solonetz) والأتربة القلوية المالحة (Sols à alcali salés).

وتنتمي هذه الأنواع من التربة إلى الأتربة المالحة (Sols halomorphes) والتي ينتمي معظمها إلى قسم التربة الملحية الصودية (Classe des sols salsodiques).

وتعرف درجة ملوحة التربة ومياه الشطوط (مياه السطح، سديمة متوحة، مياه باطنية) بتحديد الناقلية الكهربائية (Conductivité électrique) والتي كما ذكرناه بالنسبة للسبخات (انظر سبخة) تقاس بالمليموس لكل سنتمتر (mmhos/cm) أو ميكروموس لكل سنتمتر (µmhos/cm). وتستعمل الناقلية الكهربائية لدراسة مستخلص عجين التربة المشبعة.

وفي حالات أخرى، تقاس الملوحة (تربة ومياه الشطوط) بتحديد كميات الغرامات في اللتر أو الميليمكافيء في اللتر (meq/l).

وتتغير ملوحة الشطوط حسب الظروف الايكولوجية والبيئية لهذه الأوساط الحياتية الطبيعية (بيومناخ، رطوبة ومياه، أنواع الأتربة والأملاح والانحباس ...).

وفي معظم الأحيان، فالناقلية الكهربائية (ماء، تربة) تتغير من أقل من 10 (mmhos/c m) في حالة تجمع المياه بالشطوط إلى أكثر من 100 (mmhos/cm).

وفي الحالات القصوى (جفاف، فترات جافة طويلة، تبخر قوي ...) تتكدس الأملاح بالشطوط كملح أبيض وعلى شكل قشرة أو طبقة ملحية سميكة يسود فيها كلوريد الصوديوم (Nacl) أو سلفات الكالسيوم أي الجبس (CaS64).

2. 2. 2. رطوبة الأتربة :

إن رطوبة التربة هي العامل الايكولوجي الثاني بعد الملوحة والذي يلعب كذلك دوراً أساسياً في بيئة الأوساط الحياتية للشطوط بالمغرب وبجميع المناطق الجيوجغرافية التي توجد بها، وذلك مثلها مثل السبخات والمناقع الخورية وجميع الأراضي المالحة.

وتتغير رطوبة التربة كثيراً حسب الظروف البيئية للشطوط. وترتفع درجة رطوبة الأتربة المالحة نتيجة التساقطات المطرية وتجمع المياه بمنخفضات الشطوط والتي تصل أو تفوق التشبع. ولدرجة رطوبة التربة صلة قوية بمستوى المياه الباطنية (السديمة المتوحة). وكلما كان مستوى الماء الباطني قريبا من سطح الشطوط كلما ارتفعت درجة الرطوبة والعكس صحيح.

وفي فترات الجفاف تتدنّى درجة رطوبة تربة الشطوط بكيفية قوية، مما يؤدي، عبر التبخر الحاد أو التبخر نتح العالي إلى تكون وتكدس المتبخرات والأملاح على شكل قشرة أو طوابق ملحية يطغى عليها كلوريد الصوديوم (NaCl) على العموم أو كلوريد المغنيزيوم (Mg Cl2) أو سلفات الكالسيوم أي الجبس (Na Cl) في البيئة التي توجد بها صخور أم محيطة بالشطوط والتي تكون غنية بالملح المذكور.

2. 2. 3 ـ العوامل الجيولوجية والجيومورفولوجية والتربية :

إن لهذه العوامل تأثيراً مباشراً على الظروف الايكولوجية والبيئية للشطوط المغربية خاصة والشطوط بصفة عامة وكل الأوساط الحياتية الملحية.

فالعامل الجيولوجي وخاصة عندما تكون الصخور الأم المحيطة أو المحادية للشطوط تحتوي على الأملاح كالصلصال الملحي أو الجبسي أو من الطين الملحي الترياسي أو كلسية ـ جبسية أو غيرها من الصخور التي تؤدي إثر تفسخها إلى تحرير أنواع مختلفة من الأملاح أو المتبخرات.

فبالنسبة للمغرب الشرقي والجنوب الشرقي المغربي، زيادة على شطوط تيكري والغربي هناك مناطق أخرى مالحة مثل سهل تملالت بحوض گير والتي يمكن اعتبارها كشط حقيقي والذي تغطيه طبقة أو صفّاحة جبسية وهذه المنطقة بالذات تتميز ببيئة وصخور أم غنية بالأملاح (كلوريد وسلفات، صوديوم وكالسيوم).

أما البيئة الجيومورفولوجية والتشكيل، فلهما دور أساسي في سيلان المياه وبالتالي في تغذية الشطوط بالأملاح المختلفة.

ولعامل التربة كذلك مكانة أساسية في البيئة الملحية للشطوط المغربية وخاصة في تأثيرها على تركيز الأملاح ودرجات الملوحة والرطوبة خلال فصول السنة.

وتكمن أهمية التربة أيضاً في مكوناتها الفيزيائية ودرجة رطوبتها أو جفافها ومكوناتها الكيماوية.

والأتربة الموجودة بالشطوط المغربية تتكون من الطمي أو الطين في المواقع الوسطى للشطوط والرمل في جوانبها الخارجية. لكن في عدة حالات، يمكن أن يكون الشّط بأكمله ذا تربة رملية أو طميية رملية حسب الظروف الموقعية.

3 - التنوع البيولوجي والنظم الايكولوجية والعشائر النباتية :

الشطوط بكل مكوناتها البيولوجية من فلورة وفونة وأوساطها الحياتية المختلفة تتميز بتنوع بيولوجي مهم يمكن من تكون عدة تشكيلات نباتية ذات أجناس وأنواع نباتية خاصة. وهذه التشكيلات المكونة من النباتات الالفملحية تساهم في تكون نظم ايكولوجية متخصصة في الملوحة على شكل عشائر ذروية موقعية. والنظم البيئية نفسها تتكون من عدة تجمعات نباتية تساهم بدورها في تحديد العشائر النباتية أليفة الملوحة.

بقيت الشطوط، مثلها مثل السبخات، مهمشة من جانب الدراسات العلمية المعمقة وذلك مقارنة مع الأوساط الطبيعية الأخرى كالغابات والسهب والتشكيلات الحراجية الأخرى.

وفي هذا الباب لابد من التذكير بأن الشطوط بتونس والجزائر أنجزت في شأنها عدة دراسات اهتمت بعدة جوانب من خصوصياتها.

أما فيما يهم التنوع البيولوجي، فالثروة الحيوانية تتكون من عدة أنواع من الطيور بما فيها المهاجرة والمائية التي يمكن أن توجد بأعداد مهمة عندما تكون الشطوط ممتلئة جزئيا أو كليا بالمياه.

توجد بالشطوط أيضاً عدة أنواع من الزواحف والبرمائيات والثدييات وكذا الحشرات المختلفة وغيرها.

وبالنسبة للتنوع البيولوجي للفلورة، هناك تشابه بين الشطوط والسبخات من حيث الأنواع والأجناس والعائلات نظراً لتأثير العامل المشترك وهو الملوحة وتغيرات تركيزها. وهذه التغيرات تشمل أيضاً درجات رطوبة الرواسب والأتربة (انظر سبخة).

والفصائل النباتية التي لها تنوع بيولوجي نباتي متميز تنتمي خاصة إلى السرمقيات (Chénopodiacées) والرصاصيات (Plumbaginacées) والطرفيات (Tamaricacées) والقديسيات (Zygophyllacées) والنجيليات (Graminées) والبطباطيات (Polygonacées) وعائلات أخرى مثل Spergulariacées ، Frankéniacées، Aizoacées وغيرها.

والأنواع النباتية التي تنتمي إلى هذه الفصائل تنمو بالشطوط على شكل أحزمة متتالية من قعر هذه الأوساط (في بعض الحالات يكون القعر خاليا من النباتات نظراً لقوة الملوحة أو تكدس المياه) إلى الجوانب الخارجية، وذلك مرتبط بتغيرات درجات الملوحة والرطوبة حيث تنخفض من الموقع المركزي بالشطوط في اتجاه المناطق الجانبية والخارجية.

والأنواع النباتية التي تنمو بالمناطق الوسطى للشطوط والمرتبطة بملوحة عالية (أكثر من 50 غ / ل أو أكثر من 100 غ / ل) هي :

التليث (Halocnemum strobilaceum)، والارتروكنيموم (Arthrocnemum macrostachyum)، والهالوبوبليس (Halopeplis amplexicaule) والحزيري الثمري (Salicornia fruticosa) والحزيري العشبي (Salicornia europaea)، والسوادة المثمرة (Suaeda fruticosa) والروتا (Salsola vermiculata) والقطف أو السرمق (Atriplex halimus) ونوع من النجيليات (Sphenopus divaricatus) الخ...

وفي الدرجة الثانية أي عندما ينخفض تركيز الأملاح شيئاً ما (5 - 10 غ / ل) تنمو أنواع نباتية أخرى مثل الشنان (Anabasis aphylla)، الطرطيع (Frankenia corymbosa) و(Frankenia hirsuta) والغردق (Nitraria schoberi) أو (Nitraria retusa) ونوع من الباذنجانيات (Lycium intricatum) وأنواع من القديسيات (Zygophyllum gaetulum, Zygophyllum album) أو الرصاصيات (Limonium delicatulum) أو الطرفاويات التي هي من الأنواع الشجرية مثل (.Tamarix aphylla Tamarix balansae, Tamarix speciosa, Tamarix boveana).

هذا، وزيادة على عدة أنواع نباتية تنتمي إلى فصائل Aizocées و Spergulariacées و Composées و Polygonacées الخ...)، توجد بالمواقع الرطبة جداً والأقل ملوحة (1 أو 2 غ / ل إلى 10 غ / ل) عدة أنواع نباتية تنتمي إلى البركيات (Typha angustifolia) أو إلى الاسليات (Juncus acutus) أو إلى السعديات (Scirpus maritimus) وغيرها.

كل هذه الأنواع النباتية بما فيها القبسية تساهم في تكوين عشائر نباتية مختلفة حسب درجات الملوحة والرطوبة وكذا تشكيلات نباتية بل وحراجية في حالات خاصة (الطرفاويات) وعدة نظم بيئية متميزة.

4 ـ استغلال الشطوط وتدهورها وضرورة حمايتها :

زيادة على الأدوار المهمة التي تلعبها الشطوط في المجال البيولوجي والايكولوجي والبيئي، فهذه الأوساط الحياتية الطبيعية تستعمل في الجانب الاجتماعي الاقتصادي شأنها شأن السباخ.

فالشطوط تستغل في مجالات شتّى أهمها :

ـ الرعي وتربية الماشية

ـ الصيد والقنص البري

ـ الزراعة بالمواقع الأقل ملوحة وخاصة بالجوانب الخارجية للشطوط

ـ استغلال الأنواع النباتية والأعشاب التي تستعمل في الطب التقليدي وكذا الأشجار (الطرفاء مثلا بجميع أنواعها) والأنواع المخشبة في عدة استعمالات كحطب وقود للتدفئة...

ـ استغلال بعض الأنواع النباتية (Phragmites communis) كسياج للحقول والمزروعات والاسل أو السمار والحلال في البوريات (حصير منسوج).

ـ استغلال المياه العذبة عبر حفر الآبار بمحيط الشطوط (سقي الخضروات، ارواء الماشية ...).

ـ الترفيه والسياحة بما فيها السياحة البيئية.

فعلى الرغم من كل المهام والأدوار الايكولوجية والبيئية التي تلعبها الشطوط (ضبط الفيضانات، تغذية المياه الباطنية، تصفية المياه، مدخر للتنوع البيولوجي وقيمة وإرْث ثقافي وحضاري...) والسوسيواقتصادية فالشطوط تخضع لضغط قوي ومستمر واستغلالات غير عقلانية أدّى إلى تدهور نظمها الايكولوجية وأوساطها الحياتية وبيئتها وتصحرها.

لذلك يجب أن تعطى أهمية كبيرة للشطوط والسبخات عن طريق الدراسات العلمية المعمقة وصونها والمحافظة عليها لحمايتها من التدهور.


M. Bendaanoun, *Etude synécologique et syndynamique de la végétation holophile et hygro-halophile de l'estuaire du Bou-Regreg (Littoral atlantique du Maroc). Applications et perspectives d'aménagement.* Thèse de Docteur-Ingénieur. Univ. d'Aix-Marseille III, 1981 ; *Etude écologique de la végétation halophile, halohygrophile des estuaires, lagunes, deltas et Sebkhas du littoral atlantique et méditerranéen et du domaine continental du Maroc.* Thèse de Doctorat d'Etat Es-Sciences Naturelles. Univ. Aix-Marseille III, 1991 ; G. Gaucher et S. Burdin, *Géologie, géomorphologie et hydrologie des terrains salés*, Paris, 1974 ; Ch. Killian, *La végétation autour du Chott Hodna, indicatrice des possibilités culturales et son milieu édaphique. Ann. Inst. Agr. Serv. Rech. Exp. Agr. Alg., I.A.A.*, Alger, 1953 ; J. Margat, *Répartition des eaux salées au Maroc. Atlas du Maroc, Notices explicatives*, Planche 14b., Rabat, 1960, 20p. + 1C.C.h.t. ; G. Novikoff, *Contribition à l'étude des relations entre le sol et la végétation halophile en Tunisie. Ann. Inst. Nat. Rech. Agr.* Vol.34, Tunis, 1961 ; P. Simonneau, *La végétation halophile de la plaine de Perrégaux (Oran).* Alger, 1952.


مَحمد بندعنون

**الشط الغربي**، منخفض مغلق يستقطب تصريفا داخليا، يمتد في الهضاب العليا المغربية الجزائرية على بعد حوالي 120 كلم جنوب مدينة تلمسان الجزائرية و30 كلم جنوب شرق عين بني مطهر المغربية. ويقع معظمه في التراب الجزائري بينما يمتد أقصى طرفه الغربي في التراب المغربي، ويكتسي هذا الموقع أهمية جغرافية وتاريخية للمنطقة ؛ فهو عبارة عن حوض مستطيل يصل طوله إلى حوالي 90 كلم ومتوسط عرضه يبلغ حوالي 15 كلم. ويتكون هذا الشط مثل سائر المنخفضات المائية الريحية من عدة وحدات متجاورة ومتصلة تُؤوي ضايات موسمية ضحلة ومالحة قعرها منبسط تسمى "سبخات" على ارتفاع حوالي 1000 متر. وتشرف على هذا المنخفض سطوح شبه مستوية يصل ارتفاعها إلى حوالي 1100 متر تحمل غطاء صخريا فُتاتيا رباعيا عبر حافات منحدرة تظهر فيها مستويات من رواسب الزمن الجيولوجي الثالث تضم الكلس والصلصال والرمل.

وتتخلل هذه المنخفضات "گور" أو آكام تنتشر فيها كثبان رملية حول السبخات وفوق السفوح، كما تنبثق فيها بعض الينابيع تشكل موارد للسكان والماشية على السواء تعرف بـ "العگلة" (العقلة) وهي محطة تعقل فيها الجمال عادة للاستراحة والشرب والتزود بالماء بالنسبة للرحل والقوافل في هذا الوسط الذي لا تكاد تتجاوز أمطاره السنوية 200 ملم مع عدم انتظام شديد. وتعتبر عگلات الحبارى المنگوب والشبكة أهم هذه المحطات بالنسبة للجزء الذي بقي مغربيا من الشط الغربي بعد الاستقلال. وقبيل توغل الاستعمار الفرنسي داخل التراب المغربي انطلاقا من الجزائر خلال أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر (19 ـ 20 م) كان الشط الغربي يميز فيه عادة بين شرقي (*شط حميان*) تتردد عليه قبيلة حميان الجزائرية وجزء غربي (شط المهاية) تتردد عليه قبيلة المهاية المغربية التي كانت تمتلك إضافة إلى العگلات السابق ذكرها كلا من عگلات أو أحساء قصدير وبوفاطمة والمرير والبرازية...

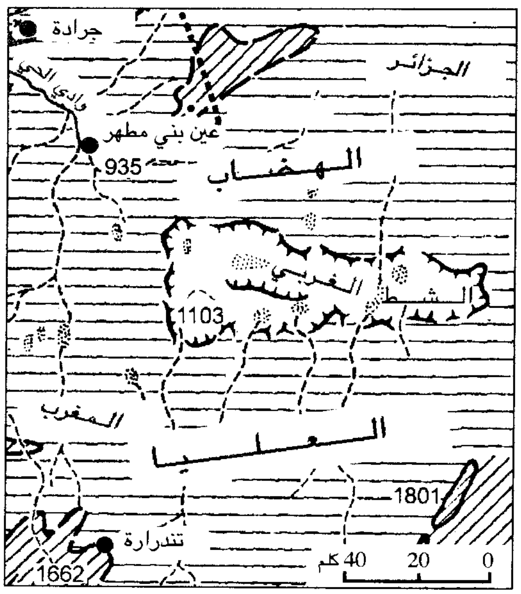

لقد أسهم هذا الوضع في تكثيف التحرشات الاستعمارية على التخوم المغربية في هذه المنطقة الحساسة الواقعة جنوب ثنية الساسي التي توقف عندها ضبط الحدود بين الطرفين بموجب معاهدة للامغنية المبرمة سنة 1945 باعتبارها أراض غير محروثة. فقد كانت تشكل نقط ماء حولها مراع غنية بالشيح والحلفاء بنوعيها (الگدّيم والسناغ) تنتشر فيها الملحيات (النباتات المالحة مثل الگطاف وغيرها) التي تلجأ إليها المواشي هروبا من قر الشتاء والجفاف المزمن فكانت القبائل المتجاورة تتزاحم وتتنازع أحيانا حولها.

كانت السلطات الاستعمارية المتربصة بالتراب المغربي آنذاك تتخذ ذلك ذريعة لتبرير توغلها واحتلالها بدعوى نشر "الأمن والطمأنينة" أمام عجز سلطات المخزن وعدم جدوى الاستمرار في تقديم الشكايات إلى محكمة فاس - حسب اعتقادها - عن هجومات القبائل المغربية (المهاية وبني مطهر وبني گيل...) على كقبائلها" (حميان) ومخيماتها العسكرية. وقد أفضى هذا السلوك إلى إقامة مراكز متقدمة مثل عين بني مطهر (بَرگنت) سنة 1904 والتي لم تخف التقارير الاستعمارية آنذاك أهميتها الاستراتيجية بينابيعها وسوقها. ومع التحولات المجالية الحديثة التي طالت المنطقة خلال القرن الرابع عشر (20 م) لم يعد لهذا الشط سوى دوره التقليدي في استقطاب الماشية ومربيها بكلا الجزأين المنتميين كل على حدة إلى القطرين المغربي والجزائري داخل حدود موروثة عن الاستعمار الفرنسي.

J. Despos et R. Raynal, *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest*, Paris, 1975 ; De La Martinière H.M.P. & N. Lacrois, *Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest Africain*, Gouvernement Général de l'Algérie. 1894 ; R. Paskoff, *Les hautes plaines du Maroc Oriental : la région de Berguennt*, *Les Cahiers d'Outre-mer*, 1957, XX, n° 37 ; A. Cour, *Notes sur la région de Berguennt*, *B.S.G.A.O.*, 1909.

عبد الرحمان الحرادجي

**الشّطُونْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Xeton وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1437.

**الشّطيبَة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Esteve - Esteva؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1438.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشطَيْبي**، الحاجّ **محمد** بن علي بن محمد بن حسن ابن حيون الصقلي الأندلسي البرجي، يُعرف بالحاج الشُّطَيْبي بالتصغير (882 - 963/1476 - 1556). ينتسب إلى أحد البيوتات الأندلسية التي هاجرت إلى المغرب، وهوبيت البرجيين. وأصلهم من غرناطة، وانتقلوا إلى شمال المغرب على عهد السلطان أبي عنان المريني، وبيتهم بيت ثروة وعلم وصلاح.

وتوافق ولادة الشُّطَيْبي إخراج كتاب *قواعد التصوف* بالحاضرة الوطاسية فاس، والذي فرغ منه الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1493) في نفس العام 882 / 1476. ولا أصدق من هذه المصادفة في الكشف عن مآل هذا الوليد الذي سيخلف صاحب هذا الكتاب أعمق الأثر في سيرته، وسيستغرق فكره وطريقه جل عمره الطويل الذي سيزيد عن الثمانين حولاً. ولا ريب أن الشطيبي لم يلق الشيخ زروق ولم يره، فقد كان في عامه الأول حين هجر زروق المغرب وغادره إلى غير رجعة، ولم يكمل عقده الثاني لما أدركت الوفاة زروق بمسراته. ولا نعلم صلته بالرعيل الأول من الزروقيين المغاربة، الذين تركهم زروق بالمغرب، والذين أفلحوا في الحفاظ على البذرة التي خلفها بالتربة الصوفية المغربية، وتعهدوها بالعناية إلى أن أخرجت زرعها واستغلظ واستوى على سوقه. كما نجهل منطلق وسياق رحلته إلى المشرق، وأيضاً البلاد المشرقية التي جال وطاف واستقر بها عدا دمشق.

ولا يستبعد أن يكون الحاج الشطيبي قد قصد من أخذه السمت إلى الشام زيارة الشيخ علي بن ميمون الغماري (ت. 917 / 1512)، الذي طبقت شهرته آفاق البلاد المشرقية، واندرست بطريقته الميمونية الطريق في المشرق، وأصبحت كالشاذلية في المغرب. وهو وإن كان قد تأسى في هذا ببعض الحجاج المغاربة، الذين حرصوا على الاتصال ببلديهم الشهير هذا، فإنه قد يكون سعى إلى ذلك للصلة الوثيقة بين الميمونية والزروقية، والتي تكاد تكون امتداداً لها ببلاد الشام والأناضول.

ولا نعرف من مشايخ الشطيبي من المغاربة والمشارقة، من الفقهاء والصوفية، سوى الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524)، الواسطة المعتبرة على عهده في الأسانيد الزروقية، وصدر الطبقة الزروقية الأولى، ولا نعلم إذا ما كان قد انتسب إليه وهو مُشرق أو مُغرب. وهذا لا ينفي لقاء الشطيبي وأخذه عن غيره من المشايخ المشارقة والمغاربة، من الزروقيين وغيرهم. وقد جعل محمد بن عسكر (ت. 986 / 1578) زروق "شيخ شيوخه"، وهو قول يؤكد تعدد شيوخه، ويفيد أن جلهم أو بعضهم من الزروقية.

والمؤكد أن استقرار الحاج الشطيبي بضريح الشيخ زروق بمسراتة تم إبان أوبته من البلاد المشرقية، ودام مقامه به ثلاثة أعوام كاملة. وبحسب ما نعلم من ولوعه العلمي، وشغفه بالكتابة تأليفاً ونسخاً، فمن السهل تصور النشاط الذي صرف فيه هذه المدة التي قضاها بواحة مسراتة الحافلة بمظاهر الحياة الثقافية والجو العلمي. ولاشك أنه قد عكف

على دراسة الطريقة الزروقية في مصادرها الأصلية بخط ويد مؤسسها زروق، وعب ونسخ ما استطاع من التراث الضخم الذي خلفه أحمد زروق في مختلف المعارف والعلوم الإسلامية، كما اتصل وتباحث في موضوعه مع أعيان الطبقة الأولى من صحب زروق من المجاورين بضريحه أو المترددين إليه من المشرق والمغرب. وعليه تكون الغاية من انتساب الشطيبي إلى الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي، سواء تم ذلك قبل هذا المقام أو بعده، تحصيل سنده الرفيع في الزروقية، وليس الأخذ بمذهبه ونحلته المخالفة للطريقة الزروقية. وتأثر الشطيبي بفكر أحمد زروق واضح في تآليفه، وبالأخص في شرحه للحكم العطائية والمباحث الأصلية، وتأسيه به باد في تعففه عن اتخاذ أو بناء زاوية. وهو وإن عد من أعلام الطبقة الأولى في الراشدية، إلا أنه سار في علمه وعمله على سنن الطريقة الزروقية، وعمل على نشرها والدعوة إليها، ولم يؤسس طريقة خاصة به.

وعاد الحاج الشطيبي إلى المغرب المشحون بجو الخصومة الشديدة للزروقية والراشدية، وقد انضاف إلى الخلاف القديم الذي ذرّ قرنه بين الشيخ زروق ومعاصريه من الجزوليين وغيرهم، عودة الزروقية - الراشدية متلفعة دعوة بسطامية خطيرة قد تفتح باب الفتنة في الدين. فاستعرت معارضة ومكافحة الراشدية بالمغرب شيخاً ومذهباً وأتباعاً، ولم يتم التمييز بين أعلام الطبقة الأولى من مشايخها به، ولم يقع التفريق بين من حرص منهم على تأسيس طريق تخصه، ومن سار على سنن الشيخ أحمد زروق، ومن عمل على نشر مذهب تلميذه الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي. وحصل النظر إلى زعماء هذه الاتجاهات الرئيسية الثلاثة في الطريقة الراشدية بالمغرب من خلال صورة البدعة المرسومة لشيخهم ومذهبه، فلبثوا مرهقين تحت ضغطة معاصريهم من الأمراء والفقهاء والصوفية، أواخر أيام الوطاسيين وصدر الدولة السعدية.

وقد تأسى الحاج الشطيبي بالشيخ زروق أيضاً في نفوره من العيش بالحواضر الكبرى المكتظة بالسكان، والمليئة بالشرور والآثام. وبحث مثله عن مكان هادئ ومريح وناء عن الحواضر بقدر كاف، وغير خال من مظاهر الحياة الثقافية والنشاط العلمي والجو الديني. فاختار مدشر تازغدرة الجبلي الواقع بفرقة بني إبراهيم من القبيلة الزروالية، وألقى به عصا التسيار، واتخذه داراً ومقاماً، وانقطع به إلى أن أدركه اليقين.

وقام الحاج الشطيبي بالإمامة بجامع هذا المدشر، وأنشأ به معهداً علمياً جمع فيه تلاميذه. وقسم أيامه بين التدريس والتأليف ونساخة الكتب والاشتغال بالفلاحة والصيد. ولم يصل حبله بأحد من الحكام الوطاسيين، ولم يجب على الدعوات التي وجهها إليه السلطان محمد الشيخ المهدي ماهد دولة السعديين (ت. 964 / 1556)، عملاً بنهي الشيخ زروق عن مخالطة الملوك. وتعفف في رزقه عن كل الخطط الرسمية، وكان ينزل إلى الأسواق وللحقول ليشتغل بما كان يشتغل به عوام الناس. وكان قوي البنية، قوي الإيمان، متعدد المواهب، يقوم كل يوم بواجباته في جامع تازغدرة أماماً ومدرساً، ويخرج للحقل لفلح الأرض وغرسها وسقي الأشجار وتعهدها، فإذا أوي إلى بيته ليلاً أقبل على الكتابة تأليفاً أو نسخاً لأمهات الكتب. ومما يذكر في هذا الصدد أنه انتسخ كتاب *نزهة الناظرين وتحفة القاصرين في شرح منازل السائرين* لأبي عبد الله المقدسي، مع المقابلة على كثير من نسخه، وكتابة تعاليق عليه، في مدة لا تتجاوز اثنين وأربعين يوماً. وقد ألف في كثير من الفنون، في علوم القرآن والتصوف والتاريخ والنوازل والفلك والفلاحة والكيمياء والخط وغير ذلك. وهذه قائمة تآليفه التي وصلتنا، ومعظمها مازال مخطوطاً :

- *اللباب في مشكلات الكتاب*، في آيات القرآن الكريم المشكلة والمبهمة.
- *اللباب المختصر لأهل العبادات والنظر*، هو مختصر سابقه. وقد حظي الكتابان بعناية الباحث محمد بوطربوش، الذي اعتمدهما في دراسة منهج الشطيبي في التفسير.
- *الحديقة المستقلة في فتاوى علماء الأمة*، جمع الشطيبي فيه فتاوى المتأخرين من فقهاء الأندلس.
- *فتح الباب الملتزم الجامع لبعض كتاب الحكم*، شرح فيه الحكم العطائية.
- *الإشارات السنية إلى بعض معاني المباحث الأصلية*، شرح فيه قصيدة المباحث الأصلية عن جملة الطريقة الصوفية لابن البناء السرقسطي.
- *شرح أنوار السرائر وسرائر الأنوار*، شرح فيه رائية الشريشي.
- *عيون الناظرين في شرح منازل السائرين*، شرح فيه كتاب *نزهة الناظرين* للمقدسي.
- *مفتاح الجنة المتوقف على الكتاب والسنة*، صنفه في الأدعية والأوراد.
- *الجمان في أخبار الزمان*، ألفه في التاريخ، وهو مقسم إلى ثلاثة فصول : الأول، من بدء الخليقة إلى ظهور النبي (ص) الثاني، من مولده (ص) إلى وفاته (ص). الثالث، ويتضمن تاريخ الخلفاء الراشدين، ثم بني أمية وبني العباس حتى خلافة المستكفي، يتلو ذلك موجز في فتح مصر خلافة عمر بن الخطاب (ص)، ثم فتح الأندلس وموجز في تاريخها، ثم عرض سريع لتاريخ دولة الموحدين حتى الخليفة يعقوب المنصور، ويختم بذكر علامات الساعة وانقراض الدنيا.
- *مختصر الجمان*.
- *تخميس بردة شرف الدين البوصيري*، والتعليق عليها.
- *نبذة فلكية للاختبارات النجومية*، في علم الفلك.
- *ذات الفصلين واخلع النعلين*، في الكيمياء.
- *صنعة الفلاحة*، رسالة رتبها على ثمانية أبواب، واعتمد فيها على ما تقرر في كتب علماء الفلاحة الأندلسيين أمثال ابن ليون وابن بصال وابن وافد، كما اعتمد

على تجاربه الشخصية مبينا ما يلائم طبيعة البلاد المغربية بصفة خاصة.

وبالإضافة إلى هذا القسط المتوفر من تراث الحاج الشطيبي، والذي مازال معظمه على حالته الخطية، ويحتاج إلى دراسة وتحقيق، هناك قسط ضائع لم يصلنا كتأليفيه في الرؤيا والخط.

وزيادة على التأليف، فقد عكف الشيخ الشطيبي على تدريس العلوم بمعهد تازغدرة، وبالأخص التفسير والحديث، وكانت له فيهما رواية عالية. واشتهر من تلامذته وأتباعه: أبو علي منصور البجائي، روى ابن عسكر بواسطته عن شيخه الشطيبي، وحلاه بتلميذه الكبير. وأبو حفص عمر الورياغلي. وعبدالله بن سعيد المناني الحاحي (ت. 1012 / 1603)، مؤسس زاوية تافيلالت في زداغة، في منتصف القرن 10 / 16، وقد انقطع مثل شيخه للتدريس والتأليف ونساخة الكتب. وأبو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي (ت. 991 / 1583) شيخ المحدثين بفاس، وكان رزقه مثل شيخه من التدريس ونسخ الكتب.

أما عن الجانب الروحي من شخصية الشطيبي، فقد كان من صنف المدركين للغيب من البشر بالرؤيا والموهبة، في النوم واليقظة. ولكثرة مشاهدته النبي (ص) قال: من زعم أن محمداً (ص) قدمات فقد كفر. وعلى الرغم من أن قولته هاته لها وجوه واحتمالات وتأويلات، فإن الفقهاء قد بادروا إلى الإنكار عليه، وكان على رأسهم أبو حفص عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الشريف العلمي (ت. بعد 956 / 1549). وقد اشتهر هذا الفقيه بمناظرته مع الحاج الشطيبي في موضوع هذه القولة، وكتب إليه وهو يقول: من زعم أن محمداً (ص) لم يمت فقد كفر. وحاول الشطيبي تبرير قوله بتأويل معنى الموت الذي يقصد، وبما رآه منصوصاً في أحد كتب خزانة جامع دمشق. ولم يزدد العلمي إلا إلحاحاً في الإنكار عليه، فسكت عنه الشطيبي ولم يجبه بشيء.

ولعل النفرة بين الحاج الشطيبي وخاصة وقته قد تفاقمت، فانتهت إلى انقطاعه عن الناس بمدشر تازغدرة، وزهده في الدنيا. ويذكر في القصيدة التي نظمها في التعريف بزمانه وأهله سبب هذا الانقطاع والزهد، وهو فساد الزمان، وفشو الحرام، وتراخص العلماء وتعاميهم عن الشبهات، وضياع الدين. ولاشك أن هذه اللوحة القاتمة تؤرخ لفساد العلاقة بين مشايخ الفقه والتصوف المغاربة ومشايخ الراشدية به.

ولم يعان الحاج الشطيبي من التقليل من شأنه في المضمار الروحي فحسب، بل ومن التهوين من مكانته في المجال الفكري أيضاً. وحينما نهتدي بـ*دليل مؤرخ الأقصى*، لنقف على تأليف هذا المصنف المكثر، لا نعثر إلا على كتاب *الجمان* به. وليت الإجحاف الذي لحق بالشطيبي في *الدليل* وقف عند حد الاقتصار على ذكر تأليف واحد له، بل تجاوزه إلى التعليق عليه بأنه كتاب *خال من الفائدة على كبر جرمه* !

وينبو هذا الحكم عن موقف السلف الذين أولوا كتاب *الجمان* ما يستحق من عناية، لا لكبر جرمه فحسب، ولكن لطموح وضخامة المشروع التاريخي الذي أنجزه صاحبه. ولا أدل على التحقق من فائدته من كثرة استنساخه، ووفرة نسخه التي سارت بها الركبان شرقاً وغرباً. وقد ترجم إلى اللغة الفرنسية بعناية المستشرق Sylvestre DeSacy وطبع في باريس.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، 16 ـ 18، 125؛ أ. بن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبي النور، 2 : 203؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخ خ ع عدده 6 ـ 7 ج، 69 ـ 72؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، 217 ـ 218؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، 1 : 89؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجرية، 2 : 258؛ ع. بن إبراهيم، *الاعلام*، 6 : 292؛ ع. بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 1 : 157؛ ع. عنان، *فهارس الخزانة الملكية*، 129 ـ 131؛ م. المنوني، *ملامح من تطور المغرب العربي في بداية العصور الحديثة*، منشورات الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، 1979، 104، الهامش، 90؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 122 ـ 159 ـ 162 ـ 463 ـ 481 ـ 482 ـ 483 ـ 560؛ م. البشير الفاسي، *قبيلة بني زروال*، 64 ـ 65؛ س. أعراب، ترجمة مطولة للشيخ الشطيبي، صحيفة *"الميثاق"* التي تصدر بطنجة، الأعداد 42 ـ 43 ـ 44؛ نفس المؤلف، حول تأليف كتاب *الجمان في مختصر أخبار الزمان*، مجلة دعوة *الحق*، العدد الأول، السنة التاسعة، 1965، 83 ـ 84؛ نفسه، نظرة في كتاب *صنعة الفلاحة لأبي عبد الله الشطيبي*، مجلة دعوة *الحق*، العدد الأول، السنة الثالثة عشرة، 1969، 121 ـ 123؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب*، 217 ـ 218 ـ 240 ـ 274؛ م. بوطربوش، أبو عبد الله الشطيبي، *آثاره ومنهجه في التفسير*، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 1989 ـ 1990.

عبد الله نجمي

**شْطَيِّرْ**، أسرة تطوانية شريفة النسب أصلها من قبيلة سماتة الهبطية وقد انقرضت بتطوان. منهم علي بن الطاهر بن أحمد بن محمد عالم له عدة مؤلفات كان إماماً بجامع الربطة حيث كان يلقي دروسه، ترجم له الشيخ ابن عجيبة في *ازهار البستان* ووصفه بالفقيه الإمام المحدث العالم النحرير وفي سنة 1185 (1770). كان يزاول خطة العدالة وكانت وفاته يوم 27 ذي الحجة 1191. وعبد الله بن علي بن الطاهر بن أحمد فقيه أديب شاعر تولى الإمامة والتدريس بجامع الربطة، ومن مؤلفاته كتاب *نضار الأصيل في بساط الخليل*. وقد زاول خطة العدالة وابتكر لعبة شبيهة بالشطرنج سماها *الوسيط*. ازداد سنة 1181 وتوفي سنة 1215 (1800). والباتول بنت عبد الله بن علي كانت تعلم النساء لعبة شبيهة بالشطرنج ابتكرها والدها وسماها *الوسيط*، وكانت بقيد الحياة سنة (1800).

محمد ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها.

محمد ابن عزوز حكيم

**شعبان رايس، علج انكشاري**، من الرياس العاملين أصلا في صفوف الأساطيل الجهادية العثمانية في البحر المتوسط، الذين التحقوا للعمل في الأسطول السعدي خلال عهد أحمد المنصور. ويعتقد أنه نزح إلى المغرب قادما من الجزائر، حيث بوأته مهارته الملاحية وتجربته الجهادية أعلى مراتب الأسطول السعدي آنذاك خلفا للرايس إبراهيم الشط، ولا سيما إبان مرحلة الغزو المغربي للسودان 999 / 1590، حيث وصف بـ "قبطان الأسطول الإمامي ورئيس الجماعة من رؤساء المراكب الجهادية والقطائع البحرية".

الفشتالي، *مناهل الصفا*، ص. 130 ؛ التازي، *التاريخ الدبلوماسي*، ج 8، ص. 251.

**شعبان رايس، علج برتغالي** عامل في صفوف رياس البحر السلاويين، كان في سنة 1646 يقود سفينة جهادية جزائرية الأصل تدعى سرطان البحر (de Crabbe) جهزها بدعم من حاكم سلا بستة عشر مدفعا وبطاقم مؤلف من مائة وخمسة وسبعين رجلا، وقد أعيد ترميمها بسلا. ركب شعبان رايس البحر طيلة ثلاث أشهر ولم يستول إلا على سفينة إنجليزية مشحونة بالملح وقارب صيد في خليج غاسكونيا.

وفي 22 يوليو من نفس السنة سقط أسيرا بين يدي القرصان الهولندي كورنليس فيربيك (Verbeck C.) ببحر المانش، بعد معركة حادة قتل خلالها عدد كبير من رجاله، وأسر الباقون على متن سفن أخرى بأمر من القبطان المذكور، فيما اقتيدت سفينته غنيمة إلى أمستردام.

S.I.H.M. - les - Angleterre - T III - P455 note et Pays-Bas - T V - p.114-16.

حسن أميلي

**شعبانة**، حفلات شعبية تتم خلال النصف الثاني من شهر شعبان حيث يجتمع أبناء الحي في أحد البيوت ويقيمون حفل عشاء يرافقه الطرب والمرح.

وفي مراكش مثلاً يكون هذا الحفل في النزاهة حيث تؤكل "الطنجية المراكشية" التي تعتبر آخر أكلة بالنهار تؤكل ويحيا هذا الحفل غالبا بالاستماع إلى طرب الملحون ويشترك في الاحتفال عادة الرجال والنساء.

أما شعبانة في آسفي فيتم فيها عادة تزيين البنات الصغار وإلباسهن أحسن اللباس ثم الذهاب بهن إلى بعض دور الأشراف والأفاضل أو الزوايا حيث ينضم إليهن كثير من المتفرجات والمستمعات.

ولا يقتصر إحياء شعبانة على الأفراد في البيوت، بل نجد تلاميذ الكتاتيب القرءانية كذلك يحتفلون بهذه المناسبة حيث يقوم أطفال الكتاتيب بالطواف على البيوت لجمع التبرعات كما يقوم أصحاب الكتاتيب بدعوة الأعيان لدعم وتمويل هذه الحفلات. وبعد تجميع هذه الهبات يقوم أصحاب الكتاتيب بشراء الخرفان ولوازم الحفلات ويخرجون إلى ضواحي المدن حيث يقضون بضعة أيام صحبة رجال الطرب. وتكون هذه مناسبة لأطفال الكتاتيب للعب واللهو والترويح عن أنفسهم. وخلال أيامنا هاته مازالت عادة شعبانة يحتفل بها في الأيام الأخيرة من شهر شعبان وتكون مناسبة لتوديع الأيام العادية لاستقبال شهر رمضان الذي يتغير فيه النمط المعيشي اليومي للفرد.

ويشهد كذلك شهر شعبان الاحتفال بشعبانة عند كناوة حيث تقوم هذه الطائفة بإحياء ليالي شعبان الكناوية بتنسيق مع العرافات، وهي مناسبة لختم نشاط هذه الطائفة خلال السنة التي لا تبتدئ إلا بعد شهر رمضان من السنة الموالية.

أ. الصبيحي، *مذكرات صالح العبدي وباكورة الزبدة في تاريخ أسفي وعبدة*، تقديم زكي مبارك ومحمد الحلوفي، الرباط، 1993.

S. Biarney, *Notes d'ehtnographie nord africaine* 1924 p.74.

علال ركوك

## الشعر الأمازيغي ← أمارگ

**الشعر العربي بالمغرب** بدأ يظهر مع قيام الدولة الإدريسية أواخر القرن الثاني (8 م)، وينحصر المأثور منه في هذه المرحلة في نتف من الشعر المنسوب لإدريس الأول، وبعض أولاده. غير أن الطوابع التي طغت على هذا الشعر تبيّن أنه كان شعر حماسة ونضال سياسي ضد التهديدات المشرقية وتهديدات الأغالبة والعبيديين. وكان شعر البدايات معبّراً عن الصراع في صورة نقائض لا ترقى إلى المستوى الفنّي الذي كانت عليه في عهد بني أمية في المشرق، لكنها كانت تقوم بوظيفتها الإخبارية والسجالية مع ذلك، وكانت أشعار هذه المرحلة الإدريسية ميّالة إلى ترسيخ الحكم الشريف بإشاعة الدين الإسلامي وتزكية الخلافة الإسلامية في المغرب الأقصى.

أما من حيث الكم فقد كان شعر هذه المرحلة شذرات مفرقة في بطون الكتب والمصادر الأدبية والتاريخية المغربية، ويصعب مع هذا التشتت جمع معالم صورة حقيقية لما كان عليه الوضع الشعري آنذاك.

عرفت الأوضاع الحضارية والاجتماعية بالمغرب تحولاً مشهوداً في عهد المرابطين الذين نزحوا من الصحراء حيث كانت معاقل دعوتهم في رباط عبد الله بن ياسين. وقد نضج الفكر المرابطي السياسي في تلك المعاقل النائية، فخرجت الحركة السياسية من الخفاء وأعلنت الجهاد المقدس بعد أن عصفت رياح الفرقة بالحكم الإدريسي وظهرت نزوات مارقة في جنوب المغرب وشماله في إمارتي البورغواطيين والغماريين، مما استلزم جمع الجموع وإعداد العدّة لردّ الأمور إلى نصابها وقطع دابر الدعوات المفسدة والملحدة. فكان الجهاد المرابطي جهاداً مبنياً على مبدإ عام وهو نشر كلمة الله في الآفاق والتشبث بالسنة النبوية والفقه الإسلامي في صورة الفروع المالكية التي اصطفاها الحكم المرابطي وعززتها سلطته الزمنية والروحية.

في ظل هذا الحكم الذي استأصل شأفة الفساد الديني والاجتماعي بدأ ازدهار الآداب ولاسيما الشعر نظراً لأدواره الطلائعية في نشر أمجاد أمراء المسلمين وإشاعة ما يقومون به من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

ولقد فتح المرابطون أبواب قصورهم للشعراء الذين كانوا يفدون عليهم في مواسم النصر ومناسبات الفخر وتقديم التهاني، فاجتمع لهذه المرحلة من الأرصدة الشعرية ما يمكن من استخراج بعض ملامح الوضع الشعري وطوابعه من خلال أشعار القاضي عياض أو ابن بياع السبتي أو الأعمى التطيلي، وغيرهم من شعراء المرحلة. ونلخص ملامح هذا الوضع في الملاحظات الآتية :

1 - ارتقى المستوى الفني للشعر، في العهد المرابطي سواء في الأندلس أو في المغرب الأقصى، نظراً لتأثر شعراء الغرب الإسلامي بالشعر المشرقي، لا سيما بعد دخول أشعار الفطاحل إلى الأندلس كأبي تمام والمتنبي وبشار.

2 - كان للشعر في عهد المرابطين وظيفة إخبارية ودينية، إذ اهتم الشاعر بذكر مواطن الصلاح والإصلاح في الدعوة المرابطية، وتم ربط عجلة الشعر بعجلة السياسة، بحيث ظهرت لدى الشعراء المرابطين ميول مدحية تضاهي أمداح بني أمية أو بني العباس، وفي شعر ابن بياع السبتي نماذج تدل على ذلك التيار المدحي الواضح.

3 - كانت بنيات الشعر المرابطي تميل إلى الجزالة والقوة لدى الشعراء الذين كانوا يمتحون من التجارب المشرقية والأندلسية، غير أن بعض الخطباء الذين برزوا في النثر تعاطوا للشعر أيضاً لكنه كان أقل بهاء ورونقاً عندهم نظراً لإقحامهم مفاهيم الفقه أو الشريعة بصور تتفاوت فجاجة، مما ينقص من جمالية أشعارهم.

ولما كان الحكم الموحدي في أصله ردّة فعل على الكيان المرابطي الذي بدأ يضعف ويدخل مرحلة التلاشي ؛ اعتمد على الشعر من أجل تثبيت أركان الدولة الموحدية الجديدة، ونشر فلسفتها الداعية إلى الرجوع إلى الأصول أي الكتاب والسنة ونبذ الفروع بما فيها الفروع المالكية.

فصار الشعر في العهد الموحدي بمثابة صحيفة الحزب السياسي بمفهوم اليوم. ولا نكاد نشك في هذا الأمر إذا طالعنا أشعار الجراوي وابن حبوس وعمر الأغماتي وغيرهم من الشعراء الموحدين الذين بنوا شاعريتهم على أساس سياسي محض، لا يفترق فيه المعيار السياسي عن المعيار الديني والاجتماعي، وذلك نظراً لاختلاط المعيارين وتلازمهما في التصور السياسي الموحدي. ومن مراجعة أشعار هذه المرحلة تتكون لدينا صورة تقريبية لأهم موضوعات هذا الشعر وأدواره ومنسوباته الجمالية، وهذا ما نلخصه في الملاحظات الآتية :

1 - لقد كانت الدعوة الموحدية رجوعاً إلى الأصول الإسلامية، بتأسيس تصور ديني مبني على التمسك بالكتاب والسنة ونبذ الفروع التي هي أصل الخلاف الديني وهو ما تفرع عنه كل خلاف سياسي يؤدي بالضرورة إلى إضعاف شوكة التحكم وظهور الفتنة بشكل عام.

2 - عبّر الشعر الموحدي عن هذا التصور بربط موضوعات الشعر بالسياسة مباشرة، فتحدث الشعراء عن شرعية الخلافة الموحدية من منطق دَعَوي إسلامي يمتح مفاهيمه الأساس من النزعة الشيعيّة بما تحمله من دعوة إلى الجهاد على أساس إشاعة مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

3 - حاول الشعراء الموحدون ربط مفهوم الخليفة بمفهوم الإمام، فجاءت أمداحهم السلطانية، غير فاصلة بين المفهومين، فيظهر لنا الخلفاء الموحدون، وعلى رأسهم زعيم الدعوة المهدي بن تومرت، أئمة دينيين في صورة من التشيع الواضح.

4 - ارتبطت مفاهيم الإمامة والخلافة في تصورها السياسي في اذهان الشعراء الموحدين، بمفاهيم مساعدة ومثبتة للحكم كالمهدوية والعصمة ومعرفة ظاهر الدين وباطنه، وهي كلها مفاهيم لها أصولها الشيعية المشرقية، وتم استغلالها في المنطق السياسي الموحدي من أجل تمييز أئمة الموحدين عن غيرهم، ولمنحهم الثقة الشعبية الدينية التي يحتاجون إليها للقيام بالجهاد وتفعيل مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5 - أما من ناحية جمالية هذا الشعر فإن الشعراء المبرزين أمثال الجراوي وابن حبوس والأغماتي وأبي الربيع ومن حذا حذوهم كانوا لا يقلون في شعرهم المدحي والاجتماعي والديني، عن شعراء الشيعة المشارقة كابن قيس الرقيات والطرماح بن الحكيم ودعبل وغيرهم.

فألفاظ الشعراء الموحدين ومعانيهم كانت تمتح بصورة مباشرة من هذا المعين المشرقي، وأما معجمهم السياسي فكان يستجيب لمقتضيات اللحظة التاريخية الموحدية بكل زخمها وتنوعات حيثياتها. فقد حاول الشعراء الموحدون الالتزام بالاعتدال في تصوير الخليفة الإمام ولم يقعوا إلا نادراً في التهويلات التي اشتهر بها شعراء الشيعة المشارقة.

6 - وإلى هذه المرحلة الموحدية يُنسب أول شعر ملتزم بالمعنى السياسي والفلسفي لهذا المفهوم الدقيق. فشعر الموحدين شعر قضية وهي ترسيخ الحكم بمعايير دينية محددة، وهو شعر حرب وحماسة وصراع في البدايات الأولى. وقد تشرب بروح صوفية هادئة في أواخر العهد الموحدي، زمن الخليفة المرتضى.

وإذا كان زمن الموحدين زمن صراعات وجهاد ديني، فإن زمن المرينيين الذين ورثوا تركات ثقيلة من العهدين المرابطي والموحدي، كان زمن بناء وتشييد واستقرار إلى حدّ ما، بعد أن نشطت حركة الأدب في الأندلس والمغرب، واتسعت دوائر العلوم والاختصاصات الفكرية، فشملت النهضة سائر نواحي المعرفة الإسلامية في ذلك الوقت.

استطاع سلاطين بني مرين تقريب وجهات النظر السياسية والدينية، نبذاً لخلافات بين الأصوليين والفروعيين، وحقنا

لدماء الأبرياء من عامة الناس الذين لا يفهمون أحياناً لماذا يموتون ضحية خلافات فكرية وتطاحنات في الرأي والتصور. لقد اتجه المرينيون إلى نواحي الحياة الثقافية والفكرية فجمعوا كلمة المسلمين حول الكتاب والسنة والفروع المالكية، ورأبوا الصدع الثقافي والشرخ السياسي القديم، وأبدوا ميولاً واضحة لترسيخ المعارف ببناء المدارس وفتح بلاطاتهم في وجه الشعراء والعلماء.

وقد استفادت الحياة الأدبية من هذا الانفتاح والنهضة العامّة، ونلخص أوضاع الشعر في هذه الفترة في الملاحظات الآتية :

1 ـ ترسخت الشخصية الشعرية المغربية بعد قرون من التجربة والعطاء الميداني الذي تكونت معه ملامح شعرية مغربية أصلية، تمتح من التجربة المشرقية بذكاء يتيحُ لها التجاوز أحياناً واستشراف آفاق الإبداع نبذاً للاتباع والتقليد.

2 ـ لقد ظهر شعراء مرينيون كبار في الغرب الإسلامي وفي المغرب الأقصى لا يقلون درجة عن كبار شعراء العربية، وممن ذاع صيتهم في هذه الفترة المشهورة شعراء مزجوا بين الشعر والخطابة كعبد المهيمن الحضرمي، وعبد الله بن الرضوان وإبراهيم بن الحاج النمري وغيرهم..

ومن الشعراء الذين برزوا في مجالهم وطارت شهرتهم في هذا العصر مالك بن المرقل الذي لا يقل شعرية عن غيره من شعراء المشارقة في قوة اللفظ ووضوح المعنى وجزالة الصياغة وإبداع الصورة والخيال، ومنهم كذلك لسان الدين بن الخطيب وابن زمرك.. وآخرون.

3 ـ لقد كان الشعراء المرينيون يحترمون عمود الشعر العربي ويستغلون إمكاناته في حدود ما يبحثون عنه من جمالية رائعة وابداع أصيل. وبالعودة إلى هذه الأرصدة الشعرية المغربية وإمعان النظر فيها يتضح للمحلل ما كان لهؤلاء الشعراء من اطلاع واسع في اللغة العربية والشعر المشرقي، مما أتاح لهم التصرف في الموضوعات من هجاء ومدح ورثاء وحماسة ونسيب وفق الطرق الشعرية الجدية والهزلية المشهورة في الدواوين المشرقية.

وقد كان لهؤلاء الشعراء حس متميز لغوياً وشعرياً بحيث كانوا دقيقين في مراعاة وجوه التناسب بين موضوعاتهم ومعانيهم ومبانيهم، حتى ليخيّلُ للناظر في أشعارهم أنهم ليستمدون ذلك الحس التناسبي من روح التناسق والتناسب الذي شاع في عمران المرينيين وزخارف قصورهم ومدارسهم. فقد كانت ألفاظهم ومعانيهم منتقاة حسب المواقف الشعرية ومقتضيات اللحظات الشعورية المعبّر عنها.

ولما آلت السلطة إلى السعديين عملوا على إشاعة العلم والمعرفة، وركزوا تعليم اللغة العربية وأصول الدين الإسلامي في كافة مناطق المغرب خاصة بعد سقوط الأندلس وسيطرة العثمانيين على مناطق من المغرب الكبير، فظل المغرب الأقصى في العهد السعدي مستقلاً تمتد حدوده الجنوبية إلى ماوراء النيجر. ونلخص ملامح الوضع الشعري في هذه الفترة في الملاحظات الآتية:

1 ـ ظهر شعراء فطاحل أمثال عبد العزيز الفشتالي والشياظمي والهوزالي وابن صالح مخلوف وابن أبي محلّي وعبد الرحمان التمنرتي وغيرهم.

وكانت مآثر المنصور الذهبي من تشييد عمراني وفتح لآفاق إفريقية لنشر الإسلام مجالات واسعة للقول الشعري عند الشعراء السعديين ومن ذلك أمداحهم وشعر الحرب والحماسة وشعر الابتهالات والتوسل. فقد ازدهرت هذه الموضوعات على الطريقة المغربية التي بدأت تتضح معالمها وتتجذر في الرؤية والتصور لدى شعراء هذه المرحلة وأهم مزاياها :

أ ـ اعتماد المعجم الديني الإسلامي، والامتياح من تجربة أسلافهم منذ العهد المرابطي، مع الاستفادة من تجربة الشعر المشرقي بجميع موضوعاته واتجاهاته.

ب ـ ظهر في هذا الشعر تميز مغربي واضح، كما هو الشأن في شعر عبد العزيز الفشتالي، الذي قاربت جماليته الشعرية ومستواه الفني، جمالية أبي الطيب المتنبي ومستواه الفني.

2 ـ انتشر شعر التوسل والتصوف في دوائر شعراء الزوايا ومعاقل نشر الدين وتعليم العربية وعلوم الفقه. وقد كان هذا النفس التوسلي الصوفي أصيلاً في الشعر المغربي، لأنه يمتح من تجربة دينية أو ممارسة صوفية أو توسلية مباشرة، ولم يكن دوماً مجرّد أصداء لتجارب توسلية أو صوفية للآخر المشرقي أو الأندلسي.

وصلت قافلة الشعر المغربي إلى العصر العلوي محملة بتراث ضخم من مختلف المراحل التي اجتازتها. فكانت أعداد الشعراء في تزايد واضح، والموضوعات تتداخل وتتفاعل بحيث انتفت مبّررات التركيز على موضوع دون آخر، وولت دواعي الخلافات المذهبية والنعرات الطائفية في ظل حكم بدأ بترسيخ سلطته الزمنية والروحية من منطلق ديني يعزّز مبدأ الشرف بالانتساب إلى بيت النبي (ص)، ويحقق النهضة والازدهار الحضاري من منطلقات اقتصادية واجتماعية وفكرية بتوحيد كلمة المغاربة والصمود في وجه الاخطار المداهمة. ولا أدل على ذلك من محاولات السلطان سيدي محمد بن عبد الله الإصلاحية التي عمت سائر المستويات الحربية والتجارية والفكرية.

وقد ظهرت طوائف من الشعراء المغاربة في زمن العلويين منذ الفترات الأولى لهذا الحكم إلى اليوم. وتميزت أسماء شعرية لامعة في بداية المرحلة كابن الونان وحمدون بن الحاج وابن إدريس العمراوي وابن زاكور وابن الطيب العلمي وأكنسوس، وغيرهم من الشعراء الذين واكبوا حركة الإصلاح وما نجم عنها من تطورات فكرية وثقافية في العهد العلوي الأول. وما تزال قافلة الشعر تسير في ركاب الدولة العلوية نحو آفاق أرحب وأوسع.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، فاس، 1843 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب*، القاهرة، 1949 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1950 ؛ الفتح ابن خاقان، *قلائد العقيان*، القاهرة، 1320 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، القاهرة، 1936 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956 ؛ ع. الله كنون، *النبوغ المغربي*، تطوان، 1357 ؛ *التعاشيب*، تطوان (د. ت) ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *مظاهر الحضارة المغربية*، 1957 ؛ م. المنوني، *العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين* ؛ ع. الجراري، *الأدب المغربي ظواهره وقضاياه*، الرباط، 1979.

محمد أديوان

**الشعر** في عهد الحماية والاستقلال ← **الأدب المغربي** في عهد الحماية والاستقلال

**الشعرية** من الأسماك العظيمة شائكات الزعانف كما تسمى في الأسواق السمكية المغربية وتدعى علميا Stromateus fiatola وبالفرنسية Fiatole وبالإنجليزية Butterfish وبالإسبانية Pampano وPalometa fiatola.

لون الشَّعْرية أزرق بني على الظهر وأبيض فضي اللمعان على الجانبين والبطن مع بقع بنية ذهبية اللمعان. الجسم عريض ومضغوط جانبيا، الخطم قصير ومنفرج، العينان صغيرتان ومحفوفتان بغشاء شحمي، الغشاء الخيشومي رقيق يحمل شوكتين صغيرتين، الفم صغير جداً والأسنان صغيرة وموزعة على صف واحد، على طول مؤخرة الظهر زعنفة واحدة تتكون من 5 ـ 6 شوكات غير واضحة ومن 42 ـ 50 شعاعا لينا. الذيلية متشعبة جداً والصدريتان عريضتان، الشرجية طويلة تتكون من 3 شوكات ومن 33 ـ 38 شعاعا لينا، الخط الجانبي مستقيم وواضح عليه حراشيف دائرية أنبوبية وبسيطة. يبلغ طول الجسم عند تشعب الذيلية 50 سم وشائع بين 18 ـ 35 سم.

سمك سطحي المعيشة على الهضبة القارية، يعيش في مجموعات قليلة العدد من سطح البحر إلى 100 م من العمق في القيعان الرملية والوحلية وغالبا ما تنضم الصغار إلى مجموعات قناديل البحر غير بعيد عن سطح البحر. يتوالد في الصيف. يتغذى من السردين والأنشوفة ومن القشريات

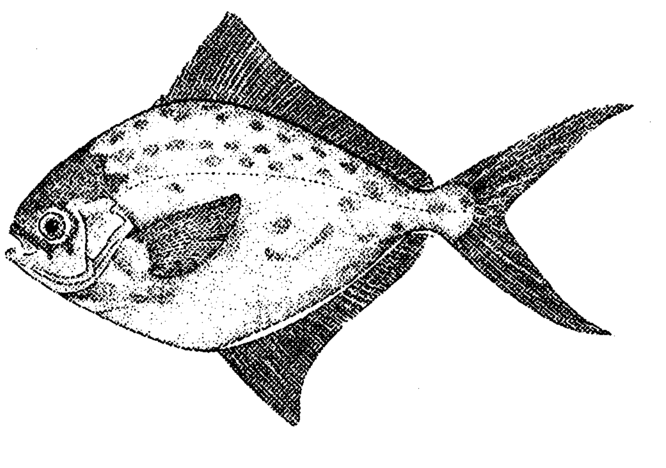

والهائمات الأوقيانوسية. يقتصر توزيعه الجغرافي على البحر المتوسط وعلى السواحل الأطلسية الممتدة من البرتغال إلى رأس الرجاء الصالح وشائع في السواحل المغربية. تصاد الشعرية عن طريق الصدفة بالشباك الحلقية الدائرية والشباك المزودة بالإنارة والجيبيات العميقة والشاطئية والشباك المستقيمة وحبال الصنانير العميقة وشباك الحواجز وصنارة اليد. يوجد طول السنة في الأسواق السمكية الوطنية ويستهلك طريا ويكثر الإقبال عليه للذة لحومه.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

D. Llpris & Rucabado. *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, .Rome, FAO, 1998.

محمد رمضاني

**شَعْشُوع** ـ بفتح الشين الأولى المشددة وتنطق تاء مفخمة أعجمية ـ، اسم ولقب عائلة نبيلة مازالت موفورة الوجود بفاس والرباط والدار البيضاء وطنجة والعرائش والقصر الكبير وفكيگ، وقبائل : انجرة وبني جرفط وغيرها. وهم ينتسبون للشرف الميموني نسبة لجدهم الولي سيدي ميمون دفين مدشر (جنان النيش) بقبيلة (بني بوزرة) الغمارية، وهو والد الشيخ الصوفي الشهير علي بن ميمون الذي قدم أجدادُه من الأندلس، واستوطنوا قديما تطوان، ومنها خرجوا لتلك المدن وغيرها، عرف منهم السيد أحمد بن العياشي الشعشوع الذي استوطن القصر الكبير وتعاطى الفلاحة بمزارعه إلى أن توفي هناك ودفن بمقبرة سيدي علي بوغالب، وغالب من يوجد الآن بتلك المدن وبتطوان من حفدته.

رسم شجرة العائلة المحرر بفاس بتاريخ 5 ربيع الثاني عام 1292 المحفوظ عند عميد الأسرة المذكور. معلومات مكتوبة تفضل بتحريرها الأستاذ المذكور.

محمد بوخبزة

**الشعَّار، أحمد** من علماء سبتة الذين كان لهم باع في علوم النحو واللغة والشعر. اشتهر لتقدمه في القراءات ومعرفته برسم المصحف الكريم وتفننه في الخط. كان يُدرّس بمسجد مقبرة زجلو بسبتة وحضر صاحب *بلغة الأمنية* حلقات دروسه في التفسير والأحاديث والفقه والتصوف خاصة *إحياء علوم الدين* لأبي حامد الغزالي و*رعاية* المحاسبي وغيرهما، وكذلك العربية والآداب مثل *الجمل* و*ألفية* ابن مالك و*الجزولية* و*مقامات* الحريري.

تُرجم له في كتاب *الكواكب الوقادة في ذكر من دفن في سبتة من العلماء والصلحاء والقادة* ولا نعرف تاريخ وفاته. ويبدو من خلال كلام صاحب *بلغة الأمنية* أن أحمد الشعار ربما توفي قبل سنة 820 / 1417 وذلك لسببين أولهما أن هذا التاريخ هو تاريخ تأليف الكتاب، وثانيهما أن مؤلفه يترحم عليه وهذا يعني أن أحمد الشعار كان قد مات قبل تاريخ تحرير *بلغة الأمنية*.

مجهول، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب*، المطبعة الملكية، الرباط، 1984، ص. 44.

رشيد السلامي

أبو **شعيب السارية** أيوب بن سعيد الصنهاجي أصلا، الدكالي موطنا دفين مدينة أزمور المشهور بمولاي بوشعيب أزمور. ولد في قرية أييـر من بلاد عبدة، سنة 443 / 955.45 وبها نشأ، وتعلم القراءة وحفظ القرآن الكريم "بالروايات العشر" (*المواهب*، 16). "ثم ارتحل في طلب العلم إلى عدة مدن منها أغمات وريكة، وأزمور، وفاس. ويقال إنه ارتحل إلى الأندلس، فدخل إشبيلية وقرطبة..." (*المواهب*، 17) وقد أخذ، خلال هذه الرحلة، شتى فنون العلم الظاهر المعروفة في عصره، على يد علماء أجلة، تذكر منهم المصادر الشيخ أبا جعفر إسحاق بن سعيد الأمغاري من أهل تيط، والشيخ أبا العباس أحمد بن العريف دفين مراكش، والإمام القاضي أبا بكر بن العربي الأندلسي الإشبيلي دفين مدينة فاس، والقاضي عياض دفين مراكش (*المواهب*، 17). وبعد أن عاد من رحلته المذكورة "استوطن أبو شعيب أغمات وريكة واتخذ بها داراً وأهلاً، كما استوطن مدينة أزمور واتخذ بها أيضاً داراً وأهلاً، وكان يتردد بينهما وبين أغمات"، وبينهما وبين (يال سكاون) بدكالة. وكان أينما حل وارتحل يشتغل بتعليم القرآن للصبيان (*المواهب*، 16).

غير أن أبا شعيب سرعان ما سمت نفسه إلى أخذ علم الباطن، أو ما يعرف بالتصوف وسلوك طريق القوم. وقد صحب في هذا الشأن عدة مشايخ، أشهرهم : أبو ينور عبد الله بن وكريس الدكالي، من مشنزاية، وقبره شهير جداً في وسط صقع دكالة باسم (سيدي بنور). وقد اعتبره التادلي معتمد أبي شعيب في طريق القوم، استناداً إلى قوله : "استند إليه أبو شعيب فحكمه في نفسه وتربى به وتأدب بآدابه ورضع ثدي معارفه وأسراره، وتخلق بأخلاقه، ففاز منه بمعرفة ربه، وفتح له على يديه حتى بلغ مقاما شاسعاً في الولاية والمعرفة بالله تعالى" (*التشوف*، 130).

قد تتلمذ على الشيخ أبي شعيب السارية جم غفير من طلبة العلم والتصوف، وخصوصاً من أبناء قبيلة دكالة. نذكر منهم أبا حفص عمر بن معاد الصنهاجي من أهل ايفغل من بلد أزمور المتوفى عام 561 ويوسف بن أبي حفص الصنهاجي، من جهة أزمور أبا محمد عبد الخالق بن ياسين الدغوغي، المتوفى عام 571، وهو دفين بلدته بسبت بني دغوغ من عمل مراكش (*التشوف*، 183 - 222). غير أن أشهرهم، على الإطلاق، هو الشيخ أبو يعزى، الذي خدم شيخه، أبا شعيب السارية، "عاماً كاملاً، تماماً كما تخدم المملوكة سيدها"، إلى أن أذن له أبو شعيب بالانصراف، وتأسيس رباط خاص به (*المواهب*، 47).

كما خلف أبو شعيب ابنين من صلبه، يوسف وعمر، لم يشتهر أي منهما بالتصوف، ولا أحد من ذريتهما، على نحو قول صاحب *التشوف* : "إنه لم يترك بعد ولدا سلك طريقه" (*التشوف*، 209). وهذا أمر مخالف للرواية الشائعة التي تقول إنه توفي أعزب، وأن المرأة التي كان سيتزوجها هي عائشة البحرية دفينة الضفة اليمنى لأم الربيع، قبالة ضريح مولاي بوشعيب بأزمور.

ويفهم من مختلف الكرامات والمعلومات المتعلقة بشخصية أبي شعيب السارية أو برباطه، أن هذا الولي لعب أدواراً فعالة لصالح العامة، وأن رباطه كان مأوى للمسافر والتاجر والغريب وابن السبيل والمظلوم والخائف والجائع، وكل من أراد البيت الآمن لنفسه أو لمتاعه. كما كان ملجأ آمنا للمضطهدين من قبل المخزن الحاكم أو ذوي النفوذ بشكل عام. مما يدل ولاشك على الدور الفعال الذي لعبه رباط أزمور وشيخه مولاي بوشعيب.

وهكذا تخبرنا المصادر أن الشيخ أبا شعيب توسط كثيراً لمن اشتكى إليه، كما فعل، مثلاً، عندما قصد السلطان الموحدي عبد المومن بن علي بمراكش، يشفع لحريم أمير المرابطين علي بن يوسف في تسريحهم. وكذلك عندما "جاء شفيعاً في جماعة أهل بلدة أزمور اقترفوا ما جعل والي المدينة يحكم بقتلهم" (*المواهب*، 31 - 35).

كل هذا وغيره يدل على أن أبا شعيب، الولي الصوفي، لم يكن منقطعا كلية عن الدنيا، بقدر ما كان رجلاً عملياً اجتماعيا، يعمل من أجل الدنيا، تماما كما يعمل من أجل الآخرة.

فمن أهم تلك المعلومات ما ذكره الصومعي في *المعزى*، حيث يقول بأن، الشيخ "أبا شعيب قصد السلطان عبد المومن بن علي يشفع لحريم السلطان علي بن يوسف في تسريحه" (*المواهب*، 31). وأحرى شيء يلاحظ من خلال هذا الخبر أن أبا شعيب كان على علاقة طيبة مع الطرفين المرابطي والموحدي، وإلا كيف نفسر تدخله لصالح آل يوسف بن تاشفين لدى خصومهم الموحدين. وإذا كان من الصعب التأكيد على هذا الأمر بالنسبة لخلفاء عبد الله بن ياسين، فإنه يسهل علينا بخصوص آل عبد المومن. ومن هذه الدلائل دخول مولاي بوشعيب إلى مراكش عام 541 / 1146، أي في نفس السنة التي دخلها الخليفة عبد المومن بمعية الشيخ أبي حفص، بعد أن قام هذا الأخير بالإجهاز النهائي على البرغواطيين (*أزمور*، 96). ثم استقباله لابن صاحب الصلاة بأزمور، وهو الذي ورد أصلا على رجال الدولة، كما قلنا.

وبعد وفاة أبي شعيب سنة 1166/561 أصبح ضريحه محط اهتمام خصوم المغرب، وخصوصاً برتغاليي الجديدة الذين أغاروا عليه أكثر من مرة (*الاستقصا*، 7 : 185)، لأنه كان بمثابة ثكنة للمجاهدين، وظل محط عناية سلاطين المغرب إلى عهد الدولة العلوية، ولاسيما من طرف السلطان الحسن الأول.

ي. التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، تح. أ. التوفيق، طبعة

الرباط، 1404 ؛ م. بن إدريس القادري، *المواهب السارية في مناقب أبي شعيب السارية*، مخطوط ؛ ع. الكبير الفاسي، *تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين*، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 1 : 365 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 2 ـ 3 ؛ ع. الهادي التازي، أزمور مولاي بوشعيب من خلال التاريخ المحلي والدولي للمغرب، *مجلة المناهل*، العدد 35، ربيع الثاني 1407 / دجنبر 1986 .

أحمد الوارث

## أبو شعيب (الشيخ -) ← الدكالي الصديكي

**الشفاعة** هي التوسط بين طرفين للحصول على منفعة لأحدهما لكنها اكتسبت في المغرب معنى العفو الذي يمنحه الطرف الأقوى في المعادلة، أي الطرف الذي يملك السلطة المادية أو السياسية أو الدينية التي تجعله في موقع متفوق. وبهذا المعنى كان الجناة أو المتمردون على الدولة يطلبون شفاعة السلطان، أي عفوه عمّا تنسب إليهم من تجاوزات.

وقد اقترن مفهوم "الشفاعة" بمفاهيم أخرى مثل "الزواك" و"العار" و: التعرگيبة" (انظرها في المعلمة) و"الحرم". ومن الواضح أن بعض أن هذه المفاهيم يمثل جزءاً من المنظومة القبلية وركناً من أركان العرف الذي كان ينظم الحياة الاجتماعية ويوفر أدوات لحل النزاعات، سواء بين الأفراد والمجموعات أو بين هذه والمخزن. كما أن طقوس "الزواگ" و "التعرگيبة" هي بالتأكيد طقوس محلية سابقة للإسلام، لذلك اعتبرها العلماء من بقايا "الجاهلية"، فوقفوا ضدها وحاربوها، خاصة فيما يتعلق برمي العار على الأولياء والصالحين الذين يصبحون بموجب التقاليد مجبرين على تنفيذ رغبة الملتمس لشفاعتهم، وهو ما رأى فيه بعض العلماء سوء أدب في حق أولياء الله.

لكن موقف العلماء لم يمنع الناس من اللجوء إلى هذه الطقوس ومن طلب شفاعة السلطان أو ذوي النفوذ والجاه. ولم تقف الدولة ضدها بل ساندتها ودعمتها لما كانت توفره من مخرج سلمي لأزمات مستعصية. ويذكر المؤرخون أن السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله كان لا يرد شفاعة الخصم بل ربما أو عز إلى البعض من الرعية بطلب الشفاعة "فيقلع عن عز ويستدرك الأمر قبل تفاقمه" (*أكنسوس، ص. 317 ـ 318*). ويدخل في نفس الإطار احترام السلاطين لأماكن الحرم كالاضرحة والزوايا وقبول شفاعة أصحابها.

إلا أن الشفاعة وغيرها من أدوات التوسط والمصالحة تأثرت بكيفية سلبية عندما أراد السلاطين مركزة الدولة واحتكار معظم السلط ابتداء من القرن التاسع عشر. وكانت هذه الرغبة في المركزة تتم في الغالب على حساب القوى الدينية كالزوايا والشرفاء الذين كانت الرعية تقصدهم للتوسط وللشفاعة. وهكذا أصبح السلاطين يردون شفاعة الشرفاء والمرابطين فنسفوا بذلك ركناً هاماً من أركان التوازن الاجتماعي. ويكفي أن نذكر هنا مثالين لهذه الظاهرة: الأول يتمثل في رفض مولاي الحسن في سنة 1875 شفاعة شيخ الزاوية الوزانية عندما توسط لديه لإنهاء تمرد بوعزة الهبري، فكان ذلك الرفض إشارة لشريف وزان بنفض يده من يد المخزن وطلب الحماية الفرنسية. أما المثال الثاني فيتعلق برفض المولى عبد العزيز لشفاعة الشرفاء الأدارسة عندما أخرجوا قاتل الإنجليزي دافيدكوبر من ضريح مولاي إدريس بفاس (1902) بعد أن عاهدهم السلطان بالصفح عنه، إلا أن مولاي عبد العزيز نكث عهده وبادر إلى قتل الجاني، فكان ذلك ضربة قاسية للشرفاء الأدارسة وإخلالا بأحد الأعراف التي قام عليها النظام الاجتماعي. لكن هذه الحادثة كانت في الواقع ضربة لهيبة مولاي عبد العزيز وإيذاناً بسلسلة من الثورات والفتن أدت في النهاية إلى سقوط البلاد في قبضة الاستعمار.

أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء 9، الدار البيضاء، 1956 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، 1899، الجزء الأول. م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مخطوط، الخزانة العامة، د 339.

محمد المنصور

**الشَّفَّاقْ**، عبد السلام بن عبد الله قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني يسف انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد شارك في المؤتمر الذي عقدته الثورة بضريح سيدي يسف يوم 7 ماي 1913، ولم يشارك إلا في أربع معارك حيث استشهد في المعركة التي جرت بقرية بوعودة يوم 15 يوليوز من نفس السنة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**شفشاون** (مدينة وإقليم -) تأسست مدينة شفشاون كرد فعل للمد الصليبي المتمثل في احتلال طنجة وأصيلة سنة 1471، على يد الشريف علي بن راشد المشيشي. الذي جعلها قاعدة خلفية للجهاد نظراً لموقعها المحصن وراء الجبل. وهي مدينة تعلو سطح البحر بـ 300 م كما أنها المقر الإداري لإقليم تبلغ مساحته 4350 كم2. تستمد اسمها من "شف" انظر "شاون" بمعنى القرون ؛ وهي تسمية وصفية لموضعها عند قدم أجراف جبل لشهب الكلسي. أما طابعها المعماري والثقافي فيتأصل من ازدواجية الحضارة المغربية الأندلسية بعد خروج المسلمين من المدن الإيبيرية حيث استقبلت شفشاون أعداداً كبيرة منهم.

ورد ذكر شفشاون في مذكرات شارل دو فوكو الذي مربها سنة 1884 فوصف بها كثرة الحرفيين وساكنة تناهز 5000 نسمة، وهو نفس العدد الذي استمر إلى غاية 1920 حين دخلها الجيش الإسباني قبل أن ينسحب منها سنة بعد ذلك (1921)، في اتجاه بعض المدن الساحلية إثر رد فعل الثورة الريفية العنيف. وفي سنة 1926 عاد إليها الإسبان مرة أخرى بعد تحالف جبان، فرنسي ـ إسباني ليجعلوها

واحدة من خمسة مراكز لإدارة شؤون الريف استمرت لثلاثة عقود (1926 ـ 1956)، وهذه المراكز هي :

- شفشاون بالنسبة لإقليم غمارة ؛
- العرائش بالنسبة لإقليم اللكوس ؛
- تطوان بالنسبة لإقليم جبالة ؛
- الحسيمة بالنسبة لإقليم الريف ؛
- مليلية بالنسبة لإقليم كرت.

تشرف شفشاون على منخفض طولي يمتد 100 كم ما بين خميس أنجرة (بشبه جزيرة طنجة) وباب تازة (بالريف الأوسط)، يتوسط وحدتي الذروة الكلسية والأعراف النوميدية، وانطلاقا من خانق واد لاو يتم ربط المنطقة بالواجهة المتوسطية. وتكتسب شفشاون شهرتها من موقعها المتدرج فوق توضعات رصراصية ومواد فتاتية عبارة عن هشيم وتراكمات كاربوناتية عند قدم جبل تيسوكا. كما تضفي عليها الجنان وبساتين الأشجار المثمرة المحيطة بها طابعا متميزا وجمالية قل مثيلها.

تمتاز تضاريس إقليم شفشاون بالتمزق نتيجة تعمق شبكة الجريان وتعدد الأعراف (كلسية وحثية). وجراء هذا الوضع الطبغرافي المتمثل في قمم الريف الأوسط، تأخذ الأودية وجهات متغايرة صوب البحر المتوسط (واد لاو، بوحية، بوأحمد، ورينجة) أو صوب المحيط الأطلنتي (واد اللكوس، واد ورغة عبر واد أودور).

يمتد ساحل إقليم شفشاون من الجبهة إلى واد لاوْ ويظهر أجرافا صخرية وسفوحا شديدة التمزق تمتاز بالوعورة وقوة الانحدار، ضمن تكوينات تشرف مباشرة على البحر بمئات الأمتار (400 إلى 600 م). ولا ينفتح هذا الشاطئ إلا عند مخارج بعض الأودية (لاو، تحيساس، أمتر، تاغروت، ورينجة).

تتعدد الوحدات الجيلوجية بالإقليم بحيث نجد :

- الصخور القاعدية المتبلرة، (بريدوتيت، غنس، ميكاشست).
- الصخور الرسوبية وتناسب وحدة غمارة والصخور الأولية وغطاء الزمن الثاني المحيط بها.
- رسوبات فتاتية متنقلة توضعت في منخفض عميق طوال أزمنة الكريتاسي، الاليجوسين والميوسين.

تتوسط إقليم شفشاون الصخور الكلسية لتؤلف حزاما كاربوناتيا (الذروة الكلسية) تقارب ارتفاعاته 2000 م (كلتي، لقرع، تيسوكا...)، وتشكل خط مفترق المياه بين الأحواض المتوسطية والأطلنتية. بها أشكال كارستية متنوعة سطحية وباطنية نتجت عن تحلل الصخور الكلسية. وهو ما يفسر وجود أعمق هوة كارستية بالمغرب (تغوبيت) قرب جبل بوحلا، غير بعيد من قرية الشرافات بين باب برد وباب تازة.

أما الصخور الرملية النوميدية المنتشرة موازاة مع الظهر الكلسي من جهة الجنوب الغربي فهي من مخلفات فرشة كبيرة لم يتبق منها حالياً إلا أحجام منعزلة ذات اتجاه شمالي غربي ـ جنوبي شرقي. تعلو فرشتي طنجة وكتامة الصلصاليتين وأحيانا ترتبط بهما بواسطة تراكمات سفحية سليسية تستقر فوقها غابات البلوط الفليني (جبل خزانة، جبل سكني، جبل بوهاشم...).

مناخ إقليم شفشاون من النوع المتوسطي، شتاؤه معتدل ورطب وصيفه جاف وحار؛ تتوزع تساقطاته بين شتنبر وماي. أما المعدل السنوي للأمطار فيتجاوز 800 مم / سنة

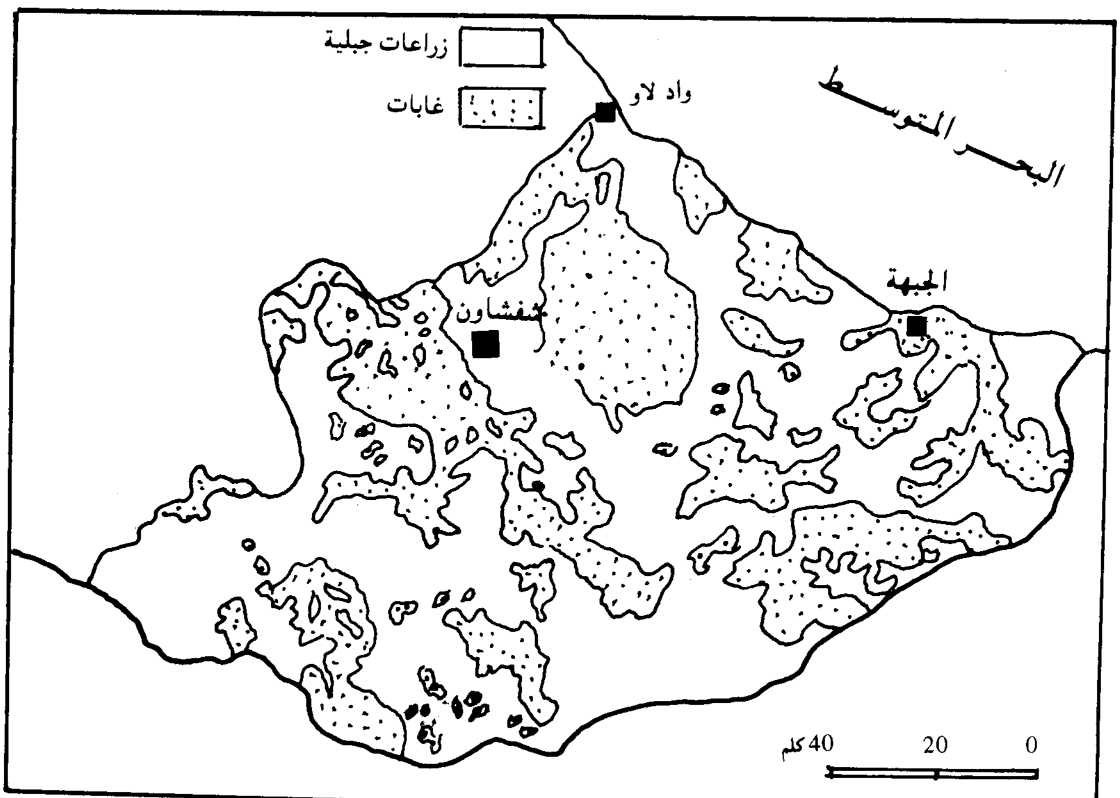

بمجموع الإقليم ما عدا قرب الساحل حيث تنزل الأمطار دون 400 مم. ومن أهم نتائج هذا المعطي انتشار غطاء نباتي طبيعي كثيف يمتاز بالغنى من حيث التنوع والأصناف النباتية والمساحات المغطاة (شكل 1).

تعتبر وفرة التساقطات (أمطار وثلوج) بإقليم شفشاون مصدراً لحقينات العديد من السدود داخل الإقليم :

- سد علي ثلاث (1934) في مقدمة الظهر الكلسي تبلغ مساحة حوضه 436 كم2 إلا أن حجم الحقينة (20 مليون م3) لا تتناسب وكمية الأمطار بالعالية.

- وبالعكس يمثل سد واد المخازن وسد الوحدة مستقرا طبيعيا لموارد الإقليم المائية تترجم حقيناتها أهمية موارد المياه السطحية بالإقليم.

ونظراً لطبيعة صخورها، تعتبر الذروة الكلسية خزانا حقيقيا للمياه الجوفية حيث تبلغ طاقة تخزينها حوالي 200 مليون م3 سنويا جزء منها يتفجر في عيون رأس الماء، ماجو، الشرافات وغيرها... ويضمن صبيبا منتظما لها على مدار السنة.

جدول 1 : الحرارة والأمطار بإقليم شفشاون
من خلال محطتي الجبهة وشفشاون

| المحطة | ارتفاع (م) | خط طول | خط عرض | معدل حرارة دنيا | معدل حرارة عليا | الامطار (مم/سنة) |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الجبهة | 10 | 4° 40' | 35° 14' | -- | -- | 358 |
| شفشاون | 280 | 5° 15' | 35° 10' | 5,9 | 33,9 | 893 |

تشكل مدينة شفشاون إلى جانب طنجة وتطوان والعرائش رابع مركز حضري لجهة طنجة - تطوان، تحيط بإقليم شفشاون أقاليم الحسيمة وتاونات من الشرق، سيدي قاسم من الجنوب وإقليم تطوان من الغرب والشمال الغربي. ويستقر بالمنطقة سكان قرويون في الغالب ضمن كثافات تتجاوز المعدل الوطني بكثير. ذلك أن شفشاون هو الإقليم الأقل تمدنا بالشمال إلى جانب تاونات حيث لا تتجاوز بهما نسبة سكان الحواضر 10٪.

جدول رقم 2 : توزيع السكان بإقليم شفشاون

| مساحة كم2 | السكان | قرويون | حضريون | كثافة ن/كم2 |
|---|---|---|---|---|
| 4350 | 439303 | 396389 | 42914 | 101.0 |

وتعتبر شفشاون كذلك (أو الشاون)، المدينة الوحيدة داخل الإقليم أما دونها فعبارة عن مراكز تضخمت على جوانب طريق عابر أو لوجود نواة إدارية كمقر دار الجماعة أو سوق أسبوعي (الجبهة، زومي، بريكشة، باب برد، باب تازة، تانقوب، دردارة). وهي مراكز غالبا ما تفتقد إلى خدمات التطهير وجمع النفايات والإضاءة العمومية.

جدول 3 : تطور عدد سكان مدينة شفشاون خلال القرن العشرين،
وتيرة غير منتظمة

| السنة | عدد السكان | ن الزيادة |
|---|---|---|
| 1884 | 5000 | -- |
| 1921 | 5000 | -- |
| 1935 | 6158 | %1.5 |
| 1940 | 12397 %13 إسبان | %1.5 |
| 1954 | 14175 %18 إسبان | %1 |
| 1960 | | |
| 1971 | | |
| 1982 | 26499 | %4.1 |
| 1994 | 42914 | |

جدول 4 : بنية أعمار السكان بشفشاون الاحصاء العام 1994

| أعمار | شفشاون |
|---|---|
| 4-0 | 17,1 |
| 9-5 | 17 |
| 14-10 | 13,6 |
| 19-15 | 10,4 |
| 24-20 | 8,0 |
| 29-25 | 6,1 |
| 34-30 | 5,9 |
| 39-35 | 4,6 |
| 44-40 | 3,7 |
| 49-45 | 2,6 |
| 54-50 | 2,7 |
| 59-55 | 2,1 |
| 64-60 | 2,1 |
| 69-65 | |

يبدو من بنية أعمار سكان إقليم شفشاون أن 60٪ منهم دون 20 سنة، مما يشكل عبئا إضافيا يجب مواجهته من حيث تلبية متطلبات ساكنة في حاجة إلى الاستثمار على مستوى التربية والتعليم والتكوين والتطبيب...

جدول 5 : نسب الأمية لدى ساكنة شفشاون ٪:

| المدن | القرى | ذكور | إناث | مجموع |
|---|---|---|---|---|
| 33 | 75 | 51 | 89 | 70 |

الجماعات المحلية (شكل 2) : 1 تيزكان، 2 سطحية، 3 بني بورزة، 4 أمطر، 5 بني سميح، 6 متيوة، 7 تاسيفت، 8 بني سلمان، 9 بني منصور، 10 إونان، 11 بني رزين، 12 واوزكان، 13 طالمبوت، 14 بني دركول، 15 بني صالح، 16 باب برد، 17 تامروت، 18 باب تازة، 19 بني فغلوم، قلعة بوقورة، 20 أولاد صالح، 21 منصورة، 22 تانقوب، 23 دردارة، 24 الغدير، 25 فيفي، 26 مقرصات، 27 بني أحمد شرقية، 28 أسجن، 29 بريكشة، 30 عين بيضة، 31 زومي، 32 منصورة، 33 بني أحمد غربية، وشفشاون.

جدول 6 : توزيع الوحدات الادارية بإقليم شفشاون

| دوائر | 4 |
|---|---|
| ج. قروية | 33 |
| ج. حضرية | 1 |

الأنشطة والخدمات : يمتد ساحل إقليم شفشاون بين رأس الصيادين ورأس ترغة أي بين الجبهة وواد لاو، على طول 120 كم. مرفأ وحيد للصيد بالجبهة يوجد ضمن هذا الشريط الساحلي وهو ما يترجم ضعف مساهمة هذا الساحل في المنتوج المحلي خاصة على مستوى الصيد. وهو معطى تفسره قلة التجهيزات والطبيعة التقليدية لقوارب الصيد وضعف التكوين في تقنيات الصيد والملاحة لدى السكان. ويمكن تحديد البعض من مشاكل استغلال الموارد البحرية كما يلي :

- صعوبة الوصول إلى ميناء الجبهة وقلة المياه وغياب وحدات التصبير
- انعدام أوراش إصلاح قوارب الصيد وعدم وفرة قطع الغيار وحتى المحروقات
- انعدام مساحة مخصصة لبيع إنتاج الصيد اليومي.

وفي مجال المواصلات يخترق إقليم شفشاون محور الطريق الوطنية رقم 2 من الشرق إلى الغرب ؛ إلا أن مخططها لا يفيد من حيث محدودية إشعاعها على المجال. ورغم شبكة طولها 750 كم، تبقى البنيات الطرقية دون المعدل الجهوي (15 كم / 100 كم2). كما أن حالتها تبقى في المجمل سيئة تعاني من معضلة الحركات السفحية والانقطاعات المتتالية جراء السيول والانجراف مما يتطلب استثمارات كبرى للإبقاء على صلاحيتها خلال كل فصل مطير.

جدول 7 : البنية الطرقية الريفية بإقليم شفشاون (كم)

| طرق رئيسية | طرق ثانوية | طرق ثلاثية | مسالك | مجموع |
|---|---|---|---|---|
| 172 | 135 | 277 | 180 | 764 |

علاوة على أعطاب قطاع المواصلات، تعتبر مكافحة التعرية إحدى أولويات التنمية المستديمة بالإقليم وهو أمر يتطلب معالجة أحواض الأودية الصغرى والمتوسطة وغراسة السفوح المهددة بعالية سد واد المخازن وسد الوحدة.

جدول 8 : توزيع المساحات حسب أنماط الاستهلاك بإقليم شفشاون

| أراضٍ بور | أراضٍ سقوية | غابات | مراعٍ | مجموع |
|---|---|---|---|---|
| 96200 | 3800 | 175000 | 160000 | 435000 |

ينعكس النقص في بنيات المواصلات سلبا ويزيد من معاناة شفشاون من العزلة خاصة في القطاعات المنتجة كالتصنيع. فانعدام أسس استقبال هذه الأنشطة إضافة إلى صعوبة المجال الطبيعي وغياب أي منظور بديل لإنقاذ الأوساط الجبلية ؛ كلها عناصر لا تمكن من تشجيع الاستثمار الصناعي ولا تسمح بالتهيئة الملائمة للتراب، بل تدفع السكان إلى الهجرة أو الاكتفاء بزراعة القنب الهندي المحظورة والتي تعرف انتشاراً كبيراً في أوساط الفلاحين.

تشكو المدينة والإقليم من غياب أي تدبير للثروات المحلية خاصة الغابوية منها والغلال الموسمية والمياه المعدنية والثروة الحيوانية. فغنى محيط شفشاون بالمجالات ذات الأهمية السياحية يتمثل في تعدد مؤهلات تنمية السياحة الجبلية إلى جانب إمكانات تنمية سياحة ساحلية حقيقية. ولعل كل ذلك يقتضي تهيئة محكمة ومتكاملة من حيث التجهيز واعتماد السياحة الوطنية. أما مجالات استقطاب زوار إقليم شفشاون وحاضرتها فمتعددة ومن أهمها :

- المدينة القديمة، قصبة عبد الكريم، عيون رأس الماء قرب المدينة،
- مراكز الجبهة، ترغة، قاع أسرس وأمتر، على الساحل
- صومعة وشلالات الشرافات، مغارات تغوبيت الكارستية
- عين الرامي ومحمية طالاسمطان (60.000 هك)

شفشاون إقليم جبلي يتوسط جبال الريف كما يشرف على البحر المتوسط بسفح عمودي يخلق متاعب لاستقرار السكان والأنشطة. أما السفوح الجنوبية فهي متدرجة الارتفاع، ذات غطاء نباتي متنوع وكثيف. وتعترض الواجهتان معا، الشمالية والجنوبية، صعوبات ناتجة عن تعرية الأتربة في ظروف مناخ إما شبه جاف أو كثير الرطوبة وذلك جراء زوال الغابات التي تمثل حالياً ثلث مساحة الإقليم.

يشكو إقليم شفشاون وحاضرته من خصاص كبير على مستوى التجهيزات الأساسية في ارتباطها مع حاجيات السكان وتدبير ثم استغلال الموارد الطبيعية.

*دراسة ميدانية ووثائق رسمية.*

بوشتى الفلاح

**الشفشاوني، عبد الرحمن** بن عبد الهادي بن إدريس، يتصل نسبه بالحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول عليه الصلاة والسلام.

ولد المترجم له في مدينة فاس بحومة الجزيرة حوالي سنة 1306 / 88 - 1889 وما أن تخطى سنوات الطفولة الأولى حتى انكب يستظهر كتاب الله ويتعلم مبادئ الكتابة والقراءة في كتّاب درب السعود على يد الفقيه أحمد الفشتالي الزعيمي. ثم نقل إلى كتّاب حي مصمودة فقرأ على الفقيه أحمد الغزاوي. ثم نقل إلى كتّاب الأقواس فقرأ

على الفقيه علي الخمسي. ثم اختص بالقراءة على الفقيه علي الفكيكيي فكان يدرس معه كتاب الله بضريح ابن عطية بالحبيل. ثم رجع إلى مكتبه الأول ومعلمه الفقيه الفشتالي. وقضى زمنا طويلاً في إتقان حفظ القرآن في الضريح الإدريسي على الفقيه ابن علي إلى أن استظهره على النهج المسلوك يومئذ، بحيث لم يغادر الكتاب حتى كان على بينة تامة من التنزيل الحكيم مع إتقان رسمه ونصوصه وملكة

في تجويده وترتيله، فضلاً عن حفظ بعض أمهات المتون النثرية والأراجيز النظمية، كمختصر خليل الذي كان يقرأ زوال كل يوم بعد أذان الظهر بالقرويين، وكرسالة ابن أبي زيد القيرواني، والأجرومية والألفية والعاصمية والزقاقية والمرشد المعين وأرجوزة السلم وما إلى ذلك. وإنه زاول الدراسة بقراءة الأجرومية بشرح الأزهري في مسجد القاضي عياض بحومة الصناعة على الفقيه الشريف محمد (فتحا) بن قاسم القادري، والمرشد المعين على الضروري من علوم الدين بصغير الشيخ ميارة على الفقيه عبد الصمد كنون بمسجد الشحامين في النخالين وعلى الفقيه إدريس بن عمر الشامي بجامع الأندلس. وانتقل سنة 1320 إلى معهد القرويين لينهل من معينه المتدفق بالعلوم الشرعية والأدبية، فأخذ عن كبار علماء العصر من أمثال محمد (فتحا) الإيراري والراضي السناني وعبد الله الفضيلي ومحمد بن رشيد العراقي وأحمد بن الخياط الزكاري والقاضي محمد بن العربي العلوي وعبد السلام الهواري والتهامي كنون ومحمد بن جعفر الكتاني والشريف الحسين العراقي والفقيه عبد السلام غازي والفقيه أحمد بن الجيلالي الأمغاري والفقيه حماد الصنهاجي والفقيه محمد أقصبي والشيخ شعيب الدكالي والفقيه محمد بن محمد بن عبد القادر ابن سودة والفقيه إدريس المراكشي والفقيه عبد السلام بناني وأخيه القاضي عبد العزيز بناني والشيخ عبد الحي الكتاني والفقيه عبد الرحمان ابن القرشي والفقيه عمر العراقي والفقيه الحيسوبي محمد بن علي اللأغزاوي والفقيه محمد العلمي والقاضي محمد بن الطالب الفاسي والشريف الفقيه أحمد بن المامون البلغيثي. حتى إذا بلغ الأشواط النهائية من الدراسة الجامعية، اختبر فيما امتلك من العلم والقدرة على تبليغه أمام لجنة يتقدمها الشيخ أحمد ابن الخياط، فمنح درجة العالمية وألحق بقائمة العلماء من المرتبة الرابعة، وذلك سنة 1333. وما لبث أن تسلق المدارج إلى أن ارتقى إلى المرتبة الأولى. وكان فور تخرجه قد انكب على التدريس تطوعا في القرويين، فألقى دروساً في الأجرومية ولامية الأفعال والألفية لابن مالك وفي الفرائض والحساب والعروض ونظم الاستعارة ولامية الزقاق والتحفة والبردة ومختصر خليل بالدردير من باب البيوع، كما أنه سرد صحيح البخاري ثلاث مرات بالتناوب مع بعض أقرانه وذلك في شهر الصيام ويختمونه ليلة القدر.

وقد اشتغل بالتدريس ابتداء من سنة 1339 في المدارس الحكومية المحدثة بعد فرض الحماية على البلاد، فدرس في مدرسة أبي الجنود، ثم في مدرسة العدوة سنة 1345، ثم مدرسة أبناء الأعيان بدرب ابن يعدس في حي رأس الجنان. ثم عيّن عضواً مستشاراً بالمحكمة الابتدائية، ثم عضواً متمرنا بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى في الرباط، وذلك عام 1348. وانتقل إلى منصب قاضي مدينة وجدة في ربيع الثاني من سنة 1352، وظل يمارس الأحكام هناك إلى سنة 1357، إذ سمي مستشاراً بالمجلس الأعلى الآنف الذكر، ثم نائب الرئيس في ربيع 1363، ثم نائبا عن قاضي القصر الملكي في شعبان 1371. وكان في تلك الأثناء مكلفا بإلقاء دروس الفقه في المدرسة المولوية. وآخر ما تقلد من المناصب العليا رئاسة الغرفة الشرعية في المجلس الأعلى إلى أن بلغ سن التقاعد فعين رئيساً شرفياً للمجلس قبل أن يحال على المعاش. وظل طيلة عمله في الوظيف يشرف برفقة العالمين محمد بن عبد السلام السائح الرباطي وأحمد بن عبد النبي السلاوي على لجنة امتحانات التخرج من جامعة القرويين.

ولما استرجع المغرب استقلاله وبات من الضروري إعادة النظر في قضائه ومحاكمه، فإن الفقيه عبد الرحمن الشفشاوني انتدب للعمل في لجنة وكل بها تدوين أحكام الفقه الإسلامي إلى جانب المختار السوسي وأحمد البدراوي والمهدي العلوي ومحمد بن العربي العلوي والأساتذة الحسين ابن البشير ومحمد داود وعلال الفاسي وحماد العراقي. وأما رحلاته، فقد شارك في مؤتمر أحباس الحرمين الشريفين المنعقد في الجزائر العاصمة، وهناك اتصل بالشيخ البشير الإبراهيمي وألقى دروسا بمسجد المدينة الجامع.

وخلاصة القول أن الفقيه عبد الرحمن الشفشاوني كان من كبار علماء عهد السلطان سيدي محمد بن يوسف. ذاع صيته في مجال الفقه وفك ألغازه وتشعبات نوازله، مع عناية بنشر العلم والسهر على المحافظة على العلوم الإسلامية في الوقت الذي صار للصدمة الاستعمارية ما صار من الوقع على كل صعيد. فكان رجل تدريس وعمل أكثر مما كان رجل تدوين الكتب وتحبيرها، وإن كان قد خلف العديد من التقاييد التي لا تزال في مسوداتها عند ولده الأستاذ المهندس الوزير السيد يحيى حفظه الله. بيد أن المترجم كان مالكا بزمام النظم، وله قصائد تثبت مهارته في ذلك، منها

على سبيل المثال لا الحصر قصيدة في مدح السلطان سيدي محمد بن يوسف فهو من كبار خدامه، وأخرى في هجاء محمد بن عرفة سلطان الفرنسيس كما كان يسمى عند عامة الشعب المغربي الذي لم يرض بمبايعته أحد. والقصيدتان مذكورتان عند بلحاج السلمي. وله أيضاً منظومة رجزية في إرث ذوي الأرحام من ثمانية وأربعين بيتا صدرت في مجلة القضاء والقانون عدد أبريل 1958.

توفي ليلة الأحد 15 رمضان عام 1387 / 17 دجنبر عام 1967، ودفن بمقبرة سيدي الخطاب خارج باب العلو من الرباط.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3398 ـ 3399 ؛ ع. الله الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، 1391 / 1971، في مجلدين ؛ م. السلمي ابن الحاج، *إسعاف الإخوان*، الدار البيضاء، 1412 / 1992.

**الشفشاوني، عبد الله** بن **عبد الرحمان**، ينتمي إلى الجيل الأول من شباب المغرب الذي تخرج من الجامعة الفرنسية. درس أول الأمر العلوم الرياضية. ثم مال عنها ليدرس العلوم القانونية والاقتصادية. وعاد إلى المغرب في السنوات الأخيرة من عهد الحماية، فالتحق بإدارة التخطيط والإحصاء. ولما استرجع المغرب استقلاله، كان عبد الله الشفشاوني من الرجال المعوّل عليهم، على قلتهم يومئذ، في تجديد صرح الإدارة الوطنية. وقد عينه الملك محمد الخامس نائب كاتب الدولة في المالية في الوقت الذي كان المغرب يسعى إلى التخفيف من التبعية للسوق الفرنسية ومنطقة الفرنك. وتجلت مؤهلاته في الوزارة واستحسنها الجميع، لما كان مجبولا عليه من الذكاء وخفة الروح وشرف السلوك.

توفي فجأة، مأسوفا عليه مذكوراً بلسان الخير، بعد مرض خاطف لم يمهله طويلاً في جمادى الثانية عام 1378 / 58 ـ 1959، ودفن بمقبرة العلو في الرباط.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 10 مجلدات.

إبراهيم بوطالب

**الشفشاوني، عبد الله** بن **محمد** بن المكي الحسني الموسوي. مقاوم كبير، ولد بفاس سنة 1349 / 1927، ودرس في الكتّاب فحفظ شيئاً من القرآن، وكان يمتهن حرفة الخرازة. انخرط في حزب الاستقلال أواخر الأربعينيات وتزوج في أول الخمسينيات. وأنجب ولداً وبنتاً. عرف بنشاطه الوطني فألقي عليه القبض أولاً يوم السبت 4 ذي الحجة عام 1372 / 15 غشت 1953 وسجن سبعة شهور بفاس والرباط. وبعد خروجه من السجن أنشأ خلية للفدائين بفاس، قامت بأعمال قتل وتخريب ضد المستعمرين وعملائهم المغاربة المتعاونين معهم. وألقي عليه القبض وعلى أفراد من خليته في مطلع سنة 1955 حيث قضى ثلاثة أشهر في البحث والاستنطاق بفندق النجارين بفاس "تحمّل فيه من أنواع التعذيب والتنكيل مالا تطيقه الجمادات، ورغم ذلك لم يعترف لجلاديه بمن يمد التشكيلة بالسلاح والمال" ثم أحيل

على المحكمة العسكرية هو ومن معه من الفدائيين. افتتحت المحاكمة يوم الأربعاء 29 رجب عام 1374 / 23 ماس 1955 واستمرت إلى يوم السبت 9 شعبان / 2 أبريل من نفس السنة. أبدى المترجم أثناءها شجاعة نادرة وقد خصص في كتابه فصلاً بعنوان : "قضية الشفشاوني ... الرؤيا الواضحة" أثبت فيه سير هذه المحاكمة وتدخلات الدفاع خاصة الأستاذ لوكران الفرنسي الحر. ومما نطق به الشفشاوني في الجلسات العلنية للمحكمة العسكرية : "كنت أو من بأن الفداء وسيلة للموت الذي أفضله على البقاء بالحياة في جو الإهانة والاحتقار الذي يفرض على المغاربة" (ص. 299) وعلق الأستاذ لوكران على تصريح الشفشاوني : "نريد أن نعيش أحراراً أو نموت" بقوله : "يذكرني هذا الشعار بالشعار الذي كان مكتوباً على رايات الجنود المتطوعين (في الثورة الفرنسية) سنة 1792 : "الحرية أو الموت".

وفي ختام جلسات المحكمة سأل الرئيس المتهمين : "هل لديكم ما تضيفونه لتعزيز دفاعكم ؟ فوقف الشفشاوني واقترب من المنصة، وبصوت قوي ومرتج وقع هذا التصريح الأخير باللغة العربية الفصحى مؤكداً على كل كلمة في صمت مفجع للقاعة : "دمي، وروحي، وحياتي، أقدّمها فداء لوطني ولديني وملكي".

ثم رجع إلى مقعده، وقبل أن يجلس أضاف :

"إنني فخور لكوني قمت بواجبي كوطني".

ثم رفعت الجلسة، وحكمت المحكمة بالإعدام على عبد الله الشفشاوني. وأعدم بسجن العادر صبيحة يوم الثلاثاء 13 حجة عام 1374 / 2 غشت 1955.

*وثائق عائلية*.

محمد عزيز بن عبد الله الشفشاوني

**الشفشاوني، يحيى** بن المهدي الشيخ الهمام العلامة الإمام الحبر المتبحر الفهامة الناشر الصالح البركة العارف

الواصل الولي الكامل، على ما قال صاحب *سلوة الأنفاس*، كان علما من الأعلام في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله وفي عهد خلفيه المولى يزيد والمولى سليمان، اتسعت معارفه في المنطوق والمفهوم مع القدرة على الغوص على الدقائق، فكان له إلمام تام بدقائق الفقه والحديث والفرائض والحساب، مع ميل إلى الاعتزال عن الخلق والاعتكاف على العبادة والأذكار. فكان معظماً عند الخاصة والعامة، مقصوداً من قبل الجميع، يسترشد الخاص والعام بأقواله وآرائه، ولد سنة 1153 / 40 ـ 1741 وتخرج على علماء وقته من أمثال محمد بن قاسم جسوس، والشيخ عمر الفاسي، والشيخ التاودي ابن سودة، وأخذ الفرائض والحساب عن الشيخ أبي العباس أحمد الشرايبي. وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الله يحبه ويجله ويقدمه على غيره في الأمور الدينية. واقتفى أثره في ذلك ولده وخليفته المولى سليمان الذي أبي إلا أن يزوره في منزله في درب الطويل، فكان ذلك مفخرة تناقل ذاكرها عقبه جيلا بعد جيل. ولقد تولى الإمامة والخطبة في المسجد الإدريسي زهاء ثلاثين عاماً إلى أن استعفى فأعفي ليلتزم حدود منزله.

توفي في عاشر ذي الحجة سنة 1228 / 3 نونبر 1881.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، الطبعة الحجرية، 3 مجلدات ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2489.

إبراهيم بوطالب

**الشفشاونية، آمنة** بنت عبد الله بن أحمد الشكوري المعروفة بين أزواج الناصريين بالشفشاونية سليلة بيت عريق من بيوتات شفشاون الذين تربطهم بناصريي تامگروت علاقة مصاهرة وعلم وتصوف. يتصل نسب أهلها بالصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (*الدرر*، 110).

ولدت بمدينة شفشاون سنة 1089 / 1678 ساقتها الأقدار في بداية العقد الثاني من عمرها إلى زاوية تامگروت لزيارة أختها التي كانت بعصمة أبي عمران موسى ابن مَحمد الكبير، ويظهر أن فطنتها وجمالها أثارا انتباه الخليفة الشيخ أحمد بن ناصر، فخطبها من أهلها ثم أعرس بها ليلة الاثنين الأخير من صفر عام 1102. وهكذا تكون قد دخلت بيت الزوجية وهي طفلة لا تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها.

اعتنى الشيخ أحمد بن ناصر بزوجته الشفشاونية فأدبها وحرص على تعليمها حتى حفظت القرآن الكريم، وصارت بعد ذلك أحب أزواجه إليه تصاحبه في رحلاته التفقدية بالزوايا الناصرية بدرعة، وكان الشيخ يعزلها عن أزواجه الأخريات بزاوية الفضل (*الدرر المرصعة*، 110) كانت توصف بالكرم المفرط والعفاف التام، ولِيْن الأكناف للضعفاء والأيتام،وكان وردها كل يوم أحزاباً من القرآن الكريم آلافا من الهيللة ومثل ذلك من الصلاة على النبي (ص) وكانت السبحة لا تفارقها على الاطلاق.

برعت آمنة الشفشاونية في معالجة بعض الأمراض الجلدية كالبرص والحب الإفرنجي والدماميل بأنواعها وأمراض العيون.

توفيت عن أربع وستين سنة بوباء الطاعون سنة 1153/ 40 ـ 1741، ودفنت بمقابر الناصريين بزاوية تامگروت.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، د. د. ع مرقون، تح. الخبيب نوحي ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري في النسب الجعفري*، ج. 2.

أحمد البوزيدي

**الشفشاونيّون**، من بيوتات فاس الكبرى منذ أن استقروا فيها في عهد أحمد المنصور السعدي. ذكرهم كل من أرّخ لهم بأعلى ما يكون من عبارات التحلية، فقال صاحب *الدر السني* : " الشرفاء الفضلاء النبهاء الكملاء الأعلين رتبا الأكرمين عما وأبا، الذين امتازوا بفرعهم الشهير، امتياز العلم الذي لا يقبل النكير، واحتازوا من الوضوح ما هو كشمس تلوح لهم في الأصالة والجلالة الطلعة الغراء، والرتبة العلياء، ولهم من الخلال السنية والخصال السرية ومكارم الأخلاق وما ناسب تلك الأنساب الشريفة والأحساب المنيفة التي هي أولى بالمحامد على الإطلاق. وجبلوا والحمد لله على الشيم الرفيعة وكرم النفس ولين الطبيعة". مما بوأهم أسمى مقام في مدينة فاس التي جاؤوا إليها من مدينة شفشاون. وفي انتسابهم إلى هذه المدينة الجبلية المجاهدة قولان على نقل صاحب *الدرر الفاخرة*، فإما لخؤولتهم في آل الرشيد المجاهدين الذين اختطوا تلك القلعة في حدود سنة 876 من الهجرة، فسكنوا معهم فيها فعرفوا بالنسبة إليها. وإما أن جدهم القادم على فاس، وهو أحمد بن يحيى، بقصد قراءة العلم في جامعتها، صار نسب الشفشاوني تعريفا به وشهرة له. ولا تناقض بين الفرضيتين. وكان موطنهم الأصلي مدشر بوسرواس في جبل العلم حيث كانوا يعرفون بأولاد يحيى. وأول قادم منهم على فاس الذي اشتهر بفقهه وأدبه، هو أحمد بن يحيى بن الحسن بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن أبي بكر بن موسى بن مشيش، ترجم له صاحب *درة الحجال* وكذلك صاحب *نشر المثاني*. وقد أخذ العلم في فاس عن شيوخ الوقت من أمثال الشيخ السراج الصغير والشيخ الحميدي. واجتمع بأبي المحاسن يوسف الفاسي الذي أثنى عليه أزكى الثناء، وبأبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني. وقد ولد سنة 945 وتوفي سنة 1001 بفاس. وأورد له صاحب *درة الحجال* أبياتا تشهد على ملكته الأدبية وعلى أجواء الأنس والمرح في فاس في جنان وسْلَن (بكسر الواو وسكون السين وفتح اللام) في أرباضها الشمالية. قال :

إذا القلب منّي دهاه شجن وأجفان عيني جفاها الوسن
وجمر الغضا في الحشا قد أضا حثثت المطيّ إلى وسلن ...

ولما استقر الفقيه المذكور بفاس، تصاهر مع الشرفاء

العمرانيين الجوطيين فأنجب ولده محمد (فتحا) الذي كان من عدول سماط القرويين، ثم استنابه للأحكام القاضي محمد بن محمد بن إبراهيم الدكالي سنة 1034 إلى أن طلب الاستقالة وانعزل في منزله.

توفي سنة 1050 / 40 ـ 1641 وخلف محمد بن أحمد هذا ولدين، عبد الوهاب ولم يعقب، ومحمد العربي وهو أصل من تنسل من هذه الأسرة الشفشاونية في فاس. ذلك بأنه خلف خمسة فروع، وعقبه من اثنين هما عبد السلام والطالب. وكانت سكناهم في حومة الجزيرة بعدوة الأندلس، وبدرب الطويل أيضاً، وبعضهم كان يسكن البراطلين قرب الضريح الإدريسي، والبعض الآخر بحي سبع لويات في جوار مسجد القرويين. وقد ذكر صاحب الدرر البهية من كان حيا منهم في نهاية القرن الثالث عشر، منوها بما كانوا عليه من العناية بصون سمعتهم وضبط نسبهم فقال: "فلا يمكن لدخيل أن يتجرأ عليهم ولا أن يروم الوصول إليهم". وكان جل الأسر المشهود لها بالشرف في فاس من أصهارهم. وهم على ما قال صاحب *نشر المثاني*: "أهل سكون ودعة واقتصار على ضرورياتهم، ولهم اعتناء بالتكسب وإصلاح الضياع"، فضلاً عن الإكباب على العلم والسعي في نشره.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1370، 3 مجلدات، المجلد 1؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1397، 4 مجلدات؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، فاس، الطبعة الحجرية؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، الطبعة الحجرية، 3 مجلدات.

إبراهيم بوطالب

**شْقَارَة** ويكتب أيضاً أشقارة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم الحروف اللاتينية هكذا - Segarra çeguera ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Sequerra, Sagarra, Segarra.

محمد ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1473.

محمد ابن عزوز حكيم

**شْقَارَة، عبد الصادق** بن أحمد التطواني، موسيقي شهير، ولد سنة 1931. وهو ينتمي من جهة والدته إلى الشيخ محمد الحرّاق. وقد وجد نفسه منذ طفولته في احضان أسرة مولعة بالموسيقى والطرب، فكان والده من أتباع الزاوية الحرّاقية، وكان يرافقه إليها، فيحضر بها حلقات الذكر والسماع التي كان يرأسها شيخ الزاوية يومئذ عرفة الحراق، كما كان يرافقه إلى الدار الكبيرة بالجامع الكبير في جنان بومراح، حيث يستمع إلى المداحين والمسمعين وهم ينشدون البردة والهمزية ويرددون البراول وأشعاراً من ديوان محمد الحراق. وكان الصبي إلى ذلك يواظب على الكتّاب القرآني، قبل أن يلتحق بالمدرسة الأهلية بتطوان.

ولما بلغ شقارة من العمر سبعة عشر عاماً، وكان قد تعلم من والده بعض مبادئ العزف على الكمان والتوسيد في ضبط الميازين، التحق بمعهد تطوان للموسيقى، فحفظ النوبات الاحدى عشرة على يد محمد بن عياد، والعربي الغازي، ومحمد بيصة، وعبد السلام الدريدب، ومحمد العربي التمسماني، كما تعلم العزف على الكمان ومهرفيه بفضل أساتذة هذه الآلة، خاصة منهم العياشي الورياكلي، ومحمد المودن.

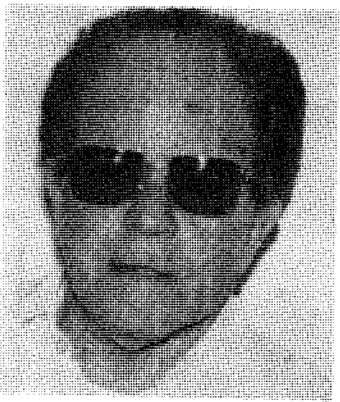

وبعد ما أنهى دراسته عام 1956 عين أستاذاً لآلة الكمان خلفا لشيخه العياشي الورياكلي، واستطاع على مدى عقدين كاملين أن يقوم بمهمة التدريس على أحسن وجه، قبل أن يتقلد مسؤولية الحراسة العامة بالمعهد عام 1976. هذه المهمة التي ظل يتحملها حتى عام 1992 تاريخ إحالته على التقاعد.

وقد كان شقارة من أنشط الفنانين العاملين في جوق المعهد التطواني للموسيقى الأندلسية منذ أن رأسه الفنان محمد العربي التمسماني، فاشتغل إلى جانبه، وكان ساعده الأيمن، وخليفته في قيادة الجوق كلما اقتضت الظروف غيابه. جمع بين مهارتين قل أن تجتمعا في فنان واحد، أولاهما العزف على الكمان، فقد برع فيه إلى حد كبير وثانيتهما الإنشاد، فقد حاز فيه قصب السبق جودة وحفظا، وكان فيه فارس الميدان، تألق نجمه بين المنشدين، وخاصة في أداء البيتينات. وكان حريصاً على احترام تقاليد الموسيقى الأندلسية، يرى في إقبال بعض الشباب على إنشاد الموال على الطريقة الشرقية وادراجه في ميازين الآلة ما يخل بخصوصيات الموسيقى الأندلسية ويفقدها نكهتها ويضر ببنيتها.

تعددت ممارسات شقارة الموسيقية، وتنوعت عطاآته وابداعاته. وفي مقدمة تلك الممارسات تأتي الموسيقى الأندلسية من خلال الدور الريادي الذي كان يحتله بين أعضاء جوق المعهد التطواني عازفاً ومنشداً كثيراً ما ينفرد بأداء أبيات الصنعات، ثم من خلال اضطلاعه برئاسة مجموعات موسيقية نذكر منها الجمعية التطوانية للموسيقى الأندلسية التي أسسها عام 1977، والجمعية التطوانية

لعشاق الطرب الأندلسي التي أنشأها عام 1992.

وفي إطار عنايته بالموسيقى الأندلسية تندرج مساهمته إلى جانب المرحوم مولاي أحمد الوكيلي والمرحوم الحاج عبد الكريم الرايس في تسجيل بعض النوبات عام 1961 بإشراف منظمة اليونسكو، وكذا مشاركته ضمن جوق المعهد التطواني في إنجاز انطولوجيا الموسيقى الأندلسية بعناية وزارة الشؤون الثقافية. وإلى ذلك اجتهد في نشر هذه الموسيقى بين أوساط الشباب من خلال تسجيلاته المتعددة وجولاته عبر المدن المغربية، كما ساهم في التعريف بها على المستويين العربي والدولي، ومن أجل ذلك قام برحلات فنية متعددة إلى المدن الإسبانية، وإلى فرنسا والسنغال، وشارك في المهرجان الإسلامي الذي احتضنته مدينة لندن عام 1975 بحضور عاهلة بريطانيا الملكة ايليزابيث.

وإلى جانب اهتمامه بموسيقى الآلة كانت للمرحوم شقارة عناية خاصة بفني المديح والسماع. وفي هذا المضمار أنشأ عام 1986 "جمعية مرتع الأذواق لشباب زاوية الحراق" وسجل منتخبات من قصائد المديح لعل أكثرها شيوعا وانتشاراً قصيدة "الفياشية".

وكان شقارة ضليعا في أداء الأغاني الشعبية المحلية سواء منها الطقطوقات والعيطات المنتشرة في منطقة جبالة وفي أحواز تطوان أو الأغاني التطوانية الحضرية. وهي أغان تتسم بنكهة خاصة وتشكل نتاج تمازج بين ألحان وإيقاعات الغناء الشعبي وموسيقى الآلة والطرب الغرناطي. فلقد استطاع أن يخرج بها من حيزها المكاني المحدود إلى فضاءات تعانق فيها آفاقا رحبة، كما استطاع أن يحولها إلى إنجازات فنية ناجحة بفضل ما أضفاه عليها بصوته الدافئ ولهجته التطوانية المتميزة من تدفق وحيوية. ولعل من أنجح نماذج هذه الأغاني مقطوعته الشهيرة "الحبيبة أو جرحتيني" التي طبقت شهرتها الآفاق منذ أن قدمها لأول مرة عام 1957 بمسرح محمد الخامس على ايقاع الرقصات التطوانية التي أعدت تصميمها السيدة كلارا أستاذة الرقص والباليه يومئذ بمعهد تطوان.

وبفضل جهود المرحوم شقارة تهيأ لكثير من الأغاني الشعبية والتطوانية أن تنتعش وأن تطفو على الساحة بعد أن كاد النسيان يطويها إلى الأبد. ومن هذه الأغاني : كانْ مسافْر - راس الغريب براني - أنا مزاوك - قوموا تبايعوا يابنات اليوم - ياوليدي - مولاي عبد السلام - النارگداتْ في گليبي - أنا العايلة مولاتي.

وتأتي بعد هذه الانجازات أعمال أخرى تندرج فيما يمكن اعتباره من قبيل المقاربة بين موسيقى الشعوب. وقد أنجز في هذا الصدد مقطوعة غنائية بالاشتراك مع المغني الإسباني المعروف Nibrijano عام 1982، وهي أغنية "يا بنت بلادي Macama monda"، وكان غناؤها يجري باللغتين العربية والإسبانية بالتناوب بين المطربين. وتعكس هذه التجربة - إلى حد - بعض وجود التواصل بين الموسيقى الأندلسية المغربية وبين غناء الفلامنكو الذي يشكل بعض ما تبقى من آثار الموسيقى العربية بجنوب إسبانيا بعد نزوح العرب عنها.

وفي سياق تعاونه مع الفعاليات الأجنبية أيضاً أنجز في سنة 1991 بمشاركة عازف البيانو الانجليزي ما يكل نيومان الحائز على الاوسكار عن أحسن موسيقى لفيلم "بيانو" معزوفات موسيقية هي عبارة عن ارتجالات على ألحان من الموسيقى الأندلسية الغربية، جرى تقديمها في حفل خاص أقيم على هامش المعرض الدولي بإشبيلية عام 1992.

لقد كان شقارة بتعدد اهتماماته الفنية ورحابة محفوظاته الموسيقية وتنوع إبداعاته مدرسة قائمة بذاتها، سماتها التجديد والابتكار، والجرأة على اختراق الحصار الذي يطوق الأغنية التطوانية والجبلية، وتكسير النمطية التي تطبعها والخروج بها إلى عالم الحداثة ومنحها شروط الاستمرارية والتطور.

توفي بتطوان ليلة السبت 10 رجب عام 1419 / 30 أكتوبر 1998.

المفضل الحضري، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 15 - 11 - 1998 ؛ مصطفى الغازي، 24 - 1 - 1999 ؛ بطاقة شخصية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **شقرا** ← ابن **شگرة**

**شقرون**، أسرة سلوية عريقة، وهي غيرأسرة ابن شقرون الفاسية. ذكر في *إزالة الالتباس* (2 : 208) أن أصل ابن شقرون الفاسيين يُظن أنهم من قبيلة شراگة وأن شقرون - بدون ابن - موجودون أيضا بفاس ولعلهم فرقة أخرى، ووقف المؤلف في حوالة مؤرخة بعام 838 على "شقرون السلاوي" وبهذا يتأكد أن آل شقرون - بدون ابن - سلويون انتقل بعضهم إلى فاس في القرن التاسع (15 م) وانقرضوا هناك. وبقوا بسلا حتى اليوم وبرز منهم أفراد تفننوا في صنع شموع المولد النبوي. وفي مختلف الحرف والبحرية منهم : شقرون الذي ذكره لسان الدين ابن الخطيب في قصيدته العينية الشهيرة (البيت، 46) ولم يذكر اسمه وإنما أورد هوية الأسرة السلوية القديمة فهو من أهل القرن الثامن (14 م) ؛ والحاج أبو الفرج شقرون كان سنة 938 عاملاً في العهد السعدي على سلا وقد تجول بالأقطار المشرقية ولم يظهر له خبر ؛ ومحمد شقرون الذي كان سنة 1311 رئيساً لمرسى الدار البيضاء، كما كان من قبل يعمل مع البحريين بسلا.

جعفر الناصري، ابن الخطيب بسلا، سلا، ص. 67 ؛ م. ابن علي، كناشة، 4257 دال، ص. 37 ؛ ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون ؛ م. بوشعراء، ذيل الإتحاف الوجيز، ط 2؛ *وثائق آل بنسعيد*.

ابن **شقرون**، أسرة فاسية لعلها من قبيلة شراگة : أهل تجارة ومال وطلب وحرفة ومعاش. كانوا يتولون رآسة ركب

الحاج في القرن الثاني عشر (18 م) وهم غير آل شقرون ـ دون ابن ـ فهؤلاء سلويون كما تقدم. ورأى مؤلف *إزالة الالتباس* في طرة مخطوط *زهر البستان* لمحمد العياشي (خ. ع 2152 ك) ذكْرَ ابن شقرون البهلولي صاحب الدار الكائنة بين جزاء ابن برقوقه وحومة المخفية المعروفة اليوم بدار الزليج مع عرصتها وحمامها قال: والعجب أن كل ذلك تغيّر. الدرب الآن يقال له درب القائد، والحمام حمام المخفية، والعرصة عرصة الريحان، وهي الآن في ملك أولاد الوزير ابن إدريس. وابن شقرون البهلولي هذا هو صاحب شرطة السلطان محمد الشيخ الوطاسي البرتغالي (تـ 931 /1525).

وذكر في زهر الآس أن آل ابن شقرون في عصره كانوا على فرق كثيرة منها فرقة الشيخ عبد القادر بن أحمد آتي الترجمة، وفرقة أولاد الكريمي وبوشوكة وغيرهم.

ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002، ج 1 : 550 ـ 554 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 208.

ابن **شقرون، أحمد** بن العباس الفاسي أحد أفراد البعثة الطلابية التي وجهها الحسن الأول إلى أوربا، ذهب إلى إسبانيا سنة 1291 /1874 رفقة الطالبين عبد السلام ومحمد الشرادي الرباطي، فأقاموا هناك تسعة أعوام وكان تخرّج ابن شقرون في الهندسة الحربية. ولا تعرف المهمة التي أنيطت به بعد رجوعه من إسبانيا.

توفي عام 1354 / 35 ـ 1936.

ع. الرحمن ابن زيدان، *العز والصولة*، الرباط، 1961، ج 2 : 150 ـ 160 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 3045 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1988، ج 1 : 167 ـ 168.

محمد حجي

ابن **شقرون، أحمد** بن **عبد السلام** المكناسي، يعرف بولد النبي. أحد رواد الحركة الوطنية بمدينة مكناس. ولد عام 1900/1318، وتربى في كنف والده الفقيه المقرئ عبد السلام ابن شقرون. فأدخله الكتاب حيث تعلم مبادئ الكتابة، واستظهر القرآن الكريم وحفظه في سن مبكرة. ثم شد الرحال إلى العاصمة الفاسية للارتشاف والارتواء من ينابيع العلم والمعرفة بها، فقصد جامع القرويين حيث تتلمذ على شيوخه المبرزين من أمثال سيدي أحمد بن الخياط، وأحمد الجيلالي الأمغاري وعبد السلام ابن سودة، وعبد السلام السرغيني ومولاي عبد السلام بن عمر العلوي، ومولاي محمد بن العربي العلوي، وعبد الرحمن بن القرشي وغيرهم مما لا يتسع المجال لذكرهم. وهناك تعرف على رواد السلفية وأعضاء الحركة الوطنية.

وبعد أن قضى وطره من الدراسة، وتشبع بأفكار السلفية والوطنية عاد إلى مسقط رأسه، حيث تصدر للتدريس بالجامع الكبير، واستقطبت حلقاته الدراسية اهتمام الكثير من الطلاب والشباب الوطني فأقبلوا عليها حتى ضاقت رحاب الجامع مما أزعج السلطات الفرنسية بالمدينة، فبعثت المخبرين وراء ابن شقرون يقتفون أثره، ويحصون عليه أنفاسه بهدف إرهابه وإرغامه على الحد من نشاطه التعليمي لكن ذلك لم يزده إلا تصميماً على مواصلة النضال بشجاعة سواء من خلال حلقاته الدراسية التوجيهية أو من خلال العمل السياسي في صفوف الحركة الوطنية، وهكذا كان من المؤسسين لـ "جماعة إحياء السنة وإماتة البدعة"، كما كان في مقدمة الذين قادوا حركة اللطيف على إثر صدور الظهير البربري في 16 ماي 1930، وانضم إلى كتلة العمل الوطني لحظة إنشائها، وأيد مع زملائه الوطنيين بمكناس مطالب الشعب المغربي التي قدمتها الكتلة سنة 1934 لسلطات الحماية وبعثوا برقية إلى وزارة الخارجية الفرنسية يؤيدون فيها ما جاء في تلك المطالب، كما أيد كذلك المطالب المستعجلة لسنة 1936.

وفي سنة 1937 انضم إلى الحزب الوطني بعد انشقاق الكتلة. وكان من أبرز الشخصيات الوطنية التي ساهمت بشكل فعال في قيادة انتفاضة بوفكران في مستهل شهر شتنبر. فَحُكِمَ عليه بالسجن لمدة ثلاثة أشهر نافذة قضاها صحبة رفاقه الأربعة: محمد برادة، ومحمد بن عزو، ومولاي إدريس المنوني، ومحمد ولد مدان السلاوي في سجن سيدي سعيد بمدينة مكناس. لم تنل مضايقات السلطات الفرنسية لا من عزم أحمد ابن شقرون، فواصل نضاله بعد خروجه من السجن واستمر في تقديم دروسه بالجامع الكبير بحماس إيماناً منه بأن التعليم هو السلاح الناجع لدحر الاستعمار إلى أن تم إنشاء المعهد الإسلامي 1943 فعين كاتباً إدارياً له.

وفي 11 يناير 1944 بادر إلى التوقيع على عريضة المطالبة بالاستقلال، وقاد حملة جمع إمضاءات العرائض المؤيدة لها.

واصل ابن شقرون أداء رسالته التعليمية والوطنية والدينية، وسجن إبان الأزمة المغربية على إثر نفي محمد بن يوسف 1953، ونقل إلى سجن علي مومن قرب مدينة سطات بتهمة عدم التوقيع على عريضة خلع السلطان وبيعة محمد ابن عرفة، وهناك التقى بالفقيه المرحوم محمد المنوني، ثم أطلق سراحه بعد عودة محمد الخامس من المنفى. حيث عاد إلى ممارسة عمله التعليمي إلى جانب مهمته ككاتب للمجلس العلمي بمكناس. عرف عن ابن شقرون ثبات في الرأي وتصلب في المواقف وعدم المحاباة أو المجاملة مما تسبب له في خلافات مع زملائه وانتهى به الأمر إلى الاستقالة من مهامه ثم إلى الانعزال ورفض المناصب، وظل كذلك إلى أن توفي في 27 صفر عام 1390/4 ماي 1970 ودفن بالزاوية التهامية بجناح الأمان بمكناس.

ع. السلام ابن سودة، *اتحاف المطالع/موسوعة أعلام المغرب*، بيروت 1996، جـ9: 3419؛ إ. الهلالي، *التبيان لمعركة ماء أبي فكران*،

الدار البيضاء، 1985، ص. 51 ـ 53 ؛ بوشتى بوعسرية، *وطنيو مكناس الموقعون على عريضتي المطالبة بالاستقلال*، دورية جمعية أساتذة التاريخ فرع مكناس، 1990، ص. 75 ـ 76 ؛ *مقابلات* متعددة مع المرحوم محمد بن عبد الهادي المنوني.

رقية بلمقدم

ابن **شقرون، الحسن** بن محمد الغربي الفاسي، ولد بفاس سنة 1337 / 1919 ودخل الكتاب لاستظهار القرآن، وكانت لوالده علاقة تجارية مع إسبانيا فارتحل معه إلى مدينة مليلة وهناك حذق الاسبانية. ولما عادت العائلة إلى فاس وظهرت على الابن الحسن بوادر النجابة في تعليمه الابتدائي التحق مباشرة بالقسم الثاني من ثانوية مولاي إدريس بفاس في أكتوبر سنة 1937 وتدرج بتفوق في أقسامها إلى أن حصل على شهادة البكالوريا الأولى من نفس الثانوية سنة 1942 ثم على البكالوريا الثانية في قسم الرياضيات من الليسي الفرنسي بفاس سنة 1943. وبعد ذلك التحق بليسي هانري الرابع بباريز لتحضير مباراة الدخول للمعهد الوطني الزراعي فتخرج منه مهندساً فلاحياً.

قام الحسن ابن شقرون أثناء دراسته بثانوية مولاي إدريس بتأطير التلاميذ وبث روح الوطنية فيهم، وذلك ما جعل ثانوية مولاي إدريس على رأس المناصرين لعريضة المطالبة الاستقلال المقدمة بتاريخ 11 يناير 1944. وكان رد فعل السلطات الاستعمارية إلقاء القبض على من اعتبرتهم المسؤولين وعلى رأسهم الحسن ابن شقرون.

ولما كان المسؤولون في الحزب الوطني يهيئون عريضة المطالبة بالاستقلال، ارتأوا أن هذه المطالبة ينبغي أن تكون صادرة عن جميع ممثلي المغاربة وهيآتهم الوطنية ولذلك قرروا أن يبعثوا رسولا إلى محمد بن الحسن الوزاني الذي كان منفيا بايتزر ليبلغوه أمر العريضة ويعرضوا عليه توقيعها. واختاروا لهذه المهمة الصعبة الحسن ابن شقرون الذي تمكن من الاتصال بالوزاني وأبلغه المامورية وأمكنه الرجوع دون أن تعلم السلطات بذلك في الوقت المناسب لمنعه. وعلى إثر القمع الذي جابه به الفرنسيون حزب الاستقلال قامت مظاهرات صاخبة في كل من الرباط وسلا وفاس. وكانت مظاهرات فاس غاية في الانضباط والاستمرار المخطط له من قبل، نتيجة عمل لجنة متخصصة كان الحسن ابن شقرون من بين مسيريها.

وبعد هذه الفترة التي أبان فيها عن مقدرة خارقة في الإقناع والتنظيم إضافة إلى تفوقه في دراسته العليا بفرنسا وانضمامه إلى الطلبة العاملين في فرع حزب الاستقلال بباريز، صار صلة وصل بين الفرع وبين اللجنة التنفيذية بالرباط. وفي احدى زياراته للمغرب سنة 1368 / 1949 وأثناء رحلته صحبة الحاج عمر ابن عبد الجليل من الرباط إلى فاس أصيب في حادثة سير مفجعة ذهب ضحيتها مأسوفا على شبابه ووطنيته.

وقد أقيم له حفل تأبين كبير بفاس يوم 13 شعبان عام 1368 / 10 يونيه 1949 ألقيت فيه ـ من جملة ما ألقي ـ قصيدة مؤثرة لعلال الفاسي بعث بها من المنفى وقرئت بالنيابة عنه، مطلعها :

هل منك يا حسن الصفات بديـــل    أم هل إلى صبر عليك سبيـــل

*معرفة شخصية.*

عبد الرحمن الحريشي

ابن **شقرون، عبد العالي**، مقاوم، ولد بفاس سنة 1933. وكان من أهم أعضاء منظمة اليد السوداء بفاس. شارك في تنفيذ العديد من العمليات إلى أن ألقي عليه القبض وحكمت عليه المحكمة العسكرية الدائمة بالإعدام بتهمة القتل العمد والمشاركة فيه وتكوين عصابة إجرامية. ونفذ في حقه هذا الحكم بسجن العاذر بتاريخ 4 يناير 1955.

كتاب *شهداء الاستقلال*، الجزء الأول.

ابن **شقرون، عبد القادر** بن **أحمد** الفاسي من العلماء المرموقين بالحضرة الإدريسية خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر وأول تاليه (18 ـ 19 م). من شيوخه أحمد الهلالي وعبد الرحمن المنجرة وعبد القادر بوخريص ومحمد جسوس ومحمد بن الحسن بناني وعمر الفاسي وغيرهم. وقد اشتغل بالتدريس فكان من جملة من أخذ عنه السلطان المولى سليمان. كما قُلد القضاء أواخر دولة سيدي محمد بن عبد الله مرَّة بسجلماسة ومرة أخرى بمدينة فاس. وقد حج والتقى بعلماء المدينة والأزهر بمصر وأخذ عن الشيخ مرتضى الزبيدي وغيره.

من العلوم التي برز فيها عبد القادر بنشقرون علم الحديث، لذلك كان يحضر مجالس الحديث السلطانية التي كانت تُقام خلال شهر رمضان، وخاصة في عهد المولى سليمان الذي أمره بوضع مؤلف في هذا الفن. وكان هذا السلطان يحترمه كثيراً ويعطف عليه، وعندما أصيب بداء الأكلة في وجهه كان المولى سليمان يزوره. وعند وفاته حضر جنازته والصلاة عليه وأمر بدفنه بالحرم الإدريسي على الرغم من معارضة الشرفاء الذين لم يقبلوا أن يُدفن أحد البلديين (انظر هذه المادة) بأشرف بقعة بالمدينة. ألف المترجم شرحاً للعشرة الثانية من أحاديث *الأربعين النووية*.

وكانت وفاته في حادي عشر من شهر شعبان عام 1219/ 15 نونبر 1804.

ج. بن إدريس الكتاني، *الشرب المحتضر*، فاس، 1905 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، طبعة حجر 1300، الجزء 1 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002، ج 1 : 550 ـ 551.

محمد المنصور

ابن **شقرون، عبد القادر** بن **العربي** المنبهي المدغري المكناسي الطبيب، يكنى أبا محمد وأبا نصر، فقيه متمكن

أديب شاعر ناثر، وطبيب ماهر. درس علوم الشريعة واللغة والأدب بفاس على أحمد ابن الحاج ومحمد القسنطيني ومحمد المسناوي الدلائي، وبمكناس على القاضي محمد السوسي وسعيد العميري وعبد السلام البيجري، وأخذ الطب بفاس عن الطبيب الماهر أحمد بن محمد أدراق وبمكناس عن إبراهيم بن القائد علي الأندلسي.

حج المترجم ولقي عدداً من علماء المشرق بمصر والحجاز وأخذ عنهم، واستقر آخر حياته بمدينة مكناس يدرس للطلبة، ويعالج المرضى ويصنع لهم الأدوية، على صلة بالقصر السلطاني حيث يعدّ من أطباء المولى إسماعيل. لقبه شيخ الأدباء المغاربة في عصره محمد بن الطيب العلمي وخصه بترجمة حافلة في كتابه *الأنيس المطرب* وحلاه بقوله : "شاعر مصيب، رتع من البلاغة بمرعى خصيب ؛ وأحرز من الدراية أوفر نصيب، ودخل بيوت العربية من أوضح المسالك، وطرز في حديث السن نحو ابن مالك، بفقه مالك ؛ واختار الوحدة، وانفرد بالخمول وحده ؛ ورغب عن الولدان، واعتزل الإخوان والأخدان، وضم إلى علم الأديان علم الابدان، فركّب الأدوية ؛ وانتشرت له بين الحكماء أي ألوية ؛ وعرف الأمراض ؛ وأرسل سهام الرقى فأصابت الأغراض". وحضر العلمي يوماً مجلس إقراء ابن شقرون الفقهي وسجل ما قاله في تقريراته واستشهاداته بما يدل على ضلاعة الرجل في هذا الفن من العلوم الشرعية، وسأله عن أشياء من الأطعمة والأشربة النافعة فأمده بقائمه مطولة تدل على مهارته الطبية.وخصص له الطبيب الفرنسي H. P. G. RENAUD ترجمة ضافية في بحثه عن *الطب والأطباء بالمغرب* مع شرح وتحليل للأرجوزة *الشقرونية*.

أشهر مؤلفات المترجم علاوة على أرجوزته الطبية في موضوع الأغذية الصحية التي تعرف بالشقرونية المشتملة على سبعمائة بيت. شرح لكتاب *البسط والتعريف* لعبد الرحمن المكودي في النحو ؛ وأشعار كثيرة لم تجمع في ديوان، أكثرها في المديح النبوي، ومنها بيتان لطيفان في الدرهم الفضي الذي ضربه المولى إسماعيل وما نقش عليه من كلمات.

توفي ابن شقرون بمكناس بعد عام 1727/1140.

أبو القاسم العميري، *فهرس*، مخطوط ؛ العربي بن محمد بصري، *منحة الجبار ونزهة الأبرار وبهجة الأسرار في ذكر الأقطاب والأولياء الأشراف والعلماء الأخيار*، مخطوط م. بن الطيب العلمي، *الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب*، ط. حجرية فاس، 1897 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1933، 5 : 320 ـ 330 ؛ ع. الله گنون، *النبوغ المغربي* بيروت، د.ت ؛ م. ابن تاويت وم. عفيفي، *الأدب المغربي*، بيروت، 1960 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية بالمغرب*، الدار البيضاء، 1977 / د. رينو، *الطب والأطباء بالمغرب*، *صحيفة معهد الدراسات الشرقية*، 1937، 3 : 89 ـ 99 .

محمد حجي

ابن **شقرون، العربي** الفاسي، من رواد المخرجين السينمائيين ولد بفاس في فاتح قعدة عام 1348 / 31 مارس 1930 بالرباط. ويعتبر من أبرز رواد السينما الوثائقية المغربية وواحداً من : «ثلة السينمائيين الأوائل ـ والقلائل ـ الذين استخدموا الكاميرا آنذاك كأداة للمساهمة في ترميم الصدع الذي أحدث الاستعمار الفرنسي في جسد الأمة المغربية. أنجز العربي بنشقرون ما بين 1956 و 1970 لحساب المركز السينمائي المغربي الخارج لتوه من هيمنة الإدارة الفرنسية، مجموعة من الأشرطة التسجيلية القصيرة عن مختلف أوجه المغرب الحضارية، الاقتصادية والطبيعية. وكذا الروبرتاجات الخاصة بالأنباء المصورة المغربية المسجلة لأهم الأنشطة الوطنية التي كانت تشاهد في القاعات السينمائية قبل عرض الفيلم الرئيسي، في الستينيات وإلى غاية منتصف السبعينيات. بل إن كثيراً من الناس كانوا يفدون إلى قاعات السينما من أجل مشاهدة "الأنباء المصورة" خصوصاً في غياب التلفزيون وقتئذ.

وإلى العربي بنشقرون يعود الفضل في إنجاز أول شريط مغربي أنجز في فجر الاستقلال سنة 1956 بالضبط حيث أخرج (صديقتنا المدرسة) وهو فيلم وثائقي قصير (11 دقيقة) 35 ملم بالأبيض والأسود.

درس العربي بنشقرون السينما سنتي 1955 و1956 في كل من المعهد التجريبي للسينما بروما (إيطاليا) وبجامعة كاليفورنيا الجنوبية بلوس أنجليس (أميركا) كما تلقى تداريب تطبيقية باستوديوهات "ميتروغولدوين مايير" بهوليود. وباستوديوهات باوليس وتشينيشيتا بروما (إيطاليا) ثم بالغرفة النقابية الفرنسية للصحافة المصورة بباريس (فرنسا). وفور عودته إلى المغرب سنة 1957 اشتغل بالمركز السينمائي المغربي كمخرج للأنباء المصورة والعديد من الأفلام التسجيلية القصيرة من أبرزها : (الصخرة) سنة 1958 الذي يوثق لإعطاء الانطلاقـــة من لدن الملك الراحل المغفور له محمد الخامس لبناء حي جديد بمدينة الدار البيضاء سمي "بالدرب الجديد" المعروف حالياً بالحي الحسني، إثر حريق مهول شب بمنازله الصفيحية آنذاك مخلفاً ما يربو عن 10 آلاف شخص بدون مأوى، في حين تَمّ بناء الحي الجديد لإيواء ثلاثين ألف ساكن. عن هذا الفيلم كتبت جريدة "العهد الجديد" بتاريخ 2 غشت 1960 تحت عنوان "إخراج نقي" ما

يلي :

"ورغم جفاف موضوع الشريط فإن المتفرج ومن دون مبالغة سيشتاق عند النهاية إلى أن يعاد عرض الشريط أمامه ويعاد وذلك للباقة الاخراج وحسن التخلص إلى المناظر فالشريط كان خاليا من كل كلمة أو تعليق لكن الوجوه والحركات المعبرة كانت تغني عن كل شيء. كانت تبعث من على الشاشة تأثيراً مُمَغْنَطاً لا يسلم من الانقياد إليه. وقد أحسنت وزارة الأنباء والسياحة الاختيار حين عهدت بالإخراج إلى السيد العربي بنشقرون فهو خبير، نلمس خبرته من بابين : أولهما نقاوة شريطنا الذي عرض في مهرجان برلين فلفت الانظار وأحرز التنويه. وثانيهما ثقافته السينمائية".

مارس المرحوم العربي بنشقرون إلى جانب الإخراج مهمة إنتاج الأفلام الدعائية مؤسساً لهذا الغرض شركة "إيما فيلم" واهتم أيضاً بقطاعي الاستغلال والتوزيع حيث كان مالكاً لقاعة "سينما مونتيكارلو" بالدار البيضاء. كما اعتبر المراسل الرسمي لدور الأخبار الفرنسية : *"Les actualités françaises"* - *"Eclair journal"* - *"Fox Movietone"* - *"Pathe Journal"* هذا وتضم فيلمغرافية العربي بنشقرون زيادة على الفيلمين المذكورين (صديقتنا المدرسة) 1956 و(الصخرة) 1958 والذي شارك في مهرجان برلين السينمائي سنة 1960، الأعمال التالية :

- 1959 (الحرف الجلدية بالمغرب)
- 1962 (الزيتونة الدائمة) - (الثروة المنجمية بالمغرب)
- 1969 (الدار البيضاء ميناء إفريقيا)
- 1964 (المغرب بلد الفوسفاط) - (الجمعية الدولية لمنتجي الفوسفاط الطبيعي)
- 1965 (الكهرباء راحة)
- 1969 (كيلاز جماعتي)
- 1970 (من المحاميد إلى طنجة)
- 1971 (قرى في الشمس)
- من الروبرتاجات المسجلة لمختلف الأنشطة والأحداث الوطنية نذكر :

1956 (الجيش الملكي) (المغرب واحد) (سنة من الاستقلال)

1957 (ذكريات المنفى)

1965 (افتتاح المركب الكيماوي بأسفي)

- ساعد في إخراج عدد من الأفلام الأجنبية المصورة بالمغرب منها :

1959 (سلامبو) لسيرجيوغرييكو Sergio Grieco إنتاج إيطالي فرنسي

1960 (الطريق نحو زاگورة) أو (سر الرجال الزرق) لكل من إيدموند أغابرا وماركوفيريدي Admond Agabra et Maroc Ferreri إنتاج فرنسي إيطالي

1962 (لورانس العرب) للمخرج البريطاني دافيد لين David Lean

1962 (شهرزاد) لبييرغاسبار ويت Pierre Gaspard-Huit إنتاج فرنسي - إسباني - إيطالي

توفي في 6 جمادى الأولى عام 1405 / 8 فبراير 1984.

خ. الخضري، *دليل المخرجين السينمائيين المغاربة*، ص. 101 - 102؛ *لقاء شخصي بشقيق المخرج عبد الرحيم بنشقرون* : صفحة "الفن السابع" جريدة *العلم*، بتاريخ 26 مارس 1984 من إعداد م. الحساني.

خالد الخضري

**شقرون الفخار، أحمد** بن محمد الأندلسي الفاسي، من الصوفية الأندلسيين المتوافدين بفاس خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 - 17 م). كان من مريدي الشيخ أبي المحاسن الفاسي وأخيه عبد الرحمن العارف، المقربين لزاويتهما، وقد أصهر بابنته عائشة إلى صوفي أندلسي آخر هو محمد بن عبد الله معن.بربع دينار وذهب بها إليه دون سابق إعلام، فلما فتح الباب دفع إليه المرأة وانصرف. اقتداء بفعل سعيد ابن المسيب مع المطلب بن أبي وداعة. قال في حقه محمد المهدي الفاسي في *الإلماع*: "الرجل الصالح، ذو الحال والنور اللائح، والرحمة والحنان الواضح، المحب الصادق".

توفي بفاس عام 1028 / 1619.

م. المهدي الفاسي، *الالماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع*، مخطوط : م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 3 : 1243.

**شقرون الفخار، عائشة** بنت أحمد بن محمد سابق الترجمة، تكنى أم أحمد. وأحمد ولدها هو الصوفي الشهير أحمد ابن عبد الله معن الذي ألف في مناقبه عبد السلام القادري كتاب *المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد*. وقد رأينا في ترجمة أبيها أنه زوجها من الشيخ محمد بن عبد الله معن وحملها إليه دون سابق إعلام.

قال في *المقصد الأحمد* : "السيدة الفاضلة الزكية، الكاملة الطيبة فالمطهرة الخيرة المنورة، ذات البركات الواضحة، والأنوار اللائحة والأعمال الصالحة... لها من الصلاح مكانة علية، ومرتبة سنية، وحظ عظيم من البر والإحسان... كثيرة الصدقة من عمل يدها على الفقراء والمساكين والضعفاء من أصحاب بعلها المنتسبين إلى الله والمجموعين به على الله، تواسي مديانهم وتعين محتاجهم، بالهبة الكثيرة، والمنحة الغزيرة، من حيث لا يشعرون بما صرفت من ذلك عليهم - بواسطة الشيخ زوجها -".

توفت في شهر رمضان عام 1057 / أكتوبر 1647، ودفنت وراء بعلها محمد بن عبد الله معن داخل القبة.

ع. السلام القادري، *المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد*، ط. حجرية فاس ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 4 : 1428 - 1429.

ابن **شقرون الكريمي، علال** بن أحمد الفاسي. ولد ونشأ بفاس، ودرس على كبار شيوخ العصر: محمد بن عبد الصمد كنون وطبقته وهو من أقران أحمد ابن الخياط ومحمد بن الطاهر بناني ورفقائهم في الدراسة.

اشتغل مدة بالتدريس في القروين ثم انتصب للشهادة في سماط العدول، واستُكتب أخيراً مع الباشا العربي ولد بّا محمد الشرگي. له *كناشة علمّية* كانت في خزانة الشيخ عبد الحي الكتاني وكتب على ظهر أول ورقة منها تعريفاً موجزاً بالمترجم وأتى ببعض نوادره الأدبية.

في وسط هذه الكناشة فهرس للمترجم يذكر فيه شيوخه وما قرأ عليهم من كتب في مختلف فروع العلوم الشرعية واللغوية والعقدية وتواريخ ذلك. إضافة إلى أهم أطوار حياته وأزواجه وأولاده وأحفاده. ومنتقيات من قراءاته الأدبية ومختارات من الأشعار كل ذلك بخطه النسخي المرونق.

توفي بفاس يوم الأربعاء ثامن وعشري ربيع الثاني عام 1319 / 14 غشت 1901 ودفن بروضة درب الحرة.

علال ابن شقرون الكريمي نفسه، *كناشة*، مخطوط، خ. ع. رقم 469 ك ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2826 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الدار البيضاء، 1989 ؛ ج 2 : 162.

محمد حجي

ابن **شقرون، محمد** (الحاج -) المكناسي. ولد عام 1915. مارس التجارة في شبابه، ثم تعرف على مقدم الزاوية العلمية المعلم بنعيسى بن المحجوب في بداية الثلاثينيات، وأخذ عنه بطايحي رصد الذيل وبطايحي عرق عجم، ثم انضم إلى جوقه عزفا على العود. وكان الجوق يومئذ مشكلا على النحو التالي :

- المقدم بنعيسى : رئيس الجوق وعازف على العود.
- العازفون على العود : محمد بناني، وامَحمد الصائغ وج. محمد بنشقرون.
- العازفون على الكمنجة : أحمد الرزيمة، وعبد الكريم الوزاني، والحاج محمد التازي.

عازف الماندولين : عبد الحميد جلول.

- ضارب الطر : الحسين العراقي.
- المنشدون : الحاج أحمد السطاسي، ومولاي عبد السلام الشبيهي، ومولاي إدريس الشبيهي.

وكان رئيس الجوق يستقدم من مدينة فاس - عند الحاجة - امَحمد عيوش عازف الرباب، والخميري، وبنعيسى العوانش.

وقد كان بنشقرون من أوائل الطلبة الذين التحقوا بدار الجامعي لتعلم الموسيقى الأندلسية إثر افتتاحها عام 1932 على يد المعلم الفاسي محمد دادي. وقد عرف يومئذ بسرعة الحفظ، فاستوعب ميزان بسيط رصد الذيل في فترة وجيزة، وأتقن العزف على العود.

وقد مارس تعليم الصنعة والعزف لتلامذة المدرسة في الخمسينيات، ثم انقطع عن ذلك ليشتغل بالتجارة، غير أنه لم يتخل قط عن اهتمامه بالموسيقى الأندلسية، فاضطلع برئاسة جوق الهواة لفترة قصيرة قبل أن يسلم قيادته لزميله في المدرسة الفنان مولاي أحمد المدغري. وفي عام 1970 عاد ليرأس جمعية هواة الموسيقى الأندلسية بمكناس.

وقد وافاه الأجل يوم 12 مارس 1990.

*معلومات خاصة*، شريط يتضمن حواراً أجري معه في ملك ابنه فؤاد بنشقرون.

ابن **شقرون، محمد** بن **المهدي** المراكشي. موسيقي ترجم له صاحب *الإعلام* فذكر أنه فقيه مشارك في عدة علوم وفنون. كان ملما بالعلوم الدينية واللغوية، كما كان حسن الترنم بالقرآن الكريم، مواظبا على صلاة التراويح بالجامع اليوسفي.

له منظومة في التوحيد على غرار *المرشد المعين*. وإلى ذلك فقد كان ابن شقرون عارفا بالألحان والطبوع حافظاً لمستعملات طرب الآلة والسماع.

توفي بمراكش عام 1324 / 1906.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 19، ج 7، ص. 140 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، ج 2، ص. 20.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**شَقُّور** والشْقُور وشاقور، أسر تطوانية. أما شقُّور فهي شريفة النسب عَلَمية من نسل الجد الجامع للأشراف العلميين أبي بكر بن موسى بن مشيش (وموسى هذا هو أخو الشيخ عبد السلام ابن مشيش) وموطنهم الأصلي قبيلة بني عَروس كسائر الأشراف العلميين، نسبة لجبل العلم بالقبيلة المذكورة. ومنها انتشروا في كثير من القبائل والمدن بشمال المغرب وغيره.

وأما الشْقُور - بقاف مخففة - فلعلها من الريف ومازالت موجودة بتطوان وكان بعضهم يتّجرون في البز إلى عهد قريب، ومنهم الأستاذ الرياضي المسرحي حسن ابن الحاج محمد الشْقُور المتوفى يوم الأربعاء 15 رجب عام 1422 / 3 أكتوبر 2001 ولا يعرف أصل الشاقوريين.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 206، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط.

محمد بوخبزة

**شقور، أحمد** بن **محمد** الحسني العلمي الموساوي، حلاه في *إتحاف المطالع* بالفقيه العلامة الأديب الناظم الناثر، وهو الذي جمع أشعار سليمان الحوات في مدح السلطان المولى سليمان. وهو ديوانه الثاني. رتبه على حروف المعجم وفرغ منه في ربيع الأول عام 1232.

توفي يوم الخميس تاسع عشر رجب عام 1234 / 12 ماي 1819.

أ. شقور نفسه، *ديوان سليمان الحوات*، مخطوط، خ ح، 2941 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، المحمدية، 1999، ج 2 : 92 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 : 209؛ *إتحاف المطالع* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2503.

محمد حجي

**شَقُّور، أحمد** بن **مرزوق** قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني عروس. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة :

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913
- عين الدالية يوم 13 من نفس الشهر
- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913
- قرية الزوة يوم 11 يناير 1915 وشارك في 32 معركة.

توفي بعد عام 1333 / 1915 .

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

**شقُّور، أحمد ولد الرايس** قائد كان يرأس فرقة من المجاهدين من قبيلته بني حسان. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة :

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913
- عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر
- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 15 شعبان عام 1331 / 20 يوليوز 1913
- قرية الزوة يوم 11 يناير 1915 وشارك في 21 معركة.

توفي بعد عام 1333 / 1915 .

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**شقُّور، علي** (مولاي -) بن أحمد الحسني العلمي. عرف بالورع، واشتهر بالتصوف، فاتخذ من بيته في أول الأمر منتدى يلتقي فيه هواة المديح، ثم تحول إلى الزاوية التي أقامها للذكر وإنشاد الأمداح على اطباع الموسيقى الأندلسية.

وقد اشتهرت الزاوية الشقورية بشفشاون، وأصبحت تنسب إلى مؤسسها. ومنها تخرج نخبة من مشهوري طرب الآلة وفني المديح والسماع وفي طليعة هؤلاء لمع العربي الزايدي عازف العود والرباب، ومحمد بن الصادق عازف الرباب، والهاشمي الفيلالي أخديم والعربي الحضري عازفا الكمنجة ومحمد المفريج وعبد السلام الورياشي، وهما ممن يرعوا في حفظ كناش الحايك ومهروا في تعليم النوبات الأندلسية.

وتتميز ممارسة رواد الزاوية الشقورية حتى يومنا هذا بالتجاوز في استخدام الآلات الوترية والإيقاعية عند إنشاد ميازين "الآلة" وقصائد المديح.

توفي مولاي علي شقور عام 1315 / 97. 1898.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الشقوري**، أسرة فاسية أصلها من الأندلس من مدينة شقورة من أعمال جيّان. قال القادري : "وبنو الشقّوري معلومون في بيوت الأندلس، وقد انقرضوا الآن (النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م). وذكر منهم جدته فاطمة بنت أحمد جمدون الشقورية. الصالحة السيدة الناصحة، ذات التجارة الرابحة.

م. القادري، *نشر المثاني* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 4 : 1711.

محمد حجي

**الشقُّوري، غالب** بن علي بن محمد اللخمي، والشقوري نسبة إلى شقورة بالأندلس. ورد ذكره عند ابن الخطيب بأبي تمام وعند ابن أبي زرع بأبي محمد. كان "من أهل الفضل والدماثة، حسن الخلق، وسيم الخَلْق، مليح الانطباع، مستطرف الأغراض". رحل في شبابه إلى المشرق فحج وقرأ الطب بالمارستان بالقاهرة، وزاول العلاج بها على طريقة المشارقة. وعند عودته مكث ببجاية مدة انتصب فيها لممارسة مهنة الطب ثم انتقل إلى المغرب واستقر بفاس، فوقف على خدمة سلطانها أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني الذي ولاه الحسبة بها، ثم خدم خليفته السلطان أبي الحسن إلى أن توفي في أوائل عام 741 / 1340 بسبتة وهو في أهبة الاستعداد مع مخدومه للجواز إلى الأندلس ومواجهة النصارى في معركة طريف التي نشبت بين الطرفين في نفس التاريخ المذكور. خلف الشقوري تواليف كثيرة في الطب وعلومه كان لها صيت كبير بين أقرانه ومعاصريه من الأطباء.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973، ص. 396 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1975، ج 3، ص. 172 ؛ ج 4، ص. 240 ـ 241 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 506.

رشيد السلامي

**الشكَّارة** لم يرد لها ذكر في القواميس التي اهتمت بالغريب من الألفاظ في اللغة العربية (المصباح المنير) ولا بالتي اهتمت بالفصيح من اللغة، مما يعني أن الاسم غير متداول خارج المغرب، وأنها دخلت العامية المغربية في مراحل متأخرة (أواخر العصر الوسيط وبداية الحديث) ونعتقد أنها دخلت من اللهجات الإيبيرية ؛ وقد وردت الإشارة إلى "الشكارة" في المصادر التاريخية العربية وخاصة كتب

المناقب وتراجم المتصوفة والصلحاء (*المقصد*، 92 و*المنهاج*، 283، *وبهجة* 173).

الإشارات الأولى تفيد أنها وعاء جلدي لنقل وخزن الأشياء خاصة المواد الغذائية، جاء في (*المقصد*، 92) في معرض حديث المؤلف عن الصلحاء: "من عادة عباد بقوية وصالحيهم أن يجتمعوا ليلة النصف من شعبان..." إلى أن قال: فوضعت الشكارة بالخبز..."

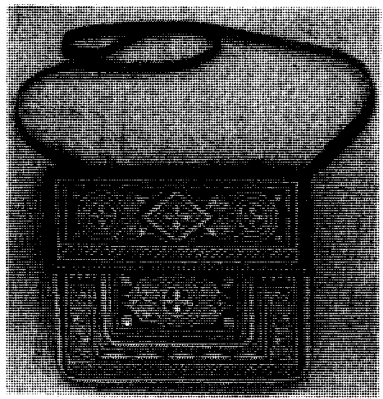

أما صاحب *بهجة الناظرين* (ص. 173) فقال وهو يتحدث على لسان والده:

"كانت سنة قد عدم فيها الزبيب وكان الشيخ أبو إبراهيم أمغار يعودني في كل يوم ويأتيني بقبضة من زبيب شكارة مملوءة زبيباً فوضعها بين يدي..."

ولم تضف المصادر اللاحقة أية إشارة تفيد في معرفة شكل الشكارة ولا كيفية صنعها ولا حجمها، وحتى كتب الحسبة التي كان من المفروض أن تتناول الموضوع لم تفعل على غرار كتب الحسبة الأندلسية (*في أدب الحسبة*، 878) لكن الإشارة التي وردت في (*المنهاج*، 283) تفيد في معرفة المادة التي تصنع منها الشكارة "شكارة الكتاب" وهي الجلد، فلاشك أنه يشير إلى غلاف الكتاب وغالباً ما يكون من جلد ناعم وهو جلد الضأن.

ما قبل هذه المصادر التي اعتمدناها، وردت إشارات إلى أوعية استعملت للأغراض نفسها لكن بأسماء أخرى: جام (للخبز) وخُرج فيه كتب (*التشوف*، 427) فهل الأمر يتعلق بتغير أسماء لمسمى واحد؟ أم أن الموضوع يتعلق بوعاء جديد في شكله وفي اسمه؟ في تقديري الجواب الأخير هو الصحيح، لكن مفهوم الشكارة اليوم يبقى قريباً من الاستعمالات القديمة فهي وعاء لحمل الكتب والخضر والمواد الصلبة بالفواكه الجافة لكن التداول الحالي لا يعكس الأصل في دخول الشكارة إلى المغرب، بل وقع خلط في المفهوم إذ ذكرت الأنواع الأخرى مجازاً للتشبيه؛ لكن الشكارة منذ أواخر العصر الحديث وإلى غاية بداية القرن العشرين ارتبطت بالنقود وبالمال عموماً.

واعتبرت في الحضارة المغربية علامة من علامات الرجولة فخروج الشخص من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب والرجولة يرمز إليه بتمنطق الشكارة؛ وقد مرت منذ دخولها المغرب بمراحل في صنعها، فكانت ساذجة لا تتطلب مهارة ولادقة ثم أصبحت شكارة مقبولة تلبي الحاجة إليها قبل أن تصل إلى قمة جودتها وإتقانها حتى أصبحت من أدوات زينة الرجل وأبهته فاشتهرت على الخصوص الشكارة المراكشية ذات الجيوب المتعددة والتطريز الجميل والشكل المستطيل المطوي على نفسه، ومنها النوع الفاسي والسلاوي والرباطي إلى غير ذلك من المدن العتيقة؛ وتختلف بينها مثل الزرابي في التزويق والتطريز ونوع الجلد.

أصبحت الشكارة "التقليدية" بعدما تخلى عنها الناس تحفة وقطعة من تراثنا المغربي الأصيل وجب الحفاظ عليها وإحياؤها حتى لا تبقى من مقتنيات السياح فقط.

أ. الفيومي، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، مصر، د. ت.؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982؛ ابن عبد العظيم، *بهجة الناظرين*، مرقون كلية الآداب بالرباط، د. د. ع.، 84 ـ 1986؛ الماجري، المنهاج الواضح، مصر، 1933؛ السقطي، *في أدب الحسبة*، بيروت، 1987؛ الزبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس*، مكتبة الحياة، بيروت، بدون؛ التادلي، التشوف، الرباط، 1984؛ م. الطويل، *النقل والتنقل*، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1998.

محمد حجاج الطويل

أبو **الشكاوي، علي** بن منصور البوزيدي الحسني، متصوف كبير كان يسكن شالة، ويتردد على الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي، ينتسب لآل البيت من بني عيسى بن إدريس الأزهر، دفين أيت عتاب. وعن كنيته أبي الشكاوي (جمع شكوة على غير قياس: وعاء من جلد للماء واللبن) ذكر صاحب *ابتهاج القلوب* أن علي بن منصور مرّ يوماً مع بعض أصحابه بعجوز فاستضافوها، فقالت.

ما عندي إلا هذه الشكوة فأخذها المترجم وجعل يصب منها في القصاع حتى ملأ قصاعاً كثيرة من اللبن الحليب فسمي لذلك بأبي الشكاوي.

كان "من شيوخ التربية والترقية الروحية "من أهل الأحوال السنية، والسيرة المرضية، واقفاً عند الشريعة معظماً لها محافظاً عليها" (*ممتع*، 185).

أخذ عن ستة وعشرين من شيوخ التصوف الجزوليين المشهورين في عصره، منهم العسال وعبد الرحمن المجذوب وأبو الرواين وعلي الشبلي السريفي، ورحل للمشرق وأخذ عن شيوخ آخرين. مات بمسقط رأسه الرباط عام 1180 / 1767-66.

قال في *مرآة المحاسن*: "قدم علينا ـ علي بن منصور ـ بفاس سنة أربع وألف فقال للشيخ أبي المحاسن إن الأجل قد قرب وما جئت إلاّ لوداعك وانصرف، فمكث غير بعيد وسمعنا خبر موته بشالة في السنة المذكورة، وبها كانت سكناه" ودفن خارج شالة وبنيت عليه قبة جددها العارف بالله أبو المواهب سيدي العربي ابن السائح. وضريح أبي

الشكاوي مزارة شهيرة. وبقي عقبه بشالة والرباط، وكان منهم صالحون متصوفون.

توفي عام 1004 / 5 ـ 1596.

م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجر فاس، 218 ـ 219 ؛ ع. الرحمن الفاسي، *ابتهاج القلوب*، تح. حفيظة الدازي، مرقون ؛ م. الطيب الفاسي، *مطمح النظر*، مخطوط ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، ط. حجر فاس، ص. 182 ـ 187 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس، د. ت ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 3 : 1084 ـ 1085 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، مرقون ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، تح. أ. الناصري، ط 3، الدار البيضاء، 2001، ج 5 : 207 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ص. 117 ـ 118 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط، 1987، ص. 435 ـ 436.

أبو الشكاوي، **محمد** بن أحمد الخضر بن علي بن منصور المرباطي فقيه أديب شاعر. أخذ عن الشيخ علي العكاري حين قدم إلى العدوتين من زاوية الدلاء، قال في *الاغتباط* : "كان من العلماء الأدباء المحاضرين ذوي الإجادة في النظم على اختلاف أنواعه ما بين قصائد موزونة، وأزجال معربة وملحونة، وموشوحات ذات أسماط وأنماط، تزري بجواهر الأسماط" وأورد له قصيدة رائية في مدح الشيخ العكاري، مطلعها :

سما في سماء المجد عن كوكب البدر    ثناؤك يا شيخ الجهابذة الغر

توفي بالرباط عام 1180 / 1767.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 238 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، الرباط، 1986، ص. 174 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط، 1987، ص. 112 ـ 114.

محمد حجي

ابن **شكرة** أو ابن شقْرا أو شقرة، أسرة دكالية من فرقة بني دغوغ ينتسبون لآل البيت. نزحوا منذ القرن العاشر (16 م) إلى مراكش وسيدي رحال وزمران بسبب خدمتهم مع المخزن. وأول من يذكر منهم هناك القائد علي ابن شكرة خليفة حاكم مراكش حين اغتال الانكشاريةُ الاتراك محمداً المهدي الشيخ سنة 964 / 1537، وعمل بعد ذلك مع عبد الله الغالب وابنه المتوكل في كل من مراكش وفاس. وذكرت المصادر التاريخية أن السلطان الرشيد بن الشريف العلوي احتفل بعرس أخيه إسماعيل في دار ابن شقرا بفاس الجديد.

مجهول، *تاريخ الدولة السعدية* ؛ م. الإفراني، *نزهة*، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط.

ابن **شكرة، عبد السلام** بن الفاطمي الزمراني، متأدب شجاع، عمل كاتباً عند قائد زمران عمر المصباحي ثم جندياً في جيش الحسن الأول فقائداً للمائة، ونظراً لنجدته عينه السلطان قائداً لقبيلة زمران بعد موت عمر المصباحي سنة 1303 / 1886. ضبط ابن شكرة شؤون القبيلة، مستعيناً بابن عمه وخليفته الجيلالي بن العباس ابن شكرة ثم فوّض إليه الحكم واستقر هو بمراكش في الرياض المنسوب إليه حتى اليوم بدرب دباشي، ليكون قريباً من حكومة المخزن مكلفاً بشؤونه الفلاحية بتملالت، وتوجيه عسكر الإيالة، ومؤن الدار السلطانية، ومرافقة السلطان في حركاته، ومنها الحركة التي مات أثناءها السلطان بتادلا سنة 1311 / 1894 فثارت قبيلة زمران ـ مثل كثير من القبائل ـ على حاكمها خليفة القائد عبد السلام ابن شكرة وقتلوه وانتهبوا داره.

أصبح للمترجم مكانة متميزة عند السلطان عبد العزيز حتى عينه وزيراً للحرب (العلاّف الكبير) عام 1319 / 1901 مكان المهدي المنبهي، ثم رجع لقيادة قبيلة زمران، فثاروا عليه وقتلوه في فاتح صفر 1323 / 6 أبريل 1905.

*وثائق خ. ح ؛ محفظة 1323* ؛ أحمد بن إبراهيم الدمناتي، *القول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع*، مخطوط، خ. ح؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 2، الدار البيضاء، 1955، ج 5 و7 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، المحمدية، ج 20.

الحسين شوقي

ابن **شكرة، علي** بن مسعود الدكالي من كبار قواد الدولة السعدية ولم يكن من أرباب القلم وإنما كان رجل تدبير وقيادة الجند في ظل سلاطينها محمد الشيخ وابنه عبد الله الغالب وحفيده محمد المتوكل، جمع أوصافا متعددة فهو خليفة ووزير وقائد القواد. فكان خليفة للسلطان محمد الشيخ بمراكش وكان على رأس المبايعين لابنه عبد الله الغالب ولما عقد السلطان الجديد لابنه المتوكل على الخلافة بفاس أرسل معه القائد ابن شكرة فتوطدت بينهما الصداقة. وتتحدث المصادر التاريخية عن مشاركة هذا القائد في المعارك التي خاضها المتوكل ضد عميه عبد المالك وأحمد المنصور سواء في موقعة الركن قرب فاس في أواخر 983 أو معركة خندق الريحان التي لقي فيها القائد ابن شكرة مصرعه قرب سلا عام 984 هجرية. والجدير بالملاحظة أن عبد المالك استعمل في مواجهة ابن أخيه الحيل والدهاء لاستمالة قواده واعداً الطائعين ومتوعداً الرافضين لطاعته، فاستجاب له بعض القواد الأندلسيين وشاع الخبر بأن ابن شكرة حذا حذوهم، فتقول الرواية التاريخية بأن المتوكل لما بلغه خبر انضمام عدد من القواد إلى عمه أصيب بالإحباط ولم ينه المعركة فقرر الرجوع إلى فاس لجمع أمتعته ولما علم القائد ابن شكرة بأن ما قيل عنه هو محض افتراء التحق به بوادي النجاة وعاتبه على تسرعه في الانسحاب وتصديق الوشاية به. وأورد مؤلف تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية هذه الرواية.

"فداخله الخوف (أي المتوكل) من كثرة الخلاف إذ جاءه فقال له كن على حذر وانج بنفسك فان ابن شكرة عمدة أصحابك خالف بمن معه وهم مرتقبون الصباح وكان القائل لهذا الكلام غاشا له وكاذبا عليه في الخبر..."

وبعد هذه الهزيمة المعروفة لمعركة الركن تابع عبد المالك مطاردة فلول المتوكل المجتمعة تحت قيادة ابن شگرة فالتقى به بخندق الريحان فلقي ابن شگرة مصرعه.

وبعد قرابة أربعة عقود من هذه الحادثة قدم لنا السلطان زيدان السعدي أمارات عن سلوك حاشية عمه عبد الله الغالب وذلك في رسالة وجهها إلى الفقيه أبي زكرياء يحيى الحاحي فيصف ابن شگرة بالوزير ويتهمه بشرب الخمر والانغماس في الملذات.

"وكان قواد المولى المذكور مثل وزيره ابن شگرة ...... قد انغمسوا في شرب الخمر واتخاذ القيان وبسط الحرير وغير ذلك من آلات الذهب والفضة .... ولعل زيدان أراد بهذا الموقف أن يشعر مخاطبه بإمكانية تعايش أهل الصلاح والتقوى وأهل البذخ والملذات. وفي مراكش هناك حي بين روض الزيتون وأگدال با احماد يحمل اسم جنان ابن شگرة.

مجهول، *تاريخ الدولة السعدية التگمدارتية*، تح. ع. الرحيم بنحادة، ص. 35 ـ 36 ـ 37 ـ 49 ـ 50 ؛ أحمد بن القاضي، *درة الحجال في اسماء الرجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، 1 : 154 ؛ م. الصغير الافراني، *نزهة الحادي*، طبعة هوداس، ص. 17 ـ 62 ؛ *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، ط. 2، الدار البيضاء، 5 : 54 ـ 58 ـ 62.

Deverdun G. Marrakech des origines à 1912 p. 412.

محمد ماگامان

**الشكري، حم** بن محمد بن أحمد بن يحيى البطيوي البجيوي أحد قضاة قبيلة قلعية بالريف الشرقي، ومن جيل أبناء الريف الشرقي المساهمين في حركة المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي انطلاقا من إقليم الناظور المنضوي ضمن المنطقة الخليفية تحت الحماية الإسبانية، وهو نجل آتي الترجمة المجاهد الشكري محمد بن أحمد بن يحيى. وذريته هي المعروفة حاليا بكنية البنيحياتي. ولد الفقيه حمو الشكري بقبيلة بني شكر القلعية سنة 1310 / 1892 بمدشر ميساديت، فرقة بجيوة، من شبه جزيرة هرك وبه نشأ.

ومثل جميع فتيان قومه وعصره تعلم وحفظ القرآن بمسجد القرية. غير أن الظروف الصعبة التي كان الشمال الشرقي المغربي يجتازها، من جراء التجاء الروكي بوحمارة إلى قبيلة قلعية من جهة، وامتداد نطاق الاحتلال الإسباني من جهة أخرى، وما تبع ذلك من تصدي الشريف سيدي محمد أمزيان بالمقاومة، كل ذلك جعل والده المجاهد محمد يحثه على المزيد من القراءة والتعلم بعيدا عن موطنه والتنقل بين مراكز الدراسة بقبائل الريف الشرقي، ثم بناحية جبالة وأخيراً بالعاصمة العلمية مدينة فاس. وهي المراحل التي كلفته من المتابعة ما زاد على الخمس عشرة سنة إلى غاية تخرجه من جامعة القرويين.

تعد المرحلة الدراسية التي قضاها الفقيه حمو بقرية تازغين التمسمانية مفيدة لتكوينه الأولي وهو ابن ثماني عشرة سنة، إذ أنها أتاحت له التمكن من القراءات القرآنية والشروع في الإطلالة على بعض العلوم. ولاشك أن هذه المرحلة الدراسية كانت الحافز على تلبية طموحه العلمي خارج إطار الريف الشرقي. ولم يكن المجال المختار بعد ذلك سوى المراكز العلمية المنبثة في ناحية جبالة لتكون هي المحطة العلمية الثالثة، إسوة بما سار عليه طلبة الريف الشرقي.

وحسب مقيداته ورواية نجله محمد البنيحياتي أنه تنقل بين مراكز غمارة وجبالة، بدءاً من قبيلة الأخماس. لكنه سرعان ما انتهى به الرحيل إلى قبيلة سماتة للتتلمذ على فقيهها المشهور العالم الشيخ أحمد بن يرمق السماتي، سابق الترجمة بهذه المعلمة. وكان الشيخ قد أسس معهد عين بيضا الذي عمت شهرته آفاق الشمال الغربي المغربي وامتدت إلى قبيلة قلعية. ففي سنة 1333 / 1915 كان الشيخ أحمد بن يرمق بحضور الفقيه حمو الشكري وشهادته يدرس الشيخ خليل والتحفة والبلاغة والمنطق، مما يفيدنا باستكمال الفقيه الشكري ما سبق أن أخذه بمركز تمسمان. والمشهور عن الشيخ السماتي أنه كان يشجع طلبته المتخرجين من معهد عين بيضا على التوجه إلى فاس لاستكمال دراستهم العليا بالعاصمة العلمية. وربما كان للزحف الإسباني على القبيلة السماتية المحتلة يوم 6 مايو 1921 يد في الضغط على الفقيه حمو لمغادرة معهد عين بيضا.

وبالفعل فقد انتقل الفقيه حمو الشكري إلى فاس التي حل بها في شوال 1338 / يونيو 1920، ونزل ضيفا على الزاوية التجانية التي كانت ترحب بالطلبة الأفاقيين. وقد ترك الفقيه حمو تقييداً سجل فيه أسماء شيوخه وسنوات وفياتهم، ثبتت صحة ما ورد في حقهم بما قمنا به من التحريات، وذلك نتيجة استمرار العلاقة العلمية بهم ومتابعة أخبارهم، فمنهم : الشيخ محمد الفاطمي بن محمد الشرادي المتوفى عام 1344 / 1925، وهو من أساتذة القرويين الذين كان لهم باع في المرتبة العلمية الأولى، كما أشار إلى الحاج العربي بنيس المتوفى عام 1350 / 1932، وإلى أحمد بن الجيلالي الفيلالي المتوفى 1352 / 1934، وإلى عبد الله بن إدريس بن أحمد العلوي الفضيلي المتوفى عام 1963 / 1944.

ويبدو أن سنة التخرج والعودة إلى موطنه ببني شكر

كانت خلال الأشهر الأولى من سنة 1923. والتخرج من جامع القرويين كان مشهوراً، يخول التنقل في المناصب، بدءاً من الإمامة والخطابة والتدريس بمساجد البلدة. هذا هو ما حدث بالنسبة للفقيه حمو حين انتدب من فرقة أولاد داود الكبدانيين. وكان من الطبيعي أن يوثق الفقيه حمو اتصالاته بعميد الزاوية القادرية، خريج القرويين وابن قبيلته الفقيه السيد الحاج حمو القادري (1861 - 1938)، آتي الترجمة. فقد استدعاه سنة 1926، وهو آنذاك قاضي القضاة بالمنطقة الخليفية، لتولي منصب النيابة بمحكمة قاضي القضاة التي كان مقرها داخل مدينة مليلة المحتلة.

بقي الحاج حمو الشكري بالمنصب قرابة عشر سنوات، أي إلى سنة 1935 حيث انتدب قاضيا موقتا بقبيلة أولاد ستوت من قبائل الريف الشرقي بتاريخ 28 ربيع النبوي عام 1354 / فاتح يوليو 1935. ثم نقل إلى قبيلة المطالسة، حيث بقي إلى أن عزلته سلطات الحماية سنة 1953 إبان الاعتداء الفرنسي على العرش المغربي، وآنذاك حول اتجاهه بكل حماس ووعي نحو المساهمة في حركة التحرير. ويعد السير في هذا الاتجاه اقتداء بخطة والده في الجهاد ضد بوحمارة والإسبان، وقد كان هو نفسه من المساعدين له خلال سنة 1909، بعد اندلاع مقاومة الشريف محمد أمزيان وسنه 17 عاما، كما أنه شاهد أولى المعارك التي جرت بجوار مليلة، وهو من الذين حضروا معركة "خندوق" أو "إغزر أوشن" يوم 27 يوليو 1909 وشاهدوا مقتل الجنرال "بينتو" في نفس اليوم. كانت معركة سيدي موسى، حسب قوله هي آخر ما شاهده، إذ أنه قرر العودة إلى قبيلة تمسمان في شهر ذي القعدة عام 1328 / نوفمبر - ديسمبر 1910 لمتابعة الدراسة، مثلما تمت الإشارة إليه.

وليس من الغريب في شيء أن يعلن القاضي حمو الشكري عن اندماجه في نطاق المقاومة المسلحة المستهدفة لتحرير البلاد من الحماية والاستعمار الفرنسي، بدءاً من المساهمة في تزويد الخلايا الفدائية العاملة بالمدن الهامشية المجاورة لحدود المنطقة الخليفية ما وراء مجرى واد ملوية، وإلى الاتصال التلقائي بجيش التحرير بدافع وطني صرف. فما كان على الفقيه حمو الشكري إلا التمكن من إخفاء مشاعره الوطنية وهو بالسلك القضائي بقبيلة المطالسة المجاورة لاكزناية، فسرعان ما انكشفت تلك المشاعر الزائدة عن حاجة الإسبان ومراقبتهم للوضع، رغم ما كانوا يظهرونه من المرونة وعدم المبالاة تجاه الحركة الوطنية القائمة بالمنطقة السلطانية. فالواقع أن مرارة التعدي على العرش جعلت الحاج حمو الشكري يعتبر الإدارة الإسبانية صنو أختها الفرنسية، فلم يتوان عن الدعوة إلى المقاومة بالحماس الديني الذي تشبع منه منذ شبابه، سراً أحيانا وجهرا مرات أخرى. وهذا كان سببا كافيا للإدارة الإسبانية لإبعاده عن منصب القضاء.

وميدان المقاومة المسلحة المتوفر آنذاك بعد حدث 20 غشت 1953، مما يتصل بإقليم الناظور، كان مقتصراً على تزويد مختلف خلايا المقاومة الفدائية بجهات بركان وتاوريرت ووجدة قبل أن يتأسس جيش التحرير بقبيلة اكزناية في آخر سنة 1954، بالسلاح والذخيرة. كان القاضي حمو الشكري قد تعلم الشيء الضروري للحصول على السلاح وتهريب لوازم الحرب أثناء أداء مهمته بمليلة ونتيجة قرب مدشره وتماس حدود قبيلته لحدود المدينة المحتلة، ولذلك لم يصعب عليه التعرف على الوسطاء للقيام بالمهمة. وقد أهلته مهنته كقاض ولاشك من جهة أخرى أن ينتقي معارفه ليكون أمينا على الأموال والودائع وتوجيهها بأمانة إلى الوسطاء بينه وبين الفدائيين.

وفي هذا الباب كان للفقيه حمو اتصال ببعض تجار مدن المنطقة. وقد وجدنا في تقييد له ما يدل على مساهمته الفعلية في تشكيل ما يشبه خلية وطنية، سماها "الهيئة المدنية المكافحة" متكونة من معارفه البالغين ستة عشر فرداً. وكانت الخلية موسعة الانتساب شملت قبائل بني شكر ومزوجة وأولاد ستوت وبني بويفرور وبني سيدال. ظهر هذا التوزيع في جمع التبرعات وفيما توفر لديه من السلاح بتاريخ 26 يناير 1954، ثم بتاريخ 27 شتمبر 1955 قصد تزويد المقاومة ببعض الذخيرة والكساء والأغطية، حسبما دل على ذلك تقييده بمدشر تاوريرت الشكري.

هكذا لم يستسلم الحاج حمو الشكري بإبعاده عن القضاء، بل فتح باب تجربة مقاومة الاستعمار بإمكاناته المتوفرة. ولاريب أنه قد خرج من تلك التجربة راضي النفس بعد أن اتخذت المقاومة أبعادا أكبر من طاقته بتأسيس جيش التحرير، ولذلك وجد المتنفس الجديد في الانخراط في سلك التعليم الابتدائي، حيث عين سنة 1955 معلما بموطنه الصغير، وبقي بنفس الوظيف إلى وفاته يوم الأربعاء فاتح أبريل 1964.

حمو بن محمد الشكري، *تقاييد*، مخط.ط ؛ *وثائق محمد البنيحياتي* ؛ م. بن حمو البنيحياتي، *مذكرات مرقونة* ؛ ع. الهادي التازي، *جامع القرويين*، بيروت، 1972 ؛ م. عمراني، *جامعة القرويين*، 1914 - 1934، رسالة مرقونة، الرباط، 1988 ؛ بنعبد الله الوكوتي، *مذكرات مقاوم*، الرباط، 1996 ؛ ح. بن ع. الوهاب، *تاريخ القضاء في شمال المغرب*، تطوان، 2000 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، تطوان، 1053.

Gonzalo Calvo, *Espana en Marruecos.* ; Enrique Lopez, *Cronica de las Campanas del Rif de 1911- 1912 - 1913*, p.14 ; Alarcon, *Melilla* 1909 ; *Diario de la Guerra. Cronica de un testigo* ; *Legation de la Republique Française au Maroc*, Direction des Affaires Politiques et Commerciales ; D. Berenguer, *Campañas en el Rif y Yebala.*

**الشكري، عبد القادر** بن الحاج الطيب بن محمد بن عبدون. أحد شخصيات الريف الشرقي خلال النصف الأول من القرن العشرين. ازداد سنة 1865 (1870) دخل مسيد القرية وحفظ نصيباً من القرآن، كما تلقى بعض مبادئ اللغة. وتابع سيرة والده في حرفتي الفلاحة والتجارة. انخرط في الحركة المناهضة لالتجاء بوحمارة إلى قلعية منضويا تحت

لواء المحلة المخزنية وشارك في حركة الجهاد التي قادها محمد الشادلي والشريف محمد أمزيان سنة 1909 ضد الجيش الإسباني. وفي هذا الصدد يشير تقييد القاضي الحاج حمو بن محمد الشكري (البنيحياتي) سابق الترجمة إلى أنه من الجماعة الأولى التي اجتمعت مع الشريف محمد أمزيان إلى جانب محمد الشادلي والمجاهد محمد بن أحمد بن يحي الشكري آتي الترجمة، وكان من المشاركين في لقاء القلعيين للإسبان في معارك بني أنصار وتخريب منشآت مد السكة الحديدية ومن الحاضرين في معركة سيدي موسى ومقتل الجنرال بينتوس.

ففي يوليو 1909 كان بجماعة مجاهدي بني شكر فيما يقابل "سوطو مايور" ينتظر وصول النجدة التي طلبها من صديقه قائد مزوجة محمد الشادلي سابق الترجمة. انهزمت قواته بتاجديرت يوم 20 يوليو من نفس السنة، فكانت نتيجة المعركة قاسية على الشكريين، إذ كانت حداً فاصلاً بين جهاد عبد القادر الشكري وانصرافه إلى مسالمة الإسبان ومهادنتهم بحجة عدم جدوى استمرار المقاومة.

فالمعروف أن القائد عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري قد اتخذ ابتداء من سنة 1910 موقفاً جديداً تجاه الوجود الإسباني لم يتغير خلال مدة حياته، غير أن الموقف الذي رفع من مكانة عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري هو القبض على زمام القبيلة إثر انهزام الإسبان سنة 1921 بمعركتي أنوال وعروات وعدم مهاجمة مدينة مليلة في وقت كانت تعاني من العزلة والذهول التامين من هول انتصار ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي. وهذا الموقف هو نفس الاستراتيجية التي اختارها زعيم الثورة حين وصول المجاهدين إلى مشارف المدينة.

بقي عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري قائد بني شكر متمتعا بعطف الإسبان عالي المنزلة لديهم إلى أن تمت ترقيته إلى باشا ثم نائب الصدر الأعظم بالمنطقة الخليفية على ناحية الريف كلها. واحتفظ بتلك الصفة إلى وفاته يوم 28 محرم عام 1370 / 9 نوفمبر 1950.

Gonzalo Calvo, *Espana en Marruecos, Cronica de la Campañas del Rif de 1911, 1913* ; Enrique Lopez Alarcon, *Melilla* 1909 ; *Aldaba de Melilla* ; Eduardo Maldonado, *El Rogui*, Tetuán 1949.

**الشكري، علي** مجاهد ومقدم غزاة بني شكر المرابطين بميدان مليلة. ولا نعرف الفرقة التي ينتمي إليها. ظهر بميدان مليلة بعد حصار المدينة سنتي 1774 - 1775، وعلى الخصوص في محضر الاتفاق المبرم يوم 10 أبريل سنة 1782 بين القلعيين وحاكم مليلة. وهو معاصر للمجاهد محمد الرتبي سابق الترجمة والمرابط البشير الكبداني. تعرض لإدانة المخزن نتيجة عدم تلبية دعوة السلطان محمد بن عبد الله إلى التخلي عن الجهاد سنة 1788 في إطار سياسة التحكيم وضبط الهدوء، رافضا الأوامر التي جاء بها قواد الوفود على التوالي محمد الشرقي ومحمد بن عبد الكريم راغون وعبد الوهاب الفاسي ومحمد التيسي التاوناتي. بقي علي الشكري بالميدان مجاهداً إلى أن توارت عنا أخباره سنة 1211 / 1797.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلة*، الرباط، 1997.
*Archivo General de Simancas*, Estado, legajos 4336. 4315. 4334. 4320.

**الشكري، محمد** بن أحمد بن يحيى، أحد مجاهدي الريف الشرقي، والد سابق الترجمة الشكري، حمو بن محمد بن أحمد بن يحيي. ولد حوالي سنة 1280 / 1863، وهو من مريدي الزاوية القادرية بشبه جزيرة هرك المنعوتين بالفقير. نعرف أخبار جهاده مما روى عنه وقيده نجله حمو. انخرط ضمن رجال مقاومة الشريف سيدي محمد أمزيان فحمل السلاح ضد الروكي بوحمارة أولا والتوغل الإسباني بقلعية ثانيا.

فعن مساهمته في حرب الجيلالي بوحمارة روى محمد الشكري لنجله حمو مداهمة رجاله لقبيلة بني شكر ووصولهم إلى قرية ميساديت عدة مرات، منذ حلول الثائر بقصبة سلوان سنة 1903، وما تلا ذلك من التغلب على القوات المخزنية والسيطرة على قصبة جنادة فرخانة، وذلك بحثا عن الأموال والأقوات والتمكن من القضاء على المناوئين لحركته. وكان الفقير المجاهد محمد الشكري من الذين انخدعوا في البداية مما ادعاه بوحمارة من نسب الأسرة العلوية المالكة، غير أنه لم يلبث أن تعرف على حقيقة أمره واسمه من خلال الدعاية المضادة التي كلف بها مناصرو المجاهد الشريف محمد أمزيان. كان انجلاء تلك الحقيقة هي المناسبة التي حثت محمد الشكري على الانخراط في حركة المقاومة لأول مرة والمشاركة الفعلية في حرب بوحمارة وطرده من قصبة سلوان في آخر عام 1908.

ولما كانت التوسعات الإسبانية المدبرة من حاكم مليلة الجنرال "مارينا" على حساب أراضي قلعية موازية مع آخر تحركات بوحمارة، فإن الفقير محمد كان من الأوفياء المساندين لحركة الشريف محمد أمزيان المقاومة للإسبان. وبذلك وجدناه يلبي نداء الجهاد بمجرد أن علم ببطلان ما كان يدعيه الإسبان من عدم وجود أي نية توسعية.

اختير محمد الشكري للمشاركة في الاجتماع السري الذي عقده الشريف محمد أمزيان بزاوية أزغنغان من بني يفرور إلى جانب شيخ قبيلة بني شكر عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري سابق الترجمة، مع كل من محمد التباع البويفروري، ابن أخي الشريف محمد أمزيان، والقائد الشادلي المزوجي سابق الترجمة وعلال بن محند السيدالي. ومن مشاركته في هذا الاجتماع نستدل على أهمية دور الفقير محمد في تنظيم الحركة الجهادية ببني شكر وبميدان الجهاد ببني انصار. ومن نتيجة قرار الاجتماع المذكور، مما قصه علينا، نعرف الخطة المتفق عليها قبل يوم 9 يوليو 1909

لتخريب السكة الحديدية التي شق طريقها الإسبان من مرسى مليلة إلى المكان المعروف لدى الإسبان بالمحطة الثانية (Segunda Caseta) ببني انصار، تمهيداً لمد الخط عبر أراضي مزوجة وبني بويفرور في اتجاه جبل نْ إكسان لاستغلال منجم الحديد.

وتبعا للأحداث نعرف من رواية الفقير محمد الشكري أن تطبيق تعليمات الاجتماع أدى إلى تكوين الخلية الجهادية الأولى في تاريخ مقاومة الشريف محمد أمزيان، مشتركة بين أخماس قلعية، مؤلفة من ستة وعشرين مجاهداً، كان منهم إلى جانبه عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري، رئيس قبيلة بني شكر ومحمد النصري، شيخ بني أنصار والشادلي، قائد بني أنصار. يقول مما رواه لابنه حمو، سابق الترجمة، "فقتلنا كثيراً وألقينا القبض على كثير منهم وفر الكثير إلى مليلية". وهو يعني ما وقع حسب المراجع الإسبانية هجوم يوم 19 يوليو 1909.

ومن الأعمال الجهادية التي أشار إليها الفقير محمد الشكري ما حكاه عن المشاركة في تنظيم اعتراض تقدم الإسبان في أشهر معارك مقاومة التوغل الإسباني المعروفة بمعركة "إغزار نْ أوشن" وهي المعركة التي كان مسرحها عند منحدر كدية سيدي موسى، بساحل سبخة بوعرك الشمالي، تلك المعركة التي أذهلت نتائجها الدولة الإسبانية، حينما علمت بمقتل الجنرال بِينْتُو بساحتها يوم 27 يوليو 1909 مع عدد كبير من الضباط. عاش الفقير المجاهد محمد باقي حياته في ظل التوسع الإسباني بقلعية واحتلال قبيلته بعد استشهاد الشريف محمد أمزيان وترسيخ نظام الحماية إلى وفاته في جمادى الثانية ـ رجب عام 1347 / ديسمبر 1928.

حمو بن محمد الشكري، *تقاييد*، محمد بن حمو بن يحيى البنيحياتي : *مذكرات مرقونة*، *معلمة المغرب*، *مذكرات المغرب*.

Ambassade de la République Française en Espagne, *Consulat de France a Malaga*, 20 Juillet 1909 ; Gonzalo Calvo, *España en Marruecos, Cronica de las del Rif de 1911, 1912, 1913*, p.14 ; Enrique Lopez Alarcon, *Melilla*, 1909 ; *Diario de la Guerra, Cronica de un testigo* ; Legation de la Republique Française au Maroc, Direction des Affaires Politiques et Commerciales ; Gonzalo Calvo, *Espana en Marruecos, Cronica de las Campañas des Rif*.

حسن الفكيكي

**الشَّكْوَة** وعاء من جلد الماعز والغنم، يبقى الجلد على هيئته الأصلية بعد دبغه بلحاء الشجر وقشور الرّمان والشبّ والملح. بعد مرحلة الترقيد، يغسل الجلد جيداً ثم تغلف منافذ الأرجل في حين يحول مكان العنق إلى فم للشكوة منه يصب الحليب الرائب إلى البطن. تربط الشكوة إلى ثلاثة أعمدة مائلة في انتصابها إلى بعضها البعض ومتعاكسة (التْواكَدْ). تجلس المرأة أمام الشكوة وتشرع في عملية المخض وذلك بدفع الشكوة إلى الأمام ثم إلى الخلف بشكل متتال وسريع. قد تستغل المرأة فترة الاستراحة لتطلع على وضعية تحول الحليب إلى لبن. إذا توفر الدفء لا تتطلب العملية وقتاً طويلاً. أما في حالة انخفاض درجة الحرارة يوضع شيء من النار تحت الشكوة لتعطيها الدفء اللازم. بعد الانتهاء يصفى اللبن ويعزل الزبد.

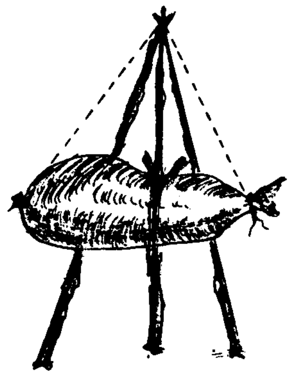

واحتلت الشكوة مكاناً متميزاً ضمن أواني الطبخ في المجموعات الرعوية، لذلك أصبحت رمزاً يعكس جانباً من حياة البداوة والأرياف. نسجت حولها حكايات وأساطير. فتتحول بعد مدة من الاستعمال إلى وسيلة للعلاج. ترقد الشكوة في اللبن خلال ثلاثة أيام تقريباً، ثم تطبخ إلى جانب عدد من الأعشاب المختارة : توابل، زعتر، حلبة، ثوم ... وتركيبة من الأعشاب والبهارات تعرف "برأس الحانوت" فيأكل منها ويشرب من مرقها كل مصاب بالحميات وخصوصاً التيفويد. وتقول بشأنها الأحجية :

حَاجَيْتَكْ عْلَى ثْلاَثَةْ وكُوفْ، والرَّابَعْ مَلْفُوفْ، والخامَسْ يضْرب ويْشُوفْ

| الأعمدة (التواكد) | الشكوة | المرأة التي تمخض |
| --- | --- | --- |

*تحريات ميدانية.*

G. Colin, *La vie Marocaine*. Paris 1953 ; V. Loubignac,. *Textes Arabes des Zaër*. Paris 1952.

صالح شكاگ

**شَلْبْدُورْ** ويكتب أيضاً صلبدور، أسرة تطوانية ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Salvador وهو الاسم الذي مازالت تحمله بعض الأسر الإسبانية نسبة للمدينة الإسبانية التي تحمل نفس الاسم : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكر ها في الرقم 1443.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشلح، محمد** أيت أومتجار الشهير بلقب "الشلح". ولد في مسفيوة، بناحية مراكش حيث كان والده قائدا على القبيلة. انتقل في شبابه إلى مدينة مراكش، وفيها التحق بدار السي سعيد مقر تعليم طرب الآلة. وهناك تتلمذ على

المعلم عبد السلام الخياطي. وبعد تخرجه عُيّن للتدريس بها إلى جانب زميله في الدراسة الشريف مولاي عبد الله الوزاني.

في عام 1970 انتقل إلى مدينة الرباط، وبها اشتغل معلماً للطرب الأندلسي والعزف على الكمنجة من صنف آلطو بمعهد مولاي رشيد إلى حدود سنة 1978.

وقد تخرج على يده خلال هذه السنوات ثلة من خيرة حفاظ الآلة الأندلسية، كان في طليعتهم طلبة الأفواج الأولى من حملة الجائزة الأولى في الموسيقى الأندلسية. وللتاريخ نذكر أن الفوج الأول (دورة يونيو 1974) كان يضم محمد اطراشن، وعبد السلام الوزاني نجل المرحوم مولاي عبد الله الوزاني، ومحمد الزاكي، وهم من عازفي العود، ومحمد ابريول، وعبد الفتاح بن موسى وهما من عازفي الكمنجة.

وقد كانت لجنة التحكيم في دورتي يونيو 1974 و1975 مشكلة من : محمد أيت أومتجار الشلح، ومحمد السبيع، ومحمد الجعايدي، وعبد السلام ملين، إضافة إلى الحاج عبد الكريم الرايس الذي استقدم من مدينة فاس.

وقد كان الفنان محمد الشلح ـ إلى جانب اشتغاله بمعهد مولاي رشيد ـ عضواً بجوق الموسيقى الأندلسية لدار الإذاعة الوطنية، وكان من خيرة العازفين على الكمنجة. وقد توفي رحمه الله يوم 26 ماي 1992.

*معلومات خاصة ؛ رواية السيد عبد السلام الوزاني* أحد تلامذة المترجم.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الشلحة** ← **تشلحيت**

**شلال،** أسرة ريفية منتمية إلى قبيلة قلعية وإلى خمس بني بويفرور، ومدشر إعلاطن أو آيت علا، ونرجح إرجاع أصلها إلى أيت علا بني توزين من الريف الشرقي. وقد سبق تقديم تراجم أفراد الأسرة الشلالية القلعية تحت مدخل البويفروري، ذكرنا منهم حميدة بنشلال وابنه محمد بن حميدة ابن شلال. أما الفرع المستقر بمدينة تطوان فأول من نعرف من أعضائه هو :

**شلال، عبد السلام** أقدم من نعرف من الأسرة الشلالية، تاجر كان في جمادى الثانية 1257 / يوليو 1841 بجبل طارق. وذكرت الوثائق عنه دون تفصيل أنه تدخل فيما لا يعنيه من الدخول في الفضول والغض من المسلمين وتعظيم جانب النصارى والركون إليهم. غير أنه لم يلبث أن عاد إلى الصواب والجادة نتيجة تهديد باشا طنجة آنذاك بوسلهام بن علي أزطوط.

**شلال، محمد** اكتفت الوثائق بذكر الكنية والاسم فقط، ربما كان من ذرية سابقه عبد السلام شلال. كان أمين العسكر بتطوان تم تعيينه من طرف السلطان المولى عبد العزيز بتاريخ 20 صفر 1321 / 18 مايو 1903، بدل المعزول الحاج علال بناني، بعد أن أدى اليمين على الاستقامة وعدم التصرف في مال المخزن.

تم تعيين محمد شلال أمينا في ظرف دقيق تمثل في مناسبة الاستعدادات الجارية لإرسال المحلة المخزنية على ظهر السفينة "التركي" إلى قبيلة قلعية لمحاربة الظاهر بها الثائر بوحمارة الذي امتد نفوذه إلى القبيلة في مستهل ربيع تلك السنة. وكان الأمين مكلفا بتقديم المؤونة للجيش بحصر قائمة العسكر وما بها من مراتبهم. وبتاريخ 14 ربيع الأول 1321 أمر بدفع المؤونة للباشا البشير بن السناح قائد إدالة قلعية وإلى مولاي عرفة ومحمد الأمراني المكلفين بنفس المهمة. وقد حل مولاي عرفة بتطوان بعسكره يوم 18 ربيع النبوي 1321 / 14 يونيو 1903. ومنذ هذا التاريخ اختفى عنا اسم محمد شلال ولم نقف على عقبه من أثر بتطوان وطنجة، في حين برزت الأسرة الشلالية القلعية.

*وثائق خ. ح ؛ كناش ا. 1319 ـ 1323 ؛ معلمة المغرب ؛ ظهير بتنظيم اللجان القروية للفرق والجماعات*، تطوان، 1952.

حسن الفكيكي

ابن **شلال، حميدة** بن العربي قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني بويفرور. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي امحمد أمزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور وشارك في عدة معارك منها المعركة التي استشهد فيها الشريف أمزيان بعزيب علال وقدور يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912).

*أعمال ندوة الشريف امزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي* (1909 ـ 1912) تطاون 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشلالات بالمغرب** تشكل الشلالات مناطق انقطاع الانحدار في المقاطع الطولية للأنهار وفي السفوح، وتتطور بصفة عامة فوق الصخور الكاربوناتية والبركانية المتميزة بمقاومة كبيرة إزاء عوامل التعرية، وعادة ما توافق نقط تشكيل الرصراصة (مواد كاربوناتية ثانوية ناتجة عن تساقط الكلس)، خاصة إذا كان حوض التغذية يتكون من صخور كاربوناتية وهي وضعية تتميز بها أغلب الشلالات المغربية. ولهذا سنركز في تعريفنا هذا على هذا النوع من الشلالات ومن أهمها :

ـ شلال إفران الزاوية : يوجد بهضبة الحمام بالأطلس المتوسط بين عين اللوح وامريرت ويبعد عن هذه الأخيرة بـ 28 كلم في اتجاه أزرو (12 كلم معبدة وتدخل ضمن الطريق الرئيسية رقم 24 و16 كلم غير معبدة في اتجاه مركز إفران

الزاوية). يتخذ شكلا شبه دائري، يصل مداه إلى حوالي 160م ويشرف على مركز إفران الزاوية. تلعب مياه عين ثيسدلث (360 ل / ث) دوراً أساسياً في تشكيل ونمو هذا الشلال الرصراصي ويتميز من جهة، بوجود غطاء نباتي مائي كثيف يكسو السفوح ومن جهة ثانية، بسيلان مهم يسقط من الأعلى على شكل زراديب تمنحه جمالية عالية. ويعتبر شلال إفران الزاوية نموذجا حيا لتشكيل الرصراصة الحالية.

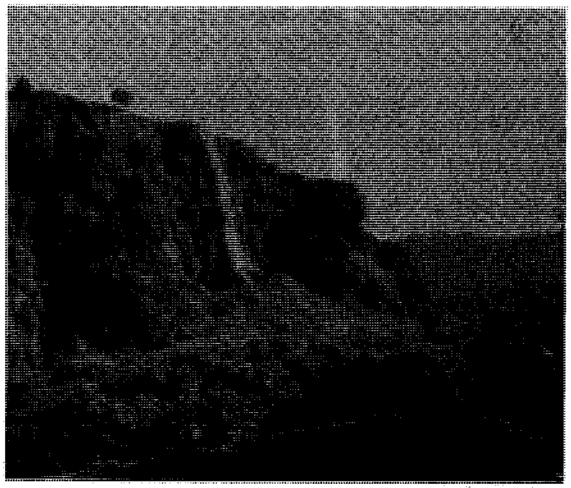

- شلال مدينة صفرو : يوجد بهضبة صفرو بالأطلس المتوسط ويبعد عن مدينة فاس بـ 30 كلم في اتجاه الجنوب (الطريق الرئيسية رقم 20)، ويقع غرب مدينة صفرو وهو عبارة عن انقطاع في الانحدار على واد أكاي (850 ل/ث) الذي يشكل مع واد ليهودي الذي يعتبر امتداداً له نحو الشمال الشرقي أحد روافد نهر سبو.

يتشكل الشلال أساساً من رصراصة ذات أجيال مختلفة تنتمي للزمن الرابع، وعكس شلال إفران الزاوية فإن شلال صفرو يتميز بتراجع كبير في نمو رصراصته نظراً للتدخل البشري الذي يظهر أساساً على مستوى تحويل المياه وعلى مستوى تدهور الغطاء النباتي (ارتفاع نسبة التعكر في المياه).

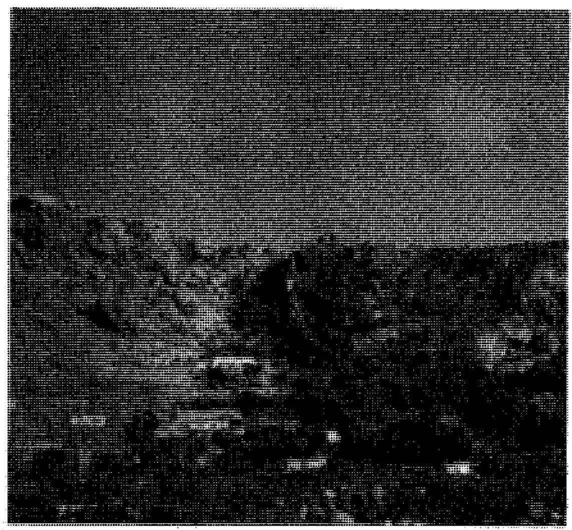

- شلال سكورة : يقع بمنخفض سكورة بالأطلس المتوسط الملتوي، يبعد عن مدينة صفرو بـ 60 كلم في اتجاه طريق المنزل. يتخذ شكلا شبه دائري، يكسوه هو الآخر غطاء نباتي مائي يلعب دوراً أساسياً في تشكيل الرصراصة عن طريق تثبيت الكلس. وقد ساهمت عين تاثوط (تعني ثاثوط بالأمازيغية مادة الصوف) ذات سحنة كيماوية بيكاربوناتية كلسية في نمو رصراصة الشلال وذلك خلال الرباعي الأوسط والحديث، إلا أنه يلاحظ حالياً تراجع كبير في تشكيل الشلال نظراً للتحولات المجالية التي عرفها جبل تيشوكث والمتمثلة في تدهور الغطاء النباتي وتحويل مياه العين للسقي من جهة وفي ضعف التساقطات (ظاهرة الجفاف) من جهة أخرى.

- شلال أوزود : يقع بإقليم أزيلال، ويبعد عن مدينة بني ملال بحوالي 140 كلم في اتجاه مدينة أزيلال. ويتشكل هو الآخر من تكونات رصراصية تنتمي إلى مختلف فترات الرباعي، يتميز شلال أوزود بغطاء نباتي مائي مهم وبمياه تنحدر بكيفية متفرقة من أعلى الشلال مشكلة بذلك زراديب مائية تغذي بحيرة في قدم الشلال، الشيء الذي يمنح لشلال أوزود جمالية عالية تستقطب كل من يعشق الطبيعة الخلابة.

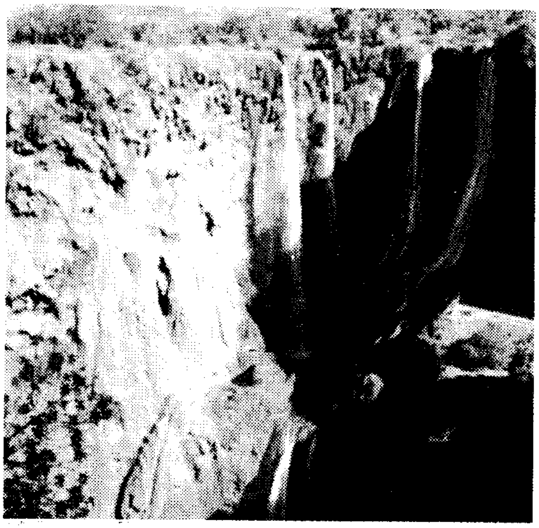

يرتبط تشكيل الشلالات الرصراصية بصفة عامة بمجموعة من العوامل :

- فيزيوكيماوية : تتمثل في التركز المهم لثاني أكسيد الكاربون وللمواد المذابة في الماء (حالة إشباع وفوق إشباع). هذا بالإضافة إلى تأثير الأيون المشترك كالكالسيوم الناتج عن تحلل الجبس أو الدلومي.

- هيدرجيولوجية : تتمثل في وضعية النظام. ففي حالة الأنظمة غير المتطورة المتميزة بجريان باطني بطيء وبكارست مشبع هناك تغذية دائمة ومنتظمة للعيون، الشيء الذي يسمح بتشبع المياه وبالتالي إمكانية تساقط الكلس.

- طبوغرافية : تتجلى في الانقطاع في الانحدار (شلالات) الذي يساعد على تساقط الكلس بفعل فقدان ثاني أكسيد الكاربون.

- جيولوجية وجيومرفلوجية : تتمثل في تغيرات المستوى القاعدي الكارستي الناتج عن البنائية أو تغير مستوى البحر، مما يؤدي إلى إعادة هيكلة بنية الجريان.

- إحيائية : تتمثل في دور النباتات المائية والبكتيريا في استعمال الغاز الفحمي المذاب في الماء وذلك خلال مدة الإنبات والنشاط البيولوجي الذي يساعد على تثبيت وتساقط الكلس.

إذا كانت هذه العوامل تساعد على تشكيل ونمو الرصراصة فإن هناك عوامل أخرى تؤدي إلى تراجع أو توقف بنائها ومن أهمها :

- تغير الحالة الكيماوية للماء الناتج عن انخفاض كمية ثاني أكسيد الكاربون بسبب تدهور النبات والتربة سواء ارتبط ذلك بالمناخ أو بتدخل الإنسان.
- تطور الأنظمة الكارستية الذي يؤدي إلى سرعة الجريان الباطني وإلى فترات فيض عنيفة وشح طويل.
- ارتفاع نسبة تعكر المياه التي تحول دون تشكيل الرصراصة، وهي ظاهرة مرتبطة أساساً بتدهور الغطاء النباتي والترابي.
- هلاك البكتيريا التي تعمل على تثبيت الكلس نتيجة تلوث المياه.

يمكن لهذه الشلالات أن تلعب دوراً أساسياً من الناحية السياحية (السياحة الجبلية)، وذلك بتوفير البنيات التحتية من فنادق ذات طابع تقليدي محلي وطرق ومقاه من جهة، وتشجيع الأهالي عن طريق منح بعض الامتيازات من جهة ثانية (قروض، الإعفاء من الضريبة). مع الأخذ بعين الإعتبار التوازنات البيئية لأن الإستغلال المكثف للموارد يؤدي لا محالة إلى الإخلال بهذه الأوساط المتميزة بالهشاشة والضعف.

يحيى الخالقي، *الأنظمة الهيدرلوجية الكارستية للهضاب الجنوبية الغربية للأطلس المتوسط، دراسة هيدلوجية وهيدركيماوية* (عين اللوح - الحمام - أجدير - أغبال - عيون أم الربيع)، بحث لنيل دكتوراه الدولة.

Colloque de l'AGF, *Formation carbonatées externes, tufs et travertins*, 1981, Mémoire AFK, n°3 ; G. Couvreur, *Essai sur l'évolution morphologique du Haut Atlas central calcaire (Maroc)*. Paris, 1981 ; *"Travertins et évolution des paysages holocènes dans le domaine méditerranéen"*, *Méditerranée*, Tome 57, 1-2, 1986 ; Colloque *"Les édifices travertineux et l'histoire de l'environnement dans le midi de la France"*, Trav. 1988, n° XVII, URA. PIREN, Aix-en-Provence ; Actes de séminaire *"L'homme et les carbonates au Maroc"*, *Etudes de Géographie Physique*, Aix-en-Provence, 1988 ; J. Martin, *Le Moyen Atlas central : étude géomorphologie*. Rabat, 1981 ; L. Gourari [et al.], *Hydrochimie, processus, facteurs de précipitation des encroutements travertineux et les causes géo-environnementales du ralentissement de leur formation actuelle dans le bassin karstique de l'Oued Aggaï (Causse de Sefrou, Moyen Atlas). Comun. Inst. Géol. E Miniero*, t. 87, 2000.

يحيى الخالقي

**الشُّلِّي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cheli - Xolé؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Selles, Chelli, Xeli؛ وقد انقرضت هذه الأسر بتطوان سنة 1195 / 1781. وكان منهم أحمد الشُّلِّي الذي كان يزاول خطة العدالة من سنة 1189 إلى سنة 1195 / 1775 - 1780. وعبد القادر الشُّلِّي فقيه أديب توفي بتطوان سنة 1355 / 1936. وقاسم بن محمد الشُّلِّي كان أسيراً بفرنسا يحمل رقم 440 وقد أطلق سراحه بطلب من السلطان مولاي إسماعيل سنة 1138 / 1726 مقابل فدية مقدارها 500 ليرة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1444.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشلي، علي** بن الحسن، رفع البعض عمود نسبه إلى القاسم بن إدريس الثاني، والمؤكد في المصادر أنه كان من مشاهير مشايخ الطريقة الشاذلية الجزولية في بلاد الهبط خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر للميلاد، تتلمذ على الشيخ يوسف التليدي ولازمه إلى آخر حياته واستخلفه في إمامة الصلوات الخمس، ويعتبره البعض وارث سره. أسس بإيعاز من شيخه زاويته بجبل آل سريف في قرية أبي جديان حيث توجد زاويته وضريحه. وتتجلى شهرة هذا الشيخ حسب شهادة صديقه ابن عسكر في كثرة أتباعه. ويضيف صاحب *ممتع الأسماع* أن الشيخ علي الشلي عاشر مشايخ الأسرة الفاسية بالقصر الكبير، وهم عبد الرحمان المجذوب ويوسف الفاسي وعبد الرحمان الفاسي، أشار إلى أصله الإشبيلي. ويمثل علي الشلي نموذجا لأولياء جبال الهبط الذين مزجوا بين الممارسة الصوفية والمشاركة في الجهاد. توفي حوالي 981 / 1573، ودفن بأبي جديان، وأقيم على قبره ضريح أصبح مزاراً مشهوراً في قبيلة آل سريف. ترك الشيخ علي الشلي زاوية انتظم فيها أتباعه، ما لبثت أن تحولت إلى مركز علمي بارز في بادية القصر الكبير لحفظ القرآن وتلقين علوم الدين. وخلف ذرية كونت أسرة الشليين التي احتل أعيانها مكانة بارزة في آل سريف القصر الكبير.

م. بن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1977، ص. 86 ؛ المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، تح. ع. الحي العمراوي وع. الكريم مراد، فاس، 1989، ص. 133.

محمد عمراني

**الشليحْ** (ابن -) أسرة سلوية ثرية أصلها من قبيلة بني حسن فرقة الصفافعة بطن بني ثور فخذة بني گمرة. كان منهم في القرن الثالث عشر (19م) مسؤولون ماليون وملاكون كبار، منهم : الحاج عبد القادر بن الحاج قاسم ابن الشليح أحد أمناء الخرص بالسهول وحصين وعامر والصفافعة؛ وابنه الحاج عبد الله فقيه ومقرئ (ت. 1330 / 1912) ومحمد ابن الشليح شاعر الملحون الهجّاء المقذع،

كان بناءً وعُمّر طويلا ومات في أوائل القرن الثالث عشر (19 م) ومحمد بن الحاج قاسم ابن الشليح من الفلاحين الكبار، أمين الخرص بقبيلة بني حسن (ت. 1308 / 1891).

ويوجد فريق من آل ابن الشْلِيحْ بفاس، ينطق بهم هناك دون "ال" : ابن شليح، وهم - حسب *زهر الآس* - بيت قديم بفاس أصلهم شراديون من قبيلة الشراردة الدليميين. منهم القائد مبارك بن محمد بن شليح وغيره من قواد الجيش أيام سيدي محمد بن عبد الرحمن. لهم أملاك بفاس تعرف باسمهم، ومازالوا حتى الآن بهذه المدينة.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، 28، التعريف، 2 : 58 ؛ *ذيل الإتحاف الوجيز*، 199 - 200، ط 2 ؛ *وثائق بنسعيد* ؛ *وثائق*، خ. ص : م. الفاسي، *شعراء الملحون*، مجلة *المناهل*، عدد 23، ص. 13. ع. الكبير الكتاني، زهر الآس، الدار البيضاء، 2002، جـ1: 555-556.

مصطفى بوشعراء

**الشلِيحْ، حماد** بن المرابطي مقاوم من مواليد 1898 بأيت ياسين إقليم گلميم، وكان قبل انخراطه في صفوف جيش التحرير يعمل كسابا. ورغم كبر سنه فقد نمت فيه روح الوطنية والغيرة على مقدسات البلاد حيث قرر الانضمام إلى صفوف إخوانه المجاهدين سنة 1957 وشارك في عدة معارك منها : برغيت، تلوين ومعركة أوريال التي استشهد فيها سنة 1957، دفاعا عن استقلال البلاد وحريتها واستكمال وحدتها.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503535.

ابن **الشلِيحْ، الطيب** (الحاج -) بن عبد الله السلوي، كان أبوه وعمه من أغنياء سلا وكبار رجال المخزن المكلفين بالشؤون المالية في عهد السلطانين سيدي محمد بن عبد الله والحسن الأول، يتوليان قضايا الخرص وجمع أموال الدولة من قبائل بني حسن وآلت هذه الثروة إلى المترجم فلم يرعها حق رعايتها.

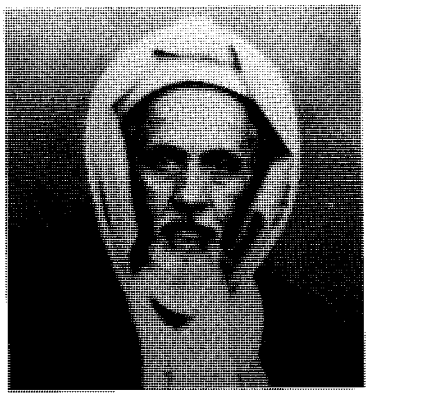

درس بمسقط رأسه سلا على كبار علماء المدينة، كأحمد ابن خالد الناصري وعبد الله ابن خضراء وأحمد الجريري، ثم رحل إلى فاس فأخذ كذلك على شيوخها. وكان تخصصه في اللغة وقواعدها، يدرّس بالجامع الأعظم *ألفية ابن مالك* ولاميتي *الأفعال* *وابن المجراد السلوي* وما إلى ذلك. وكان معظم كتب خزانته مخطوطة أو مطبوعة على الحجر، لا يقتني بله يعتمد المطبوعات الحديثة لأنها في نظره غير مصححة. كما كانت له مشاركة في علم الفلك والتوقيت، يحضر - على كبر سنه - دروس صهره الباشا الحاج محمد الصبيحي بمنزله في هذا الفن. وكان تجاني الطريقة لا يكاد يتخلف عن الزاوية التجانية القريبة من دار سكناه خاصة ليلة المولد النبوي الشريف، كما أسندت إليه خطبة الجمعة بجامع الشهباء في آخر عمره.

كانت دروس الشيخ ابن الشليح - على إفادتها - مزعجة لكثرة صياحه وضربه على الأرض بيده أثناء التقرير، كما كان عبوسه الدائم يوحي بانقباض وضيق عطن، لكنه منشرح بشوش في المجالس الخاصة التي حضرتها معه بمنزل شيخنا الحاج محمد الصبيحي.

توفي بسلا سنة 1368 / 48 - 1949.

ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، 1971، ج 2 : 315 ؛ ع. الرحمن حجي، كلمة تقديم *شرح بَحْرَق الكبير للامية الأفعال*، سلا، 1939. *معرفة شخصية*.

محمد حجي

**شليش** و**الشليشي** أسرتان تطوانيتان أصلهما من الأندلس حيث مكث بعض أفرادهما بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Xerez؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Jerez نسبة إلى مدينة شريش Jerez de la Frontera وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1200 (1786). ومنهم العربي بن أحمد شليش، الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1199 (1785).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1445.

محمد ابن عزوز حكيم

**شماعو**، أسرة سلوية عريقة، أصلها من الأندلس من منطقة الغرب Algarve جنوب البرتغال ومازال اسم هذه الأسرة حتى اليوم يُكتب بالحروف اللاتينية Simao ويقال إن كريستوف كولومبس مكتشف أمريكا برتغالي من هذه المنطقة - وليس كطلانيا ولا إيطاليا - واسمه الحقيقي Simao Palha كان صديقاً حميماً للملك البرتغالي جان الثاني الذي أوفده إلى إزابيلا الكاثوليكية متنكراً لتتبنى سفره بحثاً عن طريق بحرية إلى الهند.

وتختلف كلمة "شماعو" في الوثائق القديمة، تزاد الهمزة في أولها تارة وتحذف، ويضاف حرفا المد في وسطها وآخرها ويحذفان. كانت مساكنهم بسلا قريبة من الجامع الأعظم في العقبات المحيطة به كالعقبة القبلية المعروفة اليوم بعقبة

المدرسة، وكان منهم أئمة وطلبة وتجار ومجاهدون، أمثال أحمد شماعو القائم بمسجد الحجامين سنة 1278 / 1862. والحاج محمد شمعُوا والمكي بن الحاج أحمد اشمعوا من المجاهدين الذين نالوا صلة الحسن الأول سنة 1292 / 1875، والحاج عبد القادر بن عمر شماعو أحد التجار الذين أعذر إليهم بالإشهاد العدلي سنة 1318 / 1900 ليلاً يداينوا الولاة من عمال وأشياخ ومن في معناهم ممن يتصرفون في أموال الدولة، والأخوين بوبكر ومحمد اشماعُ من الطلبة السلويين السبعة المشاركين في البعثة التعليمية التي أرسلها الحسن الأول إلى أوربا سنة 1302 / 1885، واستوصى بهم خيراً النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد الطريس.

أ. القادري، مع هؤلاء، *أبحاث ومذكرات*، الرباط، 2001، ص. 111 ـ 117 ؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد السلاويين*، الرباط، 1991، ج 2 : 52 و150 ـ 151 ـ 185 و258.

**شماعو، محمد** بن أبي بكر ولد بسلا سنة 1325 / 1907 وبها نشأ وتعلّم، وكان كسائر أقرانه الشبان السلويين شغوفاً بقراءة الصحف والاصدارات المشرقية الحديثة، مشاركاً في الحركة الوطنية منذ نشأتها متطوعاً في التعليم الحر بالزاوية القادرية، وتحمس في حركة اللطيف ضد الظهير البربري سنة 1930، فنفي لذلك إلى المغرب الشرقي أزيد من عامين. وكان متطلعاً إلى الالتحاق بالحركة الوطنية المتمركزة بمدينة فاس بتنظيماتها السرية. فقد جاء في تصريح متأخر للمترجم إلى جريدة التحدي الأسبوعية "كان العلاليون ـ هكذا كان يدعو الاستقلاليين بعد أن خاصمهم ـ وعدوني بأن يكون اسمي في قائمة الكتلة، كتلة العمل الوطني لأصبح في طليعة الوطنيين، ولكن القوم خدعوني واستبدلوا اسمي بالسيد أبي بكر القادري ـ يريد استبدلوا باسمي اسم القادري.

أصدر محمد شماعو جريدة *الوداد* بسلا كرابع جريدة وطنية سمحت الإقامة العامة بصدورها سنة 1937 مع جريدة *الأطلس* لمحمد اليزيدي بالرباط وجريدة المغرب لسعيد حجي بسلا، وجريدة عمل الشعب ـ بالفرنسية ـ لمحمد حسن الوزاني بفاس. وصدر أول عدد من جريدة *الوداد* بتاريخ 24 جوان 1937.

كتب محمد شماعو *مذكرات* بشكل يوميات يسجل كل يوم أسماء من لقيهم وملخص ما أجرى معهم من أحاديث وانطباعاته حولهم. وكان الشيخ محمد المختار السوسي يشفق مما قد يكون شماعو كتبه عنه في مذكراته.

سلك شماعو، بعد انفصاله عن الحركة الوطنية في الأربعينيات مسلكاً جلب إليه كثيراً من الانتقادات والاتهامات، فاضطر إلى ملازمة بيته بحي القساطلة مدة طويلة، تصوف بعدها وانخرط في سلك الطريقة البودشيشية فأصبح مريدو هذه الطريقة يثنون عليه خيراً.

توفي بسلا في فاتح رمضان عام 1417 / 9 يناير 1997.

م. شماعو نفسه، *جريدة الوداد*، سلا ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، د. ت. ج 10 ؛ ب. القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية*، الدار البيضاء، 1998، ج 1 : 119 ـ 120.

محمد حجي

**الشمْرة**، رقصة يكون المشاركون فيها مشمرين عن سواعدهم، وهي عبارة عن حلقة غناء ورقص في آن واحد، وهذا اللون نجده في مناطق وادي نون وما جاوره. والملاحظ أن هذا النوع خاص بالشباب حيث يجلس الذكور على شكل دائرة ويضرب أحدهم بالقضيبين على الكَدرة بينما تتوسط الدائرة بنت بكر تقوم بالرقص وتكون هذه مناسبة بالنسبة للراقصة لإظهار مفاتنها.

تنطلق هذه الحفلة مباشرة مع الغروب لتنتهي قبل منتصف الليل. وتكون مضامين المقاطع التي تردد في الشمرة تدور حول موضوع الغزل، وهكذا ينطلق المغنون في ترديد المقاطع رفقة إيقاع بطيء ما يزال يرتفع تدريجيا حتى يصل القمة التي تعني النهاية.

*تحريات ميدانية.*

علال ركوك

**شَمُّرَة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Xamorra وChamorro ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

محمد ابن عزوز حكيم. *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1470.

محمد ابن عزوز حكيم

**شمسي، أحمد**، من رياس سلا العاملين في أسطول مولاي إسماعيل منذ ثمانينيات القرن السابع عشر، وقد تميز بسقوطه أسيرا في يد إحدى سفن سان مالو الفرنسية سنة 1691، وعمره ثلاثون سنة، ومكث في طواقم التجذيف على متن القادس الملكي (La Victoire) إلى حدود صيف 1709، حيث سمح لسويس الرابع عشر بإطلاق سراحه طبقا لالتزامات الرهبان المحررين لدى مولاي إسماعيل. وقد وصل

شمسي إلى سلا على متن السفينة (le St. Pierre) في السنة الموالية.

S.I.H.M. 2e - S - France - T. VI. p.62-63 note.

حسن أميلي

ابن **شمسي، العربي** بن فضول المكناسي. اشتهر باسم أبيه فضول. فقيه أستاذ مقرئ متقن مجدد، شيخ جماعة القراء بحاضرة مكناس، وصفه القاضي أبو العباس ابن سودة في شهادة وقعها شيوخ المدينة المبرزون بأنه : "من أهل الفضل... شيخ جماعة الأسانيد وقتئذ بهذه الحضرة المكناسية"، كما كان يتحلى بسجايا عالية ومروءة كاملة، وفضائل رفيعة، ودين متين، ووجه بشوش.

أخذ عن والده الحاج فضول وجده من قبل أمه الحاج محمد السقاط، وسيدي إبراهيم اليزيد وهو عمدته.

تصدر للتعليم وإقراء القراءات السبع بإتقان ومهارة، وواظب على ذلك بجد واجتهاد مدة تزيد عن الخمسين سنة، فتخرج على يده عدد كبير من حملة القرآن وحفاظ المتون السبع حتى كاد، على حد تعبير ابن زيدان (*الإتحاف*، 5 : 441) "لا يوجد في زمنه من القراء إلا من أخذ عنه أو عن تلاميذه" ومن بينهم على سبيل المثال لا الحصر : محمد بن العياشي القبري، والعباس السقاط، والعلامة التهامي بن عبد القادر الحداد، وأحمد بن الطيب الفيلالي، ومحمد بن أحمد الحميدي...

وكان العربي ابن شمسي يحب الخلوة والعزلة عن الناس يقضي جل يومه في مكتب تعليمه بحومة التوتة المحمول على سقايتها، مرتباً أوقاته ومقسماً لها لإفادة الطلاب على اختلاف طبقاتهم، يشتغل من شروق الشمس إلى الزوال بتعليم الصبيان، وبعد أداء صلاة الظهر يفد إليه قراء السبع فيشتغل معهم إلى العصر، ثم يقبل على التلاوة مع المتعلمين إلى الغروب. وظل كذلك إلى أن وافته المنية في 2 ذي القعدة عام 1322 / 8 يناير 1905.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 440 ؛ م. العرائشي، *الثقافة بمكناس، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية*، 1988، ص. 308.

ابن **شمسي، عمر** بن محمد، من أسرة مكناسية عريقة، ولد بمدينة مكناس في 6 يونيو عام 1917 ونشأ في كنف أسرة عالمة، فتلقى تعليمه الأولي في كتاب ابن عمه الفقيه المقرئ عبد الهادي بنشمسي، والتحق بعد ذلك بالمدرسة المختلطة حيث حصل على شهادة الدروس الابتدائية، تابع بعدها دراسته بثانوية پويميرو Poyemireau ثم بمعهد الدروس العليا.

انضم بنشمسي إلى الحركة الوطنية في سن مبكرة مما يدل على أنه كان يتسم بوعي سياسي وحماس وطني. وشارك بفعالية في العمل الوطني بمدينة مكناس فكان ضمن الشباب الذين ساهموا في تنظيم وتأطير أحداث انتفاضة بوفكران بداية شتنبر 1937. وقام صحبة عدد من أقرانه بتأسيس فرع الكشفية الحسنية بمكناس في بداية الأربعينيات 1941 واتخذوا منها ملاذا آمنا للعمل السياسي بمواجهة القمع الفرنسي المسلط على الوطنيين عامة وعلى الشباب الواعي المؤمن بالتحرر خاصة كما ساهم بشكل بارز في تأسيس جمعية قدماء تلاميذ مكناس سنة 1943 التي تولى رئاستها فيما بعد. وتابع نضاله صحبة رفاقه سواء داخل الجمعية السابقة الذكر أو داخل صفوف حزب الاستقلال. ولم يتردد

في 11 يناير 1944 في التوقيع على عريضة المطالبة بالاستقلال، باعتباره واحدا من الشباب الممثل للهيأة الثقافية الوطنية التي كانت تنضوي تحت اسم جمعية قدماء التلاميذ. وبذلك تكون هذه الجمعية - وغيرها بباقي مدن المغرب - قد أعلنت صراحة عن مواقفها الوطنية المؤيدة لمطلب الاستقلال بعد أن كانت السلطات الفرنسية تعتقد خطأ أن أعضاءها يساندون سياستها اعتباراً من كونهم ولدوا من رحم المدارس الفرنسية التي أرادها المستعمر أن تكون في خدمته، فإذا بها تنضم إلى الصف الوطني وكان في مقدمة هؤلاء عمر بنشمسي. ونتيجة لذلك تعرض لعدة مضايقات من قبل السلطات الفرنسية التي أعفته من مهمته على رأس جمعية قدماء التلاميذ في 29 ماي 1947، لم يؤثر ذلك على نشاطه السياسي أو يفت في حماسه ووطنيته فكان من بين المنظمين لحركة الإضراب بمدينة مكناس تضامنا مع الشعب التونسي على إثر اغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد سنة 1952، وهي حركة عمت المغرب بكامله، فاعتقل من قبل الفرنسيين مع جماعة من المناضلين، ونفتْه إلى "آيت هاني" بالرشيدية، ثم نُقل إلى سجن أسول ومن هناك إلى معتقل أغبالو نكردوس الذي ظل به حتى سنة 1955.

وبعد حصول المغرب على استقلاله أسندت لعمر بنشمسي عدة مسؤوليات فكلف بمهمة في وزارة الداخلية، ثم عين عاملاً بالتتابع على كل من إقليم مراكش، وإقليم تافيلالت، وأسفي وفاس، فعاملاً ووالياً على ولاية الرباط وسلا.

وكانت وفاته يوم الأحد 30 رمضان 1422 / 16 دجنبر 2001.

بوشتى بوعسرية، *وطنيو مكناس الموقعون على عريضتي المطالبة بالاستقلال*، دورية جمعية أساتذة التاريخ فرع مكناس، 1990، ص. 57 ـ 111 ؛ المندوبية السامية للمقاومة، *تراجم الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال*، 1996، ص. 116 ؛ *مقابلة* مع المرحوم بنشمسي بتاريخ 24 ـ 4 ـ 1989.

رقية بلمقدم

**شمسي، عيسى** مقاوم من مواليد مدينة الدار البيضاء سنة 1927 من والده الطاهر بن حمو وأمه الغالية بنت الحسين.

تميزت حياته بالدور الكفاحي الذي لعبه إبان الملحمة الوطنية في سبيل تحرير البلاد وصيانة كرامتها حيث ناضل إلى جانب إخوانه بروح حماسية بدافع الغريزة الوطنية مسجلا أعمالا نضالية في تاريخ المقاومة المغربية من خلال منظمة "السيف الأسود" التي كان ينتمي إليها حيث كان يقوم بجميع ما يعهد به إليه من أعمال فدائية بأمانة وإخلاص.

توفي في 11 فبراير 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 517818.

**الشَّمَّاخ، محمد** بن **أحمد** العثماني من فخذة الشمّاخة بطن ضريسة من أولاد جلول الخلط، الساكنين بين المحيط وسبو من إقليم القنيطرة ولي قضاء مدينة سلا أواسط القرن الحادي عشر (17 م). وتوفي بسلا عام 1508 ولايزال بمدينة سلا قرب جامع الشهباء درب يحمل اسمه (درب الشماخ).

م بن علي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، ص. 121؛ م. القادي، *نشر المثاني*، 2 : 42 ؛ جعفر الناصري، *تقييد القضاة*، مخطوط.

*Villes et tribus du Maroc, Rabat*, Tome IV, page 141.

مصطفى بوشعراء

**الشماع**، أسرة فاسية عريقة، وهم على فرقتين. فرقة من الأنصار كان لهم ذكر قديم وعز ومال بفاس، منهم أحمد بن إبراهيم الأنصاري الشماع (ت. 1311/709) وقد انقرضت، وفرقة إدريسية أصلهم من الأندلس، كانت على ملكهم بلاد بجبل زالغ هي الآن في ملك بني سودة، وقف مؤلف *إزالة الالتباس* على ذكرهم في حوالة فاسية مؤرخة بعام 1500/905، وآخر ما وقف على ذكرهم في رسم مؤرخ بعام 1821/1236.

ع. الكبير الكتاني، زهر الآس، الدار البيضاء، 2002، 2 : 407؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 2004.

ابن **الشماع، أحمد** بن محمد بن إبراهيم الاوسي المراكشي. وهو غير أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بالشماع الهنتاتي التونسي المتوفى سنة 833 / 1430. وصفه تلميذه أبو زكرياء يحيى السراج في *فهرسته* : "بالشيخ الفقيه الخطيب الأستاذ المقرئ النحوي الاصولي". فهو متفنن في علوم شتى عارف بأغوارها كأصول الدين والفقه واللغة العربية، وهو إمام في الفرائض والحساب وله دراية بالمنطق والهندسة والتوقيت فجمع بذلك بين المعقول والمنقول. من أشهر شيوخه الفقيه المحدث ابن جابر الوادي آشي والفقيه أبي القاسم الشريف السبتي والخطيب ابن مرزوق، ولازم العالم المعقولي الكبير محمد الآبلي بسبتة وغيرها، كما أخذ أيضاً عن الشيخ الفقيه أحمد بن الحسن بن عبد الرحمن الحميري، وعن الفقيه المدرس عبد العزيز القيرواني، وعن الشيخ الأستاذ النحوي سليمان بن سعدون وعن الخطيب يحيى بن رشيد وعن الأستاذ المقرئ جابر بن علي بن جابر الأنصاري وعن الشيخ المقرئ محمد بن محمد بن أحمد الطنجي وعن الحاج محمد بن عبد الواحد الرباطي وعن الخطيب محمد بن يوسف اليحصبي اللوشي وعن الحسابي ابن نبيل وعن الإمام ابن البناء العددي. ومن تلامذته الشيخ الفقيه أبو عبد الله ابن حياتي الغافقي وابن الخطيب القسنطيني الشهير بابن قنفذ وأبي زكرياء يحيى السراج وإسماعيل ابن الأحمر وابن مرزوق الحفيد. توفي ابن الشماع بمدينة فاس لكن الذين ترجموا له اختلفوا في تحديد السنة، فالونشريسي في *وفياته* ذكر سنة 789 وابن القاضي في *لقط الفرائد* أشار إلى سنة 779، ونعتقد أن التاريخ الأخير أقرب إلى الحقيقة خاصة وأن تلميذ ابن الشماع وهو يحيى السراج ذكر نفس هذا التاريخ ودعمه بالساعة واليوم والشهر حين جعل وفاة أستاذه ليلة الثلاثاء الثامن لصفر عام 779 / 1377.

يحيى السراج، *فهرسة*، مخطوط، خ. ع. 1242 ك ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير وعز الحقير*، نشر م. الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1965، ص. 68؛ مجهول، *بلغة الأمنية*، الرباط، 1984، ص. 35 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، بيروت، د. ت، ص. 74 ؛ م. حجي، محقق، *ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب*، الرباط، 1976، ص. 87 ـ 131 ـ 224 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1998، ط 2، ج 2، ص. 218 ـ 221 ؛ عبد الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1982، ج 2 : 1089 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، ط 2، 1960، ج 2 : 309.

رشيد السلامي

**الشماعية**، قصبة إسماعيلية وسط قبيلة احمر ببلاد عبدة، ارتبط اسمها بصناعة الشموع التي تعاطى لها السكان. أسسها المولى إسماعيل لتعليم الفروسية والرماية. وفي عهد الحماية أُحدث بها مكتب للشؤون الأهلية بتاريخ 1919. وأسندت رئاسة المكتب للضابط (Trebons). ومنذ فاتح يناير 1923، أصبحت الشماعية مراقبة مدنية تابعة لجهة عبدة يراقب مجالها الإداري عدة قيادات.

وحسب إحصاء 1936، بلغ عدد سكانها حوالي 698 ن، 44 منهم فرنسيون، و5 أروبيون. وبلغ عدد سكان ملحقة الشماعية 83.694 ن. إلا أن هذا العدد تراجع سنتين بعد

ذلك بنسبة : 20.000 ن بسبب تأثير جفاف 1937 ـ 1938 من مجاعة ووباء التيفوس وهجرة نحو الشمال. وبالإضافة إلى النشاط الرعي ـ زراعي، وجدت بها حرف متنوعة ارتبطت أساساً بما تنتجه المنطقة من أصواف. وعرفت أسواق الملحقة رواجا تجاريا مهما، وخاصة سوق خميس زيما وأحد اليوسفية واثنين متوگة وجمعة سيدي شيگر. إلا أن بروز المركز الفوسفاطي باليوسفية منذ 1932، قلّل من أهمية الشماعية.

ومن المقاييس والموازين التي استعملت بالشماعية، نذكر :

| الطول | الگامة | 1,50 متر |
|---|---|---|
| المساحة | الخدام | 1/8 هكتار |
| الوزن | العبرة | 25 لتر |
| الزيت | الرطل | 14 كلغ |

اشتهرت منطقة الشماعية كذلك برصيدها الصوفي. وهذا ما يفسر تعدد الأضرحة والزوايا. ففي سنة 1938، توزع أتباع الزوايا كالتالي :

| القادرية | 350 | الدرقاوية | 132 |
|---|---|---|---|
| الناصرية | 752 | الكتانية | 440 |
| التجانية | 442 | البوعزاوية | 5 |

وتوفرت منطقة الشماعية على رصيد بشري، عملت إدارة الحماية على استغلاله في مشاريعها الاستغلالية، في الحرب العالمية الثانية، بحيث جندت ما بين 1939 و 1940 أكثر من 100 عامل و1500 مجند، معظمهم فقد أو أسر. وفي سنة 1940 كان عدد العائلات المسجلة في دفتر التعويضات العسكرية 924 عائلة.

وقدمت منطقة الشماعية إنتاجا حيوانيا وزراعيا لا بأس به. إذ أنتجت المساحات المخصصة لزراعة الحبوب خلال فترة الحماية ما يلي بالقناطير.

| | شعير (ق) | قمح صلب (ق) | قمح رطب (ق) |
|---|---|---|---|
| 1915 | 11.771 | 3.346 | - |
| 1923 | 74.208 | 18.982 | 2 |
| 1941 | 75.000 | 25.279 | 15.063 |

واشتهرت المنطقة كذلك بزراعات شجرية متنوعة، احتلت في سنة 1940، مساحات مختلفة :

| تين | زيتون | لوز | عنب |
|---|---|---|---|
| 26.528 | 12.132 | 6.022 | 4.036 |

ونظرا للإمكانيات الرعوية المتوفرة بالمنطقة، توفرت ملحقة الشماعية على قطعان مختلفة.

| | 1920 | 1929 | 1940 |
|---|---|---|---|
| جمال | 4.476 | 5.589 | 5.508 |
| خيول | 925 | 1.258 | 788 |
| بغال | 1.753 | 2.733 | 2.332 |
| أبقار | 27.205 | 26.512 | 15.984 |
| أغنام | 557.193 | 275.005 | 315.973 |
| ماعز | 117.992 | 63.839 | 119.727 |

وأصبحت الشماعية مركزاً محدداً بظهير 13 ـ 4 ـ 1974. تمتد على مساحة تفوق 174 كلم2. وأصبحت مركزاً بلدياً ودائرة تراقب مجال أحمر، تابعة لإقليم أسفي جهة دكالة ـ عبدة. وحسب إحصاء 1994، بلغ سكان الشماعية 18.010ن، يقطنون 3099 مسكن. شكل الذكور من هذا العدد : 49,51٪ بينما بلغ عدد السكان النشيطين 54,37٪. نسبة الأمية في صفوف البالغين منهم : 64,47٪. ومن حيث البناء تسيطر الدور المغربية (العصرية أو التقليدية) بحيث تصل نسبتها إلى 73,83٪ من مجموع المساكن. ولا تتعدى نسبة المنازل المكهربة 69,19٪، والمزودة بالماء الصالح للشرب 58,71٪.

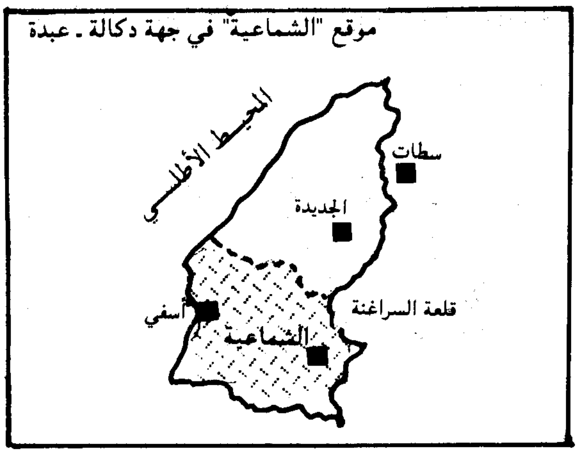


*Guide des communes*, Direction générale des collectivités locales, Rabat, 1991 ; A. Hardy, *Monographie de l'annexe du controle civil de Chamaïa*, 13 mars 1941 ; J.T. Robert, *Dictionnaire des villes et localités du Maroc*, Rabat, 1936.

صالح شگاگ

**الشَّمَنْدَر** أو الشَّونْدر من أصل فارسي كما يدعى في العراق والشام، أو البنجر من أصل تركي كما يدعى في مصر، أو الصَّوطلة من أصل يوناني في بلدان أخرى، كلها

أسماء تستعمل في البلدان العربية لنبات بيطا فولگاريسْ Beta Vulgaris الذي ينتمي إلى فصيلة السرمقيات Chenopodiaceae. وهو نبات بري طبيعي بالمنطقة المتوسطية وجنوب أروبا وغرب آسيا. يشمل النوع عدة ضروب تزرع لعدة أغراض. بعضها يستخرج السكر من جذورها كالشمندر السكري وبعضها يأكلها الإنسان كالباربا والسلق (انظر باربا)، وبعضها تعلفها الماشية، وبعضها مازالت برية. فالزراعة على كر الأيام غلظت ورق السّلق التي تؤكل مطبوخة، وغلظت جذور الشمندر السكري أو العلفي، وهما الضربان اللذان سنتطرق لهما هنا.

أشرنا سابقاً في مادة "باربا" إلى أن الشمندر أو البنجر نبات عشبي ثنائي الحول، يكون في عامه الأول مجموعة كبيرة من الأوراق العريضة تمكنه بفضل التمثيل الضوئي من تركيب الاحتياطات السكرية التي تخزن في الجذر الوتدي اللحمي، لاستعمالها في العام الثاني لتحويل البراعم المتوجة للجذر إلى ساق أو عدة سيقان تحمل في أعلاها أزهاراً ثم ثماراً. بينما يتخشب الجذر ويتصلب بعد فقدانه لمحتوياته السكرية.

فبعد إنْبات البذور تتكون الأوراق العريضة مجتمعة على شكل حلزوني في قمة الجذر. تكون الأوراق معنقة وذات نصل يظهر عروقاً بارزة. ومع النمو بواسطة التمثيل الضوئي يتضخم الجذر الوتدي فيصبح في بداية صيفه الأول عبارة عن لفت كبير مخروطي الشكل يستخدمه النبات لتخزين السكريات. وإذا لم يقتلع النبات في بداية صيفه الأول عندما يصل الجذر إلى أقصى حجمه، فإنّ برودة فصل الشتاء تحدث تحولا جذريا بسبب ظاهرة الاسترباع Vernalisation التي بفضلها يتهيأ النبات لتكوين السيقان وللإزهار وللإثمار في فصل الربيع من السنة الثانية. فيهيج النبات بأزهاره ويعطي البذور وذلك بفضل استغلال المخزونات السكرية للجذر، لأن أوراق السيقان الجديدة تكاد تنعدم أو تكون صغيرة جداً. تظهر الأزهار مُجتمعة على شكل باقات في أطراف السيقان، بدون بتلات، وذات خمس سبلات وخمس أسدية. عند نضج الثمار تكون البذور مُجمّعة على شكل كبيبات ناتجة عن التحام الثمار بعد عملية تخصيب الأزهار.

من حيث الحرارة يتطلب الشمندر 5° عند عملية الإنبات، وما بين 25 و28° لنموه الطبيعي. لكن ارتفاع الحرارة يزيد من عملية التنفس على حساب التمثيل الضوئي وبالتالي انخفاض محسوس في إنتاج المواد الجافة والسكرية.

من حيث الإضاءة يعتبر الشمندر من نباتات النهار الطويل أي أن فترة الإضاءة اليومية تعمل على مسارعة برْعَمة النبات وإزهاره وإثماره.

مساحات وإنتاج الشمندر السكري بالمغرب

| المنطقة | المساحة المزروعة (هكتار) | | الإنتاج السنوي (طن) | | المردود في الهكتار (طن) | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | معدل 1999.95 النسبة المائوية | سنة 2000.99 | معدل 1999.95 النسبة المائوية | سنة 2000.99 | معدل 1999.95 | سنة 2000.99 |
| الغرب | 16578<br>26,4 | 13679 | 433738<br>15,9 | 646154 | 35,1 | 49,4 |
| دكالة | 18243<br>29,0 | 17312 | 1033699<br>37,9 | 1002249 | 59,2 | 57,9 |
| تادلة | 17263<br>27,5 | 15201 | 903036<br>33,0 | 771689 | 52,7 | 51,8 |
| اللكوس | 6246<br>10,0 | 4430 | 119520<br>4,4 | 265685 | 29,6 | 62,1 |
| ملوية السفلى | 4475<br>7,1 | 3348 | 239996<br>8,8 | 137952 | 53,0 | 41,2 |
| المجموع | 62804<br>100 | 53970 | 2729988<br>100 | 2823729 | 49,1 | 53,4 |

يحتاج الشمندر لنموه كميات هامة من الماء. مع تزايد كمية الماء تزداد إنتاجية جذر الشمندر لكن محتواه السكري يتناقص. ولهذا ينصح بالكف عن الري لعدة أيام قبل اقتلاع الشمندر.

أدخل ضرب الشمندر السكري إلى المغرب سنة 1960 مع أن الضروب البرية طبيعية بهذا البلد. ولم تتوسع زراعته إلا ابتداء من سنة 1962، وكان ذلك لهدف إنتاج حاجيات البلاد من السكر الذي كان ينتج بكميات كبيرة في مناطق عديدة من المغرب كسوس وشيشاوة، إبان دولة السعديين (انظر قصب السكر). وهكذا عرفت المساحة المزروعة بالشمندر السكري تزايداً هاماً حيث كانت تقدر بحوالي 7000 هكتار سنة 1964 فأصبحت سنة 1997 حوالي 70 000 هكتار، وتحول الانتاج السنوي في الهكتار من 20 طن سنة 1963، وهي سنة بداية التصنيع الوطني للسكر، إلى 53 طن في سنة 2000. وتم ذلك بفضل نتائج البحث في هذا الميدان لهدف سد حاجيات المغرب من مادة السكر.

كما تناقصت زراعة الشمندر في البور لفائدة الزراعة المسقية. ففي بداية الستينيات كان قسط الزراعة البورية من الشمندر السكري يساوي حوالي 77٪ فأصبح حالياً 18٪. ويقتصر البور على جزء من سهل الغرب وجزء آخر من منطقة اللكوس حيث تكون التساقطات المطرية كافية لهذه الزراعة.

يزرع الشمندر السكري في المغرب (انظر الجدول) في سهول الغرب ودكالة وتادلة واللكوس وملوية السفلى. وأهمها حالياً هي دكالة التي تساهم بما يقارب 38٪، وتادلة بحوالي 33٪. ولقد أنشئت في هذه المناطق عدة معامل لتصنيع الشمندر السكري وكذلك قصب السكر لإنتاج السكر ومواد أخرى.

يزرع الشمندر العلفي في عدة مناطق وأهمها تلك المذكورة أعلاه. لكن الكميات المنتجة تبقى ضعيفة بالمقارنة مع الشمندر السكري.

كان الإنتاج الإجمالي السنوي للشمندر السكري في المغرب حوالي 70 000 طن سنة 1963، فتجاوز 283 000 طن سنة 2000.

تقدر كمية الإنتاج الوطني من السكر بحوالي 450 000 طن (معدل سنوي لفترة ما بين 1993 و1997) أي ما يعادل ما بين 50 و55٪ من حاجيات المغرب من هذه المادة التي يستهلك منها سنوياً 889 000 طن. يساهم الشمندر السكري بحوالي 376 000 طن منها أي 80٪ من الإنتاج الوطني. بينما يسد قصب السكر 20٪ الباقية.

وما يلفت النظر هو أن المغاربة يستهلكون سنوياً 30 كلغ لكل فرد في حين لا يتجاوز المعدل العالمي 20 كلغ لكل فرد.

إضافة إلى السكر ينتج الشمندر السكري ما يقارب 156 000 طن من الكُسب المجفف وهو ما يبقى من الثُفل أو الدِّبس بعد استخراج المواد السكرية من لفْت النبات، وكذلك حوالي 130 000 طن من الثُفل أو الدِّبس أو المُولاَس.

وكلتا المادتين تلعبان دوراً هاماً في تغذية الماشية نظراً لمحتواها العالي من الطاقة. يوزع الكُسْب على منتجي الشمندر في إطار إتفاقيات مبرمة معهم. أو يباع لكسابي الماشية. أما الدّبس فجزء منه يصدر والجزء الآخر يستهلك محلياً كمادة علفية أو يستخدم في صناعة الخميرة والكحول.

*أبحاث شخصية.*

M. Allali, *La batterave à sucre au Maroc* - rapport du Centre Technique des Cultures sucrièresde l'ORMVAG - Kénitra, 2001 : Ministère de l'Agriculture, du Développement *Rural et des Pêches Maritimes. Plan de restructuration de la filière de batterave à sucre au Maroc.* Rabat, 1998.

محمد علالي وعبد المالك بنعبيد

**الشموع** (موكب -) بسلا مهرجان شعبي يقام بمدينة سلا مساء يوم الحادي عشر من ربيع الأول من كل سنة احتفاء بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يطاف بهياكل من الخشب الملبس بالورق الأبيض المزين بألوان من الشمع على صورة تستحسنها الأنظار، يطلق عليها السلاويون "دور الشمع". يبلغ طول كل هيكل من هذه "الشموع" من ميترين إلى ثلاثة أمتار ونصف، إحداها مفرطحة تحمل اسم "الشهدة". أما الأسرة السلاوية التي اشتهرت بصنع هذه الشموع وزخرفتها فهي أسرة شقرون، وهي من أصل أندلسي ومن أبرز أفرادها في هذا المجال أحمد ولد المعلم شقرون الذي أخذ مبادئ هذه الصناعة عن جده لأمه المكي بلبشير (La procession des cierges, 7). كما عرفت أسرة المريصي - وهي من الأسر المنقرضة من سلا - بالجودة في صنع الشموع. ينطلق العمل بعد عاشوراء بنقل شموع الموسم المنصرم من ضريح سيدي عبد الله بن حسون إلى منزل المعلم المذكور الموجود بحي البليدة، وذلك لاستخلاص المادة الأولية - الشمع - ويستعان بشراء ما ينقص منها خاصة من مدينة فاس. ثم يتم الشروع في عملية صنع

مئات القطع الصغيرة من الشمع وزخرفتها بألوان زاهية. هكذا يستمر العمل زهاء شهرين، تصنع خلالهما ثماني شموع : ست من الحجم الكبير، واثنتان أقل حجماً.

ينطلق موكب الشموع من الدار المشار إليها أعلاه صوب ضريح سيدي أحمد حجي بالسوق الكبير قصد الزيارة، ثم يتم التوجه نحو ضريح سيدي عبد الله بن حسون قرب المسجد الأعظم، مروراً بأزقة المدينة. يرتدي الحاملون لهذه الشموع أفخر ملابسهم - لباس رجال المدفعية القدماء - وتصحبهم جماعة من الطائفة الحسونية على إيقاع الطبول وبعض الآلات الموسيقية الأخرى. وفي هذا اليوم - مساء الحادي عشر من ربيع الأول - يحرص السلاويون على أن يلبس أطفالهم الزي التقليدي ابتهاجاً بهذه المناسبة، ويرافقونهم لمعاينة موكب الشموع الذي ينتهي به المطاف بضريح سيدي عبد الله بن حسون حيث تبقى الشموع معلقة بقية السنة. ويتابع الحفل ليلا بسرد الأمداح النبوية على نغمات الآلة الأندلسية ورقص أكبر الشموع وهي مدلاة من السقف إلى حوالي متر من الأرض بواسطة الحملة الذين يتنافسون في إرقاصها في تناغم مع الإيقاعات الموسيقية.

تفيدنا المصادر أن أول من ندب للاحتفال بالمولد النبوي بالمغرب، هو قاضي سبتة أبو العباس أحمد بن القاضي محمد بن أحمد اللخمي ثم العزفي السبتي المتوفى عام 633 / 1236. وغير خفيٍّ، أن المرينيين أولوا عناية فائقة لهذا الاحتفال، وكان أول من احتفل بالمولد النبوي هو يعقوب بن عبد الحق الذي أحيا ليلة المولد بفاس، واستمع إلى قصائد الشعراء. وفي سنة 621 / 1292 أحدث ابنه يوسف تعميم هذا الاحتفال في جميع جهات المغرب (*الاستقصا*، 3 : 90). أما عن أصل الاحتفال بموكب الشموع بمدينة سلا فيرجع إلى الفترة التي كان فيها أحمد السعدي وأخوه عبد المالك لاجئين لدى العثمانيين لاسترجاع ملك أبيهما محمد الشيخ من يد عمهما عبد الله الغالب. وهناك عاين الأخوان الاحتفال الذي يقام بإسطامبول ليلة المولد النبوي حيث يقام حفل كبير تحمل فيه أشباح من الشمعدانات (الحسكات) من المعدن المفضض والمذهب يطاف بها نهاراً في سائر شوارع المدينة. يتقدم الموكب العلماء، والوزراء، ورجال الدولة، وصبيان الكتاتيب ومعلموهم، والموسيقى تصدح بنغماتها، وينتهي بهم المطاف إلى القصر السلطاني حيث توضع تلك الشموع بأماكن خاصة (*نبذ*، 13). وبعد معركة وادي المخازن 986 / 1578، جلب أحمد المنصور الذهبي المعلمين من فاس ومراكش وسلا ما بين نجارين وشماعين وأوعز إليهم الأنموذج الذي عاينه بعاصمة العثمانيين، فصنعت الأشكال الخشبية السالفة الذكر. وقد أرخى الفشتالي العنان لقلمه ليقدم لنا وصفاً في منتهى الدقة لاحتفال المنصور السعدي بالمولد النبوي، كما أمدنا بصورة واضحة عن هذه الشموع وصانعيها "الذين يبارون النحل في نسج أشكالها لطفاً وإدماجاً" (*مناهل الصفا*، 236). وكان نائب السلطان أحمد المنصور بسلا يحتفل بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم وينهج نفس نهج هذا الأخير بمراكش. وكان الشيخ عبد الله بن حسون - وهو معاصر للمنصور السعدي - يولي عناية فائقة لهذا الاحتفال حيث كان يطعم الطعام، ويحرق من الطيب الشيء الكثير. وبعد وفاته 1013 / 1604، وخوفاً من أن يقع تراخ في الاحتفال بالمولد النبوي بسبب الهزات السياسية العنيفة الناتجة عن صراع أبناء المنصور على الحكم، أوقف بعض أصحابه السانية التي يوجد بها اليوم مركز البريد، والمستشفى بباب فاس - باب الخميس حالياً - على صنع الشموع وإحياء الليلة، كما حبس غيره نصف أحد فنادق سلا على إطعام الفقراء ليلة المولد النبوي، وآخر حبس داراً لأجل ذلك.

هكذا اشتهرت الحاضرة السلاوية بالاعتناء التام بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وحرص السلاويون كل الحرص على التشبث بالاحتفال بموكب الشموع الذي أفل من الحواضر المغربية الأخرى.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا*، تح. ع. الكريم كريم، ص. 235 - 252 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 3 : 90 ؛ م. ابن علي الدكالي، *نبذ من تاريخ سلا*، مخطوط خ، ص. 534، ص. 13 ؛ م. المنوني، *المولد النبوي الشريف في المغرب المريني*، دعوة الحق، السنة 12، ع 1 : 1983، ص. 196 - 117 - 131.

V. Laubignac, *La procession des cierges à Salé*, *Hesp.* 1946.

محمد السعديين

**شميدل** (ماكسيميليان -) Maxmilien Schmidel

طبيب يهودي من أصل هنغاري كان من سنة 1868 إلى 1885 أول قنصل عام للإمبراطورية النمساوية الهنغارية المعروفة عند الكتاب المغاربة في النيابة السلطانية بطنجة باسم الانبيريال أو اللنبيريال أو نبريال تحريفاً لكلمة Imperial أي الأمبراطوري الواردة مثلاً في عبارة : ministère impérial تلك الدولة التي استمرت قائمة الذات بين المجر والنمسا ومتحدة من 1867 إلى 1918.

ولد ببوبليميا سنة 1833 واستقر سنة 1858 بتطوان بوصفه طبيباً حتى سنة 1865، وكان يتلقى من سالومون رُوتْشَايْلْدْ أدوية و200 فرنك شهرياً لعلاج اليهود المحليين وفي سنة 1868 رحل إلى طنجة وعين قنصلاً لبلاده بها، لكنه انغمر في مضاربات عقارية فاتخذ خلطاء وسماسرة ومحميين. وبعد عزله سنة 1885 ظل متردداً بين أروبا والمغرب، وفي سنة 1899 استوطن مراكش لمزاولة الطب بها واتخذ له زبناء كثيرين من يهود المدينة.

توفي يوم 16 رجب 1323 / 16 شتنبر 1905 بطنجة وكتب أحمد الطريس إلى أبيه قائلاً : "لارحم الله تلك العظام ! بعد أن كان مريضاً بألم في جنبه.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 595 - 596 ؛ *وثائق مخزنية* في مكتبة تطوان، *وثائق الطريس*.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*. 2 : 471-553

مصطفى بوشعراء

**شَميس ـ ظَليل**، مصطلحان جغرافيان يرتبطان بالسلاسل الجبلية، من حيث اتجاه سفحيها الشمالي والجنوبي، ودرجة تأثرهما بالإشعاع الشمسي. إذ يترتب عن عامل التوجيه (التعرض ـ التعريض) ودرجة الإشماس تعارض ملموس بين السفحين على المستوى الإيكولوجي ؛ باعتبار أن السفح الشميس يكون ذا اتجاه جنوبي أو جنوبي شرقي، يعاني من ندرة التساقطات، ويتعرض لضغط وقوة الإشعاع. في مقابل سفح ظليل ذي اتجاه شمالي أو شمالي غربي، يحظى بظروف طبيعية ملائمة، ويتلقى تساقطات مطرية وفيرة (Pierre G., 1970).

إن التأكيد على عنصر التوجيه (التعرض ـ التعريض) ليعد أمراً جوهرياً ؛ ذلك أن الحديث عن شميس وظليل لا يمكن أن يتأتى إلا بالنسبة لسفوح الجبال الموجودة بالمناطق الجافة أو شبه الجافة.. كما هو حال البلدان المنتمية للحوض المتوسطي، المعروف بتقلباته المناخية وهشاشته البيئية... من أجل ذلك، يفقد المصطلحان هذا البعد الإيكولوجي في النطاقات التي تشهد تساقطات غزيرة ومنتظمة، من شأنها أن تعم كلا السفحين وبنفس الكمية على مدار السنة. ومن ثم فإن مفهومي "شميس ـ ظليل" لا يكتسيان أية أهمية في العروض الوسطى المعتدلة بأوربا الغربية مثلاً، كما أنهما لا يعنيان شيئاً بالنسبة للمجالات المدارية الرطبة...

ويمكن ملامسة التعارض القائم بين السفحين الظليل والشميس، بداية من أبسط قمة أولية وأيا كان تصنيفها نقطية كانت أم خطية أم مستوية ؛ وانتهاء بالسلاسل الكبرى كجبال الريف والأطلس بالمغرب، بصفة عامة، والأطلس الكبير منها على وجه الخصوص...، حيث يكتسي المفهومان دلالة بيئية كبرى، إن على مستوى الإيكولوجيا الطبيعية أو البشرية.

1 ـ على المستوى الطبيعي : يمكن مقاربة هذه الدلالة من خلال إبراز التفاعل الذي يبديه كلا السفحين إزاء الظروف الطبيعة :

ـ الظليل : بفعل وقوعه على الواجهة الأطلنتيكية للكتل الجبلية المغربية، فإن السفح الظليل يكون مواجها للرياح الغربية أو الشمالية الغربية المشبعة بالرطوبة، مما يعرضه لأمطار تصاعدية غزيرة مواكبة لارتفاع التضاريس. هذه التهاطلات، غالباً ما يتجاوز معدلها 1000 ملم، سيما في بعض المحطات الأرصادية المنصبة فوق تلك السفوح، كإفران وأزيلال وأوكيمدن... وفضلاً عن ذلك، فإن السفوح الظليلة تعد من أهم المناطق المتلقية لتساقطات ثلجية معتبرة، بداية من ارتفاع 1500 متر فما فوق، حيث تساهم في تغذية الأنهار الكبرى بالمغرب، مثل سبو وأم الربيع وملوية، وحتى الأنهار الصحراوية منها، كزيز ودرعة...

إن هذه العوامل الإيكولوجية الإيجابية التي يحظى بها السفح الظليل، تجعله موئلا لغطاء نباتي متميز، تتدرج مستوياته بنوع من الانتظام من الأسفل إلى الأعلى، وبشكل يوائم التصنيف المتوسطي المتعارف عليه (Quézél 1976 وOzenda 1975). مثال ذلك، في الأطلسين الكبير والمتوسط، نجد أن هذا التدرج يبدأ، مع بعض التفاوتات المحلية، بالمستوى النباتي المتوسطي الحار Thermoméditerrannéen، الذي يقع، على وجه التقريب بين 400 و1000 متر بالنسبة للريف ؛ ويصل إلى 1200 متر بالأطلس المتوسط ؛ و1400 متر بالأطلس الكبير و1600 متر بالأطلس الصغير. يمثل هذا المستوى على وجه الخصوص : العرعار المغاربي وصنوبر حلب... إضافة إلى بعض الأصناف المحدودة الانتشار كالخروب وسرو الأطلس... تليها غابات البلوط الأخضر (الحبنية Sclérophylles) والعرعار الأحمر الجبلي، والعرعار الكادي... التي تعكس المستوى النباتي الأوسط Mésoméditerrannéen بين ارتفاعي 1000 و1400 متر بالريف ؛ وبين 1200 ـ 1600 م بالأطلس المتوسط ؛ وبين 1400 ـ 1800 م بالأطلس الكبير وبين 1600 و2000م بالأطلس الصغير. ثم التشكيلات الصرفة للبلوطين الأخضر والزان النفضي، وكذا مزيج البلوط الأخضر والأرز...، التي ترمز للمستوى المتوسطي العلوي Supraméditerranéen، الموجود بين 1600 ـ 2000 متر بالأطلس المتوسط ؛ و1800 ـ 2200 متر بالأطلس الكبير ؛ و2000 ـ 2400 متر بالأطلس الصغير. يعقبه المستوى المتوسطي الجبلي، الذي يبدأ في الريف عند مستوى 1800 متر وينتهي عند 2300 متر ؛ وبين 2000 ـ 2500 متر في الأطلس المتوسط ؛ 2200 ـ 2700 متر بالأطلس الكبير ؛ و2400 ـ 2900 متر بالأطلس الصغير. من ضمن الأصناف الدالة عليه بامتياز نجد غابات الأرز الخالص وشوح المغرب، بالإضافة إلى البلوط الأخضر... وأخيراً يأتي العرعار الفواح المثل، بامتياز، للمستوى المتوسطي القممي، الذي يتراوح بين 2500 و3200 متر بالأطلسين المتوسط والكبير خاصة.

ـ الشميس : بالنظر إلى عامل التوجيه، الجنوبي أو الجنوبي الشرقي، فإن السفح الشميس، كما يدل على ذلك الاشتقاق اللغوي، يتعرض لأكبر قدر من الإشماس ؛ الشيء الذي يتسبب في هشاشة بيئية واضحة المعالم. يضاعف من حدتها وقوع هذا السفح في ظل المطر، مما يحرمه من الاستفادة من الاضطرابات المحيطية، المسؤولة عن أهم التساقطات التي تشمل المغرب. إذ بعد أن تجتاز هذه الاضطرابات السفح الغربي الظليل، حيث تفرغ حمولتها المطرية، فإنها تصل عقيمة إلى السفح الشميس فاقدة لرطوبتها، فتهب عليه في شكل رياح جافة تعرف برياح الفوهن، الحاملة لمؤشرات القحط والتصحر ... كما يعتبر هبوب رياح الشركي الحارة، من العوامل المفاقمة للجفاف بالسفح الشميس، المؤججة لعنفوانه. هذا الجفاف الذي يصبح، بلا ريب، معطى متوطنا وهيكليا، لا ظاهرة لحظية أو عابرة فحسب.

إن تضافر هذه العوامل مجتمعة، من شأنه أن يؤثر سلبا

على الغطاء النباتي الطبيعي الذي يبدو فقيراً، على وجه الإجمال في السفح الشميس. إذ يقتصر على بعض الفصائل المتكيفة، التي تعكس اختلالاً بيناً في تراتبية المستويات النباتية عموماً. فيهمين العرعار الفواح على المستوى المتوسطي القممي، أو يستقر في أعلى السفح، عند ارتفاعات غالباً ما تشغلها تشكيلات الأرز في الجهة المقابلة، أي في السفح الظليل. تلي العرعار الفواح باتجاه الأسافل، إما غابات البلوط الأخضر الذي يكون خالصاً وفي أقصى درجات معاناته، تخالطه بعض بقايا العرعار المجنح المتدهور ؛ أو يتم المرور مباشرة إلى التشكيلات السهوبية التي تتألف أساساً من نباتات وسادية أو من الحلفاء والشيح... الممتدة على مساحات شاسعة تتخللها، لماما، بعض الأصناف المقاومة والصامدة. ومنها بطم الأطلس، الذي طاله معول التخريب بصورة مبكرة، ليس في هذا المجال فحسب، بل وعلى مستوى المغرب ككل ؛ مما جعله يدخل ضمن الأنواع الخليفة Espèces reliques، بفعل التدهور الشديد الذي لحق نظامه البيئي طيلة القرن المنصرم.

2 ـ على المستوى البشري : تنشأ عن التعارض القائم بين السفحين الظليل والشميس انعكاسات متعددة ومتنوعة، نجد لها أثراً بينا على الجانب البشري أيضاً ؛ وتمس بالخصوص، عنصري الاستيطان والنشاط لدى الإنسان..

ـ بالنسبة للاستقرار البشري، يبدو أن اعتدال المناخ، ووفرة الموارد الطبيعية التي يتمتع بها أهالي السفح الظليل على مستوى السلاسل الجبلية المغربية، قد مثلت عنصر إغراء وجذب بالنسبة لأهالي السفح الشميس. لذا نجد أن موجات الجفاف التي ترددت بكثرة على السفح الشميس للأطلس المتوسط، مثلاً، وخاصة ملوية العليا..، قد أجبرت "أهل الشمس" من قبائل بني مگيلد.. على النزوح في شكل هجرات متتالية، تكبر أو تصغر حسب حدة الجفاف ووقعه على المنطقة المهجورة، باتجاه السفح الظليل، أي الأطلس المتوسط الهضبي، ليستقروا به وليصبحوا هم أيضاً من "أهل الظل" (Ben Ali 1976) ؛ بل ويمكن الجزم بأنهم أضحوا أهل الديار الحقيقيين في الوقت الراهن. لحقتهم بعد ذلك هجرات أخرى محدودة، شملت على الخصوص بعض القبائل من أيت عطا، الذين عضدوا وجود أسلافهم من بني مگيلد... معززين بذلك التنوع البشري الهائل الذي عم هذا المجال. ولعله من نافلة القول، أن هذا الانتقال من سفح إلى آخر، كان يجري في ظروف تاريخية عسيرة ومعقدة ؛ وأنه لم يكن ليتم من دون صراعات دموية وتطاحنات قبلية، لا شك، أنها شكلت منعطفات أساسية في حياة هذه القبائل، وتحولات عميقة في الصيرورة التاريخية لهذا المجال.

ـ أما فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي، فيستشف من أنواع الأنشطة الممارسة على كلا السفحين، والتي يحكمها، بلا منازع، عاملا الوفرة والندرة. فإذا كانت المؤهلات الطبيعية التي يزخر بها السفح الظليل كالمياه والغابات والكلأ... تسمح باتباع نظام رعيي ـ زراعي ـ غابوي مندمج ومتكامل، يمثل النشاط الرعوي فيه الركيزة الأساسية، إضافة إلى القيام بزراعة مسقية محدودة، وإمكانية الاستفادة من الثروة الغابوية الوفيرة، فإن الموارد المحدودة التي يوفرها السفح الشميس، والمتمثلة أساساً في الأحراش والتشكيلات السهوبية، لا تتيح سوى نشاط واحد يتجلى في الرعي المقلال. هذا النظام، الذي هو في ذات الوقت أسلوب للعيش ونمط في الإنتاج، كان وما يزال يمارس على نطاق واسع، مستنداً إلى نظام الدورة الرعوية التي يتنقل فيها القطيع بين المرعى الصيفي في الجبل والمرعى الشتوي في المجالات الوطيئة.

إذا أخذنا هذه المعطيات بنظر الاعتبار، أي التعارض الملحوظ بين السفحين الظليل والشميس في مجموع التراب المغربي، فسنخلص إلى نتيجة واضحة، مفادها أن السفح الظليل يوجد في وضع أنسب. إذ هو بمثابة مصيدة للتيارات الهوائية المطيرة القادمة من المحيط الأطلنتيكي ؛ تهب عليه رخاء فتجعله ينعم بأكبر قدر من الاعتدال والرطوبة، وبالتالي فإنه يتحول، على مستوى الذاكرة الجماعية، إلى رمز للخصب والوفرة والعطاء... على عكس السفح الشميس، الذي تلفحه الشمس بنار شعاعها، وتهب عليه رياح الشرگي بلظى زفيرها، فترتفع حرارته ويشتد جفافه..، ويصير بذلك مؤشراً للجدب، دالا على القحولة، طارداً لأهله...، خاصة في فترات القيظ وموجات الحر والجفاف، التي لا تكاد تبرح السفح إلا لتعود لتعصف به بعد حين.

يبقى أن نشير إلى أن مفهومي ظليل وشميس، اللذين ترتبت عنهما كل هذه التحولات السوسيو ـ مجالية إلى حدود الماضي القريب، قد باتا يحملان مدلولا نسبياً في الوقت الراهن. فهما يظلان مرتبطين بحقبة زمنية خلت، كان الأهالي خلالها مذعنين لحتمية الطبيعة، معتمدين بصفة مطلقة على ما يجود به المكان. أما الآن وقد امتلكوا الآلة والتقنية، فقد صار بمقدورهم التخلص نسبيا من هذه التبعية، وأمسى باستطاعتهم الصمود والتحكم فيها، ولو جزئياً. لذلك لم يعد استصلاح الأراضي البوار مستعصياً، ولا استخراج المياه من الأعماق أو تعبئتها أمراً مستحيلاً... وما فتئنا، في هذا الإطار، نلحظ إنتاج محاصيل ذات قيمة مضافة عالية كالتفاح والإجاص مثلاً... اللذين أصبحت ضيعاتهما تنتشر على نطاق واسع في منطقتي ميسور وميدلت.. الواقعتين على السفح الشميس، كما في أوريكة وأيت أورير وأزرو... الموجودة على السفح الظليل.

لقد انقلبت المعادلة، وأضحى تطوير وتنمية كلا السفحين الظليل والشميس معاً أمراً ممكناً وفي حدود معينة : شريطة أن تحترم سلامة البيئة، وتغدو التنمية هادفة ومستدامة.

إدريس شحو

**الشَّنْتُوف، مشيش** بن علال قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني حُزمر انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وشارك في كثير من المعارك وأصيب بجروح بالغة في معركة كدية الطاهر يوم 25 يونيو 1920 توفي على إثرها بعد ذلك بأيام.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، الرباط، 1981.

**الشَّنْتُوف، المفضل** بن أحمد قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة أهل سريف. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد شارك في عدة معارك حيث كان يقول عنه الجميع إنه كان يحسن الرمي لأن والده كان "شيخ الرما".

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب*، الرباط، 1981.

**شَنْتِيل**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا çentina؛ وما زالت بإسبانيا تحمل اسم Centeno وهو نبات يشبه الزرع. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1450.

**شنديرُو**، ويكتب أيضا شنديرُ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل Sendero ومعناه الطريق ؛ وقد هاجرت هذه الأسرة أول مرة إلى قبيلة بني حزمر ومنها انتقلت إلى تطوان حيث انقرضت سنة 1185 (1771).

محمد ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1451.
محمد ابن عزوز حكيم

**شَنْطِرْ، أحمد** مقاوم هو شنطر أحمد بن الحسين بن محمد بن لحسن المعروف في المقاومة بأحمد لخصاصي عاش من 1915 ـ 1979 من المشهورين في المقاومة وأعضاء جيش التحرير المغربي رقم بطاقته كمقاوم هو 521431، ينتمي إلى قبيلة أيت علي في الأخصاص بسوس.

كان يتقن الفرنسية، ومما جاء في مذكراته حسب ما سجله عنه ابنه الأستاذ شنطر حسن قوله : "كبرت في لخصاص، وأدركت ما يعانيه السكان أثناء مقاومة القائد المدني الأخصاصي للزحف الفرنسي حتى سنة 1934.

وقبيل الحرب العالمية الثانية هاجرت إلى فرنسا، فشاهدتُ ما يعانيه الشعب الفرنسي من الغزو الألماني، وكنت مع عبد العزيز الماسي الذي انخرط في سلك المقاومة الفرنسية ضد الألمان، كما رأيت التضحيات التي قدمها الجنود المغاربة لتحرير فرنسا.

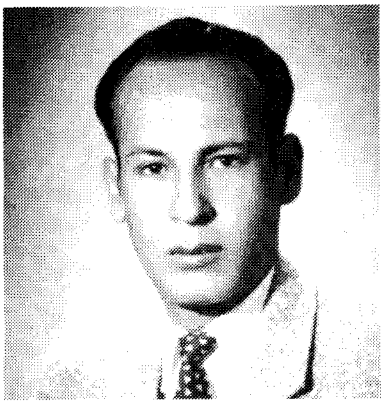

وحوالي 1950 رجعت إلى المغرب، لكنني وجدتُ فرنسا تعامل المغاربة بنفس القساوة التي كانت تعاملهم بها ألمانيا.

ولذلك كوّنا جماعة فإتصلنا بالسلطان محمد بن يوسف، نستطلع رأيه، فلخّص لنا جوابه هكذا "إنّ فرنسا لا تُريدُ أن تتفقَ معنا على أيّ شيء" قال شنطر : ولذلك كوّنا اللجنة الأولى مع محمد الزرقطوني والجماعة المعروفة من المؤسّسين الأولين.

قال : وكان أول سلاح استعمل هو مسدس لشنطر، لذلك فرّ إلى تطوان حيث تم تأسيس جيش التحرير، وسجّل أطوار ذلك كله إلى أن وقع إدماجه في الجيش الملكي، "من مذكراته بخط ولده الدكتور شنطر حسن مرقونة".

كان أحمد شنطر معروفاً بشجاعته وكرمه، وقد رفض المناصب التي عرضت عليه، ولما توفي في 30 يونيو سنة 1979 اثنت عليه وعلى أعماله الوطنية معظم الجرائد الوطنية، كما أرخ له بعض أصدقائه في كتاباتهم، ومن ذلك:

جريدة *الاتحاد الاشتراكي* على لسان الفقيه البصري فيما بعد ؛ جريدة *أنوال "أضواء على ملحمة المقاومة المسلحة المغربية"* عدد 2073 ؛ الثورة الخامسة "*صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير*"، ج 1، ص. 281 ؛ ع. الله الصنهاجي، *مذكرات في تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي* ؛ عبد الكريم الخطيب، مسار حياة ؛ مجلة *العلوم الاجتماعية* (أبحاث) الجزء الأول.

M. Zaki, *Résistance et Armée de Libération*.

الحسين جهادي

**شنظورة** أو **شنذورة، علي** ولد سنة 1114 / 1703 هو ابن هدي بن أحمد بن دامان. أبوه هدي هو الذي قاد الحرب المعروفة بشربيه ضد ناصر الدين ووضع أسس إمارة الترارزة (جنوب غرب موريتانيا) بعد أن كان أبوه أحمد بن دامان مهّد لها. ويعتبر علي شنظورة هو المؤسس الفعلي لهذه

الإمارة عبر سياسة حكيمة من ناحية تسيير أمور الإمارة على المستوى الداخلي والخارجي. فمنذ البداية عمل على إشراك قبائل الزوايا المنهزمة في شريبه في إدارة شؤون الإمارة عبر تعيين المختار ابن اشفغ موسى قاضياً وعبد الله بن محمد العلوي المعروف بابن رزاكة العلوي مستشاراً. على المستوى الخارجي واجه الأمير في عدة معارك أولاد دايم وأولاد رزك والبراكنة ـ ASSA'DM.M.P.59 وفي إطار هذه المواجهة اضطر علي شنظورة لطلب المساعدة الخارجية واتجه سنة 1720 إلى مولاي إسماعيل رفقة مستشاره العالم ولد رزاكة الذي كانت له علاقة وطيدة بالبلاط العلوي خصوصاً بابن مولاي إسماعيل المولى محمد المعروف بالعالم لاشتهاره بالعلم. فمؤلف *الوسيط* كتب "وكان له [بابن رزاكة] صديق من الترارزة، واسمه أهل شندورة، جد محمد لحبيب الأمير المشهور. وكان يضطهده أبناء رزك، لشوكتهم في ذلك العصر، فأخذه مرة وتوجه به إلى مكناسة الزيتون حرسها الله ولما قدماها ونزلا عند المولى إسماعيل أكرمهما [...] ثم ذكرا السلطان صولة أبناء رزك في أرض القبلة، فأمدهما بمحلة كبيرة وأمَّر عليها أهل شندورة، فسار بها إلى أن وصل أرض القبلة، فأباد أبناء رزك ولم يبق إلا مواليهم من ذلك الوقت" (*الوسيط*، ص. 1 ـ 2). بعض الكتابات لا تعتبر أن علي شنظورة تلقى مساعدة مباشرة من السلطان نفسه بل تمت نجدته من بعض قبائل تكنة. هذا الرأي نجده لدى الأنتروبولوجي الإسباني كارو باروخا الذي يروي عن أحد أعيان ازرقيين أن علي شنظورة طلب المساعدة العسكرية من شيخ ازرقيين مقابل ضريبة (غفر) سبعة جمال وناقة كل سنة وقد ظل أمراء الترارزة يؤدون هذا الغفر إلى حدود سنة 1932 ـ 1933. (Caro Baraja. p.39-40).

لقد استطاع بفضل هذه المحلة أن يهزم خصومه وإبعاد الخطر الذي كان يشكله البراكنة على إمارته. وما أن استتب الأمر لعلي شنظورة حتى تفرغ لتنظيم إمارة الترارزة وربط علاقات تجارية مع القوى الأوربية خصوصاً الفرنسيين والإنكليز. كما أنه قام بشن حملات عسكرية على منطقة والو وفوتو على الضفة الجنوبية من نهر السنغال. ولقد توفي سنة 1339 / 1921ـ20 (محمد فال بن بابه العلوي، ص. 28) تاركا إمارة قوية ومنظمة.

م. فال بن بابه العلوي، *كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة*، تح. أ. ولد الحسن، *بيت الحكمة*، تونس، 1986.

M. as-Sa'dm, *Emirat et espace émiral maure: Trâza aux XVIIIe XIX siècles*, *Revue du Monde et de la Méditerranée*, 54, 1989 ; J. Caro Baroja, *Estudios Saharianos*. Madrid, 1995.

رحال بوبريك

**شنفور، محمد**، مقاوم ولد سنة 1927 بدوار بني مدورة ناحية فاس، انخرط بصفوف الجيش الفرنسي، إلا أن غيرته الوطنية دفعته للفرار والالتحاق بجيش التحرير ببوسكور تحت قيادة حسن المغراوي، ونظراً لخبرته العسكرية عين قائداً للثلاثين، وشارك في عدة هجومات منها هجوم تيزي انتايدة عين مزيزو، وعند رجوع المغفور له محمد الخامس إلى أرض الوطن التحق المرحوم بالجيش الملكي.

توفي يوم 28 جمادى الأولى عام 1416 / 23 أكتوبر 1995 بفاس.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504289.

**شَنْكُورة** أو شندگورة أو سندكورة أسماء عامية تطلق على نوعي جنس نباتي يسمى علميا أيُوكًا Ajuga وينتمي إلى فصيلة الشفويات Lamiaceae أو Labiaceae. والنوعان أيُوكًا إيفًا Ajuga iva وأيُوكًا كاميبيتيسْ Ajuga chamaepytis طبيعيان بالمغرب.

والنوعان معمران لبضع سنوات. وذوا قامة قصيرة منبطحة على الأرض في شكل جُنيّبي متفرع. أوراقهما مستطيلة ضيقة ذات حواف مسننة في بعض الحالات. أزهارهما وردية أو بيضاء أو صفراء.

يتواجد النوعان في المنطقة المتوسطية والجزر المجاورة لها.

يستعمل النوعان في التطبيب التقليدي لعدة أغراض كمعالجة بعض الأمراض مثل داء السكري، وكمادة مضادة لديدان الأمعاء.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1977 ; , A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, Rabat, 2000.

زينت بنرحمون

**الشنكيطي، أحمد** بن **الأمين** بن محمد الأمين بن عثمان من قبيلة ادا وعلى الشهيرة في بلاد شنقيط، ولد سنة 1280 / 1864، تلقى العلم على يد مجموعة من الشيوخ منهم المختار بن ألما ويحظيه ابن عبد الودود وغيرهما. وكانت ميوله إلى الشعر أكثر من غيره من مجالات الثقافة العربية، تنقل عبر مجموعة من المراكز العلمية وعاش مدة طويلة في المغرب مثل فاس ومراكش والسمارة وغيرها. بعد

آدائه لمناسك الحج وزيارته لتركيا وسوريا بين سنة 1317 / 1319 بالقاهرة سنة 1320. وظل بها إلى أن توفي سنة 1331 / 1913 عن عمر يناهز الخمسين.

اشتهر بالزهد والتقشف وانتقاد البدع خلف عدة مؤلفات أغلبها في اللغة والأدب، منها كتاب *الوسيط في تراجم أدباء شنكيط*، الذي يعتبر من أبرز مؤلفاته، وفيه تبرز قوة حافظته وغيرته الوطنية، فقد ترجم فيه لـ 79 شاعراً من بلاد شنقيط من بداية القرن الحادي عشر الهجري (17 م) إلى النصف الأخير من القرن الثالث عشر (19 م). اعتماداً على الذاكرة، وسبب تأليفه أن بعض النبهاء المصريين" استنكروا عليه في مشاحنة متشنجة أن يتصف بالآداب غير الأقطار المشرقية، فنشر هذا الكتاب سنة 1329 / 1911 في الرد عليه وغيره ممن يعتقدون اعتقاده. وقد ذيله بملحق في التعريف ببلاد شنگيط وتاريخها وثقافتها ويعتبر هذا الكتاب من أقدم وأهم مصادر الشعر العربي في بلاد شنگيط.

أ. بن الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، بعناية فؤاد سيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4 ؛ الخليل النحوي، *بلاد شنقيط المنارة والرباط*، ص. 503 ؛ ع. الله بن محمد سالم بن السيد، *المعارضة في الشعر الموريتاني*، ص. 4، المطبعة المدرسية ؛ *الدرر اللوامع شرح جمع الجوامع* في العلوم العربية في مجلدين، طبع بالقاهرة ؛ سنة، 1320 ؛ *الدرر في متع عمر*، في الرد على محمد محمود بن التلاميد التركزي، طبع في القاهرة، سنة 1325 ؛ *شرح المعلقات العشر وأخبار قائليها*، طبع قازان، سنة، 1329 ؛ *شرح ديوان طرفة بن العبد، وديوان الشماخ بن ضرار*، طبع قازان، 1327/ 1909 ؛ *تصحيح كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني*، طبعة الساسي، وغيرها.

**الشنگيطي، أحمد ابن الشمس**، من أعلام زاوية الشيخ ماء العينين البارزين وأكثرهم وفاء لمبادئها. ولد سنة 1283 / 1863 بشنقيط. صحب الشيخ ماء العينين نحو ثلاثين سنة، وعندما بلغ مقاماً عالياً في التصوف صدره إلى قبيلته اداو لحاج لنشر الطريقة المعينية، فتتلمذ عليه كثير من أبنائها، بعدها استخلفه على زاويته بفاس، فظل بها يشرف على تربية المريدين وطبع مؤلفات الشيخ ماء العينين إلى أن استباحتها القوات الفرنسية، فهاجر إلى بلاد الحرمين وسكن المدينة المنورة إلى أن أدركته الوفاة.

خلف عدة أعمال أدبية من أبرزها :

- *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، في جزئين، طبع بالمطبعة الجمالية بمصر سنة 1330 / 1912.
- *الأنوار المعينية*، مخطوط، خ. ع تحت رقم د 1866 - 1609.
- أشعار كثيرة في أغراض متنوعة.

توفي سنة 1342 / 1923.

م. الغيث النغمة، *الأبحر المعينية*، ورقة 137، مخطوط خ. ع. ؛ ماء العينين ابن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط، ورقة 91، نسخة ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *معجم الشيوخ*، ج 1 : 125.

**الشنگيطي البيضاوي، محمد** بن عبد الله الجكني اللمتوني ولد في بلدة "جوك" بمنطقة تگانت جنوب بلاد شنگيط سنة 1311 / 1892 في بيت علم وصلاح ينتهي نسبه إلى جاكان، جد قبيلة تجكانت حفظ القرآن وتعلم مبادئ اللغة والإعراب والصرف والتاريخ وهو ابن إحدى عشرة سنة على أمه خديجة بنت البيضاوي دفينة المقبرة السهيلية بمراكش وجدته لأمه فاطمة دفينة اسمارة، وأخواله محمد محمود دفين اكردوس وسيدي محمد وسيدي أحمد دفيني البقيع والطالب محمد سهيد المملان.

هاجر مع أخواله وأبناء عمه إلى اسمارة ونزلوا في جوار الشيخ ماء العينين بعد اشتداد الضغط الفرنسي على الجنوب المغربي، ومنها انتقل إلى مراكش سنة 1326 / 1908، فصار من حاشية السلطان مولاي عبد الحفيظ واستكمل تكوينه في مراكش وفاس على يد مجموعة من الشيوخ، منهم الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ أحمد الولاتي وأبناء عمه أولاد مايابا وسيدي أحمد بن الخياط والفقيه المهدي الوزاني وأبو شعيب الدكالي وغيرهم بعد توقيع معاهدة الحماية سافر مع أخواله وأبناء عمه إلى المشرق، فجاور بالأزهر الشريف وأخذ على مجموعة من علماء مصر مثل الشيخ سليم البشري ومحمد أبي الفضل ومحمد بخيت والشيخ الرداد الطرابلسي ومبارك الصعيدي. بعد تنازل السلطان مولاي عبد الحفيظ عن العرش مرَّ بمصر في طريقه إلى الحجاز، فاستصحبه معه ومكث بالمدينة ثلاثة أشهر. ثم استصحبه بعد حجه إلى طنجة، فظل في خدمته إلى أن رحل عبد الحفيظ إلى أوربا، فانتقل الشنگيطي البيضاوي إلى تطوان يعلم ويتعلم الفرنسية إلى أن انتقل إلى بني ملال عن طريق طنجة للكتابة والترجمة، تولى مناصب كثيرة، منها : تحرير جريدة السعادة بالرباط ابتداء من أكتوبر 1920، وعضوية مجلس الاستيناف الشرعي بالرباط والقضاء في قبيلة بني عمير من 1921 إلى سنة 1926، ثم وادي زم من سنة 1926 إلى 1932، وأخيراً ولي باشوية تارودانت من سنة 1932 إلى 1945.

وهو من الشعراء المتميزين والكتاب المرموقين في زمانه، ومن أشهر آثاره :

- *بعض الأحكام الشرعية في العقار والمواريث*، مخطوطة.

- *بعض المقالات النقدية حول الشعر*، نشرت في مجلة المغرب.

- أشعار متنوعة معظمها منشور بجريدة *السعادة*، وقد تم جمع هذه الأشعار وإخراجها في ديوان يجمع بين إنتاجه الفصيح والحساني وتحقيقها على يد كاتب هذه الترجمة.

توفي سنة 1365 / 1945 بعد مرض عضال ودفن بمراكش بمقبرة باب أغمات.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4، ص. 157 ـ 159، تطوان، د. ت. ؛ ا، ص. 196 ؛ ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، الرباط، 1391 / 1971 ؛ ع. الجراري، *معالم مغربية*، ص. 140، ط 1، 1991، الرباط ؛ م. الظريف، *ديوان العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنكيطي*، جمع وتحقيق، سلا، 2000.

محمد الظريف

**الشنكيطي، التجاني**، بهذا عرف، واسمه أحمد بن باب بن أحمد لبيب العلوي، درس على والده وعلى والدته خديجة بنت المختار بن عثمان. ثم توجه إلى بلاد المشرق عن طريق المغرب وهو شاب، وركب البحر من الجديدة إلى طنجة فأصابه ميد شديد فتخلى عن البحر وعزم على أن يحج براً. وتوجه من طنجة إلى مكناس حيث لقي الشيخ سيدي العربي ابن السائح في الزاوية التجانية ـ قبل أن ينتقل إلى الرباط ـ ووقعت بينهما محبة زائدة، وذلك عام 1257 / 1841.

مكث بمكناس ثلاثة أشهر أخذ عنه أثناءها العربي ابن السائح منظومته *منية المريد* في مدح الشيخ أحمد التجاني، وشرحها بعد ذلك بكتاب *بغية المستفيد* ؛ كما قرأ عليه *نظمه في أزواج النبي عليه السلام* وبنيه منهن وما لبناته من بنين وبنات، وكتب عليه ابن السائح من إملاء الناظم في مواضع منه، وكتب الشنقيطي له بخط يده في مواضع من هوامشه وأذن له في شرحه. ولعل الشرح لم يكتب. ومن مؤلفات التجاني الشنقيطي أيضاً شرح *نفيس على نظمه في أزواج النبي عليه السلام* في مجلد ؛ *ونظم ورقات إمام الحرمين* في الأصول ؛ *ورحلة* التزم فيها ذكر من لقيه من الأعلام في وجهته لبيت الله الحرام وابتدأ بذكر أشياخه والده ووالدته وغيرهما. قال ابن السائح : "رأيتها عنده وقد كمل منها مجلد، وذلك قبل أن يجتاز ببلاد الواسطة والجريد وتونس والبلاد المشرقية".

أعجب العربي ابن السائح بالمترجم وبمكانته في علمي الظاهر والباطن، وقال فيه في مقدمة *البغية* : "من إنشاء أخينا وصفينا وحبيبنا الأخص ولينا أعجوبة الدهر في كرم الأخلاق ولطف الشمائل، وغرة العصر الجامع لشتات الفواضل والفضائل، الفقيه الأديب، العلامة المشارك الألمعي الأريب..."

توفي حوالي 1257 / 1841 بالمدينة المنورة.

العربي ابن السائح، *بغية المستفيد*، القاهرة، ط 3، 1304 ـ 1887 ؛ أ. الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، مصر ـ الدار البيضاء، 1961 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2599.

محمد حجي

**الشنكيطي، محمد الأمين** بن عبد الله الصحراوي، المراكشي أصله من شنقيط ولد بشنقيط حوالي سنة 1225 / 1810 وقدم شاباً إلى مراكش فاستوطن وقضى بها زهاء أربعين سنة، فاستقر بدرب مولاي عبد القادر الجيلالي بحي ضباشي. وقد جدد سنة 1254 / 1838 تاريخاً لذلك في كتابه *مقدمة الارتحال في حين ذكر صاحب* (الإعلام، 7 : 28) أنه قدمها بإشارة من شيخه سيدي قدور العلمي سنة 1256 / 1840.

وكان له ابن اسمه عبد الوهاب ظهرت نجابته، وتوفي في محرم من سنة 1291 / 1874 بمكناس، فرثاه بقصيدة مطلعها :

جفني همى بعقيق الدمع باكيه
على الغريب الذي غابت بواكيه

قيل في وصف الأمين الصحراوي : (صفته أسمر، كث اللحية، ضعيف الجسم، ربعة للطول، معتدل الأعضاء، حسن الثياب، ذوهيبة) (*الإعلام*، 7 : 22).

أخذ عن عمر بن المكي الشرقاوي البوجعدي الذي أجازه إجازة عامة سنة 1259 / 1843 وعن محمد بن عبد الودود الحاجي، الذي رثاه بعد وفاته بقصيدة دالية.

تصدر للتدريس بمدينة مراكش (وكان له ولوع بالأدب، واطلاع على التاريخ، وشغف باللغة ) (*الإعلام*، 7 : 21).

وكانت له وجاهة عند السلاطين والولاة. فقد كانت لسيدي محمد بن عبد الرحمن محبة كبيرة فيه مذ كان وليا للعهد. وقربه أثناء حكمه، وكان يصله بالعطايا الوافرة. وكذا الشأن مع ابنه المولى الحسن الذي أجازه على كتابه *مقدمة الارتحال* بذهب كثير.

كما كانت له علاقة حميمة بالوزراء : العربي بن المختار الجامعي، وعلي المسفيوي، وموسى بن أحمد.

وتبدو مكانته فيما لقيه من ترحيب وإجلال خلال رحلاته الطويلة عبر بعض المدن المغربية، فقد كان ولاتها وقوادها يتلقونه بحفاوة بالغة ويستدعون العلماء والصوفية لمجالسته : فقد نزل بالرباط عند القائد عبد السلام السويسي، ولقي عنده العلامة محمد دينيا، والمكي بن عمرو الرباطي وغيرهما.

واجتاز إلى سلا لزيارة ضريح أحمد بن عاشر، ونزل عند الفقيه العربي بن سعيد. وفي دكالة حل بدار القائد محمد بن الكامل، ولقي بها العلامة الصوفي عمر ابن سودة سنة 1284 /1867.

ونزل بفاس عند صديقه الفقيه الأديب عبد الله بن أحمد باشا المدينة، وكانت مناسبة للتردد على مجالس العلم بالقرويين والتذاكر مع علمائها، من أمثال إدريس ابن عبد الهادي العلوي والكامل الأمراني، وصالح التادلي، ومحمد وعبد المالك العلويين، والعلامة محمد كنون، وأحمد بن سودة وابن عمه محمد بن عبد الواحد، وجعفر الكتاني، وعبد الله بن إدريس البكراوي، والخطيب علال الفاسي، والفقيه محمد السباعي، والأديب الكاتب عبد الواحد بن المواز.

وفي مكناس اعتنى به الفقيه محمد بن العربي الجامعي، والمقدم الجيلاني الرحالي، والفقيه المختار بن عبد الله بن أحمد. وتلاقى مع قاضي المدينة فضول بن عزوز، وزار شيخه سيدي عبد القادر العلمي الشاعر. وطاف على أضرحة أولياء المدينة (الإعلام، 7 : 26 ـ 28).

وكانت طريقته ـ كأغلب الصحراويين ـ مختارية، إلا أنه بعد حلوله بمراكش أخذ يلازم الزاوية القادرية بضباشي،

وكان له إيمان راسخ بالأولياء، ومحبة فيهم، واعتقاد ببركتهم وزهد عام في الدنيا يتجلى ذلك :

ـ في ولعه بزيارتهم خلال رحلته الطويلة.

ـ ولجوئه إلى أضرحة مدينة مراكش (وخاصة ضريح الإمام الجزولي) عندما يلم به أي خطب.

ـ كثرة ما يرويه من أخبار الصوفية، وقطب الزمان ...

ـ انعكس هذا الاهتمام على آثاره : فقد كان أغلب شعره في مدح الرسول، وكانت مؤلفاته في الطريقة الصوفية، وزيارة الأولياء. توفي محمد الأمين الصحراوي بمراكش سنة 1295 / 1878 عن نحو سبعين سنة (*الاعلام*، 7 : 26) وفي (*السعادة الابدية*، 1 : 100 ـ 101) أنه توفي سنة 1296 / 1878. ودفن برباط عبد القادر الجيلاني بضباشي.

شعره :

يضم كتابه *المجد الطارف والتالد* أغلب شعره، ويمكن تقسيمه إلى صنفين :

الصنف الأول، قصائد في مدح السلطانين الجليلين وأفراد أسرتهما الكريمة، والتنويه بأعمالهما وجهودهما في خدمة الوطن، ونشر العلم والثقافة، ومدح وزراء وخدام دولتيهما، أهمها :

ـ أرجوزته في نسب العلويين.

ـ قصيدته في مدح المولى محمد بن عبد الرحمن العلوي.

ـ قصيدة رثى بها السلطان المولى محمد بن عبد الرحمن العلوي.

ـ ونظم سنة 1293 / 1876 قصيدة في تهنئة مولاي الحسن.

وكان ميالا إلى ارتجال الشعر، ومعارضة القصائد، وتخميسها، وقد عرض عليه محمد الشاهد الفاسي ـ وهما بدار الكاتب الوزير على المسفيوي بمراكش ـ أن يخمس بيتين من قصيدة سينية، فأجابه على الفور وخمسهما.

وإلى جانب هذا الميل، إلى الارتجال، كان له ولع بالصنعة، والاحتفال بالألفاظ فقد نظم قصيدتين في لزوم مالا يلزم :

ـ أولاهما في المدح النبوي ذيلها بمدح السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن.

والثانية في ختم البخاري (المجد الطارف والتالد، 418).

وله في هذا الاتجاه أبيات في مدح حاضرة فاس.

ـ الصنف الثاني : قصائد في المدح النبوي والتوسل بأولياء المشرق والمغرب، فقد تضافرت أسباب وشروط جعلت الأدب العلوي يطبع بهذا الطابع الديني التوسلي. وقد بلغ بعضها أزيد من 400 بيت.

ـ ومن أطول قصائده وأحسنها القصيدة المنفرجية التي تقع في زهاء 430 بيت، قال بأنه كان يجد لقراءتها بركة، فأهدى نسخة منها للسلطان أولها :

صل يارب على نور الهدى    كاشف الكرب ومفتاح الفرج

إلى جانب الأمداح النبوية، للأمين الصحراوي قصائد في مدح الأولياء، من المشرق والمغرب : من أمثال عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية والمولى إدريس.

ـ وكانت له محبة خاصة برجالات مراكش كما أسلفنا، يزورهم كثيراً ولا سيما الجزولي والغزواني منهم، وله فيهم قصيدة طويلة تشتمل على حوالي ثمانين بيتا، مطلعها :

كرامات أهل الله في المسند الثبت

عن الله والرسل الكرام على البت

(*المجد الطارف والتالد*، 195 ـ 199).

بهذه القصائد والمعارضات الشعرية يُعد محمد الأمين الصحراوي الشنجيطي أحد شعراء القرن التاسع عشر من أمثال محمد بن إدريس، وابنه إدريس بن محمد العمراوي، وأكنسوس... وغيرهم من رواد النهضة الشعرية الحديثة. إلا أن شاعرنا لقي من الإهمال والنسيان ما جعل الباحثين والكتاب يغفلون ذكره، ويهضمون حقه.

مؤلفاته:

ذكر له صاحب *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* المؤلفات التالية :

ـ *المنهج المختار والكوثر المدرار، في مناقب الشيخ وأشياخه الأبرار* : وهو في التعريف بالشيخ المختارالكنتي، شيخ الطريقة المختارية الكنتية.

ـ *مقدمة الارتحال في مشاهير سبعة رجال*، كان بمثابة مقدمة لكتاب الارتحال، مخطوط الخزانة الحسنية رقم 194.

ـ *الارتحال في مناقب ومشاهير سبعة رجال، ومن اشتهر في مراكش أو دخلها من مشاهير صلحاء الرجال*.

ـ *المجد الطارف والتالد* على أسئلة الناصري سيدي أحمد ابن خالد : مخطوط الخزانة العامة بالرباط 588 ك، رد فيه على أسئلة بعث بها إليها المؤرخ المذكور في رسالة تحت عنوان : (رسالة في تحقيق أمر سبعة رجال دفناء مراكش).

ـ ونسب له محمد بن محمد المؤقت المراكشي كتابا تحت عنوان :

ـ تأليف في ضجيعي أبي العباس السبتي (*السعادة الابدية*، 1: 101):

ـ وله شرح نظم اضاءة الادموس

والملاحظ أن كل مؤلفاته تدور حول موضوع التصوف ومناقب الأولياء. وهو الموضوع الذي استأثر باهتمام الشعراء والكتاب والمؤلفين على السواء في هذا العصر.

ع. بن إبراهيم المراكشي، *الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، ط. 2، الرباط، 1974 ـ 1983 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية*، الدار البيضاء، 1977 ؛ ع. السلام بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2، الدار البيضاء، 1960 ؛ م. بن محمد المؤقت المراكشي، *السعادة الابدية*، ط. حجرية، 1335 ؛ م. المكي بن مريدة السرغيني، *الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة*، مخطوط خ. ع.، رقم 479 ك ؛ م. الأمين الشنجيطي الصحراوي، *مقدمة الارتجال*، مخطوط خ. ع.، 588 ك.

حسن جلاب

**الشنكيطي، محمد تقي الله** يلقب محمد بُويَ. ولد سنة 1287 / 1870 بالساقية الحمراء. أخذ العلم على يد والده الشيخ ماء العينين وغيره من أساتذة مدرسة السمارة.

خلف أعمالاً أدبية وعلمية كثيرة منها :

ـ *سراج كل سار في سيرة الوارث المختار*، وهو نظم في سيرة والده الشيخ ماء العينين، توجد منه نسخة خطية بخزانة حفيده ماء العينين تقي الله بالرباط.

ـ *مذكر الموارد في سيرة شيخنا الشيخ ماء العينين ذي الفوائد*، وهو نظم في سيرة والده أيضاً، مخطوطة خاصة.

ـ *نفحة الرؤوف على دعوات مذهب المخوف*، وهو حاشية على كتاب والده *مذهب المخوف في الأسرار*، مخطوطة الخزانة الصبيحية بسلا، 1864.

ـ *تبيين ما يعنون من ألفية ابن مالك وابن بون*، ذكرها ابن العتيق في كتابه سحر البيان ورقة 121.

ـ *ديوان في أغراض كثيرة معظمها في مدح والده*. وغيرها.

توفي سنة 1320 / 1902 بمراكش وهو عائد مع والده إلى الصحراء بعد زيارته للسلطان مولاي عبد العزيز.

م. الغيث النعمة، *الأبحر المعينية*، الجزء الثاني، تح. المداح م. المختار، د. د. ع.، الرباط، مرقونة ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان*، ورقة 121، نسخة مخطوطة، خاصة؛ م. الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 118، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، الرباط، 1986، مرقونة.

محمد الظريف

**الشنكيطي، محمد العاقب** الجكني، ينتسب إلى آل ميابا الجكنيين المشهورين بالعلم والصلاح، في المشرق والمغرب.

ولد عام 1286 / 1869 في منطقة يقال لها البحير، وهو واد بمنطقة خضراء تسكنها جماعة من تجكانت.

حفظ القرآن على يد أبيه وأخواله من أهل الطالب، ودرس مبادىء العلوم على يد والده، ودرس الأمهات بدءاً بالخضري، فابن عاشر، *فالرسالة*، *فمختصر* الشيخ أحمد ولد أحمد الهادي. كما درس على أعمامه من آل ميابا كالشيخ محمد العاقب الكبير، والشيخ محمد الخضر؛ والشيخ محمد حبيب الله وغيرهم.

كان شغوفا بالعلم واسع النظر حر الفكر، لا يفتر عن قراءة القرآن الكريم كلما فارق الكتب والتدريس. رحل مع أعماله عن أرض شنقيط إلى اسمارة بالصحراء المغربية ليستقر بهم المقام سنة 1326 / 1908 بمدينة مراكش، وليحلوا ضيوفاً على السلطان المولى عبد الحفيظ بعد مبايعته، وبعد مدة قصدوا الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، وتشاء الأقدار أن يتخلف المترجم له عن هذه الرحلة بسبب مرض ألم به ولازمه مدة سنة. وبعد شفائه عاد إلى حياته الطبيعية، فاندمج مع الوسط المراكشي، وتطوع بإلقاء دروس اختيارية لطلبة ابن يوسف وفي جامع القصبة، وجامع المواسين، وجامع باب دكالة وغيرها من المساجد، وتشاء الأقدار أن يزور مراكش أحد أبناء أعمامه من آل ميابا وهو الأديب محمد البيضاوي الذي جاء يسأل عنه، ويوصي به صديقه القائد العيادي الرحماني الذي كانت تربطه وإياه صداقة متينة. فاعتنى به القائد عناية كبيرة، فأسكنه في بيت قريب منه، وجعله شيخا له وناصحا، وإماما في صلاته. ويغدق عليه من عطاياه، ويباهي به جلاسه من العلماء. خصوصاً وأن الشيخ العاقب كان حافظاً للنصوص والمتون الشرعية، مستحضراً لها عند الحاجة. ذاكراً لله في الحركة والسكون.

توفي بمراكش سنة 1384 / 1964، ودفن بمقبرة باب الخميس.

*روايات شفوية من أسرته ؛ أ. متفكر، ذيل الاعلام، مخطوط.*

أحمد متفكر

**الشنكيطي، محمد بن عبد العزيز** حَامَّنَّ الغَلاَّوي. من أعلام الثقافة البارزين في أقاليم المغرب الصحراوية في بداية القرن العشرين. ولد بشنقيط سنة 1284 / 1867 تلقى تعليمه الأول على يد عمه ابن حامّن وغيره من شيوخ قبيلته. عندما اشتد الضغط الفرنسي على أدرار قدم على الشيخ ماء العينين بالساقية الحمراء، فأخذ عنه بعض العلوم واشتغل بالقضاء والتعليم في زاويته شارك في الكثير من المعارك التي شنتها القبائل الصحراوية على الجيش الفرنسي في أدرار، مثل الميتان ودامان وغيرهما وأبدى فيها شجاعة نادرة.

بعد وفاة الشيخ ماء العينين اشتغل بالقضاء والكتابة زمان الشيخ أحمد الهيبة والشيخ مربيه ربه. وظل يدرس بجامع إفني إلى أن توفي سنة 1375 / 1955. له *أشعار في مدح الشيخ ماء العينين* جمعها الشيخ محمد الغيث النعمة في ديوانه *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*. يتميز شعره بقوته ومتانته وبداوة صوره.

الشيخ أ. بن الشمس، *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، ج 2، ص. 93، مصر، 1330 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 4، ص. 299 ؛ م. الغيث النعمة، *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*، ج 1، ص. 149، تح. أ. مقرئ، مرقون، كلية الآداب، الرباط.

**الشنكيطي، محمد الغيث** النعمة ولد في رمضان عام 1300 / 1882 أخذ العلم على يد والده الشيخ ماء العينين وغيره من أساتذة مدرسة السمارة. بعد وفاة والده الشيخ ماء العينين انخرط في حركة الجهاد التي شهدها الجنوب المغربي بقيادة أخيه الشيخ أحمد الهيبة. اشتغل بالتدريس في سوس، فظل يتنقل بين عدد من قراها في تزنيت ووجان وأيت الرخا وغيرها إلى أن توفي بكردوس سنة 1339 / 1920، فدفن إلى جانب أخيه الشيخ أحمد الهيبة.

تخرجت على يده أفواج من أدباء الصحراء وسوس من بينهم المحفوظ بن الحضرام والشيخ محمد الإمام والشام عبد السلام وعلي بن الطاهر وعبد الرحمان الأزاريفي وغيرهم.

من أبرز آثاره :

- *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*في جزئين، وقد تم تحقيقه من طرف أحمد مفدي والمداح محمد المختار، كلية الآداب الرباط.

- *تنبيه معاشر المريدين، كتاب في التصوف*، طبع على الحجر بفاس سنة 1322.

- *الفواكه*، توجد منه نسخة مخطوطة مبتورة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 1434.

- *نور الغسق في بيان هل إسم الجلالة مرتجل أم مشتق*، في اللغة طبع بذيل كتاب النفحة الأحمدية لأحمد بن الشمس بالمطبعة الجمالية بمصر (د. ت).

- *ديوان شعر في مختلف الأغراض* سيصدر قريباً ضمن منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي.

أنظر حوله :

ابن العتيق، *سحر البيان*، ورقة 132، نسخة مخطوطة خاصة م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 4، ص. 273 ؛ م. الظريف، *الحياة الأدبية في الزاوية المعينية*، ص. 3، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، مرقونة ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *معجم الشيوخ*.

محمد الظريف

**الشّنيلي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Genil ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1678.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشهباء** (جامع -) بسلا، ويدعوه السكان : "جامع لالاّ الشهبة"، أحد أقدم مساجد سلا يرجع بناؤه إلى عهد المرابطين، ويرجح مؤلف *الإتحاف الوجيز* أن يكون ذلك تم بأمر من يوسف بن تاشفين الذي "أمر ببناء المساجد بفاس وغيرها من مدن مملكته في كل حومة". وتختلف المصادر في أصل التسمية حيث تعزوها الرواية الشفوية إلى بنائه من طرف صالحة اسمها لالة الشهبة ذكرها شاعر الملحون محمد ابن لحسن في قصيدته الجهادية أو السلوانية ضمن صلحاء سلا الذين "حضروا من كل مزار" للتصدي للبوارج الفرنسية التي قنبلت المدينة سنة 1851 والتي يقال إنها مدفونة بحي الطالعة كما جاء في أبحاث أركيولوجية لجودية حصار بنسليمان. وحسب بعض المصادر فإن سبب التسمية يرجع لوجود بعض سواري المسجد مغطاة بحجارة شهباء من أنقاض شالة، كما هو الشأن بالنسبة لمسجد الزرقاء بحي زناتة الذي يوجد بصحنه رخام أزرق اللون من نفس المصدر. على أن البعض يذكر أن الاسم الحقيقي للمسجد هو مسجد سيدي فرج المدفون مع آخرين جوار المسجد الذي كانت تلّتجئ إليه النساء الحوامل عندما تعسر عليهن الولادة، في حين يعزو آخرون هذه البركة إلى ماء بئر كانت موجودة بمرافق الوضوء التابعة للمسجد.

ومهما كان فإن الثابت هو أن هذا المسجد نهض بدور المسجد العتيق في سلا بعد خراب المسجد الذي بناه بنو العشرة المؤسسون بجوار قصرهم الفخم الذي كان يتردد عليه أكابر أهل العلم والأدب من الأندلس، وينزل به ملوك الموحدين عند حلولهم بسلا وخصوصاً منهم عبد المومن.

ولما جدد يعقوب المنصور الموحدي المسجد الأعظم ووسعه على الحالة التي هو عليها الآن تقريباً، أعيدت إليه خطبة الجمعة، وبقي جامع الشهباء للصلوات الخمس فقط. إلى أن تكاثر عدد سكان المدينة فأصبح فيها ثلاثة جوامع تقام فيها الجمعة : الجامع الأعظم، وجامع سيدي أحمد حجي وجامع الشهباء.

وقد جُدد بناؤه بعد الاستقلال حيث رُدم الجامع القديم الذي كان يُنزل إليه بعدد من الدرج، وشيد آخر جديد فوقه.

م. بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 1986، ج. الناصري، *ابن الخطيب بسلا*، 1988 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج 2، المحمدية، 1977 ؛ *الحوالة الجديدة*، مخطوط، خ. ح ؛ م. زنيبر، *شذرات من تاريخ مدينة سلا*.

M. Naciri, *Salé. Etude de géographie urbaine*, 1963 ; J. Hassar Bensslimane, *Recherches archéologiques à Salé*, 1979 ; K.L. Brown, *An urbain view of moroccan history, Salé, 1000-1800*, 1971.

محمد الفقير

**شهبون، أحمد**، طالب فاسي، عضو إرسالية تعليمية إلى مصر زمن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، وقد تضمنت هذه البعثة فضلاً عن شهبون، كلا من محمد بن كيران الفاسي وعبد القادر بن علال ابن محمد القليعي.

توجه هؤلاء إلى الديار المصرية على عهد حاكمها سعيد باشا، ثاني حكام مصر من سلالة محمد علي رائد النهضة المصرية، وذلك حوالي 1276 / 1859 وظلت هنالك إلى سنة 1280 / 1863.

تلقى أفراد هذه الإرسالية تكوينا عصريا مرتكزاً على العلوم الهندسية والرياضية والجغرافية. وكان من نتائج هذا التكوين العصري أن وضع أحمد شهبون "كتاب الجغرافية المغربية"، وهو أول كتاب جغرافي مغربي صمم على النمط الحديث. وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن صاحبه ضمَّنه معطيات جغرافية جديدة قياسا بما كان مألوفا في الكتابات المغربية خلال القرنين 18 و19 الميلاديين، التي درجت على تقسيم العالم اعتماداً على نظرية الأقاليم السبعة كما وردت عند بطليموس في القرن الثاني الميلادي وتوظيف معلومات جغرافية متجاوزة منذ قرون مثلما يوجد في كتابات الزياني والصفَّار وإبراهيم التادلي. أما أحمد شهبون فإنه وظف التقسيم القاري للعالم.

ويتألف كتابه من خرائط ورسوم وجداول، منها خرائط القارات الخمس (آسيا، إفريقيا، أوربا، أمريكا واستراليا) إضافة إلى غريلاند، مرفوقة ببيانات عن بحورها وأنهارها وبحيراتها وجزرها وجبالها وأجناسها وأرقام عن سكانها (عدد النفوس)، مثبتا الفروق في التوقيت بين البلدان والمدن، مقدما هذه المعلومات بالكثير من التنظيم والدقة وبالمصطلحات الحديثة كما كانت متداولة لدى الأوربيين، واحتوى الكتاب صورة الفلك (وهي أول لوحة) بيَّن فيها الخطوط (الاستواء، السرطان، الجدي)، وصورة شاملة للكرة الأرضية بشريطها الشرقي والغربي، ورسما لفلك القمر، ورسما للكرة الأرضية من وجه مرفوع عليها دائرة الشمس. وضم الكتاب لوحة للبروج وصفتها والمنازل والكواكب السيارة، ثم ثورة دائرة الحول وبيان الكبس. وختم شهبون مؤلَّفه بخارطة "إقليم المغرب"، بين فيها أسماء المناطق والقبائل والمدن والأنهار الرئيسية، وتضمنت هذه الخارطة قصور توات باعتبارها جزءاً من التراب المغربي حيث لم تكن اغتصبت بعد من قبل المستعمر الفرنسي. حرر هذا الكتاب وطبع بمدينة فاس سنة 1315 / 1898 حسبما وثَّق ذلك شهبون في الصفحات الأولى والثانية والأخيرة منه.

أ. شهبون، *كتاب الجغرافيا المغربية*، فاس، 1315، مخطوط خ. ح.، رقم 2388 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *الدرر الفاخرة بمآثر العلويين بفاس الزاهرة*، الرباط، 1356 / 1937 ؛ *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، ج 2، الرباط، 1961 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 1، بيروت، 1985 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، الرباط، 1989.

أحمد المكاوي

**شهبوني، محمد** مقاوم من مواليد سنة 1334 / 1916 ببني توزين إقليم الناظور.

بدافع الغيرة الوطنية كان الفقيد يحرض سكان المنطقة التي ينتمي إليها على مواجهة الاستعمار وذلك بحكم انتمائه إلى زاوية سيدي عيسى المعروفة بنشاطها الديني. وعندما تأسس جيش التحرير بادر إلى الانضمام إليه بدافع الجهاد ومحاربة المستعمر الغاشم تحت رئاسة عبد القادر الدويري وقد عرف ببطولته المتميزة للدفاع عن حرية المغرب واستقلاله حتى تحقق النصر.

توفي يوم الخميس 24 جمادى الأولى عام 1416 / 19 أكتوبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520794.

**الشهدية**، صنف من أصناف شجر الخوخ يتميز بفاكهة ملساء ولب ناعم وهش ونواة غير ملتصقة باللب. تنتسب الشهدية من حيث التصنيف النباتي إلى نوع الخوخ (= Prumus persica Batsh. Prumus vulgaris Miller) الذي ينتمي بدوره إلى أسرة الورديات (Rosaceae).

أصل شجر الخوخ من جبال الصين ومناطق أخرى من برمانيا والهند الصينية، استقدم قبل العصور الوسطى إلى أوروبا وكذلك إلى مناطق من حوض البحر الأبيض المتوسط.

يشتمل نوع الخوخ على حوالي مائة صنف تختلف فيما بينها بحسب مواصفات الفاكهة والخصائص البيئية لنمو الأصناف، هذه الأصناف تجتمع في أربع مجموعات من ضمنها المجموعة التي تشمل أصناف الشهدية. وتنقسم مجموعة الشهدية بدورها إلى مجموعتين حسب لون اللب : الشهدية ذات اللب الأبيض والشهدية ذات اللب الأصفر. وتحتوي هاتان المجموعتان على حوالي 15 صنف تختلف فيما بينها حسب خصائص البراعم، قامة الأشجار، كثرة الأزهار، وقت الإزهار، توقيت نضج الفاكهة، خصائص الفاكهة من لون ومذاق، المقاومة للأمراض والحشرات الضارة، الحساسية للجليد، أهمية الإنتاج، تحمل ظروف النقل والإيداع.

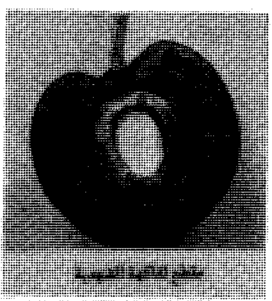

توجد أصناف الشهدية وتزرع في المناطق المعتدلة الدافئة والمتوسطية ذات برودة في فصل الشتاء، إلا أن هناك تبايناً بين الأصناف في ما يخص الظروف البيئية وكذلك مقاومة

الجليد الربيعي والأمراض الفطرية والبكتيرية وتأثير الحشرات الضارة. ولهذه الأسباب اجتهد الاختصاصيون في البستنة لإيجاد الأصناف التي تتكيف مع مختلف الظروف البيئية التي تسمح لزراعة الشهدية.

تزرع شجرة الشهدية بالمغرب أساسا بسهل سايس بنواحي مكناس حيث تكثر المزارع الشاسعة، وبنواحي بولمان وإفران وبسهل الغرب، وبنواحي الخميسات وبني ملال ومراكش. وتوجد كذلك في أغلب مناطق المغرب حيث تكون الظروف ملائمة ولكن بقلة. لا توجد إحصائيات مستقلة بزراعة الشهدية، فالمعطيات الموجودة تجمع بين المساحات المغروسة بالشهدية والخوخ. حسب إحصائيات مديرية الإنتاج الفلاحي لسنة 97 / 1998، تغطي أشجار الخوخ والشهدية حوالي 3700 هكتار بنسبة 20٪ من المساحات المغروسة بالورديات.

تنضج فاكهة الشهدية من بداية شهر أبريل وتمتد إلى آخر شهر غشت وذلك بحسب الأصناف. أغلب الأصناف المغروسة بالمغرب مستوردة من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا.

*أبحاث شخصية.*

زين العابدين عبد النبي

**الشّوار** أو الشُّورَة في العرف المغربي هو ما تحضّره الفتاة وهي مازالت في عصمة والديها من لوازم شخصية متعلقة باللباس والأغطية والأردية وبعض الحلي مما تصحبه معها إلى بيت الزوجية. وفي هذا الصدد يقول أفيلال وهو يتحدث عن انتشار فن التطريز في فاس في صفوف الفتيات "كانت كل فتاة، بما تعلمته من الطرز تُكسي نفسها وتقتني صورتها (شُورتها) وتشتري ما تحتاج إليه من الحلي" (محمد أفيلال، *تنبيه الاكياس*، ص. 39). كما يشير الرهوني أثناء حديثه عن صناعة الحرير في تطوان إلى أن السواد الأعظم من نسائها كن يشتغلن في "استخراج الحرير من الدود فكان يحصل للناس منه أرباح طائلة ومنه كانت تكتسي العائلة ومنه تُشوِّر لنفسها الأبكار" (الرهوني، *تاريخ تطاوين*، الجزء الأول، ص. 365).

أما في مدن الداخل والجنوب فيعوض مصطلح الشوار لفظ "الجهاز" و"البتات" وهما يدلان على نفس المعنى السابق. فالجهاز أو الدهاز (بتحويل الجيم في اللسان الدارج إلى دال أو أحيانا إلى جيم مصرية يعني متاع البيت وزاده هو ما تعنيه لفظة البتات بالضبط (*المنجد في اللغة والأعلام*، ص. 25 و106). وفي هذا السياق يسود استعمال هذا المثل في سهول دكالة وتادلة والسراغنة وعبدة والشاوية للتعبير عن شقاء امرأة في منزل زوجها "لابتات ولافتات" إشارة إلى أن المعنية بالأمر لافراش لها ولامتاع في بيتها يريحها زيادة على ضعف التغذية وهزالها (الفتات ثريد معروف يقدم للمرأة النفساء والضيوف).

ولقد جرت الأعراف والتقاليد في سائر حواضر المغرب وبواديه، أن الفتاة ما إن تبلغ سن الرشد حتى تبدأ في تحضير نفسها للانتقال إلى بيت زوجها وهي مازالت في بيت والديها. فهي في الوقت الذي تساعد أمها على ترتيب أثاث البيت وتدبير شؤونه من مشاركة في الطبخ والغسل والكنس والنسخ والخياطة ورعاية الأطفال تخصص دائماً وقتاً معيناً لتحضير وتجهيز جزء من بيتها المرتقب بمساعدة الأم والأخوات والصديقات والقريبات. وكان هذا التحضير يندرج ضمن أهم انشغالات الفتيات، ومازال ذلك ساري المفعول إلى اليوم، وقد يمتد على طول سنوات عديدة، والحاذقة من الفتيات هي من يطول الحديث عن وصف شوارها وتعداد قطعه كما أن الناجحة من الأمهات هي من تجهز ابنتها عروساً لزوجها بكل ما يحتاجه بيت الزوجية من قطع مزينة بالطرز الفاسي الأصيل. وتهم هذه القطع بالأساس أثاث غرفة النوم بكاملها من أغشية مخدات ورداء سرير وغطاء موائد قاعة الضيافة ومناديلها ومستلزمات الاستحمام وبعض القطع المهداة إلى أم العريس ووالده وإخوته من الذكور والإناث.

ع. العلي الوزاني، *خاطبات من فاس*، *مجلة المناهل*، عدد 6 دجنبر 1979 ؛ م. بن التهامي أفيلال، *تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والأعراس*، تطوان، 1976 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، الجزء الأول مخ خع بتطوان، رقم 676.

M. Bousser et A. Khelladi, *Enquête sur le trousseau*, Alger, 1942 ; A. Lamazière, *Le Maroc secret*, Paris, 1932 ; E. Chimenti, *Eves marocaines*, Tanger, 1935 ; P. Odinot, *Géranium ou la vie d'une femme marocaine*, Rabat [s.d.] ; J. Guy, *Cinq semaines au Maroc*, Paris, 1932 ; M. Sijilmassi, *Les arts traditionnels au Maroc*, Paris, 1986 ; G.S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953 ; M. Chavagnac, *De Fès à Oujda*, 1887, s. l. ; J. Couste, *Les grandes familles indigènes de Salé*, Rabat, 1931.

محمد بوسلام

**الشواري**، لم يرد ذكر في المصادر لا تصريحاً ولا تلميحاً للشواري باستثناء إشارة وردت في كتب الحسبة :

"ومن شيرات اللوز المقنطرة شيرتين وثلاثة أغطية..." (*في أدب الحسبة*، 87)، ويضيف المصدر نفسه في موضوع أدوات ومواعين حمل الأمتعة والمنتجات الفلاحية والصناعية والأشياء الأخرى قوله موضحاً أكثر : "... ومن أغشية خوابي التين سبعة أغشية ومن شيرات حمل الخوابي والمساور الصغار ثلاثة في الفلق من حساب أربع خوابي وأربع مساور في الشيرة".

ويفهم من الشروح الواردة في القواميس والمعاجم القديمة ومنها (المصباح) أن الكلمة قد تكون في الأصل من "الشوار" والشوار كما هو معروف اليوم هو متاع العروس ولوازمها، ولعل الشبه هناك يكمن في عملية الجمع والتنوع؛ فالشواري يجمع خليطاً من الأمتعة والمواد والأشياء الصغيرة والكثيرة لكن هذا النوع من الشواري لا نجده إلا عند العطار المتجول بدابته، فشواري العطار يحمل كل شيء يطلبه الزبون فهو بمثابة دكان متنقل أو "بوتيك" متجول بالنسبة للنساء في البادية خاصة.

لكن الأصل في تقديري ليس له ارتباط بشواري العطار حسب ما جاء في بعض الاجتهادات بل الشواري مرتبط أكثر بالشيرات والشيرة وجمعت في المغرب على شكل "شواري وشواريات" بدل "شيرة وشيرات" ويؤكد ذلك ارتباط المغرب بالأندلس وتلقيه الكثير من التأثيرات الأندلسية خاصة في مادة الفلاحة والنقل. فالإشارات الواردة في كتب الحسبة تدقق في الصناعات وكيفية صنعها ومواصفاتها كل ذلك في ارتباط وثيق بكيفية استعمالها.

لكل مادة مواعين نقلها الخاصة بها، الردمي، وهي قفاف خاصة بنقل الأتربة والحصى وما شابهها، المساور، سلال خاصة بالتين وهكذا.

أما الشيرات أو "الشواريات" فهي لنقل الأحجام الكبيرة نسبياً وهي المواعين التي توضع فيها بعض المواد الفلاحية مثل المساور والخوابي (*في أدب الحسبة*، 87)، ويفهم من الأوصاف ومن المواد المحمولة أن الشيرة والشيرات شبيهة بالسلال الكبيرة المستطيلة تحمل على جانبي ظهر الدابة ويُشد بينها بحبال، وأهم عامل في استعمالها هو المحافظة على التوازن بين شقي الشيرات، وبالرجوع إلى الميدان وهو هنا الأسواق في البادية المغربية، يلاحظ وجود نوعين من الشواري الشواري الشبيه بالذي وصفته النصوص في الأندلس ويسميه سكان البادية "شواري دالعود" ويصنع عادة من أعواد الدفلى أو الطرفا وحتى من أغصان العرار في بعض المناطق؛ وهو مستطيل الشكل ويحمل الجبليون فيه المواد الصلبة أساساً: حجارة، طوب، فخار، القرع وأكياس المنتجات الفلاحية وغيرها (مذكرات خاصة).

النوع الثاني والمنتشر أكثر في السهول لا علاقة له بالنوع الأول إلا في طريقة حمله على ظهر الدابة فهو موزع على جانبيها بشكل متساوٍ ويتطلب استعماله الحفاظ على التوازن، ويصنع من الألياف النباتية "الدوم، سعف النخيل القصير، وسعف النخيل المثمر، والحلفاء".

وطريقة صنعه تختلف من مكان إلى آخر لكن أجود أنواع الشواري هو ما صنع من ظفير الدوم" دفعة واحدة، أما الطريقة الثانية فتصنع ظفائر من الدوم أو سعف النخل على شكل شرائط ثم تخاط إلى جانب بعضها، فهذا نوع أقل صلابة ودواماً من النوع الأول؛ أما شواريات الحلفاء فأقل متانة من الأنواع كلها واستعمالها واستهلاكها سريع وحتى أثمنتها أقل من الأول؛ والشواري فيه حجمان: الكبير وهو الأكثر انتشاراً واستعمالاً في البوادي وخاصة السهول، والحجم الصغير وهو في العادة يوضع على ظهر البغال، ويستعمل في المناطق الجبلية أو في المدن، أما النوع الكبير فيوضع على ظهر الحمار في حالة وجود أحجام وأمتعة أو منقولات تفيض على جانبي الشواري يعمد صاحب التنقل إلى استعمال عمود بشكل أفقي على ظهر الحمار وطرف العمود يخترقان مقبضي الشواري على الجانبين وهكذا.. والشواري أداة ووعاء لحمل كل شيء ويتناسب والحمار، فالحمار دابة لكل الطرقات والظروف والمساحات بأقل التكاليف والشواري صالح لنقل كل الأشياء في جميع الظروف، أما الشواري الصغير فغالباً ما تحمل عليه المواد الثقيلة: أتربة وأحجار ومعادن الخ... أو يحمل فيه الجبليون مشترياتهم الأسبوعية من السوق.

في الظروف الحالية حيث تناقصت كثير من المواد الطبيعية وخاصة الدوم عمد بعض الصناع إلى نسج الشواريات من ألياف وشرائط بلاستيكية، خاصة الحجم الصغير، لكنه لم يلق رواجاً لقلة مكانته وقصر مدة تلاشيه أما الشواري الطبيعي فقد يدوم استعماله في الظروف العادية جيلاً كاملاً، وبعد بداية تلاشيه يستعمل في نقل الأشياء الخفيفة (التبن الغبار، الأعشاب...) وبعدما يصبح غير صالح حتى لهذه المهمة يستعمل فراشاً مدعماً للبرذعة (أحلاس) واستعمالات أخرى هامشية.

م. السقطي، *في أدب الحسبة*، بيروت، 1987؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*، أطروحة مرقونة، كلية الآداب بالرباط، 1998؛ *تحريات ميدانية*.

محمد حجاج الطويل

**الشواني** (سفن) ومفردها شاني من الدخيل أصلها لاتينيChenille نوع من المراكب الكبيرة كانت منتشرة في الغرب الإسلامي طيلة العصر الوسيط وتستعمل في أوقات السلم والحرب، فهي أكبر من القارب وأصغر من الأنواع التي ظهرت في العصر الحديث مثل (الكاراڤيلا)، تسير بشراعين متقابلين مستطيلين، تنساب على صفحة الماء بهدوء، ولعل تسميتها Chenille جاءت مطابقة لشبهها بدودة الفراش المعجم.

أول إشارة للشواني في المغرب جاءت في (*البيان*، 112) وتتعلق بالعهد المرابطي: "أن يوسف بن تاشفين تاق إلى العبور إلى الأندلس وكانت محصنة بالبحر فأنشأ شواني ومراكب..."

لكن الشواني كانت معروفة من قبل في الغرب الإسلامي فالبكري في (*المغرب*، 94) قال في معرض حديثه عن المراسي: "... ومن مرسى بونة تخرج الشواني محاربة إلى

بلاد الروم وجزيرة سردانية وكرسيقة وما والاها..."، ويفهم من كلام البكري أن هذا النوع من المراكب استعمله الأغالبة وغيرهم من الإمارات في الغرب الإسلامي كسلاح هجومي وقد أكدت ذلك كثير من المصادر والدراسات مثل زيدة التاريخ.

استمر العمل بالشواني في الغرب الإسلامي طيلة العصر الوسيط أي أزيد من ثمانية قرون مما يعني أن التشبث بهذا النوع كان بسبب فعاليته وأيضاً بسبب وجود صناع له في الغرب الإسلامي، وأيضاً لقلة تكاليف صناعته وصيانته ولسهولة استعماله، لكن الفترة الأخيرة من العصر الوسيط شهدت بداية النهاية ليس للبحرية المغربية وحسب بل حتى لصناعة المراكب، ففي عهد المرينيين بدأت صناعة المراكب تضعف، فكان اعتمادهم في تنقلاتهم البحرية على شراء السفن وكرائها، ومن الأنواع التي كانت تُشترى أو تكرى الشواني : "لم تزل المراكب تترى وتتعاقب شفعاً ووتراً في كل فصل من القراقر والمراكب والغزويات والقوارب والشواني كراءاً وشراءاً إلى سنة 749 ..." (*المسند*، 393).

كان المرينيون يكترون المراكب ويشترونها من أصحابها وهم صناع وتجار الدويلات البحرية التي عادت لتسيطر على البحر بعد زوال الهيمنة الموحدية على البحر الأبيض المتوسط (*المقدمة*) وهذه الدويلات إيطالية وايبيرية ؛ ويذكرنا الجزيري صاحب مخطوط (*المقصد المحمود*) بتقنيات كتابة عقود كراء المراكب ويفهم من خلالها الأنواع التي كانت تكترى في عهده ومنها الشواني :

"عقد كراء سفينة بعينها : اكترى فلان بن فلان جميع سفينته المسماة بحراق أو قُرْلي أو شاني بجميع أداتها القائمة فيها من القلوع والصواري والأطراف والهواجل...".

لكن ذلك لا يعني أن الاعتماد كلياً كان على الأجنبي في ميدان النقل البحري، فقد استمر المغاربة يعتمدون على أنفسهم في بعض المناطق خاصة الشمال الغربي للمغرب حيث آل العزفي الذين دافعوا عن المنطقة انطلاقاً من قاعدتهم ومدينتهم التي استقلوا بها سبتة، كما كان بعض المغاربة في الشمال يقوم بالنقل ما بين ضفتي البحر المتوسط لكن الأمر لم يستمر، فابن بطوطة انتقل إلى الضفة الأخرى على متن مركب في ملك أهل أصيلا (*الرحلة*، 651) وهو من نوع شيطي الرحلة (651).

الجزيري، *المقصد المحمود*، مخطوط خ. ع ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ البكري، *المغرب*، باريس، 1911 ؛ م. السليماني، *زيدة التاريخ*، مخطوط ؛ م. ابن مرزوق، *المسند* ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت ؛ ابن بطوطة، *الرحلة*، بيروت، 1968 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل*، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1998.

J.B. Belot, *Dictionnaire Français Arabe*, Beyrouth, 1986.

محمد حجاج الطويل

**شوتان، ألكسيس** Chottin Alexis ولد بالجزائر، وفيها درس وظهر اهتمامه بالموسيقى المغاربية. انتقل إلى المغرب الأقصى في العشرينيات، وفي سنة 1927 كان يشغل منصب مدير مدرسة أبناء الأعيان بمدينة سلا. وقد نعته أحد مراسلي جريدة السعادة في هذه الفترة بأنه "كان خير معين للشبيبة على النهضة الأدبية"، وذلك بمناسبة حضورة اجتماع بعض شبان سلا لتأسيس "النادي الأدبي السلوي"، حيث انتخب مستشاراً فنياً.

وقد التحق بإدارة الشؤون الأهلية التي عينته في عام 1929 مديراً على "دار الطرب"، وهي التسمية الأولى لما يسمى اليوم بمعهد دار مولاي رشيد بالرباط ؛ وقد ظل على رأس هذه المؤسسة إلى غاية 1952، وهو تاريخ تعيينه مفتشاً للتعليم الموسيقي بالمغرب.

يحتفظ معهد مولاي رشيد ضمن وثائقه بمذكرة شوتان اليومية، وهي عبارة عن دفتر كان يدون فيه بخط يده دروس الموسيقى الأندلسية التي كان يقوم بتلقين قواعدها لطلبة المعهد.

وفي سنة 1932 أوفد شوتان من طرف إدارة الشؤون الأهلية إلى القاهرة على رأس المجموعة الموسيقية التي مثلت المغرب في المؤتمر الأول للموسيقى العربية، وكان بمعيته : عمر الجعايدي بصفته رئيساً للجوق، والمنشد محمد اشويكة، ومحمد المطيري، ومحمد امبيركو، وعثمان التازي، وعبد السلام بنيوسف، ومحمد دادي.

وقد حرر شوتان إثر عودته من القاهرة تقريراً نوّه فيه خاصة بأشغال "لجنة التسجيل" التي كان أحد أعضائها، وهو التقرير الذي عرّبه عبد الكريم بو علو رئيس تحرير جريدة *السعادة*.

وبعد استقلال المغرب حصر شوتان نشاطه في التدريس بالمعهد الوطني للموسيقى بالرباط، واستفاد من دروسه عدد كبير من الطلاب المغاربة.

يشكل العقدان الثاني والثالث من هذا القرن أخصب فترات حياة شوتان من حيث تنوع الأعمال الفنية وتعدد البحوث العلمية التي أنجزها في مجال الموسيقى المغربية. ففي مجال الأعمال الفنية ظهرت له :

- مدونة "*غذاء الأرواح وذكرى بلد الانشراح*" وتحتوي هذه المدونة على صفحات من التراث الموسيقي الأندلسي، أثنتان من قائم ونصف العشاق، والثالثة من الطرب الغرناطي.
- مدونة "*الأهازيج الدينية والشعبية المستعملة بمدينة فاس*". وقد صدرت بمجلة هسبريس في عددين متتاليين هما عدد الفصل الثالث من سنة 1923، وعدد فبراير 1924.

أما على مستوى البحث العلمي فقد ظهرت عناية شوتان بمختلف فنون الموسيقى المغربية، فألف في بعضها كتباً قائمة بذاتها، وخص بعضها الآخر بمقالات وبحوث نشرها في مجلات ودوريات متخصصة وغير متخصصة.

- ففي مجال التأليف أنجز شوتان ما يلي :

1 . "*Corpus de musique marocaine*" وهو كتاب في جزأين :

أولهما تحت عنوان *Nouba de Ochchak* دون فيه ثماني عشرة صنعة من بسيط نوبة العشاق ممهداً لها بتدوين بغية النوبة، فتوشية، فبغية البسيط.

وقد قدم المؤلف لكتابه بمدخل عرف فيه بالنوبة وميازينها الخمس، وبالأنساق الايقاعية المتوالية في الميزان، ثم تحدث عن طبع العشاق، وإيقاع البسيط وختم ببيان البنيات اللحنية للصنعات.

اعتمد شوتان في تقديم صفحات البسيط الطريقة التالية :

1 ـ تقديم أبيات الصنعة في صيغتها العربية.

2 ـ ترجمة أبيات الصنعة إلى اللغة الفرنسية.

3 ـ التدوين الموسيقي لألحان الصنعة. وقد لجأ إلى وضع مقاطع الكلمات العربية بالحروف اللاتينية تحت المدرج الموسيقي لمساعدة قارئ النوتة على الإنشاد.

4 ـ شرح المصطلحات المتعلقة بالجانبين الشعري واللحني. وقد جاء في سياق التحليل والشرح التنويه بالفنانين الذين ساعدوه في إنجاز المدونة وخاصة منهم محمد امبيركو.

الجزء الثاني تحت عنوان : *Musique et danses berbères du pays Chleuh*.

وفي هذا الكتاب عرف شوتان بجوقة الروايس، وتحدث عن الغناء والمقامات والرقصات، منوها بالرايس بلعيد وفرقته. وقد أتى ببيان أغاني سوس وحاحة والأطلس الكبير، ثم ختم الكتاب بنماذج مدونة لبعض أغاني رقصات أحواش.

وفي عرضه نوه المؤلف بالرايس ساسبو الذي ساعده في إنجاز عمله.

وقد مهد لهذين الكتابين السيد بروسبير ريكارد رئيس إدارة الشؤون الأهلية يومئذ.

2 ـ *Tableau de musique marocaine*

قسم المؤلف هذا الكتاب إلى قسمين، تحدث في أولهما عن أغاني احيدوس وأحواش وزمور وسوس، وخص القسم الثاني بالموسيقى العربية التقليدية في المغرب. وبعد ذلك تحول إلى الموسيقى في العصر الحاضر، وختم بالحديث عن الموسيقى الشعبية وآفاق الموسيقى المغربية.


جريدة *السعادة*، العدد 3087، 9، شوال، 1345 / 1927 ؛ أ. معنينو، *مجلة الفنون*، عدد 9 و10، يوليوز وغشت، 1994، ص. 40 ـ 42 ؛ *الرحلة الفنية إلى الديار المصرية*، تعريب عبد الكريم بوعلو، الرباط، 1932 ؛ *غذاء الأرواح في ذكر بلد الانشراح*.

A. Chottin, *Corpus de musique marocaine*, Fasc. I, *Nouba de Ochehak*, 1931 ; *Corpus de musique marocaine*, Fasc. II, *Musuqie et danses berbères du pays Chleuh*, Paris, 1933 ; *Tableau de la masique marocaine*, Paris, 1938 ; *Chants atabes d'andaloussie* ; *Transcription, traduction et harmonisation*, Premier recueil ; *Avis religieux recueillis à Fès, Hesp.*, 3ème trimestre, 1923 ; *Avis populaires recueillis à Fès, Hesp.*, Fev. 1924.


عبد العزيز بن عبد الجليل

**الشُّوح**، (نبات) ويسمى عند البعض التنُّوب، جنس نباتي يشمل عدة أنواع نادرة في المنطقة المتوسطية، وأنواع أخرى واسعة الانتشار في المناطق المعتدلة من النصف الشمالي للكرة الأرضية، وذلك على طول الحزام ما بين شرق سيبيريا وغرب كندا والولايات المتحدة. أما في شمال إفريقيا فإننا نجد نوعين هنا : نوع جزائري ونوع مغربي كما نجد نوعاً ثالثاً بالأندلس. ينتمي الجنس لفصيلة الصنوبريّات Abietaceae أو التنوبيات Pinaceae.

والشُّوحُ المغربي هو آبْيِيسْ ماروكانا Abies maroccana شجرة عالية، قد تبلغ 50 م من الارتفاع. ذات تاج جميل جداً مخروطي الشكل. جذعه مستقيم حامل لفروع أفقية.

قشرة الجذع رمادية اللون وملساء في الصغر، وتتشقق وتصير بنية اللون وضاربة إلى الاحمرار في الكبر. الأوراق إبرية الشكل مستقيمة وذات طول يبلغ 20 مم وقاعدة عريضة وطرف حاد، ومحمولة على الأغصان في شكل حلزوني. الازهارات الذكرية على شكل هرّي وذات لون أحمر ضارب إلى الأرجُواني وكثيرة العدد. أما الازهارت الأنثوية فهي قليلة العدد، خضراء اللون قبل أن تحمر وتظهر في قمة الشجرة. الثمار مخروطية ذات شكل أسطواني وذات طول يتراوح ما بين 12 و20 سم البذور مجنحة.

الشوح المغربي نوع قبسي لا يصادف في أي بلد آخر. وهو نادر جداً إذ لا يعيش إلا في المنطقة الكلسية من الريف الغربي شمال وشرق مدينة شفشاون حيث يقطن في البيومناخات الرطبة وشديدة الرطوبة الموجودة في الطابقين النباتيين فوق المتوسطي والجبلي المتوسطي.

يحبذ الشوح الأتربة الحدسلية الحمراء أو الضاربة إلى السمرة، والسميكة تاركا بذلك الأتربة الصخرية للأنواع الأخرى غير بلوط الزان.

وفي هذه الظروف البيئية يشكل الشوح غابات كثيفة وذات تنوع إحيائي جد غني، بل أغنى الغابات المغربية في هذا المجال. ولكن على مساحة لا تتعدى 3000 هـ في مجموعها المكون من كتلة تالسمطان وكتلة تازاوت. ونظراً لأهمية هذه الثروة وندرتها ولجمال المناظر الخلابة ورونقها، فقد أنشئ المنتزه الوطني لتالسمطان (انظرتالسمطان).

وفي هذا المجال ينظم الشوح عشيرة نباتية خاصة به أو مختلطا في المستويات السفلية مع البلوط الأخضر أو بلوط الزان أو الصنوبر المغربي أو الصنوبر الأسود، وفي المستويات العلوية مع الأرز. ففي الطابق فوق المتوسطي وعلى الأتربة الأكثر سمكا يختلط الشوح مع بلوط الزان تاركان الأتربة الأقل سمكا للبلوط الأخضر والصنوبر وخاصة الأسود منهما. أما في الطابق الجبلي المتوسطي فإن التربة تصير أقل سمكا وأقل ملاءمة للشوح بينما تصير الظروف أكثر ملاءمة للأرز.

تعطي غابة الشوح عدة أنواع من الخشب الجيد والمواد الأخرى للتنوع الاحيائي للمنطقة، المستخدمة في النجارة لصناعة الأثاث وفي صناعة بعض الأواني وأشياء أخرى (انظر قيقب). لكن بسبب ندرة نوع الشوح المهدد بالانقراض، منع منعا كليا استغلال خشبه.

بالإضافة إلى هذه الاستعمالات يستخدم الشوح في التطبيب التقليدي لعدة أغراض.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, et Rabat, 2000, 360 p. ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

**الشّوْدَرِي** بفتح الشين والدال والراء المكسورة، اسم عائلة أندلسية مازالت موجودة بتطوان وأصلها من مدينة (شوذر) من أعمال جيّان بالأندلس، ولكنه ينطق بالدال المهملة، وقال شيخنا الرهوني بأن أصلها من غُمارة. قال الأستاذ داود ولا أدري مستنده في هذا.

أول من عُرف منها أواسط القرن الحادي عشر الهجري : الفقيه العدل الأديب السيد علي بن محمد الشّوْدَري ومنهم الفقيه أبو يعقوب عيسى الشودري من أدباء تطوان، وهو الذي خاطبه ابن زاكور الفاسي من قصيده بقوله :

يا مَن به شرُفَت على تطــوان  تطاون الغرا بلا بهتــان

وفي هذا العهد تقريبا كان بتطوان من هذه العائلة : الفقيه الأديب أبو المحاسن يوسف بن محمد الشودري صاحب المنظومة المسماة *ورد الشهي العاطش، وصولة الإسلام بالعرائش* التي قرظها عالم تطوان الحاج علي بركة الأندلسي، وقد أورد داود هذه المنظومة كلها بالمجلد الثاني من *تاريخ تطوان* ومنهم الفقيه إبراهيم جد المذكور يوسف، وله تقريظ على ديوان الرافعي التطواني المحفوظ بالخزانة الداودية. ومن العائلة عدول ونظار أحباس وكان لبعضهم مهارة في الآلة الأندلسية حفظا وعزفا.

م. داود، *عائلات تطوان*، نسخته بخطه بخزانته بتطوان، تاريخ تطوان له، 1 : 421، ط تطوان.

محمد بوخبزة

**الشورَى والاستقلال** (حزب -) حزب سياسي وطني مغربي، تأسس في ظل كفاح الحركة الوطنية ضد الحماية، ناضل أيام الحماية من أجل نشر مبادئ التربية على الديموقراطية وحقوق الانسان، ومن أجل حصول البلد على الاستقلال، كما ناضل في عهد ما بعد الحماية من أجل تحقيق وإرساء دعائم مجتمع ديموقراطي تحت سلطة نظام ملكية ديموقراطية دستورية برلمانية.

يرتبط اسم حزب الشورى والاستقلال باسم مؤسسه وزعيمه محمد بن الحسن الوزاني، أحد مؤسسي وزعماء الحركة الوطنية الكبار، وباسم عدد من القيادات التي تحملت مسؤولية تسييره في مختلف المراحل. وهي أسماء برزت في العمل الوطني السياسي منذ بدايته سنة 1930 بحركة الاحتجاج ضد الظهير البربري، بل منها من ساهم في العمل في حركة العشرينيات التي شكلت الإرهاصات المباشرة لبداية العمل الوطني السياسي، فشاركت في الحركة الجمعوية الثقافية والمجتمعية بكل تلاوينها، وعملت ضمن الجمعيات السرية الأولى، كما أصبح بعضها عضواً في تنظيمي "الزاوية" و "الطائفة" ثم كتلة العمل الوطني.

في مستهل سنة 1937 نظراً لخلافات في الرؤى بين مكونات قيادة الكتلة، خصوصاً بين التوجه الذي يمثله علال الفاسي والتوجه الذي يمثله محمد بن الحسن الوزاني انشق هذا التنظيم على نفسه في مؤتمر تم عقده بفاس للرقي بالكتلة إلى مستوى حزب سياسي عصري، وإثر هذا المؤتمر احتفظ علال الفاسي وأنصاره بتنظيم الكتلة ثم حولوه إلى حزب أطلقوا عليه اسم "الحزب الوطني لتحقيق المطالب" بينما اضطر محمد بن الحسن الوزاني أمام جنوح المختلفين معه إلى تعميق الخلاف لجمع أنصاره في تنظيم خاص، أطلق عليه اسم "الحركة القومية"، وجعل له جريدتين ناطقتين باسمه هما : جريدة *"الدفاع"* باللغة العربية، إلى جانب جريدة *"عمل الشعب"* باللغة الفرنسية.

ومنذ انشقاق كتلة العمل الوطني توزع الوطنيون بمنطقة الحماية الفرنسية إلى "حزبيين" وهم منخرطو وأنصار "الحزب الوطني لتحقيق المطالب"، و"قوميين: وهم منخرطو وأنصار "الحركة القومية". وفي أواخر سنة 1937 وإثر اصطدام بين الحزب الوطني وسلطات الإقامة العامة، وتعرض قيادته للاعتقال تضامنت الحركة القومية مع الحزبيين، تضامنا عرض قادتها وعدداً من مناضليها للاعتقال والنفي، والتنكيل، وكان نصيب الوزاني مؤسس الحركة هو تسع سنوات من المنفى. بعد هذا القمع وبسبب ظروف الحرب العالمية الثانية وما صاحبها من منع لأي تحرك سياسي وطني تراجع العمل الوطني إلى الخلف ولم يظهر من جديد إلا في بداية سنة 1944 عندما قدم وطنيون من الحزب الوطني ومن تحالف معه ما سمي "عريضة المطالبة بالاستقلال"، وأسسوا على إثرها "حزب الاستقلال". وقد ساهمت الحركة القومية في هذه العودة، وقدمت هي الأخرى عريضة مماثلة بعد تقديم الأولى بيومين، أي بتاريخ 13 يناير 1944، وغيرت إثر ذلك اسمها إلى "الحركة القومية الاستقلالية".

وفي سنة 1946 وإثر انفراجات ما بعد الحرب العالمية الثانية أفرجت السلطات الفرنسية عن الزعيم محمد بن الحسن الوزاني الذي عاد لتوه للعمل السياسي الوطني، وجدد انسجاما مع الشروط الدولية والداخلية تنظيم "الحركة القومية الاستقلالية" بتأسيس حزب سياسي ضم مناضلي الحركة، وعدداً مهما من الملتحقين الجدد، اختار له اسم "حزب الشورى والاستقلال" وفي المؤتمر التأسيسي الذي عقده الحزب بمدينة الدار البيضاء بتاريخ 27 - 28 - 29 يوليوز 1946، صادق المؤتمرون على "ميثاق الاستقلال القومي" برنامجا للحزب، وانتخبوا مكتبا سياسيا يشرف على التسيير، وفي بداية شهر أبريل 1950 عقد الحزب مؤتمره الثاني بمدينة فاس حيث صادق المؤتمرون على "ميثاق" يحدد المبادئ ووسائل العمل، وأدخلوا تغييرا على تركيبة المكتب السياسي.

تألف المكتب السياسي لحزب الشورى والاستقلال في

المؤتمر التأسيسي من تسعة مسؤولين هم : محمد بن الحسن الوزاني أمينا عاما، وعبد القادر بن جلون نائبا للأمين العام، وعضوية كل من الحاج أحمد معنينو، ومحمد الفاضل المؤقت، وإبراهيم الهلالي، وعلي العراقي، ومحمد العربي العلمي، وعبد الهادي الشرايبي، ومحمد بن عبد الله. وفي مؤتمر 1950 غادر تركيبة المكتب ثلاثة أسماء هم : محمد العربي العلمي، وعبد الهادي الشرايبي، ومحمد بن عبد الله. وانضاف إلى الذين استمروا في المسؤولية، مسؤولون جُدُد هم : الحاج عبد القادر العلج، ومحمد الشرقاوي، وأحمد بن سودة وعبد الهادي بوطالب، والمهدي بن صابر، وإدريس الكتاني. وفي إطار الهيكلة والتنظيم أصدر الحزب جريدة ناطقة باسمه ابتداء من شهر أبريل 1947 هي جريدة *"الرأي العام"* أسند مهمة إدارتها لأحمد بن سودة، كما أسس الحزب فروعا له بمختلف جهات المغرب، وخلق مجموعة من التنظيمات الموازية : طلابية، مثل "الرابطة القروية" وتنظيم "الطلبة الشوريين"، ونسائية مثل "جمعية أخوات الصفا" التي كان مقرها بمدينة فاس ولها فروع بمختلف مدن المغرب، و"جمعية السيدات المغربيات" التي كان مقرها المركزي بمدينة الدار البيضاء، وشبابية مثل "مغرب الغد" و "الكشاف المسلم" وفنية مثل "إخوان الفن" و "الكوكب المسرحي"، وغيرها. كما فتح الحزب مكتبا له بالقاهرة، وآخر بباريس، وساهم في تأسيس "عصبة الدفاع عن المغرب الحر" التي ضمت إلى جانب بعض الشوريين المستقرين بفرنسا - آنذاك - شخصيات فرنسية متعاطفة مع القضية المغربية.

آمنت قيادة حزب الشورى والاستقلال بدور النخبة في إصلاح المجتمع وقيادته نحو الأفضل، وانحازت على المستوى الفكري والايديولوجي إلى قيم الثقافة السياسية الديموقراطية الغربية دون تفريط في الثقافة العربية الإسلامية، حيث تبنت نوعا من الوطنية الليبرالية، أعلنت من خلالها الولاء للوطن ومعاداة الاستبداد والاستعمار وجعلت الديموقراطية صنوا للاستقلال، كما عبر عن ذلك اسم الحزب، وللوصول إلى الأهداف المتوخاة تبنى حزب الشورى والاستقلال النزعة الاصلاحية المعادية للتطرف والثورة، المتشبثة بـ"الحكمة والسياسة" و"الموعظة والمجادلة بالتي هي أحسن". وقد انعكست هذه الايديولوجية الوطنية الاصلاحية الليبرالية في برنامج الحزب بوضوح، حيث ناضل الشوريون من أجل الديموقراطية ومن أجل الاستقلال، برؤية وزعت المسألة المغربية بين بعدين أحدهما داخلي يقتضي حله، مواجهة الصفة الباطنية للحماية المتمثلة في الاستعمار والاستبداد والاستعباد، عن طريق الكفاح من أجل إقامة نظام "الشورى" بمعنى نظام الديموقراطية، والمؤسسات التمثيلية، والبعد الثاني خارجي، تفرض تصفيته التخلص من الصفة الظاهرية لنظام الحماية بإبرام معاهدة جديدة بين المغرب وفرنسا تلغي معاهدة 1912 وتحل محلها. لقد تجسد هذا الاهتمام بالديموقراطية والاستقلال نظرياً في كل وثائق الحزب، كما تجسد عمليا في تصور اقترحه الحزب على السلطات الفرنسية سنة 1947 لحل المشكلة المغربية الفرنسية، على مراحل، وهو التصور المعروف باسم "مذكرة 23 شتنبر 1947".

على المستوى الحزبي طمح حزب الشورى والاستقلال أن لا يكون حزبا بالمعنى المعتاد، وإنما مدرسة لتكوين أطر سياسية، ولتربية الشعب تربية وطنية، وتأطيره وترشيده من أجل تأطير الوطن. كما آمن بالتعددية الحزبية والمنافسة السياسية الشريفة، وبالتنسيق الحزبي على المستوى الوطني، فدعا مراراً إلى التقارب مع الأحزاب الوطنية خاصة مع حزب الاستقلال. وشارك في جبهة الأحزاب الوطنية التي تأسست بطنجة سنة 1951.

وبالإضافة إلى نضال الحزب من أجل الديموقراطية والاستقلال حسب تصوره وبرنامجه وايديولوجيته حضر الشوريون في كل محطات النضال الكبرى في الخمسينيات، إذ شاركت قواعد الحزب مشاركة فعالة في حوادث 1952 بالدار البيضاء. ولعب زعيمه دوراً مهما لدى الجامعة العربية من أجل طرح القضية المغربية على هيئة الأمم المتحدة، وساهم وفده لدى المنظمات والهيئات الدولية في تدويل القضية المغربية، والدفاع عنها في دورات الهيئة الأممية، خصوصاً في دورة قصر شايو بفرنسا. ولما أقدمت السلطات الفرنسية على نفي السلطان سنة 1953، أدان حزب الشوى والاستقلال بشدة الاعتداء على العرش. وترجمت قواعده هذه الإدانة بالانخراط في المقاومة المسلحة من خلال خلايا ومنظمات خاصة بهم، أو من خلال منظمات تعاونوا فيها مع غيرهم، مثل منظمة "الهلال الأسود".

شارك حزب الشورى والاستقلال في محادثات "ايكس ليبان" التي جرت بفرنسا من أجل حل القضية المغربية، وشارك في حكومة البكاي الأولى بستة وزراء، وفي المفاوضات الفرنسية المغربية التي نتجت عنها اتفاقية الاستقلال سنة 1956، وقد رفض الشوريون المشاركة في حكومة البكاي الثانية، ضد ما اعتبروه مؤامرة في حق حزبهم وتهميشا لمشاركته الفعلية في تسيير الشأن العام في عهد الاستقلال، وتبنوا موقف المعارضة ليصبح حزبهم أول حزب معارض في عهد الاستقلال، واستطاعوا عبر صحافتهم وتجمعاتهم الشعبية الكبرى خصوصا في الدار البيضاء وعبر المجلس الوطني الاستشاري إحراج الحكومات المتعاقبة إزاء قضايا متعددة.

وليستجيب الحزب لمتطلبات المرحلة الجديدة - مرحلة الاستقلال - عمل الشوريون على تجديد بنيته، واطروحاته النظرية، خلال عدة مجالس وطنية، وفي المؤتمر الوطني العام الذي انعقد سنة 1959، وهكذا أصدر الحزب جريدة جديدة باللغة الفرنسية - إلى جانب الرأي العام باللغة العربية - سماها "الديموقراطية"، أسند إدارتها لمحمد الشرقاوي، كما وسع من عدد فروعه وأعاد هيكلتها، وعزز تنظيماته الموازية

بجمعيات جديدة، وأنشأ : "مدرسة الإطار" لإعداد المسيرين، مثلما طعم خطه الايديولوجي بالتأكيد على الديموقراطية، واعتبار الاستقلال مجرد وسيلة لبناء نظام ملكية دستورية برلمانية. وتوضح وثائق المؤتمر الوطني العام الذي عقده الحزب سنة 1959 تصور الشوريين لدولة الاستقلال وبرنامجهم السياسي، والاقتصادي والاجتماعي.

أما بخصوص المواقف فعلى المستوى الداخلي، طالب حزب الشورى والاستقلال وناضل من أجل جلاء الأجانب عن التراب المغربي، واستكمال الاستقلال، مثلما ناضل من أجل بناء دولة ديموقراطية ليبرالية عصرية، ومجتمع عصري ومتفتح، وأفرد القسم الأكبر من مطالبه لإقرار الحريات العامة وإقرار مبدأ حقوق الإنسان والمواطن، ومبدأ التعددية الحزبية والانتخاب في أفق نظام ملكية دستورية برلمانية. وعلى المستوى الخارجي تضامن مع بلدان المغرب العربي ضد الممارسات الاستعمارية، واعتبر استقلال المغرب وتونس استقلالا مهدداً باستمرار مادامت الجزائر تحت سلطة الفرنسيين. ونادى بالتعبئة ومساندة الجزائر في كفاحها كما تضامن مع البلاد العربية والإسلامية، وإزاء كل القضايا ومنح القضية الفلسطينية أولويات كبرى، وناصر حركات التحرر إفريقيا وعالميا.

وفي الوقت الذي كانت قيادة الحزب تعمل على تقويته فكريا وايديولوجيا، وعلى توسيع قاعدته وإحكام تنظيمه، لأداء رسالته كانت عوامل مضادة تستنزف هذا الحزب وتعمل على إنهاكه. وهي عوامل توزعت إلى خارجية وداخلية. فمن خارج الحزب تعرض الشوريون لهجمة عنف سياسي كبرى من طرف حزب الاستقلال، وظفت الاضطهاد النفسي، والاختطاف السياسي، والاعتقال والتعذيب حتى الموت، والاغتيال وغيرها من ممارسات العنف التي أصبحت وسيلة عقاب المنتمين لحزب الشورى والاستقلال كما تسببت في تعطيل جرائد الحزب مرات متعددة، وشل حركة مكاتبه وفروعه في جهات كثيرة، وبموازاة هذه "الظاهرة"، تعرض الحزب لهزة داخلية كبري إثر انضمام أفراد قيادية مهمة، وقواعد كثيرة إلى الجماعة المنشقة عن حزب الاستقلال سنة 1959، لتؤسس معها حزب "الاتحاد الوطني للقوات الشعبية"، فقد قاطع المنشقون الشوريون المؤتمر الوطني العام، وسحبوا معهم لسان الحزب جريدة *"الرأي العام"*، كما استولوا على مطبعته مجردين إياه من رأسمال بشري مهم، ومن وسائل لوجيستيكية رئيسية، سرعان ما ظهرت آثارها واضحة، إذ لم تمض على عملية الانشقاق هاته سوى ثلاثة أشهر، حتى أعلن زعيم الحزب ومؤسسه محمد بن الحسن الوزاني في بلاغ صحفي بتاريخ 4 يناير 1960 تغيير اسم "حزب الشورى والاستقلال" باسم جديد هو "حزب الدستور الديموقراطي".

*ميثاق الاستقلال القومي*، الصادر عن المؤتمر التأسيسي اللحزب، سنة 1946 ؛ *ميثاق الحزب*، الصادر عن مؤتمر، سنة 1950 ؛ هذه هي *الحماية في مراكش*، وفد حزب الشورى والاستقلال بالشرق ـ لجنة تحرير المغرب العربي، 1953 ؛ *مراكش المعربة في صور*، في سبيل الحرية الغالية، كفاح وثبات وتضحية، وفد حزب الشورى والاستقلال بالشرق ـ لجنة تحرير المغرب العربي، 1953 ؛ *الجلاء التام كما يريده حزب الشورى والاستقلال*، الأمانة العامة، *في سبيل مجتمع انقلابي صالح*، قسم النشر، 1959 ؛ *مذكرات حياة وجهاد*، ستة أجزاء، صدرت عن مؤسسة محمد حسن الوزاني بين سنوات، 1982 ـ 1986 ؛ *خطب وتصريحات صحفية* في أربعة أجزاء ؛ صدرت عن مؤسسة محمد حسن الوزاني سنة 1988 ؛ *دراسات وتأملات* في ثلاثة أجزاء، صدرت عن مؤسسة محمد حسن الوزاني سنة 1987 ـ 1988؛ أشفورد دوكلاس آي، *التطورات السياسية في المملكة المغربية*، تر. عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكمة، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1964 ؛ التجكاني المهدي، *دار بريشة أو قصة مختطف*، الدار البيضاء، 1987 ؛ م. العربي الخطابي، *المغرب في طريق الاستقلال*، الدار البيضاء، 1955 ؛ إ. الكتاني، *المغرب ضد اللادينية*، الدار البيضاء، دار السلمي، 1958 ؛ حسن أحمد المصمودي، *صفحات في تاريخ المغرب المعاصر* ؛ أ. بن سودة، في *حديث المفتي*، *مسيرة نضال وثبات*، الطبعة 2، الدار البيضاء، 1987 ؛ أ. الحاج معنينو، *المجلس الوطني الاستشاري ومعارضة حزب الشورى والاستقلال، 1956 ـ 1959*، الدار البيضاء، 1986 ؛ *صحافة الحزب*، جريدة الدفاع، 1937 ؛ *جريدة الرأي العام، ما بين سنوات 1947 ـ 1959*.

P. D. I., *Memoire sur la compétence de l'O.N.U dans l'affaire marocaine*, PDI, novembre 1951 ; *Dialogue de sourds, ou les pourparlers franco-marocains, 1947-1950*, Bureau d'édition du PDI, Décembre 1951 ; *Le Maroc et la ligue arabe*, Janvier 1952 ; *La question marocaine problèmes et solutions, le gouvernement français devant ses responsabilités*, Décembre 1954 ; *L'action du peuple*, 1937 ; *Démocratie. 1957-1958* ; L. Cerych, *Europeens et marocains*, 1930-1956, *Sociologie d'une décolonisation*, 1964 ; L. Gravier, *Crise au sein de P.D.I. entre partisan et adversaire d'un rapprochement avec le néo Istiqlal*, *Le Monde* 21 août 1959 ; C.A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978 ; J. et S. Lacouture, *Le Maroc à l'épreuve*, Paris, 1958 ; R. Letourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane*, Paris, 1961 ;G. Oved, *La gauche françaie et le nationalisme marocain, 1905 - 1955*, Paris, 1984 ; R. Rezette, *Les partis politiques marocains*, 2ème éd., Paris, 1955 ; F. Taillart, *Le nationalisme marocain*, Paris, 1947 ; J. Waterbury, Le *commandeur des croyants. La monarchie marocaine et son élite* ; Izarab Ouzzani, *Mohammed Hassan Ouazzani, mémorial du Maroc*, vol. 6.

محمد معروف الدفالي

**شوراق، ميمون** مقاوم من مواليد سنة 1921 بكبدانة إقليم الناظور. من الرعيل الأول من الوطنيين الذين بذلوا النفس والنفيس في سبيل طرد المستعمر الغاشم وتحرير الوطن. فقد ساهم في عمليات إنزال السلاح من الباخرة *دينا* القادمة من المشرق، حيث يشهد له بعمله البطولي ومشابرته في عملية إنزال السلاح التي استغرقت ليلة واحدة. كما شارك في إخفاء الأسلحة ليتم نقلها إلى مراكز جيش التحرير المغربي. كما ساهم في نقل الحصة المخصصة من الأسلحة إلى الجزائر في إطار التعاون بين أقطار المغرب العربي.

توفي في 24 جمادى الأولى عام 1416 / 19 أكتوبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 505295.

**شُورْيَة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Soria وهو اسم مدينة إسبانية. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1461.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشوك**، يطلق على بعض النباتات الشوكية وخصوصا منها كثيرة الأشواك. فهو اسم صفة يستعمل للتصنيف من الناحية النباتية.

تعتبر الأشواك أجساماً مخروطية صلبة وحادة تنفذ إلى الأجسام الرطبة حين تلمسها ويضغط عليها. استعملها الإنسان لوصف النباتات بسبب حدة وخزها وما ينتج عن ذلك من آلام وتورم في الجراح التي تسببها.

تختلف النباتات الشوكية فيما بينها حسب حجم الأشواك وقياسها وطبيعتها. يرجع أصل الأشواك عند بعض النباتات إلى أوراق فقدت لونها الأخضر وتفلطحها وأصبحت نحيفة ومخروطية وصلبة. ويمكن تشخيصها كأوراق متحورة عن طريق ملاحظة مكانها في أسفل البرعم الإبطي أو الفرع بقليل. كما أن الأذنيات والقنابات يمكن أن تتحور إلى أشواك.

وهناك أيضاً أشوك تنتج عن تحور الأغصان وهي عادة تنشأ في إبط الورقة أو أعلى قليلاً منها.

وهناك نوع من الأشـواك ينتج عن "نموات" الانسجة الخارجية للساق والبراعم كما هو موجود عند الورد والعليق. وهي لا تختلف في وخزها عن أشواك الأوراق أو الأغصان.

تكثر النباتات الشوكية عادة في المناطق الجافة حيث تعتبر من النباتات المتحملة للجفاف لأن وجود الأشواك يلعب دوراً مهماً في الحد من النتح وذلك عن طريق غلق المسام أو الحد من شدة الضوء والنقص من درجة حرارة الأوراق.

وتوجد النباتات الشوكية كذلك في المناطق التي يكثر فيها الرعي لأنها تتحمل الرعي بسبب وجود الأشواك (نوع من الدفاع الذاتي). وكذلك لاستغلالها المجال الفارغ بسبب انقراض النباتات الأخرى. وفي هذه الحالة، خصوصاً، تلعب النباتات الشوكية دوراً مهما في الحفاظ على النباتات الأخرى من الانقراض حيث تخلق لها ملجأ تنمو فيه وتبذر في حماية من الرعي.

أمثلة من النباتات الشوكية :

- أشواك الأوراق : بعض الصبريات - السكوم - إرنجيوم - التّاگة.
- أشواك الأغصان : الشمام، الزعرور، الزخزوف، الگندول، "رامنوس".
- أشـواك الأذينات : بعض أنواع الطلح - السكوم - السدر.
- أشواك النموات : العليق، الورد، الگرنينة، الزرنيج "أطراكتليس".

تستعمل في كثير من الحالات النباتات الشوكية، كسياج لحماية المزروعات أو أماكن الحيوانات الأليفة.

*علم النبات*، تر. الهيئة القومية، للبحث العلمي، الجماهيرية العظمى، 1989 ؛ *جغرافية النبات*، عبد السلام تشاح، نشر إفريقيا الشرق، 1990.

عبد النبي زين العابدين

**الشُولُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Chullo وهو اسم مدينة إسبانية. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

**الشُولُو، عبد الرحمن** خبير في المدفعية أمره السلطان يوم 6 ذي القعدة 1278 (5 ماي 1862) ليتوجه إلى تطاون "للوقوف على اشتراء المدافع للمدينة من طرف الباشا عبد القادر اشعاش"، وجاء في رسالة سلطانية أخرى بتاريخ 23 صفر 1279 (20 غشت 1862). موجهة إلى الباشا الشعاش أنه يتعين عليه أن "يتفاوض مع الشولو الطبجي في فرمات المدافع التي أمرنا باشترائها بقصد تطاون" وعند وصول المدافع إلى تطوان في شهر رجب 1280 (يناير 1864) وضعها عبد الرحمن في محلها ؛ كما جاء في رسالة سلطانية أخرى إلى الباشا المذكور بتاريخ 21 ربيع الثاني 1280 (5 أكتوبر 1863) أنه يجب توجيه المعلم الشولو إلى طنجة "ليباشر مع النائب محمد برگاش أمر السراير التي جلبت على يد العطار بقصد المدافع القديمة".

وبالإضافة إلى عمله كرئيس لفرقة المدفعية بحامية تطوان كان الخبير الشولو يعمل ميقاتياً بالمسجد الأعظم التطواني من سنة 1280 (1863) إلى أن وافته المنية سنة 1287 (1870).

**الشُولُو، محمد** مدفعي ماهر كان يعمل بجانب أخيه عبد الرحمن في فرقة المدفعية لحامية تطوان سنة 1246 (1830).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشوَّاف والشوافة**، ساحران يزعمان الرؤية من خلال حجب الزمان والمكان معاً، أو من خلال حجب أحدهما دون الآخر، كالاطلاع على ما سيحدث بالنسبة للزمان، ومعرفة ما حدث عن بُعد وخلف الجدران بالنسبة للمكان.

ولحرفة الشَّوافة المعروفة في حواضر المغرب وبواديه شبه كبير بالعرافة انطلاقاً من المعنى الاصطلاحي وإن كانت تختلف عنها من حيث الوسيلة والأداة.

وللشوّاف ـ كما يدعى أهل هذه الحرفة ـ قدرة على اكتشاف الفعل والشيء المخبأين والاطلاع على الفاعل والكشف عن أسرار ذلك باستعمال أحد الوسائل التالية :

1 ـ الاتصال بالجن (الخدام) :

وفي هذه الحالة لا يكون الاتصال قائما على علاقة تسخير كما يسود لدى السَّحرة، بل قائماً على وقوع الشواف (الوسيط) تحت المسّ، وخضوعه لساكن روحاني يسكنه ويكون بمثابة عينه التي يرى بها وأذنه التي يسمع بها وربما كان أيضاً لسانه الذي يتكلم به إلى طالب المشورة، ولذلك يمارس هذا النوع من الشوافين طقوسا غريبة تسبق وقوع التلبس المذكور.

2 ـ استخدام القراءة اعتماداً على خط الزناتي أو أسلوب الزايرجية :

وتقوم الوسيلة الأولى على الضرب في الرمل بعظام قصيرة أو مدوّرة وأخرى طويلة مستقيمة تحل محل الرموز التي أستعملها الشيخ الزناتي، وذلك للحصول على أوضاع مختلفة يكون لكل منها رمزيته ومعانيه نسبة إلى اسم طالب المشورة أو الشخص المعني بها واسم والدته.

أما الثانية (الزايرجية) فتقوم على استخدام اسم الشخص المعني واسم والدته في حساب مدروس ومعلوم لدى الشواف يخضع الاسمين فيه لجدول مكون من مربعات عددها في الضلع الواحد بعدد حروف الاسمين المذكورين، ليصل من خلال ذلك إلى تركيبات عددية يحولها من جديد إلى حروف لها دلالاتها ورمزياتها العرافية.

3 ـ أسلوب التحليل النفسي :

وهذا في حقيقته شبيه إلى حد كبير ببعض ما يقوم به المحللون النفسانيون مع مرضاهم، حيث يقوم أساساً على دراسة أولية لمظهر الشخص المعني، طالب الاستشارة، وحركاته وسكناته، ونوعية طبعه من خلال شكل وجهه وهندامه ويديه، ومن خلال تغير قسماته خلال مخاطبة الشواف إياه... وبذلك يتسنى لهذا الأخير أن يقف من خلال جس أول لنبض مخاطبه من التعرف على الشيء الكثير عن شخصيته وعما من شأنه أن يؤثر فيه إيجابا وسلبا، ويثير فيه عواطفه ويذكي انفعالاته.

وفي هذا الأسلوب يكون الشواف كالسائق الحاذق ويكون مخاطبه كمركبة لا حول لها ولا قوة منقادة لسائقها تمام الانقياد.

4 ـ القراءة في راحة اليد أو الفنجان أو اللّدون (الرصاص) أو البيضة أو أي شيء آخر : ويكون التركيز خلال ذلك كما في الطريقة السابقة على أحوال الشخص طالب الاستشارة وعلى ردود فعله إزاء ما يلقى عليه من الأخبار والمعطيات التي يفترض أنها إجابة على أسئلته، فمثلا قد يكون هذا الطالب سائلا عن شيء سُرق منه، فيلجأ الشواف إلى الحديث عن أشخاص مفترضين منهم الأصدقاء ومنهم الأقارب من خلال ذكر أوصاف قد تدل على بعضهم، حتى إذا لمس من مخاطبه حركة انفعالية بإزاء ذكر أحدهم ركز الشواف كلامه حول شخصه بما يوحي لضحية السرقة بأنه السارق المطلوب، وكثيراً ما أدى هذا النوع من الشّوافة الكاذبة إلى مآسي وجنايات ذهب ضحيتها أشخاص حامت حولهم التهم بالواسطة ذاتها.

5 ـ أساليب مختلفة لا تخرج عن ذات الشعوذة، تتشابه نتائجها الوخيمة وتعتبر فعلا سُبَّة في حق انسانية الإنسان، فبالأحرى إذا كان هذا الإنسان ابن هذا العصر بالذات !

ويبقى القول إن هذه الممارسات جميعها منهيٌّ عنها في الإسلام، وقد صدرت فيها أحاديث نبوية شريفة صريحة تتوعد أصحابها باللعنة ولا تستثني من ذلك كل من يلجأ إلى خدماتهم من الخاصة والعامة على السواء.

محمد عزيز الوكيلي

**شويكة، محمد** بن الجيلالي. ولد بمكناس أواسط القرن الثالث عشر. ومنذ شبابه انتسب إلى الطريقة القادرية العلمية، فلازم شيوخ الزاوية العلمية بمكناس وواظب على حفظ المدائح والإنشاءات إلى أن أصبح من امهر المنشدين بها.

استقدمه السلطان المولى يوسف إلى الرباط، وضمه إلى المجموعة الفنية التابعة للقصر السلطاني، وأسكنه داراً بالمشور.

ومنذ استقراره بالرباط توثقت صلته بشيوخ الفن بها أمثال عبد السلام گديرة، ومحمد بن أحمد بنمنصور، وعبد السلام بنيوسف. وعن هؤلاء تلقى نوادر صنعات الآلة وإنشادات الطبوع المفقودة كإنشاد حمدان وإنشاد الصيكة.

في عام 1932 رافق الوفد المغربي إلى المؤتمر الأول للموسيقى العربية بالقاهرة. وجاء وصفه في تقرير الرحلة بمنشد القصر السلطاني. وقد كان ـ بعد الفنان الكبير عمر الجعيدي رئيس الجوق ـ عمدة المجموعة في تسجيل الصنعات المختارة، فسائر هذه الصنعات مسجلة بصوته المنفرد. أما بقية أعضاء الوفد فقد اقتصروا على المصاحبة الآلية. وما تزال الأشرطة ـ على قدم العهد بها ـ تقيم الدليل على قوة صوته وسعة طبقته وفخامة نبراته. توفي في منتصف القرن الرابع عشر (20 م).

ع. اللطيف بنمنصور، *مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحايك*، ص. 465 ؛ شوتان ألكسيس، *الرحلة الفنية إلى الديار المصرية*، تعريب عبد الكريم بو علو، المطبعة الرسمية بالرباط، 1932.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الشياظمة**، منطقة بإقليم الصويرة في أواخر السهول الأطلسية، يحدها من الشمال قبيلة عبدة، ومن الجنوب قبيلة حاحا، ومن الشرق بلاد أحمر والحوز، ومن الغرب البحر المحيط.

ينتمي السكان إلى العنصر المصمودي مثل قبيلتي مسكالة وركراكة اللتين يقول الحسن الوزّان إنهما كانتا تسكنان الجزء الغربي وجميع السهول المجاورة وتحتلان أربعة أقاليم هي حاحا وسوس وجزولة وناحية مراكش، بحيث لم تكن المنطقة تُعرف قبل قدوم القبائل العربية إليها إلا باسم ركراكة، على طول الجناح الشمالي بينما كان الجناح الجنوبي يُعرف بحاحا.

وتعتبر قبيلة ركراكة من أهم القبائل بمنطقة الشياظمة، نظراً للدور الديني الذي ما زالت إلى الآن تلعبه عن طريق زواياها، كزاوية أقرمود وزاوية رتنانة وزاوية كرات وغيرها. وفي هذا الصدد، يقول عبد الوهاب بن منصور: "فركراكة أشرف قبائل مصمودة لسبقهم إلى الإسلام وجهادهم في سبيله حتى ليقال إن قدماءهم شدوا الرحلة إلى النبي محمد (صلعم) بمكة في أول ظهوره... وأسلموا ورجعوا إلى المغرب. كانت مواطنهم على عدوتي وادي نفيس "تانسيفت" عند مَصَبه في البحر، ثم تلاشوا في القبائل فبعضهم بسوس وبعضهم بالسراغنة وبعض آخر في جهات أخرى، ولم يبق منهم في مواطنهم الأولى إلا قبيلة صغيرة مندمجة في شعب الشياظمة".

وعليه فإن هذه المنطقة لم تكن في الأصل تحمل اسم الشياظمة قبل توافد بعض القبائل العربية عليها. يقول صاحب كتاب *الاستقصا* إن هذه المنطقة ظلت كلها قبل تعريبها لا تعرف الا باسم ركراكة على طول الجناح الشمالي للصويرة، بينما الجناح الجنوبي كانت توجد فيه حاحا. أما تسميتها الشياظمة، فلم نسمع بها إلا انطلاقاً من العصر السعدي، حيث سمعنا بوزراء شياظميين وكتاب كان لهم نفوذ في بلاط أحمد المنصور".

أما فيما يرجع لأصل كلمة "الشياظمة" التي أصبحت علماً على هذه المنطقة، فهو اسم عربي لهذه القبيلة المضريّة التي جاءت إلى المغرب هي وقبيلة بني حارث وهم رهط من بني هلال ومع بعض العرب من بني معقل الذين كانوا يتوافدون على هذه الناحية في العصر الموحدي، فاختلطوا بقبائل ركراكة وبعض قبائل حاحا وعلى يدهم تعربت شيئاً فشيئاً هذه المنطقة وأصبحت تعرف بالشياظمة. وفي معنى هذا الاسم يقول ابن منظور في *لسان العرب* إن لفظ "الشيظم" و"الشيظمي" يعني الطويل الجسيم الفتيُّ من الناس والخيل والإبل، والأنثى "شيظمة". ويقول عنترة:

والخيل تقتحم الخبار عوابساً ... ما بين شيظمة وأجرد شيظم

وتتكون منطقة الشياظمة حالياً من عدة قبائل في شمال البلاد، كأولاد الحارث والمخاليف واحمر والمدارعة وأولاد عيسى، والمناصير، والنجوم وأولاد الحاج والثوابت؛ بينما نجد في جنوب البلاد قبائل مسكالة والحنشان وإدا وكُورْض والنيرات وأولاد بونجيمة وأولاد حسن والكريمات وزاوية ركراكة.


الركراكي السعيدي، *السيف المسلول*؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*؛ ع. بنمنصور، قبائل المغرب؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954؛ ع. ركوك، *القيادات في ظل الحماية*.


**الشياظمي الحاجّي، إسماعيل** بن الطاهر بن الحبيب السباعي وُلد سنة 1296 / 1878 ببلاد الرواحلة قبيلة أولاد بوعزيز بدكالة، وبها شرع في حفظ القرآن الكريم على يد والده في المدرسة التي كان يديرها ويطعم طلبتها، غير أن وفاة والده اضطرته إلى الانتقال إلى الجديدة عند أخيه المقدم السيد محمد الشياظمي، وهناك أتمّ حفظ القرآن وعدد من الأمهات، ثم بدأ يحضر الدروس التي كان يلقيها في أهم مساجد المدينة القاضي سعيد بن الهيبة والقاضي أبو شعيب المبخوت ثم رحل إلى فاس لإتمام دراسته بالقرويين، بصحبة رفيقه الطالب محمد الحطاب والطالب عباس البنّاني.

ولما عاد إلى الجديدة التحق بسماط العدول واشتغل بالتدريس، ومن الخصال التي كان يمتاز بها أنه كان دائماً أنيق الملبس والمظهر، لطيف العبارة دقيقها في لفظه وكتاباته. ولقد وقفت على عدة رسوم محررة بخط يده كان فيها من أدقّ وأمثل عدول عصره، كما أنه كان شغوفاً بتحرير المراسلات ذات الأسلوب الرفيع ولازلت احتفظ ببعض النماذج منها، وهي مبوّبة حسب مواضيعها. ومن الفنون التي برّز فيها علم تراجم الرجال، فحرر المئات من تراجم رجالات دكالة من شرفاء وعلماء وقضاة وأعيان وشيوخ الطوائف الدينية.

وربما كانت هذه الخصال سبباً في كونه انتُدبَ للإشراف في سنة 1917 على مصلحة المراسلات التي كانت تبعثها المراقبة إلى عمال وقواد وقضاة دكالة، تلك المراسلات التي كان يتولى ترجمتها بالفرنسية الترجمان ديلمارس Delmerès، مع المراقب المدني المستعرب Reignier.

وإذا ما رجعنا إلى المعلومات المتعلقة برجالات دكالة وبالزاويا الدينية التي كانت منتشرة بها والوارد ذكرها في كتاب *مدينة أزمور وضواحيها* وفي كتاب *قبائل دكالة* من سلسلة مدن وقبائل المغرب، تلك المعلومات التي نسبها المراقب المذكور إلى نفسه بعد ترجمتها إلى الفرنسية، فإنه يظهر جليّاً من المبيّضات التي وقفت على بعضها والتي مازلت أحتفظ بها، أنها كانت في الأصل من تحرير الفقيه إسماعيل الشياظمي.

بقي المترجم له يعمل بالمراقبة المدنية طيلة إحدى عشرة سنة، أي إلى سنة 1928، وهو التاريخ الذي توفي فيه أخوه المقدم الشياظمي، فاستقال ليخلف أخاه في ظيف أبي المواريث.

توفي سنة 1351 / 1932 ودفن بمقبرة سيدي أحمد النخل بالجديدة.


*وثائق عائلية؛ وروايات شفوية.*

**الشياظمي الحاجّي، الطاهر** بن الحبيب بن سعيد السباعي، لم نعثر في الوثائق التي بين أيدينا على التاريخ الذي ولد فيه. وكل ما نعلم هو أنه حفظ القرآن الكريم بقراءة ورش وبعض القراءات السبع، ثم بدأ يتردد على حلقات دروس بعض علماء قبيلته ومنهم الفقيه القاضي السيد سعيد بن عمارة الرجراجي، أحد العلماء المشهورين في وقته وإمام جامع سيدي يوسف وخطيبه ومدرس العلم به في الصويرة. وتتلمذ كذلك لابن عمه أبي جابر الحاجي المعروف بالشباني، فتأثر تأثراً كبيراً بما كان يمتاز به هذا العالم من شجاعة وإقدام وحدّة في الطبع وجدّ في العمل وانتصار للحق.

وبعد أن قضى المترجم له فترة من الزمن بمراكش طلباً للعلم، عاد إلى الشياظمة لينهج نهج شيوخه، فانخرط في سماط العدول وبدأ يقوم بالتدريس في مدرسة أولاد الحاج الشهيرة بالشياظمة إلى أن وقع نزاع بينه وبين ابن عمه، القائد سليمان الحاجي المعروف بالخنزة. وتطور هذا النزاع إلى عداوة أدت بالمترجم إلى الهجرة إلى بلاد دكالة حيث تزوج وأسس مدرسة يعلم فيها.

وبعد وفاة القائد الضّوّ، نقل الفقيه الشياظمي مدرستَه إلى قبيلة الرواحلة بدكالة وكانت الدراسة تبتدئ قبل طلوع الفجر ؛ وفي أيام البرد كان الطلبة يجمعون حطب "الكندول"، وهو نبات يكثر في تلك الناحية. ويُوقدون ناراً يلتفون حولها بقراءة ألواحهم على ضوئها وللشعور بدفْء حرارتها. وكان الفقيه شديد معاملة الطلبة المتهاونين. وبقيَ يشتغل بالفلاحة والتدريس إلى أن بلغ سنّا عالية.

توفي في متم حجة الحرام سنة 1303 / موافق 29 شتنبر 1886.

*وثائق عائلية.*

**الشياظمي الحاجي، محمد** بن الطاهر بن سعيد السباعي وُلد سنة 1259 / 1843 بدار القائد الضّوّ بأحواز الجديد ونشأ بين أحضان والده ثم انتقل إلى مراكش فدرس على أعيان علمائها أمثال ابن عمه محمد بن إبراهيم الحاجي السباعي، ثم ذهب إلى فاس فدرس على علمائها أمثال محمد بن المدني گنون والمهدي بن سودة والمدني بن جلون. وبهذه المدينة أخذ كذلك ورد الطريقة الدرقاوية على شيخها مولاي الطيب بن مولاي العربي، كما تعرف على الأمير مولاي يوسف بن الحسن العلوي. وبعد عودته من فاس انخرط في سماط العدول بالجديدة سنة 1293 / 1876 ثم لم يلبث أن انتُدب للكتابة بمحكمة باشا هذه المدنية وبصفته منخرطاً في الطائفة الدرقاوية، أخذ يلقي كل مساء دروساً في الزاوية الدرقاوية فيحدث الفقراء في أمور دينهم ويفسر لهم رسائل الشيخ مولاي العربي وحكَم ابن عطاء الله ؛ ثم أصبح بعد ذلك لا يمارس العدالة والكتابة بالمحكمة المذكورة إلاّ لماماً، حينما شرع في ممارسة التجارة مع صهره الحاج أحمد الأزموري باستيراد المنتوجات من انگلترا وألمانيا على الخصوص. وفي سنة 1315 / 1897 عين مقدماً للزاوية الدرقاوية بعد وفاة مقدمها الحاج محمد بن يسف الدكالي الفرجي، ثم قام في سنة 1898 بتشييد زاوية أخرى من ماله الخاص، فكان الفقراء لا يغادرون الزاوية بعد صلاة العشاء إلاّ بعد أن تُقدّم لهم قصعة من الكسكس، وهي القصعة التي وصفها الشيخ شعيب الدكالي في حديث طويل بأنها "قصعة أكبر من صلاة الخوف". ولهذه الغاية كان المقدم الشياظمي قد زوّد الزاوية بمطحنة ميكانيكية تحرك باليد لطحن القمح الذي كانت تصنع منه مؤونة الفقراء، كما عمد إلى الأراضي التي كان يملكها حول الزاوية فوزعها على الفقراء بأثمان زهيدة وتقاضيا لمدة طويلة، ثم بنى حمّاماً لتمكين هؤلاء الفقراء مجانا من الاغتسال والتوضؤ، تشجيعا لهم على أداء الصلوات في أوقاتها، بل إن حرصه على ذلك كان يحمله أحيانا على ضرب كل منْ وجده نائما في الزاوية أثناء صلاة الفجر.

ويُذكر أن السلطان مولاي يوسف زار المقدم الشياظمي سنة 1331 / 1913 في زاويته وذبح ثوراً على بابها، بمعيته وزير العدل العلامة المحدث الشيخ شعيب الدكالي والحاجب السيد التهامي عبابو.

وكما ورد في *سلسلة مدن وقبائل المغرب* فإن المقدم الشياظمي كان رجلا قويّ البنية حادّ الذكاء واسع الثقافة، يتمتع بنفوذ حقيقيّ بدكالة، ويقال إن تدخله قبل الحماية لدى الثوار في أيام السّيبة، كان له أثر.

وفي سنة 1919، بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، أقيم من جديد معرض ليون التجاري بفرنسا في شهر مارس من ذلك العام فوجهت الإقامة العامة الدعوة إلى عدد من كبار التجار المغاربة لحضور هذا المعرض الدولي، وكان من المدعوين المقدم الشياظمي، فكتب رحلة سجل فيها كل ما شاهده في فرنسا بدقة وبأسلوب حيّ جذّاب، فذكر التجار الذين سافروا معه، ووصف الباخرة التي سافروا فيها ومدينة مرسيلية والحافلة الكهربائية التي نقلتهم إلى زيارة الكنيسة سانتا مرية Santa Maria ووصفها بدقة، وأخبرنا أن الوفد المغربي استقبل بالمعرض من جانب حاكم مدينة ليون، وأورد كلمة الترحيب التي ألقاها هذا الحاكم والجواب الذي ألقاه المقدم الشياظمي نيابة عن الوفد، كما تحدث عن قيمة هذا المعرض ... ولم يبق من هذه الرحلة إلا بضع صفحات.

توفي عن سن تناهز 86 سنة في 28 ربيع الثاني سنة 1347 / 13 أكتوبر عام 1928 ودفن بالزاوية الدرقاوية التي تقع بالدرب الطويل بالجديدة.

*وثائق عائلية ؛ وروايات شفوية.*

**الشياظمي الحاجّي، المصطفى** بن إسماعيل بن الطاهر السباعي وُلد بالجديدة سنة 1348 / 1930. وبها انهى دراسته الابتدائية والتحق بالثانوية الفرنسية الوحيدة التي

كانت بالجديدة، فتابع دراسته بها إلى أن حصل على البكالوريا، فانخرط في سلك التعليم الابتدائي وعمل به طيلة أربع سنوات، ثم اجتاز مباراة الدخول إلى المدرسة الإدارية وبدأ في نفس الوقت يُهيّئ الإجازة في الحقوق. وصادف تخرجه حصول المغرب على الاستقلال ومغادرة عدد كبير من الاداريين الفرنسيين المغرب. فاستدعي من قبل المدير العام للأمن الوطني، لشغل منصب عميد للشرطة

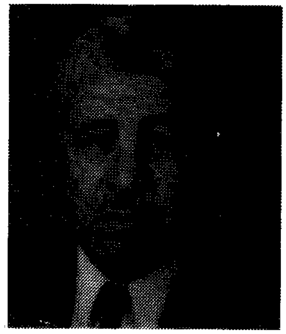

بالدار البيضاء، وبعد ذلك أرسل إلى كلية سانْ سيرْ بفرنسا التي تخرج منها، ثم أسندت إليه رئاسة إدارة الأمن الاقليمي بالرباط. فكان عليه بالإضافة إلى السهر على الأمن بالعاصمة في هذه الفترة التي كان يكتنفها شيء من الاضطراب، العمل على المساهمة في تكوين الأطر الضرورية لمغربة رجال الأمن. وبعد ذلك رقي إلى درجة عميد ممتاز، فعيّن رئيساً للأمن الإقليمي بمراكش.

توفي في فاتح رجب عام 1412 / 6 يناير عام 1992 ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

*معرفة شخصية ؛ ووثائق عائلية.*

محمد الشياظمي

**الشياظمي، حمّو** بن **بركة** قائد بجيش حوز مراكش شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان مولاي عبد المالك، وقد وصفه الفشتالي في *مناهل الصفا* بالقائد الصدر في عهد السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا*، تح. كريم، الرباط، 1972، صفحات 31 . 60 . 68 . 115.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebstian (S.I.H.M. France* I, pag. 575-627).

محمد ابن عزوز حكيم

**الشياظمي، علي** بن منصور بن المرابط المراكشي، حلاه المقري في *روضة الآس* بقوله : "الفقيه الأديب المتفنن، القائد الرئيس، الكاتب البليغ المشارك أبو الحسن علي بن منصور بن المرابط الشياظمي، من أهل مراكش. لقيته بمراكش المحمية، وشاهدت جملة من أحواله السنية، وهو متول قيادة ألف عنان، جامع بين رئاستي القلم والسنان".

ضنت المصادر التي أوردت بعض أشعاره بترجمة حياته، فلا نعرف شيئاً عن طفولته وشيوخه وعن الفترات التي تولى فيها رئاسة قيادة الجيوش السعدية في عهد السلطان أحمد المنصور، ولاشك أنه كغيره من معاصريه درس عل شيوخ العصر كالشيخ المنجور والقاضي الحميدي والفقيه السراج وغيرهم من العلماء الذين أخذ عنهم أغلب شعراء وكتاب هذا العصر، يقول المقري : "رأيته في مجلس البخاري يورد كثيراً من الأسئلة الدالة على رسوخ قدمه في الفنون، ويجيب عن الأسئلة". أما توليه قيادة الجيش فيظهر أنها كانت في فترات مختلفة، داخليا في استئصال الفتن الداخلية، وخارجيا في المعارك التي خاضتها الجيوش السعدية في بلاد السودان، وإن لم تنص المصادر على ذلك بالحرف.

وإذا كان مؤرخو عصره وغيرهم قد أغفلوا الحديث عن حياته في فترات مختلفة، فإنهم أوردوا له مجموعة هامة من الأشعار التي أنشدها في مناسبات مختلفة، بل إنهم أبدوا آراءهم في هذه الأشعار وفي صاحبها، من هؤلاء الفشتالي الذي أشاد به في أكثر من موضع في كتابه مناهل الصفا، يقول عنه في تقديم إحدى قصائده : "الفقيه الأديب البليغ الأريب القائد أبو الحسن علي بن منصور الشياظمي"، ويحليه في مناسبة أخرى بقوله : "الفقيه الأصيل الفاضل الجليل نادرة العصر ونخبة الدهر القائد أبو الحسن..." ولعل أهم تقريظ أصدره الفشتالي في حق الشياظمي قوله : "الفقيه الفاضل، جملة السذاجة وكرم الخلق، طيب النفس، جميل العشرة وطئ الكنف في الطبع، مسترسل عنان النشأة على الفطرة، جامع لمحاسن الأدوات من طلب ممتع وأدب بارع، وخط رائق وقلم فصيح وسيف باتر وسنان عامل القائد أبو الحسن علي بن منصور الشياظمي"، كما تحدث عن شاعريته وبراعته ابن القاضي في *درة الحجال*، قال : "له نظم رائق ونثر فائق،.. وهو من أعيان الأفاضل الأماثل، وله مقطعات كثيرة في غاية الجودة والإجادة في نوعها".

أما غير معاصريه، فقد أورد له اليفرني في *نزهة الحادي* مجموعة من أشعاره كان يقدم لها بقوله : "قال الوزير القائد أبو الحسن علي بن منصور الشياظمي" أو : "القائد الوزير الفقيه" أو "الوزير الأديب القائد". كما أورد له الناصري في *الاستقصا* قصائد شعرية متنوعة يقدم لها بقوله : "قال القائد" أو "قال الوزير الأديب".

لقد برع الشياظمي في قصائده المولدية بصفة خاصة، إذ كانت مشاركته كغيره من الشعراء مباراة رسمية يسعى من خلالها إلى إبراز تفوقه على غيره وإلى الفوز بجائزة السلطان وإعجابه، وقبل ذلك إلى التعبير عن مشاعره الدينية الصادقة، وعن حبه للرسول عليه السلام ولعشرته من بعده، ومن ثم تميزت قصائده المولدية بنفس روحي يرتقي بصاحبه إلى عالم قدسي لا يملأه غير التذكير بصفات الرسول ومعجزاته، وغير امتداح أخلاقه وخلاله.

وعن براعته في النظم يقول المقري : "ونظمه كما علمت في غاية السلاسة والسهولة، وأغراضه فيه مقبولة".

أما بالنسبة لأمداحه، فقد نبه مؤلف *"الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى"* إلى انتهاج الشاعر طريقة الغلاة في المدح، فهو يقول عن إحدى قصائده المدحية : "والقصيدة على تواضعها بألفاظها وقوافيها تذكرنا بلهجة الجراوي لدى الموحدين، وتعيد إلينا ما كان عليه أولئك إزاء الأيوبيين الأتراك بما كان عليه هؤلاء السعديون إزاء العثمانيين الأتراك".

وقد حرصت على جمع أشعاره وتحقيقها وضبطها في كتابي *"الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي"*، أما نثره، فقد أشاد به المقري إذ قال عنه : "له يد طولى في المنظوم والمنثور" وهو : "المشارك الأديب، مستلقي راية الأدب باليمين، والمتآلي ألا يشارك في نيلها باليمين، من قصرت عن مجاراته عن أرباب البيان الخطى، وتسنم غارب الإجادة دونهم وامتطى، قيد اللواحظ ببيانه وبنائه، ومستوقف الطرف بلسانه وسنانه، مجرى أنفاس المحابر على صفحات المهارق، ونجيع الكماة على صفاح الصوارم في المآزق".

توفي بالوباء عام 1012 / 1603.

أ. المقري، *روضة الآس*، ص. 173 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، ج 3 : 258 ؛ ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. گنون في أماكن متفرقة، *المنتقى المقصور* لابن القاضي في أماكن متفرقة ؛ اليفرني، *نزهة الحادي*، طبعة حجرية، ص. 136 وغيرها، تح. الشاذلي، ص. 188 . 202 . 235 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 9 : 191 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 5 : 157 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، ج. 2 : 379 ؛ ابن تاويت، *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1984، ج. 3 : 677 ؛ نجاة المريني، *الشعر العربي في عصر المنصور السعدي*، ص. 383.

نجاة المريني

**الشياظمي، محمد** بن **بركة** قائد مشارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان مولاي عبد المالك، وقد ذكره الفشتالي في *مناهل الصفا* من بين قواد الجيش في عهد السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا*، تح. كريم، الرباط، 1972، صفحات 75 . 77 . 93 . 167.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebstian* (S.I.H.M. France I, pag. 575-627).

محمد ابن عزوز حكيم

**الشَّيبَة** أو **الشّهيبة** أو الشُّهَيْبة أو شيبة العجُوز أو شعرة مريم أسماء لنوع أرطماسْيا آربوريسانْسْ Artemisia arborescens من جنس الشيح (انظر الشيح) الذي ينتمي إلى فصيلة النجميات أو المركبات Asteraceae أو Compositae.

الشهيبة جنيبة يبلغ علوها ما بين 40 و100 سم. أوراقها ذات لون فضي حريري وجد مقسمة. ازهراراتها رؤيسية الشكل ومجمعة في سنيبلة متشعبة وكثيفة. أزهارها بيضاء مائلة إلى الاصفرار.

يصادف النوع في الجزء الغربي من المنطقة المتوسطية. أما في المغرب فإنه يتواجد طبيعيا على الأجرف الساحلية المتوسطية، لكن الإنسان استعمله منذ أقدم العصور كنبات طبي وعطري، فغرسه في الحدائق القريبة من المنازل.

أشهر استعمالات الشهيبة هو استخدامها في تعطير الشاي في فصل الشتاء. كما تستعمل في التطبيب التقليدي لعدة أغراض.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997 ; A. Benabid, *Flore et écosystème du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, Rabat, 2000.

زينب بنرحمون

**الشّيبُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان سنة 1088 (1677). كان منهم فقيه زاول خطة العدالة بالمدينة لمدة طويلة ابتداء من سنة 1055 (1645) وكان من بين الذين شهدوا بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم في شوال 1078 / أبريل 1668.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون*، (تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1477.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشّيح** أو أرطماسيا أو أرطاماسيا أو عبيثُران أو أفسنتين بالعربية أو إفْسي أو فسّي أو إيزري بالأمازيغية، أسماء لأنواع جنس نباتي يعرف بالفرنسية بـArmoise وعلميا بأرتميسْيا Artemisia الذي ينتمي إلى فصيلة المركبات أو النجميّات Asteraceae. يمثل الجنس بالمغرب بـ 14 نوعاً منها 8 أنواع قبسية لا توجد في بلد آخر. كل أنواع الشيح جُنَيْبات أو جُنَيِّبات عطرة، وذات لون أشهب (انظر الشهيبة). ازهراراتها على شكل رؤيس صغير ذي قنابات شفافة الحواف وأزهار أنبوبية الشكل.

تعيش أنواع الشيح عموماً في المناطق السهبية من السهول والهضاب والجبال.

لأنواع الشيح عدة فوائد. فهي عطرية تستعمل لتطييب الشاي، وطبية تستخدم لمعالجة عدة أمراض، لكن المقادير الكبيرة تصبح سامة للإنسان. ومن فوائد البعض منها أيضاً أنهار رعوية.

نذكر من أهم أنواع الشيح :

- الشُّهَيْبَة أو الشُّهيبَة أو الشيبة (انظر الشهيبة) أو الشيح الشجيري أو علمياً أرتميسيا آربوريسانس Artemisia arborescens وهو النوع الشائع الاستعمال لتعطير الشاي في فصل الشتاء.

- الشيح الرومي أو الافسنتين أو أرتميسيا أبسانتيوم Artemisia absinthium وهو النوع الشائع الاستعمال في التطبيب العصري كما كان ومازال يستخدم في التطبيب التقليدي. إنه جنيبة قائمة يتراوح علوها ما بين 40 و80 سم، ذات سيقان عشبية، أوراقها كبيرة الحجم نسبيا، ريشية، ذات لون فضي ومكسوة بزغب ناعم.

يصادف النوع طبيعيا في معظم أرجاء المناطق المعتدلة من العالم القديم، لكنه نادر جداً في المغرب إذ لا يمثل إلا بأفراد متناثرة في غابات الأرز للجزء الشرقي من الأطلس المتوسط الخاضع للبيومناخين شبه الرطب والرطب. وهو يعيش في الطابقين فوق المتوسطي والجبلي المتوسطي.

كما هو الشأن بالنسبة للشهيبة، يكثر استعمال هذا النوع في صناعة الأدوية وفي التطبيب التقليدي، كنبات مسخن ومقو ومسهل للهضم والتبول، ومضاد للحرارة وديدان الأمعاء وغير ذلك. إنه مصدر لزيت عطري يستخرج بعلمية تقطير الأوراق ويستخدم في صناعة أدوية التدليك، لكنه ضار جداً إذا استعمل بكمية كبيرة. يستخدم كذلك في تطييب المشروب المعروف باسم أبسنت وهو شراب محرم.

- الشيح العادي أو الشيح الأبيض أو علميا أرتميسيا هيربا آلبا Artemisia herba-alba أو حاليا أرتميسيا إنكولتا Artemisia inculta وهو أشهر أنواع الشيح لأنه واسع الانتشار في سهول وهضاب المناطق الجافة وشبه الجافة في كل بلدان شمال إفريقيا من المغرب إلى مصر وجنوب أوروبا.

إنه جنيّبة يتراوح علوها ما بين 30 و60 سم. ذات سيقان عديدة، ومكسوة بزغب ناعم. أوراقها ريشية، قصيرة، وبرية وفضية اللون. إزهاراتها عنقودية الشكل وغير كثيفة. رؤيساتها الزهرية قليلة الأزهار نسبيا.

يعيش النوع في ما يسمى عند أهل المغرب الشرقي "بلاد الشّيح والرّيح" للتعبير عن البلاد التي لا ينبت فيها إلا الشيح الذي يسود كافة المنطقة. ولهذا نراه يكسو بعشائره السهوب الطينية والمراعي الجافة وشبه الجافة في الهضاب والجبال قليلة الارتفاع من الجزء الشرقي من الريف وكافة أنحاء المغرب الشرقي وما بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير. وفي جل أنحاء هذه المناطق كما هو الشأن في الهضاب العليا بدول شمال إفريقيا يتقاسم الشيح مع الحلفاء هذه الأراضي. فالشيح يقطن الأتربة الطينية والطميية تاركا الأتربة الصخرية والحجرية للحلفاء.

أهم استعمالات الشيح هو الرعي من طرف الأغنام التي يكون لحمها عطراً ولذيذاً بفضل أكلها لهذا النبات. لكن الرعي المفرط والمشاريع الفاشلة "لتحسين" المراعي باستبدال الشيح بأنواع من النجيليات مثل أگروبيروم Agropyron أو بالقطف الاسترالي Atriplex nummularia، أدت إلى تدهور خطير أو تدمير كامل لتشكيلات هذا النوع الرعوي الممتاز. وذلك ما يلاحظ في منطقة بوميا بناحية ميدلت أو بتاندرارا وأبو عرفة في المغرب الشرقي.

أما في ما يخص الاستعمالات الأخرى فإنها عديدة جداً كما يشير إليها المثل المغربي بالعامية : "اللّي مْجرّب الشيحْ، ما يفوتّ قدّامُوا بلا مايدّيه" أي أن الإنسان المجرب لفوائد الشيح لا يمر بجانبه هذا النبات دون أن يقطفه ليأخذه معه. فالشيح مفيد ضد ديدان الأمعاء والجراثيم والبرد وعدة أمراض أخرى. ولهذا يستعمل في عدد كبير من الوصفات في التطبيب الشعبي، وكذلك في بعض المأكولات كتحضير مرق الحلزون المحبذ أكله من طرف أغلبية المغاربة خاصة في الشتاء ضد أمراض هذا الفصل، إضافة إلى كل هذه الميزات المفيدة جداً، يعطي الشيح عسلا رفيعا وذا أهمية كبيرة في التطبيب التقليدي.

- شيح ما بين الأطلسين المتوسط والكبير أو علميا أرتميسيا ميساطلانطيكا Artemisia mesatlantica جُنَيِّبة يتراوح علوها ما بين 20 و 40 سم، ذات سيقان متعددة، مكسوة بزغب ناعم. أوراقها قصيرة، ومكسوة بزغب فضي، وريشية. إزهاراتها مجتمعة على شكل شمْراخ أي عنقود تكون فيه الفروع الوسطى أطول من الفروع العليا والسفلى.

إنه نوع قبسي خاص بسهول وهضاب المنطقة الموجودة ما بين الجزء الأوسط من الأطلس المتوسط والجزء الغربي من الأطلس الكبير الشرقي، حيث يصادف في الطوابق النباتية ما بين المتوسطي والجبلي المتوسطي وذات البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة.

يستعمل النوع لنفس الأغراض المشار إليها بالنسبة للنوع السابق الذكر، لكن سهوبه ضيقة المجال.

- الأنواع الأخرى من الشيح أغلبها قبسية وتصادف في مجالات جبلية من السلاسل الأطلسية. وتعرف باستعمالات محلية تشبه تلك التي ذكرت في ما يخص الأنواع الأخرى من الشيح.

*أبحاث شخصية.*

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

**الشيخ** : يلقب به من يفترض فيه أنه اكتسب دراية وتجربة في حياة طويلة حتى ولو لم يكن من الشيوخ المعمرين، وبها يستحق أن يرجع إليه في علم أو توجيه وإرشاد أو صناعة أو فن. تقابل كلمة الشيخ في مجال المتكلمين بالأمازيغية بالمغرب كلمة "أمغار"، فلتراجع المادة في هذه المعلمة. والتفوق في الدراية يوجب الوقار ويستدعي الطاعة والاقتداء. وسلطة الشيخ معنوية أو مادية أو هما معا.

*شيخ القبيلة*. ربما كان هذا الصنف أقدم وجودا من غيره وأعم لم يصل إلينا أثر يدل بما لا يدع مجالا للشك أن أصل هذه المشيخة ديني أو سحري، ولكنها ظهرت سلطوية، عائلية

في الغالب، متوارثة في بعض الأحيان، تناوبية في بعض الحالات الأخرى، حيث يتولاها شخص لمدة معينة عن فرقة من القبيلة ثم تنتقل إلى شخص من فرقة أخرى. ومن آثار وجود هذا الشيخ المختار من الجماعة في الماضي الاسم الذي يطلق عليه وهو "أمغار ن توگا" ومعناه شيخ الربيع، لأن الجماعة عند اختياره تلقي عليه باقة زهور. وقد ظهر أيضاً أن مجالس تدبير شئون القبائل يتكون من عرفاء يطلق عليهم اسم الشيوخ، وهم حريصون على منع استبداد شيخ بغيره من الأقران، ولكن هذا الاستبداد تأتى كلما سنحت الفرصة، والغالب أن يساعد عليه تدخل أو مساندة من ولاة الدولة المركزية في المدن والجهات، وفي داخل القبيلة ومجموعة اتحادية من القبائل وحتى بمنأى عن التأثير المباشر للدولة كان لكل فرقة شيخ وكان للقبيلة "شيخ أعلى" يكون إلى نظره بقية الشيوخ.

ومن أصداء المشيخات التاريخية الكبرى التي وصلت إلينا تلك المتعلقة "بأشياخ" قبائل الموحدين، وهم حلفاء ابن تومرت من المصامدة خاصة للإطاحة بالمرابطين ثم حلفاء وارث فكرته ومؤسس الدولة عبد المومن وخلفائه في دعم الدولة، وكانت لهم دالة عليها في مرحلة أولى ثم ضعف نفوذهم شيئاً فشيئا في هرم السلطة الموحدية. ثم ظهرت على المسرح في العهد المريني مشيخات كبرى في الجبل كمشيخة هنتاتة. الذين وصف ابن الخطيب حضارتهم ونفوذهم في رحلته "نفاضة الجراب". وقد تسمى بعض سلاطين الدولة السعدية بالشيخ.

"الشيخ" كمؤسسة لقب كل واحد من مديري السلطة في البوادي سواء في مجال الأمازيغ أو مجال قبائل العرب، وهو منصب تكيف حتى مع وجود سلطة عمال المخزن أو تعيين شيوخ متميزين على غيرهم قوادا للمخزن في القبائل. وحتى في حالة وجود عامل مخزني في المدينة ووجود قائد تابع له كان من قبل شيخا في قبيلة فإن الشيوخ ظلوا يدبرون شئون فرق من القبائل إلى يومنا هذا وحتى مع وجود الجماعات المحلية ورؤسائها المنتخبين، فالشيخ يشرف لحساب سلطة القائد الإداري على عدة قرى يمثله في كل قرية مقدم. بل إن مقدمي الأحياء في المدن صار لهم مشرف على مستوى الدائرة الحضرية يحمل لقب "الشيخ".

ومن القوانين المنظمة لوظيفة الشيخ :

- ظهير 16 فبراير 1916 الذي ينص على أن تعطى لكل شيخ سنتيمات في تحصيلات ضريبة الترتيب السنوية ؛
- ظهير 6 أبريل 1956 الذي ينص على أن القواد كرجال سلطة في عهد الاستقلال يساعدهم في مهمتهم شيوخ [...] ونص على أن الشيوخ يعينون ويعزلون بقرار يصدره عامل الإقليم باقتراح من القواد. كما أشار إلى مرسوم يحدد الشروط التي تمنح بمقتضاها تعويضات الشيوخ للقيام بمهامهم، وبهذا ألغيت المقتضيات التي كان الشيوخ بمقتضاها ينالون قسطا من محصول الضرائب ؛
- مرسوم 3 أكتوبر 1956 الذي نص على الشيوخ يتلقون بموجب قرار صادر من عامل الإقليم تعويضا شهريا عن القيام بالوظيفة يتراوح مقداره بين 000 20 و000 30 فرنك، وذلك حسب أهمية القبيلة أو الفرقة ؛
- مرسوم 14 يناير 1961، بشأن تعويض شيوخ طرفاية ؛
- مرسوم 20 شتنبر 1973، يحدد تعويض الشيوخ القرويين بما يتراوح بين 300 و400 درهم ؛
- مرسوم 20 يوليوز 1979، ينص على أن الشيوخ القرويين يتقاضون تعويضا يتراوح بين 330 و400 درهم شهرياً ؛
- مرسوم 17 يوليوز 1995، ينص على منح تعويض عن التجول للشيوخ الحضريين يتراوح بين 165 و240 درهماً.

وبحكم قرب الشيوخ من ميدان ممارستهم السلطة ومعرفتهم بالناس فقد لعبوا دوراً مهماً في الوساطة في تنفيذ تعليمات السلطة وفي استخباراتها، وهم يعطون شهادة إدارية تثبت السكنى وتحمل معلومات يحتاج إليها الأشخاص في عدد من التدابير الإدارية، بالإضافة إلى أنشطة أخرى تتعلق بممارسة السلطة وبالاستخبار.

كان لكل تجمع لليهود في مدينة أو قرية شيخ منهم يسمى "شيخ اليهود"، يعينه القائد أو العامل المسلم برضا أهل ملته في الغالب ويكون واسطة بينهم وبين ممثل المخزن، يتولى تنظيم الشرطة في حي اليهود أي الملاح.

*شيخ العلم*، يطلق على المَدَرِّر في الكُتّاب القرآني كما يطلق على المدرس في الجوامع التي هي بمثابة مدارس لفنون العلم الراقية. ولما كان التلقي المباشر عن المعلم وهو ما يسمى بأخذ العلم، أهم من الكتاب في دور تمرير المعارف عبر الأجيال، فإن الشيخ هو المعتبر في الإجازة، وكل إجازة في فنون العلم تستمد قيمتها من سمعة الشيوخ الذين أعطوها. فكل مدرس عالم هو شيخ لمن أخذوا عنه، وبعض تراجم المدرسين تكون "معاجم الشيوخ". والشيخ يبني شهرته بعطائه قبل أن تكرس تعيينه سلطة قائمة. ومشيخة العلم جامعة مشاركة أو متخصصة وتفترض شخصية متميزة بأخلاق وطبع متميز. وفي كل بلد شيوخ مقصودون مهيبون.

*شيخ الجماعة*، هو رأس الشيوخ العلماء في بلد مشهور بالعلم بفاس ومراكش، ومن الأسماء المتأخرة في هده الخطة غير الرسمية اسم الشيخ أبي شعيب الدكالي انظر اسمه بالمعلمة.

*شيخ العلماء*، خطة اقترحها الدستور المقدم للسلطان مولاي عبد العزيز من طرف عبد الكريم مراد، وقد عرفه بأنه "ناظر أوقاف العلماء والمدارس ومواضع التدريس". وهو فيه بمثابة وزير للتعليم.

*شيخ التصوف*، استعملت كلمة الشيخ لكل متصوف مشهور منذ بدايات التصوف بالمغرب في القرنين الخامس والسادس الهجريين. ومشاهير شيوخ ذلك الوقت هم مادة كتاب *التشوف* لابن الزيات. ومنهم أصحاب رباط تيط

بدكالة ويحمل كل واحد منهم لقب "أمغار" أي الشيخ بالأمازيغية. أطلق الشيخ في هذه البدايات على كل من له أصحاب يعتقدون في صلاحه.

وفي عهد لاحق انتظمت الطرق الصوفية ونسبت إلى الشيوخ ثار جدل في الأندلس والمغرب حول بضرورة اتخاذ الشيخ أو عدم لزوم اتخاذه. وقد صدرت في الموضوع فتاوى ولا سيما في ما بين القرن السابع والقرن العاشر. وقد تحدث ابن خلدون عن هذه المسألة في كتابه *شفاء السائل لتهذيب المسائل* فقال : "ثم اعلم أن افتقار هذه المجاهدات إلى الشيخ المعلم، والمربي الناصح، ليس على سبيل واحدة ؛ بل هو في بعضها أكمل وأولى، وفي بعضها أحق وآكد، وفي بعضها أوجب، حتى إنه لا يمكن بدونه". وقال : "... وأما مجاهدة الاستقامة التي هي التخلق بالقرآن وبخلق الأنبياء فمحتاجة إلى الشيخ المعلم لعسر الاطلاع على خلق النفس، وخفاء تلونات القلب، وصعوبة علاجها ومعاناتها".

وهكذا صار التصوف على طريقة الجنيد مكملة لعقيدة المغاربة الأشعرية وأخذهم بفقه الإمام مالك، ودرجوا على الإقرار بذلك وتحصيله في منظومات مبادئ مثل *المرشد المعين* لابن عاشر حيث ورد من شروط المتصوف :

يصحب شيخا عارف المسالك ‍ ‍ ‍ ‍ يقيه في طريقه المهالك

فالذي يصحب الشيخ يسمى المريد، والأخذ عن الشيخ يبدأ بعلامات تغلب عليها المصافحة في المغرب بالنسبة للرجال. والتربية تكون بالأذكار وقراءة الأحزاب وباتباع سلوك محاسبة النفس، وربما وقع تركيز داخل خلوة.

ليس لشيوخ التصوف بالمغرب مشيخة عامة مفروضة وإنما كل شيخ مقر بسلسلة أخذه وغالبها تنتهي إما إلى الشاذلي بواسطة الجزولي وإما القادرية منذ دخولها إلى المغرب وإما إلى التجانية، وليس لشيوخ المغرب هيئة ظاهرية مميزة في اللباس وغيره مما ببلاد الشرق من السمات وإن كان بعضهم تخضب بالحناء.

وشيوخ التصوف في المغرب بعضهم ربى المريدين، وهؤلاء هم الشيوخ بكامل الاصطلاح، وبعضهم إنما اشتهر بالبركة والصلاح وإجابة الدعوة وقد كتبت في أخبار بعضهم تراجم متخصصة وأفردت لآخرين مناقب وألفت، ولاسيما في شيوخ الطائفة المنحدرة من الجزولي، كتب "كالتحفة الصديقية" للفاسي.

*شيخ الصنعة*، يطلق لفظ الشيخ على كل متمهر يرجع إليه أصحاب حرفة أو صنعة أو فن كشيخ الرماة أو شيخ المصاقرية أو شيخ الخيالة. ودور الشيخ في الحرف يكون ذا طابع تحكيمي عند فض النزاعات والنظر في النوازل، فالشيخ هنا كالأمين خبير في مجال معين من الحياة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفنية. ومن ذلك شيخ النظار، وهم الخبراء المحكمون في شئون العقار، وشيخ الفلاحين، وشيخ "الكسابة" وهم مربّو الماشية ورعاتها.

*شيخ الطرب*، يلقب بشيخ الملحون الشاعر البارع النظم في هذا الفن، ويسمى أيضاً بشيخ الكلام". وقد يطلق على منشد غير ناظم أو على عازف موهوب، فيقال له "الشيخ الموهوب".

*شيخ البئر*، روحاني وهمي يعتقد أنه يسكن الآبار داخل الدور، ويخوف الأطفال لتسكينهم.

*الجريدة الرسمية* (التواريخ المذكورة أعلاه)، أ. البيذق، *أخبار المهدي ابن تومرت* ؛ ابن الزيات، *التشوف* ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب* ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية* ؛ ر. لوتورنو، *فاس قبل الحماية*.

أحمد التوفيق

**ابن الشيخ مفتاح، عبد السلام**، هو سبط الشيخ ماء العينين وابن ولد أخيه : السيد محمد مفتاح الخير بن الشيخ الطالب أبي بكر. ولد في اسمارة سنة 1327 / 1909 قبيل انتقال آل الشيخ ماء العينين إلى تيزنيت، حفظ القرآن ومبادئ العربية على يد أمه السيدة آمنة الشفا المتوفاة سنة 1339، وهي من بنات الشيخ ماء العينين العابدات الصالحات. تلقى تكوينه العلمي والأدبي على يد شيوخ المدرسة المعينية ويعرف بالشام. له أشعار كثيرة تتناول مواضيع متنوعة من وصف ورثاء وغزل وإخوانيات ووطنيات نشرت بعضها في جريدة *صحراء المغرب وصحراؤنا* وبعضها ما يزال مخطوطاً بخزانة ابنه المرحوم عمر الشام.

توفي سنة 1987.

الشيخ مربيه ربه، *قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين*، ورقة 142، مخطوطة خاصة ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا ماء العينين الحسان*، 70 - 144 ؛ م. الظريف، *ديوان العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنجيطي*، تح. م. الظريف، سلا، 2000، ص. 264 ؛ *الحياة الأدبية في الزاوية المعينة*، ص. 285، د. د. ع. مرقونة.

محمد الظريف

**الشيخات** (جمع شيخة) تعني النساء اللواتي يتخذن من الغناء والرقص حرفة. وهي ترادف أحيانا معاني قدحية مثل العاهرات والراقصات. وإذا حاولنا تتبع نشأة الشيخات لا تسعفنا المصادر في الوصول إلى ذلك ولا تمكننا من الكشف عن هويته وما تصادفه الحديث عن شاعرات أو مغنيات في بلاطات الأمراء، وأصحاب القرار وفي بعض الأحيان من هن من دخلن في صراع مع ممثلي المخزن مثلاً الشيخة حادة والقائد عيسى بن عمر العيدي في نهاية القرن التاسع عشر والتي نسجت عنها الذاكرة الشعبية أسطورة وعيطة خربوشة وان كنت أستبعد أن هذه المرأة تعتبر شيخة بالمعنى الحالي ولكن كانت شاعرة تدافع عن قبيلتها.

وإذا سلمنا بأن الشيخات فرق يحترفن الغناء والرقص في المجتمعات الزراعية حيث كانت تسود الحياة الجماعية فإن عملية الغناء كذلك كانت تتم بطرق جماعية وهذا ما نلاحظه في جميع رقصات المغرب تقريبا على رأسها

أحيدوس حيث تكون مشاركة النساء بشكل مكثف. ومع تطور وسائل العيش والحياة داخل الحواضر بدأ النساء يقتحمن هذا الميدان شيئا فشيئا. وتعود أول شهادة بشكل مكثف لنا عن هذا النوع من المغنيات إلى سنة 1903 حيث يذكر لنا Aubin Engène أن هناك شيخات مشهورات في فاس يؤدين الملحون ومن أشهرهن "أبريكة بنت علال وخدوج السبتية" وخلال العقد الثالث من القرن العشرين كنا نسمع عن شيخات من الطراز الرفيع أمثال الشيخة الرويضة والشيخة البوكدراوية والزروقية والعرجونية والمرينية وكذلك الشيخات اليهوديات على رأسهن الشيخة زهرة الفاسية. ومع بداية مرحلة الاستقلال ظهر فوج جديد كخربوعة والزحافة واسكندرية والغالية والخوضة وغيرهن كثيرات. وشهدت الفترة كذلك ظهور ما يسمى بفحول العيطة مثل قيبو، صالح إسماعيلي الصاحب بلمعطي.

طبعا هناك مجموعة عوامل ساهمت في نشوء وتطور الظاهرة ففي البداية كانت فرق العيطة لا تضم النساء وشيئا فشيئا بدأن يتكاثرن إلى درجة أصبحت هناك فرق لا تضم في صفوفها سوى النساء. وهذه من النتائج التي تمخضت عن ذلك التصدع والتخلخل الذي أصاب نظم وبنى المجتمع المغربي التقليدي في اتصاله مع الأوروبيين. ذلك أن النساء اصبحن مجبرين للخروج إلى العمل في ظل تفكك التضامن العائلي وبما أن أغلبهن فقيرات ومنحدرات من أوساط ريفية وأغلبهن مطلقات ولا تكوين لهن يبقى المآل الوحيد لهن هو الخدمة في البيوت أو ممارسة الدعارة أو العمل مع الشيخات. إنها حرفة اضطرارية بالنسبة للنساء حيث لا يمكن لفتاة معينة أن تتعلم من صغرها لكي تصبح شيخة. إن هذه الحرفة إفراز لتفسخ القيم وتدني ذلك التضامن العائلي الذي كان سائداً داخل الأسر في المجتمع المغربي. هذا إضافة إلى ظاهرة الهجرة والاستقرار في المدن الكبرى على نمو وتطور هذه الظاهرة.

ينطلق مشوار الشيخة التي يشترط فيها الجمال وصغر السن حتى تتمكن من جلب الزبناء من الخدمة في منزل شيخة قديمة في الحرفة كخادمة وفي نفس الوقت تشرع في تعلم الرقص ثم النقر على التعريجة والبندير ويبقى الغناء هو المرحلة الأخيرة التي تتوج بها الشيخة المتعلمة مشوارها وتصبح شيخة معلمة ولكن ليست كُلُّ شيخة يمكن ان تشتغل ضمن اربابعة الشيخات "طباعة" أي رئيسة أو مسيِّرة فرقة.

إن رقص الشيخات لا ينتمي إلى مدرسة معينة حيث نجد فيه تداخل بين ما هو شرقي وما هو محلي وتبقى الميزة الأساسية له هو أن كل شيخة ترتجل وتعطي طابعا شخصيا لرقصها يجعلها تجلب المتتبع بلباقة مثيرة ومغربة عن طريق تحريك الكتف والصدر والنهدين، وتمويج الحوض والبطن إضافة إلى حركات للرأس والشعر وحركات الدرديك على القعدة وهي مستحدثة وغيرها.

إن مجموعات الشيخات الحالية تتكون من ثمانية أفراد وهو طاقم يتركب من ثلاثة رجال وخمس نساء يشكل عازف الكمان ضمن هذه التركيبة عنصراً فاعلاً ومتمرساً على دراية بكل أنواع العيوط والأغاني والوصلات الصامتة أي "التعريضات" لكنه ليس مسؤولا بالدرجة الأولى على تسيير الفرقة، ويرافقه غالبا عازف على آلة العود وعازفان على الايقاع يساعدونه في عملية ترديد الأغاني، أما المسؤول المباشر والأول عن الفرقة فهي امرأة تسمى الطباعة أي التي تطبع أي تدشن وجبة العمل وتنهيها وتتصرف حسب ما تتطلبه ظروف عملها وطبعا تكون هذه المرأة قديمة في الحرفة ولها إلمام واسع بكل أنماط الغناء الموجود، ثم نجد امرأة أخرى بإمكانها تعويض دور الطباعة. وتكتفي الاخريات بترديد الأبيات المتداولة ويرقصن خلال الفسحات الغنائية وضمنهن نجد مبتدئات أو متعلمات.

وفي بعض الاحيان نجد ذلك التجاوب الذي تقوم به الشيخات حيث يتم تأدية العيطة عن طريق التناوب بين الشيخة المسؤولة وأحد رجال طاقم الفرقة كما كنا نلاحظ مع بوشعيب البيضاوي والان خديجة البيضاوية وغيرهما.

إن ظاهرة الشيخات مازالت موجودة على الساحة الفنية ولها جمهورها ومكانتها الخاصة بها، رغم ظهور فرق مختلفة ومتعددة يكون لها في بعض الأحيان نفس إنتاج الشيخات.

وقد يبرز نوع آخر من فرق الشيخات لا تضم في صفوفها سوى النساء يعتمدن فقط على آلات الايقاع متجاوزات آلات العزف. هذا النوع أصبح مفضلا بشكل كبير ومطلوبا خصوصا في حفلات النساء ويطلق عليهن أسماء مختلفة تتخذ صيغة الجمع مثل الهواريات، العونيات،...

بصفة عامة يبقى فن الشيخات ذا استمرارية وحضور داخل المجتمع لأنه إفراز ناتج عن تداخل وتساكن وتفاعل معطيات شتى داخل المجتمع المغربي.


ع. ركوك، *الغناء الشعبي المغربي*، انماط وتجليات، مراكش، 2000.

*Viviane danse d'une rive à l'autre*, Paris, 1985.


علال ركوك

**الشيخية**، طائفة صوفية نشأت بالمغرب في سياق انتشار الزروقية ـ الراشدية به، وتنتمي في جغرافيتها إلى الحلقة الراشدية المغربية المتاخمة لمجال انتشار الطريقة الراشدية بالمغرب الأوسط على عهد مؤسسها الشيخ أحمد بن يوسف (ت. 931 / 1524)، والممتد من سهل شلف شرقاً إلى ندرومة غرباً ومن السواحل المطلة على البحر المتوسط شمالاً إلى تخوم الصحراء جنوباً. ويمكن رسم خريطة هذه الحلقة الراشدية المغربية على شكل هلال يصل طرفاه ما بين السواحل المتوسطية الشمالية والسواحل الأطلسية الصحراوية مروراً بالأقاليم الشرقية والجنوبية : من قبيلة تريفة حيث تأسست أول الزوايا اليوسفية بالمغرب، فواحة فجيج حيث زاوية أولاد عبد الجبار وزاوية سيدي الشيخ، فواد گير حيث

زاوية محمد بن عبد الرحمان "مول السهول"، فالرتب حيث الزاوية الصادقية، فواحة كرزاز حيث الزاوية الكرزازية، فتوات حيث زاوية موسى ومسعود، فسجلماسة حيث الزاوية الغازية، فدرعة حيث الزاوية الناصرية إلى الساقية الحمراء حيث زاوية أحمد العروسي. وتترجم هذه الخريطة الواسعة جهود أعلام الطبقتين الأولى والثانية في الراشدية وأتباعهم من بعدهم، ويكاد تكوينها يستغرق القرنين 10 و11 / 16 و17 بأتمهما.

ولد الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة الحمياني الصديقي المدعو "سيدي الشيخ"، مؤسس الطائفة الشيخية، حوالي 951 / 1544، في بيت جاه وصلاح وشرف نسب. وينتسب جده الأعلى محمد بن سليمان العلي إلى الخليفة أبي بكر الصديق، وهو أول من انتقل من سلفه من الحجاز إلى المغرب الأوسط، أواخر القرن 8 / 14 أو في بداية القرن الذي يليه. وتفرعت من ولده قبائل متعددة استقرت في غرب هذه البلاد، منها قبيلة حميان والترافي وشراگة وعكرمة وغيرها. وينتسب بيت الشيخ عبد القادر السماحي إلى حميان، ويعرف أهله بالبوبكريين نسبة إلى صدر الخلفاء الراشدين.

وستتفرع عن البوبكريين قبيلتان كبيرتان هما أولاد سيدي الشيخ وأولاد النهار، اللتان تنتسبان إلى مؤسس الطائفة الشيخية وابن عمته يحيى بن صفية. وإذا كانت قصور ومجالات نفوذ وتنقل أولاد سيدي الشيخ تمتد من بوسمغون والشلالات والبيض شرقاً إلى فجيج غرباً، وإلى گورارة وتوات جنوباً، فإنها كانت محسوبة - في التاريخ الذي يهمنا - على الإيالة المغربية، مثلها مثل معظم القبائل والقصور الواقعة في الجنوب الغربي من المغرب الأوسط، إذ لم تبلغ إيالة الأتراك بالجزائر في توسعها جنوب مناطق التل إلى القصور الصحراوية إلا نادراً.

ولا ريب في كون البوبكريين هم أبطال الحركة الصوفية التي عملت على نشر الطريقة الراشدية بمجال نفوذهم الديني والدنيوي، في حياة الشيخ أحمد بن يوسف، خلال الربع الأول من القرن 10 / 16. وهذا واضح في تراجم المعاصرين منهم لهذا الشيخ، والذين ارتبطت الأحداث البارزة من سيرهم به : فسليمان جد الشيخ عبد القادر أحد "المذابيح" السبعة، وهم صفوة الطبقة الراشدية الأولى، وكبار صحب الراشدي. وعمه أحمد المجذوب الحمياني أحد مشاهير هذه الطبقة أيضاً، وهو جد قبيل مستقر بالعين الصفراء. وعمته صفية عقد الشيخ أحمد بن يوسف قرانها على أنجل أحد صلحاء جبل عمور، وخلفت منه يحيى (1016 / 1529 - 1607)، الذي انتشرت من عقبه قبيلة أولاد النهار. ووالده محمد دفين شلالة، يقوم ضريحه على بعد خطوات من قبر فاطمة بنت أحمد بن يوسف. وهذه الإضاءات من سير هؤلاء الأعلام كافية في الدلالة على صلتهم الوثيقة بالشيخ أحمد بن يوسف، ومكانتهم الرفيعة بين صحبه، وبلائهم في نشر طريقته بين خدامهم وأتباعهم من القبائل التي كانت تدين لهم بالخدمة والتبعية.

وفي الوقت الذي خلصت فيه الرئاسة للشيخ عبد القادر السماحي، وقد تفرقت الدولة السعدية أيادي سبأ واشرأب أتراك الجزائر بأعناقهم صوب المشرق وفتنه، فإنه قد ابتلي بخصيم من أبناء جنسه، وهو الفقيه والصوفي الشهير أحمد ابن أبي محلي (ت. 1022 / 1613) الذي شن حملة ضارية ضده، وألف عدة كتب في انتقاده والتشنيع عليه وإخراجه من سلك التصوف بالمرة والزج به في دائرة أهل البدع والأهواء. ودفع ببعض أتباعه إلى الارتداد عنه، وأقنع بعض أعيان الفقه والتصوف بالتوهم والحذر منه، وصرف كتاب التراجم المغاربة عن الاهتمام بسيرته وذكره.

ويعود أول لقاء بين الرجلين إلى عام 1008 / 1599، على إثر قراءة ابن أبي محلي على الشيخ أبي القاسم بن عبد الجبار بفجيج وإتمام كتاب *"الشفاء"* للقاضي عياض على يده. فتعارف في حلقات الدرس مع نجل الشيخ عبد القادر المدعو زروق والعديد من أتباعه، ورحل إليه وهو يومئذ بشلالة، فلقيه ونال قراه، وأهداه عمامته وجبة ودابة. ولم يكن ابن أبي محلي قد قصده بنية الانتساب إليه، رغم أن عمدته في الطريق الشيخ محمد بن المبارك الزعري التستاوتي قضى في العام الذي قبله (ت. 1007 / 1598). كما لم يكن يومها بالشخصية القليلة الخطورة، وكان من ذوي الوجاهة والنفوذ في قرى بني عباس الواقعة على وادي الساورة، بسبب جاهه الصوفي والعلمي ورحلته الحجازية الأولى ومصاهرته شيخ هذا البلد وعقده مصاهرة ثانية مع بني گومي على بعد مرحلتين من بني عباس شمالاً. وكان يضيف الواردين عليه من المشرق ومن المغربين الأوسط والأقصى، ويقضي حاجات العلماء الذين يكاتبونه من مكة والقاهرة وفاس وغيرها. وقد اتخذه السلطان أحمد المنصور كمستشار له في شؤون الصحراء، وأمر عماله بتيگورارين وتوات بالاتصال به وأخذ رأيه في المشاكل التي تعترضهم هناك.

واستمرت المراسلات بين ابن أبي محلي وزروق السماحي، فأثمرت الزيارة الثانية التي حدثت عام 1011 / 1602، والتي انتهت بالمصاهرة بينه وبين الشيخ عبد القادر الذي زوجه أجمل بناته، واتخذه تابعاً ونسباً وصهراً، وساكنه في بيته. وتشيع ابن أبي محلي لصهره، واعترف بمنته عليه، وحرر رسائل في حمده ومدحه، وكتب في ذلك إلى أتباعه، واعتنى بتائيته وعزم على شرحها. لكن سرعان ما تكدر الصفاء بينهما وانتهت العلاقة إلى فساد، فانفصل ابن أبي محلي عن السماحي، وطلق ابنته، وفر في وجهه إلى زاوية شيخه عبد الجبار بفجيج يعاني من سم قتال دس له في طعام أو شراب تناوله بداره.

ولا يفصح ابن أبي محلي عن دواعي القطيعة الفجائية والنهائية التي ذرت قرنها بينه وبين صهره، ويعزوها إلى

وقوفه بالمعاينة على أمور شنيعة كان يجهلها منه، وصحوته من الغفلة التي قادته إلى مصاهرته ومساكنته ومشايعته. وتوسل في صراعه معه بالتاريخ البدعي الذي تراكم طوال القرن العاشر (16 م)، وهمَّ الطريقة الراشدية شيخاً ومذهباً وأتباعاً. وألح على الصلات التي نظمت بين السماحي واليوسفيين اخوانه في الراشدية، والذين عملوا على نشر مذهب المحبة الخالصة بالمغرب خلال المائة العاشرة للهجرة، فاتهموا بالغلو والإباحة، وامتحنوا خلافة السلطانين محمد البرتغالي الوطاسي وعبد الله الغالب بالله السعدي.

وقد استغرقت خصومة ابن أبي محلي مع الشيخ السماحي طوراً كاملاً من أطوار حياته القلقة، واستمرت من عام 1011 / 1602 إلى عام 1019 / 1610، وهو أنشط هذه الأطوار من حيث التأليف والتصنيف، وخلاله أبدع معظم تراثه التي تترجم عناوينه العنيفة حلقات هذه الهجمة الشرسة. وباكورته "القسطاس المستقيم في معرفة الصحيح من السقيم" الذي ألفه بدار صهره، وصاح فيه عليه، وكاد أن يلقى حتفه بسببه. ووصلت أصداء هذه الصيحة إلى تيگورارين التي مربها ابن أبي محلي في طريقه إلى الحج للمرة الثانية، ومكث بها أربعة أشهر من عام 1013 / 1604. وحاول أثناءها قاضي الجماعة بهذا الصقع محمد بن عبد الله ابن عبد الكريم الوطاسي الجراري (ت. بعد 1017 / 1608) أن يصلح ذات البين بينه وبين السماحي للصحبة والمعرفة التي كانت له بهما، ورغم أنه رأى النبي (ص) في المنام فأخبره أن كلا منهما على صواب. وكان ظن ابن أبي محلي في القاضي المذكور ظن سوء، ولم يكن في قرارة نفسه يفرق بينه وبين السماحي، فلم ير في رؤياه سوى أحلومة زائفة عدل إليها لأنه لم يجد في يقظته دليلا يذب به عن صاحبه.

وبعد *"الإصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت"* الذي وصف فيه ابن أبي محلي رحلته الحجازية، وذكر فيه شيوخه في علمي الظاهر والباطن، ونسبه الجثماني والعلمي والعرفاني. ألف عام 1016 / 1607 " منجنيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور ورأس الفجور"، ورمى به السماحي، ووصفه فيه بالدجال الأزعر. وسخر من لقب الشيخ الذي يباهي به، وقال إن حقه أن يكتب بالسين المهملة : السيخ، ولعله من السوخ الذي يعني الخسوف والرسوب. وأعطاه لقباً من عنده وهو الذيخ وهو الضبع، ولم يعد يذكره إلا به. واستكثر عليه أيضاً النسبة إلى جده بوسماحة، لما تحمله من معاني الجود والعطاء من كرم وسخاء. ورأى أن حقها أن تكون بالجيم بدل الحاء "أبو سماجة"، والتي تتفق مع ما يروم نعته به من قبح وشر. وجعله يؤول هو وشيعته في بعض صورهم إلى نحو ما كان عليه اليوسفيون، واتهمهم باستباحة الزنى وسفك دماء المسلمين، ونفى عنهم ترك الصلاة وأكل رمضان والميتة. وساق ابن أبي محلي في منجنيقه المقالة التي أنشأها الجراري قاضي تيگورارين، وأيضاً القصيدة التائية التي نظمها على غرار تائية الشيخين الجيلاني والسماحي، وقصد بها الصلح بين الخصمين. وانتقدهما ابن أبي محلي انتقاداً شديداً، وصرح برأيه في صاحبهما، وأنه على مذهب السماحي في سلوكه بأتباعه، وأنه مثله من شيعة اليوسفيين، ومن المستحلين للزنى والعبث بالنساء.

وورث مشيخة الطائفة الشيخية نجله أبو حفص عمر بن عبد القادر السماحي (ت. 1071 / 60 ـ 1661)، وعنيت بذكره كتب التراجم المغربية، وأجمع أصحابها على علمه وصلاحه، واستقامة أمور الطريقة الشيخية على عهده، وجمعه بين التدريس والجهاد والحج. وكان ينزل بالقليعة، وهي قرية من قرى واحة وارگلة، ودفن قرب والده ببوسمغون.

وتكاثر أولاد سيدي الشيخ من عقب أبي حفص، وعاشوا في مجال نفوذ الزوايا الشيخية الممتد بين البيض وفجيج، إلى أن احتل الفرنسيون الجزائر عام 1245 / 1830، وهزموا الجيش المغربي في معركة إيسلي عام 1260 / 1844، ووقعوا مع السلطان مولاي عبد الرحمان اتفاقية للامغنية عام 1216 / 1845، والتي رسمت الحدود التي قسمت أولاد سيدي الشيخ إلى فرقتين : أولاد سيدي الشيخ "الشراگة" التابعين للجزائر المحتلة، وأولاد سيدي الشيخ "الغرابة" المحسوبين في عداد لقبائل المغربية. وإذ امتاز أولاد سيدي الشيخ "الشراگة" بجهادهم ضد الفرنسيين منذ عام 1281 / 1864، وبشاعرهم المناضل محمد بلخير الذي خلد كفاحهم في قصائده، فإن أولاد سيدي الشيخ "الغرابة" سيضربون مثلهم بنصيب في الجهاد، وسيزيدون عليه بتجديد وإحياء الطريقة الشيخية، التي أصبحت تعرف بالطريقة "البوعمامية ـ البوشيخية" نسبة إلى الشيخ محمد بن العربي البوشيخي الشهير ببوعمامة.

ولد بوعمامة بواحة فگيگ، وبالضبط في قصر الحمام الفوقي القريب من زاوية جده الشيخ عبد القادر بوسماحة، وذلك عام 1256 / 1840. وظهر بمظهر المجدد لطريقة أسلافه لما آلت إليه مشيخة هذه الزاوية التي تعد أم الزوايا الشيخية، وابتدع لأتباعه ورداً ادعى أنه تلقاه من جده السماحي في منامه. واستطاع أن ينشر نفوذه بين أولاد سيدي الشيخ "الشراگة" و"الغرابة" وغيرهم من أهل القبائل والقصور المغربية والجزائرية الواقعة بهذه التخوم، وأعاد لزاوية جده الإشعاع الصوفي الذي تمتعت به على عهده.

ودعا بوعمامة إلى جهاد الفرنسيين ما بين 1292 ـ 1302/ 1875 ـ 1884، وتزعَّم حركة جهادية كبرى ضدهم عام 1299 / 1881. واضطر بعد فشله في وجههم إلى اللجوء إلى الواحات الجنوبية الشرقية معقل أتباع الطريقة الشيخية، ثم أزاحه الفرنسيون عنها في مطلع القرن العشرين بعد بسط نفوذهم على هذه الواحات، فتحرك شمالاً نحو منطقة التل، وحط رحالهُ قرب عين بني مطهر. وصادف نزوحه ثورة بوحمارة التي عمت شمال شرق البلاد ما بين 1321 ـ 1334 / 1903 ـ 1906، فأعلن نصرته، وانخرط أتباعه في جنده. لكنه بدا بمظهر المتعاون مع المحتلين لما تراجع بوحمارة عن عمالة

وجدة، وشرعوا في التقدم. وساعدهم على الوصول إلى قصبة العيون التي أسس بها عام 1323 / 1905 زاويته التي تعرف بالزاوية العمامية، والتي جمع بها أهله وأتباعه. وبها حدثت وفاته يوم 12 رمضان 1326 / 8 أكتوبر 1908.

وتحدث الجنرال Georges Spillman عن وضعية الطائفة الشيخية بالمغرب بعد مرور ثلاثة عقود على وفاة بوعمامة، وبالضبط عام 1939. فعدها من الطوائف المضمحلة والمحصورة في مناطق محدودة، وقدر عدد أتباعها بنحو ستمائة وسبعين منتسباً، ووزعهم على خريطة لا تمت بصلة لمجال طريقتهم تاريخياً وجغرافياً واجتماعياً. وتقتصر هذه الخريطة على الحواضر عوض الواحات والقصور والقبائل، وتنتشر معظم مراكزها في وسط البلاد وغربها عكس شرق البلاد وجنوبها. وتأتي مدينة وجدة على رأس هذه المراكز لاتخاذها سكناً من قبل ثلثي العدد المذكور من الشيخيين، ولا عجب في ذلك فهي الأقرب إلى المجال التاريخي لطائفتهم. ويتوزع الثلث الباقي، وبالترتيب حسب عدد الأتباع، على مدن الرباط والجديدة والدار البيضاء ومكناس وفاس ومراكش.

م. حجي، *الحركة الفكرية*، 32 ـ 33 ـ 511 ـ 516 ـ 625 ـ 630 ك ع.
ف. خشيم، أحمد زروق والزروقية، 167 ؛ أ. أمزيان، *مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي المغربي خلال القرن 19*، فجيج ما بين 1845 ـ 1903، د. د. ع، مرقونة ومحفوظة بخزانة كلية الآداب بالرباط، 87 ـ 90 ـ 503 ـ 524 ؛ ع. القدوري، ابن أبي محلي الفقيه الثائر، 46 ـ 49 ؛ ع. برحاب، بوعمامة، *معلمة المغرب*، 6 : 1802 ـ 1803 ؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب*، 31 ـ 32، 286 ـ 287 ـ 346 ـ 347.

L. Rinn, *Marabouts et Khouan*, 349-368 ; O. Depont et X. Coppolani, *Les confréries religieuses musulmanes*, 468-481 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, 75, 76, 120, 122, 277 ; J. Berque, *Ulémas, fondateurs, insurgés du Maghreb*, 45-80.

عبد الله نجمي

**شيرة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Sierra ومعناه المنشد أو سلسلة جبال ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1194 (1780).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1466.

محمد ابن عزوز حكيم

**شيشاوة**، (منطقة ومدينة) زراعية ومدينة تاريخية وبلدية حديثة وإقليم جديد يعبره واد يحمل نفس الاسم. واختلف الباحثون في مدلول الاسم، تعتبره رواية محلية مشتقا من (إشيشاون) أي صغار الدجاج الذي اشتهرت المنطقة بتربيته، لكن الراجح علميا أنه اسم معرب محرف لكلمة سكساوة وهو اسم قبيلة جبلية "إسكساون" كان مجالها الرعوي يمتد على طول الواد الذي مازال يحمل اسمها ويعتبر واد شيشاوة امتداداً له وهو يصب في واد تانسيفت، ويقال إذا كانت اغمات أيلان هي مدينة أوريكا فإن شيشاوة هي مدينة سكساوة.

أنشئ إقليم شيشاوة بالحوز الغربي إثر تقسيم إداري (جديد طبقا لمقتضيات المرسوم 2 ـ 91 ـ 90) بتاريخ 11 يناير 1991 تبلغ مساحته 6.872 كلم2 مقسم إلى أربع دوائر هي شيشاوة وإيمي ـ ن ـ تانوت وامتوگة ومجاط. يضم 15 قيادة و38 سوقا أسبوعيا و35 جماعة منها جماعتان حضريتان : هما شيشاوة وإيمي ـ ن ـ تانوت و33 جماعة قروية منها 14 بالجبال و13 بسهل الحوز و6 بالهضاب الغربية. يتميز الإقليم بتنافر تضاريسه التي تتكون من أجزاء متباينة لأربع وحدات رئيسية هي :

ـ القسم الغربي من سهل الحوز : يتميز بانبساطه وتموجه وظهور سطوح صخرية للكلس المستنقعي أو تلال هرسينية ذات صخور صلبة كالشيست والكوارتزيت يكون 40٪ من مساحة الإقليم يتناقص ارتفاعه من الجنوب 600م إلى مجرى تانسيفت 300م.

ـ منطقة الدير : تكون 16٪ تمتد من إيمي ـ ن ـ تانوت إلى مشارف أمزميز. تتميز بزراعة مسقية بمخارج الأودية يفصل بينها مدرجات بينهرية جافة.

ـ قسم هضبي متموج بدائرة امتوگة يمتد غربا وهو جزء من هضاب وتلال المحيط الأطلنتيكي يتراوح ارتفاعه بين 500 ـ 800م يكون 24٪ من مساحة الإقليم، غني بمدخراته الفوسفاطية خاصة بمسگالة وببعض المكامن البترولية والغازية الصغيرة.

ـ قسم جبلي بأقصى الجنوب وهو جزء من الأطلس الكبير الغربي يتكون من قمم عالية وهضيبات مثل مولاي علي 3.349م وهضبة تيشكا 2.500 م وأحواض نهرية أهمها سكساوة وأسيف المال وإيمي ـ ن ـ تانوت.

يتميز مناخ الإقليم بتباينه الكبير تبعا لتنوع الوحدات التضاريسية ما بين سهل وجبل وأحواض وهو عموماً متوسطي قاري شبه جاف قليل الأمطار 170 ـ 300 ملم / السنة فقد كان معدل مدينة شيشاوة التي تقع على علو 340 م هو 175 ملم وإيمي ـ ن ـ تانوت (880 م) 324 ملم والودجان (700 م) بدير سكساوة 251 ملم لكن الجفاف استفحل في العقدين الأخيرين خاصة في التسعينيات إذ لم يسجل بالحوز الغربي إلا 82 ملم سنة 1993 وبمدينة شيشاوة 82,5 ملم سنة 1993 و63,4 ملم سنة 1994. لكن تهديد الجفاف غدا معطى مزمنا وفرض على السكان التكيف مع ظروف بيئية مضطربة قاسية منذ القديم. كما يتميز الإقليم بدرجات حرارة دنيا وعليا حادة ومدى حراري يومي وفصلي كبير يمتد من دون الصفر بالأحواض الجبلية إلى 49 درجة بمنخفضات الحوز عند هبوب رياح الشرگي. وتتلخص الشبكة المائية في وادين يتميز مجراهما بدوام نسبي في المجال الجبلي وبالتقطع والموسمية بالسهل هما أسيف المال كان معدل صبيبه السنوي 56,3 مليون م3 وواد شيشاوة الذي

يتلقى عدة روافد جبلية أهمها سكساوة صبيبه 63 مليون م3 وواد إيمي ـ ن ـ تانوت صبيبه 11,5 مليون م3 وأمزناس 13 مليون م3. ويقدر مجموع صبيب الوديان بالإقليم في السنوات الممطرة العادية حوالي 4500 لتر / ث. ونظراً لجفاف الإقليم فإن زراعته تعتمد أساسا على الري وتتركز مجالاتها بضفاف الوديان إلا أنها تستفيد من ظواهر جيولوجية وطبوغرافية خاصة أدت إلى ظهور عدد من العيون خاصة بالحوز الغربي أهمها عين أباينو: 500 لتر / ث ورأس العين 40-70 لتر / ث وأغرماش 40 ـ 90 لتر / ث. ويقدر معدل صبيب العيون : 800 لتر / ث. كما يضم الإقليم عدة فرشات مائية متباينة أهمها فرشة عامة بسهل مجاط طاقتها 150 لتر / ث لكنها عميقة + 40 م لذلك صارت تحفر عليها أثقاب، فرشة نهاية الحوز الغربي 150 لتر / ث. كما توجد أحواض صغيرة ومتفرقة تمد آبارها السكان بمياه الشرب وذلك بمسگالة وبقعور الأحواض وضفاف الوديان. وهناك مساحات شاسعة تنعدم فيها المياه سواء الجوفية أو الجارية فيعتمد السكان على استغلال مياه السيول العرضية والأمطار لملء مطافي مهيأة لخزن مياه الشرب على الأقل، وعلى سبيل المثال يوجد بجماعة السعيدات بدائرة شيشاوة 181 مطفية جلها فردي ومنها ما هو جماعي، كما يهيئ القرويون حفرا على مجرى السيول، تختزن ماءها لتتحول إلى غدير مؤقت يستعمل لإرواء الماشية وأشغال التنظيف والبناء، لكن توالي سنوات الجفاف يدفع السكان في كثير من القرى إلى شراء المياه ونقلها في براميل. أما السدود فلا يوجد منها بالإقليم سوى ثلاثة سدود تلية أهمها سد الدويران حقينته 600.000م3. ومن المقرر الشروع في بناء سدين على وادي أسيف المال وسكساوة عند مخرجه في بولعوان سنة 2002 سيمكنان من ضمان سقي 12.400 هـ بصفة دائمة.

يعاني الإقليم كذلك من ضعف الغطاء النباتي الطبيعي سواء بالجبل أو السهل، تبلغ المساحة الغابوية 110.000 هـ أي 16٪ من المساحة الكلية تتركز أساسا في الجبال أهم أشجارها البلوط الأخضر 38٪ الثويا 15٪ العرعار الأحمر 16٪ أرگان 9٪ لكنها تتراجع بحوالي 2.000 هـ سنوياً تحت ضغط حاجيات السكان والرعي الجائر والجفاف، تنتشر خاصة بسفوح محمية محفوظة بتربتها وتوجهها أما الأحواض المنخفضة فإنها فقدت غطاءها منذ عقود أو قرون وعمتها الحلفة وأحراش شوكية.

تتميز التربة بضعفها إذ تتكون من تربة هزيلة كثيرة الحجارة أهمها الحرشة تغطي 62٪ من المساحة الكلية والحمري 24٪ والرمل 12٪ والدهس 1,7٪ وأرقوان 3٪ والتيرس 1,3٪ وكلها تعاني من تعرية ريحية ومائية وبشرية، كما تكثر بها السطوح الصخرية مما يجعل السهل وكذلك الجبل أصلح ما يكون للرعي وهذا ما جعل عدداً من القبائل البدوية الصحراوية والعربية المهتمة بالرعي والترحال تستقر به أهمها أولاد بوالسبع ومجاط وتيدرارين وتكنة وأيت لحسن وجلها وفدت إلى المنطقة في عهد السعديين أو العلويين.

السكان : ورد اسم شيشاوة في كتابات عدد من المؤرخين منذ أيام المرابطين كاسم يطلق على منطقة فلاحية تمتد على طول الواد وكذلك اسم مدينة صغيرة ذات موقع استراتيجي تعبرها طرق مهمة من مراكش نحو الصويرة وآكادير وسوس والصحراء الجنوبية وقد استوطنها بربر المصامدة منذ القديم ولها علاقات تاريخية بمنطقة رگراگة عند مصب واد تانسيفت وجدت بها مخلفات رومانية مسيحية كبقايا كنيسة وأضرحة وانتشر بها الإسلام في عهد المرابطين وأصبحت مركزاً عمرانياً وتجارياً مهما في طريقهم من مراكش إلى الصحراء وعرفت في عهد الموحدين ازدهاراً اقتصاديا. لكنها تعرضت للتخريب من جيوش المرينيين الذين وفدوا لكسر انطلاقة القبائل الجبلية ودحرها إلى جبالها، لكن المدينة استعادت نشاطها وأهميتها في عهد السعديين وانتعشت بها زراعة قصب السكر الذي يسقى بمياه الواد والعيون وأنشأوا بها معملا لاستخراج السكر مازالت أطلاله واضحة على بعد 5 كلم من المركز الحالي بسافلة الواد. وفي عهد العلويين ازدادت المدينة انتعاشا واشتهرت بها كتاتيب ومدارس وطرق صوفية. كما استفادت من السلم الاستعماري في عهد الحماية فاختفت النزاعات المزمنة بين القبائل الرعوية بالسهل وبينها وبين سكان الأودية الجبلية حول المراعي والمياه خاصة. كما استعادت مدينة شيشاوة أهميتها بعد مرور طرق وطنية مهمة بها.

بلغ سكان الإقليم 311.800 ن سنة 1994 مقابل 269.631 ن سنة 1982 ويلاحظ أن نسبة التزايد بين الاحصائين كانت ضعيفة 1,2٪ سنويا أي أقل من المعدل الوطني : 2,06٪، ويفسر ذلك بأهمية الهجرة الريفية بسبب استفحال الجفاف كما يلاحظ ضعف نسبة الحضريين 11,2٪ يتوزعون في بلديتين هما شيشاوة : 9.738 ن وإيمي ـ ن ـ تانوت 12.592 ن ومركز حضاري : سيدي المختار : 9.495 ن وتبلغ الكثافة بالإقليم 45,38 ن / كلم2 أما معدل الأسرة فهو 5,86 فرد ومعدل الخصوبة 4,9 مقابل 3,28 على الصعيد الوطني 1994.

وتتميز البنية التحتية بضعفها فالمدارس قليلة وكذلك الكتاتيب مما يرفع نسبة الأمية إلى أكثر من 90٪ في جل الجماعات خاصة الجبلية أما الكهرباء فلا يستفيد منها إلا حوالي 50٪ من سكان المراكز الحضرية أما بالمجال القروي فلا يتجاوز المستفيدون 3.468 أسرة 1996 وهناك 23 جماعة قروية ليست بها الكهرباء. ويطرح تزود القرى بمياه الشرب صعوبات خطيرة بسبب استفحال الجفاف من جهة وندرة المياه الباطنية والسطحية بالإقليم من جهة أخرى إذ صار يعتمد حوالي 90٪ من القرويين على المياه المخزونة بالمطافي أو المشتراة كما أن الطرق المرصفة نادرة إذ تنحصر في الطرق الوطنية العابرة للإقليم وهي 170 كلم من الطرق الوطنية و124 من الطرق الثانوية و647 كلم من الطرق الثلاثية لم

يرصف منها سوى 21٪ والباقي عبارة عن مسالك صعبة خاصة بالجبال، ومازالت وسائل النقل الآلي ناقصة مما يفسح المجال للنقل الغير المشروع خاصة بالمناطق الجبلية، وتبلغ كثافة الطرق بالإقليم 5,5 كلم / 100 كلم2 مقابل 8,5 على الصعيد الوطني 1995. كل هذه المعايير تؤكد أن شيشاوة هي إقليم ريفي يتميز بضعف البنية التحتية والحضرية سواء على مستوى التجهيزات أو الخدمات أو التأطير الإداري والتقني أو الطرقات والنقل.

الفلاحة : تعتبر الفلاحة وأنشطة القطاع الأول النشاط الرئيسي للسكان إذ يستغل بها 72٪ والباقي في التجارة والحرف والإدارة وأشغال البناء والمناجم، لكن أبناء الفلاحين يهاجرون ويعملون في مختلف المهن كالبناء والتجارة... بالمدن إن لم يجدوا فرصة للهجرة إلى الخارج ولا يرجعون إلى قراهم إلا وقت الحرث والحصاد إن توفرت الأمطار. ويتميز الإقليم بسعة الأراضي الجماعية 56,8٪ والأراضي المخزنية 25,5٪ وكلاهما يستغلان في الرعي والزراعة البورية وأراضي الكيش والأحباس 3,5٪ أما أراضي الملك الخاص فلا تتعدى 15٪ أي 103.000 هـ تستغل في زراعة بورية ومسقية. وتبلغ مساحة الأراضي المستغلة في الزراعة 160.000 هـ أي 23.3٪ من المساحة الكلية منها 12,2٪ مسقية بصفة موسمية أو عرضية أو دائمة أحيانا وتمثل أراضي الرعي 46.2٪ بينما تبقى 14٪ عقيمة لأنها عبارة عن صخور سطحية أو كثيرة الحجارة غير منتجة. وتعتبر زراعة الحبوب خاصة الشعير زراعة مجازفة يناصيبية. كما تتميز الملكية بتفتتها الكبير بسبب توالي التقسيم بين الورثة وبالتفاوت ف 77,3٪ من الفلاحين يمتلكون 30,9٪ بحيث يبلغ معدل ملكيتهم 1,3 هـ مفتتة إلى مشارات عديدة و4٪ من الملاكين يمتلكون 33.5٪ من المساحة الزراعية مما يجعل معدل ملكيتهم تتجاوز 20 هـ. ويبدو أن سلطات الحماية كانت تشجع التمليك، فاستولى عدد من أرباب الأسر الإقطاعية على مساحات واسعة من أراضي الجماعة وسجلوها بل حفظوها لصالحهم. ويلاحظ أن توالي سنوات الجفاف في العقدين الأخيرين من القرن العشرين أدت إلى تقهقر الأعمال الفلاحية وتراجع أعداد القطعان مما حتم على الرجال خاصة الشباب الهجرة ومساعدة الأسرة حتى أصبحت الهجرة هي النشاط الرئيسي بقرى وجماعات كثيرة ولا يزور المهاجرون قراهم إلا في المناسبات الدينية والعائلية وكثيراً ما تتحول هجرتهم المؤقتة إلى هجرة دائمة.

أما أهم المنتجات فهي الحبوب إذ يخصص لها 97٪ من المساحة خاصة الشعير 64٪ منها ويبلغ معدل مردوديتها في السنوات العادية 6 . 12 ق / هـ لكنها تنخفض إلى 3 أو أقل في السنوات الجافة الأخيرة حتى أصبح بعض الفلاحين لا يرجون من الزراعة غير التبن. أما القطنيات فلا تتجاوز مساحتها 600 هـ والخضر 1550 هـ 0,7٪ وأهمها البطاطس والعلف خاصة الفصة 2.380 هـ وتحتل الأشجار المثمرة أهمية خاصة إذ تبلغ مساحة أراضيها 20.483 هـ 1996 تتركز في النطاقات المسقية في السهل والجبل وأهمها اللوز 1.04 مليون شجرة أي 45,20٪ تنتج في سنة ممطرة عادية 78.000 قنطار يأتي بعدها الزيتون 1.04 مليون شجرة أي 34,40٪ تنتج في سنة عادية 273.000 قنطار وهي مردودية ضعيفة : 40 ق / هـ بالنسبة للزيتون و12 ق / هـ بالنسبة للوز تقل كثيراً عن المعدل الوطني والإقليمي، يليهما المشمش والرمان والتين والجوز الذي ينحصر في الأودية العالية : 50.470 شجرة ومؤخراً أشجار التفاح.

ومن الأنشطة الحديثة بالإقليم الاستغلال المنجمي لكنه يقتصر اليوم على البارتين، يوجد به منجم مهم بجماعة أيت حدو يوسف أنتج 81.700 طن سنة 1996 يعمل به 180 عاملا ويلاحظ أن معظم رخص الاستغلال المعدني تمارس نشاطها بهذه الجماعة. كما يستغل بالإقليم عددمن مقالع الصخور مثل الموزايك وصخور الكلس خاصة التي يتزود بها معمل سيمار للإسمنت الموجود بجماعة امزوضة على طريق مراكش ينتج 600.000 طن سنويا يعمل به 290 عاملا رسميا وحوالي 230 موسميا. وهناك مدخرات ومؤشرات تدل على غنى المنطقة الجبلية بالمعادن خاصة النحاس ومدخرات صغيرة من البترول والغاز بالهضاب الغربية لكن يلاحظ أن رخص البحث المعدني تراجعت كثيرا في السنوات الأخيرة.

أما السياحة فتنحصر في المناطق الجبلية لكنها مازالت في مرحلة جنينية وظهر مؤخرا شركتان للصيد السياحي بالجبال هما : "صيد الأطلس" تكتري 5.000 هـ من مجالاته الغابوية و"سمير صيد" تكتري 13.000 هـ، تنظمان الصيد السياحي للأرانب والحجل، تعملان على إدخال وتربية حيوانات أخرى كالخنزير والغزلان، وقد أنشأت "سمير صيد" مركز استقبال يتكون من ثلاث غرف بعالية الوادي بجماعة أيت حدو يوسف.

وكجميع العواصم الإقليمية الفتية تضم شيشاوة مؤسسات تعليمية ابتدائية وإعدادية وثانوية ومستوصفا ومندوبية إقليمية للصحة ومنشآت تابعة للأشغال العمومية والبريد والفلاحة والمياه والغابات والأمن الوطني والقرض الفلاحي ومختلف الوكالات البنكية والقباضة... مما أدى إلى خلق شريحة واسعة من الموظفين تضفي على المدينة بسكنها ولباسها ونمط عيشها طابعا حضريا يسعى الجميع إلى تقليده.

لقد أنجزت الوكالة الحضرية التابعة لولاية مراكش تصميم تهيئة لمدينة شيشاوة لتنظيم عمرانها وضبط توسعها وتعمل المصالح البلدية على إنشاء منطقة خضراء ومقبرة وترصيف أزقة الأحياء وإعادة هيكلة الدواوير القديمة التي تحولت إلى أحياء سكنية خاصة أولاد باني وأولاد ابراهيم التي تصلبت مبانيها بنسبة 80٪ ودوار بلهاشمي بنسبة 65٪ كما تعمل على إعادة هيكلة كثير من التجزئات السكنية الهامشية التي ظهرت بشكل عشوائي، كما أنجزت مؤسسة الإيراك

تجزئات سكنية تتوفر على الشروط المعمارية أهمها تجزئة النصر 1 للسكن الاقتصادي 500 منزل والنصر 2 بها 912 منزل والنصر للإقامات 236 فيلا والنصر 3 لمنطقة صناعية. ويتوقع تصميم التهيئة إزالة الكثير من المباني والمحلات التجارية التي بنيت بشكل عشوائي وإعادة بناء المحطة التجارية الطريقية وفنادق ومتحف. ويلاحظ أن شيشاوة لم يصلها إلى حد الآن أي إسقاط للأنشطة السياحية المنتعشة بالأقطاب الثلاثة التي تتوسطها وتربط بينها وهي مراكش وأگادير والصويرة رغم احتوائها على مآثر تاريخية مهمة كبقايا معمل السكر الذي يعود إلى عهد السعديين وعين أباينو ذات الصبيب الدائم والحرارة الثابتة صيفا وشتاء.

*بحوث ميدانية، نتائج إحصاء السكان لسنة* 1982 و1994، *خرائط طبوغرافية وجيولوجية* ؛ ضعيف لحسن، *عوامل التطور العمراني بالمدن الصغرى نموذج شيشاوة* ؛ عمراوي محمد، دور التجارة والخدمات في التوسع الحضري لمدينة شيشاوة، *مونوغرافية شيشاوة*، عمالة شيشاوة.

P.N.U.D., *Etude monographique de la province de Chichoua*, Octobre 1992 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut Atlas Occidental Seksaoua*, Paris, 1955 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1983.

أحمد هوزالي

**الشيعة بالمغرب**، لا شك أن الصراعات التي تمت في المشرق الإسلامي كانت تمتد للغرب الإسلامي بحكم وحدة الترابط بينهما، هاته الوحدة التي لم تكن تنفي ما لكل منهما من خصوصية. فلم يكن الغرب الإسلامي مجرد مرذد لهاته الصراعات بل كان تربة خصبة لبلورتها وتشكيلها وتكوينها، وبالتالي أرضية لتكوين دول لم يتمكن دعاتها من تأسيسها في المشرق الإسلامي، ومن هذا القبيل نذكر دول الخوارج ودولة الشيعة الفاطمية وغيرهما. وحديثنا عن الشيعة بالمغرب يحتم علينا إبراز فرعين من فروعهما وهما :

- الشيعة الزيدية.
- الشيعة الباطنية الإسماعيلية.

وذلك على اعتبار أن الفروع الأخرى كالإمامية الاثنى عشرية لم يعرف لها وجود قوي بالمغرب.

1) الشيعة الزيدية :

لعل دولة الأدارسة هي أقرب مثل فعلي للشيعة الزيدية ذات المنحى الاعتزالي بالمغرب. فدولة الأدارسة بالمغرب 172 / 788 - 313 / 925 - كما تذكر المصادر - تأسست إثر فرار إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى المغرب الأقصى بعد انهزام العلويين أمام العباسيين في موقعة فخ (بضواحي مكة) سنة 169 / 785.

وكان الأدارسة يلقبون بالإمام، حيث انتقلت الإمامة إليهم بعدما أوصى محمد النفس الزكية لأخيه إدريس الأكبر.

ولما كان الأدارسة يثبتون خلافة الشيخين مجانبين قول الروافض، ويقولون بإمامة أولاد الحسن والحسين على السواء، فإن موقفهم هذا جعل الباحثين ينقسمون إزاءهم إلى قسمين، خاصة وأن المصادر المباشرة لهاته الفترة تكاد تكون منعدمة.

أ - قسم اعتبر الأدارسة شيعة زيدية، وبالتالي فهم بالضرورة معتزلة لأنه كما يقول الشهرستاني : "صارت الزيدية كلهم معتزلة"، وذلك لتتلمذ الإمام زيدبن علي (ت. 121 / 739) على واصل بن عطاء أحد شيوخ المعتزلة (ت. 131 / 748) (*الملل والنحل*، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، ج 1 : 29). وما يرجح هذا الرأي أن صاحب *الاستبصار*، (ص. 194 - 195، نشر سعد زغلول عبد الحميد) يذكر أن إدريس الأول (ت. 177 / 793) عندما نزل بقبيلة أوربة، كان رئيسها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي معتزليا، وتقارب إدريس الأول مع إسحاق في المذهب كان وراء مبايعة قبيلة أوربة لإدريس الأول.

ونحن نعلم أن المعتزلة كانوا مؤيدين لزيد بن علي وبايعوه بالإمامة، ثم بايعوا ابنه يحيى (ت. 126 / 743)، ثم بعد مقتله بايعوا محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية أخ إدريس (ت. 145 / 762)، وقد كان النفس الزكية هو وإخوته وأبوه وأعمامه كلهم معتزلة أخذوا عن واصل بن عطاء (محمد عمارة، *الإسلام وفلسفة الحكم*، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، ص 688 - 692).

وكان واصل بن عطاء هو نفسه خريج مدرسة محمد بن الحنفية بالمدينة المنورة (النشار، *نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام*، ج 1 : 533) وبالتالي كان أحد دعاة آل البيت ومناصريهم عمل على نشر الاعتزال والدعوة لآل البيت، فكون دعاة لهذا الغرض بلغوا أقاصي المغرب وفي هذا يقول أحد شعراء المعتزلة :

له خَلْفَ شعب الصين في كل ثغرة — إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر
رجال دعاة لا يفل عزيمهم — تهكم جبار ولا كيد ماكر

وقارن نفس المعطيات لدى الشهرستاني في، ن. م. س. ص 46.

ب - قسم اعتبر الأدارسة أئمة من آل البيت وأنهم أهل سنة وجماعة، وأن الوصف الصحيح لدولتهم، أنها دولة علوية هاشمية سنية (حسين المؤنس، *تاريخ المغرب*، ج 1 : 372). على أن أصحاب هاته الدعوة تنقصهم النصوص المثبتة لكلامهم.

على أنه مهما قيل عن مذهبية الأدارسة، فإنه مما لاشك فيه أنه كان لهم دور مهم في التمهيد لظهور المذهب الشيعي الإسماعيلي، فقد هيؤوا - كما يرى د. أحمد مختار عبادي - النفسيات والذهنيات المغربية لتقبل الدعوة الشيعية الباطنية (*في التاريخ العباسي والفاطمي*، ص. 228)، فمن بين الأمور "الهامة التي قام بها الأدارسة، والتي يمكن اعتبارها تمهيداً للدعوة الإسماعيلية، إشاعة الظاهر أو ما يسمى بفضائل آل البيت التي جعلت المغاربة مستعدين بتقبل أية فكرة تقال عنهم" (محمد بوغالي، *الفكر الباطني بالمغرب*

*والأندلس*. ص. 171 ؛ موسى لقبال، دور *كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية*، ص. 209)، ولهذا كنا نجد أحد دعاة الإسماعيلية وهو الداعي إدريس عماد الدين، يعتبر أن خوف بني العباس من قيام إدريس بن عبد الله بن الحسن بالمغرب ودسهم السم له هو محاولة لإطفاء نور الله الذي أبى إلا أن يتمه على يد الإمام عبيد الله المهدي (ت. 322 / 934) (*عيون الأخبار*، تحقيق محمد اليعلاوي، ص. 48).

2) الشيعة الباطنية الإسماعيلية :

يذكر لنا الداعي الإسماعيلي الكبير القاضي النعمان بن محمد (259 / 872 ـ 351 / 961) أن جعفر الصادق (ت. 148 / 765) أرسل سنة (145 / 762) داعيين شيعيين من المشرق إلى الغرب الإسلامي (إفريقية على الخصوص) لبذر بذور الدعوة الشيعية ونشرها (*افتتاح الدعوة*، ص 26 ـ 27، تحقيق فرحات الدشراوي)، وبما أن المصادر الإسماعيلية غالبا ما تتكتم عن أسماء دعاتها وتكوينهم وأهدافهم لأغراض سياسية، فإن القاضي النعمان لا يقدم لنا معلومات كافية عن هذين الداعيين سوى أن أحدهما اسمه أبو سفيان والآخر الحلواني.

وقد خاض أبو عبد الله الشيعي حروبا ما بين 291 و296 / 903 و909، تمكن خلالها من القضاء على دولة الأغالبة ثم دولة الرستميين الخارجية في تاهرت، ومضى قدما إلى المغرب الأقصى، فدخل سنة 296 / 909 سجلماسة وقضى على دولة بني مدرار الخارجية، وأطلق سراح الإمام المهدي عبيد الله الذي كان اليسع بن مدرار أمير سجلماسة قد ألقى عليه القبض وسجنه.

وهكذا قامت دولة إسلامية جديدة في الشمال الإفريقي، ودخل الإمام المهدي عبيد الله مع أبي عبد الله الشيعي مدينة رقادة سنة 297 / 910 وبويع المهدي بالخلافة وأعلن تأسيس دولة الفاطميين الإسماعيلية، وفي سنة 308 / 973 أسس المهدي مدينة المهدية قرب البحر جنوب المنستير بتونس وانتقل من رقادة إليها، فبقيت المهدية عاصمة الدولة الفاطمية إلى أن غادروها إلى القاهرة في عهد المعز لدين الله الفاطمي في 7 رمضان 362 / 11 ـ 6 ـ 973.

والجدير بالذكر هنا أن الشيعة الإسماعيلية بالمغرب لما أسست دولتها وأعلن عبيد الله المهدي نفسه أمير المؤمنين، أثرت سياسة الفاطميين بالمغرب تأثيراً يمكن متابعة ظواهره في المستويات التالية :

1 ـ من الناحية العسكرية تميز حكم الفاطميين قبل انتقالهم إلى مصر بمحاولات التوسع في المغربين الأوسط والأقصى، بهدف التحكم في الطرق التجارية، رغبة في سد منافذها على الدولة الأموية بالأندلس، مما أثار غضب هاته الأخيرة وجعلها تساند القبائل المغربية المعارضة للدولة الشيعية الفاطمية وتشجع ثوارها، مما أفضى إلى إيجاد حياة سياسية غير مستقرة بالمغرب في تلك الفترة، وكان توجه الفاطميين نحو الشرق لضرب الخلافة العباسية والسيطرة على الأماكن المقدسة والطرق التجارية عاملا آخر في سياسة عدم استقرارهم بالمغرب واهتمامهم بمصر.

2 ـ من الناحية السياسية، فإن تأسيس الدولة الفاطمية بجهود مغاربية، كان بمثابة إعلان على أن أجهزة الحكم لن تكون بعد الدولة الفاطمية معتمدة على العنصر "العربي" وإنما على عنصر "إيمازغن" (البربر)، وقد تنبه ابن خلدون لذلك.

3 ـ من الناحية الاقتصادية، إن رغبة الشيعة الفاطميين في التوسع غربا وشرقا حتم عليهم تكوين جيش تطلب مصاريف باهظة ترتب عليها فرض جبايات وخراجات أثقلت كاهل الناس، فوقعوا في أخطاء سابقيهم، مما جعل الناس يحتجون على ذلك ويتكتلون مع فقهاء المالكية المعارضين، وخاصة في المدن الكبرى حيث ظل للمالكية نفوذ رغم هيمنة الشيعة وضغوطهم.

4 ـ من الناحية العقدية الدينية، لقد قاتل الفاطميون الخوارج والمخالفين لهم، وحاولوا فرض المذهب الشيعي الإسماعيلي كمذهب رسمي للدولة، على أنهم كما لاحظ الفريد بل (*الفرق الإسلامية*...، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص. 164 ـ 201) كانوا متسامحين إلى حد ما مع أهل السنة" وخصوصا من كانوا على مذهب أبي حنيفة". وبذلك يمكن القول : إن المذهب المالكي بفضل جهود أئمته في القيروان والأندلس قد تمكن من التغلغل في المغرب الأقصى والتجذر، وخاصة بعد رحيل الفاطميين إلى مصر، وسيتمكن المذهب المالكي من الانتشار والانتصار النهائي مع الدولة المرابطية 430 / 1038 ـ 541 / 1146.

على أن هذا المد والجزر الذي عرفه المذهب الشيعي الإسماعيلي بالمغرب، ترك بصمات واضحة في بعض الاتجاهات الفكرية ـ السياسية بالمغرب.

القاضي النعمان بن محمد، *تأويل الدعائم*، تح. محمد حسن الأعظمي، مصر، د. ت ؛ افتتاح الدعوة، تح. فرحات الدشراوي، تونس، 1975 ؛ جعفر بن منصور اليمن، *كتاب الكشف*، تح. د. مصطفى غالب، ط 1، بيروت، 1984 ؛ الداعي إدريس عماد الدين، *عيون الأخبار، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب*، محمد اليعلاوي، ط 1، بيروت، 1985 ؛ م. عمارة، *الإسلام وفلسفة الحكم*، ط 2، بيروت، 1979 ؛ م. بوغالي، *الفكر الباطني بالمغرب والأندلس والحركة المناهضة له حتى أواسط القرن السادس الهجري*، رسالة مرقونة لنيل دبلوم الدراسات العليا، مراكش، 1999 ـ 2000.

محمد الأمراني

**الشيكر، مسعود** أحد رجال الدولة المغربية في النصف الأول من القرن العشرين. من مواليد مدينة سيدي قاسم سنة 1905. تخرج في القانون من معهد الدراسات العليا بالرباط وانخراط في سلك الموظفين بإدارة الشؤون الشريفة سنة 1927 وهي الإدارة التي كانت الواسطة بين السلطان والحماية الفرنسية. اشتهر منذ ذلك الوقت بالحنكة والدقة.

عند نشأة الحركة الوطنية بعد صدور الظهير البربري في

16 مايو 1930 لتمزيق الوحدة المغربية، كان له دور في مناهضته. ساهم في تحرير دفتر المطالب المغربية 1939، وفي الكتابة في الصحف باللغتين العربية والفرنسية تحت أسماء مستعارة. وكان له أسلوب دقيق في التعبير. عمل في كتلة العمل الوطني ثم في الحزب الوطني، وحزب الاستقلال فأصبح من أعضاء اللجنة التنفيذية وكان من ضمن المحررين للوثائق القانونية. وساهم بنصيب وافر في نشر كتاب *"الاستقلال"* بالفرنسية وهو عبارة عن صك اتهام لوضعية الحماية ؛ ثم شارك في تحرير وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال وكان من الموقعين عليها. فطرد من الوظيف عقب ذلك. بعد انفراج الجو السياسي سنة 1947 عين في الصدارة العظمى (الوزارة الأولى) ثم خليفة لمدير ديوان جلالة محمد الخامس. وقد ساهم بأوفر حظ في تحرير جميع المذكرات التي كان يوجهها السلطان إلى حكومة فرنسا ويتبادلها مع الإقامة الفرنسية بالداخل وذلك من منطلق انتمائه لحزب الاستقلال.

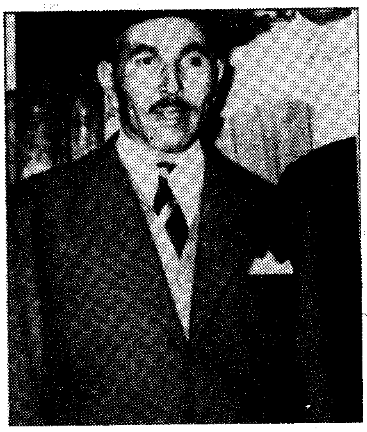

لما استقل المغرب تقلب في العديد من أهم المناصب السامية : فعين مديراً للديوان الملك بمجرد عودة محمد الخامس من المنفى ثم وزيراً للداخلية سنة 1958 وأميناً عاماً لمجلس الدستور ورئيساً لمجلس الحسابات بالإضافة إلى تبوئه رئاسة غرفة في المجلس الأعلى للقضاء.

توفي في 18 أبريل 1969.

قاسم الزهيري

**شينيي لويس** Louis Chénier هو القنصل العام لفرنسا في المغرب فيما بين 1767 و1782، في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله. ولد في قرية مونفور Montfort بإقليم لانكدوك Languedoc في الجنوب الشرقي من فرنسا. كان والده يشتغل بالتجارة، ثم تعاطى صناعة التعدين التي لم يحالفه النجاح فيها، فانعزل في مدينة كاركسون Carcassonne. وفي تلك المدينة شبّ لويس شينيي وترعرع في أحضان خاله الذي كان من تجار الجوخ المرموقين، وصار مفتشاً لمصانع الجوخ في مقاطعة كاركسون بكاملها. وهو الذي حثّ ابن أخته الناشئ على الاشتغال بالتجارة الخارجية، وساعده على الالتحاق بدار فرنسية تصدر القماش إلى اسطنبول فانتقل لويس شينيي إلى تلك الحاضرة سنة 1742. وهنالك ظهرت مواهبه، لا لأنه كان شغوفاً بالتجارة، ولكن لأنه كان متميزاً بالجدية والعناية بدقائق الأمور، وبفطنة خالية من كل جاذبية، لكنها فطنة المجتهد المثابر الصبور. مما جعل أصحاب الدار التي يشتغل بها يقدمونه ليشرف عليها عندما عزموا على الانسحاب من اسطنبول في نهاية سنة 1747. وصادف أن انتهت بعد ذلك ببضعة أشهر الحرب بشأن ولاية عهد النامسا، فنشطت المبادلات التجارية من جديد بين فرنسا والشرق الأوسط. وازدادت حظوة لويس شينيي لدى أبناء وطنه من التجار الذين انتخبوه سنة 1750 "نائبا عن الأمة"، كما كان يقال عمن ينطق بلسان أولئك التجار لدى سفير فرنسا في الدولة العثمانية. وسرعان ما حظي شينيي لدى السفير نفسه الذي ما فتىء ينوّه في رسائله لوزارة الخارجية بذكائه ومواهبه وإخلاصه. ولذلك أقدمت الوزارة على تكليفه بشؤون الوكالات التجارية الفرنسية في الشرق الأوسط كله. وكانت تلك خطوة أولى نحو دخول الهيأة القنصلية التي صار لويس شينيي يتشوّف إليها بعد أن تزوج في اسطنبول، وازداد له ثمانية أولاد، عاش منهم خمسة، واشتهر منهم اثنان، أحدهما في الشعر وهو أندري، ويعدّ من أكبر شعراء فرنسا في القرن الثامن عشر، والثاني في السياسة وهو ماري - جوزيف. واقتضت تربية الأولاد أن يعود الوالد إلى فرنسا سنة 1765. فأقام في مرسيليا ثم في باريس. وكان من حسن حظه أن قرر ملك فرنسا وسلطان المغرب في تلك الأثناء تجديد الصلات الديبلوماسية بينهما التي ظلت منقطعة زهاء خمسين عاماً. ورأت الحكومة الفرنسية أن لويس شينيي أحسن من يقوم بفتح أبواب القنصلية الفرنسية في المغرب من جديد، ويسعى في تقوية الشبكة التجارية الفرنسية في البلاد، ويسوي ما كان عالقا من المشاكل، ويميط خطر القراصنة المغاربة عن الملاحة الفرنسية. وجاء لويس شينيي إلى المغرب في ربيع سنة 1767، بصفة قنصل فرنسا العام، في ركاب سفارة الكونط دي برونيون Breugnon الذي وكّل به أمر تجديد الروابط الديبلوماسية بين المملكتين. وكتب لشينيي أن يقضي في المغرب زهاء خمس عشرة سنة، إذ لم تنته مهمته إلا في شتنبر 1782، مع انقطاع للعطلة ولتفقد أحوال أسرته التي لم تصحبه إلى المغرب أبداً، دام بين 5 يوليوز 1773 و22 أبريل 1775. وفي المغرب لم يعتن لويس شينيي بشؤون بني جلدته فحسب، بل انكب على دراسة تاريخ المغرب وعلى تدوين ما كان يجري فيه على مرأى ومسمع منه. وترتب على دراساته وملاحظاته كتاب في ثلاثة مجلدات، صدر في باريس سنة 1787 تحت عنوان *Recherches historiques sur les Maures et l'Histoire de l'Empire du Maroc*، تجاوز علم التاريخ اليوم ولاشك ما ورد في المجلدين الأولين منه عن العصور

الغابرة من تاريخ الغرب الإسلامي. ولكن محتويات المجلد الثالث تعتبر من مصادر تاريخ المغرب في عهد سيدي محمد ابن عبد الله بما تحتوي عليه من المعلومات والملاحظات الحية التي لا نجد مثلها في المصادر المغربية. وما صفحات هذا المجلد الثالث إلا ملخصات عن التقارير الدقيقة المطولة التي كان القنصل الفرنسي يكتب بها لحكومته عن الشاذة والفاذة مما يجري في المغرب. وقد اعتنى باحث فرنسي بإصدارها كاملة في مجلدين ضخمين، ولا غنى عنها لاستكناه أحوال المغرب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، بالرغم مما يدعو إلى التحفظ أحيانا من أحكام شينيي الذي أعماه في بعض الحالات ما بدا له من تردي الحضارة الإسلامية يومئذ وتفوق أوربا عليها، فظل يتساءل كيف آلت الأمور إلى الانحطاط في بلدان كانت في عهد قريب هي التي تعلم أساليب الحضارة للأوربيين، وهو سؤال وجيه رد عليه القنصل بأجوبة لاتمت إلى الموضوعية بصلة، وتنذر بما سيكون من الأحكام الاستعمارية الجزافية على ديار الإسلام في القرن اللاحق.

إ. بوطالب، *لويس شينيي قنصلا ومؤرخا*، *المناهل*، عدد، 36، سنة، 1987، ص. 154 ـ 198.

P. Grillon, *La correspondance du consul Louis Chénier, 1767 - 1782*, Paris, 1970.

إبراهيم بوطالب

**الشيهب الناجم**، مقاوم ولد سنة 1918 بطانطان انخرط في صفوف جيش التحرير ضمن المقاطعة الثامنة بمركز تفودارت تحت إمرة بوي أحمد. وقد ساهم بسلاحه وإبله ومقتنيات أخرى تبرع بها في سبيل استقلال بلاده.

توفي بتاريخ 31 ـ 5 ـ 1995.

المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**الشيوعية بالمغرب** دخلت الشيوعية إلى المغرب أول ما دخلت خلال العشرينيات من القرن الماضي عن طريق مناضلين شيوعيين أوروبيين ـ فرنسيين خاصّة. وقد انتظم هؤلاء في البداية كفرع جهوي تابع للحزب الشيوعي الفرنسي. ورغم محاولاتهم الجادّة التواصل مع محيطهم المغربي، وخاصة منه القروي، عبر "الوداديات الشيوعية"، إلا أن نفوذهم بقي منحصراً وسط العمال ذوي الأصل الأوروبي. أما العمال المغاربة فكان عددهم محدوداً على كل حال.

سنة 1937 كاد الفرع الجهوي "المغربي" للحزب الشيوعي الفرنسي ينشق تحت تأثير تيار لاسلطوي anarchisant يتزعمّه عمّال إسبانيون. وكان ذلك التيار يطالب أساساً بقطع العلائق العضوية مع الحزب الشيوعي الفرنسي، وتأسيس حزب شيوعي مغربي مستقل، وهو ما ستنتهي القيادة الرسمية للتنظيم إلى الإذعان له، بعد فترة المنع التي مرّ منها هذا الأخير ابتداء من 1939.

في يوليوز 1943 يخرج أخيراً للوجود الحزب الشيوعي بالمغرب Le parti communiste du Maroc. وعلى الرغم من استمرار السيطرة الفعلية على دواليبه لمناضلين أوروبيي الأصل إلا أن هؤلاء تعمّدوا أن يفسحوا أوسع مجال لمناضلين مغاربة في قيادته. ومع ذلك فإن هذا الإجراء لم يكف لتجنيب الحزب خطأ لازال ورثته يؤدون ثمنه وإلى اليوم. ذلك أنّه أيّد، على لسان أمينه العام آنذاك، ليون سلطان، قمع مظاهرات يناير 1944 المؤيّدة لبيان الاستقلال، ظناً منه أن الأمر كان يتعلّق بمناورات هتلرية! وصحيح أن الحزب سرعان ما راجع هذا الموقف، وطالب بإطلاق سراح المعتقلين، بل وشرع في تسريع وتيرة "مغربة" ذاته، بتنصيب علي يعته أمينا عاماً سنة 1945 إثر وفاة سلفه، وتعديل اسم الحزب ليصبح "الحزب الشيوعي المغربي"، وعملياً إقصاء أعضائه ذوي الأصل الأوروبي تدريجيا، إلا أن ذلك وغيره لم ينفع في إخراج الحزب من عزلته، خاصة كأنه لم يتبنّ صراحة موقف المطالبة بالاستقلال إلاّ في بداية شهر غشت 1946.

والمثير للانتباه أن الحزب الذي كان المؤسس الرئيسي للحركة النقابية بالمغرب، سيجد نفسه، بعد سنوات قليلة من إعادة بناء الاتحاد العام للنقابات المتحدة بالمغرب، أقليّة وسط هذا الجهاز في نفس الوقت الذي سيكون فيه قد اضطرّ لنوع من الانسحاب من البوادي.

حاول الحزب الشيوعي المغربي الخروج من عزلته بدعوته، ابتداء من سنة 1947، إلى إقامة جبهة وطنية بينه وبين حزبي الاستقلال والشورى والاستقلال، ولكنه لم يجد آذانا صاغية. ومع ذلك واظب على الالتصاق بسياسات الحزبين الوطنيين الآخرين، مكتفيا، من جهة أخرى، بضمان حد أدنى من الوجود وسط الطبقة العاملة، إلى أن طاله المنع إثر حركة الاحتجاج على اغتيال المناضل النقابي التونسي فرحات حشاد، في دجنبر 1952.

بعد نفي محمد بن يوسف من قبل سلطات الحماية، انخرط الحزب الشيوعي المغربي في المقاومة المسلحة، عدا المدنية، مثله مثل الحزبين الوطنيين الآخرين وغيرهما من القوى السياسية الجديدة. وقد نشط أعضاؤه المقاومون في هذا المضمار من خلال منظمة *الهلال الأسود* على الخصوص. ولكن مشاركة الحزب في المقاومة لم تنفع هي الأخرى في رفع العزلة عنه من طرف القوى الوطنية الأخرى، بل العكس تماماً هو الذي حصل، إذ كان بعض قادة المقاومة الشيوعيين من أمثال عبد الله الحداوي وعبد الكريم بن عبد الله من أبرز ضحايا تصفيات الحسابات بين المقاومين التي تلت الاستقلال. كذلك فإن الحزب وإن استرجع شرعيته غداة الاستقلال مباشرة إلا أنه سيتعرّض للمنع مرة أخرى بعد بضع سنوات فقط (في فبراير 1960)، وهذه المرة في ظل حكومة ليست وطنية فحسب وإنما يسارية أيضاً.

خلال عقد الستينيات، التزم الحزب الشيوعي المغربي، وهو في السرية، أقصى درجات الاعتدال، سواء تعلّق الأمر

بالشؤون الداخلية للمغرب أو بشؤونه الخارجية، وذلك للحفاظ على وجوده على الأقل، وهو وجود كاد ينحصر في الاتحاد الوطني لطلبة المغرب وفي الاتحاد المغربي للشغل. كذلك انكب على مراجعة الأسس النظرية والفلسفية لعمله، وهكذا كفّ عن الرجوع إلى الماركسية ـ اللينينية، مستبدلا إياها بإحالة عامة إلى الاشتراكية العلمية، مشدّداً في نفس الوقت على تمسّكه بالهوية الإسلامية للشعب المغربي. في هذه الأثناء وكعربون على صدقه أدّى الأمين العام علي يعتة فريضة الحج. وفي سنة 1969 اعتقد الحزب أن الأجواء أصبحت مواتية لعودته للعمل الشرعي، فخرج للوجود العلني تحت اسم جديد هو حزب التحرر والاشتراكية، ولكن العدالة حرمته من حق العمل الشرعي، في نفس السنة.

لم يفلت هذا الحزب العريق بصفة تبدو نهائية من دوامة المنع والعمل السري إلاّ ابتداء من سنة 1974، حيث شملته إرادة الملك آنذاك في خلق إجماع حول قضية استرجاع الأقاليم الصحراوية، وهو الإجماع الذي واكبه ما سمّي بالمسلسل الديموقراطي. انخرط حزب التقدم والاشتراكية، وهو الاسم الأخير لنفس المسمّى، بحماس، في هذا المسلسل، وزكى جميع مراحله بدون تحفّظ، وهويتوفر الآن على فريق برلماني وعلى تمثيلية في حكومة التناوب.

في الوقت ذاته الذي كان فيه الحزب الشيوعي المغربي يفكر في التخلص من صفة الماركسية ـ اللينينية، كانت مجموعات من الشباب تستعد للجهر بتشبعها بهذه الإيديولوجية. وكانت بعض هذه المجموعات تنتمي إلى الحزب الشيوعي ذاته، فيما انتمت أخرى للحزب اليساري الآخر، الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وانبثقت ثالثة، تلقائياً، من الحركة التلاميذية والطلابية. وكان الذي يجمع كل هذه المجموعات هو رفضها، في آن، للنّهج "الاصلاحي" الذي كان يسير عليه الحزبان اليساريان رسمياً، وللنهج "البلانكي" الذي كان يحتفظ به أحدهما احتياطياً. بالمقابل، كان أفراد تلك المجموعات معجبين أيّما إعجاب بالتجربتين الثوريتين الصينية والفتنامية على الخصوص. كما تأثروا عميقاً بالبديل الذي قدّمته للأمة العربية جمعاء الثورة الفلسطينية بعد هزيمة يونيو 1967.

ولم تنته سنة 1970 حتى كان تنظيمان ماركسيان ـ لينينيان قد تشكلا من تلك المجموعات، التنظيم الأول سوف تتفرع عنه منظمتا "23 مارس" و"لنخدم الشعب"، والتنظيم الثاني سوف يحمل اسم "إلى الأمام".

ورغم فتوتهما واستعارة الخلافات منذ البداية فيما بينهما وداخلهما فإن التنظيمين استطاعا بسرعة أن يكتسحا الساحة الطلابية، بل وأن يوجدا لهما موطئ قدم في المعامل والأحياء والقرى. مما حدا بالنظام أن يسلّط القمع عليهما مبكراً. وهكذا وابتداء من يونيو 1971، تتابعت المحاكمات واعتقل المئات من المناضلين الذين قضى بعضهم زهاء عشرين سنة بالسجن.

ولاشك أن القمع أضعف الحركة الماركسية ـ اللينينية وعطّل نموّها. ولكن الذي أضعفها أيضاً، فوق خلافاتها العقدية والسياسية "العادية"، هو انقسامها بخصوص قضية استرجاع الأقاليم الصحراوية. فبينما عبر قسم منها عن استعداده للانخراط في الإجماع الحاصل حول هذه القضية، أصر قسم آخر على تبنّي الموقف الأممي القائل بحق "الشعب الصحراوي" في تقرير مصيره.

أما القسم الأول فقد انخرط فعلا في الإجماع، وفي المسلسل الديموقراطي المواكب له، وهو الذي مثلته على الخصوص منظمة العمل الديموقراطي الشعبي المنبثقة من منظمة *23 مارس*، أما القسم الثاني فقد مثلته بامتياز منظمة *إلى الأمام*.

لم يعد اليوم الطيف الماركسي ـ اللينيني يعكس بالضبط وضعية الانطلاق. فقد تآكلت المنظمات الأصلية، وظهرت منظمات جديدة، وفضّل العديد من المناضلين البقاء خارج أي تنظيم سياسي. والحقيقة أن المرجعية الماركسية ـ اللينينية ذاتها أصبحت باهتة لدى معظم المحسوبين على التيار الماركسي ـ اللينيني أو حركة اليسار الجديد، وصار هؤلاء يفضلون نعت أنفسهم بالديموقراطيين الجذريين.


م. بوعزيز، *اليسار المغربي الجديد ... النشأة والمسار*، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، 1993.

R. Rézette, *Les partis politiques marocaines*, Paris, 1955 ; C. Palazzoli, *Le Maroc politique*, Paris.


أحمد حرزني

# ص

ابن **صابر**، أسرة فاسية تنسب إلى الشيخ الشهير أبي يعزى (مولاي بوعزة) يلنور بن ميمون الدكالي الهزميري (ت. 573 / 77 ـ 1178). ويعرفون اليوم في فاس بأولاد بلعباس نسبة إلى جدهم بلعباس ابن صابر آتي الترجمة، ويعرفون أيضاً بالبوعزاوي.

ابن **صابر، أحمد** بن العباس ← **البوعزاوي، أحمد**

ابن **صابر، بلعباس** البوعزاوي الفاسي فقيه أديب، إليه ينتسب المتأخرون من بني صابر البوعزاويين. كان كاتباً مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله ثم مع ولده المولى سليمان.

توفي عام 1240 / 24 ـ 1825.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2521.

ابن **صابر، المهدي** بن المعطي الرباطي، أديب كاتب، درس بمصر وبعد تخرجه من إحدى جامعاتها رجع إلى الرباط "شعلة ذكاء وفطنة وعلم ووطنية صادقة لو قدرت له الحياة لكان من الأفراد المعدودين بالمغرب".

توفي بعد زوال يوم الأربعاء ثاني عشر شعبان عام 1371/ 7 ماي 1952 وأقيم له حفل تأبين بالرباط بعد مرور أربعين يوماً على وفاته.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3276.

محمد حجي

**الصابرة** أو الأغاف أو الأجاف أو علميا أگافي Agave اليوناني الأصل ومعناه الباهرة، هو جنس نباتي يمثل بعدة أنواع تصادف طبيعيا في أمريكا الوسطى. وهو من فصيلة النرجسيات Agavaceae.

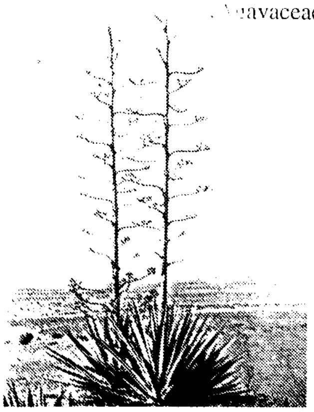

تجدر الإشارة إلى أن نباتات الألوة Aloe أو الصبر أو الصبر أو المقر التي تشبه الصابرة، تنتمي إلى فصيلة الزنبقيات Liliaceae. ولقد أدخلت إلى المغرب كنباتات جُنَيْنِيَّة تستعمل في التزيين. كالصبر السقطري الذي أصله من جزيرة سقطرة اليمنية، وغيره من الأنواع الأخرى.

كما نشير إلى أن الصابرة تختلف عن الهندية أو الصبّار (انظر الصبار) أو الكاكتوس Cactus الذي هو جنس من فصيلة الصبّاريات Cactaceae.

تتميز أنواع الصابرة بكونها نباتات وحيدة الفلقة ومستديمة ودائمة الاخضرار وعديمة السيقان الهوائية وذات

جذور ليفية وأوراق قاعدية ومتجمعة ولحمية وقائمة. تبلغ العصا الزهرية الحاملة للشمراخ عدة أمتار. وتستخلص من الأوراق ألياف تستعمل في صناعة الحبال كحبال جر الحيوانات وربطها وغير ذلك.

جل أنواع الصابرة مقاومة للجفاف مما يجعلها تغرس في الأراضي الجرداء الجافة.

أدخلت إلى المغرب عدة أنواع من الصابرة. لأجل الزينة وتثبيت الأراضي والكثبان الرملية ولأغراض واستعمالات أخرى.

نذكر من هذه الأنواع نوعين شائعين :

- الأغاف الأمريكي أو أگافي أمريكانا Agave americana وهو النوع الأكثر شيوعا. ويتميز بأوراقه التي قد تبلغ المترين من الطول وذات اللون الأخضر الضارب إلى الزرقة. بالنسبة لبعض الضروب تكون حواف الأوراق بيضاء أو صفراء. الأوراق مسلحة على حوافها بأشواك مقوّسة ومنتهية في أطرافها بشوكة صلبة. تظهر العصا الزهرية بعد حوالي 10 سنوات وتكون قوية إذ من الممكن أن تبلغ 10 م. إزهراراتها عثكولية الشكل وذات فروع متعرجة، وأزهار خضراء مصفرة وكبيرة الحجم وذات أسدية طويلة. تموت النبتة تدريجيا بعد نضج الثمار وتتجدد بواسطة الإشكار من البراعم العرضية.

الموطن الأصلي هو أمريكا الوسطى والمكسيك ومنها انتشرت زراعتها في جميع المناطق المتوسطية من إفريقيا الشمالية وأوربا الجنوبية والجزر المجاورة لها حيث صارت شبه طبيعية. وقد أدخلت في المغرب في بداية القرن السابع عشر فغرست في جميع البيومناخات الخاضعة للطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافيء. وذلك لاستعمالها للتزيين أو لتثبيت الجوانب المنحدرة للطرق، وفي أغلب الحالات لإنشاء أسيجة حية صعبة الاختراق. كما يمكنها أن تنتج العسل إضافة إلى استعمالها في التصبين وفي التطبيب التقليدي كالإجهاض والتقيؤ ومعالجة الشعر وغير ذلك.

- الأغاف المكسيكي أو السيسال أو أگافي سيسالانا Agave sisalana : وهو النوع الأقل شيوعا من النوع السابق حيث لا يصادف إلا في المناطق الساحلية على الكثبان الرملية أو في بعض الحدائق.

يتميز النوع بأوراقه القصيرة نسبيا مقارنة مع النوع السابق، وذات اللون الأخضر القاتم دون أن يكون ضارباً إلى الزرقة. تحمل الأوراق أشواكا تجعل تداولها صعبا. العصا الزهرية قصيرة إذ لا تتعدى 8 م من العلو.

يعتقد أن الموطن الأصلي لهذا النوع هو المكسيك حيث استعمل النبات من طرف الأزتكيين لمدة طويلة وذلك لانتاج الألياف النسيجية. ألياف السيسال خشنة ومرنة وذات طول يتراوح ما بين 50 و150 سم، ولون يشبه لون التبن الناصل.

يزرع السيسال حاليا في معظم المناطق المدارية وشبه المدارية، وذلك لأنه شديد المقاومة للجفاف.

وكانت أهم عمليات زراعة السيسال في المغرب هي التي أنجزت سنة 1963 على مساحة 1330 هكتار بالجنوب الشرقي للكثبان الرملية الساحلية المحيطة بالصويرة حيث أنشيء معمل لإنتاج الألياف. فكانت آنذاك الكمية المنتجة 266 طن سنويا من الألياف المستخرجة من الأوراق باليد أو بواسطة آلة تزيل القشرة للوجهين السفلي والعلوي للورقة، ثم تنظف الألياف وتجفف ثم تكبس في حزمات لصنع الحبال وأشياء أخرى مثل ما يسمى بالصابرة المستعملة في صناعة النسيج. لكن المعمل أغلق في أواخر السبعينيات من القرن العشرين.

A. Benabid, *Flore et écosystème du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, 2000, 360 p. ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*. Soc. Sc. Nat. Phys. Mar., Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

**الصابون**، ارتبطت صناعة الصابون أساساً بصناعة زيت الزيتون ووفرته، وارتبط هذا بازدهار الفلاحة بصفة عامة وغراسة الأشجار المثمرة بصفة خاصة، وهذا الازدهار لم يكن دائماً مرتبطاً بالظروف الطبيعية مثل ملاءمة المناخ ووفرة الأمطار وغيرها، بل ارتبط كذلك بالعوامل البشرية والسياسية ؛ فالاستقرار والأمن كانا دائماً من أهم أسباب التصاق الفلاح بالأرض وتطوير عملية استغلاله لها وبالتالي الزيادة في كمية الإنتاج وتنويعه ؛ ويحدث عكس ذلك تماماً عندما تستعر الحروب وتحتدم الصراعات ويعم الاضطراب والفوضى فيضطر المزارع إلى هجرة أرضه ونشاطه مكتفياً بنوع من الاستغلال الملائم لحالة الخوف والاضطراب وهو الرعي والترحال.

تفيد الكثير من المصادر التاريخية أن إنتاج الزيتون وزيت الزيتون تأخر إن لم نقل توقف في الأماكن التي اشتهرت بإنتاجه وهي مركزة أساساً في شمال المغرب خلال العصر الوسيط الأعلى (الفلاحة المغربية). أما جنوب وادي أبي رقراق فلم تشر المصادر إلى وجود تقاليد لغراسة شجر الزيتون في هذه الفترة لأن شجرة أركان وزيت أرگان كانا يعمان معظم المناطق الجنوبية ؛ وانتشار هذه الشجرة الطبيعية إلى حدود نهر أم الربيع جعل انتشار تقاليد استخراج زيتها أكثر تداولا فهي شجرة لا تتطلب غراسة ولا عناية بل إن السكان يقومون بجمع ثمارها وتكسيرها واستخراج ليها وقليه وعصره للحصول على الزيت الذي تعددت استعمالاته (الأكل والدهن والطبخ والإنارة...) (*المغرب*، 163) وإذا قفزنا إلى نهاية العصر الوسيط فإننا لا نستغرب إذا حدثنا الحسن الوزان (*وصف*، 1 : 77) عن استعمال بعض سكان هذه المناطق الجنوبية الرماد في التنظيف بدل الصابون مما يعني أن استعمال الصابون وصناعته وتجارته في هذه المناطق كانت منعدمة في هذه الفترة، أما قبلها وتحديداً في (العصر الوسيط الأوسط) فإن انتشار غراسة أشجار الزيتون في المنطقة الجنوبية قد بدأ مع

المرابطين ليصل إلى ذروته في العهد الموحدي (*الاستبصار*، 210) لأن المصامدة وخاصة مصامدة الجبل غراسون بالدرجة الأولى فلهم تقاليد عريقة في غراسة الأشجار المثمرة ؛ ولعل انتشار هذه الفلاحة ووفرة منتوجها (الزيتون وزيت الزيتون) أحدث أنشطة صناعية موازية خاصة في مدينة مراكش. فالشريف الإدريسي أشار إلى سوق لبيع الصابون في المدينة بقوله : "وكانت أكثر الصنع بمدينة مراكش متقبلة عليها مال لازم مثل سوق الدخان والصابون" (نزهة، 3 : 235) ؛ فإشارة الإدريسي تتعلق ولاشك ببداية لهذه الصناعة في العهد المرابطي وبوجود سوق لها ؛ مما يعني أن استهلاك الصابون وصناعته ارتبطا بالمدن وبمستوى معيشي واجتماعي متقدم.

ونستطيع بتتبعنا للإشارات والنصوص القصيرة الواردة في بعض المصادر أن نميز ما بين المناطق العريقة في صناعة زيت الزيتون ومشتقاته وما بين المناطق الحديثة طيلة العصر الوسيط، فالحسن الوزان (*وصف*، 264) أشار إلى صناعة الصابون بكثرة في قبيلة بني مسكلدة لكنه لاحظ أنهم لا يعرفون صناعة الصابون الصلب، ولعل ملاحظته هذه نجمت عن مقارنته لما شاهدهُ في الديار الإيطالية، وملاحظته هذه تعني فيما تعنيه أن الصابون الذي كان مستعملا في المغرب في عهده خلال العصر الوسيط كان مائعاً أو لزجاً مثلما نجد اليوم عند العطارين وبعض والباعة الآخرين والمعروف "بالصابون البلدي" لكن إشارته إلى وجود عدد كبير من دكاكين باعة الصابون في مدينة فاس لا تعني بالضرورة أن الصابون المباع كان فقط من النوع المحلي "المائع" فقد كانت عملية التبادل التجاري نشيطة ما بين التجار المغاربة والأجانب وكان الصابون الصلب من مواد التبادل (Amari (A)) (سلفاتوري).

استمرت صناعة الصابون في المغرب مثل باقي الصناعات تقليدية وعرف الإنتاج ارتفاعاً وانخفاضاً بحسب وفرة انتاج زيت الزيتون وغراسة أشجاره كما أشرنا إلى ذلك في البداية. استمرت تقليدية إلى أن دخل الاستعمار الامبريالي بثقلة وأهدافه التي من بينها استغلال ثروات المستعمرات بسواعد سكانها وتشجيعهم على الاستهلاك والقضاء بالتالي على الصناعة والتجارة التقليدية. ومن أنشط القطاعات التي اهتم الاستعمار الفرنسي قطاع الزيت والصابون فأسس شركة Huileri et savonnerie du Maroc والتي كان مقرها بمدينة الدار البيضاء وهيمنت على الإنتاج في معظم التراب الوطني، لكن استهلاك الصابون كما أشرنا آنفاً ارتبط بالمستوى المعيشي وبالمدن أساساً أما البادية وسكان القرى فكانت لهم تقاليد متوراثة في تنظيف الملابس وغسلها وهي تقاليد احتفالية فلكلورية حيث يتم الجمع بين التصبين والرقص والغناء، فتصبين الثياب الصوفية والاغطية والأفرشة الثقيلة يتم بشكل جماعي تستعمل فيها الأرجل على ايقاع أهازيج شعبية تنشط العملية (الستيف) أما المواد المستعملة في هذه العملية وفي غيرها فهي نباتية بالدرجة الأولى "تيغشت والغاسول" (*وصف*، 2 : 281 و283) (الفلاحة المغربية) أما الصابون البلدي "المغربي" فقد تهمش دوره وأصبح مقتصراً على تكملة المنظفات الأخرى خاصة عند الاستحمام، وحتى الصابون الصلب الذي يبقى مثله مثل الصابون البلدي مستخرج من زيت الزيتون فقد تدحرج بدوره إلى درجة ثانوية بعد مزاحمة الصابون المسحوق له، والذي ابتعد كل البعد عن الأصل : شجرة الزيتون وزيت الزيتون.

البكري، *المغرب الجزائر*، 1911، باريس، 1965 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الإيطالية نابولي بدون تاريخ ؛ مجهول، *الاستبصار*، الاسكندرية، 1958 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، جزآن، الرباط، 1980 ؛ م. الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، كلية الآداب، 1988 (مرقون) ؛ سلفاتوري، *العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط*، مجلة البحوث التاريخية، العدد 2 يوليه، 1986، ص. 309 - 329 تر. عمر محمد الباروني.

A. Amari, *Diplomi Dellarchino Florentina*.

محمد حجاج الطويل

**الصابونجي** أو الصبونجي أسرة سلوية تنتسب إلى آل البيت، أصلها من تركيا أو تونس. كانوا يعملون في البحر وبهذه الصفة جاؤوا إلى المغرب للعمل في أسطول السلطان سيدي محمد بن عبد الله وأول من عرف منهم بسلا الرئيسان البحريان علي الصبونجي ومولاي المنجي الصبونجي.

وقد كتبت كلمة الصبونجي بدون مد في نصوص القرن الثاني عشر (18 م) وبخاصة الظهائر التي وجهها سيدي محمد بن عبد الله إلى الرئيس علي الصبونجي، ثم أضيف إليها المد "الصابونجي" في العقود العدلية والمراسلات وغيرها منذ أواسط القرن الثالث عشر (19 م). والصبونجي صيغة تركية تعني صانع الصابون. ويوجد صابونجيون عرب قليلون ببلاد الشام المتاخمة لتركيا، منهم لويس الصابونجي (ت. 1350 / 1931) ويوحنا الصابونجي (ت. 1332 / 1914) وهما لغويان كبيران لهما مؤلفات كثيرة وصحف ومكانة عند الخليفة العثماني عبد الحميد، وقاما بتعليم أبنائه. والصيغة المنتشرة في المشرق للمنسوبين إلى الصابون هي العربية الصابوني.

*ظهائر وعقود عدلية عند آل الصابونجي السلويين* ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ط 2، الرباط، 1990، ج 3 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، ط 2، الدار البيضاء، 1996.

**الصابونجي، أحمد** (مولاي -) بن محمد السلوي. أحد كبار التجار، اشتهر باستقامته وعفته وأعماله الخيرية، أسند إليه منصب أمين بمرسى الدار البيضاء سنة 1317 / 1899 ثم بالجديدة والعرائش، وكلف بالإشراف على دار السكة ومراقبة النقود بطنجة، وعُين عضواً في لجنة تخطيط الحدود مع الجزائر، وعضواً في مجلس الأعيان الذي كوّنه السلطان عبد العزيز بفاس للنظر في المشاكل الداخلية والخارجية خاصة ما يتعلق بالتدخل الأجنبي. وأخيراً عضواً

في مجلس الحرمين الشريفين.

عمل المترجم على تشجيع التعليم العربي الحر بسلا لمواجهة المدارس التي استحدثها الفرنسيون، وحبّس داراً له بدرب لعلو لإيواء تلاميذ أول مدرسة حرة أسست بسلا سنة 1338 / 1920 تخرج منها طلائع الشباب الناهض بالمدينة.

توفي بسلا يوم 23 حجة عام 1352 / 8 أبريل 1934 ودفن بالدار التي حبسها على التعليم الحر بدرب لعلو.

أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، 1991، ج 1 : 63 و105 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1985، ج 2، ص. 204 ؛ أبو بكر القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية*، الدار البيضاء، 1992، ج 1 : 27 ؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، الرباط، 1991، ج 2 : 24 و274.

محمد حجي

**الصابونجي، عبد الله** (الحاج -) بن محمد (الحاج -) السلوي أمين بن أمين. تاجر اشتهر باستقامته فأسند إليه منصب أمين بمرسى الصويرة سنة 1325 / 1907.

توفي بسلا في ربيع الأول عام 1332 / يناير - يبراير 1914.

*الوثائق الملكية*، عقود نكاحه وإراثته.

**الصابونجي، علي** جد الصابونجيين السلويين، وهو رئيس بحري قدم من تونس للعمل في أسطول السلطان سيدي محمد بن عبد الله. وقد اتصل أول ما جاء بالسلطان في إحدى الحواضر التي كان يتنقل بينها، فعينه رئيساً على غليوطة وأمره بالتوجه إلى مرسى سلا وبعث رسالة مؤرخة في 16 شوال عام 1183 / 12 فبراير 1770 إلى الأمناء بسلا والرباط يستوصيهم خيراً بالرئيس علي الصبونجي ليستقبلوه أحسن استقبال، ويخرجوا الأنفاض عندما ترسو غليوطته ويحتفلوا لذلك على العادة.

وفي 21 جمادى الثانية عام 1194 / 24 يونيه 1780 أنعم السلطان على المترجم بالسكنى في دار الرايس صالح بسلا. ولعلها إحدى الدور التي تتكون منها دار الصبونجي الكبرى بحي رأس الشجرة أسفل الجامع الأعظم. ومازالت حتى اليوم دار الرايس معروفة بقاع الدرب الملاصق لدار الصبونجي.

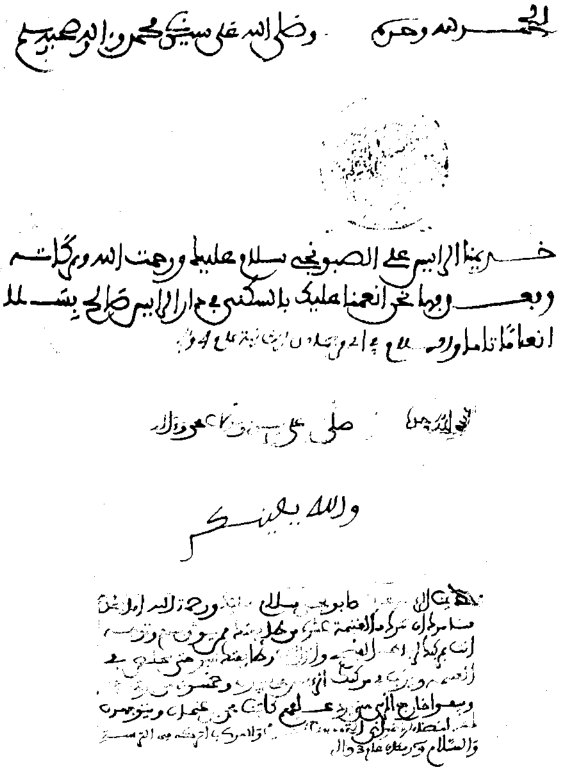
الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

خديمنا الرايس علي الصبونجي سلام عليك ورحمة الله وبركاته
وبعد فها نحن أنعمنا عليك بالسكنى في دار الرايس صالح بسلا

والله يعينك

طال أمد رآسة علي الصبونجي للسفن الجهادية ممتعا بثقة السلطان، وتمتد تواريخ الظهائر الموجهة إليه من سنة 1183 / 1769 إلى سنة 1201 / 1787 وأكثر ما تتحدث عن الغنائم، الأمر الذي يدل على الدور الفعال للمترجم في الجهاد البحري. وفي ظهير مؤرخ بتاسع رمضان عام 1193 / 20 شتنبر 1779 أمر السلطان الصبونجي بأن يترك بالغنيمة عشرة من بحارته ممن يوثق بهم ويتوجه هو بمركبه لرباط الفتح لينتظر مع خمسين من بحرية الرباط خارج المرسى قدوم كاتب السلطان محمد ابن عثمان ويصحبوه لقضاء الأغراض التي وجهه السلطان إليها. وهذه هي سفارة ابن عثمان الأولى إلى

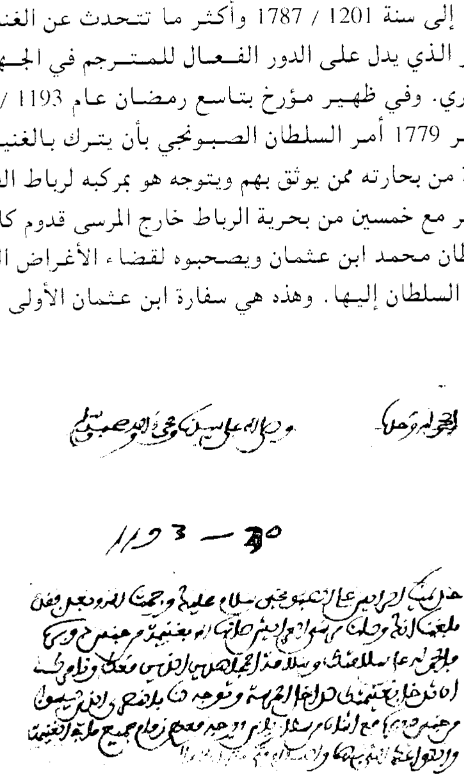
الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

1193 — 20

خديمنا الرايس علي الصبونجي سلام عليك ورحمة الله

إسبانيا لفك الأسرى التي ألف فيها رحلته *الإكسير في فكاك الأسير*. وصحب علي الصبونجي بعد ذلك سنة 1203 / 1789 سفارة القائد محمد الزوين الرحماني إلى الخليفة العثماني عبد الحميد رئيساً لإحدى السفن الأربع التي أهداها السلطان العلوي للخليفة العثماني.

توفي بعد عام 1203 / 1789.

مجموع *ظهائر* أصلية بيد الصبونجيين السلويين ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ط 2، الرباط، 1990، ج 3 ؛ جعفر الناصري، *سلا ورباط الفتح*، مخطوط، خ. ص ، ج 4.

**الصابونجي، محمد** بن **أحمد** السلوي تاجر كان يحظى - كسائر بني عمه - بتقدير سكان المدينة. وهذا السيد هو جدي للأم، من بنته مينة زوج الفقيه العدل محمد بن الفقيه المقدم الحاج عبد الله جغالف والد جدتي شامة.

توفي بسلا سنة 1295 / 1878.

عقود *أنكحة ووصايا وتركات* بيد السيد محمد بن محمد بن عبد الله الصبونجي.

**الصابونجي، محمد** (الحاج -) بن **عبد الله** السلوي، تاجر كبير أسندت إليه الأمانة في عدة مراسي. وتتحدث عنه الوثائق المخزنية من سنة 1298 إلى سنة 1311 / 1881 - 1893 أميناً بمرسى أسفي وتطوان وغيرهما.

توفي بعد سنة 1311 / 1893.

*الوثائق الملكية* ؛ عقد نكاحه ؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، الرباط، 1991، ج 2.

**الصابونجي، محمد** بن **عبد الله** (الحاج -) **السلوي**، تاجر ولد بسلا سنة 1318 / 1900 وبها نشأ وحفظ القرآن ومبادئ اللغة والدين ثم اشتغل بالتجارة وانتقل إلى الخميسات فاتسعت تجارته وعلاقاته مع باديتها وبقي فيها إلى أن مات. عرف بالوطنية الصادقة منذ شبابه فكان من الموقعين على العريضة السلوية بتاريخ 23 غشت 1930 للاحتجاج ضد الظهير البربري. وفي أحداث سنة 1937، كان

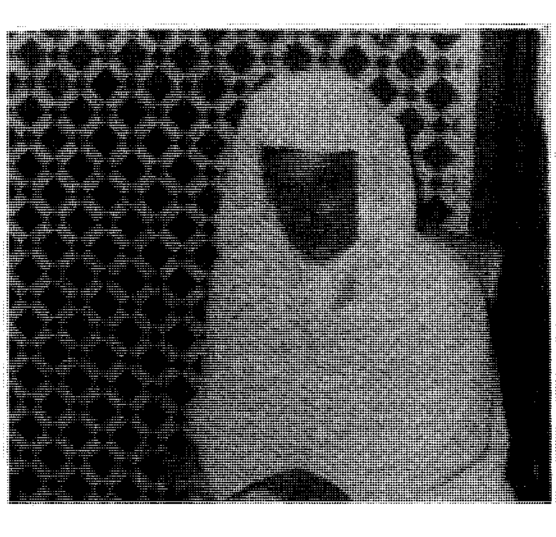

قد انتقل إلى الخميسات فقام هناك بحركة احتجاج ضد ما كان يتعرض له الوطنيون بفاس وسلا وغيرهما من اضطهاد واعتقال ونفي، فضيقت عليه السلطات المحلية وهددته بالسجن. ومن ثم أصبح بيته مقراً لاجتماعات الوطنيين وفي مقدمتهم عمرو بناصر بنو زكري الزموري (انظره في *المعلمة*) الموقع على عريضة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال، وأسس الصبونجي مدرسة الأطلس الحرة، ومكتبة الأطلس لبيع الجرائد الوطنية ومنها *العلم*، وأسند إدارتها إلى عمرو بناصر المذكور. وعلى إثر المظاهرات التي أعقبت استشهاد النقابي التونسي فرحات حشاد في دجنبر 1952 سجن المترجم ثم أقفلت سلطات الحماية المدرسة والمكتبة.

توفي محمد الصبونجي بالخميسات في 25 جمادى عام 1383 / 14 أكتوبر 1963.

عقود *نكاحه وإراثته* ؛ *تقييد ولده محمد بن محمد الصبونجي* ؛ جريدة *العلم*، ليوم 15 أكتوبر 1963.

محمد حجي

**صاحب الأشغال** أو **الأعمال** هو المكلف بمداخيل الدولة ومصاريفها وفي مصادر كثيرة : صاحب الأشغال العملية (*البيان*، 131 و237) وصاحب الأشغال المخزنية، واختصر في مصادر أخرى إلى كلمة "المشتغلين" وكلها أسماء وإشارات لمنصب سياسي خطير الشأن صنفه ابن خلدون ضمن أركان الملك الثلاثة : الجند والمال والمخاطبة (*المقدمة*، 245) وقد اعتمد الموحدون والحفصيون بعدهم على "صاحب الأشغال" في ضبط مداخيل الدولة ومصارفها على المستوى المركزي والجهوي، ولم يكن يتولى هذا المنصب عندهم إلا الموحدون، وخاصة على المستوى المركزي، لكن هذا الشرط لم يلتزم به في بعض الفترات وخاصة في الجهات والعمالات (المقدمة) ولعل هذه الوظيفة كانت لها الأهمية القصوى في المخزن الموحدي لما تميز به عن غيره من سياسة متشددة في مسألة جمع الأموال ومستحقات المخزن بصفة عامة، فقد اتبع سياسة مرنة بعد الثورات التي كادت تقضي عليه والتي اندلعت في المغرب الأقصى كله. وبفضل السياسة المرنة تلك، أصبح شريكاً مع السكان في ممتلكاتهم في البوادي والمدن وبنسب متفاوتة بحسب النشاط والعمل وبحسب الإنتاج والأمكنة (ابن غازي *الروض*، 20 و24)، وكان يستخلص نصيبه بواسطة موظفين يعملون تحت إشراف صاحب الأشغال (*الروض*، 24 ؛ *التشوف*، 194) وعرفوا باسم القشاشين. ويبدو أن هذا المنصب كان مرتبطاً بالتقطيع الإداري للعمالات والأقاليم والمدن الكبرى : وهؤلاء المشتغلون الجهويون والمحليون كانوا تحت إشراف صاحب الأعمال المخزنية الذي هو منصب مماثل على الصعيد المركزي، وقد تولى هذا المنصب في عهد الخليفة يعقوب المنصور وفي عهد ابنه الناصر الشيخ أبو محمد ابن أبي علي ابن مثنى، قال عنه في (*البيان*، 3 : 237) "صاحب الأعمال المخزنية المفوض إليه الأشغال العملية".

ومن الذين تولوا منصب صاحب الأشغال على المستوى الجهوي شخص عرف بعبد الحق "صاحب أشغال فاس". وهو منصب خطير الشأن لأن أهميته وخطورته تأتي من كون المخزن في العصر الوسيط (وما بعده) كان يعتمد في حله وترحاله على صاحب الأشغال لتوفير ما تحتاجه المحلة السلطانية ومحلات الجيش والموظفين من تمويل وتموين وعلف وما إلى ذلك مما كان يحتاجه المخزن في تنقله في أوقات السلم والحرب، بل إن خطورة المنصب وأهميته الاستراتيجية تزداد إبان الحروب والاستعداد لها، ومثال ذلك ما أورده صاحب البيان عن حملة الناصر وتوجهه للجهاد في الأندلس جرياً على سنن أجداده قال صاحب (*البيان*، 3 : 237).

"... إلى أن استقبل المنازل التي كانت تستمد منها الرُفاق وتحتقب منها الحقائب ويدخل منها الأزودة المقيم والذاهب فألفاها قد جَفَّ معينها وخف بتوالي العدوان قطيفها ولم يبق منها لمخازن السلطان الوافرة أثر ولا يتضح لخازنها دليل ولا نظير..."

وقد تلاعب بأموال المخزن النقدية والعينية كبار الموظفين من عمال ومشتغلين وأعوانهم وصنائعهم، فما كان من الناصر إلا أن ضرب على أيديهم بقوة وكلف لتنفيذ ذلك ابن مثنى "صاحب الأعمال المخزنية" وكان كبير المتلاعبين عبد الحق بن أبي داوود عامل فاس، قال ابن عذاري عن الناصر : "... فتروح بعد وصوله إلى المدينة ثلاثاً ليبث في نفوس المشتغلين الطمأنينة والأمان وليصبح ظنونهم في وصول أبي محمد إليهم في ذلك الأوان ثم فوجئ عبد الحق بالقبض عليه بدار الإشراف وأرسل إلى منزله من ألحقه بالثقاف وبالغ في استصفاء أحواله وتبسط اليد بالقبض على كافة أصحابه وعماله ونفذ الكتب إلى سائر الجهات بتثقيف من خدم في مدته وغمس يده في أشغاله..."

وربما كان هذا الحادث السبب الأكبر لا في هزيمة العقاب (609 ـ 1199) ولا في بداية نهاية الدولة الموحدية وضياع الأندلس فحسب، بل كان السبب الرئيس في إضعاف المغرب وتراجع مجهوداته وأنشطته وإنتاجه حتى تأخر عن الركب الحضاري وأصبح عرضة للاحتلال والاستعمار.

تحدثت الوثائق الموحدية الرسمية عن مهام أخرى لصاحب الأشغال : وهي رفع المظالم على اختلافها وإزالة المحدثات وقطع المسكرات وتغيير المنكرات (رسائل موحدية) ؛ لكن ذلك لا يعني تداخل المهام والوظائف فالمخزن الموحدي عرف بضبطه الإداري حتى إن العديد من الدارسين يجعلونه متأثراً في ذلك بالامبراطورية الرومانية. وقد يكون استنتاجهم صائباً رغم البعد الزماني بين الامبراطوريتين، لكن التقاليد البربرية الأصيلة (المصمودية) والتي انطلقت منها التنظيمات الموحدية الإدارية السياسية والعسكرية والاقتصادية كانت حاضرة بثقلها طيلة مدة حكم الموحدين.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1948، وتطوان 1960، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 1، دار البيان، بيروت، بدون تاريخ ؛ ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1964 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و 1984؛ بروفنصال، *رسائل موحدية*، الرباط، 1941 ؛ عزاوي، *رسائل موحدية دفينة*، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1986 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*، كلية الآداب بالرباط، 1998، مرقون.

**صاحب البحر** عرفت كثير من المناصب والوظائف في صدر الدولة الإسلامية ـ صاحب (كذا) ـ صاحب الشرطة ـ صاحب الأحكام ـ صاحب الصلاة ـ صاحب البصرة... وهكذا، وانتقلت هذه الألقاب إلى الغرب الإسلامي منذ وقت مبكر، ولما عرف الغرب الإسلامي ازدهاراً وتفوقاً بحرياً لقب القائم على هذا القطاع "بصاحب البحر" على أن صاحب البحر ليس مثل العامل على منطقة معينة يقال عنه مجازاً صاحب إشبيلية أو صاحب سلا ـ فصاحب البحر لقب رسمي لمنصب استراتيجي كان يتولاه. مثل باقي المناصب الكبرى ـ الأمراء وكبار شخصيات العصبيات الحاكمة (خلال العصر الوسيط) ـ ففي العهد الموحدي والذي ظهر فيه هذا اللقب ـ باعتبار الموحدين القوة البحرية السائدة في الغرب الإسلامي ـ كان لا يتولى هذا المنصب إلا الأمراء (السادة) وأحياناً كبار الشخصيات المصمودية الأشياخ (الجدول المرفق) ولظروف مستجدة وأسباب خاصة كان يعهد بهذا المنصب إلى الأجانب.

ومن مهام صاحب البحر أو صاحب إمارة البحر (*نظم الجمان*، 148) مراقبة المراسي : الورود والصدور منها وتنظيم الشحن والإفراغ وتوفير الأمن للمراكب والبضائع وعمليات التبادل التجاري واستخلاص مستحقات المخزن وأساساً : الحرص على أمن السواحل وحمايتها من أي طارق، وتجهيز الأساطيل في أوقات السلم والحرب، على أن مهام صاحب البحر وإن كانت واضحة ومحددة بدقة في العهد الموحدي الأول (رسائل موحدية) فإنها أصبحت فيما بعد متداخلة مع مهام بحرية أخرى مثل قائد البحر ورؤساء البحر وقادة الأساطيل وقد أفاد العلامة ابن خلدون في التفريق بين بعض المهام البحرية في الأندلس قبل المرابطين وبعدهم : "... وكان *قائد* الأساطيل بالأندلس ابن دماحس ومرفأه للحط والإقلاع بجاية وألمرية، وكانت أساطيله مجتمعة من سائر الممالك من كل بلد تتخذ فيه السفن، أسطول يرجع نظره إلى قائد من النواتية يدبر أمر حربه وسلاحه ومقاتلته ورئيس يدبر أمر جريته بالريح أو بالمجاذيف وأمر إرسائه في مرفئه..." (*العبر*، 253 ـ 254).

وفي حالة الحرب كانت الأساطيل تؤلف وتجمع قطعها من سائر المراسي التي تحت حكم السلطان فتعد وتشحن وتجمع في ميناء واحد ويقوم السلطان بتفقدها واستعراضها عند اكتمالها ويعين عليها *قائداً واحداً* : "... فإذا اجتمعت الأساطيل لغزو محتمل أو غرض سلطاني مهم عسكرت بمرفئها المعلوم وشحنها السلطان برجاله وأنجاد عساكره

| صاحب البحر القائد أو الرئيس | المكان | العهد | المصادر |
|---|---|---|---|
| ابن فاطمة | المغرب | المرابطون | بسط الأوض 45، 46 |
| محمد بن ميمون | الأندلس | " " | مفاخر البربر، 58 ؛ المقدمة، 265 |
| داود بن عائشة | المغرب والأندلس | " " | البيان، 2 : 337 |
| علي بن عيسى | " " | " " | البيان، 3 : 21 ؛ أخبار المهدي، 67 |
| علي بن ميمون | " " | " " | البيان، 3 : 21 ؛ المقدمة، 255 |
| أحمد بن ميمون | " " | " " | الإعلام، 3 : 236 ؛ المقدمة، 255 |
| أحمد بن عمو الأوزالي | " " | " " | نزهة المشتاق |
| عيسى بن ميمون | " " | " " | استقصا، 2 : 206 ؛ المقدمة، 255 |
| ابن دماحس | الأندلس | " " | المقدمة، 253 و254 |
| غانم بن محمد بن مردنيش | " " | الموحدون | المن، 516 ؛ البيان، 3 : 157 ؛ استقصا، 2 : 192 |
| يحيى بن أبي زكرياء | إفريقية | " " | استقصا، 2 : 217 |
| السيد أبو العلاء | ميورقة | " " | استقصا، 215 ؛ العبر، 6 : 217 |
| السيد أبو سعيد بن أبي حفص | " " | " " | " " " " |
| عبد الله بن اطاع الله | " " | " " | البيان، 3 : 32 |
| ناصر بن تامة | سبتة سلا | " " | التشوف، 207 |
| ابن عمروين | سبتة | " " | التشوف، 270 و280 |
| أحمد الصقلي | المغرب | " " | المقدمة، 255 |
| أبو محمد عبد الله بن سليمان | أزمور | " " | البيان، 3 : 32 ؛ أخبار المهدي، 75 ؛ رسائل، 11 ؛ نظم الجمان، 148 |
| السيد أبو العلاء الكبير | المغرب والأندلس | " " | البيان، 3 : 234 |
| يحيى بن أبي زكريا الهزرجي | " " | " " | استقصا، 2 : 215 |
| علي بن خلاص | " " | " " | استقصا، 1 : 203 |
| الفقيه العزفي | سبتة | " " | القرطاس، 313 |
| السيد أبو زيد عمر | ميورقة | " " | العبر، 6 : 247 ؛ استقصا، 2 : 218 |
| أبو محمد عبد الله بن جامع | سبتة | " " | المن، 218 ؛ البيان، 3 : 117 ؛ استقصا، 2 : 218 |
| أبو العباس الرنداحي | سبتة | عام 647 هـ | البيان، 3 : 488 |
| أبو زكريا بن مزاحم الكومي | " " | الموحدون | البيان، 3 : 350 |
| السيد أبو عبيد بن عبد السلام الكومي | " " | " " | البيان، 3 : 203 |
| ابن مسعود | سلا | الموحدون | المسند، 345 |
| يوسف الجيدي | بادس | " " | المقصد، 74 |
| محمد بن القايد القاسم الرجراجي | سبتة | المرينيون | القرطاس، 373 |
| محمد بن الفقيه العزفي | المغرب | " " | القرطاس، 313 |
| يحيى بن الفقيه بن أبي طالب العزفي | سبتة | عام 714 هـ | القرطاس، 399 |
| محمد بن يوسف الأبكم | المغرب | أبو عنان | استقصا، 3 : 200 ـ 202 |
| يحيى الرنداحي | المغرب | المرينيون | العبر، 7 : 214 |
| أبو الحسن بن كماسة | سبتة | بنو الاحمر | استقصا، 3 : 100 ؛ العبر، 7 : 240 |
| الرئيس أبو سعيد | مالقة | المرينيون | استقصا، 3 : 82 |
| محمد علي العزفي | سبتة | " " | استقصا، 3 : 115 |
| إبراهيم البطروجي | المغرب والأندلس | " " | استقصا، 4 : 42 |
| أحمد بن الخطيب | المغرب | أبو عنان | العبر، 7 : 240 |

ومواليه وجعلهم لنظر أمير واحد من أعلى طبقات أهل مملكته يرجعون كلهم إليه..." (*العبر*).

ويبدو من مختلف النصوص والإشارات التاريخية "أن منصب صاحب البحر لم يكن مركزياً إلا في الحالة التي أشار إليها ابن خلدون وتعني "قائد البحرية" في وقت الحرب، أما ما عدا ذلك فإن منصب صاحب البحر أو صاحب إمارة البحر فكان جهوياً أي بحسب المراكز البحرية النشيطة في وقت الحرب أو السلم. جاء في *نظم الجمان* (148) :

"... ثم جاء علي بن عيسى الموحد *صاحب البحر* بالقطايع وحصرهم في سبتة..."

وفي الوثائق الموحدية الرسمية : "... رجع التاجر إلى بجاية بعد غيبته تلك السنين الطويلة فوجد ابا محمد عبد الله بن سليمان صاحب *إمارة البحر*..." (رسائل موحدية بروفنصال).


ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت ؛ ابن القطان، نظم الجمان، تطوان، د. ت ؛ بروفنصال، *رسائل موحدية* مومنية، الرباط، 1941 ؛ عزاوي، *رسائل موحدية دفينة*، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1986 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*، مد. د. ع. رقون، كلية الآداب بالرباط، 1998 ؛ ابن سعيد، بسط الأرض، تطوان، 1958 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، الرباط، 1934 ؛ ابن عذاري، *البيان*، بيروت، 1948 وتطوان، 1960، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ـ 1955 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن*، بيروت، 1964 ـ 1987 ؛ ي. التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1985 ـ 1984 ؛ البيدق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ ابن مرزوق، *المسند*، الجزائر، 1981 ؛ البادسي، *المقصد*، الرباط، 1982.


**صاحب الصلاة** صنف ابن خلدون الخطط الدينية الشرعية الخلافية هكذا : الصلاة ـ الفتيا ـ القضاء ـ الجهاد ـ الحسبة.

وجعل إمامة الصلاة أرفع هذه الخطط كلها ... وأضاف : "أن المساجد العظيمة أمرها راجع إلى الخليفة أو من يفوض إليه من سلطان أو من وزير أو قاض..." (*العبر*، 1 : 219 ـ 220).

فهذه الوظيفة حسب ابن خلدون ذات أهمية قصوى فهي تمثل الخليفة وليس كما قيل "أنها تعني بكل وضوح الذي يؤم الناس في صلواتهم" (*المن*، 7 و8) ؛ فليس كل من يؤم الناس في صلواتهم يحمل لقب *صاحب الصلاة* ؛ وبرجوعنا إلى ابن خلدون (*العبر*، 1 : 219) نستطيع أن نقف على تحديد دقيق لوظيفة *صاحب الصلاة* ؛ يقول ابن خلدون : ".. فاعلم أن المساجد في المدينة صُنفان : مساجد عظيمة كثيرة الغاشية معدة للصلوات المشهودة وأخرى دونها مختصة بقوم أو محلة وليست للصلوات العامة، فأما المساجد العظيمة فأمرها راجع إلى الخليفة أو من يفوض إليه..."

هذه بداية وظيفة *صاحب الصلاة* لكنها تطورت عبر التاريخ لتصبح أوسع وأعمق. فصاحب الصلاة الذي يعينه الخليفة مباشرة وليس للولاة عليه أي سلطان كان يشرف على أئمة المساجد ويزودهم بإرشاداته وتعليماته وينظر في مشاكلهم ويراقب أعمالهم ؛ وعادة ما كان *صاحب الصلاة* يختار من بين الفقهاء الخطباء، ويقوم بنفسه بإلقاء خطب الجمعة والأعياد والخسوف والاستسقاء، ومن مهامه أساساً الخطب في المساجد العظمى مثل مسجد الكتبية بمراكش والمسجد الأعظم بإشبيلية ومسجد قرطبة (*البيان المغرب*، 3 : 195) (*المن*، 7 و8) (*علام الدولة الموحدية*، 267).

يرجع أول ذكر في المصادر *لصاحب الصلاة* إلى أواسط القرن الثالث (9م) بالمشرق ثم انتقل إلى المغرب بعد ذلك وليس المنصب ولا اللقب *صاحب الصلاة*. من إبداع الموحدين كما اعتقد بعض الدارسين الأجانب وحتى بعض المغاربة بل هو سابق على الدولة الموحدية بكثير، فأول إشارة إليه كانت في الإمارة البرغواطية (ق 2 هـ ـ 6 هـ/ 8 م ـ 12 م)، جاء عند أبي عبيد البكري في (*المغرب*، 134) :

"أخبر أبو صالح زمّور بن موسى بن هشام بن وارديزن البرغواطي وكان *صاحب صلاتهم* حين قدم على الحكم المستنصر رسولا..." وكان الرسول قد وصل إلى قرطبة في شهر شوال (352 ـ 963)، ولا يقابل هذا المنصب وزارة الأوقاف كما ذهب إلى ذلك بعض الدارسين بل كانت مهمة *صاحب الصلاة* شبيهة بمهمة المفتي، وقد تولى هذا المنصب في العهد الموحدي عدد من العلماء والفقهاء الأندلسيين مما يقوي الإعتقاد بأن هذا المنصب كان مقصوراً على أهل الأندلس ومنهم والد مؤلف كتاب *المن بالإمامة*. وقد توارث هذا المنصب عدد من علماء الأندلس في مدينة واحدة بل ومن عائلة واحدة (*المن*، 7 و8)، ويبدو من خلال المصادر الوسيطية أن خطة *صاحب الصلاة* لم يتبعها غير الموحدين باستثناء ما أشار إليه البكري عن البرغواطيين، حتى أن ابن خلدون وهو يستعرض الخطط الشرعية والفقهية والدينية والدنيوية ووظائف الملك لم يشر إليها في زمانه مما قد يفيد أن الدولة المرينية وقد قلدت الموحدين في الكثير من المظاهر لم يكن *صاحب الصلاة* من الوظائف المعروضة عندهم لكن ابن الحاج في (*فيض العباب*، ص. 12) وهو مؤرخ معاصر وقريب من البلاد ذكر أن السلطان أبا عنان استحدث منصب *صاحب الصلاة* : "إحداث أبي عنان لمنصب صاحب الصلاة في كل المناطق التي تحتاج إلى ذلك وأمر القضاة بترشيح الناس لهذا المنصب فكتب الظهائر بالتعيينات وعمل مرتبا يوسع في العطاء والجراية وعين لكل واحد منهم أعواناً بقدر ما يحتمل بلده وعمل لكل عون مرتباً يقيم به أوده وتعلو فيما كلف به يده..."

ورغم أن ابن خلدون كان معاصراً لابن الحاج فإن هذا الخبر عن إحداث هذا المنصب لن يغيب عن ابن خلدون اللهم إلا إذا أحدث بعد مغادرته المغرب وهذا هو الأرجح ؛ ونص

*فيض العباب* يضيف معلومات جديدة عن خطة صاحب الصلاة : فهي ليس خطة مركزية بل موزعة بحسب الحاجة إليها في مختلف الجهات، ولصاحب الصلاة مساعدون يعملون تحت إشرافه وله ولأعوانه مرتبات تكفي حاجاتهم حتى لا يمدوا أيدهم إلى الغير.

ابن خلدون، *العبر*، دار البيان، بيروت، بدون تاريخ ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، بيروت، 1964 ـ 1987 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1948 وتطوان، 1960، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. الله علي علام، *الدولة الموحدية في عهد عبد المومن بن علي* دار المعارف، مصر، 1968 ؛ أبو عبيد البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر، 1911، باريز، 1965 ؛ ابن الحاج النميري، *فيض العباب*، الرباط، 1984.

محمد حجاج الطويل

**الصاروخ، عبد السلام** بن لحبيب بن أبا حنيني ولد سنة 1347 / 1928 بالريصاني بقصر ابدعة إقليم الرشيدية. كان من شيوخ الحلقة الرواد في جامع الفناء. أسمر اللون، أصلع الرأس مقوس الحاجبين حاد النظرات، قامته طويلة فارهة، بنيته قوية، لسانه بذيء ولغته داعرة. كان من حفظة القرآن الكريم، وكان يسترزق بتلاوته في الأسواق والمناسبات كغيره من الحفظة الذين لا يمتهنون أية حرفة. والدافع وراء ذلك هو البحث عن لقمة العيش لأبنائه التسعة الذين يجمعهم بيت متواضع بالحي المحمدي بمراكش.

كان الصاروخ يجعل ذاته موضوعا يقيم عليه حلقته مستغلا فيها كل ما يثير الضحك عند زبنائه وغالبيتهم شباب لأنه لم يكن يملك أي شيء آخر يشد به المتفرجين إليه سوى بنية جسده القوية واللغة الداعرة واللسان البذيء وسباب الجمهور. وكان كل هذا يثير المتفرج وهو يضحك دون أدنى رد فعل منه تجاه الصاروخ. وكمثال على ذلك، فقد لجأ في أحد الأسواق الأسبوعية التي تقام بأحواز مراكش إلى حمل جحش على كتفيه وصار يطوف به السوق حتى تبعه خلق كثير فالتفت إليهم ووجه نحوهم سبابا فادحا وهم يضحكون ثم قال لهم : "عندما كنت أحمل القرآن انصرفتم عني وعندما حملت الحمار ياولاد ال ... تبعتموني" (*جامع الفنا*، 35).

تمكن عبد السلام الصاروخ بهذا الفعل من إشهار نفسه. فصار يتهافت عليه السوقة من الناس، وأغلبهم من الشباب والأطفال. ومنذ ذلك الحين، أصبحت الحلقة التي يعقدها الصاروخ بثلاثاء مسفيوة سببا في عدم ذهاب الكثير من التلاميذ إلى مؤسساتهم التعليمية في هذا اليوم. والجدير بالذكر أنه لا يمكن لأحد أن يقوم بهذا الفعل إلا إذا توفرت فيه قواعد الحلقة التي تنبني أساسا على الجرأة (أي الجبهة بالمعنى الدارج). وغياب "المركة" (الكاف فوقه ثلاث نقط وهي كلمة دارجة)، أي انعدام الخجل والاتصاف بالوقاحة أي (القباحة بالدارجة)، بالإضافة إلى الثبات والروية دون الوقوع في الاستفزاز.

عبد السلام الصاروخ لم يكن جريئا ووقحا فحسب، بل كان يلجأ إلى تحدي متفرجيه باستعمال القوة أحيانا إن استفزه أحد. وحين كان يعرف بنفسه، كنا نسمعه يقول : "أنا اسمي الصاروخ ومنعت من الذهاب إلى القمر لأنهم يخشون أن أحضره معي إذا عدت إلى الأرض".

عاصر عبد السلام الصاروخ الكثير من رواد الحلقة أصحاب السير والغزوات والقصص في ساحة جامع الفنا منهم من قضى نحبه كعمر ميخي، وطبيب الحشرات ومحمد ماماد، وباقشيش، والحسين السيرة، وإدريس لعور، والركراكي والكبيري معروف ومحمد الصويري وأحمد الوريكي الشويخة. ومنهم من لازال ينتظر ـ وهم مسنون ـ كالشرقاوي صاحب الحمام، وعياد البعير وعمر الدحش وأحمد بوشامة والشباير محمد والجابري مولاي أحمد والفطن مولاي أحمد والتمعيشة أحمد ومولاي مبارك المداح وبعصوصة ميلود وعبد الحكيم المغني. وقد أصبح هؤلاء يدعون بشيوخ الحلقة بعد أن أسست ـ حديثا ـ جمعية تهتم بهم إثر الإعلان عن ساحة جامع الفنا تراثا إنسانيا. ومن جيل الرواة الجدد الذين عاصروا عبد السلام الصاروخ : محمد بالهاشمي باريز (وهو لقبه المسجل في الحالة المدنية) وعبد الرحيم بن حسن المقوري المعروف بعبد الرحيم الأزلية ـ لتفوقه في روايتها ـ وغيرهما ممن كانوا يترددون على جامع الفنا ويقيمون الحلقة به. لأن إقامة الحلقة في جامع الفنا هي بمثابة إجازة للحلايقي وشهادة على كفاءته وقدرته على إرضاء جمهور جامع الفنا الذي يصعب جمعه وإرضاؤه.

توفي عبد السلام بن لحبيب الصاروخ في 28 رجب 1416 / 20 دجنبر 1995. ودفن بمقبرة باب الخميس بمراكش، عن عمر يناهز 67 سنة.

جواهري، *جامع الفنا*، الرباط، 2001 ؛ الزيارة الميدانية لشيوخ الحلقة بجامع الفنا ومقهى أبا مادان بدرب ضباشي، 13 و14 يوليوز، و13 غشت، 2001 ؛ سجل الحالة المدنية للمترجم بمقاطعة الحي المحمدي الداوديات بمراكش.

عبد الرزاق ازريكم

**الصَّاري**، جزء مهم من أجزاء السفينة أو المركب بل إنه الأهم في المراكب والسفن التي تتحرك بواسطة الرياح، فالصاري هو ذلك العمود الضخم الطويل الذي يتوسط السفينة ويحمل الشراع الذي يحرك السفينة بواسطة الريح، والمراكب أنواع منها القوارب الصغيرة التي تسير بأشرعة صغيرة، صاريها بسيط متناسب وحجمها والغرض منها، أما السفن الضخمة العابرة للبحار والمحيطات فتكون متعددة الأشرعة أو القلاع ومتعددة الصواري وغالباً ما يوجد صار رئيسي كبير يتوسط صاريين أصغر منه، مثل الكاراڤيلا.

يشترط في الصاري أن يكون طويلاً مستقيماً لا عوج فيه صلباً وضخماً، ويتخذ من خشبة واحدة وكانت فيما سبق من جذع شجرة واحدة عملاقة، والنوع الملائم لصناعة

"الصاري" كان متوفراً بكثرة على ضفاف البحر المتوسط وفي شمال غرب أوربا كالصنوبر، وفي المغرب كانت الأشجار الملائمة لصناعة السفن والصاري : أشجار الأرز والصنوبر، ومن أسباب تقدم صناعة السفن في الدول البحرية الأروبية في العصر الوسيط وحتى عند الفينيقيين شرق البحر الأبيض المتوسط وجود أشجار الأرز والصنوبر. على أن القيود التي فرضت على تجارة الأخشاب في إطار الصراع المسيحي الإسلامي جعلت بلاد المغارب تستنزف مخزونها من الأنواع الملائمة لصناعة المراكب ومنها الأشجار العملاقة التي يتخذ منها الصاري، فاضطر الصناع إلى حل المشكل باتخاذ الصاري من عدة جذوع أشجار متوسطة الصلابة والسمك وجمعها إلى بعضها بواسطة النجارة والغراء على أن تربط بأحزمة من حديد أو نحاس.

يحمل الصاري إضافة إلى الشراع : الجامور وهو البرج الخشبي الأسطواني الشكل الذي يخترقه الصاري ويثبت في أعلاه أسفل العلم ومنه تتم عملية المراقبة والاستكشاف ؛ كما يحمل الصاري القرية وهي العارضة الخشبية التي تتقاطع مع الصاري أسفل الجامور ويثبت على طولها الشراع.


الجزيري، *المقصد المحمود*، مخطوط، الخزانة العامة بالرباط ؛ الزجالي، *أمثال العوام*، فاس، 1971 ؛ *فلما لم هو نيرباخ، البحرية العربية وتطورها في البحر المتوسط*، تطوان، 1954 ؛ ارشيبالدلويس، *القوة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط*، القاهرة، 1960 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*.

M. Lombard, *L'Islam dans sa première grandeur*. Paris, 1980.


محمد حجاج الطويل

**صـاريوة** أو صريوة حي بفاس يُنسب إلى أولاد الصاريوي، فخذة من قبيلة بني يازغة كان لهم ذكر بفاس من أقدم بيوتاتها، ذوو عز وودولة ومال. وهو حي معروف حتى الآن بالقليعة داخل باب الفتوح من عدوة فاس الأندلس. وكان معموراً بالسكان ثم خرب وأصبح مقبرة. ويشتهر حي صاريوة بضريح الشيخ الصالح سيدي علي بن أبي غالب الصاريوي (انظر ترجمته في *المعلمة* : بوغالب) وقد ذكر القادري في *التقاط الدرر* أنه في عام 1090 / 1679 بُنيت قبة ضريح سيدي أبي غالب الصريوي. وكان بفاس أيضاً فندق يعرف بفندق صاريوة مذكور في عدة حوالات قديمة. وقد انقرضت هذه الأسرة من فاس.

وذكر ابن الأحمر في *بيوتات فاس الكبرى* أن سلف علي ابن أبي غالب خرجوا من فاس فارين من موسى بن أبي العافية في أيام ولايته على فاس واستقروا في بني صاريوة من قبيلة بني يازغة. ولما رجعوا إلى فاس نزلوا داخل باب الفتوح فدعي ذلك الحي صاريوة، ونسب إليه الشيخ علي بن أبي غالب الصاريوي، وقد تضاربت أقوال المؤرخين والنسابين حول هذا الصالح، تجد ذلك مبسوطاً في الترجمة المطولة التي خصه بها مؤلف *سلوة الأنفاس*.


إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972 ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، بيروت، 1983 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 1300، ج 2 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الإلتباس*، مرقون ؛ لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، 1986 ؛ علي الكتاني، *الشرفاء الكتانيون في الماضي والحاضر*، الدار البيضاء، 1999.


محمد حجي

**الصّاع**، أداة لكيل الحبوب وما في حكمها مثل الزبيب والتمر وغيرهما، وقد كانت تصنع من فخار وخشب قبل أن تصبح من قصدير أو نحاس ؛ والصاع وحدة للكيل، وقد ورد في المصادر التاريخية مع المد كأصغر وحدات للكيل ؛ لكن تقديراته اختلفت في الزمان والمكان وتردد ذلك في كتب الفقه والحسبة وفي كتب النوازل وغيرها حتى إن الكثير منها كان يؤكد على المرجعية الشرعية فيذكر المد النبوي والصاع النبوي تمييزاً له عن غيره (*البكري المغرب*، 89 ـ 151؛ *مسالك*، 298 ؛ *القرطاس*، 384 ؛ *الضعيف*، 31 ـ 32).

وفي مصادر أخرى ذكرت أدات الكيل مقرونة باسم حاكم الوقت أو المكان الموجودة فيه أو نُسبَتْ إلى المجموعة البشرية المستعملة لها كقولهم : "مد مروان ابن الحكم" و"صاع أهل الحجاز" (إثبات ما لا بد منه) وفي المغرب جاء في حديث البكري عن مليلية : "وكيلهم يسمونه المد وهو 25 مداً بمد النبي (صلعم) ورطلهم مثل رطل نكور 22 أوقية..." وعن مدينة فاس قال : "ومدهم يسع من الطعام 80 أوقية ومديهم يسمونه اللوح وفيه من هذا المد 120 مداً..." وعن سجلماسة : "... وقمحهم رقيق صيني يسع مد النبي ﷺ 75 ألف حبة..." (*المغرب*، 89 و171 ـ 151) ؛ وتشعبت أدوات الكيل واختلفت مقادير وحداته من بلد إلى آخر ومن فترة إلى أخرى ففي كتاب *التشوف* على سبيل المثال أكثر الإشارات عن الكيل بالصحفة (*التشوف*، 239 و280 ـ 331 وغيرها) وكذلك البادسي في (*المقصد الشريف*، 879).

وقد أحدث هذا الاختلاف البلبلة في صفوف الناس وخاصة في الأسواق. وأحدث التفرقة داخل الأمة الواحدة (الموحدة دينياً) وفسح ذلك المجال للمرابين والمطففين وباقي المتلاعبين للإضرار بأطراف الإنتاج وبالبيع والشراء. فكان المخزن يتدخل من حين لآخر لضبط المكاييل والموازين ولقطع الطريق على أولئك المفسدين، فكان أول المتدخلين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومروان ابن الحكم وهشام بن إسماعيل (*إثبات ما لابد منه*، مخطوط) ؛ وفي المغرب تدخل كثير من الأمراء والخلفاء والسلاطين لضبط وسائل التعامل بين الناس في الأسواق، من ذلك ما جاء في (*القرطاس*، 384) "...وفي هذه السنة أمر أمير المسلمين يوسف بتبديل الصيعان وجمعها على مد النبي وذلك على يد الفقيه عبد العزيز الملزوزي المكناسي..."

ارتبط ضبط المكاييل والأوزان والنقود وتوحيدها بقوة

المخزن وضعفه وبأوقات الشدة (مجاعات وعروب) وبأوقات الرخاء فيتدخل السلطان ويعين من يقوم بهذا العمل فيرجع أدوات التعامل بين الناس في الأسواق إلى الشرع ويحدث العكس عند ضعف المخزن فتتشعب المشكلة إلى درجة التسيب، فتظهر أدوات بأسماء ومقادير جديدة، ويمكن تتبع سيرورة هذا التطور عبر مراحل التاريخ ومن خلال العديد من المصادر، ورغم ذلك فإن المد والصاع بقي الوحدة المرجعية الشرعية الأساسية في ميدان الكيل ؛ وحتى اليوم فرغم ظهور المكاييل والمقاييس الحديثة فمازال المرجع والاحتكام إلى الأدوات التاريخية "المد والصاع" كلما تعلق الأمر بالشرع.

تميز العهد المريني الأول خاصة فترة حكم السلطانين أبي الحسن وأبي عنان بمحاولة جادة بضبط أساليب ووسائل التعامل التجاري متأثرين في ذلك بما بلغته الأندلس من تقدم في الميدان، فوضعوا - على سبيل المثال - مقاييس شرعية مجسمة يرجع إليها المتنازعون ويحتكمون إليها (*القرطاس، المسند، فيض العباب*).

ولا بد للباحث أو الدارس لهذا الموضوع أن تتشعب به الإشارات المتناثرة في مختلف المصادر والنصوص ؛ وقد حاول كثير من هؤلاء قدامى ومحدثين عرباً وأجانب وضع مصنفات وجداول وملخصات لهذا الموضوع الشائك فلم يتم الحسم فيه، ومن ذلك مخطوطة مغربية مفقودة معروف منها قطعة صغيرة وهي من تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد اللخمي العز في الذي عاش ما بين 557 - 633 / 1162 - 1236 بعنوان "إثبات مالا بد منه لمريد الوقوف على أحوال الدينار والدرهم والصاع والمد".

ومن الذين أدلو بدلوهم في الموضوع من الأجانب : نيل أو ستاس، وألفريد بيل، ومن الدراسات والاجتهادات الحديثة في التصنيف أطروحة بالفرنسية "نشرت تحت عنوان : "السلاطين المرينيين الأولين : التاريخ السياسي والاجتماعي".

وكخلاصة لما قيل وكتب في الموضوع ضمن هذا البحث لائحة بالمقاييس والمكاييل :

* مد النبي (صلعم) ليس أكثر من رطل ونصف ولا أقل من رطل وربع
* صاع أهل الحجاز : 5 ارطال وقيل 5 أرطال و 1 / 3
  - بعد تعديل عمر (رضعه)
  - المد (مد الطعام) 7.5 صاع أو 83 رطل
* صاع أهل المدينة : 15 صاع = 80 رطلا
  - الوسق = 60 صاعاً
  - الصاع = 4 أمداد
  - القفيز = 10 صاع أو 40 مداً
* الصاع القرطبي = 5 أمداد إلا خمس
  - الوسق = 6 أقفزة
  - القفيز القرطبي = 44 مداً

- الكيل بمد النبي = 3 امداد و 3 / 2
- مد النبي = رطل ونصف في الحنطة رطل وثلثان في غيرها

المرجع : *إثبات ما لابد منه*، مخطوط.

الأوقية = 33,33 جرام الدوحة ص 87

الرطل = 533,28 جرام

الصاع = 4 أمداد ويمثل 60 / 1 من الصحفة

الصحفة / الوسق / الحمل = 60 صاعاً

| المكاييل والأوزان | المقابل بالجرام والكيلو |
|---|---|
| الرطل | 533,28 جرام |
| الصاع | 2810,50 جرام |
| المد | 702,62 جرام |
| الصحفة - الوسق الحمل | 168,63 كلج |


أ. البكري، *المغرب*، الجزائر، 1911، باريز، 1965 ؛ أ. العزفي، *اثبات ما لابد منه لمريد الوقوف*، مخطوط ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، الجزائر 1924، م. المنوني، *ورقات عن الحضارة*، الرباط، 1979؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن الحاج، *فيض العباب*، الرباط، د. ت ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1998.

A. khamlouchi, *Les premiers sultants mérindes 1269 - 1331: Histoire politique et sociale*, Paris, 1987.


محمد حجاج الطويل

**صاع**، مدينة مندثرة، وصاع تحريف لكلمة "زا" التي تعني باللسان الصنهاجي الحلفاء (نبات الحلفا) وهو اسم لواد من أهم روافد ملوية بالمغرب الشرقي ينبع من منطقة جنوب غرب مدينة عين بني مطهر ويصب بملوية بإقليم تاوريرت بمكان يسمى بملقى الويدان أي نقطة التقاء واد زا بواد ملوية، ويأخذ واد زا أسماء أثناء مسيرته حيث يسمى بواد الشارف بالنجود العليا، ثم واد الحي، ثم واد زا بتاوريرت وناحيتها.

ونظراً لأهمية صبيبه واستمرار جريانه عل طول السنة فقد أنشئت على روافده عدة حواضر وأراض زراعية مهمة منذ فجر التاريخ، وقد دلتنا الأبحاث الأثرية على وجود استقرار إنساني قديم بمنطقة تاوريرت ونواحيها التي يمر بها واد زا كموقع القطيطير قرب ملقى الويدان بإقليم تاوريرت وعرفت صاع كمدينة قائمة بذاتها بناء على الإشارة الواردة عند ابن حوقل البغدادي في كتابه صورة الأرض وكذلك عند البكري في كتابه المسالك والممالك، وقد ذكرها هذا الأخير تارة باسم صاع وتارة بكدية تاوريرت. إلا أن الإدريسي في كتابه *نزهة*

*المشتاق* (القرن 12 م) أكد وجود هذه المدينة باسم صاع، بينها وبين مليلية مرحلة"، وهي مدينة لطيفة صغيرة بأسفل كدية تراب مطلة على نهر كبير يشق أرباضها ويخترق ديارها وهي الآن مهدمة خربها المصاميد". وابتداء من القرن (13 م) عرفت مدينة صاع بمدينة تاوريرت. ويظهر أن موقعها الاستراتيجي كنقطة وصل بين فاس غربا وتلمسان شرقا ومليلية شمالا وسجلماسة جنوبا عبر دبدو" وكذلك لوفرة مياهها وخصوبة أراضيها أهلها لتكون مدينة مزدهرة بالجهة الشرقية وعرضة للصراع المريني الزياني (انظر تاوريرت *معلمة المغرب*).

ابن حوقل، *وصف الأرض*، ص. 88 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر أخبار المغرب*، 90 ـ 93 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 247 ؛ *دراسة ميدانية*.

الصغير مبروك

**صاغرو** (جبل ومقاومة) يعتبر جبل صاغرو من الناحية الجيولوجية امتداداً للأطلس الصغير، ورغم تعرضه للتعرية بفعل قدمه، فإن جغرافيته يطغى عليها طابع التضرس أساسا، ويسودها المناخ القاري الذي يتميز بالحرارة والجفاف صيفا والبرودة والجفاف شتاء :

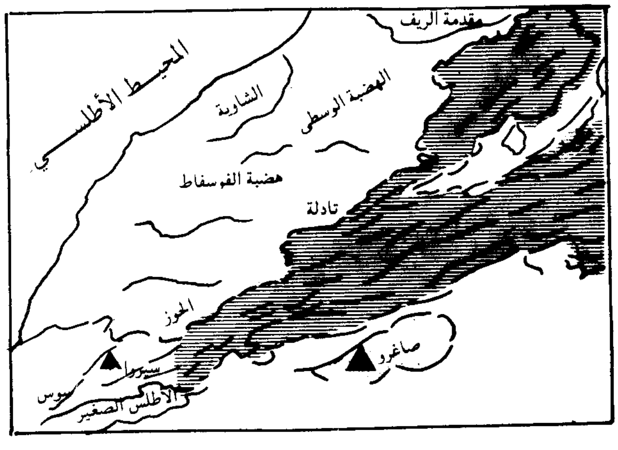


وقد لعبت هذه الظروف الطبيعية القاسية دوراً أساسياً في تاريخ سكان جبل صاغرو. فقد أملت نمط حياة سكان جبل صاغرو الذي يقوم على الترحال والانتجاع نحو مناطق أقل قساوة خاصة منطقة الدير.

ومن الناحية التاريخية يعتبر جبل صاغرو موطن قبائل أيت عطا، حيث شهد ميلاد اتحاد هذه القبائل سنة حوالي سنة 1550 برعاية مؤسس زاوية تامصلوحت الشيخ عبد الله ابن حساين الأمغاري وبقيادة أحد تلامذته الملقب "دادا عطا" جد الاتحادية. ويبدو أن اتحاد أيت عطا اتخذ شكله النهائي خلال القرن الثالث عشر (19 م) أي أصبح يتكون من خمسة أخماس بعد انضمام قبائل أخرى إليه، ورغم اتساع الرقعة الجغرافية لهذا الاتحاد، فإن آيت عطا بمختلف مكوناتهم أطلق عليهم : "أيت عطا صاغرو" بسبب ارتباطهم الوثيق بجبل صاغرو وموطنهم الأصلي، يمثل ذلك في الذاكرة الجماعية لأيت عطا صورة "فرس مربوط بحبل طويل إلى جبل يشده إليه مهما بعد به الجولان" بل أكثر من ذلك أن عاصمتهمُ ومركز إشعاعهم يقع في صاغرو وهو "مركز إغرم أمزدار" ذلك المكان الذي خصوه بإجلال حقيقي بحيث تحسم فيه كبريات النزاعات التي تقع بين مختلف أخماس أيت عطا وتحرم فوق أرضه الحروب وأخذ الثأر. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أن أيت عطا اختاروا جبل صاغرو للاعتصام به، ومجابهة القوات الفرنسية وتسجيل البطولات سنة 1933، وبذلك اكتملت الصورة الرمزية لجبل صاغرو كموطن أصلي لاتحاد قبائل آيت عطا عند تأسيسه وكمعقل لمقاومة أيت عطا ضد الاستعمار الفرنسي.

عندما تكالب الاستعمار على البلاد، وشرع في اقتضام أجزاء من تراب المغرب انطلاقا من الجزائر، كانت قبائل أيت عطا من أولى القبائل التي هبت للدفاع عن حوزة الوطن، وهكذا اصطدمت أيت خباش إحدى قبائل أيت عطا بالاستعمار الفرنسي منذ سنة 1870.

بدأت القوات الفرنسية بتطويق جبل صاغرو وذلك باحتلالها واحة درعة ما بين 1931 و1932، وكذلك واحات دادس وتدغة في نفس الفترة. وفي نفس الوقت سيطرت القوات الفرنسية على تازارين وتاغبالت وحوض واد الرك الأسفل أي كل البلاد الواقعة بين صاغرو والحمادات الجنوبية الشرقية، وبذلك تم تطويق كتلة صاغرو من جميع الجهات.

وقد كانت القوات الفرنسية المحاصرة لجبل صاغرو تتكون من مجموعتين : غربية تحت قيادة الجنرال كاترو ، وشرقية تحت قيادة الجنرال جيرو .

- حركة الرك : 800 محارب وفيلق من الگوم.
- حركة زيز : 500 محارب.

وكانت هذه القوات معززة بـ 44 طائرة ومدافع مختلفة، وأسلحة متطورة. أما قوات المقاومين المعتصمين بجبل صاغرو فهي لا تقارن من حيث العدد والعدة بقوات الاستعمار إذ تقدرها المصادر المختلفة بحوالي 1200 مقاوم مسلح و7000 من الأطفال والنساء والشيوخ، وكان سلاح المقاومين هو قبل كل شيء بنادق من نوع "بوشفر" و"مانشستر" وكذلك معرفتهم لطبيعة جبل صاغرو الوعرة.

بدأ الهجوم الفرنسي على صاغرو ليلة 12 فبراير 1933 انطلاقا من جميع الجبهات المحيطة بالجبل، فكان الفشل مصير هذه الهجومات، بل أن المقاومة حققت انتصاراً ساحقا تجلى في تقهقر القوات الفرنسية واستيلاء المقاومين على غنائم هائلة تتكون من 17 دابة محملة بالمؤونة والذخيرة. وقد أشارت صحف الاستعمار إلى هذه الهزائم، مما زاد من شعبية المقاومين المعتصمين بجبل صاغرو فتعاطف معهم سكان

الواحات، وفي المقابل انهارت معنويات القوات الفرنسية. ومع ذلك استمر حصار أيت عطا الذين تجمعوا في هضبة الإبر Plateau des Aiguilles وهو منخفض محاط بجبال عالية حادة على شكل إبر في منطقة بوگافر. وقد انضمت قوات وتعزيزات إضافية للقوات الفرنسية. كما أن الطيران الحربي كثف من الغارات على أيت عطا وإحراق الماشية. وكذلك قَنبلة عيون المياه.

وهكذا اجتهد هؤلاء الضباط في تفتيت "القبيلة المقاومة" وجعلها في حالة التشظي ولتصبح عبارة عن قبائل وأخماس. وأمام هذا الوضع قرر عسو وبسلام (انظر في المعلمة) بعد مشاورة بقية المقاومين النزول للتفاوض وذلك يوم 25 مارس 1933 لتحقيق سلم بدون هزيمة وحقنا لدماء النساء والأطفال والعجزة.

ع. القادر بوراس، *جانب من مقاومة أيت عطا، مقاومة بوكافر بجبل صاغرو*، أعمال ندوة المقاومة، كلية الآداب، مراكش، 23 ـ 30 نونبر 1990 ؛ م. بوكبوط أحمد البوزيدي، *وثيقة مغربية عن معركة بوكافر* ، هيسبريس *تمودا*، العدد 35 الجزء الثاني، 1997 ؛ دافيد مونتغومرى هارت، *أيت عطا بالوسط الجنوبي المغربي* ، مجلة واجهة عدد مزدوج 1312 صيف خريف 2001.

J. D'esme, *Henri de Bournazel, Lumière d'un exemple*, Paris, 1952, p. 32 ; J. Saulay (Colonel), *Histoire des Goums marocain*, Tome I, Paris 1985 ; Huré (Général A), *La pacification du Maroc*, Dernière étape 1931-1934, Paris, 1952 ; G. Spillman, *Les Aït Atta du Sahara...*, Rabat, 1936; H. Bordeaux, *Capitaine de Bournazel*, Paris, 1935.

عبد القادر بوراس

ابن **صافي**، أسرة فاسية تنتسب إلى الأنصار، كان لهم ذكر بفاس وإليهم تنسب سويقة ابن صافي أسفل درب الحرة من حومة الطالعة.

ذكر صاحب السلوة ـ نقلاً من خط بعض الفضلاء ـ أن سويقة ابن صافي منسوبة إلى دفينها الشيخ أبي بكر بن خلف ابن صافي. وهم غير أولاد الصافي الفاسيين من قبيلة فشتالة الذين منهم الشيخ الشهير بوشتى الخمار الصافي (ت. 997 / 1589).

ابن **صافي**، أبو **بكر** بن خلف الأنصاري القرطبي يعرف بالمواق. "وكان حافظاً حافلاً في علم الفقه والخلاف ملازماً للتدريس تام النظر لا يدانيه أحد في ذلك" (*جذوة*، 106) له تنبهات ومقالات مفيدة سكن مدينة فاس ونال حظوة عند الموحدين فولوه قضاء مدينة فاس وبقي متولياً هذه الخطة إلى أن توفي في آخر شوال عام 599 / 11 يوليوز 1203. ودفن بداره المعروفة بفاس داخل درب ابن صافي.

م. ابن الآبار، *التكملة لكتاب الصلة*، نشر گوديرا، مدير، 1883 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ذ. حجر فاس، 1300، ج 1 : 224 ؛ أ. ابن القاضي، *جدوة*، الرباط، 1973، ج 1 : 106 والهامش 128 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الإلتباس*، مرقون، 2 : 90.

محمد حجي

**الصاكة**، أصل الكلمة إسباني (Saca) وهي تعني في القاموس الإسباني، الرسوم المفروضة على الصادرات والواردات. وإذا كنا لا ندري، بالضبط متى دخلت هذه الكلمة إلى القاموس المغربي فإن ما هو مؤكد أنها كانت متداولة، على الأقل، منذ القرن التاسع عشر. وقد كانت تتضمن معنيين اثنين :

أحدهما يرتبط بالرسوم المفروضة على الصادرات (الموسوقات)، في الوقت الذي كانت فيه كلمة التعشير تطلق على الرسوم المفروضة على الواردات. ولقد كان للبند السابع من الاتفاقية التجارية التي فرضتها بريطانيا على المغرب في العام 1856 أثره الحاسم في وضع حد للسيادة المغربية بتقنينه تسعيرة الرسوم الجمركية، صاكة وأعشاراً، وبالتالي تم تجريد البلد من سلاحه الأساسي في مقاومة التسرب الأوربي المتمثل في التشريع الجمركي.

والمعنى الثاني يتعلق باحتكار تجارة مادة الكيف ومادة التبغ فيما بعد. فغداة إحياء المخزن احتكاره لمادة الطرقة (الكيف أو القنب الهندي) في العام 1896 بعد الإلغاء الذي كان قد طالها سنة 1886، أشار ظهير عزيزي مؤرخ في 22 محرم 1314 / 3 يوليوز 1896 إلى مادة الطرقة بمصطلح الصاكة : "وفي ظنه رحمه الله [أي والده المولى الحسن] أن بسبب تسريح الصاكة وانعدامها تنعدم المفاسد المترتبة عليها وتنقطع مواد الضرر الحاصلة منها، فإذا به ازداد أمرها قوة واتسع خرق ضررها أكثر مما كان وبقي الناس على ما كانوا عليه من استعمالها وبيعها وشرائها، بل تفاحش التجاهر بها أكثر من قبل لأن محل بيعها كان مخصوصاً مقيداً وقت تحجير الصاكة فلما سرحت كثرت مواضع بيعها بغير قانون ولا قاعدة وتمخض الضرر [...] وقد اقتضى نظرنا الشريف [...] تحجير الصاكة كما كانت".

في هذا السياق اللغوي، وبعد فرض عقد الحماية على البلاد (30 مارس 1912) تأسست إدارة خاصة باحتكار التبغ سميت، بناء على الظهير المؤسس لها، بـ "إدارة صاكة التبغ".

وانطلاقاً من هذا التاريخ أصبح من الشائع في لغة التداول الشعبي ـ إلى يومنا هذا ـ أن تطلق كلمة الصاكة على حانوت بيع التبغ، على أساس أن صاحب الحانوت لا يجوز له أن يقوم ببيع هذه المادة إلا بعد حصوله على رخصة قانونية من شركة التبغ، مقابل واجب مادي، وأيضاً على أساس، أن نفس الشركة هي التي تزوده بالمادة دون غيرها من القنوات الأخرى، وإلا اعتبر ذلك مخالفة للقانون، وتجري عليه، في حالات الضبط، مقتضيات القانون المتعلق بالتهريب.

*وثائق* خ. ح ؛ *دورية الوثائق*، م. 2 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 يوسف بجاجا، *رحلة إلى كتامة وما جاورها عبر تضاريس المخدرات والتهريب*، أسبوعية الصحيفة، العدد 18، 18 ـ 24 ماي 2001، ص. 8 ـ 9.

عبد العزيز الخمليشي

**صَالحْ** ويكتب أيضاً الصَّالَحْ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çale .ومنهم : محمد بن العربي الصالح الذي كان يزاول خطة العدالة من سنة 1183 إلى 1214 (1770 ـ 1799).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1103.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **صالح**، أسرة تطوانية نبيلة، أصلها من جبال غمارة. كانوا من مشاهير أسرها وأعيانها، جمعوا بين العلم والجاه، وتوارثوا ذلك خلفاً عن سلف.

وأصلهم الأول ـ حسب ما يذكره سعيد أعراب ـ من الساقية الحمراء بالصحراء المغربية، انتقلوا قديماً إلى شمال المغرب فنزلوا أولاً قبيلة بني يطفت الصنهاجية القائمة بين قبائل الريف وغمارة، وكان سكناهم بها بقرية اسنادة قريباً من جزيرة باديس بالريف. ثم انتقلوا إلى قبيلة بني رزين إحدى قبائل غمارة التسع اليوم.

وهم ينتسبون إلى الولي الصالح سيدي إبراهيم بن صالح دفين قبيلة متيوة الريف، فهم ذريته. وقد اتخذوا مدشر أزاغر في بني رزين مستقراً لهم، فتأصلوا به، وأصبحوا من أعيانه ووجهائه، إذ نبغ منهم، ومنذ القرن الثاني عشر للهجرة، علماء وأدباء وقضاة وولاة ووجهاء. واتسعت هذه الوجاهة لتشمل قبيلة بني رزين أولاً، فقبائل غمارة ثانياً. وأصبح بيت بني صالح في غمارة كما يصفه الأستاذ أعراب "بين علم وجاه وفضل وصلاح وجهاد وكفاح"، أو كما ذكره الأستاذ عبد الله گنون "أهل علم وفضل".

ومنذ منتصف القرن الثاني عشر للهجرة أصبح لأسرة ابن صالح حضور في واجهتين :

الأولى : اعتبار وجاهة رجال هذه الأسرة، إذ أصبح منهم العلماء والأدباء والقضاة والأعيان وولاة الأمر والقيادة في قبيلة بني رزين، فغدوا في طليعة من يتوجه إليهم الخطاب من سلاطين المغرب وولاته، فتُكْتب لهم ظهائر التعيين والتمييز، وتبعث إليهم الرسائل على أنهم أصحاب الشأن، رؤساء قبيلة بني رزين وبقية غمارة، والممثلون لأفراد هذه القبيلة، فيكلفون بمهام القضاء أو الولاية، واستتباب الأمن في منطقة غمارة عامة، وبني رزين خاصة، ومدّ يد المساعدة لولاة القبائل المجاورة، كما يخاطبون في أمر جمع الناس، وتجييش الجيوش إن كان الأمر يستدعي ذلك. ويكثر عدد هؤلاء الرجال من أسرة ابن صالح، فهم حاضرون يمارسون المهام في كل زمن، منذ النصف الأول من القرن الثاني عشر (18 م) إلى عصرنا الحاضر.

ويورد المؤرخ محمد داود في *تاريخ تطوان* عدداً من هذه الخطابات والظهائر، اطلع عليها في خزانة أسرة ابن صالح بتطوان، وهي موجهة إلى أشخاص عديدين من هذه الأسرة، وفي أزمنة مختلفة.

الثانية : من خلال المكتبة الغنية التي توارثتها الأسرة خلفاً عن سلف. ومركزها الأصلي بقرية أزاغر من قبيلة بني رزين في غمارة موطن سكنى آل ابن صالح. وقد تكونت هذه المكتبة بطول المدة مع تتابع العلماء في هذه الأسرة.

استقرت هذه المكتبة أخيراً بيد الفقيه القائد اليزيد بن صالح باشا مدينتي شفشاون وتطوان قبل استقلال المغرب. ويتحدث عبد الله گنون عن هذه المكتبة فينقل عن صاحبها هذا أن مخطوطاتها نحو الألف. أكثرها بقي بالبادية بالمقر الأصلي، وأن ما نقله منها إلى تطوان، "إنما هو بعض نفائسها التي يخاف عليها من الضياع، كما حصل في كتاب *الذّخيرة* لابن بسام الذي سرق منه وبيع للمستشرق الفرنسي ليڤي بوفنصال. الذي باعه إلى الجامعة المصرية، وكانت من النسخ التي جرى عليها طبع الكتاب هناك". واستعرض گنون عند التعريف بهذه المكتبة خمسة عشر مخطوطاً من نوادرها.

ومن مخطوطات هذه المكتبة ما تحصل بطريق النّسخ، إذ كان أبناؤها يحرصون على تزويد مكتبتهم بنوادر الكتب التي يطلعون عليها، فينقلون منها بخطوطهم نسخاً يغنون بها رصيد مكتبتهم. ومن نوادر منتسخاتهم *ديوان الشاعر علي مصباح الزرويلي* (ت. 1130) إذ كانت المكتبة الصالحية تحتفظ بنسخة خطية كتبها الأديب محمد الطيب ابن صالح عام 1199 عن الأصل الذي كتبه الشاعر.

م. داود، *تاريخ تطوان*، المجلدات، 2 ـ 3 ـ 4، تطوان ؛ *ديوان علي مصباح الزرويلي*، تح. محمد الحسني، د.د. ع. مرقون، الرباط ؛ ع. الله گنون، *المكتبات بتطوان*، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 1، ج 1 : 1955 ؛ صلاح الدين المنجد، *تقرير بعثة معهد المخطوطات إلى المغرب*، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد 5، ج 1 : 1959 ؛ سعيد أعراب أبو عبد الله بن صالح الغماري، من *شعراء البادية* ؛ *جريدة الميثاق*، لسان رابطة علماء المغرب، طنجة ؛ مجلة مواسم، طنجة، عدد مزدوج، 7 ـ 8، شتاء 97 وربيع 1998.

عبد الله المرابط الترغي

ابن **صالح**، أسرة سلوية ـ رباطية، وتوجد في كثير من المناطق المغربية. ذكر التادلي في *التشوف* عبد الله بن صالح الذي كان مؤدبا وفقيها بمدينة سلا توفي سنة 570 حيث كان له كتاب قرآني. إلا أن المؤرخ الضعيف الرباطي يذكر عدداً ممن يحملون هذا النسب ؛ فمنهم العربي بن صالح الذي قتل في المعركة التي جرت بين المغاربة والأتراك أيام المولى إسماعيل سنة 1103 / 1692 وهي معركة المشارع على نهر ملوية التي انتصر فيها أتراك الجزائر على *قول المحقق*. ومنهم الشيخ محمد بن صالح الذي كان من أعيان قبيلة أنگاد وقتل سنة 1129 في إطار التطاحن الذي كان قائما بين بعض قواد القبائل أيام السلطان نفسه. ومنهم من ينتمي إلى فاس مثل مسعود بن صالح الذي يذكره الضعيف في حوادث

سنة 1173. ومنهم المنتمون إلى الشيخ المعطي ابن صالح المتوفى سنة 1180 دفين مدينة بجعد. ومنهم سعيد بن صالح الذي كان قائدا أيام السلطان مولاي سليمان وقد عينه قائداً للعبيد وأسكنه المهدية مع أسرته في صفر 1210. ولا يعلم الوقت الذي شهد استقرار الأسرة التي تحمل لقب ابن صالح بالرباط. كما أن أصحاب التراجم المهتمين بأهل الرباط وسلا لم يذكروا من هذه الأسرة فرداً واحداً اشتهر بعلم أو بما يميزه عن باقي الناس فلا نجد هذا الاسم عند أبي جندار أودينية أو الجراري أو عند محمد بن علي الدكالي ولا حتى في الأجزاء الخمسة من *إتحاف* ابن زيدان. فينفرد الضعيف على هذا الأساس بذكر آل بن صالح ممن أشير إليهم سابقا من غير أهل الرباط.

واليوم يقطن الرباط عدد ممن يحملون هذا اللقب ومنهم أحمد بن صالح المتوفى سنة 1393 / 1973. أخذ العلم عن العالم محمد المدني بن الحسني. عمل مدرسا بمدرسة الأحباس بديور الجامع بالرباط فكان يقرئ العربية والتربية الإسلامية. وتميز بمزاج حاد كما صرح بذلك أحد أعضاء عائلته. وكان من بين أعضاء المجلس العلمي بالرباط. وتوفي عن سن تفوق السبعين بقليل.

الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، مصطفى بوشعراء، ملحق تراجم سلوية جديدة في *الإتحاف الوجيز* ؛ *روايات شفوية*.

عبد الإله الفاسي

ابن **صالح**، **أحمد** (الحاج -) الغماري، وجه إليه الأمير مولاي العباس ابن السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام رسالة في شأن حرب تطوان عام 1276 / 1860، يستنفره فيها لجمع المجاهدين من رجال غمارة، والإسراع بالقدوم إلى ساحة الحرب بتطوان. وتاريخها شعبان 1276 / فبراير - مارس 1860.

توفي بعد عام 1276 / 1860.

ابن **صالح**، **البشير** بن **الحسين** مقاوم ولد سنة 1935 بإقليم الساقية الحمراء بجنوب المغرب.

دفعته أفكاره الوحدوية إلى الالتحاق بصفوف جيش التحرير المغربي البطل وذلك بتاريخ 1 . 5 . 1956 لغرض الدفاع عن الوحدة الترابية لوطنه الغالي فجاهد جهاد الوطني المخلص والمسلم والمؤمن في جميع المعارك والهجومات التي كان يقوم بها جيش التحرير المغربي وبالخصوص الفرقة التي كان منضويا تحتها والمعروفة بالمقاطعة الأولى التي كان يقودها السيد علال الخميسي. وعندما اتخذت قيادة جيش التحرير المغربي بالجنوب قرار التوجه إلى الحدود الموريطانية لخوض غمار الحرب هناك مع العدو الفرنسي تحمس الشهيد وتطوع. وعند المواجهة أبان عن روح عالية في التفاني والإخلاص، لكن الأجل وافاه على إثر إصابته بنيران الأعداء فسقط شهيداً في معركة تكل بالتراب الموريطاني وذلك بتاريخ 20 دجنبر 1956.

ابن **صالح**، **الحبيب**، مقاوم، ولد سنة 1924 باصبوية إقليم تزنيت. انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء المغربية بالمقاطعة الحادية عشر تحت قيادة الملالي، كان مثالا للمجاهد في سبيل الله، وواصل عمله بجيش التحرير بكل تفان وإخلاص، كما كان معروفا بغيرته الوطنية لاسترجاع ما تبقى من أرض الوطن من المستعمر الإسباني.

شارك في عدة معارك منها معركة أصدر بثلاثاء اصبوية التي استشهد فيها بتاريخ 16 . 11 . 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503400.

**صالح، رايس** بحري من أبرز الرياس الآفاقيين العاملين في أسطول سيدي محمد بن عبد الله، ومن المشهود لهم بالجرأة والإقدام حسب شهادة القنصل شونييه. باشر العمل ضمن طائفة رياس الرباط وسلا منذ سنة 1761، وسرعان ما برزت نجابته في ذلك، حيث ذكرته الوثائق الفرنسية من بين كبار الرياس 1767 بصفة أمير الأسطول المغربي. وبتلك الصفة كان يحظى بتقدير القناصل والسفراء الأجانب الذين كانوا يخطبون وده.

وبناء على مرتبته هذه كان السلطان يسند إليه أمر الاهتمام بشؤون الرياس والبحارة، وأمر الإشراف على تطبيق العقوبات في حق المخالفين منهم لتعليماته ؛ ومن ذلك إشرافه على متابعة قضية الرايس عمر، وعلى إطلاق سراح أسراه من الرعايا الفرنسيين استجابة لمطالب الدبلوماسي الفرنسي بوطونييه (Pothonnier).

وفي السنة ذاتها كان يقود سفينة سنبك كبيرة مجهزة ببطارية من أربعة وعشرين مدفعا، وبطاقم مؤلف من مائة وثلاثين رجلا، لما هاجم سفينة فرنسية تحت قيادة القبطان موتارد (Motard)، الذي قاوم بضراوة أودت بحياة أربعين من المهاجمين إلى أن اضطر إلى الاستسلام في النهاية، بعدما أوشكت سفينته على الغرق.

وفي سنة 1769 أسند إليه السلطان قيادة سفينة فرقاطة جديدة كبيرة مجهزة بثلاثين مدفعا، وبطاقم مؤلف من مائتي رجل، كان يقودها أيضاً سنين بعد ذلك. ويبدو أن نشاطه الملاحي قد ظل إلى ما بعد سنة 1784، انطلاقا من سلا.

الضعيف، ص. 169 - 70 ؛ وعبد الهادي العسري، *كناش في أمور البحر*، الخزانة العامة، الرباط، مخطوط، رقم 1409 د، ص. 10 و 38 - 39 ؛ والزياني، *الترجمانة*، ص. 165 ؛ وأيضاً :

L. Chenier, *Journal du Consulat Général de France à Maroc (1767 - 85)*, Publié par Charles Penz, Casablanca, 1943, p. 57, note 12-111, 75-58, 117-18 ; et *Recherches historiques sur les Maures et histoire du Maroc*, T. III, Paris, 1787, p. 242.

حسن أميلي

بنت **صالح، صفية** مقاومة، ولدت سنة 1921، ببني احمد ناحية خريبگة. شاركت في المظاهرة الصاخبة التي عرفتها مدينة خريبگة والنواحي تخليدا لثورة الملك والشعب.

وقد استشهدت وهي حاملة راية الوطن، يوم 20 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاومة رقم 524283.

**صالح،** بن **طريف البرغواطي**، ينتمي إلى أسرة زناتية، قد تكون أصولها القديمة يهودية تتصل بالنبي يعقوب بن إسحاق حسبما ذكرته رواية أبي صالح زمور البرغواطي.

نشأ صالح بن طريف ببرباط بالأندلس، "ودرس شيئا من النجوم وصلحت منزلته في علمها إلى أن قوم الكواكب وعمل التقاويم والمواليد، وأصاب في كثير من أحكامه" (ابن حوقل)، ولا شك أن اختياره للاعتزال وللتعمق في علم التنجيم كان يخفي ميولا باطنية ورغبة في التخلص من التأثير الصفري الخارجي الذي مال إليه بربر زناتة في هذه الفترة. وعند عودته شارك في ثورة البربر إلى جانب والده الذي كان أحد قواد ميسرة المدغري. وبعد انهزام قوات الصفرية في معركة الأصنام أمام العرب سنة 125 / 743 رجع أبوه طريف إلى منطقة تامسنا فأسس بها إمارة برغواطة، وظل على رأسها إلى وفاته سنة 131 / 748، فخلفه ابنه صالح على رأسها، وظل أميراً لهذه الإمارة إلى وفاته أيضاً سنة 178 / 794، ثم خلفه ابنه إلياس وتعاقبت سلالته على حكم الإمارة إلى حدود مجيء المرابطين.

أما ما يتعلق بالديانة البرغواطية التي تنسب لصالح بن طريف، فالأخبار متناقضة حول مؤسسها هل هو صالح هذا أم حفيده يونس بن إلياس بن صالح. وعلى كل حال فالمصادر تذكر بأن صالحا ادعى النبوة وادعى أنه صالح المؤمنين المذكور في القرآن، وكتب لقومه قرآنا بلغتهم، وذكر أن اسمه في اللسان العربي صالح وفي السرياني مالك وفي الفارسي عالم وفي البربري وار إياوارا، أي الذي ليس بعده أحد. وشرع نحلة جديدة خالفت التعاليم الإسلامية كلية وإن قلدتها بطريقة ساذجة في بعض الشعائر. ويلاحظ عليها الجمع بين المتناقضات بحيث بالغ صاحبها في التشدد في جوانب وبالغ في التساهل في جوانب أخرى؛ فمثلا بدل صيام شهر رمضان فرض صيام شهر رجب، وجعل خمس صلوات في اليوم ومثلها في الليلة، والتضحية في اليوم الحادي عشر من محرم، وحرم على أتباعه أكل رؤوس الحيوانات والبيض، وجعل أكل الدجاج مكروها. أما عقوبة السارق فقد جعلها القتل، وحرم التزوج بين قومه وبين المسلمين، وأدمج في نحلته مؤثرات أخرى بعيدة عن الشعائر الإسلامية. وبالمقابل نجده قد تساهل في أمور أخرى، فمثلا جعل للرجل الحق أن يتزوج أي عدد شاء من النساء، وجعل الطلاق ومراجعته بدون تحديد. وعموما فإن تصنيف هذه النحلة لا زال يثير الكثير من النقاشات بين من يرى أنها توليف غير متناسق لا يرتبط بأصل مذهبي محدد، وبين من يرى أنها نحلة خارجية، وبين من يرى أنها محاولة للعودة إلى أصول دينية أمازيغية قديمة متأثرة بالتعاليم اليهودية.

توفي صالح بن طريف دون أن يتمكن من إعلان نحلته، لذلك ظلت المصادر تصفه بالتقشف وبسلامة الدين. وكان قد علّم تعاليمه لابنه إلياس (178 - 228 / 824) وأوصاه ألاّ يبوح بشيء منها قبل أن تتقوى دولته، وأوصاه من الناحية السياسية أن يحالف أمير الأندلس الأموي. وتتضارب الروايات بعد ذلك حول مصير صالح، فبعضها ذكرت أنه غادر بلاد برغواطة في اتجاه المشرق، ووعد أنه سيعود إلى الظهور في دولة السابع من ملوك البرغواطيين مؤكدا أنه المهدي الأكبر الذي يظهر في آخر الزمان، وبعضها ذكرت أنه توفي سنة 178 / 794 بعد أن حكم 47 سنة، وهذا هو الراجح. وبما أن المصادر لا تذكر شيئا عن مدة حكم طريف وابنه صالح، فإن مرحلة تأسيس التجربة السياسية للبرغواطيين تظل مجهولة تماما.

وقد حافظ ابنه إلياس على أسرار النحلة البرغواطية فلم يظهر منها شيئا إلى أن قام ابنه يونس بن إلياس (228 - 271 / 842 - 882) بإعلان هذه النحلة ومحاولة فرضها بقوة السيف حيث قتل كل من لم يسلم بها، فكان ذلك سبب عداء طويل بيت أهل السنة وبين البرغواطيين انتهى بالقضاء على كيانها السياسي على يد المرابطين، وعلى ما تبقى من مؤثراتها على يد الموحدين.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، دي سلان، الجزائر، 1911؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، بيروت، 1979؛ ابن الخطيب، كتاب *إعلام الأعلام*، ج 2، مختار العبادي، م. إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، 1964؛ ابن خلدون، *تاريخ ابن خلدون*، بيروت، 1981.

محمد المغراوي

ابن **صالح، عبد الوهاب** بن موسى مقاوم ولد عام 1914 بدوار ادياكو اداي اصبويا أيت باعمران دائرة افني.

وقد انخرط في صفوف جيش التحرير منذ سنة 1957 بالمقاطعة الحادية عشرة تحت مسؤولية مبارك بن عبيد، فكان نشيطاً في عمله معروفاً بغيرته الوطنية. وقد شارك في عدة معارك ضد الجيش الإسباني، إلا أن القدر شاء أن توافيه المنية أثناء خوضه معركة "اصدر" التي دارت رحاها يوم 29 - 11 - 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503600.

بنت **صالح، لعزيزية** بنت بوعزة مقاومة ولدت بتاريخ 1910 بدوار العمامرة فرقة أولاد عبدون قبيلة أولاد بحر الصغار، بإقليم خريبگة.

كانت المثال الساطع للمرأة المغربية وبسالتها وقوتها فأعطت باستشهادها الدلالة الواضحة والمعنى الصريح عن الاستماتة والتضحية في سبيل الوطن وتحرره حيث إنها شاركت بفعالية نادرة في المظاهرة الصاخبة التي عرفتها مدينة خريبگة والنواحي بمناسبة ثورة الملك والشعب يوم 20 غشت سنة 1955. وعندما اشتدت الأمور عند الفرنسيين قرروا استعمال السلاح لردع الثوار وحملهم على السكون والهدوء فأطلقوا النار بطريقة عشوائية ووحشية فسقطت من بين الضحايا الذين سقطوا في ساحة الشرف والسمو حيث استشهدت بطلقات نارية وهي حاملة للعلم الوطني عاليا في نفس يوم الثورة أي 20 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 526273.

ابن **صالح، محمد التهامي** الغماري، وجّه إليه القائد أحمد بن علي الريفي رسالة بتاريخ 16 شعبان 1139 / 8 أبريل 1727 غداة وفاة السلطان المولى إسماعيل يخبره فيها ببيعة السلطان الجديد أحمد الذهبي، ويطلب منه مصاحبته للوفادة على السلطان المذكور. كما وجه إليه رسالة أخرى بتاريخ 7 شوال 1142 / 25 أبريل 1730، تتعلق باستتباب الأمن في غمارة، والأخذ بيد ولاة منطقة الريف ومعاونتهم، ثم التذكير بتقديم ما تعوّد على دفعه من حصة المال والخيل لتمويل جيش العبيد.

توفي في حدود عام 1170 / 1757.

م داود، *تاريخ تطوان*، المجلدات، 2 ـ 3 ـ 4، تطوان.

ابن **صالح، محمد الطيب** الفقيه الأديب الشاعر القاضي، وجه إليه والي تطوان وسائر الشمال القائد محمد السلاوي رسالة بتاريخ 11 رجب عام 1223 / 2 شتنبر 1808 في شأن الصلح بين القبائل، وبخاصة بين متيوة وغمارة.

توفي عام 1227 / 1812.

م داود، *تاريخ تطوان*، المجلدات، 2 ـ 3 ـ 4، تطوان.

محمد المرابط الترغي

**صالح،** (أبو **محمد** -) بن **واندلوس** الروداني الأسود الملقب سيدي وسيدي، يعد كتاب *التشوف* المصدر الوحيد لترجمة هذا الرجل الصالح المدفون في مدينة تارودانت إلى جوار مسجد يحمل اللقب الذي اشتهر به "سيدي وسيدي".

وقد ركز هذا المصدر شأن المؤلفات المعنية بالخوارق والكرامات على ذكر أخبار أبي محمد صالح الدالة على صلاحه كالإخبار بالغيب والخضوع لإرادة الله أو سلب.. دون الإشارة إلى معارفه وشيوخه في الدارسة والتعلم ودون ضبط تاريخ ميلاده ووفاته.

ولد أبو محمد صالح أوائل القرن السادس للهجرة في أسرة ذات أصول أندلسية كما يدل على ذلك لقب أبيه واندلوس ـ ولازال درب بالقرب من ضريحه يحمل اسم درب إينْدلاس ـ إشارة إلى الأندلسيين الذين استوطنوا تارودانت في مرحلة غير محددة تاريخيا، وكان والده ذا مال ويسار يشتغل حسب ما ورد عند ابن الزيات ـ شأن كثير من سكان تارودانت في ذلك العهد ـ بعصر قصب السكر وتحويله إلى شراب "أنْزير" المسكر.

ويظهر مما رواه صاحب *التشوف* عن نشأة أبي محمد صالح أمران اثنان :

الأول : كونه حصل بعض المعارف الفقهية في مدينته انطلاقا من قيامه بكسر خوابي المسكر لأهله، وربما لغيرهم من سكان تارودانت، مما أدى إلى سجن أهله إياه مدة سنين. ثم رفضه البقاء بينهم وهو يتجرون في المسكر وخروجه للحج. وهذا يبرز تشبع أبي محمد صالح بتعاليم حركة التطهير الأخلاقي والمذهبي التي أطلقها المهدي بن تومرت لمحاربة كثير من الظواهر الاجتماعية والأخلاقية الشائعة في عهد المرابطين (سيدي وسيدي أبو محمد صالح بن واندلوس صالح تارودانت ـ أحمد بوزيد الكنساني، ص. 18 ـ 19).

الثاني : كونه تلقى التربية الصوفية في حداثته يدل على ذلك سلوكه مع رفيقه للحج من أبناء بلده لما حاول بيعه في كل بلد دخلا إليه، قال عن ذلك : "توجهت إلى المشرق، فصحبني رجل من أهل بلدي، فكلما دخلنا بلدا رام بيعي وأدخلني في السوق فلم يجد من يشتريني وأنا لا أنكر عليه شيئا إلى أن رجعت معه إلى السوس" (*التشوف*، ص. 347) وفي هذا السلوك دلالة على اعتصامه بمبدأ الاستسلام لقضاء الله أو سلب الإرادة كما يسميها المتصوفة.

خرج أبو محمد صالح من تارودانت للحج وعندما عاد استقر بمراكش ثم في أغمات وريكة في صحبة الزهاد وكان على مذهب أبي العباس السبتي في الإنفاق والجود يدل على ذلك ما روي عنه من أنه لم يكن يمسك شيئاً مما يفتح له فيه (*التشوف*، 347) وكون منزله بمراكش قبلة المساكين (*التشوف*، ص. 349) وكونه صاحب بعض أتباع السبتي ومنهم خادمه علي بن أحمد الصنهاجي (*التشوف*، ص. 348).

ويقدم لنا ابن الزيات وصفا موجزا لحاله يدل على مظهره ومخبره، وقد لقيه بمراكش قال : "أدركت أنا بمراكش أبا محمد صالح ورأيته، فكان يأتي إلي فيكلمني بكلام لا أفهمه وإذا رآه من لا يعرفه، يقول : هذا مجنون" (*التشوف*، ص. 349).

فهذا الوصف يبرز سلوك أبي محمد صالح مسلك الزهاد المجاذيب المتواضعين في أخلاقهم ومظهرهم وملبسهم المعتنين بأمر المسلمين، وبما ينفع الناس خاصة المساكين منهم بالتصدق عليهم ومواساتهم في مصائبهم، ولا أدل على ذلك من الحكايات والكرامات التي ساقها ابن الزيات والتي تدور حول مواساة المساكين والسعي في إصلاح أحوالهم.

ومما يدل على مكانة أبي محمد صالح وصف ابن الزيات له بأنه كان من الأفراد. إضافة إلى مصاحبته أبا يعقوب يوسف بن عيسى بن عمران وهو أحد رجال مراكش السبعة (ت. 593) وجماعة من الصلحاء كأحمد الوراق نزيل أزمور وابنه إبراهيم نزيل مراكش ومخلوف بن محمد الأنصاري ويوسف بن عيسى القيسي وعبد الوهاب الغازي .. ولا يبعد أن يكون صاحب أبا العباس السبتي (ت. 601) ولو أن المصادر لم تشر إلى أي اتصال بينهما رغم وجوده بمراكش معامدة من الزمن. (*التشوف*، ص. 348 - 349 ؛ *الأعلام* 1 : 241 العباس بن إبراهيم المراكشي).

عاد أبو محمد صالح في آخر حياته إلى تارودانت بعد وفاة والده الذي ترك له أموالا وأملاكا كثيرة تصدق بها كلها على المساكين ولم يبق شيئاً لنفسه سيراً على المذهب الذي ارتضاه لحياته، حتى توفي بعد سنة 590 ودفن بتارودانت في مسجد بالحي الذي يحمل اسمه إلى اليوم. ولا تذكر المصادر ذريته إلا ما كان من إشارة محمد المختار السوسي إلى أن آل توبالت الصحراوية بطرفاية يرفعون نسبهم إليه (*خلال جزولة*، 4 : 192).

أكسب خلق الجود أبا محمد صالح مكانة متميزة في قلوب معاصريه تبرزها الكرامات التي نسجت حوله، والتقدير الذي حظي به بين أهل بلده الذين أقاموا عليه ضريحا بعد وفاته، ورووا الحكايات والأشعار عن سمو مكانته وجلال قدره حتى صار أشهر صلحاء المدينة على مر الزمان. (أحمد بوزيد الكنساني - سيدي وسيدي، ص. 35).

ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1404 - 1984 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، تطوان، (د. ت) ؛ أ. بوزيد الكنساني، *سيدي وسيدي، أبو محمد صالح بن واندالوس*، صالح تارودانت، تارودانت، سلسلة أعلام سوس، 1423 - 2002.

المهدي السعيدي

**صالح،** (أبو **محمد** -) بن ينصارن الحاج يحيى الماگري الدكالي : نسب أسرته في بني نصر الماگريين، التي استقرت بأسفي أواسط القرن الخامس (11 م). ومع أن أصل الشيخ بربري، فقد حاول صاحب *المنهاج الواضح*، إضفاء صبغة النسب العربي القرشي عليه. (1 : 53) وعن مكانة بيته، قال الكانوني : "هذا البيت من أعظم البيوتات قدرا تعدد رجاله وفضلاؤه" (الكانوني، *جواهر الكمال*، 4).

وولد الشيخ أبو محمد صالح بأسفي سنة 550 / 1150 - 1151. وبها توفي في 25 ذي الحجة 631 / 1234. ودفن بمقر الرباط الذي أقامه بها. وقد عاش إحدى وثمانين سنة، شكلت جزءاً مهما من عصر الدولة الموحدية، فعاصر تسعة من ملوكها : من عبد المومن ابن علي 558 / 1162، إلى عبد الواحد الرشيد 640 / 1242.

أما معاصروه من العلماء وشيوخ التصوف، فهم كثر مثل :

ابن حرزهم الفاسي (559 / 1163)، أبي يعزى يلنور (561 / 1165)، أبي القاسم السهيلي (581 / 1185)، أبي مدين (559 / 1163)، عبد السلام بن مشيش (629 / 1225)، أبي الحسن الشاذلي (656 / 1258)

تميزت الفترة الأولى من طفولته، بدراسة مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن، وبعض المتون في اللغة والأدب والحديث والفقه، وأصول الدين، في كتاتيب ومساجد مسقط رأسه. ثم أصبح يتلقى العلم وهو في بداية الشباب، على القطب أبي عبد الله أمغار في رباط شاكر (الأزموري، *بهجة الناظرين*). ثم دفعته رغبته وتعطشه إلى المزيد من المعرفة والتحصيل فهاجر إلى الأسكندرية. وبمصر، كان زواجه الأول من إمرأة اسمها تَاكُولِي. ورزق منها أربعة أشقاء هم : محمد وأحمد وعبد الله ويحيى. وعندما توفيت تزوج البنت التي ربَّتها امرأته ؛ ورزق منها عيسى وعبد العزيز.

وأثناء إقامته بأرض الكنانة، قام بدراسة التفسير والحديث والفقه. لكنه كان يميل أكثر إلى التصوف، ويحاول الاتصال بأقطابه. ومن أكبر شيوخه في الفقه والتصوف : ابن عوف "فإنه لازمه دهرا طويلا، واقتبس منه علما جليلا" (*المنهاج*، 1 : 57) ؛ وأبو عمران موسى بن الهارون الماجري، قرأ عليه *تهذيب المدونة* ؛ ولازمه عشرين سنة. وأبي محمد عبد الرزاق الجزولي. ويعد أبو مدين شعيب من أكبر شيوخه في التصوف أيضاً (*المنهاج*، 1 : 58) وكان أبو محمد صالح قد التقى به في مدينة بجاية (ابن قنفذ، *الأنس*، 31 - 62) وللمزيد من النهل من مثل هذه العلوم والاقتداء بشيوخها رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ليتنقل بعد ذلك، بين مراكز العراق والشام. وكلها كانت تعج بالأتقياء وشيوخ التصوف. فالتقى ببعضهم مثل : شهاب الدين السهروردي (ت. 632 / 1234) صاحب كتاب *عوارف المعارف*، مقيماً بكل منطقة أو ناحية تساعده على النهل من موردها الروحي الإسلامي العذب. وقد مكنته رحلته الطويلة إلى الشرق من رصد منهج أقطاب العلم والتصوف في الممارسة الصوفية. وفي طريق عودته إلى أسفي، حل بتونس، وأقام بها فترة مكنته من الاتصال بشيوخ العلم والصلحاء فيها. مثل : أبي يوسف بن يعقوب بن ثابت، وأبي محمد عبد العزيز المهدي. (محمد مخلوف : *شجرة النور الزكية*، 169) كما قام بإلقاء دروس الوعظ والتوجيه الصوفي على بعض طلابها، ومن المحتمل أن يكون أبو الحسن الشاذلي من بينهم وبذلك لمع نجمه، وطارت شهرته في الآفاق، خاصة بعد أن أصبح يتوفر على ثقافة دينية واسعة لم تخرج عن إطار الثقافة المالكية التي تميز بها عصره ؛ غير أن انشغاله انحصر أكثر في *التوصي والتصوف*، المطبوع بتصوف أبي طالب المكي، والقشيري، والغزالي ؛ بدليل عنايته باستنساخ بعض الكتب مثل :

- *المفصل الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى*.
- *بداية الهداية للغزالي*.

- *الرسالة القشيرية*.

*فرائض الصلاة* للصقلي (ابن قنفذ، *الأنس*، 63).

لم يقتصر أبو محمد صالح على عملية استنساخ هذه الكتب بل حاول اقتحام مجال التأليف الصوفي والمشاركة فيه. فصنف كتاب *تلقين المريدين* وهو عبارة عما جمعه ونقله الشيخ من كتب التصوف (البادسي، *المقصد*، 102).

وانطلاقا من ذلك، فإن ما يمكن استنتاجه هو أن تكوين وثقافة أبي محمد صالح لم يضيفا جديدا لما كان شائعا من أنواع العلوم في عصره؛ إلا أنه بالمقابل استوعب تلك الثقافة استيعابا كبيراً وبحرص شديد، جعله يتطلع دائماً إلى المزيد منها فأصبح "عالما عاملاً متورعا" (*المنهاج*، 1 : 63) كما قام بتحصيل مسؤولية التدريس والتلقين، خاصة في أسفي وفي المراكز التي سبق أن حل بها. وكان ذلك في إطار إقامة وإنجاح مشروعه الصوفي المتمثل في تأسيس طائفته وتبني مبادئها فأصبح له اتباع منتشرون في جل مراكز مصر واشتهرت مكانته فيها لتعم كذلك مدنا إسلامية، كمكة والمدينة ومدن العراق وبعض مدن الشام وإفريقية، إضافة إلى الجزائر والمغرب الذي يبقى هو المجال الرئيسي الذي انصب فيه نشاط طائفته الماجرية التي اشتهرت أيضاً بتأسيس ركب الحاج المغربي (محمد المنوني، *مدرسة أبي محمد صالح*، 198).

أ. بن إبرهيم الماجري، *المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح*، تح. عبد السلام السعيدي، د. د. ع. كلية الآداب، الرباط، 1993؛ عبد الحق بن إسماعيل البادسي، *المقصد الشريف* تح. أحمد سعيد أعراب، الرباط، 1982؛ أحمد ابن قنفذ، *أنس الفقير*، تح. محمد الفاسي وآدولف فور، الرباط، 1965؛ م. بن عبد العظيم الأزموري، *بهجة الناظرين وأنس الحاضرين ووسيلة رب العالمين في مناقب رجال أمغار الصالحين*، مخطوط، خ. ع 1343؛ م. بن الكانوني، جواهر الكمال في *تراجم الرجال*، الدار البيضاء، 1356؛ م. المخلوف، *شجرة النور الزكية* د. ت؛ م. المنوني، معطيات مدرسة أبي محمد صالح نموذج؛ م. القبلي، *قراءة في زمن أبي محمد صالح* ضمن أعمال "*أبي محمد صالح المناقب والتاريخ*".

عبد السلام السعيدي

ابن **صالح مختاري، محمد**، ولد سنة 1926 بجماعة تاكمة بقيادة كلميم وسط عائلة متواضعة الحال وابتدأ حياته الوطنية ضمن صفوف حزب الاستقلال في بداية الخمسينيات، كما انخرط في المقاومة المسلحة السرية سنة 1953 وشارك في المظاهرة الشعبية بتاريخ 17 غشت 1953 وتعرض لمحاولات الاغتيال من السلطات الاستعمارية عدة مرات أصيب في إحداها برصاصة في وجهه فنقل على إثرها إلى المستشفى الذي فر منه إلى إقليم الناظور.

وبقي هناك يجري الاتصالات مع بعض أفراد المقاومة إلى أن انضم إلى جيش التحرير سنة 1955.

وإثر الهجوم على ثكنة الجيش الفرنسي بتافوغالت استشهد بعد اصابته برصاص العدو في يوم 3 أكتوبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 401199.

ابن **صالح، المعطي**، ولد سنة 1930 بوادي زم شارك في ظاهرة 20 غشت من سنة 1955 وهو اليوم الذي يعد بحق حدثا بارزاً ساهم بشكل ملحوظ في الدفع بعجلة الاستقلال إلى الامام، إذ خرجت فيه حشود جماهيرية من جميع الفئات الشعبية ومن كل حدب وصوب إلى شوارع المدينة لكي يتظاهروا وأملهم في عودة ملكهم المحبوب من المنفى إلى عرش أجداده والحصول على استقلال بلادهم، لكن قوات الظلم والعدوان لم تتأخر في استعمال نيرانها وأسلحتها الفتاكة ضد المتظاهرين فسقط العديد في الشوارع والأزقة التي احتضنت دمائهم الزكية فداء للحرية، فكان الشهيد المعطي بن صالح من هؤلاء الضحايا الذين باستشهادهم عجلوا بالاستقلال والخلاص وقد كان استشهاده في هذا اليوم العظيم بشارع النصر بمدينة وادي زم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 526430.

ابن **صالح، اليزيد** الغماري التطواني، باشا مدينة تطوان وجه إليه الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ونائبه أخوه السيد مَحمد الخطابي رسالة أثناء االثورة يعينانه فيها قائداً على قبيلة بني رزين، وأخرى في شأن قيادة جيوش غمارة أثناء حرب الريف التحريرية فيما بين سنوات 1341 و1344 / 1923 - 1926.

وقد كانت المكتبة الصالحية الغنية - ما تزال محفوظة عند السيد اليزيد بن صالح باشا مدينة تطوان في عهد الاستعمار الإسباني. إلا أن مصير هذه المكتبة يبقى مجهولا بعد وفاة صاحبها. والمعروف المتداول أن كثيراً من كتب هذه المكتبة اليوم قد تفرق شذر مذر، فلا يعرف لها طريق ولطالما سألت أبناء آخر المتملكين لهذه المكتبة عن كتبها ومخطوطاتها فكانت الإجابة بأن كل شيء ضاع، وأنه لم يبق منها شيء يمكن أن يلتفت إليه.

توفي في حدود سنة 1360 / 1941.

م. داود، *تاريخ تطوان*، المجلدات، 2. 3. 4، تطوان؛ *ديوان علي مصباح الزرويلي*، تح. محمد الحسني، د.د. ع. مرقون، الرباط؛

ع. الله گنون، *المكتبات بتطوان*، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 1، ج 1 : 1955 ؛ صلاح الدين المنجد، *تقرير بعثة معهد المخطوطات إلى المغرب*، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد 5، ج 1 : 1959 ؛ سعيد أعراب أبو عبد الله بن صالح الغماري، من *شعراء البادية* ؛ جريدة *الميثاق*، لسان رابطة علماء المغرب، طنجة ؛ مجلة مواسم، طنجة، عدد مزدوج، 7 ـ 8، شتاء 97 وربيع 1998.

عبد الله المرابط الترغي

**الصالحة** (جنان –). كانت أرض مدينة مراكش عند تأسيسها قاحلة يطير الطائر فوقها فيسقط من العطش والرمضاء، كما قال المؤرخون، وقد اختارها المرابطون لتشبهها بالمنطقة التي جاؤوا منها، إلا أنهم ـ بعد بنائها والاستقرار بها ـ استنبطوا المياه بواسطة أسلوب الخطارات الذي ابتكره ونفذه عبيد الله بن يونس.

وطور الموحدون أساليب توفير المياه بجره من الأطلس الكبير بواسطة السواقي، وحفر الآبار، وبناء الصهاريج والخزانات فأصبحت المدينة خضراء، تزخر بالعرصات والجنانات وتنتج أنواع الخضر والفواكه.

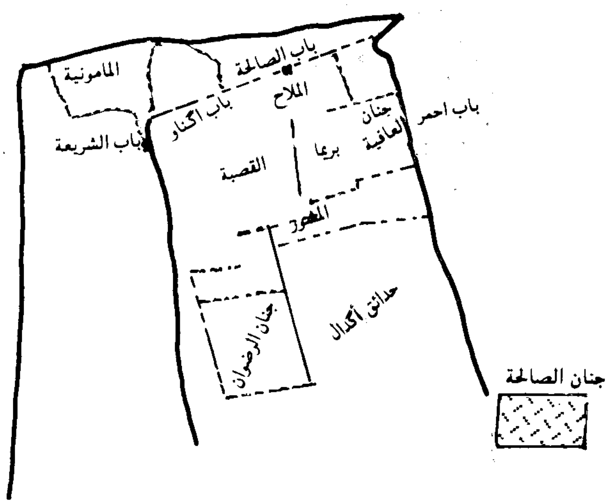


واشتهر كثير من هذه العرصات على الصعيد الوطني كعرصات أگدال، والمنارة، والمامونية، والسملالية، وعرصة الحارثي، وعرصة مولاي عبد السلام، وعرصة موسى.

ونهضت كذلك بأدوار ثقافية وترفيهية واجتماعية ... (*معجم عراصي مدينة مراكش*، حسن جلاب).

ويعتبر جنان الصالحة أقدم عرصات مدينة مراكش، إذ يعود غرسه إلى العصر المرابطي، ورغم تردد اسمه في كتب التاريخ فإن المؤرخين لم يقدموا لنا معلومات ضافية عما كان مغروسا به، أو عن مقياسه طولاً وعرضاً.

يقع على السور الجنوبي المرابطي لمراكش، ويؤدي إليه الباب الذي اتخذ اسم الجنان وهو باب الصالحة.

ذكره البيذق والعمري وابن أبي زرع، ووردت الإشارة إليه وتحديد موقعه في تصميم Mathan سنة 1585 (Deverdun, 125)، وشهد هذا الباب أحداثا مهمة، سواء عند دخول عبد المؤمن إلى المدينة (*أخبار المهدي*، 65) أو عند دخول أبي دبوس إلى مراكش ضحى يوم السبت 22 محرم 665 / 1266 أثناء مواجهته للمرتضى الموحدي على حين غفلة من أهلها (*الاستقصا*، 2 : 257 و*الاعلام*، 3 : 13) ونفذ الاعدام في بعض أنصار المرتضى خارج هذا الباب (Deverdun, 160).

وكما هو الشأن بالنسبة لوظائف الأبواب بمراكش، كانت خارج باب الصالحة مقبرة، ومن مشاهير الشخصيات المدفونة بها :

ـ ابن عفير الأموي المولود سنة 593 / 1196 بمراكش والمتوفى بها سنة 667 / 1268 (الذيل و*التكملة*، 6 : 310 و*الاعلام*، 5 : 367).

ـ أبو علي عمر بن كامل الفخار المتوفى سنة 592 / 1196 (*التشوف*، 306) وحسب اجتهاد دوفردان بناء على ماوقف عليه من وثائق وخرائط، فإن موقع هذا الباب يلتقي مع الجدار الذي يمر بالشارع الرئيسي للملاح، (Deverdun, 113) وكان أحد الأبواب المؤدية من المشور البراني إلى حي بريما يدعى باب الصالحة نسبة إلى العرصة المذكورة.

وقد تم هدم هذا الباب على عهد الموحدين إثر أحداث حدائق أگدال وتشييد القصبة، وكان هذا التوسيع على حساب جنان الصالحة : "ثم أن الخليفة عبد المؤمن غرس خارج مراكش المسرة التي بظاهر جنان الصالحة، وهو بستان طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها، فيه كل فاكهة تشتهيها الأنفس، وجلب إليه الماء من أغمات واستنبط له عيونا كثيرة..." (*الحلل الموشية*، 145 ؛ *الاعلام*، 1 : 78 و85).

وعند ابن أبي زرع إشارة إلى النهر الذي جلبه المنصور الموحدي من الأطلس الكبير سنة 585 / 1188، يخترق قصوره، ثم يمر على السقائف والمرجات، ثم يحدق بالجامع ويمر بالأسواق قدر ميل إلى أن يخرج على باب الصالحة من أبواب مراكش (*الأنيس المطرب*، 154 ؛ *ورقات عن الحضارة المرينية*، 562).

ويبدو أنه شيد صهاريج يجمع فيها ماء هذا النهر الكبير لتنظيم الاستفادة منه، قال عنها دوفردان بانها تظهر من الجو وسط مقبرة باب أغمات (Deverdun, 88).

وقد سمي حي من أحياء الملاح بحي الصالحة جرفه فيضان سنة 1639 الذي شهدته مدينة مراكش.

وبهذا فان حدائق أكدال قد استوعبت القسط الأكبر من جنان الصالحة.

وقد اشار الناصري إلى مكانة جنان الصالحة في الذاكرة الشعبية لسكان المدينة إذ كان أطفالهم يتغنون بأغان تخلده

من مثل قولهم :

آجرادة مالْحـــة فينْ بتّ سارحْـة
فـي جْنان الصالحـة

أبو بكر بن علي الصنهاجي، *البيذق*، *أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين*، ط. دار المنصور، الرباط، 1971 ؛ أحمد بن خالد الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، ط. دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954 ؛ عباس بن إبراهيم المراكشي، *الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام*، تح. عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، 1974 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، ط. دار المنصور، 1973 ؛ يوسف بن يحيى التادلي ابن الزيات، *التشوف إلى رجال التصوف*، تح. أحمد التوفيق، ط. الدار البيضاء، 1984؛ مجهول، *الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية*، تح. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط. الدار البيضاء، 1979 ؛ حسن جلاب، *معجم عراصي مدينة مراكش*، ط. مراكش، 2002 ؛ محمد المنوني، *ورقات عن الحضارة المرينية*، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1979.

G. Deverdun, *Marrakech dès origines à 1912*, Rabat, 1956.

حسن جلاب

**الصالحي، الحسين** بن إبراهيم السوسي، أديب شاعر ناثر، ولد سنة 1313 ودرس في مسقط رأسه، وفي المدرسة الإلغية ثم المدرسة الإيمورية من مدارس سوس العلمية العتيقة. وأشهر شيوخه خالد البشير بن أبي بكر الأغوديدي، والطاهر الإفراني.

أورد له في *المعسول* جملة من المراسلات النثرية والقصائد والمقطعات، إلا أن المنية اخترمه في مقتبل العمر. فمات شهيدا بالوباء في شهر ذي الحجة عام 1336 / شتنبر - أكتوبر 1918.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1961، ج. 2 : 75-80 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج.8 : 2903.

محمد حجي

**الصالحي، محمد** من الرياس المغاربة العاملين في أسطول سيدي محمد بن عبد الله، ذكره هوست يقود سفينة سنبك سنة 1179 / 1766 مجهزة بطاقم مؤلف من مائة وستة وعشرين رجلا وبطارية مكونة من ست عشرة قطعة مدفعية.

وقد أشار القنصل البرتغالي كولاصو إلى استمراريته في المهنة خلال سنوات 1773 و1774 و 1775 في مراسي الشمال (طنجة والعرائش) على متن سفينة من نوع فرقاطة مجهزة ببطارية مهمة (34 مدفعا)، ومشرفا على طاقم كبير (250 رجلا)، قبل أن يتراجع موقعه في سنة 1778 بقيادته لسنبك صغير مجهز بعشرة مدافع وبطاقم لا يتعدى أربعين رجلا.

مجهول، *الرئاسة البحرية ورجال القوة الجهادية في المغرب*، الخزانة العامة، الرباط، ميكروفيلم، رقم 43، ص. 1 - 2 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص. 260 وأيضاً.

Miège, *Course et marine marocaines : 1767 - 1778*, *Maroc-Europe*, n° 11, 1997-98.

حسن أميلي

**الصالحي، المدني** بن علي بن عبد الله (1312 - 1365) هو ثالث ثلاثة قامت عليهم المدرسة الإلغية، أبوه علي بن عبد الله الإلغي، وعمه مؤسس المدرسة محمد بن عبد الله.

ولد عام 1312 / بقرية دوكادير وأمه نفيسة بنت الشيخ المدني الناصري. ونشأ في هذه الأسرة العلمية المتدينة، ولما وصل سن التعليم ألحقه أبوه، كإخوته، بالكُتَّاب لتعلم القراءة والكتابة وحفظ كتاب الله على يد أساتذة منهم أحمد أخساي، وإبراهيم بن الحاج القاسمي البعقيلي، ومحمد بن محمد الأنامري السملالي.

وبعد حفظ القرآن الكريم انتقل إلى تحصيل العلوم فجلس في المدرسة الإلغية إلى الأستاذ أبي القاسم بن مسعود التاجرمونتي، ثم الأستاذ أحمد بن صالح التانكرتي الإفراني بالمدرسة الإيمورية، فلازمه عدة سنوات حصل فيها الفنون المتداولة يومئذ في المدارس العتيقة من نحو ولغة وفقه وأدب وفرائض وحساب وسير وحديث وتفسير، وكان هذا الأستاذ يعنى به عناية خاصة فيطالع معه كتب الأدب والتاريخ ويناقشه فيها، ويوضح له ما غمض منها، فكان لهذه العناية الخاصة من قبل الأستاذ أثر بالغ في نبوغ التلميذ وشفوفه.

وإضافة إلى دراسته المنتظمة على يد أستاذه التاجرمونتي، كان كُلّما عاد إلى منزله أيام العواشر ينخرط في المجالس العلمية والأدبية التي يقيمها أبوه، فيعطيه كتابا أدبيا ليتلوه على الحاضرين، ثم يناقشه في المسائل اللغوية والنحوية والصرفية...

وقد انتفع بهذه المجالس انتفاعا عظيما زاد من تحصيله ومعارفه.

وبعد أن ملأ جعبته من العلوم والمعارف، أرسله والده للمشارطة في مدرسة سيدي علي أوسعيد بالأخصاص سنة 1340.

ولما توفي والده سنة 1347 خلفه على المدرسة بوصية منه، فأراد أن يحل محل أبيه في العلم والرئاسة والجهاد، والناس يومئذ قد تحلقوا حول آل الهيبة، لكن ذلك لم يتحقق للمترجم.

قال عنه أخوه الطاهر : "إن سيدي المدني دراسته أفضل دراسة، فإنه يستفرغ فيها وسعه، وتظهر سعة أخلاقه في "التقرير" حتى إنه فريد بين أقرانه في الدراسة، ولو كان له مراعاة لملأ مركزه كما ملأه أبوه قبله لما له من سعة معارف وحسن إدراك" (*المعسول*، 2 : 131).

ولما احتلت تلك الربوع نهائيا سنة 1352 فضل العزلة والانزواء، ولزم مدرسته وتلاميذه، وتدريسه بدأ يخفت عما كان عليه من قبل، وقد حاول أن يكون له شأن عند أصحاب السلطة بتافراوت، فسافر إلى الرباط بظهائر الاحترام والتوقير التي ورثها عن آبائه، فاستطاع أن يرجع بظهير من محمد الخامس، بيد أنه لم يوصله إلى مراده من الرئاسة،

فقبع في مدرسته، إلى أن أدركته منيته في جمادى الثانية عام 1365.

ترك المترجم آثارا أدبية كثيرة تجلت في قصائده التي يقولها في كل مناسبة، ورسائله التي يتبادلها مع شيوخه ونظرائه من علماء سوس وأدبائها، وقد أورد محمد المختار السوسي طرفا منها في *الإلغيات* والجزء الثاني من المعسول.

ذلك هو العلامة ابن العلامة الذي أثنى على سيرته غير واحد من معارفه وأصدقائه وتلاميذه الذين ذكر منهم المختار السوسي 77 فرداً. قال فيه المؤرخ ابن الحبيب السكرادي : كان "طيب الأخلاق، حسن الأدب، حافظا لغريب اللغة وغوامضها، فنه الأدب واللغة العربية، حفاظاً لقصائد أهل العصر ونوادرهم، لا يمل مجلسه، وهو إلى الآن لزم بلده وعمارة مدرسته بأنواع الأنصبة، ولم يقصر جهده في نشر العلم وتلقينه لطالبه". (*المعسول*، 2 : 153).

*المعسول*، الجزء 2 ؛ *الإلغيات*.

محمد الحاتمي

**صَالَشْ** ويكتب أيضاً شالص، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Aslas ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Sales ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1106.

**صَالَصْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Salas وهو اسم مدينة إسبانية.

**صَالَصْ** الحاج محمد بن علي من أعيان تطوان الذين كانت تقبل شهادتهم أمام محكمة القاضي بمثابة شهادة العدول سنة 1249 (1833).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1105.

محمد ابن عزوز حكيم

**صَاي**، لوي جان باتيست (Louis Jean-Baptiste Say) ضابط في البحرية الفرنسية، (نانط 1852 - مرسى صاي بغرب الجزائر 1915)، كان من أنصار التوسع الفرنسي انطلاقا من الجزائر نحو المغرب ونحو إفريقيا السوداء، فانساق مع أهوائه التوسعية سنة 1875 بعد أن طلب إعفاءه من الخدمة العسكرية بهدف استكشاف مناطق جديدة وضمها لدائرة النفوذ الفرنسي بشمال إفريقيا. وفي هذا الصدد قام بعد رحلات استكشافية نحو منطقة الهوكار جنوب الجزائر (1875-1877). وفي سنة 1886 أصدر كتيّبا عن السياسة التوسعية الفرنسية، وفي ضوئه قرر القيام برحلة استكشافية لشرق المغرب خلال السنة نفسها، حيث زار جبال بني إزناسن وسهل تريفة وقصبة السعيدية ووادي ملوية السفلى، وكتب تقريراً مفصلا عن رحلته، ورفعه إلى أعلى السلطات ببلاده، وكان يسعى إلى إقناع الحكومة العامة للجزائر على وجه الخصوص لاحتلال الشريط الساحلي المغربي الواقع بين وادي ملوية ووادي كيس.

وفي سنة 1900 استقر به المطاف بشرق وادي كيس، بعد أن استحوذ على الأراضي المجاورة للساحل، وكانت جلها في ملكية قبائل من بني إزناسن (بني منگوش)، وتبنّى مشروعا توسعيا يهدف إلى إحداث مرسى بموقع رأس الماء بتراب قبيلة كبدانة على الضفة اليسرى لوادي ملوية، ليكون محطة تجارية لترويج السلع الفرنسية تمهيدا لبسط النفوذ الفرنسي على شرق المغرب، فنظّم حملة دعائية كبرى لإنجاح مشروعه مدعوما بجمعيات علمية وباللوبي الاستعماري بغرب الجزائر، إلا أن الحكومة الفرنسية عارضت المشروع مخافة إثارة مشاكل مع إسبانيا.

فتراجع صاي عن مشروعه الأصلي وأقام محطة تجارية شرق وادي كيس في موقع يبعد عن خط الحدود بحوالي 1500، حيث أقام بعض التجهيزات لاستقبال السفن الصغيرة، وصار الموقع آنذاك ينعت باسم عجرود كيس، وطغى عليه في نهاية المطاف اسم مؤسسه، فصار يُدعى مرسى صاي. وأصبحت هذه المحطة المستحدثة سوقا لترويج السلع الفرنسية نحو بني إزناسن وسهل تريفة، وأيضاً منفذا لتصدير منتجات فلاحية من شرق المغرب دون أداء الرسوم الجمركية للدولة المغربية، ومما زاد في الإشعاع التجاري لهذه المحطة قربها من خط الحدود وغياب مرسى مفتوح للتجارة بالمنطقة الشرقية. كما استقطب مرسى صاي عدداً كبيراً من سكان شرق الريف، خاصة منهم أهل بقّيوة الذي فروا من موطنهم بعد الأحداث التي عرفها الريف في نهاية القرن التاسع عشر، وشكلوا يدا عاملة طيعة في مشروع صاي، وبرز منهم بعض الأفراد الذين أصبحوا من المقربين لمحمد بن عبد الكريم الخطابي أثناء ثورته ضد التوسع الإسباني (القائد حدو)، وقد واجه المخزن نشاط التهريب المنطلق من مرسى صاي بإقامة ديوانة قرب قصبة السعيدية في مستهل القرن العشرين. وقد تسبب نشاط التهريب في شهر أبريل 1901 في أزمة بين المغرب وفرنسا إثر مقتل صحفي فرنسي بمصب وادي ملوية، وأعقب ذلك توقيع اتفاق باريس في 20 يوليوز 1901 بهدف وضع الأسس لتنظيم العلاقات بمنطقة الحدود.

استفاد المخزن من مرسى صاي أثناء فتنة الروگي الذي استقر بشرق المغرب، فكانت بعض المراكب المخزنية (التركي) تقوم بإفراغ حمولتها وإنزال العسكر الموجه لعامل وجدة

بالمرسى المذكور بعد استئذان السلطات الفرنسية بالجزائر.

كان صاحب مشروع صاي ينوي إقامة مرسى كبير بأقصى غرب الجزائر واحتكار الرواج التجاري بين المغرب والجزائر إلا أن المشروع لقي معارضة شديدة من كبار التجار بوهران والغزوات بغرب الجزائر، وأُقبر بعد وفاة صاحبه سنة 1915. فصار مرسى صاي فيما بعد محطة للاصطياف يرتاده على وجه الخصوص المستوطنون الفرنسيون المستقرون بناحية تلمسان ومغنية.

وفي فترة الحماية أقيمت قنطرة على مصب وادي كيس للربط بين مرسى صاي ومصطاف السعيدية، إلى أن تم هدمها إثر التوتر الذي اندلع بين المغرب والجزائر سنة 1963. وبعد استقلال الجزائر سنة 1962 صار مرسى صاي يُنعت باسم مرسى بلْمْهيدي، وهو أحد قادة جبهة التحرير الجزائرية.

ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي*، 1989 ؛ *السعيدية أو سعيدة عجرود صلة وصل بين المغرب والجزائر*، مجلة جمعية تاريخ المغرب، وجدة، العدد الأول، 1993، ص. 10 - 115 ؛ *المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين*، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002.

Louis Jean-Baptiste Say, *La frontière du Maroc*, *Bulletin de la Société de Géographie Commerciale de Paris*, 1888, p. 526-536 ; J. Hess, *La question du Maroc*, Paris, 1903 ; L. Voinot, *Les entraves au commerce algéro-marocain et la conclusion d'accords spéciaux (1898-1902)*, *B.S.G.A.O.*, 1933 ; F. Llabador, *Port Say et son fondateur*, Oran, 1955.

عكاشة برحاب

**الصاير** (أمين -)، تعني كلمة الصَّايْر أو الصائر في العرف المغربي النفقة والمصروف. والفعل صيَّر. وفي الدوائر المخزنية يجب التمييز، على الأقل منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر وإلى حدود توقيع عقد الحماية، بين مصطلحين : أمين الصاير أو الصائر، بالمفرد، وأمناء الصائر بالجمع.

فأما أمين الصائر فهو المسؤول المالي الذي كان يتولى، بأمر سلطاني، كل النفقات المخصصة لجانب السلطان وحاشيته المقربة التي ترافقه في حله وارتحاله.

وأما أمناء الصائر فقد كانوا مستقرين في العواصم التقليدية الثلاث : فاس ومراكش ومكناس، باعتبارها العواصم التي كانت تتوفر، بشكل قار، على بيت مال. وكان عددهم بكل مدينة من هذه المدن الثلاث لا يقل عن اثنين ولا يزيد على ثلاثة. وباستثناء أمناء صائر مدينة فاس الذين كان مقر اجتماعهم وعملهم يتم في فندق النجارين أولاً، ثم بعد ذلك في دار عديل - بحومة المعادي - التي صودرت من أسرة هذا الشخص في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859 - 1873)، فإن عمل واشتغال أمناء صائر مراكش ومكناس كان يتم في بنيقة، داخل مقر الإقامة السلطانية.

ومن حيث الوظائف التي كانوا يقومون بها فيمكن حصرها في ما يلي : أولاً، الإشراف على فتح خزائن الدولة - إلى جانب مسؤولين آخرين - كلما تعلق الأمر بوصول دفعة جديدة من الأموال.

ثانياً، الإشراف على تمويل نفقات المخزن بالعواصم الثلاث. وكانت تدور حول الرواتب الشهرية لحاشية السلطان وجيشه وموظفيه، هذا فضلاً عن التنافيذ (مبالغ نقدية يومية) والملازم (مؤن غذائية).

أما مصادر تمويل هذه النفقات فكانت تفد من مستفادات مدنهم، أي من مداخيل المكوس (الصنك) والأملاك المخزنية، وإذا لم تف بسد الحاجيات كان يوجه إليهم الأمر بفتح خزائن الدولة.

ع. الرحمن بن زيدان، *الإتحاف*، ج 2 ؛ نعيمة التوزاني، *الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن*، 1874 - 1894، مطبعة فضالة، 1979 ؛ ع. الخمليشي، *المخزن والضرائب المفروضة على التجارة الداخلية - مكوس الحواضر*، 1856 - 1896، د. د. ع. 1989.

عبد العزيز الخمليشي

**الصايغ** أو الصائغ أسرة شهيرة وعريقة بفاس، كان لهم بها صيت وجاه. أصلهم من سرقسطة الأندلس. ومنهم بفاس الفقيه الملامتي أبو بكر ابن الصائغ التجيبي (5230 / 35 - 1136).

ومن أولاد الصائغ الفاسيين اليوم فرقة أهل عقبة ابن صوال من عدوة فاس الأندلس. وأخرى انتقلت إلى مصر.

ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002، ج 1 : 560 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الإلتباس*، مرقون، ج 2.

محمد حجي

ابن **الصايغ، يحيى** بن محمد بن علي الأنصاري السبتي. يكنى أبا الحسين ويعرف بابن الصائغ. نشأ بسبتة وتتلمذ بها عن كبار علمائها. روى بها عن أبي بكر يحي بن رزق، وأبي محمد عبد الله بن عبيد الله الحجري وأبي حسن بن سهل وغيرهم. دخل الأندلس وسمع من أعلامها كأبي مروان بن قزمان وأبي القاسم بن بشكوال. وتكرر دخوله إليها. وحدث بإشبيلية وقرطبة (*الذيل*، 2 : 521 ؛ *اختصار*، 23 ؛ *صلة*، 200). وكان كثير التردد على فاس. كما كان يكثر من زيارة المتصوف الشهير أبي يعزى (*المقصد*، 47 ؛ *دعامة*، 42 ؛ *التشوف*، 218 - 377). ويؤثر عنه أنه كان زاهداً فاضلاً، ويصنف من أهل الضبط والمعرفة والتقييد، مشرعا إلى قضاء حوائج الناس. كما عرف عنه الصلابة في قول الحق. ومما يذكر عنه في هذا الباب أن أبا العلاء إدريس ابن يعقوب بن عبد المؤمن غضب على أهل سبتة فأمر أن يحشر الناس خارج المدينة في صعيد. فاجتمع الناس وطال بهم المقام وبلغ الخبر إلى ابن الصائغ فجاء حتى بلغ مرقب أبي العلاء ثم رفع رأسه وكان في صوته جهارة وفي كلامه

ارهاب فقال له : "انصب صراطك وضع ميزان". ثم التفت إلى الناس وقال : "امشوا من هنا". فافترقوا. روى عنه أبو الخطاب وقد لازمه وسمع عليه وصحبه في الحضر والسفر، وهو آخر من روي عنه بسماع الأندلس. كما حدث عنه المسند أبو الحسن علي بن محمد الغافقي، والتجيبي، وأبو عبد الله ابن هشام، وأبو الحسن الشاري، وغيره. ويعد أبو عبد الله بن حوط الله آخر من روي عنه باجازة (*التكملة*، 2 : 73 ؛ *صلة*، 200 ؛ *الطيل*، 2 : 562). توفي بسبتة سنة 200 / 1204، ودفن بمقبرة الربض البراني من داخل سور البحر من الموضع المعروف بمضرب الشبكة (*اختصار*، 23).

الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1403 / 1983، ص. 23 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بن شريفة، 1984، القسم الثاني، ص. 561 ـ 562 ؛ *تراجم الغرباء في القسم الثاني من صلة الصلة لابن الزبير* ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1404 / 1984، ص. 218 ـ 296 ـ 297 ـ 377 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. لفي بروفنسال، باريس، 1938، ص. 200 ؛ ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، 1887، المجلد الثاني، ص. 730 ؛ العزفي، *دعامة اليقين في زعامة المتقين*، تح. أحمد توفيق، الرباط، 1989، ص. 42.

زليخة بنرمضان

**ابن صَبّاح**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا - Çabe - Çaba Sabba.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 286.

محمد ابن عزوز حكيم

**الصباغة** (البلدية) كانت الصباغة بالمواد الطبيعية هي السائدة في كل أرجاء العالم إلى حدود 1856، وهي السنة التي توصل فيها الكيميائي الانجليزي هنري بركان Henri Perkin إلى صناعة الملونات الكيميائية انطلاقا من قطران الفحم الحجري. ولذلك فقد كانت الصباغة المستعملة في المغرب من عدة قرون هي "الصباغة البلدية". وحتى بعد انتشار "الصباغة الرومية" ابتداء من النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) في جل الدول الأوربية، فإن استعمالها في المغرب بقي قليلا إلى حد الندرة ظل يندرج ضمن نطاق المحظور. وبسبب بداية انتشار الصباغة الرومية في المغرب بعد توقيع معاهدة 1856 التي تنص على فتح البلاد للتبادل مع الأجانب، أصدر السلطان عبد الرحمان بن هشام ظهيراً إلى الخاص والعام، وإلى التجار بشكل أخص، يدعو إلى تجنب بيع الزرابي المصبوغة بالصباغة الرومية وطلب من محتسب مدينة الرباط أن يحرص على تداول الحرفيين للصباغة البلدية ومراقبة جودة ألوان الزرابي المعدة للبيع قبل نقلها إلى "سوق الدلالة" (J.L. Miège, *Documents inédits*, p. 174).

وقد كانت "الصباغة البلدية" تحظى بشهرة كبيرة تستحقها بالفعل. فقد كانت الزرابي والمنتجات الجلدية والأقمشة والأردية والأصواف المعالجة بالصباغة البلدية ذات صيت ذائع داخل المغرب وخارجه لأن ألوانها كانت قابضة وناصعة. وكانت الرباط سلا من أكبر مراكز الصباغة البلدية إلا أن ما كانت تنتجه فاس ومكناس في أحياء خاصة يتجاور فيها الصباغون والدباغون كان أكبر وأحسن بكثير مما تنتجه الرباط وسلا (F. Benoit, *L'empire de Fès*, p. 114) وحتى في أصغر المدن والقرى كان وجود الصباغين ضرورياً ضرورة الغذاء لارتباطه باللباس والرداء.

وكانت الصباغة البلدية تنجز من لدن حرفيين متخصصين طبقا لطرق وأساليب يرثها الآباء عن الأجداد. وكان الزبناء يفدون إلى دكاكين الصباغين ويطلبون تلوين ما يستقدمونه إليهم من جلود وأصواف وأثواب قطن أو كتان أو حرير وأحزمة وأقمشة وغيرها طبقا لرغباتهم. وكانت الصباغة البلدية تستمد الألوان المستعملة فيها من ثلاثة مصادر مصدر نباتي يستنبط من النيلة (النيلج كلمة عربية من أصل فارسي) والحناء والزعفران وقشور الرمان ولحاء شجر الجوز، ومصدر معدني يستمد من الحديدة الزرقاء والبارودية والطرطار (الحديدة الزرقاء هي سلفات الحديد والبارودية هي سلفات النحاس والطرطار هو ثاني طرطار البوطاس) ومصدر حيواني يؤخذ من حشرة "القشينية" التي تسمى أيضاً حشرة القرمز، وتعيش في مناطق واسعة من حوض البحر الأبيض المتوسط على نبات الصبار وشجر البلوط (السندبان). وقد كانت تجارة القشينية وتوزيعها تخضع لمراقبة المخزن الذي كان يفوت احتكار بيعها لمن يتفق معه على ذلك. ففي سنة 1763 مثلا فوض السلطان أمر الاتجار فيها إلى أحد أكبر أثرياء اليهود بفاس بعد أن حدد له ثمن اقتنائها في "أربع أوقيات ويبيعها في ثمان ومن خالف ذلك عوقب" (*تاريخ الضعيف*، الجزء الأول، ص. 313). وبما أن الطلب عليها كان كبيراً وكان المنتوج منها لا يكفي للاستهلاك الداخلي فإن كميات كبيرة منها كانت تستورد من إسبانيا على الخصوص.

من هذه المصادر الصباغية الثلاثة كانت تستنبط ثلاثة أنواع رئيسية من الألوان هي الأزرق والأحمر والأصفر. وعن كل لون رئيسي يتفرع لفيف من الألوان الفرعية التي كان الصباغون يحصلون عليها بمزج لونين أو أكثر طبقا لمواقيت ومقادير معروفة لديهم. فاللون البرتقالي ينتج عن دمج الأحمر بالأصفر واللون الأخضر بمزج الأصفر والأزرق والبنفسجي بمزج الأحمر والأزرق وهكذا ذواليك من غير ما ذكر من الألوان الفرعية الأخرى مما كان الصباغون يتقنون تحضيره عن طريق خلط الأصباغ وتجريبها وتعديلها بالزيادة والنقصان وإعادة النظر في معايير الصباغة ومقاييسها ومواقيتها.

فاللون الأحمر يستمد من نبات الفوّة بعد أن تؤخذ عروقها وتجفف وتدق وتطبخ بماء مغلى وتنقع لبضعة أيام فتخلف مسحوقاً دقيقاً يستعمل كملون. ويستمد نفس اللون الأحمر أيضاً من تجفيف بيض القشينية ودقه ومعالجته واستخراج مسحوق منه يصلح لإعطاء لون أحمر فاقع يدعى القشيني أو القرمزي. أما اللون الأزرق فيتم الحصول عليه بسحق أوراق النيلة ودقها بنفس الطريقة حتى يتخلف في نهاية مرحلة معالجتها دقيق أزرق قان يستعمل كمادة ملوِّنة. ويستنبط الأصفر من نبات "تيزغا" (المعروف بالليرون أو الوزال أو الخابور باللغة العربية) وقشور الرمان بعد سحقها وطبخها وتنقعها. وقد كانت هذه النباتات الصباغية تجنى في أوقات معلومة يعرفها العشابون المتخصصون في الجني والتخزين. وكان الصباغون والنساجون وغيرهم يقتنون منها الكميات الوافرة ويحتفظون بها في شيء خصائصها التلوينية.

وبعد الحصول على المادة الملونة من المصادر الآنفة الذكر كان الصباغون يباشرون عملية التلوين التي كانت تمر عبر المراحل الخمس التالية :

- الغسل : وأثناءه يتم تحضير الألياف المهيأة للصبغ لتقبل مفعول الأملاح المعدنية وامتصاص الملونات، ويبدأ ذلك بتنظيفها أولاً بماء دافئ ومادة صابونية تتكون أساساً من تيغشت (أصلها الأمازيغي تيغيغشت ثم الصابون البلدي، وهو صابون رخو البنية بني اللون مازال استعماله متداولا بشكل قليل إلى اليوم.

- الفتح : وخلاله يتم تخضيب الألياف التي نظفت في المرحلة السابقة بتسخينها في ماء معتدل الحرارة تضاف إليه مواد مساعدة على تقبل الألوان وتثبيتها أهمها الشب والطرطار (الشب كلمة عربية فصيحة وهي ملح معدني قابض ومرسخ لونه أبيض وهو مكون من كبريت البوطا سيوم والماغنيزيوم، أما الطرطار فهي بدورها كلمة عربية أصلها دردي تحولت إلى Tartre التي تداولها الصناع تحت لفظ طرطار. ويعتبر هذا الثنائي ضروريا في أية عملية صباغة، وفي هذا الصدد يقول المثل الحرفي الذي انتقل إلى التداول الشعبي : "إذا تلاقى الشب والطرطار تخرج الصباغة هندية"، أي أن تضافر مفعول أحدهما بالآخر ينتج عنه ترسيخ الملون على القماش أو الثوب فيبدو وكأنه مصبوغ في الهند التي اشتهرت منذ عدة قرون بجودة صباغتها ودقتها ونصاعتها. لذلك سميت هذه المواد المساعدة على تثبيت الألوان بالمرسِّخات (Les mordants).

- الصباغة : وهي عملية توضع خلالها الألياف المغسولة والمفتوحة في إناء كبير يدعى "الطنجير" يحتوي على ماء مغلى تتراوح درجته الحرارية بين 90° و100°، على أن تظل مغمورة تحت الماء مع تفقدها بين الفينة والأخرى بيد الصباغ الحرفية وتحريكها المستمر ومراعاة الاحتفاظ للماء على نفس درجته الحرارية حتى تتحد الصباغة بالألياف وتأخذ اللون المطلوب.

- التنقية : وهي عملية تنظيف الألياف مما يعرف في الصباغة العصرية بالشطف، وخلالها توضع المواد المصبوغة

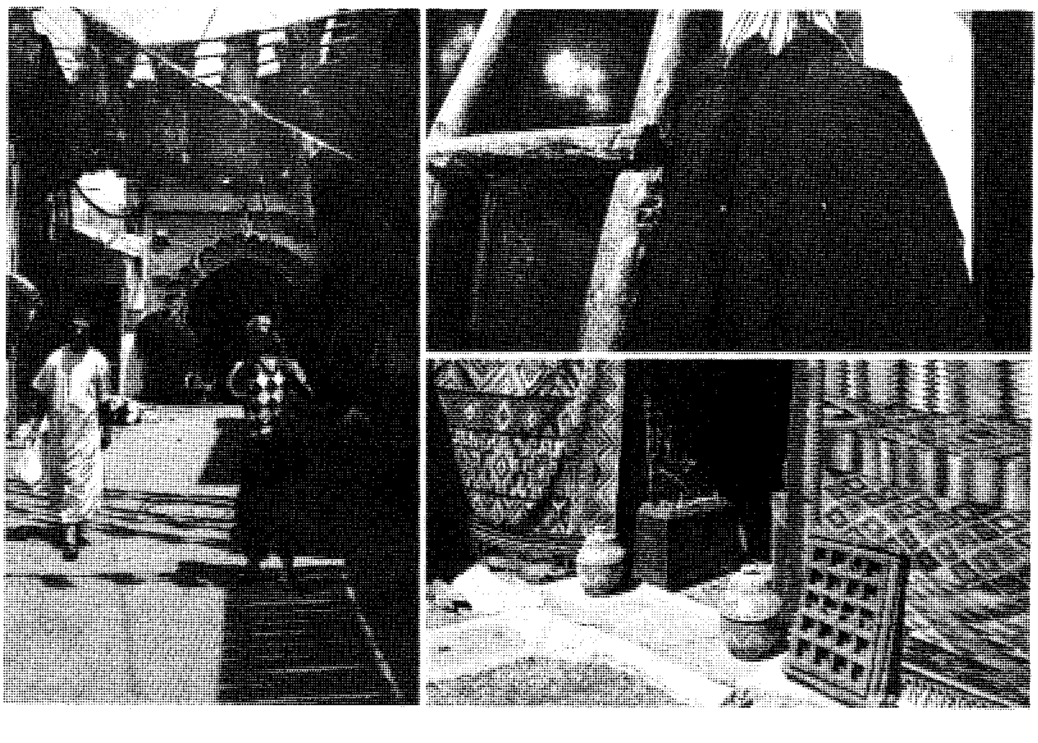

بعد الانتهاء من صباغتها بالتدريج وعلى التوالي في ماء فاتر صاف ثم في ماء دافئ ثم في ماء بارد. وتعتبر الصباغة ناجحة في هذه المرحلة إذا أزيلت الألياف من آنية الصباغة وبقي الماء فيها صافيا لالون له.

- التجفيف : وهي آخر مرحلة تسحب فيها الألياف وتعرض بعد الصبغ والشطف والتنظيف إلى التهوية وامتصاص أشعة الشمس لتجف تحتها قبل أن تصبح جاهزة للاستعمال.

وقد كان الصباغون البلديون حاذقين مهرة عارفين بتقنيات التلوين فكانوا لذلك يحصلون على ما يريدون من ألوان رئيسية وفرعية. وكان كل لون عندهم معروفا باسمه الخاص ولا يختلط بغيره كما كان السواد الأعظم من الناس لا يخطىء في معرفة المميزات الخاصة بكل لون ويدرك الحدود الفاصلة حتى بين الألوان الفرعية نفسها.

فعن اللون الأصفر يتفرع الخابوري والكبريتي والقُشري والرنجي والقيقلاني والقيحي والتبني والورسي والقُصبي والكاموني وظهر الجمل والمشماشي والگرعي والذهبي والجنجلاني والزيواني وشمس العشي والقُمري وضو الصباح والمحنية، وهي على التوالي ألوان الخابور والكبريت وقشور الرمان والرنج (فصيلة مرة من الليمونيات) والقيقلان (الميموزا) والقيح (المُدَّة البيضاء التي لا يخالطها الدم) والتبن ونبات الورس والقصب وتابل الكامون ووبر ظهر الجمل وفاكهة المشمش والقرع والذهب والزنجلان والزيوان وشمس الأصيل ولون القمر وشروق شمس الصباح ولون الحناء الأصفر.

ويتفرع عن الأزرق النيلي والفضي والعلجي والخلي والسنجابي والرمادي والزرزوري والزريقم والسماوي وبين الأولوان والشب المغلوف والشب المفتوح والگراگي وأزرق لبراية وقلب الحجر والنشيبي. وتنتسب هذه الألوان بالتتابع إلى النيلة والفضة والعلجة (لون زرقة عيون العلوج الأعاجم) والخل والسنجاب والرماد وطائر الزرزور. أما الزريقم فهو الأزرق الخفيف الذي يميل إلى البياض والسماوي لون السماء وبين الألوان أزرق وسط لا هو بالخفيف ولا بالقاتم لون الشب أزرق باهت وفيه نوعان القاتم والخفيف. أما الگراگي وأزرق لبراية وقلب الحجر فلم نقف لها على معنى:

ومن الألوان المتفرعة عن الأحمر نذكر المفوي والأرجواني والأحمر القاني والمرجاني والطرطاري والعقيقي ودم الغزال واللوزي والقهوي والغيسي والقرفي والشكلاطي والدخاني والوردي والفنيدي والعكري والديدي والحمصي المغلوق والمفتوح والعسلي والزبيبي وعنق الحمام والقمحي والمقرف والقسطلي وهي كلها ألوان واضحة ومعروفة باستثناء الدخاني والديدي والمقرف التي تنتسب إلى لون ورق التبغ (طابا) ونبات أداد والجلد المدبوغ.

وهناك ألوان تتفرع عن الأخضر أهمها الزيتي والقزبوري والخرشوفي والشرقراقي والزنجاري والخزي والليمي والخسي وراس الواد (الزنجار أو السنجار لون الصدأ الذي يصيب النحاس، الليمي لون ورق الليمون الأخضر وراس الواد لون الحشائش الخضراء والأعشاب المترعرعة على ضفاف الأودية).

ويتفرع عن اللون الأبيض الحليبي والثلجي والعاجي والسجاري والأشهل والأشحم والبلجة والشربة واللؤلئي والمسكي والسكري (السجاري أبيض تتخلله حمرة والأشهل أبيض مغبر والأشحم أبيض يميل إلى السواد والبلجة أبيض غير مكتمل الصفاء والشربة بياض مشرب بحمرة كحمرة اللسان).

وإذا كان اللون الأسود حالكا دعي الغرابي وإذا تناوب فيه الأبيض والأسود سمي النمري، ثم هناك الأزعر والأشقر ولونهما يميل إلى الذهب. أما الأزغب فسواده يتخلله بياض والأشهب يغلب بياضه على سواده والأبلق يطلق على كل لون قاتم مفرط في لونه.

وقد تكون هذه الألوان في لغة الحرفيين الصباغين إما مفتوحة أو باهتة أو قاتمة. فالألوان الفاقعة على العموم تدعى البلقاء والباهتة تسمى الخفيفة والبراقة تسمى المبرنقة. أما الألوان المتعددة في ثوب واحد فتسمى المبرقشة في حين تدعى الألوان المختلطة بأشكال الزهور والورود "المخلبة" وتنعت الألوان المذمومة القبيحة والتي لا يكاد يتضح نوعها الحقيقي "المدغرة".

ع. القادر زمامة، *هذه الأولوان وهذه الأسماء*، مجلة *الثقافة المغربية*، العدد 7، فبراير 1970 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *معجم الألوان*، الرباط، 1969 ؛ محمد المسعودي، *بطاقة تقنية حول الصباغة النباتية*، الدار البيضاء، 1989 ؛ عبد الإله الفاسي، مدينة الرباط وأعيانها، الرباط، 1996 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، القاهرة، م. الحلوي، معجم الفصحى في العامية المغربية، الدار البيضاء، 1988 ؛ م. *الروض المعطار*، بيروت، 1975.

P. Groussin, *Notes sur la teinture au Maroc*, *Cahiers des arts et techniques d'Afrique*, n° 5, année 1955 ; M. Lacroix, *Notes sur les produits tinctoriaux d'origine végétale dans la région de Ouarzazate*, op. cit. ; A. Touchon, *Notes sur la teinture végétale dans le sud tunisien*, op. cit. ; L. Gatineau, *Notes sur le montagne d'une cuve à indigo*, op. cit. ; Ch. Zeigler, *Etude sur la tannerie et les industries connexes au Maroc*, Paris, 1923 ; H. Miner, *Le déclin des corporations de Fès*, in *B.E.S.M.*, vol. 30, n° 109, 1968 ; L. Coustillac, *La teinture végétale*, *Cahiers des arts et techniques d'Afrique*, n° 5, 1959 ; F. Speranza, *La peinture marocaine*, in *Revue Maqroc-Europe*, n° 2, 1992 ; F. Benoit, *L'empire de Fès*, Paris, 1931 ; P. Ricard [et al...], *Procédés marocaines de teinture des laines*, Rabat, 1938.

محمد بوسلام

**الصبّاح** (عرب -) قبيلة مستقرة في الحوض الأوسط والأسفل لأودية غريس وزيز بمقاطعتي تيزمي وقصور المعاضيد وفزنة والسيفة. وقد ذُكروا لأول مرة من لدن ابن خلدون وأرجع نسبهم إلى قبائل بني معقل العربية ويعتقد أن استقرارهم بتافيلالت يرجع إلى القرن العاشر (16 م) في الفترة التي كانت فيها هذه القبائل قد بدأت حصارها على السكان المستقرين بعد تخريب سجلماسة، وتأكد لنا وجودهم

بالمناطق المذكورة من خلال الرسالة التي أرسلها أبو حسون السملالي إلى مولاي محمد بن الشريف العلوي المؤرخة سنة 1061 / 1651، نفهم من خلالها أنهم كانوا أتباعا له خلال مقامه بتافيلالت حيث وزع عليهم أراضي في الرتب بزيز الأوسط. وبعد هذا التاريخ تجمع كل المصادر على وجودهم في القصور نفسها إلى حين ارتباطهم بحلف أيت يفلمان لمحاربة عدوهم المشترك المتمثل في حلف قبائل أيت عطة التي بدأت تنافسهم في تافيلالت.

ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت ؛ م. المختار السوسي، *إيليغ قديما وحديثا*، الرباط، 1966، ص. 130.

محمد احدي

**الصبَّاحي**، أسرة رباطية - سلوية يرجّح أن أصلها من قبيلة الصباح القريبة من الرباط وكثيراً ما كان فرسانها يغيرون على الجارتين سلا والرباط وخصوصا في القرن الثاني عشر (18 م) ومنهم قاسم ولد الجارية الصباحي الذي يذكره الضعيف في حوادث 1205. ولا تسعفنا المصادر المكتوبة ولا الرواية الشفوية في الاطلاع على من - ربما - برز من هذه الأسرة ممن يستحقون الذكر بعد أن أصبحت أسرة الصباحي من الأسر الحضرية القاطنة بمدينة الرباط، فلا نعرف مثلا لماذا سمي أحد أزقة المدينة القديمة بزقاق الصباحي وهو أحد الأزقة التي تصل بين شارعي الكزا وسيدي فاتح. وتدل بعض المراجع على أن مدينة سلا برز فيها أعلام يحملون هذا اللقب أكثر من جارتها الرباط، فقد اشتهر فيها عبد السلام بن موسى بن طلحة الصباحي الذي كان حوالي 1283 / 1866 عدلا بسلا ثم صار نائبا عن القاضي. وكان حافظا ومقرئا ونحويا ومن أشياخ المؤرخ السلاوي أحمد بن خالد الناصري. وكان له ابن عم هو محمد بن طلحة الصباحي الذي كان فقيها ومؤدبا وكان أيضا من أشياخ الناصري. وهناك فقيه ثالث يحمل نفس اللقب في سلا أيضاً وهو بوعزة بن طلحة الصباحي وكان موجودا سنة 1279. ولا يعلم ما إذا كانت له قرابة مع شيخ الناصري. غير أن الصباحيين السلويين غلبت عليهم كنية "ابن طلحة".

م. الضعيف *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري ؛ مصطفى بوشعراء، ملحق، *الإتحاف الوجيز*.

عبد الاله الفاسي

**الصُّبَّار**، أو الهَنْديَّة أو التّين الشَّوكي أو كَرْمُوس النَّصارَى أو الزَّعْبُول بالعربية أو تَاكَنَّاريتْ أو تَاهنّديتْ أو تَارُوميتْ بالأمازيغية، كلها أسماء لنبات أوبُونتْيَا فيكُوسْ إنْديكَا Opuntia ficus-indica الذي ينتمي إلى فَصيلة الصُّبَّاريَات Cactaceae الأمريكية الأصل والتي تشمل حوالي 2000 نوع، جد مختلفة في أشكالها وقاماتها فمنها الكروية ومنها الشمعية ومنها المضربية الشكل. جميعها تعيش في المناطق الجافة وشبه الجافة نظراً لاختزانها الماء في سوقها وتقليص أو انعدام أوراقها. ولهذا انتشرت زراعة عدد كبير من هذه الأنواع في جل أرجاء العالم كنباتات زينة أو رعوية أو مثمرة.

والصبار أو الهندية شجيرة عصارية قد يصل علوها إلى حوالي 5 م. أغصانها مسطحة تشبه شكل مضرب كرة التينس، بيضوية أو ملعقية الشكل. طول الأغصان يتراوح ما بين 40 و50 سم، وعرضها ما بين 20 و30 سم، وسمكها ما بين 1 و3 سم. تبقى الأغصان خضراء لتلعب دور الأوراق في التخليق الضوئي لمدة تبلغ عدة سنوات. تظهر على وجهي الأغصان بقيعات بيضوية الشكل وتحمل بعض الأشواك ذات اللون الأبيض العاجي وذات طول يتراوح ما بين 2 و3 سم. تخرج الأغصان الفتية من البُقَيْعَات الموجودة في رأس الأغصان البالغة. تظهر على الأغصان الفتية ولفترة قصيرة أوراق لحمية صغيرة على شكل مخاييط مُقَوَّسَة. مع تقدمها في العمر تصير الأغصان أسطوانية الشكل فيعطي مجموعها متكونا من جذع جد متفرع. تظهر الأزهار منفردة، صفراء اللون، وذات أعداد غير محددة من البتلات والأسدية. الثِّمَار عنبية الشكل وذات حجم كبير نسبيا إذ تتجاوز بيضة الدجاجة، ومحتوية على عدد كبير من البذور ذات اللون الأسود.

الموطن الأصلي للهندية هو أمريكا الحارة من حيث جلبت إلى أروبا الجنوبية مروراً بجزر الكناري وذلك إبان الرحلات الأولى لكْرِيسْتُوفُوسْ كُلُومْبُوسْ لاستعمال ثمارها لمعالجة مرض السكَوربوت Scorbut وهو مرض يفسد الدم عند بني البشر. فغرست لهذا الغرض حول القلاع والحصون. ثم أدخلها العرب المهاجرون من الأندلس إلى شمال إفريقيا في القرن السادس عشر ميلادي. لهذا السبب، لم يذكرها آنذاك محمد حسن الوزان في وصفه لإفريقيا.

وبعد ذلك أدخلت إلى جل المناطق المتوسطية وجزرها وآسيا الجنوبية وإفريقيا الجنوبية و استراليا.

فإذا كان لفظ الصُّبَّار يدل على تحمل النبات للجفاف، فإن لفظ الهندية يدل على الموطن الأصلي الذي هو الهند الغربي. أما كرموس النصارى فتعني أن العرب هم الذين أتوا بها من الأندلس إلى المغرب. غير أن الفرنسيين عندما استعمروا شمال إفريقيا سموا النبات تين البربر وأَكَنَّاري أو تَاكَنَّاريت تنسب إلى جزر الكناري.

غرست الهندية في المغرب في السهول والهضاب وسفوح الجبال الخاضعة لجميع البيومناخات المتعلقة بالطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ، وخاصة في المناطق شبه الجافة والجافة. وانتشرت بسرعة كبيرة على الأجرف والصخور الجبلية حيث صارت شبه طبيعية، وذلك بفضل الطيور التي تحبذ أكل ثمارها فتنثر بذورها في نفاياتها.

تتكاثر الهندية ببذورها كما هو الحال على الأجرف بواسطة الطيور، أو بأغصانها الخضراء التي تتجذّر بسرعة فائقة عندما توضع على الأرض.

أهم استعمالات الهندية هي استهلاك ثمارها طازجة من

طرف البشر في فصل الصيف، غير أن بعض الضروب تعطي ثمارها في فصلي الخريف والشتاء. وفي بعض المناطق تُجَفَّف الثمار لتُدَّخَرَ كمؤونة لاستهلاكها وقت الحاجة.

وتستعمل الضروب المشوكة أيضا كسياج حي يصعب اختراقه. في حين تفضل الضروب عديمة الأشواك لتحسين المراعي أو لإنتاج العلف للماشية في فصل الشتاء عندما يندر العشب أو التبن. ولنفس الغرض تحرق الأشواك بتمرير الأغصان الفتية فوق النار قبل تقديمها للماشية.

بالإضافة إلى هذا تعرف للهندية استعمالات أخرى في مجال التطبيب التقليدي.

A. Benabid, *Flore et écocystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000, 360 p. ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*. Soc. Sc. Nat. Phys. *Mar.*, *Rabat. 1955* ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnlle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

**الصَّبَّاغ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا *Sebec*. ومنهم **محمد** ابن العربي الصباغ عالم زاول خطة الإفتاء والشهادة بتطوان إلى أن حج سنة 1332 (1913) وكانت وفاته بالمدينة المنورة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1108.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **الصبّاغ**، أسرة مكناسية من قدماء بيوتات هذه المدينة أصلهم من الخزرج، ويصعد ذكرهم إلى القرن السادس (12 م) حيث ورد ذكر أحد أعيانهم عند ابن عبد الكريم في *المستفاد* : (مصورة خاصة لقطعة منه) فيأتي به اسم أبي إسحاق إبراهيم عرف بابن الصباغ : في سياق الرواية عنه المرة الأولى والثانية والثالثة، مع تحليته بالشيخ، ووصفه مرة بالمكناسي.

ثم استمرت الأسرة مذكورة حتى القرن الحادي عشر (17 م)، ولْنُشِرْ - أولاً - إلى *الذخيرة السنية*، ط الجزائر ص 55 سنة 615 حيث يرد هذا الاسم : "وفي تاسع وعشرين من ذي قعدة من السنة المذكورة ولد الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الخزرجي المكناسي المعروف بابن الصباغ".

وقد يكون هذا حفيد المذكور قبله.

ثم اشتهرت هذه الأسرة - أكثر - باسم العالم اللامع محمد ابن أبي الفضل ابن الصباغ، وكان موضع تنويه من عدد المترجمين : ابن خلدون وابن غازي وبابا السوداني ومؤلف طبقات المالكية وابن زيدان، وسواهم. وهو أحد الأعلام الذين استصحبهم معه أبو الحسن في رحلته لتونس.

وفي عصر أبي عنان يذكر اسم أحمد بن أبي الفضل ابن الصباغ الخزرجي ضمن لائحة الأعلام في المجلس العناني، حسب الجادري في *شرح البردة* خ. ف 643، فيحليه هذا المصدر بالعارف بالفقه والحديث، الآية في علم التاريخ.

ومن الآثار المعمارية لهذه الأسرة بمكناس "مسجد سيدي الصباغ" عند مدخل زقاق الفرموني في جهة حي "رحبة الزرع القديمة"، ولهذا الاسم كان ذكر هذا المسجد في "حوالة الأحباس الصغرى" بمكناس رقم 4 من قسم الحوالات بالخزانة العامة ص. 146.

وفي "ورزيغة" بضاحية مكناس كان "مدشر ابن الصباغ"، حسب موجب تقويم أرباب البصر المؤرخ في أول ذي القعدة عام 1029 (حوالة الأحباس الكبرى بمكناس) رقم 5 ص 284.

ثم ورد ذكر هذا المدشر في وثيقة مؤرخة في أواخر شوال 1052.

وتعتبر هذه الأسرة اليوم منقرضة.

محمد المنوني

ابن **الصباغ، محمد** بن **أحمد** المكناسي البعقيلي ثم الفاسي، من قبيلة بعقيلة السوسية. ظنه الزركلي من بني عُقيل فدعاه العُقيلي. ولد عام 900 / 1582 ودرس بفاس على أحمد ابن القاضي وأضرابه. عالم بالحساب والتوقيت والأسطرلاب والأوفاق. درّس هذه العلوم بفاس، وكان من بين من أخذها عنه وتخرج على يده عالم فاس الكبير عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي صاحب *الأقنوم*. وكان ابن الصباغ إلى ذلك مشاركاً في الحديث والفقه والفرائض، إليه المرجع في ذلك كله.

ألف كتباً عديدة، منها : *سلك فرائد اليواقيت في الحساب والفرائض والمواقيت* (طبع على الحجر بفاس) وكان من الكتب الدراسية في القرويين وغيرها ؛ وكتاب *كشف قناع الالتباس عن بعض ما تضمنته من البدع مدينة فاس*، مخطوط ؛ وشرح أرجوزة الجزنائي : *النور المنير في صناعتي التوفيق والتكسير* (طبع كذلك على الحجر بفاس) *وإدراك البغية في شرح المنية* في الحساب لابن غازي مخطوط ؛ *وطبقات بعض الأعلام*، وقد خلط مترجمو ابن الصباغ المشارقة في نسبه فجعله بعضهم شخصين وترجم له ترجمتين مختلفتين وأدمج بعضهم عناوين مؤلفاته.

توفي بفاس عام 1076 / 65 - 666 ودفن بعين اصليتن بدار ابن عبد الكريم.

م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس ؛ م. الحضيكي، *طبقات الحضيكي*، تح. أ. بومزگو، د. د. ع. مرقون ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 4 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، ج 1 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، بيروت، د. ت ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ط 2، الرباط، 1990، ج 4 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، ط 4، بيروت، 1979، ج 6 ؛

أ. رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، دمشق، 1957، ج 8 : 279 و9 : 21 ؛ أ. المكناسي، *فهرس المؤلفين*، تطوان، 1952 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988، ص. 203.

محمد حجي

**ابن الصبّاغ، محمد** بن **محمد** المكناسي الخزرجي يكنّى أبوه أبا الفضل. قرأ على علماء مكناسة وعلى مشايخ علماء فاس ومنهم الشيخ أبو عبد الله الآبلي (راجع مادة : الآبلي في المعلمة) فلازمه وأخذ عنه العلوم العقلية حتى صار كما قال ابن خلدون معاصره "مبرزاً في المعقول والمنقول، عارفاً بالحديث ورجاله، إماماً في معرفة كتاب الموطأ وإقرائه" (*العبر*، 7 : 838)، وقال عنه ابن مرزوق من معاصريه أيضاً "فقيه، نبيل، مدرك، حافظ، مفوّه، مقدام، عريض الدعوى" (*المسند*، 268). وهذا البروز العلمي جعله يصبح أحد أعضاء المجلس العلمي للسلطان أبي الحسن ومن مرافقيه في حركته إلى تونس حيث أفاد من علمه حيثما حلّ، إلى أن توفي غريقاً في أسطول أبي الحسن الذي تحطّم شرقي الجزائر أواخر سنة 750 (جعل الونشريسي وابن القاضي هذه الحادثة سنة 749 في *ألف سنة من الوفيات*، 117 ـ 200 ؛ و*الجذوة*، 301).

ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، ص. 138 ـ 268 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 838 (ضمن "التعريف بابن خلدون") ؛ ابن غازي، *الروض الهتون*، ص. 16، الرباط، 1952 ؛ الونشريسي، *الوفيات* (ضمن كتاب *ألف سنة من الوفيات* ص. 117، محمد حجي)، الرباط، 1976 ؛ ابن القاضي، لقط الفرائد، ص. 200 (ضمن "ألف سنة من الوفيات") ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 301، الرباط ؛ التنبكتي، *نيل الابتهاج*، 244 ـ 245 (كتاب على هوامش الديباج المذهب).

أحمد عزاوي

**الصباغ، مصطفى** بن محمد التطواني أديب كاتب وصحفي بارع، عمل مدة محرراً في جريدة العلم، وكان ما ينشر فيها شيقاً جذاباً لأسلوبه الجيد وطرافة الموضوعات التي يتطرق إليها.

توفي في حادثة سير بين تطوان والرباط ماسوفاً على سبابه وأدبه، في أوائل ربيع الثاني عام 1386 / أواخر يوليوز 1966 ودفن بمسقط رأسه تطوان.

جريدة العلم أعوام السبعين والثمانين من القرن (14 هـ) ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3394.

محمد حجي

**الصباغ وهبي، أحمد** بن عبد القادر، مقاوم ولد سنة 1922 بمدينة الدار البيضاء. عمل في صفوف المقاومة السرية المغربية وناضل مع باقي اخوانه المقاومين من أجل استرجاع سيادة البلاد.

كان معروفا بتهريب المقاومين المحكوم عليهم بالإعدام من السجن ويقوم بإعانة الأرامل من ماله الخاص، وعرف بذلك بإخلاصه وتفانيه في سبيل استقلال وعزة البلاد.

ألقي عليه القبض من السلطات الاستعمارية وسجن أول الأمر بالدار البيضاء بتاريخ 21 / 12 / 1954 ثم بسجن القنيطرة 3 / 5 / 1955 وحكم عليه بالإعدام وبيع سيارته

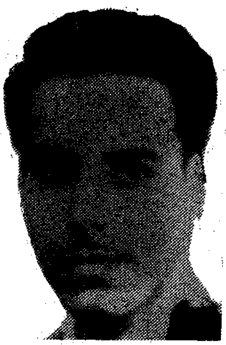

التي كان يهرب فيها المقاومين ولكنه تمكن من الفرار من سجن القنيطرة إلى أن توفي وهو يقوم بواجبه الوطني بتاريخ 30 شتنبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 522133.

**الصّبّان**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çabena - Çaben. ومنهم أحمد بن عبد السلام الصبان فقيه كان من بين الذين شهدوا ضد الباشا السابق عبد الكريم ابن زاكور بأنه تصرف في أموال بيت المال لصالحه في صفر 1180 (1767). ومحمد بن محمد فقيه زاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1270 إلى 1285 (1854 ـ 1868) وذلك كأنه ظل بالمدينة أثناء الاحتلال الإسباني لها من سنة 1276 إلى 1277 (1860 ـ 1862) وكانت وفاته سنة 1285 (1868). ومحمد بن عبد الله الصبان فقيه تولى خطة العدالة سنة 1281 (1864).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1107.

محمد ابن عزوز حكيم

**الصبان** أبو **زكرياء** المكناسي، االمعروف بسيدي بوزكري، من أشهر أولياء مدينة مكناس، وضريحه وروضته مزارة مقصودة للتبرك، ورغم شهرته لا تعرف له ترجمة عدا ما يوجد عرضا في ثنايا مؤلفات عبد الرحمن ابن زيدان، خاصة من خلال تراجم الشخصيات الواردة في كتاب *الإتحاف*، كما هو الحال في ترجمة محمد بوزكري، وعبد الحق بوزكري وهم من آل الولي المذكور حيث جاء وصفه فيها بالولاية والصلاح وعلو الشأن.

وكان لملوك الدولة العلوية اعتقاد كبير فيه فلا يدخلون مدينة مكناس خاصة إذا كانوا قادمين من جنوبها إلا بعد زيارتهم لضريحه. ولذلك خصوه بتحبيسات كثيرة شملت أراضي شاسعة. وبروضته توجد قبور عدد من أبناء المولى إسماعيل، فالمولى محمد بن عبد الله حبس ـ من جملة ما حبس على هذا الولي ـ حسب ما ورد في الجزء الثاني من *حوالة الأحباس الكبرى* (ص. 256 ـ 257) "ستة وثلاثين مثقالا للطلبة الذين يقرأون الحزب، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على قبر والدته وأعمامه الذين معها في روضة أبي زكرياء الصبان".

*حوالة الأحباس الكبرى*، الجزء 2، ص. 256 ـ 257 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، الجزء 1، ص. 53 ـ 174 ؛ الجزء 3، ص. 248.

رقية بلمقدم

**الصبان، محمد** الفاسي موسيقي. أخذ أصول الموسيقى الأندلسية حفظا وعزفا وإنشاداً عن شيخ جماعة الموسيقى بفاس الحاج حدو بن جلون. ذكره عالم الرباط إبراهيم التادلي في كتابه "*التذكار لما في التذكرة من الطب مع الأختصار*"، فرتبه ضمن شيوخه الذين أخذ عنهم مستعملات الموسيقى الأندلسية بفاس خلال إقامته بها للدراسة، فقال : "كان يأتيني للمدرسة وأذهب إليه، ويعلمني ما عنده. كان ولا ألذمن صوته".

وإلى مهارته في الإنشاد فقد كان جيد الضرب على آلة العود، وفي ذلك يقول التادلي في كتابه "*السقا ومغاني الموسيقى*" : "شيخنا الفقيه السيد محمد الصبان الفاسي، كان يحسن ضرب العود غاية.

وإلى مواهبه الموسيقية فقد كان الصبان حلو المعاشرة، وافر الاطلاع حتى قال عنه تليمذه التادلي : "فإذا آنسك بالموسيقى وفرغ منها آنسك بأخبار الأمم وأيامهم. ولم أر هذا في شيخ من شيوخ الموسيقى".

التادلي إبراهيم، *التذكار لما في التذكرة من الطب مع الاختصار*، بنقل محمد المنوني، البحث العلمي، ع 14 و15، السنة 6 يناير ـ دجنبر، 1969، ص. 160 ؛ *أغاني السقا ومغاني الموسيقى* مخطوط، ص. 34.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**صُبْح**، جارية رومية جميلة تسراها الطبيب الأديب أحمد ابن محمد ابن شعيب الجزنائي (ت. 749 / 1349) (انظره في *المعلمة*) "فأدبّها حتى لُقنت حظاً من العربية ونظمت الشعر، وكان شديد الغرام بها، فهلكت أشدّ ما كان حباً لها وامتداد أمل فيها، فكان بعد وفاتها لا يُرى إلا في تأوه دائم وأسف متماد، وله فيها أشعار بديعة في غرض الرثاء" (*الإحاطة*، 1 : 280).

أورد ابن الخطيب قصائد ومقطعات قالها الجزنائي في صبح، منها :

أصْباحُ أيامي ليالٍ كلها    لا تنجلي عن صبحك المتنفّس

وكذلك أورد ابن الاحمر في *نثير الجمان*، وابن القاضي في *جذوة الاقتباس*، وغيرهم ممن ترجم للجزنائي مقطعات أخرى في رثاء صبح.

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. ع. الله عنان، القاهرة، دار المعارف، د. ت. 1 : 280 ـ 285 ؛ إ. ابن الأحمر، *نثير الجمان*، بيروت، 1967 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ج 1 : 119 ـ 121.

محمد حجي

**الصُّبحي، أحمد** بن أبي القاسم ـ بضم الصاد وكسر الباء ـ من بني صُبح القاطنين على وادي سبو. دخل مدينة فاس طلبا للعلم وحصل علم الفروع على يد الشيخ أبي عبد الله محمد المسناوي وغيره وتضلع في الفقه وأصبح مفتيا معتمداً في فتاويه على المشهور. وكان القاضي علي أبو عنان يستشيره في الأحكام. ولما ولي القائد محمد بن علي الزموري على فاس اتخذه كاتبا له ؛ فحسنت حاله. وأما مشربه الصوفي فيتجلى في لقائه بالشيخ مولاي الطيب الوزاني والتبرك به ولما توفي بالطاعون في 20 ربيع الأول عام 1156 هجرية تم دفنه بمقبرة الفقراء التابعين لزاوية وازان بفاس المعروفة بروضة محمد جاء الخير.

محمد بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، 4 : 40، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 30.

محمد ماكامان

**صِبَرة** أو صيبارة قرية بائدة يقع ترابها سابقاً بشرق مدينة سلا، ويمتد من باب فاس. إلى ما وراء سهب القايد شرقاً، ويسير الخط نحو الشمال إلى ما يسمى الآن تابريكت نسبة إلى عين البركة التي كانت تسقي صيبارة، ثم نحو الجنوب إلى هضبة مَطّانة. المحرفة عن مَطّالَة التي هي جمع مَطّال وهو صانع الحديد يضربه ساخناً حتى يمده ليطول، ولا تزال بهاته المنطقة أكيار الحديد قائمة قرب الخندق، فكانت مطانة امتداداً لقرية صِبَرة، تُضرب فيها الخيام وتصنع حذوات الأفراس وغيرها من لدن السمارين والمَّطالين للوافدين عليها.

نزل الصيباريون بشرق سلا كما تقدم حيث تقُوم اليوم مؤسسات بحي المزرعة منها مستشفى أمراض العيون وآخر للأمراض العقلية، ومقبرتان واحدة للمسلمين (مقبرة أبي العباس بن أحمد بن بوسف المعروف في بعض المراجع بأبي العباس بن طلحة المتوفى سنة 540) والأخرى لليهود (أي الميعارة)، هذا زيادة عن مشهد رجال صيبارة وزاوية النساك.

والظاهر أن استيطانهم المنطقة كان كما قال محمد ابن علي في *الإتحاف الوجيز* من أجل حراسة "المدينة وما حواليها ممن يسومها بسوء، حتى كان يسوغ لأهل سلا أن يُصَيّفوا بأجنة مَطّانة، لأمن البلاد بأولئك النُّزُل. وكانت قصور أهل سلا ومنتزهاتهم بأجنة مَطّانة ممتدة إلى ماء إسْمِير أي الولجة الحالية (*إتحاف*، 58).

وتروي المصادر أن أهل هاته القرية كانوا كثيري العدد وأن منهم من كان يسكن الأخْصاص ومنهم من كان يسكن الخيام ومنهم من كانوا يسكنون داخل المدينة. كما أنهم كانوا شديدي التمسك بالدين فكانوا حسبما قيل يخرجون من المدينة ليلاً ويقصدون زاوية النساك بمئات من الفنارات والمصابيح لتحصيل فضل الجماعة بتلك الزاوية، وهذا شيء ناقشه ومجده مؤلف *الإتحاف الوجيز* ذاكراً أنه لم يكن الناس محتاجين إلى الصلاة جماعة هناك لوجود المساجد بالمدينة السلاوية وعلى رأسها الشهباء والجامع الأعظم.

أما تاريخ وجود قرية صيبارة فهو سابق عن العهد المريني، إذ أن أبا عنان أنشأ هناك سنة 757 حبا في أهل القرية زاوية النساك لنزول الواردين عليها من الغرباء والمنقطعين وذوي الحاجة وكبراء الدولة وأعيانها وإطعامهم، مثلما أحدثها في أماكن أخرى من المغرب لهاته الغاية.ولم أقف على ما قد فعله رجال الآثار في الكشف عن معالم القرية وبيان سبب خرابها الآن. ومما لاشك فيه أن خلاء صيبارة كان بسبب الفتن التي قامت في عهد بني مرين ولا سيما في آخره واستمرار ذلك، زد على ذلك أن سكنى الصيباريين بالأكواخ والخيام ليس مما يدعو إلى المقام بها طويلا، لتعرضها احتمالاً للعواصف والأمطار والرياح وغير ذلك من الأحوال الجوية، فلربما لوبنيت بالأحجار والطابية لدامت طويلاً.

أهل صيبارة يخاطبون بالتشريف، ولا شك أن رحليهم كان لجهات مختلفة لا سيما نحو الشمال. لهم الآن زاوية بقبيلة سفيان، أي أنهم كانوا يقيمون هناك بوصفهم برانيين عن سفيان. ولا أرى ما علاقة هؤلاء بالصيابرة الموجودين بقبيلة الخلط حيث يسكن أفرادها اليوم قرب عين تِيسْوات جوار مصطاف مولاي بوسلهام من قيادة للاميمونة تاكَّنَاوَت، وهم معروفون أيضاً بقبيلة بني أحسن بطن أولاد خليفة فرقة أولاد مَحمد وفخذة أولاد غانم بطن أولاد عبد الله، فرقة الصفافعة والكل بإقليم القنيطرة شمالاً.

م. بن علي، *الإتحاف الوجيز*، 58 ـ 69 ـ 70، ط 2 ؛ م. بوشعراء، *علاقات المخزن بأحواز سلا*، 200 ـ 205 ؛ *الأصول الاجتماعية لأهل سلا*، مخطوط المؤلف.

*V.T.M.*, Rabat, Tome IV, 132 - 151.

مصطفى بوشعراء

**صَبْري، العربي** مقاوم ولد سنة 1933 بأنزكان إقليم أكادير. حفلت حياته بالأعمال النضالية والكفاح من أجل نيل حرية البلاد واستقلالها حيث برهن من خلال عدة أعمال فدائية قام بها إلى جانب إخوانه المقاومين عن وطنيته القحة وتضحيته الجسيمة من أجل تحرير الوطن من ربقة الاستعمار حيث كان يقوم بتوزيع المناشير على السكان لنشر الوعي بين المواطنين وحثهم على التصدي للاستعمار الغاشم وعدم الرضوخ له. وقد ظل كذلك إلى أن تحقق المبتغى وتم استقلال البلاد.

توفي يوم 31 ـ 1 ـ 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 507287.

**صُبُويَا**، من قبائل أيت باعمران التي تنسب كلها إلى الجد الأعلى يحيى، وتنص أعراف أيت باعمران القديمة على تقسيم القبيل، إلى أيت بَاهَا أُيحيى، ويتركزون في الجنوب الشرقي من إقليم أيت باعمران، بينما يتركز إخوانهم أيت بوبكر أُيحيى في الشمال الغربي.

وقبيلة ـ صُبُويَا ـ من اللّفّ الأول في أقصى الجنوب، وتشمل قمم الجبال المطلة على المحيط الأطلسي، وقد استفسر السلطان الحسن الأول عن معنى الكلمة، فأوّلَها بعضُهم بالصّبْوَة أي "عمل الأطفال"، نظرا لما أحدثوه من إزعاج، تراكمت عدة أسباب لإبرازه، كالمجاعة التي حلت بالإقليم، وكبُعْد المخزن المركزي على حد قول السلطان نفسه : "مع كون البلاد لم تنحكم بالمخزن مدة من السنين، تنيف على عدد السّتّين" (*الاستقصا*، 176) وكذلك أطماع الأجانب منهم الإسبان الذين "قد عزموا على الأخذ بشرطهم المذكور في معاهدة تطوان" (المرجع نفسه).

كما حاول البعض جعل كلمة ـ صُبُويَا ـ من أصل إسباني، وكلا التفسيرين عن الحق زائغ، فالكلمة أمازيغية محضة ـ معناها ـ أقْلمُونْ ـ ج إقْلْمَانْ للجلباب، وتعني سلسلة من قمم جبال على شكل أهرام هندية مثل القُبّ تماما، وهذا المصطلح مازال يستعمل في أدايْ بتافراوْت ويطلق على تلك القمم، بينما أصبح في أيت باعمران يطلق على القبيلة من باب إطلاق الحال وإرادة المحَلّ.

وهذه الكلمة تكتب هكذا في أعراف أيت باعمران القديمة، بل حتى المجددة مثل عرف سنة 1272 وعرف سنة 1290 وعرف سنة 1293.

ونسبة الرجل إلى القبيلة ـ أصْبَايُو، ونسبة الأنثى تاصْبَايُوتْ ـ وفي محاولة العدول يكتبون أحيانا ـ إصْبُويَا ـ كما ورد عند ابن زيدان وفي *الاستقصا*، والبعض ينسب هكذا الصّبَوي أو الهصباوي مما يفقد المصطلح معناه الجغرافي، مثل ـ هشتوكة وهلالة ...

كانت قبيلة ـ صُبُويَا ـ قبيلة متواضعة، تعيش على تربية الماشية وتربية النحل، ونظرا للجفاف اشتغلت بالتجارة، لكونهم همزة وصل بين شمال المغرب وجنوبه، ولتعلمهم اللسان الحساني من الرعاة الصحراويين الذين يستقرون في أرض القبيلة حتى يزول الجفاف فتصنعوا تلك اللهجة. وإلى ذلك أشار ابن زيدان بقوله : " وقبائل آيت باعمران هذه كثيرة تفوق الحصر، يتكلمون العربية والسوسية" *الإتحاف* ج 2، ص 210. هذا وقد أثنى ابن زيدان رحمه الله على أيت باعمران، وأسبل عليهم صفات تستحق أن تخلد في *معلمة المغرب* إذ قال : "ولأيْت باعمران كرم زائد وشجاعة، وهم أباة الضّيْم، أهل شمم ونخوة ... يكرمون الضيف" *الإتحاف*، ج 2، ص. 210.

وبظهـور أطمـاع الأوربيين في سـاحل أيت باعـمـران، وخاصة بعد انسحاب الإسبان من مراسي المغرب بعد استيفاء ما بقي من شروط معاهدة تطوان. ـ ومع الأكل تأتي الشهية ـ لذلك ظهرت أطماع ما كيتري وكورطيس في جنوب المغرب، وكان موقع ـ أسَاكَا ـ (المجاز) وأرْكْسِيسْ من أنسب المواقع لتأسيس مرسى بأقل كلفة.

وقد أضطرت المجاعة السكان إلى أن يهرعوا إلى المواد التي يخرجها التاجر الإنجليزي، فانجرّ إلى ذلك شيخ قبيلة ـ صبويا ـ مضطراً وهو مبارك نْدْ ـ يَاكُو ـ وقد أدرك السلطان تأثير هذه المسغبة على الإقليم فعزم على فتح مرسى أساكا هناك باسم الدولة المغربية وليس باسم الأجانب، ومما ورد في رسالة السلطان تجاه هذا المشكل قوله : "حتى سَوّلت له نفسه فتحها على يد بعض تجار الدول" *الإتحاف*، ج 2، 215.

وكلمة بعضهم لا تخص قبيلة ـ صبويا ـ وحدها، بل تعم بَايْرُوكْ التكني حسب رسالة السلطان سيدي محمد إلى أخيه مولاي العباس، منها "فإنّ بَيْرُوكْ التَّكْني تواطأ مع بعض النصارى على البناء بشاطىء أرضهم" *الإتحاف*، ج 1، ص. 381، كما تعم المرابط الحسين أهاشم شريف ـ تازْرْوَالْت ـ مع أعيان قبيلة أيت إخْلْفْ في موضع ـ رْكُونْتْ ـ مع شركة فرنسية، إلا أن مرسى أرْكْسِيسْ بقبيلة ـ صبويا ـ نالت السبق. مما دفع بعامل المخزن بسوس إلى القبض على التاجر الانجليزي ومعه جماعة. وقد أثارت هذه الواقعة ردود فعل، منهم من ذهب من الفقهاء الموالين للحاحي سعيد إلى هجو قبيلة ـ صبويا ـ وبالغ ـ سامحه الله ـ حتى عد عملهم ذاك شركا وكفرا إذ سمّى عمل العامل المخزني في ـ صبويا ـ "فتحا" كما أفتى بإباحة أموالهم ودمائهم فقال قصيدة منها:

فأمْوَالُهم مُباحَةٌ ودمَاؤُهُـم  تُراقُ بسَيْفِ الشّرعِ من دُونِ ما نُكْرِ

عن *المعسول*، ج 15، ص. 224.

أوْردنا هذا للتاريخ، ومازالت الأشراف تُهجى وتمدح، ولقبيلة صبويا مكانة لا تجحد في المقاومة الوطنية وجيش التحرير، ومعركة ـ أصْدْرْ ـ وشجاعتهم في انتفاضة أيت باعمران ضد التجنيس سنة 1947 بقيادة القائد أحمد اصبايّو، والشيخ سعيد الخمسي، وايت باعمران بدون استثناء، رَمْزُ مُشَاعُ للمقاومة والوطنية.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9، ص. 176 ؛ ح. الجهادي، بحث *ميداني في إقليمين، أعراف متداولة بخطوط عدول وقضاة*، *الإتحاف*، ج 2، ص. 210 ؛ نفسه كاملا، *الإتحاف*، ج 2، ص. 215. 381 ؛ *المعسول*، ج 15، ص. 224.

حسين جهادي

**صُبيح**، قبيلة عربية من بطون بني مالك المقيمين بشمالي مدينة سلا، وجدهم صبيح بن علاج بن مالك، كان "لهم عدد وقوة وهم يظعنون بظعن سويد ويقيمون بمقامهم (*العبر*، 6 : 102) ويعد بنو مالك أحد الشعوب الخمسة المكونة لقبيلة زغبة الهلالية الكبرى، نسبة إلى الجد الجاهلي زغبة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، ويوجد فريق من صبيح ببلاد اكتاوة في درعة، وفيها قصر بني صبيح على الطريق التي كانت تربط المغرب بالسودان الغربي.

وإلى قبيلة صبيح ينتمي الشاويون سكان بلاد تامسنا من جدهم حسان بن أبي سعيد الصبيحي الذي دخل هو وأخوه موسى إلى المغرب الأقصى أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني.

ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1959، ج 6 : 95 ـ 102 ؛ ع. الوهاب بن منصور، *قبائل المغرب*، الرباط، 1968، ص. 422 ـ 423.

محمد حجي

ابن **صبيحْ**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد الغمارية وقد أنجبت بعض الفقهاء مثل : عبد المجيد بن أحمد ابن صبيح الذي تعاطى خطة العدالة سنة 1120 (1708). ومحمد ابن صبيح، الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1142 (1729). ومحمد بن عبد المجيد ابن صبيح الذي زاول نفس الخطة سنة 1191 (1777).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 287.

محمد ابن عزوز حكيم

**الصبيحي**، أسرة سلوية نبيلة، تنتسب إلى قبيلة صبيح العربية المتفرعة عن قبيلة بني مالك من زغبة الهلالية، المستقرة ببلاد أزغار شمالي مدينة سلا. أنجبت كثيراً من الفقهاء والصلحاء والأمناء والولاة. وتوارث الصبيحيون حكم مدينة سلا منذ أواخر القرن الثالث عشر (19 م) إلى منتصف الذي يليه (20 م).

وهناك آل الصبيحي الصحراويون من قبيل ذوي منيع، نزحوا إلى وادي درعة ضمن القبائل التي طرأت على واحات هذا الوادي في مطلع القرن الثالث عشر (19 م) فاستوطنت قصر بني صبيح بواحة أكتاوة الذي كان من أكبر المحطات التجارية بواحات درعة، تلتقى فيه القوافل من سوس وتافيلالت وبلاد السودان.

**الصبيحي، أحمد** بن محمد السلوي. ولد بمدينة سلا في شهر صفر عام 1300 يناير 1882، وبها نشأ وتعلم، حفظ القرآن وجوّده بقراءة ورش إفراداً على يد الأستاذ أحمد بن أحمد البارودي (ت. 1310 / 1893) وحقق قراءة ورش وقالون جمعا وأتقن القراءات السبع على يد شيخ جماعة القراء بسلا محمد بن عبد الله بريطل (ت. 1334 / 1916) الذي يتصل سنده بالإمام محمد ابن غازي المكناسي الفاسي (ت. 919 / 1513) بسنده المذكور في فهرسه : *التعلل برسوم الإسناد*. ودرس قواعد اللغة وعلوم الشريعة بمسقط رأسه كذلك على عدد من الشيوخ، كخاله القاضي محمد بن أحمد السدراتي، والحسن بن إسماعيل، ومحمد حتّى الزموري، ومحمد المنصوري، وعبد القادر التهامي، وأحمد بن الفقيه الجريري.

ثم قضى بفاس أربع سنوات في الأخذ عن كبار علمائها، أمثال قاضي الجماعة بها عبد الله بن خضراء السلاوي، وعلي بن الطيب الدرقاوي، ومحمد القادري، وأحمد بن الخياط، وأحمد بن الجيلالي، ومحمد گنون، وعبد السلام الهواري، وغيرهم. وقد أجازه بعض هؤلاء الشيوخ إجازات عامة توجد نصوصها في *كشكول* المترجم. وبذلك تخرج أحمد الصبيحي عالماً مشاركاً في العلوم اللغوية والنقلية والعقلية، متخصصا في القراءات التي يعدُّ من أعلام عصره المبرِّزين فيها.

مكث أحمد الصبيحي بسلا، بعد رجوعه من فاس، نحو اثنتي عشرة سنة يشتغل بالكتابة في الباشوية والعدالة في مرسى العدوتين وتولي خطة الحسبة، وكان يقوم في نفس الوقت بإلقاء دروس في الحديث والسيرة والفقه واللغة والأدب، وأكثر ما كان يدرِّس القراءات في جامع سيدي أحمد حجي بجوار سكناه. ثم عُين ناظرا لأحباس أسفي سنة 1336 / 1918 فلم يبق فيها سوى ثلاث سنوات، نقل على إثرها إلى الكتابة بوزارة الأحباس لبضعة أشهر، ثم إلى نظارة الأحباس الكبرى وأحباس الحرمين الشريفين بمدينة مكناس حيث بقي سبع عشرة سنة (1922 - 1938) يزاول هذه المهمة الدقيقة بكفاية ونزاهة، أضيف إليه خلالها النظر في الأحباس الصغرى والزوايا بمكناس. ومعلوم أن أحباس مكناس من أغنى الأحباس في المغرب بسبب أوقاف السلطان المولى إسماعيل، ومن جملتها تحبيسه زيتون غابة حمرية بمكناس على الحرمين الشريفين. وأخيراً رجع أحمد الصبيحي لمسقط رأسه ناظراً لأحباس سلا حيث أنهى بقية مدة وظيفه.

كان أحمد الصبيحي، إلى جانب الأعباء الإدارية المنوطة به، نشيطا في الميدان العلمي، يبحث ويحاضر ويكتب في الصحف، ويناقش المستشرقين ويساجل الشعراء ويؤلف في مختلف الموضوعات اللغوية والأدبية والتاريخية والاجتماعية. فعندما كان محتسبا بسلا ألف كتاب *أصول أسباب الرقي الحقيقي* محللا جوانب الدين والعلم والفلاحة والتجارة والصناعة والاقتصاد، ونشر *الرحلة المغربية المكية* بجريدة *السعادة*، كما نشر مقالات في بعض الدوريات، اشتهر منها نقده لبعض إنتاج الشاعر المطبوع عبد الله القباج وبيان سرقاته الأدبية بكيفية موضوعية وموثقة، الأمر الذي كان له صدى واسع في الأوساط الثقافية حتى دعاه شيخ المحدثين والسلفيين ونائب الصدر الأعظم آنذاك العلامة شعيب الدكالي "محتسب العلماء".

وفي أثناء عمله بأسفي ألّف ثلاثة كتب عن هذه المنطقة، هي: *باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة*؛ *وعيسى بن عمر وفظائعه*؛ وصلحاء أسفي وعبدة. على أن فترة توليه نظارة مكناس هي أزهى فترات حياته العلمية وأغزرها إنتاجاً. فهناك نشر كتاب *بعض العادات المغربية* (1925)؛ *وأمثال العجائز* ضمّنه ثلاثمائة مثل نقلها إلى الفرنسية عبد القادر ابن شهيدة ونشرت الترجمة مع النص العربي (1930)؛ *والمقتطف اليانع من روض الحديث الجامع* نظمه في خمسة مقاصد، وأتى فيه بنحو سبعمائة حديث شرحها مرتبة على حروف الهجاء (1934)؛ *والرُّحيلة الثانية إلى مصر* (1935)؛ *ونبذة من ديوان أحمد الصبيحي*، انتقاء عبد القادر ابن شهيدة (1937) *ومعجم إرجاع بعض الدارج في المغرب إلى حظيرة أصله العربي* الذي خرّجته ونشرته الخزانة الصبيحية بسلا سنة 1990.

ولأحمد الصبيحي كتب أخرى ما تزال مخطوطة، أهمها *الكشكول* في خمسة أجزاء، سمى الأول *الفالوذج*، والثاني *الدرر*، والثالث *الروض*، والرابع *مسك دارين*، والخامس *نسيم السحر*. وهي عبارة عن كناشات علمية متنوعة الموضوعات، احتوت على كثير من الرسائل والمنظومات في مختلف الفنون، إضافة إلى إجازات وقصائد مطولات ومقطعات مختارة لشعراء قدماء ومعاصرين، ووفيات بعض أعلام المغرب وبخاصة العدوتين وفاس. ابتدأ الصبيحي جمع هذا الكشكول وهو ابن اثني عشر عاماً، وربما استمر عمله فيه إلى ما قبيل وفاته، ولذلك يتضمن، فيما يتضمن، أخبار طفولته وقراءاته الأولى، وتراجم شيوخه من الكتاب إلى جامع القرويين ومعاصريه من الأدباء والشعراء، ومقتطفات من آثارهم العلمية والأدبية نقلها من خطوطهم، لا سيما عبد الله بن خضراء، وأحمد بن خالد الناصري، والطيب عواد، ومحمد حركات، وإدريس الجعيدي، والعربي بن السائح.

توفي بسلا يوم الأربعاء 15 محرم 1363 / 2 يناير 1944.

أ. الصبيحي، نفسه، *الكشكول*، مخطوط، خ ص في خمسة أجزاء؛ وثائق أصلية خطية، خ. ص؛ م. حجي، تقديم *معجم إرجاع الدارج في المغرب إلى حظيرة أصل العربي*، سلا، 1990؛ *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية*، سلا، الكويت، 1985.

محمد حجي

**الصبيحي، أبو بكر** بن الهاشمي السلوي، ولد بسلا سنة 1320 / 1903 من أسرة عريقة عملت مدة أجيال في

خدمة الدولة المغربية، خاصة في مراكز السلطة. حصل على شهادة الكفاءة في الحقوق والعلوم السياسية من معهد الدراسات العليا في الرباط الذي أنشأه نظام الحماية وكان بمثابة كلية الحقوق والعلوم الإنسانية وعين في إدارة الشؤون الشريفة وهي الإدارة التي كانت الواسطة بين سلطان المغرب والحماية الفرنسية. ثم سمي مديراً لديوان باشا الدار البيضاء أكبر الحواضر المغربية سنة 1937. وكان له اهتمامات بالشوون الاجتماعية بالدار البيضاء. عاد إلى وظيفه الأول بإدارة الشؤون الشريفة في المحكمة العليا فأبان عن كفاءة قانونية وإدارية عالية.

اشتغل لمدة قصيرة في القطاع الخاص كمدافع امام المحاكم المغربية إلى سنة 1949، ثم عين عضواً في المحكمة العليا. وكان من مؤسسي النادي الأدبي الإسلامي بسلا الذي كان له دور ثقافي بارز في الثلاثينيات والأربعينيات بسلا.

منذ نشأة الحركة الوطنية وهو متصل بها عن طريق شقيقه عبد اللطيف الذي كان أول من نبه إلى خطورة الظهير البربري الذي استصدرته الحماية لتمزيق وحدة المغرب وعن طريق كثير من قادة الحركة الذين كانوا زملاءه في الدرس والتحصيل. قام بدور كبير في فرع حزب الاستقلال بسلا إبان اشتداد الأزمة المغربية ـ الفرنسية وكان من الموقعين على وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال ففصل عن الوظيف.

وبعد الاستقلال عين عضواً ملحقاً في الديوان الملكي كمحافظ على الوثائق والأرشيف لتخصصه في هذا المجال. ولم يتوان عن مواصلة أعماله الاجتماعية بما عهد فيه من نشاط.

سقط ضحية حوادث الصخيرات بالرباط يوم 16 جمادى الأولى عام 1391 / 10 يوليوز 1971 اثر الانقلاب الذي حاول القيام به فريق من ضباط الجيش الملكي.

أ. الصبيحي نفسه، ترجمته بقلمه، *كناشة*، مخطوط، خ. ص.

**الصبيحي، الطيب** (الحاج -) بن الحاج محمد عامل سلا بعد عبد الله بنسعيد. ولد سنة 1266 / 1850 وتوفي سنة 1334 / 1916. تعاطى التجارة وسافر من أجلها إلى جهات مختلفة مثل فاس ووهران. عين سنة 1306 / 1889 أميناً بعدة مراس أولها أسفي وآخرها الجديدة. وفي سنة 1323 / 1905 أصبح قائداً لمدينة سلا.

كوستي وعشاش، *بيوتات مدينة سلا*، تح. نجاة المريني، ص. 105 ـ 106 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 242، ط 2 ؛ *وثائق بنسعيد ووثائق*، خ ص.

مصطفى بوشعراء

**الصبيحي، عبد العزيز**، الدرعي الأكتاوي المعروف بالشيخ لَعْزِيزْ. بدأ مسيرته السياسية كواحد من أعيان جماعة قبيلة بني صبيح ممثلا لعظمه ومدافعا عن مصالحه. ونظراً للطريقة التداولية التي تتبعها قبائل القصور بدرعة لتولي مشيخة القبيلة، وصل لَعزيز الصبيحي إلى منصب مشيخة قبيلة قصر بني صبيح في بداية النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م).

كشف الشيخ لعزيز عن موهبة سياسية كبيرة، حيث تمكن من كسب عطف كل سكان القصر بما في ذلك الطائفة اليهودية وشيخها موشي نايت ميجُو، إذ كان جوادا مضيافا لا يبخل على من قصدهُ سواء من سكان القصر أو غيرهم من أهل أكتاوة ودرعة، فسارت بذكره الركبان. كان الشيخ لَعزيز يتطلع إلى فرض هيمنته على القصور المجاورة لقصر بني صبيح تمهيداً لمد نفوذه على كل قبائل واحة أكتاوة، إلا أنه اصطدم بشيخ قبيلة قصر بني حيون في وقته محمد البشْرَى بن عبد الملك الحيوني الذي لم يكن يقل طموحا عن الشيخ لعزيز، ولا نفوذاً ومكانة بين قبائل اكتاوة، وقد تفاقمت الصراعات والدسائس بينهما إلى أن استنجدا بقبائل أيت عطا فكان تدخلها وبالاً على المتنافسين معاً. ومات الشيخ العزيز الصبيحي في حدود 1290 / 1873.

وثائق محلية، *اتفاقيات*، *رسائل* ؛ الفقيه الحيوني، *رحلة الحيوني*، مخطوط ؛ الفقيه التمنوكالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط.
G. Spillmann, *Districts et tribus de la Haute vallée du Dra* ; P. Azam, *Les cités rurales de Lktawa*, C.H.E.A.M., Paris, 1946 ; *Sédentaires et nomades dans le Sud marocain*, C.H.E.A.M., 1947 ; Anonyme, *Monographie de l'Oued Dra*.

أحمد البوزيدي

**الصبيحي، عبد الغني** بن أحمد السلوي، ولد بسلا في 23 محرم عام 1349 / 20 يوليوز 1930. ودرس بالعدوتين وأتم دراسته بفرنسا حيث حصل على شهادة في التجارة من أحد المعاهد الفرنسية العليا.

أسندت إليه بعد الاستقلال مناصب إدارية وتربوية هامة اضطلع بها باقتدار وعفة ونزاهة. فكان عضواً في ديوان وزير الاقتصاد الوطني، ومسؤولاً في إدارة الفوسفاط، ثم مديراً عاماً لشركة النقل المغربية CTM، وأستاذاً بكلية الحقوق والمدرسة الوطنية للتجارة وإدارة المقاولات بالدار البيضاء.

توفي بالدار البيضاء في شهر رجب ـ شعبان عام 1416 / دجنبر 1995.

*وثائق خ. ص. بسلا.*

**الصبيحي، عبد اللطيف** بن الهاشمي السلوي، ولد بسلا سنة 1314 / 1897، وبها نشأ وحفظ القرآن وتعلم مبادئ العربية، قبل أن يدخل المدرسة الفرنسية حيث تلقى تعليماً عصرياً مزدوجاً وحصل على الشهادة والتحق بمدرسة اللغات الشرقية فحصل على دبلومها. عُين بإدارة الشؤون الشريفة بالإقامة العامة، ومن ثم أمكنه الاطلاع على الظهير البربري (16 ماي 1930) قبل صدوره في *الجريدة الرسمية*، فتأثر تأثراً شديداً وأطلع قرناءه الشبان السلويين على فحواه ودعاهم إلى محاربة سياسة التفرقة وفصل البربر عن الشريعة الإسلامية. وهو الذي تزعّم حركة قراءة اللطيف في مساجد سلا التي عمت بعد ذلك سائر الحواضر المغربية وبعض المراكز الاسلامية في المشرق.

فُصل الصبيحي عن وظيفته ونُفي إلى سوس لمدة سنتين أصيب خلالها بمرض مزمن. وقد ذهب جماعة من شباب العدوتين إلى بيت المترجم لمواساة والدته السيدة عائشة بنت الحاج علي زنيبر الوطني الكبير صاحب مشروع الدستور، وكان من بينهم أبو بكر القادري الذي وصف عن مشاهدة ثبات هذه المرأة التي سماها أم المغاربة وروى في *مذكراته* الخطاب الذي ألقته أمامهم جاء فيه : "أبنائي، إني والله لمسرورة جداً بجهادكم في سبيل الدّين والوطن، أعانكم الله وقواكم، وزاد في مددكم، وإني لمغتبطة كذلك بمشاركة ابني عبد اللطيف في هذه الحركة، وتعاونه معكم، واحتجاجه ضد السياسة البربرية، وإبعاده من أجل أفكاره الوطنية، وإني معكم مستعدة لأن أضحي بنفسي ومالي وأولادي في هذا السبيل..."

شارك عبد اللطيف الصبيحي في تأسيس النادي الأدبي بسلا سنة 1927، وترأس لجنة من نخبة الشباب السلوي المهتم بقضية التمثيل. وكانت أول رواية مثلوها في 5 يونيو 1928 بعنوان *الرشيد والبرامكة* بمسرح النهضة بالرباط لقيت نجاحاً كبيراً، وأعيد تمثيلها بالدار البيضاء، ثم رواية في *سبيل التاج* في 21 شتنبر 1929. وأصدر جريدتين : *العمل* بالعربية، و*الصوت الوطني* بالفرنسية.

وبعد انعقاد مؤتمر أنفا بالدار البيضاء أثناء الحرب العالمية الثانية الذي حضره محمد الخامس إلى جانب الرئيس الأميركي روزفيلت والانجليزي تشرشل، وماراج فيه من حديث عن استقلال المغرب ؛ أسس عبد اللطيف الصبيحي نادي روزفيلت بالرباط، ودعا إلى حفل خطابي كبير لتدشين هذا النادي، وكان من بين المدعوين علماء كبار جاؤوا بلباسهم التقليدي (الكسا) في مقدمتهم مفتي سلا الشيخ أبو بكر زنيبر لكن سلطات الحماية منعت هذا التجمع في آخر لحظة، وبقي المترجم مع جماعة من الشباب الوطني يجتمعون في نادي روزفيلت ساعين في التقارب المغربي الأميركي للضغط على فرنسا والعمل على التحرر من نير الحماية.

وبعد الاستقلال عين المترجم عضواً في المجلس الوطني الاستشاري، ثم سفيراً للمغرب بأميركا الجنوبية ثم بالدول السكندينافية.

توفي بمسقط رأسه يوم الأحد 17 قعدة عام 1384 / 20 مارس 1965.

ع. اللطيف الصبيحي نفسه، جريدة *العمل* ؛ *الصوت الوطني* ؛ *تصريحاته ومذكراته* ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3388 ؛ أ. القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية*، الدار البيضاء، 1993، جزآن ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، د. ت. 10 أجزاء ؛ *المجلس الوطني الاستشاري*، الدار البيضاء، 1986 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، 1971، جزآن.

**الصبيحي، عبد الله** بن محمد السلوي. ولد بسلا سنة 1332 / 1914 وبها نشأ وتعلم علي يد شيوخها وفي مقدمتهم والده الباشا العلامة محمد بن الطيب الصبيحي آتي الترجمة، ثم التحق بمدرسة أبناء الأعيان الابتدائية بسلا وبعدها ثانوية مولاي يوسف فليسي گورو الفرنسي فليسي لويس الأكبر بباريس حيث حصل علي البكالوريا. ومن ثم التحق بمعهد جنسون دي ساي للتهيُؤ إلى ولوج المعهد الزراعي گينيون الذي تخرج منه مهندساً فلاحياً سنة 1939.

وبعد عودته إلى مسقط رأسه مارس الفلاحة وأصبح ممثلاً لمنتجي الخضر بسلا، ثم عمل مع جاك بيرك في عملية

التنمية الفلاحية بالمغرب وأسسا مركز تحديث الفلاحة. وفي سنة 1947 أسند إليه منصب مندوب الصدر الأعظم في الشؤون الاقتصادية والفلاحية والتجارية في حكومة المخزن تحت إمرة محمد الخامس إلى أن أقاله من منصبه المقيم العام الجنرال جوان بسبب مواقفه الوطنية. وبعد الاستقلال عين عضواً بالمجلس الوطني الاستشاري، وبعد حل هذا المجلس، رجع المترجم إلى عمله كمزارع قبل أن يقوم سنة 1967 بتأسيس الخزانة العلمية الصبيحية خارج باب بوحاجة بسلا لتؤوي خزانة الكتب العامرة التي حبسها والده على الباحثين والطلبة وعموم القراء. وقد تخلى المترجم عن أنشطته الفلاحية وأقبل بكليته على تسيير هذه الخزانة وإغنائها بعدد وافر من المطبوعات التي اقتناها أو أوقفها علماء المدينة على هذه الخزانة التي امتلأت رحابها بالباحثين والطلبة السلويين والوافدين من مختلف الجهات.

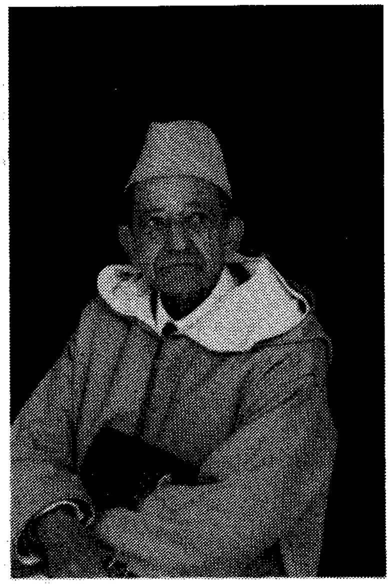

توفي بالمدينة المنورة بعد أداء مناسك العمرة يوم الجمعة 8 شعبان عام 1416 / 29 دجنبر 1995 ودفن بالبقيع.

ع. الله الصبيحي نفسه، *كناشة علمية*، مخطوط، خ. ص ؛ *وثائق عائلية* ؛ ع. السلام ابن سودة، *سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3413.

**الصبيحي، عبد الهادي** بن أحمد السلوي، ولد بسلا في 9 جمادى الأولى عام 1344 / 25 نونبر 1925، وبها نشأ ودرس في المدارس العصرية بالعدوتين، وأتم دراسته في إحدى الجامعات الفرنسية (گرينون) حيث تخرج مهندساً فلاحياً سنة 1951. شغل بعد الاستقلال عدة مناصب سامية إدارية ودبلوماسية ودولية أظهر فيها كفاية ونزاهة نادرة، كان مندوباً إقليمياً لوزارة الفلاحة بالرباط (56 ـ 1957)، ومفتشاً منتدباً لوزارة الفلاحة في المنطقة الشمالية سابقاً (58 ـ 1959) ومدير ديوان وزير الفلاحة (58 ـ 1959) ومدير ديوان وزير الاقتصاد الوطني (59 ـ 1960) وعاملا لاقليم الدار البيضاء (60 ـ 1961).

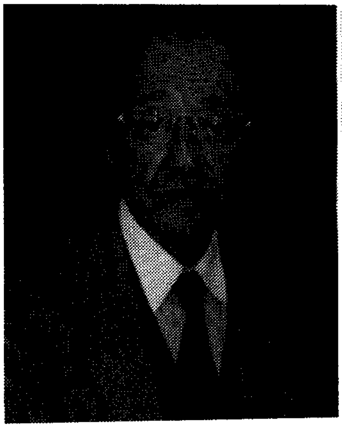

ثم دخل عالم الديبلوماسية، فأصبح وزيراً ممثلاً دائماً للمغرب لدي المنظمة الدولية للتغدية والزراعة (61 ـ 1965)، وسفيراً لجلالة الملك لدى دول التوافق مقيماً في أبيدجان (65 ـ 1967)، وسفيراً لجلالة الملك في الاتحاد السوڤياتي وبلغاريا مقيماً في موسكو (67 ـ 1971) ؛ ومديراً عاماً للمكتب الشريف للتصدير OCE (17 ـ 1972) ثم رجع إلى وزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي (1972) قبل أن يعين سفيراً لصاحب الجلالة بالدول السكندنافية مقيماً في كوبنهاگ (73 ـ 1976) فسفيراً لصاحب الجلالة في دولة الكويت والبحرين مقيماً في الكويت (78 ـ 1980) إضافة إلى مهام دولية أخرى.

توفي بسلا في 27 شوال عام 1418 / 24 فبراير، 1998.

*وثائق عائلية وإدارية.*

**الصبيحي، محمد** بن **الطيب**، باشا سلا وعالمها وحاتمها الشهير. ولد بسلا عام 1299 / 1882 ودرس بها أولاً على القاضي عبد القادر بن محمد التهامي (ت. 1356 / 1937) والعدل محمد المنصوري (ت. 1346 / 1928) والقاضي الخطيب سي حتى الزموري (ت. 1359 / 1940) وشيخ الجماعة بسلا أحمد بن إبراهيم ابن الفقيه الجريري (ت. 1353 / 1934) والقاضي الحاج علي بن محمد عواد (ت. 1354 / 1935) والفقيه أحمد بن بوبكر عواد (ت. 1358/ 1939) ورحل إلى فاس سنة 1319 / 1901 لإتمام دراسته وبقي فيها إلى سنة 1324 / 1906 حيث أخذ الحديث والفقه والأصول واللغة وقواعدها والبلاغة والمنطق عن شيوخ القرويين المشهورين أمثال التهامي ابن المدني گنون، وعبد السلام الهواري، وأحمد ابن الخياط، وأحمد بن محمد العلمي، ومحمد بناني الديوان، وأحمد ابن الجيلالي

الأمغاري، ومَحمد القادري، وأحمد بن المامون البلغيثي، والفاطمي الشرادي، ومَحمد بن محمد گنون، والقاضي محمد بن رشيد العراقي وغيرهم. وقد أجازوه إجازات عامة وخاصة. وأخذ الحساب والفرائض والفلك والتوقيت والتنجيم عن الشيخ محمد بن علي الأغزاوي، كما قرأ الحساب أيضاً بالرباط على الشيخ المهدي متجينوش.

وبعد رجوعه إلى سلا أخذ يلقي دروساً بجامع سيدي الحاج عبد الله بباب حساين، إلى أن أسند إليه منصب باشوية مدينة سلا بعد وفاة والده الحاج الطيب الصبيحي سنة 1332 / 1914 وظل يشغل هذا المنصب إلى الاستقلال (1375 / 1956). كان بيته الجميل الفسيح دائماً مفتوحاً في وجه زوار المدينة من علماء وشرفاء وصلحاء وكبار رجال المخزن يكرمهم وينفق عليهم بغير حساب، ولم يكن ينقطع طوال هذه الحقبة عن التدريس بمنزله بعد صلاة الصبح إلى الضحى. وقد لازمت هذه الدروس مع خالي محمد العوني تارة وصديقي عبد الرحمن ابن عبد النبي تارة أخرى نحو خمس سنوات قرأنا عليه أثناءها الحساب والجبر والمقابلة بكتاب القلصادي، ختمناه أكثر من مرة، والتوقيت بكتب الشيخ مَحمد العلمي المطبوعة على الحجر بفاس، والفلك بكتاب *المناهج الحميدية في حساب النتائج السنوية* لعبد الحميد مرسي غيث الفلكي المصري وهو مبني على رصد جديد لشيخه حسين زايد ختمناه كذلك أكثر من مرة، ورصدنا ما حدث خلال ذلك من كسوف الشمس وخسوف القمر. كما قرأنا عليه *القوانين الفقهية* لابن جزي وكتاب *الفقه على المذاهب الأربعة*، وكان حديث الصدور في مصر.

لم يؤلف - على سعة علمه - سوى كتيب سماه *انبلاج الفجر عن المسائل العشر* (طبع بالرباط سنة 1359 / 1940) يدل رغم صغر حجمه على تحقيق المترجم وتدقيقه في مثل تقدير الزمن بين الاصفرار والغروب، وطلوع الشمس وحل النافلة، والفجر والاسفار، ووزن الدرهم الشرعي والمثقال أو الدينار، وخرص التمر والعنب الخ.

توفي بسلا بعد زوال يوم الأحد تاسع صفر عام 1389 / 27 أبريل 1969 ودفن تحت درج الخزانة العلمية الصبيحية خارج باب الخباز (بوحاجة) بسلا.

*معرفة شخصية ووثائق عائلية.*

محمد حجي

**الصبيحي، محمد** بن **عبد القادر** فقيه مدرس ومفت، كان من سنة 1214 إلى 1219 قاضياً بمكناس. وعاش بسلا في خطة العدالة. وكان بقيد الحياة سنة 1242 / 1826.

*تقييد للحاج محمد الصبيحي بخزانته* ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 242، ط. 2 ؛ *وثائق شخصية*.

**الصبيحي، محمد** بن **محمد** (الحاج -) الأمين فقيه وعالم رافق السلطان مولاي إسماعيل إلى تافيلالت لقراءة *صحيح البخاري* عليه حسبما جاء في *تقييد* للحاج محمد بن الطيب الصبيحي. ووصفه معاصروه بالفقيه النزيه والعالم النبيه، ورثاه أحمد الحافي ومَحمد بن عبد الرحمن بن زكري وأحمد بن عبد القادر التستاوتي المباركي بشعر ونثر أورد بعضهما محمد بن علي في *الإتحاف الوجيز* بعد أن حلاه بالعلامة النجيب.

توفي يوم الأربعاء 20 ربيع الثاني 1122 / 18 يونيه 1710.

م. بن علي، *الإتحاف الوجيز*، 134 - 136 ؛ تقييد الحاج محمد الصبيحي بخزانته ؛ أ. الصبيحي، *الروض*، 150، المجموع 3864 بالخزانة الصبيحية.

**الصبيحي، مُحمد** بن **مَحمد** بن مَحمد (فتحاً فيهما) بن يحيى. ولي على نظارة الأحباس الكبرى بسلا من سنة 1271 إلى وفاته وذلك بعد موت محمد بن عبد الهادي زنيبر، وعلى يده بنى حمام الطالعة. وكان إلى جانب منصبه يشتغل بصناعة الصابون وبالفلاحة وتوفي عام 1285 / 68 - 1869.

تقييد للحاج محمد بن الطيب الصبيحي بخزانته ؛ *الوثائق الملكية*؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 242، ط 2.

محمد بوشعراء

**الصبيحي، يحيى** بن عبد العزيز الدرعي الاكتاوي، خَلَفَ أباه في مشيخه قصر بني صبيح، وهو ما يزال شابا

في مقتبل العمر، وقدورثها عن أبيه مشيخة متضعضعة، خاصة بعد هجوم قبيلة بني حيون على بلاد بني صبيح سنة 1292 / 1879، فنهبت كل ما تمكنت من الوصول إليه من تمور ومزروعات، وقطعت أعداداً كبيرة من أشجار النخيل (*وثيقة محلية*) وقد اندلعت حروب طاحنة بين القبيلتين والمتحالفين معهما من قبائل أيت عطّا. ولعل هذه الأحداث هي التي جعلت الشيخ يحيى الصبيحي يجنح إلى السلم، ويحاول رتق ما فتقه والده، وفي هذا الإطار بدأ يلم صفوف قبيلة بني صبيح، فاستقطب إلى جانبه عدداً من عقلاء القبيلة الذين يمثلون كل الأعراق المتساكنة داخل أسوار القصر (دراوة، الأعراب، الأحرار، اليهود، أيت عطّا). ثم بعد ذلك ألغى الإتاوات الإجبارية التي كانت القبيلة تؤديها للشيخ لَعْزيزْ وعوضها بمساهمات تطوعية لمواجهة مصاريف الضيافات العامة.

صادفت السنوات الأخيرة من مشيخة يحيى الصبيحي، في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) تدفق أمواج قبيلية جديدة على واحتي اكتاوة والمحاميد، نتيجة الضغط الفرنسي في الصحاري الشرقية والجنوبية، وقد أثارت هذه الأمواج البشرية الطارئة سلسلة من الاضطرابات الاجتماعية زعزعت ما تبقى من هيبة للأسر التقليدية مثل أسرتي الحيوني والصبيحي بأكتاوة، التي فقدت سيطرتها على ما تبقى لها من أتباع، وفي هذه الظروف المضطربة توفي الشيخ يحيى الصبيحي في زمن غير محدد من بداية عهد الحماية. وبوفاته انتهت هذه الأسرة ولم يبق لها بين سكان قصر بني صبيح إلا ذكريات متناقضة.

*وثائق محلية، اتفاقيات، رسائل* : الفقيه الحيوني، *رحلة الحيوني*، مخطوط ؛ الفقيه التمنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la Haute vallée du Dra* ; P. Azam, *Les cités rurales de Lktawa*, C.H.E.A.M., Paris, 1946 ; *Sédentaires et nomades dans le Sud marocain*, C.H.E.A.M., 1947 ; Anonyme, *Monographie de l'Oued Dra*.

أحمد البوزيدي

**الصحافة** بالمغرب : إذا كانت أوروبا قد عرفت الصحافة بمفهومها العصري منذ القرن السادس عشر نتيجة لانتشار الطباعة وازدهار التجارة والمبادلات، فإن المغرب قد تأخر عن هذا الركب ولم تظهر فيه الجرائد الأولى إلا في العشرينيات من القرن التاسع عشر. ولكن مع ذلك، فقد كانت نخبة من المغاربة على علم بوجود تلك الأوراق الإخبارية قبل ذلك التاريخ بكثير. فالغساني أشار إليها في كتابه *رحلة الوزير في افتكاك الأسير* الذي كتبه في أواخر القرن الحادي عشر (17 م) عقب مهمة كلفه بها السلطان المولى إسماعيل لدى الملك الإسباني كارلوس الثاني (1690 - 1691) عندما كتب : "ويسمونها الكاسيطة، فيطلع الإنسان منها على أخبار كثيرة، إلا أن فيها من الزيادة والكذب ما تحمل عنه الشهوة الإنسانية".

إن "الكاسيطة" المذكورة عند الغساني مأخوذة من الكلمة الإسبانية "Gaceta" المشتقة بدورها من اللغة السائدة في البندقية أو من الإيطالية. ذلك أن البندقية كانت مهد الصحافة في أوروبا عندما ظهرت فيها في القرن السادس عشر أوراق إخبارية يطلق عليها اسم Gazeta الذي يعني عملة صغيرة تؤدى ثمنا لتلك الأوراق. فاتسع معنى الكلمة ليشمل الجرائد نفسها، وسرعان ما تعممت في مجموع الولايات الإيطالية بصيغة Gazzetta. ومن اللغة الإيطالية انتقلت إلى بعض اللغات الأوروبية الأخرى كالفرنسية (Gazette)والإسبانية (Gaceta). ولا يستبعد أن تكون الكلمة قد تسربت من شبه الجزيرة الإيبيرية إلى المغرب حيث ترد في الوثائق والمصادر بصيغ مختلفة مثل : الكاسيطة والكازيطة والجازيطة الخ. وقد استمر تداول هذا المصطلح في الكتابات المغربية مدة طويلة حتى حلت محله كلمتا "الجريدة" و"الصحيفة" بفعل تأثير بعض المشارقة الذين استقروا في المغرب وعملوا في حقل الصحافة.

وبعد شهادة الغساني بما ينيف عن نصف قرن، كتب محمد الصفار التطواني رحلته المشهورة إثر زيارته لفرنسا (1845 - 1846). وفي هذه الرحلة نجد وصفا مهما لصحافة باريس إذ يصف الكاتب انتشارها وكيفية الاشتراك فيها، علاوة عن معلومات عن الإشهار فيها، والقوانين المنظمة لها، دورها كأداة للمعارضة السياسية. ومما استرعى انتباهه كون القراء الفرنسيين متشبثين بجرائدهم إلى درجة المغالاة في ذلك. ومما جاء تحت قلم الصفار في هذا الصدد : "وبالجملة، فالكوازيط عندهم من أهم المهمات، حتى إن أحدهم قد يصبر على الأكل والشرب ولا يصبر على النظر في الكازيطة".

أما إدريس العمراوي، الذي اطلع على رحلة الطهطاوي المصري إلى الديار الفرنسية واستفاد منها، فقد أسهب أكثر من الغساني والصفار في وصف الطباعة والصحافة والمكتبات إبان رحلته إلى فرنسا سنة 1860.

كانت المدينتان المحتلتان مليلية وسبتة سباقتين إلى النشاط الصحافي في أرض المغرب، وذلك بصدور El Liberal Africano (المتحرر الإفريقي) سنة 1820 في المدينة الأولى وEl Eco Constitucional (الصدى الدستوري) سنة 1822 في المدينة الثانية. ثم جاء دور تطوان في بداية الستينيات إذ أصدرت بها قوات الاحتلال صحيفة El Eco de Tetuan (صدى تطوان) سنة 1860 ثم El Noticiero (المخبر) سنة 1861. وإذا لم يكن لهذه الجرائد أثر مباشر وجلي على السكان المغاربة، فإنها جعلتهم يستأنسون شيئا فشيئا بأدوات إعلامية كانت غريبة عن مجتمعهم. وقد تعزز هذا الاستئناس بصفة ملحوظة في طنجة ابتداء من عقد الثمانينيات إذ شهد الثغر، بعد تأسيس مطبعة" أبرينس Abrines فيه، ميلاد عدد لا يستهان به من الصحف بمختلف اللغات الأوروبية (The Times of Morocco - Le Réveil du Maroc - Al-Moghreb Al Aksa - الخ..). وكان معظمها يدين بالولاء للمفوضيات الأجنبية أو لبعض الأوساط المالية

التي لم تكن تنظر إلى المغرب إلا كغنيمة يجب استنزافها حتى النخاع. وهذا ما جلعها تتجاسر على البلاد والعباد ضاربة عرض الحائط بالمقدسات والقيم والعادات المحلية. وتوجهها هذا هو الذي أثار حفيظة المخزن وجعل النائب محمد بن العربي الطريس يرسل مذكرة إلى مختلف المفوضيات الأجنبية بطنجة بتاريخ 20 يوليوز 1886 يبلغها قراره بإلغاء الصحف الصادرة بالمدينة. غير أن هذه المبادرة ظلت حبرا على ورق ولم تعدل من لهجة "الجوازيط" إلا قليلا. ولعل ذلك هو الذي جعل السلطان المولى الحسن يقول عنها، حسب ما أورده وزيره محمد المفضل غريط في رسالة موجهة إلى النائب المخزني بطنجة : "إن الجوازيط من باب حاطب ليل، ومن محدثات الأمور التي لم يعهد مثلها. وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة [...]". غير أن هذا الحكم الصارم لم يمنع المخزن الحسني من الاستعانة بالصحافة كلما كانت في ذلك مصلحة البلاد.

هيمنت الصحف الصادرة باللغات الأجنبية في المغرب طيلة العقدين الأخيرين من القرن الثالث عشر، (19 م) ولم نسجل إلا استثناء واحدا تمثل في صدور جريدة *المغرب* بطنجة ابتداء من منتصف ماي 1889. كان يحررها شاميان هما عيسى فرح وسليم كسباني، ولكن صاحبها الحقيقي هو الانجليزي بودجيت ميكن Budgett Meakin الذي كان يملك أيضاً *The Times of Morocco* (أزمنة المغرب). ولما لم يكن الإقبال عليها كبيرا فإن جريدة *المغرب* لم تعمر إلا سنة واحدة.

ومع إطلالة القرن العشرين واشتداد التنافس الاستعماري حول المغرب، ازداد عدد الصحف الأجنبية الصادرة بالمغرب فعكست صحافة طنجة بالخصوص مختلف المصالح المتباينة والمتناقضة. وتعززت بظهور جرائد عربية اللسان ومختلفة المشارب والمصالح مثل "السعادة و"الصباح" و"الفجر" و"استقلال المغرب" و"الحق" الخ. وبهذا كانت طنجة، بموقعها الممتاز على مضيق جبل طارق وعلى بعد أقل من عشرين كيلوميترا من القارة الأوربية، وبساكنتها المختلفة الأجناس والعقائد واللغات، قد لعبت دوراً رياديا في تاريخ الصحافة بالمغرب. وباحتلال الشاوية سنة 1907 تحول مركز الدعاية الفرنسية إلى الدار البيضاء حيث صدرت جرائد عديدة أهمها La Vigie Marocaine (نونبر 1908) التي مهدت لميلاد "إمبراطورية إعلامية" ترأستها أسرة "ماص" Mas القادمة من مدينة "ليون" الفرنسية والتي كان لها لاحقا شأن كبير في ظل نظام الحماية.

نشأت الصحافة وترعرعت في المغرب في غياب أي قانون ينظم نشاطها. وقد فطن الجنرال ليوطي، أول مقيم عام فرنسي بالمغرب، منذ السنوات الأولى من عهد الحماية إلى خطورة هذه الثغرة بالنسبة لسياسته. فعمد إلى استصدار ظهير 27 أبريل 1914 الذي يعتبر أول قانون منظم للصحافة تشهده البلاد. وإذا كان هذا الظهير قد استلهم الكثير من القانون الفرنسي لسنة 1881 المتعلق بالصحافة والحريات العامة، فإنه كان أقل منه ليبرالية في عدد من مضامينه. فالظهير المذكور كرس الأفضلية للصحافة المحررة بالفرنسية على حساب الصحافة المكتوبة بالعربية أو العبرية. فكان على الراغب من المغاربة في إصدار صحيفة عربية أن يتخطى حواجز قانونية تثبط العزائم. وهذا ما يفسر لجوء المتعلمين المغاربة إبان عقد العشرينيات إلى الاكتفاء بمنشورات سرية مخطوطة أو مرقونة وزعوها في بعض الحواضر مثل "السيف القاطع" و"اللواء" و"الإسلام" و"الوداد" و"المدرسة" و"الوطن" و"أم البنين"... وكانت أصداؤها محدودة جداً، لكن وجودها يعبر تعبيرا واضحا عن شعور محرريها بالحرمان فيما يخص حرية التعبير.

جاء الظهير الاستعماري المؤرخ في 16 ماي 1930 والرامي إلى الإخلال بوحدة المغاربة فأفرز جوا عاما مما فيه تأسيس شريحة مهمة من النخبة المغربية التي وعت أكثر من أي وقت مضى أهمية إيجاد صحافة وطنية تضطلع بالدفاع عن تطلعات المغاربة إلى الإصلاح. ولكن قبل التمكن من تحقيق ذلك، عرج بعض الوطنيين، أمثال محمد بن الحسن الوزاني وأحمد بلافريج، على باريس حيث أسسوا مجلة *Maghreb* (يوليوز 1932) كمنبر في المهجر للحركة الوطنية الناشئة. وقد شكلت هذه المجلة مدرسة حقيقية تخرج منها عدد من الصحفيين المغاربة. وكانت هذه التجربة مقدمة لإصدار أول جريدة وطنية بفاس تحت عنوان *L'Action du Peuple* *(عمل الشعب)*، وذلك في غشت 1933. وشكل إصدار هذه الجريدة الوطنية باللغة الفرنسية، و*La Volonté du Peuple* *(إرادة الشعب)* التي تلتها، تحايلا على القانون الذي يفرض، فيما يخص المطبوعات العربية، الحصول على ترخيص مسبق من الصدر الأعظم، وهو شيء كان بعيد المنال. وكما كان منتظراً لم تمر هذه المناسبة دون إثارة ردود فعل عنيفة في أوساط بعض المعمرين الذين كانوا يعتقدون أن الصحافة قد تتحول إلى سلاح خطير في أيدي الوطنيين المغاربة.

استهانت الإقامة العامة أول الأمر بصحافة وطنية مكتوبة بلغة يجهلها السواد الأعظم من المغاربة. لكن سرعان ما أدركت خطأ تقديرها عندما لاحظت أن الإقبال على الصحافة الوطنية شمل حتى الأميين الذين يبحثون بعد اقتناء جريدتهم عمن يترجم ويفسر لهم محتوياتها. فقد استطاعت الصحافة الوطنية أن تجلب اهتمام القراء المغاربة نظراً لإقدامها على فتح ملفات حساسة قلما اهتمت بها الصحافة الأوربية الصادرة بالمغرب. فقد اعتنت بإصلاح التعليم والقضاء والإدارة، كما طالبت بتحسين وضعية الفلاحين وأرباب الصناعات التقليدية، ومستوى الصحة العمومية. وكانت تندد دون كلل بالمضايقات التي تمارسها السلطة على الحريات العامة للمواطنين. أما على الصعيد الخارجي، فقد اهتمت الصحافة الوطنية بتطورات القضية الفلسطينية وبالأوضاع في بلدان شمال إفريقيا.

ولهذا كله كانت الإدارة الاستعمارية تترقب الفرصة المناسبة لخنق الصحافة الوطنية في المهد. وهو ما تحقق فعلا في ماي 1934 عندما تذرعت السلطات الفرنسية بالدور التعبوي الذي لعبته تلك الصحافة أثناء زيارة السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى فاس. ولم يشمل المنع *L'Action du Peuple* فحسب، بل طال أيضاً *Maghreb* الصادرة بباريس وكذا جريدتان تطوانيتان هما *"الحياة"* و*"السلام"*. ومنذ هذا الإجراء جعلت الحركة الوطنية في مقدمة مطالبها ضرورة إقرار حرية التعبير الصحافي في المغرب. وتجدر الإشارة هنا أنه كلما ضيقت فرنسا الخناق على الصحافة الوطنية في المنطقة السلطانية، كلما وفرت السلطات الإسبانية في المنطقة الخليفية هامشا من الحريات العامة لتظهر أنها أهل بثقة المغاربة من غريمتها في الجنوب.

في سنة 1936، وبعد صعود الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا، حصل انفراج نسبي في مجال الحريات العامة في المغرب، مما جعل المشهد الإعلامي يتعزز بظهور صحف وطنية باللغة العربية مثل "الدفاع" و"الأطلس" و"المغرب". ولكن سرعان ما خاب أمل الوطنيين عندما لجأت الإدارة الاستعمارية إلى قمع حرية التعبير من جديد غداة أحداث بوفكران في خريف 1937. ولم يسمح بعودة الصحافة الوطنية إلى الأكشاك في المنطقة السلطانية إلا بعد الحرب العالمية الثانية لتأخذ هذه المرة مشعل المطالبة الصريحة بالاستقلال وإلغاء معاهدة فاس سنة 1912 (العلم - الرأي العام - حياة - الشعب - L'Istiqlal - Espoir...). وقد سايرتها في هذا التوجه الجرائد الوطنية الصادرة في تطوان وطنجة (الحرية - الأمة - الريف - "الوحدة المغربية" - منبر الشعب - الشعب - La Voix du Maroc...). وإذا كان هذا التعدد في المنابر الإعلامية الوطنية يعكس اختلاف التيارات المذهبية والحزبية، فإنه في الوقت ذاته يشكل خطة ناجعة لتفادي التعطيل الذي كانت تفرضه الرقابة كلما انزعجت من مقال أو تحقيق. وقد كانت وطأة مصالح الرقابة ثقيلة خاصة في المنطقة الرازحة تحت الاحتلال الفرنسي حيث بلغت أوجها في بداية الخمسينيات عندما تمكن الوطنيون من تدويل "القضية المغربية" وعرضها على أنظار الأمم المتحدة. فاستغل المقيم العام الجنرال غليوم أحداث "الكاريان سانطرال" (دجنبر 1952) ليوجه ضربة قاسية للنشاط الصحافي الوطني إذ منع معظم الجرائد الحرة وشمل الاعتقال والنفي عدداً من رجال القلم : الفقيه محمد غازي وعبد الرحيم بوعبيد وعبد الكريم حجي وقاسم الزهيري ومحمد الشرايبي وغيرهم. وبذلك خلت الساحة لفائدة الصحف الاستعمارية، وفي مقدمتها مجموعة ماص، التي لعبت دوراً حاسماً في عزل ونفي السلطان ابن يوسف في غشت 1953.

لم تستأنف الصحافة الوطنية نشاطها إلا بعودة السلطان من منفاه وإعلان استقلال المغرب. وفي ظل العهد الجديد تغير المشهد الإعلامي المغربي بتوقف عدد كبير من الجرائد الفرنسية والإسبانية عن الصدور نتيجة لرحيل المعمرين. وأما من الناحية القانونية، فقد حل ظهير 15 نونبر 1957 محل القوانين الاستعمارية المنظمة للصحافة والحريات العامة. ومع ذلك، فقد استمرت مجموعة "ماص" بجريدتيها اليوميتين *Le Petit Marocain* و*La Vigie Marocaine* تقلق راحة النقابة الوطنية للصحافة المغربية التي خاضت معها معركة قضائية طويلة لم تنته فصولها إلا في أكتوبر 1972.

م. الغساني، *رحلة الوزير في افتكاك الأسير*، طنجة، 1940، ص. 67 ؛ ميلار، سوزان، *صدفة اللقاء مع الجديد*، رحلة الصفار إلى فرنسا، 1845 ـ 1846، تعريب الدراسة ومساهمة في التحقيق، خالد بن الصغير، الرباط، 1995 ؛ إ. العمراوي، *تحفة الملك العزيز بمملكة باريز*، فاس، 1909، ص. 50 ـ 55، رسالة الوزير م. المفضل غريط إلى الطريس بتاريخ 22 ذي الحجة 1306 هجرية / 19 غشت 1889، المكتبة العامة والمحفوظات، تطوان، مح 28 ـ 78.

Amina Aouchar, La *presse marocaine dans la lutte pour l'indépendance*, Ed. Wallada, Casablanca, 1990 ; Jamaâ Baida, *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*, pub. de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat, 1996 ; *Libertés publiques au Maroc sous le Protectorat français : Presse écrite et droits de l'homme, H.-T.*, vol. XXXIX, fasc. 1, 2001, p. 71 - 78 ; Souriau-Hoebrechts, *La presse maghrébine : Libye, Tunisie, Maroc, Algérie*, Ed. du CNRS, Paris, 1975.

جامع بيضا

**الصحة بالمغرب** بدأ تنظيمها بطريقة عصرية مع الحماية الفرنسية التي أنشأت سنة 1912 إدارة للصحة العمومية. وكان الأطباء الأوربيون الذين توافدوا على المغرب في السنوات القليلة السابقة لتوقيع الحماية، يشكلون النواة الأولى لإدارة الصحة، منهم دبلوماسيون، ومبعوثون وعسكريون. وكان الأطباء الدبلوماسيون يعملون إلى جانب السلطان سعيا وراء تأثير بلدانهم على سياسته أو توجيهها بما يخدم مصلحة تلك البلدان، ومن أهم هؤلاء هنري دو لامارتينيير Henri de La Martinière وفرناند ليناريس Fernand Linares الذي مكث بالمغرب ما بين 1877 و1902.

أما الأطباء المبعوثون فهم الذين بعثتهم دولهم إلى المغرب في إطار الشؤون الخارجية ابتداء من نهاية 1904 وتعززت وضعيتهم بمقتضى عقد الجزيرة الخضراء في 1906، الذي سمح لهم بإمكانية التسرب داخل البلاد لحماية الفرنسيين في المدن والمراسي وما يواليها من البوادي مما قد يتهددهم من الأوبئة والأمراض. ومن هؤلاء الأطباء وايزجيربير Weisgerber وموشان Mauchamp ورينو Raynad وشاتينيير Chatinière، ممن لعبوا دوراً مهماً في المساعدة على التغلغل الاستعماري في المغرب، وعلى سبيل المثال فوايزجيربير هو الذي ألف عن الشاوية كتاباً كان يعتبر آنئذ دليلا لا مناص منه لضباط الحملات العسكرية بالمغرب، كما أن الخريطة التي وضعها في سنة 1910 لمنطقة فاس، هي التي اعتمدها موانيي Moinier في زحفه على المدينة سنة 1912. وكان من نتائج وجود الأطباء المبعوثين أن

انبثت في بعض المدن، بالمناطق الأولى التي أقام بها الفرنسيون، مستوصفات تحمل أسماء أطباء أمثال موران Mauran بفاس وبوڤري Bouveret بالصويرة وگيشار Guichard بالجديدة، وموشان Mauchamp بمراكش.

ومنذ سنة 1907 كان تسيير الشؤون الطبية يخضع لمصالح الصحة العسكرية، فكانت البنيات التحتية التي تم ارساؤها في ميدان الصحة لخدمة الاحتلال العسكري أرضية لانطلاق إدارة الصحة العمومية.

وقد أوكلت مهمة إنشاء هذه الإدارة في عهد ليوطي، للدكتور جوردران Jourdran الطبيب الرئيس لقوات الاحتلال، بمساعدة الدكتور موران Mauran فكان ذلك بقرار 21 أكتوبر 1912 المتعلق بالإعانة الطبية الأهلية، ويتضمن إحداث تجهيزات ثابتة متنقلة. ثم صدر قرار 21 ماي 1913 ليزيد من أختصاصات الإدارة ويوسع من مهامها ويخلق "إدارة الصحة والإعانة العمومية"، وذلك لما أصبح ينتظر القائمين بشؤون الصحة من أعمال تتزايد بتوسع البقاع المحتلة من البلاد، فتم تقسيم المجال الذي تمارس فيه إدارة الصحة نشاطها إلى ثلاث مناطق هي :

- منطقة مدنية وتضم مدن الرباط والدار البيضاء والجديدة، وأسفي والصويرة، وما يلي هذه المدن في شعاع لا يتعدى عشرة كيلومترات.
- منطقة الاحتلال التي يتمركز بها الجنود في غرب البلاد.
- منطقة الاحتلال التي يعسكر بها الجنود في المغرب الشرقي

وتحتوي هذه المناطق المحتلة عسكريا على وحدات صحية ثابتة كالمستشفيات وقاعات التمريض العسكرية، وعلى إعانة طبية متنقلة أو جوالة.

وجاء قرار مقيمي مؤرخ بـ 20 مارس 1915 ليقضي بتحولات مهمة في ميدان الصحة حيث أصبحت إدارة الصحة على قسمين :

- مصلحة الصحة العسكرية، وعلى رأسها الطبيب المفتش مديراً عاماً.
- مصلحة الصحة والإعانة العمومية، ويتولى أمرها مدير للصحة والإعانة العمومية تابع مباشرة للمدير العام.

وتمشيا مع ما أصبح منوطا بها من أدوار، إذ دخل المغرب الشرقي ضمن دائرة ما ينبغي أن تشمله الأعمال الطبية، فقد شهدت إدارة الصحة بقرار 9 مارس 1917 تغييراً في الاسم وأصبحت تسمى "مصلحة حفظ الصحة العمومية"، وتم في السنة الموالية إنشاء "مجلس أعلى لحفظ الصحة" يجتمع كل شهر تحت رآسة المقيم العام ومدير مصلحة الصحة، ويهتم بتطوير الخدمات في هذا الميدان. وبقيت إدارة الصحة تابعة بشكل يكاد يكون كاملاً لإدارة الصحة العسكرية حتى سنة 1926 حيث استقلت عن الوصاية العسكرية بمقتضى ظهير 15 مارس من السنة نفسها.

وحاول القائمون بشؤون الصحة في هذه المرحلة العمل على مكافحة الأوبئة والأمراض المتوطنة سعيا إلى ضمان اتصال مباشر مع السكان بما قل من التكاليف، وتوفير بيئة سليمة تتمكن معها جحافل الغزو من اكتساح مزيد من البقاع، بالإضافة إلى تسهيل استغلال البلاد والحفاظ على ثروتها البشرية. ولتحقيق هذه الأهداف استعملت إدارة الصحة آليتين شكلتا حجر الزاوية في العملية هما : المكاتب الصحية والفرق الصحية المتنقلة.

- انشاء المكاتب الصحية : كان المكتب الصحي يتكون من ضابط مهندس وطبيب عسكري وطبيب مكلف بالمستوصف المدني بالإضافة إلى ممثل عن المخزن وأحد أعيان السكان. وكانت كل مدينة تتوفر على مكتب صحي، ويسمى أيضاً المكتب البلدي الصحي، وتتحدد اختصاصاته في تقديم تقارير تتضمن مجموعة من المعطيات المتعلقة بحياة السكان في المدينة، ففي الأوقات العادية تنحصر أنشطته في مراقبة الوفيات والتأكد من الموتى، وجمع البيانات حول الأمراض المعدية، بالإضافة إلى مراقبة المساكن صحيا وذلك بجمع القمامة والقضاء على الفئران، ومراقبة العمارة ومياه الشرب وما يعرض للبيع من مواد غذائية. أما في الأوقات غير العادية، عند ما تداهم البلاد موجة من الأوبئة أو عندما تشتد وطأة مرض معد، فإنه كان على المكتب الصحي القيام بعمليات التطهير ومحاربة القمل وتلقيح السكان وعزل الجياع والمتسكعين وإقفال الفنادق.

- الفرق الصحية المتنقلة وتسمى أيضاً المجموعات الصحية المتنقلة أو الفرق الصحية الجوالة - وهي أجهزة طبية اعتمدتها فرنسا في عملية التغلغل السلمي بالمغرب، وكان يُرمز إليها في التقارير بـ Groupe Sanitaire G. S. M) (Mobile وهي حسب تعبير ليوطي مستوصفات متنقلة للاستشارة والعلاج".

ب - المعهد الصحي بالرباط. شرع في بناء المعهد الصحي في سنة 1928، بحي أگدال، وكان يسعى إلى أهداف عملية وتطبيقية واجتماعية وكانت له اتصالات مستمرة مع كل مصالح الحماية كما كان يعمل بتنسيق مع معهد باستور بالدار البيضاء. وقد جاء في خطاب الدكتور گو Gaud بمناسبة تدشينه للمعهد في أواخر دجنبر 1930 "إن معهد الصحة مؤسسة تقنية تابعة مباشرة لإدارة الصحة العمومية، ومهمتها حفظ الصحة ودراسة الوقاية من الأمراض المتوطنة والوبائية، واستعمال الموارد التقنية المتعلقة بالحفاظ على الصحة العمومية".

واعتمد المعهد منذ نشأته على مجموعة من المرافق لتسهيل مامورية العاملين به كالخزانة التي تضم كثيراً من الكتب في الطب والأمراض والعلوم البيولوجية ومتحف يحتوي على كل ما من شأنه أن يساعد المهتمين بأمور الصحة في القيام بعملهم في هذا الميدان كالإحصاءات والصور ووسائل التطهير، كما كان المعهد يصدر مجلة تسمى: "نشرة معهد الصحة المغربي"تتولى نشر ما ينجز من

درسات حول الأمراض وما تتوصل به إدارة المعهد من تقارير عن الأحوال الصحية بالمناطق، ودور الأطباء، والتقارير السنوية لإدارة الصحة.

وارتبطت بالمعهد الصحي مجموعة من المصالح المختصة هي :

- المختبر المكروبيولوجي وكانت مهمته القيام بالفحوص المكروبيولوجية المختلفة مما يحتاجه الأطباء، كما كان يقوم بتحليل عينات من المياه لمعرفة مدى صلاحيتها للشرب.

- مختبر علم الطفيليات : وكان يقوم بما يطلبه أصحاب المصحات من فحوص ويبحث في ما تسببه الطفيليات من أمراض، ويدرس الحشرات التي من شأنها أن تنقل العدوى.

- مصلحة مكافحة الأوبئة : وكانت تتولى القضاء على الأوبئة أو الحد من انتشارها، وذلك بعزل المصابين بالوباء، وغسل ملابسهم وتطهيرها من القمل والأوساخ.

- مصلحة مكافحة حمى المستنقعات : كانت هذه المصلحة موجودة قبل تأسيس المعهد بسنوات، وكان اهتمام العاملين بها ينصب على دراسة البعوض، والبحث عن المؤشر الطحالي وفحص شفرات الدم، وضبط المستنقعات ورشها بالمبيدات المانعة لنشاط البعوض وتكاثره.

- مصلحة الكيمياء البيولوجية والسمامة : وكانت تقوم بدراسة ما تقدمه الصيدلية المركزية من أدوية. وتبحث في المواد الغذائية والمياه المعدنية.

- مختبر علم التشريح : وكان يهتم بفحص الانتفاخات والأورام ويدرس أطراف الأعضاء المبتورة من جسم الإنسان أو الحيوان، ويساعد على تشخيص بعض الأمراض.

المستشفيات التابعة لإدارة الصحة العمومية

| المنطقة | اسم المستشفى | طاقته الإيوائية |
|---|---|---|
| الرباط | مستشفى مولاي يوسف ويسمى أيضا المستشفى الأهلي للرباط | 300 سرير |
| الدار البيضاء | جول كولمباني<br>المستشفى العسكري | 500 سرسر |
| فاس | مستشفى كوكار | 617 سرير |
| مكناس | المستشفى العسكري "لوي" | 556 سرير |
| وجدة | المستشفى العسكري "Accolas" | |
| مراكش | مستشفى موشان | 320 سرير |
| أگادير | المستشفى المختلط | |

ب - الوحدات الطبية المتخصصة

وهي ثلاثة أنواع :

- مستوصفات لمكافحة الأمراض التناسلية، وقد عرفت النور منذ سنة 1916 مع لاكابير Lacapère في فاس ثم انتشرت في مدن أخرى كالدار البيضاء والرباط، ومكناس ووجدة ومراكش.

- مستوصفات مكافحة السل، وقد ظهرت بإيعاز من عقيلة الماريشال ليوطي، وكانت مرتبطة بالعصبة المغربية لمكافحة داء السل التي انشئت سنة 1924. وُجد هذا النوع من المستوصفات بمدن الرباط - وفاس ومكناس ومراكش والدار البيضاء.

- مستوصفات أمراض العيون وكانت توجد بالرباط والدار البيضاء، وفاس ومكناس ومراكش وطنجة وكانت تجري بها، بالإضافة إلي الاستشارات الطبية - عمليات العلاج والجراحة ذات الصلة بأمراض العيون، كما كانت تساهم في حملات مكافحة الرمد.

ج - قاعات التمريض الخاصة بالمغاربة

وكانت توجد في المراكز الحضرية الكبرى كمكناس ووجدة وسلا وسطات والقنيطرة وتازة وغيرها، وتعالج الأمراض الأكثر انتشاراً، ويعمل بها متخصصون في الطب العام، ولا تتسع طاقتها الايوائية إلا لعدد قليل من المرضى، وكان يشرف على هذه الوحدات أطباء يعمل تحت إمرتهم ممرض نقيب وبعض الممرضين من المغاربة. وصل عدد هذه الوحدات في نهاية الحماية إلى ما يربو على الستين.

د - قاعات الفحص

كانت قاعات الفحص منبثة في التجمعات السكنية مثل الرماني وتدرس وعين اللوح والحاجب، وهي تشبه إلى جد ما مراكز إنقاذ في البادية إذ كانت تشكل مرحلة انتقالية يتم فيها التعرف على حالة الوافدين من المرضى قبل إرسالهم إلى الوحدات الاستشفائية. يزور هذه القاعات طبيب مكلف مرة أو مرتين في الأسبوع، وغالبا ما يكون ذلك في يوم السوق الأسبوعي. بلغ عدد قاعات الفحص في نهاية الحماية 312.

3 - وحدات خاصة لإسعاف الأم والطفل

تضم هذه الوحدات دور الولادة و"نقط الحليب". فالأولى تهتم بكل ما يتعلق بالولادة والاستشارات الطبية والفحوص الموازية لفترة الحمل، وأهم دور الولادة تلك نسبت إلى إحدى الطبيبات الأوائل بمراكش وهي فرانسواز لوجي Françoise Legey. أما الثانية أي "نقط الحليب" فقد رأت النور بإيعاز من عقيلة الماريشال ليوطي، وهي دور للحضانة تتكفل بالرضع الذين يعانون من سوء التغذية حيث تقدم لأمهاتهم الرضاعات وعلب الحليب، ويتم تلقيحهم ضد الأمراض، كما يقدم للمصابين منهم بداء من الأدواء ما يلزم من الأدوية والعقاقير.

ولابد في ختام الحديث عن إدارة الصحة من تقديم بعض الأرقام، فقد انتقل عدد الأطباء العاملين بها من 93 سنة 1926 إلى 140 سنة 1931 إلى 351 سنة 1956، أما الطاقة الايوائية للمستشفيات ودور العلاج فقد انتقلت من 2100 سرير سنة 1926 إلى 4950 سنة 1939، إلى 15423 سنة 1955، وهي اعداد قليلة إذا قيست بعدد السكان، الذين كانوا يربون على السبعة ملايين في نهاية الحماية.

** وزارة الصحة أسست مباشرة بعد إعلان الاستقلال سنة 1956، وأسندت إلى الدكتور عبد المالك فرج (انظره في *المعلمة*).

وزراء الصحة المغاربة من البداية إلى الآن

| الاسم | تاريخ ابتداء المهمة | تاريخ نهاية المهمة |
|---|---|---|
| د. عبد المالك فرج | 7 دجنبر 1955 | 3 دجنبر 1958 |
| د. يوسف بلعباس | 24 دجنبر 1958 | 5 يناير 1963 |
| د. عبد الكريم الخطيب | 5 يناير 1963 | 13 نونبر 1963 |
| د. العربي الشرايبي | 13 نونبر 1963 | 6 غشت 1971 |
| د. عبد المجيد بلماحي | 6 غشت 1971 | 12 أبريل 1972 |
| د. عبد الرحمان التهامي | 12 أبريل 1972 | 25 أبريل 1974 |
| د. أحمد رمزي | 25 أبريل 1974 | 10 أكتوبر 1977 |
| د. رحال الرحالي | 10 أكتوبر 1977 | 11 أبريل 1985 |
| ذ. الطيب بن الشيخ | 11 أبريل 1985 | 11 غشت 1992 |
| د. عبد الرحيم الهاروشي | 11 غشت 1992 | 31 يناير 1995 |
| د. أحمد العلمي | 27 فبراير 1995 | 13 غشت 1997 |
| عبد اللطيف الكراوي | 13 غشت 1997 | 14 مارس1998 |
| د. عبد الواحد الفاسي | 14 مارس 1998 | |
| ذ. التهامي الخياري | | |

وطرحت على وزارة الصحة وهي في بدايتها في المغرب المستقل كثير من المشاكل ذلك أنها واجهت في سنة 1959 أخطر تسمم غذائي عرفته البلاد وهو المتعلق بالزيوت المغشوشة التي تسبب استهلاكها في تسمم ما لا يقل عن 10.000 شخص في مكناس وسيدي قاسم وسيدي سليمان، ونتج عن ذلك ظهور كثير من حالات الشلل. وابتليت بعض جهات منطقة مكناس في نفس الفترة بوباء التهاب السحايا وألمت بالمغرب في سنة 1960 كارثة زلزال أكادير. وقد تطلبت هذه المشاكل مجهودات كبيرة من طرف وزارة الصحة.

وكان على الوزارة أيضاً أن تأخذ على عاتقها مهمة الاعتناء بالحالة الصحية للمغاربة الذين كانوا يعانون من كثير من الأمراض ذات الصلة بالظروف الاقتصادية والاجتماعية كالسل والزهري والرمد والحميات مما لم تفلح إدارة الصحة إبان عهد الحماية في تطويقه إلا بقدر يسير.

وتمشيا مع هذا التوجه كان لزاما على وزارة الصحة تكوين أطباء وأطر صحية، وهو ما عبر عنه محمد الخامس في خطاب ألقاه في 18 نونبر 1960، إذ قال "وسعينا في توفير الإطارات الصحية بالبلد وضاعفنا الجهود لتكوين رجال الصحة من أطباء وممرضين. وفي الأسبوع الأول من الشهر الحالي دشنا بالدار البيضاء مدرسة ابن رشد الطبية التي ستسد في المستقبل حاجتنا إلى الأطباء، وأنشئت مدرستان لكتوين الممرضين والممرضات بطنجة وأكادير ووسعت المدارس الأخري التي أنشئت من قبل لهذا الغرض حيث يزاول بها الآن دروس التمريض 550 من التلاميذ ذكوراً وإناثاً".

وفي سنة 1962 تم فتح أول كلية للطب بالمغرب في مدينة الرباط ثم في الدار البيضاء في سنة 1975. وقد ساهمت المؤسستان في تكوين كثير من الأطباء، ويوضح الجدول التالي تطور عددهم في القطاعين العمومي والخاص ما بين 1979 و1991.

| السنوات | عدد الأطباء | |
|---|---|---|
| | في القطاع العام | في القطاع الخاص |
| 1979 | 849 | 854 |
| 1980 | 895 | 867 |
| 1981 | 1153 | 1061 |
| 1982 | 1306 | 1181 |
| 1983 | 1517 | 1308 |
| 1984 | 1479 | 1478 |
| 1985 | 1816 | 1763 |
| 1986 | 2081 | 1864 |
| 1987 | 2338 | |
| 1988 | 2759 | 2187 |
| 1989 | 2607 | 2243 |
| 1990 | 2894 | 2817 |
| 1991 | 3088 | 3032 |

واهتمت وزارة الصحة بالمؤسسات الاستشفائية، فعملت على تجديد بعضها وإنشاء أخرى، وأمدتها بالأدوية والأسرة، سعيا وراء سد ما يظهر من حاجيات. ويوضح الرسم البياني التالي تطور عدد الأسرة بالمستشفيات العمومية ما بين 1960 و1990.

ويلاحظ أن عدد الأسرة أبعد من أن يكفيَ حاجيات بلد يربو عدد سكانه على 25 مليون نسمة، فسرير واحد لكل 900 شخص أبعد حتى من الحد الأدنى المتفق عليه من طرف منظمة الصحة العالمية، وهو سرير لكل 300 شخص.

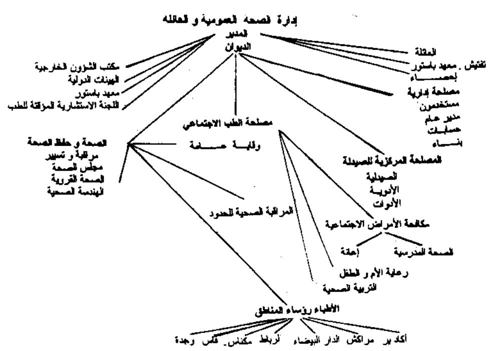

واهتمت الوزارة بصحة الطفل والأم وتم إدماج التنظيم العائلي في برامجها وأنشطتها. فشهدت عمليات الولادة على سبيل المثال داخل المؤسسات الصحية ارتفاعا ملحوظا كما يظهر ذلك من الجدول التالي الخاص بعمليات الولادة في ما بين 1986 و1992 :

| السنوات | الولادة | |
|---|---|---|
| | العادية | القيصرية |
| 1986 | 116589 | 9415 |
| 1987 | 136952 | 10876 |
| 1988 | 144412 | 11793 |
| 1989 | 140163 | 11986 |
| 1990 | 171412 | 14164 |
| 1992 | 193403 | 23779 |

وحاولت وزارة الصحة من جهة أخرى نشر الوعي الصحي بين الناس وتعميم الشعور بخطر الأمراض المعدية وضرورة التوقي منها، وكانت تعطي للأمهات دروسا في التربية الصحية ليربين الناشئة في صحة جيدة.

وتم اعتماد التلقيح ضد الأمراض التي تصيب الأطفال بكثرة، وتبنت هذا العمل أعلى سلطة في البلاد إذ وجه الملك الحسن الثاني نداءً إلى الأمة المغربية بمناسبة الأيام الوطنية للتلقيح في فاتح أكتوبر 1987 قال فيه : "... ستنطلق بحول الله وقوته غدا الجمعة 2 أكتوبر 1987 بكافة ربوع المملكة حملة وطنية للتلقيح، وإن الهدف الذي حددناه لهذه الحملة الصحية هو تلقيح جميع أطفال مملكتنا دون الخامسة من العمر ضد ستة أمراض فتاكة".

وأولت الوزارة اهتماما بصناعة الأدوية والعقاقير، تنفيذاً للتعليمات الملكية إذ جاء في خطاب العرش لسنة 1967 : "وقد أصدرنا أوامرنا باتخاذ التدابير الكفيلة بتنمية صناعة صيدلية وطنية ... وقررنا إنشاء مختبر وطني لمراقبة الأدوية المصنوعة من حيث جودتها". وهكذا تم تنظيم مهنة الصيدلة وفتحت ببعض الكليات أقسام للصيدلة. سعيا وراء تكوين أطر من شأنها أن تضمن للبلاد نوعاً من الاكتفاء من العقاقير والأدوية.

وعلى الرغم مما بذلته وزارة الصحة في المغرب المستقل من مجهودات فإن ذلك بقي دون المستوى المطلوب إذ مازالت بقاع كثيرة من البوادي تعاني من عدم وجود التجهيزات الطبية أو قلتها أو بُعدها، ويتضح هذا مما تشير إليه الإحصاءات من كون المستوصفات لا تتعدى واحداً لكل 18.000 من النسمات، ثم إن هذه المستوصفات بالإضافة إلى عدم كفايتها تفتقر إلى التجهيزات التي من شأنها تقديم خدمات للسكان. ولعل ما يعرفه القطاع الصحي من مشاكل وينعكس سلبا على حياة الناس، هو ما جعل الحديث عن الملف الصحي والتغطية الصحية اليوم، على كل لسان.

الهيكل التصميمي العام الحالي لوزارة الصحة العمومية

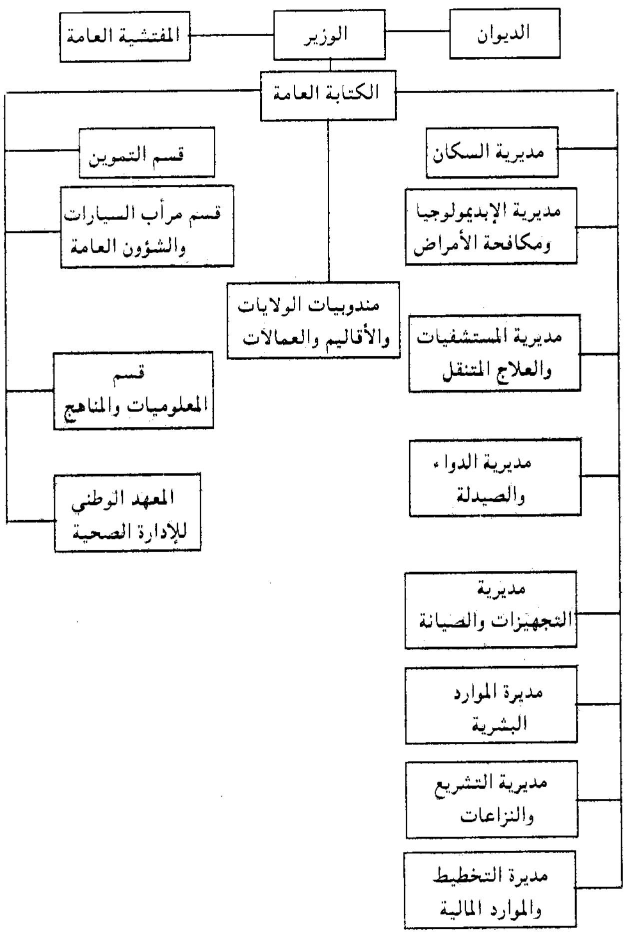



جريدة *السعادة*، أعداد متفرقة على عهد الحماية والاستقلال ؛ *انبعاث أمة*، ج 6 ؛ خطب وندوات صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، المجلد 3، نشر وزارة الإعلام ؛ كتاب *التربية الوطنية* للسنة التاسعة من التعليم الأساسي ؛ جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 2 شتنبر، 1992.

*Annuaire statistique du Maroc* ; *Bulletin de l'Institut d'hygiène du Maroc* ; *Bulletin officiel* ; R. Cruchet, *La pénétration pacifique au Maroc*, Paris, 1931 ; M. El Ghoti, *Histoire de la médecine au Maroc le XXe siècle 1896 - 1994*, Casa, 1995.


بوجمعة رويان

**الصحراء المغربية.** كلمة الصحراء عربية مشتقة من صفات ونعوت مختلفة مثل صَحَر، أصْحَر، صُحَرة وصُحْر والتي تعني الاسمرار المحمرّ أو الاسمر المحمر وكذا الاشقر والاصهب والأمغر. ولكلمة صحراء (Sahara) مرادف آخر وهو مصطلح (Désert) والذي يعني البادية أو البيداء. لكن، مناخيا، فالصحراء في الحالة الأولى (Sahara) تتميز بتساقطات مطرية تقل عن 100 مليمتر كمعدل سنوي وتنتمي إلى المناخ المتوسطي الجاف جداً أو القاحل جداً (Hyperaride) ذي أمطار تظهر في الفصل البارد عموماً أي

الشتاء. أما في الحالة الثانية، فالصحراء التي يطلق عليها مصطلح Désert، والتي تتميز بنفس التساقطات المطرية، فتهطالها ليس له أي نظام محدد ومضبوط (حدوث الأمطار في أي فترة أو فصل من السنة وخاصة في الفترات الحارة والجافة جداً أي بالصيف أو الخريف).

وإذا كانت الصحاري تعرف كمناطق جغرافية توجد بين خطي المطر المتساوي (Isohyètes) المميزة بمعدلات مطرية تساوي أو تقل عن 100 مليمتر (أو 150 مليمتر في حالات أخرى)، فهي كذلك، زيادة على الإطار المناخي تعرف بنباتها المتميز وكذا ببيئتها الصحراوية. فالصحاري هي اذن مجالات بيوجغرافية واسعة وفقيرة الماء والنبات. وهي إما حارة (Déserts chauds) ذات مطر قليل جدا مثل الصحراء الكبرى بإفريقيا الممتدة من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر وإما شديدة البرودة أو جليدية (Déserts froids) مثل القطب الشمالي.

وتوجد الصحاري بمختلف القارات (الصحراء الكبرى شمال الساحل الافريقي، جنوب إفريقيا، آسيا بما فيها الجزيرة العربية المشهورة بصحرائها المسماة الربع الخالي، استراليا، أمريكا الشمالية والجنوبية والمناطق الجليدية بالقطبين الشمالي والجنوبي).

وتعرف الصحراء الكبرى الإفريقية التي تنتمي إليها الصحراء المغربية بمختلف مناطقها البيوجغرافية كمجال جاف جداً تحده شمالا جبال الأطلس بإفريقيا الشمالية الغربية والبحر الأبيض المتوسط بإفريقيا الشمالية الشرقية وكذا الساحل الافريقي (Sahel) وخاصة السهب الساحلية المختلفة أو الاستبس (Steppes sahéliennes) أو التشكيلات النباتية والحراجية للسفانات (Savanes).

وزيادة على المعدلات المطرية المحدودة بالصحراء والتي يمكن أن لا تتعدى 5 أو 10 مليمترات سنويا (العرق الغربي الكبير، العرق الشرقي الكبير، تنزروفت، فزان...)، فالتساقطات المطرية تتميز بكونها نادرة جداً شديدة التغيرات وعنيفة جداً ومحصورة التهاطل في الزمان والمكان.

والأمطار العاصفية الصحراوية والتي يصحبها البَرَد (Grêle) عادة تنتج عنها سيول وامتطاحات جارفة. وعكس الصحراء الساحلية (درعة السفلى وأقاليم الساقية الحمراء ووادي الذهب مثلاً)، فالصحراء القارية تتميز بضعف التغيّم (Faible nébulosité) وطول فترات التشميس وقلة الندى والضباب وضعف درجة رطوبة الهواء (بين 5 و10٪، 20 و50٪ عموماً حسب فترات السنة).

إن تغيّرات درجات الحرارة محدودة بالصحراء الساحلية ومرتفعة بالمناطق الصحراوية القارية. فيمكن أن تنزل إلى (2 -) و(10 -) درجات مئوية أو أقل أثناء الفترات الباردة جداً وتصل إلى ما بين 48 و57 درجة مئوية (الحرارة العليا القصوى) في فصل الصيف (يوليوز أو غشت) والرياح التي تهم الصحاري هي الصّابيات (Alizés) والشرقي (Chergui) وأخرى جنوبية شرقية أو شرقية مثل (Sirocco) والسموم (Simoun) والحَرُور (Harmattan) والخماسين (Khamsin) وتتميز الصحاري بتشكيل صحراوي خاص وبعروقها ورقوقها وحماداتها ووديانها وأوديتها وواحاتها وعيونها وكذا بالخطارات والفجّارات وسباخها وشطوطها المالحة وتربتها الصحراوية. وتنفرد كذلك بأنواعها النباتية والحيوانية ونظمها الايكولوجية الطبيعية الصحراوية.

ولقد عرفت الصحاري وخاصة الصحراء الكبرى بإفريقيا تغيرات مناخية كبيرة بالزمنين الثالث والرابع أدت إلى المرور من مناخ مداري رطب إلى مناخ متوسطي جاف جداً. وهذه التغيرات تعاظمت في فترات العصر الحجري القديم وخاصة خلال النيوليتي أي منذ 8000 سنة تقريبا والتي منذ بدايتها أصبح التصحر يتقوى تدريجيا.

وتمتاز الصحراء بخصائصها السوسيو اقتصادية المرتبطة بعامل الإنسان (زراعات مختلفة بالواحات، استغلال تمور النخيل والأشجار المثمرة والحناء، رعي الماشية وخاصة الجمال أو الإبل والماعز، استغلال النباتات الطبية والعطرية والأملاح والمعادن والبترول والغاز والصخور المختلفة كالرخام والرمال وغيرها من الموارد المتجددة وغير المتجددة، استغلال عبر السياحة بما فيها السياحة البيئية ...).

2 ـ الإطار الجغرافي والايكولوجي والبيئي بالصحراء المغربية :

2. 1 ـ الخصائص الجغرافية، الجيولوجية، الهيدرولوجية والمناخية :

من الخصائص المهمة للصحراء المغربية امتدادها بمناطق جغرافية وكذا بيوجغرافية متنوعة تشمل الجنوب الشرقي والجنوب الغربي بالمغرب فتوزيع مناطقها يمتد جنوب وجنوب غرب النجود العليا وجنوب الأطلس الكبير والأطلس الصغير وجبل باني، فالمناطق شبه الصحراوية والصحراوية تمتد على العموم من مصب وادي درعة غربا إلى نواحي فگيگ وبوعرفة شرقا مروراً بمناطق طانطان ـ أقا ـ طاطا ـ اكدز ـ الرشيدية.

والمناطق الصحراوية المغربية الممتدة جنوب النجود العليا والأطلس الكبير تشمل أودية زيز وغريس بتافيلالت ودادس ودرعة... وهضاب الحمادة أو الحمادات أو الحمايدية مثل حمادات گير ودرعة وغيرها والتي يتراوح ارتفاعها من 500 متر إلى 1000 متر عموما أو من 800 متر إلى 1100 متر جنوب الأطلس الصغير، أو لا يتعدى 200 متر بالصحراء الجنوبية الساحلية وشبه الساحلية في الساقية الحمراء ووادي الذهب. أما الجبال شبه الصحراوية أو الصحراوية فهي لا تتعدى 2000 متر إلا في جبل صاغرو.

ويمتاز تشكيل التضاريس الصحراوي بمرتفعاته وكذا بمنخفضات على شكل أخاديد تلتقي بالوهدات التي تسمى الفايجات عبر مضايق يطلق عليها "الخنق ـ الخنوق" ويتميز كذلك بتنوع أجزائه التي ينضم إليها ما يعرف بالحمايدية. أو ما يسمى بالقعدة أو الگعدة مثل گعدة الساقية الحمراء. كما

ما يسمى بالقعدة أو الكعدة مثل كعدة الساقية الحمراء. كما توجد منخفضات ووهدات متميزة يطلق عليها الغرارات أو الكرارات التي تصبح لوقت وجيز على شكل ضايات نتيجة تجمع مياه الأمطار بها. أما من حيث التشكيلات الجيولوجية فإنها مرتبطة بالأطلس الصغير وجبال باني والوركزيز وجبال أدرار سطوف بوادي الذهب المطلة على الهضاب والنجود والحمادات. وهي مكونة من أقدم الصخور المنتمية إلى القبكمبري مثل الأعبل أو الكرانيت والرّيوليت والجبيبي أو الكابروس أو إلى الكمبري مثل النّضيد أو الشيست والكرانيت والكوازتزيت. أما الهضاب والسهول الصحراوية فتتميز بصخور الزمن الثاني (مرل كلسي) مثل سهل تافيلالت - درعة وتغطيها صخور ورسوبات تنتمي إلى الزمنين الثالث والرابع (جبس، كلس بحيري، حُثّ ...) مثل ما هو عليه الحال بمنخفضات ورزازات - بودنيب - بوعرفة. أما صخور الحمادة فهي كلسية. تمتاز الصحراء المغربية في جل ربوعها الجغرافية بتكونات رملية تسمى العروق (جمع عرق) ذات الأشكال المختلفة نتيجة لتأثيرات الرياح وقوتها وتوجهها وأهمها النّبكات والكثبان الرملية الخطية والسيوف والبراخن والكثبان الرملية الهرمية أو الغُرود. أما الرقوق (جمع رُقّ) فهي سهول صحراوية شاسعة مكونة من رمل وحصى وحصباء.

وتوجد بالصحراء المغربية أعداد مهمة من السبخات ذات الأراضي والمياه المالحة وخاصة بالمناطق الجنوبية الغربية (سبخة الطاح، سبخة أم الضبع، سبخة هويسلكا، سبخة اغزومال...) والشطوط وهي أيضاً أراضٍ مالحة (شط تيكري والشط الغربي بالجنوب الشرقي للمغرب...).

ومن البحيرات الصحراوية ذات الأهمية البيولوجية والايكولوجية نجد بحيرة إريقي الموسمية والمكونة من وادي درعة (جنوب شرق فم زكيد). أما العيون (Sources)، فتوجد بعدة جهات جغرافية كالعين الزرقاء لمسكي قرب الرشيدية وعيون الساقية الحمراء وغيرها.

تنتمي الأتربة إلى المعدنية الخام أو قليلة التطور أو الرمادية شبه صحراوية أو ما يسمى بالسييروزيم الموجودة بواحات النخيل أو إلى الملحية في السبخات والشطوط.

ومن خصائص الصحراء المغربية وديانها التي تتجمع بها مياه الأطلس الصحراوي الكبير والصغير وجبال صاغرو وباني والوركزيز والحمادات (غير، غريس، زيز، الداورة، درعة، الساقية الحمراء...).

وتتميز الوديان الصحراوية بتغير كبير في صبيب مياهها والذي يصل مستوى أقصى في فترات الامتطاح مما يمكن أن يحدث اضراراً كبيرة بالواحات والبنيات الأساسية والتنموية. وتبقى مياه هذه الوديان حبيسة الوهدات والمنخفضات مثل غريس وزيز (منخفض الداورة) أو يمكن أن تصل إلى المحيط الأطلسي (درعة - الساقية الحمراء ...).

وتعتبر الواحات وخاصة واحات النخيل ونظمها الايكولوجية المختلفة بزراعاتها المكونة من الحناء والأشجار المثمرة المختلفة (زيتون، رمان، إجاص، لوز...) وزراعات أخرى (قمح، شعير، ذرة، فصّة...) من المميزات الأساسية للصحراء المغربية.

أما من الناحية المناخية فالمناطق شبه الصحراوية وخاصة الصحراوية تتميز بتساقطات مطرية محدودة وذات تغيرات قوية من سنة إلى أخرى، بما فيها تتابع فترات طويلة دون تهطال مطري. والمعدل المطري السنوي يتراوح ما بين 100 و140 مم (سيدي افني : 139 مم، الرشيدية : 130 مم كلميم: 120 مم، ورزازات : 108 مم). أما بالمناطق الصحراوية الحقيقية فإنه لا يتعدى 100 مم (أرفود : 89 مم الريصاني : 76 مم، الطاوس : 62، زاكورة : 74 مم، تاكونيت : 54، طاطا : 99 مم، آسّا 50 مم، طرفاية : 43، عيون الساقية الحمراء : 52 مم، الداخلة : 38 مم، الكويرة : 25 مم، السمارة : 45 مم ...).

وتتغير درجات الحرارة حسب الشهور ومن سنة لأخرى وكذلك حسب المناطق الجغرافية. والتغيرات القوية تميز الجهات الصحراوية القارية (الجنوب الشرقي والجنوب الصحراويين) وذلك عكس ما يحدث بالصحراء الساحلية وشبه الساحلية للمغرب.

وتتغير المعدلات الحرارية السنوية ما بين 20 و30 درجة عموماً بالمناطق الصحراوية الداخلية وما بين 18 و20 درجة إلى 22 درجة بالجهات الصحراوية الساحلية وشبه الساحلية. ومعدل درجات الحرارة القصوى للشهر الأكثر سخونة في السنة (يوليوز أو غشت) يتميز بتغير من 40 إلى 45 درجة مائوية على العموم بالمناطق الجغرافية الصحراوية القارية، في حين يتراوح ما بين 0 و6 درجات بالنسبة لمعدل درجات الحرارة للشهر الأكثر برودة في السنة (دجنبر أو يناير). وتصل درجات الحرارة القصوى الدنيا المطلقة إلى أكثر من 50 درجة في الصيف ويمكن أن تنزل درجات الحرارة الدنيا المطلقة إلى أقل من 5 أو 10 درجات تحت الصفر في الشتاء.

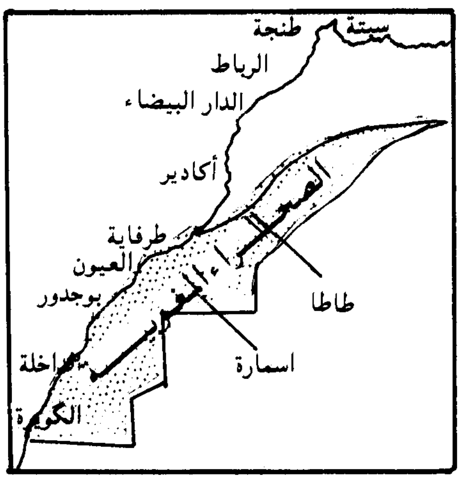

القصوى للشهر الأكثر سخونة يتراوح عموماً بين 24 و30 درجة (طرفاية : 24 درجة ؛ عيون الساقية الحمراء : 30 درجة، الداخلة : 27 درجة). وبالنسبة للشهر الأكثر برودة في السنة، فإن معدل درجات الحرارة الدنيا يقع ما بين 11 و14 درجة. والرياح السائدة هي الصابيات الشرقية الشمالية (63٪ شمالية شمالية شرقية وشمالية غربية) وكذلك نسيم البحر الذي يلطف الحرارة.

ويؤثر الندى والضباب على الظروف الإيكولوجية بصفة قوية بالصحراء الساحلية نظرا لارتفاع عدد الأيام لهذين العاملين خلال السنة، وذلك عكس ما يحدث بالصحراء المغربية الداخلية والقارية. وتتميز الصحراء الداخلية بارتفاع فترات التشميس وضعف التغيم عكس ما يحدث بالصحراء الساحلية وشبه الساحلية. أما درجة رطوبة الهواء، فتتغير ما بين 5 و10٪ بالجهات القارية الحارة والجافة جداً في فترات الرياح الحارة الشرقية والجنوبية وما بين 20 و50٪ في الفترات المعتدلة والحارة (الصحراء الداخلية القارية) وترتفع بقوة إلى ما بين 60 أو 70٪ إلى 100٪ بالشريط الساحلي.

ونتيجة لكل هذه العوامل الايكولوجية يكون التبخر نتحا محدوداً شيئاً ما بالصحراء الساحلية وقويا بالصحراء القارية. وبالتالي، فالظروف البيئية تكون ملائمة وأقل قسوة بالنسبة للنبات والحيوان وكذا الإنسان وللنظم الإيكولوجية بصفة عامة بالصحراء الساحلية مقارنة مع الصحراء القارية.

وهذه المعطيات تبين أن الصحراء المغربية تنتمي إلى البيومناخ الصحراوي المتوسطي أو المتوسطي شبه المداري، أو شبه المداري - مداري في مناطقه الجغرافية الجنوبية الغربية.

2. 2. التنوع البيولوجي والنظم البيئية :

إن الظروف البيئية الصعبة أو القاسية في بعض المناطق الجغرافية الصحراوية أدت إلى الحدّ من التنوع البيولوجي مقارنة مع ما يوجد في جهات ذات عوامل إيكولوجية ملائمة. فالصحراء الكبرى مثلا والممتدة من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر لا ينمو بها إلا ما يقارب 1200 نوع نباتي وهو عدد محدود جداً مقارنة مع المساحة الشاسعة للصحراء الكبرى.

وبالنسبة للمغرب، فعدد الأنواع النباتية للحمادات الصحراوية مثلاً يحصر في 260 نوعا. ويصل هذا العدد إلى 330 نوعا تقريبا بالصحراء الجنوبية الغربية المغربية أي بإقليم الساقية الحمراء ووادي الذهب.

لكن على الرغم من تواضع عدد الأنواع النباتية الصحراوية، فإن هذه الأنواع تبقى متميزة جداً وتحتوي على نسبة هامة من النباتات القبسية أي تلك التي لا توجد إلا بهذه المناطق الجغرافية الجافة والقاحلة.

والأنواع النباتية الصحراوية بالمغرب تعتبر ذات أصول متنوعة ومختلفة فهي متوسطية أو صحراوية أو سنديّة أو شبه مدارية أو مدارية جافة أو قبسية. وتمتاز الصحراء المغربية الساحلية الساقية الحمراء عن المناطق الصحراوية القارية الداخلية للمغرب ولدول أخرى بنمو أنواع نباتية خاصة تنتمي إلى الفلورة الماكارونيزية والتي لا توجد إلا في هذه الجهة الجغرافية من العالم ولها امتداد في جزر الكناري (الجزر الخالدات) بالمحيط الأطلسي على الخصوص.

وتكوّن النباتات الصحراوية عشائر نباتية تنمو على الكثبان الرملية والرقوق والحمادات أو في الأودية المرملة أو المواقع المالحة من سبخات وشطوط ومناقع خورية.

ومن أهم الأنواع النباتية الصحراوية :

* السنطيات أو الطلحيات (Mimosaceae) عدة أنواع من أشجار الطلح مثل Acacia raddiana وAcacia albida وAcacia ehrenbergiana التي تكوّن أهم النظم على شكل سافانا صحراوية.

* القدّيسيّات (Zygophyllaceae) أو الزقوميات (Balanitaceae) : عدة أنواع مثل الغردق (Nitraria retusa وNitraria schoberi) والزقوم أو أهليج (Balanites aegyptiaca).

* الكبّاريات (Capparis decidua) : أتيل (Maerua crassifolia)، الكبار النفضي (Capparis decidua).

* السبوتيات (Sapotaceae) : أرگان (Argania spinosa).

* الصقلابيات (Asclepiadacea) : منها العاشور (Calotopis procera) وهو نوع ساحلي - مداري والحلاب (Periploca angustifolia).

* الفراشيات (Papilionaceae) أو الفوليات (Fabaceae) :

منها الهيديساروم المغربي أو السُّلة الشجرية (Hedysarum argentatum) وهو نوع قبسي يوجد بمنطقة طرفاية والرتم الأبيض أو الصحراوي (Retama raetam).

* البطميات (Anacardiaceae) وأهمها الذي يقطن الغرارات.

* الطرفيات (Tamaricaceae) الطرفاء أو الأثل يشمل عدة أنواع شجرية وشجيرية على ضفاف الأنهار بالمناطق الجافة منها الصحراوية وشبه الصحراوية. وأهمها Tamarix aphylla وTamarix boveana وTamarix malenconiana و Tamarix gallica.

* البطباطيات (Polygonaceae) : أرطى (Calligonum comosum) التي تنمو طبيعيا على الكثبان الرملية.

* النخليات (Palmaceae) : النخل، النخيل (Phoenix dactylifira) أشجار النخيل تكون باحات أو منقبات واحات الصحراء المغربية وخاصة جنوب الأطلس الصحراوي (منطقة فگيگ) والأطلس الكبير وجبل صاغرو (واحات تافيلالت بأودية زيز - غريس، واحات أودية درعة ودادس ...) وجنوب الأطلس الصغير (واحات فم زكيد - تيسينت - طاطا - اقا - فم الحصن ...) وبمواقع أخرى صحراوية.

* الحوريات (Salicaceae) : جنس Populus (الحور) يضم عدة أنواع شجرية وأهمها بالنسبة للصحراء المغربية Populus euphratica أو الحور الفراتي الذي ينمو طبيعيا على ضفاف الوديان الجارية أو السواقي بالأودية والواحات.

أما أهم التجمعات فهي كالآتي :

الوديان الجارية أو السواقي بالأودية والواحات.

أما أهم التجمعات فهي كالآتي :

. تجمعات نباتية الفرمْلية بالعروق (Ergs) ودورها أساسي في تثبيت الكثبان وأهمها النجيليات (Poaceae) التي تشمل أنواعاً من جنس أريستيدا مثل السباط (Sobtusa, S. plumosa, S. pungens).

. تجمعات نباتية مرتبطة بالرقوق والحمادات : عدة أنواع منتمية لأجناس وفصائل مختلفة منها السرمقيات (Chenopodiaceae) مثل Anabasis oretioides والصليبيات (Brassicaceae) مثل Zilla spinosa وFarsetia hamiltoni.

. تجمعات نباتية مرتبطة بالأودية المرملة الصحراوية غير المالحة وهي مشكلة من النوع الحراجي السائد الذي هو الطلح (Acacia raddiana).

أما التنوع البيولوجي الحيواني فينتمي إلى أصول مختلفة : صحراوية ـ عربية، صحراوية ـ سنْدية، صحراوية ـ ساحلية، مدارية، متوسطية، شمالية معتدلة، قبْسية.

وتجدر الإشارة إلى أن التصحر القوي للمناطق الصحراوية قبل الهولوسيني خاصة ما بين (18000 ـ) و(12000 ـ) سنة (مع فترات رطبة ما بين 9500 ـ و4500 ـ سنة) قد أدى إلى انقراض عدة أنواع من اللّبونات بالمغرب وخاصة منها الصحراوية.

فمنذ بداية الهولوسيني (العصر الحجري القديم) بيّنت المعطيات الإحاثية وكذا النقوش الصخرية (العصر الحجري الحديث) أن الأنواع الحيوانية الصحراوية ذات الأصول المدارية كانت تساهم بشكل كبير في التنوع البيولوجي للبونات.

وأنواع اللبونات الكبيرة التي انقرضت إثر التغييرات المناخية (جفاف، تصحر) وتدهور الأوساط البيئية الناتج عن عامل الإنسان هي :

. الفيل الافريقي والعتّابي أو الزرد ووحيد القرن الأبيض وفرس النهر والزرافة والجاموس والهلوف أو الخنزير أبو قرنين والنّوّ الأزرق والضبع المرقط والسِّمْع.

ومن بين اللبونات الصحراوية التي انقرضت في بداية القرن العشرين نذكر المها بنوعين Addax nasomaculatus وOryx dammah والغزلان (Gazella leptoceros)، والحيرم (Alcelaphus buselaphus) والقط النمر أو البجّ (Serval constaéntina) وأسد الأطلس (Panthera leo leo).

ومن أهم الطيور التي انقرضت من الصحراء بالمغرب هناك النعامة (Struthio camelus) ولقد شمل الانقراض أيضاً واحداً من الزواحف المميزة للصحراء المغربية وهو تمساح النيل (Crocodilus niloticus) والذي كان حتى حدود 1930 يوجد بثلاث قلتات بدرعة السفلى (تيزكي رمتز، تفكوم جنوب آقا وقلتة تانزيدة جنوب فم الحصن).

وبصفة عامة، وفي الظروف الحالية، هناك عدة أنواع من اللبونات العاشبة التي تقهقرت أعدادها بصفة قوية جداً وتحديداً الغزلان (Gazella dorcas, Gazella cuvieri)، وخاصة Gazella dama mhorr التي أصبحت على وشك الانقراض.

وهناك أنواع أخرى من اللبونات اللاحمة التي هي أيضاً على وشك الانقراض كالفهد (Acinonyx jubatus) أو أصبحت نادرة جداً أو في طور الانقراض كالعُنّاق (Lynx caracal) والتّفّة (Felis serval) وسنّور الصحراء (Felis margarita) والفَنَك (Fennecus zerda) والشنصر (Mellivora capensis) والضبع المخطط (Hyaena hyaena barbara) والثعلب السمسمي (Vulpes rupelli) وغيرها مثل الأرويّة المغربية (Ammotragus lervia).

ومن بين الزواحف الصحراوية التي أصبحت نادرة أو مهددة بالانقراض هناك ورل الصحراء (Varanus grieus) والاسقنقور أو سمك الرمال (Scincus albifasciatus) وأنواع من الافاعي (Spalirosophis diadema, Bitis arietans) والثعابين مثل الثعبان آكل البيض (Dasypeltis scabra) والكوبرا (Naja haje) وغيرها.

ومن أنواع الطيور التي أصبحت نادرة أو مهددة بالانقراض بالصحراء المغربية هناك أنواع الحبارى وهي الحبرج أو الحبارى المتوّجة (Chamydotis undulata) والحبارى العربية (Ardeotis arabs) وأنواع أخرى مثل الحذف الرخامي (Marmaronetta angustirostris) وأبو منجل (Geronticus eremita) والقطاة (Pterocles lichtensteinii و Pterocles coronatus) وغيرها.

أما بالنسبة للحيوانات اللبونة البحرية التي تعتبر مهددة بالانقراض فهناك الفقمة أو عجل البحر (Monachus monachus) أو ما يسمى بالفرنسية Phoque moine والذي يقدر تعداده ما بين 100 و130 فرد جنوب الداخلة وخاصة بين راس بارباس وكركرات.

ونجد من بين الأسماك مثل الحنقليس (Anguilla anguilla) أي "النون" والبوري (Barbus) والبلطي (Tilapia) بالوديان شبه الصحراوية والصحراوية.

يضاف إلى التنوع البيولوجي الفطري تربية النحل والماشية (جمال، ماعز، أغنام، أبقار ...) التي تلعب دوراً أساسياً في المجال السوسيو اقتصادي للإنسان الصحراوي وبالمناطق الصحراوية. وبتافيلالت خاصة ودرعة، يوجد نوع خاص من الأغنام من سلالة الدمان (Demman) التي تلد من الخرفان من 2 إلى 5 مرتين في السنة عموماً.

3 ـ استغلال الموارد الطبيعية وإشكالياتها :

استغلال الموارد الطبيعية الصحراوية المتجددة يهم الأنواع النباتية والثروة الحيوانية البرية والنظم الايكولوجية المختلفة وكذلك الاملاح والمعادن والرمال والصخور المختلفة.

وبصفة عامة فالضغوط والتأثيرات القوية والمتزايدة للإنسان على الموارد الطبيعية بالصحراء وخاصة منها الطبيعية المتجددة أدت إلى اضطرابات وإلى إخلال قوي بالتوازنات الايكولوجية والبيئية الهشة والحساسة بالمناطق البيوجغرافية الصحراوية المختلفة.

التهديد بانقراض أنواع بيولوجية وجينية مهمة من التنوع البيولوجي لهذه المناطق وخاصة منها الأنواع الحيوانية (غزلان، أروية، حبارى، أفاع وثعابين، عظاية...) وإلى تصاعد التصحر والتصحير والترمل لواحات النخيل الصحراوية.

والأسباب الرئيسية المؤدية إلى تدهور البيئة الصحراوية وانظمتها الإيكولوجية وإلى التصحر هي : قطع الأشجار، اجتثاث وقلع الغابة وخاصة السنطيات (الآكاسيا) وأنواع الطرفاء، والاستغلال المفرط للنباتات الطبية لأهميتها في الطب التقليدي وكذا النبات العطري وجمع البذور والثمار لعدة أنواع نباتية وحراجية، واستئصال النبات بجذور، وحرث الأراضي الهامشية بعد اجتثاث نباتها، والاستغلال العشوائي والمفرط لحطب الوقود والتدفئة وخشب البناء والدباغة والصمغ، والرعي الجائر وكذلك القنص المفرط للحيوانات المختلفة وخاصة أنواع الغزلان والحبارى والاروية والصيد بالصقور (أعيان شرق اوسطيون وخليجيون ومغاربة)، وجمع البيض، واستعمال الفخوخ، والصيد بالأسلحة النارية المتطورة وخاصة الأسلحة الحربية (قنص الغزلان خاصة، الاروية، الحبارى...) والاستغلال المفرط للواحات وتجفيف المناطق والمواقع الرطبة والقلتات، وتوسيع الشبكة الطرقية، والسياحة غير العقلانية، والاستعمال العشوائي لمبيدات الحشرات بما فيها المحظورة أو المضرة بالنظم البيئية كما هو الشأن أثناء مكافحة الجراد والطفيليات، والجمع والاستغلال المنهج للزواحف والبرمائيات على الرغم من أن عدة أو جل الأنواع إما محمية أو نادرة أو قبسية أو مهددة أو على وشك الانقراض (بيع الحرباء والأفاعي والثعابين وأنواع أخرى للسياح أو لمتهني تربيتها أو تصديرها إلى الخارج) ...

ومن أهم الظواهر انتشار مرض البيّوض بسبب فطر Fusarium oxysporum var. albedinis.

- المحافظة على البيئة الصحراوية وإعادة تأهيلها :

للحد من التأثيرات السلبية على الموارد الطبيعية الصحراوية وخاصة المتجددة منها وللحد كذلك من تدهور النظم البيئية والأوساط الحياتية بمختلف المناطق الجيوجغرافية بالصحراء المغربية اتخذت عدة مبادرات وحددت استراتيجيات في هذا الاتجاه من شأنها إن كانت هناك إرادة حقيقية وإن طبقت بكيفية عقلانية وسليمة أن تؤدي إلى إعادة تأهيل النظم البيئية المتدهورة على الرغم من الوقت الطويل الذي تتطلبه هذه العملية بالصحراء المسيد، وواد تغزرت، وأيت اومريبت، وايماون، وواحة تيسنت، وواد ميرد، ومسيسي، ومرزوقة، وجبل كروز، والخنق، وواد تودغة، وجبل صاغرو، وفم اساكا، والشاطئ الأبيض، ومصب درعة وواد الشبيكة، وواد أما فاطمة، وواد الواعر، وهور الخنيفيس، وراس اوفيست وحاسي الطوف، وجون الداخلة، وجون سينترا.

أما المناطق الرطبة بالصحراء فهي سد المنصور الذهبي (وارزازات) وضاية تامزكيدات (ارفود).

وأهم هذه المحميات المنتزه الوطني للداخلة الذي يضم مناطق قارية وساحلية وبحرية. ويعتبر هذا المنتزه ذا أهمية قصوى نظراً لما يحتوي عليه من تنوع بيولوجي مميز ومتميز أو نادر (غزلان، أروية، فهد...، زواحف وبرمائيات، طيور، فقمة أو عجل البحر ...).

وأهم ما يميز هذا المنتزه الوطني نظمه البيئية المشكلة من الطلح Acacia raddiana والكبار النفضي (Capparis decidua) والزقوم (Balanites aegyptiaca) وغيرها. ويمكن لهذا المنتزه أن يلعب دوراً أساسياً في إعادة تأهيل الثروة الحيوانية المنقرضة أو المهددة بالانقراض إذا اتخذت جميع الاجراءات اللازمة والملائمة لبلوغ هذه الأهداف الضرورية.

وهناك مشروع إحداث محمية المجال الحيوي لنخيل (Phoenix dactylifera) وباحاته (Palmeraies) وواحاته (Oasis). لكن، على الرغم من هذه المبادرات، لا بد من تحديد استراتيجية شمولية ترتكز على المحافظة على الموارد الطبيعية الصحراوية وخاصة المتجددة وصونها من كل عوامل التدهور والاندثار والانقراض والمساعدة على تجديدها الطبيعي على الخصوص وكذا الاصطناعي.

وفي هذا الاطار من الضروري اعتماد خطط وبرامج عمل طموحة تعطى فيها الأسبقية لمكافحة التصحر والتصحير والترمل بكيفية شمولية ومتكاملة (جبال وسفوحها، هضاب، سهول...) مع التركيز على الواحات المختلفة وخاصة واحات النخيل التي أصبحت مهددة بالتدهور والانقراض نتيجة هذه العوامل وبرامج التهيئة المختلفة غير الملائمة. ومن بين الأعمال التي يجب اعتمادها، هناك محاربة التعرية الهوائية والترمل بكل الوسائل الميكانيكية غير المضرة بالبيئة وبالخصوص البيولوجية وذلك عبر انتقاء ملائم ايكولوجيا للنبات والأشجار التي تؤدي إلى نتائج ايجابية ودائمة.

ولبلوغ هذه الأهداف ولإعادة تأهيل النظم الايكولوجية والبيئية الطبيعية أو الناتجة عن عمل الانسان، لا بد من مراجعة برامج التنمية المختلفة بالمناطق الصحراوية وكيفية تدبيرها وخاصة التهيئة الهيدروفلاحية العصرية والمعتمدة على السدود الكبرى عموما وتلك المهتمة بالمجال الرعوي. فعلى الرغم من أهمية هذه المشاريع التنموية في المجال السوسيو اقتصادي، فقد أدت إلى ظهور تأثيرات سلبية متعددة على البيئة الصحراوية (تجفيف سافلة السدود، تملح التربة والمياه انتشار البيوض وانقراض النخيل ...) والتي يجب الحد منها وإصلاحها في إطار تتبع وتقييم دائمين لهذه المشاريع بما فيها تلك التي هي في طور الإنجاز مثل محمية أو محميات المجال الحيوي لباحات النخيل. وفي هذا الإطار، لا بد من المحافظة وإعادة تاهيل برامج التهيئة التقليدية الملائمة للظروف الايكولوجية الصحراوية والتي ترتكز على المؤهلات الحقيقية للبيئة الصحراوية (سواقي، خطارات...).

ومن الضروري إشراك السكان في برامج التهيئة المندمجة والملائمة للظروف البيئية الصحراوية عبر شراكة فعلية تمكن

في نفس الوقت من الرفع من مستوى عيشهم وصون وتجديد الموارد الطبيعية المتجددة ودوامها. ولبلوغ هذه الأهداف، هناك مؤهلات أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار للوصول إلى تنمية متكاملة مثل المواقع ذات الأهمية التي يمكن استغلالها إيجابيا عبر السياحة البيئية.

A. André, G. Bons, G. Bryssine, I. Bryssine, H. Delannoy, B. Girot, J. Mathez, C. Paque et Ch. Sauvage, *Contribution à l'étude scientifique de la province de Tarfaya*, Trav. Inst. Sci. Chér. Série générale n° 3, Rabat, 257 p., 1975 ; J. Bellakhdar, A. Benabid, J. Vittoz et J. Marechal, *Tissint, une oasis du Maroc présaharien. Monograpghie d'une palmeraie du Moyen Dra.* Coll. Etudes Sahariennes, Al Biruniya, 243 p., 1992 ; A. Benabid, *La végétation psammophile de l'Afrique du Nord : Communautés végétales colonisant les sables et les dunes au Maroc, en Algérie, en Tunisie et en Libye.* Ecole Nationale Forectière d'Ingénieurs, Salé, 101 p. + annexes, 1987 ; *Flore et écosystème du Maroc. Evaluation et préservation de la biodiversité.* Editions Ibis-Press, Paris, 359 p., 2000 ; A. Benabid et O. M'hirit, *Les bases écologiques et techniques de l'action forestière dans les provinces sahariennes (cas de la province de Layoune).* Ecole Nationale Forectière d'Ingénieurs, Salé, 58 p. + annexes, 1980 ; M. Bendaanoun, *Causes de dégrations de la végétation des milieux dunaires. Projet RAB / 89 / 034.* DEFCS, Rabat, p. 12 - 18, 1993 ; *La végétation des milieux dunaires littoraux, sahariens et désertiques.* Projet RAB / 89 / 034. DEFCS, Rabat, p. 30-49, 1993 ; *Désertification, phénomène planétaire : cas du Maroc (causes, impacts, moyens de lutte et développement).* MAMYA, Agriculture et environnement, n° 1, Rabat, p. 16- 40, 1994 ; *La végétation et la biodiversité floristique des zones arides et sahariennes et lutte contre la désertification.* Ecole Nationale Forectière d'Ingénieurs, Salé, 32 p., 1997 ; G. Camps, *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Doin Edit., Paris, 366 p. ; J. Despois et R. Rayyal, *Géographie de l'Afrique du Nord.* Payot Edit., Paris, 570 p., 1967 ; J. Dubief, *Le climat du Sahara.* Volumes 1 et 2. Université d'Alger, Institut des Recherches Sahariennes, Alger, 312 p. et 275 p., 1959-1963 ; E. Guinea, *Aspecto forestal del desierto. La vegetacion leñosa y los pastos del Sahara español.* Inst. For. Inv. y Exp., Madrid, 152 p., 1945 ; MAMYA / AEFCS, Plan directeur des aires protégées et plan de gestion des aires protégées. Projet "Etude de définition d'un réseau d'aires et de sites protégés et élaboration de plans de gestion des parcs nationaux du Maroc", Plus. Vol., AEFCS, Rabat, 1992 ; O. M'hirite, M. Benzyane, F. Benchekroun, S.M. El Yousfi et M. Bendaanoun, *L'arganier. Une espèce fruitière - forestière à usages multiples.* Mardaga édit., 150 p., 1998 ; V. Monteil et Ch. Sauvage, *Contribution à l'étude de la flore au Sahara occidental.* Notes et documents. Institut des Hautes Etudes Marocaines, Larose 2dit., I, 120 p., 1949 ; P. Quezel, *La végétation du Sahara du Tchad à la Mauritanie.* Masson et Cie édit., Paris, 333 p., 1965 ; P. Quezel, M. Barbero, A. Benabid et S. Rivas-Martinez, *Les structures de végétation arborée à Acacia sur le revers méridional de l'Anti-Atlas et dans la vallée inférieure du Dra (Maroc).* Phytocoenologie 25 (2), Berlin-Stuttgart, p. 279-304, 1995.

محمد بندعنون

ويعد أهم مصدر وسيطي عن صحراء المغرب الأقصى وكل الصحراء الكبرى في عداد المفقود اليوم، والأمل كبير في العثور عليه، يتعلق الأمر بكتاب الرحالة المغربي أبي عبد الله محمد ابن فاطمة، الذي وصلتنا إشارات منه في نقول المتأخرين عنه كالبكري وابن سعيد وابن خلدون وغيرهم. ورغم ما وصلنا من معلومات عن المسالك الصحراوية ونقط الماء ومواطن القبائل الصحراوية فإنه يصعب على الباحث تحديد مجال امتداد صحراء المغرب الأقصى في العصر الوسيط. فهي عند البكري مجالات الملثمين (*المسالك والممالك*، 2 / ف 1435). وأولها وادي تارگة، الذي هو الساقية الحمراء اليوم، وبعده تبدأ المجابة الكبرى (*المسالك والممالك*، 2 / ف 1430). وذكر نفس المؤلف في موضع آخر من كتابه أن نول لمطة آخر مدن الإسلام وهي في أول الصحراء (*المسالك والممالك*، 2 / ف 1425). أما عرض هذه الصحراء من الشمال إلى الجنوب فهو مسيرة شهرين (*المسالك والممالك*، 2 / ف 1430). وتجب الإشارة هنا إلى أن البكري جعل بلد الواح الداخل الواقع جنوب بلاد مصر آخر مدن الإسلام بالجهة الشرقية للصحراء الكبرى (*المسالك والممالك*، 2 / ف 1109) فتكون حدود بلاد الإسلام في الجزء الشرقي من الصحراء في أكثر المنطقة توغلاً في الجنوب مقارنة مع مثيلاتها في الغرب زمان البكري.

وقسم صاحب *الاستبصار* بلاد المغرب إلى قسمين وقال : "فمنها الصحراوية أو ما قاربها، والساحلية وما يليها". وتبتدئ الصحراء بالنسبة إليه في شرق بلاد المغرب على مرحلة أو نحوها من الساحل (*الاستبصار*، 3 و109). في حين تحد عند الإدريسي في الشمال بسلسلة جبال دائرية، أي بجبال درن، وفي الجنوب ببلاد السودان وفي الشرق بفزان وفي الغرب ببلاد لمطة وصنهاجة.

وصحراء بلاد المغرب حسب ابن سعيد من الإقليم الثاني (*الجغرافيا* : 124) وتشغل أربعة أجزاء منه. فبالجزء الأول والثاني، من الغرب إلى الشرق، أرض قنورية، وهي قمنورية عند الإدريسي، ثم أعالي أرض غانة، ثم مجالات زغوة. وفي الجزء الثالث أرض ودان وعلى سمتها شرقا أرض سنتيرية، وتسمى الواحات الداخلة. قال ابن خلدون : "وفي الجانب الأسفل منهما، أي من الجزءين الأول والثاني، صحراء نستر متصلة من الغرب إلى الشرق ذات مفاوز يسلك منها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان" (*المقدمة*، 73). وقد وهم ابن خلدون هنا حين جعل صحراء نستر إلى الجنوب من الجزءين الأول والثاني، فهما إلى الجنوب منهما في الخرائط القديمة، حيث ترسم المواضع الشمالية في الجنوب والجنوبية في الشمال، كما هي الحال في خريطة الشريف الإدريسي، لكن الصواب أنهما إلى الشمال منهما.

وصحراء نستر هي صحراء بني يتنستر وهي المجابة الكبرى أيضاً عند البكري لأن بني يتنستر هؤلاء قوم من

** استعمل ابن خلدون لفظة الصحراء بمعنى المكان الخالي من العمارة، واستعمل كلمة القفر للدلالة على الصحراء كما هي في اصطلاحنا اليوم. كما استعمل كلمة القفار الغربية للدلالة على صحاري المغرب الأقصى واستعمل قاصية القفر ومفازة العطش للدلالة على الصحراء الواقعة جنوب الزاب (*العبر*، 6 : 77). واستعمل القلقشندي، في معرض حديثه عن صحراء بلاد المغرب، كلمة الصحراء الكبرى للدلالة على القفر (*صبح الأعشى*، 5 : 152).

صنهاجة الرمال، كانوا يتنقلون في هذه المجابة في النصف الثاني من القرن 5 / 11 (*المسالك والممالك*، 2 ف 1430). وسمى القلقشندي صحراء لمتونة ببادية البربر وجعل حدودها بين طرف بلاد المغرب من الجنوب وبين طرف بلاد السودان من الشمال (*صبح الأعشى*، 3 : 229).

والصحراء عند الوزان هو ما كان يعرف عند بطليموس بليبيا. وقد قسمها على أساس إثني إلى خمسة أقسام : صحراء صنهاجة وتبتدئ عند المحيط غربا وتمتد شرقا إلى ملاحة تغزة، وتنتهي شمالا في تخوم نوميديا أي إقليم سوس عند أقا ودرعة. وتسير جنوبا حتى أرض السودان عند مملكتي ولاتة وتنبكتو. الصحراء الثانية التي يسكنها شعب ونزيگة وتبتدئ غربا من تخوم تغزة، وتمتد شرقا إلى تخوم الأير، وهي البلاد الخالية التي يسكنها شعب تارگة وتتاخم شمالا صحراء سجلماسة وتابلبلت وبني گومي، وجنوبا صحراء گير التي تناسب مملكة كوبر. الصحراء الثالثة التي يسكنها شعب تارگة، وتبتدئ عند تخوم الأير غربا وتمتد إلى قفر إيغيدي شرقا وتتاخم شمالا مفازات توات وتيگورارين ومزاب، وجنوبا المفازات القريبة من مملكة أگدز. والصحراء الرابعة التي يسكنها شعب لمطة وتبتدئ عند إغيدي وتمتد إلى تخوم القفر الذي يسكنه شعب برداوة وتتاخم شمالا قفار تگرت وورگلة وغدامس، وجنوبا حتى المفازات الممتدة حتى گانو مملكة بلاد السودان. وأخيراً الصحراء الخامسة التي يسكنها شعب برداوة تبتدئ غربا من حيث تنتهي سابقتها، وتمتد شرقا إلى قفر أوجلة، وتتاخم شمالا مفازات فزان وبرقة، ممتدة جنوبا إلى تخوم مفازة بورنو. ثم قال أما باقي صحاري ليبيا، أي التي تمتد من أوجلة إلى النيل، فيسكنها الأعراب وشعب يدعى لواتة وهو إفريقي أيضاً (*وصف إفريقيا*، 2 : 148 ـ 158).

اعتمد المعاصرون في تحديد مفهوم الصحراء على الخصائص المناخية أو البيولوجية أو الصخرية، وتعددت آراؤهم في ذلك بتعدد تخصصاتهم. ويبرز المناخ كأهم عنصر لرسم حدود المناطق الجغرافية، لأنه هو الذي يحدد طبيعة العناصر الأخرى التي يستند إليها للحكم على منطقة دون أخرى كالغطاء النباتي مثلا (*Afrique Occidental*, p. 83). وتظل الحدود الطبيعية للصحراء الإفريقية غامضة وغير واضحة بسبب الاختلاف الواضح بين المعطيات الطبيعية للحافة الشمالية للصحراء والحافة الجنوبية لها. وقد ناقش Capot Rey هذه المسألة بإسهاب، وانتهى إلى وضع حدود تقريبية بالاعتماد على العناصر المناخية، فجعل حدود الصحراء عند قدم جبال درن، من المغرب الأقصى إلى طرابلس، وبهذه الأخيرة تنتهي الصحراء على بعد بعض عشرات الكيلومترات جنوب ساحل سرت، وفي الجنوب وادي السنغال وثنية النيجر ومنطقة إيندي بتشاد (*Le Sahara Français*, t. 1, p. 7 - 35 ; *Le climat*, t. 1, p. 17 ; *Sahara Oriental*, p. 43).

غير أن الحدود الجنوبية وكذلك الحدود الشمالية لهذه الصحراء غير واضحة المعالم، لأنها غير ثابتة وانتقالية وتختلف بحسب مزاحمة الصحراء للعمارة ومباعدتها (*المعجب*، 493). ومن ثم، فإن المرور إليها يكون بالتدريج. فهي تصل في الشمال الشرقي لبلاد المغرب إلى الهضاب

الليبية وصحراء سرت وجبل نفوسه وشط الجريد وفي الشمال الغربي إلى السورة وسجلماسة ودرعة .*Sahara Oriental*, p) (42-43. وقد اقترح Capot-Rey الحدود الآتية للصحراء : في الشمال من الغرب إلى الشرق قريبا من خط 29 و 15 دقيقة بگلميم إلى 34 و30 دقيقة بقفصة. وفي الجنوب تنحدر الصحراء إلى 19 برأس تيميريس وإلى خط 16 بكوروطورو Koro - Toro. وما بين قفصة وأگادس تصل المسافة 2000 كلم في حين أنها بين گلميم ونواكشط 1400 كلم فقط *Les*) *Limites du Sahara*, p. 47).

لم تتحسن معارف الأوربيين عن الصحراء إلا في الأزمنة المتأخرة. ففي العصور القديمة كانت كل مناطق بلاد المغرب تعرف عندهم بليبيا وكل المناطق الداخلية تعرف بإثيوبيا. وظلت معارفهم عنها مضطربة في الخرائط والأطاليس التي تعود إلى العصر الوسيط. ففي أطلس كطلونيا الذي أنجز سنة 1375 على عهد شارل الخامسCharles V من طرف اليهودي الميورقي Abraham Gresques وضعت كلمة "الصحراء" في منتصف الطريق ما بين جبال الأطلس وممالك السودان. وبعد ذلك بحوالي قرنين من الزمن حصر Ortelius منطقة الصحراء في خريطته التي أنجزها سنة 1570 بالمناطق الجنوبية لليبيا. والصحراء عند Williams Caesius الذي رسم رسما للكرة الأرضية سنة 1622 هي المناطق الداخلية لليبيا، ونفس الشيء نجده في خريطة Bleau التي أنجزها سنة 1665، ومع الزمن تم التخلي عن أسماء ليبيا ونوميديا ككلمات دالة على الصحراء الإفريقية عند الأوربيين، واستعاضوا عنها بكلمات أخرى ككلمة الجريد (*Le Sahara*, p. 4).

واهتم الفرنسيون بالصحراء منذ القرن 19 الميلادي، بدليل العدد الكبير من الرحالين الذين زاروا المناطق الصحراوية إن عبر السواحل أو عبر الدواخل. ومن أشهر هؤلاء نذكر René Caillié وPanet وDouls وMage و Paul Blanchet لكن معرفتهم بها تزايدت بتزايد العمليات العسكرية التي قادتها فرنسا في اتجاه الصحراء عبر جنوب المغرب ابتداء من سنة 1934 فكثرت تآليف الضباط الفرنسيين حول الصحراء الأمر الذي توفرت معه مادة تاريخية من الأهمية بمكان رغم ما تحمله من نصائح للمعمرين، ورغم الأهداف الكولونيالية التي كانت وراء جمعها.

تزايد الاهتمام الأوربي بالصحراء في الثلاثينيات من القرن الماضي، لما أقام معهد الدراسات العليا المغربية مؤتمرا علميا نشرت أعماله في مجلة *Hespéris* العدد : 10، 1930. ثم ما فتئت بلاد الصحراء تستأثر بالاهتمام، إلى أن ظهر كتاب *Le Sahara Français* في مطابع P.U.F. سنة 1953 متضمنا بيبليوغرافيا عامة عن الصحراء، شملت كتابات عدد كبير من المهتمين على اختلاف تخصصاتهم الجغرافية واللسانية والسوسيلوجية.

الزهري، *كتاب الجغرافية*، تح. محمد حاج صدوق، بور سعيد، د. ت ؛ أبو الفدا، *تقويم البلدان*، باريس، 1840 ؛ ابن سعيد، *كتاب الجغرافيا*، تح. إسماعيل العربي، بيروت، 1970 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان*، ج 1، تح. ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ن بيروت، 1983 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 7، بيروت، 1981 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، القاهرة، 1969 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1982.

J. Lanfry, *Le Berbère de Ghadams*, p. 58-59 et 60 : Gast, *Désert Saharien*, R.O.M.M., 1981 ; Capot-Rey, *Le Sahara français*, t. 1, P.U.F., Paris, 1953 ; *Les limites du Sahara*, Paris, 1952 : Dubief, *Le climat du Sahara*, t. 1, Alger, 1959.

حسن حافظي علوي

**الصحراوي الروداني، محمد** بن صالح عالم وأديب

لا نعرف من حياته إلا نتفا قليلة أوردها في مقدمة ديوانه المخطوط، وأوردها الجشتمي في كتابه "الحضيگيون"، فقد وصفه بأنه كان عالماً بارعاً متبحراً في كل فن من فنون علوم الشريعة، من علوم القرآن والحديث والتفسير والفقه والنحو والبيان والمنطق واللغة والحساب والفرائض والأدب" وقد ترجمه لأنه أحد شيوخه.

ولد بالساقية الحمراء، وقرأ على والده، ثم انتقل ليأخذ عن شيخه أبي العباس أحمد ابن عبد العزيز الهلالي عالم سجلماسة الشهير.

أعمل الرحلة مع شيخه الهلالي ووفدا على السلطان محمد بن عبد الله بمكناس عام 1171، ورجعا معاً إلى مقر الشيخ بالزاوية الحمزاوية، ولزمه إلى أن أجازه عام 1173، فرحل عنه إلى موطنه بالساقية الحمراء، ولما بلغه نعي شيخه عام 1175، وكان عازما على القدوم عليه، لزم مكانه بالساقية الحمراء وقضى بها ما يقارب أربعين سنة. تزوج وولد هناك، واتسع رزقه فبنى خيمة كبيرة جعلها مسجداً للصلاة، ومكانا لقرى الأضياف، واستأجر مؤدبا يقرئ أولاده القرآن وما تيسر من العلم.

ولما أصيبت البلاد سنة 1212 بمجاعة شديدة، عزم على الرحيل وقصد سلطان الوقت سليمان مارا بمراكش والرباط وسلا، وقدم بين يدي السلطان مجموعة من القصائد في مدحه ومدح جده المصطفى عليه السلام.

تولى القضاء بمدينة تارودانت بتكليف من السلطان، بيد أن مهنة القضاء لم تعجبه، فاستعفى السلطان فأعفاه، وأقطعه أملاكا بتارودانت كانت مورد رزقه. ومازال إلى اليوم بدرب كسيمة بتارودانت بقايا داره الكبيرة وبقايا أملاكه وبقايا أبنائه الذين انقطع عنهم العلم.

ترك ابنه صالح بتارودانت ولداً اسمه العربي كان عالماً جليلاً محصلا له باع طويل في اللغة والأدب، وكان خطيبا بمسجد (سيدي وسيدي). وكان يعترض على بعض أحكام القاضي عبد الكريم التملي، مما أدى إلى نقله إلى فاس، وهناك بقي إلى أن توفي بعد عام 1230.

وإلى جانب ابنه العربي ترك ديواناً شعرياً قدم له بمقدمة طويلة ذكر فيها بعض جوانب حياته العلمية، وإجازة شيخه

الهلالي له، وذكر فيها محتويات الديوان التي هي مجموعة من القصائد في مدح الرسول عليه السلام بلغ عددها 18 قصيدة متفاوتة الطول، وقد نظم على كل بحر من بحور الشعر العربي قصيدة، وختمها بأخرى. ويشتمل الديوان أيضاً على قصائد في مدح السلطان سليمان وعددها 26 قصيدة مع خمس نتف. وهذا الديوان مازال مخطوطا لدى إحدى الأسر السوسية.

م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *خلال جزولة*، ج 4.

محمد الخاتمي

**الصحراوي، عبد الرحمان حرب**، مقاوم ولد بزاكورة سنة 1926. انضم لصفوف الحركة السرية للمقاومة بالدار البيضاء سنة 1954، بقيادة الكمالي عمر الفيلسوف. قام بعدة أعمال فدائية. اعتقل بسوق القريعة بالدار البيضاء سنة 1955، لكنه تمكن من الفرار واختفى عند احد أصدقائه إلى أن نظمت الحركة المنتمي إليها سفره إلى المنطقة الشمالية مع

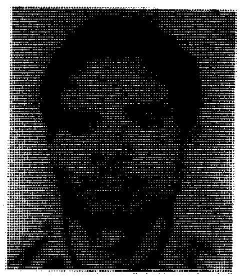

رفيقه الشهيد أحمد الصباغ. في طريقه إلى هناك اكتشفت الشرطة الفرنسية أمرهما فطاردتهما بعين الشعير قرب فاس وقد وقع تبادل إطلاق النار بينهما وبين رجال الدرك فسقط عبد الرحمان الصحراوي شهيداً سنة 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 400323.

**الصحراوي، عبد القادر** البيضاوي. لم يذكر في ترجمته اسم والده ولا المنطقة الصحراوية التي ينتمي إليها. وإنما المعروف أنه نشأ بالدار البيضاء وتعلم في مدارسها العربية الحرة. وقد دخل يوماً المؤرخ محمد الكانوني الأسفي مع مدير المدرسة إلى القسم الذي يدرس به المترجم للتعرف على مدى إدراك التلاميذ واستعدادهم، فأعجب بالصحراوي وجرأته في الجواب وقال : "هذا التلميذ الجهوري الصوت سيكون له شأن !".

توجه المترجم بعد إنهاء دراسته الثانوية إلى مصر حيث انخرط في سلك طلبة جامعة القاهرة وتخرج منها بلسانس ممتازة في الآداب. ولما رجع إلى المغرب اشتغل بالتدريس

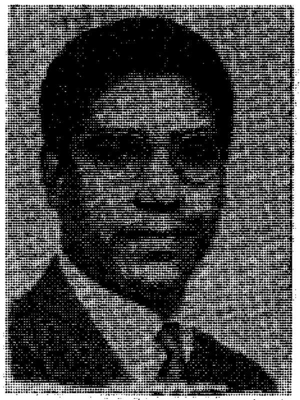

والعمل السياسي مع إحدى منظمات اليسار وانتخب عضواً في البرلمان، فكانت تدخلاته وانتقاداته نارية، وصف مثلاً عملية كانت تقوم بها الحكومة لتشجيع العاطلين على التوجه إلى الخارج للعمل ضمن اتفاقيات ثنائية مع بعض الدول الشقيقة والصديقة بأنها "عملية لتسويق اللحوم البشرية... بإبعاد المواطنين للتخلص منهم..." وبعد ذلك عُرض عليه العمل في الحكومة كوزير للأنباء فقبل وانقلبت معارضته مساندة وإشادة. وقد أدخل اصلاحات جذرية على وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وأطال فترات البث والارسال، وجعل نشرات الأخبار على رأس كل ساعة. ثم عين سفيراً للمغرب بلبنان. كانت له مقدرة تامة في البحث والانشاء والخطابة، وحرر العديد من المقالات، إلا أنه لم يؤلف سوى كتابين صغيرين، هما، جولات في *تاريخ المغرب*، الذي نشر سنة 1961 بالدار البيضاء، وكتاب *شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي*، الذي طبع سنة 1965 بالدار البيضاء أيضاً.

كان من المعجبين بكتابات المترجم عبد السلام ابن سودة الذي قال عن الجولات : "كتاب أعجبت به كثيراً وقرأته ثلاث مرات لحسن أسلوبه ومتانة مادته" وكذلك عبد الله عبد الدايم الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة السورية الذي قال في تعليق له على بحث للمترجم حول شخصية *يوسف ابن تاشفين* : "ويصل ... إلى هذه الحقائق جميعها عن طريق أسلوب في البحث يمتاز بطول النفس، والجري وراء الحجج ومطاردة النصوص، وتطويق الموضوع تطويقاً علمياً من جميع جنباته". توفي بالرباط بسبب مرض عضال وعمليتين جراحيتين في ساعة مبكرة من صباح يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب عام 1395 / 29 يوليوز 1975، ودفن في مقبرة الشهداء" في محفل رهيب بحضور أعيان الدولة والعلماء ووجهاء العدوتين.

ع. القادر الصحراوي نفسه، *جولات في تاريخ المغرب*، الدار البيضاء، 1961 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 9 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988.

محمد حجي

**الصحراوي، عبد الوهاب** بن محمد بن مَحمد الخلفي الدكالي، الفقيه الأصولي، المشارك.

ولد عام 1314 / 1896. نشأ يتيما في حجر والدته زهراء بنت محمد العنتري، وتحت كفالة أخيه محمد الذي قام برعايته أحسن قيام. حفظ القرآن الكريم حفظا متقنا وهو ابن عشر سنوات، ثم شرع في حفظ الأمهات كألفية ابن مالك، ونظم الشاطبي في علم التجويد، وابن عاشر. ولامية الأفعال، والمعلقات، وتلخيص المفتاح وغيرها. ثم شد الرحال إلى قبيلة أولاد يحيى فدرس الألفية على الفقيه سيدي رحال، بعدها ذهب إلى مدرسة أولاد سيدي عبد الله بن مسعود فدرس على الفقيه الضرير سليمان *الألفية* بالموضح، *والمختصر* بالزرقاني، ثم رحل إلى جامعة القرويين فدرس على : شيخ الجماعة أحمد بن الخياط، وعبد الصمد گنون، وأحمد بن كيران، وعبد الله الفضيلي، والراضي الحنش وغيرهم، وأجازه جل شيوخه.

وبعد مضي عشر سنوات بالقرويين عاد إلى مدينة الجديدة حيث تولى خطة العدالة. وفي سنة 1349 / 1930 تولى خطة القضاء بقبيلة أولاد عمرو بدكالة مدة سبع سنوات. ووقعت بينه وبين الحاكم العسكري الفرنسي (كوستين) بدائرة سيدي بنور مناقشة في أمور شرعية كانت السبب في تخليه عن منصب القضاء، وتصدره للإفتاء.

وفي سنة 1361 / 1942 انتقل إلى مدينة مراكش فانخرط في سلك التدريس بجامعة ابن يوسف حيث قضى 25 سنة ينشئ فيها الأجيال، إلى جانب الدروس الوعظية التي كان يعطيها في بعض مساجد مراكش.

كان رحمه الله يمتاز بالخلق القويم، والشخصية الجذابة، والذاكرة القوية، مع حسن المعاشرة ولين الجانب. كما كان يتقن لعب الشطرنج، ويحفظ الباب الخاص بالشطرنج من كتاب مختصر *الافاريد*.

انتقل إلى رحمة الله يوم السبت 9 صفر الخير 1392 الموافق 25 مارس 1972 ودفن بضريح الإمام السهيلي خارج باب الرب.

أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط ؛ جريدة *العلم*.

أحمد متفكر

**الصحراوي محمد الأمين** بن عبد الله الحسني الحجاجي المراكشي، ولد حوالي سنة 1225 / 1808 وهاجر موطنه بالجنوب ليستقر بمراكش سنة 1254. وكان مقر سكناه بدرب زاوية عبد القادر الجيلاني بحومة ضَبَشي حيث تزوج وأنجب الأولاد.

كان المترجم وجيها عند السلاطين وكبار رجال الدولة يصله محمد بن عبد الرحمان بالعطايا. وأجازه الحسن الأول على كتاب *الارتجال*. ومن الوزراء الذين كانت لهم به صلة خاصة العربي بن المختار الجامعي وموسى بن أحمد البخاري.

ويلمح صاحب *الاعلام* (7 : 22) إلى المناورة التي وقعت له مع الوزير الطيب بن اليماني بوعشرين "وأدت إلى أن أراد المترجم أن يناوشه بالضرب". ويذكر أن هذا الوزير العالم تعرض لمحن قاسية من جرّاء هزيمة القوات المغربية في معركة إيسلي والضغوط التي مارسها عليه الحاجب الوزير موسى بن أحمد وربما يكون لذلك ولغيره انعكاس على علاقة بوعشرين بالآخرين بمن فيهم العلماء والفقهاء.

ومن شيوخ المترجم محمد بن عبد الودود الحاجي وعبد القادر بن محمد العلمي (ت. 1266 / 1849) وعمر بن محمد المكي الشرقاوي التادلي مؤلف كتاب *موارد الصفا في الصلاة على النبي المصطفى* بمراكش سنة 1259. وأجازه في جميع مروياته. واشتهر الحجاجي كمهتم بالتاريخ والتصوف ونظم الشعر واللغة والأدب، كما اشتغل بالتدريس بمراكش.

ويلاحظ أنه تنقل بين عدة مدن مغربية في أواخر حياته (الرباط وسلا ومكناس وفاس) حيث اتصل بكبار علمائها وزار أشهر أوليائها ومساجدها. ومن تآليفه : *الارتجال في مناقب ومشاهد سبعة رجال وما اشتهر في مراكش أودخلها من صلحاء الرجال*، ويبدو أن المؤلف لم يتمم هذا الكتاب لأنه اشتغل بتأليف مصنف آخر ؛ *المجد الطارف والتالد على أسئلة الناصري سيدي أحمد بن خالد* أو *تحبير التحرير على أسئلة الناصري سيدي أحمد بن خالد السلوي النحرير*، وقد جعله المؤلف بمثابة مقدمة لكتاب *الارتجال* سابق الذكر.

وهو جواب عن سؤال وجهه الناصري مؤلف *الاستقصا* عن أولية سبعة رجال وسبب تسميتهم بهذا العلم المشهور ووقت شهرتهم به ؛ كما تعرض فيه لأخبار تنقلاته بين المدن المغربية التي زارها.

- *المنهج المختار والكوثر المدرار في مناقب الشيخ المختار وأشياخه الأخيار الأبرار*، عرف فيه الحجاجي بالشيخ المختار ابن أحمد الكنتي (ت. 1226 / 1811 - 12) ؛
- *شرح معظم إضاءة الادموس ورياض الشموس في اصطلاح القاموس*، من تأليف أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي نزيل مدغرة ؛
- *تأليف في ضجيعي أبي العباس السبتي* ؛
- *الدرة المنيفة والمقالة الظريفة في صفة الحجرة والروضةالشريفة* ؛
- وله عدة قصائد في أغراض مختلفة، ولا سيما في المديح النبوي.

توفي بمراكش التي قضى بها مدة أربعين سنة عام 1295/ 1878، ودفن بزاوية الشيخ عبد القادر الجيلاني بالدرب الذي كان يسكنه.

س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. ع. تيلاني، جزءان، 1994 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط* ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط، 1986 ؛ م. ابن الموقت، أبو عبد الله محمد المراكشي، *السعادة الأبدية*، طبعة حجرية، ج. 1، 1336 / 1918 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، الرباط، الجزآن، 6 و7 ؛ *إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء* ؛ ع. بنعبد الله، *معلمة الصحراء*، ملحق 1، 1396 / 1976 ؛ *معلمة المغرب*، ج. 6 ؛ *ندوة الرباط وسلا*، ج. 1، المحمدية، 1994.

المكي مربي

**الصحراوي، محمد المهدي** وقيل الصخراوي - بمعجمة - عالم صوفي يرفع نسبه إلى الأمويين الأندلسيين الفارين من العباسيين. وكانت مدينة فاس مستقر سلفه وبها نشأ ودرس بجامع القرويين. ومن جملة شيوخه الحسن اليوسي وأحمد بن الحاج (الحفيد) والشيخ الصوفي الحاج الخياط الرفيع، ثم توجه إلى وزان وأخذ عن شيخها محمد بن مولاي عبد الله الاوراد والاحزاب والجلالة. وبعد وفاة الشيخ أخذ عن خلفه مولاي التهامي ثم عن خلفه مولاي الطيب. وتطلعت نفسه إلى أن يصبح مقدما على الفقراء الوزانيين بفاس، غير أن شيخ الزاوية أسند هذه المهمة إلى مريد آخر هو قاسم بن محمد بن رحمون الزرهوني فلم يقبل الصحراوي المهدي هذا الأمر الواقع معللا عدم دخوله تحت إشراف ابن رحمون بأن هذا المقدم رجل من الحرفيين فهو حائك وأما هو فعالم، فدعم موقفه بمجالسه العلمية التي كان يعقدها بجامع الدوح ويعطي فيها لكل من الطلبة والفقراء دروسا خاصة فكان يقرأ أحزاب الشيخ والجلالة صباحا ومساء ويدرس الرسالة وابن عاشر بين العشاءين ويخصص دروسا للفقراء من حكم *ابن عطاء الله* وقوت *القلوب* لأبي طالب المكي *والإحياء* للغزالي. وأمام إقبال الطلاب والفقراء على دروسه والانتفاع بها حاول المقدم ابن رحمون إقناعه بالرجوع إلى صف الفقراء وإشعاره بأنه لا يتوفر على إذن الشيخ في تلقين الورد ولكنه ظل متمسكا بموقفه. ولما سافر إلى وزان ذكره الشيخ بضرورة اتباع المقدم ابن رحمون فلم يحد عن موقفه بل قال للشيخ "أنا فقيه وابن فقيه والمقدم الذي وليت على الفقراء دراز ابن جزار...:" وبقي على حاله بدون إذن من الشيخ إلى أن توفي حوالي 1140 / 27 ـ1728 .

م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، 4 : 234، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 35.

محمد ماكامان

**الصحراوي، يحيى** بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين المرابطي، عرف بالصحراوي وبابن الصحراوية، فارس من أمراء المرابطين، ظهرت نجابته في عهد عمه علي بن يوسف فعينه واليا على فاس وسبتة. وعندما اشتد ضغط عبد المومن على جيش تاشفين بن علي بنواحي وهران خرج الصحراوي من فاس بجيش لإنجاد عمه فوصل إلى منطقة تلمسان، لكن خبر مقتل ابن عمه أمير المسلمين تاشفين بن علي دفعه إلى العودة بجيشه إلى فاس فأخذ ينظم قواته للدفاع عنها في وجه الموحدين الزاحفين إليها من الشرق.

وبعد مناوشات قليلة بين قوات الصحراوي والجيش الموحدي في ضواحي فاس، تبين معها أن الموحدين لم يكونوا يرغبون في مواجهة مفتوحة، فبدأوا يستعدون لحصار المدينة، وفي هذه الأثناء اتصل مشرف فاس ابن خيار الجياني بالموحدين وسهل لهم دخول المدينة، فاضطر الصحراوي إلى الفرار عنها سنة 540، وتوجه إلى طنجة مع من معه من لمتونة، وبعد عدة أشهر جاز إلى الأندلس والتحق بيحيى ابن غانية عندما تبين له أن أمر الموحدين في ازدياد.

وبعد قيام ثورة أهل سبتة ضد الموحدين جاز قاضيها عياض إلى الجزيرة الخضراء واتصل بابن غانية فبعث معه يحيى بن أبي بكر الصحراوي واليا على سبتة فاستولى عليها، وحاول أن يقوم بحركة أوسع لاسترجاع ملك المرابطين، فبعد تأمين سبتة وطنجة اللتين عادتا لبيعة المرابطين اتصلت به القبائل الثائرة التي ساندت ثورة الماسي سنة 543 /1148 ، فزحف إلى مدينة سلا، وقتل والد الماسي الذي كان ثائرا بها، ثم نزل جنوبا فالتفت حوله قبائل دكالة وبرغواطة ورجراجة وحاحة، وشكلت حركته تحديا قويا للموحدين، لذلك فإن عبد المومن بعث إلى قواده في جميع الجهات يطلب منهم إنجاده بالقوات، فاجتمع لديه جيش ضخم خرج به من مراكش لحرب الصحراوي والقبائل المحالفة له، ودارت بين الطرفين معركة شرسة في منطقة على الساحل عند أيصرول جنوب مدينة أزمور، فهزم جيش القبائل وفر الصحراوي إلى الصحراء، وعندما تحركت بعض القبائل من جديد ضد عبد المومن سنة 548 / 1153 اتصلت به قبيلة جزولة فوفد إليهم والتحقت بهم قبيلة لمطة وقبائل السوس وسيطروا على بعض الحصون والمواقع، فجيش الموحدون لإخضاعهم عدة جيوش، وبعد انكسار هذه الثورة جدد الصحراوي طلب العفو من عبد المومن فعفا عنه وأكرمه وحظي لديه وجعله قائدا على من بقي من لمتونة. وكان عبد المومن بعد مدة قرر أن ينكل به على أقوال نسبت إليه، وكان أبو جعفر بن عطية صهر يحيى الصحراوي وكاتبا للخليفة فنبهه مما كان يدبر له، وكان هذا سبب نكبة هذا الأخير وقتله سنة 553 / 1158 . وألقي القبض على الصحراوي فسجنه عبد المومن وظل في السجن إلى وفاته.

ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب* (قسم الموحدين)، تح. جماعة من الأساتذة، الدار البيضاء، 1406 / 1985 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت*، تح. عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ط. 2، 1986 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب*، تح. محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، 1949.

محمد المغراوي

**الصُّحْفة**، تجمع على صحاف، مكيال من خشب غير مُركّب، بل يتم نحت الصحفة واستخراجها من قطعة واحدة من جذع الشجرة ؛ وليست كل الأشجار صالحة لصناعة الصحاف، وأجودها ما صنعت من خشب يجمع بين المتانة والصلابة وحسن المنظر والرائحة الطيبة واللون اللامع. وتدعى الصحفة في المغرب اليوم - قصعة جمعها "قصاع" - تنحت من جذوع شجر الجوز وهي أجودها تليها المنحوته من شجرة الأرز

فالصنوبر بجميع أنواعه وخاصة "العرعار" وهذه جميلة المنظر طيبة الرائحة شديدة اللمعان لكنها أقل صلابة ومتانة.

لم تشر المصادر إلى أنواع الأشجار التي تنحت منها الصحاف ولكن أبو عبيد البكري في (*المغرب*، 156) أشار إلى أن شجر تامجاثت كانت تصنع منه الأواني الخشبية وتصدر، ويوجد هذا الشجر قرب مدينة تيومتين وبه سمي المكان تامجاثت قال : "... ومنه آنية سجلماسة ودرعة وما والاها..." (*معلمة المغرب*، مادة تامجاثت).

لاشك أن أول استعمال للإنسان لهذا النوع من الأواني كان لأغراض الطبخ وإعداد الطعام وتناوله. ثم تطور ليصبح في فترة تاريخية مكيالا أو مكاييل. والراجح أنها أي الصحاف استعملت للغرضين معاً في بداية الأمر. ونجد بقايا هذا الاستعمال حتى اليوم في بعض الجهات من المغرب أي أن الصحفة أو القصعة تستخدم مكيالاً وإناء لتقديم الطعام وخاصة "الكسكس" والثريد و"بركوكش" و"الرفيسة" و"العصيدة" وما شابهها..

ويفهم من مختلف الإشارات أن مناطق صناعة الصحاف في المغرب كانت محدودة خلال العصر الوسيط. فبالإضافة إلى تامجاثت التي ذكرها البكري (*المغرب*، 156) ـ والتي لم ترد عند المصادر التي أتت بعده ـ أشار صاحب *معيار الاختيار* (143) إلى أن سبتة ونواحيها كانت تتوفر على "الخشب الذي يصنع منه كل منحوت" دون تحديد ما إذا كانت الصحاف ضمن المنحوت ؛ ولا يفيدنا صاحب *اختصار الأخبار*، وهو ابن سبتة في شيء، فقد أشار إلى أن "عدد المنجرات المعدات لعمل القسي 40 منجرة" ؛ نفهم ضمنياً من إشارة (*التشوف*، 380) عن "الصحاف الهسكورية" أنها من صنع هسكورة ويؤكد ذلك ما كانت تتوفر عليه المنطقة من غابات وأشجار ضخمة صالحة لهذه الصناعة. وما عدا ذلك فالمصادر التي تتعدد فيها الإشارات إلى الصحاف توحي بأن هذا النوع من الأواني كان استعماله كمكيال أكثر من استعماله كأوانٍ للطبخ وتقديم وتهييء الطعام. ولعل ذلك راجع لقلتها فقد وردت إشارات في بعض كتب التصوف *أنس الفقير*، 32 و*التشوف* عن استيراد للصحاف من الخارج : "صحفة كبيرة من عود من عمل الروم".

| الصحفة مكيال | | الصحفة ماعون | |
|---|---|---|---|
| المصدر | الصفحات | المصدر | الصفحات |
| البكري، *المغرب*، | 156 | التادلي، *التشوف*، | 238 ـ 304 |
| البادسي، *المقصد*، | 138. 87 | | 331 ـ 239 |
| ابن أبي زرع، *القرطاس*، | 384. 302 | | 372 ـ 264 |
| | 401. 385 | | 418 ـ 280 |
| التادلي، *التشوف*، | 383 | | 284 |
| ابن قنفذ، *أنس*، | 32 | ابن عذاري، *البيان*، | 4 : 99 |
| | | الماجري، *المنهاج*، | 345 |

في العامية المغربية المتداولة اليوم وحتى في الفصحى اختفت كلمة "الصحفة" وحلت محلها كلمة قصعة كإناء لتهييء وتقديم الطعام. والكلمتان استعملتا منذ العصر الوسيط ؛ ويميز السكان ما بين "القصعة" التي هي مرادف للصحفة والمنحوتة من الخشب وما بين "القصرية" المصنوعة من الطين. وكانت الكلمة مستعملة منذ العصر الوسيط. وقد انفرد بذكرها في هذه الفترة صاحب (*المقصد الشريف*، 132).

أشرنا إلى أن الأواني الخشبية ربما كانت من الأواني الأولى التي استعملها الإنسان القديم، وفي السياق التاريخي والتطور الحضاري أصبحت متطورة الصنع وأكثر إتقاناً وجمالاً فتراجع انتشارها إذ أصبحت غالية الثمن ولا يقتنيها إلا الأغنياء والأعيان، أما الفقراء فقد أصبحت أوانيهم من الطين (الساذج) (poteric)، وبعد التطور الذي حصل في صناعة الأواني الطينية بظهور الخزف (*وصف إفريقيا*، 1 : 185 ـ 193) تراجعت أواني الخشب من جديد لتعود في متناول الفقراء ؛ وفي أيامنا هذه أصبحت الأواني الخشبية من التحف ومن مقتنيات السياح، أي أنها لم تعد في متناول الجميع :

استخدام الصحاف كمكيال كان منذ العصر الوسيط وما بعده ويقابل الصحفة في بعض المصادر والدراسات الوسق والحمل : الصحفة = الوسق = الحمل = 60 صاعاً.

الصاع = 5 ارطال و1/3

الرطل = 533،28 جرام

الصحفة = [(533,28) x (5,33)] x 60

= 160 كلج

وعن الصحفة أو القصعة كإناء لتهييء الطعام وتقديمه للأكل اختلفت الإشارات إليها ما بين الصغيرة للاستعمال المنزلي العادي للشخص الواحد أو للأسرة، وما بين الضخمة المعدة لإطعام الناس في المناسبات. فقد كان هذا النوع الأخير من الضخامة بحيث لا يقوى على حملها وهي مملوءة إلا العبيد ؛ منها ما يحمله شخصان ومنها ما يحمله أربعة أشخاص ؛ ويستنتج من بعض المصادر (*دوحة الناشر*، 170) وحتى من الرواية الشفوية المتداولة اليوم أن بعض هذه الصحاف (القصاع) كان يحمل من الكسكس القنطار أو بعض قنطار، ومن اللحم الخروف وما يزيد عنه. وقد ارتبطت هذه المظاهر الضخمة بأبهة المخزن وأعوانه وبكرامات بعض الزوايا. وبصفة عامة كانت القصاع أو الصحاف الكبيرة من علامات ومظاهر الكرم المغربي الذي ما تزال بقاياه بالصورة التي عرضنا لها موجودة في بعض المناطق وفي بعض المناسبات.

البكري، *المغرب*، الجزائر، 1911، وباريس، 1965 ؛ م. حجي، *معلمة المغرب*، مطابع سلا ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، المحمدية، 1976 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، تطوان، مجلة، ع 3: 1958 ـ 1959 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تطوان، 1960، بيروت،

1948 ؛ الماجري، *المنهاج الواضح*، المطبعة المصرية، 1933 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ أبو العباس اللخمي العزفي، *قطعة من كتاب إثبات ما لابد منه لمريد الوقوف على أحوال الدينار والدرهم والصاع والمد*، مخطوطة خاصة ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*.

Ahmed Khanboubi, Les premiers sultans mérinides, 1269-1331, Paris, 1987.

محمد حجاج الطويل

**صخرة الدجاجة** كتلة صخرية بين مواطن ورديغة وبني خيران. شكلت حصنا طبيعيا ومنبعا للمياه (عين السلطان، وادزا مراين...) لذلك مثلت نقطة حيوية لتخييم المحلات المخزنية "ولازال الركاب الشريف مخيما بصخرة الدجاجة من بلاد ورديغة كما قدمنا لكم بقصد تتميم مباشرة ما بقي من الأغراض...". ولعبت دور محطة أساسية للعبور، فقد احتلت مركزاً استراتيجيا في الطريق السلطاني الرابط بين فاس / الرباط ومراكش مروراً بتادلا. ففي "السفرة الثامنة لمولاي الحسن، عام 1298، نهض سيدنا من مكناس إلى مراكش على زمور على الرباط على زعير على صخرة الدجاجة وفيها عيد الفطر على تادلة والسراغنة والرحامنة إلى مراكش". وفي سفرته الرابعة عشرة "نهض عام 1304 من مراكش إلى فاس، في يوم الثلاثاء 27 شوال 1304 رحل من بوقصيبة (بوگروم) إلى سيدي محمد لبصير ببلاد السماعلة، وفي اليوم الموالي من سيدي محمد لبصير إلى ابيار مزوي فصخرة الدجاجة". و"في يوم السبت 2 حجة 1308 رحل من الكيسان إلى صخرة الدجاجة ببلاد ورديغة، ويوم الخميس من صخرة الدجاجة إلى ابيار أمزو ببلاد ورديغة".

وشكلت صخرة الدجاجة نقطة عبور وتخييم رئيسة للحركة الحفيظية المنطلقة من مراكش نحو فاس. وخيمت بها المحلة الحفيظية ابتداء من 25 أبريل، ومنها أصدر السلطان الجديد عدة ظهائر لتعيين قواد جدد بالمنطقة.

وخيمت بها المحلة العزيزية المتوجهة من تمارة نحو مراكش

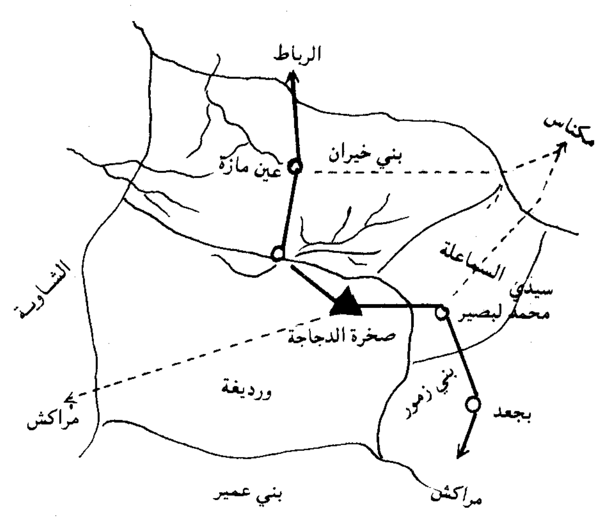


منذ 24 يوليوز 1908. وعبرتها القوات الفرنسية لأول مرة بقيادة المقدم Mauveaux بتاريخ غشت 1909. وفي نوفمبر 1912 نزلت بها القوات الفرنسية من جديد بقيادة الجنرال Franchet d'Espery حيث تأسس مركز عسكري ثانوي يستند إلى المركز الخلفي بابن احمد.

*الوثائق الملكية* ؛ مؤلف مجهول، *مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن*، خ. ح.

P. Marty, *Notice sur le Tadla*, Bouchron, 1909 ; R. Peyronnet, *Tadla, pays Zaïn, Moyen Atlas*, Alger, 1923.

صالح شگاگ

أبو **صخور**، وينطق به أيضاً بُوصْخُور، هو محمد العربي الخمسي، نعته المؤرخون "بالمرابط" وواحد من "أهل الكشف والولاية". دخل تاريخ المغرب في بداية دولة سيدي محمد بن عبد الله العلوي في صفر من عام 1171 / أكتوبر 1757 حين دعا قبائل جبالة وغمارة إلى عدم مبايعة السلطان الجديد زاعما أن ملكه لن يطول، وكان ذلك سبباً في تخلف هذه المنطقة عن مبايعة السلطان.

وحتى لا يتسع الخرق إلى جهات أخرى من البلاد اغتنم سيدي محمد بن عبد الله فرصة أول زيارة له لمكناس لتنظيم حملة عسكرية ضد بوصخور والقبائل الواقعة تحت تأثيره.

ولهذا الغرض خرج السلطان من مكناس في جيش عظيم يوم 8 ذي القعدة 1171 / 15 يوليو 1758 في اتجاه شفشاون. ولكن القبائل الجبلية تلقته بالطاعة والولاء والهدايا وسلمت له المرابط بوصخور. فقبل السلطان بيعتهم وأبقاهم على حالهم واكتفى بقتل بوصخور وتوجيه رأسه ليعلق على أبواب فاس ومكناس.

ثم تابع السلطان طريقه لشفشاون التي سبق أن سدت أبوابها أمام قائد المخزن. فحرق الأشجار المحيطة بالمدينة ثم ولى عليها وعلى الجهة الشمالية الغربية الباشا ابن العياشي قبل أن يعود إلى مكناس.

لكن فتنة بوصخور لم تنته بقتله، ذلك أن السلطان عاد إلى مكناس من هذه الحملة وهو مريض، فتذكر الناس تكهن بوصخور بقصر حكمه واضطربت الأحوال من جديد ليس فقط في منطقة جبالة وغمارة بل كذلك في الجهات الأخرى المجاورة لها. ولم تنته هذه الفتنة إلا بعد شفاء السلطان ومعاينة الناس لذلك في احتفالات عيد المولد النبوي لربيع الأول من عام 1172 / أكتوبر 1758 التي أقيمت بمكناس.

وهكذا تكون فتنة محمد العربي الخمسي بوصخور دامت سنة كاملة (أكتوبر 1757 إلى أكتوبر 1758).

أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط، خ. ح، عدد 1920، ص. 46-48 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الدار البيضاء، 1988، ص. 303 ؛ أبو القاسم الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط، خ. ع، عدد 1275، الورقة، 114.

فاطمة الحراق

**صخور الرحامنة** اسم مركز وجماعة تقع على الطريق الوطنية رقم 9 الرابطة بين الدار البيضاء ومراكش، تابعة إداريا لإقليم قلعة السراغنة، دائرة الرحامنة، قيادة صخور الرحامنة. تعتبر من الجماعات القديمة بالمغرب إذ أحدثت سنة 1977، وعرفت عدة تقسيمات منذ هذا التاريخ، كان آخرها سنة 1992، حيث فصلت عنها جماعة سيدي منصور. تبلغ مساحتها الحالية 261 كلم2.

تنتشر أراضي الجماعة فوق هضبة الرحامنة التي هي جزء من القاعدة القديمة الأطلنتيكية (الميزيتا)، يرجع تكوينها إلى الحقبة الهرسينية وهي سطح تحاتي قديم يتكون أساسا من الشيست والحث والگرانيت، متموج قليلا، معدل ارتفاعه 500 م، تبرز به نتوءات صخرية ضخمة كتلال عالية يقع أهمها بجوار مركز الجماعة وهي جرف البيضاء : 713 م، وأدنى نقطة ارتفاع بها : 413 م. أغلب أراضي الجماعة متموج مكسو بالحجارة مما يجعل تربتها فقيرة زراعيا فهي هيكلية ناقصة التطور، تتكون في معظمها من تربة الحمري الكثيرة الحجارة والحصى، وجزئيا من البياض، لكن المنخفضات والمقعرات تتجمع بها تربة رسوبية غرينية لا بأس بها. ويلاحظ أن قيمة التربة تتدهور من الشمال نحو الجنوب.

المناخ : يطغى على مناخ هضبة الرحامنة وبالتالي جماعة الصخور مناخ معتدل قاري يتميز بصيف حار خاصة عندما تهب رياح الشرقي، فتضعف المؤثرات الأطلنتيكية، وهذا ينعكس على نظام الأمطار التي تتميز باضطراب كبير لكمياتها من سنة لأخرى : 40 ـ 400 ملم / سنة، تتركز تساقطاتها بين نونبر وأبريل. بلغت مقاديرها 180,7 ملم سنة 1991 ـ 1992 و202,6 ملم سنة 1997 ـ 1998. وهذا ما جعل الجماعة تختص قديما في الرعي وتربية الأغنام، يبلغ المعدل السنوي للحرارة حوالي 20 درجة لكنها تعرف درجات عليا تتجاوز 40 درجة صيفا. كما تنخفض في بعض ليالي الشتاء إلى درجة التجمد مما يؤدي إلى ظهور الصقيع (الجريحة). أما الجريان السطحي فيكاد يكون منعدما باستثناء بعض الشعاب (السيول) التي تجري بها المياه بشكل عرضي إثر سقوط الأمطار. لكن أراضيها لا تبعد كثيراً عن نهر أم الربيع.

إن لقساوة المناخ وجفاف التربة انعكاسات سلبية على الغطاء النباتي الطبيعي الذي يتمثل في أعشاب حولية تظهر بعد سقوط الأمطار، تبرز بينها شجيرات قصيرة للسدرة الشوكية والطلح والدوم بالشمال، لكنها أزيلت في معظمها بسبب توسع زراعة الحبوب البورية والرعي الجائر، ولم يبق بارزاً على سطحها كنباتات دائمة سوى السدرة التي تعاود الظهور بعد كل موسم زراعي، والصبار الذي عرف توسعا كبيراً منذ فترة الحماية، إذ صار الكثير من القرى والمقابر والطرق محاطة بالصبار حتى أصبحت ثمراته أشهر منتوجات الجماعة. وذاعت شهرة كرموس الصخور والجبيلات (ثمرات الصبار) في مناطق بعيدة كمراكش وأسفي وخريبگة. كما اكتست أشجار الأوكالبتوس أهمية متزايدة إذ تغرس بالحدائق العمومية والخاصة وبجوانب الطرق وبمناطق تشجير عديدة خاصة بمنحدرات التلال العليا وضفاف نهر أم الربيع وشمال المركز وهي التي تتحمل بصبر قساوة المناخ خاصة بعد استفحال الجفاف.

وينتمي سكان الجماعة إلى مجموعة قبائل الرحامنة، وهم في معظمهم قبائل صحراوية عربية ومستعربة، وفدوا على المنطقة من سوس والصحراء الجنوبية الغربية في ركاب السعديين في القرن العاشر (16 م)، واستوعبوا بقايا السكان المحليين الأصليين، وطبعوا المنطقة بنمط عيشهم البدوي القائم على الرعي ونصف الترحال وزراعة بورية يناصيبية للحبوب خاصة الشعير، يزعمون انتسابهم إلى جد اسمه رحمون. ولم تستقر أسرهم وتظهر لهم قرى منازلها بالطين المدكوك سوى في مطلع القرن العشرين. وترسخت الظاهرة خلال فترة الحماية.

بلغ سكان الجماعة 10959 نسمة في إحصاء 1994 موزعين على أربع مشيخات و57 دواراً ومركز قروي واحد. تصل كثافتهم إلى 41,98 ن / كلم2، لكنها تتباين من جهة لأخرى ذلك أن استفحال الجفاف أذكى الهجرة القروية نحو المدن خاصة مركز الجماعة الذي بلغ عدد سكانه 3526 ن (مقابل 2400 ن سنة 1982). عرفت معظم القرى هجرة مكثفة شبه جماعية أحياناً، إذ لم يبق في بعض القرى سوى ثلث سكانها، لهذا يلاحظ أن عدد سكان الجماعة يتراجع لكن لا يرتبط ذلك بالهجرة فقط بل كذلك بفصل جماعة سيدي منصور عنها وقد تطور سكان الجماعة كالتالي : 18142 ن سنة 1971 و18667 ن سنة 1982 و10959 ن سنة 1994.

بلغت نسبة الخصوبة 3,55 لكنها بالنسبة للأمهات المولودات في عقد الأربعينيات خاصة بين 1945 ـ 1949 بلغت 7,70. وتبلغ نسبة الأمية في الشرائح التي يتجاوز عمرها عشر سنوات 71,30٪ (68,38٪ للذكور و80,73٪ للإناث).

ومازالت أراضي الجموع واسعة الانتشار لكن الملك الخاص في توسع مستمر منذ أيام القايد العيادي الذي أعطى المثل للأسر الإقطاعية في بداية عهد الحماية بالاستيلاء على أكبر ما يمكن من أراضي الجماعة والگيش وخوصصتها (تمليكها لصالحه) فتجاوزت أملاكه بمنطقة الرحامنة 40.000 هكتار، كما عرفت أراضي الدولة تقلصا لأسباب مختلفة. ولا تحتل الغابات إلا 1,8٪ من أرض الجماعة أي حوالي 3500 هكتار تتمثل في مناطق تشجير الأوكالبتوس بالمنحدرات الجنوبية لوادي أم الربيع وببعض التلال وبجوانب الطرق.

يقوم الاقتصاد الفلاحي على تكامل بين الزراعة الحولية للحبوب وتربية المواشي خاصة الأغنام وذلك في إطار أساليب تقليدية تعتمد على الدواب والأيدي العاملة لممارسة زراعة يناصيبية للشعير خاصة ضعيفة المردودية. لكن في

بعض السنوات الوفيرة الأمطار تعرف المنطقة تغيرا جذريا إذ ينتشر العشب الكثيف والأزهار وتنتعش الأغنام وتفيض الخيرات... تساهم المواشي بأكثر من نصف دخل الفلاحين، تترك لها مساحات واسعة للرعي (كأراضي مستراحة) كما تجد في الحصائد مجالا غنيا لتغذيتها. لكن استفحال الجفاف في العقدين الأخيرين أدى إلى تراجع أعداد الأغنام مما يترتب عنه كراء الحصائد صيفا لأشخاص يحترفون تربية الأغنام التي ينقلونها على الشاحنات من الحوز وتادلة. وفي السنوات الجافة تتحرك مواشي الجماعة شمالا للرعي بحصائد الشاوية ودكالة.

مركز صخور الرحامنة :

يقع على علو 473 متر، وسمي بصخور الرحامنة لوقوعه بين تلين صخريين علوهما 713 متر و642 متر مما يجعله يحتل ممرا استراتيجيا. كان نزالة تاريخية مهمة على طريق مراكش أنفا الرباط فاس، تعبره القوافل الرسمية لانعدام الأمن بالطريق الداخلي عبر تادلة، خاصة عندما تتمرد بعض القبائل الموجودة فيه. تحول في عهد الحماية إلى محطة لحراسة الطريق الرئيسي والسكة الحديدية التي عبرته في امتدادها من الدار البيضاء سنة 1932، انشئت به ثكنة عسكرية وبعض المنشآت الإدارية والخدماتية، ثم ظهر بجانب الطريق عدد من الدكاكين والمقاهي، فتحول إلى محطة طريقية. وفي عهد الاستقلال ازدادت أهميته بارتفاع حركة النقل بين الدار البيضاء ومراكش بل وكل جنوب المغرب. إن وقوع المركز على طريق وطني مهم وباعتباره بوابة الإقليم، اكتسب دينامية كبيرة وتحول إلى محطة طريقية تتوقف به جل وسائل النقل العمومي والخاص للتغذية أو شراء اللحوم... وظهرت به ثلاث محطات بنزين وفندق غير مصنف.

ولوحظ في السنين الأخيرة توسع كبير في ساحته لأسباب متعددة يبرز في مقدمتها هجرة القرويين إما هروبا من انعكاسات الجفاف، أو أملا في الحصول على عمل قار، حيث يمارس معظم النشيطين منهم حرفا تجارية وخدماتية غير مهيكلة، وإما لمصاحبة أبنائهم الذين يتابعون دراستهم بالمدرسة الابتدائية أو الإعدادية أو الثانوية. ولمواجهة تزايد السكان، نشطت حركة البناء، وأصبح الطابع العمراني للمركز يتميز بنوعين من أنماط البناء، ففي الجهة الشمالية يسود البناء المنظم نسبيا، مكون من الصلب، يتوفر على المرافق الأساسية كما يخضع لشروط التعمير. وفي الجنوب يسود البناء العشوائي يختلط فيه عدة نماذج من السكن، ما بين صلب تقليدي من الطين المدكوك، وصلب عصري مبني بالإسمنت كليا أو جزئيا وسكن هش يختلط فيه الطين بالقش يفتقر إلى المرافق الضرورية، الشيء الذي دفع الجماعة إلى إحداث مكتب تقني لمراقبة البناء لحماية الطابع الحضري للمركز. ويلاحظ أن السكن الريفي المبني بالطين المدكوك يكون 67,28٪ من المنازل بينما تكون نماذج السكن الحضري الحديث 28,27٪ وشقق العمارات 1,56٪ والسكن الهزيل 2,20٪.

عرف المركز أول تصميم نمو سنة 1961، وبتوسع المركز تم تغييره بتصميم آخر سنة 1985، لازال معمولا به إلى الآن رغم تجاوز حدوده لتزايد الهجرة باستفحال الجفاف، مما أحدث أزمة سكنية خاصة وأن إنجاز أشغال تجزئة جديدة شرع فيها منذ 1990 لازال يتعثر بعراقيل كثيرة منها ارتفاع ثمن البقع وزيادة مسلسل تفقير الفئات الشعبية العاجزة عن دفع ثمن البقعة، مما دفع المجلس إلى الشروع في إنجاز تجزئة للسكن الشعبي الرخيص. ويتوفر المركز على حديقة عمومية تعرف بـ "الجردة" موروثة من الفترة الاستعمارية أضيف إليها حديقة صغيرة : 7800 م2 أنشئت منذ 1980 بقلب المركز، لكنها بعيدة نسبيا عن سكن الأطفال، وتعرضت مؤخرا للإهمال مما ألحق إتلافا بأشجارها وتجهيزاتها.

يتكون قلب المركز من محلات تجارية تنتشر على طول الطريق الرئيسي خاصة بجهته الشرقية، حيث يوجد السوق ومعظم الدكاكين والمقاهي القديمة. أما غرب الطريق الممتد ش. ج فتوجد به المصالح الإدارية : مقر القيادة، مقر الجماعة القروية، إدارات، المركز الفلاحي والقرض الفلاحي، مقر الدرك الملكي، وملعب، أضيف به مؤخراً صف من الدكاكين والمقاهي الجديدة. ينتشر جنوبه حي سكني قديم هو "حي العرب" يتكون من سكن تقليدي مبني بالطين المدكوك. أما بالجهة اليمنى الوسطى فتوجد أهم المنشآت الاقتصادية : سوق وسويقة دائمة تتميز بدكاكينها الكثيرة لبيع اللحوم والمقاهي وساحة وقوف السيارات والمدرسة والإعدادية والثانوية والمسجد وأحياء تقليدية قديمة مثل : حي النوالة. وبالامتداد الشمالي الشرقي يوجد السكن العصري المتمثل في تجزئة العيادي التي صارت من أهم أحياء المركز، ظهر شرقها تجزئة حي بئر أنزران.

يضم المركز اليوم مجموعة من المنشآت العمومية والتجهيزات يعود معظمها إلى مرحلة الحماية والسنوات الأولى للاستقلال، وكانت بداية ظهور هذه التجهيزات سنة 1932 بتأسيس مقر القيادة أنشأته السلطات كمركز للمراقب المدني. وبعد الاستقلال تم نهج سياسة اللامركزية فتعاقب على تسيير الجماعة عدد من المجالس خلفت مجموعة من المنشآت والتجهيزات وطورت مستوى الخدمات. في 1994 بني مقر جديد للجماعة، فانفصلت عن مقر القيادة، كما توسعت شبكة الماء الشروب الذي ظهرت لبنتها الأولى منذ عقد السبعينيات اعتمادا على بئر قريب من المركز، لكن بتولي المكتب الوطني للماء الشروب لتسيير هذه المصلحة سنة 1990 تجددت الشبكة تدريجيا مستفيدة من قروض أجنبية. بلغ عدد المشاركين فيها 603 سنة 1996. كما عملت الجماعة على حفر عدد من الآبار ببعض القرى لأن المياه الجوفية عميقة وشحيحة، وزاد توالي سنوات الجفاف الوضع خطورة إذ جفت كثير من الآبار، مما طرح بحدة مشكل مياه الشرب سواء للسكان أو مواشيهم، ودفع إلى تكوين مؤسسات : نقابة الرحامنة لصيانة نقط الماء، قصد إشراك

السكان في حل هذا المشكل. وتجددت شبكة توزيع الكهرباء خلال سنة 1994 و1995 فأصبحت جل شوارع وأزقة المركز مضاءة. بلغ عدد المستفيدين من الكهرباء 70٪ لكن الدواوير الهامشية لا زالت محرومة منها. أما شبكة التطهير فقد ظهرت نواتها الأولى منذ بداية الثمانينيات لكنها ظلت محصورة بالمؤسسات العمومية والمقاهي والمنازل المرتبطة بالطريق الرئيسي والحيين الجديدين : تجزئة العيادي وبئر أنزران، مع تمديد جهة الغرب لخدمة سكن بعض المرتبطين بالقيادة ومقر الجماعة. وفي سنة 1994 أنجزت اتصالات المغرب تغطية جميع أحياء المركز بشبكة الهاتف القار والهاتف المحمول، مما أدى إلى خلق مناصب شغل الشباب الذين فتحوا أكشاكا هاتفية. كما يتوفر المركز على مستوصف أنشئ سنة 1952، أدى دوراً مهما خلال الستينيات والسبعينيات لكنه تعرض للإهمال في العقد الأخير، ويهتم أساسا بتقديم الإسعافات الأولية، وبعد ترميمه أنشئت به أقسام جديدة لتنظيم الأسرة وحماية صحة الأم والطفل ومحاربة داء السل وداء السكري، لكنه يعرف اكتظاظا باعتباره مستوصفاً لست جماعات قروية. ويتوفر المركز على صيدليتين وطبيب للطب العام (قطاع خاص) وصانع أسنان.

أما التعليم فقد عرف توسعا مستمراً، حيث أنشئت مدارس فرعية بكل الدواوير المهمة دعمت بمطاعم مدرسية، مما جعل الجماعة تتوفر على مدرستين مركزيتين ومجموعتين مدرسيتين تضمان 14 مدرسة فرعية، وتم مؤخرا إنشاء إعدادية ثم ثانوية، مما أعطى للتعليم دفعة قوية، جعل الكثير من الأسر تنتقل إلى المركز لمساعدة أبنائها على متابعة الدراسة، ويبلغ مجموع موظفي التعليم بالجماعة 70 معلما و54 أستاذاً.

ونظراً لمحدودية ميدان الشغل بالمركز الذي ينحصر في الأنشطة التجارية وبعض الخدمات الشخصية بالإضافة إلى الوظيفة العمومية والجماعية، فإن أعداداً متزايدة من الشباب خاصة المتعلم منهم لايجد له مجالا للتشغيل اللهم إلاّ بعض المحظوظين الذين يرثون مراكز آبائهم، أما الباقي فمصيره الهجرة إلى المدن الكبيرة والمتوسطة أو نحو الخارج. إن أهم أنشطة المركز اليوم هي التجارة المرتبطة بالطريق، حيث يصطف حوله أكثر من 300 محل تجاري منها 190 محلا مستغلا.

وتبدو بناية الجماعة القروية اليوم كأهم منشأة يعمل بها 44 موظفا، يلاحظ تكدسهم في المناصب الإدارية ونقص كبير في أطر التطهير وصيانة منشآت البنية التحتية. وتفتقر الجماعة كجل الجماعات القروية إلى أطر تقنية مختصة. وللجماعة مداخيل أهمها مداخيل كراء 6 مقاهٍ وحوالي 100 دكان لكن بسومة كرائية هزيلة متجمدة منذ عقود، يضاف إليها مداخيل السوق خاصة رسوم الذبح : 12 درهماً للخروف و90 درهماً للبقر، يصل معدل الأغنام المذبوحة يوم السوق حوالي 300 خروف و23 رأسا من الأبقار. وبلغت ميزانية الجماعة 1878732 درهماً سنة 1997 - 1998، يوجه منها حوالي 80٪ للتسيير فلا يبقى للتجهيز إلا النزر اليسير مما يتطلب الحصول على قروض وإعانات لإنجاز منشآت جديدة ومشاريع تنموية. ويفتقر المركز إلى جهاز التطهير والتنظيف، الشيء الذي يتم بشكل عرضي وذلك بتجنيد عمال الإنعاش الوطني أو القيام بحملات تطهير في بعض المناسبات خاصة قرب حلول موعد أعياد وطنية، وغالبا ما يتكلف السكان بنصيب مهم لتنظيف أحيائهم، لكن التخلص من النفايات يتم برميها في مزابل مرتجلة محلية قريبة من كل تجمع سكني. وباعتبار موقع هذا المركز على طريق حيوي فإن الجماعة ما فتئت تطالب بإحداث بعض المرافق المهمة مثل : محطة طرقية ومكان رسمي لاستقبال النفايات، وبناء مركب تجاري جديد بالإضافة إلى سوق مغطى، وتجميل واجهة المركز بتبليط أرصفة الطريق الرئيسي وإنشاء مزيد من باحات مبلطة لوقوف السيارات أمام المقاهي والدكاكين والسوق.

وبعيدا عن المركز، نجد قرى تحولت إلى سكن ريفيين عاطلين ينتظرون فرجا من السماء. إن أهم نشاط بالجماعة خارج المركز هو تربية الأغنام تأتي بعدها زراعة يناصيبية للحبوب، تعتمد على أمطار عرضية تشح سنة بعد سنة طيلة عقد الثمانينيات والتسعينيات مما أدى إلى هجرة كثيفة وإفراغ كبير للقرى، وتكدس سكان فقراء بالمركز لا يمتلكون شيئا ولا حرفة لهم تساعدهم على إيجاد شغل اللهم إلا أشغال البناء وتجارة التقسيط خاصة يوم السوق، حيث يمارس كثير من العاطلين مهنا بسيطة للارتزاق.

وينعقد يوم الأربعاء سوق أسبوعي يلعب دوراً رئيسياً في الإشعاع الاقتصادي للمركز إذ يجتذب إليه سكان عدد من الجماعات المجاورة، بل يتوقف به عدد من سيارات الخواص الذين يشترون اللحوم خاصة. لكن توسع العمران وتزايد الإقبال جعله يضيق بأنشطته، فقرر مجلس الجماعة سنة 1992 نقله إلى ضواحي المركز وتحويل مكانه إلى تجزئة ذات موقع ممتاز يتوسط المركز، لكن المشروع لازال يتعثر لما يتطلبه من تكاليف متزايدة، ولهذا لازال السوق بمكانه، لكن نمت إلى جانبه سويقة متعددة النوايا منها سوق الخضر وسوق اللحوم المرتبط بالطريق الرئيسي يتكون من 15 محلا للبقالة والخضر و17 محلا لبيع اللحوم، يعرف رواجا كبيرا طيلة الأسبوع، مما دفع الجماعة إلى الاهتمام بهذا المرفق الحيوي، فحولت سوق اللحوم القديم إلى سوق للخضر وبنت دكاكين جديدة على الطريق لبيع اللحوم. ظهر بينها بعض المقاهي، تقدم المشروبات والتغذية التي تقوم أساسا على شي اللحوم و"القضبان". ويلاحظ أن دكاكين السويقة هي في خدمة عابري الطريق أكثر من السكان المحليين الذين يعتمدون في معظم مشترياتهم خاصة اللحوم والخضر والملابس والأدوات المنزلية على السوق الأسبوعي الذي لازالت تتكون جل منشآته التجارية من خيام مؤقته وبسط.

الجلامي عبد الحميد، *مونوغرافية صخور الرحامنة*، تحضير كتابة الجماعة : التنمية المحلية من خلال نموذج صخور الرحامنة، الداويميش نعمية، الجماعة المحلية والتنمية نموذج صخور الرحامنة، كلية الآداب، شعبة الجغرافيا، مراكش، بحث ميداني.

أحمد هوزالي

**الصخيرات**، مدينة ساحلية صغيرة، تقع على الطريق السيار الرابط بين الرباط والدار البيضاء. كانت الصخيرات، خلال فترة الحماية جزءاً من جهة الرباط، تابعة للمراقبة المدنية لأحواز الرباط، مركزاً للاستيطان. بلغ عدد سكانها سنة 1936 أقل من 100 نسمة، 48 منهم فرنسيون، وبلغ مجموع عدد الأجانب : 24 نسمة، بينما لم يتعد عدد السكان المسلمين : 18 نسمة.

وفي شتنبر 1994، بلغ عدد سكان بلدية الصخيرات 29.599 نسمة موزعين على 5217 مسكناً. وتوزعت هذه الساكنة بين 49،69٪ إناثا و50،31 ذكوراً. يتميز التوزيع حسب الفئات العمرية باتساع قاعدة الهرم السكاني، بحيث تشكل نسبة القادرين على العمل (16 ـ 59 سنة) 57،75٪ تليها فئة الصغار (أقل من 15 سنة) بنسبة 37،12٪ أما معدل التكاثر الطبيعي فيصل 6،8٪.

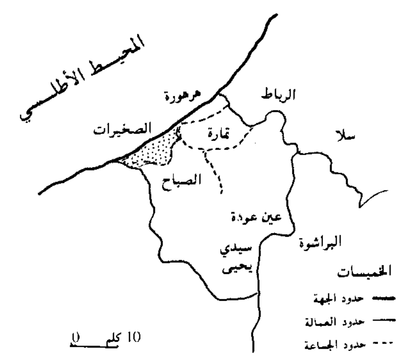


أما على المستوى الاجتماعي، فالأمية تمس 48،36٪ من مجموع السكان الذين تتعدى أعمارهم 10 سنوات. موزعة بين الإناث 60،65٪ والذكور 35،69٪. ولا تتعدى نسبة النشاط الفعلي 34،56٪ من مجموع السكان، بحيث أن مجموع العاطلين يصل إلى24،94٪ في علاقتهم بالساكنة النشيطة. أما توزيعها حسب السكن، فيمكن تلخيصه كالتالي :

| نسبة القاطنين لغرفة إلى 2 غرف | نسبة القاطنين لأربع غرف | نسبة المالكين للسكن | نسبة السكن الريفي |
|---|---|---|---|
| %61,44 | %8,90 | %63,27 | %65,19 |

| نسبة المنازل المكهربة | نسبة المنازل المرتبطة بشبكة الماء |
|---|---|
| %22,81 | %19,30 |

وخلال الستة أشهر الأولى من سنة 2000، كانت بنيتها التعليمية موزعة كما يلي :

| | الابتدائي | الإعدادي | الثانوي |
|---|---|---|---|
| عدد المؤسسات | 5 | 2 | 1 |
| عدد التلاميذ | 4003 | 1691 | 615 |

وتتوفر الصخيرات على عدة جمعيات ثقافية ورياضية... كما تتوفر المدينة على دار للشباب تساهم في التنمية الثقافية والاجتماعية :

| عدد المستفيدين من الأنشطة التربوية والاجتماعية | من الأنشطة الثقافية | من الأنشطة الرياضية | من الأنشطة الاشعاعية |
|---|---|---|---|
| 1190 | 1169 | 799 | 1200 |

وتعتمد منطقة الصخيرات في اقتصادها على أنشطة مختلفة، تلعب فيها الفلاحة دوراً رئيساً لما تتوفر عليه المنطقة من تربة خصبة ومناخ معتدل. ويقدم مجالها الفلاحي إضافة إلى مجالي عين عودة وتمارة إنتاجاً متنوعاً. وهكذا توزعت المعطيات الانتاجية خلال الستة أشهر الأولى من سنة 2000 كالتالي.

| المزروع | المساحة (هـ) | المزروع | المساحة (هـ) | المزروع | المساحة (هـ) |
|---|---|---|---|---|---|
| القمح الطري | 15.000 | الخضر | 1.450 | الورديات | 1.000 |
| القمح الصلب | 1.700 | اللوبياء | 30 | الحوامض | 67 |
| الشعير | 5.000 | الطماطم | 127 | الكروم | 1.600 |
| الفواكه الاستوائية | 343 | | | | |

وتحتل تربية الماشية مكانة مهمة في الاقتصاد المحلي، تربى بطرق عصرية أو تقليدية، تحتل فيها الأغنام المرتبة الأولى، ثم الأبقار بأنواعها للتسمين أو لإنتاج الألبان...

الأبقار 28.000 رأس
المهجنة 5.600 رأس
أصلية 4.200 رأس
المحلية 18.200 رأس
الأغنام 110.000 رأس

كما تتوفر الصخيرات على بعض الصناعات التي تساهم في الانتاج وفي توفير فرص الشغل، نذكر على سبيل المثال لا الحصر.

| المؤسسة الصناعية | عدد العمال | المؤسسة الصناعية | عدد العمال |
|---|---|---|---|
| سلام غاز | 62 | كومطرال | 89 |
| ماطو | 16 | الصلب والحديد | 89 |
| شركة البناء | 120 | | |

وتلعب السياحة دوراً إيجابيا في اقتصاد المنطقة، لما تتوفر عليه من مؤهلات سياحية، كالمناخ والموقع الهام بين مراكز حضرية مختلفة إضافة إلى اتساع شواطئها المهمة. وهكذا توزعت الحركة السياحية بالفنادق المصنفة في مجموع العمالة إلى :

| | الستة أشهر الأولى 1999 | الستة أشهر الأولى 2000 |
|---|---|---|
| الوافدون | 6605 | 8464 |
| المبيتات | 12259 | 12956 |

وقد أصبحت الصخيرات منذ أوائل الثمانينيات تكوّن مع جارتها تمارة إقليماً مستقلاً ضمن ولاية الرباط الكبرى، ثم ضمن الجهة العاشرة حسب نظام الجهات 16 المحدث في ماي 1997.

يمتاز إقليم الصخيرات ـ تمارة بموقعه الاستراتيجي الممتد على طول الساحل الاطلنتي. وشساعة مساحته وغطائه النباتي الوفير، كما أن أراضيه يخترقها نهران هما واد يكّم وواد الشرّاط، ويعد القطاع الفلاحي فيه من أغنى القطاعات الموجودة على طول الساحل. أما المجال الصناعي والمتركز في مدينة تمارة فيعتبر نموذجاً متطوراً باستمرار، كما أنّ هذا القطاع همّ كذلك جانباً من الصخيرات. (انظر إقليم الصخيرات ـ تمارة. *معلمة المغرب*، 8 : 2535.

Recensement Général de la population et de l'habitat de 1994, Secrétariat d'Etat à la population : Bulletin économique et social, premier semestre 2000, province : Skhirat - Temara.

صالح شكاگ

* *

وفي القصر الملكي الصيفي بالصخيرات أقام الحسن الثاني ـ كعادته كل سنة احتفالاً بذكرى عيد ميلاده يوم 9 يوليوز الذي كان والده محمد الخامس قد جعله عيدا للشباب. وكان موعد الحفل يوم السبت 10 يوليوز 1971 ابتداء من الساعة العاشرة صباحا. وقد تقاطر على القصر كل رجالات الدولة، مدنيين وعسكريين، فضلا عن السفراء وزعماء الأحزاب والنقابات وعدد من أصدقاء الملك وأفراد الأسرة المالكة ورجال الصحافة، وعامة الحاشية الملكية وخاصتها. وكان الحفل يجري في جو من المرح وطرح التكليف وتلافي ثقل التشريفات الرسمية. فاللباس لباس الصيف، والمدعوون يتعاطون ما يرغبون فيه من وجوه التسلية من سباحة أو رياضة الكولف، أو ألعاب الورق، أو ينبسط بعضهم للبعض فيتبادلون أطراف الحديث. ولما بلغت الساعة الواحدة بعد الزوال، صاروا يجلسون حول موائد الغذاء الطافحة بالطعام من كل لون شهي. وبينما هم كذلك، إذ داهمهم من كل جانب من مباحات القصر سيل من الجند المدجج بالسلاح، يرمونهم بنيران بنادقهم وبالقذائف اليدوية، ويصوبّون نحوهم أسلحة أثقل من ذلك وأشد فتكا. فجرح من جرح، ومات لتوه من مات، وصدرت الأوامر لمن نجا بأن ينبطحوا على الأرض واضعين أيديهم على قفاهم، ثم بأن يجلسوا متربعين مع دفع الأيدي فوق الرؤوس. وويل لمن حاول الفرار، مثلما فعل من لاذ بجهة البحر، فإنهم طوردوا وأعيدوا إلى سياج القصر بمنتهى الغلظة والفضاضة. وامتد ذلك زهاء ثلاث ساعات في حالة من الفزع الأكبر، سواء من جهة الشرذمة المهاجمة أو من جهة ضيوف الملك وخدامه بالأحرى.

أما المهاجمون، فإنهم كانوا في محاولة انقلاب عسكري أقدم عليها الجنرال محمد المذبوح، قائد الحرس الملكي والساعد الأيمن للحسن الثاني في كل ما يتصل بالشؤون العسكرية. وقام بتنفيذها الكولونيل مَحمد اعبابو، مدير المدرسة العسكرية بأهرمومو، قرية على بعد سبعين (كلم) جنوب شرقي فاس في قلب جبال الأطلس المتوسط. وكان هذا الضابط من ذوي البطش والنزق والجبروت، مطلق العنان، لما يربط بينه وبين الجنرال المذبوح من الأواصر القبلية، فكلاهما من قبيلة اكزناية في الريف الشرقي. وكان قد تسلق ارتب في الجيش بوتيرة سريعة، حتى صار كولونيلا ولما يتجاوز السادسة والثلاثين من العمر. ولم يكن سبب ذلك مجرد ما وهب من الخصال القتالية والقيادية، وإنما أيضا من قدرة فائقة على التزلف لرؤسائه من الضباط، وإرشائهم بما كان يختلس من أموال الدولة، سرا وعلانية، لصرفها في ما يذلل أمامه عقبات الطموح. فأصبح ذا مال وجاه في بضع سنوات. ولذلك سولت له نفسه أن يختطف الجهاز المخزني بكامله، بعد أن عيّن مديراً لمدرسة أهرمومو سنة 1969. فضاعف من عدد تلامذتها الذي ارتفع من ستمائة إلى ألف وأربعمائة. وجعلهم أداة عسكرية طوع إرادته الجبارة. وهؤلاء الشباب المجندون الذين كانوا في الغالب في العشرين من عمرهم، تزيد أو تنقص، هم الذين جاء بهم محمد اعبابو يوم 10 يوليوز 1971، موهما إياهم بأنهم في الطريق إلى مناورات كبرى بالسلاح الحي في غابة مدينة ابن سليمان شرقي الدار البيضاء. حتى إذا اقتربت تلك القافلة المركبة من زهاء أربعين شاحنة تحمل خمسا وثلاثين كومندو، مع الذخيرة والعتاد والرشاش الثقيل والبازوكا، إضافة إلى سيارات الجيب الناقلة للضباط، قال لهم الكولونيل الماكر، في وقفة قرب سيدي بوقنادل، بأن عليهم أن يهاجموا قصر الصخيرات لإنقاذ الملك الحسن الثاني من بعض المتربصين به. وأمر بأن يتم الهجوم من جهتين في مجموعتين، يقود أولاهما هو نفسه من الجنوب، ويقود الثانية من جهة الشمال أخوه الأكبر منه محمد (ضما) اعبابو، وهو أيضاً برتبة كولونيل، كان يدرس بالمدرسة العسكرية في القنيطرة. وهكذا انسدت الكماشة النارية على قصر الصخيرات وعلى الملك وضيوفه. وأطلق العنان لجنود في تمام الذعر والجهالة يقتلون جزافا، تارة لتصفية الحساب مع بعض الضباط من أمثال الكولونيل أبو الحمص، قائد الدرك الملكي الذي كان محمد (فتحا)

اعبابو يحقد عليه، أو الجنرال إدريس النميشي قائد الطيران، أو الجنرال محمد الغرباوي كبير الضباط المرافقين للملك. وتارة أخرى يقتل الناس لبث الرعب وقمع كل مقاومة، مثلما حصل للكولونيل عبد القادر لوباريس الذي حاول أن يثني المهاجمين عن فعلتهم فأردوه شبه قتيل. وقد ذهب ضحية الرمي العشوائي وزراء ومدراء وشخصيات معروفة وأخرى مغمورة. ونجا البعض بالنفس ولكن بجروح متفاوتة، مثل الأمير المرحوم المولى عبد الله أخ الحسن الثاني، والزعيم الوطني الغيور محمد بن الحسن الوزاني الذي أطار الرصاص ذراعه الأيسر. وكان من ضحايا الهجمة مدبرها الأول نفسه الجنرال محمد المذبوح، ذلك بأنه هاله ما رأى من التقتيل العشوائي. فصار يجادل اعبابو، وامتنع عن إخباره بمكان الحسن الثاني في القصر. فظن اعبابو أنه ينوي الغدر به، فتراشقا بالنار، فجرح اعبابو في دراعه وسقط المذبوح قتيلا. ولما فقدت المؤامرة رئيسها، رأى اعبابو أن يعود إلى الرباط، رفقة أربعة جنرالات، هم الجنرال عبد الرحمان حبيبي قائد حامية مراكش، والجنرال الخياري بوكرين قائد حامية فاس، والجنرال الكبير بلبصير قائد حامية مكناس، والجنرال حمّو أمحزون قائد حامية القنيطرة، للسير بالانقلاب في ما كان مخططا له من احتلال دار الإذاعة والتلفزة، ومقر وزارة الداخلية ومقر القيادة العامة للجيش. وفي مقر القيادة العامة، تشكل مجلس للثورة، برئاسة الكولونيل العربي الشلواطي، قائد المكتبين الثالث والرابع لدى أركان الحرب. وانتقل محمد اعبابو للتمكن من دار الإذاعة والتلفزة، التي صارت تذيع البلاغات عن قيام الثورة ونجاحها، وتطالب بالمساندة. كما تم التمكن من وزارة الداخلية دون كبير عناء، إذ لم يكن أحد يتوقع ما وقع. ولكن ما أن عاد محمد اعبابو من دار الإذاعة، حتى وجد نفسه وجها لوجه مع الجنرال البشير البوهالي القائد العام لأركان الحرب، الذي جاء مهرولا من الصخيرات شاهرا للسلاح، ناهرا مخزيا للكولونيل الثائر، فتطاير الرصاص من الجانبين، وسقط الجنرال البوهالي والكولونيل اعبابو ميتين. وبموت اعبابو، ماتت أطماعه الوهمية.

وكان بداية ذلك من قصر الصخيرات، حيث ما أن خرج اعبابو منه، حتى توقف التقتيل. ولما توقف التقتيل، خرج الحسن الثاني ومساعدوه الأقربون من أمثال الوزير الأول يومئذ السيد أحمد العراقي، والجنرال محمد أوفقير وزير الداخلية، من مخابئهم. وما أن بصر بعض أولئك الجند المغرر بهم بالملك، حتى ارتموا على يده يقبلونها، وتعالى الهتاف بحياته، وقرئت الفاتحة، وكانت بداية النهاية، إذ أمر الملك الجنرال البشير البوهالي بالتوجه إلى مقر القيادة العامة لإرجاع الأمور إلى نصابها، فكان ما ذكرناه من الاقتتال بينه وبين اعبابو. كما أمر الحسن الثاني الجنرال أوفقير بالتأكد من إخلاص السواد الأعظم من الضباط والجنود. وبذلك أحبط التمرد قبل منتصف ليلة الأحد. وألقي القبض على أعضاء مجلس الثورة المزعوم. واسترجعت دار الإذاعة والتلفزة ومقر وزارة الداخلية. وألقي القبض على مجموع الجنود الذين شاركوا في المحاولة الفاشلة. ثم صدر الحكم بناء على الأعراف العسكرية بإعدام الضباط المتورطين في الانقلاب، وهم العربي الشلواطي وحمو أمحزون والخياري بوكرين والكبير بلبصير ومصطفى أمحراش وعبد الرحمان حبيبي والفنيري وبوبرّي ومحمد (ضما) اعبابو والمانوزي، فأعدموا رميا بالرصاص بعد أن جردوا من رتبهم أمام الملأ. وكان ذلك يوم الثلاثاء 13 يوليوز قبل الظهيرة. أما السواد الأعظم من المتمردين، فإنهم أحيلوا على المحكمة العسكرية، هم وضباطهم الذين قادوهم إلى تلك المجزرة. فصدر الحكم في حق الجنود بعدم المسؤولية. وحكم على ضباطهم بأحكام تتراوح بين السجن المؤبد وسنوات متفاوتة من الحبس بناء على ما ثبت من مشاركتهم في التقتيل.

كادت هذه الهزة المباغتة العنيفة أن تزيغ بالمغرب في ما لا تحمد عقباه من دروب التيه والمغامرة. وكان من الطبيعي أن يتأثر الجهاز العسكري بمن قتل من كبار قادته في ظرف وجيز، وبما كان من تصرفات الجنرال أوفقير طيلة السنة التالية. ذلك بأن الحسن الثاني جعله وزيراً للدفاع، مكلفا إياه بالبحث في أسباب الانقلاب، والسعي في العودة بالأمور إلى سابق السكينة والانضباط. فاتخذ الجنرال أوفقير ذلك ذريعة للإعداد لانقلاب جديد يقوده بنفسه، مما يبرر أقوال من يدعي أنه كان على بينة من محاولة المذبوح واعبابو، وظل يترقب لمن تكون الغلبة، حتى إذا خرج الملك ناجيا، لم يتورع أوفقير عن إعدام سابق رفاقه. وسهر على أن يخفف مما تعرض له باقي المتمردين من الامتحان. ثم صار يعد لجولة خاصة به. وكان ذلك في 16 غشت 1972، يوم كان الملك عائدا من الديار الفرنسية على متن طائرة خاصة. فلما دخلت الطائرة الأجواء المغربية، اعترض سبيلها طائرتان من المقاتلات ترميها بوابل من القذائف. لكن الملك الحسن الثاني خرج ناجيا من هذا الهجوم أيضا. وكانت تلك معجزة ثانية في أقل من سنتين. وقام بالهجوم طيارون من قاعدة القنيطرة الجوية بأمر من أوفقير. وسرعان ما ألقي القبض عليهم. وقتل أوفقير في ظروف غامضة. وقيل إنه انتحر بعد أن تبين له أن لا سبيل للتمويه مرة أخرى. ثم حكمت المحكمة العسكرية بعد شهور على المسؤولين فأعدم من أعدم، وألقي في غيابات سجن تازمامرت الرهيب بالآخرين، بعد أن ألحق بهم ضباط واقعة الصخيرات.

ولقد كتب الكثير عن هذه الوقائع في شكل مذكرات أو شهادات، إما من قبل من نجا من المذبحة، وإما من قبل من أفنى شبابه من طيشه في الزنازن. ولكن الذاكرة متنوعة متباينة، والتاريخ هو سبيل الحكم المنسجم. والحقيقة التاريخية، هي أن النظام الملكي الدستوري في المغرب، أعرق وأثبت من أن ينال منه أي انقلاب عسكري. ذلك بأن صاحب الشرعية في المغرب هو الملك، وما الجيش والدرك والشرطة

إلا أدوات تلك الشرعية. ولا إرادة للإداة بغير إرادة الماسك بها. وجاءت المحاولتان، على ما تخللهما من الفجائع والمآسي، بالدليل القاطع على إدراك السواد الأعظم من الضباط والجند لتلك الحقيقة، وعلى تمسكهم بالإخلاص لقائد الأمة. ولم تمض ثلاث سنوات حتى كانوا يزحفون بكل سلاحهم إلى الصحراء المسترجعة من اسبانيا، ليقفوا درعا منيعا في وجه أعداء وحدة البلاد التاريخية. وتلك وظيفتهم الوحيدة. وذلك سبيلهم الوحيد إلى المجد.

الحسن الثاني، *التحدي*، الرباط، 1403 / 1983 ؛ م. المعزوزي، *أحداث الصخيرات، 10 يوليوز 1971، إضاءات وحقائق تاريخية*، منشورات جمعية أسر ضحايا الصخيرات، الرباط، 2001 ـ 2002 ؛ محمد الرايس،

Le massacre de Skirat, 10 juillet 1971, Crime contre l'humanité , Mohamed Rayess, De Skirat à Tazmamart, Retour du bout de l'enfer, Afrique Orient, Maroc, 2002 ; J. Benoit-Méchin, Deux étés africains, Albin Michel, 1972.

إبراهيم بوطالب

**الصَّخيري**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازال هناك أسر إسبانية تحمل اسم Zahora - Zuraira ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1206 (1792).

وتجدر الإشارة إلى أنه كان بأحواز غرناطة المسلمة حصن الصخيرة وقرية الصخيرة.

**الصخيري، عبد السلام** بن محمد التطواني زاول خطة العدالة من سنة 1122 إلى سنة 1159 (1710 ـ 1746).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1112.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **الصديق** أسرة إدريسية من سلالة داود بن إدريس الأزهر، هاجر سلفها إلى الأندلس بعد سقوط دولة الأدارسة، ومن هناك توجه أحد أجدادها إلى تلمسان في أواخر القرن الخامس (11 م) وبقي عقبه بنواحي شرق المغرب إلى أن ظهر منهم عبد المؤمن الكبير وكان من أولياء القرن التاسع (15 م)، ومدفنه بقبيلة بني إزناسن ويعرف بأبي قبرين. وفي أواسط القرن العاشر انتقل حفيده عبد المؤمن الصغير بن محمد بن عبد المؤمن الكبير إلى منطقة غمارة فاستقر بتُجكان بقبيلة بني منصور، وكان هو الآخر صوفيا زاهدا ظاهر الولاية.

ومنذ ذلك التاريخ اتخذت هذه الأسرة الشريفة قرية تجكان الغمارية موطنا لها. وتميز أبناؤها على مدى القرون اللاحقة بالإقبال على العلم والتصوف، ومن أشهرهم عبد المؤمن الصغير تلميذ الشيخ الصوفي الشهير علي الشلي (ت. 990 / 1582) وأحمد بن عبد المؤمن تلميذ الشيخ مولاي العربي الدرقاوي (ت. 1239 / 1823)، والشيخ محمد بن الصديق الذي انتقل إلى سكنى مدينة طنجة حيث تفرغ لنشر العلم والتصوف، وأسس الطريقة الصديقية الدرقاوية. وأنجب سبعة أبناء هم أحمد وعبد الله وعبد العزيز وعبد الحي ومحمد الزمزمي والحسن وإبراهيم نبغوا جميعا في العلوم الشرعية، فكان منهم محدثون وأصوليون وفقهاء. وقد تجاوزت تآليفهم مجتمعين 470 كتابا.

أ. ابن الصديق، *التصور والتصديق بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق*، القاهرة، ط 2، 1980 ؛ عبد الله بن الصديق الغماري، *سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق*، القاهرة، 1985.

**الصديق** بن أحمد بن محمد بن قاسم الغماري الحسني، جد الأسرة العالمة ابن الصديق وُلد بقرية تجكان سنة 1246 / 1830، في أسرة إدريسية النسب انتقلت إلى المنطقة منذ القرن العاشر (16 م). كان أبوه أحمد تلميذا للشيخ مولاي العربي الدرقاوي، ومن الشيوخ المربين بجبال غمارة، وله كتاب في آداب المريدين وعدة رسائل في التصوف.

أخذ الشيخ الصديق الطريقة الدرقاوية عن الشيخ الهاشمي بوزيد أحد تلاميذ والده، ثم انتقلت إليه مشيخة التصوف بزاوية أبيه بتجكان فقام بها وكثر مريدوه، وكان ذا سمعة طيبة في أوساط القبائل الجبلية الغمارية مرجوعا إليه في حل الخصومات والنزاعات القبلية. وإلى الشيخ الصديق تنتسب الأسرة الصديقية الغمارية الطنجية.

توفي سنة 1331 / 1913.

أحمد ابن الصديق، التصور والتصديق بأخبار سيدي محمد بن الصديق، القاهرة، ط 2، 1980، ص. 15 ـ 17.

ابن **الصديق أحمد** بن محمد الغماري ولد بقبيلة بني سعيد بنواحي تطوان سنة 1320 / 1902، ونشأ بمدينة طنجة وبها حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ العلوم على الفقيه السيد العربي بن أحمد بودرة. ثم تتلمذ لعدد من الشيوخ منهم والده الشيخ سيدي محمد بن الصديق وأحمد بن عبد السلام العيادي السميحي الغماري أخذ عنهم العلوم الشرعية واللغوية.

رحل إلى مصر عدة مرات، فكانت رحلته الأولى بقصد الدراسة واستغرقت سنتين من 1339 / 1921 إلى 1341 /

1923، التحق خلالها بالجامع الأزهر، وأخذ عن علمائه وغيرهم. ونظراً لأن تكوينه الأساسي بالمغرب كان متينا فقد تخرج من الأزهر بعد سنتين من الدراسة فقط.

توسع أحمد بن الصديق في الأخذ عن شيوخ، سواء بالدراسة أو بالإجازة، وقد بلغ عدد العلماء الذين أجازوه 106 شيخ منهم ست عالمات، من المغرب ومصر والجزائر والحجاز واليمن والهند وأفغانستان وإيران وتركيا. ومن علماء المغرب الذين أجازوه الشيخ محمد بن جعفر الكتاني التقى به بدمشق، والشيخ أحمد ابن الخياط الزكاري بفاس والعلامة محمد بن إدريس القادري نزيل الجديدة. كما حصل على إجازات كثيرة من علماء المشرق مثل الشيخ عبد المجيد الشرنوبي والشيخ أحمد بن محمد رافع الطهطاوي وشيخ الديار الشامية بدر الدين المغربي ومن علماء تركيا العلامة محمد زاهد الكوثري.

ظهرت علامات النبوغ العلمي عليه في سن مبكرة وصار مرجعا للعلماء وطلبة العلم في علم الحديث بالخصوص منذ إقامته بمصر، ومن علامات نبوغه المبكر تأليفه لأول كتبه في سن الثالثة والعشرين. وقد ظل بعد ذلك غزير الإنتاج العلمي، حيث ألف 155 كتابا طبع منها 47، ويقع بعضها في ثمانية أجزاء. وأكثر مؤلفاته في علم الحديث، لكنه ألف أيضا في مختلف العلوم الشرعية كالفقه والأصول والتصوف، تميز أغلبها بنظرات بالعمق في التناول والاجتهاد في الطرح، خاصة وأنه كان ذا اجتهادات خاصة في المجالات الفقهية والحديثية، مع دعوة ملحة إلى نبذ التقليد وتحرير العقل الفقهي بالخصوص من الموروث المذهبي، كما كانت نظرته نقدية للتراث الإسلامي واستدرك على عدد كبير من المسلّمات والاجتهادات والأفكار. وبجانب نشاطه العلمي خَلَفَ والده في مشيخة الطريقة الصديقية، وحافظ على نفس التوجه الصوفي الجامع بين العلم والتصوف والمنفتح على الواقع الاجتماعي خاصة من جانب تقويم الانحرافات العقدية والسلوكية.

وعلى المستوى السياسي كان للشيخ أحمد بن الصديق مواقف مناهضة للوجود الاستعماري الإسباني بالمنطقة الشمالية، وقام بمحاولتين لتحريك أتباع زاويته في انتفاضة مسلحة ضده كانت الأولى سنة 1355 / 1936، فسجن بسبب ذلك ثلاث سنوات ونصف، والثانية سنة 1369 / 1950 حوكم على إثرها ونفي إلى المنطقة التي كانت خاضعة للاحتلال الفرنسي.

وفي أواخر سني حياته هاجر إلى القاهرة وبها توفي سنة 1380 / 1960.

عبد الله التليدي الحسني، الأنيس والرفيق بمآثر الشيخ سيدي أحمد بن الصديق، مخطوط ؛ حياة الشيخ أحمد بن الصديق، تطوان، المطبعة المهدية : م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدار البيضاء ؛ لبابة بن عجيبة، الجهود العلمية، 38 - 34، ص. 1992 / 1412، 1، للأسرة الصديقية، بحث الإجازة في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب بالرباط، 1998.

ابن **الصديق، عبد الحي** بن محمد الغماري، ولد بطنجة سنة 1335 / 1917، تعلم القرآن الكريم ومبادئ العلوم على يد الفقيه محمد المصوري، وابتداءً من سن الخامسة عشرة بدأ متابعة دراسته العلمية بالزاوية الصديقية، فأخذ بالخصوص عن خاله السيد أحمد بن عبد الحفيظ بن عجيبة وشقيقه السيد أحمد بن الصديق والفقيه العربي بوعياد والفقيه عبد الرحمن بن أحمد الجزائري.

وفي سنة 1355 / 1936 رحل إلى القاهرة لإتمام دراسته بالجامع الأزهر، فقضى بها 10 سنوات أخذ خلالها عن عدد كبير من العلماء المصريين والمغاربة منهم شقيقه السيد عبد الله. كما أجازه عدد آخر من علماء مصر والشام والمغرب مثل الشيخ عبد الحي الكتاني والشيخ عبد الرحمن قرعة مفتي الديار المصرية والشيخ بدر الدين الدمشقي والشيخ راغب الطباخ مؤرخ حلب والشيخ خليل الخالدي المقدسي.

وبعد رجوعه إلى المغرب سنة 1365 / 1946 درس بالزاوية الصديقية، ثم عين سنة 1373 / 1953 مديراً للمعهد الإسلامي بطنجة، ثم أستاذا به إلى أن طلب التفرغ النسبي. فاتجه كلية للتأليف في القضايا الفقهية والأصولية على وجه الخصوص.

كان عالما أصوليا فقيها متمكنا، مشاركا في غير ذلك من العلوم الشرعية، وقد غلب عليه الميل إلى الاجتهاد ونبذ التقليد، وتدل على ذلك مؤلفاته العديدة التي بلغت 21 كتابا طبع منها 16 كتابا في الفقه والأصول، والبقية مخطوطة.

توفي بمدينة طنجة يوم 15 شعبان 1415 / 15 يناير 1995.

محمد ابن الحاج الفاطمي السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، دار النجاح الجديدة، ط 1، 1412 / 1992، ص. 351 - 353 ؛ لبابة بن عجيبة، *الجهود العلمية للأسرة الصديقية*، بحث الإجازة في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1419 / 1998.

ابن **الصديق عبد العزيز** بن محمد الغماري، ولد بطنجة سنة 1338 / 1920، درس القرآن ومبادئ العلوم بالكتاب الملحق بالزاوية الصديقية بطنجة على الفقيه محمد المصوري الأندلسي، وأخذ علوم اللغة عن خطيب نفس الزاوية الفقيه العربي بوعياد، ثم شد الرحال صوب القاهرة سنة 1355 / 1936، فانتسب إلى الجامع الأزهر، فأخذ عن عدد من علماء مصر وعلى شقيقه السيد عبد الله الذي كان قد سبقه إليها. كما حصل على إجازات عدد من العلماء من مصر والشام وفلسطين وتونس وتركيا والهند.

مكث بالقاهرة 11 سنة متواصلة ميزها نشاطه العلمي حيث كان يكتب ببعض المجلات المصرية، كما كان يخطب

ببعض مساجد القاهرة. وفي سنة 1367 / 1948 عاد إلى المغرب، فزاول الخطابة بزاوية والده بحي القصبة أولا، ثم انتقل إلى الزاوية الحمدوشية وبعدها إلى مسجد بني مكادة حتى تم إيقافه عن الخطابة. كما انكب على تدريس علم الحديث والتفسير والتصوف بالزاوية الصديقية بطنجة مدة طويلة.

كان عالما محدثا متضلعا في العلوم الشرعية المختلفة، وغلب عليه التخصص في علوم الحديث والرجال والمصطلح، ومن الناحية الفقهية غلب عليه الاجتهاد ومجانبة التقليد. وقد انكب طيلة حياته على التأليف في المجالات المختلفة لعلم الحديث النبوي والفقه حتى أربت تآليفه على 140 كتابا ورسالة، طبع منها 39 كتابا. وكان له إلى جانب ذلك متابعة لبعض القضايا العلمية والدينية في بعض المجلات والجرائد الوطنية.

وكان من رجالات التصوف علما وسلوكا، على جانب كبير من الورع والزهد، وقد أصبح شيخا للطريقة الصديقية بعد وفاة شقيقه السيد عبد الله.

توفي بمدينة طنجة يوم 6 رجب 1418 / 7 نونبر 1997.

محمد ابن الحاج الفاطمي السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، دار النجاح الجديدة، ط 1، 1412 / 1992، ص. 351 - 353 ؛ لبابة بن عجيبة، *الجهود العلمية للأسرة الصديقية*، بحث الإجازة في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1419 / 1998.

ابن **الصديق عبد الله** بن محمد الغماري ولد بمدينة طنجة سنة 1328 / 1910، وتلقى تعليمه الأول بالزاوية الصديقية على الفقيهين محمد البراق الأنجري ومحمد الأندلسي المصوري. وأخذ العلوم الشرعية واللغوية على شقيقه أحمد وعلى خاله أحمد بن عبد الحفيظ ابن عجيبة.

رحل إلى فاس سنة 1343 / 1924 لاستكمال دراسته، فالتحق بجامع القرويين وأخذ بها عن عدد وافر من العلماء، منهم الشيخ الحبيب المهاجي والشيخ محمد بن الحاج السلمي وامحمد بن عبد الكبير بن الحاج السلمي والشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري والشيخ أحمد القادري والشيخ محمد بن الحسن الصنهاجي والشيخ أبي الشتاء الصنهاجي وشيخ الجماعة مولاي عبد الله الفضيلي والشيخ الراضي السناني والشيخ العباس بناني والشيخ الحسين العراقي والشيخ عبد الرحمن بن القرشي. وفي أثناء دراسته بفاس ظهرت علامات نبوغه العلمي وشهد له بذلك عدد من شيوخه، ومن مظاهر ذلك أنه ألف في هذه الفترة شرحا للأجرومية يعتبر أوسع شرح لها.

ثم رجع إلى طنجة سنة 1346 / 1927 فدرس على والده الشيخ محمد بن الصديق، والتحق بمصر حيث انتسب إلى الأزهر الشريف سنة 1349 / 1930، فأخذ هنالك عن عدد كبير من علماء مصر مثل الشيخ محمد حسنين مخلوف والشيخ محمد بخيت المطيعي والشيخ حامد جاد، وعلى شقيقه السيد أحمد الذي كان قد سبقه إلى مصر وغيرهم. وحصل على شهادة العالمية للغرباء سنة 1352 / 1933 ثم تقدم لامتحان الشهادة العالمية الأزهرية فحصل عليها سنة 1361 / 1942 وحصل على إجازات من عدد كبير من العلماء من المغرب ومصر والشام والعراق واليمن والهند وتركيا وتونس والمغرب. وصار منذ ذلك الحين يدرس العلوم الشرعية بالجامع الأزهر بصفة تطوعية. ثم عينته وزارة الأوقاف المصرية مفتشا على الدروس التي تلقى في الصحيحين بمساجد الرفاعي وسيدنا الحسين والسيدة زينب بالقاهرة سنة 1376 / 1956، وكانت نشاطاته العلمية خلال إقامته بالقاهرة متعددة، فقد ألف عدداً كبيراً من مؤلفاته هناك، كما كان يجيب على الأسئلة الشرعية والدينية ببعض المجلات المصرية، وكانت صلاته واسعة بعلماء مصر والمشرق. وبعد إقامة طويلة بمصر رجع إلى المغرب سنة 1390 / 1970 فاستقر بمدينة طنجة خطيبا بالزاوية الصديقية، ومدرسا للعلوم الشرعية بها، وقد أخذ عنه بها العدد الجم من طلبة العلم كانوا يرحلون إليه من الآفاق.

كان الشيخ عبد الله بن الصديق عالماً فريداً من نوعه في تفننه في العلوم الشرعية واللغوية والمنطق، وإحاطته الواسعة بدقائقها، مستحضراً للنصوص وأقوال العلماء وحججهم في المسائل المختلفة، واسع الاطلاع على أدلة المذاهب الفقهية الإسلامية والعقائدية دقيق الاستنباط، وقد انفرد بمسائل

واجتهادات كثيرة في الأصول والحديث والتفسير، وكان يتمتع بذاكرة قوية وسرعة في البديهة. وقد وصل في علم الحديث بالخصوص إلى درجة عالية من التمكن حتى اعتبر حافظ العصر، حيث كان يستظهر أكثر من عشرة آلاف حديث بأسانيدها ومعرفة رجالها، وذلك ما تؤكده شهادات العلماء فيه، كما تظهره تآليفه التي تجاوزت المائة عنوان. وكان إلى جانب هذا صوفيا سنيا غلب عليه الزهد والورع والانصراف عن الدنيا.

توفي رحمه الله بطنجة سنة 1413 / 1993.

ع. الله بن الصديق الغماري، سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق، القاهرة، مطبعة دار البيان، 1985 ؛ م. ابن الحاج الفاطمي السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، دار النجاح الجديدة، ط 1، 1412 / 1992، ص. 351 - 353 ؛ فدوى بنكيران، الحافظ سيدي عبد الله بن الصديق وأثره في المعرفة العلمية، بحث الإجازة في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب بالرباط، 2001 ؛ لبابة بن عجيبة، *الجهود العلمية للأسرة الصديقية*، بحث الإجازة في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب بالرباط، 1998.

محمد المغراوي

ابن **الصديق، محمد الزمزمي** بن محمد الغماري الطنجي. ولد ببور سعيد بمصر عام 1330 / 1912 وأتى به والده إلى طنجة حيث نشأ وتعلم ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره توجه إلى القاهرة لإنتاج دراسة على شيوخها، ثم رجع إلى طنجة وأخذ يلقي دروساً في التفسير والحديث والفقه والأصول والإسلام بالجامع الكبير وبالزاوية الصديقية، وأسندت إليه خطبة الجمعة ببعض المساجد.

ألف عدداً من الكتب والرسائل الدينية طبع أكثرها.

توفي بطنجة يوم الجمعة 28 ذي الحجة عام 1408 / 12 غشت 1988.

م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدار البيضاء، 1992.

محمد حجي

ابن **الصديق، محمد** بن **الصديق** بن أحمد الغماري الحسني الإدريسي. اشتهر بنسبته إلى والده الشيخ الصديق. وكانت أسرته من قبل تعرف بابن عبد المومن نسبة إلى جده الأعلى الشيخ العارف عبد المومن.

ولد محمد بن الصديق بتجكان من قبيلة بني منصور الغمارية سنة 1295 في أسرة اشتهرت بالولاية والصلاح وتَولَّى مشيخة الطريقة الصوفية الدرقاوية.

فوالده الشيخ الصديق (ت. 1331) هو العارف بالله الهائم في محبته العائم في بحر مشاهدته، صاحب الأذواق والأحوال والكرامات.

وجده هو الشيخ المربِّي أحمد بن عبد المومن (ت. 1262) أحد كبار أصحاب الشيخ العربي الدرقاوي. وهو من جهته وارث سرِّ الطريقة الدرقاوية وشيخها. وهو ذو أتباع ومريدين وتلامذة. وعن طريقه وطريق أصحابه ترسخت الدرقاوية في كثير من مناطق المغرب.

نشأ الشيخ محمد ابن الصديق تحت رعاية والده ببلادهم فحفظ القرآن برواية ورش وغيرها. ثم أخذ في طلب العلم هناك في بلده على بعض أقربائه كأخيه العلامة محمد المعروف بالقاضي (ت. 1320) وغيره.

ورحل إلى فاس في طلب العلم سنة 1312 حيث جلس إلى شيوخ العلم والتدريس بها. فقرأ مختلف العلوم من الحديث والتفسير والفقه والأصول والنحو والمنطق والبلاغة وغيرها على شيوخ عدة، من أشهرهم : أحمد ابن الخياط الزكاري (ت. 1343) والحاج محمد كنون، ويُعرف بگنيون بالتصغير (ت. 1328) والشيخ محمد التهامي گنون (ت. 1331)، والشيخ عبد المالك العلوي الضرير (ت. 1318) والشيخ المهدي الوزاني (ت. 1342) وغيرهم.

وفي فاس اتصل بفقراء الزاوية الدرقاوية من تلامذة أصحاب جده الشيخ أحمد بن عبد المومن، فانضاف إلى زاويتهم بزنقة الرطل بفاس، ولازم الشيخ سيدي محمد ابن إبراهيم. (ت. 1326) - المدفون بزاويته بزنقة الرطل من حومة العيون بفاس - وامتثل لأوامره فتربى به التربية الصوفية وسلك على يده ليحصل له الفتح في الطريقة الدرقاوية وليصبح فيما بعد أحد كبار شيوخها. ولم يعد إلى بلده حتى استوى عوده في العلم والعمل.

وتبدأ مرحلة جديدة من حياته مع أوائل العقد الثالث من القرن الرابع عشر للهجرة، حين ينتقل إلى سكنى طنجة فيشتهر أمره في الدرس والخطابة والموعظة الحسنة. وتهب عليه نفحات السرّ الإلاهية، فيتصدر للمشيخة الصوفية، مع ما كان عليه من حضور في المشيخة العلمية، فيكثر أتباعه وتلامذته، ويَترسخ به وبهم وجود الطريقة الدرقاوية.

وحوالي منتصف العشرة الثالثة من القرن الرابع عشر يقوم بإنشاء زاويته الصديقية الدرقاوية بطنجة ليتجمع حولها أتباعه، وتصبح الزاوية الرئيسية الدرقاوية بها.

وبشكل مواز لذلك بدأت نواة الزوايا الفرعية لها تظهر في بعض مناطق الشمال. فبنيت بقرية ترغة من قبيلة بني زيات الغمارية زاوية للصديقيين امتلأت بالاتباع ومريدي الطريقة الدرقاوية في تلك الناحية، يتصدرها المقدمون الذين أعطاهم الشيخ الإذن لتربية الفقراء وتنظيمهم.

وإذا كانت زاوية طنجة الرئيسية قد امتد أمدها لتظل قائمة إلى اليوم كمركز للدرقاوية الصديقية، فإن الزاوية التي عرفتها قرية ترغة لم تعمر طويلا، إذ هي اليوم خربة قد طواها النسيان.

ونظراً لكثرة الأتباع فقد أصبح الشيخ محمد ابن الصديق يمثل موطن الحذر بالنسبة للاستعمار الذي كان يرغب في بسط حمايته على المغرب. فقد صدرت من الشيخ مواقف أثارت حفيظة فرنسا عليه. وتطورت هذه المواقف بعد فرض

الحماية على المغرب لتتعمق هوة الصراع أكثر بين رغبة الاستعمار في تسخيره والضغط عليه، وبين رفض الشيخ لذلك وانزوائه على نفسه وزاويته وأتباعه، فتسلط عليه من أذى الاستعمار وأذنابه ما انعكس في أشكال متعددة، عانى الشيخ من ذلك شدة كثيرة. يذكر ولده في التصور والتصديق عن مواقفه ما نصه : "واشتهر الشيخ بين جميع رجالها بالمغرب وحكامها فيه بأنه العدو اللدُود لفرنسا، فسلكوا معه كل المسالك، وأطمعوه بالأموال والمرتبات وتنفيذ الكلمة والمساعدة على نشر طريقه في سائر أنحاء المغرب وغير ذلك كما فعلوا بغيره. فلم يزده ذلك إلا عداوة لهم وتباعداً منهم... ثم لما يئسوا من ميله، شرعوا يحاربونه في أصحابه وأتباعه بالمغرب ويعاكسونه في كل مآربه ويقفون في وجه مقاصده لإخوانه وأصحابه...".

وقد كان للشيخ في مرحلة حياته رحلتان كبيرتان إلى المشرق. الأولى عام 1329. وقد توجه بوفد كبير من أهله وأصحابه بحراً إلى الحجاز، فزار العديد من بلاد المشرق والتقى بعلمائه في الحجاز واليمن والشام ومصر قبل أن يعود إلى بلده بعد غيبة دامت ما يقارب السنة. ثم تكررت له رحلة ثانية إلى المشرق عام 1345. غير أنه اقتصر فيها على مصر والشام ليحضر مؤتمر الخلافة الإسلامية الذي ألحّ عليه المصريون آنذاك في حضوره. ولم تستغرق هذه الرحلة أكثر من ثلاثة أشهر لقي فيها بعض العلماء بالقطرين المذكورين.

وما كاد يعود إلى طنجة من رحلته الأخيرة هاته حتى لزم بيته، "فكانت وفود الزوار تتوارد عليه من كل ناحية... بل زاد الأمر وعظم بانقطاعه عن الخروج، فكان يعمّر معهم أوقاته بالمذاكرة بأنواع العلوم والمعارف، مع القيام بحقوق المسلمين وقضاء حوائجهم بالتوسط والشفاعات" إلى أن توفي بطنجة سادس شوال عام 1374 / 1954.

لم يترك الشيخ محمد ابن الصديق كتباً أو مؤلفات رغم تمكنه في العلم. ولكنه ترك وراءه زاوية صديقية عامرة بفقراء الطريقة الدرقاوية ؛ وأبناء اشتغلوا بالعلم وبرزوا فيه تأليفاً وكتابة ودرساً ؛ وجواً مشحوناً بالعلم والمعرفة، يحركه أبناؤه وأتباعه من العلماء.

أ. الصديق، *سبحة العقيق بذكر مقامات الشيخ سيدي محمد ابن الصديق*، مخ خ ع، د 1815 ؛ المؤذن بأخبار سيدي أحمد بن عبد المومن، منه مخ خ ع، د 136 ؛ *سلوة الأنفاس*، 3 : 345 ؛ *التصور والتصديق بأخبار الشيخ سيدي محمد ابن الصديق* م. العياشي السكيرج، *نبذة التحقيق في ترجمة الشيخ محمد ابن الصديق*، مخطوط بطنجة، 43 - 52 ؛ ع. بوعياد الطنجي، *نسمات وادي العقيق في مناقب الشيخ محمد ابن الصديق*، مخطوط بطنجة ؛ التليدي، *حياة ابن الصديق أحمد*، 11 ؛ ع. الله ابن الصديق، *سبيل التوفيق*، 53 ؛ محمد كنون، مواكب النصر، 37 ؛ *فهرس الفهارس*، 1 : 387 ؛ *الفكر السامي*، 4 : 320، القاهرة ؛ رياض الجنة أو معجم الشيوخ، 1 : 127، 4 : 311 ؛ معجم الشيوخ، 1 : 49 ؛ للمراكشي الاعلام، 7 : 151 معجم المطبوعات المغربية، 65 والمراجع المذكورة ؛ الدر المكنون للمشرفي، 110، ط. على الحجر بفاس، معجم الشيوخ، 1 : 167 ؛ الاعلام للمراكشي، 3 : 167 ؛ معجم *المطبوعات المغربية*، 66 والمراجع المذكورة ؛ القادري، *فهرس محمد بن قاسم*، 38، بفاس ، 8 : 377، 246 ؛ فهرس الفهارس، 2 : 1113؛ معجم الشيوخ، 2 : 48، ؛ الفكر السامي، 4 : 318، 363 ؛ *التصور والتصديق*، 190 ومابعدها، التّصور والتصديق، 33، 46.

عبد الله المرابط الترغي

**الصديقي، محمد** بن سعيد الصويري ثم البيضاوي. فقيه مفت ولوع بالتاريخ وتراجم الرجال. ولد بمدينة الصويرة حوالي عام 1310 / 1893 ونشأ بها ودرس على فقهائها الذين ذكر بعضهم في كتابه *إيقاظ السريرة*. وأتم دراسته بمراكش على علماء جامع ابن يوسف.

ولما رجع إلى مسقط رأسه اشتغل بالتدريس وأسندت له الخطابة بالجامع الكبير إلى أن وقع له خصام مع قاضي الصويرة إدريس ابن خضراء السلاوي الذي نفس عليه - حسب قول المترجم - تأليفه في تاريخ الصويرة استجابة لاقتراح أحد المستشرقين الفرنسيين. فانتقل إلى السكنى بالدار البيضاء وانتصب لتلقى الشهادات في سماط العدول، واشتهر بالإفتاء فقصده الناس لذلك من جميع أنحاء البلاد.

يعتبر كتابه *إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة* المرجع المعتمد لمعرفة ماضي هذه المدينة منذ التأسيس والمراحل التي مرت بها إلى منتصف القرن الرابع عشر (20 م). مع تراجم أعيانها وعمالها وقضاتها وفقهائها.

توفي بالدار البيضاء يوم السبت سادس عشر رجب عام 1395 / 26 يوليوز 1975 ودفن بمقبرة الشهداء بحي ابن مسيك.

م. الصديقي نفسه، *إيقاظ السريرة*، الدار البيضاء، د. ت ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3458 - 3459.

محمد حجي

**الصديقية** طريقة صوفية من فروع الطريقة الدرقاوية الأم إلى جانب طرق أخرى مثل الحراقية والعجيبية التي تفرعت كلها من نفس الأصل. أسسها الشيخ محمد بن الصديق سابق الترجمة الذي أخذ الطريقة الشاذلية الدرقاوية

أثناء إقامته لطلب العلم بفاس عن الشيخ محمد بن المفضل ابن إبراهيم (ت. 1326 / 1908)، وقرأ عليه عدداً من الكتب في التصوف مثل *الحكم* وكتاب *التنوير* لابن عطاء الله الاسكندري، وكتاب *العهود المحمدية والمنن الكبرى* للشعراني، ورسائل جده أحمد بن عبد المؤمن الغماري في التصوف. وكان الشيخ ابن إبراهيم يتفرس فيه النبوغ في العلم والتصوف.

وبعد ثلاث سنوات قضاها بفاس رجع الشيخ محمد بن الصديق إلى قريته تُجكان فاستقر بها ثلاث سنوات أخر، ثم قرر العودة إلى فاس لملازمة شيخه محمد بن إبراهيم بزاويته. وهكذا أخذ مساره الصوفي يتبلور خاصة لاعتبارين، الأول تزكية الشيخ ابن إبراهيم له لمشيخة الطريقة، والثاني وجود نسب صوفي يربطه بالطريقة الدرقاوية، فبينه وبين مؤسسها أربعة شيوخ أحدهم هو جده الشيخ أحمد بن عبد المؤمن تلميذ مولاي العربي الدرقاوي. ويتصل سند هذه الطريقة بعدد من أقطاب التصوف المغربي عبر العصور، إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي وشيخه مولاي عبد السلام بن مشيش، وبعده يأخذ سند الطريقة مسارا مشرقيا.

شجرة الطريقة الصديقية

الشيخ مولاي العربي الدرقاوي (1150 ـ 1239 / 1737 ـ 1823)
|
الشيخ أحمد بن عبد المؤمن الغماري (1200 ـ 1262 / 1785 ـ 1846)
|
الشيخ محمد بن أيوب (ت. 1273 ـ 1856)
|
الشيخ عبد الواحد بناني (ت. 1285 ـ 1868)
|
الشيخ محمد بن المفضل ابن إبراهيم الفاسي (ت. 1326 ـ 1908)
|
الشيخ محمد بن الصديق الغماري (1295 ـ 1354 / 1878 ـ 1936)

تأسيس الطريقة الصديقية بطنجة : توجه الشيخ سيدي محمد بن الصديق إلى مدينة طنجة للزواج من ابنة خاله السيد عبد الحفيظ بن عجيبة الحسني، وقرر الإقامة بها سنة 1319 / 1901. ونظراً لضعف النشاط الصوفي بالمدينة مع الفتور الذي أصاب الزاوية الحراقية بالخصوص، وجدت الطريقة الدرقاوية المجال مناسبا للانتشار، فأسس الشيخ ابن الصديق زاوية كبيرة بحي القصبة بطنجة سنة 1323 / 1905، بنيت على قطعة أرضية من أملاك الأحباس وهبها السلطان المولى عبد العزيز لهذا الغرض (نص ظهير السلطان، بكتاب *سبحة العقيق*، ص. 57). فأصبحت من الزوايا المغربية الأكثر نشاطا. ولم يحصر الشيخ نشاطه بمدينة طنجة بل وسعه إلى باقي المنطقة الجبلية التي كان يتردد عليها لنشر تعاليمه، فكثر أتباعه بالقبائل الجبلية المجاورة لطنجة وتطوان وغمارة.

كان للزاوية الصديقية توجه خاص حيث لم يكن الشيخ محمد بن الصديق يركز على التصوف وحده، بل جمع بين التربية الصوفية وبين تدريس العلم، فصارت زاويته بطنجة مدرسة علمية تخرج منها عدد من العلماء أشهرهم أبناؤه الستة الذين وصلوا إلى درجة الاجتهاد. ومن بين المميزات التي حرصت عليها الطريقة مسألة محاربة التقليد والالتزام بالسنة والإقبال على علم الحديث على وجه خاص، وقد ظهر ذلك جليا في الأوراد والأذكار والوظائف التي وضعها الشيخ محمد بن الصديق. كما أنها تجنبت كثيرا من الآراء والممارسات التي ظهرت على بعض الطرق الصوفية في العصور المتأخرة.

النشاط الجهادي للزاوية الصديقية : نظراً لانفتاح الشيخ محمد بن الصديق على الأفكار التحررية التي كانت تروج في العالم الإسلامي وقتئذ خاصة فكرة الجامعة الإسلامية، فإنه تخلص من ظاهرة الجمود التي سيطرت على التصوف المتأخر، وتجاوز نشاط زاويته الحدود التربوية والعلمية إلى ممارسة بعض الأدوار الجهادية في مقاومة المستعمر بالمنطقة الجبلية خاصة بمنطقة دار بن قريش بقبيلة بني حزمار حيث وقف أتباعه سدا منيعا في وجه تقدم الإسبان نحو تطوان من ناحية الجنوب، وبعد ذلك بسنوات شارك أتباعه من قبيلة أنجرة والقبائل المجاورة لطنجة وتطوان وعلى رأسهم تلميذه القائد محمد المجاهد في محاربة الإسبان إبان حرب الريف وبتنسيق مع حركة الجهاد بزعامة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي. كما حصلت توترات عديدة لأتباع الطريقة مع الإدارة الدولية بطنجة، حيث تبنت الطريقة الصديقية موقف العداء للمستعمرين الفرنسيين والإسبان.

وقد استمر نفس الدور بعد وفاة الشيخ محمد بن الصديق، حيث ألقي القبض بعد مدة على ابنه وخلفه الشيخ أحمد بن محمد بن الصديق وحوكم بتهمة حيازة الأسلحة والتحريض على مقاومة الاحتلال الإسباني بالمنطقة المجاورة لطنجة، ثم صدر ضده حكم بالنفي إلى المنطقة التي كانت تحت الاحتلال الفرنسي فأقام منفيا بمدينة الجديدة مدة ثم بسلا حيث أسس زاوية أسفل الجامع الأعظم.

وبفضل إقامة أبناء الشيخ سيدي محمد بن الصديق خاصة أحمد وعبد الله بمصر مدة طويلة تكون للطريقة الصديقية فرع بمصر.

أحمد بن الصديق الغماري، *سبحة العقيق لذكر مناقب الشيخ محمد ابن الصديق*، مخطوط، خ. ع، رقم 1815 د ؛ عبد الله ابن الصديق، *سلسلة الطريقة الشاذلية الصديقية*، الرباط، د. ت ؛ عبد الله التليدي الحسني، *الأنيس والرفيق بمآثر الشيخ سيدي أحمد بن الصديق*، مخطوط ؛ عبد السلام بن العربي بوعياد الطنجي، *نبذة تاريخية عن حياة الشيخ سيدي محمد بن الصديق وجهاده ضد الاستعمار*، الدار البيضاء، د. ت ؛ محمد الحبيب التجكاني، *وثائق وتحقيقات عن المجاهدين بدار ابن قريش*، تطوان ؛ العربي عجولو الرحموني، *الزاوية الدرقاوية بطنجة : تاريخها، مبادؤها، أدوارها*، رسالة، د. د. ع، مرقونة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1412 / 1992.

Michaux-Bellaire, *Les Derqaua de Tanger*, *Revue du Monde Musulman*, t. 39, 1920.

محمد المغراوي

**الصدر الأعظم**، أي الوزير الأول في حكومة المخزن المغربي. ويجد الباحث صعوبة في تتبع تاريخ هذا المصطلح وعلاقته بتاريخ الوظيفة التي يرمز إليها. ويرجع ذلك لسببين يتمثلان، أولاً، في عدم حرص المخزن على استعمال الألقاب الإدارية في وثائقه التي كانت تكتفي بإيراد مصطلحات لا تخلو من دلالة، مثل "الخديم" أو "الوصيف" أو "غلام المقام العالي". ولم يبدأ الأمر في التغير إلا مع بداية العقد الثاني من القرن العشرين الذي استعمل فيه مصطلح "الوزير الكبير" ("كناش المكاتب الرسمية الواردة على إدارة البريد المخزنية"، قسم الوثائق، خ. ع) ؛ وثانياً، في استعمال المصادر والكتب المختلفة لبعض المصطلحات الأخرى، وهي : "الوزير" و"الوزير الصدر" و"الوزير الأول" و"الوزير الأعظم" والفقيه الكبير و"الوزير الأكبر".

وإذا كانت الجريدة الرسمية التي ترمز لبدء عهد "الحماية"، قد استعملت مصطلح "الصدر الأعظم"، بشكل رسمي، فإنها لم تمتنع عن استعمال صيغ ومفاهيم أخرى للإشارة لنفس الوظيفة. وهذه المفاهيم هي : "البنيقة الكبرى" و"الوزارة الكبرى" أو "الوزارة الكبيرة" (ج. ر. 13 ـ 1914، ص. 34 ـ 63 ـ 64 ـ 59). والظهائر السلطانية نفسها، لم تلتزم دائما بصيغة "الصدر الأعظم". وكمثال على ذلك الظهير الذي نص على تولية محمد الگباص "صدرا كبيرا بوزارة الداخلية" (نونبر 1913).

وتجدر الإشارة إلى أن وجود أو استعمال معظم هذه الألقاب ارتبط بالتطورات التي عرفها المغرب في القرن التاسع عشر. فقد كان السلطان قبل حدوث هذه التطورات، يستعين، في تسيير شؤون الدولة، ب "هيأة معينة لها أسماء خاصة، لا يطلق على (أي) فرد من أفرادها اسم وزير". وكان يرأسها "شخص يطلق عليه اسم "رئيس الكتاب". وكانت "رياسة الكتاب هذه كمنصب الصدارة.. شكلا ومعنى، ولا تختلف معها إلا في التسمية فحسب" (*العز والصولة*، الجزء الأول، ص. 272). ومع تطور أمور المخزن، أطلق لقب وزير على رئيس الكتاب الذي كان يتمتع، حسب ما ذكره محمد أكنسوس، بحق "التصرف التام في جميع أمور الباب (السلطاني).. والنظر التام في الكتاب وغيرهم من رؤساء الأجناد، ومباشرة العمال، والوساطة بين الناس وبين السلطان". واستنادا إلى ما ذكره هذا الكاتب الذي أصبح وزيراً في عهد مولاي سليمان، فإن شرط إتقان فن الكتابة لم يكن ضرورياً لتولي هذه المهمة. فبعض رؤساء الكتاب، مثل العربي قادوس "وزير" السلطان سيدي محمد بن عبد الله، والقائد أحماد "مولى أتاي" وزير مولاي سليمان، لم يكن يتوفر فيهما هذا الشرط، لكن ذلك شكل استثناءً، إذ كان أغلب الوزراء يحسنون "الكتابة والترسيل". ونذكر من هؤلاء، أبو عباس اليحمدي وزير مولاي إسماعيل، ومحمد ابن إدريس وزير السلطان مولاي عبد الرحمان، و"الوزير الأعظم... الطيب بن اليماني" وزير سيدي محمد بن عبد الرحمان (*الجيش العرمرم*، تحقيق أحمد الكنسوسي، الجزء، 2، ص. 174).

ولم يكن المخزن يتوفر في تلك الفترة إلا على وزير واحد؛ إذ لم يرتفع عدد الوزراء إلاّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتيجة تزايد الضغط الامبريالي وتعقد العلاقات مع الأجانب الأوربيين. فالمخزن أصبح يتكون، في عهد مولاي الحسن، من خمسة وزراء. وكان أبرز هؤلاء، "الوزير الأعظم" الذي احتفظ له الاخباريون، في نفس الوقت، بلقب "الوزير". وبناء على ما ذكره الحسن بن الطيب بوعشرين فإن "الوزارة كانت أعظم في ذلك الوقت من جميع الخطط، فلا كلام لغير صاحبها" (*التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، ص. 34). ولم يستعمل المؤرخ أحمد الناصري، من جهته، مصطلح الصدر الأعظم، وإنما اكتفى باستعمال مصطلحي "الوزير" والوزير الأعظم" (*الاستقصا*، ج 7، ص. 10-65 ، ج 9، ص. 165). وهذا اللقب الثاني يقابل مصطلح Le Grand Vizir الذي تكرر استعماله في الوثائق الفرنسية قبل "الحماية". والجدير بالملاحظة هو أن بعض المؤلفين والباحثين لم يلتزموا باستعمال هذين المصطلحين فقط، أثناء الحديث عن بنيات المخزن في القرن التاسع عشر. وقد استعملوا، بشكل خاص، مصطلحي الصدر الأعظم والصدارة للإشارة إلى مؤسسة "الوزارة" أو "الوزارة العظمى". فالباحث إبراهيم حركات، مثلاً، ذكر "أن أول من شغل منصب الصدر الأعظم كان الفقيه أحمد اليحمدي في عهد مولاي إسماعيل" (*المغرب عبر التاريخ*، الجزء الثالث، ص. 367). أما المرحوم محمد المنوني الذي أشار إلى تأسيس وزارتي الحرب والعدلية على يد السلطان محمد بن عبد الرحمان، ووزارتي الخارجية والمالية في عهد مولاي الحسن، فقد أكد أن "الصدارة وفي ضمنها الداخلية.. هي الوحيدة التي كانت موجودة من قبل" (*مظاهر يقظة المغرب الحديث*، الجزء 1، ص. 43).

ويمكن التأكيد، رغم كل ما قيل، أن مصطلح الصدر الأعظم لم يستعمل، بشكل رسمي، إلا بعد صدوره في الجريدة الرسمية عقب توقيع عقد "الحماية" في 30 مارس 1912. فظهير 31 أكتوبر 1912، المتعلق بالمخزن واختصاصات الوزراء استعمل في نسخته الفرنسية، وهي الأصل، مصطلح Le Grand Vizir. أما الترجمة العربية، فقد استعمل فيها مصطلح الصدر الأعظم. وهذا أمر قد يدفعنا إلى القول بأن استعماله ترسيخ لمصطلح منبثق من صميم الواقع المخزني ومن مرجعية ثقافية مغربية، خصوصا وأن مصطلح "الوزير الصدر" استعمل في بعض المصادر التاريخية المغربية ؛ لكن ذلك لا ينبغي أن يمنعنا من التساؤل عما إذا كان هذا المفهوم مقتبسا من المعجم الإداري العثماني، خصوصا وأن الفرنسيين استعملوا، في نفس النص المذكور أعلاه، لفظ "الفرمان" التركي بدل كلمة "الظهير" المعمول بها في الاصطلاح المخزني.

وتجاوزا لهذا النقاش الذي يدور حول المصطلح، تجدر الإشارة إلى أن دور الصدر الأعظم، على غرار ما كان عليه الأمر في الدولة العثمانية، كان هاما وأساسيا. فإذا كانت الحجابة تؤهل صاحبها ليحتل مرتبة هامة في النسق المخزني، فإن "الوزارة"، كانت ترفع من تولى أمرها إلى مرتبة أعلى من باقي الوزراء. إذ كان بمثابة "وزير أول" يساعد السلطان على مباشرة أمور الدولة وإدارة شؤون البلاد. وكان يقوم، بشكل خاص، بالدور المنوط بوزير الداخلية في الأنظمة الإدارية العصرية. فمسؤولياته شملت، في مجال السياسة الداخلية، شؤون القبائل والمدن وقضايا الأعيان والزوايا. أما في المجال الإداري المحض، فقد تمثلت مهمته في اقتراح تعيين أو عزل ممثلي المخزن من ولاة ومحتسبين وقضاة ومدرسين ونظار، والإشراف على أمورهم والتدخل في المسائل المتعلقة بالإنعامات والحركات وغيرها...

ورغم النفوذ الذي تمتع به هذا الوزير، فإن مهامه لم تؤهله ليقوم بدور "رئيس الحكومة" أو رئيس الوزراء. كما أنه لم يكن مفوضا للتصرف بحرية دون الرجوع إلى السلطان في القرارات التي تتخذ داخل القصر. فالعاهل احتل مكانة بارزة في قمة النسق الإداري وأمسك بزمام السلطة التنفيذية برمتها، وكان.. هو المسير لكل شيء في داخل القصر وخارجه، وصاحب الرأي والتنفيذ في جميع الشؤون" (*العز والصولة*، ج 1، ص. 271). أما الوزراء، فكانوا أدوات تنفيذ. ولم تكن اختصاصاتهم، نتيجة لطبيعة النسق المخزني التقليدي، محددة وواضحة. وقد انعكس ذلك على سلطات واختصاصات الوزير الأعظم التي كانت تتزايد أو تنكمش ارتباطا بدرجة قربه من السلطان والحظوة التي يتمتع بها في القصر السلطاني. فاختصاصات الوزير الحاج المعطي في عهد مولاي الحسن مثلا، لم تتجاوز المهام التقليدية المنوطة بوزارته ؛ في حين اتسعت اختصاصات الوزير أحمد بن موسى البخاري (باحماد)، الذي استولى بعد وصول مولاي عبد العزيز إلى السلطنة، على مقاليد الأمور واحتوى على خطط جميع الوزراء وكبراء الدولة" (الحسن بن الطيب بوعشرين، المصدر السابق، ص. 45)، وامتدت سلطته لتشمل حتى الأمور المتعلقة بالسياسة الخارجية. وبعد وفاته، تقلص دور خلفه الوزير الحاج المختار بعد أن استولى وزير الحرب المهدي بن العربي المنبهي، الذي استطاع أن يكتسب ثقة السلطان، على زمام السلطة الفعلية.

وفي فترة "الحماية"، حرصت السلطة الاستعمارية على التمييز بين اختصاصات الوزراء وتحديد صلاحيات الصدر الأعظم الذي أصبح، بناء على ما نص عليه ظهير 31 أكتوبر 1912، مكلفا، من الناحية المبدئية أو النظرية على الأقل، بالإدارة العامة للبلاد والأمن والتعليم والوقاية الطبية والأشغال العمومية والفلاحة والغابات والمناجم ؛ بل إنه زود، استنادا إلى البند الرابع من عقد الحماية، بتفويض عام من السلطان، لممارسة السلطة الإدارية والتنظيمية العامة التي أسندت إليه. لكن سلطات "الحماية"، التي انتزعت من المخزن اختصاصات وزارتي الحرب والخارجية، استعملت هذا التفويض الوزيري كتقنية أو وسيلة قانونية لإفراغ السيادة المغربية من محتواها وللاستحواذ على معظم اختصاصات الإدارة المخزنية واحتكار السلطة الفعلية (Mohamed Lahbabi, *Le gouvernement marocain...*, pp. 190-193, 201-208).

وبناء على ذلك، كان الصدر الأعظم خاضعا في كل تصرفاته وممارساته لمراقبة الإدارة الاستعمارية، وخصوصا "لإدارة الشؤون الشريفة" التي أصبحت تسمى ابتداء من سنة 1936، "إدارة الشؤون السياسية"، و"إدارة الداخلية" بعد الحرب العالمية الثانية. وكانت القرارات التي يوقعها الصدر الأعظم تهيأ من طرف المصالح الفرنسية. أما القواد والباشوات، وكل ممثلي المخزن في الجهات والأقاليم، فقد كانوا خاضعين لسلطة "ضباط الشؤون الأهلية" أو "المراقبين المدنيين" الفرنسيين، رغم أنهم كانوا تابعين، نظريا، لإشراف الصدارة العظمى.

والحديث عن هذه المؤسسة، التي لا تخفى أهميتها في الاستراتيجية الاستعمارية، يجرنا بالضرورة للحديث عن الصدر الأعظم محمد المقري الذي ارتبط ذكره بتاريخ الحماية، فهذا الشخص الذي تقلد مناصب مخزنية متعددة وأسند له مولاي حفيظ مهمة الوزير الأعظم بعد انسحاب المدني الگلاوي سنة 1911، أقاله الفرنسيون، بعد سنة 1912، من الصدارة التي أسند أمرها إلى محمد الگباص في شهر نونبر من سنة 1913. لكن المقري، الذي اشتهر بـ "مرونته" ودهائه وخبرته في مجال التعامل مع الأوربيين، تمكن سنة 1917، من العودة إلى منصبه. فالمستعمر الذي جعل من الصدارة العظمى أداة لتوطيد دعائم السيطرة الفرنسية بالمغرب، شعر بصعوبة الاستغناء عن هذا الشخص الذي أظهر استعداده لتطبيق كل "الإصلاحات" المقترحة والإجراءات المتخذة.

ومن هذه الإجراءات ظهير 13 غشت 1953، الذي نص على تأسيس مجلس مصغر يترأسه، بصفة شكلية، الصدر الأعظم الذي زود بتفويض عام من "أجل اتخاذ جميع الإجراءات التنظيمية أو الفردية التي تهم الإدارة". وكان هذا المجلس يتكون، بالإضافة إلى الرئيس من وزيرين مساعدين وموظفين فرنسيين كبار هم "الكاتب العام للحماية" و"مستشار الحكومة الشريفة" ومدير الداخلية. ونشير أيضاً، إلى الظهير الذي وقعه ابن عرفة في 9 شتنبر 1953، أي بعد نفي السلطان الشرعي للبلاد ؛ وكان الغرض منه تقوية سلطات هذا المجلس، الذي أصبح يتمتع بصلاحية ممارسة السلطة التشريعية (ألبير عياش، *المغرب والاستعمار*، ص. 98).

وبعد عودة السلطان سيدي محمد بن يوسف من المنفى وحصول المغرب على استقلاله، أعفي محمد المقري من مهامه وألغي منصب أو مصطلح الصدر الأعظم الذي عُوِّض بلقب

"رئيس المجلس". وقد كان لهذا الأمر دلالته، إذ أنه يرمز لرغبة المسؤولين الجدد في تجاوز سلبيات الماضي والانفتاح على مرحلة جديدة يسند فيها أمر تدبير شؤون الحكومة، كما هو الحال بالنسبة للوزير الأول في الأنظمة الليبرالية العصرية، لرئيس المجلس. لكن العمل بهذا النظام لم يستمر طويلا ؛ إذ أصبحت رئاسة مجلس الوزراء، بعد صدور دستور دجنبر 1962، من اختصاص الملك، الذي تشكلت حكومته من وزراء يتقدمهم "وزير أول" لم تكن له سلطة رئيس الوزراء.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ع. الرحمان ابن زيدان، *إتحاف إعلام الناس*، الرباط ؛ *العز والصولة*، الرباط، 1961 ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم الخماسي*، تح. الكنسوسي ؛ ألبير عياش، *المغرب والاستعمار*، حصيلة السيطرة الفرنسية، دار الخطابي، 1985 ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ* ؛ الحسن بن الطيب بوعشرين، *التنبيه المُعرب عمّا عليه الآن حال المغرب*، السِّفر الأول، تح. م. المنوني، الرباط، 1994 ؛ م. الحجوي، *انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره* ؛ مخطوط : م. المشرفي، *الحلل البهية* ؛ ميشيل روسي، المؤسسات الإدارية المغربية، الدار البيضاء، 1993 ؛ *الجريدة الرسمية*؛ مصطفى الشابي، *النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر*، 1995 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1985.

Benjelloun, *Droit administratif*, t. 1, Rabat, 2ème éd., 1992 ; Emmanuel Durand, *Traité de droit public marocain*, Librairie générale de droit et de jurisprudence, 1955, 3691 p. (IHEM, t. XLVI, Mohammed El Yagoubi, *Le droit administratif marocain*, t. 1, année 1987, imprimerie Arrissala, Rabat, pp. 44-45 ; H. Gaillard, *"La réorganisation du gouvenrment marocain"*, *supplément de l'Afrique française*, 1916, pp. 153-170 ; Arthur Girault, *Principes de colonisation et de législation coloniale*, Larose ; Mohamed Lahbabi, *Le gouvernement marocain à l'aube du 20ème siècle*, les éditions maghrébines, Casablanca, 1975 ; Laubadère (André de), *Les réformes des pouvoirs publics au Maroc - le gouvernement, l'administration, la justice*, (Paris, Librairie générale de droit et de jurisprudence, 1949, 99p.).

عبد الحميد احساين

**الصدف** جمع أصداف، حيوانات مائية أغلبها بحرية تصنف علميا إلى طائفة الرخويات ومنها فصيلة صفيحيات الخياشيم أو الغلاصم Lamellibranchia Pelecypods وتسمى أيضا رقائقية الخياشيم أو ذات الصراعين تتميز بقوقعة ذات صمامين، وفصيلة البطنقدميات أو القواقع الحلزونية Gasteropoda. وعلى عكس الرخويات النموذجية كالأخطبوط والحبار فإن ذات الصراعين أو ثنائيات الصدف على هيئة طبقتين متصلتين ببعضها ولا تتوفر على منطقة رأسية متميزة عن الجذع. يتوفر الجسم على فتحتين : الأنبوب المستنشق والأنبوب الفواح أو الزافر تستعملان لدخول الماء وخروجه.

تتغذى أصناف الأصداف من الأجسام العضوية المجهرية العلقية ومن النباتات وحيدات الخلية الدقيقة تمتصها وتصفيها بواسطة الغلاصم الصفيحية. تتوفر معظم الأنواع على قدم واحد فأسي الشكل متطور ومتين يستعمل للتنقل في أغلب الحالات وتكون متقلصة أو منعدمة عند الأصناف المستقرة كبلح البحر مثلا Mytilus galloprovincialis و Pernapicta حيث يلتصق الحيوان بالصخور بواسطة ألياف خاصة وهي مواد سائلة تدعى النسالة تتصلب عند اتصالها بالماء إلى أن تصير مادة متينة شديدة المقاومة. ورغم رهافة ودقة هذه الألياف فهي قادرة على تثبيت وترسيخ الصدف بصلابة على الصخور ويصعب اقتلاعها بفعل قوة الأمواج التي قد تنقلها إلى عرض البحر أو تحطمها بقوة اضطرابها وتلاطمها بالصخور.

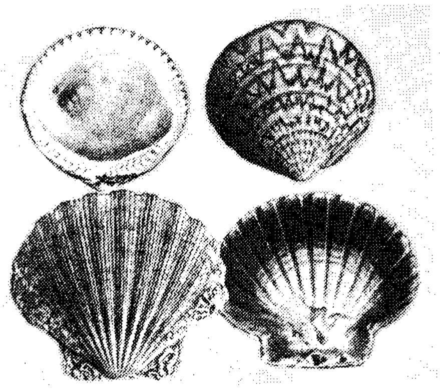

معظم أنواع ثنائيات الصدف من جنسين متشابهين ويختلفان فقط في لون الأجهزة التناسلية : برتقالية لدى الإناث وبيضاء لدى الذكور. يتم تلقيح البويضات في الماء بعد إلقاء المواد التناسلية من طرف الجنسين.

يبلغ عدد أنواع ثنائية الصدف حوالي 10000 في العالم منها أكثر من 300 نوع معظمها بحرية تعيش في السواحل المغربية. يؤكل العديد منها ونذكر من بين الأنواع ذات قيمة اقتصادية في المغرب المحار Huître وتتم زراعته بكميات هائلة في بحيرة الوالدية والناظور، وبوزروك (بلح البحر) Moule والصدفة البساطية روديتابس ديكوساتس Palourde وتسمى في المغرب الميخة أو النميعة والصدف القلبي كارديوم والصدف البراق Vernis والصدفة المروحية المشطية من جنس بكتين التي تعتبر من الأنواع اللذيذة الطعم وقد تم إدخال نوع Patinopecten yessoensis سنة 1996 بخليج إمسوان شمال أكادير لتجربة استزراعه في المياه المغربية وقد أعطت التجارب الأولية نتائج مشجعة إذ بلغ طول الأفراد المرخص للتجارة - 10 سم - بعد 13 شهرا. تعد تربية هذا النوع المحاولة الأولى من نوعها على الصعيد الإفريقي والأوروبي يقوم بها المعهد الوطني للبحث في الصيد البحري بتعاون مع شركة مستقلة مغربية. يعيش هذا النوع في المياه الباردة بالمحيط الهادي على السواحل الكندية واليابانية في أعماق تتراوح بين 10 - 30 م.

وهناك أيضا الأصداف الموسية منها سكين البحر إنسيس الذي يتعدى طوله 20 سم ومنه عدة أنواع تألف الأماكن الرملية والوحلية الساحلية كخليج الداخلة.

تنمو أنواع بلح البحر - بوزروك أو أم الخلول كما يسمى في الشرق العربي - في كتل ملتصقة بالصخور أو الخشب

المغمور في الماء. وتعيش معظم أنواع ثنائيات الصدف مطمورة في رمال ووحل الشواطئ الضحلة وفي البحيرات الساحلية. يعد نوع بينا النبيلة Pinna nobilis من أكبر الصدفات حجما يبلغ طولها 60 سم وهي شائعة في بحيرة الناظور وبعض المناطق الساحلية المتوسطية.

للتذكير فإن المحارات اللؤلئية غير موجودة في السواحل المغربية.

تتخذ معظم أصناف صدفات البطنقدميات هيئة الأنبوب الحلزوني ومنها ما يربو عن 500 نوع تعيش في السواحل المغربية. إن القواقع البرية وقواقع المياه العذبة سبق ذكرها في مادة الحلزون. من بين أنواع صدفات البطنقدميات البحرية الشائعة صدفة أذنية من جنس هاليوتس والقبعة الصينية من جنس باتيلا وفيسوريلا وصدفة بوقية من جنس موريكس وشارونيا وعدة أنواع من الصدف المخروطية من جنس كونس ومنه نوع الصدفة المخروطية المغربية Conus maroccanus الذي يرجع تاريخ تصنيفه إلى سنة 1795 من طرف شميتز.

م. منيوي، بوزروك، *معلمة المغرب*، ج 5، ص. 1697. 1698 ؛ م. خربوعة ومحمد رمضاني، الحلزون، *معلمة المغرب*، ج 11، ص. 3540. 3541.

Id Halla M., *Biologie des moules Perna perna et Mytilus gallorpovincialis dans la baie d'Agadir*, Doc. 3e cycle, Agadir, 1997, 160 p.

محمد خربوعة

**صدقي، محمد** مقاوم، ولد بمدينة الدار البيضاء سنة 1921، عمل في صفوف النضال الوطني وساهم في تأسيس المنظمة السرية والتخطيط لعملياتها، استشهد في فاتح شتنبر 1955 بعد إنجاز أعمال فدائية كثيرة.

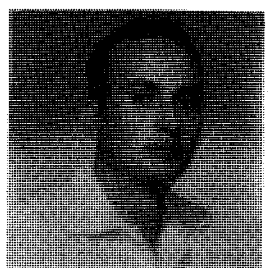

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 130.

**صدينة** (قبيلة -) كانت في القرن الثالث (9 م) مستقرة قرب فاس بحوض إينّاون بين نهري سبو وورغة، ناصرت إدريس الأول في الفترة التأسيسية. في قرية عرف بوجودها أبو عبيد الله البكري في القرن الخامس (11 م)، وكانت آنذاك جزءاً من حوز تطوان أو ناحية مجكسة قاعدة لجماعة بني مرزوق بن عوف المصامدة.

تشكل صدينة في الوقت الحاضر فرقة بالحوز التطاوني، متضمنة تسعة مداشر، كان عدد سكان التجمع قبل سنة 1931 حوالي 448 دارا، وهو ما يعادل في المتوسط 2240 ساكن. وقريةصدينة واقعة في آخر كتلة صدينة المجزأة إلى جبل درسة في الشرق (400 /.) والمسحر في الغرب (552 /.) وقمة صدينة (632 /.) التي تعلو في الشمال.

وارتبط تاريخ صدينة بتاريخ المقاومة المغربية ضد الوجود البرتغالي بسبتة في الفترة المتراوحة بين سنة احتلال سبتة عام 818 / 1415 وسنة 868 / 1464، إذ أنها كانت مركز الحملات الجهادية المنطلقة من مجكسة العليا. فالجبل كان مستقر رئيس المجاهدين عب (عبد الله) بن محمد المتزعم لحركة الجهاد بين 1415 و1420، وهو نفس موطن أحمد بن سلام بن مرزوق الصديني المتزعم لغزوة سنة 1430.

ولصدينة وأهلها فضل في تحقيق أول انتصار على القوات البرتغالية التي قادها العاهل البرتغالي ألفونسو الخامس حين حاول غزو قرى فرقة صدينة في مستهل سنة 1464 بنحو ثمانمائة من فرسانه والوصول إلى تطوان بما سماه زورارا بالنزهة العسكرية. وكانت النتيجة مقتل حاكم القصر الصغير دون ضوارتي دي منسيس.

أبو عبيد الله البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ ابن حوقل، وصف الأرض ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية*، الرباط، 1991، أطروحة مرقونة ؛ أ. بن الشراط، *تقييد*، تح. م. بن عزوز حكيم بعنوان، *لماذا نطالب باسترجاع مليلية وسبتة* ؛ ع. الوهاب بمنصور، *قبائل المغرب*، الرباط، 1968؛ *ظهير لتنظيم اللجان القروية للفرق والجماعات*، تطوان، 1952.

Cronica de D., *Zurara Eanes Gomez de Duarte de Meneses* ; *Géografie de Marruecos, Protectorados y Posesiones de España en Africa*, t. 2, Madrid, 1936.

**الصديني، أحمد** بن **سلام** بن مرزوق، من الأسرة الصدينية المصمودية القديمة التي كانت لها الرياسة بجبل الدرقة من حوز تطوان يعرف بابن مرزوق. كان حوالي سنة 833 / 1430 شيخ تجمعات فرقة صدينة ومقدمها في الحركة الجهادية. اكتفى الإخباري البرتغالي زورارا بتسميته بمرزوق، على خلاف أحمد الشراط الذي عرف في تقييده باسمه الكامل.

نعتقد أن ابن مرزوق استقر أثناء تدبير غزوته بمدشر بلوازن، الواقع على السفح الشرقي من جبل الدرقة للقيام بدور المراقبة والتعبئة. بدأ عمله الجهادي قبل سنة 831 / 1428، إذ أنه شارك في عدد من الغارات السابقة، المنظمة من طرف الجزوليين ومعاصره أبي علي الحسن العلمي، مقدم جبل حبيب، وتاليهم سيدي طلحة.

عزم الصديني بعد غزوات سيدي طلحة على رئاسة حملة جهادية. فقبل شعبان سنة 833 / أبريل 1430 تمكن من استطلاع أخبار سبتة. ومما قاله للحضور قبل انطلاق الغزوة : "فمن شأن هذه الغزوة أن تكون فاتح باب الانتقام الذي يتمناه المسلمون، لما لاقوه من الأضرار على يد هؤلاء الأشرار الذين غادروا مواطنهم للاستيلاء على بلادنا".

لم نتوصل إلى ضبط تاريخ الغزوة بدقة بناء على ما سرده زورارا. ولكننا نقترح أن يكون موعدها في شعبان سنة 833 / أبريل 1430، فبعد أيام مضت من شهر أبريل السنة، ظهر المحاربون بميدان سبتة، وتبين من التخطيط الذي رسمه الشيخ بن مرزوق للغزوة أن المغاربة وزعوا قواتهم على قسمين.

غير أن البرتغاليين ضبطوا الوسيلة التي مكنتهم من إبعاد المغاربة إلى جهة قلعة متنة أو كاستييخوس. والمشهور عند الإخباري البرتغالي أن المعركة قد نتج عنها إصابة الشيخ ابن مرزوق الصديني بجرح عاد به إلى منزله وبه توفي بعد أيام. وبذلك يمكن تعيين تاريخ الوفاة بشهر شعبان عام 833 / أبريل 1430.

أبو عبيد الله البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ ابن حوقل، *وصف الأرض* ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية*، الرباط، 1991، أطروحة مرقونة ؛ أ. بن الشراط، *تقييد*، تح. م. بن عزوز حكيم بعنوان، *لماذا نطالب باسترجاع مليلية وسبتة؛ ظهير لتنظيم اللجان القروية للفرق والجماعات*، تطوان، 1952.

*Azurara, Cronica de D. Duarte de Meneses* ; *Géografia de Marruecos, Protectorados y Posesiones de España en Africa*, t. 2, Madrid, 1936.

حسن الفكيكي

**الصديني، موسى** بن يحيى الفاسي، أبو عمران : كبير فقهاء فاس في وقته، ومن الطبقة الأولى من علمائها الذين وصلتنا أسماؤهم. كان من الفقهاء الحفاظ للمذهب المالكي، ملما بالرأي والمسائل. قام برحلة مشرقية لقي خلالها أبا جعفر الأسواني المالكي بمصر وسمع من ابن عبدون القزويني وغيره من العلماء.

وعلى عادة عدد من علماء المغرب في ذلك العهد كان أبو عمران الصديني يتردد إلى الأندلس للرباط في سبيل الله في الثغر الأعلى الأندلسي، وأخذ عنه هناك أبو الفرج عبدوس وغيره.

توفي بمدينة فاس سنة 388 / 998، عن سبع وسبعين سنة ودفن بباب الجيزيين. كان ولده أبو الفضل أحمد (ت. 408 / 1017) من العلماء أيضاً، واستمر العلم في أسرته إلى القرن السادس.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، ج 6، ص. 279 ؛ ابن الفرضي، *تاريخ علماء الأندلس*، القسم 2، ص. 150 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، دار المنصور، ج 1، ص. 344 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، *طرابلس*، كلية الدعوة الإسلامية، 1989، ص. 603، 604.

محمد المغراوي

**الصُّرُوخ، محمد** بن مَحمد شيخ الجماعة بقبيلة بني كَرفط المعروف بلقب ابن طامة نسبة إلى أمه ؛ كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته وقد انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، عين عضوا بالمجلس الاستشاري للمقاومة في المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1813 ؛ وشارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 وبقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915 ؛ وشارك في المعركتين اللتين جرتا بالمكان المعروف بدية الروضة بقبيلة انجرة يومي 11 و12 يوليوز 1919 حيث تم القضاء على الحامية الاسبانية برمتها.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**الصرصار** (حشرة) كما هو في القواميس، يسمى في المغرب *صرصار* الليل وفي شمال البلاد "كَريلُو" المأخوذة من الإسبانية Grillo يطلق على جنس من الحشرات المجنحة من رتبة مستقيمات الأجنحة Orthopeta ومرتبة Insectes وعمارة Grylloïdea وفصيلة Gryllidac تضم ما يقرب من 1500 نوع في العالم منها عدة أنواع تعيش في المغرب.

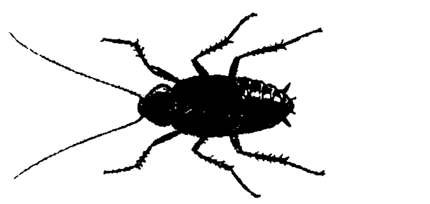

تسمى بالفرنسية Grillon وبالأمازيغية أفرضوض وأبورجيج ج. إبُورْجِيجَن. من بين الأنواع الشائعة الصرصار البيتي Gryllus domesticus والصرصار الحقلي Gryllus campestris وبالفرنسية Grillon des champs. لا يتعدى طولهما 4 سم. الجسم بُني مسود لامع. الرأس دائري ضخم يحمل زبانيين طويلتين. العينان مركبتان. يحمل الفم فكين علويين وفكين سفليين كلها طاحنة وقوية. يحمل الصدر ثلاثة أزواج من الأرجل يستعملها للمشي وتساعده الأرجل الأمامية على حفر الجحور التي يتخذها مسكنا له وكثيرا ما يبلغ طولها 50 مم. الأرجل الخلفية قوية ونطاطة بواسطة الفخذ العريض والقوي الذي يساعد على القفز. تنتهي

الأرجل بمخالب ويتكون الفص الأخير من ثلاث جُزَيئات فقط عند كافة الأنواع الشيء الذي يميز الفصيلة عن باقي الفصائل الأخرى.

تتميز الإناث بثلاث زوائد طويلة ودقيقة الرأس في مؤخرة البطن كلها صلبة وقوية وتشكل الزائدة الوسطية الذنب المغرز للبيض بداخل التراب.

الأجنحة مستدقة في المؤخرة وتُكَوِن الأغمدة الحافظة للأجنحة عند الذكور الجهاز الصرصاري حيث يقف الزوج بباب الجحر في فصل الربيع والصيف فيحك الأغمدة مع بعضها لتحدث صوتا مطربا جلابا للإناث وفي حالة الاقتراب منه يتوقف فجأة ويدخل الجحر مما يجعل مشاهدته نادرة وصعبة.

يتوالد في فصل الصيف وتضع الأنثى من 20 إلى 60 بيضة بداخل التراب وتخرج الصغار من البيض بعد 7 ـ 15 يوما وذلك حسب الحرارة والرطوبة.

يتغذى من النباتات والحشرات الصغيرة كالنمل ويعيش بجوار البيوت وتحت الأحجار وفي البساتين والحدائق ولا يضر بالإنسان. معظم الأنواع تعرف بأصواتها عند العامة نظرا لنشاطها الليلي ولا تخرج في النهار إلا نادرا. أصواتها تثير انتباه الخفافيش وطيور البوم فتبحث عنها لتأكلها.

من بين الأنواع النادرة التي تعيش في شمال إفريقيا فقط : Sciobia ambiqua وBrachytripes megacephalus.

إن نوع الصرصار المبقع Gryllus bimaculatus شائع في المغرب بجانب البحيرات والوديان.

م. الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان بيروت، 1988.

M. Boulard, *Les orthoptères, Grande Encyckopédie Alpha des Sciences et des Techniques*, Zoologie, Paris, 1984, 30 - 34 ; A. Gaillat-Airold, *Una nueva sciobia del Morocco*, Boll. Mus. Zool. Anat. Comp. Genova, 19 (114), 1 - 4, 1939.

نجاة الخياطي

**صرصر** جبل مخروطي الشكل يقدر ارتفاعه بحوالي 800 م فوق سطح البحر. يقع بمنطقة جبال الريف الغربية، ويشرف على مدينة القصر الكبير. يمثل فاصلا طبيعيا بين حوض لكوس وسهل الغرب. ولعل الجبل عرف بهذا الاسم منذ القديم، ذكره البكري وحدد موقعه شرق قصر دنهاجة في الطريق إلى مدينة البصرة. كانت تسكنه بطون من قبيلة كتامة وأصادة زمن الأدارسة، وبعد انقراض كتامة على يد المرابطين، استقر بجواره في عهد السلطان يعقوب المنصور الموحدي (1286 ـ 1307) عرب الخلط وبني هلال ومعقل، وامتزجوا مع بقايا العنصر الكتامي الأصلي.

يختفي اسم الجبل من المصادر، ولم يرد ذكره عند الوزان ضمن جبال الهبط، وظل سكان جبل صرصر موزعين من الناحية الإدارية بين قبيلة آل سريف وقبيلة مصمودة إلى غاية القرن الثالث عشر (19 م) على ما يبدو، حيث كونوا قبيلة صغيرة حملت اسم الجبل، لكنها ظلت تابعة من الناحية الإدارية تارة لآل سريف وأخرى لمصمودة. وتتألف من القرى الآتية : الزاوية، النحل، رأس المقيل، حجاوج براقين، أولاد مصباح شطيطة، الدمنة، البستيون، نصف غماري بني هلمة.

أ. البكري، *وصف إفريقيا*، باريس، 1965، ص. 110.

**الصرصري، علي** بن **أحمد**. من أشهر أولياء بلاد الهبط خلال العهد السعدي، ينتسب إلى الأسرة الغيلانية ببني جرفط، حسب عمود نسب متداول. ولد في أوائل القرن العاشر (16 م) بقرية الشنايلة الجرفطية، وبعد وفاة والده هاجر مع أمه وأخيه إلى قبيلة آل سريف وقطن بقرية المنجرة. درس بزوايا ومدارس القصر الكبير وتطوان ثم شد الرحال إلى فاس للاستزادة من المعرفة فأخذ على يد كبار علمائها العلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير أمثال الشيخ محمد القصار ورضوان الجنوي. ويظهر أن سيدي علي بن أحمد كان عالما متمكنا من علوم عصره كما يدل على ذلك فهرسه، غير أنه اشتهر في ميدان التصوف. اتصل في بداية رحلته الصوفية بالشيخ يوسف الفاسي الذي سكن من روعه وبعث في نفسه الطمأنينة حسب جل الروايات، كما أخذ عن الشيخ عبد الرحمان المجذوب وعن الشيخ علي الشلي (ت. 981 / 1573) دفين أبي جديان بآل سريف وعلى الشيخ الحسن بن عيسى المصباحي (ت. 970 / 1572) دفين الدعادعة الواقعة على وادي مضى ببلد البروزيين (سوق الأربعاء) من عمل القصر الكبير، ويعتبر ابنه عيسى (ت. 982 / 1574) عمدته في التصوف. انتقل سيدي علي بن أحمد بعد وفاة شيخه عيسى بن الحسن المصباحي إلى جبل *صرصر* وسكن بمدشر المغاصي وتصدر للتدريس. ويظهر أنه أسس زاويته بنفس المكان بعد معركة وادي المخازن. ولا نستبعد مشاركته في هذا الحدث بحكم قربه من الميدان وملازمته لشيخه المصباحي الذي أكدت المصادر مساهماته في الجهاد. اشتهرت الزاوية الصرصرية بإطعام الطعام وتدريس العلوم الدينية كالتوحيد والفقه والتصوف والتفسير والحديث والمنطق والبلاغة والبيان والمعاني والبديع واللغة والتنجيم، وذلك على غرار باقي الزوايا الهبطية، وتجاوز إشعاعها النطاق المحلي، بدليل وجود أتباع من مختلف مناطق المغرب. اختلف كتاب التراجم في تاريخ وفاة الشيخ، والشائع أنه توفي سنة 1027 / 1617، وهذا التاريخ يتطابق مع بداية تأسيس الزاوية الوزانية على يد تلميذه ووارث سره الشيخ عبد الله بن إبراهيم العلمي. ولعل اختيار سيدي علي بن أحمد للشريف العلمي في توريث الولاية له ما يبرره في المصادر، ذلك أن الشيخ شعر بضعف مصداقية أبنائه الذين مالوا إلى الفروسية والاهتمام بأمور الدنيا حسب رواية عبد السلام القادري. وقد كان لهذا الانتقال تأثير سلبي في مسار الزاوية الصرصرية، حيث إنها تعرضت للإهمال، واندرست معها قرية المغاصي، إلى أن قام الشرفاء الوزانيون بتجديد ضريح الشيخ سيدي علي بن أحمد

وبنوا عليه قبة وعملوا على ترسيم حرمه، فتكونت حوله قرية الزاوية الحالية، ولعل التفاتة الوزانيين نحو شيخ جدهم هي التي ضمنت استمرار سلطة الولي الروحية في قبيلة صرصر وضمنت لأبنائه السند المعنوي المتجلي في الحرمة والوقار من طرف المخزن العلوي، فهؤلاء أصبحوا ينعتون في المراسلات المخزنية بالشرفاء أولاد سيدي علي بن أحمد.

المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، فاس، 1989، ص. 157، تح. عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، الجزء الأول، 1978، ص. 237، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ ع. السلام القادري، *التحفة القادرية*، الجزء الثاني، مخطوط خ. ع. الرباط، رقم 2321 ك، ص. 62 ـ 63.

محمد عمراني

**الصرف** (مكتب –) الصرف عملية نقدية قديمة في التاريخ بقدم تعامل البشر بالنقود المعدنية في مبادلاتهم التجارية. والصراف هو الذي يبدّل الدنانير بالدراهم، وييسّر الأداءات في الجهات البعيدة بما يكون بينه وبين الصيارفة هنالك من الارتباط. ولذلك كان جلّ الصيارفة في مغرب ما قبل الاستعمار من اليهود، فنسبة الصراف في عائلاتهم كثيرة، والرابطة المالية طريق ممهد للمعاملات. ذلك بأن النقود في مجتمعات ما قبل الثورة الصناعية كانت قائمة على المعادن وعلى الذهب والفضة والنحاس أو البرونز بوجه خاص. وكانت قيمتها في وزنها. ولا غنى عمن يصرف الدرهم الفضي بالدينار الذهبي أو كميات القطع البرونزية بما يعادلها في سكة معدنية أرقى منها. يضاف إلى ذلك أن السكة كانت تختلف من إقليم إلى إقليم ومن قطر إلى آخر بالأحرى. ومن أدوار الصراف أن يجتنب نقل تلك النقود الثقيلة وأن يسعى في تيسير المعاملات بالمعاوضة المكتوبة في الصكوك يتناقلها التجار ويتعاملون بها، وذلك هو ما مهد للمعاملات البنكية المعاصرة. ومن أعمال الصيارفة أيضا في مغرب ما قبل الحماية، صرف النقود الأجنبية التي كان التعامل بها حرا بناء على قيمتها المعدنية، فالريال الفرنسي كان يجرى التعامل به، مثله في ذلك مثل البسيطة الإسبانية أو الدرهم المغربي.

أما بعد فرض الحماية الأجنبية على المغرب، فإن الدولتين الحاميتين فرنسا وإسبانيا سرعان ما عملتا على إلحاق مناطق نفوذيهما بعملتيهما. فصارت المنطقة السلطانية تابعة لمنطقة الفرنك الفرنسي. وصارت المنطقة الخليفية تابعة لمنطقة رواج البسيطة الإسبانية. أما منطقة طنجة، فإن خضوعها لحكم دولي جعلها مفتوحة أمام كل العملات، بناء على ما كان جاريا في المغرب قبل الحماية، وبناء أيضاً على مقررات الخزيرات التي تقضي بأن تبقى أسواق المغرب كلها مفتوحة أمام تجار جميع الأمم بدون استثناء. بيد أن الحكومة الفرنسية ما لبثت أن تجاوزت هذا القرار. وسعت جادة في جعل السوق المغربية حكرا على منتجاتها وعلى عملتها.

ومن الخطوات الأولى في هذا المضمار، إلغاء السكة المعدنية المغربية التقليدية وتعويضها سنة 1920 بسكة ورقية تحمل اسم الفرنك المغربي تابعة للفرنك الفرنسي ومساوية لقيمته، تيسيرا للمبادلات التجارية بين البلد الحامي وباقي مستعمراته والبلد المحمي. وجاءت الخطوة الثانية سنة 1939، ليلة اندلاع الحرب العالمية الثانية، عندما اشتدت حاجة فرنسا إلى احتكار خيرات مستعمراتها لمواجهة الخصم الألماني. وكان لا بد لها من أن تكدّس بخزينتها كل ما يمكن من العملات الأجنبية لتقتني بها ما لا يتوفر في ترابها أو في المستعمرات من البضاعة. ولما أقدمت الحكومة الفرنسية على مراقبة للصرف في حدود ترابها، بادرت سلطات الحماية في الرباط إلى استصدار ظهير (10 شتنبر 1939) يعلن مراقبة مماثلة على معاملات المغرب مع البلدان غير المنضوية في منطقة الفرنك. ثم إن فرنسا خرجت من الحرب منهكة القوة، فازدادت حاجتها إلى المستعمرات وإلى المغرب بوجه خاص. فتعززت مراقبة الصرف، وأحدث مكتب خاص بذلك بظهير 14 دجنبر 1944، كان كل ما يمرّ به من العملات الأجنبية تحت تصرف "الصندوق المركزي لفرنسا وراء البحار"، وكان صندوقا مكلفا بإحصاء كل ما يروج من العملة الصعبة في المستعمرات الفرنسية لتستعين بها الحكومة في باريس لتجديد صرح الاقتصاد الفرنسي غداة الحرب. وسرعان ما أدى ذلك إلى التصالح مع خصوم الأمس والاتفاق معهم على السعي في بناء الوحدة الأوربية. مما اقتضى من الجميع أن يخفف من المراقبة على المبادلات وعلى رواج الأموال بينهم. ولم يكن ذلك في صالح السوق المغربية، وإن كان المسيطرون عليها في الغالب فرنسيين وأوربيين، فظل مكتب الصرف المغربي ملتزما بتمام المراقبة على الرواج النقدي مع الخارج باستثناء منطقة الفرنك. واحتدم النزاع في نهاية الأربعينيات وطليعة الخمسينيات بين فرنسا والولايات المتحدة حول حرية المعاملات في المغرب، عندما كانت الولايات المتحدة تبني القواعد العسكرية في المغرب وتحتاج إلى استيراد مواد بنائها وتجهيزها من معاملها الذاتية ولا تود أن تخضع لمراقبة مكتب الصرف. ورفع النزاع إلى محكمة لاهاي الدولية التي حكمت (27 غشت 1952) لصالح الولايات المتحدة بناء على مقررات الخزيرات. فتقرر العمل بمبدأ "الاستيراد بدون عملة أجنبية" لفائدة البضاعة الأمريكية، مما كان بمثابة الثلمة الواسعة في نظام مراقبة التجارة الخارجية المغربية وعمليات الصرف مع غير الأسواق الفرنسية، وجاء تذكيرا بخصوصيات السوق المغربية وبكونها متميزة عن السوق الفرنسية.

وما أن استرجع المغرب استقلاله سنة 1956 حتى صارت التناقضات بين المصالح التجارية الفرنسية والمصالح المغربية إلى التفاقم. ذلك بأن عجز ميزان الأداءات الفرنسي اشتد سنة 1957، فاضطرت الحكومة الفرنسية إلى تخفيض قيمة الفرنك الفرنسي الذي ارتفع صرفه من 350 إلى 420 فرنك

للدولار الواحد. فبادرت الحكومة المغربية إلى اتخاذ الإجراءات المناسبة لحماية مبادلات البلاد. ومن تلك الإجراءات، إحداث مكتب للصرف خاضع لوزارة المالية المغربية دون سواها بظهير 22 يناير 1958. كما أن المغرب ارتبط بالعديد من البلدان والأسواق غير التابعة لمنطقة الفرنك، واتفق معها على شروط ثنائية في الأداء تأخذ بعين الاعتبار مصالح التجارة المغربية. ومن تلك البلدان إسبانيا مثلا وروسيا السوفياتية والصين وبلغاريا ومصر وغينيا - كوناكري. ولما أقدمت فرنسا على تخفيض جديد من قيمة الفرنك في دجنبر 1958، ليزداد انفتاحها على الأسواق الخارجية، قررت الحكومة المغربية الانفصال عن منطقة الفرنك، وجندت كل الطاقات لحماية الاستقلال المالي المغربي ودعم الإنتاج الوطني وتوسيع آفاق التزود من البضائع الأجنبية بأقل ما تعرض به في الأسواق العالمية وبيع المنتجات الوطنية بأعلى ما يتأتى من الأسعار. ومن أهم ما تقرر في هذا الصدد، إحداث بنك المغرب (يوليوز 1959) للسهر على شؤون السكة المغربية المجددة التي عادت لتحمل اسم الدرهم. وكان رد فعل الحكومة الفرنسية أن أوقفت ما كان يسمى "بحساب المعاملات" الذي كان يوازن بين الخزينتين في عهد الحماية من جهة الأداءات الخارجية.

وكان من الطبيعي أن ينتهج المغرب المستقل نهجا اقتصاديا قائما على التوجيه الحكومي، وذلك بقصد تقوية القدرة الإنتاجية الوطنية ولزوم مراقبة الصرف حتى تتغلب الصادرات على الواردات. فاشتدت مراقبة مكتب الصرف بما لم يسبق له نظير، سيما وأن استقلال البلاد اقترن حتما برغبة العديد من أرباب الأموال الأوربيين في هجرة المغرب مصحوبين بأموالهم، معرضين الاستثمار في البلاد إلى الانهيار. وكان من الضروري مثلا أن تنزل المنحة السياحية التي كانت تبلغ 100000 فرنك سنة 1955 إلى 25 درهما سنة 1959. كما أن منحة مغادرة المغرب نهائيا لمن رغب في ذلك من المستثمرين الأوربيين حصرت في 100000 درهم فقط. وأقدمت الحكومة المغربية سنة 1973 على إصدار مدونة للاستثمار تقضي بإشراك الأموال المغربية لزوما في كل مقاولة أجنبية قائمة سابقا أو تقام لاحقا في البلاد.

لكن هذه السياسة التوجيهية الصارمة لم تُؤْت أكلها، إذ تبيّن في مطلع الثمانينيات أن الرأسمال الوطني غير قادر على الاستجابة لحاجيات البلاد في الاستثمار، وأن لا مناص من الاستعانة بالرأسمال الأجنبي الذي لا بد من إغرائه بما يجتذبه نحو المغرب. وجاء ذلك في الوقت الذي صار الجميع ينادي بضرورة تحرير المبادلات من القيود بناء على ما اتضح من فشل الأنظمة الاشتراكية عن تعويض الأنظمة الليبرالية في مجال النمو الاقتصادي السريع. وكانت الديون الأجنبية قد تراكمت على المغرب جراء عجز ميزان التجارة الخارجية وميزان الأداءات. وكان لا مناص من اللجوء إلى المنظمات النقدية الدولية لمراجعة شروط تسديد تلك الديون، فقبلت ذلك بشروطها، ومنها التخفيف من مراقبة الصرف، وإعداد الدرهم للتصريف في الخارج. وأول ما تقرر في هذا المضمار، إصدار مدونة للاستثمار جديدة (1983)، تسمح للأجانب باستثمار أموالهم في البلاد دون إشراك الأموال المغربية، بل وتسمح لهم بالخروج بأرباحهم وسحب أموالهم عند الاقتضاء. مما كان يحمل على تحرير المبادلات مع الخارج شيئا فشيئا. ففي مجال الواردات مثلا، رفعت كل القيود التي كانت تقسم البضاعة الأجنبية إلى ما هو مسموح باستيراده بغير رخصة، وما يسمح باستيراده بشروط وما لاسبيل إلى استيراده على الإطلاق. بحيث أعلن عن حرية الاستيراد باستثناء بعض المواد. وكذلك الشأن في الصادرات التي كانت بعض موادها مقيدة بترخيص سابق من وزارة التجارة ومن مكتب الصرف، فتقرر إلغاء الترخيص سنة 1988. وسمح للمصدرين بالتداول بالعملة الصعبة، فيفتحون حسابات من هذا القبيل يودعون فيها ما يدخل عليهم من مبيعات السمك في الخارج وينفقون منها لأغراضهم التجارية خارج الحدود. وهكذا تحررت من كل القيود خلال العقد التسعيني مجمل ما يسمى بالعمليات التجارية، مثل الضمانة من تقلبات العملات، ونفقات النقل الدولي، وعقد التأمين وتأمين التأمين، ونفقات المساعدة التقنية، والأسفار التجارية إلى الخارج، وكذلك تكاليف العلاج الطبي، وتكاليف دراسة الطلبة في الجامعات الأجنبية، والحج إلى بيت الله الحرام، والمنحة السياحية التي انتقلت من 100 درهم سنة 1990 إلى 1000 درهم ثم إلى 5000 (شتنبر 1992)، وبلغت في مطلع سنة 2002، 10000 درهم. كما أعفيت الاستثمارات الأجنبية وما يعود عليها منها من الأرباح وما يدخره الأجراء الأجانب من أجراتهم وما إلى ذلك من كل مراقبة من لدن مكتب الصرف. وكذلك الأمر بخصوص نقل الرساميل بالعملة الصعبة أو بالدرهم المتصرف من المغرب وإليه، ذلك بأن الأموال الأجنبية لها كامل حرية الاستثمار في البلاد مهما كان شكل ذلك. وللمستثمرين الأجانب حرية تفويت أموالهم أو تصفية مقاولاتهم عن طريق الأبناك دون سابق تأشير من مكتب الصرف. وقد اعترف بهذه الحرية للمغاربة المقيمين في المهجر والراغبين في استثمار أموالهم في وطنهم بالعملة الصعبة. وصار من الممكن أيضا للأموال المغربية بأن تقتحم الأسواق الخارجية بأموالها، ففتحت بعض الأبناك المغربية شبابك لها في بعض الحواضر الأوربية والأميريكية. مما سمح للمقاولات المغربية بالبحث عن مصادر لتمويل مشاريعها في الداخل خارج الحدود. وجاءت هذه القرارات التحررية مستجيبة لتعليمات صندوق النقد الدولي، بل تجاوزت الحد الأدنى منها بكثير، على ما صيغ من ذلك في البند الثامن من قانونه النظامي الداعي إلى التخفيف من كل مراقبة للصرف والتخلي عن الاتفاقيات الثنائية في الأداءات. وقد أعلن المغرب عن فسخ تلك الاتفاقيات، وصار أقرب ما يمكن أن تكون عليه دولة نامية في تحرير مبادلاتها

مع الخارج، علما بأن الدول النامية لا سبيل لها إلى الحرية المطلقة في هذا الصدد، لضعف طاقاتها الإنتاجية وقصور أموالها وحاجتها إلى الأموال الأجنبية التي لا تريد أن تراهن إلا بما يعود عليها من الأرباح المضمونة. وأخطر معيقات النموّ، ارتفاع مؤشر ما يسمى "بحركية الرسمال"، يعني عدم استقراره أو قصر نفسه. والمؤشر على تلك الحركية في المغرب من أعلى ما توجد عليه البلدان النامية. ولذلك لا بد له من التمسك بمراقبة ميزان التجارة الخارجية وميزان الأداءات، علما بأن الدول العظمى التي لا تراقب صرفها مع الخارج تعدّ على رؤوس الأصابع. ولذلك فلا يزال مكتب الصرف المغربي، إذا ما غضضنا الطرف عما أشرنا إليه من الإجراءات التحررية، له ثلاث واجبات. أولها ترتيب عمليات الصرف فيما لا يزال يحتاج إلى المراقبة من المبادلات على قلتها. وثانيها تتبع الجانب النقدي من تلك المبادلات مع الخارج لتبقى عين الدولة على ما في خزينتها من العملة الصعبة وعلى ما عليها من الديون الخارجية. وثالث تلك الواجبات تتبع الأرقام وإخطار الجهات المسؤولة والجمهور بالإحصاء المضبوط. وقد أصبحت هذه المسؤولية الإحصائية اليوم هي المهمة الكبرى لمكتب الصرف بعد أن صارت المبادلات مع الخارج تتخلص من القيود السابقة.

Tiano André, *La politique économique et financière du Maroc indépendant*, Paris, PUF, 1963 ; Oufae Benjelloun, *La convertibilité monétaire, cas du dirham*, Casablanca, Imprimerie Najah al-Jadidi, 1993.

إبراهيم بوطالب

**الصُّرُوف** (عيارات للوزن)، تتخذ غالبا من معدن النحاس أو الحديد أو غيرهما.. وقد عرفت في عموم جهات المغرب عبر مختلف العهود، وتستعمل لوزن الأشياء الثمينة كالحلي والنقود، والأدوية والعقاقير، كما تستعمل لوزن البضائع والسلع التجارية العادية من مختلف الأحجام، ويتم ضبطها على يد المحتسبين والقضاة والفقهاء، وعموم التجار. وقد سعينا بكامل الحرص للعثور على نماذج عتيقة منها بدون جدوى، إذ تعد من الأمور الضائعة.

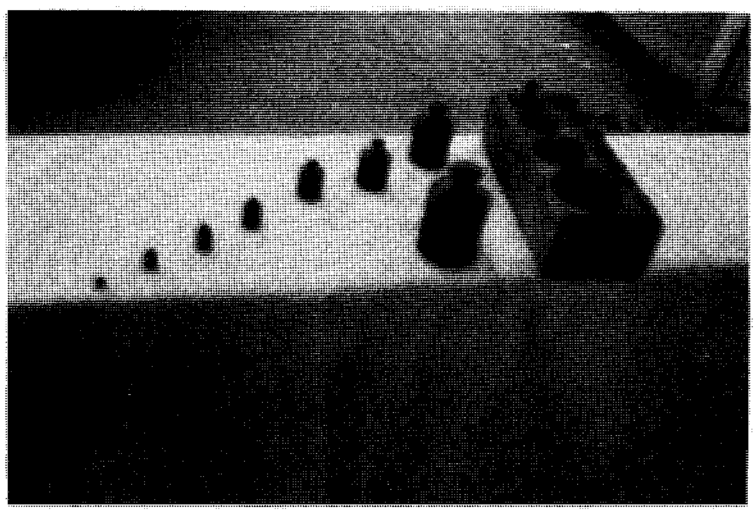

وقد تعرضت أسماء هذه العيارات لكثير من الاختلاف سواء في وحدات قياسها أو في أجزاء هذه الوحدات ومضاعفاتها، فكانت الوحدات المعروفة المتداولة منها : هي الأواقي وأجزاؤها ومضاعفاتها التي تشكل مختلف المثاقيل والأرطال والقناطر.

ولما كانت "الأوقية" هي الوحدة الأساسية في تأسيس عيارات الوزن "الصروف" فلا بد من الإشارة إلى أن الأوقية عموماً تنقسم إلى قسمين الأوقية السنية والأوقية العرفية كما فصل ذلك عمر بن عبد العزيز الكرسيفي حيث يعود التجار عند إرادة تحقيق السنية إلى وزن "الدرهم الشرعي" (انظر مادة الدرهم في *المعلمة*) بينما يعودون في الأوقية العرفية إلى الأعراف المحلية إذ هناك اختلافات محلية في أنظمة محلية منها الأوقية المراكشية والأوقية الفاسية والأوقية الجزولية السوسية والأوقية الدرعية، ومنها تتشكل صروف "الأرطال" التي تعرف نفس التنوع المحلي بل والتنوع بين وزن مادة إلى وزن غيرها فالرطل العطاري، غير الرطل الخضاري، والفخامي وغيره (انظر مادة أوقية ورطل في *المعلمة*).

وقد توصلنا إلى العثور على أوائل "الصروف" العيارات الوزنية الشائعة الاستعمال بالمغرب منذ القرن الثاني عشر (18 م) وهو ما يسمى رطل السوق" أو رطل ماركو MAR-CO وهو من وضع انجليزي استعمل بالمغرب خلال القرن الثامن عشر والتاسع إلى مطلع القرن الرابع عشر (20 م). وقد اثبتنا نموذجا له هنا وهو عبارة عن أوعية يحتوي كل منهم الآخر، ويتألف هذا الرطل من 16 أوقية وهي تتكون من :

نصف الرطل : 8 أوأقي

ربع الرطل : 4 أوأقي

ثمن الرطل : أوقيتان

أوقية : الوحدة الأساسية

نصف أوقية : 1 / 2

ربع أوقية : 1 / 4

ثمن أوقية : 1 / 8

نصف ثمن أوقية : 1 / 16

ربع ثمن أوقية : 1 / 32

وللصروف والأرطال بالمغرب عدة أنظمة، تُطَبّق في وفاق تام بين الناس في مختلف الأسواق، وكان المجتمع المغربي قد حصلت فيه الكفاية في مجال استعمال "الصروف" وغيرها من المقاييس والمكاييل حتى مطلع القرن العشرين أي في فترة ما قبل الاستعمار بحيث لم تدع الضرورة يومئذ إلى استعمال مقاييس موحدة في عموم البلاد، وهذا هو الوضع السائد ـ غالبا ـ لدى مختلف أمم الأرض ففي كل بلد توجد وحدات ومقاييس تختلف عن غيرها من البلدان. وإن كانت أحيانا بعض البلدان تستعير وحدات و"صروف" بلدان أخرى لعهود محدودة.

والظاهرة المتميزة التي عرفها القرن الثالث عشر (19 م) هي التقارب الاقتصادي بين شعوب العالم مما أدى إلى ضرورة استعمال المقاييس الموحدة مع النظام المتري الذي جعل وحدة "الكرام" وحدة أساسية في الوزن نشأ في فرنسا سنة 1791 وتعمّم فيها بعد خمس سنوات، ثم انتشر في مختلف بلدان أوروبا ما بين 1856 و1890 ومابعدها.

وفي عهد الحماية الفرنسية على المغرب أصبح النظام المتري مفروضاً، بإصدار ظهير سنة 1914 الذي وقع بموجبه تنظيم وحدات "الصروف" والعيارات ضمن وحدات المقاييس والمكاييل، وقد صدر ضمن الجريدة الرسمية وأقر نظام "الكرام" وأجزائه ومضاعفاته. ووقع تعميمه في المغرب بقوة القانون وكان يتركب من 1غ، 2غ، 5غ، 10غ، 20غ، 50غ، 100غ، 200غ، 500غ، ثم كيلوكرام. ومضاعفاته.

ولو أنه ألغيت تدريجيا كل المقاييس الوزنية "الصروف" القديمة، فقد بقيت في كلام الناس وذاكرتهم أسماء "الصروف" القديمة التي ألصقوها بالصروف والعيارات الجديدة، فاستعملوا الأوقية من حبوب الشاي، وهم يقصدون 30 كراماً، ورطل اللحم وهم يقصدون 500 كراماً، مما بقي في الاستعمال في بعض الجهات إلى اليوم.

أفا عمر، *نظام المقاييس والأوزان المغربية وتطورها نحو النظام المتري*، ضمن كتاب فكر وتاريخ بالرباط، ص. 185 ـ 190 ؛ *النقود المغربية في القرن الثامن*، ظهير 1914، الجريدة الرسمية بتاريخ 14 أكتوبر 1914 ؛ ع. الكرسيفي، *رسالة في تحقيق أوزان النقود* بسوس، *كتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، ص. 141 ـ 176.

عمر أفا

**الصرُوف الموسيقية**، ظاهرة إيقاعية تعتبر من خصوصيات إنشاد الشعر الملحون. وهي عبارة عن مقاطع لفظية جاء ابتكارها في العصر السعدي على يد علمين من أعلام الملحون هما عبد العزيز المغراوي (ق 10 ـ 11 هـ) والمصمودي (أوائل ق 11 هـ).

والصروف نوعان :

ـ صروف المغراوي، وهي الدندنة. وتنحت من كلمة "دان" فتأتي مسبوقة بحرف نداء (أدان ـ يادان) أو متصلة بياء كياء النسب (داني) أو جامعة بينهما (ياداني).

ـ صروف المصمودي، وهي صيغ لفظية نحتها من ثلاث كلمات هي : لالاَ ـ مولاتي ـ مالي.

ولا تحمل الصروف بنوعيها أي معنى خاص من شأنه أن يغني مضامين أبيات القصيدة، ولكنها في مقابل ذلك تبدو وكأنما وضعت لتغطية الجملة اللحنية في حال امتداد نفسها، فهي إذن أشبه بالتراتين التي تشغل أبيات الصنعة في الموسيقى الأندلسية.

وتتميز دندنة المغراوي بكونها تقوم من أشطار الملحون مقام التفعيلة من البيت العروضي الموزون. ويعني هذا أننا نستطيع تجزئة أشطار القصيدة إلى مقاطع لنقابلها بصيغ الدندنة على غرار تقطيع الأبيات الموزونة وفق مقاطع التفعيلات. ومثال ذلك نقتبسه من قصيدة الشمعة للشيخ محمد بن علي :

أَيْلاَ باكيا بسقامك شوفي اسقام حالي    من قيس وارثو بعد افناه حب ليلى

وتقطيعه كالاتي :

أَيْلاَ / باكْ / يا بسْ / قامَكْ / شوفي سـْ / قامْ / حالي

اداَنْ / دان / داني / داني / يادانْ / دان / داني

منْ قيس / وارْ / ثوبعـ / دافنا / ه آغرام / حب / لَيْلى

ادان / دان / داني / داني / يادان / دانْ / داني

وقد أراد المصمودي استبدال الدندنة بالموالي، غير أن صنيعه كان أشبه بالترنيمات التي يرددها المنشدون عادة في مستهل القصيدة أو خلال أشطارها من قبيل قولهم : يا سيدنا. يالالا ـ الحَادَّة... والتي يرجعها الشدادة عادة لضبط الايقاع.

ونتيجة ما فعله المصمودي فقد تخلى النظام عن الدندنة بعد المغراوي، وعادوا إلى اتباع أسلوب المحاكاة في نظم قصائدهم.

ولقد شكلت الدندنة ـ إلى جانب وظيفتها الغنائية ـ طفرة جديدة في تطور الشعر الملحون من الوجهة العروضية، غير أن دعوة المصمودي إلى استبدالها بالموالي أوقف تيار التجديد ومهد لمن جاء بعده طريق العودة إلى أسلوب المحاكاة واتخاذ القصائد المشهورة نماذج وقدوداً لمنظوماتهم.

ع. الجراري، *القصيدة*، 134 ؛ ع. العزيز ابن عبد الجليل، *مجلة التراث الشعبي*، ع 10، س 11، 1980، 118، بغداد ـ العراق.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الصَّريدي، محمد** من أبرز عمال السلطان المولى سليمان. وجَّهه في سنة 1218 (1803 ـ 1804)، وهو آنذاك عاملاً على إقليم سجلماسة، في حَملة لتمهيد المناطق الصَّحراوية الواقعة بين فكيگ ودرعة، فأمَّن الطرق هناك وفتحها في وجه التجار. وفي سنة 1226 (1811 ـ 1812) ولاه السلطان على قبائل الأطلس المتوسط، المعروفة ببرابرة الدولة، كزمور وگروان وبني مطير، وذلك في إطار محاولات المخزن للتصدي لبرابرة الجبل كأيت أومالو بزعامة رئيسهم أبي بكر أمهاوش. ويُشير أبو القاسم الزيَّاني إلى أن هذا القائد أساء التصرف مع القبائل البربرية، فاشتكت به للسلطان، لكن هذا الأخير لم يردعه ولم يعزله، فكان ذلك حافزاً لعصيَان هذه القبائل وخروجها على المولى سليمان. ويصفَ الزياني القائد محمد الصريدي بالمشؤوم والظالم ويُحَمله مسؤولية تمرد القبائل الأطلسية.

محمد المنصور

**صعصاع، أحمد** بن الشرقي، ولد سنة 1925 بمدينة خريبگة وكان من الوطنيين الأحرار الذين عبروا عن سخطهم بخروجهم إلى شوارع المدينة للتنديد بالوجود الفرنسي.

ولما اشتدت الأزمة ووقعت الاشتباكات بين المتظاهرين وقوات الاحتلال تدخل الجنود الفرنسيون وأطلقوا النار فسقط عدد كبير من المواطنين من بينهم الشهيد المذكور، وذلك يوم تخليد ذكرى ثورة الملك والشعب 20 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 405772.

**الصُّغَيِّر**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çaguer ؛ وقد أشار إلى هذه الأسرة الحاج عمر لوقش في قصيدته المشهورة. منهم :

محمد بن أحمد الصغير كان من بين أعيان تطوان الذين شهدوا بأن الباشا السابق عبد الكريم ابن زاكور قد تصرف في أموال بيت المال لصالحه وذلك في صفر 1180 (يوليوز 1766). وعبد الكريم بن المهدي الصغير كان يرأس فرقة المدفعية بحامية تطوان سنة 1240 (1824).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1123.
محمد ابن عزوز حكيم

**الصغيري، حماني** بن المعطي مقاوم من مواليد 1935 بقصر أولاد غانم، الجرف ارفود إقليم الرشيدية.

عمل ضمن جيش التحرير بصحراء المغرب بالمنطقة الشرقية، وقد ابلى البلاء الحسن في خدمة الوطن وشارك مشاركة فعالة في عدة معارك ضد جيوش الاستعمار الغادر، فلم يتراجع ولم يتوان في أعماله حتى استشهد في احدى المعارك على يد العدو الاستعماري من جراء اصابته بشظايا

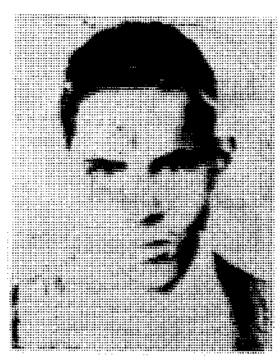

قنبلة رمته بها إحدى الطائرات الاستعمارية الفرنسية آنذاك في مكان يدعى الصفصاف (گلتة الغدير) على بعد 8 كيلو مترات من النجاح تقريبا وذلك بتاريخ 14 يوليوز 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 510746.

**صفرو**، مدينة داخلية، تقع في الوسط الشمالي من المغرب، في أقصى الجنوب الشرقي من سهل السايس وفي حضن الحافة الشمالية الوسطى للأطلس المتوسط. لا تبعد عن مدينة فاس إلاّ بحوالي ثلاثين كيلومترا إلى الجنوب الشرقي.

انتسابها إلى مجال اتصال قوي بين السهل والجبل، يتمتع بخاصيات الغزارة المائية النسبية والتنوع المرفلوجي والترابي والأحيائي وتعدد الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية الموافقة، يضعها في أحد أهم المواقع من ضمن ما ينعت بدير شمال الأطلس المتوسط (*الدير*، *المعلمة*، ج 12، ص. 4130).

أيّاً كانت الجهة التي تُقبل منها على المدينة، فهي تبدو بيضاء في منخفض يتسع فيه وادي أگّاي، وسط جنان يانعة كثيفة الخضرة، شديدة التميز عن حقول السايس الممتدة تحتها أو بوارات الأجراف الأطلسية المشرفة عليها. فمن شدة ما أعجب الواصفون بهذا المشهد الأخاذ، سرت على الموقع كناية "واحة صفرو"، لما في بلوغه من الشعور بالمتعة، يغري بالتوقف، خاصة بالنسبة للقادم من فاس في فصل الصيف.

والواقع، بالطبع، أن كناية الواحة مجازية هنا لا علاقة لها بالوضع الجغرافي. فالمدينة التي توجد في عرض 33°50' شمالا، وطول 4°50' غربا، على ارتفاع 850 م، وفي سفح ينظر إلى الشمال، مع توجه دقيق إلى الشمال الشرقي، هي وسط في كل شيء، وبالتالي بادية الاقتراب من البيئات المعتدلة في مفهومها المناخي المضبوط. يبلغ معدل التساقطات فيها قرابة 830 مم، مع القمتين المعهودتين في النظام المتوسطي، من بينهما الارتفاع الأهم في الأمطار في فصل الخريف، خاصة خلال شهر نونبر، وارتفاع أقل في الربيع، واضح في شهر مارس، بينهما أدنى ثانوي، يتضح في شهر يبراير، يتميز بالبرودة التي يمكن أن تؤدي إلى بعض الثلج الخفيف.

تعرف صفرو، كباقي المحطات المغربية، جفاف الصيف، خاصة في يوليوز وغشت، لكن المعدلات تبقى دائما فوق الصفر، إذ يصلها بعض رداد العواصف الصيفية التي تلطف جو الأطلس من فوقها.

تفوق مقادير المطر في صفرو ما تستقبله مدينتا إيموزار أو الحاجب، وهي تماما بحجم التساقط على آزرو، رغم أن موضعها أقل ارتفاعا وبالتالي درجات حرارتها أرحم في فصل الشتاء مع أنها لا تختلف كثيراً في الصيف.

إذا ما اعتبرنا الأشهر التي يقل معدل حرارتها الدنيا عن 4° أشهراً باردة (Martin, 1981)، فإن مداها لا يتعدى الشهرين في صفرو، على أنه ثلاثة أشهر في الحاجب وأربعة في إيموزار. أما فصل الصيف، حسب قياس گوسن، والذي يمتد في صفرو من 25 ماي إلى 30 شتنبر، فإنه لا يقل إلا قليلا في مدينة إفران ذاتها الموجودة على ضعف الارتفاع (1635 م)، حيث يستغرق الفترة من 15 يونيو إلى 15 شتمبر، رغم أن فصل الشتاء بها قاس يعرف ستة أشهر

باردة على التمام مرفوقة بتساقطات أكبر، منها جزء هام على شكل ثلوج.

يزيد من طراوة الجو التنوعُ الطبيعي للبيئة الصفريوية وقوامها تعدد الأجراف المكتنفة من الجنوب والغرب والتي تتدفق منها العيون وتتعمق فيها الكهوف وتسيل من خلال إفريزاتها الصخرية شلالات صغيرة، أهمها شلال أكّاي المنحدر من الجبل ليعبر "الواحة" من الغرب إلى الشرق، ساعيا بعد ذلك إلى الالتحاق بنهر سبو الذي يرفده عن يساره، بضعَ كيلومترات قبل وصوله إلى مستوى سيدي حرازم فالضاحية الشرقية لمدينة فاس. ومن جملة الكهوف، توجد مغارات لها شأن عند عموم الأوساط الشعبية هناك، أهمها كهف المومن وكهف العُبَّاد. أما إلى الجنوب الغربي من الموقع، فتتربع أفضل المراقب للتفرج على المدينة ومحيطها من علو 955 م، حيث يوجد حصن سيدي علي بن زيان (حصن ابريو سابقا)، وخاصة ضريح سيدي علي أبو سرغين وتحته عين للارقية.

يرجع السر في كل هذه الثروة المائية، ليس فقط للوضع المناخي، الذي يرتبه أومبرجي في شبه الرطب من ضمن المناخات المتوسطية، ولكن كذلك للبنيات الصخرية المحيطة التي استطاعت أن تكتنز عبر العصور احتياطيا مائيا يسهم بحظه في تكوين المخزون المائي الذي يزود العيون.

يُعزى الرخاء الهيدروجيولوجي للموقع إلى وجود إحدى أهم بنيات تفريغ مياه كارست الأطلس المتوسط تجاه المنخفض السايسي، كما هو الشأن مع موقعي إيموزار والحاجب. نفس الظلفاء الكاربوناتية السميكة (دولومي اللياس)، تهيكل هنا الهضبة الأطلسية الصلبة، المتشققة والمنفذة، المشرفة على المدينة، وتغلف نفس القاعدة الطينية الحمراء والبازلتية المتفسخة والكتوم، المنتمية للترياس. يُكوّن هذا الثنائي الطبقاتي، متى وُجد، أهم نظام هيدروجيولوجي بالمغرب على الإطلاق. وهو يتميز في عالية صفرو بنوع من التقطع، الناتج عن العديد من الصدوع، أهمها الانكسار الأساسي لتيزي نتغاتن (أو : تايليلوت). وقد سمح هذا الوضع البنيوي بتأسيس أحد أجمل المناظر المغربية، إذ استغل التفسيخ الكارستي هذه الشقوق فهيأ أهم شبكة من البحيرات خلال أروع الغابات. ورغم أن مثل هذا النوع من التشكيل يمنع وجود المجاري المائية السطحية، مُحوِّلا جل المياه إلى جوف الأرض ثم إلى العيون الهامشية، ومن ضمنها تلك التي تنعش جنان صفرو، فإن حدَّة عُرْف جبل كندر - جبل عباد (1768 م) المسيطر على الهضاب المحيطة قد فرضت مجرى وادي أكّاي المنبعث من سفح الكتلة، وجهة الشمال الشرقي، صوب المدينة ثم إلى نهر سبو.

أما المغاور والكهوف المشرفة على المدينة فأنواع مختلفة. منها أفواه تفريغ مياه الكوس الأطلسي، والمفروض أن تكون عميقة ومرتبطة بسراديب الفرشة الجوفية، وغيرها كثير من المغارات الناتجة عن التفريغ بالتفسخ الكارستي، ومنها، على النقيض من ذلك، مغارات البناء الناتجة عن الرصراصة التي ترسبها مياه العيون المشبعة بالكلس وتركزها الطحالب والنباتات الغزيرة التي تعمر السفوح الظليلة البليلة (*الرصراصة، المعلمة*، ج 13، ص. 4361).

لا شك أن السلالات الأولى من التعمير في هذه البقاع كانت تسكن الكهوف، ومن الطريف أن نجد من ضمن الموقع الواسع مركزاً فريداً من نوعه وشديد التعبير بهذا الصدد. فمدينة البهاليل، الموجودة على بعد خمسة كيلومترات إلى الشمال الغربي، مبنية على أساس قرية كهفية كبيرة، ما زال السكان الأصليون الذين يتمتعون بامتلاكها يفضلون الإقامة بها خاصة أثناء الفصول المتطرفة، كلما اشتد الحر أو القر.

كما يبدو أن النُّويَات السكنية جاءت كذلك متدرجة في أول عهدها على طول الوادي، ربما على النحو القديم الذي ظهرت به "مدائن مكناس" على ضفاف واد بوفكران، قبل أن يستقر التركيز على الموقع النهائي. ثم لا شك اتضحت معالم المدينة إبان بناء مدينة فاس، قاعدة حكم الأدارسة، وبفعل استقطابها لموجات من النازحين من الجنوب، على عهد المرينيين. وأخيراً، كان على صفرو أن تتعايش مع مدينة فاس التي سرقت الأضواء وقضت جل وقتها عاصمة لكل البلاد المغربية.

أما مدينة صفرو الأصيلة التي انحدرت من هذا التطور التاريخي، فإنها تبدو اليوم مركزاً متواضعا، محاطا بسور جامع ينتمي إلى منعطف القرنين الثاني والثالث عشر (18 و19 م). أضيف إليها، من جهة الجنوب الغربي، حي عصري خلال القرن العشرين، تطبيقا للثنائية الحضرية التي فرضها الاستعمار الفرنسي على مدننا القديمة. يصل بين النواتين شارع مولاي الحسن، الرابط بين الساحة التي تحمل نفس الاسم، والتي يوجد بها المدخل الرئيسي للمدينة الأصلية (باب المقام)، وشارع محمد الخامس، المحور الرئيسي للحي الحديث، بعد أن يكون قد عبر وادي أكّاي. وهنا كذلك نجد خاصية تغلب على الثنائية الحضرية المعاصرة عندنا، حيث يستعمل المخطّط للفصل بين النواتين، التقليدية والحديثة، أي معلمة طبيعية موجودة تمكن من الفصل الفعال، كالوادي مثلا، وإلا تمت الاستعاضة بالحي العسكري. يحيط بالمدينة مجال فسيح من الحدائق المنتجة، تغلب فيها البقول والأشجار، وأساسا منها أشجار الزيتون والكرز (حَب الملوك).

يبلغ سكان المدينة اليوم 55 000 نسمة، ولا زالت تعقد سوقها الأسبوعي يوم الخميس. لكن يغلب على أوصافها في كل المراجع أنها هادئة وحالمة، وهي في الواقع كنايات تدل على الخمول الاقتصادي الذي تعاني منه المدينة رغم مؤهلاتها من الموارد الطبيعية والمقومات الحضارية والجمالية.

يلعب خندق واد أكّاي الدور الأول في هيكلة المدينة الأصلية. تنتظم الضفة الشمالية، اليسرى من النهر، من حول الأحياء السكنية والأسواق، التي تبرز من بينها صياغة

الفضة، ثم المسجد الكبير، أما الضفة الجنوبية فيتوسطها حي الملاح. يذكر هذا الحي السكني الأخير وكذا ما سبق من عمل الفضة بالدور الكبير الذي لعبه اليهود في الحركة الاقتصادية للمدينة. يرجع الحضور اليهودي بالمدينة إلى عهود البدايات، كما أنه ازدهر خلال فترة الحماية فوصل تعداده إلى أكثر من ثلث مجموع السكان بها، ثم بدأ يتراجع بعد الاستقلال، لكن العديد من يهود صفرو لم يغادروا إلا بعد حرب 1967، محدثين الخلل في العديد من القطاعات والحرف التي اشتهروا بتنشيطها.

تتميز المدينة بنوع من الوداعة الأليفة وبقدر أكيد من معالم الأصالة تجعلها تستحق الزيارة والاهتمام، لكنها عانت على مدى مراحل تطورها من الظل الطاغي الذي تنشره عليها حاضرة فاس بمعالمها العلمية والمعمارية، وأسواقها وفنها وصنائعها. فبقيت محصورة في جنانها لم يزد سكانها على العشرة آلاف (10 000) بُعَيْدَ الحرب العالمية الثانية، وحوالي 18 000 في الخمسينيات، قبيل الاستقلال، ثم بقيت مستقرة في الستينيات بمستوى العشرين ألف (20 000)، ثم تأثرت بعد ذلك بحمأة تزايد وتيرة الهجرة من الأرياف فارتفع العدد إلى 40 000 في التسعينيات ثم إلى 55 000 في بداية الألفية الثالثة.

ربما أمكننا استشفاف بعض ملامح أسباب الخلل بالنظر إلى الوضع الاقتصادي، بالاحتكام على الخصوص إلى أعمال أحد العارفين بشؤون المدينة (حسن بنحليمة، 1977).

بالطبع، هناك الظرفية الوطنية والدولية التي لعبت أدواراً حاسمة بالنسبة لكل مدننا العتيقة. فلم يسع الحرف التقليدية، التي كانت في الماضي تهيكل الحياة الاقتصادية على مدى واسع جدا بمدينة صفرو، إلا أن تصطدمَ بطريقة غير متكافئة مع دواليب الاقتصاد الحديث الذي جاء به الاستعمار، وأن ترتبط بمراكز وموازين الثقل الخارجي على مستويات القرار والإنتاج. كما أن التغيير السريع في عادات الاستهلاك لدى الأهالي قد فعل الباقي. مع أن صفرو وكانت قد وجدت لنفسها بعض الميادين الإنتاجية النوعية المعتمدة على الموارد الطبيعية الوفيرة المحيطة، وتخصصت في بعض المنتجات المرتبطة بحاجيات الأرياف بالأطلس المتوسط على الخصوص. لا زالت طبيعة الرواج في سوق الخميس تنم عن نوع الإشعاع لدى الأرياف، لكن المواد المتبادلة، على كثرتها، زهيدة الثمن محدودة القيمة المضافة لا تسمح بالتراكم الكافي لتخويل الإقلاع.

الملاحظ كذلك أن القطاعات القليلة التي استطاعت بعض الصمود، هي ذاتها قد فقدت من تألقها وجودة إنتاجها، والمواد الداخلة فيه، حتى تتكيف مع الأسواق الدنيا التي لازالت تقوى على طرقها. ذلك هو الشأن بالنسبة لنسيج الصوف وشغل الجلد، المنبثقين من الحياة الرعوية لجل سكان الأطلس المتوسط المجاور. تدهورت صناعة البلاغي الرفيعة إلى خرازة متواضعة غالبا ما تستعمل مواد الرسكلة الرخيصة. أما صناعة الصوف التي تعبر بحق عن مهارات نوعية وجودة حقيقية اشتهرت بهما المدينة، فقد عرفت تناقصا مهولا في وحدات الإنتاج بسبب العزوف والتدني في متطلبات الزبناء الجدد وفي قدرتهم الشرائية.

ظاهرة أخرى تدل على حقيقة الانكماش الاقتصادي وهزال الإمكانات المادية للمجتمع بالمدينة هي التضخم المبالغ للخدمات الصناعية الصغيرة التي تقدمها الأسر، خاصة الإناث من كل الأعمار، للمعلمين والوسطاء والباعة، بأثمان مخجلة، يتم تسويقها بصفرو أو جلبها إلى أسواق فاس وحتى الدار البيضاء. يضطلع القطاع بنسبة كبيرة من أشغال الحرف التقليدية، يصعب حصر عدد العاملين به، وقد تخصص في ميادين الغزل والنسيج والخياطة والطرز وكل أشغال الحرير (بنحليمة، 1977).

عرفت بعض الأنشطة الأخرى شيئا من التحديث والتوسع، منها البناء وتحويل المواد الغذائية. استفاد البناء من تزايد السكان ابتداء من السبعينيات، وإن كان الاستثمار في العقار المواكب له غير منتج بل وهو هنا متلف لأراضي الجنان التي خلقت الطابع الخاص للموقع. أضف إلى هذا التطور البيئي المخيف أن جل مقالع الصخور تنخر حافة الأطلس المشرفة على المدينة فتسهم في تلويث فضائها بكل المقاييس.

أما الصناعات الغذائية فأهمها على الإطلاق إنتاج زيت الزيتون الذي عانى من مشاكل التسويق بعد فترة من الرخاء والذي يُرجى أن يجد نفسه في سياق المخطط الزيتي الذي تُعدُّ له البلاد على الصعيد الوطني.

لا شك أن مدينة صفرو تستحق أحسن بكثير من واقعها الاقتصادي والاجتماعي الراهن، وأن لا مخرج من الركود إلاَّ في إطار التنمية الشاملة التي ترفع من مستوى الأرياف المحيطة كما تعنى بتنظيم الصناعات بالمدينة.

في انتظار هذا المشروع المعقد والطويل الأمد، يمكن النهوض بالموارد السياحية ذات المرتكز البيئي، المتأرجح بين بحيرات الأطلس في المجال الخلفي الجنوبي وبلاد غابات البلوط الأخضر والأرز الباسقة الممتدة إلى الشرق، ومنها قمة أبو يبلان (3190 م)، التي تُرى من محيط المدينة، مجللة بالثلوج في جل فترات الشتاء والربيع، وكذا المشاهد القريبة ومنها الخوانق الرائعة لوادي سبو وغيرها من الزيارات المبتكرة لمواقع فريدة كالبهاليل ومنتزهات العيون والمحطات الماحرارية.

بالمدينة نفسها، توجد بعض الأنشطة لدعم السياحة وتنشيط الصناعة التقليدية، نذكر من بينها: "مهرجان حب الملوك" الذي ينظم غالبا في الأسبوع الأخير من شهر يونيو، و"موسم سيدي لحسن اليوسي"، أحد صلحاء القرن الحادي عشر (17 م)، دفين العدوة الشمالية، ويكون في شهر غشت. وهي مواعيد متفاوتة القدم لم تعرف أية إضافات معبرة إلا ما كان من إنشاء لمركز الصناعات التقليدية يعرف خاصة بأشغال الخشب والزرابي.

وبديهي أنه لن يتأتى أي نهوض حقيقي إلا بعد ترتيب شؤون المدينة نفسها والرفع من مستوى الخدمات بها، بدءاً بتنسيق جماليات وادي أكادي والجسور المقوسة الواعدة التي تعبره، وقبل كل شيء بتنظيفه وتحويله إلى مجال جذب لا إلى خرابة ترمى بها النفايات.

على العموم، الأطلس المتوسط الذي يحرس المدينة، مجال هائل حافل بالإمكانات الطبيعية، يمكن أن يعطي المزيد الكثير إن هو أمن من بعض المطبات التي تستهدف سلامته البيئية. وسهل السايس، فضاء حضاري رحب بمقياس الأجيال الطويلة، ومحطة شديدة التألق والتميز في أفق الوحدة المغاربية، فحري إذن بمدينة صفرو، التي تقتسم المصيرين معا، أن تتطلع إلى الغد الأفضل.

H. Benhalima, *L'artisanat traditionnel sefrioui : son agonie et les limites de sa rénovation*, Rev. Géogr. Mar., Rabat, 1 (Nouv. Sér.), 1977 ; *Sefrou : de la tradition du dir à l'intégration économique moderne, étude de géographie urbaine*, Montpelier, 1977, 2 vol., 243 p. ; D. Fassi, *Les formations superficielles du Saïs de Fès et de Meknès : du temps géologique à l'utilisation actuelle des sols*. Notes et Mém. Serv. Géol., Rabat, n° 389, 1999, 527 p. ; F. Joly, *Place des pays de piémont dans la vie économique et humaine du Maroc*. Notes Marocaines, 1960, 97-102 ; J. Martin, *Le Moyen Atlas Central, étude géomorphologique*. Notes et Mém. Serv. Géol. Rabat, n° 258, 1981, 445p.

إدريس الفاسي

**صفرو** (بني إزناسن) موقع بجبال بني إزناسن ضمن مجال قبيلة بني منكوش التي تستوطن القسم الأوسط من السلسلة الجبلية. وغالبا ما يرد في الوثائق التي تعود إلى القرن التاسع عشر على الشكل التالي : أهل صفرو أو سوق صفرو. يطل موقع صفرو على السفح الجنوبي لجبال بني إزناسن الذي يشرف على بسيط أنكاد. ويُستفاد من الوثائق المغربية أنه كان سوقا مزدهرة للمواشي في نهاية القرن التاسع عشر، حيث كان محطة لتهريبها نحو غرب الجزائر، أما سبب نعت الموقع باسم صفرو، فيعود حسب بعض الروايات إلى قدوم بعض الأسر من مدينة صفرو القريبة من فاس إلى بني إزناسن في بداية القرن الثامن عشر، واستقرت ضمن مجال إحدى فصائل بني منكوش (بني مَرِّيصَنْ) التي انصهرت فيها إلى حدّ أن صارت هذه الفصيلة تنعت باسم أهل صفرو.

ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي*.
Mhmmed Ben Rahhal, A travezrs les Beni Snassens, in Bulletin de la Société de géographie et d'Archéologie d'Oran./ 1889, p. 5 - 50 ; Auguste Mouliéras, Le Maroc inconnu (1ère partie, exploration du Rif), Oran, 1895 ; Louis Voinot, Oujda et l'Amalat, Oran, 1912.

عكاشة برحاب

**الصفريوي، محمد** بن زروق الفاسي، حلاه تليمذه ابن رحمون - بنقل *إتحاف المطالع* - بقوله : "شيخنا الأستاذ المجود الخطيب البليغ" وذكر أنه أخذ العلم عن عبد الرحمن المنجرة ومحمد بن عبد السلام بناني وعمر الفاسي والتاودي ابن سودة ومحمد بن قاسم جسوس. له *فهرس* ذكر فيه أشياخه ومقروءاته، يظهر فيه سنده العالي.

توفي في أواسط صفر عام 1245 / أواسط غشت 1829.

م. الصفريوي نفسه، *فهرس*، مخطوط ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 ؛ *دليل*، ط 2، الدار البيضاء، 1960، 2 : 323.

محمد حجي

**الصَّفْصَاف**، أو عُود الماء أو أمُّ السَّوَالف أو سَوَالف عَائشة أو سَوَالف العَلْجَة بالعربية أو أمَّاسْ أو وَامَّاسْ أو تَاسَمْليلْ أو تَاسَمْليلْت بالأمازيغية، أسماء تطلق على أنواع جنس سَاليكْسْ Salix الذي ينتمي إلى فصيلة الصفصافيات Salicaceae الشاملة كذلك لأنواع جنس الحور

أو بُوبُولوس Populus (انظر الحور). ولهذا وجبت الإشارة إلى الخطإ الشائع عند المغاربة وشمال إفريقيا بصفة عامة عند استعمال لفظ الصفصاف للتعبير عن الحور والاكتفاء بعود الماء للتعبير عن الصفصاف.

وأنواع الصفصاف أشجار أو شجيرات أو جنيبات متساقطة الأوراق تعيش على ضفاف الأنهار والسواقي والبحيرات والضايات والمرجات، ممثلة بأفراد متناثرة أو بتشكيلات كثيفة. البعض منها لها أغصان سهلة اللّيّ تصلح لصناعة السلالة أي صناعة السلال والمذاري وعدة أشكال من الأثاث وسواها. والبعض منها تستعمل في التطبيب التقليدي. أوراقها رمحية مستطيلة. جميع الأنواع ثنائية المسكن، تزهر قبل ظهور الأوراق. ازهراراتها هرية.

تصادف سبعة أنواع بالمغرب من بينها نوع واحد غير طبيعي لكنه أدخل منذ أقدم العصور :

- سَبيب العَوْدَة أو سَوَالف عائشة أو سَوَالف العَلْجَة أو صفصاف بابل أو علميا سَاليكْسْ بَابيلُونيكَا Salix babylonica : يتميز بهيئته المُتَهَدِّلة ولهذا سمي بالصفصاف المتهدل أو Saule pleureur بالفرنسية. قد يبلغ تاجه المستدير الشكل والمتهدل 10 م من الارتفاع. قشرة جذعه مشققة. أغصانه ذات لون أخضر زيتوني مائل إلى الأرجواني، رقيقة وطويلة ومتهدلة. أوراقه رمحية مستطيلة ومن حجم 17,5 سم طولا و2,5 سم عرضا. تظهر أزهاره

مجتمعة في ازهرارات هرية تلاحظ في أطراف الأغصان القصيرة والمورقة.

يعتقد أن الموطن الأصلي لهذا النوع هو آسيا لكن جمال هيئته جعلت زراعته كشجرة للزينة تنتشر في كل أرجاء العالم وذلك منذ أقدم العصور كما هو الشأن بالنسبة لإحدى عجائب الدنيا : حدائق بابل المعلقة.

بالإضافة إلى استعمال النوع كشجرة زينة في الحدائق، تستخدم أغصانه في صناعة السِّلل والمذاري بالرغم من أنها غير مَرنة.

ـ الصفصاف ثلاثي الأسدية أو سَاليكْسْ تْرِيَانْدْرَا Salix triandra : شجيرة أو شجرة يتراوح علوها ما بين 1,5 و4 م. جذعها رمادي اللون. أغصانها جد مرنة، سمراء أو مائلة إلى الاحمرار. أوراقها رمحية ورمحية مستطيلة، ذات حجم من 13,5 سم طولا و3,5 سم عرضا، لا معة على الوجه العلوي، جرداء على الوجهين، مسننة على محيطها. أزهارها الذكرية ذات 3 أسدية.

يصادف النوع على ضفاف الأنهار والضايات في السهول والجبال المنخفضة للمناطق البيومناخية الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة.

تعتبر أغصان هذا النوع من أرفع المواد المستخدمة في صناعة السلال والمذاري والأثاث.

ـ الصفصاف الأبيض أو سَاليكْسْ آلْبَا Salix alba : شجرة يتراوح علوها ما بين 10 و25 م. أغصانها مَرنَة سمراء أو صفراء. أوراقها رمحية ضيقة من حجم 13 سم طولا و5,5 سم عرضا، مكسوة على وجهيها بزغب حريري. أزهارها الذكرية ذات سَدَاتَين ومحاطة بحراشف ذات لون أصفر يميل إلى الصُّهْبَة.

يعيش النوع على ضفاف الأنهار والبحيرات في شمال وغرب ووسط المغرب أي في الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير، حيث يصادف في الطوابق النباتية للمتوسطي الدافيء والمتوسطي وفوق المتوسطي وفي البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة الدافئة والمعتدلة والباردة والقارسة.

يعتبر النوع من أفضل الأنواع المستخدمة في السلالة.

ـ الصفصاف الأرجواني أو سَاليكْسْ بُورْبُورِيَا Salix purpurea : شجرة قصيرة القامة إذ لا يتعدى علوها 6 م. أغصانها ذات لون أسمر ضارب إلى الحمرة. أوراقها رمحية مستطيلة من حجم 11,5 سم طولا و1,5 سم عرضا، مسننة على أطرافها، ذات لون أخضر على وجهها العلوي، وأخضر فضي على وجهها السفلي.

يصادف النوع على ضفاف الأنهار والبحيرات في شمال ووسط وغرب المغرب، أي في الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير، حيث يعيش الطوابق النباتية للمتوسطي الدافيء والمتوسطي وفوق المتوسطي ذات البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة الدافئة والمعْتدلة والباردة والقارسة.

نظراً لجمال لون أغصانه وليونتها يعتبر النوع من أحسن الأنواع في صناعة السلالة.

ـ الصَّفْصَاف الزُّنَيْدي أو ساليكس بيديسلاَّطَا Salix pedicellata : شجرة يتراوح علوها ما بين 6 و8 م. أغصانها صهباء إلى بُنِّيَة اللون أو ضاربة إلى السواد. أوراقها إهليلجية أو بيضوية أو مستديرة الشكل، خضراء اللون وجرداء على وجهها العلوي، وخضراء فضية ومكسوة بزغب ناعم ومبرزة للعروق على وجهها السفلي.

يصادف النوع على ضفاف الأنهار والمستنقعات والضايات في السهول والجبال والغابات الرطبة حيث يعيش في المناطق البيومناخية الخاصة بشبه الجاف وشبه الرطب والرطب، والطوابق النباتية المتعلقة بالمتوسطي الدافيء والمتوسطي وفوق المتوسطي.

نظراً لصعوبة لَيِّ أغصانه، لا يحبذ النوع في صناعة السلالة.

ـ الصفصاف الأرْمَد أو سَاليكْسْ سِينِيرِيَا Salix cinerea : شجيرة من 5 إلى 6 م من الارتفاع. أغصانها صعبة اللَّي. أوراقها بيضوية مقلوبة الشكل، من حجم 11 سم طولا و1,5 سم عرضا، خضراء أو ضاربة إلى اللون الرمادي، وبَرِيَّة على وَجْهَيْهَا.

يعيش النوع على ضفاف الأنهار والبحيرات في المناطق البيومناخية شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة وفي الطابقين النباتيين للمتوسطي وفوق المتوسطي.

لا يستخدم النوع في صناعة السلالة نظراً لصعوبة لَيِّ أغصانه.

ـ الصفصاف الزَّيْزَفُوني أو سَاليكْسْ إيلِيَاكْنُوسْ Salix eleagnos : شجيرة من 4 إلى 5 م من الارتفاع أغصانها متعددة العقد. أوراقها مستطيلة الشكل وفضية اللون، من حجم 11 سم طولا و1 سم عرضا.

يعيش النوع على ضفاف الأنهار وفي الغابات المطرة في الريف والأطلس المتوسط، حيث يصادف في البيومناخين شبه الرطب والرطب الباردين والقارسين، وفي الطابقين النباتيين للمتوسطي وفوق المتوسطي.

لا يستخدم النوع في السلالة نظراً لصعوبة لي أغصانه، لكنه يستعمل في الحدائق كنبات للزينة.

*أبحاث شخصية.*

A. Benabid, *Flore et écosystème du Maroc. Evaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, Rabat, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997 ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Soc. Sc. Nat. Phys. Mar., Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

**الصفار**، أسرة فاسية ـ تطوانية أصلها من حصن الصفرة أحد حصون جيّان بالأندلس، وكان أول قادم منهم

إلى المغرب - حسب *إزالة الالتباس* - يرعى الإبل للحجاج، واستقر بقبيلة بني وانجل على إبل كان يرعاها لبعض التجار الحجاج من أولاد الفخار الأندلسيين، فصحت تلك الإبل لصيانته، واكتسب الصفار شيئاً من المواشي وتموّل. وفي أيام الفتنة بين الوطاسيين والسعديين خلال النصف الأول من القرن العاشر (16 م). باع مواشيه ودخل فاساً وسكن بحومة رأس الجنان، واحترف بنوه بحرفة الحجامة، ثم استغنوا وصاروا تجاراً وملكوا أصولاً، ولهم عدة دور وأروية بدرب الخطار ما زالت تنسب إليهم إلى الآن، وبها سكنى بعضهم، وجنات بالمرج خارج باب الخوخة، وعرصة بمصمودة أعلى درب الخطار كانت بها ناعورة وبنيت الآن.

تولى آل الصفار الفاسيون رآسة ركب الحاج المغربي، وكان منهم قائد فاس محمد العربي الصفار (ت. 1178 / 1765) والحاج عبد القادر الصفار الذي جدد ضريح الشيخ ابن حرزهم خارج باب الفتوح، وعلى باب الضريح كتابة تفيد أن الصفار جدده أيام السلطان المولى الرشيد، ومن متأخريهم العربي بن محمد الصفار المدعو الحايل الذي كان خليفة بفاس أيام الحسن الأول.

وذكر الكتاني في *زهر الآس* منهم الفقيه محمد بن إبراهيم التينملي الشهير بالصفار شيخ المحدث الكبير يحيى ابن أحمد السراج صاحب *الفهرس* (ت. 804 / 1402).

أما آل الصفار التطوانيون فلعلهم من مهاجرة الأندلس بعد تغلب المسيحيين، عند نهاية القرن التاسع (15 م) وكان منهم كذلك فقهاء وأدباء وموظفون سامون في حكومة المخزن، أشهرهم محمد بن عبد الله الصفار آتي الترجمة.

وانتقل بعض آل الصفار الفاسيين إلى مدينة سلا في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) للعمل في حكومة المخزن، وأشهرهم الكاتب الشاعر المدني الصفار صاحب مولديات في كتاب اليمن *الوافر الوفي*.

ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، تح. علي الكتاني، الدار البيضاء، 2002، ج 1 : 565 ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 : 94.

محمد حجي

**الصفار، محمد** بن **إبراهيم** من أهل مراكش. أستاذ وإمام في القراءة وبليغ في علم العربية لوقته وله تأليف في القراءات. أخذ عن كثير من شيوخ المغرب وعلى رأسهم شيخ المحدثين والرحالة أبو عبد الله محمد بن رُشيد الفهري، كما لقيه كبار علماء عصره من أمثال ابن خلدون المؤرخ. كان الصفار يحضر مجالس السلطان أبي عنان المريني (749 / 1348 ـ 759 / 1358) ويعارضه القرآن برواياته السبع.

م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن* تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981 ؛ ابن الحاج النميري، *فيض العباب*، تح. م. بن شقرون، الرباط، 1984، ص. 57 ؛ ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا*، ضمن *كتاب العبر*، ج 7، بيروت، 1978، ص. 853 ؛ م. حجي، محقق، *ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب*، الرباط، 197 ؛ بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج* (على هامش الذيباج لأبي فرحون)، القاهرة، 1351، ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ط 2، 1998، ج 4 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى*، المحمدية، 1972.

رشيد السلامي

**الصفّار، محمد** بن **عبد الله** التطواني، أطلق على والده لقب الجياني نسبة إلى مدينة جيّان Jaen الأندلسية، حيث الجذور الأولى لهذه الأسرة. ولد محمد الصفار بمدينة تطوان في العشرة الثانية من القرن الثالث عشر (19 م). ومازال البيت الذي وُلد فيه المترجم قائماً إلى اليوم في تطوان، وهو مسكن بسيط من طابقين يوحي بأن أسرة الصفار كانت متواضعة، وربما كانت غنية من حيث ثقافتها وأصلها المتميز، دون أن تكون على حظ من الثروة المادية. وبها استهل مرحلته التعليمية على عدة شيوخ لا تعرف أسماؤهم لأن الصفار لم يترك فهرسة تحتوي قائمة بأسماء الشيوخ والعلوم التي درسها بتوجيه منهم.

انتقل إلى فاس للدراسة بجامع القرويين رفقة صديقه محمد عزيمان، الذي أصبح قاضيا بتطوان فيما بعد. استقر بفاس مدة فاقت ثماني سنوات، درس خلالها الفقه والأصول والحديث والنحو، وكان شيخه الأساسي العالم ابن عبد الرحمان الحجرتي، كما أخذ عن مولاي الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي وسيدي عبد السلام البقالي، ولقي سيدي قدور العلمي والخضير السجعي.

قفل إلى تطوان سنة 1352 / 1836 وأضحى يلقب بالفقيه لما اكتسبه من علوم شرعية وتمكّن من اللغة العربية وإلمام بالتوقيت. وبعيد عودته اشتغل بالعدالة بل وأصبح من أبرز عدول تطوان، وكان أحيانا ينوب عن القاضي في إصدار الأحكام. وبموازاة مع ذلك دَرَّس بمساجد تطوان الفقه والحديث والمعاملات، وكان من بين تلامذته المفضل أفيلال المشهور الذي درس عليه مختصر خليل ولامية الأفعال والألفية.

بدأ محمد الصفار مشواره في خدمة المخزن مع القائد محمد أشعاش عامل تطوان، وبعد وفاته لازم ابنه عبد القادر أشعاش، وسبب خدمته في المخزن أن السلطان عبد الرحمان ابن هشام أمر عمال المغرب بأن يتخذوا الكتاب الذين يحسنون الإنشاء والترسيل للرد على مكاتبه عوض الاعتماد على طلبة البادية الذين يجهلون النحو واللغة. واعتبارا لتمكن الصفار من العلوم الشرعية والعلوم العربية استكتبه أشعاش بعد أن مارس عليه ضغطا للقبول بهذه الوظيفة.

رافق الصفار، بصفته كاتبا، عبد القادر أشعاش ضمن سفارة إلى باريس سنة 1261 / 1845، حيث قضت هذه السّفارة خمسين يوما في العاصمة الفرنسية. وبعد عودتهما، انكب على تحرير الملاحظات والانطباعات عما شاهده، واستغرق ذلك شهوراً عديدة، كما زاول، فضلا عن خدمة المخزن بصفته كاتبا، العدالة والتدريس.

وقد كتب القُنصل الفرنسي بومبي (Beaumier) الذي رافق البعثة المغربية إلى رئيسه في طنجة دوشاستو (De Chasteau)، يقول : "إن الفقيه ... مشغول طوال الوقت. إن لديه موهبة عقلية نادرة، وهو بصدد إنجاز بحث حقيقي، فقد كتب أشياء كثيرة". وعلى امتداد صفحات الرحلة، بدا الصفار مفعما بالحيوية وبدقة الملاحظات. إذ عبر عن مشاعر الإعجاب أمام جمالية المرأة، وأبدى تحسراته أثناء قيامه بالوضوء استعدادا للصلاة في بر النصارى. كما تألم متبرما من الساعات الطوال التي كانت تستغرقها وجبات الطعام أثناء المأدبات الرسمية في الديار الفرنسية. أما وجهات نظره وأفكاره، فتتباين من صفحة إلى أخرى، بعضها مبتذل وعادي لا أصالة فيه، وبعضها الآخر أصيل جداً. ولم تكن رحلة الصفار إلى فرنسا التي استغرقت خمسين يوما، مجرد سلسلة من الأشياء المثيرة، بل كانت تجربة حقيقية على درب التحولات، بحكم مظاهر الحداثة التي عاينها شخصيا فتركت بصماتها على امتداد حياته في السنوات اللاحقة.

وبعد عودة الصفار إلى تطوان استأنف مزاولة مهامه العدلية، وإلقاء الدروس في الجامع، إضافة إلى قيامه بمهام الكتابة في خدمة الباشا عبد القادر أشعاش. وفوق هذا وذاك، انهمك محمد الصفار في تحرير رحلته لتقديمها كتقرير مفصل يرفع إلى حضرة السلطان. وبعد أن أتم الصفار ذلك العمل، عاد إلى الظل، ولم يقع في فصول حياته ما يستحق الذكر خلال السنوات القليلة اللاحقة. غير أن هذه المرحلة ما لبثت أن انتهت في شهر رمضان من سنة 1267 / 1850، حين فقد عبد القادر أشعاش حظوته السابقة عند السلطان مولاي عبد الرحمن. وبحكم العلاقات الحميمة القائمة بين باشا تطوان ومحمد الصفار، فقد وجد هذا الأخير نفسه في وضعية غير مريحة. وقبيل حلول عيد الأضحى، أمر السلطان عامله على تطوان بالقدوم إليه في فاس لتقديم هدية العيد، كما جرت العادة بذلك، فامتثل أشعاش واتجه إلى فاس مصطحبا معه محمد الصفار دون أن تساوره أي شكوك في نوايا سيده. وحين اتجه أشعاش إلى حضرة السلطان لتقديم الهدية، بقي الصفار في ضيافة الفقيه الخطيب الكبير الفاسي، فبلغه خبر القبض على أشعاش، فالتجأ لحماية نفسه بحرم الزاوية الفاسية.

وقد تمكن الصفار من تجاوز هذه الأزمة، بل وخرج منها بترقية لم يكن يتوقعها. ويبدو أن كونه قد كتب تفاصيل الرحلة إلى فرنسا هو الذي شفع له عند السلطان، فلم يكتف بإطلاق سراحه، بل وجهت إليه الدعوة للالتحاق بحاشية السلطان. وهكذا بدأت المرحلة الثانية من حياة الصفار، وتشمل الفترة الطويلة التي قضاها في خدمة المخزن على المستوى المركزي. ويبدو أن هذه المرحلة التي يمكن تسميتها بالمخزنية عسيرة التتبع، ويكتنفها كثير من السرية والغموض. فقد عاش الصفار على امتداد الثلاثين سنة اللاحقة منغمسا إلى أقصى الحدود في الوسط المخزني المركزي القريب جدا من شخص السلطان. فما لبثت فردانيته أن انصهرت في بوتقة النسيج المخزني العريض، ليصبح جزءا لا يمكن فصله عن مكوناته وارتبطت حياته به ارتباطا وثيقا بذلك النسق.

وحين حل الصفار ببلاط السلطان، لم يلحق بمجموعة الكتاب المتخصصين في تحرير المراسلات المخزنية، بل أسند إليه السلطان مولاي عبد الرحمن مهمة السهر على تربية وتعليم أفراد الأسرة السلطانية، فكان من بينهم الأمير مولاي الحسن. وتمتنت صلات الصفار بالسلطان الذي قدر تدريجيا مكانته العلمية، فاتخذ منه كاتبه الخاص، وانتهى به المطاف إلى الارتقاء لمنصب الصدر الأعظم في السنوات الأخيرة من حكم السلطان مولاي عبد الرحمن، وهو أعلى مرتبة يمكن أن يطمح إليها موظف مخزني. وكانت مهمته الجديدة تتمثل في الجلوس إلى جانب السلطان، والعمل على تنفيذ أوامره، والبقاء على اتصال مستمر عن طريق المراسلة، مع جميع الموظفين المخزنيين على المستويات المحلية. وعلى الرغم من أن العلاقات بين السلطان ووزيره قد تختلف حسب الظروف، فإن هنالك نقطة أساسية واضحة تماما، وهي أن الصدر الأعظم لا بد من أن يتمتع بثقة السلطان الكاملة حتى يمكنه البقاء في منصبه. ومن الأمور المثيرة المعبرة عن خصوصيات محمد الصفار، صموده الطويل الأمد، وبقاؤه مدة قاربت ثلاثة عقود من الزمن طرفا فعالا في مركزية السلطة المخزنية. ويعتبر هذا رقما قياسيا له أهميته في عالم المخزن المعروف بتقلباته العديدة.

حينما أصبح الصفار صدراً أعظم للدولة، بادر في الحال إلى إقصاء منافسيه مستعينا في ذلك بمكانته الجديدة. وحسب ما هو وارد عند محمد غريط في *فواصل الجمان*، فقد كان هنالك وقتئذ قائد للمشور ماسك بزمام الأمور، فشكاه الصفار إلى السلطان الذي أقاله من منصبه. وبعد ذلك يضيف محمد غريط قائلا : "استبد الوزير بتدبير أعماله وتنفيذ أشغاله، متمريا ضرعها منتقيا زرعها، وإن ما جمعه بتطوان أودعه". وبالفعل، فقد تضمنت وصية الصفار - وهي وثيقة يبلغ طولها ستة أمتار وعرضها ثلاثين سنتمترا - لائحة طويلة بالممتلكات والعقارات والديون المخلفة والأشياء الثمينة التي كان يملكها. ويستفاد منها أنه ترك بعد وفاته أزيد من ثلاثين عقارا موزعة على مدن تطوان وفاس وزرهون ومراكش، بقيمة 42.883 ريال.

ولا تقدم المصادر إلا معلومات طفيفة وخاطفة حول ما تبقى من فصول حياة الصفار أثناء مرحلته المخزنية. ففي صيف سنة 1859 حين ساءت صحة مولاي عبد الرحمن، سادت الشكوك حول مصير الولاية، فكان الصفار المرتكز الأساسي الذي اعتمد عليه المخزن وهو المتحكم الحقيقي في زمام الأمور. كما لعب الصفار دوراً أساسياً في تولية خلف المتوفى، سيدي محمد بن عبد الرحمن (1859 - 1873)، الذي كانت ميوله الإصلاحية واضحة المعالم.

وحاول السلطان الجديد تحقيق نوع من العقلنة لبنيات

الدولة، فعمل إلى جانب وزيره محمد الصفار على إنشاء منصب حديث العهد في المغرب، هو منصب وزير للشكايات، للنيابة عن السلطان في الرد عن التظلمات الصادرة على المستويات المحلية من مجموع البلاد، وكلف محمد الصفاربتحمل أعباء تلك المهمة الجسيمة.

ظل الصفار على رأس وزارة الشكايات طوال حكم سيدي محمد بن عبد الرحمان وقسما كبيرا من فترة حكم مولاي الحسن إلى وفاته. فكان التطواني الوحيد الذي تولى الوزارة مع ثلاثة من سلاطين المغرب. ولا يعلم عن الصفار أنه خلف تآليف غير رحلته إلى فرنسا سنة 1261/ 1845، وقد ظلت هذه الرّحلة مهملة وغير موظفة في الأعمال الأكاديمية والبحث التاريخي والأدبي بالرغم من عرض أبرز محتوياتها من قبل محمد داود في *تاريخ تطوان*، ومحمد العربي الخطابي، إلى أن جعلتها الباحثة سوزان ميلار موضوعا لأطروحتها ونالت بها شهادة الدكتوراه في جامعة ميشغن عام 1976. وكان الصفار قد تأثر في كتابة رحلته شكلا ومضمونا بكتاب رفاعة الطهطاوي *تخليص الإبريز في تلخيص باريز* الصادر عن مطابع بولاق المصرية عام 1834، غير أنه طبع رحلته بشخصيته وثقافته، وتبدو في الكثير من صفحاتها ومضات الانفتاح بالرغم من المسحة الدينية المهيمنة عليها.

لازم الصفار حاشية السلطان خلال جميع تنقلاته وتحركاته بالرغم من كبر سنه، وفي إحدى حركات مولاي الحسن أصيب بالمرض فيما كانت محلة السلطان تخترق المناطق الجبلية الممتدة ما بين فاس ومراكش، وقد أحاطه مولاي الحسن بالرعاية، من ذلك وضعه في محفته الخاصة، ولما دنت المحلة من منطقة دار ولد زيدوح بتادلا توفي محمد الصفار (1298 / 1881)، وقد حمل جثمانه في محفة سلطانية إلى مراكش، وبها أقبر في ضريح الولي سيدي يوسف بن علي.

م. الصفار، *رحلة*، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط، رقم 113 ؛ ع. القادر بناني، *تلخيص ما عليه المعول في أخبار من بالمغرب من الدول*، مخطوط، خ. ح، الرباط، رقم 12385 ؛ مجهول، *تقييد في ترجمة الصفار*، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط، رقم 12419 ؛ م. غريط، *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، فاس، 1347 / 1928 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5، 1977 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، ج 7، 1962 - 1975 ؛ م. العربي الخطابي، *مشاهدات ديبلوماسي مغربي في عهد المولى عبد الرحمان*، مجلة *دعوة الحق*، ع 264 - 1987 ؛ خ. بن الصغير، *المغرب وبريطانيا العظمى في القرن 19* (1856 - 1886)، الرباط، 1997 ؛ سوزان ميلار، *صدفة اللقاء مع الجديد*، رحلة الصفار إلى فرنسا، 1845 / 1846، الرباط، 1995 ؛ أ. المكاوي، *صورة أوربا في الكتابات المغربية خلال القرن 19 تنازع الانفتاح والانغلاق*، دكتوراة الدولة في التاريخ، كلية الآداب، فاس، 1996.

أحمد المكاوي وخالد بن الصغير

**الصّفار، محمد العربي** (الحاج -) ينتمي إلى بيت ثروة ورياسة مشهور بفاس. ولاه مولاي عبد الله بن إسماعيل سنة 1748 على جهة القرويين عندما كانت قيادة فاس مُقسمة بين ثلاثة قواد.

وعندما بويع سيدي محمد بن عبد الله في سنة 1757 أقره على ولايته، وعندما قرر السلطان أن يجعل قيادة فاس في يد قائد واحد اختاره لذلك فأصبح محمد العربي الصفار حاكماً لمدينة فاس الإدريسية بجهاتها الثلاث. وفي سنة 1175 (1761 - 1762) أسند إليه سيدي محمد النظر في أمكاس فاس فصار يقبضها مُقابل 12.000 مثقال يدفعها لبيت المال كل سنة. ثم بعد ذلك أضاف له السلطان أمكاس ملاح فاس ومدينتي تازة وتطوان. وعندما فتح سيدي محمد مدينة الصويرة للتجارة الأوربية كلّفه بانتقاء نُخبة من رُماة فاس ليسكنوا بهذا المرسى، إلا أن الخمسين رامياً الذين عيَّنهم الصفار لهذه المهمة أظهروا العصيان وحاولوا التنصل من الأمر السلطاني لولا حزم القائد الذي اختار رؤوس الفتنة وجعلهم طليعة المبعوثين إلى ثغر الصويرة.

وقد بلغ محمد العربي الصفار من السطوة والنفوذ بفاس ما جعله يُعين قاضياً ثانياً في شخص العربي القسمطيني ليُنافس به القاضي عبد القادر بوخريص، ولو أن هذا الإجراء لم يَدُم طويلاً.

توفي محمد العربي الصفار يوم 5 أكتوبر 1767 (11 جمادى الأولى 1181) فعيَّن السلطان ولده العربي في محله قائداً على المدينة.

محمد المنصور

**الصفار، مَحمد بن المدني** السلوي أحد الشبان المتنورين الذين تلقوا تعليما مزدوجا وتألقوا في الأربعينيات من القرن العشرين.

انخرط المترجم كأخويه أحمد والعباس في سلك التعليم الرسمي معلما للغة الفرنسية بالمدارس الابتدائية بفاس ثم بسلا، وكان من الرعيل الأول الذي التحق بالمدرسة المغربية للادارة (E. M. A)، وبعد الاستقلال التحق بالمصالح المركزية لوزارة المالية فكان أول مدير مغربي للصندوق المغربي للتقاعد ثم مديراً للميزانية، وكان يتابع في نفس الوقت تكوينه بكلية الحقوق حيث نال الإجازة منها في أوائل الستينيات. كما مثل المغرب لسنوات في المجلس الإداري

للصندوق الإفريقي للتنمية (B. A. D) وفي مستهل السبعينيات عُين مديراً لصندوق المقاصة الذي بقي يديره إلى أن أحيل على المعاش.

قام المترجم إلى جانب ما ذكر بعدة مهام في الخارج، منها مهمة خاصة لدى حكومة الجمهورية الڤيتنامية لإرجاع بعض قدماء الجيش الفرنسي المغاربة الذين وقعوا في الأسر من طرف قوات الفيتكونغ إلى بلادهم، فرجعوا إلى المغرب مع زوجاتهم الفيتناميات وأولادهم ومنحتهم الحكومة المغربية معاشات خاصة لتسهيل إعادة إدماجهم في مجتمعهم.

اشتهر مَحمد الصفار، طيلة حياته الإدارية بالاستقامة في العمل، وانتقى بعض زملائه في حقل التعليم للعمل معه في وزارة المالية، فساهم بذلك في وقت مبكر وفي ظروف صعبة في مغربة هذا المرفق الهام في وقت كانت كل أطره فرنسية.

توفي يوم الجمعة 18 قعدة 1422 / فاتح فبراير 2002.

*وثائق عائلية ومعرفة شخصية.*

أحمد السوسي التناني

**الصفارية** (طائر) أو صُفّارية كما هو في المعاجم، جنس طيور من القواطع، تنتمي إلى رتبة الجواثم Passeriformes وفصيلة أوريوليدي Oriolidae وجنس Oriolus المُمَثل في المغرب بنوع واحد : أوريولوس أوريولوس Oriolus oriolus. يسمى في المغرب بوطاطة والطائر الأصفر وتسميه العامية الصُفارية وصُفَّرة في الشام والصَّفّير في مصر. يدعى بالفرنسية Lariot d'Europe وبالانجليزية Golden oriole.

يبلغ طوله 22 ـ 24 سم ويزن ما بين 68 و78 غ. ريش البطن والظهر عند الذكر أصفر مذهب لامع وأخضر ملطخ بالرمادي عند الأنثى. ريش الجناحين والذيل أسود. المنقار بني أحمر، الأرجل رمادية زرقاء.

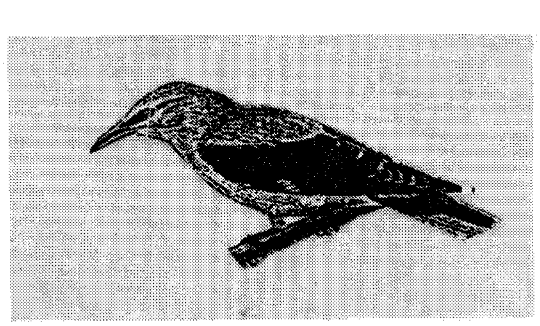

تمتد مدة التوالد منذ شهر ماي إلى بداية شهر يونيو وتقوم الأنثى بصنع العش لوحدها على أشجار الغابات وعلى الأشجار العالية الموجودة بالمزارع والحدائق وعلى جانب الأنهار وخاصة منها أشجار الحُور Peuplier. يوضع العش في أعالي الأشجار بين غصنين عادة ويتكون من الأعشاب اليابسة ومن قطع أعجاز الأشجار وتوضع بداخله قطع من الصوف والقطن والريش. تضع الأنثى من 3 إلى 4 بيضات ونادرا 5 أو 6 بيضات، لونها أبيض وردي لامع ومنقطة بالأسود. تبلغ من الطول 30.8 x 21.3 ملم.

يتكون غذاؤه من الحشرات التي تعيش على الأشجار ومن الثِّمار العنبية اللحمية (baies) وخاصة منها التين.

إنه طائر شديد الحذر يفضل العيش مختفيا بين الأشجار ويعد من الطيور المهاجرة. يتوالد في شمال إفريقيا وفي أوربا ماعدا الجزر البريطانية.

يأتي إلى المغرب من جنوب الصحراء ابتداء من شهر فبراير وتستقر مجموعات كبرى متعددة الأفراد في المناطق المتشجرة بالهضاب الأطلنطية وبسفوح جبال الريف والأطلسين المتوسط والكبير وبالنجود الوسطى بينما تعبر مجموعات أخرى المغرب في فصل الربيع لتقضي فصل الصيف في أوروبا مارة بمضيق جبل طارق. تبتدئ الهجرة إلى جنوب الصحراء وإفريقيا الوسطى والجنوبية خلال شهري يوليوز وغشت لتشتو في هذه المناطق.

إنه النوع الوحيد من فصيلته الذي يعيش في المناطق الحارة الاستوائية وشبه الاستوائية خلال فصلي الخريف والشتاء ويتوالد في شمال إفريقيا وأوروبا. تبقى الأنواع الأخرى من فصيلته في المناطق الحارة طوال السنة ولا تتعدى المناطق الصحراوية شمالا.

أمين المعلوف، معجم *الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

P. C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc : janvier 1986-87-88.* Documents de l'Institut Scientifique, 11, Rabat, 1988 ; W. Reade&t E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids. Reproduction, œufs et jeunes*, Ed. Nathan, Paris, 1968, p. 191-192 ; C. Harrision, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur.* Multiguide nature, Elsevier, Paris, 1977, 430 p. ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East.* Ed. Collins, London, 1984, p. 124-125.

محمد رمضاني

**صفيرة، الحاج قدور** أحد أبرز تجار وأعيان فاس في عهد المولى سليمان. ولاه السلطان إمارة ركب الحاجّ في سنة 1797، وهو منصب لم يكن يُسند عادة إلاّ لذوي المروءة من تجار مدينة فاس. وفي السنة التالية عزله وولى على الركب الطاهر بادو المكناسي فاغتاظ أهل فاس لذلك لأن التعيين كان مخالفاً للعُرف. وفي سنة 1811 ولاه المولى سليمان قيادة مدينة فاس وهي المهمة التي بقي يزاولها إلى حين وفاته.

وفي في صيف عام 1227 / 1812.

محمد المنصور

**صقر** يجمع على صقور، اسم يطلق على بعض أنواع الكواسر سباع الطير النهارية كبيرة القد، تسمى أيضاً في بعض مناطق المغرب الساف. والصقر في اللغة كل طائر من

الجوارح اللاحمة يصيد خلا النسر والعقاب. والعرب يفرقون بين الصقور والبزاة كما جاء في مادة الباز، فالبزاة صفر العيون مدورة الرؤوس قصار الأجنحة طوال القوادم، وللصقور أجنحة طويلة مستدقة الرأس ومنجلية الشكل. تصنف الصقور إلى فصيلة الصقريات Falconidae ورتبة الجوارح أو الكواسر النهارية Rapaces Falconiformes. من بين الصقور التي تعيش في المغرب :

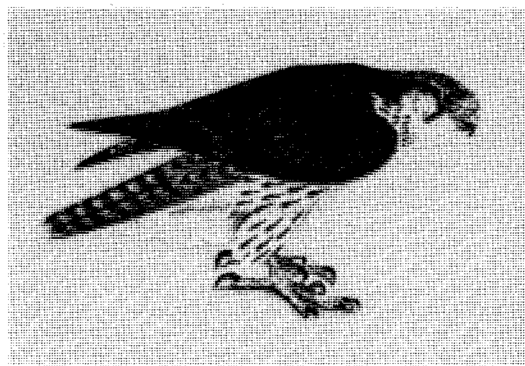

صقر الشرق يسمى علميا Falco cherrug وبالفرنسية Faucon sacre وبالإنجليزية Saker falcon وبالإسبانية Halcon sacre وبالإيطالية Sacro. وهو مشهور بصقر الغزال في المؤلفات العربية والبلاد العربية ولفظة الشرق فصيحة وواردة في اللغة وهو الاسم النوعي الذي سماه به غراي سنة 1833 وهذه اللفظة عامية في الهند وإيران. إنه طائر كبير الحجم وقوي ريشه ضارب إلى الحمرة على مؤخرة العنق وعلى تويج الرأس، رمادي ملطخ على الرأس والذنب ضارب إلى البني الداكن على الجناحين والظهر وأبيض ضارب التوشيم البني على الصدر، طويل الجناحين، غائر العينين، محدب الظهر وعريض الهامة. المنقار أسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء. يبلغ طول الجسم 45 ـ 55 سم وتزن الذكور 700. 900 غرام والإناث 1000 ـ 1300 غرام، تبلغ بسطة الجناحين 200 ـ 225 سم. الإناث أكبر حجما ووزنا من الذكور.

طائر نادر جدا في المغرب وقد شوهد منه فرد في ضواحي الدار البيضاء سنة 1963 كما جاء في قول Mayaud (1970) وتمت مشاهدة بضعة أفراد في فصل الشتاء بجوار بني ملال وورزازات والصويرة وتيزنيت وكولمين وأولوز. يشتو في تونس وليبيا ومصر والشرق العربي ويتوالد في الجنوب الشرقي لأوروبا والجنوب الغربي لآسيا.

يتوالد بين فبراير وأبريل وتبيض الإناث 3 ـ 6 بيضات ملساء بيضاء مصفرة منقطة بالأسود والأحمر، يبلغ طول قطريها 42 x 54 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين حوالي 28 يوما وتغادر الصغار الأوكار بعد حوالي 40 يوما. يتغذى من الحشرات الكبيرة ومن الزواحف والطيور والثدييات الصغيرة.

الصقر الحر المغربي يسمى علميا Falco biarmicus erlangeri وبالفرنسية Faucon lanier وبالإنجليزية Lanner falcon وبالإسبانية Halcon borni وبالإيطالية Lanario. يدعى الطائر الحر في المغرب وفي الشرق العربي وهو طائر أصغر من صقر الشرق والشاهين المغربي ويختلف عن الضرب الأوروبي Feldeggi وعن ضرب الشرق العربي Tanypterus بصغر حجمه وشحابة ريشه الرمادي على الظهر والجناحين، على رأسه بياض، بطنه أغبر بني وأبيض، تظهر على الصدر والبطن أثناء التحليق خطوط بنية والذيل موسوم بستة إلى ثمانية خطوط داكنة. طويل الجناحين، غائر العينين ومخيف المنظر. المنقار أسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء. يبلغ طول الجسم 38 ـ 45 سم وتزن الذكور 450 ـ 500 غرام والإناث 600 ـ 800 غرام، تبلغ بسطة الجناحين 80 ـ 100 سم. يعيش منعزلا أو مزدوجا.

تقدر أفراد المجموعات الآبدة في المغرب ما بين 900 إلى ألف زوجة موزعة على مختلف المناطق الجافة وشبه الجافة بجبال الأطلس والهضاب والنجود العليا الوسطى والشرقية والمناطق الصحراوية الجنوبية، معظم الأفراد مستقرة وتقطع نادرا مسافات قصيرة سواء للبحث عن الأكل أو للتوالد.

يتوالد مرة في السنة بين فبراير وأبريل ويتخذ أعشاشا قديمة لطيور أخرى كالغراب ليضع بيضه وهي أعشاش منصوبة على صخور الأجراف الصعبة المنال أو على أشجار الصنوبريات العالية. تبيض الإناث 3 ـ 4 بيضات ملساء بيضاء مصفرة منقطة بالأسمر البنفسجي، يبلغ طول قطريها 41 x 52 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين حوالي 30 يوما. تأخذ الصغار حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز.

يتكون غذاؤه من الحشرات الكبيرة والزواحف والثدييات الصغيرة والطيور كالحجل والسلوى والحمام والزرزور والهدهد ومختلف أنواع العصافير والطيور المائية وصغار الدواجن. طائر محمي في المغرب. يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا الطائر على المغرب والجزائر وتونس ومصر واليونان وجنوب إيطاليا وتركيا ومعظم الدول الإفريقية الوسطى والجنوبية.


م. رمضاني، الباز، *معلمة المغرب*، الجزء 3، ص. 989 ؛ م. رمضاني، بولحية، *معلمة المغرب*، الجزء 6، ص. 1845 ؛ م. رمضاني، الرخمة، *معلمة المغرب*، الجزء 13 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

N. Mayaud, *Additions et contribution à l'avifaune du Nord-Ouest de l'Afrique*, Alauda, 38 : 27 - 43, 1970 ; P. Bergier, Les *falconiformes marocains. Status, Repéartiton et Ecologie*. Annales CEEP (ex. CROP), n° 3, 1987, 160 p. ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*. 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*. Elsevier 1977, 430 p.


محمد رمضاني

**الصقلي** (أسرة) ← **الصقليون**

**الصقلي، إدريس** بن محمد ولد بفاس حوالي عام

1280 / 63 ـ 1864 وبها نشأ، غير أنه لم ينل من العلم إلا قليلا. لكنه عوض ذلك بعلم الحياة الذي ناله عن طريق الأسفار والرحلات التي كان يقوم بها دراكا خصوصا إلى الشرق العربي والتي أتاحت له أن يتعرفَ على شخصيات مرموقة في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والدينية والأدبية، من أمثال الشيخ الإمام محمد عبده والكاتب الكبير عبد العزيز البشري والمفكر الاجتماعي عبد الله نديم... بل ربط علاقة قوية بالسلطان العثماني عبد الحميد آخر السلاطين العثمانيين ! وقد مهّد له بعض هذا صديقه الحميم الشيخ أبوشعيب الدكالي الذي كانت طبقت شهرته الآفاق في مختلف البلاد الشرقية.

حجّ أربع عشرة مرة، بالرغم عن مشاقّ السفر آنذاك، وكان سفره لإحدى حجاته سببا في رزئه أسرته بكاملها، وكانت تتكون من زوجته وولده وبنته وخادمة، أكلتهم نيران الباخرة التي كانوا على ظهرها، ولم ينج من الحريق إلا أفراد قلائل، منهم المترجم، أنقذوا بعد قضائهم نحو يومين بالبحر، متشبثين ببعض أخشاب الباخرة المحترقة.

وتوفي عن نحو مائة سنة يوم عاشر ذي الحجة عام 1375 / 19 يوليوز 1956 ودفن بالقباب بروضة الشيخ يونس.

*معرفة شخصية* ؛ ع. السلام ابن سودة، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3315.

**الصقلي، عبد القادر** بن محمد بن أحمد المدعو السيد ابن أحمد ولد بفاس عام 1303 / 85 ـ 1886 وتلقى تعليمه بالقرويين على فطاحل العلماء لذلك العهد من أمثال أحمد ابن الخياط الزكاري ومَحمد القادري ومن لف لفهما.

انصرف اهتمامه بعد تخرجه إلى خطة التوثيق والعدالة، وأمكنه أن يكون على رأس العارفين بالقلم الفاسي المعروف بأنه قلم لا يجارى في ضبط الفرائض ضبطاً لا يفلت أدنى جزئيات الفريضة كيفما كانت. لم يتخذ له طيلة حياته المهنية مكانا بين العدول في السماط الذي كان مخصصا لهم جوار القرويين، وإنما جعل من بيته مكانا لاستقبال الواردين عليه للشهادة. وكان كما قال في *إتحاف المطالع* : "من آخر من أتقن الوثيقة بفاس".

عين بوزارة العدل بالرباط ضمن قضاتها المبرزين، لكنه اعتذر عن عدم الاستعداد لقبول هذا المنصب بحالة والدته الصحية التي كانت رفضت الانتقال إلى الرباط، ولم يكن لها من يُعنى بها سواه.

تخرّج على يده بعض من تألقوا في ميدان التوثيق والعدالة، والذين عين بعضهم في مناصب قضائية رفيعة بعد الاستقلال.

توفي بفاس ليلة السبت تاسع وعشرين صفر 1389 / 17 ماي 1969.

*وثائق عائلية* ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3416.

علي الصقلي

**الصقليّ، عبد الهادي** بن إدريس بن محمد بن العربي سليل شعبة الشرفاء الصقليين الحسينيين، الوطني المخلص الغيور، والمناضل المتواضع الصبور، كان من السباقين إلى التوقيع على وثيقة الاستقلال. ولد في فاس، سنة 1915، وتابع دراسته الابتدائية في الكتاب، ثم في مدرسة بني عدس التي حصل فيها على الشهادية الابتدائية. وتابع دراسته بثانوية المولى إدريس، وتخرج منها حاملا لشهادة الدراسات الثانوية، فالتحق بمعهد الدراسات الإسلامية العليا. ولما أنهى مشواره الجامعي هنالك سنة 1939، انخرط في سلك الوظيفة العمومية في هيأة الترجمة لما كان له من الملكة بزمام اللغتين العربية والفرنسية، ولإلمامه بعلوم القانون. واشتغل أول الأمر بإدارة الداخلية في الرباط. ثمّ عيّن ترجمانا لدى محكمة الباشا في فاس ابتداء من 1942. ولما كان من الجيل الأول من الشباب الوطني المؤسس للحركة الوطنية في العقد الثلاثيني من القرن العشرين، بما حصل في إعدادهم التعليمي من التجديد وبما ترتب على ذلك لديهم من الوعي بأسباب النازلة الاستعمارية وبكيفية التخلص منها، فإنه كان من المناضلين الوطنيين المرموقين ومن المنظور إليهم بعين الرضى والإعزاز في المغرب المنتفض. ولا غرابة في إقدامه على توقيع عريضة المطالبة بالاستقلال ليوم 11 يناير 1944، وكان ذلك بحضور المرحومين الحاج عمر ابن عبد الجليل ومحمد (فتحا) ابن سودة. ولم يبال بما كان لا بد أن يثير على نفسه من نقمة السلطات الاستعمارية، إذ زج به في سجن "برج النور" مع باقي الموقعين من مناضلي فاس. ثم لما أطلق سراحه، صدر الأمر بطرده من الوظيف. ولم يعد إلى ممارسة عمله إلا بشرط أن يشتغل خارج فاس، وكان ذلك ضربا من النفي المقنع، فاشتغل في تاوريرت بضعة أشهر. ولكن تاوريرت كانت قريبة الاتصال بفاس، بحيث لم ينقطع الربط بين المترجم له وبين أسرته وإخوانه في النضال. فأمرت السلطة الاستعمارية بإبعاده إلى شيشاوة في صيف 1944. وكان بعد الشقة بين تلك القرية وبين فاس لا يسمح بالصلة المتواترة المنتظمة. فأقام فيها مغتربا تحت المراقبة

الدائمة إلى سنة 1953، عندما اقتضى نظر المسؤولين الفرنسيين نقله من جديد إلى إدارة الداخلية المركزية في الرباط. وهناك عاش أيام ثورة الملك والشعب، التي كللت بالتخلص من عهد الحجر والاستعمار في نونبر 1955. وما أن تشكلت الحكومة المغربية الأولى بعد الاستقلال، وأسندت فيها وزارة العدل للمرحوم عبد الكريم ابن جلون حتى نادى على صديقه في الكفاح عبد الهادي الصقلي ليلتحق بسلك القضاء المغربي المحتاج يومئذ إلى من يجدد صرحه. فعيّن المترجم وكيلا لجلالة الملك في الجديدة، ثم رئيسا للمحكمة الابتدائية بها سنة 1958. ولبث هناك إلى أن عيّن نائبا لرئيس المحكمة في الدار البيضاء سنة 1962. وآخر مهمة قام بها، مهمة مستشار بمحكمة الاستئناف في المدينة نفسها. ومنها أحيل على المعاش سنة 1975. فالتزم بيته متتبعا لأحوال الوطن ونشاط حزبه، حزب الاستقلال، ولمصير الأمة الإسلامية في مغارب الأرض ومشارقها، يفعل الخير، ولا ينوي إلا الخير، شأن المؤمن السليم الطوية النقي الجانب، مذكورا لدى الجميع بلسان التقدير والاحترام. انتقل إلى جوار ربه يوم الاثنين 3 شعبان 1421 الموافق ليوم 21 أكتوبر 2001. وقد رثاه الوزير الأول الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي، فقال في رسالة التعزية في وفاته بأنه أحد أركان الحركة الوطنية، المجاهد الأستاذ الذي تحمل بصبر ويقين كل التضحيات التي بذلها من أجل وطنه.

*معرفة شخصية ؛ روايات شفوية.*

**الصقليّ، العربي** بن أحمد من الوجوه اللامعة في الصحافة المغربية المكتوبة والمسموعة والمرئية في النصف الثاني من القرن العشرين. ولد بمدينة الدار البيضاء يوم 2 دجنبر 1938. وما أن قطع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي حتى دخل ميدان الممارسة الصحفية. فاشتغل في صحيفة "لي بيتي ماروكان" Le Petit Marocain الصادرة في

المغرب. ثم ذهب إلى فرنسا، فاشتغل في الوكالة الفرنسية للصحافة، ثم في دار الإذاعة والتلفزة الفرنسية، ثم في جريدتي "لو موند" Le Monde و"الإكسبريس" L'Express. وعاد إلى المغرب سنة 1958 للعمل في دار الإذاعة والتلفزة المغربية بصفة مبعوث أول الأمر، ثم بصفة رئيس للتحرير. والصفة الأولى هي التي جعلته يغطي للرأي العام المغربي أحداث الحرب الأهلية في الكونغو سنة 1960. وكان العربي الصقلي من مؤسسي التلفزة المغربية. اشتغل بذلك فيما بين 1962 و1972. وظلت نشرة الأخبار باللغة الفرنسية في التلفزة مقترنة لعدة سنوات بما جبل عليه من ذلاقة اللسان وبملامحه الدالة على حسن طويته. وقد أصبح في تلك الأثناء مدير قسم الأخبار في دار الإذاعة والتلفزة.

ولما كان شغوفا بالعمل في الميدان، فإنه رافق البعثة العسكرية المغربية التي شاركت في معارك حرب 1973 بين العرب وإسرائيل في الجولان، فهو الذي غطى وقائعها للجمهور المغربي. ويوم استرجع المغرب صحراءه، في خريف سنة 1975، كان العربي الصقلي مندوب وزارة الأنباء في الأقاليم المسترجعة. وبقي هنالك إلى أن عاد إلى الإدارة المركزية للوزارة في الرباط ليشرف على قسم الأخبار. ثم إنه أقدم، ابتداء من 1982، على الاشتغال بالنشر، فأحدث شركة تحت اسم "نويفو ميديا" Nuevo Media، وأشرف على إصدار مجموعة من النشرات بالعربية وبالفرنسية، مثل "مواقع وحواضر" Sites et Cités، للتعريف بكبريات المدن المغربية وبمدى أصالتها، ومثل "ميموريال المغرب" Mémorial du Maroc، الذي هو عبارة عن جولات مثيرة في تاريخ المغرب. وآخر ما أشرف على نشره هو كتاب عن مدرسة الرسم المغربية، تحت عنوان "لمحات خالدة" Regards immortels، يحتوي على ترجمات كبار الرسامين وعلى نماذج مصورة من جيد إبداعاتهم، مما شهد على ما كان عليه العربي الصقلي من العناية بشؤون الفن ومن رقة الذوق ورغبة في خدمة الصالح العام. وكان رحمه الله من مؤسسي المعهد العالي للصحافة، كما كان هو الرئيس المؤسس للقسم المغربي من الاتحاد الدولي للصحفيين وللصحافة الناطقة بالفرنسية. وهو من حملة وسام العرش من درجة فارس. لبى داعي ربه على إثر نوبة قلبية يوم الثلاثاء 19 صفر عام 1416 الموافق ليوم 18 يوليوز 1995، مأسوفا عليه، مذكورا بلسان الخير لدى الجميع.

صحيفة Le Matin، عدد 8949، 21 صفر 1416 / 20 يوليوز 1995 ؛ *معرفة شخصية.*

إبراهيم بوطالب

**الصقلي الفرضي، أحمد** بن محمد بن أحمد الحسيني الفاسي فقيه متخصص في تقدير فرض النفقات، واشتغل به طوال حياته، وكان إليه المرجع في ذلك بفاس غير مزاحم، وله في الموضوع *أرجوزة* وصفها في *إتحاف المطالع*

بأنها "وحيدة في بابها". وله عليها شرح ضمنه اجتهادات الفقهاء في الموضوع.

توفي بفاس في شهر صفر عام 1214 / يوليوز - غشت 1799. ودفن بروضة الشيخ الحسن الصنهاجي برحبة الزيت.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2467.

**الصقلي القطب، أحمد** بن مَحمد الحسيني الفاسي، ولد بفاس سنة 1112 / 1700 وحفظ القرآن وتعلّم من الفقه ما يقيم به شعائر دينه، ثم تجرد للعبادة والتفكر "فكان يصوم بعض الأيام ويقوم بعض الليل ويتلو ما تيسر من القرآن ويطلب طريق التصوف ويطالع كتب القوم سيما شرح *الشيخ ابن عباد على الحكم* فإنه كان لا يفارقه ليلاً ولانهاراً، وكان له دكان يبيع فيه العطر بالعطارين الكبرى من ناحية المدرسة لاتراه فيه إلاّ مكباً على الشرح المذكور" (الإعلام، 2 : 386).

أخذ طريق التصوف عن الشيخ مولاي الطيب بن محمد الوزاني، وصحب سنين عديدة الفقيه الصوفي مَحمد الزبادي فزارا مراراً الشيخ مولاي عبد السلام ابن مشيش بجبل العلم، وحجّا سنة 1158 / 1745 وهي الحجة الثالثة بالنسبة للمترجم، فلقيا بمصر الشيخ مَحمد بن سالم الحفناوي شيخ الطريقة الخلوتية فأخذاها عنه وأذن لهما في تلقينها.

بدأ أحمد الصقلي يُحيي الليالي بالذكر مع مريديه في فاس ويلقنهم الطريقة الشاذلية الخلوتية، ولم تكن له زاوية وإنما كانوا يجتمعون في أماكن خاصة يذكرون فيها عشية يوم الجمعة، فكان يظل صامتاً مفكراً وهم يذكرون. ولقيه الشيخ أحمد التجاني أول ما قدم إلى فاس ولم يأخذ عنه لكنه كان كثير التعظيم له ويقول : "لم يدفن قطب بداخل سور مدينة فاس سوى مولانا أحمد الصقلي". وعلى يد المترجم انتشرت الطريقة الخلوتية بالمغرب، إذ أخذها عنه فيمن أخذ عدد وافر من الفقهاء والشيوخ المتصوفة مثل الشيخ التاودي ابن سودة الذي أفاض في التنويه به في *فهرسه* الشهير.

توفي بفاس بعد عصر يوم السبت سابع رمضان عام 1177 / 10 مارس 1764 ودفن ظهر الغد في دار بأقصى درب سبع لويات حيث بنيت له زاوية بعد موته.

التاودي ابن سودة، *تقييد في ترجمة أحمد الصقلي القطب*، مخطوط؛ *فهرس*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2220 - 2221 ؛ م. الزبادي، *سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية*، مخطوط ؛ ع. الواحد الفاسي، *غاية الأمنية وارتقاء الرتبة العلية في ذكر الأنساب الصقلية*، مخطوط ؛ م. الطالب ابن الحاج السلمي، *الإشراف على من بفاس من مشاهير الأشراف*، مخطوط ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، نشر. ع. العزيز تيلاني، الدار البيضاء، 1994 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 1300، ج 1 : 133 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1974، ج 2 : 386 - 392.

محمد حجي

**الصقلي، محمد** بن **أحمد** الحسيني، ولد ونشأ بفاس نشأة ورعة صوفية، هيأتها له أسرته التي كانت تعرف في الوسط الفاسي بذلك، كان يُدعى السيِّد، وله حظوة خاصة عند السلطان محمد بن عبد الرحمن وحظوة لدى الحسن الأول لأنه الذي أشرف على تنشئته وتربيته، وأصبح من أقرب المقربين إليه لا يفارقه حضراً ولا سفراً. وجرت العادة في التحركات السلطانية أنه كلما ضربت الخيام الملكية بمكان، كانت خيمة المترجم بجوار خيمة جلالته ويُسمح له بالبقاء على فرسه عند السلام على الحسن الأول قبيل انطلاق أيّ "حركة".

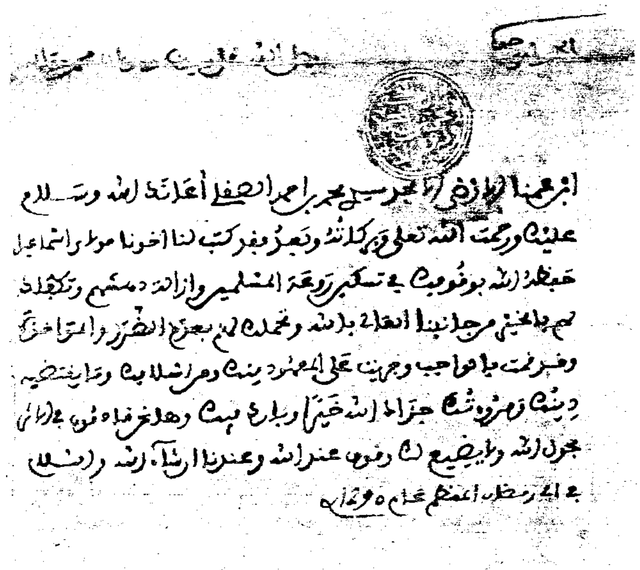
ابن عمنا الأرضى الأجل سيدي محمد بن احمد الصقلي أعانك الله وسلام
عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد كتب لنا أخونا مولاي إسماعيل
حفظه الله بوقوفك في تسكين روعة المسلمين وإزالة دهشتهم وتكلفك
لهم [illegible] بالله وتحملك لهم [illegible]
وقيامك بالواجب وجريك على المعهود منك ومن أسلافك وما يقتضيه
دينك ومروءتك جزاك الله خيرا وبارك فيك [illegible]
[illegible] عند الله وعندنا إن شاء الله والسلام
في [illegible] رمضان المعظم عام [illegible]

كان المترجم ينتدب لحل بعض الأزمات التي تقع داخل فاس، كما تدل على ذلك العديد من الظهائر التي وجهها إليه كل من سيدي محمد بن عبد الرحمن والحسن الأول، يخاطبانه فيها بابن عمنا بدلاً من العبارة التقليدية "خديمنا".

توفي بفاس يوم الخميس حادي عشرة ذي الحجة عام 1322 / 16 فبراير 1904، ودفن بزاويتهم في حي السبع لويات.

*وثائق عائلية*، *وظهائر ملكية* ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2836.

**الصقلي، محمد الجواد** بن عبد السلام ولد بفاس في العقد الأول من القرن الثالث عشر (19 م) وتربى تربية صالحة، تتميز باعتناق الفضيلة، والنأي عن الرذيلة، وبعد تجاوزه مرحلة الكتّاب القرآني انخرط في سلك طلبة القرويين. وتخرج منها بتفوق وهو ما يزال طري العود، واشتغل بالتدريس فكانت دروسه تنم عن طول باعه، وسعة اطلاعه وأخذ عنه جيل كامل من الطلبة، حتى عدّ شيخ الجماعة بفاس. وشارك في الحقل الوطني، فكان على رأس الذين امتنعوا عن توقيع العريضة التي عرضت على العلماء في موضوع مبايعة "ابن عرفة" فطرد من القرويين، وتسبب له

ذلك في ضائقة مالية شديدة إلى أن فرج الله كربته ببزوغ فجر الاستقلال، فأمر محمد الخامس الذي كان وثيق الصلة به قبل نفه، بتعويضه عما فات.

تولى عمادة كلية الشريعة بفاس، وهو المنصب الذي بقي فيه إلى أن أدركته الوفاة يوم خامس شوال عام 1392 / 12 نونبر 1972، ودفن بروضة الصقليين داخل باب عجيسة. وأقيم له حفل تأبيني بعد مرور أربعين يوماً على وفاته.

*وثائق عائلية، ومعرفة شخصية* ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3442.

**الصقلي، محمد** بن **عبد القادر** الضرير ولد بفاس عام 1324 / 6 . 1907 ولم يمر على ميلاده أكثر من شهر حتى أصيب بالجدري الذي أفقده بصره. دخل إلى القرويين وهو في أشد ما يكون شوقا إليها، وما إن استهل دراسته بها حتى بدأت مخايل ذكائه الحاد الذي عوضه الله به عن بصره تظهر لأساتذته وبذلك تسابق الطلبة لمرافقته.

كان محل تنويه من جميع الذين شاركوا في امتحان تخرجه كعالم من القرويين، وشارك بنجاح وتفوق في مباراة للتوظيف بنفس الكلية التي تخرج منها حديثا، ومنذ ذلك الوقت وهو يمارس التعليم بالقرويين حتى أصبح أحد المدرسين بالقسم النهائي الديني، وعرف عنه أنه كان فارسَ علم المنطق والتوحيد.

توفي بفاس يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأولى عام 1396 / 17 ماي 1976، ودفن بالقباب خارج باب الفتوح.

*وثائق عائلية، ومعرفة شخصية* : ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3464.

**الصقلي، مَحمد** بن **عبد الكريم** ولد بفاس وتابع دراسته بالمدارس العصرية، وكان على جانب كبير من الذكاء وقوة الشخصية، فاجتاز سنوات الدراسة جميعها ابتدائيا وثانويا وعاليا بنجاح جعله في أغلب الأحايين ينال الدرجة الأولى في كل امتحان.

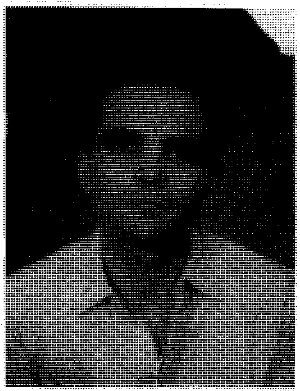

أولع بالأدب العربي قدر ولعه بالأدب الفرنسي، وكان من نتائج ذلك أنْ كان له قلم سيال فيهما معا، بل إنه كان يقرض الشعر بهما معا ؛ اشتغل أولاً بالتدريس، فكان أستاذاً لا معاً للغة العربية بثانوية أزرو، ثم نشط في المجال الصحفي فبدأ يكتب في بعض الصحف العربية المغربية وبعض الصحف الفرنسية. ونظراً لبزوغ نجمه في عالم الصحافة، عين رئيس قلم التحرير في جريدة *الرأي العام* التي كان يصدرها حزب الشورى والاستقلال على عهد الحماية، وكان لمقالاته فيها صدى واسع الانتشار، لما كانت تحويه من أفكار ونظريات غاية في الجرأة، كما كانت تحليلاته السياسية أحيانا، مثار إعجاب من طرف الساسة المغاربة.

توفي مأسوفاً على شبابه في حادثة سير وهو في طريقه من فاس إلى ايموزار خلال عطلة الصيف، أوائل صفر عام 1378 / 1958 أواسط أكتوبر ودفن بالزاوية الصقلية بفاس.

*معرفة شخصية* ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3344.

علي الصقلي

**الصقلي، محمد** بن **عبد الله** بن طاهر الحسيني الفاسي. قاضي الجماعة بمراكش ابن قاضي الجماعة بها، كانت لهما وجاهة ومكانة عند الموحدين.

ترجم له ابن عبد الملك في *الذيل والتكملة* وقال إنه روى عن إبراهيم ابن قرقول، وروى عنه علي بن القطن ومحمد بن حماد العجلاني وكان راوياً للحديث حافظاً لمتونة بصيراً بعلله، عارفاً برجاله، مشرفاً على طبقاتهم وتواريخهم، عني

بهذا الشأن أتم عناية، ودرس ببلده، واستدرك على *الأحكام الكبرى* لعبد الحق أحاديث كثيرة في أكثر الكتب (الأبواب) رأى أن أبّا محمد أغفلها وأنها أولى بالذكر.

... ومال وقتاً في فاس إلى التحليق بالوعظ والتذكرة، فانجذبت نفوس الناس على طبقاتهم إليه. وكان وقور المجلس، نظيف المجلس جميل الإشارة.

توفي بإشبيلية حين قدم الأندلس غازياً في وقعة العقاب سنة 608 / 11 ـ 1212.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، القسم الأول من السفر الثامن، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1984 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. 2، الرباط، 1976، ج 4 : 160 ـ 166.

محمد حجي

**الصقلي، محمد الفاطمي** بن الحسين الفاسي. ولد عام 1275 / 1859 بفاس، وما إن أتم مهمته بالكتّاب القرآني، واستظهاره للذكر الحكيم حتى أُخذ إلى متجر لأحد أعمامه بسوق التليس المتفرع عن العطارين، وشاءت الصدفة أن يأخذ مكانه، ذات يوم بعد صلاة العصر، بين طلبة إحدى حلقات الدروس بالقرويين، حيث ألقى سمعه إلى أستاذ كان يدرس في الغالب مادة أدبية سهل على المترجم فهم ما تضمنته، فأعجب بالأستاذ أيما إعجاب.

كان هذا سبب إقباله على الدارسة بالقرويين دراسة جعلته يتبحر فيما يخص جانب الفقه بما فيه الفرائض، قدر تبحره في علوم الآداب بمختلف ألوانها وأشكالها، الأمر الذي جعله يمتهن العدالة والإفتاء عن جدارة، كما جعل منه شاعراً كبيراً، لا سيما في فن التوشيح الذي تناهَى إليه، والذي برهن من خلاله على أنه جدير بأن يعد من أكبر الوشاحين حتى على صعيد أعلامه الأندلسيين.

قرأ عليه عدد من الأدباء الفاسيين وغيرهم علم العروض والقوافي وتدربوا بين يديه على قرض الشعر، في مصرية معلقة على الساباط الذي بين مكتب سيدي النالي ودار بوعلي المعروفة بمصرية دار عديل بفاس. لأن المقامات والشعر لم تكن تدرس بالقرويين منذ القدم. ومن بين الآخذين عنه إدريس التناني ومحمد بن جعفر الكتاني وإدريس بن طلحة.

للمترجم ديوان شعر كبير تركه وديعة عند أحد أبناء عمه عندما خرج إلى الحج، فضن بإطلاع أي أحد عليه حتى عُدّ الديوان مفقوداً. وأخيراً تم العثور عليه، فجمعه كاتب هذه السطور وحقق القسم الأول المتضمن للموشحات وطبعه بعنوان : *الفاطميات : موشحات*. وسينشر القسم الثاني المتعلق بالشعر.

كان الفاطمي الصقلي إلى جانب شاعريته ناثراً بليغاً، له *مقامات* ضاع أكثرها ورحلة بعنوان : *النفحة الشمالية الغالية الأنفاس في الرحلة الحمّالية لزيارة قطب فاس*. *وكتاب في الوفيات*، أدمجه ابن سودة في *إتحاف المطالع* ؛ كما كان فقيهاً موثقاً له *فتاوى* وردود فقهية على بعض معاصريه من القضاة والمفتين.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، ج 7 : 106 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2795 ؛ ع. الصقلي، *لمحة عن الشاعر محمد الفاطمي الصقلي / تقدم الفاطميات موشحات*، الدار البيضاء، 2001.

علي الصقلي

**الصقلي، محمد بن الوعدودي** مقاوم من مواليد سنة 1927 بمدينة العرائش، تعرف عند انتقاله إلى مدينة الرباط عاصمة المملكة على المقاومة وبعض رجالاتها المرموقين فدفعه حماس الشباب وغيرته الوطنية إلى الانضمام إلى الخلايا السرية التابعة للمقاومة المغربية بحكم الحضور

المستفز لسلطة الاستعمارية داخل العاصمة فإن المقاومة عمدت إلى التحرك السري، فكانت كل العناصر تتحرك بسرية كبيرة لدرجة أن المستعمر كان يجد صعوبة حقيقية وهو يحاول رصد هذا التحرك وكان الصقلي منضويا ضمن منظمة أنصار محمد الخامس بالرباط والتي كانت تحت مسؤولية مصطفى العبدي.

قام بعدة أعمال فدائية شجاعة وجليلة إلى جانب إخوانه المقاومين فكان تارة يجلب السلاح من الشمال أي المنطقة الخليفية وتارة يكلف بعملية فدائية في العاصمة إلى أن استشهد يوم 28 فبراير من سنة 1956 بحي العكاري بالرباط برصاص قوات الاحتلال.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524794.

**الصقلي، مَحمد بن يحيى** ولد بفاس وبها نشأ وتربى وأخذ قسطا لا بأس به من العلم مكّنه من أن يستزيد منه اعتماداً على نفسه، فأقبل على قراءة الكتب في مختلف الميادين، خاصة منها الكتب الأدبية العصرية سواء منها الشعرية أو النثرية، وبلغ به ولعه بالكتب أنه أخذ يتاجر فيها حيث انتقل إلى الدار البيضاء، وفتح مكتبة عرفت باسمه، حلاه الإدريسي في معجم *المطبوعات* "بالفقيه الأديب الأريب الكاتب الشاعر الناقد. كان جوالاً يميل إلى الأدب ويكاتب الأدباء مع أريحية".

وفي هذا الجو الذي تتفتق فيه القرائح، وتستيقظ الملكات، أخذ المترجم يكتب المقالات في بعض صحف ذلك

العصر، بل أخذ ينظم الشعر في مختلف الأغراض، غير أنه شعر لا يكاد يمتاز بشيء عما كان يطبع الشعر في ذلك العهد من ضعف في المعنى والمبنى، واعتماد المدح كأهم غرض. من آثار قلمه : *رحلة إلى تركيا* نشرت تباعاً في جريدة *السعادة* ؛ كتاب *الخريدة الغيداء في وصف الدار البيضاء*، طبعت بتونس سنة 1924 ؛ *تنبيه المستبد حيث على جهله يعتمد*، فرغ من تأليفه في 19 محرم عام 1326، طبع بفاس ؛ *نيل الأماني بتشطير قصيدة أم هاني*، طبع بمراكش، سنة 1343 ؛ *نبذة الزهريات*، تشتمل على مساجلات مع شعراء من معاصريه، طبعت بتونس سنة 1924 ؛ *ديوان شعر يقال إنه طبع على الحجر بفاس*.

توفي بالدار البيضاء عن نحو أربعين سنة، عام 1354 / 35 ـ 1936.

أ. النميسي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، فاس، 1924 ؛ ع. ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الدار البيضاء، ط 2، 1960، ج 2 : 357 و383 و413 ؛ *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 3043 ؛ ع. كحالة، *معجم المؤلفين*، دمشق، 1957 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988، ص. 207.

علي الصقلي

**الصقليون**، من بيوتات فاس الكبرى، يتصل نسبهم بالحسين بن علي بن أبي طالب. وقد غلبت عليهم النسبة إلى صقلية الجزيرة الشهيرة في البحر المتوسط التي فتحها العرب في مطلع القرن الثالث (9 م) ومكثوا فيها قرنين ونصف قرن ناشرين لغتهم وحضارتهم. ودخل صقلية في تلك الحقبة أسر عربية نبيلة، منها آل الحسين سبط الرسول عليه السلام الذين عُرفوا بالصقليين بعد خروجهم من الجزيرة في جملة من خرج منها من المسلمين أواخر القرن الخامس (11 م) واستوطنوا مدن فاس وسبتة وطنجة.

يمثل الحُسينيون الفرع الثاني لآل البيت بالمغرب، بعد الأدارسة الحسنيين السابقين إلى الدخول إلى المغرب أواخر القرن الثاني (8 م) مع إدريس الأول. وقد عُني النسابون المغاربة والأندلسيون بالبحث في شرف الصقليين وسلسلة نسبهم المتصلة بالحسين السبط عن طريق موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين. ومن هؤلاء النسابين إسماعيل بن الأحمر في *حديقة النسرين*، والإمام محمد القصار في *الروض الزاهر*، وشيخ الجماعة بفاس محمد المسناوي الدلائي في *نتيجة التحقيق* الذي قال فيه "... فكان من منة الله عليّ أن وقع بين يدي جزء من *حديقة النسرين* لابن الأحمر بخط يده رفع فيه نسبهم (الصقليين) في غير موضع إلى الحسين رضي الله عنه". وكان الصقليون يُدعون أيضاً طاهريين، نسبة إلى جدهم طاهر بن الحسن الصقلي، ثم أصبح الصقليون والطاهريون فرعين متميزين من شرفاء المغرب الحُسينيين (انظر الطاهريين في *المعلمة*).

تمتع الصقليون الطاهريون بحظوة كبيرة لدى ملوك الموحدين، فولّوهم قضاء الجماعة بمراكش، واستصحبوهم في جوازاتهم الجهادية إلى الأندلس، واستمر تعظيمهم وتكريمهم في الدول التي توالت بالمغرب إلى اليوم.

وذكر صاحب *إزالة الالتباس* أن الصقليين الفاسيين على ثلاث فرق : الأولى أهل مصمودة ودرب الدرج وكانوا يُعرفون بالسبتيين لأنهم أقاموا مدة بسبتة قبل أن ينتقلوا إلى فاس، انقرضوا بموت محمد بن العربي الصقلي السبتي سنة 1059 / 1649 ؛ الثانية يعرفون بالصقليين الطاهريين، استقروا مدة بالأندلس قبل أن ينتقلوا إلى المغرب ويستوطنوا مدينة فاس. ومازالت بها بقيةٌ منهم إلاّ أنهم غلبت عليهم نسبة الطاهريين ؛ والفرقة الثالثة سكناهم بزنقة حجامة، ومنهم القطب أحمد بن محمد، والقاضي عبد الهادي، والشاعر محمد الفاطمي، وسائر الصقليين المعاصرين.

م. ابن الأبار، *التكملة*، طبعة إسبانيا ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، القسم الأول من السفر الثاني، تح. م. ابن شريفة، الرباط، 1984 ؛ إ. ابن الأحمر، *حديقة النسرين في أخبار بني مرين*، مخطوط ؛ بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية* العبد الحقية، الجزائر، 1339/ 1920 ؛ م. بن سعيد الهنا قاضي دكالة وأزمور، كنز *الأسرار ولواقح الأفكار*، مخطوط ؛ م. القصار، *الروض الزاهر في نسب سيدي محمد طاهر*، مخطوط ؛ ع. الواحد الفاسي، *غاية الأمنية وارتقاء الرتبة العلية في ذكر الأنساب الصقلية ذات الأنوار البهية*، مخطوط ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ط 2، المحمدية، 1999، ج 2 : 220 ـ 221 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ط 2، الرباط، 1976، ج 4 : 160 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 : 96 ـ 99.

محمد حجي

**الصقيع** يقصد بالصقيع حالة انخفاض حرارة الهواء إلى درجة متساوية أو أقل من الصفر وهي الحالة التي يترتب عنها طبعا تجمد الماء الموجود على السطح. ويميز عادة بين نوعين من الصقيع تبعا للأسباب المحدثة له والمتمثلة في حالتين جويتين تنخفض معهما درجة الحرارة إلى مستويات دنيا ينجم عنها في الغالب حدوث صقيع.

الحالة الأولى وتحدث أساسا خلال فصل الشتاء هي تقدم مهم للكتل الهوائية القطبية أو الأركتية الباردة باتجاه العروض المغربية في أعقاب توقف لحظي لنشاط الاضطرابات مما يسمح بتدفق هائل للهواء البارد نحو الجنوب الشيء الذي يسفر عن نزول محسوس جداً لدرجات الحرارة في كل المناطق المغربية وخاصة منها المناطق القارية فينتج عنها هنا وهناك حالات كثيرة من الصقيع.

الحالة الثانية والتي تسمى بصقيع الإشعاع تصاحب عادة حالات الاستقرار الكبير للهواء والناجمة عن تمركز الضغوط الجوية المرتفعة فوق شمال إفريقيا أو امتدادها للالتصاق بتلك التي تهم أوروبا الشرقية وهي حالات تتردد كثيرا خلال فصول الخريف والشتاء والربيع وتكون أكثر حدة خلال فصل

الشتاء. فهدوء الرياح وصفاء السماء خاصة خلال الليل يجعل الفقدان الحراري يكون على أشده مادامت الطاقة المنبعثة بواسطة الإشعاع الأرضي الموكول لها تسخين الهواء تستنفد لعدم وجود سحب تحبسها وتعيدها إلى طبقات الجو السفلى فهي بهذا المعنى طاقة مفقودة. والذي يزيد من حدة هذا الفقدان هو ثانية طول مدة الليل خلال فصل الشتاء، ففي فترة متأخرة من الليل يتوقف مفعول التسخين بواسطة الإشعاع الأرضي فتنخفض بشكل محسوس درجة حرارة السطح ومعها طبقات الهواء الملامسة له والتي تنزل إثر ذلك إلى ما دون الصفر. انخفاض الحرارة هذا يؤدي طبعا إلى تجمد الماء لكن أيضا إلى حدوث تكثّف للهواء يؤدّي إلى تحول الماء داخل الهواء من حالة غاز (بخار الماء) إلى حالة ماء سائل وهي القطرات الدقيقة من الماء المكونة للسحب أو تلك التي تُكوّن قطرات الندى وتظهر على شكل بلورات جليدية على النباتات خلال حدوث صقيع والتي تكون بالتالي أبرز مظاهره. يبدو إذن أن حدوث الصقيع يرتبط بظروف جوية خاصة هي المسؤولة عموماً عن الانخفاض المهم للحرارة لكن إذا كانت هذه الظروف في الحالة الأولى تعني سيادة كتل هوائية أصلا باردة تخضع مناطقنا لفعل أثيرها المميز حيث تبقى هذه الحرارة جد منخفضة جداً لأيام متتالية وخاصة في المناطق الداخلية والجبلية بوجه خاص مع مدى يومي نسبيا ضعيف. لكن ظروف الحالة الثانية تعمل في المقابل على جعل هذه التفاوتات الحرارية بينيومية ويومية (النهار ـ الليل) تكون مهمة مع استمرارية كبيرة يمكنها أن تتعدى الشهر وخاصة خلال منتصف فصل الشتاء.

يمكن للصقيع أن ينتشر على مناطق واسعة داخل التراب المغربي حيث إن التردد الأقصى لعدد أيام الصقيع تكون عادة أكبر على وجه الخصوص داخل المناطق الجبلية حيث تنزل الحرارة إلى درجات جد منخفضة جداً خلال الليل في حين تسجل تواترا إلى حد ما أقل في باقي المناطق بما في ذلك الساحل الأطلسي Bidault, Debrach (1934) ; Lecoz (1964) ; Debrach et al (1958).

ويمكن الإشارة هنا إلى أن التغيرات المناخية التي عرفها المغرب خلال العقدين الأخيرين والتي أدت إلى تنامي ظاهرة الجفاف وما يترتب عن ذلك وفي المقابل إلى الزيادة في تردد أكبر لأنماط الطقس الصحو على السواء خلال فترات الخريف أو الشتاء أو الربيع إلى الزيادة أيضا في عدد أيام الصقيع يؤدي بدوره إلى إحداث تغير نسبي في المناخ الحراري المغربي يمكن الحديث عن بعض مؤشراته في تسجيل درجة واحدة تحت الصفر خلال ليلة 1 إلى 2 فبراير 1999 في محطة الرباط وهي درجة قياسية جديدة منذ 1976.

J. Debrach, G. Bidault, *Les gelées nocturnes sur le littoral marocain*, C.R. Session Ass. Fr. Av. Sci. Rabat, p. 88 - 97, 1934 ; J. Debrach, J. Ousset, M. Michel, *Données nouvelles sur la température de l'air au Maroc*, A. Serv. Phy. globe et météorl. Inst. Sci. chérif. Rabat, t. 18, p. 67 - 116, 1958 ; L. Lecoz, *Le Gharb - Fellah et clous*, Thèse, p. 131 - 177, 1964.

علي البلشي

**صلادي، عباس** (رسام) ولد سنة 1950 بمراكش. وبعد حصوله على الباكلوريا بمراكش تابع دراسات فلسفية لمدّة قصيرة ليتخلى عنها ويتفرغ للتشكيل. ولأن الممارسة الفنية تمثل لديه أسلوب حياة وممارسة وجودية، فقد استقر بأحد الحوانيت بالمدينة القديمة، وجعل منه معمله ورواقه في الآن نفسه، يشتغل به مثله مثل كل صانع تقليدي ويبيع منتجاته بأبخس الأثمان، همه في ذلك ليس إبراز تحررية الفن وإنما

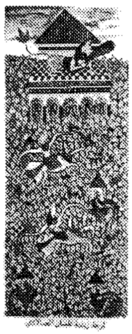

جعله إنتاجا من ضمن الخبرات المادية والرمزية للإنسان المغربي.

كان أول معرض قدمهُ صلادي في ساحة جامع الفنا سنة 1977. وكأنه بذلك استعرض أعماله في فضاء المتخيل المغربي بامتياز، لتتمازج وتتجاوب مع حكايات سيف بن ذي يزن والهلالية والعنترية، ومع لعب حواة الثعابين وروائح العطور والبخور ونكه الأطعمة العابقة في الفضاء. وإذا كانت معارضه الأولى قد تمت في مراكش، خاصة بالمعهد الفرنسي، فإن الجمهور المغربي قد تعرف عليه في الثمانينيات بقاعة المعمل بالرباط، ثم بقاعة نظر وبصمات بالدار البيضاء، ليتعرف الجمهور الغربي على أعماله في معارض جماعية بمدريد وباريس في أواخر الثمانينيات، قبل أن يوافيه الأجل عام 1992.

إن عالم صلادي عالم حكائي، فهو يروم صوغ لحظات وفضاءات تتميز بمشاهد ترغب دائما في قول شيء ما. فثمة شخصيات وأفعال وحركات وعلاقات وعلامات، أي كل العناصر المشكلة للحكاية. بيد أن تلك الحكائية والمشهدية تتميز بالتعقيد والتركيب، وتنحو منحى فنطاسيا، بحيث يجد المشاهد نفسه أمام تحويلات متعددة لفضاءاته المرجعية. فكل العناصر الواقعة من إنسان وحيوانات وفضاءات (حديقة، حمام، شارع، دكان... الخ) تتخذ صبغة عجيبة تذكرنا بالفضاءات المتخيلة التي نحياها في الخرافات والأساطير والنصوص القديمة.

ينزع صلادي دائما إلى عملية التهجين (التركيب بين مكونات متنافرة)، وهي عملية مجازية تمكنه من الصوغ الجديد للشخصيات والفضاءات، بالشكل نفسه الذي تعمد إليه الحكاية العجيبة الشعبية. هكذا يحمل الكائن الإنساني

رأسا حيوانيا أو أشبه بالحيواني، وتأخذ الحيوانات رؤوسا إنسانية. غير أن هذه اللعبة البلاغية ليست دائما بهذه البساطة. فالرأس الحيواني للإنسان لا ينزع عنه إنسانيته. إن شكله يحيل إلى الحيوان فيما يحتفظ ببعض عناصره الأصلية (الشعر مثلا). من ثمة فإن التحويل الذي يمارسه صلادي على شخصياته يمر من خلال التقريب والتغريب بين المتنافرات من غير تركيب كلي. كما أن التركيب قد يكون بسيطا أو مركبا. فهو بسيط لأنه يركب بين عنصرين، وهو مركب حين يتجاوز ذلك إلى ثلاثة عناصر فأكثر. فالأسد الرابض مثلا (1988) يتم تغريبه أولا وقبل كل شيء، من خلال الفضاء الفسيفسائي الذي يربض عليه، مانحا إياه منذ البدء بعدا إنسانيا، ثم من خلال تحويل الرأس إلى شكل ورقة، ثم يمنح الورقة مضمون الوجه الإنساني وتحويل القوائم الأمامية إلى يدين أنثويتين.

ثمة تنويعات كثيرة على تلك اللعبة البلاغية التهجينية، ومن خلالها يمنحنا صلادي عالمه العجيب، الذي يشي برؤية فكرية للعالم تتعالى على عفوية وبساطة الفن الخام أو البدائي الساذج. وكأنه بذلك يمارس إعادة خلق للعالم تنتفي فيها الحدود بين مكوناته النوعية الكبرى من حيوان ونبات وجماد، عالم متمازج ومتعاضد يتم فيه تبادل الأدوار وتغيب فيه التراتبية المبنية على العقل. هذا التصور يسعى إلى استعادة صورة العالم الأولى حيث الفضاء الطبيعي والبشري عبارة عن جنة تتكلم فيها الحيوانات وينطق فيها الطير ويطير فيها الإنسان. من ثم فإن لوحات هذا الفنان عبارة عن استعادة خصوصية للفردوس المفقود بجماله وخلائطه النوعية. بيد أنها استعادة شخصية تنبئ عن تصور خاص للوجود ولميتافيزيقاه الصميمة. ويتبدى ذلك بوضوح في نمط من اللوحات التعبيرية التي يزاوج فيها صلادي بين الرمزية والتهجين ويسعى فيها إلى الكشف عن منظوره للحياة. ففي لوحة من أواخر الثمانينيات، يبدو الكائن في شكل رجْلين تنفتح ساقاهما على العالم ويتحول فيها باقي الجسم إلى بحر تبدو فيه الحيوانات المنوية عبارة عن أزهار مورقة فيما يأخذ أسفل الرجْلين شكل العضو الأنثوي الذي يسيل باتجاه حوض، ووراء الرجْلين (الكائن) ثمة طائر مسجى له وجه أنثوي. وبهذا يحملنا الفنان إلى صلب التجربة الحياتية ومتخيلها الخصيب، متمثلا إياها في شكل طبيعي يتجاوز بكثير تصورنا العلمي لها، ليزج بها في عمق التعبير الطفولي والخيالي للوجود.

يمتح صلادي تقنياته التصويرية من الإرث البصري للفنون الإسلامية من توريق ومنمنمات. ولذلك، فإنه يستعمل تقنية الرسم التي تعتمد الدقة في التخطيط والمهارة والإتقان في تكوين التداوير. وهو لا يسعى بذلك إلى المحاكاة التشخيصية للواقعي، وإنما في صوغ شخصياته وفضاءاته وكائناته بما يتناسب مع منظوره الحلمي الخرافي. وغالبا ما تحيل شخصياته على الرسوم الفرعونية، ووضعياتها على تقنية المنمنمة. لذا ليس من الغريب أن يستعمل الفنان في الغالب الأغلب الحبر الصيني كمادة والورق كسند. وتتشكل تلويناته من الألوان الواضحة من غير مزج أو تعديل. فما يبتغيه هو التصوير لا الاشتغال على المواد، لا التجديد في التقنية وإنما في الموضوع والمنظور. وهو بذلك يعيد الحياة لتقليد بصري تليد، وجد نهضته الأولى في القرن الماضي على يد الجزائري محمد راسم، وبالمغرب على يد عبد الكريم الوزاني في النصف الأول من هذا القرن، بالرغم من الاختلاف الأكيد في الرؤى والمبتغيات.


ع. صلادي، *كاتلوغ تأبين*، مراكش، 1993.

M. Sijelmassi, A. Khatibi, *L'art contemporain au Maroc*, ACR, Paris, 1989 ; M. Sijelmassi, *La peinture marocaine*, Arthaud, Paris, 1972 ; Toni Maraini, *Ecrits sur l'art*, Al Kalam, Rabat, 1986.


فريد الزاهي

**الصلب** (أو الفولاذ)، أصل الكلمة لاتيني : أسياريوم (Aciarium) مشتقة من أسياس (Acies) وتعني سنان أو باتر؛ وهو خليط مكون أساسا من الحديد والكاربون (1,8٪ على الأكثر) ؛ وأحيانا من الحديد والمنغنيز أو السيلسيوم، أو الفوسفور، أو النيكل، أو الكروم، أو المولبيدين، أو الفانديوم. ومن ميزات الصلب قابليته للحصول على خصوصيات مختلفة ومتنوعة بالمعالجة الميكانيكية والحرارية. كما ترتبط الخاصيات الفيزيائية لمختلف أنواع الصلب، قبل كل شيء، بنسبة الكاربون، وكذلك بالطريقة الموزع بها هذا الأخير في الحديد.

تعتبر عملية صلادة الفولاذ الطريقة الأساسية لتصلُّبه بالمعالجة الحرارية ؛ وتكْمُن هذه العملية في تسخين المعدن إلى حدود درجة 800، حيث يُكون سائلا صلبا من الكاربون في مادة الحديد، ثم يبرد هذا الأخير فجأة داخل الماء أو الزيت. يسوق الصلب تحت أشكال مختلفة، نذكر منها القضبان، الأنابيب، السكك الحديدية، الروافد، الخ.. ؛ وتصنع هذه الأخيرة داخل مصانع الفولاذ بعملية التصفيح وبتغيير شكل السبائك المسخنة.

يصنف الصلب حسب تكوينه إلى عادي وممتاز. يمثل "الصلب العادي" أكثر من 90٪، حيث يحتوي على كمية متغيرة من الكاربون (1,8٪ على الأكثر، والمنغنيز (ما بين 0,3٪ و0,5٪) والسيلسيوم (ما بين 0,1٪ و0,6٪) والكبريت 0,05 على الأكثر) والفوسفور (أقل من 0,05٪). ويدخل هذا النوع من الصلب في صناعة الآلات، والسيارات، والمنشآت العمرانية (أبنية، قناطر، وغيرها)، وأجفان السُّفن.

إلا أنه، ولاستعمالات خاصة، لا بُد من "الصلب الممتاز"، ذي التركيبة الخاصة ؛ فهو يشتمل على الفانديوم والموليبدين وغيرهما، زيادة على احتوائه على كمية أكبر من المنغنيز، والسيلسيوم، والنحاس مقارنة مع "الصلب العادي". ونذكر من بين أصناف الصلب الممتاز :

1 ـ صلب النيكل : ويحتوي على ما بين 2٪ و40٪ من النيكل، مما يجعله يكتسب قوة صلادية جيدة، وخاصيات ميكانيكية متميزة، ومقاومة عالية ضد عملية التآكل. ولهذا كله، يستعمل صلب النيكل لصناعة قطع غيار محركات السيارات.

2 ـ صلب الكروم : ويشتمل على 1٪ إلى 18٪ من الكروم، الذي يعطيه مقاومة أقوى ضد التكسر، ويستعمل كصلب لمدرجات الكرويات والمعدات.

3 ـ صلب النيكل والكروم : نذكر من بين أنواع صلب النيكل والكروم، الصلب اللؤلؤي (6٪ من النيكل و2٪ من الكروم على الأكثر)، والصلب المعدني المحتوي على نسبة أكبر من الكروم والنيكل ؛ المتميز بعدم تأكسده، وكثرة لمعانه، وقدرته على مقاومة التآكل. ويستعمل في صناعة الأنابيب، ومستودعات تكرير البترول، والطائرات، والكبسولات الفضائية ولوازم المطبخ.

D. Reig, *Dictionnaires Arabe-Français, Français-Arabe, As-Sabil*, Collection Saturne, Librairie Larousse, 1986 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français-arabe)*, Rabat, 1990 ; *Dictionnaire Encyclopédique*, Edition Larousse/VUEF, 2001 ; *Encyclopédie*, Microsoft, Encarta 2002.

عبد الله بوصحابة

**الصلة المخزنية**، نوع من العطاء أو الراتب الذي كان السلطان يمنحه من بيت المال على يد الأمناء للشرفاء والمرابطين والعلماء والقضاة والأئمة والطلبة والجند. وهو تقليد مغربي مخزني عرف منذ تأسيس الدولة العلوية. والصلة حسب المراسلات المخزنية خلال القرن الثالث عشر (19 م) صنفان : عامة وخاصة، نقدية وعينية، منتظمة شهرية وسنوية وغير منتظمة. فالصلة العامة شملت كافة العناصر المعنية والغرض منها حسب ملفوظ الرسائل المخزنية إعانة المحتاجين والإحسان إليهم، أما الصلة الخاصة فإنها اقتصرت على الأعيان والمراد بها الرعاية السلطانية وتوطيد العلاقات الودية بين السلطان وهؤلاء. وقد تفاوت محتوى الصلة المخزنية حسب المكانة الاجتماعية والسياسية لأعيان الشرفاء والمرابطين وفعاليتهم في الخدمة المخزنية. وبخصوص العلماء تم توزيع الصلة المخزنية تبعا لمرتبتهم العلمية. والملاحظ من نصوص الوثائق أن الصلة النقدية كانت أقل من الصلة العينية التي تألفت من المواد الغذائية الأساسية كالقمح والإدام والخليع والماشية والسكر والأتاي الطاغيين في الرسائل لانتشار استهلاكهما في الأعياد والحفلات العائلية والضيافة، كما شملت الأثواب المستعملة في لباس الرجال والنساء والأطفال والخدم. والملاحظ كذلك أن المحتوى المادي للصلات المخزنية تأثر بالظروف الاقتصادية كما وقع في مطلع القرن العشرين، حيث شهد عهد السلطان مولاي عبد العزيز نقصا كبيرا في صلة العلماء والشرفاء نتيجة للأزمة المالية والاقتصادية، وبالتحول الذي طرأ على علاقة الفئات المعنية بالمخزن.

ع. الرحمان بن زيدان، *العز والصولة*، الرباط، 1962، الجزء الثاني، ص. 163 وما بعدها ؛ م. عمراني، *جامع القرويين والحماية*، رسالة جامعية، كلية الآداب، الرباط، 1989، مرقونة، ص. 62 ـ 68 ؛ *الشرف والمجتمع والسلطة السياسية*، أطروحة الدولة، كلية الآداب، الرباط، 2001، مرقونة، ص. 468 ـ 477.

محمد عمراني

**صَلْدُور**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1116.

محمد ابن عزوز حكيم

**الصمطة** أو السمطة، مجموعة من الأسماك البحرية جسمها طويل مضغوط شريطي الشكل، رمادي إلى أزرق فولاذي فضي اللمعان. ويسمى أيضا السبتة والسيوف في بعض الأسواق السمكية المغربية كالعرائش وطنجة والحسيمة. تصنف علميا إلى فصيلة تريكيوريدي Trichiuridae ومنها ثلاثة أنواع شائعة في البحار المحيطة بالمغرب. تتميز بفم كبير غير قابل للتمديد وبفك سفلي بارز جدا. الأنياب ضارية على الفكين معوجة على الجهة الأمامية للفك العلوي. الزعنفة الظهرية طويلة تمتد من خلف العين إلى الذيلية وتتكون من جهة شوكية أمامية قصيرة متبوعة بالجهة الرخوة.

إنها أسماك شرسة مفترسة تعيش في المياه العمقية على الرمال والوحل بعقبة الجرف القاري والهضبة القارية. تصعد ليلا قرب سطح البحر فتصاد عن طريق الصدفة بالشباك الحلقية وبالجيبيات وبحبال الصنانير العمقية وبصنارة اليد. موجودة طول السنة في الأسواق السمكية المغربية وتستهلك طرية ومبردة.

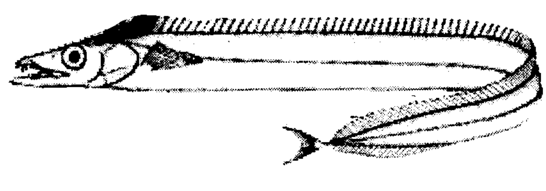

1 ـ الصمطة الفضية Lepidopus caudatus تسمى أيضا سنتورة وسيف في مختلف أسواق الأسماك المغربية. تدعى بالفرنسية Sabre argenté وبالإنجليزية Silver scabbardfish وبالاسبانية Pez cinto. لون الكبيرة أسود داكن على الرقبة

والجهة الأمامية للظهرية. الحوضيتان صغيرتان تتكونان من شوكة على شكل حرشفة والذيلية صغيرة جدا ومتشعبة. تحمل الرقبة قنزعة ناتئة جلدية. 3 زوجات من الأنياب الأمامية على الفك العلوي وزوجة واحدة على الفك السفلي متبوعة بأسنان دقيقة على القوس الفوهي. الزعنفة الظهرية منحدرة وطويلة جدا تتكون من 9 أشواك و90 ـ 107 أشعة لينة، الصدريتان على شكل مثلث لهما 12 شعاعا لينا، الشرجية طويلة ومنحدرة، تتكون من شوكة بدائية ومن شوكة على شكل قلب ومن 60 ـ 65 شعاعا لينا، الجسم خال من الحراشف، الخط الجانبي منحن جهة الصدريتين ومستقيم على الواجهة البطنية. يقع الشرج وسط الجسم. يبلغ الطول الأقصى للكبار 210 سم بوزن لا يتعدى 2 كيلوجرام، وشائع بين 50 ـ 100 سم. يتوالد في الشتاء والربيع ويتغذى من الأسماك والقشريات والرخويات رأسيات القوائم. توزيعه الجغرافي مقتصر على حوض البحر المتوسط الغربي والسواحل الأطلنطية الممتدة من فرنسا إلى المغرب ويعيش أيضا في سواحل إفريقيا الجنوبية ونيوزيلاندا وأستراليا.

2 ـ الصمطة السوداء Aphanopus carbo تسمى أيضاً سنتورة وسيف في مختلف أسواق الأسماك المغربية ويصعب تمييزها من الفضية. تدعى بالفرنسية Sabre noir وبالإنجليزية Balck scabbardfish وبالأسبانية Sable negro. قريبة الشبه بالصمطة الفضية وتختلف عنها بعدم وجود الحوضيتين عند الكبيرة. الذيلية صغيرة جداً ومتشعبة. يبلغ الطول الأقصى للكبار 114 سم، وشائع بين 50 ـ 75 سم. يقتصر توزيعها الجغرافي على السواحل الأطلنطية الإفريقية.

3 ـ الصمطة غمد الخنجر Trichiurus lepterus تسمى أيضاً سنتورة وسيف في الدار البيضاء والصويرة وأكادير والعيون وطان طان. تدعى بالفرنسية Poisson-sabre commun وبالإنجليزية Largerhead hairtail وبالأسبانية Pez sable. الحوضيتان والذيلية منعدمة. يتقلص الجسم تدريجيا نحو الخلف لينتهي برأس مستدق. الجانب السفلي لغطاء الغلاصم مقعر. يحمل الفكان زائدة جلدية. زوجة واحدة من الأنياب الضارية على الفك السفلي و2 ـ 3 زوجات على الفك العلوي متبوعة بصف واحد من الأسنان الجانبية المضغوطة والحادة. تتكون الظهرية من 3 أشواك و135 شعاعا لينا، الجسم خال من الحراشف، الخط الجانبي معوج جهة الصدريتين ومستقيم على الواجهة البطنية. الصدريتان شفافتان تقريبا والزعانف الأخرى مصفرة شاحبة. يبلغ الطول الأقصى للكبار مترين بوزن لا يتعدى 2 كيلوكرام، وشائع بين 50 ـ 100 سم. يتوالد في الصيف بين يوليوز وغشت ويتغذى من الأسماك والقشريات والرخويات رأسيات القوائم. توزيعه الجغرافي واسع جدا يشمل معظم المناطق الحارة والمعتدلة كالبحر المتوسط والمحيط الأطلنطي والمحيط الهادي.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

D. Lloris & J. Rucabadon, *Guide d'identification des ressources vivantes du Maroc*, FAO, 1998, 263 p.

محمد الرمضاني

**صُمْعَان**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس انجبت بعض الفقهاء تذكر الوثائق منهم : محمد بن محمد صمعان فقيه تولى خطة العدالة بتطوان سنة 1218 (1803) وعبد السلام بن أحمد صمعان فقيه كان بقيد الحياة سنة 1124 (1712).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون، 1999 ، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1119.

محمد ابن عزوز حكيم

**الصمغ**، مادة لزجة تفرزها بعض النباتات، وتجمد نتيجة تعرضها للهواء. وتتنوع الأصماغ بتنوع النباتات، غير أنها تتشابه كلها في الأوصاف. وقد اهتم علماء الطب والنبات العرب بأصناف الأصماغ من حيث مصادرها وخصائصها وأوجه استعمالها، غير أنهم اختلفوا في عددها الذي يبلغ 28 نوعا، يمكن أن نذكر منها الفربيون والصبر والكافور والكينة.

ويعتبر الطب والصيدلة من أهم مجالات استخدام الأصماغ. فكانت تنفع في توقيف نزيف القروح والتئامها، وفي علاج الزكام وتخفيف الآلام... الخ. ويكون الدواء عبارة عن مشروب أو حقن.

وبالنظر إلى أن الأصماغ مادة أولية أساسية في الطب وبعض الحرف، فإنها كانت سلعة نافقة في المبادلات التجارية منذ القديم. فكان صمغ سقطرى مثلا يصدر إلى اليونان. وكانت قبرص تزود البلدان الإسلامية بنوع من الصمغ يسمى الميعة، كما كان صمغ جاوة يحظى بشهرة ذائعة الصيت في صناعة العطر.

ولعل أهم الأصماغ المرتبطة بالمغرب هو الصمغ العربي. ويستخلص من لحاء الطلح، وهي شجرة متعددة الأصناف، يقع موطنها الأصلي بالقارة الأفريقية، وبالضبط على ضفاف نهري السينغال والنيل. وهي شجرة كبيرة، غليظة الساق، بيضاء الخشب، ولكنه إذا تقادم اسود كخشب الأبنوس، وزهرة الطلح بيضاء اللون وطيبة الرائحة. وأوراق هذه الشجرة شبيهة بأوراق العرعر، وكانت تستعمل بوجه خاص في الدباغة.

وثمر الطلح هو القرظ، ومنه يعتصر رُب يعرف باسم الأقاقيا، وله نفس الخصوصيات العلاجية لباقي الأصماغ. كما ينتج الطلح صمغا كثيراً أحمر اللون وشائع الاستعمال. وقد نسب إلى العرب لدورهم الرئيسي في تسويقه ونشره.

ونظراً لعلاقات المغرب التجارية مع أفريقيا الغربية، لا نستبعد أن يكون الصمغ من بين ما كانت القوافل تحمله إلى شمال الصحراء منذ العصر الوسيط على الأقل. والملاحظ في

هذا الإطار أن البكري (منتصف القرن 5 / 11) ذكر وجود أشجار الصمغ العربي بشمال مدينة أودغشت، وتحدث عن تصديره إلى الأندلس حيث كان يصمغ به الديباج. وإذا توخينا دقة أكبر قلنا بأن هذا النوع من الشجر كان ينتشر بالساحل السوداني. وهو منطقة تتوسط الصحراء شمالا والسفانا جنوبا، ويسودها الجفاف، وتتميز بغطاء نباتي ضعيف يطغى عليه الطلح.

ويبدو أن الصمغ العربي وصل إلى أوربا عن طريق بلاد المغرب منذ العصر الوسيط، وأن الواردات الأوربية من هذه المادة بدأت تتزايد انطلاقا من عصر النهضة الذي شهد توسعا في النشاط الحرفي، بما في ذلك صناعة النسيج. وعندما تخطت أوربا وساطة شمال أفريقيا في منتصف القرن 9 / 15 ، صارت السفن الأوربية تتزود بالصمغ العربي مباشرة من الأسواق المنتجة في غرب أفريقيا. وسرعان ما أصبح دور هذه السلعة يتعاظم في المبادلات التجارية بين الدول الأوربية ودول الساحل. فمن جهة صار الصمغ أهم صادرات السينغال خلال القرنين 17 و18 م، وعماد الإمارات الموريطانية في نهاية القرن (18) وبداية القرن (19 م). ومن جهة ثانية دخلت دول أوربا في منافسة تجارية شديدة على الصمغ السوداني، إلى حد تحولت فيه في القرن (18 م) إلى ما يمكن أن نسميه بحرب الصمغ. وهي حرب تجد تعليلها في تعدد استعمالات هذه المادة، وخصوصا في مجال صناعة الحلوى وصناعة النسيج. وظلت هذه الصناعة الأخيرة تستخدم الصمغ العربي على نطاق واسع إلى حدود منتصف القرن (19 م).

ولكن مع توالي سنوات الجفاف والإفراط في الاستغلال والتفريط في حقوق العمال، تراجع إنتاج دول الساحل من الصمغ العربي. فبعد أن أنتج السينغال مثلا 1700 طن في 1977 ـ 1978، لم يوفر خلال 1979 ـ 1980 سوى 750 طن.

ع. الله البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، وهو جزء من كتاب *المسالك والممالك*، 1857، ص. 158 ؛ ابن البيطار ضياء الدين، *الجامع لمفردات الأدوية والأغذية*، 1992، ج 3، مادة صمغ، ص. 114 ـ 115 ؛ مادة طلح، ص. 140 ؛ ج 4، مادة قرظ، ص. 257 ـ 258 ؛ زكرياء القزويني، *آثار البلاد وأخبار العباد*، د. ت. مادة جزيرة سقطرى، ص. 82 ـ 83 ؛ نفسه، *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات*، د. ت. مادة كافور، ص. 299 ؛ أحمد العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، في الحيوان والنبات والمعادن، 1996، مادة سنط، ص. 412 ـ 413 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، 1983، ج 2، ص. 283 ؛ محمد وجدي، *دائرة معارف القرن العشرين*، د. ت. مج، 5، مادة الصمغ، ص. 568 ـ 574.

H. Deschamps, *Histoire générale de l'Afrique Noire*, 1970, Idex ; A. Dietrich, *Article Samgh. Encyclopédie de l'Islam*, 1978, T. 8, p. 1078 ; P. Decraene, *Le Sénégal*, 1985, pp. 10-11, 83.

عبد العزيز العلوي

**الصَّمَّار**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Asmar - Çamar. ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Azamar وAçamar ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان وكان منهم : عبد الرحمن بن محمد الصمار فقيه زاول خطة العدالة من سنة 1171 إلى سنة 1182 (1758 ـ 1767) ومحمد بن أحمد الصمار فقيه كان يزاول خطة العدالة سنة 1273 (1857).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1118.

محمد ابن عزوز حكيم

**الصناديق** مؤسسات عمومية أنشئت بعد الاستقلال للإسهام في تدبير الشؤون العامة سواء على شكل مكاتب عهد إليها باستغلال ثروات طبيعية ومنجمية كالمكتب الشريف للفوسفاط ومكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية أو بامتيازات تجارية وصناعية كالمكتب الوطني للكهرباء ومكتب السكك الحديدية أو على شكل صناديق مكلفة بتدبير قطاعات إدارية واجتماعية كصناديق التقاعد مثلاً. وكان الغرض من إنشاء المؤسسات العمومية في الأصل هو ضمان نجاعتها عن طريق إعطائها مرونة في تدبير شؤونها وتسهيل حركيتها بتحريرها من الإكراهات الادارية التي تتسم مساطرها بالبطء والتعقيد على أن تتم مراقبتها من طرف موظفين تابعين لوزارة المالية، يسهرون على تطبيق القوانين المتعلقة بها من جهة وعلى توجيهات مجالسها الإدارية من جهة أخرى. ولهذه الغاية توالد العديد منها بعد الاستقلال وأصبح بعضها عبارة عن شبه إقطاعيات بميزانيات ضخمة لم يتورع المسؤولون عنها في تضخيم أجورهم ومنافعهم العينية وأدى في كثير من الحالات إلى تجاوزات خطيرة تمثلت في خروقات قانونية وهدر للمال العام.

سبق أن كُلف الوزير الحاج مَحمد باحنيني بجرد شامل للمؤسسات العمومية وتحديد مجالات تدخلها. ويقال بأنه كان كلما هم بختم الدراسة التي أعدها في الموضوع برز له المزيد منها لدرجة اقتناعه بصعوبة التقصي التام لها فعبر في نهاية تقريره عن تحفظه بعبارة "والله أعلم".

أحمد السوسي التناني

**صناكة**، مجاهد قائد، هكذا سماه الإخباري البرتغالي زوررارا بدون أن يذكر اسمه وكنيته قريبة من الزناكي. ظهر سنة 1511 وكان آنذاك فارسا وقائدا في جيش طلحة العروسي، القائد المكلف من قبل محمد البرتغالي، وبقي في خدمة ولده أحمد بن طلحة العروسي، ولم يختف إلا سنة 1529. أظهر كفاءته إلى جانب المقدمين الآخرين طوال تلك المدة، وكان تحت إمرته خمسون فارسا، كلف بحراسة قرى حوز القصر الكبير، ومرافقة الجيش الجهادي في الحملات المنظمة ضد مدينة أصيلا.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية العربية*.

B. Rodrigues, *Anais*.

حسن الفكيكي

**الصَّنجة** عيار نحاسي للوزن، تنطق بالصاد في الدارجة والأمازيغية المغربيتين، على حين أنها "سَنَجة" بالسين وهي كلمة من أصل فارسي بمعنى "الحجر" المعدّ للوزن، تجمع على صنجات وصنوج، وهي عيارات نحاسية أو غيرها من المعادن، تستعمل للوزن للكميات الصغيرة فيما هو دون الرطل وذلك قبل شيوع النظام المتري على أساس وحدة "الكرام" ابتداء من صدور ظهير 1914، أما ما قبل ذلك فنجد في الوثائق المغربية "درهم الصنجة" أو "الاوقية الصنجية" أي أن تلك النقود موزونة وليست معدودة، وقد ذكر عمر بن عبد العزيز الكرسيفي في نهاية القرن الثالث عشر (18 م) وجود صنجات من النحاس عند التجار بسوس لوزن النقود، كما ذكر ذلك مارتان Martin, A.G.P في منطقة توات في نهاية القرن الثالث عشر (19 م). ورغم البحث عن نماذجها تعذرَ علينا الحصول عليها.

وكانت كلمة الصنجات أو الصنوج، إنما تستعمل عند وزن الكميات الصغيرة فيما دون الرطل كما يبدو، أما العيارات التي تستعمل في مختلف الأوزان فكانت تعرف عند التجار باسم "الصُّروف". (انظرها في *المعلمة*).

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، الدار البيضاء، 1993 ؛ ع. الكرسيفي، *رسالة في تحرير السكك المغربية ورسالة في تحقيق أوزان النقود بسوس*، ص. 22، الرسالتان ضمن كتاب مسألة النقود، ظهير 1914، انظر فكر وتاريخ، منشورات كلية الآداب، الرباط، ص. 198.

عمر أفا

**صندوق الإيداع والتدبير** أُحدث بعد الاستقلال كأداة لاستقطاب الادخار المالي وتسخيره لفائدة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجالات التي تحددها الدولة وبعبارة أخرى السهر على مركزة الادخار العمومي لتفعيل السوق المالية وتنشيط حركيتها بمختلف التوظيفات.

أحدث هذا الصندوق بظهير رقم 1.59.074 مؤرخ في فاتح شعبان 1378 / 10 فبراير 1959، منحه صفة مؤسسة عمومية تتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي. يحدد سياسته العامة مجلس إداري يرأسه الوزير الأول ويدبر شؤونه مدير عام. وللنهوض بمهمة تسخير المدخرات لفائدة التنمية الاقتصادية والاجتماعية أحدثت بالصندوق مؤسسات مختصة في مختلف الميادين يسهر على توجيهها ومراقبتها أهمها :

- الشركة العقارية العامة Compagnie Générale Immobilière (C.G.I.).
- صندوق القرض العقاري والسياحي Crédit Immobilier et Hotélier (C.I.H.).
- صندوق التجهيز الجماعي Fonds d'Equipement Communal (F.E.C.).
- الصندوق الوطني للتقاعد والتأمين Caisse Nationale de Retraite et d'Assurance (C.N.R.A.).
- الشركة المركزية لإعادة التأمين Société Centrale de Réassurance (S.C.R.).

يتجلى من خلال هذه الأدوات أن صندوق الإيداع والتدبير يتدخل مباشرة أو عن طريق منح القروض للخواص وللجماعات المحلية وللمستثمرين في ميادين متنوعة كالسكن الفردي والجماعي وتمويل البنيات التحتية الجماعية وإعداد المناطق الصناعية والمنشآت السياحية... والمساهمات في رساميل مؤسسات صناعية كبرى الخ ...

ويمكن إجمال مراحل تدخلات صندوق الإيداع والتدبير كالتالي :

1) من الإنشاء إلى بداية الثمانينات : تميزت هذه الفترة بتطور الاقتصاد المغربي نحو المزيد من اللبرالية الشيء الذي حتم على الصندوق إصلاح هيكلته بهدف تقوية تنافسيته لفائدة زبنائه. كما تم تحرير وتنشيط السوق المالي بمتابعة إصلاح نظام البورصة سنة 1967 وإنشاء الشركة الوطنية للاستثمار (S.N.I.) لتوجيه الاستثمارات لفائدة التنمية الاقتصادية بمزيد من النجاعة والفعالية. وعرفت هذه الفترة كذلك اختيار المجال السياحي كأولوية في تخطيطات الدولة، تكفلت فيه شركة المغرب السياحي Maroc Tourist بإنشاء عدة وحدات سياحية خصوصاً في الشمال على الشاطئ المتوسطي. وخلال الفترة نفسها أصبح صندوق القرض العقاري والسياحي (C.I.H.) بعد إعادة هيكلته تابعاً لصندوق الإيداع والتدبير. وابتداء من 1973، عرف قطاع الصناعة ازدهاراً ملحوظاً بفضل مغربة الوحدات الصناعية. وهكذا ساهم الصندوق في معمل الإسمنت لا فارج المغرب ومؤسسات كارنو للصلب (Carnaud et Forges de Basse Indre) والشركة العقارية الفرنسية المغربية (C.I.F.M.) المختصة في بناء المجموعات السكنية الاقتصادية. وفي هذا الإطار تم إحداث وتجهيز مناطق صناعية بكل من سلا والخميسات والناظور وسطات وبوزنيقة ومراكش وبنمسيك بالبيضاء.

2) فترة 1983 - 1993 عرفت هذه الفترة انشغال السلطات العمومية بإعادة التقويم الهيكلي بقصد إعادة التوازنات الكبرى في الميادين الاقتصادي والمالي ؛ وخلال هذه الفترة التي ميَّزها التقشف المالي تابع الصندوق سياسة الاستثمار في الأولويات المحددة من طرف الدولة وهي :

- العقار بإنشاء 21528 مسكن.
- السياحة بإنشاء تجهيزات سياحية بلغت 7222 سرير أي 10٪ من الطاقة الايوائيّة الإجمالية.
- البنى التحتية للجماعات المحلية عن طريق منح القروض من طرف صندوق التجهيز الجماعي (F.E.C.).
- الحيطة الاجتماعية بإحداث نظام تكميلي للتقاعد، ونظام للمحامين وآخر للتجار والحرفيين (الضمان الحرفي).

3) منذ 1993 أدت عدة عوامل مهمة إلى تغيير في المجالين الاقتصادي والمالي طبعته ليبرالية النشاط

الاقتصادي التي تواصلت بكيفية حثيثة، وسياسة الخوصصة وتحرير السوق المالي، فكان من اللازم أن يواكب صندوق الإيداع والتدبير هذا التطور ورسم استراتيجية جديدة تساير المناخ الجديد عن طريق سن سياسة الشراكة مع زبنائه الرئيسيين.

وهكذا، تكفل الصندوق بالتدبير الإداري للصندوق الوطني للتأمين والتقاعد (.C.N.R.A) وعبره للنظام الجماعي لمنح رواتب التقاعد (.R.C.A.R) الذي يكون مع شركة الشمال الافريقي ولما بين القارات (.C.N.I.A) والشركة المركزية لإعادة التأمين (.S.C.R) الثلاثي الذي يكون قطب التأمين والاحتياط لمجموعة صندوق الإيداع والتدبير.

لكن يجب ملاحظة أن إحداث نظام جديد للتقاعد لفائدة مستخدمي الجماعات المحلية الذين لا يتقاضّون أجورهم من الميزانية العامة للدولة ولغير المرسمين من أعوان الدولة بجانب الأنظمة القائمة الأخرى وهي :

- أنظمة الصندوق المغربي للتقاعد : المدنية والعسكرية ونظام القوات المساعدة.

- نظام الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي الذي يغطي عمال القطاع الخاص.

فضلاً عن عدة أنظمة أخرى تخصُّ أطر ومستخدمي مؤسسات عمومية كبرى كبنك المغرب والمكتب الشريف للفوسفاط، أدى إلى المزيد من تشرذم المشهد الاحتياطي في المغرب، وكرس التفاوتات والاختلالات التي تتجلى نتائجها في مجال الضمانات القانونية وبكيفية محسوسة فيما يتقاضاه المستفيدون من مختلف الأنظمة من معاشات وتعويضات.

ولا يمكن في ظل هذا التشرذم إقرار نوع من العدالة والإنصاف إلا بتقليص عدد الأنظمة بصهرها في عدد قليل حسبما تمليه الخصائص النوعية للمنخرطين فيها واعتماد مبادئ عامة تسود الجميع.

ولتكوين فكرة عن الودائع المؤتمنة لدى الصندوق نشير إلى أنها بلغت سنة 2000 : ثلاثين ملياراً ومائة وتسعة عشر مليون درهم (30.119.000.000) منها :

44,95٪ تمثل ودائع الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي .C.N.S.S.

19,60٪ تمثل ودائع الصندوق الوطني للتوفير .C.E.N.

8,56٪ تمثل ودائع صندوق الشغل Fonds du travail.

4,63٪ تمثل ودائع كتاب المحاكم.

22,26٪ تمثل ودائع مصادر مختلفة.

أما الأرباح الصافية لسنة 2000 فبلغت 470.289.810 درهم، مسجلة تراجعا بنسبة 16٪ عن سابقتها.

*معلومات ووثائق شخصية.*

*Site internet de la C.D.G* : w.w.w.@cdg.org.ma ; *Rapport annuel de la C.D.G*, exercice 2000.

**صندوق التجهيز الجماعي ← صندوق الإيداع والتدبير**

**صندوق القرض العقاري والسياحي ← القرض العقاري**

**الصندوق المغربي للتقاعد** (.C.M.R) أحدث في عهد الحماية بظهير مؤرخ في فاتح شوال 1348 / 2 مارس 1930 من أجل "أداء المعاشات المخولة بمقتضى ظهير 30 رمضان 1348 / فاتح مارس 1930" على شكل مؤسسة عمومية تتمتع بالشخصية المدنية، يسيرها مكتب إداري مكون أساسا من السلطة المسؤولة عن المالية والكتابة العامة للحكومة، والخازن العام ومدير صندوق الإيداع ومدير الميزانية وممثلين عن المنخرطين. ولم يكن يتوفر على هيكل إداري تابع له بل كان العاملون به موظفين تابعين لوزارة المالية يتقاضون أجورهم من الميزانية العامة للدولة وعلى رأسهم مدير يقوم في نفس الوقت بمهمة كاتب للمجلس الإداري ويعتبر مسؤولا عن تنفيذ مقرراته. لكن، لاعتبارات ناتجة عن تبعات الاستقلال أصبح الصندوق، ولسنين عديدة، عمليا، مرفقاً من مرافق وزارة المالية، في ظل تجميد أي نشاط للمجلس الإداري.

لم يسترجع الصندوق صفة المؤسسة العمومية بما في الكلمة من معنى، أي متمتعا بالشخصية المدنية والاستقلال المالي، إلا في سنة 1996 بالقانون رقم 95 - 43 المصادق عليه بالظهير رقم 106 - 96 - 1 المؤرخ في 7 غشت 1996، حيث أصبحت له هياكله الإدارية الخاصة التي أدمج فيها من رغب في ذلك من العاملين به ورجع إلى وزارة المالية من فضّل الاستمرار في الانتماء لسلكه الأصلي.

وفي هذا الإطار انعقد لأول مرة اجتماع المجلس الإداري برآسة الوزير الأول عبد الرحمان اليوسفي، في شكله الجديد بعد أربعين سنة من السبات.

يسير الصندوق المغربي للتقاعد الأنظمة الآتية :

1 - نظام المعاشات المدنية المتعلق بموظفي وأعوان الدولة والجماعات المحلية الرسميين، حسب مقتضيات القانون رقم 01171 المؤرخ في 12 قعدة 1371 / 30 دجنبر 1971 كما تم تتميمه على التوالي :

- بالقانون رقم 89 - 06 المصادق عليه بظهير رقم 205 - 89 - 1 المؤرخ في 21 دجنبر 1989 والذي أضاف إلى الراتب الأساسي الذي يُكوّنُ قاعدة تصفية المعاشات، بمفعول فاتح يناير 1990، التعويض عن الإقامة بنسبة 10٪ ونصف التعويضات النظامية المرتبطة بالسلم والدرجة للمعنيين بالأمر.

- بالقانون رقم 97 - 19 المصادق عليه بظهير رقم 167 - 97 - 1 المؤرخ في 27 ربيع الأول 1418 / 2 غشت 1997 الذي أضاف إلى قاعدة تصفية المعاشات الخمسين في المائة المتبقية من التعْويضات القارة والدائمة المرتبطة بالوضعية النظامية للمعنيين.

2) نظام المعاشات العسكرية المطبق على جنود القوات المسلحة الملكية وأفراد القوات المساعدة، ويرتكز في مقتضياته الأساسية المتعلقة بتصفية المعاشات على المبادئ الواردة في قانون المعاشات المدنية.

3) معاشات الزمانة لفائدة المدنيين والعسكريين الذين يلحقهم ضرر تنتج عنه عاهة دائمة بسبب حادثة شغل أو مرض يثبت انتسابهما للعمل أمام لجنة خاصة تقرر ذلك وتحدد نسبة العجز.

4) معاشات لفائدة المقاومين الذي أصيبوا بعطب من جراء قيامهم ببعض الأعمال الفدائية خلال فترة المقاومة أو لبعض فئات المعوزين منهم وكذا لفائدة ذوي حقوق الشهداء.

5) بقايا بعض الأنظمة الخاصة التي منحت قبل الاستقلال لبعض الأعوان غير الرسميين والتي هي في طريق الانقراض.

من المفيد الإشارة إلى أن الأنظمة الرئيسية المسيرة من طرف الصندوق تعتمد نظام التوزيع Répartition أي أن المعاشات المخولة برسمها تمول من الاقتطاعات المنجزة على رواتب المنخرطين فيها ومساهمة مشغليهم، وتتم تصفيتها على أساس آخر أجرة تقاضاها المحال على المعاش من جهة والأقدمية المؤدى عنها لدى الصندوق من جهة أخرى. ونظام التوزيع هذا هو غير النظام الاستثماري Capitalisation الذي تصفى فيه المعاشات على أساس ما وفره المنخرطون من رصيد وما ساهم به مشغلوهم، بعد استثماره في حساب خاص بكل منهم.

يبلغ حاليا عدد المنخرطين في الصندوق المغربي للتقاعد حوالي 500 ألف وعدد المعاشات مائة ألف تقريباً.

*معلومات شخصية.*

Guide de l'affilié au régime des pensions civiles édité par la Caisse Marocaine des Retraites, Septembre 2001 ; *La Vie Economique* n° 4180 du 6 au 12 septembre 2002.

**الصندوق المهني المغربي للتقاعد**، أنشئ سنة 1949 وذلك في إطار ظهير 15 نونبر 1958 المنظم للجمعيات لفائدة مأجوري المقاولات المنخرطة فيه. لذا فإنه يعتبر، منذ إنشاء الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي سنة 1959، (ونظامه إجباري كما هو معلوم) نظاماً اختياريا، أو تكميليا له.

يدبر شؤونه مجلس إداري مكون من 12 إلى 24 عضوا ينتخبهم الجمع العام للمنخرطين لمدة أربع سنوات.

تتراوح واجبات الانخراط لاكتساب الحقوق المعاشية ما بين 6 إلى 12٪ من الأجور موزعة بالتساوي على الأجراء وأرباب العمل. تستثمر اقتطاعات العمال من طرف شركات التأمين في حسابات خاصة بكل واحد منهم بينما تخضع مساهمات أرباب العمل لإدارة الصندوق على أساس النظام التوزيعي، أي أن مدخراته تدبر بكيفية مزدوجة : استثماريا وتوزيعيا.

يمنح ص. م. م. ق. معاشات للمنخرطين فيه عند بلوغهم حد السن في 60 سنة أو لذوي حقوقهم في حالة وفاتهم وهم الأرامل (50٪ من مبلغ المعاش) والأيتام (20٪ لكل منهم) على ألا يتعدى المبلغ الإجمالي للمعاش 100٪.

يمكن الحصول على معاش ابتداء من 50 سنة، وفي هذه الحال يتم خصم نسبة عن كل سنة قبل بلوغ حد السن. كما يمكن تأجيل تقاضي المعاش في حالة الاستمرار في العمل ويستفيد المعنيون حينئذ من زيادة عن كل سنة من العمل بعد سن الستين.

ومن المفيد ملاحظة أن هذا الصندوق هو تجمع لمقاولات خاصة يدار بمعزل عن دواليب الدولة، رغم أن بعض المؤسسات العمومية منخرطة فيه.

**الصندوق المركزي للضمان**، مهمة هذا الصندوق هو الحلول محل بعض المستفيدين من قروض من مؤسسات مالية تشترط ضمانة الدولة في صلب العقود التي تربطها بالمستفيدين من خدماتها.

لذلك فإنه في حالة عدم الوفاء برد الدين تحل الدولة محل المدين لتسديد ما بقي بذمته.

يدار هذا الصندوق من طرف إطار تابع لوزارة المالية.

**صندوق الموازنة أو المقاصة**. الغرض من إنشائه هو دعم ثمن بيع المواد الواسعة الاستهلاك كالدقيق والسكر والزيت، من محصول الفوائد المحصلة من بيع بعض المواد التي توفر هامشا كبيراً للربح كالمحروقات على وجه الخصوص.

وبما أن بعض المواد المدعمة كالسكر تستفيد منها جميع الطبقات الاجتماعية بما فيها الميسورة منها، وبعض المقاولات الصناعية (المشروبات الغازية، المربيات، الحلويات) فإن الدولة عمدت في السنوات الأخيرة على استرجاع قيمة الدعم من هذه المقاولات لفائدة الصندوق.

**الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي**، مؤسسة عمومية ذات شخصية اعتبارية واستقلال مالي أحدثت بظهير رقم 1.59.148 مؤرخ في 31 دجنبر 1959 وتم تعديله بظهير رقم 1.72.148 مؤرخ في 27 يوليوز 1972. من أجل الحماية الاجتماعية لعمال القطاع الخاص. يدبر شؤونه مجلس إداري يرأسه الوزير الأول - شأنه شأن المؤسسات العمومية التي يشمل مجال نفوذها مجموع التراب الوطني - والسلطة الحكومية المكلفة بالتشغيل وممثلي المركزيات النقابية على وجه الخصوص.

تتكون موارد الصندوق المالية من :

- واجبات اشتراك العمال بنسبة 1,90٪ من جميع عناصر الأجرة في حدود 5000 درهم شهريا.
- مساهمات أرباب العمل بضعف نسبة العمال أي 3,80٪ فضلا عن 10٪ برسم صرف التعويضات العائلية.

ـ فوائد إيداع المدّخرات لدى صندوق الايداع والتدبير.

ويصرف للمنخرطين فيه فضلا عن التعويضات العائلية:

ـ معاشات الشيخوخة عند بلوغ حد السن : 60 سنة عدا عمال المناجم : 55 سنة.

ـ معاشات الزمانة أو العطب عند التوقف الاضطراري عن العمل بسبب العجز.

ـ معاشات ذوي حقوق المنخرطين وتصرف ابتداء من سن الخمسين.

ـ تعويضات عن التوقف المؤقت عن العمل بسبب المرض أو الولادة.

أنشأ ص. و. ض. ج. عدة مصحات متعددة الاختصاصات في عدة مدن منها البيضاء والمحمدية والقنيطرة وغيرها صرفت عليها أكثر من 6 ملايير درهم كدعم لحدود 2002.

عرف تسيير الصندوق عدة اختلالات كانت محل لجنة تقصي الحقائق من طرف مجلس المستشارين كشفت أرقاما مهولة :48 ملياراً من الأموال المبددة التي لو تم استثمارها لبلغت 115 ملياراً، أي ما يفوق مرة ونصفاً نفقات ميزانية التسيير العمومية لسنة 2001 وتمثل 80٪ من المديونية الخارجية للدولة إلى غاية متم 2001.

*وثائق ومعلومات شخصية، نص استجواب رئيس لجنة تقصي الحقائق* لمجلس المستشارين المنشور بجريدة *الأحداث المغربية*، عدد 1235 بتاريخ 9 يونيه 2002.

أحمد السوسي التناني

**الصَّنْطُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Santu ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1120.

محمد ابن عزوز حكيم

**الصنعة** مصطلح موسيقى خاص بالموسيقى الأندلسية المغربية، يطلق على المقطوعة الغنائية في ميازين النوبات. وتعتبر الصنعة بمثابة الوحدة الأساسية للميزان.

والصنعات أو الصنائع من الوجهة اللغوية أربعة أنواع :

1 ـ الشعر الفصيح الموزون على البحور الخليلية. وتُعرّف الصنعة عادة باسم بحرها فيقال مثلاً : صنعة كامل أو صنعة بسيط.

2 ـ التوشيح، وهو ما نظم على أنساق الموشحات بأغصانها وأسماطها. ويُعرّف عادة بأسلوب نظمه، فيقال توشيح، أو صنعة توشيح. ويكون من الفصيح.

وتشكل التوشيحات التي يحتوي عليها كناش الحايك أقساما مختارة من الموشحات الأندلسية بنوعيها التام والأقرع، وهذه الأقسام لا تخرج في مجملها عن أربع صور هي :

أ ـ التوشيح القائم على قفل واحد. وهو يشكل ما يعرف عادة بالصنعة الثنائية.

ب ـ التوشيح القائم على بيت واحد. ويشكل ما يُعرف عادة بالصنعة الثلاثية.

ج ـ التوشيح القائم على بيت وقفل. ويشكل ما يعرف عادة بالصنعة الخماسية.

د ـ التوشيح القائم على قفلين متحدي القافية يتوسطهما بيت من قافية مغايرة. ويشكل ما يعرف في العادة بالصنعة السباعية.

هـ ـ الزجل هو ما نظم بلهجة عامة الأندلس. وقد عارضه بعض المغاربة بأزجال من لهجة عامة المغرب. وتسير الأزجال على نسق الموشح من حيث تبنيها نظام توالي الأقفال والأبيات.

و ـ البرولة أو البريولّة، وهي ما نظم بلهجة عربية ملحونة كالشعر الملحون المغربي. غير أن البرولة تأتي على نسق التوشيح من حيث تبنيها نظام توالي الأقفال والأبيات، وليس على نسق قصيدة الملحون.

ع. العزيز ابن عبد الجليل، معجم *مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية*، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، 1992، ص. 43 ؛ الموسيقى الأندلسية المغربية ـ فنون الأداء ـ سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1989، ص. 171 ـ 175.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الصنك**، مصطلح عامي يقابله، في لغة الضاد، كلمة المكس. ومعناه الرسوم التي كانت الدولة تفرضها على المواد والسلع الداخلة للمدن (حقوق الأبواب) والمعروضة للبيع في الأسواق والفنادق.

وإذا كان السلطان المولى سليمان (1792 ـ 1822) قد قام بإلغاء تلك الرسوم التي كانت سائدة في عهد والده السلطان محمد بن عبد الله (1757 ـ 1790) فإن خلفه المولى عبد الرحمان بن هشام (1822 ـ 1859) سن سياسة تجارية سميت في الوثائق المغربية بسياسة "الكنطردات"، والمقصود بها احتكار تجارة بعض المواد لحساب الدولة، وذلك بهدف إخضاع التبادل التجاري لمراقبة الدولة، والحد من أطماع الحكومات الأوربية التي كانت تسعى إلى غزو السوق المغربية.

بيد أن اتفاقية 9 دجنبر 1856 ـ التي فرضتها بريطانيا على المغرب ـ وضعت حداً لهاته السياسة. ويكفي أن نشير هنا إلى ما ورد في البند الثاني من الاتفاقية التجارية الذي نص على "إسقاط الكنطردات والممنوعات في المتاجر [...] وبإسقاط الكنطردات في جميع المخرجات من أي نوع كانت بإيالته إلاّ العلق والدبغ" والقنب الهندي (الكيف) والكبريت والرصاص ومواد الحرب عموماً. ومعنى هذا أن المخزن وجد نفسه مضطرا للانتقال بشكل تدريجي من سياسة الاحتكارات إلى سياسة فرض الرسوم ثانية على مبيعات الأسواق.

حتى إذا جاءت حرب تطوان ـ الضربة العسكرية الثانية ـ وما ترتب عليها من فرض أداء غرامة وقدرها عشرون مليونا من الريال، كشرط لانسحاب إسبانيا من تطوان التي احتلتها في 6 فبراير 1860 خلال حربها التوسعية في التراب المغربي، والتي تزامنت مع بداية حكم السلطان محمد بن عبد الرحمان (1859 ـ 1873)، أصبح من المشروع عندئذ أن يقال بأن أمر تلك الرسوم "تفاحش غاية التفاحش" إن من جهة تعميمها، لتشمل كل أسواق الحواضر وكذا أسواق البوادي الخاضعة لسلطة السلطان، أو من جهة فرض رسوم جديدة على السلع بأبواب المدن.

ولما كانت بعض بنود اتفاقية 1856 ـ بالإضافة إلى بعض بنود اتفاقيتي 1861 ـ 1863 ـ قد نصت على إعفاء الرعايا الأجانب وإلى جانبهم فئة المحميين من أداء أي "مكس ولا غرامة ولا أعشار ولا ما يشبه ذلك"، فإن المغاربة وحدهم تحملوا عبء أداء هذه الرسوم، ومن ثم كان من الطبيعي أن يزداد التهافت نحو الحماية. وهذا ما عبرت عنه، بمرارة، إحدى رسائل أحد المسؤولين وهو محمد بن يحيى إلى أمين الأمناء محمد بنيس، بتاريخ 25 جمادى الثانية 1280 / 7 دجنبر 1863 : "... ترى الذمي لا يساوي فلسا واحداً يدخل ويخرج ولا يؤدي في الأبواب، والمسلم يؤدي شريفا ومشروفا" وأكثر من هذا، تضيف الرسالة : "وصاروا، اليهود النصارى، يضحكون علينا وصرنا عندهم ملعبة ومضحكة [...] وهذه مذلة عظيمة، صار الناس في كل يوم يدخلون تحت الحماية". (*دورية الوثائق*، المجموعة، 4، ص. 303 ـ 304).

وبوفاة السلطان محمد بن عبد الرحمان ارتفعت الأصوات مطالبة بوضع حد لهذه الرسوم. في هذا السياق اشترط الدباغون بفاس مقابل تقديمهم البيعة للسلطان الجديد مولاي الحسن (1873 ـ 1894) إلغاء المكوس. وهكذا توقفوا عن أدائها، ونهبوا دار أمين الأمناء محمد بن المدني بنيس. ومع انتشار هذا الخبر، حذت عدة مدن حذو فاس، من بينها أزمور والجديدة وسلا والصويرة والعرائش والقصر الكبير.

إلا أن التوقف عن أداء المكوس كان توقفا عابراً، بحيث لم تمر سوى بضعة شهور على بيعة المولى الحسن حتى تمكن من إقرارها من جديد، كما كانت في عهد والده. وقد كلفه ذلك، أحيانا، ضرورة استخدام قوة السلاح، كما وقع بالخصوص مع أهل فاس.

وبقدر ما عمل المولى الحسن على إقرار المكوس القائمة، قام كذلك بإدخال تنظيم جديد على جهاز أمانة المستفادات، وفي الوقت ذاته جعل من بين أولى اهتماماته السياسية المطالبة بوضع حد لآفة الحماية التي انعكست مضاعفاتها ـ بسبب عدم الأداء ـ على مداخيل خزينة الدولة. ومما كتبه في هذا الشأن إلى نائبه محمد بركاش، بتاريخ 6 رجب 1296 / 6 يوليوز 1878 : "وأن المستفاد ضعف جداً بتعذر القبض على الجمالة في الأبواب ومن أهل الحماية المتعلقين بهم في سوق الجلد والسباط والحائك لكونهم يتسوقون بها أكثر [...] وأمر ذلك لا يزيد إلا استفحالا، وغير خاف عليك ما فيه من الخرق والمفسدة الكبيرة والمضرة لبيت المال، فقم على ساق الجد والحزم في حسم ذلك واجعل هذا الأمر من أهم الأمور وآكدها". (*دورية الوثائق*، م. 5، ص. 98).

كان علينا أن ننتظر انعقاد مؤتمر مدريد (1880) ـ الذي انعقد في الأصل لمناقشة معضلة الحماية ـ وكذا القانون المكمل له، المسمى بوفق أو ترتيب 30 مارس 1881، الذي نص على إلزام الأجانب والمحميين أداء مكوس الأبواب وبعضاً من مكوس الأسواق (بالإضافة إلى الواجبات الفلاحية، أي الزكاة والأعشار).

وإذا كان الجدول أدناه ـ الجدول الأول ـ يمكننا من تسهيل قراءة ما ورد في عدد من فصول قانون 1881 المتعلقة بتسعيرة مكوس الأبواب، فإنه بالاستناد إلى هذا الجدول يمكن تسطير عدد من الملاحظات :

أولها، أن الوحدة النقدية التي حدد بها الأداء هي وحدة البليون. ومن المعلوم أن البليون كان عملة إسبانية فضية، وكان يطلق على البليون أيضاً اسم القرش، وكلاهما يساوي عشرين سنتيما، أي 1 / 20 ريال.

ثانياً، أن المبلغ الواجب أداؤه يختلف بحسب نوع البهائم من جهة، وبحسب نوع البضاعة من جهة ثانية.

الجدول الأول : تسعيرة صنك الأبواب من خلال قانون 1881

| أنواع البضائع | المبلغ الواجب أداؤه | الفصول المحددة لذلك |
|---|---|---|
| 1 ـ البضائع الأجنبية | | |
| عن حمل الإبل | ستة بلايين | الفصل الثاني عشر |
| عن حمل الخيل والبغال | أربعة بلايين | |
| عن حمل الحمير | بليونان | |
| 2ـ البضائع المغربية المصنعة وكذا البضائع الواردة من البادية | | |
| عن حمل الإبل | أربعة بلايين | الفصل الثالث عشر |
| عن حمل الخيل والبغال | بليونان | |
| عن حمل الحمير | بليون | |
| 3 ـ الحبوب والقطاني والحطب والفحم | | |
| عن حمل الإبل | بليونان | الفصل الرابع عشر |
| عن حمل الخيل والبغال | بليون | |
| عن حمل الحمير | نصف بليون | |
| 4 ـ الحلفة والعزف والغلة والخضر أيا كانت | | |
| عن حمل الإبل | ثلاثة أرباع بليون | الفصل الخامس عشر |
| عن حمل الخيل والبغال | نصف بليون | |
| عن حمل الحمير | ربع بليون | |
| 5 ـ التبن والربيع والدوم المعد لفرارين المدن | معفاة من الأداء | الفصل السادس عشر |

بحسب نوع البهائم نظراً للاختلاف الموجود في حجم أحمال كل بهيمة : في القمة نجد الإبل، وفي أدنى مستوى هناك الحمير، وبينهما في الوسط البغال والخيل. أما من جهة نوع البضاعة فقد وقع التمييز، في المستوى الأول، بين البضائع الأجنبية وبين البضائع المغربية (سواء منها المصنعة أو الوافدة من البادية مثل الجلد والصوف والزيت) بحيث نلاحظ أن السعر المفروض على النوع الأول يضاعف، أو يكاد يضاعف السعر المفروض على النوع الثاني. وإذا كان هذا التباين في السعر يبدو للوهلة الأولى أنه لصالح البضاعة المغربية حتى يبقى ثمنها منخفضا أثناء البيع، فإن التجار الأجانب كانوا يستفيدون من هذا التخفيض، وذلك لسبب بسيط وهو أن أهم البضائع المندرجة في هذا الفصل - حتى ولو لم يرد ذكرها بالصرف - كانت تدور حول الجلد والصوف، ومن المعلوم أن هاتين المادتين كانتا من المواد الموجهة للتصدير. وفي المستوى الثاني، وقع تمييز آخر بين منتجات البادية، بحيث نلاحظ أنها صنفت إلى ثلاثة أصناف : في المرتبة الأولى نجد البضائع المشار إليها أعلاه (الجلد والصوف والزيت) وفي المرتبة الثانية هناك الحبوب والقطاني والحطب والفحم، بحيث إن السعر الذي فرض على هذه المواد إذا كان ينقص بما يعادل النصف بالنسبة للصنف الأول، فإنه بالمقابل يضاعف، أو يكاد يضاعف، السعر المفروض على الصنف الثالث، أي الحلفة والعزف والغلة والخضر.

ثالثاً، إعفاء بعض المواد من كل أداء وهي التبن والربيع والدوم، لكن هذا الإعفاء، يضيف هذا الفصل موضحاً، مشروط بشرط، وهو أن تكون هذه المواد متجهة مباشرة إلى الفرارين. ومعنى هذا أنه إذا كانت متجهة إلى البيع في السوق، عندئذ يلزمها الأداء. ويبدو أن هذا الامتياز الذي أعطي للفرارين يجد تفسيره في الوظيفة الاجتماعية التي تقوم بها تجاه السكان، زد على ذلك أن جلها كان إما بيد الأحباس أو المخزن.

متى يؤدى هذا الرسم ؟ وما هو الإجراء الذي يلزم الأمناء اتخاذه تجاه المؤدي حتى لا تقع مشاكل بين الطرفين ؟ ذلك كان موضوع الفصل العاشر والحادي عشر.

يقول الفصل العاشر : "السلع المنتقلة من مدينة إلى أخرى فلا يؤخذ عليها الصاكة إلا مرة واحدة وذلك وقت خروجها من المدينة". ويضيف الفصل الحادي عشر : "والذي يكون قد دفع الصاكة يأخذ بطاقة ليقدمها وقت دخوله للمدينة المقصودة، وإذا مر بالمدن فلا يدفع عليها شيئاً بل عليه أن يقدم البطاقة التي بيده كلما طلبت منه من المكلفين بذلك، والبطاقة مذكور فيها عدد البهائم الحاملة وقدر الصاكة المدفوعة، وذلك دليل أن البطاقة دفعت".

أما بالنسبة لرسوم الأسواق، فإن قانون 1881 خصها بثلاثة فصول، وهي الفصل الرابع والفصل الثامن والفصل التاسع. وهكذا، كما يتضح من الجدول أدناه - الذي سطرناه بالاعتماد على المعلومات الواردة في هذه الفصول الثلاثة - يمكننا أن نأخذ فكرة مباشرة عن المواد التي اقترحت أن تكون خاضعة لأداء رسوم الأسواق من قبل الأجانب والمحميين، إسوة بالمغاربة غير المحميين، هذا فضلاً عن التسعيرة الواجب أداؤها والطرف المؤدي.

الجدول الثاني : تسعيرة رسوم الأسواق من خلال قانون 1881

| المنافع | التسعيرة | الأطراف المؤدية |
|---|---|---|
| الفواكة اليابسة : (التمر والتين والزبيب والجوز واللوز) ومثلها الحناء والزيتون | عشرة في المائة | البائع |
| الجلد | حسبما هو جار به العمل في كل محل | البائع |
| الخيل والبغال والحمير والإبل | خمسة في المائة عن كل رأس | مناصفة بين البائع والمشتري |
| البقر | أربعة بلايين عن كل رأس | مناصفة بين البائع والمشتري |
| الغنم والماعز | ربع بليون عن كل رأس | مناصفة بين البائع والمشتري |

لكن مقابل الالتزام بأداء الرسوم المنصوص عليها في هذا القانون احتج ممثلو الدول الأجنبية بضرورة التزام المخزن بتطبيق ما كان قد ورد في الفصل الحادي عشر من اتفاقية مدريد الذي يقضي بحق تملك الأجانب العقارات والأراضي. وبما أن المخزن ظل يعارض - ولو على المستوى النظري - قبول تملك الأجانب الأملاك العقارية، لما يشكله ذلك التملك من خطر على استقلال البلاد، فإن الأجانب وإلى جانبهم المحميين امتنعوا عن أداء كل الرسوم المنصوص عليها في هذا القانون. ومعنى هذا أن القانون المكمل لاتفاقية مدريد انتهى بالفشل، وبالتالي ظل المغاربة غير المحميين وحدهم يتحملون أعباء الجباية الصنكية وغيرها من الجبايات الأخرى.

صحيح أن المولى الحسن قام في العام 1885، إثر الانتهاء من أداء غرامة حرب تطوان، بإلغاء صنك الأبواب. بيد أن هذا الإلغاء لم يعمر طويلا، إذ بعد سنتين على بيعة السلطان المولى عبد العزيز (1894 - 1908)، وفي سياق أزمة مالية حادة، قام من جديد بإحيائه وذلك بعد أزيد من سبعة شهور من المفاوضات مع ممثلي الحكومات الأجنبية بطنجة، وهي المفاوضات التي توجت بتوقيع اتفاقية جديدة، بتاريخ 2 يونيو 1896، مدشنة بذلك مرحلة جديدة في تاريخ الجباية الصنكية، أبواباً وأسواقاً. فما هو الجديد التي أضافته فصول

هذه الاتفاقية، أو هذا القانون، بالمقارنة مع فصول قانون 30 مارس 1881 ؟

بخصوص صنك الأبواب، فإن المقدار الواجب أداؤه، إن على أنواع البضائع أو على بهائم الحمل، ظل ثابتا دون أن يمسه أي تغيير (انظر الجدول الأول) باستثناء ما وقع في مادتي الفحم والخضر الطرية، حيث نص الفصل العاشر على أنها معفاة من الأداء. وحسب ما ورد في الظهير الموجه إلى باشا مكناس حم بن الجيلاني بتاريخ 22 محرم 1314 / 3 يوليوز 1896، على إثر صدور هذا القانون، فقد برر السلطان ذلك بقوله : "وأما العطاء على الحافر بالأبواب فقد أسقطنا مما كان قديما فيه أيضاً العطاء على البياض والخضر الطرية كلها والهيشار وعروق الدوم لكونها أيضاً مما يروج فيه الضعفاء".

أما بالنسبة لصنك الأسواق، فإن أول ما يثير الانتباه هو أنه تم التمييز، بشكل واضح، بين ثلاثة أمور : الرسوم التي يلزم أداؤها من قبل الجميع، وهي المنافع العامة ؛ ثم الرسوم الخاصة برعية المخزن، وهي المنافع الخاصة ؛ وأخيراً الرسوم الملغاة، أي التي أسقط عنها العطاء.

فأما المواد التي أدرجت في قائمة المنافع العامة، أي التي يلزم الجميع أداء الواجب المفروض عليها، أجانب ومحميين وغير محميين، فقد حددت في نفس المواد المشار إليها في الجدول الثاني، باستثناء مادة الجلد التي وقع في شأنها تمييز جديد. ذلك أنه إذا كانت الفقرة المخصصة لمادة الجلد في الفصل الثامن من قانون 1881 لم تميز بين الجلد الطري والجلد المدبوغ، على أساس أن العطاء يشمل النوعين معاً، فإن قانون 1896 نص على أن العطاء يكون فقط على الجلد الطري وحده، وقد تم تحديد ذلك كما يلي : "جلود البقر الطرية وكذا جلود الماعز والغنم، سواء بالمجزرة أو بمكان البيع، يؤدى عنها الواجب بحسب العرف المحلي". ومتى علمنا أن الجلد المدبوغ هو الذي كان يصدر إلى الخارج، فهمنا، عندئذ، بعض الأسباب الخفية التي حدت بممثلي الحكومات الأجنبية إلى انتزاع هذا المكسب الجديد. كما أن المبلغ المؤدى عن هذه المواد والأطراف المؤدية ظلا ثابتين دون أي تغيير (الجدول الثاني).

وأما الرسوم الخاصة برعية المخزن، وهي المنافع الخاصة، أي التي لا يؤديها سوى المغاربة غير المحميين، فقد حددت - في النص الفرنسي - في ست مواد، وهي : الجلد المدبوغ، والحائك، والبلغة، والخضر، والخشب والفحم. ومعنى هذا أن التمييز الذي ظل مسكوتا عنه في قانون 1881 أصبح مع قانون 1896 مقننا. وقد كان من نتيجة هذا التمييز ظهور مصطلحين جديدين في الوثائق المغربية، وهما "المنافع العامة" و"المنافع الخاصة". ومن حيث المبلغ الواجب أداؤه عن هذه المواد، فإنه لم يحدد، على أساس أنه يبقى حسب ما هو جار به العمل في كل محل. ويبدو أن مرد ذلك يعود إلى أن تلك المبالغ لم تكن واحدة وموحدة في كل أنحاء البلاد.

وفي ما يتعلق، أخيراً، بالرسوم الملغاة على الناس كافة، فقد ارتبطت، حسب النص الفرنسي، برحبة الزرع، والبالي، والملح، والعطارين، وميزان الصوف المغزولة، وميزان الفضة، والدباغة، ومهراس القهوة". وبناء على ظهير 3 يوليوز 1896، الموجه إلى باشا مكناس، فإن الأمر يتعلق، أساسا، بالتخفيف عن الرعية "لكونها في الغالب لا يروج فيها إلا الضعفاء والمساكين الذين تجب الشفقة عليهم".

والخلاصة أنه إذا كان الأجانب، وإلى جانبهم الجيش العرمرم من المحميين، قد أكدوا من خلال هذا القانون - الذي ظل ساري المفعول إلى ما بعد توقيع عقد الحماية - الامتيازات القديمة وأضافوا إليها أخرى جديدة، فإن المواطنين المغاربة غير المحميين ظلوا يعانون من إجحاف ومذلة وهم يرون أنفسهم يؤدون رسوما خاصة بهم، ومن ثم كان من الطبيعي أن يزداد التهافت على الحماية للتخلص من ذلك الاجحاف. وعاقبة ذلك بالنسبة للدولة الزيادة في تقليص مداخيلها، وتحطيم سلطتها، وتفكيك توازناتها، والاتجاه، تدريجيا، إلى فخ القروض المفروضة. وهذا ما كانت تسعى وتجد إليه الحكومات الأجنبية.

*وثائق* خ. ح ؛ *دورية الوثائق*، م. 4 و5 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 8 و9 ؛ ع. الخمليشي، المخزن والضرائب المفروضة على التجارة الداخلية - مكوس الحواضر (1856 - 1896) د. د. ع. 1989.

عبد العزيز الخمليشي

**صنهاجة** إحدى القبائل الأمازيغية الكبرى، تمتد مواطنها من شواطئ المحيط الأطلنتي إلى غدامس في تخوم السودان بليبيا، بحيث "لا يكاد قطر من أقطار المغرب الكبير يخلو من بطن من بطون صنهاجة في جبل أو بسيط حتى زعم كثير من الناس أنهم ثلث البربر" (*الاستقصا*، 2 : 3). وذكر ابن خلدون أن "هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أُبعدوا في المجالات منذ دهور قبل الفتح لا يُعرف أولها". (*العبر*، 6 : 370) وأكد الباحثون الغربيون هذه النظرية اعتباراً لمطاردة الجيوش الرومانية بعض القبائل المغربية التي ثارت ضد الوجود الروماني فيما بين القرن الأول والثالث الميلادي، والتي لاذت بالفرار إلى الصحراء بعد انتصار الجيوش الرومانية عليها (*Population*, 1 : 381).

إذا كان الصنهاجيون أو الملثمون يعمرون هذه البلاد الشاسعة من الصحراء الإفريقية فإن ثقلهم السياسي والاقتصادي ارتكز في المنطقة الغربية المعروفة بصحراء الملثمين التي يحدها المحيط الأطلنتي غرباً وتادمكة من الجنوب الشرقي وتوات من الشمال الشرقي، والسوس الأقصى ووادي درعة شمالاً ونهرا السنيغال والنيجر جنوباً.

وأكبر قبائل صنهاجة الصحراء ثلاث : گدالة ولمتونة ومسوفة :

كانت منازل گدالة في الجانب الغربي من الصحراء الموالي

للمحيط الأطلنتي إلى مصب نهر السنيغال، وكانوا أغنياء يسيطرون على مملحة أوليل (Les Almoravides, p. 217) التي كان ملحها يصدّر مباشرة إلى الممالك السودانية في حوض نهر السنيغال، وإلى غانة وممالك النيجر بواسطة أودغست.

ويتوسط مجال لمتونة الجغرافي بين أراضي گدالة غرباً وبلاد مسوفة شرقاً، وتمتد شمالاً إلى وادي تارگا (الساقية الحمراء) ووادي نول، وجنوباً إلى الحوض الذي أسست فيه عاصمة ملكها أودغست (*نزهة المشتاق*، ص. 125). وتأتي أهمية لمتونة من سيطرتها على أقدم طريق يعبر الصحراء باتجاه بلاد السودان الذي أصبح يعرف بطريق اللمتوني.

تقع قبائل مسوفة إلى الشرق من مواطن لمتونة وإلى الغرب من قبائل زناتة (*الاستبصار*، ص. 79) وتمتد شمالاً إلى تندوف ووادي درعة (*المغرب*، ص. 149) وجنوباً إلى منعطف النيجر "وهم قبائل كثيرة من صنهاجة يسكنون تلك الصحراء ولا يستوطنون بلداً، وإنما عيشهم على اللبن واللحم وهم خلق كثير" (*الاستبصار*، 197) وبلادهم من أكثر صحراء الملثمين جفافاً وأقلها مياهاً. وقد سيطروا على الطريق الرابط بين سجلماسة وغانة (*صورة الأرض*، 97 ـ 98)، واستولوا منذ القرن الثاني الهجري (8 م) على مملحة تغازى الواقعة على ذلك الطريق، وانفردوا بالشهرة في قيادة القوافل وهدايتها. فكانوا من أغنى قبائل الصحراء.

يضاف إلى هذه القبائل الكبرى أربع قبائل صنهاجية أخرى أضعف شأناً وأقل عدداً لكنها كانت على صلة وثيقة بها وشاركت مشاركة فعالة في حركة التكتل الصنهاجي :

ـ بنو وارث ذكرهم البكري نقلاً عن الوراق في وصف مراحل الطريق الرابط بين تامدلت وأودغست : "... ثم تمشي منه في بلد واران خمسة أيام مجابة في كثبان رمل إلى بير عظيمة في حد بني وارث قبلية من صنهاجة" (ص. 157). وكانوا يحصلون على قدر كبير من حاجياتهم عن طريق حماية القوافل ورسوم المرور.

گزولة تمتد مواطنها جنوب المغرب الأقصى بين وادي سوس ووادي درعة، وتخترقها الطرق التجارية المتجهة إلى بلاد السودان، ومن ثم انسابت فرق منهم إلى الصحراء وعاشوا بين أظهر قبيلة گدالة. وأشهر مواقع گزولة على خط القوافل التجارية في موطنهم الأصلي بسوس مدينةُ تمنارت (*المغرب*، ص. 157) في بلاد الفايجة المنفتحة على الصحراء، مسقط رأس تين يزا مارن أمّ عبد الله بن ياسين.

ـ لمطة قبيلة صنهاجية أصيلة من سلالة الجد الأعلى صنهاج على أشهر الأقوال أو من ذرية أحد إخوته على ما ذهب إليه ابن خلدون (*العبر*، 6 : 188) كانت تسكن بين وادي سوس ووادي نون. وفي هذا الموقع الأخير أسس اللمطيون حاضرتهم نول لمطة. وتنطلق من بلادهم شبكة من الطرق باتجاه السودان. تسربت عبرها عشائر لمطية إلى صحراء الملثمين لتقيم بين ديار لمتونة ومسوفة.

ـ تَرْغَة أو تارگا (تَرْجَة)، ورد اسمها ضمن لائحة أسماء قبائل دعاها ابن حوقل القبائل الصنهاجية الخُلّص (*صورة الأرض*، ص. 101). ويرى بعض المؤرخين ـ بناء على معنى تارگا في لغة الطوارق ـ أن أصلهم من فزان أو من الساقية الحمراء، وربما كانوا قد استقروا أثناء هجرتهم من الشرق في فزان مدة قبل أن ينتقلوا إلى الوادي : الساقية الحمراء. وكانت مواطنهم في العصر الوسيط بين الساقية الحمراء ووادي درعة (*المغرب*، ص. 174).

تتفق آراء معظم النسابين على الأصول العربية لقبيلة صنهاجة، وأنهم من حمير من اليمن، ويختلفون في أسباب هجرتهم من اليمن إلى بلاد المغرب وتاريخ تلك الهجرة في أخبار لا تخلو من طابع أسطوري.

تركزت مواطن الصنهاجيين خارج الصحراء في العهد الإسلامي بالمغربين الأدنى والأوسط، وأعظم بطونهم تلكاتة، وكبيرهم مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر الذي ناصر الأغالبة التابعين للدولة العباسية، وملك جانباً من هذه البلاد، وحل محله بعد موته ابنه زيري بن مناد الذي ناصر الفاطميين عند قيام دولتهم بتونس (*العبر*، 6 : 312). ولما عزم المعز الفاطمي على نقل دولته إلى مصر أناب عنه في إفريقية بُلكين بن زيري الصنهاجي سنة 362 / 973. فضبط البلاد إلى أن توفي وخلفه ابنه المنصور الصنهاجي الذي جرت بينه وبين أعمامه حروب طويلة فانهزموا أمامه ولحق بعضهم بالأندلس وأسسوا هناك مملكة غرناطة ضمن ممالك الطوائف. واستعان باديس بن المنصور بعمه حماد في إخضاع ثورة الزناتيين وجعل له ملك جميع ما يفتحه فأسس قلعة بني حماد بناحية قسنطينة واستقل بحكم المغرب الأوسط وبذلك انتشر النفوذ الصنهاجي في المغربين الأدنى والأوسط والأندلس (*العبر*، 6 : 317 ؛ *خلاصة تاريخ تونس*، 105) إلى أن قضى عليهم المرابطون.

أما المجموعة الصحراوية من صنهاجة المعروفة في الكتابات العربية الوسيطية بالملثمين، فهي موغلة في المفاوز الواقعة بين المغرب وبلاد السودان، كما سبق. ويعدّون من أول من اعتنق الإسلام في هذه المنطقة، لاتصالهم بالسوس الأقصى الذي تذكر بعض الروايات أن الفاتح العربي عقبة ابن نافع الفهري وصل إليه ونشر فيه الإسلام (*فتوح إفريقيا*، ص. 58).

تعتبر مملكة أودغست أول تنظيم سياسي تبلور فيه تحالف قبائل صنهاجة بزعامة لمتونة في تخوم السودان التي يُطلق عليها الفزاري (ت. 790 م) بلاد أنبيه (Recueil, p. 42) ويذكر اليعقوبي أن مملكة أودغست (يحرّفها غسط) كانت على غير دين الإسلام : "... غسط وهو واد عامر فيه المنازل وفيه ملك لهم لا دين له ولا شريعة يغزو بلاد السودان وممالكهم كثيرة" (*البلدان*، ص. 111)، لا يُعرف تاريخ نشأة هذه المملكة بدقة ولا متى أصبحت أودغست عاصمة لصنهاجة. وإنما المؤكد أنها كانت قائمة في القرن الثاني

(8 م)، وقد حدد ابن أبي زرع في *القرطاس* (ص. 121) تاريخ نشأتها ببداية حكم عبد الرحمن الداخل في الأندلس، ونحن نعلم أنه دخل الأندلس سنة 138 / 755 ـ 756 م. وأكد ذلك ابن خلدون في *العبر* (6 : 371).

كانت حدود مملكة أودغست تتسع تارة وتضيق أخرى بحسب قوة الرؤساء وضعفهم. ويعتبر ابن خلدون تلاگاگين اللمتوني أول ملك لصنهاجة الصحراء. واستمر الملك في ذريته من بعده. وبلغت أودغست أوج عزها وسعتها أيام ملكها تيولوتان بن تلاگاگين، فصارت مساحتها حسب الفزاري الذي قدرها بـ 2500 فرسخ طولاً و600 فرسخ عرضاً (*Recueil*, p. 42) وحوّل لويكي Lewicki الفراسخ إلى أميال فصارت 6.000.000 كلم2.

كان ملوك أودغست ينتمون جميعاً إلى قبيلة لمتونة وينحدرون من بيت بني ورتنطق (*العبر*، 6 : 373)، ثم استقرت السلطة في بيت تلاگاگين وابنه تيولوتان الذي ظل يحكم صحراء الملثمين خمسا وستين سنة، إلى حفيده تميم الذي ثار عليه شيوخ صنهاجة وقتلوه سنة 306 / 918 م، ولم يجتمعوا على أحد بعده، واستمر تشتت الصنهاجيين 120 سنة (*القرطاس*، ص. 121) هيمنت خلالها إمبراطورية غانة وحلفاؤها الزناتيون على الطرق التجارية، وأُبعد الصنهاجيون عن المناطق الحيوية للتجارة العابرة للصحراء، وحُشروا في مواقع قاحلة حتى قال عنهم البكري : "صنهاجة ظواعنُ رحالة في الصحراء ... وليس يعرفون حرثا ولا زرعا ولا خبزا، وإنما أموالهم الأنعام، وعيشهم من اللحم واللبن، ينقَدُ عمرُ أحدهم وما رأى خبزا ولا أكله" (*المغرب*، ص. 164).

تفرقت قبائل صنهاجة في هذه الفترة الحرجة وتصارعت بسبب ندرة المياه والمراعي على نحو ما وصفهم النويري في *نهاية الأرب* نقلا عن عبد العزيز بن شداد : "وكان بالصحراء قبائل العرب، وهي لمتونة وگدالة ولمطة وانبيصر وإيتواري ومسوفة وأفخاد عدة، وكل قبيلة قد حازت أرضا يسرح فيها مواشيها ويحمونها بسيوفهم" (ص. 377).

وقد عرفت الصحراء جفافاً حاداً في النصف الأول من القرن الثالث (9 م) أدى إلى هلاك جزء كبير من الثروات الحيوانية (*الكامل*، 9 : 75). واضطر الصنهاجيون إلى البحث عن بديل في التجارة التي افتقدوها، وأخذوا يعملون على استرجاع مناطق نفوذهم القديمة. وتكتلوا من جديد خلال العقد الثالث من القرن الهجري الخامس (1030 ـ 1039) حول زعيمهم محمد بن تيفاوت اللمتوني الذي تصفه المصادر بأنه "من أهل الدين والفضل والحج والجهاد" (*العبر*، 6 : 372).

كان ذلك نقطة تحول في سلوك الصنهاجيين وعقيدتهم، حيث لم يعودوا يبحثون عن زعيم قوي وكفي، وإنما أصبحوا يلتفّون حول رجل مومن صالح شجاع يطمئنون إليه ويُسلسون إليه القياد. سار ابن تيفاوت على رأس جيوش الملثمين نحو الجنوب لردع السلطة الغانية ـ الزناتية واسترجاع أوداغست، فاعترضتهم جيوش غانة في أعداد هائلة وصدّتهم وقُتل ابن تيفاوت بعد أن قضى ثلاث سنوات في قيادة الصنهاجيين، فخلفه صهره يحيى بن إبراهيم الگدالي الذي أتى بعبد الله ابن ياسين مرجعه من الحج سنة 428 / 1037. وأصبح الطريق بذلك ممهداً لإقامة دولة المرابطين (*البيان المغرب*، 4 : 8).

تنازل يحيى الگدالي ـ بإشارة من ابن ياسين ـ عن منصبه ليحيى بن عمر اللمتوني الذي أصبح ـ بإجماع قبائل صنهاجة ـ رئيس دولة المرابطين، ولقبه ابن ياسين "أمير الحق". (*البيان المغرب*، 4 : 12).

أظهر يحيى بن عمر اللمتوني كفاية حربية وسياسية فائقة، وقاد بنجاح المرابطين خلال سنة 447 / 1055 في معارك استرجعوا خلالها مدينة أودغست وسائر صحراء الملثمين، وملكوا أطرافا من بلاد السودان. ثم اتجه إلى الشمال فاستولى على مدينة سجلماسة بعد أن هزم حاكمها المغراوي مسعود بن وانودين، ورجع إلى الصحراء للقضاء على تمرد گدالة فقتلوه سنة 448 / 1056. وتولى الرآسة بعده أخوه أبو بكر.

صرف أبو بكر بن عمر نظره عن الصحراء إلى حين، وولى وجهه شطر الشمال، فأخضع أولاً بلاد سوس ودرعة قبل أن يتوجه إلى تامسنا لقتال قبائل برغواطة. وفي غمرة هذه المعارك قُتل عبد الله بن ياسين، فتابع أبو بكر جهاد البرغواطين وشرَّدَ بهم مَنْ خلفَهم. واتخذ من أغمات بعد فتحها مقراً له. ثم رأى أن يرجع إلى الصحراء سنة 453 / 1061 بعد أن أناب عنه في إتمام توحيد المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتوني، تاركاً معه نصف الجيش (*الاستقصا*، 2 :19).

كانت مصالح المرابطين في الجنوب قوية بالرغم على الأهمية التي أعطوها للشمال. فالمساحات الخاضعة لنفوذهم شاسعة جداً، والطرق التجارية التي تخترقها في غاية الأهمية، وبعض الممالك السودانية التي اعتنق ملوكها ورعاياها الإسلام انفصلت عن امبراطورية غانة وصاروا ينتظرون من المرابطين أن يُعنوا بالقضاء على الوثنية في غرب إفريقيا. وقاتل هؤلاء الملوك الحديثو عهد بالإسلام إلى جانب المرابطين خلال فترة مبكرة من قيام دولتهم بالصحراء. لذلك لما رجع أبو بكر إلى المغرب ليطلع على أحوال يوسف بن تاشفين، اطمأن على رسوخ قدمه وعاد إلى الصحراء متخلياً له نهائياً عن السلطة في الشمال (*المصدر السابق*، 20).

حقق أبو بكر أعمالا عظيمة ودخلت جيوشه عاصمة غانة سنة 468 / 1076 ـ على أصح الأقوال ـ ودخلت في طاعته عدة ممالك سودانية. وظلت العلاقة بينه وبين يوسف ابن تاشفين طيبة سليمة، (*قيام دولة المرابطين*، 220 ـ 221) وتمكن يوسف بن تاشفين خلال هذه الفترة مدعوماً مؤيّداً من قومه الصنهاجيين بالصحراء وأميرهم أبي بكر، من القيام

بأهم المنجزات العسكرية والسياسية والعمرانية : أسس مدينة مراكش سنة 453 / 1061، وفتح حواضر المغرب الأقصى والأوسط : فاساً وطنجة وسبتة، وبلاد غمارة وتادلا، وجزائر بني مزغنة وشيد حصوناً وقلاعاً كثيرة.

كانت الإمدادات الصنهاجية من الصحراء لا تنقطع عن يوسف بن تاشفين. فقد أرسل في بداية عهده يطلب من الملثمين القدوم إلى الغرب، فولّى أفراد القبائل الكبرى شؤون التسيير وقيادة الجيوش، واتخذ من أفراد القبائل الصغرى حشمه مثل گزولة (*الحلل الموشية*، ص. 33). وقبل أن يعبر إلى الأندلس لخوض معركة الزلاقة "قدمت عليه جنود الله من الغرب والصحراء والقبلة والزاب - وهو في سبتة - فشرع في إجازتها إلى الأندلس". (*الاستقصا*، 2 : 31).

وكان موت أبي بكر بن عمر سنة 480 / 1087 إيذاناً بانقسام الامبراطورية المرابطية واستقلال الجزء الشمالي منها عن الصحراء. فقد ضرب يوسف بن تاشفين السكة باسمه (*المسكوكات المغربية*، ص. 543)، وحصل من الخليفة العباسي أحمد المستظهر على كتاب يعهد إليه فيه بحكم المغرب والأندلس (*العبر*، 6 : 386) وتسمى بأمير المسلمين. واستمرت دولة المرابطين قائمة بالمغرب والأندلس إلى سنة 539/ 1145، حيث خلفتها دولة الموحدين. في حين ظل الشطر الجنوبي للدولة المرابطية تحت حكم زعماء لمتونيين حتى دخول قبيلة المغافرة العربية إلى الصحراء في القرن العاشر (16 م).

ومازالت حَتَى اليوم بطون من صنهاجة مستوطنة في مناطق مختلفة من المغرب بالريف والسهول الأطلنتية بالشاوية ودكالة وعبدة، وفي السوس الأقصى.

علي ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، بيروت، 1978 ؛ م. الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، (قسم إفريقيا والأندلس) تح. إسماعيل العربي ؛ أبو عبيد البكري، *المعرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر، 1857 ؛ أ. البلاذري، فتوح البلدان، تح. ع. الله أنيس الطباع وآخر، بيروت، 1987 ؛ م. الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1984 ؛ أبو القاسم ابن حوقل، *صورة الأرض*، بيروت، 1979 ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ *العبر*، بيروت، 1956 عصمت ع. اللطيف دندش، *دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا*، بيروت، 1988 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. الرحمن السعدي، *تاريخ السودان*، تح. هوداس، باريس، 1981 ؛ أ. اليعقوبي، كتاب البلدان، النجف، 1957 ؛ ع. الرحمن ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقيا والأندلس*، بيروت، 1964 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، تح. إحسان عباس، ط 3. بيروت، 1983، ج 4 ؛ أ. ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، تح. مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، 1988 ؛ أبو الفداء صاحب حماة، *الأخبار القويمة عن الحوادث القديمة*، ذيل على كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للطبري، مصر، 1919 ؛ تقويم البلدان، باريس، 1840 ؛ صالح بن قربة، *المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد*، الجزائر، 1986 ؛ كعت القاضي الفغ محمود، تاريخ الفتاش، نشر هوداس ودي لافوس، بلانس، 1981 ؛ مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، 1986 ؛ *الحلل الموشية*، تح. سهيل زكار، وع. القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979 ؛ حسن أحمد محمود، *قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى*، القاهرة، د. ت ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. 2. الدار البيضاء، 1954، الجزء الثاني ؛ القاضي النعمان التميمي، كتاب المجالس والمسامرات، تح. الحبيب الفقي وآخرين، نشر، تونس، 1978 ؛ أ. النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، تح. مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، 1985 ؛ المختار ولد حامد، حياة موريتانيا - الجغرافيا - بيروت، 1994 ؛ م. الناني ولد الحسين، *صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا*، أطروحة دكتورة مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1999 ؛ أ. الشكري، *مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية*، الرباط، 1997 ؛ ح. حسني عبد الوهاب، *مختصر تاريخ تونس*، تونس، 1980.

S.M. Cissoco, *Histoire de l'Afrique Occidentale, moyen-âge et temps moderne du VIIe siècle à 1850*, Paris, 1966 ; J. Cuoq, *Recueil des sources arabes concernant l'Afrique Occidentale du VIIe au XVIe siècle*, Paris, 1975 ; Histoire *de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest des origines jusqu'à la fin du XVIe siècle*, Paris, 1984 ; M. Delafosse, *Haut-Sénégal-Niger*, Paris, 1912; P. Lafosque, *Notes sur Aoudaghost, ancienne capitale des berbères Lemtoune*, in *B.C.E.H.S.* de l'A.O.F, 1940 ; Lagardere, *Les Almoravides jusqu'au règne du Yusuf Ben Tashifine (1039 - 1106)*, Paris, 1991 ; T. Lewicki, *Les origines de l'Islam dans les tribus berbères du Sahara*, in *Studia Islamica*, vol. 32, 1970 ; R. Mauny, *Tableau Géographique de l'Oueste Africain au Moyen Age...* ; C. Modat, *Les populations primitives de l'Adrar*, in *B.C.E.H.S.* de l'A.O.F., t. 1, 1919 ; J. Ki-Zerbo, *Histoire de l'Afrique noire d'hier à demain*, Paris, 1972 ; R. Roget (textes traduits par...), Le Maroc chez les auteurs anciens, Paris, 1924 ; UNESCO, *Histoire générale de l'Afrique*, t. 3, UNESCO, N.E.A., Paris, 1990 ; CH. de La Véronne, *Sanhadga, E. I*, 2 éd. 1998, T 9 : 18 - 19.

**الصنهاجي**، أسرة فاسية تنتسب إلى قبيلة صنهاجة الكبرى. وهم في فاس - حسب إزالة الالتباس - على فرقتين : فرقة قديمة بالمدينة معظمهم أهل معاش وحرفة، وكان منهم فقهاء وقضاة وعدول ومدرسون وصلحاء، مثل شمس الدين أبي عمر الصنهاجي المولود بفاس سنة 565 الذي توجه إلى مصر وخالط علماءها وولي قضاء قوص ودرّس بالأزهر ومات بالقاهرة سنة 639 / 41 - 1242، ذكره ابن السبكي في *الطبقات* ؛ والولي الصالح الحسن الصنهاجي دفين رحبة الزبيب بفاس ؛ وفرقة من صنهاجة الجبل دخلوا إلى فاس قريباً وزادوا في نسبهم "الغازي الحسيني". وقد وقع إبطال نسبتهم الحسينية من طرف الشرفاء الحسينيين. (انظر في *المعلمة* : *الصنهاجي، أبو الشتاء ومحمد*).

ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002، ج 1 : 569 ؛
ع. السلام ابن سودة، *إزالة الإلتباس*، مرقون، 2 : 93.

محمد حجي

**الصنهاجي، أحمد أزناك** أي الصنهاجي في الأمازيغية. ينتمي إلى قبيلة وسلست المنضوية تحت لواء صنهاجة أو زناكة التي توجد مواطنها حوالي مدينة تازناخت على الطريق الواصلة بين ورزازات وأگادير، بالأطلس الصغير. انتقل منها في زمن غير معروف إلى قرية تعزيت، حيث توجد زاوية سيدي عبد الحق القيرواني، وبها تزوج من

إحـدى بنات الزاوية المذكـورة. ومنهـا ارتحل مع بعض من قبيلته، إلى أيت ماحي، فخدة من قبيلة أيت عتاب القبيلة المشهورة على الضفة اليمنى لوادي العبيد بالأطلس المتوسط الغربي. وهنالك أصبحوا يدعون إزناگن واكسيسي. وينتمون الآن إلى خمس أسمسيل، أحد أخماس قبيلة أيت عتاب المذكورة. استقر أحمد الصنهاجي بأيت ماحي فبنى بها داراً وغرس أجنة ثم اشتغل، كباقي تلاميذ الناصريين بتلقين الأوراد للمنخرطين في سلك الطريقة وتدريس طلبة العلم، يذكر محمد بن عبد الله الخليفتي الذي انفرد بترجمته أنه كان فقيها ورعا زاهدا عالما بعلمه مجاهدا في عبادة ربه. أخذ عن الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، ولزمه حتى "نال منه نيلا عظيما"، وصار من أكابر تلاميذه. اشتهر الصنهاجي بتعبير الرؤيا، فكان "يرى الرؤيا فيعبرها لنفسه فتجيء كفلق الصبح"، على حد كلام الخليفتي.

وبما أن تلك الجهة التي استقر فيها أحمد الصنهاجي وتصدر لنفع الناس وظهر صلاحه، كانت من بين البوادي النائية، فقد انتشر صيته بسرعة وقصده الناس للتربية وطلب العلم. فنشأت حوله طائفة من المريدين الناصريين الذين شكلوا سلسلة متصلة الحلقات في جهتهم وعملوا على دعم زاوية تامگروت بحرصهم على الوقوف على سائر الوظائف التي كانت الزاوية الأم تضطلع بها.

وكما نجهل تاريخ ولادته نجهل تاريخ وفاته، غير أننا واثقون من أنه توفي بعد سنة 1134 / 1722، وهي السنة التي مر فيها الحسين الشرجيبلي بقرية تعزيت في طريقه إلى مدينة فاس. وكان المترجم قد لقيه وعزم على استفساره عن النزاع الذي نشب بينه وبين موسى الناصري حول مشيخة تامگروت، فكان من بين من جنحوا إلى الحياد إزاء ما وقع.

م. بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*، مرقون، تح. أ. عمالك، ص. 275 ؛ *التحري الميداني*.

أحمد عمالك

**الصنهاجي الحسن بن علي** حفيد المنصور بن بلكين بن مناد، ولد بسوسة في رجب 502 / فبراير 1109، تولى ملك الزيريين بعد وفاة والده وعمره اثنتا عشرة سنة، وقام بأمره مولاه صندل الخصي، ثم مات صندل وقام بأمره بعده مولاه أبو عزيز موفق (*البيان*، 1 : 308 و*نهاية الأرب*، 368).

كان الحسن هذا، وهو آخر ملوك الزيريين بإفريقية، قوي النفس مجتمع الفكر لا يتزحزح لعظام الأمور ولا يتضعضع لنوائب الأمور، مستوقد الذهن شجاع القلب كريم النفس حسن الفروسية ينظم الشعر (*المؤنس*، 116).

غادر عاصمة ملكه المهدية بعد أن غلبته جيوش روجار ملك صقلية عليها سنة 543/ 1148، بأهله وولده، وكانوا اثني عشر ولدا ذكرا غير الإناث وخواص خدمه. ولحق بمحرز بن زياد الفادغي شيخ عرب رياح، وطلب منه العون على محاربة النصارى، ولما لم يجبه إلى طلبه، أراد الرحيل إلى مصر لطلب العون من الخليفة الفاطمي الحافظ، لأن باسمه كان الحسن يخطب بالمهدية، فابتاع من تونس مركبا أعده لسفره (*رحلة التجاني*، 342) فأرصد له جرجي بن مخائيل الأنطاكي قائد أسطول ملك صقلية عشرين قطعة ترقب إقلاعه وتتبعه، وعلم بذلك الحسن فعدل عن السفر إلى مصر.

قرر بعد ذلك التوجه إلى الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي الگومي فارتحل إلى عنابة ونزل على صاحبها الحارث ابن المنصور، ومنها إلى قسنطينة حيث نزل على صاحبها سبع بن العزيز أخو يحيى صاحب بجاية (*العبر*، 6 : 215) ومنها سار إلى الجزائر، فحل بها في محرم 544 / مايو 1149 واستقر بها في أمكنة لا تليق به وجرايات لا تكفيه إلى أن فتحها عبد المؤمن سنة 547 / 1152 (*الكامل*، 11 . 17 ؛ *رحلة التجاني*، 343). فخرج إليه وبايعه، فأكرمه عبد المؤمن وصاهره، وحمله معه إلى مراكش، ثم صحبه في حملته على إفريقية سنة 554 / 1159 (*القرطاس*، 198). ولما افتتح عبد المؤمن المهدية سنة 555 / 1160 أسكنه بها وأقطعه رحيش، فأقام بها ثماني سنين، إلى أن استدعاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن للقدوم عليه، فارتحل بأهله يريد مراكش، وهلك بتامسنا في طريقه إليها في مكان يعرف بآبار زلو سنة 566 / 1171 (*العبر*، 215 و*رحلة التجاني*، 349 و*المؤنس*، 139 و116 و*الحلل السندسية*، 1 : 247 . 248).

ابن عذاري المراكشي، *البيان*، ن ج 1، تح. ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة ن بيروت، 1983 ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، ج 2، تح. إحسان عباس، بيروت، 1970 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، دار المنصور، الرباط، 1973 ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، تح. حسن حسني عبد الوهاب، بلرمو، 1910 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 6، دار الفكر، بيروت، 1988 ؛ التجاني، *رحلة التجاني*، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1981 ؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، ج 11، القاهرة، 1301 ؛ النويري، *نهاية الأرب*، تح. مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، 1985 ؛ السراج، *الحلل السندسية*، ج 1، تح. م. الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

حسن حافظي علوي

## الصنهاجي، سعيد ← الأنجري سعيد

**الصنهاجي، عبد العزيز** من كبار صلحاء سلا زهداً وورعاً ومكاشفة، عرف باللَّبْلي نسبة إلى مدينة لبلة الأندلسية. زاره السلطان عبد العزيز المريني فكاشفه بأشياء تعجب منها. كان المترجم يطعم الطعام، ويبذل الجهد في قضاء حاجات المسلمين. لقيه محمد بن أبي بكر الحضرمي بمدينة سلا عام 763 / 1361 وتبرك به والتمس منه الدعاء، وقد سطر بعض كراماته في كتابه *السلسل العذب*، كما أشاد به ابن الخطيب في إحدى قصائده التي يتشوق فيها إلى الحاضرة السلاوية.

كان الشيخ عبد العزيز الصنهاجي حيا في حدود 770 / 68 . 1369. دفن خارج باب معلقة قريباً من ضريح الشيخ أحمد بن عاشر الجزيري السلاوي.

م. الحضرمي، *السلسل العذب*، تح. م. النجار، ص. 31 ـ 35 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، تح. م. الفاسي وأدولف فور، 1965، ص. 84.

محمد السعديين

**الصنهاجي الغازي، أبو الشتاء** بن الحسن، من صنهاجة الشمس مدشر أولاد الفاطمي عمالة تاونات، وبها ولد سنة 1299 / 1882. انتقلت أسرته إلى فاس سنة 1315 / 1897، وادعوا الشرف الحسيني فلم يسلّم لهم ذلك الشرفاء الحسينيون المعروفون المعدودة فرقهم على رؤوس الأصابع وانتهى الأمر إلى التداعي والحكم ببطلان هذا الانتساب.

درس المترجم بفاس على الشيوخ عبد الله الفضيلي ومَحمد العلمي والفاطمي الشرادي وغيرهم، وتخرج فقيهاً متمكناً من فروع المذهب المالكي وأصوله مشاركاً في الفلك والتوقيت والحساب. اشتغل بالتدريس بالقرويين قبل إدخال النظام وبعده وانتفع به الطلبة أيما انتفاع لحسن تدريسه وتبليغه. ذكر إدريس الإدريسي أنه "كان عالماً عارفاً بالفقه والفرائض والحساب والتوقيت، خيراً ديناً ذا سمت حسن ومروءة تامة، مشتغلا بالعلم والتعليم دؤوباً على التدريس يغلب عليه علم الفقه، وكان الطلبة الأفاقيون يتهافتون على دروسه، كما وقع الإقبال على مؤلفاته".

بلغت مؤلفاته نحو عشرين كتاباً، طبع منها : الإيضاح والتحصيل لشرح الخرشي على فرائض خليل ؛ *تحرير المقالة في مسائل الوكالة* ؛ *تحفة الإخوان لمسائل الإيمان* ؛ *تحفة المبتدئين في إعراب الماضي والمضارع والأمر بإيضاح وتبيين* ؛ *منهاج الناشئين من القضاة والحكام في كيفية إجراء الدعوة من البدء إلى تمام الأحكام* ؛ *مواهب الخلاّق على شرح التاودي للامية الزقاق*.

توفي بفاس يوم الثلاثاء ثاني عشري رمضان عام 1365/ 20 غشت 1946، ودفن بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع وسل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996. ج 9 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988.

**الصنهاجي الغازي، محمد** بن الحسن. ولد ببلدة صنهاجة الشمس عام 1305 / 87 ـ 1888 وهناك حفظ القرآن ولما بلغ العاشرة من عمره دخل مع أسرته إلى فاس فأتم دراسته وأخذ عن شيوخ القرويين أمثال أحمد ابن الخياط وأحمد ابن الجيلالي الأمغاري ومَحمد بن قاسم القادري وشقيقه أبي الشتاء الصنهاجي سابق الترجمة وغيرهم. وفي سنة 1330 / 1912 أدرج في لائحة العلماء المدرسين. وعمل كذلك في التعليم الرسمي، وبمجلس الاستيناف الشرعي الأعلى بالرباط. له تعاليق على *شروح التلخيص* في البلاغة، وعلى *صحيح البخاري* و*كتاب السبكي في الأصول*، وكتب فقهية متنوعة.

توفي بالرباط ليلة السبت 14 حجة عام 1365 / 9 نونبر 1946 ونقل إلى فاس فأقبر بروضة الخميري بالقباب في جوار شقيقه أبي الشتاء.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع وسل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996. ج 9 ؛ م. ابن الحاج، *إسعاف الإخوان*، الدار البيضاء، 1992، ص. 178 ـ 179.

**الصنهاجي، محمد** بن **أحمد** بن عيسى الفاسي. أديب شاعر ناثر، فقيه مشارك. عمل كاتباً مع باشا فاس عبد الله بن احماد السوسي، ثم مع الوزير محمد ابن العربي الجامعي حظياً لديه، فلما مرض الجامعي سنة 1303 / 1886 صار الصنهاجي ينوب عنه بأمر مولوي ثم حل محله في الوزارة.

كان محمد الصنهاجي علاوة على أعماله المخزنية، لا ينقطع عن التدريس بالقرويين، لا سيما مادة أصول الفقه، وكسب أموالاً طائلة وأصولا كثيرة بولايته بعد أن كان ذا فاقة في أول أمره.

توفي بفاس يوم الخميس سادس جمادى الثانية عام 1309 / 7 يناير 1892، ودفن بزاوية الشيخ قاسم ابن رحمون.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ط 2، الرباط، 1990، ج 2 : 207 و 513 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996. ج 8 : 2787.

محمد حجي

**الصنهاجي، محمد** بن **عبد المنعم** الحميري السبتي. يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عبد المنعم (*جذوة*، 316) كاتب، فقيه، شاعر، نحوي وطبيب. كان متضلعا في علوم عصره من حديث ولغة ونحو. كما كان على دراية بالعلوم العقلية. تتلمذ بسبتة عن أبي إسحاق الغافقي وأبي القاسم ابن الشاط (*الدرر*، 4 : 32). وقد اعتبره ابن الخطيب من صدور الحفاظ وفحول النحاة، بل تفرد في ذلك، بحيث كان يستظهر كتاب *التاج* للجوهري ويسرد كتاب سيبويه بلفظه. وكان يقدم جواهر ابن شاش في الفقه على غيرها من كتبه

(*الإحاطة*، 3 : 134؛ *بلغة*،175 ؛ *الكتيبة*، 277). درس بالمسجد الموجود بإزاء زقاق الفضل على الممر الأعظم. ويذكر أبو عبد الله الزيات أنه كان يقرئ طلبته في المجلس الواحد علوما متعددة وكانت آخر مواده الطب يقول : "فكنت أرى بعض الطلبة ممن طال به المجلس خارجا من المسجد ويدخل إليه أصحاب العلل والزمن شيوخا وكهولا لحضور دولته الطبية". كما برهن على مهارة عالية في الشطرنج. كما كان يقول الشعر وقد اختبره الفاسيون في اللغة والنحو حين حضر فاس في وفد أهل سبتة أيام حكم السلطان أبي الحسن، وبرهن عن تفوقه وأقام الدليل على قوله من شواهد العرب. فعلم السلطان والحضور منزلته (*بلغة*، 175 ؛ *اختصار*، 20). ومما يدل أيضاً على مكانة الرجل في سبتة أنه انتدب كممثل لأهل بلده في الوفد الذي قدم غرناطة لتقديم البيعة لسلطان بني نصر حينما سقطت سبتة في قبضتهم وذلك سنة 705 / 1306. وكان يوجد من بين أفراد هذا الوفد أستاذاه أبو القاسم ابن الشاط ومحمد بن علي بن هانئ اللخمي السبتي (*الإحاطة*، 3 : 135). يعتبره المؤرخون المحدثون (*الروض*، *المقدمة*) مؤلف كتاب *الروض المعطار في خبر الأقطار* مع العلم أنه لا يوجد في متون المصادر المترجمة له ما يدل على ذلك. كما يعوزنا ما يفيد بشكل مؤكد على اهتمام الرجل بكتب الجغرافيا والرحلات. وقد اختلف في تحديد مكان وظروف وفاته فحسب *بلغة الأمنية* توفي في سبتة في أحد شهور عام 750 / 1349 (*بلغة*، 176 ؛ *اختصار*، 20). أما ابن الخطيب فيذكر أن الموت الناجم عن وباء قاتل جرفه وجرف الوفد المرافق له عند أحواز تازة وهم في طريق عودتهم من فاس (*الإحاطة*، 3 : 135).

مجهول، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب*، تح. م. ابن تاويت، مجلة تطوان، العدد 9، 1964، ص. 175 - 176 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، بيروت، الجزء الرابع، ص. 32 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1403 / 1983، ص. 20؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثالث، ص. 134 - 135 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 316 ؛ م. بن عبد المنعم الحميري، *كتاب الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1980، مقدمة.

زوليخة بنرمضان

**الصنهاجي محمد** بن **علي**، المراكشي عالم مبرز في التوقيت والتعديل والأوقاف. وكان عمه إمام المعدلين والموقتين بمراكش أواخر القرن الحادي عشر. واعتبارا للروابط الوثيقة بين هذه المدينة وقبائل وادي نفيس سواء على المستوى العلمي أو الصوفي أو الاقتصادي انتقل إلى زاوية تاسفت ملازماً لمسجدها مدرساً ومعتكفاً ما بين سنوات 1112 و1127 فأقبل عليه طلبتها وعلى رأسهم ابن شيخ الزاوية عبد الله بن إبراهيم الزرهوني، وبقي بها أزيد من خمس عشرة سنة. وجد فيه أهلها ضالتهم المنشودة وهي الاهتمام بعلم الفلك واستطلاع الكواكب وتحديد موقع القبلة، وأصبح مرجعهم في التنبؤ في أوقات الشدة والابتلاء التي عرفتها المنطقة وعاشها هو نفسه مع السكان وأهمها : دخول المحلة المخزنية لتاسفت وتهديمها للزاوية. وظهور المدعي بودربالة يزيد نجل المرابط محمد بن عبد الله الولتيتي بقبيلة زداغة طلبا للحكم وبحثا عن مؤيدين وأتباع.

وقد أشار إلى هذه الاستشارة عبد الله الزرهوني ابن شيخ الزاوية في كتابه : *رحلة الوافد* وخاصة ما تعلق بشيخه الصنهاجي والتعريف به.

وبعد حوالي شهر من دخول المحلة الزاوية أرسل قائدها الباشا عبد الكريم في طلب الصنهاجي وسأله عن أحوال المرابط إبراهيم الزرهوني ورغب في معرفة ما عنده من علم الفلك والكواكب وغيرهما ثم خَلّى سبيله وذلك في شوال عام 1127 وتوفي بعد هذا التاريخ.

ع. الله الزرهوني، *رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد في هذه الأجيال بإذن الواحد*، تح. علي صدقي ازايكو ؛ م. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ج 6 : 331.

محمد ماكامان

**الصنهاجي، محمد ماني** بن محمد بن المفضل، ولد بفاس عام 1260 / 1844 ودرس على كبار شيوخ عصره : محمد بن المدني گنون وعبد السلام بوغالب والمهدي ابن سودة وأضرابهم، وأخذ الطريقة التجانية عن أبي المواهب العربي ابن السايح الرباطي.

كانت له اليد الطولى في الإفتاء والنوازل مع التحرير والإتقان لذلك نُقل إلى الدار البيضاء حوالي سنة 1306 / 1888 للتدريس والإفتاء بها. وله *تآليف كثيرة، منها تأليف في مسألة الكسب*، وآخر في حديث *لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق* وتقييد في *نفي ما نسب إلى حسان بن ثابت من أبيات*. *وتعاليق على مواضيع من ألفية ابن مالك*. وقد جمع *فتاويه* تلميذه الشيخ أحمد بن الحاج العياشي سكيرج في مجلد.

توفي بفاس في حادي عشر ربيع الأول عام 1333 / 27 يناير 1915 ودفن بالقباب قرب ضريح الشيخ حماموش.

أ. سكيرج، *رفع النقاب* ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع بسل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8.

محمد حجي

**الصنهاجي، المعز**، يكنّى أبا عبد الله، طبيب وفقيه سبتي. يذكر صاحب *اختصار الأخبار* أنه اشتغل بالتوثيق بسماط العدول من سبتة. كما تولى بعض المهام بها أيام استيلاء الملك أبي عبد الله بن الأحمر على المدينة. إلا أنه بعد عودة سبتة إلى الإيالة المرينية وثورة الأهالي بها على عامل بني الأحمر يحيى بن شعيب الصنهاجي وذلك ليلة الجمعة ثالث عيد الأضحى من سنة 788 / 1387، نهب منزله وسلبت ذخائره وكتبه، وغرب ضمن من غرب من أكابر سبتة إلى فاس. وبها توفي في جمادى الأولى سنة 792 / 1391.

*بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب*، تح. م. بن تاويت، مجلة تطوان، العدد 9، 1964، ص. 187.

زوليخة بنرمضان

**الصنهاجي ميمون** بن ياسين لمتوني أصله من الصحراء وسكن ألمرية وإشبيلية، يكنى بأبي عمر. كان رجلا صالحاً صحيح السماع ثقة فيما يرويه فاضلا موثرا سمحا بما يملكه، حسن اللقاء، جميل العشرة، كريم الأخلاق، جليل المقدار، معظما عند العامة والخاصة، معتنيا بالآثار مقتنيا للأصول، وصحب أبا عبد الله مالك بن وهيب وزير السلطان علي بن يوسف (*الذيل والتكملة*، 8 : 406). حج سنة 497 / 1104 وسمع بمكة من أبي عبد الله الطبري *صحيح مسلم*، بقراءة محمد بن هبة الله بن مميل الدمشقي في نسخة سنفرية عدة ورقها مائة ورقة وثلاث وسبعون ورقة في كل صفحة منها خمسون سطرا بخط المتقن البارع أبي عبد الله مالك بن يحيى بن أحمد بن وهيب وباقتراح المترجم له. وقد نسخها كذلك عليه في نسخة أصغر قصد بها تخفيف محملها للرحلة. قال ابن عبد الملك : "وإنها لمن أغرب ما رأيت من نسخ *صحيح مسلم* وأشرفه" وقد وقف ابن عبد الملك أيضاً على نسخة أخرى مشرقية الخط من صحيح مسلم مجزأة تسعة وعشرين جزءاً تجمعها ستة مجلدات سمعها المترجم له على الطبري بمكة وابتاعها هناك (*الذيل والتكملة*، 8 : 405). وسمع بمكة أيضاً من أبي مكتوم بن أبي ذر الهروي صحيح البخاري من أصل أبيه أبي ذر، سمعه عليه في عدة اشهر قبل وصول الحجيج، وابتاعه منه بمال جليل، وهو الذي أوصله إلى المغرب ( *التكملة*، 2 : 174). وروى بمكة أيضا عن أبي عبد الله محمد بن أحمد الأندلسي وأخذ عنه اختصاره تفسير الطبري، وعن محمد بن موسى بن الفرج الدريندي وتناول منه تحفة الأصحاب في شرح الشهاب من جمعه (*الذيل والتكملة*، 8 : 405).

لما عاد ميمون بن ياسين الصنهاجي إلى المغرب أسمع الحديث بمراكش وبتاسغيموت (*الذيل والتكملة*، 8 : 406) وذكر البيدق في معرض حديثه عن الحصون التي بناها المرابطون لكي ينتصروا بها على الموحدين أن الذي بنى تاسغيموت هو ميمون بن ياسين الصنهاجي وأن الموحدين هزموه بها (*أخبار المهدي*، 45 - 91) ويفهم من ذلك أن المترجم له كان إلى جانب إلمامه بالعلوم وشغفه بجمع الكتب من قواد المرابطين وعظمائهم في تدبير الشؤون العسكرية.

حدث ميمون بن ياسين بالأندلس بإشبيلية وبغيرها، وممن حدث عنه أبو إسحاق بن حبيش وأبو القاسم بن بشكوال وأبو إسحاق بن فرقد وأبو بكر بن خير وأبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مسلمة وأبو الحسن مفرج بن سعادة وغيرهم (*التكملة*، 2 : 197 و*الذيل والتكملة*، 8 : 406). وكانت لديه نسخة من كتاب *إحياء علوم الدين* للغزالي، كان معول الغزالية بالمغرب عليها بعد إحراق الإحياء، ثم توعده السلطان علي بن يوسف بإحضارها له (*نظم الجمان*، 71 وندوة *أبو حامد الغزالي*، 126).

توفي ميمون بن ياسين بإشبيلية في ذي القعدة سنة 530/ غشت 1136 (*التكملة*، 2 : 197 و*الذيل والتكملة*، 8 : 306، و*الإعلام*، 7 : 3010).

ابن الأبار، *التكملة*، تح. ع الهراس، الدار البيضاء، ج 2 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، السفر 8، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1984 ؛ *البيدق*، أخبار المهدي، الرباط، 1971 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. ع. م علي مكي، بيروت، 1990 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 7، المطبعة الملكية، الرباط، 1979 ؛ م. المنوني، *إحياء علوم الدين في منظور الغرب الإسلامي أيام المرابطين والموحدين*، ضمن أعمال ندوة أبو حامد الغزالي، دراسات في فكره وعصره وتأثيره، الرباط، 1988.

حسن حافظي علوي

**الصنوبر** أو تايدا بالأمازيغية شجر يسمى علميا بينوسْ Pinus من فصيلة الصنوبريات Pinaceae أو الشوحيات Abietaceae التي تشمل أيضاً أنواع الشوح والأرز (انظر شُوح وأرز)، والتي لها انتشار واسع جداً في النصف الشمالي فقط من الكرة الأرضية وخاصة بمنطقة التايگا التي تشكل حزاما متواصلا يمتد من سيبيريا شرقا إلى غرب كندا مروراً بالدول الاسكاندنافية.

يمثل الصنوبر بأكثر من 150 نوع في العالم. وهي أشجار كبيرة ونادراً جنبات، ذات تاج مخروطي الشكل، وارتفاع يتراوح ما بين 20 و50 م، أغصانها كوكبية وأفقية. أوراقها دائمة الخضرة إبرية الشكل ومجتمعة في غمد : كل ورقتين أو ثلاث أو خمس أوراق مجتمعة في غمد واحد. يختلف طول الإبر حسب الأنواع. أزهارها مجتمعة في مخاريط ذكرية وأخرى أنثوية محمولة على نفس الشجرة. ثمارها على شكل مخاريط بيضوية الشكل وذات أحجام تختلف حسب الأنواع، متألفة من حراشف متخشبة مرتصة وموشورية الشكل. تحمل كل حرشفة في داخلها بذرتين بيضوية الشكل ومجنحة. تنضج المخاريط الثمرية بعد سنتين أو ثلاث سنوات.

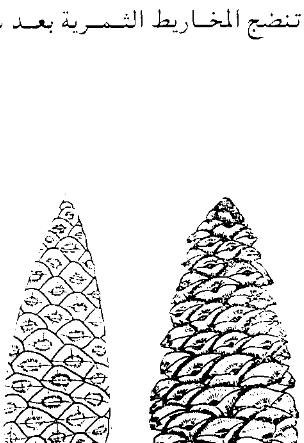

أنواع الصنوبر الطبيعية بالمغرب ثلاثة. أما الأنواع الدخيلة فهي عديدة، سنذكر أهمها :

- الصنوبر الحلبي أو بينوس حلبينسيس Pinus halepensis نوع نسب اسمه إلى مدينة حلب السورية بالرغم من أنه قليل الانتشار في الجزء الشرقي من المنطقة المتوسطية ويكثر في جزئها الغربي كما هو الشأن في الجزائر وإسبانيا وتونس حيث يشكل غابات تكسو مساحات شاسعة. أما في المغرب فانتشاره محدود.

الصنوبر الحلبي شجرة ذات تاج كروي الشكل وارتفاع يتراوح ما بين 20 و 30 م. جذعه شبه مستقيم. أوراقه لينة. كل ورقتين مجتمعتان في غمد واحد. يتراوح طول الورقة ما بين 5 و10 سم. لون الأوراق أخضر فاتح. يبلغ طول المخاريط الثمرية من 8 إلى 12 سم.

ينحصر مجال الصنوبر الحلبي في المغرب في المنطقة الشرقية وخاصة في جبال بني يزناسن ودبدو وكذلك في بعض المنخفضات المقعرة من السلاسل الجبلية من الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير، لأنه يخشى رطوبة الجو الصادرة من المحيط الأطلنطي.

يعيش الصنوبر الحلبي في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة من الطابقين المتوسطي الدافيء والمتوسطي. وفي جل هذه المجالات يصادف على أتربة متنوعة، ما عدا الملحية منها، لكنه يحبذ الكلسية منها.

إنه من الأنواع أليفة النور والحرارة، والمحبذة للقارية، إذ لا يصادف طبيعيا على الساحل الأطلنطي.

تظهر تشكيلات الصنوبر الحلبي في نطاقات البلوط القرمزي والبلوط الأخضر والعرعر البربري واستثنائيا البلوط الفليني.

- الصنوبر الصنوبري أو الصنوبر البحري أو بينوسْ بيناستير Pinus pinaster يشمل ضربين طبيعيين بالمغرب وضربا ثالثا دخيلا. فالضربان الطبيعيان بالمغرب هما الصنوبر الصنوبري المغربي Pinus pinaster var. maghrebiana الذي هو قبسي خاص بالمغرب حيث يشكل بقعا محدودة المساحة ومتناثرة في الارتفاعات المتوسطة من الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير، وكذلك الصنوبر الصنوبري الإيبيري Pinus pinaster var. iberica الذي ينتشر بشبه الجزيرة الإيبيرية ولا يصادف طبيعيا في المغرب إلا في مجال شبه جزيرة طنجة ما بين القصر الصغير وشفشاون. أما الضرب الدخيل فهو الصنوبر الصنوبري البحري الذي موطنه الأصلي هو جنوب غرب فرنسا المتوسطية.

الصنوبر الصنوبري شجرة يتراوح ارتفاعها ما بين 20 و40 م. جذعها مستقيم وذو لحاء سميك. فروعها على شكل كوكبات. أوراقها صلبة وخشنة. كل ورقتين مجتمعتان في غمد واحد. يبلغ طول الورقة ما بين 10 و25 سم. لون الأوراق أخضر قاتم. يتراوح طول المخروط الثمري ما بين 8 و20 سم.

تعيش تشكيلات الضربين الطبيعيين على أتربة متنوعة الصخرية وفي مناطق بيومناخية شبه رطبة ورطبة ورطبة جداً. أما من حيث التنطيق الارتفاعي فإن الضرب المغربي يوجد في الطابقين المتوسطي وفوق المتوسطي أي ما بين 1000 و2200 م من الارتفاع، بينما ينحصر الصنوبر الإيبيري في الطابق المتوسطي الدافيء ما بين سطح البحر و1000 م.

تظهر تشكيلات الصنوبر المغربي في مجالات الوحدات البيئية من طرف البلوط الأخضر أو البلوط الفليني أو الأرز أو الشوح بينما تستقر بقع الصنوبر الايبيري في مجالات الوحدات البيئية المنظمة من طرف البلوط القرمزي والبلوط الفليني.

يستعمل الضرب الدخيل في تشجير المناطق البيومناخية شبه الرطبة والرطبة من الشمال والشمال الغربي للمغرب على أتربة حمضية كما هو الشأن بالمعمورة ومنطقة طنجة والعرائش وتطوان وشفشاون التي لا يتعدى ارتفاعها 1000م.

- الصنوبر الأسود الموريطاني أو بينوس كلوزيانا تحت نوع موريطانيكا Pinus clusiana ssp. mauritanica نسب إلى موريطانيا الرومانية لأنه قبسي لشمال إفريقيا حيث يوجد بمنطقتين جبليتين على مساحات جد محدودة بالشمال الجزائري والشمال المغربي. إنه شجرة جميلة الهيئة وطويلة القامة إذ من الممكن أن يبلغ علوها 50 م، ذات جذع مستقيم وأوراق لينة مستقيمة أو مقوسة. كل ورقتين مجتمعتان في غمد واحد. يبلغ طول الورقة ما بين 8 و15 سم، وطول المخروط الثمري ما بين 5 و8 سم فقط.

يشكل الصنوبر الموريطاني باقات على مساحات جد محدودة في الجزء السفلي من مجال الوحدة البيئية فوق المتوسطية المنظمة من طرف الشوح المغربي أو البلوط الأخضر وذلك في البيومناخ الرطب وعلى أتربة كلسية للجزء الشرقي من الظهرة الكلسية للريف الغربي.

- الصنوبر الكناري أو بينوس كناريينسيس Pinus canariensis نوع قبسي خاص بالجزر الخالدات. إنه شجرة من الممكن أن تتجاوز 30 م من العلو. جذعها مستقيم. أوراقها لينة ومتدلية وطويلة إذ يتراوح طولها ما بين 20 و30 سم، ورقيقة. كل ثلاث ورقات مجتمعة في غمد واحد. طول المخروط الثمري يتراوح ما بين 15 و20 سم.

أُدخل الصنوبر الكناري إلى كل المناطق ذات المناخ المتوسطي الموجودة في القارات الخمس. فبالنسبة للمغرب يغرس النوع في الجزء الشمالي وخاصة في منطقة وزان، وتازة، والريف الغربي وكذلك في الحدائق للزينة. وتتم عمليات التشجير بنجاح في المناطق شبه الرطبة من الطابقين المتوسطي الدافيء والمتوسطي.

- الصنوبر الثمري أو المظلي أو بينوس بينيا Pinus pinea نوع طبيعي بالمنطقة المتوسطية لأوروبا وآسيا. لكنه نظراً للذة بذوره وجمال هيئته المظلية الشكل استعمله الإنسان منذ أقدم العصور كشجرة مثمرة وشجرة زينة فغرسه في الحدائق وعلى مساحات واسعة في السواحل المتوسطية في القارات الخمس.

إنها شجرة يبلغ ارتفاعها ما بين 20 و30 م، ذات تاج كثيف مظلي الشكل. كل ورقتين مجتمعتان في غمد واحد. طول الورقة من 8 إلى 10 سم، لونها أخضر زاه. المخروط الثمري بيضوي الشكل أو شبه كروي، ذو طول من 8 إلى 10 سم. البذور كبيرة جداً مقارنة مع الأنواع الأخرى، وذات غلاف سميك وقاس، يصعب كسره لاستخراج النواة ذات المذاق اللذيذ في تغذية الإنسان.

في المغرب يستعمل هذا النوع في التشجير الحراجي في المناطق البيومناخية شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة للطوابق الثلاثة السفلية وهي المتوسطي والمتوسطي الدافيء وتحت المتوسطي. وأقدم المساحات المشجرة من هذا النوع هي التي أنجزت في العشرينيات من القرن العشرين بالجبل الكبير بطنجة وكذلك بضواحي العرائش. لكنه غرس بالحدائق كشجرة زينة قبل ذلك بكثير. ولم يغرس بالمغرب لحد الآن كشجرة مثمرة لأن أهل المغرب الأقصى يجهلون قيمة استهلاك بذوره نظراً لكونهم لم يتأثروا بعادات العثمانيين الذين لم يدخلوا هذا البلد بخلاف ما هو معروف في الجزائر وتونس وبلدان الشرق الأوسط وكذلك بلدان أوروبا المتوسطية كإيطاليا وإسبانيا والبرتغال. وتجدر الإشارة إلى أن تونس تشتري كميات كبيرة من بذور الصنوبر الثمري لاستهلاكها في الحلويات أو مع الشاي، وذلك من البلدان المنتجة وخاصة إيطاليا لأن بلدان الشرق الأوسط كلبنان وسوريا وتركيا والعراق وإيران تستهلك جل إنتاجها من هذه المادة في تحضير عدة أنواع من الحلويات.

وما ورد هنا عن استهلاك بذور الصنوبر الثمري ينطبق تماما على استهلاك بذور الفستق الذي يكاد يجهله أهل المغرب بينما يعتبر من أهم المواد الأساسية في تحضير الحلويات المنتجة في بلدان الشرق الأوسط (انظر فستق).

- الصنوبر البروتي أو بينوس بروتيا Pinus brutia نوع يشبه كثيراً الصنوبر الحلبي لكنه خاص بالجزء الشرقي للمنطقة المتوسطية حيث يوجد ما بين جزيرة كريت غربا والعراق شرقا مروراً بفلسطين ولبنان وسوريا وتركيا.

إنها شجرة يزيد ارتفاعها عن 20 م، ذات جذع مستقيم. تجتمع كل ورقتين في غمد واحد. لون الأوراق أخضر غامق، طولها من 10 إلى 15 سم. المخاريط الثمرية بيضوية الشكل وملتصقة مباشرة بالغصن.

أدخل النوع في المغرب ليستعمل في عمليات التشجير الحراجي لبعض المناطق شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة. لكن المساحات المشجرة بهذا النوع مازالت محدودة جداً بالرغم من تميزه باستقامة ساقه وتحمله للبرودة مقارنة مع الصنوبر الحلبي الذي يعتبر بديله في الجزء الغربي من المنطقة المتوسطية.

- الصنوبر المونتيري أو بينوس ردياتا Pinus radiata شجرة يتراوح ارتفاعها ما بين 25 و30 م، ذات تاج كثيف. أوراقها ذات لون أخضر داكن، وطول ما بين 10 و20 سم. كل ثلاث ورقات مجتمعة في غمد واحد. طول المخاريط الثمرية يتراوح ما بين 7 و10 سم.

المنطقة الأصلية للنوع هي الجهة الشرقية من خليج مونتيري بوسط كاليفورنيا ذات الظروف المناخية الشبيهة بتلك التي تتميز بها المنطقة المتوسطية. ونظراً لنموه السريع فقد استعمل في التشجير الحراجي خارج موطنه الأصلي، وذلك في المنطقة المتوسطية الدافئة شبه الرطبة والرطبة من وسط الشيلي وبالقرب من مدينة الكاب بجنوب إفريقيا، وبجنوب غرب استراليا، بالإضافة إلى سواحل بلدان حوض البحر المتوسط.

أما في المغرب فقد استعمل في عمليات التشجير التي شملت مساحات من الريف الغربي ومنطقة تازة والمعمورة والغرب والهضبة الوسطى. ولكن هذا النوع لم يعط نتائج جيدة. فبالرغم من نموه السريع فإنه لا يتحمل فترات اشتداد الحرارة والجفاف بفصل الصيف، فينتج عن ذلك وفيات لأشجار بالغة من تشكيلاته قبل استغلالها.

تعطي أنواع الصنوبر مواد عديدة، منها خشب خفيف ومرن وسهل الاستعمالات الشيء الذي يجعله يصلح في صناعة الأثاث وصناعة الصناديق الخاصة بتلفيف البواكير المغربية المهيأة للتصدير. كما يستعمل في البلدان الأوروبية وغيرها لإنتاج عجين الورق ذي الألياف الطويلة. إضافة إلى إنتاج البذور بالنسبة للصنوبر الثمري، وإنتاج مادة القطران.

*أبحاث شخصية.*

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Ibis Press, Paris, 2000, 360 p. ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Larose, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

**الصهيونية والمغرب** بعد سنوات قليلة من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال Bâle بسويسرا سنة 1897، بدأ بعض النشطاء الصهاينة الأجانب - ومعظمهم من يهود أوروبا الوسطى والشرقية (Achkénazes) - يؤسسون في المغرب خلايا لبث أفكارهم في الأوساط اليهودية المغربية. فأسست أول الأمر جمعيات في بعض المدن الساحلية كتطوان والصويرة وأسفي، ثم بعد ذلك توغلت الحركة إلى مدن داخلية كفاس ومكناس وصفرو. وقد انصب هم هذه الجمعيات على جمع التبرعات وإرسالها إلى المنظمة الصهيونية العالمية، كما قامت بنشر بعض الأدبيات الصهيونية في صفوف المتعلمين اليهود خريجي مدارس الرابطة اليهودية العالمية التي نشطت في المغرب منذ سنة 1862. ومعلوم أن هذه الرابطة لم تكن تشاطر في تلك الآونة عمل الحركة الصهيونية على اقتلاع يهود الشتات من مواطنهم الأصلية وتهجيرهم إلى فلسطين. إنها على عكس ذلك كانت تهدف إلى ربطهم بالحضارة الفرنسية، كما كانت تسعى جمعية Hispano - Hebrea إلى ربط مصيرهم بالقارة الإسبانية.

وبعد الإعلان عن وعد بلفور (1917)، رمت الدعاية الصهيونية بثقلها في المغرب أكثر من أي وقت مضى لتقنع

اليهود بأن الوقت قد حان للانضمام بحماس لمشروع "الوطن القومي" في فلسطين. ومن تجليات هذه الحملة إقدام جوزيف ليفي، وهو وكيل الشركة اللندنية Macabean Land Company Limited، على توزيع مطبوعات صهيونية في فاس وتمكنه من بيع أراضي فلسطينية لبعض يهود هذه المدينة الذين لم يسبق لهم أن عرفوا عن فلسطين إلا الاسم. وهذا من الأسباب التي جعلت الجنرال ليوطي يقف بالمرصاد للدعاية الصهيونية خشية أن تفسد ما كان يسميه بـ "سياسته الإسلامية". وقد وجد المقيم العام الفرنسي الدعم والسند من يحيى الزاكوري، مفتش مدارس الرابطة اليهودية، الذي كان يرى بدوره في الصهيونية عنصر بلبلة بالنسبة لليهود المغاربة. ومن الإجراءات التي اتخذها ليوطي في هذا الصدد رفضه لمدة الترخيص بتأسيس فرع مغربي للفدرالية الصهيونية الفرنسية، وكذا منعه دخول الجريدة الصهيونية Haolam (ماي 1924) إلى منطقة النفوذ الفرنسي بالمغرب. وهذه المعارضة الرسمية للصهيونية لم تكن تستند إلى مبادئ مذهبية بقدر ما كانت تمليها واقعية سياسية تتهيب من ردود فعل الأغلبية المسلمة على تلك الدعاية الدخيلة.

وفي منتصف عقد العشرينيات، ظهرت بالمغرب أدوات إعلامية صهيونية نشيطة أهمها Renacimiento de Israel (نهضة إسرائيل) في طنجة، وL'avenir illustré (المستقبل المصور) في الدار البيضاء. ولعبت هذه المجلة الأخيرة، التي كان يديرها البريطاني ذو الأصل البولوني Jonathan Thursz، دوراً خطيراً في بث الأفكار الصهيونية بين الشبيبة اليهودية. فبدون كلل دعت قراءها إلى ضرورة التبرع المالي لفائدة المشروع الصهيوني في فلسطين. وقد عبأت المجلة طاقاتها للاحتفال سنة 1927 بالذكرى الثلاثين للمؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في سويسرا، فكانت المناسبة مواتية لتنظيم "يوم الشيكيل" حيث دعي جميع اليهود المغاربة إلى تسديد مبلغ رمزي حدد في عشرة فرنكات. وسرعان ما فرض ثورز Thursz نفسه كزعيم وكلت إليه مهمة تمثيل اليهود المغاربة في المؤتمرات الصهيونية العالمية (فيينا سنة 1925 - بال في سنة 1931 - أنفرس سنة 1938...). غير أن ذلك لا يعني أن أغلبية اليهود المغاربة يشاطرون أفكار ثورز ومساعديه. فالدار البيضاء شهدت سنة 1932 ميلاد جريدة L'Union Marocaine التي كانت تعمل على إدماج اليهود المغاربة في الحضارة الفرنسية بدلا من دعوتهم إلى الهجرة إلى "أرض الميعاد".

وما كانت الحركة الوطنية المغربية الناشئة لتبقى مكتوفة الأيدي أمام حملات الدعاية الصهيونية، سيما وأن أصداء أحداث فلسطين خلال الثلاثينيات قد شدت أنظار مناضليها وجعلتهم يقتنعون بضرورة عرقلة كل ما من شأنه أن يشكل رافدا يستفيد منه المشروع الصهيوني في الشرق الأوسط. وكان محمد الخلطي من أبرز أولئك الذين جبروا أعمدة الجرائد الوطنية لينذروا اليهود من مغبة الاستجابة للشعارات والدعوات الصهيونية التي تتعارض كليا مع هويتهم المغربية. وعندما أقدمت مجموعة من الكشافة اليهود على رفع العلم الصهيوني في طنجة إبان مسيرة استعراضية (3 أبريل 1934)، كاد الأمر أن يفضي إلى قلاقل خطيرة بين المسلمين واليهود في تلك المدينة.

خمد النشاط الصهيوني في المغرب إبان الحرب العالمية الثانية، وبالخصوص طيلة الفترة التي سادت فيها أحكام سلطة فيشي في البلاد (من صيف 1940 إلى أواخر 1942). ذلك أن اليهود المغاربة عانوا من القوانين العنصرية التي أصدرتها الإدارة الفرنسية بالرغم من معارضة السلطان سيدي محمد بن يوسف لسريانها عليهم. ولما وضعت الحرب أوزارها، تفشى في أوساط الطائفة اليهودية تعاطف كبير مع بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على حساب فرنسا، فنشطت في المغرب جمعيات صهيونية أمريكية (أهمها American Jewish Joint Distribution Committee) كانت تتوفر على وسائل مادية ضخمة رأى فيها بعض اليهود تعويضا عن سنوات الحرمان التي ذاقوا مرارتها خلال الحرب. وفي ضوء هذه التطورات الجديدة، اضطرت الرابطة اليهودية العالمية إلى تعديل موقفها التقليدي من الصهيونية وإبداء تفهم أكبر لتطلعاتها السياسية.

منذ أوائل 1947 نشطت في المغرب مجموعات صهيونية عملت على ترحيل اليهود إلى فلسطين بالرغم من معارضة الحركة الوطنية المغربية لذلك. وغداة الإعلان عن ميلاد دولة إسرائيل (ماي 1948) تدخل السلطان محمد بن يوسف شخصيا ليذكر رعاياه من المسلمين واليهود بضرورة الحفاظ على العلاقات الودية التاريخية بين الملتين وبكون أي تعاطف مع الصهيونية من لدن اليهود المغاربة يلحق الضرر بهويتهم المغربية. لكن هذا النداء لم يحل دون استمرار الهجرة السرية عبر المغرب الشرقي. وهذه المنطقة بالضبط هي التي شهدت أحداثا دامية في يونيو 1948 أسفرت عن سقوط 44 قتيلا يهوديا. وإذا كانت عناصر هذا الحدث مازالت غامضة، فإن ما خلفه من قلق وعدم اطمئنان في الأوساط اليهودية المغربية قد استغل من لدن الأوسط الصهيونية، محليا وعالميا، لتكثيف حركة الهجرة والخروج بها من السرية إلى العلن. وهكذا تأسس في أبريل 1949 جهاز يدعى "كاديما" Cadima (إلى الأمام) أنيطت به هذه المهمة، فأصبحت الهجرة تتم من الدار البيضاء بحرا وجوا أمام الملأ.

وباشتداد الأزمة المغربية - الفرنسية خلال النصف الأول من عقد الخمسينيات ازدادت وتيرة النشاط الصهيوني في المغرب وارتفعت أرقام المهاجرين اليهود الذين شدوا الرحال إلى فلسطين أو فرنسا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو كندا. ولما حصل المغرب على استقلاله حاولت الأحزاب الوطنية، بتنسيق مع نخبة من الشخصيات اليهودية المغربية الرافضة للصهيونية، العمل على إدماج الطائفة اليهودية في

الهياكل الفتية للمغرب المستقل والحيلولة دون استمرار النزيف الذي لحق بالبلاد ثقافيا واقتصاديا من جراء هجرة جزء من ساكنته. ومن جهتها قررت الحكومة حل جمعية "كاديما" وفرض قيود على هجرة اليهود (10 يونيو 1956). لكن هذا الإجراء لم يزد نشطاء الصهيونية إلا إصرارا على السير قدما في مخططهم، سيما وأنهم أصبحوا يتلقون مختلف أنواع الدعم من أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية (الموصاد) ومن منظمات يهودية أوروبية وأمريكية. وشهدت الهجرة السرية التي كانوا ينظمونها إحدى فصولها المؤلمة يوم 10 يناير 1961 بغرق سفينة صغيرة في البحر المتوسط قبالة الشواطئ المغربية. وإذا كانت كل الدلائل تشير إلى تورط "الموصاد" في هذه العملية التي خلفت أزيد من أربعين ضحية، فإن الصهيونية العالمية استغلتها فرصة للتشهير بالحكومة المغربية واتهامها بعدم احترام حقوق الإنسان فيما يتعلق بحرية تنقل المواطنين.

ومن جهة أخرى وزعت سريا في بعض الحواضر المغربية مناشير تدعو اليهود المغاربة إلى التشبث بحقهم في الهجرة. وعقب ذلك مورست ضغوط دولية شتى على المغرب جعلت موقفه يلين شيئا فشيئا بخصوص هجرة اليهود. فكانت النتيجة هو انتقال ساكنة المغرب من اليهود من 250.000 نسمة سنة 1948، إلى 160.000 سنة 1960، إلى 40.000 سنة 1967، ثم إلى أقل من 4000 عام 2000. وبهذا تكون الصهيونية قد لعبت دوراً خطيراً في اجتثاث إحدى أقدم العناصر السكانية المغربية في أقل من قرن واحد.

M. Abitbol, Zionist Activity in the Maghreb, in The Jerusalem Quarterly, n° 21, Fall. 1981, p. 61 - 84 ; J. Baïda, La presse juive au Maroc entre les deux guerres, in Hespéris-Tamuda, vol. XXXVII, 1999, p. 171-189 ; J. Benros, Migrations juives du Maroc, Imp. EMF, Paris, 1991 ; A. Bensimon, Hassan II et les juifs. Histoire d'une émigration secrète, ed. du Seuil, Paris, 1991 ; M. Kenbib, Juifs et musulmans au Maroc, 1859-1948. Contribution à l'histoire des relations inter-communautaires en terre d'Islam, Pub. de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat, 1994 ; M. Laskier, The evolution of Zionist activity in the Jewish Comminities of Morocco, Tunisia and Algeria, 1897 - 1947, in Studies in Zionism, Tel Aviv University, n° 8, Automn 1983, p. 205 - 236.

جامع بيضا

**صْوَاب** (أيت –)، قبيلة سوسية من قبائل الأطلس الصغير الغربي والنسبة إليها صوابي. تحدها قبيلة اشتوكن شمالا، أيت أحمد غرباً جزء من إيداوكارسموكت وإيدوا سملال جنوباً، أملن شرقاً.

من وحداتها الكبرى : أيت بحمان، أيت تودما، أيت أغان، انظريف، تكوشت، أيت وكمان، أيت أمكوني، أزور اغالن، أيت واغزن...

تمتد أراضيها على مجال جبلي متقطع، أساسه سلسلة جبال الكست كما تتوزع قراها فوق القمم أو تندرج على السفوح. ومما يبرز الأهمية الاستراتيجية للقبيلة، أنها تشكل ممراً طبيعياً بين حوض أملن وسهل اشتوكن عبر فجاج جبلية تدعى محلياً إيمَاوْن.

ومن الناحية التاريخية، يحفل "ديوان قبائل سوس" بإشارات إلى الصعوبات التي اعترضت حملات السلطان أحمد المنصور، التي استهدفت تراب قبيلة أيت صواب. وتبقى مساهمتها ضمن قبائل سوس على عهد السعديين هي 70 سرجة فقط. وبنفس الحدة واجه القائد المخزني الكيلولي مقاومة قبائل أيت صواب، في محاولاته المتكررة لاختراق الأطلس الصغير، انطلاقاً من تيزنيت واشتوكن. لهذا حافظت القبيلة على نظامها القبلي المرتكز على "مجالس إينفلاس" بجانب سلطة الشيوخ. وعلى عهد الحماية، كان لها حضور على واجهة الأحداث خلال سنوات المقاومة، وهذا ما يفسر عنف وقوة المواجهات التي جمعت القوات الفرنسية ومجموع السكان الذين ظلوا متمنعين بالمناطق الجبلية إلى حدود 1934، حين استسلمت القبائل المنضوية تحت قيادة الشيخ مربيه ربه. وبمركز تنالت تم تسليم وجمع الأسلحة. من أشهر مدارسها : إمكوني، تنالت، إيساكن، فوكرض، تاكوشت، تاوريرت وانو.

إبراهيم الحساني، *ديوان قبائل سوس*، مخطوط ؛ المختار السوسي، *المعسول*، أجزاء متفرقة ؛ *تحريات ميدانية*.

أحمد بومزكو

**الصوابي، أحمد** بن **عبد الله** السوسي. ولد عام 1095 بقرية أيسغاركيس من قبيلة أيت صواب المنضوية تحت لواء قبيلة هشتوكة [إشتوكن] الجزولية [إكزولن] الكبرى.

تلقى تعليمه الأولي بمسقط رأسه، ثم انتقل ضمن بعض جماعات السوسيين الذين ظلوا يترددون إلى جهة درعة، لأخذ الورد عن الشيخ أحمد بن ناصر صاحب زاوية تامكروت. فكان من بين الآخذين عنه، ولما رجع إلى سوس استقر ببلاده ماسة، بمكان يدعى أمرزكون على الحدود الجنوبية لوادي ماسة الأعلى، قرب أيت امريط. وهنالك انعزل عن الناس، لأسباب تلوح إليها رسالة من شيخه، فأسس زاوية ناصرية عرفت باسم زاوية أكدال ماسة، رفع بها الراية للزائرين وتصدر لإطعام الطعام وتلقين ورد الناصريين. وسمي ذلك المحل حمى الصوابي.

ويتفق كل من ترجموا الصوابي على أنه لقي في ذلك المكان الترحاب والحفاوة من لدن الخاصة والعامة. كما كان من أكبر تلاميذ الناصريين في بلاد سوس، بل إنه كان التلميذ النموذج، حيث تصدى للدفاع عن السنة ومحاربة البدع، وأسس بجوار زاويته مدرسة للتعليم فجمع بين التصوف والعلم، حتى عده الحضيكي - في طبقاته - خاتمة محدثي سوس. ذلك أنه أقام لدرس البخاري سوقا نافقة في مدرسته، فقصده طلاب العلم من مختلف الجهات.

ويظهر أن الصوابي أبدى من التمسك بالطريقة الناصرية ما دفعه إلى حد التعصب. فاستفرغ جهده في المنافحة عنها بكل ما أوتي من وسائل، وتحيز إلى موقف بعض شيوخها

من وقف الشيخ الهبطي تحيزاً صارخا، حيث عده مخالفا للوقف السني. فكتب بشأن ذلك الرسائل في النهي عنه لأنه مناف للترتيل وغير مراع للمعنى المطلوب. وعمل التلاميذ الذين اجتمعوا حوله في رباط ماسة على دعم رأيه بالقول والعمل، حتى وتر عنهم أن من سلك مسلك الهبطي في الوقف في الرباط المذكور يصاب بالعمى أو بمس من الجن.

على أن الصوابي أقام مدرسة علمية كبيرة أضحت قبلة لطلبة العلم في حياته وبعد مماته. كانت تلك المدرسة تضم عدداً من الرواد، منهم الصغار الذين يحفظون كتاب الله تعالى ومنهم الطلبة الذين يعكفون على درس العلم، كالتفسير والحديث واللغة والعقيدة والمنطق. وقد عدد الأستاذ البايك المتون التي عنيت مدرسة الصوابي بدرسها. كما ذكر عدداً من العلماء الأفذاذ الذين تخرجوا منها، مثل عبد الله بن إبراهيم الرسموكي، وأحمد بن عبد الله الماسي، ومحمد بن أحمد الحضيكي الذي كان "طبقة وحده"، ويذكر محمد المختار السوسي أن الدراسة تسلسلت فيها على أيدي شيوخ آخرين مثل علي بن محمد أكبيل المتوفى عام 1162 وأحمد بن محمد التاساكاتي المتوفى عام 1214 ثم على أيدي المرزجانيين، ولا ينبغي أن نغض الطرف عن بعض ممن توارد عليها، كأحمد الورزازي دفين تطوان، وكان قد درس بها مدة. هذا فضلاً عن أبناء الصوابي والنساء اللاتي كان قد اختصهن بجناح من مدرسته. ولم تنقطع بها الدراسة إلا بعد مفتتح القرن الهجري الرابع عشر.

وكانت وفاة أحمد الصوابي يوم الثلاثاء عشرين رمضان عام 1149 / 1738 ودفن بأيسغاركيس حيث يوجد ضريح سيدي إيبورك، من أهل القرن العاشر.

الخليفتي، *الدرة الجليلة*.. الإكراري، *روضة الأفنان*، م. المختار السوسي، سوس العالمة .. *خلال جزولة*، *المعسول*، م. البايك، أكدال ماسة، *معلمة المغرب*، 2 : 603.

أحمد عمالك

**صوبور** Subur، مدينة في المغرب القديم. انفرد الجغرافي بطليموس بذكرها دون غيره. وعدها من المدن الداخلية، مرتبة ما بين مدينة أخرى مجهولة لدى الكتاب الآخرين سماها أسبينون Ospinon وبين مدينة معروفة قديما وحديثا هي بناسة Banasa. وقد حدد للمدينة التي تعنينا هنا الإحداثيات التالية : الطول 6 درجة و50 والعرض 34 درجة و20.

كما انفرد الكاتب نفسه بإطلاق هذا الاسم على أحد أنهار المغرب القديم وهو نهر سبو الحالي. رتب الكاتب النهر ما بين مصب نهر لكسوس وهو اللكوس حاليا ونهر سلاتا Salata وهو أبو رقراق حاليا. وقد حدد لنهر سبو الإحداثيات التالية : الطول 6 درجات و20 والعرض 34 درجة و20.

وهنا نلفت النظر إلى ظاهرة اقتران بعض المدن المغربية القديمة بأسماء الأنهار التي شيدت على ضفافها. والأمر يخص على الساحل المتوسطي كلا من مدينة ملوشا Molochat على نهر ملوية الحالي ومدينة تامودة Tamuda على واد مارتيل الحالي. ثم على الساحل الأطلسي نجد مدينة زليل Zilil القريبة من نهر تاهدارت الحالي. وبعدها مدينة لكسوس فمدينة سلا.

ومن جهة أخرى ورد الاسم القديم لنهر سبو بصيغة تكاد تطابق التسمية الحالية، وذلك عند بلنيوس الشيخ الذي سماه سبوبوس Sububus ورتبه ما بين نهر لكسوس ونهر سلا. وقد وصف النهر بكونه صالحا للملاحة، وأن مدينة بناسة تقع على ضفافه. ثم ذكر نفس النهر باسم سبوبا Sububa في سياق حديثه عن رحلة بوليبوس وما استقاه منها من معلومات حول المعالم الجغرافية الموريطانية.

نستبعد رأي تيسو الذي ظن أن كلمة سبور أطلقها الفنيقيون على هذا النهر وهي من لغتهم. بينما يرى أن اسم خرتيس Chretis المذكور في رحلة حنون أو كرابيس Krabis الوارد في رحلة سكولكس ينطبق على واد سبو أيضاً. ويزعم أن هذه التسمية أقرب إلى الصيغة الأصلية لاسم النهر في اللغة الليبية. وما يدعو إلى الاعتراض على هذا الرأي كون المصادر الأقدم، والتي اهتمت بالشأن الفنيقي والقرطاجي لم تستعمل اسم سبور وهو ما كان ليخفى على حنون صاحب الرحلة القرطاجية. وعلى العكس من ذلك، اقتصر تداول الاسم على آخر المصادر المهتمة بالجغرافية التاريخية للمغرب القديم. أيا ما كان الأمر، فإن اسم سبو الحالي مازال ينطوي على الاسم العتيق، وهذا يمثل مؤشرا قويا على رسوخ مقومات الحضارة المغربية العريقة.

م. مجدوب، 1998، دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة.

Pline l'Ancien, 5.5 et 9 ; Ptolémée, 4,1,2 et 7 ; Ch. Tissot, Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane, Paris, 1878 ; R. Roget, Le Maroc chez les auteurs anciens, Paris ; R. Rebuffat, Recherches sur le bassin du Sebou, 1985-6, 2, Le Périple d'Hannon, BAM 16, p. 257-84.

محمد مجدوب

**الصورة الجوية** هي كل صورة تؤخذ من مركز علوي في اتجاه منطقة منحدرة. وبهذا يمكن إطلاق هذا الوصف على أي صورة أخذت من منطقة مرتفعة كيفما كان نوعها : عمارة مرتفعة، "طيارة ورق" (Cerf-volant) صاروخ، منطاد، طائرة، مكوك فضائي... أو من ارتفاع بضعة أمتار عن الأرض كما يقوم بذلك علماء الآثار لأخذ صور دقيقة للآثار في مجالها الأصلي، لكن سنتطرق للصور المأخوذة من الطائرات المحلقة داخل الغلاف الجوي المنحدر والتي تلتقط وتسحب بطريقة كيمائية ضوئية.

في ما يخص تطور الصور الجوية، لا يمكن فصل تاريخها

عن تاريخ المكونات المساهمة في الحصول عليها. وهكذا نجد أن هذا التاريخ يرتبط ارتباطا مباشرا على الأقل، بتاريخ الصور الفوتوغرافية والطيران.

يمكن إرجاع تاريخ الصور الفوتوغرافية إلى أرسطو (384 ـ 322 ق. م) الذي تحدث عن "الغرفة المظلمة" ـ وهي عبارة عن مكعب مغلق فارغ يحتوي على ثقب دقيق يتوسط إحدى واجهاته وتسمح للصور أن تكون معكوسة على الواجهة المقابلة ـ وعن حقيقة الرؤية التي تحدث بواسطة انعكاس الأشعة الضوئية. لم يكتب لهذه النظرية أن تنتقل للغرب إلا بواسطة العلامة العربي ابن الهيثم (965 ـ 1039) الذي راجع نظرية أرسطو وطورها، الشيء الذي جعل ليوناردو دافينشي يرسم الغرفة المظلمة ويجعلها ضمن اختراعاته. وبعد ذلك وعلى طول القرون، تطورت الغرفة المظلمة حتى سجل رسميا الفرنسيان جوزيف نيسفور نيبس (1765 ـ 1833) وجاك لويس ماندي داكير (1787 ـ 1851) اختراعهما للآلة الفوتوغرافية البسيطة ووسائل أخذ الصور. منذ ذلك التاريخ، تطورت الآلة الفوتوغرافية ووسائل أخذ الصور حيث أصبح اليوم بإمكانك أخذ الصور في برهات تقل في بعض الأحيان عن جزء من عشرة آلاف من الثانية بعد أن كان أخذ الصور الأوليات في مدد يمكن أن تصل حتى ثماني ساعات.

كما أنه في الأول كانت الصور تؤخذ بالأبيض والأسود ولا يمكن سحب نسخ من الصورة الأصلية، وابتداء من 1935، تاريخ إنجاز فيلم "كوداكروم"، بدأت الصورة الملونة تكتسح الساحة إلى أن طغت على الصورة بالأبيض والأسود في زمننا هذا. لم يكتف المهتمون بالجزء المرئي من الأشعة المرئية بل طوروا آلاتهم ومواذهم الكيميائية لأخذ صورة الأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء المنعكسة. وإذا كان الاهتمام بالأشعة فوق البنفسجية محدوداً في بعض الاستعمالات العلمية فإن الأشعة تحت الحمراء استرعت اهتمام المختصين، خاصة خلال الحرب العالمية الثانية، وذلك لاستشعار التمويهات العسكرية حيث إن اليخضور الموجود في أوراق النباتات يجعل هذه الأخيرة تظهر أنصع من الأصباغ الخضراء التي تطلى بها المعدات العسكرية، على الصور التحت حمراء بالأبيض والأسود وحمراء وليس خضراء، على الصور التحت حمراء الملونة.

هذا في ما يخص التاريخ المقتضب جداً للصور الفوتوغرافية، أما في ما يخص ارتباطها بالجو، فيمكن إرجاع ذلك إلى أول صورة أخذت من طرف كاسبار فليكس تورناشون المعروف بالنظار (1820 ـ 1910) الذي أخذ صورة لقرية بوتي بيسيطر، قرب باريس سنة 1858، من ارتفاع عدة مئات الأمتار من على منطاد. وفي 24 أبريل 1909، صور ويلبور رايت فيلما سينمائيا من فوق سانطو تشيلي، بإيطاليا. وفي أواخر 1915 أنتجت الآلات الفوتوغرافية الخاصة لأخذ الصور من الجو (أو الغرفة المترية). استعملت هذه الآلة في أول الأمر في الميدان العسكري خلال الحرب العالمية الأولى، وبتطوير التكنولوجيا وتطور الحاجيات البشرية، تمكن الإنسان من أخذ صور فوتوغرافية دقيقة لبعض مناطق الأرض والقمر والكواكب بواسطة المكوكات الفضائية وغيرها من الناقلات الجوية والفضائية في أواخر القرن المنصرم وبداية القرن الحالي.

أما في المغرب، فقد أخذت واستعملت الصور الجوية منذ بداية القرن العشرين ؛ حيث نجد صورة جوية للدار البيضاء أخذت سنة 1907 من طرف العقيد ساكوني، وذلك بواسطة طيارة ورق. وهذه الصورة تزين كتاب على عتبة *المغرب المعاصر* للدكتور فيصغربر، والذي ألفه سنة 1947. وكان أول مسح جوي لإحدى الغابات المحيطة بتازة سنة 1914. لكن الخزانة الوطنية للصور الجوية لا تحتوي إلا على صور أقدمها أخذت سنة 1949 لمنطقة الرباط. إلى جانب ذلك، تحتوي الخزانة نسخ وأشرطة لعدة بعثات استمرت حتى وقتنا هذا وأهمها أول مسح كلي للمغرب وذلك بمقياس 20.000 / 1 وغطى كل تراب المملكة سنة 1986.

ـ تقنية أخذ الصور الجوية :

لأخذ الصور الجوية يجب التوفر على طائرة وغالبا ما تكون من النوع الصغير، مزودة بغرفة مترية.

ويمكن التمييز بين نوعين من هذه الصور :

ـ الصور المائلة : وهي التي تزيد زاوية التقاطها (عند النظر إلى نظير السمت) على سبع درجات.

ـ الصور العمودية : وهي التي تقل زاوية التقاطها عن سبع درجات.

ولكل من النوعين طرق استغلاله. لكن الصور الكثيرة الشيوع هي الصور العمودية وذلك لسهولة استغلالها بالنسبة لمعظم التطبيقات. ورغم تعدد المقاسات لهذه الصور فالكثيرة الاستعمال في المغرب ومعظم الدول الأخرى، هي الصور المربعة التي يبلغ ضلعها 23 سم. وللآلة الفوتوغرافية المستعملة في أخذ هذه الصور أهمية قصوى حيث إنه حسب ميزاتها على الأرض يحدد السلم المتوسط للصورة وذلك عملاً بالمعادلة التالية :

مقياس نقطة ما على الصورة = البعد البؤري لشبحية الآلة / ارتفاع الآلة عن النقطة المصورة

ـ خاصيات الصور الجوية

إذا ما نظرنا إلى الصور الجوية، فإننا غالبا ما نشبهها بالخريطة، رغم أن هذه الأخيرة تختلف كثيراً عن الأولى. فالخريطة إسقاط عمودي لمنطقة أرضية على الورقة بينما الصورة إسقاط منظوري لنفس المنطقة على الورقة. وهذا الفرق أساسي بالنسبة للسلالم التي يمكن أن تستخلص من الصور الجوية ؛ فالسلم يمكن أن يتغير من جهة لأخرى بل من منطقة لأخرى على نفس الصورة، الشيء الذي لا يمكن أن يحدث بالنسبة للخريطة. وهو الشيء الذي يجعلنا نحدد تعريف سلم النقطة على الصورة رغم استحالة تصور ذلك بالنسبة للخريطة.

وعلى ذكر السلم، يمكن تصنيف الصور الجوية كما يلي :

- ذات مقياس كبير إذا زاد سلمها على 10.000 / 1.
- ذات مقياس متوسط إذا كان مقياسها بين 10.000 / 1 و20.000 / 1.
- ذات مقياس صغير إذا قل مقياسها على 20.000 /1.

ولتصوير منطقة ما، يقوم الطيار بالتحليق فوق المنطقة وذلك باتباع خطوط طيران متوازية ومتساوية البعد. وباتباع كل خط طيران يبدأ الطيار في التقاط الصور بحيث تكسو كل صورتين متتابعتين على نفس الخط، منظرين متجاورين، شريطة أن تغطي الصورتان في 60٪ منهما على الأقل نفس البقعة المصورة. هذه الخاصية تمكننا عند الحاجة، من رؤية هاتين الصورتين (الزوج التجسيمي)، بواسطة المجسام، على شكل منظر ثلاثي الأبعاد. ونشير إلى أن كل خطي طيران متتابعين يشتركان في تغطية 30٪ من البقعة الأرضية المصورة، وذلك لضمان تغطية كل المنطقة المراد تصويرها.

- استغلال الصور الجوية

ساعدت الصور الجوية على تطوير عدة ميادين. فبعد أن استعملت بكثافة في الميدان العسكري وخاصة في الاستطلاعات خلال الحربين العالميتين والحروب الجهوية الكبرى، استغل استعمالها أولا في المسح الجغرافي والطبوغرافي، حيث طورت آلات التفسير والاستغلال وذلك لاستخراج الخرائط الجغرافية على العموم والطبوغرافية على الخصوص، مباشرة وفي وقت قياسي من الصور الجوية. بعد ذلك، اهتمت القطاعات المعرفية الأخرى بهذه الصور وجعلتها أداة لا غنى عنها في استخراج المعلومات وإفادة البشرية منها فقد استعملت هذه الصور في ميادين علم الأرض من جيولوجيا وتربة ومعادن وكذا الثروات الطبيعية الأخرى، الغابوية منها والفلاحية ودراسة الوحيش، والثروات الرعوية والمائية وإعداد الأحواض المائية. واستعملت الصور الجوية كذلك في الهندسة المدنية ودراسة وإعداد المناطق الحضرية ومختلف التخصصات الجغرافية على العموم وكذا ميادين علوم الآثار.

- الوضعية الحالية في المغرب

كما سبق أن أشرنا فإن المغرب لم يبق بمنأى عن هذا الميدان الأساسي لتطوير عدة قطاعات معرفية وإنمائية فلا توجد مؤسسة علمية أو تعليمية بالمغرب لم تهتم بهذه التكنولوجيا ولم تدخلها في برامجها التكوينية بل جعلت منها إحدى المواد الأساسية لتكوين أطرها. وأنشأ المغرب خزانة للصور الجوية موجودة أساسا بالإدارة المركزية للخرائطية بالرباط. وإلى جانب ذلك توجد خزانات أخرى للصور الجوية وذلك بوزارة الفلاحة والوكالات الحضرية وقطاعات أخرى.

إلا أن الصور المستعملة تقتصر في معظمها على الصور بالأبيض والأسود وما زالت الصور تحت الحمراء بالأبيض والأسود والصور الملونة محدودة الاستعمال رغم المعلومات الإضافية المهمة التي يمكن أن توفرها في مختلف ميادين الاستعمال، وذلك راجع بالأساس لتكلفتها المرتفعة شيئاً ما بالنسبة لتكلفة الصور بالأبيض والأسود.

أما الصور المستعملة في الميدان المدني، فجلها يؤخذ من شركات خاصة يتمركز معظمها في مدينتي الرباط والدار البيضاء، تعدى نشاطها التراب الوطني إلى دول أخرى.

*أبحاث شخصية ؛ وثائق مديرية الخرائطية.*

عبد العلي مشروح

**الصور الفضائية** نخص بهذا الاسم تلك الصور الرقمية المأخوذة من خارج الغلاف الجوي.

- نظرة تاريخية

ارتبط تأريخ هذه الصور بتاريخ غزو الفضاء وتطور التقنيات الرقمية.

فيمكن تأريخ الغزو الفعلي للفضاء بإطلاق القمر الاصطناعي السوفياتي سبوتنيك 1 سنة 1957. بعد ذلك توالى السباق إلى الفضاء بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي السابق. وابتداء من 1970، دخلت عصر الفضاء دولٌ أخرى بداية باليابان والصين.

وتجدر الإشارة إلى أنه في عصرنا الحالي لم يقتصر استغلال الفضاء على الدول الغنية، بل هناك الدول العربية التي أرسلت القمر الصناعي المتخصص في الاتصالات التلفزية "عرب سات"، ومصر التي أرسلت أكثر من قمر إلى الفضاء الخارجي، والمغرب الذي أرسل من قاعدة بايكونور الروسية، بواسطة الصاروخ الروسي زينيت، أول قمر اصطناعي له يوم الاثنين 10 دجنبر 2001 في الساعة الخامسة مساء و18 دقيقة. وقد أطلق على هذا القمر الاصطناعي، قبل إرساله، زرقاء اليمامة، لتعوض التسمية بماروك توبسات بعد الإطلاق.

ومن خاصيات هذا القمر، أنه صمم وصنع في جزئياته وركب محليا من طرف أطر مغربية. كما أن التجارب أجريت بشراكة ألمانية.

وهذا القمر من النوع التتابعي، الذي يدور حول الأرض بوتيرة مضبوطة. وماروك توبسات يدور 14 مرة في اليوم حول الأرض، منها أربع مرات فوق المغرب، على علو 1000 كلم وبانحدار 98 درجة بالنسبة لخط الاستواء. كما أن شكله مكعب، يصل ضلعه 40 سم ووزنه 50 كلغ. وتتلخص مهمة هذا القمر في مراقبة الأرض والاتصالات وجمع المعطيات والرصد.

والأقمار الاصطناعية والمكوكات الفضائية تمكنت من غزو الفضاء الخارجي بفعل تطور عدة قطاعات تكنولوجية ومعرفية وعلى الخصوص تطور التقنيات الرقمية من تكنولوجيا الحواسيب وتحليل الإشارات وتقنيات الاتصال وغير ذلك من التقنيات التي يطول ذكرها في هذا الباب.

على كل حال، كانت أغراض غزو الفضاء تتنوع حسب

الدولة الغازية والظرف المخصص للمغامرة. وكان أول قمر اصطناعي أطلق لدراسة الثروات الطبيعية بهدف تجاري هو لاندسات 1 الأمريكي الذي أطلق في 23 ـ 7 ـ 72 والذي تلته 4 أقمار اصطناعية أخرى من نفس السلسلة، أطلق آخرها بتاريخ 1 مارس 1984. إلى جانب ذلك نجد الأقمار الاصطناعية الأوروبية سبوت التي أطلق أولها بتاريخ 22 ـ 1 ـ 1986.

ـ الوسائل المستعملة في أخذ الصور الفضائية

لا تهتم الصور الفضائية الجوية بالتقاط سلم الموجات المرئية للأشعة الشمسية المنعكسة على مكونات سطح الأرض فحسب، بل تلتقط الأشعة غير المرئية كذلك من أشعة تحت حمراء قريبة (والتي يتراوح طول موجاتها بين 700 و1100 نانومتر تقريبا) والأشعة تحت الحمراء المتوسطة (التي يتراوح طول موجاتها بين 1300 نانومتر تقريبا و3000 نانومتر) والأشعة تحت حمراء الحرارية (التي يزيد طول موجاتها على 3000 نانومتر).

واستغلال هذه الجهات من الطيف الكهرومغناطيسي يمكن المهتمين من فهم بعض المعطيات التي لا يمكن فهمها بالاستغلال المفرد لأشعة الطيف المرئية.

ولأخذ كل هذه النواحي من الطيف واستغلالها إلى أبعد الحدود كان من الضروري تصور آليات جديدة لالتقاط هذه الصور تتلخص في تخصيص مستشعرات خاصة لكل منطقة من مناطق الطيف، وهكذا نجد في Landsatim (البرنامج الخرائطي الموضوعي لاندسات) مثلا مستشعر خاص باللون الأزرق وآخر خاص باللون الأخضر وثالث خاص باللون الأحمر ورابع خاص بالأشعة تحت الحمراء القريبة وخامس خاص بجزء من الأشعة تحت الحمراء المتوسطة وسادس خاص بجزء ثان من الأشعة تحت الحمراء المتوسطة وسابع خاص بالأشعة الحمراء الحرارية.

ـ خاصيات الصور الفضائية

من خلال ما سبق يمكن اعتبار الصورة الفضائية مجموعة صور مطبقة الواحدة منها على الأخرى وذلك حسب عدد القنوات المستعملة فالبنسبة للمثال السابق، نجد أن صورة منطقة من المناطق تتكون من سبع طبقات صور كل واحدة منها خاصة بأحد مناطق الطيف. هذا فيما يخص التركيب العمودي. أما على الصعيد الأفقي فتتكون كل طبقة (قناة) من مربعات متجاورة تسمى عنصورة (كلمة مركبة من كلمتي عنصر وصورة) أو بيكسل وتبين مقياس اشتشعار انعكاس مكون الطيف المعني في البقعة المقابلة على وجه الأرض، وغالبا ما يتراوح مدى الانعكاس ما بين 0 و255 مستوى. أما ضلع المربع المستشعر على وجه الأرض فيتغير حسب البرنامج المعني (لاندسات، سبوت...) والجهاز المستشعر فالبنسبة للاندسات نجد أن جهاز MSS (الماسح المتعدد الأطياف) ينتج عنصراً ذا أضلاع من 80 م. أما الجهاز الخرائطي الموضوعي (TM) فينتج عنصراً من120 م للضلع بالنسبة للقناة تحت الحمراء الحرارية و30 م للضلع بالنسبة للقنوات الأخرى.

أما بالنسبة لسبوت فينتج عنصراً من 10 م بالنسبة للصور بالأسود والأبيض بالنسبة لصور متعددة الأطياف.

بقي أن نشير إلى أن كل صورة من لاندسات MSS تغطي بقعة أرضية مربعة، ذات ضلع يصل إلى 185 كلم وذلك في فترة زمنية لا تزيد على 25 ثانية، الشيء الذي يعطي 30.000.000 معلومة بالنسبة لكل صورة، وهو شيء لا يمكن تحليله إلا بواسطة حاسوب. أما صورة سبوت فتكسو مناظر أرضية مربعة يصل ضلعها إلى 60 كلم.

ـ استغلال الصور الفضائية

كما أشرنا لذلك من قبل، يتم استغلال الصور الفضائية بواسطة برامج معلوماتية متطورة من طرف أخصائيين يتطلب أن يكونوا مدركين لمجالاتهم المعرفية بالإضافة لتكنولوجيا المعلوميات وتحليل الإشارة.

وتستغل المعلومات المستخلصة من هذه الصور في عدة مجالات منها، إلى جانب المجالات العسكرية الحساسة، دراسة الثروات الطبيعية على العموم والغابوية والرعوية على الخصوص وخاصة الآفات الطبيعية والاصطناعية التي يمكن أن تتعرض لها، دراسة الثروات الفلاحية، وكذا المعدنية، والمائية والوحيشية والسمكية، ودراسة تطور الحواضر والآفات التي يمكن أن تتعرض لها اليابسة أو المحيطات والبحار.

ـ الوضعية في المغرب :

منذ بداية اهتمام العالم باستغلال الصور الفضائية في الميادين المدنية، اهتمت مختلف القطاعات في المغرب بتأهيل أطرها لاستعمال تقنيات الاستشعار البعدي الفضائي وذلك داخل الوطن وخارجه في جامعات ومعاهد مرموقة في الميدان.

كما سارعت مختلف المؤسسات الجامعية ومؤسسات تكوين الأطر لاقتناء المعدات وإرسال البعثات للتمكن من نقل التكنولوجيا الجديدة، بل تعدت ذلك إلى تكوين أطر بعض الدول الصديقة والشقيقة في ميدان الاستشعار البعدي الفضائي.

وموازاة مع ذلك، أنشئ المركز الملكي للاستشعار البعدي الفضائي سنة 1989 الذي يعتبر المخاطب الرسمي في مجال اقتناء الصور الفضائية وتقديم بعض الخدمات في الميدان.

كما وافقت الأمم المتحدة على إنشاء المركز الجهوي الإفريقي للتكنولوجيا الفضائية بالرباط وهو مركز متخصص في تكوين رعايا بعض الدول الإفريقية في مجال تكنولوجيا الفضاء والتكنولوجيات الموازية.

*أبحاث شخصية ؛ وثائق لمديرية الخرائط، الرباط.*

عبد العلي مشروح

**الصورة الفنية بالمغرب** إن التفكير في الصورة ومساءلة نوعية حضورها بالمغرب لا يمكن أن يتم بعيدا عن التفكير في مصادرها، ونوعية تملكنا لها تداوليا وفنيا، ونوعية استجابتها للفضاء الذهني والثقافي المغربي، والتحرير الذي مارسته بالعلاقة مع التصورات التي ظلت سائدة اتجاهها. فإذا كان التصور الأصلي كما تم تداوله في منع الصورة و"تحريمها" (من قبل الإسلام) قد ظل فاعلا في

نسيج الوعي واللاوعي المغربي، فإن نتائجه الواقعية ظلت فاعلة ومتعايشة مع وجود وتداول التصوير بالمغرب منذ الأدارسة. صحيح أن الحدود التي وضعتها الأحاديث النبوية للتصوير قد كانت في أصل تطور الصورة الذهنية والبلاغية وفنون الخط والزخرفة (التي اعتبرت، تبعا لعملية استبدالية تعويضية واضحة، تصويرا)، غير أن التعايش بين التصوير والتصوّر، أي بين الصورة الملموسة والصورة الذهنية، قد استمر في الوجود في شكل هوامش واضحة ومؤرخ لها.

المغاربة والصورة

ذكر محمد المنوني، في دراسة جامعية، أن المغاربة عرفوا التصوير المرسوم والملون والمنحوت، في الحياة اليومية، وفي الكتب المتداولة. وأن الصور الخيالية والصور الحيوانية كانت تزين الكتب والحمامات، وقبّة القرويين، ولعب الأطفال، والحلوى، لا فرق في ذلك بين الأدارسة والموحدين والمرينيين والعلويين. ويعلق المنوني على هذه الظاهرة قائلاً : "لم يشتغل المغرب الإسلامي بالتصوير إلا قليلا، شأنه في ذلك شأن المسلمين العرب في هذا الصدد، تأثرا بموقف الدين بالنسبة لعدد من أنواع التصوير. وقد كان هذا من أسباب إهمال أكثر المصادر التاريخية لتسجيل هذه الظاهرة، حتى لا يكاد يعثر على نماذج من أخبارها إلا عرضا وعفوا وفي حالات قليلة".

ولهذا السبب، ظل مغرب بدايات القرن يعكس ويستجيب بشكل واضح لهذا الصراع الداخلي بين محرمي التصوير ومبيحيه، أي بين من يعتبرون أن دواعي التحريم والحصر والكبت قد امحت مع استتباب التوحيد، وبين من ظلوا إلى حدود الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات يعتبرون أن محاربة الصورة شكل من أشكال محاربة فساد أحوال البلاد والعباد. فقد أثار محمد بن عبد الله الموقت في كتابه *الكشف والتبيان عن حال أهل الزمان* في فصل بعنوان المصور وحكم التصاوير، الأمر بقوله : "المصور هو الذي يصنع صورة قائمة بنفسها كالخشب والطين، والصورة القائمة بغيرها كنقش صورة على بساط وغيره، وقد فشا هذا الداء اليوم في غالب الحرف، وقلّ أن تدخل منزلا لا ترى فيه صورة من الصور التي نهى عنها الشرع"، ليردف هذا الإنكار باستعراض لأقوال الفقهاء واختلافاتهم في النهي عن التصوير. وفي *الرحلة المراكشية*، تذهب به فتاواه إلى حدود تحريم لعب الصبيان التي تأخذ شكل صور : "ومن عوائدهم الشنيعة شراؤهم لأولادهم يوم عاشوراء ونصف رمضان صورا محرمّة من الصور القائمة بنفسها ولها ظل وليس بها نقص، وهذه الصور النظر إليها حرام، ولا تدخل الملائكة بيتا هي فيه... وكذلك شراؤهم لما يصنع من الحلاوات على صور الحيوانات التي شاعت اليوم، ويدخلون ذلك دورهم ويجتمعون عليه، وذلك حرام بلا كلام".

بل إن فقيها متأخراً وسّع من التحريم ليشمل المسرح، في كتاب شهير في هذا الشأن هو : *إقامة الدليل على حرمة التمثيل* لأحمد بن الصديق، الصادر بالقاهرة سنة 1953. وعلة التحريم تعود في نظره إلى ناظم كبير يتعلق بأنواع الصورة عموما، هو طبيعتها المحاكاتية واللهوية، وتحول الممثل إلى صورة بحيث يتصور في أي صورة شاء.

الصورة والشهادة

والحقيقة أن مواقف من هذا القبيل ليست بعامة ولا ممثلة لحضور الصورة والتصوير بمغرب النصف الأول من هذا القرن. فقد شاعت صور السلاطين مرسومة بالريشة أو بالآلة الفوتوغرافية منذ أواخر القرن الماضي. وتدوولت صور السلاطين مشخصة لحياتهم وعلائلاتهم ولتحركاتهم الرسمية. ولعل أدل شيء على ذلك أن السلطان المولى عبد العزيز قد مارس التصوير بالكاميرا السينمائية والكاميرا الفوتوغرافية، ولا تزال الصور التي أخذها لبعض نساء القصر محفوظة لدى الجماعين. كما أن الفقهاء تجادلوا في أمر الفوتوغراف ورخصوا للتصوير الشخصي، واتخذوا، حسب المنوني، صوراً شمسية صارت متداولة.

كما ظهرت كتب تحمل بين طياتها صوراً عديدة إضافة لصورة المؤلف، كالكلمات الذهبية في *أخبار الرحلة المغربية* لمحمد بن مصطفى بوجندار الرباطي (1924)، وسمط اللآلي في سياسة المشير ليوطي نحو الأهالي لعلي الطرابلسي (1925)، و*الأدب العربي في المغرب الأقصى* لمحمد بن العباس القباج (1929)، و*الإتحاف* لابن زيدان (ما بين 1929 و1933)، و*دليل الحج والسياحة* لأحمد بن محمد الهواري (1935)، و*الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة* لابن زيدان (1937)، و*كشف الغطاء عن سر الموسيقى ونتائج الغناء* للشريف مولاي إدريس بن علي الإدريسي وغيرها.

وبلغ الانفتان بالصورة وبدورها في تشخيص الحدث والإنسان إلى أن يتم الاعتقاد في دورها في تخليد الشخص، قدرةَ الكتاب على التخليد لأقواله، والإعلان عن ذلك بنوع من الإيمان بالدور السحري للصورة. بل إن بعضهم حولها إلى هدية يكتب عليها بعض الخواطر المنظومة ويرسلها للمتلقي، وكأنها بطاقة بريدية، تعبيراً عن الود. وبهذا تحولت الصورة من علامة بصرية (أيقونية) دالة على الشخص في ذاته، إلى رسالة حاملة لخطاب مزدوج وباثة لمعاني ذهنية وبصرية تتطلب النظر والتأمل والتواصل. إن التواصل بالصورة مع الذات يشكل، بهذا المعنى، "قطيعة معرفية" مفضية إلى الحداثة، ومع الآخر إلى تثبيت دعائم نمط جديد من التواصل في حقل الثقافة المغربية.

يعتبر ابن زيدان، مثل بوجندار، أن الطابع التوثيقي للصورة يمنح مصداقية أكبر للتشخيص. بل إن بوجندار ذهب إلى أبعد من ذلك فأرخ بالصورة والكلمة لزيارة الرئيس الفرنسي، وأثبت صور حاشية السلطان وموظفيه الكبار. وكأنه بذلك أنجز أول استطلاع بالصور في تاريخ المغرب. من ناحية أخرى يمكن اعتبار علاقة بوجندار وابن زيدان وعبد الأحد الكتاني ومحمد جنون، وغيرهم ممن أسسوا هذه التجربة بالصورة (فقد كتبوا كلهم تحتها أبياتا تشيد بتخليدها لهم)، علاقة اعتقاد أكيد في صلة النظر بالوجود. فالصورة هنا تعيد تشكيل الذات، وتستحضرها في غيابها الواقعي والوجودي. وهي "فاتنة وجذابة لأنها تشكل الذات، فبدونها قد لا يكون وجود الشخص على ما هو عليه". إنها الأداة الواقعية التي تسدّ ذلك الفراغ الحاصل بين الحياة والموت. ومن ثم، فهي تساهم في حل مشكل الزمن، وبشكل مغاير

للكلمة. إذ الصورة تجسيد للجسد، للهوية الوجهية (الصورة حسب *لسان العرب* هي الجسم والوجه أيضا)، ومأسسة لصورة المؤلف. وبهذا المعنى يمكن القول بأن الصورة الشخصية قد ساهمت بشكل كبير في ولادة المؤلف في مغرب العشرينيات والثلاثينيات باعتبارها ذاتا تحتل مع مكتوبه حيز الكتاب وتسهر عليه بحضورها الأكيد.

ونمثل لذلك بصورة طريفة للشاعر عبد القادر حسن، أثبتها في صدر ديوانه الغزلي *أحلام الفجر*، الصادر سنة 1936، وذيلها بأبيات نقتطف منها البيت التالي :

أنا مثل نفسي لا أرى لي مشابهـا

وإن كان هذا القول جلّ عن الفهـم

تتحول الصورة هنا إلى عنصر للهوية الفردية والاختلاف الجذري عن الآخرين. إنها إثبات للذات في أحَديَّتها وفي تماثلها مع نفسها وصورتها. وبذلك تدخل الصورة بشكل جذري في ولادة الذات من جديد.

التصوير الفرتوغرافي بالمغرب

ظلت الصورة الفوتوغرافية، إذن، تقوم بدور الذاكرة والشهادة، سواء في شكلها كصورة شخصية أو عائلية أو كصورة عامة (بطاقة بريدية... الخ). والحقيقة أن الفنانين الكولونياليين قد استحوذوا على الساحة التصويرية بالمغرب لمدة طويلة قبل أن يتخصص بعض المغاربة بالتصوير الشمسي ويبرزوا في هذا المضمار سواء بمتابعة وتسجيل الأحداث البارزة أو بالبورتريهات الخاصة بالشخصيات السياسية. ويمكن تقسيم الصورة الكولونيالية إلى ضربين :

الأول ويتعلق بالصورة التسجيلية للمآثر المغربية والمناظر الطبيعية ونوعية السكان وضروب الحرف التقليدية. وهي تنقسم بدورها إلى صور إثنوغرافية مصاحبة للنصوص المكتوبة عن المغرب، من قبيل الصور التي تقدمها مؤلفات إدمون دوتيه، قبل الحماية ؛ وصور التقطت بعد الحماية، كان الهدف منها تقديم المغرب في شكل صور.

والثانية عبارة عن نماذج من شخصياته، رجالا ونساء. وتتميز هذه الصور في غالبيتها بكونها كانت تخضع من قبل المصورين لضرب من المسرحة التي تركز على هذا الجانب أو ذاك من الشخصية : كالتركيز على العلامات والندوب والوشم الموجود على الجسد، وتعرية نهود النساء، بل أخذ صور عارية لبعضهن. ولا يخفى أن هذه المقاربة تخضع لمنظور لا يمكن إلا أن ندرك مسعاه الغرائبي Exotique الذي يأخذ الجزء مثلاً للكل، ويحول الصورة إلى مجال لتملك الآخر في غيريته غير القابلة للاختزال.

وإذا كان المغرب قد عرف بعض المصورين منذ بداية الاستقلال، فإن الذي غلب على نشاطهم هو متابعة الأحداث الرسمية، والتحقيقات الصحفية والأرشفة. والغالب الأغلب منهم لم يتلقوا تكوينا معينا في مجال التصوير الفني، بل تعلموا الصنعة في الميدان. ونخص بالذكر هنا مرادجي الذي يدين له المغاربة بصور العائلة الملكية، ومحمد عصفور الذي امتهن التصوير الفوتوغرافي والسينمائي منذ الأربعينيات.

بل إن مجال البطاقات البريدية الفنية قد ظل هو نفسه، حتى بعد 1953 حكرا على عدسات الأجانب، ناهيك عن الكتب المصورة ذات الطابع الفني. ولم يدخل الفنانون المغاربة المصورون هذا الميدان إلا في العقدين الأخيرين من القرن الماضي، خاصة وأن المغرب ظل يفتقر إلى المطابع المتخصصة في التصوير الفني، والتي عرفت بعض الازدهار منذ الثمانينيات.

وكان من اللازم انتظار سنة 1975 حتى يتم اعتبار التصوير الشمسي فنا قائما بذاته. وهو ما أطلق العنان في جميع مناطق العالم لهذا الفن الذي ظل هامشيا وتوثيقيا لمدة طويلة ؛ الأمر الذي فتح المجال بالمغرب إلى إعادة الاعتبار للصورة الفنية الفوتوغرافية، وإلى ولادة المعارض لهذا الفن التليد، منذ الثمانينيات، ليبرع في ذلك فنانون مغاربة من قبيل داود أولاد السيد والتهامي الناضر وعبد الرزاق بن شعبان ورشيد بنداود وأحمد بنسماعيل وغيرهم.

من ثم يمكن القول بأن الممارسة الفوتوغرافية الفنية بالمغرب ممارسة فتية. ولا يعود هذا فقط كما ألمحنا إلى ذلك إلى تأخر الاهتمام بهذا الفن، وإنما أيضاً وأساسا إلى وضعيته الاعتبارية، بوصفه فن اليومي والاستعمالي بامتياز. بيد أن هذه الوضعية الملتبسة التي لا تزال ترافق هذا الفن، والتي تجعله يجاور الهواية بشكل مستمر، هي التي تحدد أيضاً هويته الفنية. فليس من قبيل الصدفة أن تتجه أعمال بنشعبان وبنداود وبن إسماعيل وأولاد السيد مثلاً إلى الاعتماد على الخلفية الاستطلاعية التي تحكمت في الممارسة الفوتوغرافية.

فأعمال ابن شعبان وابن إسماعيل تتجه نحو التقاط الأمكنة العتيقة والفضاءات الحاملة لتراب الأرض والتاريخ، وهي من ثم تسجيل بصري للذاكرة الإنسانية والمكانية التي تحفل بها المدن المغربية. هكذا تنضح شخصياتهم وفضاءاتهم بهذا الانغمار في أغوار المحجوب، ذاك الذي يدمره الاكتساح الحديث للتمدن والحداثة. وتتجه أعمال أولاد السيد إلى أن تختار لنفسها الاشتغال بالأبيض والأسود قطعا، متابعة اليومي في تفاصيله البالية، سابغة عليه مسحة عتيقة تنضاف إلى هامشية شخصياته وفضاءاته. وكأن الفنان وهو يرصد هذه المكونات الاجتماعية الحداثية يمنحها الحياة في حركاتها وسكناتها المكشوفة.

أما أعمال التهامي الناضر فإنها أحيانا تتجه نحو منح الصورة الفوتوغرافية منحا جماليا تشكيليا، وهو الأمر الذي نجد امتداداً له في أعمال محمد بنباسيدي وخالد الأشعري وجعفر عاقيل. ولا يخفى أن هذا المنحى يسعى إلى فتح التصوير الفوتوغرافي نحو ضرب من التجريدية يحول العدسة الفوتوغرافية إلى فرشاة تمنح الألوان من خلال الاشتغال التقني على مصدر النور وعلى لعبة العتمة والضوء.

غير أن ريحا من التجديد والتحول بدأت تهب على هذا الفن بحيث إن الكثير من الشباب بدأ يتوجه نحو التعامل مع المعطيات البصرية للحداثة وتحويل المنظور الفني إلى لاقط للتحولات العمرانية والحداثية التي تسم الواقع المعيش. وفي هذا المضمار تندرج أعمال سعاد كنون عن مدينة طنجة، ونبيل مهداوي عن مكناس. وكأننا بهؤلاء الفنانين يخرجون بالصورة من مجال الشهادة على الآيل للمضي نحو الحاضر بكل سماته.

أسئلة الصورة الفنية بالمغرب

تتسم الصورة الفوتوغرافية بكونها عملية مطبوعة بالمحاكاة للمرئي. بيد أن عمليات التأطير والتقطيع والاشتغال على الضوء والألوان، والمنظور، كلها عمليات تخضع لتدخل العين الرائية وقدرتها، إلى جانب التقنية، على خلق الصورة بحيث نعيد من خلالها اكتشاف موضوعها. إن المرئي التقني، هنا أكثر حرية مما هو في الصورة السينمائية، وأكثر قدرة على تحويل الذات المصورة إلى ذات مبدعة باعتماد الحس الجمالي والقدرة على تطويع التقني للجمالي. بيد أن سلطة المرئي تظل حاضرة بحيث إن الفن الفوتوغرافي يظل بشكل أو بآخر مرجعيا حتى وهو يمارس كل أنواع التحويل التقني (الذي يتم حاليا بالمعالجة الحاسوبية المتطورة). وهو في الآن نفسه يمارس لعبته الجمالية بكاملها بالتوكيد على هذه المرجعية أو محوها، وفي كلا الحالين تكون النتيجة باهرة.

من ثم تنبع أهمية التصوير الفوتوغرافي الفني في التأريخ وإبراز قدرته على استغلال الممكنات التقنية كي يسمو العمل التقني إلى مجال العمل الفني. فالعين الفوتوغرافية لعّابة بكل ما يبيحها لها المرئي. ثم هي تزاوج بين الالتقاط والشهادة والتحويل الفني للمعطيات البصرية. ومع أن الصورة الفوتوغرافية لم تجد بعد مكانها إلى جوار الفن التشكيلي والسينمائي، فإن فنانيها ما يزالون يجاهدون بصبر وأناة من أجل منحها مكانها ومكانتها.

وفي عصر الصورة الرقمية الذي نعيشه الآن والتواصل العالمي عبر شبكة الأنترنيت، بدأ القائمون على الشأن الثقافي يسعون إلى تغيير نظرتهم التحقيرية للصورة الفنية، ويعتقدون في ضرورة العمل على تطويرها، سواء من خلال التفكير في إنشاء متحف للفن المعاصر (قيد الدرس)، أو تعميق صندوق دعم السينما، أو التفكير في ضرورة تدعيم شبكة التكوين في المجال البصري (سينما وفنون تشكيلية). وهو الأمر الذي من شأنه تطوير الممارسة البصرية، التي تحتاج أساسا للرواج والتواصل المستمر مع الجمهور ومحبي الفن، من خلال مؤسسة ثقافية حية وفعالة.

م. المنوني، التصوير بالمغرب الإسلامي في القديم، دعوة *الحق*، ع 1 . 2، يناير 1971. ص. 83 ؛ م. بن عبد الله الموقت، *الكشف والتبيان عن حال أهل الزمان*، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، القاهرة، 51350، ص. 54 ؛ م. بن عبد الله الموقت المراكشي، *الرحلة المراكشية*، مطبعة دار الرشاد الحديثة، ب. ت، بدون مكان النشر، ج 2 ص. 87 ؛ م. المنوني، *مواقف مغربية وأعمال في مبادرات المرحلة الأولى بعد الحماية*، الموقف، ع 3، دجنبر 1977، ص. 64 ؛ م. أمين العلوي، بوادر استعمال الصورة الشخصية الفوتوغرافية بالمغرب، مجلة *مكناسة*، سلسلة الندوات، منشورات كلية الآداب بمكناس، خاص عن الدور التربوي والتعليمي للصورة، 1992، ص. 83 .

Maurice Mourier, "Fascination de l'image", in *Comment vivre avec l'image*, PUF, 1989, p. 279.

فريد الزاهي

**الصّوري**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Soriano نسبة إلى مدينة صورية Soria ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1126.

**صُوطُو** ويكتب أيضاً صُوطُ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Sot ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Soto وSotto كما هناك مدينة تحمل اسم Soto .

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1127.

محمد ابن عزوز حكيم

**صوفاكس** Sophax، أحد ملوك المغرب القديم. انفرد بلوترخوس في القرن الميلادي الثاني بذكر هذا الملك في حديثه عن تدخل صيرطريوس بموريطانية سنة 82 قبل الميلاد. فأراد أن يشيد بتاريخ طنجة الغابر عن وقته بل السابق عن الوجود الفنيقي بالبلاد. أورد الكاتب ما يلي : "يحكي أهل تنكي أنه بعد أنتايوس Antaeus أنجبت زوجته مع هرقل ولدا يدعى صوفاكس. ولما أصبح ملكا أطلق اسم والدته على المدينة المذكورة". والجدير بالملاحظة أن هذا الاسم كان خالدا في التاريخ القديم، حيث سمي به الملك البارز في مملكة الماسيسوليين غرب نوميدية وعاصمتهم هي مدينة سيگا Siga.

م. مجدوب، 1995، *مختصر حول تاريخ موريطانية قبل السيطرة الرومانية*، بحوث، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العدد 6، ص. 149 . 174.

Plutarque, Sertorius, 9, 8.

محمد مجدوب

**الصول** أو سمك موسى، من جنس أسماك بحرية تصنف إلى طائفة شائكات الزعانف وفصيلة صوليديي Soleidae. شكله بيضوي مضغوط بقوة وعيناه على الجانب الأيمن عند معظم الأنواع. لون الواجهة الحاملة للعينين أسمر فاتح مع رخاميات سوداء وعدة بقع مختلفة الحجم والشكل حسب الأنواع. الواجهة العمياء بيضاء وزعانفها داكنة. الفم صغير تحتي ومقوس يحمل أسنانا صغيرة، الغشاء الخيشومي الأول مكسو بجلد وحراشف الزعنفة الذيلية منفصلة أو مرتبطة بالظهرية والشرجية حسب الأنواع. الخط الجانبي واضح على الجانبيتين، الحراشف مشطية خشنة اللمس. يعيش في بحار المناطق المعتدلة وشائع في البحر المتوسط والأماكن الدافئة من المحيط الأطلسي والمناطق الاستوائية ومنه عدة أنواع تعيش في البحيرات الساحلية كبحيرة الناظور والواليدية وسيدي موسى ومولاي بوسلهام وشرم الداخلة وخنفيس. كل الأنواع عمقية المعيشة تألف الأعماق الرملية والوحلية منذ السواحل إلى أعماق تتعدى 1000 م. يتغذى من القشريات عشاريات القوائم ومن الرخويات ثنائيات الصدف ومن القواقع والحلقيات والديدان. تتوالد

معظم الأنواع في الربيع والصيف وتعمر 15 ـ 20 سنة. صيدها شبه صناعي وتقليدي على طول السواحل المغربية. تصاد بالجيبيات العمقية والشاطئية والشباك المستقيمة وشباك الحواجز. يوجد بانتظام في الأسواق السمكية الوطنية ويستهلك طريا ومبردا ومجمدا.

يعيش أحد عشر نوعا وفصيلة Soleidae في البحار المحيطة بالمغرب ويعد الصول العادي Solea vulgaris والصول السنيغالي Solea senegalensis وSolea solea من الأنواع الشائعة في الأسواق السمكية الوطنية. يبلغ طوله الأقصى 60 سم وشائع بين 15 ـ 30 سم.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، لبنان، ط 3، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, FAO, 1998, 263p.

محمد رمضاني

**صولا** Sulla، قائد روماني كان له دور هام في التأثير على أوضاع المغرب القديم وبخاصة ربط العلاقات بين الملك الموري بكوس الأول وروما. لقد برز الرجل في حرب يوغرطة كمساعد لمريوس Marius، الذي كان قائداً للجيش الروماني في هذه الحرب ما بين سنتي 107 و105 قبل الميلاد. وهو الذي تولى مهمة المفاوضات مع الملك بكوس خلال الحرب المذكورة.

أرسل بكوس سفارة إلى مريوس ليسمح لها بالتوجه إلى رومة قصد الاتصال بمجلس الشيوخ. وأفاد المؤرخ المذكور أن صولا رحب بهم وأحسن إليهم خلال مقامهم في معسكر مريوس، الذي كان غائباً حين وصولهم.

وبالنسبة للمذاكرات التي جرت في رومة بين الوفد الموري ومجلس الشيوخ الروماني، فقد لخصها سالوست في نص مقتضب قائلا : "وفي رومة رجا السفراء من مجلس الشيوخ العفو عن الخطأ الذي وقع فيه ملكهم، ثم طلبوا بعد ذلك محالفتنا وصداقتنا، فأجيبوا بهذه العبارات : إن مجلس الشيوخ والشعب الروماني لا ينسون الإحسان والإساءة، ولكن حيث إن بكوس يندم على ذنبه، فنحن نوافق على الصفح عنه وسينال حلف الشعب الروماني وصداقته عندما يستحقها" (سالوست، حرب يوغرطة، 104).

وبعد انتهاء حرب يوغرطة استمرت العلاقة بين الملك الموري والقائد الروماني صولا. يتضح ذلك من خبر يفيد أن بكوس بعث إليه مائة أسد مع مروضيها، وذلك سنة 93 قبل الميلاد. وقد ظل بكوس مخلصا لرومة، وجسد تعامله مع صولا بصنع تماثيل من الذهب تصور عملية تسليم يوغرطة لصولا. وقد بعث الملك هذه التماثيل إلى رومة حيث نصبت في ساحة الكابتول ومعها تماثيل أخرى بعثها بكوس مخصصة لفيكتوريا إلهة النصر عند الرومان. ولما اندلع الصراع بين مريوس وصولا نجد هذا الأخير يفرض هيمنته على مجال نفوذ الموريين ويبعث بومبيوس الأكبر ليسوي أوضاع البلاد لصالحه.

سالوست، *حرب يوغرطة*، تر. م. التازي سعود، فاس، 1982 ؛ م. مجدوب، *أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة*، بحوث، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العدد 2 ـ 3، ص. 61 ـ 82 ؛ نفسه، 1990، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*، رسالة لنيل د. د. ع.، مرقون، فاس ؛ *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة، 1998.

Sénéque, Brièveté de la vie, 13, 6, 7 ; Pline l'Ancien, 8, 16 ; Plutarque, Marius, 32 ; Sulla, 5-6 ; S. Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, 1928, t. 7, Paris, M. Majdoub, Pompeus Magnus et les rois maures, dans Africa Romana, 1998, 12, p. 1321-8.

محمد مجدوب

**الصولدي**، عملة أجنبية استعملت في المغرب، وهي في الأصل عملة رومانية ذهبية اسمها Solidus عرفت منذ القرن السادس للميلاد بدءاً من عهد يوسطين الأول البيزنطي (522 ـ 527) ميلادية، ولعل استعمال كلمة "الصولدي" كانت معروفة لدى المغاربة منذ القديم غير أن استعمالها للنقود النحاسية الأجنبية الإسبانية والفرنسية انما شاع خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وكان المغاربة ينطقون "الصولدي" باللام في وسط المغرب وجنوبه، بينما ينطق في الشمال "الصوردي" بالراء، وجمعه في الوثائق المغربية "الصَّواليد" و"الصُّوالْدة" وقد استعمل هذا الاسم في اللغة الأمازيغية والدارجة للدلالة على الفلوس النحاسية عموماً، وعلى النقود النحاسية الأجنبية على الخصوص، والتي كانت تحمل على أحد وجهيها صورة وجه أحد الملوك والأباطر الأوروبين.

ومن حيث الصرف يعتبر الصولدي عملة تكميلية وغير مرغوب فيها غالبا، فكان وجود الصولدي إلى جانب العملات المغربية والأجنبية بقلة خلال حقب كثيرة ولكنه شاع كثيراً خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بموازاة مع التوسع الأوروبي، وبالخصوص في الجهات الشمالية وعند الحدود الجزائرية وقد استفحل أمره وأصبح مزعجا في الصرف سنة 1887 ممّا جعل السلطان مولاي الحسن يأمر قائده على منطقة وجدة عبد الملك بن علي السعيدي "أن يسقط تلك الصواليدة" ويمنع تداولها في الأسواق.

ومن حيث القيمة فإن الصولدي أقل قيمة من "البليون" إذا أخذنا العملة الإسبانية، والبليون هو مايسميه المغاربة القرش، فالريال الإسباني = 25 قرشاً "بليونا" والبليون = 20 سنتيما على أساس أن الريال الإسباني والفرنسي كل منهما يصرف بـ 500 سنتيم، ومن ذلك يتضح تدني صرف الصولدي وقيمته، وله مضاعفات من فئة 1 و5 و10، وهو ماقلده السلطان مولاي عبد العزيز عند ما ضرب الموزونات النحاسية على أساس خمسمائة سنتيم للريال العزيزي إذ جعل الصولدي يساوي الموزونة.

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، ص. 408 ؛ *جواب قائد وجدة عبد الملك بن علي السعيدي عن رسالة السلطان مولاي الحسن بتاريخ 9 جمادى الأولى 1305 (1887)*، مديرية الوثائق الملكية بالرباط (م. و. م. ر).

F. Delamare [et al.], *Mécanique de la frappe des monnaies*, in Revue Numismatique, VIe série - Tome XXVI, année 1984 (Paris), p. 37.

عمر أفا

**الصومعي، أحمد** بن أبي **القاسم** الشعبي الهروي التادلي، مولدا ومنشأ ودارا. يرجع أصله، حسب عبد الرحمن التادلي، إلى أغمات ـ أيلان ـ التي انتقل منها جده محمد بن سالم ليستوطن زمران، القبيلة المشهورة شرقي مراكش (*التشوف الصغير*، ورقة 85 ب).

ولد الصومعي في بلدة الصومعة سنة 920 / 1514، بناء على ما جاء عند أحمد المقري في *روضة الآس* أنه كان في سنة 1010 / 1601 شيخا "أناف على الثمانين". لكن محقق كتاب *المعزى* ذكر أنه ولد بعد التاريخ المذكور بعشرين سنة على الأقل بناء على قرائن ذكرها.

نشأ الصومعي في بيئة متصوفة. فقد أخذ والده عن الشيخ عبد العزيز التباع مبادئ التصوف، ويُعدّه شيخه. وكان يتوافد على الصومعة كبار متصوفة تادلا ؛ منهم مؤسس الزاوية سعيد أمسناو وعلي بن إبراهيم البوزيدي.

بعد أن جمع الصومعي القرآن الكريم في زاوية الصومعة، على يد الشيخ سعيد أمسناو، وحفظ بعض المتون الأولية، انتقل، طلبا للعلم، إلى كل من مراكش وفاس وبعض الجهات الأخرى، مثل سوس.

ومن تضاعيف المصادر يبدو أن شيوخ الصومعي كانوا كثيرين. أولهم والده، أبو القاسم بن محمد الزمراني، الذي ذكره صاحب *الفوائد الجمة* في مقدمة شيوخه (التمنارتي، ص. 57). ثانيهم، سعيد أمسناو، الذي يعد عمدته. فعلي يده تلقن مبادئ تربيته، وعنه أخذ علومه الأولى في زاوية الصومعة. وباختصار فبه اقتدى، وعلى رأيه سلك (*المعزى*، ص. 215). ثالثهم، علي بن إبراهيم البوزيدي، صاحب أكرض، الذي كان أول شيخ اتصل به الصومعي خارج بلدته. واستمر ملازما له حتى وفاته. فانتقل بعدها إلى مراكش، حيث أخذ بها عن الشيخ أحمد بن علي الدرعي الرسالة القيروانية (م. س. ص. 202 ؛ *الإعلام*، 2 : 261). وبالمدينة المذكورة أيضاً، أخذ عن أبي عمرو القسطلي، وعبد الله بن ساسي. ذكر المترجم أنه كان كثير الزيارة له بمراكش (م. س. ن). وبها أخذ كذلك عن عبد الله بن حسين، وعبد الله الوردي الذي لقيه برابطة الغار يوم السبت سادس عشر محرم عام 987 (المعزى، ص. 272).

وبفاس أخذ عن أحمد العبادي التلمساني *عقيدة أهل التوحيد*، سنة 966 / 1559، وعن محمد بن عبد الله الشريف (*نشر المثاني*، 1 : 114). والغالب على الظن أنه أخذ عن مشايخ آخرين، منهم من أخذ عنه بواسطة، ومنهم من اتصل به مباشرة، نذكر منهم على سبيل المثال أبا عبد الله محمدا بن علي الخروبي الطرابلسي ؛ الذي أجازه (*روضة الآس*، ص. 302).

ومهما يكن من أمر، فإن ثقافة الصومعي كانت متعددة المشارب، وإذ نسلم بأن الغالب عليه هو التصوف، فإن مضامين كتاب *المعزى* ترشح بنوع من الموسوعية يغلب عليها الأدب والمناقب. يقول أحمد المقري عن هذا الموضوع : "وشاهدت من كثرة حفظه لحكايات الصالحين عجبا. يذكر بكل محل ما يناسبه، ومع ذلك يأتي أيضاً ببعض الحكايات التاريخية" (*روضة الآس*، ص. 300). ولم يكن الصومعي يدخر وسعا في الإقبال على سائر طرق اكتساب العلم. يذكر الإفراني أنه كان يحضر مجالس الحديث التي يقيمها السلطان المنصور في قصره (*الصفوة*، ص. 24). كان ذلك إبان إقامته "القسرية" بمدينة مراكش.

وكما درس الصومعي العلم، فقد انخرط في سلك التصوف. ومن بين شيوخه، ذكرنا سعيدا أمسناو الذي عينه خلفا له على زاوية الصومعة، وعليا بن إبراهيم البوزيدي، الذي كان أول شيخ "أورده ماء الفقر". وأخذ بعد ذلك عن أبي عمرو القسطلي، وعبد الله بن ساسي، وعبد الله بن حسين التامصلوحتي. كما أخذ عن بعض أصحاب الشيخ أحمد زروق، مثل يعزى الجزولي ومحمد الخروبي الطرابلسي. وسبقت الإشارة إلى أنه لازم الشيخ أحمد بن علي الدرعي مدة. فكما أخذ عنه العلم أخذ عنه التصوف. ولقي بعض كبار شيوخ التصوف آنذاك، أمثال عبد الله الغزواني، وسعيد بن عبد المنعم الحاحي، وأحمد بن موسى السملالي (*المعزى*، ص. 270).

كما سعى الصومعي إلى تعميق ممارسته الصوفية رواية ودراية، فكان يقضي جل وقته في تدريس "علوم الحقيقة". بل حاول أن يهجر دياماً ويتفرغ للتصوف لولا أنه رأى رؤيا اضطر بعدها إلى الاستقرار في زاويته ملازما تعليم الصبيان وتلقين المريدين. ولعل ذلك الاستقرار قد أثمر ما خلفه الصومعي من مؤلفات عديدة.

وأياما كان، فإن الصومعي يعد من كبار متصوفة ذلك الزمان. فقد وترت عنه الكرامات، وقصده الناس من جهات بعيدة. واشتدت المنافسة بينه وبين بعض متصوفة زمانه، أبرزهم الشيخ محمد الشرقي، صاحب أبي الجعد (العروسي، *المرقي*، ص. 85 ـ 86).

وبالرغم عن سكوت المصادر عن ذكر تلاميذ الصومعي ؛ فإننا نعتقد أنهم كانوا كثيرين. ويكفيه أن يتتلمذ له الفقيه الثائر أحمد بن أبي محلي (*نزهة الحادي*، ص. 201)، والأديب المؤرخ أحمد المقري (*روضة الآس*، ص. 300).

لم يكن موقف الصومعي من السلطة الحاكمة مخالفا لما كان عليه باقي متصوفة العصر ؛ إذ لم يثن في كتاباته على أي سلطان سعدي، باستثناء أحمد الأعرج الذي ذكره في سياق حديثه عن نقل رفات الجزولي إلى مدينة مراكش (*الإعلام*، 4 : 335). وهذا أمر عادي بسبب ما تعرض له أصحاب الزوايا من محنة في ذلك العهد. ومن ثم ذهب البعض إلى أن هوى الصومعي كان مع الناصر، حين ثار على عمه أحمد المنصور. كما ينبغي ألا نستغرب من التنافر الذي وقع بين المترجم وبين الأمير زيدان، الذي لطمه وأهانه.

خلف الصومعي تراثا مكتوبا كثيرا غلب عليه التصوف والأدب. ويعد المقري المصدر الذي نقل عنه جل المتأخرين

فيما يختص بتعداد مؤلفاته، حيث ذكر أنه استجاز شيخه الصومعي فأخرج له ستين مجلداً من مؤلفاته(*روضة الآس*، ص. 300 ـ 302). وأشهرها :

ـ *المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى*.

ـ *لباب اللباب في معاملة الملك الوهاب*.

ـ *اختصار مروج الذهب ومعادن الجوهر*، للمسعودي.

توفي بقرية الصومعة أوائل ربيع الأول عام 1013 / أواخر يوليوز 1604.

أ. الصومعي نفسه، *المعزى*، تح. ع. الجاوي ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، ع. الرحمن الصومعي، *التشوف الصغير*، مخطوط، خع. رقم 931 ؛ أ. باب التنبكتي، *كفاية المحتاج*، تح. م. مطيع، المحمدية، 2000 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس ؛ *نزهة الحادي*، تح. ع اللطيف، الشادلي، الدار البيضاء ؛ م. الحضيكي، *مناقب*، تح. أ. بومزگو، ع. العروسي، *المرقى في مناقب سيدي محمد الشرقي*، مخ. خ. ع. 1911 د ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج 2 ؛ م. الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط، خ. ع، 76 ج، *ممتع الأسماع*، طبعة جديدة؛ ليڤي بروڤنصال، *مؤرخو الشرفاء* ؛ ك. بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 2 ؛ الزركلي، *الأعلام*، ج 1 ؛ ع. گنون، *النبوغ المغربي*، *خل وبقل*، م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج 1 ؛ أ. بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، م. عربوش، *أحمد بن أبي القاسم الصومعي*.

أحمد عمالك

**الصومعي، عبد الرحمن** بن إسماعيل التادلي، عالم صوفي اشتهر بكتابه *تشوف الراغبين إلى السادة الكرام المتصوفين*، ويسمى أيضاً *التشوف الصغير*، تمييزاً له عن *كتاب التشوف إلى رجال التصوف* ليوسف ابن الزيات التادلي من رجال القرن السابع (13 م).

يظهر من قراءة *التشوف الصغير* أن مؤلفه تكون تكوينا علميا وصوفيا في بلاد تادلا فقط. ثم اشتغل فيها بالتدريس والتأليف وتربية المريدين. يتجلى ذلك في معرفته الواسعة لرجال هذا الإقليم، وبخاصة أهل القرون الثامن والتاسع والعاشر للهجرة، (14 ـ 16 م) يستقصيهم على ما في أسلوبه من اختصار، ويستطرد إشارات تاريخية مفيدة لاخبار الصومعة وداي ومن فيهما من الشرفاء وغيرهم.

توفي بعد عام 1010 / 1001.

ع. الرحمن الصومعي نفسه، *التشوف الصغير*، مخطوط ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*، ط 2، الدار البيضاء، 1965، ج 1 رقم 1022 ؛ أ. المكناسي، *أهم المصادر*، تطوان، 1963 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، الرباط، 1964 ؛ *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 2 : 506.

**الصومعي، محمد** بن عبد الرحمن التادلي. عالم مشارك وصالح، اشتهر بشرحه *سينية ابن باديس*، وهمزية *البوصيري*. مكث مدة طويلة في الزاوية الدلائية يلازم مجالس الشيخ الحسن اليوسي وغيره من علماء الدلاء. ثم التحق بمراكش لسلوك طريق القوم على يد الشيخ محمد بن عبد الله السوسي (ت. 1079 / 1668) قبل أن يرجع إلى مسقط رأسه ويقبل على تعليم طلبة قبيلته وغيرهم من أبناء الإقليم التادلي. وتكاثر الآخذون عن محمد بن عبد الرحمان الصومعي، طلبة ومريدين، وأجمع الناس على محبته وتعظيمه، وصلحت أحوالهم بإرشاده واجتهاده.

توفي عام 1123 / 1712.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 5 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، الرباط، 1964 ؛ *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 2 : 507.

محمد حجي

ابن **صوّال**، أسرة فاسية عريقة، ذكر ابن الأحمر في *بيوتات فاس الكبرى* أن بيتهم "بيت فقه وثروة، ولهم زقاق يقال له عقبة ابن صوّال. ولا عقب لهم" واشتهرت هذه العقبة في القرون الأخيرة بسكنى الشرفاء الكتانيين. بها وذلك بعد رجوعهم ـ ضمن الشرفاء الأدارسة ـ إلى فاس أيام المرينيين. وقد أوقف أحد المحسنين من أعيان فاس داراً بمصريتها وأرواها بعقبة ابن صوال على الشريف الصالح عبد العزيز بن محمد بن قاسم الكتاني (ت. ح 997 / 1589) وشقيقه علي وعقبهم. فسكنوها. ومازالت هذه الدار محبسة على الكتانيين حتى اليوم.

إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 29 ؛ الطالب ابن الحاج، *نظم الدر واللآل في شرفاء عقبة بني صوال*، مخطوط ؛ ع. الكبير الكتاني، زهر الآس، الدار البيضاء، 2002، ج 1 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الإلتباس*، مرقون، ج 2 ؛ علي المنتصر الكتاني، *الشرفاء الكتانيون في الماضي والحاضر*، الدار البيضاء، 1999.

محمد حجي

**الـصوّان** (تـيـمـشّ) حـجـر (Silex)، أصل الكلمة لاتيني، وهو حجر صلب، حبيباته دقيقة ؛ لونه أصفر صافي إلى أسمر أو أسود، جوانبه شفافة ؛ ذات كسور مصقولة ومحارية ؛ لمعانه ساطع. والصوّان خفي التبلور، لا شكلي، وشائع لمعدن المرو ؛ غالبا ما يوجد على شكل كويرات منتشرة أو متجمعة على شكل صفوف متوازية للتوضعات الطباشيرية، والصخور الكلسية لحقبة الكريتاسي. يوضع الصوّان منذ بداية التصخر داخل الرسابة وهي لازالت مفتتة ؛ كما يعتبر من الأحجار الاحيائية السليسية المتموهة، التي تُكوّن حدثاً شاذاً داخل الترسبات الكلسية. إن وجود الأشواك المجهرية للاسفنج، وأصداف المشطورات والمكسرات المحارية داخل الصوّان لدليل قاطع على أن هذه البقايا للهياكل السليسية قد استعملت ولاشك كشعيلة لتوضعاته.

لقد استعملت قطع الصوّان في الأزمنة القديمة في صناعة الأسلحة ذات الرؤوس الحادة، كالحراب، والنصّال والفؤوس، ورؤوس الخناجر، والاسهم ؛ زيادة على إشعال النار، وبارود سبطانة البنادق الحجرية. ولقد تم هذا من قبل أن يكشف الانسان عمل هذه الأدوات من المعادن. أما في عصرنا هذا، فيستعمل الصوّان أساساً في صناعة الخزف.

ونشير هنا إلى أننا نجد الصوّان في المغرب في الرواسب الفوسفاطية، والطبقات الطباشيرية :

1 - الرواسب الفوسفاطية، يظهر فيها الصوّان على نحو نسق يعلو النسق الفوسفاطي (فوسفاط رملي ومرن فوسفاطي)، يتميز بتبادل رتيب في صخور المرن مروراً بشرائط سليسية بيضاء مسامية، وشرائط ذات لون بني فاتح من الصوّان.

2 - الطبقات الطباشيرية الموجود فيها الصوّان، مكونة من الأحجار الرملية التي تعزى إلى السينوماني السفلي أو قاعدة الطباشيري الأعلى، حيث يتقدم الاطلنطي متجاوزاً فوق المجال النجدي، حيث نرى استمرار واتصال الطباشيري السفلي الممثل في صخور الرمل والأحجار الجيرية ؛ كما يكوِّن خليجين، الأول بحوض الصويرة والآخر في حوض أگادير.

J. Agard, *Minerais et substances utiles de la carte géologique au 1/200.000è des environs de Casablanca*, Rapport SEGM, n° 151, 1950 ; J. Aubouin, R. Brousse et J.P. Lehman, *Précis de géologie : pétrologie*, Paris, 1975 ; *Bulletins mensuels de la conjoncture minière*, Ed. Ministère de l'Energie et des Mines, Direction des Mines, Maroc ; B. Bariand, F. Cesbron et J. Geffroy, *Les minéraux, leurs gisements, leurs associations*, Paris, 3 vol., 1978 ; *Eléments de la géologie du Maroc. Mines. Géologie et Energie*, Publication de la Direction des Mines, de la Géologie et de l'Energie (Ministère de l'Energie et des Mines, Maroc), n° 41, 1977 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Substances métalliques et non métalliques)*, 2ème éd., t. 1, Rabat, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème éd., t. 3, Rabat ; A. Foucalt et J. F. Raout, *Dictionnaire de géologie*, Paris, 1988 ; Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; P. Lapadu-Harques, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; A. Michard, *Elément de Géologie marocaine*, Rabat, 1976 ; D. Reig, *Dictionnaire arabe-français, français-arabe*, Paris, 1986 ; D. Rudolf et R. Lubos, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (françàs-arabe)*, Rabat, 1990.

عبد الله بوصحابة

**الصّويرة**، مدينة متوسطة عريقة وعاصمة إقليم ذات شهرة تاريخية ولها من الظروف الطبيعية والبشرية والاقتصادية ما يؤهلها لكي تلعب أدواراً رئيسية على الصعيدين الإقليمي والجهوي، لولا الإكراهات الخانقة والمعيقات التي تجعلها تنمو بمشقة وتتخلّف شيئاً فشيئاً عن ركب الحواضر المغربية الفاعلة والنشيطة وظيفيا وعمرانياً.

تتخذ المدينة موقعاً وسطاً بين الأقطاب الجهوية الثلاثة (مراكش وأگادير وآسفي)، كما تنفتح على المحيط الذي يعدّ مصدر ثروتها، بل سبب وجودها، ولا تبعد عن الدار البيضاء إلاّ بحوالي 350 كلم. لكن هذه الوضعية تجعلها في آن واحد متطرّفة ومعزولة عن المحاور الأساسية للتيارات التجارية والبشرية (الدار البيضاء - مراكش - أگادير)، خصوصاً وأن السلوكية تصبح صعبة في بلاد الشياظمة وخاصة بفعل تقطع التضاريس التلية والهضبية.

كما أن موضع المدينة الذي يرجع إلى عهود قديمة، ولا سيما المكان الذي تمّ اختياره لبناء القصبة والمدينة القديمة، هو فريد بالمنطقة الساحلية، إذ يتميّز بالانخفاض وبروز الخيف الصّخري الشاطئي المكوّن من الكثبان المتصلبة القديمة (الرباعي ونهاية الزمن الثالث). ومنه يمتدّ الشاطىء الرملي بالخليج الواسع والمحمي من طرف الأرخبيل القريب إلى ما بعد مصب واد القصب نحو الجنوب، غير أن ما تتفرّد به مدينة الصويرة على الإطلاق هو تطويقها التامّ "بجبال" من الكثبان الرملية الحديثة والمتحركة. ويعزى هذا التراكم الضخم على المشارف القريبة إلى التعرية الريحية التي تضاعفت بعد اجتثاث غابة الأرگان والعرعر المجاورة على إثر بناء مدينة الصويرة منذ 1757. حتى إنه في بداية القرن العشرين وصل تهديد زحف الرمال إلى حدّ أقصى. لذلك قرّرت سلطات الحماية تشجير الشريط المحيط بالمدينة بداية من 1918 بموازاة مع إصدار قوانين تمنع أي نشاط فلاحي ورعوي داخل هذا الشريط. واستمرّ تثْبيت الكثبان إلى نهاية الخمسينيات بمعدل 350 هـ سنوياً بالشجيرات والأشجار المتأقلمة مع المعطيات المحلية (طرفاء، رتم، سنط، ميموزا، عرعر، أو كليبتوس).

فضلاً عن ذلك، تتوفّر المدينة على مناخ متوسطي شبه جاف (280 ملم سنوياً)، يتميّز دون غيره بالمغرب بمعدل حراري يعادل 18.5، ولا يبتعد المدى الحراري كثيراً عن هذا المتوسط طوال السنة، بسبب تلطيف الحرارة الصيفية بالرياح الجارية وانعدام الصقيع والبرد القارس خلال فصل الشتاء. لكن دنو تيار الكناري البارد في السواحل يسفر عن ازدياد قوة الرياح الشمالية الشرقية بين أبريل وأكتوبر، وخصوصاً خلال يوليوز وغشت، وهو ما يؤثر سلباً نسبياً على الرواج السياحي في هذه الفترة.

النمو الديمغرافي بمدينة الصويرة

| | 1960 | 1971 | 1982 | 1994 |
|---|---|---|---|---|
| عدد السكان | 26.392 | 30.061 | 42.035 | 56.074 |
| نسبة التزايد السنوي (٪) | - | 1,2 | 3,0 | 2,6 |

رغم ترقية الصويرة إلى صفّ البلديات منذ 1917، تمّ تهميشها منذ بداية عهد الحماية لصالح مدن الشمال الأطلنطي بمحور الجديدة - القنيطرة. ومع ذلك تعتبر مركزاً تجارياً أساسياً إلى حدود الخمسينيات من القرن 20. فكان عدد سكانها في الثلاثينيات يناهز 14000 نسمة، نصفهم تقريباً يهود وأوربيون. وبعد رحيل جلّهم بعد الاستقلال، وفي الوقت الذي شهدت فيه المدن المغربية المتوسطة والكبيرة انفجاراً ديمغرافياً حقيقياً، ظلت تنمو مدينة الصويرة ببطء شديد إلى حدود 1974، لما انفصلت دائرتها عن إقليم آسفي لتشكل إقليماً قائم الذات. وبعد بضع سنوات من التزايد

السّكاني المتوسط والذي يرجع بالأساس إلى الهجرة القروية (التي تمثّل 41٪ من مجموع تلك الزيادة بين 1960 و1971)، تراجع النمو الديمغرافي منذ بداية التّسعينيات، بعدما أصبحت المدينة تشكو جلياً من النقص الحاصل في الحيّز القابل للبناء.

بفضل بنياتها التحتية وتجهيزاتها الجماعية وتنوّع أنشطتها ووجود الميناء، يمكن اعتبار مدينة الصويرة متعدّدة الوظائف ومتوفرة على كل مقومات المدينة العصرية. ذلك أنها مدينة إدارية بالدرجة الأولى، تحتضن جلّ المرافق والمصالح العمومية وشبه العمومية الإقليمية وكذا مختلف مؤسسات الخدمات. كما حافظت على صناعتها التقليدية التي نالت بها شهرة وطنية، ولا سيّما في ميدان الصيّاغة وصناعة الخشب. كما أحدثت صناعات عصرية عديدة تتصدّر لائحتها معاصر الزيتون ومعامل تصبير السمك.

واستمرت أيضاً في تطوير السياحة الاستحمامية الوطنية والعالمية بتدعيمها في السنوات الأخيرة بشتى المهرجانات الثقافية والفنية. مع العلم أن الميناء، رغم تذبذب رواجه وتواضعه اليوم مقارنة مع الموانئ الأطلنطية الأخرى، فهو يعرف تفريغاً سمكياً يتراوح في المعدّل بين 5000 ط و10 000 ط في السنوات الأخيرة (2537 ط سنة 1999) والتي يصبّر جزء ضئيل منه محلياً.

وقد استنفدت المدينة القسط الأوفر من الحيّز الحضري القابل للبناء خارج المجال الغابوي ويتجه التعمير إلزاميا نحو الجنوب، فيما وراء سيدي مگدول والخليج، أي صوب قرية الذبابات (على واد القصب) التي تم التفكير في استخدامها لفك الحصار على الصويرة وبناء مدينة جديدة بها.

** ينتمي إقليم الصويرة إلى جهة مراكش - تانسيفت - الحوز، وهو من الأقاليم المغربية القديمة نسبياً (1974) والمتوسطة الحجم (6335 كلم2). ونظراً للتقلص الذي تشهده مدينة الصويرة وظيفياً وديمغرافياً وعمرانيا يكاد ينحصر نفوذها على ناحيتها في المهام الإدارية. أما بعض التجهيزات والأنشطة والخدمات النادرة والرفيعة فيجب البحث عنها في مراكش وأسفي وحتى أگادير.

يتكوّن التراب الإقليمي من أربع وحدات تضاريسية أساسية تتدرج من الشمال نحو الجنوب. عند انتهاء الطرف الجنوبي الأقصى لسهل عبدة يمتد شريط ساحلي (بعرض 15 كلم في المتوسط) من الكثبان الحثية البليورباعية المتوازية التي تعلوها قشرة كلسية ورمال متحركة أحياناً. وما عدا هذا الشريط الساحلي الذي يضمحلّ في حدود جنوب حاحا فإن باقي التكوينات تنتمي بالدرجة الأولى إلى الكلسي الكريتاسي والإيوسيني. وهي عبارة عن هضاب وتلال متداخلة سواء في الشياظمة ذات الارتفاع المتوسط (بين واد تانسيفت وواد القصب) والتي تحتضن شكلا استثنائيا بالمنطقة (جبل الحديد) أو في حاحا التي تعرف ارتفاعاً فجائيا للتضاريس (بداية من جبل أمسّيطن) أو في أقصى الجنوب (الأطلس الكبير الغربي).

على أن التعرية المائية والريحية تتميّز بعنف تزيد من حدته طبيعة المناخ المتوسطي شبه الجاف، حيث لا يتعدى حجم التساقطات 280 ملم سنويا بمدينة الصويرة، مع كثير من التفاوتات بين السنوات. في الفترة الأخيرة تم تسجيل كميات مطرية جدّ متباينة كان أقصاها 624 ملم سنة 95 - 1996 وأدناها 164 ملم سنة 94 - 1995. زد على ذلك أن الغطاء النباتي الطبيعي الواقي يعرف تدهوراً مطّرداً بفعل عملية الاجتثاث والرعي المفرط. وحاليا يتوفر الإقليم على مساحات مازالت واسعة من الغابات بمجموع حوالي 259000 هـ. تتوزع بين الصنوبريات في الدّاخل، بمساحة 400 108 هـ، من بينها 500 95 من العفصية (وهي أكبر مساحة إقليمية في المغرب من هذا النوع) والمورقات (000 145 هـ) في الجزء القريب من البحر، وضمنها 000 132 هـ من الأرگان (وهي ثالث أكبر مساحة في المغرب بعد مساحة الأرگان بإقليمي أگادير وتارودانت).

إلى حد الآن ظلت الغابة تؤثث المشهد الريفي العام وظلت المعطيات الطبيعية تمثل أهم الموارد بالنسبة للسكان الذين يستقرون بالأرياف بالدرجة الأولى.

تطور عدد سكان إقليم الصويرة
(5 جماعات حضرية ومركز و25 جماعة قروية)

| السنوات | حضريون | ريفيون | المجموع |
| --- | --- | --- | --- |
| 1960 | 27175 | 282075 | 309250 |
| 1971 | 32333 | 329919 | 362252 |
| 1982 | 46858 | 346825 | 393683 |
| 1994 | 75437 | 358244 | 433681 |

يعد إقليم الصويرة من أضعف الأقاليم المغربية من حيث نسبة التمدين. ذلك أن الجماعات الحضرية الخمس (الصويرة، تامانار، الحنشان، أيت داود وتالمست) لا تمثل سوى نسبة 17,4٪ من العدد الإجمالي للسكان سنة 1994، مع العلم بأنّ نسبة سكان الحضر عرفت نسبة متوسطة للنمو سنة 1982 (بين 3,3٪ و4٪). ونظراً للهجرة القروية المستمرة فإن ساكنة الأرياف تعرف ركوداً وفي العديد من الجماعات تراجعاً (حوالي 14 جماعة قروية). أما المراكز الحضرية الأخرى فهي جدّ متواضعة حجماً ووظيفياً (تامانار : 8620 ن، الحنشان : 3898 ن، تالمست : 3406 ن، أيت داود : 2118).

إن استمرار الاستقرار بالأرياف وكذا الكثافة المرتفعة نسبيا بالمقارنة مع الموارد (57 ن / كلم2) يدلآن على الارتباط الوثيق بالنشاط الزراعي والرعوي بالإقليم. في منطقة الشياظمة يتغلّب نظام الإنتاج المبني على الزراعات

المتنوعة (خصوصاً الشعير) مع استراحة للأرض وتربية الأغنام أساساً. أما في حاحا والأطلس الكبير الغربي، فالنظام رعوي زراعي مع استغلال خاصّ لغابة الأركان من طرف الماعز. وعلى صعيد مجموع الإقليم يتكون القطيع من الأغنام (492300 رأس) والماعز (352400 رأس) والأبقار (56500 رأس). أما المساحة العامة المزروعة بالحبوب فتتراوح بين 225000 هـ و300 000 هـ.

أما الاقتصاد الحضري والمبادلات الاقليمية فترتكز على بنيات تحتية وتجهيزات اجتماعية متفاوتة وضعيفة على العموم. خارج الطريق الوطنية الساحلية والطريقين الجهويين الصويرة - شيشاوة وسميمو - إمنتانوت لا يتوفر إلاّ جزء ضيق من الإقليم على شبكة ملائمة من الطرق والمسالك الإقليمية والجماعية (ما بين الصويرة وشيشاوة). وحتى المطار الموجود جنوب مدينة الصويرة والمستخدم في السيّاحة فرواجه ضعيف. ولم تسجّل بمركز الصويرة سنة 1999 سوى 107 وسيلة نقل، بما فيها سيارة سياحية.

يتميز القطاع الاجتماعي وقطاع الخدمات أيضاً بخصاص ملحوظ، ولا سيّما في الوسط الريفي وخارج المنطقة الممتدة بين الصويرة وتمنار. ذلك أن الميدان الصّحّي لا يتوفر إلاّ على مستشفى إقليمي واحد (358 سرير) و56 طبيب (37 في القطاع العمومي) و7 مراكز صحيّة (4 قروية) و28 مستوصف (27 في البادية).

النسب المائوية في بعض القطاعات الاجتماعية
بالوسط الريفي بإقليم الصويرة (1994)

| | دائرة الصويرة | | دائرة تمنار | |
|---|---|---|---|---|
| | ذكور | إناث | ذكور | إناث |
| التمدرس | 43 | 15 | 48 | 10 |
| الأمية | 77 | 95 | 77 | 98 |
| البطالة | 5 | 7 | 6 | 7 |

كما تجدر الإشارة إلى أنه حتى مدينة الصويرة نفسها تفتقد لعدد كبير من الخدمات النادرة التي غالباً ما توفرها العواصم الإقليمية، مثل الهندسة المعمارية والطبغرافية والبيطرة ومكاتب الدراسات والتوثيق ووكالات الأسفار والمؤسسات الثانوية الخاصة والعليا والمصحات والطبّ الاختصاصي وقاعات السينما والمراكز الثقافية وسيارات الأجرة الكبيرة والحافلات...

توفــر الأرض في الوسط الريفي مــعظم المؤهلات الاقتصادية، كما تحتوي على صعيد الإقليم على مجموعة من الثروات المعدنية، بين ما هو في طريق الاستنفاد وما هو احتياطي أو صعب الاستغلال، ويتعلق الأمر بمناجم الكبريت بسيدي غانم والملح جنوب سميمو في إداّ أو عزة وأوزلا والحديد بجبل الحديد شمال الصويرة، وخصوصاً أحد الأحواض النفطية الواعدة بالمغرب واحتياطي كبير من الشيست النفطي والغاز الطبيعي بتويكيت والفوسفاط في أولاد بوسبع وانفيفة ومسكالة.

يواجه استغلال هذه المعادن بالطريقة المثلى عدة عراقيل، على رأسها تذبذب الأسواق العالمية وضعف القطاع الصناعي وبعدها عن الموانئ وأماكن التحويل والمعالجة. ولو أن عدد المؤسسات الصناعية كبير نسبياً بالمقارنة مع حجم الإقليم ونسبة التمدين به: حوالي 2000 عامل بخمسين مؤسسة صناعية منها 8 وحدات عصرية لمعالجة الزيتون (بجانب عدد كبير جداً من المعصرات التقليدية).

أما الصيد والسياحة فيتركزان في مدينة الصويرة التي يشكو فيها القطاع الأخير من ضعف بنية الاستقبال، سواء بالنسبة للسياحة الداخلية أو الوطنية، والتي تتمثل في 4 فنادق مصنفة ومخيم واحد، ومن قرية وإقامات سياحية.

*التصميم الحضري لمدينة الصويرة*، 10.000، مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبغرافية، الرباط، 1977 ؛ الصويرة، *الذاكرة وبصمات الحاضر*، أيام دراسية، منشورات لكلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1994، مديرية الإحصاء، *الإحصاءات العامة للسكان والسكنى*، 1960 ـ 1971 ـ 1982 ـ 1994 ؛ مديرية الإحصاء، *النشرة الإحصائية السنوية للمغرب*، 2000 و1978.

A. Courapied, *Essaouira, étude d'architecture*, Paris, 1978 ; H. B. Ottmani, *Une cité sous les alizès, Mogador*, Ed. La Porte, Rabat, 1997 ; *Etude de l'état de l'environnement au sein de la médina d'Essaouira*, 1980 ; SCET, *Etude préliminaire du schéma directeur de la ville d'Essaouira*, Rabat, s. d.

مصطفى عياد

* * كان السلطان محمد بن عبد الله يتوقع من بناء الصويرة أن يعزز مكانة المغرب ويدعم قوته. وأشار أحمد الغزال - وهو من حاشية السلطان - إلى أن مصب واد أبي رقراق صارت الرمال تسده مدة شهرين في السنة ،إبان فصل الشتاء، فيعرقل تحركات القراصنة المغاربة. وعجز المهندسون عن إيجاد حل لذلك المشكل القائم، فاقترح بناء مرسى جديد في الصويرة، حتى "تسافر منها القراصين متى شاءت". وكأن ما ذهب إليه الغزالي من أن الهدف من بناء الصويرة قد كان هو الدفاع عن الإسلام في مواجهة الكفار سيكسب تأسيس المرسى الجديد مشروعيته. والواقع أن أنشطة القراصنة المغاربة التي كانت تعتبر عمليات بحرية مشروعة تناقصت حتى تلاشت. وذلك لأن التجارة والمبادلات المنظمة بمقتضى اتفاقيات تجارية صارت من الوسائل التي تتيح للمخزن إمكانية مراقبة أنشطة التجار الأجانب، وتتحدث مصادر أجنبية عن رغبة السلطان في وضع حد لحق الاحتكار التجاري الذي كانت الشركة الملكية الدنماركية للتجارة قد حصلت عليه سنة 1751 في كل من أسفي وأكادير والرباط وسلا والمعمورة والعرائش وتطوان. إذن فقد كانت للسلطان رغبة أكيدة في تركيز مجموع التجارة الخارجية في مرسى واحد يخضع في تسييره وتدبير شؤونه للقصر السلطاني خضوعا مباشرا كليا. وكانت تسعى هذه السياسة إلى الرفع

من مداخيل المخزن بواسطة الرسوم الجمركية، وفي التقليص من الاستقلالية التي كانت تتمع بها المؤسسات التجارية الأجنبية.

لقد بنى السلطان المرسى من أجل المبادلات التجارية، غير أن توفير سلطة المخزن وتدعيمها تطلبا أيضاً إنشاء مؤسسات عسكرية في المدينة الجديدة. ويمكن القول إن السلطان محمد بن عبد الله كان بصدد إنشاء مدينة على غرار الرباطات، وهي تلك القصبات المحصنة التي بنيت على طول السواحل المغربية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر دفاعا عن الإسلام من أعدائه البرتغاليين وقتئذ. وكانت المدينة الجديدة شبيهة بالمراكز التجارية المحصنة التي سبق أن أسسها الإسبانيون والبرتغاليون فسموها بريزيديوس، وهي حصون أو مواقع تجارية تتولى حراستها حاميات عسكرية. وكان البرتغاليون والإسبانيون يصرون على مواصلة احتلالهم بمواقع على الساحل كما هو حال الجديدة الموجودة في قبضة البرتغال وسبتة ومليلية الواقعتين تحت النفوذ الإسباني. ومن ثم ظل الجهاد قضية حقيقية، وهذا هو السياق الذي يجب أن تدرج فيه وجهة نظر الغزال المشار إليها أعلاه، حتى تفهم فهما صحيحا.

ولما كان مرسى الصويرة السلطاني جزءاً من الديار العلوية الشريفة، فقد كان لا بد من اتخاذه حاضرة تتمتع بكل مواصفات الحاضرة الإسلامية. غير أن التجارة هي التي منحت في الحقيقة للمدينة الجديدة قابلية الحياة والنمو، فكان معظم التجار فيها يهودا. وكان قطاع التجار القوي من المكونات الأساسية للمجتمعات الإسلامية الحضرية دائما. وكان القرار القاضي بإقامة التجار اليهود في المدينة جزءاً من التقاليد الراسخة والمتجذرة في التجربة الحضرية المغربية، وكان يعتبر وسيلة لضمان التطور الاقتصادي للمدينة الجديدة. وحتى يجذب المخزن المركزي التجار إلى مدينة الصويرة، فقد بنى لهم الدور أو سمح لهم ببنائها، ومنح القروض وخفض الرسوم الجمركية للقادمين الجدد. وجاء في إحدى المخطوطات، ضمن مجموعة وثائق آل قرقوز أن يهود تجار أگادير بنوا الدور في الصويرة في البداية دون أن تكون لهم رغبة في الإقامة بها على الدوام. وبناء على نصيحة أسداها يهودي يتمتع بنفوذ كبير في حاشية القصر هو سومبال، اختار السلطان محمد بن عبد الله عشر عائلات من الأسر اليهودية الثرية من مختلف مدن المغرب، واتفق مع كل منها على أن ترسل أحد أفرادها إلى المدينة الجديدة ضمن الأسر المذكورة : سومبال ودلفانتي (الشريقي) من أسفي، ثم قرقوز وديلامار من مراكش، ثم أفلالو وبيبنيا من أگادير، ثم ليفي يولي وليفي بن سوسان والناحوري من الرباط، وأخيرا أبو درهم من تطوان. ولا توجد أي إشارة دقيقة إلى التاريخ الذي وقعت فيه هذه الحركة، لكن الظاهر أنها حصلت بضع سنين من إنشاء المدينة. وفضلا عن هؤلاء، قدم إلى المدينة بقصد الاستقرار بها بعد ذلك ببضع سنين يهود تجار آخرون من أسفي والرباط وسلا وتطوان ومراكش وأگادير وسوس. إذ وفد على المدينة من مراكش كل من مقنين والصباغ وبينتو، وجاء من تطوان حديدة وإسرائيل، ومران من أسفي، وأهم من هؤلاء جميعا كدالة الذي أتى من أگادير، فساهموا جميعا في تشكيل نخبة تجار الصويرة.

وحدث تواصل تدريجي بين التجار اليهود الصويريين وبين شبكات التجار اليهود الأوربيين في حوض البحر المتوسط، فكان حاسما في تدشين مرسى الصويرة لحركة متنامية للتصدير والاستيراد. غير أن الشبكة اليهودية التي كان ينتشر أعضاؤها على امتداد الطرق التجارية البرية الداخلية للمغرب كانت لها أهميتها المماثلة. إذ كانت تعتمد معظم مبادلات المغرب الخارجية على مقايضة المنتجات المستوردة والمصدرة من جنوب غرب البلاد. وقد جاءت بعض كبريات الأسر التجارية اليهودية الصويرية، مثل آل أفرياط وآل أحيون، من هذه المناطق. وكانت علاقاتهم المتينة باليهود والوكلاء التجاريين والزعامات القبلية في منطقة الجنوب الغربي، تيسر فعلا رواج السلع.

وفي القرن الثاني عشر (18 م) اتخذ ممثلو الشركات التجارية الأجنبية في العواصم الأوربية الكبرى مواقعهم في الصويرة. وحمل السلطان محمد بن عبد الله كل التجار الأوربيين على الانتقال من الرباط وأسفي وأگادير وبقية مراسي المغرب إلى المدينة الجديدة. وفي آخر الأمر، أصبحت الصويرة المرسى البحري الوحيد الذي يسمح بممارسة التجارة الخارجية منه. وحينما تراجعت المبادلات التجارية مع المغرب عند نهاية القرن الثامن عشر، غادر معظم التجار الأجانب الصويرة، وذلك على الرغم من حلول تجار أوربيين آخرين بالصويرة في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) بعد معاهدة 1856 مع بريطانيا وما ترتب عليها من تحرير للمبادلات الخارجية. لكن التجار اليهود هم الذين تركوا بصماتهم الواضحة المعالم على المدينة. ولما كانوا تجارا رسميين في خدمة السلطان، فقد حصلوا على الدور داخل القصبة حيث توجد مرافق السلطات المخزنية ويقيم الأجانب. بينما استقر عامة اليهود في الزاوية الشمالية الغربية للمدينة في حي الملاح. وكان عامة يهود الصويرة يعيشون في البداية مع المسلمين في المدينة، غير أنهم أرغموا بعد صدور ظهير سلطاني على الانتقال إلى حي يهودي سنة 1807. وكانت فئة التجار اليهود المقيمين في القصبة أكثر مجموعات المدينة تأثيرا على الإطلاق. إذ تمحور الحيز الأكبر من الأنشطة الاقتصادية للمدينة على صفقاتهم وعملياتهم التجارية، بل ظل ازدهار المدينة مرتبطا بمدى نجاح أعمال المؤسسات التجارية التي كانوا يديرونها. كما اعتمد كافة تجار الجنوب المغربي على وساطة هؤلاء التجار اليهود لتسويق الزرع والمنتجات الأساسية في المبادلات مع أوربا. ووجدت المؤسسات التجارية الأوربية نفسها مرغمة على التعامل مع هذه الفئة من تجار السلطان لأن معظم تجارة المغرب الخارجية كانت في قبضتهم

أ. الناصري، الاستقصا، ط 2، الدار البيضاء، 1956، ج 8، ص.

54 ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مخطوط، د 339 خ ع ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، تح. العماري، الرباط، 1986 ؛ أ. الغزال، *نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد*، بيروت، 1980 ؛ م. القادري، نشر المثاني، القسم الرابع، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ موسوعة *أعلام المغرب*، ج 6، بيروت، 1996، الغرب الإسلامي، ص. 2223 ـ 2224.

Troisième voyage de Razilly 1629. Document XXXIII, in Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, Série France, t. III, p. 117 et 121 et 267.

خالد بن الصغير

* * أما المآثر التاريخية بالصويرة فتتمثل في نقائش تشتمل تواريخ مكتوبة بالأرقام، كما أنها تشير إلى أسماء "المعلمين" البنائين أو المهندسين الذين أشرفوا على البناء وهم أحمد الطع ومحمد تمري وكنون الفاسي. أما من الناحية الفنية فهذه الخطوط جد متفاوتة بحيث يمكن اعتبار نقيشة باب محمد أو مسعود أهمها شكلا ومضمونا.

إن هذا الاختلاف في الأشكال والمضامين، يوازيه اختلاف في التواريخ المرفقة التي نقشت بالأرقام. واستعمال الأرقام للتأريخ لم يكن من الأمور المعتادة في العمارة المغربية قبل الفترة السعدية. وشاع استعمالها في البنايات العلوية منذ فترة سيدي محمد بن عبد الله واستمرت بعده. ويمكن تفسير اختلاف التواريخ أساسا في كون البناء بالمدينة، لم يرتفع بموت سيدي محمد بن عبد الله بل استمر إلى 1764 و1814. فالمدينة لم تبن دفعة واحدة، الشيء الذي يستنتج عند قراءتنا للمعالم الأثرية بالمدينة كذلك.

تظهر المدينة داخل الأسوار على شكل جزر سكنية متباينة. فمن جهة البحر تمتد القصبة القديمة داخل حزام من التحصينات ـ وقد تهدم جزء منها ـ وتقابلها القصبة الجديدة وهي محاطة بدورها بأسوار مخططة على شكل هندسي محكم ذي المربعات المنسقة. ثم تمتد المدينة بشوارعها الواسعة المتقاطعة التي أبهرت أكثر من زائر والتي نسبت إلى "عبقرية" مهندس معماري فرنسي يدعى كورنو . وأخيراً في الزاوية الشمالية يوجد حي الملاح.

بالنسبة للقصبة القديمة، فهي تبدو على شكل مدينة صغيرة تحيط بها أسوار مدعمة بالأبراج المربعة، وكانت بها ثلاثة أبواب رئيسية : باب الأخضر المؤدي للمرسى، باب محمد أو مسعود ـ وهو مازال قائما يصل إلى المشور ـ وباب القصبة الذي كان يصل إلى المدينة ولم يبق له أثر.

ويمكن تمييز فضاءين أساسيين داخل القصبة : ساحة الجامع وساحة باب محمد أُومسعود. هذا بالإضافة إلى أهم العناصر المعمارية للمدينة الإسلامية : مسجد جامع، مدرسة، حمام، قيسارية أسواق، فرن ودور سكنية على اختلاف أحجامها وأنماطها.

إن أهم الشواهد المعمارية في هذا الجزء من المدينة يبرز الوظائف الأساسية للقصبة. وهكذا يتشكل المركز السياسي من دار القائد والحي الملكي. فأما دار القائد، فهي المؤسسة المعمارية التي ظلت تبرز في الوثائق المرسومة طوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 و19 م) كرمز للمخزن بالقصبة القديمة. هذه الداركانت مخصصة للسلطان ثم لعبت فيما بعد أدوارا مختلفة. وأما الحي الملكي فقد كان السلطان سيدي محمد بن عبد الله قد أمر ببنائه، إلا أن هذا المشروع لم ينجز منه سوى باب المنزه، الذي يطل على ساحة المشور وباب المرسى وهو ما يسمى حاليا بساحة المولى الحسن.

وتبرز البنايات الدينية في القصبة القديمة على زوايا مثلث، أبرزها الزاوية التي يقع فيها الجامع وهذه البنايات الثلاث هي :

- الجامع العتيق (ساحة المولى الحسن)
- بيعة عطية بالزنقة التي تحمل نفس الاسم
- الكنيسة البرتغالية (زنقة ابن زهر)

فقد كان سيدي محمد بن عبد الله يلح كثيراً على احترام ديانات أهل الكتاب وشكلت القصبة القديمة مركزاً أساسياً، منذ البداية، لسكنى مجموعات بشرية متعددة العقائد والأصول ترتبط فيما بينها بعلاقات ودية ومصلحية في الوقت نفسه. وكانت ديار القصبة سكنا ومستودعا لتجار السلطان (مسلمين ويهودا) والتجار الأجانب وأعضاء القنصليات الأجنبية على اختلاف أصولهم. فقد كثرت بهذا الجزء من الصويرة الدور الضخمة، ذات الأبواب الكبيرة الجميلة، والتي تتميز أساسا بكونها دوراً ذات وظائف مركبة.

وكانت بالقصبة مجموعة من الهياكل الاقتصادية. ويبدو من خلال الخرائط القديمة، أن الهيمنة الاقتصادية كانت للسلطان الذي كان يملك كلا من القيسارية وحوانيت بالسوق. بالإضافة إلى ذلك، كانت دار الاعشار متصلة بدار المخزن، كما يتضح أن المسجد الجامع كان مرتبطا بالسوق والقيسارية اللذين كانا يمثلان في محيطه القريب.

وتجدر الإشارة هنا أن أزقة القصبة القديمة تتميز بكونها واسعة ومستقيمة وتتراوح مقاييسها ما بين 5 و3 م، وتتقاطع أزقتها على شكل زوايا قائمة. "تغطيها سقوف من القناطر الخشبية تعرف محليا باسم "تسيوت". وتتميز معظم الأزقة الداخلية للقصبة بكونها أزقة عل شكل "ساباطات". أطوال هذه الساباطات زنقة خالد بن الوليد بالقصبة القديمة. التي تنتهي عند البحر، وربما كان الغرض الأساسي من هذا التخطيط تسهيل نقل البضائع التي كانت تخزن في جميع أنحاء القصبة.

وترتبط القصبة بالمرسى عبر تحصينات بحرية تدعى السقالات. وأهم عناصر هذه التحصينات باب المرسى الذي يشكل معلمة معمارية فريدة في العمارة المغربية، سواء في هيكلها أو في زخرفها. وهذه الباب تحمل في أعلاها خطوط منقوشة وتاريخ البناء بالأرقام (1184 هجرية).

وتتكون هذه الإسقالات من قسمين رئيسين : سقالة القصبة وسقالة المرسى.

أما اسقالة القصبة، فهي تقع شمال غرب المدينة وتمتد على جرف مستطيل بجوف القصبة وترتبط بالبرج الشمالي المستدير. والسقالة هذه من بناء مهندس من جنوة كما تؤكده مجموعة من الوثائق الإسبانية. وقد تعرضت جوانب منها إلى ضربات مدافع الأمير دو جوانفيل De Joinville سنة 1844 إبان هجوم البحرية الفرنسية على المدينة. وقد تم ترميم هذه المعالم بعد ذلك من طرف المخزن.

تمتد اسقالة القصبة من القبلة إلى الجوف على مساحة طولها 175 م، ويصل عرضها إلى 8 م، وهي محمولة على مجموعة من المخازن، وترتفع قبتها المبنية بالحجارة المنجورة مشرفة على المرسى. ووظيفة هذه السقالة هي حماية المرسى، فمنها تنطلق المدافع مرحبة أو مهددة لكل من قدم إلى المدينة من البحر. وقد بنيت أسفلها مجموعة من الأهراء (أربعون) لإيواء المكلفين بالحراسة، وشكلت مستودعاً هاماً للأسلحة في الماضي. أما الآن فهي عبارة عن حوانيت ومصانع للخشب (منجرات)، وكلها تنفتح بأقواس نصف دائرية من الحجر المنجور.

ويرتفع وسط هذه الاسقالة برج مربع الشكل يعرف ببيت اللطيف، لكون "الطلبة" كانوا يقرأون فيه كتاب *الشفاء* في عهد سيدي محمد بن عبد الله. وعلى أحد جدران هذا البيت تبرز نقيشة أصبحت اليوم رمزاً للمدينة، وهي مكتوبة بالخط الكوفي : "بركة محمد".

بنيت السقالة أساسا بالحجارة المنجورة وتشكل "شرافاتها" عنصرا متميزا. فهي ذات طابع أوربي وتنتهي بمتراس ذي فتحات هندسية مهذبة تتوزع على فوهاتها مجموعة من المدافع (40 مدفعا في الأصل). وهذه التحف الأثرية مزينة بزخارف وخطوط منقوشة تشير إلى تواريخ صناعتها التي تتراوح ما بين 1541 / 1594 ثم ما بين 1614 و1778.

أما اسقالة المرسى فهي محمولة على قنطرة ذات خمسة أقواس. ويحمل مفتاح قوسها المركزي نقيشة خطية شبيهة في صيغتها بالتي تعلو باب المرسى. وأهم ما يميز هذه السقالة برجها الكبير، إذ يشكل النقطة الأساسية من الناحية الدفاعية. وأسفل هذه السقالة توجد مخازن تزيد عن العشرين معدة لبراميل البارود والكور وإيواء المراكب والمعدات البحرية من مخاطف وحبال وغيرها. فقد كانت في الواقع دارا للصناعة.

إن أهم ما يميز هذه السقالات كونها ذات طابع أوربي في شكلها المعماري، فقد استعمل الحجر المنجور كمادة أساسية للبناء، وتبرز "شرفاتها" بنتوءات وفتحات أسطوانية على الجدار.

أما الجزء المعروف بـ"المدينة" فهو يختلف في عدة أشياء عن القصبة. فمساحته شاسعة وتحيط به أسوار تمتد على شكل حزام طوله 2476 م تقريبا. ويتراوح ارتفاعه ما بين 7 و9 أمتار بما في ذلك "الشرافات" التي ينتهي بها السور ويصل العلو في بعض الجهات إلى 12 م.

وتسمح الصورة الجوية للمدينة بتمييز الجزر السكنية التي يتخللها محوران أساسيان : المحور الأول يمثله سوق الحدادين وهو شارع واسع عرضه 15 م وطوله كلمتران تقريبا. يعرف حاليا جزء منه باسم محج الزرقطوني، والجزء الآخر باسم محج الاستقلال، وهو امتداد لشارع عقبة أو ساحة المشور سابقا. وهذا المحور الأول ينطلق من المرسى مرورا بباب المنزه، ثم باب السبع، ويشكل فيه السوق الجديد المركز الأساسي، وينتهي عند باب دكالة. وهذه الأبواب التي تتوزع بشكل منتظم هي ثلاثية (ذات ثلاثة أقواس) وضخمة.

المحور الثاني (يعرف باسم سوق أقّا) ينطلق من باب مراكش وهو أقل اتساعا، يلتقي بسماط الحدادين في المركز (السوق الجديد) وينتهي عند باب بني عنتر.

بعد ذلك تأتي الأزقة الثانوية التي تتميز أحيانا باستقامتها وهي ترتبط بأزقة ملتوية وضيقة عادة ما تكون مسقوفة (الساباطات). وهي طرق الخاصة لأنها تكون في ملك ساكني الحومات.

ومن الملاحظ جدا أن المرافق الإسلامية كثيرة ومتعددة بالمدينة. فبالإضافة إلى الأسواق، نجد الحمامات التي تتوسط أهم الأحياء والفنادق والطواحين والأفران ومعاصر الزيت والطرازات...

وإذا كانت القصبة تضم مسجدا جامعا واحدا، فالمدينة على العكس تعج بالبنايات الدينية التي تفوق الثلاثين (جوامع، مساجد، زوايا وأضرحة) وقد بقيت قائمة إلى حد الآن. بعضها على حاله الأصلي والبعض الآخر أدخل عليه من الترميمات والتجديدات على مر العصور ما غير من بعض ملامحه. أهم هذه المباني وأكبرها جامع سيدي يوسف بن علي (المعروف عند عامة الناس باسم بن يوسف). وهو بناء ضخم متناغم الأجزاء يبرز من الخارج من جهة، عن طريق الباب الرئيسية ذات الجمالية البسيطة المرتكزة أساسا على الحجر المنجور، ومن جهة أخرى عن طريق صومعته العالية المتناسقة الهيكل التي توجت بسقف هرمي الشكل على نمط نماذج معمارية دينية أخرى بنيت على عهد سيدي محمد بن عبد الله.

بالإضافة إلى هذه المعلمة الكبيرة هنالك مساجد أخرى عديدة تتوسط أهم الحومات : مسجد البواخر ومسجد حاحا ومسجد الشبانات... وقد كان لكل حومة، سور خاص ينتهي بباب تترك مفتوحة أثناء النهار وتقفل بالليل بعد صلاة العشاء مباشرة.

فهذه الأحياء تتميز بتنظيم عمومي، و "نصف عمومي" وخاص. فالمجال العمومي نشيط تشكل فيه الوظيفة التجارية والاقتصادية الأساس : معاصر وطواحن وأفران... ويلي هذه الأحياء ما سميناه بالمجال "النصف العمومي" الذي يتشكل من الساباط والتقويسات التي تؤلف بدورها "حومات" صغيرة مسقفة يشتركها سكان نفس الزقاق. أما المجال الخاص فتمثله الدور السكنية. فكل حومة وحدة

عمرانية مستقلة ومغلقة تنتشر فيها الأزقة المسدودة لتزيد من عزلتها ضمانا للأمن والحميمية.

وعلى طول المحاور الرئيسية، كانت تتوزع - توزيعا محكما - مجموعة من المرافق التجارية (الفنادق والمقاهي والأهرية والأروية...) التي يتردد عليها التجار لقضاء أغراضهم.

وتتميز المدينة بمحورين أساسين وهما شارع الحدادين وسوق "آقا" اللذان يتقاطعان عل شكل زوايا قائمة، ويشكل السوق الجديد نقطة التقائهما. وبالرغم مما يعكسه هذا التخطيط ويوحي به من "تنظيم أوربي "فهو في الواقع لا يختلف في توزيعه عن أسواق المدن الإسلامية الأخرى. وقد كانت الأسواق بالمدينة متنوعة وكثيرة ومنتظمة تنظيما حسب الوظائف (الجزارين والخياطين والحدادين والخضارين والصواغين...). فالسوق بضوضائه وحركته الدائبة بعيد عن الأحياء السكنية فالشوارع العريضة ليست غائبة في المدن الإسلامية إنما تلاشت ملامح بعضها لتزايد النسيج الحضري وزحف البناء. ويعتبر هذا النوع من التخطيط، من المعايير التي تميز المدن المرتبطة بالبحر.

ويظل الجزء الأكثر صبغة بالأحياء الأوربية في مدينة الصويرة متمثلا في القصبة الجديدة، المحاطة بدورها بأسوار والتي تبرز بتخطيط على شكل هندسي محكم (مستطيل) ذي المربعات المنسقة على شكل شطرنج.

يطلق اسم القصبة الجديدة على الجانب المبني المقابل لباب محمد أومسعود، لتمييز هذا الحي الجديد عن القصبة القديمة. وقد ابتدئ في تأسيسها سنة 1863 ميلادية، وفرغ من بنائها سنة 1869. وقد تولى القيام على بنائها الأمين الحاج الطيب بوجيدة. ثم الأمين الحسين بن الحاج عبد الكبير كنون.

يختلف هذا الجزء تماما عن باقي أجزاء المدينة، بحيث يتخذ التصميم المستطيل الذي تصل مساحته 13.490 م2، يتخلله شارع محوري يربط ما بين الباب المطل على المشور سابقا وباب السبع وقد اشترط المخزن أن تكون المنازل مركبة من مستوى سكني (علوي) ومستوى يصلح مستودعا للبضائع (سفلي). ولم تكن بالقصبة الجديدة أية مرافق عمومية.

لم يكن يهود الصويرة في عهد سيدي محمد بن عبد الله ينفردون بحي خاص بهم بل كانوا يسكنون مختلطين بالسكان المسلمين بالخصوص في القصبة القديمة وقوس بن عطار بدرب أهل أگادير. كما كانوا يسكنون بالجزء الموالي للقصبة القديمة وهو الحي المحاذي لحرمة بني عنتر. وهذا الحي كان قريبا من دار السكة، حيث كانت تستخدم اليد العاملة اليهودية. وكان قوس بن عطار قريبا من القيسارية المعروفة بفندق الصاغة. وقد اشتهر اليهود بالمدينة إلى عهد قريب منا بصناعة مجوهرات من الذهب والفضة تتميز بالإتقان والجودة (الدگ الصويري).

وفي عهد المولى سليمان عين ليهود الصويرة حي خاص بهم شمال المدينة قرب باب دكالة. ولم تمر إلا مدة زمنية قصيرة حتى عرف حي الملاح تكدسا سكنيا مهما (6000 نسمة سنة 1865 فاضطر المخزن إلى الترخيص بتشييد حي آخر لليهود سمي بالملاح الجديد أو الملاح الصغير في حومة الشبانات.

فقد كانت الساكنة اليهودية مضطرة وهي محصورة في مساحة ضيقة جدا للتوسع، الأمر الذي يفسر كون السكن بالملاح مؤلفاً من دور عالية من طابقين أو ثلاثة طوابق ذات أفنية صغيرة.

يتضح إذن من خلال هذه القراءة لمدينة الصويرة أن معالمها مرآة لتطور مستمر لحضارة مغربية. ويعكس تخطيط المدينة بقوة ارتباطها بالبحر الذي شكل أهم مورد لها لمدة من الزمن. أما ما تتميز به المدينة من عمارة وتخطيط "مركب" يجمع ما بين المحلي القديم والحالي الممتزج ببعض العناصر "الأجنبية" فهو نتيجة تمازج عناصر بشرية ذات أصول مختلفة شكلت ساكنة المدينة. كما أن هيكلها العام، وتوافر المرافق العامة وتنظيمها والمنهجية المنطقية في ترتيبها يكشف عن حاضرة إسلامية متميزة بالانفتاح والتعايش.


أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 2، الدار البيضاء، 1956، ج 8، ص. 54 ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مخطوط، د 339 خ ع ر ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، تح. العماري، الرباط، 1986 ؛ أ. الغزال، *نتيجة الاجتهاد*، بيروت، 1980 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*/ *موسوعة أعلام المغرب*، ج 6، بيروت، 1996.

F. Benoit, *Cornut l'avignonnais et l'urbanisme à Mogador au XVIII siècle*, dans *Mémoires de l'Institut historique de Provence*, T. X, 1933, 3ème trim., p. 181 - 186 ; N. Boyer (Capitaine), *La grande histoire d'un petit port Essaouira ou Mogador*, in *Revue Historique de l'armée*, Fév. 1960, p. 89 - 92 ; Pierre de Cénival, *Mogador*, in *Sources Inédites de l'histoire du Maroc*, T. 1, 1ère série 1934, Portugal (dynastie saadienne), p. 120 - 129 ; D. Shroeter, *Merchants of Essaouira : Urban Society and Imperialism in Southwestern Morocco (1844-1886)*, Cambridge University Press, Cambridge, 1988 ; *Essaouira Work Shop in Progress. Mapping cities through typologies : exploring preservation & development*. Ed. Department of Architecture, MIT : Aga Khan program for Islamic Architecture, 1995, 124 p. ; J. Galloti, *L'architecture musulmane des villes*, in *L'Art Vivant*, VI, 1930, p. 816-821.


مينة المغاري

**الصويرة** (زاوية -) ← **مرامر**

السرو
(شجر)

السلحفاة البرية
انظر صفحة 5069

السرو
(غصن)
انظر صفحة 4969

الشوح
(غابة)

السكوم
انظر صفحة 5036

الشوح (غصن)
انظر صفحة 5431

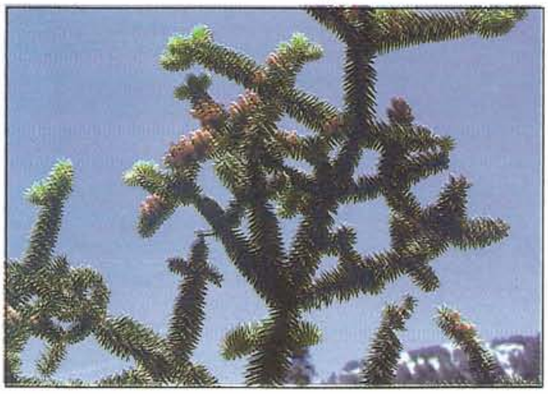

الشوك
انظر صفحة 5435

الشيح
انظر صفحة 5440

شوك الخرقوم
انظر صفحة 5435

الصبّار
(شجيرة)

شوك القوق
انظر صفحة 5435

الصبّار (فاكهة)
انظر صفحة 5483

صدف المحار
انظر صفحة 5528

الصمطة
بيد صياد
انظر صفحة 5554

عملية جمع الصدف
انظر صفحة 5528

الصنوبر
(شجر)

الصمطة
مجموعة أسماك
انظر صفحة 5554

الصنوبر
(غصن مثمر)
انظر صفحة 5570

تم طبع الجزء 16 من معلمة المغرب
بمطابع سلا وبمطبعة النجاح الجديدة
في رجب عام 1423 / شتنبر 2002

مطابع سلا
قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
الحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا

«Sala»

IMPRIMERIE DE SALÉ

**Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane**
**Zone Industrielle de Tabriquet**
**B.P. 596 SALÉ**

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

16

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

"SALA"

2002 - 1423

ISBN 9981 - 03 - 00 - 7 (Ensemble)
ISBN 9981 - 03 - 022 - 8 (Tome 16)

Encyclopédie
du
Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

17

من إنتاج

الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر

مطابع سلا

1424 - 2003

# معلمة المغرب

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984/0629



ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 2 - 024 - 03 - 9981 (الجزء 17)

بسم الله الرحمن الرحيم

أعد هذا الجزء من معلمة المغرب بدعم من وزارة الثقافة ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق عبارات الشكر والامتنان.

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ . | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في هذا الجزء

عباس **ارحيلة**، كلية الآداب ـ مراكش
شفيق **أرفاك**، كلية الآداب ـ أگادير
عبد الرزاق **ازريكم**، كلية الآداب ـ مراكش
محمد **الأسعد**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
أحمد **أشعبان**، كلية الآداب ـ الجديدة
مصطفى **أعشي**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد الصغير **الإفراني**، باحث
عبد الواحد **أكمير**، كلية الآداب ـ الرباط
حسن **أميلي**، كلية الآداب ـ المحمدية
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
أحمد **إيشرخان**، باحث ـ الرباط
ثريا **برادة**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عبد اللطيف **برحو**، المعهد الوطني للصيد البحري
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب ـ الرباط
بلكامل **البضاوية**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **البقالي اليدري**، كلية الآداب ـ الرباط
رقية **بلمقدم**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عبد الإله **بلمليح**، باحث
علي **البليشي**، كلية الآداب ـ الرباط
زوليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية
محمد **بنشريفة**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد العزيز **بنعبد الله**، باحث ـ الرباط
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب ـ مراكش
حليمة **بنكرعي**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عبد المجيد **بهيني**، كلية الآداب ـ بني ملال
محمد الأمين **بوخبزة**، باحث ـ تطوان
فاطمة **بوستة**، باحثة ـ الرباط
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
مصطفى **بوشعراء**، باحث ـ سلا
عبد الله **بوصحابة**، كلية العلوم ـ فاس

إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط
أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية ـ تيزنيت
محمد السوسي **البهاوي**، باحث ـ تطوان
جامع **بيضا**، كلية الآداب ـ الرباط
نجيب **تقي**، باحث
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية ـ مراكش
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء
محمد **حاتمي**، كلية الآداب ـ أگادير
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء
محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة
محمد **حنداين**، وزارة التربية الوطنية ـ أگادير
علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **خربوعة**، كلية العلوم ـ وجدة
محمد **الرفاص**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد اللطيف **رمان**، باحث ـ أگادير
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط
علال **ركوك**، كلية الآداب ـ بني ملال
بوجمعة **رويان**، كلية الآداب ـ القنيطرة
عبد الخالق **الزرواطي**، المركز الوطني لتربية الأسماك أزرو
قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط
محمد **السعديين**، وزارة التربية ـ سلا
عبد القادر **سعود**، باحث
عبد السلام **السعيدي**، باحث ـ مراكش
رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش
مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط
عبد اللطيف **الشاذلي**، مديرية الوثائق ـ الرباط
أحمد **شحلان**، كلية الآداب ـ الرباط
محمد **شقرون**، كلية الآداب ـ الرباط
صالح **شكاگ**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط
الحسن **شوقي**، وزارة التربية الوطنية ـ العطاوية
المصطفى **شويكي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

عبد العزيز **الضعيفي**، كلية الآداب - بني ملال
محمد **الظريف**، كلية الآداب - المحمدية
عبد العزيز ابن **عبد الجليل**، باحث - مكناس
محمد بن **عبد الجليل**، باحث - فاس
امحمد ابن **عبود**، كلية الآداب - تطوان
سعد الدين **العثماني**، باحث - الرباط
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث - تطوان
أحمد أمزال **العسري**، باحث - الرباط
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب - الرباط
برحاب **عكاشة**، كلية الآداب - المحمدية
عبد العزيز **العلوي**، باحث - فاس
أحمد **عمالك**، كلية الآداب - مراكش
عبد العلي **العمراني**، باحث
عبد الله **العمراني**، باحث - تطوان
محمد **عمراني**، كلية الآداب - القنيطرة
مصطفى **عياد**، كلية الآداب - الرباط
حياة **الغراس**، باحثة - مراكش
إدريس **الفاسي**، كلية الآداب - الرباط
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب - القنيطرة
محمد **فتحة**، كلية الآداب - الدار البيضاء
حسن **الفكيكي**، كلية الآداب - القنيطرة

علي **القاسمي**، باحث - الرباط
عبد الله **القجيري**، صيدلي - سلا
سليمان **القرشي**، باحث
محمد **كربوط**، كلية الآداب - الرباط
لطيفة **الكندوز**، معهد البحث العلمي - الرباط
محمد **اللبار**، كلية الآداب - وجدة
حسن **ليمان**، وزارة الثقافة - الرباط
محمد **ماكامان**، وزارة التربية - مراكش
محمد **مجدوب**، كلية الآداب - المحمدية
أحمد **مزيان**، كلية الآداب - فاس
محمد **المغراوي**، كلية الآداب - الرباط
أحمد **المكاوي**، كلية الآداب - الجديدة
محمد **المنصور**، كلية الآداب - الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب - الرباط
مصطفى **ناعمي**، معهد البحث العلمي - الرباط
محمد **هشمي**، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب - مراكش
أحمد **الوارث**، كلية الآداب - الجديدة
محمد عزيز **الوكيلي**، وزارة التربية - الرباط

# ببليوغرافيا إضافية
# إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة


**أحد تلاميد الشيخ** سيدي الغازي
- *مناقب الشيخ أبي القاسم الغازي*، مخطوط.

إسماعيل ابن **الأحمر**،
- *حديقة النسرين في أخبار بني مرين*، مخطوط.

ف. **الإدريسي**،
- *الجباية في عهد الدولة السعدية*، د. د. ع. كلية الآداب فاس 94 ـ 1995 ـ

**ارشيبالد لويس**،
- *القوة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط*، القاهرة، 1960.
- مجموعة جريدة السعادة، خ. ع الرباط،
- *ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية باريس ونانط*.

أحمد سعيد **أعراب**،
- *ترجمة مطولة للشيخ الشطيبي*، جريدة الميثاق طنجة، ع. 42 ـ 43 ـ 44.
- *حول تأليف كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان*، مجلة دعوة الحق، ع. 1 السنة 13، 1969.
- *نظرة في كتاب صنعة الفلاحة لأبي عبد الله الشطيبي*، مجلة دعوة الحق، ع 1.
- *أبو عبد الله بن صالح الغماري من شعراء البادية*، مخطوط.

حسن **أفا**،
- *ديوان البونعماني*، الرباط، 1996.
- *الشعر العربي في سوس بين الاتباع والابتداع*، أطروحة مرقونة بكلية الآداب، أگادير، 2001.

م. بن التهامي **أفيلال**،
- *تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والأعراس*، تطوان، 1976.

محمد **الأكلع**،
- *دراسة جيومورفولوجية للنهاية الشرقية للحوز*، الرباط، 1989.

أ. **أمزيان**،
- *مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي المغربي خلال القرن 19. فگيگ ما بين 1845 ـ 1903*، د. د. ع مرقون كلية الآداب الرباط.

محمد فال بن **بابه العلوي**،
- *كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة*، تح. أ. ولد الحسن، تونس، 1986.

ع. الجليل **بادو**،
- *الأثر الشاطبي في الفكر السلفي بالمغرب*.

أبراهيم **باشا البغدادي**،
- *هدية العارفين*، بيروت، 1982.

ماريا نوايباس **بالاو**،
- *بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة*، مجلة تطوان، ع 8، 1963.

يوسف **بجاجا**،
- *رحلة إلى كتامة وما جاورها عبر تضاريس المخدرات والتهريب أسبوعية الصحيفة*، ع 18، 2001.

محاند علال **البخلالي**،
- *مؤرخ طنجة محمد بن الحاج العياشي سكيرج*، مرقون.

م. فهد **بدري**،
- *العمامة*، مطبعة الحكومة، 1968.

كينيت **براون**،
- موجز *تاريخ سلا 1000 ـ 1800*، تر. محمد حيدة و انس لعلو، 2001.

عكاشة **برحاب**،
- *التهريب والحدود في شمال شرق المغرب (1845 ـ 1912)*، ضمن وقفات في *تاريخ المغرب* كلية الآداب، الرباط، 2001.
- *السعيدية أو سعيدة عجرود صلة وصل بين المغرب والجزائر*، مجلة جمعية *تاريخ المغرب*، وجدة، 1993.

م. بن حمو **البنحياتي**،
- *مذكرات*، مرقونة.

سعيد **بنسعيد العلوي**،
- *الاجتهاد والتحديث*، دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب.

ع. العزيز **بنعبد الله**،
- *مظاهر الحضارة المغربية*، الدار البيضاء، 1957.
- *معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى*، المحمدية، 1972.

محمد **بنعبد الله**،

- *فكرة تأسيس مسجد باريس بين اقتراح المولى محمد بن عبد الله وتنفيذ المولى يوسف*، دعوة الحق. ع 268، مارس، 1988.

شوقي **بنعزوز**،

- *الماء ذلك التحدي المستمر*، الرباط، 1994.

عبد العزيز **بنكاعو**،

- *الأركيولوجية المغربية من خلال أعمال لويس شاتلان*، بحث لنيل الاجازة مرقون كلية الآداب، الرباط، 1989.

ع. اللطيف **بنمنصور**،

- *مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية*.

م. **بنهاشم**،

- *العلاقات المغربية الأمريكية، دراسة في تاريخ التمثيل الدبلوماسي الأمريكي بالمغرب*، فاس، 2000.

الزاكي **بنيونس**،

- *أبو القاسم السهيلي مفسراً*، د. د. ع. مرقونة كلية الآداب، وجدة.

ع. القادر **بوراس**،

- *جانب من مقاومة أيت عطا، مقاومة بوگافر بجبل صاغرو*، مراكش، 1990.

إبراهيم **بوطالب** وآخر،

- *سبتة ومليلية ـ تاريخ وواقع*، الدار البيضاء، 1981.
- *لويس شينيي قنصلاً ومؤرخاً*، *المناهل* عدد 16 سنة 1987.

م. **بوطربوش**،

- *أبو عبد الله الشطيبي، آثاره ومنهجه في التفسير*، د. د. ع. مرقون كلية الآداب الرباط، 1990.

محمد **بوعزيز**،

- *اليسار المغربي الجديد ... النشأة والمسار*، مراكش، 1993.

بوشتى **بوعسرية**،

- *وطنيو مكناس الموقعون على عريضتي المطالبة بالاستقلال*، جمعية أساتذة التاريخ، مكناس، 1990.

م. **بوغالي**،

- *الفكر الباطني بالمغرب والأندلس والحركة المناهضة له حتى أواسط القرن السادس الهجري*، د.د. ع. مرقون كلية الآداب، مراكش، 2000.

م. **بوكبوط** وأحمد **البوزيدي**،

- *وثيقة مغربية عن معركة بوگافر هيسبريس تمودا*، ع 35، 1997.

محمد **بوهلال**،

- *المهرجان الأول لإبداعات الشباب*، 1998.

ضياء الدين ابن **البيطار**،

- *الجامع لمفردات الأدوية والاغدية*، 1992.

إبراهيم **التادلي**،

- *زينة النحر بعلوم البحر*، مخطوط خ. ع رقم 1347 د.

ع. الهادي **التازي**،

- *أزمور مولاي بوشعيب من خلال التاريخ المحلي والدولي للمغرب*، مجلة *المناهل*، ع 35 دجنبر، 1986.
- *جامع القرويين*، بيروت، 3، 798.
- *قصر البديع*، مجلة *البحث العلمي* ع. 28، 1978.

المهدي **التجكاني**،

- *دار بريشة أو قصة مختطف*، الدار البيضاء، 1987.

عبد السلام **تشاح**،

- *جغرافيا النبات*، الدار البيضاء، 1990.

ابن مريم **التلمساني**،

- *البستان*، الجزائر، د. ت.

ع. الرحمن **التمنارتي**،

- *الفوائد الجمة*، مخطوط، ص 48 ـ 49 ـ 154.

م. **التميمي**،

- *المستفاد في مناقب العباد*، مخطوط.

**الجزيري**،

- *المقصد المحمود*، مخطوط.

عبد الحميد **الجلامي**،

- *مونوغرافية صخور الرحامنة*.

**الجماعة القروية** سيدي العايدي،

- *مونوغرافية سيدي العايدي*، مرقون.

**جماعة من الكتاب**،

- *أعمال ندوة الحاضرة الإسماعلية*، 1988.

- *دراسات حول المختار السوسي*، ضمن أعمال ندوة المختار السوسي، الدار البيضاء، 1986.
- *زهرة الآس في فضائل العباس*، الرباط، 1997.
- *العرب وإفريقيا*، بيروت، 1993.

مصطفى **الجنابي**،
- *البحر الزخار والعيلم التيار*، مخطوط.

**جواهري**،
- *جامع الفنا*، الرباط، 2001.

يسرى **الجوهري**،
- *شمال إفريقية دراسة في الجغرافية الاقليمية*، القاهرة، د. ت.

عبد الرحمن **حجي**،
- *تقديم شرح بحرق الكبير على لامية الأفعال*، سلا، 1939.

م. المهدي **الحجوي**،
- *حياة الوزان الفاسي*، 1935.

المحجوب بن **الحرش**،
- *سيدي رحال، مركز هامشي في طريق التمدن*، بحث لنيل الاجازة مرقون كلية الآداب، مراكش، 1996.

أحمد ابن **حسون الوزاني**،
- *فهرسة، 69*، مخطوط.

ح. **حسني عبد الوهاب**،
- *مختصر تاريخ تونس*، تونس، 1980.

المفضل **الحضري**،
- *عبد الصادق شقارة*، الاتحاد الاشتراكي 15 ـ 11، 1998.

م. **الحلوي**،
- *معجم الفصحى في العامية المغربية*، الدار البيضاء، بيروت، 1988.
- *الروض المعطار*، بيروت، 1975.

محمد **حمام**،
- *جوانب من تاريخ وادي دادس وحضارته*، الرباط، 2001.
- *النساء في الصلاح والولاية بالمغرب في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري* (14 م)، الرباط، 1998.

*حوالة أحباس المساكين لمكناس*، مخطوط.

م. **الحيمر**،
- *جيش العبيد والدولة المغربية منذ التأسيس إلى 1757.*

الفقيه **الحيوني**،
- *رحلة الحيوني*، مخطوط.

يحيى **الخالقي**،
- *الأنظمة الهيدرولوجية الكارستية للهضاب الجنوبية الغربية للأطلس المتوسط*، أطروحة مرقونة، الرباط.

خالد **الخضري**،
- *موقع الأدب المغربي من السينما المغربية*، الرباط، 1981.

ف. **خشيم**،
- *أحمد زروق والزروقية*، ليبيا.

محمد العربي **الخطابي**،
- *أمير سعدي في خدمة البلاط الاسباني*، مجلة *المناهل*، ع 13، 1978.
- *سبتة رجالها ومكانتها وصلاتها العلمية بمختلف الحواضر الاسلامية*، *المناهل*، ع 22، يناير، 1982.
- *المغرب في طريق الاستقلال*، الدار البيضاء، 1955.
- مساهدات ديبلوماسي في عهد المولى عبد الرحمان، مجلة دعوة الحق، ع 264، 1987.

عبد الكريم **الخطيب**،
- *مسار حياة*.

ل. ابن **الخطيب**،
- *مثلى الطريقة*، الرباط، 1973.

إدريس **خليفة**،
- *الحركة العلمية الثقافية بتطوان*، 1994.

ع. العزيز **الخمليشي**،
- *المخزن والضرائب المفروضة على التجارة الداخلية 1856 ـ 1896*، د. د. ع، الرباط، 1989.

المهدي **الخياري**،
- *مدرسة سيدي الزوين، نشأتها ومنهجها في القراءات*، بحث جامعي مرقون بمراكش، 1986.

نعيمة **الداويميش**،
- *الجماعة المحلية والتنمية نموذج صخور الرحامنة*.

عصمت ع. اللطيف **دندش**،
- *دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا*، بيروت، 1988.

أشفورد **دوكلاس أي**،
- *التطورات السياسية في المملكة المغربية*، تر. عائدة سليمان عارف وآخر، الدار البيضاء، 1964.
علال **ركوك**،
- *الغناء الشعبي المغربي، أنماط وتجليات*، مراكش، 2000.
محمد بن سليمان **الروداني**،
- *صلة الخلف*، تح. م. حجي، بيروت، 1988.
ميشيل **روسي**،
- *المؤسسات الإدارية المغربية*، الدار البيضاء، 1993.
د. **رينو**،
- *الطب والأطباء بالمغرب*، *صحيفة معهد الدراسات الشرقية*، 1937.
ع. المجيد **الزبادي**،
- رحلة، مخطوط.
مرتضي **الزبيدي**،
- *ألفية السند*، مخطوط.
- *تاج العروس من جواهر القاموس*، تح. عبد الستار أحمد فرج، الكويت، 1965.
م. **الزجالي**،
- *أمثال العوام في الأندلس*، تح. م بن شريفة، فاس، 1986.
محمد **زروال**،
- *دراسة جيومورفولوجية للحاشية الشمالية لأطلس مراكش ما بين وادي الزات وغدات*، الرباط، 1987.
عبد القادر **زمامة**،
- *هذه الألوان وهذه الأسماء*، مجلة الثقافة المغربية، ع 7، 1970.
محمد **زنيبر**،
- *شذرات من تاريخ مدينة سلا*.
**الزهري**،
- *كتاب الجغرافية*، تح. م حاج صادق، الإسكندرية، د. ت.
قاسم **الزهيري**،
- *جنيف والعالم العربي*، الرباط، 1988.
- *مذكرات دبلوماسي*، الرباط، 1990.
أ. **سجلماسي**،
- *المغرب السينمائي*، منشورات شراع، العدد 65، الرباط، 1999.
العباس **السجلماسي الحجرتي**،
- *الروض الطيب العرف*، مخطوط.
**السخاوي**،
- *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، بيروت، د. ت.
محمد المكي **السرغيني**،
- *الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة*، مخطوط، خ. ع.
الميرالاي إسماعيل **سرهنك**،
- *حقائق الأخبار في دول البحار*، مصر، 1312.
ع. ابن **سعيد المغربي**،
- *القدح المعلى*، تح. إ. الابياري.
- *مختصر المغرب في حلى المغرب*، تح. شوقي ضيق.
م. **السقطي**،
- *في أدب الحسبة*، بيروت، 1987.
أحمد **سكيرج**،
- *منهل الورود الصافي*، مخطوط.
ع. الغني **سكيرج**،
- *ديوان حب الحصيد*، تطوان، 1987.
محمد بن الطيب **سكيرج**،
- *الشافي في علمي العروض والقوافي*، مخطوط.
م. بن العياشي **سكيرج**،
- *قرة العين، برحلة يومين*، مخطوط.
**سلفاتوري**،
- *العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط*، مجلة البحوث التاريخية، 1986.
أبو عبد الرحمن **السلمي**،
- *طبقات الصوفية*، تح. نور الدين شريبة، ط 3، القاهرة، 1997.
محمد **السليماني**،
- *اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب*، الرباط، 1971.

محمد **السمار**،
- *مدينة الرباط من التأسيس إلى نهاية القرن السابع عشر الميلادي*، أطروحة مرقونة، الرباط، 2000.
ع. السلام **السميح**،
- *مقدمة تحفة الأنجاب في تسهيل علم الفرائض ومسائله الصعاب*، مخطوط.
م. الرضي **السناني**،
- *إعانة ذوي الخصاصة والإملاق بإخراج واجب زكاة الأوراق*، فاس، 1341 هـ.
- *الشذرات والتقاط الفوائد وغرر العوائد*، الدار البيضاء، د. ت.
أحمد ابن **سودة**،
- *في حديث المفتي*، مسيرة نضال وثبات، ط 2، الدار البيضاء، 1987.
علي **السوسي الفاسي**،
- *عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة*، مخطوط.
م.المختار **السوسي**،
- *أنا والأدب*، مخطوط.
عبد الله **السويسي**،
- *تاريخ رباط الفتح*، الرباط، 1979.
مصطفى **الشابي**،
- *النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر*، المحمدية، 1995.
التهامي **الشاكري**،
- *الأدوية الرواقي من أداء الاختلافات في ماء السواقي*، تح. حسن حافظي علوي، مراكش، 2001.
عبد القادر **الشاوي**،
- *السلفية والوطنية*، مجلة *المناهل*. عدد خاص : *السلفية ثوابت وسياقات*.
عمر كمال **شبانة**،
- *الدولة الموحدية وتأملات في تاريخها*، مجلة *البحث العلمي* ع 20 / 21 السنة العاشرة 72 ـ 1973.
**شجرة عائلة شعشوع**،
- *رسم محرر بفاس بتاريخ 5 ربيع الثاني 1292*، مخطوط.
محمد المعطى **الشرقي**،
- *سفر المرائي والبشارات*، مخطوط.
م. بن الطيب **الشركي**،
- *إرسال الأسانيد*، مخطوط.
- *إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس*، تح. ع. السلام الفاسي وآخر، المحمدية، 1983.
أ. **الشريشي**،
- *أنوار السرائر وسرائر الأنوار*، مخطوط، خ. ع.
أبو القاسم **الشريف السبتي**،
- *رفع الحجب المستورة*، تح. محمد الحجوي، المحمدية، 1997.
محمد **الشريف**،
- *الأسطول السبتي بين الجهاد والتجارة في القرن (12 ـ 14 م)*، مجلة البحث العلمي، ع. 15، 1998.
ع. الله **شقرون**،
- *فجر المسرح العربي بالمغرب*، تونس، 1988.
علال ابن **شقرون الكريمي**،
- *كناشة علمية*، مخطوط.
أحمد **شقور**،
- *ديوان سليمان الحوات*، مخطوط.
أ. **الشكري**،
- *الإسلام والمجتمع السوداني*، أبو ظبي، 1999.
حمو بن محمد **الشكري**،
- *تقاييد*، مخطوط.
محمد **شلال**،
- *كناش محمد شلال*، خ. ح 1319 ـ 1323.
محمد **شماعو**،
- *جريدة الوداد*، سلا.
الشيخ أ. ابن **الشمس**،
- *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، القاهرة، 1330 هـ.
ابن **الشماع**،
- *الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية تح : المعموري، ليبيا ـ تونس*، 1984.
محمد الأمين **الشنكيطي الصحراوي**،
- *مقدمة الارتجال*، مخطوط خ. ع.

م. **الشنكيطي السباعي**،
- *مجموع مختصر من كلام الشيخ أحمد التيجاني*، مخطوط خ. ع.
أحمد **شهبون**،
- *كتاب الجغرافية المغربية*، فاس، 1315 / 1898.
أليكس **شوتان**،
- *الرحلة الفنية إلى الديار المصرية، تعريب عبد الكريم بوعلو*، الرباط، 1932.
الحسن **شوقي**،
- *قبيلة السراغنة خلال القرن التاسع عشر*، مرقون.
محمد **الشوكاني**،
- *إتحاف الأكابر في إسناد الدفاتر*، حيدر أباد.
المصطفى **شويكي**،
- علاقة مدينة سطات بالشاوية، حوليات كلية الآداب عين الشق ـ الدار البيضاء، ع 5، 1988.
زينب **الشيكل** وأخرى،
- *الزاوية المعاشية ودورها الاجتماعي والسياسي*، بحث للإجازة في التاريخ، مرقون، الجديدة 93 ـ 1994.
أحمد **الصبيحي**،
- *باكورة الزبدة في تاريخ أسفي وعبدة*، الرباط، 1993.
ع. الله **الصبيحي**،
- *كناشة علمية*، مخطوط خ. ص.
أ. ابن **الصديق**،
- *سبحة العقيق بذكر مقامات الشيخ سيدي محمد ابن الصديق*، مخطوط.
خالد، **بن الصغير**،
- *المغرب وبريطانيا العظمى في القرن 19 (1856 ـ 1886)*، الدار البيضاء، 1990.
م. **الصفريوي**،
- *فهرس*، مخطوط.
علي **الصقلي**،
- *لمحة عن الشاعر محمد الفاطمي الصقلي*، الدار البيضاء، 2001.
عمر **صلادي**،
- *كاتلوغ تأبين*، مراكش، 1993.
**ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية**،
- *تطوان*، تطوان، 1952.
لحسن **ضعيف**،
- *عوامل التطور العمراني بالمدن الصغرى نموذج شيشاوة*، بحث مرقون.
م. بن الوليد **الطرطوشي**،
- *سراج الملوك*، تح. جعفر البياتي، لندن، 1990.
عبد الفتاح **الطوخي**،
- *السحر الأحمر*، بيروت.
محمد **الظريف**،
- *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، د. د. ع مرقون كلية الآداب، الرباط، 1986.
- *ديوان العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنگيطي*، سلا، 2000.
م. ابن **عاصم**،
- *جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى*، تح. صلاح جزار، عمان، 1989.
محمد ابن **العباس السوسي**،
- *المواهب القدسية في أسانيد المشايخ الصوفية*، مخطوط.
محمد ابن **العباس القباج**،
- *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية*.
ح. ابن **عبد الوهاب**،
- *تاريخ القضاء في شمال المغرب*، تطوان، 2000.
محمد **العبدوني**،
- *يتيمة العقود الوسطى في مناقب محمد المعطى*، مخطوط.
ص. **العبيدي**،
- *الملابس العربية الإسلامية*، بغداد، 1980.
ماء العينين **ابن العتيق**،
- *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط.
أحمد ابن **عجيبة**،
- *رحلة ابن حمادوش الجزائري*، الجزائر.
محمد **العرايشي**،
- *الثقافة بمكناس، أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية*، 1988.

ابن **العريف**،
- *محاسن المجالس*، نشر أسين بلا سيوس، باريس، 1933.
أحمد **عزاوي**،
- *الأسطول، التجارة، القرصنة فيما بين القرنين 6 و8 (12 - 14 م) ضمن البحر في تاريخ المغرب*، المحمدية، 1999.
محمد ابن **عزوز حكيم**،
- *معلمة معركة وادي المخازن*، تطوان، 2002.
أحمد **العزفي**،
- *إثبات ما لابد منه لمريد الوقوف*، مخطوط.
- *دعامة اليقين في زعامة المتقين*، تح. أحمد التوفيق، 1989.
ابن **عطاء الله الاسكندري**،
- *لطائف المنن*، بيروت، 1998.
ع. الله علي **علام**،
- *الدولة الموحدية في عهد عبد المومن بن علي*، مصر، 1968.
التقي **العلوي**،
- *أصول المغاربة*، مجلة البحث العلمي، ع 33.
- *التنظيم الجماعي والإداري*، مراكش، 1992.
الزكي **العلوي**،
- *مطالع الزهراء، الجامع لأسماء بني الزهراء*، مخطوط خ. ح رقم 656.
عبد الحميد **العلوي**،
- *تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد*، الدار البيضاء، 1958.
محمد بن الطيب **العلوي**،
- *العلامة محمد السدراتي*، دعوة الحق، ماي 1978، ص 98.
محمد ابن **علي الدكالي السلوي**،
- *نبذ من تاريخ سلا*، مخطوط خ. ص.
ابن **العماد الحنبلي**،
- *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، بيروت، د. ت.
محمد **عمارة**،
- *الإسلام وفلسفة الحكم*، ط. 2، بيروت، 1979.
**عمالة شيشاوة**،
- *مونوغرافية شيشاوة*، الدا البيضاء.
ج. د. **العمراني اشيطار**،
- *طنجة بين سنتي 1900 - 1912*، د. د. ع، الرباط، 95 - 1996.
محمد **عمراني**،
- *جامعة القرويين*، 1914 - 1934، د.د. ع مرقون كلية الآداب الرباط، 1988.
محمد **عمراوي**،
- دور *التجارة والخدمات في التوسع الحضري لمدينة شيشاوة*، بحث مرقون.
**العمري**،
- *مسالك الأبصار*، الجزائر، 1924، الرباط، 1979.
أحمد **العمّاري**،
- *نظرية التحديث والمواجهة عند علي السوسي السملالي ضمن أعمال ندوة الاصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، الرباط، 1986.
عبد الله **عنان**،
- *فهارس الخزانة الملكية*، الرباط.
م. **عناني**،
- *الشاشية التونسية*، مجلة الأمل الثقافي، أكتوبر، 1970.
ف. **العيساوي**،
- *كلف البوادي المغربية*، ندوة البوادي المغربية الرباط، 1999.
ألبير **عياش**،
- *المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية*، 1985.
المختار **غازي**،
- *إشارات من تاريخ سطات*، الدار البيضاء، د. ت.
عبد الرحيم **غنيمة**،
- *تاريخ الجامعات الإسلامية*.
محمد **الغيث النعمة**،
- *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*، تح. م المختار المداح، د. د. ع مرقون، الرباط.
عبد الاله **الفاسي**،
- *مدينة الرباط وأعيانها*، الرباط.

ع. الحفيظ **الفاسي**،
- *الترجمان المعرب عن أشهر فروع الشاذلية بالمغرب*، مخطوط. خ. ع.

ع. **الفاسي**،
- *تحفة الأكابر*، مخطوط.

علال **الفاسي**،
- *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة.

محمد **الفاسي**،
- *شعراء الملحون*، مجلة المناهل عدد 23.

محمد المهدي **الفاسي**،
- *الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع*، مخطوط.

أبو **الفدا صاحب حماة**،
- *الأخبار القوية عن الحوادث القديمة*، مصر، 1919.

ابن **فركون**،
- *ديوان ابن فركون*، الدار البيضاء، 1987.

ابن الفقيه **الهمداني**،
- *مختصر كتاب البلدان*، ليدن، 1302.

حسن **الفكيكي**،
- *الموريسكيون بمنطقة مضيق جبل طارق الثلث الأول من القرن الحادي عشر (17 م)* مجلة الأكاديمية، عدد 15.

أحمد **القادري**،
- مع هؤلاء: *أبحاث ومذكرات*، الرباط، 2001.

**القاضي النعمان بن محمد**،
- *تأويل الدعائم*، تح. محمد حسن الأعظمي، مصر، د. ت.
- *كتاب المجالس والمسامرات*، تح. الحبيب الفقي وآخرون، تونس، 1978.

محمد **القبلي**،
- *حول التحركات البشرية بمجال المغرب الأقصى فيما بين منتصف القرن الثاني عشر ونهاية القرن الثالث عشر للميلاد*، مجلة كلية الآداب، الرباط، ع. 21 - 22، 1997.
- *قراءة في زمن أبي محمد صالح.*

عبد المجيد **قدوري**،
- *ابن أبي محلي الفقيه الثائر*، الدار البيضاء.

أ. **القدميري**،
- *إطلالة على دائرة تاهلة عمالة إقليم تازة*، 1982.

صالح بن **قربة**،
- *المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد*، الجزائر، 1986.

زكريا **القزويني**،
- *آثار البلاد وأخبار العباد.*
- *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات.*

ع. بن يوسف **القفطي**،
- *إنباه الرواة عن أنبا النحاة*، تح. م. أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1952.

عثمان **الكاديكي**،
- *الأمراض المعدية*، بنغاري، د. ت.

جاك **كايي**،
- *السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا*، مجلة تطوان، ع. 6، 1961.

إدريس **الكتاني**،
- *المغرب ضد اللادينية*، الدار البيضاء، 1958.

عبد الكبير **الكتاني**،
- *روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية*، مخطوط.

محمود **كعت**،
- *تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس*، تح. هوداس ودولافوس، انجي، 1913.

**الكنيف الزرهوني**،
- *ملعبة الكفيف الزرهوني*، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1987.

عبد الصمد **كنون**،
- *مواكب النصر وكواكب العصر*، طنجة.

عبد الله **كنون**،
- *التعاشيب*، تطوان، د. ت.

عبد القادر **الكوهن**،
- *فهرس*، مخطوط.

محمد **الكيكي**،
- *مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال*، تح. أ. التوفيق، بيروت، 1997.
محمد **اللبار**،
- *حول مقاومة المغرب للأهداف التوسعية الرومانية خلال منتصف القرن 1 م. أعمال مهادة لابراهيم بوطالب*، الرباط، 2000.
- *دور المغرب الشرقي في عرقلة الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية*، جمعية تاريخ المغرب، يونيه، 1993.
سعيد بن عمر **لمعاشي**،
- *تحفة الحواشي في مناقب سيدي علي المعاشي*، الرباط، د. ت.
أبو بكر **المالكي**،
- *رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية*، تح. بشير البكوش ومحمد العروسي، بيروت، 1983.
**المؤتمر التأسيسي لحزب الشورى والاستقلال**،
- *ميثاق الاستقلال القومي*، الدار البيضاء، 1946.
أحمد **متفكر**،
- *ذيل الإعلام*، مخطوط.
**مجهول**،
- *تقييد في ترجمة الصفار*، مخطوط.
- *الرئاسة البحرية، ورجال القوة في المغرب*، مخطوط، خ. ع.
- *مجموع مؤلف من ظهائر شريفة وعقود أنكحة متعلقة بالشرفاء السجلماسيين وغيرهم*، مخطوط. خ. ع.
- *مراحل رحلات مولاي الحسن*، مخطوط.
الحسن **المحداد**،
- *الماء بحوض سوس، إسهام في دراسة نظام مائي مغربي جنوب أطلسي*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1999.
محفظات المولى عبد الرحمان بن هشام، *وثائق خ. ح.*
محفظة 1323، *وثائق خ. ح.*
حسن أحمد **محمود**،
- *قيام دولة المرابطين.*
عبد الحليم **محمود**،
- *أبو الحسن الشاذلي الصوفي*، القاهرة، 1967.
- *المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي*، القاهرة، د. ت.
مصطفى **محمود**،
- *السر الأعظم*، القاهرة، د. ت.
**مديرية الإحصاء**،
- *المغرب في أرقام 1999*، الرباط، 2000.
م. خليل **المرادي الدمشقي**،
- *سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر.*
**مربيه ربه**،
- *قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين*، مخطوط.
**مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية**،
- *التقرير الاستراتيجي للمغرب 1995 ـ 1996*، مجلة أبحاث، عدد خاص، الرباط، 1977.
**المركز السينمائي المغربي**،
- *الفيلم المغربي الطويل*، جرد فيلموغرافي، الرباط، 2000.
- *الفيلم المغربي القصير*، جرد فيلموغرافي، الرباط، 2000.
نجاة **المريني**،
- *الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي.*
محمد العربي **المساري**،
- *المغرب ومحيطه*، الرباط، 1998.
محمد **المسعودي**،
- *بطاقة تقنية حول الصباغة النباتية*، الدار البيضاء، 1989.
مصطفى **المسناوي**،
- *أبحاث في السينما المغربية منشورات الزمن*، العدد 27، الرباط، 2001.
**المشرفي**،
- *الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف الحسنية*، تح. ع. الكريم الفيلالي، المحمدية، 1966.
حسن أحمد **المصمودي**،
- *صفحات في تاريخ المغرب المعاصر*، تطوان.
أحمد **معنينو**،
- *المجلس الوطني الاستشاري ومعارضة حزب الشورى والاستقلال 1956 ـ 1959*، الدار البيضاء، 1986.
الشفيق **مقار**،
- *السحر في التوراة والعهد القديم*، لندن، 1990.

**المقريزي**،
- *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تح. ع. القادر عطا، بيروت، 1997.
**المكاوي**،
- *صورة أروبا في الكتابات المغربية خلال القرن 19 تنازع الانفتاح والانغلاق*، أطروحة، فاس، 1996.
- *مسألة الإصلاح عند المفكرين المغاربة في النصف الثاني من القرن 19*. د. د. ع مرقون، فاس، 1988.
محمد **مكيمل** وآخر،
- *زاوية سيدي إسماعيل*، بحث لنيل الإجازة مرقون بكلية الآداب، الجديدة، 1991.
عمر ابن **الملقن**،
- *طبقات الأولياء*، تح. نور الدين شريبة، القاهرة، 1973، تح. مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1998.
صلاح الدين **المنجد**،
- *تقرير بعثة معهد المخطوطات العربية إلى المغرب*، 1959.
**المندوبية السامية للمقاومة**،
- *تراجم الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال*، الرباط، 1996.
م. **منصور**،
- *تصوف الشرفاء، الممارسة الدينية والاجتماعية للزاوية من خلال مناقبها*، الرباط، 1989.
ابن **منكلي**،
- *كتاب الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في البحر*، مخطوط، دار الكتب المصرية، القاهرة.
م. **المنوني**،
- *ركب الحاج المغربي*، تطوان، 1953.
- *المولد النبوي الشريف في المغرب المريني*، دعوة الحق، ع 1. 1988.
م. **المهناوي**،
- *بعض مظاهر أزمة ممارسة الشورى بدولة الاسلام من خلال فتوى ابن ناجي في قضية تمليك الحراطين.*
ع. **المودن**،
- *منوغرافيا دائرة بولمان إقليم بولمان 1982.*
سوزان **ميلار**،
- *صدفة اللقاء مع الجديد رحلة الصفار إلى فرنسا (1845 - 1846)*، الرباط، 1995.
أحمد الخليفة ابن **ناصر**، والحسين ابن **شرحبيل**،
- *رسائل ووصايا ناصرية*، مخطوط خ. ع.
جعفر **الناصري**،
- *سلا ورباط الفتح واسطولهما الجهادي*، مخطوط.
المهدي **الناصري**،
- *نعت الغطريس الغسيس هيان بن بيان المنتمي إلى سوس*، مخطوط.
م. **الناني ولد الحسين**،
- *صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا*، أطروحة مرقونة كلية الآداب، الرباط، 1997.
أبو الحسن **النباهي**،
- *المرقبة العليا، تاريخ قضاة الأندلس*، بيروت، 1983.
درويش **النخيلي**،
- *السفن الإسلامية على حروف المعجم*، جامعة الاسكندرية، 1974.
أ. **النويري**،
- *نهاية الأرب في فنون الأدب*، تح. م. أبو ضيف، الدار البيضاء، 1985.
دافيد منتغومري **هارت**،
- *أيت عطا بالوسط الجنوبي المغربي*، مجلة واجهة، ع مزدوج، 2001.
م. **الهبطي المواهبي**،
- *مفتون منسيون بغمارة وشفشاون*، 2000.
إبراهيم **الهلالي**،
- *التبيان لمعركة ماء أبي فكران*، الدار البيضاء، 1985.
أ. **الهلالي**،
- *فهرست*، تح. رشيد المصلوت، 1981.
تقي الدين **الهلالي**،
- *الهدية الهادية للطائفة التجانية.*
م. بن سعيد **الهنا**،
- *كنز الأسرار لواقع الأفكار*، مخطوط.
ابن جابر **الوادي آشي**،
- *برنامج ابن جابر الوادي آشي*، تح. م. الحبيب الهيلة، تونس، 1981.
وثائق كوسومار، الدار البيضاء.
وثائق المكتب الوطني للسكك الحديدية.

**محمد وحيد**،
- *مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء نموذجاً*، أطروحة دكتوراة مرقونة، الرباط، 2001.
ابن **الوردي**،
- *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*، القاهرة، 1939.
**وزارة الاشغال العمومية**،
- *تعبئة المياه بواسطة السدود الكبرى*.
عبد العلي **الوزاني**،
- *خاطبات من فاس*، مجلة المناهل، دجنبر، 1979.
محمد حسن **الوزاني**،
- *خطب وتصريحات صحفية*، أربعة أجزاء - بيروت، 1988.
- *دراسات وتأملات*، ثلاثة أجزاء - بيروت، 1987.
م. أيت بومهاوت **الوسخيني**،
- *مدار السعود عن تفراوت الملود ومدرستها العتيقة*.
**وفد حزب الشورى والاستقلال بالشرق**،
- *هذه هي الحماية في مراكش*، القاهرة، 1953.
بنعبد الله **الوكوتي**،
- *مذكرات مقاوم*، الرباط، 1996.
مختار **الوكيل**،
- *جنيف والسياسة الدولية*، جنيف.
محمد التهامي **الوكيلي**،
- *السحر*، الرباط.
**ولاية أگادير**،
- *منوغرافية جهة سوس - ماسة - درعة*، أگادير، 1999.
المختار **ولد حامد**،
- *حياة موريتانيا - الجغرافيا* - بيروت، 1994.
جعفر بن منصور **اليمن**،
- *كتاب الكشف*، تح. مصطفى غالب، بيروت، 1984.

## Supplément
## à
## la bibliographie des ouvrages et des articles
## cités dans l'encyclopédie


AIMEL, G., *Le Palais d'El-Badi, A.B.*, III, 1918.

ALLAIN, Ch., *Reconnaissances archéologiques dans le Massif des Rehmna et la Bahira, Hesp.*, 1er - 2e tri., 1954.

ARRIBAS PALAU, M., *Cartas de recomendación cursadas Al Sultan Abu Said Utman III de Marruecos por el Rey de Aragon Fernando I. El Antequra, H.T.*, 1960, fasc. 3, vol. 1.

ARRIBAS PALAU, M., *Intercambio de embajadas entre Abu Said Utman III de Marruecos y Fernando I de Aragon*, Tetuan, 1956.

ARRIBAS PALAU, M., *Las treguas entre Castilla y Granada firmadas por Fernando I de Aragon*, Tetuan, 1956.

AYAD, M., LE COZ, J., *Vers une nouvelle ère hydraulique au Maroc*, in *Aspects de l'agriculture irriguée au Maroc*, Rabat, Montpellier, 1991.

BARDEL, G., *L'urbanisme*, Paris, 1959.

BARROUQUERE, C., CLARET, C., *Settat: centre historique de la Chaouia*, Paris, 1919.

BASSAC, *Note sur le Tafilalet et sur le Ziz, B.S.G.A.*, 3e trim., 1929.

BEGUIN, H., *L'organisation de l'espace au Maroc*, Bruxelle, 1974, 2 vol.

BELAL, A., *L'investissement au Maroc, 1912 - 1964*, Paris, 1976.

BELKAID, S., *La tannerie dans la ville de Marrakech*, Th. 3e cycle, Nice, 1983.

BELLAKHDAR, J., *La pharmacopée marocaine traditionnelle : médecine arabe ancienne et savoirs populaires,* Paris, 1997.

BENEVOLO, L., *Aux sources de l'urbanism*e, Paris, 1972.

BENCHENEB, M., *Origine du mot chéchia, R.A.*, n° 51, 1907.

BENHATI, A., *La politique marocaine des barrages*, in *Les problèmes agraires au Maghreb*, Paris, 1977.

BENZAKOUR, S., *Essai sur la politique urbaine au Maroc 1912 - 1975*, Casablanca, 1978.

BERNARD, P., *Les anciens impôts de l'Afrique du Nord.*

BERQUE, J., *Note sur l'histoire des échanges dans le Haut Atlas occidental, A.E.S.C.*, n° 3, 1953.

BONO, S., *Les corsaires en Méditerranée*, Rabat, 1998.

BOUBE, J., *Documents d'architecture maurétanienne au Maroc, B.A.M.*, 7, 1967.

BOUBE, J., *Fouilles archéologiques à Sala, H.T.*, 1966.

BOUBE, J., *Les nécropoles de Sala*, Paris, 1999.

BOULANGER, P., *Le cinéma colonial de l'Atlantide à Lawrence d'Arabie*, Paris, 1975.

BOURDON, G., *Ce que j'ai vu au Maroc : les journées de Casablanca*, Paris, 1908.

BRESSOLETE, H., DELAROSIERE, J., *Fès-Jdid : de sa fondation en 1276, au milieu du 20e S, H.T.*, fasc. un, 1982-1983.

BRUNOT, L., *Les babouches et leur décoration, F.M.*, n° 3, 15 mai 1917.

CAILLE, J., *Une ambassade autrichienne au Maroc en 1805*, Paris, 1957.

CANARD, M., *Les relations entre les mérinides et les mamelouks au XIVe siècle*, *A.I.E.O.*, V, 1939-1941.

CARCOPINO, J., *La côte océanique du Maroc : ce qu'en ont connu les anciens*, Rabat, 1949.

CASTELLS, M., *La question urbaine*, Paris, 1972.

CATTENOZ, G., *La fiscalité marocaine*, Paris, 1927.

CERDA, I., *La théorie générale de l'urbanisme*, Paris, 1973.

CHACK, P., *Du Maroc à l'Océan indien*, Paris, 1939.

CHALMETA, P., *Le barnamag d'Ibn Abi l-Rabi'*, *Arabica*, fasc. 2, juin 1968.

CHOAY, F., *L'urbanisme : utopies ou réalités*, Paris, 1980.

CHOUIKI, M., *Settat et son rôle régional*, Th. 3e cycle : Géo, Univ. Tours, 1985.

CHOUIKI, M., *Settat une ville moyenne au rôle régional compromis*, in *Petitles villes et villes moyennes dans le monde arabe*, Tours, 1986, T. 2.

CHOVIN, G., *Aperçu sur les relations de la France avec le Maroc, des origines à la fin du Moyen Age*, *Hesp.*, 3e -4e trim., 1957.

COLIN, G., *Shawia*, *E.I.*, 1ere éd.

CORNEVIN, R. et M., *Histoire de l'Afrique : des origines à nos jours*, Paris, 1956.

CORNICE, *Notice sur les Cherarda*, *A.B.*, vol. 4, fasc. 1-2, 1919-1920.

COTE, M., LEGRAS, J., *La variabilité pluviométrique inter annuelle au Maroc*, *R.G.M.*, n° 10, 1966.

COUR, A., *Les derniers mérinides*, *B.S.G.A.*, 1905.

CUOQ, J., *Recueil des sources arabes concernant l'Afrique occidentale*, Paris, 1985.

DELORME, H., *Note sur l'origine des Sraghna*, Dactyl.

DEMUCE, J., *L'Afrique au 16e siècle et le commerce anversois*, Anvers, 1937.

DERMENGHEM, E., *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Paris, 1954.

DESMAZIERES, B., *L'évolution des grands courants commerciaux à l'intérieur du Maroc*, Mémoire C.H.E.A.M., 1948.

DEVERDUN, G., GHIATI, M.B.A., *Deux Tahbis Almohades*, *Hesp.*, 3-4 trim., 1956.

*Dossier sur le cinéma marocain*, *Souffles*, n° 2, 1966.

DRESCH, J., LEPINY, J., *Guide alpin de la montagne marocaine : le Massif de Toubkal*, Rabat, 1938.

DUCROCQ, M., PASCON, P., *La mise en valeur du périmètre de la Tassaout (Haouz de Marrakech)*, *H.T.E.*, n° 6, 1973.

DZIUBINSKI, A., *L'armée et la flotte de guerre marocaine à l'époque des sultans de la dynastie saadienne*, *H.T.*, XIII, fasc. uni., 1972.

ECOCHARD, M., *Casablanca : roman d'une ville*, 1955.

EISENBETH, M., *Les juifs au Maroc*, Alger, 1948.

EL MOUVTASSER, M., *Collectivités traditionnelles et espaces montagnards dans les zônes d'arrière pays atlasiques méridionaux*, Th. : Géo, Aix-Marseille II.

EMBERGER, L., *Aperçu général sur la végétation du Maroc*, Berne, 1939.

EMBERGER, L., *Aperçu général sur la végétation du Maroc : commentaire de la carte phytogéographique du Maroc au 1/1.500.000*, Rabat.

ESCALIER, R., *Citadins et espaces urbains au Maroc*, Tours, 1984, 2 vol.

EUZENNAT, M., *Le limes de Tingitane : la frontière méridionale*, Paris, 1989.

FAGNAN, E., *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924.

FLOURIOT, J., *L'oleiculture dans la région de Marrakech, R.G.M.*, n° 9, 1966.

GALLAOUI, M., *La critique au pluriel*, Casablanca, 2002.

GODINHO, *L'économie de l'empire portugais, 15-16e s*, Paris, 1930.

GOULVEN, J., *Les Mellahs de Rabat-Salé*, Paris, 1927.

GRAILLOT, M., *Le culte de Cybèle, mère des dieux à Rome et dans l'empire romain, B.E.F.A.R.*, 1912.

GRAILLOT, M., *Les dieux tout puissants Cybèle et Attis et leur diffusion dans l'Afrique du Nord, R.A.*, I, 1904.

GRASSET, Cap., *A travers la Chaouia avec le corps de débarquement de Casablanca*, Paris, 1906.

GROVE, A.T., *Africa South of Sahara*, Oxford, 1967.

GUIHO, P., *La nationalité marocaine*, Paris, 1961.

HEIM, M., *A travers le vieux Maghreb*, Paris, 1926.

HOST, G., *Histoire de l'empereur du Maroc Sidi Mohammed Ben Abdallah*, Rabat, 1998.

HUOT, *La situation politique en Chaouia, Août-Décembre 1907, B.S.G.M.*, fasc. 2-3, 1922.

*L'industrie marocaine des parures, B.I.D.M.*, juil. 1942.

JAIDI, M. D., *Cinégraphiques*, Rabat, 1995.

JAIDI, M. D., *Le cinéma au Maroc*, Rabat, 1991.

JAIDI, M. D., *Public(s) et cinéma*, Rabat, 1992.

LA CHAPELLE? F. de., *La formation du pouvoir monarchique dans les tribus berbères du Haut Atlas Occidental, Hesp.*, vol. 8, 3e-4e trim., 1928.

LE CORBUSIER, *La charte d'Athènes*, Paris, 1971.

LE CORBUSIER, *Manière de penser l'urbanisme*, Paris, 1963.

LE TOURNEAU, R., *Les débuts de la dynastie saadienne jusqu'à la mort de Mohammad Ach-Chaykh, 1557*, Alger, 1954.

LAHBABI, A., *Villes et politiques urbaines au Maroc*, Th. 3e cycle, Grenoble, 1976.

LAHLIMI, A., *Les terres irriguées et le monde rural dans la Tassaout moyenne, R.G.M.*, n° 11, 1967.

LENOIR, E, BRONQUIER-REDDI, V., *Bibliographie du Maroc antique, Africa Romana*, 1998.

LINARES, F. J., *Voyage au Tafilalet avec S. M. le sultan Moulay Hassan en 1893, B.I.H.M.*, juil. - sept. 1932.

LLABADOR, F., *Port Say et son fondateur*, Oran, 1955.

LUCCIONI, J., *Avénement de Sidi Mohammed Ben Youssef au trône du Maroc, 1927, R.O.M.M.*, XII, 1972.

MAILLOT, D., *Le régime administratif du cinéma au Maroc*, Rabat, 1961.

MAS-LATRIE, *Traité et documents divers concernant les relations des chrétiens et des arabes au Moyen Age*, Paris, 1868.

MASSON, P., *Histoire des établissement et du commerce français, 1560-1793*, Paris, 1903.

MATHIAS, J., *L'artisanat marocain, B.E.S.M.*, n° 96-97, 1963.

MAUDUIT, R., *Le makhzen marocain, A.F.*, n° 12, 1903.

MAUNY, A., *La magie et l'astrologie*, Paris, 1860.

MAUNY, R., *Découverte à Gao d'un fragment de partie émaillée du Moyen Age musulman, Hesp.*, 3e-4e trim., 1959.

MEUNIER, J., *Le grand riad et les batiments saadiens du Badi à Marrakech, selon le plan publié par Windus, Hesp.*, 1-2 trim., 1957.

MICHAUX-BELLAIRE, E., *Les habous de Tanger, A.M.*, XXII. 1914.

MICHAUX-BELLAIRE, E. *Les impôts marocains, A.M.*, vol. 1, n° 1, mars 1904.

MICHAUX-BELLAIRE, E., *Tanger et sa zône, in villes et tribus du Maroc*, vol. 7, Paris, 1921.

MINISTERE DU TOURISME, *Randonnées pédestres dans le massif du Mgoun*, Casablanca, 1989.

MORSY, M., *North Africa, 1800-1900*, London, 1974.

MORSY, M., *La relation de Thomas Pellow : une lecture du Maroc au 18e s*, Paris, 1983.

MURDOCK, G.P., *Africa : its peoples and their culture history*, New York, 1959.

NIANE, Dj. T., *Le Soudan occidental au temps des grands empires*, Paris, 1975.

OLIVIER, F., *Mémoire sur l'évolution économique des tribus de la banlieue de Meknès depuis l'occupation française*, Mémoire C.H.E.A.M., 1937.

PAVIS D'ESCURAC, H., *Le Magna Mater en Afrique, B.A.A.*, VI, 1975-1976.

PERUGIA, J. D., *Noms de lieu d'origine berbère dans le sud-ouest de la France, H.T.*, vol. 18, fasc. un, 1978-1979.

PIANEL, G., *Conquête du Soudan par Mawlay Al-Mansour, Hesp.*, 1953.

RENE - LECLERC, C., *La presse au Maroc : aperçu historique et situation en juillet 1908*, in *Congrès de l'Afrique du Nord, Paris, 6 - 10 octobre 1908, compte-rendu de travaux*, Paris, 1909, tome 1.

ROUCH, J., *Saïdia, port méditerranéen du Maroc français. La géographie*, LX, n° 1-2, 1933.

SEGONDS, *La Chaouia et sa pacification*, Paris, [s.d].

SIGELMASSI, *Les plantes médicimales au Maroc*, Casablanca, 1993.

SMAILI, M.A., *Les années terribles du Maroc Oriental, 1844-1945*, Oujda, 1996.

SOUIBA, F., EL-ALAOUI, F.Z., *Un siècle de cinéma au Maroc, 1907-1995*, Rabat, 1995.

TARRIT, C., *Le cercle de BeniMellal : étude sur le front chleuh, pays Aït Srir, B.S.G.M.*, III, 1923.

TASSERIE, G., *Contribution à l'étude de la tuberculose au Maroc*, Th, Doct., Paris, 1921.

TERRASSE, H., *Note sur les ruines de Sigilmassa, R.A.*, 3e-4e trim., 1936.

TIMOULE, A., *Les chroniques maritimes du Maroc : les statuts du marin et du navire marocains*, Casablanca, 1980.

TROIN? J.F., *Vision et utilisation des souks au Maroc*, in *Connaissances du Maghreb : sciences sociales et colonisation*, Paris, 1984.

TUBERT, *La Chaouia, Bull. Sté. d'Alger, et de l'Afrique du Nord*, 1e-2e trim., 1914.

VOINOT, L., *Une époque d'entente cordiale avec l'Amel d'Oujda, 1881-1885, R.A*, 1926.

WEISGERBER, F., *Les Chaouia*, Paris, 1907.

ZAFRANI, H., *Mille ans de vie juive au Maroc*, Paris, 1983.

ZARTMAN, I.W., *Government and politics in Northern Africa*, London, 1963.

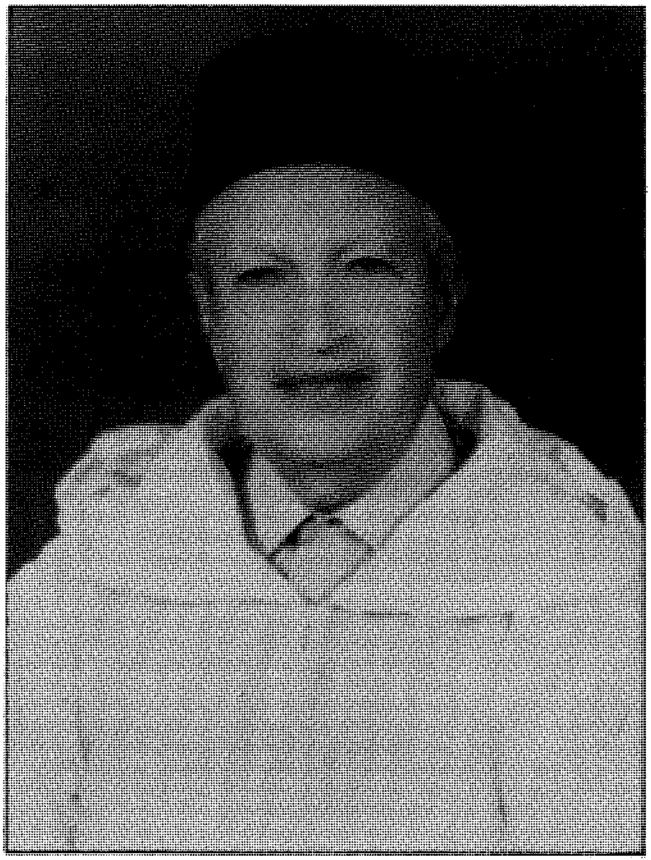

المرحوم الأستاذ محمد حجي
مؤسس معلمة المغرب
2003-1923

**الصويري، أحمد** بن **عبد الله** الإدريسي الحسني التناني المراكشي، اشتهر بنسبته إلى مدينة الصويرة لنشأته بها. بارع في المعقولات من حساب وتوقيت وتنجيم وفلك وتعديل وهيأة وتسطير الرخامات الشمسية وعملها بيده، مع المشاركة في العربية والفقه والحديث.

درس بجامع ابن يوسف، وله ثلاث *كناشات علمية*، واحدة دوّن فيها ما سمعه من فوائد من أشياخه ومؤلفات وتعاليق في الحساب والجبر والمقابلة واللوغاريتم؛ وكناشة *في الهندسة*، وثالثة في *قسمة ماء فاس*، وتعرف *بكناشة الصويري*.

كان أبوه عبد الله نديماً لعبد الرحمن بن هشام لما كان والياً بالصويرة، ولما ولي الملك قدم المترجم مع والده إلى مراكش واستقر بها إلى آخر حياته. وقد سماه السلطان محمد بن عبد الرحمن رئيس المهندسين، وعينه الحسن الأول رئيس قوّاد الطبجية، وخليفة وزير الحرب. وكان مع ذلك لا ينقطع عن التدريس. تخرج على يده عدد من الحيسوبيين والمهندسين المراكشيين مثل محمد بن المكي المسفيوي، وعبد القادر العلج ومحمد بن سعيد الجرجوزي. وكان يحضر مجالس *صحيح البخاري* في حضرة السلطان، ويكلف بمهمات، صموتاً كتوماً، كريم المائدة لا يأكل وحده، ويوزع المال والكساوي والأضحيات على المساكين.

توفي يوم الجمعة 23 محرم عام 1320 / 2 ماي 1902 عن نحو أربع وتسعين سنة، ودفن بضريح سيدي يوسف بن علي.

أحمد الصويري نفسه، *كناشته العلمية*، مخطوط؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1974، ج 2؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال*، الدار البيضاء، 1356.

**الصويري، أحمد** بن **علي** الأسفي، ولد بسوس عام 1293 / 1876 انتقل صغيراً إلى الصويرة ودرس بها ثم رجع إلى سوس وتابع دراسته، قبل أن يتوجه إلى فاس لإتمام دراسته علي يد الشيوخ محمد بن المدني گنون وأحمد بناني كلاً وجعفر الكتاني وغيرهم وأجازوه جميع مروياتهم.

اشتغل بالتدريس في الصويرة وأسفي وتخرج على يده عدد من نجباء الطلبة.

وألف عدة شروح وتعليقات على الكتب التي كان يدرسها، منها *شرح البردة والهمزية* في السيرة النبوية، وشرح *لامية الأفعال* لابن مالك، و*تلخيص الشفا* لعياض، و*تعليق على الشمائل وصحيح البخاري ولامية الزقاق والمرشد المعين*. اطلع الكانوني على بعض هذه الكتب في مسوداتها وقال عن مؤلفها "إنه كان شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حافظاً للقراءات السبع ذا حظ وافر من الإنشاء والترسيل مع حسن الخط وجودة الضبط ومواصلة التدريس وبث العلم والاعتناء بالكتابة والتقييد... وناب عن قاضي أسفي واستكتبه بعض عمال هذه المدينة لقلة ذات يده وكثرة عياله".

توفي بأسفي يوم الثلاثاء 6 رمضان عام 1335 / 20 نونبر 1936 ودفن بمقبرة رباط أبي محمد صالح.

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، الدار البيضاء، 1356؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع/ موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2900.

محمد حجي

**الصويريّة القديمة**، تقع في الهامش الجنوبي الغربي للمسيطا الأطلنتية، وقد برزت هذه المنطقة على إثر الغزو البرتغالي للشواطئ المغربية.

تنفرد الصويرية القديمة بشاطئ يمتد على أزيد من كيلو مترين وبقر بها من مدينة آسفي التي تبعد عنها بحوالي 34 كلم فقط.

يشكل الشاطئ خليجاً بحرياً ولجيّاً يحده جرف حي منحوت في تكونات بليورباعية حثية، ويشرف عليه جهة الداخل جرف أكثر ارتفاعا مهجور ومنحوت في الركيزة

الجوراسية وبين الجرفين يمتد منخفض مستطيل هو عبارة عن ولجة.

يعتبر شاطئ الصويرية أهم محطة سياحية بالإقليم، يتميز بمؤهلات طبيعية وسياحية قليلا ما تتوفر في الشواطئ المغربية. من أهمها :

- وجود غابة كثيفة تمتد على مئات الهكتارات لتشكل حزاما أخضر توفر من جهة الظل للمصطافين وتخلق مناخا مجهريا يتسم بالاعتدال الحراري، كما تقي الشاطئ من تأثير هبوب رياح الشرگي، ومن جهة ثانية يتجمع بها وحيش متنوع. يستمتع به القناصون الذين يقصدونها خلال فترة القنص.

يزيد الشاطئ جمالا توفُره على مصب واد تانسيفت الذي يفرغ فيه الرواسب السيليسية، القادمة من المنطقة المحورية لأطلس مراكش، التي تعتبر أصل الرمال الذهبية الهائلة التي تميزه. تتجمع عند هذا المصب بعض الطيور المهاجرة أهمها وأكثرها عدداً النحام ذو اللون الوردي والسيقان والأعناق الطويلة.

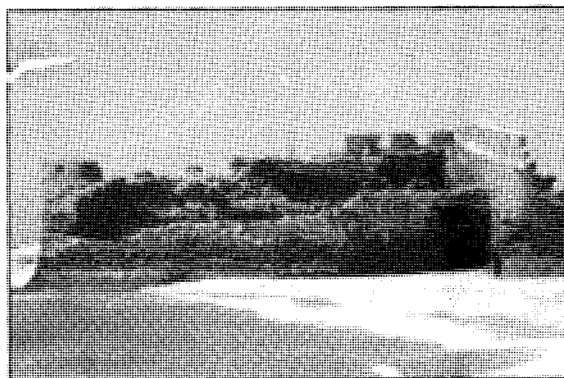

- يُوجد عند الضفة اليسرى لهذا المصب ضريح سيدي حْساين وقصبة حميدوش التاريخية، لا يعرف بالضبط تاريخ تشييدها وهناك من يرجعها إلى عهد السلطان مولاي إسماعيل.

- وجود قلعة برتغالية، تطل مباشرة على البحر وتشهد على الدور التاريخي لهذا الشاطئ.

- نصادف على بعد أربع كيلومترات من هذا الشاطئ دار القايد الحاجي وهي بمثابة رياض يزخر بفن معماري مغربي أصيل مزين بفسيفساء.

- يمتاز الشاطئ أيضاً بوجود ميناء صغير، تم إنجازه بدعم ياباني. يرسو به أزيد من 300 زورق ويضم قرية للصيادين. وتشتهر المنطقة بتنوع ولذة أسماكها (الشراغي، أمزوغ، بوشوك، الروبيو، الفرخ وحداد...).

يوفر الشاطئ إلى جانب الصيد والقنص إمكانيات هائلة للرياضة الملاحية والجولات المنظمة مشيا على الأقدام. كما يعرف حركة اقتصادية مهمة نظراً لتوافد المصطافين عليه للاستجمام والتخييم من إقليم أسفي ومراكش والبيضاء.

ويعتبر مخيم الصويرية غير منظم، تطبعه البداوة، التي تنعكس جلية في مرافقه التجارية والترفيهية.

لهذا السبب تولت المؤسسة الجهوية للتجهيز والبناء لمنطقة تانسيفت مشروع الاصطياف بالصويرية القديمة، وهو مشروع أصبح جاهزاً في السنوات الأخيرة دون أن يلقى إقبالا للمستثمرين والمصطافين، خصوصا وأن إعادة تصميم المدار المحيط بالشاطىء امتدت على ما يناهز 100 هكتار، قدمت بأثمنة مناسبة جداً. ازدهر الشاطئ اقتصاديا في منتصف القرن 20 (1945) بإقامة وحدات صناعية لتصبير السمك من طرف بعض المستثمرين الأجانب. لكن توقف نشاطها مباشرة بعد الاستقلال وتعرضت للدمار.

عموماً يتوفر شاطئ الصويرية القديمة على مؤهلات سياحية فريدة لم تستثمر بعد بالشكل الذي يؤهل المنطقة من الناحية الاقتصادية والعمرانية.

*تحريات ميدانية.*

عبد الرحيم بنعلي

ابن **صْويلَة** ويكتب بَنُو صْويلَةْ وبَلَنْصْويلَةْ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Valenzuela و Palenzuela ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 289.

ابن **صيَام** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Benxean - Benxeam.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 290.

محمد ابن عزوز حكيم

**صيتيوس** Sittius روماني كان له نشاط اقتصادي وعسكري في المغرب القديم، خلال عهد الملك مستانسيسوس Mastanesosus وابنه بكوس Bocchus الثاني.

أوجز گسيل لمحة عن علاقته مع الملك الموري قائلا : "كان له عدة أصدقاء من بينهم كيكرو Cicero، الذي تولى القنصلية سنة 63 قبل الميلاد. ورث ثروة واسعة وأراد أن ينميها بعمليات بنكية في الولايات التابعة لرومة وخارجها. ثم اشترك في إحدى العمليات الكبرى مع أحد ملوك موريطانية، واضطر لتمويلها أن يقترض في رومة أموالا طائلة. فلما حل وقت الدفع عجز عن الأداء، فتقاضاه الدائنون. غير أنه لم ينتظر الحكم، وغادر إيطاليا عند بداية سنة 64 قبل الميلاد فورد على ولاية إسبانيا البعيدة ثم على موريطانية التي كان يوجد بها في أواسط سنة 64 قبل

الميلاد. وكانت هذه الرحلة لشؤونه كما أكد كيكرو". والجدير بالذكر أن الملك الموري مستانسيسوس هو الذي تعنيه مشاريع صيتيوس. اتفق الدارسون على أن الرجل قام بدور الوسيط التجاري وهو في موريطانية يجمع القمح الكافي لتموين رومة. وقد أصبح ممونها الرئيسي سنة 56 قبل الميلاد.

وبعد ذلك نجده قائدا للجيش في جند الملك الموري بكوس الثاني. وكان له دور حاسم في صفوف بكوس وهو يحارب مع قيصر ضد بومبيوس ما بين سنتي 46 و47 قبل الميلاد، حيث قامت بين قيصر وأتباع بومبيوس حرب أفريكا Africa، نسبة للولاية التي أقامها الرومان في منطقة نفوذ قرطاجة بعد القضاء عليها سنة 146 قبل الميلاد. وأهم المعارك التي خاضها مع بكوس الثاني هي الهجوم على مملكة يوبا الثاني المتحالف مع بومبيوس، وخلال هذه المعركة تم الاستيلاء على مدينة كيرتة العاصمة التقليدية للملوك النوميديين Cirta، فعجز يوبا الأول عن استرجاعها. كما تمكن صيتيوس من القضاء على صابورا Saburra قائد جند يوبا الأول الذي كلفه بالتصدي لعدوان خصومه الموريين.

ولما انتصر قيصر على أعدائه أقام ولاية رومانية جديدة في شرق نوميدية تدعى Africa Nova. ثم أقطع لصيتيوس ولبكوس الثاني قسما من نوميدية، فكان من نصيب صيتيوس القسم المتصل بالولاية الجديدة، والباقي ضمه الملك بكوس الثاني إلى مجال نفوذه. وحينئذ بلغت الحدود الشرقية لمناطق نفوذ بكوس الثاني نهر أمساگا Ampsaga.


م. مجدوب، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1990، فاس، مرقونة ؛ نفسا، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، 1998، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة ؛ نفسه، *المملكة المورية وحدودها في المغرب القديم*، ندوة المجالات الحدودية في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، سلسلة الندوات، 6، 1999، ص. 7 ـ 20.

Cicéron, *Pro Sulla*, 20, 56 et 58 ; *Bellum Africum*, 25 et 36 et 48 et 93 et 95 ; Salluste, *Catilina*, 21, 3 ; Appien, *Guerres Civiles*, 4, 54 ; Dion Cassius, 43, 3 ; S. Gsell, 1912-28, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 tomes, Paris ; F. Bertrandy, *L'Etat de Publius Sittius et la Numidie Cirtéenne (Ier s. av. Ier s. ap. J.-C)*, 1912-28, Thèse de Doctorat d'Etat, Université Paris IV, Sorbonne. Dactylographiée.


محمد مجدوب

**الصيد البحري** نشاط اقتصادي ورياضي مارسه المغاربة منذ زمن بعيد. وقد عرف هذا القطاع تطوراً هاماً خلال العقود الثلاثة الأخيرة نظراً لازدهار الأسواق السمكية الوطنية والأجنبية وخاصة منها الأسواق الأوروبية التي عرفت إقبالا هاماً على الموارد السمكية المغربية بشتى أنواعها. كان قطاع الصيد يخضع إلى إدارة الملاحة البحرية والصيد البحري خلال الفترة الممتدة بين 1933 ـ 1969. لقد أنشئ بالدار البيضاء سنة 1946 معهد للصيد البحري ليقوم بأبحاث علمية تتعلق بعلوم الأحياء للمصايد تهدف إلى تقييم وفرة وتوزيع الأنواع السمكية المستغلة ودراسة العوامل التي تؤثر على تغيرات مخزونات الثروات السمكية ليتم استغلالها المستديم بكيفية عقلانية رشيدة. وبعد تأسيس المكتب الوطني للصيد البحري بالدار البيضاء بمقتضى ظهير 21 فبراير 1969، أسند إليه هذا القطاع ليقوم بتدبير منتجات البحر على المستوى الأول ويسهر على تنظيم الصيد على الصعيد الوطني. يشكل هذا المكتب نقطة الالتقاء الرئيسية لقطاع الصيد يتمركز حولها جميع العاملين بالقطاع كما يعتبر المتدخل الأساسي داخل هذا القطاع والمؤهل لتنمية الإنتاج والرفع من مستواه. ويُعنى هذا المعهد بكل ما يهم مجال الصيد من دراسات أوقيانوغرافية تتعلق بالأنشطة الساحلية وبالأحياء المائية ومراقبة مستمرة لجودة وصحة الوسط البحري عن طريق شبكة مكونة من عدة مراكز ومحطات جهوية موزعة على السواحل المتوسطية والأطلنطية. ويتوفر على باخرتين علميتين : باخرة الشريف الإدريسي وباخرة الأمير مولاي عبد الله، يستعملهما لأخذ العينات من مختلف الأوساط البحرية واستكشاف أسراب الأسماك السطحية لتقييم وفرتها. ويسهر حاليا بتعاون مع اليابان على إنشاء مركز جهوي بأگادير يهدف إلى تحسين تقنيات الإنتاج وتثمين منتوجات المصايد. وينتمي إلى وزارة الصيد أيضاً المعهد العالي لتقنيات الصيد البحري بأگادير يتوفر على باخرة الحسني المجهزة بمعدات حديثة للتكوين. كما توجد ثلاثة معاهد أخرى للتكوين في مجال تقنيات الصيد في كل من طانطان والحسيمة وأسفي ومراكز أخرى للتأهيل في الدار البيضاء والعيون والداخلة والعرائش. وقد مر تطور هذا المكتب عبر ثلاث مراحل :

تميزت المرحلة الأولى (1969 ـ 1981) بتعدد المهام والاختصاصات المسندة إليه : تدبير أسواق السمك، البحث العلمي، النهوض بالصيد في أعالي البحار، تنمية وتنظيم الصيد الساحلي والتقليدي، تسويق منتجات البحر، التفاوض بشأن اتفاقيات الصيد مع السوق الأوروبية المشتركة، وإسبانيا والبرتغال والاتحاد السوفياتي.

شهدت المرحلة الثانية (1981 ـ 1996) إحداث وزارة الصيد البحري والملاحة البحرية وإعادة اختصاصات المكتب الوطني للصيد : تدبير أسواق السمك، الصيد البحري مع إعفائه من تدبير النشاطات المتعلقة بالصيد في أعالي البحار وتوزيع وتسويق منتجات الصيد.

تميزت المرحلة الثالثة (1996 ـ 2002) بإعادة تحديد موقع المكتب الوطني للصيد وإعادة اختصاصاته بموجب ظهير 29 يوليوز 1996، عرفت هذه المرحلة فصل البحث العلمي الذي تم مع إحداث المعهد الوطني للبحث في الصيد البحري. ترتكز المهام المسندة للمكتب على تنمية الصيد الساحلي والتقليدي وعلى تنظيم وتسويق منتجات الصيد.

أنشئت وزارة خاصة بالملاحة البحرية والصيد البحري سنة

1981، ثم وزارة مستقلة بذاتها للصيد البحري سنة 1997 تسهر على تنظيم وتدبير شؤون الصيد في إطار إستراتيجية التنمية الاقتصادية المستديمة لقطاع الصيد البحري مع إعطاء الأولوية للمحافظة على الثروة السمكية وتحسين استغلالها ومراعاة معايير الجودة في جميع حلقات المنظومة السمكية. تعتمد الوزارة على المعطيات العلمية في كل المخططات الخماسية والتدابير لاستغلال الثروات السمكية الوطنية وفي كل مفاوضات ترخيص الصيد للأجانب أو للحرفيين المغاربة. يقوم بإنجاز المعطيات العلمية المتعلقة بالمخزونات السمكية الوطنية باحثون متخصصون في علوم البحار بالمعهد الوطني للبحث في الصيد البحري.

تكونت أخيراً أربع غرف للصيد البحري بموجب قانون رقم 4.97 المتعلق بنظامها الأساسي والمطبق بالظهير الشريف رقم 88.97.1 الصادر في 2 أبريل 1997 : غرفة الصيد البحري المتوسطية وغرفة الصيد البحري الأطلسية الشمالية وغرفة الصيد الأطلسية الوسطى والغرفة الأطلسية الجنوبية. وهذه الغرف مؤسسات دستورية تتمتع بالاستقلال المالي تحت وصاية وزارة الصيد البحري وتتكون من أعضاء منتخبين وتتألف من عدة لجن منها لجنة المحافظة على البيئة والثروات البحرية ولجنة الطحالب والأحياء المائية. تمثل هذه الغرف قطاعات الصيد البحري لدى السلطات العامة الوطنية والجهوية والمحلية وتسعى إلى تزويد الحكومة بالآراء والمعلومات المتعلقة بالصيد في أعالي البحار والصيد الساحلي والتقليدي وتربية الأحياء المائية وكذا أعمال استغلال الموارد البحرية الحية الساحلية. وتقدم أيضا الاقتراحات المتعلقة بأنظمة الصيد البحري وتستشير الوزارة في إعداد وتطبيق مخططات تهيئة المصايد وإدارتها وفي كل تدبير يهدف إلى تحسين ظروف الشغل في قطاع الصيد البحري. تعمل هذه الغرف أيضاً على توسيع عملية تسويق المنتوج البحري واكتشاف وسائل جديدة للرفع من قيمة المنتوجات البحرية وتقوية علاقات التعاون مع المنظمات المهنية الدولية ومع المنظمات غير الحكومية الوطنية والدولية. توجد على رأس هذه الغرف جامعة غرف الصيد البحري بالرباط تنسق وتسهل الاتصال بينها وبين الوزارة والحرفيين وتزود غرف الصيد بالمعطيات والإحصائيات الوطنية والدولية المتعلقة بالقطاع المتوفرة لديها، وكذا بالوسائل التنظيمية والقرارات الإدارية.

يهدف المخطط الخماسي 2000 . 2004 لوزارة الصيد البحري إلى رفع القيمة المضافة لقطاع الصيد البحري وتحسين تنافسيته دون إفراط في الاستغلال للثروة السمكية مع مراعاة تحسين الأمن الغذائي وتدعيم ميزان الأداءات وذلك وفق مفهوم الصيد المستديم والمسؤول الذي يمكن من استغلال عقلاني للموارد السمكية على امتداد المنطقة الاقتصادية الخالصة للمملكة.

كما يتيح مناسبة لوضع معالم اقتصادية طموحة لتهيئة الساحل تقوم على تركيز أقطاب واعدة للتنمية المستديمة تعطي فرصا للشغل وتحافظ على جودة المنتوج. ويسعى في إطار استراتيجية الصيد وتأطيره إلى :

- تأهيل الأسطول الساحلي بتحسين ظروف السلامة والعمل والجودة والنظافة على متنه ؛
- إعادة هيكلة سفن الصيد في أعالي البحار ؛
- تتميم بناء وتجهيز ميناء الداخلة وإنعاش موانئ طرفاية، سيدي إيفني، أصيلا، رأس كبدانة، الصويرة، مهدية، العرائش، وبناء ميناء بوجدور ؛
- إنشاء 4 قرى للصيادين في إطار برنامج MEDA و5 قرى أخرى في إطار برنامج دعم منتجات الصيد وتثمينها، مع تزويدها بتجهيزات أساسية ؛
- إنشاء 29 نقطة إفراغ مهيأة على طول الساحل بدعم من صندوق الحسن الثاني.

يبلغ عدد الأنواع السمكية المستغلة في المغرب حوالي 350 تشمل الرخويات والأسماك والصدفيات والقشريات والطحالب ؛ يأتي على رأسها السردين والأنشوفة والشرن والإسقمري. تتراوح كميات المنتوجات السمكية المصطادة في المنطقة الاقتصادية الخالصة للمملكة بين 625000 ومليون طن سنويا كما يوضح الجدول ذلك.

| السنة / الكمية بالطن | 1996 | 1997 | 1998 | 1999 | 2000 | 2001 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الصيد البحري | 525021 | 661646 | 607129 | 622160 | 765241 | 978519 |
| الصيد في أعالي الجبال | 90855 | 111493 | 91438 | 125007 | 133510 | 122485 |
| السردين | 393362 | 497821 | 436048 | 430715 | 539785 | 763689 |
| إسقمري | 16988 | 28775 | 11622 | 18035 | 34381 | 25890 |
| الأنشوفة | 12447 | 24955 | 40992 | 40220 | 22096 | 47393 |
| الشرن | 15471 | 12512 | 9936 | 12799 | 15144 | 12268 |
| التونيات | 5727 | 8780 | 8605 | 6715 | 7521 | 5028 |
| الدرعي . القاروس | 167 | 153 | 138 | 169 | 123 | 225 |
| الزريقة . دنيس | 229 | 111 | 133 | 147 | 241 | 299 |
| الروبيو (دجاج) | 2286 | 2216 | 2834 | 3160 | 4874 | 4334 |
| سمك النازلي . ميرلا | 2750 | 2074 | 1070 | 1988 | 2792 | 4055 |
| القرب | 869 | 1542 | 1263 | 2462 | 1755 | 1534 |
| الباجو | 6971 | 7876 | 7456 | 7228 | 8492 | 8701 |
| سمك موسى . الصول | 1340 | 1675 | 1543 | 2622 | 5952 | 3788 |
| الرخويات | 15647 | 18587 | 24204 | 33690 | 51039 | 38114 |
| القشريات | 2045 | 3206 | 4031 | 4581 | 4507 | 4606 |
| الصدفيات | 21 | 9 | 155 | 234 | 461 | 384 |
| الطحالب | 7625 | 8094 | 7049 | 8528 | 12068 | 7000 |
| المضرية | 448 | 771 | 1894 | 1202 | 1642 | 2700 |
| المرجان الأحمر | 4 | 3 | 2 | 5 | 8 | 7 |
| المجموع اسنوي للمصايد | 625195 | 783190 | 708481 | 758159 | 913339 | 1111498 |

يتكون أسطول الصيد البحري المغربي من حوالي 3000 سفينة متخصصة في صيد أصناف معينة من الموارد السمكية والطحالب والمرجان وذلك حسب التجهيزات ومعدات الصيد الموجودة على متنها. يوضح الجدول التالي

أصناف وحدات أسطول الصيد المغربي وتطور عدده خلال الأربع سنوات الأخيرة.

يتكون أسطول الصيد الساحلي والتقليدي من أكثر من 11 صنفا :

| صنف السفن / السنة | 1998 | 1999 | 2000 | 2001 |
|---|---|---|---|---|
| السفن الجرافة Chatuliers | 436 | 449 | 463 | 426 |
| سفن صيد السردين Sardiniers | 408 | 426 | 434 | 415 |
| سفن حبال الصنانير Palangriers | 976 | 970 | 958 | 918 |
| سفن الجر والسردي | 282 | 279 | 267 | 312 |
| سفن الصنانير والسردين | 211 | 204 | 198 | 217 |
| سفن الجر والصنانير | 86 | 82 | 80 | 91 |
| سفن المرجان | 15 | 15 | 15 | 14 |
| سفن المضربة | 22 | 22 | 22 | 26 |
| سفن جراد البحر Langoustiers | 4 | 4 | 4 | 4 |
| سفن مختلفة | 61 | 61 | 61 | 63 |
| سفن الطحالب | 22 | 22 | 22 | 22 |
| المجموع | 2508 | 2524 | 2538 | 2523 |

يتكون أسطول الصيد في أعالي البحار من حوالي 450 وحدة متخصصة في صيد الرخويات كالحبار والأخطبوط والسبيدج وفي صيد القمرون وأنواع الأسماك السطحية الكبيرة كسمك التون وأبي سيف وغيرها. ويبين الجدول التالي نوع الأصناف وتطور عدد وحدات الأسطول الوطني طيلة الأربع سنوات الأخيرة.

| الصنف / السنة | 1998 | 1999 | 2000 | 2001 |
|---|---|---|---|---|
| سفن الرخويات | 336 | 333 | 329 | 329 |
| سفن القمرون | 60 | 59 | 59 | 60 |
| سفن الجر السطحية مجمّدة | 5 | 5 | 5 | 5 |
| سفن جبال الصنانير للتون مجمّدة | 4 | 4 | 4 | 4 |
| سفن بُبردة | 21 | 21 | 21 | 21 |
| سفن الجر مُجمّدة | 28 | 28 | 28 | 28 |
| المجموع | 454 | 450 | 446 | 446 |

تصدر معظم منتجات مصايد أعالي البحارطرية مُبَرَّدة أو مجمَّدة إلى الأسواق الأوروبية والآسيوية وتوزع كميات منتجات الصيد الساحلي والتقليدي على الأسواق السمكية الوطنية ووحدات التجميد والتعليب وصناعة دقيق وزيوت الأسماك. وتبلغ نسبة استهلاك الأسماك الطرية والمبردة بداخل المملكة حوالي 25٪ من المنتوج السنوي العام أي ما يعادل حوالي 200.000 طن وبهذا يبلغ معدل الاستهلاك النسبي السنوي لكل فرد 8 ـ 11 كيلو گرام. تتغير هذه النسبة حسب المناطق المغربية فتقدر بحوالي 30 كيلو گرام للفرد في السنة في الناظور وكيلو گرام واحد في تازة. تُحوَّل كمية كبيرة من سمك السردين إلى صناعة الدقيق والزيوت وقد تجاوزت هذه الكمية 505000 طنا سنة 2001 لتنتج حوالي 100.000 طن من الدقيق و25000 طن من الزيوت. يوضح الجدول التالي تطور كميات حصيلة الموارد السمكية حسب استعمالها طيلة الخمس سنوات الأخيرة :

| كمية المنتوج بالطن / السنة | 1996 | 1997 | 1998 |
|---|---|---|---|
| الاستهلاك | 169413 | 148191 | 182476 |
| التعليب | 138627 | 141760 | 147233 |
| التجميد | 3263 | 14387 | 22025 |
| صناعة الدقيق وزيوت الأسماك | 213720 | 357285 | 255308 |
| شبه التعليب Semi-conserve | 23 | 84 | 446 |
| طعم صيد الأسماك | | | |
| مجموع كمية الصيد البحري | 525022 | 661646 | 607129 |

| كمية المنتوج بالطن / السنة | 1996 | 1997 | 1998 |
|---|---|---|---|
| الاستهلاك | 188921 | 253519 | 267739 |
| التعليب | 169679 | 129831 | 39423 |
| التجميد | 37048 | 56301 | 53775 |
| صناعة الدقيق وزيوت الأسماك | 222233 | 321528 | 5058692 |
| شبه التعليب Semi-conserve | 1413 | 5674 | |
| طعم صيد الأسماك | 3833 | 2649 | 6216 |
| مجموع كمية الصيد البحري | 622160 | 765241 | 978519 |


وزارة الصيد البحري، *محاور الاستراتيجية الوطنية للصيد البحري*، 2000 ـ 2004، ص. 12، 2000 ؛ المكتب الوطني للصيد، *الصيد الساحلي والتقليدي بالمغرب*، المخطط الخماسي، 2002 ـ 2006 ـ 2002، ص. 22.

Ministère de la Pêche Maritime, *La mer en chiffre*, 2001 ; *Rapport d'activité*, 2001 ; *Valorisation et consommation des produits de la mer*. Conseil supérieur pour la sauvegarde et l'exploitation du patrimoine halieutique. Atelier 3, 2002.


محمد رمضاني وعبد اللطيف برحو

**الصيد البري** أو القنص، نشاط ترفيهي ورياضي مارسه المغاربة منذ زمن بعيد وطوروه عبر العصور فوضعوا له قوانين تهدف إلى توازن بيئي طبيعي يربط الثروة الوحيشية بالبيئة وبحياة الإنسان. وقد صدر أول ظهير شريف يتعلق بشرطة القنص في 6 ذي الحجة 1341 (21

يوليوز 1923) تلته خلال العقود الأخيرة عدة ظهائر شريفة وقرارات وزارية تغير وتتمم قوانين تسيير وتنظيم الصيد في المغرب. تسهر إدارة المياه والغابات على تنظيم وتسيير قطاع الصيد البري، وقد صدر في هذا الباب قرار وزاري رقم 62 - 585 في 5 جمادى الثانية 1382 (3 نونبر 1962) يسن نظاما مستمرا للقنص. ونظراً للإقبال المكثف على هذا النشاط الترفيهي والرياضي فقد تأسست في السنوات الأخيرة قرابة 100 جمعية للقنص موزعة على مختلف المناطق المغربية، تدافع عن مصالح القناصين وتقوم بنشاط مكثف حسب المنطقة التي توجد فيها وحسب الإمكانيات المتوفرة لديها. وتأسس أيضاً المجلس الأعلى للقنص ليساهم في تسيير وتنظيم الصيد البري إلى جانب إدارة المياه والغابات والجامعة الملكية للصيد.

تقوم الوزارة المكلفة بالمياه والغابات بتحديد تاريخ افتتاح وانتهاء موسم القنص والنظام الخاص الجاري عليه خلال كل سنة وذلك بعد تنفيذ القرار الصادر عن الاجتماع السنوي المنعقد بمقر الوزارة بين ممثلي الجامعة الملكية للصيد والمجلس الأعلى للقنص وممثلي بعض الجمعيات.

وقد صدر قرار وزاري في 24 - 7 - 2000 باقتراح من المجلس الأعلى للقنص ليغير ويتمم قوانين القنص خلال مواسم 2001 - 2002 - 2003. وهذا القرار يمنع قنص وأسر أنواع الطرائد المحمية التالية : الأسد والنمر والفهد والضبع والقرد والأيل المغربي وأنواع الغزلان والأروي وثعلب الماء والنمس والوشق والفنك والسنور الوحشي والضربان والشنصر والزريقاء وشيهم عرفان والقنفذ والسنجاب والفقمة والزواحف والطيور الكواسر النهارية والليلية والحبارى والدراج وبط شوال وأنواع طير شهرمان وحجل الماء وسواق الإبل والغطاس والكروان والقطاة وبلقشة ذوقنبرة وبرهان سلطاني والحذف المرقط والبط الرؤاسي وغريرة صدأة. يحتاج قنص الأيل الأوروبي والأروية المغربية المرباة إلى رخص تمنح من طرف الوزارة المنتدبة المكلفة بالمياه والغابات.

يلعب قطاع الصيد البري دوراً هاماً في إنعاش السياحة في معظم مناطق المملكة ويخلق فرصا للشغل بالعالم القروي. ونظراً للتقلبات المناخية التي عرفتها بلادنا خلال السنوات الأخيرة تراجعت بعض أصناف الطرائد وتكاثرت ظاهرة القنص اللامشروع الذي يهدد ديمومة حيوانات القنص، ولهذا فإن الوزارة والجامعة الملكية للقنص يسهران على تضافر الجهود مع الجمعيات للحد من هذه الظاهرة وإنشاء محطات جديدة لتربية الطرائد لتطعيم مناطق القنص التقليدي ومحميات القنص. كما تسعى الوزارة والجامعة إلى إعداد خرائط لمحميات القنص على صعيد كل منطقة لتفادي الغموض الذي يكتنف في غالب الأحيان حدود المحميات المرسومة في الخريطة المنجزة على الصعيد الوطني وذلك من أجل استغلال أمثل.

يوضح الجدول الزمني التالي فترات افتتاح وانتهاء القنص لموسمي 2001 - 2002 وكذا الأيام التي يباح فيها الصيد وعدد وحدات الطرائد المسموح بقنصها خلال كل يوم قنص للمغاربة والأجانب المقيمين بالمغرب :

| أصناف الطرائد | فترة القنص | أيام إباحة الصيد | عدد الطرائد المسموح بها لكل قناص في اليوم |
|---|---|---|---|
| الحجل | 1 أكتوبر - 10 دجنبر | الأآد والأعياد | 4 |
| الأرنب | 1 أكتوبر - 10 دجنبر | الأآد والأعياد | 1 |
| القنية | 1 أكتوبر - 10 دجنبر | الأآد والأعياد | 5 |
| البط أخضر العنغ | 1 أكتوبر - 10 دجنبر | الأآد والأعياد | 4 |
| كل أنواع البط | 1 أكتوبر - 25 فبراير | السبت - الأحد والأعياد | 6 |
| الشنقب | 1 أكتوبر - 25 فبراير | السبت - الأحد والأعياد | 20 |
| السلوى | 1 أكتوبر - 25 فبراير | الأآد والأعياد | 20 |
| السمنة | 1 أكتوبر - 25 فبراير | السبت - الأحد والأعياد | 20 |
| الحلوف - الخنزير | 1 أكتوبر - 25 فبراير | ما عدا أيام الجمعة | 1 لكل قناص |
| اليمام | 8 يونيو - 30 يوليوز | الأآد والأعياد | 50 |
| الحمام الأزرق والحمام البري | 1 أكتوبر - 25 فبراير | الأآد والأعياد | 10 |
| الإوز | 1 أكتوبر - 25 فبراير | الأآد والأعياد | 2 |
| القنبرة البرية | 1 أكتوبر - 25 فبراير | الجمعة - السبت - الأآد والأعياد | 40 |

القنص في المغرب، مجلة الجامعة الملكية المغربية للقنص، العدد، 9، ص. 58، سنة 2000.

محمد خربوعة وعبد الخالق الزرواطي

**الصيدلة بالمغرب**، كان المغرب جزءا لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي، فتجربته في ميدان الصيدلة لا تختلف عما كان معروفا في الأمة جمعاء من التداوي بالأعشاب، فكان الذي يجمعها ويحسن تركيبها هو بمثابة الصيدلاني، قبل أن تقع الثورة الصناعية في أوربا الغربية، وقبل أن يهتدي الصيادلة والعلماء إلى تركيب الأدوية الكميائية. وهذه الصناعة الصيدلية الجديدة هي التي دخلت المغرب بعد استعماره، بما فرضه الفرنسيون والإسبان من أدويتهم على المغاربة وبما نهلوا من خيرات البلاد النباتية والمعدنية لصناعتها. وقد رخصوا لمواطنيهم ببيعها في الصيدليات، ووضعوا الترتيبات القانونية والمسطرية لممارسة ذلك. فصدر أول ظهير منظم للمهنة يوم 12 أبريل 1916، الذي جعل فتح الصيدلية مقرونا برخصة من الكاتب العام للحكومة. ثم صدر ظهير آخر في دجنبر 1922، يعرف بالمواد السامة وبكيفية إنتاجها وبيعها واستعمالها للبشر والحيوان. ولما صار عدد الصيادلة يتكاثر، وكلهم من غير المغاربة، صدر ظهير بتاريخ 10 فبراير 1943، ينظم كيفية ممارسة أعمالهم، معرفا بأصنافهم وتخصصاتهم، ومدرجا كل صنف وكل تخصص في غرفة مهنية متميزة. فأقيمت ثلاث غرف، واحدة لأصحاب الصيدليات وخبراء التحليل البيولوجي، وثانية للصيادلة المتخصصين في صناعة الأدوية، وثالثة لتجار الأدوية ومن يوزعهم بالجملة على الصيادلة. وجعل

على رأس هذه الغرف، مجلس أعلى يعمل لدى المقيم العام في الرباط. وتقرر تعيين أعضائه من قبل الكتابة العامة للحكومة. وهذا الظهير هو الذي سارت بمقتضاه مهنة الصيدلة إلى أن ألغيت الحماية الأجنبية. وانكب المغرب يعيد النظر في ترتيب مصالحه ويرسم معالم المستقبل بمحض إرادته. وكانت البلاد في حاجة إلى الصيادلة لينخرطوا في النهوض بأحوال الصحة العمومية، ويقيموا صرح الصناعة الوطنية في مجال الأدوية. فقد كان عدد الصيادلة المغاربة المسلمين يوم استرجع المغرب استقلاله يعد على رؤوس الأصابع. ولم تتخرج أول امرأة في الصيدلة إلا سنة 1958، بحيث كان عدد الصيادلة من مختلف التخصصات في تلك السنة يناهز 400، عشرهم فقط من المغاربة بين مسلمين ويهود، والباقي من الفرنسيين والإسبان. وكانت الحكومة المغربية قد بادرت بإصدار ظهير 17 نونبر 1957، الذي أعاد النظر في التشريع الاستعماري. فألغيت الغرف المهنية السابقة، كما ألغي المجلس الأعلى. وأحدث مكانه مجلس وطني مؤقت للصيدلة (م. و. م. ص.)، مركب من عشرين عضوا، منهم عشرة صيادلة مغاربة وعشرة أجانب، يعيّنهم وزير الصحة العمومية، ليكونوا لديه بمثابة مجلس استشاري في شؤون الأدوية، وعليهم أن يضعوا مدونة قوانين المهنة وكيفية مراقبة ممارستها وزجر المخالفات. وكان هذا الظهير كالقنطرة التي عبرت بمهنة الصيدلة من فترة الاستعمار إلى مرحلة التصرف الوطني المطلق. فقد صدر ظهير بتاريخ 12 فبراير 1960. يقضي بإعادة النظر في كل المهن المتصلة بشؤون الصحة العمومية، إذ ليس شأن الصحة العمومية دون خطر شأن التربية والتعليم في أمور التنمية. ويعرف هذا الظهير بمعنى التخصص الصيدلي، وما هي وظيفة الصيدلي وحدودها. وأقيم للوقوف على كل ذلك ومراقبته هيأة للتفتيش، تعمل تحت إشراف المجلس الوطني المؤقت للصيدلة الذي منح صفة الشخصية المعنوية لينوب عن أصحاب المهنة في الحياة المدنية، ويتلقى طلبات الترخيص بفتح الصيدليات. وعندما يتحول إلى مجلس تأديبي، فلا بد أن ينضم إليه قاض من المجلس الأعلى للقضاء يعينه وزير العدل. وقد أصبح المغرب مدركا لحاجياته في الصيدلة بفضل تضافر الجهود بين أصحاب المهنة والمسؤولين الحكوميين. ونتج عن ذلك وعي بأن الحاجة إلى استيراد جل الأدوية من الخارج، لا يغني عن السعي في إقامة صناعة صيدلية وطنية توفر على البلاد العملة الصعبة وتشغل من المواطنين أكثر ما يمكن. ومما ساعد على ذلك في الستينات من القرن العشرين، ما جرى من هجرة الصيادلة الأوربيين للمغرب، وكذلك الصيادلة المغاربة اليهود بعد حرب حزيران 1967، فحل محلهم بالتدريج ما صار يتخرج من المغاربة المسلمين من كليات الصيدلة من كل جامعات العالم. وكان ذلك مدعاة إلى الإقدام على جعل أعضاء المجلس الوطني المؤقت للصيدلة موقوفا على المغاربة دون الأجانب. كما كان مدعاة للتفكير في الجوانب الصناعية، مع ما يرتبط منها بضرورة التمكن من الأسعار حتى تعرض الأدوية على الجماهير المستضعفة بأقل كلفة. وقد اختار المغرب النهج الليبرالي في الصناعة الصيدلية. وجاء ذلك على لسان الملك الحسن الثاني في خطاب العرش لسنة 1969، إذ قال : "وإلى جانب تكوين الأطباء، وتوفير أكبر عدد منهم، فإننا عنينا بصناعة الأدوية، وبذلنا لها من التشجيع ما هو كفيل بنموها وازدهارها، كما عنينا بما تستلزمه هذه الصناعة من مراقبة المصنوعات الصيدلية تفاديا لكل داء يمكن أن يتولد عن دواء غير صالح، فصناعة الأدوية ومراقبة الصناعة شيئان متلازمان، نحرص كل الحرص على أن يكون إنتاج مصانعنا مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمراقبة، وصلاحه مرهونا بفاعليتها. وإذا كان قصدنا من هذه الصناعة الوطنية توفير العملة الصعبة وتشغيل اليد العاملة، فإننا نستهدف من ورائها تخفيض أثمان الأدوية المصنوعة ببلادنا تخفيضا يجعل هذا الإنتاج في متناول الفقراء وذوي الإمكانيات القليلة المحدودة. وإننا لجادون في العمل على أن يكون هذا التخفيض أمرا مفعولا". وكان قد صدر في هذه الغاية قرار ملكي يحدث هيأة التفتيش الصيدلي لتتبع ما يجري في الصيدليات وفي المصانع، وذلك بتاريخ 16 شتنبر 1966. كما أقيم سنة 1969 مختبر وطني لمراقبة جودة الأدوية في الرباط. وهكذا صارت تقام كبريات المصانع الصيدلية من أمثال سماريب Smarip، ولابروفان Laprophan، وكووبير Cooper، وليبتي فارمغرب Le petit pharmaghreb، مجتمعة معظمها في الدار البيضاء، وبعضها في الجديدة وفي تمارة. وغني عن البيان أن هذه المصانع أقيمت بمساهمة كبريات دور الصناعة الصيدلية في أوربا من أمثال باير Bayer وروش Roche وروسيل Roussel وديامانت Diamant وغيرها. وبذلك استطاع المغرب أن يوحد الإنتاج ويجعله مسايرا لطاقة السوق الوطنية، فانحصر عدد الأدوية المصنوعة في البلاد في 3500، بدلا مما كان يروج إبان الحماية، إذ كان عددها 8000 في منطقة النفوذ الفرنسي، و3000 في منطقة النفوذ الإسباني، فضلا عما كان من الخلط والإسراف في هذا الصدد في منطقة طنجة الدولية. ويوم تقرر سنة 1973 مغربة جميع المقاولات الأجنبية القائمة بالمغرب وإشراك الرسمال الوطني فيها بنسبة لا تقل عن نصف رسمالها، لم يتأت للقطاع الصيدلي مسايرة ذلك. ولكن الدولة أقدمت على إدخال بعض التصويبات على نظام المهنة. فصدر قرار ملكي بتاريخ 12 دجنبر 1976، يعوض المجلس الوطني المؤقت بمجلس وطني

لهيأة الصيادلة (م. و. ه. ص.) ينتخب أعضاؤه انتخابا ديموقراطيا، وينقسم إلى مجلسين جهويين، واحد للأقاليم الشمالية، ومركزه الرباط، والثاني للأقاليم الجنوبية، ومركزه الدار البيضاء، هذا فيما يعني أصحاب الصيدليات. أما أصحاب التحليل المختبري من البيولوجيين، فلهم مجلس خاص بهم، كما أن أصحاب الصناعة وكبار الموزعين، لهم مجلسهم أيضا. وكل مجلس ينتخب رئيسه، ونائب الرئيس والكاتب العام. وهؤلاء هم الذين يمثلون المجلس المتخصص في المجلس الوطني لهيأة الصيادلة الذي يتركب إذن من اثني عشر عضوا ينتخبون مكتبا للتسيير. ولايزال هذا التنظيم ساري المفعول. وقد ارتفع عدد الصيادلة سنة 1977 إلى 340، منهم 35 من الأجانب، بينما بلغ عدد أصحاب الصناعة والموزعين بالجملة 26، منهم 6 مغاربة و20 من الأجانب. وكان عدد البيولوجيين 34. وبذلك صار المغربي يخطو خطوات سريعة نحو تغطية حاجياته من الأدوية، وتوزيعها توزيعا محكما على جميع جهات المملكة بأقل ما يمكن من الكلفة. بل صار قادرا على إنتاج 80٪ من حاجياته إلى الأدوية، وإلى تصدير قسط منها. وجاء ذلك نتيجة لتكاثر المتخرجين في علوم الصيدلة، سواء من الجامعات الأجنبية أو من الكلية المغربية للطب والصيدلة التي أنشئت مطلع الستينيات من القرن العشرين، واشتغلت لإعداد الأطباء أولا الأمر، ثم لإعداد الصيادلة ابتداء من 1987، وذلك في أربع سنوات لمن يلجها من الطلاب الحاصلين على السلك الأول الجامعي من العلوم البيولوجية، مع حصر عدد كل فوج في ثمانين إلى مائة. ذلك بأن تكاثر عدد الصيادلة سرعان ما صار إلى التفاقم، سيما في العقد التسعيني، عندما بدأ يتخرج من دول أوربا الشرقية أعداد متزايدة منهم، جعلت المغرب يقترب من المعدل الدولي للتناسب بين عدد السكان وعدد الصيادلة، الذي هو صيدلي لكل خمسة آلاف نسمة. فإن عدد الصيادلة بلغ سنة 1996، 2907، منهم 1164 امرأة، و93 أجنبي. وفي سنة 1999، بلغ عددهم 4386، منهم 1765 امرأة، و88 أجنبي. مما يبعث مبدئيا على الارتياح، لو كان المجتمع المغربي قادرا على ضمان الشغل المثمر للجميع. أما وأنه مجتمع لايزال في طريق النمو، وطاقات جماهيره الشرائية متواضعة، فإن تكاثر الصيادلة يجعل بعضهم عاجزين عن مسايرة تكاليف المهنة. سيما وأنهم يفضلون المدن الكبرى في الغالب على المناطق النائية والقرى المنعزلة عند الإقدام على فتح صيدلياتهم. ولكن الدولة قد تتدارك جانبا من ذلك، يوم تقدم على بسط التغطية الصحية الشاملة لكافة شرائح المجتمع. ولقد عرض مشروع قانون بذلك على أنظار البرلمان. وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على أن علوم الصيدلة والمهن المرتبطة بها، في أساليبها العصرية، قد بلغت سن الرشد في المغرب، فهي تستشرف المستقبل بحزم، مثبتة أنها قادرة على مواجهة كل ما يحتمل فيه من الرهانات.

عبد الله القجيري

**صِيدُون** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان. كان منهم أحمد صيدون من فرقة المدفعية بحامية تطوان في رجب 1246 (يناير 1831) وأحمد بن الحاج عبد السلام صيدون تولى نظارة أحباس جامع المصيمدي سنة 1247 (1832) وعبد السلام بن محمد صيدون كان قائد العسكر النظامي بتطوان سنة 1294 (1877).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1130.

محمد ابن عزوز حكيم

**صيرطريوس** Sertorius، قائد عسكري روماني تدخل في أوضاع المغرب القديم سنة 82 قبل الميلاد، في خضم الصراع بين القائدين الرومانيين صولا ومريوس، وظل وفيا إلى آخر رمق لصاحبه رغم اندحاره.

ورد أول خبر حوله عند الجغرافي سترابون في الربع الأول من القرن الميلادي، وهو يرتاب مما كان يحكى من روايات حول المغرب القديم الذي يدعوه بموروسية Maurusia. يتعلق الأمر في هذه الروايات بالنطاق الساحلي الأطلسي في مرحلة سابقة عن الوجود الفنيقي بالبلاد. ويقدر الكاتب أنها روايات أسطورية.

أيا ما كان الأمر، فإن الكتاب القدماء أشاروا إلى بعض من آثار هذه المرحلة، على أنها كانت موجودة في وقتهم. إن بومبونيوس ميلا، الذي وضع كتابا في الجغرافية حوالي سنة 44 بعد الميلاد، يروي في هذا الصدد ما يلي : "كان أنتايوس Antaeus ملكا على موريطانية، وما يؤكد ذلك وجود ربوة تحتوي على ضريح هذا العملاق. ويبدو شكلها على هيئة إنسان نائم على ظهره". وفي حديث الكاتب عن طنجة قال : "إنها مدينة قديمة جدا أنشأها انتايوس. والدليل على ذلك توفر المدينة على درع ضخم مصنوع من جلد فيل، وهو لا يناسب أي إنسان حاليا، بينما يؤكد السكان أن العملاق كان يستعمله".

وقد أثارت هذه المخلفات المادية التي كانت معروفة في القديم فضول القائد الروماني سيرطويوس، فنقب في ضريح هذا البطل سنة 81 ق. م. قال سترابون في هذا الصدد : "إن المؤرخ الروماني گابنيوس Gabinius لم يتجنب الحديث عن هذه الخوارق لما تحدث عن موروسية ولا سيما كلامه عن ضريح أنتايوس Antaeus بناحية لونكس Lynx (يقصد لكسوس) فزعم أن هيكله يقدر بستين ذراعا (حوالي 27 مترا)، وأن صيرطريوس كشف عنه ثم أعاد دفنه".

ثم تحدث بلوترخوس في القرن الميلادي الثاني عن تدخل صيرطريوس في موريطانية وذكر في هذا الصدد ما يلي : "يحكي الليبيون أن أنتايوس مدفون في ناحية تنكي. ولم يصدق صيرطريوس ما كان يقوله البارباريون عن طول قامته، مما جعله يكشف عن جثته، فتأكد من أن طولها يقدر فعلا بستين ذراعا لما أصابه من ذهول ذبح أضحية وأعاد دفن الجثة". والملاحظ أن المصدرين اختلفا حول موقع ضريح انتايوس.

ولقد أمدنا هذا المؤرخ بمعلومات تتعلق بأنشطة صيرطريوس السياسية في موريطانية. ففي بداية الأمر اندحر بإسبانيا أمام أتباع صولا بقيادة أنيوس Anius. وهذا ما حتم على صيرطريوس ارتياد البحر في جولة يائسة للنجاة بنفسه. ولما نزل في سواحل موريطانية لم يرحب به الموريون، بل منعوه حتى من التزود بالماء. ثم انسحب إلى جزر البليار، لكن أنيوس كان له بالمرصاد. غير أن صيرطويوس استفاد من تدهور الأوضاع الداخلية بموريطانية، حيث قام الموريون بثورة ضد الملك أسكاليس Askalis، فرحب الثوار بخدماته وانضم إليهم نظراً لوحدة هدفهم في التصدي لأسكاليس الذي بعث إليه صولا فرقة من المحاربين بقيادة فكيانوس Pakianus.

والملاحظ أن بلوترخوس بالغ في تقدير دور صيرطريوس في ثورة الموريين. فقد نسب إليه الانتصار في هذه المواجهة، زاعما أنه حاصر أسكاليس ثم قتله هو وإخوانه في طنجة، كما قتل القائد فكيانوس، وعند رحيله عن البلاد ترك للناس ثرواتهم ومدنهم وحكمهم في حين جند في صفوفه رجالا من الموريين رافقوه في العودة إلى إسبانيا. غير أن القائد صولا لم يقبل بخضوع موريطانية نوعا ما لنفوذ أنصار مريوس، فأرسل بومبيوس الأكبر لتسوية أوضاع البلاد وفق إرادته. والراجح أن بومبيوس نصب الملك الموري مستانسوس Mastanesosus، الذي لم يسمح لأتباع صيرطريوس بالالتجاء مرة أخرى إلى بلاده لما دحرهم بومبيوس في إسبانيا سنة 73 قبل الميلاد.


م. مجدوب، 1990، *أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة*، بحوث مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العددان، 2 - 3، ص. 61 - 82 ؛ نفسه، 1990، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، مرقونة.
Strabon, 17, 3, 8 ; Pomponius Méla, 1, 25, 26 ; 3, 10, 106 ; Plutarque, *Sertorius*, 9, 6-10 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 tomes, Paris, 1928 ; M. Majdoub, *Pompeus Magnus et les rois maures*, dans *Africa Romana*, 12, 9, 1998.


محمد مجدوب

ابن الصيرفي أبو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري، المعروف بابن الصيرفي، من أهل غرناطة. أخذ عن أبي الحسن بن مغيث، وأبي بكر بن العربي، وأبي مروان بن بونه، وسواهم. كان من أهل المعرفة بالعربية والأدب واللغة والفقه والتاريخ، ومن الكتاب المجيدين، والشعراء المكثرين ؛ خدم الدولة المرابطية وكتب للأمير أبي محمد تاشفين بن علي بن يوسف :

1 - *الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية* ضمنه عجائب، وأجاد فيه كل الإجادة، بلغ به إلى سنة 535، ثم أوصله إلى قريب من وفاته، نقل عنه صاحب مفاخر البربر.

2 - *تقصي الأنباء، وسياسة الرؤساء*

3 - *إبراز اللطائف*

4 - *الدوريات* : رسالة في قول المديون لرب الدين.

- وله موشحات وفي شعره رقة.

نظم قصيدة في مدح الأمير تاشفين، وضمنها سياسة الحروب، وآداب القتال، يقول فيها :

أهديك من أدب الوغى حكما بها ... كانت ملوك الفرس قبلك تولع
لا أنني أدرى بها لكنها ... ذكرى تحض المومنين وتنفع

وهي طويلة.

وقد نوه بها ابن خلدون وقال : انها تنبهك إلى معرفة كثير من سياسة الحرب.

توفي بأريولة من أعمال مرسية.


ابن الأبار، *التكملة*، طبع مجريط، 1886 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، ط. الشركة المصرية للطباعة والنشر، 1398 - 1978 ؛ *أعمال الاعلام*، قسم المغرب، نشر دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964 ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، نشر دار الكتاب اللبناني، 1956 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، القسم الأخير، المطبعة الاقتصادية بالرباط، 1937 ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، طبع دار المعارف، مصر ؛ ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب، نشر دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960 ؛ البغدادي إسماعيل باشا، *إيضاح المكنون*، نشر مكتبة المثنى، بغداد، *هدية العارفين*، نشر مكتبة المثنى، بغداد ؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، نشر مكتبة المثنى، بغداد ؛ الزركلي، *الأعلام*، طبع كوستاتسوماس، 1375 - 1955 ؛ ع. الرحمان السيوطي، *بغية الوعاة*، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان، العباس بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، المطبعة الملكية بالرباط، 1403 - 1983 ؛ ع. كحالة، *معجم المؤلفين*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ؛ ل. بروفنصال، *نبذ تاريخية مفاخر البربر*، المطبعة الجديدة بالرباط، 1933.


سعيد أعراب

**الصيف**، فصل يناسب من الناحية الكونية الفترة الزمنية التي تكون فيها الأرض بالنسبة للشمس في وضعية تسمح بتركز أقصى للطاقة الواصلة من هذه الأخيرة إلى نصف الكرة الشمالي على الرغم من أن المسافة ما بين الشمس والأرض تبلغ خلال هذه الفترة مداها الأبعد وهذا التركيز إنما هو نتيجة لبلوغ درجة تعامد زوايا سقوط الأشعة مع مدار السرطان خلال بداية هذه الفترة في الثانية عشرة زوالا من 21 يونيو من كل سنة. وخلال هذا اليوم كذلك يكون تعامد هذه الأشعة قد بلغ أقصى نقطة له باتجاه الشمال على سطح الأرض، سرعان ما تبدأ بعده رحلتها نحو الجنوب وما فترة الصيف التي هي حوالي 93 يوماً و23 ساعة التي

هي كذلك الفترة الممتدة من يوم الانقلاب الصيفي في 21 يونيو إلى يوم الاعتدال الخريفي في 21 شتنبر من كل سنة، إلا انتقال تدريجي ومطرد لهذا التركيز ما بين مدار السرطان وخط الإستواء.

انتقال تركيز الأشعة إلى النصف الشمالي خلال هذه الفترة يخلق ظروفا جوية متميزة تتمثل في الزيادة في مدة النهار وقصر مدة الليل في النصف الشمالي والعكس تماما وبالمقابل في النصف الجنوبي وما يتبع ذلك من وقع جد هام على الظواهر الإشعاعية والحرارية بشكل عام لنصفي الكرة الأرضية.

وتتميز فترة الصيف بالنسبة للمغرب على المستوى المناخي على وجه الخصوص وعلى غرار باقي المنطقة المتوسطية التي ينتمي إليها، بسيادة جفاف فصلي جد متميز تعطي لهذا المناخ خاصيته الأساسية وسمته النوعي.

والمغرب بالنسبة للعرض متأثر بتزحزح نظام الضغط نحو الشمال ونحو الجنوب تبعا لحركة الشمس الظاهرية المعبرة بشكل أساسي عن مختلف الوضعيات التي تكون عليها الأرض بالنسبة للشمس والمحدِّدة بالتالي للفصول .. مما يجعله في وضعية خاصة خلال الصيف، إذ أن تركيز هذه الطاقة في النصف الشمالي يصاحبه تحرك مهم لنظام الضغط نحو الشمال مما ينتج عنه ابتعاد المؤثرات المناخية للعروض الوسطى عن المغرب وخاصة منها تموجات اضطرابات الجبهة القطبية واستقرارها في عروض أكثر شمالية بالنسبة للمغرب. لذلك تقترن عادة هذه الفترة بانعدام التساقطات من النوع الجبهي في الوقت الذي يسهم انتقال نظام الضغط نحو الشمال إلى تقدم الكتل الهوائية الصحراوية والمدارية لتشمل المغرب، مما يترتب عنه تنامي الارتفاع النسبي لحرارة هذا الفصل، حيث يؤدي إلى خلق ظروف عدم استقرار متباينة تسفر من حين لآخر عن أمطار عاصفية ذات امتداد مكاني وزماني محدود فوق المناطق القارية بالأساس.

تتميز الوضعية الجوية خلال فصل الصيف في المغرب بنوع من الرتابة، مقارنة بالتنوع النسبي للطقس ونماذجه خلال الفصول الأخرى، وذلك لأنه يوجد عموما خلال هذا الفصل عقب انتقال خلية الضغط المرتفع للأسور نحو الشمال في وضعية تجعله في منأى عن مسارات اضطرابات الجبهة القطبية، وفي نفس الوقت تحت سيطرة المنخفض الصحراوي الذي أصبح يستقر تبعا لتصاعده أيضاً نحو الشمال، عند الهوامش الجنوبية الشرقية لسلسلة الأطلس.

ويكون الطقس خلال هذا الفصل في الغالب صحواً مشمساً وحرارته مرتفعة نسبيا وخاصة في المناطق الداخلية، وإن كان توزيعها المجالي يبقى إلى حد ما مرتبطاً بنوعية الكتلة الهوائية التي تغطي المغرب والتي تتحكم فيها طبيعة الوضعية الجوية السائدة عند عرض المغرب ولموقع مراكز التأثير الفعالة فيها. و يمكن التمييز خلال هذه الفترة بين نموذجين من الوضعيات الجوية يتعاقبان على المغرب باستمرار، حيث نكاد نكون خلال هذا الفصل إما في وضعية جوية قارية وتحت فعل قيظ الكتل الصحراوية الحارة والجافة أو في وضعية معاكسة تماماً تكونُ فيها بلادنا تحت تأثير الهواء المحيطي الملطف.

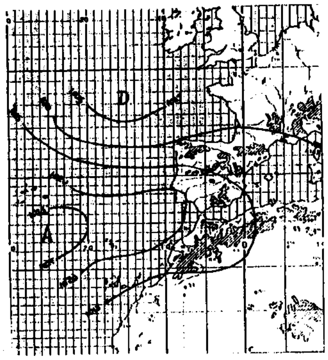


خريطة رقم 1

النموذج الأول (خريطة رقم 1) يتمثل في حالة تمركز خلية الضغط الجوي لمرتفع للأصور في عرض السواحل المغربية الإيبيرية مع امتداد بواسطة ظهر في اتجاه المناطق المغربية الشمالية مما يعني أن هذه الأخيرة تبقى تحت تأثير مباشر للهواء القطبي المحيطي، فتسود في هذه المناطق حرارات معتدلة. تقدُّم هذا الهواء نحو الداخل يجعله يصبح ذا اتجاه شمالي شرقي على المناطق الجنوبية على كل من المنطقة الممتدة من الصويرة إلى الأقاليم الصحراوية المغربية. وخلال هذه الوضعية وبفعل الانتظام الكبير الذي يعرفه الاتجاه العام للرياح عند هذه المناطق، تبرز على المناطق الساحلية المحاذية مناطق صعود مياه باردة من الأعماق (Roux) يظهر تأثيرها الفاعل على توزيع الحرارة العام على الساحل الأطلسي خلال هذا الفصل حيث يلاحظ أن الحرارة عموما تنخفض كلما اتجهنا نحو الجنوب عوض أن يكون العكس بحكم أن دور العرض يقضي بأن تزداد الحرارة بشكل عام في اتجاه الاستواء. فهذا الاستثناء الذي يظهر هنا يجعل الحرارة في أگادير أبرد من تلك التي تعرفها طنجة مثلا وهذا في حد ذاته حالة شاذة.

النموذج الثاني هي حالة سيادة كتل قارية حارة وجافة مرتبطة بشكل أساسي بخضوع الحالة الجوية في المغرب لتأثير المنخفض الصحراوي المسؤول هنا عن هبوب رياح الشركي المحرقة والجافة إلا أن درجة حرارة وحدة جفاف هذا الهواء يبقى إلى حد ما مرتبطاً بالشكل العام لحقل الضغط عند عرض المنطقة المغربية وعليه يمكن التمييز داخل هذه الوضعية ما بين أربع حالات أساسية :

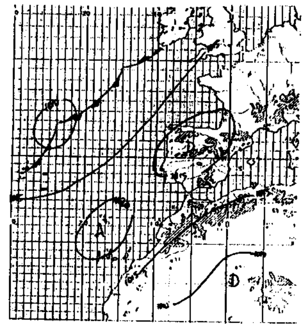

خريطة رقم 2

الحالة الأولى (خريطة رقم 2) تظهر وضعية جوية لمنخفض صحراوي بمال ضعيف من أهم خصائصه أن الهواء الحار والجاف لا يصل بما فيه الكفاية إلى المناطق الساحلية وإنما يقتصر بشكل خاص على المناطق الداخلية.

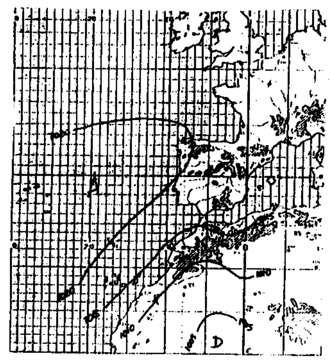

خريطة رقم 3

الحالة الثانية (خريطة رقم 3) تمثل وضعية جوية يظهر فيها المنخفض الصحراوي بمال قوي يجعل رياح الشرگي تكون أكثر تركيزا على المناطق الساحلية وبالتالي أكثر فاعلية على هذه المناطق التي ترتفع فيها الحرارة بشكل محسوس لا سيما وأن الهواء الأصلي حار وجاف قد ازداد حرارة وجفافا بسبب خضوعه لفعل الفوهن (Foehn) بسبب تكلس مختلف جزئياته على إثر نزوله الاضطراري على السفوح الغربية للأطلس المتوسط والريف.

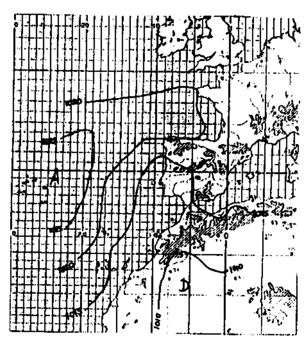

خريطة رقم 4

الحالة الثالثة (خريطة رقم 4) وتبرز وضعية انتقال المنخفض الصحراوي ليشمل تقريبا كل التراب المغربي وجزءاً مهماً من شبه الجزيرة الإيبيرية مما يجعل الهواء الصحراوي ينتقل هذه المرة مباشرة من الجنوب أو من الجنوب الشرقي فتصبح الكتل الهوائية السائدة هنا حارة جدا فيتعرض مجموع المغرب لموجات متتالية ولعدة أيام من الحرارة المفرطة والتي تسجل خلالها بعض الأرقام القياسية خاصة في مناطق السهول الداخلية كسايس وتادلة والحوز وسوس.

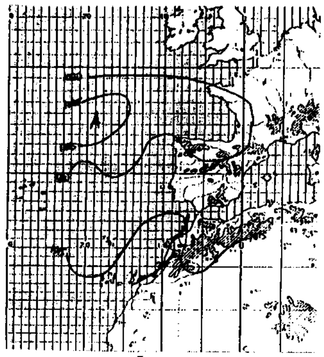

خريطة رقم 5

الحالة الرابعة (خريطة رقم 5) وهي وضعية الطقس غير المستقر في الأجواء العليا وتمثل إحدى وضعيات المنخفض الصحراوي دائما الذي استقر لفترة كافية فوق المغرب جعلت الهواء بفعل تسخينه الشديد، يصبح غير مستقر مما يترتب عنه طقس غائم وحار باستمرار، مصحوباً بعواصف رعدية محليا قوية فوق المناطق الجبلية تدوم عدة أيام متتالية.

A. Bellichi, *Les températures maximales d'été dans le Maroc Nord Occidental, Essai d'explication du caractère général de variation, R. G. M.*, n° 9, 1985, p. 55 - 74 ; G. Roux, *Les zones de montée d'eaux froides le long de la côte atlantique du Maroc. C.R.Ac. Sc.*, t. 225, 1947.

علي البليشي

**الصيكة** أحد طبوع الموسيقى الأندلسية الخارجة عن شجرة الطبوع، نسب استخراجه إلى صيكة بن تميم العراقي. فسمي باسمه. وهو يرتكز على نغمة مي، وقد يأتي مصوراً على نغمة سي.

الصيكا

والصيكة من الطبوع المستحدثة في المغرب، وفي هذا الصدد ذكر أحمد بن العربي أحضري (كان حيا في أواخر القرن الثالث عشر) أن الأديب والموسيقي المكناسي محمد

البوعصامي هو من استخدمه "وركب له تواشيه واستنبط جيشه".

ويعني هذا أن البوعصامي الذي كان حيا عام 1141 أضاف نوبة جديدة بتواشيها وميازينها إلى ما كان متداولا بين أرباب الآلة في مطلع القرن الثاني عشر. وقد جاء ذكر هذه النوبة - لأول مرة - بميازينها الأربعة : البسيط، والقائم ونصف، والبطايحي، والقدام، في المجموع المودع بالخزانة العامة تحت رقم 144 الذي انتهى منه جامعه في غرة رمضان 1202 موافق 5 يونيو 1788، أي قبل أن يخلص الحايك من مجموعه بنحو اثني عشر عاما.

ويبدو أن البوعصامي استقى طبع الصيكة من منظومة المقامات الموسيقية المشرقية عندما كان مقيما بالقاهرة حيث درس الموسيقى على بعض أعلامها، ونقصد بذلك مقام السيكة الذي يرتكز على درجة سي مع اعتراض الربع لنغمتي مي وسي من سلمه.

ويتكرر ذكر الصيكة في مصادر مغربية متعددة من بينها :

- *كناش* محمد بن الحسين الحايك. ففيه أن الطبوع أربعة وعشرون يضاف إليها طبع الصيكة.

- *أرجوزة* لسليمان الحوات المتوفى عام 1231 / 1816 تقع في 31 بيتا.

- *فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار* الحاج محمد بن العربي الدلائي المتوفى عام 1285.

- كتاب *السقا* لابراهيم التادلي. وفيه جاء أن هذا الطبع فخيم النغمات حلو الألحان، وله تأثيرات في نفوس المستمعين.

والغالب أن يكون استخدام طبع الصيكة بالمغرب قد انطلق في البدء من حلقات السماع بالزوايا بعد تعريته من ملامحه المشرقية، ومنها انتقل إلى ممارسي "الآلة". وهو أمر يدل على أن كلا من أحمد أحضري ومعاصره الدلائي صنفه ضمن الطبوع المعتمدة في إنشاد الأمداح النبوية.

توافينا المخطوطة رقم 144 بالبنية الشعرية لنوبة الصيكة، وقوامها 46 صنعة مصنفة على النحو التالي :

| الميازين | الصنعات المروضية | التوشيحات | الازجال |
|---|---|---|---|
| البسيط | 3 | 3 | 1 |
| العام ونصف | 1 | 3 | - |
| البطايحي | 2 | 3 | 5 |
| القدام | 6 | 1 | 8 |
| غير مصنفة | 1 | 6 | 3 |

غير أن بنية هذه النوبة ما لبثت أن تعرضت للتفكك، فأصبحت الأشعار المبثوثة في المخطوطة 144 عارية عن ألحانها، وانقطع إنشاد أغلب مستعملاتها، ولم يكد يسلم من الضياع سوى ست صنعات أدمجت ثلاث منها في نوبة الماية، ومثلها في نوبة غريبة الحسين.

وبالإضافة إلى هذه الصنعات نقف على حوالي مائة صنعة أخرى هي أيضاً قائمة على طبع الصيكة، وجلها مدمج في نوبتي *غريبة الحسين* (68) *والماية* (20)، وبعضها مدمج في نوبات أخرى كرصد *الذيل* (3) والاستهلال (2) *والعشاق* (2) ورمل *الماية* (1).

وقد تم إدماج جل هذه الصنائع في نوبتي الماية وغريبة الحسين - كما رأينا - وكذلك لما بين طبعيهما وطبع الصيكة من قرابة، فكأن الصيكة - على حد تعبير من له بهذا الفن خبرة - "مولدة لتلحين فيما بين الماية وغريبة الحسين".

وقد نبه التادلي إلى صنعتين نادرتين من طبع الصيكة في ميزان البسيط، أولاهما صنعة "العود قد ترنم، وهي صنعة لا توجد بفاس إلا عند بعض المعلمين الكبار" والثانية "صنعة من رسولي إليك يانور عيني"، وهي من عجائب الموسيقى وأعذبها وألذها نغمة"، ثم عقب بالإشارة إلى أن المعلمين الكبار كانوا يبخلون بما لديهم ولا يعلمونه أحدا، وبذلك فهو يضع اليد على واحد من أهم أسباب الضياع الذي ناب مستعملات الموسيقى الأندلسية بما فيها ميازين نوبة الصيكة.

أ. أحضري، *ديوان الأمداح النبوية*، الباب الخامس، ص. 205 ؛ م. بريول، *مدونة غريبة الحسين، مواقع متعددة* ؛ إ. التادلي، *أغاني السقا*، ص. 79 ؛ إ. الحاج ابن جلون، تح. *كناش الحايك*، ص. 117. 120 - 143 - 146 - 214 - 318 - 343 ؛ م. بن الحسين الحايك، *المقدمة*؛ ح. سليمان، مخطوطة بالمكتبة الملكية، الرباط، رقم 4229 ؛ مجهول، المخطوطة، رقم 144، خ العامة، ص. 279 - 294 ؛ ي. الشامي، *مدونة نوبة العشاق* ؛ *رمل الماية*، 164.

A. Chottin, *Tableau de la musique marocaine*, p. 191.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

**الصين والمغرب**. تأسست جمهورية الصين الشعبية سنة 1949، وأعلن استقلال المغرب في سنة 1956، ثم انصرمت سبع سنوات قبل أن تقرر الدولتان إقامة علاقات دبلوماسية في سنة 1963. كان المغرب من الدول الناشئة الأولى التي اتخذت هذه المبادرة. ونكاد لا نجد أثراً لعلاقات عبر التاريخ بين الدولتين حين كانتا في أوج عزهما قبل أن تغزوهما الدول الاستعمارية، ما عدا في الرحلة التي قام بها ابن بطوطة إلى الصين في القرن الثامن (14 م) وبالتحديد ابتداءاً من سنة 1342 وتجول في بعض ارجائها ماراً ببكين مما حكاه في كتابه : *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*.

الصين، كما لا يخفى، من أقدم الإمبراطوريات، يرجع تاريخها إلى أزيد من ثلاثة آلاف سنة، ازدهرت بها حضارة نادرة المثال وتولى السلطة فيها أباطرة عظام، ثم اعتراها ما اعترى سائر الدول فأصابها التأخر والانحلال في الوقت الذي حقق فيه الغرب ثورته الصناعية وبدأ يشره لامتلاك واستعمار الأقطار الافريقية والآسيوية.

كان تشين لونج آخر إمبراطور عظيم حكم الصين ستّين سنة إلى 1796 وخلفه ستة أباطرة ضعاف. فلما قامت حكومة مصلحة سنة 1840 بتحديث البلاد تصدت لها انجلترا بأسطولها فأجهضت عمليات الإصلاح. ثم تسابقت الدول الغربية أو من في حكمها كاليابان فأشهرت عليها حروباً ضارية : الحملة الفرنسية - الانجليزية سنة 1860، الحملة الفرنسية سنة 1865، الحرب اليابانية سنة 1894 والحرب الروسية اليابانية لامتلاك منشوريا سنة 1904. وفرضت عليها هذه الدول "معاهدات غير متساوية" اقتطعت بموجبها بعض أطرافها. انهارت الإمبراطورية الصينية سنة 1911 وقال عنها سون يات - سين أول رئيس جمهورية في بداية القرن العشرين : "لقد أصبحت الصين مستعمرة خادمة بجميع الدول".

بعد عشر سنوات قام الحزب الشيوعي بزعامة الرئيس ماوتسي - تونغ بتحرير الصين. وبعد ثمان وعشرين سنة من النضالات القاسية، تحررت الصين وتوحدت فيما عدا جيوب طايوان وهونع - كونغ وما كاوو. فقام ماوتسي تونغ بصفته رئيس اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في باب القصر الامبراطوري ببكين معلناً قيام "جمهورية الصين الشعبية" يوم فاتح أكتوبر 1949.

وشبيهة بمسيرة الصين مسيرة المغرب بعد ما كان إمبراطورية تمتد حدودها من الأندلس شمالاً إلى السنغال جنوباً ومن ليبيا شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً. ثم اعتراه ما اعتراه من الانحلال في أواخر القرن التاسع عشر واحتلال في سنة 1912، إلى أن تحرر سنة 1956. كان لإعلان جمهورية الصين الشعبية صدى واسع في العالم وإسوة حسنة بالنسبة للحركة الوطنية في المغرب التي كانت تكافح الاستعمار في تلك الظروف. ثم شارك وفد مغربي في مؤتمر باندونغ لدول عدم الانحياز الذي انعقد من 18 إلى 24 أبريل 1955 وحضره رئيس حكومة الصين الشعبية شوان لاي. ومعلوم أن هذا المؤتمر ضم تسعة وعشرين قطراً إفريقياً وآسيوياً وكثيراً من ممثلي حركات التحرير بصفتها أعضاء ملاحظين. وكانت أول فرصة للقاء ممثلي الصين بالوفد المغربي: لقد كان لهذا المؤتمر أثر بالغ في أقطار العالم الثالث وخاصة في البلاد الخاضعة للاستعمار والتي تحررت تباعاً بعد ذلك.

على أثر زيارة تشوان لاي للمغرب في بداية الستينيات، تقرر إقامة علاقات دبلوماسية كاملة بين الرباط وبيكين على مستوى السفراء وتوثيق روابط التعاون في شتى المجالات. وفعلاً قامت علاقات جيدة وتضامن وثيق على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها. من ذلك أن الحكومة الصينية تبرعت بتشييد مجمع رياضي في الرباط واوفدت وحدات طبية تمارس الطب التقليدي (الوخز بالإبر) في كثير من عمالات المغرب، ويوجد تعاون في ميدان الصيد البحري بالمغرب، وإقامة تجربة زرع الشاي في شمال المغرب، علماً بأن مادة الشاي تشكل أهم مشروب في المغرب وجلها مجلوبة من الصين. والحكومتان الصينية والمغربية جادتان في الوصول إلى توازن في الميزان التجاري بينهما بتبادل زيارات الوفود الاقتصادية.

إن العلاقات المغربية - الصينية ممتازة. وقد لوحظ سعي حثيث من كلا الطرفين لتنميتها. فقد لوحظ أن وفوداً كثيرة من علية وزراء الصين والمغرب قامت بزيارات رسمية، منها زيارة الوزير الأول المغربي، وأبرمت اتفاقات في شتى الميادين.

ومما يجدر ذكره أن ثمانية سفراء مغاربة تولوا تباعاً هذا المنصب في الصين وهم : عبد الرحمن زنيبر، عبد اللطيف الفيلالي، عبد اللطيف الخميري، قاسم الزهيري، عبد الرحيم حركات، عبد الرحمن بوشعراء، عبد الرحيم بن عبد الجليل، المهدي ميمون.


الصديق بن العربي، *المغرب* ؛ ع. السلام بن عبود، *تاريخ المغرب*.

J. Guillemen, *Histoire du parti communiste chinois* ; Seghers, *Dictionnaire de la politique* ; Ibn Battuta, *Voyages* ; G. Nacquet, *Dictionnaire des grands événements historiques.*


قاسم الزهيري

**الصيني** (تراب –) أصل الكلمة صيني، كاولين (Kao-ling) (Kaolin) وتعني الكدية العالية نسبة إلى المكان الذي وجدت فيه هذه المادة أول مرة. يتكون التراب الصيني أساسا من معدن الكاولينيت (Kaolinite) الذي ينتمي إلى مجموعة الصفائحيات المموهة المشتملة على طبقتين، الأولى ثمانية التناسق (Te) وتتكون من $(Si_4O_{10}(OH)_2)^{6-}$، والثانية رباعية التناسق (Oc) وتتكون من الجيبسيت $(Al(OH)_3)$.

إن معدن الكاولين هو طين أبيض، هش، خالص ؛ ذو لدانة متبدِّلة، ولكنها في الغالب ضعيفة، بلوراته كلينو معينية لا تشاهد إلا بواسطة المجهر. ومن خاصية التراب الصيني بقاء لونه الأبيض حتى بعد أن تصل حرارة تسخينه إلى حوالي 1450. ينتج معدن الكاولينيت عن تفسخ سيليكات الألومينيوم، وخاصة الفلسبار (أرتوز) ؛ إلا أنه يمكن أن تشتمل بنيته البلورية على بعض الآثار لأكاسيد الحديد (Fe) والمنغنيز (Mg)، والبوتاسيوم (K) والصوديوم (Na). وتتم عملية التفسخ تحت جوٍّ حار ورطب، أو بدافع ظاهرة التحول الحرمائي للصخور الصهارية الحامضة كاليكوجرانيت الغنية بالفلسبار البوتاسي، والمفتقرة إلى المعادن الحديدية والمنغنيزية على النحو التالي :

كاولينيت — فلسبار بوتاسي

$$2K[Si3\,Al\,O_8] + 11H_2O \rightarrow [Si_4\,O_{10}(OH)_2]\,Al_4\,(OH)_6 + 2^{\uparrow} + 4Si\,(OH)_4^{\uparrow} + 2(OH)^{\uparrow}$$

ينتج عن هذه العملية التفسخية بالانحلال المائي تحويل مـــا يعـــادل 66٪ من السليس [Si (OH)4] و100٪ من البوتاسيوم (K).

وتجدر الإشارة إلى أن التراب الصيني الصافي يعتبر المادة الخام لصناعة الخزف الرفيع. أما الأنواع المشوبة منه فتستعمل إما في صناعة الفخار، والحث والآجر، وإما كعناصر في صناعة الأصبغة أو الخضوب وكذلك الورق.

من الناحية التاريخية، فقد عرف التراب الصيني أول مرة في الصين، في بداية القرن الثالث بعد المسيح، حيث استعمل في صناعة "الخزف الصلب"، الناتج عن خليط من الكاولينيت والفلسبار ت/ط والمرو. وبعد إعداد هذا الخليط، كانوا يتركونه تحت حرارة تتراوح ما بيي °c 800 و°c 1050 (عملية التنشيط)، وبعدها تغطى العجينة المحصل عليها بقشرة من الفلسبار ت/ط، وترفع عندئذ درجة الحرارة ما بين 1250 و145. والنتيجة، الحصول في الأخير على عجينة مزججة، بيضاء، شفافة ورنانة.

ولم تعرف أوروبا تقليد صناعة الخزف الصيني، حتى دخول القرن العاشر (16 م) ؛ حيث اخترع "الخزف الهش" الاصطناعي المكون من خليط الكاولين والرمل والصـــودا والمسخن حتى حرارة 1200. إلا أن هذا المنتوج الخزفي لا يرقى إلى نوعية الخزف "الصلب الصيني".

يوجد التراب الصيني بمناطق عدة بالمغرب، إلا أنه قليلا ما تكون له أهمية اقتصادية، إذا ما استثنينا الرواسب الآتية الذكر :

1 - راسب تارجيشت بالأطلس الصغير، الذي يتوفر على طاقات هائلة من معدن الكاولين في الصخور الطينية السلورية ؛ إلا أن تبعثرها وانعزال النطاقات الغنية، يجعل كل هذه الاحتياطات صعبة الاستغلال.

2 - راسب معزة الموجود بناحية المغرب الشرقي، حيث يظهر الكاولين على هيئة كتل وطبقات متداخلة في الخبث البركاني التابع للميوسين - البليوسين المرتبطة ببركان جوروجو.

3 - الرواسب المرتبطة بأعابيل المغرب الأوسط، كوالماس والمانت، وزعير. ولاشك أن أهمها هو كرانيت والماس وعلى الخصوص راسب اقلاي، والتي بينت فيه الأبحاث التي قام بها مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية (BRPM) منذ مطلع سنة 1994 أن السبب الرئيسي في تكوين الكاولين بالمنطقة هي عملية التفسخ الحرمائي لما بعد كرانيتي. ولقد أعطت التقديرات الأولية ما يزيد على 450.000 طن من معدن الكاولين براسب أقلاي وحده.

J. Agard, *Minerais et substances utiles de la carte géologique au 1/200.000è des environs de Casablanca*, Rapport SEGM, n° 151, 1950 ; J. Aubouin, R. Brousse et J.P. Lehman, *Précis de géologie : pétrologie*, Paris, 1975 ; *Bulletins mensuels de la conjoncture minière*, Rabat, Ministère de l'Energie et des Mines, Direction des Mines, Maroc ; B. Bariand, F. Cesbron et J. Geffroy, *Les minéraux, leurs gisements, leurs associations*, Paris, 3 vol., 1978 ; *Eléments de la géologie du Maroc, Mines, Géologie et Energie*, Rabat, 1977 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Substances métalliques et non métalliques)*, 2ème éd., t. 1, Rabat, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème éd., t. 3, Rabat ; A. Foucalt et J. F. Raout, *Dictionnaire de géologie*, Paris, 1988 ; Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; P. Lapadu-Harques, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; A. Michard, *Elément de Géologie marocaine*, Rabat, 1976 ; D. Reig, *Dictionnaire arabe-français, français-arabe*, Paris, 1986 ; D. Rudolf et R. Lubos, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (franças-arabe)*, Rabat, 1990.

عبد الله بوصحابة

**الصيني التازي، محمد** بن عبد الرحمن، جد الأديب المؤرخ عبد الودود بن عمر التازي مؤلف كتاب *نزهة الأخيار* المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين البكريين. أصلهم من شفشاون واستقروا مدة بتازا قبل أن ينتقل فريق منهم إلى فاس ويكونوا إحدى فرق آل التازي المعروفين بالحاضرة الإدريسية. اشتهر المترجم بتلميذه الشيخ محمد بن عبد السلام بناني (ت. 1163 / 1750) الذي ذكره في *فهرسه* وحلاه بقوله : "سر الزمان، وآية العرفان، العالم العلامة، الحبر الفهامة، المحدث الصوفي المفسر الفقيه الجليل. ثم قال: لقيته بمنزله من تازة وقرأت عليه أوائل *الكتب الستة* وصدراً من *الشمائل والشفا* ومختصر ابن الحاجب *وخليل* وأجازني في جميع ماله من مروي ومسموع، ومفرق ومجموع، بحق روايته لجميع ذلك عن شيخ مشايخ الإسلام أبي عثمان سعيد قدورة الجزائري عن شيوخه المشارقة كالبابلي وإبراهيم اللقاني وعيسى الثعالبي وغيرهم، وعن الشيخ سيدي محمد المقري من شيوخ الجزائر، وبفاس عن سيدي عبد القادر الفاسي وسيدي حمدون المزوار وسيدي محمد بن أحمد الفاسي وغيرهم. وكتب لي الإجازة بخطه".

توفي بتازا سنة 1115 / 3 - 1704.

م. بن عبد السلام بناني، *فهرس*، مخطوط : م. القادري، نشر *المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 5 : 1895 ك ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، تح. علي المنتصر الكتاني، الدار البيضاء، 2000، ج 1 : 215.

محمد حجي

**الصينية** طبق يوضع فيه إبريق الأتاي وكؤوسه لا يكاد يخلو منه بيت مهما كان مستواه المادي في سائر أرجاء المغرب حاضرة وبادية. وهي تتخذ من معدن نحاس أصفر أو أحمر لدى السواد الأعظم من الناس أو من القصدير والألومنيوم عند الفقراء أو من الفضة والذهب بالنسبة إلى النخبة من الفئات العليا التي "تشرب الشاي [أيضاً] في كؤوس مزخرفة بالذهب" (عبد المجيد بن جلون : جولات في *مغرب أمس*، ص. 131). أما الفئات الوسطى من ذوي الظروف المادية الموسرة فتتخذها من نحاس مفضض أو مذهب.

ارتبط وجود الصينية بشرب الأتاي الذي أصبح ابتداء من مطلع القرن الرابع عشر (20 م) على الخصوص من بين الطقوس الغذائية التي لا تستقيم الحياة اليومية بدونها فغدت لأجل ذلك تندرج ضمن الأدوات الضرورية في كل مطبخ مغربي. وهي من نوعين : صينية بأربع قوائم وتكون مرتفعة عن سطح الأرض، وصينية واطئة وزاحفة لا أرجل لها.

وتتم صناعة الصينية، التي كانت في أول أمرها تستورد من فرنسا وانجلترا وألمانيا، على يد الصفارين والصباغين الذين كانوا يباشرون إنتاجها إما تحت الطلب لمن يوصي بتوفيرها وفق مواصفات معينة وإما بالجملة لعرضها في أسواق الحواضر والبوادي للبيع لعامة الناس.

وبما أن المشروب الذائع في المغرب قبل انتشار عادة شرب الشاي فيه كان هو الحليب واللبن، فإن وجود الصينية في البلاد كان غائبا كأداة من أدوات الطبخ (C. Olivier, *Le Maghreb aujourd'hui*, p. 54) وعليه فإن الصينية لم تُصبح معروفة بالاسم وبالوظيفة إلا ابتداء من النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) بعد أن انفتح المغرب على التبادل التجاري مع البلدان الأوروبية وفُتح المجال لتداول بضائع تجارية جديدة كان من ضمنها السكر والشاي. أما قبلها، فقد كانت الصينية كما كان الشاي والسكر من البضائع القليلة النادرة إلى حد أنها كانت تقدم ضمن الهدايا. وفي هذا السياق تلقى المستكشف المتجول في المغرب بوتوتسكي سنة 1791 من قائد تطوان حين وصوله إليها هدية تضم "رزمة أثواب وأربعة قوالب سكر وشاي" (J. Potocki, *Voyages en Turquie, en Egypte... et au Maroc*, p. 161).

وتستمد الصينية اسمها من بلاد الصين التي هي المصدر الرئيسي للأتاي. كما تنتشر في البلدان المجاورة لها في جنوب شرق آسيا، ومنها انتقلت مع عشبة الآتاي إلى المغرب وغيره من باقي بلدان العالم، مع ما يصاحبهما من الأواني الأخرى اللازمة لتحضيره مثلما انتقل إلينا منها أيضا حرير "الساتان" المنتسب إلى مدينة سايتونغ (الصينية).

وابتداء من عهد الحماية انتشرت عادة شرب الآتاي في جميع أرجاء المغرب وأصبح تناوله لا ينفصل عن الصينية وتوابعها واتخذ الناس لشربه أوقاتا معلومة وطقوسا وتقاليد. فإلى جانب الصينية كان حضور قالب السكر أمراً لازما إضافة إلى أوانٍ أخرى مساعدة على رأسها الإبريق المستدير الشكل الذي تتحلل فيه مواد الآتاي وتنصهر وتندمج ببعضها إلى أن تعطي للمشروب نكهته وهو يدعى "البراد" الذي يستمد تسميته من وظيفته التي تتجلى في احتواء الماء المغلى الذي يصب فوق حبوب الآتاي والسكر والنعناع حتى يبرد وتعتدل درجة غليانه ويصبح قابلا للشرب وهو في منزلة بين المنزلتين لا هو بالحار ولا بالدافئ قبل أن يقدم إلى الحاضرين. ويُوضع في الصينية دائماً إلى جانب "البراد" وعاء لصيانة الشاي إلى حين استعماله يدعى "الزنبيل" وآنية تحتوي على قطع السكر تسمى "الربيعة" وأخرى توضع فيها أوراق النعناع بعد غسلها وتنظيفها تدعى "ربيعة الاقامة" في مراكش وربيعة الد[illegible] في غيرها من حواضر المغرب. هذا زيادة على قارورة على شكل كأس تستعمل للاحتفاظ بالماء المغلى الذي تمر فيه حبوب الشاي مرة أو مرتيْن للتنظيف قبل خلطها بغيرها من المواد الأخرى وتسمي "كاس التشليلة". وغالبا ما تضاف إلى هذه الأواني ملعقة صغيرة تستعمل بين الفينة والأخرى لتحريك خليط الشاي وتفقده بالتقْليب حتى ينصهر داخل الإبريق. المرجل ولو أن استعمال الملعقة لم يكن بالشيء المحبوب ولا المقبول عند الماهرين من محضري الشاي. ومما تجدر الإشارة إليه أن كل هذه الأوعية تتخذ في الغالب من نفس لون ومعدن الصينية نفسها.

كانت تلك هي الأواني الرئيسية التي توجد داخل الصينية إضافة إلى أخرى منفصلة عنها ومرافقة لها ولا يستقيم أبداً وجود الصينية بدونها. فهناك المرجل المخصص لتغلية الماء حتى يصل إلى درجة التبخر مما يدعى "المقرج" أو المقراج" أو البقرج"، ويكون على العادة والقاعدة موضوعا فوق مزند ملتهب يسمى "المجمر". وغالبا ما كان هذا المرجل والمزند يُعوَّضان في مجالس الأعيان وكبار القوم بقدر أسطواني الشكل من نفس معدن الصينية ولونها يُضخ منه الماء بعد غليانه في إبريق الشاي بواسطة صنبور يفتح ويغلق في حينه يسمى "البابور" وهي كلمة أجنبية تعني البخار.

هذا وكانت للصينية ومازالت إلى اليوم في المجامع والأفراح والأعيان والمناسبات على اختلافها في المغرب طقوس خاصة بها. فقد كان يضرب لها خوان خاص ويُسند أمر الإشراف عليها إلى أشخاص معينين. وكانت الجلسة حولها تتحول إلى حلقة لتبادل الرأي والحديث وذكر الأخبار وسرد النوادر والمستملحات والحكايات، يجري كل ذلك إما في انتظار الانتهاء من تحضير الشاي على مرأى ومسمع من الجميع أو أثناء ارتشاف كؤوس الشاي. وكان "مول الصينية"، وهو الشخص الذي تسند إليه مهمة "إقامة الشاي" في الأعياد والأفراح والمناسبات يحظى بالتقدير والاحترام في المجامع لما يتوفر عليه من قدرة مشهود له بها في مجال النظافة ومن حنكة في مزج عناصر الشاي وتقدير مدة الانصهار وطريقة صب المشروب وتوزيع كؤوسه على الحاضرين وتحديد أي نوع من الشاي يقدم ولأي مقام، فهناك شاي الصباح وشاي الظهيرة وشاي المساء ثم شاي قبل الأكل وبعده، (والأكل فيه العادي وفيه الدسم) فشاي الأوساط الشعبية والأوساط المخزنية ولكل ذوقه ووسطه ومقامه. وكان المكلفون بتحضير الشاي داخل القصور السلطانية ومازالوا إلى اليوم يختارون من بين أجود المعروفين، وأكثرهم إتقانا في تحضيره يتحول إلى جليس للسلطان ورفيق له في الحل والترحال وإلى جانبه يخصص له مكان رفيع المستوى لتهييء

الشاي وتقديمه له ولمن يشاركه الحديث في شؤون عادية يومية أورسمية.

م. بخوشة، *أدب المغاربة وحياتهم الاجتماعية*، الدار البيضاء، 1944 ؛ م. الصبيحي، *في بعض العادات المغربية*، فاس، 1925 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، الرباط، 1961 ؛ دانييل شروتر، *تجار الصويرة*، الرباط، 1996، تعريب خالد بن الصغير ؛ ع. السلام الزموري، *منظومة في الأتاي*، مجموع المتون، طبعة حجرية، فاس، د. ت ؛ المكي البطاوري، *شرح الأرجوزة في الأتاي*، الرباط، 1946، مطبعة الأمنية ؛ ع. السلام الأزموري والمكي البطاوري، *الأرجوزة الفائقة فيما يحتاج إليه الأتاي*، مخ. خع، رقم 1709 د ؛ أ. المنجم، *رسالة في الشاهي*، مخ. خع، رقم 1425 ك ؛ ع. المجيد بن جلون، جولات في *مغرب أمس*، 1872، الرباط، 1974 ؛ ع. الوهاب بن أحمد ادراق، *قصيدة في النعناع*، مخ. خع، رقم 158 د ؛ م. بدر الدين الحسني الفاسي، *رسالة في شرب الأتاي ومنافعه*، مخ. خع، رقم 157 د ؛ ح. العجمي، *رسالة في الشاي وسبب حدوثه*، مخ. خع، رقم 2954 ؛ ع. الوهاب أدراق، *في الأتاي*، مخ. خع، رقم 3201 د ؛ مؤلف مجهول، *رسالة في بيان حقيقة الشاي*، مخطوط، كلية الآداب بالرباط، رقم مكل 232 ؛ مؤلف مجهول، *كتيب في الأشربة والمعاجين*، مخطوط، كلية الآداب بالرباط، رقم مكل.

Reynold de la Charrière, *Voyage au Maroc (1910-1911)*, Paris, 1913 ; Jean Potocki, *Voyage en Turquie et en Egypte, en Hollande et au Maroc*, Paris, 1980 ; Louis Brunot, *Textes en arabe dialectal de Rabat*, Fès 1918 ; *Au temps des Mehallas*, Casablanca, 1952 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe (1830-1894)*, Paris 1961 ; H. Amic, *Le Maroc hier et aujourd'hui*, Paris, 1887 ; F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947 ; M. Bakkoucha, *Savoir vivre, vie sociale et religieuse des Marocains*, Casablanca, 1943 ; P. Odinot, *Le monde marocain*, Paris, 1926 ; C. Olivier, *Le Maghreb aujourd'hui*, Paris, 1975 ; J. Runner, *Le thé*, Paris, 1952 ; M. Bellakhdar, *Le costume de la médina de Fès, le vestimentaire et l'alimentaire*, Université de Toulouse 2, Thèse de 3e cycle, 1986 ; M. Periale, *Le Maroc à 60 à l'heure*, Rabat, 1936 ; F. Bonjean, *L'âme marocaine*, Paris, 1948.

محمد بوسلام

# ض

**الضّاحية**، مجال ثالث من حيث الشكل والمضمون وفضاء انتقالي يربط بين المجال الحضري والمجال الريفي ويعيش تحت نفوذ المدينة الأمّ وفي تبعية لها.

من ثمة، لا يمكن لأية دراسة أكاديمية أو وثيقة للتعمير، وبالأحرى لأية إجراءات تهييئية، أن تكون مستوفية لجميع أوجه المسألة الحضرية بمعزل عن الضاحية التي تشكل فعلاً كياناً قد يتمتع بقليل أو بكثير من الخصوصيات الذاتية، ولكن في انتظار إلحاقه الآجل أو العاجل بصميم الجهاز الحضري المرجعي. ويصبح الأمر ملحّاً إذا اعتبرنا أن الدينامية الاجتماعية والاقتصادية العامة تسير أكثر فأكثر نحو الاستقطاب الحضري السائد للسكان والاستثمارات والأنشطة الإنتاجية والخدماتية.

وإذا كانت ظاهرة الضاحية وليدة الثورة الصناعية في أوربا، فإنها تمثل واقعاً حديثاً في المغرب، مازال يكتنفه الكثير من التعقد والغموض. على أن الكتابات التاريخية تبرز أن بعض مدن المغرب قد عرفت منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي ظاهرة الحوْز، ومازالت بعضها تتوفر على قبائل متاخمة أو جماعات إدارية حوزية (مراكش، تطوان، فاس، مكناس، الرباط، سلا، طنجة، وجدة، أزمور). وجلّها عواصم سلطانية ومن كبريات المدن حالياً.

ومن بين ما تعنيه لفظة الحوز (أو الحوزة) لغوياً الحدود والنواحي، والضاحية كذلك تأخذ نفس المعنى، أي الظهير والناحية وبادية المدينة، مقابل الباطنة. كما أن أول استعمال للفظ الحوز أو الأحواز كان يدل على الضاحية والناحية والمنطقة المحيطة بالمدينة خارج الأسوار، وهو عبارة عن حزام من البساتين والمشاجر والمزروعات المتنوعة، يتراكز مع حُرم المدينة وقلبها ويضم بعض الدواوير والعزبان ويتعارض مع الخلاء الفسيح الذي يهدّد المجالات المجاورة غير الآمنة.

وإلى مطلع القرن العشرين لم تكن للحواضر المغربية ضواحي بالمفهوم الحديث. فكانت بادية المدن تتمثل في أحزمة من المزروعات المختلفة التي تتلاشى كثافتها كلما ابتعدنا عن أسوار المدينة، والتي لم تكن تحتضن داخلها سوى بعض البنايات البسيطة. وتتجلّى هذه الثنائية في تباين نمطين من العلاقات والتنظيمات وطرق العيش في إطار صلات متواضعة تتأرجح بين التكامل والتوازن. فكانت التخوم الخارجية للأحواز تلعب بعض الأدوار المتقطعة في الزمن والمكان من خلال بعض القصبات و"المحلات" العسكرية والأسواق والزوايا والأولياء والمواسم. أما البساتين الضاحوية فكانت من جهة بمثابة متنفّس يتم التردد عليه للترويح عن النفس، ومن جهة أخرى مجالاً فلاحياً لتزويد المدينة بما تحتاجه من منتوجات الأرض.

ومع دخول الاستعمار سيتغيّر وجه الحواضر جوهرياً، حيث ستنفجر المدينة القديمة لتفسح المجال خارج الأسوار وعلى مشارفها لمجموعة من "الأرباض" والأحياء التي ستأكل تدريجيا الحقول والمغارس. تارة تنفصل الأحياء والبنايات المختلفة بأراضٍ فلاحية أو بفراغات، وتارة أخرى تتجاور في ثنائية صارخة يتقابل فيها العصري والتقليدي والغني والفقير.

هكذا، وعلاوة على النواة القديمة، سيتوزّع حيّز المدينة الكبيرة إجمالاً إلى مجموعتين من الوحدات السكنية والوظيفية : منها المغربية الفقيرة والمتوسطة ومنها الأوربية الراقية. وحول هذه وتلك ستنبثق هالة من دور الصفيح لإيواء الوافدين الجدد على المدينة. أما خارج النطاق الحضري فاستقرت بعض الدواوير الريفية هنا وهناك، بل ظهرت على المحاور الطرقية الرئيسية المؤدية إلى المدينة بعض النويات القروية الناشئة وبعض المراكز الخدماتية المخصصة للمعمّرين.

ولقد شهد المغرب في عقدي الخمسينيات والستينيات تحولات عميقة ستنعكس مباشرة على صيرورة الضواحي والمدن معاً. ولعل الانفجار الديمغرافي في كل من الأرياف والمدن وما لحقه من تفاوت في مستوى الفئات الاجتماعية هما العاملان الحاسمان اللذان أسفرا في أول الأمر عن تفاقم ظاهرة التوافد على كبريات المدن.

وكان من شأن هذه الظروف أن عملت على تعجيل وتيرة انقراض أحواز الحواضر، ولا سيما الداخلية منها. مع ذلك ظلت المدن تتوفر بما فيه الكفاية على احتياطي عقاري قمين بتلبية احتياجاتها من الأراضي القابلة للبناء. مما جعلها تفضل تكثيف النسيج الحضري بنمو ينهج ثلاثة أساليب متزامنة : ملء ما أمكن من الفراغات الداخلية والأراضي الفلاحية للأحواز الخارجية والامتداد العمودي بواسطة العمارات والزحف الهامشي على الخصوص بجبهات التمدين المتعاقبة، وهي حالة الكثير من المدن المغربية الكبيرة والمتوسطة إلى عهد قريب.

وفي الوقت الذي عرف فيه السكن الفقير "عصره الذهبي"، سواءً في الهوامش السكنية المتسترة، وبالأساس في أحياء الصفيح، أو حتى داخل المدينة القديمة التي واصل سكانها الأوائل النزوح عنها إلى أحسن، اكتفى المغرب المستقل بتكثيف نسيج المدن واتباع سياسة التنظيف الاجتماعي والتمييز المجالي، على غرار الفترة السابقة، ولو أنّ بوادر إعادة النظر والبناء وهيكلة التركة الاستعمارية قد أدت إلى تحقيق بعض البرامج الإسكانية الاقتصادية وبعض الدراسات لتحسين إمكانيات استقبال المدن للأفواج المتزايدة من الوافدين إليها.

وكانت الضاحية تعيش مرحلتها الجنينية، واقتصرت على تكثيف وتنويع أنشطتها الفلاحية في ارتباط تدريجي بالمدينة. كما أن كبريات المدن قد خنقت، بفعل نموّها الفجائي مناطق نفوذها وأحدثت فراغاً حضرياً واسعاً حولها وحالت دون بروز شبكات حضرية مكتملة متقاربة ومتراتبة. فاستمرت في تلبية حاجيات "النواحي" من المصالح الإدارية والخدمات النادرة بطريقة مباشرة. أما توابعها من المدن الصغيرة والمراكز والقرى المجاورة فكانت تنمو ببطء. ومازال جزء كبير من الأقطاب الجهوية الآن يتنصّل بمشقة من ملامح هذا الوضع (مراكش، فاس، مكناس، طنجة، وجدة، آسفي).

أما إثبات تبعية المجال الهامشي للمدينة وإدماجه الوثيق في إوالية تطور المدينة الوظيفي والسكني فقد انطلقت مع بداية السبعينيات فصاعداً.. حيث عملت المدن الكبرى على نموّها اعتماداً على تعدّد النويات، أي وفق زحف متلازم للضاحية والمدينة، الواحدة نحو الأخرى داخل المدار الحضري، واستمرّ تكثيف وانتشار نسيج المدينة بشكل متراكز، كما كان الأمر سابقاً، أو أخطبوطي. خارجه تضخمت المراكز الضاحوية والمدن التوابع السابقة، كما انطلقت عملية تمدين الأرياف بظهور مراكز أخرى عضوياً أو إرادياً في الضاحية الخارجية وحتى الضاحية البعيدة.

وتضافرت مجموعة من الأسباب والوسائل الموجبة لتفسير هذا الاندماج بين المدن الكبيرة وضواحيها الذي أدّى حتماً إلى تشكيل مجموعات حضرية يبدو أن الأدوار والتموقعات تتوزع ضمن كل واحدة منها. وتأتي على رأس قائمتها العوامل التالية :

- مواصلة استقبال فائض سكان الأرياف مباشرة من طرف المدينة الكبيرة وعبر محطات قد تكون شبه حضرية أو ضاحوية.

- تقوية الرأسمال الخاص وتوسع الاستثمارات في الضاحية، وعلى الخصوص في قطاعي الفلاحة والصناعة بجميع أنواعها، وذلك بمنطق التركيز المجالي في الأقطاب الجهوية وغير بعيد عنها.

- تطوير وسائل المواصلات الضاحوية بموازاة مع تمتين العلاقة بين المدن والأرياف، ولاسيما العمومية منها والتي تستعملها جميع الفئات وعلى مسافات قد تمتد إلى عشرات الكيلومترات، مع العلم أن توفر النقل يساعد على توسع المدينة وإعطاء دفعة جديدة للحركات اليومية، وبالتالي تثبيت توزيع وحدات المجموعة الحضرية والسكان.

- ميل الرأسمال الخاص إلى توطيد التركيز الاقتصادي الذي سبق وأن قطع أشواطاً في الأقطاب الجهوية، وخصوصاً في الواجهة الأطلنطية التي تشهد في نفس الوقت نمواً متزايداً للوظيفة الترفيهية والاستحمامية والتي يعقبها ازدهار سياحي مترافق مع السكن الساحلي الراقي والقار.

- ممارسة السلطات العمومية والقطاع شبه العمومي والجماعات المحلية لتدخلات ظرفية بجانب السياسات الهيكلية، والعمل في آن واحد على البنيات الفوقية والمستويات التحتية في ميادين تهيئة التجزئات وبناء السكن الاقتصادي والمتوسط ومحاربة واستخلاف أحياء الصفيح وتشجيع الإنعاش العقاري وتجهيز الأرياف والتعمير والتكثيف الإداري وإعداد التراب واللامركزية واللاتمركز وفك اكتظاظ المدن.

- توطيد العلاقة بين الحركية السكانية المجالية والدينامية الاجتماعية، إذ أصبح انسياب السكان من أجل الشغل والاستقرار يأخذ اتجاهاً مزدوجاً، فصارت المدينة بدورها تلقي نحو الأطراف والهوامش بشرائح من الفقراء وبكل من يعاني صعوبة مسايرة تكاليف الحياة في المدينة، بالإضافة إلى الفئات الميسورة التي تفضل الإقامة بعيداً عن وسط المدينة.

وعلى هذه السيرورة، يتعذّر تصنيف الضواحي المغربية إلى مجالات متخصصة، كما هو الشأن في الدول المتقدمة. ويعزى ذلك التعدد في الوظائف إلى عدم مصاحبة وصاية المدينة منذ البداية بما يكفي في التخطيط والتنظيم والمراقبة لتدخلات الدولة والرأسمال الخاصّ. ولطالما خضع المجال الضاحوي لكثير من العشوائية وقليل من البرامج الاستدراكية، حتى أصبح يتخذ في المجمل أشكالاً وأحجاماً متنوعة، ويحتضن وظائف وأصولاً سكانية متعددة.

ويتعلق الأمر إذن بتباين الضواحي وأجزاء الضاحية الواحدة وليس بتوزيع مسبق ومرتب للأدوار والمهامّ قصد التخصص وتوزيع التوطينات. فهناك جزء صناعي وآخر عمّالي وقسم استحمامي، وهناك وحدات سكنية تتراوح بين الراقية والمتوسطة والمتواضعة، كلها متجاوزة ومتناوبة

ومتداخلة فيما بينها، وكأن الضاحية أعادت إنتاج التفاوت الاجتماعي والتميز المجالي والوظيفي اللذين اشتهرت بهما المدينة، مع فارق اتساع واستمرار حيوية الضاحية الفلاحية هنا، رغم تآكلها ومنافستها بمنتوجات أخرى.

والضاحية اليوم هي إذن علاقات ومستوى عيش وتوزيع للشغل وسلوكات، وهي بالتالي ظاهرة اجتماعية واقتصادية أكثر مما هي مجرد تحديد وتوزيع مجالي للأشكال والتجهيزات والأنشطة والسكن. فهي تنبني على نوعية الأدوار المنوطة بها، ومدى سيولة الاتصال وكذا توفر وسائل النقل وأنماط البناء ودرجة التمدين والبنيات العقارية وطبيعة الاستثمار ومستوى الكثافة السكانية وخصوصية السلوكات والأجواء العامة... ويبقى البعد أو القرب عن وسط المدينة الأم أو الانتماء أو عدم الانتماء الإداري لها ودرجة الهيمنة عليها اعتبارات نسبية.

تحولت الضاحية من مجال مستعار تتوسع عبره المدينة الكبيرة باطراد إلى كيان ذاتي وطرف فاعل في المجموعة الحضرية. ومن المجموعة الحضرية الكبيرة التي غالباً ما تتعاقب داخلها الضواحي، أو على الأقل تشتمل على جيلين من الضواحي اندمج فيها الواحد تلو الآخر، ينتشر مدار النفوذ ليسفر عن تكوين شبكة حضرية فرعية أو مكتملة. ومن مجموعات حضرية متجاورة بالواجهة الأطلنطية امتدت خيوط الروابط بينها لتعمل على تشكيل مجمع مدني عملاق على وشك الالتحام طوال شريط يصل القنيطرة بالجديدة على مسافة أكثر من مائتي كيلومتر. بعبارة أخرى، تندرج الضاحية ضمن مجال أوسع وفي إشكالية تشمل كافة مكونات النظام الحضري في واقعه وصيرورته، وتتأرجح بين المحلي والجهوي (أو الوطني)، أي بين التعمير والتنظيم الإقليمي وإعداد التراب الوطني.

وخارج مجمع القنيطرة الجديدة المتميز بضخامته وارتباط مجموعاته الحضرية الأربع فيما بينها بسلسلة من الضواحي الساحلية، قليلة هي المدن التي تتوفر على ضواحي واضحة المعالم وغير مبتورة، وعلى رأسها أكادير وتطوان والناظور. وذلك رهين ببعض الظروف الاستثنائية : كالكثافة السكانية المجاورة العالية، والعائدات الهائلة للمغاربة القاطنين بالخارج، والوضع الخاص لسبتة ومليلية، والاقتصاد الخفي الوازن الذي يعتمد على المخدّرات والسوق السوداء (ما عدا بأكادير)، والسياحة الشاطئية المزدهرة (ما عدا في الناظور). أما الأقطاب الجهوية الأخرى، فبقدرما تتحكم في مناطق شاسعة الأبعاد، بقدرما لازالت تفتقد العدد الكافي للقرى والمراكز الحضرية الصغيرة التي تسهل عملية المبادلات وترتكز حولها الحياة الضاحوية.

م. سلطان، *الأنشطة الحضرية والتوسع العمراني بالناظور الكبرى*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1999 ـ 2000 ؛ ب. إبيسك، من قضايا الجماعات الضاحوية، جماعة سيدي الطيبي مثال، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1999 ـ 2000.

G. Chabot et J. Beaujeu - Garnier, *Traité de géographie urbaine*. Paris, 1963 ; P. Georges, *Précis de géographie urbaine*, Paris, 1968 ; *Dictionnaire de la géographie*, PUF, Paris, 1974 ; S. Benzakour, *Essai de la politique urbaine au Maroc, 1912-1975*, Casablanca, 1978.

مصطفى عياد

**الضاد** أو **موالين الضاد** هو اسم موقع أثري (اكتشف خلال أبحاث التنقيب الأثري التي تقوم بها شعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ عين الشق الدار البيضاء، منذ سنة 1985، بمساهمة الطالب عمر مصيون). يرتبط اسم الموقع باسم مجمع ديني يهودي. يقع بقبيلة أولاد بوزيري، فخذة توامة، على بعد 56 كلم تقريبا جنوب مدينة سطات.

طبونيمية الاسم : لا ندري ما هي العلاقة الفعلية بين هذا الاسم والحرف الهجائي "ضاد" في اللغة العربية. وتكتب الكلمة في اللغات الأجنبية DAD أو ED-DAD. وتفيد أن "الضاد" لقب حبر يهودي (أبراهام آريور) نزح من القدس منذ ثلاثة قرون واستقر بالمنطقة ومات ودفن بها (*Villes et tribus du Maroc*, t. II, p. 293). وترى الرواية الشفوية أن كلمة "الضاد" أو "الضاض" هي اسم الجبل حيث يوجد موقع الضاد الأثري ومقبرة كان من بين قبورها قبر الحبر اليهودي.

المجمع الديني اليهودي : يشتمل المجمع على بيعة وبداخلها قبر ابراهام أوريور وتحيط بها مجموعة من المنازل خاصة بالزوار، يوجد من بينها بيت به قبر الحبر "نسيم بن نسيم"، وغير بعيد عن هذه المجموعة يوجد مصعدان يؤديان إلى مقبرة بها ستة قبور بنيت على سور موقع الضاد الأثري.

ولم تكن هناك في الأصل بيعة ولا أي مجمع ديني بل كان بالمنطقة، خارج سور موقع الضاد، قبر محاط بحوش بالمقبرة جعلت منه الطائفة اليهودية قبر أحد أحبارها المدعو "ابراهام أوريور" وقامت في سنة 1915 ببناء بعض البنايات (J. Goulven, *Les Mellahs de Rabat-Salé*, p. 93)، وربما كانت البيعة من ضمنها، وتوالت أشغال البناء من وقتها إلى يومنا هذا. ولا نملك معلومات كافية عن ترجمة الحبر باستثناء قدومه من القدس برفقة حبر آخر يسمى"يحيى الأخضر"، في إطار جمع المساعدات للطائفة اليهودية أو للتبشير الديني، وبعد استقراره بالمنطقة ووفاته بها (*Mellahs de Rabat-Salé*, p. 93). ارتبط اسمه "ابراهام" باسم نبتة كانت منتشرة على كل المقبرة تسمى محليا "أوريورة" وأصبح الاسم الشائع هو "ابراهام أوريور"، ويبدو من خلال نص "ملاحات الرباط وسلا" أن الكاتب أدرج اسما آخر "إبراهيم لوليو كوهن"، ربما هو أبراهام أوريور نفسه، الذي رافق يحيى الأخضر من القدس (نفس المرجع، ص. 94).

وتبين من خلال الدراسة الميدانية أن المقبرة كانت لأموات المسلمين ومازالت أشغال الحفر تكشف في الوقت الحالي عن قبور موجهة نحو القبلة كلها ومدفونة بطريقة واحدة. ومن غير المستبعد أن المقبرة كانت تابعة للموقع الأثري وهذا ما

تؤكده جميع الدراسات العلمية من أن المقابر الرئيسية كانت توجد خارج مسورة المدن وبمحاذاة أبوابها الرئيسية.

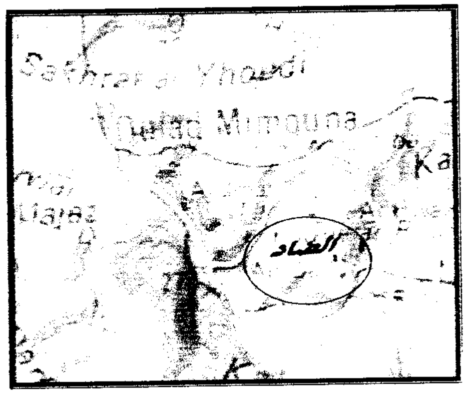


موقع الضاد الأثري :

يحتل الموقع قمة جبل الضاد المسطحة، بانحدار ضعيف نحو الجنوب الغربي. والجبل عبارة عن كتلة تل صخرية، يبلغ ارتفاعها 390 م تقريبا، تشرف عبر أجراف صخرية عالية على وادي قيبان باستثناء واجهة التل الشمالي المفتوحة على المجمع الديني اليهودي ودواوير الهواورة.

ويتكون الموقع من بقايا سور على الواجهة الشمالية الغربية ومن بقايا بنايات أغلبها عبارة عن منازل منتشرة على السطح المرتفع كله. وتعتبر الحجارة الطبيعية من مواد البناء الأساسية المستعملة في السور والبنايات، وهي من الحجم المتوسط دون صقلها وتشذيبها وموضوعة بتقنية منتظمة.

ويحيط السور بواجهة واحدة بالموقع بينما الواجهات الأخرى محصنة طبيعيا.و يصل السور إلى 210 م. تقريبا وعرضه بين 0.80 م. ومتر واحد، واتجاهه ش ش ج غ. وقد شيدت حديثا فتحة باب على السور، تربط بين السلم والمقبرة اليهودية. وينعطف طول السور بانعراجين : الأول على بعد 148 م. من انطلاقه بالشمال الشرقي والثاني على 150 م. ولا يمكننا أن نسجل حضور الأبراج المرتبطة بالسور بسبب كثرة الحجارة المنتشرة فوقه وخارجه. أما فتحات الدخول إلى الموقع فقد وقفنا على بقايا فتحتين على الأقل، ونفترض أن الفتحة الثالثة كانت بالموضع الذي بني عليه السلم والمقبرة اليهودية.

وشيدت فوق المساحة المحصورة (حوالي 24 كلم مربعة) بين السور وحافة الجرف الصخرية مجموعة من البنايات السكنية. وتبين البنى الأثرية اتجاه الجدران على السطح، ويبدو أنها بنيت على تخطيط هندسي منظم وغير عشوائي بحيث تلتصق كل واحدة مع أخرى بنفس المجموعة الداخلية وتشرف بعضها على نفس الاتجاه. إن صعوبة تتبع اتجاه الجدران حال دون ضبط نموذج هندسي لبعض الوحدات البنائية نظراً لتراكم الحجارة فوق بعضها، وهذا يتطلب القيام بعمل مضن للتنظيف ولترتيب الحجارة.

بالإضافة إلى البنى الأثرية، تم العثور على كمية كبيرة من القطع الفخارية والخزفية التي تبين من خلال القراءة الأولى، أن نسبة عالية منها تعود إلى ما قبل القرن الخامس عشر الميلادي، وهي فرضية لا بد من تحقيقها بعد الدراسة الدقيقة لهذه القطع. أما المواد المعدنية، فإن ما عثرنا عليه لا يعكس أهمية تذكر بالنسبة لتأريخ الموقع أو المواد الأثرية، لأنه لا يتعدى قطعا نحاسية مكسورة.

ونستخلص مما سبق أننا أمام موقع أثري محصن، قلعة أو حصن، ولا ندري هل اسم "الضاد" هو الاسم الأصلي أو كان يحمل اسما آخر، لأننا لم نجد في النصوص التاريخية إشارة إلى الاسم. وأهم إشكالية تطرح بالنسبة للموقع هي كيف ومتى تم ربطه بالطائفة اليهودية، بعبارة أخرى أننا نخشى أن يكون مصير الموقع الأثري هو نفس مصير المقبرة التي آلت إلى التلف، بعض النظر عن أصولها، وبني فوقها المجمع الديني اليهودي.

J. Goulven, *Les Mellahs de Rabat-Salé*, Paris, 1927 ; Michaux-Bellaire [et al.], *Villes et tribus du Maroc (Casablanca et les Chaouia)*, Paris, 1915 ; Ould Dada, *Settat chef-lieu de la Chaoui*, Settat, 1990.

أحمد أشعبان

**الضّاسر، بلعيد** بن الحسن شاعر فحل قل نظيره بين الشعراء الشعبيين بمنطقة حاحا، والده كان يُقلّد فنانا اسمه الضاسر فأصبح يحمل اسمه.

ولد الشاعر بلعيد بن الحسن سنة 1327 / 1909 بقرية أگزمير (خميس إقبْلين) ناحية اسميمو بإقليم الصويرة، وبعد أن تلقى مبادئ القراءة والكتابة عمل في المجال التجاري، وتزوج حيث رزق ولدين وأربع بنات.

وقد تعاطى قرض الشعر الشعبي الشلحي منذ صغره، وضمن المجموعات الأحواشية تناول في شعره مختلف مواضيع الحياة، وسجل للإذاعة الوطنية المغربية سنة 1956 قصيدة الاستقلال وأخرى بعد مرور بضع سنوات، وسجل قصيدة المعراج يوم 3 / 9 / 83 ثم قصيدة رمضان وأخرى بعنوان الزواج وذلك يوم الأربعاء 5 / 10 / 83 مغتنما بذلك زيارته لأهله وأصدقائه بمدينتي الرباط وسلا وقد بدت عليه حينذاك آثار الإنهاك والتعب وهو في حدود 77 سنة من عمره.

وللشاعر بلعيد الضاسر شهرة في مستوى ما لباقي كبار الشعراء بمنطقة سوس وحاحا لما يمتاز به شعره من جمالية وفن وموضوعية وشمولية.

أحمد امزال العبيري

**ضاكَة، الطاهر**، من أسرة أندلسية رباطية اشتهر فيها بكونه من علماء وقته برز في الرياضيات والفلك، أخذ عن شيخ الرباط في علوم الرياضة والتوقيت والتعديل المعطي مرينو، وكان ناسكا منعزلا عن الناس ملازما لدويرته بدرب أجنين بالجزاء، وظل عازباً لم يتزوج. ومن تلامذته

علي دينية الذي أخذ عنه الحساب والتوقيت، والفقيه محمد ابن أحمد الرغاي، والفقيه التهامي البطاوري. اشتغل ناظراً للزاوية الرحمانية.

وقد توفي في 3 شعبان 1295.

دينية، *مجالس*، ص. 199.

عبد الإله الفاسي

**الضاوي** بن **صالح** (قائد)، ولد بأولاد بوغادي (بني خيران) حوالي سنة 1886. كان من أعيان بني خيران. وظهر طموحه السياسي أثناء مرور الحركة الحفيظية بالمنطقة في توجهها من مراكش نحو فاس، وخاصة أثناء رسوها بعين مازة بيني خيران منذ أواخر 1908. فقدم للسلطان الجديد الدعم المالي (مواشي ـ مؤن ـ أموال) والدعم المعنوي، ولعب إلى جانب قائد السماعلة محمد السربوت دور الوسيط بين المولى عبد الحفيظ وموحى وحمو الزاياني. فنجحا في استقدام "موسى" ابن موحى وحمو، و"العايدي" ابن أخيه، في إشارة لتمهيد الطريق للحركة الحفيظية للعبور نحو مكناس.

وشارك بفرسانه إلى جانب الفرنسيين في العمليات التي قادوها بتادلة والأطلس المتوسط. وحصل على وسام الشرف ووسام صليب الحرب. وعين قائدا على موالين الدندون رسميا في 18 نونبر 1922 موحدا بذلك ثلاث قيادات سابقة (المرسلي ـ بلمقدم ـ خلوق)، وعين الخليفة الشرقي بن محمد خليفة له في 14 أكتوبر 1925. وظل القائد الضاوي يتطلع إلى إزاحة القائد الدرمومي، قائد الكناديز، وتوحيد جميع بني خيران تحت قيادته. إلى أن تمت إقالته من القيادة بعد الاستقلال. وتوفي في أولاد بوغادي سنة 1972.

أحمد بن قاسم بن محمد المنصوري، *كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر*، تح. محمد بن لحسن، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، 1997.

M. et E. Gouvion, *Kitab Aayne Almaghrib Alaqsa*, Alger, 1939 ; *Organisation territoriale du Maroc et commandement indigène*, 1° nov. 1921 - 1 janv. 1937.

صالح شگاگ

**الضاوي، محمد** (سيدي)، ويعرف اختصاراً بسيدي الضاوي، أحد أشهر أولياء مدينة الجديدة، إلى جانب لالة زهرة، وسيدي موسى. وينسبه العارفون إلى رگراگة، مما يفيد أنه من الطارئين على المنطقة. ويمكن أن ندفع بهذا المعطى إلى أبعد من ذلك، ونؤكد الرواية الشفوية التي تقول بأنه جاء من بلده، ونزل في دكالة قصد المرابطة والمساهمة في الجهاد لتحرير البريجة من الاحتلال البرتغالي. بل يفهم من نفس الرواية أنه كان من زعماء الجهاد في زمانه مثل الفقيه العياشي، وسيدي إسماعيل المشترائي. وتضيف الرواية نفسها أنه قاد أتباعه في هجمات عديدة ضد البرتغاليين، وكان سلاحهم المناجل. ولما قدم السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى حصار هذه المدينة، انضم سيدي محمد الضاوي إلى قواته، وشارك، إلى جانب سيدي لغنيمي، ولي سطات، والشيخ أحمد بن موسى ابن ناصر، كبير الطائفة الناصرية في المغرب، وكثير من أولياء المغرب، في طرد البرتغاليين وتحرير البريجة، التي صارت تسمى الجديدة. بل يذكر أن سيدي محمد الضاوي سقط شهيدا يوم هذا الفتح.

وإلى جانب الجهاد، كان سيدي محمد الضاوي فقيها معلما للقرآن وللقراءات، ورجلا متصوفا، له أتباع، يهتدون بهديه، ويتبعون طريقته في التصوف. ولعله كان من أتباع الطريقة الجزولية، مثل غيره من المجاهدين في زمانه. ومازال بعض الناس يحفظون بعض الفقرات من الوظيفة التي كان يرددها سيدي الضاوي مع أتباعه، ومطلعها :

إن لله رجالاً فطنـــا طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنـــا

وهذا يعني أن سيدي الضاوي كان مرابطا في زاوية مع أصحابه، يعلمهم ويهديهم، ويرأسهم في الجهاد. ومن ثم، اكتسب شعبية كبيرة، فقصده العامة بدورهم، لنيل بركته.

ومن الآثار الباقيات، الدالة على ارتباط سكان الجديدة، بهذا الرجل اعتقاد الناس أن التبرك بتراب قبره فيه شفاء للمصابين بالأمراض الجلدية، وخاصة المرض المسمى على لسان العامة بالتالول. كما يؤكد هذا الارتباط بينه وبين السكان، وخصوصا من يجاور ضريحه، تسمية حيهم باسم هذا الولي. ويلاحظ، في نفس الإطار، استمرار ظاهرة مثيرة إلى الآن، وهي حرص أسر المدينة القديمة، وسكان حي سيدي الضاوي بالخصوص، على أن يقوموا بزيارة ضريح هذا الولي بمناسبة حفل ختان أحد أبنائهم. ففي هذه المناسبة يتجه أهل المختون بابنهم في حفل بهيج، فيطوفون حول الضريح من الخارج ثلاث مرات، ثم يطوفون بالداخل في الفناء ثلاث مرات أيضا، قبل القيام بعملية الختان.

بقيت الإشارة إلى أن بعض الناس يعتبرون أن زاوية سيدي محمد الضاوي هي النواة الأولى لمدينة الجديدة التي تكونت خارج السور. وبناء عليه، لاغرو إذا اعتبر من كبار أولياء مدينة الجديدة، مثل للازهرة، وسيدي موسى.

*بحث ميداني، ورواية شفوية محلية.*

أحمد الوارث

**الضاوية، محمد** بن حمادي، ولد سنة 1935 بوادي زم، إقليم خريبگة.

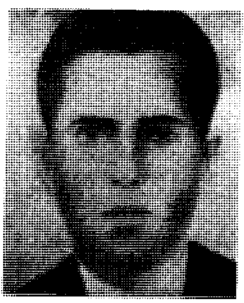

عُرف منذ شبابه بالغيرة الوطنية حيث اختار العمل المسلح ضمن التشكيلة التي يرأسها السيد ممدوح بوشعيب. قام بعدة عمليات ضمن فرقته وشارك في مظاهرة 20 غشت 1955 فكان على رأس المتظاهرين يذكي الحماس فيهم حاملا العلم الوطني وصورة لصاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس.

ووجوده في مقدمة المتظاهرين يوم 20 غشت 1955 عرضه للإصابة بالرصاص الذي كان يطلقه جيش المستعمر فسقط شهيدا في ساحة الشرف.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523505.

**الضاية**، تطلق على التجمع المائي بصرف النظر عن حجمه أو مساحته أو موقعه أو نوعية مائه، نجدها بمختلف أقاليم المغرب بالجبال مثل ضاية "عوة" وبالسهول بغابة المعمورة والشاوية ودكالة مثل ضاية "الفحص" وبالسواحل البحرية مثل ضاية "بوغابة" قرب المهدية. كما لا يراعى في التسمية مساحة التجمع المائي إذ تطلق على مستنقعات وتجمعات مائية موسمية صغيرة بالحوز ودكالة والشاوية، كما تطلق على بحيرات كبيرة نسبيا مثل ضاية "إفراح" وضاية "شيكر". كما لا يراعى فيها نوعية المياه إذ تطلق على مياه عذبة كمياه البحيرات الجبلية والمستنقعات والبرك المتخلفة عن سقوط الأمطار بدكالة والشاوية وغيرها، يستغل القرويون ماءها في الاستهلاك المنزلي والتنظيف. كما تطلق على بحيرة ساحلية مرتفعة الملوحة : 6 ـ 7٪ مثل ضاية بوغابة قرب المهدية.

ويحيط الغموض بأصل الكلمة هل هي عربية أم أمازيغية أم لها مصدر آخر يعود إلى ما قبل الإسلام والتعريب بالمغرب إذ تستعمل بمدلولات متباينة في السهول حيث ساد التعريب في القرون الأخيرة والجبال حيث مازالت اللهجات الأمازيغية منتشرة. وإذا رجعنا إلى القواميس العربية نجد في لسان العرب : ضوا، الضوة، والضوة : الصوت والجلبة. وضوى يضوي ضيا : انضم إليه. والضوي : الضعف والهزال. ولعل أصل الضاية مستمد من الضاوية أي الضاية، وحذف المغاربة الواو في الاستعمال الدارج.

والواقع أن هناك تسميات عديدة تطلق على التجمعات المائية بالمغرب سواء الدائمة أو المؤقتة، منها ما هو دقيق نسبيا وما هو ليس كذلك، ومنها ما يسود في الجبال دون السهول أو العكس. ومنها المستمد من اللغة العربية أو اللهجات الأمازيغية، وهي :

- أگلمان ج. أگلميم : كلمة أمازيغية قديمة، تطلق على عدد من البحيرات بالجبال بصيغة الجمع مع تحويل كسرة الهمزة إلى فتحة مثل : أگلمان أزگزة وأگلمان سيدي علي، بل امتدت حتى إلى مشارف الصحراء مثل مدينة أگلميم بجنوب سوس، ويبقى الاسم حتى وإن جفت المياه واختفى مدلولها الأصلي.
- تامدا : اسم بحيرات جبلية صغيرة بالأطلس الكبير.
- إيفرض : تطلق على برك مؤقتة وبحيرات صغيرة غير عميقة بالجبال، كما تطلق على بحيرات اصطناعية تكونت وراء حواجز تقليدية على سيول بالمناطق الجبلية، وأحيانا على صهاريج لجمع مياه العيون.
- مرجة : تطلق على مستنقعات مؤقتة بالسهول خاصة بالغرب، وهي مرادفة لكلمة "ضاية" بقسم من دكالة. كما تطلق على بحيرات ساحلية مالحة مثل "المرجة الزرقاء".
- گلتة : تطلق على تجمعات مائية مؤقتة غالبا بمناطق عديدة بالمغرب كالحوز ودكالة بل حتى بالصحراء مثل : گلتة زمور، ويبقى الاسم حتى بعد اختفاء المدلول بتغير الظروف الطبيعية والمناخية.
- سبخة : تطلق على مستنقعات مؤقتة بالمناطق الجافة المستوية غالبا، وترتبط مياهها بالملوحة سواء من تربة قعرها أو مما تحمله المياه في جريانها. فعندما تجف المياه في الفصل الحار تخلف طبقة سطحية من أملاح بيضاء، وهي كلمة واسعة الانتشار خاصة في المناطق الجافة والصحراوية، لكننا نجدها تطلق على بحيرة ساحلية مالحة كبيرة مثل : سبخة بوعرگ قرب الناظور مساحتها 115 كلم$^2$، ويصل عمقها إلى 8 م.
- شط : تستعمل بالمغرب الشرقي والجزائر بنفس مدلول كلمة "سبخة".
- نقع : كلمة عربية تدل على مستنقعات صغيرة مؤقتة وهي قليلة الانتشار بالمغرب.
- بركة : كلمة عربية تطلق على تجمعات مائية مؤقتة صغيرة بالسهول الساحلية، تستعمل أحيانا كمرادف للضاية.
- غدير : كلمة عربية تطلق على تجمع مائي صغير مؤقت وأحيانا دائم، تستعمل بأقاليم عديدة مثل : الحوز والرحامنة ودكالة...
- وهناك بحيرات جبلية عديدة يعرفها السكان المحليون باسمها الخاص دون ذكر اسم نكرة يدل على تجمع مائي مثل : تامدا وإيسلي وتيسليت بالأطلس الكبير الأوسط وإيفني وهي بحيرة صغيرة عميقة جنوب جبل توبقال. وأحيانا يسبق الاسم بكلمة "أمان" أي مياه. وأحيانا يطلق على التجمع المائي اسم نكرة دون تسمية خاصة مثل "تامدا"، لأنها منفردة بمنطقتها الجبلية.

والواقع أن جل هذه التسميات غير دقيقة في مدلولها اللهم دلالتها على تجمع مائي، فهي ما زالت في حاجة إلى دراسة علمية ممنهجة لتحديد مدلولاتها وظروف تكوينها ودورها في التوازن البيئي. وهذا ما دفع الجغرافيين المغاربة الجدد إلى ربط التسمية المحلية للتجمع المائي مع الاسم الخاص له كاسم علم مركب مسبوق بكلمة "بحيرة" التي هي مصطلح جغرافي يقابل الكلمة الفرنسية Lac، التي تدل على تجمع مائي صغير دائم كليا أو جزئيا، إذ تتأثر بكمية التساقطات المطرية السنوية، تحيط به الأرض من كل

الجهات، وهو تصغير كلمة بحر، فيقولون بحيرة ضاية عوة وبحيرة أكلمان أزگزا وبحيرة المرجة الزرگة. كما تطلق الكلمة على أغلب التجمعات المائية المهمة حتى وإن كانت اصطناعية مثل بحيرات السدود أو ساحلية مثل بحيرة الوالدية وبحيرة ضاية بوغابة. أما التجمعات المائية المؤقتة المنتشرة على السطوح المسوّاة نسبيا وغير العميقة مثل الضايات والمرجات والبرك والنقع والغدير والگلتة والسبخة.... فتعرف كلها بمصطلح جغرافي حديث هو "مستنقعات" وهي ترجمة للكلمة الفرنسية Marécage.

تقوم الضايات وغيرها من تجمعات مائية بأدوار إيكولوجية واقتصادية واجتماعية مهمة، ارتبطت بها حياة كثير من التجمعات السكانية منذ القديم. تزود المواشي بمياه الشرب وأحيانا السكان كذلك، وتحافظ على استمرار كائنات حية عديدة منها ما هو خاص بها، من نباتات وطحالب وفطريات وأسماك وضفادع وسحالي وطيور... كما يكون بعضها محطات عالمية للطيور المهاجرة من أوربا نحو إفريقيا أو العكس، إذ تعد من المعالم التي تهتدي بها في طريقها، وتمكث بها بضعة أيام أو أسابيع للاستراحة وللتغذية.

كتب جغرافية متنوعة ودراسات جغرافية بمجلات متخصصة وبحوث ميدانية.

أحمد هوزلي

**الضب**، كما هو في اللغة وفي الدارج يجمع على ضُبّان وضباب، جنس حيوان من الزواحف Reptilia ومن رتبة العظاء Squamates وفصيلة الحبينات Agamidae. يشتمل على 12 نوعا تعيش كلها في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية الجافة الإفريقية والأسيوية وتتحمل حرارة مرتفعة تتعدى أحيانا 50 C°. نوع واحد منها يألف المناطق الجنوبية المغربية يسمى علميا Uromastix acanthinurus belle, 1825 وبالفرنسية Fouette queue du Sahara و Lézard de palmiers وبالإنجليزية Dhub و Thorn tailed Agama و Dabb-lizards وبالأمازيغية أگوتاي ج. إگوتاين، أگوجيم - ج. إگوجيمن، أمگاشو - ج. ئمگاشاون، أگزرام وأگيزام وأحردان.

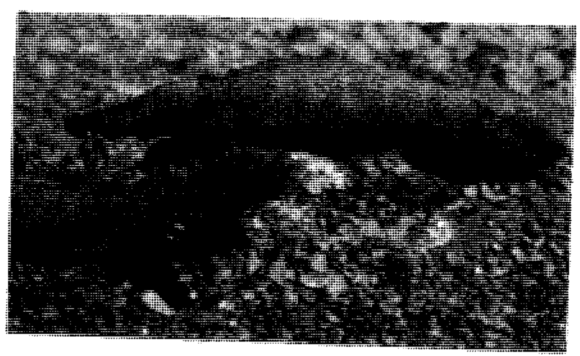

يتميز الضب بجسم غليظ متجعد ومسطح، يبلغ طول الكبار جمعا بين الجذع والذنب 42 سم، الرأس دائري ومسطح لا يتعدى طوله 7 سم، الذنب عريض وقصير نسبيا يصل طوله إلى 17 سم ويحمل عدة حلقات متراكبة مشوكة خشنة، القوائم قصيرة وقوية، الحراشف الظهرية متراكبة وأصغر من الحراشف البطنية. لونه أسمر أشهب في الظل، يميل إلى الصفرة خلال النهار فيختلط مع ألوان الرمال أو الأتربة المحاطة به. يتغير لونه حسب التربة والحرارة، يقضي الليل والأيام الباردة في جحور يبلغ طولها 80 - 300 سم وبين شقوق الصخور ويستأنف نشاطه نهاراً بعد ارتفاع الحرارة. يأخذ مكانه غالبا فوق صخرة مسطحة مرتفعة ويمدد رأسه عاليا ليتمكن من مراقبة كل ما يحيط به، يخشى الحرارة المفرطة فيلتجئ إلى الظل. يشتي طيلة فصل البرودة وينشط ما بين مارس وأكتوبر. يقاوم أعداءه بتحريك جانبي سريع لذنبه ؛ فمه خال من الأسنان والسم. يعيش منعزلا أو مزدوجا في أغلب الأحيان.

حيوان بيوض عاشب، موجود في عدة مناطق بجنوب المغرب وشرقه في عوينة تورقوز وزاكورا ووارززات وفكيك وأرفود والرصاني والطوز والرشيدية وهضاب حمادة وطانطان والعيون والسمارة وكرسيف وتاوريرت. مهدد بالانقراض في عدة مناطق بجنوب المغرب لكثرة مضايقته من طرف الإنسان الذي يتغذى من ذنبه الغني بالدهنيات أو يحنطه للتزيين المنزلي كما يستعمله في الطب التقليدي وفي عالم السحر فنجد عدة نماذج مجففة عند بائعي الأعشاب. يصعب تدجينه في أغلب الأحيان لأنه يمتنع عن الأكل فيموت.

يتوالد في الصيف - يونيو - ويوليوز - وتضع الإناث بداخل التراب 5 - 20 بيضة بيضاء شبيهة بثمرة النخيل في شكلها، يبلغ قطرها الكبير 3,5 سم وقطرها الصغير 2 سم، تخرج الصغار بعد 6 - 8 أسابيع وتتغذى من النمل وحشرات صغيرة أخرى ومن أوراق الأعشاب ثم تصير عاشبة مع تقدم السن.

حيوان محمي في كل من المنتزه الوطني لإريقي الواقع بين وادي درعة والمنحدر الجنوبي للأطلس الصغير، والمنتزه الوطني لدرعة السفلى وهو حزام ممتد بين جبل باني وجبل واركزيز، والمنتزه الوطني للداخلة.

م. رمضاني، بوبريص، *معلمة المغرب*، الجزء 5، ص. 1627 - 1628؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان - الطبعة الثالثة، 1988 ؛ المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة ، 1932.

J. Bons, *Les lacertiens du sud-ouest marocain : systématique, réparition géographique, éthiologie, écologie, Trav. Inst. Sci. Chérif., Zoologie*, 18 , 1959.

**الضبع**، كما هو في الدارج واللغة، والضبع المخطط وعرفاء والذيخ والذيحة والضاحك كما هو في المعاجم، حيوان ثديي لاحم من الضواري Carnivore ومن فصيلة الضباع Hyaenidae. يسمى علميا Hyaena hyaena Linnaeus 1758 وبالأمازيغية إيفيس وئفيس وأريدال وتورسرا وبالفرنسية

Hyène rayée وبالإنجليزية Striped hyaena. يتميز بقامة كبيرة وبقوائم خلفية أقصر بكثير من الأمامية مما أدى إلى انحناء الظهر نحو الخلف. هيأته شبيهة بالكلاب، رأسه كبير وعنقه ضخم ؛ أذناه مثلثتان وبارزتان. شعره غزير طويل وخشن. تمتد على طول العمود الفقري من العنق إلى الذيل خصلة من الشعر الطويل الخشن تنتصب في حالة الغضب ؛ لونه رمادي إلى أمغر شاحب مع خطوط مستعرضة سوداء على الظهر والجانبين والقوائم. العنق أسود عموما ؛ شعر الذيل كثيف جدا وطويل، موحد اللون أو مخطط بالأسود. الفكان قويان يحملان أسنانا صيغتها على نضف الفكين كالآتي :

3 / 3 قواضم ؛ 1 / 1 أنياب ؛ 3 / 4 أضراس أمامية ؛ 1 / 1 أضراس = 34 سنا.

علوه عند الغارب 65 ـ 80 سم وطوله جمعا بين الرأس والجسد 100 ـ 120 سم وطول الذيل 25 ـ 35 سم. يعيش منعزلا أو مزدوجا ويختفي نهارا في المغاور وبين الصخور ليستأنف نشاطه ليلا باحثا عن مختلف الحيوانات الصغيرة والجثث والعظام ليسحقها بفكيه القويين. وينسب إليه في بعض المناطق المغربية أنه يحفر المقابر ليأكل عظام الجثث كما ينسب إليه أيضا أنه يهجم أحيانا على قطيع الغنم. مازالت بعض الفئات البدوية في شمال إفريقيا تؤمن بمنفعة مخ الضبع في عالم السحر. يتوالد في فصل الربيع وتدوم مدة الحمل حوالي 110 أيام وعدد جرائه 1 ـ 4، توضع في الغيران والكهوف وترافق الأم بعد ستة أسابيع.

موطنه الأصل إفريقيا الشمالية والمناطق الصحراوية الإفريقية والشرق الأوسط والجزيرة العربية والهند. وصار نادرا في المناطق المغاربية ابتداء من منتصف القرن العشرين روضي المغرب منه عدة وحدات في شرق البلاد والأطلس الكبير والمناطق الصحراوية جنوب الأطلس الصغير. وانقرض في كل من الأطلس المتوسط والهضاب الوسطى.

ويعد من الحيوانات المهددة بالانقراض في المغرب ويحتاج إلى دراسة دقيقة تهدف إلى حمايته في أماكن آمنة. وتعيش عدة أفراد في الحدائق الحيوانية العمومية الوطنية والأجنبية.

J. Dorst et P. Dandelot, *Guide des grands mammifères d'Afrique*, *Les guides du naturalistes*, Délachaux et Niestlé, Neuchatel, Paris, 1973 ; S. Aulagnier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*. *Trav. Inst. Scient., Zool.*, n° 41, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

**الضُبْلُونْ،** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Doblón وهو اسم عُملة إسبانية قديمة.

**الضبلون، الحاج عبد القادر** مثري كانت له تجارة مع بعض أقطار أوروبا وخاصة انجلترا، وفي شهر رمضان 1104 (ماي 1693) ؛ كان القائد علي بن عبد الله الحمامي ينوي إرساله سفيراً للسلطان مولاي إسماعيل إلى فرنسا.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1132.

محمد ابن عزوز حكيم

**الضّحّاكي، الحمزاوي** هو محمد الضّحّاكي نسبة إلى دوّار الضّحّاك، على مشارف ـ ميْرلفْتْ ـ وهو من شرفاء آل سيدي محند بن يوسف الوزاني، نقلت عن تلميذه وابن عمه سيدي إبراهيم ـ نْدْ زَاعْبُونْ ـ سنة 1980 مانصه "حدث لوالد مترجمنا هذا مشكل مع القبيلة، لذلك خافت زوجته على طفلها هذا، فهربت به عند أهلها بأيْت جرار، ولم ترجع به إلا بعد مدة، ولهذا ينعته البعض بالجراري في صغره".

وقد أطلعني سيدي إبراهيم هذا على مجموعة من الرسائل إلى مترجمنا، وتنعته دائما الشريف البركة الحمزاوي الصالح ... قال عنه صاحب *المعسول* : "تخرج بأحمد بن محمد الماسّي... ثم أقبل في مدارس بعمرانة إلى التخريج في الفنّ، وكان ينعزل عن غير تلاميذه، آية في حب الوحدة، وكان من الصالحين المعتقدين" في رجالات العلم العربي في سوس، ص. 227.

وقد عدّه صاحب *المعسول* كذلك من القراء الكبار، وقال : "وفنّ القراءات وإتقانه والقيام عليه من الفنون السوسية التي كانت سايرت عصرهم العلمي من قديم، وهو فنّ شريف مؤسس على قواعد علمية تدرّس بمؤلفات الشاطبي، وابن الجزري، وابن برّي والخرّاز وأمثالهم، وللسوسيين أيضاً مؤلفات في الموضوع... كشارح مورد الظمآن، وشارح مؤلف الخراز، وشرح الدرر اللوامع في قراءة نافع... ومن أشهر القراء بسوس أعجْلي، وأحمد أنجّار الباعمراني، ومحمد الضّحّاكي الباعمراني هذا من قبيلة أيْت إخْلْف (سوس *العالمة*، ص. 32 ـ 33).

ومما جاء في كتاب المدارس العلمية العتيقة بسوس للمتوكل عمر الساحلي ص. 332 قوله : "المقرئ الشهير سيدي محمد ـ أُ ضَحَّاكْ ـ الباعمراني ... الذي نعته الأديب

لحسن البونعماني بخطة "الأستاذ الكبير الشريف - أو ضَحَّاكْ - رحمه الله ورضي عنه" من غلاف الرحلة العبدرية. ومن أهم الصدف أن المتوكل هذا وجدني بميرلفت استجوب سيدي إبراهيم - نْدْ زاعبون - قصد استكمال ما نقلته عنه سابقا في السنة الماضية 1980، فصرنا معا نسجل ما يقوله إبراهيم هذا الذي توفي في 11 يناير 1987 ومما استفدته عنه هذه المرة عن مترجمنا قوله : "إنه عمّي وشيخي وهو محمد بن عبد الله بن عبد الله مكرراً بن أحمد بن محمد بن حميدة ولد في موضع الضحاك وتوفي سنة 1327. ونفسه عند المتوكل. وللضّحّاكي عدد مطمٌ ممن حفظ عنه القراءات السبع، وأسجل هنا أنّني رأيْت مصحفاً بخطّ الضّحّاكي برواية حمزة عند شيخنا سيدي الحسين بن أمغار بمدرسة بُوگارْفا

توفي سنة 1327.

محمد المختار السوسي، *سوس العالمة*، ص. 33 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس* له، ص. 227 ؛ *المدارس العلمية العتيقة بسوس*، ج 3، ص. 332 ؛ جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*.

الحسين جهادي

**الضرباني، محمد** البيضاوي. رجل عصامي لا تعرف مراحل نشأته الأولى، وإنما يعرف أولاً كموظف بالبنك الجزائري بالدار البيضاء الذي كان الاب جيكو (ابن الحسن) أحد المسؤولين فيه، وكان الضرباني رياضياً يلعب كرة القدم إلى جانبه في فرقة "ليوسا" كحارس للمرمى معروفاً بالفقيه، الأمر الذي يدل على أنه كانت له مسكة من علم.

انخرط الفقيه الضرباني بعد ذلك في سلك التعليم وأسس مدرسة حرة في إحدى الدور التقليدية القديمة المجاورة لمقبرة سيدي مبارك بحي باب مراكش بالدار البيضاء سماها "المدرسة السنية"، تولى التدريس فيها معلمون كفاة فلقيت إقبالاً كبيراً من سكان الأحياء المجاورة، وتخرج منها تلاميذ نجباء، تابع بعضهم دراسته وشغلوا مناصب إدارية رفيعة. ونشط الفقيه الضرباني - إلى جانب التعليم - في الحركة القومية، ولقي من مضايقات السلطات الاستعمارية ما لقيه غيره من الوطنيين المكافحين.

وفي غمرة حركة التوسع والتجديد التي عرفتها المدارس الحرة برعاية محمد الخامس، سعى الضرباني في تحويل تلك المقبرة المندثرة مع بقعة فارغة مجاورة لها إلى مدرسة بعد جهد جهيد، وتحقق حلم الفقيه الضرباني بتطوير التعليم في المدرسة السنية الجديدة تبعاً للبرنامج الذي وضعته مندوبية المعارف بالقصر الملكي. وقد أصبحت المدرسة السبتية الجديدة بدرب دار المولودي حي باب مراكش معهدين متجاورين : المعهد المحمدي للأولاد ومعهد الأميرة للاعائشة للبنات.

مات الفقيه الضرباني قرير العين في 19 صفر عام 1387 / 29 ماي 1967 بعد أن ترك ابنه حميداً خلفا له في تسيير المعهدين، ثم توفي حميد الضرباني سنة 1416 / 1996.

أ. زياد، *دفتر أيام في الدار البيضاء* ؛ *روايات شفوية*، عن الأستاذ إدريس الفاسي.

محمد حجي

أبو **ضربة، محمد** بن إدريس بن عبد الحق المريني، كان والده إدريس أكبر أولاد عبد الحق جد بني مرين والذي قتل معه في حرب بني مرين عرب رياح سنة 614 / 1217. وكان لإدريس هذا عدة أولاد من بينهم محمد الذي ولد سنة 608 / 1211. شارك إلى جانب أعمامه في محاربة الموحدين، ففي سنة 638 / 1241 عندما خرج الأمير المريني أبو معرف محمد بن عبد الحق إلى ضواحي مكناسة لمواجهة الخليفة الموحدي الرشيد خرج إليهم الأمير محمد بن إدريس وبارز قائدهم ابن وانودين وهزمه، كما تمكن من قتل قائد الروم في الجيش الموحدي الملقب بأبي ضربة النصراني. وقد استطاع هذا الأخير قبل مقتله أن يصيب قاتله الأمير محمد بن إدريس بجرح عميق في مقدم رأسه وجبهته، وعندما اندمل جرحه ترك في وجهه أثرا لقب من أجله بأبي ضربة.

بعد هذه الواقعة لم نعد نسمع شيئاً عن أخبار الامير المريني إلا بعد سنة 660 / 1262 عندما ركز المؤرخون على دوره في مساندة تمرد ابن عمه يعقوب بن عبد الله على السلطان يعقوب بن عبد الحق ثم في ثورته هو على عمه السلطان بقصر كتامة. وأمام خطورة هذه الثورة وما يمكن أن ينتج عنها من صراع دموي بين أولاد وحفدة عبد الحق بهدف السيطرة على الحكم، قرر السلطان المريني سنة 662 / 1264 نفي أولاد أخيه إدريس كأبي ضربة محمد بن إدريس وأخيه أبي فارس عامر بن إدريس والحاج المجاهد التاهرتي على رأس طائفة من المجاهدين والمتطوعين المغاربة لمحاربة النصارى بالأندلس وكان أول جيش عبر إلى الأندلس من بني مرين. ومع ذلك استمر أبو ضربة في التشغيب على عمه ومعاداته إذ حاول من جديد إعلان الثورة عليه سنة 663 / 1265 بقصر عبد الكريم، فاضطر عمه أن يرسل إليه أحد أولاده وهو الأمير أبو مالك عبد الواحد الذي حاصره في معقله أياما ثم عفا عنه وأمنه وذلك لما بينهما من قرابة.

وفي سنة 669 / 1271 أخذ السلطان يعقوب البيعة لولده عبد الواحد برباط الفتح. فكانت الشرارة التي أشعلت نار الفتنة بين أولاد إدريس بن عبد الحق والسلطان يعقوب بن عبد الحق فأعلن أبو ضربة الثورة على عمه معتبراً أباه إدريس وأولاده من بعده أحق بالملك من أبناء عبد الحق وأن يعقوب وأولاده مغتصبين له فرفضوا بيعة ولده عبد الواحد. وقد اعتصم أبو ضربة ومن معه بجبل أمرگو في أحواز فاس (أو جبل علودان من جبال غمارة) ثم خرج إليهم السلطان وولداه عبد الواحد ويوسف فحاصروهم بالجبل ثلاثة أيام. وبعدما اشتد الحصار عليهم استسلموا وطلبوا العفو فعفا عنهم وأمرهم بأن يخرجوا من بلاده إلى تلسمان التي نزلوا بها مدة ثم انتقلوا منها إلى الأندلس.

وبعد وفاة السلطان يعقوب سنة 685 / 1286 بالجزيرة الخضراء بويع ولده يوسف بالخلافة ثم رجع إلى دار ملكه بفاس، وعند استقراره بها عاد الحنين بأبي ضربة إلى الثورة من جديد على ابن عمه يوسف في جماعة من بنيه وإخوته، فتحصن بجبال ورغة من أحواز فاس ودعا لنفسه وانضم إليه أحد أولاد السلطان يعقوب وهو أبو معرف محمد واعلنوا جميعا مخالفتهم للسلطان الجديد بما اضطر معه هذا الأخير إلى مواجهة الموقف بكل حزم وصرامة فحارب المخالفين إلى أن تفرقت جموعهم. فرجع أبو معرف إلى طاعة أخيه بينما فر أبو ضربة وبنوه إلى تلمسان. فاعتقلوا في الطريق ونقلوا إلى رباط تازا. وبعد ذلك بعث السلطان يوسف أخاه أبا زيان لقتلهم فقتلوا جميعا وأبو ضربة من بينهم خارج باب الشريعة من رباط تازا وذلك في شهر رجب من سنة 685 / 1286.

ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، قسم الموحدين، تح. مجموعة من الأساتذة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ودار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص. 355 . 425 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 47 . 60 . 97 . 98 . 109 . 125 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، دا المنصور، الرباط، 1973، ص. 308 . 377 . 404 ؛ ابن خلدون، *العبر*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 351 . 367 . 368 . 377 . 437 . 763 . 764 ؛ الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج. 3، ص. 10 . 23 . 67.

رشيد السلامي

**الضريبة**، أصلا ما كان العبد يؤديه إلى سيده من الخراج المقرر عليه، وتجمع على ضرائب. ومن ذلك ضرائب الأرضين، وهي وظائف الخراج عليها. ثم اتسع المعنى حتى صار يفيد كل الجبايات التي يؤديها الفرد إلى صاحب السلطان في الجماعة طوعا أو كرها. وحيث إن شؤون السلطان انتظمت في المغرب منذ أقدم العصور، فإن نظام الضرائب أبعد في القدم من أن يوقف على جذوره بكل دقة. وكانت بعض أشكاله معمولا بها في الممالك الأمازيغية، إما من باب الفريضة لصاحب الغلبة، وإما من باب التعاضد مثل التويزة التي هي مساعدة أفراد الجماعة للمعوزين أو العاجزين من إخوانهم، هذا فضلا عما فرضه الرومان من الضرائب أيام استعمارهم.

ثم انتشر الإسلام، وانتشرت لغة القرآن، فصار ما يجبى لبيت مال المسلمين منقسما، كما هو الحال في كل الملل وفي كل النحل، إلى قسمين : قسم يؤديه الناس عن إيمان وطواعية، وتلك هي الصدقات الواجبة على المسلم والمنصوص على مقاصدها في قوله تعالى : "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم" (*التوبة*، 60). وقسم آخر يؤدى جبرا وقهرا على من ليس من الملة كالجزية على اليهود والنصارى، أو كالخراج على الأراضي المنتزعة عنوة. ولما صارت الدولة الإسلامية إلى التضخم مع مرّ السنين، فإن جوانب الإكراه في تطعيم حاجيات بيت المال المتفاقمة أضحت هي المهيمنة، فصارت الصدقات فريضة، وصارت الفريضة معونة والمعونة وظيفة والوظائف لوازم واللوازم مغارم والمغارم وزائع والوزائع ضرائب. وأول إشارة بلفظ الضريبة في المغرب العربي، نقف عليها عند ابن حوقل وهو يتكلم عن مكان بأحواز طرابلس الغرب فقال : "وبه ضريبة على القوافل وقتنا هذا" (ص. 71)، مما يدل على قدم المصطلح في مجالنا، وإن كنا نجهل كيفية تسربه إلى المغرب الأقصى ومتى حصل ذلك بالضبط. وحيث مازلنا نفتقر لبحث جامع عن تاريخ الضرائب عندنا، فإن المعلومات بشأنه قليلة متناثرة. ولا شك أن الدولة الموحدية هي التي اجتهدت لإرساء بعض الثوابت، إذ أمر عبد المؤمن بن علي بمسح الأراضي، وفرض الخراج عليها بصفة كونها ملكا للدولة، فلا عبرة بإسلام أصحابها. ثم قامت الدولة السعدية، ففرضت "النائبة" على القبائل ضريبة على الأشخاص. كما أن هذه الدولة فتحت أبواب التجارة مع الأوربيين لتجني من ذلك أموالا يحتجنها بيت المال السلطاني دون سواه، بما كان يفرض على المباولات مع النصارى من الرسوم في الصدور والورود، وذلك من حقوق السلطان في الشريعة. وهذا النظام هو الذي عملت به الدولة العلوية منذ قيامها في منتصف القرن السابع عشر إلى أن فرضت الحماية الأجنبية عليها سنة 1912. وقد وصفه ميشو بيلير بكل تفصيل، مبينا أنه كان قائما على الزكوات والأعشار الشرعية، وعلى مجموعة من الفرائض والمغارم مثل هذايا الأعياد ومونة "الحركات" المخزنية والذعائر التي تلزم بها القبائل المشاغبة، هذا فيما يرجع لما يسمى اليوم بالضرائب المباشرة. أما بخصوص الضرائب غير المباشرة، فقد تعزز جانبها بما تكاثر من مخالطة تجار أوربا وتفاقم من ارتيادهم للموانئ المغربية والأسواق الداخلية، فكثرت المكوس وتعددت الرسوم الجمركية، وسعى الأوربيون بكل حرص في إرساء ضوابط كل ذلك في معاهدات حالت شيئا فشيئا بين السلطان وبين أن يتصرف بها بمحض إرادته كما

كان يفعل سابقا، من ذلك المعاهدة المغربية الإنجليزية لسنة 1856، والمعاهدة المغربية الألمانية لسنة 1890، والمعاهدة المغربية الفرنسية لسنة 1895. بل كان من مضاعفات تغلغل المستثمرين الأوربيين يومئذ في البلاد أن وجدت الدولة المغربية المسلمة نفسها مضطرة إما إلى جباية الزكوات والأعشار حتى من غير المسلمين، وإما إلى التصرف بما أرسته الشريعة ليعم أبناء الملة ومن جاء يزاحمهم في استغلال الأرض المغربية. وحاولت الدولة التخلص من هذه المفارقة بسن نظام "الترتيب" سنة 1881 الذي قضى بالمساواة بين الملزمين بالزكاة وبالعشر، وبين الشريف والمشروف، أو بين المسلم وغير المسلم على ترتيبات معينة وشروط عامة مضبوطة. لكن السلطان المولى حسن سرعان ما عدل عن هذا المشروع، لما أدرك من منافاته لروح الشريعة ولما ظهر فيه عند محاولة تنفيذه من التحجير على الراعي والرعية. حتى إذا آلت الأمور إلى خلفه المولى عبد العزيز، واشتد التكالب الاستعماري على البلاد، ظن هذا السلطان الذي لم يكن بعد قد جرب الأمور أن إصلاح شؤون الضريبة قد يخفف من متاعب الدولة. فأمر بإلغاء النظام الشرعي القديم وبالعمل بنظام "الترتيب". فانقطعت أسباب الجباية بالمرة، وعمت الفتنة في خضم مناورات الأجانب لفتح أبواب السوق المغربية على مصارعها. واجتمعت الدول الكبرى في مؤتمر الخزيرات سنة 1906، وخرجت منه بطلائع نظام جبائي جديد ألزمت به المغرب، قوامه ضريبة على المنتجات الفلاحية، احتفظ لها باسم "الترتيب" يؤديها كل من يفلح الأرض بغض النظر عن ملته ونحلته. ثم إنهم أضافوا إلى الأعشار الجمركية على الواردات رسما يساوي 2,5٪، رصدت مبالغه لإصلاح شؤون الموانئ. هذا فضلا عن صاكة البتغ التي استقر العمل بها سنة 1908.

بيد أن الحماية الفرنسية الإسبانية التي فرضت على البلاد سنة 1912 بادرت إلى تجاوز كل ذلك، وأقامت بالتدريج نظاما ضرائبيا مقتبسا من الأعراف الأوربية، جاعلة النظام القديم في خبر كان. فالضرائب إما مباشرة وإما غير مباشرة. والضرائب المباشرة إما موضوعية وإما ذاتية. أما الموضوعية فمنها "الترتيب" ضريبة على الأرض كانت هي عقد القوس، وقد انتظمت قواعدها بصفة نهائية بظهير 11 مارس 1915. ومنها الضريبة الحضرية المفروضة على الممتلكات العقارية داخل الحواضر، وتقررت بظهير 24 يوليوز 1918. ومنها الضريبة على ممارسة المهن الحرة، وهي البطانطة، ومقتضياتها في ظهير 9 أكتوبر 1920. يضاف إلى ذلك الاقتطاع من الأجور الذي تقرر بظهير 30 أكتوبر 1939، والتكملة على البطانطة المقرر بظهير 12 أبريل 1941، والذي يعتبر أول محاولة لفرض الضريبة على المعاملات التجارية مهما كان نوعها، اعتمادا على مستوياتها بالأرقام. ومن الضرائب الذاتية، ففي البوادي "السخرة" على البالغين من المغاربة يشتغلون لصالح الدولة عددا من الأيام مجانا، وفي المدن الضريبة على السكن. أما الضرائب غير المباشرة فمنها ضرائب على رواج السلع والبضائع، وفيها أخرى على مواد الاستهلاك، وثالثة على تسجيل الرسوم وحقوق التنبر. وإذا ما استثنينا حقوق التسجيل والتنبر، فكل الضرائب غير المباشرة الأخرى كان معمولا بها في المغرب، مثل الرسوم الجمركية ومثل أشكال المكوس المتعددة على نقل البضائع وعبورها للمدن وحقوق الميزان والقاعة والرحبة. إلا أن الحماية الأجنبية أدخلت كل ذلك في قالب رتيب، وقسمت المداخيل بين ما يرجع إلى الصندوق العام لخزينة الدولة وبين ما تصرفه البلديات المحدثة بظهير 1917، مضيفة إلى المواد الممكّسة بيع الخمور التي كثرت بتكاثر النصارى في البلاد، ومواد المتفجرات المستعملة في الحفر والمقالع، وأيضا ضريبة النقل الذي اشتد برا وبحرا وجوا. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن النظام الضرائبي المغربي انقلب رأسا على عقب فيما بين 1912 و1956، ذلك بأن الضريبة التي كانت تعتبر سابقا وسيلة تستعين بها الدولة على أداء وظائفها المنحصرة أصلا في الذود عن الحمى وحفظ الرعية في نفسها وأعراضها وأموالها، تحولت إلى وسيلة سياسية واقتصادية سخرتها السلطات الاستعمارية في تجهيز المغرب بالتجهيزات الأساسية وفي إلحاقه بالأسواق العالمية. وغني عن البيان أن العبء الأكبر من تلك الضرائب كان يقع على كاهل المغاربة، ولا تؤدي الجالية الأوربية منه إلا بقدر ما كانت تستفيد. كما أن سكان البوادي كانوا يؤدون أكثر مما يؤديه سكان المدن. وكان يجبى من الضرائب غير المباشرة الواقعة على السواد الأعظم من السكان أكثر مما يجبى من الضرائب المباشرة الواقعة على الأقلية المستثمرة. بيد أن هذا الحيف في التوزيع كان دليلا على طبيعة البنية الاقتصادية المغربية عند منتصف القرن العشرين، ذلك بأن أساس الدخل العمومي فيها كان من الفلاحة التي منها رزق أزيد من ثلاثة أرباع المغاربة، وما عدا الفلاحة فكان بيد الأجانب في الغالب.

ولذلك، ما أن استرجع المغرب استقلاله حتى صارت الحكومات المتعاقبة تسعى جادة في فك هذه التناقضات وفي النهوض بالاقتصاد نحو الموازنة بين القطاعات والعدالة بين الطبقات الاجتماعية. ومن المبادرات المثيرة في هذا الصدد إلغاء ضريبة "الترتيب" في يونيو 1961، بعد أن تبين أن إعفاء الطبقات الفلاحية الدنيا منها يجعل ريعها دون تكاليف جبايتها. وذهب الحال بالدولة، في مطلع الثمانينات، إلى حد إعفاء الإنتاج الفلاحي جملة وتفصيلا من الضريبة رأفة بالسواد الأعظم من الأمة وتشجيعا لهم على الإنتاج والاستثمار لسد حاجيات ساكنة متزايدة في بلد متقلب المناخ. ولم تقدم الدولة على ذلك القرار إلا لإدراكها لما طرأ من التحول على بنية الإنتاج الوطني، الذي أصبحت الفلاحة فيه في العقد الأخير من القرن العشرين لا تحتل أكثر من 15٪ من الدخل القومي، فكان لا بأس بأن يقع العبء الضريبي على باقي القطاعات وعلى دخل الأفراد

والجماعات بصفة عامة بغض النظر عن نوعه. وهكذا، فإن الضرائب المعتمدة في المغرب في مطلع القرن الواحد والعشرين هي كما يلي :

- ضريبة على الدخل العام الواجبة على الأشخاص بالذات وعلى الشركات، ومن ذلك الأجور والمرتبات على اختلاف أصنافها والمعاشات، ومنها الأرباح المهنية، تجارية كانت أم صناعية أم حرفية، وأرباح المهن الحرة، وفوائد المضاربات العقارية. ومنها فوائد الرساميل المنقولة، كريع الأسهم والسندات وما إلى ذلك من وجوه المعاملات المالية. ومنها فوائد الإنتاج الفلاحي، علما بأنها معفية من الضريبة إلى حدود سنة 2010.

- ضريبة البطانطة المفروضة على الأشخاص بالمعنى أو بالذات، سواء كانوا مغاربة أم أجانب، يمتهنون مهنتهم أو يحترفون حرفة أو يشتغلون بالتجارة. على أن 90٪ من ريع هذه الضريبة يمول نفقات البلديات والجماعات المحلية، ويدخل الباقي صندوق الدولة المركزي. ويضاف إلى البطانطة أعشار وسنتيمات تمول غرف التجارة والصناعة والصيد البحري وتعاضديات الحرف اليدوية.

- الضريبة الحضرية المفروضة على كل مبني من العقار سواء كان يسكنه صاحبه أم لا، أم كان في متناول أقاربه ولو بالمجان، وكذلك كل مبني مهني أو استغلالي وما يوجد فيه من أدوات الإنتاج ومختلف الآلات، وأيضا الأراضي العارية إذا كانت تستغل بأي وجه من وجوه الاستغلال، شريطة أن يكون كل ذلك داخل المدار الحضري وفي أحوازه المحددة.

- ضريبة النظافة، وهي من جنس الضريبة الحضارية تفرض على العقار المبني والعاري لتمويل ضرورات الصيانة والتطهير والتنظيف، ومدخولها من نصيب البلديات والجماعات المحلية.

- الضريبة على القيمة المضافة، وهي من مبتكرات المغرب المستقل، ودليل قطعي على نمو اقتصاده وتشعبه وتنوعه، فهي مفروضة على كل أشكال الإنتاج الصناعي والحرفي والتجاري وعلى المهن الحرة، تحتسب بالنظر إلى أسعار البضائع والأشغال والخدمات وما يتصل بها من المداخيل، وأيضا بالنظر إلى التكاليف والحقوق والرسوم المتعلقة بها.

هذا إذن فيما يعني الضرائب المباشرة. أما الضرائب غير المباشرة، ففيها ضرائب التسجيل وضرائب التنبر، فضلا عن الرسوم الجمركية :

- وضريبة التسجيل فيها رسوم ثابتة وأخرى نسبية، وهي فرض على كل أشكال التفويت بالمال أو بالمجان، بخصوص العقار أو الحقوق العقارية الملموسة، وعلى واجبات الكراء البعيد المدى لدى الشركات العقارية، وأيضا على تفويت الأسهم وما إلى ذلك بين الأشخاص بالذات أو بالمعنى.

- ضرائب التنبر، وهي إما بالحجم أو بالنسبة أو بالتخصيص. يضاف إلى ذلك الضريبة السنوية الخاصة على السيارات، وما يقتطع من الرسوم على المحروقات النفطية، والرسوم على عقود التأمين بعد أدائها لواجبات التسجيل والتنبر والرسوم على القيمة المضافة. وهذه الضرائب هي التي تتركب منها مداخيل الدولة ونفقاتها التي تقوم عليها ميزانية الدولة. فلتنظر في مكانها من هذه المعلمة.


ابن حوقل، *صورة الأرض*.

J. F.P. Hopkins, *Medieval muslim government in Barbary*, London, Luzac, 1958 ; E. Michaux-Bellaire, *Les impôts marocains, Archives Marocaines*, T. I ; J. Jouannet, *L'évolution de la fiscalité marocaine depuis l'instauration du protectorat*, Paris, L.G.D.J., 3 vol., 1953.


إبراهيم بوطالب

**الضعفان، حجاج** ولد سنة 1922 بابن أحمد، وانخرط في صفوف المقاومة وتحمس للعمل الفدائي مع مجموعة من المناضلين وقام بعدة أعمال جليلة إلى أن استشهد بتاريخ 29 شتنبر 1955 أثناء العملية المعروفة بمعركة سيدي معروف بالدار البيضاء صحبة رفيقه في الكفاح الشهيد محمد الحداوي.


المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 68.


**الضعيف، محمد** بن عبد السلام بن أحمد بن امحمد الرباطي، المعروف بالضعيف من مؤرخي الدولة العلوية. ولد بناء على ما صرح به هو بالرباط في أواخر ذي الحجة عام 1165 / أوائل نوفمبر 1752. ويعتبر تاريخه المصدر الأساسي لحياته، ومنه نستقي التعرف على مختلف تنقلاته ودراسته وميوله العلمية وما جبل عليه من حب الاستطلاع. تميزت حياته بكثرة الرحلات العلمية، كان أولها سنة 1179 / 1766 وهو ابن أربع عشرة سنة، وآخرها سنة 1230/ 1815 عندما زار ضريح عبد الله بن ياسين وهو ابن خمس وأربعين سنة.

عرف بشغفه بزيارة أضرحة الأولياء والصالحين، وخاصة ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش، علي الصرصري بجبل صرصر ومولاي بوسلهام بالغرب وعلي بوغالب بالقصر الكبير وبو شعيب الدكالي بدكالة وعبد الله بن ياسين بنواحي الرباط ومولاي إدريس بفاس وزاوية وزان التي جلبت اهتمامه واستقر بها طويلا، ولو كان ذلك بصفة متقطعة. وبتتبع تنقلاته نتعرف على المراكز العلمية وأصحاب الكراسي من شيوخه والمواد الدراسية الداخلة في تكوينه.

ففي الرباط درس مختصر خليل على شيخه أبي القاسم السجلماسي وعلى محمد بن جلون، وختمه يوم 4 رجب عام 1200 ثم الألفية في النحو في السنة الموالية. وفي يوم 9 شوال 1203 ابتدأ قراءة لامية الزقاق في الفقه على نفس الشيخ.

وكان شغفه بالرحلات العلمية من الدوافع المثيرة لمغادرة مسقط رأسه وإخبارنا عن شيوخه المعروفين بالمدن العلمية الكبرى، فزار مدينة تطوان التي درس فيها على الفقيه عبد الرحمن الحايك سنة 1197 / 1783. وتردد كثيرا على فاس، مثلما حدث سنة 1191 / 1778، حيث مكث سنة كاملة، وكان

بها سنة 1201 / 1787 عاكفا على إتمام الكراسة الأولى من تاريخه وسنة 1209 / 1795 ليحضر مجلس الشيخ عبد القادر بن شقرون ويدرس عليه صحيح البخاري والشيخ خليل وتفسير القرآن والألفية. وعن ابن السبكي أخذ الضعيف البلاغة والمنطق والأصول وكتاب الشفا للقاضي عياض، بينما درس حكم ابن عطاء الله في التصوف والتفسير والحديث على ابن كيران. ودرس بوزان الألفية على الفقيه محمد الوزاني وعلى الدرعاوي الوزاني.

وعن الرحلات العلمية تولدت علاقات محمد الضعيف الاجتماعية مع الشرفاء (الوزانيون والريسونيون) والعلماء (محمد بن جلون والعربي الغربي) ورجال السلطة (الوزير محمد السلاوي والقائد التويني والقائد عمر التشيتي. واجتمع له من جراء ذلك إنتاج أدبي شعري اختلف بين المديح والهجاء. ولكن أهم إنتاجه هو في التاريخ الذي استهواه فرتب له توقيته لجمع المادة وتحريرها أثناء جولاته.

اختص المشروع بتسجيل تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى الوقت الذي عاش فيه آخر عمره، وهو وفاة المولى سليمان يوم 13 ربيع الأول عام 1238 مثلما حدد هو. وبداية عهد المولى عبد الرحمن بن هشام، فأقبل على البحث عن المصادر، واستكمل معلوماته بالمشاهدة والاستماع إلى الرواية الشفوية.

لم يتمكن محمد الضعيف الرباطي من الخروج عن المنهج الحولي المتبع آنذاك من طرف المؤرخين. وبدأ التحرير بمدرسة الشراطين بفاس، وذلك سنة 1201 / 1787، اعتمادا على كتاب زهر الأكم لعبد الكريم بن موسى الريفي من بداية الدولة إلى عهد المولى عبد الله بن إسماعيل. ثم سرد ما تعلق بالسلطان محمد بن عبد الله معتمدا على ما استقاه من محمد الحاج المسناوي الرباطي ومحمد بن الطيب القادري. واستكمل تاريخه بحكم المعاصرة مما أتاحت له مشاهداته وما حصل عليه من معارفه من الرواة. وانتهى منه سنة 1211 / 1797. ثم تلا ذلك الحديث عن فترة المولى سليمان وشرع في تسجيلها سنة 1222 / 1808. وانتهى من آخر صفحة بسنة 1238 / 1822.

واشتهر محمد الضعيف الرباطي في دقة التعريف بما شاهده من الأحداث السياسية والاجتماعية والظواهر الطبيعية، مثل ما عرف بضبط تواريخ الأحداث. ونشير مثلا إلى تاريخ حلول الجيش المغربي بقبيلة قلعية للشروع في حصار السلطان محمد بن عبد الله لمدينة مليلة حين حدده بيوم 4 شوال عام 1188 الموافق تماما لما هو موجود بالمصادر الإسبانية وهو يوم 8 ديسمبر 1774.

ومن الغريب ألا نعرف تاريخ ومكان وفاته، ودليلنا لمعرفة سنة امتداد حياته هو النهاية التي وصل إليها كتابه وهي سنة 1238 / 1822، وابتداء من هذا التاريخ لا نعرف له خبرا. إلا أنه من المؤكد أنه كان سنة الانتهاء حيا، وهو تاريخ إعلانه لوفاة المولى سليمان و تقديم نص الوصية الخاصة ببيعة المولى عبد الرحمن بن هشام.


*تاريخ محمد الضعيف الرباطي*، فاس 1985، نسخة تحقيق أحمد العمارين. والنسخة المحققة من محمد البوزيدي الشيخي، مقدمتا المحققين ؛ حسن الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، البيضاء، 1997.


حسن الفكيكي

**الضَّغْس** أو الطَّقْسُوس بالعربية المقتبسة عن اللاتينية أو إيكَّنْ أو إيكْني أو أدْغَام أو ريمرْوَال بالأمازيغية أو إيفْ if بالفرنسية، أسماء لنبات شجري من المخروطيات يسمى علميا طَكْسُوسْ بَاكَاطَا Taxus baccata وهو من فصيلة الضغسيات Taxaceae.

يتراوح علو الشجرة ما بين 10 و15 م. إنها شجرة دائمة الأخضرار، ثنائية المسكن، ذات جذع غليظ وهيئة هرمية الشكل في الصغر وغير منتظمة في الكبر. أوراقها إبرية مسطحة ومنجلية الشكل ذات لون أخضر قاتم على وجهها العلوي. طول الورقة 30 سم. ازهراراتها الذكرية هرية الشكل، كثيرة العدد، كروية، صفراء. ثمارها خضراء قبل أن تصير حمراء.

يوجد الضغس طبيعيا في المناطق المعتدلة من آسيا وأوروبا وشمال إفريقيا.

يصادف الضغس في المغرب ممثلا بأفراد متناثرة في الغابات المطرة المنظمة من طرف الأرز الأطلسي والشوح المغربي وبلوط الزان والبلوط الزغبي، ولا سيما في الوديان المتواجدة في هذه الغابات حيث تكون الاتربة شديدة الخصوبة. ويتعلق الأمر بالريف والأطلس الكبير ما بين 500 و2500 م من الارتفاع أي في الطوابق النباتية للمتوسطي الدافيء والمتوسطي وفوق المتوسطي والجبلي المتوسطي ذات البيومناخات شبه الرطبة والرطبة وشديدة الرطوبة. لكن الضغس لا يظهر في الطوابق النباتية السفلى إلا في الريف الغربي.

عرف الضغس منذ أقدم العصور بمواده السامة جدا، بالنسبة للإنسان والحيوانات ولا سيما تلك التي تنتمي إلى فصيلة الخَيْليات التي تضم الخيل والحمير. فإذا تناول الحصان 250 غ من أوراق الضغس فإنه يموت بعد نصف ساعة. ولهذا منع ربط الخيل بأشجار الضغس.

وبفضل هذه المواد السامة اشتهر الضغس في العقدين الأخيرين في أوروبا وأميريكا كنبات ذي أهمية كبيرة لا يستغنى عنه في معالجة مرض سرطان الدم أو اللوكيميا.

يستعمل الضغس أيضا في عدة حالات من التطبيب التقليدي كالإجهاض.

وفي القدم كان الضغس يستخدم لتسميم رأس السهم. وكانت أغصانه اللينة تصلح لصناعة الأقواس المستعملة في الحروب.


A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle*,

*médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

**الضفادع** من الحيوانات الفقرية تتميز بقابليتها للعيش في الماء وعلى البر ولهذا سميت بالبرمائيات أو القوازب Amphibiens. تسمى هكذا في المعاجم وفي الشرق العربي مفردها الضفدع وتجمع على ضفادع وضفادى ولها أسماء كثيرة عند العرب منها القر والقرقرة وجرانة والشرنوغ والعدمول والعلجوم والنقاق والقداد وأبو المسيح وأم هبيرة. ويسمى صغيرها شرغوف وشفدع وشرغ وبوزرويطة.

تحتاج أنواع الضفادع إلى الماء أو الرطوبة الشديدة للعيش ولوضع البيض. يخرج من كل بيضة شرغوف يحمل ذنبا طويلا ومتينا يساعد على السباحة. تعرف الشراغيف تحولات شكلية وفيزيولوجية تتعلق بالدوران الدموي والتنفسي. بعد مراحل النمو الأولى تظهر القائمتان الخلفيتان تدريجيا ثم الأماميتان ويتقلص الذنب لينتهي به المطاف إلى الزوال نهائيا فيصير الفرد بالغا وقادرا على العيش خارج الماء. التنفس خيشومي لدى الشراغيف كما هو الشأن عند الأسماك والدوران الدموي بسيط ومتكامل، وعند النضج يصير التنفس رئويا والدوران مزدوجا غير كامل. الجلد عار لا يتوفر على وقاية أو غشاء يحميه وهو دائم الرطوبة يستعمل أيضاً للتنفس عند الكبار لكون الرئتين صغيرتين جداً لا تكفيان لتزويد الدم بما يكفي من الأكسجين. يتم تنفس الهواء والتخلص منه عند الأفراد البالغين عبر المنخرين والجلد وهذه الحركة الزفيرية سريعة جدا تتعدى 140 تهوية في الدقيقة.

الجمجمة مفرطحة ومعظمها من غضروف. تتألف الأطراف من العظام، نجد العضد في القائمتين الأماميتين ويتألف كما في الإنسان من عظم واحد يليه عظمان ملتحمان : الزند والكعبرة ويلي ذلك الرسغ وبه ست عظيمات صغيرة، ثم مشط القدم وأربع أصابع خالية من المخالب. القائمتان الخلفيتان معدتان للقفز وهما أكبر طولا وأشد متانة، نجد فيهما الفخذ ثم عظم الساق الكبير والعظم الصغير ملتحمان في عظم واحد. يظهر من الرسغ وقبله عظمان متوازيان طويلان وهذا الطول الثالث يزيد في قدرة القفز عندما تقذف الضفدعة بنفسها أثناء التنقل أو الهروب. ومن بعد الرسخ تلي عظام مشط القدم ثم خمس أصابع خالية من المخالب والأظافر.

الأذنان بدون صوان خارجي والعينان كبيرتان ناتئتان عليهما غشاء شفاف يجعلهما مشحمتين. تتكون الحاسة اللمسية من شبكة واسعة من النهايات العصبية موزعة على الجسم وخاصة على الرأس والظهر والقوائم. الأسنان بدائية ومتشابهة تتجه نحو داخل الفم وموزعة على الفكين ؛ تستعمل للإمساك بالفريسة المبتلعة كلها أكثر مما تستعمل للمضغ.

يفرز الجلد السم تلقائيا عند بعض الأنواع. الخلايا الملونة موزعة تحت الجلد وتتحكم في تغيير لون الأفراد الذي يساعد على التنكر والاختباء الملائم في حالة الخطر أو على إثارة الانتباه خلال فترة التناسل.

الضفادع من ذكر وأنثى منفصلان ومتشابهان، الذكور أصغر حجما من الإناث يحدثون أصواتا تعرف بالنعيق تنجزه بواسطة جرابات صوتية تقع تحت الحنجرة أو في زوايا الفم يعتمد عليها في تصنيف الأنواع. ينفخ الذكور هذه الجرابات خلال فترة التناسل فتعطي هذه الأغشية شكلا كرويا مميزا لكل نوع وتحدث نعيقا متواصلا يكثر عند غروب الشمس وطلوع النهار. يتم التناسل عند أغلب الضفادع في أواخر الخريف وبداية الشتاء ويوضع البيض في مياه المستنقعات الوحلية والضايات والبحيرات والمنابع والأنهار الضعيفة الجريان وعلى الأراضي الرطبة وذلك حسب الأنواع. يلد العلجوم Crapaud البيض بداخل حبال جيلاتينية طويلة تتعدى أحيانا مترين ويتراوح عدد البيض بين 1000 ـ 20000. تبيض الضفادع المائية Grenouilles في الماء بداخل كتلة جيلاتينية تلتصق بالأعشاب ولا يتعدى العدد 2000 بيضة. يبقى البيض في الماء مدة تقل عن أسبوعين وتخرج منه شراغيف مذنبة سوداء أو سمراء داكنة تعيش في الماء حوالي 4 أسابيع لتتحول إلى ضفادع بالغة تغادر الوسط المائي وتلتجئ إلى المناطق الرطبة المعشوشبة كالحدائق والبساتين وضفاف الأنهار والبحيرات والصهاريج. تخشى الحرارة فتختفي نهارا ويكثر نشاطها ليلا لتبحث عن الحشرات والديدان والحلزونات.

تقسم طائفة البرمائيات Amphibiens إلى مجموعتين في المغرب :

مجموعة الضفادع البتراوات أو عديمات الذنب Anoures، شكلها قصير وسمين، منها خمس فصائل و9 أنواع تعيش في الأوساط الرطبة المغربية :

1 ـ فصيلة العدموليات Ranidae وتضم قرابة 200 نوع في العالم، واحد منها فقط يعيش في المغرب يدعى جرانة في اللسان الدارج المغاربي والعدمول أو الضفدعة الخضراء في المعاجم. يسمى علميا Rana ridibunda وبالفرنسية Grenouille verte وبالانجليزية Green frog. على الظهر والرأس بقع خضر وبنية مختلفة الأحجام والشكل عند الأفراد. يتراوح طول الجسم بين 6 ـ 15 سم والإناث أكبر حجما من الذكور.

يتميز هذا النوع بخفته وسرعته الفائقة في السباحة وفي

اصطياد الحشرات والديدان. يتوالد في شهر مايو وتعيش الشراغيف في الماء مدة تزيد عن شهرين قبل أن تصير بالغة. تتردد الأفراد البالغة على سطح الماء للتنفس وكثيراً ما تأخذ الكبيرة مكانها بين الأعشاب أو على ضفاف الأنهار والبحيرات لتستريح أو لتترقب فريستها، وفي حالة الإزعاج تقفز بسرعة لتغوص في الماء. تختفي في الوحل أو بين النباتات خلال فصل الشتاء وتستأنف نشاطها منذ فبراير إلى شتنبر. تعمر الأفراد حوالي 10 سنوات ويعيش هذا النوع في جميع البحيرات القارية والأنهار والمنابع المغربية الصحراوية والشمالية. يربى ويصاد لأكل لحوم سيقانه في بعض المناطق أو لإجراء تجارب علمية مختلفة في عدة مختبرات كليات العلوم الوطنية والأجنبية.

2 ـ فصيلة ضفدعيات الأشجار Hylidae وتشتمل على 250 نوعا في العالم منها نوع واحد يعيش في الأوساط المائية المغربية، إنه الضفدع المتوسطي يدعى علمياHyla meridionalis وبالفرنسية Rainette méditerranéenne، يتميز بجسم نحيل لا يتعدى طوله 5 سنتمترات. الجلد أملس والقوائم رشيقة وطويلة. لونه أخضر على الظهر والرأس والقوائم وأبيض على البطن، على جانبيه لفافة سوداء رقيقة وقصيرة تربط العين بالإبط وهذه الخاصية تميزه عن نوع Hyla arborea الذي يعيش في أوروبا. يكثر نشاطه ليلا وكثيراً ما يأخذ مكانه فوق أغصان الأشجار والنباتات المجاورة للبحيرات والأنهار الذي يبيض فيها.

يقتصر توزيعه الجغرافي على المناطق الرطبة وشبه الجافة في كل من المغرب والجزائر وتونس وإيطاليا وجنوب فرنسا وشبه الجزيرة الإيبيرية وجزر الكناريا ومديرا. وهو شائع في البحيرات الطبيعية الأطلسية وضايات وجداول هضاب الريف ووالماس وسهول الغرب وغابة المعمورة وضاية سيدي بوغابة وبعض بحيرات السدود. تمتد فترة التوالد من نونبر إلى أبريل وتبيض الإناث 800 ـ 1000 بيضة تجمعها كتلة جيلاتينية. يبلغ قطر البيضة 1 ـ 1,5 ملم ولا يتعدى طول الشراغيف 8 ملم.

3 ـ فصيلة العلجوميات Bufonidae وتعرف عند العامة بالقرقر والقرقرة وهي ضفادع برية تدخل المياه لتبيض ثم تعود مباشرة إلى اليابسة لتختفي في المغاوير وتحت الأحجار وبين النباتات. تختفي في المغاوير وتحت الأحجار في الأيام الباردة وتستأنف نشاطها ليلا في الربيع والصيف. الجلد مجعد يبعث على الخوف والاشمئزاز، لونه أصفر شاحب إلى أخضر زيتوني على الظهر وأبيض رمادي على الصدر والبطن. تتوالد في أواخر الشتاء وبداية الربيع. تنتمي إلى هذه الفصيلة أربعة أنواع شائعة في مختلف المناطق المغربية :

** العلجوم الشائع Bufo bufo spinosus يسمى بالفرنسية Crapaud vulgaire وCrapaud commun وهو أكبر الضفادع حجما في المغرب وفي أوروبا، يتعدى طوله أحيانا 15 سم ويعيش في المناطق الجبلية المغربية ونادر جدا في السهول والهضاب. يحفر مغاوير عميقة يختفي فيها خلال فصل الشتاء ولا يبتعد عن المناطق الرطبة. يتوالد في فصل الربيع. يتميز الضرب المغربي بشويكات صغيرة على تجعدات الظهر.

** العلجوم الأخضر Bufo viridis يسمى بالفرنسية Crapaud vert لا يتعدى طوله 10 سنتمترات والإناث أكبر حجما من الذكور. يتميز ببقع خضراء داكنة على ظهره. شائع في مختلف المناطق المغربية الرطبة والجافة ويعيش أيضاً في أوروبا وإفريقيا الشمالية وأسيا الوسطى.

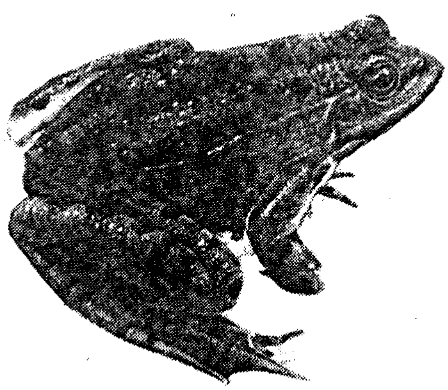

** علجوم موريتانيا Bufo mauritanicus يسمى بالفرنسية Crapaud de mauritanie وCrapaud panthéran يتميز بخطم منفرج ومنحن نحو الأمام. يقتصر توزيعه الجغرافي على المغرب وموريتانيا والنيجر والجزائر وتونس ولا يبتعد كثيراً عن الأماكن الرطبة والبحيرات والضايات والأنهار. يستأنف نشاطه بعد غروب الشمس وقبل طلوعها ويختفي حفرة طول النهار. يبيض في مختلف أصناف المياه في فصل الشتاء وشائع في المناطق المغربية الشمالية والصحراوية.

** علجوم برونجيرسما Bufo brongersmai يسمى

بالفرنسية Crapaud de brongersma وهو أصغر أنواع العلجوع في المغرب يألف المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية خلافا للعلجوم الشائع الذي يعيش في المناطق الجبلية. شائع في حوض وادي درعة والساقية الحمراء.

4 ـ فصيلة الضفادع الطينية بيلوباتيدي Pelabatidae وهي ضفادع صغيرة القد جلدها أملس شديد اللمعان.

تنتهي القوائم بثؤللات حادة على الأصابع تستعمل لحفر المغاوير. نوع واحد من هذه الفصيلة يعيش في السهول والهضاب الغربية الممتدة من طنجة إلى الصويرة. إنه العلوج المغربي يسمى علميا Pelobates varaldii وبالفرنسية Pelobate marocain. لا يتعدى طوله 5 ـ 6 سم يألف المناطق الرملية ويختفي بداخل حفر يتعدى عمقها 100 سم.

5 ـ فصيلة قرصيات اللسان ديسكوكلوسيدي Discoglossidae تضم أنواعا صغيرة القد لها لسان دائري جله ملتحم مع الفك السفلي. نوعان من هذه الفصيلة يعيشان في المغرب :

** العلجوم المولد Alytes obstetricans يسمى بالفرنسية Crapaud accoucheur وهو نادر في المغرب يألف بعض المناطق الجبلية الباردة شمال المغرب كالريف وجبل بوبيلان. يعيش بعيدا عن الماء ويعتبر العلجوم الوحيد الذي يتوالد خارج الماء. يحمل الزوج حبال البيض على الظهر وبين القوائم الخليفة ويذهب بهما مراراً إلى الماء في انتظار تفقيسهما. لا يتعدى طول الكبار 5 سم وعلى الظهر نتوءات داكنة :

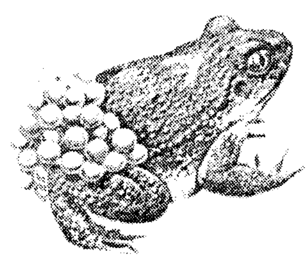

** العلجوم المصبوغ Discoglossus pictus يسمى بالفرنسية Crapaud peint وهو شائع في المناطق الرطبة وشبه الجافة المغربية. يعيش بجوار البحيرات والضايات والأنهار. لا يتعدى طول الكبار 7 سم وعلى الظهر ثلاثة خطوط طولية أو بقع مختلفة الأشكال. يختفي نهاراً في حفرته ويصيد الحشرات والعناكب والديدان ليلا. يقتصر توزيعه الجغرافي على المغرب والجزائر وتونس وجنوب فرنسا وشبه الجزيرة الإيبيرية.

مجموعة الضفادع المذنبة شكلها نحيف أهيف وذو ذنب طويل عند الشراغيف والكبار. قوائمها قليلة التطور متساوية المقاييس وقصيرة. تربط حياتها بالأوساط المائية أو شديدة الرطوبة. يكثر نشاطها ليلا ويقل نهاراً. بصرها وسمعها ضعيفان وحاسة شمها بالغة التطور والحدة. تنتمي إلى هذه المجموعة فصيلة السمادل Salamandridae ومنها نوعان يعيشان في المغرب :

** السمندل المبرقش يسمى علميا Salamandra algira وبالفرنسية Salamandre tâchetée. شائع في المياه الجوفية والمنابع والجداول الباردة بالمناطق الجبلية المرتفعة : تافوغالت وسيدي شيكر بضواحي تازة وايفران وازرو وخنيفرة وبني ملال وأوكايمدن وجبال الريف الوسطى والأطلس الكبير. يعيش في المغرب والجزائر وأوروبا الوسطى والجنوبية. يختفي نهاراً تحت الصخور وبين النباتات المائية ويستأنف نشاطه ليلا ليأكل الحشرات والديدان. جلده أسود تتخلله بقع صفراء أو حمراء يختلف حجمها من فرد لأخر. لا يتعدى طول الجسم 28 سم وشائع بين 10 ـ 15 سم. السمندل بيوض ولود، تحتفظ الإناث بالبيض في بطونها وتوضع الشرغيف في الماء لتواصل نموها بجوار الأبوين. لا يغادر السمندل الماء إلا نادرا ولا يبتعد عن مكان ولادته خشية من أعدائه. يعمر حوالي 25 سنة. تشبه الشراغيف الكبار في شكلها ولا تخضع إلى تغيرات فيزيولوجية خلال تطور مراحل النمو كما هو الشأن عند شراغيف الضفادع البتراوات.

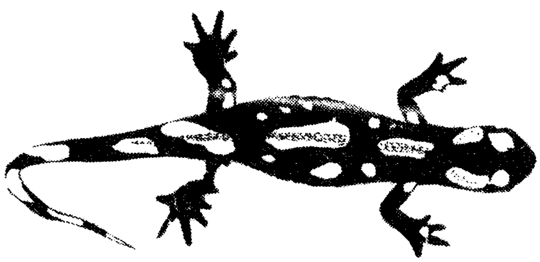

** تريتون والتل يسمى علميا Pleurodeles waltli وبالفرنسية Pleurodeles de Waltl. شائع في مياه الضايات العكرة والجداول القليلة الجريان في غابة المعمورة وسهول الغرب والشاوية ودكالة وضواحي أسفي والصويرة وفي جزيرة الصويرة. يقتصر توزيعه الجغرافي على المغرب وإسبانيا. لونه رمادي على الظهر والجانبين مع 8 ـ 10 بقع فاتحة ممتدة من الإبط إلى الخصر. يتراوح طول الكبار بين 20 ـ 25 سم. تعيش الصغار في الماء وبعد جفاف الضايات تلتجئ الكبار إلى الحفر والمغاوير أو فتحات جذوع الأشجار لتقضي فصل الصيف.

تلعب الضفادع دوراً هاماً في تغذية الطيور الليلية والنهارية والثعابين كما أنها تلتهم الحشرات الليلية المضرة بالنباتات والمنتجات الفلاحية، ولا تؤذي الإنسان.

م. رمضاني، *الزواحف*، معلمة المغرب، الجزء 13 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

G. Pasteur et J. Bonbs, *Les batraciens du Maroc*, *Travaux de l'Institut Scientifique Chérifien, Zoologie* n° 17, Rabat, 1959 ; Salvador, *Guia de los anfibios et reptiles espagnoles*, Madrid, 1974 ; E.N. Arnold& J.A. Burton, *Tous les reptiles et amphibiens d'Europe en couleurs*, Rabat, 1978.

محمد رمضاني

**الضمير، الكبير** ولد سنة 1920 بأولاد زيان بأحواز مدينة الدار البيضاء. انضم إلى صفوف المقاومة السرية بمدينة الدار البيضاء وعمل ضمن خلية درب الفقراء تحت مسؤولية عبد الله الحناني، ومولاي عبد الله بن محمد الفيلالي.

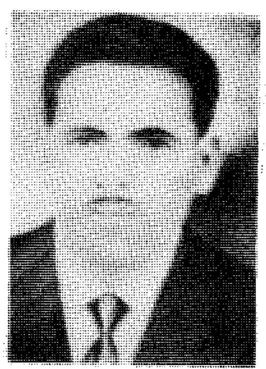

شارك في تنفيذ عدة عمليات فدائية مثل إضرام الحرائق ووضع القنابل للإضرار بمصالح المعمرين الفرنسيين.

فسقط رحمه الله شهيدا في ساحة الشرف بمدينة الدار البيضاء أثناء اشتباك دار بينه وعدد من إخوانه المقاومين وبين البوليس الفرنسي يوم 17 ماي 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 520830.

ابن **ضُنْضَادُو** ويكتب أيضاً بَنْضَنَادُو ومَلْضُنَادُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Maldonado ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1090 (1679).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999 ، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 291.

محمد ابن عزوز حكيم

**الضو، عياد** بن محمد ولد سنة 1920 بصبوية إقليم تزنيت ومن أجل تحرير ما تبقى من أرض الوطن انخرط في صفوف جيش التحرير بتاريخ 1 . 1 . 1957 تحت قيادة الملالي، بالمقاطعة الحادية عشر حيث كان مثالا للمواطن المكافح في سبيل الحرية والكرامة، وقد بقي يعمل ضمن الصفوف بكل نزاهة وإخلاص. وشارك في عدة معارك ضد الجيش الإسباني كمعركة اصدر بثلاثاء صبوية التي استشهد فيها بتاريخ 24 . 11 . 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 503464.

**الضوء، محمد** بن **الحسين** الصاوي السباعي، علامة وفقيه ولد سنة 1332 / 1914 ببلدة السعيدات قبيلة أولاد أبي السباع حيث مدرسة السعيدات العلمية التي أسسها أسلافه أوائل القرن الثاني عشر للهجرة، وينسب إلى أسرة إدريسية شريفة وكان والده من الفقهاء المشتغلين بالتجارة. حفظ برواية وَرْش وقالون والمكّي على يد عدد من مشايخ مدرسة السعيدات ومدارس أخرى قبل أن ينتقل مع والده إلى أگادير سنة 1348 / 1930 قصد الاتجار وانهى حفظ القرآن لدى مشايخ سوس بمدارس تالبرجت وقصبة أگادير وفونتي، وانتقل سنة 1357 / 1938 إلى مدرسة الجامع الكبير بإنزگان، لأخذ العلم وحفظ المتون عن الفقيه الحاج عبد الرحمان المستغفر الانزگاني. وبعد سنتين استقر والده بمدينة انزگان فانتقل هو لأخذ العلم بين مدرسة السعيدات وتالبرجت حتى استقر بمدرسة "ايغيلالن" بقبيلة مسكينة عند فقيهها العلامة الحاج مسعود الوفقاوي من سنة 136 / 1941 و1366 . 1947 وهي سنة وفاة العلامة الوفقاوي، وقد استكمل في هذه

الرحلة تكوينه العلمي وتمكن من دراسة اللغة العربية وآدابها والفقه وعلوم القرآن وسائر الفنون وقد انتدبه والده للتجارة لمدة سنتين ثم بعد ذلك التحق بسلك التدريس والعطاء العلمي ابتداء من سنة 1368 / 1949.

انخرط في التعليم العصري معلماً رسمياً في مدرسة البنين الإسلامية بانزكان ولم يُرضه مقرر الحماية الفرنسية، فزاوج ذلك بمزاولة مهمة التعليم على النمط العتيق لاقراء كتاب الله والمواد الإسلامية وفي حي تالبرجت بالزاوية التجانية بأگادير، واستفاد على يده الكثير من تلاميذ تلك الفترة لمدة تسع سنوات، مستعينات بأخيه إبراهيم.

ولما تأسس المعهد الإسلامي "معهد محمد الخامس" بتارودانت بعد الاستقلال سنة 1376 / 1956 نشط مع جمعية علماء سوس في توجيه طلبة المدارس العتيقة إلى هذا المعهد بكامل الجدية، وبعد سنتين التحق بهذا المعهد سنة 1958 وقد نال شهادة الكفاءة في التعليم سنة 1962 واستمر أستاذاً للغة العربية والعلوم الإسلامية حتى أحيل على التقاعد سنة 1407 / 1987.

وكان قد التحق بالمجلس العلمي لتارودانت منذ 1976 فتوجه نشاطه إلى الاسهام في البحث العلمي وفي التحقيق والتأليف.

كانت له أنشطة متعددة فهو عضو في رابطة علماء المغرب، وتفرغ بعد التقاعد لمنصب الامانة والخطابة والوعظ والارشاد تطوعاً إلى جانب الالتزام بالطريقة التجانية واستقبال الطلبة والباحثين وتوجيههم وحلاقات الأساتذة والعلماء حتى وافاه أجله بانزگان بتاريخ 17 ربيع الاخر 1424 / موافق 18 يونيو 2003. مؤلفاته : خلف الأستاذ محمد الضوء عدة تأليف نذكر منها.

- نظم البيان في رسم القرآن - ورسالة :
- راحة الجنان في خدمة القرآن - ورسالة فتح العلي السميع بشرح منظومة "نورة الربيع" - والمنهل العذب المورود في مآثر العلامة الحاج مسعود.
- رحلتان حجازيتان - ديوان شعر - سيرة ذاتية في كناش خاص - و:ذا مساهمتُه في تحقيق الأجزاء 14 - 15 - 16 من كتاب المُحرّر الوجيز لابن عطية من إعداد المجلس العلمي لتارودانت وطبع وزارة الأوقاف سنة 1989 - 1991.

المتوكل عمر الساحلي، المعهد الإسلامي والمدارس العلمية بسوس، ج 1، ص. 165 - 169 ؛ كناش محمد الضوء : "ترجمته بقلمه" ؛ ترجمة وافية بقلم ابنه، الزبير بن محمد الصاوي في جريد *العلم*، غشت، 2003.

عمر أفا

**ابن ضُوصة** ويكتب أيضاً مَنْدُوصَة ومَنضُوصة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Mandoza - Mendosa، ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Mendoza ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 292.

محمد ابن عزوز حكيم

**الضوع**، كما هو في المعاجم وكما ينطق به في معظم الدول العربية طائر من القواطع يصنف إلى رتبة الجواثم مشقوقات المناقير وفصيلة السبديات Caprimulgidae. يسمى أيضا السبد في بعض المعاجم ويطلق عليه طائر الموت في بعض المناطق بالمغرب وأبو عمى في الشام وأبو النوع في مصر والقوة في السودان. اختلف العلماء في تحريم وتحليل صيده لشدة مشابهته بالبوم في بعض أحواله وبالخطاف في نحالة وقصر القوائم وطول الجناحين.

ثلاثة أنواع تعيش في المغرب مسرولة الساقين وتتميز بشعيرات كالهلب حول المنقار. يكثر نشاطها في غسق الليل وتحدث صوتا عند الطيران باهتزاز سريع للجناحين :

- الضوع الأوروبي Caprimulgus europaeux وبالفرنسية Egoulevent d'Europe وبالإنجليزية Nightjar وبالإسبانية Chotacabras gris وبالإيطالية Succiacapre.

طائر ريشه لين سريع الانتزاع لونه إلى الأسمر الرمادي ومبقع بخطوط ونقط بنية وصفراء على الظهر والصدر، المنقار واسع مفلطح رمادي مسود، الرأس كبير ومسطح، القوائم شقراء، الجناحان والذيل طويلة، تتميز الذكور ببقع بيضاء على مؤخرة الجناحين والذيل، يبلغ طول الجسم 26 - 27 سم وتزن الكبار 70 - 140 غرام. يعيش مزدوجا ونادرا وسط مجموعات قليلة الأفراد. عدة مجموعات تغادر المغرب لتشتو في إفريقيا الوسطى ثم تعود إلى المغرب لتشتو في إفريقيا الوسطى ثم تعود إلى المغرب وأوربا خلال فترة التوالد. يتغذى من الحشرات باصطيادها ليلا وهي طائرة. يأخذ مكانه نهارا بين الأعشاب أو على غصون الأشجار دون أن يتحرك وتصعب مشاهدته لشدة مشابهته بالمكان الموجود فيه.

يتوالد غالبا مرتين بين مايو وغشت في المناطق الغابوية والمراعي. العش عبارة عن حفرة غير مفروشة تتخذها الأنثى

عادة بين الأعشاب. لا يتعدى عدد البيض اثنين لونهما أبيض رمادي مبقع بالأصفر والبني ومنظرهما رخامي. يبلغ طول قطريها 22.5 x 32 ملم. يحضن البيض من طرف الأنثى حوالي 18 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. تغادر الفراخ العش مباشرة بعد التفقيص وتأخذ حريتها تدريجيا وتحسن الطيران بعد أسبوعين.

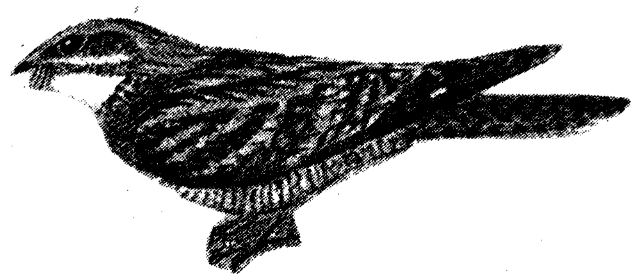

يعيش في مختلف المناطق المغربية. ويعيش أيضا في أوربا بخلاف الدول الاسكندنافية وفي شمال إفريقيا والشرق العربي وأسيا الغربية ومنه عدة مجموعات تشتو في ليبيا ومصر وبعض الدول الإفريقية.

ـ الضوع أشقر العنق Caprimulgus ruficollis وبالفرنسية Engoulevent à collier roux وبالإنجليزية Red-necked Nightjar وبالإسبانية Chotacabras pardo وبالإيطالية Succiacapre collorosso. يبلغ طوله 31 سم ويختلف عن السبد الأوربي ببقعة من الريش الأبيض المصفر على العنق. الذكور والإناث متشابهة اللون وينتهي ذيلها ببقعة بيضاء واضحة. يبيض مرتين في السنة ويحضن بيضتين في كل مرة. يتوالد في المغرب والجزائر وتونس وإسبانيا ويشتو في جنوب المغرب وفي عدة دول إفريقية.

ـ الضوع المصري Caprimulgus aegyptius وبالفرنسية Engoulevent d'Egypte وبالإنجليزية Egyptian Nightjar وبالإيطالية Succiacapre isabellino. طائر يعيش في الهضاب العليا بالمغرب الشرقي والمناطق الجافة وشبه الجافة المغربية والجزائرية والتونسية وفي مصر والعراق وسوريا وإيران والجزيرة العربية. لونه شبيه بالرمال ويحمل الذيل والجناحان خطوطا بنية متقطعة. البطن أبيض ناصع. يشاهد أحيانا خلال النهار بعد ارتفاع الحرارة التي ترغمه على البحث عن مكان أقل حرارة. يصيده البدو أحيانا.

يتشاءم بهذه الطيور في عدة مناطق من المغرب وينسب إليها أنها تأتي لتبلغ بخبر الموت.


الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 1988 ؛ أمين المعروف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Euorpe with North Africa and the Middle East*, London, 1979 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe*, Paris, 1977.


محمد رمضاني

**الضيافة**، إتاوة كانت تؤديها قبائل الساحل الجنوبي الأطلنطي المغربي للسلطة البرتغالية المحتلة للمنطقة فيما بين 862 ـ 947 / 1458 ـ 1541، خاصة قبيلتي عبدة ودكالة. تُدفع للقبطان المقيم بأسفي أو أزمور ويعمل على جمعها القائد بمساعدة الشيوخ ابتداء من شهر يوليوز ويستمر دفعها إلى شهر شتنبر. وتستخلص الضيافة من عين ما تملكه الكوانين من أبقار وأغنام وجمال ومن السمن والعسل. وكمثل لقيمتها بلغ عدد قلاّت السمن المدفوعة للبرتغاليين كضريبة في بعض السنين 1250 قلة.

وتحدثت المصادر المغربية عن الضيافة في العهد العلوي كفريضة تؤديها القبائل الثائرة بعد أن يتمكن السلطان من إخضاعها. وفي هذه الحالة تقدمها القبيلة متذللة خاضعة ومقرونة بالميرة، وتقصد بها طلب العفو. كما تقدّم القبائل الطائعة للسلطان الضيافة للتعبير عن فرحها وانشراحها بنزول محلة السلطان بين ظهرانيها.

وأما الضيافة بمعنى إكرام الضيف فهي مشروعة في الإسلام، وردت في القرآن الكريم في قصة إبراهيم مع الملائكة الرسل. لذلك كان يُخصص في القصور والبيوتات الكبرى جناح يُدعى دار الضيافة أو الضيوف.


أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، ط. 2، 1956، ج 9 : 157 ـ 203 ـ 204.


حليمة بنگرعي

# ط

**الطابع السلطاني** أو **الطوابع المخزنية**. أنواع علامات التصديق على الظهائر والمراسلات السلطانية في المغرب أربعة وهي :

- التوقيع بخط يد السلطان على شكل توقيعات العدول على الوثائق الشرعية.
- العلامة الخطية المرسومة بخط يد كاتب الديوان على غرار العلامات التي كانت تحملها الفرامين العثمانية.
- الصورة المرسومة بخط يد كاتب الديوان على شكل خاتم.
- الطابع الذي يحمل اسم السلطان منقوشاً على صفيحة معدنية.

والعمل بالنوع الأول من العلامات المذكورة نجده في مراسلات السلطان أحمد الوطاسي (نموذج رقم 1) وعمه أبي حسون (رقم 2) كما نجده في مراسلات امراء الدولة السعدية أحمد الأعرج (رقم 3) ومحمد الشيخ المهدي (رقم 4). وأول من اتخذ النوع الثاني الشبيه بعلامات الفرامين العثمانية هو السلطان عبد الله الغالب (رقم 5 و6) الذي نجد بعض مراسلاته تحمل أيضاً النوع الثالث من علامات التصديق (رقم 7).

ويعد عبد الملك المعتصم الغازي في سبيل الله السلطان المغربي الوحيد الذي كان يوقع مراسلاته إلى ملوك أوروبا بالحروف اللاتينية (رقم 8 و9).

ولم يستعمل السلطان أحمد المنصور الذهبي سوى علامات التصديق الشبيهة بعلامات الفرامين العثمانية (رقم 12 و13).

ونتوفر على مجموعة من مراسلات السلطان محمد الشيخ المامون، البعض منها تحمل العلامات الشبيهة بالفرامين العثمانية والبعض الآخر الصورة المرسومة بخط اليد على شكل خاتم.

وأما السلطان زيدان فإنه لم يستعمل في تصديقه على جميع مراسلاته إلا العلامة الشبيهة بالفرامين العثمانية لدرجة أننا وجدنا إحدى علاماته منقوشة على مدفع صنع بالمغرب في عهده.

ولعل السلطان عبد الملك بن زيدان هو أول ملوك الدولة السعدية الذي اتخذ طابعا منقوشا على صفيحة معدنية، بالإضافة إلى أنه كان يستعمل النوع المرسوم بخط اليد على شكل خاتم.

ونتوفر على مراسلات للسلطان الوليد بن زيدان تحمل بعضها طابعا منقوشا على صفيحة معدنية والبعض الآخر يحمل علامة على غرار الفرامين العثمانية.

ومثل ذلك نجده في مراسلات السلطان محمد الشيخ الأصغر الذي كانت له طوابع منقوشة على صفيحة معدنية بالإضافة إلى اتخاذه علامات شبيهة بشكل علامات الفرامين العثمانية.

والنوع العثماني المذكور هو الذي اتخذه السلطان أحمد العباس آخر الملوك السعديين في التصديق على مراسلاته.

وأما علامات التصديق على الظهائر والمراسلات السلطانية في عهد الدولة العلوية فهي نوعان :

1) الطابع باسم السلطان منقوشاً على صفيحة معدنية.
2) الصورة المرسومة بخط يد كاتب الديوان على شكل خاتم.

لم نعثر على أية مراسلة صادرة عن السلطان مَحمد الأول ؛ وبخصوص السلطان مولاي رشيد نتوفر على وثيقة وحيدة هي المعروفة لحد الآن وتحمل تاريخ فاتح صفر عام 1078 وعليها طابع منقوش على صفيحة معدنية (رقم 41).

وتكاثرت الطوابع السلطانية ابتداء من عهد المولى إسماعيل (انظر كتابنا فقد أثبتنا فيه 17 نموذجاً للمولى إسماعيل (ص. 21 ـ 25) ؛ و8 لأحمد الذهبي ابن إسماعيل (ص. 27 ـ 29) ؛ و5 لعبد الملك بن إسماعيل (ص. 31 ـ 32) ؛ و4 لعبد الله بن إسماعيل (ص. 33 ـ 34) ؛ و3 لعلي الشريف بن إسماعيل (ص. 35 ـ 37) ؛ و2 لمحمد ابن إسماعيل (ولد عربية) (ص. 37) ؛ و2 للمستضيء

إسماعيل (ص. 39) ؛ وواحد لزين العابدين بن إسماعيل (ص. 41) ؛ و5 لسيدي محمد بن عبد الله (ص. 43 ـ 44) ؛ و2 لليزيد بن سيدي محمد بن عبد الله (ص. 45) ؛ و4 لسليمان بن سيدي محمد بن عبد الله (ص. 47 ـ 48) ؛ و4 لعبد الرحمان بن هشام (ص. 49 ـ 50) ؛ و3 لمحمد الرابع (ص. 51 ـ 52) ؛ و6 للحسن الأول (ص. 53 ـ 55) ؛ و6 لعبد العزيز بن الحسن (ص. 57 ـ 59) ؛ و12 لعبد الحفيظ بن الحسن (ص. 71 ـ 74) ؛ و9 ليوسف بن الحسن (ص. 65 ـ 67) ؛ و5 لمحمد الخامس، (ص. 69 ـ 70).

وتجدر الإشارة إلى أن جميع أنواع التصديق كانت توضع بأعلى الوثيقة بعد البسملة أو الحمدلة والتصلية وقبل نص الوثيقة ؛ في حين أن مراسلات وُلاة العهد والأمراء وخلفاء السلاطين والصدر الأعظم والوزراء وباقي خدام المخزن من سفراء وعمال وباشوات وقواد وأمناء وغيرهم فقد كانت مراسلاتهم تحمل طوابعهم بأسفل الوثيقة.

وبعدما تعمم استعمال الطابع المنقوش على الصفائح المعدنية في عهد الدولة العلوية أصبح لكل سلطان طابع كبير خاص بالظهائر والمراسلات المهمة وطابع صغير خاص بالمراسلات العادية.

M. Ibn Azzouz Hakim, *La sigilografía de los sultanes de la dinastía Alawí*, Madrid, 1998.,

محمد ابن عزوز حكيم

**الطّابية** أو التابية، طريقة في البناء تكون "التراب المدكوك"، و"الطين المفرغ بالقالب" (*نزهة*، 3 : 233 ؛ *الروض*، 540 ؛ *مسالك*، 295 ؛ *وصف*، 1 : 10).

وتحدث عنها ابن خلدون بتفصيل في مقدمته، وبرجوعنا إلى الميدان ووقوفنا على بعض أوراش البناء في مختلف جهات المغرب وخاصة عمليات ترميم أسوار المدن العتيقة والبناء في المناطق الصحراوية والمتاخمة للصحراء تبين لنا عند المقارنة بما جاء في النصوص أن الطابية مازالت كما وصفها العلامة ابن خلدون، مع إضافة التقنيات الحديثة في بعض الأوراش الكبرى مثل استعمال آليات الرفع والدك والتخليط الحديثة واستبدال الألواح والقوالب الخشبية بالصفائح الحديدية ؛ وقبل أن نعرض لمراحل دخول هذه الصناعة إلى المغرب كما جاء في المصادر لابد من إبداء الملاحظات التالية المتعلقة بميزات البناء بالطابية :

1 ـ البنايات بالطابية متينة وشديدة الصلابة، بل أصلب حتى من الاسمنت المسلح (*مسالك*، 295 ؛ *هسبريس*، 1945).

2 ـ البناء بالطابية لا يخلو من جمالية، فمازالت أسوار المدن العتيقة وأبراجها وأبوابها وكذلك القصبات والقصور في الجنوب المغربي تجذب الزوار من داخل المغرب ومن خارجه.

3 ـ تبنت سياسة الدولة المعمارية في هندستها الحديثة أسلوب الطابية خاصة في الجنوب المغربي وفي المناطق المتاخمة للصحراء فأدمجتها في مشاريعها العمرانية والسياحية.

4 ـ البناء بالطابية لبعض المساكن والمنشآت الكبرى يجعلها مكيفة تكييفاً طبيعياً، فهي باردة صيفاً دافئة شتاءً، (قصبة إيليغ نموذجاً) (زيارة ميدانية).

وتتبعنا لمختلف النصوص والإشارات الواردة في المصادر نستطيع أن نؤرخ لدخول هذه الطريقة في البناء إلى المغرب وانتشارها في جميع مناطقه، فأبو عبيد البكري وهو ممن كتب بتفصيل وتدقيق عن المغرب وقد عاش في القرن 5 هـ / 11 م لم يشر إلى الطابية، فعند حديثه عن مدينة مليلية قال :

"... مدينة مسورة بسور حجارة..." (*المغرب*، 89). فملاحظة البكري هنا عادية إذا ما اعتبرنا موقع مدينة مليلية وبعدها عن التأثيرات الصحراوية والسودانية ؛ ولكنه حتى في معرض حديثه عن أكبر الحواضر المغربية في عصره وأكثرها نشاطاً وغنى وارتباطاً بالصحراء والسودان الافريقي وهي سجلماسة قال عن سورها : "... أسفله مبني بالحجارة وأعلاه بالطوب بناه اليسع بن أبي القاسم سنة 199 هـ ..." (*المغرب*، 148).

وإذا رجعنا إلى الآثار المتخلفة اليوم عن سجلماسة فيما تبقى من جدرانها فهي مبنية بالطابية مما يعني أن المدينة لم تعرف البناء بالطابية منذ نشأتها (ق 2 هـ ) إلى عهد البكري ق 5 هـ / 11م.

الشريف الادريسي 69 هـ / 12 م في *النزهة* 3 : 233 ـ ووردت عن أول إشارة إلى البناء بالطابية في معرض حديثه عن مدينة مراكش : "... بناؤها بالطوب والطين والطوابي المقامة من التراب..." من هنا نستطيع أن نقترح الفترة التاريخية التي دخلت فيها هذه الصناعة في البناء للمغرب وهي العهد المرابطي وتحديداً عهد الأمير علي بن يوسف (500 ـ 537 / 1107 ـ 1143) بل يمكننا أن نضبط أكثر فنقول إن الدخول كان سنة 519 / 1126 عندما أشار العالم والقاضي أبو الوليد ابن رشد على علي ببناء سور مراكش فكان المطلوب ـ بحسب الظرف وظهور المعارضة الموحدية ـ البناء بسرعة، عندئذ تم جلب أصحاب هذه الصناعة التي كان للمرابطين في مواطنهم الأصلية إلمام بها فاستقدم خبراء الطابية وعرفاؤها للإشراف على بناء السور ؛ جاء في *البيان المغرب*، 4 : 73 ما يلي :

"... ونبه القاضي (ابن رشد) على بناء الأسوار فشرع الأمير علي بن يوسف في بناء سور محدق بمراكش في هذه السنة (519) فكمل في أقرب وقت وأعجله...".

وقال العمري في (*مسالك الأبصار*، 295) في حديثه عن مدينة فاس : "... وجميع ابنيتها من الحجر والآجر والكلس موثقة البناء مشيدة الأركان والعتيقة بسور واحد من الحجارة والجديدة بسور من الطين المفرغ بالقالب من التراب والرمل والكلس المضروب وهو أشد من الحجر...".

في هذه النصوص والإشارات دليل على أن بداية العمل

بالطابية في البناء وخاصة بناء الأسوار كان مع المرابطين ثم تطور بعدهم وانتشر خاصة في عهد الموحدين والمرينيين وامتد إلى التاريخ الحديث والمعاصر. ويمكن تتبع ذلك من خلال النصوص والإشارات ومن خلال الآثار والبنايات الأثرية إلى بداية القرن العشرين. بل يمكن الوقوف على البنايات المشيدة بالطابية في شمال المغرب وجنوبه وفي شرقه وغربه من خلال أسوار المدن العتيقة والقصبات الإسماعيلية وقصبات القياد والباشوات وقصور الأعيان، وبعض الزوايا والمساجد وأيضاً القصور والقصبات الصحراوية. فضخامة هذه الأخيرة وجماليتها تعتبر ثروة وطنية بل وتراثاً إنسانياً عالمياً كما شهدت بذلك منظمة اليونيسكو في حق قصبة أولاد بن حدو قرب مدينة ورزازات.

والطابية كما جاءت عند ابن خلدون (*المقدمة*، 407 و408) "...ومنها البناء بالتراب خاصة يتخذلها لوحان من الخشب مقدران طولاً وعرضاً باختلاف العادات في التقدير وأوسطه أربع أذرع في ذراعين فينصبان على أساس وقد بوعد ما بينهما بما يراه صاحب البناء في عرض الأساس ويوصل بينهما بأذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجدر ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما بلوحين آخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب مخلطاً بالكلس ويركز بالمراكز المعدة حتى ينعم ركزه ويختلط اجزاؤه ثم يزاد التراب ثانياً وثالثاً إلى أن يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحين وقد تداخلت أجزاء الكلس والتراب وصارت جسماً واحداً ثم يعاد نصب اللوحين على صورة ويركز كذلك إلى أن يتم وينظم الألواح كلها سطراً من فوق سطر إلى أن ينتظم الحائط كله ملتحماً كأنه قطعة واحدة ويسمى الطابية...". وحرص ابن خلدون على الدقة في وصف الطابية له أكثر من مدلول فهو من جهة قد وقف بنفسه على هذه الصناعة فهو يتكلم عن مشاهدة، ومن جهة ثانية فهي بالنسبة إليه اكتشاف جديد لا يخلو من إعجاب، وقد تكلم عن الطابية كطريقة في البناء يلتجئ إليها الخاص والعام في بناء المساكن العادية وليست مقصورة على الأشغال الكبرى من أسوار ومرافق كبرى مما تنشئه الدولة.


أبو عبيد البكري، *المغرب الجزائر*، 1911 وباريس، 1965 ؛ الشريف الادريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الايطالية، 5 أجزاء، نابولي بدون تاريخ ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ العمري، *مسالك الأبصار* ضمن ورقات عن الحضارة المغربية لمحمد المنوني، الرباط، 1979 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1983 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 1، *المقدمة*، دار البيان، بيروت، بدون تاريخ.

Ch. Allain, *Reconnaissaces archéologiques dans le massif de Rhamna et la Bhira, Hesp.*, 1954, t. 41 ; *Une organisation agricole almohade dans la Bhira. Hesp.*, 1954, 3e et 4e tri. ; P. Berthier, *L'aqueduc de l'oued Ouâar et le bassin des Gaba à Taroudant. H.T.*, 1963, vol. II, fasc. 1 et 2 ; J. Meunier, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982.


محمد حجاج الطويل

**طابيرني** (Tabernae)، تسمى حاليا لالة الجيلالية، وهي عبارة عن محطة في الطريق الرابطة بين طنجة وأدميركوريوس. يضعها صاحب مسالك انطونين على بعد 14 ميلا جنوب ريبيس (الدشر الجديد). وأول من اكتشفها القنصل الفرنسي شارل تيسو سنة 1874 الذي يصفها قائلا : "تغطي أطلال لالة الجيلالية نهاية هضبة تغمرها مياه وادي الغانم أو وادي السبت وهو المجرى المائي الوحيد الذي يصب في المحيط الأطلسي بين أصيلة والعرائش".

وتقع طابيرني اليوم على بعد 16 كلم جنوب أصيلة و18 كلم شمال ليكسوس. ويعني اسم طابيرني باللاتينية الأكواخ أو منازل خفيفة سهلة التفكيك مما يوحي أنها كانت في الأصل عبارة عن موقع به مبان أنشئت بسرعة من الخشب في الغالب. وكانت تستعمل - على ما يبدو - كمحطة استراحة ونقطة مرور المسافرين من الشمال إلى الجنوب أو العكس.

يغطي موقع طابيرني غابة من أشجار الزيتون البري مما يجعل التعرف على أطلاله صعباً جدا. تحتل الأطلال الجزء الشمالي من الهضبة التي تشرف على وادي الغانم أو وادي السبت. وقد سبق لتيسو أن أشار إلى وجود جدار طوله 975 م كانت بقاياه لا تزال ظاهرة للعيان زمن الزيارة بجانب قلعة مبنية من أحجار كبيرة الحجم يبلغ محيطها 369 م. ويضيف تيسو إلى أنه بداخل هذه القلعة توجد بناية مبنية من أحجار طولها 95 م وعلوها 56 سم وسمكها 45 سم. تكون سورا رئيسيا مقسما إلى العديد من الغرف، مسبوقة بسور آخر وقد تعني هذه الجدران والأسوار معبدا.

وأما فيما يتعلق بالقسم غير العسكري في الموقع فمساحته تبلغ ضعف الموقع العسكري.

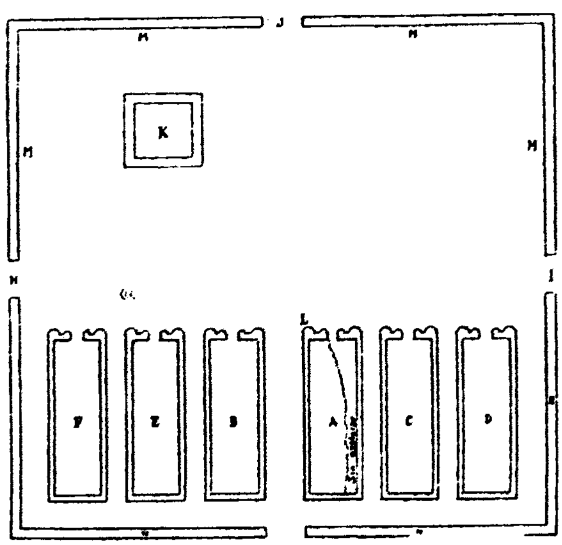

وقد أجرى دو لا مارتينيير (De La Martinière) تحريات في طابيرني وأظهر أسس القلعة التي وصفها كالتالي : "عبارة عن قلعة صغيرة طولها 18 م وعرضها 16 م، أضيف إليها في كل من الجهتين اليمنى واليسرى قاعتان على هيئة برجين قسمتا من الداخل إلى غرف صغيرة تحيطان بدون شك

بساحة مركزية". وقد نشر كانيا الذي اقتبسنا منه هذه السطور مخطط الموقع الذي يرى فيه أنه عبارة عن برج داخل بناية دائرية قطرها 5 م تقع داخل الحصن بجوار إحدى القاعتين على هيئة البرج.

ويذكر شاتلان، الذي قام بزيارة للموقع رفقة مونطالبان سنة 1927، أنه لم يميز جدرانا أخرى غير جدران الحصن الرئيسي.

وقد أجرى مونطالبان تنقيبات في طابيرني سنة 1939 سمحت له بالتعرف أكثر على محتويات الموقع حيث اكتشف بنايات خارج جدران الحصن. وعند دراسته لهذه الأخيرة ووضع مخططاتها تبين له أنها تتضمن ست بنايات متوازية قريبة من البوابة المعروفة بالبوابة البريطورية. كما يبدو أنه كان بالداخل معبد صغير مغطى بقبة.

ويذكر شاتلان أنه استخرجت كذلك مسكوكات تعود لعهود الأباطرة الرومان هادريانوس وكمودوس وگوردبانوس الثالث وألكسندر سيفيروس وگاليانوس بالإضافة إلى قاعدة تمثال تحمل كتابة مكونة من خمسة أسطر يصعب فك رموزها.

Cagnat, *L'armée romaine d'Afrique*, 2è éd., Paris, 1912, 2 vol. ; Chatelain, *Le Maroc des romains*, Rabat, 3, 1937 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878 ; Michaix-Bellaire et G. Salmon, *Les tribus arabes de la vallée de Lokkous*, *A.M.*, II, 1906 ; Tarradell, *Contribution à l'Atlas achéologique du Maroc, Région de Tétouan*, *B.A.M.*, VI, 1966, n° 3 ; *Guia Arqueologica, del Marruecos espaniol*, Tetuan 1953 ; *Marruecos antiguo, Nuevas perspectives Zephoyrus* V, 1954 ; C. Montalban, *Resumen de la memoria referente a los trabajos efectuados en el año 1939 en las ruinas de Ad Mercurii y Tabernae*, Num 1, Larache, 1940 ; Pelayo Quintero Atauri, *Apuntes sobre*, Arqueologica del Marruecos Espaniol, Tetuan 1941 ; P. Quintero Atauri et G. Gumenz Bernal, *Excavaciones en Tamuda, Memoria resumen de las practicadas en 1943*, Tetuan, 1944 ; R. Roget, *Index topographique du Maroc*, 1938 ; *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.

مصطفى أعشي

**الطاح**، اسم يطلق على مركز وعلى جماعة قروية وبشكل خاص على إحدى السبخات المشهورة بجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء.

ظل موقع الطاح يشكل مركزا حدوديا خلقه المستعمر الإسباني لحراسة الحدود الوهمية الفاصلة بين الشمال المغربي وباقي ترابه الجنوبي المشكل من الساقية الحمراء ووادي الذهب، وذلك إلى غاية 1975 حيث تحول هذا الموقع إلى معبر للمسيرة الخضراء السلمية التي تم على إثرها استرجاع هذه الأقاليم الصحراوية.

وعلى إثر التقسيم الإداري الأخير لسنة 1992 فقد أصبح اسم الطاح يطلق على جماعة قروية تابعة لدائرة طرفاية، التي تنتمي بدورها لإقليم العيون التابع لجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء. وقد بلغ عدد سكان جماعة الطاح حسب نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1994 ما قدره 563 نسمة موزعين على 124 أسرة.

غير أن اسم الطاح يبقى مرتبطا أكثر بسبخة الطاح التي تعتبر بحق من أشهر المسطحات المائية المالحة المشهورة على صعيد الصحراء الإفريقية الكبرى الغربية.

تستقر سبخة الطاح عند الهضبة الساحلية المعروفة بالكعدة، التي تمثل في الواقع حمادة تنتمي موادها الصخرية إلى الزمن الثاني والثالث. وقد تطورت هذه السبخة على شكل منخفض يبلغ عمقه 55 متراً دون سطح البحر، وتتخذ شكل ممر تبلغ مساحته 250 كلم2 باتجاه عام شد. - ش - شد / غ ج - غ بشكل مواز لساحل طرفاية، الذي لا يبعد عن الهامش الشمالي للسبخة إلا بحوالي 30 كلم، وبشكل مواز مع اتجاه الرياح التجارية التي تتردد بشكل قوي على هذه المنطقة.

وحسب هذه الظروف المحلية المتميزة بالجفاف، وبهبوب الرياح القوية وبتردد عال، والمتميزة أيضا بوجود إمكانيات جيولوجية قابلة لاحتضان فرشة مائية جوفية، إضافة إلى توفر شروط وجود الملح، فإن سبخة الطاح لا تخرج عن نطاق السبخات التي تتطور بالأوساط الصحراوية تحت تأثير الدينامية الجيمرفلوجية الماء - هوائية القادرة على توسيع هذه المنخفضات وحفرها على أعماق بعيدة دون مستوى سطح البحر.

إن هذه السبخة تشكل ثروة طبيعية حقيقية يمكن استغلالها على أوجه مختلفة : فهي تقدم منظرا طبيعيا خلابا غير مألوف يمكن استثماره كمنتوج سياحي، وتقدم مكمنا ملحيا لا يتم استغلاله إلا على نحو محدود، كما يمكن استغلالها لتوليد الطاقة الكهربائية بالاعتماد على الفرق الارتفاعي بين سطح السبخة وسطح البحر. ويتم حاليا التفكير في إمكانيات خلق مركب هيدركهربائي توجه طاقته لاستخراج ملح السبخة بإنتاج قد يبلغ 100 ألف متر مكعب في اليوم.

عبد اللطيف رمان

**الطار** أو الطر آلة الإيقاع المعروفة. تصنع من خشب على شكل دائرة تغطي أحد جانبيها قطعة من جلد الماعز. ويبلغ قطر الدائرة حوالي عشرين سم. وقد عرفت هذه الآلة بعدة أسماء منها الدف، والرق، والمزهر. فهي عند القاضي عياض : دف مربع بوجهين، وعند القلقشندي "قد تكون بصنوج، وقد تكون بغيرها".

ومن المصادر الفقهية التي ألمت بذكر الطر معيار الونشريسي، فقد جاء فيه أن أبا سعيد فرج بن لب (إمام مسجد قرطبة) سئل عن حضوره وليمة النكاح مع ما تشتمل عليه من الملاهي وأصوات النساء والطر المزنج فأجاب... : وأما سماع الطر بتلك الزنوج المعروفة فيه ففيه اختلاف بالإباحة والكراهة والمنع، لكن جرت عادة الشيوخ العلماء وأئمة الفقهاء بحضور موضع ذلك.

ومن المصادر التي عرفت بهذه الآلة كتاب "الدلالات

السمعية" لأبي الحسن علي الخزاعي، فقد جاء فيه أنه "وهو المستعمل الآن عند المغنين في الأعراس في عصرنا هذا، وفيه قطع من الصفر مستديرة مركبة في جوانب مجاورة، يسمع لها عند تحريكه وقرع بعضها بعضا تصويت وجلجلة".

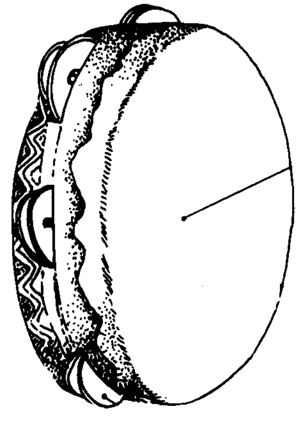

يستخدم الطار في مصاحبة العيطات الجبلية كما يستخدم في الموسيقى الأندلسية، وهو يحتل من جوقها مكانة رئيسية لوظيفته في ضبط حركة الألحان وتحديد الإيقاع. وقد أشار إلى ذلك شاعر الأندلس في عهد ملوك الطوائف ابن حمديس الصقلي إذ قال :

وراقصة لقطت رجلها    حساب يد نقرت طارها

كما أكد إبراهيم التادلي أهمية هذه الوظيفة فنعت هذه الآلة بأنها "لجام الموسيقى وأساسها"، ونعت صاحبها بأنه "رئيس الموسيقى وأن صاحبها في القديم كان هو الرئيس الذي ينفق الشعر أولا ونغمته، وأصحاب العيدان والأربية تابعون له".

ويتم ضبط الميزان على الطار بواسطة نقره أو تحريكه. أما النقر فيكون على نحوين هما :

أ - ضرب وجه الطار بكف اليد اليمنى، وهي الضربة القوية من دور الميزان. وقد أسماها الحايك بالندف.

ب - ضرب جانب الطار بمعظم اليد اليمنى أو بالسبابة. وهي الضربة الضعيفة من الدور، ويسميها الحايك بالزنج.

غير أن "الآليين" تخلوا عن مصطلحي الندف والزنج واستبدلوهما بمصطلحين شرقيين هما الدم والتك.

وأما تحريك الطار فيراد به إسماع صوت الزنوج الصفرية المحيطة به، ويكون باليد اليسرى، وهو يحتل في دور الميزان موقع الفاصلة الصامتة.

علي الخزاعي، *الدلالات السمعية*، ط. القاهرة، 1980، ص. 774 ؛ ابن عبد الجليل، *معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية*، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، الرباط، 1992، ص. 32 ؛ *الموسيقى الأندلسية المغربية، فنون الأداء*، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1989، ص. 248 ؛ القاضي عياض، *بغية الراشد*، ص. 114 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، ج. 2، ص. 152 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار المعرب*، ج. 3، ص. 181، طبع وزارة الأوقاف، المغرب.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**طارق بن زياد**، تختلف الروايات حول نسب طارق بن زياد ابتداء من اسم أبيه، فهو تارة زياد وأخرى عمرو، وهو في رواية فارسي من همذان، وفي أخرى بربري من قبيلة نفزة، مولى لموسى بن نصير، وفي ثالثة طارق بن زياد الليثي بالولاء. تبدو الرواية االراجحة هي القائلة بنسب طارق البربري، إذ تقدم سلسلة نسب تقف عند نفزاو : فهو طارق بن زياد بن عبد الله بن رفهو ورفجوم بن ينزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو. تلقى الإسلام عن أبيه عن جده عبد الله، الذي يغلب على الظن أنه أول من أسلم في سلسلة نسبه.

ليست لدينا معلومات عن طارق بن زياد قبل ولايته طنجة، عدا إشارة إلى أنه ولد نحو سنة 50 / 670.

وينم اختيار موسى بن نصير لطارق بن زياد واليا من قبله على طنجة سنة 89 /708، ثم قائدا لجيوش فتح الأندلس في رجب 92 / أبريل 711، عن دراية إدارية وعسكرية، مما يحيل على نشاطه العسكري قبل بروزه، بمعنى أنه شارك في فتوح المغرب بكفاءة عالية.

عبر طارق بن زياد البحر من سبتة، بقواته على ظهر سفن يوليان، ونزل على الضفة المقابلة في المكان الصخري الذي حمل اسمه إلى اليوم، وذلك يوم الاثنين 5 رجب 92 / 27 أبريل 711، واتجه غربا حيث زحف على ولاية الجزيرة، متجاوزا بعض المقاومة القوطية هناك. ثم قصد سهول المنطقة الوسطى - الغربية حيث هزم القوط ثانية، ثم تطلع إلى العاصمة القوطية طليطلة.

وأمام توحيد القوط صفوفهم وعزمهم على إيقاف زحف الفاتحين، استنجد طارق بموسى بن نصير فأمده بـ 5 آلاف مقاتل، استعدادا للمواجهة الحاسمة التي تمت بين الطرفين في سهل Frontera على ضفاف نهر وادي لكه أو بكه، ابتداء من 28 رمضان 92 / 17 يوليوز 711، وبعد مناوشات دامت ثلاثة أيام التحم الجيشان في معركة شاملة دامت سبعة أيام، أسفرت عن هزيمة ساحقة للقوط، رغم قلة عدد أفراد الجيش العربي - الإسلامي مقارنة بعدد أفراد الجيش الاسباني الذي تراوحت أعداده بين 100 ألف و40 ألف مقاتل.

وتحفل المصادر، الإسلامية خاصة، بروايات تحيط

بشخصية طارق بن زياد وبفتوحه في الأندلس، على رأسها الخطبة التي ألقاها في جنده، قبيل المعركة الحاسمة ضد القوط، والتي كان لها دور كبير في إذكاء حماس المقاتلين المسلمين ودفعهم إلى المواجهة بروح معنوية عالية كانت وراء انتصارهم، غير أن عدم ورود الخطبة في مصادر إسلامية متقدمة، يجعل الشك يتسرب إلى وجودها أصلا بالصورة التي تناقلتها مصادر متأخرة، من حيث روعة أسلوبها وعباراتها.

وإلى جانب الخطبة تتحدث المصادر عن إقدام طارق على إحراق سفنه بعد عبور جنده للمضيق، حتى يدفع أفراد قواته إلى الاستبسال في مواجهة القوط، ويقطع أمامهم سبيل التراجع والنكوص. غير أن هذا الحادث يمكن الشك فيه أيضا فالسفن كانت في ملكية يوليان، ولم يكن بمستطاع القائد العسكري التصرف فيها، ويؤيد ذلك ورود هذا الخبر في مصادر تبعد عن تاريخ الفتح بأكثر من ثلاثة قرون.

واصل طارق بن زياد زحفه في الأراضي الإسبانية شمالا، واشتبكت قواته مرة أخرى مع القوط عند مدينة استجة، فتمكن من هزمهم، ليفتح المجال أمام سقوط المدن والحصون الإسبانية تباعا، مثل قرطبة ومالقة، وغرناطة وإلبيرة ليتوج الأمر بفتح العاصمة القوطية نفسها (طليطلة). ثم تابع طارق بن زياد سيره شمالا، مخترقا قشتالة وليون، حتى أشرف على ثغر خيخون على ساحل بسكونية في المحيط الأطلسي، حيث وصله هناك أمر موسى بن نصير بالتوقف، وقد استغرق منذ عبوره سنة كاملة.

ويبدو أن توغل طارق بن زياد الكبير في الأراضي الإسبانية، كان وراء تخوف موسى بن نصير من نكسة تجهز على ما تحقق من مكاسب ترابية خاصة. وهكذا عاد طارق ليلتقي بموسى بن نصير عند مشارف مدينة طليطلة، وليتفق الرجلان على خطة لإكمال فتح إسبانيا، تقتضي بتوجه كل واحد منهما إلى جهة معينة، فكانت وجهة موسى الشمال، وكانت وجهة طارق الجهات الشرقية.

غير أن أوامر الخلافة الأموية جعلت حدا لفتوح الرجلين معا : موسى وطارق، فقد تم استدعاؤهما إلى دمشق، خوفا من تطورات لاحقة تعصف بكل ما تحقق للمسلمين في هذه البلاد البعيدة عن مركز الخلافة. وهكذا عاد طارق بن زياد صحبة موسى بن نصير إلى المشرق في شهر ذي الحجة 95 / غشت 714.

وإذا كانت المصادر تقدم روايات مختلفة ومتناقضة حول مصير موسى بن نصير في الشرق، فإنها تغفل مصير طارق بن زياد، ولا تضيف شيئا إلى تفكير الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك في تعيينه واليا على الأندلس، ثم تراجعه خوفا من استبداده بها، خاصة وقد بلغه ما كان يحظى به القائد البربري من هيبة وتعظيم هناك. فهل لقي طارق المصير الذي لقيه موسى بن نصير في دمشق ؟ لا نملك إجابة عن ذلك أمام غياب مطلق لمعلومات حول هذه الشخصية الفذة.

وهكذا لم ينصف المؤرخون والإخباريون شخصية طارق بن زياد، فبعد إهمالهم التعريف به قبل أول ظهور له في ولاية طنجة تجاهلوا مسار حياته بعد التحاقه بدمشق استجابة لأوامر الخلافة، عدا إشارة إلى أن وفاته كانت سنة 102 / 720، التي يصعب الأخذ بها، حيث يطبق صمت رهيب على اسم طارق بن زياد، سواء في المشرق أو المغرب.

ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية والأندلس*، 1964 ؛ ابن قتيبة الدينوري، *الإمامة والسياسة*، ج. 2، 1997 ؛ ابن القوطية القرطبي، *تاريخ افتتاح الأندلس*، 1957 ؛ مؤلف مجهول، *فتح الأندلس*، 1994 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، ج. 2، 1983 ؛ محمد بن عبد الله عنان، *دولة الإسلام في الأندلس*، ق 1، 1960 ؛ جرجي أنطونيوس طربيه، *الوجدية وأثرها في الأندلس*، 1983 ؛ خير الدين الزركلي، *الأعلام*، م 3، 1986 ؛ رينهرت دوزي، *المسلمون في الأندلس*، ج. 1، 1998.

عبد الإله بلمليح

**طارو، جيروم و جان** (Tharaud, Jérôme et Jean) (1874-1953) وأخوه شارل الذي كان يسمي نفسه جان (1877-1952)، من خريجي المدرسة العليا للأساتذة بباريز. بدآ الكتابة معا سنة 1898، فأنتجا أدبا جيّدا وأصيلا حقق لهما الشهرة ومكنها فيما بعد من الدخول إلى الأكاديمية الفرنسية.

وصلا لأول مرة إلى المغرب سنة 1917، مدعوَّيْن من طرف المرشال ليوطي، أول مقيم عام للحماية، الذي كان في تلك السنة يشغل منصب وزير الحرب في حكومة الجمهورية. فلم يكن هذا الاستدعاء من باب الكرم. فالأخوان كانا قد أبانا من ذلك الوقت عن مؤهلاتهما الأدبية. وأظهرا اهتمامهما الكبير بدراسة العنصر العربي واليهودي. إذ نُشر لهما سنة 1912 مؤلفهما *العيد العربي* *(La Fête arabe)* الذي كتباه عن مسلمي الجزائر المحتلة ؛ ثم ظهر لهما سنة 1917 مؤلف ثان، *ظل الصليب* *(L'ombre de la croix)* الذي يتحدثان فيه عن اليهود. ولذلك كان الهدف من دعوة الأخوين واضحا. فليوطي الذي كان يلقب إذاك "بمبدع المغرب الجديد"، كان يريد منهما إنتاج أعمال أدبية إعلامية، تخدم بجودتها ودقة مضمونها ومصداقيتها السياسة الاستعمارية التي خططت لها الإقامة العامة. ولهذا الغرض وحتى يتمكنا من معرفة المغرب بلدا وشعبا، أقام الأخوان ستة أشهر في الرباط، وسنتين في مراكش والجنوب، قاما خلالها بعدة رحلات إلى فاس، العاصمة الروحية.

أنفق الأخوان مقامهما الطويل في الاطلاع على أحوال المجتمع والتعرف بالأخص على عيوبه وشوائبه. فمكنتهما ملاحظاتهما والمعلومات التي حصلا عليها من كتابة ثلاثة مؤلفات. فنُشر لهما خلال سنة 1921 : *مراكش أو سادة الأطلس* *(Marrakech ou les seigneurs de l'Atlas)*، ثم *الرباط أو الساعات المغربية* *(Rabat ou les heures marocaines)*. وبعد تسع سنوات طُبع لهما كتاب ثالث :

فـــاس أو برجـــوازيو الإســـلام (Fès ou les bourgeois de l'Islam).

تعـتـبـر هذه الثـلاثيـة من أبرز وأهم مـا كـتب إلى غـاية الثلاثينيات عن مغرب الحماية في أدب الاستعمار الفرنسي. فهي في شكلها نموذج ناجح جعلها تأخذ الصدارة في رفوف المؤلفـات الكلاسـيكيـة التي خلفـهـا هذا الأدب. إلا أن مضمونها في مجمله يعطي للقارئ صورة فقيرة وسلبية عن الإنسان المغربي وهو يعيش تحت رحمة المستعمر، فالأديبان سخرا كل مؤهلاتهما الفنية والتعبيرية لوصف أخلاقه المنحطة : فأبرزا ميله الطبيعي إلى الكذب والنفاق والقساوة والفساد والرشوة وغيرها من الرذائل التي تجعل منه إنسانا منعدم الكرامة. ويزكي الأخوان أطروحاتهما بأمثلة يدعيان بأنهما أخذاها من الواقع المعيش، فيقولان مثلا بلسان واحد مبرزين أنانية الرجل الفاسي وعدم اكترائه بالصالح العام :

"شاهدنا خلال فصل شتاء بكامله، أحد أغنياء فاس يعبر بركة وحل على مقربة من باب منزله، ممتطيا بغلته التي رغم اشمئزازها من الماء القذر، لم تكن تستطيع تجنبه. فكانت المسكينة تغطس فيه حتى الركبة، فتتلوث في كل مرة بلغتي صاحبها وسلهامه. وكان للغني صاحب وعدة عبيد يظلون متجمعين أمام مدخل الدار بدون عمل. وكان يكفيهم يوم واحد لملء الحفرة بالحجارة. ولكن صاحبنا الفاسي كان يفضل أن يغرق في الوحل أربع مرات في اليوم، بدلا من أن يتحمل بمفرده مصاريف هذا الإصلاح البسيط الذي كان سينتفع منه العموم".

من خلال هذه الشهادة النموذجية التي تبين في الواقع عدم اكتراث سلطات الحماية بإصلاح وترميم طرقات المدينة العتيقة، تتبين أهداف خطابات الأخوين من ثلاثيتهما. فهما لم يتطرقا قط إلى موضوع الاستعمار، بل عمدا على تكريس الصورة المشوهة للشخصية المغربية مقابل إبراز تفوق المعمر الفرنسي الذي يزعمان أنه جاء إلى بلاد المغرب ليقوم بالإصلاح الذي عجز المغاربة أن يحققوه. ولهذا كانت خطابات الأخوين جروم وجان طارو، رغم سموهما الفكري وتألقهما الأدبي، تسير في نفس السياق الذي رسمه أغلب كتاب الاستعمار في المغرب والذين كانوا على عكسهما يتميزون بضعف أو انعدام مؤهلاتهم الفكرية والأدبية.

محمد البقالي اليدري

**طاطا**، من أجمل واحات باني الأوسط، تقع بشعْبٍ ينفتح على جبل باني بوادي طاطا المنحدر من إداونَظيف وتاگسوت وإندوزال. وتعد من أهم المنافذ لاختراق الأطلس الصغير، وتقع شمال شرق واحة أقا، وعلى ارتفاع أقصاه 900 متر.

كان لهذا الموقع والموضع أثر كبير في قلة التساقطات بها، وفي ارتفاع حرارتها لانفتاحها على المجال الصحراوي، وقد تصل استثناء إلى خمسين درجة مئوية.

ولم يمنع هذا العائق من استقرار الساكنة مبكرا كما تشهد الشواهد الأثرية. وقد تناثرت على وادي طاطا قصور بلغ عددها عشرين قصرا تحتضن ثمانمائة دار، ويقطنها الشلوح والعرب من ذوي بْلالْ وأولاد جلال الذين استقروا بها بعد أواسط القرن الثالث عشر (19 م) وكان لها يد في تغيير معالم البنى السياسية بالمنطقة. كما كانت قلة من اليهود بقصر تينْ تازارْتْ وبها ملاح صغير (14 عائلة)، وقد تعرض هذا القصر لخراب.

ويبدو أن علم طاطا تداولته الكتابات حديثا، وكان العلم الأكثر تداولا، والذي مازالت تتداوله الألسن المحلية، هو "أسيف ـ نْ ـ وولْتْ"، وإليه ينسب الوولتيون، وتقرأ الكلمة خطأ بالولتي. وتفيد الرواية الشفوية أن الاسلام دخل الواحة من الجنوب، وأن أصل العائلات الطاطائية من تامدولت. فهل آثرت الاستقرار بهذه المدينة زمن الأدارسة ثم انتقلت منها أثناء خرابها خلال القرن 14 إلى طاطا ؟ سؤال يحتاج إلى أدلة يقينية لا نتوفر عليها اليوم.

وكان المخزن يولي اهتماما بالمنطقة للحفاظ على أمن المسالك المطروقة بين الواحة وبين محطات صحراوية تنتهي بالسودان الغربي.

لكن ضبط الأمن يستلزم خفارة كفأة للحد من هجومات قبائل الرحل المعقلية بالخصوص حسب روايات مارمول، ودوفوكو. وهي أيت أوسا وأولاد جلال وذوي بْلالْ. لذلك كلما تجاوزت القوافل النطاق الجبلي للأطلس الصغير، كلما استعانت بقيادات ومشيخات وقوى ذات نفوذ مادي ورمزي محليا وإقليميا مثل إيليغ، تمنارت، أقا، علماء، وفقهاء وثلة من المرابطين.

وقد أرخى مشكل غياب الأمن على الوجود المخزني بالمنطقة، إذ كان ـ على العموم ـ ضعيفا تنقصه الوسائل، حتى في فترات قوة المركز كما كان على عهد السلطان المولى إسماعيل. ولم يتمكن المخزن العلوي في هذه الجهة إلا قليلا بعد توغل القائد أغناج زمن المولى سليمان في عمق طاطا وبنى بها قصبة سنة 1227 هـ تحمل اسمه، ومازال الشيوخ يعرفون موقعها.

ومن خلال هذا الضعف حاولت الاسطغرافيا الاستعمارية إدخال المنطقة في مجال بلاد السيبة معتمدة على رواية دوفوكو، وهذا الموقف مردود لأن زمن رحلة دوفوكو إلى المنطقة صادف تدهورها سياسيا واجتماعيا بل وبيئيا.

لقد كانت القبيلة على الدوام تعتمد على مشيخات لم تفتأ الحرب سجالا بينها، فاعتمد فرع أولاد جلال على نحلة تاگزولت، وآثر فرع ذوي بلال نحلة تاحگات السكتانية، بله دب نزاع بين فرعين من نفس الفصيل : حيان ومكراز.

ولدرء هذا الوضع، حاول السلطان المولى الحسن الأول تنظيم مشيخات القبيلة سنة 1303 /1886 واعترف بها رسميا وعلى رأسها عائلة بونعيلات الذوبلالية، لكن الاحتفاظ على أربع قيادات إنما زادها تشرذما.

ويبدو أن جانب تاحكات تقوى وتغلب أخيرا على نحلة تاكزولت على غير العادة، وقد يكون بُعد المكان عن يعسوب الكلوليين بإيليغ أحد الأسباب.

ومن بين تداعيات هذه القلاقل تقلص عدد ذوي وبلال وأولاد جلال بشكل لافت للنظر، ومن بينها كذلك خراب مداشر وقرى بكاملها منها على الخصوص : قصر تين تازارت. ودفع هذا الوضع إلى تراجع قوة الطاطائيين أمام أندادهم من الجيران : سكتانة وأقا.

وواكب هذ التدهور فقدان طاطا لإشعاعا التجاري بعد أن تحول المسلك التجاري إلى مركز تندوف منذ أواسط القرن 19 وتقوى دور التاجاكنتيين.

وفيما سلف، استفادت الواحة من موقعها التجاري. واشتهرت بسوقين : أگادير الهناء وأديسْ، فكانت العائلات الميسورة تقتات بالأساس من التجارة الصحراوية والسودانية، وتُعضِّد حياتها بزراعة مسقية في شرائط ضيقة بها أشجار مثمرة : التين، البرتقال، الليمون، العنب، الزيوت... بالإضافة إلى التداول بين الشعير والذرة. ويظل التمر عصب الانتاج ومورد تبادل مع السوس والسودان، وقد عانى منذ قرن من آفة البيوض.

بالمقابل كانت الأراضي البورية ضعيفة الإنتاج (الشعير) ويبقى معدر درعة ملاذ السكان، وأهم المعادر ينسب لذوي بلال، وتحدث عنه دوفوكو بإسهاب، وتستفيد منه قبائل البْرابْر في إطار تعاقد، وفي أحايين كثيرة يكون مثار قلاقل وفتن.

لقد استثمرت الحماية الفرنسية تناقضات القبيلة الداخلية وضعف جانبها أمام جيرانها گلاوة، مما دفع بالقائد الدوبلالي - مثل ما وقع بأقا - إلى الاتصال بإدارتها مبكرا لقطع الطريق أمام طموحات الگلاويين، الذين أرادوا استغلال غموض الحدود بين القبيلتين.

وقد اعترفت الحماية بنفوذ الذوبلال في مجاله كما كان زمن السلطان المولى الحسن، ويحمل ظهير التولية تاريخ 21 القعدة 1336 / 1922 .

بهذا الإجراء جرّ القائد الاحتلال إلى المنطقة، لكن لم يتأتّ ذلك رسميا إلا بعد عقد من الزمن، حين طلعت الجيوش الفرنسية إلى طاطا من مركز إغرم 1347 / 1929، وبعد سنتين بُنيت ثكنة عسكرية وتقوى بذلك جانب الدوبلاليين.

بهذا الإجراء كذلك تمكن الفرنسيون من شد الطوق على الأطلس الصغير من الجنوب ونشط عمل ضباط الشؤون الأهلية، وغدت طاطا أهم المراكز للمراقبة ولتكوين سرايا صحراوية من الأهالي تحت قيادة عسكرية فرنسية، تأهبا لاختراق بلاد الشرگ والصحراء خلال الثلاثينيات من القرن الماضي.

في ظلال التجاذب والتقاطع مع الحدث السياسي، احتضنت القبيلة ثقافة عالمة رموزها الزوايا والمدارس، وعلى رأس زاوية أفرا بأگادير الهناء، ومن وجوهها إبراهيم أومحند نايْتْ حساين، تيجاني الطريقة.

ويبدو أن أثر الطاطائيين في هذه الثقافة أقل ثراءً وتنوعاً مقارنة بمناطق من سوس. وعلى العكس كان التراث الشفاهي متعدد الأطياف من غناء ورقص وأمثال وحكايات وطقوس وما إليها، ومن حسن الطالع أن السكان احتفظوا على إشعاعه اعتمادا على فعاليات محلية.

الحضيگي، *طبقات* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الأجزاء 6، 16، 18، 19 ؛ *خلال جزولة*، 3 : 64، 67، 68، 70، 88، 104،90، 135 ؛ *واحات باني : العمق التاريخي ومؤهلات التنمية*، أعمال ندوة طاطا (مارس 1995)، منشورات كلية الآداب ابن زهر، 1998 ؛ *أرشيف الخزانة الحسنية*.

*A.F.*, Août 1922 ; CHEAM, n° 541, 1924 ; *A.F. : R.C.*, n° 4 oct, 1924 ; Archives Vincennes, 1926, Rapport Denis ; Ch. de Foucauld, pp. 318, 319, 400, 402 ; J. Meunié, *Le Maroc Saharien*, pp. 91, 95, 117, 123, 130, 228, 348, 354, 355, 565 ; J. Bellakhdar [et al.], *Tissint*, Rabat, 1992 ; M. Akhmisse, *Tata ou l'errance fujitive*, Rabat, 1990.

شفيق أرفاگ

**طاطنباخ (فون) كريستيان** (1846-1909)، دبلوماسي ألماني مثل بلاده في المغرب بصفة وزير مفوض مقيم، ثم بصفة مبعوث فوق العادة لدى السلطان المولى عبد العزيز، ثم كان رئيس البعثة الألمانية في مؤتمر الجزيرات إلى جانب رادوفيتس Radowitz، سفير ألمانيا يومئذ في مدريد.

وقد ازداد كريستيان فون طاطنباخ سنة 1846 في لاندسهوت Landshut في إقليم بايرن جنوب ألمانيا، من أسرة نبيلة ورث عنها لقب "الكراف" (يعني الكونت باللغات الأوربية الأخرى)، كما ورث عنها روح الكبرياء الطبقي الذي عززه في نفسه ما كان عليه من طول القامة وضخامة الهامة وامتداد الكاهل. اشتغل، بعد إتمامه لدراسة القانون، في إدارة إقليم ألزاس - لورين المنتزع من فرنسا في السبعينيات من القرن التاسع عشر، وذلك فيما بين 1873 و1878. ثم التحق بوزارة الخارجية، فعيّن كاتبا لدى السفارة الألمانية في بيكين عاصمة الصين، وأقام هناك من سنة 1879 إلى سنة 1884. ثم كان قنصلا عاما في بلغراد عاصمة مملكة الصرب. ثم ارتقى مستشارا لدى سفارة بلاده في مدريد. ومن مدريد صار يلم بالتدريج بقضايا المغرب، مما أهله للقيام بوظيفة الوزير الألماني المفوض المقيم في طنجة ابتداء من سنة 1889. وقد أمسك بزمام مصالح وطنه في المغرب بيد من حديد ملفوفة في الحرير، طيلة السنوات الأخيرة من عهد السلطان المولى حسن. وعرف كيف يستغل المنافسة بين باقي الأوربيين لترسيخ التجارة الألمانية في الأسواق المغربية، ذلك بأنه جرى بينه وبين السلطان المولى حسن تعاطف دعمته المصالح المشتركة، إذ التقى طاطنباخ مرة أولى بالسلطان في طنجة في خريف سنة 1889، ثم التقى به مرة ثانية في فاس، في سفارة رسمية في ربيع 1890، وأقام عدة شهور يبدي عظمة ألمانيا ومدى احترامها لدولة المغرب ورغبتها في النهوض بالعلاقات بين الدولتين. وصادف ذلك حاجة من السلطان إلى الصمود في وجه باقي الأقطاب العظمى، وبخاصة إنجلترا

وفرنسا وإسبانيا، التي كان ضغطها على المغرب قد تجاوز كل الحدود في تلك السنوات. وكان عليه في المقابل أن يلبي بعض ما كانت ألمانيا هي نفسها تلحّ فيه منذ سنوات من الملتمسات التجارية، وملخصها رفع الحواجز عن التصدير من المغرب، والسماح بتصدير الحبوب والقطاني على وجه الخصوص، التي ظل السلطان يعاملهم بالتسويف في شأنها ويتذرع بقول العلماء وأقطاب الرأي العام المغربي بعدم شرعية التنازل فيها. لكن طاطنباخ استطاع أن يقنع المولى حسن بسلوك مسلك وسط في الأمر، وذلك في الوقت الذي صارت فيه الجيوش الفرنسية على مرحلتين من واحات توات، وصار الإنجليز يطالبون بلهجة الغلظة والفظاظة بإدخال "الإصلاحات" التي لن تزيد التغلغل الأوربي إلا قوة وامتدادا. ودرءاً لذلك، تنازل المولى حسن فأمضى معاهدة تجارية مع طاطنباخ، رخص فيها بتصدير الحبوب المغربية وغيرها من المواد الاستراتيجية في اقتصاد المغرب يومئذ، برسوم غير مجحفة، على أن يجري ذلك لمدة ثلاث سنوات على سبيل التجربة. وكان ذلك باقتراح من طاطنباخ، حلا وسطا بين الرفض المخزني المعهود ورغبة التجار الأوربيين في التسريح المطلق. وظل طاطنباخ، أثناء السنوات الأخيرة من عهد المولى الحسن لا يبخل بمعاونته ونصائحه، علما بأن اهتمام الدبلوماسية الألمانية بعد انسحاب المستشار بيسمارك من السلطة وتربع الإمبراطور غليوم الثاني على عرش ألمانيا سنة 1890، قد تحول من الآفاق الأوربية الضيقة إلى آفاق ما وسموه بأنه "ألفيلت - بولتيك" Weltpolitik، أو "السياسة العالمية"، التي يشكل المغرب فيها حتما محطة بالغة الأهمية. ولقد تطورت العلاقات التجارية بين المغرب وألمانيا فيما بين 1885 و1896 بشكل أثار انتباه باقي الدول وحفيظتها. وكان للسفير طاطنباخ ضلع كبير في ذلك، بالرغم من مصير صلاته بالجهاز المخزني، بعد وفاة المولى الحسن يوم 7 يونيو 1894، إلى جولات عنيفة من الأخذ والرد، وذلك ولاشك بسبب تنافر الأمزجة بين الحاجب أحمد بن موسى والكراف فون طاطنباخ، وبسبب جرائم ذهب ضحيتها بعض الرعايا الألمان. ففي يوم 6 نونبر 1894، قتل فرانتس نويمان Franz Neumann في ضيعته بأحواز الدار البيضاء. فاستشاط طاطنباخ غضبا. وعوض أن يتقدم بشكواه إلى النائب السلطاني في طنجة على الطريقة المعهودة، فإنه أبى إلا أن يرحل هو بنفسه إلى فاس، حيث كان السلطان عبد العزيز مقيما بعد مبايعته، مطالبا المخزن بلغة التهديد والتعجرف بإلقاء القبض على الجناة وإعدامهم، ومعلنا أنه لن يغادر المدينة إلا بعد تلبية مطالبه التي عززها برسوّ مركب عسكري ألماني أمام طنجة. ولم يكن للمخزن بدّمن الإذعان. فطار صيت طاطنباخ في الأوساط الأوربية التي رأت أن لغة التعنيف هي اللغة المجدية مع الجهاز المخزني. والحقيقة هي أن المخزن العزيزي الناشئ كان لا يريد فقدان السند الألماني، فلبى ملتمسات طاطنباخ بالرغم مما جاءت عليه من الاستخفاف وسوء المراعاة، وذلك رغبة في تجاوز النازلة للعودة بالعلاقات مع الألمان إلى التفاهم المفيد للجانبين. لكن سرعان ما وقعت واقعة أخرى تجاوز فيها طاطنباخ كل الحدود، وذلك على إثر مقتل مواطن ألماني آخر، وهذه المرة في ضواحي أسفي، واسمه هيرمان روكشطروه Herman Rockstroh. ومرة أخرى، تصرف طاطنباخ في النازلة، وكأن لا حكومة في المغرب، وما على الأوربيين إلا أن ينتقموا لأنفسهم مما قد يلحقهم من الأضرار من قبل المغاربة. فجاء مهرولا من طنجة إلى أسفي، على متن مدرعة، للبحث بنفسه عن القتلة وإلزام السلطات المغربية بإعدامهم أمام الملأ. ولما استحال عليه النزول في ميناء أسفي بسبب أحوال البحر، فإنه أتم الرحلة إلى ميناء الصويرة. وهنالك ألزم عاملها بإمداده بستين عسكريا زحف بهم برا نحو أسفي. وأقام خيامه على مشارف تلك المدينة، بعد أن رفض دخولها للإقامة في المنزل المعد له خصيصا. ثم إن المركب الذي أنزله في الصويرة رجع منها. وما أن رسى في ميناء أسفي حتى صعد طاطنباخ على متنه، ثم نزل منه وسط اثني عشر بحارا ألمانيا على هيأة القتال، مخترقا وسط المدينة بهم في شكل سافر من التحدي والاستفزاز نحو مخيمه، ظنا منه أن العامل سيذعن لأوامره. لكن العامل ظل صامدا أمام تلك التمثيلية الخرقاء. وصار طاطنباخ يتنقل بحرا بين الموانئ الأطلسية المغربية، مهددا برميها بالقنابل إن لم يلبّ في الحين كل ما كان للتجار الألمان من المطالب ومن المساومات التجارية. واشتكى المخزن العزيزي من ذلك لدى الإمبراطور الألماني غليوم الثاني مطالبا بعزل طاطنباخ. ولكن شكواه ردت بتمام الاستعلاء، بل جاء أسطول ألماني يجوب مياه طنجة والرباط والدار البيضاء. واضطر المخزن إلى أداء دية روكشطروه القتيل، وإن ظل طاطنباخ يلحّ في لزوم إعدام القتلة الذين لم يعثر بعد لهم على أثر. وبلغت صلات طاطنباخ بالجهاز المخزني درجة من التوتر جعلت نواب الأجناس في طنجة يتساءلون عما إذا كانت ألمانيا قد تحولت من مساند للدولة المغربية إلى راغب في الإطاحة بها وفتح "المسألة المغربية" قبل الأوان. مما لم يكن يومئذ بتاتا من مساعي الدبلوماسية الألمانية، وهي في أوج تظاهرها بالمدافعة عن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. فما كان عليها إلا أن تبعد طاطنباخ عن المغرب. فشرفه الإمبراطور غليوم الثاني باستقبال خاص في نهاية سنة 1896، ثم عيّنه سفيرا في سويسرا، فغادر طنجة، مخلفا لدى الأوساط المخزنية تحفظا من الدبلوماسية الألمانية، لن يزيد مع تطور الضغط الاستعماري على المغرب في العقد الأول من القرن العشرين إلا تفاقما. ذلك بأن غاية ألمانيا من المغرب كانت لا تتجاوز الرغبة في تعزيز مكانتها التجارية في أسواقه، فلا تبدي تعاطفها مع المخزن إلا لمزاحمة منافسيها من فرنسيين وإنجليز. والحالة هذه، فإن التجارة الألمانية ازدهرت في المغرب بما لم يسبق له مثيل في عهد خلف طاطنباخ في

المفوضية الألمانية في طنجة وهو مينتسينكر Mentzinger، حتى إن ازدهارها صار عنصرا من عناصر "المسألة المغربية"، يوم مالت فرنسا إلى اقتسام النفوذ في المغرب مع أكبر منافسيها الدبلوماسيين وهم الإنجليز والإسبان وإلى حد ما الطاليان، دون إشعار الألمان بذلك، مما أغضب غليوم الثاني، فكانت زيارته لطنجة في ربيع 1905. واحتاج إلى أن يرمي خصومه بالورقة المغربية، فبعث بطاطنباخ إلى السلطان المولى عبد العزيز. وكان طاطنباخ قد انتقل من سفارة سويسرا إلى سفارة البرتغال، فجاء إلى فاس على طريقته المعهودة من الشموخ بالأنف وإبراز العضلات ورفع الصوت ليوحي للسلطان بالدعوة إلى عقد مؤتمر الخزيرات وإيقاف الفرنسيين عند حدهم. ولما اجتمع المؤتمر، كان من شبه الطبيعي أن يتولى رئاسة الوفد الألماني طاطنباخ، إلى جانب رادوفيتس السفير في مدريد، فكان طاطنباخ بمثابة الشرارة التي تلهب المناقشات نارا، وكان رادوفيتس بمثابة الماء يصبّ كلما تعالى اللهيب بما يتجاوز الأغراض الألمانية. وسرعان ما أدرك الوفد المغربي برئاسة النائب السلطاني في طنجة محمد الخطيب والأمين محمد المقري أن لا معوّل على الألمان. وأن الأوربيين على كلمة واحدة فيما يرجع لأخضاع المغرب لنفوذهم التجاري والسياسي. وما أن انتهى المؤتمر حتى عاد طاطنباخ إلى مقر سفارته بليشبونة، وفيها لقي حتفه سنة 1909.

P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967.

إبراهيم بوطالب

**ابن طاطو**، أسرة فاسية عريقة منقرضة، إليها تنسب قنطرة ابن طاطو خارج بني مسافر المعروف الآن بباب سيدي بوجيدة الموصلة لبلاد الحبالات وغيرها، ولبنائها قصة طريفة ذكرها ابن سودة في *إزالة الالتباس*.

وقد جدد إصلاح هذه القنطرة الشيخ الصالح أحمد الشاوي في مطلع القرن الحادي عشر (16 م) والسلطان الرشيد ابن الشريف سنة 1081.

وقف مؤلف *إزالة الالتباس* على تقييد مؤرخ في عام 541 ذكر فيه محمد بن أبي طاطو (بزيادة أبي) : وعلى حوالة حبسية مؤرخة بعام 833 ذكر الموثق فيها بإشهاد على المنصور بن علي ابن طاطو.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج. 2 : 1 . 2.

محمد حجي

**الطاعون**، من الأوبئة المعدية التي فرضت ـ فيما مضى ـ ضريبة فادحة على الإنسانية. أصله نوع خاص من المكروبات تسمى باستريللا بستس (Pastourella Pestis) من فصيلة يرسينيا (Yersinia)، تختزنها بالخصوص الحيوانات القارضة كالجرذان والفئران، وتنتقل عدواها إلى الإنسان بواسطة لدغ البراغيث التي تعيش متطفلة على هذه الحيوانات. والطاعون الذي يصيب الإنسان يظهر في ثلاثة أنواع :

1) الطاعون الدملي : يصيب الغدد اللمفاوية، خصوصا تحت الإبط وفي العنق وثنايا الفخذتين، وتصل نسبة الوفاة به إلى 20٪ من مجموع الإصابات. تبدأ أعراضه بصورة تدريجية، فيشعر المريض بخمول عام مع صداع، ثم تبدأ حرارة جسمه بالارتفاع، وقد تصل إلى 40 درجة مائوية، مع صداع شديد ، وألم في الظهر، وتقيؤ ؛ وتبدأ الغدد اللمفاوية بالتورم، ثم تكبر، وتتصلب، وتؤلم ألما شديدا، ثم تتقيح.

2) الطاعون الرئوي : يحصل نتيجة مضاعفات الطاعون الدملي، أو نتيجة لعدوى من الإنسان المصاب إلى الإنسان السليم بواسطة رذاذ المريض أو بصاقه. تظهر أعراضه بصورة فجائية، فترتفع درجة الحرارة فجأة، مع قشعريرة، وصداع، وسعال ؛ وتصل نسبة الوفاة به إلى 70٪ من مجموع الإصابات خلال مدة لا تتعدى سبعة أيام.

3) الطاعون التسممي : وهو الأخطر على الإطلاق، وقد يحصل كمضاعفات للطاعو ن الدملي، أو الرئوي، أو كنوع قائم بذاته ؛ وفي هذه الحالة تتم العدوى عبر الغشاء المخاطي للفم والبلعوم ؛ وتظهر الأعراض بسرعة هائلة، وأهمها : انخفاض سريع في ضغط الدم، وقيء مفاجئ ونزيف دموي وتحدث الوفاة به في أقل من ثلاثة أيام، ونسبتها 100٪.

ورغم تكرار العدوى وخطورتها، فلم يعرف الناس طبيعة هذا الوباء ولا سبب انتشاره، وظلوا قرونا طويلة يعتقدون أنه إما من شؤم ناجم عن حركات الكواكب، أو تلوث الهواء بالأبخرة الفاسدة ؛ وحتى اسمه بالعربية (الطاعون) فراجع لاعتقاد العرب في الجاهلية بأن أرواحا شريرة تطعن المرضى فترديهم قتلى. وقد ظل الطب عاجزا أمامه إلى نهاية القرن التاسع عشر، حينما اكتشف العالم الفرنسي ألكسندر يرسن (A. Yersin) جرثومة الطاعون في هونغ كونغ سنة 1894 ؛ وهذا العالم هو الذي استحدث بعد ذلك طريقة لمداواة الموبوئين بواسطة المصل الذي أصبح منسوبا إليه.

كان المغاربة يطلقون على الطاعون "الحبوبة الكبيرة"، أو "القيسة"، أو "الجمرة" ؛ إلا أن التسمية المتداولة في المصادر المغربية هي الطاعون، أو الوباء. على أن هذه المصادر كثيرا ما استعملت التعبيرين للدلالة على أي وباء معد، خصوصا بصدد أوبئة الحقبة الوسيطة ـ وحسب الطبيب الفرنسي رينو (Dr. L. Raynaud) فإن أقدم طاعون معروف في المغرب هو طاعون عام 542 ؛ وقد أحصى هذا الطبيب أربعة وعشرين طاعونا في الفترة الممتدة بين 742 و1818. وفي رأينا، فإنه لا بد من التمييز بين مرحلتين عند تأريخ طواعين المغرب :

المرحلة الأولى : تبدأ من العصور الإسلامية الأولى وتستمر إلى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، وخلالها تشير المصادر إلى الأوبئة التالية : 260 / 873 ـ 874 ؛ 285 / 898 ـ 899 ؛ 307 / 919 ـ 920 ؛ 344 / 955 ـ 956 ؛ 379 /

989. 990 : 407 / 1016 . 1017 : 571 / 1175 . 1176 : 610 / 1213 . 1214 : 616 . 617 / 1219 . 1220 : 630 / 1233 . 1234 : 634 . 635 / 1237 . 1238 : 693 / 1294 . 1295.

تنعت المصادر هذه الأوبئة أحيانا بالطاعون، وأحيانا أخرى بالوباء ؛ إلا أن سكوتها عن ذكر الدماميل، والقيء، وبصق الدم، والإسهال، يدفعنا إلى إبداء كثير من التحفظ إزاء لفظة الطاعون التي استعملتها، سيما وأننا نعرف أن هذا الوباء الخطير كان قد انقطع أثره في العالمين الشرقي والغربي بعد قرنين من هجماته الدورية. فآخر طاعون تعرض له الشرق الإسلامي هو طاعون عام 770 م. وآخر طاعون تعرض له الغرب المسيحي هو طاعون نابولي سنة 761. وبعد احتجابه في ظروف غامضة، فإنه لم يعد إلى الظهور إلا بعد خمسة قرون، ابتداء من الطاعون الأسود في العام 1348 م. فقبل هذا التاريخ إذن يمكن القول : إن كثيرا من الأوبئة التي نعتها الإخباريون المغاربة بالطاعون قد تكون مجرد أمراض مختلفة، خاصة الجذري وحمى التيفوس الوبائية.

المرحلة الثانية : تبدأ من سنة 1348 وتستمر إلى بداية القرن العشرين، وخلالها تعرض المغرب لسلسلة من الطواعين أصبح بالإمكان التأكد من طبيعة بعضها بفضل الدراسة المقارنة، أو بفضل ما تضمنته المصادر ـ أحيانا ـ من إشارات إلى أعراضها.

بدأت السلسلة بطاعون 749 ـ / 1348 الذي انتشر في سائر أنحاء المعمور، وأطلق عليه الكتاب الأوروبيون الطاعون الأسود، وقدروا عدد ضحاياه بـ25 مليونا من الأنفس. أما الكتاب المسلمون فقد نعتوه بـ"الطاعون الأعظم"، أو "الطاعون الجارف"، وكان لهم قصب السبق في وصف أعراضه ورصد وقائعه. من ذلك الوصف الدقيق الذي قدمه ابن خاتمة في مدينة ألمرية، حيث ذكر أن المصاب به كان يظهر عليه "تشنج وبرد في الأطراف وقيء مراري، وسواد في اللسان، أو تورم في الحلق، أو وجع في الرأس، وغشيان. وقد تحدث قروح سود في مواضع من الجسم، وأكثر من ذلك في الظهر، والعنق، وقد تحدث في الأطراف" (*تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد*، الخزانة العامة بالرباط، شريط 2112). ومن خلال ملاحظات لسان الدين ابن الخطيب نتبين أن جل الضحايا كانوا من الفئات الفقيرة ؛ ويرجع سبب ذلك، في نظره، إلى سوء السكن واكتظاظ السكان، وكذلك إلى الجهل بالأساليب الوقائية : "كما أن الضرر يحصل عن تلاقي أنفاسهم [يعني المرضى]، فكذلك يحصل من الأبخرة المتعفنة المتصاعدة من أبدانهم، وكذلك من استعمال ملابسهم وفروشهم التي تقلبوا فيها زمن مرضهم. ولقد شاهدت من أهل سوق الحلق بألمرية، الذين كانوا يبتاعون بها ملابس الموتى وفرشهم، مات أكثرهم" (*مقنعة السائل عن المرض الهائل*، نشرها م. ج. مولر، باريس، 1863). أما بخصوص ما أحدثه الوباء من تدمير في بلدان المغارب، فقد قدم عنه ابن خلدون وصفا بليغا بهذه العبارة : "فانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر، فخربت الأمصار والمصانع، ودرست السبل والمعالم، وخلت الدور والمنازل". (*المقدمة*).

بجسامة الخسائر البشرية، وانعكاسات هذه الخسائر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وحتى السياسية، يأتي الطاعون الأسود في مقدمة الكوارث الطبيعية التي نكب بها المغرب خلال العهد الوسيط. إلا أنه يبقى مجرد وباء من سلسلة واسعة. أما وجه خطورته، فتكمن في هجماته الدورية. فبعد إقلاعه سنة 1350، فإنه عاد للفتك بالسكان في دورات متعددة، كما هو موضح في الجدول التالي :

| | |
|---|---|
| 1363 . 1364 | 1678 . 1680 |
| 1415 . 1416 | 1742 . 1744 |
| 1442 . 1445 | 1749 . 1751 |
| 1521 . 1522 | 1798 . 1800 |
| 1557 . 1558 | 1818 . 1820 |
| 1597 . 1598 | 1911 . 1913 |
| 1604 . 1608 | 1916 . 1917 |
| 1614 | 1919 |
| 1620 | 1921 . 1922 |
| 1626 . 1627 | 1929 . 1933 |

لقد ذكر الحسن الوزان في *"وصف إفريقيا"* أن الطاعون كان يظهر في المغرب بعد كل عشر سنوات، أو خمس عشرة سنة، أو عشرين سنة. إلا أن ظهوره لم يكن يخضع في الواقع لإيقاع معين. فإذا نظرنا، مثلا، إلى هجماته خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر نجد أنه ظهر في البداية سنتي 1742 . 1744، وهذا بعد مرور أزيد من نصف قرن على آخر هجوم له (1678 - 1680) ؛ ثم بعد عودته المبكرة سنة 1747، نراه يحتجب لمدة طويلة أخرى تناهز نصف قرن بحيث لم يظهر إلا في 1798 . 1800، ليعود مرة أخرى بعد ثماني عشرة سنة (1818 . 1820) ؛ وهذه العودة الأخيرة كانت آخر زيارة له للبلاد خلال القرن التاسع عشر، إذ أنه لم يظهر من جديد إلا في بداية القرن العشرين.

لم تكن هذه الطواعين متوطنة بل كانت تفد في الغالب من البلدان المتوسطية المجاورة، خاصة منها الجزائر. كانت العدوى تنطلق من هذا البلد الأخير عبر الطريق البرية الرابطة بين وجدة وفاس. ذلك ما حدث، مثلا، بالنسبة لطاعون 1742 ـ 1744 وطاعون 1798 .1800 اللذين ظهرا أولا في المدن الشمالية والشرقية (تازة وفاس) ومنها امتدا إلى السواحل وباقي أنحاء البلاد. إلا أن هناك بعض الاستثناءات. فطاعون 1415 سرى من الطريق البحرية مع الحملة البرتغالية على سبتة ؛ كما أن طاعون 1818 . 1820 سرى هو الآخر عبر نفس الطريق، وقد نقله الحجاج المغاربة مباشرة من مصر بعد نزولهم في طنجة، ومن هذه المدينة زحف إلى المناطق الداخلية وباقي السواحل. على أن الاستثناءات الجديرة بالذكر هي اندلاع بعض الطواعين من داخل المغرب. فطاعون 1747 ـ 1751 انطلق من إقليم سوس في الجنوب، ومنه زحف إلى الشمال ؛ وهي نفس الظاهرة التي سجلت بصدد طاعون 1602 الذي انطلق هو الآخر من سوس وكان ذيلا لطاعون

1597 ؛ كما لوحظت نفس الظاهرة في سنة 1916 ثم في سنة 1932.

إذا كانت طواعين المغرب مرتبطة، عموما، بتلك التي ظهرت في البلدان المتوسطية، فهذا يجعلنا لا نشك في كونها طواعين حقيقية طالما أن مؤرخي تلك البلدان قدموا عنها أوصافا ذات دلالة. بيد أن المصادر المغربية لم تبخل علينا بأوصاف لأعراضها. يقول العربي المشرفي عن طاعون 1798 - 1800 : "وهو خروج شيء في مغابن الإنسان كإبطيه يشبه الجوزة، يسود ما حولها أو يحمر، يمرض الإنسان أياما عديدة، وربما يعيش ؛ ولما يطعن به الإنسان يتقيأ ما شرب، ولا يكاد يصبر على الماء، ويقع له إسهال في البطن أنتن من الجيفة". (أقوال الطاعون، مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط، رقم 2154، ورقة 9). وتقدم المصادر إشارات أخرى كاشفة ؛ فهي تشير، من جهة، إلى هيجان الوباء في فصل الربيع كما نجد عند أحمد السلمي ابن الحاج : "وفي شهر جمادى الثانية ورجب وشعبان [من عام 1164 هـ / أبريل - ماي 1751] هاج المرض الوبائي بحضرة فاس وجميع بلاد المغرب" (*الدر المنتخب*، مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط، ج. 8، ص.175) ؛ أو عند عبد السلام الفشتالي : "حتى ازداد أمره [طاعون 1798 - 1780] واشتد بأول شوال [8 مارس 1799]"، وهي تشير، من جهة أخرى، إلى انقطاعه مع بداية فصل الصيف : "ولم يزل أمره [طاعون 1750] يتفاقم إلى منتصف شعبان [8 يوليوز] فكف".

إن هذا الإيقاع يتفق مع ما نعرفه عن النسق الموسمي للطاعون ؛ إذ أن نشاط البراغيث، وهي العامل الرئيسي الذي ينقل الوباء إلى الإنسان، يخضع للعامل المناخي ؛ فهي تتوقف عن الإنتاج مع اشتداد الحرارة، وتموت إذا انخفضت درجة الرطوبة عن 80٪. ذلك ما يفسر بقاء المناطق الصحراوية بمنجى. وكانت هذه المناطق تلعب دور خزان بشري لتعويض الفراغ الذي كان الطاعون يحدثه في السهول.

محمد الأمين البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1992.

J.-N. Biraben, *Les hommes et la peste en France et dans les pays méditerraniens*, Paris, 1976, 2 t. ; H.P.J. Renaud, *La peste de 1799*, *Hesp.*, 1921 ; *Le peste de 1818*, *Hesp.*, 1923 ; *Les pestes du milieu du XVIIIe siècle*, *Hesp.*, 1939 ; *Les pestes des XVe et XVIe siècles*, *Mélanges d'études*, Lisboa Paris, 1945 ; B. Rosenberger et H. Triki, *Famines et épidémies au Maroc au XVIe et XVIIe siècles*, *H.-T.*, 1973 et 1974.

محمد الأمين البزاز

**الطاعون** (جريدة)، أصدرها في فاس الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني في يناير 1908 قصد مواجهة الدعاية الاستعمارية التي كانت تبثها من طنجة جريدة "السعادة" الموالية لفرنسا. وهذا الموقف الدفاعي هو الذي يفسر اختيار ذلك العنوان المخطوط على شكل أفعى والرامي إلى زرع الرعب في قلوب المناوئين لاستقلال المغرب. ولكون الكتاني لا يتوفر على مطبعة، فقد لجأ إلى وسيلة تقليدية لإعداد جريدته. ذلك أنه كان يجمع حوله عددا من الطلبة فيستكتبهم المقالات المراد نشرها، ثم توزع نسخ الجريدة المخطوطة بين نخبة من المتعلمين. وكان طبيعيا، والحالة هذه، أن يكون عدد تلك النسخ متواضعا، وهو ما يفسر تعذر الحصول على نماذج منها اليوم. ولحسن الحظ، يمكن تكوين فكرة عامة عن شكلها ومحتواها بفضل مقال نشره لوي ميرسيي Louis Mercier في "*مجلة العالم الإسلامي*" *(La Revue du Monde Musulman)* سنة 1908. فحسب هذا الكاتب، الذي كان آنئذ مكلفا بقنصلية فرنسا في العرائش، كان العدد الأول من جريدة الطاعون يتشكل من أربع صفحات مقسمة إلى أربعة أعمدة. أما فحواه فهو عبارة عن نقد لاذع وشتم جارح لجريدة "*السعادة*" (المنعوتة بالشقاوة) ولمديرها الشامي وديع كرم. كما كانت الجريدة تناصر بحماس السلطان عبد الحفيظ وتصب جام غضبها على أخيه عبد العزيز الذي اضطر بعد خلعه إلى مغادرة فاس للاستقرار بعض الوقت في الرباط.

ويخبرنا ميرسيي في المقال المشار إليه آنفا أن العدد الثاني من جريدة الطاعون صدر بعد مرور شهر عن الأول. وحسب الكاتب نفسه، كان هذا العدد من حيث الشكل أقرب إلى منشور عادي منه إلى جريدة. أما لهجته فقد ظلت على نفس الوثيرة. والجديد في هذا الإصدار أن صاحبه أعلن عزمه على إرسال "*الطاعون*" إلى مكاتب الصحف العربية في طنجة وكذا إلى وصيفاتها في الشرق العربي. لكن ربما ظل هذا المشروع في مرحلة النوايا إذ لم نجد أية إشارات أخرى تفيد استمرار جريدة "*الطاعون*" بعد عدديها الأول والثاني.

كتب الموثق محمد المنوني في شأن "الطاعون" أنها نشرت بالمطبعة الحجرية الفاسية وكانت لسان النخبة الوطنية، وذلك استنادا إلى ما أوردته جريدة "*لسان المغرب*" في عددها ليوم 21 فبراير 1908. وإذ كانت هذه الإفادة تتناقض مع ما ذكره ميرسيي في كون الجريدة مخطوطة، فالمرجح أن يكون رأي هذا الأخير هو الصواب لأنه اطلع فعلا على تلك الجريدة في حين أن "لسان المغرب" تعترف أنها لم تقف حينئذ على نشرة منها.

*لسان المغرب*، العدد 25، 21 فبراير 1908، ص. 3 ؛ محمد المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الجزء الثاني، الفترة المعاصرة (1790 - 1930)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1989، ص. 171.

L. Mercier, *La presse musulmane*, R.M.M., t. IV, 1908, p. 619 - 630.

جامع بيضا

**الطاغية**، لقب استعمله سلاطين المغرب لمخاطبة ملوك ورؤساء الدول المسيحية جريا على تقليد إسلامي خوطب فيه ملوك الروم بما يفيد الكفر والطغيان والخروج عن جادة الصواب والحق. ولم تكن هناك قاعدة واضحة ومصطلحات

ثابتة يستعملها السلاطين في مراسلاتهم مع رؤساء الأمم المسيحية، ولم يكن استعمال لقب "الطاغية" قاعدة سارت عليها كل الدول التي تعاقبت على حكم البلاد. فإذا كان المرابطون يخاطبون ملوك النصارى بإسبانيا بعبارة "الطاغية الباغية"، فإن الموحدين والمرينيين من بعدهم قد لجأوا إلى عبارات أقل حدة مثل "مطاع ملوك النصرانية" و"عظيم الأمة الرومية". بل إن المرينيين أصبحوا يخاطبون ملوك النصارى بأسماء وأوصاف تفيد الاحترام والإجلال، من ذلك عبارات "الأجل الأعز الكبير"، و"الملك الأجل المكرم"، و"الملك الأصدق"، إلى غيرها.

ويظهر أن الصيغة المستعملة في مخاطبة ملوك النصرانية كانت تختلف باختلاف العلائق التي تجمع المغرب بهؤلاء الملوك وأيضا بميزان القوى الذي يميز هذه العلائق. فالسلطان الواحد، مثل المولى إسماعيل العلوي، كان يتأرجح في مراسلاته مع هؤلاء الملوك بين لقب "الطاغية" وألقاب أخرى مثل "عظيم الروم". فإذا كان قد خاطب ملك إنجلترا، جيمس الثاني، بعبارة "طاغية الإنجليز"، فإنه خاطب ملك فرنسا بـ"عظيم الروم وكبير مملكة الفرنسيس".

إلا أن الدول الأوربية وبعد أن دخلت مرحلة القوة والتوسع على حساب الحضارات الأخرى أصبحت تأنف من مخاطبة ملوك الإسلام لها بلقب "الطاغية" أو ما شابهه من الأوصاف، واعتبرت أن ذلك لا يتناسب مع الأعراف الدولية الموجبة للمساواة في التعامل والتخاطب والقاضية باستبعاد كل العبارات التي تنقص من شأن أحد المتخاطبين. وبعد احتلال الجزائر وظهور الأطماع الاستعمارية الفرنسية تجاه المغرب بشكل صريح أصبح الدبلوماسيون الفرنسيون يعترضون على استعمال المغاربة لألقاب مثل "الطاغية" أو "الشيطان" أو "العدو"، حتى وإن كان هذا الاستعمال وارداً في المراسلات المخزنية الداخلية. ولم يعودوا راضين حتى بلقب "العظيم" أو "السلطان" بل أصبحوا يُلحون على أن تتم مخاطبة ملك فرنسا بألقابه الرسمية وهي "صاحب الجلالة، ملك فرنسا". وإذا كان المولى عبد الرحمن بن هشام قد استثقل هذه الألقاب وحاول التمسك بسنة الرسول عليه السلام في مخاطبة هرقل وقيصر بالعظيم، على الرغم من احتجاجات الدبلوماسيين الفرنسيين، فإن من سيأتي بعده من السلاطين سيُضطر إلى التسليم بالأمر الواقع والتخلي عن ألقاب اعتبرها الأوربيون مهينة لهم وغير مناسبة لمنطق العلاقات الدولية الجديدة.

*مجلة الوثائق*، دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية، الرباط، العددان 1 و2.

محمد المنصور

**الطاقة بالمغرب**، تلعب الطاقة دورا حيويا في مسلسل التنمية، فكيفية الوصول إليها ونوعية استهلاكها له أثر مباشر وحاسم على كل العوامل والأسبقيات التنموية، ولا تقف أهميتها على الأسر والصناعة والفلاحة والنقل... إن التزايد الديمغرافي والنمو الاقتصادي يزيد الطلب على الطاقة أكثر فأكثر، فقد ازداد الطلب العالمي عليها خلال العقود الأخيرة (1960-1990) بـ160٪. كما أن إنتاجها واستهلاكها يولد وينشر أكاسيد الكاربون والكبريت والآزوت في الجو مما يلحق ضررا بالبيئة وبصحة الإنسان ومما يفقد المغرب سنويا 20 مليار د هـ أي 8٪ من الدخل الوطني الخام. كما أن استعمال الطاقات التقليدية التي مازالت تكون الوقود الرئيسي لأغلب سكان الأرياف يؤدي إلى إبادة الغابات وتعرية التربة. لهذه الأسباب، يبدو أن مشاكل الطاقة لا يمكن تناولها إلا من زوايا منظور شمولي متناسق، يراعي دور الطاقة كعامل أساسي للتنمية من جهة، ومحدوديتها وانعكاساتها السلبية من جهة أخرى.

ورغم ضعف معدل الاستهلاك الفردي لموارد الطاقة بالمغرب (0,3 طن معادل بترول) فإن المغرب يواجه إكراها خطيرا في هذا الميدان يتجلى في تبعيته لوارداتها التجارية: 92٪ والاستعمال الكثيف للطاقات التقليدية: حطب وفحم الخشب: 30٪ من الاستهلاك الإجمالي المغربي. وتزداد الإكراهات خطورة بسبب ضعف فعاليات وتقنيات استهلاك الطاقة التجارية في الوسط الحضري، وتزايد الطلب على الطاقة التقليدية في الوسط الريفي بسبب صعوبة الوصول إلى الطاقات التجارية. لقد دفعت التحولات العميقة التي يعيشها الاقتصاد الوطني وتزايد الطلب على الطاقة خاصة الكهرباء السلطات إلى تطبيق برامج لتنمية الطاقة، تدخل في إطار النهج الليبرالي وذلك بزيادة العرض بسعر تجاري مشجع. غير أنه لازال يلاحظ عدم التوازن بين ضعف العرض وقوة الطلب، ذلك أن الاستثمارات في ميادين الطاقة مازالت هزيلة، فهي لم تتجاوز 82 مليار د هـ في 3 سنوات الأخيرة: 93-94-1995. إن تدبير الطلب الذي يوفق بين تلبية حاجيات البلد وضرورة الحفاظ على موارده الطبيعية وحماية المحيط البيئي، مازالت تحتاج إلى مزيد العناية. ويبرز في هذا الميدان موضوع حيوي هو تنمية الطاقات المتجددة التي لها انعكاسات سلبية ضعيفة على البيئة، فهي تكون بديلا مفيدا في كثير من الحالات بالمغرب، إذ تتوفر على ظروف طبيعية مشجعة، خاصة على مستوى الطاقة الشمسية والرياح التي يمكن استعمالهما على نطاق واسع.

استهلاك الطاقة التقليدية بالمغرب:

إن أول طاقة استعملها الإنسان القديم بالمغرب، هي طاقته الجسمية، مادام ينتقل باستمرار من أجل الصيد أو الهروب من الأخطار. ولعل أهم نقطة تحول في حياته هي استعماله للطاقة الحرارية، إذ مكنته النار التي أدرك الحصول عليها من احتراق الحطب من إنضاج طعامه وتدفئة مكان مبيته والإنارة.

وبتطور المجتمع الإنساني وتزايد حاجياته، تمكن الإنسان بالمغرب كغيره في سائر أرجاء الأرض من تدجين الحيوانات

خاصة المواشي الكبيرة مثل الأبقار التي صار يقدسها اعترافا بقيمة ما تقدمه له من غذاء وعمل، والدواب : الفرس والحمير والإبل التي اتخذها وسيلة لتنقله وحمل أمتعته، واستخدامها في الأعمال الفلاحية خاصة الحرث والدرس. ظل استغلال الطاقة في المغرب مقصورا على مصدرين رئيسيين هما الدواب والحطب، يساعده في ذلك كون النباتات والأشجار الغابوية تغطي مساحات شاسعة من المغرب لقلة البشر المستهلكين لها، كما ترعى بها وتعيش بها حيوانات وحشية يستفيد من طاقتها في أعماله ولحومها في طعامه، فتمد جسمه بأثمن طاقة عضلية وفكرية.

الطاقة الحيوانية : ظل استهلاك موارد الطاقة في نمو مطّرد إذ يرتبط بتزايد السكان والنمو الحضاري وتقدم مستوى العيش. ولئن قدر المختصون سكان المغرب في بداية القرن العشرين بحوالي 3 ـ 5 ملايين نسمة، فإن تكميم موارد الطاقة المستهلكة لم يجتذب اهتمام الباحثين والموثقين، لكن الأوضاع تتطور، ففي منتصف القرن العشرين، بدأت الإحصائيات تتكاثر وتزداد دقة حول كل الموارد الطبيعية والمنتجات الاستهلاكية بما فيها موارد الطاقة، وقدمت المصالح الإحصائية بالمغرب الأرقام الآتية حول قطيع المواشي: الوحدة 1000 رأس.

| | الأبقار | أغنام | جياد | حمير | بغال |
|---|---|---|---|---|---|
| 1984 | 3000 | 12000 | 315 | 1550 | 456 |
| 1995 | 2431 | 15590 | 156 | 880 | 519 |
| 1999 | 2565 | 14588 | | | |

ورغم أهمية هذا القطيع سواء على مستوى ما ينتجه من عمل في ميادين الفلاحة والنقل أو الاستهلاك البشري، فإنه لم يدخل في الإحصائيات الحديثة لاستهلاك الطاقة باعتباره قطاعا لا شكليا، يصعب تحليل إحصائياته في الظروف الراهنة لاستخراج مساهمته في حصيلة الاستهلاك الوطني للطاقة.

الطاقة الحرارية : ظل المغاربة يستهلكون الخشب وأنواعا كثيرة من الحطب والفضلات للحصول على النار، وأهم مصدرها الغابات والأحراش الطبيعية ثم البساتين، ذلك أن الأشجار المثمرة تقلم موسميا، وتنتهي بالموت، فتستغل بقاياها كحطب. وظل المغاربة يستهلكون خشب وحطب الغابات باعتبار الغابة ملكا جماعيا لكل مجموعة بشرية مستقرة ضمنها أو بقربها، وذلك دون تنظيم أو تقنين مضبوط. وصدر أول قانون مغربي حيث يتعلق بالغابة في عهد الحماية، يتمثل في ظهير 10 أكتوبر 1917 الذي نزع الغابة من مجال السيادة القبلية وجعلها ملكا للدولة، يتم تدبيره من طرف إدارة مركزية للغابات، لها سلطات واسعة، وشبكة متراتبة من الموظفين والمنشآت التي تسهر على حمايتها وتنظيم استغلالها خاصة فيما يتعلق بالرعي وجمع الحطب. وتضاعف استغلال موارد الغابة المغربية بتزايد المستوطنين الأوربيين وتوسع المدن وانتعاش الحياة الحضرية، فظهرت منشآت كثيرة لتحويل خشبها إلى الفحم الذي أصبح أهم وسيلة للطهي بالمدن في العقود الأولى لفترة الحماية، واستفحل الاستغلال خلال سنوات الحرب الثانية إذ تم إنتاج حوالي 1 مليون طن من الفحم في الفترة 1939 ـ 1946 أي ما يوازي 1,35 مليون ستير من الخشب، بالإضافة إلى ملايين الأطنان من الحطب الذي استهلك في الأرياف، وتم القضاء على مساحات غابوية شاسعة، خاصة في المناطق السهلة الوصول : السهول، مقدمة الجبال، الأودية والجبال الوسطى. ثم صدر ظهير 19 يونيو 1957 الذي منح قسطا من مداخل الغابة ومساحات الحلفا للجماعة القروية. أما ظهير 20 شتنبر 1976 فإنه صدر في إطار سياسة غابوية تستهدف حمايتها وترشيد استغلالها، بل والعمل على توسيع مجالها بالمشاركة في برامج إعادة التشجير التي يخصص لها 20٪ من مداخيلها، بينما تخصص 80٪ للتنمية المحلية. لكن هذا الظهير أضر في العمق بمستقبل الغابة، إذ صارت الجماعات القروية تستغل الغابة بأكثر من طاقتها على التجدد، وذلك لرغبتها في زيادة المداخيل.

بلغت المساحات الغابوية في المغرب في نهاية الألفية الثانية 8969600 هـ مع إضافة 475690 هـ إعادة التشجير وحوالي 3200000 هـ تغطيها نباتات الحلفا كليا أو جزئيا، يشكل استغلالها مصدرا ماليا لحوالي 800 جماعة قروية. تبلغ طاقتها الإنتاجية عند استغلالها بترشيد 15,63 مليون قنطار من الخشب والحطب في السنة. لكن الاستغلال الجائر يرفع إنتاجها إلى حوالي 60 مليون قنطار مما يستنزف قدرتها على التجدد، وهذا ما أدى إلى تراجع مساحتها خلال قرن (1912 - 2000) بـ50٪. كما تستغل الغابات استغلالا واسعا في الرعي إذ تكون مجالاتها 40٪ من المراعي الطبيعية توفر سنويا 1,5 ـ 2 مليار وحدة علفية أي ما نسبته 17٪ من حصيلة الكلأ بالمغرب.

تساهم الغابة اليوم بإنتاج 10,5 مليون متر مكعب سنويا من خشب وحطب تكون 30٪ من الحصيلة الوطنية للطاقة (تعادل ثلاثة ملايين طن بترول) موزعة إلى 88,74٪ من الاستهلاك القروي و11,26٪ للوسط الحضري، حيث يعتبر 5000 حمام تقليدي عمومي موجود بالمغرب أكبر مستهلك للحطب اليوم بحوالي 50٪ من الاستهلاك الحضري، يستهلك كل حمام حوالي 700 كلغ يوميا. إن هذا الاستغلال الجائر يؤدي إلى تراجع الغابة بحوالي 30 ألف هكتار سنويا، بل تجاوزت ذلك في عقد التسعينيات من الألفية الثانية بسبب استفحال الجفاف والرعي الجائر. ويعمل التقنيون اليوم على تطبيق تقنيات جديدة لاقتصاد استهلاك الحمامات بـ 50٪، وصرف الريفيين عن الحصول على حطب الطبخ من الغابة بتشجيعهم على استعمال أفران الغاز. ويلاحظ أن الرعي بالغابة يتراجع بتناقص قطعان الرعي بسبب جفاف كثير من

الآبار والعيون بالمناطق الجبلية وتناقص أعشاب الغابة وفروع الأشجار الطرية، والتحول التدريجي إلى تربية المواشي بالحظائر بدل الرعي.

استغلال الطاقات الحديثة :

لقد ارتبط استهلاك موارد الطاقة الصناعية الجديدة : بترول كهرباء غاز فحم حجري بفترة الحماية، إذ ظهر بالمدن المهمة التي استوطنها الأوربيون أولى المحطات الكهربائية : الدار البيضاء، الرباط، طنجة، فاس، مراكش... تعمل بوقود بترولي أو فحم حجري مستورد، وبتزايد الطلب على موارد الطاقة الأولية بحوالي 5٪ سنويا، أنشأت السلطات العمومية ومؤسسات القطاع الخاص الصناعي، أجهزة للبحث واستغلال موارد الطاقة الحديثة، فتم اكتشاف مدخرات بسيطة للبترول والغاز بسهل الغرب في عقد الثلاثينيات ثم بحوض الصويرة في الخمسينيات، لكن ظل إنتاجها محدودا فلم يتجاوز في أفضل سنواته حدود 100.000 طن (سنة 1962) وهو في انخفاض مستمر رغم بعض الاكتشافات الجديدة، ويلاحظ اليوم أم مدخرات الغاز بحوض الصويرة تعد باحتياطات أهم.

أما الفحم الحجري فقد اكتشفت أهم مدخراته بجرادة جنوب وجدة سنة 1927 وشرع في استغلالها سنة 1932 وقدرت احتياطاتها بـ100 مليون طن يمكن استخراج نصفها بمردودية اقتصادية مقبولة، لكن وجود الفحم بالأسواق الخارجية بأسعار أقل وجودة أفضل، والصعوبات التقنية المتزايدة أدى إلى إغلاق منجم جرادة سنة 2002. إلا أن استيراد الفحم في تزايد مستمر فقد وصل سنة 2000 إلى 3,3 مليون طن. كما يتزايد الطلب على البترول بوثيرة مرتفعة تصل إلى 8٪ سنويا إذ لم يعد يستغل في النقل والصناعة وأفران الطبخ وقناديل الإنارة بل يستعمل كذلك كقوة محركة في المحطات الكهربائية الحرارية التي أنشئ معظمها قرب المدن الساحلية الكبرى، كما يستعمل كمادة خام في صناعات كيماوية. ويزداد الطلب على الغاز في العقود الأخيرة من القرن العشرين بوتيرة متزايدة : 5٪ سنويا إذ أصبح أهم وسيلة للطبخ والتدفئة بالمدن، كما يتوسع استعماله في الطبخ والإنارة في الأرياف بوتائر متسارعة، إذ يلقى مساعدة وتدعيما من الأجهزة الحكومية لتقليص استعمال الفحم الخشبي والحطب.

الرصيد الوطني من مصادر الطاقة الحديثة :

إن المخزون الذي وقع التعرف عليه قبل أكثر من نصف قرن : فحم جرادة وبترول الغرب وغاز الصويرة، قد أشرف على الاستنزاف. فإنتاج القطرات الأخيرة من النفط المغربي لا يتعدى حاليا 20 ألف طن سنويا بينما يتعدى استيراده 6 ملايين طن. أما الرصيد القابل للاستخراج من فحم مناجم جرادة لن يتعدى 35 ـ 50 مليون طن تحت ظروف قاسية قل نظيرها في العالم. بينما وصل استهلاك المغرب من الطاقة الحديثة المتاجر بها ما يعادل 10 مليون طن معادل بترول.

لم يكشف لحد الآن، رغم كل مجهودات التنقيب عن مصادر طاقية، والآمال التي تبزغ عند أبسط اكتشاف لمورد طاقوي لم تلعب دورا لو ثانويا في بنية الاقتصادي الوطني، وذلك إما لأن الرصيد الذي اختزنته الطبيعة بأراضيه أفسدت الحركات الجيولوجية الباطنية معظمه، وذلك لتسربه إلى الطبقات السطحية وتبخره وضياعه، ونجد بقاياه في كل طرفاية وتمحضيت ونواحي الريف على شكل صخور نفطية، كما أن الموارد العضوية الأولية لم تجد الظروف الجيوفيزيائية والجيوكيماوية والزمنية الكافية التي تسمح بتكوين البترول وتخزينه، فيبقى تطور هذه المواد العضوية في مستوى نفط بدائي متحجر بصخور رسوبية. إن رصيد المغرب من زيت الصخور النفطية لا بأس به إذ يقدر بحوالي 6 مليار طن معادل بترول، لكن استغلاله لن يتيسر تقنيا وصناعيا إلا بارتفاع سعر البترول بالسوق العالمي إلى ما يفوق 40 دولار للبرميل، أما متوسط تكلفته الحالية : 3 ـ 4 دولار للبرميل بالخليج العربي أو 10 ـ 15 ببحر الشمال فإنه لا يشجع على استغلالها، يضاف إلى هذا خطورة الانعكاسات السلبية على البيئة الذي يفوق بعدة أضعاف تأثير البترول والفحم الحجري.

لقد ترتب عن هذه الظروف شح كبير في استهلاك الطاقة المتاجر بها سواء على المستوى الوطني أو الفردي، وتبعية شبه مطلقة للسوق الدولية، إذ تجاوزت واردات البلاد من الطاقة المستهلكة 90٪ بل بلغت 97٪ سنة 2000.

لقد عرف استهلاك موارد الطاقة الحديثة تزايدا مستمرا منذ بداية فترة الحماية، وازداد حدة بعد الاستقلال فتضاعف الاستهلاك الوطني عدة مرات بين 1975 و2000. انظر الجدول: الوحدة 1000 طن.

| | 1975 | 1999 |
|---|---|---|
| الفحم الوطني | 700 | 267,9 |
| الفحم المستورد | - | 3120 |
| البترول الوطني | 20 | 11,3 |
| البترول المستورد | 2620 | 6732 |
| الغاز الطبيعي الوطني | 70 | 43,8 |
| الغاز المستورد ومحروقات أخرى | - | 839 |

لقد بلغ مجموع موارد الطاقة التجارية المستهلكة 9.6 مليون طن معادل بترول في نهاية 1999 يتوزع مصدرها كالتالي :

66,2٪ بترول ـ 0,4٪ غاز طبيعي ـ 24,9٪ فحم حجري ـ 6,4٪ كهرباء مستوردة من الخارج ـ 1,9٪ مستمدة من الطاقة المائية ـ 0,2٪ من الطاقة الريحية.

فإذا ما قسمنا هذه الحصيلة على سكان المغرب البالغ عددهم حسب الإسقاطات الإحصائية إلى غاية يوليوز 1999 :

28.238.000 نسمة كان معدل نصيب الاستهلاك الفردي بالمغرب هو 0,339 طن ب م. وهذا يعادل سدس معدل الاستهلاك الفردي العالمي، و6,1٪ معدل الاستهلاك الفردي الألماني. لكن لا ننسى أن حوالي 30٪ من الطاقة المستهلكة بالمغرب تعتبر تقليدية مصدرها الخشب والحطب والفضلات الحيوانية الجافة، وتنتمي إلى القطاع غير المهيكل، ولا تتناولها الإحصائيات العمومية، يضاف إليها كميات متزايدة من الطاقة الكهربائية والحرارية المستهلكة على المستوى الفردي، إما من الألواح الشمسية أو من الحركات الكهربائية الخصوصية الصغيرة. ويلاحظ أن معدل الاستهلاك الفردي للطاقة بالمغرب يتطور بوتثتر بطيئة بسبب تسارع النمو الديموغرافي من جهة ومسلسل التفقير والجفاف ونقص التشغيل من جهة أخرى، إذ كان يبلغ حوالي 200 كلغ م. ب للفرد سنة 1978 أي أنه لم يتضاعف بعد في مدة ربع قرن. ويتميز الاستهلاك الوطني بتفاوت كبير سواء بين الأوسط الريفية والحضرية أو بين الأقاليم والجهات الاقتصادية، فالجهة المركزية الوسطى حيث توجد المنطقة الصناعية للدار البيضاء الكبرى تستأثر بحوالي 50٪ من الاستهلاك الوطني للطاقة التجارية وتستأثر المراكز الحضرية بأكثر 75٪ من استهلاك الطاقة التجارية.

الكهرباء : ولتدقيق أكثر في مدى الاستهلاك الفردي للطاقة نقتصر على الكهرباء باعتبارها تتويجا لكل مصادر الطاقات الأخرى يدخل ضمنها أهم موارد الطاقة المستهلكة، وتحاط بأهمية إحصائية بالغة الدقة، مادام كل إنتاجها يتم في إطار القطاع المهيكل وعلى مستوى تجاري دقيق يحصي نبضاتها وتياراتها مآت آلاف العدادات. لقد بلغ إنتاج الطاقة الكهربائية الصافية المطلوبة 13.942.000 مليون كوس سنة 2000 منها 77,2٪ حراري موزع كالتالي : 59,76٪ من محطة الجرف الأصفر العاملة بالفحم و23,28٪ من محطتي المحمدية العاملتين بالفحم والفيول 9,19٪ من محطة القنيطرة و4,73٪ من محطة جرادة. و5,0٪ مائي مستمد من السدود الذي تناقص إنتاجها كثيرا لقلة مياهها نتيجة للجفاف، موزعة كالتالي : 66,50٪ من سدود حوض أم الربيع و19,77٪ من سدود حوض سبو. و0,5٪ ريحي مستمد من أول وأهم محطة للكهرباء الريحية بالكدية البيضاء قرب تطوان. و0,3٪ من إنتاج الخواص ببعض المراكز الثانوية الصغرى : مدن صغيرة وقرى. 16,3٪ كهرباء مستمدة من إسبانيا عبر شبكة الربط الكهربائي بين المغرب وإسبانيا و0,7٪ كهرباء مستمدة من الجزائر عبر شبكة الربط بين البلدين بشرق المغرب.

وتبلغ القدرة اليومية الصافية القصوى المطلوبة 43,6 مليون كوس والقدرة القصوى المطلوبة خلال ساعات الذروة 2470 ميگاواط. وتستمد هذه الكمية من الكهرباء من مولدات متنوعة للتيار المتردد، تبلغ قدرتها الإجمالية 4388,9 ميگاواط 26,50٪ مائي و72,20٪ حراري و1,20٪ ريحي. وإذا قسمنا هذه الكمية على عدد السكان نجد أن معدل الاستهلاك الفردي للكهرباء بالمغرب هو 493,7 كوس / للفرد. وكان يبلغ 231 كوس سنة 1978، فلقد تضاعف في حوالي ربع قرن، وهو يقل عن نسبة التزايد العالمي.

أما على مستوى سعر الكهرباء، فإن المغرب يحتل مكانة أقل تنافسا حيث يبلغ سعر الكهرباء للاستعمال الصناعي 0,73 د هـ / كوس مقابل 0,65 د هـ / كوس في إسبانيا و0,45 د هـ / كوس بتونس.

ويبذل المسؤولون المغاربة عن قطاع الطاقة والكهرباء جهودا للإسراع بوضع مخططات جديدة لبناء مزيد من المحطات الكهرمائية الصغيرة إذ لازال يتوفر لها 200 موقع لبناء سدود صغيرة لتزويد القرى في إطار مشاريع الكهربة القروية، وبناء محطة عاملة بالغاز بتاهدارت سنة 2004 قرب طنجة مستفيدة من مرور الأنبوب الناقل للغاز من الجزائر إلى إسبانيا عبر مضيق جبل طارق، كما يشجعون على استعمال الطاقات المتجددة من ريحية وشمسية وهي طاقات وافرة ومنتشرة بكل مكان تقريبا نظيفة وغير ملوثة وسهلة الاستعمال خاصة على المستوى الفردي. فاستغلال الطاقة الشمسية يتم على شكلين : طاقة كهربائية بواسطة الألواح الشمسية، وطاقة حرارية لأفران تسخين الماء بل طبخ الأطعمة وتدفئة المنازل.

أما على مستوى الرياح، فإن المغرب يتوفر على حقول هوائية مناسبة بشماله وجنوب خاصة وهو يخطط لبناء عدد من المحطات الريحية بالصحراء المغربية ومدينة الصويرة حيث يعمل على إنجاز مشروع رأس سيم لوضع مراوح بقدرة 60 ميگاواط. ويتوفر المغرب على 3450 كلم من الشواطئ تبلغ سرعة الريح بأماكن عديدة منها خاصة بالسواحل الصحراوية 6 ـ 11 كلم / ساعة وهي سرعة صالحة للاستعمال، وتستغل الطاقة الريحية على شكلين : مراوح ريحية لتحريك مضخات الماء أو مراوح لتحريك دينامو مولد للكهرباء.

وتتلقى الأراضي المغربية 3000 ساعة تشميس في السنة ناثرة طاقة نقية تبلغ 5 كيلواط / ساعة للمتر المربع في اليوم أو 1000 واط حراري تستطيع الألواح الشمسية الحصول منها على 100 واط. ويعمل مركز الطاقات المتجددة بمراكش على إشاعة أساليب وأجهزة استغلال الطاقات المتجددة. وحقق نتائج مشجعة كما يشجع على استغلال الطاقات العضوية للحصول على الغاز من الفضلات الحيوانية والنباتية بالقرى وذلك بإنشاء مخازن صهريجية مغلقة تتم فيها عملية الاختمار وتحول بطيء للمكونات العضوية، مولدة غاز الميثان الذي يوجه إلى أفران منزلية.

كما تعمل محطة الدراسات النووية المغربية بالمعمورة قرب الرباط على دراسة جدوى إنشاء محطة نووية لإنتاج الكهرباء. وبدأت الدراسة في مشروع محطة بساحل رملي فارغ بين مصب واد تانسيفت ومدينة الصويرة.

وتعمل سياسة المغرب في ميادين الطاقة على تنويع مصادرها وتحسين أساليب التسيير ونشر الكهرباء بكل القرى المغربية، وإعطاء انطلاقة جديدة في ميدان التنقيب عن البترول والغاز، بفضل مراجعة الإطار القانوني المشجع على الاستثمارات الخصوصية في ميادين الطاقة. كما تعمل المديرية العامة للكهرباء على خوصصة منشآت إنتاج الكهرباء فاتحة المجال خاصة للشركات العالمية، وتوزيع المنتجات النفطية. كما ربطت السلطات العمومية ابتداء من سنة 1995 سعر الاستهلاك المحلي لمشتقات البترول بسعره في السوق العالمي.

ويخطط المسؤولون المغاربة لرفع نصيب الطاقات المتجددة في الاستهلاك الوطني إلى 10٪ سنة 2010 و20٪ سنة 2020، وكهربة 300.000 منزل قروي منعزل عن مسارات الشبكة الوطنية الكهربائية، باستثمار 20 مليار د هـ، وذلك للتخفيف من استيراد البترول بحوالي 2,7 مليار د هـ واقتصاد 1,8 مليون طن م. ب / سنة وإنقاص غازات الكاربون المنتشرة في الجو بحوالي 30 مليون طن في السنة وخلق 15.000 منصب شغل في المجال الريفي، وترشيد استعمال الطاقة باستعمال مصابيح ذات استهلاك ضعيف بـ 5 ـ 6 مرات بالنسبة لمصباح عادي.

ع. العزيز بنونة، *نحو مغرب مصدر للطاقة*، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1994 ؛ وثائق ومعلومات مختصين من مركز الطاقات المتجددة بمراكش ؛ معلومات وإحصائيات ووثائق من المكتب الوطني للكهرباء ؛ معلومات وإحصائيات ووثائق من وزارة الطاقة والمعادن.

Ministère de l'environnement et P.N.U.D., P.A.N.E. : *Energie et environnement*, préparé par A. Lahbabi, Rabat, 1996.

أحمد هوزالي

**الطاقة الشمسية** (بالمغرب)، تعتبر الطاقة الشمسية إحدى الطاقات المتجددة وترتبط أهميتها بنوع المناخ ومدة التشميس اليومي والفصلي والسنوي التي تميزه.

بالنسبة للمغرب، تبقى هذه المدة طويلة بالرغم من التباين الناتج عن تباين الظروف المناخية من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق. فمتوسط عدد ساعات التشميس السنوي يتراوح بين 2800 في المناطق الأقل تشميسا و3400 في المناطق الأكثر تشميسا. وهو ما يمثل إشعاعا يوميا ساقطا (Incident) متوسطا يُعادل ما بين 4,7 و5,7 كيلواط / ساعة لكل متر مربع. بمعنى أن كل متر مربع يتوصل سنويا بما يقدر بـ 1900 و2000 كيلواط / ساعة. ومن ثمة فمؤهلات المغرب كبيرة إن هو أراد استغلالها. وهل له خيار باعتبار ما يُكلفه استيراد الطاقة من الخارج وباعتبار تزايد حاجياته ورغبته في حماية البيئة...؟

رغبة المغرب في استغلال هذه الطاقة كبيرة وملحة في السنين الأخيرة. لكن من الناحية العملية يجب التحكم في التكنلوجيا وخلق إطار مؤسساتي وتوفير التمويل الضروري. وهو ما حصل بالمجهود الذاتي وبالتعاون مع دول ومؤسسات أجنبية.

أما استغلال الطاقة الشمسية فهو قديم، إذ كانت هذه الطاقة تستعمل مباشرة في تسخين المياه ولتجفيف الفواكه والخضر... لكن في حدود ضيقة. لكن منذ عقدين أصبحت الضرورة ملحة لتعبئة واستغلال هذا المصدر على نطاق واسع ولأغراض مختلفة منها التسخين وكل الأغراض الأخرى التي تستعمل لها الكهرباء.

لكل ذلك يتم صنع أجهزة تشكل مع بعضها أنظمة تعتمد كلها على مبدأ التقاط أشعة الشمس وتركيزها وتحويلها إلى كهرباء بواسطة لاقطات شمسية (Capteurs solaires).

وحسب الهدف، يتم التمييز بين نوعين من التكنلوجيا الشمسية : التكنلوجيا الشمسية الحرارية (Le solaire thermique) والتكنلوجيا الشمسية التدفق ـ ضوئية (Le solaire photovoltaïque).

تعتمد التكنلوجيا الأولى على مبدأ تحويل أشعة الشمس إلى حرارة بالاعتماد على "نصب" لاقطات شمسية تكون سطوحا أو بالتراكزات (Plan ou à concentration).

وتعتمد الثانية على مبدإ تحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربائية وهو ما يستلزم الاعتماد على مُولدات شمسية تدفق ـ ضوئية (Générateurs solaires photovoltaïques). تسمح بتحويل مباشر لضوء الشمس إلى طاقة كهربائية.

يتركب كل مولد (وهو نظام) من 4 أجزاء :

• اللوحة التدفق ـ ضوئية (Le module photovoltaïque) وهي تجميع لعدد كبير من النابعات الضوئية (Photopiles) أو الخلايا الشمسية المصنوعة من السِّيليسْيوم.

• إطار حامل للوحات يسمح بتجميعها تماشيا مع الحاجيات إلى الكهرباء من جهة وبتوجيهها لتحقيق أعلى التقاط للضوء.

• بطارية تشحن خلال النهار تؤمن استمرارية التيار خلال الليل وخلال الأيام حيث تكون السماء مغممة.

• أجهزة المراقبة والسلامة (الضابط المنظم Régulateur) التي تؤمن حماية اللوحات وتنظيم التفريغ الكهربائي للبطارية (Décharge de la batterie).

ويمكن تقدير أهمية الطاقة الكهربائية الممكن الحصول عليها بواسطة تحويل الطاقة الشمسية بالاعتماد على مردودية مولد تدفق ـ ضوئي المشار إليها بـ (R) والتي تمثل العلاقة بين الطاقة المحصل عليها سنويا (We) ومجموع الطاقة الشمسية الساقطة (Wi).

$$\text{م} = \frac{\text{الطاقة الكهربائية المحصل عليها}}{\text{الطاقة الساقطة}} \times 100 \qquad \left[ R = \frac{We}{Wi} \times 100 \right]$$

ويمكن لكل نظام تدفق ـ ضوئي أن يعيش 15 سنة كمتوسط. وكلفته خلال عشرية التسعينيات وإلى 2002 تتراوح بين 8000 و1200 درهم.

وبالنظر إلى وضعية المغرب فيما يخص قطاع الطاقة ورغبته في تعميم هذه الخدمة لتشمل الأرياف كخطوة للتنمية، ونظرا للضغط على الغابات ولأخطار التدهور البيئي الذي ينتج عنه وضرورة تفاديها، أصبح استغلال الطاقة الشمسية جانبا من جوانب السياسة الطاقتية للبلاد ومكونا من مكوناتها.

وتنمية هذه الطاقة كواحدة من الطاقات المتجددة مرّ بمراحل ثلاث.

ـ مثلت الأولى التي امتدت من 1980 إلى 1988 مرحلة اكتشاف التكنلوجيا الخاصة بهذه الطاقة والقيام ببعض التجارب النموذجية. وخلال هذه المرحلة تم خلق مركز تنمية الطاقات المتجددة سنة 1982 (CDER).

ـ ومثلت المرحلة الثانية التي امتدت من 1988 إلى 1994 بكونها مرحلة بداية العمل الفعلي لاستغلال هذه الطاقة. فخلالها انطلقت برامج كبيرة معتمدة على معرفة دقيقة لطبيعة وحجم الطلب وعلى تكوين تقنيين، وتنظيم المستفيدين في جمعيات وعلى التعاون مع القطاع الخاص ومع جهات من الخارج (دول ومؤسسات...).

ومن البرامج التي انطلقت خلال هذه المرحلة نذكر اثنين :

• برنامج الطاقة الخاص (Le Programme Spécial Energie) الذي يندرج فيه المخطط الجهوي للتزويد بالطاقة لإقليم القنيطرة (Schéma d'approvisionnement énergitique régional de la province de Kénitra (= SAER) الذي أشرف عليه مركز تنمية الطاقات المتجددة (CDER) بمساعدة مكتب التعاون الألماني (GTZ).

• برنامج (المشروع النموذجي للكهربة الريفية) (Projet Pilote de Préelectrification Rurale) (PPER) الذي همّ أقاليم أسفي والرشيدية وأزلال، والذي أشرفت عليه مديرية الجماعات المحلية (DGCL) في مرحلة أولى ثم مركز تنمية الطاقات المتجددة بمساعدة فرنسية في مرحلة ثانية.

كان الهدف الرئيسي من برامج هذه المرحلة هو الاستجابة لحاجيات الساكنة الريفية الأساسية من الكهرباء بهدف الإنارة وتشغيل الأجهزة السمعية ـ البصرية.

ـ أما المرحلة الثالثة والتي بدأت منذ 1994 فهي مرحلة التعميم. أصبح بها لأصحاب القرار ولوزارة الطاقة والمكتب الوطني للكهرباء دور أساسي. فخلالها انطلق البرنامج الوطني للكهربة اللامركزية (Programme National d'Electrification Décentralisée PNED) بتعاون مع الاتحاد الأوربي. وخلالها تم إنجاز الشطر الثاني لبرنامج كهربة الأرياف PPER بكهربة 210 قرية. وانطلق البرنامج الجهوي للكهربة بالطاقة الشمسية (Programme Régional d'Electrification Solaire) (PRES) بتعاون مع البنك الألماني (KFW).

وتشكل برامج الكهربة المعتمدة على الطاقة الشمسية مكونا من مكونات برنامج الكهربة الشاملة للأرياف (PERG).

إن استغلال الطاقة الشمسية بالمغرب خيار لا محيد عنه لأسباب اقتصادية واجتماعية وبيئية وجيو ـ سياسية. فالسياسة المسطرة في هذا القطاع منذ عقدين أعطت ثمارها الأولى بحيث يمكن استنتاج ذلك من خلال أهمية عدد اللوحات المنصبة اليوم فوق السطوح ليس بالأرياف فقط بل بالمدن كذلك وليس فوق المنازل فحسب، بل فوق مؤسسات عمومية مختلفة (مدارس، مستوصفات، مساجد، آبار جماعية...) وكذلك غير عمومية.

وإذا كان عدد الأمتار المربعة من اللوحات المنصبة يقدر بـ10.000 م2 في السنوات الأولى من التسعينيات، ففي 2002 يمكن رفع هذه المساحة إلى 4 أو 5 أضعاف.

إن التجربة، بالرغم مما حققته من تقدم ومن جوانب إيجابية مازالت في البداية. وتعتريها بعض المؤاخذات خاصة من طرف المستفيدين الريفيين يجب العمل على تفاديها مستقبلا. فإذا كانت هذه الطاقة أفضل من طرق الإنارة التقليدية، فهي لا تسمح ـ حسب المستفيدين ـ من تشغيل عدة أجهزة وعدد كبير من المصابيح في نفس الوقت، ولا تسمح بتشغيل الثلاجات وعند العطب يطول الانتظار قبل الحصول على قطعة الغيار ومجيء التقني... ولهذه الأسباب إذا حضرت كهربة الشبكة لا يعود مكان للكهرباء الشمسية.

Ministère de l'Energie et des Mines, *Schéma d'approvisionnement énergétique régional de la province de Kénitra, stratégie et expériences; L'énergie solaire au Maroc, Journée d'information sur le marché de l'énergie solaire photovoltaïque dans le province de Kénitra, 17-2-1992* ; *Les installations solaires photovoltaïques réalisées dans le cadre du schéma d'approvisionnement énergitique régional de la province de Kénitra, Journée d'information sur le marché solaire photovoltaïque, 17-2-1992*, Kénitra ; *Les énergies renouvelables au Maroc, développement et perspectives*, Rabat, 1999 ; *Programme d'électrification rurale globale*, Rabat, sept. 1997 ; CFER : *Aujourd'hui, les techniques de demain en matière d'énergies renouvelables*, in *Le Monde agricole et la pêche maritime*, n° 124, septembre - octobre 1998 ; M. Kerbout, *la perception de l'Allemagne à travers sa technologie, cas des systèmes solaires photovoltaïque installés dans la province de Kénitra*, in *Marocains et allemands, la perception de l'autre*, Rabat, 1995.

محمد كربوط

**الطاقية**، هي قبعة من خيوط صوف أو قطن أو غيرهما تسرد باليد بواسطة قضبان شبك خاصة تشبه القضبان التي تزرد بها الصدريات والبلكات. وتستعمل للإحاطة بالرأس وتغطيته كلا أو جزءا دون الجبهة والأذنين للوقاية من الحرارة أو البرودة. وهي تنتشر انتشارا كبيرا في حواضر وبوادي مناطق الحوز والرحامنة والسراغنة وحاحا وسوس ودكالة وعبدة والشاوية ويقل تداولها في شمال المغرب وشرقه وتخومه الجنوبية فيما وراء واد سوس حيث تستعمل أغطية رؤوس أخرى. ويسميها البعض من سكان المغرب "الطاقية المراكشية" من فرط انتشار استعمالها بين أهل مدينة

مراكش، وهي "تشبه نصف الكرة وتكون مطروزة من الخارج برسوم من خيوط متعددة الألوان، وللمغاربة في زركشتها شهرة كبيرة وخاصة [منهم] أهل مراكش (محمد بن أحمد اشماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته*، ص. 49).

وتتخذ الطاقية من ألوان متعددة رغم أن اللون الأبيض فيها هو المفضل وتتخللها خروم لتهوية الرأس وأشكال متعددة من الطرز باليد. وقد كانت ومازالت هي غطاء الرأس الأساسي لدى الحرفيين والتجار وتعتبر مراكش هي أكبر مركز لإنتاجها. ففي هذه المدينة يتنافس في سردها الكبار والصغار والذكور والإناث من الطبقات الوسطى والدنيا، ويبادر من أنتجها هو نفسه إلى حملها لعرضها في فضاء معروف بجامع الفناء للبيع للعموم.

وهناك نوع آخر من الطاقيات يدعى "العراقية" وأصلها العربي الفصيح هو العرقية بدون ألف ولا تشديد، توجد مثيلة لها في المناطق الباردة من بلدان العالم الإسلامي تدعى "الملبدة" أو "القنور" لأنها تكون من صوف ملبد، وهي توضع فوق الرأس منفردة، وترتدى تحت العمامة لتمتص عرق الرأس ومن هذه الوظيفة أخذت اسمها. ومن الناس من كان يعوض العرقية بوضع مجرد منديل خفيف على الرأس تحت العمامة ليقوم بنفس مهمة امتصاص العرق فلا يحتاج إلى غيرها.

وتنتشر في مراسي المغرب القديمة وكذا في موانئه الحديثة اليوم طاقية من نوع خاص لا هي بالطاقية المراكشية ولا العراقية تشبه في مظهرها شكل الطربوش المستدير (طربوش الطاسة) يسود ارتداء ما يشبهها في بلاد الشام والرافدين وتركيا في الفصول الباردة (وخاصة في سوريا ولبنان). وهي تتخذ من صوف ممشوطة ناعمة وغير مكتملة التلبيد وتتكون من جزأين يكادان أن يكونا منفصلين لا يشدهما إلى بعضهما في نهاية القفا إلا شريط صغير. ويبقى لمستعملها الخيار إما في ارتدائها على شكل قطعة واحدة بعد إدماج القطعتين المنفصلين في واحدة أو تسريح القطعة المندمجة لتغطية الرأس والحنكين معا وقت البرد أو عند اللزوم. وقد شاع استعمال هذه الطاقية بشكل كبير ومازال لدى البحارة وعمال الموانئ والشحن والإفراغ والحراسة الليلية. لذلك يسميها الناس في هذه المدن الساحلية "طاقية البحرية".


محمد بن أحمد اشماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته خلال خمسين سنة*، الرباط، 1980 ؛ محمد عنابي، *الشاشية التونسية*، مجلة الأمل الثقافي، أكتوبر 1970 دون عدد ولا مكان الطبع ؛ علي طعمة، *المغرب تاريخه وحضارته وحقيقته*، بيروت، دون تاريخ ؛ *تحريات ميدانية* في مراكش وفاس ووجدة والصويرة وأسفي.

W. Harris, *Le Maroc disparu*, Paris, 1929 ; H. De Lamartinière, *Souvenirs du Maroc*, Paris, 1946 ; J. Mercanton, B. Rouget, *Maroc terre et ciel*, Lausanne, 1954; G. Babin, *Au Maroc par les camps et par les villes*, Paris, 1912 ; A. Lamazière, *Le Maroc secret*, Paris, 1932.


محمد بوسلام

**طاكوك**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة سوماتة الهبطية وكان جل أفرادها يتعاطون الدباغة ومازالت بتطوان.


م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 800.


**الطالب**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة وادراس كان بعد أفرادها من حفظة القرآن الكريم يتعاطون القراءة على القبور، ومازالت بتطوان.


م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 801.


محمد ابن عزوز حكيم

**الطالب** أو **الطالبي**، أسرة سلوية شريفة أصلها من مدينة القصر الكبير، هاجر جدهم الولي الصالح سيدي أحمد بن محمد الطالب آتي الترجمة من القصر إلى سلا في أواسط القرن الحادي عشر (17 م). كانوا يعرفون أولاً بالطالب - بدون ياء النسبة - ثم أصبحوا منذ أواخر القرن الثالث عشر (19 م) يعرفون بالطالبيين. وذكر المؤرخ السلوي الفقيه ابن علي الدكالي في *الإتحاف الوجيز* أن آل الطالب السلويين هم من الشرفاء العلميين وأن ذلك ثابت في رسومهم القديمة. وذكر إدريس الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 53) عن الشرفاء الطالبيين أنهم "من أصرح الأشراف نسباً، وكبرائهم حسبا، وأعلاهم منصباً، وأكرمهم أماً وأباً..."

**الطالب، أحمد** (سيدي -) بن محمد القصري ثم السلوي (الجد) انتقل إلى مدينة سلا في أواسط القرن الحادي عشر (17 م) كما سبق، ليسلك طريق القوم على يد الشيخ مَحمد بن سعيد العتابي أكبر مريدي الشيخ عبد الله ابن حسون وخليفته في تربية المريدين بسلا. وقد أدخله العتابي الخلوة مدة صفت فيها روحه ولاحت عليه علامات الولاية والعرفان.

كان سيدي أحمد الطالب إلى جانب تصوفه وعنايته بالمريدين فقيهاً عارفاً بأمهات المؤلفات الصوفية يقوم على تدريس *المباحث الأصلية* لابن البناء وشرحه لأحمد زروق "فياتي بالعجب العجاب، ويتكلم على آيات القرآن بمنزع صوفي، وله اعتناء كبير بكتاب *دلائل الخيرات* لابن سليمان الجزولي.

توفي بسلا ضحوة يوم الجمعة الأولى من شهر رمضان عام 1072 / 26 غشت 1661 ودفن بالقرب من الجامع الأعظم، وضريحه مزارة عظيمة.

**الطالب، صالح** (ت. 1169 / 1755)، كان قائداً من قواد المخزن إلى أن تمرد فاستبد بما تحت ولايته في حصن

أگادير ومرساه في عهد السلطان عبد الله بن إسماعيل العلوي وخلفه محمد بن عبد الله العلوي (تـ 1204 / 1789) الذي تمكن من اعتقاله وإيداعه في السجن في مدينة اگادير، وسرعان ما تمكن من أن ينتحر بمدية تمكن بعض من له به صلة من دسها له في خبزة. وللأهالي الشلحيين في قصة اعتقاله وانتحاره قصيدة مأساوية أمازيغية ينشدها المغنون، ولا يزال بعض الأهالي المجاورين لمدينة اگادير يرددون مقاطع منها، وذكر محمد المختار السوسي في (*خلال جزولة*، ج. 4، ص. 85) أنه قد سمعها.

وقد تحدثت مصادر تاريخية كثيرة عن الطالب صالح هذا مثل كتاب *الإتحاف* لعبد الرحمن بن زيدان، و*الجيش العرمرم* لمحمد أكنسوس، و*تاريخ الضعيف*. ولكن المؤلفين اللذين حققا في أصله وأخبار تمرده واعتقاله هما :

- محمد بن سعيد الصديقي في كتابه *إيقاظ السريرة لتاريخ السويرة*، ج. 1، ص. 15).

- ومحمد المختار السوسي في كتابه *خلال جزولة* المذكور ومخطوطه *من الحمراء إلى إيليغ*. وقد اتفقا على تعريف هذا الثائر بأنه : (الطالب صالح بن محمد بن بيهي السوسي ثم الحاحي، أخو القائد عبد الملك الفقيه باشا الصويرة وقائد حاحا، وكان أبوهما الشيخ محمد نشأ بقبيلة أولوز فاتكا يقتل ويغير وينهب، فأهدرت قبيلته دمه في عنفوان شبابه، ففر منهم إلى (حاحة) واستوطن قبيلة أيت زلطن وتأهل، وبعد مدة سمي شيخا على هذه القبيلة، ثم تولى عمالة حاحة وبعض القبائل السوسية، فكان له من الأولاد نحو الأربعين استخلف منهم في حياته ولده عبد الملك في ما كان عليه، وبعد وفاة السلطان استولى الطالب صالح على الموارد المخزنية بمدينة أگادير وميناءها، وكان شائع الصيت شديد الوطأة مسموع الكلمة، فأخذ يجمع الزروع والمواشي ويبيع ذلك لتجار النصارى ويستبد بالأرباح، ثم دعا شقيقه عبد الملك لشق العصا فامتنع فجمع الطالب صالح جموعه وحاصر شقيقه في (اگادير) إلى أن فر منه القائد عبد الملك والتجأ إلى الأعتاب الشريفة، واستولى الطالب صالح على أگادير، وبعد ذلك خرجت إليه طائفة من الجيوش المخزنية وحاصروه ومن معه حتى ساء حالهم، ثم استعمل معه السلطان محمد بن عبد الله الحيلة بالمكاتبة والمهاداة والاستشارة في الشؤون السوسية، فاغتر بذلك وكتب إليه بعزمه على تأديب قبيلة إيداوتنان المجاورة لأگادير، فلما وصلها وجه عشرة فرسان من التنانيين للقبض عليه فدفع لهم 300 من الخناجر والمكاحل من النوع الجيد الذي ينسب للطالب صالح نفسه، مع مال كثير - وهبوه لبناء زاوية شيخ قبيلتهم السيد إبراهيم بن علي التغانيميني (تـ 989 / 1581) - فأخذوا الطالب صالح على غرة، حيث وجدوه على بغلته في أحد الأسواق يطوف على الناس فانقضوا عليه وأودعوه السجن حيث انتحر سنة 1169 / 1755). ويعد صاحب (*إيقاظ السريرة لتاريخ السويرة*) هذا الحدث باعثا أساسياً للسلطان محمد بن عبد الله على تأسيس مدينة الصويرة ومرساها سنة 1178 / 1760. إذ يقول : (ذاك أن حصن أگادير كانت تتداوله الثوار من أهل السوس مثل الطالب صالح وغيره، ويسرحون وسق السلع منه افتياتا ويستبدون بأرباحها، فرأى السلطان المذكور أن حسم تلك المادة لا يتأتى إلا بإحداث مرسى آخر قريباً إلى تلك الناحية، وأدخل في وسط المملكة من أگادير حتى تتعطل على أولئك الثوار منفعته، فلا يتشوف أحد إليه، فاختط مدينة الصويرة. وعندما تم بناؤها أمر السلطان بغلق ميناء أگادير وإبطاله ونقل عمارته إليها فصار نسياً منسياً وميناء عسكرياً) (*إيقاظ السريرة*، ص. 16).

*تاريخ الضعيف الرباطي* ؛ ع. الرحمن بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ م. بن سعيد الصديقي، *إيقاظ السريرة لتاريخ السويرة* ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج. 4 ؛ *رحلة من الحمراء إلى إيليغ* ؛ *إيليغ قديماً وحديثاً*.

محند أيت الحاج

**الطالب، علي** بن **مَحمد** بن الشيخ أحمد، فقيه، ناسك متصوف، حلاه ابن علي الدكالي السلاوي في بعض تقاييده بصفات تبرز أنه سار سيرة أبيه وجده - علما وتصوفا - لم نقف على نشاطه العلمي بمدينة سلا خلال النصف الثاني من القرن 12 (18 م). ويبدو أن شهرة هذين الأخيرين قد استأثرت باهتمام المترجمين، الأمر الذي حال بيننا وبين تتبع مختلف مراحل حياة علي بن مَحمد الطالب.

اشترى المترجم من الحاج قاسم بن عبد الله التملي سانية (بستانا) توجد قرب زاوية جده الشهيرة، قرب المسجد الأعظم بسلا. وقد تصرف فيها إلى أن توفي، وخلفها لورثته من بعده. وقد طال العمران هذه السانية التي أصبحت تعرف - اليوم - بحومة الطالبية. ويوجد بها درب سيدي علي الطالبي، ولسنا ندري هل هو منسوب إلى صاحب الترجمة، أم - كما قيل لنا - إلى الحاج علي بن أحمد الطالب، المتوفى في 6 صفر 1395 /18 فبراير 1975، والمدفون بالركن الأيمن بالضريح المشار إليه.

توفي علي بن مَحمد الطالب بعد ثاني محرم 1184 / 28 أبريل 1770، ودفن بضريح جده االمذكور، وعلى قبره دربوز.

م. ابن علي الدكالي، تقاييد ضمن كناشة ؛ م. بن أبي بكر التطواني، مصورة بالخزانة الصبيحية بسلا، رقم 407، ص. 28 ؛ *رواية شفوية*.

محمد السعديين

**الطالب، مَحمد** بن **أحمد**، صالح ناسك خلف والده سابق الترجمة في مجالسه العلمية والصوفية وقد ذكره ابن عاشر الحافي صاحب *الفهرس* في بعض تقاييده وأثنى عليه. توفي ليلة الأربعاء 5 ربيع الثاني عام 1140 / 20 نونبر 1727، واحتفل الناس بجنازته من أهل العدوتين سلا والرباط رجالاً ونساءً ودفن بروضة والده.

**طالب** (أبو -) **محمد** بن **علي** بن الطيب، من الأشراف الأدارسة. لغوي، مترجم، باحث، أستاذ جامعي. يتقن اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية، ويلم بلغات أخرى.

ولد في مدينة فاس عام 1352 / 1933، وأنهى دراسته الثانوية في ثانوية مولاي إدريس في فاس. ثم أبحر عام 1954 إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة الجامعية بمنحة أمريكية، وكان المغرب آنذاك تحت الحماية الفرنسية. فالتحق بجامعة جاكسون فيل الحكومية بمدينة جاكسون فيل في ولاية ألباما لدراسة اللغة الإنجليزية. وكان المواطنون السود يكثرون في تلك الولاية، ويُمارس ضدهم التمييز العنصري بصورة قانونية، فكانت لهم أحياؤهم المعزولة في المدن، ومدارسهم الخاصة بهم، ومقاعدهم المحددة في مؤخرة حافلات النقل، وهكذا.

ولما كان محمد أبو طالب يحب الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومشاربهم الفكرية والاجتماعية، فقد أخذ يختلط بالأمريكيين البيض الميسورين في كنائسهم، والزنوج السود في أحيائهم الفقيرة، والهنود الحمر في محمياتهم المعزولة، وارتبط بعلاقات صداقة مع كثيرين منهم، فاكتسب معرفة عميقة بالشعب الأمريكي، وشرائحه الاجتماعية المتباينة، ولهجاته المختلفة، وثقافته عموماً.

وبعد تخرجه من الجامعة المذكورة بشهادتين : إحداهما في اللغة الإنجليزية وآدابها، والأخرى في التربية وطرق التدريس، علّم اللغة الإنجليزية في ثانوية إنستون بولاية ألباما خلال العام الدراسي ( 1959 - 1960). ثم رجع إلى المغرب ودرّس اللغة الإنجليزية في ثانوية مولاي إدريس بفاس خلال العام الدراسي (1960 - 1961).

وعاد محمد أبو طالب إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة والعمل في جامعة هاورد في واشنطن العاصمة في المدة من 1961 إلى 1964، حيث مكّنه إلمامه بلهجات اللغة الإنجليزية من إعداد رسالة ماجستير حول خصوصيات اللهجات الأمريكية في أعمال الكاتب الأمريكي الساخر مارك توين.

وكان محمد أبو طالب مولعاً باللغات الأجنبية فالتحق خلال العطل الصيفية بجامعات أخرى للدراسة، فدرس اللغة الإسبانية في جامعة خواناخواتو في المكسيك، وفي سانتاندر في إسبانيا، ودرس اللغة الألمانية بعد ذلك في جامعة هايدلبرغ في ألمانيا.

وبعد حصوله على الماجستير من جامعة هاورد، عاد إلى المغرب، ودرّس اللغتين الإنجليزية والإسبانية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في فاس (1964 - 1968)، ثم انتقل إلى الرباط للتدريس في كلية الآداب والعلوم الإنسانية من عام 1968 حتى أواخر حياته، وتولى رئاسة شعبة (قسم) اللغة الإنجليزية فيها في المدة (1970-1972) وكذلك (1974-1976)، كما سعى إلى تأسيس شعبة اللغة الإسبانية وشعبة الألمانية في هذه الكلية وشجع عدداً من طلابه لتعلم اللغة اليابانية.

وفي الوقت نفسه كان يُكلّف بمهمات أخرى، فعمل مفتشا للغتين الإنجليزية والإسبانية في المدارس الثانوية (1969-1971)، ومترجماً في الديوان الملكي بالرباط، وعضواً في كثير من وفود المغرب السياسية والثقافية، وأستاذاً زائراً في عدد من الجامعات الغربية.

كان محمد أبو طالب يحب طلابه ويرعاهم رعاية أبوية صادقة فأحبوه. وكان عدد منهم ينهي دراسته الجامعية ثم يمضي سنتين في التتلمذ عليه في منزله في دراسة حرة لا يحصل بعدها على شهادة، وإنما على ثقافة واسعة. وكان هؤلاء الطلبة يعدونه أباً روحيا لهم، فيفدون على منزله يوميا للحصول على توجيهاته، واستخدام مكتبته، وحاسوبه، ومطبخه. وقد رأيت بعضهم بعيني يسلم عليه ويقبل يديه، كما يفعل الأبناء المغاربة عادة مع آبائهم.

وعلى الرغم من إجادته اللغات الأوربية وآدابها، فإنه كان متمسكا بأصالته المغربية العربية الإسلامية، ومتعمقا في دراسة ثقافة أمته وآدابها وتاريخها. وكان مغربياً أصيلاً في خلقه وكرمه وتسامحه ووسطيته وفكره العميق، ومغربياً في ملبسه ومسكنه وسلوكه. وكان يغرس تلك الوطنية وذلك التوجه في طلابه الجامعيين خاصة المتخصصين منهم باللغات الأوربية وآدابها. وكان كثير من طلابه يأتي إلى منزله، حتى أثناء غيابه عن المنزل، للبحث في مكتبته التي كانت تجمع معظم ما كُتب عن المغرب باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية، وتضم عددا كبيرا من ترجمات القرآن. وقد أُهديت هذه المكتبة بعد وفاته إلى الخزانة العامة بالرباط.

ويمكن الوقوف على مدى اتساع ثقافة محمد أبو طالب من إلقاء نظرة على المواد التي كان يتولى تدريسها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، وهي : اللغة الإنجليزية،

الأدب البريطاني، الأدب الأمريكي، الحضارة الأمريكية، علم اللغة، الترجمة (نظرية الترجمة، الإنجليزية - العربية، الإسبانية - العربية)، الأدب المقارن، طرق البحث العلمي، الدراسات القرآنية في شعبة الدراسات الإسلامية بالكلية، العلاقات البريطانية المغربية في مدرسة الخدمة الخارجية.

ونظراً لعلاقاته الثقافية الواسعة، فقد كان يُستدعى أستاذاً زائراً لفترات متفاوتة في عدد من الجامعات، مثل جامعة برنستون الأمريكية (1964-1967)، جامعة مدريد (1965)، جامعة فرايبورغ (1978)، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية (1979-1980)، جامعة أولد دومنيون في فرجينيا (1985-1986)، الدورات التدريبية لمفتشي ومدرسي اللغة العربية التي كانت تعقدها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في ماليزيا (صيف 1984 وصيف 1989) وبروناي دار السلام (صيف 1985)، وبنغلاديش (صيف 1990)، وغيرها.

وكان محمد أبو طالب يشارك في كثير من الندوات والمؤتمرات الوطنية والدولية، مثل : عضوية الوفد المغربي إلى مؤتمرات اليونسكو في نايروبي 1975 ومكسيكو 1980، ومؤتمر وزراء العدل لمنظمة الوحدة الأفريقية في بانجول 1981، ومؤتمر وزراء الثقافة العرب في الجزائر 1983، وقمة أديس أبابا، وحركة عدم الانحياز في كوبا، ومؤتمر الجمعية الدولية لرؤساء الجامعات في كوستاريكا 1981.

وكان محمد أبو طالب نشيطاً في الجمعيات الثقافية، فاشتغل أميناً لجمَعية خريجي ثانوية مولاي إدريس بفاس، وأمينا لجمعية المائدة المستديرة المغربية الثقافية، وعضوا مؤسسا في جمعية دراسة العلاقات المغربية الأمريكية، واللجنة المغربية الأمريكية للتبادل الثقافي والتربوي، والمؤسسة المغربية - الأمريكية، والجمعية المغربية لمدرسي اللغة الإنجليزية، وعضوا في اللجنة الملكية لتأسيس جامعة الأخوين في إيفران بالمغرب.

وخصص محمد أبو طالب سنوات طويلة من حياته في البحث عن صعوبات ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية، ونشر دراسات قليلة حول الموضوع ولكن المنية عاجلته قبل إكمال البحث بالطريقة التي كان يريدها.

أما عن أعماله المنشورة، فنذكر منها :

1 - أصدر كتابا بالإنجليزية عنوانه *"همسات غضب"* يضم قصائده التي نظمها بتلك اللغة في الفترة من 1961 إلى 1970 في المغرب ونيجيريا وإسبانيا وبريطانيا وأمريكا، وهي تعبّر بطريقة هادئة غير مباشرة عن هموم العالم الثالث ومعاناة شعوبه التي أنهكها استغلال المستعمر، وتصور آلام الإنسان المستضعف في كل مكان. ويقع هذا الكتاب في 50 صفحة من القطع الصغير ويضم 43 قصيدة، وعنوانه بالإنجليزية :

M. Abu-Talib, *Whispers of Anger*, London, 1971.

وقد ترجم أصدقاؤه كثيرا من قصائد هذا الديوان ونشروها في الصحف المغربية.

2 - ترجم محمد أبو طالب كتابين إلى اللغة الإنجليزية هما :

- A. Tazi-Saud, *Islamic Morals*, Rabat, 1988.
- Ministry of Education, *Islamic Education*, Rabat : Ministry of Education, in print, 4 vols.

وترجم الدستور المغربي إلى الإنجليزية 1962، 1972، 1992، 1996.

وترجم قصة قصيرة إلى الإنجليزية هي :

- I. Tazi-Saud, *"On the Road"*, *Middle East Review*, volume 7/1, Washington, D.C. 1967.

3 - نشر دراسات كثيرة يربو عددها على 41 دراسة باللغة العربية، و45 دراسة باللغة الإنجليزية، و4 دراسات باللغة الفرنسية، و4 دراسات باللغة الإسبانية، ودراستين باللغة الألمانية. (انظر القائمة كاملة في كتاب في تخليد *ذكرى محمد أبو طالب*).

وتوفي جراء المرض العضال في المستشفى المذكور بالرباط يوم 28 شعبان / 25 نوفمبر 2001 ونقل جثمانه إلى فاس ليدفن بجوار والدته في مقبرتها.

علي القاسمي

**الطالب، الهاشمي** بن **مَحمد** بن مَحمد كان إلى جانب صلاحه ونسكه فقيهاً متمكناً، وكان سنة 1228 / 1913 قاضياً بمدينة سلا، وله حفيد يسمى باسمه : سيدي الهاشمي الطالب اشتهر بالزهد والصلاح والولاية واعتقده الناس ومات سنة 1302 / 84 - 1885 وهو من أشهر الصلحاء المتأخرين بسلا.

**الطالبي، أحمد** بن **محمد** السلوي شخصية سياسية لامعة على عهد الحسن الأول وابنيه عبد العزيز وعبد الحفيظ. بدأ خليفة لعامل سلا، منذ سنة 1310 / 1893 واضطلع لعدة سنوات بالتسيير المستقل لشؤون المدينة وباديتها حسبما يتجلى من المراسلات العديدة التي كانت له مع المخزن المركزي. ثم كان أحد السلويين الثلاثة الذين شاركوا بفعالية في مجلس الأعيان الذي أسسه السلطان المولى عبد العزيز، فكان أحمد الطالبي ومعه أحمد الصابونجي وعبد الله ابن خضراء من أبرز الشخصيات المرموقة في هذا المجلس، ثم شغل منصب أمين بمرسى العدوتين، وأخيراً صار ناظر الأحباس بسلا سنة 1326 / 1908 واستمر في هذه الخطة عشر سنوات، وتعتبر داره من أفخم دور المدينة بساباطها الكبير قرب ضريح جده سيدي أحمد الطالب.

توفي بسلا بعد سنة 1336 / 1918.

**الطالبي، عبد القادر** مقاوم ولد سنة 1934 ببني خيران دائرة وادي زم من أبيه عبد الرحمن بن بوعزة وأمه خديجة بنت العربي. من الرعيل الأول لرواد الحركة الوطنية حيث ضحى بالنفيس والنفس في سبيل حرية الوطن، الشيء الذي دفعه إلى المشاركة في الأحداث الدامية التي كانت منطقة أيت عمار مسرحا لها، إثر نفي محمد الخامس وأسرته الشريفة إلى جزيرة مدغشقر.

وقد ظل وفيا لقيمه الوطنية إلى أن وافاه الأجل المحتوم بتاريخ 26 مارس 1995 بمدينة خريبكة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 518800.

**الطالبي، محمد** (الحاج) بن **أحمد** السلوي سابق الترجمة، يدعى سيدي حمان. من وجهاء مدينة سلا ورواد الوطنية فيها، عايش الحركة الوطنية وأيدها منذ نشأتها بنفسه وماله حتى كان يدعى "أبا الوطنية" في المدينة. "بيته مفتوح للاجتماعات السياسية، وضيافة الواردين من رجال الوطنية ينفق بسخاء من ماله الخاص... قاوم الظهير البربري سنة 1930، وكان أحد أفراد اللجنة التي رفعت عريضة الاستنكار ضد السياسة البربرية... تطوع بدار له بحي درب الأخيار لتصبح مدرسة للتعليم (*ذكريات*، 1 : 164).

توفي بسلا سنة 1390 / 1970 ودفن في أحد بيوت منزله المجاور لضريح جده سيدي أحمد الطالب.

أ. ابن عاشر الحافي، *تقييد*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، ط 2، 1956، ج. 9 ؛ إدريس الفضيلي، *الدرر البهية*، المحمدية، 1999، ج. 2 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، وذيله لمصطفى بوشعراء، ط 2، الرباط، 1996 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 8 ؛ ج. كوستي، *بيوتات مدينة سلا*، تح. ن. المريني، سلا، 1989 ؛ ج. الناصري، *تقييد في قضاة سلا*، مخطوط ؛ م. الفقيه التطواني، *كناشة*، مخطوطة ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، ج. 1 و ج. 4 في مواضع متعددة ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، الرباط، 1991، ج. 2، في مواضع مختلفة.

محمد حجي

**الطالبي المعدري، أحمد** بن مسعود ولد سنة 1285/ 68 ـ 1869، ولما وصل سن الدراسة ألحقه والده بالحاج محمد السرسيفي الذي حفظ على يديه القرآن الكريم، وبعد ذلك انخرط في سلك طلبة العلم لدى والده ثم لدى أخيه محمد، وعليهما اقتصر في الأخذ، وأتم ما هو بحاجة إليه بجده واجتهاده ومجهوده الشخصي.

بدأ مرحلة التدريس بسرد البخاري في مدرسة "تازْرْوالْت" بطلب من محمد بن الحسين التازرّوالتي، ثم كانت البداية الفعلية لممارسته التدريس بمدرسة ميرغْتْ، ومنها انتقل إلى مدرسة المعدر فخلف فيها والده، وسلك نهجه في الجد والاجتهاد والانكباب على تدريس الفقه وما إليه.

وبعد وفاة أخيه محمد أستاذ المدرسة البونعمانية طلب منه سكان أيت برابيم أن يقوم مقام أخيه، فقبل وانتقل إليها سنة 1320 فسلك مسلك أخيه، وتوزعت أوقاته بين التدريس والإرشاد والتربية والوعظ واستقبال الضيوف. وهو بهذا يكون أستاذا يلقي الدروس علي الطلبة، وشيخا يربي المريدين ويعظ الفقراء الدرقاويين بعدما انخرط في سلك هذه الطريقة على يد الشيخ علي الدرقاوي الإلغي الذي كان يزور شيخه سعيداً بالمعدر، وكان الشيخ الإلغي يتصدرللوعظ والإرشاد حيث المترجم له، وثمّ عرفه وأعجب به وبطريقته فانخرط في سلكها، ولازم أورادها، بل ثار من شيوخها الذين عرفت بهم الطريقة الدرقاوية انتشاراً كبيراً.

انصرف أحمد بن مسعود إلى هذين المجالين كليا، بيد أنه قصر من نشاطه الصوفي بعد أن عرفت سوس حركة أحمد الهيبة الذي بويع بتيزنيت، وانتظم كثير نن السوسيين، عواما وفقهاء، في حركته، ولم يعرض عنه إلا القليل، ومنهم أحمد بن مسعود مترجمنا الذي بقي على عادته من ملازمة طلبته ودروسه، ولم يجرفه تيار الهيبة.

وبعد احتلال فرنسا لتلك المناطق نهائيا سنة 1352 / 1934 أصابه ما أصاب كثيراً من أمثاله من تضييق ومراقبة من لدن السلطان الفرنسية، وهذا ما جعله يبالغ في العزلة حتى عن الفقراء، فلم يعد يزور موسم "المولد" بالمعدر، كما انقطع عن موسم دُوكادير، ولم يشتغل إلا بدروسه وطلبته إلى أن وافته منيته عام 1363 / 1944 بعد أن ربى العديد من المريدين، وعلم الكثير من الطلبة، وقد ذكر محمد المختار السوسي في *المعسول* (39) خريجا منهم المختار السوسي نفسه.

محمد حاتمي

## الطالبي المعدري، الحسن ← البونعماني، الحسن

## الطالبي المعدري، محمد ← البونعماني، محمد

**الطالبي المعدري، مسعود**، ولد سنة 1240 / 24 ـ 1825 بتمْجّاض بأيت برابيم، وبعد أن حفظ القرآن على الأستاذ محمد الخنبوبي، التحق بمحمد بن العربي الأدوزي بالمدرسة الأدوزية ليأخذ عنه كل معارفه.

وبعد أن نهل من معين الأدوزي حتى ارتوى، ولج ميدان التدريس، فشارط بمدرسة سيدي مزال بن هارون بشتوكة، فأظهر همة عالية وجداً واجتهاداً في التدريس قل نظيرهما، فطارت شهرته، وسارت بذكره الركبان.

في سنة 1278 / 1861 غادر مدرسة سيدي مزال والتحق بالبونعمانية، فسار على ديدنه السابق من التفاني والإخلاص في التعليم، والضبط في دراسة الأنصبة اليومية من غير ملل أو تراخ، فاكتسبت المدرسة البونعمانية صيتا طيبا مما

جعل الطلبة يتوافدون عليها، فتضاعف أعدادهم ليصل إلى حوالي 160 طالباً.

وبعد البونعمانية رجع إلى مدرسة سيدي مزال مرتين أخريين. ولما زار الحسن الأول سوس سنة 1299 / 1882 وفد عليه المترجم ضمن أوائل الوافدين في جماعة كبيرة من الطلبة.

أمضى المترجم زهاء خمسين عاماً في التدريس، ولم يلتفت إلى ما كان يهتم به بعض معاصريه من الانصراف إلى النوازل والإفتاء. قال فيه الإگراري : "كثير التورع عن مظان الشبهة، راضيا بالدون من المعيشة، هاربا من الأحكام بين العامة، دؤوبا على الأنصبة.. وجل تدريسه في الفقه وعلم الحساب والألفية، ويقول : هذا بارود البلد" (*روضة الأفنان*، 205).

تخرج على يديه الجم الغفير من الطلبة الذين كان لهم شأن كبير في الميدان العلمي بسوس، ذكر منهم محمد المختار السوسي 87 متخرجا، منهم ابناهُ محمد وأحمد.

توفي عام 1319 / 01 ـ 1902 ودفن بالمعدر.

محمد حاتمي

**الطالبيون** (الأدارسة الجوطيون) ← **بوطالب**

**الطالبيون المعدريّون**، أسرة سوسية شريفة ذاع صيتها، وأسدت لسوس الشيء الكثير في مجالي العلم والتصوف. أصلها من إداوسملال، ومنه انتقلت إلى تاجّاجْت بإمْجّاض، ومنها نزحت إلى أيت بْرايّيم. وينتهي نسبها إلى إعزّى الطالب، وإليه تنسب. ويصل نسبها إلى علي بن أبي طالب. ولهذه الأسرة خزانة من أعظم الخزانات السوسية، أسسها أب الأسرة مسعود الطالبي المعدري سابق الترجمة الذي كان يقوم بنسخ الكتب بيده، أو يكلف مجموعة من الطلبة فينسخون له ما يشاء من الكتب، ثم زودها، من بعده ابناه محمد وأحمد بكثير من الكتب المطبوعة.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي بسوس*، *المعسول*، الجزء، 13 ؛ الاگراري، *روض الأفنان*، مخطوط ؛ ع. المتوكل الساحلي، *المعهد الإسلامي والمدارس العلمية العتيقة بسوس*.

محمد حاتمي

**الطالع الكبير** (سبتة) يصنف ضمن المنشآت العسكرية الكبرى التي حظيت بها مدينة سبتة الإسلامية. وهو محرس كبير يفوق باقي المحارس الأخرى الموجودة في المدينة والتي وصل عددها ـ حسب صاحب *اختصار الأخبار* ـ إلى 18 محرسا، حجما واعتباراً. شيد من أجل دعم وتقوية تحصيناتها سيما وهي الثغر الإسلامي الذي كان أكثر تعرضًا للاعتداءات البحرية إسلامية أندلسية ومسيحية. كان يوجد بأعلى جبل الميناء، وقد عرف لدى عامة أهل سبتة بالناظور. ينسب بناؤه إلى المرابطين الذين أوكلوا مهمة القيام بذلك إلى القاضي عياض. وقد عين عليه ناظر راتب. و. يد به حصن. كما بنيت به "قلهرة" كبيرة. وربما المقصود بالكلمة حسب التفسير الإسباني مخزن لتخزين المواد الغذائية تحسبا لنوائب الدهر من جفاف أو مجاعة أو حصار حربي. كما وجد بداخلها مسجد. فهو بهذه التشكيلة المعمارية والوظيفية يقترب من الأربطة التي كانت منتشرة على طول السواحل. ولا ندري إن كان بناؤه قد تزامن مع بناء المنارة المعروفة بمنارة أبي الفضل نسبة إلى القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي وإن كنا نميل إلى الاعتقاد بأن البناء مرابطي في الأصل هو الآخر ويعتبره صاحب *اختصار الأخبار* الطالع الفذ النظير. كما يعتبره من أعجب الطلائع، بحيث يستطيع الناظر أن يتتبع كل ما يدور حواليه في العدوتين بحيث يمكنه أن يسترق النظر إلى بادس من بر الريف، وإلى طرف القسيس شرقا من مالقة، بل يتجاوز ما وراء طريف غربا إلى حدود شنيل من بر الأندلس. ولم يكن يخفى عليه ما يدور بمضيق جبل طارق من كبير الأحداث وصغيرها. من الأكيد أن وظيفة هذا المطالع لم تتعطل أبدا منذ إنشائه. وربما استمر يؤدي وظيفته حتى خلال الفترات التالية، بل ربما أنذر الناظر القائم عليه بالخطر حينما داهم الجيش البرتغالي المدينة من غير أن يجد آذانا صاغية، فظلت الاستجابة في حكم العدم.

الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1403 / 1983، ص. 32. 33.

زوليخة بنرمضان

**طامايو ڤيلاردي خوسي** Tamayo Velarde José، راهب إسباني من الطائفة اليسوعية ولد بإشبيلية يوم 5 يناير 1607. وفي يوم 7 ماي 1644 سقط أسيرا بيد قراصنة الجزائر وتم بيعه بتطوان للنخاس إبراهيم قردوس ؛ ويعترف في مذكراته بأنه كان في أول الأمر يسجن بالمطامير الواقعة بحومة جامع الكبير، وبعد ذلك سمح له بالسكنى خارج المطامير وبالتجول في أنحاء المدينة بكل حرية دون أن يكلف بأي عمل من مولاه بفضل تدخل القنصل الفرنسي جوان مارج Juan Marges الذي يعود له الفضل في افتدائه في أواخر سنة 1646.

وقد ترك لنا مجموعة من تقاييده حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بمدينة تطوان في عهد أولاد النقسيس، في مخططين يحمل الأول منهما عنوان : *Memorias del cautiverio* (مذكرات حول الأسر)، والثاني بعنوان : *Compendio de las costumbres ritos y gobierno de Berberia* (مختصر العوائد والطقوس ونظام الحكم ببلاد البربر). يعد مصدرا مهما يجب العمل على ترجمته إلى اللغة العربية بما فيه من معلومات لم توجد عند غيره.

توفي بمدينة سلامانكا يوم 27 مارس 1685.

طامايو، *Memorias del cautiveri*، مخطوط رقم 481 بمكتبة جامعة سالامانكا ؛ *Compendio de las costumbres ritos y gobierno de Berberia*، مخطوط رقم 1534 بنفس المكتبة.

محمد ابن عزوز حكيم

**طانْية**، أسرة تطوانية أندلسية كريمة انقرضت الآن، ولعلها لا تُوجَد إلاّ بتطوان، وقد ذكر الشيخ عبد الله بن محمد الفاسي (ت. 1131) نقلاً من خط جَده عبد الرحمن العارف أنه سمع من الفقيه القاضي عبد القادر طانْية التطاوني أن أصلَ سَلَفه من مدينة بَسْطَة بالأندلس انتقلوا منها بعد سقوطها بيد الإسبان.

كان لبعض أفراد هذه العائلة شهرة بالعلم والقضاء والعدالة. وأقدم من عُرف منهم بتطوان الفقيه العلامة القاضي أحمد طانية كان قاضياً بها عام 1040 وهو من تلاميذ أبي حامد العربي الفاسي، توفي بتطوان عام 1063 كما ذكره أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في *(ابتهاج القلوب)* في ترجمة أبي حامد المذكور وَوَصَفَه صاحبُ *(الإعلام بمن غَبر)* بالفقيه الفاضل وفي عام 1071 و1080 كان قاضياً بتطوان الفقيه العلامة عبد القادر طانية وهو ابن الأول.

ومن عدول هذه العائلة الفقيه العدل محمد بن عبد الكريم طانية ووالدُه عبد الكريم، وقد وَقَفَ الأستاذ محمد داود على نسخة من *(مواهب الجليل، بشرح مختصر خليل)* للحطاب، نسخها عام 1119 محمد بن عبد الكريم طانية التطاوني لأخيه في الله محمد بن مهدي يعقوب.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، مخطوط خاص، 6 : 173، م. داود، تاريخ تطوان، 1 : 279، ط. تطوان، م. داود، عائلات تطوان، حرف الطاء، نسخة بخط المؤلف بخزانته الداوودية بتطوان، *تذكرة المحسنين بواسطة موسوعة أعلام المغرب*، 4 : 1454، ط. دار الغرب.

محمد بوخبزة

**الطّاهر** أو ابن الطاهر أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظلت طائفة منها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغمت على كتابة اسم عائلتها بالحروف اللاتينية هكذا Tahir - Taer.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 803.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **طاهر أحمد** بن **عبد القادر** بن علي الحسيني الجوطي : هكذا يسمي نفسه أول شرحه لروضة الأزهار، ويتضح من هذه السلسلة أن بيت المترجم يرجع إلى فريق بني طاهر، الفرجيين : نسبة لأبي الفرج بن إدريس بن عبد الواحد ابن محمد بن علي بن عبد الواحد المجاهد : الجد الجامع لهذه الشعبة مع باقي أبناء عمهم الأشراف الأدارسة الجوطيين.

وهذا الفريق هم الذين ينعتون بالطاهريين سكان حي حمام الجديد وحي حمام الحرة بمكناس : (حي سيدي عمَرو بوعوادة الآن)، حتى يتميزوا عن الطاهريين الأدارسة بفاس.

تاريخ ولادة المترجم ووفاته غير معروف، غير أنه فرغ من شرحه لروضة الأزهار عام 1035.

ولا يعرف من شيوخه سوى أستاذه إبراهيم السويدي، فيذكر أنه درس عليه أرجوزة روضة الأزهار للجادري، فاستفاد منه معلومات فلكية مهمة كانت المصدر الأول لشرحه على هذه الأرجوزة.

ومن قراءة هذا الشرح يتبين أن مؤلفه كان متضلعا في علم الميقات، المادة التي لا يتقنها إلا من كان عارفا بالحساب.

وفي آخر نفس الشرح يذكر المؤلف أنه استمد فيه من كتب الفقه جهده، ومما يؤكد معرفته بفقه الوثائق : تعاطيه لخطه العدالة بمكناس.

وهذه الخطة مضافا لها اشتغاله بالتاليف : يستتبع ذلك إتقان مادة النحو وشيئا من صناعة الإنشاء.

وهكذا : نتبين بضعة مواد كان المترجم يتوفر على معرفتها، فيتطابق هذا الاستنتاج - في الجملة - مع تحليته من جهة محمد العربي البصري : "كان فقيها حيسوبيا، عارفا بعلم المواقيت".

ويعقب المصدر ذاته بالتعريف بكتاب المترجم : "شرح روضة الأزهار للجادري شرحا مبسوطا جدا... وذيله بالكلام على ذات الذوائب".

ثم يختتم نفس المصدر الحديث عن هذا الشارح قائلا : "وكان من أصحاب الشيخ سيدي عبد الله الخياط"، وهي فقرة تشير إلى جانب السلوك السني للمترجم، حيث كان متبوعه الشيخ الخياط من المدرسة الصوفية الزروقية، فيقول عنه ابن عسكر : "كان من مشايخ الصوفية، وأهل التربية النبوية... وله أتباع صلحت أحوالهم".

أخيراً : نشير إلى أن شرح المترجم لروضة الأزهار لا يزال مخطوطاً في نسخ محدودة : واحدة منها : خ. ع، د 3268.

وثانية : خ. ع، ك 991 : أول مجموع.

مع قطعة من أوله في خزانة خاصة ضمن مجموع.

ملحق 1

يعتبر عبد القادر والد المترجم جماع الفروع الثلاثة لأسرة بني طاهر، قال في *"الدر السني"* بعدما عدد هذه الفروع : "فكل أولاد ابن طاهر يجتمع في عبد القادر هذا الذي هو ابن مباشر لجدهم طاهر المدعوين به"، وهو إلى هذا من صدور مكناس، ومن أعيان عدولها.

ومن الجدير بالذكر أن حفيد المترجم محمد بضم أوله بن محمد بفتح أوله المدعو حم : هو الذي صار نقيبا على أشراف المغرب خلال الدولة الإسماعيلية، قال في الإشراف

وهو يستعرض الفرجيين : "وكان منهم أبو عبد الله مُحمد الأكبر بن السيد حم بن أحمد بن عبد القادر بن طاهر المذكور: نقيبا، وليها بعد وفاة النقيب أبي محمد عبد القادر الشبيهي سنة تسع وتسعين وألف".

ونتبين من هذه الفقرة اسم أحد أبناء المترجم : محمد المدعو حم والد النقيب، وللمترجم ابن آخر يحمل اسم عبد الرحمن، مذكور في وثيقة مؤرخة في أوائل صفر عام 1042، حسب *حوالة الأحباس الكبرى بمكناس*، مصورة خ. ع. 5 ص. 21.

ومن هذه الأسرة العربي بن طاهر الحسني، هكذا ورد اسمه في وثيقتين : إحداهما : مؤرخة بأوائل رمضان عام 1117، والثانية : في منتصف نفس الشهر ونفس السنة. جنى *الأزهار* مخطوط، خ. س 1064 ز.

وقد يكون العربي هذا هو ابن حم بن علي بن عبد القادر، فيكون هو المذكور في سلسلة الأشراف الطاهريين بمكناس.

ملحق 2

توصية وتنويه بوالد المترجم وولده في رسالة صادرة عن المامون وهو ولي عهد والده المنصور السعدي. على بياض يتخلل النص.

عن الأمر العلي الإمامي الماموني الحسني، أيده الله تعالى :

حاكم مكناس محمد بن الأحرش، سلام عليك.

وبعد : فإنا نوصيك أتم الإيصاء بجانب الشريف المكرم العدل : أبي محمد السيد عبد القادر بن طاهر الجوطي، ونؤكد عليك في توقيره واحترامه وعدم هضم جنابه... أهل الحظوة من الشرفاء، لأنه من أعيانهم، وإياك ... جهته شيء من الضرر والتعدي.

وولده الطالب أبو محمد طاهر : لا تترك من يصله بإذاية ولا ضرر، ولا من يطوف بساحته، غير من كانت له دعوى قبله فليحضر ... المجلس الشرعي بعلي مقامنا، وأنت لا تطف لهم بساحة.

... من خدامك أوغيرهم يقربهم بوجه من الوجوه ... قدر منصبهم الشريف لدينا، ومكانتهم من علي مقامنا... لمن يصلهم بوجه من الوجوه.

والسلام... رمضان المعظم عام أربعة وتسعين وتسعمائة.

مصورة من الرسالة في خزانة خاصة.

انظر عن عبد القادر هذا وبعض أفراد أسرته ملحقين لهذه الترجمة ؛ أثبت هذه السلسلة محمد العربي البصري في مخطوطة *منحة الجبار*، ثانية مجموع، خ. س 941 ز، ص 164، مع *الدرر البهية*، ط ف : 2 : 31، وكانت وفاة عبد الواحد المجاهد عام 663، حسب *الذخيرة السنية* ؛ *منحة الجبار*، ص. 164 ؛ من الوثائق التي كان عدلا شاهدا فيها نشير إلى ثلاثة، واحدة عام 1031 ؛ حسب حوالة أحباس الزوايا بمكناس، مصورة، خ. ع ص. 239 ـ 240 ؛ *منحة الجبار*، ص. 164 ؛ *دوحة الناشر*، ط. ف. ص. 63 ؛ ط. ف. ص. 32 ؛ مخطوط خاص من تأليف محمد الطالب ابن الحاج.

محمد المنوني

**ابن الطاهر، أديب صالح**، ولد سنة 1914 بأولاد فارس إقليم سطات من أبويه الطاهر بن العربي وايزة بنت قبة.

شارك في العمل الفدائي في صفوف المقاومة المغربية إذ كان وراء تأسيس إحدى الخلايا السرية بقبيلة امزاب دائرة ابن أحمد.

وقد كان عمله موزعا بين مدينة الدار البيضاء ودائرة ابن أحمد حيث كان يقوم بجلب السلاح إلى مقر الخلية بالإضافة إلى مشاركته في العديد من العمليات الفدائية التي استهدفت منشآت المستعمر.

وواصل عمله البطولي بكل شجاعة وإقدام إلى أن استشهد رحمه الله بتاريخ 3 ماي 1956 بدائرة ابن أحمد فانضاف بذلك اسمه إلى قائمة شهدائنا الأبرار تغمدهم الله بواسع رحمته.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520958.

**الطاهر، امحمد**، ولد بمدينة أسفي سنة 1929. وانتقل مع أسرته إلى مدينة الدار البيضاء سنة 1935، بعدما اضطر أبوه إلى التخلي عن عمله، كرئيس للصيادين بمرسى أسفي، بسبب علاقته المتوترة مع أصحاب المراكب والسفن الأجانب (سيما البرتغاليين)، وما قد يترتب عليها من مكائد ودسائس (تلفيق تهمة إحراق شبكة صيد في ملكية أجنبي).

استقرت أسرته في المدينة القديمة بالدار البيضاء، وبالضبط في دار قريبة من سيدي فاتح. وولج كتابا قرآنيا بجوار هذا الضريح، ثم التحق بمدرسة أبناء الأعيان (مدرسة ابن الرومي الآن) بالقرب من جامع ولد الحمراء، حتى حصل على شهادة الدروس الابتدائية في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين. اضطر إلى العمل لمساعدة أسرته، فاشتغل في البداية بإحدى محطات البنزين، دون أن ينقطع عن الدراسة (الدروس الليلية في إحدى المدارس)، ثم انتقل إلى شركة للفحم الخشبي بالدار البيضاء، قبل أن يضطر إلى العمل في فرعها بمدينة الرباط مدة قصيرة.

في هذه الأثناء، اندمج الطاهر امحمد في وسط الشباب الفرنسي بسهولة (لعب كرة القدم)، بفضل إتقانه اللغة الفرنسية، قبل أن يعرض عليه أحدهم الانخراط في صفوف الحزب الشيوعي للمغرب. وبعد موافقته على الاقتراح، بعثه الحزب إلى باريس سنة 1945، صحبة شاب مغربي آخر (عبد السلام بورقية). وقد تلقى هناك تكوينا سياسيا وإيديولوجيا في مدرسة الأطر التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي، إلى جانب رفيقه وعدد من أبناء المستعمرات الفرنسية الذين اقتنعوا آنذاك بمبادئه أو تعاطفوا معها (نورد على سبيل المثال اسم فيرجيس Vergès من جزيرة لاريونيون La Réunion، وهو محامي عمر الرداد في قضية مقتل مشغلته الفرنسية، واسم فيلكس هوفويت - بواني - Félix Houphouëy - Boigny الذي ربط علاقات قوية بالحزب الشيوعي في "إفريقيا السوداء الفرنسية" في منتصف الأربعينيات من القرن العشرين). صار الطاهر امحمد، بعد عودته، عضوا نشيطا في صفوف الحزب الشيوعي، كما انغمس في العمل النقابي، بحضور مختلف نشاطات اتحاد النقابات L'Union des Syndicats التابع لمركزية س. ج. ت. بالدار البيضاء، والمشاركة في تجمعاته والتدخل في مناقشاته، حتى صار عضوا في المكتب المحلي للاتحاد سنة 1945.

بهذه الصفة، قام الطاهر امحمد بدور كبير وسط عمال مرسى الدار البيضاء من "الأهالي". فقد تجمع منهم خمسمائة في مقر النقابات بزنقة لاصال (زنقة فرحات حشاد اليوم) يوم 8 أبريل 1946، للاحتجاج على تأخر حصصهم من الدقيق بأربعة أشهر، وللمطالبة برفع أجورهم وبتسليم ملابس عملهم. وقام الطاهر إلى جانب مسؤولي نقابي آخر (ألفونس ألوكسيو Alphonse Aloccio)، بحث العمال على التعجيل بتأسيس نقابتهم دون التوقف عن العمل. وفي الوقت نفسه، تدخل الطاهر ورفيقه لدى أصحاب مخازن الحبوب بالمرسى ولدى مكتب القمح L'Office du blé، فحققا مطلب حصص الدقيق. وقد أثار هذا الكفاح حفيظة المراقب المدني رئيس المكتب المغربي للشغل Le Bureau marocain du travail، لأنه لم يرض بأن يتحقق ذلك دون تدخله، فأمر الشرطة باعتقال من عدهم "قادة" الإضراب الخمسة. احتج الطاهر ورفيقه بقوة على المراقب، مما أجبره على إطلاق سراح المعتقلين. ولم تفلح دسائس المراقب في استجابة العمال لدعواته وإغراءاته، بسبب العمل الذي قام به الطاهر وباقي أعضاء المكتب النقابي المحلي.

اكتسب الطاهر من نضاله ثقة عمال المرسى، بل وثقة باقي العمال المنخرطين في النقابة. وما يدل على هذا أن المؤتمر الرابع لاتحاد النقابات المنعقد بمراكش يومي 30 نوفمبر 1946 و1 دجنبر 1946 قرر انتخابه في لجنته التنفيذية، بل وعينه أمينا عاما للاتحاد العام للنقابات بالمغرب إلى جانب هنري برودوم Henri Prud'homme. وبذلك، أقدمت هذه النقابة لأول مرة على تعيين مغربي في ذلك المنصب الرئيسي إلى جانب الأمين العام الفرنسي.

واصل الطاهر نشاطه النقابي الدائب خلال السنوات اللاحقة، وبالأخص سنوات 1947 و1948 و1949، وخاصة في صفوف عمال مرسى الدار البيضاء. فقد كانت تتجمع جحافل من العاطلين كل صباح بالقرب من باب المرسى قبالة الصيد، لعرض قوة عملها على "مركز التشغيل" (المكلف في شركة لا مانوطونسيون ماروكان La Manutention Marocaine بتوفير حاجات السفن إلى العمال). وكان هؤلاء المرشحون للعمل عرضة لألوان من الاستغلال الذي يمارسه عليهم محمد التوزاني "رئيس مصلحة المستخدمين الأهالي" في الشركة ومن دونه من أعوانه ("الكابرانات" Les Caporaux). وقد أفاضت الصحافة النقابية في فضح مختلف الحيل والأساليب التي ابتدعها التوزاني ورجاله من أجل استغلال المياومين الذين أفلحوا في الحصول على العمل كل صباح، من مثل اقتطاع نسبة مهمة من أجورهم كل مساء، وفرض السخرة عليهم في أملاك المسؤول المذكور. وقد وقفنا على عدة تحقيقات وافتتاحيات في جريدة لوبوتي ماروكان النقابية، تشرح مختلف أشكال ذلك الاستغلال. وما يهمنا هنا هو مساعي الطاهر امحمد في النقابة لمواجهة هذا الوضع. فقد تمكن من تأليب أعداد متزايدة من عمال المرسى وتكوين نقابة خاصة بهم، تولى أمانتها، ومن خوض عدة معارك. وكان الهدف هو الوصول إلى ما حققه عمال الموانئ في فرنسا والجزائر، أي تأسيس مراكز مسؤولة عن مراقبة عمليات التشغيل وأداء أجور العمال ووضع بطاقات مهنية تكفل للعمال القدامى والمتمرسين الحظوة في الشغل والضمانات المرهونة بالعقود القانونية.

وبالطبع، لم يكن التوزاني ينظر بعين الرضا لمثل هذه المساعي التي تروم تنظيم العمال والاحتجاج على استغلالهم. فقد عمل منذ البداية على إحباط جهود الطاهر أمين نقابة المرسى والعمل على التخلص منه، حيث أمر رجاله بالهجوم عليه بجوار المرسى في أكتوبر 1946. وربما لم تكن هذه المحاولة الوحيدة لتصفيته. فقد روى لنا أخوه وابنه قصة حادثة السير التي كاد أن يروح ضحيتها، حين داهمته سيارة رجال التوزاني وهو على دراجته النارية بالقرب من بيته في اللوازيس، وقد تمكن من النجاة من الموت بأعجوبة. وقد استخلصت النقابة من هذه الحادثة ضرورة حماية الطاهر أثناء تنقلاته، فسلمته سيارة من نوع ستروين.

كان عمل الطاهر الدؤوب سببا في تجديد الثقة فيه في الانتخابات التي كانت تجري بالنقابة، بدليل إعادة انتخابه أمينا عاما في المؤتمر الخامس للاتحاد العام المنعقد بالدار البيضاء يومي 13 و14 مارس 1948، إلى جانب أمين عام فرنسي جديد، وهو أندري لوروا André Leroy.

وعلى العكس من ذلك، لم تكن سلطات الحماية مرتاحة لنشاط الطاهر النقابي، مما جعلها تعمل على كبحه. فقد أرغمته على مغادرة خريبكة وبوجنيبة وأحاطت السيارة التي نقلته وصحبه بدراجات رجال الدرك النارية حتى وصولها إلى الدار البيضاء، بعدما أفلح في الاتصال باللجنة التي كانت تؤطر إضرابات عمال المناجم هناك وفي حضور تجمع لعمال بولنوار يوم 22 ماي 1948 عبر فيه عن مساندته لهم. بل، ولم تتردد تلك السلطات في اعتقاله وسجنه، فقد ألقي عليه القبض من قبل رجال شرطة بزي مدني يوم 24 أكتوبر 1949، إثر خروجه من مقر النقابة. فقد حضر تجمعا لعمال شركة كوزيما المضربين، وخطب فيهم داعيا إلى تمكين العمال المغاربة من الحق النقابي ومساواتهم بزملائهم الأوربيين في التعويضات العائلية، وحث العمال على الاتحاد والصمود مادامت مطالبهم مشروعة. بعد اعتقاله، مثل أمام محكمة الباشا التي قضت يوم 27 أكتوبر 1949 بسجنه مدة شهر واحد. وقامت تلك السلطات في شهر فبراير 1950 بمنعه من الدخول إلى مرسى الدار البيضاء، كما أنها لم تتردد في منعه من السفر إلى فرنسا في عدة مناسبات ضمن وفود الاتحاد العام، بسبب مغربيته. وسواء كانت هذه المناسبة أو تلك، فقد حظي الطاهر باحترام العمال ودعمهم، وهو ما تثبته كثير من البلاغات والتقارير التي تحفظها صحف الاتحاد العام للنقابات بالمغرب في أواخر الأربعينيات من القرن العشرين مثل *لوبوتي ماروكان ولاكسيون سانديكال*.

واصل الطاهر مسؤوليته في الاتحاد العام كأمين عام إلى نهاية سنة 1950. وبهذه الصفة، وقع، صحبة لوروا، على عقد 11 ماي 1950 الذي فوتت بموجبه جريدة *لوبرتي ماروكان* إلى بيير ماص قطب المجموعة الإعلامية الاستعمارية المشهورة بالمغرب. وقد أثار هذا العقد ما أثاره من ضجة حول مدى صلاحية الأمينين العامين في إبرام العقد. وما يهمنا هنا هو أن اسم الطاهر صار يتردد من جديد في كثير من الصحف.

لم ينقض إلا شهر واحد بعد ذلك، وبالضبط في شهر يونيو، حتى انعقد جمع عام للاتحاد ضرب موعدا للمؤتمر السادس في شهر نوفمبر الموالي. وقبل هذا التاريخ، صعد إلى مكتب الاتحاد العام ثلاثة أعضاء غير شيوعيين، استقلاليان مغربيان، وهما الطيب بن بوعزة ومحمد التباري، واشتراكي فرنسي ما لبث في هذا الجهاز إلا بضعة أيام قبل استقالته، وهو ليونيتي Léonetti. وانعقد المؤتمر السادس في نوفمبر 1950، وفيه أعيد انتخاب الطاهر امحمد في اللجنة التنفيذية للاتحاد العام، دون أن يحتل من جديد مكانه في أمانته العامة إلى جانب لوروا، بسبب حلول الطيب بن بوعزة في محله. وربما قطع الطاهر امحمد صلته بالحزب الشيوعي والاتحاد العام للنقابات المغربية منذ ذلك التاريخ، فطوى النسيان اسمه إلى الأبد واختفى ذكره في الصحف.

ولذلك، فإننا لا نعلم شيئا عن موقفه من تأسيس الاتحاد المغربي للشغل يوم 30 رمارس 1955، فهل ظل متشبثا بصمته وانعزاله ؟ أم هل وقف موقف عدد من الشيوعيين المغاربة الذين رفضوا المولود النقابي الجديد وعملوا على التصدي له بإحداث لجنة تحضيرية مكلفة بعقد مؤتمر تأسيسي لمركزية نقابية وطنية ديمقراطية، ونذكر في هذا الصدد مورشيح حداوي وعبد الله العياشي على سبيل المثال.

ما نعلمه هو أن الرجل قد اشتغل بعيد الاستقلال، وبالضبط سنة 1958، رئيسا لمصلحة الأمن في شركة السكك الحديدية بالمغرب التي تحولت فيما بعد إلى ملك الدولة المغربية (المكتب الوطني للسكك الحديدية). وألحق مدة أربع سنوات أو خمس بالفيدرالية الوطنية لعمال السكك الحديدية المنضوية تحت لواء الاتحاد المغربي للشغل بصفته رئيس مكتبها. تقاعد من مؤسسة المكتب الوطني للسكك الحديدية سنة 1985، لكن ضغط الظروف المادية أجبره على البحث عن عمل آخر، فاشتغل رئيسا للأمن الداخلي بالمصحة المتعددة الاختصاصات التابعة للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي بحي الإنارة في الدار البيضاء من فاتح فبراير 1986 إلى سنة 1989. وقد توفاه الأجل المحتوم في 2 فبراير 1998.

*ملف واصل امحمد* (امحمد الطاهر)، مصلحة الموظفين بإدارة المصحة المتعددة الاختصاصات التابعة للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي بحي الإنارة في الدار البيضاء ؛ الطيب بن بوعزة، ميلاد *الحركة النقابية العمالية الحرة بالمغرب*، ترجمة عبد الله رشد، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1992 ؛ ألبير عياش، *الحركة النقابية بالمغرب*، ج. 2، *مغربة الحركة 1943 / 1948*، ترجمة نور الدين سعودي، منشورات أمل، الدار البيضاء ؛ نجيب تقي، *مجموعة ماص الإعلامية بالمغرب في فترة الحماية*، أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب شعبة التاريخ وحدة المغرب والعالم المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط (تاريخ المناقشة يوم 14 يناير 2000)، ج. 1، ص. 362. 364 و404. 415 ؛ *الصحف النقابية* بين 1946 و1950، وخاصة *Le Petit* و*L'Action Syndicale Marocain* ؛ كانت لنا لقاءات مع عدد من أفراد أسرة امحمد الطاهر (واصل)، ومنهم أخوه امجيد حلموني وابنه جميل واصل وزوج بنته حسن. كما استأنسنا ببعض الشهادات التي استمعنا إليها من أصدقائه في العمل الحزبي أو النقابي، ومنهم عبد السلام بورقية ومورشيح حداوي وأحمد شعيرة.

A. Ayache, *Le mouvement syndical au Maroc*, t. 2, *La marocanisation 1943-1948*, Casablanca, 1990, p. 162-164, 176, 208, 227, 236, 271, 274 et 307 ; *Le mouvement syndical au Maroc*, t. 3, *Vers l'indépendance 1949-1956*, Paris, 1993, p. 36, 42, 53, 61, 64-65, 75; 89 et 91 ; *Maroc des origines à 1956, Dictionnaire biographique du mouvement ouvrier Maghreb*, Casablanca, 1998, p. 175-176 et 215-216 ; F. Benseddik, *Syndicalisme et politique au Maroc 1930-1956*, Paris, 1990, t. 1, p. 309, 484 et 587 ; H. Grimal, *La décolonisation 1919 - 1963*, p. 343 - 344 ; Taieb Ben Bouazza, *La naissance du syndicalisme ouvrier libre au Maroc* ; G. Oved, *La gauche française et le nationalisme marocain 1905 - 1955*, Paris, 1984, t. 2, p. 309, 484 et 587 ; J.-M. Rouart, *Omar la construction d'un coupable*, Paris, 1994, p. 80.

نجيب تقي

ابن الطاهر، **طيف علي** بن الطاهر من مواليد 1910 بسوس من أبويه الطاهر بن بيهي وفاطمة بنت محمد.

دفعته غيرته وروحه النضالية إلى المشاركة في المقاومة السرية المغربية حيث انضم إلى الخلية التي كان يرأسها محمد بن الحاج البقالي بمراكش ابتداء من سنة 1953. وقد عرف بين رفاقه المقاومين في المنطقة باسم علي البقال.

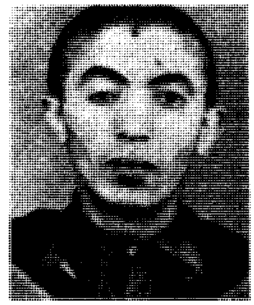

ومن الأعمال التي قام بها داخل المنظمة مشاركته في وضع قنبلة استهدفت قطار مراكش بالإضافة إلى مساهماته المادية، وقد بقي كذلك مناضلا وفيا إلى أن اعتقلته قوات الاحتلال حيث قدم إلى المحكمة التي أصدرت في حقه حكما بالإعدام يوم 29 دجنبر 1953 والذي نفذ بتاريخ 22 أبريل 1954 بسجن العاذر، فقد استرخص روحه فداء للوطن رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520933.

ابن **طاهر، عبد الله** بن **الحسين** بن موهب (أو ابن واهب) المدعو بالصقلي بن أحمد بن محمد بن طاهر. ينتسب إلى الفرع المراكشي من أسرة الطاهرين الحسينيين. ولاه الموحدون منصب قاضي القضاة بمراكش وبقي فيه إلى أن توفي. كان مشهوراً بالصلاح والنسك. وعندما أمر الموحدون بإحراق المدونة وأنكروا الرأي في الفروع الفقهية وفرضوا العمل بالمذهب الظاهري عينوا عبد الله مشرفا على تنفيذ هذا الإجراء فتصدى للإفتاء والقضاء بين الناس بمقتضى الظاهرية.

ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 17 ؛ التعارجي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، المطبعة الملكية، الرباط، 1977، ج. 8، ص. 202.

رشيد السلامي

**ابن طاهر المرسي**، أبو عبد الرحمن عالم أندلسي ترأس ببلده مرسية عند قيام الثورة على المرابطين سنة 539 / 1144، وفشل في الاحتفاظ بها أمام زحف ابن مردنيش الذي تمكن من بسط سيطرته على أغلب مدن شرق الأندلس. وبعد ظهور الموحدين على الأندلس ترك بلده وحل بألمرية سنة 542 / 1147، ومنها خاطب عبد المؤمن بن علي برسالة غريبة المبنى في نصرة إمامة ابن تومرت سماها الكافية في براهين الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه عقلاً ونقلاً، وحلاه فيها بـ "حضرة إمام الموحدين المسمى حقيقة بأمير المؤمنين عبد المؤمن ابن علي رضي الله تعالى عنه" (ابن القاضي، *نظم*، ص. 101). وقد اشتهر أمرها عند الموحدين وتناقلتها أدبياتهم. صاغ رسالته في شكل حوار بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة بالسوء، وقد وظف فيها بضاعته من العلوم العقلية التي كان أحد أعلامها المبرزين يومئذ. وأفاد فيها مما ورد في الرسالة المعروفة برسالة الإمامة لابن تومرت.

وكان لابن طاهر كتابات فلسفية، وذكر ابن رشد في كتابه *تلخيص الآثار العلوية* أن ابن طاهر "تحدث عن المواضع المسكونة من الأرض، مستعملاً مقدمات من العلوم الطبيعية، ووفق في ذلك، واستدعى كلامه ذاك ردوداً عديدة من أهل زمانه، انبرى لها هو أيضاً بالرد، فكان رده مشتهراً متداولاً بين أهل العلم"، لكن لم يتبق من تراث ابن طاهر الفلسفي سوى رسالته في المهدي.

بعد وفادته على مراكش سنة 542 / 1147 استقر بها مكرما من لدن الموحدين، وظل مرتسما في هيئة طلبة الحضر إلى وفاته سنة 574 / 1178.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، الدار البيضاء ؛ *الحلة السيراء*، القاهرة ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، منشورات وزارة الأوقاف ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي ؛ ابن رشد، تلخيص الآثار العلوية ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*.

محمد المغراوي

**الطاهري، حمدون**، هو أحمد المدعو حمدون بن محمد الشريف الإدريسي الطاهري الجوطي، ولد بفاس في تاريخ غير محدد في النصف الأول من القرن الثاني عشر (18 م) وتربى في أحضان عمه مسعود، وتتلمذ للشيخين أحمد بن مبارك السجلماسي ومحمد جسوس. كان يعدُّ من علماء فاس، فقد نعته حمزة المكناسي بالفقيه العالم واعتبره صاحب *سلوة الأنفاس* عاملا محدثا صوفيا مشاركا خيراً دينا خطب في القرويين نيابة عن خطبائها، وأم صلاة الاستسقاء عدة مرات في آخر حياته. أخذ الطريقة الوزانية وصار من أتباعها على يد الشيخ قاسم بن رحمون مقدم فرع زقاق الحجر. وقام بأول زيارة للزاوية الوزانية سنة 1146 / 1734 واتصل بشيخها مولاي الطيب، ولازمه مدة وأخذ عنه الورد الوزاني وسمع منه مناقب أسلافه، فاختار الانقطاع إلى خدمته، وأصبح من أصحابه المقربين بفاس. توجت العلاقة بين الشيخ ومريده الفقيه في آخر حياتهما (فيما بين 1767 سنة وفاة مولاي الطيب و1777 سنة وفاة المؤلف) بتأليف كتاب *تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان*، وهو أقدم نص مناقبي داخلي بلغنا عن الزاوية الوزانية من التأسيس إلى وفاة الشيخ مولاي الطيب. وإذا كان الغرض من تأليفه حسب

ملفوظ ذيباجة الكتاب هو تدوين مناقب الشرفاء الوزانيين والحفاظ على مخزون الذاكرة الوزانية خوفا عليها من الضياع بناء على مصدرين رئيسيين هما قاسم بن رحمون ومولاي الطيب، فإن قراءة فاحصة للنص تجلعنا نقر بأهميته في حياة الزاوية الوزانية، فقد أتى في ظرفية سياسية متأزمة، ذاع فيها صيت مؤسسة الشرفاء الوزانيين وبلغت درجة كبيرة من الإشعاع والتوسع، مما دفع أحد أتباعها حمدون الطاهري إلى تأليف المناقب رجالها للتعريف بهم، ولأجل ذلك نعتبر هذا العمل خطابا إشهاريا تأسيسيا أحاط بأخبار أربعة مشايخ، هم على التوالي مولاي عبد الله الشريف ومولاي محمد ومولاي التهامي ومولاي الطيب، كما تضمن مختلف أنشطة الزاوية الوزانية. ويستفاد من نص التحفة نوع العلاقة التي كانت تربط الزاوية بخدامها، وتتجلى بوضوح وظيفة الفقيه ابن رحمون في ترسيخ تفوق الشرفاء على العامة وتكريس علاقة اجتماعية غير متكافئة بالصحبة.

توفي بفاس سنة 1191 / 1777.

حمدون الطاهري، *تحفة الإخوان*، طبعة حجرية، فاس، 1324 ؛ محمد بن حمزة المكناسي، *الكوكب الأسعد*، نشر على هامش *تحفة الإخوان*، ص. 45 ـ 82 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، طبعة حجرية، فاس، 1899، الجزء الثاني، ص. 72 ؛ ليفي بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، تح. عبد القادر الخلادي، الرباط، 1977، ص. 232.

محمد عمراني

**الطاهري، محمد** بن **عبد السلام** الجوطي المكناسي

قال في حقه صاحب *الدرر البهية* : " له يد في معرفة الفقه وأحكام القضاء وعلم الأصول". وحلاه ابن زيدان في الإتحاف بـ "فقيه علامة مشارك مدرس مفت، موثق، نقاد متضلع، حسن الإدراك، متواضع، له معرفة كاملة ومهارة كافية في صناعة القضاء، وكان مجلسه مجلس تحقيق وتدقيق، وكان ممتع المذاكرة، مع إنصاف واعتراف بالحق حتى للمبتدئين من الطلبة".

أخذ عن محمد بن الجيلاني السقاط والقاضي أحمد بن الطالب ابن سودة وفضول ابن عزوز وغيرهم وأجازوه إجازات عامة.

تولى مهمة التدريس بالجامع الكبير وبزاوية سيدي قدور العلمي، والمدرسة الفيلالية التي كان إماماً بها. كما تصدر للعدالة بسماط الشهود بمكناس، والنيابة في القضاء مدة طويلة، ثم استقل بقضاء مكناس في عهد السلطان عبد الحفيظ وصدراً من عهد خلفه مولاي يوسف.

وكان من المقربين لمولاي عبد الحفيظ، ولازمه أيام المداولة في شأن عقد الحماية، وله معه مراسلات يُحتفظ بها في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بمدينة نانت.

تتلمذ عدد هام من علماء مدينة مكناس على محمد بن عبد السلام الطاهري منهم : مؤرخ مدينة مكناس مولاي عبد الرحمن ابن زيدان، وعبد القادر بن أحمد العرائشي، وقاضي مكناس محمد السوسي، ومولاي إدريس بن عمر المطهري والباشا حم بن الجيلاني، ومحمد بن مبارك الهلالي وأحمد الترات ومحمد بن المكي السنتيسي وغيرهم من طلبة وقته بمكناس.

ومن مؤلفاته نذكر :

ـ *نظم رسالة الوضع وحاشية على ورقات إمام الحرمين في الأصول.*

ـ *حاشية على منظومة الزقاق.*

ـ *تقييد في جواز إنشاد الشعر في خطبة الجمعة.*

توفي بمكناس يوم الأحد 4 شوال عام 1339 ودفن بالزاوية الكنتية.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، طبعة حجرية، فاس، 1314، ج 2، ص. 52 ؛ الطيب الطاهري، *تطبيب الأنفاس بأخبار من استوطن من الشرفاء الطاهريين حاضرة مكناس*، الرباط، 1985، ص. 26 ـ 28 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1 ـ 3 ـ 4 ـ 5.

**الطاهري، مَحمد** بن **المهدي** المكناسي، ولد عام 1910 بمدينة مكناس، واشتغل بالفلاحة منذ شبابه فكان تعلمه متواضعاً. إلا أن نظرته السياسية تفتحت ووعيه الوطني اتسع نتيجة احتكاكه بثلة من الوطنيين المكناسيين، فشارك بفعالية في جل التظاهرات الوطنية التي عاشتها مدينة مكناس. ومن بين مظاهر نشاطاته السياسية والوطنية: مقاومته للظهير البربري في ماي 1930 بجانب العلماء والسياسيين بالمدينة ومساهمته في تأسيس فرع كتلة العمل الوطني بمكناس سنة 1934، وبعد التصدع الذي حصل داخل هذه الكتلة في بداية 1937، انضم إلى الحركة القومية التي كان يرأسها محمد بن الحسن الوزاني.

وفي صيف 1937، حين بدأت إرهاصات تحويل مياه وادي بوفكران، حاول الوطنيون بمدينة مكناس إنشاء تنظم لهم في البادية، لذلك قامت في بداية شهر يونيو من نفس السنة لجنة مكونة من ستة أشخاص من بينهم محمد الطاهري بزيارة إلى منابع الوادي المذكور والاتصال بمكان القبائل المستفيدة من مياهه، لتوعيتهم وإثارتهم ضد المعمرين. كما أبلى محمد الطاهري بلاء حسنا في أحداث انتفاضة بوفكران، فتزعم المظاهرة التي انطلقت من جامع الزيتونة إلى مقر البلدية بشارع الجمهورية وكان الناطق الرسمي باسم المتظاهرين وكان في مقدمة المظاهرة الضخمة في ثاني شتنبر 1937، التي قابلتها القوات الفرنسية بعنف شديد، كما انضم إلى إحدى اللجن التي تكونت على إثر الأحداث الدامية لهذا اليوم، وشارك أيضاً صحبة إبراهيم الهيلالي في لجنة المفاوضات مع المسؤولين وهم الباشا أحمد السعيدي والحاج عبد السلام بوزبع ورئيس بلدية مكناس Brunel René "برونيل روني" وكان بمعيته سيدي إبراهيم الهيلالي. كما كان ضمن الوفد المكناسي الذي قدم للسلطان سيدي محمد بن يوسف تقريراً مفصلاً عن الأحداث الماساوية التي عاشتها مدينة مكناس يومي 1 و2 شتنبر 1937. وكان من الموقعين

في 13 يناير 1944 على "عريضة المطالبة بالاستقلال" التي قدمتها الحركة القومية. وقاد مع آخرين حملة جمع التوقيعات المؤيدة لهذه العريضة. وبعد تأسيس "حزب الشورى والاستقلال" سنة 1946 كان من بين أعضائه البارزين بمدينة مكناس، وظل مناضلاً في هذا الحزب إلى أن توفي في10 مارس 1985.

إ. الهيلالي، *التبيان لمعركة ماء أبي فكران مع وجوب أتباع رسم الإمام*، الدار البيضاء، 1986، ص. 37 ـ 49 ـ 83 ؛ ب. بوعسرية، *الموقعون على وثيقة الاستقلال*، دورية جمعية أساتذة التاريخ والجغرافية، مكناس، 1990 ؛ جريدة *الوداد*، عدد 2، السنة 1، سلا، 29 ربيع الثاني، 1356، 8 يوليوز 1937.

رقية بلمقدم

**الطاهريون**، أسرة إدريسية من بني القاسم الجوطيين، استوطنت مدينة مكناس بعد هجرة الجوطيين الجماعية من جوطة أوائل العهد المريني. استقر الطاهريون بفاس زمن الوطاسيين في حدود سنة 881 / 1476، فانتقلت إليهم خطة النقابة العامة على شرفاء المغرب بعد سقوط الإمارة الجوطية وهجرة أبناء عمهم العمرانيين القسرية إلى تونس، وهي رتبة كانت تناهز الخلافة في المنزلة كما عبر عن ذلك صاحب *الدر السني*، وتجسد المكانة الاجتماعية والسياسية الرفيعة التي احتلها هذه الأسرة خلال العهد الوطاسي والسعدي. احتكر الطاهريون نقابة العامة إلى غاية أن قرر مولاي رشيد سنة 1080 / 1670 تعيين عبد القادر الشبيهي نقيبا عاما بسبب ما لمسه من ضعف في النقيب إدريس بن محمد الطاهري، وحققوا من "الجرايات العظام والخراجات الجسام والعطايا السنية وغيرها" ثروة ضخمة، وتربعوا قمة الهرم الاجتماعي بفاس إلى أواخر القرن التاسع عشر كما يتبين من التراجم الواردة في *الدرر البهية* لإدريس الفضيلي.

ع. السلام القادري، *الدر السني*، طبعة حجرية، فاس، 1308، ص. 23 ـ 28.

محمد عمراني

**الطاهريون**، أسرة من الشرفاء الصقليين الحسينيين، وتذكر المصادر أن هؤلاء الأشراف دخلوا في بداية أمرهم في خدمة الفاطميين عندما كانوا يحكمون جزيرة صقلية في القرن الرابع الهجري / الحادي عشر الميلادي، غادر هؤلاء الأشراف الجزيرة في اتجاه الأندلس. وبعد قيام دولة الموحدين قدموا إلى المغرب وقرر فرع منهم الاستقرار بمراكش تحت حماية ورعاية خلفاء بني عبد المؤمن. وكان على رأس الداخلين إلى مراكش قادما من مرسى أگادير بالسوس الأقصى طاهر بن الحسين بن موهب الذي استخدمه الموحدون على العلف ثم خدمهم أولاده من بعده حيث برز منهم فقهاء وعلماء وقضاة أمثال عبد الله بن طاهر قاضي قضاة الموحدين وولده محمد قاضي الجماعة بمراكش. اشتهر هذا الفرع المراكشي بالطاهريين الحسينيين وبقوافي حظوة وعناية بني عبد المومن إلى نهاية دولتهم. لكن عندما استولى يعقوب بن عبد الحق المريني على عاصمة الموحدين سنة 668 / 1269 من بقي من الموحدين عنها واضطر هؤلاء الشرفاء الطاهريون مغادرة مراكش واستقروا بقصبة تاوريرت مدة ثم انتقلوا بعدها إلى فاس. وتجدر الإشارة إلى وجود فروع أخرى من أشراف المغرب تحمل لقب الطاهريين مثل الطاهريين الجوطيين الحسنيين والطاهريين الصقليين الحسينيين بفاس والطاهريين الصقليين بسبتة إضافة إلى الطاهريين الصقليين الحسينيين بمراكش. ويشكل تعدد هذه الفروع أحد العناصر التي تسببت في اختلاط الأمور على النساخ. وقد أورد العباس بن إبراهيم التعارجي في كتابه *الإعلام* مجموعة من المصادر التي تناولت أخبار الفرع المراكشي من هؤلاء الأشراف وأكدت صحة نسبهم وسلامته من الريبة ومن ذلك كتاب *الروض الزاهر* في نسب سيدي محمد طاهر للإمام القصار، وكتاب *لمحة البهجة العلية* في بعض أهل النسبة الصقلية للقادري، وتأليف عن الأشراف للسيوطي وكتاب الأنساب لابن جزي وكتاب كنز الأسرار.

ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 15 ـ 17 ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، دار الفكر، بيروت، 1988، ص. 315 ؛ نفسه، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ضمن كتاب *العبر*، ج. 7، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ص. 876 ـ 877 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس*، دار المنصور، الرباط، 1973، ص. 200 ـ 201 ؛ العباس بن إبراهيم التعارجي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام*، المطبعة الملكية، الرباط، ط 2، 1998، ج. 4، ص. 160 ـ 166 ؛ محمد القبلي، *مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين*، ضمن كتاب، *مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط*، دار توبقال، الدار البيضاء، 1987، ص. 84، الهامش 5 وص. 94، الهامش، 34.

رشيد السلامي

**الطاوس**، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل غمارة وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 804.

محمد ابن عزوز حكيم

**الطاووس**، كما هو شائع في المعاجم وفي اللسان الدارج عند العرب طائر مشهور بحسن ألوان ريشه الزاهية، يجمع على أطواس وطواويس. يصنف إلى رتبة الدجاجيات Galliformes وفصيلة التدرجيات Phasianidae التي تشمل التدرج والدجاج الحبشي والدجاج الرومي والغرغر والحجل. موطنه الأصلي آسيا الجنوبية ومنه ثلاثة أنواع في العالم : طاووس سنبلي القنبرة Pavo muticus والطاووس الأسود Pavo nigripennis والطاووس الأهلي Pavo cristatus وهو الشائع عندنا وفي أوروبا وآسيا. يسمى بالفرنسية Paon bleu commun وPaon وبالانجليزية Peacok.

تختلف الإناث كثيراً عن الذكور في الحجم وألوان الريش، فريش الذكور أزرق مخضر اللمعان وعلى كل ريشة من الذيل والجناحين زخارف على شكل عين زاهية الألوان، البطن أسود والظهر أخضر ذهبي اللمعان، العنق طويل والرأس صغير جدا عليه لدى الذكور تويج مستقيم من الريش الأزرق والأسود، الجناحان قصيران لا يتعدى طولهما 50 سم عند الذكور، الذيل طويل جدا عند الذكور ويتعدى أحيانا 1,50 سم، المنقار قرني قوي جدا وصغير والقائمتان بنيتان. يبلغ الطول جمعا بين الجسم والذيل عند الإناث 100 ـ 135 سم وطول الذكور 230 سم ولا يتعدى وزن الكبار 1,5 كيلوكرام. يعيش في مجموعات صغيرة ويتغذى من مختلف الحبوب والحشرات والديدان والعناكب والزواحف والنباتات والثمار. يصير ريشه متكاملا بعد ثلاث سنوات من عمره ويغير ريش ذيله كل سنة. يربى مع الدجاج والتدرج والدجاج الرومي والحبشي وهو نادر في المغرب لقلة الإقبال عليه.

كانت بداية تدجينه في الهند منذ أزيد من 20 قرنا وانتشر تدريجيا عبر أنحاء العالم عن طريق التبادل التجاري، وهو طائر كثير الشبه في معيشته بالتدرج، خجول وشديد الخوف يختفي في الأدغال والغابات الكثيفة فتصعب مشاهدته.

يقضي نهاره على الأرض ليبحث عن الأكل ويلتجئ إلى أغصان الأشجار ليلا. طائر اجتماعي يعيش في مجموعات قليلة العدد ويحسن الطيران ويمشي بسرعة كبيرة بفضل قوائمه الطويلة القوية.

م. رمضاني، *معلمة المغرب*، الجزء 7، ص. 2304 ـ 2305 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

محمد رمضاني

**الطائري، مسعود** التحق بالرفيق الأعلى بتاريخ 8 ـ 1 ـ 1996 المقاوم الطائري مسعود، وهو من مواليد سنة 1915 بدوار أزيلا قيادة كتامة دائرة ترجيست من والديه امحمد الراضي وفطمة بنت علي الذرقيتي التحق بصفوف جيش التحرير منذ انطلاقة الشرارة الأولى لعمليات جيش التحرير بالشمال حيث شارك إلى جانب إخوانه المجاهدين ملبيا نداء الضمير الوطني وقد أبلى البلاء الحسن خلال أدائه لواجبه في مواجهة الجيوش الفرنسية حتى بزغ فجر الاستقلال وتم جلاء المستعمر الغاشم.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523585.

**طائفة إداولْتيتْ**، تتكون هذه الطائفة من مجموعة الفقراء المتصوفة (إفْقرْنْ) من مختلف الطرق الصوفية، المنتمين إلى قبيلةَ إداوَلْتيتْ المتكونة من إداوسْمْلال وإداوبْعْقيل وإداوگرسْمُوكْتْ، ينضاف إليها فقراء تازْرْوالْت وأبناء السبيل الذين ينضمون إليها أثناء الطواف.

وسُميت طائفة لطوافها على عدد من الدواوير والمزارات بدْءاً من ثلاثاء إداوگـاكْمار، وانتهاء بتامَّاشْتْ، مروراً بسيدي أحمد أوموسى، وتغْمي وأنْزي ووجَّان والمْعْدَر وأگّلُو وتزنيت. ويستمر طوافها شهراً كاملاً، يبدأ من الأسبوع الأول من شهر يناير الفلاحي، وينتهي في الأسبوع الأول من شهر فبراير الفلاحي.

ويُعتقد أن هذا الطواف بدئ فيه منذ القرن الهجري العاشر على يد الشيخ أحمد بن موسى دفين تازروالت (توفي 971) الذي أثر عنه قوله : "لنصل من لم يصلنا". والهدف من خلق هذا الطواف هدف ديني يتجلى في جمع فقراء إداولتيت مرة كل سنة على ذكر الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وتفقيههم ومن ينزلون بهم من سكان الدواوير التي يمرون بها أمور دينهم.

ويتولى قيادة الطائفة شخص يسمى "لْمْقدم"، قد يكون فقيها، أوفقيرا مسنا حافظا لعدد كبير من الأذكار والتصليات وكذا للمؤلفات الفقهية والوعظية المؤلفة باللسان الشلحي مثل كتاب الحوض لمحمد بن علي أوْزَال، ومؤلف الحاج الحسين بن مبارك التاموديزْتي، والأمير للحاج علي الدرقاوي. ويكون دور هؤلاء الفقهاء وهؤلاء الفقراء المجالسين هو تنشيط حلقات المذاكرة حول أمور العبادات ورئاسة حلقات الذكر، مما تعم به الاستفادة.

وموكب الطائفة يبدأ بعدد قليل في الانطلاقة، ثم لا يلبث أن يتكاثر المنضمون إليه بتوالي المزارات وانضمام فقراء الدواوير التي يمر بها الموكب، ويصل عدد أفراد الطائفة إلى الأوج عند ضريحي سيدي وگاگ، وسيدي أحمد بن موسى الذي يسميه بعض العامّة "الحج الأصغر"، وقد قدر پول باسكون عدد الفقراء بهذا الضريح يوم 15 ـ 1 ـ 1981 بما يناهز الألفين.

ويكون سير الطائفة على الأقدام، وعندما تشرف على مزار أودوار تبدأ برفع الصوت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إعلاما للسكان بالقدوم، فيستقبلهم هؤلاء أحسن استقبال بعد أن يطلب منهم المقدم الضيافة. وإذا كان المحل محل ذبح، فأول ما يبدأ به هو ذبح الذبائح المهداة إلى الطائفة، ثم يقصد الموكب المسجد، وإذا صادف الوصول وقت الصلاة صلوا جماعة، ثم يتبعونها بالنصاب اليومي من الأذكار. ثم تعقد حلقات الذكر والوعظ والتفقيه.

ويتولى السكان خدمة الطائفة مدة إقامتها بينهم بما يلزم من أكل وشرب ومبيت. وفي اليوم الأخير يقام دعاء الوداع على أمل اللقاء في العام القادم.

*الظواهر الصوفية بسوس، طائفة إداولتيت*، بحث الإجازة.
*La maison d'Iligh*, Pascon, Rabat.

محمد حاتمي

**الطَّبَايْري**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Tabarra - Tovarri.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 806.

محمد ابن عزوز حكيم

**الطباعة بالمغرب**، أجمعت معظم الدراسات والأبحاث التي أشارت إلى تاريخ الطباعة بالمغرب، على أن المغاربة كانوا من أواخر الدول الإسلامية إقبالاً على التقنية الجديدة للكتابة، رغم قربهم الشديد من أوربا، حيث لم يستعملوا هذا الفن الجديد إلاّ في العقد السابع من القرن التاسع عشر 1864، وذلك بعد مرور أربعة قرون على اكتشافه من الألماني يوهان غوتنبرغ Johan Gutenberg (حوالي سنة 1453).

وربما يرجع هذا التأخير إلى سياسة العزلة والاحتراز التي لجأ إليها المغرب لحماية أرضه من الاطماع الأجنبية، أو إلى أسباب اجتماعية ترتبط بالتوجه العام السائد داخل المجتمع المغربي المبني على المحافظة على التقاليد، ورفض أي تغيير وتجديد أو تفتح على أوربا وحضارتها.

ولكن هذا يعني أن المغاربة لم يكن لهم علم حتى ذلك التاريخ بتقنية الطباعة ـ كما جاء في بعض الكتابات المشرقية ـ إذ هناك العديد من الإشارات التي تؤكد بأن المغاربة كانوا على دراية بفن الطباعة، وتولدت لدى بعضهم رغبة في تزويد البلاد بها، بل تذهب بعض الدراسات أبعد من ذلك لتجعل المغرب أول دولة عربية استعملت تقنية الطباعة وذلك منذ بداية القرن السادس عشر على يد المهاجرين اليهود. فقد ورد في الموسوعة اليهودية خبر جلب المطبعة إلى المغرب على يد اليهود الفارين من إسبانيا والبرتغال بعد سقوط الأندلس سنة 1492، حيث استقر العديد منهم بمدينة فاس، وهناك استمروا في إنتاج مطبوعاتهم.

وفي هذا السياق قدم يوسف تدغي Joseph Tedghi دراسة مفصلة عن تاريخ الطباعة العبرية بفاس في القرن السادس عشر، اعتبر فيها مدينة فاس مهد الطباعة العبرية فإفريقيا، وربط بدايتها بطرد اليهود من الأندلس واستقرارهم بالمغرب ابتداء من سنة 1492. وقدم المؤلف قائمة الكتاب المطبوعة بفاس حدد عناوين تسعة منها وصدرت في المدة المتراوحة ما بين 1515 و1520 جلها ذات طابع ديني (أجزاء من التلموذ، شروح للطقوس الدينية، تقاويم عبرية، تعليق على الصلوات ...).

وقد عزّز تدغي روايته بعرض صور لبعض المطبوعات العبرية الفاسية، محدداً أماكن وجودها، وعدد نسخها، منها نسخة تامة من كتاب تفسير التباريك والصلوات لداوود بن يوسف أبودرهام David Joseph Abuderham، ذيل بعبارة "تمت طباعته في شهر Kislev من عام 5277 (نوفمبر 1516) بمدينة فاس على يد شامويل نديفوت Shemmuel Nedivot وابنه إسحاق Ishag، وتعرض هذه النسخة حاليا بخزانة Jewish theological seminary بنيويورك.

وقد يكون أن المغاربة المسلمين لم يتعاملوا مع المطابع العبرية بسبب اعتبارها ثقافة دخيلة تتعلق بأقلية غير مسلمة خصوصاً وأن جل منتجاتها ذات طابع ديني يهودي، لذا لم يظهر لها أي أثر في المصادر المغربية.

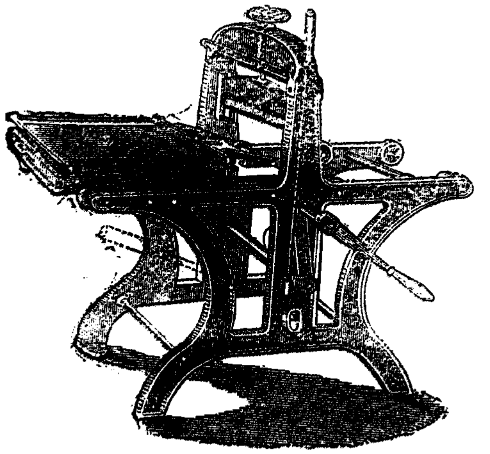

وقد وردت العديد من الإشارات إلى المطبعة في كتب الرحالات سواء منها السفارية أو الحجارية وصف فيها أصحابها آلة الطباعة بنوع من الدقة والإعجاب، مظهرين رغبتهم لتزويد المغرب بهذا الفن الجديد للكتابة، نذكر من بينها رحلة الصفار إلى فرنسا (ما بين دجنبر 1845 ومارس 1846)، والرحلة الحجازية للغيغائي (1858)، ورحلة إدريس العمراوي إلى باريس سنة 1860 والتي عنونها *"تحفة الملك العزيز بمملكة باريس"* حيث إن هذا الأخير لم يكتف بالوصف والاعجاب بل ختم حديثه عن المطبعة بمطالبة السلطان محمد ابن عبد الرحمان باقتناء آلة الطباعة وذلك بقوله : "ونطلب الله بوجود مولانا أمير المؤمنين، أن يكمل محاسن مغربنا بمثل هذه المطبعة، ويجعل في ميزان حسناته هذه المنفعة ..."

وبعد مرور أربع سنوات على رحلة العمراوي تظهر المطبعة بالمغرب كما أثبتت ذلك الوثائق المحفوظة في *كناشة* الوزير الطيب بليمني بوعشرين (ت. 1286 / 1869 ـ 1870)، والتي يظهر من خلالها أن دخول المطبعة إلى المغرب لم يكن عملاً مخزنياً، وإنما هو مبادرة فردية تمت على يد قاضي تارودانت محمد الطيب بن محمد السوسي التملي الروداني (ت. 1282 / 1865)، الذي نقش اسمه في سجل التاريخ بوصفه صاحب مبادرة رائدة.

ولقد قصرت كتب التراجم في الحديث عن هذه الشخصية التي كان لها فضل إدخال المطبعة إلى المغرب، فعدا بعض الإشارات الصغيرة هنا وهناك، يكاد المختار السوسي (ت. 1383 / 1963) أن يكون المرجع الوحيد لهذه الشخصية. ففي

معرض حديثه عن أسرة التمليين خلال العصر العلوي يقول : "نبغ منهم ثلاثة من القضاة علا شأنهم، وخفق أزماناً بندهم منهم : محمدين بن أحمد القاضي التملي (والد الطيب) ... والقاضي الثاني هو الطيب بن محمد ابنه (صاحب المطبعة)، كان يدرس ويداوم على ذلك وهو أدمث أهله خلقاً وألينهم عريكة، أخذ من فاس، ثم كان ينوب عن أبيه، ثم تولى القضاء بعده. توفي سنة 1282. وهو الذي اشترى في حجته المطبعة الحجرية الفاسية الأولى من مصر يريدها لنفسه، ثم حازها منه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1281، فنقلت من الصويرة إلى مكناسة. وأول ما طبع فيها *"الشمائل"* للترمذي، ثم حولت إلى فاس. وهذه همة عظيمة نادرة له رحمه الله" وختم حديثه بقوله : "فكان لتارودانت وقاضيها السبق في إحداث المطبعة في المغرب وذلك فضل من الله يوتيه من يشاء".

وتفيدنا جميع الروايات بأن القاضي محمد الطيب الروداني، قصد الحج سنة 1280 / 1864، وعند رجوعه مر بمصر - كدأب المغاربة - واشترى مطبعة حجرية جلبها إلى المغرب، كما استقدم معه طبيعاً مصرياً يسمى محمد القياني ليشتغل بها.

وليست لدينا أية وثيقة أو إشارة إلى الثمن الذي اشترى به الروداني المطبعة، ولا الجهة التي اقتناها منها، وإن كنا نعتقد أنه اشتراها من مطبعة بولاق التي كان بها يومئذ قسم للطباعة الحجرية، ولكون الطبيع المصري محمد القياني كان يشتغل بها قبل تعاقده مع الروداني، وربما يكون وكيله ووسيطه في ذلك، المطبعي محمد هاشم المغربي، الذي كان يحظى بامتياز ومعاملة خاصة، إذ سمح له بفتح مطبعة بحارة برجوان بالقاهرة سنة 1861 دون مراعاة للشروط المنصوص عليها في القانون الخاص بالمطابع بمصر.

وتبقى هذه مجرد استنتاجات في غياب أية معلومات عن اتصال الروداني بالطباع المغربي بمصر. فكل الوثائق تبتدئ بالعقد المبرم بين الروداني ومحمد القياني بتاريخ 14 ربيع الأول 1281 / 11 يونيو 1864. فهذا العقد يلقي أضواء كاشفة عن تاريخ دخول الطباعة إلى المغرب، ويوضح نوايا الروداني، وعلى المكان الذي كان يرغب أن يشغل فيه مطبعته. فكما ينص العقد، يلتزم الطبيع المصري بأن يأتي برفقة الروداني إلى مدينته "رودانة" ويشتغل عنده في المطبعة مدة سنة كاملة، تبتدئ من ربيع الأول 1281 / يونيو 1864، وتنتهي صفر الخير 1282 / يوليوز 1865. ومقابل ذلك يتحمل الروداني القيام بجميع لوازم القياني من مأكل ومشرب وملبس حسب رغبته، مع أجرة شهرية بمقدار مائتي قرش مصري. كما نص العقد على أنه قابل للتجديد عند انتهاء السنة. فبنود العقد تظهر أن الروداني اشترى المطبعة لنفسه، وكان يرغب بتشغيلها ببلده تارودانت، بدليل تعهده بتحمل كل نفقاتها ونفقات الطبيع، ولم تظهر في العقد مطلقاً كلمة السلطان أو المخزن، فكيف يفسر انتقال المطبعة من الروداني إلى المخزن ؟ وبالتالي كيف تم تحويلها من مشروع فردي إلى مشروع مخزني رسمي ؟ .. هذه النقطة يكتنفها الكثير من الغموض، فبعض الذين تحدثوا عن المطبعة، أشاروا إلى أن الروداني عند وصوله إلى ميناء الصويرة (القريب من بلده تارودانت) أهدى المطبعة للسلطان محمد الرابع، الذي كان يقيم يومئذ بمدينة مكناس.

ويفترض جرمان عياش أن الروداني ربما اشترى المطبعة لحساب السلطان بصفته تابعاً للمخزن المغربي. ويمكننا أن نضع احتمالاً يرمي إلى أن الروداني عند وصوله بالمطبعة إلى ميناء الصويرة، واجه صعوبات مع موظفي المرسى، فأشار عليه البعض بإهدائها إلى السلطان، فحملها صحبة المعلم المصري إلى مكناس، حيث كان يوجد السلطان حينئذ، وقدمها هدية له، وهذا ما يقترب من رأي المنوني الذي يقول : "إن القاضي الروداني كان في أول الأمر يستخدم المطبعة في اسمه، غير أنه لا يلبث أن يقدمها هدية للسلطان محمد الرابع وقد وقع ذلك بمجرد رجوعه إلى المغرب".

وفي اتجاه آخر يشير المختار السوسي إلى أن الروداني اشترى المطبعة من مصر ليديرها بنفسه ببلده تارودانت، ثم حازها منه السلطان سيدي محمد بن الرحمان فنقلت من الصويرة إلى مكناس. وكلمة حيازة هنا تعني مصادرة، بمعنى أن المخزن صادر المطبعة باسم السلطان. وفي نفس السياق يشير مضمون وثيقة مستمدة من كناشة محمد بن عبد السلام الروندة (ت. 1365 / 1945) وهي عبارة عن حديث أجراه القاضي الروندة مع الطيب الأزرق أشهر طابع مغربي، حيث أخبره عن ظروف دخول المطبعة إلى المغرب، مشيراً إلى وصولها إلى ثغر الصويرة، مخبراً أمين المرسى المدعو الفرنصاوي القباج، وقائد المنطقة عبد الله وبه السوسي بأمرها، فكاتب هذا الأخير السلطان يعلمه بأمر المطبعة، فأصدر السلطان أوامره باحضار المطبعة ومعها الطبيع المصري إلى مكناس. وهذه المعلومات يقول الأزرق أخبره بها الطبيع المصري، دون أن يشير إلى الإهداء والتعويضات، كما أنه تحاشى ذكر الحيازة أو المصادرة كما جاء عند المختار السوسي، وان كان حديثه يوحي بذلك.

وعلى كل فهذه الشهادات جميعها تؤكد حقيقة واحدة، وهي أن القاضي محمد الطيب الروداني يرجع إليه الفضل في إدخال آلة الطباعة إلى المغرب، وقد توفي في نفس السنة ببلده تارودانت، ربما دون أن يشاهد أول ثمرات إنتاج مطبعته.

ويمكننا أن نتساءل عن أسباب اختيار الروداني لمطبعة حجرية، تقنياتها معقدة جداً بالقياس مع المطبعة التبوغرافية أو ما يسمى في المغرب بالسلكية.

قبل معرفة الأسباب لابد من التعرف على طريقة الطبع الحجري أو الليثوغرافي. فكلمة ليثوغرافي Lithography تعود إلى أصل إغريقي، وهي مكونة من مقطعين : حجر Litho وكتابة Graph، أي الكتابة على الحجر. اخترع هذه

الطريقة الألماني ألويز سنيفلدر Aloise Snifelder سنة 1796. والحجر المستخدم فيها مركب من الكلس والطفل والرمل، ينحت جيداً ويصقل بالرمل الناعم وينظف جيداً. أما تقنية الطباعة بالحجر التي كانت متبعة في "المطبعة المغربية" فهي كالآتي :

تبتدئ العملية من الناسخ الذي يكتب ما يراد طبعه بحبر خاص، وعلى ورق خاص يضغط عليه - بعد كتابته - بين ورقتين من النشا مبتلتين. وكان الناسخ يكتب على الورقة كتابة مستقيمة غير مقلوبة، وبعد هذا توضع اللوحة الحجرية التي يراد نقل الكتابة إليها في مكبس بعد أن يحمي، ثم تبسط الورقة عليها بطريقة عكسية، بحيث يقع وجهها المكتوب على وجه اللوحة الحجرية، ويضغطان مراراً كثيرة، فتلتصق الورقة باللوحة، ثم يربط ظهر الورقة ويفرك بالانامل لكي يسهل نزعها عن اللوحة، فتنتزع عنها تاركة الكتابة عليها، ثم يصب على اللوحة الحجرية مزيج من الماء والصمغ العربي، وتبل خرقة بحبر الطباعة ويمسح بها، فيلتصق الحبر حيث كانت الكتابة. وحينما تبرد جيداً يصب عليها مزيج يسير من الحامض ومذوب الصمغ مرة أو أكثر، حتى إذا تنشفت توضع في المطبعة، وتبلل بالماء ثم الحبر، بعدها يكبس الورق على الحجر، فتنتقل الكتابة من المساحة الطباعية إلى الورق مباشرة. ويجب إعادة تبليل اللوحة بالماء وتحبيرها قبل طبع كل ورقة.

وهكذا نرى أن طريقة الطبع على الحجر كانت معقدة شيئاً ما، فلماذا اختارها الروداني وفضلها على المطبعة التيبوغرافية ؟

يمكن أن نحصر ذلك في عدة أسباب وهي :

1 - السبب الديني والثقافي : فالروداني بحكم تكوينه الديني، رأى أن الطباعة الحجرية أكثر ملاءمة لذوق العلماء التقليديين، حيث ستحافظ لهم على تراثهم الذي كان يكتسي من نظرهم طابعاً قدسياً، والمتمثل في الخط المغربي التقليدي، لأن المطبوعات الحجرية تشبه في مظهرها المخطوطات تماماً، فهي لا تمثل أية قطيعة مع الماضي، ولا تتسبب في أي صدام مع العادات الثقافية المغربية.

2 - السبب الاجتماعي : إن الروداني في اختياره للطباعة الحجرية، حافظ على وجود طبقة مهمة داخل المجتمع المغربي، ونعني بها طبقة النساخ أو الوراقين الذين كانوا يعيشون من نسخ الكتب، لذا فالطباعة الحجرية ستحافظ لهؤلاء على مصدر رزقهم.

3 - السبب الاقتصادي : فالمطبعة الحجرية غير مكلفة كثيراً، فهي لا تتطلب تجهيزاً كبيراً، ولا تستدعي انشاء مؤسسة كبيرة، كذلك بعض المواد اللازمة للطبع يمكن صنعها بالمغرب أو جلبها من مصر، في حين تتطلب المطبعة السلكية تجهيزات وآلات باهظة الثمن تستورد من أوربا التي كان المغاربة يمقتونها آنذاك.

يظهر أن هذه الأسباب جميعها كانت حاضرة في ذهن الطيب الروداني عند عزمه على اقتناء المطبعة، فعرف مزايا المطبعة الحجرية وأدرك أنها سوف لا تحدث قطيعة مع الماضي بل ستضفي عليه فوائد جمة. ومن هنا كان إقبال العلماء المغاربة عليها كبيراً، لكونها تمثل التقنية الأكثر ملاءمة لأذواقهم في القراءة، ولا دراكهم لمزاياها المتمثلة في تكثير الكتب وتسهيل طرق التعليم، ونشر العلم والمعرفة، رغم أن البعض اعتبرها تمتهن الكتاب وتسلبه قداسته، وتعمل على إخماد القرائح وإهمال حفظ العلم في الصدور.

وهكذا، فبمجرد وصول المطبعة إلى ميناء الصويرة، ثم نقلها إلى مكناس، ومنها إلى فاس فدخلت تحت سلطة المخزن، وأصبحت نفقاتها حكومية تتعاون عليها الخزينة العامة والأحباس وذلك خلال الفترة الممتدة من صفر 1282 / يوليوز 1865 إلى آخر سنة 1278 / مارس 1871. وكانت تحمل في هذه المرحلة اسم "المطبعة السعيدة" أو "المطبعة المحمدية" نسبة للسلطان محمد الرابع، وقد استقرت بزنقة "جزاء برقوقة" من فاس الإدريسية، وهو موقع ممتاز لقربه من جامع القرويين ومن السوق التجاري من جهة، ولوقوعه بالقرب من ضفاف وادي فاس لتوفير الماء الضروري لحاجيات المطبعة من جهة أخرى.

أما جهازها التوظيفي، فكان يشتمل على الطبيع المصري، وعلى ناسخ، ومصحح، ومعاونين يبلغ عددهم عشرين منهم من صار من أقطاب الطباعة كالطيب الأزرق وأخيه العربي.

أما النساخ الذين وُظِّفوا بالمطبعة فكان أولهم محمد بن سليمان الفاسي (ت. 1317 / 1899) الذي كان خطاطاً وكاتباً في خدمة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، وانتقل مع الطبيع المصري ليباشر تخطيط ونسخ الكتب الأولى. أما المصحح الذي ظهر اسمه في آخر الكتاب الأولى المطبوع بالمطبعة السعيدة، فهو أبو حفص عمر الرندي (ت. 1290 / 1873).

ولم تتعد منشورات هذه المرحلة ستة عناوين، وهي كالآتي :

- *الشمائل المحمدية* لأبي عيسى الترمذي، وهو كتاب في السيرة النبوية وقع الاختيار عليه من طرف السلطان تبركاً بالافتتاح، وقد تم طبعه بمكناس سنة 1282 / 1865، في 103 صفحة.

- شرح *المقدمة الأجرومية* للأزهري، تم طبعه سنة 1283 / 1866، في 180 نسخة. وهو يعد أهم الكتب في شرح مقدمة ابن أجروم في اللغة، ومن أهم الكتب التي اهتم بدراستها اللغويون المغاربة.

- *مختصر الدر الثمين*، أو المورد المعين في شرح المرشد المعين لمحمد ميارة الفاسي، طبع سنة 1283 / 1866، في 301 نسخة. وهو شرح وضعه ميارة على نظم عبد الواحد بن عاشر المسمى *"المرشد المعين في الضروري من علوم الدين"*.

ـ *حلي المعاصم لبنت فكر ابن عاصم* لمحمد التاودي ابن سودة. طبع سنة 1284 / 1867 في 300 نسخة، وهو شرح لمنظومة ابن عاصم المسماة "*تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام*" التي تتناول علم القضاء والتوثيق.

ـ *شرح على مختصر خليل* لمحمد بن عبد الله الخَرْشِي المصري، طبع في ستة أجزاء ما بين 1284 ـ 1287 / 1867 ـ 1870، في 600 نسخة. وكان من أكثر الكتب الفقهية تداولاً بالمغرب، وله شرحان الصغير والكبير. والصغير هو الذي طبع على الحجر بفاس.

ـ *قصيدة مولدية* لمحمد بن أحمد الرفاعي المدني، وهي قصيدة في الأمداح النبوية تم طبعها سنة 1287 / 1871. ويظهر أنها آخر ما طبع خلال هذه المرحلة التي كانت فيها المطبعة تحت إشراف المخزن.

ويمكن أن نلاحظ على هذه المطبوعات الاستهلالية التي حظيت بالأولوية في الطبع، المبالغة في إتقانها، تصحيحاً وطبعاً وورقاً. كما يظهر من خلال مواضيعها أن المخزن وظف المطبعة لأغراض تعليمية ولنشر الكتاب المدرسي المقرر للدراسة في القرويين.

وبعد سنة 1287 / 1871 دخلت المطبعة الحجرية مرحلة جديدة من حياتها، حيث توقف المخزن عن الإشراف المباشر عليها بسبب عجزه عن توفير نفقاتها، وأصبحت مؤسسة فردية تحت إشراف الطيب الأزرق، الذي تدرب على الطباعة عند الطبيع المصري ونال إجازة في فن الطبع، وقد سمح له المخزن بالإشراف المباشر على مؤسسة الطباعة، خصوصاً في تدبير مواردها المالية، مقابل تقديمه عشر 1 / 10 المنتوج المطبعي للمخزن الذي لم يتخل عن كامل إشرافه على المطبعة بل ظل يراقب المطبوعات من حيث نوعية النصوص، وجودتها ويحدد نسبة تسويقها، وكيفية توزيعها.

وقد تغير اسم المطبعة في هذه المرحلة فلم تعد تحمل اسم "السعيدة" أو "المحمدية"، وإنما صار اسمها "المطبعة الفاسية" أو "العامرة" وحافظت على نفس المقر الأول وهو زنقة "جزاء برقوقة" وأول ما ظهر ذلك الاسم بآخر كتاب *"دلائل الخيرات"* للإمام الجزولي، المنشور بالمطبعة الفاسية بتاريخ 10 صفر 1289 / 12 أبريل 1872. وقد حقق الطيب الأزرق للطباعة النجاح الكبير وضمن لها الاستمرارية، لذا اعتبر رائد ومعلم الطباعة في المغرب، وهو أول طابع أقدم على طبع القرآن الكريم وذلك سنة 1297 / 1879. حيث قوبل بالرضى من العلماء التقليديين، مما أعطى لأعماله النجاح المطلوب، فعادت عليه بالعديد من الأرباح مكنته من تأسيس مطبعة حجرية ثانية "بدرب الحمام" قرب الجوطية.

كما عرفت هذه المرحلة ظهور طباعين آخرين على رأسهم العربي الأزرق الذي تدرب عند أخيه الطيب، ثم استقر بمطبعته بدرب حسان من حي البليدة بفاس القرويين، التي نشر بها العديد من الكتب المهمة، كما تمكن من تطوير أساليب الطباعة وإتقانها، لذا اعتبر من أبرز العاملين في ميدان الطباعة الحجرية. استطاع الأخوان الطيب والعربي الأزرق نشر أكثر المطبوعات الحجرية من حيث العدد، التي لم تعد تقتصر على المقررات التعليمية، بل شملت جميع فروع المعرفة من علوم تجريبية، ونوازل فقهية، ورحلات وتراجم، ولغة، بالإضافة إلى فنون أخرى.

وقد تدخل المخزن لوقف احتكار الأخوين لميدان الطباعة الذي استمر حتى سنة 1308 / 1890، وذلك بفتح المجال أما مؤسسات طباعية جديدة، لكسر هيمنة آل الأزرق من جهة، وخلق التنافس والتنوع من جهة أخرى، فبرزت أسماء جديدة في هذا الميدان، نذكر منها : أحمد بن عبد المولى اليملاحي، وعبد السلام الذويب، ومحمد البادسي. لكن هذه الأسماء جميعها بما فيها أولاد الأزرق ستختفي عن ميدان الطباعة في عهد المولى عبد الحفيظ (1908 ـ 1912)، الذي صادر حوالي أربع مطابع وأنشأ منها مطبعتين تحت إشرافه المباشر واحدة حجرية بمقر المطبعة الأولى "بجزاء برقوقة"، والثانية سلكية وجعل مقرها داخل القصر الملكي. وبهذا أصبحت الطباعة مرة أخرى مؤسسة مخزنية رسمية.

وخلال عهد الحماية عادت المطبعة الحجرية لإشراف الخواص، وظهرت أسماء جديدة لطابعين وناشرين من بينهم أحمد بن عبد الكريم القادري الذي استخدم مطبعة بحي البليدة بفاس، وهي آخر مطبعة حجرية ظلت تعمل إلى أن دمرها الفرنسيون سنة 1944.

أما الطباعة التيبوغرافية أو ما تعرف في المغرب بالسلكية، فقد ظهرت في المغرب منذ وقت مبكر من القرن التاسع عشر على يد الإسبان بالشمال الذين أنشأوا مطبعة بمدينة سبتة سنة 1820، صدرت عنها جريدة أسبوعية تدعى "*المتحرر الليبرالي الافريقي El Liberal Africano*". وبعد أربعين سنة عند احتلال الإسبان لمدينة تطوان سنة 1860 انشأوا بها مطبعة بساحة الفدان مقابل منزل الباشا، وكانت في ملكية حاكم تطوان الإسباني المهندس العسكري. فاكوندوفالدسين D. Facunodo Valdés وعنها صدرت جريدة "*صدى تطوان El Eco de Tetuan*".

بعد هذا التاريخ انتشرت المطابع في الشمال خصوصاً مدينة طنجة حيث أسس الاتحاد الاسرائيلي منذ سنة 1870 مجموعة من المطابع لإصدار الصحف.

كما أنشأ شلمه ابن حيون مطبعته سنة 1891 والتي ستشرع ابتداء من سنة 1907 في إصدار الكتب بالعربية، وفي نفس السنة أنشأ الأخوان اللبنانيان أرتور وفرج الله نمور مطبعة "*لسان المغرب*" التي صدرت عنها جريدة تحمل نفس الاسم، وهي من ضمن المطابع التي صادرها المولى عبد الحفيظ ثم فككها وأرسل أجزاءها إلى مراكش.

أما مدينة فاس مهد الطباعة المغربية، فقد عرفت الطباعة السلكية ابتداء من 1323 / 1905 على يد شخص

سوري يدعى أحمد يمني، كان قد اقتنى مطبعة من الشرق بحروف عربية مركبة واستقر بها بمدينة فاس أكبر مركز ثقافي بالمغرب، واستطاع الاشتغال بها دون أن يتعرض لمضايقة أو معارضة من طرف العلماء المحافظين، خصوصاً أنها تحمل حروفاً غير التي تعودوا عليها في الطبع الحجري ككتابة الفاء بنقطة أسفل والقاف بنقطة واحدة أعلى.

وتجدر الإشارة إلى أن مطبعة أحمد يمني استطاعت نشر تسعة عناوين ما بين سنتي 1324 ـ 1326 / 1906 ـ 1908، وهي نسبة ضئيلة، لكن أهميتها ترجع إلى أولويتها في طريقة وشكل الطبع، وكذلك إلى نوعية منشوراتها التي كانت في معظمها ذات طابع إسلامي صوفي للشيخ ماء العينين، ولأبناء الزاوية الكتانية. وفي آخر سنة 1326 / 1908، اشترى السلطان مولاي عبد الحفيظ هذه المطبعة، ووظف صاحبها للعمل بها، وهي التي أصبحت تعرف بالمطبعة المولوية وجعل مقرها داخل القصر الملكي بفاس.

ومن الواضح أن تبني مولاي عبد الحفيظ للمطبعة السلكية، وإشرافه المباشر عليها، كان وراء النشاط الكبير الذي عرفته هذه المؤسسة، حيث تمكنت من إخراج العديد من العناوين قيمة ونادرة الوجود، في مدة لاتتجاوز الأربع سنوات، وهي فترة حكم المولى عبد الحفيظ، حيث ستتوقف هذه المطبعة عن العمل بعد سنة 1912، لتنتقل آلاتها إلى دار المكينة المخزنية التي أصبحت تعرف باسم مطبعة البلدية.

وبمجرد ظهور المطابع السلكية بالمغرب، غزت آلاتها مختلف المدن بسرعة فائقة ولم تعد متمركزة في مدينة واحدة ـ كما كان عليه الحال بفاس بالنسبة للمطبعة الحجرية ـ بل انتشرت تقنياتها في كل أنحاء البلاد، وهذا ما يؤكد الاهتمام الزائد للمغاربة بفن الطباعة. ومن بين أهم المطابع السلكية التي تأسست خلال فترة الحماية الفرنسية نذكر ما يلي :

ـ المطبعة الجديدة بفاس : تأسست مكان مطبعة البلدية سنة 1923، من طرف شركة فاسية، وفي سنة 1350 / 1931 انتقلت إلى ملكية عبد العزيز بوطالب الذي جعل مقرها بحي الطالعة.

ـ المطبعة الوطنية بالرباط : كانت تسمى عند تأسيسها سنة 1926 بالأهلية، وابتداء من سنة 1929 أصبحت تعرف بالوطنية، كان مقرها بدرب الفاسي بالمدينة القديمة، وهي في ملكية عباس التناني.

ـ مطبعة الأمنية بالرباط : حلت مكان المطبعة الجديدة لفليكس مونشو Felix Moncho الذي أسسها سنة 1926 وجعل مقرها بساحة المامونية. وفي سنة 1937 نقل سعيد حجي مطبعته من سلا إلى هذه المطبعة التي أصبحت تعرف بالأمنية، وكان يطمح بأن يجعل من هذه النواة داراً للطباعة شبيهة بدار الهلال المصرية، لكن وفاته سنة 1942 حالت دون تحقيق هذا المشروع، فانتقلت ملكية المطبعة إلى محمد الصائغ حوالي سنة 1943 وظلت تعمل تحت نفس الإدارة إلى الوقت الحاضر، وقد انتقل مقرها أخيراً إلى وراء فندق باليما.

ـ المطبعة العربية بالدار البيضاء : تأسست سنة 1352 / 1933 بدرب غلف من طرف الفقيه الحسن البعقيلي. وقد كان لهذه المطبعة توجه خاص، حيث تخصصت في نشر الكتب الدينية فقط وكانت لا تقبل طبع سواها، عدا الأوراق التجارية.

ـ مطبعة التقدم الإسلامية بمراكش : تأسست سنة 1932 بروض الزيتون على يد العالم محمد المهدي الشرقاوي، الحاصل على شهادة العالمية من الكلية اليوسفية بمراكش، زار الشرق واطلع على فنون الطباعة بلبنان، كما حصل على شهادة اتقان مهنة الطباعة من مطبعة الجنوب بمراكش.

ـ المطبعة المحمدية (الملكية) : تأسست سنة 1363 / 1944 بمرسوم ملكي للسلطان محمد بن يوسف، لذا حملت اسم المطبعة المحمدية. يعين مديرها بظهير شريف، أول مدير تولى إدارتها هو أحمد رضا اگديرة، ويوجد مقرها داخل المشور الملكي. وأول ما طبع بها كتاب "*الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية*" للسلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي صدر سنة 1361 / 1945، في 642 ص.

م. المنوني، *مظاهر يقظة*، جزآن، الرباط، 1973 ؛ ج. عياش. *دراسات في تاريخ المغرب*، الدار البيضاء، 1986 ؛ ف. عبد الرزاق، *تاريخ الطباعة في المغرب*، الدار البيضاء، 1996، كناشة ؛ رضوان أبو الفتوح، *تاريخ مطبعة بولاق*، القاهرة، 1953 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، الرباط، 1931 ؛ *النهضة العلمية*، مخ. خ. ح. 11772 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1960 ـ 1965، المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4 ؛ خ. ابن الصغير، *صدفة اللقاء مع الجديد*، الدار البيضاء 1995 ؛ إ. العمراوي، *تحفة الملك العزيز بمملكة باريز*، فاس 1909، م. الغيغائي، *رحلته الحجازية*، مخ ؛ ز. الكتاني، *الصحافة المغربية*، الرباط، 1969 ؛ ع. اللجائي، *المفاخر العليمة*، مخ. خ. ج. 460 ؛ ر. لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، بيروت، 1986 ؛ م. المشرفي، *نزهة الأبصار*، مخ. خ. ج. 5616 ؛ ل. الگندوز، *الطباعة والنشر بالمغرب*، أطروحة دكتوراه في التاريخ ؛ أسعد كرم، *المغرب الأقصى ولغته*، *مجلة المقتطف*، فبراير، 1903 و ع 4 شتنبر 1881.

*Encyclopedia Judica*, Jerusalem, 1975, t. 11, Coloume 303 ; *Journal Asiatique*, vol. 2, t. 14, 1934 ; A. Laroui, *Les origines sociales*, Paris, 1977 ; A. Peretie, *Les Medrasa de Fès*, n° XVIII, 1911 ; D. Svend, *Histoire du livre*, Paris, 1960 ; G. Delphin, *Fès. son université...*, Paris, 1889 ; E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904 ; J. Baida, *La presse marocaine*, Casablanca, 1996 ; A. Aouchar, La *presse marocaine*, Mohammedia, 1990 ; V. F. La Hoz, *A puntes para la historiza de la imprenta en el norte de Marruecos*, Tetuan 1949 ; D. Bacaiçoa Armaiz, *Inventario provisional...*, Tetuan 1943.

لطيفة الگندوز

**الطب في المغرب القديم**، نفتقد مؤشرات دقيقة تسعفنا في ضبط محدد للبدايات أو الإرهاصات الأولى للطب بالمغرب القديم ولكن الاشارات الأولية التي تحملها

عظام الانسان Les ossements من مرحلة ما قبل التاريخ وخصوصاً تلك المكتشفة بأعداد كبرى (حوالي 180 هيكلا عظميا) بمغارة الحمام بتافوغالت بالمغرب الشرقي تسمح بالإحاطة ببعض الأمراض التي كانت سائدة حوالي 10.000 سنة قبل الميلاد بالجهة المذكورة، يتعلق الأمر بأشكال من الروماتزمات ناجمة عن الجلوس الطويل (La position assise) حسب الباحث الفرنسي داستوگ (Dastugue) ذكر منها روماتيزم العمود الفقري (Le spondylose) وروماتيزم المفاصل (L'osteoartrose). ثم إن التسوسات والأورام والكسور وآلام الرأس لم تنعدم بالمنطقة وهي تدفع إلى قول بأنه إذا كان الانسان القديم بالمغرب أو بغيره قد تعرض لمثل هذه الأمراض فلاشك أنه اهتدى إلى طرق علاجها، أو على الأقل إلى كيفية التخفيف من حدتها.

فهل الثقب الحاصل في مؤخرة الرأس (La trepanation) المكتشف بمغارة الحمام هو عمل طلسمي أم محاولة جراحية بدائية للتخفيف من آلام الرأس أو من غيرها من الأمراض التي تظهر أعراضها بالرأس ؟

مهما قلنا عن هذه العملية البدائية فإن تكرارها بنقط مختلفة من المعمور دليل على أن نتائجها كانت فعالة خلال هذه العصور الموغلة في القدم، وأنها لا تخلو من دلالات.

جبر أو جمع ولأم الكسور بوسائل بسيطة ظهرت إرهاصاته الأولى بنفس المغارة المغربية : مغارة الحمام. من خلال مثال امرأة متعددة الكسور استطاعت العيش رغم إعاقتها بفضل الرعاية التي خصت بها من طرف الجماعة.

لاشك أنه إلى جانب المداواة والرعاية الاجتماعية لعبت التغذية ونوعيتها دوراً هاماً في حفظ الصحة.

فلا تغيب عنا الكميات الهائلة من بقايا الحلزون، فما وفرته من بروتينات إلى جانب الأطعمة الأخرى النباتية والحيوانية ساعد على حفظ صحة السكان. بل نجت أكلة الحلزون أطفالنا من أمراض الكساح، فهي إلى اليوم وجبة مفضلة عند المغاربة.

هذه الاجراءات والآليات على الرغم من بساطتها هامة، تعلق بها القدماء بفضل غريزة حب البقاء فحفظوا صحتهم بل استعانوا بمن يدبر ويتدارك الخلل الحاصل.

فهل كان المشرف على علاج الحالات التي تستعصي على رب الأسرة كبير الجماعة، هل المعالج هو الكاهن ؟ هل هو ساحر طبيب ؟

لم يكن القدماء ليطرحوا أمثلة من هذه القبيل خلال هذه العصور الموغلة في القدم. كان الأمر سيّان ! فمن يستطيع أن يعيد السكينة والراحة لمتألم هو هذا وذاك.

لا ننسى أن مُسببات الأمراض لم تكن معروفة عند الإنسان القديم بشكل عقلاني تام. لذلك فالعملية السالفة الذكر ليست إلا إجراءً أولياً من ضمن سلسلة إجراءات أخرى اعتمدها القدماء لمحاصرة المرض. ولكن مجملها طواها النسيان وبعضها فقط (كقلع الأضراس، ولأم الكسور، وجراحة الرأس) شكل لبنات أو قواعد للطب بمفهومه العصري.

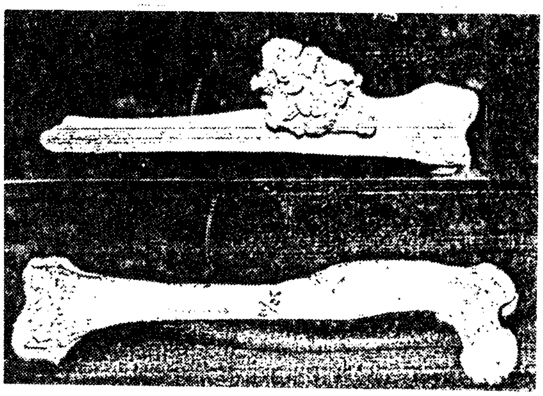

إذا كانت المعلومات الأولى ترتبط بالانسان القديم : إنسان ما قبل التاريخ فحسب فهذا الانسان لم يعش في فراغ ! لقد أكد علماء ما قبل التاريخ خصوبة الأرض المغربية وسيادة الغطاء النباتي على صعيد واسع وتنوع الوحيش (La faune)، فلا يلزم أن تغرب عنا الأمراض المرتبطة بالمرجات والمستنقعات، والأجمات والأدغال : ولا ندري ما هو مصير الانسان الذي كان له الوحيش بالمرصاد، فإذا لم يُرده قتيلا، وإذا ما أصاب مقتلا في قدم أوْيد من كان يعالجه ويخفف آلامه، بأية وسائل وأدوات كان يداوي جراحه ؟

ولاريب أن الوسط لعب دوراً رائداً في هذا الباب، ونعني بالوسط الجماعة التي عاش وسطها هذا الانسان. لقد كان ولازال - إلى يومنا هذا - قادراً على مداواة نفسه بنفسه بما يتوفر لديه من أعشاب وتوابل عندما يعز طلب المداوي ويجد الدواء بأعلى تكلفة ! ولاشك أن الانتروبولوجيين والاثنوغرافيين وسيتفقون على كون الطبيعة كان لها أيضاً عملها (ما نطلق عليه اليوم اسم المناعة) فهي تساعد على شفاء من قُدِّرله العيش بلا طب شعبي ولا عصري.

بقي أن نعرف نوعية الآلات التي أعتمدها القدماء للجراحة.

من البديهي أن تكون أدوات من حجر الصوان فهي خير آليات تُعوِّدَ على استعمالها منذ غابر العصور، وقد شكلها

فْق حاجياته ومآربه. فهي طيّعة بين يديه سواء كان كاهنا ساحراً أورب أسرة. فالجميع آعتمد سكاكين الصوان عند قنص الوحيش وسلخ جلودها. وجرحها أو تقطيعها للتزود باللحوم. فكيف لا يلجأ إليها عند عمليات المداواة.

على كل إذا كانت معلوماتنا ضئيلة حول الطب خلال حقبة ما قبل التاريخ واتخذ معظمها طابع الافتراض فبتزايد الاهتمام بتخصص كتخصص الباليوباتولوجي (Paleopathologie) ستنفك الكثير من الطلاسم المتعلقة بهذه الحقبة التي تغيب فيها المصادر المكتوبة وتبقى الهياكل العظمية هي الملجأ الوحيد أمام المهتم بهذا الحقل المعرفي الشيق، وهذه المرحلة الهامة والطويلة من تاريخنا الغميس : ما قبل التاريخ (La préhistoire).

وعلى عكس المرحلة الآنفة الذكر فإن المرحلة اللاحقة والممتدة من ظهور الفنيقيين بالأرض المغربية حوالي الالفية الثانية قبل الميلاد إلى الفتح الإسلامي خلال القرن السابع الميلادي - تتميز بتنوع مصادر البحث وتعددها النسبي الأمر الذي يُبيح - بعد جمع شتاتها - إمكانية تقديم صورة - صحيح أنها غير تامة - على كل حال هي أوضح للحالة الصحية والطب والأطباء للمغرب غداة فجره التاريخي.

كانت صحة سكان المغرب القديم خلال فجر تاريخه (الالفية الثالثة أو الثانية) مضرب الأمثال. ولا أدل على ذلك قوة العملاق أنطي الذي لم تفرغ جعابه في المصارعة إلا بعد لأي وكان آخر من نازل البطل الاغريقي هرقل. أما قدرة العملاق أطلس فتفوق كل تصور، فهو من أوكلت له مهمة حمل قبة السماء فوق رأسه (انظر المعلمة مادتي أطلس وأنطي). ولا تخلو الأسطورة من حقيقة، بل هي الحقيقة نفسها إذ لكل بلد تاريخه الذهبي.

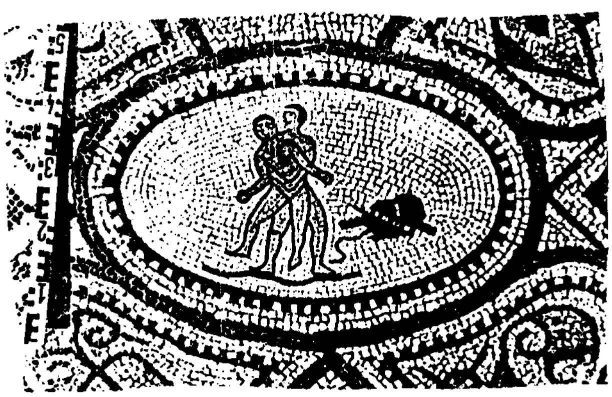

ولا شك أن التطور الحضاري المستمر أدى إلى تغيير نمط عيش الساكنة المحلية مما جعل البعض يحتفظ، بل يتشبث - كما يحصل اليوم تماماً - بعادة مداواة نفسه بنفسه عن طريق الأعشاب والشعوذة فيما التجأ آخرون لطلب الصحة. والشفاء من الآخر هو إله عند البعض كإله الطب أسكولاب (Esculaqpe) وأولاده، وهو شخص قائم الذات ستحدد معالم شخصيته بالتدريج ليحمل خلال العصر الاغريقي - الروماني اسم مديكوس (Medicus).

هذا التأرجح بين الطب وعدمه، بين الصحة والسقم، تسعفنا - لحسن الحظ - المصادر في ترصده.

أقر مؤرخ الاغريق هيرودت (Herodote) (القرن V ق. م.) فكرة صحة جميع سكان قارة ليبيا قال : "... من جهة أخرى لا يوجد بعد الليبيين (Libyens) على الاطلاق رجال سالمون وذوو شخصية قومية إلا المصريون..."

فمصطلح الليبيين الوارد عند هيرودوت كان ينطبق على كل سكان الشمال الافريقي من برقة شرقا إلى رأس سبارطيل غربا، وهيرودوت من خلال مطابقته السالفة الذكر وضع الليبيين على نفس المستوى الصحي مع قدماء المصريين.

وإذا كانت مدينة رومابدورها عاشت لأمد ستة قرون بلا طب ولا أطباء على حد قول الموسوعي اللاتيني بلين القديم (Pline l'ancien) (القرن الأول م) (انظر .Pline, H.N XXIX, 11). فهل معنى ذلك أن جميع ساكنتها كانوا سالمين معافين ؟ وهل ما ينطبق على هذه المدينة العملاقة من قول يصلح بالنسبة لغيرها من مدن العالم القديم وبلدانه ؟

لنتابع استحضار النصوص قبل الإجابة بالنفي أو الإيجاب على السؤالين السابقين ؟

أكد المؤرخ اللاتيني سالوست (Salluste) (ق 1 ق. م.) مقولة مؤرخ الاغريق هيرودوت حول صحة سكان الشمال الافريقي العالية، ولكنه بالغ في الاعتداد بها فقال ما مفاده بأن الرجال مميزون ببنية قوية، رشيقون ولا يشعرون بالعياء.

نعت الجغرافي الاغريقي سطرابون (Strabon) (ق. 1. ق. م) سكان المغرب القديم باسمهم، قال : "المور المسمون أيضاً بالموروزيين من طرف الاغريق شعب ليبي كبير وغني".

وأضاف قائلاً : "الموروزيون يحبون بعض التصنع، يضفرون شعورهم ويعتنون بلحيتهم. يتزينون بالحلي. ينظفون أسنانهم وأظافرهم، ولا تراهم يتنزهون إلا نادراً ليحافظوا على ترتيب وجمالية شعورهم".

وزاد قائلاً :

"يموتون جميعا بالشيخوخة إلا إذا اختصرت حياتهم بالحديد أو بأنياب الحيوانات لأنه إذا كان المرض لا يصيبهم الانادرا فهم تحت رحمة العديد من الحيوانات الشرسة".

فمعالم تدبير الصحة بينة من خلال تصريحات سطرابون، أليست الوقاية خيراً من العلاج ؟ فالحرص على التزين والاناقة والنظافة بنود أساسية لحفظ الصحة، وبلاشك فالأمر لا يشترك فيه كل الموريين. فالتباين الفئوي ضروري لضمان عيش الساكنة وإلا من سيحرث ويحصد ليأكل الكل ؛ من سيعمل ليستريح الآخرون ؟

فالجهد والعناء وعدم ضمان لقمة عيش مريئة هنيئة من تبعات كل ذلك الانهاك الصحي، والخمول والاتكالية والإفراط في الأكل من نتائجهم كذلك الخلل الصحي.

وهكذا فالصورة التي قد مناها عن الوضعية الصحية لسكان المغرب خلال مرحلة ما قبل التاريخ لن تختلف خلال المرحلة الممتدة من بداية التاريخ الأسطوري إلى حدود القرن الأول قبل الميلاد. فقد وجدت الصحة والمرض معا، ولكن وجود الطبيب وغيابه سيان بالنسبة لشعب حَبَاه الله بالقوة وصلابة العود حافظ عليها طويلا بما أنه عاش في تناغم مع بيئته.

ونستحضر في هذا الصدد أحد معمري الشمال الافريقي الذي سئل عن أسباب طول بقائه فأرجع ذلك للتغذية المتوازنة. ومن ضمن التركيبة العجيبة التي تندرج ضمن لائحة طعامه زيت الزيتون، هذا السائل الأزلي الذي قدر القدماء فوائده الجمة وأكد الطب الحديث الأمر.

نستنتج أن القدماء عرفوا الداء والدواء لأن الحالة الصحية ليست واحدة بالنسبة للجميع، وهذا ما أكده الطبيب الافريقي المشهور هيبوقراط (Hippocrate) قال : "من بين الليبيين الذين يسكنون بداخل الأراضي لا أحد في صحة جيدة نظراً لكونهم ينامون فوق جلد الماعز ولايملكون معطفا ولا أحذية مصدرها من هذا الحيوان".

مهما قلنا عن الملبس والمأكل، فلاشك أنه تجتمع أسباب أخرى لحصول المرض، وتتوفر خصوصيات أخرى لحفظ الصحة، فالقدماء انتبهوا لبعض الطرق الوقائية. نقرأ عند هيرودوت في هذا الشأن ما معناه أن الأعمال الوقائية التي يضطلع بها الكل لوقاية أطفالهم من البلغم (La pituite) حرق عروق أعلى الرأس وكذلك الصدغيْنِ بصوف الأكباش الدسم : ويساعد هذا الإجراء أيضاً على ضمان صحة جيدة.

وكانت تحدث للأطفال تشنجات عالجها الليبيون بممارسة خاصة تتمثل في رش الأطفال المصابين ببول التيس.

وهكذا، فالليبيون عرفوا طرق العلاج والوقاية، وكانت تنجم عن بعضها انعكاسات سلبية (Contre indication) ألمُّوا أيضاً بكيفية الخلاص منها.

وما هي أنواع الأمراض ونسبتها ؟ كم هي نسبة المرض ؟ ما هي طرق العلاج لكل حالة على حدة ؟ هل جميع العلاجات كانت ناجعة ؟ وهل تمكن القدماء من الفلاح في تخفيف انعكاسات بعض العلاجات السلبية ؟

هذه سلسلة أسئلة لا نملك لمعظمها أجوبة شافية كافية لا عند ظهور الفينيقيين بالمغرب القديم حوالي الالفية الثانية قبل الميلاد ولا بعد ذلك عند احتلال الرومان لمثلثه الخصيب خلال القرن الأول الميلادي. والسبب واضح وجلي فكلما ابتعدنا عن التاريخ المعاصر تغيب العناصر الإحصائية جُملة وتفصيلا، وبالتالي لا نملك حقائق كاملة ولا أرقاماتامة ولا تقويما مناسبا للحالة الصحية والمرضية خلال مرحلة ما قبل الإسلام وبالأساس ما قبل الرومان. على كل، فسلامة الصحة وفق النصوص هي الأمر العام.

لنعد للسؤال الإشكال : روما لم تعرف الطب والأطباء لأمد ستة قرون. فهل معنى ذلك أنها لم تكن على بينة ببعض الممارسات التطبيبية كما هو حال سكان الشمال الافريقي ؟

فهذا أحد مشاهير روما كاتون (Caton) ألف كتاباً طبياً وعالج مرضى منزله بنفسه فقيل عنه : "لقد ألف كتابا في الطب وباعتماده كان يعالج مرضى منزله. لا يُخضعهم للحمية على الإطلاق. وكان يطعمهم الخضر وأطرافا صغيرة من لحوم البط والحمام والأرنب البري، وهي أطعمة خفيفة من وجهة نظره وصحية للمرضى ومن يستعملونها يحلمون أحلاما مزعجة. وبهذا العلاج والحمية فإنه كان يحافظ على صحة جيدة ويحفظ صحة أتباعه".

إذا كانت روما مثل باقي جهات المعمور استعملت لأمد عدة أجيال تجاربها الطبية ونجحت، فإنها لم تعد منغلقة على نفسها فأضحت قبلة للأطباء الأجانب الذين سيزداد عددهم خلال القرن الأول قبل الميلاد فيعفون من الضرائب مثلهم مثل الأساتذة.

وإذا كان الأطباء الغرباء أضحوا موضع ثقة من طرف الرومان ومميزين رغم وضعهم الاجتماعي المتردي إن كانوا عبيداً أو مُعتقين، بل أضحوا مفضلين على الأطباء المحليين، فهل معنى هذا أننا ضبطنا بداية للمسار الحقيقي للطب والأطباء ؟ هل وجود قائمة هامة بأسماء الأطباء الأجانب من خلال مصادر الشمال الافريقي وعلى رأسها النقائش (Inscriptions) تسمح بالقول بأن الطب بالشمال الافريقي شهد نفس المنعطف خلال القرن الأول قبل الميلاد وبعده ؟

على كل، ما هو مؤكد أنه خلال القرن الأول قبل الميلاد اقترن الطب بالمغرب باسم الطبيب الاغريقي أوفوربوس (Euphorbus) الطبيب الخاص للأكلد يوبا II (Juba) ملك الموريطانيتين (المغرب والجزائر) الذي فوض لطبيبه مهمة رصد منافع النبتة العجيبة التي توجد بجبل أطلس حيث الأطولول (Autololes) (انظر المعلمة مادة أطولول) ونعني بها الأوفورب (Euphorbe).

ومما يذكر أن الطبيب الإغريقي أوفوربوس هو أخ الطبيب الذائع الصيت أنطونيوس موزا (Antonius Musa) الطبيب الخاص للامبراطور الروماني أغسطس (Auguste) (ق. 1. ق. م).

ولَـمَّا كان هذا الأخير مريضاً بداء الحصاة (Gravelle) بالإضافة إلى إصابته بداء الكبد طبق عليه الطبيب موزا المعالجة بالمياه الحارة، شُفي الامبراطور على إثرها وكنتيجة لذلك تم تخليد هذا الطبيب بتمثال وضع بالعاصمة روما إلى جانب تمثال إله الطب اسكولاب (Esculape). وقد فاقت أجرته السنوية كل عدٍّ إذ وصلت إلى 250.000 سسترس (Sesterces).

عدَّد القدماء دور المياه الحارة في المعالجة. فهي تفيد الشخص المصاب بضربة الشمس، كما تساعد المرهق ليستعيد قواه. إذ كان ينصح بالجلوس في قاعة الحمام الدافئة (Repidarium)، ثم يدخل إلى القاعة الساخنة وبعدها

يلج لحوض المياه الحارة (Solium)، ومن ثمة يُدلكُ بزيت الزيتون ليعود مرة أخرى للحوض الساخن.

اهتدى الطبيب موزا لهذا الإجراء، فهل استفاد أخوه أوفوربوس من تجاربه ؟ ما نعرفه هو أنهما معا نصحا المستحمين المعافين (الأصحاء) بأخذ حمام بارد بعد حمام ساخن من أجل مسك جلد الجسم.

هل أدخل أوفوربوس هذه الطرق المشار إليها إلى حمامات الموريطانيتين بما أنه كان طبيب البلاط ليوبا الثاني

على كل فأوفوربوس هو الموحي لهذا العاهل بالعديد من الوصفات. وكما نعلم فيوبا II بدوره متعدد المواهب والثقافات، وقد أوحت له أعمال طبيبه بمصنف (Traité) حول نبتة الاوفورب، هاته النبتة هي المعروفة اليوم باسم علمي هو : (Euphorbia officinales) وقد نصبهَ المتخصصون في علم النبات لحمولتها من السموم.

إذن، الأوفورب ـ التي أسلفنا تحديدها بمجال الاطولول أي بالجنوب المغربي ـ استعملت منفردة أو مع تركيبات أو تحضيرات أخرى لعلاج لسعات الأفاعي، وباقي السموم. وهي حسب المؤلفين القدماء من عدة أصناف لانوع واحد ولذا خصصوا لكل نوع فوائده وصلاحياته فمنه ما هو خاص بإفراغ البلعم والمرارة عن طريق الأمعاء. كما يتداوى به لأمراض الفم أو تسوس الأسنان، ومنه ما يسهل.

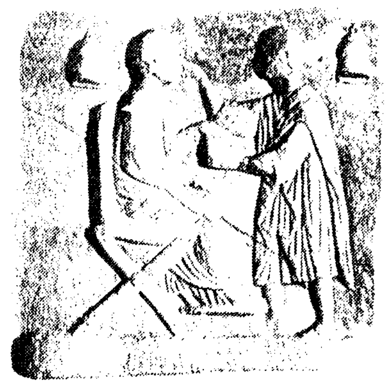

ومن البديهي أن تاريخ الطب يفهم بالعبر، فوجود طبيب للبلاط بالمورطانيتين يعني وجود غيره من الأطباء نعرف أصنافهم ومراتبهم من خلال التاريخ المقارن كيف ذلك ؟

تتحدث الدراسات المتخصصة في تاريخ الطب الروماني عن وجود أطباء جوالين (Iatrosaphiste) أو (Circulatores) وأطباء زائرين للمرضى طريحي الفراش (Clinicus) وأطباء المدن الملحقين بالمشيخات (Curies) والخاصين بدعم المعدمين ويعرفون باسم (Archiatrus)، بل كان على رأس العبيد الأطباء المنتمون لبعض العائلات الثرية رؤساء من المعتقين يسمون (Superpositus medicorum) أو (Supramedicos) بل أطباء متخصصون كأطباء العيون (Occulistes). وقبل معرفة أي الأنواع عرف بالشمال الافريقي عامة وبالمغرب بشكل خاص باعتماد المصادر المتاحة لا بأس من الإحاطة بإشكالية تركناها قائمة تتعلق بتعريف وتحديد مواصفات ما لمحنا له سلفا ونقصد بذلك الطبيب (Medicus).

حدد هيبوقراط أو أبقراط (V ق. م.) سلفا مواصفات الطبيب الناجح، قال : "يجب أن تكون للطبيب سلطة ويلزم أن تكون له سحنة جيدة وجسم ممتلئ يتناسب مع طبيعته. بالفعل، ويعتقد الناس بأن الذين ليست لهم صحة جيدة لا يستطيعون علاج الآخرين بشكل مناسب. يلزم (أيضاً) أن يكون الطبيب نظيفا وذا مظهر جيد ورائحة عطرة وكتوما. وفكريا يلزم أن يكون متواضعا ليس فقط محافظاً في حياته، وهذا سيزيد من صيته"وبما أن الصحة الجيدة شرط وجوب. فقد رمز للمرض بالنحافة والصحة بالسمنة، بل المريض ظهر هزيلا من خلال فسيفساء جميلة بالجزائر والطبيب صلب العود. ويدعم هذا المشهد ما ذكره هيبوقراط، ويبين المواصفات التي تسري على أطباء بلاد الاغريق تنطبق على زملائهم بالشمال الافريقي إغريقا أم غير إغريق.

يتأكد ذلك من خلال نص أبولي المادوري (Apulée de Madaure) (II . م) الذي ينوه بتواضع الطبيب وصراحته وشجاعته قال : "... يجلس بقرب المريض. يمسك يده يتحسسها ويجس النبضات ويراقب دقات القلب. وإذا وجد فوضى ولا انتظام [في دقات القلب] يعلن بأن الحال ليس على ما يرام. وثرينا (أي المريض الغني) تمنع عنه كل الأطعمة".

هل اعتمد القدماء حلولا أخرى غير الدواء والحمية ؟ يصور سيلز (Celse) بشاعة التشريح وخصوصا تشريح الأحياء (La visection)، والالتجاء للتشريح ليس خاصا بروما ولا بلاد الاغريق فالقديس أو غسطينوس سليل مدينة هيبون (القرن IV م) يذكر بشاعة تشريح الأحياء بل مدى شغف المشرحين بفحص كل جزء على حدة، يقول :

اهتدى القدماء للتشريح، بل بالغ بعضهم في الوحشية بتشريح أحياء لمعرفة مكان الأعضاء وعلاقة بعضها ببعض. واعتبر البعض الآخر تشريح الأموات أفضل بما أنه يبيح معرفة أشياء بالنسبة لطلبة الطب أفضل من جسم جريح.

انتبه القدماء لدور الموسيقى في العلاج ومنها نغمات عود الناي التي تصْلح للحد من أزمة عرق النسا (La sciatique) وغيره من الأمراض لمدى ارتباط جسم الإنسان بروحه.

هل اعتمد سكان المغرب القديم بدورهم على الموسيقى للعلاج ؟

لا ندري ولكن حضور الموسيقى بل قدمها أمر مؤكد يذكره الرحالة القرطاجي حانون الذي أنشأ مستعمراته بالسواحل المغربية خلال القرن V ق. م. ونرى أشكالا مختلفة من الأدوات الموسيقية من خلال مختلف آثار المغرب وعلى رأسها فسيفساؤه.

وذكرنا أن كل مشيخة تفترض وجود طبيب يمكن أن

نطلق عليه اسم الطبيب البلدي يعرف من خلال المصادر الأدبية والأثرية بالشرق والمغرب القديمين تحت اسم أركياطروس (Archiatrus)، فهل وجد هذا الصنف من الأطباء بالشمال الافريقي ؟ أجل، تؤكد ذلك نقائش الشمال الافريقي، وأيضاً الفسيفساء بل ومصادره المكتوبة ومن ذلك كتابات القديس أو غسطينوس. ولكن لا نعرف أدنى شيء عنه بالنسبة للمغرب القديم، فهل وجود المشيخات بأهم المواقع المغربية القديمة يفترض وجوده في غياب النقائش أو باقي المصادر الدالة عليه ؟

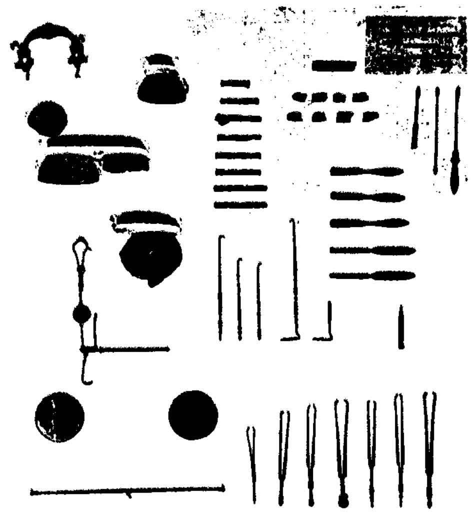

على كل، القاعدة العامة تفترض أن يكون لكل مدينة أطباؤها. وقد حدد عددهم بالنسبة للمدن الصغرى في خمسة أطباء وبالمتوسطة سبعة وبالكبرى 10 أطباء. وترجع للمشيخات مهمة اختيارهم وتعيين رئيس عليهم ومراقبته، بل وطرد المخالفين منهم. وكانت مكانة الطبيب تحدد وفق كفاءته من جهة وقدمه في المهنة من جهة أخرى. وطبيعي أن لكل قاعدة استثناءً في كل زمان ومكان !

ولاشك أن السؤال الذي سيفرض نفسه، هو حول تعلم الطب وتعليمه.. فهل رؤساء الأطباء هم الذين كانت تسند لهم أيضاً مهمة التعليم ؟

أفادتنا الإشارات المصدرية بأن الطب كان يلقن ببعض مدن الشمال الافريقي الكبرى كقرطاج وهيبون، بل انتقل بعضهم إلى روما ولازم أطباءها. وفرض عليه القانون الرجوع لبلده بشكل إجباري بعد مضي عشرين سنة من مكوثه بالمدينة العملاقة، ولكن لا شيء يذكر عن المدارس الطبية بالمغرب القديم، فهل تفترض أن مدنه الكبرى تضمنت هذه النوعيات من المؤسسات ؟

على كل، للفرق العسكرية أطباؤها وللمسارح المدرجة أطباؤها وللمشيخات دور بَلْ واجب تعيين الأطباء، وبما أن التعليم يسبق الوظيفة سنفترض أنه كانت للمغرب مؤسساته الطبية.

نخلص إلى ترديد مقولة بلين القديم بأن الطب وجد بالمغرب القديم قبل الأطباء وبأن المؤشرات الأولى لوجود طبيب تعود لعصر يوبا الثاني بمعنى أن البلاد لم تتخلف عن الركب. بل زادت إلى معارفها بالعمليات الجراحية (La trepanation) وبفوائد النباتات (L'euphorbe) تجارب الأمم والشعوب الوافدة عليها. وما الحمامات الكثيرة كأمكنة للاسترخاء والاستجمام إلا دليل آخر ينضاف للعناصر المساعدة على حفظ الصحة وتجنب التردد على الأطباء، إلا عند الضرورات القصوى.

وقد قال سنيك (Seneque) الحكيم، : "من سبقونا لم يسرفوا في البذخ فكانوا هم الاسياد ونحن الخدم يقوون أجسامهم بالجهد وبالعمل وبالتعاطي للجري والقنص والحرث... وبذلك لم يكونوا بحاجة إلى طاقم من الأطباء ولكل الآلات الجراحية ولصناديق الأدوية. فتعدد الوجبات ترتب عنه تعدد الأمراض".

ب. البيضاوية، *لمحة عن الطب خلال العصر الروماني من خلال الآثار*، محاضرة ألقيت برحاب كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، شعبة التاريخ، بتاريخ 22 أبريل 1998 : *مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الافريقي*، أطروحة لنيل دكتورة الدولة في الآداب، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 14 يونيو، 2000.

J. André, *Etre médecin à Rome*, Paris, 1987 ; B. Belkamel, *Histoire de la médecine au Maroc antique*, dans *Histoire de la médecine au Maroc et dans les pays arabes et musulmans*, Casablanca, 1995, p. 37 - 45 ; J. Dastugue, *La paléopathologie* in *Histoire générale de la médecine*, Paris, (s.d.) ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924,

بلكامل البيضاوية

**الطب التقليدي بالمغرب**، جاء في تعريف منظمة الصحة العالمية بالطب التقليدي أنه "مجموع المعارف والممارسات، القابلة للتفسير أو غير القابلة، لتشخيص خلل عقلي أو اجتماعي والوقاية منه والقضاء عليه، اعتمادا فقط على التجربة المعاشة والملاحظة مما يمرره جيل إلى جيل آخر شفويا أو كتابيا".

ويطلق "الطب التقليدي" بالمغرب، على ما كان سائدا من طرق العلاج قبل مجيء الطب العصري الأوربي، وما ظل موجودا منها إبان الاحتلال الفرنسي بل وحتى يومنا هذا. ويختلف هذا الطب في مجالاته وطرقه ووسائله عن الطب العصري، وقد يكون أحيانا على طرفي نقيض معه، إذ يعتمد على مزيج من المواد النباتية والحيوانية والمعدنية بالإضافة إلى آليات أخرى ترتبط بالدين والسحر والشعوذة وما إلى ذلك مما يتوسم فيه المعلول كشفا سريعا لما يلم من الأضرار.

وقد ظل المغاربة منذ أمد بعيد، ومايزال بعضهم إلى اليوم، يواجهون ما يطرقهم من العلل، استنادا إلى ما يوفره هذا الطب من آليات العلاج التي يمكن أن نجملها في أربع :

1 - الاستشفاء بالحامات

أهم نموذج يصادفنا في هذا الباب هو حامة مولاي

يعقوب، على بعد 20 كلم شمال غرب فاس، التي ارتبطت بشخصية مولاي يعقوب الأسطورية والتي اشتهرت منذ القديم بمائها ذي المذاق الكبريتي، الذي شاع بين الناس أنه يعالج كثيرا مما يلهب الجلد من صنوف الطفح والبثور والدماميل والقروح.

وقد دخل الطبيب وايزجيربير Wesgerbère إلى حامة مولاي يعقوب، خفية في 1898 وأخذ بعضا من مائها لتحليله واختبار مدى صلاحيته للعلاج، وقام بعده أحد كبار الصيادلة، سنة 1917 ويسمى لانيو Lagneau بتحليل مياه الحامة، فإذا هي تحتوي على كميات كبيرة من الأملاح، والكبريت.

2 ـ الاستشفاء بالأضرحة والأولياء

شكلت أضرحة الأولياء أماكن يزورها المرضى وذوي العاهات طلبا للشفاء، وقد يزورها آخرون لتحقيق أغراض دنيوية تتعلق بالربح في تجارة أو البحث عن زوج، أو لطلب الحظ. وكانت زيارة الأضرحة تأتي بناء على نصيحة من أحد الأقارب أو الأصدقاء أو بمن جربوا ذلك.

3 ـ الكتابة والتداوي بالأعشاب

دأب المغاربة في طبهم هذا على التداوي بالكتابة والأعشاب معتمدين في ذلك على مصنفات الطب القديمة، وعلى الخصوص منها كتابان شكلا حجر الزاوية في علاج ما كان يلم بهم من الأمراض، وهما : "تذكرة أولي الألباب" لداود الأنطاكي، وكتاب "الرحمة في الطب والحكمة" لجلال الدين السيوطي، وقد بلغ الاقبال على هذين الكتابين إلى حد استنساخهما عدة مرات.

وتحتوي الوصفات الواردة في الكتابين المذكورين على آيات، وجمل، وجداول وأرقام، بالإضافة إلى بعض النباتات أو نقيعها أو دقيقها. ويقوم "الفقيه" (بسكون الفاء) بكتابة التمائم، أي ما يعرف عند عامة الناس "بالكتْبة" (بفتح الكاف وسكون التاء). وقد يكون ذلك على الورق أو على الأواني أو على البيض أو على عظام بعض الحيوانات.

وغالبا ما يكون "الفقيه" من حفظة القرآن عارفا ببعض مبادئ الطب النبوي، بالإضافة إلى دوره في تعليم الصغار حفظ القرآن. ويؤمه الناس في المسيد ليكتب لهم تمائم لعلاج مرض أو درء ما قد يدور بخلد الانسان من ضربات الجن ووخزه وصفعاته، وقد يستوى "الفقيه" في خيمة صغيرة بأحد الأسواق فيتحلق حوله الناس بغرض أن يكتب لهم. وتسمى التميمة وما يرافقها من وصفات، عند عامة الناس "السبوب" (بسكون السين) ولعلها مشتقة من فعل سبب أو تسبب.

واستعمل الناس إلى جانب التمائم أعشابا وحيوانات للتداوي من بعض الأمراض، فاستغلوا من النباتات أوراقها وازدهارها وحبها ولحاءها وجذورها وألبانها، واستعملوا من الحيوانات بعض أجزاء الجسم كالمرارة والكبد. كما اعتمدوا على بعض الطيور كالغراب والحدأة واللقلاق والبوم. وكانت حوانيت العشابين تكتظ بمثل هذه الأشياء، فما أن يقف المرء أمام حانوت أحدهم حتى يثير انتباهه ما يتكدس أويعلق فيها من الأشياء الغريبة كرأس غزال بقرنيه، وثعلب محنط، وجلد أفعى وهداهيد وفئران وقنافيد وحرابي مجففة بالإضافة إلى أكوام من حزم النباتات.

وهذه أمثلة من الوصفات التي كانت تقدم لعلاج بعض الأمراض بالأعشاب أو الحيوانات :

ـ ضد القبض : يأخذ المصاب لسبعة أيام نقيع الخزامى.

ـ ضد الاسهال : يتناول المريض دقيق الدباغ مع الماء لمدة ثلاثة أيام في الصباح.

ـ ضد الدماميل : يوصى المصاب بقتل حدأة وطبخها في آنية لم تستعمل من قبل، ويأكل منها لمدة ثلاثة أيام.

وإلى جانب الوصفات التي تتضمن مواد نباتية أو حيوانية مما تمت الإشارة إليه، فقد شاع استعمال بعض المعادن كالملح والنحاس والحديدة الحمراء، والحديدة الزرقاء والرصاص والشب والكبريت وغير ذلك، واستغلت هذه المواد في علاجات مختلفة بالتبخير أو التقطير أو التنقيع.

4 ـ الكي والجراحة

الكي هو لمس العضو المصاب بأحد الأدوات المستعملة في الكي كالسكاكين والمخاطف والمحاور بعد أن تحمى بالنار حتى تحمر كالجمر. واستعمل الكي لعلاج اليرقان وعرق

النسا وما قد يشوب مفاصل الإنسان ونواشره من الفدع والوكز. وقد يقتصر الكي على ما يسمى "الرشامة" وهو أن يحمى على سكين حادة ويرشق بحدها العضو المريض رشقات سطحية خفيفة.

أما الجراحة فتعتمد الحجامة والفصد واستئصال الأورام وجبر الكسور، إزالة "الجلالة" من العين وقلع الاضراس وختان الأطفال. وكانت الحجامة، وهي استفراغ ما تحت سطح الجلد، وجر ما يحتقن من الدم في عروق الإنسان، تتم عن طريق شرط الأخدعين واستفراغ الدم من قفا الإنسان بواسطة آلة تسمى المحجمة وهي عبارة عن قارورة من الزنك، وتسمى عند عامة الناس "الكيسان"، وتسمى أيضا القارورة.

أما الفصد فيتم عن استئصال ورم أو استفراغ ما في الورم من أخلاط، وأحيانا لاستفراغ ما بجبين الإنسان من الدم المحتقن. وقد شاع بين الناس نوع من الفصد يقضي بشرط العضو الملدوغ لاستفراغ ما خلط بالدم من سم الأفاعي أو العقارب أو العناكب.

واعتمد في جبر الكسور على ما يسمى "الجبيرة" وهي عبارة عن قطع من الخشب الرقيق المسوى، أو أنصاف قطع من القصب، يتم شدها على العضو المكسور حتى تلفه ويضمد ذلك بثوب رقيق مع خليط من الدقيق ومح البيض، ثم يربط ذلك بإحكام وبعد مدة يلتحم العظم ببعضه البعض.

ظل الطب التقليدي موجودا على الرغم من انتشار الطب العصري وظل كثير من الناس إلى اليوم يهرعون إلى العلاج بالرقى والتمائم ونقائع الأعشاب، ويستقسمون في أمور كثيرة من حياتهم بما يشير عليهم به المشعوذون والعرافون. وقلما كانت النتائج المتوصل إليها من ذلك مرضية، مما يثير كثيرا من التساؤلات حول استمرارية هذا الطب على الرغم من عدم نجاعته.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ ج. السيوطي، *الرحمة في الطب والحكمة* ؛ د. الأنطاكي، *تذكرة أولي الألباب* ؛ أ. بنعاشر الحافي، *تحفة الزائر* ؛ ن. بلحاج، *التطبيب والسحر في المغرب* ؛ ابن قيم الجوزية، *الطب النبوي* ؛ جريدة *"الأحداث المغربية"*، 9 يوليوز 2001 ؛ *الرواية الشفوية*.

L. Raynaud, *Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc* ; M. Nahon, *Notes d'un colon du Rharb (2 juillet 1920 - déc. 1924)* ; M. Akhmisse, *Médecine, magie et sorcellerie au Maroc* ; Dr. Bulit, *Notes sur la thérapeutique indigène dans le sud marocain, Hesp.*, 1922 ; A. R. De Lens, *Pratiques des harems marocains, Sorcellerie, Médecine, Beauté* ; J.E. Karmazyn, *Le Maroc en cartes postales* ; *Histoire des sciences médicales*, T. XXVIII, n° 2, 1994 ; A. Poiuponneau, *Moulay Yacoub, ville d'eaux marocaine, Maroc - Médical*, Avril et Mai 1923.

بوجمعة رويان

**الطب العام في المغرب** يوجد فقر كبير في المصادر التاريخية حول تطور الممارسة الطبية بالمغرب. والدراسات المتخصصة في هذا المجال قليلة. وبتجميع المعلومات المتناثرة في العديد من المؤلفات التاريخية والمصادر المختلفة يتبين أن الممارسة الطبية تزدهر تارة وتصاب بالتخلف تارة أخرى، حسب توفر العوامل السياسية والاقتصادية المساعدة أو المعيقة لازدهار الحياة الفكرية والعلمية عموما. وتدل المعطيات المتوفرة على أن أغلب الإنتاج الطبي المغربي مؤلفات ومصادر ومؤسسات تم إتلافه بسبب الصراعات المسلحة الداخلية أو الهجمات الخارجية أو على إثر الأوبئة والمجاعات المتتالية. وينطبق على المغرب تماما ما قاله بروان Brown من أنه لم يصلنا ولو واحد من الألف من المؤلفات الطبية العربية المتحدث عنها في فهرست ابن النديم. وقد تحدثت المصادر عن مستشفيات عدة شيدت لكننا لا نجد بقايا لآثارها، ونجهل مكانها وأطباءها وطريقة عملها، وفي كثير من الأحيان نجهل حتى أسماءها.

ولا يمكن الحديث عن تاريخ الطب بالمغرب دون ربطه بأمور ثلاثة :

1 - تاريخ الطب وتطوره في الحضارة العربية الإسلامية عموما. لأن حركة العلوم في المغرب في الغالب جزء لا يتجزأ من حركتها في الحضارة العربية الإسلامية.

وقد برز العديد من الأطباء في هذه الفترة، وكتبوا المؤلفات المتخصصة في ميادين الطب والصيدلة.

ومن أهم الأسماء الطبيب أبو القاسم محمد الوزير الغساني، وقد كان رئيس الأطباء والعشابين بمراكش، وعمل طبيبا خاصا لأحمد المنصور، أما مؤلفه الرئيس فهو : (حديقة الازدهار بشرح ماهية العشوب والعقاقير). اعتبره الدكتور رينو، أحد المهتمين بتاريخ الطب العربي إنجازا جديدا، ووصف الطبيب الغساني بأنه : "عقل متميز في عصره وفي وسطه الذي عاش فيه".

وامتازت هذه الفترة بمجيء العديد من الأطباء الفرنسيين إلى المغرب واستفادتهم من التجربة المغربية وأسماء بعضهم مشهورة.

ولم تعرف مرحلة الدولة السعدية بناء مستشفيات كثيرة جديدة. لكن تم توسيع الموجود منها والعناية به. وكثر عدد العشابين (أو الصيادلة) حتى إن حسن الوزان أشار إلى أنه يوجد بفاس في القرن 16 شارع يضم مائة وخمسين دكانا للعشابين. ثم يضيف : "وكانت تلك الدكاكين جميلة ومزخرفة، ولها سقوف جميلة وخزانات. إني أظن أنه لا يوجد في العالم كله سوق للأدوية مثله".

ولقد تظافر عاملان أساسيان على إيقاف هذه النهضة الطبية هما :

- الصراعات السياسية بين خلفاء المنصور الذهبي.

- تتابع الأوبئة والمجاعات التي سببت خسائر بشرية كبيرة، وكانت تجتاح أيضا شبه الجزيرة الايبرية والأقطار المغاربية الأخرى. وفي المرحلة الخامسة بدأ بعض الاهتمام بعد فترة ركود يظهر بالميدان الطبي، وخصوصا أن مولاي الرشيد ثاني الملوك العلويين كان طبيبا وملكا. وكان يحضر الدروس بجامع القرويين ويشجع البحث العلمي بإعطاء منح لطلبة العلم. وتميزت فترة مولاي إسماعيل الطويلة بتطوير التعليم الطبي بجامع القرويين، والاهتمام بحفظ الصحة وخصوصا بوضع قنوات للصرف الصحي في العاصمة مكناس في مستوى عال من الأهمية. وعندما عم البلاد بعض الاضطرابات، لجأ الملوك العلويون إلى إرسال البعثات العلمية إلى الخارج. وممن بعث ضمنها الشريف عبد السلام العلمي الذي أرسل إلى كلية الطب بالقاهرة وعمل طبيبا خاصا للسلطان مولاي الحسن الأول. وله مؤلفات أهمها (ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس) كما ألف كتاب (*الأسرار المحكمة في حل رموز الكتب المترجمة*)، وهو محاولة لإعطاء نظرة على وسائل الطب الغربي آنذاك. لكن على العموم كان هناك ركود علمي عام، أثر في ميدان الطب.

وقد توقف العلاج في أغلب المستشفيات أو تحولت إلى ملاجئ للمرضى النفسانيين.

وتميزت فترة الحماية الفرنسية بأمرين اثنين هما :

- بناء مستشفيات عصرية في مناطق ومدن مختلفة، بعضها لا يزال يعمل إلى اليوم.

- تنظيم حملات واسعة النطاق لمكافحة عدد من الأمراض المعدية. والأمراض الأكثر انتشارا في تلك الفترة ثلاثة : السل والرمد والزهري.

وتشير الإحصاءات المتوفرة إلى أن عدد الأسرة في المستشفيات قد ارتفع من بضعة مئات سنة 1912 إلى أربعة عشر ألف سرير سنة 1955. كما ارتفع عدد الأطباء من مئتي طبيب سنة 1930 إلى ألف وخمسين طبيبا سنة 1955. وقد بقي هذا العدد بعد الاستقلال ثابتا إلى حدود سنة 1972.

لكن النقص الأكبر في السياسة الصحية لسلطات الحماية هو غياب أي تكوين لأطباء أو ممرضين مغاربة، وهو الخلل الذي كان على المغرب أن يعمل على معالجته بعد الاستقلال. وهكذا تم إنشاء أول كلية للطب بالرباط سنة 1962، وتبعها إنشاء كلية ثانية بالدار البيضاء سنة 1975. ولم تلحق بهما كليتان أخريان بفاس ومراكش إلا سنة 1999. وعلى الرغم من هذا التأخر في التعليم الطبي فقد ارتفع عدد الأطباء المغاربة الذين يمارسون داخل التراب الوطني من 35 طبيبا فقط غداة الاستقلال إلى أكثر من اثني عشر ألف طبيب في بداية القرن الحالي.

وفي موضوع السياسة الصحية كان هناك الاهتمام طيلة العقود الأخيرة من القرن العشرين بالطب الوقائي وبالطب القروي. ووضعت لذلك برامج متعددة ومتنوعة. لكن قلة الموارد المالية المخصصة لقطاع الصحية، وضعف الاستمرارية في السياسات الصحية المتبعة مع تغيير الحكومات المتعاقبة، وعدم وضوح الأولويات، كلها عوامل أدت إلى بقاء عدد من الاختلالات في القطاع الصحي. ومن أهمها استمرار التفاوت الكبير في المؤشرات الصحية بين البادية والمدينة، وبين محور القنيطرة الرباط - البيضاء، وباقي المناطق. يضاف إلى ذلك غياب نظام للتغطية الصحية إلى أن صادق البرلمان سنة 2002 على مدونة التغطية الصحية الأساسية والتي بوضع الهياكل والنصوص التنظيمية الضرورية لتطبيقها يرجى فتح عهد جديد للطب بالمغرب.


ع. العزيز بنعبد الله، *طبقات الأطباء بالمغرب الأقصى*، مجلة اللسان العربي، العدد 3، غشت، 1985، ص. 146-163 ؛ ابن زهر، *كتاب التيسير*، الرباط، 1991 ؛ سليم عمار، *طب النفس والأعصاب في المغرب والأندلس*، المجلة العربية للطب النفسي، م. 5، ع. 1، مايو 1994، ص. 76 ؛ *الطب النفسي عند العرب بين الأمس واليوم*، المجلة الطبية، السنة 3، ع. 1، ص. 5-11 ؛ ع. بنعبد الله، *العلوم الكونية والتجريبية في المغرب*، الرباط، 1421 / 2000 ؛ إ. حركات، *مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9 / 15 م*، الدار البيضاء ؛ ع. المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، القاهرة، ط. 1، 1368 / 1949 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج. 1، بيروت، 1983.

M. Ghoti, *Histoire de la médecine au Maroc le XX siècle*, Casablanca, 1995 ; M. Akhmisse, *Histoire de la médecine au Maroc*, Imp. Eddar El Beida 812/91 ; L. Leclerc, *Histoire de la médecine arabe*, réédité par le Ministère des Habous et des Affaires Islamiques, Royaume

du Maroc, Rabat, 1980 ; H.P.J. Renaud, *Un essai de classification botanique dans l'œuvre d'un médecin marocain du XVI siècle*, *Mémorial Henri Basset*, publié par l'Institut des Hautes Etudes Marocaines, Paris, 1928, p. 197 -206 ; J. Sutter, *Quelques aspects de la psychogenèse en milieu indigène Nord-africain*, *Maroc médical*, n° 286, avril 1949 ; J. Luccioni, *Les maristanes du Maroc : le nouveau maristane de Sidi-Frej à Fès*, *B.E.S.M.*, vol. XVI, n° 58, 1953 ; G. Igert, *Milieu culturel marocain et névrose*. *Maroc médical*, n° 360, mai 1955 ; J. L. Roland et M. Teste, *Le cannabisme au Maroc*, *Maroc médical*, n° 395, juin 1958 ; T. Chkili, *Assistance psychiatrique au Maroc : problèmes actuels et perspectives d'avenir*, *la Tunisie Médicale*, n° 6, novembre/décembre 1975 ; D. Moussaoui et S. El Otmani, *Introduction des hôpitaux dans les pays arabes et musulmans in Histoire de la médecine au Maroc et dans les pays arabes et musulmans*, sous la direction de Driss Moussaoui - Michel Roux Dessarps, Casablanca, Edition Association Marocaine d'histoire de la médecine, 1995 ; B. Belkamel et B. Raouyane, *Les bimoristanes au Maroc*, idem, p. 47 ; S. El Otmani, D. Moussaoui, *Système nerveux et neuro-psychiatrie chez Ibn Rochd (Averroès) et Ibn Zohr (Avenzoar)*, idem, p. 51 ; A. Chakib, O. Battas, D. Moussaoui, *Le maristane Sidi Frej à Fès*, idem, p. 59 ; M. Akhmisse, *Les pratiques médicales traditionnelles au mausolée de sidi Ahmed Ibn Achir*, idem, p. 63 ; Ministre de la Santé, *Stratégie en santé mentale 2002*, document interne.

**الطب النفسي بالمغرب**، الطب النفسي فرع من فروع الطب، برز الاهتمام به منذ عرف الإنسان الاضطرابات العقلية والنفسية وحاول علاجها. ويصعب تحديد البدايات الأولى في هذا المجال بالمغرب، على عكس الطب العضوي الذي كشفت الحفريات أنواعا منه تعود إلى ما قبل عشرة آلاف سنة.

لكن من الثابت أنه منذ دخول الإسلام إلى المغرب الأقصى، ازدهر الطب بمختلف فروعه وخصوصا منها الطب النفسي، وأضحى علما يستفيد من عطاءات الأمم السابقة، وينمو ويتطور بالتجربة والملاحظة. وكان الأطباء يتم تكوينهم ويختبرون وتسلم لهم الإجازات قبل أن يسمح لهم بعلاج المرضى. وهذا ما جعل الباحث الفرنسي لوسيوني يعتبر تطور العناية بالمرضى عموما، وبالمرضى العقليين على وجه الخصوص، "واحدا من مميزات التاريخ المغربي. فربما ليس هناك شيء غيره يعطي فكرة أكثر دقة وأكثر وضوحا على عظمة الدولة المغربية ثم على انحطاطها".

سنتحدث تباعا فيما يخص الطب النفسي عن المستشفيات (البيمارستانات أو المارستانات) والأطباء والطرق العلاجية المعتمدة في تاريخ المغرب، ثم عن تطوره في العصر الحديث وآفاقه المأمولة.

المارستانات :

أقدم مارستان تتحدث عنه المصادر بني من قبل يعقوب المنصور الموحدي (1184 ـ 1199) وسماه دار الفرج. ورعى فيه عوامل الراحة النفسية من اعتدال الموقع والمناظر الطبيعية وغيرها.

كما اشتهر عن المرينيين وخصوصا أبو يوسف بن عبد الحق المريني (1258 ـ 1286) بناء المارستانات الكثيرة "للمرضى والغرباء والمجانين" في مدن فاس وطنجة ومكناس ومراكش وسلا. وبرزت بها التخصصات الطبية فكان من بينها الأمراض الباطنية والجراحة والتجبير والكحالة (علاج أمراض العيون). وكانت تلك المستشفيات تقسم إلى أجنحة على حسب التخصصات المختلفة. ويضم تخصص الأمراض الباطنية قسما للمحمومين، وثانيا للمسهولين، وثالثا للممرورين (أي المصابين بالأمراض النفسية). وكان من أشهرها مارستان سيدي فرج بفاس الذي تم بناؤه من قبل أبو يعقوب المريني حوالي 1286 م. وكان يضم عددا من التخصصات الطبية. ثم تحول تدريجيا إلى مجرد ملجئ للمرضى العقليين حوالي القرن السادس عشر. ومن الجدير بالذكر أن الأب جيلبير جوفر الذي زار المغرب مرتين لافتداء أسرى الحرب المسيحيين في نهاية القرن الرابع عشر، قد قام في بلنسية بحملة انتهت ببناء أول ملجئ للمرضى العقليين بإسبانيا سنة 1410 م، على غرار مارستان سيدي فرج. واستمر بناء المستشفيات بوتيرة أقل في عهد السعديين والعلويين إلى أن أمر السلطان عبد الله بن المولى إسماعيل (1728 ـ 1757) ببناء قاعة على ضريح سيدي بنعاشر (توفي 1365 م) لاستقبال العديد من المرضى وخصوصا منهم العقليين الذين يأتونه. ثم أضاف إليه السلطان مولاي عبد الرحمان (1822ـ 1859) حوالي ثلاثين غرفة ليعرف بمارستان سيدي بنعاشر.

الأطباء :

يهتم الأطباء في الحضارة الإسلامية دائما بدراسة الحالة النفسية والمعنوية للمرضى. وكان كثير منهم يتحدثون عن الطب الروحاني أي النفسي ويفضلونه على الطب الجثماني.

ويتضمن كتاب "التسيير في المداواة والتدبير" لأبي مروان عبد المالك ابن زهر (ت. 1162 م) وصفا غنيا للعديد من الأمراض والأعراض النفسية. وكان يتناولها بنفس الطريقة التي يتناول بها الأمراض العضوية تفسيرا وتشخيصا وعلاجا. وكان يميل باستمرار إلى البحث عن تفسير عضوي لكل عرض نفسي، ولم يلجأ في أي مكان من كتابه إلى أي تفسير غيبي سحري أو غيره مما هو منتشر لدى الناس. وقد بقي تصنيف ابن زهر للأمراض النفسية سائدا ومعتمدا على العموم في المغرب إلى حدود القرن السادس عشر. وله أيضا كتاب "الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد" ذكر في بدايته أن "الطب طبان، طب للبدن وطب للنفس"، ويبرهن فيه على مدى إيمانه بتكامل النفس والجسد في الصحة والمرض فيقول : "وإن كان شأن طب الأجساد شائع المعرفة فإن طب الأنفس أكثر علاوة وقدرا".

ومن المواضيع التي كثر الاهتمام بها من قبل الأطباء المغاربة المشاكل الجنسية وهي جزء لا يتجزأ من الطب النفسي. وقد خصص لها بعضهم مؤلفات مثل رسالتين في الباه لأحمد بن يوسف التيفاشي القفصي (ت. 1254 م)، و"بهجة المطالع في الحفظ للمجامع" وهي أرجوزة في تقوية الباه وضعها علي بن الطيب أبي الحسن المراكشي للعاهل المريني أبي سعيد عثمان بن عبد الحق (ت. 1231 م)، و"تحفة

العروس ونزهة النفوس في الباه" لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، ومؤلف آخر في الموضوع لأبي الحسن العنسي المراكشي وكلاهما من القرن الثامن الهجري.

الطرق العلاجية :

تنوعت الطرق العلاجية للحالات النفسية لدى الأطباء المغاربة وخصوصا في فترة ازدهار الطب. وكان منها بالخصوص :

- العلاج النفساني الذي يهدف إلى توفير راحة البال للمريض وفتح باب الأمل له.

- الأدوية النباتية والمعدنية. وكانت هناك منذ البداية تصنيفات للأدوية ذات التأثير النفسي مثل المنومات والمخدرات والمفرحات والمقويات للباه وغيرها.

- العلاج بالموسيقى. فيحضر المرضى العقليون في المارستان سماع الأجواق الموسيقية ممزوجة بحكي القصص. وفي مارستان سيدي فرج بفاس كان المرضى يجتمعون إلى عهد قريب مرة كل جمعة لسماع الموسيقى الأندلسية.

- العلاج بالاستحمام بالماء الساخن أو البارد أو المعتدل.

- الرعاية الاجتماعية والعمل على دمج المريض في المجتمع تدريجيا. ومن ذلك ما أشار إليه عبد الواحد المراكشي في (المعجب) عند الحديث عن بيمارستان مراكش من أنه إذا نقه المريض، "فإن كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل، وإن كان غنيا دفع له ماله...".

- ومن المفيد الإشارة أيضا إلى أن أطباء المغرب كانوا يستعملون الإيحاء والتنويم في معالجة مرضاهم. ويتم ذلك بأساليب شتى مثل تعليق زجاجة لامعة أمام المريض، فيتبع حركتها إلى أن يتثاقل ويفقد إحساسه.

تدهور الطب النفسي بالمغرب :

بدأ منذ القرن الخامس عشر تدهور الطب النفسي بالمغرب تبعا لتدهور مختلف العلوم ودخول مجمل الحياة الفكرية في الجمود والانحطاط. لقد تحولت الممارسة الطبية من علم مبني على التجربة وتصور "موضوعي" للمرض والعلاج، إلى ممارسات تنبني على الشعوذة والسحر وزيارة بعض الأضرحة. وتحولت البيمارستانات إلى ملاجئ للمرضى العقليين الذين تتميز حالتهم بالهياج، وخلت من الأطباء والمعالجين. وقد بقي منها قبيل الحماية الفرنسية واحد في كل من فاس ومكناس والرباط ومراكش والدار البيضاء. وقد أشارت العديد من المصادر التاريخية إلى أن وسائل علاج المرضى في هذه الفترة اختفت من المارستانات لتترك المجال لممارسات مثل تقييدهم بالسلاسل وعزلهم في غرف مغلقة. وأضحت حياتهم صعبة جدا مع قلة الصدقات ومداخيل الأوقاف التي هي الموارد الوحيدة لإطعام المرضى وتوفير حاجيات تلك المستشفيات. ونجد لدى الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي) وصفا لحالة مارستان سيدي فرج في آخر القرن الخامس عشر يقول فيها : "وفي هذا البيمارستان حجرات مخصصة للحمقى، أي أولئك المجانين الذين يقذفون بالحجر أو يرتكبون أنواعا أخرى من الأذى، يقيدون فيها بالأغلال والسلاسل. وحواجز هذه الحجرات من جهة الممر وداخل البناية مسورة بعوارض خشبية متينة جدا. وإذا رأى المكلف بتقديم الطعام للحمقى هياج أحدهم انهال عليه بضربات متوالية من عصا يحملها معه دائما لهذا الغرض...". وهذا الوصف ينطبق على المارستانات الأخرى في تلك الفترة.

النهضة المعاصرة

مع دخول الحماية الفرنسية بالمغرب ظهرت بدايات نهضة للسياسات والبنيات الصحية. لكن الدراسات النفسية التي قام بها الأطباء الفرنسيون في تلك الفترة كانت تقوم على دونية المواطن المغربي البيولوجية والنفسية بالمقارنة مع الأوربي، وعلى اعتبار الديانة الإسلامية ذات تأثير سلبي على شخصية الإنسان. وكان هذا التوجه الاستعماري مؤثرا في مستوى العناية بالمرضى المغاربة التي هي أدنى بكثير مما هو موفر للمرضى الفرنسيين.

قسمت الأمراض النفسية في هذه الفترة إلى نوعين هما :

- الحالات الحادة التي تشفى بعد فترة قصيرة، وقد خصص لها أقسام طبية من "الصف الأول" توجد بالمستشفيات العامة في بعض المدن الكبرى،

- الحالات المزمنة، والتي تعتبر في الغالب غير قابلة للعلاج، وترسل إلى "أقسام الصف الثاني" التي توجد بالمستشفى الضخم الخاص بالأمراض النفسية بمدينة برشيد والذي هو أول مستشفى بني في هذه الفترة وذلك سنة 1919.

وعند استقلال البلاد كان يوجد بها إضافة إلى مستشفى برشيد الذي كان يضم 1800 سريرا، خمسة أقسام متخصصة في المدن الرئيسة وتضم في مجموعها حوالي 500 سريرا.

وإلى حدود بداية العقد السابع من القرن العشرين كان الطب النفسي في المغرب يعيش وضعية صعبة على مستويين :

- الأول : على مستوى السياسة العامة التي كانت تقوم على مستشفيات خاصة صغيرة أو أقسام للطب النفسي في عدد من الأقاليم. وتتكلف بعلاج مؤقت للمرضى النفسيين في انتظار نقل المزمنين منهم إلى مستشفى الأمراض العقلية بمدينة برشيد. ويشكل الاستشفاء أساس علاج المرضى، إذ تتجاوز مدته في كثير من الأحيان الخمس سنوات.

- الثاني : على المستوى الكمي، لم يكن بالمغرب أنذاك (1973 م) سوى عشرة مستشفيات أو أقسام متخصصة في الطب النفسي، تضم حوالي 3260 سريرا، 2000 منها توجد بمستشفى برشيد. ولم يكن يعمل بها سوى 19 طبيبا نفسيا و176 ممرضا.

وانطلقت منذ سنة 1973 استراتيجية جديدة تنبني أساسا على العلاج خارج المستشفى، وإشراك الأسرة فيه، وإنشاء أقسام لعلاج الأمراض النفسية في مختلف أقاليم المملكة

واعتبار مستشفى برشيد ذا طابع جهوي ثم إقليمي. وعلى المستوى القانوني التشريعي يقنن ظهير 30 / 04 / 1959 مقاومة الأمراض النفسية والوقاية منها، وينظم البنيات الإدارية والقانونية والطبية الضرورية. لكنه ليس كافيا ويحتاج إلى مراجعة وتطوير.

وبانطلاق الإستراتيجية الجديدة تطور عدد الأطباء النفسانيين ليصبح حوالي 250 طبيبا سنة 2002، يعمل منهم في القطاع العمومي ما يقرب 45٪ أي 112 طبيبا. كما تزايد عدد المراكز الصحية التي توجد بها الاستشارة الطبية النفسية في ربوع المملكة من اثنين في بداية السبعينات إلى 59 مركزا سنة 2002. وهو تطور نوعي في إطار المقاربة الجديدة للصحة النفسية. هذا في الوقت الذي لم يشهد فيه عدد المستشفيات والأقسام الخاصة بالطب النفسي إلا نموا بطيئا. وهكذا لا يوجد سنة 2002 بالمغرب إلا مركزان جامعيان للطب النفسي في كل من المستشفى الجامعي ابن سينا بالرباط والمستشفى الجامعي ابن رشد بالدار البيضاء، وسبعة مستشفيات طبية نفسية في كل مدن برشيد ومراكش ووجدة وفاس وطنجة وتطوان وعمالة سيدي البرنوصي زناتة بالدار البيضاء، مضافا إليها أربعة عشر قسما للأمراض النفسية في مستشفيات مختلفة. وبقي مجموع عدد الأسرة في نفس المستوى الذي كان فيه تقريبا، إذ بلغ سنة 2002 : 1934 سريرا. وهذا العدد يوازي سبعة أسرة لكل مائة ألف نسمة، وهو هزيل جدا إذا قارناه بالمتوسط العالمي (15 سريرا لكل مائة ألف نسمة)، الذي هو أيضا أدنى بكثير من المعيار المحدد دوليا (حوالي 35 سريرا لكل مائة ألف نسمة).

وقد وضعت وزارة الصحة خطة النهوض. بالصحة النفسية تتضمن عددا من الأهداف الطموحة على مستوى التحسيس بالطب النفسي وأهمية علاج الحالات النفسية وتغيير بعض الجوانب السلبية في النظرة الشعبية إليها، وعلى مستوى المقاربة العلاجية بالتأكيد على أهمية الأسرة والوسط الاجتماعي في تخفيف المعاناة النفسية والتكلف بالمرضى النفسيين. كما تتضمن الخطة أهدافا طموحة في عدد الأسرة والأقسام الطبية النفسية والأطباء والممرضين المتخصصين، لكن ضعف الإمكانات المالية المرصدة وصعوبة الوضعية الاقتصادية العامة تجعل تحقيقها يحتاج إلى ابتكار وجهود مضاعفة.

ولا يمكن أن نغفل هنا أهمية الجمعيات المتخصصة وعطاءاتها في مجال الصحة النفسية وهي اليوم كثيرة، وهذا من الجوانب الإيجابية التي تجعل الأمل واسعا في مستقبل أفضل إن شاء الله.

ابن زهر، *كتاب التيسير*، الرباط، 1991 ؛ سليم عمار، *طب النفس والأعصاب في المغرب والأندلس*، المجلة العربية للطب النفسي، م. 5، ع. 1، مايو 1994، ص. 76 ؛ *الطب النفسي عند العرب بين الأمس واليوم*، المجلة الطبية، السنة 3، ع. 1، ص. 5، 11 ؛ ع. بنعبد الله، *العلوم الكونية والتجريبية في المغرب*، الرباط، 1421 / 2000 ؛ إ. حركات، *مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9 / 15 م*، الدار البيضاء ؛ ع. المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، القاهرة، ط. 1، 1368 / 1949 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج. 1، بيروت، 1983.

J. Sutter, *Quelques aspects de la psychogenèse en milieu indigène Nord-africain, Maroc médical*, n° 286, avril 1949 ; J. Luccioni, *Les maristanes du Maroc : le nouveau maristane de sidi-frej à Fès, B.E.S.M.*, vol. XVI, n° 58, 1953 ; G. Igert, *Milieu culturel marocain et nevrose, Maroc médical*, n° 360, mai 1955 ; J. L. Roland et M. Teste, *Le cannabisme au Maroc, Maroc médical*, n° 395, juin 1958 ; T. Chkili, *Assistance psychiatrique au Maroc : problèmes actuels et perspectives d'avenir, la Tunisie Médicale*, n° 6, novembre/décembre 1975 ; D. Moussaoui et S. El Otmani, *Introduction des hôpitaux dans les pays arabes et musulmans in histoire de la médecine au Maroc et dans les pays arabes et musulmans*, sous la direction de Driss Moussaoui - Michel Roux Dessarps, Casablanca, Edition Association Marocaine d'histoire de la médecine, 1995 ; B. Belkamel et B. Raouyane, *Les bimoristanes au Maroc*, idem, p. 47 ; S. El Otmani, D. Moussaoui, *Système nerveux et neuro-psychiatrie chez Ibn Rochd (Averroès) et Ibn Zohr (Avenzoar)*, idem, p. 51 ; A. Chakib, O. Battas, D. Moussaoui, *Le maristane Sidi Frej à Fès*, idem, p. 59 ; M. Akhmisse, *Les pratiques médicales traditionnelles au mausolée de sidi Ahmed Ibn Achir*, idem, p. 63 ; Ministre de la Santé, *Stratégie en santé mentale 2002*, document interne.

سعد الدين العثماني

**الطبّال**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Tabaler - Atabaler - Tabalet - وما زالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Tabar وTamborer.

ومن أفراد هذه الأسرة الذين ذكرتهم الوثائق :

**الطبال، أحمد** الذي كان يملك ثلاثة سفن قرصانية بمرتين كان يغير بها على مدينة سبتة، وذات يوم تعرض له الأسطول البرتغالي واستولى على سفنه الثلاثة، وكان ذلك سنة 935 (1528).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 805.

محمد ابن عزوز حكيم

**الطبجية**، جمع طبجي واللفظة تركية الأصل، يعني شقها الأول "طوب" "Top" المدفع، في حين يدل شقها الثاني، أي "جي" على المهنة المزاولة من طرف الشخص المقصود، ومن ثمة إطلاقها على من كان يختص من الجند بالخدمة في سلاح المدفعية. ومعلوم أن هذا النوع من السلاح، شأنه شأن السلاح الناري بصفة عامة، لم ينتشر استعماله في الجيش المغربي، على نطاق واسع، إلا بعد تولي الشرفاء السعديين الحكم في البلاد، وبالخصوص على عهد العاهلين عبد المالك بن عبد الله الغالب (986.984 / 1578.1576) وصنوه أحمد المنصور الذهبي (1012.986 / 1603.1578)، إذ استعمل كلاهما الأسرى المسيحيين والعلوج والأتراك في هذا التخصص الحربي. ومعلوم كذلك أن هذين العاهلين، قبل

تقلدهما الأمر بالبلاد، أقاما ردحا من الزمن في الديار التركية، الأمر الذي تسربت معه عادات وتقاليد تركية إلى المغرب، بحكم تشبع الرجلين بالثقافة التركية وإلمامهما بالتنظيمات والتقنيات الحربية عند الأتراك العثمانيين. على أننا لانجد أثرا للفظة الطبجي أو الطبجية عند كل من عبد العزيز الفشتالي في مؤلفه *مناهل الصفا* ومحمد الصغير الإفراني في كتابه *نزهة الحادي*، إذ يرد عوضها عسكر أو عساكر *النار*، أو جيش *النار*. ويبدو أنها صارت شائعة الاستعمال عند الإخباريين المغاربة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. فالضعيف مثلا في تاريخه، يستعمل هذه اللفظة باستمرار وكلما كان عليه ذكر معركة من المعارك استعمل فيها سلاح المدفعية والمهاريس.

على أن هذا المصطلح وما شابهه من المصطلحات العسكرية التركية الأخرى، كلفظة طابور مثلا، قد صار شائع الاستعمال في تنظيمات الجيش المغربي، بعد أن تقرر تأسيس نواة عسكرية جديدة، دعيت بجيش النظام أوعسكر النظام، غداة وقعة إسلي سنة 1844، ابتداء بتجربة الأتراك العثمانيين في هذا الميدان. وهكذا، تفيد وثيقة مخزنية بتاريخ 10 ربيع الثاني 1264، الموافق 16 مارس 1848، أن قائد جيش النظام بمدن شمال المغرب، تطوان وطنجة والعرائش، عبد السلام أقلعي، قد عاد من رحلته إلى مصر، وفي حقائبه خمسة وثلاثون كتابا في فنون وتقنيات الحرب الحديثة، هدية من خديوي مصر الباشا محمد علي إلى السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، مما ساهم في دعم استعمال المصطلح العسكري التركي في تنظيمات الجيش المغربي.

وإلى حدود أواسط القرن التاسع عشر، ظل الجيش المغربي يتكون أساسا من رماة وخيالة قبائل الگيش وعبيد البخاري وحراك القبائل، إذ لم يكن عدد الطبجية أي المدفعيين من هؤلاء جميعا يتعدى بضع مئات من الأنفار. ولاشك أن اعتماد المسؤولين، في المقام الأول، على عنصر الخيالة أي الفرسان، ليعكس مفهومهم وتصورهم للعملية الحربية برمتها، حيث لم تتغير وجهة النظر هذه عما كان عليه الأمر أيام العرب ومن شابههم من الأمم والشعوب، بمعنى أن طريقة المغاربة الحربية ظلت تعتمد على تاكتيك الكر والفر، وبالتالي ترجيح سلاح الفروسية على باقي التنظيمات العسكرية الأخرى.

ومع تقدم القرن التاسع عشر واحتكاك عناصر الجيش المغربي بمحاربي الجيوش الأوربية الحديثة، وبخاصة بعد وقعة إيسلي من جهة، ووقائع حرب تطوان من جهة ثانية، تبين للجميع أهمية ودور سلاحي المدفعية والمشاة في حسم أطوار ووقائع الحرب الحديثة. فقد شاهد الخليفة سيدي محمد بن عبد الرحمن عن كثب، وبمعيته قواد الجيش المغربي والقبائل، أثناء وقعة إيسلي سالفة الذكر، ما كانت تحدثه من رعب وهلع ودمار قنابل العدو في صفوف المحاربين المغاربية وهم يتساقطون كأوراق الشجر. ولهذا، اتجهت عناية المخزن إلى الاهتمام بسلاحي الرماة والمدفعية.

ولم يكن السلطان المستنجد به ليضع هذا النوع من العتاد الحربي الخطير وذخيرته، إلا في أيد أمينة، أي من يحظى منه بثقة كاملة. وكان هذا شأن ثلة من ذوي النسب الشريف، من قرابة العاهل الحاكم، كالأمرانيين المكناسيين مثلا، وعدد من أغوات، وقوات طوابير العسكر النظامي والگيش.

وتقدم المصادر معلومات وبيانات عن نوعية وعدد قطع العتاد الحربي الثقيل الذي كان يسخره، بواسطة هؤلاء الطبجية، مغاربة كانوا أم أجانب، في حروبه وحملاته العسكرية، على امتداد القرن التاسع عشر. وكان هذا العتاد يشتمل على مدافع ومهاريس من أنواع وأحجام وعيارات مختلفة، برونزية وحديدية، تم الحصول عليها إما عن طريق الشراء، وإما قدمت للعاهل الحاكم من إحدى الدول الأوربية، علما بأن اعتماد المغرب على مشترياته من السلاح من أوربا، وبالخصوص إنگلترا، وفرنسا، وإيطاليا، وبلجيكا يعود إلى عشرات السنين قبل الشروع في إنجاز مشروعه التحديثي. وكانت عملية جلب العدة والذخيرة من هذه البلاد، تتم على يد مغاربة وأجانب. فكان منهم عدد من أعوان المخزن الكبار، كالوزير الصدر على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، الطيب بليمني بوعشرين، أو أمين الأمناء محمد بن المدني بنيس، أو الحاجب موسى بن أحمد البخاري، أو وزير الحرب المهدي بن العربي المنبهي، أو النائب السلطاني بطنجة مَحمد برگاش وولده الحاج مُحمد وثلة من أمناء المراسي والمستفادات، ومن كبار التجار المغاربة النشيطين. وكان ينضاف إلى هؤلاء بين الفينة والأخرى، وسطاء آخرون سواء من السلك الدبلوماسي كالقنصل الفرنسي أوغست بوميي (Auguste Beaumier)، أو السفير الإنجليزي الشهير جون دراموند هي (John Drummond Hay)، أو من التجار والعسكريين الأجانب، كالتاجر الإنجليزي جمس كرتيس (James Curtis) أو الألماني هاسنر (Haessner)، أو الفرنسيين گوتش (Gautsch) وبرونشفيگ (Braunschvig)، أو الضابط الإنجليزي هاري ماك لين (Harry Mac Lean).

وكان السلطان يصحب في تنقلاته، عبر مختلف جهات البلاد، الجزء الأكبر من العتاد الحربي الثقيل والذي كان يتكون من مدافع ميدانية، وأخرى جبلية أو رشاشة، ومدافع الهون كذلك. فقد وصل عدد هذه القطع المدفعية مثلا، أثناء الحملة العسكرية التي استهدفت قبيلة الأعشاش المنتفضة ضد قوادها، في صيف سنة 1895، 29 مدفعا، من أنواع وعيارات وأحجام مختلفة، علاوة على 4 مدافع هون (mortiers)، و6 مدافع رشاشة من نوع گاردنر (Mitrailleuses Gardner).

الخزانة الحسنية، قوائم حسابية، محفظة سيدي محمد بن عبد الرحمن، سنة 1284 / 1864 ؛ محفظة مولاي الحسن رقم 80، وثيقة

بتاريخ 16 شوال 1303 / 18 يوليو 1886 ؛ محفظة مولاي الحسن رقم 243 ؛ محفظة مولاي الحسن، الوثائق الزيدانية، مجلد 29، وثيقة رقم 246 ؛ كناش رقم 10933، وثيقة بتاريخ 16 محرم 1284 / 20 مايو 1867 ؛ كناش رقم 309، وثيقة بتاريخ 17 شوال 1293 / 5 نونبر 1876 ؛ كناش رقم 117، وثيقة بتاريخ 14 ذي القعدة 1300 / 18 سبتمبر 1883 ؛ كناش رقم 348، وثيقة بتاريخ 17 جمادى الثانية 1301 / 14 أبريل 1884 ؛ كناش رقم 443، وثيقة بتاريخ أواسط رجب 1318 / العشر الأواخر من دجنبر 1900 ؛ مديرية الوثائق الملكية بالرباط، محفظة مراكش، وثائق سنتي 1262 و1263 / 1846 و1847 ؛ وثائق فانسن بباريز والتي نرمز إليها على النحو الآتي A.G.V. ؛ A.G.V., 3h1, Manuel de l'officier dans l'empire du Maroc, année 1844 ; A.G.V., 3h1, Rapport Marois - Strohl, 1877 ; A.G.V., 3h9, Rapport n° 30, juillet 1895 ; A.G.V., 3h16, année 1909 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1933.1929، ج. 2 وج. 5؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشاذلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ م. حجي، *الحياة الفكرية بالمغرب على عهد السعديين*، المحمدية، جزءان، 1977 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، تح. أ. العماري، الرباط، 1986 ؛ ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. ع. كنون، تطوان، 1964 ؛ م. العربي المشرفي، *ذخيرة الأواخر والأوائل فيما يتضمن من أخبار الدول*، مخطوط خ. ع، ك 2659، جزء 2، ص. 28.27.

A. Dziubinski, *L'armée et la flotte de guerre marocaines à l'époque de la dynastie saadienne*, *H.-T.*, vol. XIII, 1972.

مصطفى الشابي

**الطبخ المغربي**، الذي أصبح اليوم محط اهتمام العديد من الجهات والأطراف : (مستثمرين في السياحة وأصحاب البرامج التلفزيونية وصحفيين وكتاب للعديد من المجلات والمؤلفات في الطبخ وشركات الضيافة والتموين وغيرها...). هذا الطبخ من الصعب جدا تناوله والبحث فيه بكيفية علمية تاريخية ؛ فما نتلذذ به اليوم من مأكولات ومشروبات وحلويات ليست وليدة فترة قصيرة ؛ بل هي نتاج لسيرورة تاريخية طويلة بدأت منذ ظهور الإنسان على هذه الرقعة من العالم (آثار ما قبل التاريخ).

وللبحث في الموضوع علميا ووضع تصور تاريخي أولي لا بد من الأخذ بمنهج تكاملي بحيث نرجع إلى المصادر المكتوبة للبحث في الأصول والبدايات والتطور ؛ وفي حالة انعدامها ننطلق من الميدان، مما هو موجود، ولحسن حظ الباحث الميداني أنه سيجد الكثير من عناصر الطبخ المغربي ما تزال على ما هي عليه منذ أزمنة بعيدة إن لم نقل إنها بقيت كما ظهرت، خاصة في بعض المناطق وعند بعض الفئات من السكان، وتكملة للميدان يمكن الرجوع إلى المتاحف والآثار والدراسات الأنطروبولوجية على قلتها وعلاتها.

برجوعنا إلى المصادر المكتوبة لم نجد إلا مصدرين أو ثلاثة تعرضا للموضوع بشكل مفصل أحدهما اعتبر مفقودا ويعود الثاني إلى الفترة المرينية (فضالة الخوان) ؛ وبعد العصر المريني ظهرت كتابات متنوعة معظمها رسائل وأرجوزات تؤرخ لدخول مادة جديدة إلى المغرب مثل الشاي، وكيفية التعامل معها واستعمالها، إضافة إلى مقامات قليلة ألفت على غرار فن المقامات في المشرق تصف ما هو معروف في وقتها من مأكولات ومشروبات (وهي متأخرة جدا)، وما عدا ذلك لا نكاد نجد في المصادر المختلفة إلا إشارات عرضية وبعض المأكولات والمواد الغذائية والولائم ؛ وينفرد الحسن الوزان (*وصف إفريقيا*) بمدنا بمعلومات مفصلة ودقيقة تساعد على تكوين صورة ونظرة تاريخية عن الطبخ المغربي والمأكولات في نهاية العصر الوسيط وبداية التاريخ الحديث (*وصف إفريقيا*).

والمغرب بحكم موقعه الجغرافي كان منتهى هجرات العديد من الشعوب، وحتى بعد فتح الأندلس وتوسع الإمبراطورية الإسلامية ظل يلعب الدور نفسه بحكم وجوده في الزاوية الشمالية الغربية للقارة الإفريقية أي إليه كانت تنتهي الطرق البرية ؛ وهذا التأثير الجغرافي تجلى في تنوع ساكنته :

(البربر بأصنافهم الثلاثة والزنوج (السودان)، والعرب بصنفيهم : الهلاليون والمعقليون ثم العناصر الأندلسية). هذا على المستوى الإثنوغرافي أما على المستوى الحضاري فبحكم موقعه على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط فقد تلقى تأثيرات الشعوب والحضارات المحيطة به : (الفينيقيون والإغريق والرومان والوندال والبيزنطيون والإيبيريون والدويلات الإيطالية وغيرها...).

هذه التأثيرات وأن تفاوتت نسبها والتعرف عليها من خلال الوثائق والآثار فإننا يمكن أن نلمسها في كثير من المجالات في المغرب ومنها الطبخ المغربي ؛ لقد قيل قديما : إذا أردت معرفة المستوى الحضاري لشعب معين فانظر إلى فنونه ومطبخه ؛ والمطبخ المغربي غني ومتنوع منذ القديم والشهادات الأولى للرحالة الذين زاروه تثبت ذلك، فالتاجر البغدادي ابن حوقل (ق. 4 / 10) قال لما زار بلد أغمات : "... وليس بالمغرب كله بلد أجمع ولا ناحية أوفر وأغزر وأكثر خيرا منها فقد جمعت فنون المآكل كلها ذات الصرود والجروم..." (*صورة الأرض*، 91)، ويؤكد ذلك أبوعبيد البكري (ق. 5 / 11) بصيغة أخرى : "... سوق أغمات وريكة يقوم يوم الأحد بضروب السلع وأصناف المتاجر يذبح فيها أكثر من مائة ثور وألف شاة وينفذ في ذلك اليوم جميع ذلك.." (*المغرب*، 153).

انصهرت في المطبخ المغربي كثير من التأثيرات الحضارية فأعطته التميز والهوية - التي أعجب بها الجميع - وليس من التعصب أو الشوفينية القول بمطبخ مغربي بل إنه استحق الصفة والهوية علميا وعن جدارة ؛ ويمكن استنتاج ذلك من استعراض المراحل التاريخية التي مر منها، بدءا بمرحلة ما قبل التاريخ والتاريخ القديم وإلى اليوم ؛ ويمكن للباحث أن يجد آثارا وتعايشا في المطبخ المغربي للمراحل التاريخية كلها مثل مرحلة الالتقاط والصيد وبداية الزراعة إلى ظهور

الخبز والكسكس وصولا إلى الشاي (ابتداء من ق 18 م) ثم الطبخ العصري المرتبط بفترة الاستعمار الفرنسي والإسباني للمغرب.

تبتدئ المرحلة الثانية حسب ما يستنتج من قراءة المصادر المكتوبة من بداية العصر الوسيط حيث ارتكز الطبخ المغربي على مواد الصيد والقنص وبقايا الالتقاط والتي اختلفت من منطقة إلى أخرى (من الساحل نحو الداخل ومن الشمال إلى الجنوب) ومن فصل إلى آخر ؛ ثم اللحوم المشوية (*أحسن التقاسيم*، 238) ؛ ورغم أن الكسكس (الكسكسو) من المأكولات الأساسية الأصيلة في المطبخ المغربي فإن الإشارة إليها في المصادر قليلة وتعود الإشارة الأولى إلى التاريخ الحديث لكن ذلك لا يعني عدم وجودها أو انتشارها، فالكسكس كان الأكلة العادية بل هي ما ميز البرابرة وخاصة منهم فرع البرانس : "نحن قوم نحلق الرؤوس ونلبس البرنوس ونأكل الكسكس" *(العبر)*. الإشارة المتأخرة عن الكسكس ترجع إلى أمر غير عادي فقد وردت مرتبطة بالتصوف والصلاح : "...إن قدور مطبخته الكبرى - (عبد الله الكوش المراكشي) - يطبخ فيها ثوران مرة واحدة ويذبح في كل يوم البقر والغنم والإبل وعنده بلاط مجصص يبرد فيه الكسكس بالألواح كما يفعل بصابة الزرع عند التذرية والتصفية..." (*دوحة*، 108).

يمكن ملاحظة بداية تطور المطبخ المغربي إن لم نقل تحوله الكبير في المرحلة الثالثة التي يمثلها العهد المرابطي والموحدي والعصر المريني الأول، حيث عرف المغرب تطورا سياسيا كبير إذ أصبح يحكم إمبراطورية شاسعة فازداد الاحتكاك بشعوب وأجناس كثيرة وصحب ذلك تطور وازدهار اقتصادي (تجاري وفلاحي) كان له انعكاس على المطبخ المغربي، بدخول مواد جديدة وطرق مبتكرة للطبخ وتحضير الوجبات وتقديمها. وبصفة عامة فالمطبخ المغربي في العصر الوسيط - الأعلى والأوسط - لم يعرف بهارات وتوابل كثيرة وخضرا متنوعة *(التشوف)* وأهم ما سجلته المرحلة هو بداية الاهتمام الرسمي بالمطبخ المغربي، فالخليفة الموحدي عبد المومن أمر بتأليف كتاب في الطبخ.

وتبتدئ المرحلة الرابعة من العصر المريني الثاني حيث ازداد الارتباط بالأندلسيين، وبداية هجرتهم نحو المغرب، ويمكن القول إن الحضارة المغربية الأندلسة بدأ تشكليها منذئذ ويمكن ملامستها والوقوف عليها في شتى المجالات : المعمارية والفنية وفي اللباس والعادات والتقاليد والحياة الدينية والطبخ. وقد مست التأثيرات في المطبخ بالخصوص طرقا جديدة في الطبخ وإدخال مواد جديدة من توابل ومخللات ومصبرات وحلويات وأساسا طرق التحضير والتقديم *(وصف إفريقيا)*.

امتدت هذه المرحلة إلى النصف الأول من ق. 20 (دخول الفرنسيين والإسبان إلى المغرب) مع بعض التأثيرات الإضافية خاصة العثمانية والتي يمكن إعطاء أمثلة منها في "الطاجين بالبرقوق واللوز المقلي والبيض واللحم". أما الطاجين المغربي فمعروف منذ نهاية العصر الوسيط : "طاجين بالخضر" و"طاجين الحوت" (*بهجة الناظرين*، 125) وبتتبعنا للمصادر ومقارنتها بالميدان وببعض الدراسات يمكن أن نقف عند كل عنصر على حدة فالتأثير السوداني مثلا نلمسه في الوصفات التي تعرف خليطا من اللحم سواء اللحم الباطني (التقلية) أو الخارجي المعروف بـ"هرتوكة" خليط من لحم الرأس البقري وأطراف من لحم بقرة يطبخ في الماء مع شحمه وكذلك الرأس المبخر والكرعين "هرگمة" وغيرها... ونلمس التأثيرات الأندلسية في "الخليع"، اللحم المفروم، الأسماك المقلية، قلي بعض الخضر كالفلفل... الخ.

ويشكل المطبخ المغربي اليوم ثالثة الأثافي التي تقوم عليها السياحة : (الكسكس - الطاجين - المشوي - الشاي المنعنع).

المعمار التقليدي في المدن العتيقة (الأقواس، الزليج - القاشاني النقوش والزخرف، النحت على الخشب) وفي البوادي، القصبات القصور حيث الأصالة والبساطة.

الفنون : الموسيقى الأندلسية (في المدن) الملحون والفنون الشعبية في البوادي وإذا أضفنا إلى ذلك اللباس التقليدي : في البوادي والمدن. الجلباب الأبيض الطربوش الأحمر والبلغة الصفراء للرجال في المدن والقفطان للنساء واللباس البدوي (حسب المناطق) فإن مقومات الهوية المغربية تكتمل.

ابن رزين، *فضالة الخوان*، الرباط، 1981 ؛ ميراندا، *كتاب الطبخ في المغرب والأندلس*، مجلة المعهد المصري بمدريد، 1961 - 1962 ؛ البتوري، *شرح الأرجوزة الفائقة*، مخطوط ؛ الزموري، *شرح أرجوزة الزموري في أتاي*، م. د. 1709 أ. المكناس، *خارطة أثرية للمغرب القديم* ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن، 1926 ؛ ابن خلدون، العبر، 1967 ؛ المقدسي، *أحسن التقاسيم*، ليدن، 1938 ؛ البكري، *المغرب*، الجزائر، 1911 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ ابن عسكر، دوحة *الناشر*، الرباط، 1976 ؛ ابن الزيات، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ ابن عبد العظيم، بهجة *الناظرين*، مرقون، كلية الآداب بالرباط.

P. Ricard, *Gâteaux berbères*, *Hesp.*, VI, 1926 ; Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris, 1967.

محمد حجاج الطويل

**الطبل**، آلة موسيقية إيقاعية أسطوانية الشكل، ارتبط استخدامها بكثير من أنماط الموسيقى المغربية، وخاصة منها الأنماط الشعبية والبدوية. ويدل شيوعها في هذه الأنماط على قدمها بالمغرب ومنذ أن تسربت إلى مناطقه الجنوبية الصحراوية من البلاد الافريقية رفقة العناصر الزنجية التي استقرت بهذه المناطق.

وقد واكبت الطبول في البدء المواكب الملكية منذ العهد المرابطي، فأصبحت على حد تعبير ابن خلدون من شارات الملك، "فلما كان عهد الموحدين زادت كبرا وضخامة، وأصبح استعمالها مقصوراً على السلطان ومحظوراً على من سواه من العمال، فإذا تحرك موكب الملك أخذت الطبول تدق خلف ساقته، وليس لأحد من الناس أن يضرب طبلة غيره لأنها من خصائصه".

وقد زاد شأن الطبول علوا عند بني مرين حتى بلغت في موكب أبي الحسن المريني مائة طبل. ومع تفكك الدولة المرينية وقيام بني وطاس لم تعد الطبول بمفردها ترافق المواكب الملكية، بل الحقت بها الأبواق ؛ فلما آل الحكم إلى المنصور السعدي تقلص دورها الرسمي لفائدة آلات النفخ النحاسية، وأخذ حضورها يتقوى في المحافل الشعبية لتصبح على العهد العلوي الآلة الأكثر استعمالا في المجموعات الشعبية من قبيل أحواش تاليوين، وطوائف كناوة، وفرق الطبالين والغياطين.

والطبول بالمغرب متنوعة الأشكال مختلفة الأحجام. وأكبرها الطبل المعروف باسم "گانگا"، وهو زنجي الأصل ويستخدم في رقصة الدست إحدى رقصات أحواش، وطبل گناوة الذي يضرب طرفه الأعلى بقضيب معقوف الرأس بينما يضرب طرفه الأسفل بقضيب صغير يمسك باليد اليسرى. ومنها أيضاً :

- الطبيلة. وهي طبلة مزدوجة تستخدمها في الغالب المعلمات في الغناء الحضري.

- ادجون، وهو طبل صغير أشبه بالدف، ويستخدم في مصاحبة أغاني منطقة الريف. وهناك طبول أخرى منتشرة في الأقاليم الجنوبية المغربية، ومنها :

- طبل "الكونتا"، وهو الذي يستخدمه الحراطين والعبيد، ويطلقون عليه أيضاً اسم "الدندون".

**طبل "الگدرة"**. وهو عبارة عن جرة من طين تضرب عليها الراقصات الصحراويات بأيديهن في مصاحبة "رقصة الگدرة" الشهيرة.

طبل "الايگاون". وهو طبل ضخم مستدير، قاعدته نصف قرعة مجففة تغطي أعلاها قطعة من الجلد السميك، وتشد أجزاءه عشرة حبال متينة. والايگاون - مفرده ايگيو - هم منشدو الشعر الحساني في أقاليم الجنوب المغربي.

والطبول في الغالب مصنوعة من عود على شكل دوائر، باستثناء طبل "الكونتا" الذي يصنع من القرن المجفف، وهي أيضاً مغلفة بالجلد من أحد الجانبين، وقد يغلف بعضها من الجانبين معا كطبول گناوة.

ومن الطبول ما يوضع على الأرض كطبل الگدوة وطبيلة المعلمات، ومنها ما يحمل على الكتف كطبول غياته بالقرب من تازة أو كطبول گناوة.

ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية* ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، المطبعة التجارية، ص. 209 - 257 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، ص. 308.
Odette de Puigaudeau, *H.-T.*, V. IV, fasc. 3, p. 347, 1968

عبد العزيز بن عبد الجليل

**طبودة، الحسين**، ولد سنة 1916 بكزناية بيرو تيزي وسلي، دائرة أكنول إقليم تازة.

كان من الوطنيين الغيورين على بلادهم الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجل الحرية والاستقلال ورمز السيادة المغربية. وقد شارك بشكل فعال في عملية تأسيس جيش التحرير بالريف استعداداً لخوض المعركة الحاسمة ضد العدو. وفي 1 - 10 - 1955 شارك إلى جانب رجال المقاومة في أول عملية هجومية ضد جنود الاستعمار بمركز تيزي وسلي حيث انطلقت العمليات المسلحة.

انتقل إلى رحمة الله بتاريخ 6 يوليوز 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 521666.

**الطبوع** مصطلح موسيقي ينحصر تداوله في الموسيقى الأندلسية بدول المغرب العربي. وقد قابله المؤتمر الأول للموسيقى العربية المنعقد بالقاهرة عام 1932 بمصطلح "المقام" في الموسيقى العربية المشرقية.

وقد انتقل تداول هذا المصطلح إلى غناء شعر الملحون بالمغرب منذ أن تبنى هذا الفن بعض طبوع الموسيقى الأندلسية.

ويبدو مفهوم "الطبع" أوسع دلالةً من مفهوم "المقام" الذي ينحصر في الدلالة على "السلم الموسيقي". ذلك أن الطبع ينسحب - مفهوماً أيضاً - على الخصائص اللحنية ذات التأثيرات النفسية، وبذلك فهو يشكل إحدى أهم خصائص المدرسة الموسيقية بالمغرب والأندلس.

وفيما تدل المصادر على أن مصطلح "المقام" لم يكن شائعاً قبل القرن الرابع عشر / الثامن إذ أن أول مصدر يرد فيه ذكره هو مخطوط *"درة التاج لغرة الديباج"* لقطب الدين الشيرازي المتوفى سنة 1310 / 710، فإن مصطلح "الطبع" يعود بنا إلى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، فنجد ابن الخطيب يذكر أنه نقل عن الششتري (ت. 668) طبوع الذيل، وعرق عرب، ورمل ماية.

ويرتبط استعمال "الطبع" بمبدأ التأثير الذي تعكسه نظرية الايتوس Ethos اليونانية. وقد اكتست هذه النظرية أهمية كبرى منذ القرن الثالث. وعرض لها الكندي وإخوان

الصفا بتفصيل. وهي تتصل بالفكرة السامية القديمة لشرائع صائبة حران وبنظريات قدماء اليونان التي تزعم أن كل كائن على وجه الأرض متأثر بكائن آخر سماوي، وبذلك فهي تضع مقابلات تجريدية ميتافيزيقية بين الظواهر الطبيعية وبين عناصر ومقومات العمل الموسيقي :

- نغمات السلم السباعي : تقابل الكواكب السيارة السبعة.

- ملاوي العود الأربعة، وأوتاره الأربعة، ودساتينه الأربعة : تقابل البروج الأثني عشر.

- اوتار العود : تتعامل مع الطبائع الكونية، وهي الرياح والفصول والأمزجة والقوى العظيمة والألوان والعطور وأرباع دائرة البروج والقمر...

وقد كانت الموسيقى اليونانية العتيقة قائمة على مجموعة من المودات Modes شكل كل واحد منها سلماً متميزاً يتكون من جنسين أو عقدين Tetracordes، ولما اهتم الفلاسفة اليونان الأقدمون بنظرية الايتوس، فإنهم صنفوا هذه المودات (طبوع) بحسب أصناف التأثير التي تحركها، كمشاعر الألم والسعادة والحكمة والشجاعة، وأحاسيس الحزن والبكاء والنياحة.

وقد استمر تعدد هذه المودات أمراً قائماً حتى أواخر القرن الرابع بعد الميلاد عندما حصر سان امبرواز (St. Ambroise) قس ميلانو الطبوع الاغريقية في أربعة أصبحت تعرفُ فيما بعدُ بالطبوع الأصلية Modes authentiques.

وقد تنكّر منظرو الموسيقى الأوروبية لنظرية الايتوس ابتداء من عصر النهضة (1685 ـ 1750).

أما المنظرون والفلاسفة العرب فكانوا ـ منذ عهد الكندي ـ يؤمنون بارتباط الظواهر الطبيعية بأوتار العود الأربعة، وحتى عند مازاد زرياب في هذه الآلة وترا خامسا فإنما ليكمل في عوده قوى الطبيعة الأربع ويقيم هذا الوتر مقام النفس من الجسد. وبذلك يتضح أن صنيعه لم يكن لرغبة في توسيع المساحة الصوتية للعود بقدر ما كان استجابة لغرض تجريدي.

ويعكس الجدول التالي صورة ارتباط أوتار العود بالظواهر الطبيعية عند العرب :

| الأوتار | الألوان | العناصر الكونية | الطبائع البشرية | الصفات |
|---|---|---|---|---|
| الزيد | أصفر | النار | الصفراء | حار / رطب |
| المثنى | أحمر | الهواء | الدم | حار / يابس |
| المثلث | أبيض | الماء | البلغم | |
| البم | أسود | التراب | السوداء | |
| وتر زرياب | أحمر دموي | الحياة | الروح | |

وابتداء من عهد الفارابي حدث عزوف واضح من النظرية الميتافيزيقية للطبع الموسيقي، وقام بديلاً عنها اتجاه طبيعي رياضي وتجريبي يعتمد على فيزيائية الصوت الموسيقي.

ويبدو أن المدرسة المغربية الأندلسية حافظت على النظرية العتيقة، وتوجهتها بابتكار نظرية تجريدية حديثة هي نظرية "شجرة الطبوع" التي تجسد ارتباط الطبوع الأهلية والفرعية بالطبائع. وفيما يلي جدول ببيان هذا الارتباط كما في *كناش الحايك* :

| الطبوع الأصلية | الطبوع الفرعية | الفصول | الطبائع |
|---|---|---|---|
| الذيل | رصد الذيل ـ استهلال الذيل ـ عراق العجم ـ عراق العرب ـ مجنب الذيل ـ المشرقي | الخريف | السوداء |
| الزيدان | الاصبهان ـ العشاق ـ الحصار ـ الحجاز الكبير | الشتاء | البلغم |
| الماية | رمل المأية ـ انقلاب الرمل ـ الحسين ـ الحجاز المشرقي ـ الرصد ـ الزوركند | الربيع | الدم |
| المزموم | غريبة الحسين ـ حمدان | الصيف | الصفراء |
| الغريبة المحررة | لا يتفرع عنه شيء | — | — |

ومن المنظرين المغاربة الذين اهتموا بنظرية الطبوع ونسبتها إلى الطبائع :

- محمد البوعصامي في رسالته "إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع". وقد كان حيا في منتصف القرن الثاني عشر.

- محمد بن الحسين الحايك في كناشه الشهير باسمه. وقد انتهى من جمعه عام 1214.

- أحمد احضري في كتابه *ديوان الأمداح النبوية* وذكر النغمات الطبوع وبيان تعلقها بالطبائع الأربعة. وقد كان حياً أواخر المائة الثانية عشرة.

- الحاج محمد بن العربي الدلائي في كتابه *"فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار"* وقد توفي عام 1285.

- إبراهيم التادلي في كتابه *أغاني السقا ومغاني الموسيقى*. وقد توفي عام 1311 ومن المنظومات الرجزية التي ألمت بهذا الموضوع :

- منظومة الفقيه والقاضي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي المتوفى عام 955. وقوامها أحد عشر بيتاً، ذيلها محمد بن علي الوجدي الغماد المتوفى عام 1033 بأربعة أبيات أخرى في نفس الموضوع.

- منظومة العالم الموسوعي عبد الرحمن الفاسي المتوفى عام 1040. وهي تحت عنوان : *المجموع في علم الموسيقى والطبوع*.

- منظومة الأديب سليمان الحوات الحسني المتوفى عام 1231 وعنوانها : *كشف القناع عن وجه تأثير الطبوع في الطباع*.

اخوان الصفا، *الرسائل*، ج. 2، ص. 186 ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، ج.3، ص. 238 ؛ الكندي، *أجزاء خبرية في الموسيقى*، المقالة الثانية، تح. زكريا يوسف، بغداد،

1962 ؛ عبد العزيز بن عبد الجليل، *معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية*، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، 1992، ص. 31 ؛ *الموسيقى الأندلسية المغربية، فنون الأداء*، سلسلة عالم المعرفة، 1989، ص. 61 ؛ فارمره، *تاريخ الموسيقى العربية*، ص. 177.

**الطبيلة**، أحد أنواع الطبول بالمغرب وهي عبارة عن طبلتين صغيرتين صنعتا من طين مطبوخ، إحداهما أكبر من الأخرى، ويربط بينهما حبل متين.

ولكل طبلة فوهتان متفاوتتان في الاتساع، ويغلق أوسعهما بقطعة من الجلد. وعند استخدام الطبيلة فهي توضع على الأرض، وطرفاها المغلقان إلى أعلى، فينقر عليهما بكلتا اليدين بواسطة قضيبين من عود.

تستخدم هذه الآلة في أوساط المعلمات، وهن المطربات اللائي يرددن الأهازيج الشعبية في المناسبات العائلية كالعقيقة والختان وحناء العروس والزفاف، كما تستخدم في أوساط عيساوة، وهي عند هؤلاء تعرف باسم "الطار".

وقد تبنت هذه الآلة في السنوات المتأخرة مجموعة ناس الغيوان واعتمدتها كآلة رئيسية لضبط الإيقاع.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الطجين** أو الطاجين، هكذا جاء رسمه في إشارة تكاد تكون يتيمة وردت عند عبد العظيم الازموري في *بهجة الناظرين*، فقد عدد المؤلف مكرمات جده الأعلى من آل أمغار دفين تيط (مولاي عبد الله أمغار حاليا)، ومنها أنه كان يكاشف بأشياء غيبية من قبيل ما يدور في خلد زواره ومتمنياتهم، ومن ذلك ما جاء في الكتاب بخصوص ثلاثة متصوفة زاروه في بيته بتيط فلم يجدوه فذهبوا إلى حيث قيل لهم إنه موجود، وهو ببستان يشتغل فيه بنفسه ؛ وفي طريقهم إليه كان كل واحد منهم يقول للآخر ما يريد أكله عند الشيخ : فقال أحدهم تمنيت أن آكل عنده الخبز والبطيخ وقال آخر تمنيت أن آكل عنده الخبز والعنب، أما الثالث فتمنى أن ياكل عنده الخبز والحوت، فكان لكل واحد منهم ما تمنى. ومن ذلك طاجين الحوت (*بهجة*، 126).

والطجين من فعل طجن طجنا وطجن الشيء قلاه ومنه الطاجن والطجين وهو ما يقلى فيه وجمعه طياجن وطواجن - والفعل من الدخيل على العربية - وإذا عدنا للإشارة الواردة في بهجة الناظرين في منطقة دكالة وتساءلنا : هل يتعلق الأمر بالإناء الذي قدم فيه الحوت أم بطريقة تحضير الحوت وطهيه فالمعروف اليوم أن اسم الإناء انتقل ليشمل المحتوى وطريقة الطبخ، فأصبح الحديث عن الطاجين الفاسي والمكناسي وطاجين أسفي والمراكشي والرباطي إلى غير ذلك مما هو مفصل ومشروح في كتب الطبخ.

فالمقصود هنا طريقة الطبخ والمواد المطبوخة والمحضرة أو المقدمة في الطاجين، أما الإناء نفسه فتشير كتب الطبخ اليوم إلى الطاجين السلاوي وهو الطاجين المعروف والموجود في الأسواق اليوم وهو من فخار، بني اللون، قطره وظهر غطائه وجوانبه مطلية بالبرنيق، فهل الأصل في صناعته مدينة سلا ؟ المصادر لا تسعفنا في الجواب، لكننا يمكن أن نخرج بمقارنة الإشارات الواردة في المصادر الوسيطية وبما هو عليه الحال اليوم، فمراكز صناعة الخزف التقليدي متعددة في المغرب وقد عرفت بعضها تطورا كبيرا حتى أصبحت مصنوعاتها متميزة مثل أسفي وسلا وفاس ومراكش وغيرها.

لكن المصادر الوسيطية تعطي السبق قي صناعة الفخار لدكالة. وبرجوعنا للإشارة في *بهجة الناظرين* والتي تعود إلى القرن السادس (12 م) نستطيع القول إن الطاجين ظهر أول ما ظهر في دكالة وأنه سابق بزمن غير يسير عن الطاجين السلاوي وأن شهرة مدينة أسفي اليوم - وكانت ضمن مجال دكالة التاريخي - وتمثيليتها للخزف المغربي لم تأت من فراغ ؛ بقي أن نتساءل مرة ثانية : هل الطاجين كإناء أو ماعون، والطاجين كمحتوى وطريقة للطبخ، هل هو مغربي أصيل أم أنه مستورد ؟

من الصعب الإجابة على السؤال باليقين، فالمسألة ولا شك ترتبط بعلاقة المغرب بالأندلس وخاصة بعد الارتباط السياسي في عهد المرابطين والموحدين، فالأندلس كانت على درجة كبير من التقدم والتطور في الكثير من شؤون الحياة ومنها الطبيخ وقد تأثر بذلك الأمراء والملوك والأعيان المغاربة العرب والبرابرة، فألفت لهم كتب في هذا الميدان بطلب منهم.

ومن ضمن ما تتطرق إليه هذه الكتب أدوات ومواعين الطبخ. ولا شك أن التأثر ظهر في دكالة باعتبار العلاقة والارتباط بينها وبين الأندلس بحرا كان نشيطا إن لم نقل مزدهرا وطبيعي أن يتبلور التأثير الأندلسي في قاعدة الإقليم مدينة أسفي؛ أما الطاجين السلاوي فلا شك أنه تطوير للطاجين الدكالي في طريقة الصنع وفي رخص التكاليف مما جعله ينتشر أكثر في فترة تراجعت فيها مدينة أسفي ودكالة عموما بسبب الاستعمار البرتغالي.

ومن الناس (رواية شفوية) من يعتقد أن الطاجين كأداة وكطبيخ من تأثير تركي. وهذا مستبعد بسبب الفارق الزمني الكبير، فالعثمانيون لم يظهروا على مسرح الأحداث ولم يصلوا في توسعهم إلى حدود المغرب إلا في القرن 16 م، والإشارة التي وردت في المصدر المذكور تعود إلى القرن 12 م. ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن الإشارة الثانية عن الطاجين كأداة طبخ تعود إلى بداية العصر المريني في المغرب والأندلس ويتعلق الأمر بكتاب *فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان* لابن رزين التجيبي فقد استعرض مواعين وأدوات المطبخ والطبخ ومنها "طاجين الحديد" ص. 9.8 و"طاجين فخار" ص. 13، فإنشاء هذه الأدوات ومواعين الطبخ ووصفات الطبخ التاريخية تعود إلى الحضارة المغربية الأندلسية التي بدأ تشكلها منذ وصول المغاربة إلى شبه الجزيرة الإيبيرية لتتضح أكثر في العهد المرابطي والموحدي وتبلغ درجة اكتمالها في العهد المريني وما بعده.

أما التأثير التركي فقد لا يتجاوز وصفة من الوصفات المطبخية مثل الطاجين بالبرقوق.

الماجري، *بهجة الناظرين*، مرقون كلية الآداب بالرباط، ش د ج ع 1986.1985 ؛ ابن رزين، *فضالة الخوان*، الرباط، 1981 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981 ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، القاهرة بدون تاريخ، الدار البيضاء، 1989 ؛ معيار الاختيار، المحمدية، 1976 ؛ ميراندا، *الطبخ في المغرب والأندلس* (تحقيق)، مجلة المعهد المصري بمدريد 1962.1961.

محمد حجاج الطويل

**الطحطاح**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني گرفط الهبطية، انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 809.

**الطرابلسي**، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر وكانت من بين الأسر التي هاجرت إلى تطوان سنة 1840. وكان جل أفرادها يتعاطون للصيد البحري، وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 811.

محمد ابن عزوز حكيم

**الطرابَلْسي**، أسرة سلوية أصلها من طرابلس الغرب، ينسب أهلها إلى الشرف، وعرف منها أشخاص عملوا في الجهاد البحري وكان منهم فقهاء وأدباء مثل إبراهيم الطرابلسي المولود سنة 1260 والمتوفى سنة 1365 بسلا بعد أن عُمِّر طويلاً، كان من شعراء الملحون السلاويين، وسلام الطرابلسي الذي كان سنة 1181 / 1768 من رؤساء البحر، وكان يقود سفينة "المعونة" ذات 330 بحرياً و45 مدفعاً نحاسياً، ومَحمد الطرابلسي فقيه وعدل بسلا كان سنة 1300 لا يزال بقيد الحياة.

م. الفاسي، شعراء *الملحون السلاويون في المناهل*، العدد 33، ص. 22 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 228، ط 2 ؛ كتاب هوست *الدانماركي عن المغرب*، سنة 1179 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 228، ط 2 ؛ ابن زيدان، الإتحاف، 3 : 262 ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 58، وذيل، *الإتحاف الوجيز*، 228، ط 2 ؛ الوثائق الملكية ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 3 : 268 ؛ تاريخ الضعيف، ص. 195؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، 228، ط 2 ؛ *وثائق الخزانة الصبيحية*.

R. Coindreau, *Les corsaires de Salé*, 90.

مصطفى بوشعراء

**الطرابلسي، أمجد** بن **حسني** الدمشقي، شاعر وكاتب، وباحث ومحقق، وأستاذ جامعي ووزير، من أصل سوري. أقام بالمغرب إحدى وثلاثين سنة أستاذاً بجامعة محمد الخامس بالرباط. ولد بحي السريجة بالعاصمة السورية دمشق في 10 رجب 1334 الموافق 13 ماي 1916. كان والده ضابطا في الجيش العثماني، ثم ضابطا في الجيش الفيصلي، وأمه تنحدر من أسرة دمشقية تعرف بأسرة عمر باشا. وكان الحبة الأخيرة من عنقود الأسرة، كما يقال. فقدَ أمجد أمه سنة 1918. أي بعد سنتين من مولده، وفقد والده سنة 1925 ؛ فكفله جده. [وكان أول ما نشره، في مجلة الرسالة، أبريل 1934، وهو تلميذ في التعليم الثانوي قصيدة بعنوان : *خيال أمي غابْ*. تنظر في ديوانه : كان شاعراً، ص. 125].

وبالرغم من يُتمه المبكر، فقد نشأ أمجد في جو محافظ، مفعم بالرعاية والحنان، تسري فيه روح الدين الإسلامي الحنيف ؛ ممّا طبع شخصيته ونفسيته، وكان له بالغ الأثر في تربيته وتكوينه على مدى عمره. وكان والده ذواقة للأدب، حادَّ الذكاء، ملمّاً بالفرنسية والألمانية. ولعل روح هذا الوالد كان لها بعض الأثر على أمجد ؛ إن لم نقل الأثر العميق في ميوله الأدبية وحبه للكلمة.

بدأ تعليمه في كتاتيب دمشق، ثم بالمدارس الرسمية حيث أحرز على الشهادة الابتدائية ؛ فالتحق بعدها بـ"ثانوية عنبر" سنة 1927. وهي الثانوية التي كانت "تضم - كما قال عنها أمجد في حفل استقباله في مجمع اللغة العربية بدمشق - في عداد أساتذتها ثلاثة من فحول العربية كلهم أساتذتي، ولكل منهم عليَّ من الفضل ما لا يسعه عرفاني بالجميل، إثنان منهم كانا عضوين عاملين في المجمع، هما : عبد القادر المبارك وسليم الجندي، والثالث كان يشق طريقه إلى المجمع وهو محمد البَزم. أعلام ثلاثة أحالوا المدرسة آنئذ إلى مجمع آخر بعلمهم الغزير ودروسهم الشيقة".

وظل قريبا من أستاذه محمد البَزَم مدة سنوات سبع، وقد تتلمذ له في الصفين السابع والثامن. وكان أستاذه هذا يلقبه بالنابغة، وهو بعدُ في السنة الثانية، "حتى أخذ رفاقي في الصف ينبزونني بهذه التسمية، بدلاً من تلك التي خصني بها أبواي"، كما جاء على لسان أمجد. فقد كان الأستاذ محمد البَزَم، يتحدث عن الطبع المتوقد لتلميذه أمجد، ويبدي إعجابه بنبوغه المبكر، وكان يجره جراً إلى قاعة الأساتذة ليقرأ في حضرتهم ما كتبه من إنشاء.

وكان يكافئه بين الفينة والأخرى، كما يكافئ كثيراً من زملائه، بأن يشتري له كتاباً، من أمهات كتب الأدب، ويضع عليه عبارة إهداء بخطه وإهدائه.

في هذه الثانوية العتيدة تفتقت عبقرية أمجد الطرابلسي، ومنها بزغت أسماء كثير من الأدباء والمصلحين في بلاد الشام.

من "ثانوية عنبر" هذه حصل أمجد على شهادة البكالوريا قسم الفلسفة سنة 1934، وهي سنة التي بدأ فيها ينشر شعره في مجلة *الرسالة* لأحمد حسن الزيات ؛ وهو لا يزال بعدُ تلميذاً في المرحلة الثانوية. وأخذ اسمه منذ ذلك الحين طريقه إلى الأوساط الأدبية في العالم العربي.

كان عمره يناهز التاسع عشرة حين رحل إلى قرية "جبات الزيت" في الجنوب من بلاد الشام، مروراً بالقنيطرة، سنة 1935 ؛ ليكون معلما بها. وفي السنة الموالية انضم إلى صف المعلمين، وبعد حصوله على الشهادة فيه ؛ ندبته وزارة المعارف سنة 1937 لتدريس اللغة العربية في ثانوية الكلية العلمية الوطنية في دمشق. وكان زميله فيها المرحوم خليل مردم بك الرئيس الأسبق للمجمع العلمي العربي.

وفي أواخر سنة 1938 أوفدته الحكومة السورية إلى فرنسا على نفقتها للتخصص في الأدب، وذلك إثر نجاحه في مسابقة مُعَدَّة لذلك.

كان من المقرر أن يعود أمجد من رحلته الدراسية بعد ثلاث سنوات، ولكن نشوب الحرب العالمية الثانية حال دون عودته إلى وطنه، فعقد العزم على مواصلة البحث والدراسة، فهيأ ليسانس في الأدب سنة 1941، ثم دافع عن أطروحته للدكتوراه في اليوم السادس من يناير سنة 1945 بباريس، تحت إشراف المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير (1900 - 1973). وخلال إقامته وغربته بباريس تزوج أمجد رفيقة دربه، السيدة الفاضلة : مونيك.

وعاد أمجد إلى وطنه ليعمل مدرسا في ثانوية التجهيز، وهي تحمل اليوم اسم "جودة الهاشمي" سنة 1945.

وفي سنة 1946، وبعد أن تم إنشاء كلية الآداب، جامعة دمشق، كان أمجد أول أستاذ يُعين بها لتدريس الأدب العربي، فبدأت رحلته المجيدة في تدريس التراث الأدبي، والنقدي، وترسيخ البحث في مجالات ذلك التراث. فكان من المؤسسين للتعليم الجامعي في بلاد الشام، وتميز أمجد في مساره العلمي بروح وطنية منقطعة النظير، وأبدى تفانيا في حب العربية وتراثها. وظل يدرس بكلية الآداب، جامعة دمشق إلى حدود سنة 1958.

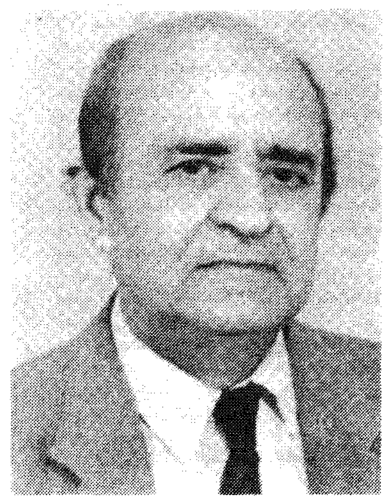

وفي سنة 1958 تم الاتفاق على الوحدة بين سوريا ومصر، وفيها عيَّن الرئيس جمال عبد الناصر د. أمجد الطرابلسي وزيراً للتربية والتعليم في الإقليم السوري، ووزارة الثقافة مضافة إليها ؛ وكان ذلك في أول تعديل لحكومة الوحدة (24 ربيع الأول 1378 الموافق 7 تشرين الأول 1958). وأعاد الرئيس جمال عبد الناصر تشكيل الوزارة في 5 ربيع 1381 الموافق 16 آب 1961 فتسلم د. أمجد الطرابلسي وزارة التعليم العالي في دولة الجمهورية العربية المتحدة.

وفي سنة 1960 صدر في الخامس عشر من يونيو قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة بإنشاء مجمع اللغة العربية الموحد في إقليمي الجمهورية. وصدر قرار رئيس الجمهورية برقم (57) لسنة 1961 بتسمية كل من شكري فيصل ومحمد مبارك وأمجد الطرابلسي أعضاء في مجمع دمشق.

واستقال الأستاذ أمجد من وزارة التعليم العالي بتاريخ 1 جمادى الأولى 1381 الموافق 10 تشرين الأول 1961، وكان ذلك إثر استقالة الوزراء السوريين من حكومة الوحدة. وتبدَّد حلم الوحدة في 28 أيلول / سبتمبر 1961. واعتزل د. أمجد الطرابلسي العمل في هذا الميدان.

ومنذ أواخر سنة 1962 حل بأرض المغرب، وأقام الفترة الأولى من حياته بمدينة الدار البيضاء، ثم استقر بالرباط إلى يوم رحيله عن المغرب.

جاء الأستاذ أمجد إلى المغرب، وهو في أوج عطائه العلمي ؛ فوهب حياته وعلمه للتعليم الجامعي بالمغرب، وكانت الجامعة المغربية تتحسس حينئذ طريقها، فكان أحد الأعمدة التي قامت عليها. كَرَّس حياته للبحث العلمي فيها، وأفنى حياته في تكوين أجيال من الباحثين المغاربة، وظل يدرس ويؤطِّر بحوث الإجازة ودبلوم الدراسات العليا وأطروحات الدكتوراه إلى أن تقاعد سنة 1992. وقد درَّس في كل من الرباط وفاس (بكلية الآداب) ومراكش (كلية اللغة). وبقي بالمغرب سنة بعد تقاعده، ثم رحل إلى باريس في أكتوبر 1993 ليقضيَ بقية حياته بها.

كان الأستاذ أمجد من العقول المدبرة لمسار التعليم الجامعي بالمغرب، ومن المؤسسين لأكاديميته، والمتفانين في رعايته وتوجيهه، والعاملين على تحديد هويته. وشهد له الناس بالفضل لما أسداه من خير كثير للجامعة المغربية.

أحب الأستاذ أمجد بلاد المغرب، ووهب تعليمها الجامعي كل ما يملك من وقت وطاقة وعلم. وتعلق به طلبتها، وحل من نفوسهم مكانة خاصة جعلت منهم مريدين له.

وبعد انقطاع عن مجمع اللغة العربية بدمشق دام عشر سنوات، كان الاحتفال باستقبال الأستاذ أمجد سنة 1972 ؛ ومما قاله عن ارتباطه، منذ طفولته، بالمجمع : "كان لي هذا المجمع منذ تفتحت عيناي على أدب العرب، وتمرس لساني بلغة العرب ؛ وطناً في وطن، وأهلا إلى أهل. في "ظاهريته" تعلمت كيف أقرأ، وفي ندواته ومحاضراته كيف أفكر وأسمع. لا أذكر على وجه التحديد متى بدأ ترددي على قاعة الظاهرية ومحاضرات المجمع، فقد غاصت ذكرياتي عن كل هذا مع ما غاص في الماضي من خيالات الطفولة وصور

الصبا. ولربما تسرَّبْتُ إلى هذه المرابع وأنا تلميذ في (تطبيقات عنبر) أحبو إلى الحادية عشرة من سني".

ومما قاله د. شكري فيصل عن د. أمجد في حفل الاستقبال هذا :

"كان من هذا الجيل الذي يؤمن بالعمل فوق ما يؤمن بالنظر، والشعارات عنده لا تقوم مقام التطبيق، والأمنية لا تنقلب بالترداد واقعاً، والنصر ليس أنشودة.

كان من هذا الجيل الذي لا يوازن بين حق الوطن وحق المواطن ؛ ولكنه يعطي الوطن قيمة صوفية عميقة مجردة ؛ تتضاءل كل قيمة أخرى أن تطاولها، بله أن تقاسمها الوجود".

كيف كانت صورة أمجد في المغرب ؟

- كان من الرموز الثقافية في الجامعة المغربية، منذ التحق بها سنة 1962. وظل خلال مدة إقامته بالمغرب الأستاذ النموذجي للأستاذ الجامعي.

ومن آثاره العلمية :

أولاً : في مجال تأليف الرجال :

كان رؤيته التعليمية أن يتولّى تكوين الأجيال وإعدادها، ويلتزم بتأليف الرجال لا بتأليف الكتب. وهكذا تخرجتْ على يديه في كل من سوريا والمغرب أجيال أصبحت لها مراكز كبرى في الإدارة والسياسة والتفتيش والتعليم الجامعي.

وقد كان الطلبة يوم قدومه إلى المغرب لا يتجاوز عددهم أصابع اليد. فقرَّ عزمُه مع ثلة من علماء المغرب على إعداد باحثين مغاربة. وأغلب أساتذة هذه الجامعة اليوم هم من طلبة الأستاذ أمجد، أو هم من طلبة طلبته.

ثانياً : في مجال التحقيق وتأليف الكتب :

أ - في مجال التحقيق :

1) زجر *النابح لأبي العلاء المعري* (مقتطفات)، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، المطبعة الهاشمية بدمشق - ط 1 : 1385 / 1965 - ط 2 : 1982 [وهو كتاب رد فيه أبو العلاء على من تكلموا على أبيات من لزوم ما لا يلزم، ورموه بسببها بالكفر ؛ فألف هذا الكتاب للرد على الطاعنين في دينه. وقد أتيح للأستاذ أمجد العثور عليها في قسم المخطوطات بالمتحف البريطاني، لندن سنة 1954. وقال عن موضوع الكتاب - في مقدمة التحقيق - : "هو أحد التصانيف العلائية التي تكشف لنا عن الصراع الذي كان يدور في حياة أبي العلاء نفسه حول آثاره وآرائه ومسلكه في حياته وبين نفر من خصومه"، ص. 15 - ط].

2) *الصاهل والشاحج لأبي العلاء*، حققه في المغرب تلبية لرغبة مجمع اللغة العربية، الذي زوده بمخطوطتين ثمينتين ؛ تضمهما الخزانة الملكية بالمغرب. وقبل أن يُخرج الكتاب محققا في سلسلة منشورات المجمع، بادرت د. عائشة بنت الشاطئ إلى إخراجه، وأصدرت تحقيقا باسمها ؛ فتألم الأستاذ أمجد مما وقع. وظل تحقيق الأستاذ أمجد للكتاب مخطوطا، ولا يُعرف إلى اليوم المصير الذي آل إليه. ومن حسن الحظ أن الأستاذ أمجد كتب دراسة هامة حول "الصاهل والشاحج "نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1974، وتقع في ثمان وثلاثين صفحة.

- في مجال النقد الأدبي :

3) *النقد واللغة في رسالة الغفران* (دروس وحاضرات ألقاها على طلاب شهادة آداب اللغة العربية بكلية الآداب، خلال العامين الدراسيين : 1949 - 1950 و1950 - 1951)، مطبوعات الجامعة السورية، دمشق، 1370 / 1951).

4) *نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة* [أطروحته للدولة تحت إشراف ريجيس بلاشير (1900 - 1973)، دافع عنها سنة 1945] (الطبعة الأولى بالفرنسية، منشورات المعهد الفرنسي بدمشق التابع لجامعة الصربون، 1956 - ترجمها إلى العربية : د. إدريس بلمليح، ط 1، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 1993).

5) *شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين* (جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، 1957).

ب - في مجال دراسة المصادر :

6) *نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب* (خمس، طبعات، أولها بمطبعة الجامعة السورية 1956، وآخرها سنة 1986 بالمغرب).

جـ - في مجال الإبداع الشعري :

7) ديوان شعر، عنوانه : *كان شاعراً* (من مطبوعات المجلس القومي للثقافة العربية 1993، وقد أهدى ديوانه إلى زوجته فقال : إلى رفيقة الدرب منذ خمسين عاماً، أم أولادي، وجدة أحفادي، مونيك الحبيبة، زوجتي).

ملاحظة : ما نشره الأستاذ أمجد في مجلة *الرسالة* لأحمد حسن الزيات، من أوائل سنة 1934 إلى أواخر 1940 يقدم ديوانا كبيراً لها.

ثالثاً : المقالات والمحاضرات :

له محاضرات ومقالات كثيرة نشرت في المجلات والدوريات، وما تزال موزعة في العالم العربي ولم يكتب لها الجمع. ومحاضراته تتوزعها عواصم الوطن العربي.

وفي يوم الأحد الثالث من شهر ذي القعدة 1421 الموافق ليوم 28 يناير 2001، انتقل إلى رحمة الله الأستاذ أمجد الطرابلسي، أستاذ الأجيال. وكان ذلك في الساعة الخامسة من صباح يوم الأحد، ودفن بمقبرة كوربفوا (Courbevoie) بباريس يوم الأربعاء 31 يناير 2001، عن سن يناهز 84 سنة.

عباس أرحيلة

**الطرابلسي، الرايس سالم** من الرياس المشارقة ذوي الأصول الطرابلسية، والذين انخرطوا في صفوف الأسطول المغربي على عهد سيدي محمد بن عبد الله. وقد بادر السلطان المذكور اعتباراً لأهمية الرايس سالم إلى إنشاء

سفينة عظيمة من أجمل القطع في أوراش مصب أبي رقراق سنة 1174 / 1760، من "طبقتين، وأنفق فيها مالا كثيراً.. ولما طلعت وأراد الخروج بها في البحر، ولم تقدر على الخروج لكبرها، أفرغ ما فيها وأخرجها بحيلة. وقد أنفق عليها نحو الأربعين قنطاراً أو أشد".

وقد تعرضت سفينته هذه في ذي الحجة سنة 1178 / 1765 إلى تهديد مباشر من طرف الأسطول الفرنسي المحاصر لمصب أبي رقراق، اضطر معها الرايس سالم إلى اللجوء بها وببقية السفن إلى داخل النهر قرب منارة حسان طيلة فترة الحصار والقصف. ونظراً لبراعته الملاحية، تبوأ الرايس سالم مرتبة رئيسية في الأسطول، وكان في سنة 1766 يقود فرقاطة من أكبر قطع الأسطول المغربي، مجهزة بأربعة وخمسين مدفعا، ويسير طاقما مكونا من ثلاثمائة وثلاثين رجلاً.

الضعيف، ص. 170 و172 ؛ وابن زيدان، *إتحاف*، ج.3 ، ص. 164 . 165 و256 و259 . 260، وأيضاً : Chenier, "*Journal*...", p. 103.

**الطرابلسي، الرايس عميرة** من الرياس المشارقة، طرابلسي الأصل كما يدل على ذلك لقبه، التحق بصفوف الأسطول المغربي خلال عهد سيدي محمد بن عبد الله، عاملاً بمرسى تطوان ؛ وكان في سنة 1186 / 1772 يشرف على سفينة غليوطة صغيرة مجهزة بستة وعشرين مجذافا وبمدفعين ويشرف على طاقم مؤلف من خمسين رجلا.

Chenier, "*Journal*...", p. 125-127.

**الطرابلسي، الرايس يوسف** هو الآخر من الرياس الطرابلسيين أصلا، والملتحقين بصفوف البحرية المغربية على عهد سيدي محمد بن عبد الله منذ سنة 1178 / 1766، حيث باشر عمله على متن سفينة سنبك مجهزة باثني عشر مدفعا وبطاقم مؤلف من مائة وعشرين رجلا، وارتفعت كفاءتها الهجومية سنتين بعد ذلك إلى أربع وعشرين قطعة مدفعية. وقد تلقى في تلك السنة ظهيراً سلطانيا، يحدد مهمته الملاحية هو والرايس قدور شايب عينو.

وواصل الرايس يوسف مهمته البحرية على متن غليوطة مجهزة بعشرة مدافع وبطاقم مؤلف من مائة رجل، سنة 1772 ؛ وكان في سنة 1784 يعمل انطلاقا من مرسى سلا تحت إشراف الرايس عبد الله العسري، حيث ذكر ضمن الرياس الذين استفادوا من إنعام السلطان في تلك الفترة، ويبدو أنه استقر نهائيا بمدينة سلا، وتزوج بها. كما شارك في سنة 1203 / 1789 تحت إمرة المبعوث الرسمي القائد محمد الزوين ضمن البعثة المغربية الموجهة بدعم عسكري إلى السلطان العثماني.

العسري، *كناش*، ص. 34 و39، والضعيف، ص. 19 . 96 ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 3، ص. 259 . 260 و261 و362 . 363 ؛ أيضاً : Chenier, "*Journal*...", pp. 111-112 et 125-127.

حسن أميلي

**الطرايفي**، أسرة قديمة بفاس، كان لهم شهرة أيام المرينيين، ومنهم الوزير عبد الله الطرايفي الذي ينسب إليه منزه الطرايفي بحومة الزيات حتى الآن، وهو اليوم في ملك ورثة الشيخ عبد الله الفضيلي آتي الترجمة. وقد وقف صاحب *إزالة الالتباس* على حوالة مؤرخة بعام 951 فيها ذكر حسن بن رحو الطرايفي، وفي أخرى أن لأولاد الطرايفي جناناً خارج عجيسة.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 : 3.

محمد حجي

**الطربوش** لم يكن الذكور المغاربة، على عكس ما أصبح سائداً اليوم، يغادرون بيوتهم دون تغطية رؤوسهم أبداً إما بعمامة أو طاقية أو طربوش. ذلك أن ترك الرأس حاسراً كان يعتبر إخلالا بالآداب وخرقا للتقاليد. زيادة على أن تغطية الرأس كانت علامة من علامات الرجولة ومظهراً من مظاهر استكمال اللباس والزينة لدى الذكور، إلى درجة أن حاسر الرأس مثله مثل الشخص الأمرد كان يصعب تصنيفه مع الذكور.

والطربوش كلمة فارسية أصلها سربوش انتقلت من إيران إلى تركيا ثم إلى سائر البلدان العربية وتحولت سينها إلى طاء في معظم البلدان العربية الإسلامية في المشرق والمغرب.

وقد انطلق استعمال الطربوش في البلدان العربية من مصر على وجه الخصوص منذ عهد محمد علي باشا الذي سعى في إطار تطويره الامبراطورية الإسلامية التي كان يتوق إلى إحداثها وترسيخ أركانها عبر عدة إجراءات، إلى تحديث اللباس العسكري فعمل على تعويض عمائم الجنود بالطربوش. وقع ذلك بتداء من سنة 1823 وبقي استعمال الطربوش مقتصراً على الجنود إلى أن بادر ابنه إبراهيم باشا إلى ارتدائه فكان أول من باشر وضعه على رأسه. ولم يتأخر والده بدوره عن التخلي عن العمامة العريضة المستديرة الكبيرة وتعويضها بالطربوش فكان ذلك إيذانا ببداية انتشاره في صفوف الأعيان من المدنيين أولا ثم بين باقي سكان مصر والبلدان المجاورة لها فيما بعد. وبسبب تزايد الطلب على الطربوش أنشأ محمد علي مصنعا له بالقاهرة كان ينتج 720 وحدة في اليوم لتلبية حاجات الجنود والمدنيين على حد سواء (*Revue des études islamiques*, tome 34, fasc. 2, p. 206).

ومن مصر انتقلت صناعة الطربوش فيما بعد إلى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وبلاد الشام وتنوعت أحجامه وأشكاله وتعددت باختلاف الوظائف والبلدان، فكان منه النوع المصري والشامي والتونسي والمغربي. وهو وإن كان يصنع في جميع الأقطار المذكورة من صوف ملبد أحمر، فإن علوه وسطحه وأهدا به كانت تختلف من بلد إلى آخر فكان المصري هو الأعلى والأكثر هدبا والأقل تسطيحا وكان

التونسي هو الأقصر والأكثر ميلا إلى الاستدارة وكان المغربي في منزلة وسط بينهما.

وكان هذا الطربوش المغربي من عدة أنواع معظمها كان ينتج في مدينة فاس وهي التالية :

- طربوش الطاسة : ويسميه بعضهم أيضاً "الطربوش التونسي" لأن شبيها له ينتج في تونس، وهو بشكله المعروف الحالي غطاء الرأس التقليدي الذي يرتديه التونسيون مع زيهم التقليدي في العديد من المناسبات الوطنية والدينية. وهو يدعى في المغرب "طربوش الطاسة" لأنه يشبه في مظهره الآنية التي كان السقاء التقليدي يوزع الماء على الناس للشرب فيها في أسواق المدن والبوادي مما يعرف عند المغاربة بالطاسة. كما كان البعض الآخر يسميه "طربوش الشوشة" لوجود هدبة ناتئة من صوف ملبد أسود في أعلى قمته. من الناس أيضاً من كان يسميها البلوطة لأنها تشبه بلوطة في شكلها (انظر مادة الشاشية). وقد انتشر استعمال هذا الطربوش في عهد الحماية خاصة في صفوف الفئات الاجتماعية الوسطى من التجار والبحارة والحرفيين وغيرهم.

- الطربوش الفاسي : ويسميه المشارقة الطربوش المغربي لاختلافه عن مثيله السائد في بلدان المشرق العربي من حيث إنه أقل ارتفاعاً وأكثر تسطحا وأهدابه أقل سمكا وازدحاما وعدداً، لكن صوفه أكثر تلبيداً ودكا من المشرقي. وبما أن فاس كانت هي أكبر مركز لإنتاجه فإن المغاربة يسمونه "الطربوش الفاسي". وقد انتشر ارتداؤه في صفوف جيل الحركة الوطنية والجيل الجديد من الشباب والمتأنقين من مغاربة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن (20).

- الطربوش الطويل : وهو يختلف عن سابقيه في أنه لا يتخذ من صوف ملبد ولكن من قماش قطن أو كتان أو موبر أو صوف دقيق النسج. وتختلف ألوانه باختلاف الأشخاص وهو يشبه في مظهره الخارجي نصف قطعة بطيخ مفرغة من الوسط ينتشر انتشاراً واسعاً طربوش شبيه له لدى مسلمي الهند والباكستان وماليزيا وكذا أندونيسيا والبلدان المسلمة المجاورة لها، إلا أنه أقل اتساعا واكتنازاً منه. وقد شاع استعماله إلى جانب طربوش الطاسة والطربوش الفاسي في المغرب في صفوف الوطنيين ورجال المقاومة أيام الاستعمار فكان المغاربة يسمونه بسبب ذلك "الطربوش الوطني" أو "طربوش أولاد الوطن"، وهو نفس الطربوش الذي "كان يرتديه المرحوم الملك محمد الخامس" وهو "من الجوخ الأبيض أو السنجابي مرتفع قليلاً ويضغط وسطه العلوي إلى الأسفل بحيث يكون مقعراً".

- الشاشية : وهو طربوش من نفس لون ومصدر طربوش الطاسة لكنه مخروطي الشكل كان يرتديه المرتبطون بالوظائف المخزنية من المسلمين. وكان اليهود يستعملون نوعا خاصاً منه شبيها بطربوش الطاسة لكنه أصغر منه وأكثر التصاقا بقمة الرأس ولونه دائماً أسود. (انظر مادة الشاشية).

م. بن أحمد اشماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته خلال خمسين سنة*، الرباط، 1980 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، الرباط، 1984 ؛ علي طعمه، *المغرب تاريخه حضارته وحقيقته*، بيروت دون تاريخ، منشورات الهيثم للصحافة والطباعة والنشر.

F. Sourdon, *Le marocain, son âme et sa ville*, Paris [s.d.] ; Bruno Barbey, Tahar Benjelloun, *Fès immobile, Fès immortelle*, Paris, 1996 ; R. Arie, *Notes sur le costume égyptien dans la première moitié du XIXe s*, in *R.E.I.*, tome 34, fasc. 2, Paris 1968 ; M. Jalade, *Mohamed ben Youssef tel que je l'ai vu*, Paris, 1956 ; M. Chebel, *Le corps dans la tradition au Maghreb*, Paris 1984 ; J. Mercanton et B. Rouget, *Maroc, terre et ciel*, Lausanne 1954 ; K. Azoulay [et al.], *Essaouira, Mogador, parfums d'enfance*, Paris 1991.

محمد بوسلام

ابن **طربية، يونس** بن **سليمان** الجذامي يكنى أبا الوليد ويعرف بكنيته ابن طربية أو ابن طريحة. ولد بقصر كتامة من أسرة عربية أندلسية سكنت المدينة التي عرفت خلال القرن 6 هـ/ 12 م إقبال عدد من الأسر الأندلسية عليها من مختلف مدن غرب الأندلس بالخصوص. وقد عرفت المدينة بفضل هؤلاء الأندلسيين ازدهاراً علمياً تمثل في عدد من كان بها خلال القرنين 6 هـ و7 هـ من العلماء والصلحاء. وفي هذه البيئة العلمية النشيطة نشأ أبو الوليد بن طربية، فدرس على جلة من علماء قصر كتامة كقاضيها أبي محمد بن فليح الحضرمي. ثم رحل إلى الأندلس لاستكمال تكوينه العلمي، فأخذ عن مجموعة لا بأس بها من علمائها، منهم أبو محمد بن عبيد الله، وأبو الحسن نجبة بن يحيى، وأبوذر الخشني وأبو الحسن بن الصائغ وأبو القاسم الملاحي وأبو عبد الله بن الملوز. وحصل على الإجازة من عالمين كبيرين هما أبو بكر بن الجد الفهري وأبو عبد الله بن الفخار في رمضان سنة 589 / 1193. وقد تجول المترجم في طلب العلم ولقاء الشيوخ بعدد من مدن الأندلس، فحصل بذلك علما غزيراً جعل منه عالماً مرقوماً. ونظراً لما كانت عليه غرناطة آنئذ من تألق علمي، فقد اختار الإقامة بها. وكان تضلعه في العلم ومشاركته في غير ما فنّ، مع حظ من قرض الشعر سبباً في إقبال الطلبة عليه للنهل من علومه ومعارفه، وخاصة علوم اللغة والأدب. ومن أخص تلاميذه الأندلسيين في هذه المرحلة أبو محمد عبد الله بن عبد العزيز القرشي وأبو الصفاء خالص بن مهدي، وابنه أبو عمر سعد بن خالص.

وفي حدود سنة 610 / 1213 أو بعدها بقليل غادر أبو الوليد بن طربية الأندلس متوجها إلى المشرق، فنزل بتونس وقتاً، وأقبل عليه فيها مجموعة من طلبة العلم. ثم شد الرحال قاصداً مدينة طرابلس التي حظي فيها بتقدير خاص اعترافا بعلو كعبه في العلم، فعين بها قاضياً، ومن المعروف أن خطة القضاء في ذلك العصر كانت من الخطط التي لا يليها إلا العلماء المشهود لهم بالكفاءة العلمية والنزاهة وكرم الأخلاق.

لا تعيّن مصادر ترجمة ابن طربية المدة التي قضاها قاضيا بطرابلس، وعلى كل حال فقد قرر سنة 627 / 1229

مغادرتها متوجها نحو القاهرة التي كانت شهرته قد سبقته إليها، وفيها أصبح أستاذاً بدار الحديث الكاملية خلفا لعالم أندلسي كان قد هاجر إلى مصر قبل أكثر من عقدين من السنين، هو أبو الخطاب ابن الجميل المعروف بابن دحية. وظل مترجمنامدرسا بهذه المدرسة إلى وفاته سنة 647 / 1249.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، نشر د. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، (د. ت)، 4 : 230 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1984، 8 : 473 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، الرباط، 1995، 5 : 304.

ابن **طربية**، **يونس** بن **يوسف** بن سليمان الجذامي، أبو الوليد المعروف بابن طربية أو ابن طربجة. من أهل قصر كتامة، وأصله من عرب الأندلس. ولا تتوفر معلومات عن نشأته وأسرته، طلب العلم بمدينته وتتلمذ على جلة من علمائها كأبي محمد بن فليح، ثم رحل إلى الأندلس لاستكمال دراسته، فأخذ عن مجموعة من علمائها كأبي محمد بن عبيد الله، وأبي الحسن نجبة بن يحيى، وأبي ذر الخشني، وأبي الحسن ابن الصائغ، وأبي القاسم الملاحي، وأبي عبد الله بن الملوز. وحصل على الإجازة من عالمين كبيرين هما أبو بكر بن الجد وأبو عبد الله ابن الفخار في رمضان سنة 589 / 1193. وقد تجول في طلب العلم ولقاء الشيوخ بعدد من مدن الأندلس. واستقر به المقام بمدينة غرناطة.

اشتهر ابن طربية بتضلعه في العلم ومشاركة في غير ما فن، فأقبل الطلبة عليه للنهل من علومه ومعارفه وخاصة علوم اللغة والأدب. ومن أبرز تلاميذه الأندلسيين أبو محمد عبد العزيز بن عبد القوي القرشي، وأبو الصفاء خالص بن مهدي، وابنه أبو عمرو سعد بن خالص.

لاشك أن الظروف التي أعقبت معركة العقاب قد دفعت ابن طربية إلى مغادرة الأندلس والهجرة نحو المشرق بعد سنة 610 / 1213. وعلى عكس كثير من أهل المغرب والأندلس الذين كانوا يرحلون إلى المشرق في طلب العلم، فإن ابن طربية رحل وهو عالم متضلع، فكانت وجهته الأولى مدينة تونس التي سكن بها وقتا وأخذ عنه بها جماعة، ثم شد الرحال من جديد إلى المشرق فحل بمدينة طرابلس وسكنها مدة متوليا القضاء بها، ولاشك أن سمعته العلمية كانت قد سبقته إليها، حيث لم يكن يلي خطة القضاء خاصة بالمدن الكبرى إلا العلماء المشهود لهم بالكفاءة العلمية والورع، وظل قاضيا بها إلى سنة 627 / 1230. ومنها توجه إلى مصر فحل بالقاهرة التي كانت شهرته قد سبقته إليها أيضا، ولم يلبث أن أصبح أستاذا بدار الحديث الكاملية خلفا للعالم السبتي الشهير أبي الخطاب بن الجميل المعروف بابن دحية، والذي كان قد رحل إلى مصر سنوات قبل ذلك هربا من يعقوب المنصور الموحدي. واستمر ابن طربية أستاذا بهذه المدرسة إلى أن وافاه أجله سنة 641 / 1243.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، ج. 4، ص. 230 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ج. 8، ص. 473 ؛ السيوطي، *بغية الوعاة*، ج. 2، ص. 366.

محمد المغراوي

**الطرجمان** (أسرة) ← **الترجمان**

**الطرّاح**، نسبة إلى شخص مرتبط بالفران التقليدي وهي مهنة آيلة إلى الانقراض، والطراح نوعان : الطراح الداخلي الذي يعمل داخل الفرن كمساعد "للمعلم" وهو الشخص المكلف "ببيت النار" المشرف المباشر على "خبر" العجين وإنضاجه، وهو في نفس الوقت مكلف بتسلم العجين من الزبناء وتسليمهم الخبز بعد إنضاجه "خبزه" واستخلاص أجرة ذلك وتسليمها لصاحب الفران ؛ وتتلخص مهنته في معرفة الألواح التي تحمل العجين سواء كان خبزا أو حلويات "الوصلة" أو "اللاطة" فهو يعرف كل وصلة وأصحابها وما تحمله من خبز ونوع الخبز وعدده. وبعد تسلم العجين يركنه في رفوف داخل الفران وعليه أن يراقبه إلى أن يخمر وتبدأ عملية الطرح أي تقديم الألواح "لوصالي" إلى المعلم الذي يسحب منه العجين بمهارة ويأخذ الطراح الألواح ليرتبها جانبا وهكذا، وبعد اكتمال إنضاج الخبز تأتي عملية إعادته إلى الألواح الخشبية بالترتيب. فيطلب المعلم من الطراح أن يقلب الطرحة ويعني عددا معينا من "الوصلات". الطرحة الكبيرة تتكون من 12 وصلة والصغيرة من 16 أي أن ترتيب العجين داخل بيت النار عكس ترتيب الطراح للألواح، وأحيانا يطلب منه أن "يسقط وصلة أواثنتين" بمعنى أن يركنها جانبا لسبب أولآخر أو لعدم اكتمال نضج عجينتها، فالطراح هنا يجب أن يكون فطنا وذا ذاكرة قوية حتى يسهل مهمة "المعلم" إذ يجب عليه أن يعرف ما تحمله كل وصلة من خبز عددا ونوعا ويعرف أصحابها حتى يسلمها لهم عند طلبها ومعه تتميز به شخصية الطراح من فطنة وخدمة الزبناء، ومعرفة البيوت، فإن المثل القائل "ظاهر لحيا على وجه الطراح" لا يبدو سلبيا سواء تعلق الأمر بالطراح الداخلي أو الخارجي الذي يختلف عمله عن الأول في كونه يطوف بدروب الحي وأزقته ويجمع ألواح العجين من أمام أبواب البيوت، وقد جاءت هذه المهمة لتعوض عادة تاريخية اختفت، ذلك أن ربات البيوت لم يكن يحملن العجين بأنفسهن إلى الفرن بل لم تكن تتعدين الباب فكل مار من الزقاق أو الدرب سواء كان طفلا أوشابا أو رجلا، وسواء كان من علية القوم من العلماء والأعيان أم من عامة الناس إلا ويحمل العجين إلى الفرن، ولا يقتصر عمل الطراح الخارجي على جمع العجين وإيصاله إلى الفران وإعادته بعد خبزه بل يساعد الطراح الداخلي في عمله في أوقات الازدحام وكثرة الطلب.

*بحث ميداني* ؛ شريط وثائقي عن : الطراح الدكالي في المدينة العتيقة بالرباط ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط 1956 و1984 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1965.

محمد حجاج الطويل

ابن **الطرّاحة، إبراهيم**، اشتهر كمغنّ وموسيقي في عصر بني مرين. وتدل الأخبار القليلة التي ألمت بذكره على أنه كان معاصراً للسلطان أبي الحسن المريني، ومن بعده لابنه أبي عنان، وأنه كان في مجالسهما بمثابة كبير الموسيقيين المغنين وزعيم المزمزمين ـ وهم المسمعون بالمفهوم الحديث ـ يرأس حضورهما لمجالس *السماع* في حفلات المولد النبوي.

وقد وردت الإشارة إلى ابن الطراحة ـ عرضا ـ في كتاب *المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن* لمحمد ابن مرزوق العجيسي التلمساني (الجد)، كما عرض لذكره ابن القاضي صاحب *الجذوة* عند ترجمته لمحمد بن عبد الرحمن المومناني الحسني، فنقل أن الحسين هذا اجتمع مع جماعة من أصحابه في مجلس ومعهم المغني إبراهيم ابن الطراحة فاقترح بعض الحاضرين على ابن الطراحة أن يغني لهم قول بشار بن برد :

رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي فأعرضْنَ عني بالعيون الفواتر
وكن إذا ابصرنَني أو سمعْن بي سعين يُغلِّقْنَ الكُوا بالمَحَاجر

وكان قد تقرر من عادة ابن الطراحة أنه لا يغني من الشعر ما انتهى إلى محمد بن يعقوب أو سمع منه ؛ وكان أبو يعقوب إذ ذاك في أول ظهوره معه، فقال ابن الطراحة لمقترح ذلك عليه : كلامكم عندي لا أرده والأمر ممثل ؛ فإن شئتم فاقترحوا على سيدنا أبي الحسين زيادة على البيتين، فأنشد بديهة :

فوا أسفا ولى الشباب وقدْ غدا ينافرني من كان بالأمس زائري
فلولا مشيبي ما أضعت مودتي ولا عاد محبوبي القريب منافري

محمد ابن شريفة، مقدمته لكتاب *إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع*، لمحمد البوعصامي، تح. عبد العزيز بن عبد الجليل، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 1995، ص. ك و ل ؛ أحمد ابن القاضي المكناسي، *جذوة الاقتباس*، القسم الأول، دار المنصور للطباعة والوراقة، ص. 224 ـ 225.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الطرّاف**، اسم أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الحوز التطواني، وقد عرفت بهذا الاسم لأن جل أفرادها كانوا يتعاطون حرفة الإسكافي المرقع للأحذية ؛ وإليهم تنسب زنقة الطرافين بالمدينة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

محمد ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1631.

محمد ابن عزوز حكيم

**الطرُّون**، أسرة فاسية عريقة جاءت إلى فاس من القصر الكبير، وأصلهم من بني أمية من الأندلس، ذكرهم صاحب *بيوتات فاس الصغرى* ونقل عنه ذلك مؤلفا *إزالة الالتباس وزهر الآس*. واشتهر آل الطرون بتولي مناصب القضاء في عهد الوطاسيين، فكان عبد الرحمن بن محمد الطرون ذو اليد الطولى في العلوم، قاضياً بفاس الجديد، ثم عزل وخلّف ولديه الفقهيين أحمد ومحمد الطرون. كان أحمد كأبيه فقيهاً متمكناً بينما كان أخوه محمد تاجراً استنابه أخوه في الأحكام، "لأنهم كانوا يولون من كان غنياً وإن لم يكن من أهل العلم لينكف بماله عن أموال الناس والرشا".

**الطرُّون، أحمد** بن **عبد الرحمن** تولى قضاء فاس الجديد وكان أبيه، وكان على اتصال وثيق بالوطاسيين يناصرهم ويرى مع غيره من علماء المدينة عدم خلع بيعتهم، لذلك لقي محمد المهدي الشيخ عنتاً كبيراً في الدخول إلى فاس للمرة الثانية بعد تغلبه على أبي حسون الوطاسي وأشياعه من أتراك الجزائر، بسبب موقف علماء مدينة فاس منه ودعوتهم إلى التمسك ببيعة الوطاسيين. فلما تمكن محمد الشيخ من الدخول إلى المدينة يوم السبت 24 شوال عام 961 أمر بقتل القاضي أحمد الطرون وأخيه محمد كما قتل الفقيهين الكبيرين عبد الوهاب الزقاق وعبد الواحد الونشريسي.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 2، الدار البيضاء، 1956، ج 5 : 28 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، طبعة حجرية، فاس، 1300، 3 : 250 ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 4 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، تح. ع. الكتاني، الدار البيضاء، 2000، ج 1.

محمد حجي

**طُرِّيرُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Torrero وTerrero ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1097 / 1686.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 816.

محمد ابن عزوز حكيم

**طرّيس** أو **طوريس** (دي ـ) **ديِيگو** Diego de Torrés، كاتب إسباني ولد حوالي سنة 1526 بمدينة أموسا من بلاد كامبوس قشتالة. ولما أدرك الثامنة عشرة من عمره تاقت نفسه إلى السفر، فذهب إلى إشبيلية حيث مكث سنتين تعرف خلالهما على نبيل يدعى نيكولا نونيز الذي كان صهره الراهب فيرناند گوميز يعمل بالمغرب على افتداء الأسرى، بأمر من الملك "دم يوحنا"، فأقنعه بالذهاب إلى المغرب لمساعدة الراهب في مهمته على أمل أن يخلفه متى أصبح قادراً على ذلك رغم صغر سنه.

قبل ديِيگو دي طريس عرض نيكولا نونيز، ولو أنه أبدى بعض التحفظ أو التحسر، لأن عملا كهذا ليس من شأنه أن يدر عليه ما كان يحلم به ـ كشاب طموح ـ من غنى ورغد عيش. لكن يبدو أنه كانت تتجاذبه إلى ذلك نزعة دينية ورغبة في أن يخلع عليه الملك يوماً مّا مسوح الرهبنة مثلما خلعها على سلفه گوميز. وأخيراً أبحر من قادس في سفينة كراڤيل قاصداً مازيغن (الجديدة) فأسفي، ومن هناك توجه

إلى مراكش حاملا ما أتى به من بضائع. فدخلها يوم عيد القربان (أوائل شهر يونيو) من سنة 1546 / ربيع الثاني 953. حيث استقبله الراهب فيرناند گوميز، وسكن بجواره في دار أعدت له في الحي الخاص بالنصارى (الديوانة الكبيرة). وقدّمه إلى الشريف محمد المهدي الشيخ، الذي لم يكن في ذلك الوقت ـ حسب عبارة المترجم ـ مشتغلا إلا بسياسة مملكته، لا يتحدث عن محاربة أحد ما عدا حاكم الجديدة البرتغالي الذي كان يتحرش بسكان المناطق المجاورة ويغير على مسارحهم وحقولهم.

وأول واقعة حربية سمع بها دي طوريس وهو بمراكش وسجل بعض أحداثها عن مشاهدة هي المعركة الذي جرت حول أزمور بعد إغارة البرتغاليين على هذه المدينة وأسرهم فيها الشيخين عبد الله بن ساسي ومحمد الكوش (زاد المترجم وسيدي كانون) والكرة العنيفة التي قام بها فريق من جيش محمد المهدي الشيخ، فقضوا على الحامية البرتغالية بالجديدة بعد أن أثخنوا حاكمها جراحا وقتلوا ابنه وكبار ضباطه، وأسروا بعضهم. وهنا أخذ گوميز، بطلب من حاكم الجديدة، يفاوض الشريف في افتكاك الأسرى، فتطلب ذلك أموالا باهضة، اضطر معها كوميز إلى الذهاب إلى لشبونة لإحضار المال اللازم وإطلاق سراح المغاربة الذين أسروا في أزمور. لم يتمكن گوميز من إنجاز ما تعهد به في الأجل المحدد في ستة أشهر، الأمر الذي تسبب في مضايقات للمسيحيين المقيمين بمراكش، وبذلك لم يعد إلى المغرب على ما يبدو، فخلفه منذ ذلك الحين دييگو دي طريس وأصبح مكلفا بقضية فداء الأسرى المسيحيين.

مكث دييگو في المغرب مدة لا نعرف مداها بالتحديد، ولكنها قد تناهز ثلاثين سنة، إذ نجده يواصل أحاديثه المتسلسلة عن تحركات الشرفاء السعديين ونشاطهم السياسي والعسكري والاجتماعي والعمراني إلى ما بعد وفاة عبد الله الغالب (981 / 1574) إلاّ أنه لم يشر إلى عبور المتوكل إلى البرتغال وتطارحه على ملكها سبستيان، وبالتالي لم يتحدث عن معركة وادي المخازن، إلا إشارة عابرة وردت في ختام الكتاب وهو يخاطب ملك اسبانيا والبرتغال (فيليب الثاني) مقدما له كتابه هذا محرضا إياه على اكتساح المغرب مهوّنا أمره عليه، ومؤكدا عليه في نفس الوقت أن يعد للحملة عدتها مادام ملوك المغرب قد طوروا جيشهم وأسلحتهم وأخذوا يقاتلون أحسن "منذ مدة من الزمن". وعلق في الهامش على هذه المدة بأنها سنة 1578، أي سنة معركة وادي المخازن.

هكذا يكون دي طوريس غادر المغرب قبل سنة 984 / 1577 وألف كتابه *تاريخ الشرفاء* *Histoire des Cherifs* بعد مدة من معركة وادي المخازن ربما في العقد الأخير من القرن السادس عشر. ولم نقف على تاريخ وفاته.

ديسكو دي طوريس نفسه، *تاريخ الشرفاء* الفصل 54 ؛ م. حجي وم. الأخضر، *تقديم الترجمة العربية*، سلا، 1988.

محمد حجي

**الطرّيس**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث كانت تقطن مدينة طوريس Torres بإقليم جيان Jaén وكانت تحمل اسم الپولو Polo وعندما هاجرت إلى المغرب واستقرت بتطوان حوالي سنة 979 (1572) وجدت بها أسر أندلسية أخرى تحمل اسم الپولو اتخذت اسم الپولو ذ الطريس Polo de Torres. ومع مر الأيام أصبحت تعرف باسم الطريس، ورمعنى الكلمة بالاسبانية البرج وهي من أنبل العائلات التطوانية.

ويبدو أن أفراد هذه الأسرة كانوا يشغلون مناصب إدارية في مدينتهم الأصلية بالأندلس حيث نجد أن جل من أتى منهم إلى المغرب أسندت إليهم وظائف مخزنية في الإدارة وفي الجمارك.

أرشيف محمد عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان ؛ مخطوط Isidro de las Cagigas, Familias tetuanies de abalengo.

**الطرّيس، الحاج أحمد** بن **محمد** بن العربي بن عبد الخالق بن محمد بن المهدي، فقيه تطواني عين خليفة لوالده النائب السلطاني في الشؤون الخارجية بطنجة سنة 1310 / 1892. وفي شهر ماي 1902 بعثه السلطان مولاي عبد العزيز على رأس السفارة التي مثلته في مراسيم تتويج الملك الإسباني ألفونصو الثالث عشر Alfonso XIII.

وعلى إثر الاحتلال الإسباني لمدينة تطوان عينه الخليفة السلطاني مولاي الحسن بن المهدي العلوي أول باشا للمدينة في عهد الحماية يوم 4 جمادى الثانية 1331 / 11 ماي 1913.

وكانت إدارة الحماية تسند إليه رئاسة جل المجالس واللجان المشتركة التي أحدثت بالمنطقة من سنة 1913 إلى سنة 1920 ؛ وعندما أنشئ المجمع العلمي المغربي يوم 20 ديسمبر 1916 تم انتخاب الباشا الطريس رئيسا له ؛ وقد زاول منصب الباشوية إلى أن وافته المنية في 21 ربيع الأول 1339 / 3 ديسمبر 1920.

*أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان ؛ ابن عزوز حكيم، سفارة الحاج أحمد الطريس بمدريد سنة 1902 (تحت الطبع).*

**الطريس، عبد الخالق** بن **أحمد** بن محمد بن العربي، زعيم قاد الحركة الوطنية بشمال المغرب لمدة 24 سنة أي منذ استلامه مشعل الوطنية من يد أبي الحركة الحاج عبد السلام بنونة في سنة 1932 وعمره 22 سنة ؛ وكان شغله الشاغل العمل على المحافظة على الوحدة الترابية لوطنه المهدد بالانقسام بحكم الحماية المفروضة عليه سنة 1912 ؛ الأمر الذي جعله زعيم الوحدة بلا منازع.

ازداد بتطوان يوم 7 ماي 1910 وحفظ القرآن الكريم في كتاب الفقيه محمد بن مخوت ؛ وفي سنة 1925 التحق بالمدرسة الأهلية التي كان يديرها الفقيه محمد داود، وكان في نفس الوقت يحضر الدروس الفقهية التي كان يعقدها علماء المدينة في المساجد وبخاصة مسجد سيدي بركة بالسوق الفوقي.

وفي يوليوز 1927 توجه إلى فاس حيث التحق بجامع القرويين إلى غاية شهر سبتمبر 1928.

وفي شهر أكتوبر من نفس السنة توجه إلى القاهرة حيث التحق بالأزهر الشريف، ومنه انتقل في شهر مارس 1929 إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، وكان من بين أساتذته طه حسين وأحمد أمين وأمين الخولي وعبد الحميد العبادي الذين منحوه شهادة الكفاءة في الأدب والتاريخ.

وأثناء إقامته بالقاهرة إلى غاية شهر يونيو 1931 أنشأ مع زملائه الطلبة المغاربة المقيمين بمصر جمعية الدفاع عن القضية المغربية، وكان ينشر في الصحف المصرية مقالات ضد الظهير البربري كان يوقعها بالحرف ط. خ. ع. وكان أول مغربي وجه رسالة مفتوحة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية أثناء زيارته لمنطقة بلاده بالمغرب.

وعند وجوده بتطوان أثناء العطل الصيفية، كان يشارك في التحركات الأولية للحركة الوطنية بالشمال، مثل حفلة الاستقبال التي أقيمت على شرف الأمير شكيب أرسلان بتطوان في شهر غشت 1930، وكان من بين مؤسسي الهيأة الوطنية السرية الأولى يوم 5 سبتمبر 1930.

وفي شهر أكتوبر 1931 التحق بجامعة السربون الفرنسية وعين مستشارا بجمعية طلبة الشمال الإفريقي المسلمين بباريس ؛ غير أنه أرغم على العودة إلى مسقط رأسه بطلب من أعضاء الهيأة الوطنية الذين رأوا أن الحركة كانت بحاجة ماسة لكفاءة وحيوية الشاب الطريس لمواجهة السياسة المتبعة من لدن المقيم العام الإسباني لوبيث فيرير Lopez Ferrer الذي كان يمانع في تطبيق مطالب الأمة الموجهة إلى رئيس الجمهورية الإسبانية بتاريخ فاتح ماي 1931.

وعاد الطريس إلى تطوان في أوائل شهر مارس 1932، وقد برهن على أنه كان أهلا للثقة التي وضعتها فيه رجال الحركة حيث لم تمر على وجوده بالمدينة سوى أسبوعين حتى تمكن من تأسيس يوم 23 مارس جمعية الطالب المغربية التي كانت الأولى من نوعها في مغرب الحماية ؛ وفي فاتح أبريل قام بإعادة تنظيم الهيأة الوطنية وجعلها تتكون من جماعة علانية وأخرى سرية ؛ والطريس هو الذي أدار المفاوضات التي أجرتها الهيأة مع المقيم العام حول كيفية تطبيق مطالب الأمة خلال شهري أبريل وماي من نفس السنة ؛ وبمعية الحاج عبد السلام بنونة كان من بين مؤسسي الجمعية الإسلامية الإسبانية التي أنشئت بمدريد يوم فاتح يونيو وكان الأمير شكيب أرسلان نائب رئيسها الوزير الإسباني رافولس Rafols.

ومن يوم 25 إلى 28 غشت من السنة المذكورة شارك في المؤتمر الثاني لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين المنعقد بعاصمة الجزائر.

وفي شهر أبريل 1933 زار الأمير شكيب أرسلان بجنيف ؛ وما إن عاد إلى تطوان حتى تقدم يوم 9 يوليوز بملتمس يحتوي على مطالب إضافية لمطالب الأمة ليوم فاتح ماي 1931.

وفي شهر يناير 1934 توجه إلى مدريد صحبة الحاج عبد السلام بنونة من أجل أن يسلم إلى رئيس الحكومة الإسبانية مذكرة تحتوي على مجموعة من الإجراءات التعسفية التي اتخذها المقيم العام ؛ وفي فاتح مارس أنشأ جريدة *الحياة* التي كانت أول جريدة وطنية عربية رأت النور في عهد الحماية بالمغرب.

ولتنفيذ خطته الرامية لتعميم التعليم الحر بالمنطقة أنشئت في 18 ماي 1934 لجنة وطنية تمكنت في ظرف وجيز من إنشاء خمس عشرة مدرسة حرة في كل من تطوان والقصر الكبير والعرائش وشفشاون وأصيلا ؛ والطريس هو الذي اهتم بتعليم الرجال في دروس ليلية أحدثت في المدارس المذكورة لأول مرة في الشمال ؛ وباقتراح منه أنشأت إدارة الحماية المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي أسندت رئاسته إلى العلامة أحمد الرهوني يوم 19 أكتوبر 1934.

وفي شهر غشت من نفس السنة أسس مع قيدوم الصحفيين الإسبان بالشمال الأديب رافايل ذي رودا Rafael de Roda النقابة الحرة للصحفيين المغاربة والإسبان.

وفي شهر أكتوبر 1934 عين مديرا عاما للأوقاف الإسلامية في الحكومة الخليفية، ونظم إدارتها على غرار النظام المصري، وخصص ميزانية من مداخيل الأحباس لمساعدة التعليم الديني وبخاصة الكتاتيب القرآنية.

وبطلب من الطريس وافقت إدارة الحماية على إحداث عيد العرش بالشمال واحتفل به لأول مرة بصفة رسمية يوم 18 نوفمبر 1934.

وعندما قدمت كتلة العمل الوطني بالجنوب مطالبها إلى السلطان والحكومة الفرنسية، أيدها الطريس بمذكرة موجهة إلى السلطان وببرقية إلى وزير خارجية فرنسا.

وبصفته مديرا للأحباس قام بإعادة بناء مدرسة لوقش وزودها بمكتبة تم جلبها من مصر. وكان يوم تدشين المدرسة في 7 أبريل 1935 يوما مشهودا في تاريخ تطوان. والطريس هو الذي فكر في إحداث عيد الكتاب العربي على غرار عيد

الكتاب الاسباني وقد تقدم باقتراحه إلى المقيم العام يوم 24 أبريل من السنة المذكورة ؛ كما أنه يعود إليه الفضل في تأسيس المعهد الحر للدراسة العربية الثانوية العصرية والذي تم تدشينه يوم 5 نوفمبر من نفس السنة.

وفي يوم 2 سبتمبر قدم استقالته من مديرية الأوقاف احتجاجا على مصادرة جريدة *"الحياة"*.

وفي منتصف شهر نوفمبر توجه الطريس إلى مدريد من أجل تقديم مذكرة احتجاج على السياسة المتبعة من إدارة الحماية ؛ وفي يوم 25 من الشهر المذكور ألقى محاضرة بالمجمع العلمي الإسباني حول العلاقات المغربية الإسبانية.

وبفضل انخراطه في سلك الماسونية شأنه في ذلك شأن جل العناصر الوطنية بالشمال تمكنت الحركة الوطنية من الحصول على منجزات عديدة لصالح المنطقة في كثير من الميادين تحققت بمساعدة العناصر الماسونية الإسبانية المتمركزة في عهد الجمهورية في الحكومة والإدارة والأحزاب والصحافة.

وعندما قام الجنرال فرانكو بالانقلاب التي أطاح بالجمهورية انطلاقا من شمال المغرب في شهر يوليوز 1936، لم يكن رجال الحركة الوطنية في ركاب المتمردين كما يزعم البعض اليوم دون الإتيان بأية حجة وثائقية تثبت ادعاءاتهم، بل لدينا من الوثائق تم نشرها في مجلة *"الوثائق الوطنية"* ما يثبت أن الطريس كان أول من فرضت عليه الإقامة الإجبارية بداره ومثل ذلك جرى لباقي العناصر البارزة في الحركة ؛ وهناك مراسلات من الطريس إلى الخليفة السلطاني وإلى المقيم العام الجنرال أورگاث Orgaz تشهد بأن الحركة الوطنية التزمت الحياد في النزاع القائم بين الإسبانيين وفي نفس الوقت عبرت عن معارضتها لإقحام الجنود المغاربة في الحرب الأهلية الإسبانية : الأمر الذي جعل المقيم العام يطالب بتقديمه أمام المحكمة العسكرية، غير أن الخليفة مولاي الحسن بن المهدي حال دون ذلك بتدخله لدى الجنرال فرانكو الذي أمر الكولونيل بيگبيدير Beigbeder بفتح باب المفاوضة مع الطريس. وكانت البادرة الأولى أن فرانكو وافق على انعقاد المؤتمر الثالث لطلبة بشمال إفريقيا المسلمين بتطوان من يوم 21 إلى 27 أكتوبر 1936 ؛ هذا المؤتمر الذي كان سينعقد بفاس من يوم 7 إلى 12 سبتمبر وحالت الإقامة الفرنسية دون ذلك.

وفي يوم 18 ديسمبر من نفس السنة تمكن الطريس من تأسيس حزب الإصلاح الوطني الذي ظل يرأسه لمدة عشرين سنة ؛ وللحصول على موافقة النظام الفرنكاوي على الحزب المذكور قبل الطريس منصب وزير الأوقاف في الحكومة الخليفية يوم 19 ديسمبر، غير أنه قدم استقالته منه سنة يوم 27 مارس 1937.

وفي سنة 1938 مثل الطريس أقطار المغرب العربي في المؤتمر البرلماني العربي للدفاع عن فلسطين الذي عقد بالقاهرة.

وفي سنة 1941 قام الطريس بمحاولة الحصول على مساعدة ألمانيا من أجل تحرير المغرب حيث توجه إلى برلين، وعند عودته بدأ يخطط لتنفيذ الخطة المتفق عليها وهي اكتساح وسط المغرب انطلاقا من شماله وصحرائه، غير أن موقف إيطاليا من المشروع حال دون تنفيذه، لأن موسوليني Mussolini كان يطالب بضم تونس والجزائر والمغرب إلى ممتلكات إيطاليا بعد انتصار المحور على الحلفاء ؛ والجدير بالذكر أن هذه المحاولة كانت سبب الحكم بالإعدام على الطريس غيابيا من طرف المحكمة العسكرية الفرنسية بمدينة Meaux يوم 17 يوليوز 1943.

وعلى إثر إنزال القوات الأمريكية بجنوب المغرب أنشأ الطريس مع الشيخ المكي الناصري الجبهة القومية للحركة الوطنية المغربية بتطوان يوم 18 ديسمبر 1942 ؛ وباسم هذه الجبهة تقدم الزعيمان يوم 14 فبراير 1943 بأول وثيقة للمطالبة باستقلال المغرب وجهت إلى قناصلة دول الحلفاء في كل من تطوان وطنجة ومدريد ولندن.

وعندما تأسست بمصر جامعة الدول العربية يوم 22 مارس 1945 كان الطريس أول زعيم مغربي وجه إلى أمينها العام عزام باشا مذكرة بتاريخ فاتح أبريل يطالب فيها باهتمام الجامعة بالقضية المغربية ؛ ويعود الفضل إلى الطريس في موافقة الحكومة الاسبانية على أن يكون لشمال المغرب ممثل في اللجان الثقافية العربية ابتداء من سنة 1946.

وكان الطريس أول زعيم أخبره الملك محمد الخامس بأنه يعتزم القيام بزيارته التاريخية إلى طنجة، وذلك لكي تكون

مشاركة رعاياه بالمنطقة الشمالية مشاركة مكثفة تأكيدا للوحدة، وكذلك كان الأمر في شهر أبريل 1947.

وعلى إثر اللقاء السري الذي جرى بين جلالة الملك والطريس بدار المنبهي بطنجة، توجه الطريس إلى القاهرة في شهر ماي حيث قام بحملة واسعة للتنديد بالسياسة المتبعة من لدن النظام الفرنكاوي بالمنطقة ؛ الأمر الذي جعل المقيم العام الإسباني الجنرال ڤاريلا Varela يمنعه من العودة إلى مسقط رأسه، وكان ذلك سبب المظاهرات الدامية التي جرت بتطوان يوم 8 فبراير 1948 حيث استشهد 21 وجرح 232 وألقي القبض على 1214 من الوطنيين وعلى رأسهم أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الإصلاح الوطني الذين نقلوا إلى سجن سبتة.

وعند حلول الذكرى الرابعة لزيارة الملك لطنجة شارك الطريس في التوقيع بالمدينة المذكورة على الميثاق الوطني ليوم 9 أبريل 1951 والذي كان يضم حزب الإصلاح الوطني وحزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال وحزب الوحدة المغربية ؛ وكان ذلك سبب محاكمة كل من الطريس والزعيم علال الفاسي والشيخ المكي الناصري بتهمة القيام بعمل من شأنه أن يخل بالأمن العام بالمنطقة الدولية.

وكان الطريس لاجئا بطنجة منذ سنة 1948 عندما اضطر النظام الفرنكاوي للسماح له بالعودة إلى تطوان لاستئناف نشاطه الوطني، وذلك للحيلولة دون أن يستمر المهدي بنونة رئيس مكتب حزب الإصلاح بنيويورك في حملته ضد السياسة الإسبانية بمنطقة الشمال في الوقت الذي كان فيه فرانكو يطالب بانضمام بلاده إلى هيأة الأمم المتحدة ؛ وقد قبل الطريس الاقتراح لأن الحالة في المنطقة السلطانية كانت تنذر بالانفجار بسبب توتر العلاقات بين القصر الملكي والإقامة الفرنسية، فكان من مصلحة البلاد أن يعود الوضع في الشمال إلى ما كان عليه من قبل، وعاد الطريس لتطوان يوم 10 فبراير 1952.

وعندما استفحل أمر المؤامرة المدبرة ضد العرش في جنوب المملكة، رأى الطريس أنه يجب على الشمال أن يجدد بيعته للملك الشرعي، وقد استجاب لندائه حل العلماء والشرفاء والأعيان في جميع أنحاء المنطقة. وقام العلامة أحمد الرهوني بتحرير وثيقة تجديد البيعة التي وقعها آلاف المواطنين وختمها الطريس بتوقيعه يوم 29 أبريل 1953 ؛ هذه الوثيقة غيرت مجرى التاريخ لأنه بموجبها ظل أكثر من مليون ونصف من سكان الشمال متشبثين ببيعتهم للملك محمد الخامس طيلة المدة التي قضاها بالمنفى.

وعندما اعتدى الاستعمار الفرنسي على العرش في شخص الملك محمد الخامس يوم عرفة 20 غشت 1953 أصدر الطريس باسم حزبه بيانا ندد فيه بخرق الحكومة الفرنسية لمعاهدة الحماية التي التزمت فيها بالدفاع عن ملك المغرب وعن ولي عهده، وطالب بتدخل كل من الأمم المتحدة والجامعة العربية، كما دعا إلى عدم ذبح الأضحية وأن تكون خطبة الجمعة باسم الملك الشرعي في جميع مساجد المنطقة ؛ وفي نفس اليوم وجه إلى كل من المقيم العام الاسباني وإلى رئيس الدولة الاسبانية رسالتين يخبرهما فيها بأن سكان الشمال لا يريدون بالملك محمد الخامس بديلا ؛ وبناء على ذلك كان حزب الإصلاح الوطني هو وحده الذي ظل يدافع عن الملك الشرعي داخل الوطن. وكانت *"الأمة"* الجريدة الوحيدة التي تصدر بالمغرب وتفضح الأعمال الوحشية للاستعمار الفرنسي وتنشر إخبار الفدائيين. واستجابت حكومة مدريد لإدارة سكان الشمال فلم تعترف بابن عرفة لسببين : الأول لأنها لم تستشر من حكومة باريس فيما أقدمت عليه يوم 20 غشت لأن أمر الملك يخص أيضا منطقة حمايتها، والسبب الثاني هو أنها كانت تنوي استغلال الانفصام الذي وقع بين شمال المغرب وجنوبه لتحقيق هدفها الدفين الرامي إلى فصل الشمال عن الجسد المغربي حسب ما تقره الوثائق السرية التي نتوفر عليها.

وكان الطريس على بينة من المخطط الاسباني ورغم ذلك قبل منصب وزير الشؤون الاجتماعية في الحكومة الخليفية الذي عرضه عليه المقيم العام الجنرال گارثيا ڤالينيو Garcia Valiño ؛ وظل الطريس في المنصب طيلة المدة التي قضاها الملك الشرعي في المنفى، غير أنه ما إن عاد جلالته إلى ملكه حتى قدم الطريس استقالته يوم 9 يناير 1956 ؛ الأمر الذي أفسد على الاستعمار الاسباني خطته وأصبح الطريس في خطر حيث أعدت عناصر حزب الفلانخى La Falange خطة للقضاء عليه، وقد اطلع عليها الطريس فما كان عليه إلا أن يفر إلى طنجة، وبعد أسبوعين من لجوئه لطنجة تم توحيد حزب الإصلاح الوطني مع حزب الاستقلال يوم 16 مارس.

واستمر بطنجة إلى أن استدعاه جلالة الملك فتوجه إلى الرباط حيث تم تعيينه يوم 19 يونيو أول سفير للمغرب بإسبانيا. وفي يوم 28 قدم أوراق اعتماده إلى الجنرال فرانكو ؛ وفي الغد عين رئيسا للوفد المغربي الذي كلف باستلام إدارة الشمال من يد السلطات الإسبانية.

وفي يوم 31 يوليوز عين سفيراً قيماً على إدارة الشمال إلى أن تم إدماجها في الإدارة المركزية في شهر يناير 1957 ؛ وفي يوم فاتح مارس عين سفيرا بمصر ولبنان وسوريا ؛ وهو الذي رفع العلم المغربي لأول مرة بمقر جامعة الدول العربية يوم فاتح أكتوبر 1958.

وفي فاتح سبتمبر 1960 عين وزيرا للعدل ؛ وعندما كان الملك محمد الخامس بجنيف وولي العهد مولاي الحسن بالولايات المتحدة الأمريكية تولى الطريس سلطات رئيس الدولة من يوم 16 سبتمبر إلى يوم 7 أكتوبر 1960 ؛ وفي شهري نوفمبر وديسمبر من نفس السنة ترأس وفد المساعي الحميدة بعدد من دول القارة الأمريكية.

وعند وفاة الملك محمد الخامس كان الطريس هو الذي

حول عقد البيعة للملك الحسن الثاني في 10 رمضان 1380 / 26 فبراير 1961.

وفي يوم 8 مايو 1961 قدم استقالته من وزارة العدل لأسباب صحية ؛ وفي يوم 12 يونيو عين سفيرا بالقاهرة للمرة الثانية ومنح وسام العرش من الدرجة الأولى.

وعاد الطريس من القاهرة في منتصف نوفمبر 1962 للمشاركة في حملة الاستفتاء على الدستور، كما شارك في الحملة الانتخابية التشريعية في شهر ماي 1963 وانتخب ممثلا عن مدينة تطوان بالبرلمان الأول وذلك إلى أن تم الإعلان عن حالة الاستثناء بالبلاد يوم 7 يونيو 1965.

وقد وافته المنية بطنجة يوم 27 ماي 1970 ودفن بضريح سيدي المنظري بتطوان في اليوم التالي.

*أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان* ؛ ابن عزوز حكيم، *يوميات زعيم الوحدة*، جزآن، الرباط، 1990.1992 ؛ في ركاب زعيم الوحدة، ج. 1، تطوان، 1999 ؛ *نضال الطريس في ساحة الوحدة*، الرباط 1980.1985 ؛ من *مذكرات الزعيم*، ج. 1، الرباط 1982 ؛ *الطريس المفترى عليه*، تطوان 1987 ؛ *موقف الشمال من الاعتداء على العرش*، تطوان 1984 ؛ *وثائق تشهد*، جزآن، الرباط 1980.1981 ؛ *وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب*، ج. 1، تطوان 1980 ؛ *أب الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة*، 4 أجزاء، الرباط 1987.1988.1895.

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El-Khaleq Torres*, Paris - Casablanca, 1994.

**الطرّيس، عبد الخالق** بن **محمد** بن المهدي. فقيه تطواني حل محل والده في منصب أمين الديوانة لأول مرة بالعرائش سنة 1216 (1801) ثم بطنجة وتطوان في عهد السلطان مولاي سليمان، وذلك إلى غاية سنة 1236 (1821) حيث عاد إلى مسقط رأسه وبه وافته المنية في السنة التالية.

*أرشيف محمد عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان.*

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El-Khaleq Torres.* Paris - Casablanca 1994.

**الطرّيس، العربي** بن **عبد الخالق** بن محمد بن المهدي، كان هذا الفقيه التطواني من أبرز أمناء المخزن في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام الذي كان يخصه بعطف بالغ حيث نجده يقول عنه في رسالته إلى باشا تطوان بتاريخ 13 محرم 1257 / 7 مارس 1841 مايلي : "قد خدم ونصح أصلحه الله ورضي عنه وبارك له في عمره وولده وماله وأقر عينه في الدارين، وقد أنعمنا عليه بألف مثقال... وذلك كله قليل في حقه فإنا لم نجد أنصح منه".

وفي يوم 4 شعبان 1258 / 10 سبتمبر 1842 عندما عينه السلطان أمينا بديوانة الصويرة من أجل إصلاح أمر مرساها نجد العاهل المذكور يقول في رسالة وجهها إلى باشا تطوان ما يلي : لم نر أحداً يضبط أمرها غير خديمنا الأمين الحاج العربي الطريس لما بلوناه من حزمه وضبطه، وقد كنا خاطبناه بذلك فامتنع فلم نردْ جبره، وقد تعين جبره اليوم، فبوصول كتابنا هذا إليك خاطبه بذلك ورغبه فيه حتى يجيب ولو جبراً، فإنا لم نجد عنه محيداً، وسهل له الأمر بأنا لا نطيل مكثه بها فوق سنة إن شاء الله ويتوجه لأهله يقيم فيهم الأربعة أشهر والخمسة. ويترك من يرضاه خليفة حتى يرجع لمحله، ولا يقبل منه عذرا في ذلك».

وقد امتثل الطريس أمر السلطان. وفي يوم 28 شعبان 1258 / 4 أكتوبر 1842 حل بمراكش ومنها التحق بالصويرة كأمين مرساها وعامل المدينة في آن واحد ؛ وبها مكث إلى أن وافته المنية سنة 1270 (1854).

وتستنتج من كناشه الخاص أنه كان ينفق مالا كثيرا في شراء العبيد من أجل تحريرهم.

*أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان ؛ أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان ؛ قسم المخطوطات بالمكتبة العامة بتطوان.*

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El Khaleq Torres*, Paris, Casablanca, 1994.

**الطريس، محمد** بن **العربي** بن عبد الخالق بن محمد بن المهدي، فقيه تطواني قضى حياته في خدمة المخزن في عهد السلاطين سيدي محمد بن عبد الرحمن ومولاي الحسن الأول ومولاي عبد العزيز، فكان أول منصب أسند إليه كأمين مرتين سنة 1284 (1867) وفي يوم 21 ذي القعدة 1292 / 12 ديسمبر 1875 عين أمينا للمستفاد بالدار البيضاء ولم يظل فيه سنة كاملة حيث قدم استقالته منه يوم 28 شوال 1293 / 16 نوفمبر 1876 ؛ وأعيد تعيينه في نفس المنصب في رمضان 1294 / سبتمبر 1877 غير أنه قدم استقالته منه في شهر ربيع الأول 1295 / 19 مارس 1878.

وفي يوم 18 جمادى الثانية 1296 / 9 يونيو 1879 عين عاملا وأمينا للمستفاد بنفس المدينة ؛ ومرة أخرى قدم الطريس استقالته من المنصبين في ربيع الأول 1300 / فبراير 1883 ؛ وفي السنة التالية أسندت إليه خلافة النائب السلطاني في الشؤون الخارجية الحاج محمد بركاش بطنجة.

وفي سنة 1306 / 1888 ترأس السفارة التي بعثها السلطان مولاي الحسن الأول لتهنئة البابا ليون الثالث عشر

Léon XIII بمناسبة الذكرى الخمسينية لتربعه على كرسي الفاتيكان.

والطريس هو الذي ترأس الوفد الذي مثل المغرب في مؤتمر الجزيرة الخضراء المنعقد يوم 15 يناير إلى يوم 7 أبريل من سنة 1906 ؛ وحيث إنه اعتبر القرارات التي اتخذتها الدول الأوربية في المؤتمر تدخلا في الشؤون الداخلية لوطنه فقد امتنع عن توقيع العقد النهائي الصادر عن المؤتمر.

ومن المعلوم أن الفترة التي تولى فيها الطريس المنصب الخطير المتمثل في النيابة عن السلطان في الشؤون الخارجية، كانت فترة خطيرة في تاريخ المغرب المعاصر حيث كثرت فيها المطالبة الأجنبية بأشياء كثيرة تتنافى مع السيادة المغربية، وكانت كل من فرنسا وإسبانيا تتدخل في الصحراء المغربية، وعمت الفوضى بسبب ظهور الفتان بوحمارة سنة 1902 ؛ وكانت زيارة إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني لطنجة سنة 1905، وحوادث الدار البيضاء واحتلالها مع احتلال وجدة ؛ في هذه الفترة برهن الطريس عن كفاءته وحنكته السياسية والديبلوماسية العالية.

وتشهد آلاف الوثائق التي يضمها الأرشيف الذي تركه النائب الطريس على ما قام به من أعمال خطيرة واتخذ من مواقف حازمة دفاعا عن استقلال وسيادة ووحدة المغرب في الظروف الحرجة التي مرت بها البلاد في الوقت الذي كانت فيه الدول الاستعمارية تتكالب على المغرب وتعقد الصفقات السرية التي أدت إلى فرض الحماية عليه بعد وفاة النائب الطريس بأربع سنوات حيث إن وفاته كانت بطنجة يوم 16 شعبان 1326 / 13 سبتمبر 1908.

وبخصوص الأرشيف المذكور يجب أن نقول إنه لا صحة لما زعمه البعض من أنه يوجد في حوزة الحكومة الإسبانية، لأن الحقيقة هي أنه صار بعد وفاة النائب في حوزة ولده الباشا أحمد ثم أصبح في ملك حفيده الزعيم عبد الخالق الذي فوته إلى الحكومة الخليفية في عهد الحماية. وقد قمت بتنظيمه. وهذا الأرشيف يشكل اليوم قسم المحفوظات بالمكتبة العامة بتطوان. وقد قام مؤرخ المملكة بتصوير جميع وثائقه التي توجد حاليا بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

*قسم المحفوظات* بالمكتبة العامة بتطوان ؛ *أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان* ؛ *أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان* ؛ ابن عزوز حكيم، *النائب السلطاني في الشؤون الخارجية الحاج محمد بن العربي الطريس* (تحت الطبع).

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El Khaleq Tares*, Paris, Casablanca, 1994.

**الطرّيس، محمد** بن **المهدي** بن محمد. فقيه تطواني زاول منصب أمين الديوانة في كل من تطوان وطنجة والصويرة والدار البيضاء من سنة 1793 إلى سنة 1800 وكان يعمل بدار المخزن بمكناس حيث أصابه الطاعون ومات على إثره هناك سنة 1216 (1801).

*أرشيف محمد عبد الخالق الطريس بتطوان* ؛ *أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان*.

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El-Khaleq Torres*. Paris - Casablanca 1994.

**الطرّيس، المهدي** بن **محمد**. كان هذا الفقيه أول فرد من أسرته التطوانية عين في سلك أمناء الديوانة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله من سنة 1770 إلى سنة 1790 حيث عين بديوانة طنجة ثم بالعرائش فسلا والرباط، وكان أمينا بمرسى الصويرة عندما تولى المهندس الفرنسي كورنو Cornut بناء تحصينات المدينة المذكورة، وقد وافته المنية بتطوان سنة 1206 (1792).

*أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان* ؛ *أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان*.

J. Wolf, *L'épopée d'Abd El-Khaleq Torres*. Paris - Casablanca, 1994.
محمد ابن عزوز حكيم

**الطرز** (البلدي)، ما كان المغاربة يقتصرون على تفصيل الملابس والأقمشة والأردية والمنتعلات والأحزمة والحقائب وغير ذلك مما يحتاجون إليه في مجال اللباس والغطاء والفراش بل يسعون كل حسب طاقته وقدرته إلى تجميلها وتأنيقها بما يضفي على الهندام الأناقة والرشاقة اللازمتين.

وكان هذا الهاجس حاضرا لدى أهل الحواضر أكثر من سكان البوادي ولدى الإناث أكثر من الذكور، فكانت العملية الأولى في تحضير اللباس تبدأ بالخياطة ثم يليها الطرز الذي يسمى أيضا "الرقيم" و"الرشيم" كما تسمى الطرازات "الرقامات" و"الرشامات". وكان الطرز المتداول في المغرب من أنواع متعددة أهمها "طرز الحساب" الذي يدعى أيضا "طرز الغرزة" و"طرز العلجة" أو "طرز العلوج"، وتشتهر بهما مدينة فاس، ثم طرز "الرّنْدا" الذي يسمى أيضا "طرز الشبكة" أو "الخنتليت" السائد في الرباط وسلا و"طرز البزدادا" و"طرز الكانبا" المنتشر في طنجة وتطوان وشفشاون زيادة على أنواع أخرى من غير ما ذكر توجد في أزمور وأسفي وغيرهما.

ولقد ازدهر الطرز في المدن المغربية العريقة التي وفد إليها المهاجرون من العواصم الكبرى في المشرق والمغرب الإسلامي كدمشق وبغداد وقرطبة وغيرها (لسان الدين ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، ص. 280). وكانت هذه المدن المغربية هي فاس وتطوان والرباط وسلا ووجدة ومكناس والشاون وأزمور. وكان طرز فاس يحتل مرتبة الصدارة بين سائر المدن "بسبب دقة إنجازه وروعة أشكاله وتناسق ألوانه وتنوع أغراضه" (H. Terrasse, *Les arts décoratifs*, p. 99).

ولم يكن الطرز في المدن السالفة الذكر يمارس إلا في أوساط العائلات العريقة النازحة من الأندلس وبعض العائلات الأهلية المترفة، لكن نطاقه اتسع تدريجيا حتى ساد معظم الحواضر إلى حد أن جل النساء المغربيات أصبحن يعتبرنه من المبادئ الأساسية في تربية بناتهن. لذا كانت جل الأمهات الحضريات عندما تحتفلن ببلوغ بناتهم سن الرشد

تبادرن إلى وضع إبرة وكشتبان وخيط من حرير في أيديهن حتى يسهل عليهن تعلم فن الطرز. وكانت كثير من الأسر الحضريات "تأخذ بناتها منذ أول صيام لها إلى دار المعلمة الطرازة لتتعلم الطرز بالإبرة والحلقة تحت إشرافها" (G.S. Colin, *La vie marocaine*, p. 12).

وفي فاس كانت جل النساء تمارسن الطرز الذي كاد أن يتحول إلى حرفة نسوية قائمة بذاتها دون أن يكون لها كيان رسمي أو تنظيم حرفي علني لأنه كان ينجز كله داخل البيوت، فمنه كانت "تكسو الفتاة نفسها وتقتني صورتها [شورتها] وتشتري ما تحتاج إليه من حلي، كما [كانت] تستعين به الأم على مصاريفها الخاصة فلا تنتظر عطاء الرجل، وبواسطته أيضا تطرد الغنية الملل عن نفسها وتبين براعتها في الإبداع" (محمد بن التهامي أفيلال، *تنبيه الأكياس*، ص. 39).

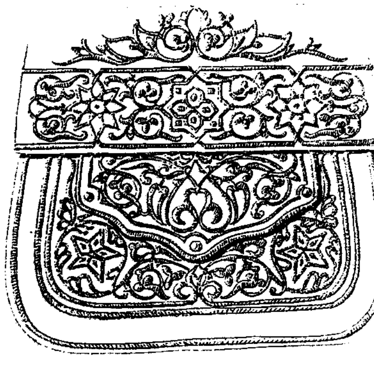

وكانت الماهرات من الطرازات معروفات بالاسم والسكنى في جل الحواضر لدى الحرفيين وسائر الناس ممن يحتاج إلى صنعتهن. وقد بلغ عدد الطرازات في فاس في بداية القرن 20 حسب أمين السرارين الحاج محمد السبتي 2500 معلمة متخصصة في الطرز بخيوط الذهب (الصقلي) و2000 معلمة في الطرز بخيوط الحرير (الصابرة). وفي الرباط كان المجتمع المحلي يعتبر الطرز أرقى ما يمكن أن تشتغل به النساء المحظيات والفتيات المصونات. أما في تطوان فكاد الطرز بخيوط الحرير أن يتحول إلى صناعة منزلية تمارسها جل التطوانيات وكان يشغل ألفا من العاملات من مجموع ساكنة تعدادها وصل إلى حوالي 25.000 (A. Joly, *L'industrie à Tétouan*, p. 146).

وكان الطرز، الذي يُنجز إما على الثوب أو الجلد، يتم إما بخيوط الذهب أو خيوط الفضة أو خيوط النحاس أو خيوط الحرير. إلا أن الطرز الذي كان سائدا هو الطرز بخيوط الحرير.

- الطرز بخيوط الحرير : لم يكن الطرز بخيوط الحرير يقتصر على الثوب بدون الجلد ولا على أردية الإناث دون الذكور لكنه كان أكثر استعمالا في الأثواب وملابس الإناث. وكان أكثر ما يطرز في ملابس النساء هو السبنيات وأطواق الأعناق وأطراف الأرجل وحواشي الأكمام وأسافل الملابس الدفينة والتحتيات والشرابيل والخمر وأردية الحمام ومناديل الرؤوس. أما ما كان يطرز من ملابس الذكور فهو الأحزمة والحقائب ووعاء دليل الخيرات وسروج الخيل ولوازمها. وكان الطرز إما من النوع الخفيف الذي لا يغطي إلا أجزاء معلومة من الملبوس، مما كان في متناول السواد الأعظم من الناس، أو من النوع الثقيل الذي يبدأ من تغطية الأجزاء المعرضة إلى النظر لتشمل كل أجزاء الملبوس بأشكال مختلفة الوضع والترتيب، مما لم يكن في متناول غير الفئات المترفة.

- الطرز بخيوط الذهب والفضة : لم يكن الطرز بخيوط الذهب والفضة يتعدى نطاق نخبة النخبة من أهل المخزن والأعيان وكبار الأثرياء. وكان يقتصر على أحزمة الذكور والإناث (المضمات) ومنتعلات النساء وسروج الخيل الفارهة التي كان يمتطيها رجال المخزن والقواد والباشوات ومن في مرتبتهم في الأعياد والمناسبات. وكانت الأوضاع المادية المبسوطة لهؤلاء تسمح لهم بارتداء أقمصة وقفاطين منسوجة من حرير ومطرزة بخيوط الذهب والفضة مما كان يسميه عامة الناس "المزردخان" أو "الخريب" في فاس و"حرير ما نقل عليه" في الرباط وسلا.

وكانت ترتبط بالطرز وتدور في فلكه مجموعة من الحرف نذكر منها على وجه الخصوص حرفة الحرارين وصناع خيوط الذهب والفضة والنحاس. وعليه فقد كان الطرز لا يستغني عن الحرارين والقطانين وصناع "خيط المجبود" أي ما يدعى عند عامة الناس "تاصقليت". وكان لا يمارس هذه الحرفة الأخيرة إلا فئة قليلة من الصناع المسلمين، أما معظمها فكان من اختصاص اليهود الذين أتقنوا صناعته وتفننوا فيها داخل أسوار الملاحات التي كانوا يقطنون بها (إلى جانب صناعة الحلي والمجوهرات). وقد أغدقت "مليخت الصقلي" هذه، أي صناعة الصقلي، على بعضهم أموالا طائلة رفعت آل الكوهن منهم في فاس على الخصوص إلى أعلى مراتب الثروة والجاه. وكانت أكبر أسواق خيوط الذهب والمعادن النفيسة في فاس توجد بجوار سوق الصرافين والصياغين، وفي الرباط إلى جانب السكاكين والسراجين. ومن بين أكبر السراجين المتعاملين مع اليهود والذين كانوا يوظفون أموالا

طائلة في شراء "سلك المجبود" لاستعماله في طرز الركائب والسروج لفائدة قواد وأعيان مختلف القبائل نذكر الحاج محمد السبتي ومحمد الشرايبي وإدريس السقاط الذين كانوا يدرجون ضمن كبار الأعيان والأثرياء في فاس.

وكانت أشكال الطرز وألوانه وأغراضه تقتبس من الواقع الحضاري الذي تعيش ضمنه الطرازات، وهويتميز بوفرة النماذج الموروثة أبا عن جد مما ينقل من مجال الهندسة المعمارية الإسلامية وعالم الأشجار والأزهار والورود. أما الاقتباس من عالم الحيوانات فكان قليلا إلى منعدم في الطرز المغربي، ما عدا في طرز أزمور حيث كانت الطرازات الأزموريات تمثلن تنانين خرافية وحيوانات خارجة عن سياق الحضارة الإسلامية التي من مرتكزاتها الأساسية "ألا ترسم المخلوقات حيوانية كانت أم بشرية" (محمد الشياظمي والحاجي السباعي، مدينة أزمور، ص. 56).

لسان الدين ابن الخطيب، *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، الدار البيضاء، د. ت. تحقيق أحمد مختار العبادي ؛ محمد بن التهامي أفيلال، *تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والاعراس*، تطوان، 1976 ؛ عبد الحنين المكناسي، *الطرز المغربي*، الرباط، 1985 ؛ محمد الشياظمي والحاجي السباعي، *مدينة أزمور وضواحيها*، الرباط، 1987.

P. Ricard, *Les broderies marocaines*, Alger, 1918 ; *Le souq el Marktan et les broderies de Fès*, *F.M.* ; *Les arts marocains et leurs rénovations*, Bordeaux 1930 ; C. Brunot David, *Les broderies de Rabat*, Rabat, 1943 ; L.J. Nacivet, *Le filet brodé marocain*, in *F.M.*, n° 4 ; M. Guerard, *Contribution à l'étude de l'art de la broderie au Maroc*, *Hesp.*, t. 8, 1967 et *Hesp.*, t. 9, 1968 et *Hesp.*, t. 10, 1969 ; *Musée des arts d'Afrique et d'Océanie : Broderies marocaines*, Tours 1991 ; A.M. Goichon, *La broderie au fil d'or à Fès*, *Hesp.*, t. 26, 1939 ; F. Alaoui, *Manuel de broderie marocaine classique*, Salé 1969 ; H. Gayot, *La broderie de Fès*, Rabat, 1959 ; *Etude sur la broderie de Meknès*, Rabat, 1956 ; *Etude documentaire sur la broderie de Salé Moderne*, Rabat, 1955 ; L. Golvin, *Le métier à la tire des fabricants de brocart de Fès*, *Hesp.*, vol. 37, 1er et 2e trim, 1950 ; J. Jouin, *Les thèmes décoratifs des broderies marocaines*, *Hesp.*, vol. 21, fasc. 1 et 2, 1935 ; P. Larrea, *El Bordado in Sidi Ifni*, *Archivo del instituto de estudios africanos*, Madrid, 1954 ; G. Matha, *Contribution à l'étude de la broderie au Maroc*, in *Hesp.* vol. 8, 1967 ; M. Vicaire, *La fabrication du fil d'or à Fès*, *Hesp.*, vol. 24, 1er et 2e trim., 1937 ; J. Galloti, *Les métiers d'art au Maroc*, *F.M.*, n° 4 ; H. Terrasse et J. Hainaut, *Les arts décoratifs au Maroc*, Paris, 1925 ; J. Baldoui, *Les arts indigènes au Maroc*, Paris [s. l.] et [s. d.] ; J. Delanazière, *La décoration marocaine*, Paris, [s. l.] et [s. d.] ; A. Chenail, *Dessins d'arts marocains*, Rabat, 1930 ; G.S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953.

محمد بوسلام

**الطرطوشي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Tortosa وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 813.

**الطرف**، رأس يقع بشاطئ قبيلة الحوز التطواني شمال مدينة مرتين ؛ ويعرف أيضاً باسم "الكرورة" وبرأس كدية الطيفور وقد أطلق عليه الإسبان اسم كابونيكرو Capo Negro أي الرأس الأسود.

Comision historica de las campañas de Marruecos. *Geografia de Marruecos (protectorados y poseciones de España en Africa)*, Madrid 1936.

محمد ابن عزوز حكيم

**الطرفاء**، أو الطـرْفة أو الطـرَفَة أو الأثـل أو العريش بالعربية أو تَامَايْتْ أو أمَايْ بالأمازيغية أو تاماريسْ Tamaris بالفرنسية، أسماء لأنواع جنس تاماريكْسْ Tamarix الذي ينتمي إلى فصيلة الطرْفاويَّات Tamaricaceae.

يمثل الجنس في المغرب بحوالي 10 أنواع طبيعية شجيرية باستثناء نوع واحد شجري. تتميز الأنواع بأوراقها الحرشفية، وأزهارها الصغيرة جدا والمجمّعة على شكل عناقيد. الأزهار مكونة من 4 أو 5 سبلات و4 أو5 بتلات و5 أسدية و3 كربلات.

أغلب الأنواع تعيش في المناطق الجافة لكن على ضفاف الأنهار والبحيرات والضايات والسبخات من سطح أتربة ذات فرشاة مائية جوفية قريبة بحيث تتفاوت درجات الملوحة حسب الأنواع. وتجدر الإشارة إلى أن الأوراق والأغصان الفتية تفرز على سطحها الكمية الزائدة من الملح تفاديا لظاهرة التسمم. مما يجعل الأوراق والأغصان تظهر مكسوة بتراكمات ملحية بيضاء اللون. وتعود هذه الظاهرة إلى أن أنواع الطرفاء التي تعيش في الأراضي المالحة تكون ملزمة بامتصاص الملح من التربة لتمكنها من امتصاص الكمية الكافية من الماء، ثم يفرز بعد ذلك الملك الزائد لتفادي أي تسمم.

لأنواع الطرفاء استعمالات عديدة، منها التي يستخدم خشبها، ومنها التي تستعمل في التطبيب التقليدي، ومنها التي لها منافع أخرى.

نظرا لصعوبة التمييز بين بعض أنواع الطرفاء، سوف لانتطرق إلا لأهمها :

- الأثْل أو لـثـل أو تَـلاَيَـا أو الطرفاء الشجرية أو الطرفاء المفصلية أسماء عربية لنوع تَاماريكْسْ آرْتيكُولاتا Tamarix articulata أو الطرفاء عديمة الأوراق أو تَاماريكْسْ آفيلاً Tamarix aphylla.

شجرة يتراوح علوها ما بين 10 و15 م، جميلة المنظر، ذات تاج مُتَهدِّل ولون أخضر فضي. قشرة جذعها مشققة. قشرة أغصانها سمراء اللون. أوراقها شبه منعدمة (الطرفاء عديمة الأوراق)، إذ لا تظهر إلا على شكل أغمدة اسطوانية محيطة بالأغصان، مما يعطيها مظهرا مفصليا (الطرفاء المفصلية). لون الأغمدة أخضر فضي. ازهراراتها على شكل سنابل مُجمّعة في عُثكُول غير كثيف. تتركب الزهرة من 5 سبلات و5 بتلات و5 أسدية وقَلَم واحد حامل 3 مياسم. ثمارها علبية ذات شكل هرمي، وحجم صغير جدا لا يتعدى 3 مم.

يعيش النوع طبيعيا على ضفاف الأنهار والسواقي والضايات، في المناطق الجافة والصحراوية الموجودة ما بين المحيط الأطلسي غربا وبلاد الهند شرقا. يحبذ الأتربة الطميية والطينية. ولهذا لا يصادف النوع طبيعيا في المغرب إلا في جنوب البلاد حيث ينظم تشكيلات تكون أحيانا كثيفة جداً ولا سيما طول وادي درعة ووادي زيزْ ووادي غُريسْ وروافد هذه الأنهار. لكن الإنسان غرس هذه الشجرة منذ أقدم العصور، فساعدها كثيرا في الانتشار في مجالاتها الطبيعية وخارجها وذلك لأجل أغراض عديدة.

يعتبر الأثْل الشجرة الوحيدة من هذا الجنس التي تعطي خشب النجارة والأثاث بكمية لا يستهان بها في المناطق الصحراوية، وذا جودة رفيعة. ففي هذا الشأن، يقال إن منبر النبي محمد (ص)، قد يكون صنع من خشب الطرفاء الشرقية Tamarix orientalis التي يعتبرها بعض الباحثين من نفس النوع المدروس هنا وهو الأثل المفصلي.

إضافة إلى هذا، يستخدم خشب النوع في صنع ركائز الخيام والسروج المحمولة على الجمال، وبعض الأواني وغير ذلك. كما يحرق خشب النوع كوقود أو يستعمل في صناعة الفحم أو القطران. كما استعمل في تكوين مصدات الرياح أو للتزيين في الحدائق أو طول الطرق.

وفي بداية السبعينيات من القرن العشرين ميلادي شرع في استخدام الأثْل من طرف مصالح المياه والغابات في عملية تثبيت الكثبان الرملية الصحراوية التي تهدد في زحفها مساكن ومزروعات أهالي الواحات.

ومن أهم الاستعمالات الأخرى تلك التي تخص ما يسمى العفْصة البلدية بالعربية أو تَاكّاوْتْ بالأمازيغية. وتَاكّاوْتْ ليست تيكّيوْت التي هي الدغموس (انظر الدغموس)، بل تضخم يظهر على بعض أغصان الأثل وينتج عن بعض الطفيليات الحيوانية. يتراوح حجم العفصة ما بين حبة جلبان وحبة جوز. تستخدم العفصة في الدباغة والصباغة وتلوين الشعر الأشيب باللون الأسود. وأشهر المناطق المنتجة لأجود مادة من العفصة هي تافلالت وغريس وأغمات. وهكذا اشتهر الجلد الفلالي والأغماتي، وكانت كميات كبيرة من العفصة تصدر من هذه المناطق إلى فاس ومراكش والجزائر وليبيا وأوربا حيث كان قسط من هذه المادة يستخدم لصناعة الحبر، مما حفز سكان المناطق المنتجة على غرس الأثل على طول السواقي لتلبية الطلب المتزايد للعفصة.

تستخدم العفصة أيضا وحدها أو مخلوطة مع أوراق وحسب الأثل أو الشب في عدة مجالات كالوشم أو في التطبيب التقليدي مثل معالجة أمراض الجهاز الهضمي والجهاز التناسلي والسل والجدري وكذلك للإجهاض وغير ذلك.

وبفضل هذه الفوائد الجمة فقد ذكر الأثل والعفصة لدى الأطباء العرب مثل ابن البيطار وعبد الرزاق والوزير الغساسي الذي يخبرنا أن هذه المادة كانت تستعمل في صناعة الحبر.

- الطرفاء الفرنسية أو الطرفاء الكنارية أو علميا تَامَاريكْسْ كَالّيكَا Tamarix gallica أو تَامَاريكْسْ كانَارِيِنْزِيسْ Tamarix canariensis : شجيرة يتراوح علوها ما بين 2 و6 م. أغصانها رقيقة وذات لون يميل إلى الحمرة. أوراقها ذات لون أخضر يميل إلى الزرقة، صغيرة جدا، وذات قاعدة موسعة، بيضوية إلى رمحية الشكل. أزهارها مجمعة في سنابل محمولة في طرف الأغصان الفتية الحولية، وذات لون وردي أو أبيض.

يصادف النوع في المنطقة المتوسطية والجزر المجاورة لها، والصحراء الشمالية والوسطى. أما في المغرب فإنه يوجد في جل أنحائه ما عدا الجبال العالية. يعيش على ضفاف الوديان والبحيرات والضايات التي تكون مياهها عذبة أو قليلة الملوحة.

يستعمل النوع كنبات زينة نظرا لجمال أزهاره، وكذلك في تثبيت الكثبان الرملية ذات فرشاة مائية جوفية قريبة من السطح. كما يستخدم في التطبيب التقليدي.

- الطرفاء الإفريقية أو تَامَاريكْسْ آفْرِيكَانَا Tamarix africana : شجرة أوشجيرة يتراوح علوها ما بين 3 و5 م. تتميز بأوراقها ذات الحواف الشّفّافة وأزهارها كبيرة الحجم نسبيا والتي تظهر قبل الأوراق وعلى الأغصان المعمرة، وبلون أبيض.

الموطن الأصلي للنوع هو الجزء الغربي من المنطقة المتوسطية حيث يعيش على الضفاف الصخرية والحجرية للأنهار.

استعمالات النوع قليلة جدا مقارنة مع النوعين السابقين.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, Rabat, 2000 ; J.Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997 ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

**طرفاية** (مدينة) تقع مدينة طرفاية على الساحل الأطلنتي على بعد 213 كلم جنوب غرب مدينة طان طان

وعلى بعد 100 كلم شمال مدينة العيون، تبلغ مساحة مدارها الحضري حوالي 25 كلم2 يحدها من الشمال والغرب المحيط الأطلنتي ومن الجنوب والشرق جماعة الطاح القروية.

تطورت مدينة طرفاية عند رأس جوبي حيث أنشأ بها مستكشف انجليزي عند نهاية القرن التاسع عشر 1882 قلعة تعرف إلى يومنا هذا باسم كازامار (دار البحر)، وقد احتلها الإسبان سنة 1916 وتم استرجاعها إلى حظيرة الوطن سنة 1958. غير أن الفضل في شهرة طرفاية يعود إلى الطيار الفرنسي سان إكزوبري الذي ذكرها في كتاباته (بريد الجنوب) خصوصاً وأنها كانت محطة مهمة للطائرات ونقطة ربط داخل خط البريد الجوي الذي فتح سنة 1925 للربط بين الدار البيضاء وسان لويس بالسنيغال.

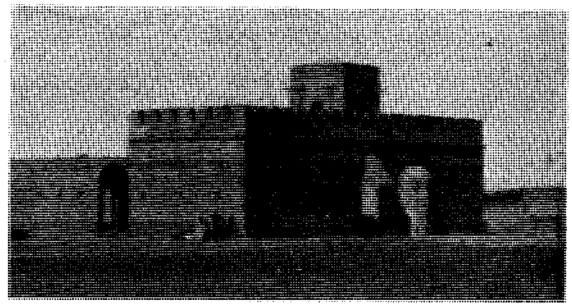

وتعتبر سنة 1975 منعطفا مهما في تاريخ المدينة وذات دلالة رمزية حيث شكلت نقطة تجمع واستقبال المتطوعين المشاركين في المسيرة الخضراء المنحدرين من مختلف أنحاء الوطن، ومنها أعطيت انطلاقة عبور هذه المسيرة نحو الأقاليم الصحراوية الجنوبية التي ظلت تحتلها إسبانيا منذ أمد بعيد.

كانت المدينة تشكل عاصمة إقليم طرفاية، لكن بعد استرجاع الأراضي الصحراوية الجنوبية تم إلحاقها بإقليم العيون لتشكل مركزاً لجماعة قروية تابعة لدائرة الداورة. وعلى إثر التقسيم الإداري الذي شهده المغرب سنة 1992 رقي مركز طرفاية إلى بلدية تنتمي إلى إقليم العيون التابع بدوره لجهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء. وتعتبر طرفاية في نفس عاصمة لدائرة طرفاية المشكلة من أربع جماعات قروية هي : اخفنير، الداورة، الطاح، الحكونية.

إن عدد سكان طرفاية حالياً (سنة 2002)، بالاعتماد على نسبة النمو السنوي المسجلة بين سنتي 1971 و1994 (6,3٪) لا يقل عن 6700 نسمة. وبذلك تكون هذه المدينة قد سجلت نفس وتيرة النمو القوية التي عرفتها باقي المدن الصحراوية المغربية. وهكذا فقد انتقل عدد سكان طرفاية من 1104 فرد سنة 1971 إلى 2909 سنة 1982 ثم 4506 سنة 1994.

ولم يكن هذا التطور ممكنا دون المجهودات التي سجلتها المدينة على مستوى خلق البنيات التحتية المتمثلة بالخصوص في ميناء طرفاية الذي يعد أهم محرك لعجلة التنمية والمتنفس الاقتصادي لمدينة طرفاية. فقد أصبح يكتسي بعدا جهويا اذ يعد ثاني ميناء بالجهة بعد ميناء المرسى. فبعدما لم يكن يشكل في الستينيات سوى مرفأ صغير تحتمي فيه قوارب الصيد التقليدية من لجة المحيط الأطلنتي العالية، فقد أصبح اليوم يشكل مع الملحقات والوحدات الصناعية التابعة له أهم قطب اقتصادي بالمدينة.

شيد هذا الميناء سنة 1982 على مساحة 39,6 هكتارا يغطي فيها الحوض البحري مساحة 17 هكتارا، ويبلغ طول حواجزه 1720 متر، أما طول الأرصفة فيصل إلى 214 متر. ونشاط هذا الميناء موجه بالأساس إلى الصيد البحري وتصدير الرمال والملح. وتجدر الإشارة إلا أنه يحتل مكانة رائدة في ميدان صيد السردين وذلك نظراً لانفتاحه على المصايد الأطلنتية الغنية المرتبطة بتردد التيار البحري البارد الذي يمر من سواحل طرفاية والمعروف باسم الكناري غير أن هذا النشاط يعرف نوعا من عدم الانتظام ويعاني نوعا من ضعف التطور بسبب غياب بعض التجهيزات الأساسية داخل الميناء مثل الماء الشروب، وشبكة التطهير، وعدم ربط المركز بالشبكة الوطنية لتوزيع الطاقة الكهربائية. فالمركز يعتمد على محطة حرارية صغيرة لتوليد التيار الكهربائي.

إن مشكل الماء الشروب لا يقتصر على الميناء فحسب بل تعانيه المدينة بشكل عام بسبب ضعف الموارد المائية المحلية، ويعتمد في تزويد المدينة بالماء الشروب على تحلية المياه الجوفية بحجم لا يتجاوز 800 متر مكعب في اليوم. لكن أهم العوامل المعرقلة لنمو المدينة والتي لا تهدد مستقبل الميناء فحسب بل المدينة ككل يتمثل بشكل أساسي في ظاهرة زحف الرمال. إن موقع طرفاية الجنوبي الصحراوي المتميز بالتردد القوي للرياح، وشكل وطريقة رسم ساحلها تجلعها تعرف تعرية ريحية جد نشيطة تتجسد في تكوين وتحريك الكثبان الرملية التي تشكل عائقا حقيقيا أمام تنمية المدينة والمجال المحيط بها، فالكثبان الرملية تتسبب في خلق متاعب يومية للسكان، وتؤدي إلى دفن التجهيزات مثل الطرق وعرقلة السير العادي للميناء الذي يتعرض حوضه للطمر المتواصل. ومصدر هذه الرمال هو تفتت القشرة الصخرية الكلسية المكونة للصخر الأم على طول الساحل، هذه الفتاتات الرملية تلقي بها التيارات البحرية فوق الشواطئ لتحملها الرياح التجارية (الأليزي) الآتية من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية إلى داخل المدينة.

وللحد من مشكل الترمل اتخذت بعض التدابير في إنشاء سور واقٍ في التسعينيات لحماية المدينة، إلا أن هذا الحاجز أصبح دون جدوى الآن أمام تعاظم ظاهرة زحف الرمال، وتعد فكرة انشاء حزام اخضر على شكل غابة الحل الأنجع لتثبيت الحقول الرملية. إلا أن تدبير مشكل الترمل يبقى صعبا ومعقدا ورهينا بالإمكانيات المادية والبشرية المهمة التي تفتقر إليها المدينة.

عبد اللطيف رمان

**طرق موريطانيا الطنجية**، تعتبر الطرق في عهد الاحتلال الروماني، وسيلة لانتقال الإنسان بثقافته وتجاربه ومنتوجاته، وقد استعملتها الدول لنقل جيوشها قصد توسيع نفوذها. ومن هذه الدول روما التي لجأت إلى إنشاء الطرق ومدها لتيسير تغلغل احتلالها واستغلال خيرات البلدان المحتلة. لذلك فروما نظمت الطرق وأنشأت الجسور والقناطر ووضعت العلامات الميلية عليها قصد معرفة المسافة وتسهيل نقل الجيوش والبضائع.

وإذا كانت روما قد اهتمت بطرق الولايات في باقي أنحاء الامبراطورية الرومانية، فإن طرق موريطانيا الطنجية كانت أقل تنظيما وجودة من طرق إيطاليا وإسبانيا إذ أن جلها غير مبلط وبدون علامات الأميال. وقد كان للعلامة الميلية أهمية خاصة في الطرق، إذ أنها تسجل المسافات على طول الطرق الرومانية. وقد سميت بالميلية لأن وحدة قياس المسافات كانت الميل الذي يساوي 1,55065 كلم. وكانت المسافة في إيطاليا مقاسة انطلاقا من روما، وفي الولايات انطلاقا من عواصمها.

ونظراً لغياب العلامات الميلية والتبليط في طرق موريطانيا يمكن اعتبارها مجموعة من المسالك التي كانت مطروقة منذ القديم من طرف السكان الأصليين، واستمر الرومان في استعمالها خلال فترة حكمهم بعد أن أدخلت عليها بعض التحسينات وأضيفت إليها بعض القناطر على الأودية والمجاري المائية.

وكانت شبكة موريطانيا الطنجية تتكون من قسمين :

أ - طريق يمكن أن نسميها إلى حد ما ساحلية.

ب - طريق أخرى داخلية، ويوجد على رأس هذين الطريقين طنجيس.

أ- الطريق الساحلية : يبلغ طولها 175 ميلاً تنطلق من طنجيس، وتتجه إلى زيليس عبر أدمير كوري ثم تتجه نحو طابيرني وليكسوس. وعند الخروج من ليكسوس تبتعد الطريق عن الساحل وتمر بفريجيدي ثم تتجه إلى بناسا على الضفة اليسرى لنهر سبو، ثم تسير محاذية لنهر سبو إلى تموسيدا. وما بين تموسيدا وسلا تمر الطريق بغابة المعمورة مع تفادي المستنقعات الموجودة على ضفاف نهر سبو، ومن سلا إلى أدمير كورسيوس (خريطة رقم 1).

ب - الطريق الداخلية : طولها 148 ميلا تنفصل عن الطريق الساحلية بعد 18 ميلا جنوب طنجيس عند محطة أدمير كوري التي لا تزال آثارها ظاهرة للعيان. ومنه إلى وادي لكوس عند أوبيدم نوفوم عبر أدنوفاص. ثم تستمر الطريق في اتجاهها نحو الجنوب إلى تريمولي ثم فوسبيتشيانس، ومن هذا إلى جليدا، ثم العين الكبريتية، أكودا كيكاي. ثم تتجه إلى وليلي التي تعتبر أهم قاعدة للاحتلال الروماني في الداخل، ومنها إلى المحطة النهائية في هذه الطريق وهي طوكولوسيدا. كما كان هناك اتصال بري بين وليلي وسلا عبر طوكولوسيدا، وبين طوكولوسيدا وتموسيدا عبر ألبيوم (الخريطة رقم 2). وبالإضافة إلى هذين الطريقين الرئيسيين كانت هناك بعض الطرق الفرعية. وهذه الطرق، أو على الأصح محطاتها، ذكرت من طرف عدد من المهتمين، وخاصة عند مسالك أنطونين، منها بابا، وتمودا. فهل كانت هناك طريق تربط هذين الموقعين، أم أن الاتصال بهذين الموقعين كان يتم بواسطة طرق فرعية تنطلق من الطرق السابقة ؟ بالنسبة لتمودا مثلا من المعروف عنها أنها كانت ترتبط بطنجيس عبر البنيان، وأما بالنسبة لبابا فليس من المستبعد أن تكون هناك طريق تربطها بأوبيدوم نوفوم من جهة، وبتريمولي من جهة ثانية، وربما بفوسبتيشيانيس (الخريطة رقم 1).

ولكن ألا يمكن الحديث عن طريق آخر يمر بوادي ورغة ويوصل بالبحر الأبيض المتوسط ؟ هذا الطريق الذي كان مع ذلك معروفا بغناه كما يذكر البكري. ويتم الوصول إلى البحر بعبور جبال الريف عن طريق روافد ورغة والاتصال بنهر غيس. وليس من المستبعد أيضا أن يكون هناك طريق آخر يمر بوادي اللبان شمال إيناون، يمكن من الوصول إلى مليلية بعد عبور وادي مسون. ولم يعر أحد أي اهتمام لهذه الطرق نظرا لاستحواذ ممر تازة على كل الاهتمام واستعمال إيناون من طرف طرق المواصلات العصرية، بالإضافة إلى اكتشاف آثار رومانية في بوحلو. وهذا الموقع الذي يوجد بعيدا في اتجاه الشرق ويبعد عن وليلي بحوالي 130 ميلا، كيف كان الاتصال بينه وبين وليلي ؟ هل كان هناك طريق يجمع بينهما ثم يمتد عبر ممر تازة إلى موريطانيا القيصرية أم أن الاتصال بينهما كان يتم بواسطة قوافل عسكرية فقط ؟ على كل، هذا تساؤل يصعب الإجابة عليه الآن مادام مشكل الاتصال بين الموريطانيتين الطنجية والقيصرية مطروحا للمناقشة، مع العلم أن هناك من الباحثين من يشكك في أن بوحلو كان تابعا للنفوذ الروماني.

والجدير بالذكر أن صاحب مسالك أنطونين يذكر أن شبكة طرق موريطانيا الطنجية مستقلة تمام الاستقلال عن موريطانيا القيصرية، وأن الاتصال بين طنجة في الطنجية وبورتوس ديفان (وهران) في القيصرية يتم بواسطة البحر. كما أن لوحة بوتينگر قد ضاع جزؤها الغربي وتتوقف في اسبانيا عند الشاطئ المتوسطي وعلى شط الحضنة بالجزائر.

أما الأماكن التي ذكرها الجغرافي رافين فيصعب تحديدها بالترتيب. هذا بالإضافة إلى أن علامات الأميال تتوقف عند طريق (Numerus - Syrorum - ad Fratres) للامغنية تمور بالقيصرية. وقد رفض الكاتب سلامة في عمله المتعلق بالطرق الرومانية في شمال إفريقيا الفرضيات العشوائية نظرا لغياب الوثائق.

ونفس الانطباع يتركه لدينا تفحص ما ذكره بطليموس الجغرافي عن المنطقة الفاصلة بين الموريطانيتين. فإذا أخذنا لائحة مراكز موريطانيا الطنجية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، ونقلناها على مربع تبعاً للأحداثيات، نجد أن عدداً

منها يقع في المغرب الشرقي وأنها تتبع ممرا بريا. وهذا ما اعترف به العالم موليير ناشر بطليموس، وما جعل شاتلان وكاركو بينو يدافعان عن فكرة وجود اتصال وممر دائم الاستعمال بين الموريطانيتين. والجدير بالذكر أن بطليموس حصل على معلوماته من المسافرين بين الطافا (بالقيصرية) وطوكولوسيدا (بالطنجية) وترجم أيام السفر إلى إحداثيات رياضية على الشكل التالي :

طوكولوسيدا 715 عرضا، 33,30 طولا

تريسيديس 9 عرضا، 33,10 طولا

مولوكاث 10,10 عرضا، 33,05 طولا

بينتا 9,30 عرضا، 32,50 طولا

كالافا 11 عرضا، 32,40 طولا

الطافا 12,30 عرضا، 31,10 طولا

فيلاكوفي 12,40 عرضا، 32 طولا

وتتمثل الصعوبة في نقل هذه المراكز على الطبيعة، إذ أنها أكبر من خريطة شمال إفريقيا التي وضعها بطليموس والتي تتضمن خطأين :

1 - إن الساحل المتوسطي من طنجة إلى رأس بون يتجه إلى الشرق والجنوب الشرقي بدلا من الشرق والشمال الشرقي كما وضعه بطليموس.

2 - أن الساحل الأطلسي يتجه إلى الجنوب - الجنوب الشرقي بدلا من الجنوب - الجنوب الغربي، كما ذكره بطليموس. ولذلك فقد عرف تخطيط الخريطة حركة مزدوجة في الأخطاء مما أدى إلى نقص في الفروق بين خطوط العرض. وعليه فإن المراكز الساحلية فقط هي التي أمكن تحديدها بدون خطإ مع شيء من الحظ. أما بالنسبة للداخل فيجب ترجمة معطيات بطليموس وتصحيحها انطلاقا من تصحيح خطئه الأساسي. واعتماداً على كل ما سبق، فإن الاتصال البري بين الموريطانيتين لم يكن دائما مما دفع الرومان للاهتمام بالاتصال البحري. وعلى ذكر الاتصال البحري فالطرق البحرية في موريطانيا الطنجية كانت تربط بين طنجيس وسبتة من جهة وروسادير (مليلية) من جهة أخرى، ثم من روسادير عبر البحر إلى موريطانيا القيصرية. وليس من المستبعد أن يكون هناك اتصال بحري بين طنجيس وليكسوس، وسلا، وربما موگادور (الصويرة). نظرا لأهمية هذه المراكز، ولكونها مراكز تصدير الحبوب والأسماك المملحة إلى إيطاليا.

أما الطرق النهرية فالجدير بالذكر أن معظم الأنهار المغربية غير صالحة للملاحة بالإضافة إلى أن اتجاهها شرقي - غربي بينما اتجاه التدخل الروماني شمالي - جنوبي - ولذلك لم يستفد الرومان كثيرا من استعمالها.

مصطفى أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية بين المورو والرومان بين 144و285 ميلادية*. د.د.ع. الرباط، 1980 ؛ حدود *موريطانيا الطنجية في عهد الاحتلال الروماني*، مجلة *تاريخ المغرب*، عدد 3، 1983، ص. 69 - 80 ؛ *نهاية الوجود الروماني*، مجلة *أمل*، عدد 24، سنة 2001، ص. 115 - 140 ؛ عبد الله العروي، *تاريخ المغرب*، ترجمة الدكتور ذوقان قرقوط، بيروت، 1978.

Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, v. 14-15 ; M. Euzennat, *Les voies romaines dans l'initinéraire d'Antonin*, *Hommages à A. Grenier*, Bruxelles, 1962 ; ID, *L'archéologie marocaine de 1955 à 1957*, *B.A.M.*, tome 2, 1957, pp. 222-229 ; R. Mareshal, *Le limes de Tingitane au sud de Sala colonial*, *CRAI*, 1924 ; J. Baradez, *Deux missions de recherches sur les limes Tingitanes*, *CRAI*, 1955, pp. 228-288 ; *Fossatum Africae, Recherches aériennes sur l'organisation des confins sahariens à l'époque romaine*, Alger, 1951 ; L. Chatelain, *Inscriptions latines du Maroc*, Paris, 1942 ; R. Cagnat, *L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les Empereurs*, Paris, 1893 ; M. Rachet, *Rome et les berbères*, Bruxelles, 1970 ; R. Thouvenot, *Une colonie de Mauritanie tingitane, Valentia Banasa*, Paris, 1941 ; *Le géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Maurétanies*, *R.E.L.*, LXIV, n° 1-2, 1962 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1943 ; R. Roget, *Le Maroc chez les autres anciens*, Paris, 1924 ; L. Chatelain, *Sala romaine*, Rabat, 1931 ; ID, *Le Maroc des romains*, Paris, 1961 ; R. Rebuffat et Pallu, *Thamusida*, I, Paris, 1971 ; La Chapelle, *L'expédition de Suetonius Paulinus dans le Sud-Est du Maroc*, *Hespéris* 1934, t. XIX, pp. 107-127 ; M. Ouachi, *Situation de la Maurétanie Tingitane*, in Mémorial du Maroc, vol. I, Nord Organisation, 1983, p. 215-232 ; ID, *Les rapports militaires*, in *Mémorial du Maroc*, vol. I, 1983, p. 233-246 ; *Les rapports politiques*, in *Mémorial du Maroc*, vol. I, 1983, p. 247-256.

مصطفى أعشي

**الطرق والمسالك.** الطرق تاريخيا ليست هي الطرق اليوم من الناحية الهندسية والتقنية فهي حسب ما جاء في المصادر :

1 - مسالك ويقصد بها الطرق الكبرى العابرة للأقطار والرابطة ما بين البلدان.

2 - سبل وهي الطرق الثانوية الرابطة ما بين المدن والجهات في البلد الواحد.

3 - ممرات وهي الطرق الثلاثية أو الرابطة ما بين مختلف أجزاء الجهة الواحدة.

1 - يمكن تحديد المسالك التي كانت تخترق المغرب وتربطه بباقي الأقطار والمناطق في ست طرق كبرى :

أ - أول هذه المحاور ربط ما بين المدن البربرية في جبال درن والسودان خاصة نفيس وأغمات، وهذه المحاور ليست في الحقيقة إلا جزءا من محاور أكبر كانت تخترق الصحراء الكبرى منذ القدم ثم أعيد تنشيطها ابتداء من منتصف ق 1 هـ / 7 م، وزودت بالآبار وعبدت بعض أجزائها الصعبة، وكانت الأهداف من هذه العملية الرسمية تجارية بالدرجة الأولى وتتمثل في التوغل في بلاد السودان لجلب الذهب ؛ وكانت هذه المحاور تنطلق من مدينة أغمات لتلتقي عند مدينة نول مكونة مسلكا واحدا يخترق الصحراء الكبرى في جزئها الغربي، وقد عرف هذا المسلك في المصادر بأسماء مختلفة : المحور الصحراوي الغربي وطريق الذهب وطريق العبيد.

ب - المسلك الثاني : فاس - تامدولت - السودان : كانت مضايقة القبائل الصحراوية والسوسية للأدارسة ومراقبتها للطرق العابرة للصحراء واحتكارها لحق المرور والخفارة، وكذا فشل الأدارسة في بسط سلطتهم على تلك القبائل، وبعد العاصمة فاس عن الجنوب ؛ كان ذلك دافعا قويا للأدارسة

لبناء مدينة تامدولت التي استقطبت بسرعة نشاط القوافل الصحراوية ذهابا وإيابا وقد اختير لبنائها موقعا ممتازا كان السبب الرئيسي في نجاح المشروع كوفرة الماء والفلاحة والغابة ووجود معدن فضة إضافة إلى المكانة الاستراتيجية التي احتلتها المدينة بتحكمها في الممرات والخوانق المخترقة لجبل باني.

ج ـ المسلك الثالث : فاس ـ أغمات ـ سجلماسة ـ السودان : يعتبر أهم مسلك في شمال إفريقيا وأكثرها رواجا ونشاطا في العصر الوسيط ومابعده، وقد عرف في المصادر العربية التاريخية والجغرافية بأسماء مختلفة مثل طريق التمر وطريق الملح وطريق التبر وقد ارتبط نشاطه ببناء مدينة سجلماسة في بداية القرن الثالث (9 م) حتى إنه استقطب معظم الحركة التجارية مع السودان وأصبح المحور الأكثر نشاطا رغم صعوبة اختراقه لجبل درن في فصل الشتاء وتحكم عدد من الممرات والخوانق (تيزي) في حركته، ورغم طوله الذي يصل إلى ثلاثة أضعاف المحور المباشر فاس ـ سجلماسة فإنه ظل المحور الأكبر استعمالا من قبل المسافرين والقوافل التجارية طيلة العصر الوسيط وما بعده إلى مطلع القرن العشرين وذلك بسبب الظروف الطبيعية التي كانت ملائمة في فصل الشتاء وتوفر الأمن، والتقائه قبل اختراق جبل درن بالمحور الثاني (أغمات ـ تامدولت ـ السودان) فهو يستفيد من الدير الجنوبي لجبل درن خاصة في فصل الشتاء حيث الدفء وقلة العواصف الثلجية وفي الصيف حيث وفرة المياه الباردة والمراعي والثمار، ويسير بمحاذاة الدير الجنوبي حتى وادي ورزازات ومن ثمة يخترق جبل درن ويسير في اتجاهين نحو مدينة فاس (طريق الدير أو الطريق الساحلي) وأحيانا والظروف الأمنية والطبيعية ملائمة يتم اختصار الطريق إلى النصف تقريبا فلا يصل المحور إلى ورزازات بل يخترق جبل مكون في اتجاه أغمات ثم مراكش وأحيانا يتخذ اتجاها أقرب باختراقه جبال فازاز عند مر زاد.

د ـ المسلك الرابع : فاس بسجلماسة : أقرب المسالك الرابطة ما بين فاس وسجلماسة يخترق جبال فازاز ودرن الشرقي عبر ممرات وخوانق طبيعية، إلا أن قساوة الظروف الطبيعية في فصل الشتاء كانت تعيق استعماله فيضطر المسافرون والقوافل إلى اتباع المسلك الثالث عبر أغمات ؛ ومن نهاية الدولة الموحدية وطيلة العصر الحديث أصبح المسلك محفوفا بمخاطر قطاع الطرق وابتزاز القبائل للمارين.

هـ ـ المسلك الخامس : سجلماسة ـ تلمسان ـ المراسي المتوسطية : كان من أكثر المسالك نشاطا ورواجا تجاريا في فترات متقطعة من التاريخ الوسيط والحديث وإلى مطلع القرن العشرين، وقد ارتبط نشاطه أكثر بالظروف السياسية وبتوفير الأمن، فالمسلك يخترف من بدايته إلى ضواحي تلمسان مناطق صحراوية مقفرة ومفازات تكون في حالة ضعف الدول أو الحكام المحليين مصيدة للقوافل والمسافرين، فيضطر هؤلاء في حالة انعدام الأمن إلى سلوك الطريق الطويل (حوالي خمسة أضعاف طريق فاس ـ سجلماسة) إما فاس سجلماسة عبر أغمات أو سجلماسة عبر وجدة وفجيج.

و ـ المسلك السادس : طنجة ـ سبتة ـ تلمسان ـ القيروان عبر مر تازة : هو أقدم المسالك الرابطة بين المغرب والمشرق والأكثر نشاطا عبر التاريخ وقد سلكته مختلف الشعوب والهجرات إلى المغرب والأندلس وسلكه الغزاة والتجار والحجاج وفيه تصب الكثير من المحاور والسبل.

2 ـ السبل أو الطرق الثانوية : اهتمت المصادر التاريخية والجغرافية بالطرق الكبرى (المسالك) التي ارتبطت بالتجارة الصحراوية ولم تهتم بالطرق الثانوية والثلاثية إلا نادرا ؛ فالسبل تربط في الغالب ما بين الحواضر والتجمعات السكنية المحيطة بها، والتي تتحول في بعض الفترات من السنة أو بحسب الظروف الأمنية إلى قطع من المسالك ؛ وتتجمع السبل في الغالب عند نقط معينة مثل المدن الكبرى وملتقيات المسالك والحصون والمداشر والرباطات، وإذا تتبعنا شبكة السبل التي اعتمدنا في رسمها على الإشارات الواردة في المصادر التاريخية وأوصاف الرحالة وكتب الحوليات والتراجم وغيرها فإننا نجد أن هذه الشبكة تكاد تغطي كل التراب المغربي مع تفاوت في الكثافة والنشاط التي اختلفت حسب الزمان والمكان.

3 ـ الممرات أو الطرق الثلاثية :

تشكل شبكة أوسع من الأصناف الأخرى للطرق وتنتهي إلى السبل والمسالك ولكن ذلك لا يعني أن هذه الممرات كانت خاضعة لهندسة أو أعراف معينة تنتهي بها حتما إلى السبل بل وجد من الممرات ما ينتهي مباشرة إلى المسالك ؛ والممرات تخضع أكثر من غيرها من أنواع الطرق إلى مشيئة القبائل والبطون وأحيانا إلى العشائر والدواوير التي تمر بها ويخضع استعمالها لإذن مسبق. ولا يتدخل المخزن في ذلك إلا في حالة نزاع واصطدام بين القبائل لذلك حرصت هذه الجماعات السلالية على الحفاظ على استقلالها وحرية تنقلها باتخاذ ممرات تفضي بها إلى السبل والمسالك مباشرة.

وتنتهي شبكة الممرات في الغالب إلى المدن والقرى والمداشر والدواوير الواقعة على السبل المؤدية إلى ملتقيات المسالك، فقرية مكول وادندون ـ في المثال الذي أوردناه ـ تنتهي إليها ممرات الجهات الواقعة فيها وتعتبر هذه القرى محطات هامة على السبل المؤدية إلى المحاور الكبرى.

وخلاصة القول :

1 ـ قد تطابق أنواع الطرق التي عرضنا لها تصنيف الطرق المعمول به حاليا في بلادنا (طرق رئيسية وطرق ثانوية وطرق ثلاثية) إلا أن التطابق لا يعني التجهيزات والتقنيات أو الاتساع والتعبيد وما إلى ذلك، بل يعني فقط كثافة المرور وكثرة الاستعمال، وعند إمعان النظر في المصطلحات والكلمات الدالة على الطريق في اللغة العربية نجدها متداخلة ومتشابهة وتوظف في الغالب كمرادفات ولا نكاد

نجد الفرق الدقيق بينها مثل ما نجده في لغات أخرى كالفرنسية مثلا، فكل كلمة أو مصطلح له معنى ودلالة محددة تتطابق والواقع على الأرض في البادية Route, Chemin, Voie, Piste, Sentier...) وفي المدينة (Rue, Boulevard, Avenue, Passage, Passerelle...) أما في العربية فالتداخل كبير ما بين الطريق والمسالك والممر والسبيل والجادة والمحجة وأمهات الطرق...

2 ـ إن المسالك والطرق رغم خلوها من أية هندسة أو علامات التحديد فإنها ليست مطموسة أو متنقلة كما ادعى بعض الدارسين الأجانب ؛ فالمسالك قارة ومعروفة ومميزة عن غيرها من الأراضي والتنقل عبرها لم ينقطع إلا في الفترات الصعبة مثل فترات الحروب والكوارث الطبيعية.

3 ـ المسالك وغيرها من أصناف الطرق خاضعة لأعراف وقوانين شرعية ووضعية ولم يكن ثمة تسيب أو صدفة.

4 ـ دراسة شبكة الطرق التاريخية ومقارنتها بالشبكة العصرية الحالية تبين أن سلطات الحماية الفرنسية لما أقدمت على بناء شبكة الطرق الحديثة في المغرب لم تنطلق من فراغ، بل اعتمدت على الشبكة التاريخية ولم يتم التخلي عنها جزئيا أو الانحراف عنها إلا للضرورة التقنية والهندسية، فالمحاور الكبرى التي تربط شمال المغرب بجنوبه اقتفت آثار المسالك الكبرى ـ فاس ـ مراكش عبر دير الأطلس المتوسط أو عبر السهول والهضاب الأطلنتيكية.

5 ـ وبخصوص علامات الطريق من ألواح المسافات والاتجاه وغيرها. فملاحظة الدارسين الأجانب في محلها أي أن المسالك في المغرب خلت منها لكن مؤسسة "الرتب" "والنزالة" والدليل كانت كافية لتذليل الصعاب وحل المشكل. أما بخصوص المسافات فالمقاييس المتبعة كان معمولا بها : مثل الميل والفرسخ والمرحلة واليوم وغيرها.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت 1948، تطوان، 1960، الدار البيضاء، 1985 ؛ أبو عبيد البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر 1911 وباريز 1965 ؛ مجهول، *الاستبصار*...، الاسكندرية، 1958 ؛ الحميري، *الروض العطار*...، بيروت، 1957 ؛ البيدق، *أخبار المهدي*...، الرباط، 1971 ؛ ابن خلدون، *العبر*، دار البيان، بيروت بدون تاريخ ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، جزءان، الرباط، 1980 ؛ أبو سالم العياشي، *الرحلة الصغرى*، م خ. ع. بالرباط (والمطبوع) ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ الونشريسي، *المعيار*، نشر وزارة الأوقاف، بيروت، 1981 ؛ ابن رشد، *فتاوى ابن رشد* ؛ أبو الفداء، *تقويم البلدان*، باريس، 1860 ؛ ابن بطوطة، *الرحلة*، بيروت، بدون تاريخ ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، المحمدية، 1976 ؛ *نفاضة الجراب*، القاهرة بدون تاريخ والبيضاء 1989 ؛ العبدري، *الرحلة*، الرباط، 1968 ؛ ابن الحاج، *فيض العباب*، الرباط، بدون تاريخ ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981 ؛ ابن حمادوس، *لسان المقال*، م. خ. ع. بالرباط ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، بيروت، 1964 ؛ الناصري السلاوي، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ـ 1955.

B. Roseberger, *Tamdult, H.-T.*, t. XI, fasc. unique, 1970, p. 103-140 ; J. Meunié, *Le Maroc saharien*, Paris, 1982 ; R. Mauny, *Tableau géographique*, Dakar, 1961 ; Vanaker, *Géographie économique...*, *AES* Mai-JUin, 1973; J. Celerier, *L'Atlas et la circulation...*, *Hesp.*, 1927, t. 7, p. 447-497 ; J. Martin [et al.], *Géographie du Maroc*, Paris, Casablanca, 1967.

محمد حجاج الطويل

**الطُّرْمُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Turmo ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1155 (1742).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 814.

محمد ابن عزوز حكيم

**الطرنباطي، أحمد** مرابط وولي صالح، عاش في العصر العلوي الأول، تربى على يد الولي الصالح سيدي قاسم بن رحمون، وكلاهما من أتباع القطب الكبير المولى الطيب صاحب وزان، فبه تمت تربيتهما الصوفية. كان أحمد الطرنباطي من الملازمين للأوراد والأحزاب وذكر الجلالة والاجتماع مع الإخوان. فاقتبس من شيخه الأنوار، وأشرقت عليه الأسرار، واعترته الأحوال، فصاح ونطق بالمغيبات والأخبار وبشر وأنذر وصدقه الله في كل مقال.

توفي في العقد الرابع من القرن الثاني عشر أو ثلاثينيات القرن الثامن عشر بفاس في بداية عهد المولى عبد الله بن إسماعيل، يوم صارت الظرفية السياسية تتأزم بشكل مطرد في المغرب عامة، وفي فاس على وجه الخصوص التي كان سكانها ناقمين على عاملهم أبي علي بن عبد الخالق الروسي. فلما تولّى هذا العامل الإشراف هو بنفسه على تجهيز الولي الراحل، وأقام له جنازة حضرها الخاص والعام، أصبح القبر منبوشا والجثة مجردة من كفنها، فأعيد الدفن بكفن جاء به شيخ الولي الفقيه سيدي قاسم بن رحمون فلم ينبش القبر أحد.

م. القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، مكتبة الطالب، 1407 /1986، 4 مجلدات، المجلد الرابع ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، فاس، الطبعة الحجرية، 3 مجلدات، المجلد الثاني ؛ محمد بن عبد الكريم الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات أهل فاس*، تح. علي بن المنتصر الكتاني، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، مجلدان، المجلد الأول.

**الطرنباطي، إدريس** هو الفقيه الحسيب الأريب، ولد الشيخ العالم القاضي محمد بن مسعود، كان إمام مسجد الأنوار بحومة سيدي العواد بفاس، توفي يوم خامس عشر رجب عام 1276. ودفن في جوار رمس أبيه، بأعلى مطرح الجلة بالقباب خارج باب فتوح بفاس. خلّف أربعة أولاد من أمّين مختلفتين. فمنهم من عقب ومنهم من لم يعقب فانقطع فرعه. وكان منهم رجال اعتكفوا على العلم والعبادة، وآخرون اشتغلوا بالحرف أو التجارة. وبقي بعض فروعهم بفاس،

وانتقل البعض الآخر إلى مراكش والصويرة وجهات أخرى من البلاد.

م. بن عبد الكبير الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات أهل فاس*، تح. علي بن المنتصر الكتاني، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1422 / 2002، مجلدان ؛ عبد السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع، ثم سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1996، 10 مجلدات.

**الطرنباطي، محمد** بن **مسعود** بن أحمد الأموي العثماني الأندلسي أصلا الفاسي منشأ ودارا، كان من كبار علماء عصر السلطان سيدي محمد بن عبد الله وولديه بعده المولى يزيد والمولى سليمان، قال عنه صاحب *سلوة الأنفاس* هو "الشيخ الفقيه الأديب اللغوي النحوي الأريب العالم العلامة المشارك المحقق الفهامة البركة النفاع الذي له في سماء المعالي علوّ وارتفاع". مهر في علم النحو، وكان له عناية خاصة بألفية ابن مالك، له تأليف في شرحها في مجلدين، يعتبر من أغرب الشروح، وأقبل عليه الطلبة فانتفعوا به. ومن تآليفه أيضا "بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام"، لعله اقتبسه من قانون أبي علي اليوسي. وله تقييد في نوني التوكيد، وآخر في البسملة، والحمدلة، وآخر في الخنثى المشكل، وشرح على توحيد رسالة ابن أبي زيد. تخرج على يد كبار علماء عصره، أمثال الشيخ محمد جسوس، أخذ عنه الحديث والتصوف، والشيخ محمد بن الحسن بناني محشي الزرقاني، أخذ عنه الفقه والحديث، والشيخ عبد الكريم اليازغي أخذ عنه الفقه وعلوما أخرى، والشيخ عبد الرحمان المنجرة أخذ عنه التفسير وصحيح البخاري، والشيخ عمر الفاسي أخذ عنه علوم النحو، والشيخ محمد ابن إبراهيم الدكالي، أخذ عنه الألفية والرسالة والحديث. وتخرج على يديه علماء جلة وشخصيات فذة، مثل الفقيه العالم الشيخ عبد القادر الكوهن والعالم المشارك العربي بن محمد الدمناتي، ومثل السلطان العالم المولى سليمان بن محمد الذي أخذ عنه العربية والأدب والفقه لما كان الشيخ قاضيا بسجلماسة. وقد قام بأعباء القضاء هنالك وأيضا بثغر السويرة. وحج سنة 1193 م واجتمع ببعض علماء المشرق، منهم الشيخ مرتضى الحسيني الذي كتب له على شرحه على الألفية. ومن لطيف نظمه هذه الحكمة في بيتين :

اعتقد فيّ جميلا　　فاعتقاد السوء ظلم

جاء في القرآن يتلى　　إن بعض الظن إثم

توفي شهيدا بالطاعون يوم الاثنين 6 محرم عام 1214، ودفن بأعلى مطرح الجلة في القباب خارج باب فتوح بفاس.

م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس...*، فاس، الطبعة الحجرية، 3 مجلدات، المجلد الثاني ؛ م. بن عبد الكريم الكتاني، *زهرة الآس...*، تح. علي بن المنتصر الكتاني، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، مجلدان، 1422 / 2002 ؛ عبد السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع، ثم سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تح. م. حجي، بيروت، دار المغرب الإسلامي، 1996، 10 مجلدات.

إبراهيم بوطالب

**طرُوخيـيُّو مـاشاكـون، فـرانشـيسكـو** Trujillo Machacon, Francisco من كبار موظفي إدارة الحماية الإسبانية بشمال المغرب. حل بتطوان برتبة قبطان بالجيش الإسباني وعين مراقباً بقبيلة بني عروس في شهر أكتوبر 1932 وذلك إلى غاية شهر مارس 1935 حيث نقل إلى نيابة الأمور الوطنية بصفته خليفة مكلفا بمراقبة البلديات والجماعات المحلية.

وفي شهر فبراير 1937 ورتبته آنذاك كولونيل أسند إليه المقيم العام الكولونيل بيگبيدير Beigbeder مهمة العلاقات مع الحركة الوطنية.

وقد ظل في منصبه إلى أن استقل المغرب في شهر أبريل 1956 ؛ وتشهد الوثائق الوطنية بأنه كان مستقيما ومعتدلاً حيث كان يعمل على إيجاد الحل المناسب للمشاكل القائمة بين رجال الحركة وإدارة الحماية على جميع المستويات، الأمر الذي جعله المسؤول الإسباني الوحيد الذي نظمت له حفلة وداع من المغاربة.

*أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان ؛ أرشيف مؤسسة عبد الخالق الطريس بتطوان.*

**الطّرياني**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث لازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Triana وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 815.

محمد ابن عزوز حكيم

**الطرياني، موسى** بن **علي**، من أهل قصر عبد الكريم، وينسب إلى طريانة Triana، وهي المنارة التي أمام إشبيلية. كان شيخا نحويا أديبا شاعرا، ظريفا خفيف الروح. زاره الأديب ابن سعيد المغربي بقصر عبد الكريم وأخذ عنه وأورد في كتبه مقطوعات من شعره. وكان أبو عمران الطرياني يتردد على مراكش لخدمة بعض أرباب الدولة الموحدية، خاصة أحمد بن جرج الذهبي شيخ طلبة الحضر الذي كان يكرمه ويحسن إليه.

توفي سنة 639 / 1241.

ابن سعيد المغربي، *اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى*، تح. إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، ط. 2، 1980، ص. 202 ؛ *المغرب في حلى المغرب*، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997، ج. 1، ص. 214 ؛ *الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة*، تح. إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار المعارف، ط. 3، 1977، ص. 38 ؛ المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968، ج. 5، ص. 210.

محمد المغراوي

**الطريحة**، من طرح الشيء ألقاه. ومن مشتقاتها مختلفة الدلالة نجد مثلاً "الطّرْح" ومعناه عند الفلاحين في البوادي المغربية أن "تسقط البقرة حملها ميتا". و"الطّرح" عند رواد المقاهي الشعبية، جولة من اللعب بالأوراق "الكارطا" و"الطّرْحة" عند أصحاب المخابز "الوصلات" التي تأتي من الدور، وعليها عجين الخبز، لطهيه في بيت النار.

و"الطّرْحة" طيلسان ؛ وهو لباس يلقى على الكتف، ويلبس مع العصامة (*الصبح*، 4 : 42) وقد لبسها الخليفة العباسي المقتدر، عندما بويع بالخلافة سنة (467 /1074 - 1075) (العبيدي، *الملابس*، 105)، أما الطريحة في اللسان المغربي الدارج فتعني الإلقاء بالشخص وطرحه أرضا، والانهلال عليه بالضرب، بواسطة عصا أو سوط. ثم انتقل معنى الطريحة، للدلالة على حصد الهزيمة النكراء. فيقال "أعطى فريق لفريق أو شخص آخر طريحة" إذا هزمه شر هزيمة.

أما عند الحرفيين التقليديين، فإن مفهوم الطريحة، له معنى آخر. فالمقصود بها، عند اللّبّاطين والدّبّاغين، والمشتغلين بالصناعة الجلدية، وحدة حسابية، تضم ست جلدات، خاصة من جلود الأغنام والماعز. (*معلمة المغرب*، 12 : 3918)، وتجمع عندهم على "طريحات". ويقومون باقتنائها من أسواق، مخصصة بكل نوع من الجلود، بكبريات المدن، كما هو الشأن في مراكش مثلا. ويعمل الدباغون، على جمع الطريحات من الجلود، على شكل دفعات، إلى أن يتم العدد المطلوب تصنيعه منها. وهو في الغالب، ما بين عشر وعشرين طريحة. وقد يزيد عدد الطريحات، خاصة إذا تعلق الأمر، بدباغة جلود الأغنام، لأن دباغتها أسهل بكثير، من دباغة جلود الماعز. ومجموع الطريحات التي تشكل الدفعة المراد تضيعها، يسمونها "القصرية". وأما جلود "قصرية" البقر والجمال، فلا يتم اقتناؤها بالطريحات، وإنما بالتقسيط.

والملاحظ أن عدد "القصاري، ج. القصرية" يختلف حسب قوة رأس مال المعلم الدباغ. فإذا كانت له قوة مالية كبيرة فإن العدد يصل إلى خمس أو ست"قصرية" كل واحدة تضم ما بين عشر إلى عشرين طريحة.

وقد جرت العادة، أن كل "قصرية" من الجلود يدفع بها للدباغة تضم طريحتين يخصص ربحهما للصانع، لتحفيزه على إتقان العمل. وعندما تدبغ جلود الماعز تسمى "الزواني،" ويتم بيعها بالتقسيط في سوق خاص بها، في حين أن جلود الأغنام المدبوغة تباع في سوق "لبطانة" إما بالتقسيط أو بالجملة وعلى شكل طريحات.

أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة ؛ محمد قنديل، *التعريف بمصطلحات صبح الأعشى*، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984 ؛ صلاح حسين العبيدي، *الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي*، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1980 ؛ عبد السلام السعيدي، دار الدبغ، *معلمة المغرب*، ج. 12، نشر مطابع سلا، 1421 - 2000 ؛ البحث الميداني.

عبد السلام السعيدي

**طريدانو**، أسرة أندلسية واسمها الحقيقي طوليدانو نسبة إلى مدينة طليطلة (طوليدو أو طوليد) ومازالت أسر في إسبانيا وغيرها تحمل هذا الاسم. ولا يعرف ما إذا كانت أسرة طريدانو من ضمن الأسر التي هاجرت من الأندلس إلى الرباط في بداية القرن السابع عشر أم أنها أتت قبل ذلك إلى المغرب بعد سقوط غرناطة ضمن من هاجر من المسلمين واليهود في العهد الوطاسي وفي العهد السعدي الأول وتوافدوا على بعض المدن المغربية. وهي من أسر الإسلاميين الذين حسن إسلامهم. وربما كانت طريدانو من الأسر التي قطنت البحيرة بالرباط قبل أن يختط السلطان مولاي سليمان ملاحه. واسم طريدانو مرتبط بلقب بن مسعود. ومن أقدم من عرف منها بنعيسى بنمسعود طريدانو الذي كان ناظر أحباس الرباط وتوفي سنة 1335 /1917.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 278.

**طريدانو، بنعيسى**، فقيه ناسك عاش خلال القرن التاسع عشر، لازم الشيخ إبراهيم التادلي فأخذ عنه كل العلوم المتداولة وكان الشيخ يقدره ويحبه، ولذلك اختاره وصيا على أولاده، شيوخ القاضي محمد بن إبراهيم والفقيه الصوفي عمر عاشور وغيرهم، اشتغل بالتدريس فدرس بالزاوية القاسمية *المرشد المعين* وهمزية *البوصيري* وكان يسرد *الشفاء*. تعاطى للشهادة، وكانت له عناية كبيرة بمطالعة كتب التصوف ومع ذلك كان يتطارح على أعتاب الملوك، وتعاطى للتجارة ورشح عدلا بمنجرة الأحباس الكبرى واستخدم عدلا بمرسى الجديدة وغيرها في عهد كل من السلطان مولاي الحسن ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ وحج واعتمر. وفي عهد الحماية ولي نظارة الأحباس الكبرى إلى أن توفي في 8 رمضان 1335 /1917 ودفن بالزاوية الرحمانية.

م. بوجندار، *الاغتباط*...، ص. 278 ؛ دينية، *مجالس*...، ص. 317.

**طريدانو، المكي** بن **عبد الحميد** الرباطي، كان يدعى أيضاً ابن مسعود. من علماء الشباب بالرباط درس بمسقط رأسه على كثير من شيوخ عصره ذكرهم مؤلف كتاب *من أعلام الفكر المعاصر* وأشهرهم الشيخ محمد المدني ابن الحسني. كما درس بسلا على الشيخ زين العابدين ابن عبود.

كنت أتصل به أيام الطلب في مجالس الشيخ ابن الحسني بالجامع الكبير بالرباط حيث ختمنا عليه في نحو

عامين كتاب جمع *الجوامع* من الأصول لابن السبكي بشرح المحلي وجل حواشيه المطبوعة والمخطوطة، فكان المترجم آية من آيات الله في جودة الفهم وسرعة البديهة والجرأة في إبداء الملاحظات بين يدي الشيخ الوقور الذي لم يكن أحد من الطلبة غيره يجرؤ على مقاطعته أثناء التقرير المحكم. ولم يكن طريدانو السارد بين يديه مع أنه أحق بذلك، فكان السارد الرسمي يتضايق من تدخله لكن سائر الطلبة يستحسنون ذلك مع لثغة خفيفة حلوة في لسانه. وأتصلُ به كذلك في مجالس الشيخ ابن عبود بمدرسته بحي بارمادة بسلا نهاراً في دروس متنوعة وبالمسجد الأعظم ليلاً في مجالس التفسير.

يُذكر للمترجَم *تقييد على نظم ورقات* إمام الحرمين للشيخ المدني ابن الحسني، ومحاورات مع شخصيات علمية ووطنية كانت تزور الرباط فيحرص على الاتصال بها :

"وكان من النشيطين في الحركة القومية يبذل مجهودات جباره في ذلك وقد فتح منزله سنة 1944 لوفود الحركة قصد التوقيع على عريضة المطالبة بالاستقلال" الاشارة إلى عريضة 13 نونبر 1944 التي أكد بها القوميون عريضة 11 نونبر 1944 وأيدوها بإيعاز من محمد الخامس.

تقلب المترجم في منصب إدارية وقضائية سامية، وعزل أيام الازمة المغربية لنشاطه الوطني ثم بعد الاستقلال أعيد إلى منصبه بالمحكمة العليا للجنايات بالقصر الملكي إلى أن وافاه الأجل يوم السبت تاسع صفر عام 1384 .

إثر عملية جراحية أجريت له بالدار البيضاء ودفن بزاوية الشيخ جوار الزاوية الحمدوشية بالرباط.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، د. ت. ج 2 : 396 ـ 398 ؛ معرفة شخصية ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، 1991، ج. 9.

محمد حجي

**الـطريدة** (Tartane)، الطراد والترتانة، من المراكب الدائرية المستعملة في الملاحة المحيطية. وقد تميزت أصلا بشكلها المستطيل وغاطسها المسطح وحمولتها الخفيفة.

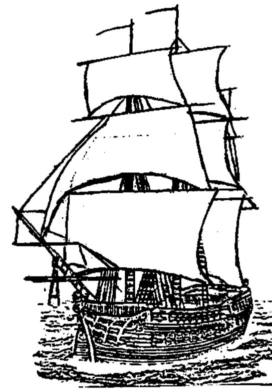

وكانت مؤهلة في البحر الأبيض المتوسط لأشغال الصيد والملاحة الساحلية، وللعمل في المراسي غير العميقة.

لكنها عرفت ابتداء من القرن الحادي عشر (17 م) تعديلات هامة مكنتها من الاستعمال في الملاحة الجهادية الشبجية بفعل تجسير سطحها وتعزيز تصريتها من صار إلى صاريين أو ثلاثة، مع تضاؤل أعداد مجاذيفها، وهذا ما جعلها من الأنواع المنتشرة خلال القرن المذكور. لكنه يبدو أنها قد فقدت أهميتها خلال القرن الموالي.

درويش النخيلي، *السفن الإسلامية على حروف المعجم*، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، 1974، ص. 89 ـ 92.

*S.I.H.M.* 1, série , *Pays-Bas*, T. V, intro., p. XIII ; *France*, T. III, p. 43 ; Brunot, p. 250 ; Coindreau, p. 99 et Corrales, *La flotte*, p. 79 - 80.

حسن أميلي

**طريف**، معركة تنسب إلى مدينة طريف المطلة على بحر الزقاق بأقصى الجنوب الغربي من الأندلس. تعرف عند المؤرخين المسلمين بوقعة طريف وعند المؤرخين المسيحيين بمعركة سالادو Batalla del Salado وذلك لوقوعها بمحاذاة نهر صغير يحمل نفس الاسم أي Rio de Salado الذي يصب في البحر المحيط شمالي مدينة طريف.

تشكلت الأطراف المشاركة في هذه المعركة من حلفين كبيرين، حلف المسلمين الذي يضم قوات من الأندلسيين والحفصيين ويتزعمه الجيش المريني بقيادة السلطان أبي الحسن وحلف المسيحيين الذي انخرطت فيه جيوش البرتغال وأراغون وجنوة ويتزعمه الجيش القشتالي بقيادة الملك ألفونسو الحادي عشر Alfonso XI المدعم بنفوذ وطموحات الكنيسة في شخص البابا بونوا الثاني عشر (1334 ـ 1342)، والجدول التالي يقدم صورة واضحة عن تفاصيل مكونات القوتين المتحاربتين كما وردت في المصادر الإسلامية والأوربية :

مكونات الجيوش المتحاربة في معركة طريف

| جيش المسلمين بقيادة أبي الحسن | | |
|---|---|---|
| بنو مرين | بنو الأحمر | الحفصيون |
| ـ بنو مرين<br>مغراوة<br>ـ المرتزقة<br>ـ المتطوعة<br>ـ كافة أهل المغرب<br>ـ أسطول من حوالي 100 قطعة بقيادة محمد بن علي العزفي | ـ غزاة زناتة<br>ـ الفرسان<br>ـ حامية الثغور<br>ـ رجل البدو | ـ أسطول من 16 قطعة بقيادة زيد بن فرحون |

| جيش النصارى بقيادة ألفونسو 11 | | | |
|---|---|---|---|
| قشتالة | البرتغال | أراغون | من جهات أخرى |
| ـ فرسان<br>ـ نبلاء<br>قساوسة<br>ـ بعض غزاة الأندلس بزعامة سليمان بن عثمان بن أبي العلاء | ـ أمراء<br>ـ فرسان<br>ـ نبلاء<br>ـ قساوسة | ـ أسطول | ـ متطوعة أوربيون<br>ـ فرسان من ليون ـ وغاليسيا وطليطلة<br>ـ قساوسة<br>ـ أسطول جنوي |

جاءت الاستعدادات المغربية والمسيحية لهذه المعركة في ظروف سياسية وعسكرية متباينة، فقد سبق للسلطان أبي الحسن أن قام بمحاولات عسكرية استهدفت استعادة النفوذ المغربي على الأندلس في وقت خفت فيه روح الجهاد وركدت ريحه عند ملوك بني مرين بعدما كان له بالأندلس من الذكر الجميل والفخر الجزيل أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق والجزء الأول من دولة خليفته يوسف، وذلك لانشغالهم بمشاكل المغرب الداخلية وبمناوشات بني عبد الواد ملوك تلمسان.

وقد حاول أبو الحسن التعبير عن هذه الرغبة في مرحلة أولى بسن سياسة التدخل من بعيد من خلال دعم ملوك غرناطة في مقاومة التحركات المسيحية وإمدادهم بالعون المادي والعسكري ثم تعزيز الحاميات المرينية في بعض الثغور الأندلسية. في مقابل ذلك استغل النصارى انشغال ملوك المغرب بمشاكلهم الداخلية وبحروبهم مع بني عبد الواد وتوقف جوازاتهم إلى الأندلس فترة طويلة فاسترجعوا قوتهم وكونوا حلفا بزعامة قشتالة ليدشنوا سلسلة هجومات عسكرية على العديد من المناطق الإسلامية الأندلسية التي تحيط بمملكة بني الأحمر بغرناطة، فأصبحت هذه الأخيرة بدورها مهددة بالخطر المسيحي الذي اقترب كذلك من الثغور المطلة على العدوة المغربية والخاضعة للنفوذ المريني خاصة جبل الفتح والجزيرة الخضراء وطريف.

كان لهذه التهديدات دور كبير في انتقال أبي الحسن إلى مرحلة ثانية من سياسته تجاه الأندلس وتتمثل في التدخل العسكري وإرسال جيوش مرينية بقيادات مغربية تمكنت سنة 733 / 1333 من استعادة جبل الفتح والجزيرة الخضراء، تلتها حملات أخرى هذه المرة بقيادة الأمير أبي مالك عبد الواحد ولي عهد السلطان الذي هزم الأسطول القشتالي في معركة بحرية سنة 740 / 1340 ثم قتل في نفس السنة وهو يحارب النصارى في عقر دارهم.

باستشهاد أبي مالك تنطلق المرحلة الثالثة من سياسة أبي الحسن الأندلسية ليتحول إلى مواجهة خطر النصارى بشكل مباشر حيث أشرف شخصيا على استعدادات المغرب العسكرية واستنفار الجيوش وتجهيز الأساطيل من مختلف المراسي المغربية بالإضافة إلى الأسطول الحفصي بقيادة زيد بن فرحون الذي انضم إلى الأسطول المريني مشكلا أسطولا ضخما تصل عدد قطعه إلى حوالي مائة أو مائة وأربعين تحت القيادة العامة لمحمد بن علي العزفي. ثم ارتحل أبو الحسن إلى سبتة لمعاينة عبور المجاهدين إلى الأندلس فوصلت الأخبار إلى صاحب قشتالة ألفونسو الحادي عشر (1312 ـ 1350) فأرسل أسطوله إلى بحر الزقاق لمنع الأسطول المغربي من العبور فالتحم الأسطولان في موقعة المَلَند الشهيرة يوم السبت 6 شوال سنة 740 / 15 أبريل 1340 لتنتهي بظهور المسلمين على النصارى. لقد دعم هذا النصر البحري مسير الجيوش المغربية نحو الأندلس ومكن السلطان من إجازة عساكره التي قدر عددها بحوالي 60.000 جندي، بعد ذلك أجاز السلطان في أسطوله مع خاصته وحشمه كعادته في حركاته العسكرية فنزل بطريف وشرع في الهجوم عليها يوم 3 محرم من سنة 740 بحضور أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن الاحمر (733 / 1333 ـ 755 / 1354) صاحب غرناطة على رأس جيش من الغزاة والفرسان، فنصبوا على طريف المنجنيق وأخذوا بمخنقها في هذه الأثناء لجأ ألفونسو إلى دعوة ملوك المسيحية لمساندته في حربه ضد أبي الحسن المريني، وتمكن بالفعل من استقطاب زعماء النصارى والحصول على دعم كل من ملك أراغون بيدرو الرابع (1336 ـ 1387) Pedro IV وملك البرتغال ألفونسو الرابع (1325 ـ 1357) Al Fonso IV وجنوة وتجنيد حوالي 13.000، حسب المصادر الأوربية، من فرسان ومتطوعة من مختلف أنحاء شبه الجزيرة الإيبيرية بالإضافة إلى حضور الكنيسة التي باركت هذا التحالف وأعطت للحملة صبغة حملة صليبية.

في الجانب الآخر استمر نزول المسلمين على طريف ستة أشهر متتالية فنيت خلالها أقواتهم ووهنت أجسامهم خاصة بعد أن أحكم الأسطول القشتالي قبضته على بحر الزقاق فقطع بذلك الإمدادات عن جيش المسلمين. ساهم هذا التكتيك الحربي بشكل كبير في تغيير مسار المواجهة على الأرض، وشجع النصارى على الاقتراب أكثر من طريف بل وتمكنوا من تسريب أفراد منهم إلى داخل المدينة ليلا في غفلة من العسس وتهاون منهم واختبأوا في بعض أماكنها ينتظرون الفرصة الملائمة. بعد ذلك زحف ألفونسو الحادي عشر إلى أبي الحسن ودخل الطرفان في مواجهة عنيفة ظهر على إثرها الأفراد المختبئون داخل المدينة فجأة وهاجموا المسلمين على حين غرة من الخلف فاضطرب فسطاط السلطان ودب الذعر بين أهله وانتهب كل ما فيه من متاع وغيره، ودافعت النساء عن أنفسهن فأدرك الجيش حينها أن الخطر

يهدده من الخلف وأنه وقع في الفخ فانكسر المسلمون بعد يوم واحد من المواجهة وحلت الهزيمة في ضحوة يوم الاثنين 7 جمادى الأولى من سنة 741 / 30 أكتوبر 1340 حسب أغلب المؤرخين وإن كان قلة منهم يذكرون تاريخا آخر هو 7 جمادى الثانية 741 / 28 نوفمبر 1340.

عندما تيقن أبو الحسن من حدوث الهزيمة تراجع للاحتماء ببقية الجند ونجا بأعجوبة من الأسر ولحق بالجزيرة الخضراء ثم منها إلى جبل طارق حيث ركب سفينة إلى سبتة، أما ابن الاحمر فقد خلص هو الآخر إلى بلده غرناطة يجر ذيول الهزيمة في حين غادر ألفونسو الحادي عشر أرض المعركة مزهوا بالنصر الذي حققه ومفتخرا بكونه صنع للمسيحية انتصارا كبيرا لم تشهد له مثيلا إلا في معركة العقاب سنة 609 / 1212 ضد الموحدين.

بحث المؤرخون، مغاربة وأندلسيون، في أسباب هذه الواقعة العظمى، فردوا ذلك إلى دور الجيش الكمين الذي زرعه النصارى داخل مدينة طريف والذي انقض على المسلمين من الخلف وقلب كفة الحرب لصالح المسيحيين، ولكن نفس المؤرخين ألمحوا إلى عنصر آخر مفاده أن أبا الحسن لم يحالفه الحظ في اختيار الوقت المناسب لمهاجمة النصارى بالنظر إلى سلسلة الانتكاسات والمحن التي تعرض لها هو نفسه قبيل معركة طريف، بدءا بحصاره الطويل لتلمسان واحتلاله لها سنة 737، ثم تمرد ولديه الأميرين أبي عبد الرحمن وأبي مالك عليه بعد مرضه الذي كاد أن يموت فيه وكذلك ثورة ابن هيدور، وانتهاء باستشهاد ولده أبي مالك بالأندلس والذي أثر كثيرا في نفسيته مما جعله يندفع إلى حرب طريف مكسور النفس وغير مهيئ لخلق شروط الانتصار.

أما المؤرخون الاسبان والبرتغال فقد أرجحوا انتصار التحالف المسيحي إلى أسباب كثيرة منها ما يرتبط بالمعجزات فزعموا أن بركات المسيح حلت عليهم يوم المعركة التي شاركهم فيها أيضا القديسون والقديسات. ومنها كذلك ما يعود إلى اتحاد النصارى وعزمهم على إنهاء خلافاتهم واستئصال المسلمين في إطار ما يسمونه بحروب الاسترداد Reconquista. أسفرت معركة طريف على مقتل وأسر أعداد كبيرة في صفوف المسلمين تقدرها المصادر البرتغالية برقم مبالغ هو 57.300. وكان من بين القتلى بعض حظايا السلطان والوزراء وثلة من قضاة وعلماء وفقهاء المغرب والأندلس، حمل أكثرهم إلى الجزيرة الخضراء ومنها نقلوا في السفن إلى حيث دفنوا بمقبرة بني مرين بشالة. ومن بين الذين أسروا ولد السلطان الأمير أبو عمر تاشفين الذي بقي معتقلا عند ملك قشتالة إلى حدود سنة 748 / 1347 وقد عانى من التعذيب والقسوة حتى قيل أنه أصيب من جراء ذلك بلوثة عقلية اشتهر على إثرها بلقب الموسوس. ونورد فيما يلي قائمة بأسماء بعض القتلى حسب ما جاء في المصادر :

قائمة بأسماء أشهر شهداء معركة طريف من المسلمين

| اسم الشهيد | مرتبته |
|---|---|
| ـ فاطمة بنت السلطان أبي يحيى الحفصي | زوجة السلطان أبي الحسن |
| ـ عائشة بنت أبي يحيى بن يعقوب المريني | ابنة عم السلطان |
| ـ أبو ثابت عامر بن فتح الله السدراتي | وزير أبي الحسن |
| ـ أبو مجاهد غازي بن الكأس | وزير أبي الحسن |
| ـ محمد بن يحيى بن بكر الاشعري المالقي | قاضي الجماعة بغرناطة |
| ـ محمد بن عبد الملك | قاضي |
| ـ ابن سلمون الكناني | عالم وفقيه |
| ـ أبو القاسم محمد بن أحمد الغساني | من أهل العلم بمالقة |
| ـ أبو القاسم محمد ابن جزي الكلبي | من علماء غرناطة |
| ـ أحمد بن حزب الله الخزرجي | فقيه وخطيب من أهل فاس |
| ـ أبو عبد الله محمد بن أبي زرع | من فقهاء فاس |
| ـ محمد بن محمد بن عبد الملك | فقيه |
| ـ محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي | فقيه |
| ـ أبو جعفر أحمد بن خال القتوري | خطيب |
| ـ عبد الله بن سعيد والد لسان الدين ابن الخطيب | فقيه |
| ـ الأخ الأكبر للسان الدين بن الخطيب | فقيه |

ومن بين الدخائر التي فقدت في هذه الواقعة وغنمها النصارى نذكر المصحف العثماني الذي كان أبو الحسن يحمله معه في حركاته للتبرك به. فظل يتابع أخباره ويبحث عن قراره إلى أن تمكن من استرجاعه من يد البرتغاليين بفدية ضخمة من الذهب وذلك سنة 745 / 1344. كما فقد السلطان علمان، الأول كان قد صنع له والثاني لوالده السلطان أبي سعيد، ولايزال العلمان يوجدان ضمن محتويات كاتدرائية طليطلة بإسبانيا، وهما الآن معلقان على جدران قاعة الثياب المقدسة. لكن من أبرز نتائج هذه المعركة أولا سقوط كثير من الثغور المرينية بالأندلس بعد عامين في يد القشتاليين كالقلعة Alcala la Real والجزيرة الخضراء وطريف ولم يعد تحت نفوذهم إلا بعض الحصون والحاميات والموانئ الصغيرة، وثانيا وهي النتيجة الأكثر دلالة، أن واقعة طريف شكلت بداية لمرحلة حاسمة بالنسبة للحضور المغربي بالأندلس والتي تميزت بانقطاع العبور المريني ثم المغربي إلى الأندلس نهائيا مع استثناء بعض المحاولات القليلة وغير المؤثرة سواء في أواخر عهد أبي الحسن أو في عهد خلفه أبي عنان وكأن لسان حال ابن الخطيب يقول بكل حسرة وتأثر في الإحاطة : "وبالجملة فهذه الواقعة من الدواهي المعضلة الداء والأرزاء، التي تضعضع لها ركن الدين بالمغرب وقرت بذلك عيون الأعداء". ولذلك ليس بغريب أن يعتبر الاسبان هذه الواقعة واحدة من أكبر حروبهم ضد المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية ويؤرخون بها لانتصاراتهم في حروب الاسترداد، بل أكثر من ذلك جعلوها حاسمة في تاريخ العالم كله.

ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، ج. 2، ص. 180 ؛ ج. 3، ص. 23، 65، 389، 391، 404 ؛ ج. 4 : 320، 321، 322، 331.

332، 442 ؛ *إعمال الأعلام*، تح. ليفي بروفنسال، 1956، القسم الثاني، ص. 305، 335، 337 ؛ *الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة*، طبعة بيروت، 1983، ص. 46 ـ 47، 51 ؛ *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، بيروت، ط. 2، 1978، ص. 102، 105 ـ 106، 108 ؛ النباهي، *المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا*، ط. بيروت، د. ت، ص. 146 ـ 147، 161 ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، تح. علي عبد الواحد وافي، ط. 3، القاهرة، ج. 3 : 1042 ؛ *العبر*، دار الفكر، بيروت، 1988، ج. 4 : 223 ؛ *العبر*، دار الكتاب اللبناني، 1968، ج. 6 : 732 ؛ *العبر*، دار الكتاب اللبناني، 1978، ج. 7 : 544 ـ 564، 776 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر، 1981، ص. 225، 307، 361، 362، 461 ؛ ابن الأحمر، *نثير الجمان*، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1976، ص. 166 ؛ ابن مريم، *البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان*، الجزائر، د. ت.، ص. 126، 184 ـ 190، 214 ـ 219 ؛ الزركشي، *تاريخ الدولتين*، تونس، 1966، ص. 76 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 119، 304، 434، 435 ؛ *درة الحجال في أسماء الرجال*، ط. القاهرة ـ تونس، 1970، ج. 2، ص. 118 ـ 121 ؛ محمد حجي (محقق)، *ألف سنة من الوفيات*، ص. 192 ـ 193 ؛ أحمد باب التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، بيروت، د. ت، ص. 68 ـ 69، 143، 167، 237 ـ 239، 245 ـ 248، 267 ـ 270 ؛ المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968، ج. 1، ص. 606 ؛ ج. 5، ص. 385 ـ 387؛ ابن العماد، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، بيروت، د. ت، ج. 6 : 127 ـ 129 ؛ الناصري، *الاستقصا*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج. 3 : 134 ـ 137 ؛ ج. 4، ص. 41 ؛ محمد المنوني، *ورقات*، الرباط، 1979، ص. 116 ـ 117 ؛ محمد كمال شبانة، *يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة*، القاهرة، 1969، ص. 116 ـ 120، 134 ـ 140 ؛ السياسة الخارجية لمملكة غرناطة في منتصف القرن 8 هـ / 14 م، مجلة البحث العلمي، العدد 14 ـ 15 (مزدوج)، 1969، ص. 183 ـ 186 ؛ محمد العروسي المطوي، *الحروب الصليبية في المشرق والمغرب*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص. 245 ؛عبد الحق المريني، *شعر الجهاد في الأدب المغربي*، الرباط، 1996، ج. 1، ص. 370 ـ 374.

Bofarull y Mascaró, *Colección de documentos del archivo General de la corona de Aragon*, t. VII, n° 31, *Batalla del Salado*, Barcelona, 1851 ; A. Gimenez Soler, *La corona de Aragón y Granada*, Barcelona, 1908, p. 269 ; *Crónica de D. Alfonso IV*, éd. Lisbonne, 1936, p. 131 - 138, 168, 170, 172 - 173 ; Diego Catalán, *La oración de Alfonso XI en el Salado*, in *"Boletin de la real academica de la historia"*, 1952, t. 131, p. 247 - 271 ; Luis Seco de Lucena Paredes, *La Fecha de la Batalla del Salado*, in *"Al-Andalus"*, 1954, vol. XIX, fasc. 1, p. 228-231 ; J.A. Robson, *The catalan fleet and moorish sea - power (1337 - 1344)*, in *"The english historical review"*, vol. LXXIV, 1959, (London), p. 386-408 ; R. Ricard, *La relation portugaise de la bataille du Salado (1340). Hesp.*, T. XLIII, 1956, p. 7 - 27 ; José Joaquim Nunes, *Crestomatia arcaica*, Lisboa, p. 45-60 ; Calalán Menéndez Pidal, *Gran crónica de Alfonso XI*, Madrid, 1956, T. II, p. 230 - 231, 320 - 323, 332, 403, 426 - 427 ; Ch. E. Dufourcq, *Les relations de la péninsule ibérique et de l'Afrique du Nord au XIVe s.*, in *"Anuario estudios mediévales"*, 1970 - 1971, V. 7, p. 44 ; R. Thoden, *Abu-l-Hassan Ali, Merinidenpolitik swischen nordafrika und spanien in den jahren 710 - 752 H / 1310 - 1351*, Freiburg, 1973 ; R. Arié, *L'Espagne musulmane aux temps des nasrides*, Paris, 1973, p. 102 - 103 ; Ibid, *Les relations entre Grenade et la Berbérie au XIVe s.*, in *"Etudes sur la civilisation de l'Espagne musulmane"*, Leiden, 1990, p. 22 - 33 ; M. Garcia Fernandez, *Les relaciones internacionales de Alfonso IV de Portugal y Alfonso XI de Castilla en Andaluciá : la participatión portuguera en la gran Batalla del Estrecho*, 1325 - 1350, in *Actas das II Jordanas Luso - Espanholas de historia medieval*, Oporto, 1987, t. 1, p. 201-216 ; Ibid, *Las relaciones castellano - Mariníes en andalucia en tiempos de Alfonso XI, la participacion norterafricana en la guerra por el control del Estrecho*, 1312 - 1350, in *"Actas de relaciones de la peninsula iberica con el magreb, siglos XIII - XVI"*, Madrid, 1988, p. 261 - 266 ; Juan Torres Fontes y..., *la expansión peninsular y mediterránea (1212 - 1350)*, Madrid, 1990, vol. I, p. 399 - 406 ; vol. II, p. 589 - 594 ; M.A. Manzano Rodriguez *La intervención de los benimerines en la peninsula ibérica*, Madrid, 1992 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986, p. 130 ; A. Huici Miranda, *Las grandes Batallas de la reconquista durante las invasiones africanas*, Madrid 1956, p. 342-377.

رشيد السلامي

**طريفة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Tarifa نسبة لمدينة طريف الواقعة قرب الجزيرة الخضراء ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 817.

محمد ابن عزوز حكيم

**الطريفي**، أبو **محمد عبد الله** بن موسى، وأصله علج من نصارى مدينة طريف ثم دخل في خدمة بني مرين وتولى خطة صاحب السقيف ثم وزارة البلد الجديد بفاس، وكان بذلك المنصب مسؤولا على مفاتيح البلد وقائما على فتحها وإغلاقها في أوقات معلومة. وصف عند مترجميه بالوزير الثقة والمخلص الناصح والحسن الوجه، ولذلك كان مزاحما للحاجب أحمد القبايلي الذي تسبب في عزله ومقتله، ثم للحاجب فارح بن مهدي إلى أن عينه السلطان أبي سعيد عثمان الثالث حاجبا له مكانه بعد سنة 806 / 1403 فعد من فضلاء الحجاب وصاحب الرأي والمشورة عند سلطانه. وعندما ساءت العلاقات بين السلطان وصاحب إفريقية أبي فارس عبد العزيز الحفصي، حاول هذا الأخير الانتقام فبعث إلى ابن الأحمر صاحب غرناطة يلح عليه في الإفراج عن أحد أمراء بني مرين المعتقلين والمرشحين للملك وهو الأمير السعيد محمد بن عبد العزيز بن أبي سالم والاسراع في تسريحه إلى المغرب الأقصى للتشغيب على سلطانه ومحاربته. فأجازه البحر حتى نزل فاس في ذي الحجة من سنة 813 / 1410، فخرج الحاجب عبد الله الطريفي لقتاله فكبا به فرسه فقبض عليه الأمير السعيد وأمر به فأحرق في نفس السنة.

ينسب للطريفي بناء مسجد السوق الكبير بفاس الجديد المعروف اليوم بمسجد للا غريبة، الذي حبس عليه كتبا كثيرة نقلت فيما بعد إلى خزانة القرويين، كما ينسب إليه أيضا منزه الطريفي بفاس.

ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 41 ؛ *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 47 ؛ ابن فركون، *ديوان ابن فركون*، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1987، *مقدمة المحقق*، ص. 93 ـ 94 ؛ *الديوان*، ص. 167، 178 ؛ ابن حجر العسقلاني، *إنباء الغمر بأنباء العمر*، بيروت، 1986، ج. 6، ص. 236 ـ 237 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 125 ـ 126،

ع4، ج. 1954 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 511، 457 ص. 86 ـ 88، 90.

رشيد السلامي

ابن **طرّيقة السعيدي**، أسرة تطوانية عالمة مجيدة، أصلها من مدينة تلمسان ومنها انتقلوا قديما إلى قبيلة بني سعيد قرب تطوان، ثم وفد منهم أفراد على تطوان ذكر منهم الفقيه الرهوني في عمدة الراوين خمسة عشر فردا بين عدل وقاض ومفت، واستدرك عليه الأستاذ داود فبلغ بهم أكثر من عشرين نفرا. وهذه أسماؤهم مع حيثياتهم الأقدم فالأقدم.

ـ الفقيه القاضي عبد المجيد بن يوسف ابن طرّيقة السعيدي، كان قاضيا بتطوان عام 1053 ـ 1073، وهو أخو عبد الكريم الذي بعده.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، تطوان، ص. 245 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، مخطوط خاص، 2 : 112.

ـ الفقيه العدل عبد الكريم بن يوسف ابن طرّيقة. كان من عدول تطوان عام 1040ـ وهو أخو القاضي عبد المجيد المذكور قبله.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 205، طبع تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 7 : 36، مخطوط.

ـ الفقيه القاضي المفتي الخطيب محمد بن طرّيقة، تولى قضاء تطوان عام 1063.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، طبع تطوان، ص. 245.

ـ الفقيه العدل سعيد ابن طرّيقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1093 ـ 1095.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 295 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 137، مخطوط خاص و7 : 37.

ـ المفتي الخطيب القاضي محمد ابن طرّيقة، كان قاضيا بتطوان عام 1063.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 245.

ـ المفتي العدل العلامة السيد عبد الكريم بن سعيد ابن طرّيقة السعيدي، ذُكر في عدول تطوان من عام 1126 إلى 114 ثم ناب عن القضاة بعد ذلك.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 288 ـ 296.

ـ الفقيه العدل السيد محمد الطاهر بن قاسم ابن طرّيقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1129 ـ 1156.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 296 ـ 327، طبع تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن سعيد ابن طرّيقة السعيدي، كان عدلا بتطوان عام 1130.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 296، طبع تطوان.

ـ الفقيه العلامة نائب القاضي السيد محمد بن أحمد بن عبد المجيد ابن طرّيقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1136 ـ 1150 ثم ناب عن القاضي عام 1152.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 288 ـ 296، طبع تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن محمد الطاهر ابن طرّيقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1142 ـ 1156.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 297، طبع تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن عبد الله ابن طرّيقة السعيدي، كان عدلا بتطوان عام 1142.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 297، طبع تطوان.

ـ الفقيه العلامة السيد محمد بن أحمد ابن طرّيقة السعيدي، ناب عن القضاة بتاريخ 1152.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 288، طبع تطوان ؛ ومختصره، ص. 249، ط. تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد سعيد ابن طرّيقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1159 ـ 1164 ويظهر أن هذا غير سعيد سابق الذكر لأنه كان 1095.

م داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 298، ط. تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 137، مخطوط خاص.

ـ الفقيه العلامة المدرس القاضي والمفتي السيد محمد العربي بن قاسم ابن طرّيقة السعيدي، ناب عن القاضي عام 1156 ـ 1157 ثم استقل قاضيا عام 1161 وكان من العدول عام 1122 إلى 1146 ـ 1175 ووصف بالنزاهة والعدالة وإتقان التوثيق.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 289، طبع تطوان ؛ أ. الرهوني، مختصر *عمدة الراوين*، ص. 104 مخطوط خاص.

ـ الفقيه العلامة السيد أحمد بن قاسم ابن طرّيقة السعيدي وهو أخو محمد العربي المذكور قبله. كان من عدول تطوان عام 1161 ـ 1171 ـ 1187 وناب خلال ذلك في القضاء عام 1166.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 290 ـ 298، ط. تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 136 مخطوط خاص.

ـ الفقيه العلامة المدرس السيد العربي ابن طرّيقة. أفردتُ له ترجمة.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن سعيد ابن طرّيقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1194 ـ 1198 وهذا غير تسميته سابق الذكر لأنه كان عام 1130.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 299، ط. تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن أحمد ابن طريّيقة السعيدي، كان عدلا عام 1198.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 300، ط. تطوان.

الفقيه العدل السيد عبد الله بن محمد بن طاهر ابن طريّيقة السعيدي، كان عدلا عام 1197. وقد يكون هو الذي تولى القضاء بعد ذلك عام 1213 ـ 1217.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 300 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 136.

ـ الفقيه العدل السيد عبد الرحمن بن قاسم ابن طريّيقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1198.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 300، ط. تطوان.

ـ الفقيه العلامة المدرس القاضي السيد عبد الرحمن بن سعيد ابن طريّيقة، أفردتُ له ترجمة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 6 : 259، ط. تطوان.

ـ الفقيه العدل السيد عبد السلام بن قاسم بن محمد بن طاهر ابن طريّيقه السعيدي، كان عدلا عام 120 .

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 137، مخطوط خاص.

ـ الفقيه العدل السيد محمد بن علي ابن طريّيقة السعيدي، كان من عدول تطوان عام 1146.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 136، مخطوط خاص.

ـ محمد بن يوسف ابن طريّيقة، وهو أخو عبد المجيد وعبد الكريم. كان عدلا بتطوان عام 1026.

*العمدة*، 7 : 36.

وهذه العصبة من هذه العائلة الماجدة كان من أفرادها معَمّرون يتعاطى أحدهم العدالة والفتوى والقضاء ويؤخّر ثم يُعاد إلى القضاء أو الشهادة كما يعلم من تتبع نشاطهم في الرسرم والوثائق.

ابن **طريّيقة، عبد الرحمن** بن **سعيد** السعيدي التلمساني الأصل، الفقيه العلامة المفتي المدرس المؤلف القاضي، أحد أعلام بني طُرِيِّقة بضم الطاء وفتح الراء وكسر الياء المشددة على صيغة التصغير كما قال شيخنا الرهوني، وقبله الشيخ أبو العباس ابن عجيبة، ولكن يلاحظ أن المنطوق في هذه الصيغة إلى الآن هو (طْريقة). كان المترجم له إلى قيامه بالقضاء مدرسا نافعا ودرس كثيرا من المواد في المعقول والمنقول كما وصفه بذلك تلميذه المؤرخ عبد السلام السكيرج وصرح أنه قرأ عليه *تفسير القرآن*، و*رسالة* ابن أبي زيد القيرواني، و*مختصر خليل والمرشد المعين*، على الضروري في علوم الدين لعبد الواحد ابن عاشر وهذه المتون كلها في الفقه المالكي. كما قرأ عليه *ألفية ابن مالك* في النحو، وكان له نشاط في التدريس فله إسهام مهم في التأليف، فقد ذكر السكيرج أنه شرح *ألفية ابن مالك* في النحو شرحا حافلا، كما شرح شواهده النحوية معنيا بالتعريف بقائليها معتمدا في ذلك على (معاهد التنصيص، شرح شواهد التلخيص) للعباسي، وشرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي، و*شرح البردة* للبوصيري في المديح النبوي شرحا ممتازا، وله تقاييد وفتاوى وفوائد. وقد فقدت إلا شرح البردة والألفية، وقد كان الأول موضوع أطروحة لأحد طلبة كلية الآداب بتطوان تحت إشراف الدكتور عبد الله الترغي المرابط، وقد اطلعت على هذا الشرح وهو في مجلد كبير، وطريقته فيه جامعة فهو يُعنى بإعراب البيت وشرح مفرداته وتصريفها وإيضاح ما ينطوي عليه البيت من نكت بلاغية ومحسنات بديعية، ثم إيضاح معنى البيت و شرح حوادث السيرة النبوية معتمدا في ذلك على كبار الأئمة كالقاضي أبي بكر ابن العربي والقاضي عياض، وفي النحو والبلاغة على سيبويه وابن مالك والجلال المحلي والسعد التفتازاني. وينقل أحيانا عن شيخه محمد بن الحسن الجنوي، وشيخ تطوان أبي العباس الورزيزي، وصنيعه في النقل صنيع عالم متضلع مشارك واسع الاطلاع ذي اعتدال ونفَس عال، ويستطرد أحيانا بأدنى مناسبة لحرصه على الإفادة كما فعل عند شرحه لبيت البوصيري : محمد سيد الكونين والثقلين الخ فذكر أسماء النبي صلى الله عليه وسلم المروية وشرحها شرحا مفيدا، كما فعل في أسماء الله تعالى الحسنى فنقل منظومة أحمد بن عبد العزيز الهلالي برمتها وشرحها كذلك. وفرغ المؤلف من شرحه هذا في 23 شوال عام 1212.

وبالجملة فهذا الشرح من أنفس وأفيد شروح البردة وما أحراه بالنشر.

أما شرح الألفية فهو شرح كامل وحافل في نحو 500 صفحة من القطع الكبير توجد نسخة منه بخط المؤلف لما فيها من إقحام وتشطيب وزيادة وتطرير وتصوير، فرغ منه في 4 رجب عام 1219 وذكر في أوله أن سبب تأليفه أنه رأى في المنام أنه شرع في شرح الألفية على هذا الأسلوب، فاستخار الله تعالى، وشرحها كذلك.

ظل المترجم له على هذه الطريقة المرضية من الانقطاع للتعليم والتأليف مع القضاء لم يرم بريبة ولم يؤثر عنه شين إلى أن توفي رحمه الله بتطوان في عام 1227.

أبي محمد عبد السلام السكيرج، *نزهة الاخوان، وسلوة الأحزان في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان*، ص. 41 ـ 60 ؛ محمد داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 299، ط تطوان.

ابن **طريّيقة، العربي** السعيدي النّجار، التطاوني الدار. وقد علم أن أصل سلف هذا الصالح من تلمسان، ثم استوطنوا قبيلة بني سعيد الجبلية القريبة من تطوان، ومنها قدموا إلى تطوان في القرن الحادي عشر الهجري ومازال

فرعهم بالقبيلة المذكورة، قال شيخنا الرهوني في (العمدة) : ولا يبعد أن يكونوا من مهاجري غرناطة، فنزل بعضهم بتطوان، وبعضهم ببني سعيد.

كان المترجم له مشاراً إليه بالصلاح والعلم، وكان يُدَرس العلم بزاوية الشرفاء (لعله يريد زاوية مولاي محمد الوزاني قرب باب التوت) وكان حسن الأخلاق، لَين الجانب، صابرا على الإقراء، كثير النفع للمبتدئين والغرباء، (وكان إذا عاتب أحدا من طلبته، أو أمره بشيء، يقول : يا حبيبي لا تفعل كذا وكذا إذا فعل، ويوم الخميس كان يجرده لعيادة المرضى، وربما سافر إليهم خارج البلد، وكانت داره بعيدة، فلم ينتقل منها لاحتساب الأجر، مع كِبر السن وضعف البدن.

وكان محققا لعلم الحساب والفرائض، يستحضر مسائله ضرورة، فكان المفروغ إليه في ذلك العلم، مع مشاركته في علوم أخرى، وكان يقرأ الحكم لابن عطاء الله ليلة الخميس والجمعة.

توفي سنة ثمان أو سبع وسبعين ومائة وألف.

*أزهار البستان في طبقات الأعيان*، لأحمد ابن عجيبة، مخطوط خاص، والزيادة الأولى لداود والأخريان من نسخة الكتاني من *أزهار البستان* : *موسوعة أعلام المغرب* نقلا عن *تذكرة المحسنين*، تنسيق د. حجي، طبع دار الغرب، ص. 2380 وقد تصحفت فيه ابن اطريبقة إلى ابن طريفة، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، لأحمد الرهوني، 5 : 135 ـ 136، مخطوط خاص، *تاريخ تطوان*، لمحمد داود، 3 : 66، ط. تطوان.

محمد بوخبزة

**الطفيبر**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد الغمارية، كان بعض أفرادها يتعاطون حرفة السمسارة، ولازالت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 826.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **طفيل** أو الطفيل القيسي أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد من أشهر علماء وفلاسفة الإسلام بالأندلس والمغرب في القرن السادس من مواليد أواخر القرن الخامس أو بداية القرن السادس (يرجح تاريخ 494 هـ) بوادي آش، شمال شرق غرناطة.

كان ابن طفيل كما يقول المترجمون له "أحد فلاسفة المسلمين، متحققا بجميع أجزاء الفلسفة ... هذا مع اتساع في العلوم الإسلامية" فهو بهذا المعنى فيلسوف وطبيب وفلكي كما أنه فقيه وأديب وشاعر وربما في سلوكه ومذهبه تطلع إلى مقام عال من التصوف وقد عده عبد الواحد المراكشي "أحد حسنات الدهر في ذاته وأذواته". حريص على الجمع بين الحكمة والشريعة.

يعرّف الأستاذ محمد بن شريفة بثلاثة من مشايخه وهم أبو محمد الرشاطي وعبد الحق بن عطية وأبو الفضل جعفر بن شرف صاحب كتاب في النحو على طريق البرهان.

أما ما نقلته المصادر القديمة والحديثة من أنه أخذ علوم الفلسفة على الفيلسوف أبي بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة فلا صحة له حيث يصرح ابن طفيل نفسه في مقدمة رسالته حي بن يقظان أنه له يلق شخص ابن باجة.

نعته ابن أبي زرع في *روض القرطاس* (ص 2) بالوزير الطبيب.

وقد يكون لقب الوزير ليس إلا لقبا شرفيا لا مهنيا يمارس فيه الشخص عملا ما إداريا إذ كانت هذه المهمة موكولة إلى الكتاب.

وقد زاول مهمة الكتابة مع أحمد بن ملحان الطائي بوادي آش بعدما أسس بها هذا الأخير إمارة حوالي سنة 539. ثم استخدم الخليفة عبد المؤمن بن طفيل بعد قدومه إلى مراكش سنة 546 كاتبا لابنه أبي سعيد عثمان مع زميله أبي الحكم بن هرذوس أثناء ولاية أبي سعيد على سبتة وطنجة ثم على غرناطة.

بلغ ابن طفيل حظوة كبيرة عند الخليفة أبي يعقوب يوسف بعد أبيه عبد المؤمن. كان أبو يعقوب شديد الشغف به وكان ابن طفيل يقيم عنده بالقصر أحيانا ليلا ونهارا، لا يظهر حسب عبارة صاحب المعجب. وكان من أطبائه بل أولهم في فترة ما حيث سيُعفَى من هذا المنصب لكبر سنه حوالي 578 ويخلفه أبو الوليد بن رشد.

وكان بن طفيل قد قدم هذا الأخير مع مجموعة من العلماء إلى الخليفة أبي يعقوب يوسف في بداية عهده وذلك حوالي سنة 520.

ويترجح أن ابن طفيل وكل إليه تدبير شؤون نخبة طلبة الحضر التي عني بتكوينها نظام الموحدين موازية لفئة طلبة الموحدين. وعلى هذا يكون نشاط مجالس المذاكرة التي تعرض لها المؤرخون والعلماء أنفسهم ومن بينهم أبو الوليد بن رشد قد استمر لمدّة ما في إطار مؤسسة دولة، القيم عليها أحد المبرزين من حكماء العصر.

اشتغل ابن طفيل بالطب والفلسفة والعلوم الفلكية.

وفي هذا الميدان الأخير، كاد يغير النظرية الفلكية السائدة منذ بطليموس وقبل كوبرنيك وقد ذكر ذلك تلميذه البطروجي حيث قال نصا :

"وقد علمتَ يا أخي أن أبا بكر ابن الطفيل رحمه الله تعالى كان يذكر لنا أنه عثر على هيئة وأصول لتلك الحركات غير ذينيك الأصلين الذين وضعهما بطليموس ودون أن يضع فلكا خارج المركز أصلا ولا فلك تدوير (eccentric or epicyclic spheres) وتصح معه تلك الحركات جميعا ودون أن يلزم عنها شيء من المحال وكان قد وعد أن يكتب فيه ومكانه من العلم بحيث لا يجهل".

لم يحتفظ التاريخ بكثير من أعمال ابن طفيل سوى قصته الشهيرة حيِّ بن يقظان، وأرجوزته في الطب وبعض الأشعار.

قصة حي بن يقظان وآسال وسلمان هي عمل من طراز فريد في تاريخ الفلسفة. اتخذه بن طفيل نوعا أدبيا غريبا للشروع في تلقين مبادئه الفلسفية ونظرياته في الطبيعة وما بعد المستمدة من كل متقدميه من الفلاسفة خصوصا الذين يذكرهم في مقدمة قصته، ابن باجة والفارابي وابن سينا والغزالي، وأرسطو. ولاشك أن ميله إلى التصوف حاضر في عبارته. وقد صرّح أنه لم يبن له الحق إلاّ باتباع كلام أبي حامد الغزالي وكلام أبي عليّ بن سينا و"صرف بعضها إلى بعض".

وهذا يؤكد أنه كان إنصار لفلسفة ابن سينا بالأندلس قبل وفي زمان ابن رشد.

أما القصد الأول المصرح به في بداية رسالة حيّ بن يقظان، فهو بث أسرار الحكمة المشرقية لابن سينا.

وأما اتخاذه أسلوب القصة للعبارة عن أحوال قد يشاهدها من هو أهل لها من أهل الولاية فهو ابتكار أدبي وحكمي لتجاوز امتناع أو تعسر البوح بفحوى التجربة الصوفية. يقول ابن طفيل إن الحال التي يصل إليها العارف أو صاحب الولاية والتي شاهدها حسب زعمه هو نفسه "لا يستطيع من وصل إليها وانتهى إلى حد من حدودها أن يكتم أمرها أو يخفي سرها بل يعتريه من الطرب والنشاط والمرح والانبساط ما يحمله على البوح بها مجملة كل فن وخاصة أهل علم النظر وسموهم طلبة الحضر. فهم يكثرون في بعض الأوقات ويقلون وصنف آخر ممن عنى بالعلم من المصامدة يسمون طلبة الموحدين".

دون تفصيل وإن كان ممن لم تحذقه العلوم قال فيها بغير تحصيل حتى إن بعضهم قال في هذه الحال "سبحاني، ما أعظم شأني، وقال غيره أنا الحق ..."

وقد تجنب هو مثل هذه التصريحات باتخاذه القصة كوسيلة للعبارة حتى يبقى القول تابعا لسبيل التمثيل والمجاز لا لسبيل التحقيق.

تتلخص قصة حيّ بن يقظان في حكاية أطوار حياة إنسان نشأ في جزيرة خالية بمعزل تام عن الجنس البشري استطاع بعد ثمانية عقود من عمره وبكل عقد سبعة أعوام أن يدرك بمجرد عقله وبغير مرشد ولا معلم سائر العلوم التي تعاطاها العلماء الطبيعيون والحكماء حتى فهم العالم الطبيعي بعلله ومبادئه ثم ارتقى إلى اليقين بموجود واجب الوجود وانكشفت له أخيراً أمور حسب إدراك ذوقي ليس للعبارة القدرة على الإدلاء بمضمونها. ثم يتحقق من موافاة ما انتهى إليه بمجرد عقله بما أتت به أفضل الشرائع التي تأتى له أن يعرفها بعد لقائه بالجزيرة بأسال وهو شخص قدم من جزيرة مجاورة أهلها على تلك الشريعة.

وتأويل القصة قد يكون كله قائماً على الفصل والربط ما بين ما تسميه الصوفية الحقيقة والشريعة.

أثرت رسالة حي بن يقظان في جانبين أساسيين في الثقافة الفلسفية الأوروبية بعد القرن السابع عشر :

- لم تعرف ترجمة لحي بن يقظان إلى اللاتينية في العصر الذهبي للترجمات العربية اللاتنية ما بين القرنين الثاني والثالث عشر. بل وجدت ترجمة عبرية مع شرح لموسى الناربوني سنة 1349.

نشر هذه الرسالة في أصلها العربي في أواخر القرن السابع عشر (1671) المستعرب الإنجليزي إدوارد بوكوك وقام بترجمتها إلى اللاتنية ابنه إدوارد، كما قام بترجمة النص العربي سيمون أوكي في نفس الفترة. وقد اطلع الفيلسوف الألماني الكبير لايبنز على الترجمة اللاتينية التي نعتت القصة بقصة الفيلسوف العصامي (Philosophos autodidactus).

من المؤكد أن رسالة حي بن يقظان كان لها الأثر الملموس في ترويج أفكار الفلاسفة الملقبين بفلاسفة الأنوار. وكان قصد ناشرها إدوارد بوكوك الأب ومترجمها إلى اللاتينية إدوارد بوكوك الابن سنة 1671 هو إعطاء مثل سام لمنهج ديني طبيعي مستقل عن تقليد شرعي خاص حسب ما فُهِمَ عن حي بن يقظان وأنه وصل بمجرد بحثه العقلي الخالص إلى إدراك مبدإ أول يجب أن يعتقد فيه أنه هو المعبود الواحد الأحد.

من الراجح أيضا أن قصة حيّ بن يقظان هي المصدر الأدبي الأساسي وإن كان عن طريق غير مباشرة لقصة روبنسون كروزو (*Robinson Crusoé*) الشهيرة التي نشرها مؤلفها الانجليزي دانيال دوفو (Daniel Defoe) سنة 1719.

توفي ابن طفيل بمراكش سنة 581 وحضر السلطان جنازته لمكانة الرجل عند أبيه وخدمته لدولة الموحدين.

ع. الواحد المراكشي، *المعجب في أخبار المغرب*، نشرة، دوزي، ص. 172 - 175 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، نشرة عبد الهادي التازي، بيروت، 1964 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، نشرة طورنبيرغ، أوبسالا، 1843 ؛ لسان الدين بن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، نشرة محمد عبد الله عنان، 1973 - 1977 ؛ المقري، *نفح الطيب*، نشرة إحسان عباس، 1968، ج 1 - 5 ؛ حنا الفاخوري الجر، *تاريخ الفلسفة العربية*، الطبعة الثانية، بيروت، 1982، ص. 354 - 38 ؛ محمد بن شريفة، *ابن طفيل، السيرة والمؤلف*، تدريس الفلسفة والبحث الفلسفي في الوطن العربي، دار الغرب الإسلامي، 199، ص. 325 - 334.

*History of Muslim Philosophy*; edited and introduced by M. M. Sharif, Wiesbaden 1963, vol. I, chap. 27, Ibn Tufayl by Bakhtyar Hussain Siddiqi, p. 526 - 540 ; A. Badawi, *Histoire de la philosophie en Islam*, Paris, 1972, t. II, p. 718-735 ; L. Gautier, *Ibn Thofayl, sa vie, ses œuvres*, Paris 1909, Paris, 1983 ; *Hayy Ibn Yaqzan, Roman philosophique* d'Ibn Tufayl, éd. et trad. Beyrouth, 1936 ; M.-A. Goichon, *Avicenne, Le livre des directives et remarques, (Kitab al-'isarat wa-l-tanbihat)*, traduction avec introduction et notes, Beyrouth - Paris, 1951, p. 483 - 526 ; S. Munk, *Mélanges de philosophie juive et arabe*, Paris, 1955, p. 410 - 418 ; Conrad Lawrence, *The world of Ibn Tufayl*, Brill 1995 ; *An andalusian physician at the court of the muwahhids, Some notes on the public carrier of Ibn Tufayl*", *Al-Qantara*, vol. XVI, fasc. 1, Madrid 1995 ; Hillel Fradkin, *"The political thought of Ibn Tufayl"*, in *The Political Aspects of Islamic Philosophy, Essays in Honor of Muhsin Mahdi*, Cambridge Massachusettes, 1992, p. 234 - 261 ; Idem, *Ibn Tofayl's Hayy Ibn Yaqzan, on the relationship of mysticism, Prophecy and philosophy*, Ph. D., diss. University of Chicago, 1978 ; Abdelali Elamrani-Jamal, *Expérience de la vision contemplative et*

*forme du récit chez Ibn Tufayl*, dans *Le voyage initiatique en terre d'Islam, ascensions célestes et itinéraires spirituels*, sous la direction de Mohammad Ali Amirmoezzi, Louvain-Paris, 1996, p. 159 - 172 ; D. Gutas, *Ibn Tufayl on Ibn Sina's Eastern Philisophy*, *Oriens*, vol. 34, (1994), p. 222 - 241 ; Ahmad Hasnaoui, *Encyclopédie philosophique universelle*, t. III, *les œuvres philosophiques*, Paris, 1992, art Ibn Tufayl, p. 607 ; Sami S. Hawi, *Islamic naturalism and mysticism, A. philosophic study of Ibn Tofayl's Hayy Ibn Yaqzan*, Leiden, 1974 ; P. M. Holt, *An oxford arabist : Edward Pococke (1604 - 91)*, in *Studies in the History of Near East*, London ; G. E. Hourani, *The principal subject of Hayy Ibn Yaqzan. Journal od near eastern studies*, 15 (1956), p. 40 - 46 ; Muhsin Mahdi, *The philosophical literature*, in *the Cambridge history of arabic literature, Religion learning and sciences*, London, 1990, p. 76 - 105, (*Abbasid period*, (edt, M. J. L. Young, J. D. Latham and R. Serjeant).

عبد العالي العمراني

**الطقس**، يعبر الطقس عن الحالة التي يكون عليها الغلاف الجوي فوق منطقة فترة معينة. وحالة الغلاف الجوي هاته إنما هي متغيرة ومتطورة باستمرار، لذلك يقترن الحديث عن الطقس بإمكانية رصد هذه الحالة وترقب تطوراتها المحتملة، فهو بالتالي يعبر عن الحالة الآنية للغلاف الجوي وما ستؤول إليه هذه الحالة في غضون الساعات المقبلة إلى حوالي يومين أو ثلاثة.

ويتولى تحديد خصائص الطقس في منطقة معينة وكذا عملية التكهن بتطوراته المحتملة علم الأرصاد الذي خطا خلال السنوات الأخيرة خطوات جبارة إن على المستوى المعرفي والمنهجي أو على مستوى الأدوات المعتمدة والأساليب المتبعة للزيادة في تدقيق عملية التنبؤ بأحوال الطقس وذلك باعتماد حواسب ذات سرعة فائقة لمعالجة رياضية معقدة للمعطيات وكذا استعمال وتطوير تقنيات النماذج العددية للتنبؤات.

وحالة الغلاف الجوي من جهة ثانية هي التي تحدد الملامح الأساسية الآنية لعناصر المناخ من حرارة ورطوبة جوية وتهطال ورياح... الخ، والحالة المهيمنة على الغلاف الجوي إنما تصوغها ما يسمى بالوضعية الجوية العامة والتي تعني تموضعاً معيناً لمراكز تأثير فعالة أي لخلايا مختلفة لضغوط مرتفعة ومنخفضة تكون هي المسؤولة عن تواتر معين للكتل الهوائية ولنوعية معينة لحركات وتنقل الهواء.

وإبراز الخصائص النوعية للوضعيات الجوية المتعاقبة والمترددة على منطقة معينة يحدد ما يسمى بأنماط الطقس والتي تمكن من التعرف على مختلف تجليات الحالة التي يكون عليها الطقس عندما تسود فوق منطقة ما وضعية جوية معينة حيث إن نزوع خلايا الضغوط الجوية المؤثرة إلى التموضع باستمرار في أمكنة معينة يترتب عنه خلق ظروف جوية خاصة بكل نمط من أنماط الطقس الذي يعبر في نهاية المطاف عن نوعية الظروف الجوية السائدة في تلك المنطقة من حيث الإطار العام الغالب على حركة الهواء عند تلك المنطقة وطبيعة الكتل الهوائية المهيمنة والذي يمكن رصدها من التعرف على مختلف السمات العامة لطقس ومناخ تلك المنطقة.

يبدو أن أول تحديد لأنماط الطقس في المغرب يعود إلى سنة 1925 على يد Dedebant وJury تلتها عدة محاولات لتدقيق خصائصها في عدة مقالات من بينها Queney (1943) وNoin (1963) وDelannoy (1971) وBenarage (1997).

ويميز بشكل عام في المغرب ما بين حوالي 15 نمطا من الطقوس ينتمي 6 منها إلى الأنواع الأكثر تردداً وهي على التوالي :

نمط الشركي
نمط الطقس الصحو الغربي
نمط مؤخرة الجبهات الباردة
نمط الطقس الصحو الشمالي الشرقي البارد
نمط المنخفض الصحراوي غير المستقر
نمط نشوء اضطراب محلي عند سواحل البرتغال

أما الأنماط ذات الترددات الأقل فهي :

نمط الطقس المضطرب الغربي
نمط الطقس المضطرب الشمالي الغربي
نمط الطقس المضطرب الشمالي
نمط الطقس المضطرب الشمالي الشرقي
نمط الطقس المضطرب الجنوبي الغربي
نمط الطقس المضطرب الشمالي الإيبيري
نمط نشوء اضطراب عند خليج أگادير
نمط نشوء اضطراب عند خليج قاديس
نمط نشوء اضطراب عند جزر البليار

وتجدر الإشارة إلى أن سيادة كل نمط من الأنماط في المغرب تصاحبه حالة جوية معينة تتحدد من خلالها في كل مناطقه خصائص نوعية مصاحبة تطبع كل عناصر الطقس من حرارة ورطوبة ورياح وتساقطات. كما أن التعرف على كل هذه الخصائص المرتبطة بكل نمط من هذه الأنماط يساهم بشكل واضح في إبراز الخاصيات الأساسية للمناخ المغربي في كل تجليات تغيراته الفصلية المميزة لطبيعته كمناخ متوسطي.

S. Benaarafa, *Variabilité et impacts climatiques des types de temps sur Rabat*, in *Aspects de la variabilité du climat marocain*, Edit. A. Bellichi, Rabat, 1997 ; A. Jury, G. Dedebant, *Les types de temps au Maroc*, Paris, 1925 ; H. Delannoy, *Aspects du climat de Marrakech*, *RGM*, n° 20, 1971 ; P. Queney, *Types de temps en Afrique du Nord et au Sahara septentrional*, Alger, 1943 ; D. Noin, *Types de temps d'été au Maroc*, *Ann. Géogr.*, n° 389, t. 62, 1963.

علي البليشي

**الطقطوقة الجبلية** صنف من الغناء ينتشر في الحواضر الشمالية الغربية للمغرب كطنجة وتطوان، وبين أوساط القبائل المتساكنة بالمناطق المجاورة لهما. وأكثر هذه القبائل ممارسة للطقطوقة قبائل بني گرفط، وأهل سريف، وبني زكار، وبني يدر، وبني عروس حيث يوجد ضريح المولى عبد السلام ابن مشيش.

والطقطوقة الجبلية بدوية الطبع راقصة الحركة، وهي تتشكل من مقدمة آلية وثلاثة أقسام غنائية. وتنضوي تحت ما يعرف بأغاني جبالة، وضمنها يدخل العرض الراقص المعروف باسم العرضة، وهي "رقصة الصينية" التي تحمل أكواب الشاي وتُزيّنُ بالشموع، ويقوم بها الرجال وقد ارتدوا زي النساء.

تتناول موضوعات الطقطوقة أغراضا شعرية متنوعة، وخاصة منها المديح والغزل والوصف. ويجري أداء الطقطوقة وفق النسق التالي :

أ - مقدمة آلية حادة الايقاع، ذات طابع ارتجالي محض. وتتناوب على عزف فقراتها الكمنجات والكنبري. ووظيفتها تقديم الطبع الموسيقي للمقطوعات الغنائية، وبذلك فهي شبيهة بالبقية التي تمهد لميزان النوبة الأندلسية.

ب - القصيدة وهي فقرة غنائية موضوعها المديح النبوي أو مدح المولى عبد السلام ابن مشيش. وتغنى على إيقاع هادئ وصارم.

ج - العيطة : هي غير العيطة الحوزية. موضوعها الغزل والوصف. ويجري إنشادها على إيقاع قائم على خمس ضربات : واحدة سريعة (كروش) تتلوها أربع بقيمة ضعف الأولى (سوداء) مما يجعل الميزان تساعيا (8/9)، وخلال ذلك يكون الغناء جماعيا، ثم يتحول الإنشاد إلى إيقاع الكًباحي : ثلاث ضربات سريعة من جنس الكروش تسبقها ضربة من جنس السوداء، مما يعطي ميزانا خماسيا (8/5)، يكون الإنشاد خلاله في تحاور بين المجموعة وبين المنشد المنفرد.

د - لاَ لاَ يَلالّي : أغنية سريعة تؤديها المجموعة الصوتية على ألحان رشيقة معززة بالعزف على سائر الآلات، وعبرها يمتد الايقاع لتنتهي على ميزان الدريدكة (8/6).

عبد العزيز بن عبد الجليل

**طكولوسيدا**، معسكر روماني يوجد في المنطقة الجنوبية لوليلي حيث يبعد عنها بحوالي 4,5 كلم على الطريق الرابطة بين مولاي إدريس زرهون ومكناس وبالضبط في المنطقة المعروفة بتاقورارت.

لقد ورد اسم هذا الموقع عند بعض المؤرخين القدامى نذكر من بينهم الإشارة التي وردت عند مرحلية أنطونان وكذلك تلك التي وردت عند الجغرافي بطوليمي وعند المؤرخ المتأخر الرافيني حيث ورد اسم طوكولوسيدا على الشكل التالي Tocolosion.

لقد تم التعرف على هذا الموقع من شارل تيسو أواخر القرن التاسع عشر، وقد تمت زيارته في سنة 1888 من هنري دولمارتينير.

في سنة 1953 قام جون براديز بصورة جوية للمنطقة مكنته من التعرف بدقة على تصميم هذا الموقع وبعد ذلك قام صحبة موريس أوزينا بحفريات فيه.

يصفه أوزينا على الشكل التالي : يقع معسكر طوكولوسيدا على بعد 4,5 كلم جنوب رليلي في مكان يعرف بتاقورارت فوق هضبة تمكن من مراقبة الأراضي المجاورة بعيدا في اتجاه الشمال الغربي.

ومن بين الذين اشتغلوا على هذا الموقع ريموند توفنو R. Thouvenot حيث قام بحفريات مكنته من اكتشاف سور على عمق مترين من سطح الأرض، يبلغ طول هذا السور 1750 م، ومن خلال اللقى الأثرية التي عثر عليها وخاصة قطعة نقدية عثر عليها تحت عتبة الباب الجنوبي، تم تحديد فترة بنائه تحت حكم الإمبراطور كلود الأول. غير أن فريزول Frezoul يقترح أن يؤرخ سور طوكولوسيدا بـ30 سنة قبل بناء سور وليلي المؤرخ بفترة مارك أوريل.

إن الاستبارات التي قام بها موريس أوزينا M. Euzennat خارج المعسكر، قد مست مستويات أثرية تهم مكونات مدينة غير معروفة كانت توجد بجوار المعسكر. ومكنت أخرى من التعرف على شكله ومساحته ومكوناته والتي يمكن التعرض إليها على الشكل التالي : مساحته تقدر بـ2,5 هكتار، يحيط به سور يتشكل من كتل إهليليجية الشكل غير منتظمة، هذا المعسكر له شكل مربع أو شبه مربع، بالإضافة إلى بابه الجنوبي، تم التعرف بواسطة الصور الجوية على أبوابه الثلاث الأخرى الموجودة في الجهة الشرقية والغربية والشمالية.

ولقد مكنت النقائش المأتمية التي تم العثور عليها بهذا الموقع من التعرف على الفيالق العسكرية التي كانت ترابط بهذا المعسكر وهي على التوالي الجناح الأغسطي الأول الغالي Ala I Augusta Gallurum، وجناح الرماة الحامي السوري Ala I Hamiorum Syrorum. ولا يستبعد موريس أوزينا أن وجود هذه الوحدات هي التي كانت السبب في بناء المعسكر الذي يتسع لحشد 500 فارس. والملاحظ أن الفيلق الأول أي Ala I Augusta Gallurum لم يعرف إلا بمنطقة وليلي حيث كان ثابتا بمعسكر طكولوسيدا.

واعتمادا على الأبحاث الأثرية السابقة الذكر يمكن تصنيف المراحل التاريخية الكبرى التي عرفها المعسكر إلى ثلاث وهي :

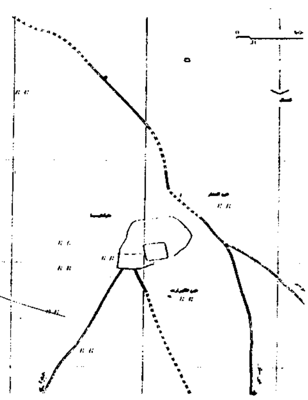

تصميم تقريبي لمعسكر طوكولوسيدا و منطقته.

ـ المرحلة الأولى : ترجع إلى ما قبل الحكم الكلاودي
ـ المرحلة الثانية : مرحلة الفلافيين
ـ المرحلة الثالثة والأخيرة هي التي عرفت استقرار العديد من القبائل المجاورة.

وإلى حدود الثمانينات كان موقع طكولوسيدا يعتبر آخر نقطة استقرار رومانية في اتجاه الجنوب، ومكونا من مكونات الليمس الجنوبي. غير أن التحريات الأثرية التي أقيمت بعد ذلك قد ألغت هذه الفكرة وأصبح هذا المعسكر داخلا ضمن المجال الروماني بحيث إن آخر موقع استقرار روماني يوجد على بعد 2 كلم شمال مدينة مكناس.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1877 ; J. Baradez, *Deux missions de recherches sur les limes de Tingitane, CRAI*, 1955 ; L. Chatelain, *Le Maroc des romains*, Paris, 1944 ; M. Euzennat, *Les limes de Tingitane, la frontière méridionale*, Paris, 1989.
حسن ليمان

**الطّلاسم**، ظهرت منذ القديم مع ظهور أولى أشكال السحر. وما السحر إلا ما جاءت به الشياطين ضداً على الدين. ولذلك كان السحر منذ بدايته عبارة عن فن قلب قوى الكلمات والحروف والصور والأشكال عن أساسها وأصلها اللذين جاءت عليهما منذ خلقتها الأولى.

إن هذا المفهوم عن السحر في بدايته يجعل السحر مجّرد علمٍ عن قلب قوى الأشياء والظواهر والصور والكلمات، أي تحريفها عن مواضعها الأصلية كما ذكر ذلك كتاب الله عز وجل في سياق وصفه لبعض ممارسات بني اسرائيل (سحرتهم وأحبارهم المتضلعين في علم الكتاب) وهم يحرفون الكلم عن مواضعه من بعد ما علموه في صورته الأصلية ومن بعدما أدركوه من العلم والمعرفة عن قواه النورانية الأولى وتصريفاته في عالميْ القوى والفعل، وبتعبير أبسط، في عالميْ الباطن والظاهر.

غير أن الأسماء والأشياء والظواهر الكونية والطبيعية والإنسانية والحيوانية وغيرها، وكذا الأفعال والمطالب والمطلوبات والأهداف والغايات والأسباب والمسببات والنتائج، كل هذا، يتطلب الإلمام بها قولاً وكتابة وفعلاً تجريد أسفار عديدة وملء مجلدات، وبذل الكثير من الجهد والوقت، ولذلك استنبط الإنسان (والكلام هنا عن السحرة العلماء والكهنة المتضلّعين) رموزاً يسيرة يرمز كل منها إلى اسم أو فعل أو معنى أو إلى مخلوق أو إلى ظاهرة من الظواهر أو إلى سبب من الأسباب أو نتيجة من النتائج، حتى إذا أراد الساحر الفاعل أن يأتي أمراً سحرياً استبدل ما يتصل بهذا الأمر من الأسماء والأفعال والظواهر والأسباب والمسببات المذكورة بالرموز اليسيرة الدالة عليها، وهكذا يسعه أن يختزل أمراً بالغ الكبر والأهمية هائل الحجم والوزن في رسم صغير ضئيل لا يقل وزناً وقوة عن الأمر المذكور في كلّيته.

ومن هنا جاءت الطلاسم عبارة عن رسوم وحروف وعلامات وأشكال يسيرة دالّة على أمور كثيرة وكبيرة ومعقدة، فكان الطلسم يفعل نفس الفعل الذي يختزله في رسمه وشكله ودلالاته.

ويكتسب الرمز أو الرسم العلامة هذه الدلالة القوية والفعلية والمؤثرة من خلال ممارسة طويلة يأتيها الساحر بواسطة التركيز العقلي، ويتمكّن بفضلها من جعل المعنى المراد يتركّز في الرسم موضوع الطلسم.

وقد قيل قديماً في هذا المعنى : "السرّ ليس في النّون، بل في سحنون" كناية عن وجود السّر المودع في حرف النون، أساساً، في القوى العقلية والسحرية التي يتمتع بها الساحر أو الفقيه سحنون بفضل جهاد عقلي نفسي ومعرفي وتركيز داوم على ممارسته سنين طويلة وهو يعالج ذلك الحرف حتى صار مجرّد رسمه إياه بقلمه أو بريشته أو يراعه بمثابة طلسم قوي وفاعل يشع بالقوى والمعاني والفعاليات التي أودعها الساحر في رسم الحرف ذاته.

إن الطلسم من هذا المنظور، يتكون من رموز أو حروف أو رسوم أو علامات، أو من بعضها أو من جميعها، بحيث يكون راسمها وواضعها قد ركّز فيها بقوى عقله وبما لديه من الصنعة السحرية مجموعة من الدلالات والمعاني والأفعال ممّا يرغب في تنفيذه بمقتضى ذلك الطلسم.

وهكذا سمعنا عن طلاسم يتم بها إيصاد أبواب عملاقة أو كوّات صغيرة يسيرة دون كنوز وأموال أو أمتعة أو أواني أو كتب ووثائق مودعة خلفها، حتى لا يصل إليها أحد، اللهمّ إلا إذا كان هذا الواصل على علم بأسرار الطلسم وبأساليب فتحه، أو مكتسباً لعلم يفوق العلم الذي كان لدى واضع الطلسم، فيؤهله ذلك للتغلب على معوقاته وييسر له بالتالي مهمة فتحه وفك شيفراته وضرب دلالاته بدلالات وقوى ومعانٍ عكسية تتغلب عليها بل على خُدّامها من القوى والعقول الخفية (شيطانية أو غيرها) فيتمّ الفتح وينتهي الأمر إلى الوصول الفعلي إلى المخبّآت.

يُفهم من هذا أن الطلسم في حدّ ذاته لا يعدو أن يكون مجرد خطوط وحروف وعلامات يسيرة وعادية، مهما كانت أشكالها معقدة وملتوية، وإنما القوة الحقيقية للطلسم في صانعه وواضعه الذي تعلم كيف يكتسب قوى طبيعية خفية، هي القوى التي يكتسبها السحرة بممارساتهم المختلفة، وتعلم كيف يوظف تلك القوى ويسكنها في الحروف والرموز والعلامات التي يستعملها في صياغة طلسمه أو طلسم شيخه ومعلمه إن كان يتصرف بالاستمداد من هذا الأخير.

ومرة أخرى، يسع المرء أن يردد وهو على يقين من صحة ذلك : "إن السر ليس في الطلسم، بل في صانعه بكل تأكيد" !!!

م. عزيز الوكيلي، *المدارس الباطنية بين العلم والفلسفة والعقيدة والدين*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، 1998، جامعة محمد الخامس، الرباط ؛ م. التهامي الوكيلي، *الإلحاد*، مؤسسة دار الأعماق، الرباط.
Papus, *Docteur Gerard en cause : - ABC, illustré*

*d'occultisme (premiers éléments d'études des grandes traditions initiatiques*, Paris ; - *La cabbale (Tradition secréte de l'Occident)*, Paris ; A. Raymond, *Parapsychologie pratique pour tous*, Paris, 1990 ; *Parapsychologie et l'invisible*, Paris, 1990 ; Mircea Eliade, *Images et symbole*, Paris, Essai sur le symbolisme magico-religieux.

محمد عزيز الوكيلي

**ابن الطّلبّ، مَحمد** بن الطلبّ بن محمد الأمين بن محمد بن المختار بن الفغ موسى اليعقوبي، المعروف بمحمد بن الطلب. ولد سنة 1188 / 1775. بمضارب قبيلته ادا يعقوب ببلاد تيرس جنوب المغرب. اشتهر بشعره الرصين ومعارضته لفحول شعراء العرب. ويعكس شعره شدة شغفه ببادية تيرس وتحكمه في ناصية اللغة العربية الجزلة. وقد شهد له بالنبوغ الشعري علماء عصره، فمما قاله فيه العلامة محمد فال ابن مُقَالِّ التندغي : وهذا عربي أخره الله"، وقد اعتبره بعض دارسي أدب شنگيط ممثل المدرسة القاموسية وهو حكم فيه كثير من التمحل، كما اعتبره البعض رائد حركة البعث الشعري في الصحراء.

له مؤلفات ضائعة في الفقه والنحو والأدب، منها :

- تسهيل التسهيل، وهو نظم عقَد فيه كتاب التسهيل لمحمد ابن مالك.
- نظم خليل.
- ديوان شعر كبير، ويقال انه اختصر كتاب الأغاني.

أحمد بن الأمين الشنگيطي، *الوسيط من تراجم أدباء شنگيط*، ص. 94، ط 4، مطبعة المدني، القاهرة، 1989 ؛ أحمد ولد الحسن، *أسلوب ابن الطلب اليعقوبي*، كلية الآداب، تونس، 1980، مرقونة ؛ الخليل النحوي، بلاد شنگيط *المنارة والرباط*، ص. 526، تونس، 1987 ؛ عبد الله بن محمد سالم بن السيد، *المعارضة في الشعر الموريتاني*، عبد الله بن محمد سالم بن السيد، ص. 220، المطبعة المدرسية بالمعهد التربوي الوطني، 1990 ؛ سيدي محمد بن محمد عبد الله بزيد، *معجم المؤلفين في القطر الشنگيطي*، ص. 123، منشورات سعيدان، تونس، 1996.

محمد الظريف

**ابن طلْبَانْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Montalban وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 261.

محمد ابن عزوز حكيم

**الطلبة** (في العهد الموحدي) يمثل الطلبة إحدى طبقات النظام الموحدي، بعد أهل العشرة، وأهل الخمسين وأهل السبعين، ويأتي بعدهم الحفاظ وهم أيضاً من أهل العلم والمعرفة، وإن كانت لهم وظائف تختلف عن وظائف الطلبة. وتحيل كلمة طلبة على طلب العلم، واستعملت في بداية أمر الموحدين لتصف حال مجموعة من أتباع محمد ابن تومرت الذين انبهروا بشخصيته ولازموه من أجل الإفادة من علمه، بعد رجوعه من المشرق. ونجد من بين هؤلاء : عبد المؤمن الكومي وأبو محمد البشير وإسماعيل إيگيگ. انخرط هؤلاء الأتباع منذ البداية في مشروع ابن تومرت، فكانوا يتصدون بإشارة منه للمنكرات، ثم بايعوه بهرغة وتينمل حينما باح بالمهدوية، ثم أرسل نجباء تلامذته إلى مختلف القبائل يدعون إلى بيعته، ويزرعون في الناس محبته، لما يذكرونه من فضائله وكراماته. ولقد اضطلع هؤلاء الدعاة بكل مهام الدعوة، فكانوا يجندون الأتباع ويعلمونهم القرآن والتوحيد. ومنهم من قتل أثناء الدعوة كأبي موسى ابن تمويق وأبي محمد عطية، فاعتبرهما ابن تومرت شهيدين واستباح دماء وأموال من قتلهما.

تعددت وظائف الطلبة على امتداد العهد الموحدي، فقد تقلدوا وظائف دينية وإدارية وعسكرية، ولنا في ترجمة أبي الحسن ابن القطان (ت. 628) نموذج للحظوة التي بلغها بعض طلبة الموحدين، فقد كان "رأس طلبة العلم بمراكش ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة". وكان الطلبة مسجلين في ديوان الجند، ويتقاضون الرواتب والكسوة ويحملون السلاح كغيرهم من رجالات الدولة الموحدية. وقد جرت العادة أن يسير في موكب الخليفة في ترحاله خمسون من طلبة الموحدين يقرأون القرآن وشيئاً من الحديث وتواليف ابن تومرت في العقائد باللسان المصمودي وباللسان العربي، فإذا فرغوا وقف الخليفة وبسط يديه ودعا. وكانوا يرافقونه عند نزوله وهم مشاة إلى غاية خيمته، وكان هذا دأبهم في كافة حركات الخلفاء.

ويبدو أن طلبة مجلس الخليفة بالحضرة كانوا أكثر حظوة من غيرهم، واستفادوا من كرم وعناية الخليفة عبد المؤمن بن علي الذي اصطفى ثلة من علماء الغرب الإسلامي لمجلسه العلمي، وسماهم طلبة الحضر تمييزاً لهم عن طلبة الموحدين. وقد أشار المراكشي إلى أن عددهم لم يكن منتظما، فهم يكثرون في بعض الأوقات ويقلون في أخرى. وكان للطلبة بقسميهم ناد يجتمعون فيه للمناظرة وامتحان الواردين من أهل العلم هو "بيت الطلبة". وحينما يدعوهم الخليفة لمجالسه العلمية، فقد كان يبتدئ الحديث بنفسه بإلقاء مسألة من العلم. وقد اشتهر كل من عبد المؤمن ويوسف ويعقوب بالمشاركة في المناظرة ولا ينفصلون عن المجلس إلا بعد الدعاء. وفضلاً عن هذا فقد اضطلع طلبة الحضر بعدد من المهام منها : الكتابة والترسل ونظم الأشعار في المناسبات الجليلة وإلقاؤها بين يدي الخليفة، وحضور مجالسه بمناسبة بيعة أو بروز أو تمييز أو استقبال، وتقديم المشورة والنصح والتطبيب والإشراف على خزانة الكتب بالقصر، وتعليم السادة وأبناء الأشياخ، والقضاء والخطابة والإمامة. ونظراً لأهمية هذه الهيئة، فقد اغتنى بها الخلفاء منذ عهد عبد المؤمن الذي أسعفهم بمال محترم على وجه القراض، بسبب ما رآه من ضعف أحوالهم والإقلال الظاهر عليهم، فاكتسبوا من

تجارتهم الكثير، وكان ذلك أصل غناهم، هذا فضلاً عن البركات التي يتوصل بها طلبة الحضر في كل شهر على التوالي والاستمرار. كما عينوا على رأس طلبة الحضر مزواراً، كان أولهم أبو الحسن الإشبيلي إلى غاية وفاته سنة 567. وكان ابن صاحب الصلاة يسميه "شيخ طلبة الحضر". ثم خلفه أبو محمد المالقي إلى أن توفي بمراكش سنة 547، ثم أبو الحسن ابن القطان في عهد المنصور، وأحمد ابن عتيق البلنسي ت. 607.

ويندرج الحفاظ ضمن الطلبة وإن كان صاحب *الحلل الموشية* يصفهم بصغار الطلبة. ويفهم من كلام ابن القطان وصاحب الحلل أن اختيار عبد المؤمن بن علي للحفاظ يعكس بره بمن انضم إليه وتكريمه للأعيان وأهل البيوتات ؛ ولهذا فقد استدعى الصبيان النجباء الحفاظ من كافة حواضر الدولة الموحدية لحفظ القرآن وكتاب الموطأ وكتاب أعز ما يطلب وغير ذلك من تآليف المهدي، وكان يدخلهم كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر، وهم نحو ثلاثة آلاف، وكان يعدهم لشغل مختلف المناصب الإدارية في الأقاليم، ولذلك فقد صاحب تدريسهم بتدريبات عسكرية ورياضية متنوعة. فلما تم له ما أراد، عزل أشياخ الموحدين عن الرئاسة، وجعل دورهم يقتصر على تقديم المشورة لهؤلاء الحفاظ، وهو ما تؤكده عدة رسائل موحدية تبتدئ بذكر الطلبة ثم الأشياخ والأعيان والكافة. وفعلاً فإن الطلبة كانوا يشكلون أعلى هيئة في الجهاز الإداري في الأقاليم، إذ كانوا يساعدون السادة من بني عبد المومن في مختلف المهام الدينية والإدارية والعسكرية. وأبرزت هذه الرسائل طبيعة المهام التي كانت تسند إليهم، كولاية الأقاليم وقيادة الجيوش والأساطيل "طلبة الاسطول" بل والإشراف أحيانا على الجبايات والمصاريف. على أن أخطر أدوارهم إنما يتمثل في التمهيد لانتشار مبادئ عقيدة الموحدين والاحتراز عليها من الخطر الذي يتهددها من الصوفية وغيرهم. وعلى هذا الأساس فهم بمثابة عيون الدولة التي تترصد في كل مكان خصوم الموحدين.

كتاب *الحلل الموشية* ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب* ؛ محمد المنوني، *العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين* ؛ أحمد عزاوي، *مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية*، مرقون ؛ أسكان الحسين، *الدولة والمجتمع على عهد الموحدين*، مرقون.

محمد فتحة

**الطلح** أو السَّنْط أو الميمُوزاَ أسماء لجنس نباتي يسمى علميا أَقَاقْيَا Acacia ويلفظ خطأ أَكَاسْيَا وهو من فصيلة السنطيات Mimosaceae التي تنتمي إلى الفصيلة الفوقية للقرنيات Leguminosae.

يشمل جنس أقاقيا أنواعاً شجرية وأخرى شجيرية، بعضها مشوك وبعضها غير مشوك. أوراقها مركبة وريشية ثنائية أو على شكل عنيقات ورقية مفلطحة تشبه الأوراق وتؤدي وظيفتها، ذات أذنتين صغيرتين أو كبيرتين ومستحيلتين إلى شوكتين، أو منعدمتين. ازهراراتها على شكل كبيبات رؤيسية الشكل، كروية أو سنبلية، وحيدة أو مزدوجة أو استثنائيا حُزْمِيَّة في إبط الأوراق، أو متفرقة على شكل عَنَاقيد وعَثَاكِيل طرفية. أزهارها صغيرة، كثيرة العدد، صفراء، أو بيضاء استثنائيا. كأس الأزهار ذو 5 أسنان حرة. لكل زهرة أكثر من 20 أسدية. ثمارها قرنية ومختلفة الأشكال والأحجام.

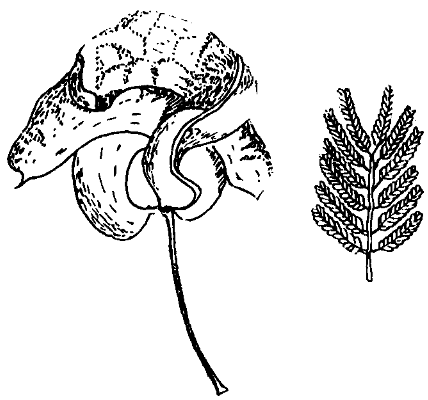

يشمل الجنس أربعة أنواع طبيعية من بينها نوع واحد قبسي خاص بالمغرب، وكذلك عشرات الأنواع المدخلة للتزيين ولاستعمالها في التشجير وفي محاربة التصحر والانجراف والتعرية.

- الأنواع المغربية والإفريقية : تتميز الأنواع الطبيعية بالمغرب وتلك الموجودة في البلدان الافريقية والأمريكية بأوراقها المركبة الريشية الثنائية وبأذناتها الشوكية :

- الطلح، أو الطلحة، أو الخروب بالعربية أو أمْرَادْ بالأمازيغية أو علميا أَقَاقْيَا رَدْيَانَا Acacia raddiana : شجرة قد تصل قامتها إلى 15م أو أكثر، ذات هيئة مظلية الشكل. أوراقها متبادلة، ريشية ثنائية. أذَيْنَتَاهَا شوكيتان بيضاء ذَوَتَا طول يتراوح ما بين 2 و4 سم. أزهارها مجتمعة في كبيبات، ذات كأس مزغب، وبتلال جرداء، ذات لون أبيض يميل إلى لون القشدة الثمار قرنية الشكل ومجتمعة من 1 إلى 5 لكل كبيبة، مفلطحة ومقوسة عل شكل دائري أو حلزوني.

ينظم النوع منظومات بيئية شبه سهبية في المناطق الصحراوية من المحيط الأطلنطي إلى الخليج العربي. وتصادف منظوماته البيئية المغربية من فكيكْ إلى أدْرَارْ سْطُون شرق الداخلة والگويرة. حيث تقدر المَساحة المغطاة بما يقارب مليون هكتار تقطن منظوماته أتربة طمية أو طمية رملية أو رملية، ولا تخرج عن النطاق الصحراوي ذي الشتاء الدافيء والمعتدل، والطابقين النباتيين لتحت المتوسطي والمتوسطي الدافيء.

يعتبر النوع ذا قيمة رعوية عالية وذلك بفضل أوراقه وثماره، وخاصة من طرف الجمال. كما يعطي خشب الخدمات

والحطب، والصمغ أو تيفيزاً محليا، ويستخدم لعدة أغراض في التطبيب التقليدي باستعمال الصمغ الأحمر اللون على الخصوص، وخشب الجذور المسحوق. كما تدخل الأزهار المجففة في وصفة "رَأس الحَانُوت" الصحراوية.

ـ الطلح، أو الطلح المغربي بالعربية أو تَادُوتْ أو عَادُول بالأمازيغية، أو علميا أَقَاقْيَا گُومِّيفِيرَا Acacia gummifera : شجيرة يتراوح علوها ما بين 5 و6 م. أوراقها ريشية ثنائية مكونة من 6 إلى 10 أزواج من الوريقات. أذَنَتَاهَا شوكيتان ذَوَاتَا طول يتراوح ما بين 1 و15 سم، بيضاوتان ضاربتان إلى الاحمرار. الأزهار صفراء. القرون مجتمعة من 1 إلى 3 لكل كبيبة، مستقيمة وتشبه قون اللوبياء الخضراء، طولها يبلغ ما بين 10 و17 سم، متدلية ومفلطحة ومحززة.

إنه النوع القبسي الخاص بالجنوب الغربي للمغرب حيث كان يشكل في القديم منظوماته البيئية في سهول الحوز والرحامنة والجزء الجنوبي من تادلة والشاوية. فاجتثت تشكيلاته في كامل مجاله الطبيعي لأجل الزراعة، ولم ينج منها إلا بعض التشكيلات المجاورة لبعض الأضرحة والقبور، كما هو الشأن بالنسبة للبطم الأطلسي في المغرب الشرقي. خارج مجال منظوماته البيئية الخاصة به، يساهم الطلح المغربي بأفراد متناثرة في منظومات أخرى للعرعر البربري ولأرگان. وفي كل الحالات، يعيش الطلح المغربي في الطابق تحت المتوسطي ذي البيومناخين شبه الجاف والجاف الدافئين والمعتدلين.

بالإضافة إلى كونه نباتاً رعوياً، يستعمل الطلح المغربي في التطبيب التقليدي لعدة أغراض، ويعطي الصمغ الذي كان في الماضي يصدر عن طريق ميناء الصويرة، وله نفس ميزات الصمغ العربي كما يعتبر خشب الطلح المغربي أو تَادُوتْ بعد سقيه في الزيت، من أهم مصادر الأنواع الخشبية المستعملة لترصيع الأدوات والأثاث المصنوعة من جذر العرعر البربري (انظر العرعر). يستعمل خشب الطلح المغربي شديد الصلابة وذي اللون الأسود لتعويض خشب الأبنوس الذي كان يستورد من المناطق المدارية لَـمَّا كانت كلفته في متناول تجاري الصويرة. فعلاوة على جمال خشب العرعر البربري ذي اللون الأحمر والمزركش، يزدان الأثاث باللون الأسود لخشب الطلح المغربي، وباللون الأصفر لخشب الليمون. ويستخدم خشب الطلح المغربي أيضاً في صناعة آلة الموسيقية. وتستعمل الثمار كذلك كمادة دباغية.

ـ الطلح أو تَمَاتْ أو أَقَاقْيَا إيهْرَنْبِيرْجْيَانَا Acacia ehrenbergiana : شجيرة يبلغ علوها من 3 إلى 6 م، ذات أوراق ريشية ثنائية مكونة من 8 إلى 20 زوجا من الوريقات. أذنتاها مشوكتان وذاتا طول يتراوح ما بين 2 و7 سم. أزهارها صفراء. قرونها دقيقة، متدلية، متعرجة أو مستقيمة، أو منجلية الشكل.

يصادف النوع في المناطق الصحراوية والمدارية عن افريقيا الشمالية وفي شبه جزيرة العرب. أما في المغرب فهو ينظم تشكيلاته الخاصة به أو مختلطا مع النوع الأول في المناطق الصحراوية جنوب جبل الباني غرب زاگورة، إلى فم الحصن وماسا ثم الساقية الحمراء ووادي الذهب. يقطن الأتربة الطميية الطينية أو الطميةالرملية.

إنه نوع متعدد الفوائد، فهو رعوي ومنتج لخشب الخدمات وللحطب، وللصمغ. ويستعمل في عدة حالات من التطبيب التقليدي. وتجدر الإشارة إلى أن صمغ هذا النوع يستعمل في التجليد التقليدي للكتب.

ـ الطلح الأبيض عربيا أو أُفْرَارْ أمازيغيا هو أَقَاقْيَا آلْبِدَا Acacia albida أو فَايْدِيرْبْيَا آلْبِدَا Faidherbia albida.

إنه نوع شجري من الممكن أن يبلغ علوه 25 م. يتميز عن الأنواع الأخرى بجذعه ذي اللون الأبيض، وبأوراقه الريشية الثنائية المكونة من 7 إلى 17 زوجا من الوريقات، وبأذنتيه المشوكتين الصغيرتين إذلا يتعدى طولهما 2 سم، وبأزهاره المُجَمَّعَة على شكل سنبلي، وبثماره المفلطحة.

إنه نوع شائع في النصف الشمالي من إفريقيا المدارية حيث يلعب دوراً مهماً. لكنه بالنسبة للمغرب نوع نادر جداً إذ لا يصادف إلا في جنوب وارقزيز الغربي شرق المسيد حيث يمثل ببضع المئات من الأفراد المتناثرة في الوديان والمنخفضات من المنطقة الصحراوية الدافئة.

وفي المناطق التي يكثر فيها، يستعمل النوع في التطبيب التقليدي. وإنه ذو قيمة رعوية عالية بفضل أوراقه وثماره.

ـ الطلح الشوكي أو شوك النصارى عربيا هو علميا أَقَاقْيَا هُورِّيدَا Acacia horrida : إنه نوع شجري يتراوح علوه ما بين 5 و7 م، ذو أوراق ريشية ثنائية مكونة من 3 إلى 6 أزواج من الوريقات، وأذنتين شوكيتين طويلتين إذ من الممكن أن يبلغ طولهما 10 سم، وثمار مقوسة قليلا.

المصدر الأصلي للنوع هو جنوب افريقيا، ومنها أدخل إلى البلدان الحارة والمعتدلة كالمغرب، وذلك لتشكيل أسيجة حية مشوكة من المستحيل اختراقها من طرف الانسان أو الدواب. يستعمل النوع لهذا الغرض بدون ري في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة. أما في البيومناخات الجافة والصحراوية فإن الري ضروري.

ـ الأنواع الاسترالية : يشمل الجنس ما يقارب 600 نوع أدخل منها في المغرب أكثر من مائة نوع، لكن عدد الأنواع الأكثر استعمالا في التشجير لا يتجاوز الأربعة وتسمى كلها الـمِيمُوزَا، وتتميز عن المجموعة الأولى بكونها غير مشوكة. تشمل هذه المجموعة الأنواع التي لها أوراق مركبة ريشية، وتلك التي لها أعناق ورقية صلبة تلعب دور الأوراق.

تستعمل الأنواع في عملية التشجير ومحاربة التصحر والانجراف وللزينة، ولأغراض أخرى. كما تستخدم بذورها في التطبيب التقليدي.

ـ الميموزا اللينة الأوراق أو أَقَاقْيَا مُولِّيسِيمَا Acacia mollissima : شجرة يتراوح علوها ما بين 10 و15 م. لها أوراق ريشية ثنائية تشمل كل واحدة منها من 10 إلى 20 زوجا من الوريقات، ذات لون أخضر، مزغبة على وجهها السفلي. ثمارها ذات طول يتراوح ما بين 5 و10 سم، مستقيمة.

ونظراً لنموه السريع، أدخل النوع للزينة وللتشجير في الأراضي الرملية بغية إنتاج القشرة المحتوية على نسبة عالية من الدباغة. وأكبر المساحات المشجرة من هذا النوع تصادف في غابة المعمورة.

ـ الميموزا الزرقاء أو أَقَاقْيَا دَ آلْبَاتَا Acacia dealbata : نوع يُمَيَّز من بعيد عن النوع السابق بلون أوراقه الخضراء الضاربة إلى الزرقة.

يستعمل النوع في الحدائق، ويباع في أسواق الزهور لكي تستعمل أوراقه في الباقات.

ـ ميمُوزاَ الأعناق الورقية المُزَرَّقة أو أَقَاقْيَا سِيَانُوفِيلاً Acacia cyanophylla : نوع شجري يتراوح علوه ما بين 5 و8 م عديم الأوراق، ويتميز بأعناق ورقية صلبة وذات لون ضارب إلى الزرقة، وطول قد يصل إلى 30 سم. ثماره مفلطحة وذات طول يتراوح ما بين 7 و13 سم وعرض لا يتعدى نصف سم.

يستعمل النوع للتشجير وللزينة ولتحسين المراعي وكذلك لتثبيت الكثبان الرملية الساحلية الموجودة في جل البيومناخات ما عدا الصحراوية منها.

ـ ميمُوزاَ عُرْف الدِّيك أو أَقَاقْيَا سِيكْلُوبْسْ Acacia cyclops : نوع شجيري لا يتعدى علوه 3 أو 4م. يتميز بأعناقه الورقية ذات العروق المتوازية وبثماره القرنية الملتوية وببذوره السوداء المحاطة بخيط أحمر.

يستخدم النوع لنفس الأغراض المذكورة بالنسبة للنوع السابق وفي نفس الظروف البيئية، وكذلك في الأراضي الصلصالية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, La *pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

**طلحة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفراد منها بعد سقوط غرناطة وأرغموا علي كتابة اسم العائلة بالحروف اللاتينية هكذا : Talha، ومازالت بإسبانيا أسر تحمل نفس الاسم ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1162 (1749).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 819.

محمد ابن عزوز حكيم

**طلحة** (الحاج ـ)، ثائر بسوس (ق 13) تشير مختلف مصادر العصر الوسيط (ابن أبي زرع، ابن خلدون) إلى سيطرة عرب معقل على سوس خلال الفترة المرينية (674 ـ 870 / 1275 ـ 1465)، حيث ملكوا قصوره وفرضوا مختلف الجبايات على السكان، وساد الاضطراب وعدم الاستقرار. وبهدف إعادة الأمن ومد نفوذ المخزن المريني للإقليم، قام المرينيون بعدة حملات عسكرية، بهدف وضع حد لتلك الاضطرابات. وفي هذا الإطار قام السلطان أبو مالك ابن أبي يوسف يعقوب المريني بغزو سوس سنة 668 / 1270. وبعد خمس سنوات من ذلك (1275) ثار عرب السوس، وبعد هزيمتهم، أدوا للمخزن المريني ذعيرة مقدارها 18 ألف جمل.

غير أن كل ذلك لم يحل دون تجدد ثورات أخرى، اضطر معها المخزن إلى إرسال عدة حملات عسكرية سنة 1279 و1284 نحو الإقليم، وفيها تم طرد عرب السوس نحو الساقية الحمراء. وبعد سنتين من ذلك (سنة 1286) عاد سوس نحو الاستقلال عن المخزن بزعامة ثائر مغمور يعرف بطلحة بن علي.

لم تذكر لنا المصادر الشيء الكثير عن هذا الثائر. فقد أشار إليه إشارة مقتضبة كل من ابن خلدون (*تاريخ*، 6 : 70) وابن أبي زرع (*روض القرطاس*، 407). وما يفهم من ذلك أن طلحة ثار بالسوس سنة 682 / 1286. ولا شك أن طلحة ينتمي إلى القبائل العربية التي استقدمها الزكندري لمساعدته ضد الموحدين.

وفي خضم الحملات العسكرية التي قام بها المرينيون ضد إمارة بني إيدير، ظهر طلحة بن علي مستغلاً بعد السلطة المركزية عن سوس، وضعف نفوذها به. وتشير المصادر إلى سيطرته على كل سوس. وللسيطرة على سوس لا بد من توفره على قوة تمكنه من ذلك. وغالب الظن أن ثورته ما هي إلا استمراراً لثورة بني إيدير ومحاولة منه لإنعاشها بعد الحملات العسكرية التي قادها المرينيون بسوس. غير أن المخزن المريني توصل إلى استمالة قسم من قبائل عرب ذوي حسان إلى جانبه، فاستطاع القضاء على هذا الثائر وأرسل رأسه إلى السلطان المريني.

صفوة القول أن ثورة طلحة تعكس الصراع الدائر في سوس بين المخزن المريني والقوى المحلية التي يتزعمها بنو إيدير، ولا شك أن هذه الثورة تدخل ضمنها، حيث بقي سوس رغم مقتل طلحة، شبه مستقل عن المخزن المريني إلى حدود سنة 1334، وهي السنة التي توافق مقتل آخر أمراء بني إيدير. وما قمنا به لا يعدو أن يكون إلا عرض موضوع مازال بكراً، يحتاج إلى من ينفض عنه الغبار، وأثرناه لمن يرغب في البحث عن جوانب غامضة في تاريخ علاقة المخزن المريني بسوس.

ابن أبي زرع الفاسي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973.

R. Montagne, *Les berbères et le Makhzen*, Casablanca, 1989.

محمد حداين

ابن **طلحة، الصباحي عبد السلام** فقيه، كان آية في الحفظ وتحقيق التجويد والقراءات. مارس خطة العدالة بسلا حوالي عام 1283 / 1866، ثم صار نائباً عن القاضي. كان المترجم من أشياخ أحمد الناصري ـ صاحب *الاستقصا* ـ الذي ختم عليه ثلاث ختمات بالقراءات السبع، وعنه تلقى فن التجويد وحفظ المتون.

ابن **طلحة، الصباحي محمد** فقيه، كان كثير الأوراد والصيام وقيام الليل. حضر في الهجوم الفرنسي على مدينة سلا يوم 26 نونبر 1851 وأظهر ثباتا عظيما. قرأ عليه أحمد بن خالد الناصري القرآن بحرفي ابن كثير ونافع، ولازمه إلى أن توفي. وقد أشاد صاحب *الاستقصا* بالمترجم في رسالة بعث بها إلى صديقه الأديب الفاطمي الصقلي الفاسي بتاريخ فاتح ذي الحجة عام 1299.

أ. الناصري، *رسالة إلى الأديب الفاطمي الصقلي الفاسي*، ضمن كناشة ؛ م. الصبيحي، خ. ص، رقم 250، ص 1 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 174.

محمد السعديين

**الطليْط** أو **الطليْطي**، أسرة فاسية عالمة أصلها من الأندلس من مدينة طُلَيْطلة ـ وقد حرف اسم المدينة عند النسبة إليها ـ وهم من الأنصار ولعل انتقالهم إلى فاس كان بعد سقوط غرناطة لأنهم لم يشتهروا بالحاضرة الادريسية إلا ابتداء من القرن العاشر (16 م) مع الشيخ عبد القادر الطليط آتي الترجمة. وهناك طليطون علماء آخرون تذكرهم كتب التراجم منهم : الطليط عبد القادر الحفيد، كان من عدول فاس الموثقين. والطليط، مسعود بن عبد القادر الجدّ الفقيه الفلكي الميقاتي، تولّى توقيت القرويين وتوفي عام 1104.

**الطليط، عبد القادر** بن **علي** الفاسي، حلاه القادري في *نشر المثاني* "بالفقيه المشارك الخطير، الصدر الشهير، الموقت العدل الحيسوبي الكبير... أحد عدول فاس الموثقين المشهورين بالضبط والاتقان والتحفظ في الدين".

اشتغل مدة طويلة بالتدريس في القرويين وأخذ عنه جمّ غفير من نجباء طلبة المدينة، ومنهم عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي مؤلف *الأقنوم* و*ابتهاج القلوب* وغيرهما. ولعله الوحيد الذي عرّف في أحد كتبه بشيخه المترجم قائلاً : "ولزمت شيخنا أبا محمد عبد القادر بن علي الطُّليط الأنصاري الأندلسي في الحساب والتوقيت والتعديل وغير ذلك، فسمعت عليه *روضة الأزهار* للجادري، و*رسالة الربع المجيب* للمارديني، و*رسالة الربع المقنطر* له أيضاً، و*رسالة* الأزورقالي، و*منهاج الطالب* لابن البناء، وغير ذلك، *كمطمح ابن أبي الرجال*، وشرحه لابن قنفوذ، وكتب أخرى اختصرنا ذكرها".

تدل هذه الشهادة من الشيخ عبد الرحمن الفاسي وحدها على مكانة المترجم وتمكنه من علوم الحساب والفلك والتوقيت بصفة خاصة. وذكر أيضاً أن للشيخ الطليط *تقييداً* في وفيات أهل زمانه. ولم نر أحداً آخر ذكر هذا التقييد أو نقل عنه.

توفي عبد القادر الطليط بفاس عام 1077 / 66 ـ 1667.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 4 : 1546 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 : 6 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، تح. علي الكتاني، الدار البيضاء، 2002، ج 1، 581.

محمد حجي

**الطليطلي** أو **الطيلطلي، مسعود** بن عبد القادر الأنصاري الأندلسي الفاسي عالم مشارك ومتضلع في علم التوقيت الذي أخذه عن الشيخ عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي. وسبق لوالده أن برز في هذا الفن وتولى بعده رئاسة التوقيت بمنار جامع القرويين عدة سنوات إلى أن نقله السلطان المولى إسماعيل إلى مكناس وأسند إليه رئاسة توقيت جامع قصبته وظل في هذه الخطة إلى أن أدركته الوفاة بفاس سنة 1104.

م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، 3 : 60، تح. د. محمد حجي وأحمد التوفيق ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 291 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *الإتحاف*، 4 : 355.

محمد ماگامان

**طليق** (عرب –) اتحادية قبلية تستوطن اليوم أحواز مدينة القصر الكبير، وتضم عدداً من القبائل والبطون تتعاطى لأنشطة فلاحية تقليدية وعصرية ؛ لا يعرف لهذه الاتحادية بداية صريحة في المصادر التاريخية، فهي غير مذكورة لا ضمن موجة الهجرات الهلالية ولا ضمن القبائل المعقلية التي دخلت إلى المغرب ابتداء من عهد الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (*العبر*، 6). ولا يمكن الاهتداء إلى معرفة أصول هذه القبيلة الكبيرة وبداية أمرها إلا بالرجوع إلى قبيلة الخلط الهلالية ذلك أن مصادر التاريخ الحديث والمعاصر لا يَرد فيها ذكر للطليق الا بصحبة الخلط (*الضعيف*، 145 ـ 181 ـ 248 ـ 318 ...)، فالخلط إحدى القبائل الهلالية الثلاث الكبرى : الخلط سفيان ورياح، وهي التي لعبت أدواراً عسكرية وسياسية في عدد من المعارك الداخلية والخارجية سواء في عهد الخليفة يعقوب المنصور أو في عهد ابنه الناصر ؛ ولكن دورها كان أكبر بعد دخول الدولة الموحدية في طور الضعف فقد كانت لها مواقف متذبذبة ومتلاعبة أحياناً دون أن تكون لها القدرة على الزعامة والحسم السياسي لصالحها ؛ فالخلط إذن كانت قبيلة

كبيرة ذات قوة وجاه ولم تذكر طليقاً، مما يجعلنا نعتقد أن طليقا اسم حديث ويمكن تحديد بدايته وهوية القبيلة اعتماداً على السياق التاريخي والنصوص القليلة الواردة في بعض المصادر الحديثة :

ذكرت مصادر التاريخ الحديث، ومنها كتب (الوفراني وابن عسكر والفشتالي) ومن أخذ عنهم، أن قبيلة الخلط استمرت في مواقفها وفي سياستها السابقة فهي خاضعة للمخزن وفي خدمته عندما يكون قوياً وتتمرد أو تتلاعب عندما يضعف. ولم تكن لديها سياسة قارة فهي كانت تخالف غريمتها وعدوتها التقليدية سفيان، وقد جرَّت كثيراً من الويلات والهزائم على الخلفاء الموحدين المتأخرين، وساهمت إلى جانب قبائل أخرى في عدم الاستقرار الذي عرفه المغرب في العهد المريني الثاني وفي العهد الوطاسي ؛ وفي العهد السعدي لم تستطع متابعة سياستها المتذبذبة والمتلاعبة بعد فترة خمول طويلة هي التي قال عنها ابن خلدون : "إلا أن الخلط اليوم دثرت كأن لم تكن بما أصابهم من الخصب والترف منذ مائين من السنين بذلك البسيط الأفيح زيادة على العز والدعة فأكلتهم السنون وذهب بهم الترف..." ابن خلدون هنا يتحدث عن نهاية الخلط كقوة عسكرية وسياسية.

حاول الخلط استرجاع أمجادهم ودورهم مع السعديين، فلما ظهر أمر السعديين إبان فترة محمد الشيخ المهدي انحازوا إليه وكانوا في خدمته وتمكن من تحقيق النصر علي خصومه الوطاسيين بفتحه فاس وطرد أبي حسون منها، لكن عودة هذا الأخير مدعوماً من أتراك الجزائر الذين جهزوا له حملة عسكرية استطاع بها إلحاق الهزيمة بالشيخ المهدي واسترجاع فاس، ولما استتب للسلطان السعدي محمد الشيخ المهدي الأمر في النهاية انتقم من معارضيه وخصومه من علماء وفقهاء وانتقم من الخلط الذين كانت لهم يد في هزيمته أمام الاتراك فأسقطهم من الجندية ووظف عليهم الخراج ومحا اسمهم من ديوان الخدمة..." (*استقصا*، 2 : 176).

ولما آل أمر الحكم في المغرب إلى دولة السلطان أحمد المنصور السعدي وكانت معركة وادي المخازن وساهم فيها الخلط بشجاعة وبسالة عندئذ اختار "النصف منهم وردهم إلى الجندية وأبقى النصف الآخر في غمار الرعية..."(*استقصا*) من هنا يمكن القول إن طليقاً كانت بدايتها مع العهد السعدي وتحديداً في عهد أحمد المنصور عندما أطلق أو طلّق قسماً كبيراً من الخلط وأعفاهم من الخدمة وجعلهم من عامة الناس واحتفظ بقسم آخر منهم في الجندية ومع توالي الأحداث وضعف الدولة السعدية عاد من طرد من الخلط إلى الغرب بعدما كان المنصور قد طردهم إلى الصحراء.

تميز الخلط منذئذ إلى فريقين : الطليق أي المحررون أو المطرودون من خدمة المخزن والباقون ضمن ديوان الخدمة أو الجند (*Archive Marocaine*). وبتوالي القرون ذاب الجزء في الكل أي أن الطليق كانوا أكثر عدداً من الخلط سواء بالتكاثر الطبيعي أو بالتحالف والولاء فتكونت اتحادية كبرى أخذت اسم الطليق بينما احتفظت الأقلية (المخزنية أو الجيش) بالاسم القديم. وهذه ظاهرة عادية عرفتها الكثير من القبائل في المغرب نذكر منها على سبيل المثال :

(هنتاتة - سكسيوة) و (الحارث - أولاد مطاع) ومنها أيضاً (الخلط - الطليق) : وبعض القبائل الكبرى انمحى اسمها، والبعض مثل الخلط مازال مذكوراً وموجودا في أكثر من منطقة.

ابن خلدون، *العبر*، ج 6 و7، دار البيان، بيروت بدون تاريخ ؛ الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. أحمد العماري ؛ ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط، 1976 ؛ الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ اليفراني، *نزهة الحادي*، الرباط ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954.

Michaux-Bellaire, *Archives marocaines*, 1913, p. 65-74: De Castries, *Sources Inédites de l'histoire du Maroc*, *La dynastie Saadienne*.

محمد حجاج الطويل

**الطليقي، موسى** بن **محمد** بن مُعَرَّف الشاوي أصلاً. شيخ ركب الحاجّ المغربي. يرفع نسبه إلى الشرفاء الأدارسة. درس بفاس وأخذ عن الشيخ أحمد الشاهد المصباحي، والشيخ أحمد أبي الرواين. وصار عالماً صوفياً جزولي الطريقة من مريدي الشيخ أبي المحاسن الفاسي ومحبيه. ولما أسندت إليه رئاسة ركب الحجيج الفاسي قام بها خير قيام عدة مرات فأحسن السيرة والتدبير وحافظ على سلامة وأمن الحجاج. وقد وصف المؤرخ محمد القادري ركبه بالأبهة والعظمة فقال : "وكان يجتمع له ركب عظيم في شارة حسنة وزي جميل يخرج فيه أهل فاس وغيرهم في الأخبية المنوعة..."

وتقديراً لأهمية ركب الحاج فقد كانت مشيختها من الخطط الدينية المشرفة التي يراعى في اختيارها عدة اعتبارات قد تجتمع كلها أوجلها في شيخ الركب منها الولاء للسلطة - النسب - الجاه - العلم - الإقدام - المروءة. والمترجم توفرت فيه هذه الصفات فهو شريف وعالم وصوفي ومحسن التدبير وخبير بأحوال طريق الحاج ؛ وهذا مازاده تقديراً ورغبة في التبرك بركبه سواء في الذهاب أو العودة من طرف الفاسيين وعلى رأسهم الشيخ أبو المحاسن الفاسي. وظل موسى الطليقي في مشيخة الركب إلى حين عودته من الحج سنة 1003 ووفاته في مطلع عام 1004 بازاجن بين وزان وشفشاون.

أبو حامد العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، الطبعة الحجرية ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 59، تح. د. م. حجي وأ. التوفيق ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، 26، تح. هاشم العلوي القاسمي ؛ *ممتع الأسماع*، محمد المهدي الفاسي، ص. 129، تح. عبد الحي العمري وعبد الكريم مراد.

محمد ماگامان

**الطُماطم** عامة أو البَنَدُورَة في الشرق العربي أو مَاطِيشَة أو طُومَاطِيشْ في المغرب أسماء لنوع نباتي

يسمى علميا ليكوبرسيكومْ إسْكُولينْتُوم Lycopersicum esculentum وينتمي إلى الفصيلة الباذنجانية Solanaceae التي تشمل أهم الأنواع الخضرية كالبطاطس والفلفل والباذنجان بالإضافة إلى التبغ وأنواع أخرى. والموطن الأصلي لهذه الأنواع هو أميركيا الوسطى.

أصناف الطماطم أعشاب حولية أو معمرة في بعض الحالات لكن زراعتها لا تدوم أكثر من فصل واحد. إنها نبات عشبي كبير متفرع وقائم من الممكن أن يتراوح علوه ما بين 30 سم و3 م. أوراقها مفصصة. ازْهرَارَاتها عنقودية الشكل. أزهارها صفراء اللون وصغيرة الحجم. أما ثمارها فإنها تختلف في الحجم والشكل واللون حسب اختلاف الضروب، إذ يتراوح وزن الثمرة الواحدة ما بين غرامين بالنسبة للطماطم البرية ونصف كيلوغرام بالنسبة للطماطم المغروسة ذات الثمار الغليظة. كما يختلف وجه الثمار حسب الضروب فمنها الملساء ومنها المضلعة.

يعتقد أن الموطن الأصلي للطماطم يقتصر على منطقة البيرو والإكوادور، ومنها انتشرت شمالاً قبل عهد كولمبوس حتى المكسيك حيث استأنسها الإنسان للمرة الأولى. ثم أدخلت إلى جنوب أوروبا والمنطقة المتوسطية من طرف المستكشفين الأسبان حيث أكلت ثمارها لمدة طويلة قبل استهلاكها في أوروبا الشمالية وشمال أميريكا. وذلك بعد مدة طويلة كان الإنسان يعتبر الثمار سامة كما هو الشأن بالنسبة لأوراق وسيقان وبعض ثمار الأجناس الأخرى لفصيلة الباذنجانيات التي لا يستهلكها الأهالي ولا الحيوانات، لأنها شديدة السمومة. ولهذا انتشرت زراعة الطماطم في البداية كنبات زينة كان يسمى تُومَاتُل وتفاحة الحب.

ونظراً لأهميتها كخضرة ثمرية تستعمل في عدد كبير من المأكولات المحضرة في كل دول العالم فإن ضروب وأصناف الطماطم تكاثرت وانتشرت زراعتها لتشمل جميع المناطق الحارة والمعتدلة من القارات الخمس وحتى الباردة منها بفضل استعمال الدافئات (انظر "الدافئات"). وهكذا أصبحت أهميتها تكاد تقارب أو ربما تتجاوز أهمية البطاطس.

أما في المغرب فإن الطماطم عرفت بعد إدخالها إلى المنطقة المتوسطية الأوروبية قبل أن تنتشر إلى الجانب الافريقي منها ثم إلى الجانب الآسيوي. لكن الزراعة بالمغرب لم تعرف نمواً متزايداً إلا بعد العشرينيات من القرن العشرين الميلادي. مما جعل المساحة المخصصة لها تتزايد سنويا، الشيء الذي مكن المغرب من تصدير جزء من هذا المنتوج إلى أوروبا، ولا سيما بعد الاستقلال. ففي أوائل الثمانينيات من القرن العشرين لم تكن المساحة المخصصة لزراعة الطماطم تتعدى 13 ألف هكتار، فبلغت في أواخر التسعينيات ما يناهز 23 ألف هكتار أي ما يعادل 10٪ من المساحة الإجمالية المخصصة سنوياً لجميع الخضراوات. وكان الانتاج المغربي من الطماطم آنذاك يقدر بحوالي 500 ألف طن سنويا في أوائل الثمانينيات وبلغ مليون طن في أواخر التسعينيات. ولم يتم ذلك إلا بفضل استعمال تقنيات جديدة، وتنويع وتمديد فترة الزراعة على طول السنة، وكذلك اتساع مساحة الزراعة المغطاة أو الدافئات التي بلغت 3,70 ألف هكتار في موسم 1998 - 1999 بعد أن كانت من قبل لا تتجاوز 1,68 ألف هكتار في موسم 1988 - 1989.

زراعة الطماطم بالمغرب ثلاثة أصناف، فهي مبكرة أو موسمية أو صناعية.

- الزراعة المبكرة : تنجز على طول الساحل البحري الممتد ما بين السعيدية وواد لاو، وما بين الرباط وسيدي إيفني. كان هذا الصنف من الزراعة يعتمد على درجات الحرارة المرتفعة نسبيا في فصل الشتاء. والمناخ الأكثر ملاءمة للبواكير بصفة عامة هو الذي يصادف في الجزء الجنوبي من الساحل الأطلنطي أي سوس وماسة لكون الحرارة الدنيا ترتفع في اتجاه الجنوب. وبفضل هذا المناخ الملائم كان المغرب أول المنتجين للبواكير في المنطقة المتوسطية. لكن ظهور الدافئات جعل هذه الزراعة تنتشر في عدة دول متوسطية وغيرها، وتعرف تزايداً في الكمية المنتجة والمردودية. وتجدر الإشارة إلى أن مساحة زراعة الطماطم المغطاة لموسم 1983 - 1984 كانت تساوي 646 هـ بمنطقة الدار البيضاء والجديدة و20 هـ بمنطقة سوس وماسة، فتزايدت سنوياً حتى بلغت 3,70 ألف هكتار في موسم 1998 - 1999، بينما تقلصت مساحة الزراعة غير المغطاة فأصبحت لا تتجاوز 1,5 ألف هكتار. وللمزيد من الايضاح حول التوزيع الجغرافي لهذه الزراعة والكميات المنتجة نورد الجدول المرافق (انظر جدول 1) المتعلق بموسم 2000 - 2001. يلاحظ من خلال هذا الجدول أن مجموع المساحة الإجمالية لزراعة الطماطم المبكرة بلغ 4,7 ألف هكتار وأن الإنتاج وصل 446 ألف طن سنوياً. أي ما يعادل 50٪ من الكمية المنتجة على الصعيد الوطني. وتجدر الإشارة إلى أن الجزء الكبير من الإنتاج المبكر للطماطم المغربية يصدر إلى الخارج وخاصة في اتجاه أوروبا. فإذا كانت الصادرات من هذا المنتوج تبلغ في الثمانينيات حوالي 100 ألف طن فإنها تضاعفت مرتين ما بين 1996 و1999 لتصل إلى 200 ألف طن سنويا، ثم تراجعت في السنوات الأخيرة بعد 1999

بسبب العولمة والمنافسة الإسبانية والبرتغالية ولا سيما بعد رفض المغرب تجديد عقدة الصيد البحري في المياه المغربية مع المجموعة الأوروبية. ونشير أن تراجع الصادرات إضافة إلى الأضرار الناتجة عن الذبابة البيضاء كانا من أهم الأسباب التي أدت إلى انخفاض الإنتاج الوطني من الطماطم المبكرة بنسبة 10٪ ما بين موسم 1998 ـ 1999 إذ كان الإنتاج 560 ألف طن على مساحة تقدر بحوالي 5,2 ألف هكتار، وموسم 2000 ـ 2001 (انظر أعلاه). وتمثل التراجع كذلك في الإنتاجية التي انخفضت من 108 طن في الهكتار في موسم 1998 ـ 1999، إلى 95 طن في الهكتار في موسم 2000 ـ 2001، أي ما يعادل 14٪ من الانخفاض في الإنتاجية.

جدول 1 : مناطق وكميات الطماطم المبكرة لموسم 2000 ـ 2001 بالمغرب

| المنطقة | لزراعة المغطاة | | الزراعة الطبيعية العارية | |
|---|---|---|---|---|
| | المساحة (هـ) | الإنتاج (طن) | المساحة (هـ) | الإنتاج (طن) |
| سوس وماسة | 2720 | 355000 | 500 | 11000 |
| الجديدة | 180 | 11500 | 240 | 8100 |
| دكالة | 130 | 8000 | 225 | 8000 |
| آسفي | 96 | 9000 | 120 | 6000 |
| قلعة السراغنة | 30 | 1000 | - | - |
| الصويرة | 20 | 1400 | - | - |
| وادي الذهب | 14 | 2000 | - | - |
| الرباط وسلا | 12 | 700 | 90 | 5000 |
| سطات | 10 | 800 | 45 | 2200 |
| مناطق أخرى | 28 | 2600 | 240 | 13700 |
| المجموع | 3240 | 392000 | 1460 | 54000 |

ـ الزراعة الموسمية : وهي إما صيفية وإما خريفية. وتنجز الصيفية منها على الخصوص في المناطق القارية من المغرب حيث تتوفر عملية السقي بينما تقتصر الخريفية على الساحل. وتقدر المساحة المخصصة لهذه الزراعة بحوالي 13,64 ألف هكتار في موسم 1999 ـ 2000. أما إنتاج هذا الموسم فكان 371,24 ألف هكتار.

يخصص إنتاج الزراعة الموسمية كله للاستهلاك الداخلي.

ـ الزراعة الصناعية : وهي الزراعة المخصصة لصناعة معلبات الطماطم كالهريسة والعصير والصلصة وغيرها. وقد أقيمت هذه الزراعة على مساحة 6,72 ألف هكتار في موسم 1999 ـ 2000، فأعطت 245 ألف طن. وأهم مناطقها هي لُوكُس (1,24 ألف هكتار) والغرب (5,46 ألف هكتار) وتادلة (20 هكتاراً).

وتستهلك الطماطم نيئة أو مطبوخة مع مواد غذائية أخرى. ففي شهر رمضان الكريم يستعمل معجون الطماطم في تحضير شربة "الحريرة" التي تعتبر أهم طعام وجبة الإفطار بالنسبة للصائم.

يقدر استهلاك الفرد المغربي للطماطم بحوالي 22 كيلو سنوياً دون أخذ استهلاكه لمعجون الطماطم المعلبة بعين الاعتبار.

ـ وزارة الفلاحة والتنمية القروية والمياه والغابات : وثائق تقنية ـ الرباط.

محمد هشمي وعبد المالك بنعبيد

**طمطم** (بير ـ)، على مسافة 40 كم شرق فاس تتوسط منطقة بير طمطم منخفضي واد سبو وواد إيناون. وهي هضبة متموجة كلسية بالجنوب يغلفها الصلصال بالشمال. يتراوح ارتفاعها بين 550 وأزيد من 650 م. يتناقص منها الارتفاع في اتجاه مجرى واد سبو (350 م، 8 كم جنوباً) ويميل أقل حدة في اتجاه واد إيناون الذي تشغله حالياً حقينة سد إدريس الأول (150 م، 30 كم شمالاً). وبذلك تكتسي المنطقة طابع متون وحادورات يمكن وصفها بأراضي بينهرية قليلة المنابع والموارد المائية السطحية.

يتجانس الارتفاع وطبيعة الأشكال الطبغرافية في مجموع الأراضي بين رأس تبودة وعين السبيت غرباً وفي اتجاه سيدي مبارك وأهرمومو جنوباً وكذلك من جهة أولاد عياد شمالاً. نفس الخاصيات المورفلوجية والجيولوجية يتقاسمها محيط هضبة بير طمطم مع منطقة سايس على مستوى الإطار العام :

ـ هضبة تاهلا ويشكل بير طمطم واحداً من زواياها الثلاث إلى جانب أهرمومو وواد أمليل ؛

ـ مقدمة الريف والمجموعة الريفية بالشمال ؛

ـ بويبلان (3190) وكتلة تازكا (2000 م) في الجنوب والشرق.

تتميز هذه الهضبة بتكوينات الزمن الثاني الممثلة في صخور الكلس والدلومي الجوراسية وتنزل بدءاً من بير طمطم (حيث يبلغ سمكها 115 م) بميل قوي (10٪) في اتجاه الشمال. تخترقها الثنية التي ترافق الحاشية الشمالية للأطلس المتوسط وتتميز بانكسارات جنوبية ـ شمالية شرقية يتسرب عبرها طين وجبس الترياس نحو السطح. ويعتبر الصلصال آخر إرساب تخلف عن غمر بحر الميوسين كما عم مجموع المنطقة جنوب الريف.

وتنضاف إلى بير طمطم خاصية أخرى تتمثل في انتشار مواد بليوسينية وكلس بحيري لا تختلف عن مثيلاتها بمنطقة سايس حيث يعتبرها المؤلفون استمراراً لبحيرة كانت تشكل مصبا لأودية سبو وإيناون القديمة تراكمت بها إرسابات سميكة من الإتاوات النهرية القديمة. ويعتبر بير طمطم منطلق تعمق واد إيناون في اتجاه وضعه الحالي وذلك منذ أوائل الفترة الرباعية. ولعل هضبة بير طمطم شاهد على هذا التحول الباليوجغرافي من حيث كونها تشكل المستوى الطبغرافي الأعلى بالمنطقة.

جماعة بير طمطم القروية (376 × 570) وتتوسط

جماعات رأس تبودة، عين تمكناي، عزابة وهي محسوبة على إقليم صفرو وجماعات أولاد عياد، واد الجمعة، الولجة المحسوبة على إقليم تاونات.

وهو مجال يقرب من حاضرة فاس من جهة الشرق يتألف من آيت سغروشن وبني يازغة وآيت يوسي ثم قبيلة بني سادن التي يعتبر بير طمطم مركزاً لها. كما أنها منطقة ذات كثافة سكانية لا تتجاوز 100 ن / كم2 علماً أن مدينة فاس تمارس عليها استقطاباً كلياً وإفراغاً مستمراً للسكان.

بير طمطم، عند ملتقى طرق أهرمومو وتازة مجال محسوب على دير الأطلس المتوسط يتميز بوضع طبغرافي انتقالي عند قدم الجبل تتوفر فيه شروط مناخ معتدل ذي أمطار سنوية تتركز بين نونبر وأبريل بمعدل 550 مم (500 مم بفاس، 700 مم بتازة، و1500 مم بتازكا) ؛ فيما تتراوح الحرارة بين 24° صيفا و11° شتاءاً.

ولسيادة التربة الحمراء الكلسية أو ذات قطاعات متجددة طينية سوداء غنية بالمواد العضوية وقع إيجابي يسمح بتطور فلاحة بورية ناجحة تستفيد كثيراً من تقنيات المكننة ؛ وتعتمد بالأساس زراعة الحبوب والقطاني وبدرجة أقل مغروسات الزيتون.

وتكتسي بير طمطم أهمية قصوى من حيث الموارد المائية إذ يخترقها نفق مطماطة (قناة تحتأرضية بطول 13.5 كم، وبقطر 3.5 م) بواسطته يتم نقل ما بين 400 و600 مليون م3 / سنة من سد علال الفاسي (آيت يوب، على واد سبو) لتنضاف إلى 700 مليون م.م المجمعة في واد إيناون. وبذلك يتضاعف حجم حقينة سد إدريس الأول (ما بين 1100 و1300 مليون م3 / سنة) كما أن المحطة الهيدركهربائية عند عتبة خميس أولاد عياد (أسفل قناة بطول 3.9 كم) تكسب المنطقة بنية تحتية تنموية حقيقية. ورغم ما توفره مصادر المياه من انعكاسات إيجابية يبقى خصاص سكان منطقة بير طمطم من الماء ملحوظاً ولو في أبسط مظاهر استهلاكه.

M. Combe, *Le couloir de Taza, Ressources en eau du Maroc*, t. 2, *plaines et bassins du Maroc atlantique*, Rabat, 1975 ; A. Laouina, *Observations géomorphologiques dans la région du Moyen Sebou*, *RGM*, n° 23-24, 1973.

بوشتى الفلاح

**طمْطُومة**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة غزاوة اشتهر منها المسمى أحمد بن عيسى الذي كان يزاول مهنة الدلالة في المجوهرات بسوق الغرسة الكبيرة في أوائل القرن الماضي ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 820.

ابن **طَمَيُو**، ويكتب أيضاً مُنْطميُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لا زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Tamayo ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 263.

ابن **طميُور**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد انقرضت وكان من بين أفرادها فقهاء لم تذكر منهم الوثائق سوى :

- قاسم بن قاسم، فقيه كان يزاول خطة العدالة من سنة 1126 إلى سنة 1131.
- محمد بن أحمد فقيه كان بقيد الحياة سنة 1156.

*أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان.*

Isidro de las cagigas, *Familias tetuanies de abulango.*

محمد ابن عزوز حكيم

**طنجة** (تين كا - تين يگي - تينجيس - تينتديا)، لقد ارتبطت نشأة طنجة بأساطير عديدة، تظهر في أدبيات الإغريق والرومان استعرضها أبراهام لاريدو (Abraham Larédo) في كتابه *"طنجة من الأسطورة إلى التاريخ"* الصادر سنة 1966 م، حيث ذكر باختصار ما ورد عنها لدى الإغريق والرومان، فيذكر أن بعض هذه النصوص ربط تأسيس طنجة بقصة الطوفان وما وقع بعد هذا الحدث مباشرة من صراع بين العملاق أطلس رمز القوة البحرية لدى "الإيجيين" والعملاق "أنطي" زعيم الموريين انتهى بمصرع أنطي وزواج أطلس من أرملته طنجة. ويذكر أيضا أن ابن "طنجة" من "أطلس" واسمه سوفاك قتل أطلس وبنى مدينة سماها "طنجة" تخليدا لذكرى أمه.

وفي رواية أخرى لأسطورة مشابهة تذكر أنه حيث توجد مدينة طنجة وحيث يلتقي البحر بالمحيط انتصر "هرقل" على "أنطي" وتزوج من زوجته طنجة التي أنجبت له "سوفاكس" الذي بنى مدينة أطلق عليها اسم أمه طنجة. ويذكر ميشيل بونسيك أن سكان طنجة القدماء كانوا يعتقدون أن نشأتها ترجع للقوة الخارقة التي كان يتمتع بها الرب "هرقل" أو "ملقاط" الذي شق المضيق الذي يفصل بين قارتي أوربا وإفريقيا، والذي يسمى الآن مضيق جبل طارق، وذلك بعد أن اشتكى المور من غزوات جيرانهم في الشمال. وهناك تأويل أسطوري آخر لأصل اسم طنجة راجع إلى اسم أميرة أسست المدينة تخليدا وتذكارا لها. وعلاوة على هذا، فهناك لوحة أسطورية أخرى تضع طنجة في سياق حادث الطوفان المذكور في الكتب المنزلة، ويعزز هذا الطرح أسماء أماكن في محيط طنجة تذكر ببعض الأنبياء، كنوح عليه السلام، وموسى عليه السلام صاحب الخضر عليه السلام، وذي القرنين صاحب السد وياجوج وماجوج.

وملخص الأسطورة المتعلقة بالطوفان أن نوحا عليه السلام رست سفينته فوق جبل طنجة، ومن ذلك المرتفع أطلق حمامة لاختبار مدى انحسار الماء وما لبثت أن عادت وفي

منقارها طين، فصاح النبي فرحا وهو يقول : "الطين جاء" ويقال إن اسم طنجة درج من هذه العبارة.

ومن المعروف أن اسم طنجة ذكره، منذ القديم، بصيغ مختلفة العديد من الرحالة والكتاب القرطاجيين، والإغريق، والرومان، والمسلمين، منهم حانون وبلينوس الشيخ، وبطليموس الجغرافي، وليون الإفريقي، ومارمول، والبكري، إلخ. فيذكر ليون الإفريقي (حسن الوزان) أن المدينة قد أسست في العصور القديمة، واستنادا إلى رأي خاطئ لدى بعض المؤرخين فإن هذه المدينة من بناء ملك اسمه شداد بن عاد (بوزيدون أو بوصيدون) الذي كانت له السيادة على العالم، وأنه أراد أن يبني مدينة شبيهة بالفردوس الأرضي، إلى آخر الأسطورة. ثم يضيف : لكن المؤرخين الثقاة يقولون بأن الرومان هم الذين بنوا طنجة على ساحل المحيط في العصر الذي كانوا يحكمون فيه غرناطة وإسبانيا، على بعد ثلاثين ميلا من أعمدة هرقل".

أما مارمول فيذكر في مؤلفه عن *إفريقيا*، أن طنجة مدينة أسسها الرومان، وإن كانت الخرافات الأهلية تعزو تأسيسها إلى أمير قوي هو شداد بن عاد بينما تذكر مصادر أخرى أن أصل قرية طنجة أمازيغية صغيرة تدعى "تنكة" وذلك قبل أن تصبح مركزا تجاريا فينيقيا. ويبدو أن هذا الافتراض هو الأقرب إلى الصواب وسنتأكد من ذلك عند تحقيق معنى اسم طنجة، وذلك على الرغم من أن معظم الروايات ترجع نشأة المدينة إلى الفينيقيين أو الرومان.

وخلاصة الأمر، أن الأساطير والروايات المتعددة اختلفت حول أصل طنجة وتاريخ نشأتها الأولى، وحول اسمها، ومن وضعه وفي أي عصر أو دولة. كما اختلفت الآراء حول معنى اسم طنجة، وقد اقترحت أصول ومعان لاسمها بناء على ما ورد في النصوص القديمة من الأساطير أو بناء على اجتهادات في فقه لغات الأمم التي ارتبط موقع هذه المدينة بتاريخها.

ومن الممكن أن يساهم المنهج الأثري في اقتراح معنى جديد، متى كان أشمل وأوسع، وقد يكون أكثر إقناعا مما هو مقترح في المصادر السابقة.

والملاحظ أن اسم طنجة كما ورد في النصوص التي تحكي هذه الأساطير، كان متشابها لكنه متعدد الرسم والصيغ كما يذكر أحمد التوفيق إذ ورد على النحو التالي :

Tinga تينكا أو تنكا أو تين كا.

Titga تيتكا أو تتكا.

Tingis تينجيس أو تينكيس أو تنيكي أو تنكي.

Tintdia تنتديا.

وينطق الاسم في العربية "طنجة" و"Tanger" في الفرنسية و"Tangier" في الإنجليزية، ولعل ما يمكن الاهتداء إليه والاعتماد عليه هما صيغتان وردتا في نقود الفينيقيين، الذين وصلوا إلى طنجة قبل الإغريق والرومان وهما Tinga تينكا وTitga تينكا، مما يوحي بأن الاسم كان محليا وأصيلا

في اللغة الأمازيغية لغة أهل البلد وجده الفينيقيون أمامهم عند نزولهم بالسواحل المغربية فنقلوه بشيء من التحريف ليتماشى مع لغتهم. وكان أصله "تي ن ئكّي" أي العالية، رددته الأهازيج الشعبية (طنجة يا العالية)..

أما اسم طنجة كما يكتب وينطق اليوم في العربية، فقد دخل إلى أقدم النصوص الإسلامية كما يرسم وينطق بها اليوم، لأن طنجة كانت من أول مرتكزات الفتح الإسلامي في المغرب الأقصى كما كانت مرتكز الجواز إلى الأندلس، لذا جاء الاسم في العربية مكتوبا بشيء من التصحيف ليتماشى مع التعريب. ويبدو أن حرف التاء في آخر الكلمة تاء للتأنيث اقتضتها صياغة التعريب، بينما حرف الطاء في أولها من حرف التاء فلربما جاء تفخيما اقتضاء الحرف الذي بعده وهو النون أما حرف الجيم (معطشة) في طنجة فهو نفس الجيم البدوية (غير المعطشة) كما يقال، فيكون رسم طنجة ونطقها في اللغة العربية هو رسم معرب للاسم الوارد عند الفينيقيين، ومن نقل عنهم من بعد وهو "تينكا" وفيما يتعلق بالصيغة الواردة في النصوص اللاتينية فهي تينجيس.

أما "Tingis" أو تينكيس، فتنطق في العربية طنجيس وهي نفسها الواردة لدى الفينيقيين بزيادة حرف السين، التي تكررت في أواخر أسماء عدد من المدن في إبيريا، أو في شمال إفريقيا، كما وردت في أوصاف الجغرافيين وغيرهم من كتاب العهد الروماني. ويذكر أن العلماء المختصين يقررون أن المعرفة بلغة الفينيقيين محدودة جدا، ولا يستطيع أحد أن يحسم في طريقة نطقهم لحركات الأسماء، لما يكون فيها من إمالة على غرار إمالة اللبنانيين لفتحه لحرف الأخير في بعض الكلمات نحو الكسر.

ويذكر الأستاذ أحمد التوفيق حول معنى اسم طنجة أن ما ينبغي إبرازه في هذا المقام أن اسم طنجة أو تنكا Tinga قد ورد في نقود الفينيقيين مفصولا إلى شطرين تين "Tin" گا "g". وفي محاولة لتفسير معنى طنجة في لغات مختلفة تناولته، نجد أن مادة ط ن ج في اللغة العربية قليلة وليس في لسان العرب لابن منظور سوى كلمة الطنوج بمعنى الأسفار، وفعل طنّج بتشديد نونه ويعني الغريب بمعنى تفنن في الكلام، وهذا يعني أن الاسم ليس له معنى في اللغة العربية فهو علم أعجمي. ومن الملاحظ أيضا أن المحاولات اللاتينية لشرح معنى اسم طنجة تربطه دائما بالنسق الأسطوري بأعلامه ووقائعه كما حكاه الإغريق ثم الرومان، وهي مصادر أجنبية، وعدم الالتفات إلى الجذور الأصلية والمحلية، كما تتضمن جهلا بالآثار الأمازيغية والفينيقية أو تجاهلا لها، كذلك فعل من أراد أن يجد للاسم تأويلا عربيا في عبارة الطين جاء المرتبطة بالطوفان.

والواقع أن كل من تناولوا اسم طنجة من حيث أصله ومعناه ابتعدوا به عن اللغة المحلية أي اللغة الأمازيغية، مع أنها أقرب اللغات إليه.

وحتى عند الرجوع إلى الأمازيغية في شرح اسم طنجة فإن الباحثين تعاملوا معه باعتباره كلمة واحدة تنكا "Tinga" وارتباط اسم طنجة بقصة الطوفان، ومن ثم ربطوا الاسم بشعب ذي سيلان عن قدم المرتفع الذي تقع فيه طنجة.

ويمثل التداعي بين الدلالات المحتملة والوقائع المذكورة دون التأكد من صحتها في هذه الحالات إغراءات خطيرة للبحث. ومن هذا القبيل أن نجد أقرب الكلمات الأمازيغية في اللغة اليوم إلى اسم طنجة كلمة تاضنكة ومعناها المرجة الكبيرة العالية، ولا تعوز القرائن لترجيح هذا الاسم سواء من جهة وقوع طنجة على مضيق بحري شديد الهيجان، أو من جهة موضعها المشرف عليه، والذي يكاد يشبه في شكله موجة من أمواج البحر المتلاطم، أو طرفا من اليابس يعاند أمواج البحر التي ترتطم عند أقدامه، وهي كسابقتها لا تدل على حقيقة الاسم المقصود. أما صيغة تين كا "Tin" "g" وهي الكلمة المفصولة إلى شطرين "تين كا" فقد بحث أحمد التوفيق فيها بقصد القياس بكلمات مماثلة في الصيغة والرسم، ووجد عددا من أسماء الأماكن التي لها معنى أمازيغي، وأشهر تلك الأسماء اسم "تينغير" وهو مركب من "تن" التي تفيد الوصف والنسب في الأمازيغية وتعني هنا صيغة التأنيث، والضمير يعود على المحلة أو العمارة أو المدينة ذات الجندل، أو ذات الصواري، أو تعني "التي في". أما الشطر الثاني وهو "غرة" فمعناه في الأمازيغية عرف الجبل، أو الأكمة أو المرتفع وهو أصلا بهمزة تحتها، وكسر في أوله "إغر" فهي إذن "تن إغر" ولكن الهمزة استثقلت لدواع يدخل فيها نسيان المعنى الأصلي أو تناسيه، فيكون أصل الكلمة طنجة تنك المركبة بالقياس على ما سبق من أن "تن" تعني ذات أو المنسوبة إلى والشطر الآخر "كا" وأصله "إكا" فحذفت الهمزة ومعناه في الأمازيغية الأعلى أو فوق أي "تين كا" تعني الواقعة في المرتفع أو الأعلى أي ذات الارتفاع أي العالية.

ومن المعروف أن أسماء الأماكن تدل في معظم الأحيان على معان تتصل بالشكل الطبوغرافي للموقع ولا تخفى أهمية التحصين وصفة المنعة التي يوفرها العلو بالنسبة للمدن الواقعة على الممرات البرية أو البحرية. وهذا ما يبرر كثرة ورود أسماء مواقع في جميع أنحاء العالم، وبلغات مختلفة لها معنى الموقع المرتفع أو الحصن العالي. فطنجة إذن هي العالية في لغة الأمازيغ، وهو في حق طنجة حقيقة جغرافية طبوغرافية لها ورود في الفولكلور الشعبي في "طنجة العالية" كما يذكر أحمد التوفيق.

ويكتب شاتلان عن طنجة سنة 1939 ما يلي :

"مدينة تاريخية كبيرة يختلط ماضيها بالأسطورة، بحيث أن بانيها هو الرب أنطي ابن الرب بوصيدون والربة الأرض حسب بومبينيوس ميلا (5، 26) وبلينوس الشيخ (7، 2). وقد تمكن البطل الإغريقي الأسطوري هرقل من صرع أنطي. واعتمادا على نص اقتبسه بلوطارك (Sertorius, 9) عن يوبا الثاني فإن هرقل تزوج من أرملة أنطي تينكي "Tingé" وأنجب منها ولدا اسمه صوفاكس (Sophax) قام بإنشاء مدينة طنجي.

والجدير بالذكر هنا أن كل النصوص الكلاسيكية تقريبا (بومبينيوس ميلا وبلينوس الشيخ وسترابون، وبطليموس وديون كاسيوس إلخ..) تضع طينجي في أقصى شمال غرب المغرب وعلى الجزء الجنوبي الشرقي من مضيق جبل طارق. تعطي طينجي بالظهر لهضبة مرشان التي يفصلها عن الجبل الكبير وادي ليهود. ويبدو أن طينجي القديمة بنيت على الهضبة، وفق ما يذكره بونسيك، في كتابه *"أبحاث أثرية في طنجة وناحيتها"*، وأنه توصل إلى معرفة خطوط تسوية المدينة القديمة وباستعمال التصوير الفوطوكراميتري، وأنه متأكد من أن الطرق القديمة بطنجة، تطابق تقريبا الطرق الحديثة وهذا يعني أن طنجة الحالية مبنية على طنجة القديمة.

ونظرا لتحكمها في الشق الجنوبي لمضيق جبل طارق يبدو أنها قديمة جدا وتعود إلى عهد سابق على اتصال السكان الأصليين بالفينيقيين وأنها بالتالي لم تكن مستوطنة فينيقية.

ويجب التذكير هنا بالدور الذي لعبته طنجة في عهد الملوك المور أمثال إيفطاس واسكاليس وبوگود خلال الحروب الأهلية الرومانية. ويخبرنا ديون كاسيوس بأنه خلال معاهدة السلام سنة 40 قبل الميلاد منح أوكتافيوس سكان مدينة طنجة حق المواطنة الرومانية ؛ ولذلك عندما اعتلى الملك بوخوس عرش موريطانيا لم تكن طنجة تابعة له، مما يؤكد أنها كانت مدينة مستقلة.

ونظرا لوجود طنجة الحالية فوق طنجة القديمة فلم تجر فيها التنقيبات وإنما عرفت بعض الاستبارات أجراها بونسيك في السوق الصغير استخرج منها عددا من الكتابات يبلغ عددها خمسينا (50) منها ما هو متعلق بالوالي بيسيوس بويتوينياس (Besius Betuinianus) في عهد الامبراطور تراجانوس، وكتابات أخرى ذات موضوعات دينية وثنية ومسيحية.

كما تم استخراج مجموعة من المواد الأثرية أشهرها تمثال المرأة الملتحفة ومجموعة من المسكوكات والقناديل وتماثيل صغيرة وكتابات، كل هذه المواد معروضة بمتحف القصبة بطنجة.

والجدير بالذكر أن طنجة الحالية تمدنا بين الفينة والأخرى بمواد أثرية عند حفر أسس عمارة أو بناية من البنايات في طنجة. ففي زنقة الصباغين اكتشف سنة 1935 مجموعة من المواد الأثرية في ظرف زمني متقارب. وخلال وضع أسس عمارة بنك المغرب عثر على أسس بناية يبدو أنها تعود لعهد الاحتلال الروماني، وقبل هذه السنوات وخلال الإعداد للبناء في منطقة الرهبان الفرانسيسكان الإسبان، عثر في عمق عدد من الأمتار على فسيفساء يعرف باسم فسيفساء أورفي (Mosaïque d'orphée).

وعلى ما يبدو، فحتى الأسوار الحالية للمدينة قد تكون استمرارا لأسوار مدينة طنجة في العصر القديم.

وفي سنة 1958 أجرى مونطالبان استبارات في المنبت البلدي واكتشف بقايا بناية اعتقد أنها حمامات. إلا أن بونسيك وبعد إجراء حوالي اثني عشر (12) استبارا في المنطقة تبين له أن حمامات مونطالبان عبارة عن تحصين عسكري صغير أهمل في وقت ما وتحولت بوابته الرئيسية المدعمة ببرجين إلى حمام. وكان الهدف من هذا التحصين هو حماية المدينة وخليج طنجة والمنطقة الشرقية، من القبائل التي تسكن الجبال المجاورة. ويكاد يكون تصميم هذا التحصين مربع الشكل طوله 27 م وعرضه 26 م ويبدو أن هذا التحصين معزول ولا وجود لأبنية مهمة مجاورة له كما تؤكد ذلك الاستبارات.

كما استخرجت مجموعة من المواد تتضمن مصابيح تعود للقرنين الثاني والثالث الميلاديين ونقود من عهد تراجانوس ودقلديانوس وقسطنطين الأكبر. والشيء الذي يجب التأكيد عليه حول ماضي طنجة هو طابع الأصالة وتميزها الخاص، وهذا ما حاول بونسيك أن يؤكده من خلال الأبحاث الأثرية التي أجراها وهو أن طنجة كانت لها علاقات متينة مع عالم البحر المتوسط وإسبانيا. وهذا التميز لا نجده في باقي المدن المغربية القديمة، فطنجة هي التي أطلق اسمها على الولاية الرومانية التي أحدثت بعد مقتل الملك الموريطاني بطليموس سنة 40 م بحيث أصبحت الولاية تحمل اسم موريطانيا الطنجية. ولذلك ليس من المستبعد أنها كانت عاصمة الولاية الرومانية موريطانيا الطنجية وليس وليلي.

م. مصيلحي فتحي، *بحوث في جغرافية مصر*، ستبين الكوم، 1993 ؛ أ. التوفيق، *حول معنى طنجة من أعمال ملتقى طنجة في التاريخ المعاصر*، طنجة 1990، ص. 33 ـ 41، الرباط، 1991 ؛ ليون الإفريقي، *وصف إفريقيا*، ج. 2، ص. 208 ـ 209، الرباط ؛ أبو عبيد الله البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، جزء من كتاب *المسالك والممالك*، بغداد، ص. 108، دون تاريخ ؛ مصطفى أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية ما بين المور والرومان من 144 إلى 285 م*، د. د.ع. مايو 1980، كلية الآداب، الرباط.

Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 2 ; M. Besnier, *Découverte d'une necropole romaine à Tanger*, *R.M.M.*, VI, 1908 ; S. Biarnet et A. Perette, *Les sépultures antiques du plateau du Marshan à Tanger*, *A.M.*, XVIII ; Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris 1943 ; L. Chatelain, *Découvertes d'une statue romaine à Tanger*, *CRAI*, 1935 ; Id., *Tingi (Inscriptions)*, *Bulletin de la société de Géo.* de France, 1915 ; Id., *Tngi (Inscriptions)*, *CRAI*, 1935 ; J. Marion, *Peuplement de Tanger à l'époque romaine*, *Hesp.* XXXV, 1948 ; Michaux-Bellaire, *Tanger et sa zone*, Paris 1921 ; M. Ouachi, *Tanger création et mythologie*, *Mémorial du Maroc*, vol. I, 1983 ; D. Ponsich, *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, région de Tanger*, *BAM*, V, 1964 ; Id., *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région*, Paris, 1970 ; M. Tarradell, *El Benian, Castellum romano entre Tetuan y Tanger*, *Tamuda*, I, 1953, p. 302 - 309 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, *Mémoire de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres*, IX, 1878.

مصطفى أعشي

**طنجة**، توجد في موقع استراتيجي هام يتحكم في الطريق البحرية الرابطة بين المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، وهو ما جعلها محط أطماع أجنبية منذ أقدم الأزمنة. فمنذ تأسيسها في القرن السابع قبل الميلاد وقعت طنجة في قبضة العديد من المحتلين، بدءا بالفنيقيين، ومروراً بالقرطاجانيين، والرومان، والوندال، والبرتغاليين والإنجليز. وقد ترك الاحتلال الأجنبي بصماته واضحة على شخصية المدينة، وخاصة الاحتلال الأوربي الحديث من سنة 1471 إلى سنة 1684، الذي جعل منها بعد تحريرها ثغرا ومرسى محصنة، تشكل الحاميات العسكرية العمود الفقري لساكنتها. وهذا الطابع العسكري الذي ميز تاريخ طنجة هو الذي منعها من اكتساب بنيات ومؤسسات حضرية كتلك التي نجدها بالمدن الداخلية.

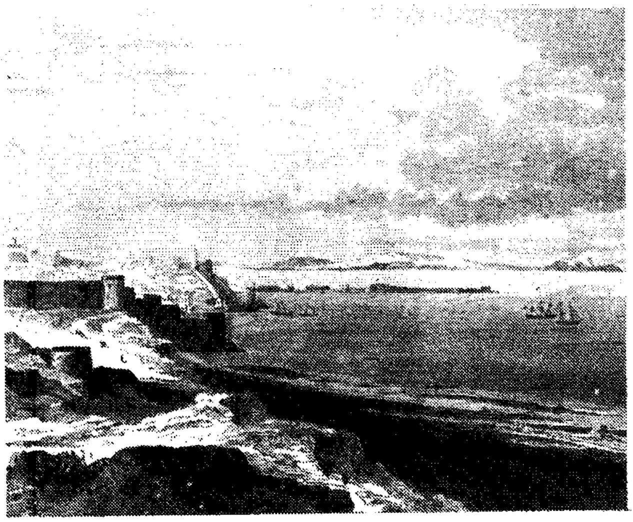

وبعد الفتح الإسلامي اكتسبت مدينة طنجة أهمية خاصة كنقطة وصل بين المغرب والأندلس. كما جعل منها عمال الخلافة الأموية بالمشرق مقرا لحكمهم. وتفيد الروايات التاريخية أن المولى إدريس بن عبد الله قد قصدها في نهاية القرن الثامن للميلاد، قبل أن يستقر بمدينة وليلي. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت المدن الداخلية كوليلي وفاس مركزا للحكم، في حين فقدت طنجة أهميتها، حتى في مجال الربط بين المغرب والأندلس، بعدما تألقت مدينة سبتة كحاضرة وكجسر بين العدوتين.

وبدأت الأطماع الأوربية حول مدينة طنجة تظهر مع بداية القرن الخامس عشر للميلاد. فبعد احتلالهم لمدينة سبتة في سنة 1415 حاول البرتغاليون عدة مرات احتلال طنجة، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك إلا في سنة 1471، لتبقى المدينة في يدهم قرنين من الزمن. وفي سنة 1671 انتقلت ملكية المدينة إلى الإنجليز عندما قدمت طنجة كجزء من مهر الأميرة كاترين دي براگانزا، التي زُفت إلى ملك إنجلترا، شارل الثاني. وكان الإنجليز حريصين على أن تُصبح المدينة قاعدة بحرية في خدمة الأسطول الإنجليزي، ومحطة تجارية على

الطريق البحري الرابط بين إنجلترا ومستعمراتها في آسيا. لذلك فإنهم لم يهتموا إلا بالتحصينات، في حين دمروا جل البنايات ذات الطابع الديني. وبطبيعة الحال، فقد ظلت المدينة خلال الاحتلال الإنجليزي مقطوعة عن حوزها، بل إن المدينة كانت خلال جل هذه المرحلة تعيش حصارا شبه دائم من طرف القبائل المجاورة، مع ما كان يتخلل ذلك من هجومات المجاهدين، خاصة في وقت لم تتمكن فيه بعد الدولة العلوية الناشئة من مد سلطتها إلى المناطق الشمالية. وقد احتفظ التاريخ بأسماء مجاهدين استطاعوا أن يحولوا حياة المحتلين إلى جحيم، أمثال الخضر غيلان الذي ضيق بالإنجليز إلى درجة أصبحوا معها يفكرون في إخلاء المدينة. ولم يقبل بعقد هدنة معهم إلا عندما شعر بالتهديد من جهة الجنوب، عندما تقدم العلويون باتجاه المناطق الشمالية.

وإذا كان العلويون قد تمكنوا من القضاء على غيلان فإنهم كانوا مطالبين بمواصلة الجهاد ضد المحتلين الإنجليز وتحرير الثغور الأخرى المحتلة من طرف الإسبان، حتى يعززوا مشروعيتهم السياسية ويُبرروا تصديهم لحركات جهادية محلية، كحركة غيلان بفحص طنجة، أو حركة أولاد النقسيس بمدينة تطاون. وحاول الإنجليز الوصول إلى صيغة تفاهم مع مولاي إسماعيل تُمدد على أساسها الهدنة بين الجانبين، لكن الاعتبارات السياسية التي جعلت من تحرير الثغور المحتلة أولوية بالنسبة للعلويين، والضغوط العثمانية لتحويل نظر المولى إسماعيل بعيدا عن حدوده الشرقية ومطالبته بجهاد النصارى، قللت من حظوظ التوصل إلى "هدنة دائمة" كما كان يأمل الإنجليز. لذلك قررت الحكومة الإنجليزية، أمام اشتداد الحصار المضروب على طنجة، إخلاء المدينة في فبراير من سنة 1684.

وبعد تحريرها عهد المولى إسماعيل بحكمها إلى "الجيش الريفي" بقيادة علي بن عبد الله التمسماني. وكان على هذا القائد أن يُعيد بناء المدينة ويُعمرها بعناصر القبائل الريفية التي اتخذها العلويون حليفا، وجعلوا منها جيشا يحررون به الثغور، ويوظفونه في كبح جماح القوى المحلية بمنطقة جبالة. وفي نفس الوقت كلف المولى إسماعيل قائد طنجة بإدارة الشؤون الخارجية والعلاقات التجارية والسياسية مع الأوربيين. ومنذ ذلك التاريخ تحولت مدينة طنجة إلى "بوابة المغرب الديبلوماسية"، ومقر القنصليات الأوربية. وعقب وفاة هذا القائد خلفه ولده أحمد بن علي الذي استطاع أن يوسع سلطته لتشمل مجموع الشمال المغربي، خاصة خلال فترة الاضطرابات التي تلت وفاة المولى إسماعيل في سنة 1727، إذ تمكن أحمد بن علي الريفي بفضل مداخيل التجارة مع أوربا أن يكسب الأتباع، ويستميل جزءا من جيش العبيد، وأن يمنع مولاي عبد الله بن إسماعيل من مد سلطته إلى القسم الشمالي من المملكة، وذلك إلى حدود سنة 1743 عندما قُتل هذا القائد في مواجهة حاسمة بين الطرفين.

وخلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر استطاع السلطان سيدي محمد بن عبد الله أن يقلص من هيمنة الجيش الريفي عندما أسكن بالمدينة فرقة من جيش العبيد. إلا أن أسرة أحمد بن علي الريفي كانت عبر خدمتها الطويلة للدولة قد أصبحت من الأسر المخزنية التي يصعب الاستغناء عنها. لذلك فإنها توارثت قيادة طنجة ونواحيها لعدة أجيال خلال القرنين الثامن والتاسع عشر.

ومن جهة أخرى يمكن القول إنه خلال القرن التاسع عشر اكتسبت طنجة معالم وسمات لازالت تشكل إلى اليوم جزءا من شخصية هذه المدينة. ومن جملة التطورات التي طبعت المدينة خلال هذا القرن تزايد الحضور الأوربي في المجالين الديبلوماسي والتجاري، بتزامن مع اشتداد الضغوط الاستعمارية. وقد تجلى الحضور الأوربي قبل كل شيء في وجود القنصليات الأوربية، ونمو جالية من الأوربيين تتكون من موظفي القنصليات وأسرهم، وكذلك من التجار الأوربيين الذين استقروا بالمدينة خلال النصف الثاني من القرن. ومن العوامل التي جعلت الدول الأوربية تنقل مقرات قنصلياتها من الرباط إلى طنجة تكليف المخزن لقائد طنجة بالكلام مع ممثلي هذه الدول. كما أن الأوربيين استفادوا من قرب المسافة بين طنجة والقارة الأوربية، ومن وجود مواصلات بحرية أكثر سهولة بين هذه المدينة والعديد من المراسي الأوربية. وابتداء من سنة 1845 تم ترسيم وضعية طنجة كعاصمة ديبلوماسية عندما قرر السلطان أن يعين بها نائبا عنه يمثله لدى الهيئات القنصلية الأوربية. وبهذا الإجراء تم تقليص اختصاصات قائد المدينة الذي أصبح يشرف على إدارة الشؤون المحلية دون غيرها.

وفي المجال التجاري ظلت حصة مرسى طنجة بالنسبة للمعاملات مع الخارج ضعيفة، إذ لم تتجاوز هذه الحصة عند منتصف القرن 20٪ من مجموع التجارة المغربية مع أوربا. وكانت تجارة المدينة تتم أساسا مع جبل طارق ومراسي جنوب إسبانيا، وتمثلت في تصدير الماشية والمواد الفلاحية واستيراد السلع الأوربية كالقطنيات والسكر والشاي. وجاءت الاتفاقية المغربية - البريطانية لسنة 1856 لتعطي دفعة قوية للحركة التجارية بالمدينة، إذ شهدت هذه الأخيرة فتح عدة مؤسسات بنكية، وتنشيط حركة المواصلات البحرية مع العديد من المراسي الأوربية.

وبموازاة مع هذا النمو الاقتصادي شهدت طنجة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر نموا ديموغرافيا ملحوظا. وهكذا ارتفع عدد سكان المدينة من 5.000 تقريبا في سنة 1810 إلى 20.000 في سنة 1878، وكانت المجموعة اليهودية تمثل خمس السكان تقريبا. أما الجالية الأوربية فكان عدد أفرادها يقدر بحوالي 700 في سنة 1860، بينما لم يكن هذا العدد يتجاوز المائتين تقريبا في سنة 1832. ومن المؤكد أن توقيع المغرب لسلسلة من الاتفاقيات مع الدول الأوربية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر أدى إلى

تضخم هذه الجالية التي وصل عددها إلى 5.000 فرد عند نهاية القرن. وقد صاحب هذا الارتفاع في نسبة الأوربيين ظهور العديد من المؤسسات الجديدة التي لم يعرفها من قبل المجتمع المغربي التقليدي. ومن هذه المؤسسات ما كان يعرف بالمجلس الصحي المكون من الهيأة القنصلية، والذي كانت مهمته تدور حول الوقاية من الأوبئة ومنع انتشارها. كما ظهرت بالمدينة أولى المدارس الأوربيـة، وكذلك مدارس الجمعية اليهودية العالمية. كما شهدت طنجة دخول الطباعة الحديثة وصدور عدد من الصحف باللغات الأوربيـة، في البداية على الأقل.

وعند بداية القرن العشرين استقطبت مدينة طنجة أنظار العالم أجمع، وذلك نتيجة ازدياد حدة التنافس الاستعماري حول المغرب، وانكشاف الأطماع الامبريالية تجاهه، خاصة بعد الاتفاق الانجليزي - الفرنسي لسنة 1904. واتخذت ردود الفعل المغربية على هذه الأطماع شكل اختطاف بعض الشخصيات الغربية بالمدينة. وكان من وراء أشهر عمليات الاختطاف الشريف مولاي أحمد الريسوني. وفي سنة 1905 تصدرت طنجة الأحداث الدولية بزيارة إمبراطور ألمانيا وليام الثاني، الذي جاء ليؤكد "حقوق ألمانيا" في المغرب. إلا أن مصير طنجة كان في النهاية مختلفا عن مصير بقية البلاد. فبينما تم تقسيم المغرب إلى منطقتي الحماية الفرنسية والاسبانية في سنة 1912، اتفقت الدول الغربية على أن تُفرد المدينة بوضع دولي خاص يحول دون إلحاقها بإحدى الدولتين الحاميتين، وهو الأمر الذي كانت بريطانيا تعارضه بشدة. لكن هذا "الوضع الخاص" لم يتحدد إلا في سنة 1925 بعد أن انشغلت أوربا بالحرب العالمية الأولى وما أعقبها من إعادة ترتيب الأوضاع الأوربية.

وكانت مسألة طنجة قد أثيرت دوليا لأول مرة في مؤتمر الجزيرة الخضراء (1906)، لكن المشاركين في هذا المؤتمر فشلوا في حسم المسألة، إذ كانت كل من إسبانيا وفرنسا تطالب بإدراجها ضمن منطقة نفوذها، بينما كانت بريطانيا ترى في ذلك إضعافا لهيمنتها على البوغاز وتهديدا لمصالحها البحرية في البحر المتوسط. ولم تنكب الدول الغربية على مسألة طنجة إلا في سنة 1923 عندما عقد بباريس مؤتمر لتحديد المعالم الرئيسية لوضع طنجة ومنطقتها. والاتفاقية التي تمخضت عن هذا المؤتمر هي التي حددت الوضعية التي عرفتها المدينة حتى استقلال البلاد في سنة 1956، باستثناء فترة الحرب العالمية الثانية عندما استغلت إسبانيا ظروف الحرب لتربط المدينة بمنطقة حمايتها بين سنتي 1940 و1945.

وكان النظام الخاص الذي أحدث للمدينة ينص على حيادها السياسي والعسكري، وبقائها مفتوحة للتجارة الدولية دون قيود ؛ كما نصت اتفاقية باريس على أن يدير شؤون المدينة ومنطقتها مجلس يضم ممثلي الدول الغربية المهتمة بما عرف بالمسألة المغربية. وكما كان الحال في منطقتي الحماية الفرنسية والإسبانية فإن منطقة طنجة بقيت كذلك من الناحية المبدئية على الأقل، تحت سيادة السلطان. لذلك سمح لهذا الأخير بتعيين "مندوب" يكون واسطة بين السلطان ورعاياه بالمنطقة الدولية.

وكانت لهذا النظام الدولي انعكاسات هامة في المجالين الاقتصادي والمالي. ذلك أن مدينة البوغاز أصبحت سوقا مالية نشيطة تضم حوالي 85 وكالة بنكية في سنة 1950 مقابل 4 وكالات فقط عند بداية القرن العشرين. وفي سنة 1950 كذلك كان عدد الشركات التجارية المسجلة بالمدينة يناهز 4.000. لكن الإنجازات الاقتصادية التي شهدتها طنجة ومنطقتها ظلت هشة، ودون مستوى تطلعات الدول الغربية بسبب القطيعة التي ميزت علاقة المدينة بمحيطها المغربي. ومع ذلك فإن الرخاء الاقتصادي النسبي الذي عرفته طنجة خلال الفترة الدولية جعل منها قطبا للهجرة القروية، خاصة من منطقة الحماية الإسبانية بسبب فقرها، وغياب سياسة إسبانية للتنمية. وهكذا ارتفع عدد سكان المدينة خلال هذه الفترة إلى أربعة أضعاف ما كان عليه في البداية. وكان الأوربيون يمثلون حوالي ربع ساكنة طنجة التي وصلت في سنة 1952 إلى ما يناهز 164.000 نسمة ؛ ونسبة الأوربيين هذه كانت، بطبيعة الحال، أعلى نسبة للعنصر الأوربي على مستوى الحواضر المغربية ككل.

إن إخضاع مدينة طنجة ومنطقتها لنظام دولي وعزلها عن بقية البلاد خلال فترة الحماية لم يحل دون مساهمة أهلها في المقاومة والكفاح من أجل الاستقلال. فمدينة طنجة وفرت الملجأ للعديد من الوطنيين الهاربين من بطش السلطات الاستعمارية الفرنسية والإسبانية. ويبقى أهم حدث بارز ارتبط بتاريخ طنجة خلال مرحلة الوصاية الاستعمارية هو خطاب السلطان محمد بن يوسف في أبريل من سنة 1947، والذي أكد فيه ثوابت الكفاح الوطني، أي الحق في الاستقلال، والوحدة والانتماء إلى الأسرة العربية. لكن طنجة لم تستفد كثيرا عندما تحقق الاستقلال. ذلك أن إلغاء النظام الدولي أدى إلى هروب رؤوس الأموال الأجنبية وانهيار الرخاء الاقتصادي الهش الذي ساد قبل 1956. وكان من نتائج إلغاء الحواجز بين منطقة طنجة وبقية البلاد أن تدفقت على المدينة أفواج المهاجرين من القبائل المجاورة بحثا عن ظروف عيش أفضل. وهكذا كان عدد سكان طنجة في سنة 1982 يقترب من 300.000 نسمة يعيش جزء كبير منهم في الأحياء الهامشية مثل بني مكادة، والدرادب، والسواني. وفي غياب استراتيجية تنموية متكاملة تهم طنجة ومحيطها المتمثل في منطقة الحماية الاسبانية السابقة تبقى الحياة الاقتصادية بالمدينة معتمدة إلى حد كبير على تجارة التهريب والمخدرات والهجرة إلى أوربا.

Résidence Générale de la République Française au Maroc, *Ville et tribus du Maroc*, VII : *Tanger et sa zone*, Paris, 1921 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe, 1830 - 1894*, Paris, 1961 - 1963, 4 vol. ; *Horizons Maghrébins* (revue), numéro spécial sur *Tanger*, Printemps 1996.

محمد المنصور

**طنجة** (المدينة)، تقع مدينة طنجة في أقصى الشمال الغربي من المغرب، حيث تشرف على مدخل مضيق جبل طارق. وقد احتلت المدينة في موضعها الأصلي الجزء الشرقي من الهضبة المطلة على خليج واسع، طوله نحو 5 كلم، هو بمثابة مرفأ طبيعي كان من دون شك من أهم العوامل التي حددت نشأة وتطور المدينة.

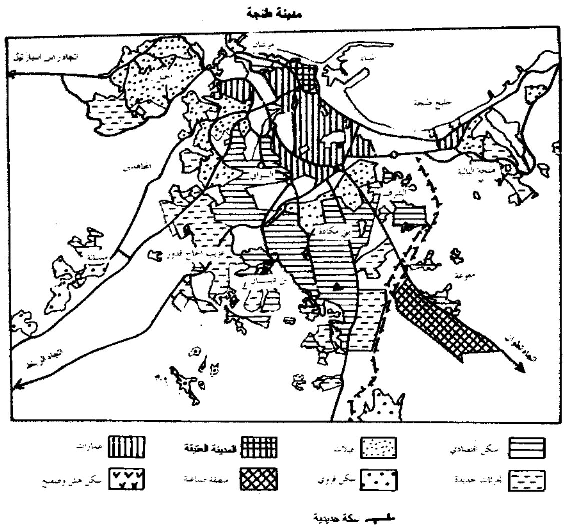


ابتداء من أواخر القرن 18 بدأت طنجة تكتسب تدريجيا دورا بارزا في علاقات المغرب مع القوى الأوربية. فقد اختارها السلاطنة لتكون مقرا للبعثات الدبلوماسية الغربية في محاولة لإبعاد هذه الأخيرة عن العاصمة فاس والتقليل من ضغوطها على المخزن. كما أن تنشيط الملاحة البحرية عبر بوغاز جبل طارق كنتيجة لشق قناة السويس، زاد من الأهمية الاستراتيجية للمدينة. وقد ساعدت المزايا التي يتسم بها مرفأها بالنسبة لدخول السفن المتزايدة الحجم على الحسم في الصراع بينها وبين الموانئ المجاورة وعلى رأسها تطوان والعرائش. وبذلك أصبحت طنجة الميناء الرئيسي للمغرب إلى أن انتزع منها الصدارة ميناء الدار البيضاء في مطلع القرن 20. وقد واكب هذه التحولات تزايد سريع في ساكنة المدينة التي توافد عليها المهاجرون من المدن المغربية الأخرى ومن أرياف شمال البلاد، علاوة على جالية أجنبية كبيرة. وهكذا تضاعف عدد السكان عشر مرات ما بين 1810 و1910، مارا من 5.000 إلى 50.000 نسمة.

وقد أفضى التفتيت الاستعماري للتراب المغربي إلى قيام منطقة دولية تشمل طنجة وضواحيها حدد نظامها بموجب اتفاقية 1923. وإذا كانت هذه الأخيرة قد نصت على مبدأ الوحدة الترابية للبلاد وسيادة سلطان المغرب مع التأكيد على حياد المنطقة الدولية والمساواة الاقتصادية بين الدول، فإنها في الواقع، على غرار نظام الحماية في باقي أجزاء البلاد، أعطت للأجانب السلطة الحقيقية في المجالات السياسية والاقتصادية. فإلى جانب المندوب السلطاني الذي يخضع له الرعايا المغاربة أنشئ مجلس تشريعي دولي ولجنة مراقبة يشرفان على تدبير شؤون المنطقة وعلى الجالية الأجنبية. وبعد فترة توقف خلال الحرب العالمية الثانية، بين 1940 و1945، استولت خلالها إسبانيا على طنجة، أعيد تفعيل النظام الدولي في صورة مجددة وذلك بانضمام الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية إلى مجموعة الدول المشاركة فيه. وقد عرفت المدينة خلال هذه الفترة ازدهارا اقتصاديا متميزا مستفيدة في ذلك من وضعها كـ"جنة ضريبية" حيث الرسوم الجمركية منخفضة والضرائب جد محدودة، إضافة إلى ضمان حرية الصرف وتجارة الذهب. يشهد على هذا الازدهار ارتفاع عدد السكان الذي وصل في بداية الخمسينيات من القرن العشرين إلى 164.000 نسمة، من بينهم 42.000 من الأجانب، واتساع رقعة المدينة وتوسيع مينائها. غير أن هذا الازدهار كان مبنيا على اقتصاد هش قائم على المضاربة والتهريب وتملص الشركات الأوربية من أداء الضرائب، من خلال إقامة مقرات اجتماعية وهمية بطنجة للاستفادة من امتيازاتها. لذلك ما فتئ أن انهار اقتصاد المدينة بعد الإعلان عن نهاية النظام الدولي (أكتوبر 1956) عقب استقلال المغرب، بالرغم من الإبقاء على حرية التجارة والصرف خلال فترة انتقالية انتهت سنة 1959 بالدمج النهائي للمدينة ووضع حد لنظامها الاقتصادي الخاص. وقد تسبب ذلك في اندلاع أزمة اقتصادية واجتماعية خانقة استوجبت تدخل الدولة. وقد اتسم هذا التدخل بالخصوص، مع مطلع الستينيات، بتدعيم دور المدينة كبوابة رئيسية لدخول المسافرين بحرا إلى المغرب من خلال توسيع وتجهيز الميناء وتعزيز البنيات السياحية وإعطاء تحفيزات ذات طبيعة ضريبية بالأساس لجلب الاستثمارات. كما أنشئت منطقة تجارية وصناعية حرة بالميناء وهيئت منطقة صناعية جديدة عند مخرج المدينة في اتجاه تطوان.

جاءت نتائج هذه السياسة متباينة. فعلى المستوى السياحي، كانت النتائج هزيلة بالنظر إلى ما كان منتظرا حيث أن الطاقة الإيوائية للمدينة لا تتجاوز اليوم 8٪ من المجموع الوطني. كما يشهد فشل إنجاز مشروع التهيئة السياسية لخليج طنجة على محدودية النشاط السياحي بالمدينة. وقد بقي هذا الأخير منحصرا بالأساس في سياحة العبور بموازاة مع وظيفة طنجة كأكبر ميناء للمسافرين بالمغرب (2,6 مليون مسافر سنة 2000)، ينافسه في ذلك ميناء سبتة المحتلة. في حين يحتل مطار طنجة المرتبة الرابعة على الصعيد الوطني بحوالي 300.000 مسافر سنة 2000.

أما على المستوى الصناعي فقد استطاعت طنجة أن ترقى إلى المرتبة الثانية وطنيا بعد الدار البيضاء من حيث عدد العاملين في هذا القطاع. وقد تعزز النشاط الصناعي مع مطلع القرن الحالي بفتح منطقة صناعية وسكنية جديدة باكزناية على مساحة 129 هـ، والمنطقة الصناعية الحرة للمطار المتخصصة في الصناعات التصديرية على مساحة إجمالية قدرها 345 هـ. غير أن بنية هذه الصناعة التي وإن

كانت تعرف تنوعا متزايدا مازالت تتسم بسيادة قطاعي النسيج والألبسة اللذين يمثلان حوالي نصف المؤسسات الصناعية وأكثر من ثلثي اليد العاملة التي يطغى عليها الطابع النسائي.

وتعد طنجة قطبا رئيسيا في شمال المغرب من حيث الخدمات (أبناك، تأمين، خدمات طبية...) إلا أن إشعاعها التجاري والخدماتي يعاني من الموقع المتطرف للمدينة بالنسبة لمناطقها الخلفية. وهو المشكل نفسه الذي يحد من رواج البضائع بالميناء الذي سجل أقل من 3 ملايين طن سنة 2000. غير أن الإمكانات التي يتيحها موقع طنجة على إحدى أكبر الممرات البحرية في العالم لم يتم استغلالها لحد الآن بشكل كافي. وهذا بالضبط ما يُتوخى من مشروع إنشاء ميناء طنجة المتوسطي في واد الرمل، على بعد 45 كلم إلى الشمال الشرقي من المدينة، والذي سيختص في إعادة توزيع البضائع على نطاق الجهة الغربية من حوض البحر الأبيض المتوسط. ويعد هذا المشروع نواة لمنطقة حرة صناعية وتجارية وسياحية يراد منها تنشيط اقتصاد المنطقة الشمالية من المغرب.

ولقد شهدت طنجة منذ الاستقلال انفجارا سكانيا وعمرانيا. ارتفع عدد السكان من حوالي 150.000 نسمة سنة 1960 إلى 497.147 سنة 1994. وتشير التقديرات إلى أن هذا العدد تجاوز 600.000 سنة 2000. ويعزى هذا النمو السريع إلى الجاذبية الهجرية التي تمارسها المدينة على نطاق مجمل الأقاليم الشمالية من المغرب، بل وتتجاوزه من خلال استقطابها المتزايد للمرشحين للهجرة السرية نحو الخارج من جهات أخرى مغربية وإفريقية، كما يعزى إلى اتساع الرقعة الحضرية بانضمام عدد من القرى المجاورة إلى المدينة.

وواكب هذا التزايد الديمغرافي انفجار في المجال الحضري. فإلى حدود الربع الأول من القرن 20 شكلت النواة القديمة داخل الأسوار والتي تشرف عليها القصبة، المقر التقديري للسلطة المخزنية، المجال الرئيسي لتوسع المدينة. ثم شرعت المدينة في الامتداد نحو الشرق على هضبة مرشان، ونحو الجنوب على طريق فاس، والجنوب الشرقي في اتجاه شاطئ الخليج. كما شهدت منطقة الجبل، في الضاحية الغربية، انتشار سكن الفئات الاجتماعية الثرية. وقد عرفت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية طفرة سريعة على المستوى العمراني. لكن احتدام الهجرة القروية ضخم من المشاكل الحضرية والمتمثلة في ظهور وتزايد حجم الدواوير وأحياء السكن غير المنظم المحيطة بالمدينة كدشر بَندبان وطنجة البالية وبني مكادة. وبعد الاستقلال عرفت طنجة فترة وجيزة من الركود استغل خلالها الرصيد السكني الشاغر بعد مغادرة أعداد كبيرة من الأجانب للمدينة. لكن مع نهاية الستينيات احتدت من جديد حركة التوسع المجالي كنتيجة للهجرة. فإلى جانب الجاذبية الناشئة عن تطور الأنشطة الصناعية والخدماتية، شكلت الهجرة الطاردة من الأرياف، خصوصا من جبال الريف، أحد الأسباب الرئيسية لهذا التوسع. كما شكلت الاستثمارات العقارية للمهاجرين المغاربة بالخارج، حتى من خارج طنجة، رافعة مهمة لتنشيط حركة البناء بالمدينة.

غير أنه بالرغم من المجهود المبذول على مستوى التخطيط الحضري، من خلال وضع مخططين توجيهيين للتهيئة الحضرية (وضع الأول سنة 1983 والثاني سنة 1997) وتصاميم التهيئة الحضرية، احتدمت ظاهرة التوسع العشوائي للنسيج الحضري وما يصاحبها من مشاكل سوء التجهيز. وتجلى ذلك في الانتشار الكبير لأحياء السكن العشوائي (حوالي ثلث السكن بالمدينة في أواخر القرن العشرين). ويهدف مخطط توجيه التهيئة الحضرية الحالي إلى إعادة تنظيم المجموعة الحضرية لطنجة من خلال اختيارات كبرى أساسية أهمها :

1 ـ توجيه توسع النسيج الحضري على ثلاثة محاور :

ـ محور شرقي على طول ساحل الخليج مخصص للسكن والأنشطة السياحية والثلاثية (مكاتب وتجارة) مع بناء محطة سككية جديدة على طرفه الشرقي،

ـ محور جنوبي للسكن الكثيف والأنشطة وتقوية المراكز الحضرية لأحياء بني مكادة وكاسابراطا وبنديبان، وفتح مجالات جديدة للتعمير بين طريق الرباط وطريق المطار،

ـ محور جنوبي غربي على طول طريق المطار بتخصيص مجالات لأنشطة القطاع الثالث الأعلى والأنشطة ذات التكنلوجيا العالية إلى جانب منطقة للوظائف الجامعية.

2 ـ تنمية مركز جديد للأنشطة الصناعية والخدماتية باكزناية والذي شرع في إنجازه.

3 ـ الحفاظ على الصبغة الطبيعية والترفيهية للضاحية الغربية بمنطقة رأس اسبارتل.

4 ـ إنشاء طريق دائرية خارجية تسهل الربط بين المداخل الرئيسية للمدينة من الجنوب إلى الشرق.

جهة **طنجة ـ تطوان**، في أقصى الشمال الغربي للمغرب. يحدها غربا المحيط الأطلسي وشرقا البحر الأبيض المتوسط وشمالا مضيق جبل طارق، وهي بالتالي تطابق في مجملها ما اصطلح على تسميته من الجغرافيين المحدثين بشبه الجزيرة الطنجية (نسبة إلى مدينة طُنجس الرومانية) التي تمثل أقرب الأراضي الإفريقية إلى القارَة الأوربية.

إداريا تتكون هذه الجهة من عمالتي الفحص ـ بني مكادة وطنجة ـ أصيلا وأقاليم تطوان والعرائش وشفشاون، والتي تضم في المجموع 100 جماعة، منها 13 جماعة بلدية و87 جماعة قروية على حوالي 11.570 كلم2. قدر عدد سكان الجهة بـ2,3 مليون نسمة سنة 2000، 57٪ منهم حضريون.

تتكون التضاريس بالأساس من الطرف الغربي لسلسلة جبال الريف. يتسم جزؤها الغربي بالانفراج وقلة الارتفاع حيث تتعاقب التلال والجبال المنخفضة من جهة والمنخفضات من جهة أخرى. لكنها تأخذ طابعا جبليا كتليا ويتزايد

ارتفاعها في اتجاه الشرق حيث يتراوح علوها ما بين 1.600 و2.100 م ( 2.170 م بجبل بوهلة جنوب مدينة شفشاون). وتشرف هذه الجبال على الشاطئ المتوسطي بأجراف تتراجع عند مصاب الأودية لتفسح المجال لظهور سهول ساحلية صغيرة تصلها بالبحر شواطئ رملية متقطعة باستثناء الساحل التطواني الذي يمتد على حوالي 20 كلم من سبتة إلى الرأس الأسود.

ويوافق القسم الغربي من الجهة منطقة الهبط التي يشير اسمها إلى انخفاضها مقارنة بالمنطقة الجبلية المحاذية لها شرقا. ويتكون الهبط من هضاب منخفضة تعلوها طبقة من الصخور الرملية. وتنحدر عموما نحو الغرب في اتجاه الشاطئ الأطلسي. بينما يزداد ارتفاعها في اتجاه الجنوب الشرقي لتتصل بتلال مقدمة الريف بمنطقة جبالة حيث يناهز الارتفاع 300 م. وتتخلل هذه الهضاب سهول فيضية ذات طبيعة صلصالية تحمل أتربة ثقيلة، ينفرد من بينها سهل لوكس بحجمه الكبير نسبيا حيث يمتد على حوالي 30 كلم طولا و10 كلم عرضا.

تنتمي الجهة في مجملها إلى المجال المتوسطي شبه الرطب بينما تنتمي حاشيتها الشمالية القصوى والمرتفعات الجبلية إلى النطاق، الرطب، في حين يتسم الشريط الساحلي المتوسطي الشرقي بطابع شبه جاف نظرا لوجوده في وضعية محجوبة عن التيارات الجوية الغربية المطرة. وقد عملت رطوبة المناخ من جهة ووعورة التضاريس من جهة ثانية على ترسيخ الطابع الغابوي المتميز للمنطقة، حيث تشمل الغابة أكثر من ثلث مساحة الجهة. وتتسم الغابة بتنوع كبير في الأصناف النباتية مما يعطيها أهمية متميزة على المستويين الإيكولوجي والبيولوجي. وضمن هذا التنوع تبرز بعض الأصناف النباتية كشجر الأرز الذي يظهر ابتداء من ارتفاع 1.300 م جبال الريف الأوسط وشجر البلوط القطني Chêne tauzin والتشنة Chêne zene من ذوي الأوراق النفضية. ويسود البلوط الفليني باقي المناطق الغابوية. كما تنفرد الجهة بوجود الغابة الوحيدة لشجر الشوح Sapin بالمغرب بالقرب من مدينة شفشاون. غير أن الغطاء الغابوي شهد تراجعا كبيرا منذ الفترة الاستعمارية إذ مازال يتهدده الاجتثاث من أجل توسيع المجال الزراعي وبالأخص المجال المخصص لزراعة القنب الهندي المعروف بالكيف والذي ينتشر انطلاقا من الريف الأوسط.

ومن الناحية الزراعية تعتبر التلال والجبال مجالا لزراعة متعددة المحاصيل يمارسها فلاحون تقليديون متجذرون. فحول القرى المعلقة على السفوح ينتشر مشهد زراعي مُسيج بنباتات طبيعية يعد من المظاهر المميزة لجبال الريف الغربي. ويطابق هذا المشهد البساتين أو كما تدعى "الجنانات" حيث تتركز المغارس (التين والزيتون والكروم...) وبعض الزراعات التي تحظى بعناية خاصة من حيث التسميد والري كالشعير العلفي وزراعات الخضر. وفي أسفل السفوح والمنخفضات تنتشر الزراعات الموسمية في تلاؤم مع طبيعة التربة : زراعة شتوية (قمح وشعير) على الأراضي الخفيفة والأراضي التي ينصرف منها الماء، وزراعة ربيعية (ذرة بيضاء وقطانيات وزراعات زيتية، خصوصا الفول السوداني، والتبغ) فوق الأراضي الثقيلة الميهة. كما تستفيد تربية الماشية من

جهة طنجة تطوان

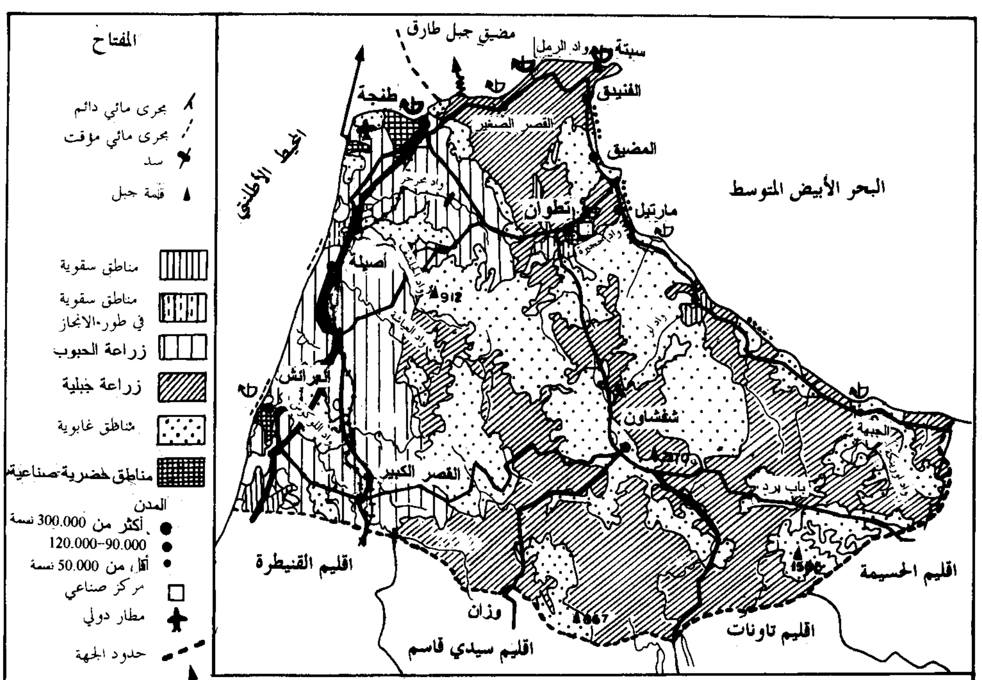

التكامل الموجود بين المراعي الغابوية على المرتفعات والأراضي الراقدة والحصائد في المنخفضات. وفوق الهضاب الغربية تنتشر عموما فلاحة تسود فيها الحبوب (قمح وشعير وقطانيات) مقترنة برعي واسع.

وقد تطور الري في إطار دوائر مسقية انطلاقا من سدود على كل من واد لاو وواد أجراس وواد لوكس. ويعتبر هذا الأخير أهم هذه السدود إذ يغطي حوالي 29.000 هـ من الأراضي المسقية على امتداد وادي لوكس الأسفل وفوق هضبة الرمل بالإضافة إلى 11.000 هـ في قطاع الدرادر - المرجة. الواقع خارج الجهة على حدود منطقة الغرب. تحتل الزراعات السكرية المرتبة الأولى من بين الزراعات المنتشرة داخل الدائرة المسقية للوكس (21.000 هـ من قصب السكر و7.000 هـ من الشمندر السكري) وتغذي معملين للسكر بطاقة 80.000 طن في السنة. ويأتي الفول السوداني في المرتبة الثانية ضمن المزروعات الصناعية. كما تغذي زراعة البقليات، خصوصا منها الفلفل الأحمر والطماطم، الصناعة الغذائية التي تحتضنها بالخصوص مدينة العرائش. ومنذ بضع سنوات عرفت الزراعة المبكرة لتوت الأرض الموجه للتصدير نجاحا كبيرا مستفيدة من لطافة المناخ وجودة تربة رملية خفيفة ملائمة وقرب المنطقة من السوق الأوربية. كما يرتبط التطور الحديث لتربية الأبقار باتساع رقعة الزراعات العلفية واستعمال بقايا بعض المنتجات كأعلاف مثل الشمندر وقصب السكر.

وعلى الرغم من توفرها على واجهة بحرية طويلة فإن الجهة لا تنتج سوى كميات محدودة من الأسماك لم تتعد 20.000 طن سنة 2001 بنسبة 4٪ من الإنتاج الوطني، موجهة بالأساس لتغذية جانب من الاستهلاك الجهوي. ويعزى ذلك لمحدودية الثروات السمكية التي يعتمد استغلالها على أسطول يطغى عليه الطابع التقليدي، ينطلق من موانئ طنجة والعرائش والمضيق.

وانطلاقا من بداية الستينيات علقت آمال كبيرة على السياحة، اعتبارا لما تزخر به المنطقة من شواطئ رملية جميلة ووجود أكبر البوابات البحرية لدخول المسافرين إلى المغرب والمتمثلة في ميناءي طنجة وسبتة (عبر مركز الفنيدق بالنسبة لهذا الأخير) والقرب من إسبانيا وما يتيحه ذلك من فرص لاستقطاب السياح الوافدين على هذا البلد. وقد بذلت الدولة مجهودا ملحوظا لتطوير هذا القطاع بالجهة من خلال إعطاء امتيازات للمستمرين وتعزيز التجهيزات الأساسية (كتوسيع ميناء طنجة الذي أقيمت به محطة للمسافرين وتوسيع المطار...) وتهيئة شاطئي خليج طنجة وساحل تطوان. غير أن الطابع الموسمي للنشاط السياحي بالمنطقة وقلة تنوع المنتوج السياحي كانا من العوامل التي قلصت من أهمية هذا القطاع حيث تراجعت نسبة جهة طنجة - تطوان من الطاقة الإيوائية الوطنية من 25٪ في أواخر السبعينيات إلى 16٪ في مطلع القرن الحالي.

وبموازاة مع ذلك بذلت مجهودات لتنمية النشاط الصناعي بإعطاء امتيازات للجهة في إطار قوانين الاستثمار الصناعي، وتجهيز منطقتين صناعيتين في كل من طنجة وتطوان انضافت إليهما مع مطلع القرن الحالي المنطقة الصناعية الحرة للمطار والمنطقة الصناعية لكزناية في ضاحية طنجة.

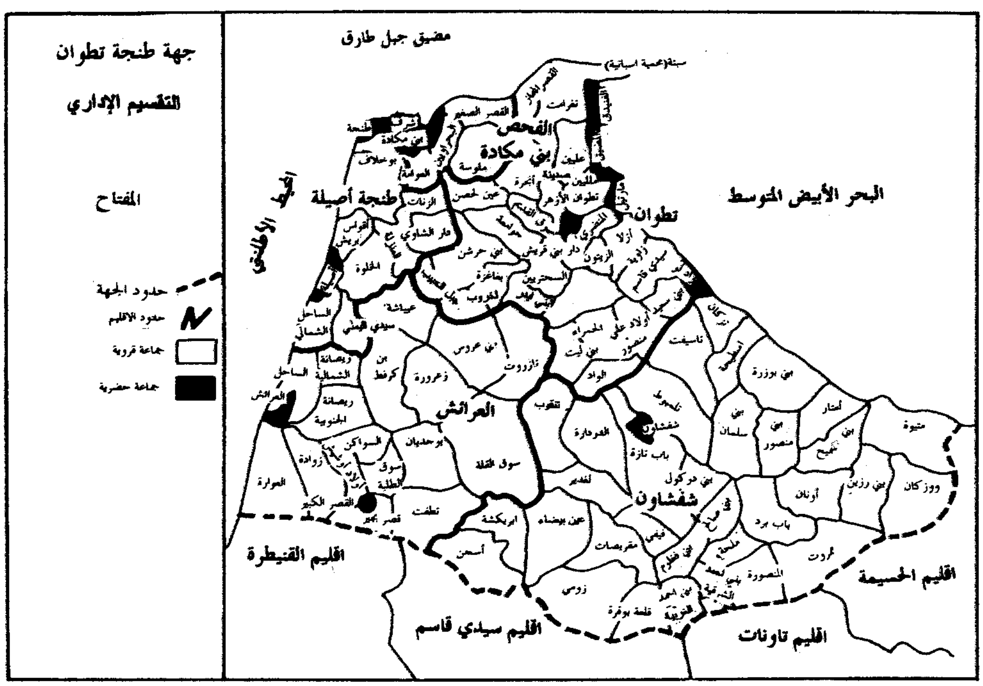

وتشغل الصناعة الجهوية حوالي 10٪ من اليد العاملة الصناعية بالمغرب (1996) وتوفر 5,5٪ من قيمة الإنتاج الصناعي الوطني. تمثل مدينة طنجة أكبر قطب صناعي بالجهة بما يقارب ثلثي عدد المؤسسات الصناعية كما تحتل المرتبة الثانية على الصعيد الوطني من حيث عدد اليد العاملة الصناعية. لكن بالرغم من اتجاهها النسبي نحو التنوع فإن الصناعة الطنجية مازال يهيمن عليها قطاعا النسيج والخياطة اللذان يشغلان أكثر من 75٪ من اليد العاملة الصناعية.

كما توجد مدينة طنجة على رأس شبكة حضرية جهوية مكونة من 8 مدن كبيرة ومتوسطة وما لا يقل عن 12 مركزا حضريا صغيرا. لكن وظيفتها كقطب حضري جهوي تعاني من موقعها المتطرف بالنسبة لتراب الجهة. غير أن هذا الوضع لا يمنعها من مزاولة جاذبية كبيرة إزاء المهاجرين القرويين، شأنها في ذلك شأن مدينة تطوان مما يفسر الوثيرة المرتفعة لنمو ساكناتهما حيث سجلتا معدلا سنويا لنمو الساكنة يقدر بـ4,4٪ بالنسبة للأولى و4,1٪ بالنسبة للثانية مقابل 3,6٪ كمتوسط بالنسبة لمجموع الوسط الحضري وذلك خلال الفترة ما بين 1982 و1994.

ويبقى في النهاية أن الموقع الاستراتيجي للجهة، المطل على مضيق جبل طارق الذي يعتبر من أهم الممرات البحرية في العالم، عند نقطة تقارب بين القارتين الافريقية والأوربية، هو أبرز الامتيازات التي تحظى بها حاليا جهة طنجة - تطوان. وهذا ما يجعلها تلعب دور الربط بين القارتين من خلال خطوط العبور البحري عبر المضيق انطلاقا من طنجة وسبتة ومن خلال خطوط الربط الكهربائي وأنابيب الغاز الجزائري بين المغرب وأوربا. ومن المنتظر أن يتقوى هذا الدور بعد إنجاز ميناء طنجة المتوسطي الذي سيتكفل بإعادة توزيع السلع ضمن الحوض الغربي للأبيض المتوسط. ومن دون شك سيزداد هذا الدور متانة في حال إنجاز مشروع الربط القار بين إفريقيا وأوربا. وفي المقابل يجر هذا الموقع بعض المصاعب على المنطقة أبرزها التهريب والهجرة السرية. فالتهريب الذي يمر أساسا عبر مدينة سبتة المحتلة التي تستفيد من وضعيتها المتميزة كمنطقة حرة يغذي أسواقا تتجاوز الإطار الجهوي. وهكذا أصبح التهريب، الذي تم التساهل معه بذريعة إيجاد منافذ للتخفيف من تفشي البطالة، عبارة عن اقتصاد خفي ينخر جهود التنمية الاقتصادية ليس للمنطقة الشمالية فحسب بل للمغرب ككل. كذلك ساهمت الجاذبية التي تمارسها أوربا على المهاجرين من بلاد الجنوب، والصعوبات المتزايدة أمام هؤلاء لاجتياز الحدود الأوربية بصورة قانونية، في تحويل الجهة إلى إحدى أكبر نقط تجمع المهاجرين السريين من المغرب وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء في انتظار فرصة للعبور نحو الضفة الشمالية.

ويبقى في النهاية أن موقع الجهة يخول لها أن تصبح قاعدة خلفية للانتاج والتصدير نحو السوق الأوربية القريبة مما يمثل امتيازا مؤكدا بالنسبة للمستثمرين.

محمد الرفاص

ابن **طنْجة**، أسرة تطوانية فرع من الأسرة اليعقوبية الشريفة وقد انقرضت بتطوان.

ابن **طنجة، عبد العزيز** فقيه تولى خطة العدالة بالمدينة سنة 1023 (1614).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 264.

محمد ابن عزوز حكيم

**طنجي**، وتكتب أيضا معرفة وبألف أمام الطاء، هم رحالة صحراويون من بعض إزرگيين - إحدى القبائل الصحراوية المحاذية للمحيط الأطلنطي ما بين واد نون والساقية الحمراء - أيت سعيد، أولاد امبارك أيت واعزيز، جاؤوا من أدراد موريطانيا حسب بعض الروايات، وحسب رواية أحد أحفاد الأسرة أنهم جاؤوا من الحوض بموريطانيا.

بقيت منهم بعض الأسر بإمارة الترارزة الموريطانية، حل جدهم بأيت باعمران منذ قرنين ونصف تقريبا. خلف الجد محمد ثلاثة ذكور وأنثيين وهم على التوالي لحسن ولد محمد، علي ولد محمد ومحمد ولد محمد أما الأنثيان فهما عيشة بنت محمد ومكبولة بنت محمد.

وقد استقرت هذه الأسرة الحوضية بالقرب من إحدى فخوذ أولاد الدليم التي سبقتها إلى عين المكان، عرفت هذه الفخذة من أولاد الدليم بأهل محمد ولد عمر.

لقبوا بهذا الاسم نسبة إلى قدح نحاسي كانت تملكه هذه الأسرة، حيث كانت تطبخ فيه الطعام وتكرم الضيف خصوصا الرحالة منهم وعابري السبيل عبر الطريق الساحلي الذي يربط واد نون بأيت باعمران ثم عبر تزنيت.

فإذا حلت "أكوابير" القادمة من جهة القبلة، بأرض أيت باعمران يقولون : أين نجد طعامنا، فيقولون عند أهل طنجي أي صاحب الطنجية. فاتخذ الأبناء هذا اللقب اسما للعائلة، كما أن هذا الاسم يحمل بعض الأفراد من قبيلة العروسين والرگيبات وأولاد الدليم، بل لازال من يحمل هذا الاسم بموريطانيا.

*معلومات حصلنا عليها من أحد أفرادها إضافة إلى أحد الباعمرانيين.*

**الطنجي، أحمد** بن عبد الرحمن، كان يعرف بالحرمل. من أهل طنجة، وسكن مراكش وقتا، كان فقيها صوفيا صاحب كرامات وكشف وأحوال. رحل إلى الحج وطاف في البلاد ووصل إلى بيت المقدس وبلاد العجم، واستقر به المقام

بمصر فسكن الإسكندرية، وتكونت له علاقات متينة بشيوخ التصوف بمصر مثل الشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ عبد الرحيم القناوي السبتي الذي زاره بقنا بصعيد مصر. وصار أبو العباس الطنجي أحد شيوخ التصوف المغربة الذين أثروا بعمق في النشاط الصوفي بمصر في القرنين السادس والسابع الهجريين بما كان له من صيت وأصحاب وأتباع.

توفي سنة 612 / 1215 ودفن بالفسطاط.

ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، المطبعة الملكية، ج. 1، ص. 346 ؛ ابن أبي المنصور، *رسالة صفي الدين بن أبي المنصور*، تح. ديني جريل، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1986، ص. 20، 63 ـ 68 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الرباط، منشورات كلية الآداب، 1984، ص. 432 ؛ ابن الطواح، *سبك المقال*، تح. محمد مسعود جبران، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص. 56.

محمد المغراوي

**الطنجي، سعيدُو**، هو المعلم سعيدو الطنجي. كان من كبار شيوخ الطرب الأندلسي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19 ـ 20).

اشتهر ببراعته في عزف الكمان زايد نقط. وإليه ينسب إدخال هذه الآلة عام 1915 إلى حظيرة الجوق الأندلسي.

وقد أخذ عنه عمر الجعايدي والحاج عبد السلام بنيوسف وأحمد بن المحجوب زنيبر، وشكل هؤلاء الثلاثة امتداداً لأسلوبه في عزف الكمان وتعزيز دوره في الأجواق الأندلسية بالمغرب.

صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، ص. 112.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الطنجي، علي** بن **عبد الرحمن** بن تميم اليفرني، أبو الحسن : من أهل فاس وعرف بالطنجي، فقيه حافظ أخذ عن أبي الحسن الصغير الزرويلي وغيره. برع في علم الفرائض والحساب، وألف تقييداً على *المدونة*. تتلمذ عليه الفقيه محمد بن سليمان السطي الذي أخذ عنه علم الفرائض.

توفي سنة 734 / 1334.

ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، نشر عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، دار المنصور، 1973، ج 1، 228 ؛ أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية، 1989، ص. 325 ؛ محمد مخلوف، شجرة *النور الزكية*، بيروت، دار الكتاب العربي، ص. 218 ؛ ابن القاضي، درة *الحجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، ج 3، ص. 245.

**الطنجي، محمد** بن **محمد** بن موسى، يكنى أبا الفرج، فقيه حافظ صالح ورع، أخذ عن والده الفقيه أبي عبد الله محمد بن موسى الطنجي، وعن خيرة علماء فاس في عصره مثل أبي مهدي عيسى المغراوي وعبد الله العبدوسي، والأستاذ أبي عمران موسى بن عبد المؤمن، وأبي عبد الله النيجي، وصهره الفقيه محمد القوري والفقيه أبي سعيد بن أبي محمد السلوي. ومن الآخذين عنه أحمد المنجور جود على يديه القرآن الكريم.

كان خطيبا بجامع الأندلس بفاس.

توفي بها في حدود سنة 889 / 1484 أو 893 / 1488.

ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ج. 1، ص. 243 ؛ درة *الحجال*، ج. 2، ص. 140 ؛ أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طبعة طرابلس، ص. 559 ؛ المنجور، *فهرس المنجور*، ص. 59.

محمد المغراوي

**الطنجية**، لون من الطعام المراكشي، سمِّي باسم القدر الذي يُطبخ فيه : الطنجية، مستطيلة الشكل تصنع من الطين بعروتين ويطلى داخلها بالبرنيق. يطهى بها اللحم بطريقة مميزة بواسطة حرارة رماد نار الحمام البلدي المعروف باللسان الدارج "بالفرناطشي". ويطلق اسم الطنجية على لون الطعام المعد في هذا الإناء الطيني ويجمع على "طْنَاجِي". وطرق إعداد الطنجية خاصة ومختلفة عن الطريقة المعروفة عند عموم الناس في إعداد وجباتهم، إذ يتطلب إعدادها مواد معلومة وإمكانيات مادية وزمنية مهمة. لذلك فهي تقضي وقتا طويلا في حرارة رماد موقد النار "الفرناطشي". وعليه فإن طهي الطنجية لا يعني توفير الإناء والمواد فحسب، بل يشترط خبرة الشخص ـ الذي يسهر عليها ـ وبدرجة حرارة الرماد التي توضع فيه، لأن المناسبة التي من أجلها تعد الطنجية تكون خاصة، وهي المعروفة عند المراكشيين "بالنْزَاهَة". وكما يمكن أن تكون الطنجية طعام المناسبات، فهي أيضاً كانت ولفترة طويلة وجبة كل يوم عند الْمَعلْمين الصْنَايْعية من الجيل السابق بالأحياء القديمة بمراكش. أما اليوم فقد تغيرت أحوال الجيل الجديد من هؤلاء الحرفيين والصْنَايْعيَة وتأثرت حياتهم بضرورات العصر المبنية على السرعة في كل شيء.

وذكر الباحث الفرنسي (Brunot) أن الطنجية بفاس هي خليط من الخضر واللحم والتوابل تطهى في إناء بنفس الاسم يدعى الطنجية، توضع برماد نار الحمام (*هسبريس*، 1921 : 127).

وقد انفرد ابن الخطيب بمعلومة تشير إلى لون الطعام المطجن الذي يراد به طبخ اللحم بغير مرق. وهذا يتطلب طريقة إعداد خاصة، وهو ما وصفه بالمطجَّنَات حيث قال : "المطجنات ما يطبخ في الفرن من اللحوم والطير في الأوعية بغير مَرَقَة" (*مفردات لسان الدين*، 86). وعليه، فعماد المطجنات حسب وصف ابن الخطيب ـ فضلاً عن عملية الطبخ في الفرن ـ هي طبخ اللحوم في الأوعية بغير مرق. فضلاً عن ذلك، فهو طعام يعد دون خضخضة (*لسان العرب*، 7 : 144) أو تحريك. وفي آداب الأكل عند المالكية إجازة مسح اليد بعد اللعق فيما لا غمر فيه وما فيه غمر يندب غسلها بعد لعقها لوجود المرق (*الفواكه الدواني*، 2 : 316). فحكم إعداد المطجنات يقتضي الإدام عند التحضير دون غمر بالماء. وهذا

عكس ما إن حضر طعام فيه غمر يعلوه إدام فهو يلطخ اليد عند الأكل لما لهذا الطعام من كثرة المرق. وكما لا يجوز التفاضل في الجنس الواحد من سائر أنواع الإدام كالسمن والزيت، فإنه لا يستقيم اعداد الطنجية إلا بما يكفي من الإدام الذي ينوب عن استعمال الماء (*الفواكه الدواني*، 2 : 75).. ويؤكد هذا عبارة ابن الخطيب "بغير مَرَقَة" وهو عدم استعمال الماء البتة في الإناء. وتعد الطنجية عموماً من لحوم البقر والغنم وخاصة ذيولها حيث يوجد دهن السمَن بها، أو الجزء المسمى بالْمَلْجْ (عند العامة) ويوضع معه نوع خاص من الجمر. كما تعد الطنجية لوجبة الإفطار من كراع (البقر والغنم) بإضافة بعض القطاني كالحمص أو اللوبية.

وتستعمل الطنجية كإناء لحفظ العديد من المواد، كالسمن والعسل والخليع والإدام المذاب.. ويضع بها أهل أنجرة الزيت، كما يقول (Westemarck). لكون هذا الإناء مبرنق - (أي مْجَلَجْ باللسان الدارج) - يمنع من الرشح ويحفظ المواد الموضوعة به على طبيعتها من غير تلف. ويقول (Brunot) : إن الطنجية بفاس تستعمل للحليب والسمن وصنع الخميرة للعجين. وحين التنابز بالألقاب بالمجتمع الفاسي كان يقال للمتلعثم في كلامه "خلاص يا طنجية الخميرة" (هسبيريس، 1921 : 127).

*مفردات لسان الدين بن الخطيب*، منشورات عكاظ، الرباط، 1988؛ السقطي، *في آداب الحسبة*، باريس، 1931 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، بيروت، 1983 ؛ ابن سالم النفراوي، *الفواكه الدواني*، بيروت، 1415 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، ج 7، دار صادر، بيروت، د. ت ؛ دوزي، *تكملة المعاجم العربية*، العراق، 1978 ؛ مجلة هسبيرس لسنوات 1921، 1922، 1923، 1925، 1931، 1933، 1938.

Westemarck, *Cérémonies du mariage, dans les Archives berbères*, vol. 2, fasc. 1, p. 13.

عبد الرزاق ازريكم

**الطنجيون**، من النصوص الجغرافية التي تعرضت للقبائل الموريطانية نص الجغرافي بطليموس الذي ذكر القبائل التي كانت تسكن موريطانيا الطنجية من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب والشرق ومع ذلك فلم يتعرض بطليموس للطنجيين إذ اقتصر حديثه على مدينة طنجة فقط. ومن الذين أشاروا إلى الطنجيين فيلوسطاط في حياة أبولونيوس تيان (Philostate, *Vie d'Appolonios Tyane*, V, I) الذي عاش في العهد الفلاقي (69 - 96 م). يذكر فيلوسطاط أن الطنجيين قبيلة متوحشة تعيش في المنطقة المتصلة مع رأس أبينا الذي قد يقصد رأس شبه جزيرة سبتة أو أبيلا التي تعني أحد أعمدة هرقل الواقع في موريطانيا الطنجية. وليس من المستبعد أن تكون لكلمة الطنجيين علاقة بمدينة طنجة وأن يكون الطنجيون يستوطنون المناطق القريبة من المدينة التي تحمل اسمهم.

مصطفى أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية في موريطانيا الطنجية بين الرومان والرومان من سنة 140 إلى 285 م*. د. د. ع.، كلية الآداب، الرباط، 1980، ص. 97.

J. Desanges, *Catalogue de tribus africaines dans l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Philostate, *Vie d'Appolonios Tyane*, V, 1.

مصطفى أعشي

**الطنطان**، إذا انطلقنا من البواعث المرتبطة بطبيعة الموقع، وجدنا أن كلمة الطنطان تعني البئر الرنانة التي كانت معروفة لدى مربي الإبل على مصب وادي درعة بالمحيط الأطلسي شمال الصحراء. ففي بداية القرن العشرين كان مصب وادي درعة من أشهر المواقع المعروفة بأهميتها كمرتع للماشية وكتراب للف الساحلي لقبائل تكنة. كانت قبيلتها آيت لحسن وإزركيين قد تخصصت في ارتياد هذا الموقع في تربيتها للإبل مما أهلها لتبني صيغة "لف ايت الجمل". وقد يكون هذا الوضع سبباً مباشراً في التجاء هذا اللف إلى البئر الرنان (الطنطان). فهو يفتح أمامها مجالاً واسعاً لاحتكار الموارد النباتية للغطاء الكثيف الذي يميز مصب وادي درعة.

تتحدد إذن أهمية البئر في موقعه الساحلي الذي جعله يثير اهتمام الضباط الإسبان الواردين على المنطقة من جزر كناريا المجاورة. وقد اشتهرت في الرواية المحلية مجموعة من الثنائيات التي تواجه الباحث حين يحاول أن يتبين مراحل ظهور مدينة الطنطان. من بين هذه الثنائيات نجد تربية الإبل ومراقبة المجال، نمط العيش الترحالي وحماية الخيام، نمط العيش وتربية الخيول، الرماية والقنص، التحالف القبلي وحماية الجار، الخ..

خلال الثلاثينيات من القرن العشرين بدأ الإسبان يعززون مواقعهم بالمنطقة. وكان العامل الذي ساعد على اهتمامهم بموقع الطنطان تحديداً هو ردود الفعل القبلي الرافض. فقد أدى اهتمام الإسبان بالبئر إلى انطلاق المعارضة القبلية عبر رفض الفصائل المحلية لأي اتصال مباشر مع الضباط الإسبان. وغداة الاستقرار الفعلي الاسباني سنة 1932، أخذت الإدارة العسكرية الإسبانية ترتب أمورها لانطلاقة تكون منسجمة مع حاجيات الرحل إلى موارد غذائية وغيرها.

وتدريجيا ظهرت نقطة الطنطان على الخارطة الإسبانية على بعد 21 كلم جنوب مصب وادي درعة. وقد كانت الإمدادات الغذائية تصلها عبر البحر من الطرفاية جنوباً. تبرز أهمية هذا المعطى الغذائي بالنسبة للوسط الترحالي من خلال ندرة المنتوج الكافي محلياً من حيث اقتناء المنتوجات المصنعة أو تزويد الفصائل المحلية بالمواد الأولية. فقد تضافرت عدة عوامل جعلت من مربي الماشية يعيشون أوضاعاً صعبة خلال الثلاثينيات التي عرفت الأزمة الاقتصادية لسنة 1929 والظروف المناخية غير المواتية في مطلع الثلاثينيات بما فيها من غزو للجراد وسنوات فلاحية عجاف إضافة إلى الهيمنة الاقتصادية لاقتصاد الموانئ الغربية.

هكذا ومن هذا المنطلق القاضي بالابتعاد عن سياسة التصلب، جعل الرحل يتنقلون تحت المراقبة الفعلية للإدارتين

الاسبانية والفرنسية بين الحدود المرسومة ابتداءاً من سنة 1934. وقد تمت دشرة الطنطان تحت الحماية الأمنية والسياسية للإدارة الإسبانية إلى أن أصبحت مدينة من الحجم الصغير. هكذا اضطرت الفصائل المحلية أمام ازدواجية الإدارة السياسية الفرنسية والاسبانية إلى تبني سياسة مزدوجة، وجهها الأول هو طلب الإذن بالمرور من المنطقة المراقبة فرنسا إلى منطقة مراقبة إسبانيا، معتمدين على نوع الجوار المباشر، ووجهها الثاني الاندماج في تيار الجهاد ضد المد المسيحي كما كان يراه سكان الصحراء عموما.

وكانت الإدارتان الفرنسية والإسبانية تعتبران خط العرض 40 °27 بمثابة الحد الفاصل بين التراب المغربي والصحراء الغربية. وهو ما لم يكن يدخل بخلد الفصائل المحلية التي كانت ترابها ومجال ترحالها يمتد على جنوب وشمال هذا الخط. وقد حرصوا في مختلف اللقاءات التي كانوا يقومون بها مع الإدارتين معا على توضيح موقفهم الرافض لكل تجزيء ترابي يعارض المقاييس التاريخية القائمة لمراقبة المجال الترحالي. ولكي يكونوا منطقيين مع أهدافهم، حرصوا على تبليغ السلطان محتوى ما وصلت إليه هذه اللقاءات غداة اجتماعاتهم مع مسؤولي الإدارتين الاسبانية والفرنسية.

ومع استقلال المغرب بدأت معالجة قضية الصحراء. فقد أمضى وزير الخارجية أحمد بلافريج اتفاقية Cintra مع الحكومة الإسبانية بتاريخ 7 أبريل 1956 خولت للمغرب استعادة المنطقة الممتدة من وادي درعة إلى الطرفاية. وأصبح من الشروط الأساسية لقيام العمران بمدينة الطنطان الاستقرار والسكن. ولكن الظروف المعيشية القاسية التي تختص بها الفصائل المحلية قد انعكست آثارها على أنماط سلوكهم التي ارتبطت بالهجرة إلى الخارج (أوربا) أو ممارسة التجارة غير المقننة مستفيدين من الطابع الجبائي الخاص الذي يعفي المنطقة من الضرائب. في هذه الملابسات أصبحت مدينة الطنطان مدينة حدودية ذات خصوصية اقتصادية واجتماعية وسياسية.

وفي السياق الرامي إلى حفز الاستثمار وتسهيله، اتجهت الجهود المبذولة إلى تنمية قطاع الصيد البحري. وأصبح ميناء مدينة الطنطان يشد الانتباه بما يوفره من ثروة سمكية. إلا أنه يقع على بعد حوالي 20 كلم من المدينة مما يحد من حركية هذه الأخيرة ومن ظروف نموها. وإذا كانت الدولة قد انتهجت سياسة تسهيل مأمورية البناء بالمدينة، فإن المشكل الذي ظهر جليا خلال الستينيات هو عدم صلاحية الموقع. فاضطرت الوزارات المعنية بقطاع التعمير إلى وضع حد للتوسع العمراني لأن هشاشة الأرض لا تسمح بتجاوز طابق واحد لكل بناية. وهو ما أجهض كثيراً من مشاريع الاستثمار المحلية.

مصطفى ناعمي

**الطنك، بوشعيب**، ولد بدوار أولاد بوعلال، بني إبراهيم (قبيلة امزاب) ناحية ابن أحمد سنة 1929. وولج الكتاب القرآني "الجامع" فحفظ القرآن الكريم على يد والده.

هاجر إلى مدينة الدار البيضاء حوالي سنة 1936 صغيرا، مع والده الذي شارك بأحد جوامع درب الاسبان "درب الاسباليون". ثم استقر عند أخواله بزنقة القاهرة في درب الشرفاء الطلبة، دون أن يقطع صلته بعائلته وبمسقط رأسه. وظل يتنقل بين أقربائه في الدار البيضاء، وخاصة بالقرب من عرصة ابن مسيك، ولربما اشتغل مع أخواله في بيع المواد الغذائية كالسكر.

وحانت الحرب العالمية الثانية، فكان من أفراد القوات المغربية المجندة ببرشيد للالتحاق بالفيلق الثالث للفرسان المغاربة الموجهين إلى جبهات القتال في أوربا. وقد التزم بالعمل في الجيش الفرنسي مدة أربع سنوات ابتداء من يوم 16 أبريل 1940. لكنه ما لبث أن فر من الجندية وفسخ العقدة وألغيت خدمته العسكرية يوم 7 يونيو 1940، دون أن نعلم سبب ذلك.

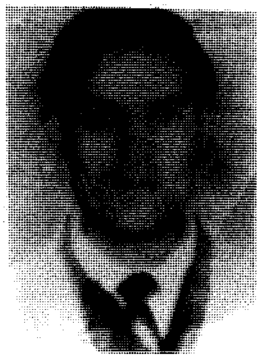

لا نعلم شيئا عن حياة الرجل في الأربعينيات ولا عن بداية عمله في الحقل الوطني، غير أنه انخرط في خلية تابعة للمقاومة بكريان ابن مسيك، تعاقب على تسييرها اسعيد بونعيلات ثم بوشعيب ولد السطاتية. وبعد نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف، انضم بوشعيب "الطنك" إلى منظمة اليد السوداء في التشكيلة التي كانت تحت مسؤولية الفقيه محمد البصري بابن مسيك من يناير 1954 إلى 2 ماي 1954، وكان معه فيها بوشعيب ولد السطاتية وكراوة والمعطي وسيدي عمرو ولد الصغير (المهذب) وسي محمد بن حمو (صادق) وحسن (محراش) والمكي السفناج والمعلم الطاهر الصياغ. وقد شارك في تصفية إبراهيم ولد الحمرية بكريان الرحامنة التابع لكريان ابن مسيك، حسب ما هو مقيد بملفه في المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.

ألقي عليه القبض يوم 2 ماي 1954 على يد القائد امحمد بن بوعمرو المستقدم من زعير في إطار "حركة القياد" على الدار البيضاء (أبريل 1954)، فأودع بمعتقل عين الشق

"الفوريان" ونال حظه من التعذيب، إلى جانب باقي أفراد مجموعته، ثم أمر قاضي التحقيق لدى المحكمة العسكرية الدائمة بالدار البيضاء يوم 22 يونيو 1954 بإيداعه في السجن، بعدما وجه إليه ثلاث تهم، وهي "القتل العمد وتكوين عصابة من المجرمين وحيازة السلاح والذخيرة". فاقتيد إلى السجن المدني المعروف في مدينة الدار البيضاء باسم "حبس اغبيلة"، قبل أن ينقل يوم 3 ماي 1955 إلى السجن المركزي في بور - ليوطي. وقد ظل قابعا هناك، حتى جرت عملية الهروب الواسعة منه يوم 30 سبتمبر 1955، بفضل الخطة التي رسمها جماعة من المقاومين. وقد تمكن عدد من المعتقلين من الفرار والإفلات، ومنهم على سبيل المثال الفقيه البصري وإدريس الحريزي وعبد الرحمان الصحراوي والعربي بوگلب ورحال المسكيني، في حين سقط منهم عدد آخر قتلى، مثل أحمد الصباغ (وهبي) وبوشعيب "الطنك". إلا أنه يصعب الجزم في الطريقة التي استشهد بها المترجم له، فالوثائق الرسمية تتحدث عن وفاته يوم 30 سبتمبر 1955 تنفيذا لحكم الإعدام فيه بالرصاص داخل السجن. بينما لا تستبعد بعض الشهادات الشفوية أن تكون إدارة السجن قد أطلقت كلابها البوليسية على الفارين وأن تتعرض أجسام بعضهم للنهش حتى الموت، مثل "الطنك". أما رفيقه بوشعيب ولد السطاتية، فيؤكد أن حراس سطح السجن هم الذين قتلوه وأحمد الصباغ، بعدما أنجزا الدور الرئيسي في عملية إيداع باقي الحراس في الزنازن وسمحا لكثير من المقاومين بالفرار.

وثائق حصلنا عليها من السيدة السعدية بحدا بنت المترجم له في لقائنا بها يوم 5 أبريل 2000 وهي : - شهادة سجن المعتقل الاحتياطي بوشعيب بن محمد بتاريخ 2 يناير 1967 ؛ رخصة رئيس الحامية العسكرية للدار البيضاء وقاضي التحقيق العسكري لفاطمة بنت بلقاسم وحادة بنت العربي بزيارة بوشعيب بن محمد في السجن المركزي بالقنيطرة بتاريخ 15 يونيو 1955 (تاريخ الرخصة 13 يونيو 1955) ؛ رسالتان من المعتقل بوشعيب بن محمد من سجن القنيطرة إلى خاله بالدار البيضاء ؛ شهداء الاستقلال، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، محرم 1409 / غشت 1988، ج. 2، ص. 168 ؛ ملف الشهيد بوشعيب الطنك، رقم 523497، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط ؛ شهادة بوشعيب مخلص أحد مقاومي ابن مسيك والمعروف بنسب "ولد السطاتية" وشهادة روشدي العياشي أحد المحكومين بالإعدام القابعين مع المترجم له في سجن القنيطرة ؛ شهادة الفقيه محمد البصري عن بوشعيب "الطنك" بصفته رئيس خليته، وردت في محاضرة ألقاها عن تاريخ المقاومة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بابن مسيك ؛ شهادة السيدة السعدية بحدا بنت المترجم له

نجيب تقي

**طَنّان** أو الطَّنّان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Tena ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 821.

**الطنيطن**، اللقب الذي اشتهرت به فرقة من أسرة الحايك المنحدرة من قبيلة الحوز التطواني، ولا زالت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 827.

**طنين سبتة**، جريدة خطية بالعامية المغربية تعد الأولى من نوعها رأت النور بأرض المغرب حيث كانت تطبع في مطبعة حجرية بمدينة سبتة السليبة، وكانت بمثابة ملحق لجريدة إسبانية تحمل عنوان *El Eco de Ceuta* (صدى سبتة)؛ أسسها القنصل الإسباني الملحق بإدارة الحاكم العام بالمدينة فيليبي ريثو راميريث Felipe Rizzo Ramirez بحكم أنه كان يتقن اللهجة المغربية، وكان يساعده في تحرير الملحق الترجمان ميكئيل بوسوطيل Miguel Busutil.

ولا غالب إلا الله

طنين سبتة

صدر العدد الأول من *طنين سبتة* مع العدد الأول للصحيفة الإسبانية يوم 16 فبراير 1883 ؛ وتوقفت النشرة العربية في العدد 40 بتاريخ 8 ديسمبر من نفس السنة، في حين استمرت النشر الإسبانية تصدر إلى يوم 13 يناير 1887.

وكانت تصدر في اليوم الأول والثامن والخامس عشر والأخير من كل شهر ميلادي في أربع صفحات من حجم 40 × 26 سنتيمترا، وكان ثمن العدد 10 سنتيما من البسيطة والاشتراك الشهري بـ25 سنتيما.

Ibn Azzuz Hakim, *La prensa española en el Norte de Marruecos*. Ceuta 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

**الطوابع البريدية بالمغرب.** إن تاريخ الطوابع البريدية واسع وفي غاية التعقيد، فقد تعددت المكاتب البريدية بسبب الظروف السياسية التي مرت بها البلاد في العصر الحديث، ذلك أن أهم ما تميزت به العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر وجود بريد تابع لمكاتب أجنبية، فقد عرف المغرب خلال هذا القرن معاملات مع بعض الدول الأوربية أدت - بسبب احتياجات هذه الدول للتراسل السريع داخل المملكة أو خارجها - إلى إحداث مكاتب بريدية أجنبية تؤمن على الخصوص الخدمات البريدية مع الخارج لأن المغرب آنذاك لم يكن قد صادق بعد على اتفاقية الاتحاد البريدي العالمي... ومن الممكن أن نتناول هذا الموضوع بشيء من الإيجاز في الفقرات التالية :

1) المكاتب الإسبانية :

في الفترة الممتدة من 1860 إلى 1903 استعملت الطوابع الإسبانية في المغرب بدون توشيح. وفي المدة المتراوحة ما بين 1903 و1914 استعملت الطوابع الإسبانية أيضا ولكن وشحت بعبارات *"Correo Español - Marruecos"*.

2) المكاتب الفرنسية :

أول مكتب فرنسي بالمغرب افتتح أعماله بطنجة سنة 1862 واستعمل طوابع فرنسا الموجودة آنذاك. ثم أحدثت فرنسا مكاتب أخرى في بعض المدن المغربية الساحلية. وفي الفترة الممتدة من 1891 إلى 1911 استعملت هذه المكاتب طوابع فرنسية بعد توشيحها بالعملة الإسبانية (السنتيمات والبسيطات)، ولكنها في سنة 1902 أصدرت طوابع طبعت خصيصاً على نمط الطوابع الفرنسية تحمل اسم "Maroc" ووشحت هي الأخرى بالعملة الإسبانية.

3) البريد المحلي :

أُحدث بالمغرب ما بين سنة 1891 و1906 بريد داخلي كانت تدبره مؤسسات خاصة (فرنسية، وألمانية، وإسبانية، وقنصلية بريطانية وإيطالية)، وقد أصدرت هذه المؤسسات طوابع خاصة تستعمل بين مدينة وأخرى، وبذلك كان كل طابع يحمل اسم مدينة المصدر ومدينة المورد... وقد عرف من خطوط هذا البريد خمسة عشر خطاً :

1891 مزگان - مراكش
1892 طنجة - فاس
1892 موگادور - مراكش
1894 فاس - صفرو
1895 طنجة - أصيلة
1896 تطوان - الشاون
1896 طنجة - تطوان
1896 القصر الكبير - وزان
1897 تطوان - القصر الكبير
1897 فاس - مكناس
1898 طنجة - القصر الكبير
1898 طنجة - العرائش
1899 أسفي - مراكش
1900 موگادور - أگادير
1906 دمنات - مراكش

ونظرا للظروف التي أنشئت فيها هذه الخطوط فقد كان محكوما عليها بالتوقف في مدة قصيرة، إذ تبين من خلال بعض الوثائق أن بعض الخطوط لم تمكث سوى بضعة أسابيع من تاريخ إحداثها.

4) البريد الحربي لمدينة مليلية :

استعمل البريد بمدينة مليلية المحتلة الطوابع الإسبانية بدون توشيح، ولكنه خلال سنتي 1893 و1894 استعمل طوابع خاصة ذات صبغة عسكرية.

5) المكاتب البريطانية :

افتتحت مكاتب البريد البريطاني أعمالها بإدارة بريد جبل طارق في بادئ الأمر أي من سنة 1898 إلى 1907 واستعملت مجموعات من طوابع جبل طارق بعد أن وشحت بلفظي "Morocco Agencies"، وكانت قيمتها الاسمية بالعملة الإسبانية. ومنذ سنة 1907 أصبحت المكاتب البريطانية تستعمل مجموعات من الطوابع الإنجليزية كانت في معظمها موشحة أيضا بالكلمتين المذكورتين. وبقيت الطوابع الإنجليزية تستعمل في المكتب البريطاني بتطوان إلى أن تم سحبها نهائيا غداة الاستقلال (1956).

6) المكاتب الألمانية :

افتتح المكتب البريدي الألماني أعماله بمدينة طنجة سنة 1899، ثم أحدثت مكاتب ألمانية في مدن مغربية أخرى مثل الدار البيضاء وفاس ومراكش والصويرة والرباط والعرائش وتطوان. وقد استعملت هذه المكاتب طوابع ألمانية موشحة بالسنتيم أو البسيطة مع لفظ "Marocco". وفي سنة 1914 أغلقت المكاتب الألمانية في المنطقة السلطانية، وفي سنة 1919 أغلقت في المنطقة الخليفية.

7) البريد المخزني :

سعى السلطان مولاي الحسن الأول إلى إدخال تنظيمات جديدة شملت عدة قطاعات حيوية من ضمنها قطاع البريد، ذلك أن هذا السلطان أصدر أوامره في سنة 1892 بتنظيم

البريد المخزني بهدف وضع حد لكل تدخل أجنبي يمكن أن يمس بسيادة المغرب. وهكذا أحدث البريد بأمر سلطاني بين المدن الآتية :

الرباط ـ الصويرة (مروراً بالدار البيضاء وأزمور والجديدة وأسفي).

الرباط ـ مراكش (مرورا بالدار البيضاء وأزمور)

الرباط ـ تطوان (عبر العرائش وطنجة)

الرباط ـ فاس

الصويرة ـ مراكش

أسفي ـ مراكش

مكناس ـ فاس

فاس ـ طنجة (عبر القصر الكبير)

القصر الكبير ـ العرائش

والمتتبع لأسماء هذه المدن (ويبلغ عددها ثلاثة عشر) يجدها كلها مدنا ساحلية كانت مفتوحة للتجارة وبها جاليات أجنبية أو مدنا داخلية تمثل حواضر المغرب وعواصمه التاريخية.

واستعملت للبريد المخزني أختام تختم بها المراسلات بعد أن تؤدى عنها قيمة حملها إلى "الأمين" وهو الشخص الذي كان مكلفا بالتحصيل بالجمارك وغيرها وأصبحت من بين مهامه أيضا استلام المراسلات وتوجيهها إلى وجهتها واستقبال الرسائل الواردة وإحالتها على أصحابها.

ووضع لكل مدينة من المدن المذكورة خاتمان، أحدهما مثمن الشكل والآخر مستدير الشكل. وقد كتب داخل الخاتم المثمن اسم المدينة وعبارة المحوط أو المحوطة بالله، بينما كتب على المستدير اسم المدينة وعبارة المحوط / المحوطة بالله أو المصون / المصونة بالله... ويغلب على الظن أن الأختام المثمنة الأضلاع كانت تستعمل لختم الرسائل المتبادلة بين الخواص، في حين احتفظ بالأختام المستديرة للمراسلات التي كانت تجري بين موظفي الحكومة.

وفي سنة 1912 (أي في عهد السلطان المولى عبد الحفيظ) أصدر البريد المخزني أول طابع مغربي وكان بحجم صغير تمثل صورته قوسا بداخله جامع عيساوة بطنجة. وهذا الطابع عبارة عن سلسلة سداسية قيمتها الاسمية بعملة "المزونة" (1، 2، 5، 10، 25، 50 مزونة). وفي سنة 1913 أعيد طبع السلسلة نفسها ولكن على ورق مغاير وبحواشي عريضة.

8) الحماية الإسبانية بالشمال :

باشرت مكاتب البريد بعد فرض الحماية الإسبانية إصداراتها الأولى بمجموعة من الطوابع البريدية في سنة 1914 بعد توشيحها بكلمة Marruecos، ثم أصدرت في سنة 1915 وما بعدها طوابع إسبانية بعد توشيحها بهذه الكلمات Protectorado Español en Marruecos. واعتبارا من سنة 1928 أصبحت مكاتب البريد تصدر مجموعات عادية وتذكارية وبطاقات خصيصا لهذه المنطقة وهي طوابع يمثل كثير منها مناظر البلاد ومظاهر الحياة الشعبية نقلا عن لوحات فنية أنجزها الرسام الإسباني "بيرتوشي".

9) منطقة طرفاية :

احتلت القوات الإسبانية منطقة طرفاية واستعملت هناك في سنة 1916 مجموعة من طوابع وادي الذهب بعد توشيحها بكلميت "Cabo Jubi" واعتبارا من سنة 1919 أصبح مكتب البريد لهذه المنطقة يستعمل طوابع إسبانية أو طوابع منطقة الشمال بعد توشيحها باللفظين المذكورين أي Cabo Jubi. وفي سنة 1950 ضمت المنطقة إلى الصحراء الغربية، ثم أعيدت إلى المغرب سنة 1958.

10) منطقة سيدي إفني :

ابتداء من سنة 1941 استعمل مكتب البريد لهذه المنطقة طوابع إسبانية موشحة بسطرين "Territorio de Ifni". ومنذ سنة 1950 أصبحت السلطات تصدر مجموعات منوعة من الطوابع المخصصة للمنطقة وهي في معظمها طوابع جميلة المظهر تمثل طيورا وأزهارا وأسماكا وحيوانات ورياضات بدنية وغير ذلك. وفي سنة 1969 استرجعت حكومة المغرب هذه المنطقة.

11) الحماية الفرنسية :

في سنة 1914 استعمل البريد في المنطقة التي فرضت عليها الحماية الفرنسية 17 طابعا من المجموعة الخاصة بالمغرب بعد توشيحها بعبارتين Protectorat Français، ثم استعملت بعد ذلك أربع مجموعات منها مجموعتان تذكاريتان للصليب الأحمر ومجموعتان للأجور المستحقة (واجب الحيازة). وفي سنة 1917 صدرت أول مجموعة مخصصة للمغرب إبان الحماية وهي عبارة عن سلسلة مؤلفة من 17 طابعا تمثل مآثر ومنشآت مغربية مثل صومعة حسان والكتبية وباب المنصور بمكناس. ثم تتابعت الإصدارات المختلفة وكلها تحمل اسم المغرب باللغتين الفرنسية والعربية. وآخر طوابع الحماية صدر في سنة 1955.

12) منطقة طنجة :

وأخذت منطقة طنجة وضعا دوليا كما هو معلوم، وفيها باشرت أعمال البريد ثلاثة مكاتب أجنبية :

- المكتب الفرنسي (1918 - 42)
- المكتب الإسباني (1921 - 57)
- المكتب البريطاني (1927 - 57)

وهذه المكاتب كانت تستعمل طوابعها بعد توشيحها بكلمة "طنجة" بالأحرف الأوربية.

13) البريد البحري الفرنسي للدار البيضاء :

فيما بين سنتي 1943 و1945 منحت السلطات الأمريكية في أفريقيا الشمالية للبريد البحري الفرنسي في الدار البيضاء حق استعمال أحد الطوابع الجوية الأمريكية بعد توشيحها بحرفي R. F. (أي الجمهورية الفرنسية) وذلك للتخليص على المراسلات الجوية لبحارة القوات البحرية الفرنسية الموجهة إلى الولايات المتحدة وكندا.

14) الصحراء المغربية :

في الفترة الممتدة من 1905 إلى 1921 استعملت إسبانيا في الصحراء المغربية المحتلة مجموعات من الطوابع كتبت عليها هذه العبارات Colonia de Rio de Oro (أي مستعمرة وادي الذهب)، وجل هذه الطوابع تمثل صورة الملك ألفونسو الثالث عشر. وفي سنة 1924 أصدرت إسبانيا طوابع صغيرة تمثل صورة رجل من بدو الصحراء كتبت في أعلاها هذه العبارات Posesiones Españolas del Sahara Occidental (أي الممتلكات الإسبانية للصحراء الغربية). وخلال الفترة ما بين 1926 و1941 استعملت طوابع إسبانية بعد توشيحها بكلمتي Sahara Español. وفي الفترة الممتدة من 1943 إلى 1975 خصصت سلطات الاحتلال لتلك المنطقة مجموعات عديدة من الطوابع ذات الموضوعات المنوعة كانت في البداية تحمل عبارتي Sahara Español، واعتبارا من سنة 1960 أصبحت تحمل اللفظتين España Sahara.

وتجدر الإشارة إلى أن إسبانيا استعملت في بلدة الگويرة في سنة 1920 مجموعة من طوابع وادي الذهب بعد توشيحها بكلمة La Agüera. وفي سنة 1923 خصصت لهذه البلدة مجموعة أخرى من الإصدارات كتبت عليها هذه العبارات Sahara Occidental La Agüera.

كما أشير إلى أن هناك 26 طابعا صدرت في الفترة ما بين 1949 و1951 باسم Africa Occidental Española.

15) فترة الاستقلال :

عندما أعلن استقلال المغرب أصدر بريد المنطقة الشمالية خلال سنتي 1956 و1957 مجموعة من الطوابع بالعملة الإسبانية. وفي نفس المدة أصدر بريد المنطقة الجنوبية مجموعة أخرى من الطوابع بالعملة الفرنسية. وبعد هذا التاريخ أصبحت وزارة البريد تصدر الطوابع لتستعمل في كل مناطق المملكة الموحدة. وطوابع فترة الاستقلال هذه طوابع متنوعة في موضوعاتها وتعنى بأهم الأحداث الوطنية والعالمية كذكرى المسيرة الخضراء المظفرة، كما أنها طوابع جميلة من حيث ألوانها الزاهية وطباعتها المتقنة لأنها طبعت في مطابع أوربية مشهورة... وتضم مجموعة فترة الاستقلال بعض الإصدارات التي ارتفعت قيمتها الطوابعية بشكل لافت للنظر ونخص بالذكر منها :

- الذكرى الأربعون لميلاد جلالة الملك الحسن الثاني (1969).
- كأس العالم لكرة القدم (1974).
- سباق الزوارق الشراعية / موشح (1984).

أما بخصوص عدد الطوابع البريدية التي صدرت في فترة الاستقلال إلى غاية كتابة هذه السطور (أغسطس 2002) فيتضح ذلك في الإحصاء التالي :

| | |
|---|---|
| - طوابع تذكارية ........................ | 848 |
| - طوابع عادية ........................ | 153 |
| - طوابع للبريد الجوي ........................ | 21 |
| - بطاقات تذكارية ........................ | 26 |
| - طوابع أجرة مستحقة (طوابع تغريم) ..... | 23 |
| - طوابع المصالح الرسمية ........................ | 4 |
| المجموع الكلي | 1.075 |

محمد السوسي البهاوي

**الطوابق النباتية** والسلاسل النباتية التعاقبية. الطوابق النباتية مستويات نباتية تتجلى كأحزمة أفقية تتوالى على السفوح الجبلية ما بين قدمها وقمتها. والأحزمة النباتية الأفقية توافق في الحقيقة مجالات السلاسل النباتية التعاقبية. وذلك بسبب انخفاض الحرارة مع تزايد الارتفاع من القَدَم في اتجاه القمة. فمع انخفاض الحرارة تأفل تدريجيا أنواع نباتية بينما تظهر أخرى بفضل ازدياد كمية الأمطار. وبعبارة أخرى، يظهر كل نوع نباتي عندما تكون كمية الأمطار تساوي على الأقل أدنى ما يتطلبه، ويأفل في الحالات الطبيعية عندما يصير لا يتحمل البرودة. ولا يحدث هذا إلا في إطار عشائر نباتية تتميز بأنواع نباتية تتعايش في ظروف بيئية خاصة بها.

إن لكل سلسلة نباتية تعاقبية مجالا بيئيا يتميز بظروف مناخية وترابية متجانسة من حيث كمية الأمطار ودرجات الحرارة والصخرة الأم... ففي هذا المجال يتم التطور الديناميكي للعشائر النباتية المنتمية لسلسلة تعاقبية واحدة، فيكون إما تقدميا في اتجاه العشيرة الأوجية التي هي أكثر توازنا مع الظروف البيئية، وإما تراجعيا ابتداء من العشيرة الذروية وانتهاء بالعشيرة العشبية الممثلة لآخر مرحلة من التدهور البيئي. وهكذا تتميز السلسلة التعاقبية في بدايتها بالعشائر النباتية الرائدة، وفي نهايتها بالعشيرة الذروية التي تؤشر على بلوغ النضج والاستقرار التام. وخلال هذا التطور تعرف العشائر النباتية تغيرات في التركيبة النباتية من حيث عدد الأنواع وفي الكمية وكذلك في سمك التربة ومستويات الاستهلاك التي تزداد تشعبا في اتجاه الأوج. إن هذا التعاقب التقدمي يؤدي إلى ازدياد تدريجي في الكتلة الإحيائية حتى تبلغ كميتها القصوى في العشيرة الذروية فتصير ثابتة.

وكما أن لكل عشيرة نباتية مميزاتها من الأنواع النباتية الخاصة بها، فإن لكل سلسلة تعاقبية مميزاتها من العشائر النباتية الخاصة بها إذ لا توجد قط في مواطن غيرها من السلاسل النباتية التعاقبية المجاورة لها.

تتوالى السلاسل النباتية التعاقبية إما عموديا حسب الطوابق النباتية أساسا بفعل تغيرات عامل الحرارة وأيضاً، في مرتبة ثانية، بفعل تغيرات كميات الأمطار. وإما أفقيا بسبب تغيرات كميات الأمطار بالدرجة الأولى في حالة بقاء عامل الحرارة قارا (انظر مناخات وبيومناخات المغرب).

وهكذا يتميز كل طابق نباتي بسلاسله النباتية التعاقبية

جدول 1 : الأنواع المنظمة للسلاسل النباتية التعاقبية في المناطق البيومناخية

| السلاسل الجبلية<br>مناطق<br>بيومناخية | الريف<br>والمغرب الشرقي | الأطلس المتوسط<br>والهضبة الوسطى | الأطلس الكبير<br>والسهول الغربية | الأطلس الصغير<br>وجبال ساغرو<br>والباني وواد قزيز |
|---|---|---|---|---|
| شديد الرطوبة | ـ الشوح المغربي<br>ـ الأرز الأطلسي<br>ـ بلوط الزان<br>البلوط الزغبي | | | |
| رطب | ـ الشوح المغربي<br>ـ البلوط الأخضر<br>ـ الأرز الأطلسي<br>ـ البلوط القرمزي<br>ـ البلوط الأخضر<br>ـ بلوط الزان<br>ـ البلوط الزغبي<br>ـ الزيتون البري<br>ـ البلوط الفليني | ـ الأرز الأطلسي<br>ـ الزيتون البري<br>ـ بلوط الزان<br>ـ البلوط الأخضر<br>ـ البلوط الفليني | | |
| شبه رطب | ـ البلوط الأخضر<br>ـ الزيتون البري<br>ـ البلوط الفليني<br>ـ البلوط القرمزي<br>ـ العرعر البربري | الأرز الأطلسي<br>ـ الزيتون البري<br>ـ بلوط الزان<br>ـ العرعر الفواح<br>ـ البلوط الأخضر<br>ـ البلوط الفليني<br>ـ العرعر البربري<br>ـ القتنات الشوكية | ـ الأرز الأطلسي<br>ـ العرعر الأحمر<br>ـ البلوط الأخضر<br>ـ العرعر الفواح<br>ـ العرعر البربري | ـ شجرة دم الأخوين<br>ـ العرعر البربري<br>ـ البلوط الأخضر |
| شبه جاف | ـ العرعر البربري<br>ـ البلوط القرمزي<br>ـ البلوط الأخضر<br>ـ البطم الأطلسي | ـ البلوط الأخضر<br>ـ القتنان الشوكية<br>ـ العرعر البربري<br>ـ العرعري الأحمر<br>ـ العرعر الفواح | ـ البلوط الأخضر<br>ـ الطلح المغربي<br>ـ العرعر البربري<br>ـ القتنات الشوكية<br>ـ العرعر الأحمر<br>ـ أرگان<br>ـ العرعر الفراح | ـ أرگان<br>ـ العرعر الأحمر<br>ـ العرعر البربري<br>ـ القتنات الشوكية |
| جاف | ـ البطم الأطلسي<br>ـ الحلفاء | ـ الحلفاء | ـ الطلح المغربي<br>ـ أرگان<br>ـ الحلفاء | ـ أرگان<br>ـ الطلح الصحراوي<br>ـ الزقوم |

التي تختلف من منطقة إلى أخرى حسب الظروف البيومناخية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مفهوم الطوابق النباتية التي تتوالى عموديا حسب الارتفاع، يعتمد على الدراسة الفيتوسوسيولوجية أي دراسة اجتماعية التشكيلات النباتية، بينما يرتكز ما كان يسمى بالطوابق البيومناخية حسب مفهوم أومبرجي Emberger وسوفاج Sauvage (انظر مناخات وبيومناخات المغرب)، أساسا على تغيرات كميات الأمطار التي تتزايد تدريجيا من البيومناخ الصحراوي إلى البيومناخ شديد الرطوبة، مروراً بالجاف، وشبه الجاف، وشبه الرطب، والرطب. ومعلوم أن لكل بيومناخ أشكالاً صنفت حسب معدل الحرارة الدنيا لأبرد شهر في السنة، وسميت بالصفات الآتية : الدافئ والمعتدل، والقارس، والبارد، والبارد جداً، وشديد البرودة، وأن البيومناخات تتوالى عموديا وأفقيا (جدول 1).

وتفاديا لأي لبس، واعتمادا على هذا التمييز الواضح

جدول 2 : الأنواع النباتية المنظمة للسلاسل النباتية التعاقبية
في مستويات الطوابق النباتية حسب المناطق الجبلية

| المناطق الجبلية / الطوابق النباتية | الريف<br>وبني يزناسن<br>والأطلس الكبير الشرقي | الأطلس المتوسط<br>والهضبة الوسطى | الأطلس الكبير الأوسط<br>وساغرو | الأطلس الصغير<br>الأطلس الكبير الغربي |
|---|---|---|---|---|
| فوق الجبلي المتوسطي | - الأرز الأطلسي | - القتنات الشوكية<br>- العرعر الفواح | - القتنات الشوكية<br>- العرعر الفواح | - القتنات الشوكية |
| | 2300 م | 2500 م | 2700 م | 2900 م |
| الجبلي المتوسطي | - الشوح المغربي<br>- الأرز الأطلسي<br>- البلوط الأخضر | - الأرز الأطلسي<br>- البلوط الأخضر<br>- العرعر الفواح | - البلوط الأخضر<br>- العرعر الفواح | - البلوط الأخضر |
| | 1800 م | 2000 م | 2200 م | 2400 م |
| فوق المتوسطي | - الشوح المغربي<br>- الأرز الأطلسي<br>- البلوط الأخضر<br>- البلوط الفليني<br>- بلوط الزان<br>- البلوط الزغبي | - الأرز الأطلسي<br>- البلوط الأخضر<br>- البلوط الفليني<br>- بلوط الزان<br>العرعر الأحمر | - البلوط الأخضر<br>- العرعر الأحمر | - البلوط الأخضر<br>- العرعر الأحمر |
| | 1400 م | 1600 م | 1800 م | 2000 م |
| المتوسطي | - البلوط الأخضر<br>- بلوط الزان<br>- البلوط الزغبي<br>- البلوط الفليني | - البلوط الأخضر<br>- البلوط الفليني<br>- بلوط الزان | - البلوط الأخضر<br>- العرعر الأحمر<br>- السرو الأطلسي | - البلوط الأخضر<br>- العرعر الأحمر<br>- السرو الأطلسي |
| | 1000 م | 1200 م | 1400 م | 1600 م |
| المتوسطي الدافئ | - العرعر البربري<br>- الزيتون البري<br>- العرعر الأحمر<br>- البلوط القرمزي<br>- البلوط الأخضر<br>- بلوط الزان<br>- البلوط الفليني<br>- البطم الأطلسي | - العرعر البربري<br>- البلوط الأخضر<br>- البلوط الفليني<br>- العرعر الأحمر<br>- الزيتون البري | - العرعر البربري<br>- العرعر الأحمر<br>- البلوط الأخضر<br>- السرو الأطلسي<br>- أركان | - العرعر البربري<br>- العرعر الأحمر<br>- البلوط الأخضر<br>- أركان |
| | سطح البحر | سطح البحر | 500 م | 700 م |
| تحت المتوسطي | | | - الطلح المغربي<br>- أركان | - أركان<br>- العرعر الأحمر<br>- العرعر البربري<br>- الطلح الصحراوي<br>- الزقوم |

الذي يبين أن المفهومين مكملين لبعضهما البعض، أوصى الباحثون في هذا الميدان بأن يخصص للمفهوم الأول عبارة "الطوابق النباتية" لأنها تتوالى عموديا ، ويكتفى للمفهوم الثاني بعبارتي "المناطق البيومناخية" و"البيومناخات" لأنها تتوالى عموديا أو أفقيا ، الشيء الذي يبطل استعمال لفظ "الطابق" للمفهوم الأخير.

وقد أثبتت الأبحاث المتعلقة بالطوابق النباتية المتوسطية أن المغرب المتوسطي - أي دون مجاله الصحراوي - بتنوعه التضاريسي والبيومناخي والبيولوجي يظهر كل الأشكال المصادفة بالمنطقة المتوسطية، بل وينفرد بوجود طابق نباتي خاص به وهو الطابق النباتي تحت المتوسطي.

وسنتطرق هنا دون الخوض في التفاصيل إلى الطوابق النباتية المتوسطية والسلاسل النباتية التعاقبية التي تميزها ، وذلك ابتداء من مستوى سطح البحر إلى قمم أعلى الجبال المغربية (جدول 2) علما بأن المغرب الصحراوي الموجود جنوب جبل الباني وجبل وارقنيز والمحور الرابط بين اسمارة وبوجدور، لا يشمل جبالا عالية. ونشير كذلك إلى أن أنواع الصنوبر لا تنظم سلاسل نباتية التعاقبية خاصة بها ، بل تمثل

مراحل شبه غابوية للسلاسل التعاقبية الغابوية المنظمة من طرف الأنواع المذكورة في الجدول 2 وأسفله :

ـ الطابق النباتي تحت المتوسطي :

إنه الطابق النباتي الخاص بالجنوب الغربي للساحل الأطلنطي للمغرب، ما بين آسفي شمالاً وبوجدور جنوباً. وهو يشمل كذلك سهول الرحامنة والحوز والشياظمة وحاحا وسوس ودرعة السفلى وساحل الساقية الحمراء. ويرتفع من سطح البحر إلى حدود 500 م على سفوح الأطلس الكبير الغربي و700 م على سفوح الأطلس الصغير. بيومناخاته صحراوية وجافة وشبه جافة. وهو يوافق ما يسمى بالمنطقة البيئية الماكارونيزية المتميزة عن غيرها ببيومناخات ملطفة بفضل تأثير المحيط الأطلنطي وبأنواع نباتية خاصة أهمها النوعان القبسيان من بين الأشجار وهما شجرة أرگان Argania spinosa وشجرة الطلح المغربي Acacia gummifera اللتان تنظمان أهم السلاسل النباتية التعاقبية. كما تصادف سلاسل نباتية تعاقبية منظمة من طرف أنواع أخرى على مساحات محدودة كالعرعار الأحمر Juniperus phoenicea، والعرعار البربري Tetraclinis articulata، وأجگال أو شجرة دم الأخوين Dracaena draco ssp ajgal، والسماق الأبيض Rhus albida، والسماق الثلاثي Rhus tripartitum، وأنواع الطرفاء Tamarix spp، والطلح الصحراوي Acacia raddiana، والزقوم Balanites aegyptiaca. لكن العشائر النباتية الأوجية أو شبه الأوجية اندثرت كليا بالنسبة لبعض الأنواع كالطلح المغربي (انظر طلح) أو جزئيا بالنسبة للأنواع الأخرى.

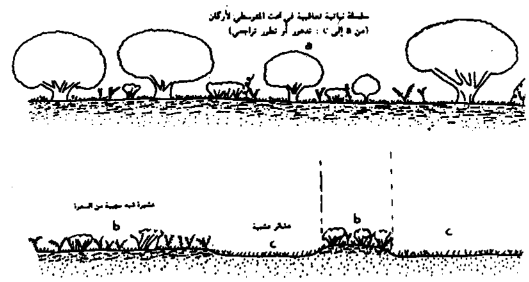

ـ الطابق النباتي المتوسطي الدافيء :

إذا استثنينا الطابق النباتي تحت المتوسطي الخاص بالجنوب الغربي للمغرب، فإن الطابق المتوسطي الدافيء يُؤوي العشائر النباتية الأكثر تطلبا للحرارة مقارنة مع الطوابق النباتية المتوسطية الأخرى. إنه كذلك الطابق النباتي الأكثر امتدادا والأكثر تنوعاً، إذ أنه يمتد ما بين سطح البحر و1000 م في الريف والمغرب الشرقي، و1200 م في الهضبة الوسطى والأطلس المتوسط والجزء الشرقي من الأطلس الكبير. كما يقع سقفه على ارتفاع 1400 م في الأطلس الكبير الأوسط وصاغرو، و1600 م في الأطلس الكبير الغربي والأطلس الصغير. أما مناطقه البيومناخية فهي إما جافة أو شبه جافة أو شبه رطبة أو رطبة أو محليا شديدة الرطوبة.

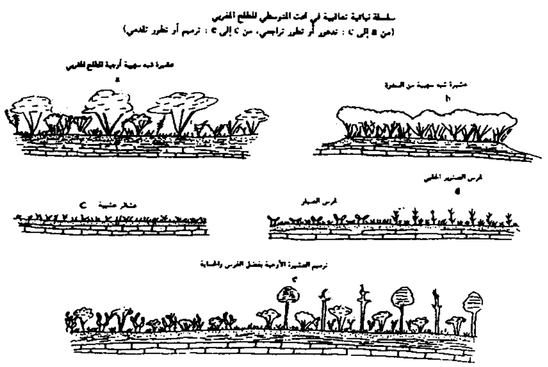

ويُؤْوي أيضا عدداً كبيراً من السلاسل النباتية التعاقبية التي تنظمها أنواع أرگان Argania spinosa، والبطم الأطلسي Pistacia atlantica، والزيتون البري Olea oleaster، والخروب Ceratonia siliqua، والعرعر البربري Tetraclinis articulata والعرعر الأحمر Juniperus phoenicea، والبلوط القرمزي Quercus coccifera، والبلوط الفليني Quercus suber، والبلوط الأخضر Quercus rotundifolia، ومحليا بلوط الزان Quercus faginea، والسرو الأطلسي Cupressus atlantica، وغيرها من الأنواع الشجرية.

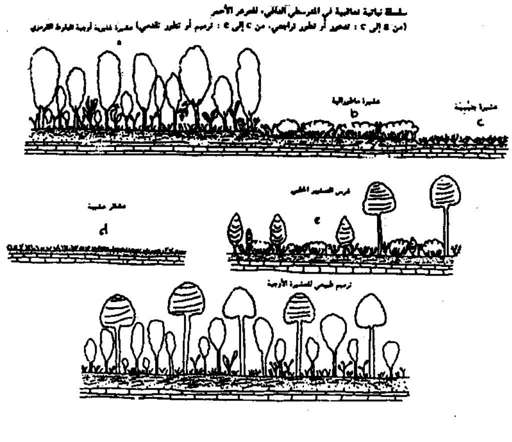

لكن العشائر النباتية الأوجية لهذه السلاسل النباتية التعاقبية انقرضت كليا بالنسبة لبعض الأنواع كالبطم الأطلس (انظر بطم) والزيتون البري (انظر "أزمور" و "زيتون") أو جزئيا بالنسبة للأنواع الأخرى، وذلك بسبب ضغط وأنشطة ساكنة بشرية عالية الكثافة في هذه المستويات.

ـ الطابق النباتي المتوسطي :

إنه الطابق النباتي الموالي للمتوسطي الدافيء. ،يتموقع ما بين 1000 و1400 م في الريف وجبال المغرب الشرقي، وما بين 1200 و1600 م بالهضبة الوسطى والأطلس المتوسط والجزء الشرقي من الأطلس الكبير، وما بين 1400 و1800 م بالأطلس الكبير الأوسط وجبل صاغرو، وما بين 1600 و2000 م بالجزء الغربي من الأطلس الكبير والأطلس الصغير. وفي هذه المجالات تكون البيومناخات شديدة الرطوبة أو رطبة أو شبه رطبة أو شبه جافة واستثنائيا جافة.

يتميز الطابق المتوسطي بوجود العشائر النباتية الأوجية للسلاسل النباتية التعاقبية الغابوية وشبه الغابوية وشبه السهبية على مساحات مجالاتها، التي تعرف ضغطا بشريا غير مفرط نسبيا مقارنة مع المتوسطي الدافيء وتحت المتوسطي. ومن أهم تلك السلاسل النباتية التعاقبية الغابوية، نذكر تلك التي تنظم من طرف أنواع البلوط، كالبلوط الأخضر Quercus rotundifolia والبلوط الفليني Quercus suber وبلوط الزان Quercus faginea والبلوط الزغبي Quercus pyrenaica. أما السلاسل التعاقبية شبه السهبية فهي للعرعر الأحمر Juniperus phoenicea .

وبصفة عامة يُؤوي الطابق المتوسطي والطابق فوق المتوسطي أجمل وأكبر غابات أنواع البلوط في المغرب.

ـ الطابق النباتي فوق المتوسطي :

يحتل الطابق النباتي فوق المتوسطي المستويات الموجودة ما بين 1400 و1800 م في الريف وجبال المغرب الشرقي، وما بين 1600 و2000 م في الأطلس المتوسط والجزء الشرقي من الأطلس الكبير. وما بين 1800 و2200 م في الجزء الأوسط من الأطلس الكبير وجبل صاغرو، وما بين 2000 و2400م في الجزء الغربي من الأطلس الكبير والأطلس الصغير. وتكون البيومناخات في هذه المستويات شديدة الرطوبة، ورطبة، وشبه رطبة، واستثنائيا شبه جافة.

في هذه المجالات تنظم السلاسل النباتية التعاقبية من طرف أنواع البلوط الأخضر Quercus rotundifolia، والبلوط

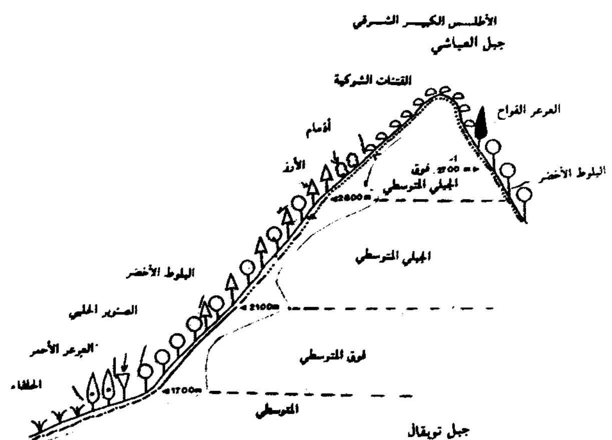


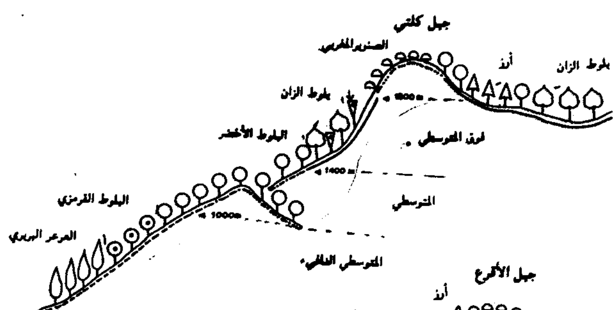


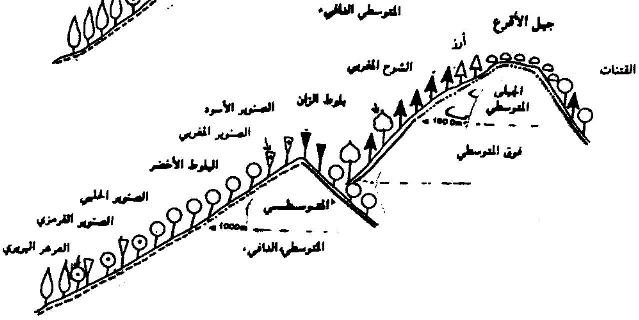


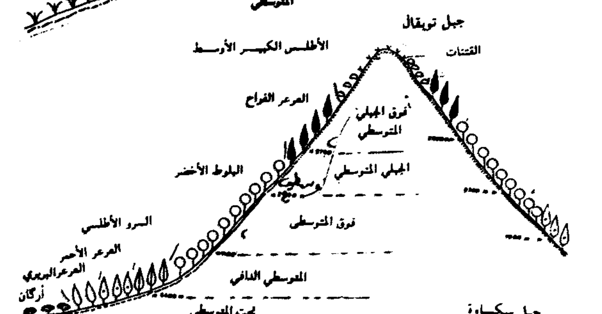


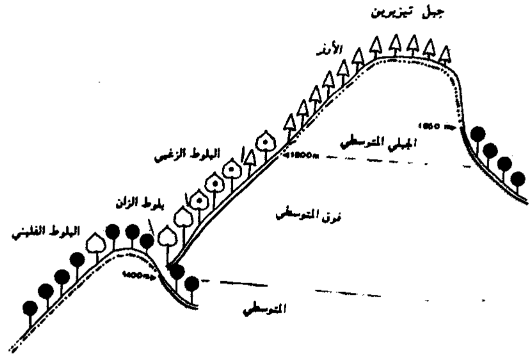


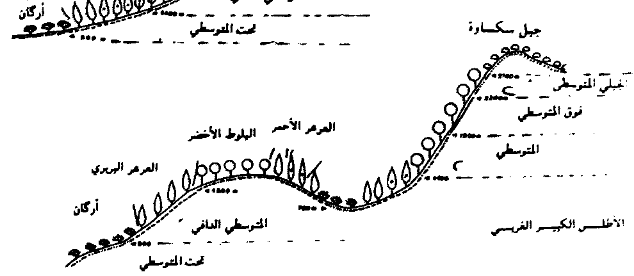

الفليني Quercus suber، وبلوط الزان Quercus faginea، والبلوط الزغبي Quercus pyrenaica، والشوح المغربي Abies maroccana، والأرز الأطلسي Cedrus atlantica، والعرعر الأحمر Juniperus phoenicea والدردار Fraxinus dimorpha، علما بأن تشكيلات هذين النوعين الأخيرين شبه سهبية، بينما العشائر الأوجية للأنواع الأخرى غابوية.

- الطابق النباتي الجبلي المتوسطي :

إنه أعلى الطوابق المتوسطية الغابوية لأن شدة البرودة في الطابق الموالي في اتجاه الأعلى لا تسمح بتشكيل العشائر الغابوية، بالرغم من وجود بيومناخات شديدة الرطوبة أو رطبة أو شبه رطبة في جل مناطقه. ويتموقع الطابق ما بين 1800 و2300م في الريف، وما بين 2000 و2500 م في الأطلس المتوسط والجزء الشرقي من الأطلس الكبير، وما بين 2200 و2700 م في الجزء الأوسط من الأطلس الكبير، وما بين 2400 و2900 م في الجزء الغربي من الأطلس الكبير وفي جبل سيروا من الأطلس الصغير.

وتنظم في هذه المستويات السلاسل النباتية التعاقبية ذات الشكل الغابوي من طرف الشوح المغربي Abies maroccana والأرز الأطلسي Cedrus atlantica، والبلوط الأخضر Quercus rotundifolia، بينما تشكل شبه السهبية من طرف العرعر الفواح Juniperus thurifera، ومحليا من طرف البلوط الأخضر Quercus rotundifolia .

- الطابق النباتي فوق الجبلي المتوسطي :

إنه الطابق النباتي العلوي الذي لا يوجد إلا على قمم الجبال العالية. فهو يكاد لا يظهر في الريف إلا على قمة تيديغين ما بين 2300 و2456 م وفي بيومناخ شديد الرطوبة. أما في السلاسل الجبلية الأخرى فهو يغطي قمم الجبال التي تتجاوز 2500 م في الجزئين الشرقيين من الأطلس المتوسط والأطلس الكبير، و2700 م في الجزء الأوسط من الأطلس الكبير، و2900 م في جزئه الغربي وجبل سيروا. وجل بيومناخات هذه المستويات الأطلسية رطبة في الشمال وشبه رطبة في الجنوب.

يظهر الطابق مستويين. يتميز المستوى السفلي بسلاسل نباتية تعاقبية شبه سهبية منظمة من طرف العرعر الفواح Juniperus thurifera الذي فقد جل عشائره الأوجية بسبب الضغط البشري المفرط. أما المستوى العلوي فهو يُؤوي السلاسل النباتية التعاقبية السهبية المنظمة من طرف القتنات الشوكية المتحملة لأقصى البرودة.

*أبحاث شخصية.*

A. Benabid, *Bref aperçu sur la zonation altitudinale de la végétation climacique au Maroc. Ecologia Mediterranea*, 8 (1-2) : 301-315, Marseille, 1982 ; *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000 ; A. Benabid et M. Fennane, *Connaissances sur la végétation du Maroc : phytogéographie, phytosociologie et séries de végétation. Lazaroa* 14 : 21 - 97, 1994 ; L. Emberger, *Remarques critiques sur les étages de végétation dans les montagnes marocaines. Bull. soc. bot.* Suisse, vol. Jubil Rübel, 46 : 614-631, 1936 ; P. Ozenda, *Sur les étages de végétation dans les montagnes du bassin méditerranéen. Doc. Cartogr. Ecol.*, Grenoble, XVI : 1 - 32, 1975 ; Ch. Sauvage, *Etages bioclimatiques. Atlas du Maroc. Notice explicative*, planche 6b. Rabat, 1963.

عبد المالك بنعبيد

ابن أبي **الطواجين الكتامي، محمد**، ثائر مغامر غريب الأطوار، ينتمي إلى قبيلة كتامة التي كانت بطونها منتشرة في المنطقة الجبلية التي تقع بها اليوم قبائل آل سريف وبني يسف وسوماتة شمال وشرق قصر كتامة. لم تتحدث المصادر المعاصرة عن هذا الثائر ربما لأنه لم يصطدم بالموحدين.

نشأ فيما يبدو بمدينة قصر كتامة التي كانت أسرته تقيم بها. وكان أبوه يشتغل بأمور السحر والشعوذة، فتعلم ابنه هذا عنه ذلك. وتاقت نفسه إلى الزعامة، فاستغل بداية تدهور أمر الموحدين وأعلن العصيان بالمنطقة الجبلية الواقعة شمال القصر الكبير بعد سنة 620 / 1223، وصار له بها أتباع كثيرون من مختلف القبائل الجبلية، خاصة بني يوسف وبني حسان، تمكن بهم من بسط نفوذه على المنطقة. واستغل الاشاعات عن تعاطيه للسحر والشعوذة والإتيان بالخوارق في التأثير على هذه القبائل، وتمادى في هذا السبيل حتى سولت له نفسه إعلان النبوة وتشريع الشعائر، وكان يدعي أيضاً الاتصال بالجن، فأغرى أتباعه بذلك واستسلموا له، إلى حد أنه صار مطلق اليد في التصرف في المنطقة، فأصبح يفرض على القبائل الخاضعة له أن تسلمه بناتها. ومن المثير أن المصادر المعاصرة لم تتحدث عن أبي الطواجين ويعود السبب فيما يبدو إلى أنه لم يصطدم بالموحدين، نظراً لانحسار ثورته في منطقة وعرة ومنعزلة.

ولا نعلم شيئاً عن مضمون دعوة ابن بي الطواجين والشرائع التي شرعها، ولا ندري هل كان هدفه إحياء دور قبيلة كتامة بالمنطقة والذي توقف بمجيء المرابطين، أو أن الأمر كان يتعلق فقط بمغامرة شخصية على شاكلة المغامرات السابقة التي عرفتها منطقة غمارة منذ ظهور المتنبي حاميم الغماري في القرن الرابع الهجري. وعلى كل حال فإن ثورة ابن أبي الطواجين لم تدم طويلا خصوصا بعد تماديه في ارتكاب التجاوزات الأخلاقية واصطدامه بحركة التصوف التي كانت تحظى بتقدير سكان المنطقة، فلا شك أن أبرز أولياء وزهاد المنطقة الجبلية وهو مولاي عبد السلام بن مشيش الحسني قد قام بدور ما في وجه انحرافات هذه الحركة، فأغرى ابن أبي الطواجين بعض أتباعه بقتل هذا الشيخ، فاغتالوه سنة 625 / 1228 بجبل العَلَم الموجود بقبيلة بني عروس على بعد حوالي 70 كلم جنوب غرب تطوان حيث يوجد ضريحه اليوم. ولم يطل الأمر بابن أبي الطواجين فاغتيل أثناء وجوده بوادي لَوْ سنة 626 / 1229 على يد شاب من قبيلة بني سعيد أرغم ابن أبي الطواجين أهله على تقديم بنت لهم إليه، وقد تنكر هذا الشاب في هيئة فتاة وتمكن من طعنه بخنجر فقتله. وبلغ من تعلق قبيلة بني

حسان به أن طالبت بتسليمها جثتة لدفنه عندها، بعد أن قرر بنو سعيد إحراقها. وبموته انتهت فصول حركة قبلية شاذة كانت واحدة من بين عدد آخر من الحركات القبلية المناوئة للموحدين، والتي لقيت مصيراً مماثلاً.

ابن خلدون، العبر، بيروت، دار الفكر، 1981، ج 7، ص. 297 ؛ محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن للفاسي، فاس، طبعة حجرية ؛ الناصري، الاستقصا، الدارالبيضاء، دار الكتاب، ج 2، ص. 223 - 234.

محمد المغراوي

**الطوب**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Tobo - Tobi .

وقد اشتهر أحد أفراد هذه الأسرة بتطوان كان يبيع اللّبن الجيد فأصبح كل لبّان يعرف بالطوب. ومنهم علي بن مومن الطوب، تاجر تطواني كان يملك عدة عقارات بالمدينة وهو الذي بنى بحومة السويقة حماما كان يعرف بحمام الطوب الذي تحول سنة 1150 (1737) إلى الزاوية التي عرفت بزاوية الخلانجي.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية .

محمد ابن عزوز حكيم

**الطوبي، ميلود** المقاوم استجاب لنداء ربه بتاريخ 28 أبريل 1995 المقاوم الطوبي ميلود وهو من مواليد سنة 1927 بقلعة السراغنة من والده عمر بن الفاطمي وأمه ايزة بنت المعطي، انخرط في صفوف المقاومة السرية منذ سنة مبكرة حيث شارك في تنفيذ عدة عمليات فدائية جريئة ضد أهداف استعمارية ضمن خلية المنطقة السرية التي كان ينتمي إليها وبسبب نشاطه هذا تم اعتقاله من طرف السلطات الفرنسية حيث قضى بالسجن مدة ولم يتم الإفراج عنه إلا عند بزوغ فجر الاستقلال.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523812.

ابن **طوجة** أو **طجة**، أسرة رباطية أصلها من الأندلس. وأول الحاملين لهذا الاسم حسب ما عثرنا عليه من المصادر ينتمي إلى القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) حسب ابن أبي زرع الذي أورد في روض القرطاس شخصا باسم أبي محمد عبد الرحمان بن محمد المعروف بابن الطوج (هكذا) من أصحاب الإمام أبي عمر بن عبد البرّ. وذكر أنه توفي سنة 507 هج وقال : (كانت له جنازة عظيمة لم ير مثلها). وجاء في تقاييد هذه الأسرة أن هذا الجد كان من كبار الفلاسفة المعاصرين لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين. ولم يظهر شخص يحمل اسم بن طوجة في المصادر إلا بعد حوالي خمسة قرون بعد حلول الأسر المهاجرة من المدن الأندلسية برباط سلا إثر قرار الطرد الذي أصدره الملك الإسباني فيليب الثاني سنة 1609 في حقها. فكانت هذه الأسرة من ضمن البيوتات التي عدّها محمد بوجندار من أهل الحل والعقد ومن أشياخ الأندلس الذين وصفهم بالجمهوريين إشارة منه إلى ما سمي بجمهوريات أبي رقراق وهي الكيانات الثلاثة التي تأسست مستقلة عن السعديين أواخر دولتهم عند مصب أبي رقراق بالقصبة الأندلسية - أو قصبة الاوداية فيما بعد - وبالرباط وسلا كما ذكر ذلك مويط ودي كاستري. ولم نعد نجد اسم هذه الأسرة ضمن المترجم لهم من أعيان الرباط سواء عند محمد بوجندار أو عند غيره وسواء في بقية القرن السابع عشر أو خلال القرن الثامن عشر، إلا أنه في عهد المولى إسماعيل الذي أمر قائده أحمد بن يعزى العرائشي (بتحقيق أحساب وأنساب ساكني حضرته المكناسية... وبتدوين ذلك في ديوان خاص) جاء اسم بن طوجّة ضمن الأسر الأندلسية القاطنة بمكناس سنة 1121 / 1710. وفي القرن التاسع عشر ورد اسم الحاج علي بن طوجة الذي كان يدعى علاّل وقد ولد سنة 1830 تقريبا وعاش عمراً طويلاً امتد قرنا وثلاث سنوات حسبما جاء في وثيقة عائلية ذكرت أن تاريخ وفاته هو 6 شوال 1351 الموافق لـ 1 يبراير 1933. كما ورد نبأ وفاته في جريدة *السعادة* في عدد 7 يبراير 1933. وكان الحاج علي هذا حيسوبيا ومنخرطا في الطريقة التجانية. ودفن في مقام الولي الصالح سيدي العربي بن السايح. وقد خلف ابنه محمدا وهو أشهر أفراد هذه الأسرة خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وقد ورد اسم محمد هذا في وثيقة لأسرة بن طوجة وجاء فيها أنه ولد سنة 1292 / 1875. ومن الغريب أن يذكره المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان ضمن الطلاب المتوجهين إلى إيطاليا لتعلم اللغة الإيطالية والفنون العسكرية والملاحة سنة 1295 / 1878، إذ يتضح بجلاء أن ابن زيدان أخطأ في سنة توجيه هذه البعثة التي حصلت في الحقيقة سنة 1888. ومما يزيد في تأكيد خطإ ابن زيدان أنه ذكر اسم الحسين الزعري السلاوي من ضمن الطلبة المبعوثين في الرحلة مع أن مذكرة هذا الأخير تؤرخ الرحلة بسنة 1888. مما يدل على أن ابن زيدان خلط بين سنة 1295 وسنة 1306 / 1888 أي بفارق 11 سنة، ومن المعروف أن الحاج أحمد معنينو سبق أن نشر مذكرة الزعري التي تصف البعثة الطلابية ومراحل الدراسة (انظر مجلة *دعوة الحق* عدد 1 السنة 12، 1968 من ص. 143 إلى ص. 148).

وعرف أبناء ابن طجة بتدوين الأحداث التي كانت تمر بها أسرتهم وكذا بعض الأحداث الأخرى. ومن جملة ذلك أن محمدا هذا ولد سنة 1292 / 1875، وكان عمره إحدى عشر سنة لما أوفد السلطان مولاي الحسن البعثة التي كان هو من أفرادها إلى إيطاليا. وحسب مذكرة الزعري التي تأخرت وفاته إلى 1375 / 1955 والتي أوردها محمد المنوني كذلك

في كتابه *مظاهر يقظة المغرب الحديث* فإن البعثة كانت تضم فتيانا مغاربة تتراوح أعمارهم بين 13 و16 سنة (فكان ابن طجة البالغ 11 سنة استثناء). وقد دون محمد بعض وقائع هذه البعثة المتوجهة إلى مدينة طورينو فمنها ما جاء مطابقا ومنها ما جاء مخالفا لمذكرة زميله الحسين الزعري. وقد تكفل الأستاذ معنينو في مقال له عن هذه الشخصية بهذه المقارنة فلا حاجة إلى تكرار كلامه (ارجع إلى مجلة دعوة *الحق*، عدد 275، يوليوز 1989. ص. 253 إلى ص. 257). وحسب مذكرة ابن طجة حصل السفر سنة 1887 لكن أفراد البعثة نزلوا في طنجة ومكثوا فيها شهرين قبل أن تقلهم باخرة فركاطة الحاملة لاسم أفونداطوري (Affondatore) وقصدوا جنوة. وفي نونبر من السنة نفسها وصلوا إلى طورينو. وفي سنة 1892 التحقوا بالمدرسة البحرية ليفورنو (Livorno) ويقول إن رجوعه من إيطاليا إلى المغرب كان في 4 يونيو 1897 على متن فرقاطة ليبانتو (Lepanto). واستخدمه السلطان ضابطا في الباخرة الحربية التي حملت اسم *الحسني* ثم باخرة بشير الإسلام. ورعيا لصلاته مع زملائه الطلبة من الأجناس الأخرى أثناء مقامه في إيطاليا فقد زار بلدان بعضهم مثل تركيا واليابان. وبعد أن انتهى أمر البحرية في تاريخ لم تشر إليه مذكرته رجع إلى الرباط في عهد مولاي عبد العزيز. وفي 27 نونبر 1907 اشتغل رئيس طابور رقم 1 بطنجة إلى أن انتهى هذا الطابور سنة 1925. وسافر إلى مسقط رأسه ثم رجع إلى طنجة ليعمل في الطابور الثاني إلى أن انقضى هذا الطابور في فاتح مارس 1929. ومن جملة وثائقه أو سمة ملكية منها واحد من الدرجة الخامسة أنعم به عليه المولى عبد الحفيظ في ربيع 1330 / 1912 وثان من درجة ضابط سجل فيه : (الرتبة الرابعة قائد لطابور المشاة طابور الأمن رقم 1 طنجة). تسلمه من مولاي يوسف.

ولما رجع إلى الرباط تزوج من زينب بنت الحاج الجيلالي المدغري أبا حنيني وكان رئيساً لمرسى الرباط بتاريخ 10 رجب 1319. وفي سنة 1326 رزق بمولوده الوحيد الذي مات في سنته الأولى. وهكذا انقطع عقبه. ولما تقاعد عن العمل في الجيش اشتغل بالتجارة في سوق السباط وكانت تجارة بسيطة. وكان له أخ أصغر منه اسمه عبد الرحمان توفي عن سن باكر (29 عاما) وخلف ولدين أحمد المزداد سنة 1903 وعبد الكريم المولود بعده بسنتين. وتوفي محمد بن الحاج علي بن طجة في 26 ربيع 2 : 1365 هج 29 ماي 1976 ودفن بالرباط.

وكان محمد قد اختار ابن أخيه أحمد ليكفله ويتخذه ابنا له فلما كبر أدخله المدرسة الحربية بمكناس بتاريخ 15 أكتوبر 1920 وتخرج منها في دجنبر 1923 ورحل إلى فرنسا. وفيها تزوج فتاة فرنسية لم يطب له العيش معها فتزوج من فرنسية أخرى أنجب منها عدة أولاد. وشارك في الحرب العالمية الثانية وأخذ أسيراً لدى الألمان. ولما رجع إلى المغرب جاء برتبة قبطان ومعه بنته الكبرى. وعمل مع المغفور لهما محمد بن يوسف والحسن الثاني كرئيس مكتب التجنيد العسكري برتبة عقيد (كولونيل). وقد توفي يوم الجمعة 28 يبراير 1981 ودفن بالرباط.

أما عن ابن أخيه عبد الكريم الذي ولد سنة 1905 فقد تبناه جده علال وقد ورث تجارة عمه في سوق السباط. وتوفي يوم الجمعة 30 رجب 1403 / 13 ماي 1983 ودفن بالرباط أيضاً.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، حرره وعلق عليه محمد الهاشمي الفيلالي، المطبعة الوطنية، شارع القناصل، الرباط، 1936، ج 2، ص. 99 ؛ محمد بوجندار، *مقدمة الفتح في تاريخ رباط الفتح*، مطبعة الجريدة الرسمية، الرباط، 1345، ص. 218 ؛ عبد الرحمن بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1990، ج 2، ص. 467 ؛ محمد المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، يناير، 1973 من ص. 134 إلى ص. 142 ؛ أحمد معنينو، القائد أحمد بن علي بن طوجة الرباطي، *مجلة دعوة الحق*، عدد 275، يوليوز، 1989 من ص. 253 إلى ص. 257، وثائق أسرة بن طوجة، روايات شفوية للأستاذ عبد الحق بن طوجة في 25 / 4 / 2001، محمد وزوق، *الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17*، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991، ص. 317.

عبد الإله الفاسي

**الطود**، أسرة الطود الحسني، أسرة شهيرة بمدينة القصر الكبير، وهم حسب محمد بن الخطيب القادري في *نشر المثاني*، ج 3، ص. 171 "من بني عمران الادريسيين الذين ببلاد الهبط". ويضيف أن تسميتهم بالطود نسبة إلى جبل عال ببلاد الهبط استقروا به عند نزوحهم إلى المغرب، وهو "جبل الحبيب".

كما تنص جميع الظهائر التي بين أيدي أفراد الأسرة على أنهم شرفاء حسنيون نسبة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب.

أما استقرارهم بالمغرب، فمما تواتر سماعا عن الآباء والأجداد أنه تم عن طريق عبورهم إليهم من الأندلس، إلا أنه لا يُدرى بالضبط متى كان دخولهم الأندلس، ولا متى عبروا منه إلى المغرب.

وقد تكثف وجود أسرة الطود بمدشرين رئيسيين هما مدشر "الجبيلة" ومدشر "دار ابن آصدوق"، ومن هذين المدشرين نزحوا إلى مدينة القصر الكبير أساسا بحيث صار اسم "الطود" مقرونا بهذه المدينة زمناً طويلاً. وكان نزوحهم إليها على مراحل متباعدة عن بعضها. فهناك ظهير سلطاني للمولى عبد الملك بن السلطان المولى إسماعيل مسلم للفقيه المحتسب بمدينة القصر الكبير مولاي مسعود الطود الحسني، مؤرخ بفاتح رمضان عام 1140 هـ وينص على أن مولاي عبد الملك يجدد لمولاي مسعود حكم ما بيده من ظهير والده المقدس وظهائر أسلافه المنعمين، ويقره في وظيف الحسبة التي بيده بالقصر الكبير.

وقد نزح أفراد من آل الطود قبل هذا التاريخ إلى مدينة فاس، ولا يعلم إن كانوا قد قصدوها من القصر الكبير أم من جبل الحبيب. فقد ورد في *النشر*، ج 3، ص. 171 ذكر لأحمد ابن أحمد الطود العمراني المتوفى عام 1118 هـ وأنه كان له حفيد هو محمد بن علي بن أحمد من المصاحبين لصاحب النشر.

وكان آخر من نزح من آل الطود من جبل الحبيب إلى مدينة القصر الكبير عام 1234 هـ هو الفقيه الطاهر بن الطيب بن عبد السلام بن العربي الطود الادريسي الحسني، وكان بصحبته شقيقه الطيب. وقد نزح بعض أفراد الأسرة أواخر القرن التاسع عشر من القصر الكبير إلى قبيلة "بني زروال" قصد أخذ العلم عن مشاهير علمائها، فاستقروا بمدشر غفساي وخلفوا فيها عقبا من الجنسين، ومازال نسلهم هناك إلى اليوم يعرفون بأبناء الفقيه الطود تارة، وبأبناء الفقيه القصري تارة أخرى، وانتقل بعضهم إلى مدشر "تَزْغَدْرَة" من نفس القبيلة.

ومن آل الطود من نزح من القصر أيضاً إلى دكالة واستقر بها وعقب ما شاء الله أن يعقب من الخلف، واختاروا الاستقرار أولا بـ "بولعوان" حيث اشتهروا هناك - مع طول المدة - بشرفاء بولعوان، أو بالطود الفاوقي، وبقيت صلتهم قائمة بأبناء عمومتهم بمدينة القصر الكبير، وهم من فرع أولاد ابن التهامي الطود الذين نزحوا إلى القصر الكبير قبل نزوح الطاهر الطود إليه ويسكنون اليوم مدينة سطات ومدينة الدار البيضاء. أما حفدة الطاهر الطود - وهم الذين يشكلون الاغلبية، فينتشرون اليوم في مدن القصر الكبير وطنجة والرباط.

وقد عرف أبناء الطود القصريون بسمات ثلاث

1 - الحرص على دراسة العلم، فقد كان منهم القضاة والعدول والمفتون والوعاظ والمحتسبون ونظار الأوقاف والأدباء والشعراء.

2 - وطنيتهم الصادقة، وكراهية الأجنبي والشجاعة والجهر بالحق، والمواقف النضالية المتصلبة مما جر عليهم مشاكل مع المستعمر وترك بصمات نضالية واضحة في الحركة الوطنية بالشمال خاصة في القصر الكبير ومدينة تطوان.

3 - اشتغال معظمهم بالفلاحة حتى يكونوا أحراراً في مواقفهم.

كما كان لأغلبهم ولوع بفن السماع وطرب الآلة.

محمد بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، ج 3، ص. 171 ؛ *وثائق وظهائر عائلية، وروايات شفوية.*

**الطود، أحمد** بن **عبد السلام** الحسني بن الطاهر، فقيه مشارك متضلع في العلوم الدينية مبرز في الفقه المالكي حتى نعت بـ "مالك القصر الكبير"، وكان له الباع الطويل في علم التفسير والحديث والأصول والفرائض، والفلك وعلم الكلام، والتصوف إلى جانب علوم اللغة بجميع فروعها، كما كان على اطلاع كبير بالسير والأنساب، ومحيطا بشؤون الأوقاف شرعيا وتاريخيا، مما أهله لأن يصبح مرجعا ومستشاراً لوزارة الأوقاف بالحكومة الخليفية بتطوان، فلا تبتّ في أمر من أمور الأوقاف إلا بعد استشارته.

ولد أحمد بن عبد السلام الطود بمدينة القصر الكبير حوالي عام 1241 / 1857، وتلقى تعليمه الأولي بها حيث تعلم القراءة والكتابة، واستظهر القرآن الكريم وحفظ بعض المصنفات والمتون العلمية عن مشايخ بلدته. ثم شد الرحلة إلى العاصمة العلمية فاس، وطالت مدة دراسة وإقامته بها، فأخذ عن فطاحل علمائها في وقته أمثال محمد بن التهامي الوزاني، وعبد الملك العلوي، وأحمد بن الطالب ابن سودة، والعلامة جعفر الكتاني وغيرهم.

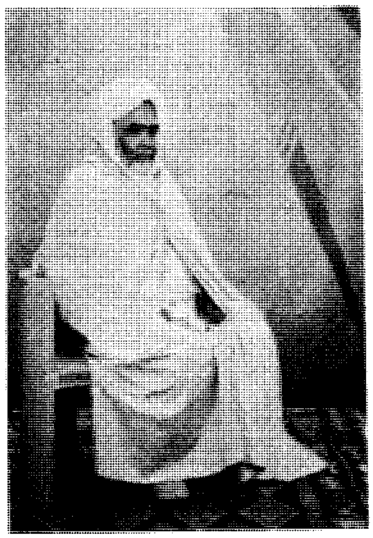

وعاد بعد ذلك إلى مدينته القصر الكبير مليء الوفاض علما وتجربة فاستفاد منه رعيل من أبنائها، حيث مارس مهمة التدريس بالجامع الأعظم العتيق بها، كما زاول خطة العدالة، ثم خطة القضاء، ومارس مهمة الإفتاء في النوازل العويصة بمزيد من المهارة. وقضى أزيد من خمسين سنة إماما وخطيبا للجمعة والأعياد الدينية بالمسجد السالف الذكر. كما أسندت إليه نظارة الأوقاف بإلحاح لا مزيد عليه، فقبلها على مضض، ثم استقال منها بعد وقت وجيز.

ومما أثر عنه، أنه كان لا يُرى إلا في إحدى الحالات : إما كاتبا معلقا ومحشيا بقلمه في طرر الكتب التي لا يتوقف عن مطالعتها، وإما قارئا تاليا للقرآن الكريم والاذكار والتسابيح، وإما مصليا للفروض والنوافل. ولم يخلف الفقيه إنتاجا محرراً بخط يده إلا أنه يُروى أنه ألف عدة منظومات منها منظومة في علم الفلك شملها الضياع كما شمل العديد من وثائقه القيمة المختلفة المواضيع خاصة نوازله الفقهية وفتاواه وأحكامه.

توفي سنة 1371 / 1951 عن سن يناهز الرابعة

والتسعين، ودفن بضريح العالم أحمد بن علي بن يوسف الفاسي بحي القطانين بالقصر الكبير.

*وثائق عائلية* : كناشة السي محمد بن عبد القادر الطود وهي ملكية خاصة.

**الطود، عبد السلام** بن **أحمد** الحسني بن عبد السلام ابن الطاهر.

ولد بمدينة القصر الكبير أواخر سنة 1916 / 1334 وتلقى دراسته القرءانية بكتاب سيدي علي بن العربي الخيري على يد شيخيه الفقيهين الشقيقين أحمد بن الغالي بن حمان الطود وعبد السلام. وبعدما تلقى دراسته العلمية الأولية على شيوخ بلدته وفي مقدمتهم والده الذي بعثه إلى مدينة فاس للانتهال من حياض شيوخ القرويين، فحضر دروس العلماء : أمثال الشريف الطاهر الكتاني والفقيه محمد بن الطاهر بناني، وعبد الهادي بن عبد الواحد ابن المواز، والقاضي محمد بن إدريس البدراوي، والفقيه العلامة عبد الحي الكتاني وغيرهم.

وعندما تأسس المعهد الخليفي بتطوان، بدا له أن يلتحق به لإتمام دراسته فيه، وفي سنة 1938 سعى زعيم حزب الوحدة المغربية الشيخ محمد المكي الناصري في إرسال بعثة طلابية كبيرة إلى القاهرة ضمت بعض أبناء مدن الشمال المغربي. فسافر عبد السلام بن أحمد الطود إلى القاهرة ضمن هاته البعثة وتابع دراسته بدار العلوم جامعة القاهرة، حيث تخصص في علوم التاريخ.

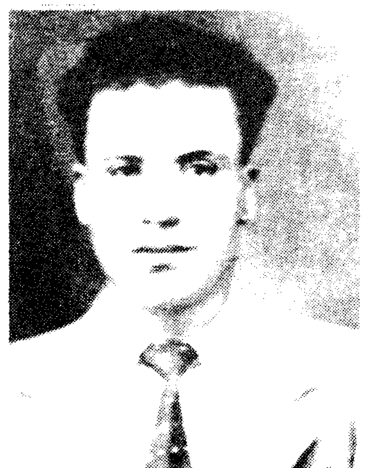

لم يشذ عبد السلام بن أحمد عن أفراد عائلته فقد كان مثالا للوطنية الصادقة تجلت في نشاطاته المتعددة. فعندما نجحت عملية إنزال الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي بمصر سنة 1947 كان عبد السلام اذ ذاك على أهبة مناقشة أطروحته "بنو عباد بإشبيلية". وأثناء الاستعراض الكبير الذي أقيم على شرف المجاهد الخطابي الذي شارك فيه طلبة البعثة المغربية، اقترح عبد السلام على زملائه أن يرددوا ـ عند مسامتتهم للسرادق الذي يشرف منه المحتفى به على الاستعراض ـ نشيد الثورة الريفية الذي رددته الجيوش الريفية عند تحريرها لمدينة شفشاون.

وكان عبد السلام متمكنا من النشيد نصا وتلحينا، فدرب طلبة البعثة عليه، فكانت مفاجأة كبرى أثرت في مشاعر بطل الريف الذي التقطت له صورة وهو يذرف دمعتين تأثرا، والصورة نشرتها جريدة مراكش وقتئذ في مدينة طنجة.

ورجع عبد السلام إلى وطنه فانخرط في سلك التعليم لمادة التاريخ بالمعهد الرسمي بتطوان، ثم عين مديراً له، وكان حلو المعاشرة جذابا في شعبيته، وفي تدريسه الأمر الذي شد إليه قلوب تلاميذه.

كما انخرط في حزب "المغرب المحر" الذي أسسه جماعة من الشباب المثقف بمدينة تطوان. فكان عبد السلام الطود العنصر المنشط المحرك في الحزب وتولى إدارة جريدته التي كانت تحمل اسم الحزب. وكان من دعاة حرية المرأة، وشهدت الصحف حواراً ساخنا بينه وبين المعارضين له.

وفي سنة 1956 عاثت بعض العناصر فساداً في شمال المغرب فتعرض لهم عبد السلام الطود بقلمه على أعمدة صحيفة الحزب "المغرب" بمنتهى الصراحة والشجاعة المعهودة فيه، وسماهم بأسمائهم وأطلق عليهم اسم : "جيش التخريب"، فاختُطف وزميله في الكفاح المجاهد إبراهيم الوزاني وهما جالسان يتناولان القهوة بمقهى "كونتيننتل" الواقعة بأكبر شوارع مدينة تطوان في 14 يونيو 1956 في الوقت الذي اختطف ابن عمه عبد السلام بن الهاشمي الطود بالقصر الكبير. وتعرض للتعذيب حتى الموت.

خلف الطود مؤلفا مطبوعا عن بني عباد بإشبيلية، وعدداً من المواضيع المخطوطة عن تاريخ الأندلس، لم يكتب لها بعد أن تطبع. هذا إلى جانب مقالاته الصحيفة العديدة.

*وثائق عائلية* ؛ المهدي المومني التجكاني، دار بريشة، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ص. 11 ـ 28 ـ 34 ـ 35 ـ 40 ـ 57 ـ 75 ـ 104 ـ 105 ـ 125 ـ 129 ؛ أحمد معنينو، *ذكريات ومذكرات*، الجزء 5، مطبعة سبارطال، طنجة، ص. 125 ـ 128 ؛ جامع بيضا، *نقاش حول حرية المرأة في الصحافة المغربية*، ندوة *دور المرأة في المقاومة*، ص. 108 ـ 109 ؛ *جريدة النهار*، 17 رجب 1369 / 5 ماي 1950 ؛ *جريدة الرأي العام*، 9 محرم 1377 / 6 غشت 1957 ؛ *جريدة الديموقراطية*، 30 غشت، 1957.

**الطود، عبد السلام** بن **الهاشمي** الحسني بن الطاهر علامة مشارك، متضلع في الفقه والأحوال، كان يتحلى بسجايا عالية وفضائل رفيعة، وشخصية قوية كما كان مهاب الجانب ذا شجاعة أدبية وذكاء وقاد.

ولد بمدينة القصر الكبير حوالي عام 1270 / 1887، تلقى دراسته الأولية على يد شيوخ بلدته وأسرته ثم شد الرحال إلى مدينة فاس، حيث أم جامع القرويين وقرأ على شيوخه

أمثال : الفقيه عبد السلام بن عبد النبي غازي، والفقيه القاضي مولاي أحمد بن المامون البلغيثي، والفقيه العلامة الصوفي أحمد بن الخياط الزكاري، والشيخ العلامة أبي شعيب الدكالي، والفقيه محمد بن جعفر الكتاني وغيرهم.

وعندما عاد إلى بلدته مارس خطة الوكالة الشرعية زهداً منه واستنكافا من الوظيف، فكان وكيلا مقتدراً يُعجز أمهر القضاة ويحرجهم متى شعر بانحرافهم، ويبهرهم بخبرته الفقهية.

كان عبد السلام بن الهاشمي الطود من مؤسسي الحركة الوطنية بالقصر الكبير، وعضوا في اللجنة الفرعية لحزب الاصلاح الوطني به، ساهم بتفان وشجاعة في نشر الوعي الوطني والسياسي بين أبناء بلدته قبل تأسيس الحزب المذكور من خلال ما كانت تقوم به جمعية *الطالب المخزنية* في نشاطات سرية تمهيداً لظهور الحركة الوطنية العلنية المتمثلة في الأحزاب فساهم في تأسيس الخلايا السرية بالمدينة، وتطوع بشجاعة منقطعة النظير في جنح الليل لترويج المناشير السرية والصحف والمجلات العربية الشرقية المحظورة آنذاك، ثم يجمعها ممن سلمت له لتوزع من جديد على من لم يتوصل بها، وذلك لقلتها، مستعملا الصرامة مع من تخول له نفسه إفشاء السر، أو التقرب إلى الحكام بدلالتهم على مصدرها، وكان المؤطرون يقدرون تضحيته وإخلاصه، كما يهابونه لما وهبه الله من قوة الشخصية.

وفي الأربعينيات عندما حاول أذناب الاستعمار وبعض ضعاف النفوس الترويج لفكرة الانفصال بين شمال المغرب وجنوبه وقف عبد السلام بن الهاشمي الطود شجى في حلق هؤلاء، فعارض بشدة ووقف هو وأسرته من أبناء عمومته في وجه هاته المحاولة بكل ما أوتي من قوة. فألقى عليه القبض، وجاء في رسالة مؤرخة بـ 27 ربيع 1366 (19 يبراير أو 20 مارس 1947) موجهة من ابن عمه الغالي الطود إلى عبد الخالق الطريس بتطوان، أن الباشا (باشا القصر الكبير) محمد بن مصطفى الرميقي (عين في فاتح شوال 1342) قام بجلد الوكيل الشرعي عبد السلام بن الهاشمي خمسمائة جلدة وعمره آنذاك حوالي ستين عاما. ثم طوف به في المدينة. ثم نفي بعد ذلك إلى مدينة العرائش لمدة أربع سنوات. وفي سنة 1952 التقى بابنه الهاشمي الطود الذي أرسل من قبل المناضل محمد بن عبد الكريم الخطابي في مهمة سرية بالمغرب، وذلك في الجامع الكبير بمدينة سلا بحضور المجاهد الحاج أحمد معنينو.

وكان من المعارضين لإدماج حزب الاصلاح الوطني في حزب الاستقلال، لذلك أوقف نشاطه في هذا الحزب وأصبح يميل ويعطف على حزب الشورى والاستقلال.

وفي 14 يونيو 1956 اختطف من بيته ليلا من قبل عصابة من جيش التحرير ولم يعرف مصيره منذئذ، وجاء في كتاب *دار بريشة* أنه عذب حتى الموت.

*وثائق عائلية* ؛ أحمد معنينو، *ذكريات ومذكرات*، الجزء 5، 1952 ـ 1956، ص. 50 ؛ المهدي المومني التجكاني، *دار بريشة*، مطبعة النجاح، الدا البيضاء، 1405 ـ 1987، ص. 10 ؛ محمد بن عزوز حكيم، *وثائق الحركة الوطنية في المغرب*، تطوان، 1980، ص. 24 ؛ *تظاهرة كبرى لحزب الإصلاح الوطني بالقصر الكبير*، جريدة الحرية، 23 يبراير، 1940 ؛ *الأساليب الفاشستية*، جريدة الديموقراطية، بالفرنسية، 30 ـ 9 ـ 1957.

**الطود، الغالي** بن **المختار** بن الغالي بن الطاهر.

رائد الوطنية بمدينة القصر الكبير، رجل صنعت طينته من عنصرين اثنين عاشا يتصارعان داخله إلى أن لقي ربه هما : حب الوطن، وبغض الاستعمار فبذل من أجل ذلك كل ما يملك من عزيز وغال.

ولد بمدينة القصر الكبير سنة 1323 / 1905، استظهر القرآن الكريم بكتاب القطانين على شيخه الفقيه الحاج أحمد بن الحاج علي الريسولي، كما أخذ العلوم الأولية وبعض المصنفات عن شيوخ بلدته. ثم رحل إلى فاس فتتلمذ على فطاحل علماء القرويين خلال العشرينيات الميلادية أمثال عبد الهادي الهرار وعبد الرحمن ابن القرشي وأحمد بن الجيلالي الامغاري ومولاي عبد الله الفضيلي ومحمد بن إدريس البدراوي ومحمد بن عبد الرحمن العراقي، وبوشتى الصنهاجي. وفي مدينة فاس التقى بعبد الخالق الطريس ـ قبل سفر هذا الأخير إلى مصر ـ وكان يقاسمه السكن. ونشأت بينهما صداقة متينة زاد من قوتها حبهما للوطن.

كما تشبع بالأفكار السلفية من روادها وتلك الأفكار كانت من العوامل الفكرية الأساسية التي أدت إلى تبلور الحركة الوطنية.

ومن الإرهاصات المنبئة بصدق وطنيته انضمامه ـ وهو بفاس ـ إلى مجموعات الشباب الوطنين التي كانت تنشط في خلايا سرية، وكانوا يطلقون على بعضهم أسماء مستعارة، فأطلقوا على الغالي الطود اسم غاندي وبقي هذا الاسم لصيقابه يطلقه عليه رفاقه ومن هم في سنه من أبناء عمومته.

ولما عاد إلى مدينة القصر الكبير 1347 / 1931 مارس خطة العدالة وانخرط في سلك التدريس. كما واصل عمله بنشاط ملحوظ في صفوف كتلة العمل الوطني بالشمال، حيث شارك في بعض اجتماعاتها السرية التي كانت تعقد غالبا بمنزل الفقيه الصفار بتطوان، وقد نشط أيما نشاط في تطبيق مقرراتها في مسقط رأسه فشرع في تأسيس الخلايا السرية وتهيئتها مذكيا الشعور الوطني في نفوس أفرادها. وفي هذا الإطار سعى إلى تأسيس جمعية *الطالب المغربي* الأولى، قبل ميلاد حزب الإصلاح الوطني بزعامة صديقه عبد الخالق الطريس. كما كان يراسل باستمرار جريدته *الحياة* التي أصدرها في تطوان في فاتح مارس 1934. وعانت جمعية الطالب المغربي الأولى ما عانته من محاربة المستعمرين لها ومضايقتها مما أدى إلى حظرها وإغلاق مقرها. وبعد إعلان قيام حزب الاصلاح الوطني في 11 نونبر 1936 كان الغالي الطود أول رئيس لفرعه بالقصر الكبير، وعضو اللجنة التنفيذية بتطوان. فسعى من جديد 1937 في إحياء جمعية *الطالب المغربية* كفرع لنظيرتها بتطوان. فعرفت هذه الجمعية بالقصر الكبير تحت قيادة الغالي الطود وفي ظل الحزب نشاطا ملحوظا حيث ألقيت في مقرها عدة محاضرات ونظمت عدة ندوات مختلفة المواضيع شارك فيها المترجم كما شارك فيها ابن عمه المهدي الطود وشخصيات سياسية ووطنية من الزائرين لمدينة القصر الكبير والوافدين عليه في مختلف جهات المغرب كالحاج أحمد معنينو، كما أقيمت بمقر الجمعية حفلات تكريمية لعلماء وأدباء ووطنيين أمثال تقي الدين الهيلالي والتهامي الوزاني وغيرهما مما لا يتسع المجال لشرحه.

وكان الغالي الطود يحرص أشد الحرص على إقامة مهرجانات خطابية في المناسبات الدينية والوطنية والقومية، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ذكرى عيد العرش، وذكرى إصدار الظهير البربري ووعد بلفور خاصة وأنه كان رجلاً قوميا مؤمنا بضرورة وحدة العرب والمسلمين. وهكذا كان يأمر أبناء الحزب وأنصاره في ذكرى الظهير البربري ووعد بلفور بحمل الشارات السوداء على أذرعهم اليمنى طيلة اليوم، وبالتجمع في المساجد لقراءة اللطيف وإلقاء الخطب، ثم التظاهر وإرسال عرائض الاحتجاج وإخراج الصدقات.

وكان بيته قبلة الوطنيين الفارين من المنطقة السلطانية قبل التحاقهم بمدينتي طنجة أو تطوان كالحاج أحمد بلا فريج وعبد الوهاب بن منصور والحاج أحمد معنينو وغيرهم.

وكان قلمه بليغا ولاذعا وهو يكتب في الصحف الوطنية مندداً بما يفعله الحكام الاسبان وعملاؤهم من قواد وشيوخ فاضحا ممارساتهم وضربهم للمواطنين الجبليين من قبائل بني سريف وبني زكار وغيرهم وجلد أجسادهم بالسياط.

وكثيراً ما استدعاه الحاكم الاسباني بالعرائش آمراً إياه بالتوقف عن نشر مقالاته اللاذعة. لذلك كثيراً ما جلد وزج به في غياهب السجون على يد عملاء الاستعمار، وأتلفت محاصيل أراضيه الزراعية، ونهبت وقتلت مواشيه. ومما زاد حنق الاستعمار الاسباني عليه أنه كان منذ سنة 1945 يدعو إلى الاستقلال والوحدة بين أطراف المغرب المجزأة بين إسبانيا وفرنسا والادارة الدولية، وكان يدعو إلى ذلك في خطبه في المهرجانات وفي محاضراته ومقالاته الصحفية وفي قصائده الشعرية التي كان يخص بها السلطان محمد بن يوسف الذي تلقى منه مراراً - بواسطة عبد السلام الفاسي - رسائل شكر خاصة على قصيدته التي مطلعها :

لك الشعب الكريم أتى يشيد ... تفضل فأنت فاتحه المجيد

ومما جاء فيها :

غدا يستوهب الشعب اتحادا ... وفي أكناف دولتكم يعود
فلا تبقى الحواجز والجمرك ... ولا يبقى الجواز ولا الحدود
غدير الشمال زادك عزا ... مضت به في عزمكم الوعود
لرفع عماد عرشك قد تبدى ... ليوثا في الشمال لها ربود

وقد كانت هاته القصيدة سببا في متابعة الاستعمار له ولأسرته فاضطر للهجرة إلى طنجة الدولية وقتئذ، وأرغم على تقديم استقالته كمدير للمدرسة القرآنية، ولبث سبعة أشهر في طنجة ثم أرغمته الادارة الدولية على الخروج منها بعدما استصدرت قراراً من المندوب السلطاني الحاج محمد التازي بتاريخ 16 يونيو 1947 يمنعه من الخروج من المغرب من طريق البر والبحر.

وحددت له السلطات الاسبانية الاقامة الجبرية بمدينة العرائش تحت الرقابة المشددة. وحلت جمعية الطالب المغربية التي كان يرأسها الغالي الطود ونهب مقرها، وسرق أثاثه، ونهبت خزانة كتبه الغنية النادرة، وحول إلى نادي للصيادين الاسبان نكاية بالأسرة الطودية.

كما كان الغالي الطود مؤمنا بالوحدة القومية والقضايا العربية والإسلامية ففي قصيدة له بمناسبة عيد العرش في 18 نونبر 1947 جاء :

يا أيها العرب الخلصاء إنكم ... إن اتحدتم حباكم بارئ النسم
هذي فلسطين تحت النير صامدة ... بين الحراب وبين الظلم من أمم
عار علينا بني الإسلام إن نجحت ... زعينيفة من شذاد الافق في الحرم

لبث الغالي الطود تحت المراقبة في مدينة العرائش إلى أن مات المقيم العام الاسباني باريلا (1891 ـ 1951) في 24 مارس 1951 الذي كان ألد عدو للحركة الوطنية. فالتحق بالمنطقة الجنوبية وجاب ربوعها. وفي سنة 1952 حل بمدينة فاس وزار ابن عمه إدريس الطود الحسني الذي كان حينئذ مدير مدرسة الفتح الحرة، وكانت فرنسا وقتها تؤلب البربر ضد العرش، وكان الجلاوي والجنرال گيوم وأعوانهم يقومون بجمع العرائض ويجتمعون برؤوس القبائل لإيغار صدورهم على العرش العلوي فانتهز الغالي فرصة وجوده بإتزر واتصل برؤساء القبائل هناك بواسطة ابن عمه المذكور، وأمضوا عرائض أخرى مضادة لما أمضاه گيوم والگلاوي يعلنون فيها تبرأهم من هاته العرائض وتعلقهم بالعرش العلوي المجيد، وقد حمل هاته العرائض إلى فاس محمد ولد الخليفة بوزيان وسلمها إلى الغالي الذي حملها بدوره إلى الرباط وسلمت إلى السلطان محمد بن يوسف شخصيا. ثم عاد الغالي إلى القصر الكبير، وناضل بشدة بعد نفي السلطان في غشت 1953. ونظم عدة مظاهرات ورفع عدة احتجاجات للمحافل الدولية والمنظمات السياسية وللبابا والفاتيكان. كما قام بدور هام جداً حين أحبط وزملاؤه من الوطنيين محاولات فرنسا لكسب تأييد لها في سياستها ضد السلطان ونفيه والاعتراف بابن عرفة ملكا شرعيا وحمل الأئمة على الخطاب له في منابر جوامع شمال المغرب، لكن الوطنيين وعلى رأسهم الغالي تصدوا لذلك وأبلغوا سفراء الدول العربية بمدريد فهدد هؤلاء بقطع العلاقة مع نظام فرانكو فورا إن أيد السياسة الفرنسية أو سار في ركابها.

ونتيجة للتهديدات والمؤامرات والاختطافات التي تعرض لها رجال أسرة الطود بعد عودة السلطان محمد الخامس من المنفى، اضطر الغالي إلى الخروج متسترا في 4 غشت 1956 ولجأ إلى إسبانيا ومنها إلى مصر حيث احتضنه يصدر رحب المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي وظل هناك إلى أن أذن له بالعودة إلى المغرب وكان وصوله إلى القصر الكبير في غشت 1960.

وظل يمارس مهنته كعدل كما كان له نشاط فلاحي يساعده على العيش إلى أن توفي في 16 شتنبر 1985 ودفن بروضة سبعة رجال بمدينة القصر الكبير.

ولم يترك الغالي مؤلفات لكنه كان يكتب في الصحف الوطنية كا*لحياة والريف والحرية ومراكش والمغرب الحر والرأي العام* مما لو جمع لكون رصيداً وطنياً سياسياً غزيراً.

وريقات كتبها الغالي الطود عن ذكرياته لكنه لم يتممها ؛ *وثائق عائلية* ؛ م. ابن عزوز، *وثائق تشهد*، الرباط، مطبعة الساحل، 1980، ص. 19 ؛ أعداد كثيرة من الجرائد الوطنية، الحياة والريف والحرية ومراكش والمغرب الحر ؛ أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بنانت.

**الطود، الفضيل الحسني**، الفضيل بن محمد بن أحمد بن عبد السلام.

ولد بمدينة القصر الكبير سنة 1933، تعلم القراءة والكتابة بكتاب الفقيه السيد أحمد الريسوني بالقصر الكبير، وتلقى تعليمه الأولي على يد والده الفقيه العلامة محمد بن أحمد الطود في الدين واللغة والآداب، وجده أحمد الطود في الحساب والدين واللغة، ثم التحق بمعهد مولاي المهدي بتطوان وقضى فيه سنتين، ثم عاد إلى القصر الكبير حيث واصل الدراسة على يد أبيه وجده كما أدخل إلى المعهد الديني حيث تابع دراسته مدة من سبع سنين. وتقدم بعد ذلك في سنة 1954 لاحتياز مباراة لاختيار المعلمين، فنجح وعين معلما بـ"حد الغربية" نواحي مدينة أصيلة، ثم تقدم لمباراة الدخول للمدرسة الإقليمية للمعلمين بالرباط حيث أمضى نحو سنة عين بعدها معلماً بمدينة طنجة سنة 1957، ثم انتقل بعد عشر سنوات للعمل بمدينة القصر الكبير إلى أن أحيل على المعاش بها سنة 1994.

وتوفي بمدينة القصر الكبير في 4 أبريل 2002.

*وثائق عائلية.*

**الطود، محمد** بن **عبد القادر** بن الطيب، عدل مبرز مرموق، وطني صادق، كريم سخي مضياف. وجيه مقدام، تلقى تعليمه الأول عن مشايخ مدينة القصر الكبير ـ مسقط رأسه ـ حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن والكثير من المتون العلمية. ثم رحل إلى مدينة فاس وأم جامع القرويين فأخذ عن كبار الشيوخ به أمثال: محمد گنون، ومحمد القادري ومحمد بن جعفر الكتاني، وأحمد بن الخياط وأحمد بن الجيلالي، وعبد المالك العلوي الضرير، وأحمد بن سودة وغيرهم. وبعد أن ملأ وطابه من لذة العلوم، عاد إلى مدينة القصر الكبير، فمارس خطة العدالة وتولى خطبة الجمعية والأعياد بالمسجد الأعظم خلفا لابن عمه أحمد بن عبد السلام بعد وفاته، كما شغل مهمة كاتب المجلس البلدي

عندما سمحت السلطات الحامية بتأسيس المجالس البلدية المنتخبة بالشمال في بحر الثلاثينيات. إلا أنه كان يعتمد في عيشه أساساً على فلاحة الأراضي الشاسعة التي ورثها عن والده.

كان المترجم يتمتع بوطنية فياضة ورثها عن أسلافه زادها احتكاكه بشيوخ السلفية بمدينة فاس رسوخا، فكان بيته مقراً للنشاطات الوطنية وقبلة لاستضافة كل الوطنيين القادمين إلى القصر الكبير على اختلاف مشاربهم كما كان صريحا ذا مواقف صارمة في الحق سواء إزاء بعض أعضاء المخزن أو ضد سلطات الحماية مما تسبب له في مشاكل متعددة.

فسجن سنة 1932، والسبب كما حكاه المترجم له في كناشته أن السلطات الإسبانية الاستعمارية بمدينة القصر الكبير، والباشا الرميقي، رخصت لليهود بتاريخ 28 يونيو 1933 بعرض مسرحية من شأنها أن تثير حفيظة المسلمين وغضبهم وتمس كرامتهم بإهانة سلفهم. وفي يوم العرض وبينما المتفرجون اليهود والإسبان يتوافدون على المسرح، إذا بعبد القادر الطود وابن عمه الغالي يعلنانها صرخة مدوية في الجمهور "أن حي على الجهاد في سبيل الله" فاجتمعوا عن بكرة أبيهم وقاموا بمظاهرة عظيمة، ورفعوا احتجاجهم إلى السلطات الاسبانية على هذا الاعتداء على كرامة الاسلام، وفي أثناء المظاهرة تحرش اليهود بالمسلمين، ووقع اصطدام بينهم وكانت معركة و (ثورة) لم تتغلب السلطة الاسبانية عليها إلا بعد جهد كبير استمر من 28 يونيو إلى 2 يوليوز 1933.

وبإيعاز من الباشا الرميقي الذي أصيب المسلمون برزء عظيم على يديه، وكان من خلصاء الباشا البغدادي بفاس، وامتاز عنه بفرط ميله وافتتانه بحب اليهود الذين بذلوا له 5000 بسيطة كي يأذن لهم بعرض مسرحيتهم. ألقى القبض على الوطنيين من بينهم : محمد بن عبد القادر الطود أو ابن عمه الغالي الطود والفقيه التهامي الدغاي، والتاجر التهامي بن أحمد ابن جلون الفاسي القصري، والهادي بن المعلم الحراق والشريف اليعقوبي التطواني، وظل محمد بن عبد القادر الطود وزملاؤه في السجن إلى أن جاء أمر من المقيم العام بتطوان ـ بعد تدخل الزعماء الوطنيين بها ـ بأمر الباشا الرميقي بإطلاق سراحهم في الحين، إلا أنه ظل يتربص الدوائر بالمترجم وأفراد عائلته فعزل الكثير منهم عن مهامه وسجنهم.

ولم يفت كل ذلك من عضده ولم تتغير مواقفه من عملاء سلطات الحماية، وخاصة الباشا الرميقي مما لا يتسع المجال لعرضه هنا. ومازال بعض شيوخ مدينة القصر الكبير يذكرون خطبتيه اللتين ألقاهما يوم عيد الأضحى، ويوم الجمعة التي تلت نفي محمد بن يوسف في 20 غشت 1953. فأبكى بذلك المصلين وألهب حماسهم.

توفي في شهر دجنبر 1956 عن سن يناهز الخامسة والسبعين، ودفن بخلوة سيدي قاسم بن الزبير المصباحي.

*وثائق عائلية* ؛ كناشة من تأليف المترجم له في ملكية أحد أولاده ؛ م. بن عزوز حكيم، *وثائق الحركة الوطنية في المغرب*، تطوان، 1980.

**الطود محمد، المهدي** بن الحاج عبد الكبير بن عبد السلام بن الطاهر بن الطيب، فقيه علامة مشارك في كثير من رياض المعارف الاسلامية وضروب الثقافة والعلوم، أديب شاعر، خطيب مصقع، كان يتميز بفهم ثاقب، وذهن وقاد، وذكاء قلب نادر، وسرعة بديهة، وفصاحة لسان. ازداد سنة 1913 / 1331 بمدينة القصر الكبير، ونبغ مبكراً، إذ استظهر كتاب الله استظهارا متقنا قبل إتمام الحادية عشرة من عمره بكُتاب سيدي علي بن العربي الخيري على يد الشيخين أحمد بن الغالي بن حمان الطود وشقيقه عبد السلام، وبعد حذقه في تحصيل القرآن الكريم واستظهاره والإلمام بقواعد تجويده دراية وأداء زانتهما عذوبة صوته، انصرف لحفظ المتون العلمية المختلفة المواضيع، وتلقى دراسته العلمية الاولية على شيوخ بلدته، في طليعتهم عمه الشقيق العلامة المحقق، أحمد بن عبد السلام بن الطاهر الطود الحسني وابن عمه الفقيه العدل المبرز محمد بن عبد القادر الطود والفقيه العلامة السيد أحمد مومن والفقيه الحسن السوسي البوعقيلي، والفقيه العلامة الشريف أحمد المجول. كما أخذ عن قاضي القصر الكبير الفقيه الصوفي الورع العلامة المحقق الشريف الحاج أحمد بن الطاهر الزواق الگنوني الحسني الذي كان يعرف في الوسط القصري بالزواق الثاني لاستقضاء شقيقه بالقصر قبله، كما عاشر المترجم العلامة الطاهر بن مالك المراكشي طيلة سنوات إقامته بالقصر الكبير.

ثم ألحقه والده بجامعة القرويين بفاس ولما يتم الخامسة عشرة من العمر، الأمر الذي شكل صعوبة وأخذاً أو رداً في شأن إلحاقه بما كان يعرف وقتئذ بـ "النظام" أي التسجيل قانونيا والحصول على حق التمتع بالسكن الطلابي، حيث بقي مدة يتلقى دروسه بكيفية اختيارية وهو يقيم ضيفا مكرما عند أخواله آل برادة بفاس، إلى أن أذعن شيخ الجماعة إذ ذاك أحمد بن الجيلالي لإجراء استفسار واستفتاء لجميع الشيوخ الذين كان المترجم له يواظب على حضور دروسهم، فشهدوا بجديته وبنباهته وسرعة تحصيله، فحل مشكله وأسكن مع ابن عمه الغالي الطود الحسني بمدرسة العطارين بالغرفة 7. وممن أخذ عنهم من أعلام القرويين وأساطينها في وقته، السادة العلماء : العباس المزطاري المكناسي والعباس بناني وعبد العزيز بن الخياط والحسن الزرهوني وبوشتى الصنهاجي ومحمد شقيقه والحسين بن الوليد العراقي ومحمد بن عبد الرحمن العراقي وعبد الهادي بن المواز ومولاي الشريف التگناوتي ومولاي عبد الله الفضيلي وعبد الرحمن بن القرشي ومحمد بن عبد المجيد أقصبي وعبد الرحمن الغريسي والشيخ أبو شعيب الدكالي

الصديقي والشيخ عبد الحي الكتاني. وقد ساعده نبوغه ونباهته على التكوين المستظرف الآخذ من كل فن طرف، دون انشغال بالكماليات عن الاساسيات مما جعل منه الفقيه المحقق واللغوي المدقق والأديب الكاتب المدقق والشاعر المجيد. وإثر عودته إلى مسقط رأسه، ساهم في الميدان الثقافي والأدبي والفني والوطني والسياسي حيث استهل نشاطه العملي بإلقاء دروس في الفقه واللغة بمسجد سيدي علي بن العربي المجاور لبيت أسرته، ومسجد سيدي سعيد الزبيري الذي كان والده الحاج عبد الكبير يتولى الإمامة به، فاستفادت من عطائه نخبة من الطلبة استفادة ملحوظة.

وعين عدلا مبرزاً من الدرجة الأولى بتاريخ 5 ماي 1937 بعد اجتيازه مباراة العدول، وكان التحاقه بسلك العدالة تحت إلحاح وتأثير عمه العلامة سيدي أحمد الطود فقد كان المهدي يوصي دائما ويردد قائلاً :

"من أراد أن يسعد فلا يؤم ولا يشهد، ولا يتقدم على أولاد أحد". وكان يسأل الله أن يغنيه عن رزق العدالة فاستُجيب دعاؤه.

اهتم المترجم منذ وجوده بفاس بكل ما يتصل بالحركة الوطنية وروادها هناك، فكان من المؤسسين الأوائل للحركة الوطنية ـ بمسقط رأسه ـ في حظيرة "حزب الإصلاح الوطني" بزعامة عبد الخالق الطريس، إذ عمل عضوا بارزا في اللجنة الفرعية للحزب بمدينة القصر الكبير التي كان يرأسها ابن عمه المناضل الغالي الطود، الذي كان يركن إليه ويستشيره باستمرار في مهمات الأمور، ويوكل إليه مهمة تحرير الوثائق الهامة والتقارير الموجهة إلى مختلف الجهات، والمقالات والبيانات والاحتجاجات المراد نشرها بالصحف الوطنية الجهوية آنذاك لسيلان قلمه وسلاسة أسلوبه. كما تطوع لتحمل مسؤولية الجانب النقابي والعمالي داخل الحزب، إيمانا منه بجدوى تأطير الطبقة العاملة، ولما كان للصناع والعمال والحرفيين من كبير الثقة به والاطمئنان إليه لتواضعه وحكمته. وساهم قبل ذلك في تأسيس "جمعية الطالب المغربية" الأولى والثانية إلى جنب رئيسها الغالي الطود. وأثرى ـ كذلك ـ صحف الحزب وغيرها بمقالاته السياسية والدفاعية والتوجيهية فكتب في كل من : "*الحياة*" و "*الحرية*" و "*الريف*" و"*المغرب الحر*" كما راسل صحيفة "*الميثاق*" لسان رابطة علماء المغرب بصورة مستمرة ومكثفة. وكان في طليعة المؤسسين أيضاً للمدرسة الأهلية الحسنية الحرة بالقصر الكبير ومن ألمع الأساتذة المتطوعين بإلقاء الدروس بها، وابتكر مشروع "حديث الاربعاء" لتدريب تلاميذها على الكتابة والخطابة، إضافة إلى تطوعه بإلقاء الدروس الليلية لفائدة الطبقات الشعبية بمركز الحزب.

وفي أواخر الثلاثينيات (1937 ـ 1938) استجاب لرغبة زميله في الكفاح الوطني إبراهيم الوزاني فالتحق بمدينة تطوان لمؤازرة في تحمل أعباء المؤسستين التاريخيتين : "مكتب الدفاع الوطني" و"المهجر"، اللتين أعدتا خصيصا لأيواء اللاجئين السياسين الفارين من الأحكام الصادرة في حقهم من قبل الفرنسيين فيما كان يسمى وقتئذ بالمنطقة السلطانية. فأجاد المهدي الطود في الاشراف على سير المؤسستين وأفاد. فهو بالإضافة إلى مواساة النزلاء وبعث الامال في نفوسهم واظب على إصدار نشرة يومية سياسية باسم "مكتب الدفاع الوطني" يندد فيها بسياسة الادارة الفرنسية. وكانت تلك النشرة تصدر باللغة العربية، وتترجم إلى الفرنسية والاسبانية والانجليزية والالمانية، ويتم توزيعها على أوسع نطاق في المنطقتين الخليفية والسلطانية، ويبعث بها إلى القنصليات والسفارات إلى أن أغلقت المؤسستان من قبل السلطات الاسبانية.

والمترجم له أول من حمل مشعل النهضة المسرحية بمدينة القصر الكبير لدى عودته من فاس، متأثراً بنشاط روادها هنالك وفي طليعتهم عبد الواحد الشاوي ومحمد القري إيمانا منه بأن المسرح وسيلة من أهم وسائل التوعية الوطنية والسياسية والاجتماعية، فكون فرقة تمثيلية بمسقط رأسه من شبيبة جيله، دون أن يطلق عليها اسما ولا صفة، حتى لا تمتد إليها أيدي المستعمر. وأثرى الفرقة بإنتاجه المسرحي الهادف كروايات : "الوصي الظالم" و"حسن الجوار" "والفتاة المتعلمة" و"العجوز الماكرة" و"العامل" وهذه الأخيرة أعدها خصيصا لتلاميذ المدرسة الاهلية الحسنية الحرة، فضلاً عن المحاورات الهزلية القصيرة المستوحاة من صميم المجتمع وواقعه. هذا علاوة على ما اقتبسه وأخرجه من قصص غيره كرواية "في سبيل التاج"، ورواية "أبطال الحرية" ورواية في محبة البلاد، وما حوره أو نشر شعره وبسطه كرواية "بلال بن رباح" الشعرية. وغير ذلك مما يطول ذكره، كما زود فرقته بنشيد وطني من نظمه وتلحينه، يُردّد في بداية تشخيص كل رواية، ومطلعه :

صفا الجو حان السرور نهضنا بملء الصدور
نبيد أماني الغـرور لنزري براضي الوهن

ولم يثنه نشاطه الثقافي والسياسي والوطني عن إرضاء نزعته الروحية والاجتماعية فمارس الإمامة في عدد من مساجد القصر الكبير، وناب عن عمه في إلقاء خطب الجمعة، وإحياء سنة التراويح عشاء وفجراً بالمسجد الأعظم خلال شهر رمضان لمدة أربع عشرة سنة إلى أن عين ـ دون علم منه ـ شيخا للمعهد الديني بالعرائش في فاتح أكتوبر 1952، فكانت رحاب المسجد الأعظم بالقصر تكتظ بعشاق تلاوته وتجويده، كما واظب على سرد صحيح البخاري بين فترة التراويح وإقامة صلاة الصبح، وصحيح مسلم قبيل صلاة العصر على كرسي الحديث بالمسجد المذكور. وقام بنفس المهام تلبية لرغبات السكان والسلطات الدينية والإدارية بمسجد المصباحية بالعرائش. وكان له إلى جانب ذلك إلمام واسع وموهبة مرموقة بفني السماع والانشاد وموسيقى الآلة حفظاً وأداء وتذوقا. كما كان له أيضاً مبادرات شيقة في شعر الملحون من أروعها قصيدة مطولة على لسان "هواري بومدين". واستدعي بصفة شخصية سنين عديدة للمشاركة في إحياء كل من ليالي المولد النبوي وذكريات وفاة المغفور له محمد الخامس. وكان يتمتع بصوت رخيم مؤثر، وملكة موسيقية وتمكن من الانغام، وتحكم في الطبوع وقدرة فائقة على التخلص من طبع إلى طبع ومن نغم إلى آخر.

وهو إلى جانب كل ذلك، شاعر مفلق، يعتبر من رواد العربي العمودي في عصره، عالج مقاصد الشعر المتعارفة وزاد عليها الا العشق والهيام بالدنيويات، كما نظم في سائر بحوره المتعارفة والمحدثة، وغالب نتاجه ملحمي نضالي ذو طابع إسلامي عربي مغربي صرف. وقد نسخ كثيراً مما تحمله مجموعة "الحايك" في موسيقى الآلة من صنائع وموشحات وبراول وأزجال فحول مقاصدها من الغزل والنسيب إلى مقاصد وطنية. كما نظم عدة أناشيد دينية ووطنية نذكر من بينها نشيد الاكاديمية الملكية العسكرية بمكناس :

يا أخي في السلاح يا أخي في الكفاح
ضع يدك في يدي وافتخر وانشد
نحن ضباط الغد دائما نفتدي
بالدماء الوطن

وقد برزت موهبته الشعرية ولما يزل في بداية التحاقه بالقرويين. إذ كانت أولى مبادرته الملهمة في مناجاة روح المولى إدريس. له ديوان يجمع معظم ما أنتجته قريحته الشعرية لم يطبع بعد. أما إنتاجه النثري فهو أكثر من أن يعد في هذا المجال. فهو إلى جانب شاعريته المرموقة، ناثر مجيد ذو قلم سيال وأسلوب رصين، ونفس طويل، موسوعي الثقافة والتكوين.

انتدبه زميله العلامة عبد الله گنون بإلحاح كبير لتسيير شؤون فرع "رابطة علماء المغرب" بالعرائش فلبى رغبته. كما أقره على ذلك خلفه الشيخ محمد المكي الناصري لسابق معرفته به في ميدان الكفاح الوطني والمجال العلمي والثقافي.

كان رحمه الله حلو المعاشرة، عذب النكتة، سريع الإجابة، مؤنس المجالس، لطيف المعاشرة، وطيء الكنف، لين الجانب، متواضعا تواضع العلماء. فهو على العموم نموذج محرر وصورة معبرة عن الشخصية ذات الطابع المغربي الصرف في جميع مظاهر حياته. وعلى حد تعبير زميله الأستاذ الالمعي عبد القادر الساحلي : "إن المهدي الطود مدرسة إسلامية مغربية وطنية جامعة فذة". فارق الحياة في فجر يوم الأحد 18 ربيع الثاني 1412، الموافق 27 أكتوبر 1991 ودفن بمقبرة الولي الصالح سيدي علال بن أحمد العسري.

*وثائق عائلية* ؛ ترجمة مطولة للمهدي الطود بقلم ابنه عبد الكبير.

رقية بلمقدم

**طورديسياس**، معاهدة Tordesillas المعاهدة المبرمة بمدينة طورديسياس البرتغالية يوم 7 يونيو 1494 بين ملك البرتغال خوان الثاني Juan II والملكة القشتالية ايسابيل الكاثوليكية Isabel la Catolica ؛ وكانت هذه المعاهدة الثانية المبرمة بين المملكتين بخصوص اقتسام المغرب بينهما، وبمقتضاها "تنازلت" البرتغال عن "حقها" في مدينتي مليلية وغساسة لصالح قشتالة ؛ وقد تمكن الإقطاعي القشتالي دوق مدينة سيدونة Duque de Medina Sidonia من احتلال مليلية يوم 17 سبتمبر 1497 ومدينة غساسة يوم 13 سبتمبر 1506.

Rumen de Armas. *España en el Africa Atlantica*, t. I, Madrid 1956.

**طورون، خوسي انطونيو** Turon José Antonio جنرال إسباني ازداد ببرشلونة يوم 24 فبراير 1804، وبحكم انتماء أفراد أسرته إلى الخدمة العسكرية فقد التحق بالأكاديمية العسكرية وتخرج منها برتبة ضابط الصف سنة

1829، وعندما حصل على رتبة كولونيل سنة 1843 عين رئيساً الحرس الملكي وبهذه الصفة شارك في الحملات العسكرية لقمع المحاولات الانقلابية التي جرت في بلاده من سنة 1844 إلى سنة 1849، كما كان على رأس الفرقة العسكرية التي توجهت إلى إيطاليا لنصرة البابا بيبو التاسعPio IX سنة 1850.

وحيث إنه كان من أنصار الجنرال اودنيل O'donnell في عملية تصحيح الأوضاع بإسبانيا دفاعاً عن الملكة ايسابيل الثانية Isabel II ؛ فقد أسند إليه الجنرال المذكور رئاسة الفيلق الاحتياطي في الجيش الذي غزا المغرب في شهر نوفمبر 1859.

وعند احتلال تطوان عين حاكماً عسكرياً عاماً بالمدينة يوم 9 يوليوز 1860، ذلك إلى غاية يوم 30 أبريل 1862 حيث سلم مفاتيح المدينة إلى الباشا اشعاش.

م. ابن عزوز حكيم، *معلمة تطاون*، الجز الأول، تطوان، 2001 ؛ *حرب تطاون في صور* (تحت الطبع).

Evaristo Ventosa, *Historia de la guerra de Africa, 1860*, Barcelona, t. II.

**طوري دي لامورا** Torre de la Mora البرج الذي كان شاهداً على سقوط مدينة سبتة بيد البرتغاليين الذين اطلقوا عليه اسم طوري دي لامورا Torre de la Mora (برج المرأة المغربية) نسبة للمرأة السبتية التي كانت توجد به عند اقتحام المدينة يوم 21 غشت 1415 وألقت منه بحجارة قتلت أول محارب صليبي وطأ أرض المغرب اسمه ڤاسكو ذي أطايْدي Vasco de Ataide ؛ واحتفظ البرتغاليون وبعدهم الإسبانيون بالحجارة داخل خزانة توجد حالياً ببلدية سبتة السليبة.

Sureda Blanes, *Abyla Herculana*, Madrid 1925, p. 182.

محمد ابن عزوز حكيم

**الطوسي، سيدي إدريس** بن بوشعيب من مواليد سنة 1934 بالجديدة من أبويه بوشعيب بن الميلودي وفاطنة بنت محمد، عمل بمناجم الفوسفاط بخريبگة، ونتيجة اتصاله بعدد من الرفاق بدأت تتكون لديه وطنية ووعي بقضية المغرب الكبرى.

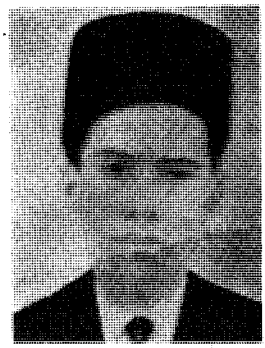

شارك في أحداث خريبگة الشهيرة مشاركة فعالة. ومن الأعمال التي قام بها أثناء هذه الانتفاضة تخريب وتحطيم مصالح المستعمر. وأمام اشتداد قوة الانتفاضة وأعمال التخريب لجأت قوات الاحتلال إلى استعمال الرصاص حيث أصيب الطوسي سيدي إدريس فسقط قتيلا وذلك بتاريخ 21 غشت 1955 مضيفا اسمه إلى لائحة شهداء الحرية والكرامة رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520887.

**الطوطسي، الحسن** أيت شعيب، والطوطسي نسبة إلى أيت طوطس، وهي إحدى فخذات خمس أهل الواد المنضوي تحت لواء قبيلة أيت عتاب المعروفة بغربي جبال الأطلس المتوسط.

كان المترجم أحد تلاميذ الشيخ أحمد بن ناصر صاحب زاوية تامگروت بوادي درعة، لعله أخذ عنه بواسطة، إذ لم يشر الخليفتي الذي انفرد بترجمته إلى أنه لقيه. على أن قبيلة أيت عتاب التي يوجد ترابها في مجال عبور، لأنه غير بعيد عن الطريق الواصلة بين الشمال والجنوب، كانت من بين القبائل التي انخرط كثير من سكانها في سلك الطريقة الناصرية في عهد الشيخ أحمد الخليفة 1085 / 1129. وبناء على ذلك فقد يكون الطوطسي من بين تلاميذ الناصريين الأوائل الذين انبثوا في الجهات النائية لنشر التصوف بين السكان.

وقد اشتهر المترجم بالتقوى والزهد والاجتهاد في الدين بكثرة الصلاة والصيام وساهم مع سائر تلاميذ تلك الجهة في تأسيس سلسلة من الفروع التابعة للزاوية الناصرية، التي اعتبرت امتداداً لها في نشر العلم والتصوف والتحكيم في النزاعات التي كانت تنشب لأتفه الأسباب بين الناس بسبب

انتشار الجهل والبعد عن مراكز السلطة، ولاسيما في أثناء الأزمات.

وكانت وفاة الطوطسي قبل وفاة والد مؤلف كتاب *الدرة الجليلة* إذ توفي عام 1182 / 1769.

الخليفتي، *الدرة الجليلة*، ص. 349 ؛ *التحري الميداني*.

أحمد عمالك

**طوطو، الحسن** بن أحمد المدعو بـ (طوطو) ولد عام 1342 الموافق لسنة 1923 بتمنار بالصويرة من أسرة متوسطة الحال.

كان عنصرا مهما في منظمة اليد السوداء بالدار البيضاء. ومن العمليات التي قام بها بتصفية بعض الخونة بشركة كوزيمار بالدا البيضاء وإطلاق الرصاص على شرطي بدرب بوشتنوف بالبيضاء، تم اعتقاله يوم 17 ربيع الأول 1373 (24 نونبر 1953) وأصدرت المحكمة العسكرية الدائمة حكما بالإعدام في حقه بتاريخ 26 شعبان 1973 (30 أبريل 1954) من أجل تهمة القتل العمد وتكوين عصابة مخربين وحيازة السلاح والمتفجرات.

أعدم بسجن العاذر بتاريخ 22 ربيع الثاني 1374 (18 دجنبر 1954).

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 26.

**طوطو، العريفة** بنت بوشتى السفياني، ولا صلة لها بأولاد ابن طوطو الذين ورد ذكرهم في المنزع اللطيف في تقييد ما اشتملت عليه مدينة مكناس من البلديين في عهد مولاي إسماعيل.

كانت طوطو "عريفة" في قصر حريم السلطان مولاي إسماعيل، وتمتعت عنده بمكانة وحظوة كبيرتين. ومن أولادها : القائد قاسم، والحاج سليمان والتومية وهنية المعروفة بالنسيم وهي التي تزوجها زين العابدين بن المولى إسماعيل وخلفت له ولداً هو الشاد بالله وبنتا هي لالة مليكة. استطاعت العريفة طوطو أن تتملك ثروة هامة من العقارات داخل مدينة مكناس وخارجها، من جملتها أراضي شاسعة بمنطقة بني موسى عرفت بجنان العريفة وبها برج يعرف أيضاً - حتى اليوم - ببرج العريفة، وإلى هذه الأراضي جر المولى إسماعيل الماء من وادي بوفكران عبر ساقية مخصصة لري زياتين منطقة حمرية تمر فوق جدار عميق إلى أن يمر ماؤها فوق أقواس باب ثلاثة فحول.

ويبدو أن مهمتها كعريفة قد طغت على اسمها فأصبحت لا تعرف إلا باسم : "العريفة".

*حوالة أحباس صغرى مكناس*، رقم 4، ص. 218 ؛ ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، ص. 218 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 175.

رقية بلمقدم

**طوطي** (الجنرال) : هو من كبار الضباط الفرنسيين الذين تولوا مهام عسكرية وإدارية بالجزائر وبشرق المغرب، فقد عُيِّن المترجم له حاكما لولاية وهران بغرب الجزائر ومندوبا ساميا لمناطق الحدود منذ 13 يناير 1911 خلفا للجنرال ليوطي الذي استُدعي لتولي مهام أخرى بفرنسا. وتَبيّنَ من الأحداث التي وقعت بشرق المغرب أثناء سلطته أنه لم يكن على دراية بأوضاع مناطق الحدود بين المغرب والجزائر. وكان من دعاة التدخل العسكري انطلاقا من غرب الجزائر لاحتلال مدينة فاس خلال أحداث سنة 1911، إلا أن محاولته عبور وادي ملوية في شهر أبريل من السنة نفسها مُنيت بالفشل، واضطر إلى التراجع نحو وجدة أمام تكتّل قبائل أحواز تازة بزعامة قبيلة بني وراين. عُرف هذا الضابط أثناء مهمته بوجدة بخلافه مع السلطات المدنية الفرنسية بشرق المغرب، التي اتهمها بممارسة التعسف تجاه المغاربة بهدف انتزاع الأراضي منهم، حيث أقدم على اعتقال المندوب الفرنسي بوجدة وبعض أعوانه. كما اعتقل قاضي وجدة وأربعة عدول بتهمة تورطهم في نزع الملكية بشكل تعسفي من عدد كبير من المغاربة وتفويتها للمستوطنين الفرنسيين. وأثارت هذه القضية ضجة بشرق المغرب، فحاولت الحكومة الفرنسية تدارك الأمر، فأرسلت لجنة برلمانية من أجل التحقيق في النازلة. وخلُصت اللجنة المذكورة إلى تبريئ جل الأظناء الفرنسيين، وتبيّن أن الجنرال طوطي قد تجاوز الاختصاصات المخولة له بهدف التغطية على محاولة منح بعض الامتيازات لأحد معارفه في شركة فرنسية كبرى متخصصة في تملك الأراضي بشرق المغرب. وقد عكست بعض الكتابات المغربية المعاصرة لهذه الفترة جانبا من هذه النازلة، ونقصد بذلك الفقيه الحجوي في مخطوطه "تقاييد مخزنية"، حيث سجل ما يلي : "في 28 شوال من السنة (1329)، وقعت نادرة بوجدة...، وذلك أن الجنرال طوطي قبض على قاضيها الحاج العربي المشرفي وعدوله ... وسجنهم في سجن المحلة الفرنسوية، وبعده دخل دورهم العسكر وبحث عن الأموال والأوراق وطابع المحكمة الشرعية، وذلك لما ارتكبوه من ظلم المسلمين وسلب أموالهم وأراضيهم وبيعها للمعمّرين ببخس الثمن، مما لا يقدر أحد

أن يصدقه من المظالم الفاحشة التي دام عليها هؤلاء الظلمة مدة خمس سنين".

وقد رفع نائب المندوب السامي المغربي بوجدة (محمد بن عبد الواحد) مذكرة إلى رئيس لجنة التحقيق الفرنسية الموفدة إلى المدينة، حيث ندّد بتوقيف القاضي وإيداعه السجن دون اتفاق مسبق وتشاور مع المخزن كما نص على ذلك اتفاق 14 يناير 1910 الموقع بباريس، واحتج أيضاً على الكيفية المهينة التي عومل بها القاضي الذي اقتيد إلى السجن مكبّل الأيدي أمام العامة، واحتج أخير على تعيين قاض جديد دون الرجوع إلى السلطات المغربية. فاستجابت لجنة التحقيق الفرنسية للمطالب المخزنية وأطلقت سراح القاضي وأربعة عدول.

وبناء على نتيجة التحقيق قررت الحكومة الفرنسية إعفاء الجنرال طوطي من مهامه بوجدة في نهاية شهر دجنبر 1911 ونقله للعمل بفرنسا، وعيّنت موظفا مدنيا خلفا له، اقتصرت مهمته في الإشراف على الإدارة المدنية بمناطق الحدود بين المغرب والجزائر.

الحجوي، *تقاييد مخزنية*، مخطوط، خ . ع. الرباط، رقم ح 128 ؛ عكاشة برحاب، *المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين*، 1900 ـ 1912، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002.
*Rapport d'ensemble sur l'affaire d'Oujda, Décembre 1911*, Carton n° 360 / Tanger - Maroc ; Centre des archives diplomatiques de Nantes (France).

عكاشة برحاب

**الطويل**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة انجرة حيث كانت تعرف باسم الشاط واتخذت اسم الطويل عندما هاجرت إلى تطوان، وقد أنجبت عدة فقهاء لم نعرف عنهم شيئاً باستثناء :

- محمد بن عبد الكريم الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1201 إلى 1208.
- عبد الرزاق بن عبد السلام الذي كان يعمل وكيلاً شرعياً سنتي 1240 و1241.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 831.

**الطويلب**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة جبل حبيب اشتهر بعض أفرادها بتجويد القرآن الكريم حيث تذكر الوثائق المقرئين :

- محمد بن عبد الصمد المقرئ بجامع الرزيني كان بقيد الحياة سنة 1201.
- أحمد بن المختار المقرئ بجامع السوق الفوقي كان بقيد الحياة سنة 1214.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 832.

**الطوَيلبْ، أحمد** قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة الحوز المجاورة لتطوان أنظم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة.

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913
- عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر
- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 حيث انتخب عضو القيادة المركزية للثورة.
- قرية الثورة يوم 11 يناير 1915

وقد شارك في 38 معركة.

م. ابن عزوز، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **طويـر الجنة، الطالب أحمد** المصطفى التشيتي الوادني الشنقيطي، أصله من أغمات (ناحية مراكش)، ذلك أن جده السابع قدم منها إلى شنقيط، وهو ما يفسر زيارته لرجال أغمات خلال رحلته الحجية مرورا بالمغرب. فقد توجه إلى الحج سابع جمادى الأولى عام 1245 / 1830، وتلاقى بمراكش السلطان عبد الرحمان ابن هشام الذي أكرم وفادته وأنزله بجامع الولي الصالح سيدي ميمون الصحراوي، وأوصى به خيرا قائده على العرائش محمد أشعاش ليركبه من هذا الثغر باتجاه الإسكندرية بعد أن تعذر الذهاب إلى الحج برا عبر الجزائر التي كانت قد دخلتها قبل فترة وجيزة القوات الفرنسية.

أبحر ابن طويّر الجنّة صوب المشرق في فاتح جمادى الثانية 1246 / 17 ـ 11 ـ 1830، وكانت السفينة التي أقلته ملكا لأحد تجار فاس المقيمين في مدينة Livourne الإيطالية، التي عرفت في المصادر المغربية بالكرنة، واضطر إلى المكوث بهذه المدينة أياما بفعل تطبيق الحجر الصحي "الكرنتينة" على الحجاج المسلمين كما جرت العادة بذلك، وهذا ما أزعج كثيرا هذا الحاج الصحراوي، الذي اعتبر الاحتراز الصحي اعتقادا فاسدا مناقضا لمعتقد أهل السنة.

توقف ابن طوير الجنة في الإسكندرية، ومصر (القاهرة) حيث زار عددا من أضرحة الأولياء والعلماء، ثم سافر من السويس إلى ينبع البحر في الحجاز ليبدأ بعد ذلك شعائر الحج، وبعد قضائها ركب البحر إلى الإسكندرية ومنها إلى طرابلس الغرب، ولقي من علمائها قاضيها البنغازي، ومن هنالك توجه بحرا إلى تونس مارا بجزيرة جربة، وبقي ستة أشهر في تونس منتظرا مركبا يحمله إلى جبل طارق أو طنجة، وكان يود الرجوع إلى المغرب بحرا دون المرور عبر الجزائر، لكن حصل تحول مفاجئ في برنامج عودته جعله يدخل الجزائر، وقد اعتبر ابن طوير الجنة، وهو صوفي، هذا التحول من قبيل الكرامات. وبدخوله التراب الجزائري وقف على واقع تقلص أماكن العبادة نتيجة مباشرة للاحتلال

الفرنسي فكتب بأسى في رحلته المنى والمنة قائلا : "وضيّع النصارى جميع ما في الجزائر من المساجد والجوامع إلا جامع وزاوية الولي سيدي عبد الرحمان الثعالبي".

ركب ابن طوير الجنة رفقة عدد من الحجاج من بجاية على متن مركب حربي فرنسي أقله إلى جبل طارق بعد أن خضع للحجر الصحي مرة أخرى لمدة عشرة أيام، ويبدو أن الفرنسيين في الجزائر أدركوا قيمة هذا الحاج الشنقيطي وإمكانية توظيف تعاملهم الإيجابي معه في تقديم صورة مغايرة غير تلك التي رسمها واقع الاحتلال الاستعماري، فتعاملوا معه بكل الإجلال والحفاوة. وأركبوه الدرجة الممتازة من المركب (القامرة)، وقدموا له المؤن الكافية. وهذا التعامل الخاص مع الحاج ابن طوير الجنة، جعل بعض المعاصرين ينظرون إليه بعين الريبة، فقد شكا مجايله حمدان ابن عثمان خوجة الجزائري في كتابه *"المرآة"* المكتوب عام 1249 /1833 من إرغام السلطات الفرنسية للجزائريين على توفير الراحة لهذا الحاج ورفقائه في طريق أوبتهم من الحجاز إلى شنقيط، وربما حاول الفرنسيون الاستفادة منه باطلاعهم على بعض أخبار المغرب والصحراء لاسيما وأنه سبق وقابل السلطان ابن هشام.

وعند نزول أحمد بن طوير الجنة في جبل طارق، لم تكن حفاوة الانجليز به أقل من حفاوة الفرنسيين، والمرجح أن الاستقبال الحار من قبل حكام جبل طارق تم في إطار الدعاية ومعرفتهم بمكانته لدى عبد الرحمان ابن هشام، ولقائه بممثل فرنسا في الجزائر الدوق دي روفيگو. وتمثل حسن الاستقبال الانجليزي له في ضرب عشرين طلقة مدفعية، واستضافته ثلاثة أيام بكل مظاهر الأبهة، وحضوره التمارين والاستعراضات العسكرية. وعند مغادرته لجبل طارق أطلقت طلقات مدفعية بريطانية ردت عليها السفينة الفرنسية التي حملته إلى طنجة، وقد وجدت الحفاوة التي قبول بها من قبل الفرنسيين والإنجليز صداها في رحلة المنى والمنة، إذ سجل بشأنها "فوجدنا منهم من التبجيل والتكريم ما لا يحصيه إلا الله". وفي مرسى طنجة استقبله قائد مولاي عبد الرحمان ابن هشام محمد أو ميمون الكرواني، وقد غطت وقائع رجوع ابن طوير الجنة من الحج صحيفة Gibraltar Chronicle في عددها المؤرخ في 14 / 1 / 1833 ونعتته بـ"ملك شنقيط"، فقد وصل طنجة إذن منتصف يناير 1833.

وبعد ذلك قضى أسابيع في المغرب، فزار ضريح مولاي عبد السلام ابن مشيش، وتوجه إلى فاس حيث نزل في مقصورة القروين، واشترى كتبا نفيسة ساعده على اقتنائها السلطان عبد الرحمان ابن هشام، الذي أدخله على زوجاته وبناته وجواريه ليتبركن به، ثم توجه إلى الصويرة، ومنها إلى شنقيط، وبذلك تكون رحلته الحجية استغرقت نحو خمسة أعوام ما بين 1245 ـ 1250 / 1829 ـ 1834. وقد سجل مشاهداته وانطباعاته ضمن مؤلفه رحلة المنى والمنة، التي حظيت ببعض الاهتمام خارج المغرب، إذ تم التعريف بها لأول مرة في *La Revue Africaine* مجلة الجمعية التاريخية الجزائرية، حيث قدم Destaing عرضا لأبرز محتوياتها في العدد الصادر سنة 1911، ثم كانت موضوع دراسة في انجلترة أنجزها Norris سنة 1977 تحت عنوان *The pilgrinage of Ahmed son of the Little Bird of Paradise*.

سجل ابن طوير الجنة في رحلته *"المنى والمنة"* الحفاوة التي قوبل بها من قبل الإنجليز والفرنسيين، لكنه أبدى الحسرة على ضعف دار الإسلام وتراجعها أمام القوى الأوربية، رابطا هذا التراجع باستيلاء الفرنسيين على الجزائر. وانفعل بوضعية مصر وطرابلس، رغم أنهما لم يخضعا بعد للاحتلال الأوربي، ومرد انفعاله إلى الكثافة العددية للأوربيين في هذين القطرين وحصول التمازج بينهم وبين المسلمين. وتقليد هؤلاء لهم في العادات والهندام، مما منحه الانطباع، وهو الوافد من بيئة صحراوية لا صلة لها بأوربا، بأن الغلبة أضحت للأوربيين. وعقد مقارنة بين وضعية المغرب ووضعية مصر وطرابلس بشأن العلاقة مع الأوربيين ليبرهن على ضعف الإسلام في المشرق ومحافظته على هيبته في المغرب استنادا إلى محدودية عدد الأوربيين (الكفار) في المغرب وحصرهم في مناطق معينة. غير أن نقمة ابن طوير الجنة على الأوربيين ونعتهم بالكفار لم تمنعه من الإطراء على ما يحملونه إلى المراسي المغربية من بضائع "...ففي كل حين تنزل سفن النصارى بكل خير في هذه المراسي". وهذا ما يبين نوعا من التنازع في موقفه بين السخط على الأوربيين بسبب ما يترتب عن الاختلاط بهم من سلبيات وبين الإقرار بفوائد العلاقات التجارية معهم.

من أبرز شيوخ ابن طوير الجنة، عبد الله ابن الحاج إبراهيم العلوي الذي لازمه حوالي عشرين سنة، وأخذ عنه علومه جميعها. ومن مؤلفاته، فضلا عن الرحلة المذكورة، كتاب *"فيض المنان في الرد على مبتدعة الزمان"*، تعرض فيه لبعض حوادث وقته. وقد توفي سنة 1266 / 1849 ـ 1850.


أ. ابن طوير الجنة، *رحلة المنى والمنة*، مخطوط، الرباط، رقم 380 مكل، ونسخة مصورة ميكروفيلم، الخزانة العامة، الرباط، رقم 1534 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 3، الرباط، 1975 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ط. 2، ج. 2، الدار البيضاء، 1965 ؛ ع. القادر زمامة، *تحليل لرحلة أحمد بن طوير الجنة*، مجلة *البحث العلمي*، العدد 28 ؛ م. المنصور، *عرض رحلة أحمد بن طوير الجنة*، مجلة *المناهل*، العدد 17، 1980 ؛ أبو القاسم سعد الله، *تجارب في الأدب والرحلة*، *الجزائر*، 1983 ؛ الخليل النحوي، بلاد *شنقيط المنارة والرباط*، تونس، 1987 ؛ ع. أفا، *طنجة من خلال رحلة أحمد بن طوير الجنة الشنقيطي*، ضمن أعمال ندوة *طنجة في التاريخ المعاصر : 1800 ـ 1956*، الرباط، 1991.

*La Revue Africaine*, 1911, pp. 216 - 231 ; H.T. Norris, *The piligrinage of Ahmed son of the Little Brd of Paradise*, Warminster, England, 1977.


أحمد المكاوي

**طير أبابيل**، جنس طيور برية طويلة الجناحين قصيرة القائمتين والمنقار مسطحة الرأس سريعة الطيران، تقضي النهار محلقة في الفضاء، وتكاد تكون دائمة الطيران. يشبه خطاف الشعر السنونو في هيأته وتشعب ذيله ولكنه من غير رتبته وفصيلته. لا تميز العامة بينه وبين خطاف الشعر وتسمى خطف وصيص في لبنان وأبابيل في الهند وخطاف جبلي وخشاف في العراق ومصر وهوار وعوهق وبلسك في الشرق العربي، وهو طير أبابيل الوارد في القرآن الكريم في سورة الفيل. يعد من أنفع الطيور لما يلتهمه في طيرانه من حشرات مضرة للإنسان ولاسيما البعوض.

يصنف إلى رتبة مشقوقات المناقير Apodiformes وفصيلة السمائم عديمات القوائم Apodidae. لا يقف ولا يمشي على الأرض بتاتا ويستريح أحيانا على قضبان وأسلاك الكهرباء وأغصان الأشجار. الجناحان طويلان جدا منجليتا الشكل ومستدقتا الرأس تساعدان على السرعة حيث تتعدى أحيانا 100 كلم في الساعة. الإناث شبيهة بالذكور.

تتكون فصيلة السمائم Apodidae من 65 نوعا في العالم منها 6 أنواع تقضي فصل الربيع والصيف في المغرب بصفة منتظمة وتشتو في ضواحي إفريقيا الاستوائية والجنوبية. خمسة منها تتوالد في المغرب :

- طير أبابيل الأسود يدعى علميا Apus apus وبالفرنسية Martinet noir وبالإنجليزية Swift وبالإسبانية Vencejo comun وبالإيطالية Rando ويعد من السمائم الشائعة في المغرب، أسود المنقار قصيره، ريشه بني أسود على سائر الجسد وعلى أسفل المنقار بقعة فاتحة. يبلغ طول الجسم 16 ـ 17 سم ويزن الكبار 30 ـ 50 كراما وتبلغ بسطة الجناحين 40 سم. الذيل مشعب قليلا وقصير، يعيش في أسراب متعددة الأفراد وأحيانا مزدوجة ويألف الصخور والأجراف وجدران القرى والمدن ويبني العش على حاشية سقوف المنازل وبين

صخور الأجراف. يتوالد بين مارس ويونيو ويبيض مرة في السنة 2 ـ 3 بيضات ناصعة البياض يبلغ طول قطريها 16 x 25 ملم وتزن 3.2 ـ 4.2 كرام، يحضنها الزوجان بالتناوب 16 ـ 21 يوما. تبقى الصغار بداخل العش 5 ـ 8 أسابيع ويقدم لهم الأبوان الأكل على شكل كرويات صغيرة تتكون من 200 ـ 300 حشرة صغيرة. يتوالد هذا النوع في شمال المغرب وتونس والجزائر وفي أوربا ويهاجر إلى إفريقيا الوسطى والجنوبية في بداية أكتوبر ليقضي الفصول الباردة.

- طير أبابيل الشاحب يدعى علميا Apus pallidus وبالفرنسية Martinet pâle وبالإنجليزية Pallid Swift وبالإسبانية Vencejo palido وبالإيطالية Rondonne pallido. يتوالد في المغرب بصفة منتظمة وهو نادر جدا في أوربا، أسود المنقار واسعه، ريشه بني أسود على الظهر والجناحين والبطن وأبيض شاحب على العنق. كثير الشبه بطير أبابيل الأسود ويصعب التمييز بينهما، يبلغ طول الجسم 40 كرام، وتبلغ بسطة الجناحين 50 سم وتزن الكبار حوالي 16 سم. يعيش في أسراب متعددة الأفراد ويألف الصخور والأجراف وجدران القرى والمدن ويبني العش على حاشية سقوف المنازل العالية القديمة وبين صخور الأجراف. يتوالد بين مارس ويونيو ويبيض 2 ـ 3 بيضات ناصعة البياض تحضنها 19 ـ 21 يوما. يقضي هذا النوع فصلي الربيع والصيف في المغرب والجزائر وتونس وفي الشرق العربي وتركيا ويهاجر بعد التوالد إلى إفريقيا الوسطى والجنوبية في بداية أكتوبر.

- طير أبابيل الألب أو سمامة الصرود كما يسمى في الشرق العربي، يدعى علميا Apus melba وبالفرنسية Martinet alpin وبالإنجليزية Alpine Swift وبالإسبانية Vencejo real وبالإيطالية Rondone alpino. أكبر أنواع السمائم حجما حيث يبلغ طول الجسم 21 سم ويزن الكبار حوالي 80 كرام وبسطة الجناحين 60 سم. يتوالد في المغرب بصفة منتظمة وفي معظم أقطار حوض البحر المتوسط والشرق العربي. الريش بني أسود على الظهر والجناحين وأبيض شاحب على العنق والصدر والبطن. يهاجر بعد التوالد إلى إفريقيا الوسطى والجنوبية في بداية أكتوبر.

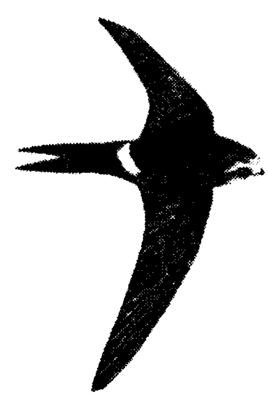

- طير أبابيل فلسطين يدعى علميا Apus affinis وبالفرنسية Martinet à croupion blanc وبالإنجليزية Little swift وHouse swift وبالإسبانية Vencejo real وبالإيطالية Rondone alpino. أصغر الأنواع حجما إذ لا يتعدى طول الجسم 12 سم ويتميز بذيل غير متشعب وبقعة كبيرة من الريش الأبيض على الردف. الريش بني شاحب إلى أسود

على الظهر والجناحين. يتوالد في المغرب والجزائر وتونس وفي الشرق العربي وتركيا ويشتو على السواحل الأطلسية المغربية والجنوبية.

- طير أبابيل أبيض الردف يدعى علميا Apus cafer وبالفرنسية Martinet de cafrerie وبالإنجليزية White-rumped Swift وبالإسبانية Vencejo cafro وبالإيطالية Rondone cafro. أكبر بقليل من طير أبابيل فلسطين ويختلف عنه في تشعب الذيل وفي صغر حجم البقعة البيضاء على الردف. يبلغ طوله 14 سم ومنه مجموعة كبيرة تتوالد في الأطلس المتوسط والكبير ولا وجود له في أوربا والشرق العربي. يشتو في إفريقيا الجنوبية.

- طير أبابيل السهول يدعى علميا Apus unicolor وبالفرنسية Martinet de plaine وبالإنجليزية Plain swift. أصغر من طير أبابيل الأسود وريشه بني داكن موحد على الجسم. يبلغ طوله 15 سم ومنه عدة مجموعات تشتو على السهول الساحلية الأطلسية. لا يتوالد في المغرب ولا وجود له في أوربا وفي الشرق العربي. يشتو أيضا على سواحل إفريقيا الوسطى والجنوبية.

تحظى أنواع طير أبابيل بعطف واحترام من الانسان الذي يعتبرها من الطيور المقدسة كطيور خطاف الشعر فلا يؤذيها ولا يقترب من أعشاشها.


محمد رمضاني، خطاف الشعر، *معلمة المغرب*، الجزء 11 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*. Elsevier, 1977, 430 p.


**طير البقر**، كما هو شائع عند العامة في المغرب العربي وأبو بقر وأبو غنم في الشرق العربي والبيوضي وابن الماء في اللسان العربي، نوع من الطيور الشائعة في المغرب يسمى علميا Bubulcus ibis وبالفرنسية Héron garde bœuf وبالإنجليزية Cattle egret. قالت الخنساء في وصفه :

وإذا البيض ليمشين معا    كبنات الماء في الماء الكدر

ريشه أبيض ناصع على سائر الجسد وتتميز الذكور بخصلة من الريش المذهب المصفر على الرأس والعنق تظهر خلال فترة التوالد. يختلف هذا الطائر عن البلشون بساقيه المحمرتين وبمنقاره المصفر. يبلغ طول بسطة الجناحين 90 سم وطول الجسم 48 - 52 سم. يألف الغابات الصنوبرية والأدغال والمزارع وضفاف الأنهار ويقترب من القرى والمدن، كما أنه يرافق قطيع البقر وغيرها من المواشي ويكثر في المزارع أثناء موسم الحرث ليأكل الديدان والحشرات والخراطين التي يخرجها المحراث والجرار من داخل التراب.

وهو طائر شائع في مختلف المناطق المغربية الشمالية والوسطى لا يصيده الإنسان ويفترسه العقبان والصقور. تم إحصاء أكثر من 20 ملجأ شتويا عبر التراب الوطني يتخذه هذا الطائر مبيتا له ومكانا للتوالد. يضم ملجأ جزيرة أبي رقراق آلاف الوحدات ويعد من أهم المجموعات المغربية إلى جانب ملجأ بوقنادل والصخيرات والمنصورية قرب المحمدية وبوسكورة ومكناس وإيموزار كندر وفاس وضاية أفوركاغ والراشدية وورزازات والعرائش ووجدة. يعيش في مجموعات كثيرة العدد ومعظم أفراده من القواطع يشتون في إفريقيا وآسيا الغربية. يتوالد في المغرب وفي مناطق حوض البحر المتوسط ونادر جدا في أوربا الجنوبية. تبيض الإناث بين فبراير ومارس وتُصنع الأعشاش متقاربة مع بعضها على أغصان الأشجار وتفرش بقطع الأعشاب. يتراوح عدد البيض بين 30 وطول قطرها الكبير 46 ملم، تدوم مدة الحضانة 21 - 25 يوما. تغادر الفراخ العش بعد 30 يوما. يتغذى من العناكب والحشرات والديدان يبحث عنها في المناطق الرطبة وفي الضايات وضفاف الأنهار والبحيرات والمزارع.


الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*. Elsevier, 1977. ; M. Thevenot, P. Beaubrun, R. E. Baouab et P.E. Bergier, *Compte rendu d'ornoithologie marocaine*, Rabat, 1982..


**طير الليل**، كما ينطق به في شمال أفريقيا وفي الشرق العربي وسحاة الليل في بعض مناطق المغرب، حيوان من طائفة مجنحات الأيدي يمثل رتبة خاصة داخل مجموعة الثدييات، ومن أسمائه خفاش وخشاف وهي واردة في اللغة وشائعة في العراق وسوريا ووطواط في مصر والشام والسودان وسحا وسحاة الليل شائعة في شرق جزيرة العرب ويسمى أيضا في الشرق العربي أشرف وطمروق وطرموق. تسمى في المعاجم الوطاويط للكبيرة منها والخفافيش والأذاني والعماش للصغيرة منها وهي أجناس وأنواع يفوق عددها 900 في العالم وليس لها في الطيور في شيء من صفاتها وتكوينها.

طيور الليل ليلية النشاط شكلها كالفأر تماما، تتميز بقوائمها المتحولة إلى أجنحة حقيقية تطير بها في الأجواء وتلتجئ نهارا إلى سقوف الكهوف والمنازل المهجورة وفجوات

الصخور والأشجار وغيرها من الأماكن المظلمة لتنام وتستريح متعلقة ومتشبثة بمخالبها بكل ما تجده في السقوف ورأسها إلى أسفل. يتكون الجناح من جلد رقيق يربط الذراعين والقائمتين الخلفيتين إلى الطرف الأساسي أو النهائي من الذيل حسب الأنواع. تحتوي القائمتان الأماميتان على خمسة أصابع، أربعة منها طويلة جدا وملتحمة فيما بينها بغشاء مزدوج، الإبهام أو الأصبع الخامس قصير وحر منفصل عن الأصابع الأخرى وينتهي بمخلب يستعمل لإمساك حواشي الصخور والسقوف.

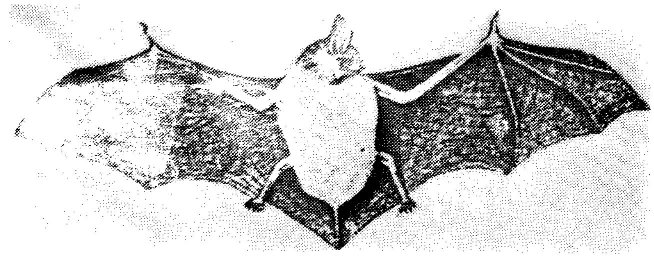

تلد الأنثى صغيرا واحدا كل سنة ونادرا صغيرين، ترضعه وتحنو عليه كما تفعل الثدييات، تثبته على القضبان أو السقوف وتعتني به حوالي 30 يوما ثم يتعلم الطيران بعد ذلك ليصير حرا يبحث عن الحشرات كما يفعل الآباء. يعمر 25 سنة على الأكثر. تقضي معظم الأنواع فصل الشتاء بداخل الكهوف والمغارات وتكفّ عن الأكل مدة طويلة. منافعها كثيرة للإنسان بأكلها للحشرات المضرة للنباتات. أنواع الوطاويط المصاصة والنزافة تعيش في المناطق الاستوائية وتحت الاستوائية بأمريكا ولا وجود لها في المغرب.

الخفاش قليل البصر وليس فاقده يكثر نشاطه ليلا فيغادر السقوف بعد غروب الشمس ليلقي بجسمه في الفراغ حتى إذا انتشر الجناحان استطاع أن يرتفع في الجو ويطير بسرعة كبيرة ليلتقط الحشرات الليلية وهي طائرة. ومن خصائصه استخدامه لموجات العودة أو الصدى، أي ما يسمى بالرادار، يتحسس به لتفادي العوائق التي تعترض طريقه ولتحديد مسافة الحواجز وتمييز الحشرات الطائرة التي تشكل قوته اليومي. فهو يحدث أصواتا ذات ذبذبات ترددية عالية تمتد أمامه ثم تنعكس على ما تنعكس عليه أصداء تتحسسها أذناه فترشده الطريق وتكشف له موقع الفريسة. تخرج هذه الأصوات على شكل نبضات متواصلة تأذن للصدى أن يرتد.

تنتمي الأنواع التي تعيش في المغرب إلى رتبة مجنحات الأيدي الصغيرة ميكروكيروبتيرا Microchiroptera تتميز بشعر ناعم وعينين صغيرتين وأذنين كبيرتين. تم جرد 26 نوعا في المغرب، ينتمون إلى 5 فصائل :

- فصيلة الخفاشيات Verspertilionidae وتضم 15 نوعا منها الخفاش الأسمر الصغير الشائع في مختلف المناطق المغربية ومناطق حوض البحر المتوسط. يسمى علميا Myotis blythi أو Myotis myotis وبالفرنسية Petit murin وبالإنجليزية Lesser mouse-eared bat وبالإسبانية Murcielago ratonero. شعره أسمر وفمه مخروطي الشكل، يبلغ طوله 6 ـ 8 سم وطول ذيله 5 سم. صيغة أسنان الأنواع كالتالي : 2 / 3 قوارض، 1 / 1 أنياب، 3 / 3 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 38 سنا. الأسماء العلمية للأنواع الأخرى من نفس الفصيلة كالتالي :

Myotis capaccinii ; Myotis mystacinus ; Myotis emarginatus ; Myotis nattereri ; Pipistrellus pipistrellus ; Pipistrellus kuhli ; Pipistrellus savii ; Pipistrellus rueppelli ; Nyctalus lasiopterus ; Eptesicus serotinus ; Otonycteris hemprichi ; Barbastella barbastellus ; Plecotus austriacus ; Miniopterus schreibersi.

يحتمل وجود أنواع من نفس الفصيلة ومن فصائل أخرى في المناطق الصحراوية المغربية التي تحتاج إلى استكشافات علمية ميدانية تتعلق بالتعريف والتوزيع الجغرافي لمجنحات الأيدي.

- فصيلة رينوبوماتيدي Rhinopomatidae وتتكون من نوعين يتميزان بمتك مستقيم تعلوه ورقة أنفية بدائية وبأذنين مثلثتي الشكل، صيغة أسنانهما كالتالي : 1 / 2 قوارض، 1 / 1 أنياب، 1 / 2 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 28 سنا، يدعى الصغير منهما Rhinopoma microphyllum وبالفرنسية Petit Rhinopome ويسمى الكبير منهما Rhinopoma hardwickei وبالفرنسية Grand Rhinopome. يعيشان في مغاور الأطلس الصغير وفم الحسن وزاكورا وميدلت.

- فصيلة ورقيات المناخير العماشيات أو الطمروقيات وتتكون من سبعة أنواع تتميز بأذنين كبيرتين وعريضتين وبورقة منخرية معقدة جهتها السفلية شبيهة بحذوة الحصان يعتمد عليها في تصنيف الأنواع. الجناحان واسعان تغطيان الجسد بأكمله. صيغة الأسنان كالتالي : 1 / 2 قوارض، 1 / 1 أنياب، 2 / 3 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 32 سنا. من بين الأنواع الشائعة في المغرب عماش حذوة الحصان Rhinolophus ferrumequinus يدعى بالفرنسية Grand rhinolophe fer à cheval وبالإنجليزية Greater horseshoe وبالإسبانية Rinolofo grande herradura. يبلغ طوله 5 ـ 6 سم وطول ذيله 4 سم. يألف المغارات والخطارات وشائع في مختلف المناطق المغربية وفي شمال إفريقيا وأوربا. الأسماء العلمية للأنواع الأخرى من نفس الفصيلة كالتالي :

Rhinolophus hipposideros, Rhinolophus euryale, Rhinolophus mehelyi, Rhinolophus mehelyi, Rhinolophus blasii, Hipposideros caffer, Asellia tridens.

- فصيلة نكتيريدي Nycteridae وتضم نوعا واحدا يدعى علميا Nycteris thebaica وبالفرنسية Nyctère de la thebaïde. يبلغ طوله 5 سم وطول ذيله 5 سم. صيغة أسنانه كالتالي : 2 / 3 قوارض، 1 / 1 أنياب، 1 / 2 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 32 سنا. يعيش في مغاور وادي الشراط وسوس وماسة وأكادير ويعيش أيضا في أفريقيا وفي الجزيرة العربية.

- فصيلة مولوسيدي Molossidae وتتكون من نوع واحد يسمى علميا Tadarida teniotis وبالفرنسية Molosse de Cestoni وبالإنجليزية Free-taillet bat وبالإسبانية Murcielago rabudo.

مظهر وجهه شبيه بالكلب لكون أذنيه منثنيتين ومنحنيتين على جانبي الرأس. صيغة أسنانه كالتالي : 1 / 3 قوارض، 1 / 1 أنياب، 2 / 2 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 32 سنا. شائع في مختلف المغاوير المغربية ويتغذى من الحشرات.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932 ؛ الموسوعة الحديثة، *عالم النباتات والحيوانات*، سيلكا - سويسرا، 1990.

S. Aulagner & M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

**طيراس هانري** (1895-1971)، مؤرخ فرنسي يدين له تاريخ المغرب، وبخاصة منه تاريخ فنون المعمار، بما لا يحصى من الأبحاث، وموظف من كبار موظفي سلك التعليم في عهد الحماية الفرنسية. ولد يوم 8 غشت 1895 في قرية فرينيي Vrigny بمقاطعة اللواري Loiret جنوب باريس. وما أن قطع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي حتى اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى، فنزل إلى ساحة القتال وأدى الواجب الوطني. ولما وضعت الحرب أوزارها، اجتاز مباراة دخول مدرسة المعلمين الشهيرة في زنقة أولم Ulm بباريس، ،وذلك سنة 1919، وتخرج منها سنة 1920 حاملا لشهادة التبريز، ليلتحق بالمغرب وينخرط في سلك التعليم بالثانويات الفرنسية. لكن هانري طيراس لم يكن ممن يكتفي بتعليم الأطفال والمراهقين، إذ كان من طينة المشغوفين بالنبش والتنقيب والبحث عن السوابق واللواحق، سيما وقد جاءت به الأقدار إلى بلد كالمغرب كان الماضي فيه لايزال حاضرا والحاضر يوحي من ذات اليمين وذات الشمال بالماضي القريب والبعيد. وقد اعتنى طيراس من توه بتاريخ الفنون الإسلامية، وذلك في سياق ما كان للمقيم العام المارشال ليوطي من العناية بآثار المغرب في الإبداع الفني، وما كان من حرصه على إحيائها وصيانتها وإلزام أهل البلاد والدخلاء عليهم من الأجانب على رعايتها وتذوق جمالها. فما أن التحق هانري طيراس بمعهد الدراسات العليا الإسلامية حتى أسندت إليه سنة 1923 إدارة الدراسات الأركيولوجية والفنون الإسلامية. فاشتغل مع هانري باسي Henri Basset بدراسة المساجد والحصون الموحدية، ونشرت حصيلة أبحاثهما في مجلة هسبريس، وهي يومئذ في طور النشأة الأولى. ثم إنه اتصل بجورج مارسي Georges Marçais، الذي كان قطب البحث التاريخي في حضارة الإسلام الغربي وفي تاريخ فنونه، والأستاذ الذائع الصيت في كلية الآداب في الجزائر المحتلة. وبإشرافه أعد هانري طيراس أطروحته لنيل درجة الدكتورة في موضوع الفن الإسباني المورسكي من الأصول إلى القرن الثالث عشر الميلادي وناقشها سنة 1933. مما أهله ليصبح رئيس مصلحة الآثار التاريخية، وهي وظيفة ظل يمارسها إلى أن غادر المغرب بصفة نهائية سنة 1957. وكان له الفضل في نفض الغبار عن كثير من بدائع الإرث المعماري المغربي. وقد عيّن سنة 1941 مديرا لمعهد الدراسات العليا الإسلامية الذي كان بمثابة نواة جامعية شبه متكاملة. وفي سنة 1945 خلف جورج مارسي على كرسي الأركيولوجيا الإسلامية في كلية الآداب بالجزائر العاصمة، بحيث كان في تلك الحقبة من حياته يدرس في الجزائر ويدرس في الرباط، ويشرف على إدارة معهد الدراسات الإسلامية العليا وعلى مفتشية الآثار التاريخية في المغرب. وذاع صيته وتجاوز الأوساط الجامعية ليمتد إلى عموم من يقرأ باللغة الفرنسية بعد صدور كتابه الجامع عن تاريخ المغرب في مجلدين سنة 1949. فصار قطب البحث التاريخي في المغرب في السنوات الأخيرة من الحماية. واعترف له بذلك داخل المغرب وفرنسا وخارجهما، بدليل ما نال من ألقاب التشريف والتكليف العلمي، إذ كان عضوا مراسلا لأكاديمية الفنون الجميلة في فرنسا منذ 1933. كما صار عضوا مراسلا لأكاديمية التاريخ الإسبانية. وانتخب عضوا في معهد الفنون الأدبية الفرنسي سنة 1953، ونال درجة الدكتورة الشرفية من جامعة أكسفورد الإنجليزية سنة 1954. كما خوّل العديد من الأوسمة الفخرية والنياشين التكريمية، ومنها الوسام العلوي من درجة ضابط كبير.

ولقد غادر هانري طيراس المغرب بصفة نهائية سنة 1957، دون أن يبتعد عنه لا في المجال ولا في العمل، إذ أسندت إليه إدارة "دار فيلاسكيث"، المعهد الفرنسي في مدريد الذي يأوي إليه كل من يشتغل من الباحثين الفرنسيين بمكونات الحضارة الإسبانية. وكانت تلك هي آخر مهمة قام بها قبل أن يحال على المعاش سنة 1965، ويعود إلى فرنسا حيث وافاه الأجل المحتوم يوم 11 أكتوبر سنة 1971، مأسوفا عليه من قبل كل من له إلمام بما بذله من الجهد والمثابرة من أجل التأسيس لدراسة الفنون المغربية في تجلياتها بين العدوتين. ويمكن اعتبار هانري طيراس من بناة الحماية الفرنسية في المغرب. ولذلك لم يكن مبرءا من كل نزعة استعمارية، فلم يتقبل، بما كان ينبغي لعالم في مستواه من سعة الصدر، الحركة الوطنية المغربية وحاجة المغاربة إلى استرجاع سيادتهم للزحف خطوة أخرى على درب النهضة والرقي. فامتنع عن

زيارة المغرب بعد هجرته منه. ولكن المغرب، لا يمكن أن ينسى ما أسداه له هذا العالم من الخدمات للتعريف بعبقرية أبنائه وبمواهبهم في الإبداع الفني عبر العصور.

*Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée. n° 12, 2ème semestre, 1972.*

إبراهيم بوطالب

**الطيطوي** (طائر -)، كما في المعاجم وكما ينطق به في بعض المناطق المغربية وفي الشرق العربي، جنس طيور من القواطع موطنه الأصل أوربا وآسيا الغربية ؛ يألف المستنقعات والبحيرات الشاطئية والقارية ومجاري المياه ومصبات الأنهار. يصنف إلى فصيلة دجاجيات الأرض الكركيات Scolopacidae طوال الساق والمناقير، يقتات من الديدان والرخويات والحشرات والقواقع بداخل البحيرات. الريش رمادي بني داكن على الظهر والجناحين وأشقر فاتح على الصدر والبطن. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة عليه خطوط بيضاء وبنية داكنة.

منه 8 أنواع تتوارد كل سنة على مختلف المناطق الرطبة والشاطئة المغربية لتقضي فيها فصلي الشتاء والخريف ثم تعود إلى أوربا الوسطى والشمالية لتتوالد.

• الطيطوي الشائع أو زمار الرمل كما هو في الشرق العربي Tringa hypoleucos يدعى بالفرنسية Chevalier guignette وبالإنجليزية Common sandpiper وبالإسبانية Andarrios chico وبالإيطالية Piro-piro piccolo. طول الجسم 19 سم ويزن الكبار حوالي 70 غراما. يعيش في مجموعات متعددة الأفراد ويألف البحيرات الشاطئية والقارية، يقتات من العناكب والحشرات والصدفيات والقواقع. يتوالد في أوربا الوسطى والشمالية وآسيا الغربية بين أبريل ويونيو وينصب العش على ضفاف الأنهار. تبيض الإناث 3 - 4 بيضات رمادية مخضرة شاحبة منقطة بالأسود، يبلغ طول قطرها الكبير 36,4 ملم وقطرها الصغير 26,3 ملم. يحضن البيض بالتناوب بين الزوجين حوالي 3 أسابيع وتبقى الصغار أسبوعين بداخل العش. يشتو هذا الطائر في إفريقيا الشمالية وشواطئ البحر المتوسط. منه مجموعات تقدر بآلاف الأفراد تأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق لتستقر في مختلف المناطق الرطبة الساحلية والقارية منذ أكتوبر إلى مارس من كل سنة. يكثر عدده بالأخص في بحيرة مولاي بوسلهام والوالدية والناظور. وقد شوهد طائر من هذا النوع في ضواحي سيدي إفني يحمل خاتما وضع على ساقه في إكوسيا وآخر في بني ملال وضع على ساقيه خاتم في السويد.

• طيطوي مقتال Phylomachus pugnas يسمى حجوالة في بحيرة مولاي بوسلهام ويدعى بالفرنسية Chevalier combattant وبالإنجليزية Ruff وبالإسبانية Combatiente وبالإيطالية Combattente. الريش رمادي أسمر فاتح على الظهر والجناحين. طول الجسم 29 سم عند الذكور و23 سم عند الإناث وتزن الكبار 90 غراما. شائع في مختلف المناطق الرطبة المغربية خلال فصل الشتاء وبداية فصل الربيع. يضع عشه بين أعشاب ضفاف المستنقعات والبحيرات وتلد الإناث 4 بيضات زيتونية شاحبة منقطة بالبني الداكن، يبلغ طول قطرها الكبير 44 ملم وقطرها الصغير 31 ملم. تدوم مدة الحضانة 3 أسابيع وتغادر الصغار العش مباشرة بعد التفقيس وتقوم الأم بحراستها وبتغذيتها من الحشرات.

• طيطوي أحمر الساقين Tringa totanus يدعى بالفرنسية Chevalier gambette وبالإنجليزية Redshank وبالإسبانية Archibebe comun وبالإيطالية Pettegelo. الريش رمادي فضي فاتح. أحمر الساقين وأسمر المنقار، يبلغ طول الجسم 28 سم شائع في مختلف المناطق الرطبة الساحلية المغربية خلال فصل الشتاء والربيع. يكثر عدده في مصب نهر سوس وسبو وملوية والبحيرات الساحلية كالناظور ومولاي بوسلهام وسيدي موسى.

• طيطوي أخضر الساقين Tringa nebularia يسمى بالفرنسية Chevalier aboyeur ويبلغ طول الجسم 30 سم، المنقار مسود ومعوج قليلا، شائع على السواحل المتوسطية والأطلنطية وفي البحيرات الساحلية والقارية وفي مصبات الأنهار والسدود المغربية.

• طيطوي البطائح أو طيطوي الغياض في مصر يسمى علميا Tringa stagnatilis وبالفرنسية Chevalier stagnatile، يألف البحيرات ومصبات الأنهار. نادر في المغرب، منه مجموعات صغيرة تعيش في مصب نهر ملوية وماسة خلال فصلي الشتاء والربيع.

• طيطوي الغابات يسمى علميا Tringa glareola وبالفرنسية Chevalier sylvain، أخضر الساقين وأسود المنقار، يتوالد في المستنقعات المحاطة بالأشجار وفي الغابات، منه مجموعات متعددة تعيش في بحيرات الأطلس المتوسط ونهر تانسيفت ونفيس وسوس ماسة ومولاي بوسلهام والوالدية وسيدي موسى وبحيرة الناظور ومصب نهر ملوية.

• طيطوي مزاح يسمى علميا Tringa erythropus وبالفرنسية Chevalier arlequin، أخضر الساقين وأسود المنقار، الإناث شبيهة بالذكور ويبلغ طول الجسم 30 سم، شائع في مختلف المناطق الرطبة القارية والساحلية ويكثر عدده في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام والوالدية وخنفيس والداخلة وضاية الرومي وضاية عوا.

• طيطوي أبيض الذيل Tringa ochropus يسمى بالفرنسية Chevalier cul-blanc، أخضر الساقين وأسود المنقار، الإناث شبيهة بالذكور ويبلغ طول الجسم 22 سم، يكثر عدده بين شتنبر ومارس في كل البحيرات القارية والساحلية وخاصة منها بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام والوالدية وضاية سيدي علي وأكلمان لعزيزة وضاية عوا.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977 ; M. Thevenot, P. Beaubrun, R. E. Baouab et P. Bergier, *Compte rendu d'ornithologie marocaine*, Rabat, 1982.

محمد رمضاني

**الطيفور**، أسرة سوسية من الأسر التي تمرست على مشيخة قبيلة العوينة، إلى الجنوب من مدينة تيزنيت. يرجع أصل موطنها إلى قبيلة إيسي بالأطلس الصغير الأوسط، وبالتحديد من قرية أنسيس. ومازال مشهد أحد أجدادها (موسى بن سيار) يزار لها.

نجهل بالتحديد تاريخ استقرار الأسرة بالعوينة، وإن كانت الروايات ترجع فترة قبيل مقتل المتمرد أبي حلايس الذي احتمى بفخذ "أيت بنوح" من نفس القرية. وكان لأسرة آل الطيفور ذكر في سياق الأحداث التي شهدتها العوينة آنذاك. ويبدو أن نفوذ الأسرة الكبيرة داخل فخذ "أيت تلمشت"، أهل بعض أفرادها لتقلد مسؤوليات داخل مجلس "اينفلاس" قبيلة العوينة. وفي هذا الصدد أبان الشيخ إبراهيم بن داوود الطيفور، خلال النصف الثاني من القرن(19)، عن مؤهلات في تدبير شأن القرية، من قبيل الصرامة في تطبيق القوانين العرفية، وتمتين العلاقات بأعيان تيزنيت وأكلو على السواء.

**الطيفور، العربي** بن **إبراهيم** من كبار رجالات الأسرة، ذاع صيته واشتهر أمره بعد وفاة والده. تزامنت فترة مشيخته مع التحول الذي طال بلده تيزنيت، التي ارتقت إلى مركز مخزني عقب تسويرها من طرف الحسن الأول 1882، وتعيين خليفة مخزني قاربها. ويبدو أن هذا الأمر أثار حفيظة الشيخ العربي الطيفور، الذي لم يكن إلى جانب أعيان العوينة، مستعداً أو مهيأً لتقبل الاطار السياسي والاقتصادي الجديد الذي يمكن أن تدشنه الأجهزة المخزنية بتيزنيت. لأن ذلك سيكون إيذاناً بتقلص وتدني سلطات مجلس الأعيان (إينفلاس) في إطار نظام العرف، لصالح قياد تيزنيت. وقد انحاش محمد بن الحسين الإيليغي إلى جانب الشيخ العربي الطيفور، محاولاً التأثير على القرارات المخزنية من خلال التأكيد على مسألة الحسم في "قيادة" العوينة. بحيث لا تخلو رسائله إلى السلطان من مطالبة هذا الأخير بتعيين الشيخ العربي قائداً على إخوانه أهل العوينة، أو التدخل لتطويق الموقف الذي آل إلى صراع مكشوف بين تيزنيت وأكلو. بل صاحب المترجم إلى مراكش سنة 1307 / 89 ـ 1890 لمقابلة السلطان، كمحاولة لإقناع المخزن بموقف أهل العوينة المؤيد لتعيين الشيخ العربي الطيفور قائداً قريتهم. إلا أن التزنيتيين كانوا يعارضون هذه الفكرة، يقيناً منهم بأن ذلك يعتبر إيذاناً بتوغل نفوذ إيليغ بالمنطقة، وبالتالي ترجيح كفة حلف "تاكوزولت" المعارض. ويظهر في سياق الأحداث أن السلطان قابل اقتراحات زعيم إيليغ بنوع من المماطلة، وحسم الأمر لصاع قائد تيزنيت.

ومهما يكن فإن الشيخ العربي الطيفور، استطاع أن ينشر نفوذ العوينة بعيداً عنها، إذ كانت بعض قرى أيت براهيم تدين له بالولاء، قبل أن يسقط قتيلا في إحدى المواجهات بقرية "أكادير أو فلا" سنة 1308 / 90 ـ 1891.

**الطيفور، موسى** بن **إبراهيم** من أبرز شخصيات أزغار تيزنيت على الإطلاق خلال النصف الأول من القرن العشرين. ولد في حدود 1308 / 1890. أبان منذ صغره عن استعداد كبير ومهارة نادرة لتحمل المسؤولية من خلال ملازمة ومصاحبة والده في ترحاله، ومشاركته في مهامه. كما ظهر ولوعه المبكر بالفروسية.

والظاهر أنه كان ما يزال في طور الفتوة عندما اغتيل والده من قبيلة أكلو، وتوالت بذلك الشدائد على العائلة، مما أجبرها على النزوح إلى قبيلة أيت باعمران. وكان خروجها بتواطؤ مع بعض الرؤساء المنافسين والمدعمين من قائد أكلو آنذاك، وخاصة من عائلة إدعلي بن براهيم التمنارتي بقرية "أيت بنوح".

لكن سرعان ماعادت الأسرة إلى العوينة، وكان لها اتصال مبكر بالفعاليات المخزنية بتيزنيت ومراكش. وعندما حل القائد الطيب الكنتافي بسوس 1917، بادر دون تردد، لأسباب نجهلها، إلى استقدام المترجم إلى مقر القيادة بتيزنيت، وأسند إليه مشيخة العوينة، بعد إزاحة الشيخ مسعود بن محمد التمنارتي، وكان ذلك إيذاناً برجوع عائلة آل الطيفور إلى دفة التسيير. ورغم صغر سنه، فقد كان في مستوى تحمل أعباء المسؤولية الملقاة على عاتقه، واستطاع باستقامته وذكائه وتدبيره المحكم، أن يفوز بثقة رؤسائه بتيزنيت.

ومما يسجل له، دوره الفعال والحاسم في سياق مجموعة من الأحداث التي ميزت أزغار تيزنيت وأحوازه على عهد الحماية :

ـ فمن علو شأنه، مشاركته في المفاوضات التي كانت تتم آنذاك بين قادة المقاومة والجهاد بالأطلس الصغير تحت قيادة الأخوين أحمد الهيبة ومربيه ربه، والقائد المدني الاخصاصي من جهة، ومن جهة أخرى سلطات الحماية، لترتيب استسلام القبائل الجبلية.

ـ كما ارتبط اسمه بما يعرف بـ"طائرة مير اللفت"، فبفضل حنكته وفطنته، استطاع أن ينتقل إلى مير اللفت، وتمكن من تسريح ربابنة الطائرة الفرنسية التي أجبرت على النزول بالمنطقة لعطب تقني أصابها، ونقلهم بأمان إلى مقر القيادة العسكرية بتيزنيت.

ـ عادة ما يتم الركون إلى خدماته في التوسط بين مركز

القرار بتيزنيت وقادة الجهاد بالأطلس الصغير. وأسندت إليه مهام خطيرة في هذا الشأن. وعادة ما تكلّل جهوده بالنجاح. وكان ميالاً إلى السلم، وله من الحنكة ما يبهر حتى خصومه، فصارت كل مهمة أو تفاوض صعب يقترن دائماً باسمه.

وفي سياق هذه الأدوار يقوم بتوثيق الاتصالات بالزعماء ذوي النفوذ بالمنطقة، وغالباً ما يبادر بشكل انفرادي إلى دعوة البعض منهم إلى العوينة للتشاور. لهذا عرف بكثرة مخالطة الناس، ولا تخلو داره من الزوار والعابرين، ومن شدة ذكائه وسعة تجربته أن كان في سياسته تجاه الفرنسيين أقل حماساً، وكان يخفي عليهم الكثير من الأمور في استشاراتهم المعتادة له.

من جانب آخر، وصف الشيخ موسى الطيفور بقوة الذاكرة، وكان مرجعاً ثقة في استحضار الوقائع والأحداث التي ميزت تاريخ سوس منذ بداية القرن العشرين. وله قدم راسخة في معرفة القوانين العرفية المعمول بها داخل القبائل السوسية. امتلك قلوب معاصريه بخصاله المتسمة بالشجاعة والكرم، واعتبر من أكبر المحسنين إلى أرباب العلم والتصوف من فقهاء وطلبة وفقراء من جميع الطرق. وفي مدحه قال الشاعر / المغني الحاج بلعيد :

ءاشيخ موسى بن طايفور ءي بدرك لفيعلنك
ليغ تلا تاساست دلهول گر لفيايلا
كرامو ءيگا ءاسمون ءورسول ءيكصض ءيجنجمتن
تلا لكلما ولا القول ءاريكا ءايدانس

ونظراً لخدماته ولمواقفه الوطنية، أنعم عليه محمد الخامس بظهير الامتياز بتاريخ 15 رجب 1349 / 6 دجنبر 1930، كما وشحه بوسام علوي في 27 رمضان 1365 / 25 غشت 1946.

توفي الشيخ موسي الطيفور سنة 1411 / 1990. هكذا انتهت حياة شخصية فذة، ذات وزن كبير بين أعيان قبائل سوس، استطاعت لمدة تنيف عن مائة سنة أن تؤسس حولها نوعاً من الهالة والاحترام، حتى عُدت وجهاً مشرفاً ورمزاً للشهامة والأخلاق النبيلة.

*عرف قبائل أيت تيزنيت ؛ رسائل سلطانية ؛ وثائق دار إيليغ ؛* م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4.

P. Pascon et M. Ennaji, *Le Makhzen et le Sous al-Aqsa..., 1821 - 1894*, p. 186.

أحمد بومزگو

**طيكشيرا**، الفارو ذي Texeira, Alvaro de نبيل برتغالي منحه الملك البرتغالي الفونصو الخامس Alfonso V بمرسوم أصدره يوم 7 مارس 1476 حق امتلاك ناحية تطوان من أجل أن يعمل على تعميرها وترميم المدينة الذي كان قد سبق لبرتغالي سبتة أن حطموها في سنة 1437 ؛ وسبب ذلك أن العاهل البرتغالي علم بمشروع الأمير الشفشاوني مولاي علي ابن راشد الرامي إلى إعادة بناء تطوان ؛ غير أن المرسوم البرتغالي ظل حبراً على ورق في حين تمكن الأمير الراشدي من تحقيق مشروعه سنة 888 / 1483.

David Lopes, *Historia de Arzila*, Coimbra 1924.

محمد ابن عزوز حكيم

**الطين** في أرض المغرب، تعتبر القشرة الأرضية، على مدى سمكها، جهازاً هائلاً لتدوير ورسكلة المادة المعدنية التي يتكون منها الكوكب الأرضي. وتتدخل الأطيان في أحرج منعطف من دورة المواد المعدنية.

تقوم الصهائر النارية، انطلاقا من جوف الأرض، بتزويد الغلاف الصخري من تحته، وخاصة من خلال نطاقات الفتق والتنامي التي تشقه في عمق البحار والمحيطات النازعة إلى التوسع، فينشأ تنوع بديع من الصخور الأندساسية والاختراقية البركانية.

وتتعرض هذه الصخور، بعد ذلك، للتفسخ متى برزت على السطح، تحت تأثير الغلاف المائي والجوي والأحيائي، فتعزل العناصر الذووبة وترسبها في شكل أكلاس وأملاح وغيرها، ويختلف عن عمليات التفسخ كمّ غزير من المواد الفتاتية منها الرمل والطمي، مع تميز خاص وريادة أكيدة لرصيد وفير من الأطيان.

وهكذا يبدو سطح الأرض، الذي يسمى كذلك نطاق التعرية والتفسخ، على هيئة مجال فسيح للتوزيع والتشتيت الشديدين لكل ما اجتمع في صهائر الأغوار الأرضية بعد أن يكون قد تشكل حسب أنماط متعددة في الصخور المتبردة عن الصهير.

ومن ضمن شتات هذا التقسيط السطحي المبسط للمعادن والبنيات، يحتفظ الطين وحده، وخلافا لكل ما عداه، بسر كل الخلق المعدني قاطبة، لكن في صيغة مختزلة، ضعيفة التبلر، تكاد تكون مرموزة، لكنها مكتملة التكوين من الوجهة الكيماوية. فعلى غرار الغلاف الصخري بالذات، الذي تغلب فيه مواد السليس والألومين، نجد الأطيان مهيكلة في مجملها على صيغة سليكات الألومين، وحسب بنيات متنوعة تعطي للطين تعقيدا لا يحل ألغازه المحسوسة إلا التحليل الإلكتروني (Brindley et al., 1980).

ومن البديع أن نتبين أن بنيات الطين تبدو، من جهة أخرى، كما لو كانت مهيأة لوظيفة بعينها، هي ولا شك أغلى ما يوجد على سطح الأرض، ألا وهي استقبال الحياة. إذ أنها، بعيدا عن ضغوط وحرارة الأعماق، قد جاءت هشة منفذة، تسمح بارتكاز جذور النبات وتسرب مقادير متفاوتة من المياه، نشيطة، توظف العناصر الكيماوية الضرورية للحياة، فتخزنها ثم تسلمها للنبات بقدر الاحتياج إليها. ثم بعد أن تكون قد وفرت الرحم الأولى للحياة لمدة من الزمان، تتوارى تحت توافد رواسب من فوقها، فتعتصر وتغور، بفعل البنائية، وتتحول تدريجيا إلى صخور صلبة متبلورة ثم تعود إلى كنف الصهائر من جديد. ويكون هذا الرجوع إلى حمأة الأعماق من خلال نطاقات الرتق غالبا، أي من تصادم الصفائح الذي يوافق غطس الهامش الأكثر كثافة من القشرة تحت السلاسل الجبلية الحديثة والدائبة النمو.

ودورة من هذا القبيل قد تستغرق أدواراً بأكملها من التاريخ الجيولوجي، متعاقبة على الإيقاع السرمدي للكون. والسر في دوامها جامعة مانعة، تسمح ببقاء الأرض على نفس حجمها وكمال مركباتها بدون زيادة ولا نقصان، يكمن في أن المادة التي تصل إلى السطح وتتشتت في كل الآفاق، وتستطيع، بعد أمد وجودها على هذه الحال، أن تلتئم من جديد، مؤسسة من التلاشي التفسخي ـ الرسوبي نفس صخور الأصل بالتمام والكمال. وحلقة الربط الحرجة بين أوصال الدورة الخالدة هي الطين بالذات. فالطين هو الذاكرة التي تحتفظ بالبنيات العدانية راسخة فيه، وبالعناصر الكيماوية وجزيئات الماء مشدودة بمشحونها الكهربي، تتبادلها داخل التربة مع جذور النبات من خلال الهيئة الوظيفية التي تتقمصها والمدعوة بالمركب الماص، الموزع الرئيسي لأدوار الحياة ضمن التربة. ومتى ابتعد عن الغلاف الجوي وعناصر الحياة على السطح، احتكم إلى قوى الضغط والحرارة التي تصمته وتورقه ثم تولد منه البلورات المعدنية تدريجيا على مدى التعمق، من حوالي 200 درجة إلى ما يناهز 800 درجة، قبل تمام الانصهار.

وتعقيد التطورات يجعل الطين يتوزع على سجلات تصنيفية متنوعة.

فهو، في أول عهده بما يشبه إتلاف الصخور على السطح، يدخل في عداد قطاعات التفسخ. ثم لما يتطور قطاع التفسخ وتنتظم بنيته، مع تدخل فعال للمادة العضوية المتدبلة فيه، يصير تربة متفاوتة التوازن. أما عندما يُطمَر بالتراكم فإنه يصبح من الصخور الرسوبية، مهيّئاً البدايات الأولى لمسلسل الصخور المتحولة حسب ممال تطوري ينتهي طبيعيا إلى بؤر الصهير.

أما التعاريف التحديدية للطين فهي نوعان نسيجية وعدانية.

يعتبر طيناً، على القياس النسيجي الفضفاض، كل مادة فتاتية دقيقة لا يزيد حجم الحبات المفردة منها على 2 ميكرومتر (1000 : 2 مم)، الأمر الذي يجعلها محكمة الشحن الكهربي، تتميز بالخاصية الدبقية التي تقضي بتجاذب الحبات وتكوين المجمعات الترابية. وهو مادة معدنية بالأساس، لها بناؤها البلور ـ كيماوي الخاص بها. لكن يحق لنا، من مدخل التعريف النسيجي، اعتبار كل الفُتات الدقيق، من الحجم المذكور، طيناً، أياً كانت طبيعته، بما في ذلك الدُّقاق العضوي، من قبيل الدُّبال، الذي يختلط عادة مع أطيان التربة في بوتقة المركب الماص. هذا الأمر هو الذي يفسر مثلا الامتياز الذي يتفرد به السماد الطبيعي عن كل الأسمدة الاصطناعية، المسماة بالكيماوية. إذ أن النفايات العضوية، المستعملة تقليديا في تسميد الأرض، هي في آن واحد أداة تخصيب كيماوي طبيعي ومادة دبقية، مثل سائر الأطيان، تسهم في مجانسة التربة وتقوية مركبها الماص وتحسين توازنها.

لكن الطين في مفهومه العداني هو المرجع التعريفي القويم، إذ يستحق وحده تسمية الطين الحقيقي. ويقتضي تعريفه، مع توفر الشرط النسيجي دائما، أن يكون سليكات ألومين، حسب بنيات منفتحة تقبل ضمنها الكاتيونات وجزيئات الماء.

وتتوزع الأطيان الحقيقية إلى عائلات وأنواع وضروب، يكون الفصل فيها أساسا بحسب كميات السليس، التي نعرف قوامها من التحليل الكيماوي، وهي شديدة التفاوت، منسوبة إلى كميات الألومين التي تعتبر العنصر الأثبت في الصيغة الكيماوية على الإطلاق. ويكتمل التمييز حسب الهندسة البلورية وتدخل عناصر كيماوية أخرى يمكن أن تصير هي الأغلب في حالات قليلة، كما هو الشأن مع عنصر المغنزيوم.

لذا فإن الأطيان مادة ترابية بامتياز، تتوقف عليها المفاهيم الإجمالية للخصوبة والتوازن، وذلك حسب وضعها من حيث الكمّ والنوع. وقد تمثل الأطيان ثروة منجمية بالنظر إلى استعمالاتها حسب خصوصياتها الآلية والكيماوية، وقد تصل إلى المادة النفيسة نسبيا في حال توافر الكاولنيت الخالص الذي يستعمل في إنتاج الخزف الصينية الرفيعة.

وتستعمل الأطيان، التي تنتجها الأرض المغربية، في جل هذه الأغراض، كمادة أولى للزراعة والصناعة والبناء.

وتتوفر مادة الطين بالمغرب في العديد من الطبقات الرسوبية، التي يمكن حصرها على العموم في قسم التاريخ الجيولوجي الذي يبقى في حدود المائتي مليون سنة الأخيرة من السلم. وقاعدة التمييز هي إغفال المستويات التي عرفت التحولات التي أفقدت الطين خاصياته، بإقصاء الأقسام المنتمية لما قبل الكمبري، وكل الحقب الأول إجمالاً. وقد يختفي الطين من مستويات متأخرة لأنها عرفت ضغوطا بنائية هائلة، كما هو الشأن مع الكتل الجبلية للريف الأوسط، حيث أحالت البنائية الآلبية مواد النظام الكريتاسي الأدنى، ذات الأصل الطيني، إلى تراكمات عظيمة من الفليش ومن الشيست الشديد التورق والدكنة المدعو محليا بالفريش.

على العموم، يختفي الطين من الكتل القديمة، حيث عملت البنيات التحويلية على إحالة الصخور الرسوبية الفتاتية إلى حث وكوارتزيت وشيست. وغالب المستويات الطينية الممكن مصادفتها مع ذلك تحت هذه الظروف ناتجة عن تفسخ متأخر أعاد الشيست إلى طبيعته السالفة.

أما المرجعية التنقيبية التي يمكن الاستئناس بها في تحصيل أهم مكامن الطين فهي الأدوار المنتسبة للترياس والجوراسي الأعلى ثم الكريتاسي والميوسين وأخيرا طبقاتية البليوسين والرباعي الواسعة الانتشار.

ـ يُنتج الترياس، خاصة في أدواره العليا، مقادير كبيرة من الطين، واضحة المعالم بألوانها الحمراء، وانتشارها الملحوظ على هوامش الأطلسين المتوسط والكبير، من تحت

الظلفاء الكاربوناتية اللياسية الضخمة، وبمستوى خط أهم العيون التي تغذي مجاري تحويل المياه من الجبال إلى السهول الزراعية. كما أنه راشم أكيد لأغنى مناجم الملح بمختلف أصنافه. وقد يكون في جيوب واسعة ضمن السهول والهضاب كما هو الشأن قريبا من بوفكران والخميسات والمحمدية.

- في إقليم وجدة، تتميز الأدوار البحرية المنتمية للجوراسي الأعلى بوضع خاص لا نرى له شبيها في بيئات الترسب في الأطلسين إلا في أقصى الأطلس الكبير الغربي، في النهاية المعاكسة للمحور الجبلي. وهي سميكة متنوعة السحنات تغلب فيها الأكلاس والطين. ومن ثوابت استغلالها إمكانية إقامة معامل الإسمنت الاصطناعي. وذلك بسبب توقف إنتاج الإسمنت على احتياطي كبير جدا لمقالع الكلس والطين، يؤمّن المواد الضرورية من جير وسليس وألومين، بعيدا عن الكاربوناتات المغنيزية السائدة في جل الجوراسي الأطلسي، والتي لا تتلاءم مع هذا النوع من الصناعة. لذا نجد إمكانات التصنيع من هذا القبيل متمركزة بصفة تفضيلية على طرفي الأطلسين (وجدة وأگادير)، وفي الأحواض النيوجينية (الدار البيضاء وتمارة) على سبيل المثال لا الحصر.

- طبقاتية الكريتاسي غنية كذلك بالمستويات الطينية. جزؤها السفلي في جل الجهات الداخلية قاري الترسيب، أحمر، غني بالأملاح، يشبه الترياس الأعلى إلى حد بعيد باستثناء النشر العام للبزالت، العميق المنشأ، الملازم للترياس. أما الجزء الأعلى فيعرف تداخلا وثيقا لمستويات الكلس والطين، وينتهي على مكامن الفوسفات.

لكن في حوض آسفي - أگادير، يكشف كل الكريتاسي على النزعة البحرية، وتُستعمل مواده كذلك في صناعة الخزف.

- من السهل تتبع أهم مواقع ترسب الميوسين الأعلى والبليوسين الأسفل من فوقه ومعيار الضبط هو أن الأخدود الجيولوجي الضخم الرابط طوليا بين محيط الرباط ومنطقة الغرب من جهة ومنطقة وجدة من جهة أخرى، عبر مكناس وفاس، كان حينئذ هو المضيق الفاصل بين أوربا وإفريقيا. وقد عبأه البحر بالصلصال الرمادي والأزرق المعبر عن الفترة. ورغم غناه بالمعادن الطينية النفوخة غير المناسبة لصناعة الخزف، فإن حذق الصانع يفسر تقاليد الإنتاج وبراعته على طول المحور.

عند هذا المستوى، يمكن أن نعتبر أن تحولاً من نوع خاص قد حصل في تطور أطيان المغرب.

ففي سياق تشييد الجبال القديمة وإلى حدود الكتل الكاليدونية والهرسينية، هناك تضييق واضح للبنيات التحولية على الصخور الطينية التي استحالت إلى سلسلات متورقة أو إلى سحنات حبيبية التبلر، ذات بنيات شريطية تذكر بأصولها الرسوبية الطينية. وقد استمر الوضع ليشمل كتلة القمم الوسطى من جبال الريف الآلبية.

أما خلال المراحل اللاحقة، وإلى حدود البليوسين الأسفل، فإن جل الرواسب الطينية وافقت الأحواض البحرية فجاءت معادنها بعيدة عن أي دلالة مناخية مباشرة. إذ خلال جل الحقب الثاني، غلب الهدوء البنائي، وعمت الغمور البحرية، خاصة في غضون الجوراسي الأسفل والكريتاسي الأوسط.

وفي ظل مراحل البنائية الأطلسية الثلاثية وتراجع البحار عن الجهة، فباستثناء الأخذوذ جنوبي الريف وبعض المجالات المجاورة للسواحل، تكاثرت في البقاع المنكشفة توضعات قارية خشنة ليست بها أطيان تذكر.

لكن ابتداء من مطلع البليوسين الأوسط، أي من حوالي أربعة ملايين من السنين، جاءت جل الأطيان قارية وبالتالي فهي النتاج المباشر للوضع البيومناخي الدقيق لكل المراحل الجيومرفلوجية المتعاقبة على البلاد إلى الآن. ومادامت البنيات العدانية الطينية هي الأشد تعقيدا والأكثر حساسية بكل عوامل التفسخ وبالتالي بتتابع الأوضاع النطاقية، فإنها يمكن بحق أن تعتبر "العلبة السوداء" المسجلة للتاريخ الطبيعي للبلاد، تحدد الإطار البيئي وتفسر وتكمل ما أمكن مصادفته من المواد الأحفورية الثمينة.

- تحتاج مرحلة التحول الحاصلة على مدى البليوسين الأوسط إلى وقفة خاصة وتدل القرائن على أن حدّا فاصلا ظهر في وسط الدور فأنهى بصفة تامة هيمنة المناخات ذات النزعة المدارية وأذن بتأسيس وتطور مناخات جديدة (Fassi, 1999)، ذات إيقاع متوسطي في غالب الأمر، مع بعض التوجه المعتدل في حالات قليلة، استغرقت كل الرباعي.

وكان توفير الظروف المناسبة لاستقرار الأتربة في البيئات القارية لبداية البليوسين الأوسط فرصة الحظ الأخير الثمينة للتسجيل الطبيعي للمناخات الطويلة الأمد التي طبعت العالم على مدى كل الحقب الثاني وجل الثالث. وقد تم هذا التسجيل من خلال طبع الأتربة بأعلى نسب من الكاولنيت معروفة في فسخات المغرب المدروسة، مع احمرار قاني نادر المثال عندنا.

وتدل أطيان الكاولنيت، بنسب تزيد على الثمانين بالمائة، عن تصريف هائل للمياه مصحوب بحرارة عالية يسمحان بتبديد قوي للسيلس وتنشئة للكاولنيت في ظروف شبيهة بالمداري الحالي.

لكن عمومية الأطيان الفقيرة، بنفس المستوى مع ظاهرة الاحمرار الشامل بسبب التثبيت المتجانس للحديد المحررة في القطاع، تفيدان معا وجود مناخ مداري متغاير الفصول، بعيدا عن الاستوائي المغالي في الرطوبة والمنتج مبدئيا لمعدن الجبسيت أو الألومين الصرف الدال على نزعة البيومناخ إلى التحطيم الكلي للأطيان.

وتوجد أهم المواقع التي درست فيها الظاهرة من حول سهل الغرب في شبه الجزيرة الطنجية وفي غابة المعمورة،

مشوبة بتطورات لاحقة لأن هذه المواقع بقيت مكشوفة على مدى الفترات المتعاقبة. في حين أنها بقيت محفوظة في أصالتها تقريبا تحت مناضد الأكلاس البحيرية التابعة مباشرة أو الحث البحري المغربي، في السايس أو قريبا من الساحل الأطلنتي.

وغنى الأطيان المحلي بمادة الكاولنيت، لا شك يسهم في تفسير تقاليد الجودة الخزفية الظاهرة مثلا في الطاجين السلاوي.

قبل زهاء 3,5 مليون سنة من الحالي، يبدو أن التحول إلى المناخات المتوسطية قد بدأ بمرحلة رخاء في الماء والظل، قريبة من الاعتدال المناخي المعياري، شهدت انتشار البحيرات الواسعة في جل السهول والأحواض الممتدة على هوامش السلاسل الجبلية المغربية. عقبها تميز كل الأتربة المتوالية على التاريخ الطبيعي اللاحق بتنوع كبير للمعادن الطينية، يغلب عليه السمكتيت على رأس طيف من الأطيان الموروثة من إليت وكلوريت، مع متخلف بسيط من الكاولنيت. وهذه الأوضاع المستجدة هي الشاهد على آخر مراحل التاريخ الطبيعي التي طبعت البليوسين الأعلى والرباعي (الفاسي، 2001).

- آخر نسق متكامل عرفه المغرب حتى الآن، هو تسلسل ما اشتهر بالذبذبات البيومناخية، المطيرة والبيمطيرة، على نمط متسارع قوامه الإجمالي لا يخرج عن المناخ المتوسطي، الذي ظهر لأول مرة على وجه الأرض في سياق تقلبات حاسمة حدثت آنئذ، لكن مع تذبذب دوري واضح الاختلاف من حيث الرطوبة والمعدلات الحرارية. وهو في ذلك يتبع حركية بيومناخية كونية استغرقت البليوسين الأعلى وكل الرباعي.

تجلت عوامل الرطوبة، خلال الفترات المطيرة، في التركات الطينية التي تنتسب إلى الكلوريت والإليت، كمعادن موروثة عن تفسخ مترفق بالقواعد الصخرية، دون إفراط ولا تفريط. وقد وصلت في بعض المراحل إلى إنتاج مقادير من الفرميكوليت. وهو معدن شاهد أكيد على إضافة أقساط من التساقط المطري في أوساط الاعتدال الحراري.

ومعدن الفرميكوليت مادة شديدة الحساسية بالتقلبات، رهيفة، لا تحتمل إلا البيئات التامة التوازن، الأمر الذي يصعب معه الاحتفاظ بها من ضمن التركات القديمة. لكنها مع ذلك مؤكدة كإرث واضح في البليستوسين الحديث، المدعو بالسلطاني في الطبقاتية الرباعية المغربية وهناك قرائن تفيد بأن فترات رخاء مماثلة ولا شك حدثت في الرباعي الأوسط، أو الدور العميري المغربي، وكذا في مستهل التحول البيومناخي على عهد المرحلة الثانية من البليوسين الأوسط.

أما عموم الفترات الرطبة نسبيا، مقارنة مع الوضع الحالي، والمنتجة للأطيان الموروثة بوسائل التفسخ المترفق، فقد تكررت زهاء ست أو سبع مرات على مدى الرباعي الذي استغرق 1,8 مليون سنة. ويبدو أن وثيرة التعاقب بين المناخات الرطبة والجافة آخذة في التسارع. حيث أنها كانت من فئة المائتين إلى المائة ألف سنة في الرباعي القديم، والمائة إلى الخمسين ألف سنة في الرباعي الأوسط، والثلاثين إلى العشرة آلاف سنة في الحديث.

برأيي أن هذا التسارع ظاهري فقط، وأن مرده إلى قدرتنا المتزايدة على تلمس علامات التغيير كلما كانت الفترة المدروسة أقرب إلينا، إذ من المؤكد أن فترات التغيير الكبرى تضم في غضونها تقطيعات أدق من التغيير المناخي الثانوي.

أما الفترات الجافة البينية، أو البيمطيرة، فإنها تشبه إلى حد بعيد فترة الهلوسين التي نعيشها حاليا. تعرضت تركاتها الترابية إلى تطورات حولتها جزئيا إلى أطيان السمكتيت (المونمريونيت أو البيدليت غالبا) وذلك إما بالتحويل العداني التدريجي للرصيد الطيني الموجود أو عن طريق التنشئة.

ويرجع السبب في هذا التطور، بالأساس، إلى الانحباس الكيماوي السائد. ويرتبط الانحباس ذاته بالتردي المناخي الذي يضعف التزويد الماءي الطبيعي فيرتفع تركز المحلولات وترتفع معه قاعدية الأوساط. وقد أظهر التجريب المختبري أن الأوساط القاعديةتيسر احتلال السليس للبنيات الطينية المهيكلة على نمط الميكا، كالإليت والفرميكوليت، الأمر الذي يأذن بالنزوع إلى الأطيان النفوخة (Dixon [et al.], 1982).

في مقابل التدهور المناخي المؤدي إلى التجفيف والذي يعد بالطبع سلبيا، فإن التحول إلى السمكتيت داخل الأتربة يعتبر في الغالب إيجابيا لأن الأطيان الجديدة هي الأفضل على الإطلاق والأكثر خصبا بالنسبة لزراعة الحبوب. أما وضعها النفوخ، الشديد التمدد والتقلص تبعا لأحوال الطقس المتقلب في المناخ المتوسطي، فإنه يجعلها غير مناسبة للغراسة الشجرية بالمرة.

أضف إلى ذلك أن نزعة التجفيف إن هي استفحلت، كما حصل في جل المناطق المغربية الزراعية خلال الفترات البيمطيرة للرباعي القديم والأوسط على الخصوص (الملوياتي والتانسفتي)، فإن تركز المحلولات الزائد من الكاتيونات القاعدية - الترابية يؤدي إلى أشكال من الترسب الصلب في التربة يجعلها تتسلح بأصناف القشرة الكلسية العاسفة في الطين الكاسحة له والمؤدية بالتربة إلى حالات التيبس والعقم القاضية.

وقد عرف الرباعي المغربي نوعا آخر من الانحباس أسهم بدوره في الرفع الكبير من مساحات الأطيان النفوخة. إذ حصل أن مختلف الأدوار الرباعية قد عملت على تقوية الشواطئ بسلاسل من الكثبان الرملية، عكفت المحاليل الكلسية على تحجيرها، ورفعت البنائية من مناعتها، فأصبحت مغاليق تُحكم الطوق على أهم السهول الساحلية. ومعلوم ما أدركته هذه الأحواض المغلقة من جاه اقتصادي،

مبني على ثرواتها الزراعية، خاصة في اللكوس والغرب ودكالة. وحتى وإن كان الانحباس هنا ذا طبيعة جيومرفلوجية وبنيوية، فإن التفاعلات الكيماوية المؤدية لتطوير الأطيان تبقى من نفس القبيل، لكن مع نشاط أكبر وإنتاج أسخى بكثير.

ففي حوض مثل الغرب على سبيل المثال، يؤدي الزخم الذي يتم به توافد الكاتيونات من كل صوب إلى السهل، الموجود هنا في المستوى القاعدي العام، وتعذر التصريف الخارجي، إضافة إلى معطيات المناخ التي ترفع تركيز المحاليل، إلى إغناء الأطيان بطريقة التحويل السالفة الذكر. لكن أسلوب التنشئة المطلقة لطين السمكتيت هو الأعم والأنشط في هذه الظروف، حيث تترتب عليه نتائج بيئية ذات فعالية هائلة. ذلك أن الفرز الآلي الذي تقوم به المجاري المائية، على أساس شبكة سبو، وحركية النظام الفيضي، يربط معظم الرمال والأطماء بمحاور الجريان ويرسب الأطيان معزولة في المنخفضات البينهرية. وأكيد أن التنشئة السمكتيتية تضاعف النسيج الدقيق وتزيد من عرقلة التصريف الخارجي فتفاقم ظروف الإغناء السيليسي الذي يزيد من الأطيان النفوخة حسب وثيرة تصاعدية مستمرة.

ويمكن لأتربة أنشئت على هذا المنوال أن تمتص مقادير ضخمة من المياه دون أن تسمح بنفاذها، مضاعفة حجمها، انتفاخاً عدة مرات، ومستحيلة إلى أثقل الأراضي الموحلة. لذا كان سهل الغرب في الماضي أرض المستنقعات والملاريا، وصار أرض خير وثراء بعد أن توفرت لحرثه الآليات الثقيلة القادرة على تحريك الطين المحتقنة وتأهيلها. ويبقى المرجع إلى أن السمكتيت، المقرون بالجفاف الفصلي المتوسطي، هو أساس بناء أتربة التيرس، أهم خزان للقمح وأساس الأمن الغذائي في بلادنا (الفاسي والبدراوي، 1996).

والغاسول، هو الآخر، ضرب من ضروب السمكتيت، يجمعه معها الانتفاخ في ظروف الميهة، لكنه ينتمي إلى قطب مغنيزي صرف، يكاد يكون خاليا من الألومين، وقدرة التبادل الكاتيوني فيه وبالتالي خصوبته متواضعان. وقد تَمّ إلحاقه بالستيفنسيت بعد التردد، بحكم أنها من فصيلة المونموريونيت المغنيزية الليتيومية (Agard et al., 1952 ; Michard, 1976 ; Pique, 1994). أما مظلة الانتساب المعدني فهي مادة ماحرارية، ذات أصل اختراقي إذن، في حين يدل الظرف التوضعي للغاسول على أنه سحنة رسوبية، يستحق التميز بل والتفرد باسم علمي نوعي : الغاسوليت (Caillère [et al.], 1982).

وتوجد أهم مواقع السمكتيت الرسوبية المتميزة في جيوب مقعرية نيوجينية قارية من مجال ملوية الوسطى، وهي معروفة عند ملقى الويدان، شمال غرب تاوريرت، وفي جبل الغاسول بين القصابي وميسور. يبدو أنها نتاج تراكمات متدرجة بين الهورية والمنقعية والبحيرية. تتوزع موادها بين الجبس والطين المنقعي والكلس البحيري، وقد تضم مستويات من اللغنيت من ضمن المسلسل التفحمي الضعيف.

كذلك الشأن بالنسبة لمنجم الغاسول الذي تكشف مقاطعه عن مستويات جبسية وصوانية من تحت مكمن الغاسول الذي ينتهي بتغطية صلصالية إلى كلسية بحيرية. ولون المعدن أسمر وملمسه شمعي، يميل إلى السواد عند التجفيف. يختص الغاسول بقدرته على امتصاص مقادير كبيرة من الزيوت، من ذلك كفاءته العالية الطبيعية كمادة منظفة.

يمكن أن نجمل استعمالات الأطيان الرسوبية في أنها ملازم حضاري للإنسان المغربي.

فرغم تطور وتنوع المواد المصنعة البديلة، بقي اللجوء إلى الأدوات الطينية راسخا كمادة طبيعية مفضلة. واستعمالها في المعمار أساسي. والتركيز على الآجر والقرميد، بالإضافة إلى بعده الجمالي، سلوك بيئي سليم يسمح بتخفيف الضغط على الغابة والبعد عن المغالاة في توظيف الإسمنت الاصطناعي.

صحيح أن حصر الخزفيات في الاستعمالات الفنية المتروكة للاستهلاك السياحي هو مؤشر غالب على العصر في كل مكان (الفاسي، 2000). لكن هناك ظروف محمودة تجعل المغاربة يحتفظون ببعض الاستعمالات النفعية القديمة على أنها موروث حضاري نفيس ومفيد. يأتي في مقدمة الأدوات التي لازالت مستعملة بتفاوت : خابية (الخليع) وقصعة (الكسكس) والطاجين على وجه العموم. ولا شك أن رسوخ هذه الاستعمالات راجع إلى كون الطاجين مثلا هو إناء التحضير والتقديم كما يدل في نفس الوقت على الوصفات الغذائية، بخصوصياتها المطعمية، بدون فصل ولا تمييز. هذا النوع من المرتكزات الحضارية هو ذاته الذي يضع كذلك الطين الغاسول، مع مواد أخرى مثل الكحل والحناء وغيرها من المشتقات الطبيعية، في سياق سلوك كفاية واستغناء، قوامه الشغف المندمج بأهمية وجمالية الصناعة وبكل متطلبات الذوق وكذا بالهاجس الصحي والتوازن البيئي.

على أن الطين يبقى أولا وأخيرا الرحم الأولى للحياة، ومبتدأ القرار المكين، والكتاب الدائم الذي يدون التاريخ الطبيعي للبلاد بلمسات رفيعة لا تكذب ولا تبلى.


إ. الفاسي وم. البدراوي، *التيرس*، *معلمة المغرب*، الرباط، الجزء 8، 1996 ؛ إ. الفاسي، *الخزف*، *معلمة المغرب*، الجزء 11، 2000 ؛ *الرباعي المغربي*، *معلمة المغرب*، الرباط، الجزء 13، 2001.

J. Agard [et al.], *Géologie des gîtes minéraux marocains*, Rabat, 1952 ; A. Michard, *Eléments de géologie marocaine*, Rabat, 1976 ; G. W Brindley and G. Brown, *Crystal structures of clay minerals and their x-ray identification*. 1980 ; S. Caillère [et al.], *Minéralogie des argiles. Masson*, Paris, 2 VOL., 1982 ; J.B. Dixon [et al.], *Minerals in soil environments. Soil Sc. Soc. Am.*, Madison, 1982 ; A. Pique, *Géologie du Maroc*, Rabat, 1984 ; D. Fassi, *Les formations superficielles du Saïs de Fès et de Meknès*, Rabat, 1999.


إدريس الفاسي

**الطيور**، تتميز الطيور ببنية هيكلية عظمية ملائمة للطيران وبقائمتين أماميتين تحولتا إلى جناحين وبجسم يكسوه ريش مختلف الأشكال والألوان حسب الأنواع. يقوم المنقار مقام الفم وهو قرني شديد الصلابة وخالٍ من الأسنان. يعرف تصنيف الطيور تعقيدا متراكبا نظرا لكثرة الأنواع وتشابهها في شتى الحالات. فهي تصنف إلى شعب وفصائل وأجناس وأنواع يفوق عددها 30,000 في العالم منها 350 نوعا تعيش بصفة منتظمة في المغرب وحوالي 100 نوع نادرة جدا.

يعرف ريش الذيل بالأفنيك ويلعب دورا هاما في تثبيت وتوجيه الطيران في الأجواء ويستعمل الريش الضيق والطويل على جانب الجناحين للطيران السريع. تتعرض معظم أنواع الطيور إلى نسول سنوي فيتجدد الريش ويتخذ ألوانا زاهية عند الذكور خلال فصل الإخصاب للجاذبية والإغراء الجنسي. يرجع اللون إلى أصباغ تحت جلدية خاصة. تتوفر معظم الطيور وخاصة منها المائية على الغدة الزمكية تقع على مؤخرة الجسم وتفرز دهونا خاصة بنشر هذه الزيوت على مجموع ريشه بمنقاره ليصير كتيما لا يؤثر عليه الماء. حرارة الدم ثابتة لدى الطيور وتتراوح عند معظم الأنواع بين 40 و42 درجة مئوية. يلعب الريش دورا هاما في مقاومة التغيرات الحرارية الخارجية. وفي حالة شدة الحرارة أو البرودة يقوم عدد كبير من أصناف الطيور بهجرات فصلية طويلة المسافة لتبحث عن الأماكن الملائمة لعيشها ثم تعود إلى أماكنها كل سنة وبهذه الطريقة تحافظ على حرارتها الدموية. معظم أنواع الطيور المهاجرة تأتي من أوربا عبر مضيق جبل طارق لتشتي في المغرب منذ بداية الخريف إلى أواخر فصل الصيف ثم تعود إلى موطنها الأصل للتوالد، أغلب المجموعات طيور مائية كالبط والإوز والتم والطيطوي والملاعقي والزقزاق ويفوق عدد الأنواع المهاجرة في المغرب 150. وهناك أيضا مجموعات من الطيور تأتي من إفريقيا إلى المغرب في فصل الربيع والصيف كاللقالق والسنونو وخطاف الشعر والسماني. تقطع الطيور مسافات الهجرة على عدة مراحل لتستريح ثم تواصل طريقها نحو المكان التي تعودت العيش فيه كل سنة، يبلغ معدل المسافة في كل يوم 200.500 كلم. ويبلغ ارتفاع طيران الإوز 9 كلم. يقوم مركز وضع الخواتم للطيور المهاجرة بدراسات مستمرة لمشاهدة الأنواع المهاجرة عبر التراب الوطني مع وضع الخواتم لبعض منها لاستنتاج المسافات المقطوعة ونمط العيش. يحمل الخاتم أرقاما تتعلق باسم مركز وضع الخواتم وتاريخ وضعها على قوائم الطائر ويوجد مقر المركز بالمعهد العلمي بالرباط.

يختلف شكل وحجم المنقار حسب العادات الغذائية فهو قصير مخروطي لدى آكلات الحبوب كالدجاج والدريس والجاوش، أو طويل ممحص لدى الأنواع التي تبحث عن الأكل في الوحل والبحيرات كالزقزاق وبيبيط ومالك الحزين، أو مسطح وعريض لدى الإوز والبط والملاعقي، أو معقوف شديد الصلابة عند الصقور والبزاة والنسور.

تتميز الطيور عادة بحدة وقوة البصر بواسطة التحدب البارز لقرنية العين التي تمكن الطائر من تمييز الأشياء على بعد مسافات كبيرة. صيوان الأذن على شكل ثقب جانبي بسيط مغطى بالريش ومسمع الطيور غاية في الحدة تدرك الأصوات وتغريد الطيور على بعد مسافات كبيرة. تعتبر حاستا الذوق والشم أقل تطورا عند الطيور مقارنة مع حاستي السمع والبصر. الفم بدون أسنان ويليه بلعوم منتفخ على شكل خزان يعرف بالحوصلة يتم فيها إعداد الأكل وتليينه قبل أن يبلغ المعدة المقسمة إلى تجويفتين.

تعد رتبة الجواثيم أكبر رتب الطيور عددا حيث تضم ثلاثة أخماس مجموعة الطيور كلها، مقاييسها متوسطة وصغيرة جدا كالدريس وأبي الحناء والصعوة والخطاف والدوري والسمنة والشحرور. أغلب الأنواع تغرد في فصل الحرارة فقط.

تضم رتبة العوادي في المغرب نوع النعامة فقط يدعى علميا Struthio camelus ورغم توفره على أجنحة فهو لا يستطيع الطيران إلا أن سرعته في العدو تبلغ أحيانا 50 كلم في الساعة.

تتميز رتبة الدجاجيات بأجنحة قصيرة باستثناء السماني. تكيفت قوائمها الخلفية القصيرة مع المشي والركض. المنقار قصير وقوي، طرفه العلوي أطول من الطرف السفلي. تتوفر الذكور على صيصة فوق الأصبع الخلفي تستعمل للدفاع والهجوم. تتميز الديكة بريش زاهي الألوان. منها التدرج والطاووس والحبارة والحجل.

تضم مجموعة الكواسر الطيور الكبيرة الحجم منها رتبة الصقور والبزاة ورتبة البوميات أو الكواسر الليلية. معظم أنواع الكواسر لاحمة نشالة، لها منقار قصير ومعقود وتتكون القوائم من أربعة أصابع تنتهي بمخالب مقوسة متفاوتة الطول. تستعمل للقبض على الفريسة والاحتفاظ بها. والنسور من الكواسر إلا أنها تقتات من الجثث لأن المخالب ضعيفة لا تقوى على الاحتفاظ بالفريسة الحية، تتعدى بسطة الجناحين مترين.

تتميز مجموعة الطيور طويلة الساق بقوائم طويلة لها أصابع ملتحمة فيما بينها بغشاء سباحي متفاوت التطور حسب الأنواع، العنق والمنقار طويلان يساعدان على اصطياد الحيوانات الصغيرة التي تعيش في الأوحال والمستنقعات والبحيرات والشواطئ. من أشهر الأنواع النحام وأبو ملعقة واللقلق والكروان وبوقصيبة والزقزاق والطيطوي.

تتميز كفيات القوائم بمنقار مسطح يتوفر على رقاق جانبية مقرنة يقوم بتصفية الأكل وعلى ذيلها غدد تحت جلدية تفرز مادة زيتية تجعل الريش كتيمة. تنتهي القائمتان بأربعة أصابع، ثلاثة منها ملتحمة بغشاء سباحي والرابع الخلفي حر. تضم هذه المجموعة الإوز والتم والبط والنورس

وهي من القواطع تألف الشواطئ والبحيرات ومصبات الأنهار. ويعتبر الطائر الأطيش الشائع Sula Bassana من الطيور البحرية الغطاسة فهو يغطس عموديا في أعالي البحار إلى أعماق تتعدى أحياناً 6 أمتار ليمسك الأسماك بمنقاره. وهو شائع في الشواطئ الأطلسية المغربية خلال فصل الخريف والصيف ويتوالد في فصل بشمال أوروبا. يستريح ليلا على الصخور الساحلية ويقضي النهار في أعالي البحار بحثا عن الأسماك.

م. رمضاني، *تيبيبط*، *معلمة المغرب*، الجزء، 8، ص. 2655 ؛ م. رمضاني، *البلبل*، *معلمة المغرب*، الجزء 4 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932 ؛ الموسوعة الحديثة، *عالم النباتات والحيوانات*، سيلكا - سويسرا، 1990.

S. Aulagner & M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc. Trav. Inst. Sci., série Zoologie n° 41*, Rabat, 1986 ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with north Africa and the Middle east*, London, 1979 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussin d'Europe en couleur*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

ابن **الطيّب** (قرية -) قرية تقع بقبيلة تافرسيت ولم يستطع الجيش الاسباني الاستيلاء عليها إلا يوم 25 ذي القعدة 1338 / 10 غشت 1920 حيث جعل منها مركزاً عسكرياً مكنه من احتلال انوال، غير أن الوجود الاسباني بالقرية المذكورة لم يتعد السنة كلها لأن المجاهدين المغاربة استطاعوا اقتحامه غداة سقوط انوال يوم 15 ذي القعدة 1339 / 21 يوليوز 1921 ؛ وفي يوم 28 ذي القعدة 1340 / 23 يوليوز 1922 تمكنت القوات الاسبانية من احتلال القرية مرة ثانية وجعلت بها إدارة المراقبة طيلة مدة الحماية.

والجدير بالذكر أن رئيس الحكومة الاسبانية الجنرال پريمو دي ريفيرا عندما قرر الانسحاب عن بعض المراكز الامامية توجه في شهر يوليوز 1924 إلى قرية ابن الطيب حيث كانت توجد الثكنة الرئيسية لفرقة اللفيف الاجنبي ليخبر رئيس هذه الفرقة الكولونيل فرانكو Franco بقراره، فكان جواب هذا الأخير أن اللفيف غير مستعد لتنفيذ قرار الجلاء، وهذا ما جعل الجنرال دي ريفرا يعدل عن تنفيذ فكرته فيما يخص ناحية الگرت.

Comisión histórica, *Geografía*, p. 482-484.

محمد ابن عزوز حكيم

**الطيّب، إدريس** من مواليد سنة 1926 ببني زروال. انخرط في صفوف جيش التحرير بمركز جنان ماس تحت إمرة ابّالبقال وقد شارك في عدة هجومات استهدفت ضرب مصالح المستعمر إلى أن جاء الاستقلال فالتحق بصفوف القوات المسلحة الملكية. توفي بتاريخ 17 أكتوبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 516448.

ابن الـطيبي، **علال** بن **محمد**، ولد سنة 1935 بمنطقة السراغنة، التحق بصفوف المقاومة بالدار البيضاء، شارك في تنفيذ عدة عمليات، القي عليه القبض بمسجد عين الشق بالدار البيضاء، بتهمة المشاركة في صفوف المقاومة، فسجن، كان يقوم بتوزيع المناشير ونقل الأسلحة. توفي بتاريخ 18 دجنبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 405441.

**طِيِـنْدا أرطيث، خـوليـو** Tienda Ortiz, Julio مستعرب، كان من كبار موظفي إدارة الحماية الإسبانية بشمال المغرب حيث لعب أدواراً خطيرة منذ أن عين ترجماناً بالقصر الخليفي يوم 8 ديسمبر 1925 لكي يكون على اطلاع مباشر بما يجري بالقصر الخليفي إبان اعتلاء الأمير مولاي الحسن بن المهدي العلوي كرسي الخلافة بتطوان، وفي يونيو 1927 ثم نقله إلى نيابة الأمور الوطنية حيث شغل منصب رئيس مصلحة الأملاك المخزنية وذلك إلى أن عين مراقبا بناحية تطوان سنة 1932 وبناحية العرائش في السنة التالية ؛ وفي يوليوز 1935 عين خليفة لنائب الأمور الوطنية مكلفا بالعلاقات مع الحركة الوطنية من جهة ومع الصدارة العظمى بالحكومة الخليفية حيث كان يصادق على القرارات الوزيرية للصدر الأعظم.

وكان من مساندي الانقلاب العسكري الذي أطاح بالجمهورية الإسبانية في شهر يوليوز 1936، ورغم ذلك فعندما ثبت عليه أنه كان ينتمي إلى منظمة الماسونية أعفي من منصبه يوم 17 فبراير 1937 فغادر تطوان.

*أرشيف ابن عزوز حكيم بتطوان.*

*Videmecum de 1936.*

محمد ابن عزوز حكيم

# ظ

**الظربان**، والدلدل والدلدول ونيص وشيظم وشيهم كما هو في المعاجم، حيوان ثديي ليلي النشاط من رتبة القوارض Rongeurs وأكبرها حجما ومن فصيلة الشياهم Hystricidae، يحمل على ظهره شوكا كأنه المسال. يسمى علميا Hystrix cristata وبالفرنسية Porc épic à crète وبالإنجليزية Porcupine. يسمى في المغرب ظربان وضربان وعتيرس الرمل في المناطق الصحراوية الجنوبية وتاروشت بالأمازيغية وفي الجزيرة العربية نيص وفي السودان أبو شوك ويقال له أيضا القنفذ في بعض أنحاء سوريا ولبنان إلا أن القنفذ حيوان أصغر منه حجما ومن آكلات الحشرات Insectivore.

يوجد في العالم عشرون نوعا منها الظربان الهندي Hystrix indica وظربان بورنيو Trichys borneo والظربان المقنزع Hystrix cristata الذي يعيش في المغرب وفي مناطق شمال إفريقيا.

يتميز الظربان المقنزع عن سائر الأنواع بخصلة صغيرة من الشعر الحريري الطويل بيضاء على رأسه، قوائمه قصيرة تنتهي بأظافر قوية تساعده على حفر الغيران التي يعيش فيها طول النهار. الأذنان قصيرتان لا يتعدى طولها 4 سم، لون الجسم كستنائي. يغطي ظهره شوك طويل، مرن على الرأس وعلى النصف الأمامي من الظهر وقوي ونعوظ موجه إلى الخلف على مؤخرة الجسم والذيل. الشوك كستنائي وأبيض بالتتابع ويحمل غالبا خمس إلى عشر حلقات بيضاء فاتحة. صيغة أسنانه كالتالي :

1 / 1 أسنان، 0 / 0 أنياب، 1 / 1 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 20 سنا.

يتراوح وزن الكبار ما بين 10 و15 كيلوغراما ويبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 65 ـ 85 سم وطول الذيل 12 ـ 17 سم.

يتكون غذاؤه من العساقيل ومن البصلات المختلفة والنباتات والفواكه والخضر. يفضل العيش في المناطق الجافة المجاورة للحقول المزروعة وخاصة منها خواصر الجبال ذات الكسور. وهو شائع في المناطق الجافة وشبه الجافة المغربية وخاصة منها مناطق هضاب كمكم وحمادة غير ودرعة وغير موجود في المناطق الصحراوية المغربية الجنوبية. يعيش أيضا في إفريقيا وفي الجزيرة العربية.

الظربان حيوان لطيف يسهل الاقتراب منه ؛ يفضل العزلة وغالبا ما يعيش منفردا، يقضي نهاره بداخل غار عميق يحفره بأظافره ويخرج ليلا ليبحث عن الأكل وهذا النشاط الليلي يجعل منه حيوانا مجهولا عند العامة. أسنانه الطويلة والقوية تساعده على قضم مختلف العساقل الصلبة.

تدوم مدة الحمل 63 ـ 65 يوما وتلد الإناث صغارا مفتوحة العينين يتراوح عددها بين 1 ـ 4، تصير بالغة بعد سنة وتعمر حوالي 15 سنة.

من بين الإشاعات المعروفة عن الظربان أنه يلقي بأشواكه على أعدائه للتخلص منهم. والواقع أن بعض أشواكه المسنة تزول بسهولة من جسمه كلما ارتجف أو احتك بحاجز أو عدو له.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc, Les Mammifères. Albums didactiques*, Rabat, 73 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc. Trav. Inst. Sci. Série Zoologie, n° 41*, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

**الظّـريف**، أسـرة تطوانيـة أصلهـا من الأندلس حـيث مـازالت هناك أسر إسبانيـة تحمل اسم Atarfe وهو اسم قرية كانت بأحواز غرناطة المسلمة تعرف بقرية الظرف.

والفرد الوحيد من هذه الأسرة التي تذكر الوثائق هو :

الظريف علي الذي كان أسيرا بفرنسا يحمل رقم 7313. ألقي القبض عليه سنة 1104 (1693) وقد وافته المنية بمدينة قادس يوم 27 ربيع الثاني 1114 (20 سبتمبر 1702).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 835.

محمد ابن عزوز حكيم

**الظل**، ظاهرة طبيعية تنتج عن حجز الأشعة بجسم معتم مـا ينتج عنه نقص في الحرارة والضوء، مـثل ظل جدار أو شجرة أو جبل. استعمل المغاربة منذ القديم تغير ظل جدار أو عصى كمقياس للزمن في النهار وذلك في غياب ساعة آلية أو رملية أو مائيـة. واستغلوا هذه الظاهرة في المـزْوَلة وهي ساعة شمسية لقياس الوقت نهارا، تستعمل خاصةَ لتحديد أوقات الصلاة، إذ تقسم النهار إلى أقسام متناسبة فـيما بينها، سواء طال النهار صيفا أو قصر شتاءا، وبذلك يحددون خاصة أوقات صلاة الظهر والعصر.

لكن الكلمـة الأمـازيغـيـة التي تعني الظل وهي "أملو" كانت واسعة الانتشار خاصة في المناطق الجبلية إذ تطلق على السفح الظليل المقابل للشمال أو الغرب، المحمي جزئيا من أشعة الشمس القادمة من جهة الجنوب بالمغرب بناء على موقعه الجغرافي بالنسبة لخطوط العرض. ويكون السفح الظليل عادة أكثر برودة ورطوبة، كما يتأخر به ذوبان الثلوج بالجبال العليا والمتوسطة، ولهذا يبقى مجالا غابويا يستغل في الرعي وجمع الحطب والخشب، وقلما تستقر به القرى لنفور السكان من قساوة برودته شتاء "أصميد". يقابله السفح المشمس أي الشميس المعروف في جبال الأطلس الكبير بـ"أنامر" وبالأطلس الكبير الأوسط والشرقي والأطلس المتوسط بـ"أسامر". وقد استعملت كلمة الظل "أملو" في المصطلحات الجغرافية بالمغرب لتعني السفح الظليل UBAC يقابلها السفح المشمس ADRET. وإلى جانب عشرات القرى الجبلية المعروفة بـ"أسامر" أو "أنامر" فإن كلمة الظل "أملو" تطلق على بعض الأماكن خاصة بالجبال وهوامشها وبعض القرى، وقد ارتبطت كذلك بقبائل مثل أيت أمالو من برابرة الأطلس المتوسط، كما أطلقت على فصائل بربرية مهاجرة من بلاد صنهاجة "إزناكن" بالمنحدرات الشرقية لجبل سيروا وحواشي جبال صاغرو وأوگنات، إلى سفوح الأطلس المشرفة على سهل تادلة، خاصة المجموعة التي استوطنت في القرون الأخيرة حوض "واويزغت". وقد ارتبط الإسم ببعض القبائل دون مراعاة موضع استقرارها هل بالسفوح الظليلة أو الشميسة، كما أطلقت على أماكن عديدة بمناطق الدير والأحواض مثل "أمالو ن إغريبن" أي ظل الغرباء بالضواحي الشرقية لمدينة خنيفرة.

*كتب جغرافية المغرب، وبحوث متنوعة، واستطلاعات وبحوث ميدانية.*

أحمد هوزالي

**الـظـهرة**، يطلق هذا الاسم على منطقة شاسعة تمتد في شرق المغرب وغرب الجزائر بين سلسلة جبال جرادة - تلمسان شمالا وسلسلة جبال الأطلس الكبير الشرقي - الأطلس الصحراوي جنوبا. وفي الواقع قد يتباين امتداد هذه الوحدة الجغرافية اصطلاحا حسب الأفراد إلا أن استقصاء السكان المحليين الذين يرتحلون باستمرار داخلها وحولها يظهر إجماعا على المدلول العام المتداول وهو كل الأرض التي تحدها الحلقة المكونة من المرتفعات الممتدة في هوامش الهضاب العليا في شرق المغرب. وتتداول الحكايات والأساطير حول أصل هذا الاسم، غير أن مدلوله اللغوي يعكس بوضوح طبيعة السطح الذي يطلق عليه، فحتى وإن كانت بالضاد فإن "الضهر هو بقعة في الجبل يخالف لونها سائر لونه" أو "خلقة في الجبل تخالف جِبلّته" أما بالظاء فالظّهر من الأرض "ما غلظ وارتفع" وقد كان العرب يميزون بين قريش البِطاح (المنخفضات) وقريش الظواهر (المرتفعات).

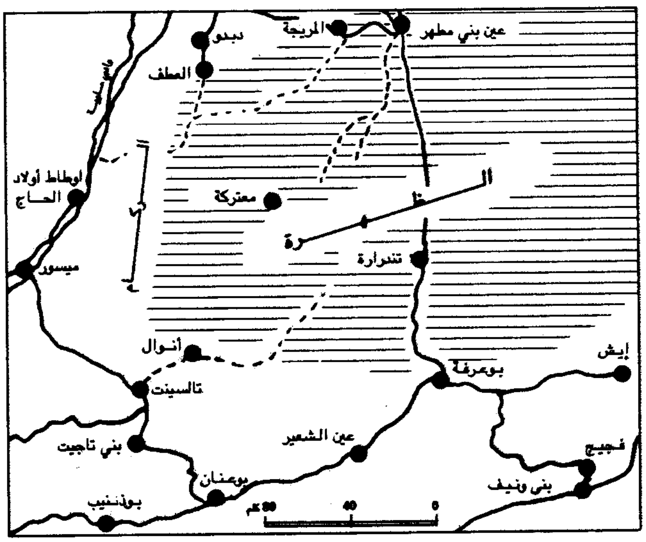


وردت كلمة الظهرة مقرونة بالصحراء في كتابات تاريخية نظرا لقحولة مناخها وندرة السيلان في أوديتها

القليلة وذات التصريف الداخلي نحو الشطوط باستثناء القلة منها مثل وادي زا (الشارف ثم الحي في العالية) الذي يصعب على الكثير من روافده إيصال مياهها إلى السافلة بسبب ضعف انحدارها وهذا ما يميز المنطقة عموما إذ ينذُر فيها التضرس أمام الانبساط الشديد الذي يمتد عشرات الكلمترات. ونتيجة لهذه الظروف المناخية والهدرولوجية لا يكسو الظهرة سوى تعاشيب من الحلفاء والشيح وشجيرات سهوبية من السدر لا تنتشر بها سوى بعض أشجار البطم المتبقية في بطون الأودية وقد استقطبت منذ القدم قبائل رعوية أمازيغية قبل أن تلتحق بها أخرى عربية بقطعانها من الغنم والماعز والإبل وقد عُرفت هذه المنطقة ولازالت بجودة لحوم غنمها من سلالة "بني گيل" المسماة محليا "الدغمة" وخيلها العربية الأصيلة الجميلة، وكذلك الكم الوفير خلال السنوات المطيرة.

تتنقل وسط الظهرة بالتراب المغربي قبائل عربية أهمها بنو گيل في الجنوب وبنو مطهر وأولاد سيدي عبد الحاكم وأولاد سيدي علي بوشنافة وأولاد سيدي امحمد بن أحمد في الشمال بينما ترعى في هوامشها قبائل أمازيغية وعربية وهي أيت سغروشن في الجنوب الغربي وأولاد الحاج في الغرب وأولاد عمرو في الشمال الغربي وأولاد بختي وبني يعلا والمهاية في الشمال. وكانت هذه القبائل تتحالف أحيانا وتتصارع أحيانا أخرى فكانت لشرفائها أدوار في المفاوضات وإبرام الصلح والتأطير الديني بفعل نشاط الزوايا المختلفة (القندوسية والكرزازية والدرقاوية والطيبية الوزانية)، وقد لعبت الظهرة التي أفرزت المرينيين دورا في مقاومة الاستعمار وإيواء رموزها أمثال الشيخ بوعمامة.

أما تنقلات هذه القبائل فتحكمها ظروف الأمن ووفرة الكلأ والماء فلم تُفرز تجمعات سكنية تذكر إلا مع أوائل القرن العشرين حيث أقامت السلطات الاستعمارية الفرنسية مراكزها للمراقبة فظهرت تندرارة بسوقها الكبير وبوعرفة بمنجمها ونمت عين بني مطهر حول قصباتها بسوقها على الطريق الرابطة بين وجدة وفجيج وأصبحت المريجة ومعتركة وأنوال مراكز صغيرة بعد أن كانت مجرد نقط ماء للماشية. ومع التحولات المجالية الاجتماعية الحديثة تغيرت ظروف تربية الماشية بتعديد نقط الماء والتنقل بالشاحنات واستعمال الأعلاف المجلوبة فأصبح الرعي جائرا بضغطه الحاد على الموارد الكلئية مما أدى إلى تدهور كبير لمراعي المنطقة مع تنامي تصحرها الذي ساهم فيه الاجتثاث القوي للحلفاء التي كانت تصدر بكثافة لأغراض صناعية، رغم العديد من المحاولات التنموية.


م. غزال، *مظاهر تحول الحياة الرعوية في الهوامش الشمالية من الهضاب العليا الشرقية المغربية (عين بني مطهر)*، د.د.ع الرباط، 1987.

A. Cour, *Notes sur la région de Berguent*, *B.S.G.A.O.*, 1909 ; J. Despois & R. Raynal, *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest*, Paris, , 1975 ; A. El Harradji, *Aménagement, érosion et désertification sur les Hauts Plateaux du Maroc Oriental*, *Méditerranée* n° 1-2, 1997 ; M. Hlal, *Elevage et sédentarisation sur les Hauts Plateaux steppiques de l'Est Marocain, étude géographique*, t. 3° cycles, Univ. Tours, 304 p., 1983 ; H.-M.-P. De La Martinière & N. Lacroix, *Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest Africain*, Alger ; R. Paskoff, *Les Hautes Plaines du Maroc Oriental : la région de Berguenn*t. *Les Cahiers d'Outre-mer*, Bordeau, XX, n° 37, 1957 ; B. Tag, *Des mutations agro-pastorales à l'urbanisation dans le Maroc Oriental*, T. Etat. Univ. Toulouse, 1987.


عبد الرحمان الحرادجي

**ظهر القيطون**، فج يقع بقبيلة بني يدر الجبلية، يقول عنه المؤرخ الإسباني كاخيگاس Cagigas بأنه هو الذي يعرف في المصادر المغربية القديمة باسم فج الفرس الذي قتل به السلطان المخلوع الشيخ المامون السعدي على يد المقدم أبي اللف يوم 26 رجب 1022 موافق 10 سبتمبر 1613 انتقاماً منه على تسليمه العرائش للإسبانيين سنة 1610.

وبهذا الفج جرت يوم 14 يناير 1920 معركة كبيرة بين المجاهدين والجيش الإسباني.


Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*.


محمد ابن عزوز حكيم

**ظهير**، الظهير في اللغة العربية هو العون، والتظاهر هو التعاون، والاستظهار بالشيء الاستعانة به. من ذلك قول الله عز وجل في سورة البقرة، 85 : "ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان". وفي الإسراء، 88 : "ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا". وفي الفرقان، 55 : "وكان الكافر على ربه ظهيرا". وفي القصص، 48 : "قالوا ساحران تظاهرا". وفي الأحزاب، 26 : "وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم". وفي سبأ، 22 : "وما له منهم من ظهير". وفي الممتحنة، 9 : "إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم". ولا غرابة أن يكون الأمراء الموحدون هو الذين تمسكوا بهذا المصطلح المتردد بكل صيغه في القرآن ليشيروا به إلى ما يصدر عنهم من القرارات لأصحابهم وأعوانهم، ولغيرهم من أفراد الرعية على وجه الإنعام جزاء لهم ورضى عنهم، أو على وجه الاستظهار بالكتاب في شؤون الدولة أو الشؤون الخاصة. وكانت تلك القرارات السلطانية تسمى قبل العهد الموحدي "صكا" أو "سجلا"، حتى إذا كانت ثورة المهدي محمد بن تومرت على المرابطين، وخلفه عبد المومن بن علي وأبناؤه، انكب هؤلاء على ترتيب أجهزة الدولة المغربية ترتيبا ملتزما أشد ما يكون الالتزام بمقتضيات الشريعة. ومن ذلك إطلاق لفظة الظهير على ما يصدر من الأوامر والأحكام المخزنية. قال صاحب *صبح الأعشى* : "واعلم أنهم يعبرون عما يكتب في جميع ولاياتهم بالظهائر، جمع ظهير، يفتتحونه بلفظ هذا ظهير..." وقال في مقطع آخر : "وكانوا يعبرون عما يكتب من ذلك بالظهائر والصكوك. فالظهائر

جمع ظهير، وهو المعين، سمي مرسوم الخليفة أو السلطان ظهيرا لما يقع به من المعاونة لمن يكتب له. والصكوك جمع صك وهو الكتاب [...] ثم تحامى المتأخرون منهم لفظ الصك لما جرى به عرف العامة من غلبة استعماله في أحد معنيي الاشتراك فيه، وهو الصفع، واقتصروا على لفظ ظهير". بيد أن معاجم اللغة العربية ظلت تتغافل عن هذا المعنى السياسي للفظ الظهير. لكن المعاجم اللغوية الأوربية سرعان ما وقفت عليه وأثبتته. فقد جعل الراهب القطلاني رايموندو مارتين، في القرن الثالث عشر من الميلاد، في معجمه اللاتيني العربي، لفظ ظهير مرادفا للفظ privilegium. واقتفى أثره في ذلك صاحب القاموس العربي الإسباني بيدرو دي ألكالا، في القرن الخامس عشر، قائلا بأن الظهير هو privilegio. وقد شرح هذا اللفظ المستعرب الهولاندي دوزي Dozy في القرن التاسع عشر، قائلا بأن معناه brevet وprivilège. أما الأمثلة على استعمال لفظ ظهير في العهد الموحدي في مجال نفوذهم على الضفتين، فأكثر من أن تحصى. ويكفي الرجوع إلى بعض الرسائل الموحدية، لنقف مثلا على ظهير صدر لدير من الرهبان سنة 614 هـ جاء فيه : "هذا ظهير كريم أمر به أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين [...] أيدهم الله بنصره وأمدهم بعونه لرهبان بوبلات التي بجهة لاردة وفقهم الله وسددهم وأنار بصائرهم وأرشدهم وجعل ما يقرب من رحمة الله معتملهم ومعتمدهم، أباح به لماشيتهم وللقائمين عليها أن لا يذادوا في بلاد المسلمين في زمن حرب أو سلم عن مكرع ولا مرعى، رعيا لما سعوا له وانتدبوا إليه من المآخذ الذي حبسوا له أنفسهم والمسعى..." وتلك هي الصيغة العامة التي ستسير عليها الدول المتعاقبة على الحكم في المغرب بعد الموحدين في كتابة ظهائر الإنعام والتوقير، أو التولية والإلزام، لا اختلاف فيها إلا بحسب بضاعة الكاتب من الأدب الرفيع ومقام المكتوب له بالأمر السلطاني. ولاغرو أن أرقى ما نقف منه على ذلك هو ما كتب بقلم ابن الخطيب في العهد المريني، أو بقلم الفشتالي في العهد السعدي. وسار العلويون على هذا النهج، إلى أن اشتد الضغط الاستعماري الأوربي في القرن التاسع عشر، وصار الملوك في حاجة إلى إبرام المعاهدات والأوفاق مع الدول الأوربية مثل وفق مدريد سنة 1880 فيصدرون الظهائر التنظيمية بشأنها، كما كانوا يخبرون الرعية بما يتهدد البلاد من الأخطار، فيكتبون بذلك ظهائر تتلى على الجمهور في المساجد، من باب الإشعار والتنبيه والاستشارة، فيكون الظهير عبارة عن صحيفة تخطر الولاة والرعية بما يقوم به السلطان من الأعمال، وأين يوجد في البلاد إذا كان في "حركة" يتفقد جهة من الجهات يمهدها ؛ بحيث كان الظهير هو النطق الرسمي بكل ما يصدر عن الإمام من الأقوال والأفعال في حدود مسؤوليته السلطانية التي هي مسؤولية تنظيمية وليست تشريعية، إذ الشرع منزل ولا يمكن التصرف بمقتضياته إلا بالرجوع إلى أولي الفتيا، مثلما حصل في عهد سيدي محمد بن عبد الله في القرن الثامن عشر، عندما لجأ إلى الاستفتاء لفرض المكوس التي كان بعض العلماء يعتبرونها غير شرعية، ومثلما فعل المولى حسن سنة 1886، حينما استفتى العلماء في تصدير الحبوب والقطاني والدواب التي كان تجار أوربا يلحون في تسريحها لفائدتهم. ويوم جاء الفرنسيون بأول مشروع لفرض حمايتهم على المغرب سنة 1905، دعا السلطان المولى عبد العزيز أولي الحل والعقد للاجتماع في فاس للنظر في الأمر، فكان الجواب بالرفض. مما زاد الفرنسيين المتربصين يومئذ باستقلال المغرب يقينا من أن الضغط على السلطان بمفرده أيسر من الضغط على النخبة السياسية أو على الشعب المغربي قاطبة. ولذلك جاء استعمار البلاد عن طريق الحماية، فإنه دخل من جهة القمة. ولذلك تعمدت السلطات الاستعمارية إضفاء صبغة التشريع المطلق على ما صارت تستصدره من الظهائر السلطانية لتتصرف بإدارة البلاد، مراقبة صدورها فلا تصدر إلا مقرونة بتوقيع المقيم العام. ولما صار السلطان هو مصدر القانون العام، كان لزاما أن تسند السلطة التنظيمية للصدر الأعظم ولمن يعمل تحت إشرافه المبدئي من مغاربة وفرنسيين. وهكذا صدرت الظهائر التشريعية الكبرى طيلة الحماية، وهي التي ألبست البلاد لباس الحداثة وأدخلتها عالم المعاصرة في مختلف الميادين، كما يشهد بذلك صفحات الجريدة الرسمية من سنة 1912 إلى 1956. وسارت إسبانيا على هذا النهج أيضا في منطقة نفوذها، مستصدرة من خليفة السلطان في تطوان ظهائر التشريع التي كانت تنشر في جريدة رسمية خاصة بالمنطقة من 1927 إلى 1956. بحيث كان الظهير عند استرجاع الاستقلال هو الوعاء الذي يستبطن إرادة الدولة سواء في ذلك إرادة عاهل البلاد أو إرادة مختلف الإدارات أو إرادة الأمة التي كانت معركة الاستقلال قد أوصلتها إلى درجة من النضج جعل العرش بلسان محمد الخامس يتعهد لها بإشراكها في تسيير الشأن العام عن طريق الانتخاب. وشرع الملك والأحزاب الوطنية في الحين في بناء نظام ملكية برلمانية قائمة على دستور يتبناه الجميع. ولكن الوعد الملكي لم ينجز إلا بعد تربع الملك الحسن الثاني على العرش. وهو الذي استفتى الشعب عبر التصويت المباشر الشامل في دستور دجنبر 1962. وهذا الدستور هو الذي حدد معالم الملكية البرلمانية المغربية في ما هي عليه إلى يومنا من توزيع السلط بين تشريعية وتنفيذية وقضائية، وإسناد مسؤولية الإشراف على سيرها وتعاملها للملك بصفة كونه أميرا للمؤمنين وحامي حمى الملة والدين، محتفظا له بسابق مسؤولياته في النسق الإسلامي، ومعلنا أن الظهير هو وعاء كل نطق ملكي، سواء في حل البرلمان أو عند ضرورة إعلان حالة الاستثناء، أو في تعيين الوزراء والسفراء وكبار موظفي الدولة، أو بالأحرى في قيادة القوات الملكية المسلحة التي هي من مسؤولياته الدستورية. أما السلطة التشريعية،

فإنها تعبر عن قراراتها بالقوانين، بينما السلطة المكلفة بتنفيذ القوانين تفعل ذلك بواسطة المراسيم والقرارات الوزارية. وقد جرى تعديل الدستور سنة 1972 ثم سنة 1996، وتغيرت فيه بعض المقتضيات دون أن يتغير شيء من سلطة الملك الذي يقول الفصل 29 منه بأن الملك يمارس مسؤوليته بواسط الظهائر، فهي تختزل لفظا ومعنى ما كان للعاهل من النفوذ قبل القرن العشرين وما اكتسبه من ذلك في فترة الحماية التي كانت فترة وضع بنيات الدولة العصرية التحتية، ثم بعد استرجاع الاستقلال يوم صارت البنيات الفوقية للدولة تقام وقواعد النظام النيابي في البلاد ترسى على جميع المستويات.

م. أشركي، *الظهير الشريف في القانون العام المغربي*، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1980 ؛ م. ابن شريفة، *من ألفاظ الحضارة في الأندلس والمغرب، كلمة ظهير مثالا*، الأكاديمية، العدد 14، 1998، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

إبراهيم بوطالب

**الظهير البربري**، هو الظهير الذي صدر يوم 8 محرم 1349، الموافق ليوم 16 ماي 1930، استصدرته سلطات الحماية الفرنسية لإقامة قضاء عرفي خاص بالقبائل البربرية بقصد عزلها عن باقي سكان البلاد الخاضعين للقضاء الشرعي، فأقامت محاكم عرفية للنظر في قضايا الأحوال الشخصية والمعاملات وفي المجال الجنحي، وأسندت النظر في القضايا الجنائية للمحاكم الفرنسية. وجاء هذا الظهير متمما لظهائر سابقة ولسلسلة من القرارات الرامية كلها إلى العمل بخطة "فرق تسد" بين سكان المغرب الناطقين بالأمازيغية والآخرين الناطقين بالعربية. لكن الجماهير المغربية المتمثلة في الحركة الوطنية الناشئة والمسندة من الرأي العام الإسلامي عبر العالم كله سرعان ما أرغمت سلطات الحماية على التراجع عن أخطر ما ورد في الظهير باستصدار ظهير أبريل 1934 الذي عاد بالقبائل الأمازيغية إلى حظيرة المحاكم الشرعية. فما هي أصول تلك المكيدة التي انقلبت على مدبريها وكيف استطاعت الحركة الوطنية الفتية إبطال مفعولها ؟

كان للمسؤولين عن الاستعمار الفرنسي تجربة طويلة بسياسة التفرقة لإرساء هيمنتهم على مختلف المجتمعات التي ألحقوها بإمبراطوريتهم، سواء في إفريقيا الشمالية أو في إفريقيا جنوب الصحراء، وسواء في الهند الصينية أو في مدغشقر. ففي الجزائر، راموا عزل منطقة القبائل الناطقة بالأمازيغية عن باقي السكان الناطقين بالعربية. وفي السودان الغربي وإفريقيا الاستوائية، ضربوا قبيلة بأخرى وزاوية بزاوية والمسلمين بغير المسلمين. وفي مدغشقر، حرضوا الأقليات على أغلبية قبائل الهوف. وكذلك في المغرب، فإنه لم تمض سنتان على عقد حمايتهم عليه حتى استصدروا من السلطان المولى يوسف ظهير 20 شوال 1332 الموافق ليوم 11 شتنبر 1914 لتمييز القبائل البربرية عن باقي الساكنة الناطقة بالعربية. وذلك أول ظهير بربري، في فصلين فريدين جاء في أولهما : "إن القبائل الموجودة بإيالتنا الشريفة تبقى شؤونها جارية على مقتضى قوانينها وعوائدها الخصوصية تحت مراقبة ولاة الحكومة". وجاء في الثاني : "تصدر قرارات من الصدر الأعظم بعد الموافقة مع الكاتب العام لدى الدولة الشريفة في تعيين القبائل المتبعة للعوائد البربرية كما يقع تعيين ما ينطبق على تلك القبائل والقوانين والضوابط الصادرة بها والسلام". وانكبت سلطات الحماية بعد ذلك على استجلاء أخبار القبائل البربرية وأحوالها، وعلى تدوين أعرافها بقصد إحيائها، فأحدثوا مجلة تحت عنوان *"الأرشيفات البربرية" Archives berbères*، وأقاموا سنة 1914 مدرسة خاصة بتعليم مختلف اللهجات الأمازيغية للضباط والموظفين الفرنسيين المكلفين بإدارة شؤونها. ثم إن هذه المدرسة تحولت إلى معهد للدراسات الإسلامية العليا سنة 1921. وحرص المسؤولون عن الحماية منذ البداية على العمل بأداتي القضاء والتعليم للفصل بين الناطقين بالأمازيغية والناطقين بالعربية في المغرب. ووضعت معالم خطة التفريق بلسان المارشال ليوطي نفسه، وبأقلام ثلة من الضباط وكبار الموظفين لمحاربة اللغة العربية والحيلولة دون تعميق الضمير الإسلامي في صفوف الأمازيغيين، والعناية بالقوانين العرفية على علاتها لتفادي انتشار العمل بأحكام الشريعة. وقد لام ليوطي ضابطا فرنسيا كان قد أشار على قبيلة آيت سغروشن باتخاذ "طالب" يكتب عنها ويؤم الصلوات بها، قائلا : "هذا أمر غير معقول في السياسة البربرية لأننا لسنا ملزمين بتعليم العربية لأناس كانوا في غنى عنها، ذلك بأن العربية هي أداة نشر الإسلام، لأنها تلقن من خلال القرآن. بيد أن المصلحة تلزمنا بالسير بالبربر خارج الإطار الإسلامي. وكذلك علينا من جهة اللغة أن ننتقل مباشرة من البربرية إلى الفرنسية [...] فعلينا أن نحدث مدارس فرنسية بربرية يتعلم فيها الأطفال البربر اللغة الفرنسية. ثم علينا من جهة أخرى أن نتفادى بكل عناية أدنى تدخل في الشؤون الدينية، لأن الإسلام لم يؤثر في البربر، وأعني منهم أولئك الذين احتفظوا باستقلالهم، سوى ببصمات سطحية، فإنهم امتنعوا عن المفاهيم القانونية الواردة في القرآن، ومسطرتهم الوحيدة هي "أزرف"، ولا رغبة لهم في الشرع بأي وجه من الوجوه [...]، فعلى جميع ضباط الاستعلامات أن يتشبعوا بهذه المبادئ، وعليهم بوجه خاص أن يجتنبوا القيام بأدوار دعاة الإسلام في القبائل البربرية". وتجلت هذه الخطة المغرضة بشكل مكشوف في العشرينيات من القرن العشرين، بما كان من شرحها وتعليلها ونشرها في الكتب والمجلات بأقلام أمثال بول مارتي Paul Marty وموريس ليكلي Maurice Leglay وفيكتور بيكي Victor Piquet، وأيضا بما كان من إحداث المدارس الفرنسية البربرية الابتدائية وإحداث ثانوية أزرو، وإطلاق العنان لأعمال التبشير المسيحي بين الأمازيغ

بدعوى أن بعضهم كان في الماضي قد اعتنق النصرانية، وأنهم من أنصار القديس أوغستنوس، وأن لا سبيل للحفاظ بأفريقيا الشمالية في الحظيرة الفرنسية إلا بنشر النصرانية في أبنائها. وتلك وصية من وصايا الأب شارل دي فوكو Charles de Foucauld، كان بعض المستشرقين من أمثال لويس ماسنيون Louis Massignon مقتنعين بها ومستعدين للنضال من أجلها في تلك السنوات.

وكان من مقاصد إحداث المدارس الفرنسية البربرية إعداد الموظفين الأمازيغيين القادرين على تسيير شؤون المحاكم العرفية تحت مراقبة الضباط الفرنسيين، ذلك بأن الهدف المنشود من الأمر كله هو تمكين المعمرين الفرنسيين من الأراضي الجيدة في كل إقليم، مع التحايل على أصحابها من المغاربة بمعارضة الشرع بالأعراف تارة ومعارضة الأعراف بالشرع تارة أخرى، ريثما يتأتى تعميم العمل بالقضاء الفرنسي المقام منذ سنة 1913.

وتجلت أول خطوة نحو إحداث محاكم عرفية في نشرة دورية صدرت يوم 22 شتنبر 1915، وضعها المراقب المدني هنري برونو Henri Bruno بعد أن كشف النقاب عن مجموعة من القوانين العرفية البربرية في الأطلس المتوسط، فتبين منها أن التقاضي بين الأمازيغ ليس من اختصاص الجماعة، وإنما هو بيد حكم يتفق عليه أطراف النزاع. وإذا عجز هذا الحكم عن الحسم في القضية، فإنها تعرض على حكم ثان، ثم على ثالث إن اقتضى الحال. حتى إذا استعصى الأمر نهائيا، فإنه يحال على الجماعة التي تعين قاضيا يفصل فيه. وهذه الطريقة هي التي أقرتها الدورية المذكورة، جاعلة إلى جانب الجماعة كاتبا مكلفا بضبط قرارات الجماعات وأحكام أصحاب التحكيم وما يدور بشأنها من التداول. وكان من المفروض أن ينحصر مفعول هذه النشرة الدورية في ناحية مكناس أول الأمر. لكن انحسار المد الاستعماري بسبب الحرب العالمية الجارية حال دون تطبيق مقتضياتها، ليل المتصرفين بشؤون القبائل البربرية إلى إسناد المهام القضائية إلى الجماعات الإدارية المحدثة بظهير 21 نونبر 1916. وقد جعلت تحت إشراف قواد تعينهم وتراقبهم سلطات الحماية. لكن ما أن وضعت الحرب العالمية أوزارها واستؤنفت الأعمال الاستعمارية في المغرب فاشتدت حاجة المعمرين إلى المزيد من العقار، حتى صار التصرف بالأعراف القبلية من الضرورات، سيما بعد أن تبين أن بعض مقتضياتها تعوق المعاملات. من ذلك مثلا قانون الشفعة الذي كان يقضي بحق كل عضو من أعضاء القبيلة في شفعة ما يتقدم الغريب عن القبيلة لاقتنائه من عقارها وأراضيها. ولم تكن السلطات الاستعمارية لتغض الطرف عن مثل هذه القوانين. فاستصدرت ظهير 19 شوال 1340 / 15 يونيو 1922، وذلك بعد صدور ظهير 5 دجنبر 1921 القاضي بمسطرة تفويت الأراضي الجماعية في القبائل العاملة بأعرافها، اقتداءا بما نص عليه في هذا الصدد ظهير 26 رجب 1337 / 27 أبريل 1919 في مجال العمل بأحكام الشرع. والعنوان المطول لظهير يونيو 1922 ناطق في حد ذاته بالغاية منه، فهو "الظهير الخاص بتفويت الأراضي من قبل الأهالي المنتمين للقبائل المعترف لها بأعرافها والتي لا تتوفر على محكمة شرعية كلما كان المفوت له غريبا عن القبيلة". وإن دل هذا العنوان على شيء فإنما يدل على شدة الأخذ والرد بين السلطان المولى يوسف وبين الإقامة العامة بخصوص إدارة شؤون القبائل البربرية. فإن الإقامة العامة كانت في حاجة إلى إضفاء الصبغة الشرعية على الجماعات القضائية العرفية التي كانت أعمالها وأحكامها ترفضها المحاكم الفرنسية، فأحرى أن تلتزم بها المحاكم الشرعية. ولذلك لم يقبل المولى يوسف إمضاء ظهير يونيو 1922 إلا في انتظار إقامة المحاكم الشرعية في جميع أنحاء البلاد. أما الأوساط الاستعمارية، فإنها شنت حملة مسعورة على الإسلام وعلى اللغة العربية وعلى قانون الشرع. وراموا تفادي معارضة السلطان المولى يوسف بسلسلة من المناشير الإدارية تلاحقت طيلة سنة 1923 و1924. ولكن المعاملات القائمة على أحكامها ظلت باطلة المفعول في نظر باقي المحاكم المغربية سواء منها الفرنسية أو الشرعية السلطانية. ثم إن حرب الريف التي امتد لهيبها في تلك الأثناء، حملت السلطات الفرنسية على شيء من التروي فيما كانت تتوهمه من عدم تمسك الأمازيغ بالإسلام، هذا فضلا عن كون ليوطي لم يكن ليمارس الضغط السافر على السلطان المولى يوسف.

لكن ما أن حل محله على كرسي الإقامة العامة تيودور سطيك Théodore Steeg، وما أن انتهت حرب الريف حتى صار أقطاب السياسة البربرية يتحركون من جديد لإلزام المولى يوسف بإصدار ظهير يقنن القضاء العرفي. لكن السلطان امتنع عن ذلك. فمال تيودور سطيك إلى تفادي معارضته باقتراح توحيد القضاء في المغرب بناء على النموذج الفرنسي. وانتظمت سنة 1927 لجنة برئاسة كبير قضاة المحاكم الفرنسية في المغرب كورديه Cordier بغاية تحويل المحاكم العرقية والمحاكم الشرعية إلى نوع من محاكم السداد تعمل بالقوانين العضوية الفرنسية. ثم إن المولى يوسف توفي فجأة يوم 17 نونبر 1927. وتخلى سطيك عن منصب الإقامة العامة في السنة التالية، فأرجئ الفصل في الأمر. حتى إذا أسند منصب المقيم العام إلى لوسيان سان Lucien Saint، تخلى عن فكرة توحيد القضاء في المغرب، خوفا من أن يكون في توحيد المغاربة ولو في ظل القوانين الفرنسية ما يعارض المصالح الاستعمارية. وفضل الاستفادة من شباب السلطان سيدي محمد بن يوسف لاستصدار ظهير يضفي الشرعية على القضاء العرفي. وانتظمت لذلك لجنة جديدة ترأسها كورديه المذكور وشارك فيها الجنرال نوكيس Noguès مدير الديوان العسكري للمقيم العام، وبينازي Bénazet مدير الشؤون الأهلية، ورولان Roland مدير دار المحافظة العقارية، وبيسونيل Peyssonnel المراقب المدني

لناحية الرباط، وبوسيه Poussié المراقب المدني لمقاطعة زمور، ونقيب المحامين في الرباط ونقيب المحامين في الدار البيضاء، وبعض التراجمة. وأسفرت أعمال اللجنة عن ظهير صدر يوم 8 محرم 1349 / 16 ماي 1930، في ثمانية فصول تقنن القضاء العرفي، وهو المعروف بالظهير البربري، ذلك بأنه لم يكرس فقط مبدأ التفرقة بين سكان المغرب، وإنما رام إخراج الأمازيغ من دينهم بإخضاعهم في المجال الجنائي للمحاكم الفرنسية. ومجمل القول في هذا الظهير أنه قضى بإسناد النظر في النزاعات الصغرى في القبائل الأمازيغية إلى قوادها التابعين لضباط الاحتلال (الفصل الأول). وإنه أحدث محاكم عرفية في الابتداء والاستئناف تفصل في القضايا المدنية بناء على الأعراف فأقفلت أبواب اللجوء إلى الشرع والفقه الإسلامي لتفتح أبواب العمل بالقوانين الفرنسية (الفصلان الرابع والخامس). وألحق نصف سكان المغرب المسلمين بالمحاكم الفرنسية بعد أن تقرر أن "جميع الأمور الجنائية" التي "يقع ارتكابها في النواحي البربرية" يعزى النظر فيها إلى المحاكم الفرنسية دون سواها "مهما كان من مرتكب الجناية" (الفصل السادس). وألح الفصل السابع في هذه الغاية بخصوص القضايا العقارية. ولم يكن يتهافت على الأراضي الجماعية يومئذ إلا المعمرون الأجانب أو بعض أذناب الاستعمار من القواد والشيوخ والمقدمين وما إلى ذلك. وقد جاء صدور هذا الظهير مواكبا لإقامة حفل مسيحي استفزازي في تونس تذكيرا بأيام انتشار المسيحية في إفريقيا الشمالية. كما واكبه الاحتفاء بذكرى مرور مائة سنة على احتلال الجزائر. بحيث لم يعد يخفى على أحد أن السلطات الاستعمارية الفرنسية عازمة على إحياء الامبراطورية الرومانية وسلطان البابوية الكاثوليكية على القطر بأكمله.

لكن الحركة الوطنية المغربية التي كانت يومئذ في طور المخاض انتهزت صدور الظهير البربري لتنظم صفوفها وتشرع في تعبئة الجماهير المغربية وتفسد المناورات الاستعمارية الرامية إلى النيل من وحدة الأمة المغربية. وجاء التصدي للظهير البربري والاحتجاج عليه على عدة مستويات، كان أولها قراءة اللطيف في أعقاب الصلوات الجامعة في كبريات المساجد حيث يبتهل المصلون مرددين : "اللهم يا لطيف الطف بما جرت به المقادر ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر". ثم خرج الناس بعد ذلك إلى الشوارع متظاهرين صادعين بشعارات الاحتجاج مطالبين بإلغاء الظهير، فسجن من سجن وجلد من جلد في فاس وسلا والرباط ومراكش. وقرئت رسالة سلطانية يوم 11 غشت 1930 في المساجد تذكر بحرمة بيوت الصلاة وبأن الظهير سيء فهمه. واستقبل السلطان سيدي محمد بن يوسف وفدا من شباب فاس ليأخذ بخاطرهم ويؤكد لهم أنه لم يتنازل أبدا عن أدنى حق من حقوق الوطن. وجاء في طليعة خريف تلك السنة رئيس الجمهورية الفرنسية كاسطون دومرك Gaston Doumergue في زيارة رسمية إلى المغرب، وانتهزها المقيم العام لوسيان سان فرصة لمحاولة التخفيف من وقع الصدمة. وكان قد بادر إلى إصدار نشرة دورية لبعض الأوساط المسيحية المهووسة بالتبشير يحثها على شيء من الإمساك والاعتدال.

بيد أن الحركة الوطنية كانت قد انطلقت بزعامة علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني وأحمد بلافريج والمكي الناصري في المنطقة الفرنسية، وبزعامة عبد السلام بنونة وعبد الخالق الطريس ومحمد داود في المنطقة الإسبانية، متخذة من الاحتجاج على الظهير البربري أرضية لبناء جهاز حزبي عصري لمقاومة الاستعمار في الوقت الذي كان الاستعمار ينهي أعمال "الباسفيكاسيون". فبعد الاحتجاج الجماهيري في صيف 1930، انتقلت الحركة الوطنية إلى الاحتجاج خارج البلاد، لدى الإخوة في الملة والدين قبل كل شيء، فكانت حملة عارمة من أقصى غرب الأمة إلى أقصى مشارقها تفضح السياسة الفرنسية وتبعث ببرقيات التنديد إلى عصبة الأمم، وتكتب المقالات دفاعا عن الحرمة الإسلامية. وتجندت لذلك مثلا صحيفة "فتح" لصاحبها محيي الدين الخطيب. كما تباحث المؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس في دجنبر 1931 في النازلة فناقش التقرير الضافي الذي تقدم به ممثل المغرب المكي الناصري، واتخذت الملتمسات المناسبة. وتجند لمؤازرة المغاربة في نضالهم الزعيم الكبير شكيب أرسلان الذي كان من أول من أدرك ما يحاك في الخفاء من الدسائس ضد الإسلام ووحدة الأمة، فحل بالمغرب، وجمع حول شخصه مؤسسي الحركة الوطنية، وسخر صحيفته "الأمة العربية" الصادرة بالفرنسية في جنيف في سويسرا لفضح مكيدة الظهير البربري.

واستعان زعماء الحركة الوطنية أيضا بأحرار الأحزاب التقدمية في فرنسا وإسبانيا. ففي فرنسا وقف المناضل جان كيران Jean Guérin إلى جانب الوطنيين المغاربة لإصدار كتيّب بالفرنسية يحمل عنوان "مسلم بربري" يشرح الخفايا والنوايا من الظهير ويفند مزاعم الاستعمار. كما وقف روبير - جان لونگي Robert-Jean Longuet، حفيد كارل ماركس إلى جانب الوطنيين فأعانهم على إحداث مجلة "مغرب" الشهرية، التي كانت فتحا مغربيا مبينا في مجال الصحافة ومنبرا عجزت الإقامة العامة عن الإطاحة به قبل أن يصدر إثنان وثلاثون عددا منها. وكان من نتائج مؤازرة أحرار اليسار الفرنسي أن اشتد الضغط على الإقامة العامة، فألزم الجنرال نوگيس بالانسحاب من منصبه في نهاية سنة 1932. ثم أحيل المقيم العام لوسيان سان على التقاعد بعد بضعة شهور، وهو يعترف بأن أخطاء قد ارتكبت بإصدار الظهير وأن إصلاحها أمر لا مفر منه. وما أن حل المقيم العام الجديد هانري بونصو Henri Ponso بالرباط في ربيع 1933 حتى انكب على إعادة النظر في الأمر. وصدر ظهير جديد بتاريخ 23 ذي الحجة 1352 الموافق ليوم 8 أبريل 1934 يحتفظ

بالقضاء العرفي في القبائل الأمازيغية في القضايا الجنحية، ويحيل القضايا الجنائية على المحكمة العليا الشريفة القائمة على الشرع.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة، 1947 ؛ محمد بن الحسن الوزاني، *مذكرات، حياة وجهاد*، الدار البيضاء، بيروت، 1985.1982 ؛ أبو بكر القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية*، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1992.

G. Lafuente, *La politique berbère de la France et le nationalisme marocain*, Paris, 1999.

إبراهيم بوطالب

# ع

**عَابِدْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alavid ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Abed.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1134.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عابد، محمد** ولد بدوار اسيف أيت باعمران. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 وعمل ضمن وحداته بكل شجاعة وإقدام من أجل تحرير الوطن إلى أن استشهد بتاريخ 25 أكتوبر 1957 إثر انفجار لغم وضعه الإسبان بالقرب من الكزيرة أثناء معركة بين جيش التحرير والجيش الإسباني.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 501105.

**عاتكة** بنت **علي** بن **عمر** بن إدريس الأزهر أميرة إدريسية تزوجها يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس الثاني أمير فاس، الذي وصفته المصادر بسوء السيرة. وقد كان لهذه المرأة أثر كبير في تحول الدولة الإدريسية من بني محمد بن إدريس بن عمر بن إدريس. فحينما ثار العامة على زوجها إثر تورطه في قضية أخلاقية أمرته بالفرار إلى عدوة الأندلسيين والاختفاء ريثما تسكن ثائرة الناس. وظلت هي بعدوة القرويين لمراقبة الوضع، لكن الأمير يحيى لم يلبث أن توفي بعد ليلتين حسرة وندما على ما ذكرته المصادر، فاستقل عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي بالمدينة.

وحتى لا تخرج فاس من أيدي الأدارسة راسلت عاتكة أباها الأمير علي بن عمر بن إدريس صاحب صنهاجة وغمارة وبلاد الريف مستنجدة به ومبينة له خطورة الوضع، فزحف إلى فاس بجيوشه واستردها من يدي عبد الرحمن الجذامي وأخمد الانتفاضة القائمة فيها، وتمت مبايعته بها سنة 252 / 866، وبذلك انقرض الحكم في سلالة محمد بن إدريس وانتقل إلى أبناء أخيه عمر بن إدريس.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، 1973 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ؛ الناصري، *الاستقصا*، 2، طبعة، 2001.

محمد المغراوي

**العاج**، يقترن العاج بالفيل الذي حظي باهتمام خاص لدى علماء الحيوان والجغرافيين والرحالة منذ القديم. فحددوا مواطنه ووصفوا أعضاء جسمه ووظائفها وذكروا نمط حياته وطبائعه. ولا ريب أن هذا الاهتمام لا يخلو من دوافع نفعية متمثلة في ما يوفره الفيل للإنسان من لحم وجلد وعاج، وفي استعماله في الحرب. لذا جد القناصون في ابتكار الطرق والأساليب المساعدة على صيد هذا الحيوان الضخم.

غير أن السبب الرئيسي وراء صيد الفيل هي الرغبة في الحصول على العاج للأغراض الفنية والعلاجية. ولئن كانت بعض المصادر تتحدث عن تجارة عظام الفيل وأوجه استعماله الشبيهة بما يعرف عن العاج، فإن معظم المصادر تحصر العاج في الأنياب. إذ يقول الزهري في وصفه لفيل أفريقيا الشرقية : "يخرج من صدغه نابان في وزن كل واحد منهما قنطار وأكثر. ويقال إنهما قرناه، وهما العاج. وإنما سميا بهذا الاسم لأنهما عاجا عن موضعهما أي خرجا" (كتاب، 123).

وقد استفاض العلماء العرب في العصر الوسيط في استعراض منافع العاج الطبية، مؤكدين فعاليته في علاج أمراض جلدية وهضمية، وفي الشفاء من الجذام والكسور، وفي التئام الجراح. كما أشاروا إلى بعض ما يرتبط به من معتقدات شعبية في مجالات الحمل والغراسة وتربية الماشية، الخ ...

ومن غير المستبعد أن يكون المغاربة قد استغلوا العاج في حياتهم اليومية منذ أن توفرت لهم وسائل وتقنيات

اصطياد الفيل. ومن المؤكد اليوم أن هذا الحيوان كان منتشرا بالمغرب منذ ما قبل التاريخ، وخصوصا بجبال الأطلس والصحراء، حيث تم العثور على نقوش صخرية تصور الفيل وعمليات صيده، وعلى بقايا متحجرة من عظامه.

وتؤكد عدة شهادات واردة عند مؤرخي العصر القديم، استمرار وجود الفيل بكثرة بالمغرب في عهدهم. ويذكرون العاج كسلعة رئيسية ضمن صادرات البلاد إلى الخارج، وخصوصا إلى عالم البحر المتوسط. بيد أن بلنيوس الشيخ يزعم أن استعمال العاج من قبل المغاربة اقتصر على أغراض منحطة. حقيقة أنه من الصعب تأويل هذا التلميح، ولكن يجوز لنا أن نفهم منه إشارة إلى استخدام العاج في صنع الأدوات الضرورية للحياة اليومية للمغاربة، دون أن يتعدى ذلك إلى ما هو فني كما كان الحال عند الرومان. ولكن ينبغي عدم الانسياق وراء مثل هذه المزاعم، باعتبارها شهادة أجنبية قد تكون متحاملة و / أو خاطئة. ويكفي أن نذكر في هذا الصدد أن كتب الجغرافيا والرحلات العربية الوسيطية تحمل مثل هذه الأحكام عن أفريقيا السوداء، غير أنه تبين فيما بعد مجانبتها للصواب. وثبت أن الأفارقة برعوا في استخدام العاج لصنع الحلي والتماثيل والأقنعة ولترصيع الخشب وزخرفته، وغير ذلك من التحف الفنية ذات الحمولات الدينية في أغلب الأحيان. وفي المغرب نفسه كان السكان الأصليون - حسب سكيلاكس - يشربون في كؤوس عاجية، وتزين النساء منهم بقلائد من عاج منذ العصر الفينيقي.

والأكيد أن العاج المغربي كان من أهم عناصر الحركة التجارية في الدول والإمبراطوريات التي أخضعت المغرب أو تاجرت معه في القديم. غير أن المغرب في هذا العصر لم ينفرد بتزويد الحضارات المتوسطية بحاجاتها من العاج، خاصة وأن الفيل كان يعيش آنذاك بكثير من أرجاء القارتين الأفريقية والأسيوية. وربما هذا ما حدا بالبعض إلى الاعتقاد بوجود تيارات تجارية - برية وبحرية - تهم العاج، وتربط بين أسواق البحر المتوسط وأعماق القارة الأفريقية منذ الفينيقيين (*Histoire*, 4 : 99). والواقع أنه لا يمكن الركون إلى هذا الاعتقاد بسبب استناده إلى مصادر ثبت غموض معلوماتها واضطرابها. الشيء الذي دفع بمعظم المؤرخين الأفريقانيين إلى رفضها أو التشكيك في صحتها على الأقل. والثابت اليوم أن المبادلات التجارية عبر الصحراء لم تبدأ بكثافة وانتظام إلا بعد الفتح الإسلامي لبلدان المغرب. بينما كان البرتغال أول من اكتشف واستعمل الطريق البحري بين البحر المتوسط وغرب أفريقيا في منتصف القرن (15 م). وإذا صح وصول عاج أفريقيا الغربية إلى الأسواق المتوسطية في القديم، فلا شك أن ذلك تم عن طريق الصحراء، وبكميات قليلة، وبطريقة غير منتظمة، وفي وقت غير سابق للإمبراطورية الرومانية. وعلى العكس من ذلك لم تكتف هذه الإمبراطورية بالتزود بالعاج من شمال القارة الأفريقية، وإنما أحدثت في شواطئها الشرقية مراكز لقنص الفيلة من أجل عاجها ذي الجودة العالية.

والأكيد أن المغرب كان من أكبر منتجي العاج منذ العصر الفينيقي على الأقل. إذ أورد سكيلاكس في هذا الصدد إشارات معبرة عن مكانة العاج في الوجود التجاري الفينقي بالمغرب الذي يعود إلى القرن 10 ق. م. وهي مكانة قوامها الحصول على هذه البضاعة من المستوطنات الفينيقية المنبثة على الشواطئ إلى حدود قرنة (قد تكون هي الصويرة حيث عثر علماء الآثار على عاج خام)، ثم تسويقها - مصنعة أو خامة - في بلدان البحر المتوسط، ومن بينها جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية.

وقد ورثت قرطاج هذه الوظيفة التجارية، لاسيما مع تعد قطعان الفيلة التي ظلت تعيش بمجموع الشمال الأفريقي كما تؤكد رحلة حانون (ق 5 ق. م). وهذا ما أتاح للقرطاجيين تولي دور جمع العاج المحلي وتوزيعه على الأسواق المتوسطية.

ويبدو أن وفرة العاج في المغرب إلى حدود العصر القرطاجي، لم يحل دون استيراد كميات منه، وخصوصا بعد تصنيعه. الشيء الذي يعكس أهمية هذه المادة في المغرب القديم، ليس بوصفها سلعة فقط، وإنما أيضاً كمظهر من مظاهر الحياة الدينية والفنية والحرفية. وبالفعل كشف التنقيب في قبور فينيقية وقرطاجية - بونية عن عدد وفير من التحف الفنية العاجية المختلفة الوظائف. وهي عبارة عن أمشاط ومزهريات وملاعق ودبابيس وأساور وخواتم وتماثيل. والطريف أن بعض هذه اللقى زين بنقوش بشرية وحيوانية نباتية. كما عثر على صناديق خشبية بزخارف من عاج. وهذه الزخارف إما أجزاء دقيقة أو لوحات صورت عليها ورود وسعفيات، وأحيانا حيوانات وشخصيات.

ويرى S. Gsell (*Histoire*, 4 : 100, 163) أن هذه المصنوعات العاجية تعكس - بتنوعها ودقتها وجمالها - جانبا من جوانب التثاقف بين الحضارات المتوسطية. كما يعتقد أن بعض تلك المصنوعات استورد من بلدان أخرى وبالضبط من اليونان.

وقد ظل الفيل المغربي في العصر الروماني هدفا لعمليات صيد واسعة، ليس لعاجه فحسب، وإنما لتلبية حاجات الملاهي الرومانية. وعلى الرغم من كثرة أعداد الفيلة بالمغرب إلى حدود القرن الأول، فإنها لم تصمد أمام الاستنزاف الذي تعرضت له على يد الصيادين.

وإذا كان العصر الروماني شهد انقراض الفيل بشمال أفريقيا، فإن هذا الانقراض لم يكن في واقع الأمر سوى نتيجة لمسلسل من الاستغلال المفرط الموغل فيما قبل التاريخ. والجدير بالذكر أن الفيل المغربي كان أصغر حجما وأقل قوة من الفيل الآسيوي ومن فيل أفريقيا الاستوائية. بيد أن ذلك لم يحل دون تعرضه عبر العصور إلى القنص المكثف للحصول على العاج الذي كان بضاعة شبه ثمينة، ومطلوبة على نطاق واسع في مختلف الأسواق العالمية. وفي

نفس الوقت لم تتردد قرطاج في توظيف الفيل المحلي في حروبها، كما أفرطت روما في استغلاله من أجل ألعابها واحتفالاتها. وكل ذلك أدى إلى القضاء المبرم على الفيل بالشمال الأفريقي.

وعندما فتح المسلمون المغرب في بداية القرن (8 م) كانت البلاد قد تحولت من مصدر إلى مستورد للعاج. ويبدو أن هذا الوضع الجديد لم يؤثر كثيراً على تزود المغرب بهذه البضاعة، لاسيما وقد اقترنت فترة الفتح بظهور مبادلات تجارية نشيطة مع جنوبي الصحراء، حيث توجد "فيلة كثيرة جاوزت العد والحصر" (*آثار*، 26). وفضلا عن ذلك فإن هذه الفيلة تتميز بكبر أنيابها ومواصفات عاجها القابل للتشكيل بسهولة. وهذا ما جعل منه أجود عاج في عالم العصر الوسيط.

حقيقة أن كتب الجغرافيا والرحلات في هذا العصر تشيد بالفيل الهندي وضخامة أنيابه. غير أن عاجه كان هشا ضعيفا وبالتالي غير صالح للأغراض الاحتفالية والصناعية. وهذا ما يفسر كون الهند نفسها كانت من أكبر زبائن العاج الأفريقي.

وبالمناسبة، ينبغي التمييز في أفريقيا السوداء الوسيطة بين منطقتين رئيسيتين لإنتاج العاج، أهمهما شرق أفريقيا حيث بلدان النوبة والحبشة والزنج التي كانت أكبر خزان للعاج في العالم. ويأتي بعدها السودان الغربي الذي يظهر أنه كان أهم مصادر العاج لمغرب العصر الوسيط، بالنظر إلى جوارهما الجغرافي وعلاقاتهما التجارية. والواقع أن مصادرنا تشير تصريحا إلى وفرة الفيلة بالسودان الغربي في هذا العصر، وتطنب في تقنيات قنصها ومجالات استعمال عاجها، غير أنها نادرا ما تعرض إلى تصديره إلى شمال الصحراء، وإلى المغرب الوسيط على وجه التحديد.

ولكن تجارة القوافل مع بلاد السودان، وتوظيف العاج في بعض الحرف الفنية المغربية، قرائن لا تخلو من دلالة وتزكيها بعض المصادر، كجغرافية الزهري (ص. 118) التي تفيد بوصول العاج السوداني إلى سجلماسة. ويظهر أن هذه المدينة القوافلية كانت أهم أسواق العاج المغربية في العصر الوسيط. وبعد الزهري يؤكد ابن الخطيب (*الإحاطة*، 2 : 192) هذه الأهمية في ترجمته لأحد أفراد أسرة المقري التي كانت متخصصة في التجارة الصحراوية. وكان العاج من بين ما يبعثه ممثلها من مدينة ولاته إلى أخيه بسجلماسة. وبعد ذلك ظل العاج السوداني يتدفق على المغرب بانتظام لسد الطلب المحلي وللمبادلات التجارية مع أوربا. وربما أدت الحملة السعدية على إمبراطورية سنغاي في نهاية القرن (16 م)، إلى الزيادة في كميات العاج الوارد من جنوب الصحراء. ولا حظ أحد السفراء إلى البلاط الإسماعيلي في نهاية القرن (17 م) أن السلطان العلوي كان يولي اهتماما خاصا للتجارة مع السودان لتأمين مجموعة من السلع ومن بينها العاج. وخلال القرنين (18 و19 م) كانت فاس سوقا رائجة لهذه البضاعة التي كانت تحمل منها إلى الدول الأوربية.

ولئن كان من المستحيل تتبع تطور تجارة العاج بين المناطق المنتجة والمستهلكة في غياب المعطيات الرقمية، لا يخالجنا شك - بالنظر إلى أهمية الحاجيات في المغرب وأوربا - في أن كميات هذه البضاعة كانت تأتي مباشرة بعد الذهب في الصادرات السودانية إلى شمال الصحراء.

ومثلما أمن الفاتحون المسلمون للمغرب مصدراً غنيا بالعاج، حملوا معهم إليه تقاليد وتقنيات استعماله في الحرف الفنية. فأضيف ذلك إلى الموروث المحلي في هذا المجال. والملاحظ في هذا الشأن أن الإسلام كيف ما أخذه عن الحضارات القديمة مع الواقع الديني الجديد. فجاءت المصنوعات العاجية الإسلامية شبيهة بمثيلاتها السابقة من حيث بعض الزخارف والأدوات والأغراض، بينما اختلفت عنها أحيانا أخرى. والملاحظ أيضاً أن الحرف العاجية الإسلامية بلغت أوجها بكل من مصر الفاطمية والأندلس الأموية. ويمكن القول بأن المغرب كان تابعا للمدرسة الأندلسية في هذا المجال.

ولعل ما يميز الفن الإسلامي المرتبط بالعاج هو طغيان هذه المادة في تطعيم وحشو الخشب الثمين. فكانت الحشوات تستخدم للحصول على أشكال هندسية متنوعة، وخاصة المضلعات المنبثقة من أشكال نجمية كما هو الحال في الأبواب والمنابر مثلا. بينما شمل التطعيم العلب والأبواب والكراسي، وأحيانا نصب الخناجر وقوائم السيوف. وقد وصلتنا جملة من نفائس العاجيات الإسلامية، التي تعد مفخرة لبعض المتاحف العالمية الكبرى. ولكن مع الأسف لم يبق منها سوى القليل مما يهم المغرب. وقد يكون ذلك من نتائج موقف علماء المالكية من العاج. فبينما أباحه بعضهم إذا كان الفيل مذبوحا، حرمه البعض الآخر في كل الأحوال. وربما كان هذا الموقف من الأسباب التي جعلت المغاربة في الجملة يحجمون عن تصنيع العاج وحده، ويقتصرون على تزيين الخشب به. وهذا ما توحي به شهادات مصادرنا المكتوبة والتحف الفنية الباقية. فهذا ابن خلدون يتحدث عن إحدى ربعات القرآن الكريم التي كتبها السلطان المريني أبو الحسن، "وصنع لها وعاء مؤلفا من خشب الأبنوس والعاج والصندل فائق الصنعة". ويشير مارمول(*إفريقيا*، 2 : 52) إلى مدرسة مجاورة للقصر الملكي بمراكش كانت لها أبواب" كلها من خشب الأرز المزخرف بالعاج المحبوك بالذهب، وبألوان زاهية".

ويحتفظ أحد متاحف باريس بسيف مغربي من نهاية القرن (16 م). وهو ذو قائم عاجي مرصع بالذهب والفضة، الشيء الذي يجعل منه تحفة فنية رائعة. ويعتقد أنه لأحد أفراد الأسرة الحاكمة في الدولة السعدية، وقد يكون المعني بالأمر هو أحمد المنصور الذهبي الذي عرف عنه عشقه للأعمال الفنية الجميلة. ومعلوم أن العاج ظل إلى نهاية القرن (19 م) يستخدم في صناعة مقابض الخناجر والسيوف والسكاكين لعلية القوم من أجل الزينة والتباهي.

والثابت أن أكثر الميادين جدة في الحرف العاجية في علاقتها بالإسلام، هو استعمال هذه المادة على نطاق واسع في صناعة المنابر. ويصدق هذا الأمر على المغرب الوسيط، حيث حرص الحكام على تزيين المساجد الكبرى بمنابر من الخشب الممتاز الموشى بالعاج الطبيعي أو المطلي. وهو حرص يترجم ما للمنبر من رموز سياسية. ومن جملتها أنه المكان الذي يتم فيه الدعاء للحاكم في الجمعة والأعياد، مما يضفي الشرعية على سلطته، ويزكي تصرفاته وسياسته. لهذا كثيراً ما يحمل المنبر اسم الحاكم الذي أمر بصنعه. ومن حسن الحظ أن بعض النماذج من هذه المنابر قاوم الزمن إلى الآن، بينما تعرض معظمها للتلف والضياع، ولم يترك من أثر سوى ما تحتفظ به المصادر من إفادات لا ترقى في الغالب إلى ما يأمله الباحث. ويذكر بعض الرحالة في هذا الصدد أن هشام بن الحكم الأموي أمر سنة 388 / 998 - إبان نفوذه على المغرب - بتزويد جامع القرويين بمنبر موشى بالعاج، بعد أن كانت منابر القرويين السابقة - على ما يظهر - مصنوعة من الخشب فقط. وقد نذهب إلى حد الزعم بأن منبر الخليفة الأموي كان أول منبر مزخرف بالعاج في المغرب. وظلت الخطبة تقام عليه إلى عهد يوسف بن تاشفين الذي أمر باستبداله بمنبر آخر "صنع من عود الصندل والأبنوس والنارنج والعناب وعظم العاج". وصرف عليه من مال الأحباس أكثر من 3800 دينار فضي. واستمر في العمل إلى صدر الدولة المرينية (جنى، 55 - 56).

ويحتوي مسجد علي بن يوسف بمراكش بدوره على منبر رأى فيه أحد الباحثين سمفونية توحد فيها الخشب والعاج بطريقة غاية في التناسق والروعة. وثمة منبر آخر صنع لمسجد الكتبية بمراكش في عهد عبد المومن بن علي وبأمر منه. وهو من أقدم ما بقي من منابر المغرب وأكثرها رونقا وجمالا على الإطلاق، خاصة وقد استغل العاج في زخرفته على نطاق واسع، وبطريقة عالية من الدقة والإتقان. إذ تمت الاستعانة بالمادة المذكورة في إنجاز الشرائط الخشبية المتشابكة، وكتبت بها الآيات القرآنية المحيطة بتلك الشرائط. ويحتوي قوس الأدراج السفلى على تشبيك عاجي واسع معقوف، وتعلوه شرافات قائمة على خلفية من عاج. واستخدام العاج كذلك في المرصعات الهندسية، وهي إما دقيقة عبارة عن تشابيك متعددة الزوايا في المسطحات الخشبية، وإما كبيرة على شكل شرائط واسعة في الواجهات الخارجية للأقواس الجانبية. وفي الزخرفة النباتية يظهر العاج في منبر الكتبية في تيجان الأعمدة وفي السعفيات على وجه الخصوص.

ولا بد من الإشارة إلى أن هذا المنبر يحمل نقيشة تؤكد أنه صنع بقرطبة. ومعلوم أن هذه المدينة كانت أكبر مراكز صناعة العاج في الأندلس الأموية. وهي مكانة حافظت عليها إلى العصر الموحدي. ولا أدل على ذلك من أن المعاصرين اعتبروا منبر الكتبية أجمل منابر الإسلام، ولا يماثله من حيث ضخامة الحجم وكمال النسق وغنى الزخرفة سوى منبر مسجد قرطبة الذي يعود إلى الخلافة الأموية. ومع توالي القرون وغياب الصيانة تعرضت أجزاء كثيرة من منبر الكتبية إلى التلاشي، الشيء الذي فرض - قبل بضع سنوات - ترميمه بمساعدة أمريكية حفاظا على هذه القطعة الفنية التي لا تقدر بثمن.

ويوجد في مسجد القصبة بمراكش أيضاً منبر شبيه بنظيره في الكتبية من حيث غنى الزخرفة وجمالها. ولكن منبر القصبة يفتقد إلى صفائح العاج الكبيرة، ويقتصر على شرائط عاجية ضيقة. بينما تحتل مرصعات العاج فيه حيزا أكبر. وفي الواجهة الداخلية لقوس أسفل الأدراج استعملت نفس المادة لرسم مربعات نجمية. بيد أننا لا نعلم على وجه التحقيق متى وأين صنع هذا المنبر. قد يكون الخليفة الموحدي أبو يعقوب المنصور هو الذي أمر بإنجازه، بالنظر إلى كونه باني مسجد القصبة سنة 591 / 1195. ويرى بعض الدارسين (*Sanctuaires*, 269) أن التشابه الكبير بين منبري الكتبية والقصبة يحمل على الاعتقاد بأن هذا الأخير صنع في المغرب بأيادي أندلسية أيضاً.

وبالنظر إلى أن جامع القرويين حافظ على المنبر المرابطي إلى عصر بني مرين كما سلف الذكر، خص السلطان أبو عنان المدرسة التي شيد في فاس بمنبر ظل موجوداً بقاعة الصلاة إلى أن نقل إلى متحف البطحاء حوالي سنة 1952. وقد وقفنا عليه بعين المكان، وتبين لنا أن هيكله من خشب الأرز، وأن الزخارف العاجية تتجاور فيه مع منقوشات من خشب الليمون ومع أشكال مذهبة. ويتركز العاج على وجه الخصوص في قوس الأدراج السفلى، حيث استخدم في ترصيع أعلى القوس والجوانب الداخلية لأعمدته، وفي صفيحة عريضة تحتل مجموع واجهة القوس تقريبا وتحمل اسم السلطان أبي عنان. كما حليت جوانب المنبر بترصيعات هندسية دقيقة الصنع من العاج. وعلى الرغم من محاولات الصيانة المحدودة التي عرفها هذا المنبر، فإنه لا يزال - بالنظر إلى حالته التي عايناها - في حاجة ماسة إلى عملية إنقاذ شاملة شبيهة بتلك التي استفاد منها منبر الكتبية.

والواقع أن الجمع بين الخشب الثمين والعاج في الحرف الفنية بالمغرب - ولا سيما في صناعة المنابر - يعكس ذوق الصناع الرفيع المتمثل في إيجاد تناغم بين مادتين يؤدي إلى خلق أعمال فنية فائقة الجمال. إلا أن عملية الخلق هذه تستلزم جهدا كبيرا ووقتا طويلا قد يصل إلى عدة سنوات، كما هو حال بعض المنابر المحلاة بالعاج. وقد أدرك المعاصرون قيمة المنابر - بالنظر إلى ما كانت تمثله من الناحية المالية والفنية - فعملوا على حفظها وصيانتها، كما هو الشأن بالنسبة لمنبر القرويين المرابطي الذي كان له غشاءان يغطى بهما ولا يزولان عنه إلا يوم الجمعة.

ويدل وصفنا لمختلف المنابر السابقة على أن زخرفة الخشب بالعاج في المغرب توارثتها الأجيال المتعاقبة، وحافظت على طرق العمل والتقنيات والأدوات، على الأقل

إلى العصر المريني. هذا مع أننا نجهل كل شيء تقريبا عن خبرات صقل العاج وتقطيعه وتشكيله وتركيبه. والأكيد أن هذه الخبرات كانت تتطلب قدرات حرفية كبيرة وتكوينا علميا راقيا وخصوصا ما له علاقة بالتذوق الفني. دليلنا على ذلك أن أبا يحيى العتاد الذي صنع منبر القرويين في عهد يوسف بن تاشفين كان شيخا أديبا وإماما في اللغة والشعر.

ولكن هل كان أبو يحيى العتاد هذا مغربيا أم أندلسيا ؟ إن ما يبرر طرح هذا السؤال كون بعض المنابر المزخرفة بالعاج التي بقيت إلى الآن بالمغرب صنعت بالأندلس، الشيء الذي جعل بعض الباحثين يميلون إلى الاعتقاد (Sanctuaire, 269) بأن المغاربة لم يكن لهم من المهارات ما يسمح لهم بصناعة هذا النوع من المنابر. أكيد أن الأندلس كانت من المراكز الإسلامية الرائدة في صناعة العاجيات، وأن هذه الصناعة في المغرب كانت متأثرة بنظيرتها الأندلسية. بيد أن ذلك لا يعني البتة أن كل التحف العاجية التي وجدت بالمغرب صنعت بأيادي أندلسية. فلا ريب أن الروابط الوثيقة والمتعددة بين المغرب والأندلس أسهمت إيجابيا في نقل مجموعة من الحرف الفنية إلى هذا الأخير، بما في ذلك عمل العاج. وأدى إلى ظهور أجيال من المغاربة العارفين بهذا الفن، لعل أبا يحيى العتاد كان واحداً منهم.

بيد أن هذا الواقع لا ينفي أن منزلة المغرب في صناعة العاجيات كانت متواضعة، مقارنة ببلدان مثل الأندلس ومصر والهند والصين، حيث كانت لها أهمية سياسية واقتصادية خاصة. وفي هذا السياق أورد ابن الخطيب (*نفاضة*، 273) إشارة إلى حريق اندلع في أحد القصور المرينية بفاس، حيث أتى على "ثمين السلع من اللك والنيلج والعاج والأبنوس والصندل". واضح أن هذه الإفادة تهم التجارة الفنية المقترنة بالعاج في البلاط المريني. الشيء الذي يدفع إلى التساؤل عن علاقة السلطة الحاكمة في المغرب بتجارة العاج والصناعة الحرفية المعتمدة عليه. فهل احتكر الحكام البيع والشراء في هذه السلعة، كما كان الأمر في كثير من بلدان أفريقيا السوداء ؟ وهل فرضوا على المتاجرة فيها رسوما كما فعل أباطرة الصين ؟ وهل أشرفوا على إنجاز العاجيات كما كان شأن الخلفاء الأمويين في الأندلس ؟ كل هذه الأسئلة لا تسعفنا المصادر في الإجابة عنها بطريقة شافية وقطعية. ولكن لا بد من لفت الانتباه إلى أن كثيرا من العاجيات المغربية أنجز بإشراف الحكام وبأمر منهم، وإلى أن العاج كان دائما من بين الصادرات المغربية إلى شمال البحر المتوسط.

والحق أن معظم واردات أوربا من العاج كانت تأتي من شرق أفريقيا، وهذا ما يفسر إلى حد كبير سكوت أغلب مصادرنا - عربية وأوربية - عن ذكر هذه السلعة في المبادلات التجارية بين المغرب وأوربا. ومن المرجح أن تكون المدن الأندلسية التي أبدعت في تحويل العاج، اعتمدت - ولو جزئيا - على المادة الأولية القادمة من السودان الغربي عبر المغرب. ونفس الشيء يمكن أن يقال عن الممالك المسيحية - ولا سيما في شبه الجزيرة الإيبيرية - التي أخذت عن مصر والأندلس فن تحويل العاج.

وعندما نجح الأوربيون في الوصول إلى أفريقيا السوداء عن طريق المحيط في منتصف (15 م)، كان العاج - إلى جانب الذهب والعبيد - من ضمن البضائع التي دأبوا على حملها إلى بلدانهم. غير أن ذلك لم يجعل حدا نهائيا للوساطة المغربية في هذا المجال. إذ ظلت فاس مثلا بين القرن (18) ونهاية القرن (19 م) تحصل على العاج السوداني من أجل تجارتها مع أوربا.

م. الزهري، *كتاب الجغرافية*، د. ت. ص. ص. 118 - 122 - 123 ؛ زكريا القزويني، *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات*، 1973، مادة فيل، ص. ص. 432 - 433 ؛ نفسه، *آثار البلاد وأخبار العباد*، د. ت. 23 - 24 - 26 - 27 ؛ ضياء الدين ابن البيطار، *الجامع لمفردات الأدوية والأغذية*، 1992، ج 3، مادة فيل، ص. 236 ؛ أ. العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، في الحيوان والنبات والمعادن، 1996، مادة فيل، ص. ص. 72 - 75 ؛ علي الجزنائي، *جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس*، 1967، ص. ص. 55 - 56 ؛ لسان الدين ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، 1974، ج 2، ص. 192 ؛ نفسه، *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، 1985، ص. 273.

H. Basset et H. Terrasse, *Sanctuaires et forteresses almohades*, *Hesp.*, t. 6, 2e-3e tr., 1926 ; V - *La chaire de la Kotobîya* ; VI - *La mosquée de la Qasba* ; E.F. Gautier, *Le Sahara*, 1950 ; Olagnier - Rittot, *Sabre marocain de la fin du 16e siècle*. *H-T.*, vol. 4, fasc. 1 - 2, 1963 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 1972, Index ; R. Pinder - Wilson, *Adj*, *E.I.*, n. éd. t. 1, 1991.

عبد العزيز العلوي

**العار** تقرن كلمة "عار" في العرف المغربي بمفهوم الاستجارة وطلب الحماية. فعندما "يرمي العار" شخص على شخص آخر فإن المستجارَ به يصبح تحت ضغط معنوي، بل وتحت طائلة عقاب سماوي، تجعله يُلبي طلب المُستجير، سواء تعلق الأمر بالحماية أو بتحقيق رغبة ما. وقد لاحظ عالم الأنتربولوجيا الفينلندي، ويسترمارك، عند بداية القرن العشرين، مدى أهمية العار لدى المغاربة، وحاول أن يجد له تعريفاً فقال إنه "لعنة مشروطة بعدم تلبية رغبة المستجير" (Conditional curse)، أي أن الذي يستطيع منح الحماية أو غيرها من الخدمات ويستنكف عن ذلك رغم إلحاح المُستجير، فإنه يُعرض نفسه لعواقب وخيمة، لا بد وأن تصيبه في ذاته أو ماله أو أهله. لذلك جرت العادة بعدم "رد العار" وأخذه مأخذ الجد وعدم التهاون في أمره نظراً لجسامة العقاب المرتقب. وأورد ويسترمارك مقولة مغربية شائعة تقول إن "العار يمثل نصف نار جهنم".

إن الحالات التي يتم فيها اللجوء إلى العار كثيرة ولا يمكن حصرها، لكن أكثر الحالات شيوعاً هي التي يلتمس فيها صاحب العار مساندة مُلحة لدفع عدوان، أو الاقتصاص من معتد، أو كسب حَليف لمواجهة خصم. ويُحاط "رمي العار" عادة بطقوس خاصة تُضفي عليه طابع القُدسية والاستعجال، كتقديم ذبيحة أو اللجوء إلى "التعرقيبة" المتمثلة في شل حركة الدابة بقطع أعصاب

رجليها الأماميين. كما قد تكتسي هذه الطقوس شكل تقديم النساء والأطفال لإبلاغ رغبة المستجير. وقد استعمل المستعمرون الفرنسيون والإسبان هذه العادة خلال عمليات الاحتلال فكانوا ينتظرون من القبائل أن تُعبر عن استسلامها بتقديم الذبائح أو "عرقبة" الدواب كإقرار بانهزامها وطمعها في حماية القوة المنتصرة. كما استُعمل العار بعد الاستقلال في العمليات الانتخابية، إذ لجأ بعض المرشحين في البوادي إلى هذه العادة لانتزاع أصوات الناخبين أو كسب تأييد بعض الأعيان الذين لهم تأثر سياسي في أوساطهم. وقد تحفَّظ العلماء من عادة العار، بل منهم من قال بتحريمه لمعارضته للشرع ولارتباطه في نظرهم بممارسات جاهلية ووثنية. ومن أوجه معارضته الشرع أنه كثيراً ما يُستعمل لكسب التأييد للمستجير، ظالماً كان أم مظلوماً. فالكثير من التحالفات القبلية التي كانت تُقام لأغراض عدوانية أنشئت على أساس العار. فيكون وجه التحريم هنا اللجوء إلى الإحراج، بل والإكراه، لاقتراف المحرمات. كما انتقد العلماء الطريقة التي "تُعرقب" أو تذبح بها الدواب، إذ لا يُتلفظ بالبسملة عند الذبح فيحرم بسبب ذلك أكل لحم الذبيحة.

ولعل أهم مظهر انتقده العلماء في عادة العار هو ما يتوجه به الناس إلى الصلحاء. فمحمد بن جعفر الكتاني اعتبر أن الشخص الذي "يرمي العار" على ولي يرتكب سوء أدب تجاه ذلك الولي. واعتبر أن ما يفعله بعض الناس برمي ثوبهم أو عمامتهم على ضريح الولي بقصد العار شيء لا يليق إلا بـ "الجهلة الأغبياء" ... إذ معنى العار لغةً وعُرفاً - يقول الكتاني - ارتكاب ما لا يليق مما فيه معرة أو سبٌّ أوعيب". فكأن المستجير هنا يتهدد الولي بالعار والمعرة إن هو لم يقضِ له حاجته.

لكن "العار" اكتسب دلالات متعددة، ولم يكن دائماً يعني إلحاق السوء والعيب بالمستجار به. ففي كثير من الحالات استُعمل العار بمعنى الاستشفاع والاستجارة مجرداً عن أي مفهوم للإكراه أو الضغط أو إلحاق الضرر بالمستجار به، فعندما يقول قائل: "عاري عليك يا رسول الله!" فإن المقصود هو طلب الشفاعة لا أقل ولا أكثر. وفي هذه الحالة لا يختلف العار عن مفهوم "الزواك" الذي يُقصد به طلب الحماية، وكلها أعراف لجأت إليها المجتمعات التقليدية للحد من العُنف وضمان توازنات مجتمعية ضرورية، خاصة عندما تغيب القوة السياسية الرادعة.


م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، الجزء، 1، ص. 54 ـ 55.

E. Westermarck, *Ritual and belief in Morocco*, London, 1926, 2 vol. ; K. Brown, *The curse of westermarck*, *Ethnos*, vol. 47 (1982).


محمد المنصور

**العاسوق**، وعَوسق وعُويْسق وعويسقة وعَيْسُوق كما هو شائع في المغرب العربي وفي معظم المعاجم جنس طائر من الكواسر النهارية متوسط القد أحمر اللون منقط بسواد. يصنف إلى رتبة الجوارح Rapaces falconiformes وفصيلة الصقريات Accipitridae. نوعان منه يعيشان في المغرب يشبهان الباز الصغير في شكله وغالبا ما يصعب التمييز بينها :

ـ العاسوق Falco tinnunculus يسمى في مصر صقرا بلديا وصقر الجرادي وأبا سرقة. يعد من أخف الطيور وأسرعها نهوضا، يسمى بالفرنسية Faucon crécerelle وبالإنجليزية Kestrel وWindhover وبالإسبانية Cernicalo vulgar وبالإيطالية Gheppio. طائر في حجم الحمام يتميز بريشه الشاحب الموحد على الذيل والأسود الداكن على البطن. المنقار أسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء. الذيل مستقيم عليه خطوط بيضاء وسوداء. يبلغ طول الجسم 33 ـ 35 سم ويزن 200 ـ 300 غرام، تبلغ بسطة الجناحين 70 ـ 80 سم. الإناث أكبر حجما ووزنا من الذكور. يعيش منعزلا أو مزدوجا.

المجموعات المغربية مستقرة وأفرادها موزعة على مختلف المناطق الجافة وشبه الجافة الساحلية وبجبال الريف والأطلس والهضاب العليا والشرقية والحوز وتافلالت وتنغير وورزازات والساقية الحمراء والعيون ورأس درعة ووادي شبيكة وكلتة زمور وشمال موريتانيا. عدة مجموعات تأتي من أوربا عبر مضيق جبل طارق لتنتشر في مختلف المناطق المغربية. يكثر عدده على المناطق الساحلية ونادر في المناطق الغابوية. يتوالد منذ فبراير إلى أبريل وينصب الزوجان العش بين شقوق الصخور والأجراف وفوق المباني العالية بالمدن الكبرى وأحيانا بين جذوع الأشجار العالية. تبيض الإناث 4 ـ 6 بيضات وأحيانا 9 بيضات مصفرة منقطة بالأحمر المسود، يبلغ طول قطرها الكبير 4 سم. يحضن البيض بالتناوب من الزوجين 29 يوما. تبقى الصغار بداخل العش 27 ـ 39 يوما قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز.

يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا الطائر على إفريقيا والشرق الأوسط وآسيا الوسطى وأوربا. يتكون غذاؤه من صغار الطيور الزواحف والضفادع والفئران والحشرات كالجراد والخنافس. صيده ممنوع في المغرب وهو طائر محمي.

ـ عويسق Falco naumanni يسمى بالفرنسية Faucon crécerellette وبالإنجليزية Lesser krestrel وبالإسبانية Cernicalo primilla وبالإيطالية Grillaio. يختلف هذا الطائر عن العاسوق بحجمه الصغير وبذيله المستدق الرأس، وبريشه الرمادي الأزرق على الجناحين. لون ريش صدره شاحب أبيض منقط بالأسود البني. المنقار معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء مصفرة. الذيل مستقيم ومحفوف بريش أسود ؛ يبلغ طول الجسم 30 سم ويزن 100 ـ 200 غرام وتبلغ بسطة الجناحين 60 ـ 70 سم.

يألف السهول والهضاب والأجراف والصخور الصعبة المنال، ونادر جدا في المناطق الغابوية. شائع في المناطق الساحلية الممتدة من طنجة إلى أگادير وفي المغرب الشرقي

وفي الأطلس المتوسط وسهول الغرب، ونادر في المناطق الصحراوية الجنوبية، يكثر عدده في فصلي الربيع والصيف في الحاجب ومكناس والعرائش وسلا والرباط وبنسليمان والرماني والدار البيضاء والجديدة والصويرة والحسيمة والناظور وبركان وگرسيف. منه عدة مجموعات مستقرة في المغرب تضاف إليها عدة وحدات تأتي من جنوب أوربا لتشتو في المغرب. كما أن عدة أفراد تقطع الصحراء المغربية لتشتو في موريتانيا والسنغال والدول المجاورة.

يتخذ عشه بين شقوق الصخور والأجراف وفوق المباني العالية بالمدن الكبرى ونادرا بين أغصان الأشجار العالية. تبيض الإناث 3 ـ 6 بيضات بيضاء مصفرة منقطة بالأحمر الشاحب، يبلغ طول قطرها الكبير 3,5 سم. يحضن البيض من طرف الأنثى 28 يوما. تبقى الصغار بداخل العش 26 ـ 28 يوما قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز. يقتصر توزيعه الجغرافي على حوض البحر المتوسط وآسيا الوسطى والغربية. يتكون قوته من مختلف أنواع الحشرات وخاصة منها الجراد والخنافس.

م. رمضاني، *بولحية*، *معلمة المغرب*، الجزء 6، ص. 1845 ؛ *الرخمة*، *معلمة المغرب*، الجزء 13 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

P. Bergier, *Les falconiformes marocains. Satatut, répartition et écologie, Annales CEEP* (ex. *CROP*), n° 1987 ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris 1977.

محمد رمضاني

**عَاشِرْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس ظل بعض أفرادها هناك وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Agerreta - Ager - Axer. ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Ager ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

عاشر الحاج محمد بن عبد الرحمن من وجهاء تطوان. تولى خطة أبي الموارث يوم 8 ربيع الأول 1113 (13 غشت 1701). وفي سنة 1179 (1766) عينه السلطان سيدي محمد بن عبد الله حاكماً عاماً بشمال المملكة ومقره بتطوان وأعفي لكبر سنه سنة 1201 (1787). وكانت وفاته في السنة التالية.

وهو الحاكم المغربي الذي ورد اسمه في معاهدة دولية هي المعاهدة المغربية الاسبانية المبرمة بمراكش يوم 2 ذي الحجة 1180 (1 ماي 1767).

ومن آثاره بتطوان "القنا" الموجود بزنقة المقدم والمعروف بـ "قنا عاش" وهو الذي بنى القنطرة التي تحمل اسمه العائلي والواقعة بكيتان في طريق الزرقاء.

عاشر قاسم من أعيان تطوان الذين شهدوا بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم في شهر شوال 1078 (أبريل 1668).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1140.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عاشر**، **أحمد** بن **محمد** بن عمر السلاوي الصالح الشهير أصله من شمينة من أعمال قادس بالأندلس، وبها خلق ونشأ إلى أن حفظ القرآن وقرأ العلم، واجتهد في الطاعات والعبادات، وانقطع لعمل الخير. انتقل إلى الجزيرة الخضراء وأقام بها زمانا مشتغلا بتعليم القرآن، ولقي بها الشيخ الصالح أبا سرحان مسعود الأبله، صاحب المكاشفات والشأن العظيم، فاستأنس به وآنس، وهو الذي أخبره بقرب سقوط الجزيرة في يد النصارى، ودعاه إلى مغادرتها قبل استحكام الحصار. فانصرف عنها ابن عاشر، ورحل إلى المشرق لقضاء مناسك الحج، ثم عاد إلى المغرب، فقصد في البداية مدينة فاس، ثم أقام بمكناس مدة من الزمن. وكانت إحدى أختيه قد استقرت بها، واستفادت من جراية دائمة متعها بها السلطان أبو عنان المريني. انتقل ابن عاشر بعد ذلك إلى سلا ونزل بزاوية الشيخ عبد الله اليابوري، وكان ذا مقام كبير وأحد شيوخ التربية المشهورين، فلازمه مدة طويلة ووجد لديه العون والمساعدة، فقد أسكنه خلوة في الزاوية المذكورة، ويسر له إمكانية كسب قوته بتعليم الأطفال القرآن الكريم. غير أن وفاة الشيخ اليابوري جعلته ينتقل إلى سلا. فاستقر في أول الأمر بزاوية الشيخ أبي زكرياء يحيى بن عمر غربي جامعها الأعظم. وكان اكتسابه في هذه المدة من نسخ وتفسير وبيع كتاب العمدة في حديث رسول الله (صلعم) للإمام أبي محمد عبد الغني المقدسي، وكان معجبا بهذا الكتاب ولقنه لكثير من أصحابه. وقد وفر له هذا العمل دخلا، سمح له بشراء منزل بالقرب من باب معلقة بسلا، وهنالك اشتهر أمره وقصده الزوار واجتمع حوله عدد من المريدين، لكنه كان يفضل العزلة عن الناس ويقلل من لقائه بهم.

لم يكن الشيخ ابن عاشر يعيش بفضل الفتوح أو الزيارات، ولربما كان ذلك من أسباب اقتنائه لبستان بجهة باب سبتة من سلا، لكن الدخل المترتب عن زراعة هذه الأرض، لم يكن ليغير شيئاً من عوائد الشيخ، فقد كان متقشفا في حياته مقلالا ؛ وباستثناء يوم عيد المولد النبوي ويوم الجمعة اللذين كان يلبس خلالهما أحسن لباسه، وهي جبة خضراء وحزام صوف، فإنه كان يقتصر خلال سائر الأيام على جبة بالية قصيرة الأكمام، وحزام صوفي أسود وينتعل نعلا خشنا في أسفله مسامير. كان الشيخ يضطلع بأعباء حياته بنفسه ويرفض أن يساعده خواص أصحابه إلا في القليل لاعتباره أن ذلك من شأنه أن يحرمه من أجر التعب. أما طعامه خارج أيام صومه، فكان عبارة عن مد قمح في اليوم يصطحب به وجبة من نبات الخبازى وحيوان بحري يسمى السرنبق زيادة على ما يهدى له من سمك في بعض

الأحيـان، وشيء من التين اليابس الذي كـان يحتفظ به في داره.

لما اشتهر أمره وأصبح له الأصحاب والمريدون، كثر زواره وانحاز لجانبه التائبون ؛ وقد احتفظت المصادر بأسماء عدد من مشاهير زواره ؛ وكان منهم محمد بن أبي بكر الحضرمي مؤلف كتاب *السلسل العذب* الذي خصه فيه بترجمة وافية، وابن قنفذ صاحب كتاب *أنس الفقير* الذي وجده فريداً في الورع، محفوظا من كل شبهة، كثير النفور من الناس، وخصوصا أصحاب الولاية في الأعمال. وقصده ابن الخطيب أيام محنته بالمغرب فلقيه بين القبور في الخلاء "رث الهيئة مطرق اللحظ كثير الصمت مفرط الانقباض والعزلة ... شديد الاشمئزاز من قاصده". وحاول السلطان المريني أبو عنان الاتصال به في 757، لكنه لم يوفق إلى مقابلته، لأنه كان يرفض اللقاء بأهل الدنيا. فاعتذر واكتفى منه السلطان بكتاب نصح ودعاء انفرد أحمد الحافي بإدراجه ضمن مؤلفه "*تحفة الزائر ببعض مناقب سيدي أحمد بن عاشر*". وهي مراسلات لا نجد لها أثراً عند ابن قنفذ والحضرمي. وكان محمد بن عباد الرندي من بين من لازم الشيخ ابن عاشر، وكان من كبار أصحابه ومن خيار تلامذته، وكان له دور بارز في التعريف بطريقة شيخه، وعبر عن ذلك بنوع من التشدد في إحدى رسائله : "فمن حاد عن طريقته (أحمد بن عاشر) في معاملته الظاهرة والباطنة مع الحق ومع الخلق فهو سقيم الأحوال فاسد الأعمال".

كان أحمد بن عاشر من الأفراد الجامعين بين العلم والعمل، المتمسكين بالكتاب والسنة، الناهجين سنن السلف الصالح في الزهد والورع والانقطاع عن الناس كراهة في الشهرة. وكان على جلالة قدره لا يرى لنفسه على أصحابه شفوفا ولا مزية، ويذكرهم دائماً بأنه واحد منهم وليس بشيخهم ولا معلمهم، وينصحهم بكتب العلماء وعدم اتباع ما لا يوجد له أصل في كتب العلم، لكن العلم وحده لا يكفي للخلاص وكثيراً ما كان يكرر "العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر". وأول ماحض عليه التائبين رد التباعات وقضاء الصلوات والورع في المعاملات والاعتدال في الأحوال والاحتياط في الأمور الشاذة في العبادات. كان يصوم يوما ويفطر يوما ويأمر بذلك، وينهي عن الوصال، ويحذر من الإفراط في الخلوة.

وكان الشيخ ابن عاشر يجالس أصحابه وتلامذته لقراءة كتب التصوف في دار محبسة لغرض التربية والتعليم، وكان المتولي للقراءة والإقراء غيره من أصحابه، وكان لا يتدخل إلا لشرح ما أشكل من المسائل، وإلا فالغالب عليه الحذر والتحرز.

أحدث ابن عاشر مدرسة صوفية خاصة وسلك على يده تلاميذ صلحاء أخيار من أشهرهم ابن عباد الرندي ومحمد الزهري وطائفة ممن احتفظ بذكرهم كتاب السلسل العذب لمحمد بن أبي بكر الحضرمي. والظاهر أن ما ميز طريقة ابن عاشر، إضافة إلى اقتران العلم بالعمل، اعتماد أصحابها في عيشهم على كسبهم من استنساخ وبيع عدد من كتب الحلال والحرام، وبهذا يقول الحضرمي نجح في المغرب الفقه في هذا الباب. لما اشتهر به من حث لأصحابه على استنساخ كتبه وقراءتها وتصحيحها حتى فشت في الناس وتعيش من

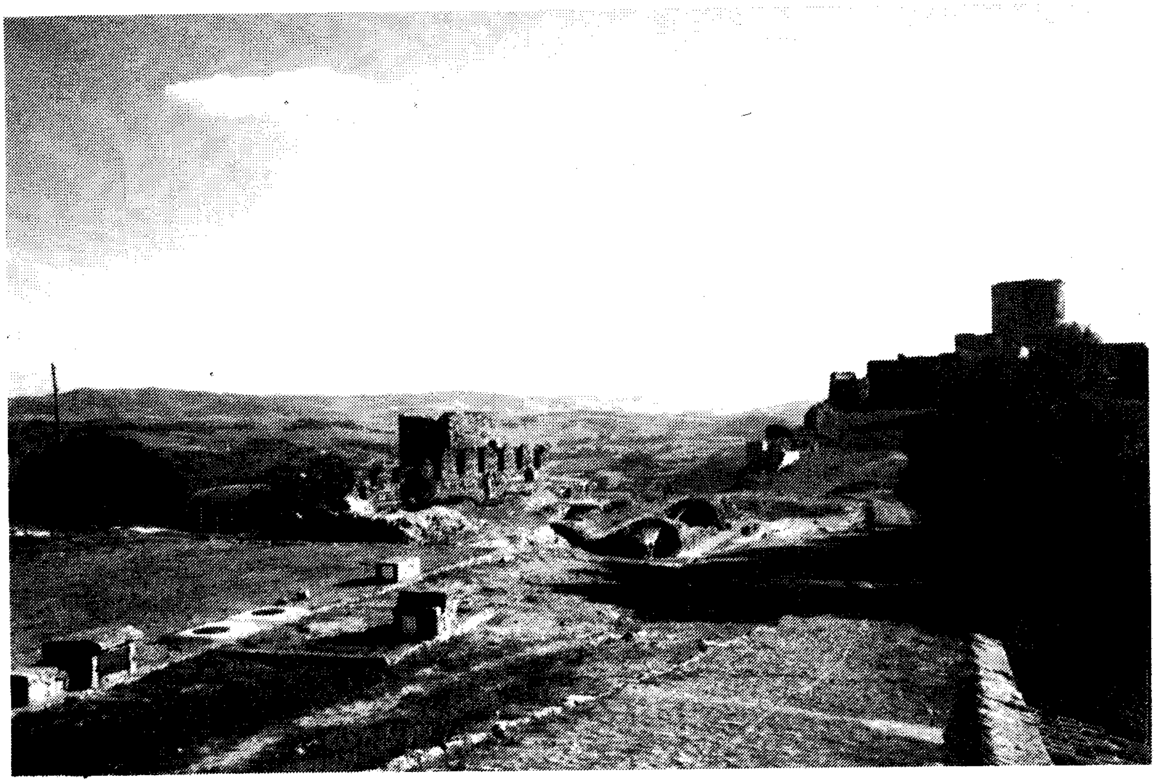

نسخها جماعة من تلامذته. وكان هذا التوجه يشمل كتب التصوف أيضاً، ومنها *الرعاية والنصائح* للمحاسبي، و*قوت القلوب* لأبي طالب مكي، و*إحياء علوم الدين* للغزالي.

كان الشيخ ابن عاشر من أولياء الله الصالحين، حريصا على إخفاء أمره وطمس كثير من أخباره وسيره. وعلى الرغم من إيمانه بالكرامة وقوله بعدم انقطاعها بموت صاحبها فسيرة هذا الصالح والكرامات المنسوبة إليه تعكس تصوفا معتدلا غاية الكرامة فيه الاستقامة وتقوى الله. ولهذا فقد كان ينهي تلامذته عن الاهتمام بموضوع الكرامة وحفظها.

مرض الشيخ أحمد بن عاشر أربعة أيام قبل وفاته في رجب عام 764 / 1363، ودفن إلى جوار جملة من أصحابه في المكان الذي يوجد به اليوم ضريحه، وهو من بناء السلطان مولاي عبد الرحمن وفرغ من بنائه في رجب عام 1247 / 1832. والسبب في بناء الضريح والمارستان يرجع إلى ما شاع لدى الناس من كرامات تعزو لهذا الولي الصالح القدرة على شفاء المفلوجين والمصروعين والمقعدين وذوي العمى والرمد.

م. الحضرمي، 1988 ؛ ل. الخطيب، *نفاضة الجراب*، 1986 ؛ م. بن عباد، *الرسالة الكبرى* ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير وعز الحقير*، 1965 ؛ أ. الحافي، *تحفة الزائر ببعض مناقب سيدي أحمد بن عاشر* ؛ بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*.

محمد فتحة

**ابن عاشر، عبد الواحد بن أحمد** بن علي ابن عاشر الأنصاري نسبا الأندلسي أصلا، ولد بفاس سنة 990 / 1582، ذكر الفضيلي أنه من حفدة الشيخ الشهير أبي العباس سيدي أحمد بن محمد بن عمر ابن عاشر السلاوي المتوفى سنة 765. وكان يسكن بدار أسلافه الكبرى بحومة درب الطويل من فاس القرويين.

حفظ القرآن على يد الشيخ المذرر أحمد بن عثمان اللمطي، والقراءات السبع على يد أبي العباس الكفيف ومحمد التلمساني، وأخذ الفقه عن جماعة من شيوخ العصر كأبي العباس بن القاضي وابن عمه أبي القاسم وابن أبي النعيم الغساني وقاضي الجماعة بفاس علي بن عمران وأبي عبد الله محمد الهواري، والشيخ القصار القيسي، وقرأ الحديث عن سيدي محمد الجنان، وأبي علي الحسن البطيوي، وقد تردد على الزاوية البكرية وأخذ عن علمائها المبرزين. فكان يحضر مجالس مَحمد بن أبي بكر الدلائي في التفسير والحديث، ولما اشتغل أحمد بن القاضي المتوفى عام 1025 في آخر عمره بتدريس *صحيح البخاري* في جامع الأبارين بفاس كان الذي يسرد الحديث بين يديه هو الشيخ عبد الواحد ابن عاشر.

رحل إلى المشرق وأخذ عن سالم السنهوري وعن الإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن يحيى العزي الشافعي، والشيخ بركات الحطاب، وغيرهم، وحج سنةَ 1008، والتقى بالشيخ عبد الله الدنوشري، وأخذ طريق التصوف عن العالم العارف الشيخ سيدي محمد بن أحمد التَجِيبي الشهير بابن عزيز دفين الدرب الطويل من فاس - المتوفى عام 1022 - وعلى يده فُتح عليه بسعة العلم والعمل، ووهم مخلوف في شجرة النور أن مترجمنا فُتِح عليه على يد الشيخ مولاي الطيب الوزاني.

تصدر ابن عاشر للتدريس والمشيخة والخطابة وشارك في جل العلوم، خصوصا علم القراءات والرسم والضبط والنحو والإعراب وعلم الكلام والأصول والفقه والتوقيت والتعديل والحساب والفرائض والمنطق والبيان والعروض والطب، وفاق شيوخه وعصره في جل العلوم، وذكر الشيخ ميارة في شرحه الكبير على *المرشد المعين* أن ابن عاشر "فاق أشياخه في التفنن في التوجيهات والتعليلات"، وأخذ عنه جماعة من العلماء، نذكر منهم : أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة المتوفى عام 1072 وهو شارح *المرشد المعين*، وأحمد بن محمد بن أحمد بن علي الزموري الفاسي، الذي أجازه بإجازة قرآنية بتاريخ أوائل شعبان 1035، وتوجد مصورتها بذيل الحركة الفكرية، - الطبعة الفرنسية - للدكتور محمد حجي.

ومن تلامذة ابن عاشر نذكر محمد الزوين صاحب شرح منظومة *تحفة الأبصار* في أعمار العقار لأبي الفضل العجلاني، مخطوط زاوية وزان، المتوفى بفاس عام 1040 / 1631. والشيخ عبد القادر الفاسي المتوفى عام 1091، والإمام المعمر محمد بن سعيد المرغيثي، والقاضي محمد بن محمد ابن سودة ابن أخت ابن عاشر، المتوفى عام 1076 وغيرهم.

اشتهر الشيخ ابن عاشر بالورع والزهد والاعتكاف والجهاد والتواضع وحسن الخلق، وكان لا يأكل إلا من عمل يده، مثابرا على التعليم كثير الإنصاف في المباحثة، ومن أقواله المأثورة في شروط الإجازة : "لو لم يجيزوا إلا لمن أتقن ما بَلَغَنا شيء"، وكانت له سلاسة في التعبير وحسن العرض لدروسه في القرويين، ولعل شهرته هاته ازدادت بتأليفه للأرجوزة الشهيرة : *المرشد المعين على الضروري من علوم الدين*، التي تقوم على العقيدة الأشعرية وفقه مالك وتصوف الجنيد، وهي في 314 بيتا، ابتدأ نظمها حين أحرم بالحج، ثم لما انفصل عن حجه كَمَّلَ ما يتعلق بقواعد الإسلام الخمس، ولخص هدفه منها بقوله :

وبعد فالعون من الله المجيد ... في نظم أبيات للأمي تفيد
في عقد الأشعري وفقه مالك ... وفي طريقة الجنيد السالك

وقد كان للمغاربة عناية فائقة في حفظها وشرحها وختمها، كما اشتهرت خارج المغرب، من الجزائر إلى مصر وفي جل أقطار السودان الغربي. وتنافس عدد من العلماء في شرحها، وأشهر شروحها شرح تليمذه ميارة الذي سماه *الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين*. ومن أطرف الشروح على *المرشد المعين* نذكر شرح أبي العباس سيدي أحمد بن مصطفى المعروف بابن علوية السمتغانمي الدرقاوي سماه : *المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية*، وهو شرح

لطيف يعتمد في شرح أبيات المنظومة على الإشارات الصوفية.

وإلى جانب تأليفه للمرشد المعين، ألف الشيخ ابن عاشر مجموعة من الكتب نذكرها كما يلي :

1 - *شرح مورد الظمآن في علم رسم القرآن.*

2 - *الإعلان بتكميل مورد الظمآن.*

3 - *طرر على شرح الإمام أبي عبد الله محمد التنسي لذيل مورد الظمآن في الضبط.*

4 - *طرر على الشرح الصغير للتتائي على مختصر الشيخ خليل*، المسمى *بجواهر الدرر*، قال فيها الشيخ ميارة : "وهي طرر جيدة بعضها يتعلق بكلام الشرح المذكور وبعضها بكلام خليل، حل فيها مشكلات ورفع بها إبهامات"، وقد أمر بتخريج تلك الطرر العلامة سيدي محمد بن أبي بكر، فأخرجت في أكثر من عشرين كراسا من القالب الكبير، وانتفع بها الناس وانتشرت في البلدان، وقيل إنها استخرجت في نحو أربعين كراسة.

5 - *رسالة في عمل الربع المُجَيَّب*، في نحو مائة وثلاثين بيتا من الرجز.

6 - تقييد على *العقيدة الكبرى* للإمام السنوسي.

7 - *حاشية على الجعبري.*

8 - شرح على *مختصر خليل من النكاح إلى العلم*، التزم فيه نقل لفظ ابن الحاجب، ثم لفظ التوضيح وأضاف إلى ذلك فوائد عجيبة، ونكتا غريبة جلها من بنات أفكاره.

9 - *شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح.*

10 - *نظم في النكاح وتوابعه من طلاق وغيره.*

11 - *مقطعات في جمع نظائر مهمة من الفقه والنحو.*

12 - شعر له يوجد ضمن أقدم كناشة مغربية باقية وهي الكناشة الزجالية لمحمد بن قاسم الزجالي المتوفى عام 1072. والكناشة كانت في ملك محمد الفاسي، ولعلها اليوم بالخزانة الحسنية.

13 - تقريض على منظومة علي بن عبد الواحد الأنصاري المسماة : *اليواقيت الثمينة، فيمن انتمى لعالم المدينة*، مخطوط الخزانة الحمزاوية.

ويعتبر الشيخ ابن عاشر من سند المغاربة في سلسلة الفقه المالكي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومن الذين يروون سنده أبو سالم العياشي في فهرسته عن طريق سيدي عبد القادر الفاسي، وقد احتج بأقواله في الفقه المالكي في 83 موضعا العلامة المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المصري المتوفى عام 1230 في حاشيته على الدردير في شرح مختصر خليل. وكثيراً ماشهدت المساجد في المغرب ختم نظم ابن عاشر.

توفي الشيخ ابن عاشر - رحمه الله - بعد مرض مفاجئ قيل بالداء المسمى على لسان العامة بالنقطة، وقيل مات مسموماً بسبب سم وضع له في نوار الياسمين عند اصفرار يوم الخميس 3 ذي الحجة عام 1040 / 3 يوليوز 1631، وهو ابن خمسين سنة، ودفن من الغد في مطرح الجنة المعروف أيضاً بمطرح الجلة قرب مصلى باب فتوح بفاس، وبني عليه قوس معروف غرب روضة سيدي يوسف الفاسي بجوار السادات المنجريين، وهو مزار متبرك به.

م. بن أحمد ميارة، *الدر الثمين والمورد المعين*، مصر، 1380، ص. 3 - 5 ؛ أبو سالم العياشي، *اقتفاء الأثر*، ص. 112 ؛ الإفراني، *صفوة من انتشر*، ص. 59 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج 1، ص. 283 ؛ م. الفاسي، *المورد الهني*، مخ خ ع 1234 ك. ص. 185 ؛ ابن علوية المستغانمي، *المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية*، تح. سعود القواص، دار ابن زيدون، بيروت، 1986 ؛ الدسوقي، *حاشية على الدردير*، تح. محمد عليش، بيروت، دون تاريخ ؛ الفضيلي، *الدرر البهية*، ج 2، ص. 344 ؛ الحجوي، *الفكر السامي*، ج 2، ص. 327 ؛ مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 299 ؛ بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، القسم التاسع، ص. 507 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 2، ص. 274 ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج 1، ص. 408 ؛ القيطوني، *معجم المطبوعات*، ص. 224 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ص. 94، وص 102 - 104 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج 1، ص. 145، ج 2، ص. 370 ؛ المنوني، المصادر العربية، ج 1، ص. 150، وقبس من عطاء المخطوط المغربي، 1، ص. 264، وص. 449، وص 536.

أحمد ايشرخان

**عاشر، محمد** بن **عبد الرحمن** من أسرة أندلسية، نعرف منها في القرن السابع عشر المدعو قاسم عاشر. وأول ما يعرف عن المترجم له أنه كان من المقربين لدى باشا تطوان علي بن عبد الله الريفي حين عينه سنة 1701 نائب بيت المال. وبرز محمد عاشر على عهد السلطان محمد بن عبد الله ما بين 1766 و1787 بصفته حاكم تطوان، حسبما أعلن عنه في اتفاق 28 مايو 1767 بمناسبة تعيينه وكيلا إلى جانب اللجنة الإسبانية المكلفة بتعيين حدود الثغور المحتلة، غير أن مشاركته لم تظهر في تلك المهمة أو التي تلتها سنة 1784 بخصوص تعيين حدود سبتة، إلى أن أعفاه السلطان من مهمته سنة 1787 لكبر سنه.

مراسلات الأرشيف التاريخي الوطني بمدريد، سنة، 1767، ملفات، 4351 - 4311 - 4308 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، م. داود، *تاريخ تطوان* ؛ ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، الدار البيضاء، 1997 ؛ م. بن عزوز حكيم، *الجديد في تاريخ تطاون*، تطوان، 2000.

حسن الفگيگي

**عاشور**، أسرة الأندلسية رباطية، عرف بعض أفرادها بالجهاد البحري في عهد السلطان محمد بن عبد الله 1757 - 1790. فكان هناك شخص يحمل اسم عاشور دون اسم آخر أورده الضعيف (ت. العماري، ص. 196) وكان من رؤساء البحر تكلف سنة 1200 / 1785 بمهمة سفارية لدى إحدى الدول الأوروبية صحبة زميله لبُريس.

**عاشور، أحمد** رايس بحري معاصر للسلطان مولاي

عبد الرحمان بن هشام. ورد اسمه في الوثائق كقائد من رؤساء البحر، إلاّ أنه لم يكن يقود السفن أو يدرب البحرية على غرار الرؤساء البحريين الآخرين، وإنما كان له اطلاع بما سمي بعلم البحر فكان يدرّس علمه للطلبة، ورد اسم الرايس عاشور في رسالة رحمانية موجهة إلى القائد بوسلهام بن علي أزطوط في 5 جمادى الأولى 1257 قال فيها : (وبعد، وصل كتابك مخبرا بأن أهل الرباط عينوا الرايس عاشور للسفر مع من تعين من أهل العدوتين ليتعلم أمور الجهاد صحبة الآسكونة التي أمرنا بسفرها، فتمارض لأن العلم الذي عنده إنما هو بالقول دون الفعل، ولم يتقدم له سفر في البحر فأخروه ووجهوا الحاج أحمد والحاج).

و. الخزانة الملكية محفظة، 7 الموانئ والملاحة، ظهير جمادى الأولى، 1257.

**عاشور، أحمد** وُلد في 13 أكتوبر من سنة 1919 بمدينة أسفي في عائلة متواضعة كانت تمتهن الحيَاكة أباً عن جد وتعيش في كفاف وعفاف، نشأ الطفل أحمدَ بهذه المدينة وبها تلقى تعليمه الابتدائي، ثم التحق بثانوية مولاي يوسف بالرباط لمتابعة دراسته الثانوية، ثم بعد تخرجه من شعبة تكوين المعلمين، عُيّن معلما بإحدى المدارس الابتدائية بمسقط رأسه، وعمل عدّة سنوات برهن أثناءها عن كفاءته وإخلاصه فتَمَّ تعيينه مديراً لمدرسة ابتدائية مختلطة، وهي الوحيدة التي كانت آنذاك توجد بإفران. وبما أن المدير عاشور كان لا يفتر عن المطالعة والبحث، فقد تمكن سنة 1949 من الحصول على دبلوم اللغة العربية الذي كان يمنحه معهد الدراسات العليا بالرباط، فكان من أوائل الشبان القلائل الذين حصلوا على هذا الدبلوم في ذلك العهد، وبذلك تَمَّ التحاقه بالتعليم الثانوي كأستاذ مكلف بالدروس بثانوية أَزْرُو سنة 1951، وظل يعمل بهذه المؤسسة إلى أن نُقِلَ، بنفس الصفة، إلى ثانوية أخرى بالدار البيضاء ؛ ثم تقدم سنة 1956 إلى مباراة التفتيش، فكان النجاح حليفه وأُسندَ إليه وظيف مفتش جهويّ للتعليم الابتدائي بنواحي الدار البيضاء، وبعد أن قضى عدة شهور في التدريب بفرنسا نال في نهايتها شهادتين أخريين، إحداهما من معهد لونشان Lonchan، والاخرى من معهد سان كلو Saint Cloud، عاد إلى المغرب

حيث أسندت إليه مهمة مفتش جهوي بالدار البيضاء سنة 1958.

ثم نظراً للكفاءة التي برهن عنها السيد عاشور خلال السنوات التي قضاها بنجاح في ميدان التربية والتعليم، عينته وزارة التعليم في السنة التالية (1959) مندوباً للسهر على التعليم في شمال المغرب وإصلاح الأوضاع التي خلفها الاستعمار الاسباني في هذه المنطقة.

وبما أن المغرب كان في ذلك الوقت لا يتوفر على عدد المعلمين اللازمين لا كمّاً ولا كَيْفاً، فقد أنشأت الوزارة قسما خاصاً بتكوين هؤلاء الموظفين، فنادى وزير التعليم على السيد عاشور وأسند له تسيير هذا القسم، فعمل على إحداث عدد من مدارس المعلمين بمختلف مدن المغرب ونظم دروساً بالمراسلة لفائدة المعلمين غير الرسميين، كما ساهم في تمثيل المغرب في عدد من المنتديات والمؤتمرات الدولية بصفته ممثلا لبلاده في منظمة التربية والتعليم.

ولما عين الدكتور بنهيمة وزيراً للتعليم سنة 1965، أسند مديرية ديوانه إلى السيد عاشور.

وفي سنة 1966، شاءت الاقدار أن نسافر أنا وإياه إلى مرسيليا بفرنسا على رأس وفد من مفتشي التعليم الثانوي، هو بصفته مديراً لديوان الوزير، وأنا بصفتي رئيساً لقسم البحث والعمل التربوي، وذلك بقصد تنظيم تدريب بيداغوجي لفائدة الأساتذة الفرنسيين الذين كانوا سيفدون على المغرب للتدريس بمختلف الثانويات المغربية. فسافر الوفد على الطائرة، إلا السيد عاشور، لأنه، كما قال لي، كان يشكو من بعض الألم بالقلب، ولما أنهينا مهمتنا بفرنسا، اضطر هو كذلك إلى ركوب الباخرة، ثم في اليوم 13 يوليوز، فوجئنا بخبر وفاته رحمه الله بمدينة مالقا باسبانيا، وكانت سنه لا تتجاوز 46 سنة، ثم نقل جثمانه إلى الرباط وتم دفنه بمقبرة الشهداء. ولقد منح بعد وفاته وسام العرش من درجة ضابط.

*معلومات* مستقاة من ولده السيد علال عاشور ومن معرفتي الشخصية له.

محمد الشياظمي

**عاشور، أحمد** بن **العربي** فقيه عالم، متضلع في الحساب والتوقيت، مؤرخ وهو أخو قاضي الجماعة مَحمد عاشور، تفقه عن شيوخ الرباط أمثال ابن العروصي وشارك في عدة فنون، له أنظام في موضوعات علمية وأشعار في أغراض أدبية يوجد بعض الأزجال منها في كنانيش المديح، وكان مولعا بالتقييد، خصوصاً فيما يرجع للهيئة والتعديل والحوادث التاريخية، وله أرجوزة شهيرة في التوقيت أورد المؤلف بوجندار مطلعها.

توفي في أواسط القرن الثالث عشر الهجري.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 49 ؛ م. دينية، *مجالس*.

**عاشور، عبد الله** بن **محمد** من علماء الرباط الذين اشتغلوا بالعدالة، وكان منخرطا في الطريقة التيجانية وعرف بالأخلاق الفاضلة وكثرة تلاوة القرآن. استخدمه المخزن عدلا في إحدى المراسي.

توفي في 11 ذي الحجة من سنة 1317 ودفن بزاوية مولاي العربي الدرقاوي بالرباط.

م. بن علي دينية، *مجالس الانبساط*.

عبد الإله الفاسي

**عاشور، العربي** الفقيه العالم السيد العربي بن محمد بن أحمد بن علي الرُشى، المعروف بعاشور، من علماء الرباط ووجوهها، قال صاحب الاغتباط : "كان رحمه الله من علماء الرباط وأعيان عدولها أواخر القرن الثاني وأوائل المائة الثالثة بعد الألف".

م. بن الحاج مصطفى بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، دراسة وتحقيق، د. عبد الكريم كريم، الرباط، 1987 ؛ *تذكرة المحسنين*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2495.

سليمان القرشي

**عاشور، عمر** (الحاج -) ابن القاضي مَحمد. الفقيه النوازلي الصوفي الشهير كان جامعا بين علوم الشريعة والتصوف. قرأ على شيوخ الرباط كالطيب بسّير والمكي بن أحمد بوجندار والفقيه أحمد بن محمد بن الغازي وأحمد دينية. رحل إلى فاس فأخذ عن الكثير من شيوخها. تصدر للشهادة والإفتاء أيام القاضي أبي زيد البريبري والقاضي محمد بن إبراهيم. أرسله السلطان المولى الحسن إلى طنجة للفصل في قضية شرعية واعتكف على التدريس والإقراء خصوصاً الفقه والحديث والتصوف. من تلامذته الأديب أحمد جسوس والقاضي محمد الروندة والفقيه محمد بن عمرو والفقيه بنعيسى بنمسعود والشيخ فتح الله بناني ومحمد الرندي وغيرهم. اشتغل بالتصوف فتهجد ولبس المرقعة وأصبح تابعا لشيخه المربي عبد الواحد بن علال القصار المعروف بالدبّاغ. ألف عدة تآليف منها شرحه على مختصر خليل سماه *التعظيم والتبجيل*، ومنها شرح كتاب مبادئ التصوف سماه خلاصة التصرف، وله عدة شروح الأول على بردة المديح والثاني لأسماء الله الحسنى سماه *الأذواق العرفانية في الأسماء الإلاهية*، والثالث على المباحث الأصلية في طريق الصوفية. وله ختم على البخاري وختم على *المرشد المعين*. وله كتاب سماه *المقالة المرضية في بعض أحوال الطائفة الدرقوية* وآخر بعنوان *الكشوف الربانية والحقائق العرفانية* وآخر سماه *"الإتحاف بشهود الألطاف"* كما له مصنف في مناسك الحج وله حزب سماه *"حزب التضرع والابتهال"*، وله حكم تشتمل على وصايا ومواعظ ونصائح واشعار. حج في أول أمره واستخدم عدلا بمرسى الدار البيضاء وكذا بدار عديل بفاس.

توفي وعمره يتجاوز السبعين يوم الاثنين آخر ذي الحجة 1314 ودفن بزاوية شيخه مولاي العربي الدرقوي.

بوجندار، *الاغتباط* ؛ م. دينية، *مجالس*.

عبد الإله الفاسي

**عاشور، مَحمد** بن **العربي** بن مُحمد بن أحمد بن علي الأندلسي مَحتداً الرباطي مَولداً كان من أكابر العلماء المدرسين المفتين ذوي المشاركة في كثير من الفنون العلمية أخذ عن مشايخ الرباط في وقته كصهره العلامة القاضي ابن العروصي والقاضي أبي عبد الله الغربي وغيرهما، ويقول بوجندار : وقفت له على تأليف ينسب إليه في تزييف العوائد التي تقام بمراكش أيام عاشوراء ألّفه للسلطان أبي الربيع قال في طالعته : "هذا وإن هذه رسالة حفيلة بالنصيحة والهداية، نهَج لي طريقتها وكشف لي حقيقتها سيدنا الإمام الأوحد أمير المؤمنين ابن مولانا محمد أبقاه الله عمدة للدين وقامعا لأهل البدع المعتدين وضعتُها في رَدّ ما اشتهر بمراكش ليلة عاشوراء من أمور أحدثوها وسموها "الافْرَاجَة" تشتمل على مناكر هي لهدم بنائها وقلعها محتاجة، وذلك كتشبه الرجال بالنساء وتشبه الرجال باليهود وكالمحاكاة لأناس معينين من قبيلة أو من بلد وكاتخاذ الصور وضرب الرجال آلات اللهو من أكْوالآت ومزاهير وغيرها وأخذهم بذلك أموالاً من غير طيب أنفس أهلها، بل يعطونهم حماية للعرض وتوقيا من الضرب والشتم وسائر أنواع الإذايات وكأخذ الكراء على تدوير الصبيان وغيرهم بالنواعير وما ينشأ عن ذلك من الضرر والجراحات" إلى آخر كلامه.

لقد كان القاضي عاشور من العلماء العاملين والقضاة الناسكين متحليا بحلية العلم والفضل متحرياً طريق الإنصاف والعدل، تداول قضاء الرباط ومراكش إلاّ ان ولايته بالرباط لم تكن من قبَل السلطان على ما نُقل عن الأديب ابن عمرو الرباطي الذي قال إنه في يوم الأحد السابع من ربيع الثاني عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف تعصّب أهل الفوضى بالرباط فأخّروا الفقيه السيد عبد القادر مُرينو عن القضاء ومنعوه الحكم بين الناس وكان والياً عليهم بتولية مولانا أمير المؤمنين أبي الربيع، ثم في عشية الأربعاء بَعْدَه قدّموا محمد عاشور.

ويضيف بوجندار، لكن أخبرني حفيد المترجم الفقيه العدل السيد الحاج محمد عاشور أن ظهير توليته موجود لديهم فلعله بعدما ولي من قبل أهل البلد أخّره السلطان بذلك الظهير، ومع ذلك فلم تدم ولايته بالرباط إلا بضعة أشهر لما كان عليه رحمه الله من الشدّة والصرامة في الأحكام، ومما يحكى في صرامته أنه جاء إليه الوزير ابن إدريس لداره مُتَشفِّعاً في إرجاع عدل عزله عن الشهادة فلم يشفعه وقال له كيف أردّه أنا والشرع عزله ؟ ! قيل وهذه القضية هي التي كانت سبب تأخيره عن قضاء الرباط، لكن بعد ذلك

أُسْنِد إليه قضاء مراكش، فمكث فيه نحو الخمسة عشر عاماً، وكان هو قاضي الجماعة يحكم بمقصورتي المْوَاسين وابن يوسف كما في كتاب *الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام* لابن إبراهيم. قال وكانت فيه حدَّة : سَجَن العلامة محمد السليطن حيث كان يفتي بنقْض أحكامه ويعترض عليه فيها ووقع بينهما لجاج ومنعه من الإفتاء ثم سرّحه السلطان مولاي عبد الرحمان في الحين، وكان لا يقبل من العدول إلا المبرّزين واختار منهم جماعة قليلة وعزل غيرهم واقتصر عليهم وصاروا يعرفون بالعدول العاشوريين، ولما خلفه في القضاء السيد الطالب بن الحاج ألزمه السلطان بالاقتصار عليهم لشهرتهم بالعدالة والتبريز.

كانت وفاة القاضي محمد عاشور بمراكش في حدود الستين والمائتين والألف، ودفن خارج المدينة بضريح سيدي عمارة قرب دار المخزن.

م. بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط.*

محمد الشياظمي

**عاشور، محمد** بن **عمر** من علماء الرباط. درس العلم على كبر سنه فتلقاه من أبيه أبي حفص والشيخ فتح الله بناني وأبي حامد البطاوري والجيلاني بن إبراهيم. ولما استقى من العلوم ما أقنعه بإمكان التبليغ، وخصوصا في العربية والدين، تصدر للتدريس للأطوار الأولى فألقى دروسا في *المرشد المعين* و*رسالة* ابن أبي زيد. ومن تلامذته عبد الله الجراري الذي يذكر أنه حضر ختمه للمرشد في الزاوية المباركية.

اشتغل بالعدالة فكان من أكثر العدول استقامة. ويذكر الجراري أن عاشور كان أميل إلى التهور منه إلى الحزم واليقظة سواء في هيأته أو في عمله. ورشح عضوا بالمجلس الأعلى للجنايات بالمخزن ثم مستشاراً بنفس المحكمة وبقي يمارس هذه الوظيفة إلى وفاته. غير أن صوفيته وورعه كانا يمنعانه من الانغماس في هذا الوظيف الذي لم تطبق فيه مبادئ التشريع الحق وهو الوظيف المزمل بالدماء المحاط بهضم حقوق الناس.

ونظراً لما تمتع به من اعتبار وما كان لخطبه من تأثير مع الاختصار فقد اختير خطيبا للقصر في عهد كل من مولاي يوسف ومحمد الخامس. ولما كان يعتريه من المرض مايحول بينه وبين ممارسة مهنته فقد استأذن في أن ينيب عنه ابنه الحاج عمر ثم ابنه المعطي. وحظي طلبه بالقبول لما التمس من السلطان توظيف ابنيه في المخزن.

من آثاره العلمية شرح على رسالة لوالده في مناسك الحج، وخطب وتقاييد. كما ترك رسالة كفهرست لأشياخه.

توفي صباح الأحد 30 ربيع الثاني 1366 موافق 23 مارس 1947 ودفن بزاوية سيدي العربي بالرباط.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين.*

عبد الإله الفاسي

**عاشوراء بالمغرب** أو اليوم العاشر من المحرم. وقيل التاسع منه (*لسان العرب*، 4 : 469) أصبح هذا اليوم من الأعياد التي سنها الرسول - صلع - وصامه وأمر بصيامه (*السنن*، 2 : 326). وكان الشيعة وأتباعهم في فاس، قد جعلوا منه ذكرى حزن على مقتل الحسين بن علي (*فاس قبل الحماية*، 2 : 852) لكن هناك الذين اتخذوه يوم أفراح، تقام فيه الاحتفالات، ومنهم الأمويون بالأندلس وعامة المغاربة، بالمغرب الأقصى (*الخطط*، 2 : 389). ويتم الاحتفال بعاشوراء في المغرب على مستويين : مخزني وشعبي، وكان المرينيون من السباقين الذين اشتهروا بالاحتفال بعاشوراء ؛ خاصة في عهد أبي عنان. واقتفى أثرهم في ذلك، السعديون والعلويون (*فيض العباب*، 149).

جرت العادة خلال الاحتفال الرسمي بهذا العيد أن يقوم المخزن بالعناية بأبناء الضعفاء والمساكين، بتوزيع الملابس الجديدة والألعاب عليهم. وبرعاية السلطان السعدي أحمد المنصور، وبرئاسة القاضي سواء في المدينة أو القرية، كانت السلطة الدينية تقوم، بإعذار أطفال المعوزين (*السياسة والمجتمع*، 260). وكان ذلك يتم في حفل بهيج، تطغى فيه أنغام موسقى الآلة، على صراخ الصغار الذين تم إعذارهم. وللتخفيف من آلامهم وصرفهم عن البكاء، وتسليتهم، توزع عليهم هدايا وألعاب، لإدخال السرور على قلوبهم. وتقدم هبات نقدية لذويهم. (*مناهل الصفا*، 2 : 243) وتعميما للفرحة، كانت السلطة المخزنية تسمح لشخص يرتدي بطانة أضحية العيد ؛ أو جلد العجل الصغير ويضع لحية من الشَّعَر وسبحة من صدفات الحلزون وتسميه العامة "هَرْمَا" بأن يجوب القرى وأحياء المدن، ممسكا عصا. ويقوم بحركات تثير الضحك خاصة عند النساء والشباب والأطفال.

ويبدو أن السلاطين العلويين، قد وسعوا من دائرة الاحتفال بهذا العيد. فبالإضافة إلى إعذار أطفال المعوزين والعناية بهم ؛ كانت تقام في هذه المناسبة حفلة، في رحاب المشور سواء في فاس أو مراكش ؛ يحضرها الخاصة والعامة تسمى "لبساط"، وهو لون مسرحي يقوم على أساس الجرأة وترك الحشْمة، واستعمال طُرَف الكلام والمزاح والدعابة. وكان السلطان محمد بن عبد الله (1757 / 1790) يحضر هذا الحفل (*أبحاث في المسرح المغربي*، 14 و 15).

أما على المستوى الشعبي، فإن الاحتفالات بعاشوراء عند سائر المغاربة ؛ تتعدى اليوم العاشر، إلى بعض الأيام التي تليه. ويتم التهييئ لها انطلاقا من فاتح محرم، خاصة في المدن الأصيلة. إذ تصبح أسواقها زاخرة بأنواع ملابس النساء والأطفال ولعبهم ؛ وبالفواكه المجففة. ويبلغ الاحتفال بهذا العيد أوجه ليلة العاشر من هذا الشهر. فبعد تناول طعام الغداء المشتمل على الكسكس والخضر، والباقي من قديد أضحية العيد "الذِّيَّالة" ؛ تقوم الأم وبناتها أو بعض أقربائها بتهييء "لَقَرْشْلاَت" وهي نوع من الحلويات الصلبة بحجم الفول. ولها مذاق شهي. وبعد صلاة العشاء، وبحضور

جميع أفراد الأسرة. وبعد أن تكون البنات والنساء، قد نقشن أيديهن وأرجلهن بالحناء ؛ والكبار والصغار قد ارتدوا، أبهى ملابسهم، يتم خلط هذه الحلويات بأنواع الفواكه المجففة التي اقتناها الأب مثل : اللوز والجوز والتمر والزبيب والحمص والتين ويسمى هذا الخليط "الفاكية" فتبادر الجدة أو الأم بتوزيع "الفاكية" على الحاضرين ودون إغفال الغائبين. وذلك بواسطة قدح، حرصا على قسمة متساوية. وتتم هذه العملية في بهجة وانشراح.

الملاحظ أن مظاهر تخليد هذه الذكرى متشابهة في مدن وقرى المغرب. لكن الاحتفال بها قد يتسع ليشمل أفراد العائلة، التي يكون أحد أبنائها أو إحدى بناتها، في طور الخطوبة ؛ أو أن زواج البنت لا يزال حديث العهد. ففي مرحلة الخطوبة فإن الخطيب هو الذي يعمل على تقديم الهدايا إلى خطيبته حسب إمكانياته المادية وتسمى " التَّفْكَدَة" وتضم بعض الملابس والحلي وبعض رؤوس الدجاج. ويسلَمها أبوه وأمه، إلى أسرة الفتاة. وتشكل هذه الهدية رمز محبة واهتمام وعناية الخطيب بخطيبته. أما في المرحلة التي يكون فيها زواج الفتاة في شهوره أو سنته الأولى، فإن أسرة العروسة هي الذي تعمل على تقديم "التَّفْكَدَة" لابنتها. وتسمى في هذه الحالة "عاشوراء". وبهذه المَناسبة، يأخذ الاحتفال حجما أكبر، ليشمل جميع الأقرباء وجيران الأسرتين. وتقوم أسرة العروس، من جهتها بتهييء وليمة عشاء، في هذه الليلة ولا يحضرها إلا النساء والفتيات من العائلتين. ويتم جلب جوق طرب نسائي "اللَّعَّابَات" وتشكل المدعوات وأفراد الجوقة حلقة يطربن داخلها ويرقصن فيها على أنغام وأهازيج متعارفة عليها بينهن. وقد لا يكتفي المدعون بالبقاء في منزل العروس، كما هو الحال في مراكش مثلاً. بل يخرجن للقيام، بجولة عبر الأزقة القريبة في الحي، رفقة اللعابات ويضربن على التعرجات والطبل والبندير، غير خائفات من ظلمة الليل، ومتحديات لوم الأزواج والأولاد مرددات :

هَذَا عَاشُورْ مَا عْلِينَا لَحْكَامْ    العِيدْ المَيْلُودْ يَحَكْمُو الرَّجَّالْ

أما اللواتي لم تستطعن الخروج فتسترقن السمع والنظر من فوق السطوح. وكانت النساء في فاس، يضفن إلى الخروج إلى الشوارع، صعودهن إلى السطوح لإيقاد شعلة من نار والتغني حولها بأغنية "لَلاَّ مَنَّانَة".

ويختم الرجال والشباب في مراكش هذه الاحتفالات الجماعية وما يرافقها من ألعاب وأهازيج شعبية، بلعبة الدَّقَّة المراكشية الشهيرة. وتقام في ساحات أكبر الأحياء، في المدينة القديمة وتطلق من منتصف ليلة العاشر إلى صباحه. ونقرأ تفاصيلها في (*معلمة المغرب*، 12. 4049) ويقوم باشا المدينة، بتكريم فرقة الحي التي تفوقت في هذه اللعبة. بمنحها هبة مالية، تنظم بها نزهة في حدائق أگدال قد تدوم ثلاثة أيام.

وفي صباح اليوم نفسه، ومباشرة بعد انتهاء الدقة، يقوم الشباب بإيقاد شعلة نار يقفزون عليها. ثم يتراشقون بالماء معتقدين أن ماء بئر زمزم، اختلط في هذه المناسبة بماء العيون والسقايات. وأن كل من اغتسل، أو تبلل به في هذا اليوم سوف لن يصاب بأي مرض طيلة السنة (*فاس قبل الحماية*، 2 : 855) وعندما تهدأ دقات التعاريج ونقرات القراقب والبندير، يذهب الناس نساء ورجالا لزيارة قبور أهلهم وذويهم. ولهذا يسمى هذا اليوم أيضاً يوم الزيارة أو يوم البركة. وفيه تؤدى الزكاة ويتم توزيع الهدايا والصدقات على الفقراء والمحتاجين. وكان المتصوف أبو عبد الله البَيْغي الكَمَّاد يطعم الطعام في هذه المناسبة رغم خصاصه المادي (*التشوف*، 271).

وذلك يدل على أن مساعدة الفقراء في هذه المناسبة، ترجع إلى فترة الموحدين إن لم تكن قد بدأت قبلهم. ويبدو أنها عرفت تطوراً انطلاقاً من فترة الحكم المريني (*السياسة والمجتمع*، 261). وكان التجار والحرفيون يشتغلون في عاشوراء معتقدين أن عملهم في هذا اليوم، سيكون مفتاح خير ويُسر وبركات ستعمهم طيلة السنة. بينما كانوا ينقطعون عن العمل في اليومين المواليين. فيسمون اليوم الحادي عشر، من محرم يوم "الربَا" والثاني عشر منه بيوم "قْطيعْ الصَّبَاعْ" أي أن من يعمل فيه سيصاب بأمراض اليد والأَصابع. وهو ما اعتبره الفقهاء بالمغرب ؛ إضافة إلى مظاهر الاحتفالات الأخرى، ضربا من البدع التي أصبحت شائعة في هذا العيد. (*المدخل*، 1 : 289 *والرحلة*، 2 : 84).

أبو يعقوب يوسف التادلي ابن الزيات، *التشوف إلى رجال التصوف*، تح. أ. التوفيق، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1984 ؛ جمال الدين محمد ابن منظور، *لسان العرب*، دار صادر بيروت، بدون تاريخ ؛ محمد بن محمد بن محمد العبدري الشهير ابن الحاج، *المدخل*، دار الفكر، ج 1، بدون تاريخ ؛ برهان الدين إبراهيم بن عبد الله النميري المعروف بابن الحاج، *فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب*، دراسة واعداد محمد بن شقرون، الرباط، 1984 ؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، كتاب *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية*، مكتبة الثقافة، القاهرة، بدون تاريخ ؛ أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا*، تح. عبد الله گنون، ج 2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط. المهدية، 1964، تطوان ؛ محمد بن محمد بن عبد الله المؤقت، *الرحلة المراكشية*، أو مرآة المساوئ الوقتية، دار المعرفة، الدار البيضاء، بدون تاريخ ؛ روجي لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، تر. إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986 ؛ *البحث الميداني*.

عبد السلام السعيدي

**العاص، أحمد** بن **محمد** قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته مزوجة، انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي امحمد امزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور ؛ فقد شارك في عدد من المعارك كانت آخرها المعركة التي جرت بقرية غريب

علال وقدور بقبيلة بني سيدال يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912) حيث سقط أسيراً بيد الإسبان وفيها استشهد زعيم المقاومة الشريف سيدي امحمد امزيان.

*أعمال ندوة الشريف امزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي* (1909 - 1912) تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

**العاصمي، أحمد** بن **محمد** بن **الحسن**. ولد بمراكش في أواخر القرن (19 م)، وبها نشأ ودرس. حفظ القرآن، وتابع دروساً في العلوم الشرعية والعربية، لكنه تخصص في علوم الرياضيات والفلك والتوقيت، وهي علوم عرفت تجديداً ونهضة كبيرة في القرن (19 م)، خاصة بفضل جهود سيدي محمد بن عبد الرحمان منذ كان خليفة السلطان بمراكش. وقد ضمت هذه المدينة عدداً من كبار علماء هذه التخصصات أمثال أحمد الصويري ت. 1902 ومحمد البخاري ت. 1926 (المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، 1 : 220 - 225 ؛ ط. 1985) وقد حرص المترجم له على الأخذ عمن ادركهم من علماء هذا الجيل. ومن أساتذته الشيخ المعمر مولاي الحاج محمد القنوفي البوعناني الذي سبق له أن رحل للمشرق ودرس بمصر.

اجتهد أحمد العاصمي في تحصيل هذه العلوم حتى صار من أمهر أهل عصره في الرياضيات والتوقيت، وقد وضع حصة لعرض مراكش، لكنه لم يتكلف رسميا بتوقيت أحد المساجد.

وقام بتدريس هذه العلوم في جامع ابن يوسف قبل النظام، وبعد إحداثه في سنة 1938، وأخذ عنه طلاب من طبقات متعددة. كما تتلمذ عليه صنف آخر يضم المتخصصين، وهم إما موقتون رسميون أو ممن سيُرشحون، للتوقيت مستقبلا، وإما أناس لهم اهتمام شخصي وولع بهذه العلوم كلها أو ببعضها. ومن هؤلاء : أحمد بن الطبيب، موقت المسجد العباسي، ثم مسجد ابن يوسف، وأحمد بن محمد الحوزي، الذي برع في علم الفلك وألف رسالة *"إيضاح الادلة في مراصد الركلة"*.

ونزولا عند رغبة تلامذته ألف العاصمي "رسالة في تناول الأنساب وما يتعلق بها من جداول اللوغريتمات وكيفية استعمالها".

كما كان مبرزاً في علم الفرائض، إليه يُلجأ في حل مسائل الميراث العويصة، كالمناسخات من ست درجات أو سبع، وعليه يعتمد حتى كبار القضاة أمثال ابن إبراهيم مؤلف *"الإعلام"* والشيخ العبادي القاضي، بآسفي.

كان قد اشتغل لفترة بتجارة الثياب، وذلك بعد وفاة والده، الذي كان تاجر قماش في القيسارية، ثم مارس خطة العدالة. وبعد إنشاء "مدرسة الفضيلة" الحرة للبنات، سنة 1944 أسندت إليه إدارتها. وفي سنة 1953 أغلقت سلطات الحماية مدرستي الحياة والفضيلة، فخرج من مراكش ولحق بابن أخته مبارك الغراس في الدار البيضاء، وبقي هناك إلى سنة 1955. ثم عاد لمراكش واستمر في إدارة مدرسة الفضيلة، بعدما أعاد الفرنسيون المفاتيح إلى الغراس، إلى أن توفي في 2 - 4 - 1961 بمراكش.

كان أحمد العاصمي صوفياً، عابداً، ذاكراً، متواضعاً. ساند الحركة الوطنية مساندة روحية بليغة الأثر.

ح. الغراس، *الحياة الفكرية بمراكش في أواخر التاسع عشر وبداية العشرين*، مخطوط.

حياة الغراس

**العاصمي، أحمد** بن **محمد** بن **محمد** بلحسن العاصمي. تنحدر أسرته من قبيلة بني عاصم اليمنية. ولد بمدينة مراكش بحي الرحبة القديمة درب أعرجان عام 1318 / 1900 ونشأ في عائلة متوسطة الحال، تشتغل بالتجارة، وأقبل على التعليم منكبا على تعلم الحساب والرياضيات والتوقيت، والزيارج والتنجيم والزناتي. وقد أخذ هذه العلوم على الموقت الفلكي الحاج محمد البوعناني، والشيخ ابن كبور.

لم يكتف بما أخذه عن شيوخه، بل كان يَبْحَثُ عن الكتب القديمة التي تدور في دائرة اهتماماته الفلكية والروحانية وغيرها.

إلى جانب هذا كان يشارك في اللقاءات الأسبوعية التي تضم مجموعة الفلكيين أمثال : أحمد الحوزي الجديدي، أحمد الكنسوسي، محمد بن عبد الرازق، ابن الطبيب وغيرهم. وقد أجازه الحاج محمد البوعناني، والفقيه السيد محمد بن عبد السلام بوستة المعروف (بالسي أمان) زاوج بين التجارة والتدريس بمراكش، ثم اشتغل بالعدالة بمدينة آسفي، ثم بمدينة تازا، وآخر المطاف بمدينة مراكش. ونظراً لعزوفه عن هذه المهنة وما يرافقها من متاعب، تخلى عنها لتسند له مهمة تسيير مدرسة (الفضيلة) الحرة للبنات.

توفي عام 1381 / 1961. ودفن بمقبرة باب أدباغ وقد رثاه أخاه الشاعر عبد القادر حسن بقصيدة مطلعها :

يا راقدا ملك الأعنة حقبة    في الخافقين وكان فينا المرجعا

آثاره : ترك رحمه الله *رسالة في تناول الأنساب وما يتعلق بهما من جداول اللوغاريثمات وكيفية استعمالها* بالإضافة إلى تعاليق وترجمات لجداول اللوغاريثمات.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

**العاصمي، حسن** بن **زيد** هو شيخ قبيلة العاصم إحدى القبائل الخمس الهلالية التي أنزلها الخليفة الموحدي يعقوب المنصور بسهل تامسنا وهي : سفيان والخلط وبنو جابر ومقدم والعاصم.

استمرت زعامة حسن بن زيد للقبيلة طيلة عهد يعقوب المنصور 580 - 595 / 1184 - 1199 وبنيه إلى عهد الخليفة

المامون، ولما كان الضعف قد دب في أوصال الدولة الموحدية منذ هزيمة العقاب 610 / 1209 ـ 1210 وأصبح السادة من بني عبد المومن يتصارعون بينهم من أجل الوصول إلى السلطة ويعمل كل منهم كل الوسائل لتحقيق هدفه بما في ذلك الدسائس واستمالة القبائل العربية واصطناع الأتباع، فقد استغل حسن بن زيد ـ مثله ـ مثل بقية شيوخ القبائل ـ الظرف ولعب دوراً بارزاً في الصراع الذي احترم حول السلطة ما بين المامون وابن أخيه يحيى.

ولما هلك يحي بن الناصر 633 / 1236 أمر الخليفة الموحدي الرشيد بقتل حسن بن زيد الذي كان قد وضعه في السجن بمراكش فانتقلت بعد ذلك مشيخة قبيلة العاصم إلى عائلة أخرى وشخص آخر يعرف بأبي عياد واستمرت في عقبه طيلة عهد بني مرين.

ابن خلدون، *العبر*، ج 6، دار البيان، بيروت، بدون تاريخ ؛ الناصري السلاوي، *الاستقصا*، ج 2 و3، الدار البيضاء، 1954.

محمد حجاج الطويل

**العاصمي، عبد القادر حسن** مناضل وشاعر. ولد عام 1334 / 1915 تقريباً بمراكش. ونشأ في أسرة متواضعة كانت على شيء من العلم. كان والده يشتغل بتجارة الأثواب. بعد حفظه القرآن الكريم التحق بالجامعة اليوسفية قبل التنظيم. ولم يكتف بما يدرس بالجامعة، بل كان على اتصال مع بعض رفاقه بثقافة الشرق، وما يصل إلى المغرب من كتب وصحف ومجلات، إلى جانب حفظه للشعر العربي في مختلف عصوره. ويعترف الشاعر أن العنترية كان لها الفضل في تكوينه الأدبي، إذ كان يحفظ الكثير من شعرها قبل أن يتعاطى الدراسة في ابن يوسف.

اشتغل في التعليم الحر وبالأخص في المكتب الإسلامي ـ وقد أصبح فيما بعد يسمى مدرسة الحياة ـ الذي كان يديره الأستاذ إبراهيم الإلغي، ثم بعده الأستاذ امبارك الغراس. ثم اشتغل بالمحاماة الشرعية إلى أن نال المغرب استقلاله، فعين في أوائله مفتشاً عاماً لحزب الاستقلال في مراكش ونواحيها لمدة ثلاث سنوات، بعدها عين مستشاراً لوزارة الخارجية بضع سنوات إلى أن عين قائماً للأعمال في المملكة الأردنية الهاشمية، ثم في الخرطوم، ثم مستشاراً لسفارة المغرب في

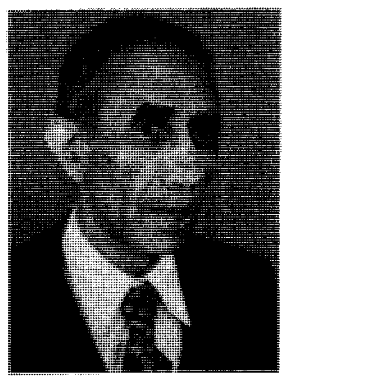

القاهرة، قائماً لأعمال المندوب الدائم للجمهورية العربية. ثم نقل إلى وزارة الخارجية مرة أخرى حيث قضى نحو السنتين وعين قنصلاً عاماً في بنغازي بليبيا لمدة أربع سنوات. ثم نقل إلى وزارة الخارجية، بعدها عين قنصلاً في الجمهورية التونسية. وفي آخر عام 1393 / 1973 رجع إلى وزارة الخارجية حيث بقي فيها بالديوان إلى غاية 1398 / 1977 حيث أحيل على التقاعد.

حياته السياسية : يعتبر عبد القادر حسن، والأستاذ عبد الله إبراهيم، والمناضل محمد الملاخ من المؤسسين للحركة الوطنية بمراكش. وكانت أول حركة قاموا بها هي تقديم عريضتين سنة 1352 / 1933، ساهم بإمضائها بعض علماء مراكش، وأول من أمضى على العريضتين هو شيخ الجماعة الحاج العربي الرحماني البربوشي وعمره يتجاوز التسعين سنة.

العريضة الأولى تطالب بتنظيم الدروس بالجامعة اليوسفية.

العريضة الثانية تطالب بفتح خزانة ابن يوسف لعموم الطلبة للمطالعة واستعارة الكتب، ولم يستجب لهذه الرغبة إلا سنة 1939 حيث أسس النظام بالجامعة اليوسفية. كما قاموا بتنظيم الخلايا الحزبية، وتأطير الحرف المهنية التي كانت مراكش سباقة لها، فنظموا الصفوف، ووحدوا الهدف للوقوف أمام غطرسة المستعمر الذي حاول من جهة إجهاض هذه الحركة بالاعتقادات والتنكيل والتعذيب، فسجن مرات عديدة مع رفاقه في الكفاح الوطني، وأبعدوا إلى المنافي.

وفي سنة 1364 / 1944 بادر إلى التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال مع ثلة من الوطنيين المراكشيين، وتلا هذا التوقيع السجن والتعذيب إلى أن حلت ذكرى الثورة الفرنسية لسنة 1375 / 1955 حيث صدر عفو عام على جميع المعتقلين السياسيين. وقد نتج عن هذا السجن والنفي أن أصيب بأمراض عديدة منها مرض الكلي، واضطراب مزمن في الجهاز الهضمي والكبد.

حياته الأدبية : لما بدأ ينظم الشعر كان يعرضه على بعض أصدقائه ليعرف رأيهم فيه، وكان لا يجرؤ على نشر أي شيء لانعدام وسائل النشر، ولكن عزيمته وإصراره على الخوض في غمار النشر جعله يبادر سنة 1355 / 1936 بنشر ديوانه (أحلام الفجر)، واتخذت الإدارة الفرنسية موقفا من هذا الديوان حيث أوعزت إلى بعض أذنابها بعد أحداث سنة 1356 / 1937 برفع عريضة تكفير الشاعر بناء على بيت قال فيه الشاعر :

أنا قوة جبارة لا ترى لهـا مقراً ولو قد جازت فلك النجـم

وقد قدمت هذه العريضة إلى جلالة الملك محمد الخامس. وأثارت رداً معاكساً من طرف العلامة محمد الموقت حيث ألف كتابا سماه *(الجيوش الجرارة في كشف الغطاء عن حقائق القوة الجبارة)*، للرد عليهم، وشرح ما يقصد الشاعر بالقوة الجبارة.

كما نشر المترجم له مقالات وقصص بأسماء مستعارة في جريدة *الأطلس*، وجريدة *العلم*، وجريدة *المغرب*، وجريدة *التقدم*.

إنتاجه المطبوع :

1) *أحلام الفجر* : يضم قصائد نظمها في شبابه، وقدم له صديقه الأستاذ عبد الله إبراهيم. طبع عام 1355 / 1936.

2) ديوان *أغاريد للحرية* : قصائد هذا الديوان كتبت كلها في فترة ما بعد الاستقلال.

المخطوط :

3) *مذكراته النضالية والسياسية* : مرقونة على الآلة الكاتبة.

توفي بمدينة الرباط يوم الأربعاء 15 شوال 1416 الموافق 6 مارس 1996 وأقبر بالرباط.

*مذكراته*، *جلسات عقدتها معه* ؛ أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

**العاصمي، المهدي** بن محمد بن الحسن، ولد بمراكش سنة 1912. حفظ القرآن، وحضر بعض دروس مبارك الغراس في العلوم الدينية، كما أخذ مبادئ في علم الحساب عن أخيه الميقاتي أحمد.

عمل في صناعة وتجارة المصنوعات الجلدية في سوق الشكايرية، ثم انتقل إلى "مكتبة الشعب" في القصور، التي ساهمت بدور أساسي في المجهود الوطني بمراكش، تمثل في بيع الصحف الوطنية، والمطبوعات التي تصل من الشرق، بفضل خدمات "البريد الانجليزي".

يعتبر المهدي العاصمي من مناضلي الحركة الوطنية الأوائل، فقد ساهم في تكوين خلايا الحرفيين والتجار سنة 1936، وفي التهييئ لانتفاضة مراكش الكبرى سنة 1937. وقد عاني من الاضطهاد والاعتقال والنفي. حيث نفي في فبراير 1952 إلى تازناقت، ضمن مجموعة من المناضلين، وذلك بعد نجاح الوطنيين بمراكش في إفشال مخطط السلطة الاستعمارية الرامي إلى تضليل وفود أمريكا اللاتينية أثناء زيارتها للمغرب، وإلى إبراز الحماية كنظام يخدم تقدم المغرب. وأطلق سراحه في ماي 1952. وبعد عدة شهور نفي مرة أخرى إلى الصحراء.

ومن المضايقات التي كان يتعرض لها، إغلاق "مكتبة الشعب" مراراً من طرف السلطات الاستعمارية.

كان شديد الغيرة على الدين والوطن، متميزاً بنكران الذات، وبالتواضع والصبر الجميل على المكاره. كما كان، رحمه الله، صاحب نكتة، دَمِث الأخلاق.

توفي يوم 6 - 1 - 1998 بمراكش.

حياة الغراس

**العاطرية** (حضارة -) وجدت بقايا الحضارة العاطرية بمظهرها الصميم في كثير من المواقع والطبقات الأثرية في كل شمال إفريقيا من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقاً منها :

كهف الخنزيرة، وكهف دار السلطان، وكهف تمارة، وتيط مليل والعنق ومغارة تافوغانت ومنطقة اسمارة في المغرب ؛ وبئر العاطر، ووادي جوف الجمل، والكهف الأحمر، ووادي سرديس، وجبل عياش في الجزائر ؛ وضواحي بنزرت، ومنطقة قفصة بتونس ؛ وفي وادي ما صودا، ووادي درنه، ومنطقة الجبل الأخضر في ليبيا. وتذهب كاطون طومسون إلى أن الصناعة القاصرية سرعان ما انتقلت إلى الواحات المصرية كسيوة، والداخلة، والخارجة حوالي العصر الحجري القديم الأعلى المبكر، بدليل وجودها في واحة الخارجة فوق طبقة الفالوازية مباشرة ...

ومن خلال المواقع الأثرية المكتشفة الآن، فان أغلب المواقع العاطرية توجد ببلدان المغرب الكبير وخاصة المغرب والجزائر مما يدفع إلى ترجيح أصلها المغاربي. إلا أن هناك من له وجهة نظر أخرى وخاصة الباحثة كاطون طومسون التي ترجح الأصل الأسيوي لصناعة النصال العاطرية باعتبار أن الحضارة السبيلية بمصر تمثل مرحلة انتقالية بين الموستيرية والعاطرية. كما يذكر رشيد الناضوري أن الصناعة العاطرية تشبه صناعة "الحضارة الفالوازية المستيرية الفلسطينية" في الإنتاج الصناعي وفي انتماء كل منهما لفترة زمنية واحدة.

وقد استعمل الكربون C14 في تحديد تاريخ بعض البقايا المتفحمة التي عثر عليها في بعض المواقد في طبقات كهف هو افطيح في منطقة وادي درنة بليبيا أعطت 43000 قبل الميلاد بينما يقدر عمر الحضارة العطارية في المغرب (تمارة ودار السلطان) بحوالي 45000 قبل الميلاد.

ورغم الصعوبة في تحديد المركز الذي نشأت فيه هذه الحضارة لأول مرة ومنه انطلقت إلى باقي المراكز، إلا أن المواقع وتركزها على الساحل الغربي في المغرب، واستمرار انتشارها في ليبيا ومصر، وتوجهها توجها قوياً نحو الجنوب في الصحراء، إلى أن تتوقف بصفة عامة على ضفاف ما تبقى من البحيرات في الصحراء الجنوبية كبحيرة تشاد. يجعل من هذا التركز في المغرب، وتدرج قلة المراكز كلما اتجهنا إلى الشرق إلى غاية مصر، تجعلنا نفترض أن مهد هذه الصناعة كان في المغرب الحالي، ومنه انتشرت في باقي

شمال أفريقيا والصحراء. وهذا يعني أن هذه الصناعة فرضت وجودها في كلا المنطقتين ؛ وأن العلاقات الحضارية هذه المرة، كان اتجاهها غربياً ـ شرقياً وغربياً جنوبياً وشرقياً، أي أن الصناعة العاطرية كانت المحرك الأساسي القوي التأثير في هذه المرحلة، مما يجعلنا نميل إلى القول بأن إرهاصات ما يمكن أن نسميه الوحدة الحضارية بين شمال أفريقيا من جهة والصحراء من جهة أخرى تعود إلى هذه المرحلة.

وقد طرح نقاش حول طريقة وصول هذه الحضارة إلى الصحراء. ويقدم الباحث هوكو افتراضاً ينطلق من أن التعمير العاطري للصحراء بدأ منذ حوالي 30000 سنة ق. م حين اتجهت موجات الإنسان، صاحبة الحضارة العاطرية، من بلدان شمال أفريقيا نحو الصحراء، وانتشرت شمال الصحراء. واستقر أخيراً العاطري في المستوى الثالث على ضفاف البحيرات الجنوبية ووصل إلى المرحلة النهائية السابقة على العصر الحجري الحديث. ويعتمد هوكو في هذا الافتراض على التشابه الكبير بين الأدوات النهائية في موقعي مغارة العالية بطنجة في المغرب ودار السلطان قرب الرباط في المغرب أيضاً، العائدين إلى حوالي 25000 سنة ق. م من جهة وأدوات المستوى الثالث على ضفاف البحيرات الجنوبية بالصحراء وعدم وجود صناعة ما قبل تاريخية أخرى بها بين الحضارة العاطرية والعصر الحجري الحديث من جهة أخرى.

ويبدو من خلال الدراسات والأبحاث الأثرية التي عرفتها مواقع الحضارة العاطرية أن هذه الأخيرة بدأت في الظهور انطلاقا من العصر الحجري القديم الأوسط (50000 ـ 45000 قبل الميلاد) واستمرت إلى العصر الحجري القديم الأعلى (20000 قبل الميلاد) لتخلفها الحضارة الايبيرومورية في شمال إفريقيا.


م. أعشي، *المدخل لتاريخ الحضارة*، الرباط، 1979 ـ 1980 ؛ *نماذج من التوصل بين شمال إفريقيا والصحراء الكبرى*، مجلة العلوم الإنسانية، العدد السابع، 2001، ص. 7 ـ 48 ؛ *جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ*، الرباط، 20 دجنبر، 2002 ؛ ع. الرزاق قراقب وعلي مطيمط، *حضارات ما قبل التاريخ*، تونس والبلدان المغاربة، اليف، ط 2، تونس، 1993 ؛ ر. الناضوري، *المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري*، بيروت، 1977 ؛ م. أبو المحاسن، عصفور *معالم تاريخ الشرق المدني القديم*، بيروت، 1979 ؛ أمين سليم وسوزان عباس عبد اللطيف، *دراسات في تاريخ مصر الفرعونية*، الأسكندرية، 1999 ؛ م. بيومي مهران، *دراسات في تاريخ الشرق الأدبي القديم مصر*، الأسكندرية، 1982.

Caton Thomson, *The ateran industry. its place and signifiance in the paleolithic word*, *JRAI*, V, 1946 ; S. Chevaillon, *Homme et cultures du paléolithique moyen*, *Science et vie* n° 129 ; Reygasse, *Etudes de palethnologie maghrébine*, *Recueil de la société archéologique de Constantine*, vol. 3, (1921 - 1922), Asscoiation française pour l'avancement des sciences, 46è congrès (1922), *Etudes de paléonthologie maghrébine* (Nouvelle série, *l'anthropologie* 25, 1919 - 1920) ; R. M. Gramly, *Neolithic flin implement Assemblages from Saudia Arabia*, *JNES*, 30, 1971 ; Mc. Burney, *The stone age of northern Africa*, London, 1960 ; Id., *Haoua fteah (Cyrenaica) and the stone age of the south-east mediterranean*, London, 1967 ; A. Gilman, *Neolithic of north-west Africa*, *Antiquity*, XLVII, n° 192 december 1974 ; J.F. Ade Ajayi et M. Crowder, *Atlas historique de l'Afrique*, Paris, 1988 ; G. Camps, *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Paris, 1966 ; Alimen, *Préhistoire de l'Afrique*, VII, Paris, 1955 ; A. Balout, *Préhistoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1955 ; H. J. Hugot, *Documents scientifiques des missions Berlier Tenere, Tchad*, Paris, 1922 ; *Limites meridionames dans l'Atérien*, *Actas* N. Coryr, P.P.E.R. 1974 ; Id., *Le Sahara avant le désert*, Paris, 1974 ; Id., *L'Afrique préhistorique*, Paris, 1967 ; Pallary, *Instructions pour les recherches préhistoriques dans le Nord-Ouest, l'Afrique*, 1909.


مصطفى أعشي

ابن أبي **العافية** أبو **القاسم** بن محمد المكناسي الفقيه العلامة النحوي المشارك المقرئ الحيسوبي الفَرَضي.

أخذ الفقه عن أبي زكرياء يحيى السرَّاج، وعبد الواحد الحُميدي وغيرهم، والقراآت عن أبي عبد الله محمد بن أحمد مَجبر المستاري، وأبي القاسم المشترائي، وأجاز له ابن جابر المكناسي في القراآت وفي كل ما تجوز له وعنه روايتُه، وأخذ النحو عن أبي العباس أحمد بن علي القَدُّومي الأندلسي وأبي الحسن الحاجي وغَيرهم، والفرائضَ والحساب عن أبي راشد يعقوب بن يحيى اليدري، وأخذ عن جماعة يطول ذكرُهم، وكانت له مَلكة جيدة في هذه العلوم وخصوصاً النحو فإنه فيه واحدُ زمانه.

ألَّف شرحاً حافلاً على *ألفية ابن مالك* في النحو في مجلدين كبيرين، وشرحاً على *مقدمة ابن آجروم* في مجلد ضخم، وله تعليق على *شراح ابن أم قاسم المرادي على الألفية*.

وُلد سنة 960 (وفي نسخة : ست وتسعين) وهي الصواب لأن ابن القاضي قال عنه : وهو حي من أهل العصر ومعلوم أن ابن القاضي ولد سنة 960 وتوفي 1025.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، 3 : 287، ط. مصر، تح. محمد الأحمدي أبو النور.

ابن **العافية، محمد** بن **أحمد** ابن العافية الزَّجْني المصمودي الفقيه العلامة النسابة المدَرس الفاضل. أصلُه من مجشر (زجّن) أو (ازاجن) كما عند الأستاذ داود نقلاً عن غيره والصواب أنه (أزْجَن) ومازال بهذا الاسم إلى الآن، بقبيلة مصمودة، قرب مدينة وزان.

أخذ عن الشيخ أبي السعود عبد القادر الفاسي وطبقته. وتولى قضاء، مصمودَة العرب، ثم قضاء تطوان عام 1111. له تآليف منها *(دواعي الطرب، في اختصار انساب العَرب)*. وقفتُ على مختصر منه في أوراق بخط الأستاذ محمد داود، وهو في أشراف المغرب نَقَلَ فيه تحرير نُقباء الأشراف الموجودين يومئذ بالمغرب لطبقات أنسابهم المتواترة والصحيحة والضعيفة والمنكرة، وقَيَّد شهادة أعيان الشرفاء بذلك، وأدَّى هو شهادتَهم، ووَجَّه نسخة للسلطان إسماعيل بن الشريف العلَوي، ونسختَين للقائديْن : أحمد بن حَدّو الريفي الحمامي، وعلي بن عبد الله الحمامي الريفي والنسخة الثالثة هي التي أبقاها بيده، وسماها بالاسم المذكور.

توفي رحمه الله بتطوان قاضياً عام 1115.

نشر المثاني، للقادري ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق، د. محمد حجي، 5 : 1896، دار الغرب ؛ أ. الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، نسخة خاصة مخطوطة مصورة ؛ م. داود، تاريخ، 2: 286، ط. تطوان.

**العافية، محمد الصُّغَيِّر** بن الحاج أحمد الأندلسي ثم الفاسي. ولد سنة 1029، وهو العلامة الفقيه المجوِّد المُدَرِّر العدل الموثق، النحوي الماهر، المتقن الدراكة، صحب الشيخ أبا السعود عبد القادر الفاسي الفهري ولازَمه كثيراً في العربية والأصليْن وسائر فنون المعقول والمنقول، مستظهراً الأمهات في ذلك حجة ضابطاً في كل فن.

لم يزل يُعلِّم الصبيان بمكتَب رأس الجنان، ويؤمُّ الناسَ مدة حياته بمسجد حومة رأس الجنان، ثم بمسجد السمارين قرب الرصيف.

وبَعَثَه أهلُ فاس لقضاء غَرض لهم إلى رئيس الزاوية الدلائية : محمد الحاج الدلائي، فَخَرَجَ إليها، وأدركته منيتُه بها عشيةَ يوم السبت تاسعَ عشر - أو عشرين من محرم الحرام فاتح 1074 وحُمل في تابوت إلى فاس حيث دُفن بروضة سيدي رضوان الجنوي خارج باب الفتوح رحمه الله

الإكليل والتاج، مخطوط ؛ تذكرة المحسنين، موسوعة أعلام المغرب، 4 : 1525، ط. دار الغرب.

**العافية، محمد العربي** بن **محمد** الأندلسي ثم الفاسي. ولد سنة 1018. وهو الفقيه المتعبد الصالح الحازم الضابط، كان مذرّراً، وانتفع به خلق كثير، منهم الإمامان : محمد وعبد الرحمن ابني أبي السعود عبد القادر الفاسي الفهري، ولم تُحْفَظ له صبْوة قط، ولذلك كان مُعظماً محترماً في أعين الخاصة والعامة. صَحب الشيخ الشهير أبا عبد الله محمد بن عبد الله مَعْن الأندلسي الفاسي، وبعد وفاته صحب الشيخ عبد القادر الفاسي، وكان هذا يثني عليه.

وتوفي سنة 1115.

م. القادري، الإكليل والتاج، مخطوط ؛ نشر المثاني ؛ موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 5 : 1896.

محمد بوخبزة

ابن أبي **العافية، موسى** بن أبي **ياسيل** بن أبي الضحاك بن مجدول أمير مكناسة بالمغربين الأوسط ثم الأقصى.

اقترنت أخبار موسى بالصراع بين العبيديين والأمويين حول النفوذ بمنطقة المغرب خلال النصف الأول من القرن الرابع (10 م). ويمكن اعتبار هذا القائد نتيجة منطقية لهذا الصراع. فقد لجأت الخلافة الفاطمية بإفريقية والأموية بالأندلس إلى سياسة التدخل غير المباشر في بلاد المغرب من خلال خلق أتباع ينفذون بهم مخططاتهم ويدافعون على مصالحهم. فكان موسى في واقع الأمر صنيعة العبيديين وأداة طيعة وقوية في تحقيق أطماعهم التوسعية بالمغرب وإعاقة المد المرواني به.

ظهر اسم موسى بن أبي العافية لأول مرة على مسرح الأحداث بالمغرب الأقصى سنة 305 / 917 عندما بدأ العبيديون يتطلعون إلى توسيع نفوذهم إلى أبعد نقطة غرب المغرب الأوسط، فأرسلوا قائدهم مصالة بن حبوس في أولى حركاته إلى المغرب الأقصى واستولى على فاس واستنزل صاحبها يحيى بن إدريس ورده إلى طاعة عبيد الله الشيعي وأبقاه أميرا عليهما، ثم عقد لابن عمه موسى على شمال المغرب من الريف إلى وادي أبي رقراق.

ولما عاود مصالة غزو المغرب الأقصى سنة 307 / 919 تأجج النزاع من جديد بين أدارسة فاس وموسى بن أبي العافية الذي أغرى مصالة بيحيى واعتقله ثم طرده ليلتحق ببني عمه بالبصرة وبلاد الريف، فاستبد موسى ثانية بحكم جزء كبير من بلاد المغرب الأقصى بعد عودة مصالة إلى القيروان وأصبح نائب عبيد الله المهدي بالمنطقة ومقيم دعوة الشيعة بها. وبما أن هذا التطور في سياسة العبيديين قد رجح كفة بني أبي العافية على حساب الأدارسة وجعل مصيرهم في يد موسى قام زعيم الأدارسة الحسن بن محمد بن القاسم الملقب بالحجام بإعلان الثورة على ابن أبي العافية سنة 310 / 922 فاستولى على فاس ونواحيها وقتل عاملها للعبيديين ريحان الكتامي، ثم اشتدت الحرب مع موسى عند لقائهما سنة 311 / 923 في فحص الزاد ما بين فاس وتازة وتمكن الحجام من الإيقاع بغريمه وقتل من جنوده عددا كبيرا من بينهم منهل بن موسى. ولم تمض إلا فترة وجيزة حتى تمكن ابن أبي العافية من استعادة نفوذه على فاس بعد ثورة أهلها على الحجام. وبعد إمساكه بزمام أمور المدينة اتجه إلى الانتقام من خصومه ومناوئيه، وعلى رأسهم حامد ابن حمدان الهمذاني الأوربي الذي كان السبب في دخول موسى مدينة فاس، لكنه أدرك الخدعة ففر منه والتحق بمهدية إفريقية. ثم لحق موسى بعدوة الأندلس وقتل عاملها عبد الله بن ثعلبة بن محارب الأزدي وولى مكانه أخاه محمدا. ثم عزله وولى مكانه طوال بن أبي زيد. من جانب آخر جمع موسى أدارسة فاس وأجلاهم إلى قلعة حجر النسر بمحاذاة البصرة وحاصرهم بها مرارا ولم يقلع عنها إلا عندما ارتفعت أصوات رؤساء المغرب وأكابر أهل دولته يستنكرون فعله القبيح بآل البيت.

بعد أن تيقن موسى من إحكام قبضته على فاس وأعمالها استخلف ولده مدين عليها وزحف نحو تلمسان سنة 319 / 931 فملكها وتغلب على أحوازها وأخرج منها أميرها الحسن بن أبي العيش أحد حفدة سليمان بن عبد الله أبي إدريس الأكبر. بعد ذلك رجع إلى نكور واستولى عليها وجميع أحوازها في شهر شعبان من سنة 320 / غشت 932 ثم عاد إلى فاس مقر حكمه.

بعد استيلاء موسى بن أبي العافية على تلمسان نقطة

تحول حاسمة في العلاقات بين العبيديين وحليفهم المكناسي. فهذا التوجه في حملات موسى العسكرية يعلن عن حقيقة طموحاته في توسيع نفوذه على حساب حلفائه ويهدد مصالحهم الحيوية ويؤكد حدوث القطيعة بينه وبين الفاطميين لأن ولاءه لهم كان عن غير ولاء ولا تشيع. ومن الأكيد أن ابن أبي العافية لم يخط هذه الخطوة دون أن يحسب لها ألف حساب وأن يفكر قبل ذلك في حليف جديد لم يكن بالضرورة غير عدو الفاطميين ونظيرهم في القوة العسكرية والطموح السياسي أي أموبي الأندلس. وسواء كان عبد الرحمن الناصر هو الذي فاتح موسى في أمر هذا التحالف حسب ابن خلدون أم أن موسى هو الذي بادر إلى موالاة الناصر لحاجته إليه كما ذهب ابن عذاري، فإن مصالح الطرفين اقتضت التقارب بينهما وخلق تحالف قوي مضاد لعدو مشترك. لقد كان لتحول موسى من الدعوة للعبيديين إلى الدعوة للمروانيين انعكاسات واضحة على طبيعة الصراع بين القوتين وعلى موازين القوى بين حلفائهما بالمنطقة. فقد عززت قرطبة وجودها بالمغرب الأقصى بفضل تحالفاتها مع أمراء زناتة كبني خزرون أمراء سجلماسة وأمراء مكناسة من بني أبي العافية، فأصبح التنافس في الرئاسة والتنازع على الأعمال بين الحيين قويا حتى أنه تسبب في وقوع اصطدامات بين زعيميهما محمد بن خزر وموسى بن أبي العافية حول مجالات نفوذ كل واحد منهما مما كان يضطر الخليفة الأموي إلى التدخل لفك النزاع بينهما. والحقيقة أن الناصر كان لا يثق في موسى لأنه "لم يكن لديه بالموثوق الطاعة، إذ كان والي عبيد الله الشيعي أول نجومه وارتسم بولايته" (*المقتبس*، 5 : 307). ومع ذلك فإن موسى كان يصر على تبعيته المطلقة للناصر وكان يقول عن نفسه : "وأنا عين أمير المؤمنين الكالئة في هذه العدوة" (*المقتبس*، 5 : 371). مع أن الناصر كان يميل لابن خزر ويستمع إليه، ولذلك عاتب موسى على خلافه مع منافسه وصالح بينهما. لكن المعطيات السياسية الجديدة جعلت الناصر يعول كثيرا على ابن أبي العافية في صد الزحف الشيعي على شمال المغرب في الوقت الذي تكلف ابن خزر بحماية مصالح الأمويين في الجنوب. ولذلك لم يتوان خليفة قرطبة في إمداد موسى بكل الوسائل العسكرية والمالية ولتمكينه من القيام بدوره كما كان يدعو البربر إلى مناهضة الخطر العبيدي ومقاومة قوادهم وينصحهم بالتعاون مع حليفه موسى الذي يشير إليه بقوله : "وقائدكم وأمير جماعتهم موسى بن أبي العافية، ولي أمير المؤمنين ومولاه... أن تكون أيديكم مع يده... وجميع أموركم منقادة إليه..." (*المقتبس*، 5 : 327 - 3287). لكن صاحب إفريقية لم يكن مستعدا لهذا النوع من الاستسلام أو الاكتفاء بالتحسر على خسارة حليف أساسي لذلك كان رده سريعا في إيفاد قوة عسكرية كبيرة بقيادة حميد بن يصل (أو يصليتن) إلى المنطقة سنة 321 / 933 والذي التقى مع جيوش موسى بفحص مسون قرب گرسيف وتطاحن الفريقان فانكسر جيش موسى

وفر إلى عين اسحاق من بلاد تسول وتحصن بها. ثم توجه القائد الشيعي إلى فاس وملكها بعد أن فر عنها مدين بن موسى وولى عليها واليها السابق حامد بن حمدان الهمذاني وانصرف إلى إفريقية. وبعد ذلك بفترة قصيرة ثار أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامي على والي فاس الجديد عقب وفاة عبيد الله الشيعي سنة 322 / 934 وقتله وبعث برأسه وبولده إلى موسى الذي أرسلهما بدوره إلى الناصر الذي أقر ابن بكر عاملا على فاس تحت نظر موسى. وعادت بذلك الدعوة بالمغرب إلى بني مروان. ولما علم الخليفة العبيدي الجديد أبو القاسم بن عبيد الله بهذه الأخبار جهز قائده ميسور الفتى (الخصي أو الصقلبي) بجيش قوي وسيره إلى المغرب الأقصى سنة 323 / 935 فعجز موسى عن لقائه وتحصن بحصن ألكاي ببلاد الريف، وتقدم ميسور إلى فاس وحاصرها أياما واستسلم له عاملها ابن بكر وقيده وبعث به إلى إفريقية. بقيت فاس منيعة على جيوش ميسور مدة سبعة أشهر فاضطر إلى مصالحة أهلها والارتحال عنهم بعد أن أعطوه أموالا وهدايا وكتبوا بيعتهم إلى أبي القاسم الشيعي ونقشوا اسمه في سكتهم وخطبوا له على منابرهم. ثم اتجه ميسور إلى موسى فكانت بينهما حروب طويلة شارك في معظمها بنو إدريس إلى جانب القائد العبيدي الذي تمكن من هزمه وإجلائه إلى نواحي ملوية. وعندما وصل الخبر إلى الناصر بالخطر المحدق بالدعوة المروانية بالمغرب الأقصى بعد هزيمة حليفه عقد العزم على التحدي فأرسل سنة 324 / 936 أسطولا حربيا لنصرة حليفه وتعزيز موقعه أمام ميسور فافتتح مليلة ونكور وأرشقول وجراوة. فاعتز موسى بهذا الدعم وصارت إليه هذه المدائن ورجع إلى بلاده ليعاود حروبه مع ميسور والأدارسة سنة 325 / 937 إلى أن خمد أمر القائد الشيعي بعد أن سخط عليه مولاه أبو القاسم لأمر أنكره منه فقبض عليه ورحل إلى تاهرت وخف بذلك خطر العبيديين عن موسى. غير أن المصادر اختلفت حول مصير موسى بعد سنة 325، فبعضها ذكر أنه بقي طريدا ومشاغبا لميسور في صحراء بلاد ملوية إلى أن قتل وصار ما كان بيده إلى آل إدريس، وبعضها لم يذكر شيئا من ذلك واكتفى بالإشارة إلى أن مدين ولد موسى تولى مكان والده في ولاية أعماله باسم الخليفة الناصر. كما اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاة موسى بين سنوات 326 و328 و341. ومع ذلك يبقى التاريخ الأول 326 / 938 الأقرب إلى الصواب، إذ أورد ابن حيان رسالة موجهة من مدين بن موسى إلى الخليفة الناصر بتاريخ ذي الحجة من سنة 326 يخبره فيها بوفاة والده، فأجابه الخليفة بالتعزية بأن وفاة موسى بن أبي العافية كانت بالضبط في شوال من سنة 326.

خلف موسى من الأولاد ثلاثة : مدين الوالي مكانه وأبا منقذ بعده ثم محمدا آخرهم واستمر هؤلاء على مناصرة الدعوة المروانية ومحاربة الدعوة الشيعية وبقايا الأدارسة، ويحكمون ما تحت أيديهم من بلاد ما بين گرسيف ونكور إلى

حدود سنة 363 / 974 عندما انقرضت دولة بني أبي العافية المكناسيين بالمغرب الأقصى وإن كان بعض المؤرخين يمددون هذه الدولة إلى حين قدوم المرابطين سنة 445 / 1053.

ابن حيان، *المقتبس* ؛ البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ ابن عذاري، *البيان*، بيروت، ط. 3، 1983 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، 1934 ؛ ابن الخطيب، *إعمال الأعمال*، الدار البيضاء، 1964 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1988؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد*، الجزائر، 1903 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط.

E. Levi-Provençal, *Histoire de l'Espagne musulmane*, Leyde - Paris, 1950 - 1953, T. II, p. 82, 93 - 101, 104, 106 ; J. Vallvé Bermejo, *La intervención omeya en el norte de Africa*, "*Cuadernos de la biblioteca española de Tetuán*", 1967, T. IV, p. 7 - 39 ; Brignon, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1967, p. 72 - 85 ; *Musa B. Abil - Afia*, *E.I.*, Paris, 1993, T. VII, p. 640 - 642 ; F. Dachraoui, *Le califat fatimide au Maghreb*, Tunis, 1981, p. 134, 150 - 151.

رشيد السلامي

**العَاقِلْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Aquil.

**العاقل، علي** بن محمد كان يزاول خطة العدالة سنة 1028 (1619).

**العاقل، محمد** بن **علي**، زاول نفس الخطة من سنة 1044 إلى 1074 (1635 - 1664).

**العاقل، محمد** بن **أحمد**، تعاطى الشهادة سنة 1113 (1701).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 4139.

محمد ابن عزوز حكيم

**العالم، مَحمد** بن السلطان إسماعيل بن الشريف بن علي العلوي السجلماسي الفيلالي. أمه رومية، قيل إنها من أصل جيورجي تم أسرها في إحدى المعارك، فنقلت إلى الجزائر ومنها اشتريت للأمير المولى إسماعيل، حين كان عاملا على مكناس زمن حكم أخيه المولى الرشيد (Fontin, p. 251) ؛ وقيل إن أصلها إسباني (De Léon, p. 19). ورغم سكوت المصادر عن تاريخ ميلاده، فلا ينبغي بحال أن يكون سابقا لدخول عمه المولى الرشيد إلى فاس سنة 1076 / 1666.

وبناء على ما سبق، فقد يكون تاريخ ميلاد المولى مَحمد العالم حوالي عام 1077 / 1667. وبالتالي فإما أنه ولي ذلك المنصب وهو صغير السن، حيث ظهرت عليه مخايل النجابة مبكرا، وهذا غير بعيد في بعض الأنباء، وإما أن تكون السيدة مكالي مورسي واهمة حين جعلت تاريخ تعيينه على فاس عام 1090 / 1680 (*Relation de Thomas Pellow*, p. 132 note 284)، بدل عام 1096 / 1686. ومن ثم، لا نستبعد أن يكون له من العمر، حين ولي ذلك المنصب، ما بين ثمانية عشر وعشرين عاما.

يعد مَحمد العالم من أبرز الأمراء العلويين على الإطلاق، حيث وصفه كل من ترجموه بالعلم والدين. قال فيه صاحب *المورد الهني* : "ويقاسون [أي العلماء] معه الشدائد لذكائه وشدة فطنته، مخافة الافتضاح معه في قصور فهم أو نقل" (*الإعلام*، 6 : 8). ومما جاء في *زهر الآكام* : "وهو عالم جليل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويهدي إلى سواء السبيل" (ص. 175). ونوه به محمد بن الطيب القادري قائلا : "كان ماهرا في علوم كالنجوم والبيان والمنطق والكلام والأصول وله مشاركة في علوم أخرى" (*النشر*، 3 : 166). وكان حريصا على مجالسة العلماء مبالغا في تعظيمهم وإكرامهم، فاجتمع حوله جماعة منهم، سواء حين كان خليفة على فاس الجديد أو لما انتقل إلى تارودانت. أخذ العلم عن فحول علماء عصره، كعبد السلام القادري وعبد المالك التاجموعتي وأبي عثمان سعيد العميري ومحمد بن أحمد القسنطيني المدعو الكماد وأحمد بن العربي بن الحاج السلمي ومحمد المسناوي ومحمد بن أحمد الولالي. وقد أجازه معظم هؤلاء.

وبسبب نباهته وعلمه، أسند إليه والده خلافة فاس الجديد - مكان أخيه المولى محرز - وأضاف إليه الولاية على بني حسن، إذ كان السلطان قد فرض عليهم دفع زكواتهم إليه في كل عيد. لكننا لا ندري سبب عزله عن فاس، وتوجيهه إلى تافيلالت حيث قضى مدة من الزمن. لعل ذلك الإبعاد راجع إلى وشاية بعض مقربي السلطان، ممن كان لا يرضيهم تقريب والده له. يذكر ابن زيدان أن المولى إسماعيل كان "يشاوره ويعمل برأيه في المهمات، ويثني عليه بالصدق والأمانة ورجاحة العقل وينوه بقدره بمحضر ولاته ووزرائه وكتابه، فكرهه غير واحد من الوزراء فمن دونهم، فشمروا على ساق لإفساد ذات البين بينه وبين أبيه والسعي في التفرقة بينهما" (*الإتحاف*، 4 : 62). وفي هذا السياق زينوا له أن يعينه على درعة إبعادا له عنهم، لأنهم ضاقوا ذرعا بما كان يقوم به بجانب والده، حيث كان ينبهه إلى ما يخفونه عنه. فعينه على تلك الجهة، فأظهر من العدل والإنصاف ما جلب له محبة أهلها، فأثنوا عليه وتعلقوا به، وتقرب منه بعض أعيانها وتوثقت الأواصر بينه وبينهم، حتى مدحوه وحلوه بالألقاب السلطانية.

ومن شدة حرصه على العلم، أنه منع على أهل تلك البلاد قراءة البخاري، بسبب ما كان الناس يقعون فيه من الخطأ والتحريف، ومن أصر على القراءة امتحنه في نسخة لا نقط فيها ولا إعجام، فمن أصاب أقره، ومن أخطأ منعه (*الدرر المرصعة*، ص. 252).

إلا أن والده عزله عن درعة ليعينه واليا على مراكش وأعمالها. ويتفق الإخباريون على أنه سار سيرة حميدة في

الرعايا حتى "فرح بولايته العامة والخاصة"، "وزاد اشتهارا وبعد صيت، فدس له بعض خاصة والده ما أوغر صدره عليه" (*الإتحاف*، م. س. ن.)، فعزله من جديد.

ولما فرق السلطان أعمال المغرب على أولاده الكهول، في عام 1111 / 1700، ولاه على جهة سوس وأنزله تارودانت، ورتب معه ثلاثة آلاف من فرسان العبيد. فقام بمأموريته أحسن قيام (الزياني، *الترجمان*، ص. 25). وهنا بلغ ذروة مجده، بحيث لما استقر به المقام في قاعدته تارودانت، أحاط نفسه بجماعة من الفقهاء والأدباء، ذكرهم المختار السوسي (*المعسول*، 18 : 286) ؛ ومعظمهم من أهل الطريقة الناصرية، أخذوها عن الشيخ مَحمد بن ناصر أو عن ابنه أحمد الخليفة. فبالغ الأمير في مجالستهم ومخالطتهم، وكانوا يفدون إليه من كل صوب.

وتؤكد المصادر على ما حصل بين هؤلاء وبين الأمير من وئام لا حد له، فشغفوا به وشغف بهم، فداخلوه بالحديث عن أمر الملك بإيعاز من بعض بطانته (م. س. ن.)، وزينوا له وهونوا عليه أمره، لا سيما وقد توافرت بعض دواعي القيام ضد والده.

وتحفل تلك المصادر بالإشارات إلى ما كان مَحمد العالم ينكره على والده وخاصة تمليك الحراطين، تلك القضية التي أثارت جدلا كبيرا في ذلك العهد. وهنا ننقل ما قاله القادري بذلك الصدد : "ذلك أنه قام على والده منكرا لما هو عليه من تكسيب العبيد والتصرف في بناتهم بغير موجب شرعي" (*النشر*، 3 : 172). وعلل المشرفي تلك الثورة فقال : "وكان مولاي مَحمد ينكر على أبيه أمورا ظن أنها تبيح له القيام عليه فقام وبويع له بالخلافة" (*الحلل البهية*...، مخ. خ. ع. الرباط، رقم 1463 د، ص. 109).

وهكذا ثار مَحمد العالم على والده بعد مضي ثلاث سنين على تعيينه بإقليم سوس. فلاقت ثورته تأييدا لدى كثير من الناس في سوس ومراكش، لا سيما أهل العلم والمتصوفة. فقد سانده هؤلاء لما توسموا فيه من صحبة أهل العلم والخير، "واتباع طريق الحق وإظهاره، وإخماد الباطل وسبله، فمن أجل ذلك نقضوا بيعة تولية أمير الغرب" (الزرهوني، *الرحلة*...، ص. 222).

وينقل الضعيف سببا متصلا بالرأي السالف فيشير إلى أن الناس بايعوه لأنه شاع لدى البعض "إنه كسيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بالعدل" (تاريخ، 18). وكان ذلك سنة 1113 / 1702. فقدمت عليه الوفود بتارودانت مبايعة ومهنئة، وتكاثرت جموعه وشمل نفوذه الجهة الجنوبية كلها، من وادي أم الربيع إلى أقاصي البلاد السوسية، إضافة إلى درعة والفايجة (*زهر الآكام*، ص. 177 و193). ولا بد من الإشارة إلى أن أخاه الأمير أبا النصر قد ثار ببلاد درعة، ودخل في طاعة أخيه العالم.

وفي سنة 1114 زحف المولى مَحمد العالم على مراكش، فحاصرها في رمضان. وفي العشرين من شوال اقتحمها عنوة بالسيف. هذا ما درجت عليه المصادر *كالاستقصا والإتحاف والإعلام*. ويبدو أن الإلحاح على استعمال العنف بهذه الصورة فيه بعض التحامل، لأن مصادر أخرى أقرب إلى ذلك العهد تثبت عكس ذلك (*زهر الآكام*، ص. 177 ونشر *المثاني*، 3 : 166).

ومهما يكن من أمر، فإن العالم لما استولى على مراكش وأحوازها، عزل خدام أبيه، بل منهم من انحاز إليه كالقائد مالك، ثم بعث برؤساء الجيش وكبارهم إلى قاعدة ملكه ـ مدينة تارودانت ـ وبقي بمدينة مراكش هو وأخوه أبو النصر، الذي ولي قيادة جيوشه العليا (*زهر الآكام*، ص. 177).

ولما بلغ خبره إلى والده في شوال من العام 1114 وجه إليه ابنه المولى زيدان مع قبائل الغرب وجيوشه، وبعث مولاي مَحمد أخاه المولى أبا النصر لملاقاته، فالتقى الجمعان قرب وادي أم الربيع. وكانت الهزيمة على جيش أبي النصر الذي ولى الأدبار، فاقتفى زيدان أثره ليناجزه بالقرب من مدينة مراكش بموضع يقال له الرميلة، شمال شرقي المدينة المذكورة قبل أن ينزل عليه ويحاصره بها. فوقعت بينهما حروب عظيمة قتل فيها كثير من الناس، وتواصلت هزائم العالم وأخيه أبي النصر طوال السنة، فحاصرهما زيدان (*النشر*، 3 : 167)، ودخل المدينة قهرا في سادس عشر من ذي الحجة. واضطر الثائران إلى الفرار إلى تارودانت للتحصن بها، فاستمرت الحرب بين الطرفين أكثر من سنتين، كان القبض على أحد كبار جيش المولى مَحمد ـ وهو يومئذ القائد مالك ـ نذيرا بهزيمته في معركة تاورا، حيث تم اعتقال عدد من الفقهاء الذين ساروا في ركابه وإرسالهم إلى مكناس. وهناك أمر السلطان بإعدامهم. ودخلت جيوش زيدان بلاد سوس في مستهل سنة 1117، واستمرت الحرب بين الفريقين للسنة الثالثة على التوالي، أي إلى أن دخل عام ثمانية عشر ومائة وألف، فاقتحمت جيوش زيدان مدينة تارودانت عنوة. وقتل عددا كبيرا من أهلها، سواء كانوا من أتباع مَحمد العالم أو من غيرهم.

ويلخص أحمد الناصري تلك الفاجعة قائلا : "[و] هلك فيها أمم وقواد ورؤساء وأعيان يطول ذكرهم" *الاستقصا*، 7 : 91). ولما قبض زيدان على أخيه بعث به يرسف في قيود الحديد، محمولا على بغلة، إلى والدهما السلطان المولى إسماعيل، الذي قدم لمعاقبته من مكناس. فلقيه بالقرب من وادي بهت، وهو غاضب غضبا شديدا، في رابع ربيع الأول من عام 1118. وكان السلطان قد اصطحب معه العلماء والوزراء والحشم، إذ كان في حاجة إلى استشارة للنظر في تلك النازلة. وبالرغم من اتفاق المؤرخين على أن السلطان سأل الفقهاء عن حكم الله في ابنه الثائر، فإن لصيغة القادري دلالة لها ما بعدها، حيث قال : "فأجابه من كان يبغض مولاي مَحمد من المتطلبة المتعصبين بقطع يده ورجله من خلاف، وتلا قوله تعالى : "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله... الآية" (*النشر*، 3 : 168).

يظهر أن القادري قد استاء للعقوبة التي أنزلها السلطان بمَحمد العالم، لأن من أفتوا - في نظره - بإقامة الحد لم يفعلوا ذلك عن علم، ولكنهم فعلوه بدافع البغض والحنق على صاحب الترجمة.

وأيا ما كان الأمر، فقد أمر السلطان بأن تقطع يد الأمير الثائر ورجله من خلاف بموضع يدعى عقبة بهت، ومنع الأطباء من مداواته. فحمل إلى مكناس حيث لفظ أنفاسه الأخيرة ليلة الأحد خامس عشر الشهر المذكور، 15 ربيع الأول عام 1118 / 18 يوليوز 1704 (*زهر الأكام*، ص. 179). ودفن بضريح سيدي عمرو الحصيني، خارج القبة عن يسار الخارج منها، وكان قد أوصى أن يدفن بمقبرة عامة المسلمين، وأن لا يبنى عليه. وتولى الصلاة عليه، بوصية منه كذلك، القاضي أبو حامد العربي بردلة (*الإتحاف*، 4 : 82).

وللإشارة فقط، فإن بعض الدراسات الأجنبية تذكر أن المولى إسماعيل تردد في تنفيذ حكم "المحارب" في حق ابنه، فاستشار العلماء ملوحا إلى توظيف "فقه الحيل"، ومستفتيا هكذا : ألا يكفي قطع أصبع من يده وآخر من رجله للاستعاضة بذلك عن قطع اليد والرجل ؟ لكن على الرغم من موافقة العلماء الذين استشيروا في النازلة، فقد أمر بقطع يد ابنه ورجله، تحت تأثير زوجته زيدانة (De La Veronne, p. 20 - 21).

كما تذكر دي لافيرون، استنادا إلى رواية خوصي دي ليون، أن محاولات العلاج كادت تعطي بعض الأكل لولا إقدام زيدانة على تسميم الأمير المحتضر. فتوفي بأثر ذلك، بعد أن طلب أن يكتب على قبره "ابن يتيم الأبوين". ومن خلال *الإتحاف* يتبين أنه لم يعد ينفع مع القطع علاج "لأنه اعتراه إسهال كبدي لانصراف مادة الأعضاء المقطوعة إليه" (م. س. ن.).

وتتفق المصادر العربية والأجنبية على أن المولى إسماعيل ندم على ما فعل بابنه العالم، وأمر ببذل بعض المحاولات لإنقاذه لكن بعد فوات الأوان. ويشير ابن زيدان إلى أن السلطان اغتم لذلك غما شديدا. (*زهر الأكام*، ص. 179 الهامش 452 وابن زيدان، *الإتحاف*، 4 : 65).

وقد خلف مَحمد العالم بعض الآثار العلمية، منها حاشية على تسهيل ابن مالك، وكثيرا من المقطعات الشعرية والأبيات و المساجلات التي كان يناظر بها مقربيه وأصدقاءه الشعراء. منها ما قاله مرحبا بصديقه الحميم عبد الله بن محمد العلوي الشنگيطي المعروف بابن رازگه، حين قدم على والده بمكناس. ومنها قوله مخاطبا شيخه الكماد أيام خلافته بسوس. وهذه الأخيرة مقطعة من خمسة وعشرين بيتا أثبتها ابن زيدان في إتحافه (4 : 78).

وله بعض الرسائل الإخوانية والإدارية تشف عن ثقافة عالية، ليس على الصعيد الأدبي فحسب حيث جاءت مسجوعة سجعا قويا لا تكلف فيه ولا تمحل ينبيء بتضلع صاحبها في سائر أنواع البلاغة، ولكن لأنها تتضمن شواهد متنوعة من القرآن والحديث وكلام العرب والأمثال وغير ذلك.

الشنگيطي ابن زارگه، *الديوان* ؛ الريفي، *زهر الأكام*، تح. آ. بنعدادة ؛ الدرعي، *الدرر المرصعة* ؛ القادري، *نشر* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ الزياني، *الترجمان* ؛ الناصري، *الاستقصا* ؛ المشرفي، *الحلل* ؛ ابن زيدان، *إتحاف* ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ السوسي، *المعسول*.

Ch De La Veronne, J. de Léon, T. Pellow, *Relation*.

أحمد عمالك

**العالية** بنت الشيخ محمد الطيب بن كيران، كان والدها من علماء فاس المشهورين، وكان يعقد مجالس علمية يحضر فيه النساء للتفقه في الدين. كانت لها مشاركة في مختلف العلوم، مع تبريز في علم المنطق الذي اختصت في تدريسه في جامع الأندلس بفاس، وكانت تلقي دروسها من وراء حجاب للرجال وقت الظهر. أما النساء فكن يحضرن دروسها بعد العصر.

ع. العزيز بن عبد الله، *مظاهر الحضارة المغربية*، 2 : 19 ؛ ع. الهادي التازي، *المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي*.

محمد المغراوي

**عامر**، فرقة من فرق قبيلة بني احسن، وهم من ذرية عامر بن زغبة الهلالي، والواحد منهم يدعى العَمْري على غير قياس حتى لا يلتبس بفرقة العامر من قبيلة عبدة إقليم آسفي، ولا بقبيلة بني عامر من إقليم السراغنة ولا حتى ببني عمرو وهم العمراويون القاطنون اليوم بنواحي تيفلت من إقليم الخميسات.

يمتد المجال الجغرافي لعامر من الضفة اليسرى لنهر بهت قرب المگرن إلى مشارف مدينة سلا مروراً بالقنيطرة ومهدية عبر الشريط الشاطئي على المحيط الأطلسي، ويحدون شرقاً بأولاد نعيم والصفافعة شمالا، وبغابة المعمورة وفرقة السهول جنوباً وشرقاً.

وينقسمون قسمين وحتى ثلاثة : عامر السفلى من المقرن إلى القنيطرة، وعامر الوسطى : مهدية وأحوازُها وما جاورها، وعامر الحوزية الواقعة بشمال المدينة السلاوية، وأهم مركز للعمريين الحوزيين هو بوقنادل البعيد عن سلا شمالا باثني عشر كيلو متراً.

في أوائل عهد الحماية أحصيت خيام عامر كلها بقياداتها الأربع فكانت 2434 وحدة : عامر التحتية 643، وأولاد سْلاَمة 481، وعامر الوسطى 494، وعامر الحوزية 816، فهم أغزر سكاناً من جميع فرق القبيلة الحسناوية وأكثرهم بطوناً وأفخاذاً، فلا حاجة للكلام عن جميعها لطولها وتعددها.

وقد جعل التقسيم الإداري والجماعي لسنة 1992 فرق عامر ست جماعات قروية وأربع بلديات ومركزاً مستقلاً واحداً : عامر السفلى وأولاد سلامة والمگرن وسيدي الطيبي

والحدّادة ومركز مهدية وبلدية معمورة وبلدية أولاد وجيه وبلدية الساكنية، والكل بإقليم القنيطرة. أما عمالة سلا الجديدة فاشتملت على العمريين من بلدية العيايدة والجماعة القروية لبوقنادل.

ومنذ القرن الثامن عشر كان يتولى شؤون فرقة عامر قواد كثيرون من مدنيين وعسكريين، منهم من كانت إيالاتهم واسعة، ومنهم من كانوا عبارة عن أشياخ كبار. ولما انتصبت الحماية الفرنسية لم تترك إدارتُها سوى أربع قيادات.

التقي العلوي، *الهلاليون بالمغرب الأدنى والأقصى*، مجلة البحث العلمي، العدد 35 ؛ ص. 423 ؛ م. بوشعراء، التعريف، 2 صفحات مختلفة ؛ علاقة المخزن، 88 - 98 - 99 - 150 إلى 174 - 196 إلى 198 ؛ *تاريخ الضعيف*، 183 - 258 - 270 - 317 ؛ م. بوشعراء، الأصول الاجتماعية لأهل سلا، مخطوط ؛ *الوثائق الملكية، الوثائق البنسعيدية، الوثائق الصبيحية*.

*V.T.M. Rabat*, t. II et III passim ; *Répertoire des tribus*. 1955, 19 - 21 - 29.

مصطفى بوشعراء

**عَامِرْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعد أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Amir.

ابن **عَامر**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Benamir، ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Abenamir.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 249.

**عامر، الحاج محمد** من أعيان تطوان وتجارها الذين بايعوا الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 (17 مارس 1821).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1136.

محمد ابن عزوز حكيم

**عامر، عبد السلام** ولد بمدينة القصر الكبير حوالي عام 1942، وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي إلى غاية السنة الخامسة، ثم توقف عن متابعة الدراسة.

ظهرت بوادر تعلق الفتى الضرير بالموسيقى والغناء وهو تلميذ في المدرسة الابتدائية، وذلك من خلال ما حفظه من أناشيد على يد معلميها أو في فسحات الترويح بالمخيمات الصيفية. ومن أجل إشباع ميله الفطري نحو الموسيقى فقد أقبل بكثير من الحرص على الاستماع إلى روائع المؤلفات الموسيقية العربية، فلم تمض إلا سنوات قليلة حتى كانت ذاكرته تختزن الكثير من ألحان كبار الملحنين المشارقة سواء منهم القدماء كسيد درويش، وسلامة حجازي، وصالح عبد الحي، وكامل الخلعي، أو المحدثون أمثال رياض السنباطي، ومحمد عبد الوهاب، وفريد الأطرش. وبفضل ما استوعبته ذاكرته من أدوار هؤلاء وموشحاتهم وقصائدهم، فقد نمت ملكته الفنية، كما نمت فيه القدرة على ابتكار الألحان الموسيقية.

ولأنه أحس في نفسه الاستعداد لولوج عالم التلحين فقد شد الرحلة نحو العاصمة، وراح يطرق باب الإذاعة الوطنية حاملا معه مشروع أغنية تتردد أصداء ألحانها في صدره. وبعد محاولات متكررة وفق - بمساعدة الشاعر الغنائي عبد الرفيع جواهري - إلى المثول أمام بعض الفنانين الموسيقيين كان فيهم الملحن عبد الوهاب الدكالي، والعازف عمرو الطنطاوي، والمغني اسماعيل أحمد، فاستمع إليه هؤلاء وهو يغني بعض ألحانه، ولم يخفوا إعجابهم بما سمعوا.

ولما كانت سنة 1961 استشعر عامر الحاجة إلى النهل من المعرفة الموسيقية من أجل تقوية مؤهلاته الفطرية، فالتحق بمعهد الرباط للموسيقى حيث كان يحضر - اختياريا - حصص النظريات الموسيقية، وخاصة منها ما ألم بالمقامات والإيقاعات العربية، فيما لوحظ أنه لم يكلف نفسه عناء الإقبال على تعلم العزف على أية آلة موسيقية.

قدّم عبد السلام عامر أول إنتاج موسيقي له عام 1959. وقد تمثل ذلك في أغنيتي "مابان خيال حبيبي" و"قالت لي روح"، وهما معا من كلماته وألحانه وأدائه.

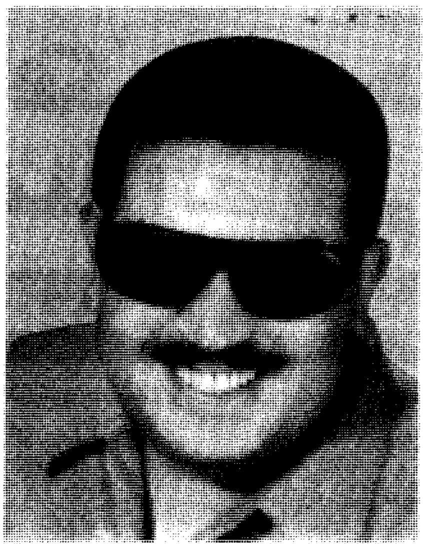

وقد سجلت سنة 1961 تاريخا حاسما في حياته الفنية عندما بدأ تعامله مع مشهوري المغنين بالمغرب، وكانت انطلاقته الأولى في هذا السياق مع المطرب عبد الوهاب الدكالي الذي غنى له من كلمات الشاعر محمد الخمار الكنوني أغنيتي "آخر آه" و"حبيبتي". وسوف تتوالى ألحان عبد السلام عامر بعد ذلك لتكشف عن موهبة فذة وملكة خصبة وعطاء متميز بالتدفق، وهكذا فعلى امتداد ما يقارب

عقدين من الزمن تهيأ لهذا الفنان أن يبدع زهاء ستين عملاً فنياً ما بين قصيدة وأغنية ومعزوفة، وهو رصيد فني شكل في مجمله مرحلة متميزة في مسار الأغنية المغربية خلال العقدين السادس والسابع من هذا القرن.

تعامل عبد السلام عامر ـ كملحن ـ مع الشعر العربي الفصيح في جل أغانيه، كما تعامل مع الزجل المغربي. وقد نهج في التلحين نهجا وسطا بين الاتجاه التقليدي الذي كان يتزعمه أحمد البيضاوي، وبين الاتجاه التّحديثي الذي يعتمد الدراسة العلمية كوسيلة ضرورية لصقل الموهبة الموسيقية والذي كان يتزعمه الفنان عبد الوهاب أكومي.

وفي وسعنا الوقوف على ملامح هذا التوسط من خلال موقفه من تعلم العزف واستخدام الآلات في التلحين، وكذا من خلال أسلوبه في تلحين أعماله الموسيقية : فقد عرف عنه ـ من جهة ـ أنه لم يتعلم العزف على أية آلة موسيقية ؛ ومن ثم فهو لم يستخدم الآلات في التلحين إلا في أواخر حياته. وعلى النقيض من ذلك فقد كان يتخذ من صوته أداته الأساسية في تلحين الأغاني. وقد برر ذات يوم عزوفه عن استخدام الآلات فذكر أن المعرفة التقنية للآلة تتحكم في نوعية اللحن الذي يبتكره الملحن، كما تحد من طبيعته الفطرية وتصبغه بسمات تقنية تحول دون حرية التعبير الوجداني.

ومن جهة أخرى فقد عرف عنه ـ أيضاً ـ أنه كان من الملحنين المغاربة السباقين إلى تدوين أغانيه بالنوتة، كما كان سباقا إلى ابتكار أسلوب جديد في صياغة ألحانه تميز بالتجديد والتدفق، بعيداً عن المماثلة والمحاكاة.

وقد وجه عبد السلام عامر عنايته إلى تلحين القصيدة المطولة مجدداً بذلك صنيع أحمد البيضاوي وعبد الوهاب اكومي، وهو في تعامله مع هذا اللون الشعري أبان عن مهارة فنية خارقة، واستطاع أن يكسر رتابة الأداء باعتماد أسلوب التحاور الصوتي والآلي، وتوظيف الغناء الإلقائي، واستخدام المؤثرات الصوتية الطبيعية من قبيل صخب الموج وخريرالجدول ورجع الصدى، إضافة إلى امتداد النفس في المقدمات الموسيقية وفي الجمل اللحنية التي تتخلل المقاطع، ناهيك عن حسن تعامله مع المقامات الشرقية وتفننه في الانتقال بينها على نحو يكشف عن معرفة دقيقة بطبيعة سلالمها.

تعامل عبد السلام عامر مع نخبة من كتاب الأغنية كان في مقدمتهم عبد الرفيع جواهري ومحمد الخمار الكنوني، ومصطفى عبد الرحمن، وحسن المفتي، وتتوزع نتاجه الفني موضوعات دينية ووطنية وعاطفية :

فمن أغانيه الدينية : تحية رمضان ـ سبحان الإله، ومن أغانيه الوطنية : العيد الأعظم، تحية المجد ـ عاش البطل الحسن ـ مواكب النصر ـ شعلة الوحدة ـ وطني يا طلعة الأسود ـ غنت لك الأوطان. ومن أغانيه العاطفية : القمر الأحمر ـ الشاطئ ـ راحلة ـ الحب الأول ـ آخر آه ـ حبيبتي. أما المغنون الذين لحن لهم فهم كثر، ومنهم : عبد الهادي بلخياط، وعبد الوهاب الدكالي، ومحمد الحياني، وعبد الحي الصقلي، كما غنى له بعض أغانيه إسماعيل أحمد، وعبد المنعم الجامعي، ورداد الوكيلي، والمطربة المصرية سعاد محمد، وقد غنت له آخر ملحمة العرش وهي آخر ما أنتجه عبد السلام عامر.

كان عامر فنانا متميزاً يتدفق ألحانه، وكان إلى ذلك على حظ من الثقافة والشجاعة الأدبية والجرأة في القول أهله للمشاركة في عدة مناظرات وندوات إذاعية وتلفزية.

وقد توفي يوم الإثنين 17 جمادى الثانية 1399 موافق 14 ماي 1979.

م. بنريسول، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 5 يناير 1997 ؛ ع. الله رمضون، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 16 ماي 1999 ؛ ق. النيلالي، جريدة *الميثاق*، 14 ماي 1987 ؛ ع. الإله قانية، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 13 غشت 1998 ؛ ص. الشرقي، *جل تر المعاني*، ص. 194 و198 و204.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**أبو عامر، عبد الله** بن السلطان أبي **العباس** أحمد بن السلطان أبي سالم إبراهيم بن السلطان أبي الحسن علي بن السلطان أبي سعيد عثمان بن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني، لقب بلقب المستنصر بالله وبويع بعد أخيه أبي فارس عبد العزيز يوم السبت الثامن لصفر عام 799 / 1397. كان التصرف والنقض والإبرام في مدة حكم أبي عامر كلها للوزراء مثل صالح بن حمو ويحيى بن علال وحاجبيه أبي العباس أحمد بن علي القبائلي وفارح بن مهدي العلج. بقيت دولة أبي عامر على هذا الحال من استبداد رجالاته مدة سنة وخمسة أشهر إلى أن توفي بعد صلاة العصر يوم الثلاثاء الموافق لثلاثين من جمادى الأخرى عام 800 الموافق 19 مارس 1398 وله من العمر عشرون سنة.

ابن الاحمر، *روضة النسرين* ؛ ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون* (ضمن *العبر*، ج. 7) ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 4 ؛ محمد المنوني، *ورقات*، الرباط، 1979، ص. 184 - 186.

**أبو عامر، عبد الله** بن السلطان أبي **يعقوب** يوسف المريني. كان من أقرب الأبناء إلى والده وأكثرهم معزة عنده ولذلك قدمه على بقية إخوته وبايعه بولاية العهد ثم عينه نائبا عنه بحاضرة مراكش. وقد كان لهذا التعيين انعكاسات سلبية على علاقة الأمير بوالده السلطان وأصبح بعيدا عن أعينه ومراقبته الشيء الذي دفع ببعض مساعديه خاصة عامل مراكش محمد بن عطو الجاناتي إلى مداخلة الأمير في الانفراد بحكم المنطقة الجنوبية وزين له الثورة على والده. وبعدما علم السلطان بثورة ولده في آخر شوال من سنة 687 / نوفمبر 1288 تحرك إلى مراكش بجيوشه التي اصطدمت بجيوشه الثائرين بظاهر المدينة وأسفر اللقاء عن

انهزام الأمير وصاحبه ولجوئهما إلى مراكش والتحصن داخلها. وتحت ضغط حصار السلطان انقض أبو عامر على بيت المال واستصفى أمواله ثم قتل المشرف على المدينة ابن أبي البركات وفرا بعد ذلك إلى جبال المصامدة ومنها إلى تلمسان في رجب من سنة 688 / 1289 حيث دخلا في حماية صاحبها أبي سعيد عثمان بن يغمراسن. غير أن السلطان يوسف لم يعد قادرا على فراق ابنه ولجوئه إلى عدوه، فتدارك الأمر وبعث إلى صاحب تلمسان في شأن ولده وأخبره بعفوه عنه وطلب منه أن يسلمه إليه مع صاحبه ابن عطو. وأمام رفض أبي سعيد لهذا الطلب ثارت حفيظة السلطان المريني واشتد غضبه قرر الدخول في حرب طويلة مع بني زيان وشن حملات عسكرية على تلمسان ومحاصرتها فترات متتالية امتدت من سنة 689 / 1290 إلى نهاية دولته سنة 706 / 1307 عندما قتل أثناء حصاره لها. بعد عودة الأمير إلى فاس قرر السلطان معاقبته وذلك بإبعاده إلى الأندلس وعقد له على ثغورها الخاضعة لبني مرين وعهد له بالنظر في مصالحها والتصدي للهجومات المسيحية التي ما فتئت تتزايد خطورتها على المواقع الإسلامية منذ احتلال سانشو الرابع ملك قشتالة لمدينة طريف سنة 691 / 1292.

وفي سنة 694 / 1295 استقدم يوسف ابنه من الأندلس وأوعز إليه بالعمل على إقرار الأمن ببلاد الريف والوقوف على أحوالها لانشغاله بحصار تلمسان وحروبه المتكررة مع بني زيان وهو الأمر الذي جعل السلطان يتخلى عن بعض سلطاته في تسيير شؤون جهات أخرى من مملكته لصالح أبنائه. وحتى يتفرغ كليا لحربه مع غريمه الزياني عفى يوسف عن معارضيه من أولاد الأمير أبي يحيى بن عبد الحق الذين كانوا لاجئين بتلمسان وأشار عليهم بالقدوم إلى فاس. فبلغ الخبر أبا عامر وهو حنيئذ بمعسكره من بلاد الريف فبادر إلى التعرض لهم واغتيالهم بمكان يعرف بوادي القطف بجهات بلاد ملوية سنة 695 / 1296 ظنا منه أنه بذلك يقدم خدمة ومعروفا لوالده. وعندما انتهى خبر مقتل هؤلاء الأمراء إلى السلطان يوسف تبرأ من فعلة ابنه ونفد صبره وأصر هذه المرة على معاقبته عقابا شديدا. فما كان من أبي عامر إلا الفرار من بطش السلطان إلى جبال غمارة طريدا وتبعه عسكر والده بقيادة ميمون بن ودران الحشمي وزيكن بن المولاة تاميمونت. ودارت معارك كثيرة بين الجانبين حوالي ثلاث سنوات انتهت بمقتل الأمير أبي عامر ببلد بني سعيد من جبال غمارة سنة 698 / 1299. ثم نقل جثمانه إلى فاس ليدفن بالزاوية التي بداخل باب الفتوح وذلك في شهر ذي الحجة من نفس السنة.

خلف أبو عامر ثلاثة من الأولاد كفلهم السلطان يوسف فملك اثنان منهم بعد وفاة جدهم وهما أبو ثابت عام بين 706/ 1307 و708 / 1309 وأخوه أبو الربيع سليمان بين 708 و710 / 1311.

ابن أبي زرع الفاسي، *القرطاس*، ص. 378 ـ 379 ـ 382 ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد*، الجزائر، 1903، ج. 1، ص. 118 ـ 119 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج 7، ص. 441 ـ 442 ـ 448 ـ 449، 452 ـ 453 ؛ التنسي، *نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان*، تح. محمود بوعياد، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1985، ص. 130 ـ 131 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ط. 1954، ج. 3، ص. 67 ـ 69، 74 ـ 75.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion...*, p. 102, 172, 246.

ابن **عامر، محمد** الأنصاري، من علماء مدينة سبتة وأحد أئمتها في اللغة العربية والأصول وغيرها من الفنون الأدبية والعلوم الشرعية. تصدى للتدريس بالمدرسة الجديدة التي أنشأها السلطان أبو الحسن المريني بمدينة سبتة، وللخطبة أيضا بجامع الربض السفلي. تتلمذ على يديه وانتفع بعلمه عدد كبير من علماء سبتة وطلبتها، فبلغت شهرته ـ كعالم وبارع في الخط ـ آفاق المغرب الأقصى وكسب حظوة كبيرة عند السلطان أبي عنان المريني فقربه وجعله من بين جلسائه. في أواخر أيامه رحل ابن عامر إلى الحجاز وعند عودته توفي بالينبوع عام 765 / 1364.

مجهول، *بلغة الأمنية*.

رشيد السلامي

**عامر** بن **محمد** بن **سعيد القيسي** عالم من عرب إفريقية، كان من أهل الدين والورع والفقه، له رحلة علمية إلى المشرق سمع فيها الإمام مالك بن أنس وسفيان الثوري وروى عنهما كثيراً، ومع ذلك لم يذكره القاضي عياض في المدارك.

دخل الأندلس برسم المشاركة في الجهاد، ثم دخل إلى المغرب ضمن الوفد المكون من 500 فارس الذين وفدوا على الإمام إدريس الثاني من الإفريقيين والأندلسيين سنة 189، فسر الإمام إدريس بوفادتهم، وأجزل صلاتهم ورفع منازلهم، وقام بتعيين الفقيه عامر بن محمد القيسي قاضياً بفاس، لعلمه وفضله، وهو أول قاض بفاس ذكرت المصادر اسمه. وقد أدخل *موطأ* الإمام مالك إلى المغرب، وسمع منه الإمام إدريس وفقهاء فاس.

السنوسي، *الدرر السنية في السلالة الإدريسية*، بيروت، دار القلم ؛ الجيدي، *محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي*، الرباط، دار عكاظ ؛ م. الكتاني، *الأزهار العاطرة الأنفاس*، ط. حجرية ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، الرباط، دار المنصور ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، طبعة وزارة الثقافة والاتصال، 2001، ج 2.

محمد المغراوي

ابن **العامْري**، أسرة حسناوية تنتمي إلى فخذة أولاد العامري من بطن أولاد بوجْنُون فرقة أولاد يحيى قبيلة بني حسن، قرب مدينة سيدي سليمان من إقليم القنيطرة. وقد اشتهرت بتولي مقاليد السلطة في القرن الثالث عشر الهجري. وتنسب إلى أحد أفرادها قرية دار بَلْعَامْري التي

هي اسم قيادة وجماعة قروية هناك. وسأتناول الكلام على الولاة منهم :

ابن **العامري، إدريس** بن حمَّاني هو آخر الولاة من هاته الأسرة، عين بعد أن كان أفرادها قد أُبعدوا عن مقاليد السلطة نحواً من ستة عقود. كان إدريس قائداً سنة 1327 / 1909، لكنه لم يدم في منصبه إلا قليلاً قبيل انتصاب الحماية.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 140.

ابن **العامري**، (إدريس بن الغازي بن العامري –) قائد من قواد مولاي سليمان الذي كان متزوجاً بأخته التي طلقها بعد ذلك وكان يحظى بثقة السلطان حتى قيل إنه ولاه على قبيلة زعير، البعيدة عن تراب أولاد يحيى ولم أقف لهذا على صحة.

توفي مغتالاً سنة 1214 / 1799.

تاريخ الضعيف، 287 ـ 307 ـ 317 ؛ م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 89.

ابن **العامري**، (العامري بن إدريس بن الغازي –) لم أقف على تاريخ بدء ولايته قبل سنة 1261 / 1845 على أولاد يحيى إخوانه وكذا على الصفافعة وأولاد نعيم وأولاد مَحمد ومختار وعامر أي قبيلة بني أحسن في مجملها، ولعل ذلك كان قبل ذلك بقليل.

كان من كبار القواد الحسناويين، ولعله هو الذي زوج بنتيه لولدي السلطان مولاي عبد الرحمان. لكن المصادر تذكر أنه طغى وتجبر وشق عصا الطاعة وتعصب مع زمور وأكل أموال الناس، فقام عليه إخوانه اليحياويون مثل أولاد احْميد، كما قام عليه الصفافعة واسترحموا بالأضرحة بسلا ومراكش فارين من بطشه.

وقد عزل سنة 1262 / 1846 وغضب عليه السلطان فرحل لسكنى مدينة فاس، ولكن نفوذه المعنوي كان شديداً حتى تشكى قائد الصفافعة الميلودي بن الجيلالي (الذي هو جد أولاد بْريك السلاويين الآن) بتدخله في شؤون القبيلة وبأنه أطلق اليد في إخوانه وأكل اللحم وامتص العظم، وخصوصاً النصف الموالي لتلك الناحية مثل الطيسان والنعاعسة ومثل مختار. وكان يهرب من ناحية إلى ناحية مثل زمور كلما شعر أن المخزن يترصده.

لم أقف على تاريخ وفاته، لكن ورثته عزموا على المخارجة فيما بينهم فيما ترك من الأصول التي كان يملكها بفاس وغيرها سنة 1292 / 1875، مما يعني أنه كان قد مات قبل ذلك بزمن طويل.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 5 : 79 ـ 80 ؛ م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 93 ـ 96.

ابن **العامري** (الغازي بن العامري بن إدريس –) كان سنة 1280 / 1863 قائداً على إخوانه من أولاد يحيى مثل أولا بوجْنون وأولاد احْميد وأولاد بنحمَّادي، ومكث كذلك مدة لا نعرف مداها لكن نعرف شيئاً آخر عنه هو أن أملاكه قد صودرت، فطلب أحد أولاده سنة 1295 / 1878 استرجاع داره التي له بمكناس، لأنهم أصبحوا ذوي فاقة، فرهنوا نصف تلك الدار. وهذا يفيد أن الغازي مات قبل هذا التاريخ. وفي سنة 1302 / 1885 لم يبق من أولاد ابن العامري سوى سبع خيام.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 102.

ابن **العامري** (محمد بن العامري بن الغازي بن العامري –) عين سنة 1228 / 1813 قائداً على طرف من بني أحسن، كما أُسندت إليه الولاية على مدينة سلا وأذن له السلطان بأن يسكن بدار عمه إدريس بن الغازي. إلا أنه قبض عليه في السنة الموالية مدة شهر إلى أن يؤدي الذعيرة التي فرضت عليه.

وقد تقلب في مناصب سامية فعين عاملاً على وجدة قبل احتلال الفرنسيين للجزائر، فطالبت حكومة فرنسا بعزله سنة 1248 / 1832 لتضايق حكامها منه. وقد ساهمت أسرة ابن العامري في الدفاع عن حوزة الوطن سواء قبل وقعة إيسلي سنة 1844 أو بعدها. وأغلب الظن أنه توفي بعد السنة الأخيرة.

*تاريخ الضعيف*، 379 ـ 381 ـ 384 ـ 385 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 159 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 5 : 228 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 106 ـ 224 ؛ م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 90 ـ 91.

ابن **العامري** (الحاج محمد بن العامري بن إدريس بن العامري –) ورد ذكره عاملاً على طرف من بني أحسن سنة 1274 / 1858، ولكنه لم يمكث في الولاية إلا بضع سنوات فعزل عنها. وكان سنة 1981 / 1865 مديناً لبيت المال بمبلغ كبير سجن من أجله بمدينتي سلا ومراكش. ولما دفع بعد سنتين ما كان مطالباً به أفرج عنه.

كانت له أملاك عقارية بسلا ونواحيها، منها داره التي كانت له بدرب الشماخ قرب جامع الشهباء مع عرصة مقابلة لها، وأملاك أخرى بفاس وأحوازها. وقد ظهر أن المسؤولين سطوا على بعضها الموجود بسلا خاصة، ثم اشترى الحاج الطيب عواد وجغالف من بنته كنزة حظها.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن*، 100 ـ 101.

مصطفى بوشعراء

**العامري، محمد** بن الحاج منصور العامري التلمساني المراكشي النشأة والتازي الدار، درس بفاس وتخرج فقيها مع مشاركة في الأدب. وشغل كاتبا للشيخ أبي عبد الله محمد بن علي التوزاني، وفي سنة 1152 قام

بأداء فريضة الحج وزيارة القدس الشريف ودون رحلته في منظومة على بحر الخفيف على روي الهمزة في وصف المراحل من فاس إلى الحجاز معرجا فيها على الشام فاشتملت على خمسة وثلاثين وثلاثمائة بيت. استهلها بالاستعداد إلى الحج وما ينبغي حمله من الأواني والزاد والملابس والآلات ثم انتقل إلى وصف المسالك ومزاراتها ومعالمها الأثرية وما يعتريها من مخاوف وصعوبات. وهذه المنظومة متوسطة الجودة ومطلعها :

ازمع السير أن دهت أدواء لشفيع الأنام فهو الدواء

وعندما عرج على الشام قال :

وإذا أردت مشيا إلى الشام ففيها أئمة أنبياء
وهناك صخرة القدس في المسجد الأقصى حازتها اليساء
ومزارات عندها مثل داود النبي ومريم العذراء
أهلها من أجل أناس كرام بهم يتأنس الغرباء

وتم الفراغ من نظمها سنة 1162 حيث يقول :

وبتاريخ نظمها بشفيع وعديد أبياتها جلساء

وتوجد منها نسخة بالخزانة السودية ضمن مجموع وأخرى بالصبيحية بسلا تحت عدد 3902 وأخرى بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 3490 خ. ع. د، وقد أدرجها الباحث محمد المنوني في كتابه ركب الحاج المغربي المطبوع بتطوان سنة 1953. ولعل العامري عاوده الحنين إلى المشرق فأدركه الأجل هناك سنة 1170.

م. المنوني، *ركب الحاج المغربي* من ص. 88 إلى 104 ؛ ع. السلام بنسودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 4 ؛ إ. الكتاني، دعوة *الحق* عدد غشت *1981 بحث حول القدس في رحلات المغاربة* ؛ م. ماكامان، *الرحلات المغربية في القرنين 11 و 12 للهجرة*، مرقونة.

محمد ماكامان

**العامل**، هو الذي يتولى أمور الرجل في ماله وملكه وعمله. ومنه قيل للذي يستخرج الزكاة عامل أو ساعي أو جاري فيها. قال الله عز وجل : "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم" (*التوبة*، 60). ومن حديث الرسول (ص) : "ما تركت بعد نفقة عيالي ومؤنتي عاملي صدقة"، يعني أزواجه وخليفته. وعن ابن إسحاق أنه (ص) بعث أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان، ولما كانت وظيفة أمير الناحية الكبرى هي جباية الأموال لفائدة بيت مال الدولة المركزي، فإنه كان يدعى أحيانا بالعامل، بدليل ما نقف عليه من الأمثلة في شرق الدولة الإسلامية وفي غربها. ففي الأندلس مثلا كان رؤساء النواحي عمالا في عهد الخلفاء الأمويين. وفي المغرب في العصر الموحدي كان العامل هو الساعي في الجبايات. ثم صار في الدول التالية هو القيم بجميع الأحكام السلطانية في الأقاليم والنواحي، وأن كان يدعى تارة بالوالي، وتارة أخرى بالقائد وبلقب الباشا منذ الدولة السعدية، دون تواتر في ذلك ولا انتظام، ووقوفا في الغالب على الدلالة اللغوية للفظ. فإن المكلف بالأحكام السلطانية في المدن الكبرى قبل الحماية كان يدعى عاملا في الغالب، بينما صار المكلفون بالوظائف المالية هم الأمناء بعد الترتيبات التي اتخذها السلطانان محمد بن عبد الرحمان وابنه وخلفه المولى حسن. فلقد جاء في ظهير حسني عن ترتيب الجبايات قوله : "وقدرنا للعامل والأمناء والأشياخ المكلفين أجورهم ... "ثم قال : "ولم نخرج العامل والأمناء والأشياخ من ربقة التكليف، بل سويناهم مع إخوانهم فيما يلزم القوي والضعيف". مما يستفاد منه أن العامل كان هو يد السلطان وعينه في الأقاليم، علما بأنه عادة ما كان يسمى قائدا في المجال القروي وباشا في المجال الحضري. وكان عدد القيادات قبل فترة الحماية يفوق ثلاثمائة.

أما بعد فرض الحماية، فإن السلطات الفرنسية جاءت بترتيبات وتقطيعات إدارية جديدة، فاحتفظت بلفظ الباشا في إدارة المدن الكبرى، وبلفظ القائد في إدارة البوادي، متخلية عن لفظ العامل، وإن احتفظت في العمق ببعض وظائفه، مسندة إياها لضباط فرنسيين من ذوي الرتب العليا، فكانوا من الجنرالات في الأقاليم العسكرية، ومن المراقبين المدنيين المتقدمين في الرتبة في الأقاليم المدنية. وكان المغرب مقسما إلى سبعة أقاليم، أربعة عسكرية، هي فاس ومكناس ومراكش وأگادير، وثلاثة مدنية هي الرباط والدار البيضاء ووجدة. ورؤساء هذه الأقاليم كانوا يمثلون المقيم العام في مختلف الجهات، يقومون مقامه في أقاليم شاسعة ويديرون شؤونها العامة على اختلاف تنوعها، ويشرفون على من تحتهم من القواد والباشوات وعلى الضباط ورجال الإدارة الفرنسيين المكلفين بمراقبتهم وبالتبليغ عنهم وتبليغهم الأوامر العليا. والملفت للنظر في رؤساء النواحي في عهد الحماية أنهم كانوا تحت إمرة المقيم العام الفرنسي، دون أن يكون للعاهل المغربي أي نفوذ عليهم، مع أنه احتفظ بسلطته على القواد والباشوات فهو الذي يعينهم بظهير.

ولما استرجعت البلاد استقلالها سنة 1956، فإنها بادرت إلى دمج الجديد في التقليد. فانقسمت الإدارة المحلية إلى عدة أقاليم، جعل على رأس كل واحد منها عامل، وذلك بمقتضى ظهير 7 شعبان 1375 / 3 مارس 1956، الذي جاء في فصله الثاني : "العمال هم القيمون بسلطتنا التنفيذية في الأقاليم وبناء على ذلك فهم الملكفون بتسيير أعمال القواد والباشوات، وبمراقبة إدارة الجماعات الإقليمية، وبربط الصلة عند الاقتضاء بين الإدارات الجهوية ومختلف الوزارات". وأثبت دستور 1962 ذلك بما ورد في الفصل 88 منه بأن العمال ينفذون "في العمالات والأقاليم مقررات مجالس العمالات والأقاليم وينسقون بالإضافة إلى ذلك نشاط الإدارات ويسهرون على تطبيق القانون". فتكاد وظائفهم في ناحيتهم تضاهي وظائف رئيس الحكومة في الرباط. وقد ذكرها بالتفصيل ظهير 25 صفر 1397 / 15 فبراير 1977،

المعدل بظهير 19 ربيع الثاني 1414 / 16 أكتوبر 1993. فالعامل أولا وقبل كل شيء ممثل الملك الذي هو أعلى سلطة في البلاد، فمنه يستمد نفوذه وإليه يرجع في القضايا الكبرى. ثم إنه مندوب الحكومة، والمكلف بتنفيذ القوانين والضوابط والأوامر الصادرة عنها في نطاق الحدود الترابية لعمالته، وله أن يتخذ من الإجراءات ما يراه مناسبا في حدود مهامه، فهو المكلف باستتباب الأمن في الإقليم فيستنفر الشرطة المحلية والقوات المساعدة والدرك والجيش النظامي عند الاقتضاء. ويشرف على أعمال من تحت إمرته من القواد والباشوات المسيرين للدوائر الحضرية والقروية التي ينقسم إليها الأقاليم. والعامل هو المسؤول عن تنفيذ مقررات المجالس المحلية المنتخبة على اختلاف تراتبها، وهو الرقيب على أعمالها بصفة عامة. كما أنه يشرف على أعمال مندوبي الوزارات المختلفة في الإقليم، وممثلي المؤسسات العمومية الكبرى. ويخبر الوزراء بما يجري من ذلك. والوزراء ملزمون أيضا بإطلاعه على ما يخططون من الأعمال الجهوية. وتيسيرا لهذه المراقبة، يقوم إلى جانب العامل لجنة تقنية إقليمية تتكون من الكاتب العام للعمالة ومن رؤساء الدوائر ومندوبي الوزارات والمؤسسات العمومية، تجتمع مرة في الشهر على الأقل، يستشيرها العامل في القضايا العالقة وفي الطوارئ. والعامل أخيرا هو المتصرف المالي في نطاق عمالته، فهو المكلف بصرف الأموال العمومية فيها وبتنفيذ مخططات التنمية. ولقد تكاثرت العمالات نظرا لتزايد السكان ولتشعب الوظائف والمهام المنوطة بالإدارة التي عليها أن تتدخل في الشاذة والفاذة على الصعيدين المركزي والجهوي. وكلما تشعبت الشؤون الإدارية إلا وازدادت الحاجة إلى التنسيق بين المسؤولين. ولهذا السبب أقدم المشرّع على إحداث وظيفة الوالي الذي هو عبارة عن عامل من درجة عليا يشرف على إدارة شؤون الجهات، التي هي أعلى مقاطعة إدارية، فيشرف الوالي فيها على مجموعة من العمالات بحسب مستلزمات التقطيع وكثافة السكان. وعدد الولايات سنة 1424 / 2003 سبع عشرة ولاية، بينما عدد العمالات واحد وسبعون بعد أن كان في فجر الاستقلال اثنتى عشرة عمالة.

ع. الرحمن ابن زيدان، *العز والصولة في معالم نظام الدولة*، المطبعة الملكية، الرباط، 1382 / 1962 ؛ نعيمة التوزاني، *الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن*، مطبعة فضالة، 1979 ؛ م. المعزوزي، *البداية في القيادة والولاية*، الدار البيضاء، 1401 / 1981.

Frédéric Brémard, *L'organisation régionale du Maroc*, Paris, 1949 ; D. Basri, *L'agent d'autorité*, Imprimerie Royale, Rabat, 1975.

إبراهيم بوطالب

**العايدي السجيري، الحسن** بن عبد الله شيخ صالح، ينتمي إلى قبيلة سجير بالغرب. يرجع نسبه إلى علي بن أبي طالب، وهو من أقارب أبي زيد عبد الرحمان العايدي الذي حثه محمد بن أبي بكر الدلائي على نصرة المجاهد مَحمد العياشي. توفي المترجم ليلة الأحد 18 محرم 1131 / دجنبر 1718 بمدينة سلا ودفن بحومة السويقة. فرغ من بناء قبة على قبره في رجب 1132 / 1719، وقد تم ترميم ضريحه عام 1403 / 1983 على يد سعيد بن الصغير بن محمد بن اليزيد العايدي. وبباب الضريح رخامة تضمنت نسب المترجم.

أ. بن عاشر الحافي، *تقاييد الروض*، مخ. خ. ص. بسلا، رقم 428 ؛ ع. القادر أملاق، *الخبر عن ظهور العياشي*، *"الحركة العياشية"*، لعبد اللطيف الشاذلي، ط. 1982.

محمد السعديين

**عائشة** بنت **الشيخ** المحتسب محمد بن الجيار، من طبيبات مدينة سبتة. أخذت علوم الطب على صهرها الطبيب الشهير محمد الشريشي المعروف عند العامة بحكيم الرعاء المتوفى سنة 771 / 1369. أدركت الطبيبة عائشة شهرة واسعة سواء في مدينتها أو في باقي مدن المغرب الأقصى حتى أن الأمراء من بني مرين وكبار القوم كانوا يتصلون بها ويتقربون منها بالهدايا والتحف لأجل ما عرفوه عنها من نبوغ ودراية في الطب علما وممارسة وكذلك في صناعة العقاقير. ويفهم من كلام صاحب *بلغة الأمنية* أن هذه الطبيبة التي أدركها وقد بلغت من العمر نحوا من السبعين سنة اشتهرت أيضا عند أهل سبتة بوقفها لعقاراتها وأملاكها على أعمال البر والخير. يرجح أن هذه الطبيبة توفيت في النصف الأول من القرن التاسع الهجري (15 م).

مجهول، *بغية الأمنية*، ص. 55 ـ 56.

رشيد السلامي

ابن **عائشة، عبد الرحمان** أخو عبد الله ابن عائشة أمير البحر الشهير، ورفيقه في حملاته الجهادية خلفا للرايس فنيش. وقد برز في ذلك منذ سنة 1106 / 1694، قائداً لسفينة في ملكية مولاي إسماعيل مجهزة بثمانية عشر مدفعا وطاقما مؤلفا من مائة وثلاثين رجلا. وفي نهاية يوليو ساهم مع أخيه في اختراق الحصار المضروب من قبل السفن البرتغالية على الشاطئ المغربي بولوج أحدهما إلى المعمورة والآخر إلى سلا.

وفي الخريف الموالي استأنف نشاطه، حيث حقق بالتعاون مع أخيه في دجنبر غنيمتين، أولاهما إنجليزية من حمولة مائة طنة قرب ماديرة تمكنت الخافرات الإنجليزية من استعادتها، والثانية فرنسية أسرت بين جزر الأصور وماديرة وهي في طريق العودة من المارتينيك، من حمولة مائتي طنة تدعى *الخطاف* (L'hirondelle) تحت قيادة القبطان ماتيوه كروا (M. Crois)، مجهزة بأربعة مدافع وبطاقم مكون من واحد وعشرين رجلا، قدرت قيمتها بثمانين ألف ليرة، وقدرت فديات طاقمها باثني عشر ألف قرش. كما شارك عبد الرحمان في حملة أخيه في خريف السنة الموالية في مياه

جزر الخالدات، حيث استولى على سفينة عتادية هولندية تقدر قيمتها بأربعين ألف قرش، عاد بها إلى المعمورة في يناير سنة 1696 مضيفا إلى غنيمته هذه قاربي صيد.

وقد حاول عبد الرحمان في موسم 1696 تجريب حظه في البحر الأبيض المتوسط، إلا أنه تعرض لملاحقة سفينتين فرنسيتين أجبرتاه على اللجوء إلى بجاية حيث انقطع عن العمل زهاء سنتين ؛ إذ كان في سنة 1698 يقود سفينة قديمة من غنائمه تدعى *الحصان الأبيض*، لكنه في يونيو تعرض لهجوم من طرف إحدى بوارج الأسطول الفرنسي تحت إمرة كوتلوغون (Cöetlogon) يقودها الفارس شاطو موران (Ch. Morand)، ولم يتمكن من الإفلات إلا بفضل سرعة سفينته. وقد حزن كوتلوغون لعدم النجاح في أسره، وهو نفس الأسى الذي عبر عنه بونكوطران.

ونتيجة الحصار الشديد المضروب على الأسطول الجهادي المغربي، وجهه أخوه عبد الله لملاقاة المركيز شاطو رونو باقتراح الهدنة بين الطرفين، والتي أشاع في ضوئها ابن عائشة خبر قدومه استقبالا إلى فرنسا في سفارة لتلك الغاية. لكنه مع انتهاء سفارة أخيه بالفشل، واصل عبد الرحمان مهنته قائماً سنة 1700 بتحقيق غنيمتين في نواحي جزيرة ماديرة، رغم مطاردة عنيفة من إحدى السفن الخافرة، ولم يتمكن من الإفلات إلا استعانة بظلام الليل ؛ لكنه لدى وصوله إلى مصب نهر أم الربيع جنحت سفينته، ونجح مع ذلك في اصطحاب ستة وعشرين أسيرا إلى سلا. وقد اتخذت سلطات المرسى إجراءاتها لإنشاء سفينة جديدة لعبد الرحمان في غشت من تلك السنة بأمر من السلطان، تعويضا له عن سفينته المفقودة في أزمور.

*S.I.H.M.*, 2e série, *France*, T. IV, p. 293 - 94, 315 ; T. V, p. 19 ; T. VI, p. 148 - 49 et 196 et Coindreau, p. 80 - 82.

حسن أميلي

ابن **عائشة، عبد الله** كل ما نعرفه تقريباً عن هذا الرجل وصلنا عن طريق المصادر الأوربية، إذ لا نكاد نعثر له على أثر عند المؤرخين المغاربة الذين كتبوا حول الفترة التي عاش فيها. وعبد الله ابن عائشة ليس بالشخصية المغربية الوحيدة التي تعاني من هذا الإهمال من مؤرخي الدولة العلوية الذين لم يولوا إلا اهتماماً ضعيفاً بكل ما يتعلق بالشؤون الخارجية وبمن ارتبط اسمه بها. وابن عائشة من الشخصيات التي تدين بشهرتها أساساً للدور الذي لعبه في علاقات المغرب بأوربا، أولا كأمير للبحر، وثانياً كسفير لمولاي إسماعيل لدى لويس الرابع عشر.

ويرجع أول ذكر لعبد الله ابن عائشة إلى سنة 1672 عندما كان قائداً لسفينة جهادية بمرسى مدينة سلا. ولم يكن المترجم البحار الوحيد في عائلته، بحيث كان لكل من أخيه عبد الرحمان وابنه محمد سفينة بنفس المرسى، وبذلك كانت عائلة ابن عائشة تملك نصف الأسطول السلاوي، أي ثلاث سفن من أصل ست سفن كانت مرتبطة بمرسى سلا. وكان الثلاثة يخرجون أحياناً في مهمات جهادية مشتركة لاعتراض سفن الدول التي لم تسالم المغرب. ولم يكن نشاط القرصنة من احتكار المغاربة أو المسلمين وحدهم بل كانت تساهم فيه الدول الأوربية بنصيب وافر، الشيء الذي كان يؤدي إلى وقوع العديد من المسلمين في الأسر فيساقون إلى السجون أو يشغلون كجذافين فوق السفن الحربية في ظروف قاسية جداً. وبحكم نشاطه البحري لم يفلت عبد الله ابن عائشة من آفات البحر فوقع أسيراً في يد الأسطول الانجليزي، مما جعله يقضي ثلاث سنوات في سجون إنجلترا. ويرجع فضل إطلاق سراحه إلى جيمس، شقيق ملك نجلترا، الذي حرره دون ما حاجة إلى فدية، وهو الفضل الذي لم ينسه ابن عائشة لهذا الأمير. فعندما بويع جيمس ملكاً لأنجلترا في سنة 1685، توجه ابن عائشة إلى لندن لتهنئته باسم المولى إسماعيل. وعندما توجه إلى باريس في سفارته المشهورة في سنة 1699 أصر على لقاء جيمس الثاني، وهو آنذاك يعيش منفياً بالعاصمة الفرنسية، ليعبر له عن امتنانه لحسن المعاملة التي لقيها منه خلال فترة أسره.

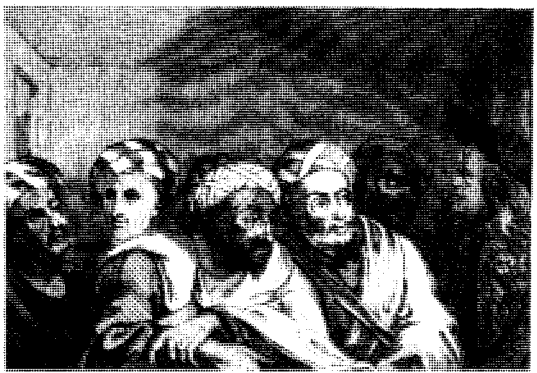

وكاد عبد الله ابن عائشة أن يسقط أسيراً مرة ثانية في يد الانجليز في سنة 1684 عندما لاحقه قرصان انجليزي قرب الشواطئ المغربية. وإذا كانت السفينة وعدد كبير من بحارتها قد وقعوا في الأسر، فإن عبد الله ابن عائشة قد تمكن من النجاة والوصول سالماً إلى الشاطئ.

واستطاع ابن عائشة بفضل كفاءته وجرأته أن يكسب ثقة المولى إسماعيل الذي عينه قائداً للأسطول مع احتفاظه بملكية سفينته الخاصة التي كانت تعتبر أحسن سفينة سواء من حيث تجهيزها أو من حين نوعية البحارة الذين كانوا يعملون على ظهرها. ولاشك أن الغنائم التي تحصلت لديه كنتيجة لنشاطه البحري مكنته من جمع ثروة هامة، لهذا فإن القنصل الفرنسي بسلا وصفه بكونه "أحد أهم الرجال الأثرياء بهذه البلاد".

وفي مغرب القرن السابع عشر لم يكن هناك تمييز بين شؤون البحر والشؤون الخارجية، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة مع الدول الأوربية. فالمشاكل التي كانت تقوم بين المغرب وهذه الدول كانت كلها تدور حول البحر الذي كان يمثل الوسيلة الوحيدة للاتصال آنذاك. وفي طليعة هذه المشاكل

تأتي مسألة القرصنة أو الجهاد البحري، وما يترتب عنهما من وقوع أسرى من الجانبين في يد الطرف الآخر. لذلك كان طبيعياً أن يختار المولى إسماعيل أمير أسطوله ليتوجه في سفارة إلى فرنسا بغية التوصل إلى معاهدة سلم مع هذه الأخيرة وإيجاد حل لمسألة الأسرى المغاربة الموجودين بفرنسا، والأسرى الفرنسيين الموجودين بالمغرب. ولم تكن هذه السفارة الأولى من نوعها التي يقوم بها سفير مغربي إلى فرنسا، فقد سبق للحاج محمد تميم أن ترأس سفارة مغربية مماثلة إلى باريس في سنة 1681، لكن المعاهدة التي تم توقيعها على إثر تلك السفارة بقيت دون تنفيذ بعد ظهور خلافات بشأن تبادل الأسرى. ومن الجانب الفرنسي تم إرسال سفيرين إلى المغرب في كل من سنة 1688 و1693 للتفاوض حول مسألة الأسرى وعقد اتفاقية سلم بين البلدين. إلا أن المبعوثين الفرنسيين ـ ويتعلق الأمر بأوجيي وسانتولون ـ رجعا إلى بلادهما دون إحراز نتيجة ملموسة.

وفي سنة 1698 بدأ الأسطول الفرنسي في تحضير حملة ضد مرسى سلا، فتخوف ابن عائشة من عواقب مواجهة بين الأسطولين واقترح على المولى إسماعيل فتح الحوار مع الفرنسيين حتى تحل المشاكل المعلقة بين البلدين بالطرق السلمية. ولم يكن السلطان ليجد من هو أنسب لهذه المهمة من القبطان عبد الله ابن عائشة الذي توجه إلى فرنسا في نفس السنة وهو يحمل ظهيراً سلطانياً يوكل إليه "النظر والكلام في سائر أمور البحر ... من عقد وإبرام أو سلم أو غير ذلك مع جميع أجناس النصارى لكونه أعرف برياسة البحر وخطته وأكثر ممارسة بأحوال أهله وذويه".

دامت سفارة ابن عائشة بفرنسا ثمانية أشهر (نونبر 1698 ـ مايو 1699)، مما يدل على أن المفاوضات لم تكن سهلة. وعلى هامش اللقاءات الرسمية مع العديد من رجال الدولة الفرنسية، مدنيين وعسكريين، تمكن ابن عائشة من زيارة العديد من المآثر والقصور والكليات الحربية، كما زار المطبعة والمكتبة الملكيتين وعدداً من المنشآت الصناعية كمصانع الأسلحة والزجاج ودار السكة وغيرها. ومن خلال اهتمامه بالصناعات الفرنسية التقى برجل أعمال فرنسي هو "جردان" الذي كانت له مصالح هامة في صناعة الزجاج وتجارته. وقد حاول جردان هذا أن يكسب دعم ابن عائشة لمشروعه الرامي إلى إنشاء دار تجارية بسلا تقوم بجلب المواد الزجاجية وغيرها من المواد الشرقية مقابل تصدير المواد المغربية التقليدية (جلود، شمع، إلخ ...). ولهذا تقرب جردان من السفير المغربي وبالغ في إكرامه خلاله مقامه بباريس، مما أدى إلى توطد أواصر الصداقة بين الرجلين إلى درجة أن التاجر الفرنسي أصبح قناة هامة للاتصال بين ابن عائشة والأوساط السياسية الفرنسية. إلا أن الشركة التجارية التي أنشأها جردان بسلا مع مجموعة من التجار الفرنسيين لم تستمر طويلاً رغم الدعم والحماية اللذين حظيت بهما مصالحها من عبد الله ابن عائشة.

أما على مستوى المهمة السياسية التي كلف بها ابن عائشة فإن سفارته لم تكن أوفر حظاً من السفارات المغربية أو الفرنسية السابقة. فالفرنسيون على ما يظهر لم تكن لهم نية صادقة في حل مشكل الأسرى رغم العروض المتساهلة التي تقدَّم بها الجانب المغربي، والتي لم تُقدم لأية دولة أوربية أخرى. فالمولى إسماعيل نجح في حل مسألة الأسرى مع الإسبان والهولنديين والانجليز في حين فشل مع الفرنسيين الذين ظلوا يتعلقون بجزئيات كان من الممكن تجاوزها. والحقيقة أن هذا الفشل لا يمكن تفسيره إلا بكبرياء لويس الرابع عشر وعجرفته تجاه المغرب من جهة، وبحاجة فرنسا إلى الأسرى المغاربة من جهة ثانية. فهؤلاء الأسرى كانوا يستخدمون كجذافين فوق السفن الحربية الفرنسية، وهو عمل بالغ القساوة لا يقوم به عادة إلا المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة أو الأسرى المسلمون. وخير دليل على هذا أن القائم بأمور البحرية الفرنسية، "بونشرتان"، عارض كل صيغة للتفاهم بين الطرفين لأن تسليم البحارة المغاربة كان من شأنه حسب زعمه "أن يُفرغ السفن الحربية الفرنسية من جذافيها".

وقد أثار فشل سفارة ابن عائشة غضب المولى إسماعيل فكتب إلى لويس الرابع عشر يعاتبه على عدم جديته وتحريفه للحقيقة عندما زَعَمَ أن السفير المغربي لم يخول كل التفويض الذي يسمح له بالوصول إلى حل مُرض للطرفين، وهو ادعاء يكذبه ظهير الاعتماد الذي حمله معه ابن عائشة. وهدد المولى إسماعيل بقطع كل علاقة مع فرنسا وكتب إلى ملكها يقول: "... فما لنا حاجة عندكم ولا حوجنا الله إليها أصلا... فنحن والحمد لله مخازننا المحوطة بعين رعاية الله مملوءة من كل خير مدخر من فضل الله سبحانه من الأموال والعدة وآلات الحرب مالا يعد ولا يُحصى، فما جاءنا شركم ولا صلحكم في شيء".

والواقع أن المرارة التي عبر عنها المولى إسماعيل لم تكن كلها بسبب فشل ابن عائشة في التوصل إلى صيغة لتبادل الأسرى. ذلك أن المولى إسماعيل كان يبتغي من وراء هذه السفارة ما هو أهم بكثير من مسألة الأسرى. فالسلطان كان يطمح إلى الانضمام إلى التحالف الفرنسي ـ العثماني المعادي لأسرة الهابسبورغ الحاكمة في كل من النمسا وإسبانيا. كان هدف المولى إسماعيل يتمثل في إقناع لويس الرابع عشر بأن حلفاً سياسياً يجمع استنبول وباريس ومكناس من شأنه أن يرجح كفة التوازن الأوربي لصالح فرنسا، ويسمح للمغرب باسترجاع ثغوره التي تحتلها إسبانيا. وفي هذا الإطار يمكن أن نُدخل رغبة السلطان في عقد زواج سياسي مع الأسرة الحاكمة في فرنسا عندما طلب يد الأميرة دي كونتي. وكانت مبادرة المولى إسماعيل باقتراح من عبد الله ابن عائشة الذي كان يعتقد أن مثل هذا الزواج من شأنه أن يذلل العراقيل التي كانت تقف في طريق التقارب المغربي ـ الفرنسي.

إلا أن خيبة المولى إسماعيل لم تجعله يقطع كل صلة

بالحكومة الفرنسية، ولم يعتبر ابن عائشة مسؤولاً عن فشل السفارة، فزاده تفويضاً وأمره بمتابعة الحوار مع الفرنسيين بخصوص مسألة الأسرى. وهكذا أصبح ابن عائشة بعد رجوعه من فرنسا المتفاوض الرئيسي مع رجال الكنيسة الفرنسيين الذين كانوا يرغبون في افتداء أسراهم. بل إن الحظوة التي أصبحت له لدى السلطان كنتيجة لسفارته جلعته يلعب دوراً أساسياً في العلاقات المغربية ـ الفرنسية خلال العقد الأول من القرن الثامن عشر. وحتى في مجال الدفاع كُلف ابن عائشة بتفقد المدن الشاطئية، وأعطاه السلطان ستين مدفعاً لتوزيعها على مختلف الثغور، وذلك تحسباً لكل هجوم فرنسي محتمل.

لكن عبدالله ابن عائشة، رغم المهام السياسية المتعددة التي أسندت إليه، ظل أولا وأخيراً مجاهداً مرتبطاً بالبحر، ظهر سفينته أحب إليه من نعيم اليابسة وهدوئها. وهكذا رجع للجهاد البحري مرة أخرى، وقدر له أن يقع في الأسر مرة ثانية، في يد الهولنديين وذلك في سنة 1711. وبقي في الأسر إلى حدود شهر يناير 1713 عندما افتداه السلطان مقابل أحد عشر أسيراً هولندياً. ولاشك أن محنة أسره، وهو في سن متقدمة آنذاك، كانت كافية لتأتي على ما تبقى لدى هذا الرجل من نفس، فلم يعش طويلاً بعد رجوعه إلى وطنه إذ توفي بعد أشهر قليلة، وذلك في يوليوز 1713.

*المصادر الغميسة لتاريخ المغرب (فرنسا)*، المجلدات 4، 5 و6.

*Sources inédites de l'histoire du Maroc (France)*, tomes IV, V, VI, Paris, 1931 - 1960 ; C. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1975, (vol. II) : R. Coindreau, *Les corsaires de Salé*, Paris, 1948 ; P. G. Rogers, *A History of Anglo-Moroccan Relations*, London, n. d.

محمد المنصور

**عائشة العدوية**، ولية صالحة، وبهلولة مباركة، ذات ضريح شهير بمدينة مكناس، مقصود للزيارة والتبرك. وصفها القادري في *نشر المثاني*، (2 : 184) بقوله : "بهلولة مستغرقة هائمة غائبة في النبي صلى الله عليه وسلم، شاعت بذلك أخبارها، وسطعت للأنام أنوارها". أما ابن زيدان في *الإتحاف*، 5، ص. 505 ـ 506 فيقول في حقها : "صالحة ... ملاماتية، ذات أحوال ومكاشفات ووله وهيمان واستغراق في ذات الله، وانهماك وغيبة في محبة رسول الله ...".

شاعت أخبارها في الحواضر والبوادي، وأوثرت عنها كرامات شهيرة وعادات خارقة. وأصبح لها أتباع كثيرون.

أخذت عن الشيخ أحمد بن خضراء (1075 / 1665).

توفيت في شهر ربيع الأول حسب القادري في *النشر* وشهر ربيع الثاني حسب ابن زيدان في *الإتحاف* عام 1080 / 1669 / 1970 وقبرها من أشهر المزارات المقصودة للتبرك في مدينة مكناس.

م. القادري، *نشر المثاني*، ج 2 ؛ ع. ابن زيدان، الإتحاف، ج 5.

رقية بلمقدم

**عائشة مباركة**، وهو اسمها المشهور، وفي بعض المصادر عايشة ومباركة، بإضافة الواو بين الاسمين، وقد تكتب عيشَ مبركة، واسمها الكامل عائشة بنت مبارك الرحماني البربوشي. وتعرف أيضاً بالسلطانة زيدانة، وأصلها من قبيلة البرابيش من الرحامنة، وهي من أول من تزوج مولاي إسماعيل وأدركت عنده حظوة ومكانة حتى سميت بمولات الدار، وقد عبر عن مكانتها أحد المجاذيب وهو سيدي عبد الرحمان بن مسعود بقوله : "الرأي عند عيشة مباركا الرحمانية، ومن أراد أن يقضي حاجته عند مولانا إسماعيل عزما فليهادها قبل أن يلتقي به"، وكان السلطان مولاي إسماعيل يعظمها ويقول : إنها أعقل من غالب الرجال. فنافست بذلك خناثة بنت بكار المغفرية، وهي أم السلطان أحمد الذهبي وإخوانه : زيدان والحفيد والمتوكل، والسلطان علي الأعرج بالإضافة إلى أربع بنات. وكان لها دور في تولية أبنائها خلفاء لأبيهم في جهات المغرب، وقد استغلت نفوذها ومكانتها عند السلطان مولاي إسماعيل لتمكين أبنائها من الحكم وإقصاء أبناء السلطان من الزوجات والجواري. وذكر التاسفتي أنها تدخلت لدى السلطان مولاي إسماعيل لزيادة الجيش الذي سيحارب به ابنها مولاي زيدان أخاه الثائر محمداً العالم وفعلا امتثل السلطان لأمرها وزاد الجيش.

توفيت في 6 جمادى الأولى عام 1127 / 1715. وفي بعض المصادر أنها كانت من أولياء الله الصالحين، لها محبة للفقراء والمساكين وتعظيم للعلم والعلماء، وقد رثاها مصباح الزرويلي بقصيدة عدَّد فيها مَحَاسنها ومحبتها للخير والمعروف وأهل الدين. ودفنت بسيدي عبد الرحمان المجذوب خلف الجدار الشرقي وعلى قبرها رخامة بها اسمها وتاريخ وفاتها.

ديوان *مصباح الزرويلي*، مخطوط، خ. ح. رقم 360 ؛ الريفي، زهر *الأكم* ؛ التاسافتي، *رحلة الوافد*؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري ؛ الزياني، *البستان الظريف*، ج 1 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، ج 7 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5 ؛ *المنزع اللطيف*،

De La Véronne, *Vie de Moulay Ismaïl*, p. 6, p. 14, p. 19, note 48 ; Le père Busnot, *Histoire du règne de Moulay Ismaïl*, p. 53 - 54.

أحمد ايشرخان

**عائشة** بنت **محمد** بن الجيار طبيبة سبتية، كان أبوها محتسباً بسبتة، قرأت علم الطب ببلده على صهرها الطبيب الماهر محمد الشريشي المعروف عند العامة بحكيم الرعاء (ت. 771 / 1301). نبغت في الصناعة الطبية وكانت لها معرفة بالأدوية والعقاقير. وكانت امرأة عالية الهمة رفيعة القدر، بليغة الكلام. وبلغت لدى أمراء عصرها مكانة خاصة فكانوا يخصونها بالتكريم لما عرفوا من مهارتها وتقدمها في الطب. وكانت إلى جانب ذلك ذات ثروة حبستها على وجوه الخير.

توفيت بسبتة عن نحو 70 عاماً في أواخر القرن الثامن (14 م).

مؤلف مجهول، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب*، تح. ع. الوهاب بن منصور، الرباط، 1984.

محمد المغراوي

ابن عائشة، **محمد** بن **عبد الله** نجل الرايس الشهير عبد الله ابن عائشة ؛ شرع في العمل الجهادي تحت إمرة أبيه منذ سنة 1694 بعدما أهداه سفينة فرنسية غنمها في الموسم السابق ؛ وسرعان ما شارك والده في الاستيلاء على سفينة هولندية قرب جزر الأصور، وعلى عتادية هولندية أخرى في خريف نفس السنة رفقة عمه، أرفقوها عند العودة بالسيطرة على قاربي صيد إسبانيين في مياه جزر الخالدات.

وقد ظل محمد يشارك والده وعمه عملياتهما حتى نهاية موسم 1698، حيث يبدو أن خفوت نشاط الأب لم يحل دون استمرارية الابن في العمل الجهادي، وأن يصل إلى الشهرة التي حققها والده، وقد كان في سنة 1707 يقود سفينة مجهزة بستة عشر مدفعا، وطاقما مؤلفا من مائتي رجل، لما استولى على سفينة إنجليزية وهي في طريقها إلى لندن، آسرا بذلك خمسة وخمسين نجليزيا سيقوا إلى سلا أولا ومنها إلى مكناس، وكانت هذه أبرز عملية قام بها.

*S.I.H.M.*, 2e série, *France*, T. IV, p. 327 : T. V, p. 61 : Coindreau, p. 81 et 84.

حسن أميلي

ابن **عائشة الفقيه**، **محمد** بن علي الحداوي نزيل الدار البيضاء المعروف بالفقيه ابن عائشة العلامة المشارك في الفقه والحديث والتصوف مع إتقان علم الآلة انتصب للتدريس بالبيضاء مدة، فكان يشار إليه فيها ثم رحل إلى الحجاز رحلة استيطان حيث استقر بالمدينة المنورة ما يقرب من عشرين سنة ثم رجع إلى الوطن الأم قبل الاستقلال.

أخذ المترجم عن شيوخ أهل فاس مثل الشيخ محمد بن جعفر الكتاني ولما ذهب إلى الحجاز أخذ عن الشيخ بدر الدين الشامي وعن الشيخ يوسف النبهاني وغيرهما، رجوعه إلى المغرب تزامن مع عدة عوامل أدت إلى ضعفه وقعوده (وهي الكبر والضعف والمرض) إلا أنه بقي مجيبا للسائل ومستحضراً للعلم مذاكراً فيه مطيلا في مذاكرته.

توفي يوم الأحد ثالث رمضان عام ثمانين وثلاثمائة وألف بالدار البيضاء وهو من آخر العلماء بها، له رسالة في مناسك الحج مطبوعة في المشرق وله تآليف أخرى.

ع. السلام بن سودة، *سل النصال للنضال بالاشياخ وأهل الكمال* ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3362.

عبد القادر سعود

**عائشة اليابورية**، صاحبة القبة المعروفة بظاهر العلو قيل إنها أخت الولي أبي عبد الله اليابوري. ورأى محمد بن علي دينية رسما عدلياً مؤرخا بعام 1223 ذكر فيه أن هذه المرأة هي بنت الحاج حجي الفاسي الأندلسي الرباطي. لكن تاريخ الرسم يدل على أنها قريبة العهد مع أن المشهور عند الرباطيين أنها قديمة.

توفيت في حدود سنة 1275 / 1858.

م. دينية، *مجالس الانبساط*.

عبد الإله الفاسي

**العائلة بالمغرب**، إن البحث حول العلاقة السببية أو التطابق القائم بين كل نظام اجتماعي ونمط البنية العائلية فيه غالبا ما يؤدي إلى إهمال أهمية ودلالة الحضور المتزامن لنمط أو عدة أنماط أخرى للتنظيم العائلي. إن التاريخ وحده هو الذي يسمح لنا بفهم البنيات العائلية بالمغرب. ومجمل هذا التاريخ تخترقه أربع ظواهر أساسية : الديموغرافيا، الصعود نحو الشمال، التطور نحو الاستقرار، والخضوع للسلطة المركزية.

انطلاقا من منظور سوسيوتاريخي يمكن أن نلاحظ أن أولوية الرهان المرتبط بنقل الميراث (المادي أو الرمزي) يطابقه نموذج نسبي أبوي في التنظيم العائلي. هذا النموذج سيخضع للتحول بعد نمو الآليات الحديثة للاقتصاد الرأسمالي الذي يميز بين الإنتاج والملكية، ليصبح نموذجا نسبيا ميراثيا منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. أما النموذج العائلي النووي فإن تحويله يبقى رهينا بتوسع العلاقات الأجرية وتراجع السخرة أو الكلفة ولم يتأتّ هذا إلا مع نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين وذلك بطريقة تدريجية.

لقد ساهمت السلطة المركزية منذ القرن السادس عشر الميلادي في تزكية الدفعة النسبية التي عرفها المجتمع المغربي وذلك عن طريق "ظهير التوقير والاحترام" و"الهبات" على شكل عقار والتي استفادت منها عائلات الزوايا والطرق، وعن طريق "ظهير الخدمة والرئاسة" الذي كان يؤسس لعائلات نسبية تهم القيادة أو الباشوية أو الحسبة أو القضاء أو نظارة الأحباس أو إمامة المسجد...إلخ.

وتدل المعطيات الكيفية المبعثرة في المصادر التاريخية والمؤثرات العديدة الواردة فيها والدراسات الأنثروبولوجية الحديثة والمونوغرافيات التاريخية بالمغرب على أن البنيات الاجتماعية بالمغرب أصبحت تتميز منذ القرن السادس عشر الميلادي إلى حدود بداية القرن العشرين بسيادة نموذجين عائليين.

- عائلة نسبية أبوية ممتدة وهي عائلة الشرفاء والأعيان (الصلحاء والمرابطين وشيوخ الطرق والزوايا والتجار الكبار والقضاة والفقهاء والقواد والباشوات وشيوخ القبائل). هذه العائلة تقيم في القصر أو القصبة أو "الدار الكبيرة" تجمع هذه العائلة النسبية الأبوية الإخوة والأصهار والنساء والأبناء

الذين يعيشون تحت وصاية الزعيم. القصر أو القصبة أو الدار الكبيرة تعج بالنساء والأبناء والخدم والأقارب.

ـ عائلة نووية بسيطة أو مركبة وهي عائلة العوام. هذا النموذج العائلي يتميز بكونه مسخرا وتابعا اقتصاديا واجتماعيا وأخلاقيا وعرفيا للعائلة النسبية الأبوية للأعيان والأشراف وذلك عبر مجموعة من الالتزامات المتعلقة باقتصاد وأخلاق العرض أو الشرف.

سوف نركز هنا على تاريخ المضمون الاجتماعي لكلمة عائلة، وقد اخترنا التركيز على العائلة النسبية الأبوية للأعيان والأشراف وعلى الفترة الممتدة من القرن السادس عشر الميلادي إلى بداية القرن العشرين، لأن هناك وفرة وثائقية نسبية وكذا تراكما نسبيا لمونوغرافيات تتعلق بالأعيان سواء بالمدن أو البوادي.

إن النمط العائلي النسبي الأبوي قد تميز بوجود تعدد في الزوجات يفوق العدد الشرعي (أربع زوجات) وإماء وجواري وخدام أحرار أو تابعين. وقد عرف هذا الشكل النسبي الأبوي للعائلة تطورا في الفترات الحرجة المتميزة بضعف الدولة المركزية.

لقد بدأ نموذج العائلة النسبية الأبوية في التشكل ابتداء من العصر الموحدي وكان مشايخ الموحدين هم أول من أقر التعدد في الزواج. وقد شمل التغيير في البنيات العائلية بعد الفترة الموحدية نسب الأبناء الذين بدؤوا في الانتساب لآبائهم وليس لأمهاتهم، وكذا الإقامة الزوجية التي أصبحت أبوية كذلك، وكذا احتجاب المرأة الحرة في المدن المهمة كفاس ومراكش، وكذا عدم توريث الإناث التي ستصبح من العادات التي استمرت إلى حدود القرن العشرين.

وعرفت عملية عدم تقسيم الميراث تطورا ملحوظا منذ القرن السادس عشر الميلادي. وقد فرض التوزيع الجديد لسلطات القيادة منذ الفترة السعدية نوعا من تكثيف روابط الدم وذلك من أجل الحماية كما هو الحال مع أنماط العلاقات الاجتماعية والتبعية الأخرى : الولاء للأشراف والمرابطين والصلحاء.

وامتد عدم تقسيم الميراث ليشمل حتى الزوجين في حين كان هذا التقسيم معمولا به في القرن الثاني عشر على الأقل كما يتجلى ذلك من خلال نوازل القاضي عياض. وقد امتدت هذه العادة المتعلقة بعدم التقسيم حتى بعد وفاة الوالدين، وحتى عندما يحدث الانقسام في الميراث فإن العائلة النسبية الأبوية تحتفظ بالحق الجماعي على مجموع الميراث وذلك عن طريق حق الشفعة. وكان حق الشفعة هذا يسري حتى على زوجات أفراد العائلة النسبية الأبوية اللواتي كن يصبحن زوجات لأب أو أخ أو ابن زوجهن.

هذا النموذج العائلي النسبي الأبوي كان له تأثير على المستوى الديموغرافي. وقد خلقت هذه الوضعية الجديدة المتميزة بعدد الزوجات والإماء والجواري انفجارا ديموغرافيا أثر بشكل كبير على موارد المخزن والزوايا والطرق. لقد أصبحت موارد المخزن ومناطق الولاية والزاوية أو الطريقة (منذ القرن 16 م) لا تساير في نموها نسبة التزايد الديموغرافي في عائلة الحكام والأعيان والشرفاء والمرابطين. وأذكى هذا التزايد الديموغرافي التنافس والصراع العنيف في الغالب بين أفراد العائلات النسبية الحاكمة من ذرية السلاطين وشيوخ الطرق والزوايا والقواد حول الخلافة. وحدثت أول أزمة بين الأمراء بعد وفاة عبد المومن الموحدي سنة 558 . واشتدت بعد وفاة يعقوب المنصور الموحدي سنة 620، وسيتكرر الأمر نفسه لاحقا مع الفترة المرينية والفترة السعدية خصوصا بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي. وقد عرف الصراع الناتج عن الانفجار الديموغرافي الذي أحدثه هذا النموذج العائلي النسبي أوجه بعد وفاة السلطان المولى إسماعيل الذي خلف حسب المصادر ما يزيد على ألف ولد وبنت. وقد أثر هذا بشكل واضح على موارد الدولة وعلى الاستقرار الاجتماعي والسياسي إلى غاية بداية القرن العشرين.

وتلك الأزمة الديموغرافية الناتجة عن هذا النموذج العائلي النسبي الممتد للأعيان عرفتها كذلك عائلات الطرق والزوايا بالخصوص حسمت فيها في البداية بإمكانية التوسع على امتداد التراب الذي يتجاوز التراب الوطني وبإقامة ملحقات بمناطق ومدن بعيدة عن المقر الرئيسي للطريقة أو الزاوية.

وذلك النمو الديموغرافي لعائلات الطرق والزوايا يمكن أن نستخرجه من المصادر المتعلقة بالنسب لكل طريقة أو زاوية أو وظيفة مخزنية.

ـ نجد مثلا في *نشر المثاني* للقادري ما يلي : أحمد بن عبد القادر القادري (المتوفى سنة 1113) "تزوج من النساء نحو ثمانٍ، ولم يطلق واحدة منهن إلا أنه إذا ماتت إحداهن تزوج أخرى مكانها، وتزايد عنده من الذكور ثمانية عشر ومن الإناث نحو العشر".

ـ نجد في نفس المصدر أن مولاي التهامي ابن سيدي محمد (القرن 12 هـ) من الزاوية الوزانية كان له من الأولاد الذكور ستة وعشرون وابنة.

ـ ونجد في *فهرسة* ابن عجيبة، أحد مشايخ الطريقة الدرقاوية بالشمال الغربي للمغرب، أنه تزوج ست نسوة وأنجب من الأولاد واحدا وثلاثين (1224).

ـ التهامي الگلاوي باشا مراكش مع بداية القرن العشرين كان له سبع نساء وتسعة أولاد وثلاث بنات.

ـ المدني الكلاوي كان له ما يزيد على عشر نسوة وخلف 13 ولدا و8 بنات.

ـ القائد العيادي الرحماني كان له عشرون امرأة وسبعة عشر ولدا وسبع بنات وأخوه امبارك بن الهاشمي الذي كان خليفته خلف ثمانية عشر ولدا وإحدى عشرة بنتا. وأخوه من أمه وخليفته كذلك خلف ثمانية أولاد وثلاث عشرة بنتا.

وفيما يتعلق بالصراع على ولاية زاوية وزان أورد الضعيف الرباطي (تاريخ الضعيف) خبر الصراع بين ولدي

شيخ الزاوية وهما الحاج العربي بن علي بن الطيب والتهامي بن علي بن الطيب ولجوئهما للسلطان مولاي سليمان للفصل بينهما في هذا النزاع.

تلك العائلة النسبية الميراثية الخاصة بالأشراف والأعيان تشكل النموذج المثالي للعائلة منذ القرن السادس عشر الميلادي، وقد اتسمت هذه البنية العائلية بالتركيز على التمييز الواضح بين مكوناتها : التمييز بين الشريف وغير الشريف، بين السيد والمسخر والعبد، الشريفات وغير الشريفات والزوجات الحرائر والإماء والجواري والمسخرات (كن كذلك مرضعات).

لقد كان لزعيم العائلة النسبية الميراثية سلطة كبيرة لأنه رئيس عائلة تجمع الإخوة والأصهار والنساء والأبناء الذين يعيشون تحت وصايته وداخل قصبته أو داره الكبيرة. فهو المسؤول عن علاقات العائلة بالخارج. أما الزوجات الحرائر فكانت تنحصر مهمتهن في الإنجاب وتعتبرن حرمة مثلها مثل ضريح الولي أو الشريف الذي تبجله الجماعة النسبية لهذا فهي محتجبة وخصوصا "الشريفة" منهن وتكون مستهدفة في إطار تبادل العنف المرتبط بقيم العرض أو الشرف المحددة للعلاقات العائلية. ومما كان يسهل هذا الاحتجاب ويجعله ممكنا هو وفرة الإماء والخادمات التابعات أو المستقلات. وكانت هذه الخدمة تشمل أجيالا مختلفة يتناوب عليها الأمهات والبنات اللواتي يتكلفن بكل ما يتعلق بالحياة الداخلية للقصر أو القصبة أو الدار الكبيرة، وبتربية الأطفال وإرضاعهم وضمان حياتهم.

وكان تعدد الزوجات خاصية جميع الأعيان، ولم يكن هذا التعدد ينحصر في أربع نساء بل يتجاوز هذا العدد بكثير لأن الزواج أو المصاهرة ارتبطت عند الأشراف والأعيان بالوظائف السياسية التي تؤدي إلى توسيع السلطة والنفوذ. وكان هذا الزواج يكرس دونية المرأة لأنها تبقى ملكا للجماعة النسبية لزوجها بعد وفاتها، إذ أنها تتزوج إما أب زوجها أو أخاه أو ابن عمه. على سبيل المثال تزوج المدني الگلاوي امرأة أبيه فاطنة نايت حدو وبنت أخيه من أبيه. وتزوج أخوه التهامي الگلاوي من امرأة أبيه بعد وفاة أخيه المدني وهي فاطنة نايت حدو كما تزوج بزوجة أخيه زينب المقرية. كما تزوج القائد العيادي الرحامني زوجة ابن عمه بعد وفاة هذا الأخير.

إن الشرفاء والأعيان هم الذين كانوا يتوفرون موضوعيا إلى حدود بداية القرن العشرين على كل الإمكانيات المتعلقة بالتمييز إلى أقصى درجة بين الذكور والإناث وتعدد الزوجات والإماء والجواري والخدم وتحقيق النموذج المثالي للعائلة النسبية الأبوية الميراثية كما ترسخت منذ القرن السادس عشر الميلادي.

ولم يكن يتعارض مع هذا النموذج العائلي للشرفاء والأعيان إلا خدمتها وخماسوها أو عزابوها ورعاتها وعبيدها.

وإذا كانت الأوبئة لا تستثني أي نموذج من النماذج العائلية فإن عائلات هؤلاء كانت فريسة المجاعات والأوبئة أكثر من غيرها، و غالبا ما كانت في مثل هذه الظروف تضطر إلى بيع نسائها وأطفالها (B. Rosenberger et H. Triki, 1973).

وهكذا فإن التناوب الكبير بين الواقع والنموذج المثالي نجده عند هذه الفئات الاجتماعية المشكلة "للعوام". إن النموذج الأقرب إلى الواقع هو العائلة النووية التي كانت تختلف عن العائلة النووية كما تطورت ابتداء من القرن العشرين. والعائلة النووية "للعوام" هي عائلة الخدمة وبالتالي فإن ما يميزها هو الإقامة والنشاط المشتركان لصالح "الدار الكبيرة"، ولم تكن تشكل وحدة بيولوجية أو جماعة عاطفية كما أصبح عليه الحال مع العائلة النووية المعاصرة.

لقد كان وزن السلطة المركزية يختلف من منطقة إلى أخرى. وكلما ضعفت السلطة المركزية اتجهت الروابط النسبية إلى المزيد من التكتل والقوة، وعلى العكس إذا كانت السلطة المركزية قوية ضعفت الروابط النسبية وأصبحت الدولة هي التي تتحكم في حجم عائلة نسبية وذلك بواسطة ظهائر التعيين أو العزل من الخدمة، وظهائر "التوقير والاحترام" التي انفردت بها العائلات النسبية للأشراف والمرابطين أصحاب الطرق والزوايا منذ القرن السادس عشر إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

وقد كانت العشائر القروية المنظمة حول خدمة سيد أو قائد أو شريف تفرض حياة جماعية حارة وتحد من قيمة روابط العائلة الضيقة سواء أثناء العمل أو أثناء الاحتفال. ونجد نفس الشيء بالمدن، حيث كانت "الحنطة" والطريقة تساندان حياة اجتماعية تشمل الحي بكاملة مما كان يحد كذلك من قيمة روابط العائلة الضيقة (الآباء والأبناء).

روابط التضامن تلك، التي جعل منها حنيننا إلى الحياة الجماعية القديمة نوعا من الأسطورة المؤسسة، لا تهم العائلة كما نفهمها اليوم، أي وحدة بيولوجية ووحدة عاطفية وسكنية، إنها على العكس من ذلك دائرة العلاقات الاجتماعية التي كانت تجمع الأقارب وأبناء العم والأجداد والأحفاد والأقارب المقربين والأقارب بالمصاهرة حول أعراف أو طقوس لم تعد لها نفس الوظائف اليوم.

ذلك هو ما يميز ما كان يسمى "بالدار الكبيرة". أما اليوم فعندما نقول إن السكن كبير فإننا نقصد أنه كبير بالنسبة لساكنيه، والبيت الكبير اليوم هو بيت قليل السكان. وعندما تزداد الكثافة السكانية بالبيت، نقول بأن السكن بدأ يضيق وبالتالي فإن المنزل لم يعد كبيرا.

إلى حدود القرن العشرين، "البيت الكبير". أو "الدار الكبيرة" كانت دائما تعرف كثافة سكانية أكثر من الدور الصغرى، بحيث إن "الدار الكبيرة" (القصبة، القصر،...) كانت تشكل لوحدها فئة اجتماعية قائمة بذاتها. ولم يكن المجال السكني هو المحدد للكثافة ولكن كثرة السكان. لهذا

يقال "الدار كبيرة بأصحابها" وأن "الاتساع في القلب" أي أن الامتلاء يعبر عن القيمة الاجتماعية لذوي الدور أو البيوتات.

وهذه "الدار الكبيرة" كانت تقوم بدور عمومي. لقد كانت هي المكان الذي يجتمع فيه خلق كبير، الأقارب والأصحاب والزبناء والمحميين، بالإضافة إلى الخدم والعبيد المقيمين باستمرار والزوار الذين لا ينقطعون.

وقد كان العيش يمر في غرف صالحة لكل شيء، ولم تكن هناك غرفة خاصة بالنوم. لقد كانت الغرفة مجالا عموميا. ويتم فصل فراشين أو أكثر بالغرفة بمجرد ساتر فقط.

وفيما يتعلق بالتربية العائلية فإنها لم تكن تتحدد في الوالدين وأطفالهما، بل كان الشكل العام للتربية السائد هو الخدمة المنزلية أو "السخرة". إن الواجب الأساسي للطفل الذي كان يوضع رهن إشارة الشيخ أو الحرفي أو غيرهما هو خدمة "هؤلاء. ولا يمكن أن نعتبر أن الطفل كان يوضع كمتعلم (بالمعنى الحديثة للكلمة) ولكن كخادم. وكانت الخدمة المعتادة هي الخدمة المنزلية التي كانت تعتبر طبيعية. لقد كان الأطفال المنتمون "للدار الكبيرة" أو "القصبة" أو "الحرفة" يتعلمون عن طريق الممارسة، ولم تكن هذه الممارسة تتوقف عند حدود مهنة أو شغل أو نشاط محدد ؛ إذ لم يكن هناك فصل بين المهنة أو النشاط والحياة العائلية الخاصة. وقد كانت أسر العوام لا تحتفظ بأطفالها ذكورا وإناثا. كان هؤلاء يوضعون رهن إشارة "الدور الكبرى" ولم يكن هناك مجال للمدرسة. إن "الكتاب" أو "المسيد" الذي كان يتوجه بالأساس للطلبة وللناطقين بالعربية، لم يكن سوى حالة خاصة، يحتفظ بها لفئة خاصة. لهذا فإن "الكتاب" كان في الواقع استثناء وبالتالي فإنه من الخطأ وصف التربية العائلية من خلاله إلى حدود القرن العشرين، لأننا نجعل بهذه الطريقة من الاستثناء قاعدة في حين أن القاعدة العامة كانت هو التعلم عن طريق الخدمة ولم يكن من المستبعد أن تكون هناك حالات يكون فيها التعلم مرفوقا بأشكال بيداغوجية وخصوصا عندما يوضع الطفل في خدمة شيخ من شيوخ الطريقة أو الزاوية.

- معتقدات العائلة ومجالها الحضاري : لقد تزامن تطور نموذج العائلة النسبية الأبوية وخصوصا منذ القرن السادس عشر الميلادي بانتشار ثقافة من الترهيب والخوف ساهمت في تسييرها وترسيخها الزوايا والطرق التي عرفت ازدهارا لا مثيل له بالمجتمع المغربي.

ويجب أن نميز هنا بين الخوف والقلق العفوي الذي كان تحس به فئات عريضة من العائلات، والخوف الفكري الناتج عن التساؤل حول المصائب والآفات والذي كان يقوده الفقهاء والأولياء والمجاذيب من كل نوع، هذا الخوف العفوي يمكن أن نقسمه إلى مجموعتين :

- الخوف المرتبط بالضرورة بالمستوى التقني وبالوسائل الذهنية المطابقة له : الخوف من البحر، من العين، من الجن والعفاريت والظلام، الخ...

- الخوف الدوري الذي يحل ظرفيا مع الأوبئة والمجاعات والقحط والكوارث الطبيعية والزيادة في الجبايات، ومرور رجال الحركة وقطاع الطرق وترحيل مجموعات نسبية من جهة إلى أخرى، الخ...

لقد كانت كل العائلات تقتسم المخاوف من المجموعة الأولى. أما المخاوف الدورية فإنها إما أن تمس كل العائلات مهما كان شكلها (نسبية موسعة أو بسيطة ضيقة) أثناء الوباء أو الغارة أو الحركة، وإما أن تمس فقط العائلات النووية البسيطة للخدام والتابعين خصوصا في حالة المجاعات والقحط.

وقد رسخ تراكم المصائب والآفات التي كانت تصيب العائلات من القرن (16 م) إلى بداية القرن العشرين هلعا ورعبا نجد التعبير عنه في الثقافة العائلية الشفهية منها والمكتوبة والممارسات والطقوس التي كانت تديرها النساء مهما اختلف وضعهن الاجتماعي (حرة أو عبدة أو مسخرة) لأن القاسم المشترك بينهن هو الجهل والأمية.

وقد تشكل "موطن من الخوف" تكونت بداخله حضارة سكنها التضايق. وأدى الخوف والقلق إلى تكريس ظواهر تقهقر الفكر والشعور وانعدام التكيف مع إضافة جرعة زائدة من السلبية واليأس والقدرية (المكتوب) انعكست في التنشئة الاجتماعية إلى يومنا هذا.

هكذا سيترسخ الاعتقاد منذ الطفولة الأولى بأن الكوارث والأمراض والأوبئة والموت ليست بظواهر طبيعية، على الأقل بالمعنى الذي أصبح سائدا في الحضارة التقنية الحديثة. وسيتطور الخوف من البرود الجنسي ومن العقم، وضياع المحصول والقطيع والبهائم وإتلافها ومن الجن، والعين، والجار، ومن المعوقين، الخ... خوف وقلق دائمين، لأن الطبيعة لا تخضع للقوانين، والأمن والأمان غير مضمون، وكل ما هو موجود فهو قابل لتقلبات مفاجئة وخصوصا للتسخير من قبل أولئك الذين لهم علاقة بالكائنات الغريبة السائدة (الجن، الشيطان، الوالي، الطالب، الساحر والساحرة، العين، المعاق، الخ) التي يمكنها أن تحدث مرضا أو وفاة أو عقما أو إعاقة أو كوارث طبيعية.

لهذا وجب "التسليم" والتسامح مع من بيده سلطة التأثير على كل هذه العناصر. وقد كان الاعتقاد السائد هو أن الأولياء أو أصحاب الصلاح (فقهاء، شرفاء، مرابطين، الخ...) يتمتعون بقدرات خارقة تمكنهم من إبعاد الجفاف والأمراض والمصائب كيف ما كان نوعها والتي أولها مشايخ الطرق والزوايا والفقهاء على أنها مظاهر بدهية لغضب الله.

- الأخلاق ونظام القيم للعائلة النسبية الأبوية : لقد كانت ترتكز المنظومة القيمية والأخلاقية المحددة بالدور الكبرى بالمدن والقصبات والقصور على الشرف أو العرض ونقيضه العار أو العيب أو "البهدلة". وقد ترسخت هذه المنظومة منذ القرن (16 م). ويتأسس الشرف أو العرض أو العار أو العيب في الواقع على إمكانية التوفر على مجالات تعتبر محرمة

وممنوعة وهذا لم يكن يتأتى إلا للدور الكبرى أو البيوتات الكبرى ومن ممارسة تضامن قائم على أساس التبادل المتميز سوسيولوجيا بالتحدي والتحدي المضاد.

ويتحدد الشرف أو العرض (العار أو العيب) بوجود مجالات محرمة أو ممنوعة على الغريب عن العائلة النسبية الأبوية، وهذه المجالات هي :

- الأرض والقطيع والبهائم والتابعون لها من فلاحين وعزابة ورعاة.
- تراب الجماعة النسبية وضريح الزاوية أو الطريقة.
- النساء الحرائر (الزوجات والبنات) والبيت.

لقد كان الضامن لهذه الحرمة هم الخدام والمسخرون والعبيد والمحميون لأن عرضهم أو شرفهم هو عرض أو شرف سيدهم.

ولم تكن تكتمل هذه المنظومة القيمية إلا بالتبادل، لأن زعيم العائلة النسبية ملتزم مع أنداده وهو رجل حياة عامة. وكان يتشكل هذا التبادل من تبادل لين وتبادل عنيف. ويتحدد التبادل اللين في الكلام أو الحديث في المجامع التي يشارك فيها زعيم العائلة أو أحد أفراد عائلته البالغين من الرجال. كما يتحدد وبالخصوص بالمصاريف المتباهية على شكل كرم وضيافة وإطعام وعطاء وهبة وصدقة. أما التبادل العنيف أو العنف المادي فيكون عن طريق الضرب أو الجرح أو القتل أو النهب والخطف للمحصول وللمتاع وللبهائم والمواشي وسلب الزوجات والبنات الحرائر لباسهن وحليهن أو خطفهن أو الاعتداء الجنسي عليهن (يراجع في هذا الباب الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*).

- صيرورة التحولات التي عرفتها العائلة النسبية الأبوية :

لقد ساهمت مجموعة من العوامل المباشرة وغير المباشرة في صيرورة التحولات التي ستعرفها العائلة النسبية الأبوية منذ القرن التاسع عشر الميلادي. وقد تميزت هذه التحولات بكونها لم تمس كل النماذج العائلية بنفس الكيفية لا من حيث المدة الزمنية ولا من حيث الامتداد المجالي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التحولات ستمس في البداية النموذج المهيمن وهو العائلة النسبية الأبوية الموسعة منذ نهاية القرن (19 م).

من أهم العوامل التي ساهمت في هذه التحولات :

- نظام الحماية القنصلية التي التجأ إليها بعض الأشراف والأعيان. لقد شجع هذا النظام على إقدام بعض الأشراف والأعيان إلى تغيير عوائدهم العائلية في اللباس والتغذية والسكن والترفيه. وقد أشار محمد المنوني إلى وجود تقييد لابن الخياط يرجع تاريخه إلى سنة 1904 (1322) يستنكر فيه هذا الأخير "خروج النساء مع الرجال للنزهة بضواحي مدينة فاس وهن متكشفات متزينات ومتعطرات ويطالب السلطة بجعل حد لهذه الظاهرة ويحث العلماء على تغيير هذا المنكر باللسان والقلم".

- الزواج بالأجنبيات من بعض أفراد عائلات الأشراف والأعيان. مثلا أربعة من أولاد الباشا التهامي الگلاوي تزوجوا من أوروبيات مع بداية القرن العشرين.

- نظام الترتيب لسنة 1901 الذي لم يستثن الأشراف وساوى بين كل العائلات سواء كانت شريفة أم لا، والدخول المتزايد إلى إدارة المخزن والتجارة لأفراد من عائلات الفقهاء والعلماء الحضريين التي لم تكن معروفة سابقا إلا بعلمها، وبتوافر عامل آخر مهم هو المصاهرة واسعة النطاق بين كل الفاسيين مع بداية القرن العشرين. وقد أورد عبد الأحد السبتي مثال عائلة ابن جلون التي كانت تكون أكثر من ثلاث عشرة فرقة. تبدأ الفرقة الأولى بالعالم محمد بن أحمد والثانية بالولي الصالح عبد الجليل والثالثة بالمحتسب علي ابن أحمد الذي مارس التجارة خمسة من أبنائه.

- منع المخزن للبيع العمومي للرقيق بفاس سنة 1905 تحت ضغوط البعثة الأوروبية بطنجة والقضاء على تجارة الرقيق مع دخول الحماية.

- إقامة نظام عقاري يقوم على الملكية الخاصة المسجلة والمحفظة (ظهير 12 غشت 1913) وهذا ما سمح للملكية الفردية بالتطور والتخلص من التبعية وانعدام التحديد والتقدم على حساب الملكية الجماعية للجيش والحبوس والمخزن. وأصبح البناء على هذه الملكية العقارية يعيد هيكلة المجال والمؤسسة العائلية وفق معايير وقيم وطموحات فردية جديدية.

- تحويل المكتنزات من ذهب وفضة إلى الأبناك واستثمارها في النشاطات الاقتصادية الحديثة من عائلات الأشراف والأعيان.

- بداية الفصل بين الملكية والإنتاج مما سيؤدي بالعائلة المالكة لوسائل الإنتاج إلى البحث عن كفاءات غير عائلية لممارسة وتدبير عملية الإنتاج.

- تطور الإقبال على التعليم الحديث من الأشراف والأعيان. وتجدر الإشارة هنا إلى أن التمدرس الحديث سيشكل ثورة عميقة وبطيئة على واقع العائلة النسبية الأبوية. لقد شكل حلول المدرسة الحديثة محل التعلم تعبيرا عن تقارب الأسرة النووية والأطفال وبداية تطابق الشعور الأسري بالشعور بالطفولة اللذين كانا متفرقين في مجال العائلة النسبية الأبوية الموسعة. وقد أصبحت الأسرة بفعل المدرسة تتمركز حول الطفل ذكرا كان أم أنثى. هكذا سيمكن للعائلة أن تصبح حقيقة عاطفية بعد ما كانت مجرد حقيقة أخلاقية واجتماعية. وسيصبح التركيز أكثر على مراعاة المساواة بين الأبناء ذكورا وإناثا، وهذه كلها قيم جديدة مازالت تكتسح كل الفئات الاجتماعية إلى اليوم.

- تطور الإقبال على المراكز الصحية التي أحدثتها سلطات الحماية منذ الثلاثينيات وخصوصا تلك التي تخص الأم والأطفال. ويتعلق الأمر بالأعيان والأشراف الذين أصبحوا من حيث مستوى عيشهم لا يتميزون اجتماعيا عن الأوربيين.

ـ إحداث نظام الحالة المدنية وتمديده ليشمل المغاربة الراغبين في تسجيل ولاداتهم ووفياتهم (ظهير 1931 المكمل لظهير 4 شتنبر 1915) هذا النظام سيمنح الشفافية أكثر للبنيات العائلية ويعطي الشرعية للانتماء الأسري.

ـ تطور التعامل النقدي والعلاقات الأجرية التي ستؤدي إلى استقرار الأسرة النووية للعوام وتحررها من التبعية والتسخير للعائلات النسبية الممتدة للشرفاء والأعيان.

ـ الأمن والاستقرار اللذان أصبحت الدولة تضمنهما وضمان الملكية حتى عندما يتم إعفاء مسؤول عن مهمته، وتطور القانون الوضعي في تحديد الروابط الاجتماعية والعائلية، كل هذا يدل على التحول البطيء نحو التمييز بين السلطة والملكية وهذا لم يكن متوفرا إلى حدود بداية القرن العشرين. هكذا لم يعد أفراد العائلات النسبية مضطرين للتعاضد لحماية أنفسهم وممتلكاتهم حتى يضمنوا أمن الرأسمال وبدأوا في الاستقلال عن بعضهم البعض.

تلك العوامل ستساهم تدريجيا، وذلك حسب المناطق والأوساط الاجتماعية ومع نوع من التفاوت الاجتماعي والجغرافي والزمني، في التراجع المتزايد منذ بداية القرن العشرين لمقومات العائلة الأبوية كالنسب وتعدد الزوجات والجواري وهيمنة القرابة الأبيسية على القرابة الأميسية واحتجاب المرأة وعدم توريثها وعدم أهليتها. وموازاة مع هذا ستبرز بنيات عائلية جديدة أهمها : نموذج العائلة الميراثية ونموذج العائلة النووية.

ويتمركز نموذج العائلة الميراثية اليوم في المجالات التالية :

ـ عائلات الوحدات الإنتاجية الصغرى المستقلة سواء كانت منظمة أمر غير منظمة (الفلاحة، الصناعة التقليدية، الحرف الحديثة وتجارة التقسيط).

ومازالت العائلة في أغلب هذه الوحدات تطابق النموذج الميراثي وذلك بالجمع بين الملكية والإنتاج وإعادة الإنتاج، إلا أن التطور في القيام ببعض الوظائف كالأمن والصحة والتكوين... إلخ. من المؤسسات الجماعية قد أثرت على سلطة زعيم العائلة وبدأت تخفف من ثقل التقسيم التراتيبي للمهام داخل العائلة في هذه الأوساط ؛ وخصوصا الشباب عندما يصبحون حاملين لشهادات دراسية فإنهم يقومون بتغيير موقفهم إزاء آبائهم ويصبحون قادرين على التفاوض في بقائهم في الوحدة العائلية شريطة أن تتم إعادة توزيع السلط.

ـ عائلات المهن الحرة الحديثة (الطب، الصيدلة، المحاماة، المحاسبة، الهندسة، إلخ...) التي تقوم بنشاطات ترتكز حول إعادة إنتاج الميراث أو الموقع الاجتماعي والتي تبقى مرتبطة بالحصول على شهادة عليا متخصصة. لقد أصبحت في السنوات الأخيرة المسالك العائلية لإعادة إنتاج تقوم بنقل الرأسمال الثقافي الذي يمكنه لوحده أن يسمح للأبناء بالحلول محل الآباء في "العيادة" أو "المكتب" أو للاشتراك في بداية الأمر. إن ملكية هذا الرأسمال الثقافي تقوي من استقلالية الأبناء ولكن بكيفية متفاوتة حسب أهمية التجربة عند الأطباء والمحامين والموثقين مثلا، مما يسمح للآباء باحتلال مكان مهم في نقل التقنيات والمعارف المهنية.

ـ عائلات صاحبة الرساميل (ميراث كبير عقاري، صناعي أو مالي : الأبناك، الفلاحة العصرية، الصناعة الحديثة، التأمين، البورصة، إلخ...) تطابق هذه العائلات المسالك العائلية التي تتميز بصلابة النموذج الميراثي ويتعلق الأمر هنا أولا بإنتاج "ورثة" ذكور لكي يضمنوا الخلافة، وإناث يعتبرن ورقة في الاستراتيجية الزواجية لزعيم العائلة. إن استراتيجيات الإنجاب والتربية والترقية تبقى مشروطة بهذه الأولويات.

أما نموذج العائلة النووية فهو النموذج الذي أصبح مهيمنا على باقي البنيات العائلية. هذا النموذج نجده في الفئات الاجتماعية التالية :

ـ العائلات العمالية والتي هي منظمة أساسا حسب ضرورة إعادة تكوين وصيانة قوة عمل الرجل. ويمكن للزوج هنا أن يطالب الزوجة بالقيام بكل أشغال ومهام البيت، وعلى العكس بإمكان الزوجة أن تطالب زوجها بأن يضع رهن إشارتها أجره حتى تتمكن من القيام بهذه المهام. وهذا التقسيم الجنسي للأدوار يكون مدعما بالسيادة التراتبية لسلطة الزوج، تراتبا يشتد كلما كانت الأصول قريبة من العالم القروي.

هذا المسلك العائلي المكون بهذا الشكل يعيد إنتاج الثقافة والمركز الاجتماعي والعلاقة بالملكية وكذا المركز الاجتماعي للفتيات.

ـ عائلات الموظفين والأطر المتوسطة :

لقد عرف هذا النموذج العائلي تطورا ملحوظا منذ الستينيات ولكنه لا يتميز عن العائلات العمالية إلا فيما يتعلق بإعادة إنتاج المظاهر الخارجية للمركز الاجتماعي "لموظف الدولة" : اللباس وأشكال العيش والاستهلاك التي تسمح بتقديم مظهر اجتماعي لائق.

وهذا النوع من العائلات يشكل مسالك عائلية تعيد إنتاج وضعية وموقع اجتماعي متناقض لمن لا يقوم بأشغال يدوية ولكنه مع ذلك يقوم بأعمال تنفيذية. هذا الموقع المتناقض الذي غالبا ما يرتبط بطموح كبير نحو الترقية الفردية هو السبب في انعدام الاستقرار الذي يعرفه أطفال هذه الفئة.

إن المسالك العائلية التي سينشأ وفقها الأطفال ستؤدي بهم في النهاية إلى مستقبل مهني متنوع وأنماط عائلية مختلفة.

ـ عائلات الأطر العليا :

هذه العائلات المنظمة حسب النموذج النووي تتحدد بضرورة تحقيق المسار المهني للزوج. وهكذا فإن التنظيم العائلي هنا سيكون محددا بأهمية النشاطات الهادفة إلى

ضمان التحسن في الموقع الاجتماعي. ولا يتعلق الأمر هنا فقط بالسكن ولكن أيضا بالتجهيز والشكل الجمالي وشخصنة البيت، أو بالتغذية ولكن أيضا باستقبال الضيوف وتبادل الدعوات والزيارات وبالاعتناء بالمظهر وقضاء العطلة في إقامة سياحية، إلخ...

وإن ضرورة إعادة إنتاج الموقع الاجتماعي تقتضي هنا مسؤوليات إضافية بالنسبة للزوجة، وسيتجلى ذلك غالبا في التمييز الجنسي الكبير بين المهام وذلك حسب مستوى التأهيل والنشاطات المهنية للزوجين أو حسب اندماجهم في الجماعات المهنية والعائلية. وفي الحالات القصوى يجب على "المسؤول" الإداري (القطاع الخاص أو العام) أن يفترق أكثر فأكثر عن عائلته كلما صعد في السلم الإداري ويصبح مساره المهني متوقفا على مدى استعداد زوجته لمساندته، وذلك بأن تتكلف بكل ما يخص البيت والأطفال وأن توفر له إطارا "لائقا" وشريكة حياة يمكن أن تمثله بكيفية لائقة من حيث العناية بنفسها وبمظهرها.

وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن هذه التحولات التي عرفتها البنيات العائلية بالمغرب والتي أفرزت هذه النماذج العائلية لم تؤثر على مبدأ البنوة الأبوية ولا على قاعدة السلطة الذكورية ولا على الروابط الدموية التي حافظت على متانتها. وإذا كان النقد يتجه اليوم إلى الروابط العائلية فإن هذا النقد يتعلق بالخصوص بطرق التحالف الزواجي وليس بالبنوة أو الروابط الدموية. وتلعب النساء دورا كبيرا في مجال عمليات التضامن العائلي حتى وإن كان النظام الاجتماعي لا يعترف لهن بهذا الدور.

م. شقرون، العائلة كموضوع : من السوسيولوجية العفوية إلى السوسيولوجية العلمية، السوسيولوجية المغربية المعاصرة : حصيلة وتقييم، منشورات كلية الآداب بالرباط، الدار البيضاء، 1988 ؛ *نظام القرابة والعائلة في المجتمع المغربي*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، العدد 13 ؛ م. بن عبد السلام الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، الرباط، 1986 ؛ ن. السلاوي، *الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1951 ؛ القاضي عياض، *مذاهب الحكام ونوازل الأحكام*، تح. محمد بنشريفة ؛ الونشريسي، *المعيار المغرب من فتاوي إفريقيا والأندلس والمغرب*، منشورات الجمعية المغربية للترجمة والنشر، الرباط، 1980 ؛ المهدي الوزاني، *النوازل* ؛ م. القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، مكتبة الطالب، الرباط، 1986 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط* ؛ ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ ع. المحمدي، *السلطة والمجتمع في المغرب : نموذج أيت باعمران*، الدار البيضاء، 1989 ؛ ع. الله نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب*، طائفة العكاكزة (ق. 17.16)، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000 ؛ م. مزين، *فاس وباديتها : مساهمة في تاريخ المغرب السعدي (1549.1637)*، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1986 ؛ م. البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، إينولتان 1850.1912، منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء، 1983.

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1977 ; P. Pascon et al., *La maison d'Illigh et l'histoire sociale de Tazerwalt*, Rabat, 1984 ; G. Lazarev, *Aspects du capitalisme agraire au Maroc avant le protectorat, A.A.N.*, XIV, 1975 ; R. Jamous, *Honneur et Baraka*, Paris, 1981 ; P. Bourdieu, *Le sens pratique*, Paris, 1980 ; L. Mezzine, *Contribution à l'histoire du Maroc au XVIIe siècle*, 1987 ; M. Ennaji, *Soldats, domestiques et concubines : l'esclavage au Maroc au XIXe siècle*, 1994 ; M. Kenbib, *Les protégés*, 1996 ; K. Brown, *People of Salé* ; N. Cigar, *Société et vie politique à Fès (1660-1830), H.T.* ; H. Fehrat, *Famille et société à Sabta, H.T.*, vol. 30, 1992 ; M. Chabi, *Quelques grandes familles du Makhzen* ; R. Letoureau, *Fès avant le protectorat* ; Rosenberger et H. Triki, *Epidémies et famines au Maroc, H.T.*

محمد شقرون

**العبابدة** واحدهم عبّادي، معروفون بقبيلة الأعراب من أحواز الرباط، عمالة الصخيرات حيث لهم بطن يدعى العبابدة، ولهم بطن آخر في أولاد بوعزيز الشماليين من قبيلة دكالة، هذا زيادة على غيرهم المستوطنين جهات أخرى من المغرب مثل قبيلة بني احسن، فنجد بطن العبابدة ضمن الصف الشرقي من فرقة الصفافعة الذين كان لهم في مطلع القرن العشرين نحو مائتي خيمة.

وقد تولى العبّاديون الحسناويون مناصب القيادة وإلى ذلك سنتعرض فيما يلي من التراجم.

م. بوشعراء، *علاقة المغرب*، 19 ـ 200.

*V.T.M., Rabat*, Tome III, p. 278 ; *Répertoire des tribus* (1955), p. 21-28.

مصطفى بوشعراء

**ابن عبّاد، أبو عبد الله محمد** بن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد النفزي الحميري الرندي، ولد برندة جنوب الأندلس سنة 733 / 1333 ونشأ في أسرة اشتهرت بالصلاح والزهد والاشتغال بالعلوم الدينية. لقي العلماء فأخذ علوم القرآن واللغة والفقه والكلام والأصول والمعقولات عن أساتذة عصره بكل من رندة وتلمسان وفاس من أمثال والده أبي إسحاق إبراهيم وخاله الشيخ الفقيه القاضي عبد الله الفريسي والشيخ الفقيه الخطيب أبي الحسن علي بن أبي الحسن الرندي والإمام العالم أبي عبد الله الآبلي والإمام الشريف أبي عبد الله التلمساني والقاضي أبي عبد الله محمد المقري وقاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي والفقيه أبي محمد عبد النور العمراني والفقيه أبي الحسن الصرصري والفقيه أبي محمد عبد الله الفشتالي والمقرئ أحمد بن عبد الرحمن المجاصي والفقيه أبي مهدي عيسى المصمودي والفقيه أبي محمد الوانغيلي وغيرهم.

وفي مرحلة ثانية من حياته تحول ابن عباد إلى اتخاذ التصوف سلوكا وعقيدة في حياته الخاصة والعامة ثم نهج "في طريق الصوفية والمباحثة على الأسرار الإلهية حتى أشير إليه، وتكلم في علوم الأحوال والمقامات والعلل والآفات" (*نفح*، 5 : 341). لقي في هذه المرحلة كبار الصوفية وصاحبهم وقصدهم "لوجدان السلامة معهم" فتتلمذ على أبرز

شيوخهم في المغرب كالصوفي الكبير أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر السلوي (ت. 764 / 1363) الذي أثر كثيرا في شخصية ابن عباد فأصبح من أبرز مريديه يشيد بذكره ويقدمه على سائر أصحابه ويأمرهم بالأخذ عنه والانتفاع به والتسليم له. فتمكن بفضله من الترقي إلى درجات عالية في طريق السلوك الصوفي. ومن شيوخه أيضا أبو عمران موسى العبدوسي (ت. 776 / 1375) وأبو مروان عبد الملك.

تولى ابن عباد وظيفة الخطابة وإمامة مسجد القرويين بفاس سنة 777 / 1376، وهي الوظيفة التي لم يفارقها مدة خمسة عشر عاما حتى وفاته. وهو بذلك يؤكد أنه لم يكن متجردا ومنقطعا إلى العبادة والزهد وإنما كان ممارسا لحياة اتخذت من مبدأ عدم التعارض بين الاشتغال بالأسباب الدنيوية وسلوك طريق الصوفية منهجا علميا مقتديا في ذلك بالمدرسة الشاذلية. وقد عرف عنه أنه لم يتزوج قط ولم يتخذ لنفسه أمة. وكان يتولى أمر خدمته بنفسه حتى أنه نسب إليه قوله بأن الله قد أكرمه بعدم الرغبة في النساء. ويذكر ابن قنفذ أن ابن عباد كان يلبس في داره المرقعة، فإذا خرج سترها بثوب أخضر أو أبيض، أما تلميذه أحمد زروق فيقول عكس ذلك مشيرا إلى أن شيخه كان يلبس الثياب الرفيعة ويستعمل الطيب.

تقدم حياة ابن عباد وموضوعات مؤلفاته الفقهية والصوفية صورة معبرة عن التصوف المغربي في عصره، فالرجل شب وترعرع في كنف مدارس بني مرين بفاس التي ركزت في برامج تعليمها على المذهب المالكي ومحاربة البدع، فتأثر بهذا التوجه الرسمي وكذلك بتوجهات العلماء والصوفية الذين تتلمذ عليهم. فالرندي غدا علامة من علامات عصره ليس فقط بالمغرب ولكن بكل الغرب الإسلامي، وعصره تميز بنشاط مدارس صوفية عملت على التقيد بالكتاب والسنة والتزمت بالابتعاد عن تيار التصوف الفلسفي الذي كان يمثله قبل الرندي كل من محيي الدين بن عربي وابن سبعين، كما اهتمت أكثر بالجانب التربوي العملي من التصوف.

ويبدو ابن عباد في رسائله الصوفية والسياسية منشغلا جدا بانتشار البدع في زمانه ويدعو إلى محاربتها. فانتقد الظواهر البدعية التي انتشرت بالمغرب كظاهرة المختصرات الفقهية وظاهرة التقليد في الفقه. فبدأ بنفسه إذ ترك الفقه / علم الظاهر ولجأ إلى التصوف / علم الباطن. ولم يكن ذلك هروبا من مجابهة مشاكل مجتمعه أو تخاذلا عن تقديم حلول لها، بل نجده في بعض رسائله الصوفية يتبنى مواقف معادية من بدع ومستحدثات زمانه ويكاتب سلطان الوقت أبا فارس عبد العزيز بن أبي الحسن (767 / 1366 ـ 774 / 1372) في شأن البلاء الذي عم البلاد كانتشار قطاع الطرق وتعسف الولاة والعمال وإثقال كاهل السكان بالضرائب والمكوس. ويدعوه إلى رفع هذه المظالم ومعاقبة الولاة الظلمة. ويندرج هذا الموقف في إطار مواقف سياسية عامة اتخذها علماء وفقهاء ومتصوفة عصر ابن عباد من الأزمة الأخلاقية والسياسية التي كان المجتمع المغربي يعاني منها فتصاعدت نتيجة لذلك احتجاجات ودعوات توجه الاتهامات إلى السلطة المرينية نفسها كما ساهم ذلك في انتشار التصوف وتزايد شعبية رجالاته في الحواضر والبوادي.

يعد ابن عباد رمزا من رموز المدرسة الشاذلية الصوفية وأحد أهم أعمدتها بالمغرب، ساهم إلى حد كبير في نشر الطريقة الشاذلية بالأندلس والمغرب من خلال تآليفه، فهو أول من ألف شرحا لحكم ابن عطاء الله تلميذ الشاذلي فقرب به حقائق الشاذلية بشكل لم يسبق إليه.

انشغل ابن عباد في مطارحاته الصوفية بملامسة مجموعة من القضايا والأسئلة استعرضها بشكل واضح في رسائله الكبرى وكذلك رسائله الصغرى كقضية الشيخ والسلوك وهل يصح سلوك طريق الصوفية دون شيخ، وغيرها من القضايا التي أثيرت حولها مناقشات ومناظرات بين فقهاء وصوفية الغرب الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن الهجري.

وبالرغم من أهمية موقع ابن عباد في هذا النقاش، فإنه يعتبر نفسه ليس أهلا للأخذ في موضوع سلوك طريق الصوفية دون شيخ وأنه لا يستحسنه من نفسه لوجوه: "أحدهما أني أعلم قصور باعي في فن التصوف من قِبَل أن لم آخذ فيه مع من له ذوق وتحقق فيه من أهله، ولَم أعْنَ بتطلبهم والبحث عليهم. وأكثر شأني إنما هو الاشتغال بمطالعة كتب القوم لا غير..." (*الرسائل الصغرى*، 112).

خلف ابن عباد مجموعة من التآليف يصب أكثرها في باب التصوف من أشهرها: *الرسائل الكبرى* التي أهداها إلى تلميذه الشيخ أبي زكرياء يحيى السراج، *الرسائل الصغرى* التي وجهها إلى مريديه وتلامذته يجيبهم فيها على أسئلتهم في آداب التصوف والمتصوفة، كتاب غيث *المواهب العلية بشرح الحكم العطائية* شرح فيه حكم الصوفي المصري ابن عطاء الله المتوفى سنة 709 / 1309، إضافة إلى مؤلفات أخرى بعضها لا يزال مخطوطا والبعض الآخر إما مفقود أو مشكوك في صحة نسبته إلى ابن عباد من بينها نظم الحكم العطائية في ثمانمائة بين من الرجز وتحقيق العلامة في أحكام الإمامة ومجموعة خطب وعظية كان ابن عباد قد ألقاها بمسجد القرويين بفاس عندما كان إماما وخطيبا وظلت بعد قرون من وفاة صاحبها تدرس في جوامع ومدارس بلاد المغرب وتتلى في المناسبات والاحتفالات الدينية كالمولد النبوي والسابع والعشرين من رجب وليلة النصف من شعبان ورمضان وغيرها، ولابن عباد أيضا شرح *أسماء الله الحسنى ورسائل على قوت القلوب* وفتح التحفة وإضاءة الشرفة وهو مصنف في علوم الحديث.

توفي ابن عباد بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ثالث أو رابع عام 792 / 1390 وحضر جنازته أهل فاس وفي مقدمتهم السلطان أبو العباس أحمد بن أبي سالم المريني

وخاصته في حفل مهيب حتى أن العامة همت بكسر نعشه تبركا به، وليس هذا بغريب لأن ابن عباد كان عند أهل فاس بمثابة الشافعي عند أهل مصر. دفن الرندي بكدية البراطيل من داخل باب الفتوح حسب أحمد زروق أو بالقرب من الباب المسدود المعروف بالحمراء حسب يحيى السراج في حين يشير صاحب *سلوة الأنفاس* إلى أن ضريح ابن عباد موجود في الروضة التي تملكها أسرة تلميذه ابن السكاك وأن هذا الأخير هو الذي دفنه بها. والضريح ظل موجودا إلى زمن صاحب *السلوة* يقصده الناس للزيارة والتبرك.

ابن عباد الرندي، *الرسائل الكبرى*، طبعة حجرية، 1320 ؛ *الرسائل الصغرى*، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958 ؛ *شرح الحكم العطائية*، ط. القاهرة، 1317 ؛ مجموعة خطب حول المواسم كعاشوراء والمولد النبوي ورمضان ورجب وشعبان وليلة القدر، مكتبة الزاوية الحمزاوية رقم 269 والخزانة الحسنية رقم 2688 ؛ *كراسة في المولد النبوي* ؛ *نظم الحكم* لابن عطاء الله، خ. ح. 11609 / 2 ؛ *الدعاء بأسماء الله الحسنى*، خ. ح. 1053 ؛ *نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر المستعجل*، خزانة ابن يوسف بمراكش، مجموع رقم 368 / 7 ؛ *فتح التحفة وإضاءة السدفة* (الشرفة)، خ. ع. د. 984 ؛ أبو القاسم الصيرفي، *قصيدة في مدح رسائل ابن عباد النفزي*، خ. ع. د. 891 ؛ أبو زكرياء يحيى السراج، *فهرسة*، خ. ع. ك. 1242 ؛ ابن أبي بكر الحضرمي، *السلسل العذب والمنهل الأحلى*، تح. مصطفى النجار، سلا، 1988 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، القاهرة، 1975، 3 : 252 . 256 ؛ *الكتيبة الكامنة*، بيروت، 1983، ص. 40 . 44 ؛ ابن قنفد، *أنس الفقير وعز الحقير*، الرباط، 1965، ص. 79 . 80 ؛ ابن السكاك، *نصح ملوك الإسلام*، ط. فاس، د. ت. ؛ أ. زروق، *شرح حكم ابن عطاء الله*، تح. عبد الحليم محمود محمد بن الشريف، مكتبة النجاح، 1969، ص. 22 . 24 ؛ الونشريسي، *المعيار*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، 11 : 184 . 191، 278 . 279 ؛ 12 : 293 . 307 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 315 . 316 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت.، ص. 279 . 281 ؛ المقري، *نفح الطيب*، بيروت، 1968، 5 : 341 . 350 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجرية، 1316، 2 : 133 . 145 ؛ أ. الحافي، *تحفة الزائر بمناقب الحاج أحمد بن عاشر*، مطابع سلا، 1988، ص. 52 . 53 ؛ الزبادي، *إفادة المرتاد بالتعريف بالشيخ ابن عباد*، خ. ع. د. 984 ؛ أبو الوفاء الغنيمي، *ابن عباد الرندي، حياته ومؤلفاته*، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد 6، العدد 1 و2 (مزدوج)، 1958، ص. 221 . 258 ؛ *ابن عطاء الله السكندري وتصوفه*، القاهرة، 1958 ؛ محمد المنوني، *ورقات*، الرباط، 1980، ص. 227 . 228، 237 . 238، 276 ؛ علي أومليل، *الخطاب التاريخي*، الدار البيضاء، ط. 2، 1984، ص. 176 ؛ بولس نويا، *ابن عطاء الله ونشأة الطريقة الشاذلية*، ترجمة دار المشرق، بيروت، 1986 ؛ ر. السلامي، *رسائل سياسية غير منشورة لابن عباد الرندي*، ضمن متنوعات محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص. 499 . 529 ؛ م. فتحة، *البدعة بين سلطتي الفقهاء والمتصوفة أمثلة من الغرب الإسلامي أواخر العصر الوسيط*، دفاتر البحث، المجلد 1، العدد 1، دجنبر 2001، ص. 50 . 52.

M. Ben Cheneb, *Etude sur les personnages mentionnées dans l'idjaza du cheikh Abdel Qadir el Fasy*, Paris, 1907 ; L. Massignon, *Recueil de textex inédits concernant l'histoire de la mystique en pays de l'Islam*, Paris, 1929 ; M. Asin Palacios, *Un precursor hispanomusulman de San Juan de la Cruz*, *Al-Andalus*, 1933, vol. I ; P. Nwyia, *Ibn Abbad de Ronda*, Beirouth, 1961 ; Ibid., Ibn Abbad, *Encyclopédie de l'Islam*, nouvelle édition, Leyden - Paris, 1975, t. III ; Ibid., *Ibn Abbad de Ronda et Jean de la Croix, à propos d'une hypothèse d'Asin Palacios*, *Al-Andalus*, vol. XXII, fasc. 1, 1957 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion*, Paris, 1986 ; J. Renard, *Ibn Abbad ar-Rundi : Lettres on the sufi Path*, Translation and introduction, New-York, 1986 ; K. Honerkamp, *Les rasa-il Al-Kubra de Ibn Abbad de Ronda, Lettres d'un Shadhilite marocain du 14è siècle*, étude, analyse et édition critique (soutenue à Aix-en-Provence 1) ; S. Sqalli Houssini, *Contribution à l'étude du discours politico, religieux sous les dernies mérinides : les lettres d'Ibn Abbad de Ronda au Sultan Abu Faris et le Nush muluk al-islam d'Ibn As-Sakkak* (soutenue à Aix-en-Provence 1).

رشيد السلامي

**ابن عبَّادْ، عمر محمد**، فقيه ونوازلي ماهر، ومفتي حاذق. ولد بمراكش عام 1320 / 1902 بحومة زاوية لحضر، من أسرة متواضعة، يقال إن أصلها من الأندلس. كان والده محمد بن أحمد قصارا بقصارية ابن يوسف. وهو رابع أخوة أربعة ذكور. أمه شرقاوية.

دخل الكتاب في سن مبكرة عند الشيخ المدرر ابن إيدار برباط سيدي عبد العزيز التباع، فحفظ القرآن الكريم حفظا تاما، وأتقنه رسما إلى جانب تمكنه من بعض المتون. بعدها تاقت نفسه إلى إرواء نهمه وعطشه للعلم، ومجالسة العلماء والمشايخ، فالتحق بالجامعة اليوسفية، ولازم دروس المشايخ وحلقات دروسهم إلى أن بلغ في النحو واللغة والفقه شأنا عظيما، ومبلغا عز نظيره بين أقرانه، وشهد له بهذا التفوق شيوخه. وقد تتلمذ على جماعة من العلماء نذكر منهم :

1) الشيخ أبو شعيب الدكالي
2) العلامة الحاج عبد السلام بن المعطي السرغيني
3) شيخ الجماعة العلامة الحاج العربي البربوشي
4) القاضي العلامة عباس بن إبراهيم التعارجي
5) سيدي أحمد ولد الحاج المحجوب، وغيرهم. وجل هؤلاء الشيوخ أجازوه إجازة كفاءة واستحقاق، ونوهوا بذكائه وحسن خطه واستقامته.

اشتغل أول الأمر عدلا مع القاضي بلحسن بمحكمة أزيزط. ولما عاد الفقيه السيد عباس بن إبراهيم التعارجي من سطات اختاره للعمل معه نظرا لرجاحة عقله، وشدة توثيقه وضبطه. ثم انخرط في سلك العدالة مع ملازمته للتدريس بالجامعة اليوسفية بصفة تطوعية. ولما تم تنظيم الجامعة اليوسفية سنة 1358/ 1939، تفرغ للتدريس، وأقبل الطلبة على دروسه لما لمسوه فيه من التمكن والاستيعاب، إلى جانب التحقيق والتدقيق. وقد قضى زهاء 22 سنة في التدريس، 10 قبل النظام، و12 سنة داخل النظام.

بعد هذه الفترة تولى القضاء وأبان عن مقدرة، وأقام فيه بنشاط الشباب، وحنكة الشيوخ. ففي عام 1370 / 1950 اختير عضوا بمجلس الاستيناف الشرعي الأعلى بالرباط، ثم عاد بعد ثلاث سنوات إلى مراكش قاضيا للأحكام، ثم مستشارا بمجلس الاستيناف إلى أن بلغ سن التقاعد. وخلال هذه المدة القضائية ما أحصيت عليه زلة تنال من مروءته وشرفه.

ولم يستسلم لهموم التقاعد والفراغ المميت، بل تفرغ للمطالعة ولوازم البيت، والإكثار من الذكر، إلى أن توفاه الله بعد مرض عضال ألزمه الفراش مدة شهر عصر يوم الجمعة 14 ربيع الثاني الموافق 28 يناير 1983، ودفن بمقبرة باب دكالة.

ترك رحمه الله مجموعة فتاوي في مجلد كبير، وكتاب في مناسك الحج، وخطب منبرية.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط ؛ *وثائق عائلية*.

أحمد متفكر

**العبّادي، الجيلالي** بن الأحسن المدعو بوخْريص كان سنة 1322 / 1904 قائدا على العبابدة حتى عزل، ثم ولي عليهم مرة أخرى سنة 1911 / 1929 بعد أن اشترى منصبه من الصدر الأعظم المدني الگلاوي بمبلغ كبير من المال.

**العبّادي، عبد الله** بن **مَحمد** (فتحا)، من القواد العباديين سنة 1324 /1906 بعد عزل القائد الجيلالي المذكور قبله في المرة الأولى. وقد استمر في منصبه سنتين اثنتين.

**العبّادي، محمد** بن **عبد القادر** من الفقهاء الأساتذة الذين حمدت سيرتهم، وصفه الكتاني في تحفة الأكياس بصاحب أذكار وتلاوة، وممن يرجع إليه في معرفة ذلك في وقته، وكان مقصوداً لحل بعض الأمور والمشاكل في الفقه، مع ما له من المعرفة في علم الأسماء والمحافظة على ديانته.

وافاه الأجل المحتوم في سادس عشر رمضان المعظم سنة 1327، ودفن بضريح الولي الأشهر سيدي المكتفي داخل درب مولاي عبد المالك بالطالعة.

توفي رحمه عن نحو الثمانين سنة.

م. الكتاني، *تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهر الآس في بيوتات فاس*، 2 : 421 ؛ *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، 3 : 3391.

**العبّادي، محمد** بن **قدور** استهل حياته العلمية بالأخذ عن شيوخ عصره ؛ كالشيخ إدريس بن أحمد الوزاني، وعن والده الشيخ محمد بن عبد القادر العبادي، المدعو قدور العبادي، كما أخذ عن الشيخ محمد الإيراري وعن الشيخ محمد بن رشيد العراقي والشيخ محمد بن قاسم القادري وغيرهم.

بعد أن تخرج من جامعة القرويين تصدر لتلقي الشهادات والفتوى والتدريس، لينخرط بعد ذلك في سلك القضاء، حيث ولي قضاء صفرو نحوا من عشرة أعوام، كما ولي خطة القضاء بكل من أزمور وطنجة وتازة ووجدة وآسفي وزرهون. وصرف عن القضاء بعد ذلك فاشتغل بالعبادة والذكر والمذاكرة، ثم عين مستشاراً بالمجلس الأعلى وشغل هذا الوظيف نحو السنتين.

خلف المرحوم محمد بن قدور العبادي مجموعة من الآثار العلمية التي نذكر منها :

- محاضرة في موضوع الربا، المطبعة الرسمية 1944.
- *إرشاد الوزير*.

وله كذلك تأليف في الرهان وأنواعها وما جرى به العمل في ذلك.

توفي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد القادر العبادي إلى رحمة الله ليلة السبت ثالث وعشري ربيع الأول عام خمسة وثمانين وثلاثمائة وألف 1385 / 1965، وحمل إلى فاس حيث أقبر بزاوية الشيخ ماء العينين.

أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، فاس، 1343 ؛ م. الكتاني، *تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهر الآس في بيوتات فاس*، تح. علي بن المنتصر الكتاني، منشورات مطبعة الصباح الجديدة، 2 : 421، الدار البيضاء، 2002 ؛ ع. الله گنون، *معجم المطبوعات المغربية*، إ. بن الماحي، ت. ع. الله گنون، مطابع سلا، ص. 227 ؛ *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، 2 : 196 ؛ *سل النصال* / موسوعة أعلام المغرب، 3 : 3391 ـ 3392.

سليمان القرشي

**العبّادي، مسعود** بن **عبد الرحمان**، عين سنة 1295 / 1878 قائدا على إخوانه، ولم تكد تمر سنتان حتى كان معزولا ومسجونا وتوفي في محبسه بمدينة سلا.

بدأت محنة مسعود عندما تداين بمبلغ من المال لواحد من اليهود سنة 1296، فأمره السلطان بالوفاء بدينه وبيع رؤوس من الماشية بعد أن فرض عليه ذعيرة ألفي ريال تُؤدى لبيت المال.

ومن جهة أخرى كان بنرزوگ الذي كان ولد أخ مسعود قد ضمن عن أناس من إخوانه أداء مبلغ 500 ريال يؤدونها ليعقوب بن سعيد ترجمان القنصلية الفرنسية بالرباط. فأُمر بنرزوگ بتسديد المبلغ وذعر بثلاثة آلاف ريال مثلما ذعر عمه مسعود بألفين.

لكن هذا الأخير عجز عن أداء خمسة آلاف ريال عنه وعن ابن أخيه، لكنهما وعدا بتسديد أربعة آلاف من الريال فقط، لأن مسعود كان يعلم أن الألف الريال الزائدة ستؤول حتما إلى جيب الوزير المرتشي محمد بن العربي الجامعي الذي وعد بالتوسط لتسريح القائد وولده حمو المقبوض معه وكذلك بنرزوگ المذكور أعلاه، وقد ظهر ذلك جليا عندما كتب الوزير بخطه وبلحنه في طرة الرسالة التي وجهها إلى عامل سلا الحاج محمد بنسعيد هاته العبارة : "وما أنعم به (أي مسعود) لجانبنا حزه منه عاجلا ووجهه صحبة من يثاق (كذا) به".

وصدر الأمر لبنسعيد وللأمناء بدفع دار يملكها العبادي بسلا للسمسار، لكنها لما نقصت عن الثمن المعتاد لمثلهما أخر السلطان البيع.

مكث الثلاثة بسجن سلا نحو السنة إلى أن جاءت سنة 1299 / 1882 فوجه حمو بن مسعود وابن عمه بنرزوگ إلى

سجن مراكش في أكبالهما، فمات حمو فيه، كما مات أبوه في سجن سلا قبل ذلك بنحو السنتين، وظل ولد الأخ سجيناً بمراكش إلى ما بعد سنة 1301 / 1885 رغما عن تشفع بنسعيد فيه.

تلك قضية نكبة أصابت ثلاثة أشخاص، فلو أدوا ألف ريال زائد على ما وعدوا به، فلربما سرحوا، ولربما عاد مسعود إلى سالف منصبه كما يقع في مثل هاته الأحوال، ليتمكن إن شاء من استرجاع الخمسة آلاف ريال فصاعدا. والواقع أن مسعود كان لا يملك تلك المبالغ.

م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 170 ؛ *علاقة المخزن*، 113.110 ؛ *وثائق بنسعيد*.

مصطفى بوشعراء

ابن **العباس**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموها على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Abnabez ؛ ومازالت أسر إسبانية تحمل اسم Benavez.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة ذكرها في الرقم 295.

**العباس**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Avez - Abez ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Abbas.

أبو **العباس، أحمد** بن أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. لقبه المستنصر بالله وهو الخامس عشر من ملوك بني مرين. حكم المغرب الأقصى مرتين، الأولى بين 775 / 1373 و786 / 1384 والثانية بين 789 / 1387 و796/ 1393. أي حوالي سبع عشرة سنة ولذلك اشتهر بذي الدولتين.

ولد أبو العباس بغرناطة عام 756 / 1355 من أم تنتسب إلى أعيان المجاهدين بالأندلس، وهي نزهة بنت أبي العباس خضر ابن أبي عبد الله محمد القباق، ثم عاش حياة المنفى منذ صغره تحت أعين ملوك بني الأحمر، وفي جو من المناورات والدسائس بين غرناطة وفاس خاصة بعد وفاة والده السلطان أبي سالم.

في دولته الأولى بويع البيعة الخاصة بمدينة طنجة في شهر ربيع الثاني من عام 775 ثم بويع البيعة العامة بالمدينة البيضاء من فاس الجديد يوم الأحد السادس أو السابع من محرم سنة 776 / 1374 مباشرة بعد خلع سلفه أبي بكر السعيد الثاني (774 / 1372 - 776 / 1374).

تميزت هذه المرحلة بالتدخل السافر لصاحب غرناطة في شؤون المغرب ومحاولاته المتكررة لخلق الفتن والاضطرابات من خلال مناوشته لحكام فاس ملوكا ووزراء والاستئثار بدعم المعارضين لهم من بين الأمراء وتسخيرهم لأغراضه السياسية والتوسعية. وقد شكلت قضية الأديب الشهير لسان الدين بن الخطيب وموقفه المناوئ من سياسة ابن الأحمر ولجوئه إلى صاحب فاس عنصرا مباشرا في تأجيج أحقاد ابن الأحمر الذي قام بمداخلة الأمير المريني أبي العباس اللاجئ بطنجة وشجعه على الثورة ضد صاحب فاس أبي بكر السعيد بعد أن مهد له الأمر بدفع صاحب سبتة محمد بن عثمان بن الكاس ابن عم الوزير المستبد بفاس أبي بكر بن غازي، لدعم الأمير الثائر والدعاء له. وكان ابن الأحمر قد اشترط على الأمير مقابل ذلك أن ينزل له على جبل الفتح ويسلمه غريمه ابن الخطيب. بعد موافقة الأمير على هذه الشروط ومبايعة سبتة وجبل الفتح له بالأمر، سلم الجبل لابن الأحمر الذي أرسل في الحين مساعداته العسكرية والمالية لأبي العباس لينطلق بذلك أحد فصول المواجهة بين الأمير والسلطان المرينيين بتوجيه من حكام غرناطة. عرفت المواجهة بين الطرفين عنفا شديدا خاصة بعد تحالف أبي العباس مع ابن عمه الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن وبعض القبائل العربية إلى جانب ابن الأحمر، ثم تمكن الثوار من حصار البلد الجديد والدخول في مفاوضات مطولة انتهت بتنازل السلطان أبي بكر السعيد عن العرش لصالح السلطان الجديد أبي العباس الذي دخل العاصمة في سابع المحرم من عام 776. بعد مبايعته فوض لوزيره القائم بأمره محمد بن عثمان تسيير شؤون البلاد واقتطع لابن عمه الأمير عبد الرحمن أعمال مراكش وسجلماسة وتكون أزمور حدا فاصلا بين مملكتيهما فاس ومراكش. مباشرة بعد ذلك قام السلطان أبو العباس باعتقال ابن الخطيب بطلب من ابن الأحمر ونهب دياره وضيعه بفاس وأودعه السجن حيث قتل ومثل بجسده وأحرق.

لم يهنأ أبو العباس بالاستقرار في حكمه خلال دولته الأولى، إذ سرعان ما تراكمت المشاكل السياسية حوله وتعددت مواقعها : كانت أولاها عودة الوزير المخلوع أبي بكر بن غازي لمعاداة السلطان ومنافسة وزيره محمد بن عثمان مدعما من صاحب غرناطة وكذلك صاحب تلمسان. إلا أن السلطان المريني استطاع مواجهة الموقف بحزم وشدة وتمكن من اعتقال الوزير الثائر وقتله سنة 779 / 1377.

أما المشكلة الثانية فكانت هي الأخطر عندما بدأ صاحب مراكش الأمير عبد الرحمن يقض مضجع السلطان ويعلن عن تطلعاته وطموحاته في حكم المناطق الشمالية وضمها إلى ما كان تحت يده. وقد دشن عبد الرحمن هذه السياسة بقتله حسون بن علي الصبيحي صاحب أزمور التي كانت حدا فاصلا بين الطرفين. فكان هذا الحادث سببا مباشرا في اندلاع حرب بينهما انتهت فصولها الأولى بعقد صلح والالتزام باحترام الحدود السابقة. وبعد فترة عاد الأمير عبد الرحمن إلى سياسته الأولى وابتزاز السلطان بعد أن طلب منه التنازل

له عن عمالة صنهاجة ودكالة وأن تكون الحدود الجديدة بينهما هي وادي أم الربيع. ولم ينتظر عبد الرحمن جواب السلطان إذ بادر إلى احتلال أزمور وأبرم تحالفا مع عامل صنهاجة ودكالة الحسن بن يحيى بهدف مساندته في تمرده مقابل أن يملكه عمالته.

تحت هذه الضغوط اضطر أبو العباس إلى مواجهة الخطر المحدق بدولته فبعث بعساكره إلى مراكش وحاصر أميرها عبد الرحمن، وعندما اشتد الحصار أرغم المؤيدون على الانسحاب من حول الأمير إلى أن أصبح وحيدا في قصبته مع ولديه أبي عامر وسليمان يقاومون حتى قتلوا جميعا في نهاية جمادى الثانية من سنة 784 / 1382، واستعاد أبو العباس بعد ذلك نفوذه على المناطق الجنوبية.

كان على أبي العباس بعد قضائه على تمرد الأمير عبد الرحمن بالجنوب التحول إلى جبهة أخرى هي الجبهة الشرقية لمواجهة خطر بني زيان القائم باستمرار. فقد استغل صاحب تلمسان أبو حمو موسى بن يوسف ابتعاد السلطان المريني عن عاصمة ملكه إلى الجنوب فنظم حملة مع عرب أولاد حسين على مدن تازة وتاوريرت ومكناسة. إلا أن أبا العباس لم يتأخر كثيرا في الرد بعد أن حسم الأمر بالجنوب في أسرع وقت لينقل قواته نحو الجبهة الشرقية ويطرد المهاجمين بل ويرحل إلى تلمسان ويحتلها بعد فرار صاحبها نحو بلاد مغراوة. لكن الظروف شاءت أن تعاكس رغبة السلطان لأنه لن يستطيع الاستمرار في مطاردة أبي حمو وعرشه بفاس مهدد مرة أخرى من بعض المتآمرين عليه من أفراد مخزنه. فقد استغل هؤلاء غياب أبي العباس واتصلوا بابن الأحمر الذي بدأ يعرب عن تضايقه من سياسة حليفه القديم وينزعج من طموحاته السياسية، فاتفقوا معه على أن يقوم بإطلاق سراح الأمير موسى بن السلطان أبي عنان اللاجئ عنده ليجعلوه سلطانا على البلاد بدلا من ابن عمه أبي العباس. وقد وجد هذا الطلب في نفس ابن الأحمر هوى ورغبة ملحة لاستعادة قبضته على الوضع بالمغرب، فما كان منه إلا أن جهز الأمير موسى واستوزر له مسعود بن رجو بن ماساي وسلطهما على أبي العباس. وعندما تمكن الثوار من السيطرة على سبتة غرة صفر من سنة 786 / 1384 ومبايعة رؤساء الشورى وشرفائها له، أدرك أبو العباس خطورة الموقف فتحرك لمواجهته. غير أن المتآمرين بفاس المؤيدين لحركة الأمير موسى كانوا قد حسموا الأمر وتخلوا عن السلطان الشرعي، الشيء الذي ساهم في إضعاف شوكته وتشرذم معسكره وتفرقت جنوده ليقع في قبضة الأمير الثائر ويخلعه عن الحكم يوم الأحد الموفى ثلاثين لشهر ربيع الأول من نفس السنة، ثم يبعث به مقيدا إلى الأندلس مع ولده أبي فارس وبعض أعوانه ويوضع تحت مراقبة ابن الأحمر لتنتهي بذلك أخبار دولته الأولى كما بدأت بتدبير تأثير من غرناطة.

بعد فترة وجيزة من حكم السلطان الجديد موسى بن أبي عنان بدأت الخلافات بينه وبين وزيره مسعود بن ماساي تطفو على السطح ويدخل الوزير في اتصالات مع ابن الأحمر يطلب منه إعادة السلطان أبي العباس المخلوع إلى ملكه. فلما توفي السلطان موسى في ظروف غامضة تراجع الوزير عن طلبه وأسرع في دعوة ابن الأحمر لرد أبي العباس إلى مكانه بغرناطة وأن يبعث إليه عوضا عنه الأمير الواثق محمد بن أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن المعتقل لديه لأنه أليق بالاستبداد والحجر.

تذهب بعض المصادر إلى أن سياسة الوزير مسعود كانت ترمي في واقع الأمر إلى تهييء ظروف ملائمة لاسترجاع ما احتله بنو الأحمر من مدن كانت تابعة للنفوذ المريني خاصة مدينة سبتة. وبالرغم من أن الوزير كان يعلم جيدا خطورة ما سيقدم عليه، وأن المعني المباشر بهذه المواجهة هو حليفه القديم صاحب غرناطة، فإنه بادر إلى احتلال سبتة وراسل ملوك قشتالة في أمر الأمير النصري محمد بن إسماعيل والرئيس الأبكم المعتقلين بإشبيلية وأن يطلقهما على ابن الأحمر. لكن هذا الأخير رد عليه بأن استدعى السلطان المخلوع أبا العباس من معتقله وأركبه السفين إلى سبتة التي استولى على قصبتها في غرة صفر من عام 789 / 1387 ثم على مجموع المدينة ويعيدها إلى حكم بني الأحمر من جديد.

من سبتة انطلقت جهود أبي العباس في استعادة نفوذه على المناطق الشمالية وعندما أشرف على فاس حاصرها مع ولده أبي فارس ومساندة علي بن زكرياء شيخ الهساكرة لأكثر من ثلاثة أشهر، بعدها حصل اتفاق بين أبي العباس والوزير المحاصر مسعود بن ماساي والذي نصت بنوده على الإبقاء على الوزير في منصبه إن تنازل عن الحكم وبايع أبا العباس وأن يبعث ابن ماساي سلطانه الواثق إلى منفاه بالأندلس. على إثر هذا الاتفاق دخل أبو العباس البلد الجديد يوم 5 رمضان من سنة 789 وبويع البيعة العامة يوم 7 رمضان من نفس السنة لتبدأ بذلك دولته الثانية.

وأول عمل قام به أبو العباس بعد استرجاع ملكه ثانية هو التخلص من مناوئيه ومعارضيه من بطانة ابن ماساي، فما كان منه إلا أن ألغى الاتفاق الذي كان بينه وبين ابن ماساي ثم اعتقله وعذبه في سجنه إلى أن قتله مع إخوانه وحاشيته وعين مكانه على الوزارة محمد بن يوسف بن علال.

بعد ذلك قبض على الأمير الواثق وأشخصه إلى طنجة حيث سيقتل لاحقا، ثم نكل بأولياء دولته الأولى الذين تنكروا له بعد خلعه ومنهم محمد بن أبي عمرو وحركات بن حسون النياطي.

تميزت الدولة الثانية من حكم أبي العباس بنوع من الاستقرار والهدوء بعد أن قضى على خصومه وأخذ بزمام أموره بيد من حديد، كما كان لانهماك أمراء تلمسان في الصراع على الحكم وانشغالهم عن التدخل في المغرب الأقصى الأثر الكبير في هذا الاستقرار بل كان ذلك مدعاة لتدخل أبي العباس في مشاكل بني زيان خاصة بعد مقتل عدوه أبي حمو. وقد دعّم أبو العباس أحد المتصارعين حول

حكم تلمسان الأمير أبا تاشفين فمده بالمال والجند إلى أن تمكن من الانتصار والاستيلاء على الحكم سنة 791 / 1389 باسم السلطان المريني يقيم الدعوة له ويخطب باسمه على منابر مملكة بني زيان ويبعث إليه بالضريبة على رأس كل سنة. وعندما تغيرت الأحوال وتوترت العلاقات بين أبي تاشفين وأبي العباس بادر هذا الأخير إلى تحريك أمير زياني آخر كان مقيما بفاس هو أبو زيان وجهزه لمحاربة أخيه أبي تاشفين.

حين وصل خبر وفاة هذا الأخير بعد مرضه سنة 795 / 1393 إلى السلطان المريني عجلت في قرار أبي العباس بإرسال ولده أبي فارس إلى تلمسان واحتلالها وإرجاع أبي زيان بن أبي حمو إلى فاس.

عندما كان أبو العباس يشرف على تحركات ولده إلى تلمسان والجهات الشرقية من موقع إقامته بتازى طرقه المرض الذي كان فيه حتفه ليلة الخميس السابع من شهر محرم من سنة 796 / 1394، ومنها حمل إلى فاس ليدفن بالقلة وسنه يومئـــذ تسع وثلاثون سنة، وعلى إثر ذلك استدعي ابنه أبو فارس من تلمسان ليخلف والده.

ابن الأحمر، *روضة النسرين* ؛ *النفحة النسرينية* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ *التعريف بابن خلدون*، ضمن العبر ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد*، ط. الجزائر، 1903 ؛ ابن زمرك، *ديوان*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997 ؛ المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، بيروت، 1997 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، بيروت، 1 : 93-94 ؛ الونشريسي، *المعيار* ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ المقري، *أزهار الرياض* ؛ *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس ؛ الناصري، *الاستقصا* ؛ م. المنوني، *ورقات*، الرباط، 1979 ؛ العباس بن إبراهيم، الاعلام ؛ رشيد السلامي، *وثائق مرينية* (مرقون).

Brunschvig, *Grenade et le Maroc mérinide*, *"études d'islamologie"*, Paris, 1976, t. 1 ; R. Arié, *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides*, Paris, 1973 ; Ch.-E. Dufourcq, *Catalogue chronologique et analytique du registre 1389 de la chancellerie de la couronne d'Aragon*, *"Miscelanea de textos medievales"*, t. 2, Barcelona, 1974; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986.

رشيد السلامي

**العباس** (مولاي -)، **أحمد** بن **محمد** الشيخ الأصغر بن زيدان بن أحمد المنصور السعدي. اسمه الحقيقي أبو العباس، لكن العامة يسقطون لفظ الكنية ويدعونه العباس، فغلب عليه ذلك. أمه شبانية من عرب معقل. لا نعرف شيئا عن تاريخ ميلاده، ولا عن مستواه العلمي، لكننا نستبعد أن يكون حاز نصيبا من العلم وقد رشحه والده للملك.

بويع له بعد وفاة والده محمد الشيخ الأصغر عام 1064 / 1654، فقام مقامه في جميع ما كان إلى نظره، لكن مجال حكمه لم يعد يتجاوز أسوار مدينة مراكش. وبذلك عرفت المملكة في عهده أدنى تقلص لها، وكثرت الدسائس والمؤامرات داخل القصر، وتدخلت النساء في ذلك. وفي السياق ذاته تؤكد المصادر أنه قضى مدة حكمه في الصراع مع أخواله الشبانات الذين استبدوا عليه، وقويت شوكتهم، حتى طمعوا في الملك. فلما "رأت أمه الأمر لا يزيد إلا شدة كلمته في أن يذهب إلى أخواله ويأخذ بقلوبهم ويزيل ما في نفوسهم عليه". فلما ذهب إليهم قتلوه غيلة، واستولوا على الملك، بزعامة عبد الكريم بن أبي بكر الشباني، ومن ثم، لا نستبعد أنهم تآمروا مع أمه ليغتالوه. وقد عبر الإفراني عن استبدادهم بقوله : "إلا أن حي الشبانات... قويت شوكتهم في أيامه، وغلظ أمرهم عليه، ووثبوا على الملك وراموا الاستبداد به، فضايقوه وحاصروه بمراكش أشهرا" (*النزهة*، ص. 374). كان ذلك عام 1069 / 1659. وبوفاته انقرضت الدولة السعدية، وانقطعت دعوتها.

الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشاذلي ؛ الناصري، *الاستقصا*، 6 ؛ المراكشي، *الإعلام*، 2.

H. De Castries, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*.

أحمد عمالك

**العباس** (ابن -) **البوعزاوي**، أسرة فاسية نبيلة، كانوا يُعرفون قديماً بآل البوعزاوي نسبة إلى جدهم الشيخ أبي يعزى يلنّور (*ت.* 572) ثم صاروا يدعون أولاد ابن صابر، وأخيراً استقرت نسبتهم في أولاد ابن العباس. نسبة إلى أحد أجدادهم المدعو العباس. أصلهم من دكالة انتقلوا إلى فاس قديماً.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 105.

محمد حجي

**العباس** (ابن -) **البوعزاوي، أحمد** ← **البوعزاوي، أحمد** بن **محمد** الفاسي

أبو **العباس السبتي** (سيدي بلعباس)، **أحمد** بن جعفر المراكشي، أكبر أولياء مدينة مراكش وأشهر رجالاتها السبعة. عربي الأصل، ولد بمدينة سبتة سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وتوفي بمراكش في اليوم الثالث من جمادى الأخيرة سنة إحدى وستمائة (*تعطير الأنفاس*، 6).

مرت حياته بثلاث مراحل هي :

- المرحلة الأولى : مرحلة التعلم.

ينتسب إلى أسرة فقيرة ، إذ بوفاة والده اضطرت أمه إلى دفعه لحائك من أجل تعلم الحرفة مقابل أجر. وبالرغم من أن أبا العباس كانت له رغبة في العلم، فكان كما تقول الروايات، يفر من معمل الحائك ليلتحق بكتاب الشيخ أبي عبد الله محمد الفخار (دفين تطوان) فتلتحق به أمه لتعيده إلى الحائك بعد معاقبته. ومع تكرار الحادث تدخل الشيخ مقترحا على الأم أن يعلم الصبي ويدفع لها أجره (*تعطير الأنفاس*، 10.9). (ويلاحظ أن قصة أبي العباس بسبتة شبيهة بقصة ابن العريف بطنجة، فقد دفعه والده إلى حائك للتعلم فكان يفر إلى المكتب لتعلم القرآن).

ولعل رغبة أبي العباس في العلم، والرعاية الخاصة التي

كان يلقاها من شيخه بسبب ذلك، كانت وراء سرعة تعلمه، فلم تكد تمضي ست سنوات حتى حفظ القرآن والرسالة وفنونا من العربية والأدب. وتسجل له الروايات مواقف وأخبارا مع شيخه.

- منها أنه كان دائم السؤال والاستفسار، فقد سأله ذات يوم عن معنى قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) فتعجب الشيخ لذلك وقال (ليكونن لهذا الشاب شأن) (*أخبار أبي العباس*، 1 ؛ وأظهار الكمال، 158). وفي هذا تمهيد لما سيكون عليه أبو العباس وتقديم لمذهبه في العدل والإحسان والصدقة.

وأبدى أبو العباس الرغبة في السفر طلبا للعلم ولقاء المشايخ ووقع اختياره على مراكش، لأنها كما قال لشيخه "مدينة العلم والخير والصلاح" (*أخبار أبي العباس*، 6 ؛ *إظهار الكمال*، 160). ولأنها كذلك عاصمة الدولة الجديدة، فقد كان خروج أبي العباس من سبتة سنة أربعين وخمسمائة، (وعمره ست عشرة سنة) وهي السنة التي تأكد فيها انتصار الموحدين على المرابطين، خصوصا بعد مقتل تاشفين سنة تسع وثلاثين وخمسمائة.

وفي طريقه من سبتة إلى مراكش بمعية وصيفه مسعود الحاج (دفين حومة الموقف، *السعادة الأبدية*، 1 : 116). صدرت عنه كرامات وردت في كل تراجم أبي العباس (*أخبار أبي العباس*، 18.11 ؛ *السعادة الأبدية*)، تبرز مشاغل المجتمعات القروية التي مر بها وهمومها، وتعطي صورة عن المتاعب التي لقيها في رحلتهما (*تعطير الأنفاس*، 31.30.12).

- المرحلة الثانية : الخلوة.

وجد أبو العباس مدينة مراكش في حالة حصار (استمر من محرم إلى شوال سنة إحدى وأربعين وخمسمائة). فصعد إلى جبل جيليز مع وصيفه، وفي تعطير الأنفاس (إن الله أنبع عينا من ماء وجعل يتعبد في ذلك الجبل والفقير معه يخدمه) (*تعطير الأنفاس*، 32).

وتكتنف سيرته ثغرات ونقط استفهام، ابتداء من تاريخ حلوله بمراكش فبدل أن تقدم المصادر تفاصيل عن حياته تكتفي بسرد مجموعة من الكرامات المنسوبة إليه. فغلبت بذلك جانب الأسطورة على جانب الواقع فلا يبقى إلا استخلاص ما يمكن استخلاصه منها مما يلقي بعض الأضواء على سيرة الشيخ أبي العباس، مع العلم أنها - سواء صحت نسبتها إليه أم لا - تعبر عن هموم البيئة التي عاش فيها وتطلعاتها وآمالها.

لقد بقي بخلوته أربعين سنة (من سنة أربعين إلى ثمانين وخمسمائة) وهي السنة التي تولى فيها يعقوب المنصور الحكم. ونعرف ميل هذا الأخير إلى مجالسة العلماء واستدعائه لهم.

ومع تسليمنا بوجود بعض الزهاد في جيليز، فإننا لا نعرف نوعية الحياة التي كانوا يحيونها على ظهره ولم تصلنا أسماء الشيوخ والعلماء الذين أخذ عنهم أبو العباس بالجبل، ذلك لأن حضوره إلى مراكش كان بقصد طلب العلم كما أسلفنا. ونفهم من بعض الكرامات أنه كان منقطعا بالجبل لا ينزل إلى المدينة، فرفيقه مسعود الحاج كان ينزل وحده إليها لأداء صلاة الجمعة (*تعطير الأنفاس*، 23 - 24).

وفي هذه المرحلة من حياته كان يزور الشيخ أبا يعقوب ابن أمغار بتيط، فقد ذكر الزموري نقلا عن صاحب *أنس العارفين*، أن الشيخ المذكور كان جالسا في مسجده الذي بناه على ضفة البحر مع شاب جميل الصورة، بديع الجمال، أبيض اللون، يتحدث معه في فنون العلم. ولما أحضرت الخادم لهما الطعام تعجبت من حسن الشاب وجماله، وأساءت الظن بالشيخ، فجعلا يأكلان وهي جالسة، فلما استوفيا من الأكل، سأل الشاب الشيخ في الدعاء فدعا له وودعه، فجعل الشاب يمشي على ماء البحر والخادم تنظر إليه، فالتفت إليها الشيخ قائلا : لا تسيئي الظن بأولياء الله تعالى يا خبيثة النفس، واعلمي أن ذلك الشاب هو الولي المتبرك به شرقا وغربا، برا وبحرا، أبو العباس السبتي أتى اليوم لزيارتنا على عادته (*بهجة الناظرين* للزموري، 119 أ ب ؛ و*تعطير الأنفاس*، 7 - 8).

فهذه الصفات لا تنطبق إلا على هذه المرحلة من عمره، ويؤكد هذا الخبر ما سلف من ظهور آيات الصلاح على أبي العباس وهو صغير السن.

ويمكننا هذا الخبر كذلك من اعتبار أبي يعقوب بن أمغار من شيوخ السبتي إذ كان يجالسه ويتحدث معه في فنون العلم، ويطلب دعاءه متحملا في سبيل ذلك قطع خلوته بجيليز.

- المرحلة الثالثة : تكوين المريدين وتربيتهم.

ظروف دخول أبي العباس لمراكش، وقطع خلوته الطويلة يكتنفها الغموض. فإذا كنا متأكدين من تمام ذلك على عهد المنصور، فإن الاختلاف واقع في التاريخ والسبب :

- فعند البعض أن وصول أخبار كرامات أبي العباس بعد نزوله على جبل جيليز، جعل المنصور وأعيان المدينة يطلعون إليه للتبرك، ودعاه الخليفة إلى الإقامة بالمدينة وحبس عليه مدرسة للعلم والتدريس ودارا للسكنى (*أخبار أبي العباس*، 3 ؛ و*إظهار الكمال*، 143.142). ولعل ذلك قد تم في بداية حكم المنصور، فيكون السبتي قد قضى - كما في المصادر - أربعين سنة في الخلوة (من أربعين إلى ثمانين وخمسمائة).

وهذه المرحلة من أخصب مراحل حياة أبي العباس ففيها تم نشر مذهبه على نطاق واسع إذ كان يطوف بنفسه في الأسواق ويحث الناس على الصدقة وعلى المتاجرة مع الله (درهم يساوي عشرة) - كما كان يقول -.

وفي هذه الفترة كذلك كون الشيخ أسرته فقد أعطاه المنصور دارا بأحواز جامع الكتبيين (فندق مقبل بحي اكدير) فتزوج وأنجب عددا من الأولاد ذكورا وإناثا (*تعطير

*الأنفاس*، 26 و36) ورد ذكرهم في بعض كراماته (*تعطير الأنفاس*، 73.46.45.36.35 *والإعلام*، 4 :330). وتذكر له المصادر حفيدا هو أبو زكرياء فتقول بأنه كان بجانبه وهو يسلم الروح.

صفاته : حدثنا الزموري بتفصيل ـ في الخبر السابق الذكر ـ عن صفاته الخلقية (بفتح الخاء) في خبر اتصاله بأبي يعقوب بن أمغار.

وتطنب المصادر في الحديث عن صفاته الخلقية (بضم الخاء) أهمها : بسطة اللسان والقدرة على المجادلة والكلام، لا يناظره أحدا إلا غلبه وكان سريع الجواب كأن القرآن ومواقع الحجج على طرف لسانه عتيدة حاضرة يأخذ بمجامع القلوب ويسحر العامة والخاصة يأتيه من يأتيه للإنكار عليه فما ينصرف إلا وقد سلم له وانقاد لقوله (*بادرة الاستعجال*، 39 ؛ *وإظهار الكمال*، 167). وهي صفة يحتاج إليها صاحب مذهب كأبي العباس.

كما كان كثير الدعابة ولكن مع قول الحق، كأن يقول لمن يحب التقدم والزعامة (التيس) ولمن يحرص على الدنيا (ياقطيم)، وغير ذلك من الألفاظ التي تستكره (*تعطير الأنفاس*، 21). ويرفض الغيبة ولو كان ذلك عن طريق المفاضلة بين الشعراء، فقد طلب منه ابن مساعد رأيه في شعر لابن حبوس وأبي العباس الجراوي فاعتذر عن الجواب لأن فيه غيبة إذ سيعز على أحدهما أن يفضل على الآخر (*أخبار أبي العباس*، 9).

وكان كلما انشدت أمامه أبيات غزلية عارضها بأبيات في الحث على الصلاة والعبادة. (*أخبار أبي العباس*، 9 ؛ *وإظهار الكمال*، 129). وكان قائما على الحق يحمل السوط ويمشي في الأسواق يحض الناس على الصدقة والصلاة ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وقد تحمل في سبيل ذلك كلامهم وإيذاءهم.

مذهبه : يرتفع سند أبي العباس في الطريقة إلى الأقطاب، الغزالي، الجيلاني، أبي يعزى بواسطة سندين :

1 ـ عن أبي عبد الله الفخار شيخه بسبتة.
- عن القاضي عياض.
- عن أبي بكر بن العربي.
- عن الغزالي وأبي يعزى.

2 ـ عن أبي عبد الله الفخار.
- عن القاضي عياض.
- عن أبي علي الصدفي.
- عن عبد القادر الجيلاني (*تعطير الأنفاس*، 13 ؛ *وإظهار الكمال*، 173.157).

ومع أخذه عن هؤلاء الشيوخ يبقى مذهبه القائم على الصدقة متميزا، فأبو يعزى وإن اشتهر بتوزيع تسعة أعشار من زرعه والاكتفاء بالعشر (*إظهار الكمال*، عن المعزى، 173.172)فإن الأمر لم يصبح عنده مذهبا ينظر له، وينذر حياته لتطبيقه.

وترجع الروايات جذور هذا المذهب إلى طفولة أبي العباس، عندما سأل شيخه الفخار عن معنى قوله تعالى : "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" (سورة النحل، آية : 90). واكتملت معالمه أثناء خلوته الطويلة في جبل جيليز حيث كان كثير التدبر في القرآن الكريم، والعبادات، وهكذا فإنه يرد أصول الشرع إلى الصدقة :

- فالتكبير للصلاة معناه التخلي عن كل شيء وعدم الضن على الله بشيء، والركوع معناه المشاطرة، والسلام من الصلاة الخروج من كل شيء.
- والمعنى الحقيقي للصوم الشعور بالجوع للتصدق والعطاء.
- والزكاة فرضت كل سنة لتعويد الناس على البذل والعطاء في كافة أيام السنة.
- والحج معناه التجرد من كل شيء، والبذل لله وإظهار العبودية.
- وسر الجهاد بذل النفس في مرضاة الله، وترك التعلق بأسباب الدنيا (*أخبار أبي العباس*، 2 ـ 7 ؛ *تعطير الأنفاس*، 12، 13 ـ 18 ؛ *إظهار*، 120 ـ 121).

ولاحظ أن كثيرا من الآيات والأحاديث تحض على الصدقة وتدعو إليها :

- ففي قوله تعالى : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى....) سورة الليل، آية : 6. إشارة إلى أن أصل الخير في الدنيا والآخرة الإحسان، وأصل الشر البخل.
- ولما أراد الله هلاك آل فرعون دعا عليهم بالبخل (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا، ربنا ليضلوا عن سبيلك...) سورة يونس، آية : 88.

ومن الأحاديث التي تنص على فضائل العطاء والبذل، قوله صلى الله عليه وسلم : "اتقوا النار ولو بشق تمرة".

والآيات التي كانت تأتي على لسانه، ويوضح بها مذهبه كثيرة تدور كلها حول الصدقة والإحسان والعطاء (*أخبار أبي العباس*، 2 ؛ *وتعطير الأنفاس*، 13 ـ 19 ،20 ؛ وإظهار، 134). إلا أن قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) هي أكثرها ورودا على قلبه ولسانه ـ كما قال ـ يفسرها تفسيرا خاصا يوضح به مذهبه :

فالعدل : عنده هو المشاطرة، وقد علم الرسول المسلمين مفهومها عندما آخى بين المهاجرين والأنصار، وشاطر الأنصار المهاجرين، فعقد السبتي مع الله ألاّ يأتيه شيء إلا شاطره إخوانه المومنين من الفقراء، فسار على ذلك عشرين سنة، يتصدق بنصف ما يملك (من سنة أربعين إلى ستين وخمسمائة).

- بعد ذلك عاد للتدبر في الآية، فوجد أن العدل هو الشطر، وأن الإحسان مازاد عليه، إذن فالإحسان هو المشاطرة والإيثار أي إعطاء النصف مع إيثار المحتاج ومساعدته من النصف الثاني، فعقد مع الله عقدا آخر يمسك بمقتضاه الثلث ويتصدق بالثلثين، فعمل بذلك مدة عشرين سنة أخرى (من ستين إلى ثمانين وخمسمائة) ونتج عن هذا العقد أن مكن

الله أبا العباس بالولاية والعزل في الخلق، ولعل هذا ما قصده ابن عربي عندما قال في *الفتوحات المكية* : (دخلت مراكش فوجدت أبا العباس السبتي يولي ويعزل، ويخفض ويرفع ويعطي ويمنع، فتمنيت هذا المقام) (آخر الباب : 360 ـ 3 ـ 386).

ـ ولم يقف أبو العباس عند هذا القدر فأراد تجاوز مقام الإحسان بشكر النعمة، فقسم ما يأتيه إلى سبعة أقسام : قسم هو حق النفس، وقسم حق الزوجة والأولاد ومن تجب نفقته (كان عددهم اثنين وثلاثين شخصا) ويصرف الباقي لمستحقيه فأقام على ذلك أربع عشرة سنة، فصار بمقتضاه مجاب الدعاء (*أخبار أبي العباس*، 2 ـ 7 ـ 17 ؛ *تفاصيل المذهب في إظهار الكمال*، 125 ـ 127 و136 ـ 137 ؛ و*تعطير الأنفاس*، 16 ـ 18 .

وبلغت درجة الاستجابة حدا جعل القدماء يقولون لا يمكن لأي مخلوق أن يساوي عبادة الحسن البصري، وزهد داوود الطائي، ومعارف أبي مدين، وهمة أبي العباس السبتي. أي أنه كانت له همة عالية تنفعل لها الأشياء على مقتضى مراده بقدرة الله تعالى (*تعطير الأنفاس*، 23)، كما أخبر بذلك عن نفسه في مثل قوله "أحكم بالخاطر وكل ما أردته كان" وقوله "أحكم في السماء" (*إظهار الكمال*، 166).

وفي حديث مروي عن أبي الحسن علي بن زكرياء أنه قال: سمعت أبا العباس يقول : أنا هو القطب. (*تعطير الأنفاس*، 22 ؛ *إظهار الكمال*، 130 ـ 187).

وقد سمع ابن رشد بمذهب أبي العباس فأرسل أبا القاسم عبد الرحمن ابن إبراهيم الخزرجي من قرطبة ليأتيه بخبره، ولما أعلمه بما رآه وسمعه أثناء مقامه مع السبتي قال ابن رشد : (هذا رجل مذهبه أن الوجود ينفعل بالجود) (*أخبار أبي العباس*، 2 ؛ *تعطير الأنفاس*، 18 ؛ و*إظهار الكمال*، 121).
أي أن الصدقة تعاقد بين الخالق والمخلوق نتائجه مضمونة.

لهذا كان يدعو الناس إلى المتاجرة مع الله : الدرهم بعشرة إشارة إلى قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) (سورة الأنعام، آية : 160).

ويحثهم في الأسواق والمحلات العامة على حل مشاكلهم وتحقيق مطالبهم عن طريق الصدقة والإحسان. وظل مخلصا لمذهبه إلى حين وفاته، إذ أوصى (وهو يحتضر) بالإحسان.

وقد نهض أبو العباس السبتي بأدوار مهمة في حياته :

1 ـ الدور التربوي والعلمي :

انكب على تدريس الطلبة والمريدين ـ بعد إنهاء خلوته ـ في المدرسة التي خصصها له يعقوب المنصور بحي أگدير (قرب الكتبية)، وكان يدرس الحساب ويحضر مجالسه عدد متزايد من الطلبة.

إلا أننا لا نعرف شيئا عن الكتب المدروسة وطريقة التدريس، كل ما وصلنا هو اجتماعهم في الليل وارتفاع أصواتهم بالمذاكرة، الشيء الذي يجر عليهم أحيانا غضب حراس الليل، وتوزيعه أجرته على المحتاجين من الطلبة، وتحضير الطعام لهم. (*أخبار أبي العباس*، 8).

وتدريسه للحساب يطابق ما نعرفه من اشتغاله بالعلوم كعلم السيمياء (أو الحروف والأسماء) وعلم الكيمياء. فقد نظم قصيدة مطولة في هذا الموضوع (الزايرجة) أثبتها ابن خلدون في تاريخه ورسم دائرتها وجداولها، مطلعها :

يقول سبيتي ويحمد ربه — مصل على هاد إلى الناس أرسلا

*تايخ ابن خلدون*، 1 : 912ـ 939 ، شرحها أبو الفيض المطيع بن سعيد العباسي (*السعادة الأبدية*، 2 : 66) وكان محمد بن أحمد المراكشي من أهل المرية يشتغل بها ويفسرها، بهر الناس بذلك (*الإعلام*، 4 : 353 ـ 354).

وله منظومة في الكيمياء مطلعها :

لك الحمد يا مولاي حمدا مكملا — لمالك من من علي تفضلا

من أشهر تلامذته : أبو يعقوب يوسف بن محمد بن الحسن الأنصاري المعروف بابن الحكيم (توفي سنة 605 / 1208) قيل إنه كان كثير التأسف والتلهف على شيخه حتى مات بحبه. وأبو بكر بن مساعد ابن محمد اللمطي لازم أبا العباس مدة طويلة، وقد لقيه ابن الزيات وأخذ عنه كثيرا من أخبار السبتي وكراماته. وعيسى بن شعيب الوارد ذكره في *تعطير الأنفاس*، 55.

2 ـ الدور الاجتماعي :

أهم الأدوار التي نهض بها أبو العباس إذ كان يركز نشاطه على خدمة المجتمع بكافة عناصره، وخاصة منها العناصر المعوقة كالعميان والمقعدين وغيرهم. كان يقدم الطعام للمعوزين والمحتاجين. ومن المصادر أنه كان لا يطيب له طعام ولا يركن إلى نوم إذا بقي أحد سكان حيه دون أكل أو غطاء (*إظهار الكمال*، 130 ـ 131 ؛ و*تعطير الأنفاس*، 52 ـ 53).

وكان الناس يلجؤون إليه عند احتباس المطر لطلب الاستسقاء فيتقدمهم لذلك خارج باب أغمات وباب إيلان بعدما يحثهم على الاستغفار والتصدق (*أخبار أبي العباس*، 12).

واشتهر أبو العباس السبتي في حياته بقضاء أغراض كثيرة : إقامة العدل وإنصاف المظلوم، الاستشفاء من الأمراض ومساعدة الفقير واليتيم والمحتاج والعاجز.

وبذلك اشتهر ذكره في المغرب كله ولجأ إليه ذوو الحاجات من جميع الجهات، ومازال ضريحه قبلة لفئة من الناس يعتقدون استمرار قضائه للحاجات حتى بعد وفاته.

ي. التادلي، *أخبار أبي العباس السبتي*، ذيلت بها الطبعة من التشوف، تح. أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1984 ؛ ع. المراكشي، *إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال*، مخطوط الخزانة الحسنية رقم 232 ؛ *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام*، نشر عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية 1974 ـ 1983 ؛ م. العالي بن المكي الأندلسي، *بادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال*، مخطوطة خاصة بالرباط ؛ م. بن عبد العظيم الزموري، *بهجة الناظرين وأنس الحاضرين ووسيلة رب العالمين في مناقب آل أمغار الصالحين*، مخطوطة خاصة بمراكش؛ ع. خلدون، *تاريخ ابن خلدون العبر*، ط. دار الكتاب، بيروت 1956 ؛ م. المراكشي، *تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ*

*أبي العباس*، طبعة حجرية بفاس، 1336 ؛ *السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية*، ط. حجرية 1335.

حسن جلاب

**العباس** (مولاي -) ابن السلطان **عبد الرحمن** بن هشام نموذج الأمير الذي تَأَتَّى له أن يُزاوج بين العلم والسياسة والقيادة العسكرية. وغني عن البيان أن وضعيته العائلية وحيثياته قد سمحت له بالاستفادة من تربية وتكوين على عدد من مشاهير فقهاء وعلماء الوقت، في مكناسة الزيتون، مسقط رأسه أول الأمر، ثم في مراكش وفاس، كالفقيه العلامة أبي العباس أحمد المرنيسي، والشيخ العباس بن كيران، والقاضي علي بن محمد الهواري، والفقيه ابن عزوز، والقاضي المهدي بن سودة والوزير الفقيه علي المسفيوي ... وقد فقهه هؤلاء جميعا وغيرهم من علماء الوقت في الدراسات القرآنية، والفقهية، واللغوية، وحدثوه عن أمهات كتب الأدب العربي القديم، شعره ونثره.

وبما أن السلطان المولى عبد الرحمن كان يولي عناية خاصة إلى تربية وتعلم الأمراء، ويتابع شخصياً وباستمرار سيرتهم وسلوكهم، آمراً الأعوان المخزنيين المكلفين بشؤونهم بعدم التساهل في تدبير وتصريف شؤونهم والإسراع إلى تلبية رغباتهم وطلباتهم إلاّ بعد استئذانه في ذلك.

وكان العاهل، قبل ذلك، قد أصدر أوامره إلى باشا مكناسة الزيتون وگيش البُخاري بها، بتعيين قَائدٍ عسكري ومَخْزنِيَّيْن، يكون ثلاثَتُهم عند إشارة الفقيه الريفي، ويُنَفِّذُون أوامره، بما في ذلك زجْرُ وإنْزالُ أشَد العقوبات بساحة من يتهاون من الأمراء في عمله أو يسيء التصرف نحو معلميه. ومن علامات استحسان والده لسيرته، وتقديره لمؤهلاته العلمية والشخصية، تكليفُه بقيادة حملات عسكرية في جهات مختلفة من البلاد، فكان رابع الإخوة الذين كان يُشركهم السلطان في تسيير شؤون البلاد، ونعني بهم الخليفة سيدي محمد الذي صار فيما بعد سلطانا للبلاد، والمولى سليمان الذي شغل فيما بعد منصب الخليفة السلطاني بناحية تافيلالت، والمولى أحمد، الخليفة السلطاني برباط الفتح وجد صاحب "إتحاف أعلام الناس ..." الشريف عبد الرحمن بن زيدان من جهة والدته، وثلاثَتُهُم ما عدا المولى أحمد أكبر منه سنّاً.

على أن الرجل لم يشتهر أمره، ويقوى نفوذه في الجهاز المخزني، إلاّ بعد اعتلاء أخيه سيدي محمد عرش البلاد سنة 1859، على إثر وفاة والدهما. فصار الساعد الأيمن لأخيه، ينوب عنه في المهام الجسام، عسكرياً وسياسياً، ويفاوض الأجانب ويبرم الأوفاق والمعاهدات معهم باسمه، كما حصل ذلك في حرب تطوان المشؤومة سنة 1859 ـ 1860، حيث تولى قيادة العمليات العسكرية ضد القوات الإسبانية الغازية. ولا يهمنا هنا التطرق إلى قدرات ومؤهلات الأمير العسكرية ومن كان معه من عناصر العسكر، والگيش، ومتطوعة القبائل، ومسؤوليته في الهزيمة التي مُني بها المغاربة، بقدر ما يهمنا الإلحاح على الثقة الكبرى والمكانة المتميزة اللتين كان يمتع بهما لدى السلطان أخيه.

والمثير للانتباه في نمط عيش هذا الأمير وغيره، أو على الأقل في جانب منه أو مظهر من مظاهره، وبالرغم من وضعيتهم الاجتماعية الرفيعة، أنه كان يغلب عليه طابع البساطة والتقشف، بل أحيانا الخصاصة، على عكس ما قد يتبادر إلى الذهن، أو يتخيله الإنسان.

وفي مصادرنا إشاراته ومعلومات تفيد أن المترجم ظل محترم الجناب، مسموع الكلمة لدى ابن أخيه السلطان المولى الحسن. وقد سُرَّ هذا الأخير وانشرح صدره، بعد أن عَلِمَ بموقفه المؤيد له، عند عقد بيعته بمدينة مراكش، مباشرة بعد الانتهاء من مراسيم دفن السلطان سيدي محمد، المتوفى في 18 رجب 1290، الموافق 11 سبتمبر 1873. وتوطَّدت العلاقات أكثر بين الرجلين وازدادت حميميةً، بعد أن اتخذ العاهل زوجا له السيدة زينت، إحدى كريمات عمه العباس والتي أنجبت له المولى مَحمد الذي صار فيما بعد خليفة بمدينة مراكش حتى الشهور الأخيرة من عهد والده، والمولى زين العابدين الذي شغل نفس المهام بمدينة تيزنيت.

وبينما كان مولاي العباس في مهمة بقبيلة المنابهة، في ناحية مدينة مراكش، وافته منيته زوال يوم 8 شعبان 1296، الموافق 28 يوليوز 1879، فنقل جثمانه إلى المدينة المذكورة، حيث وُوريَ التُّرابَ في ضريح يوسف بن علي.

خ. ح. *الوثائق الزيدانية*، مجلد 17، الوثيقة، رقم 214 بتاريخ 2 شعبان، 1278 / 2 يبراير 1862 ؛ محفظة حسنية، رقم 78، وثيقة بتاريخ 9 رمضان، 1303 / 11 يونيو 1886 ؛ ع. الرحمن، ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929 ـ 1933 ج 2، ص. 122 ـ 279 ـ 546 ـ 548، ج 3، ابتداء من ص. 334، ج 5، ص. 412 ـ 423 ؛ *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7، ص. 2663 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج 8، ص. 21 ـ 23 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ مجلة الوثائق، المطبعة الملكية، الرباط، 1976، ج 3، ص. 341 و497.

مصطفى الشابي

**العباس، عبد الرحمن**، فقيه زاول خطة العدالة سنة 1226 (1811) وفي السنة التالية عين نائب القاضي بتطوان.

وعبد الكريم بن محمد العباس، كان يقوم بمهمة شيخ النظر سنة 1237 (1822).

**العباس، عبد السلام** بن أحمد، فقيه كان يزاول خطة العدالة سنة 1211 (1796).

**العباس، محمد** بن أحمد بن محمد، فقيه كان في عصره أكبر عالم بالنحو فسمي سيبويه تطوان، وكان خطاطا ماهرا له ولع بنسخ الكتب وفي سنة 1190 (1776) كان يزاول خطة العدالة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة.

محمد ابن عزوز حكيم

**العباسي**، أسرة سوسية عالمة من قبيلة سملالة، ينتسبون إلى جدهم عباس الذي قطن في تومانار من بسيط تازروالت، يرفع بعضهم نسبه إلى ابن زرب قاضي قرطبة، قال في *المعسول* وربما كان ذلك صدقاً إن كان آباؤهم هاجروا من الأندلس كما وقع للگراميين أبناء أبي بكر ابن العربي المعافري، وهناك عباسيون آخرون في قبيلة ماسگينة السوسية ينتسبون إلى الشرف.

توارث العباسيون هؤلاء العلم والأدب طوال أربعة قرون وآخر المترجمين منهم في *المعسول* محمد بن الطيب الذي لقيه المختار السوسي قبيل الحرب العالمية الأولى وأعجب بشعره وأثبت قولة بعضهم فيه : "عندليب روض أريض، رخيم الصوت، طيب الغناء".

وقد ترجم في *المعسول* لتسعة عشر من علماء العباسيين وأدبائهم، وفيهم فقهاء وقضاة وأدباء وشعراء وعمل بعضهم في بلاط الأمير أبي حسون بودميعة وولده محمد في إيلغ قبل أن يخربها المولى الرشيد.

محمد حجي

**عباسي، أحمد** بن **عبد الرحمن**، ولد سنة 1933 بدوار اخندوق منطقة تيزي وسلي ناحية تازة.

انخرط الشهيد في صفوف جيش التحرير ضمن تشكيلة مركز أخندوق تحت رئاسة علال العجوري، وقد كان الشهيد من الوطنيين الذين ضحوا بالنفس والنفيس في سبيل الحرية والاستقلال كما شارك في الثورة التي قامت بمركز تيزي وسلي في أكتوبر 1955 وظل يقاوم إلى أن استشهد في معركة اخندوق بتاريخ 3 أكتوبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 513297.

**العباسي، سعيد** بن **عبد الله** بن إبراهيم قاضي تارودانت، من أشياخ عبد الرحمن التمنارتي مؤلف *الفوائد الجمة* الذي قال في حقه : "شيخنا الفقيه المحصل المحقق الباحث القاضي العدل ... لازمته خمس عشرة سنة في الاعتناء التام والهمة الصادقة وقرأت عليه في جملة الأصحاب، إذ هو وارث الجماعة بعد الشيخين (القاضي الهوزالي ومحمد التلمساني) ثم عدّد الكتب الفقهية التي قرأها عليه وهي كثيرة وكان يرجع في مطالعته وتقريره إلى أمهات الكتب ويقول "أخذ الفقه منها أيسر لسلامتها من آفات الاختصار" والي ذلك كان المترجم عفيفاً زاهداً " لم يأخذ مدة ولايته من بيت المال شيئاً، مكتفياً بغلة أرض يحرثها أهله.

توفي على قضاء تارودانت بالطاعون سنة 1007 / 98 - 1599.

ع. الرحمن التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الدا البيضاء، 1962، ج 8 : 403 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 2 : 409.

محمد حجي

**العباسي، علي** بن **محمد**، نسبة إلى قبيلة أيت عباس الأمازيغية التي تمتد مواطنها على السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط، شرقي ولتانة، وجنوبي أيت مساض. وينتمي العباسي أيضا إلى زاوية المنزل التي تقع وسط فرقة أيت شتاشن من ولتانة، على بعد حوالي ستة عشر كلم من مدينة دمنات.

ترجمه الخليفتي فنعته بالفضل والصلاح والعلم والتواضع والتقوى والسخاء. وعده من بين تلاميذ الشيخ أحمد الخليفة، بل من أبكاره. فقد أخذ عنه الورد الناصري حين زار تامكروت، حيث مكث بها طوال سنتين من أجل الدراسة.

ولما رجع إلى بلده استقر بزاوية مدرسا للعلم ملقنا لورد الناصرين ؛ إذ لا نستبعد أنها أضحت من بين فروع الزاوية الناصرية في تلك الجهة. فكانت تلك الزاوية من بين فروع تامكروت حيث كونت إحدى الحلقات في سلسلة الزوايا الفروع التي أسهمت في ذيوع صيت الناصريين في جبال الأطلس ؛ لترسيخ تعاليم الإسلام واللغة العربية هنالك. ويؤكد المصدر المذكور أن العباسي استمر على ذلك حتى وفاته "قرب الأربعين ومائة وألف"، ودفن بمقبرة الزاوية (*الدرة الجليلة*، ص. 266).

الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ *التحري الميداني*.

أحمد عمالك

**العباسي، محمد** بن **سعيد** سابق الترجمة، كان - كأبيه قاضياً - في إلغ حاضرة إمارة أبي حسون السملالي، قال فيه معاصره الحضيگي في *الطبقات* : "الفقيه العالم العامل المحقق المتفنن الجامع بين الحقيقة والشريعة، له تآليف، منها *نظم* لابن هشام *(المغني)* نظماً عجيباً ؛ و*نخبة الأفكار* لابن حجر في علوم الحديث وشرحها : وله فتاو وغير ذلك. وفتاويه متفرقة في *المجموعة البرجية والمجموعة السميحية*. وله مراسلات وأشعار أهمها مولديات أنشدها في بلاط أبي حسون السملالي الذي كان يتشبه في ذلك بحفلات قصر البديع بمراكش أيام أحمد المنصور السعدي.

توفي بإلغ وقت صلاة الجمعة 18 صفر عام 1074 / 21 شتنبر 3663. ودفن بتربة الشيخ أحمد ابن موسى بتازروالت.

م. الحضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، مرقون ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، ج 2 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1962، ج 18 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 477، ج 2.

محمد حجي

**العباسيون والمغرب**، يعود تاريخ إقامة العلاقات بين الخلافة العباسية والمغرب إلى بداية ظهور العباسيين على مسرح الأحداث في المشرق. فقد اهتم العباسيون بالمغرب اهتماما كبيراً تجسد في ربط علاقات متينة مع أمرائه في إطار الاهتمام الشامل ببلاد المغرب بالمفهوم الواسع الذي كان يضم إلى جانب المغرب الأقصى المغربين الأوسط والأدنى والأندلس. وإذا كانت موجة الانفصال عن الحكم المركزي ببغداد قد بدأت منذ وقت مبكر بالمشرق، فإنها اجتاحت أيضا الغرب الإسلامي عموما باستثناء إفريقية (دون الفترة التي خضعت فيها للفاطميين) التي ظلت تمثل مركز النفوذ العباسي وقاعدته في المنطقة. وقد لعبت دوراً كبيراً في الصراع والمماحكات التي نشأت بين ملوك المغرب والخلفاء العباسيين.

ففي عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (136 - 158 / 754 - 775)، قامت دولة بني مدرار الصفرية في منطقة سجلماسة (تافيلالت الحالية) في جنوب المغرب الأقصى سنة 140 / 757 وانفصلت عن سلطان العباسيين. ولم يستطع ولاة الخلافة في إفريقية استرداد هذا الإقليم، فقدر لهذه الدولة الاستمرار حتى أواخر القرن الثالث الهجري.

وقد توترت العلاقات بين بغداد والمغرب بشكل كبير عندما نجح الأدارسة في إقامة دولة مستقلة عن الخلافة العباسية في سنة 172 / 788 ؛ ذلك أن قبائل البربر على اختلافها اجتمعت حول إدريس بن عبد الله العلوي الهارب من وقعة فخ بالحجاز، وبفضلهم تمكن من التوسع شرقا وغربا على حساب النفوذ العباسي بعد أن أخضع أجزاء هامة بالمغرب ودانت له معظم قبائل البربر. ففي أقل من عامين دانت له بلاد تامسنا وتادلا، كما خضعت له قبائل فندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وبلاد فازاز ؛ فاتجه شرقا واستولى على تلمسان وأخضع مغراوة وبني يفرن وعلى هذا النحو أصبح الأدارسة يشكلون خطرا كبيرا وتهديدا مباشرا لإفريقية مركز النفوذ العباسي ببلاد المغرب. وزادت العلاقات توترا بين الطرفين ما بلغ الخليفة العباسي هارون الرشيد (170 - 193 / 786 - 808) عن طريق مخبريه من أصداء عن تلك الرسالة الخطيرة التي بعث بها إدريس مع وفادة سرية إلى أهل مصر يذكرهم فيها بفضائل أهل البيت ويصف فيها التضحيات الغالية التي بذلوها في سبيل حقهم الشرعي ويطالبهم بتأييده ومساندته. وهكذا اقتنع هارون الرشيد أن الأدارسة لا يفكرون فقط في فصل المغرب عن دار الخلافة الإسلامية والاكتفاء بزعامة إقليمية، وإنما كانوا يخططون لتوحيد الخلافة كلها تحت قيادتهم (عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي، م. 4، ص. 39). وهذا ما حذا به - إدراكا منه لصعوبة اللجوء إلى القوة للاحتفاظ بالمغرب - إلى اعتماد السياسة للقضاء على نفوذ الأدارسة هناك. فعهد إلى إبراهيم بن الأغلب بولاية إفريقية، واعترف بحكم أسرته (الاغالبة) على أساس الاستقلال الذاتي مع التبعية للخلافة العباسية ليجعل منها دولة حاجزة وقوة تحول دون توسع الأدارسة، ودون تسرب النفوذ العلوي صوب الشرق. وقيل إن الرشيد دس إلى إدريس من قتله بمساعدة من إبراهيم بن الأغلب في سنة 177.

وقد استمر خلفه إدريس الثاني في مضايقة الأغالبة حلفاء العباسيين في المغرب خصوصاً بعد أن تعاظم شأنه بعد سلسلة من الانتصارات التي هيأت له إخضاع الخوارج في بلاد المغرب الأوسط، فأصبح خطراً على نفوذ العباسيين. وقد حاول ابن الأغلب إضعافه والتصدي لدعوته، فعمد إلى استمالة أركان دولته وكبار أمرائه، فراسل وزيره البربري بهلول بن عبد الواحد، واستماله بالهدايا، ففارق إدريس ووفد إلى القيروان، فاضطر هذا الأخير إلى مصالحة ابن الأغلب على أن يكف كل منهما عن الآخر من ناحيته.

وفي عهد الخليفة القائم بأمر الله (422 - 467) الذي يصادف عصر المرابطين عرفت العلاقات بين بغداد والمغرب انفراجا واضحا. لقد اعترف المرابطون بسلطة الخليفة العباسي الروحية، واتخذوا منذ البداية شعار الانضواء تحت لواء الخلافة بحيث تؤكد كتب النقود أنهم دعوا للخليفة العباسي على المنابر قبل فتح الأندلس بوقت طويل. وهكذا نقشوا أسماء الخلفاء عل السكة منذ سنة 450 / 1058 زمن حكم الخليفة القائم بأمر الله الذي كان عهده يصادف أيام الأمير المرابطي أبا بكر بن عمر وظل اسم الخلفاء يذكر على المنابر مقرونا باسم أبي بكر بن عمر حتى وفاته في سنة 480 / 1087. وكان هذا الأخير قد عهد إلى يوسف بن تاشفين (453 - 500 / 1061 - 1107) بحكم شمال المغرب عندما توجه هو إلى فتوحاته فيما وراء الصحراء فنقش يوسف اسمه على السكة مع اسم الخليفة العباسي. ولما شعر بقوته، وبإيعاز من رجال دولته، اتخذ لقبا مهما ذا مغزى هو لقب "أمير المسلمين"، وتحاشى لقب "أمير المؤمنين" لأنه كان يرى أن هذا اللقب الأخير من اختصاص الخليفة العباسي. وقد يظن أن المرابطين نزهوا أنفسهم عن لقب الخلافة لشعورهم في قرارة أنفسهم بأنهم بربر أو على الأصح بأنهم ليسوا قرشيين، ولكن الواقع أن سياستهم كانت ترمي إلى المحافظة على الوحدة الإسلامية لا إلى تحطيم هذه الوحدة (إ. حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 1، ص. 185)، خصوصا وأن دعوتهم كانت أقرب بكثير، بمبادئها ومثلها، إلى الدعوة العباسية وإلى السنة والجماعة من الدعوة الفاطمية والحركة الشيعية. ولم يكن في نية المرابطين وزعيمهم يوسف بن تاشفين قطع علاقتهم بالعباسيين، على العكس فقد لجأ إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله يطلب منه تقليدا يجعل ولايته على المناطق التي سيطر عليها. وقد كان الخليفة عند حسن ظنه به وأرسل له تقليدا شرعيا يعدد فيها الوصايا ويوجهه الوجهة الشرعية في حكم البلاد والرعايا (م. م. حمادة، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية، ص. 68 - 69). وكذلك افتتح علي بن يوسف بن تاشفين عهده بأن

أرسل إلى الخليفة العباسي المستظهر بالله (487 - 512) يخبره باستلام إمرة المسلمين ويجدد ولائه له ويطلب تقليدا، وكان الخليفة عند حسن الظن به فبعث له تقليدا مختصرا جعل ولايته شرعية، وقد سلك الأمراء من بعده نفس السياسة.

أما في عهد الموحدين فقد أصاب العلاقات بين بغداد فتورا كبيرا بل قطيعة تامة تمثلت في استقلال المغرب نهائيا سياسيا وروحيا عن الخلافة العباسية عندما اتخذ العاهل الموحدي الأول عبد المومن بن علي الكومي (524 - 558 / 1130 - 1163) لقب "أمير المؤمنين" وأصدر الأمر بالاكتفاء، عند دعاء المنابر، بذكر الخلافة الموحدية. وقد انتهز الموحدون للإقدام على هذا الإجراء والإعلام عنه ما وصلت إليه خلافة الشرق من ضعف وتضعضع شأنها في ذلك شأن الخلافة الفاطمية بمصر. وكما فعل العباسيون في بداية دولتهم من تسمية رؤسائهم بالأئمة، وكذا الفاطميون في نشأتهم بإفريقية، سلك الموحدون نفس الطريقة في أيام المهدي بن تومرت الذي تلقب بالإمام وترك لقب أمير المؤمنين لخلفه عبد المومن. واستمر ملوك الموحدين يتخذون اللقب نفسه إلى نهاية دولتهم.

ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، بيروت، لبنان، 1987، ج 5 ؛ ابن الطقطقا، *الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية*، بيروت، د.ت ؛ السيوطي، *تاريخ الخلفاء*، تح. م. محيي الدين عبد الحميد، بيروت، 1988 ؛ ع. الدوري، *العصر العباسي الأول : دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي*، دار الطليعة، بيروت، 1988 ؛ م. م. حمادة، *الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية 64 - 897 / 683 - 1492 : دراسة ونصوص*، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980 ؛ أ. م. العبادي، *في التاريخ العباسي والأندلسي*، بيروت، 1972 ؛ و. ع. الجميلي، *دراسات في تاريخ الخلافة العباسية*، الرباط، 1984 ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، الدار البيضاء، 1965، ج 1 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، مطابع فضالة، المحمدية، 1987 ؛ م. إسماعيل، *الأغالبة (184 - 296) سياستهم الخارجية*، فاس، 1978.

عبد المجيد بهيني

**أولاد عَبّو** (المركز)، يقع مركز أولاد عبو في الجنوب الغربي من الشاوية السفلى داخل منطقة يحل فيها محل سهل برشيد مجال الضايات. ويرجع تشكل الضايات في هذا الجزء من السهل لصعوبة تصريف المياه السطحية بسبب انتصاف الكثبان الرملية المتماسكة في اتجاه البحر وبروز كتلة من القاعدة القديمة على مشارف نهر أم الربيع. وبذلك تطور مركز أولاد عبو بين مجالات متباينة طبيعيا ومتنوعة الموارد الفلاحية.

يحمل هذا المركز اسم أحد فروع قبيلة أولاد سعيد المستقرة بالجنوب الغربي للشاوية العليا. وبحكم استقرار هذا الفرع منها بالشاوية السفلى فقد تم ربطها إداريا، منذ عهد الاستعمار بدائرة برشيد، على عكس أغلبية مكونات القبيلة التي ظلت دائما تابعة لمدينة سطات.

وترجع نواة هذا المركز لعهد الاستعمار الذي نشأت بإيعاز منه تحت اسم Foucauld في إطار الاستعمار الفلاحي خلال العقد الثاني من الحماية واشتهر لدى السكان كسوق أسبوعي (جمعة فوكو). وظل طيلة ما تبقى من عهد الاستعمار عبارة عن تجمع تجاري صغير مرتبط بدوره كسوق أسبوعي وكمحطة طرقية في ملتقى محاور طرقية متعددة.

رغم اتخاذه من الاستعمار كمركز للاستعمار الفلاحي بالمنطقة التي جلبت العديد من المعمرين الذين تعاطوا لزراعة الكروم والحبوب وتربية الماشية (الأبقار)، فإنه لم يجلب أعدادا مهمة من السكان بحيث لم يتجاوز عدد سكانه 176 سنة 1931 وذلك لتشتت المعمرين داخل المجالات الفلاحية المحيطة به. ولم يحص كمركز حضري إلا سنة 1971 عندما بلغ حجمه الديموغرافي 3221 نسمة. ولم يعرف تطورا ملحوظا إلا خلال عقد الثمانينيات عندما انتقل عدد سكانه من 3374 نسمة سنة 1982 إلى 10019 نسمة سنة 1994.

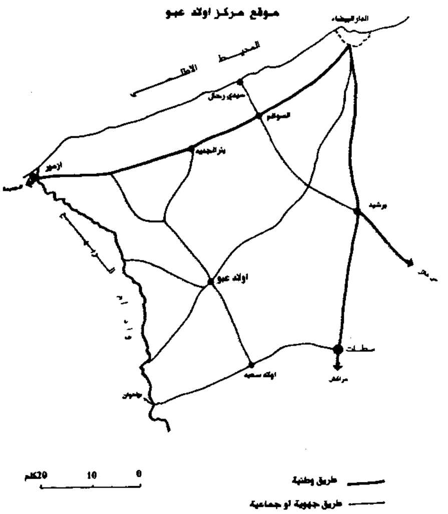


يعتبر مركز أولاد عبو اليوم من بين بلديات إقليم سطات المتميزة بقلة روابطها بباقي مكونات الشبكة الحضرية للإقليم. وتستمد ديناميتها من محيطها الفلاحي كمركز تجاري وكمحطة طرقية. يستمر مركز أولاد عبو في الارتكاز في نشاطه التجاري على وظيفته كسوق أسبوعي يحتل الرتبة الرابعة من بين 35 سوقا بالإقليم (بعدإثنين برشيد، وإثنين بن أحمد، واحد البروج) وكتجمع كبيرللتجارة القارة وللخدمات. ويشكل بذلك التجمع التجاري الوحيد بالجزء الجنوبي الغربي للشاوية السفلى. وترجع أهميته كمحطة طرقية إلى تعدد المحاور الطرقية التي تلتقي به : محور الدار البيضاء الذي تتفرع عنه طريقا برشيد والسوالم، ومحور دكالة الذي تتفرع عنه طريق سد سيدي سعيد بن معاشو وطريق سد الدورات وطريق بولعوان، ومحور سطات عبر أولاد سعيد، ومحور البئر الجديد وأزمور.

هكذا يشكل مركز أولاد عبو تجمعا حضريا صاعدا داخل

محيط فلاحي متنوع الموارد، وتجمعا تجاريا فريدا داخل الجزء الجنوبي الغربي من الشاوية السفلى، ومحطة طرقية نشيطة بين الشاوية السفلى والعليا وبينهما وبين دكالة وبين هذين الإقليمين والدار البيضاء. أي أن الأمر يتعلق بمركز عاقته عزلته لمدة طويلة وقد بدأ يستفيد منها اليوم ليفرض نفسه داخل نطاقات فلاحية غنية ومتباينة. لكن هذه الاستفادة لا يمكن الاعتماد عليها كثيرا بحكم عدم اندماج هذا المركز في الحزام الحضري والصناعي الذي يتشكل على طول حدود الدار البيضاء الكبرى.

*تحريات ميدانية.*

المصطفى شويكي

ابن العبد، **محمد** بن **إبراهيم**، ولد بدوار أهل بكريم بأسكا بأيت باعمران سنة 1920، وكان قبل انخراطه في صفوف جيش التحرير يعمل بالفلاحة بقريته إلى أن سمع بنداء الوطن حيث سارع إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير دفاعا عن مقدسات الوطن. وفي سنة 1957 شارك في معركة أسكا بأيت باعمران حيث لبى نداء ربه في نفس السنة. وهو دفين مقبرة سيدي محمد ابن عبد الله بنفس المنطقة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514541.

ابن **عبد الجبار**، **إبراهيم** بن **عبد الجبار** بن أحمد بن موسى البرزوزي الورتدغيري الفجيجي، الابن البكر للإمام العلامة عبد الجبار. ولد في قصر المعيز بالواحة الفجيجية حوالي عام 860، درس على والده، وأخذ عن عدد من علماء فجيج الآخرين في وقته كالعلامة محمد بن محمد الونشريسي وابنه سليمان في الزاوية الونشريسية بقصر الحمام وعن العلامة القاضي عبد الحق بن محمد بالزاوية الكبيرة بقصر بني سكون وعن غيرهم. وسافر بعد ذلك إلى مدينة فاس، فدرس بجامع القرويين على علمائها كابن الحسن الصغير وابن غازي وأحمد الونشريسي، وانتقل إلى تلمسان ولقي بهما شيوخا أجلة كالإمام محمد بن يوسف السنوسي وابن مرزوق والعقباني والتنسي، ثم رحل إلى المشرق للحج وزيارة الحرمين الشريفين، فأخذ في طريقه عن الإمام جلال الدين السيوطي والبساطي وابن النجار الحنفي بمصر، وبالمدينة المنورة عن السخاوي والاشموني وابن إسحاق إبراهيم اللقاني صاحب جوهرة *التوحيد* وله عن الجميع إجازات يشهدون فيها بغزارة علمه وتنوع معارفه.

تولى القضاء بفجيج ونواحيه، علاوة عن مهام التدريس والإفتاء. وكان يشد الرحال في شهر رمضان من كل سنة إلى تلمسان للتدريس بها والاجتماع بعلمائها وقد لقبه بها الوادي آشي وأخذ عنه، حسبما سجله في تبته. وكان مولوعا بالخروج إلى البراري للقنص بواسطة الصقر في وقت فراغه للترويح عن النفس فعيره بعض الغوغاء في ذلك، فنظم فيهم قصيدة عينية من 214 بيتا مطلعها :

| | |
|---|---|
| يلومونني في الصيد والصيد جامع | لأشياء للانسان فيها منافع |
| فأولها كسب الحلال أتت به | نصوص كتاب الله وهي قواطع |
| فصحة جسم ثم صحة ناظر | وأحكام إجراء السوابق رابع |
| وبعد عن الأرذال مع صون همة | واغلاق باب القيل والقال سابع |

وقد اشتهرت هذه القصيدة شهرة كبيرة ورد ذكرها ضمن العديد من التراجم والتصانيف والكنانيش، سواء لمن عاصر المترجم له أو من جاؤوا بعده، وتتوزع نسخ من مخطوطة السلوانية في عدة خزائن بالمغرب والجزائر وأوربا. وترجمت إلى الفرنسية ونشرت بمعهد الدراسات الشرقية بكلية الآداب بالجزائر عام 1959، بعناية نور الدين عبد القادر وهنري جاهيه.

وللمترجمنا إبراهيم كذلك أرجوزة في العقائد والتربية "ضمنه عيون الفقه ونوادر المسائل" حسب قول ابن القاضي في *الجذوة* سماها : "مفيدة الولدان" مكونة من 817 بيتا أتم نظمها في العاشر من شعبان عام 908 حسبما ورد في خاتمتها.

واضطر العلامة إبراهيم بن عبد الجبار للهجرة إلى السودان والرحيل عن بلاد فجيج بصفة نهائية بعد اغتيال شيخه القاضي عبد الحق بن محمد السكوني من أحد سفهاء البلد لم يتقبل فتوى شرعية أصدرها القاضي المذكور ضده، وقد حزّ هذا العمل الشنيع في صدر إبراهيم فألف قصيدة بليغة يهجو فيها القاتل ويرثي بها شيخه في آن معا ومطلعها :

| | |
|---|---|
| تغيرت البلاد واحلولك الليل | وشب ضرام الشر وانهمر السيل |
| وآن الرحيل من بلاد تآمرت | بها المفسدون واستمر بها الهول |
| أتسكن أرضا ليس ينهى سفيهها | ولا يتقي فيها قصاص ولا عدل |
| فتكتم بعبد الحق لادر دركم | على قوله للحق وهو لها أهل |

هاجر إلى السودان مع بعض أهله حوالي عام 920، ومر بتوات وأقام بها بعض الوقت فعيّر على أهلها تعظيمهم لليهود والتودد إليهم مقابل أغراض مادية، ثم تابع سفره إلى أن استقر به المقام بمدينة جني بمملكة برنو، وبها استأنف نشاطه في نشر العلم ومهام الإفتاء مع العمل على كسب المعاش، لمدة تزيد عن ثلاثين عاما توفي بعدها حوالي عام 954، وأقيم له ضريح يزار بهذه البلدة. ولإبراهيم مؤلفات أخرى عدا المذكورة منها : *قواعد الإسلام*، *وإعراب القرآن* في خمسة أجزاء وشرح *دلائل الخيرات* ومنظومة في أنساب الشرفاء الودغيريين القاطنين بفجيج وخارجه في ما يزيد عن 160 بيتا.

م. الودغيري، *حياة الرحالين إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي وابن أخيه بلقاسم بن عبد الجبار*، مجلة *دعوة الحق*، عدد 2، دجنبر 1967 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، منشورات دار المغرب، ج. 2، 1978 ؛ م. الشفشاوني، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. محمد حجي، دار النشر للتأليف والترجمة، 1976 ؛ أبو القاسم بن محمد بن عبد الجبار، *الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد*،

مخطوط ضمن مجموع خ. ع. الرباط، رقم 1598 ك ؛ ع. زمامة، *الفجيجيون*، مجلة *البحث العلمي*، عدد 20 ـ 21، يونيو 1973 ؛ بن علي محمد بن بوزيان، *خزانة بني عبد الجبار بفجيج*، دار العدة، مجلة *دعوة الحق*، عدد 248 ماي 1985.

ابن **عبد الجبار**، أبو **القاسم** بن **محمد** بن عبد الجبار بن أحمد بن موسى البرزوزي الفگيگي. تتلمذ على يد والده أبي عبد الله محمد بن عبد الجبار، أخذ عنه علم الحديث ورواياته ورحل إلى فاس ومراكش والزاوية الناصرية بتمكروت وإلى تلمسان والمشرق العربي. وأخذ عن علماء القيروان والاسكندرية والأزهر بالقاهرة والقدس ومكة المكرمة والمدينة المنورة فأجازوه وأجازهم على طريقة التدبيج عند المحدثين، ولذلك اشتهر اسمه بين علماء وقته وورد ذكره في العدي من الفهارس وكتب التراجم.

اشتغل بالتدريس وبخطتي القضاء والفتيا ببلده فجيج وحضر مجالسه العلمية بها أحمد بن أبي محلي الثائر الشهير على السعديين، حيث ختم على يديه صحيح البخاري وأجازه عنه، كما ورد ذلك في مؤلفات أبي محلي كالإصليت، ومنجنيق الصخور وغيرهما.

بيد أنه لم يقتصر عليها بل سافر إلى فاس وكان له مجلس علمي بالقرويين كلما حل بها. وممن أخذ عنه الإمام القصار والشيخ عبد الواحد بن علي بن عاشر ناظم المرشد حسبما ذكره أحمد ميارة في شرحه الكبير على نظم المرشد عند كلامه على معاني : "لا إله إلا الله" بقوله : "وهذا المعنى هو الذي عقد شيخ شيوخنا الإمام الشهير الحافظ الكبير الولي الصالح الحاج الرحال سيدي أبو القاسم بن الإمام الحافظ الأثير القاضي سيدي عبد الجبار بن أحمد بن موسى البرزوزي الفجيجي رحمه الله".

وكان يرحل من حين لآخر إلى تلمسان للتدريس بها بدعوة من أهلها إلى أن صار في نظر حكام الأتراك بتلمسان آنذاك من عداد العلماء الجزائريين البالغين درجة النبوغ في العلم.

امتاز أبو القاسم بالتواضع والزهد والشجاعة وركوب الخيل ولا أدل على ذلك من مشاركته على رأس المجاهدين الفجيجيين في معركة وادي المخازن.

وللعلامة أبي القاسم عدة مؤلفات منها *الحاوي المنوط بالفتاوي* يعتبر الآن في حكم المفقود، وقد ضم العديد من النوازل الفقهية، و*نظم اللآلئ الحسان لمختصر خليل* في نحو 8500 بيت (خ. الحسنية) و*نظم السنوسية الصغرى*. على أن أهم مؤلفاته هو *الفريد في تقييد الشريد وتوحيد الوبيد* وهو شرح لقصيدة السلوانية التي نظمها عمه العلامة إبراهيم بن عبد الجبار، وقد أتم تأليفه ذاك في عشية الإثنين سادس عشر ذي الحجة عام 986، وهو شرح غني باللغة والبيان استهله بالحديث عن عمه إبراهيم وسبب هجرته وبأحوال بلاد فجيج. توفي أبو القاسم عام 1021 بعد عمر مديد يزيد عن المائة سنة ودفن بجوار والده محمد بن عبد الجبار بالضريح الذي أقيم له داخل المسجد الجامع بقصر المعيز بفجيج.

م. الودغيري، *حياة الرحالين إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي وابن أخيه بلقاسم بن عبد الجبار*، مجلة *دعوة الحق*، عدد 2، دجنبر 1967 ؛ ابن أبي محلي، *الإصليت الخريت*، منجنيق الصخور (مخطوطتان) ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، منشرات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، ج. 2، 1978 ؛ بن علي محمد بن بوزيان، *خزانة بني عبد الجبار بفجيج*، دار العدة، مجلة *دعوة الحق*، عدد 248، ماي 1985.

ابن **عبد الجبار**، **محمد** بن **عبد الجبار** بن أحمد ابن موسى البرزوزي الفجيجي، ينعته ابن عسكر في الدوحة بالفقيه العارف الأديب والفاضل النزيه، وقد نسب إليه قصيدة *روضة السلونية* خطأ.

درس على والده الإمام عبد الجبار، وأخذ عن علماء فجيج الآخرين في زواياهم العلمية إسوة بأخيه إبراهيم وأخيهما الأصغر أحمد بن عبد الجبار (ت. 970)، وتنقل بين فاس وتلمسان فأخذ عن علمائها المشهورين مثل ابن غازي وابن مرزوق الضرير وأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي صاحب *المعيار المعرب* كما ورد في ثبت الوادي آشي.

كان عالما زاهدا ورعا شأن العلماء المتصوفين، متضلعا في علوم الحديث وروايته معتنيا بالسند ومسلسلاته، وقد كرس حياته في تدريس هذا العلم بزاويتهم بقصر المعيز بفجيج إلى أن توفي في عام 956 حسبما ذهب إليه اعتقاد بعضهم استنادا على عقد حبسه الأثري، مع أن العقد يثبت زمن تحريره في أواسط رمضان عام 956 وليس تاريخ وفاة مترجمنا. ويبتدئ العقد بما يلي : "حبّس الشيخ العالم العلم الصدر الولي المرحوم سيدي محمد بن عبد الجبار جميع أملاكه..." وعلى هذا يكون العلامة محمد بن عبد الجبار قد فارق الحياة قبل تاريخ كتابة العقد المذكور.

وقد أصبح هذا الحبس الذي وضعه محمد بن عبد الجبار ـ لأجل درء الفتن والنزاعات الثائرة آنذاك بين العصب والعائلات حول توزيع الإرث ـ نموذجا تنسخ على منواله عقود الاحباس العائلية الفجيجية والي تسقط حق الإناث من الإرث إن استغنين بزوج أو ولد، حفظا للأملاك العائلية من التشتت والضياع خارج العصبة وذوي الفروض.

م. الشفشاوني، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. محمد حجي، دار النشر للتأليف والترجمة، 1976 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، منشورات دار الغرب للتأليف والترجمة، ج. 2، 1978 ؛ وثيقة الحبس الأثري الفجيجي، وثيقة في ملكية صاحبها ؛ العربي الهلالي، *فجيج تاريخ وثائق ومعالم*، المسجد العتيق والصومعة الحجرية بفجيج، المطابع المغربية والدولية، طنجة، 1981.

أحمد مزيان

ابن **عبد الجليل** بفاس، أسرة شامية أندلسية الأصل

فاسية القرار والدار عربية النجار شامية الأصول، لا تزال لحد الساعة أماكن بسوريا وعلي الأخص بجبال الجولان تعرف بقرى آل عبد الجليل.

واستناداً على ما توفر من نصوص متفرقة في بطون كتب الأنساب والطبقات نستطيع أن نقول إن الأصول الأولى وصلت مع القبائل العربية التي استقرت بالمغرب العربي الكبير على طول الطرق التجارية التي ربطته بالمشرق إذ نجد "آل" ابن عبد الجليل في كل من سوريا ومصر والقاهرة والإسماعيلية على الخصوص كما نجدهم ببرقة وطرابلس الغرب وابن غازي ونجدهم أيضاً بسوسة والقيروان وتونس العاصمة ونجدهم أيضا بالجزائر منتشرين في التخوم الصحراوية أو مستقرين ببعض المدن التي عرفت هجرات متتالية كتلمسان حيث لقبت جماعة منهم بابن عبد الجليل التنسي نسبة إلى قرية تنس من أعمال تلمسان، وقد استقروا بها مدة ومنهم صاحب "البستان".

وتسعفنا شجرات أنساب رجراجة وشجرات السباعيين الأدارسة انطلاقا من موطن أصلهم بالساقية الحمراء حيث عرفت تلك القبيلة بأبناء أبي سباع ليعرفوا فيما بعد عند حلولهم بفاس بالسباعي، تسعفنا هاته الأصول كما تسعفنا المصادر العربية التي اهتمت بتراجم الرجال، ككتب التادلي والكرخي واليوسي وغيرهم بالعثور على إشارات تنم عن استقرار الأسرة بالجنوب على عهد اللمتونيين "المرابطين"، من ذلك ما نقل غير ما مرة صاحب كتاب *"السيف المسلول"* في غير ما موضع عند ترجمته لسيدي مكدول "مجدول بن عبد الجليل" من ذلك : "إن سيدي مكدول فقيه له القدم الراسخ في الجهاد وهو المقدم فيه لدى ملوك لمتونة وقد جاهد في بلاد السودان ..." والدارس لتاريخ المرابطين يدرك أن سياستهم اتسمت بالانتشار تارة نحو الجنوب وتارة نحو الشمال، فاستقر الفوج الأول من أسرة ابن عبد الجليل بمناطق جبالة ونزحوا منها إلى الحواضر كحاضرة الشاون حيث مازالت أسرة ابن عبد الجليل تحظى بالاحترام، وما بين أيديهم من ظهائر سلطانية يعود أقدمها إلى العصر المريني يؤكد ذلك، توجب هاته الظهائر التوقير والاحترام والإعفاء من الخدمات وغيرها "لأن الشريف لا يخدم الشريف". وقد نص كتاب *السيف المسلول* في تراجم رجاله أن بعض أفراد أسرة ابن عبد الجليل كانوا يحظون باحترام وتوقير أبي الحسن المريني بفاس أو بغيرها من الثغور الشمالية.

وأستطيع القول إن بعض هؤلاء هاجروا إلى الأندلس واستقروا مع من استقر بالعدوة سيما بإشبيلية حيث ظلوا هناك في خدمة أمرائها حتى غرب المعتمد بن عباد إلى أغمات فانتقل معه وزيره حمدون بن عبد الجليل، ومن أغمات انتقلوا إلى مراكش حيث استقروا، ومنها تفرقوا بالبلاد فسارت شريحة منهم جنوبا حتى سجلماسة واستقروا بها، وظهر فيهم العلماء ومن جملتهم شارح العمل الفاسي الذي يلقب بابن عبد الجليل السجلماسي.

ويبدو أن هجرات متتالية اتخذت من طريق القوافل مستقراً لها. إذ نجد "آل" ابن عبد الجليل في الراشدية في قصور بني امحمد كما تشير بعض الرسوم إلى أنهم عرفوا وقت ذاك بأبناء الإمام وتشير وثيقة إسماعيلية اهتمت بتقسيم ماء وادي زيز إلى ذلك حيث تقول : "وحضر ضمن المتصالحين أبناء ابن عبد الجليل الذين يعرفون بأولاد الإمام".

ولاشك أن الإمام مقصود به إدريس الثاني. ومن الراشدية انتشر بعضهم ميمنا الشمال حتى وصل إلى مدينة تازة وهم قلة اليوم بها كما وصل بعضهم مدينة فاس وإن كانت المصادر لا تسعفنا بتاريخ دخولهم إلى المدينة واستقرارهم بها. لكن المرجح عند كثير ممن اهتم بالأسر بالمدينة أن وجودهم يضرب في جذور التاريخ بما لا يقل عن خمسة قرون إذ استوطنوا أقدم الحارات الإدريسية وظلوا في خدمة ملوك هذه الحضرة حيث اشتغلوا في خدمة الخطط لاسيما خطط أحباس القرويين (الحوالة السليمانية).

ولقد ذكر غير واحد من النسابين والمؤرخين أن بيت ابن عبد الجليل له اتصال بالنسب الشريف (انظر على سبيل المثال مصابيح البشرية لمولاي أحمد الشباني الإدريسي وانظر كذلك مخطوط : طبقات أشراف فاس لعبد لكريم بن هاشم الكتاني) ولقد نصت شجرة الكتانيين بفرعيها : الحلبي والطيبي على صحة نسب ابن عبد الجليل.

وتوجد بحوزتنا صورة شمسية لشجرة إدريسية قديمة كتبت بخط بدوي مغربي قديم تنص على صحة النسب. ولعل صاحب *"اللسان المعرب"* الأعرب السليماني نص على ذلك صراحة عند ذكره لبيوتات فاس إذ قال : "... ثم بيت الجليليين أبناء سيدي عبد الجليل دفين بلاد بني عاقر بيت رئاسة وجلال وفخامة وكمال نسبهم الطاهر الإدريسي مرجح وعمودهم إليه ثابت صحيح".

وقد تواتر داخل الأسرة ما سمعنا جيلا بعد جيل من أن أحد جدودنا هو سيدي مكدول السابق الذكر دفين الشاطئ بالصويرة "مول سبع درابز" قد اختلف فيه عند عمداء العائلة فمن قائل إنه إنجليزي عرف بماكدولان كانت سفينته قد غرقت قرب شاطئ الصويرة وحرف اسمه إلى ماكدول ونجد إشارات لهذه الواقعة في المصادر الغميسة لتاريخ المغرب لا سيما الجزء الإنجليزي، ولكنها لا تنص على أن مكدولان اعتنق الإسلام وحسنت سيرته حتى استحق من سكان الصويرة والقبائل المجاورة بناء قبة عليه. وبعد التحري في هاته النازلة التاريخية وجدنا أن سيدي مكدول ما هو إلا تحريف بسيط لكلمة مجدول، ومعلوم أن العامة بالمغرب تلقب كل ساع في الخير عامل عليه مساعد فيه "بمجدول الحرير" فلا غرابة إذن أن يلقب هذا الشريف بمجدول وينسى اسمه ولقبه ولم يذكر إلا بمكدول.

ولقد مكنتنا شجرة أنساب أبناء بني سباع الإدريسيين من تتبع نسبه فوجدنا أنه إدريسي النسب كما وجدنا من ينسبه إلى رجراجة. وبالعودة إلى كتب رجراجة استطعنا أن

نتتبع تاريخ الرجل إذ لأبنائه وحفدته امتداد جلي في السوس الأقصى.

ووجود أحد الجدود بالصويرة مكننا من تتبع ذريته فوجدنا أن أحدهم سكن بتايناست على بعد من ورزازات. وقد ترجم له صاحب *العيون اليواقظ* ونص على أن ركراكة يعقدون أعلامهم ويبيتون بزاويته ثلاثة أيام متتالية قبل أن يلتحقوا بزاوية جدهم "أحمد وموسى" وقد أشار ميشو بلير إلى ذلك عند حديثه عن رجال مراكش السبعة "سبعة رجال".

والظاهر أن عائلة ابن عبد الجليل كانت أصولها متفرقة داخل المغرب كله رغم أنهم ينتمون لأصل واحد، ومع ذلك فقد ظهرت في العائلة بعض المظاهر الجينيتيكية من اختلاف في لون البشرة وزرقة العيون وشقرة الشعر إلى غير ذلك، مما يجعلنا نظن أن العائلة تنقسم إلى فرعين وقد اعتمد سكان فاس لا سيما أهالي حومة العيون وزنقة الرطل على التفريق بين العائلتين المتصلتين المتجاورتين فنصوا على أن يلقب سكان الدار الفوقية بأولاد ابن عبد الجليل البويض ومنهم الحاج عمر والحاج محمد الذي تمسح سنة 1936 وطرد من العائلة والحاج قاسم وأبناء عمهم كما نصوا على أن يلقب سكان الدار التحتية بأولاد ابن عبد الجليل السمر وهو حفدة أبناء المرحوم الأمين أحمد بن عبد الجليل، وربما تجعلنا هاته التفرقة نطمئن إلى التقسيم الذي ميز بين أبناء العمومة أي العظمين الأساسيين المكونين لآل ابن عبد الجليل تمييزاً جينياً محضاً. ومع هذا فإننا نجد لدى كبار عائلة ابن عبد الجليل أصحاب الدار التحتية من لقب عائلة المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل بالتلمسانيين نسبة إلى أصولهم، بينما لقب أهل الدار التحتية "بالمرابطين" نسبة إلى جدهم المرابط سيدي مكدول ومع هذا نجد أبناء عمنا الأشقاء لا سيما الذين استقروا بمكناس تحمل ذريتهم لحد الساعة نفس الجينات.


م. بوزيان، *أعلام الفكر والأدب من العصرين المريني والعلوي*، مط. الجسور - وجدة ؛ *بيوتات العلم والأدب بفجيج* - مط. الجسور، وجدة، 2002، ص. 133 - 135 ؛ *واحة فكيك*، مط. دار النجاح الجديدة، ط. 1، 1978 ؛ القادري، ابن الطيب، *الدر السني على من بفاس من النسب الحسني*، ط. ح بفاس، دون تاريخ ؛ إ. الشباني مولاي أحمد، *مصابيح البشرية في أبناء البرية*، ط. دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987 ؛ مجهول، *بهجة الأبصار في جميع من وقفت على تحقيق نسبه من آل البيت المختار*، مخ. ضمن مجموع، في خ ع، 12565، الرباط ؛ *الدر النير في شرفاء الوداغير*، مخ خ ع، 12565، الرباط ؛ *العيون اليواقظ*، أبناء بني السباع بساقية العيون الحمراء.

Michaux Bellaire, *Les sept patrons de Marrakech*. Hesp., 1934.


محمد بن عبد الجليل

**ابن عبد الجليل**، ينتمي آل ابن عبد الجليل بمكناس إلى أسرة فاسية عريقة تناسلت بعدوة القرويين، وتفرقت فروعها في أحياء متعددة كحومة سيدي أحمد بن يحيى من عدوة اللمطيين وحومة العيون.

وترجع البدايات الأولى لنزوح هؤلاء إلى مكناس إلى منتصف العشرينيات من القرن العشرين. وتتشكل المجموعة النازحة من فرقتين، رب أولاهما هو محمد بن الحاج المكي بن العربي بن الحاج عبد السلام بن محمد بن إدريس ابن عبد الجليل. وقد توفي بفاس في شعبان 1330 موافق يوليوز 1912.

أما الفرقة الثانية فربها هو عبد القادر الملقب (باقاضي) بن أحمد بن المكي ابن عبد الجليل.

تتكون فرقة السيد محمد بن المكي من ثمانية إخوة أشقاء فيهم من الذكور الحاج حميد والسيد محمد والحاج العربي والسيد العباس. وقد تم انتقال هؤلاء إلى مكناس في ثلاث فترات متقاربة تمتد بين 1927 و1937.

الفترة الأولى : سجلت نزوح الحاج حميد وبرفقته الأخوات الثلاث. وتفيد وثيقة إراثة للدار الكائنة بزنقة القلموني (القرموني) في معرفة تاريخ هذا النزوح وهو 8 صفر 1345 موافق 7 يبراير 1927.

وقد اشتغل الحاج حميد بالتجارة منذ حلوله بمكناس، وأصبح من أثرياء هذه المدينة، وشكلت مصانعه أوراشا لتشغيل عدد كبير من الصناع ومحترفي المهن التقليدية كالنجارة ونقش الخشب وتطريز الجلود. وقد عين رئيسا للغرفة التجارية، وظل يشغل هذه المهمة حتى إعلان الاستقلال.

وقد خلف الحاج حميد أحد عشر شقيقا، فيهم من الذكور محمد وأحمد وعبد الرحيم وعبد الكريم وعبد العلي. سائرهم امتهن التجارة باستثناء عبد الرحيم الذي أحرز الإجازة في الحقوق بفرنسا وزاول مهنة المحاماة بالدار البيضاء، وانتخب نقيبا لهيئة الدفاع لفترة معينة بهذه المدينة، ثم عين وزيراً للوظيفة العمومية في الحكومة الثامنة عشرة برئاسة محمد كريم العمراني من 11 أبريل 1985 إلى 11 غشت 1992، ثم عين سفيراً للمغرب في الصين الشعبية. وهو الآن منقطع للمحاماة بالدار البيضاء.

الفترة الثانية : عرفت هذه الفترة انتقال الأخوين الحاج العربي والعباس إلى مكناس. ونقف ضمن وثائق هذه الفترة على عقد عدلي يقضي باكتراء الحاج العربي منزلا في درب ستي هنو ابتداء من يوم 8 شوال 1348 موافق دجنبر 1929.

وقد اشتغل الأخوان بالتجارة فور إقامتهما بمكناس، وبعد وفاة العباس عام 1943 استمر العربي في التجارة يساعده كبير أبنائه.

خلف العباس سبعة أولاد فيهم من الذكور محمد وفيصل وفؤاد وعز الدين. وقد أنهى محمد دراسته الجامعية بحصوله على الإجازة في الحقوق، ثم التحق بالمدرسة الإدارية المغربية، وعين بعد تخرجه منها موظفا بوزارة المالية وارتقى إلى درجة مفتش قبل إحالته على التقاعد عام 1993.

الفترة الثالثة : سجلت هذه الفترة انتقال محمد بن محمد ابن عبد الجليل إلى مكناس في شعبان 1365 / نونبر 1937.

وكان تاجرا، ففتح دكان بقالة جوار الباب الشمالي للمسجد الأعظم. وقد خلف من الذكور ستة هم الحاج محمد والحاج المكي والحاج عبد الحق والحاج أحمد وعبد الرزاق وعبد المومن الذي أنهى دراسته الجامعية في فرنسا بنيل دبلوم مهندس معماري.

نعود إلى الفرقة الثانية التي كان على رأسها عبد القادر المدعو (بالقاضي)، فنجد أن هذه الأسرة انتقلت إلى مكناس عام 1935 غير أن إقامتها لم تطل بهذه المدينة، إذ سرعان ما تحول أفرادها بعد وفاة والدهم عام 1944 إلى الرباط. وقد خلف عبد القادر ستة أبناء فيهم من الذكور أحمد والوطني المكافح الحاج عبد السلام الذي أدار بالرباط عدة مؤسسات تعليمية كان آخرها ثانوية الأميرة عائشة، والمربي المحنك محمد الذي اشتغل أستاذا، ثم مفتشا بوزارة الشبيبة والرياضة، ثم ناظرا للأحباس بفاس قبل أن يوافيه أجله عام 1985 وعبد اللطيف الذي حاز في فرنسا إجازة في الصيدلة ثم الدكتوراه في العلوم ليلتحق بجامعة محمد الخامس أستاذا ثم عميدا ثم ليعين وزيرا للتعليم العالي في الحكومة الثالثة عشرة من أبريل 1975 إلى أكتوبر 1977 برئاسة أحمد عصمان، إضافة إلى مهام أخرى من بينها عضوية أكاديمية المملكة المغربية.

ومجمل القول فقد سجلت سنوات العقدين الرابع والخامس من القرن العشرين الفترة الحافلة بتوافر أبناء أسرة ابن عبد الجليل بمكناس، وابتداء من أواخر الخمسينيات بدأ عدد هؤلاء في الانحسار والتناقص بفعل انتقال أغلبهم إلى الرباط والدار البيضاء.

ابن **عبد الجليل، إدريس** بن العربي بن عبد السلام الفاسي. يوافينا صاحب *الإتحاف* ببعض الأخبار عنه تدل على مكانته في السلك المخزني على عهد السلطان مولاي عبد العزيز. ويتصدر هذه الأخبار ولايته منصب خليفة لباشا مدينة فاس وتوليته أمينا للمستفاد مكلفا بقبض مكوس الأبواب والأسواق وما أشبهها.

وكان أحد أعضاء الوفد الذي بعثه أحمد بن موسى وزير المولى عبد العزيز إلى طرفاية أواخر عام 1312 / 1894 من أجل التفاوض مع الحامية الإنجليزية بخصوص استرجاع الموقع الذي أحدثه الجيش البريطاني - افتياتا - في عرض مرسى طرفاية، وذلك مقابل مبلغ مالي كتعويض عن كلفة البناء. وبعد انتهاء هذه المهمة توجه أعضاء الوفد - وضمنهم المترجم - إلى محلة ذي النبط بالساقية الحمراء بدعوة من الشيخ ماء العينين، وكان وصولهم يوم ثالث صفر 1313 فأكرم وفادتهم، ووقف فيهم أحد تلامذته هو الأديب إبراهيم بن محمد البواري مادحا بقصيدة جاء فيها :

| | |
|---|---|
| أهلا بهم من خمسة أعــــلام | بل خمسة كقواعد الاســـلام |
| رسل الأمير بن الأمير إمامنا | عبد العزيز بن العزيز الإمام |
| هم خنصر مع بنصر وسطاهم | سبابـــة كبـــراهـــم الإبهـــام |

وكانت مبارحتهم لمحل الشيخ ماء العينين 17 صفر 1313 /1895.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 1، ص. 380 ـ 386 ؛ *العز والصولة*، ج. 1، ص. 397.

ابن **عبد الجليل، العربي** (الحاج -)، ولد الحاج العربي بن محمد بن الحاج المكي بن العربي بن الحاج عبد السلام ابن عبد الجليل بفاس عام 1323 / 1905 بحومة سيدي أحمد ابن يحيى من عدوة اللمطيين.

وقد نشأ في أسرة جمعت بين الاشتغال بالتجارة والعمل بالوظيف المخزني. فقد كان والده تاجرا كما كان أمين الصاير ومفتشا لسجون فاس في العهد العزيزي.

ألحق المترجم بالكتاب صبيا فتلقى مبادئ القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، ثم التحق بإحدى المدارس الحكومية لتعلم اللغة الفرنسية، وكان يرتاد مجالس العلم بالقرويين قبل أن تنتظم به أسلاك التعليم فيرتوي من ينابيع المعارف ويستفيد من دروس اللغة والتفسير والفقه التي كان العلماء يلقونها من أمثال سيدي الحسين العراقي، وسيدي محمد بن عبد الرحمان العراقي والشريف مولاي عبد الله الفضيلي وسيدي العباس بناني، والشريف سيدي محمد بن جعفر الكتاني. ولما تجاوز من العمر العشرين أقبل على تعلم بعض المهن الصناعية فمهر في تسفير الكتب وتوشيتها بالذهب، كما تعلم مبادئ الطباعة الحديثة، ثم فتح معملا صغيرا لنسج الأغطية ومتجرا.

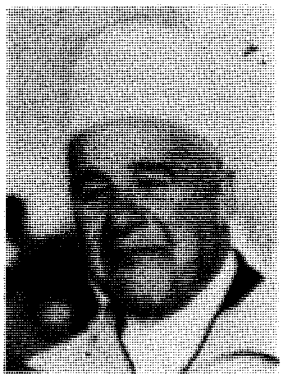

في شوال 1348 / دجنبر 1929 رحل المترجم رفقة أخيه الأصغر العباس إلى مدينة مكناس حيث اشتغلا بالتجارة وأنشآ معملا ضم صناعات النجارة ونقش الخشب والفن الدمشقي والنسيج وتطريز الجلد والتسفير والطرز الفاسي.

وقد جلب المترجم مهرة المعلمين والصناع من فاس وكان ينجز تصاميم المصنوعات الخشبية ورسوم المطروزات الجلدية مجتهدا في ابتكار قوالب وأشكال تتسم بالأصالة والطرافة.

وقد أسهم المعمل الذي أحدثه المترجم في تنشيط قطاع الصناعات التقليدية بمدينة مكناس العتيقة، فتدفقت المصنوعات، وازدهرت حركة تسويقها، وتضاعف الإقبال

على اقتنائها وخاصة في أوساط الأروبيين من ساكنة المدينة الجديدة بحمرية وجنود القاعدة العسكرية المحدثة بها.

وفي مارس 1931 أُوفد المترجم على رأس فريق من الصناع التقليديين إلى باريس للمشاركة في (معرض المستعمرات الفرنسية).

ولم تكن التجارة لتلهي المترجم عن أن ينخرط في العمل الوطني والمغرب يومئذ ما يزال تحت تأثير الظهير البربري، فقد انضم إلى صفوف الحركة القومية، وأصبح بيته ملتقى لرجال هذه الحركة بين الفينة والأخرى كما أنه دفع بأبنائه وأبناء أخويه العباس ومحمد للانخراط في عملية تأسيس (منظمة الكشافة المغربية الإسلامية) في أبريل 1946، فكانوا بذلك من السباقين إلى تحمل مسؤولية قيادة فرقها.

وقد كان للمترجم دور فاعل في أحداث معركة بوفكران في شتنبر 1937، فلقد عبّأ صناعه للمشاركة في المظاهرة التي اكتسحت ساحة الهديم، وكانت تتقدمهم لافتة سهر على إعدادها بنفسه بمعمل النجارة وقد كتب عليها عبارة (الماء ماؤنا تفديه أرواحنا)، وهو الشعار الذي اختاره المكناسيون يومئذ رمزا لاحتجاجهم على تحويل ماء بوفكران عن مجاريه الأولى. وفي ساحة الهديم سقط أول شهيد من شهداء بوفكران فكان أحد صناع المعمل المذكور وأحد حاملي اللافتة الشاب أحمد العمراني.

عندما دبت إلى مكناس حركة التعليم الحر سارع المترجم إلى تحويل أبنائه وبناته الصغار من مدارس التعليم العمومي، فألحق بعضهم بمدرسة النهضة الإسلامية التي افتتحت في نوفمبر من عام 1945، وكان يديرها الوطني الغيور مولاي مصطفى العلوي، وألحق البعض الآخر بالمعهد المحمدي الذي افتتح في نوفمبر 1947، وكان يديره العلامة الوطني سيدي مَحمد العرائشي المتوفى يوم ثالث رمضان 1421، موافق 30 نوفمبر 2000.

رحل المترجم إلى الديار المقدسة مرتين لأداء العمرة ومناسك الحج أولاهما عام 1365 / 1946، والثانية عام 1387 / 1968. وقد حظي بعد أيام من حجته الأولى بزيارة الزعيمين محمد بن الحسن الوزاني وعلال الفاسي في يوم واحد ببيته. وكان ذلك في نطاق زيارتهما لمدينة مكناس بعد إطلاق سراحهما في متم ماي 1946. وقد كان ذلك اليوم مشهودا في حياة المترجم وظل راسخا في ذاكرة أبنائه.

في بداية الخمسينيات وقع الاختيار على المترجم بين تجار المدينة لشغل منصب خليفة للمحتسب يومئذ الحاج أحمد التراب، غير أن سلطات الحماية عمدت إلى إقصائه من هذه المهمة في صيف عام 1953 على إثر نفي ملك البلاد إلى كورسيكا. وفي هذه الفترة عانى المترجم وأبناؤه من مضايقات السلطة الكثير مما انعكس على نشاطه التجاري وأفضى إلى نزوح بعض أبنائه إلى الدار البيضاء بحثا عن العمل.

وبعد استقلال البلاد ولي الحاج العربي خطة الحسبة بمدينة مكناس تقديرا لجهوده الوطنية وكفاءاته المهنية، وكان ذلك بمقتضى ظهير شريف حرر بالرباط في 23 ربيع الثاني عام 1370 موافق 26 أكتوبر 1959.

لقد كان الحاج العربي دؤوبا على مخالطة العلماء والفقهاء، شديد الاحتفاء بهم، كما كان متفتحا على الحياة العصرية. وهو من السباقين في مكناس إلى الدفع ببناته إلى التعلم في المدارس.

وعلى امتداد سبعة عشر عاما قضاها في الحسبة اشتهر رحمه الله بين التجار والصناع بالأمانة والاستقامة والمعرفة الدقيقة لشؤون الحسبة. وكان لا يفتر عن استشارة أمناء الحرف والأخذ برأيهم في المنازعات وعند مراجعة الأسعار، كما كان يقف بالمرصاد لكل من تسول له نفسه من التجار احتكار المواد الغذائية أو التزيد في أسعارها. وإلى ذلك عرف بالعفة والإباء والرأفة بالضعفاء.

خلف المترجم من الأولاد ثمانية فيهم من الذكور محمد وأحمد وعلال وعبد العزيز وجمال الدين. وسائرهم اشتغل في الحقل التجاري باستثناء عبد العزيز الذي انخرط في سلك التعليم أستاذا، ثم مديرا لإحدى الثانويات بمكناس قبل أن يلتحق بوزارة الثقافة عام 1979 حيث شغل منصب مدير للمعهد الوطني للموسيقى ومندوب جهوي للوزارة إلى غاية إحالته على التقاعد.

وقد توفي الحاج العربي بعد مرض ألزمه الفراش بضعة أسابيع، وكان ذلك يوم 3 رمضان 1396 موافق 26 غشت 1976.

*بطاقة خاصة.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **عبد الجليل، عمر** من مواليد فاس سنة 1907، وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي. أما الدراسات العليا، فقد فضلت أسرته أن يتابعها ابتداء من 1924 في مونبيليي بفرنسا حيث كللت مثابرته بالحصول على دبلوم جعل منه أحد أوائل المهندسين الفلاحيين المغاربة. ولما رجع إلى وطنه اختبر معارفه النظرية في بعض الضيعات في منطقة الغرب وفي بنسليمان حيث أظهر بالممارسة الميدانية أن الفلاحة المغربية يجب أن تراهن على العلوم الحديثة والتقنيات العصرية للخروج من زمن الوسائل التقليدية العاجزة عن الاستجابة لحاجات الساكنة المتزايدة.

في سنة 1928 أصيبت أسرة عمر بن عبد الجليل بصدمة نفسية عنيفة عندما أقدم أحد أبنائها، وهو محمد شقيق عمر، على الارتداد عن الإسلام واعتناق المسيحية. لكن عمر تحمل الصدمة وأبان عن رزانة كبيرة في ذلك الظرف الحرج ولم يقطع أواصر الأخوة مع "جان محمد عبد الجليل". ولعل ذلك مما جعل هذا الأخير، وإن ارتد عن دينه الأصلي، لم يغض الطرف عن تطلعات الحركة الوطنية التي كان أخوه أحد روادها الأوائل.

انخرط عمر بن عبد الجليل في المعترك السياسي غداة ظهير 16 ماي 1930 وما خلفه من قلاقل في جهات مختلفة من المغرب. وترجم ذلك أول الأمر بالمساهمة في تحرير المجلة الوطنية "المغرب" Maghreb التي كانت تصدر بالفرنسية في باريس. وكانت مقالاته على صفحاتها تتناول مواضيع من قبيل التنديد بتسلط القواد والباشوات (التازي، البغدادي، الگلاوي...)، والتنبيه للأزمة الاقتصادية التي كان يعاني منها السواد الأعظم من المغاربة، والاحتجاج على ما آلت إليه وضعية الأحباس، وفضح السياسة التعليمية الفرنسية في المغرب. وكان يوقع مساهماته باسمه الصريح أحيانا وبأسماء مستعارة أحيانا أخرى، مثل بوعزة الزموري والخبير والنحلة... وشكلت تجربته الصحفية مناسبة لتوثيق العلاقات مع نخبة من الاشتراكيين الفرنسيين والإسبان الذين لعبوا دوراً لا يستهان به في التعريف بالقضية المغربية لدى الرأي العام الفرنسي والدولي. ولما ظهرت بفاس جريدة L'Action du Peuple (عمل الشعب) جند فيها عمر قلمه للدفاع عن مصالح الفلاحين المغاربة والتنديد باغتصاب أراضيهم لفائدة المعمرين الأوروبيين. وفي متم العام 1934، أعدت كتلة العمل الوطني دفتر "مطالب الشعب المغربي" الذي كان عمر بن عبد الجليل أحد موقعيه العشرة، فكلفه رفاقه بتقديمه - بمعية محمد بن الحسن الوزاني - إلى وزارة الخارجية الفرنسية في فاتح دجنبر من السنة ذاتها نظرا لما كان يتمتع به من احترام وتقدير في بعض الأوساط الفرنسية.

كان عمر بن عبد الجليل من الوطنيين الذين شملتهم حملة القمع الاستعماري في خريف 1937. فكان مصيره المنفى ببلدة "بويزاكارن" في الجنوب المغربي حيث ظل حتى سنة 1941. لكن هذه التجربة المريرة لم تثنه عن مواصلة العمل الوطني. وهكذا نجده في يناير 1944 ضمن الشخصيات التي أمضت وثيقة المطالبة بالاستقلال التي ساهم مساهمة فعالة في تحريرها. ومنذ ذلك الحين عرف وطنيا ودليا كواحد من أبرز مناضلي حزب الاستقلال. وفي 1950 تعرض للاعتقال وسجن للمرة الثانية بعد أن أمضى برقية احتجاج شديدة اللهجة وجهت إلى الإدارة الفرنسية للتنديد بما اقترفه الفرنسيون من اضطهاد ضد فلاحي القصيبة بالأطلس المتوسط. ولم يمض إلا زمن يسير على إطلاق سراحه حتى اعتقل للمرة الثالثة ومثل أمام المحكمة العسكرية بالدار البيضاء عقب الأحداث الدامية التي شهدتها هذه المدينة في دجنبر 1952 بمناسبة مظاهرات التضامن مع الشعب التونسي إثر اغتيال النقابي فرحات حشاد. ولم يفرج عنه إلا أواخر 1954 عندما لاحت في الأفق بوادر استقلال المغرب. ولما كان الرجل معروفا بحنكته السياسية، فقد لعب دوراً فعالا في المفاوضات التي أدت إلى انفراج الأزمة المغربية - الفرنسية.

وعندما حصل المغرب على الاستقلال، أسندت إلى "الحاج عمر مسؤوليات جسام فتقلد منصب وزير الفلاحة، فوزير التربية الوطنية، ثم كلف بتسيير القرض الشعبي وإنشاء البنك الشعبي الذي أصبح بمرور السنين إحدى أكبر المؤسسات البنكية في المغرب.

وافت المنية عمر بن عبد الجليل في ماي 1982 فووري التراب في مقبرة الشهداء بالدار البيضاء.

أبو بكر القادري، *الحاج عمر بن عبد الجليل*، مطبعة الرسالة، الرباط، 1988 ؛ بعض أعداد مجلة *"المغرب"* التي صدرت بالفرنسية في باريس، 1932 - 1936.

جامع بيضا

ابن **عبد الجليل، قاسم** الوطني الغيور والمناضل المخلص، كان من الموقعين على عريضة 11 يناير 1944 المطالبة بالاستقلال، ازداد بمدينة فاس سنة 1909 وبها تلقى التعليم الابتدائي والثانوي، ثم انتقل إلى الرباط حيث حصل على شهادة الكفاءة في الدراسات القانونية.

وعاد إلى مسقط رأسه ليشتغل بالتعليم في ثانوية المولى إدريس. وكان قد انخرط باكراً في صفوف الحركة الوطنية وتعرض بسبب استماتته في النضال إلى مضايقات السلطات الاستعمارية. فقد ألقي عليه القبض بسبب توقيعه على عريضة المطالبة بالاستقلال وسجن وباقي الموقعين في برج النور بفاس، وفصل عن وظيفة التعليم بعد اطلاق سراحه. ولذلك امتهن في السنوات الأخيرة من فترة الحماية مهنة المدافع أمام المحاكم الشرعية بفاس ثم بالدار البيضاء. وما أن استرجع المغرب استقلاله حتى كان من الأطر الأولى لوزارة العدل فأسند إليه كرسي وكيل الملك بالمحكمة الابتدائية بالدار البيضاء ثم بمحكمة الاستيناف بالرباط، وعيّن أخيراً مديراً للمدرسة الإدارية، وظل يزاول تلك الوظيفة إلى أن اختاره الله إلى جواره يوم 7 ماي 1961 رحمه الله.

إبراهيم بوطالب

ابن **عبد الجليل، محمد البيضاوي** محمد بن أحمد بن المكي ابن عبد الجليل من مواليد فاس أواخر القرن التاسع عشر. اشتغل بالتجارة، وعرف بين شباب المدينة بمواقفه المؤيدة لثورة ابن عبد الكريم الخطابي، وحصل - من أجل صون نفسه - على الحماية الألمانية.

وقد لقي - بعد هزيمة المحور - أتعابا من سلطات الحماية أفضت إلى نفيه من فاس، فنزل بالدار البيضاء، ثم تحول إلى قلعة السراغنة، ومنها إلى مراكش حيث استقر إلى أن وافته المنية عام 1954.

وقد عقّب من الأبناء أربعة من بينهم محمد الذي توفي بمناس، حيث كان يشغل منصب مساعد طبيب مختص.

*بطاقة خاصة.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**عبد الجليل، محمد** (الراهب) ولد في فاس سنة 1904 من أسرة مسلمة موسرة منحدرة من الأندلس ومعروفة

في المدينة بتقلد أفرادها مناصب سامية في الجهاز المخزني. وقد رافق والديه سنة 1913 / 1914 ـ وهو مازال في ريعان الشباب ـ إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج.

تلقى تعليمه في القرويين، كما تابع دراسته في ثانوية فاس باللغتين العربية والفرنسية. وبعدها التحق بثانوية كورو Gouraud بالرباط حيث نال شهادة الباكالوريا سنة 1924. وخلال مدة دراسته بالعاصمة، أقام مدة بمدرسة شارل فوكو الفرانسيسكانية التي كانت تأوي عدداً من الطلبة الوافدين من جهات مختلفة من المغرب. وبعد حصول محمد بن عبد الجليل على الباكالوريا بامتياز، مكنته الإقامة العامة بإشارة خاصة من المارشال ليوطي من منحة دراسية فسافر إلى باريس قصد تحضير الإجازة في اللغة العربية وآدابها. وبموازة ذلك استهوته دراسة علوم الدين والفلسفة، فتردد على المعهد الكاثوليكي. ومن الشخصيات التي تعرف عليها في العاصمة الفرنسية وكان لها عليه تأثير جلي كل من المستشرق لوي ماسينيون Louis Massignon والفيلسوف موريس بلونديل Maurice Blondel. وفي سنة 1928 تمكن الفرانسيسكان من استمالة هذا الطالب المغربي وجعله يرتد عن الإسلام ويعتنق الديانة المسيحية. وبذلك أصبح يعرف باسم "جان محمد عبد الجليل". ولم تمض إلا سنوات معدودة حتى انخرط في السلطة الكنسية (1935) وأصبح أحد رهبانها.

وقد خلف تنصير محمد بن عبد الجليل صدمة نفسية وتذمرا عميقا لدى المسلمين المغاربة، خاصة في حاضرة فاس، مسقط رأسه ومكان إقامة أسرته المعروفة بورعها وبتمسكها بالدين الإسلامي. وشمل الاستياء صفوف الحركة الوطنية التي ما فتئت تندد بحملات التنصير التي كانت تشنها في المغرب أسقفية الرباط دون مراعاة لمقتضيات عقد الحماية لسنة 1912 والتي تلزم الفرنسيين مبدئيا باحترام مشاعر المسلمين ومؤسساتهم الدينية.

وابتداء من 1936 أسندت إلى جان محمد عبد الجليل مهمة التدريس في المعهد الكاثوليكي بباريس. فكانت الدروس التي يلقيها تشمل الدين والفكر الإسلاميين واللغة العربية وآدابها. وقد قام بهذه المهمة حتى العام 1964. وطيلة هذه المدة عمل الأب عبد الجليل، سواء بواسطة التدريس أو بمختلف محاضراته ومقالاته هنا وهناك، على بناء جسور الحوار والتفاهم بين معتنقي الديانتين السماويتين المسيحية والإسلام، وذلك سيراً على نهج أستاذه ماسينيون. وكان يتوفر على قدرة بث أفكاره مباشرة بلغات عديدة كالعربية والفرنسية والألمانية والإسبانية والإنجليزية. وعلى الرغم مما أثاره اعتناقه للمسيحية من امتعاض في المغرب، فإنه لم يول ظهره لبلده الأصلي، بل أبقى على علاقات وطيدة مع بعض الزعماء الوطنيين وفي مقدمتهم أخوه عمر بن عبد الجليل. ومن ثمة دافع من موقعه وبالأسلوب الذي ارتضاه لنفسه على مطالب المغاربة التواقة إلى الإصلاح ثم الاستقلال.

وفي ربيع 1961، بينما كان الأب عبد الجليل مقيما في مدينة نيس جنوبي فرنسا من أجل الراحة، انتابته أزمة نفسية حادة جعلته يستنجد بأخيه عمر الموجود آنئذ في المغرب. وبدون استئذان إدارة طائفة الفرانسيسكان التي ينتمي إليها، شد الرحال صحبة أخيه إلى وطنه الأصلي في زيارة هي الأولى من نوعها بعد غياب دام ما يقرب من أربعة عقود. ولما كان الحدث غير مرتقب، فقد لفت انتباه الصحف المغربية فنشر بعضها أخبارا زائفة مفادها أن "الحاج محمد عبد الجليل" رجع إلى دينه الأصلي الإسلامي، وذهب بعضها الآخر إلى أنه قد يستوزر في الحكومة المغربية ليتكلف بشؤون التعليم نظرا لثقافته الواسعة وتجربته العميقة. وهكذا لم ينعم الأب عبد الجليل في المغرب بما كان ينشده من راحة وهدوء قصد الاستشفاء مما أصابه من إرهاق نفسي. فقد استاء مما نشرته بعض الجرائد في شانه، كما تعرض لضغوط معنوية من "إخوانه" الفرانسيسكان الذين أحرجهم مغادرته لفرنسا دون سابق إشعار. وبعد أسبوعين من حلوله بالمغرب غادره فجأة عائدا إلى فرنسا، وطنه الثاني الذي أبى أبدا أن يحمل جنسيته.

وفي سنة 1964 أصيب الأب عبد الجليل بسرطان في لسانه. ورغم العلاج المكثف فقد عاني كثيراً من الداء الذي ألم به فاضطر إلى التوقف عن التدريس بالمعهد الكاثوليكي بباريس، كما أجبر على تقليص دائرة أنشطته. ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أنه ظل في هذه الفترة من الشخصيات الفكرية المرموقة التي كانت البابوية تستشيرها في كل ما يتعلق بالإسلام في وقت انعقاد مناظرات في إطار المجامع الدينية المعروفة بـ Conciles du Vatican II والتي حددت ضمن أمور أخرى علاقات جديدة للفاتيكان مع أتباع الديانات غير المسيحية.

وفي 24 نونبر 1979 وافت المنية جان محمد عبد الجليل

في إحدى المستشفيات بضواحي باريس مخلفا وراءه كتابات عديدة تنم عن اطلاع واسع ومعرفة عميقة بالتراث الفكري الديني المسيحي والإسلامي على السواء.

*Recueil Jean-Mohammed Abd-El-Jalil* : n° spécial des *Nouvelles de l'Institut Cathodique de Paris*, n° 3, Juin 1980, 223 p. ; Jean-Mohammed Abdeljalil, *L'Islam et nous*, Ed. du Cerf, Paris, 1981, 130 p. ; Alfred-Louis de Premaire, Le retour de Jean-Mohammed Abdeljalil au Maroc, in En *hommage au père Jacques Jomier*, O.P., Etudes réunies et coordonnées par Marie-Thérèse Yrvoy, les Ed. du Cerf, paris, 2002, p. 321 - 341.

جامع بيضا

ابن **عبد الجليل، محمد** بن الحاج **المكي**. ولد محمد بن الحاج المكي بن العربي بن الحاج عبد السلام ابن عبد الجليل بفاس حوالي منتصف القرن الثالث عشر. وقد كان على حظ وافر من العلم. اشتغل بالتجارة، وامتد نشاطه التجاري إلى خارج الوطن، فكان يجلب مواد السكر والشاي والكتان في مقابل وسق المصنوعات التقليدية المحلية.

وقد عهدت إليه في أيام السلطان المولى عبد العزيز وظيفة أمين الصائر. وفي أواخر حياته كلف بمهمة تفتيش السجون بفاس، فعرف بالاستقامة وحسن المعاملة.

وقد توفي بفاس بعد أسابيع من عقد الحماية، وذلك في شهر شعبان 1330 موافق يوليوز 1912.

من رواية الحاج العربي ابن المترجم.

ابن **عبد الجليل، محمد** بن **عبد القادر**، ولد محمد بن عبد القادر بن أحمد بن المكي ابن عبد الجليل بمدينة فاس حوالي عام 1925، وبعد أن تلقى تعليمه الابتدائي انتقل رفقة أسرته إلى مكناس حيث عاش فترة قصيرة رحل بعدها إلى الرباط.

وبعد دراسته الثانوية انخرط في سلك التعليم. وقد عرف بين أقرانه بنشاطه السياسي وبلائه الحسن إلى جانب رجال الحركة الوطنية، فألقي عليه القبض، ثم نفي خارج العاصمة بقرار من المحكمة العسكرية بها.

وبعد استقلال البلاد التحق بوزارة الشبيبة والرياضة، فكان من خيرة أطرها التربوية المعتمدين في مجال التخييم وتكوين مؤطري المنظمات السياسية.

التحق بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الثمانينيات، وعين ناظراً للأحباس الكبرى بفاس، فبرهن عن إخلاصه وأمانته في تأدية واجبه إلى أن وافته المنية عام 1994 بالرباط بعد مرض ألزمه الفراش.

وقد عقب المترجم من الأبناء خمسة من بينهم عبد القادر، وهو مهندس يعمل أستاذاً بالمدرسة المحمدية، وخالد، وهو مهندس يشتغل أستاذاً بمعهد الحسن الثاني للبيطرة.

*بطاقة خاصة.*

ابن **عبد الجليل، محمد** بن **العربي**، ولد محمد بن العربي بن محمد ابن عبد الجليل بفاس عام 1922. وقد انتقل مع أسرته إلى مكناس أواخر عام 1929، وبها التحق بمدرسة درب السلاوي للبنين، كما التحق في ذات الوقت بكتاب الفقيه مولاي رشيد المنوني وهو دون الثامنة. وقد انقطع عن متابعة دراسته الثانوية حوالي سنة 1945، واشتغل إلى جانب والده بالتجارة.

شب الفتى في أحضان أسرة مشبعة بالروح الوطنية، فقد كان والده الحاج العربي من العناصر الفاعلة في الحركة القومية، كما كان بيته ملتقى لأتباعها قياديين وشبابا. وإلى ذلك فقد انخرط في جمعية (الكشاف المغربي المسلم) التي أسسها شباب من القوميين بمكناس في بداية الأربعينيات، وما عتم أن أصبح من المسؤولين عن قيادتها. وقد حضر إلى جانب ابن عمه المكي ابن عبد الجيل المخيم السري الذي دعا إلى عقده بالدار البيضاء يوم السبت 19 أبريل 1946 الأستاذ محمود العلمي، والذي تحول إلى شبه مؤتمر أفضى إلى توحيد الجمعيات الكشفية التابعة للحركة القومية في مختلف مدن المغرب وانصهارها في جمعية واحدة أطلق عليها يومئذ اسم (منظمة الكشافة المغربية الإسلامية). ومنذ ذاك العهد وجد الفتى نفسه في صلب موقع المواجهة مع ممثلي السلطة الحاكمة التي أصبحت في ظل المناخ السياسي الجديد الذي عم المغرب بعد إعفاء المقيم العام إيريك لابون وتعيين الجنرال جوان بدله أكثر ميلا إلى التشدد وتضييق الخناق على الأحزاب والجمعيات الوطنية. ومع ذلك فقد ظل الفتى متمسكا بمبادئه الوطنية سواء في الحقل الحزبي أو الكشفي.

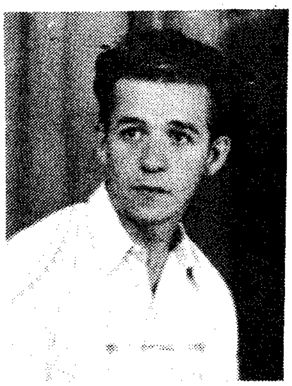

وعندما حصل المغرب على الاستقلال كان المترجم في مقدمة أعضاء المكتب الجهوي لحزب الشورى والاستقلال بمكناس، وفي 1958 انخرط في مجال العمل الاجتماعي فشارك في جمعيات ذات طابع إحساني، وكان له الفضل في تأسيس الفرع الإقليمي للهلال الأحمر بمكناس. وقد رأسه بنفسه وإلى جانبه ثلة من شباب المدينة كان فيهم المرحوم عبد الواحد الزموري والأستاذ عبد العالي المنوني.

وفي منتصف عام 1963 رحل المترجم بأسرته إلى الدار البيضاء حيث عين موظفا بالمكتب الشريف للفوسفاط، وعهد إليه تمثيل هذه المؤسسة غير ما مرة خارج الوطن.

وقد توفي بالدار البيضاء إثر سكتة قلبية في 6 ذي القعدة 1398 موافق 8 أكتوبر 1978.

*معلومات شخصية ؛ وثائق منظمة الكشافة المغربية الإسلامية بمكناس.*

**ابن عبد الجليل، المكي** بن **محمد** بن محمد بن الحاج المكي ابن عبد الجليل، من مواليد فاس أواسط ذي القعدة 1345 موافق 15 أبريل 1927.

التحق صبيا بكتاب الفقيه علال عبابو في عقبة الفيران، فحفظ بعض سور القرآن الكريم، وتلقى مبادئ النحو والدين، ثم التحق على التوالي بمدرسة النجاح برحبة القيس ومدرسة سيدي بناني بحي الديوان حيث درس على عبد الهادي الشرايبي والهاشمي الفيلالي وبوشتى الجامعي وعبد الواحد العراقي ومحمد لحلو وآخرين.

رحل رفقة أسرته إلى مكناس عام 1358 / 1938 ، وبها دخل كتاب الفقيه مولاي رشيد المنوني للاستزادة من حفظ القرآن وتلقي بعض المتون في اللغة والدين. ولنبوغه بين التلاميذ فقد رشحه الفقيه للمثول بين يدي جلالة المغفور له محمد الخامس بمناسبة زيارته للكتاب في إطار تفقده لمؤسسات التعليم بمكناس يوم 18 ماي 1941. فقد وقف أمامه - وهو لابس لحلة الكشاف، وألقى من محفوظاته قصيدة رنانة في مدح الجلالة الشريفة مطلعها :

جزى الله عن هذا الأنام خليفة

في عام 1942 ولى وجهه شطر مجالس العلم، فكان يحضر مجالس الفقيه الأديب محمد بن أحمد برادة في مسجد الأنوار بسوق السباط، وعليه درس *الكامل* للمبرد كما درس الألفية والأجرومية والمنطق، واستفاد منه محفوظاته الأدبية وطريقته في الإلقاء التي كان يجري فيها على نهج المصريين، فقد كان المترجم يقلد أستاذه في ذلك، تسعفه موهبة فطرية جعلت صوته جهيرا رنانا وهو ما يزال في ريعان الشباب.

وفي نوفمبر 1943 التحق المترجم بالدروس النظامية التي أحدثت رسميا بالمسجد الأعظم، فقضى عامين تلقى خلالهما دروسا في اللغة والفقه والتاريخ على يد ثلة من الأساتذة كان فيهم مولاي محمد (فتحا) الطاهري، وسيدي محمد المنوني، وسيدي العربي الهلالي، ومولاي الطيب الحريف وسيدي أحمد بن الصديق الديغوسي، وسيدي عبد الله الشبيهي عسيلة، والطاهر البعاج، وعبد العزيز الزريهني، وعبد القادر بنسعيد العلوي.

وقد عرف المترجم خلال فترة دراسته بتفوقه ونبوغه بين زملائه الطلبة كما عرف بشجاعته الأدبية وطلاقة لسانه وقدرته على الارتجال، من ذلك أنه وقف في جنازة أحد زملائه بالمعهد الديني هو عبد الواحد بنعزو، فارتجل كلمة تأبينية مهد لها بأبيات شعرية من محفوظاته، وكان بذلك محط الإعجاب والتنويه.

وتشاء الظروف أن تحول دون متابعته الدراسة في المعهد الديني، فانتقل إلى الرباط حيث قضى سنة 1945 - 1946 طالبا بقسم تكوين المعلمين بثانوية مولاي يوسف، ثم عاد إلى مكناس حيث عين مدرسا للغة العربية بمدرسة أبناء الأعيان بدرب السلاوي.

ولم تكن الوظيفة لتلهيه عن العمل في الحقل الوطني، فقد انضم منذ حلوله بمكناس إلى جمعية (الكشاف المغربي المسلم)، وهي يومئذ تابعة للحركة القومية بمكناس. وقد أوفده مكتب الجمعية إلى الدار البيضاء يوم 19 أبريل 1946 للمشاركة في المؤتمر التأسيسي لمنظمة الكشافة المغربية الإسلامية.

وفي صيف 1949 رأس بعثة الجوالة التي أوفدتها المنظمة المذكورة إلى البلاد الأوربية، حيث أقامت مخيمات متنقلة في إسبانيا وفرنسا وبلجيكا.

لقد كان المترجم على امتداد عمله في حقلي التعليم والكشفية مثالا للحزم والصرامة والإخلاص، كما كان في مجال العمل الوطني مثالا للشجاعة والقدرة على مواجهة الجماهير وتأجيج حماسها غير عابئ بالمراقبين من أتباع السلطة وعيونها. وقد بلغ من جرأته أنه وقف في يوم من أيام صيف 1952 يخطب في جمع من المكناسيين وهم يتأهبون للسفر إلى الديار المقدسة، فأخذ يحضهم على التعريف بمحنة المغرب بين إخوانهم المسلمين ودعوتهم لمساندته في معركته من أجل الاستقلال. وما كاد الفتى ينتهي من خطبته حتى ألقي عليه القبض، وبعد الاستنطاق صدر في حقه قرار بالطرد من مكناس إلى طنجة.

وفي طنجة استمر المترجم - كدأبه من قبل - في أوج النشاط الوطني وبذلك ظل وثيق الصلة بالتزامه السياسي وانتمائه الكشفي.

وبعد الاستقلال ظل الحاج المكي مواكبا لأهم الأحداث الكشفية الوطنية، ثم عمل على تأسيس رابطة لجمعية آباء التلاميذ بمدن الشمال، وتقلد رئاستها وتمثيلها في المؤتمرات الوطنية إلى أن وافاه الأجل المحتوم بطنجة إثر نوبة قلبية في 4 شوال 1390 موافق 13 دجنبر 1970.

جريدة *السعادة* 26 . 5 . 1941 ؛ *وثائق* جمعية الكشاف المسلم بمكناس ؛ *وثائق* منظمة الكشافة المغربية الإسلامية بمكناس.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**عبد الحفيظ** (مولاي –) السلطان بن الحسن الأول، أمه العالية بنت صالح بن الغازي الشاوي العامل الشهير في عهد مولاي سليمان (1792 ـ 1822). وهناك تضارب في تحديد ميلاد مولاي عبد الحفيظ، ولعله عام 1280 / 1864.

تربى مولاي عبد الحفيظ تربية الأمراء، ووجد كل الظروف الملائمة للتربية والتعلم. فالسلطان الحسن (1873 ـ 1894) كان من السلاطين الكبار الذين يحرصون على عظائم الأمور، ولا يتساهلون مع كل انحراف أو إهمال. ولهذا عمل على تربية أبنائه وتهذيبهم وتكوينهم، وكان يختار لهم جلة المربين الأكفاء، ويرسلهم إلى البلاد التي اشتهرت بالعلم والتعليم لاستكمال خبرتهم وتعليمهم.

ولقد أكمل مولاي عبد الحفيظ وبعض إخوته تعليمهم بقبيلة احمر، التي تقع بالقرب من مدينة مراكش، والتي سبق لمولاي الحسن نفسه أن تعلم فيها وتأدب في عهد جده مولاي عبد الرحمان (1822 ـ 1859). كان عبد الحفيظ أبرع أقرانه في علوم القرآن والعربية والفقه، إذ كانت له همة عالية في التحصيل حسبما حكاه عنه إدريس منو، زميله في الدراسة وقرينه ومساعده في الصغر والكبر، الذي تولى باشوية مراكش قبيل فرض الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912، (م. السوسي، *حول مائدة الغذاء*، 1983).

والواقع أن المتأمل في صورة عبد الحفيظ وملامح وجهه، يلاحظ أمامه شخصية تلوح عليها ملامح الذكاء والنباهة. وقد سخر تلك المؤهلات بالفعل في إشباع نهمه ورغبته في تحصيل العلم وحذق المعارف التي كانت منتشرة في عهده. وقد نبه هو نفسه إلى موهبته وميله لتحصيل العلوم وتلقي المعارف فقال : "فإني منذ الشباب وقلبي مشتاق إلى العلم وأهله من ذوي الألباب، حتى جمعني الله مع كثير من العلماء والأولياء ذوي العقول واللطائف". (*العذب السلسبيل*).

قضى عبد الحفيظ مرحلة التعليم بقبيلة احمر، وأشرف على تعليمه التهامي المكناسي. ويستفاد من المراسلات التي تبادلها التهامي المكناسي مع الحاجب أحمد بن موسى أن مرحلة التعليم بقبيلة احمر بدأت ـ فيما يظهر ـ قبيل سنة 1307 / 1890، ففي هذه السنة أخبر المدرس السلطان بأن ولديه عبد الحفيظ وعبد الرحمان (مولاي الكبير) قد ختما السلكة السادسة من القرآن، ووصلا في *الألفية* إلى النسب، وختما كذلك مورد *الظمآن* حفظ إتقان وتحصيل. كما ختما سلكة في *الجرومية*. فأصدر السلطان أمره بشروعهما في حفظ *الرسالة والسنوسية*.

وبالجملة، فقد تمكن عبد الحفيظ من حفظ عدة متون في مسائل الفقه، *كالمرشد المعين والرسالة والسنوسية*، وفي مسائل اللغة مثل لامية *الأفعال والجرومية ومنظومة الجمل*، ثم درسها دراسة فهم وإتقان في حدود سنة 1309 / 1892. وقد ظهرت نجابته في العلوم الفقهية والحديثية والأدبية، حتى عد عالما متبحراً وشاعراً مقتدراً في حدود 1310 / 1893. وبذلك لما توفي مولاي الحسن سنة 1894، كان عبد الحفيظ مهيئاً ليخوض مجال الحياة العامة وهو مسلح بسلاح المعرفة والثقافة المغايرة لنواقص الجهل والطاردة لمولدات الخمول والتواكل.

على الرغم من تكليف مولاي عبد الحفيظ بمهام إدارية وعسكرية إثر وفاة والده، وبيعة أخيه الأصغر وعبد العزيز، فإن ذلك لم يشغله عن متابعة اهتمامه بالميدان الثقافي تحصيلا ومشاركة وتأليفا. وقد تهيأت له الظروف الملائمة لما تولى الخلافة عن أخيه بمراكش سنة 1901. وهكذا كان يحرص على مجالسة العلماء والأدباء وعلى مطارحة المعارف معهم وخاصة علماء الصحراء وعلى رأسهم الشيخ ماء العينين، الذي أجاز عبد الحفيظ إجازة عامة بتاريخ 11 جمادى الأولى عام 1322 الموافق 24 يوليوز 1904.

ومما يبرز اقتدار وامتلاكه لناصية علوم اللغة والفقه في الدين، ما ألفه في الميدانين من تآليف يغلب عليها الطابع التربوي والتعليمي، وجلها مطبوع على الحجر. ولقد خلف ثروة كبيرة من المؤلفات والمنظومات، في ميادين الشعر الذي تعددت أغراضه، كما كتب في السياسة والتاريخ واللغة والفكر والشريعة، فاعتبر بذلك سياسياً وعالماً وشاعراً وأديباً ومفكراً. إن مؤلفات عبد الحفيظ ومنظوماته تعكس انفعاله

وتصف فعله، وتنم عن ذهن يقظ وفكر حي متجاوب مع تطورات العصر، وروح شاعرية حساسة لم تطفئها عواصف السياسة ولا ويلات دسائسها ؛ وأهم هذه المؤلفات :

- في علوم اللغة :
- *العذب السلسبيل في حل ألفاظ خليل*، فاس، 1326.
- *السبك العجيب لمعاني مفردات محيط المحيط ومغني اللبيب* (1500 بيت)، جزءان القاهرة، 1325.
- نيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح، فاس، 1327.

- في علوم الفقه والحديث :
- *ياقوتة الحكام في مسائل القضايا والأحكام*، فاس، 1327.
- *الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع*، فاس، 1327.
- *نظم مصطلح الحديث*، *فاس*، 1327.

- في الشعر :
- قصائد في الشعر الملحون، جمعت في ديوان مطبوع على الحجر.
- قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، مجد فيها العلم وكرم العلماء، وحث على التعلم وتحمل المشاق في سبيل العلم الذي اعتبره نوراً يهدي للحق والفضيلة وللخير والجمال، ويؤدي إلى التقدم والكمال الإنساني، بعكس الجهل الذي يؤدي إلى عكس ما سبق من فضائل (عبد الله العمراني، *سلطان عالم شاعر*).
- قصائد في انتقاد نظام الحماية الفرنسية الذي فرضته القوة على المغرب، وفي انتقاد الحماة الذين تنكروا لعهودهم مع السلطان، وتعسفوا في حقه وحق شعبه. ويظهر أن القصائد المشار لها، هي المجموعة في مطبوع على الحجر نشر سنة 1913، أي السنة التي حج فيها مولاي عبد الحفيظ للديار المقدسة. وعنوان المطبوع : "نفائح الأزهار في أطايب الأشعار".

في الفكر والسياسة والتاريخ :

- *كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع*، طبعة حجرية.
- "*داء العطب قديم*"، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط.
- *إعلام الأفاضل والأكابر بما يقاسيه الفقير الصابر*، ضمن مجموع بالخزانة الحسنية.

وهي رسالة رد فيها على الذين اتهموه بالتطلع للملك سنة 1906، وهاجم فيها بصفة خاصة أخاه مولاي عمر.

ولقد أشار خير الدين الزركلي إلى أن مولاي عبد الحفيظ قد شرع في تأليف كتاب عن الإسلام في منفاه بفرنسا. ويظهر أن للرجل كتابات أخرى مازالت حبيسة عند الذين وقعت خزانته بين أيديهم. ولقد عثرنا على عناوين بعضها مثل :

- "*براءة المتهم*" وفيها بين كيف أن الكثيرين من النخبة المغربية التي يعتمد عليها قد احتمت بالفرنسيين وساعدتهم. كما أشار إلى دور بوحمارة التخريبي وإلى اقتراضات مولاي عبد العزيز كعوامل أسرعت بالبلاد إلى أيدي الفرنسيين. وبرأ نفسه من توقيع الحماية مبينا بأنه أجبر على وضع خط يده على الوثيقة التي قدمت له.
- *تحفة الألبا في حروب أوربا*، وفيها نوه بالجيوش الألمانية وهاجم الدعاية الفرنسية خلال الحرب العالمية الأولى.

بالإضافة إلى هذه المؤلفات ترك الرجل ثروة كبيرة من المراسلات توضح سياسته وموقفه من كثير من القضايا التي نجمت عن الاحتلال الفرنسي للمغرب.

وتجدر الإشارة إلى أن مولاي عبد الحفيظ قد شجع حركة التأليف بنشره للعديد من المؤلفات وبعقده لجلسات علمية مع العلماء سميت "بالدروس الحفيظية"، حيث كان العلماء من فاس والرباط وغيرها يشاركون بآرائهم ومناقشاتهم في مسائل الحديث والفقه والفكر.

وبالجملة، يمكن القول : إن عبد الحفيظ كان عالماً مشاركاً وأديباً مقتدراً وسياسياً ماهراً قبل توليه الملك، وبعد توليه أصبح بلاطه حافلاً بالعلماء كما كان العهد زمن خلافته. ذلك بأنه كان يغدق على العلماء نواله، ويهتم بمجالستهم، ويتطارح معهم المسائل العلمية والأدبية وخاصة علماء الصحراء.

فعن نشاطه العلمي عندما كان خليفة بمراكش، روى محمد المختار السوسي، على لسان إدريس بن منو فقال :

"ثم كان اهتباله بالعلماء محركا للنشاط العلمي في مراكش، فكان مرة حضر في المواسين ختما للفقيه محمد بن إبراهيم السباعي في مجلس حافل، وكان من أندى الناس للعلماء [..] ولذلك بمجرد ما سمع بورود الشيخ بوشعيب الدكالي إلى مراكش من الحرمين زائراً لأهله بالمغرب حتى أرسل إليه فأقام له حفلة في داره ألقى فيها درسا حافلا [..] فحين خرج مدله صرة فيها مائتا لويز، ثم كانت معاملته له هي التي جذبته إلى المغرب، حتى ذهب فأتى بأهله من الحجاز". وبذلك يعتبر من المشجعين للحركة السلفية بالمغرب إن لم يكن من روادها الأوائل.

كان عبد الحفيظ يحظى باعتبار خاص عند أحمد بن موسى (ابا أحمد). فالوزير الصدر (1894 - 1900)، كان هو المشرف على تعليمه هو وإخوته لما كان حاجبا لمولاي الحسن. وعندما تولى الصدارة إثر بيعة مولاي عبد العزيز سنة 1894، كان عبد الحفيظ من الأمراء الذين اعتمد عليهم أحمد بن موسى في تكليفهم بمهام إدارية وعسكرية عديدة. ويظهر أن مسارعة مولاي عبد الحفيظ لقبول بيعة أخيه الأصغر، أي لقبول ما فعله أحمد بن موسى، يبدو أن ذلك هو ما ميز مولاي عبد الحفيظ عند أبا أحمد. وقد عرف هذا الأخير فضل الأمير النابه. لذلك كلفه بأمورية إدارية وعسكرية بتادلة أولا. ثم لما قرر أحمد بن موسى إرسال حركات لسوس لإعادة الأمن فيها وتعيين شيوخ ترضى عنهم قبائلهم، بعث

مولاي عبد الحفيظ خليفة عن المخزن على رأس جيش كبير، لدعم القواد والحركات المرسلة للجنوب يساعده باشا القصبة، الحاج محمد ويدة السوسي. ويظهر أن مولاي عبد الحفيظ استقر بمدينة تزنيت كخليفة عن السلطان بسوس إلى حدود 1900. وعندما قرر مولاي عبد العزيز الانتقال لفاس إثر إعلان الترتيب في خريف 1901، عين مولاي عبد الحفيظ خليفة عنه بمراكش. وقد أبان في إدارته للجنوب عن مهارة واقتدار سياسي كبير، وثبت في كل الظروف والتقلبات إلى أن اعتلى عرش المغرب.

كان بلاط الخليفة في العادة، يتألف من قائد للمشور بمثابة وزير يكون بصيرة على كل أمور الخليفة الإدارية والسياسية، وكانت مهمة الخليفة محددة فيما يلي :

أولاً : فيما يتعلق بالقضايا الإدارية والعلاقات مع المجتمع : يعمر المشور عند كل قضية تستدعي الاستماع لشكاوي الناس ودعاويهم، فإذا كانت القضية من اختصاص الشرع تصرف للقاضي، أما إذا تعلق الأمر بقضايا مخزنية (تابعة للمخزن أي للحكومة) تهم أمور المخزن في علاقاته مع العمال والقبائل، فتقع المراسلة مع العمال أو القبيلة المعنية. والملاحظ أن الخليفة بالرغم من مساعدته للسلطان في مراقبة العمال وما يجري في القبائل، فإنه لم يكن مسموحا له بالتدخل في أمور فرض الضرائب أو جبايتها أو تعيين القواد وعزلهم أو استقبال الأجانب في بلاطه بشكل رسمي، كما لم يكن مسموحا له بالتدخل في أمور الجيش.

ثانياً : كان على الخليفة أن يخرج لصلاة الجمعة ولصلاة العيدين. وكان البروتوكول المتبع هو : عندما يريد الخليفة الخروج لصلاة الجمعة أو لصلاة العيدين أو لأجل تعمير المشور، يقف المشاورية وأصحاب المكاحل من الجيش لتحيته، وعند انتهاء المهمة يصرفون لأماكنهم، إذ لم تكن للخليفة سلطة على الجيش، الذي كانت قيادته من اختصاص باشا القصبة حيث توجد ثكنات الجيش.

وإذا كانت هذه هي الحدود المرسومة لمهام الخليفة فكيف زاول مولاي عبد الحفيظ هذه المهام ؟ وهل تعداها ؟

الواقع أن مولاي عبد الحفيظ قد نجح في مهمته وكان عطاؤه الإداري والسياسي بارزاً ومتميزاً، نظراً لسعة علمه وللظرفية التي كان يمر بها المخزن العزيزي. نحن نعلم المصاعب التي واجهها السلطان مولاي عبد العزيز بعد وفاة أحمد بن موسى، نتيجة للتكالب الاستعماري الذي انتهى بتقييد يديه بعد تحمل المغرب للديون الثقيلة من فرنسا سنة 1904. وإلى هذه الصعوبات الخارجية، كانت الوضعية الداخلية للبلاد أكثر تدهوراً فيما يتعلق بعلاقات السلطة المركزية مع أطراف البلاد، التي شهدت انتفاضات عديدة أخطرها تلك التي تزعمها الجيلاني الزرهوني (بحمارة) الذي أعلن نفسه سلطانا في المغرب الشرقي وضل يحارب الدولة من 1902 إلى سنة 1909.

وفي الحوز، الذي كان محكوما بتوازنات واحتكاكات أطماع القواد الكبار، فقد أظهر الخليفة السلطاني، من الثبات ومخايل الحنكة السياسية ما جعل الأنظار تتجه إليه. وقد بانت هذه المزايا من خلال تحكمه في لعبة التوازنات بين الأطراف الفاعلة بالحوز وتعايشه معها والاستفادة منها وتسخيرها لصالحه. وهكذا ففي الوقت الذي ساءت فيه علاقات المخزن مع بعض القواد الكبار كالمدني الاكلاوي، وعبد المالك المتوكي، نتيجة لتداعيات عواقب انتفاضة القبائل في شرق فاس بقيادة بوحمارة، وفشل المخزن في قمعها، وفي الوقت الذي كان القواد يجدون في بلاط فاس المتواطئين والمزينين للأطماع، كان مولاي عبد الحفيظ بمراكش يفضل المحافظة على الوضع الراهن، وعدم فتح شهية القواد في جيرانهم لأن ذلك يثير الاضطرابات بالقبائل، ونشوب المنافسات بين القواد. وكثيراً ما حذر الوزير الأكبر المفضل غريط، من سياسة فتح شهية القواد الطامعين في جيرانهم" لكون أولئك الراغبين في الولاية لا يرون إلا مصلحتهم قاطعين النظر عن المصلحة العامة حسب قوله لكن تحذيراته ذهبت أدراج الرياح.

ونتيجة لتزايد الضغوط الأجنبية وتفاقم الأزمة المالية للمخزن. وعندما تطورت الأمور إلى ما هو أسوأ، نجد الخليفة الذي كان شاهداً على ما يجري، يعمل لتأمين نفسه ويتخذ خطا في السياسة مغايراً لبلاط فاس، حتى إذا شرع الفرنسيون في احتلال وجدة والدار البيضاء والشاوية وهب الشعب لمقاومة المحتلين قبل عبد الحفيظ أن يتزعم هذه الموجة الجهادية لعل المغاربة يحافظون على استقلال بلادهم.

وقد أدى به هذا الموقف المتميز إلى أن يكون عرضة للانتقاد والاتهام خاصة لما عارض خطط بعض القواد الكبار مثل الكنتافي، وظهر وكأنه متحالف مع منافسي هذا الأخير عبد المالك المتوكي والمدني الاكلاوي. وأخطر هذه التهم هي التي وجهها له المخزن سنة 1906 وهي تهمة الرغبة في الخروج عن الطاعة أي الرغبة في تولي الملك.

وقد استطاع أن يفند الاتهامات الموجهة له وفوت الفرصة على أعدائه الذين لم يتمكنوا من عزله أو قتله بالرغم من تعدد المحاولات (ع. الخديمي، *الحركة الحفيظية*).

والواقع أن عبد الحفيظ قد بدأ يحتاط لنفسه ويهيئ السبل للاستيلاء على الملك بفاس إذا ساعدته الظروف ابتداء من سنة 1906 أي منذ تكاثرت حوله الشكوك والاتهامات. ومن علامات استعداده تقربه من بعض قواد الحوز كالمدني الكلاوي وعبد المالك المتوكي، وتحالفه مع قسم كبير من قبيلة الرحامنة القوية. وتشجيعه ـ خفية ـ لأنصاره بإثارة المتاعب للقواد الموالين لمولاي عبد العزيز. وتقربه من المرابطين وتشجيعه للتيار الشعبي الداعي للجهاد.

فلما احتلت فرنسا مدينة وجدة ربيع 1907، واقدمت على قصف الدار البيضاء والشروع في احتلال الشاوية في غشت 1907، وسارع مولاي عبد الحفيظ إلى عزل أخيه وإعلان بيعته بمراكش في 16 غشت 1907، ثم أعلن الجهاد بهدف

استنفار المغاربة في الوقت الذي خضع فيه مولاي عبد العزيز للتبريرات الفرنسية وأبدى استعداده لإيقاف أعمال المقاومة. وقد استغل سكان فاس موقف مولاي عبد العزيز فأعلنوا بيعتهم لمولاي عبد الحفيظ بمباركة العلماء والأشراف. وانتصر مولاي عبد الحفيظ في الصراع العسكري الذي دار بينه وبين أخيه. وغلبت دعايته ودبلوماسيته. فتخلى مولاي عبد العزيز عن الملك إثر انهزامه في معركة بوعجيبة غشت 1908.

حاول مولاي عبد الحفيظ أن يستمر في دعوته للجهاد إلى إخراج الفرنسيين من الشاوية، لكن ضعف المغرب أمام قوة فرنسا اضطره إلى سلوك سبيل التفاوض لإقناع المحتلين بالجلاء عن المناطق المحتلة بالشاوية والحدود الشرقية بالطرق الدبلوماسية.

ولقد جرت مفاوضات طويلة وشاقة، كان المغرب فيها وحيداً أمام دولة إمبريالية عصرية. واضطر سلطان الجهاد إلى التخلي عن الجهاد مقابل اعتراف الدول الأوربية بسلطته سنة 1909. كما رضخ للتعاون مع الحكومة الفرنسية بهدف النهوض بالبلاد وتجنيبها الفوضى والاحتلال. وأسفرت مفاوضاته مع فرنسا على قبولها الجلاء عن المناطق المحتلة، لكنها اشترطت عدة شروط عسكرية ومالية، مهدت بها إلى الهيمنة على الجيش المغربي وإلى التحجير المالي على المغرب منذ 1910.

ونظراً لعجز السلطان المالي وعدم توفره على قوة عسكرية قادرة على مواجهة الفرنسيين، فإن محاولاته للصمود تكسرت أمام الدسائس الفرنسية. ذلك أن الفرنسيين ضربوا حصاراً دبلوماسياً حول السلطان، وأثاروا ضده كثيراً من الانتفاضات الداخلية، وختموا تلك المناورات بإنذاره بضرورة قبول شروطهم لتعاون مغربي فرنسي بغرض هيمنة فرنسا على المغرب سنة 1910.

وبقبوله للإنذار الفرنسي أضعف السلطان سياسته الداخلية وزاد من اعتماده على تفهم الحكومة الفرنسية وتعاونها. وفي المقابل زاد الفرنسيون من تدخلهم في شؤون البلاد الداخلية ووسعوا نفوذهم داخل المغرب مستغلين الضائقة المالية للبلاد، ومشجعين للمتعاونين معهم. ولم تكن هذه التطورات بخافية على مولاي عبد الحفيظ الذي حاول أن يواجه الضغوط الفرنسية التي كانت تحاصره من كل جانب، والنفوذ الفرنسي الذي تغلغل وسط النخبة المغربية وفي مقدمتها كثير من التجار والحكام والمرابطين. وفي محاولاته للصمود التجأ السلطان للرعية لجمع ما يتعيش به المخزن من المال يوماً بعد يوم. وسلك سياسة جبائية عادت بالمغاربة إلى الممارسات السابقة للتنظيمات العزيزية الأمر الذي أثار قبائل أحواز فاس، التي حاصرت المدينة في بداية 1911 مطالبة بعزل الوزير الأول المدني الأگلاوي وإيقاف التعاون العسكري مع الفرنسيين.

واستغلت الأوساط الاستعمارية الفرنسية انتفاضة القبائل ضد مخزن مولاي عبد الحفيظ سنة 1911، فأقدمت على احتلال عاصمة المغرب بدعوى حماية الجالية الأجنبية فيها. وقد أثار هذا التدخل معارضة ألمانيا وإسبانيا. فأقدمت إسبانيا على احتلال بعض المدن المغربية في حين نزلت قوات ألمانية في أگادير في يوليوز 1911، مما تسبب في نشوب أزمة دولية. وأعرب مولاي عبد الحفيظ عن أمله في انسحاب كل جيوش الاحتلال ؛ لكنه استشعر النهاية المحتومة من المفاوضات الفرنسية، ففاتح الحكومة الفرنسية حول الاتفاق على تفاهم بين المغرب وفرنسا. وقدم مطالبه التي اشترطت الحفاظ على الدولة المغربية وسيادتها المستمدة من استمرارها مدة 13 قرناً من الاستقلال الوطني، كما اشترط شروطاً تتعلق بمصالح السلطان وعرشه. ولما قبلت الحكومة الفرنسية شروط السلطان في نونبر 1911 فتح الطريق أمام عقد اتفاقية الحماية في مارس 1912، خاصة بعض تخلي ألمانيا عن المغرب مقابل حصولها على العوض من فرنسا.

وقد أثار توقيع مولاي عبد العزيز الحفيظ لاتفاقية الحماية معارضة المغاربة، وانتفضت طوابير الجيش المغربي بفاس وساندها سكان المدينة، وأعقب ذلك تدخل الجيش الفرنسي الذي مارس قمعاً قاسياً ضد سكان فاس الأمر الذي أزعج السلطان وجعله يصمم على رفض كل تعاون مع نظام الحماية، ويصر على التنازل عن العرش، وهو ما كان قد أدخله في شروط توقيعه لا تفاقية الحماية.

وبالفعل رفض السلطان كل تعاون مع المقيم العام الجنرال ليوطي، وعرقل السير الشّرْعي للنظام الجديد، وأصر على الانتقال إلى الرباط حيث أضرب عن كل عمل رسمي. إلا أنه قبل تنازله عن العرش في 28 يوليوز 1912. وفي 12 غشت ركب البحر متوجهاً إلى مكان استقراره بطنجة إلى حين.

وبعد فترة قصيرة ذهب إلى الحج سنة 1913، في موكب كبير ضم الكثير من أتباعه ومؤيديه. وقد لقي في طريقه اهتماماً زائداً ومراقبة دائمة من طرف الدبلوماسية الفرنسية، وخاصة ببلاد الشام التي زَارَ عَوَاصِمَهَا مثل بيروت ودمشق والقدس.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى انتقل إلى إسبانيا خفية ثم رفض العودة للمغرب. وفي إسبانيا أصبح محل مراقبة الاستخبارات الفرنسية ومحور دعاية مضادة للاحتلال الفرنسي بالمغرب. وحاول التنسيق مع الألمان والأتراك والموجهين لحركة الجامعة الإسلامية، بهدف إثارة ثورة عامة بالمغرب وشمال إفريقيا ضد الاحتلال الفرنسي. لكن هذه المحاولة فشلت بفشل ألمانيا في الحرب. وأصبح مولاي عبد الحفيظ، الذي لم يتنازل عن كبريائه المقاوم للاحتلال، عرضة للتضييق من طرف الحكومة الفرنسية واستخبارات الإقامة العامة بالرباط. ولما رفض العودة للمغرب أمر ليوطي بمصادرة أملاكه وأمواله في 14 أبريل 1922. كما تعرضت

مكتبته إلى المصادرة ونقلت أسرته إلى الرباط، وحيل بينه وبين أبنائه وأهله، ولم تفده المراسلات التي بعثها إلى عدة شخصيات مغربية وعالمية مثل رئيس الولايات المتحدة آنذاك، إلى أن اضطر للخضوع لشروط الدولة الفرنسية، التي أقنعته بواسطة عبد القادر بن غبريط بالسكنى في مدينة باريز مقابل معاش متواضع. وسكن بباريز في منطقة Enghien إلى يوم وفاته في 14 أبريل 1937، فنقل جثمانه إلى بلاده حيث دفن بضريح مولاي عبد الله بفاس. وقد حضَرَ ابن أخيه الملك سيدي محمد بن يوسف مراسم الدفن في جنازة حافلة حضرتها وفود عديدة.

وثائق الخزانة الحسنية ؛ التهامي المكناسي، *غنية الانجاد في مسائل الجهاد*، مخطوط ؛ الحسن بوعشرين، *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، تقديم وتصحيح، محمد المنوني، 1994 ؛ م. الحجوي، *تقاييد تاريخية*، مخطوط ؛ عبد الرحمان بن زيدان، *الدرر الفاخرة*، 1937 ؛ الزركلي، *الأعلام*، مجلد 3 ؛ عبد الله العمراني، *سلطان عالم شاعر*، دعوة الحق، عدد 4 السنة الحادية عشرة ؛ عبد الله گنون، *أشذاء وأنداء*، 1986 ؛ علال الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، الطبعة الثانية، 1994 ؛ أزمة أگادير سنة 1911 والعلاقات الألمانية الفرنسية المغربية، ندوة أگادير الكبرى، المحور التاريخي، نشر كلية الآداب بأگادير، 1990 ؛ الحركة الحفيظية، 1894 - 1912، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 2002.

*L'illustration*, 1907 ; *Archives historiques de l'armée de terre*, Vincennes, Paris ; *Archives diplomatiques de Nantes* (centre des) ; Arnaud Louis, *Au temps des mehallas ou le Maroc de 1860 à 1912*, Casablanca 1952.

علال الخديمي

ابن **عبد الحق**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Abdalaqui وBodolach ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

وكان من بين أفراد هذه الأسرة التي اشتهرت بتجارتها مع الخارج حوالي سنة 1054 (1644) :

- ابن عبد الحق علي بن محمد.
- ابن عبد الحق محمد بن علي بن محمد.
- ابن عبد الحق عبد العزيز بن علي بن محمد.
- ابن عبد الحق المهدي بن علي بن محمد.
- ابن عبد الحق البشير بن علي بن محمد.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 298.

محمد ابن عزوز حكيم

**عبد الحق** ابن أبي **سعيد** (سلطان مريني)، هو آخر سلاطين بني مرين (823 - 869 / 1420 - 1464) وصف الناصري عصره بأنه أعظم شدة ومحنة، فقد ختم عصر الضعف المريني الذي بدأ منذ أواسط القرن الثامن (14 م)، إلا أن هذا الضعف ازداد منذ العقد الثاني من القرن التاسع، أي منذ النصف الثاني من عهد السلطان أبي سعيد عثمان الثاني (والد المترجم)، وهذا ما سهل على البرتغاليين احتلال مدينة سبتة سنة 818 / 1415، ثم توالى سقوط المراكز الساحلية بيد البرتغاليين والإسبان خلال القرن التاسع ومطلع العاشر، وهذا يعني أن عصر المواجهة المغربية مع الإسبان انتهى شمال المضيق وانتقل إلى الأرض المغربية.

إن الفتن التي توالت خلال العقد الثاني من القرن التاسع تركت نوعا من الغموض فيما يتعلق بكيفية نهاية السلطان أبي سعيد، رغم أن بعض الروايات تتحدث عن وفاته سنة 823 (*الاستقصا*، 4 : 93 - 94) ؛ وحسب روايات أخرى فإن بني زيان أمراء تلمسان حاولوا دعم أحد الأمراء المرينيين لتولي السلطنة بعده انتقاما لتوالي السيادة المرينية على تلمسان منذ أكثر من عقدين، إلا أن الوزير يحيى الوطاسي تمكن بعد حوالي أربع سنوات من رفع أحد أبناء أبي سعيد إلى السلطنة طفلا وهو عبد الحق (صاحب الترجمة)، وربما كان هذا الوضع الصعب للسلطنة في فاس سببا في اقتراب الأمير الحفصي أبي فارس عبد العزيز من فاس ثم رجوعه عنها - لأسباب غير واضحة - بعد إظهار سلطان فاس التبعية له (مؤقتاً) وذلك سنة 827 (حسب الزركشي والوزير السراج)، وتجعل رواية الناصري هذه الحادثة في العقد الثاني زمن من السلطان أبي سعيد انتقاما منه لدعمه بعض المناوئين في بجاية (*الاستقصا*، 4 : 91).

ويمكن تلخيص عصر السلطان عبد الحق في العناصر التالية :

- وضعية السلطة المركزية : وصل السلطان عبد الحق إلى العرش طفلا تحت وصاية الوزير أبي زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي، أي أن عصره يمثل استمرارا لفترة استبداد الوزراء والحجاب على سلاطينهم، وهذه فترة يشوبها الغموض، وما ذكر عنها من أحوال اجتماعية يتعلق بظهور الأوبئة التي عمّت المغرب ربما نتيجة الفتن التي لم تهدأ إلا نادرا، وقد حدث الوباء الخطير سنة 846 حتى قيل إنه "هلك فيه جملة من العلماء والأعيان"، وعرف هذا العام عند أهل فاس بعام عزونة.

وربما كان سوء الأحوال الاجتماعية من دوافع عودة الاهتمام بالشرفاء الأدارسة الذين أهملهم السلطان أبي سعيد، فكانت مناسبة "اكتشاف" قبر إدريس الثاني بأحد جدران مسجد الشرفاء بفاس حافزا لقيام الوزير المذكور ببناء "زاوية الشرفاء"، وفي هذا الاهتمام محاولة لإعادة اكتساب المشروعية التي فقدتها السلطة نتيجة الفتن، وسوء تدبير أمور الرعية، والعجز عن مواجهة الأجانب خاصة بالنسبة لسبتة.

وإذا صحت الرواية التي أوردها الزركشي والتي تؤخّر وصول الأمير الحفصي إلى قرب فاس حتى سنة 827 وتقديم البيعة له (ص. 126) فإن هذا قد يدخل أيضا في إطار كسب المشروعية خاصة وأن قوة الأمير الحفصي أبا فارس عبد العزيز كان يؤمل منها إخراج البرتغاليين من سبتة.

غير أن الفتن في جهات مختلفة ومحاولة القضاء عليها كانت سببا في مقتله سنة 852 على يد قبائل عربية وفي جهة اختلف في تسميتها فقيل هم عرب أنجاد، وقيل عرب الحجر (وكتبت أحيانا : عرب الحجاز)، وهناك من ذكر أن مقتله كان شمال مدينة سجلماسة.

بعد مقتل الوزير الوطاسي تراجع السلطان عبد الحق عن سياسته فيما يتعلق بالاهتمام بالشرفاء، وعاد إلى سياسة أبيه في الإساءة إليهم حسبما ذُكر ؛ أما وزيره الذي عينه بعد المذكور فهو علي بن يوسف الوطاسي الذي وصف بالديانة والصيانة والرفق بالرعية مع حسن إدارة شؤون الدولة، وقد استمر في وزارته إلى وفاته خلال حركته بأرض تامسنا في رمضان سنة 863.

بعد وفاة علي الوطاسي تولى الوزارة يحيى بن يحيى بن زيان الوطاسي الذي ذكر أن ولايته كانت "مبدأ الشر ومنشأ الفتنة... أخذ في تغيير مراسم الملك، وعوائد الدولة، وزاد ونقص في الجند، ونقض جل ما أبرمه قبله الوزراء، وعامل الرعية بالعسف" (*الاستقصا*، 4 : 97)، كما تصرف في عزل قاضي فاس محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي وكان موصوفا بالدين والعدل... فأحس السلطان بسلب كثير من اختصاصاته، مما جعله يفتك به وبقرابته (أخويه أبي بكر وأبي شامة وعمهم فارس بن زيان وقريبهم محمد بن علي بن يوسف)، بينما تمكن أخواه محمد الشيخ ومحمد الحلو من النجاة، حدث هذا في أواسط ذي القعدة سنة 863 أي بعد سبعين يوماً من حكم الوزير. لكن يلاحظ أن هناك تناقضا فيما ذكرته بعض المصادر حين تحدثت عن تعسف الوزير على الرعية كما ذكرنا، ثم تحدثت عن غضبها من اغتياله وميلها إلى أخيه محمد الشيخ، مما جعل السلطان عبد الحق يرفع إلى الوزارة اليهوديين الأخوين هارون وشاويل انتقاما منها، فهل كان هناك موقفان متباينان هما موقف عامة الرعية وموقف الأعيان ؟

استمر اليهوديان في الوزارة حوالي ست سنوات مارسا خلالها مع أعوانهما وخاصة صاحب شرطة فاس أنواع العسف على الرعية، حيث لقي أهل هذه المدينة على الخصوص أنواع الإهانة بالضرب والضغط الجبائي حتى قيل إن اليهود "تحكموا في الأشراف والفقهاء فمن دونهم"، وذكر الناصري أن الأعيان من أهل فاس "والرؤساء من أهل دولة السلطان عبد الحق صاروا يكاتبون [محمد الشيخ] ويقدمون إليه الوسائل سرا، وربما دعوه إلى القدوم على أن يبذلوا له من الطاعة والنصرة ما شاء" (*الاستقصا*، 119). فهل كان هذا هو سبب حنق السلطان على أهل المدينة فأطلق يد اليهود فيهم، أم أن هذا التصرف من اليهود هو سبب الاتصالات السرية بمحمد الشيخ ؟ وهكذا كان الاعتداء على امرأة شريفة بالضرب السبب المباشر في ثورة أهل فاس على اليهود والسلطان حيث خلعوا بيعته وقتلوه وحولوا البيعة إلى مزوار الشرفاء أبي محمد عبد الله الإدريسي الجوطي العمراني،

وبذلك انتهت الدولة المرينية (869 / 1464) لتحل محلها تجربة إدريسية استمرت إلى سنة 876 عندما تمكن محمد الشيخ الوطاسي من إفشالها ونقل الحكم إلى أسرته من بني وطاس الذين هم فرع من القبائل المرينية، مما يجعل البعض يعتبر الحكم الجديد استمرارا للعصر المريني إلى أواسط القرن العاشر (السادس عشر الميلادي).

ابتدأت الفتن تشتد منذ العقد الثاني من القرن التاسع أي في عصر أبي سعيد عثمان، حيث ظهرت حركة انفصالية في مراكش استمرت بعد ذلك، حيث تذكر بعض الروايات أن سلطانها تعاون مع سلطان فاس لإفشال الحصار البرتغالي عن طنجة سنة 841 (*الاستقصا*، 96).

وفي الشمال تزعم الفتنة أخذ إخوة السلطان اسمه عبد الله مدعما من أمير غرناطة لمزاحمة أخيه على السلطنة، ويجعل مارمول حدوث فتنته سنة 813 (*إفريقيا*، 1 : 41) ؛ وتذكر رواية أخرى أنه تمكن من السلطنة، غير أن سقوط سبتة سنة 818 / 1415 اعتبر من أعظم النحوس على هذا السلطان، وأن ثورة الرعية عليه كانت بسبب هذا الاحتلال وفشل مواجهته، فكان مقتله سنة 823، "ثم تنازع الملك بعده اثنان من إخوته، وبعد قتال شديد... اتفق أهل الحل والعقد على أن يولوا عبد الحق بن أبي سعيد"، ويعلق الناصري على هذه الرواية بقوله : "ويبعد أن يكون هذا الخبر الذي ساقه منويل [عن سلطنة عبد الله] لا أصل له" (*الاستقصا*، 94)، غير أن رواية ابن القاضي لا تجعل أي سلطان بين أبي سعيد وابنه عبد الحق.

وقد ذكر أن قبائل الشاوية تمردت سنة 846 على سلطان فاس "وأعضل داؤهم"، فتحرك الوزير يحيى الوطاسي إليهم ففل جمعهم، "وخرب منازلهم" (*الاستقصا*، 96). ولم تشر الرواية إلى سبب هذا التمرد، ولكن توقيته مع فترة الوباء العام في المغرب يفرض احتمال وجود حالات جفاف ومجاعات سبقت أو صاحبت هذه الأوبئة، وهذا ما قد ينتج عنه تحركات القبائل بحثا عن المرعي وسبل العيش، ويجعل من الصعب دفع المجابي المفروضة عليها وهو ما تعتبره السلطنة تمردا ؛ لقد أصبحت منطقة تامسنا تضم كما بشريا هاما جعله الوزان على الخصوص من قبائل زناتة وهوارة التي ناصرت المرينيين ضد الموحدين والقبائل العربية الحليفة لهم، فأوطنوهم مكان هذه القبائل، قال الوزان (القرن 10 هـ) ـ وقد تكررت زياراته لتامسنا ـ : "أصبح الزناتيون والهواريون يتصرفون في هذا الإقليم، وتكاثروا فيه، حتى إنهم اليوم ـ وربما كان ذلك منذ مائة سنة [أي القرن 9] ـ يخيفون ملوك فاس ويرعدون فرائصهم، إذ يقدر أن عددهم يصل إلى ستين ألف فارس ومائتي ألف راجل" (*وصف إفريقيا*، 1 : 155)، وهكذا يكونه تمردهم خطيرا على السلطة في فاس ؛ فهذه القوة هي التي شجعتهم على الوصول إلى بلاد "الغرب" أي منطقة فاس ومكناسة ونهبها في عهد أبي عبد الله الجوطي الإدريسي المبايع بعد مقتل السلطان عبد الحق

(*الاستقصا*، 116). هذه القبائل هي التي سميت بالشاوية لتكليف السلاطين لها برعاية مواشيهم.

وهناك تمرد آخر ظهر في الشرق وربما الجنوب الشرقي أيضا حيث توجه الوزير لمواجهته وانتهى الأمر باغتياله سنة 852 / 1148في أنجاد أو نواحي سجلماسة...؟

هذا الوضع السيئ في الداخل كان ينعكس على المراكز الساحلية التي كانت أنظار العدو البرتغالي تتجه إليها، بينما كان القشتاليون مهتمين بمحاولة القضاء على الإمارة النصرية في غرناطة. ومن المحاولات المرينية ضد البرتغاليين ما حدث - حسبما ذكر - من تعاون مريني نصري (مارمول) أوحفصي مريني من أجل تحرير سبتة انتهى بالفشل سنة 827 أو ما بعدها (برانشفيك)، ثم تمكن البرتغاليون من احتلال قصر المجاز (قصر مصمودة) الواقع بين سبتة وطنجة سنة 862. وإذ كانوا قد فشلوا في حصارهم لطنجة سنة 841 فإنهم تمكنوا من الاستيلاء عليها سنة 869 مستفيدين من التوتر الحاصل بين الرعية من جهة وسلطان فاس ووزرائه اليهود من جهة ثانية. وسيستمر مسلسل سقوط المراكز الساحلية حتى مطلع القرن اللاحق.

والجدير بالذكر أن عجز السلطة المرينية في مواجهة الضغط النصراني على هذه المراكز فرض على القيادات الدينية من علماء وصلحاء تنظيم القبائل في إطار عمل جهادي لمحاولة منع الأجانب من النزول على السواحل أو منع توغلهم داخل البلاد انطلاقا من المراكز المحتلة، فكان لهم دور إيجابي في النيابة عن السلطة إلى أن ظهرت الدولة السعدية متبنية حركة الجهاد.

الوزراء الوطاسيون

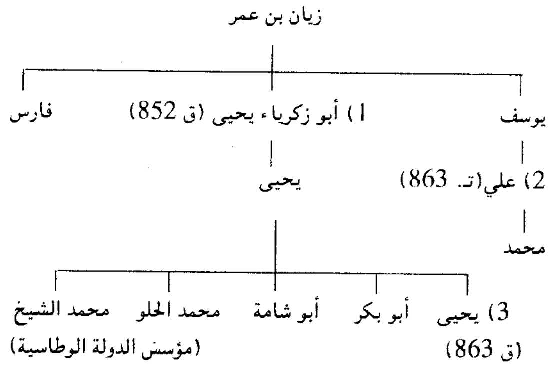



الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، 125 . 126، تونس، 1966 ؛ ابن غازي، *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون*، الرباط ، 1952 ؛ الوزير السراج، *الحلل السندسية في الأخبار التونسية*، 2 : 190، بيروت، 1984 ؛ التنسي، *نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان*، "المنشور تحت عنوان : تاريخ ملوك بني زيان"، ط. الجزائر، 1985 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 443، القاهرة - تونس، 1970 ؛ *جذوة الاقتباس*، 358، 462، 535، الرباط، 1973 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 155، 166، تر. محمد حجي وغيره، الرباط، 1980 ؛ ك. مارمول، *إفريقيا*، 1 : 415، تر. حجي وغيره الرباط 1984 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 4 : 96، 100، 116، 119، الدار البيضاء 1955 ؛ أ. عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله*، ق. 1 : 201 . 202 ؛ م. القبلي، *مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط*، ص. 63 . 65، المحمدية، 1987 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور المحتلة*، 1 : 43 . 60، دكتوراه دولة مرقونة ؛ ر. برانشفيك، *تاريخ إفرقية الحفصية*، 1 : 256 . 258 ؛ ش. جوليان، *تاريخ إفريقيا الشمالية*، 2 : 253 . 254، تعريب مزالي . ابن سلامة، تونس، 1978.

M. Arribas Palau, *Cartas de Fernando I de Aragon a Abu Ali de Marrakus* : *Tamuda* 1956, sem II ; *Manual de Historia de Espana*, t. 1, p. 782 (Madrid 1975), Pedro Aguadi Bleye.


**ابن عبد الحليم**، أبو **علي صالح** بن صالح، ذكره صاحب *مفاخر البربر* من جملة علماء البربر فقال : "منهم الشيخ الفقيه الصالح العالم التاريخي أبو علي صالح ابن الشيخ الصالح الولي الزاهد الورع أبي صالح عبد الحليم" وسماه ابن القاضي : صالح بن صالح بن عبد الحليم وووصفه "بالفقيه العالم الصلاح التاريخي الزاهد الورع"، ويظهر أنه ينقل عن صاحب *مفاخر البربر* أو أن مصدرهما واحد، وتحدّث صاحب *المفاخر* عن ابن عبد الحليم بكونه "نزيل نفيس، وهو يعيش في وقتنا هذه وهي سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وقد جمع الله له بين العلم والعبادة، وخصه بالفضل والديانة، اشتهر بالعفاف، واقتصر من الدنيا على الكفاف، مع الانقباض عن أهل الدنيا، والحلول من الورع في الدرجة العليا، إلى ما تميز به من الكرم والسخا(ء)، والطهارة والتقى، وتلك أوصاف السلف الصالح رضي الله عنه". وذكر نسبه في إيلان إحدى قبائل مصمودة. وهذه الترجمة في المفاخر هي آخر تراجم مشاهير رجال البربر.


مجهول، *مفاخر البربر* (ضمن مجموع)، مخطوط الخزانة العامة ك / 1275 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 30 (ع 925).


أحمد عزاوي

**عبد الحليم** بن **عمر المريني** (أمير)، نشأ بعد وفاة أبيه سنة 734 / 1334 في كنف عمه السلطان أبي الحسن المريني (*العبر*، 7 : 418). وبعد فشل حملة أبي الحسن على إفريقية وثورة ابنه أبي عنان عليه عبر عبد الحليم إلى الأندلس رفقة أخويه الناصر وعبد المؤمن وابن أخيهم عبد الرحمن بن علي المكنى بابن أبي يفلوسن، وحظي جميعهم بعناية السلطان محمد بن يوسف النصري المعروف باسم الغني بالله. ولما ثار السلطان إسماعيل بن يوسف النصري على أخيه الغني بالله وفر هذا الأخير إلى العاصمة المرينية فاس رفقة وزيره ابن الخطيب واستقبلهما السلطان المريني أبو سالم بحفاوة، تحالف السلطان النصري مع نظيره الزياني أبي حمو موسى من أجل التصدي المشترك للمرينيين. وكان أبو حمو غالبا ما يراسل النصريين في شأن أولاد أبي علي عمر ليبعث

بهم للمطالبة بالملك بفاس، ولما كانت الجيوش المرينية تحاصر تلمسان عاصمة الزيانيين سنة 761 / 1360 استجاب السلطان المصري إسماعيل بن يوسف لطلب أبي حمو موسى وبعث إليه بعبد الحليم وبأخيه عبد المؤمن وبابن أخيهما عبد الرحمن (*العبر*، 7 : 419 و*نفاضة الجراب*، 301).

تزامن وصول أبناء أبي علي إلى تلمسان مع اغتيال السلطان المريني أبي سالم إبراهيم من وزيره الحسن بن عمر، وتوليته لتاشفين بن أبي الحسن المعروف بالموسوس سلطانا للمرينيين. وكان المرينيون على استعداد لتقبل طاعة أحد أبناء أبي علي عمر نظرا لما أبداه الوزير حسن بن عمر من استبداد على سلطانه المعتوه. فحاول السلطان الزياني أبو حمو موسى استغلال تلك الفرصة لتنصيب ملك حليف له بفاس، فبعث بأبناء أبي علي رفقة جيش بعد أن رشح منهم عبد الحليم للملك واستوزر له محمد السبيع أحد شيوخ بني مرين وانضم إلى عبد الحليم بدبدو محمد بن زكراز شيخ بني ونكاسن (*العبر*، 7 : 420،419 و*نفاضة الجراب*، 301).

تضاعفت فرص نجاح عبد الحليم في تملك عرش المرينيين بما لقيه من مساندة من شيوخ القبائل المرينية فحاصر فاس في 6 محرم 763 / 29 أكتوبر 1264 وتلقى أثناء الحصار بيعة قبائل المغرب، لكن افتقاره إلى المال حال دون تحقيق مراده، ورجحت مع مرور الأيام كفة منافسه الوزير حسن بن عمر المحاصر بفاس الجديد إلى أن تمكن من إلحاق الهزيمة بعبد الحليم بالاعتماد على المرتزقة النصارى (*اللمحة البدرية*، 118 و*الاستقصا*، 4 : 43) فافترقت جموع عبد الحليم والتحق هو وإخوته بتازة واتخذها قاعدة لتوجيه الغارات إلى فاس وتمكن من السيطرة على مكناسة ووظفها لنفس الغرض "فضاق ذرع فاس للملك بهم" (*العبر*، 7 : 420 و*الإحاطة*، 3 : 532).

عمل الحسن بن عمر على تحسين علاقته بشيوخ بني مرين أثناء ذلك، وكان يدرك أن سبب عزوفهم عنه هو توليته لتاشفين الموسوس بن أبي الحسن. فبدأ يفكر في خلعه وتولية غيره فراسل ملك قشتالة في شأن الأمير أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمان يعقوب بن أبي الحسن، فجهزته قتشالة إليه، ودخل فاس في صفر 763 / دجنبر 1362 بعد أن فشل عبد الحليم بن أبي علي في اعتراض طريقه (*الإحاطة*، 3 : 532 و*الاستقصا*، 4 : 44).

توجه عبد الحليم إثر ذلك إلى سجلماسة "بلد أبيه لكونها مما دخل في طاعته وتبادرت إلى تقبل دعوته" فاتخذها قاعدة لإمارته (*اللمحة البدرية*، 422 و*العبر*، 7 : 119) ووزع خراجها في عرب المعقل شيعة أبيه "واقطعهم جنات المخلص بأسرها واعصوصبوا عليه" (*العبر*، 7 : 422).

حاول محمد بن عبد الحليم معاودة الهجوم على فاس انطلاقا من قاعدة ملكه سجلماسة سنة 763 / 1362 وكان الوزير حسن بن عمر بدوره يعد العدة للحملة على سجلماسة، فكانت بينهما مواجهة "بتاغزوطت عند فرج الجبل المفضي من تلول المغرب إلى الصحراء" (*الإحاطة*، 3 : 532) اتضح تفاكؤ قويتهما فيها فتدخل الملأ من بني مرين لعقد الصلح بينهما وعاد كل منهما إلى قاعدة حكمه (*الإحاطة*، 3 : 335).

ثم حدثت وحشة بين عبد الحليم ووزيره محمد السبيع لأسباب نجهلها، فنزع عنه وزيره إلى الوزير حسن بن عمر فتقبله (*العبر*، 7 : 224) كما احتدم الصراع بسجلماسة بين أولاد حسين والأحلاف من عرب ذوي منصور من المعقل، فقد كان أولاد حسين يحقدون على الأحلاف لأنهم كانوا عماد جيش عبد الحليم، فأعلنوا الحرب عليهم بإيعاز من الوزير المستبد بفاس، وعجز عبد الحليم عن إصلاح ذات البين بينهم، ثم أوكل تلك المهمة لأخيه عبد المؤمن، حتى إذا حل هذا الأخير بينهم أكرهوه على قبول بيعتهم وزحفوا به على سجلماسة فدخلوها على عبد الحليم في صفر 764 / دجنبر 1363 بعد أن ألحقوا الهزيمة به وبشيعته من عرب الأحلاف وأذعن للخلع. ثم خرج عن عاصمته برسم أداء فريضة الحج وتوفي بالإسكندرية في طريق عودته من حجته سنة 766 / 1365 (*العبر*، 7 : 424 و*الإحاطة*، 3 : 362 و532 و*سجلماسة*، 265 ـ 266).

ابن خلدون، *العبر*، ج. 7، دار الفكر، بيروت، 1981 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، ج. 3، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1975 ؛ *نفاضة الجراب*، نشر أحمد مختار العبادي، البيضاء، 1985 ؛ *اللمحة البدرية*، بيروت، 1978 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 4، الدار البيضاء، 1955 ؛ حسن حافظي علوي، *سجلماسة وإقليمها في القرن 8 / 14*، فضالة، المحمدية، 1979.

حسن حافظي علوي

ابن **عبد الحي، بوجمعة** ولد سنة 1935 بطانطان انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء المغربية سنة 1956 بالمقاطعة التاسعة تحت قيادة صالح بن عسو.

وقد كان مثالاً للرجل المجاهد في سبيل الله حيث شارك في عدة معارك أبان فيها عن شجاعة نادرة ووطنية صادقة إلى أن استشهد في معركة أخوى انتيف سنة 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503168.

ابن **عبد الرحمن، إدريس** ولد سنة 1937 بدوار بوعنقود ملحقة تيزي وسلي إقليم تازة.

نشأ في وسط عائلي متدين، درس كتاب الله على يد والده وتشبع بالأفكار الوطنية منذ صغره مما دفعه إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير.

وقد عمل ضمن الفرقة التي كانت قيادة عبد السلام بن عمر شارك في عدة معارك وهجومات ضد المستعمر إلى أن استشهد في شهر أكتوبر 1955 بجبل توونت ناحية تيزي وسلي من جراء تعرضه لقصف إحدى طائرات العدو في

الوقت الذي كان متجها إلى مركز المجاهدين (جبل لقرع) حملا بعض الأسلحة والذخيرة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524180.

**عبد الرحمن** بن **عبد العالي** (ت. 1159 / 1746)، دفين المدرسة العلمية العتيقة لقبيلة أيت أمر الحاحية، جاء في مشجر نسبه الموجود تحت يد ورثته ما نصه : (هو عبد الرحمان بن عبد العالي بن أحمد بن محمد ابن علي بن محمد بن عبد الله بن منصور - دفين المكان المسمى (تحت النخلة) بتلمسان - بن عبد الله بن إسحاق بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه). ومما جاء في هذا المشجر أيضا أن السيد عبد الرحمن بن العالي هذا قدم من (عين الحوت) مع ابنيه محمد وصفية فنزلوا أولا بدرعة عند الشيخ بناصر فأخذوا عنه الطريقة الناصرية ثم رحلوا إلى مراكش ومنه انتقلوا إلى حاحة حوالي عام 1079 / 1668، وقد مر المترجم بقبيلة (امتوكة) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فاستقبلته قبائل حاحة بالقبول والإجلال والتقدير بعد أن شاهدوا له كرامات، وبعد أن حلّ في ربوعها وقع اختياره على حصن قديم يدعى (حصن مرزوك) الواقع فوق ربوة عالية على الضفة الجنوبية لوادي أيت أمر المشهور بفاكهة الموز حاليا، حيث أسس زاويته ومدرسة علمية توحدت حولها قبيلة أيت أمر، فعمرتها بأعشار غللها لتمويل أساتذتها وطلبة القرآن والعلم من أبنائها وغيرهم، فازدهرت فيها الدراسة إلى عهد قريب، ويكفي أن محمد المختار السوسي واحد من طلبتها في منتصف القرن الرابع عشر الهجري المنصرم. ولا شك أن الشيخ عبد الرحمان بن عبد العالي وابنه محمد هما أول من جد في نشر الطريقة الناصرية بحاحة لأنها طريقة جديدة تأسست عام 1060 / 1650 فلقيت إقبالا كبيرا لدى سكان حاحة وإيداوتنان وامتوكة والشياظمة وذلك ما ساعد الشيخ عبد الرحمن وابنه محمد على تأسيس عدة زوايا ناصرية بقبائل حاحة منها :

1 - زاوية أيت سرحان ومدرستها العلمية الواقعة بفخذة (أيت سرحان) بقبيلة إيداوبوزيا الجبلية.

2 - زاوية أوحسان المشهورة بقبيلة نكنافة، تناسل فيها أحفاد الشيخ ومريدوه حتى عظم شأنهم.

3 - زاوية (بوزاما) نسبة إلى اسم القرية التي توجد بها بقبيلة إيداوكرض.

4 - الزاوية الناصرية المشهورة بقبيلة إيداكيلول وقد ظلت مليئة بالمريدين الذين حافظوا على الأذكار الناصرية بها إلى الآن.

وهناك زوايا ناصرية أخرى أقل شهرة أسسها الشيخ عبد الرحمن بن العالي وابنه محمد بقبائل حاحة وإيداوتنان، وكان من عادته أنه كلما أسس زاوية أحاطها بأملاك فلاحية محبسة عليها، وشيد بجانبها مدرسة لتلقين القرآن والعلوم الدينية لأبناء تلك القرى، في حين يتولى مقدم الزاوية تلقين أذكار الطريقة للمريدين. إلا أن المدرسة المشهورة باسمه وخلدته في التاريخ هي مدرسة أيت أمر العلمية العتيقة وبجوارها ضريح الشيخ عبد الرحمن ووالديه محمد وصفية الذي يتراءى للناظرين يزهو بقبته الشامخة فوق ربوة عالية وسط القبيلة، (انظر صورة الموقع معه) ومما زاد في شهرتها تقاطر الوفود من أحفاد الشيخ ومريدي طريقته المبثوثين بالزوايا المذكورة على مقام جدهم وشيخهم الكبير حاملين الهدايا من كل غال ونفيس إلى إخوانهم المقيمين بجوار هذه المدرسة العلمية، فكان ذلك حافزا مشجعا على ازدهار الحركة التعلمية الدينية بها على مدى ثلاثة قرون مضت، قام بأعبائها علماء أجلاء نذكر من بينهم بعض من وصلتنا أخبارهم أمثال :

1 - الفقيه (أو تمشيشت التمري الإمسيوي) والمتوفى عام 1296 / 1878 هو وخمسة عشر عالما حاحيا بسبب مرض الطاعون والوباء الذي اجتاح بلاد المغرب نتيجة القحط والجفاف المتوالي عدة سنوات حسب (الصديقي، *إيقاظ السريرة*، ص. 110).

2 - الفقيه النوازلي إبراهيم بن الحاج علي التامري من قوية أفرني، تصدر للتدريس بمدرسة سيدي عبد الرحمن حينا من الدهر إلى إن توفي عام 1306 / 1888.

3 - المقرئ الشهير بالسيد إبراخمي أوشيبان الركراكي أصلا التامري إقامة انكب على التدريس بهذه المدرسة حتى اعوجت أصابعه من كثرة مسك قلم التصحيح، توفي رحمة الله عليه عام 1319 / 1901.

4 - المقرئ الحمزاوي السيد لحسن بن الحاج محمد الوجناوي التامري، فهو مدرس جاد وأديب بارع جال في أصقاع المغرب طلبا للعلم حتى انتهى إلى فاس ومارس التدريس بمدرسة السيد عبد الرحمن بن العالي هذه عدة سنوات إلى أن توفي بها عام 1334 / 1915.

5 - الفقيه الصوفي السيد محمد بن عبد الرحمن الدرقاوي طريقة التغماري أصلا التامري إقامة، كان كاتبا مرموقا عند الرؤساء الكيلوليين ثم التيكزريريين، وأخيراً شارط بمدرسة السيد عبد الرحمن إلى أن توفي عام 1339 / 1920 (*المعلمة*، 12 : 4016).

6 - الفقيه عبد الله بن إبراهيم الإلغي السوسي، مارس فيها التدريس فترتين الأولى عام 1339 / 1920 والثانية عام 1365 / 1945 وقد كان مجدا ورافعا راية التدريس بهذه المدرسة وغيرها حتى أنه قد أخذ عنه طلبة متألقون في سماء البعلم والأدب أمثال محمد المختار السوسي وعبد السلام القطيب الحاحي، وسعيد الحلمي التعماوي، والحسين بن الفاضل كذلك حسب (*المعسول*، 2 : 38).

7 - العلامة النوازلي الحسن بن الحاج محمد الوويفني التامري المشهورب بـ(سيدي الحسن ن إيمي واسيف) تخرج من

القرويين بفاس عام 1341 / 1922 فتصدر للتدريس بهذه المدرسة بمنتهى الجدية والحماس ثم تفرغ للإفتاء إلى أن توفي عام 1398 / 1977.

وبعد هؤلاء الأساتذة أخذت جذوة التعليم العتيق تخبو وتنطفئ بمدرسة سيدي عبد الرحمن ومثيلاتها بسبب ضعف مردوديته وتهميش خريجيه في نظام التوظيف في الدولة الحديثة. وقد تعاقب على المشارطة فيها خلال النصف الثاني من القرن العشرين : أبو الوقت التزنيتي (1948 - 1950) ثم تلاه الفقيه الحاج محمد بن إبراهيم الداودي التيكزيريني التامري (1950 - 1961) ثم رابط فيها الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد التماسينيني التامري إلى سنة 1985 فخلفه فيها الفقيه التامري الشاب إدبراهيم إبراهيم بن أحمد التبندوتي الذي نالت بفضله مدرسة السيد بن عبد الرحمن بن العالي شهرة واسعة في عهده بفضل جهوده المتواصلة لرفع راية التدريس بها رغم أن الظروف البدوية لا تسعفه، فانصرف إلى البحث والتأليف والإبداع الشعري فصدر له كتاب في جزءين بعنوان (*المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة*) خصص فيه 100 صفحة لأسرة عبد الرحمان السليمانية في ج. 2، ص. 111.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 77 ؛ *المعسول*، 2 : 335 ؛ 13 : 249 ؛ إ. التامري، *المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة*، 2 : 111 ؛ أيت الحاج محند، *مظاهر الحياة الثقافية بحاحة وإيداوتنان*، أطرحة نوقشت سنة ، 1994.

محند أيت الحاج

**عبد الرحمن** بن **محمد** الشيخ **السعدي**، أمير خلفه والده عندما اتجه نحو الشمال سنة 1545 قائدا على تارودانت. وعندما وصل محمد الشيخ إلى مشارف فاس سنة 1547 استدعى ولديه عبد الله وعبد الرحمن لمحاصرة المدينة. وعندما قسم محمد الشيخ المهدي البلاد إلى عمالات في أبريل 1549 كان عبد الرحمن واليا على مراكش.

أمَّرَ محمد الشيخ ابنه محمد الحران على الجيش الموجه نحو تلمسان، أواخر ماي 1550 وكان من بين مرافقيه أخوه عبد الرحمن. وتفرد بقيادة الفرقة الموجهة ضد عمه أحمد الأعرج في تافيلالت، وتمكن من التغلب عليه. ففر الأعرج نحو تكرارين، بينما عاد عبد الرحمن إلى تازة حيث رابط بجيشه في انتظار تعليمات جديدة. وفي فبراير 1551، قاد هو وأخوه عبد القادر حملة ضد تلمسان، انتهت بمقتل الأمير عبد القادر وجرح عبد الرحمن الذي تمكن مع ذلك من الفرار والوصول إلى فاس آخر مارس 1551. غير أنه توفي بعد ذلك بقليل متأثرا بجراحه.

*SIHM*, *Série saâdienne*, *Espagne*, T. 1, *France*, T. 1, *Portugal*, T. 4.

ابن **عبد الرحمن، محمد** بن **عبد القادر** ولد سنة 1936 بدوار مغيزارت إقليم وجدة، تشبع بالروح الوطنية منذ صغره الشيء الذي دفعه إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالمنطقة الشمالية بالفرقة التي كانت تحت قيادة كرماوي أحمد بن صالح.

وداخل هذه الفرقة أبان الشهيد عن روح نضالية وغيرة وطنية صادقة حيث كان مثالا للمجاهد في سبيل تحرير الوطن نشيطا في عمله، مستعداً للتضحية والاستشهاد، إذ كان دائماً في مقدمة المعارك الطاحنة التي دارت رحاها بين جيش التحرير المغربي وقوات الاحتلال الفرنسي. وأثناء قيامه بالحراسة على قنطرة وادي واضح بأكلميم إثر الهجوم على مقر الجيش الاستعماري الذي كان يتمركز هناك. استشهد بتاريخ 14 / 12 / 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504921.

**عبد الرحمن** (سيدي -) **مول القلعة**، ينتسب هذا الولي الصالح إلى الشيخ رحال البدالي دفين زمران، عاش في القرن الثاني عشر (18 م)، كعابد ومدرس ذي جلال ووقار، حيث شيد زاوية له بقلعة السراغنة للتدريس والوعظ الديني، وقد وقع تجديدها في حدود عام 1890 من لدن الحاج محمد الفردي من الرحاليين أيضا، وهو الذي سلم مفاتيحها لما رحل إلى تملالت حوالي عام 1900 للعالم محمد العربي بن البهلول.

يعرف مول القلعة هذا بمبدل الطفلة بالطفل، حيث شكت امرأة له كونها لا تلد إلا البنات بعد أن هددها زوجها بالطلاق لذلك، فوضع الولي يده على طفلة لها فتحولت ولدا ببركته.

يقام على ضريح هذا الولي موسم بفروسية وخيل، صيف كل سنة، تؤمه قبائل السراغنة خاصة أولاد الشرقي من أهل الغابة ثم بعض الرحامنة وتادلة... حيث يتعدى زواره العشرين ألفا، وقد تقلص هذا العدد بسبب جفاف التسعينيات. ومع ذلك فالقلعة تعتبر مدينة مقدسة باحتضانها رفاة هذا الرجل الذي حوى علم الظاهر والباطن بدراسته في تمگروت فبقي أولاده مبجلين خاصة بتملالت والقلعة.

ندوة حول علم النفس الحديث وظاهرة الاستشفا ببويا عمر 27 / 6 / 1990 ؛ ح. شوقي، *قبيلة زمران خلال القرن التاسع عشر*، مرقون، الرباط، ج. 2 ؛ م. العربي ابن البهلول، *منهج الارتحال إلى معرفة الشيخ سيدي رحال*، مطبعة الزمنية، الرباط، 1956.

الحسن شوقي

**عبد الرحمن** بن **هشام** العلوي السلطان. ولد عام 1204 / 1789. ولد عام 1204 / 1789. أمه هنية أمازيغية. وإذا كنا لا نعرف شيئا عن طفولته ومراحل طلبه، فإننا لا نستبعد أن يكون قد نال حظا من العلم، شأنه في ذلك شأن أبناء الملوك. وقد أثنى عليه كل من ترجموه، فوصفوه بالعفة والمروءة.

كان مقيما في بدء أمره بتافيلالت، ومنها استقدمه عمه المولى سليمان، وأسند إليه بعض المهمات والوظائف. منها أنه وجهه مع أولاده للحرمين الشريفين بقصد أداء فريضة الحج. وولاه أمانة مرسى الصويرة وعمالتها، وهو منصب مهم نظرا لموقعه في التجارة المغربية آنذاك، إذ كان يحتل المرتبة الأولى (L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. 2). ومنهـا نقله إلى فاس ليكون خليفة له بها عام 1237. فقام بما كلف به أحسن قيام. فكانت تلك الوظائف والمهمات محكا له بما أكسبته من تجربة أفاد منها في تسيير دواليب الحكم، حين ولي الملك.

بويع بالخلافة بعد وفاة عمه المولى سليمان، بوصية منه. وكانت بيعته بفاس في منتصف ربيع الأول أو ربيع الثاني عام 1238 / 1822 (*الدرر البهية*، 1 : 228). اتفقت المصادر على ورعه واقتصاده في مأكله وملبسه، حتى كان يلبس المرقع والمخصوف. وقد جلب مؤرخو الدولة العلوية في هذا الموضوع عدة شواهد، من أقوال ورسائل وظهائر أثبت ابن زيدان كثيرا منها، حيث كان يوصي أبناءه وأمناءه وعماله بالاقتصاد وعدم الإسراف في سائر النفقات (*إتحاف* ؛ *العز والصولة*).

تمت بيعته في ظروف صعبة "بلا مال ولا معين ولا ناصح". ذلك أن برابرة الأطلس المتوسط، بزعامة محمد بن الغازي الزموري، اتفقوا على منابذته. فأجمعوا أمرهم على ذلك، سيما وقد شايعهم عليه عرب بني حسن وزعير وتادلا. إلا أن حدثا بسيطا تسبب في نقض ما أبرموا. فقد كان الشيخ أبو عبد الله الدرقاوي معتقلا عند الأوداية، منذ ثورة الأمير إبراهيم بن يزيد، وحيث إن ابن غازي كان من أصحاب الشيخ المذكور، "وممن له فيه اعتقاد كبير"، وفد عليه أبناء الشيخ ليتوسط لهم في افتكاك والدهم "وألحوا عليه فلم يجد بدا من إظهار الطاعة للسلطان والدخول في الجماعة" (*الاستقصا*، 9 : 7). فوفد على السلطان في جمع من أعيان قومه بهديتهم وبيعتهم، كما هو مألوف في مثل تلك الحال. فلما رأى حلفاؤه من البربر والعرب ما فعل قفوا أثره، وسارعوا إلى بيعة السلطان. وكان من دهاء المولى عبد الرحمن وحسن سياسته، أن قرب ابن غازي "وجعله عمدة رأيه وعيبة سره حتى كان لا يقطع أمرا دونه". وليستقطبه أكثر عمد إلى تزويجه بإحدى أيامى عمه، وهي ابنة القائد الشهير عمر بن بوستة (ن. م. س).

ولما فرغ من التراتيبات الداخلية بفاس، وعين عليها ابن عمه محمد بن الطيب واليا، خرج منها لتفقد أحوال البلاد، فكانت أولى مراحل حركته نزوله بالقصر الكبير، حيث قدمت عليه الوفود من مراكش. ومنها قدم إلى الرباط، قبل أن يرجع إلى فاس، ليتوجه إلى مكناس، حيث تفقد ما بقي من عبيد البخاري بها، ليعمل على إنعاشه. فجمع بقيتهم وأمدهم بالخيل والسلاح ورتب لهم الرواتب، حسبما ذكره ابن زيدان ببعض التفصيل (*الإتحاف*، 5 : 18).

ومما تميز به أول عهده كثرة الاضطراب، لذلك لم يكن يستقر في إحدى العواصم حتى يرحل عنها لرتق ما يفتقه المتمردون في مختلف الجهات. في هذا السياق توجه على رأس حركة إلى قبيلة بني زروال سنة 1241، وفي السنة الموالية إلى الصويرة وبلاد حاحة، ليلقي عصا التسيار بمراكش. وقبل أن يستقر به المقام، يرحل من جديد لتأديب قبيلة زمور. وبعد ذلك إلى مكناس حيث حاصرها بالجيوش، ودخلها عنوة بعد معارك طاحنة. فاستصفى أموالها وقلع أشجارها، وصيرها بلاقع، واعتقل من وجد فيها، في الوقت الذي لاذ فيه زعيمها المهدي بن محمد الشرادي بالفرار.

ولم يكد المترجم يستريح من عناء حسم مادة الزاوية الشرادية حتى ثار عليه الودايا في سنة 1246 / 1830 ؛ وهو الوقت ذاته الذي تم فيه احتلال بلاد الجزائر. وللإشارة، فإن السلطان قد انتقل إلى مكناس بمجرد سماع ذلك الحدث المفجع. فعل ذلك ليكون قريبا من مضمار العمليات، لأنه شعر بالتهديد المباشر. وفي تلك الأثناء، توجه بعض أعيان قبائل الغرب الجزائري، سيما أهل تلمسان، إلى المولى عبد الرحمن حاملين إليه بيعتهم، طالبين منه المدد إغاثة لهم لطرد الفرنسيين من بلادهم. وبالرغم عن ميل السلطان إلى قبول طلبهم فقد استشار علماء فاس في تلك النازلة، قبل أن يتخذ موقفا بعينه. فأفتى جلهم برفض بيعة الجزائريين، بحجة أن في أعناقهم بيعة الخليفة العثماني. فألح التلمسانيون على البيعة حتى قبلها. وعقد لابن عمه المولى علي بن سليمان على كتيبة من الجيش، من أعيان الأوداية والبواخر، ليكون خليفة له هناك، وشد أزره بعامل وجدة إدريس بن حمان الجراري ؛ لمعرفته الجيدة بأحوال أهل تلك البلاد، وأمدهما بالوصايا اللازمة ليفلحا في مهمتهما.

ولم يكتف العاهل المغربي بذلك الوفد الرمزي، بل عززه بإرسال "خمسمائة فارس ومائة رام وجماعة وافرة من حذاق الطبجية". وبعث في أثرهم شيخ الزاوية الوزانية الحاج العربي، "يدعوهم [أهل الغرب الجزائري] إلى الطاعة، ويحضهم على الدخول في أمر الجماعة لكونهم كان لهم فيه وفي سلفه اعتقاد كبير". كما عين قاضيا ومحتسبا من لدنه للسهر على تدبير شؤون المنطقة.

وتدل قرائن عدة على أنه كان يسعى إلى السير بعيدا في خطته، لأنه لم يكف عن إمداد الجزائريين بالرجال والمال والعتاد الحربي.

وتتفق المصادر على أن أهل تلمسان فرحوا بتلك المبادرة، فبدأ ممثل السلطان في جمع بيعات الجزائريين. وبما أن تدخل السلطان المغربي لإنجاد الجزائر كان يقلق راحة الفرنسيين، فقد عمدوا إلى البحث عما يمكنهم من نسف المبادرة المغربية، فعقدوا اتصالات مع بعض القبائل العربية، سيما بعد أن احتلوا مدينة وهران. ولما اكتشف القواد المغاربة تلك الاتصالات اعتبروها خيانة، وبدل أن يواجهوها بما يليق من الحكمة، عمدوا إلى الشدة، ووجهوا إلى قبائل الزمالة

والدوائر حملات عسكرية استهدفت معاقبتهم بقسوة. فانتهبت الأموال واستصفيت المواشي، وفسد ما بين الطرفين.

وهكذا استغلت فرنسا موقف تضامن المغرب مع القضية الجزائرية لتعلن عليه الحرب. فبدأت بأول هجوم على وجدة منذ سنة 1943، أسفر عن اشتباكات بين الجيش الفرنسي وحامية وجدة. فاتخذت فرنسا من ذلك ذريعة لتتقدم بجريدة من المطالب المجحفة إلى السلطان. وفي الوقت ذاته اجتازت الجيوش الفرنسية واد تافنا واحتلت قرية مغنية المغربية. فكان من الطبيعي أن يحتج المترجم على ذلك الخرق السافر لسيادة بلاده، وانتهاك حرمة ترابه.

وعلى الرغم من وساطة دولة بريطانيا، فإن الفرنسيين قد تعنتوا واشتطوا في مطالبهم ؛ الأمر الذي جعل القضية تصل إلى المأزق. فأصبح الاحتكام إلى السلاح أمرا محتوما. وكانت حرب إسلي (انظرها في *المعلمة*).

وعلى الرغم من التنازلات التي قدمها السلطان لتفادي الحرب، لأنه كان يقدر واقع بلاده، وعلى الرغم من وساطة بريطانيا، فإن إسبانيا قد اشتطت في الطلب حتى أعجزته لكيلا يكون له مفر من اللجوء إلى خيار القوة العسكرية. وفي الوقت الذي كان فيه النائب السلطاني يلتمس كل عذر، ويعد بالمزيد من التنازلات توصل بنبأ وفاة المترجم، في يوم الاثنين 29 محرم عام 1276 / 29 غشت 1859. ودفن بين العشاءين بضريح المولى إسماعيل بمدينة مكناس.

مديرية الوثائق الملكية، *الوثائق*، 1 و2 ؛ إ. أبو العلاء، *الابتسام*، مخ. خع. الرباط ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 ؛ العربي المشرفي، *الحلل البهية*، مخ. خع ؛ الحسام ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، 5 ؛ *العز والصولة* ؛ *العلائق السياسية* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام ؛ م. داوود، *تاريخ تطوان* ؛ م. المنوني، *يقظة المغرب الحديث* ؛ أ. التوفيق، *إينولتان* ؛ ع. الخمليشي، *التجارة والتجار*، د.د.ع. مرقون بخزانة كلية الآداب، الرباط ؛ ع. أفا، *مسألة النقود* ؛ د. شروتر، *تجار الصويرة*، تر. خ. بن الصغير ؛ خ. بن الصغير، *المغرب وبريطانيا العظمى* ؛ ح. بوعشرين، *التنبيه المعرب*، تح. م. المنوني ؛ ابن الأعرج السليماني، *اللسان المعرب*... مجلة *تاريخ المغرب*، الأعداد، 5.1 ؛ *الإصلاح والمجتمع*، الرباط، 1983 ؛ *العلاقات بين البوادي والمدن في القرن 19*، الرباط.

J. Caille, *La petite histoire du Maroc* ; Ch. Jagerschmidt, *Une mission de Léon Roches... missions diplomatiques françaises à Fès* ; *Abolition du tribut* ; *Relation entre l'Espagne et le Maroc* ; L. Godard, A. Beaumier, H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, t. 2 ; J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, t. 2 ; A. Laroui, *Histoire du Maghreb* ; *Les origines sociales et culturelles du nationalisme* ; J. Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*.

أحمد عمالك

**أبو عبد الرحمن، يعقوب** بن السلطان أبي الحسن المريني، كان يشارك والده إلى جانب أخيه أبي مالك عبد الواحد في تسيير شؤون البلاد وجعل لهما من أول دولته "ألقاب الإمارة وأحوالها، من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين وإثبات العطاء واستلحاق الفرسان والانفراد بالمعسكر... وجعل لهما مع ذلك الجلوس بمقعد فصله، والمناوبة لتنفيذ الأوامر السلطانية، فكانا لذلك رديفين له في سلطانه" (*العبر*، 7 : 539). لعب الأمير أبو عبد الرحمن دورا بارزا في حملات السلطان العسكرية على تلمسان خاصة غزوته لها سنة 736 / 1336 وما تلا ذلك من فتح بني مرين العاصمة بني عبد الواد وتمكنه من قتل صاحبها أبي تاشفين وقطع رأسه. غير أن والده غضب من فعلة ابنه ووبخه على ذلك.

عرف عن أبي عبد الرحمن اندفاعه وتسرعه في اتخاذ القرارات دون استشارة والده، بل كانت تبدو عليه أحيانا بعض علامات التمرد والثورة. فبعد استيلاء أبي الحسن على تلمسان سنة 737 / 1337 ثم ارتحاله عنها بعد سنة من هذا التاريخ إلى بسيط متيجة لمقابلة سلطان الحفصيين أبي يحيى، اعتل لأشهر فكثر الكلام بين حاشيته وجنده بمهلكه فانقسم المعسكر المريني إلى فريقين متعارضين بزعامة الأميرين أبي عبد الرحمن وأبي مالك، فاندس بينهما أهل الفتنة، غير أن السلطان تفطن لذلك الأمر فخرج إلى الناس، وانكشف الساعون إلى الفتنة والمفسدين بين السلطان وولديه. وأمام تشدد أبي الحسن في معاقبة رؤوس الفتنة أصيب الأمير أبو عبد الرحمن بالذعر وخاف على نفسه ففر من محلة والده إلى مجال حمزة الذي كان يستوطنه أولاد زغلي أمراء عرب زغبة، غير أن كبيرهم موسى بن أبي الفضل اعتقله ورده إلى أبيه الذي أودعه السجن بوجدة إلى أن قتله بعد ذلك سنة 742 / 1342 في حين عفا عن أخيه أبي مالك وعقد له على ثغور بني مرين بالأندلس.

ومن الحكايات التي تحكى حول موضوع اعتقال أبي عبد الرحمن أن شخصا يسمى بابن هيدور وهو من طباخي القصر المريني، استغل شبهه الكبير لأبي عبد الرحمن وانضم إلى عرب بني عامر أعداء أبي الحسن وادعى أنه الأمير أبو عبد الرحمن ابن السلطان فبايعوه على هذا الأساس وشاع في الناس خبره بمنطقة المدية بالمغرب الأوسط. فنهض جند السلطان لإخماد هذه الفتنة واعتقل ابن هيدور وحمل إلى المغرب الأقصى حيث بقي تحت جراية الدولة المرينية إلى أن قتل سنة 768 / 1367.

ابن خلدون، *العبر* ؛ مارمول، *إفريقيا*، الرباط، 1984، 1 : 404-405 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 3 : 125، 126، 132، 134 ؛ ر. السلامي، *وثائق مرينية* (مرقون)، ص. 128.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, p. 188.

رشيد السلامي

ابن **عبد السلام**، أسرة سلوية عالمة، اشتهر منها الأديب محمد ابن عبد السلام كاتب السلطان محمد بن عبد الله آتي الترجمة. ولا يعرف الجد عبد السلام الذي ينتسبون إليه. وقد انتقل آخر من عرفناه منهم، وهما أخوان في ريعان الشباب بأبنائهما إلى السكنى بعدوة الرباط قبيل أو أثناء الحرب العالمية الثانية. وهناك انقطع خبرهم.

ابن **عبد السلام، علي** ولد سنة 1938 بدوار احموتا دائرة أكنول بإقليم تازة.

تشبع بالروح الوطنية منذ نشأته الأولى ممّا دفع به إلى الالتحاق بصفوف جيش التحرير عند انطلاق شرارته الأولى بشمال المغرب في أكتوبر سنة 1955 بجبال الريف للدفاع عن مقدسات الوطن، فكان مثالا للرجل المجاهد المتحمس في ايمانه والمستعد للتضحية والاستشهاد.

وقد كان مكلفا بتزويد إخوانه في صفوف جيش التحرير بالتموين بالإضافة إلى مشاركته في عدة هجومات على مراكز المستعمر الفرنسي، وواصل عمله هذا بكل جرأة وصمود إلى أن استشهد في معركة بويسلي بتاريخ 6 أكتوبر 1955 وهو مازال في ريعان شبابه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 507132.

ابن **عبد السلام، الطاهر** السلوي، واسمه الكامل محمد الطاهر بن علي ابن عبد السلام "العلاّمة الفاضل، الكاتب الكامل، البليغ الأديب، ... كان من أماجد أهل عصره، وأعيان علماء ثغره ومصره، ينظم عقوداً، وينسج من سحر البلاغة بروداً، مع الإحسان والانسجام، وحسن الافتتاح وبراعة الاختتام" بهذا حلاّه بلديُّه الفقيه ابن علي الدكالي السلوي في *الإتحاف الوجيز*، وحلاّه بأكثر من هذا في *إتحاف أشراف أهل الملا* حيث خصه بـ 32 بيتاً.

لم يكن المترجم مجرد كاتب في بلاط السلطان سيدي محمد بن عبد الله، بل كان معدوداً من الفقهاء الذين يحضرون مجالسه العلمية، وبعثه سفيراً عنه سنة 1179 إلى السلطان العثماني مصطفى الثالث ابن أحمد الرابع، ومعه رفيقه الكاتب الطاهر بناني الرباطي "وأصحبهما هدية نفيسه فيها خيل عتاق بسروج مثقلة بالذهب مرصعة بالجوهر والياقوت ونفيس الأحجار، وفيها أشياء محلاة مرصعة بالياقوت المختلف الألوان، وفيها حلي من عمل المغرب وبنود منسوجة بالذهب من عمل فاس، فابتهج السلطان مصطفى بذلك، وكافأ عليه بمركب موسوق من آلة الحرب مدافع ووهاريس وبارود وإقامة كثيرة للمراكب القرصانية من كل ما تحتاج إليه".

وذكر في *إتحاف أشراف الملا* أن الطاهر ابن عبد السلام، قام بالسفارة إلى تركيا أكثر من مرة، وتوجه عند السلطان عبد الحميد حين خاف أخاه مطصفى الثالث سنة 1186 والمذكور عن المترجم أنه توفي قبل هذا التاريخ، كما ذكر أن ابن عبد السلام كتب *رحلة* عن سفارته التركية لكنها لا تعرف اليوم :

| | |
|---|---|
| وكم لهذا الشيخ من سفاره | عادت بربح القطر والعمارة |
| حجّ وزار ورأى المعالما | وقيّد *الرحلة* فيما أبهما |

توفي ابن عبد السلام بمدينة مراكش في حدود سنة 1180 وكان قد نقل إليها خزانته العلمية فبقيت كتبه وكنانيشه وغالب أخباره هناك يظهر أثرها مع توالي الأيام إلى عصرنا هذا.

أ. الحافي السلوي، *تحفة الزائر*، تح. م. بوشعراء أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 2، الدار البيضاء، 1956، ج 8 : 25 - 31 ؛ م. علي الدكالي السلوي، *إتحاف أشراف مخطوط* ؛ *الاتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام*، ج 3 : 116 و298.

محمد حجي

ابن **عبد الصادق، عبد الرحمان** الريفي هو عبد الرحمان (بن محمد) بن عبد الصادق الريفي نسبة إلى أولاد عبد الصادق أحفاد علي بن عبد الله الريفي الذي قاد تحرير الثغور الشمالية خلال الربع الأخير من القرن 17 على عهد السلطان المولى إسماعيل.

يُرجَّح أن يكون والده هو محمد بن عبد الصادق، كما جاء في ظهير سلطاني بتاريخ شتنبر 1888 : "أقررنا [...] ماسكه الطالب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الصادق على البلاد التي نفّذها له خديمنا القائد عبد الصادق بن أحمد الريفي [...]، أو محمد بن عبد السلام بن عبد الصادق ؛ حيث يُفترض أن يكون هو نفس الشخص. بينما يُستبعد أن يكون والده هو عبد الصادق بن أحمد. المهم أن المترجَم له عُرف في الوثائق الرسمية باسم عبد الرحمان بن عبد الصادق (الريفي). وكان له أولاد أربعة هم الطالب محمد والطالب أحمد والطالب عبد الله والطالب علي.

برز المتَرجَم له في تاريخ المغرب الشمالي خلال الفترة المعاصرة كأحد خدام المخزن. واستطاع أن يثبت حضوره في الجهاز المخزني وبشكل رسمي على مدى حوالي عشرين سنة أي من أواخر الثمانينيات من القرن التاسع عشر (ق 19 م) إلى أواخر العقد الأول من القرن 20، وعلى مجال جغرافي ممتد في الشمال من طنجة غربا إلى مدينة وجدة شرقا. لقد تولى عبد الرحمان بن عبد الصادق الريفي قيادة طنجة ما بين عامي 1891 و1902 خلفا لعبد الصادق بن أحمد، أو لابنه الحاج محمد بن عبد الصادق (ابن عمّه) ؛ ويبدو أن هذا الاحتمال الأخير هو الأقرب للصواب. وإذا لم يُذكر هذا الأخير إلا قليلا في الوثائق المخزنية مقارنة مع عبد الصادق بن أحمد، فذلك راجع دون شك إلى قصر المدة التي قضاها هذا الأخير في قيادة طنجة بعد والده.

حاول عبد الرحمان بن عبد الصادق الريفي، أثناء عمالته على طنجة، فرضَ سلطة المخزن بهذا الثغر وحوزه وكذا القبائل التابعة له. وقام بدوره السياسي والعسكري المنوط به لردع بعض القبائل الجبلية العاصية بما فيها قبيلة أنجرة. وبهذا نجده مثلا يقوم بالامتثال للأمر السلطاني بإنزال خمسمائة من الجيش الريفي الحدود الفاصلة بين أنجرة وطنجة في إجراء لمنع ترامي هذه القبيلة على ممتلكات النصارى خلال يونيه 1892، وتؤكد بعض الوثائق المخزنية حضورَ القائد عبد الرحمان بن عبد الصادق ضمن قواد الجيش في هذا التاريخ.

كما قام أيضاً بمواجهة "قُسّاد الفحص" الذين كانوا يعترضون طريق حاملي المال خلال عام 1903. ويمكن أن نورد في هذا الإطار ما جاء في رسالة المولى عبد العزيز إلى القائد الصديق برگاش (فاتح محرم 1321 / 30 مارس 1903) : " [...] وبعد فقد وجهنا حامله الأرضى القائد عبد الرحمن بن عبد الصادق الريفي لتعاهد قبائل تلك النواحي وتحقيق أحوال أهلها واسترشادهم للثبات على الصلاح والخير والإذعان والإرشاد وعليه فنأمرك أن تكون عند إشارته فيما ترجحه المصلحة مما يرجع لإيالتك من قبائل أحواز طنجة والحفص (هكذا) [..]".

لقد مكنه دوره السياسي والعسكري في إطار الخدمة المخزنية من التمتع بحق استغلال بعض الأراضي. وتؤكّد إحدى الوثائق امتلاكه لأرض بحوز طنجة عام 1888، حيث أقرّه السلطان المولى الحسن عليها بعد أن نفّذها له القائد عبد الصادق بن أحمد الريفي. كما امتلك أراضي في فحص طنجة وغيره على وجه الانتفاع له ولأولاده بإقرار السلطان المولى عبدالعزيز وتأكيدا منه للظهائر الشريفة التي بيده وذلك خلال جمادى الثانية 1319 / أكتوبر 1901. ونذكر في هذا الإطار أن الصديق برگاش انتزع منه أرض حرثٍ بحوز مدينة طنجة تسمى بـ "الگنبورية" مما اضطر السلطانَ المولى عبد العزيز إلى الكتابة لبركاش بضرورة التخلي عن الأرض المذكورة لصاحبها عبد الرحمان بن عبد الصادق.

يبدو أن مجال نفوذ القائد عبد الرحمان بن عبد الصادق لم ينحصر في طنجة والفحص، بل امتد إلى أقصى شرق المغرب كذلك. ويُستَدلّ على ذلك مثلا بما جاء في "بيان الداخل السعيد .." لأوائل دجنبر 1891 من أن القائد عبد الرحمان بن عبد الصادق دفع واجب إيالة وجدة. كما شمل نفوذه مدينة أصيلا التي عيّنه السلطان عاملا عليها خلال نونبر 1895.

وتضمنت مسؤوليته كذلك مراقبة الأحباس والحيلولة دون امتلاك الأجانب لممتلكاتها بثغر طنجة. وذلك في إطار حرص السلطان على قطع الطريق على الأجانب في هذا الأمر، وذلك على اعتبار أن التغلغل الأجنبي الذي طبع تاريخ المغرب خلال تلك الفترة كان يهدد مدينة طنجة وأحوازها أكثر من غيرها.

ولم يلبث السلطان المولى عبد العزيز أن عيّن عبد الرحمان بن عبد الصادق الريفي عاملا على فاس حوالي سنة 1902. واضطلع بدور دبلوماسي عندما كلفه السلطان برئاسة سفارة إلى بريطانيا عام 1320 / 1902 لحضور حفل تتويج وتهنئة إدوارد السابع، ثم سفارة أخرى إلى جبل طارق خلال مارس وأبريل من سنة 1903.

وتطلعنا الوثائق بعد ذلك على عمالة هذا القائد على وجدة وترأسه للمحلة الموجّهة ضد الثائر الروگي المشهور بـ "بوحمارة" والذي تنعته الوثائق المخزنية بـ"الفتّان". وقد بذل جهده في تتبع آثار هذا الثائر الذي استشرى أمره، كما حرص على ضمان مساندة القبائل الريفية له في مهمته، وضمان توصله بالمدد من السلاح والمؤونة والمال. وكثرت مراسلاته مع النائب السلطاني بطنجة خلال تلك الفترة كما تبيّن المراسلات السلطانية.

إن معاصرة المترجَم له للتغلغل الأجنبي الذي اتخذ عدة أشكال والذي أصبح يكتسي طابعاً عسكريا خلال العقد الأول من القرن 20 مهددا المنطقة الشرقية، جعل القائد عبد الرحمان يعيش في قلب تلك الأحداث، ويشكل عنصراً مشاركا فيها. فلم يقتصر دوره على رئاسة المحلة ضد ثورة الروگي، بل تم الاعتماد عليه في ضمان هدوء المنطقة الشرقية خاصة بعد مقتل الطبيب موشان بمراكش (مارس 1907)، والتدخل العسكري الفرنسي في وجدة.

ومع ذلك لم تخلُ مهمة عبد الرحمان بن عبد الصادق من صعوبات. فقد واجه امتناع القبائل عن المساهمة في الحركة ضد بوحمارة بن عبد الصادق من صعوبات. فقد واجه امتناع القبائل عن المساهمة في الحركة ضد بوحمارة مشترطة التوصل بالمؤونة. وكان عليه استمالة قبيلة بني ورياغل لجانب المخزن وحضّهم على الصلاح. ولسد حاجة المحلة من المال والمؤونة، أمام تأخر توصله بها أو اعتذار نائب السلطان بطنجة عن عدم توفر العدة وغيرها أحيانا، لجأ إلى الاقتراض من التجار عن طريق إصدار الاطرات. وبازدياد عددها في أيديهم، لجؤوا إلى بيعها ؛ وتعبّر رسالة محمد الطريس إلى السلطان (دجنبر 1905) عن خطورة هذا الإجراء : [...] فينهى لشريف علم مولانا أسماه الله أن هنا بيد التجار عدداً من الاطراتَ المخرجة من قِبَل خديم سيدنا القائد السيد عبد الرحمن بن عبد الصادق بوجدة مبلغها نحو ماية وستون ألف ريال لازال أصحابها لم يقبضوا من ذلك شيئاً وهذه الاطارى لازالت بيدهم وصاروا يبيعونها لأصحاب البنكات بنقص خمسة في المائة وأن القائد المذكور لازال يخرج الاطرات ولا يخفى على كريم علم سيدنا أن هذه الاطرات إذا صارت بيد أصحاب البنكات فَمن الجائز أن يحسبوا على جانب المخزن فايدتها زيادة على ما تضمنته [...]". وبلغ الأمر بالتجار إلى إرغام القائد على المثول أمام القضاء بمليلية ليدفع ما عليه من ديون. وهذا ما جعل الطريس يراسل السلطان بما يلي : "[...] فليكن في علمك أن أرباب الاطارى الذين كانوا أسلفوا الدراهم للقائد السيد عبد الرحمن ابن عبد الصادق للمحلة الشريفة قد قاموا على المذكور وأدخلوه الشرعَ بمليلية وراموا إلزامه الأداء وغير خفي عن سيادتك ما في ذلك من الإهانة وما يتبع حكم التريبنار وكل ذلك أمر لا يرضاه جانب المخزن [...]"، بينما طالب الطريس بضرورة التعجيل بأداء كل ذلك دفعا للضرر.

ويبدو أن عبد الرحمان بن عبد الصادق الريفي لم يعد له حضور سياسي أو عسكري ملحوظ بعد عام 1908. وما نعرفه عنه هو أنه خلال 1910 طولبَ أمين المستفاد بإظهار الحجّة على امتلاكه حق استغلالَ بقعة أرض بمرشان بثغر طنجة تعد من أملاك المخزن. وتفيد إحدى الوثائق بأنه

كان يتلقى راتبا من مستفاد ثغر طنجة إلى حدود رمضان 1328 / شتنبر أكتوبر 1910 تم إسقاطه عنه هو وآخرين. أما عن تاريخ وفاته، فلم نقف عليه وكل ما نعرفه عنه هو أنه كان لا يزال حيا في سنة 1915 / 1916 عندما ذكره محمد سكيرج في كتابه *رياض البهجة*.

م. سكيرج، *رياض البهجة في أخبار طنجة*، جزء 2، مخطوط، خ. ع / مكروفلم، 1452 ؛ *المكاتب السعيدة*، مخطوط، خ ع / ك 2720 و 2721 ؛ كناش رقم 569 / خ ح ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *العلائق السياسية للدولة العلوية*، الرباط، 1999، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي ؛ وثائق خ ح، قوائم حسابية ؛ *وثائق مديرية الوثائق الملكية*، (طنجة، محفظة 7 و8 و9).

*Villes et tribus du Maroc*, VII, *Tanger et sa zone*, Paris, 1921.

فاطمة بوستة

ابن **عبد الصادق، عبد السلام**، ينتمي لأسرة وفدت من جبال الريف إلى مدينة طنجة واستقرت بها، وتقلد أفرادها مناصب عليها في الدولة المغربية في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) ومطلع القرن العشرين. ومنهم على سبيل المثال عبد الرحمان بن عبد الصادق، أما عبد السلام بن عبد الصادق - وهو من أبناء عمومته - فقد تقلّب في عدة مناصب مخزنية، منها باشوية طنجة ثم أمين الديوانة بها في عهد السلطان عبد العزيز، وعُيّن مندوبا ساميا لمناطق الحدود في عهد السلطان عبد الحفيظ بمقتضى ظهير مؤرخ في 13 صفر 1328 / 24 فبراير 1910. ويعود استحداث منصب المندوب السامي المخزني بمنطقة الحدود إلى سنة 1908، وهو منصب أحدثته السلطات الفرنسية بضغط من الجنرال ليوطي بعد احتلال مدينة وجدة، حيث كان ليوطي هو أول من تولاه من الجانب الفرنسي، وطولب المخزن بتعيين نظير له لتنسيق العمل في كل ما يتعلق بتطبيق اتفاقيات الحدود بين المغرب والسلطات الفرنسية بالجزائر، فأذعن السلطان عبد العزيز للضغوط الفرنسية وعيّن عثمان الجراري مندوبا ساميا لمناطق الحدود في 28 ماي 1908، دون أن تكون لهذا المنصب المستحدث أية مرجعية قانونية تبرره. مما دفع السلطان عبد الحفيظ إلى الامتناع عن تعيين خلف للجراري بعد إعفاء هذه الأخير في شهر أكتوبر 1908. إلا أن تعيين عبد السلام بن

عبد الصادق سنة 1910 جاء بناء على مقتضيات الفصل الثالث من اتفاق باريس (14 يناير 1910). فالتحق المترجم له بمقر عمله في شهر يوليوز 1910 بعد ملاقاة الوالي العام للجزائر، وقد مُنح المندوب السامي المذكور التفويض التام لحل كل القضايا في عين المكان دون الرجوع إلى السلطة المركزية، فأبدى معارضة للمخطط الاستعماري بشرق المغرب، حيث طالب بتطبيق حرفي لاتفاقيات الحدود، بينما كان الجنرال ليوطي يسعى إلى تأويل مقتضيات تلك الاتفاقيات في اتجاه يخدم المصالح الفرنسية، مدّعيا أن جل البنود أصبحت متجاوزة بحكم سياسة الأمر الواقع. وقد ألح عبد السلام بن عبد الصادق على تطبيق مقتضيات اتفاق باريس على وجه الخصوص، التي تستوجب جلاء القوات الفرنسية عن شرق المغرب بعد إنشاء قوات أمن مغربية لحفظ الأمن بمناطق الحدود، مما جعل الجنرال ليوطي يتهم عبد السلام بن عبد الصادق بالعمل على عرقلة تطبيق اتفاقيات الحدود بناء على تعليمات المخزن المركزي. فحاول إقصاءه من ممارسة مهمته في كل ما يتعلق بالإدارة والأمن والمالية، وقد أدرك ابن عبد الصادق أن ليوطي كان يهدف من حضور المندوب السامي المغربي بوجدة إلى إضفاء الشرعية المطلوبة على قرارات السلطات الفرنسية بشرق المغرب، وهو ما حاول المندوب المذكور أن يعارضه في بادئ الأمر، إلا أن السلطات الفرنسية خططت لإبعاده من وجدة، فتحقق لها ذلك في أعقاب فضيحة فساد إداري تفجرت في المدينة في أكتوبر 1911، أي في وقت كان عبد السلام بن عبد الصادق بطنجة لصلة الرحم. فتقرر إعفاؤه من منصبه بإيعاز من المفوضية الفرنسية بطنجة في 6 يناير 1912، لكون نظيره الفرنسي - الجنرال طوطي - قد أعفي من منصبه بسبب تورطه في قضية وجدة (انظر طوطي). وسعت فرنسا لدى السلطان عبد الحفيظ إلى منح عبد السلام بن عبد الصادق وساما بمناسبة مهمته بالحدود، كما وعده السلطان بوظيف عال يناسب الوظيف الذي كان فيه، حيث عُيّن مرة ثانية باشا بطنجة، فظل يمارس مهامه في هذا المنصب مدة 12 سنة. والتحق بعد ذلك سنة 1925 بأحواز الدار البيضاء بصفته قائداً لمديونة وأولاد زيان. وجدير بالإشارة أن عبد السلام بن عبد الصادق كان من الأوائل الذين تسلموا وساما علويا من درجة ضابط، بعد استحداث هذا النظام في المغرب بتشجيع من المفوضية الفرنسية بطنجة في أواخر حكم السلطان عبد الحفيظ.

ظهير تعيين عبد السلام بن عبد الصادق مندوبا عاليا بالحدود، 13 صفر، 1328 / 24 فبراير 1910. كناش الخزانة الحسنية رقم 606، الرباط ؛ بيان الأوسمة التي أنعم بها السلطان على بعض خدامه سنة 1329، كناش الخزانة الحسنية، رقم 606، الرباط ؛ الحجوي، *تقاييد مخزنية*، مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم ح 128 ؛ م. الشابي، *النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر*، منشورات، كلية الآداب، الرباط، 1995 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي*، منشورات جامعة الحسن الثاني، 1989 ؛ ع. برحاب، *المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن*

العشرين، 1900 ـ 1912، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002.
*Le livre d'or du Maroc*, Paris, 1934 - 1935.

عكاشة برحاب

**عبد العزيز** (مولاي -) السلطان بن الحسن الأول. لما توفي والده فجأة ببلاد تادلة في 3 ذي الحجة 1311 الموافق 6 يونيو 1894، عمل الحاجب أحمد بن موسى البخاري على مبايعة ابنه الأصغر مولاي عبد العزيز، وكان سنه لا يتعدى أربع عشرة سنة. كان والده يوليه عناية خاصة ويدَلِّلُهُ ؛ ربما بتأثير من أمه لالة رقية التركية.

ولد في 18 ربيع الأول 1298 / 18 فبراير 1881. ومن علامات تمييز السلطان لمولاي عبد العزيز، ما كان يحيطه به من عطف وتقريب دون غيره، وكأنه يعده لأمرما، وظهر هذا عندما بعثه أمامه، على رأس قوة من الجيش نحو الرباط، في حين خرج السلطان من مراكش متوجهاً نحو تادلا. وكان السلطان لما رجع لمراكش من حركة تافيلالت أواخر 1893، قد أخَّر ولي عهده وأكبر أبنائه مولاي مَحمد، لأمور عابها عليه.

وعلى أية حال، فإن الحاجب أحمد بن موسى كتم خبر موت السلطان بتادلة، ولما وصلت المحلة السلطانية إلى بلاد الشاوية، جمع الهيأة المخزنية المركبة من كبراء الأسرة الحاكمة والوزراء وقواد الجيش، وأطلعهم على الحقيقة، معلناً أن سيده كان قد رشح ابنه مولاي عبد العزيز للملك بعده، فقدمه أمامه على رأس قوة من الجيش. فلم يسع الحاضرين إلا الموافقة على مبايعة مولاي عبد العزيز، الذي أخبر بما وقع، وطُلِبَ مِنْهُ البقاء بالرباط، انتظاراً لوصول جثمان أبيه.

وفي الرباط أعلنت البيعة العامة إثر الانتهاء من دفن السلطان وحضرتها وفود القبائل المصاحبة للمحلة، وكذلك الوفود المهنئة بالعيد التي جاءت من باقي القبائل والمدن المغربية.

وهكذا تم بتدبير من الحاجب استبعاد ولي العهد مولاي امحمد وهو الابن الأكبر، كما تم تجاهل مولاي عبد الرحمان (مولاي الكبير) ومولاي عبد الحفيظ ومولاي عمر. وكان هؤلاء الأمراء الثلاثة ـ بالخصوص ـ على درجة عالية من الكفاءة والتعليم. وعلى الرغم مما بدا من إجْماع على مبايعة مولاي عبد العزيز، فالملاحظ أن ذلك الإجماع لم يكن شاملاً لكل أطراف المجتمع وعناصر الأسرة الحاكمة. إذ سرعان ما برزت ردود الفعل التي واجهها أحمد بن موسى بالقمع الشديد. وإذا تمكن من ملاطفة مولاي الكبير حتى قبل بيعة أخيه الأصغر، فإنه أمر بسجن مولاي عمر الذي أظهر معارضته وغضبه. كما سحق معارضة قبائل الرحامنة، الذين حاولوا الانتصار لمولاي محمد ومبايعته بمراكش. أضف إلى كل ذلك. الصراع الخفي الذي نشب بين الحاجب الذي أصبح هو الآمر الناهي من جهة، والوزيرين المعطي الجامعي (الصدر الأعظم) وأخيه محمد الصغير الجامعي (وزير الحربية) من جهة أخرى. وقد انتهى بنكبة الوزيرين الذين سُجِنَا بتطوان وصودرت أملاكهما.

لم يهتم أحمد بن موسى بتدريب السلطان الشاب على أمور الحكم، بل فرض سيطرته وسطوته على الجميع، وأصبح صدراً أعظم مستبداً بكل أمور الدولة يساعده كتاب لم يصلوا إلى درجة وزراء. لكنه حافظ على ناموس الملك، وظل ـ بالرغم من هيمنته على كل أمور الدولة ـ يأمر وينهى باسم سيده مبدياً كل علامات الخضوع والاحترام "لأمير المؤمنين". وقد استمر هذا العهد الانتقالي الذي تميز بالاستقرار الداخلي والصمود في وجه الضغوط الخارجية من 1894 إلى وفاة الصدر الأعظم في 13 ماي سنة 1900.

وبعد وفاة الصدر الأعظم أصبح مولاي عبد العزيز، الذي لم يكن عمره قد تجاوز العشرين سنة، وجها لوجه مع أمور الحكم. كانت ثقافة السلطان الشاب الذي لم يدرب على أمور الحكم ولم يحظ بتعليم كاف ـ ثقافة ابتدائية في الأمور العامة، ولهذا اضطر للاعتماد على هيئة وزارية تكونت حوله من كتاب ومساعدي الوزير المتوفى، الذين ترقوا إلى رتب وزارية.

وهكذا فبعد فترة انتقالية قصيرة تولى فيها الحاج المختار بن عبد الله البخاري الصدارة مكان ابن عمه، عين فضول غرنيط صدراً أعظم، وعين عبد الكريم بن سليمان وزيراً للخارجية، ومحمد التازي في أمانة الأمناء (وزارة المالية)، في حين تولى المهدي المنابهي، وهو الذي كان وراء التغيير الذي حدث وزارة الحربية. ولقد أبْدى المخزن الجديد، بتأثير من تنافس أجنحته حول سلطان شاب، رغبته في سلوك سياسة جديدة خالية من الفساد الإداري. حتى يتمكن

المغرب من مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية. ذلك أن الضغط الأجنبي قد أصبح خطيراً باحتلال واحات الصحراء الشرقية (توات تديكلت گورارة) سنة 1900 الأمر الذي أثار ردود فعل شعبية مندِّدة بالمخزن وبسياسته ومنادية بالجهاد لطرد المحتلين.

ولا شك في أن سنة 1901، كانت سنة فاصلة بين النهج التقليدي الذي ميز سياسة المخزن في العهد الأول لحكم مولاي عبد العزيز، والنهج الجديد الذي شرع مولاي عبد العزيز في سلوكه فيما يتعلق بالإدارة المحلية للقبائل، ومن حيث انفتاح البلاط السلطاني على الأجانب، وبعبارة أشمل من حيث القرارات التي صدرت بضرورة القيام بإصلاح جذري لإدارة الجباية والانفتاح على التقنيات العصرية، كقبول مشاريع بناء الطرق والسكك الحديدية وإصلاح الموانيء وإدخال التلغراف اللاسلكي.

وقبل البدء في تنفيذ ما تقرر، أرسل السلطان وزيره في الخارجية والحربية إلى فرنسا وروسيا وألمانيا وبريطانيا، لطلب عونها ومساعدتها للمخزن، بالكف عن التدخل في شؤونه الداخلية، وعن توسيع الاحتلال الفرنسي للأراضي المغربية في الحدود الشرقية. لكن نتائج السفارتين خيبت آمال المغاربة، إذ أصرت الدولة الفرنسية على المزيد من التدخل وتمكنت من عقد اتفاقي الحدود (1901 ـ 1902) مع المغرب الذين كرسا الاحتلال الفرنسي للواحات ومنحا لفرنسا حق الجوار. فاستطاعت بعد ذلك أن تحصل على تنازل كل من إيطاليا 1902 وابريطانيا 1904 (الاتفاق الودى) عن معارضة سياستها في المغرب. وهكذا ازداد الضغط الخارجي على مخزن مولاي عبد العزيز في الوقت الذي تدهورت فيه سلطته في الداخل نتيجة للإجراءات التي اتخذها فيما يتعلق بإصلاح إدارة الجبايات.

ففي خريف 1901، أعلن السلطان الترتيب، بهدف حفظ مصالح الرعية وعلاج أحوالها ورفع اليد العادية من بعضها على بعض حسبما جاء في ظهير التَّرتيب؛ أي حسم الخلافات بين الحكام والمحكومين فيما ينسبه الأولون للعامة من انحراف وتقاعد عن حقوق المخزن. وفيما تنسبه العامة للحكام من جور وإضرار بها عند استخراج جباياتها.

وقد أُلْغَى مشروع الترتيب كل تمييز بين الناس وكل امتياز، وأخضع جميع السكان لدفع الضَّرِيبة بما في ذلك الأشراف والحكام والمرابطين والأغنياء من التجار. وعين مشروع الترتيب إتاوات محددة على الأملاك كالأراضي الحراثية والمواشي والأشجار المثمرة وعين أمناء وعدولا لتقدير الضرائب وجبايتها. وأمر الحكام بتقديم العون اللازم وحفظ الأمن وعدم العودة للفروض السابقة وقدر لهم أجوراً من بيت المال.

ويبدو أن مولاي عبد العزيز لم يتخذ الاحتياطات اللازمة لتنفيذ قراراته، لذلك تعطلت الجباية رأساً. وجاءت أولى العراقيل من المناورات الأجنبية. فقد عارض الفرنسيون الترتيب وشجعوا تجارهم ومحمييهم والمخالطين لهم على رفضه. ولم يتحمس الحكام لتنفيذ أوامر السلطان وبرزت انتقادات رجال الدين وبعض العلماء لتخليه عن الزكاة الشرعية وتبديلها بترتيب من اقتراح النصارى. ونتج عن كل هذه التطورات تدهور خطير في الأمن استغله الحكام للتمول بعد أن حرمهم الترتيب ممَّا كانوا يَجْمَعُونَهُ. وبرزت الفتن هنا وهناك، وتدهورت هيبة السلطان، وبخاصة لما أعلن الجيلاني الزرهوني (بوحمارة) ثورته أواخر 1902 مدعياً أنه الأخ الأكبر للسلطان، الذي كان قد حرم من حقه لما بويع مولاي عبد العزيز. وتعهد بإلغاء الترتيب متهماً السلطان وحاشيته بالكفر، واستطاع أن يستغل الأوضاع المتدهورة ويصمد أمام جيوش السلطان التي لم تتمكن من هزمه. وإذا ربطنا هذه التطورات الداخلية، بعواقب احتلال وتكريس ذلك الاحتلال في اتفاقيات الحدود بين فرنسا والمغرب سنة 1901 ـ 1902، فهمنا لماذا ارتفعت درجة التحريض ضد السلطان مولاي عبد العزيز وضد وزرائه. فقد اتهموا بالعجز وبالتواطؤ مع الأجانب، وأشيعت الشائعات حول السلطان، وتداولت الألسنة معايبه، حيث نعت "بالمهبول" و"المجنون".

وهكذا نجح أعداء مولاي عبد العزيز ومعارضو سياسته الإصلاحية في تأليب "الرأي العام" ضده، وانتشرت الفتن في كل مكان. ونشطت الدسائس الأجنبية في مدها بالوقود اللازم لاستمرارها، بهدف تخريب المغرب من الداخل ليسهل احتلاله.

وبالفعل فقد أَفْلست خزينة مولاي عبد العزيز، الذي اضطر إلى الاقتراض من فرنسا التي أن تواطأت مع ابريطانيا سنة 1906. وكان مبلغ الاقتراض 62.500 000 فرنك، فرضت فرنسا بموجبه شروطاً مجحفة على المغرب، وحصلت على حق مراقبة مداخيله الجمركية لأخذ 60٪ منها لرد الدين. وبذلك حرمت البلاد من مداخيل قارة في وقت كان فيه المغرب في أمس الحاجة للمال لمواجهة الفتن والاضطرابات والمصاريف المتعلقة بالتجديدات. إن الغزو المالي الفرنسي كان من أقسى الضربات التي وجهت لحكومة مولاي عبد العزيز. لكنه استطاع الصمود ـ بالرغم من ذلك ـ في وجه المطالب الإمبريالية التي تقدمت بها الحكومة الفرنسية سنة 1905.

فقد رفض السلطان مشروعاً تقدم به الفرنسيون في بداية 1905، يرمي إلى تنفيذ إصلاحات عسكرية وإدارية واقتصادية بتعاون فرنسي مغْربي ثنائي. لأن المغاربة تفطنوا إلى أهداف المشروع التي ترمي إلى السيطرة على الجيش، وعلى مراقبة مالية المغرب وإدارته؛ أي إلى فرض حماية فرنسا على البلاد. وقد اهتدى مولاي عبد العزيز إلى استدعاء أول "برلمان" مغربي في شكل مجلس للأعيان، تدارس معه الأهداف الفرنسية، واتفق الجميع على رفض المقترحات التي تقدم بها السفير الفرنسي. وطالب المغرب من الدول المعنية عقد مؤتمر دولي للنظر في قضية الإصلاحات

التي تريد فرنسا إنجازها بمفردها. وقد عارضت فرنسا المطلب المغربي وأيدته ألمانيا، التي زار امبراطورها مدينة طنجة وأعلن تأييده لسياسة مولاي عبد العزيز.

وقد انتهت أزمة العلاقات المغربية الفرنسية الألمانية سنة 1905 بالاتفاق على عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906. وخرج المؤتمر بميثاق عام ضمن في ديباجته استقلال المغرب ووحدة المملكة الشريفة. وهي ضمانة ظل المغاربة يستندون إليها في المحافل الدولية لتأييد مطالبهم الوطنية بعد ذلك. بيْد أن المؤتمر اعترف في المقابل لفرنسا وإسبانيا بحق التعاون مع المغرب لتنظيم الشرطة بالمراسي المغربية، وكلفهما بمنع تهريب السلاح في الشواطئ المغربية. وقرر إنشاء بنك مخزني حصلت فيه فرنسا على حصة الأسد. كما منح للأجانب حق شراء الأملاك العقارية بالسواحل المجاورة للمراسي، وفتح المجال للاستغلال الاقتصادي لجميع الدول الحاضرة في المؤتمر، عن طريق إقرار سياسة الباب المفتوح. ومنع السلطان من حق اختيار هذه الدولة أو تلك لإنجاز المشاريع العمومية التي أخضعت لمناقصة دولية.

ورفض المغاربة هذه الشروط، واعتبروها مقدمة للاحتلال واستعدوا للجهاد. ولما وافق مولاي عبد العزيز على ميثاق الجزيرة مضطراً تحت الضغط الدولي، نفر منه المغاربة وبدأوا يتطلعون إلى من ينقذهم من الورطة التي اتهموا السلطان ووزراءه بالتسبب فيها. وفي هذه الأثناء (1906) نشطت الدعاية المضادة للمخزن العزيزي الذي تدهورت سلطته إلى الحضيض.

وقد ساهم الاحتلال الفرنسي لمدينتي وجدة والدار البيضاء سنة 1907 في انهيار هيبة مولاي عبد العزيز، مما أعطى دفعاً قوياً للحركة الحفيظية التي استغلت الغضب الشعبي وانتشار الدعوة للجهاد. وهكذا تم إعلان بيعة مولاي عبد الحفيظ وعزل مولاي عبد العزيز في 16 غشت 1907 بمدينة مراكش.

وقد حاول مولاي عبد العزيز مواجهة الموقف، فاتخذ إجراءات قربته من الأوساط الفرنسية التي عول على عونها في صراعه مع أخيه وباعدت بينه وبين الأوساط الشعبية، التي انضَمَّت إلى الحركة الحفيظية بهدف تحرير البلاد. وهذا ما ساهم في هزيمته هزيمة ساحقة في معركة بوعجيبة قرب مراكش في 9 غشت 1908. وإثر هذا الانكسار قرر مولاي عبد العزيز التخلي عن العرش واختار مدينة طنجة مستقراً له إلى وفاته بها في 13 يونيو 1943.

وثائق الخزانة الحسنية بالرباط؛ الحسن بوعشرين، *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، الدار البيضاء، 1994؛ م. الحجوي، *تقاييد تاريخية*، مخطوط؛ ع. الرحمان بن زيدان، *الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة*، 1937؛ *إتحاف أعلام الناس*، الجزء الأول، 1929؛ الزركلي، *الأعلام*، المجلة، 3؛ الخديمي، *الحركة الحفيظية*، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 2002.

علال الخديمي

**عبد القادر** بن **محمد الشيخ السعدي**، أمير سعدي كان يقود قوات والده منذ سنة 1542 عندما بدأ الخلاف يشب بين محمد الشيخ المهدي وأخيه أحمد الأعرج. وكان يواجه ابن عمه الحران بن أحمد الأعرج.

قاد عملية سعدية في تادلا وتمكن من طرد القائد الوطاسي من قصبة فشتالة وأقام حامية سعدية فيها سنة 1545. كلفه والده بدخول مكناس، بعد تنازل أبي حسون الوطاسي عنها في غشت 1545، وعندما دخلها محمد الشيخ، توسط ابنه عبد القادر في الخلاف الذي قام بين السعديين والشيخ أبي الرواين. وعندما قسم محمد الشيخ المهدي البلاد إلى عمالات في أبريل 1549، كان عبد القادر والياً على المغرب الشرقي، كما عُدَّ من بين وزراء أبيه محمد الشيخ المهدي.

شارك أخاه عبد الرحمن في قيادة حملة تلمسان. وتمكنا من دخولها في يونيه 1550 ثم كانت معركة فبراير 1551 التي انهزم فيها الشرفاء وقتل عبد القادر وبعث برأسه إلى الجزائر.

محمد الصغير الإفراني

**عبد القادر** بن **محمد الشيخ المهدي** السعدي ثاني أبناء محمد الشيخ المهدي السعدي، استطاع فتح مراكش سنة 1544 لصالح أبيه. استوزره أبوه مدة من الوقت لرجاحة عقله ورزانته. إلا أنه كان يخرج من حين لآخر بنفسه لإخضاع بعض المناطق الثائرة أو يشارك في بعض الحملات لفتح مناطق جديدة وضمها لمملكة أبيه.

وهكذا أخضع تادلا وحاصر فشتالة وشارك أخاه محمد الحران في حرب تأديبية لقبائل الغرب، كما ساهم بجدية في حروب تلمسان سنة 1550، وهي السنة التي عين فيها والياً على مراكش. كانت وفاته في فبراير 1551 إثر ضربة طائشة تلقاها وهو يشجع فرسانه لمواجهة حملة الثأر التي شنها الاتراك آنذاك على تلمسان. وحمل رأسه إلى الجزائر العاصمة حيث وضع في قفص صغير علق على باب عزون.

A. Cour, *L'établissement des dynasties des chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la d'Alger (1509 - 1830)*, Paris, 1904 ; H. De Castries, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1ère série : *Pays-bas*, Tome I, 1906, planche V ; *Espagne*, Tome I, 1921, p. 416 ; *France, Bibliographie et Index*, 1926 ; R. Ricard, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1ère série : *Portugal*, Tome IV, 1951.

محمد اللبار

**عبد الكامل** بن **محمد** الرايس من رجالات الدولة في بداية عهد السلطان مولاي سليمان الذي عينه قائداً لقوات الرباط في ظهير قرئ بالجامع الكبير في 15 ربيع الأول 1207 / 1792، و"مضمنه أن محمد بن عبد الكامل يتولى أمر البحرية والطبجية والبونبجية". لكن موقف رياس البحر وغيرهم من أهل الرباط بقيادة الحاج عبد الله برگاش اعترضوا على هذا القرار ورفضوا الانصياع له.

*الضعيف، نفسه.*

حسن أميلي

ابن **عبد الله**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا - Abdella Abdela ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Abdalla ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان، ويقول الفقيه الرهوني إنها انتقلت إلى الرباط.

ابن **عبد الله** أو **بنعبد الله** (آل -) أسرة رباطية، وهم مهاجرون غرناطيون انتقلوا إلى المغرب بعد سقوط غرناطة عام (897 / 1481) حيث كانوا يقطنون حسب البعض على ما يظهر (قرية أبي عبد الله) قرب غرناطة وهي لا تزال قائمة تحمل نفس الاسم إلى الآن. ولعل الأقرب إلى الاحتمال أن يكون اسمها (قرية أبي عبد الله) وهو (بوعبديل) الأمير النصري الذي ربما كان يصطاف بها ولعلهم انتقلوا إلى قرية تحمل اسمهم إلى الآن في (دائرة أجدير) (عمالة الحسيمة) وربما كان ذلك في طريق بعضهم إلى الجزائر حيث استوطنوا. وقد سبق لمهاجرين أندلسيين أن استوطنوا المنطقة منذ أوائل القرن الثالث الهجري. فهذه (وهران) قرية في بني قميل بين مشيوة وبني بوفراح بناها محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين عام (209 / 824) (*المغرب* للبكري، ص. 70) وقد احتلها الإسبان عام 915 إلى 1120 / 1708 وحررها الأتراك. ولكن المؤكد هو وجودهم منذ قرون بين تطاون والشاون معقل الجهاد ضد الإسبان حيث كان لهم به حي خاص يحمل اسم (بني عبد الله) ولا يزال جانب من هذه الأسرة بفاس والرباط يلقبون بالشاويين. وهنالك رواية مرجوحة لكنها لا تخلو من طرافة وهي أن أصل العائلة من (تافيلالت) ارتحلوا إلى غرناطة للجهاد برفقة مولاي الشريف جد العلويين المتوفى عام (847 / 1443) وكان ذلك قبل النفي العام بأكثر من نصف قرن في عنفوان (محنة غرناطة) من أجل إنجاد الغرناطيين. وقد خاض الشريف المجاهد سبعا وعشرين (27) غزوة (وهو عدد غزوات الرسول عليه السلام) وأجمع الغرناطيون على تنصيبه أميراً عليهم فرفض رغم إلحاح علماء فاس عليه يطلب من الأندلسيين أما بخصوص هجرة بني عبد الله إلى رباط الفتح فلعل ذلك تم في حدود 1267 (إبان حرب تطوان) حيث انتقل والد جدنا محمد بن عبد السلام إلى رباط الفتح بعد تعيينه على ما يقال أمينا وذلك صحبة أولاده الثلاثة وهم جدنا الحاج علي بن محمد (وكان عمره آنذاك 18 سنة مع أخويه أحمد (جدي لأمي) والعربي. ويلوح من هذه التواريخ أن العائلة مكثت بتطوان والشاون زهاء ثلاثة قرون وإن كان بعضهم ربما التحق بتطوان من الجزائر بعد ذلك. ويظهر كذلك أن فريقا من الأسرة هاجر إلى فاس وكانت هجرتهم محدودة بخلافها إلى الرباط ووجدة (حيث لا يزال يقطن بعضهم) وقد عرفنا من بني عبد الله بفاس منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري أفراداً أمثال أحمد بنعبد الله المتوفى عام (1263) وهو من أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني وأخيه العربي وابن عمه المكي بنعبد الله وهما أيضاً من مريدي الشيخ التجاني وخاصة أصحابه ولا يزال فريق من بني عبد الله في مهاجرات شامية مثل (حلب) حيث أورد ابن الحنبلي (971 / 1563) عدداً منهم في كتابه (دار الحبب في تاريخ أعيان حلب) (طبقة دمشق 1972 (أرقام 84 ـ 91) ومعلوم أن غرناطة كانت تسمى "دمشق الأندلس" (*نفح الطيب*، ج 1، ص. 141 و164 / ج 4، ص. 204) وممن عرف باسم (بنعبد الله) من أبناء عمومتنا بالجزائر العلامة زين العابدين بن عبد القادر بنعبد الله وهذا الاسم مركب على قاعدة أهل معسكر والحشم وكان هذا العلامة يحفظ صحيح البخاري متنا وإسناداً وكذلك صحيح مسلم وأعلم أهل عصره بالتاريخ وأنساب العرب وشيوخ المذهب المالكي وقد ورد على السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام آخر إمارة عبد القادر الجزائري وصار يحضر معه مجلس الصحيح ومدح السلطان بقصيدة مطلعها :

إن المليحة فاس لا يقاس بها    إيوان كسرى ولا صرح لذى سرج

وقد توفي بمكناس حيث دفن قرب ضريح سيدي محمد بن عيسى (*فهرس الفهارس*، ج 2، ص. 16). والواقع أن من الصعب تحقيق النسبة إلى كل من يحمل اسم (ابن عبد الله) إذ منهم عبد الله بن العربي بن أحمد بن محمد المدعو (ابن عبد الله) من أولاد معن الأندلسيين المتوفى عام 1188 (*جواهر المعاني*، ج 1، ص. 44).

وبنو عبد الله الثلاثة الذين هاجروا إلى الرباط وهم :

ابن **عبد الله، أحمد** تولى الحسبة بالرباط نيابة عن محتسبها الحاج عبد الخالق فرج تولاها بعده أخوه الحاج العربي أوائل هذا القرن الميلادي وفي عام 1328 أعفي عبد الخالق فرج منها لكبر سنه (*مجالس الانبساط*، 203).

عبد العزيز بنعبد الله

**عبد الله** بن **إسماعيل** بن الشريف، السلطان. ولد بقصر يدعى قصبة الفرخ من واد إفني بتافيلالت في منتصف ذي الحجة عام 1121 / 1709. أمه خناثة بنت بكار المغافرية المشهورة. نقل ابن زيدان وصفه فقال : "أبيض مشرب بحمرة، مليح الوجه قصير القامة، خفيف اللحية جدا، مفلج الأسنان، بخده الأيسر شامة، طويل اليدين والأصابع. إذا تكلم تحرك شارباه الطويلان، صغير الرجلين، دقيق القدمين، إذا ركب حسبته طوالا، وإذا مشى حسبته لخفة مشيته شاباً صغيراً، مهاب لا يكاد أحد يبدأه بالكلام.. "(*إتحاف أعلام الناس*، 4 : 390). ووصفه الريفي فقال : "وكان أمير المؤمنين مولاي عبد الله حازما شجاعاً مهاباً، يباشر الأمور بنفسه، ويستبد برأيه دون وزرائه... سفاك الدماء" (*زهر الأكام*، ص. 236).

وبالرغم عن إهمال المصادر الحديث عن مستواه العلمي، فيمكن أن نستنتج مما جاء لدى الفضيلي أن بضاعته العلمية لم تكن مزجاة، حيث أشار إلى أنه "ينبوع العلوم"، وأنه "كان في العلوم آية باهرة"، "فكم أحيا من علوم" (*الدرر البهية*، 1 : 208). وذكر ابن زيدان من شيوخه أبا محمد عبد الله المنجرة، بل جعل ابنه سيدي محمدا من بين الآخذين عنه. ونقل عن أبي عبد الله محمد الزكي السجلماسي أن المترجم كان مولعا بصناعة الملحون، صرف همته إليه، حتى صار كأنه طوع يده (*إتحاف*، م. س، 483، *الإعلام*، 8 : 314).

بويع له بالملك بمكناس، على إثر وفاة صنوه أحمد الذهبي - مار الترجمة - في رابع شعبان عام 1141 / 1729 ؛ وهو يومئذ بتافيلالت (*زهر الآكام*، ص. 227). بايعه أعيان العبيد والاودايا الذين "وجهوا إليه جريدة من الخيل لإعلامه باجتماع الكلمة على بيعته والإتيان به". وبإثر ذلك قدم إلى فاس، حيث نزل بظهر المهراس. فقصد دار الملك بفاس الجديد ؛ وهنالك وردت عليه الوفود بيعتهم يوم سابع رمضان العام (*نشر المثاني*، 3 : 322، *الاستقصا*، 7 : 126) فوصلهم "بقنطار ونصف ذهبا اقتسموه أمامه" (*الإتحاف*، 4 : 394). لاشك في أنه فعل ذلك سعيا منه في تأليف قلوبهم، لأن بذل المال يومئذ في سبيل كسب المناصرين أضحى أمراً معتاداً، سيما لدى جيش العبيد الذين استغلوا تعدد المطالبين بالحكم لابتزازهم. وفي المقابل أمده أهل فاس بخمسمائة رام، توجهوا معه إلى مكناس، حيث وجدوا بظاهر المدينة قواد العبيد والعرب والبربر، الذين استقبلوه بحفاوة، وأدخلوه المدينة، يوم خامس عشر رمضان. فاتخذها قاعدة لملكه، وبها بويع البيعة العامة، بعد أن وفد عليه أعيانها حاملين إليه بيعتهم ؛ كما وفدت عليه وفود القبائل ببيعاتها. فعاملهم بما عامل الوفود الأولى، حيث فرق عليهم الصلات. واستمر على تلك الحال، من استقبال الوفود المهنئة ؛ إلى يوم ثاني عيد الفطر، حيث أمر أهل فاس "بتسليم قصبتين وبستيونين لأنهما الجانب السلطنة وليست للرعية"، وهددهم إن هم امتنعوا "بهدم ديارهم عليهم" (*نشر المثاني*، 3 : 322 *إتحاف*.. م. س. ص. 396). فكان ذلك بدء سبب الخلاف بين أهل فاس وبين المولى عبد الله، حيث رفضوا الامتثال لأمره. وحتى لما تراجعوا عن رأيهم واتفقوا على أن يوجهوا إليه هدية، صحبة جماعة من أعيانهم، تعرض إليهم الودايا ونزعوا منهم الهدية وأقدموا على اعتقالهم بسجن فاس الجديد ؛ بدعوى أن المترجم أمرهم بذلك. بل صرحوا لهم بأنه أمرهم بحصار فاس البالي. فكان ذلك الحدث مما وسع الخرق بين الطرفين. ذلك أن عامة أهل فاس الإدريسية لما علموا بذلك صمموا على منابذة السلطان ورفض بيعته. وبالرغم عن محاولة العلماء ثنيهم عن عزمهم، فإنهم لم يتراجعوا. وفي سادس شوال أعلنوا خلع بيعته ورفضوا طاعته، وأقدموا على غلاق أبواب المدينة، تحسبا للهجوم.

ولما اتصل خبرهم بالمترجم، يوم خامس عشر من الشهر، صمم على محاربتهم، لإرغامهم على الرجوع إلى الطاعة. فأعد جيشا قوياً وجهه إلى فاس لمعاقبتهم. وضرب عليهم الحصار بقطع الماء، بينما عاثت جيوشه في زروعهم وبساتينهم، وقطعت عنهم السبل. لكنهم لما جنحوا إلى السلم كبر عليهم تسليم المعاقل والقصبات، فاستأنفوا القتال. ومن ثم، تعددت المعارك بينهم وبين جيش السلطان، طوال أربعة أشهر كانت الحرب فيها سجالا. ولم يذعن أهل فاس البالي إلا بعد أن اشتد عليهم الضيق، بسبب قلة الأقوات وتنازع عامتهم ورؤسائهم. فلم يكن لهم بد من الإذعان والاستسلام. فتم الصلح بين الطرفين على يد القائد محمد السلوي، بالضريح الإدريسي يوم الثلاثاء عاشر ربيع الأول عند صلاة الظهر. ولم يبرح السلطان مدينة فاس، إلا بعد أن عمر جنده القصبات والمعاقل ؛ ليتوجه في العشرين من الشهر إلى مكناس التي كان لهيب الفتنة قد وصلها.

ولما سكنت تلك الجهات ولى وجهته صوب الجنوب، فانتقل إلى جهة تادلا لتمهيد بعض القبائل المتمردة هناك ؛ سيما أيت يمور. وفي أثناء تلك الحركة قبض على يوسف أحنصال، وقبل أن يأمر بإعدامه - بقصبة تادلا - قال : "أردت أن لا أقتلك لكن خفت أتركك يقال إن جنونك غلبني [كذا]". ونتيجة لسياسة الشدة التي سلكها إزاء الرعايا زادت رهبته في قلوب الناس. بل أضحى ذلك ديدنه حتى إزاء سكان فاس أنفسهم ؛ حتى إنه لم يعد إلى فاس، التي استمرت في بؤرة اهتمامه، بسبب وجود كثير من رؤوس الفتنة بها ؛ إلا ليؤدب ويزجر ويولي ويعزل.

وللإشارة فقط، فإن كل ما أقدم عليه من تغيير في المخزن لم يكن له وجه من الصواب، بل جاء نتيجة دسائس بعض من كان يثق بهم، وهم ليسوا لذلك أهلا. وأبرز مثال على ذلك، تعيينه لمحمد بن علي الزموري على عمالة فاس. فلم تكن ولايته في غير محلها فقط ؛ لكن الأدهى من ذلك أنه أمره باستصفاء أموالهم، لأنه سمع بأن المال هو الذي أطغاهم. ولم يترك أحداً منهم إلا وآذاه، حتى "فر الناس إلى شواهق الجبال والقرى والأمصار .." ممن استطاع الإفلات من القتل أو السجن. كما بعث بالقائد ولد المجاطية إلى فاس، وأمره بنهب زروع أهلها، فعاث فساداً حتى ارتفع سوم القمح، وترتبت عن ذلك المجاعة. وفي الوقت ذاته أقدم على قتل عدد من الأعيان وكبراء الجيش. وهذا قل من كثر مما حكاه القادري في النشر (3 : 377 - 357).

ومن ناحية أخرى لم تكن تأخذ المترجم شفقة فيمن خرج عنه، أو ارتاب في ولائه من منفذي أوامره. والأمثلة كثيرة في هذا الباب ؛ نكتفي بالإشارة إلى بعض الباشوات والقواد، كالروسي والحياني والسهلي، الذين أمر بتتريكهم أو قتلهم (*زهرة الآكام*، ص. 237).

لكنه لما أسرف في دماء العبيد، ثأراً لأخيه المولى عبد المالك ؛ لم يتوان هؤلاء في الثورة عليه، وخلع ربقة طاعته، فحملوا أخاه المولى عليا الأعرج إلى سدة العرش. وكان ذلك

في يوم الثلاثاء منسلخ ربيع الثاني عام 1147 / 1735. ولم يتراجعوا عن ذلك بالرغم مما بذله من مال.

وبذلك انتهت دولته الأولى، التي دامت خمسة أعوام وثمانية أشهر ونصفا (م. س. ص. 238، *الضعيف*، ص. 115). فلاذ بالفرار متوجها إلى الجنوب. وبعد أن توقف بقصبة أبي العوان، ليفرق على أهلها المال ليعصوصب بهم، لم يلق عصا التسيار إلا بشيشاوة - غربي مراكش - حيث طال به المقام، قبل أن يستقر بتارودانت (*نشر*، م. س. ص. 370 - 381).

إلا أن العبيد، بإيعاز من كبيرهم سالم الدكالي، نبذوا طاعة المولى علي ورجعوا لمبايعة المترجم، الذي كان قد وصل إلى تادلا، في طريقه إلى فاس.

ولم تدم دولته الثانية تلك سوى سبعة أشهر، لأن العبيد سرعان ما تراجعوا عن بيعته ليبايعوا أخاه محمدا المدعو ولد عربية (م. س. ن. زهر *الآكام*، ص. 244). وقد ترتب عن ذلك انقسام في الرأي، واكبه اندلاع الحرب بين أنصار كل من عبد الله وولد عربية. ويمكن أن نوجز وضع البلاد فيما جاء عند الريفي حين قال : "وكثر أهل الفساد في الحاضر والباد، وعم جميع المغرب الغلاء وعظم البلاء، وأكل القوي الضعيف ... وكثرت المنكرات واشتد الخوف في الطرقات، وغلت الأسعار في جميع الأمصار، ولا سيما مدينة مكناس وفاس.." (م. س. ص. 246).

لكن العبيد سرعان ما رجعوا إلى بيعة المترجم، الذي كان قد رجع إلى مكناس، حيث عسكر بيوفكران. وهنالك وفد عليه أهل فاس، في محرم عام 1149 / 1737، فأقدم على قتل ستة عشر رجلا منهم ؛ الأمر الذي دفعهم إلى نبذ طاعته، ومبايعة ولد عربية، من جديد. فما كان له بد من الفرار عن مكناس، حيث توجه إلى الحاجب ليختفي عند أيت ادراسن، بمن تبعه من المسخرين والأتباع (الزياني، *الترجمان*، ص. 43).

إلا أن الأمر لم يستقم لابن عربية بسبب إطلاقه أيدي أتباعه في أمتعة الناس وممتلكاتهم، والوقت وقت مجاعة عضت جميع الناس. فكثر النهب والعيث، وقطعت السبل، وساد الخوف. واستمر الحال على ذلك أزيد من سنة. فاعتقل العبيد سلطانهم وكبار رجال مخزنه فأودعوهم السجن، ووجهوا رسلهم إلى تافيلالت ليأتوا بالمستضيء ؛ فنادوا به سلطانا في فاس ومكناس (*الترجمان*، ص. 45).

إلا أن السلطان الجديد أسرف بدوره في القتل، وسلط أعوانه على رقاب الناس بالنهب والسلب. والظاهر أن العبيد لم يفيدوا شيئاً من ذلك فثار بهم الغضب، وأقدم أصحاب مشرع الرمل منهم على خلعه، بعد عام وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما (*زهر الآكام*، ص. 260) وكتبوا إلى أهل فاس والودايا بالرجوع إلى بيعة المترجم الذي كان مخيما آنذاك بالمزمة. فقدموا به، ولما دخل مدينة مكناس نكل بعدد من أعيانها، من بينهم فقهاء المدينة وخطباؤها. وعلى الرغم من تشفعهم، فقد أطلق أيدي العبيد في دورهم وممتلكاتهم. هذا فضلاً عن أن الودايا وأهل الريف لم يبايعوه. وإذا كان الودايا قد تشفعوا بأمه، وتراجعوا عن موقفهم ؛ فإن الباشا أحمد بن علي الريفي اتخذ من القصر الكبير مركزاً للتمرد، سيما بعد أن اتصل بزين العابدين أخي المترجم، وساند دعوته. بل عمد إلى مكاتبة العبيد يستميلهم لمبايعة زين العابدين، مسخراً في سبيل ذلك نفوذه وماله. فما كان جواب هؤلاء إلا أن بيتوا للقبض على المولى عبد الله وقتله. وبما أن المناخ كان مناخ المؤامرات والدسائس، فقد أنذر بعض العبيد السلطان بما وقع عليه الاتفاق بين الريفي والعبيد، فاستطاع أن يلوذ بالفرار تاركا دار الملك التي دخلها منافسه زين العابدين، حيث بويع البيعة العامة. وكان ذلك في ربيع الأول من سنة 1158 / 1745 (*الترجمان*، ص. 49). ففر المترجم إلى الجبل لدى برابرة الأطلس المتوسط. وفي الوقت ذاته رفض الودايا وأهل فاس مبايعة زين العابدين، فضرب عليهم الحصار بدون جدوى ؛ الأمر الذي ترتب عنه انقسام رأي العبيد. كما وقع الانشقاق في صفوف أنصار السلطان الجديد، وعم الاضطراب والنهب. وكانت هذه الظروف سبباً في جعل أهل فاس ينادون من جديد، بالمولى عبد الله سلطانا. فاهتبلها فرصة ليدخل فاس الجديد، ويسترجع ملكه - بدار الدبيبغ -. وفي الخامس عشر من رمضان ورد عليه كتاب كبار العبيد من مكناس، أخبروه بعزل زين العابدين ومبايعته هو وبذلك ابتدأت دولة عبد الله الرابعة.

ولم يمض على بيعته سوى أقل من شهرين حتى قام ضده المستضيء، بدعم من الباشا أحمد الريفي. وفي الوقت الذي دخل فيه هذا دار الملك بمكناس، لاذ المترجم بالفرار قاصدا أنصاره القدامى، برابرة أيت دراسن. وهنالك استطاع جمع جموعه لمنازلة خصمه. ولما رأى هذا الأخير أن لا طاقة له بحربهم ارتحل عن دار الملك بغير قتال. لكن ما أن استهل العام الموالي حتى قام المستضيء والريفي من جديد. فلجأ السلطان عبد الله إلى أنصاره من البربر يستحثهم على نصره ومحاربة القائم عليه مع ولي نعمته. فاجتمع له جيش قوي من البربر، كأيت ومالو وبني حكم وزمور وكروان، وعلى رأسهم القائد محمد وعزيز. وبعد أن تناجز الفريقان، وكانت فتنة عظيمة، لحقت الهزيمة بأنصار المستضيء. وفي الوقت ذاته توجه الريفي للم شتاته والبحث عن المدد للكر على عبد الله. فالتقى الجمعان بموقع يدعى دار العباس، بالقرب من وادي اللكوس حيث كانت الهزيمة على جيش المستضيء ؛ في قتل الباشا الريفي ونهبت محلته. كما أمر المترجم باستصفاء أمواله وأملاكه ومعاقبة أتباعه وخدامه. وفرق زروعهم وأموالهم بين أنصاره. وأقام بطنجة أربعين يوما، قبل أن ينقلب إلى حرب أخيه الذي خرج من مكناس لاعتراض سبيله. فالتقيا في نفس الموقع الذي انهزم فيه الريفي، وأسفر اللقاء عن هزيمة المستضيء هزيمة منكرة، اتفقت المصادر على أنها كانت مقتلة شنيعة، لم يسبق مثلها. يقول الزياني

بصددها : "وكانت هذه الوقعة من أعظم الوقائع مات فيها عدد لا يحصيه إلا الله" (*الترجمان*، ص. 55). وبذلك انفسح أمامه المجال لدخول مدينة فاس التي قدم إليها في ربيع الثاني من عام 1157، فاستقر بدار الدبيبغ من جديد. وبها قدمت عليه الوفود، منهم المهنيء ومنهم التائب ؛ فجددوا له البيعة، وتعاهد معهم على قطع دابر بني حسن وسائر من ناصر أخاه المستضيء. فكانت تلك بيعته الخامسة. وعوض أن يعاقب بني حسن عفا عنهم، بعد أن كان قد استعد إليهم بالحركة. فلاحق أخاه المستضيء، الذي توجه إلى الجنوب. ولما وصل دكالة عسكر بقصبة بولعوان، فقضى بها سنة كاملة ؛ عملت جيوشه أثناءها على نسف الزرع وقطع الشجر حتى "لم يبق فيها ما يأكله الطير أو يتظلل به" (*الترجمان*، ص. 56). فعل بها ذلك لأن أهلها سأندوا المستضيء. فواصل طريقه إلى مراكش مارا بالسراغنة، حيث قدم عليه أهل الجبال المجاورين لدمنات. وكان كلما نزل حلة أخلاها أخوه المذكور. فلما ظعن من السراغنة فر أخوه لاجئا إلى قبيلة مسفيوة التي كانت من جملة من بايعه. فنزل زمران التي وفد عليه بها الرحامنة وأهل سوس وأهل الدير، لتقديم طاعتهم وولائهم. ومنها وجه الحركة إلى مسفيوة، حيث جاست جيوشه خلال الديار، بالنهب والسلب وحرق الشجر والزرع. ومازال يضيق عليهم حتى نزلوا رافعين المصاحف مقدمين صبيانهم طالبين الأمان، متبرئين من المستضيء ؛ فعفا عنهم. ولما جاراهم في ذلك أهل دكالة، عاملهم بما عامل به الأوائل، إذ عفا عنهم وأمرهم بالرجوع إلى ديارهم. واستمر مقيما بزمران حتى قدمت عليه وفود أهل مراكش مقدمين بيعتهم.

وفي تلك الأثناء استخلف ابنه محمدا على مدينة مراكش، وتوجه هو إلى مكناس. ولما مر بالرباط عين ابنه أحمد خليفة على الشاوية وبني حسن. وقبل الدخول إلى مكناس خيم ببوفكران. وهنالك قدمت عليه وفود من الريف وبني حسن تائبين، فأمر بقتلهم جميعا ؛ وكاد يفعل بأيت دراسن نفس الشيء لولا وساطة كبيرهم محمد واعزيز، الذي "كان يقول له أبي مرارا". إلا أن البربر اغتاظوا لذلك وعزموا على الانتقام ؛ سيما حين علموا مقالته : "فأردت أن أقابل هذا التيس الأسود مع هذا الكبش الأبيض، فمن تلف منهما أستريح منه ومن عضته وأتمسك بالآخر" (*الترجمان*، ص. 59). ولما رجعوا إلى بلادهم جمعوا القبائل ونظموا الحركة لمحاربة المترجم انطلاقا من الحاجب. ولم يتوقفوا إلا أمام مدينة مكناس. فكانت الدائرة على البربر الذين انقلبوا إلى بلادهم منهزمين.

إلا أن العبيد قد استاءوا بدورهم لما بلغتهم مقالة السلطان "أردت أن أقابل هذا الكبش مع هذا التيس" ؛ فأجمعوا أمرهم على التمرد، وكتبوا لإخوانهم بمشرع الرمل. وفي الوقت ذاته كان كثير من القبائل قد استجابت لدعوة البربر، بمن في ذلك أهل فاس ؛ فلم يبق أمام السلطان إلا الودايا الذين وجه إليهم كلمته التي قال فيها : "إن كانت لكم حاجة بابن أختكم عبد الله فاركبوا إليه الساعة". فاستجابوا لطلبه، وقدموا إلى مكناس لإنقاذه، فرجعوا به إلى فاس الجديد. في ذلك الوقت كان البربر ومن تبعهم قد احتلوا فاس البالي، بل دخلوا دار الدبيبغ عام 1160 (*الترجمان*، ص. 61). واستمر الحال على الاضطراب حوالي سنة ؛ نادى العبيد خلالها باسم المستضيء الذي كان مقيما بطنجة، والبربر لا يزالون يغيرون على فاس، وقبائل الغرب ماضية في النهب وقطع السبل. وأما السلطان عبد الله فإنه صالح أهل فاس، ففتحوا في وجهه أبواب المدينة بعد حصار دام سبعة وعشرين شهرا ؛ وبعد أن قدم عليه البربر، ورجع بنو مالك وسفيان عن طاعة المستضيء. فقدم عليهم من مكناس، ووقع الصلح بضريح المولى إدريس أواخر عام 1161 / 1748 (*نشر المثاني*، 4 : 65 - 66).

وفي محرم من العام الموالي (1162 / 1749)، تآمر العبيد على اعتقال المترجم وعزله. فلما علم بذلك لاذ بالفرار من مكناس، واستقر بدار دبيبغ. وبعد أن رفض محمد ولد عربية وعلي الأعرج بيعتهم، أقدموا على مبايعة سيدي محمد بن عبد الله، خليفة السلطان بمراكش، وبعثوا بوفد يحمل إليه البيعة إلى تلك المدينة. وبالرغم عن رفضه لبيعتهم فقد استمروا على الخطبة به على منابر مكناس وزرهون (م. س. ن). وفي تلك الأثناء ظهر بالمغرب الوباء والمجاعة، فتفاقم الأمر وساد الاضطراب ؛ والعبيد متمادون في نصر الأمير محمد بن عبد الله.

ولما رأى هذا إصرارهم، قدم عليهم بمكناس أواخر صفر من سنة 1163 / 1750 ؛ لكنه بدل أن يماشيهم في ما قصدوا توسط لهم عند والده، بعد أن دعم العلماء رأيه. فحينئذ قبل العبيد عذر المترجم، وأمروا بالنداء بنصره على منابر مكناس، سيما وأنه وزع عليهم المال الذي قدم إليه هدية من قبل ولده. فكانت تلك بيعته السادسة (نشر، م. س، ص. 82، *الترجمان*، م. س، ص. 65). وقد تميز هذا العهد بإهمال السلطان للعبيد فتطارحوا على أعتاب ولده سيدي محمد لاسترضاء والده. وفي هذا دليل على خضد شوكتهم، وإدبار نفوذهم. كما يبدو أن مختلف الفرقاء المتناحرين سئموا حال الفتن والاضطراب، وأنهكتهم المعارك المتتالية، وضيق المعيشة، فجنحوا إلى السلم. وفي نفس الآن كان المترجم قد استقر بداره، دار الدبيبغ، وضعفت قواه عن الحركة. ومن ثم، لا نستغرب إذا رأيناه قد أضحى حكما بين مختلف القبائل المتنازعة. فعفا على ذرية أحمد بن علي الريفي، وولى أحد أبنائه على مدينة طنجة (نشر، 4 : 93).

لكن لما كاد الوضع يستقيم له، اضطربت أحوال البلاد من جديد، نتيجة حلول الجفاف ووقوع زلازل قوية ومتلاحقة، حيث بدأت الأرض ترتج منذ ضحوة السبت سادس وعشرين من محرم عام 1169 / 21 أكتوبر 1755، واستمرت الزلازل حوالي شهر (*نشر*، 4 : 113 ؛ *إتحاف*، 4 : 465). فانتشرت الفتن، وظهر الثوار في كثير من جهات البلاد. وبما أن المترجم

أضحى منشغلا بنفسه، لأنه أصيب بداء السل الذي ألزمه الفراش ؛ فإن خليفته سيدي محمدا هو الذي نهض بأعباء الدولة، فتصدى لجبر ما انصدع وإخماد ما اتقد. وهكذا لم يبرح المترجم داره بدار الدبيبغ، خارج فاس الجديد، إلى أن عاجلته منيته ليلة الخميس سابع وعشري صفر عام 1171 / 1757. ودفن بمقابر العلويين التي في جوار دار الملك من فاس الجديد (م. س. ن. ص. 123، الضعيف، ص. 162 ؛ الزياني، *البستان*، ص. 347 ؛ *إتحاف*، 4 : 482). وكانت مدة ولايته ثلاثين سنة، بما تخللها من ولاية وعزل.

وأبرز ما ميزها كثرة الفتن والحروب والتولية والعزل، وتعدد المطالبين بالعرش والأدعياء، وتتالي المجاعات والأوبئة. كما استشرت أعمال سفك الدماء، شارك فيها المترجم بنصيب وافر ؛ حتى بلغ عدد من "قتل مدة سلطنته صبرا ما يزيد على سبعين ألف نسمة، قتل منها في يوم واحد خمسمائة وخمسين" (*الإتحاف*، 4 : 479). وبصدد أعماله على الصعيد الخارجي، فقد هاجم مدينة سبتة، وأبرم معاهدة مع الولايات العامة (هولاندة).

وكان له طابع بداخله، عبد الله بن أمير المؤمنين إسماعيل الحسني، الله وليه ومولاه، وبزواياه، اليمن والإقبال وبلوغ الآمال والسعد (*إتحاف*، م. س. ص. 401) وكان يوقع مراسلاته بـ "عبد الله كان الله له".

ولم يخلف المترجم من الآثار، في ميدان البناء، سوى دار الدبيبغ بفاس، وهي مقر سكناه ؛ ودويرة باب الريح خارج مكناس. علاوة على تنميق باب منصو العلج وباب مسجده المعروف بجامع الأنوار، بمكناس أيضاً (م. س. ص. 483).

الريفي، *زهر الأكام* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *التقاط الدرر* ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الزياني، *الترجمان*، *البستان* ؛ م. أكنسوس، *الجيش* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، *العلائق السياسية* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*.

Th. Pellow, *La relation de Th. P. J. de Léon. Moulay Ismael...* ; B. Boutaleb [et al.], *Histoire du Maroc* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc* ; A. Laroui, *Histoire du Maghreb*.

أحمد عمالك

ابن **عبد الله، عبد الواحد** بن علي بن الحاج محمد بن علي الرباطي ولادة ونشأة وداراً. ولد برباط الفتح (عام 1311 / 1893) واستظهر القرآن والمتون بكتاب قرب حومة البحيرة بدرب الباشا بالرباط.

واشتغل بالدراسة العلمية حوالي عام 1325 فتتلمذ لشيوخ العاصمة منهم الشيخ أبو شعيب الدكالي ودرس عليه التفسير وصحيحي الإمامين البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داود السجستاني والنسائي وابن ماجة والمختصر الخليلي و*ألفية ابن مالك* بشرح الآشموني وحاشية الصبان.

كما واصل دراسة مختصر الشيخ خليل على العلامة النظار وزير العدل القاضي سيدي محمد الرندة الأندلسي وواظب على حضور الشروح العلمية الأدبية للعلامة المشارك مولاي أحمد بن المامون البلغيثي بخصوص صحيح الإمام البخاري ومجالس المحدث الحافظ الأديب الشاعر سيدي المدني ابن الحسني لأوائل *موطأ* مالك بن أنس من تخليص المفتاح للخطيب القزويني و"*مرتقى الوصول إلى علم الأصول*" و"*تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام*" ولامية كعب بن زهير *بانت سعاد* وألفية العراقي في السيرة والقوانين الفقهية لابن جزي الكلبي.

وقد تتلمذ أيضاً لثلة من الشيوخ الأفذاذ بحضرة الرباط منهم : الشريف العلامة المحقق سيدي محمد ابن العياشي قرأ عليه جل *المرشد المعين* وأوائل ألفية ابن مالك.

والعلامة الجامع بين المعقول والمنقول الضابط المتقن سيدي محمد السائح والعلامة المحدث سيدي محمد (فتحا) ملين والقاضي شيخ الجماعة علامة الرباط وأديبه أبو حامد المكي البطاوري.

وبعدما حصل جملة من المعارف في مختلف المجالات الأدبية والفقهية والحديثية تصدى للتدريس بمساجد العاصمة فكان يحضر دروسه ثلة من الطلبة بالإضافة إلى جموع غفيرة من العوام نظراً للأسلوب البسيط الذي كان ينهجه في التبليغ.

وقد تقلب في عدة مناصب منها الكتابة بالإدارة الشريفة بالرباط ثم العضوية في مجلس الاستيناف الشرعي الأعلى عام 1355 من حيث استعفى بعد ثلاث سنوات (عام 1358) وبدأ هنالك يتجول في كبريات الحواضر المغربية خاصة منها مدن فاس والدار البيضاء ومراكش وطنجة وتطوان علاوة على موطنه الرباط وتولى الأستاذية بدار الحديث الحسنية بالرباط محتسبا بدون أجرة وساهم في الدوس المولوية الحسنية الرمضانية بالقصر الملكي بالرباط.

عرف بنزاهته الفكرية وغيرته الدينية والوطنية وصلابته في الحق. وقد اضطهده الفرنسيون إبان الحماية وأصدروا حكما بسجنه سنة ونصف، سنة قضى بعضها في سجن العلو بالرباط وذلك لمجرد اتهامه بأنه ضرب مثلا للنضال النسوي ضد الاستعمار بقيام جان دارك الفرنسية بتحرير بلادها من ربقة المغير الأجنبي.

وللمترجم ولوع وشغف بالطرب الأندلسي وقد أخذ نوباته الإحدى عشرة عن الفقيه المطرب الشهير سيدي محمد بن عبد السلام البريهي الفاسي وكان في شبابه من هواة الشطرنج يساهم في ألعابه بالرباط وفاس والدار البيضاء حتى مهرميه.

مصنفاته :

1) ثلاث رسائل الأولى "الفارق بين المصنف والسارق" والثانية "المنهاج المستقيم في الاعتصام بحبل الله العظيم" والثالثة "الحجة الواضحة البرهان في أن العارف التجاني لمن يفضل صلاة الفاتح على القرآن".

طبعت هذه الرسائل عام 1345 بالمطبعة الأهلية لصاحبها مصطفى بنعبد الله بالرباط.

2) "القوانين المختارة للمار بالميقات مقدما الزيارة" (المطبعة الوطنية لصاحبها عباس التناني والعربي القباج سيدي الفاسي بالرباط).

3) "القول الحميد في تعظيم القرآن المجيد" (طبع عام 1350 بالمطبعة الوطنية بالرباط).

4) "الإقناع بالدفاع" (طبع عام 1377 بالمطبعة الوطنية بشارع القناصل بالرباط).

5) "إعلام المسلمين بالحجة والبرهان لنقض ما في كلام الزمزمي ابن الصديق من الزور والبهتان" (طبع بمطبعة فضالة بالمحمدية).

تلاميذه :

أخذ عنه كثير من الطلبة من جملتهم العلامة الشيخ محمد المكي الناصري والفقيه محمد الحسناوي والقاضي محمد حكم والفقيه محمد العوينة. وكانت دروسه ملتقى لنجباء الطلبة من مختلف المستويات لما امتازت به مجالسه العلمية من مظاهر المشاركة والتبحر مع تواضع وزهد.

توفي يوم الأحد رابع عشر رمضان عام 1411 / موافق 31 مارس 1991 ودفن بمقبرة صندل أمام روضة الشهداء بالرباط. وبوفاته فقدت عاصمة الرباط علماً من أعلامها البارزين وعالما ممتازاً وداعية لا يخاف لومة لائم ومرشداً سلفياً صوفياً.

ابن **عبد الله، محمد** من مواليد 1940 بإقليم خريبگة شارك في الانتفاضة الشعبية التاريخية التي عرفتها مدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955 والتي خرج فيها المواطنون إلى الشارع للتنديد بالسياسة الاستعمارية والمطالبة باستقلال البلاد .

وقد كان الشهيد من بين هؤلاء المواطنين حيث استشهد على إثر تدخل قوات الاحتلال الفرنسي بقوة السلاح لإخماد الانتفاضة وذلك بتاريخ 21 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 512723.

ابن **عبد الله، محمد** بن **أحمد** بن الحاج محمد بن علي الرباطي. ولد برباط الفتح أواخر عام 1313 أو 1314 / 95 - 1896. وبعد ما استظهر القرآن الكريم والمتون في مكاتب محمد سباطة ومحمد بن عبد الله النصيري ومحمد التادلي، بدأ دراسته الثانوية والعالية على أساتذة كبار من علماء الرباط على رأسهم العلامة المحدث الحافظ محمد المدني ابن الحسني والعلامة محمد بن عبد السلام السائح وشيخ الجماعة العلامة المحدث المقرئ أبي شعيب الدكالي والعالم المحقق وزير العدل، وقاضي الرباط محمد بن عبد السلام الرندي.

وقد حضر دروس محدثين وفقهاء جهابذة كانوا مناراً للمعارف في حضرة الرباط منهم :

- العلامة النوازلي قاضي الرباط سيدي عبد السلام بن عمر ابن إبراهيم.
- العلامة سيدي محمد (فتحا) بن عبد الله ملين وزير الأوقاف.
- العلامة الشريف سيدي محمد ابن العياشي.
- الفقيه سيدي محمد التادلي.
- العلامة الأديب سيدي التهامي بن المعطي الغربي.
- العلامة الفهامة الشاعر سيدي أحمد بن قاسم جسوس.
- المحدث الأصولي سيدي أحمد بن المامون البلغيثي.
- الأصولي النوازلي السيد أحمد بن الفقيه الجريري السلاوي.

وأخذ بالمشرق عن شيوخ أفذاذ منهم :

الشيخ محمد بدر الدين الحسني المغربي الأصل شيخ دار الحديث الأشرفية بدمشق (عام 1358).

العلامة شمس الدين محمد بخيت المطيعي حافظ المذهب الحنفي وشيخ الإفتاء بالرباط المصرية.

- العلامة شمس الدين محمد السمالوطي المالكي.
- العلامة الشيخ محمد حسنين بن مخلوف العدوى.

وبعد هذه السلسلة من الدراسات على مشيخة من كبار العلماء انبرى الأستاذ محمد بنعبد الله بما أوتيه من دراية وحنكة ليلقي دروسا في بعض جوامع ومساجد الرباط النحو الحديث والتفسير ومدرسا بمدرسة محمد (فتحا) جسوس بالرباط المعروفة بمدرسة بلافريج. وقد عين بعد ذلك عضواً بمحكمة الاستيناف الشرعي بالعاصمة ثم استقال من منصبه بعد نفي أمير المومنين محمد الخامس ونصب بعد عودة الملك إلى عرشه قاضياً بالعاصمة الإدارية خلال عامين نصب إثرهما رئيس لمحكمة الاستيناف بالرباط ثم عضواً مستشاراً بالمجلس الأعلى للنقض والإبرام إلى أن وافاه الأجل المحتوم خلال حجة عام 1383 حيث دفن بروضة المصلى يوم 22 ذي القعدة.

كان وطنيا غيوراً لا تأخذه في دينه لومة لائم سار على نهج زملائه الأفذاذ من رجال الفكر والمعرفة يصل المشرق بالمغرب ضمن ما حصل عليه من إجازات علمية من شتى جهابذة شقّي العروبة والإسلام. وقد برز اضطلاعه العلمي فيما صنفه من كتب مازال بعضها مخطوطاً مثل "البيان المعرب عن رحلتي إلى الحرمين من المغرب" ورحلتين أخريين عن حجتيه الثالثة والرابعة و"الصارم المسلول على مخالف سنن الرسول" و"نيل السرور والمرح بشرح قصيدة أبي فرح" و"إتحاف ذوي الفضل والظرف بما للنحاة في أبي هريرة من ترك الصرف"، وتقاييد أخرى في التفسير والحديث والأحكام والفقه والنحو.

ولم يطبع من كتبه سوى "الدر المنظم في جواب صاحب القول المحتم" و"نيل الأرب من مسح الجورب".

عبد العزيز بنعبد الله

ابن **عبد الله، محمد** بن **أحمد الرباطي** ، ولد بالرباط سنة 1313 أو 1314 ولما بلغ سن التمييز أدخله والده كتاب الفقيه محمد سباطة، وبعد وفاة والده أدخله عمه الحاج العربي ابن عبد الله أحد الوصيين عليه من قبل والده إلى مكتب الفقيه محمد بن عبد الله النصيري وأقام فيه زمنا غير يسير، ثم نقله إلى مكتب الفقيه محمد التادلي. وبعد توديع الكتاب القرآني صرف وجهته لدراسة العلوم والمعارف على يد نخبة من شيوخ الرباط منهم كما جاء في ترجمته التي حررها بطلب من الفقيه محمد بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج الآتية أسماؤهم :

العلاّمة محمد المدني بن الحسني وقد قرأ عليه زمناً طويلاً.

العلاّمة عبد السلام السايح الذي وصفه بأن له اليد الطولى في تقرير القواعد الأصولية وإدراج الجزئيات تحت كلياتها.

الشيخ أبو شعيب الدكالي.

الفقيه النوازلي محمد بن عبد السلام الرندة.

الشيخ النوازلي قاضي الرباط عبد السلام بن عمر بن إبراهيم الرباطي.

العالم النحوي مَحمد بن عبد الله ملين وزير الأوقاف الأسبق.

الفقيه العدل قاسم بن عبد الله الحاجي.

الشيخ محمد ابن العياشي مقدم الزاوية التجانية.

الفقيه محمد التادلي الذي كان له شغف كبير بقراءة الجرائد التي تصدر في بلاد الشرق العربي.

العلامة النحوي الأديب التهامي بن المعطي الغربي.

الشيخ أحمد بن قاسم جسوس.

الشيخ الفقيه أحمد بن المامون البلغيثي.

الشيخ الفقيه عبد الرحمان بن القرشي الإمامي وقد حضر دروسه بالقرويين.

العلامة أحمد الجريري السلاوي وقد حضر دروسه بضريح سيدي أحمد حجي بسلا.

الشيخ المحدث محمد بدر الدين الحسني المغربي الأصل شيخ دار الحديث الأشرفية بدمشق وقد حضر دروسه بالمسجد الأموي في محرم 1352.

العلامة شمس الدين بخيث المطيعي حافظ المذهب الحنفي في وقته وشيخ إفتاء الديار المصرية ورئيس المجلس الشرعي بمحكمة مصر الكبرى سابقا.

العلامة شمس الدين محمد السمالوطي المالكي.

العلامة الشيخ محمد حسنين بن مخلوف العدوي.

ويذكر محمد بن عبد الله في ترجمته أنه اتصل بعدد آخر من العلماء واستفاد من مذاكراتهم كالشيخ المكي البطاوري والعلامتين مولاي عبد الرحمان الشفشاوني ومولاي المهدي العلوي الذين استفاد منهم كثيراً عندما كان عضواً في المجلس الشرعي.

للفقيه ابن عبد الله إجازات كتابية وأخرى شفاهية، فقد أجازه كتابة الفقيه عبد القادر بن محمد حواري المدني من ذرية الزبير من العوام - على حد قول المتجر - وذلك في 17 جمادى الثانية 1349، ثم أجازه ثانيا بجميع ما أجازه به شيخه محدث المدينة المنورة الشيخ محمد علي بن ظاهر الوتري من الفنون وكتب الحديث المذكورة في إثبات مشايخه ومشايخهم في 19 ربيع النبوي 1350. وأجازه كتابة أيضاً الشيخ محمد بدر الدين الحسني بجميع ما يرويه عن شيوخه. وأجازه مشافهة الشيخ محمد بن العربي العزوزي الفاسي أمين سر الفتوى بالجمهورية اللبنانية ورئيس العلماء والمجلس الإداري للأوقاف الإسلامية ببيروت بجميع ما يرويه عن شيوخه الذين منهم العلامة محمد بن جعفر الكتاني وذلك في شوال 1378.

وبعد أن نهل من علوم هؤلاء الأساتذة صار يقوم بإلقاء دروس تطوعية بالجامع الأعظم وجامع عطية بالرباط، في النحو بألفية ابن مالك وفي التفسير والحديث بكتاب الموطأ، وكتاب بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر العقسلاني.

تقلب ابن عبد الله في عدة وظائف فعمل مدرسا بمدرسة مَحمد جسوس الحرة بالرباط المعروفة بمدرسة بلافريج، ثم اشتغل عضواً بمحكمة الاستيناف الشرعي بالعاصمة ثم استقال من هذا الوظيف فأقيل، وذلك في الظروف العصيبة التي عاشها المغرب عقب نفي الملك محمد الخامس. وبعد رجوع عاهل البلاد نصب قاضياً شرعياً بالعاصمة، وبقي في هذا المنصب قرابة السنتين. إلى أن عين رئيس محكمة الاستيناف بالعاصمة ثم عضواً مستشاراً بالمجلس الأعلى للنقض والإبرام إلى أن وافاه الأجل.

كان متشبعا بالروح الوطنية ولكنه كان يكره الانخراط في حزب من الأحزاب بل يحمل عليها حملة شعواء فقد كان مقتنعا بسريان الشحناء والبغضاء داخلها مما كان يرى فيه انفصام عرى الأخوة والاتحاد.

ارتحل إلى الديار المقدسة عدة مرات فحج وزار. وفي سنة 1379 كان عضواً في الوفد الرسمي المغربي المرشح للحج، وعاود الحج عدة مرات.

خلف الفقيه ابن عبد الله أثراً فكرياً منه ما نشر ومنه ما بقي مخطوطاً. أما المخطوط فهو : البيان المعرب عن رحلتي الحرمين من المغرب، رحلة جمعها في حجته الثالثة، وأخرى في حجته الرابعة. الصارم المسلول على مخالف سنن الرسول. في الرد على من استحسن بدعة الذكر جهراً في تشييع الجنازة. نيل السرور والفرح بشرح قصيدة أبي فرح. اتحاد ذوي الفضل والظرف بما للنحاة في أبي هريرة من ترك الصرف. تقييد في انتقاد رسالة إبرام النقض لما قيل من أرجحية القبض. رسالة مختصرة في العقائد. رفع العتب والملام عمن قال قد قيل بالضحية عنه عليه السلام. تقييد صغير عنوانه بثة مكظوم ونفاثة مصدور على ما آلت إليه

الخطابة بالمغرب. تقييد آخر اشتمل على فوائد تتعلق بحديث النبي صلى الله عليه وسلم وبموطأ الإمام مالك. تقييد صغير في مناسك الحج. آخر في بعض أحكام ألفاظ الشهور العربية. البدر الذي لا يحجبه سحاب في أن ترجيح السنة على رأي الرجال أجدر بالصواب. تقييد أملاه عند ختمه ألفية ابن مالك. تعليق على شرح شيخ شيوخنا سيدي المكي البطاوري على نظم البيقونية في اصطلاح الحديث. تفسير سورة القدر ألقاه بالمسجد الكبير في أواخر رمضان 1380. شرح لحديث إنما الأعمال بالنيات أسماه : مبلغ الأمنية من حديث الأعمال بالنية. تعليق على نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المامون، للحافظ أبي الفتح محمد بن سيد الناس. شرح عقيدة رسالة ابن أبي زيد القيرواني. شرح على رجز في تصريف الأعمال لشيخه المدني ابن الحسني. تقييد مضمن مباحث جعلت مقدمة لدروس *الموطأ* التي أقرأها بالجامع الأعظم. آخر الكلام على الحافظ والمحدث والحجة والحاكم والمسند (بكسر النون) والمسندي (بفتحها) وأمير المؤمنين في الحديث. تعاليق على بلوغ المرام من جميع أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر حررها حين إقرائه له بجامع عطية. أخرى على كتاب التجريد الصيح لأحاديث الجامع الصحيح للحسين بن المبارك الزبيدي. أما ما نشر من تآليفه فهو : الدر المنظم في جواب صاحب القول المحتم. نيل الأرب من مسح الجورب.

توفي بمكة وهو محرم يمارس شعائر الحج في حجته الخامسة يوم الاثنين 22 ذي القعدة 1383 ودفن هناك بروضة المصلى.

م. بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992.

عبد الإله الفاسي

**عبد الله** بن **محمد الشيخ المأمون**، أمير سعدي. شارك في الأحداث التي عاشها المغرب عقب وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي سنة 1012 / 1603، حين بايعت مدينة فاس زيدان بن أحمد المنصور، وبايعت مراكش أخاه أبا فارس، بينما كان الابن الثالث، محمد الشيخ المأمون، سجينا في مكناس، ثم سلمه أحد القواد إلى أبي فارس الذي اعتقله في مراكش. وقد تم الاتفاق بين أبي فارس والمأمون على محاربة أخيهما المبايع في فاس، وترك المأمون ولده عبد الله رهينة عند أخيه أبي فارس في مراكش. غير أن عبد الله استغل جو الاضطراب الناتج عن ظهور الوباء بمراكش وخروج أبي فارس إلى ظاهرها، ففر مع بعض خدامه إلى فاس.

ومنذئذ أخذ عبد الله يقود جيوش والده في كل المعارك الناشبة بين الإخوة المتنازعين. فقد تمكن من الانتصار على زيدان بتاريخ 9 شعبان 1015 (10 دجنبر 1606) ودخل مراكش. وأخرجه عمه منها شهرين بعد ذلك. وفي آخر هذه السنة تمكن عبد الله من استرجاع مدينة مراكش، لمدة قصيرة قبل أن يخرجه منها زيدان مرة ثانية. وفي 20 دجنبر 1607 (12 رمضان 1017) اتجه عبد الله نحو مراكش لمحاربة عمه زيدان، وهزمه فعلا، ودخل مراكش، وبسط نفوذه على دكالة وحاحا بعد ذلك، تحالف زيدان وأبو فارس وتمكنا من التغلب على جيش يقوده عبد الله قرب أبي رقراق. ففر محمد الشيخ المأمون نحو العرائش، مستعداً للتنازل عنها للإسبان، بينما اتجه عبد الله وأبو فارس إلى شرق المغرب.

تمكن عبد الله وأبو فارس من جمع قوات جديدة واتجهوا نحو فاس، حيث اعترضهم قائد من قواد زيدان. تم الاتفاق بين عبد الله وأبي فارس على أن يملك الثاني مملكة مراكش مدى حياته على أن يوصي بخلافته لعبد الله. وفي هذه الأثناء وجدت قبائل شراكة في عبد الله من يقود عمليات النهب التي كانت تقوم بها في نواحي فاس، وتمكن عبد الله بهذه القوات الجديدة من دخول فاس، ثم تخلص من عمه أبي فارس بالقتل، ونجح في التغلب على الجيش الذي بعثه زيدان لمحاربته، وبعث مبعوثا إلى سوس يطلب من زعمائها عدم إيواء زيدان بعد انهزامه. إلا أن هذه المحاولة لم تفلح ولم يتمكن المبعوث من الوصول إلى سوس.

نتج عن تسليم محمد الشيخ المأمون مدينة العرائش للإسبان رد فعل قوي، كان من بين مظاهره اتفاق أشياخ الفحص على التخلص من هذا الأمير، خصوصا بعد أن ظهرت مفاسده واشتهرت عيوبه، فقتله المقدم أبو الليف (5 رجب سنة 1022 / 21 غشت 1613) فبويع إبنه عبد الله في فاس. وقد حاول عبد الله أن يقيم سلطة قوية، فلم يجد أحسن مما فعله والده، حيث بعث رسالة إلى ملك إسبانيا بتاريخ 3 شعبان 1023 / 8 شتنبر 1614 يؤكد فيها ما كان بين والده محمد الشيخ المأمون والإسبان من عقود وصلح كما بعث إلى إسبانيا سفارة على رأسها منصور بن يحيى وعبد الرحمن الشاوي. ولم تسفر هذه الاتصالات عن أية نتيجة. وساءت أوضاع عبد الله، خصوصاً بعد أن قتل أخاه إدريس خنقا بيده. فثارت عليه مدينة فاس، وعين أهلها أربعة من أعيانهم لتسيير الشؤون، ووضعوا عبد الله في إقامة جبرية في بيته وعينوا له راتبا. وقد تمكن بعد ذلك من مغادرة فاس وحاول تجميع جيش، وصل إلى سلا قاصداً مراكش، لكن جيشه انفض عنه بمجرد أن تسلم راتبه.

كانت فاس تعيش دون سلطان بعد أن رفض أهلها عودة عبد الله. وقد قل مال عبد الله إلى درجة أنه لم يجد ما يؤدي به راتب خدمه، فأعطاهم بعض قطع المدفعية، صهروها وباعوا معدنها للحدادين. وهكذا صار هذا الأمير أقرب إلى رئيس عصابة منه إلى سلطان، وحاول عدة مرات دخول فاس، دون نتيجة. وظهر في نفس الوقت أخوه المدعو محمد واصطدما سنة 1028 / 1618 - 19 عند وادي الطين في منطقة الغرب، وانهزم عبد الله.

توفي عبد الله بن محمد الشيخ المأمون سنة 1033 / 1623.

م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي* ؛ م. القادري، *نشر المثاني لأهل الحادي عشر والثاني.*

عبد الواحد أكمير

ابن **عبد الله، محمد** بن **محمد** بن المكي الفاسي، يكتب أيضاً "بنعبد الله" من رواد التعليم العربي الحر بفاس. ولد بمدينة فاس في وسط عائلي موسر وتلقى دراسته العالية بجامعة القرويين وتخرج منها يحمل شهادة "العالمية".

عرف بالفقيه ابن عبد الله ولد بفاس عام 1327 وبها نشأ ودرس في جامع القرويين على أشهر شيوخ عصره، وفي مقدمتهم شيخ الجماعة أحمد بن الجيلالي الأمغاري والداعية السلفي محمد بن العربي العلوي. وبعد حصوله على شهادة العالمية من القسم الديني سنة 1352 أخذ يلقي دروساً تطوعية بالقرويين ومدرسة العدوة الحرة.

انضم إلى كتلة العمل الوطني التي انقسمت إلى الحزب الوطني وعلى رأسه علال الفاسي والحركة القومية التي تزعمها محمد بن الحسن الوزاني وعمل مع أعضاء الكتلة مع الأستاذين علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني قبل أن يتفرقا.

ارتأى الأستاذ محمد بنعبد الله أن خير وسيلة لخدمة وطنه تكمن في محاربة الجهل ونشر المعرفة وسط شعب كان المستعمر يبذل قصارى جهوده للقضاء على الثقافة المغربية الإسلامية. فبدأ عمله بفتح مدرسة حرة بمسجد كان يقوم بحومة العدوة ويطلق عليه اسم المدرسة الخضراء.

وكان من أول تلامذته أحمد بنسودة وعبد الهادي بوطالب وعبد الوهاب بنمنصور وعبد القادر بنشقرون وأخوه محمد بنشقرون وحماد العراقي وأخوه عبد الواحد العراقي ومحمد العمراوي. ولما كثر الإقبال على هذه المدرسة اضطر الفقيه ابن عبد الله إلى كراء دار برأس الزاوية بحي العدوة لينتقل إليها التلاميذ ولتسير الدراسة فيها بتجهيزات ملائمة.

وما أن ضاقت الدار بالتلاميذ حتى فكر في بناء مدرسة عصرية بمساعدة خمسة عشر مواطنا فخرجت إلى الوجود مدرسة ابن غازي بالباب الحمراء.

وبمجرد ما بدأ يعمل في البناية الجديدة ألقي عليه القبض من قبل السلطات الاستعمارية ونفته إلى الصحراء حيث أذاقته من أنواع العذاب مع ثلة من الوطنيين ما يجسد قساوة الاستعمار وبغضه للأطر الوطنية. وقد كان من المعذبين الفقيه محمد القري الذي وافته المنية ومات شهيد الطغيان والجبروت.

ولقد عذب الفقيه بنعبد الله أشد ما يكون العذاب ليخبر المستعمر بأسماء المشاركين في تمويل بناء المدرسة. ولكنه صمد صمود الأبطال ولم يبح بأي اسم عن الذين ساهموا في بناء المدرسة ولقد صرح الفقيه بنعبد الله لأصحابه أنه لما نقل من الصحراء إلى سجن علي ومومن اعتبر كأنه خرج من الجحيم إلى الجنة. وبمجرد أن أطلق سراحه عاد إلى مدرسة ابن غازي ليواصل جهوده في تعليم النشء وتربيته على حب الوطن وبغض الاستعمار.

وما أن نادى المغفور له محمد الخامس بتعليم الفتاة حتى سار الفقيه إلى فتح مدرسة خاصة بالبنات فتفضل محرر الوطن طيب الله ثراه بأن عهد إلى بنته صاحبة السمو الملكي للاعائشة بتدشين هذه المدرسة فألقت خطابا دونت فيه عبارتها المشهورة حيث صرحت بقولها : "فاس والكل في فاس" الأمر الذي ملأ قلوب سكان مدينة العلم والعرفان عزا وسرورا. ومما زاد هذا الحفل بهجة ورونقا مفاجأة الحضور بإقبال سمو ولي العهد آنذاك مولاي الحسن يشارك في هذا الحفل فغمر الحاضرين حماس منقطع النظير.

ولقد واصل الفقيه بنعبد الله عمله في خدمة التربية والتعليم وخدمة الصالح العام إلى أن لقي ربه.

ونظراً لما كان يمتاز به من حصافة في الرأي ويتحلى به من إخلاص في العمل حظي بعطف وتقدير محرر البلاد جلالة المغفور له محمد الخامس الذي كان يستدعيه من حين لآخر ويستشيره في بعض القضايا وهذا ما جعل الفقيه بنعبد الله يزور القصر الملكي في أي وقت شاء.

ولم يكن يكتفي بدور التسيير الإداري بل كان يتكلف بحصص التدريس بالأقسام العليا بمدرسته. وكان أسلوبه في التدريس منتجا وفعالا فقد وهبه الله موهبة خاصة في إجراء الدروس مستعملا طرقا تدريسية مفيدة وفعالة دون أن يسبق له المرور بمراكز التكوين أو الاستفادة من أي دراسة في المدارس العليا للأساتذة.

وكان بعض الحاقدين ينتقدون استغلاله لمداخيل المدرسة لينعم بعيشة الرفاهية ولكن الواقع والحقيقة أنه رغم قيامه بدوره في تسيير المدرسة وإعطاء الدروس كان يهتم بالبناء ويستغل مدخول مبيعات ما بنى لينفق على عائلته.

لقد قضى حياته مجاهدا في سبيل الله ومربيا من المستوى الرفيع لبني وطنه ولئن ساهم في بناء مسجد تونس في شارع الشفشاوني بفاس فإنه كان يقضي بهذا المسجد ومسجد القرويين أوقاتا غير يسيرة في الوعظ والإرشاد تطوعاً وحرصاً منه على أن يقوم بتوعية المواطنين بمبادئ الدين الحنيف وبدعوتهم إلى التمسك بأخلاق الإسلام الحميدة.

ولم تمنعه مهامه من أن يرأس لجنة القدس بفاس وأن يحث باستمرار على مد الإخوان الفلسطينيين بكل المساعدات الممكنة الأمر الذي أدى إلى قيام ممثل المقاومة الفلسطينية بأن يشيد بجليل أعمال الفقيه يوم وافته المنية.

وفي حفل تأبينه رحمه الله أشاد ثلة من الشخصيات البارزة وممثلي الأحزاب بخصال الفقيه المحمودة وبتضحياته في خدمة الصالح العام وعلى رأسهم عبد الهادي بوطالب والدكتور عز الدين العراقي.

توفي يوم 12 أبريل 1982.

*معلومات شفوية عائلية* ؛ م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدار البيضاء، 1992، ص. 220 - 223.

محمد حجي

**عبد الله** (مولاي -) الأمير بن الملك محمّد بن يوسف، ولد بالرّباط في العاشر من شهر ربيع الأوّل عام 1355 موافق 31 ماي 1935.

امتزجت حياته القصيرة بفترة مؤسّسة في تاريخ المغرب حاول من موقعه كابن لمحمد الخامس وشابّ ذي قدرات أن يؤثّر فيها.

فقد عاش صباه وطفولته في مغرب الحماية وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في المدرسة المولوية بالقصر الملكي. وهي مدرسة أسّسها الملك محمّد الخامس ليعطي فيها لأبنائه تعليما عصريا يجمع بين كل العناصر التي كوّنت الفكر الحديث من ثقافة إسلامية كالفقه والقرآن والأدب العربي والفلسفة واللّغات الأجنبية، والرّياضيات والمستجدّات الفكرية والعلمية الغربية، مع صيانة هذه المدرسة من تأثيرات المدرسة الفرنسية الاستعمارية في المغرب .. وقد اختار لهذه الغاية أساتذة لم يراع في انتقائهم لا العرق ولا الدين بل فقط الكفاءة العلمية. ومنهم العلامة الحسين بن البشير والعلامة الوزير المدني بن الحسني، والعلامة عبد السلام الفاسي، وزير التعليم في ذلك الوقت، والمؤرّخ الأديب محمّد الفاسي، والأديب محمّد باحنيني، والأديب محمّد بن عبد النّبي، والمقرئ عبد الرّحمان بنموسى. والأستاذ عبد الهادي بوطالب، والأستاذ عبد الرحمان الفاسي، والفقيه خليل الورزازي، والفقيه البرنوصي. وكذلك عدد من الأساتذة الفرنسيين المرموقين كـ Le Bel وHainau وSalfranque وRevel وPariot وGoteland.

كما حرص الملك محمّد الخامس على أن لا تكون هذه المدرسة في عزلة عن المجتمع المغربي. وهكذا درس إلى جانب الأمير مولاي عبد اللّه ثلّة من أبناء الشعب ينتمون إلى جميع الطبقات الاجتماعية اختيروا من بين نجباء مختلف المدارس المغربية بما فيها المدارس الحرّة التي أسّستها الحركة الوطنية.

وبعد إغلاق المدرسة المولوية في الفترة التي نفي فيها الملك وعائلته، تابع مولاي عبد اللّه دراسته في منفاه، ثمّ بعد عودته من المنفى في نونبر 1955 التحق بمدرسة ليروش L'Ecole des Roches بضاحية باريس حيث حصّل على شهادة الباكالوريا الأولى ثمّ بثانوية Louis Le Grand لتهييئ الباكالوريا الثانية، ولكنّه رجع للمغرب أثناء السنة الدّراسية بسبب الأزمة التي حصلت في العلاقات الفرنسية المغربية بعد اختطاف الطائرة التي كانت تقل زعماء الثورة الجزائرية. واجتاز مولاي عبد الله الامتحان في الرّباط، وكان المهدي بنبركة أستاذه في الرّياضيات في تلك الحقبة. ثمّ تابع دراسته الجامعية في كلّية الحقوق بنفس المدينة، وبعدها في كلية الحقوق بلوزان Lausanne.

ونظرا لاطلاعه على تاريخ المغرب فإنه كان يعرف أهمّية البحر في سيرورته وأنّه شكّل مصدر قوّة سياسية واقتصادية وعسكرية في الفترات التي كانت الدّولة تتحكّم في مياهها، في حين صار البحر مصدراً للخطر الاستعماري والاحتلال سواء في فترة المدّ الإيبيري، أو الاحتلال الفرنسي، عندما لم يعد يتحكّم في سواحله بسبب تقهقره التكنولوجي واضمحلال بحريته. لهذا اهتمّ بدراسة قانون البحار وأعدّ رسالة الدكتوراه في جامعة Aix-en-Provence في موضوع "سيادة الدّولة وحدودها في المياه الإقليمية في إطار القانون الدّولي".

دخل الأمير مولاي عبد اللّه الحياة السياسية المغربية من بابها الكبير. فقد عاش المعركة الحاسمة بين عهد الاستعمار وعهد الاستقلال والتي تمثّلت في اختبار القوة بين القصر والإقامة العامّة وانتهت بنفي الملك محمّد الخامس وأسرته في غشت سنة 1953 إلى كورسيكا ثمّ إلى دغشقر في يناير 1954 وبرجوع العائلة الملكية في 1955 وباستقلال المغرب في مارس سنة 1956. وفي هذه المرحلة أبان رغم يفاعة سنّه عن حسّ وطني وسياسي وعن تمسّكه بقيم عليا لم يحد عنها رغم الإغراءات والتهديدات الاستعمارية والتقلّبات السياسيّة. ويسجّل له التاريخ أنّه رفض بنخوة ووفاء وبعد نظر، اقتراح فرنسا على محمّد الخامس في 16 أكتوبر سنة 1954 بواسطة الدكتور Dubois-Roquebert بأن يتنازل لابنه الأصغر عن العرش لحلّ الأزمة التي خلقها الاستعمار بعد نفي الملك وأسرته، ورفض المغاربة لمحمّد بنعرفة وثورتهم عليه، وتصاعد المقاومة المسلّحة. وكانت فرنسا ترى في ذلك وسيلة للخروج من المأزق الذي وضعتها فيه الإقامة العامّة وحلاّ وسطا بين تعنّت هذه الأخيرة وتمسّكها بضرورة تنازل محمّد الخامس عن العرش، وتمسّك هذا الأخير بالشرعية والنضالية. كما كانت تعتبر اقتراح "ملك ثالث" كفيلا في نفس الوقت بإعادة الاستقرار للبلاد والحفاظ على العرش.

ومنذ وفاة الملك محمّد الخامس في فبراير سنة 1961 وتولّي أخيه الأكبر مولاي الحسن بحكم مقتضيات الدّستور، عرش المغرب، قام الأمير مولاي عبد اللّه بدور الجنديّ

المجهول. إذ حرص وسط تغيّرات المعطيات السياسية والفكرية والاقتصادية، وتضارب المصالح، على المحافظة على العلاقة التي رسّخها محمّد الخامس بين العرش والشّعب فقد كان بوّابة القصر على هموم الشعب وبوّابة الشّعب على القصر. وساعده على ذلك طبيعته المتفتحة وكرمه واحترامه حقّ الاختلاف وقدرته على الإصغاء واعتناؤه بكلّ من يلجأ إليه. كما ساعده على ذلك شخصية رفيقة حياته وبعد نظرها واتساع ثقافتها السياسية، ممّا جعل من بيته ملتقى لجميع المشارب السياسية والثقافية والاجتماعية ومختبرا للتيّارات التي تتجاذب البلاد. وقد قام مولاي عبد اللّه بهذا الدّور إلى وفاته مع ما كان يحمله ذلك من صراع بين شخصيتين قويتين تربّتا معا في حضن ملك يتمتّعان معا بإشعاعه ومرجعيته. ولكن الالتزام بالمصلحة العليا للبلاد كان يشكّل الصخرة التي تكسّرت عليها كلّ الخلافات ممّا حال دون إحداث شرخ في هذه العلاقة. فقد بقي الأمير مولاي عبد اللّه عضدا قويا لشقيقه الملك الحسن الثاني، وشاركه كلّ المحن التي عصفت بالمغرب. إذ كان أوّل من جرح في محاولة انقلاب 10 يوليوز 1971 في القصر الملكي بالصخيرات. كما كان من بين ركاب الطائرة العائدة بالملك من فرنسا للمغرب في 16 غشت سنة 1972 حينما حاولت إسقاطها عناصر من الجيش كانت تتمتّع بثقة العاهل المغربي رغم تحذيرات شقيقه كما تعرّض بيته للقصف في نفس اليوم.

وإلى جانب دوره السياسي الدّاخلي، قام بدور سياسي خارجي ساعد على الحفاظ على الاستقرار في المنطقة وبناء علاقات جهوية ودولية متينة لعبت فيها شخصيته المتفتحة ودماثة خلقه وحسّه السياسي المرهف دوراً مهمّا. فقد ترأس أوّل وفد زار الجزائر بعد الاستقلال. وأبرم البلدان خلال هذه الزيارة مجموعة من الاتفاقيات السياسية والاقتصادية والثقافية كانت رصيدا لما تبعها من امتداد في علاقات المغرب مع باقي دول المغرب الكبير. كما ترأس وفد المغرب للقمّة العربية التي انعقدت في الإسكندرية في شهر أغسطس سنة 1964 وفيها أقام علاقات صداقة شخصية لصالح المغرب مع الرّئيس جمال عبد النّاصر، ومع الملك فيصل، ومع ملك المملكة الأردنية الحسين وأخيه ووليّ عهده آنذاك الأمير الحسن. وقام أيضا بزيارة لإيران عام 1969 أقنع خلالها الشاه بإعادة النظر في علاقته مع إسرائيل، ممّا مهّد لمشاركته في أوّل قمّة إسلامية انعقدت في المغرب، بعدما كانت عدّة دول إسلامية تعترض على دعوة الشاه لحضور المؤتمر بسبب العلاقات الاقتصادية والتجارية التي كانت بلاده تقيمها مع إسرائيل .. وترأس كذلك الوفد المغربي في مؤتمر منظمة الوحدة الإفريقية في إثيوبيا. كما قام بزيارات رسمية لعدد من الدّول العربية والأسيوية، من بينها لبنان، والعراق، والباكستان، والصّين، واليابان، وأفغانستان، متنت العلاقات الثنائية ومهّدت لزيارة رؤسائها للمغرب. وقد جاء تعيينه ممثّلا شخصيا للملك الحسن الثاني سنة 1972 كاعتراف بقدراته الدّبلوماسية وبلورة للجهود التي قام بها على الصّعيد الدّاخلي والخارجي.

ثم كانت استقالته سنة 1974 من هذا المنصب دون أن تجعل حدّاً لهذا التألّق ولتؤكّد التزامه رحمه الله بما كان عليه من المبادئ.

وقد كان لا ستقرار حياة الأمير العائلية ولشخصية المرأة التي اختارها شريكة لحياته أثرهما الكبير في مسيرته السياسية الداخلية والخارجية، وفي صموده أمام عوامل الإحباط التي واجهها في طريقه.

ففي سنة 1960 تعرّف على لمياء الصلح التي كانت طالبة في السوربون Sorbonne وكان هذا اللّقاء تدخّلا من الأقدار للجمع بين ذرّية رجلين عظيمين ناضل أحدهما في المشرق، والآخر في المغرب من أجل قضية واحدة هي استقلال العالم الإسلامي. فقد قاد رياض الصلح - الزعيم اللبناني - معركة تحرير لبنان وكانت له كذلك مواقف قوية من أجل حرّية المغرب سواء في نطاق جامعة الدّول العربية أو على المستوى الدّولي. ولكنّ يد الإجرام اغتالته في مدينة عمان سنة 1952. وهكذا لم يتح له مشاهدة الملك محمّد الخامس بطل تحرير المغرب وهو يزور لبنان ويصحب معه شيخ الإسلام محمّد بن العربي العلوي ليتولّى بنفسه خطبة كريمته إلى ولده الأمير مولاي عبد اللّه. وإذا كانت الأقدار لم تتح لهما معا حضور حفل الزفاف الذي أقيم في القصر الملكي بالرّباط سنة 1961 والذي ربط المغرب بالمشرق، فقد عمل الزوجان على المحافظة على هذه الرابطة التي تجذّرت بميلاد الأمير مولاي هشام سنة 1964 والأميرة لالة زينب سنة 1972 والأمير مولاي إسماعيل سنة 1981. وبقيت الأميرة لمياء بعد وفاة رفيق عمرها مرتبطة عضويا وعاطفيا بالمغرب ولم تعد لمسقط رأسها حيث ذكريات طفولتها وصباها وعائلتها ذات المكانة العالية في لبنان، مفضّلة البقاء في البلد الذي قضت فيه شبابها، وتبنّته وتبنّاها، مسخّرة وقتها للعمل الاجتماعي وخصوصا لفائدة فئة من أكثر فئات المجتمع حرمانا، وهم المكفوفون.

توفّي الأمير مولاي عبد اللّه بالرّباط يوم الثلاثاء الخامس عشر من شهر ربيع الأوّل عام 1404 موافق 20 دسمبر 1983. وقد كان تشييع جنازته الذي حضرها عفويا ما يفوق مليون مغربي من مختلف نواحي البلاد ومن جميع الطبقات الاجتماعية، دليلا على أنّ الشعب المغربي كان يعترف بالدّور الذي قام به الأمير في الخفاء وفي نكران الذات لتحسين أحوال البلاد. كما أن جنازته كانت دليلا على نجاحه في إنقاذ الأواصر المتينة التي بناها محمّد الخامس مع شعبه، إذ كانت هذه الجنازة المؤثّرة مناسبة عبّر فيها الشعب من جديد عن ولائه وتعلّقه بالملكية.

*مصادر شفوية.*

Hassan II, *Le défi*, Albin Michel, Paris, 1977.

ثريّا برادة

**عبد المالك** بن **إسماعيل** بن الشريف، العلوي السلطان كنيته أبو مروان. تسمى أمه معزوزة من قبيلة بني مالك (*زهر الأكام*، ص. 222) يبدو أن نفوذها داخل البلاط كان محدوداً، إذا ما قيس بنفوذ كل من خناثة بنت بكار وعائشة الرحمانية. له أخوان شقيقان هما عبد الرحمان والحسين (*زهر الأكام*، ص. 209).

لا نعرف شيئاً عن طفولته، ولا عن مستواه العلمي. تذكره المصادر لأول مرة، في سياق الحديث عن توزيع السلطان المولى إسماعيل أعمال المغرب على أولاده الكهول سنة 1111 / 1700. فكان من نصيبه ولاية درعة التي نزل قصبتها (أغلان)، و "رتب معه ألف فارس" (*إتحاف*، 5 : 298). واستمرت ولايته عليها حوالي ثلاث سنين، إلى أن ثار عليه أخوه المولى أبو النصر الذي طرده عنها. ففر إلى ضريح مولاي إدريس بزرهون، مستجيراً به (*الاستقصا*، 7 : 90)، خوفا من والده الذي كان ينزل بمن يرتكب مثل تلك الفعلة أشد العقوبة.

وبالرغم عن أن المصادر تلزم الصمت عما جرى بين الابن المخلوع وبين والده، فالظاهر أن لجوءه إلى الضريح المذكور قد نتج عنه عفو السلطان. كما تلزمْ الصمت عن بقية أخباره إلى حين وفاة والده، سنة 1139 / 1727 ؛ حيث يطفو من جديد على السطح. ذلك أننا نجده واليا على جهة سوس، التي كان يديرها انطلاقـا من تارودانت (*زهر الأكام*، ص. 214). وبالرغم عن أننا لا نعرف متى أسند إليه أمر تلك العمالة، فمن الممكن أنه قد وليها بعد القضاء على ثورة محمد العالم. ومن ثم، فإننا لا نستبعد أن المترجم كان يومئذ، لا يزال منتفضا بسوس، لأنه "بويع له قبل موت أبيه بتارودانت وسائر بلاد السوس وانقبضوا عن بيعة أخيه"، حسبما جاء عند القادري (*النشر*، 3 : 299). وهذا ما أكده الريفي حيث انفرد بالإشارة إلى أن أحمد الذهبي وجه أخاه المولى عليا لمحاربة عبد المالك الذي زحف إليه من تارودانت. فالتقى الجمعان بظاهرمراكش، حيث كانت الدائرة على جيش الأمير علي، الذي لاذ بالفرار. فاستولى أبو مروان على محلته ومضاربه وأثقاله، واحتل المدينة المذكورة (*زهر الأكام*، ص. 215). لكن أحمد الذهبي عاود أخاه بالحرب، فكانت المناجزة بين الطرفين على مشرع أحمي، انهزم فيها المترجم، واضطر إلى الرجوع إلى تارودانت. لكنه لم يستسلم، بل عاد لمحاربة أخيه مرة أخرى. فكانت المواجهة بينهما بموضع يدعى بولخراص، من بلاد الشياظمة. وعلى الرغم من أنها كانت مقتلة عظيمة ؛ فلم تنجل عن هزيمة أي منهما (م. س. ص. 216). ومن خلال ما تكرر في المصادر، يظهر أن المترجم كان مخالفا لجل إخوته، من حيث السلوك. ذلك أن كثيراً من الإخباريين يكن له التقدير والاحترام. فقد وصفوه بالحزم والنجدة، والضبط وحسن السيرة والسياسة. بل منهم من نعته بالنسك (م. س. ن).

لذلك لم يتردد العلماء عن مبايعته لما رأوا من استشراء الفساد في عهد أخيه السلطان أحمد الذهبي، ولأنه "كان أنسب حالا بالخلافة" منه (*أعلام المراكشي*، 8 : 376). وهكذا اتفق كبار جيش العبيد، الذين استبدوا بأمر الملك، حتى صاروا يتحكمون في التولية والعزل ؛ على خلع أحمد وبيعة عبد المالك. قيل إنهم فوضوا للعلماء والاودايا في أن ينظروا في ذلك الأمر. وفي ذات الوقت بعثوا برسلهم مع جريدة من الفرسان إلى المترجم، الذي هب لتلبية ندائهم. ولما سمعوا بوصوله إلى وادي بهت ركبوا لملاقاته احتفاء به، بعد أن اعتقلوا السلطان المخلوع بداره، وشددوا في حراسته (*البستان*، القسم الأول، ص. 227، *إتحاف*، 1 : 280). وكانت بيعته بفاس في 8 شعبان عام 1140 / 21 مارس 1728 ـ ونصها من إنشاء أبي مدين الفاسي ـ بينما تأخرت البيعة العامة، التي تمت بضريح مولاي إدريس بزرهون ستة أيام، بعد ذلك (*زهر الأكام*، ص. 221 و*البستان*، م. س. ص. 227 هامش 4 ؛ *إتحاف*، 5 : 306). وخطب به على المنابر أول مرة يوم الجمعة رابع عشر شعبان. وكان دخوله مدينة زرهون يوم تاسع رمضان. وهناك لحق به أعيان فاس والقبائل المجاورة. وفي اليوم الموالي دخل مكناس، حيث تلقاه وجوهها على اختلاف طبقاتهم، وقدموا إليه بيعتهم. وفي 23 رمضان ابتدأ قراءة *صحيح البخاري*. وبعد الانتهاء من مواسيم العيد، شرع في مباشرة دواليب المخزن (*إتحاف*، 1 : 280).

وبما أن عبد المالك كان يميل إلى الحزم، وكان سلوكه مخالفا تماما لسلوك سلفه، سيما في ميدان العطاء ؛ فقد خاب أمل العبيد فيه. تذكر المصادر أن العادة جرت بأن يقدم السلطان راتب البيعة. ولما طلب عبيد البخاري ذلك الراتب أعطاهم المترجم أربعة آلاف مثقال. وكان راتبهم في عهد السلطان إسماعيل مائة ألف. ولما بويع السلطان أحمد، زادهم فيه خمسين ألفا. "فلما رأوا من عبد المالك هذه المسخرة وهذا التقصير، تكلموا بخلعه" ؛ على حد تعبير الزياني (*البستان*، ص. 228). والحقيقة أنه حاول أن يتملص من شطط العبيد وجشعهم، فلم يزدهم في العطاء. كما أن الوضع السياسي، في البلاد عامة، لم يكن قابلا للرتق، بسبب ثقل إرث العهد المنصرم.

ولما علم العبيد بأن المترجم حاول استمالة البربر وغيرهم من القبائل، والتقرب منهم لكسر شوكتهم، قلبوا له ظهر المجن. وحين أستيقن من مكرهم، لم يواجههم مباشرة ؛ لأنه كان يعلم بعدم قدرته عليهم، بل بعث إليهم بنقيب زاوية وزان ليتوسط بينه وبينهم ؛ فما زادهم ذلك إلا نفورا واستعلاء. فانطلقوا من مشرع الرمل قاصدين دار الملك، فنهبوا وجاسوا خلال الديار، ونادوا في المدينة بعزله، ونصر أحمد الذهبي من جديد. وفي ذات الوقت بعثوا بالرسل للإتيان بهذا الأخير من تافيلالت. كان ذلك يوم الإثنين 24 من ذي الحجة 1140 (*معلمة المغرب*، الذهبي، ص. 4159).

ولما بلغ عبد المالك ما فعله العبيد لاذ بالفرار إلى مدينة

فاس، لأن أهلها ظلوا متمسكين ببيعته، باستثناء الاودابة الذين انشقوا عنه. وكان دخوله المدينة المذكورة يوم ثاني محرم عام 1141، حيث استوطن دار القيطون. وفي يوم السبت تاسع محرم ضرب عليهم أحمد حصارا دام حوالي خمسة أشهر ؛ ذاق السكان أثناءه كل ألوان العذاب، حتى كانت تلك الفترة من أحلك الفترات التي عاشها سكان مدينة فاس ؛ سيما حين اقترن الحصار بقطع الماء.

وأخيراً استجار عبد الملك بضريح مولاي إدريس، ظانا أن ذلك قد ينجيه. لكن رؤساء العبيد، بزعامة سالم الدكالي، أوهموه بعهود ومواثيق كاذبة، حتى اطمأن لقولهم وخرج معهم ؛ فسلموه لأخيه أحمد الذهبي الذي كامن في انتظاره بدار الملك بفاس الجديد. يوم الخميس الحادي والعشرين جمادى الأولى عام 1141 (*زهر الأكام*، م. س. ن، *إتحاف*، 1 : 292).

ولما اشتد المرض بأحمد الذهبي أمر أخويه، محمداً ولد اعريب وسليمان ولد الجامعية، وجماعة من العبيد أهل مشورته، بقتل المترجم، "ليلا من غير أن يشعر به أحد". فخنقوه ليلة الثلاثاء رجب، عام 1141 / 2 مارس 1729. ودفن بمقبرة الشيخ مَحمد بن عيسى.

الريفي، *زهر الأكام* ؛ القادري، *نشر المثاني*، 3 ؛ *التقاط الدرر* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ الزياني، *البستان* ؛ *الترجمان* ؛ *الروضة السليمانية* ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، 7 ؛ أكنسوس، *الجيش* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 ؛ المشرفي، *الحلل* ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، ج 1 و3 *المنزع اللطيف* ؛ *العلائق السياسية* ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، ج 2 و8، معلمة، الذهبي، 4154.

Braithwaite, *Histoire des révolutions* ; J. De Léon, *Vie de M. Ismail* ; Th. Pellow, *Relation* ; A.G.P. Martin, *Quatre siècles* ; M. Morsi, *Les Ahansala* ; G. Drague, *Esquisse*.

أحمد عمالك

**عبد المالك** بن **زيدان** بن أحمد المنصور السعدي، أبو مروان. تولى الملك من محرم 1037 / شتنبر - أكتوبر 1627 إلى 6 شعبان 1040 / 10 مارس 1631.

بويع بعد وفاة والده، وثار عليه أخواه الوليد وأحمد، فحاربهما وهزمهما، فالتجأ أحمد إلى فاس حيث بويع وضرب السكة باسمه، بينما استقل عبد المالك بمراكش وأحوازها. حاول ربط الصلة بأنكلترا فوجه إليها سنة 1628 سفارة على رأسها المقدم أحمد بوعلي. وفي السنة الموالية وفد عليه المبعوث الإنجليزي هاريسون يطلب منه التوسط عند أهل سلا لوقف الهجوم على السفن البريطانية، بعد أن احتدت العلاقة بين سلا وانكلترا بسبب رفض ملك ابريطانيا المصادقة على الهدنة المقترحة من سلا بحجة أنهم خارجون عن طاعة سلطانهم.

وفي سنة 1629 وصل إلى سلا المبعوث الفرنسي رازيلي Razilly ومنها بعث رسالة إلى عبد الملك يدعوه إلى تجديد ما هو معقود بين البلدين من صلح. ثم التحق بأسفي وتوصل من عبد المالك برسالة تؤمنه في الطريق، وكان هدف الزيارة الحصول على عدد من الأسرى الفرنسيين مقابل هدية تقدم للسلطان.

توفي عبد المالك بمراكش 6 شعبان عام 1040 / 10 مارس 1631.

م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء.
*S.I.H.M.. Biographie de Moulay Abd El Malek, Série Sâadienne*, t. III, p. 377.

عبد اللطيف الشاذلي

**عبد المالك** بن **عبد السلام** بن سيدي محمد بن عبد الله، الملقب بالزيزون، كان والده مولاي عبد السلام الضرير عاملاً بتارودانت وسوس وخليفة لوالده سيدي محمد بهذه المنطقة. وبما أن والده كان ضريراً فقد أصبح عبد الملك الذي كان حسب الضعيف "شهماً فارساً شجاعاً" يزاول شؤون الحكم بحاضرة سوس ويربط علاقات وطيدة مع أعيانها. وبعد وفاة السلطان سيدي محمد في سنة 1790 أصبح عبد الملك الزيزون هو المتصرف الفعلي في شؤون بلاد سوس، خاصة عندما كان عمه مولاي اليزيد منشغلاً بتمهيد المناطق الشمالية. ولم يكن بوسع اليزيد في هذه الظروف إلا أن يقبل بالأمر الواقع ويقره على ما كان بيده من سلطة بناحية سوس، خاصة عندما ورد عليه بهدية هامة على رأس أعيان الناحية.

ولم يكن عبد الملك الزيزون المتصرف الوحيد في منطقة سوس. فقد أدت الاضطرابات التي كانت تعيشها البلاد في الشمال إلى تقلص ظل المخزن جنوب الأطلس وبروز تنافس قوي بين الزيزون وعمه عبد الرحمان للاستحواذ على المنطقة والاستفادة من تجارتها الصحراوية الهامة. وبعد حروب طويلة بينهما استطاع عبد الملك الزيزون أن يُبعد عبد الرحمان عن تارودانت وأكادير ويرغمه على الاستقرار بسوس الأقصى. ولما دخل المولى سليمان مدينة مراكش لأول مرة سنة 1797 وفد عليه عبد الملك الزيزون بهدية كبيرة من العبيد والإماء، فلما شاهد السلطان مظاهر الثروة التي كان يتصرف فيها الزيزون وانحياش أهل سوس إليه تخوف منه ومن أطماعه في الاستقلال فأمره بالتوجه إلى مدينة فاس والاستقرار بدار أبيه هناك. ومع ذلك لم يطمئن المولى سليمان لبقائه بالغرب فألح على رحيله إلى تافيلالت. وعلى الرغم من هذا فان عبد الملك الزيزون حافظ على علاقات جيدة مع عمه الذي استعان به في حركة بني مطير في سنة 1802 عندما رأسه على قبائل الحوز المشاركة في هذه العملية العسكرية، كما نجده يتشفع لأيت عطة في سنة 1816 وهو ما يشير إلى أنه لم يبتعد نهائياً عن الحياة السياسية في ظل دولة المولى سليمان.

م. بن عبد السلام الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، 1986.

محمد المنصور

**عبد المالك، المعتصم** سلطان سعدي، حكم من أواخر ذي الحجة سنة 983 (أواخر مارس 1576) إلى وفاته يوم معركة وادي المخازن، آخر جمادى الأولى سنة 986 (4 غشت 1578).

ولد سنة 947 / 1541. كنيته أبو مروان ولقّبه الأتراك بالغازي، وكان لقبه الملوكي إبان حكمه المعتصم، وتسميه العامة سيدي ملوك.

كان له، كباقي إخوته أبناء السلطان محمد الشيخ المهدي، مشاركة في الحروب التي خاضها السعديون لتحرير الثغور التي كانت تحت الاحتلال البرتغالي، كما شارك في الحروب التي واجهوا خلالها الوطاسيين. وعندما استتب الأمر لمحمد الشيخ وَوَلَّى أولاده على أقاليم البلاد، عَيَّنَ عبد المالك على سجلماسة ثم ألحق به أخاه أحمد الذي سيعرف فيما بعد بالمنصور الذهبي.

توفي محمد الشيخ قتيلا يوم 29 ذي الحجة 964 (23 أكتوبر 1557) فبويع بعده بالملك إبنه عبد الله (الغالب بالله). ولما بلغ خبر الوفاة والبيعة عبد المالك وأحد إخوته - وهما في مدينة مكناس - خرجا منها فارين إلى أن وصلا إلى تلمسان، حيث أحسن استقبالهما. وتمت بين الأميرين والسلطان الغالب بالله مراسلات، أمّن من خلالها اللائذيْن بالترك، فعاد عبد المالك إلى فاس حيث اتصل بأمه وأخته، ثم ترك فاسا إلى تافلالت، حيث أقام مدة، إلى أن وصله أمر السلطان بمغادرتها، فخرج في أهله إلى تلمسان حيث التقى بأخويه عبد المؤمن وأحمد، ومن تلمسان أخذ الإخوة يشنون الغارات على شرق البلاد وتمكنوا من احتلال واحة فگيگ مدة. وخلال ذلك نظم عبد الله الغالب مكيدة تمكنت من اغتيال عبد المؤمن، فترك عبد المالك وأخوه أحمد تلمسان إلى الجزائر.

لم يكن عمر عبد المالك عندما استقر في الجزائر يزيد عن سبع عشرة سنة. ولم تكن إقامته في الجزائر إقامة لائذ أو لاجئ بقدر ما كانت إقامة مشارك في الأحداث التي تعرفها المنطقة كلها ؛ فقد شارك في معركة ليبانتو سنة 1571 وأُسِرَ وسُلِّمَ لملك إسبانيا فيليب الثاني، وبعد أشهر قليلة أطلق سراحه ووصل إلى إصطنبول، ومنها التحق بالجزائر سنة 1572. وقد تمكن عبد المالك بفضل هذه التحركات من التعرف على عدد من رجال الحرب والسياسة في الجزائر، بل وفي الامبراطورية العثمانية. فقد ربطته صلات صداقة ورفقة بباشا الجزائر علج علي الذي سيسميه السلطان أميرالا عاما للأسطول العثماني. كما ربطته نفس الصلات بأحد كبار قراصنة الجزار، الرايس مراد، الذي زوجه ابنته، وكان من بين أهم المناصرين له والداعمين لمشروعه بالعودة إلى المغرب. كما تمكن خلال إقامته هاته من تكوين شبكة من الأنصار والمساعدين، أروبيين ومغاربة، كانوا يطلعونه على تفاصيل التطورات التي تعرفها أوروبا في ذلك العهد، ويعدون - بما يجرونه من اتصالات مع المتعاونين معهم في بلاط الغالب بالله والمتوكل من بعد - عودة عبد المالك إلى المغرب.

لم يبد السلطان العثماني سليم الثاني كبير تحمس لمساعدة الأمير المغربي. غير أن المعطيات العامة في حوض البحر الأبيض المتوسط تغيرت، بعد أن تمكن العثمانيون من إعادة بناء أسطولهم الذي دمره الإسبانيون في معركة ليبانتو، واستعدوا لتنفيذ مشاريعهم في شمال إفريقيا، وهكذا، وبعد تولية السلطان الجديد مراد الثالث سنة 1574، انطلقت عملية عودة عبد المالك إلى المغرب بمساعدة من الأتراك.

رافق عبد المالك حملة بحرية تركية تمكنت من تحرير تونس من الاحتلال الإسباني سنة 981 / 1574. وقد بادر عبد المالك بإبلاغ والدته خبر هذا الانتصار - وكانت سحابة الرحمانية مقيمة في اصطنبول - فأبلغت الخبر إلى السلطان العثماني، واستغلت المناسبة لتحصل منه على وعد بمساعدة ابنها للدخول إلى المغرب.

التحق عبد المالك بالجزائر ومعه أمر السلطان العثماني لحاكمها من قبله بمساعدة الأمير المغربي.

توفي السلطان عبد الله الغالب يوم 27 رمضان 981 (10 يناير 1575) وبويع بعده ابنه محمد الملقب بالمتوكل على الله. وقد بدأ استعداد عبد المالك لدخول المغرب أواخر سنة 1575، ورافقه في عودته إلى المغرب قوة يقودها رمضان باشا قوامها ستة آلاف من المشاة المسلحين بالبنادق وألف من قبائل زواوة وثمانمائة فارس واثني عشر مدفعا. والتزم عبد المالك بأداء ما قدره خمسمائة ألف أوقية ذهبا، راتبا للقوة التركية المرافقة له. ووصل عبد المالك إلى ضواحي فاس حيث اصطدم بابن أخيه محمد المتوكل في معركة الركن، والتحق بعض قواد جيش المتوكل بعبد المالك، فانهزم المتوكل ودخل فاسا ومنها إلى مراكش. فدخل عبد المالك مدينة فاس، أواخر ذي الحجة 983 (أواخر مارس 1576) وبويع بها.

تمكن عبد المالك من التخلص من جيش الأتراك الذي رافقه من الجزائر بعد أن أدى له ما تم الاتفاق عليه من مال، واسترضاه بسلاح وتحف ونوادر، واحتفظ بألف وخمسمائة جندي، فرقهم على أنحاء البلاد.

يجب أن توضع الأحداث التي عرفها المغرب في هذه الآونة، ومساعدة الأتراك لعبد المالك، في إطار الصراعات الدولية التي كانت تعيشها الدول العظمى آنذاك. ولم يكن وصول القوات التركية إلى المغرب لمجرد مساعدة المعتصم، حيث يظهر أن عبد المالك وعد الأتراك بمال كثير وبالتنازل لهم عن العرائش، كما أن الإمبراطورية العثمانية كانت تعمل على بسط سيطرتها على باقي إفريقيا الشمالية. ولعل لذلك علاقة باستعداد إسبانيا لاحتلال العرائش، وكذا بداية تفكير البرتغاليين بقيادة الدون سبستيان في الهجوم على المغرب. كما نضع في هذا الإطار توصل عبد المالك برسالة من إسبانيا تنبهه إلى خطر التعامل مع الأتراك وتعرض عليه

التحالف معها ضدهم، وتشترط تسليمها كل مراسي المغرب تجنبا لوقوعها في يد الأتراك.

عمل عبد المالك على تقعيد ملكه والتخلص من ابن أخيه محمد المتوكل، فكان اللقاء عند واد الشراط قرب سلا، وانهزم المتوكل، ولاحقه عمه أحمد إلى أن دخل مراكش نائبا عن أخيه بها، بينما فر المتوكل إلى سوس. وبعد معارك كان النصر فيها حليف الأخوين عبد المالك وأحمد، فر المتوكل إلى بادس ومنها إلى سبتة ثم طنجة مستصرخا بملك البرتغال.

وفي هذا الوقت، كان عبد المالك يجري عدداً من الاتصالات لمواجهة المشروع الذي كان يعد له البرتغاليون. فقد بعث لويس كابريت ـ وهو رحالة ومغامر من أصل فرنسي، سبق أن تعرف عليه عبد المالك أثناء إقامته في الجزائر واستصحبه معه إلى المغرب، حيث أقام مدة ـ إلى فرنسا وإسبانيا يخبر بانتصاراته، ووصلت إلى المغرب وفود تهنئة البلدين. كما وفد عليه سنة 1577 مبعوث إنجليزي هو Admon Hogan موفدا من قبل ابريطانيا يعرض عليه عقد تحالف بين الدولتين.

وقد عمل عبد المالك على التعريف بشخصيته ومؤهلاته في الأوساط الأروبية، فاتصل براهب إسباني يدعى خوان بوتيستا Juan Bautista وكلفه بتحرير كتاب ـ شعرا ونثرا ـ يخلد فيه انتصاراته. وقد تم ذلك بالفعل وطبع الكتاب في بلنسية.

يبدأ الكتاب بقصيدة شعرية تمجد عبد المالك، ثم يستعرض تاريخ السعديين الأوائل، فيذكر قصة التجاء عبد المالك وأخيه أحمد إلى القسطنطينية واتصاله بالسلطان العثماني، ثم عودته إلى المغرب عبر طرابلس والجزائر، ثم المعارك التي دارت بينه وبين المتوكل إلى أن انتصر ودخل مراكش حيث بويع خليفة. بعد ذلك يورد الكاتب قصيدة من 1410 بيت تصف ما تقدم، ثم قصيدة في شرح اسم عبد المالك ثم ثالثة تبين كيف أعاد هذا السلطان للمغرب عظمته وأمجاده. ويتبين من هذه العملية الحس السياسي الذي ميز السلطان عبد المالك وحرصه على تقديم صورة مثالية عنه وعن طريقة تعامله إلى القراء والمسؤولين في إسبانيا. وبالإضافة إلى ذلك كان عبد المالك يتقن عدداً من اللغات الأجنبية، كالإيطالية والإسبانية والتركية، وقد استفاد خلال إقامته الطويلة في اصطنبول للتعرف على التنظيمات السياسية والعسكرية التي كانت تسير على نهجها الامبراطورية العثمانية، واستغل ذلك في تنظيم الجيش بعد عودته إلى المغرب ومبايعته. فإليه يعود الفضل في ترتيب الجيش وتحديد طريقة لباسه وتقسيمه إلى فرق مختصة. كما اشتهر عنه أنه كان يتزيى بزي الترك ويجري مجراهم في كثير من شؤونه.

توفي عبد المالك زوال يوم معركة وادي المخازن، في التاريخ المذكور. ويظهر ألا أساس للرواية الذاهبة إلى أنه اغتيل بسم وضع له في حلوى على يد أحد الأتراك فقد كان مريضاً منذ دخوله مدينة فاس، وكان مرضه ظاهراً عليه، وقال عنه الراهب الإسباني أنه "منذ دخوله فاس إلى هذا اليوم، انتابته أمراض خطيرة"

م. الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، تح. عبد اللطيف الشاذلي، 1419 / 1998 ؛ ع. الملك المعتصم، *مجلة المناهل*، العدد 13، ص. 7. كتاب الراهب خوان بوتيستا عن مولاي عبد المالك، تقديم وتعليق مرسيديس غرثيا أرنال، تعريب آمنة اللوه، مجلة البحث العلمي، العدد 34، ص. 113.

H. Triki, *Abdelmalek As-Saadi. De l'exil à la royauté (1557 - 1578)*, in *Le Mémorial du Maroc*, vol. 3.

عبد الواحد أكمير

ابن **عبد الملك، محمد** بن **محمد** بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي المراكشي. ينتمي إلى أسرة مراكشية نبيهة، كان والده من أهل العلم، ذكر ولده أنه تلا بالقراءات السبع على أبي الحسن الأخفش نزيل مراكش وروى عن أبي البركات عمر بن مودود الفارسي الذي ورد على مراكش في عهد الرشيد الموحدي وسمع منه الحديث وكتب الرقائق والتصوف، وكان صديقا لأعلام مراكش كأبي عبد الله ابن الطراوة صاحب خطة الإشراف في عهد الرشيد وأبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي الرندي الملقب بالمسلهم، وقد وصفه بعضهم بالفقيه المقرئ ووصفه آخر بالشيخ، أما أم ابن عبد الملك فيستفاد من إشارة في الذيل والتكملة أنها بنت أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي المعروف بابن الفاسي الذي كانت له صلة مصاهرة مع الخليفة يوسف بن عبد المومن.

في هذه الأسرة ذات الحظوة في مراكش وفي دار كبيرة بالحومة التي كان يسكنها وجهاء الحضرة ولد ابن عبد الملك ليلة الأحد 10 ذي القعدة سنة 634 وقد خَلّد هذا التاريخ في هذا الرجز اللطيف :

| | |
|---|---|
| إعلم أن مولدي بالحضرة | مراكش العلياء ذات الإمرة |
| بُعَيْد هدء قد مضى من ليلةَ | في ليل يوم الأحد العاشرةَ |
| من شهر ذي القَعدة من أربعةَ | تتلو الثلاثين وستّ المائـــةَ |

كانت دراسة ابن عبد الملك في مدينة مراكش على عدد من الشيوخ الذين كانت تزخر بهم عاصمة الإمبراطورية الموحدية، وقد أحصيت من شيوخه ما ينيف على خمسين شيخا ممن أخذ عنهم في مراكش وغيرها، ولعل أولهم هو أبو زكرياء يحيى بن أحمد بن عتيق تلا عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع، وقرأ عليه الجمل للزجاجي وحماسة أبي تمّام، ومن شيوخ ابن عبد الملك أبو القاسم أحمد بن محمد البلوي وهو إشبيلي قدم على مراكش بعد عام 650 أي بعد سقوط إشبيلية عام 646 وابن عبد الملك يذكر ما قرأ على هذا الشيخ فيقول : "وقرأت عليه كثيراً من الحديث والآداب وتلوت عليه بعض القرآن برواية ورش وتدربت بين يديه في علم العروض وصنعة الحساب وعمل الفرائض وأجاز لي إجازة عامة" ويقول عنه أيضا : "ولقد ذاكراني بمسائل وأنا ابن ست عشرة سنة أو نحوها فذكرت له ما عندي فيها ثم حين وَقَفْت

عليها مقيدة بخطه وقد ختمها بقوله : أفادينها الطالب الأنجب الأنبل أبو عبد الله ابن عبد الله ابن عبد الملك حفظه الله". وهذا يدل على نبوغ التلميذ وتواضع هذا الشيخ الذي كان الجار الجنب لشيخ آخر من مدينة إشبيلية أيضا هو أبو الحسن الرعيني صاحب البرنامج المعروف وهو يعتبر أبرز شيوخ ابن عبد الملك صحبه نحو خمسة عشر عاماً وقرأ عليه علوم الحديث والفقه والأصول والكلام والعربية والأدب، وقد تحدث ابن الزبير صاحب الصلة عن تنويه الرعيني بتلميذه ابن عبد الملك فقال : "وكان الكاتب أبو الحسن الرعيني يستحسن أغراضه ويستنبل منازعه وكتب له على بعض كتبه بخطه بصاحبي ومحل ابني وفائقي نباهة خاطره وذكاء ذهنه وكان يفخر بذلك" وتوجد إجازة الرعيني لابن عبد الملك في نسخة خطية من برنامج الرعيني وقد تولّى هذا الشيخ خطة الكتابة الديوانية لمختلف الأمراء والمتأمّرين في قرطبة وإشبيلية وغرناطة وجاء إلى مراكش فولى الكتابة عن الخلفاء الموحدين المتأخرين ويبدو أنّه كان له دور في نمو الحس التاريخي لدى ابن عبد الملك ولاشك أن هذا الحس ازداد بصلته وأخذه عن شيخ آخر هو المؤرّخ أبو محمد حسن ابن القطان مؤلف كتاب نظم الجمان وغيره وقد كان هذا المؤرخ ووالده من رجالات الدولة الموحدية ويمكن القول إجمالاً بأن ابن عبد الملك تثقّف على الطبقة العالية من علماء الحضرة المراكشية وقتئذ كالفقيه القاضي أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد ابن القشاش والفقيه قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن علي بن يحيى المدعو بالشريف شهرة لانسبا والمؤرخ الأديب الكاتب أبي عبد الله ابن الطراوة والمحدث الأديب أبي عبد الله محمد بن علي ابن هشام والأديب المترسل الشاعر أبي الوليد محمد بن إسماعيل ابن عفير اللبلي والأديب الكاتب أبي الحسن الجياني وأبي الحجاج يوسف بن أحمد بن حكم الذي ولي قضاء الجماعة بفاس للمرينيين وأبي محمد عبد الواحد بن مخلوف المشاط قاضي الجماعة بمراكش في آخر أيام الموحدين وغير هؤلاء ممن ذكرتهم بتفصيل في مقدمة تحقيقي للسفر الثامن من *الذيل والتكملة*.

وقد انتفع ابن عبد الملك ببعض هؤلاء الشيوخ في الطريقة الأدبية ويعنى بها صناعة الشعر والكتابة والنقد واكتسب من آخرين ما يتعلق بالتاريخ ومعرفة الرجال والنقد التاريخي، واستفاد أيضا من العلماء الوافدين على مراكش من المشرق كالفارسي أبي البركات عمر بن مودود والدمشقي أبي عبد الله ابن الحنبلي وابن رشيد البغدادي صاحب الوتريات وغيرهم، كما أنه رحل إلى بعض المدن للقاء علمائها كآسفي وسلا وفاس وسبتة وتلمسان والجزيرة الخضراء وقد تحدثت عن هذه الزيارات بتفصيل في المصدر الذي ذكرته آنفاً.

وقد كان ابن عبد الملك شديد الولع بالكتب في مختلف العلوم ووقف على عدد هائل من المخطوطات وكوّن مكتبة ضخمة وتيسر له ذلك بفضل وفرة المخطوطات التي جلبت إلى مراكش من مختلف الجهات كما أن ظروفه المالية كانت تساعده على اقتنائها وإن القارئ للذيل والتكملة ليرى بوضوح المدى البعيد الذي بلغ إليه في القراءة والاطلاع حتى أصبح مرجعا لا يضاهى في البحث التاريخي والأدبي والضبط الحديثي واللغوي. وقد عاش ابن عبد الملك سبعين سنة تقريبا ثلاثون منها في العهد الموحدي وأربعون سنة في عهد بني مرين أي أنه عاصر نهاية دولة وقيام دولة أخرى، وشهد عدداً من الأحداث في العهدين كان آخرها حصار تلمسان الطويل في عهد السلطان المريني يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني حيث إنه توفي بتلمسان الجديدة ـ وهي التي بنيت خلال الحصار ـ وذلك في أواخر المحرم سنة 703 حين توجّه إلى المحلة الكائنة بها، ويبدو أن توجهه هذا كان بأمر السلطان، ومن المعروف أن ابن عبد الملك شغل منصب القضاء بحضرة مراكش في عهد السلطان المذكور.

لقد اشتهر ابن عبد الملك بإنجاز عمل كبير هو مؤلفه *الذيل والتكملة، لكتابي الموصول والصلة*. وهو أكبر معجم قديم للأعلام في تاريخ المغرب أنه يتالف من تسعة أسفار ويقول ابن الزبير الغرناطي صاحب ابن عبد الملك عن هذا الكتاب ما يلي : "وعلى هذا الكتاب عكف عمره.. لأنه ألزم نفسه فيه ما يعتاص الوفاء به من استيفاء مالم يلتزمه ابن بشكوال ولا الحميدي ولا ابن الفرضي ومن سلك مسلكهم" وفي هذا الكتاب الذي وصلت إلينا معظم أسفاره تتجلى ثقافة ابن عبد الملك الكبيرة وسعة اطلاعه وقوة نقده وقيمته العلمية والأدبية والتاريخية.

مقدمة السفر الثامن من *الذيل والتكملة* للدكتور محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984.

محمد بن شريفة

**عبد المؤمن بن عمر** المريني (أمير) بايعه أولاد حسين من ذوي منصور من المعقل سنة 764 / 1363 ليزاحموا به ملك أخيه عبد الحليم الذي قرب منه أعداءهم الأحلاف، وزحفوا به على سجلماسة، ونصبوه ملكا وخلعوا أخاه. وبقي عبد المؤمن على بره لأخيه عبد الحليم موفيا حقه موجبا تجليته إلى حين انصرافه إلى المشرق برسم الحج (*الإحاطة*، 3 : 533).

ولا تمدنا المصادر بمعلومات كثيرة عن سلطنته بسجلماسة، وإن كنا نعرف أنه لم يستطع مد نفوذه على مناطق بعيدة عنها، وأن فترة حكمه عرفت اضطرابات كثيرة بسبب حروب بطون ذوي منصور من المعقل فيما بينهم.

حاول الوزير عمر بن عبد الله المستبد بفاس القضاء على إمارة عبد المؤمن بسجلماسة، فعمل على إذكاء الصراع بين أولاد حسين والأحلاف لإضعاف جانب عبد المؤمن. كما تحالف مع عامر بن محمد الهنتاتي المستبد بجهات مراكش واتفقا على اتصال اليد ضد عبد المؤمن. ثم جهز حملة على سجلماسة في نفس سنة تولية عبد المؤمن عليها أو كل أمر

قيادتها للوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماسي الذي لم يجد أدنى صعوبة في دخولها، في حين فر عنها عبد المؤمن باحثا عن مكان آمن، فراسله عامر بن محمد الهنتاتي وأمنه ودعاه للحاق به، حتى إذا وصله قبض عليه وثقفه واعتقله بمعقله بالجبل ثم نقله إلى مراكش وأدخل سجن قصبتها حيث بقي في معتقله إلى أن قتله الأمير أبو الفضل بن أبي سالم سنة 769 / 1368 (*الإحاطة*، 3 : 534 و*العبر*، 7 : 425 و*الاستقصا*، 4 : 53 و*سجلماسة*، 270 / 271).

ابن خلدون، *العبر*، ج 7، دار الفكر، بيروت، 1981 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، ج 3، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1975 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 4، الدار البيضاء، 1955 ؛ ح. حافظي علوي، *سجلماسة وإقليمها في القرن 8 / 14*، فضالة، المحمدية، 1979.

ابن **عبد النبي** أسرة سلوية نبيلة، أصلها من تطوان، جدهم هو علي المنظري زعيم الجالية الأندلسية التي هاجرت من غرناطة إلى مدينة تطوان سنة 888، وجددت هذه المدينة وأعمرتها. ويتصل نسب المنظري بالصحابي سيف الله خالد بن الوليد بن المغيرة من بني مخزوم القرشيين.

ابن **عبد النبي، أحمد** بن **بنعاشر** السلوي. ولد بمدينة سلا عام 1298 وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم بروايتي ورش وحمزة، ودرس على شيوخ العلم بمسقط رأسه بالجامع الأعظم والزاوية الناصرية وغيرهما من مساجد المدينة، وأشهر شيوخه بها المفتي الشهير أحمد ابن الفقيه الجريري، وعليه اعتمادة، والفقيه علال الثغراوي. وحوالي سنة 1321 رحل إلى فاس حيث مكث سنين طوالاً يدرس على عدد وافر من علماء القرويين أمهات كتب التفسير والفقه والأصول والحديث ومصطلحه والعقائد والسيرة وغيرذ لك من العلوم الإسلامية. وممن أخذ عنهم بفاس أحمد ابن الخياط الزكاري ومحمد بن قاسم القادري ومحمد بن جعفر الكتاني وأبو شعيب الدكالي والقاضي عبد الله ابن خضراء.

ولما رجع إلى مسقط رأسه أخذ يتطوع بإلقاء دروس متنوعة في مختلف مساجد المدينة، ولازم من جديد دروس شيخه أحمد ابن الفقيه الجريري بضريح سيدي أحمد حجي إلى وفاته. ثم عين مدرساً بمدرسة أبناء الأعيان سلا وأستاذاً بثانوية مولاي يوسف بالرباط نحو 18 سنة. إلى أن عين عضواً بمجلس الاستيناف الشرعي بالرباط ورقي مستشاراً به. وبعد الاستقلال عين مستشاراً بالمجلس الأعلى للنقض والإبرام، فكان فارس الفرسان في هذه المجالس العليا لتمكنه من فروع الفقه وأصوله واستظهاره النصوص الفقهية دونما حاجة إلى مطالعة أو مراجعة. وكان يرأس في نفس الوقت لجنة امتحانات شهادة العالمية بجامع القرويين.

كان المترجم إلى جانب مهامه الرسمية يقوم بالإفتاء تطوعاً على عادة شيخه الجريري، يسأله الناس في الطريق فيفتيهم، ويطرقون بابه فيفتح لهم بالليل والنهار ويفيدون من علمه وخبرته، في بشاشة ودماثة أخلاق. كما خَلَفَ شيخه الجريري في إلقاء دوس بضريح سيدي أحمد حجي، فكانت مجالسه مقصودة من الطلبة والعامة على السواء، لبساطة عبارته وحسن تفهيمه. وقام مدة غير قصيرة بالخطابة في الجامع الأعظم أيام الجمعة، والمصلى بالعيدين. وكان يعدّ شيخ الجماعة بدون منازع.

لم يؤلف كتاباً وإنما جمع طائفة من الأحكام التي حررها أيام عمله في القضاء فكان يدرسها في آخر عمره مع بعض طلبته، كما جمع جملة من فتاوى شيخه أحمد ابن الفقيه الجريري، كتبها محررة مضبوطة بخطه الجميل، منها صورة مخطوطة في خ. ص. وقد طبعت بالدار البيضاء سنة 1994 ضمن منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا بتحقيق مصطفى النجار.

حضر المترجم حفلة عيد الشباب بالقصر الملكي بالصخيرات التي هاجم فيه طائفة من الجنود المتمردين القصر وأصيب برضوض في ذراعه، وقتل بجانبه ولده عبد الرحمن آتي الترجمة فتدهور ت صحته إلى أن توفي ليلة الأربعاء 21 محرم 1392 ودفن خارج باب معلقة بعد أن صلى عليه في الجامع الأعظم.

*معرفة شخصية* ؛ م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان*، الدار البيضاء، 1992 ؛ م. النجار، تقديم *النوازل الفقهية*، الدار البيضاء، 1991 ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، د. ت. في عدة أجزاء.

ابن **عبد النبي، أحمد** بن **محمد** بن بنعاشر السلوي ابن أخي المترجم قبله. ويعرف بالفقيه ابن عبد النبي الصغير تمييزاً له عن عمه شيخ الجماعة. ولد يوم 2 ربيع الثاني عام 1338 / 25 دجنبر 1919 بمدينة سلا وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة والدين قبل أن يرحل لطلب العلم بالقروين بفاس.

ولما رجع إلى مسقط رأسه عين مدرساً للعربية بمدرسة البنات، وجمع بين التدريس وخطة العدالة، ثم أسندت إليه إدارة عدة مدارس ومجموعات مدرسة بالقنيطرة وسيدي

يحيى الغرب وعين عتيق وسلا. وقام بالخطابة والإمامة بجامع سيدي أحمد حجي وإلقاء دروس فيه ثم بالجامع الأعظم فكان محمود السيرة ميمون النقيبة على سنن أهله. وكان دروسه في السيرة النبوية بضريح سيدي أحمد حجي

توفي بمسقط رأسه فجر يوم السبت سابع ذي الحجة عام 1421 / 3 مارس 2001 وأقيم بمنزله حفل ترحم ليلة عيد الأضحى أبّنه فنه جماعة من أصدقائه : أبو بكر القادري وعلي العلوي، وأحمد السوسي التناني بقصيدة مؤثرة.

معرفة شخصية ؛ أ. السوسي التناني، جريدة سلا *الغد*، عدد 63.

ابن **عبد النبي، عبد الرحمن** بن **أحمد** بن بنعاشر السلوي. ولد بمدينة سلا وبها نشأ ودرس دراسة مزدوجة، عربية أصيلة على يد والده وفقهاء المدينة، وعصرية في مدرسة أبناء الأعيان ثم ثانوية مولاي يوسف. وبعد البكالوريا أقبل على الدراسات القانونية إلى أن حصل على الإجازة ثم دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، وكان في دراساته القانونية على اتصال بولي العهد آنذاك الأمير الحسن، إذ كان من مراقبي الدروس بالمدرسة المولوية.

وقد نُفي المترجم أثناء الأزمة المغربية إلى الجنوب، وبعد الاستقلال تبوأ مناصب ديبلوماسة وإدارية وتعليمية سامية، فعين سفيراً للمغرب بلبنان، ثم نائب عميد كلية الحقوق بالرباط وأستاذاً بها، وفي نفس الوقت عين مستشاراً بالغرفة الإدارية بالمجلس الأعلى، وأخيراً أسندت إليه إدارة المدرسة الإدارية مع التدريس بها وبكلية الحقوق.

كان المترجم نموذجاً حيّاً لوالده في الجد والاجتهاد والتواضع ودماثة الأخلاق، يشارك بفعالية في الحملات الوطنية لمحو الأمية وتأطير الشباب إلى أن توفي قتيلاً في هجوم الجنود المتمردين على قصر الصخيرات يوم عيد الشباب السبت 16 جمادى الأولى عام 1391 عاشر يوليوز سنة 1971.

معرفة شخصية، ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، الرباط، د. ت. ج 2 : 330 ـ 331 ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، د. ت. في عدة أجزاء ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9.

محمد حجي

ابن **عبد الواحد، محمد** الفاسي، ولد بفاس سنة 1869، وبعد تخرّجه من القرويين التحق بالبلاط بصفته كاتبا للسلطان مولاي الحسن الأول، ثم كاتبا لخلفه السلطان عبد العزيز، وجدير بالإشارة أن المترجم له كان من المقربين إلى مَحمد الجباص، حيث رافقه إلى الجزائر بصفته كاتبا للوفد المغربي في البعثة المشتركة للحدود ( 1903 ـ 1904)، وقد أثمرت جهود الجباص عن توقيع اتفاقيتين بالجزائر، 27 أبريل و7 ماي 1902 (انظر مادة الجباص). وبعد اندلاع فتنة الروگي بوحمارة استعجل السلطان عبد العزيز عودة مَحمد الجباص إلى المغرب لتولي وزارة الحربية في نهاية شهر دجنبر 1903، فظل محمد بن عبد الواحد بالجزائر على رأس الوفد المغربي رفقة ولد الجباص إلى أن صدر له الأمر بالعودة إلى المغرب سنة 1904، وقد برز بشكل لافت للنظر أثناء الصراع الذي قام بين السلطان عبد العزيز وأخيه عبد الحفيظ، حيث شغل منصب نائب وزير الحرب، وشارك في مسيرة عبد العزيز نحو مراكش، حيث جرح في المعركة التي انتهت بانهزام الجيش العزيزي (19 غشت 1908)، وسيراً على نهج حاميه مَحمد الجباص أعلن محمد بن عبد الواحد ولاءه للسلطان عبد الحفيظ، بعد أن صفا الجو لهذا الأخير، ونظراً لاطلاعه على قضايا مناطق الحدود بحكم تجربته السابقة، اقترحه الجباص ليكون كاتبا أولَ ومستشاراً للمندوب السامي عبد السلام بن عبد الصادق إبّان تعيين هذا الأخير في هذا المنصب في 24 فبراير 1910 (انظر عبد السلام بن عبد الصادق)، وبهذه الصفة كان ينوب عن المندوب المذكور لما تفجّرت قضية فساد إداري بوجدة في أكتوبر 1911 (انظر مادة طوطي).

وبعد إعفاء عبد السلام بن عبد الصادق من مهمته في 6 يناير 1912، عيّن المخزن محمد بن عبد الواحد مندوبا ساميا لمناطق الحدود بناء على الترشيخ الذي اقترحه الجباص وأيّدته المفوضية الفرنسية بطنجة، التي كان مقربا منها باعتراف السلطات الفرنسية نفسها، وظل يشغل هذا المنصب طيلة 9 سنوات (1918)، وبعد ذلك انتقل للعمل بالرباط ثم بالدار البيضاء.

بهيجة سيمو، *الإصلاحات العسكرية بالمغرب*، 1844 / 1912، منشورات اللجنة المغربية للتاريخ العسكري، الرباط، 2000 ؛ عكاشة برحاب، *المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين* (1900 ـ 1912)، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002.
*Le livre d'or du Maroc*, Paris, 1934-1935.

عكاشة برحاب

**عبد الواحد** بن **يوسف** الموحدي (المخلوع) 620 ـ 621 تعكس هزيمة العقاب 609، ما صار إليه أمر الدولة الموحدية من ضعف وعدم استقرار. فقد تراكمت منذ مدة، عدة مشاكل تتعلق بثورة بني غانية والاضطرابات التي أحدثتها القبائل العربية والزناتية ببلاد المغرب، وتراخي العمال بالأقاليم

وضعف الجبايات، علاوة على تهديدات النصارى لبلاد الأندلس، والتي عرفت أوجها بعد معركة العقاب التي خرج منها الموحدون بعصبية ضعيفة، لما كان من تصفية الناصر لعدد من أشياخ الموحدين. فكان ذلك إيذانا ببداية مرحلة احتضار طويلة عرفت ظهور ونجاح الحركة المرينية، وانقسام الصف الموحدي بفعل أطماع الشيوخ ومنافسات السادة، وتراجع نفوذ الموحدين بالمغرب الإسلامي.

وصل أبو محمد عبد الواحد بن يوسف إلى الحكم في صفر 620 / 1223 في ظل ظروف زادها تولي سنوات الجفاف والمجاعة تعقيداً وشدة. وكان فريق من الأشياخ الراغبين في إصلاح أحوال الموحدين، قد أمالوا الكفة لصالحه لما اشتهر به من صلاح حال وفضل وورع. وإن كان في الأصل زاهداً في الحكم وغير عابئ بإغراءاته.

بقي عبد الواحد مدة يسيرة في الحكم، لم تتجاوز ثمانية أشهر، خطب له في جميع البلاد الموحدية، باستثناء مرسية التي كان ابن أخيه العادل والياً عليها، ومنها انطلقت حركة مناهضة لعبد الواحد بن يوسف، قادها الوزير ابن يرجان وبعض السادة الموحدين بالأندلس، وكتب عبد الله العادل إلى أشياخ الموحدين بمراكش يدعوهم إلى مبايعته وخلع عبد الواحد وأغراهم بالمال والمناصب الرفيعة، فاتفقوا على تنحية عبد الواحد بن يوسف وهددوه بالقتل، فأشهد على نفسه بالخلع وبايع العادل في شعبان من عام 621. ثم عادوا إليه أياما فيما بعد وخنقوه حتى مات، فنهبوا قصره واستولوا على أكثر كتب خزانته.

وكان عبد الواحد أول من خلع وقتل من بني عبد المؤمن، وقد رأى بعض المؤرخين في ذلك سببا لذهاب ملكهم.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، 1985 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، القسم الأول، 1984 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، 1973 ؛ أ. عزاوي، *رسائل موحدية جديدة*، 1995.

محمد فتحة

ابن **عبد الوارث، أحمد** بن محمد بن الشيخ أبي البقاء عبد الوارث اليَلْصوتي، بتقديم اللام على الصاد، وليس العكس، كما هو شائع في كثير من الدراسات. واليلصوتي، نسبة إلى يلصو، بفتح الياء، وسكون اللام، وضم المهملة، وبعده واو ساكنة، وكأنه اسم أعجمي، وهو اسم أحد أحفاد إبان ابن الصحابي الجليل سيدنا عثمان بن عفان.

وكان أبو اليمن يلصو الأموي القرشي جد اليلصوتيين، قدم إلى المغرب، في فترة مبكرة من زمن الفتوحات الإسلامية بالمغرب، صحبة الأمير موسى بن نصير، في خلافة الوليد بن عبد الملك الأموي (86 ـ 96 / 705 ـ 715)، وذلك في حدود سنة 90. بل يذكر أن يصلو كان قائداً من قواد الفتح في جيش ابن نصير. وقد طاب لأبي اليمن المقام في قبيلة الاخماس، واتخذها داره حتى لقي الله، ودفن بها، "... وقبره فيها مزارة كبرى على مرحلة من شفشاون، نفع الله به، فكان معجزة تلك القبيلة، ومظهر المجد فيها، ومطلع أقمار العربية القرشية، حتى صارت تنسب إليه، فيقال القبيلة اليلصوتية ..." (*الروضة المقصودة*، ج 1 : 460، *الحياة السياسية*، ص. 452 ـ 471).

وقد تكاثر اليلصوتيون، على مر السنين، وتفرقوا في القبائل والمدن، وظهرت منهم عائلات كبيرة بأسماء مختلفة، منها أسرة الوارثيين أولاد سيدي عبد الوارث، نسبة إلى الشيخ الشهير أبي البقاء عبد الوارث اليلصوتي المتوفى عام 971 / 1564. وكان هذا الأخير من اليلصوتيين الذين انتقلوا إلى قبيلة بني زروال. وفي هذه القبيلة اشتهر أمره، وكان سبب شهرته علو مقامه في عالم التصوف، وتصدره للمشيخة في الزاوية التي أسسها في مدشر بني دركول، بفرقة أولاد قاسم من قبيلة بني زروال، وبها ضريحه (*دوحة الناشر*، 5، *ممتع*، 117). وقد خلف أبو البقاء عبد الوارث في مدشر بني دركول ذرية اشتهر منها، بعده، حفيده أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي البقاء عبد الوارث اليلصوتي (*التقاط*، 59، *نشر*، 1 : 175). وهذا يعني أن أحمد بن محمد بن عبد الوارث وارثي يلصوتي عثماني قرشي أصلا، زروالي مولدا ونشأة. وقد نسب إلى جده فعرف بأبي العباس أحمد ابن عبد الوارث.

وكان أبو العباس بن عبد الوارث من رجال التصوف، مثل جده، ومن شيوخ الطائفة الجزولية بالذات، باعتباره من أصحاب مولاي بوشتى الخمار (ت. 997 / 1588)، دفين جبل أمركو، بقبيلة فشتالة في أحواز ورغة، شمال غرب فاس (*التقاط*، 59، *نشر*، 1 : 175)، علماً أن هذا الأخير كان قد لقي كبار شيوخ الطريقة الجزولية، وفي مقدمتهم عبد الله الغزواني، وارث حال عبد العزيز التباع خليفة محمد بن سليمان الجزولي. بل يذكر أن مولاي بوشتى الخمار قصد أبا البقاء عبد الوارث اليلصوتي، جد المترجم له، وخدمه في زاويته ببني زروال مدة حتى كان منه ما كان. وهو من أصحاب عبد الله الغزواني. ومما يذكر في هذا الصدد أن أبا البقاء عبد الوارث" ... أعطاه عند مسافطته أثاثا، وهو مقص وإبرة وحلقة خياطة، وقال له هذه أمانة تؤديها لصاحبها"، مشيراً لى ما يكون لحفيده أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الوارث على يد مولاي بوشتى (*ممتع*، 73).

وفضلاً عن انتمائه للجزولية، يعتبر مولاي بوشتى الخمار من "كبار أهل الأحوال الربانية والجذب ودوام الغيبة"، بل يعتبر من الشيوخ في هذا الشأن، وتخرج على يديه كثير من أمثاله من أهل الأحوال والجذب والبهللة، حتى قيل إن أكثر البهاليل في المغرب في زمانه ممتدون منه (*ممتع*، 73).

وقد دخل أبو العباس أحمد بن عبد الوارث هذه المدرسة، وصحب شيخها مولاي بوشتى الخمار، وظل "عنده سنين في سلسلة، وهو في بيت ثم أطلقه"، مشيراً بذلك، من دون شك، إلى كمال حاله. وقد تخرج على شاكلة شيخه ورفاقه، من أهل الأحوال الفياضة. بل لقد ظل مرتبطاً بشيخه ارتباطا

وثيقا حتى بعد رحيله إلى زاوية أهله في بني زروال، حتى قيل إنه "كان غائباً في شيخه يرى كل خير منه، ويجلس في بلاده مستقبلا جهته، ويتغنى به، يقول :

آسيدي بوشتا مولى عينـي     لولا أنت آش يكن أنا منـي

وقد اشتهر أمره كثيراً في زاوية جده بقبيلة بني زروال، وقصده الزوار من كل مكان، وصار له التلميذ الكثير، فانتفع به الزوار، وظهرت على كثير ممن صحبه آثار الخصوصية (نشر، 1 : 175 ـ 176).

ولعل أهم ما اشتهر به هذا الرجل، إلى جانب الحال الفياض، أمران آخران، هما : اهتمامه بالذكر والحضرة، ونهيه عن اتباع الرخص. ومما يؤثر عنه في هذا الصدد أنه أوصى بعض أصحابه فقال : يافلان إن كنت تذكر الله فنعما، وإلا فارقد. كما يؤثر عنه أنه اجتاز يوماً على عين ماء وعليه جوار يسقين، فتقدم رجل ممن معه إلى العين، فصاح به الشيخ أن ارجع من أجل من في العين. فقال له الرجل إنما هن جوار صغار، فقال له الشيخ رضي الله عنه : "إنهن كالعقارب كبارهن تلدغ وصغارهن تلدغ" (نشر، ج 1، ص. 176، *الإكليل والتاج*، 156).

وعلى غرار سمو مكانته الاجتماعية، كان لأحمد بن محمد بن عبد الوارث اليلصوتي اعتبار وشفوف عند ملوك زمانه، المنتمين إلى دولة الأشراف السعديين. وقد وصل هذا التقدير مداه في عهد السلطان زيدان بن أحمد المنصور. ففي أيام هذا الرجل حظيت الزاوية الوارثية، وشيخها بظهير مهم، جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على مولانا محمد وآله عن الأمر العلي المولوي السلطاني الزيداني الهاشمي الحسني، أيده الله تعالى بعزيز نصره، وأمده بمعونته وسره، إلى المرابط الخير الأرضى المرعي الملحوظ السيد أحمد بن عبد الوارث، وصل الله رعيكم وأجمل سعيكم، سلام عليكم، ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد :

فكتابنا هذا إليكم، وأن خديمنا الأرضى الفقيه منصور بن محمد أنهى لعليّ مقامنا ما كان من وقوفكم مع محلتنا وسعيكم الجميل أمام جيوشنا وقيامكم أحسن قيام في مرضاتنا، فشكرنا ذلك منكم شكراً جميلاً بكم، والمعتقد فيكم، فأنتم من أولياء هذا الجانب العلي وأصفيائه فشدوا أرواحكم فيما يتعلون به المزيد من رضى الله تعالى ورضانا وكونوا عندما هو معهود منكم ومعروف لكم من المساعي التي ترضينا عنكم وما طلبتموه من الخمسة أزواج التي تعودتم أخذها إعانة للزاوية فقد أبقيناها وأبحنا لكم أخذها، وكذلك ما عهد لزاويتكم من التوقير أسدلناه عليها بحيث لا يروم هضم هذا الحرم الذي تعودتموه من الجانب العلي أسماه الله فقد أوجبه إليكم، والسلام، في ربيع الثاني عام اثني عشر وألف (*قبيلة بني زروال*، ص. 56).

ومرد اهتمام السلطان زيدان بشيخ الزاوية الوارثية في بني زروال، من دون شك، إلى المساعدة التي كان يتوخاها منه في خضم الخلاف الذي نشب حول السلطة بين أبناء أحمد المنصور السعدي. ومن ثم، ليس غريبا إذا علمنا أن أبا العباس أحمد بن عبد الوارث توفي مسموما إبان ذلك النزاع. وكان ذلك في 25 ذي الحجة 1020 فبراير 1613، ودفن بزاويتهم المذكورة في بني زروال، إلى جانب جده أبي البقاء عبد الوارث (*التقاط*، ص. 59). ومن مشاهير أحفاده المتأخرين : الشيخ الصوفي أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي البقاء عبد الوارث اليلصوتي، المتوفى في فاس في أوائل ربيع النبوي عام 1243، وضريحه بزاوية عم جده سيدي عبد الوارث الصغير، الواقعة بزقاق الحجر من فاس القرويين (*سلوة الأنفاس*، 1 : 222 ـ 223).

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر، 1397 / 1977 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الأتباع*، طبعة حجرية بفاس، 1313 ؛ الفاسي محمد البشير، *قبيلة بني زروال*، مطبوعات إفريقيا الشمالية التقنية، 1962 ؛ محمد بن الطيب القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1982، ج 1 ؛ محمد بن الطيب القادري، *التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر*، تح. هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1993 ؛ محمد بن الطيب القادري، *الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج*، تح. مارية دادي، نسخة مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط ؛ سليمان الحوات، *الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة*، دراسة وتح. عبد العزيز تيلاني، نشر مؤسسة أحمد بن سودة، فاس، 1994 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، طبعة حجرية بفاس، 1318، ج 1 ؛ عبد القادر العافية، *الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها*، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1402 / 1982.

**عبد الوارث** بن **محمد** بن أحمد بن محمد بن عبد الوارث اليلصوتي، ويدعى المترجم عبد الوارث الصغير تمييزاً له عن جده الأكبر (*سلوة الأنفاس*، 1 : 222).

عاش في فاس، واشتهر بالتصوف، مثل جده أبي العباس أحمد، وجده الأكبر أبي البقاء عبد الوارث، دفيني الزاوية الوارثية في فرقة أولاد قاسم، بقبيلة بني زروال. ولذلك يقال عنه في كتب التراجم بأنه من سلالة الأخيار، ونجل الأولياء الأبرار، كما يحلى بالرجل الصالح، الدين، الأرضى، الخير، وما شاكل ذلك من نعوت أهل الصلاح (*سلوة الأنفاس*، 1 : 222).

وإذ استفاد من أهله في هذا الشأن، فإن للشيخ أبي سرحان مسعود الشراط دفين خارج باب الجيسة في فاس الفضل الأكبر في تربيته، وإليه ينسب في طريق القوم. وكان شيخه هذا من رفاق جد المترجم له، أبي العباس أحمد بن عبد الوارث اليلصوتي، في صحبة مولاي بوشتى الخمار في زاوية

هذا الأخير بقبيلة فشتالة شمال غرب فاس (*سلوة الأنفاس*، 1 : 222). وهذا يعني أنه جزولي السند، وأنه كان من أهل الأحوال والحضرة في التصوف، على غرار رفاقه في نفس الزاوية.

وبعد التخرج، بنى عبد الوارث الصغير زاوية قرب داره بزقاق الحجر من فاس القرويين (*نشر*، 2 : 156 ؛ *سلوة الأنفاس*، 1 : 222) وتصدر فيها للمشيخة، فكان يجمع فيها أصحابه، ويقرأون الأحزاب وغيرها، فكانوا يقرؤون صباحا المعشرات، وحزب الفلاح، وصلاة مولاي عبد السلام بن مشيش، والحزب الكبير للشاذلي، ومساء حزب الفلاح، ولا إله إلا الله مائتين. وكان يعمل الحضرة، ولا تعمل إلا بمحضره، ولم يكن يتحرك إلا أنه يهتز عند السماع يميناً وشمالاً، وهو جالس (*الروض*، 419، *نشر*، 2 : 156).

وهذا يعني أن طريقة هذا الرجل اعتمدت على الحضرة، بالفعل، وأنه كان له أصحاب، كما كان له أتباع يهتدون بهديه (*التقاط*، 168). بل يفهم من سيرته أنه كان ذا وجاهة في البلاد (*الروض*، 418 ـ 419). وظل كذلك إلى أن توفي يوم الأحد الثالث من ربيع النبوي سنة 1076 / 1665، ودفن بزاويته المذكورة (*نشر*، 2 : 156)، وقبره بها يزار (*سلوة الأنفاس*، 1 : 222). ومن أشهر أبنائه الشيخ الصالح البركة علي بن الوارث الصغير، المتوفى في 7 جمادى الأولى 1090 / 1697، دفين نفس الزاوية.

م. القادري، *الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج*، نسخة مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط ؛ *التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر*، تح. هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1993 ؛ *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1982، ج 2 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، طبعة حجرية بفاس، 1318، ج 2.

أحمد الوارث

ابن **عبد الوهاب**، أسرة تطوانية شريفة من ذرية مولاي عبد الوهاب بن عبد الكريم بن محمد بن مولاي عبد السلام ابن مشيش.

ابن **عبد الوهاب، أحمد** بن عمر ولي صالح عاش بتطوان فيما بين سنة 1110 وسنة 1130 (1699 ـ 1718) ويوجد ضريحه بحومة النيارين يعرف بسيدي بن عمر.

ابن**عبد الوهاب، أحمد** بن محمد فقيه زاول خطة العدالة سنة 1299 (1882).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية.

ابن **عبد الوهاب، الطاهر** بن محمد فقيه بايع الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 (17 مارس 1820).

ابن**عبد الوهاب، محمد** بن الطاهر عالم تولى خطة القضاء بتطوان من سنة 1156 إلى 1160 (1743 ـ 1747)، وفي سنة 1217 (1802) .كما كان قاضياً بقبائل بني عروس وبني يدر والغربية سنة 1211 (1796).

ابن **عبد الوهاب، محمد**، عالم تولى خطة القضاء بتطوان سنة 1122 (1710).

ابن **عبد الوهاب، محمد**، فقيه كان ممن شهدوا ضد الباشا السابق عبد الكريم ابن زاكور بأنه تصرف في أموال بيت المال لصالحه في شهر صفر 1180 (يوليوز 1766).

ابن **عبد الوهاب، محمد** بن محمد فقيه تولى خطة العدالة بتطوان من سنة 1217 إلى سنة 1243 (1802 ـ 1827) ومات سنة 1251 (1835).

ابن **عبد الوهاب، محمد** بن محمد فقيه تولى الخطبة بمسجد العيون إلى أن وافته المنية عام 1267 (1851).

ابن **عبد الوهاب، محمد** المكي بن المهدي بن أحمد ابن عبد السلام. عالم تولى الامامة والخطبة والتدريس بجامع القصبة، ووقع صك بيعة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن سنة 1276 (1859) وصك بيعة السلطان مولاي الحسن الأول سنة 1290 (1873).

توفي بتطوان يوم 8 ذي القعدة 1297 (12 أكتوبر 1880) ودفن بجوار ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش بجبل العلم.

ابن **عبد الوهاب، المهدي** بن أحمد بن عبد السلام فقيه كان من بين أعيان تطوان الذين بايعوا الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا يوم 12 جمادى الثانية 1236 (16 مارس 1820).

محمد ابن عزوز حكيم

**عبدة** هي إحدى القبائل المعقلية التي استقرت في بداية القرن الخامس عشر الميلادي بالجهة الغربية لإقليم أسفي. وكان مصدر هذه الهجرة من الجنوب. ويرجع نسبهم إلى ذوي عبيد الله (الأسعد، 2000).

أصل ذوي عبيد الله (عبدة) المعقلي

اليمن
↓
معقل
↓
جشم
↓

سحير — محمد

↓
ذوي عبيد الله
(عبدة)

تتكون قبيلة عبدة من خمس فخذات وهي :

ـ البحاترة الشمالية : توجد بالشمال الغربي لمدينة أسفي بمحاذاة الساحل الأطلنتي غربا وتحدها قبيلة ثمرة شرقا والبحاتر الجنوبية من جهة الجنوب وقبائل دكالة من جهة الشمال الشرقي.

ـ البحاترة الجنوبية : توجد بالجنوب الغربي لمدينة أسفي بمحاذاة الساحل الأطلنتي غرباً وقبائل شياظمة من الجنوب والجنوب الغربي وفخذة عمر شرقا وفخذة ثمرة من الشمال الغربي.

ـ ثمرة : توجد بالجهة الشمالية لتراب عبدة : يحدها من الغرب فخذة البحاترة الشمالية ومن الشرق تحدها فخذة الربيعة ومن الجنوب تحدها فخذتا عمر والبحاترة الجنوبية. أما من الشمال فتحدها قبيلة دكالة.

ـ الربيعة : توجد بالشمال الغربي لتراب عبدة ويحدها من الغرب فخذة ثمرة ومن الشرق والشمال قبيلة دكالة ومن الجنوب الشرقي قبيلة أحمر ومن الجنوب الغربي فخذة عمر.

ـ عمر : توجد بالجنوب الشرقي لتراب عبدة ويحدها من الجهة الغربية فخذة البحاترة الجنوبية ومن الشمال الغربي فخذة ثمرة ومن الشمال الشرقي فخذة الربيعة أما من الجهة الشرقية فتحدها قبيلة أحمد ومن الجنوب قبيلة الشياظمة.

يبلغ عدد سكان عبدة حسب إحصاء 1994 ما يقارب ست مائة ألف نسمة، يقطن نصفهم (49.87٪) بالحواضر ؛ أهمها مدينة أسفي حاضرة عبدة وإقليم أسفي أيضاً ؛ إذ يفوق عدد سكانها أزيد من 260 ألف نسمة. وبذلك فهي تحتكر لوحدها 92 بالمائة من سكان حواضر عبدة. أما باقي الحواضر فهي مدن صغرى، مثل جمعة اسحيم شرق مدينة أسفي وجزولة الموجودة في جنوبها الشرقي.

يتوفر تراب قبيلة عبدة على مؤهلات طبيعية هامة. تتوزع التضاريس إلى ثلاث وحدات :

ـ مسطحة ساحلية بالجهات الغربية المحاذية للمحيط الأطلنتي، تشمل معظم تراب فخذات ثمرة والبحاترة الشمالية والبحاترة الجنوبية.

ـ تلال المويسات بالجنوب وتشمل جزءاً من تراب فخذة عمر.

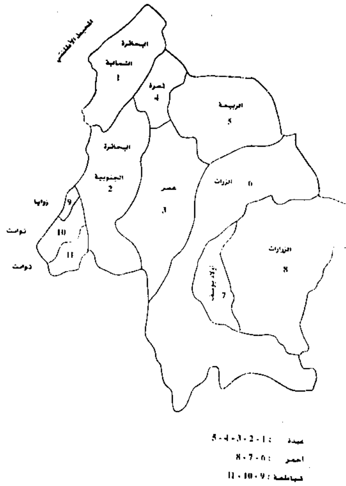


التوزيع الجغرافي لفخدات قبيلة عبدة بإقليم أسفي

ـ سهل خصب تتكون تربته من الترس ويشمل تراب فخذة الربيعة ومعظم تراب فخذة عمر. يتميز المناخ بأنه جاف، إذ تقل التساقطات المطرية عن 300 ملمتر في السنة، إذا ما اعتمدنا المعدلات المطرية لمحطة مدينة أسفي. وتعاني قبيلة عبدة من ندرة المياه السطحية وقلة المياه الباطنية ؛ حيث لا يوجد بها أي نهر، باستثناء نهر تانسيفت الذي يحدها من الجهات الجنوبية والجنوبية الغربية، لكنه لا يستغل لمياه الشرب. أما المياه الباطنية فتتركز أساسا بالشمال الغربي بتراب فخذة البحاترة الشمالية.

أثرت المؤهلات سالفة الذكر على النشاط الفلاحي لقبيلة عبدة الذي يعتمد على الزراعة وتربية الماشية. تسود الزراعات الجافة وخاصة منها زراعة الحبوب مع تربية الغنم والبقر بتراب فخذة الربيعة ومعظم تراب فخذة عمر. أما الزراعة المروية فنجدها بجهتين : أولاهما بولجة عبدة بتراب فخذة البحاترة الشمالية والتي تنتج البواكر والخضر على مساحة تناهز 1500 هكتار، وقد كانت منتوجاتها موجهة إلى التصدير، لكنها عرفت تراجعا بفعل تقلبات الظرف الاقتصادي بتوسع السوق الأوروبية المشتركة. أما ثاني الجهات المروية فتوجد بالوسط الشمالي لتراب قبيلة عبدة أو بالشمال الغربي لتراب فخذة الربيعة، والتي تعرف بقطاع الزمامرة ؛ حيث يتم الري الحديث المؤطر من الدولة. تشمل المساحات المروية زهاء 3600 هكتار. يعتمد النشاط الزراعي على دورة ثلاثية تعتمد على زراعة الشمندر السكري ـ الذي يوجه للتكرير بمعمل خميس الزمامرة ـ علاوة على زراعة الحبوب والمزروعات العلفية. أما تربية الماشية، وخاصة منها

تربية الغنم فتسود بالمسطحة الساحلية التي تمتد على تراب فخذتي البحاترة وكذا بتلال المويسات جنوب تراب فخذة عمر.

توجد الأنشطة الصناعية بالحواضر مثل مدينة أسفي حاضرة عبدة التي تعتمد على الصناعات الكيماوية كما يوجد بها ميناء هام لترويج المنتجات الفلاحية لعبدة والحوز والمنتجات الصناعية للفوسفاط ومشتقاته. أما الصيد البحري فقد تراجعت أهميته رغم أنه كان يشكل النشاط الاقتصادي الأساسي لسكن عبدة إلى عهد قريب، هذا دون أن ننسى أهمية الصناعة التقليدية وخاصة منها صناعة الخزف التي اشتهرت بها مدينة أسفي حاضرة عبدة.

تكون الشخصية المجالية لإقليم أسفي من الحقبة القديمة إلى الفترة المعاصرة، نشر في "*تاريخ إقليم أسفي من الحقبة القديمة إلى الفترة المعاصرة*" إعداد محمد الأسعد، دفاتر دكالة عبدة رقم 1، سلسلة بحوث ودراسات، منشورات مؤسسة دكالة - عبدة للثقافة والتنمية، ص. 17 - 33.

A. Antona, *La région des Abda*, Rabat, 1931.

محمد الأسعد

**العبدري، محمد** بن **بيبش**، هو الفقيه محمد بن محمد بن محمد بن بيبش العبدري. يكنى أبا عبد الله، يعرف بابن بيبش. أصله من غرناطة وبها ولد في رجب سنة 680 / 1281. انتقل إلى سبتة واستقر بها ردحا من الوقت قبل أن يعود إلى غرناطة بدعوة من وزيرها أبي عبد الله ابن الخطيب عقب لقائه به في سبتة. عرف بالنحوي اللغوي الأديب الشاعر الموثق الحافظ الراوية. اشتغل أيضا بالطب إلا أنه تعيش وأثرى من تجارة الكتب. قرأ على جملة من مشايخ بلده منهم أبي جعفر بن الزبير والخطيب أبي عبد الله بن رشيد والوزير أبي محمد بن المؤذن المرادي والأستاذ عبد الله بن الكماد. كما سمع على الوزير أبي محمد عبد المنعم بن سماك، وقرأ بسبتة عن الأستاذ أبي إسحاق الغافقي (*الإحاطة*، 3 : 28). وفي سنة 752 / 1351 التقى بالقاضي أبي الحسن رضا بن رضا بسبتة وهي السنة التي التقى فيها بابن الخطيب الذي أجازه بدار الإنشاء عندما نزل بسبتة رسولا عن الإيالة الغرناطية لدى السلطان المريني. وكان موضع إقرائه بمسجد زقاق الفضل من سبتة. ومن تلامذته أبو عبد الله بن الأصفر النحوي (*بلغة*، 179) ولسان الدين ابن الخطيب (*نفح*، 5 : 384).

من أشعاره قوله مخاطبا أبا العباس العزفي أمير سبتة، وقد أهدى إليه أقلاما (*الإحاطة*، 3 : 29 ؛ *الكتيبة*، 90) :

أنا ملك الغر التي سيب جودها
يفيض كفيض المُزْن بالصيّب القطر
أتتني منها تحفة مل عدها إذا
انتُضيت كانت كمُرْهفة السمر
هي الصُّفر لكن تعلم البيضُ أنها
مُحكمة فيها على النفع والضر
مُهذبة الأوصال مَمْشوقة كما
تُصاغُ سهام الرّمْي من خالص التّبر
فقبلتُها عشرا ومثّلتُ أنني
ظفرت بَلثْم في أناملك العشر

كما له قصائد مطولات في مدح ملوك بني نصر.

توفي سنة 753 / 1351، ودفن بباب البيرة من غرناطة (*الإحاطة*، 3 : 31).

*بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب*، تح. محمد بن تاويت، مجلة تطوان، العدد 9، 1964، ص. 179 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد بن عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثالث، ص. 31.27 ؛ *الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة*، تح. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ص. 90 ؛ المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388 / 1968، الجزء 5، ص. 385.384.

**العبدري، محمد** بن **حريث**، الفقيه محمد بن محمد ابن علي بن إبراهيم بن حريث العبدري القرشي. يكنى أبا عبد الله. بلنسي النسبة، سبتي الدار. ولد سنة 641 / 1244. أخذ عن عبد العزيز الحراني، وعبد المؤمن بن خلف التونسي، وأجازا له سنة 684 / 1285 (درة، 2 : 248). وهو مالكي المذهب. روى الموطأ عن ابن أبي الحسين ابن أبي الربيع عن ابن بقي. وأقرأ الفقه. وتفنن في العلوم والقراءات والعربية. يذكر عنه أنه فقيه مشارك، صاحب فنون، جليل القدرة، حسن الخط.. تولى إمامة الفريضة بجامع سبتة. كما ولي الخطابة بنفس المسجد مدة ثلاثين سنة، ثم تزهد، ووفق كتبه بألف دينار وعقاره وحج. ويذكر أنه حين هم بالتوجه إلى المشرق اختار الفقيه علي بن وشاش كخلف له في إمامة جامع سبتة (*بلغة*، 177)، وجاور مدة سبع سنين وتولى إمامة مسجد الحرمين وحدث به. توفي بمكة في جمادى الأخرى سنة 722 / 1322 عن سن تناهز إحدى وثمانين سنة (*الوافي*، 1 : 232 ؛ *الدرر*، 4 : 199 ؛ *شذرات*، 6 : 58).

*بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب*، تح. محمد بن تاويت، مجلة تطوان، العدد 9، 1964، ص. 177 ؛ أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب في ذكر من ذهب*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الجزء السادس، ص. 58 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، دار الجيل، بيروت، الجزء الرابع، ص. 199 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الثاني، ص. 248 ؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، ط. 1371 / 1962، الجزء الأول، ص. 233.

زوليخة بنرمضان

**عبدوس** (بنو -)، ويقال لهم أيضا العبادسة بيت كبير شهير من البيوتات التي كانت تسكن مدائن مكناس القديمة المندثرة، التي كانت تمتد - نحو 5 كلم - عند الشمال الغربي

لمدينة مكناس الحالية. وهم على حد تعبير ابن غازي في *الروض الهتون*، ص. 34، "وأظن أني وقفت في بعض التواريخ على أن بني عبدوس من جملة قرى مكناسة كبني برنوس، والمفهوم من ذلك أن أهلها من جملة قبائل مكناسة، وإليهم ينسب العبادسة من بني معطي أعقاب الشيخ الفقيه المدرس موسى العبدوسي".

وكانوا بيت علم أقام فيهم العلم ورياسته دهرا امتد من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري، حتى في نسائهم، وآخر علمائهم كما جاء فيه ابن غازي : "أم هاني العبدوسية"

ابن غازي، *الروض الهتون*، المطبعة الملكية، الرباط، 1384 /1964، ص. 35.34 ؛ م. المنوني، *مدائن مكناس القديمة*، مجلة أعمال الحاضرة الإسماعيلية، 1988، ص. 181.

رقية بلمقدم

**العبدوسي، عبد الله** بن **محمد** بن موسى بن معطي المكناسي، إمام فقيه عالم محدث، حافظ متقن، وصفه ابن القاضي قائلا : "كان أسخى الناس، وإماما في نصح الأمة، أمات كثيرا من البدع الكائنة بالمغرب، وأقام الحدود والحقوق، وكان أكثر عمله فقه الحديث".

نشأ في بيت علم وحكمة، وتلقى تعليمه على يد والده فحفظ مختصر مسلم للقرطبي في كل خميس خمسة أحاديث، وكان أبوه يعطيه عليها درهما، كما أخذ عن فطاحل شيوخ العلم في وقته، فتكون تكوينا متينا في الفقه والحديث والعقائد وسائر العلوم الشرعية. بالإضافة إلى التحلي بأخلاق الصوفية على سنن أبيه.

ولي خطة الفتيا وانتهت إليه الرياسة فيها، ونقل الونشريسي في معياره جملة صالحة من فتاويه. وتولى في آخر عمره خطابة جامع القرويين بفاس، هذا إلى جانب التدريس فكانت أوقاته معمورة بالمجالس العلمية، وتخرج على يده عدة علماء أعلام من أمثال : ابن آملال والفقيه القوري، وأبو محمد الورياغلي ومحمد ابن غازي العثماني.

وكان محبا في الصالحين، معظما لآل البيت وكان يجل الإمام إدريس بن إدريس ويزوره وهو الذي أمر بكتابة ما على شاهدة قبره.

وكان يعمل الخوص ويعطيه رجلا لا يعرف أنه له ليبيعه ليقتات بثمنه في رمضان. وكان لا يدخر شيئا حتى أنه لما توفي لم يوجد عنده في تركته غير برنس ودراعتين.

ألف العديد من الفتاوى إلا أنه لم يجمعها في ديوان.

توفي فجأة وهو يؤم صلاة المغرب في جمادى الثانية وقيل في ذي القعدة سنة 848 أو 849.

أ. التمبكتي، *نيل الابتهاج*، طبعة أولى، مصر، ص. 306 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، الجزء 4، ص. 502 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ج. 2، ص. 425.

**العبدوسي، موسى** بن **محمد** بن معطي. أحد أعمدة الفقه المالكي بالمغرب، "علامة محصل ناقد خبير متضلع، مشارك مفت، مدرس، نفاع، انتهت إليه رياسة العلم والفتيا في زمنه، آية في المدونة، وكان الشيوخ يقولون : "فقهاء العصر على ثلاثة أقسام : من أعطي الحفظ فقط، ومن أعطي الفهم فقط، ومن جمعا له وهو سيدي العبدوسي". (*الإتحاف*، 4، ص. 367).

أخذ عن عبد العزيز القوري، وعبد الرحمن الجزولي وغيرهم من أئمة المذهب المالكي، تولى مهمة التدريس بجامع القرويين، وكان يحضر مجلسه عدد من الفقهاء والصلحاء والمدرسون وحفاظ المدونة كما كان له إدْلال عجيب في إقراء التهذيب.

أخذ عنه عدد من الأئمة والفقهاء كالإمام ابن عباد، وأبو حفص الرجراجي، وأبوعبد الله الهواري، وابن الخطيب القسمطيني، والحافظ عمران ابن موسى الجناتي.

ومن مؤلفاته : تقييد على المدونة، وآخر على الرسالة، وقيد عنه الحافظ الجناتي التقييد على المدونة في عشرة مجلدات.

توفي بمدينة مكناس عام 776.

أ. التمبكتي، *نيل الابتهاج*، ص. 342 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*،4 ، ص. 367 ؛ *الإتحاف*، 3، ص. 190 و202 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الجزء 1، ص. 346.

**العبدوسية أم هانئ** بنت محمد بن موسى العبدوسي، عالمة تنتمي إلى أسرة علمية شهيرة في العصر المريني، درست الفقه على أخيها عبد الله العبدوسي خطيب جامع القرويين (ت. 848 / 1444). وصفها الشيخ أحمد زروق في *كناشته* بالفقه والعلم والصلاح، وأثنى عليها العلامة ابن غازي المكناسي، واعتبرها آخر فقهاء الأسرة العبدوسية. وكانت أختها فاطمة أيضاً فقيهة متضلعة في فقه القضاء.

توفيت أم هانئ سنة 860 / 1456 بعد أن اقترب سنها من المائة.

أ. التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طبعة طرابلس، ص. 617 ؛ ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 3 : 585 . 586 ؛ التازي، *المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي*، ص. 96. 110 ؛ ع. الهادي التازي، *جامع القرويين*، 2 : 443.

محمد المغراوي

**عبدون**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الإسم Abdon ؛ وهو اسم قرية عبدون التي كانت بأحواز غرناطة المسلمة وقد حطمها الإسبان سنة 1431. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1146.

محمد ابن عزوز حكيم

**عبدون، صالح**، مقاوم ولد سنة 1928 بتنانت دائرة أزيلال. انخرط في صفوف جيش التحرير منذ انطلاقته وذلك بعد فراره من صفوف الجيش الفرنسي بدافع حبه لوطنه وغيرته عليه، حيث انضم إلى فرقة تيزي وسلي تحت قيادة عبد السلام الذهبي.

وقد ساهم في العديد من العمليات والاصطدامات مع قوات العدو إلى حين حصول المغرب على استقلاله.

وقد انتقل إلى عفو الله بتاريخ 16 / 5 / 1995 .

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 504314.

**العبدوني، محمد** بن **عبد الكريم** الورديغي البجعدي الشهير باسم الفقيه ابن عبد الكريم، لا نعرف تاريخ ولادته ينتسب إلى قبيلة أولاد عبدون أو عيدون - بالياء - ولذلك سماه المستعرب بروفنصال وعبد السلام ابن سودة ومحمد المنوني العيدوني بالياء.

التحق بزاوية أبي الجعد وهو صغير السن وتلقى عن أشياخها وعلمائها، المواد التي كانت تلقن في الزاوية الشرقاوية كالفقه والحديث والتصوف والتفسير والبلاغة والأدب. ثم لازم الشيخ محمد الصالح ومن بعده محمد المعطى. وفي بداية أمره اختار شيخ الزاوية للقيام بمهمة التدريس والوعظ والإرشاد ببلاد زعير بطلب من أعيان هذه القبيلة. شكل محمد العبدوني إلى جانب الحسن المعداني أهم أطر الزاوية الشرقاوية الممارسين للتدريس والإقراء بمدرستها.

لازم المترجم الشيخ محمد المعطي لمدة اثنتين وأربعين سنة. حيث كان لا يفارقه في البدو والحضر، والظعن والسفر. فكان بمثابة كاتبه الخاص وأمين سره ومسجل تاريخ حياته. وقال العبدوني يصف هذه المعاشرة : "وكان رضي الله عنه حين تأليفه لكتاب *الذخيرة* هو المملي علي فيه، وأنا الكاتب وهو المؤلف له وأنا الصاحب... يسر بمرافقتي ويفرح بمعاشرتي...". وكان الشيخ محمد المعطى يثني عليه، ويعترف له بجهده وجلده ويقول إن ما يحضر له معه من الفتح والإلهام لم يكن يحضر له مع غيره. وكل الذين نقلوا عنه من أبناء الزاوية الشرقاوية يلقبونه بالرجل الصالح العالم الناصح.

مارس العبدوني مهنة الوراقة والنساخة وهو مخرج النسخة الأولى من كتاب *ذخيرة المحتاج* في خمسة وخمسين سفرا، وكان يكتب في بيت يسمى بيت الذخيرة أعده مؤلفها بدار سكناه خصيصا لانتساخ هذا الكتاب، على أن الوراق العبدوني انتسخ فضلا عن الذخيرة كتبا غيرها بلا عدد. ومن منتسخاته الأخرى برسم أستاذه جزء *في أحكام السهو في الصلاة* للمالقي (مخطوط خ. ح. 6875). ثم كتاب *المرج النضر والأرج العطر* (مخطوط خ. ح. 519). وبعد وفاة شيخه عزم على إعادة نسخ كتاب *الذخيرة* مرة ثانية وما إن بلغ فيه الجزء السابع حتى كف بصره.

وأشهر تأليف له *يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ أبي عبد الله محمد المعطى*، ومناقب أبيه *محمد صالح الطيب الشيم والخطى، ومناقب آبائهما وأجدادهما المشهورين بين صلحاء المغرب بالولاية والصلاح وكمال التصرف في الأخذ والعطا*، عرف فيه بالشيخ الجليل صاحب كتاب *ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج* محمد المعطى بن الشيخ محمد الصالح الشرقي.

توفي العبدوني عام 1189 / 1776 ودفن بضريح شيخه محمد المعطى بجنب قبر سيدي محمد بن قاسم السجلماسي بمدينة أبي الجعد.

العبدوني، *يتيمة العقود الوسطى*، مخطوط ؛ سليمان الحوات، *الروضة المقصودة*، ج. 2، ص. 503 ؛ بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، ص. 236 ولم يترجم له واكتفى بذكر كتابه وسماه *العبدوني* ؛ م. الكانوني، *آسفي وما إليه*، ص. 45 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب*، ج. 1، ص. 242 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية*، ج. 1، ص. 225 ؛ *تاريخ الوراقة*، ص. 133 ؛ أحمد بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، ج. 1، ص. 198.

أحمد إيشرخان

**العبدوني النزاغي العربي**، الفقيه الحاج العربي ابن الفقيه الحاج محمد ابن الفقيه سيدي بوعزة بن سيدي عبد السلام المدعو بولنوار، بنسبه إلى مولاي إدريس، حفيد سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب (شجرة نسب العبدوني).

ويفهم من هذه السلسلة أن العربي العبدوني شريف النسب، من الفرع الحسني. لكنه اشتهر بالعبدوني (*نشر المفاخر*، 25 ؛ *الإعلام*، 6 : 319)، نسبة إلى قبيلة أولاد عبدون، الواقعة في تادلا. ومن أشهر آبائه، جده الثاني، سيدي عبد السلام بن عبد الله، المدعو سيدي بولنوار، وضريحه في القرية المعروفة باسمه أي بولنوار، غير بعيد عن مدينة خريبگة (*الزاوية النزاغية*، 16.15).

وفي أولاد عبدون، وربما في بولنوار، ولد العربي العبدوني. وإذا كنا لا نعرف تاريخ ميلاده، فإننا نعلم أنه توفي عام 1309 / 91ـ1892 (*المدرسة*، 69)، مما يعني أنه عاش معظم أيامه في أواخر القرن (13 هـ / 19 م). وفي أولاد عبدون تربى وتعلم. وكان معلمه الأول هو والده الفقيه الحاج محمد ابن الفقيه سيدي بوعزة العبدوني، إذ كان والده معلما للصبيان في أحد الكتاتيب القرآنية بأولاد عبدون. وقد أقرأه القرآن، وما تيسر من العلوم القرآنية، ثم أرسله إلى المدارس المجاورة لمواصلة تعلمه. وهكذا درس بالزاوية الشرقاوية في أبي الجعد، وفي زاوية الشيخ الحاج أحمد التاغي الحمداوي (ت. بين 1268 و1276)، في بزام بالشاوية، وفي زاوية الفقيه الحاج محمد بن أحمد بن دحو الأزموري (ت. 1284 / 67 ـ 1868) بأزمور (*الزاوية النزاغية*، 16).

وفي زاوية ابن دحو أخذ العربي العبدوني علوم التصوف،

وعلى يد شيخها انخرط في طريق القوم (*نشر المفاخر*، 25 ؛ *الإعلام*، 6 : 100)، وإذا علمنا أن الشيخ ابن دحو من شيوخ الطريقة المختارية القادرية، بل من أعمدة هذه الطريقة في المغرب (*الإعلام*، 6 : 317)، فمن تحصيل الحاصل القول بأن العربي العبدوني كان مختاريا ـ قادريا في تصوفه، مثل شيخه (*المدرسة*، 100).

وبعد أن أكمل مولاي الطاهر القاسمي تكوينه، عاد إلى أولاد عبدون بتادلا، ولعله فتح بها زاوية. بيد أن المقام هناك لم يطب له، فرحل من أولاد عبدون. ولعل للزاوية الشرقاوية دورا في هذا الرحيل. أما المكان الذي اختار النزول فيه فهو عين نزاغ، غير بعيد عن سطات سوى بخمس كلم، في اتجاه البروج، بالشاوية (قيادة المزامزة، إقليم سطات حاليا). وفي عين نزاغ أسس العربي العبدوني زاويته، التي سميت بالزاوية النزاغية، نسبة إلى المكان نفسه. وقد قيل إنه إنما أحيى زاوية كان شيخه ابن دحو الأزموري قد أسسها هناك.

والمهم في الأمر أن الحاج العربي العبدوني أسس زاوية في عين نزاغ بالشاوية، ولذلك صار يعرف في كتب التراجم بالحاج العربي العبدوني ثم الشاوي (*نشر المفاخر*، 25 ؛ *الإعلام*، 6 : 319). وتذكر الرواية الشفوية أن تأسيس الزاوية حدث في العقد الأخير من القرن (13 هـ)، في أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن.

وقد غدت الزاوية النزاغية من أكبر الزوايا في المنطقة، كما غدا الحاج العربي العبدوني (ت. 1309) من مشاهير الفقهاء وكبار الصوفية. وكان عنوان هذه الشهرة اهتمامه بالتدريس. وكان أهم ما اهتم بتدريسه علوم القراءات، اقتداء بشيوخه. وفي هذا الصدد كتب الفقيه الكانوني بمناسبة حديثه عن زاوية الحاج العبدوني أنها اشتهرت من عهد مؤسسها، وقصدها الناس للقراءات والعلم (*المدرسة*، 100). وقد بلغ الحاج العبدوني، في هذا المجال، مقاما عاليا، ونافست مدرسته، بفضله، مدارس أخرى كان شيوخها يعدون من كبار الأساتذة في علوم القرآن، مثل الأستاذ المقرئ سيدي محمد الزوين، والأستاذ المقرئ مولاي الطاهر القاسمي الدكالي، وقد توفيا معا في صدر القرن (14 هـ).

كما ترتبط شهرة العربي العبدوني النزاغي بنشاطه الكبير في نشر التصوف، ولاسيما مبادئ الطريقة المختارية. وقد أخذ على يده هذه الطريقة كثيرون، مما ساعد الزاوية النزاغية، ومن خلالها الطريقة ا لمختارية، على اكتساب شعبية واسعة، ونفوذ قوي، ولاسيما في الشاوية (*المدرسة*، 100).

وإلى جانب التربية والتعليم، اشتهر الحاج العربي العبدوني بصلاحه وولايته، واعتقد كثيرون في بركته، وتسابقوا لخدمته. ومما اشتهر به لدى الفئات العامة أنه كان يداوي المصابين بمرض بوزلوم، وبمن أصابه مس من الجن. والأهم من هذا أن الناس يذكرون أن هذا الرجل كان يعتمد في مداواته للمصابين على أعشاب معينة، أو رقي بها آيات قرآنية (*الزاوية النزاغية*، 36). هذا، ومن أكثر القبائل خدمة للشيخ العبدوني : أولاد عبدون، وبني مسكين، وأولاد سعيد، وقبائل أحمر (*الزاوية النزاغية*، 35).

كما حظي الحاج العربي العبدوني بتقدير المخزن العلوي. وكان هذا الشيخ وأهل الزاوية، وكل من يحسب عليهم معفين من التكاليف المخزنية (*نشر المفاخر*، 25).، وفي هذا الصدد يذكر أيضا أن قائد الشاوية في زمانه، الحاج المعطي، كان يستشيره في القضايا الهامة، وخصوصا عندما يكون ذاهبا للقاء السلطان مولاي الحسن. وفي نفس الإطار، مازال أبناء الحاج العبدوني يذكرون باعتزاز كبير أن مولاي عبد الحفيظ زار جدهم في زاويته، قبل توليته العرش.

وقد توفي الحاج العربي العبدوني الشاوي النزاغي عام 1309 / 1892.91، ودفن في زاويته بعين نزاغ، مخلفا عدة أبناء لا يقلون عنه علما وتصوفا. ونعرف منهم :

ـ الفقيه الوارث لحال والده الأستاذ محمد المدعو الحاج، وهو الذي تصدر للمشيخة في الزاوية بعد وفاة والده.

ـ الفقيه المجذوب الصالح محمد المدعو العالم، وهو الذي تولى المشيخة بعد وفاة أخيه محمد الحاج (*نشر المفاخر*، 25 ؛ *الزاوية النزاغية*، 25.24).

ـ الفقيه الأستاذ المقرئ السيد محمد المدعو ابن دحو.

وقد دفن هؤلاء الثلاثة بضريح والدهم الحاج العربي العبدوني النزاغي في عين نزاغ. أما أخوهم الرابع الفقيه الأستاذ الصوفي سيدي عبد القادر فقبره بضريح سيدي عبد الخالق، بمدينة خريبكة، بينما يوجد ضريح أخيهم الخامس الفقيه سيدي خليل بمراكش. (*الزاوية النزاغية*، 25.24).

شجرة نسب الحاج العبدوني ؛ العزوزي العربي، *نشر المفاخر والمآثر لرجال الشاوية المشاهير*، مخطوط خاص ؛ ابن إبراهيم العباس المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، ج. 6، المطبعة الملكية، الرباط، 1977 ؛ محمد المنوني، *المدرسة الكنتية، نموذج للدعوة والإرشاد بإفريقيا والمغرب في العصر الحديث*، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، العدد الرابع، 1987 ؛ سميرة محال، *الزاوية النزاغية بالشاوية*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، 1993، خزانة كلية الآداب بالجديدة.

أحمد الوارث

**العبدي، سالم** ولد بدار الحاج العياشي بمنطقة عبدة كان أبوه في جيش عبيد البخاري قضى خدماته على عهد المولى سليمان والمولى عبد الرحمن.

كان عبداً في خدمة القائد العياشي قائد عبدة وفي هذا الإطار كان يرافق سيده في المناسبات الدينية إلى حضرة السلطان.

عمل خليفة في الجيش المخزني أو الحرس الملكي. وقد مكنه وجوده بهذا المنصب في دار المخزن من التعرف على شخصيات مختلفة كان من بينهم الدكتور لوى أرنو Louis Arnand والذي صاحب سالم العبدي طيلة مدة من الزمن وتمكن خلالها من كتابة كتابه *زمن المحلات أو المغرب من*

1860 إلى 1952. *(Au temps des Mehallas ou le Maroc de 1860 à 1912)* والذي هو عبارة عن مجموعة ذكريات وملاحظات سالم العبدي خلال فترة اشتغاله في خدمة المخزن. وطبع هذا الكتاب سنة 1952 بالدار البيضاء.

توفي يوم 8 أبريل 1938.

L. Arnand, *Au temps des Mehallas ou le Maroc de 1860 à 1912*, Casablanca, 1952.

**العبدي، صالح** بن الحاج أحمد بن أحمد بن سعيد (المعروف بـ "الزْواهْري، مَطيشَة"). من ألمع شخصيات أسفي المناهضة للاستعمار الفرنسي. ينحدر من عائلة كانت تعرف باسم "مطيشة" من قبيلة الزْواهَر شمال أسفي بالقرب من ضريح لالة فاطنة مَحمد. وكان أبوه الحاج أحمد فلاحاً يتردّد على أسفي قصد التجارة إلى أن اشتدّ طغيان القائد عيسى بن عمر العبدي على قبائل عبدة فاضطر إلى الهجرة إلى مدينة الصويرة التي استقرّ بها.

وُلد صالح بالصويرة في مطلع القرن العشرين وتلقى تعليمه الديني بها وحفظ القرآن الكريم. وكان في نفس الوقت يتردد على قسم دراسي تابع لإحدى القنصليات الأوروبية حيث حصل على تعليم فرنسي متين. رجعت عائلة العبدي إلى أسفي حوالي 1916. التحق صالح هنا بالمدرسة الفرنسية الإسلامية وربط علاقة ودّ وصداقة مع عدد من المعلمين الفرنسيين، ثم فتح مكتباً واشتغل فيه كاتباً عمومياً ومترجماً. وبدأ في هذه الفترة يكتب مقالات على صفحات بعض الجرائد باللغتين العربية والفرنسية، وكان يوقع كتاباته تارة بـ "صالح العبدي" وتارة بـ "صالح مطيشة" وتارة أخرى بـ إزيس" (Isis).

لما اندلعت حرب الريف اتخذ صالح موقفاً لحركة المقاومة بزعامة الأمير عبد الكريم الخطابي وتصدى في عدد من مقالاته الصحفية إلى عملية التجنيد الإجباري للمواطنين الذي لجأت إليه السلطات الاستعمارية وحث الناس على العصيان، فاختطفه الجهاز الأمني ووضعه في مكان مجهول. ولم يُطلق سراحه إلاّ عقب حملة احتجاجية واسعة قام بها عدد من أصدقائه من الفرنسيين الأحرار. وقد دام اختفاء صالح أزيد من ثمانية أشهر. ومباشرة بعد إطلاق سراحه وُضِع تحت الإقامة الإجبارية بمقربة من ضريح سيدي بوزيد شمال المدينة. بعد ذلك بقليل تم نفيه. فقصد بعض أصدقائه في واد زم وخريبگة حيث قضى أزيد من سنة، ثم عاد إلى أسفي واستأنف نشاطه المهني والسياسي إلى أن جاءت قضية الظهير البربري التي حاربها بكل قواه من خلال عدد من مقالاته الصحفية. ولقد حفظت للتاريخ مذكرته التي نشرها الأستاذان زكي مبارك والخلوفي محمد الصغير مواقفه البطولية من هذه القضية وكذا تصوره للاستراتيجية التي ينبغي على الحركة الوطنية الناشئة اتباعها لمحاربة الاستعمار من جهة وتطوير المجتمع المغربي من جهة أخرى. وكان صالح على موعد مع السجن مرة أخرى بسبب كتاباته هذه، فقد حكم عليه بالحبس لمدة أربعة أشهر قضى جلّها في سجن مدينة الرباط.

انتقلت عائلة المترجم بعد هذه الأحداث إلى الدار البيضاء، فتابع صالح نشاطه المهني والسياسي والصحفي. والجدير بالذكر أن اهتماماته كانت جدّ متنوعة، فقد كان يشغل باله كثير من الموضوعات كالقضية الوطنية والمسائل الاقتصادية وقضية تحرير المرأة، إلى غير ذلك من الموضوعات التي كان يتطرق إليها في مختلف مقالاته التي كان ينشرها على صفحات جريدة *"Le cri marocain"* (الصيحة المغربية) وجريدة "النجاح" الجزائرية وغيرهما من الجرائد.

وفي الدار البيضاء اضطر أفراد عائلة السي صالح الذين كانت تغلق أمامهم جميع الأبواب وتضيع منهم جميع فرص العمل والترقية الاجتماعية إلى استبدال اسمهم "مطيشة" الذي صار يحمل معنى الثائر و"المشاغب" باسم "الزْواهْري" نسبة لقبيلتهم "الزْواهَر".

عاش المترجم في العاصمة الاقتصادية زهاء عشرين سنة قضى جزءاً مهما منها بداخل "الكوميساريات" والسجون لأنه كان على رأس قائمة " المشاغبين" الذين يجب حبسهم كلما عرفت البلاد تحركاً وطنياً. وفي عام 1944 كتب مقالاً حول مؤتمر أنفا ومغزى اجتماع الملك محمد الخامس مع روزفيلت وباقي المشاركين في هذا المؤتمر. فانزعجت السلطات الاستعمارية كثيراً من الأفكار الواردة فيه وألقت عليه القبض بعدما نسبت إليه عدداً من التهم الملفقة. ثم حكمت عليه بالحبس لمدة خمس سنوات قضى منها أزيد من عام في السجن، وأفرج عنه سنة 1946 لما أعلن العفو العام الذي استفاد منه جميع المعتقلين والمنفيين الوطنيين، وذلك بمناسبة انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

ولابد من التذكير بأن صالح العبدي كان خلال العشرينيات والثلاثينيات معروفاً في الأوساط الوطنية كصحفي ومثقف متفتح له مواقف شجاعة تجاه القضايا الوطنية. وتلقى في الموضوع رسائل من رواد الحركة الوطنية.

تدهورت حالة صالح الصحية مع حلول الخمسينيات، فرحل إلى مدينة المحمدية واستقر بها إلى أن وافته المنية عام 1951 ودُفن فيها في مقبرة سيدي مَحمد لَمْليح.

*روايات شفوية* خاصة من أخ المترجَم أحمد الزواهري وعبد الله السلاوي رحمهما الله ؛ زكي مبارك والخلوفي محمد الصغير، *الظهير البربري من خلال مذكرة صالح العبدي*، الرباط، 1993 ؛ ع. الرحيم العطاوي، من هو صالح العبدي صاحب مذكرة حول الظهير البربري، مجلة *المناهل*، عدد 54، 1997، ص. 163 ـ 169.

عبد الرحيم العطاوي

**العبدي، عيسى بن عمر**، (القائد ـ) ينتمي إلى أسرة عريقة في خدمة المخزن، ويتعلق الأمر بأسرة بنعيسى، التي يعود أصلها إلى منطقة الساقية الحمراء ويبدو أن نزوح هذه الأسرة إلى عبدة قديم نسبيا حيث استقروا بفخذة ثمرة بدوار الكوتات وبه يوجد منزلهم القديم الذي بناه جدهم عيسى بن موسى.

ولعل اهتمام أفراد هذه الأسرة وهم أحمد وامحمد وعمر بالتجارة جعلهم يوطدون علاقاتهم مع الأجانب مما ساهم في تنمية ثرواتهم وتدعيم مركزهم وأهلهم ليتبوؤوا مراكز القيادة داخل القبيلة وينالوا الحظوة لدى رجال المخزن المركزي.

وفي هذا الإطار شغل أحمد بنعيسى منصب مشيخة البحاترة. تم ما لبث أن ترقى لمنصب القيادة بها وذلك على عهد السلطان المولى عبد الرحمان حوالي 1847. وخلال المدة التي قضاها أحمد بنعيسى في القيادة عمل على توسيع نفوذ أسرته ودعم مركزها وجاهها سواء على الصعيد المحلي أو المركزي، وبعد وفاته سنة 1854 خلفه ابن أخيه محمد بن عمر (1854 ـ 1879).

وقد عملت الظرفية التي تزامت مع ولاية السلطان محمد بن عبد الرحمان والتي تميزت بإطلاق العنان للقواد والعمال حتى يستتب الأمن ويعم الاستقرار أرجاء البلاد، عملت هذه الظرفية على مساعدة القائد محمد بن عمر على توسيع نفوذه والاستبداد بأمور القبائل. وخلال هذه الفترة كسب القائد ثقة الأمير المولى الحسن الذي ولاه والده أمر الحوز وكان سندا له في حل مجموعة من القضايا المحلية وغيرها كالتدخل لإخماد التمردات والاستشارة في تعيين شيوخ القبائل. وفي سنة 1878 قام القائد محمد بن عمر بشراء قيادة أحمد بن العياشي قائد الربيعة.

وخلال فترة القيادة هاته كان القائد محمد بن عمر يعمل بتعاون مع أخيه عيسى الذي كان ينوب عنه في قيادة الحركات والمفاوضات مع الأجانب وبعض قواد القبائل، كما كان دائما على رأس الفرسان الذين يذهبون لخدمة السلطان، وقد تعمقت تجربته الإدارية حينما استخلفه أخوه على قيادة البحاترة. وخلال تقلده لهذه المهام أبان القائد عيسى على حنكة وخبرة إدارية وعسكرية هائلة جعلته يكون مؤهلا لخلافة أخيه الذي رشحه بعد أن أصيب بالمرض فكاتب السلطان يطلب منه توليه أخيه من بعده وفعلا وافق السلطان الحسن الأول على هذا الترشيح سنة 1879.

ولعل أول ما قام به عيسى بن عمر بعد توليه هو توسيع نفود قيادته الذي امتد على قبيلتي العامر والربيعة بل حتى على مدينة آسفي. بحيث أصبحت قيادته تمتد من الواليدية إلى حدود تانسيفت ومن الساحل إلى بن كرير إضافة إلى مناطق دكالة والرحامنة والشياظمة وحاحا.

وعمل القائد على تأسيس جهاز للمراقبة متميز ومتمكن ومتمرس يتكون من الشيوخ والمقدمين والمخازنية الذين كانوا يعملون على جمع الضرائب وجمع المعلومات عن القبائل والأشخاص وينقلون المراسلات إلى فاس ومراكش.

وربط القائد علاقات وطيدة ومحترمة مع السلطان والوزراء. وفي هذا الإطار كان القائد عيسى بن عمر يقوم بتزويد المخزن بالزرع والهدايا ويرعى ماشية السلطان على حساب القيادة ويجهز بعض الحركات لضمان الأمن. وبعد وفاة السلطان كسب القائد صداقة أبا احماد وبعد وفاته مال إلى جانب المهدي المنبهي وزير الحرب ومتزعم التيار المتحرر، مما جعله يتعرض لنقمة محمد غرنيط متزعم الجناح المحافظ والذي قام بتوقيف القائد واعتقاله لكن الوزير المنبهي أطلق سراحه وأعاد إليه نفوذه.

ولما رفع السلطان عبد الحفيظ راية الجهاد ضد أخيه، مال كبار القواد إلى جانبه ومنهم الكلاوي والعيادي والعبدي الذي اتهم الوزراء بأنهم سبب فشل سياسة المولى عبد العزيز.

وتولى القائد عيسى بن عمر منصب وزير الخارجية في حكومة المولى عبد الحفيظ بحكم تعامله مع الأجانب وخاصة القناصل منهم. ولعل هذه المهام الجديدة فرضت عليه الاستقرار بمراكش ومرات أخرى بفاس حيث الديبلوماسية الأجنبية. إلا أن مهامه كانت شبه شكلية لأن مهام وزير الخارجية كان يباشرها نائبه عبد الحفيظ الفاسي. فقد أبعد القائد عن المفاوضات التي كان يجريها السلطان مع فرنسا منذ 1909 وخلفه أحمد المقري.

ونظراً للمؤامرات التي أصبحت تدبر ضده من طرف الگلاوي وغيره من المنافسين، فإن عيسى بن عمر تقرب من قنصل فرنسا بفاس وطلب الحماية الفرنسية وذلك سنة 1910، الأمر الذي جعل الفرنسيين يتدخلون لإرجاعه لمنصب وزير الشكايات بعد أن كان قد عزل من منصب وزير البحر. وإذا كانت علاقة عيسى بن عمر قد تميزت بربط علاقات طيبة مع رجال المخزن على الصعيد المركزي، فان علاقاته على الصعيد المحلي كانت تطبعها تغيرات في المواقف إزاء مختلف المخاطبين. فقد عمل القائد على ربط علاقات طيبة مع الأجانب خصوصا الفرنسيين وكانت له اتصالات متينة مع الشركات الألمانية وغيرها. كما حرص على أن تطبع علاقاته مع القواد جيرانه باللين وبدليل ما كان يربطه الحذر بالقائد الحاجي والقائد المتوگي.

أما علاقاته مع المحميين فقد اتسمت بالشدة نظراً لأن الحماية كانت تحد من سلطات القائد في المطالبة الجبائية كما أنه كان يرى فيهم وسيلة لتفويت الأراضي والعقارات إلى الأجانب. ولهذا كان يتابعهم ويقوم بسجنهم ويطلب مقابلا

مادياً ضخماً لاطلاق سراحهم مما حدا بالأوربيين إلى مكاتبة السلطان في موضوع سوء معاملة محميهم من طرف القائد مما يعرض مصالحهم التجارية للتعطيل.

ولعل العلاقة التي كانت تربط القائد بالقبائل هي التي كانت أكثر صرامة وشدة. ويتجلى ذلك من خلال معاملته للقبائل المتمردة على حكمه مثل قبيلة أولاد زيد بساحل آسفي الذين تمردوا وأعلنوا الحرب عليه بدعوى أنه أصبح يحترس من هذه القبيلة وصار يقرب غير فرقته من دكالة واحمر ويمدهم بالخيل والسلاح وهذا الاعتماد على قبائل أخرى كان سببا في ثوتر العلاقة مع فخدة أولاد زيد.

وبأمر من السلطان قام القائد بملاحقة أفرد القبيلة إلى عقر دارهم في ساحل آسفي مما جعلهم يحتمون بضريح أبي محمد صالح بآسفي. فتدخل باشا المدنية حمزة بنهيمة ودعى زعماء أولاد زيد إلى الصلح مع القائد. لكن هذه العملية انقلبت إلى مؤامرة غدر من طرف عساكر القائد الذين قتلوا زعماء أولاد زيد وخلفوا موجة من الخوف والذعر في المدينة جعلت الناس يفرون عبر الأبواب مما نتج عنه تكدس وتزاحم وقتل العديد من السكان وهذه الواقعة تدعى بعام الرفسة سنة 1895، ثم ألقى القبض على باقي المتمردين الذين تم سجنهم وعددهم 800 رجل في سجون آسفي ومراكش والصويرة والرباط والبردوز أي سجن قصبة القائد. أما بعد الحماية سنة 1912 فإن فرنسا شرعت بمختلف الوسائل في إبعاد القائد عن مقر قيادته لأنه صار عائقا لتنفيد مخططاتها، وتؤكد التقارير الفرنسية بأن القائد أصبح موضوع شك وحذر فاتخذ الفرنسيون إجراءات لعزله كان منها تقسيم قيادة عبدة إلى خمسة قيادات تركت له فخدة ثمرة التي كانت عبارة عن مشيخة من مشيخات البحاثرة. ولذلك تنازل القائد عن القيادة سنة 1914 فلم يرض الفرنسيون ذلك فاتهموه بالتآمر وأصدروا قراراً بنفيه ووضعه تحت الإقامة الإجبارية في سلا. ثم سمح له بالإقامة في مراكش ليعود من جديد لسلا.

وقد توفي في 6 شتنبر 1924.

ع. رگوگ، *المقاومة وأحداث من التاريخ الاجتماعي في الأدب الشفوي المغربي (1890 - 1956)*، مطبعة بني زناسن، الرباط، 2001.

A. Antona, *La région des Abda, Impr. officielle*, Rabat, 1931 ; P.F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, éd. La porte, Rabat, 1947.

علال رگوگ

**العبدي، محمد بن الجيلاني** يعتبر من علماء المغرب وفقهائه الكبار، استهل حياته العلمية بالأخذ عن جلة من العلماء والفقهاء ؛ كالفقيه المرحوم أحمد بن المبخوت الدكالي، والشيخ الحاج بن الحاج المذكوري، كما أخذ عن الفقيه العدل التهامي الناصري المعروف بابن الطويلة، والفقيه عبد الله بن المكي الناصري.

شد العبدي الرحال إلى مدينة فاس سنة 1340 / 1921 حيث أخذ على طائفة من علمائها الأجلاء ؛ كقاضي الجماعة الفقيه محمد بن رشيد العرقي، والحسين بن الوالد العراقي، ومحمد الراضي بن إدريس السناني، كما أخذ عن الفقيه أبي العباس أحمد بن الجيلاني الأمغاري، ومولاي عبدالله الفضيلي، والشيخ أبي شعيب الدكالي وغيرهم من أركان العلم والفقه.

اشتغل كقاضي بالمحكمة الإقليمية بالرباط إلى أن وافاه الأجل المحتوم ليلة الخميس عشري محرم من عام واحد وتسعين وثلاثمائة وألف الموافق ثامن عشر مارس إحدى وسبعين وتسعمائة وألف.

من *أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، 2 : 114 . 115.

سليمان القرشي

**العبدي، مصطفى** قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان المتوكل ثم فر إلى أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال، ومنها التحق بلشبونة حيث انضم إلى حاشية الأمير الشيخ بن المتوكل وظل بجانبه إلى أن اعتنق هذا الأخير دين المسيح.

*Archivo General de Simancas* (España).

محمد ابن عزوز حكيم

**العَبْرَة** وحدة قياس تستعمل لضبط مقدار الحبوب أثناء محلة تجميع "الصّابة" أو أثناء الكيل. في الأسواق الأسبوعية، وفي رحبة الحبوب، يقوم "العَبَّار" بضبط كميات الحبوب المتعامل بها بين البائع والمشتري. قد يتقاضى العبار في عمله مقابلا ماديا، وقد يكتفي بما يتبقى عادة من الحبوب، وهو لا يتعدى في الغالب 8 / 1 أو 4 / 1 العبرة بعد وزن آخر نَصَّاصِيةْ. وتقاس العبرة بسطل من حديد، يسمى "النَّصَّاصِيةَ" لأن كل سطل يشكل نصف العبرة. بمعنى أن العبرة تتكون من نصاصيتين، كل نصاصية تتجزأ بدورها إلى النصف ويسمى الرَّابْعَة (بتفخيم الراء والباء) أي 4 / 1 العبرة، وإلى الثامنة أي 8 / 1 العبرة.

| | الوزن في المحصول الأقل جودة | القنطار |
|---|---|---|
| الشعير<br>القمح | من 13 إلى 14 كلم<br>من 16 إلى 17 كلغ | من 7 إلى 8<br>من 5 إلى 6 عبرات |

| | الوزن في المحصول الجيد | القنطار |
|---|---|---|
| الشعير<br>القمح | حوالي 16 كلغ<br>حوالي 18 كلغ | من 5 إلى 6 عبرات<br>من 6 إلى 7 عبرات |

*تحريات ميدانية.*

صالح شگاگ

**العبرية في المغرب**. عرف المغرب الوجود اليهودي منذ القدم، إذ كانت بعض القبائل الأمازيغية اختارت التوحيد بدل الوثنية في عصور ما قبل المسيحية، ثم توالت الوفود اليهودية على المغرب، فوصلت منهم أعداد في ركائب الفينيقيين وأخرى أيام الحكم الروماني البزنطي وغيرها استهواها مناخ المغرب بعد الإسلام، وخصوصاً في عهد المولى إدريس الثاني حيث توافدت مجموعات كبيرة فراراً من أحداث رآها الشرق وبعض بلدان شمال إفريقيا في تلك الفترة. ومنذئذ لم تتوقف هجرة اليهود إلى المغرب في يوم من الأيام حتى الفترة الأخيرة من عهد الحماية واستقلال المغرب. وقد جرت عادة المشتغلين بتاريخ اليهودية في المغرب، بأن يقسموا يهود هذا البلد إلى فصيلين، أحدهما فصيل اليهود، أو البلديين، وهم جماع أحفاد اليهود الأصلاء المغاربة، أو ممن وفد على المغرب حتى قبيل سنة 1492، والثاني هم المهجرون، وهم الذين وفدوا على المغرب بعد هذا التاريخ.

يهود المغرب والعبرية : اللغة العبرية هي اللغة التي كتبت بها التوراة الموجودة بين أيدي الناس اليوم، ويعود تاريخها إلى حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد. وهي واحدة من أسرة اللغات العروبية (السامية) التي تنتسب إليها اللغة الأكادية والفينيقية والآرامية والسريانية والحبشية والعربية. وتتشابه العبرية والعربية في كثير من الوجوه، بل لم تكونا إلا فرعين لأصل واحد مشترك. والجدير بالذكر أن الحرف الذي كتبت به التوراة أو غيرها من الكتب اليهودية، لا يمثل الحرف العبري القديم في شيء، وإنما هو الحرف الآرامي أو الخط المربع، كما سماه علماء اليهود القدامى.

ارتبطت اللغة العبرية لغة وخطا، بالنص التوراتي والتلمودي، ولأن الفرد والجماعة يرتبطان بهذين المصدرين الدينيين دوما في طقوسهما الدينية ومعاملاتهما الاجتماعية، كان فرضا على كل يهودي ذكر، أن يلم إلماما باللغة العبرية، وحتى الآرامية، إذا كان من ذوي العلم والطلب. ومن هذا المنطلق المنطقي يستوجب العقل أن تكون العبرية في نصوصها الدينية أمراً معروفاً إلى حد ما في المغرب، في عهود اليهودية القديمة فيما قبل الإسلام، وإن كانت هناك دراسات تشكك في معرفة يهود المغرب بنصوص كتابهم المقدس كما يجب، أو على الأقل لم يكن لهم علم بما كان يجري في الأكاديميات اليهودية البابلية والفلسطينية، وبالأحرى أن يكون لهم علم بالتلمود وتوابعه. غير أن الثابت هو أنهم كانوا على الأقل يستعملون الحرف العبري في كتاباتهم منذ القديم، ذاك أن شواهد قبورهم في أقدم مقابرهم بالمغرب، كانت مكتوبة بهذا الحرف. ومن الأكيد أن حالهم تغير بعد الإسلام، إذ من المفروض أن يكونوا قد عقدوا الصلات بيهود بابل وفلسطين بعدها، أو وصلت إليهم من هناك وفود المنشغلين بعلوم التوراة والتلمود، ومن الأكيد أن عندها المغرب عندما عرف معاهد علمية، ذاك أن كثيراً من أعلام العصر العبري الذهبي الأندلسي (ق 8 ـ 12) هم مغاربة أصلا وكانوا قد برزوا في اللغة والشعر والفتوى وعلوم التوراة والتلمود، بل العلوم العقلية على اختلاف أنواعها.

وعليه فإن اللغة العبرية في المغرب كانت لغة دين وطقوس وتعبد، وبهذه الصفة ارتبطت بالتعليم والمعرفة، ولم تكن لغة كلام دارج إلا في حدود ضيقة جداً انحصرت بين الأحبار ومريديهم في سياق الدرس والتحصيل، أو في التواصل مع يهودي أجنبي عن المغرب واللغة العربية.

العبرية والتعليم :

ارتبط استعمال اللغة العبرية في المغرب بالعقيدة والدين كما رأينا، ولذلك كان لزاما على الأب أو الجد أن يبدأ تلقين الطفل اللغة العبرية بواسطة حفظ بعض نصوص التوراة والصلوات والأشعار الدينية، سماعاً وعن ظهر قلب، قبل أن يلتحق بمكان الدرس، وتمثل هذا المكان في :

1 ـ أ ـ "اصْلا" أو "الحدَرْ"، وقد أطلق اليهود لفظ "اصْلا" على مكان تعليم الأطفال، لأن الأصل في التعليم أن يكون في البيعة، وكانت البيعة تسمى عندهم أيضاً "اصلا" أي مكان الصلاة. وظل هذا الاسم يطلق على مكان الدرس، سواء كان التعليم يجري في البيعة أو في دكان أو غرفة أو غير ذلك. ويشبه استعمالهم هذا استعمال مواطنيهم المسلمين الذين سمو مكان الدرس "مْسِيدْ"، وهو تدريج للفظ مسجد الذي هو أيضاً مكان الصلاة.

أما لفظ "حدرْ"، ومعناه بالعبرية غرفة، فهو استعمال استعاره يهود المَغرب من إخوانهم "الأشكناز" أو يهود أوروبا الشرقية، الذين كانوا يطلقونه على مكان الدرس، ولا نعتقد أن له علاقة بلفظ "حْضَارْ" الذي استعمله أهل جنوب المغرب بدل استعمال لفظ "مسيد".

ب ـ "تلْمودْ تُوراهْ"، وتعني حرفيا دراسة الشريعة. والمؤسسة بناء عام تسهر عليه الطائفة، ويضم مجموع غرف، ويسهر على كل غرفة معلم يتقاضى أجرته من مال الطائفة العام، وتلاميذ هذه المؤسسة هم عادة من أبناء الفقراء والأيتام. والفرق بين "اصلا" أو "الحدر" و"تلمود توراة"، أن الطائفة هي التي تؤدي أجرة معلمي هذه الأخيرة بينما الآباء هم الذين يؤدون عن أبنائهم في المؤسسة الأولى. واستعمل الاسمان فيما بعد دون تفرقة، خصوصاً بعد الحماية وبعد أن أصبحت المؤسسة التعليمية اليهودية مؤسسة عصرية.

وهدف هاتين المؤسستين تعليم الطفل الحروف كتابة وقراءة، فالحركات فبعض القواعد النحوية الأساسية ومعرفة النطق السليم ومخارج الحروف والنبر. ويعتمد في ذلك النص التوراتي، الذي يرسخه المعلم في ذهن التلميذ بالتكرار والاستظهار حفظا، مما يسهل عليه قراءة لفائف التوراة التي غالبا ما تكون بدون حركات أو نقط. ويرفق المعلم كل ذلك بتفسير توراتي مقسم حسب القراءة التوراتية الأسبوعية. ويقتصر الشرح اللغوي على ترجمة النص التوراتي إلى اللغة

المحلية التي هي العربية الدارجة أو الأمازيغية أو إحدى اللهجات اليهودية الأخرى المستعملة لدى يهود المغرب كل في منطقته. وقد يستعين بعض المعلمين النابهين بتفسير الربي شلمه بن إسحاق المعروف براشي (1010 ـ 1105) وببعض فقرات التلمود. ولا يتعلم الطفل الكتابة إلا في مرحلة متأخرة. ومعلوم أن الخط اليدوي متنوع ولا يتبع أي قواعد في معظم الأحيان في هذا المستوى، اللهم إلا في كتابة الوثائق، وعندها يستعمل الخط المعروف براشي. وكان التلميذ ينسخ نصوصاً من "المشنا" (التلمود) وكتاب "شلحان عروخ" (المائدة المنضدة)، وهو من أمهات الفقه اليهودي في المستوى الأعلى من الدراسة الذي سنتحدث عنه فيما بعد. وقد جرت عادة اليهود المغاربة، في جماعة وادي تدغى بالأطلس الكبير، ليلة "شفعوت" (عيد الأسابيع)، الذي يحيون فيه ذكرى نزول الوحي على جبل سيناء، بأن يكتب الربي الحروف بالعسل على لوح، ويطلب من الطفل لعقه حتى تثبت هذه الحروف في ذهنه وعقله، كما كانوا يعتقدون. وجرت العادة عند يهود التخوم الصحراوية الجزائرية المغربية، أن تكتب الحروف على بيضة تقدم للطفل ليأكلها.

ولم يتوقف تعليم الطفل على المعلم وحده في المدرسة، بل كان يمتد في البيت، حيث كان الأب أو الجد يكمل هذا التعليم بمتون أخرى مثل "الزوهار" وبعض الشروح الصوفية التوراتية.

ويبدأ الطفل تعليمه الأولي هذا في العادة، بدءاً من الثالثة من عمره وحتى بلوغ سن البلوغ الديني الذي يصادف السن الثالثة عشرة. وعندها يُحتفى به في حفل ديني يسمى "بَرْمِصْفَة"، ويعني حرفيا ابن الوصايا، أي القدرة على أداء الواجبات الدينية. وتعتبر هذه المناسبة أيضاً فرصة يبرهن فيها التلميذ على ما حصله من معرفة، إذ هو الذي يقود القداس الديني، وهو الذي يلقي الخطبة التي تفتتح بمقدمة نثرية مسجوعة، تدور حول مبحث هو عبارة عن تراكيب لفقرات توراتية تنبثّ فيها فقرات تلمودية وأقاصيص تنتقى من الموروث اليهودي. والجدير بالذكر أن طقوس هذا الاحتفال تشبه بوجه من الوجوه "التخريجة"، وهي الحفل الذي يكرم فيه الطفل المسلم عندما يحفظ جزءاً من القرآن أو القرآن كله.

2 ـ "الْيشفَه"، وتعني لغة المجلس، وهذا هو اللفظ الذي يطلق على مَكان التعليم بعد الدرس الابتدائي. وفي "الْيشفَه" تلقن الدراسات العبرية العليا في مجالات التفَسير والفقه والتلمود والعلوم الربية على اختلاف أنواعها، من قضاء وإمامة وقواعد عامة، تشمل كل الطقوس الدينية، من الصلاة إلى قواعد المحرم والمحلل من الطعام، ومهام العدول، من زواج وطلاق وإرث ونساخة.

والأساس في تعليم "الْيشفَه" هو الدراسات التوراتية والتلمودية والتراث اليهودَ من أقدم عهوده، في أعلى المستويات، من اللغة إلى التأويل إلى استنباط الشرائع، والنظر في التاريخ والأخلاق اليهوديين، وكتاب "الزوهار" في (علم الباطن)، وأمهات الكتب الفقهية كـ "شلحان عروخ" (المائدة المنضدة).

وتستغرق دراسة النص المختار فصلين من السنة أو السنة كلها، وتتوج نهاية دراسة الفقرة بحفل يسمى(سيُّوم) أو الختم. وفي هذه المناسبة يلقي الطالب النابه درسا مستنبطا من التوراة يتوخى فيه الجدة أل (الْحدُوشْ) أو الاجتهاد، أمام الوجهاء وكبار الأحبار وأقرانه المجتهدين. وكان تعليم "اليشفا" يتقيد في غالب الأحيان بتقاليد المدرسة القديمة التي تعتمد حفظ التوراة وفقرات من التلمود وبعض المتون القديمة مشفوعة بتعليقات وآليات تمكن الطالب من أدوات الجدل والبرهنة والنقاش فيما يسمى (سوكْيَه)، أو الموضوع المحلل، كما يسمى بالآرامية. وباختصار تتمثل الدراسة في "اليشفا"، في مجملها، في مجموع ضخم من المعارف الفقهية :(هَلَخَا بيسوقا) أو شرائع وأحكام الفقه الربي، بالإضافة إلى العلوم الأخرى المشار إليها، لذلك كثيراً ما كان يتعين الطالب بأراجيز ينظمها له أستاذه أو ينظمها هو بنفسه، أو في مختصرات هي عبارة عن مقطعات حروف وتراكيب لفظية تنظم من رؤوس الكلمات أو القواعد، على طريقة أراجيز العلم ومختصراته في الثقافة الإسلامية. ويسمى طلاب هذه المؤسسة (تلميديم حخميم) أي طلاب العلم. ولم يكن الالتحاق بها محدداً في سن، كما لم تكن عدد سنوات الدراسة محددة حتى عهودها الأخيرة. وكان الطالب إذا أتم دراسته يحرز على (سميخة لربنوت) وتعني حرفيا إجازة الحبرانية، وتقابل الإجازة أو العالمية في التعليم العالي الإسلامي. وهذه المؤسسة هي التي كانت ترفد الطائفة بعلمائها وأحبارها وقادتها الروحيين، فمنها كان يتخرج الأحبار والقضاة والأئمة والمعلمون والنساخ وخدام الطائفة إجمالا.

وكانت "اصلا" و"الحدر" منتشرة في كل مكان يوجد به يهود، مدنا وقرى وجبالا وتخوم صحراء، وكان الفقيه المسلم يشترك والربي اليهودي في نفس المكان في بعض جبال المغرب، أحدهما يحفظ القرآن لتلاميذه والآخر يحفظهم التوراة. كما عرفت المدن الكبرى "يشفات" عددت شهرتها المغرب، كـ "يشفا" مراكش، وهي المدينة التي كانت تعرف عند اليهود بـ "يروشليم" (قدس) المغرب، ولقبت مدن أخرى عندهم، بنفس اللقب لسلطان التعليم فيها ومكانتها الروحية.

لم ينحصر التعليم اليهودي في "الحدرْ"، و"الْيشفَه"، بل كان هناك تعليم مستمر عن طريق (هَدَرشه) أوَ الإرشاد والوعظ الذي يحضره المهتمون أيام السبوت والأعياد. وفي هذه الحلقات كان الواعظ يلقي درسا في التوراة أو التلمود أو الزوهار أو الموسار (الأخلاق). وتجري وقائع هذه الدروس إما في البيعة أو في "الزاوية" أو في نوادي طوائف الصناع والحرفيين والتجار. وقد يكون المتحدث ربيا قاضيا أو معلما

أو تاجرا، ممن تمثلوا العلم وبرعوا فيها، وقد يكون زائراً غريباً عن الطائفة. وعرف يهود المغرب تقليداً آخر تعليميا تمثل في السهرات الليلية التي كانوا يحيونها للنظر في أسفار الأنبياء من كتاب العهد العتيق، ويتدارسون فيها كتاب "شلحان عروخ" (الطاولة المنضدة) في الفقه والتلمود، خصوصا في الهزيع الأخير من الليل. وعرف المغرب كثيراً من مريدي الزوايا الذين يقضون الليل في الدرس وقراءة آداب الصوفية وإنشاد الأشعار والأمداح الدينية، مثل الجماعة المسماة "حبروت [مريدي] الربي شمعون بر يوحاي". وعرفت جل مدن المغرب زوايا من هذا القبيل، اشتهرت بكبار منشديها، مثل داود بروخ إفلاح وداود القايم وحاييم أفرياط بالصويرة، وداود بوزكلو بالدار البيضاء، ونسيم نقاب بفاس.

وتجدر الإشارة إلى أن البنت في التقاليد اليهودية كانت معفاة من عناء الدرس، ولم يكن مطلوبا منها أن تعرف القراءة أو الكتابة، وكان ذلك حتى ظهور المدرسة اليهودية الحديثة بالمغرب.

لقد ظل التعليم العبري على هذه الحال حتى منتصف القرن التاسع عشر، حيث ظهرت حركة إصلاحية لم تكن أصولها من داخل المغرب، ولم تكن أيضاً لترضي جماعة كبيرة من اليهود التقليديين، وكانت هدفا لهجوم الأحبار. تلك هي حركة مدارس الاتحاد الإسرائيلي العالمي *L'alliance israelite universelle* الذي كان مقره بباريس.

لقد اهتم الاتحاد بيهود الشرق وإفريقيا، وكان هدفه، كما جاء في محاضره، تحسين حال يهود هذه المناطق. ومن أهم وسائل تحسين وضعهم، خلق مدرسة حديثة تنقل إليهم التهذيب والتحضر كما جاء في أهداف الاتحاد. فأسس هذا أول مدرسة للأطفال بتطوان سنة 1862 ثم في طنجة 1865 فالصويرة 1868 ففاس 1881 ومراكش 1901 فالرباط 1903 فالجديدة 1906 فآسفي 1907 فمكناس وسطات 1910 فصفرو وزمور 1911. أما بالنسبة للبنات فقد أسس الاتحاد أول مدرسة بتطوان 1868 فطنجة 1874 ففاس 1899 فالبيضاء 1900 فالصويرة والعرائش ومراكش 1901 فالجديدة 1906 فآسفي 1907 فمكناس والرباط 1910.

وخلق الاتحاد مدارس مهنية يؤمها التلاميذ الفقراء، فأسس أولاها بطنجة 1873 وثانيتها في تطوان 1874، وهما خاصتان بالأطفال، ثم أسس للبنات مدرسة في تطوان 1892 وأخرى بالبيضاء 1909.

وكانت البرامج التعليمية محلية حتى سنة 1882 بعدها فرضت اللجنة المركزية للاتحاد التي كان مركزها في باريس، مقرراً عاماً يطبق في كل مدارسها. ويحتوي هذا البرنامج اللغة الفرنسية لغة تعليم، واللغة الانجليزية والإسبانية والإيطالية، تبعا للمدارس المحلية، والحساب والهندسة والفيزياء والكيمياء والتاريخ العام والجغرافيا واللغة العربية، بالإضافة إلى اللغة العبرية، نحوا وتوراتا وتاريخا مقدسا، زيادة على مواد قد يضيفها المدرسون المحليون. وظلت هذه المدارس تشتغل حتى العقد السابع من القرن العشرين وبعدها تقلصت ولم يبق منها اليوم إلا بضع مدارس أهمها مدرسة السماش وثانوية ابن ميمون في مدينة الدا البيضاء. وتدرس هذه اليوم برامج تابعة للبعثة الفرنسية، اللهم إلا اللغة العبرية، باعتبارها مادة لغوية أو بعض المواد الدينية المتصلة بالطقوس والتاريخ العبري، فهذه باللغة العبرية.

الإرث الفكري العبري المغربي :

لم تصلنا كتابات عبرية مما هو من نتاج يهود المغرب قبل الإسلام، وموروث تلك العهود كان شفوياً على العموم. ويعتقد أن يهود المغرب (موريتانيا كما جاء في الوثائق اليهودية)، ما كانوا على علم بما كان يجري في بابل وفلسطين، ولم يكن لهم علم بالمشنا والتلمود، ولم يبدأ اتصالهم الديني والعلمي مع علماء بابل وفلسطين إلا أيام إدريس الثاني الذي تولى الملك سنة 793 ميلادية. وبقي من هذه الفترة بعض الفتاوى التي أجاب بها علماء بابل وكذا بعض فتاوى سعديه كؤون الفيومي (882 ـ 942)، وهو مازال في مصر. كما وصل من تلك العهود فتاوى الربي هيا كؤون، وهي أجوبة أجاب بها يهود تلمسان ـ وكانت مغربية إذ ذاك ـ وأخرى أجاب بها يهود سجلماسة سألوه فيها هل يجوز لهم أكل الجراد الميت. وإذا كنا قد استشهدنا بهذه النماذج، فإنما لنبين أن المكتوب العبري في اللغة العبرية أصبح شائعاً معروفاً منذ هذه الفترة الإدريسية. ويؤكد ذلك ما بلغته المعارف اليهودية منذئذ، خصوصاً وقد أصبح المغرب الذي عبر منه طارق بن زياد إلى الأندلس، مصدراً ورافداً للثقافة العبرية في الأندلس. فبالإضافة إلى العلاقات العلمية الوثيقة التي كانت بين الضفتين، كما تدل على ذلك مكاتبات يهود المغرب إلى الوزيرين اليهوديين الأندلسيين حسداي بن شبروط وشموئل هالنكيد، أيام الحكم الأموي وملوك الطوائف، فإن المغرب كان موطنا لأكبر علماء اليهود الذين رحلوا إلى الأندلس، إذ كان المغرب موطن يهودا بن قريش (ق 9)، وهو من أوائل واضعي منهج المقارنة في اللغة والنحو العبريين. ودوناش بت لبراط، وهو أول من أدخل أوزان الشعر العبري في القصيدة العبرية. ويهودا حيوج رأس النحاة في قرطبة وهو أول من وضع تصانيف في نظريات الفعل العبري. وداود بن أبراهام الفاسي وهو أول من وضع معجما منبنيا على أسس فلسفية عقدية. ودوناش بن تميم الفيلسوف اللغوي، يعقوب بن دوناش وأدونيم بن نسيم اللاوي وهما شاعران. ويهودا بن شموئل بن عباس المغربي وهو عالم شاعر. الربي إسحق الفاسي وكان من كبار التلموديين والمفتين ويوسف بن يهودا بن عقنين وكان مشتغلا بالفلسفة ونسيم بن مالك وكان مشتغلا بالقابالا أو التصوف (ق 14). وعاش هؤلاء في المغرب والأندلس بين القرنين التاسع والرابع عشر الميلاديين.

وقد أوردنا هذه الأسماء التي عاشت حياتها إما كلا أو جزءاً في المغرب، وخصوصاً في فاس ـ التي ألفت ونظمت بل

أبدعت علوماً لم تكن معروفة من قبل في التراث العبري، كتقعيد النحو ووضع المعجم بأسلوب علمي واضح، والتنظير في أبنية الفعل، والتعرض لمشكل عدد أحرف الجذر، بل كتب بعض من أعلامها مناهج في التربية والتعليم، مثل الكتاب الذي وضعه الربي يهودا بن اشموئل بن عباس سنة 1250، بعنوان (يئير نتيف) أو منير المسالك، وذاك الذي وضعه الربي يوسف بن عقنين معاصر ابن ميمون، بالعربية وبحرف عبري، بعنوان طب النفوس - لنبين أن اللغة العبرية وعلومها، كانت قد وجدت في المغرب ثم في الأندلس، التربة الخصبة والمناخ الملائم لتحافظ على العلم وأسبابه.

ولعل أكثر الإنتاج العبري في هذه الفترة، أي ما بين القرنين 8 و14 الميلاديين تمثل في كتب التشريع والفتوى، وجاءت هذه المؤلفات في عناوين مختلفة مثل : (دينيم) تشريعات، أو (پِسْقي دينيم) قرارات قضائية، أو (تْشوفوت) فتاوى فردية، أو (تَقَنوتْ) (فتاوى جماعية) أو (حدُّشْ خَلَخوتْ) اجتهادات فقهية، أو (نمُّوقيم وشطُّوتْ) حواشي وتعاليق أو (پِرُّوشيم) شروح، أو (قُنْطْرسيم) مجامع وكراسات أو (لقُّطيم) منتخبات أو (قتْصوريم) مختصرات أو (مفْتَحيم) فهارس.

غير أن الكتابة العبرية منذ ذاك وحتى استقلال المغرب، عرفت أنواعا أخرى من الكتابات نجملها فيما يأتي :

I - (پِنْقسي وسفْري هَقَهَلَ)

سجلات ومذكرات الطائفة، وتسجل في هذه كل أنشطة الطائفة من تسجيل المواليد إلى تدبير الطائفة. وتتضمن كذلك المراسيم والأحكام.

II - أ - (پِسْقي دينيم) الأحكام القضائية، مثل مجموع حييم طوليدانو السلاوي، وإلياهو حزان المراكشي، وداود كوهن من دبدو. وهذا عنوان عام.

وهناك مجامع أخرى في هذا الباب عنونها أصحابها بعناوين خاصة مثل :

(إسف هَمَزْخيرْ) مجموع الكاتب و(تيئفَتْ عَنييم) مقصد المحتاجين، وكلاهما ليديدا مونسونيكو،

(مشْبَطيم يَشَريم) أحكام سوية، لرفائيل بردوكو.

(تربص هحصر) حديقة الفناء، لفائيل موسى الباز الصفريوي.

ب - (تَقَنوتْ) فتاوى جماعية، منها (كرمْ حمر) كرمة النبيذ الذي جمعه أبراهام أنقاوا المولود في سلا (ق 19). وهناك أكثر من واحد وثمانين مجموعا من هذا النوع، كما جاء ذلك في كتاب ملوك الأحبار ليوسف بن نئيم.

III - (شئلوتْ وتْشوفوت) فتاوى

وجاءت هذه الفتاوى في مجاميع تحت هذا العنوان العام أو معنونة بعناوين خاصة. ومن نماذج الفتاوى التي عنونها أصحابها، المجموع :

(سفرْ هَبَتيم) كتاب البيوتات، لحاييم ابن حبيب (أواخر القرن 15 وبداية 16 فاس).

(يش مئَين) الخلق من عدم، لإلياهو يلوز (ق 19) تافلالت.

(كفُولْ بنيمين) حدود بنيمين، لابنيمين الخريف (ق 19) مكناس.

(حَيِّي عَمْرَمْ) حياة عمرم، لعمره الباز (ق 18) صفرو.

(قريَتْ حَنَّه دود) قرية حنا داود، لداود هكوهن الصقلي (ق 19 - 20) دبدو.

(رَحَميم بِّشوطيم)، الرحمة الحق، لرفائيل حييم موسى بن نئيم (ت. 1920، تطوان).

IV - (دفْري هَيَّميم) الكتابات التاريخية

ذكر ابن نئيم في كتابه المشار إليه، عدداً كبيراً من كتب التاريخ، وبعض هذه، كتبه أصحابه بالدارجة المغربية، وهناك عديد من الكتابات التاريخية المطبوعة والمخطوطة. ونورد نماذج من الكتابة التاريخية كالآتي :

(مَأمَرْسدرْ هَدُّروتْ) مقالة في توالي الأجيال، لسعديه بن ميمون بن دنان المولود في فاس (ق 15).

(دفْري هَيَّميم) التواريخ، لشؤول سريرو المولود حوالي 1566.

(زخرون لبني يسرائيل) تذكار لبني إسرائيل، ليهودا بن عطار، ت. 1812.

V - (شيريم) المجامع الشعرية :

كان يهود المغرب كثيري النظم والقول، وقد خص حييم الزعفراني الفصل الثامن من كتابه *Poesie juive en occident musulman*, Paris 1977 بقوائم هذه المجامع الشعرية المطبوع منها والمخطوط، فذكر من المطبوع سبعة وأربعين مجموعا ومن المخطوط تسعة وثلاثين، وكلها استخرجها من كتاب ابن نئيم. وذكر منها أيضا ما يوجد في المكتبات المعروفة، من ذلك ثلاثة عشر مجموعا مصوراً، وثلاثين مجموعا مخطوطا، في المكتبة الوطنية والجامعية بالقدس. وستة مجامع في معهد ابن تصفي في القدس، وخمس عشرة مجموعة خاصة، في القدس، وخمس عشرة مجموعة في المكتبة الوطنية في باريس، قسم المخطوطات الشرقية، وسبع مخطوطات في خزانة أمستردام، وثمانية في مجموع V. Klagsbald - Paris.

ونذكر من هذه المجاميع والدواوين العناوين الآتية، مراعين في ذلك الامتداد الزماني والجغرافي :

(دروشيم) ابتهالات، لشؤول سريرو بن داود.

(قنَتْ رَفيم) مراثي الجموع، ليعقوب بريانتي، بداية القرن 16.

(عتْ لخُلْ حفتْص) لكل أمر زمانه، ليعقوب أبنصور، (1673 - 1752)، فاس.

(شيريم وقنوتْ) أشعار ومراثي، لابراهام بن سوسان، ق 17، تطوان.

(نُعَمْ شَمايم) نغم السماء، لشموئل بن يهودا الباز، ت 1844، صفرو.

(قـونْطْريس قـنوتْ) كـراس المراثي، لحـاييم يهـودا طوليدانو، ث 19، سلا.

وذكـر يوسف بن نئيم في كـتـابه (ملخي ربنان) أمـراء الأحبار، الذي أشرنا إلى صاحبه مراراً، وهو كتاب فهرسة من النوع الجديد، 883 عنوانا مما خطه يهود المغرب، منذ عـرفـوا الكتـابة، منهـا 222 فـتـاوى وأحكام، و104 في التـوراة والتـفسير، و72 حول التلمود، و60 في الخطب والوعظ، و33 في نظم الشعر، و33 قبالا وتصوف، و14 حول كتاب الفصول لابن ميمون (تلمود)، و13 حول كتاب المائدة المنضدة ليوسف قـارو (تشريع)، و10 تاريخ، و9 فلك وتوقيت، و5 فلسـفـة، بالإضـافـة إلى عناوين في القـراءة والنقط والنحـو واللغـة والأخلاق والرحلة والنساخة والتـوثيق والأوزان والقـيـاسـات والعملة والطب والنبات والاستسقاء والفهرسة والسياسة.

وأحصى الأستاذ حاييم الزعفراني، في تقرير حول التراث اليـهـودي المغربي المخطوط، أعـده لوزارة الـثـقـافـة المغـربيـة، مؤرخ في 15 دجنبر 1992، 244 مخطوطاً في العلوم الشرعية والفقهيـة والفتاوى والنوازل والأحكام الربيـة. و133 مخطوطا في المجـامـيـع الشـعـرية، و133 في المواعـيـظ والأدعـيـة والابتـهالات، 200 وفي القبالا أو التـصوف اليـهودي والزهد والسحر.

غـيـر أن المهم من كل هذه الآثار هو مـعـرفـة مـحـتـوياتهـا وقـيـمـة ما تـضـمنتـه، وهذه مـهـمـة أخرى على البـاحـثين أن يخصصوا لها الوقت والجهد والصبر.


يعقوب طوليدانو، *نور المغرب، تاريخ اليـهود في المغرب*، القدس، 1911 ؛ يوسف بن نئيم، *أمراء الأحبار*، القدس، 1930 / 1975 ؛ صبي شرفشطاين، تاريخ التـربيـة في إسرائيل، القدس، 1930 / 1975، خمسة أجزاء ؛ داود سيطون، *الطوائف اليـهـودية السفـردية اليوم*، القدس، 1974 ؛ *الموسوعة العبرية*، تل أبيب، القدس، 1972، مادة : تربيـة، حدر (مـسـيـد)، يشـفـه، مغرب ؛ حاييم الزعـفـراني، *تقـرير عن التـراث اليـهـودي المغـربي*، في 15 / 11 / 1992، وزارة الثقافة، الرباط، السنوات من 1863 إلى 1913.

*Bulletin de l'alliance israélite universelle*, Paris, de 1863 à 1913 ; L. Brunot et E. Malka, *Textes judéo-arabes de Fès*, Rabat, 1936 ; *Glossaire judéo-arabes de Fès*, Rabat, 1940 ; A. Choraqui, *L'alliance israélite universelle et la renaissance juive contemporaine*, Paris, 1965 ; D. Bensimon-Donath, *L'éducation en Israël*, Paris, 1970 ; *Immigration d'Afrique du Nord en Israël*, Paris, 1967 ; P. Flamand, *Les communautés israélites du Sud-Marocain*, Casablanca (s.d.) ; *Un Mellah en pays berbère : Dermnate*, Paris, 1952 ; *Quelques manifestations de l'esprit populaire dans les juiveries de Sud Marocain*, Casablanca, 1958 ; E. Malka, *Essai sur la condition juridique de la femme juive au Maroc*, Paris, 1952 ; H. Zafrani, *Pédagogie juive en terre d'Islam*, Paris, 1969 ; *Les juifs du Maroc, vie sociale et économique et religieuse, Etude de Taqqanot et Responsa*, Paris, 1972 ; *Mille ans de vie juive au Maroc*, Paris, 1983 ; *Poésie juive en occident musulman*, Paris, 1977 ; *Juifs d'Andalousie et du Maghreb*, Paris, 1996 ; *Les relations entre juifs et musulmans en Afrique du Nord, XIXè siècle, acte du colloque international de l'Institut d'Histoire des pays d'outre-mer, Abbaye de Sénanque-Octobre 1978*, Paris, 1980 ; *Juifs du Maroc, identité et dialogue, acte du colloque international sur la communauté juive marocaine*, 1980 ; S.D. Goiten, *Mediterranean society*, USA, 1967-1988.


أحمد شحلان

غير أن الكتابة العبرية منذ ذلك وحتى استقلال المغرب، عرفت أنواعا أخرى من الكتابات نجملها فيما يأتي:

I. פנקסי ושטרי הקהל (پِنْقِيسِي وِشِطْرِي قَهَلْ)

سجلات ومذكرات الطائفة، وتسجل في هذه كل أنشطة الطائفة من تسجيل المواليد إلى تدبير الطائفة. وتتضمن كذلك المراسيم والأحكام.

II. أ– פסקי דינים (پِسْقِي دِينِيم) الأحكام القضائية، مثل مجموع حييم طوليدانو السلاوي، والياهو حزان المراكشي، وداود كوهن من دبدو. وهذا عنوان علم

وهناك مجاميع أخرى في هذا الباب عنونها أصحابها عناوين خاصة مثل:

אסף המחביר (أسِف هَمَزْكِيرْ) مجموع الكاتب وתקנות עניים (تَقَنُتْ عَنِييم) مقصد المحتاجين، وكلاهما ليهيا مونسونيكو.

משפטים ישרים (مِشْپَطِيم يِشَرِيم) أحكام سوية، لرفائيل بردوكو.

תרבץ החצר (تربص حصر) حديقة البناء، لرفائيل موسى الباز الصفريوي.

ب– תקנות (تَقَنُوتْ) فتاوى جماعية، منها כרם חמר (كِرِمْ حِمِر) كرمة النبيذ الذي جمعه ابراهام أنقاوا المولود في سلا (ق.19). وهناك أكثر من واحد وثمانين مجموعا من هذا النوع، كما جاء ذلك في كتاب ملوك الأحبار ليوسف بن نئيم.

III- שאלות ותשובות (شِئِلُوتْ وِتْشُوبُوتْ) فتاوى

وجاءت هذه الفتاوى في مجاميع تحت هذا العنوان العام أو معنونة بعناوين خاصة. ومن نماذج الفتاوى التي عنونها أصحابها، المجموع:

ספר התמים (سِفِرْ هَتِّمِيم) كتاب اليبوتات، لحاييم ابن حبيب (أواخر القرن 15 وبداية 16) فاس.

יש מאין (يِشْ مِئَيِن) الخلق من عدم، لإلياهو بلور (ق.19) تافلالت.

גמול בן ימין (گِمُولْ بنيمين) حدود بنيمين، لبنيمين الكريبف (ق.19) مكناس.

חיי עמרם (حَيِّي عَمْرَمْ) حياة عمرم، لعمرم الباز (ق.18) صفرو.

קרית חנה דוד (قِرْيَتْ حَنَه دود) قرية حنا داود، لداود حكوهن الصقلي (ق.19-20) دبدو.

רחמים פשוטים (رَحَمِيم پْشُوطِيم) الرحمة الحق، لرفائيل حييم موسى بن نئيم (ت.) 1920 تطوان.

IV-דברי הימים (دِبْرِي هَيَمِيم) الكتابات التاريخية

ذكر ابن نئيم في كتابه المشار إليه عددا كبيرا من كتب التاريخ، وبعض هذه كتبه أصحابه بالدارجة المغربية، وهناك عديد من الكتابات التاريخية المطبوعة والمخطوطة. ونورد نماذج من الكتابة التاريخية كالآتي:

מאמר סדר הדורות (مَئَمَرْ سِدِرْ هَدُوروتْ) مقالة في توالي الأجيال، لسعديه بن ميمون بن دنان المولود في فاس (ق.15).

דברי הימים (دِبْرِي هَيَمِيم) التواريخ، لشؤول سرير والمولود حوالي 1566.

זכרון לבני ישראל (زِخْرُون لِبْنِي يِسْرائيل) تذكار لبني إسرائيل، ليهودا بن عطار، ت.1812.

V-שירים (شيريم) المجامع الشعرية

كان يهود المغرب كثيري النظم والقول، وقد خص حييم الزعفراني الفصل الثامن من كتابه Poesie juive en occident musulman, Geuthner 1977 بقوائم هذه المجامع الشعرية المطبوع منها والمخطوط فذكر من المطبوع ستا وأربعين مجموعا ومن المخطوط تسعة وثلاثين، وكلها استخرجها من كتاب ابن نئيم. وذكر منها أيضا ما يوجد في المكتبات المعروفة، من ذلك ثلاثة عشر مجموعا مصورا، وثلاثين مجموعا مخطوطا، في المكتبة الوطنية والجامعية بالقدس. وستة مجامع في معهد ابن تصفي في القدس، وخمس عشرة مجموعة خاصة، في القدس، وخمس عشرة مجموعة في المكتبة الوطنية في باريس، قسم المخطوطات الشرقية، وسبع مخطوطات في خزانة أمستردام، وثمانية في مجموع V. Klagsbald-Paris .

ونذكر من هذه المجاميع والدواوين العناوين الآتية، مراعين في ذلك الامتداد الزماني والجغرافي:

דרושים (دروشيم) ابتهالات، لشؤول سرير وبن داود .

קנת רבים (قِنَتْ رَبِيم ) مراثي الجموع، ليعقوب بريانتي، بداية القرن 16.

עת לכל חפץ (عِتْ لِكُلْ حِفِتْصْ) لكل امر زمانه، ليعقوب ابنصور، (1673-1752)، فاس.

שירים וקנות (شيريم وِقِنوتْ) أشعار ومراثي، لابراهام بن سوسان، ق. 17، تطوان.

נעם שמים (نُعَمْ شَمَايِم) نغم السماء، لشموئل بن يهودا الباز، ت. 1844، صفرو.

קונטרס קנות (قونْطْريس قِنوتْ) كراس المراثي، لحاييم يهودا طوليدانو، ق. 19، سلا.

البلديون ' התושבים

المهجرون המגורשים

أصـلا חדר.

اليشفة הישבה.

سيـسوم סיום

الحدوش חדוש

سوكيـة סוכית

هلخا بيسوقا הלכה פסוקה

تلميديم حخيم תלמידים חכמים

سميخه لربنوت סמיכה לרבנות

مدرشة מדרשה

يتير تيف היתר טוב

دينيم דינים

بسقي دينيم פסקי דינים

تقنوت תשובות

حدوش هلخوت חדוש הלכות

بروشيم נמוקים ושטות

تطرسيم פרושים


مصادر ومراجع البحث

# ניר המערב , תולדות ישראל במארוקו, יעקב טולידנו, ירושלים, 1911.
(نور المغرب، تاريخ اليهود في المغرب، يعقوب طوليدانو، القدس 1911)

# מלכי רבנן, יוסף בנאים, ירושלים, 1930 [1975]
( أمراء الأحبار، القدس، يوسف بن نئيم، 1930 [1975])

# תולדות החנוך בישראל, צבי שרפשטין, ירושלים, 1965.
(تاريخ التربية في إسرائيل، صبي شرفشطاين، القدس، 1930 [1975]) (خمسة أجزاء)

# הקהלות הספרדיות בימינו, דוד סיטון, ירושלים, 1974.
(الطوائف اليهودية السفردية اليوم، داود سيطون، القدس، 1974)

# האנצקלופדיה העברית, תל-אביב ,ירושלים, תשל״ב ( חנוך, חדר, ישבה, מרוקו)

ابن **عبلا، محمد** بن **الحسين** ولد سنة 1930 بايتوسي آسا التحق بصفوف جيش التحرير سنة 1956 تحت قيادة صالح بن عسو الجزائري بالصحراء. وقد عمل بكل استماتة وصلابة خلال كفاحه الوطني حتى استشهد بمعركة تفودارت بالساقية الحمراء بتاريخ 25 فبراير 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503619.

ابن **عبلا، مولود** سنة 1930 بأيت باعمران انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء المغربية سنة 1956 بمركز كوكين تحت مسؤولية مولود الخميسي، وقد عمل في صفوف جيش التحرير بكل شجاعة وإخلاص إلى أن استشهد بمعركة أيت باعمران رميا بالرصاص بالمكان المسمى اصدر أيت باعمران بتاريخ 30 أكتوبر 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 500488.

ابن **عبُود**، أسرة مكناسية أصلها من البربر، استوطن فريق منهم مدينة فاس منذ مطلع القرن العاشر (16 م) إذ وقف صاحب *إزالة الالتباس* على حوالة مؤرخة بعام 905 تذكر أنهم كانوا آنذاك بفاس. وانتقل بعضهم إلى تطوان، وآخرون إلى سلا في أوائل القرن الرابع عشر (20 م).

ع. السلام، ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2.

ابن **عبُود، أحمد** بن **محمد** بن عبد السلام السلاوي المقاوم، أصغر أبناء الشيخ محمد بن عبد السلام ابن عبود آتي الترجمة تركه والده صغيراً فكفله أخوه الشيخ زين العابدين ابن عبود وعلّمه في مدرسته الحرة بحي بارمادة مع أبنائه. فلم يكن له اهتمام بالدراسة رغم توفر كل الوسائل.

اندفع المترجم بقوة في أحضان حزب الاستقلال الذي كان ينتمي إليه أخوه المهدي ابن عبود وشارك في مظاهرات يوم 29 يناير 1944، بسلا التي أسفرت عن قتلى وجرحى، واعترف بأنه قتل شرطياً فحكم عليه بالإعدام ونفذ فيه الحكم في الأسبوع الأول من فبراير 1944 / صفر 1364.

*معرفة شخصية*.

ابن **عبُود، زين العابدين** بن محمد بن عبد السلام السلوي. ولد بسلا حوالي عام 1312 / 1895 وبها نشأ ودرس على شيوخ العدوتين، أمثال الشيخ حجي ابن محمد زنيبر والشيخ محمد بن الحسن الحجوي. أسند إليه القضاء أولاً بقبيلة الرحامنة نحو ثلاثة أعوام ثم نقل إلى تازا إلى أن تخلى عن القضاء وأقبل على التدريس.

شيخي ومعتمدي لا زمت دروسه نحو خمس سنوات ليل نهار، فكنت أدرس عليه نهاراً في مدرسته الحرة ببارمادة كتب الفقه والحديث واللغة والأدب والأصول والمنطق، ومساءً تفسير القرآن الكريم في المسجد الأعظم بسلا أو جامع مولاي سليمان بالرباط. كان آية من آيات الله في الفهم والتفهيم، يقلب وجوه النظر في المسائل العويصة فلا يلبث أن يهتدي إلى الصواب.

من الكتب التي ختمنا ها عليه في المدرسة الأجرومية *والألفية ولامية الأفعال والجمل ورسالة القيرواني* أكثر من مرة، كما ختمنا عليه كتاب خزانة الأدب لابن حجة للحموي، وقاربنا ختم *المختصر الخليلي*، *والفروق* للقرافي. وختم تفسير القرآن أكثر من مرة في عدة مساجد.

وقبل الحرب العالمية الثانية انتقل إلى الدار البيضاء، وكان بعض تجارها يحسنون إليه كثيراً فأخذ يفسر القرآن في المسجد المحمدي بين العشاءين، فكنت أزوره هناك الفنية بعد الأخرى وأستمتع بإملاءاته ومواهبه التي تتجلى أثناء هذه الدروس.

توفي بالدار البيضاء صبيحة يوم الاثنين سادس صفر عام 1390 / 11 أبريل 1970.

*معرفة شخصية* ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / سل النصال / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3419 - 3421.

محمد حجي

ابن **عبُود، مَحمد** بن **أحمد** التطواني. ولد في تطوان يوم الجمعة 16 ربيع النبوي عام 1329 موافق 17 مارس 1911، ودرس بتطوان والدار البيضاء وفاس (القرويين) والقاهرة (الأزهر) وحصل من جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) على الإجازة سنة 1943. وبعد رجوعه إلى وطنه عينه خليفة السلطان في شمال المغرب الحسن بن المهدي في سنة 1946 رئيسا لوفد المغرب في اللجان الثقافية بجامعة الدول العربية. وشمل هذا الوفد زيادة على رئيسه محمد الفاسي الحلفاوي ومَحمد عبد السلام بن عبود. وكان من مؤسسي مكتب المغرب العربي بالقاهرة. كما عمل به مديراً من سنة 1948 إلى وفاته. وقد كان وطيد الصلة بالأوساط السياسية المصرية واندمج فيها اندماجا كليا. نشر عدداً من المقالات في أبرز الصحف القاهرية منها جريدة "الأهرام" موضحا ومدافعا فيها عن القضية المغربية. ولم يكتف بالكتابة في الصحف بل كانت تذاع له كذلك أحاديث في الإذاعة المصرية.

مثل المغرب في عدة مؤتمرات دولية منها مؤتمر المغرب العربي الذي عقد بالقاهرة سنة 1947 والمؤتمر الثقافي العربي الأول الذي عقد في لبنان في 1947 ، وأول مؤتمر اقتصادي للدول الإسلامية الذي عقد بكراتشي في 1949.

ومن أهم أنشطته المشاركة والإشراف على عملية إنقاذ الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي من باخرة كاتومبا (Katoomba) وهي في طريقها نحو مارسيليا بعد أن قرر الفرنسيون نقل منفاه من جزيرة لاييونيون إلى جنوب فرنسا في 1947.

وقد ختم مَحمد بن عبود حياته بتمثيله المغرب في أول مؤتمر اقتصادي للدول الإسلامية بباكستان. وكان حضوره في المؤتمر الاقتصادي الإسلامي بصفته ممثلا للمغرب موضع خلاف بين الفرنسيين والإسبان من جهة والباكستانيين من جهة أخرى. وأخذ الشهيد ابن عبود موقفا حازما أدى إلى قبوله من طرف المؤتمر.

وربما برز مركز الشهيد محمد بن عبود كوطني ضحّى بحياته من أجل تحرير وطنه بعد وفاته أكثر مما كان عليه وهو على قيد الحياة. فبعد حادثة الطائرة في كراتشي التي ذهب ضحيتها وبعد صلاة الجنازة على شهداء الحادثة يوم 10 دجنبر أعلنت الحكومة الباكستانية يوم حداد على وفاتهم ثم نقلت جثته من كراتشي إلى القاهرة حيث استقبلت استقبالاً رسمياً من السلطات المصرية والوفود الدبلوماسية الإسلامية. وتلقى أعضاء مكتب المغرب العربي وعلى رأسهم شقيقه الدكتور أحمد بن عبود والمجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي تعازي هذه الوفود بالمكتب. ثم نقل جثمانه إلى طنجة حيث استقبلته وفود تمثل مختلف الأحزاب الوطنية في منطقتي الحماية في شمال المغرب وجنوبه ووفد يمثل الخليفة، فشيعت الجنازة في تجمع شعبي عظيم قدرت الصحف عدده بخمسة وثلاثين ألفا وألقى زعماء الأحزاب خطباً تأبينية في الإشادة بجهاد الفقيد الراحل، عند مدخل المقبرة قبل دفن الجثمان.

استشهد مَحمد ابن عبود يوم الثلاثاء 20 صفر 1369 موافق 12 دجنبر 1949. في حادثة الطائرة التي سقطت بباكستان والتي كانت تقل من بين ركابها وفد المغرب العربي في أول مؤتمر اقتصادي للدول الإسلامية المتكون من الشهيد امحمد أحمد بن عبود والشهيد علي الحمامي من الجزائر والشهيد الحبيب ثامر من تونس.

*وثائق عائلية وروايات شفوية.*

امحمد بن عبود

ابن **عبُود، محمد** بن **عبد السلام** السلوي، علامة مشارك وشيخ صوفي جليل، حلاه تليمذه ابن سودة "بالإمام الصوفي الصالح، الخير الذاكر المرشد الناصح، بقية السلف الصالح، الفصيح المذاكرة، الكثير الحجة، الواسع المعرفة والاطلاع، الغواص عن الحقيقة كثير الأتباع".

ولد بمكناس حوالي عام 1272 / 1855 وبها نشأ ودرس على علمائها ثم أخذ الطريقة الدرقاوية عن الشيخ العياشي بن المكي بوشمع، والعربي بن الهاشمي العلوي المدغري. انتقل أولاً إلى فاس فلم يُقم بها طويلا إذ أخرجه قاضيها الصقلي، فحط رحاله بسلا واستوطنها ولقي ترحاباً كبيراً من باشاها الطيب الصبيحي وأعيانها، وأقبل عليه عليةُ القوم في حكومة المخزن، ومنهم الوزير الثري الحاج عمر التازي، والوزير الفقيه محمد بن الحسن الحجوي فكانوا يلازمون زيارته ورعايته. واشترى له السلويون داراً واسعة بحي بارمادة سكن بعضها وجعل من بعضها زاوية دفن في أحد بيوتها. ثم صارت مدرسة حرة لولده زين العابدين آتي الترجمة.

له *رسائل صوفية* وأخرى *قرآنية* كان يبعث بها إلى مريديه العلماء. وكان من أخصهم وأحظاهم لديه عمي الشيخ أحمد بن عبد السلام حجي، إذ لازمه سنين عديدة وألف فيه كتاباً ضخماً سماه *مواهب الملك المعبود بتعديل مرائي أحمد حجي والتعريف بشيخه ابن عبود*. عندي صورة منه بخط المؤلف النسخي الدقيق المليح.

توفي الشيخ محمد ابن عبود بسلا في رابع ربيع الأول عام 1344 / 22 شتنبر 1925، ودفن بزاويته في حي برمادة يمين الداخل.

أ. حجي، *مواهب الملك المعبود*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2948. 2949.

محمد حجي

تم طبع الجزء 17 من معلمة المغرب
بمطابع سلا وبمطبعة النجاح الجديدة
في شعبان عام 1424 / أكتوبر 2003

مطابع سلا
قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
الحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا

«sala»

IMPRIMERIE DE SALÉ

**Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane**
**Zone Industrielle de Tabriquet**
**B.P. 596 SALÉ**

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

17

Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé**

**"SALA"**

**2003 - 1424**

ISBN 9981 - 03 - 000 - 7 (Ensemble)
ISBN 9981 - 03 - 024 - 2 (Tome 17)

Encyclopédie
du
Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

18

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2003 - 1424

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984 / 0629



ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 2 - 025 - 03 - 9981 (الجزء 18)

بسم الله الرحمن الرحيم

أعـد هـذا الجزء من معلمة المغرب بدعم من وزارة الثقافة ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق عبارات الشكر والامتنان.

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ . | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في هذا الجزء

محمد **الأخضر**، باحث ـ الرباط

الفقيه **الإدريسي**، كلية الآداب ـ بني ملال

محمد **أديوان**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد الرزاق **ازريكم**، كلية الآداب ـ مراكش

محمد **أزهار**، كلية الآداب ـ المحمدية

سعيد أحمد **أعراب**، باحث ـ تطوان

مصطفى **أعشي**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ـ الرباط

عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط

إبراهيم **أقديم**، كلية الآداب ـ فاس

محمد **الأكلع**، كلية الآداب ـ مراكش

العربي **اكنينح**، المدرسة العليا للإساتذة ـ فاس

محمد **الأمراني**، كلية الآداب ـ فاس

حسن **أميلي**، كلية الآداب ـ المحمدية

محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء

محمد **الأيوبي**، وزارة العدل ـ الرباط

محمد **البخاري**، باحث ـ

ثريا **برادة**، كلية الآداب ـ القنيطرة

عكاشة **برحاب**، كلية الآداب ـ المحمدية

محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **بلعتيق**، باحث

محمد **بلعربي**، باحث ـ الرباط

عائشة **البلغيثي** العلوي، كلية الآداب ـ الرباط

رقية **بلمقدم**، كلية الآداب ـ القنيطرة

عبد الإله **بلمليح**، باحث ـ فاس

أحمد **بنجلون**، باحث ـ الرباط

زوليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية

محمد **بنشريفة**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا

حليمة **بنكرعي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **بوخبزة**، باحث ـ تطوان

أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب ـ فاس

محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

عمر **بوسليهم**، باحث

مصطفى **بوشعراء**، باحث ـ سلا

إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط

مصطفى **بوعناني**، كلية الآداب ـ القنيطرة

عبد المجيد **بوكاري**، باحث ـ مراكش

أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية ـ تيزنيت

نجيب **تقي**، باحث

عبد العزيز **توري**، وزارة الثقافة ـ الرباط

عبد العزيز **تيلاني**، مديرية الوثائق الملكية ـ الرباط

حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية ـ مراكش

الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء

محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة

فاطمة **الحراق**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط

مريم **حكم**، كلية الآداب ـ الرباط

يحيى **الخالقي**، كلية الآداب ـ بني ملال

محمد **خربوعة**، معهد العلمي ـ الرباط

نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

علال **ركوگ**، كلية الآداب ـ بني ملال

محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط

مليكة **الزاهدي**، باحثة ـ الرباط

أحمد **زروال**، كلية الآداب ـ مراكش

قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط

عبد النبي **زين العابدين**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا

محمد **السعدين**، وزارة التربية ـ سلا

عبد القادر **سعود**، باحث

رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش

عبد المالك **سلوي**، كلية الآداب ـ المحمدية

مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد اللطيف **الشاذلي**، مديرية الوثائق الملكية ـ الرباط

الميلود **شاكر**، كلية الآداب ـ الرباط

إدريس **شحو**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **الشريف**، باحث ـ تطوان

عبد الله **شقرون**، كلية الآداب ـ الرباط

صالح **شكاگ**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

الحسن **شوقي**، وزارة التربية الوطنية ـ القلعة

محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط

عبد العزيز **الضعيفي**، كلية الآداب ـ بني ملال

أحمد صالح **الطاهري**، معهد الآثار ـ الرباط

محمد **الطيلسان**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **الظريف**، كلية الآداب ـ المحمدية

عبد العزيز **بن عبد الجليل**، باحث ـ مكناس

عبد العلي بن محمد **العبودي**، وزارة العدل ـ الرباط

سعد الدين **العثماني**، باحث ـ الرباط

عبد الصمد **العشاب**، باحث

أحمد **عزاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **ابن عزوز** حكيم، باحث ـ تطوان

عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط

نزهة **عقيلي**، باحثة ـ الرباط

عبد العزيز **العلوي**، باحث ـ فاس

أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش

عبد الله **العمراني**، باحث ـ تطوان

محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة

عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

حسن **الفكيكي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

بوشتى **الفلاح**، المعهد العلمي

محمد **القبلي**، أستاذ باحث

محمد **اللبار**، كلية الآداب ـ وجدة

محمد **ماگامان**، المركز التربوي الجهوي ـ مراكش

الصغير **مبروك**، باحث

أحمد **متفكر**، باحث ـ مراكش

الحسن **المحداد**، كلية الآداب ـ أگادير

محمد **مداد**، باحث

نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **مزين**، كلية الآداب ـ فاس

محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **المكاوي**، كلية الآداب ـ الجديدة

عبد الرحمن **الملحوني**، باحث ـ مراكش

محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **ياسر الهلالي**، كلية الآداب ـ مكناس

أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش

أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة

محمد عزيز **الوكيلي**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

مصطفى **ناعمي**، معهد البحث العلمي ـ الرباط

عبد الله **نجمي**، كلية الآداب ـ الرباط

زهراء **النظام**، كلية الآداب ـ المحمدية

## Liste des principales abréviations des périodiques

**A.A** : *L'Afrique et l'Asie.*
**A.A.N** : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
**Acad. Sc. Col.** : *Académie des Sciences Coloniales.*
**A.E.S.C** : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
**A.F** : *Afrique Française.*
**A.F : R.C** : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
**A.I.E.A** : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
**A.I.E.O** : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
**A.M** : *Archives Marocaines.*
**A.M.S** : *Archives Marocaines de Sociologie.*
**And.** : *Al-Andalus*
**Ann. Rech. Forest. Maroc** : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
**Ant. Afr.** : *Antiquités Africaines.*
**B.A.M** : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
**B.A.R** : *British Archeological Reports.*
**B.C.T.H** : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
**B.E.P.M** : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
**B.E.S.M** : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
**B.G.M** : *Bulletin de Géographie du Maroc.*
**B.I.D.M** : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*
**B.I.F.A.N** : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
**B.M.S.A.P** : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
**B.L.O.A.B** : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
**B.L.S** : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
**B.S.G** : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
**B.S.G.A** : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
**B.S.G.A.O** : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
**B.S.H.M** : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
**B.S.O.A.S** : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
**B.S.P.M** : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
**Bull. Archéol.** : *Bulletin Archéologique.*
**C.A.A** : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
**Cah. Rech. Agron.** : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
**C.A.T.A.N** : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
**C.B.E.T** : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
**C.C.E.J** : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
**C.E.A** : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
**C.H.I** : *Cuadernos de Historia del Islam.*
**C. Méd.** : *Cahiers de la Méditerranée.*
**C.R.A.I.B.L** : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**C.R.A.S** : *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
**C.T** : *Cahiers de Tunisie.*
**E.B** : *Encyclopédie Berbère.*

**E.I.1 :** *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
**E.I.2 :** *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
**E.T.A.M :** *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
**Et. Medit. :** *Etudes Méditerranéennes.*
**F.M :** *France - Maroc.*
**F.S.S.A.N :** *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
**G.E.M :** *Grande Encyclopédie du Maroc.*
**Hesp :** *Hespéris.*
**H-T :** *Hespéris-Tamuda.*
**H.T.E :** *Hommes, Terre et Eaux.*
**I.G :** *Information Géographique.*
**I.H.E.M :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**I.H.E.M : N-D :** *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. :** *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
**I.S.C :** *Institut Scientifique Chérifien.*
**Isl. Cult. :** *Islamic Culture.*
**I.S.P.M :** *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
**J.H.S.N :** *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
**M.A.I.B.L :** *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
**Medit :** *Méditerranée.*
**M.E.F.R :** *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
**N.A.M.S.L :** *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
**P.I.H.E.M :** *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
**P.S.A.M :** *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
**P.S.H.M :** *Publications de la Section Historique du Maroc.*
**R.A :** *Revue Africaine.*
**R.A.P :** *Revue de l'Action Populaire.*
**R.C.C :** *Revue de la Chambre de Commerce.*
**R.D.M :** *Revue des Deux Mondes.*
**R.E.A :** *Revue des Etudes Anciennes.*
**R.E.I :** *Revue des Etudes Islamiques.*
**R.E.L :** *Revue des Etudes Latines.*
**R.G.L :** *Revue de Géographie de Lyon.*
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. :** *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
**R.G.M :** *Revue de Géographie du Maroc.*
**R.H.C.M :** *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
**R.H.E :** *Revue d'Histoire Economique.*
**R.H.M.C :** *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
**R.M.D.E.D :** *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
**R.M.E :** *Revue Maroc-Europe.*
**R.M.F :** *Revue Militaire Française.*
**R.M.F.P.E :** *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
**R.M.M :** *Revue du Monde Musulman.*
**R.P.P :** *Revue Politique et Parlementaire.*
**Rev. Inst. Hist. Mil. :** *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
**S.G.L :** *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
**S.I :** *Studia Islamica.*
**S.I.H.M :** *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. :** *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

ابن **عبود، الـمعطي** بن **محمد** المعطي بن محمد بن الهادي ابن عبود المكناسي، عالم خاشع وواعظ ناسك ورع، ذو عفة ووقار كان محباً في الرسول صلى الله عليه وسلم وآله وسائر المتعلقين بأهدابه، من الفضلاء المتبتلين الخطباء، كان مدرساً وعدلاً موثقاً عارفاً بالتوثيق وإماماً بالمسجد الأعظم وخطيباً بمسجد البراذعيين وحافظاً مكثراً، كان يسرد الذخيرة المعطوية وتفسير الثعلبي والسيرة النبوية للكلاعي وصحيح مسلم تقرباً لله خاصة في شهر رجب وشعبان ورمضان. تولى نيابة القضاء بالحضرة المكناسية وزار القبر الشريف زيارة حج في عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف.

من شيوخ المترجم الذين أخذ عنهم وأصبحوا عمدته في مروياته وأسانيده، والده الشيخ محمد بن المهدي، والشيخ فضول السوسي، وشيخ الجماعة الشيخ مبارك، والسيد العباس بن كيران، والسيد المهدي بن سودة والشيخ المختار بن الحبيب الجراوي. ومن تلاميذه الذين أصبح هو أيضاً عمدتهم فيما أخذوه عنه، سيدي محمد بن إدريس الشبيهي والسيد عبد القادر العرائشي والسيد الغالي السنتيسي والسيد عبد الرحمن ابن زيدان، والفقيه الكاتب السيد أحمد بن محمد بن فقيرة والنقيب سيدي مشيش بن المختار الشبيهي وجماعة من أعيان أهل العلم.

من شعره قصيدة في تقريظ عبد الرحمن بن زيدان الموسومة بـ*كفاية المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج*.

توفي يوم الثلاثاء آخر ذي الحجة سنة 1330.

ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 4 : 316 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2867.

عبد القادر سعود

ابن **عبُود، الـمهدي** (الدكتور –) بن محمد بن عبد السلام السلوي. علم من أعلام المغرب المعاصر ورائد من رواد الدعوة الإسلامية ومفكر من جهابذة المفكرين الأتقياء.

انحدر من سلالة الصالح سيدي عبد السلام بن مشيش.

نشأ والده بمدينة مكناس ورزق تسعة أبناء منهم الشهيد سيدي أحمد الذي أعدمه الاستعمار في حوادث 1944 للمطالبة بالاستقلال والشيخ العلامة المرحوم زين العابدين.

رحل والد المهدي في مقتبل عمره بعائلته إلى مدينة سلا حيث أكرمه أهلها لما اشتهر به من فضل وورع ودعوة للإسلام وتفسير للقرآن الكريم على الطريقة الصوفية، فكان يقصده الطلبة والفقهاء والقاصي والداني في زاويته الشهيرة بسلا. وكان يغشى الأسواق والتجمعات الشعبية ليعلم الناس فرائض الدين وحلاوة الإيمان مسترشداً بكتاب الله يغوص في أسرار معانيه ويزود محدثيه بالأذكار. كان كثير الاستبصار، لا ينام وفي جيبه مال يفرق ما تجمع له على الفقراء.

في هذه البيئة تربى المهدي. فلما مات والده وهو صغير كفلته أمه وتولى تربيته الدينية أخوه زين العابدين، فكان لما كان يرى ويسمع ويعي تأثير في تكوين شخصيته. احترف مهنة الحصارة لمدة قصيرة، ثم دخل المدارس العصرية فساعده نبوغه وقوة فطنته وذاكرته على تخطي مراحل التعليم بسرعة وأتقن ثلاث لغات : العربية والفرنسية والانجليزية. وما إن دخل قسم الفلسفة حتى دهمته المستحدثة والفكر الغربي مقارنة لما استوعبه فأخذ يبحث عن ذاته ويجد في طلب الحقيقة يلتمسها في تدبر آيات الذكر الحكيم وأحاديث الرسول الأكرم والرجوع إلى أكبر المجتهدين والتراث الإسلامي، تابع بحثه وهو يدرس الطب فتخصص في أمراض الجلد بقدر ما تضلع في الفلسفة وعلوم الدين.

ساهم بعد ذلك بأوفى نصيب في النضال من أجل الاستقلال وفي صفوف المقاومة وجيش التحرير تارة ثم في أروقة هيئة الأمم المتحدة تارة أخرى، إلى أن أصبح أول سفير لبلاده في الولايات المتحدة الأمريكية. ثم ما لبث أن اعتزل الوظيف للعمل الحر ففتح عيادة لطب الجلد بالرباط. كان يعالج المساكين بالمجان ويسعفهم أحياناً بالدواء. وكان إلى جانب ذلك يدرس بجامعة محمد الخامس كأستاذ للفلسفة وعلم النفس والدراسات الإسلامية. طبقت شهرته الآفاق

فكان يطلب في أغلب العواصم الغربية بأوربا وأمريكا وعواصم العالم العربي والإسلامي فأصبح داعية تتخطفه المنابر والإذاعات فكانت "أحاديثه تمتاز بتجلي البيان وفيض الحكمة والجنان وإشراق البيان". حسب ما قال عنه أحد علماء مكة المكرمة. كان حقا عميق التفكير، كثير التأمل، بليغ اللسان، سريع البديهة، سليم الطوية.

كان يتصدى من محاضراته وأحاديثه من محطات الإذاعة والتلفزة ومما كتب للرد على الإيديولوجيات المنحرفة ومواقف الإسلام في القضايا المطروحة ومجادلة المفكرين والمجاهدين. وهو القائل : "إن ما يثير الدهشة هذا البحر المتلاطم الأمواج من الفلسفات والإيديولوجيات والمعتقدات والمذاهب العلمية والآراء السياسية والتربوية والاجتماعية والأخلاقية عن الصراعات الفكرية... بحيث يتساءل العاقل عن قيمة المعارف الإنسانية وحدودها قائلا مع أبي العلاء المعري :

فوا عجبا من مقالاتهم    أيعمى عن الحق كل البشر ؟"

كما كان المهدي يتصدى إلى هذه الأفكار بما كان يقوم به من محاضرات وأحاديث في المنتديات ووسائل الإعلام العالمية حيث كان له إقبال كبير. وقد امتد عمله هذا أزيد من ثلاثة عقود. ولم يقدر لكثير من إنتاجه الصدور مع الأسف.

ولكنه ترك إصدارات نذكر منها كراسات : العلم والمعرفة، صراع العقائد ومستقبل الإنسان، الإنسان وطاقته الروحية. ثم نشر كتاباً جامعاً أسماه "رصد الخاطر" ضمنه آراءه وخواطره عن صراع العقائد وأتبعه بجزأين من سلسلة "شراع" من كتاب "عودة حي بن يقظان" حذا فيه حذو ابن طفيل أحد أعلام الفكر الإسلامي بالأندلس الذي أفرغ فلسفة عصره في قصة خيالية ورد عليها، فقلده الدكتور المهدي بالرد هو كذلك على فلسفات عصره.

وكان آخر آثار المهدي الفلسفية والإيمانية قصيدته التي نافت عن أزيد من ألف بيت والتي اختار لها عنوان : "*صورة عصر وشكوى نفس*" كتبها تباعاً وهو طريح الفراش مدة تزيد عن ثلاث سنوات. وقد أودعها معانيه الإيمانية الروحية ونجواه وشكواه إلى ربه من الجاهلية التي تتخبط فيها الإنسانية وتشوقة إلى لقاء ربه قائلاً :

سلاماً ملاك الموت ما جنت شاكيا    أيشكو جوار الحق من كان راجيا

أيشكو فراق العصر والعصر منذر    بتدمير ما كان بالأمس بانيا

أيشكو فراق الأرض والأرض مرتع    لم نباع للأهواء قلباً مرابيا

توفي يوم 27 شعبان 1420 الموافق 6 ديسمبر 1999 في الرباط عن سن تناهز الخامسة والثمانين، فكان لوفاته صدى حزن عميق في عموم المغرب.

قاسم الزهيري

**العَبُودي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Abudi.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1149.

محمد ابن عزوز حكيم

**العبودي** أو العبوديون أسرة مغربية عريقة، تنتسب للشرفاء العمرانيين وتنتشر بمختلف قبائل جبال الزبيب الجبلية، كقبيلة الأخماس، واغصاوة، وبني زووال وغيرها. وبعضهم يعرف بأولاد بنعبود. اشتهر الكثير من أفرادها بحفظ القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه بمختلف رواياته. أنجبت كثيراً من المفتين والفقهاء والعلماء، بينهم قضاة وعدول. ساهم بعضهم في الجهاد والدفاع عن الوطن في العديد من المعارك قديماً وحديثاً.

**العبودي الأغصاوي، أحمد** بن **محمد** من علماء القرويين. ولد بمسقط رأس عائلته باغصاوة (اغزاوة) في بداية العقد الثاني من القرن العشرين، حفظ القرآن الكريم وهو دون سن العاشرة من عمره على المقرئ الفقيه السيد عبد السلام الشعري، كما تلقى مبادئ العلوم اللغوية والفقهية على والده الفقيه القاضي محمد العبودي، وعمه الحاج علي بن محمد العبودي بمسجد القرية مع ثلة من أبنائها وغيرهم، بعدما حفظ مجموعة من المتون وأمهات المصنفات اللغوية والفقهية، كالمرشد المُعين، والأجرومية، والألفية، وتحفة ابن عاصم، ومختصر الشيخ خليل، الذي كان من حفاظه، ثم التحق بجامع القرويين وذلك في منتصف الثلاثينيات للاستزادة من المعرفة والعلوم، لينهي دراسته بحصوله على شهادة العالمية سنة 1946.

وكان من شيوخه بها سيدي العباس بناني، و سيدي مَحمد العلمي، وسيدي محمد بن عبد الرحمان العراقي، ومولاي العباس الأمراني، وسيدي عمر بنسودة المري، وسيدي محمد بن عبد القادر بنسودة، وسيدي الجواد الصقلي.

ساهم وهو طالب بفاس بنشاط وطني ضمن أقرانه من طلبة القرويين والأساتذة بها، مما جعله يتعرض لكثير من المضايقات الاستعمارية، في مرحلة طلبه، وعدد من المصاعب الاجتماعية حتى بعد تخرجه، أثَّرَ ذلك عليه في مستقبل حياته من حيث البحث عن العمل والاشتغال بما فيه خير له وللوطن، لما حاول تأسيس مدرسة حرة بمدينة وزان فمنع من الحصول على رخصة لإنشائها، الأمر الذي اضطر معه لأن يحول وجهته للعيش بالدار البيضاء، فعين عدلا بمحاكمها، ولم يمنعه ذلك من أن يبقي مستمراً في نشاطه الوطني بشكل بارز، جعل ممثل الحماية، المندوب الفرنسي بمحكمة باشا الدار البيضاء وقتها، يعارض على ترشيحه، ويحْرمه من حق المشاركة في المباراة المنظَّمة لاختيار القضاة الشرعيين، والمفتوحة أساسا في وجه الحاملين لشهادة العالمية، حيث لم

يتول القضاء إلا بعد أن استقل المغرب، فعين قاضيا على مدينة برشيد وقبيلة أولاد حريز، تلك الخطة التي تركها بعد فترة ليصبح مدرسا بمعهد القرويين (1958 ـ 1959)، ثم بالمعهد الديني بمدينة العرائش (1959 ـ 1963)، وبعدهما عين أستاذا للسلك الثاني بثانوية المولى إسماعيل بمدينة مكناس (1963 ـ 1971) ليقع الاختيار عليه ليصبح مديراً لثانوية النهضة بنفس المدينة، وبقي بمنصبه هذا إلى أن أحيل إلى المعاش آخر سنة 1984.

**الـعبودي الأغصاوي، علي** بن **محمد** بن مَحمد بن الهاشمي بن الطاهر بن أحمد بن عيسى بن عمر العبودي العمراني، ولد بدوار دار الوادي من قبيلة اغصاوة السفلى التي كانت تحت الحماية الفرنسية، وبه نشأ وتربى وحفظ القرآن الكريم وبعض المتون المتداولة في وقته، ثم انتقل إلى بعض القرى التي كانت تشكل مراكز تعليمية مهمة بالمنطقة، فأخذ عن شيوخها علوم اللغة والفقه وماله صلة بهما من منطق وبلاغة.

ومن شيوخه البارزين الذين استفاد منهم كثيراً الفقيه الجليل محمد المجلاوي، تلميذ الشيخ المقرئ المشهور أحمد ابن المكي بن يرمق.

ثم بعد ذلك التحق بجامع القرويين ومكث بإحدى مدارس الطلبة رفقة ولد أخيه القاضي محمد الآتية ترجمته بعده. فتلقيا عن شيوخه العلامة الشريف سيدي الحسن العمراني الزرهوني، والعلامة سيدي محمد الصنهاجي، وأخيه الفقيه المدرس سيدي أبي الشتاء.

وبعد أن غادر القرويين اخْتيرَ لمهمة الإمامة والخطابة والتدريس لمدة تقارب ثلاثة عقود في العديد من القرى الكبيرة التي كانت تتوق إلى أمثاله وتفرح بمكثوهم في مساجدها للتعليم والإرشاد والإفتاء، معزّزين مكرمين وذلك في قبائل اغصاوة، وسطة، وعوف، بدائرة وزان.

وقد تتلمذ عليه بها كثير من الطلبة المحليين وغيرهم، أصبح منهم من احتل مناصب عليا في البلاد، بعدما أتم دراسته العليا ببعض جامعات المغرب وخارجه.

انتهى بمترجمنا المطاف بالاستقرار والسكنى بمدينة وزان التي أسس بها حلقة دراسية هامة كان مقرها في البداية مسجد حي الرمل. وكان لدروسه بهذا المسجد نتائج لافتة مرضية تُذكَر له فيُشكر عليها، ثم لما تقرر في بداية الستينيات إحياء الدراسة بالمدرسة الحسنية الدينية، بهذه المدينة نفسها بمسجد زاوية مولى عبد الله الشريف، بمساعدة وإشراف وزارة الأوقاف، كُلفَ بإدارتها ومراقبة درُوسها والنظرِ في شؤون طلبتها، بالإضافة إلى ممارسته شخصيّاً التدريس بها لعدة فنون كان يقوم بها واستمر على ذلك إلى آخر حياته كما أخبر بذلك عنه تلميذه الملازم له نكيز الحسن الغرباوي الذي درس عليه في هذه المدرسة ورافقه وساعده في بعض شؤون الدراسة بها، يقول عنه مؤلف كتاب *مصابيح ولاية القنيطرة*. ومما يوصف به أنه من أوائل أعضاء رابطة المغرب وأنه منذ أنشئ فرعها في القنيطرة وهو عضو في مكتبه، وبه عرفتُه عن كثَب، وأشْهَدُ أنّني وجدتُ فيه كل الصفات التي يجب أن يتحلى بها العالم الفاضل، من تواضع وحلم ووقار ومروءة وغير ذلك من الأوصاف المحمودة، وكتب الله لي أن زرته بداره في وزان عام 1990، طالبا منه معلومات عن بعض علماء الجبال فأفادني كثيرا وزودني بما لم أظفر به عند غيره. توفي رحمه الله بمدينة وزان، مقرٍّ سكناه في اليوم الثاني عشر من ذي القعدة عام اثني عشر وأربعمائة وألف هجرية الموافق (14 / 6 / 1992).

ودفن مع والده بمسقط رأسه بدار الوادي من قبيلة اغصاوة، وقد ترك ولَدَهَ محمداً الذي يعمل قاضيا بمدينة أبي ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، وعبد الوهاب الأستاذ بثانوية ابن زهر بمدينة وزان. (من كتاب *مصابيح ولاية القنيطرة* بتصرف الصفحة (147 ـ 148) للعلامة محمد الهبطي المواهبي.

**الـعبودي الأغصاوي، محمد** بن **محمد** بن امَحمد من قضاة العدل المبرزين، لعب دوراً لا يستهان به في هذا المجال. ولد بقبيلة اغصاوة (اغزاوة) يوم 18 شوال عام ستة وثمانين ومائتين وألف. حيث تلقى تعليمه في صباه بقراءة القرآن على والده وغيره عند الدخول إلى الكتاب القرآني، وأقرأه الأمهات المتداولة من المتون كالمرشد المعين، والأجرومية والألفية، وتحفة ابن عاصم، ومختصر الشيخ خليل وبعض مبادئ المنطق وعلوم البلاغة وأصول الفقه. وكان لوالده عناية به وبإخوانه لتربيتهم وتثقيفهم.

ففي عام أربعة وثلاثمائة وألف (1304) أثناء الزيارة للقطب الأشهر المولى عبد السلام بن مشيش بجبل العلم، صحبة سيدي الحاج محمد الترغي البقال الحرائقي، التقيا بجماعة من كبار علماء فاس من بينهم الشيخ الفقيه العلامة سيدي محمد بن التهامي الشريف الوزاني الذي يرافقه تلميذه الطالب العباس بن العربي بن المختار الجامعي حيث عبر والده للفقيه الوزاني المذكور عن نيته في إلحاق ولده المتحدث عنه بجامع القرويين، للاستزادة من تحصيل مختلف العلوم والفنون على جلة علمائها. ثم انتقل به إلى فاس للغاية المذكورة حيث لازم القراءة على كبار فقهائها، وأشْهَرِ من انتصب للتدريس بها في هذا الوقت، كشيخ الجماعةَ سيدي أحمد بن الخياط الزكاري وشيخ الجماعة سيدي أحمد بن الجيلالي الأمغاري والشيخ الفقيه محمد بن التهامي الوزاني المذكور، والفقيه العلامة المحقق أبي عبد الله سيدي محمد المهدي الوزاني العمراني صاحب *النوازل الصغرى والكبرى*.

وبعد قضائه فترة من الدراسة بجامعة القرويين وارتوائه من معين مختلف المعارف بها، اشتغل بالتدريس والخطابة والفتوى، فتخرج على يده جماعة من الطلبة تولى البعض

منهم خطة العدالة والقضاء، كما ساهموا معه بعد ذلك في الحركة الجهادية عند ظهور الأطماع الاستعمارية لاحتلال المغرب نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي، ضد الحملات الإسبانية والفرنسية التي شُنَّتْ على القبائل الجبلية والريف بشمال المغرب، وبعد اندلاع حرب الريف التحريرية شارك في المسعى الحميد لتوحيد الخطة بين المجاهدين بقبائل المنطقة وانضمامها لحركة التحرير التي قادها الأمير عبد الكريم الخطابي لغاية إفشال جهود الغزاة وقطع الطريق على الجيوش الاستعمارية في عملياتها العسكرية.

وهكذا جعل من مجاهدي قبيلته اغصاوة سدا منيعا وحصنا حصينا على العدو بتنظيم المجاهدين الذين يعملون على خط أعالي وادي اللكوس بقبيلة اغصاوة مع غيرهم (بجبل أسوال) من مجاهدي قبيلة بني مستارة، وقبيلة بني مزگلدة وقبيلة بني زروال. ولقد نظم هذا القاضي ورفقاؤه أثناء تلك الفترة حصارا محكما لقشلة فتراس حتّى استسلم من كان بها من الجيش الفرنسي المحاصر. ونفس الأمر وقع في معركة أخرى ضد الجيش الإسباني عرفت بمعركة (مغزيز) المعركة التي غنم فيها المجاهدون ما تقووا به من الغنائم، كالمدفع الرشاش الذي أسقطوا به طائرة كانت تقوم بقنبلة مداشر مختلف التجمعات السكنية بالمنطقة، بقيادة الطيار المدعو: سرجان ساگرلا الذي وقع في الأسر ثم استعمله المجاهدون والفقيه العبودي على رأسهم وسيلة ناجحة لافتكاك أسرى القبيلة الأغصاوية بعد مفاوضات بشأن ذلك مع الجيش الفرنسي المحتل لوزان وبعض نواحيه.

وتصميم الفقيه العبودي وجماعته على الدفاع عن مراكز وجودهم جعل الجيشين الفرنسي والإسباني يتخوفان من المواجهة مكتفيين بالعمليات الهجومية بواسطة الطائرات التابعة لفرنسا والتي كانت تقلع من مطار: اغنيوة قرب مدينة وزان أو بواسطة الطائرات الإسبانية التي كانت تقلع من مطار: سميد الماء بالعوامرة قرب مدينة العرائش.

ولما تم الاحتلال الكامل لمنطقة جبالة وكانت اغصاوة آخر ما تم احتلاله بها، ونظراً لثقة الناس في الفقيه العبودي واطمئنانهم إليه في سلوكه المتزن وسيرته النقية أُقرَّ قاضياً بظهير ملكي سنة 1928، ليصير مجاهدا بالنصح والإرشاد يحاول دائما إنهاء الكثير من نزاعات الخصوم، بدعوتهم إلى الصلح، يميل في فتاويه وأحكامه إلى التيسير، ويبتعد عن التعسير، يؤيد من أفتى قبله إن رأى أنه الصواب معتذراً بلطف عن إعطاء رأيه أحيانا. قال في بعض اعتذاراته: "وصلَنا شَريفُ خطابكم مع الرسوم بقصد التأمل فيها فإذا به لم نتمكن من التأمل والفتوى عليها على التمام".

للفقيه العبودي مجموعة من الفتاوى نشر البعض منها أخيراً ومازال الباقي بيد من أفتى لهم أو عند ورثتهم. كان القاضي العبودي لا يُسْكِت أحدا عند عرض خصومته مهما أطال فيها، ولايمل من سماع الرد على الدعوى ممن يدافع عن نفسه فيها.

توفي فجر يوم الجمعة سابع ربيع الأول عام 1370 الموافق 7 دجنبر 1950 بعد ما ترك أولاداً علماء: قضاة، وعدولا، وأساتذة معلمين.

## العبودي الأغصاوي، محمد بن محمد بن محمد

ولد سنة (1329 / 1909) بمسقط رأس عائلته باغصاوة، وبكتاب مسجد القرية حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة وتلقى تعليمه الأولي به على والده، والعديد من الشيوخ القراء والعلماء، كما حفظ مختلف المتون وأمهات المصنفات في قواعد النحو، واللغة، والفقه، والعلوم المرتبطة بها.

ثم التحق بجامع القرويين كتلميذ مُجِدٍّ في الطلب، للاستزادة من المعارف على جِلة العلماء والشيوخ بفاس: كالفقيه العلامة سيدي الحسن العمراني (الزرهوني)، والعلامة الأصولي سيدي العباس بناني، والنحوي الأديب سيدي محمد بن عبد الرحمان العراقي، والعلامة سيدي محمد الصنهاجي، وأخيه الفقيه العلامة المدرس سيدي أبي الشتاء، وشيخ الفلكيين بالمغرب في وقته الحيسوبي سيدي محمد العلمي.

وفي مادة التوقيت هذه برز مترجَمنا أكثر، مما جعل أستاذه الفقيه العلمي المذكور يأمره بأن يقوم كل سنة تحت إشرافه أوبمعيته، خاصة بعدما قل نظره، على رصد حركات النجوم والكواكب التي تدعو حاجة الطلبة إلى معرفة حركاتها في حساباتهم التوقيتية.

وبعدما حقق رغبته في التحصيل، تولى خطة العدالة بمحكمة قاضي زومي ببني مستارة، ثم شارك في المباراة المنظّمة لاختيار القضاة الشرعيين، وكان النجاح حليفه، حيث أُلحِقَ أول الأمر بوزارة العدل قبل أن يعين قاضياً على أحواز الرِباط، وابن سليمان بالشاوية، وكان مثالَ القاضي المعتز بمهمته لا يخضع فيها لأي تهديد من حكام الحماية. ولا يقبل المس باستقلال القاضي الكفء في عمله، ولو اعترضته صعوبات أو تحمل في سبيل ذلك مشقات.

وبعد الاستقلال عين قاضيا على قبيلة أولاد الحاج بالصويرة، ثم قاضيا بالعرائش ثم مستشاراً بالمحكمة الإقليمية بمكناس، وبمحكمة الاستئناف بالرباط، والدار البيضاء؛ لينهي مسيرته مستشارا بالمجلس الأعلى.

توفي يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الثاني عام سبعة وتسعين وثلاثمائة وألف موافق 8 أبريل 1977. وشيعت جنازته بحضور جل رجال القضاء بالرباط، والبعض من رجال التعليم بها، وعدد كبير من الأقارب والأصدقاء، ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

كانت له رحمه الله في مهامه القضائية منذ البداية مواقف تُظهر أنه لا يخشى في الله لومة لائم سجل فيها بشرف، ما يجب أن يتحلى به الاكفاء من القضاة.

**العبودي الأغصاوي، محمد** بن **مَحمد** بن **الهاشمي** بن الطاهر الفقيه القاضي (1319)، ولد في العقد الثالث من القرن الثاني عشر الهجري بالقرية المعروفة بمدشر دار الوادي مقر العائلة المذكورة، هذا الوادي الذي عرف عند أهله بوادي التفاح في الفترة التي تقارب وفاة الشيخ محمد بن علي الحاج الرهوني، صاحب الحاشية على شرح الشيخ الزرقاني على مختصر الشيخ خليل.

تعلم القراءة وحَفظَ القرآن بكتّاب القرية برواياته التي تلقاها عن شيوخ القَراءات المشهورين بقبيلته، وبالقبائل المجاورة وبالخصوص قرّاء قبيلة الأخماس بناحية شفشاون. حيث اشتهر بحذقه لمختلف قواعد القراءات ونصوص ضبط القرآن.

ثم التحق بالقرويين بفاس بعد تحصيله وتمكنه من الفهم الجيد لأمهات المصنفات المتداولة في وقته، التي درسها بشروحها على أشهر فقهاء ومدرسي المنطقة بينهم الفقيه المقرئ عبد السلام المرابط (1251).

وكانت له بعد ذلك علاقة متينة بالمشهورين من الشرفاء البقاليين بمدشر الريحان من قبيلة بني مزكلدة. ولهؤلاء اتصال بالدوائر السلطانية بفاس البعض منهم يسير في ركب السلطان أثناء مختلف رحلاته التي اشتهر المولى الحسن الأول بها، حتى قيل في حقه : "إن عرشه كان فوق صهوة جواده" لكثرة تنقلاته لتفقد شؤون رعيته والاطلاع بنفسه على أحوالها ولو في المناطق النائية من مملكته.

وفي مدينة فاس حضر دروس جلّة علمائها، فازدادت معارفه، وتفتحت مداركه، حتى حصلَ على مبتغاه من سماع دروسهم، وتزود بمختلف العلوم الفقهية، والقواعد اللغوية، والفنون البلاغية، والمبادئ الأصولية على يدهم. وبعد ذلك اختير إماماً وخطيبا للجمعة، ومدرِّسا ينشر العلم بين الطلبة الملازمين والواردين على زاوية جد البقاليين الشيخ الفقيه، الأديب الفصيح النافذ الإرادة عند ملك فاس، المنزل منزلة الأمراء في الأمر والنهي في وقته، أبي الحسن سيدي علي الحاج البقالي من أهل القرن العاشر، مما أهله لأن يتولى خطة القضاء على قبيلة اغصاوة.

ومع ذلك لم تشغله مهامه المذكورة عن أن يكون سالكا في حياته الخاصة مسالك الباحثين عن الشيوخ المتمكنين الواصلين درجة الإخلاص لله وحده في عبادتهم.

صاحب في هذه المرحلة شيخ الزاوية الدرقاوية بمدشر بني نُعيم من قبيلة اغصاوة العليا، سيدي الراضي الزرْغيلي، فتواصلا في الله واستمرت زيارات بينهما متبادلة ومدارسة تفاسير القرآن الكريم ودواوين الحديث متصلة غير منقطعة خاصة تفسير *روح البيان* لمؤلفه الشيخ اسماعيل حقي البروسوي المتوفى عام 1137 للبحث عن الموارد العذبة لمعاني العبادة السامية الحقة، التي تمكن من خلوص النية في العبادة لله سراً وعلانية.

وعند اختتام كل سَلكة لهذا الكتاب، تُعقد بالمناسبة مجالس خاصة، يحضرها معاصروه من العلماء بمنزله بدار الوادي، كما يشارك فيها قراء القرآن وحفّاظه، في احتفال ديني، صوفي، روحاني، جل محاور الكلام فيه تدور على الالتزام والتقيد بالأوامر الإلاهية والنواهي الربانية في معاملات المسلمين الدينية والدنيوية مع أنفسهم وربهم.

تلك المعاني الصافية الواردة في كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم التي تُربّي النفوس المومنة على الخوف من رب العباد وخالقهم، وتقوي الرجاء في رحمته بالاعتماد على حوله تعالى وقوته، حتّى صارت تلك المناسبة عبارة عن موسم قرآني للواردين وكافة الحاضرين، مُساهمة في زيادة نشر الروايات المتواترة، ومختلف القراءات التي اشتهر أهل الجهة بالحفظ والإتقان لها، فلا يشاهد عندهم إلا القليل ممن لا يحفظ القرآن عن ظهر قلب بينهم.

توفي رحمه الله عام 1319 بعدما ترك ذرية ساهمت بدورها في نشر العلم وإعطاء الفتاوى وتدريس مختلف العلوم المتداولة، وعلى رأسهم ولده البكر : الفقيه القاضي محمد، وولده الأصغر، الفقيه المدرس الحاج علي، الذي توفي عن سن تناهز التسعين عاما وهو مدير للمدرسة العتيقة الملحقة بالمسجد الأعظم بزاوية المولى عبد الله الشريف بمدينة وزان.

*وثائق خاصة ؛ رواية شفوية.*

عبد العلي بن محمد العبودي

**العَبُّودي، محمد** بن **أحمد** شيخ الجماعة بقبيلة غزاوة كان يرأس المجاهدين الذين انضموا إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد حضر جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة وعين عضوا بالمجلس الاستشاري للمقاومة من المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 ؛ وقد شارك في 51 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

F. Capas, *Cabecillas de Corona* 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

**العبيد** (واد -) من الروافد الكبرى والمهمة لوادي أم الربيع بحيث يجمع كمية كبرى من مياه السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط.

وينحصر حوض تغذية "واد العبيد" طبغرافيا بين خطي طول 7 درجات و7 دقائق و5 درجات و15 دقيقة غرب خط كرينوتش، وبين خطي عرض 31 درجة و43 دقيقة و32 دقيقة شمال خط الاستواء.

وبهذا تقدر مساحة هذا الحوض الإجمالية بحوالي 7840 كلم$^2$.

1 ـ المعطيات الطبغرافية :

ـ يمكن تلخيص الحدود بالنسبة لحوض تغذية "واد العبيد" كالتالي:

ـ من الشمال والشمال الغربي : أطلس القصيبة (جزء من أطلس بني ملال) وسهل تادلة.

ـ من الشرق والشمال الشرقي : الأطلس الكبير الشرقي وحوض ملوية.

ـ من الغرب والجنوب الغربي : سهل الحوز وأطلس دمنات.

ـ من الجنوب : الهوامش الجنوبية للأطلس الكبير.

ولهذا فإن "واد العبيد" يجري داخل سلسلة جبلية والتي تتخللها مجموعة من الأشكال خاصة الهضبية وهذه السلسلة لها نفس الاتجاه العام للسلسلة الأطلسية أي من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي (نفس اتجاه جريان العبيد).

على أن أهم هذه الهضاب من الناحية الهيدرولوجية هي الهضاب الكارستية وهي هضاب تشكلت داخل بنيات كلسية جوراسية ولياسية (الزمن الثاني).

2 ـ المعطيات الجيولوجية :

أهم ما يمكن استنتاجه من خلال الدراسة الجيولوجية لحوض "واد العبيد" هو سيادة التكوينات الكلسية وكذا بداية التطور الجيولوجي منذ "البرموترياس" (نهاية الزمن الأول وبداية الزمن الثاني). هذه الحقبة تتكون من مجموعة من طبقات غير نافذة خاصة عند المركب "الصلصالي ـ البازلتي" الذي يمثل قاعدة الخزان الذي يحجز المياه. اللياس الأسفل والأوسط والأعلى يتميز بوجود تكوينات كلسية ودولوميتية مع ظهور كتل كلسية تكون أهم القمم العليا.

وعلى العموم فإن الزمن الثاني يتميز بوجود كلس داكن مع انتشار طبقات حمراء قارية حثية طينية مع توضعات رصراصية تكون قعور المقعرات.

وأخيراً الزمن الرابع ويتمثل في توضعات رصراصية نتجت عن عمليات التحليل الكيماوي الذي شمل الصخور الكاربوناتية الكلسية ونقل هذه المحلولات بواسطة العيون التي تظهر عادة في البنيات الكارستية.

ويمكن القول إن النشاط المائي أفرز تنوعا في الأشكال الكارستية داخل حوض "واد العبيد" انطلاقا من التفاعل بين الصخور الكربوناتية (الكلس والدولومي) المتماسكة والقابلة للذوبان مع الشبكة المائية. من بين هذه الأشكال نجد مغارات، تجاويف كلسية، جوبات وبالوعات كلسية منتشرة داخل هذا الحوض.

3 ـ المعطيات المناخية والنباتية :

من بين المشاكل المطروحة لدراسة حوض "واد العبيد" عدم توفر معطيات كافية عن التساقطات والحرارة.

لكن يمكن إعطاء فكرة عن المناخ السائد داخل الحوض انطلاقا من دراسة المعطيات المتوفرة في بعض المحطات القريبة من الحوض كما أن موقع الحوض في السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط وتدرج الارتفاعات يجعله يتلقى تساقطات مهمة (أمطار وثلوج).

هذه المحطات هي : أزيلال (1420م وتتلقى 630 ملم تقريبا)، دمنات (1000م و600 ملم)، وأفورار (420م و480 ملم من التساقطات).

ومن خلال دراسة مختلف المعطيات والعناصر المناخية خاصة التساقطات والحرارة، يمكن أن نستخلص بعض الملاحظات المهمة :

ـ بالنسبة للميزانية المائية وبما أن معظم المجال كلسي (أي التسرب هو السائد)، فإن فترة التسرب يمكن حصرها بين شهري نونبر حتى ماي، أما مؤشرات العجز المائي فتلاحظ ابتداء من شهر يونيو.

ـ تعرف المنطقة بين 5 شهور (ازيلال ودمنات) و6 شهور (افورار) يمكن اعتبارها شهوراً جافة.

ـ فيما يخص التصنيف المناخي (L. Emberger)، فإنه يختلف حسب موضع النطاقات داخل الحوض. لذلك فإن الجبال العليا والوسطى (المنخفضات الداخلية كذلك) تقع في النطاق شبه الجاف ذو الشتاء البارد، المنطقة الواقعة عند السلسلة الجبلية تدخل في النطاق شبه الجاف ذو الشتاء المعتدل، أما سفوح الأعراف فيمكن تصنيفها داخل النطاق شبه الرطب ذو الشتاء البارد.

والملاحظ كذلك داخل حوض "واد العبيد" هو أن التدرج الارتفاعي أعطى تنوعا مناخيا كما أدى إلى تنوع في الغطاء النباتي.

لذلك فإن الجبال العليا تحتوي على تشكيلات قزمية متأقلمة مع البرودة، والجبال الوسطى يكسوها غطاء نباتي متفرق مع غابة العرعر أما السفوح ذات المناخ الشبه رطب فيكسوها غطاء نباتي كثيف مكون أساسا من البلوط الأخضر إلى جانب أنواع أخرى كالعفصية، الصنوبر الحلبي، الخروب، الزيتون البري والدوم.

وعلى ذكر الغطاء النباتي وباعتباره ثروة وطنية هامة، فإن السمة الأساسية هي التدهور المستمر الذي يتعرض له هذا الغطاء النباتي لأسباب مختلفة ومتداخلة.

4 ـ الشبكة الهيدروغرافية لحوض "واد العبيد" :

ـ واد العبيد : يعتبر هذا الواد من أهم المصادر المائية التي تزود بحيرة "بين الويدان"، ويجد منابعه انطلاقا من مناطق ذات طبغرافية عالية تتدرج ما بين 2200 و2400 متر تقريبا، ويتم تزويده انطلاقا من عدة روافد تنزل من العالية أهمها "أسيف أورين"، أسيف أغندو" و"أسيف اكاسن" الذي يعتبر أطول هذه الروافد، كما نجد على الضفة اليسرى "واد عطاش" الذي يبلغ طوله 30 كلم تقريبا إلى جانب العديد من الروافد الصغرى.

ـ واد احنصال : يعتبر من أهم روافد "واد العبيد" إلى جانب "أسيف" "أملول" يجد منبعه في أعالي "أسيف بوكماز" على علو يصل تقريبا إلى 3000 متر كما يسير بصفة عمودية اتجاه الشمال على أزيد من 40 كلم بحيث

يخترق "جبل تالمست" لكي يلتقي "بأسيف ملول" عند منطقة "تلوكيت" التي توجد بها محطة لقياس الصبيب.

ـ أسيف ملول : توجد منابعه داخل الهضاب الكارستية على السفح الشمالي "لتيزي ـ ن ـ تيغور غزين" وهي عبارة عن التواء على علو يصل ما بين 2700 و2800 متر، كما يصبح المجرى دائماً على ارتفاع حوالي 2300 متر، ليلتقي بأسيف أحنصال" عند ارتفاع 1100 متر تقريبا.

ـ بعد استقبال العديد من الروافد الصغرى الآتية من الأعالي، يخترق "واد العبيد" مقعر "تاگلفت" ليصل إلى بحيرة بين الويدان. وانطلاقا من الجبل نحو السهل وابتداء من خروجه من منخفض "واويزغت" إلى أن ينتهي مجراه على طول الأطلس، يقطع "مقعر أيت عتاب" على طول حوالي 60 كلم، ثم يخرج من المنطقة الجبلية ليتصل بنهر "أم الربيع" عند سهل "بني موسى" على بعد 10 كلمترات تقريبا من عرف "تازركونت".

ـ بالإضافة إلى هذه الروافد التي تغذي واد العبيد، يمكن أن ندرج "بحيرة بين الويدان" التي تتخذ شكلا طوليا وتساهم في تغذية صبيب "واد العبيد" انطلاقا من السد.

5 ـ الدراسة الهيدرولوجية لواد العبيد :

ـ توجد عدة محطات هيدرولوجية داخل حوض "واد العبيد" تشرف عليها "وكالة حوض أم الربيع" ببني ملال، لكنها تقوم بقياس الصبيب عند السافلة.

وقصد إعطاء فكرة عن طبيعة الجريان، اعتمدنا على معطيات محطتين صبيبيتين :

ـ محطة "أيت أوشن" في أسافل "واد العبيد" عند ارتفاع يصل إلى 1200 متر تقريبا (مساحة الحوض عند هذه المحطة تصل إلى 2635 كلم$^2$).

ـ محطة "تلوگيت" عند أسافل "أسيف ملول" على ارتفاع 1100 متر وحوض تصل مساحته إلى حوالي 1690 كلم$^2$).

ـ يمكن اعتبار كمية هامة من التساقطات التي يعرفها الحوض لا تتعرض للتبخر وذلك ناتج عن عمليات الكرستة وعامل الارتفاع، ولهذا يمكن أن نستنتج أن نظام "واد العبيد" هو نظام تساقطي ثلجي متوسطي (Régime Pluvio-nival Méditerranéen).

ـ ومن خلال دراستنا للأرقام المتوفرة، يلاحظ أن هناك تباينا في المعدلات السنوية للصبيب يمكن تفسيره بتباين معدلات التساقطات بحيث أن ارتفاع الصبيب يتم بشكل متوازي مع زيادة التساقطات مع بعض الاستثناءات.

| المحطة | متوسط الصبيب السنوي م$^3$/ث | أقصى الصبيب | أدنى الصبيب |
|---|---|---|---|
| أيت أوشن | 7,68 م$^3$/ث | 17,97 م$^3$/ث | 1,86 م$^3$/ث |
| تلوگيت | 10,24 م$^3$/ث | 29,62 م$^3$/ث | 4,66 م$^3$/ث |

جدول رقم 1 : تباين الصبيب بين المحطات

كما أن هناك تباينا في التوزيع الفصلي للصبيب مع التساقطات وهذا يؤكد أهمية نشاط الدينامية الكارستية التي تعمل على تخزين المياه.

ولهذا فإن الصبيب يزداد قوة خلال فصل الربيع أي بعد فترة التساقطات التي تهم فصل الشتاء الذي يعرف بدوره ارتفاعا ملحوظا للصبيب.

| الفصل | الخريف | | الشتاء | | الربيع | | الصيف | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | الكمية م$^3$/ث | ٪ | الكمية م$^3$/ث | ٪ | الكمية م$^3$/ث | ٪ | الكمية م$^3$/ث | ٪ |
| | 17 | 17,40 | 26,8 | 27,4 | 39,5 | 40,4 | 14.6 | 14,9 |

جدول 2 : تباين الصبيب حسب الفصول بمحطة "أيت أوشن" (1977-1999)

من الملاحظات كذلك أن الصبيب الشهري خلال الشهور الممتدة من يونيو حتى دجنبر لا يتأثر بالعجز في التساقطات، وهو ما يفسر الدور الكبير الذي تلعبه الدينامية الكارستية التي تعمل على تخفيف هذا النقص، ذلك أن العيون الكارستية تعمل على تفريغ خزاناتها خلال الفترات الجافة.

بالإضافة إلى هذا، فإن الثلوج التي تذوب خلال فصل الربيع تعمل على تغذية الفرشات الباطنية وبالتالي فإنها تؤثر على نظام الجريان بعد فصل الشتاء (الصبيب يبلغ أقصاه خلال شهري مارس ـ أبريل).

وفيما يخص استغلال المياه، يتم استغلال مياه "واد العبيد" وبالتالي مياه "بحيرة بين الويدان" في إنتاج الطاقة الكهربائية عبر شلال "افورار" (450م كيلوواط / ساعة) وشلال "بين الويدان (200 م كيلوواط / ساعة سنويا)، وتستفيد عدة مناطق من المغرب من الطاقة المستخرجة.

كما يتم الاستغلال بتحويل مياه "واد العبيد" المجتمعة في "سد بين الويدان" عبر نفق باطني (عبر جبل تازركونت) إلى "أفورار" حيث يتكون حوض كبير تتوزع منه القنوات لسقي قطاع "بني موسى".

بالإضافة إلى كمية مهمة تستعمل لسقي قطاع خارج المنطقة وهو قطاع "تساوت السفلى" عبر قناة تربط بين سهل تادلا وسهل الحوز (طول هذه القناة يصل إلى 93 كلم وصبيب يصل إلى 13 م$^3$ / ث).

خلاصة :

من خلال هذه الدراسة البسيطة لحوض تغذية "واد العبيد" ورغم أهميته المحلية والجهوية وحتى الوطنية، يتضح أنه يعرف تدهوراً مستمراً نتيجة قساوة المناخ خصوصاً خلال السنوات الأخيرة، تدهور الغطاء النباتي بشكل خطي، الضغط السكاني المتزايد على المجال، وزيادة الطلب على أراضي فلاحية ورعوية جديدة على حساب الغابة كل هذا

سبب في تعميم التعرية بكل أشكالها كما أثر بشكل خطير على الموارد المائية خاصة على مستوى بحيرة "بين الويدان" التي أصبحت تعرف توحلا خطيراً يؤثر بشكل واضح على مستوى "مخزون السد" بكل نتائجه الخطيرة (560 طن / كلم$^2$ / السنة).

J. Loup, *L'Oum - Er - Rebia, Contribution à l'étude hydrologique d'un fleuve marocaine*, Rabat, 1960.

أحمد زروال

ابن **عبيد، لفقير محمد** (قائد زمن الحماية) ينتسب إلى جماعة الطوال إحدى البطون القبلية المنتمية إلى اتحادية أولاد الحاج الظعن التي كانت جموعها تنتشر على نطاق أوسع في بلاد الظهرة إلى غاية مطلع القرن الرابع عشر متعاطية للرعي والترحال وفق ضوابط وأعراف جماعية منظمة. وقد كان محمد لفقير، وهو المنحدر من بيت عريق المحتد والتجلة، يحظى بتقدير وإجلال مشهودين في وسط عصبته، نظراً لما كان يحوزه من قطعان وافرة العدد من الغنم والإبل وأيضاً لما كان يتميز به نبل معشر وكرم ضيافة وقوة شكيمة، وهي خلال وقيم مكنته ليس فقط من أن يكون صاحب وجاهة وسلطة رمزية بين بني جلدته، وإنما صاحب شخصية مهابة الجانب، مسموعة الكلمة في جل أوساط قبائل أولاد الحاج الرحل وكذا تجمعات القصور الممتدة على جنبات وادي ملوية الأوسط من منطقة القصابي إلى حدود وادي عمار. وحسبنا أن نشير إلى أن الشيخ محمد لفقير قد تدخل غير ما مرة لفض النزاعات التي كانت تنفجر بين الفينة والأخرى بين الجماعات القبلية إما حول مصادر المياه أو حول المراعي الجماعية، كما شارك في مناسبات عدة عن طريق الاستشارة أو التحكيم في حل بعض الخلافات المستعصية الناجمة عن اقتراف بعض الجنح والمخالفات من قبل بعض الأفراد أو الجماعات.

ومما يؤثر عن الشيخ محمد لفقير ؛ قبل أن تسند إليه سلطات الحماية الفرنسية منصب القيادة، أنه كان أبرز من تزعم محلياً حركة ملاحقة أحد أدعياء الحكم كان قد حل بمنطقة أوطاط الحاج في أواخر القرن الثالث عشر زاعماً أنه أحد أبناء السلطان الحسن الأول. فاستقر أول الأمر عند أهل تكور ثم انتقل بعد ذلك إلى قصر أولاد عبد الكريم ليحط رحاله أخيراً في قصبة أهل أوطاط. ولم يتردد الشيخ محمد لفقير حينئذ في مراسلة هذا الدعي الذي كان يطلق على نفسه اسم "الروكي" وذلك حتى يعرف مقصده ويستكشف حقيقة أمره. فكان أن تبين له أخيراً أن هذا الشخص المتلبس إنما هو شخص يهودي مخادع ليس إلا. فبادر الشيخ عندئذ مباشرة إلى جمع قوات محلية من مختلف قبائل ملوية فتم الإجهاز على حركة هذا الفتان واحتز رأسه وبعث به إلى دار المخزن.

على أن أهم حدث طبع مسار حياة هذا الشيخ بطابع مميز ومخصوص - حسب ما ترويه الذاكرة الشفاهية المحلية - هو استقدامه للقوات الفرنسية من عين الحمراء بعد أن تمكنت من احتلال مدينة وجدة والمناطق المجاورة لها في خطوة أولى على طريق تنفيذ مخطط غزو التراب المغربي ككل. حيث وقع في هذا السياق مع إدارة الاحتلال اتفاقاً تعهد فيه - فيما يرجح - بعدم تعرض جحافل قواتها لأي شكل من أشكال المقاومة من طرف قبائل أولاد الحاج مقابل التزامها بإقرار "التهدئة" والأمن بين الجماعات المحلية التي لم تعد تحتكم إلا إلى لغة السيف والرصاص في ظل غياب أي تمثيل مخزني للسلطة الشرعية على النطاق المحلي. وتبعاً لمقتضيات ذلك الاتفاق، حلت القوات الفرنسية أول ما حلت بمنطقة تساف ثم انتقلت بعد ذلك للاستقرار "بالكرطي" بمركز أوطاط الحاج حيث أقامت هنالك إدارتها الاستعمارية التي ستلعب فيما بعد دوراً رئيسياً وعضوياً في إخضاع الساكنة المحلية ومطاردة جيوب المقاومة التي كانت تتخذ من مرتفعات الأطلس المتوسط منطلقاً لعملياتها المسلحة. ومكافأة له على هذا الصنيع عينت إدارة الاحتلال الفرنسي الشيخ محمد لفقير قائداً على أولاد الحاج جريا على نهجها السياسي المعروف في مثل هذه الحالات داخل مناطق أخرى عديدة. وبقي يزاول مهامه وفق ما تمليه عليه إرادته في توافق تام مع منطق الإدارة الاستعمارية إلى أن وافته المنية فعين خلفا له ابنه محمد بن عبيد المدعو بالكريط.

*مراسلات من الأرشيف الفرنسي بدائرة أوطاط الحاج ؛ وثائق خاصة؛ رواية شفوية ؛ تحريات ميدانية.*

ابن **عبيد، محمد لكريط** (قائد في فترة الحماية). ولد بمنطقة أوطاط الحاج 1880 وهو سليل أسرة معروفة بوجاهتها الاجتماعية في وسط جماعات أولاد الحاج الرحل منهم أو المستقرين على السواء. تولى منصب الشياخة منذ أن أسندت إدارة الاحتلال الفرنسي لأبيه محمد الفقير منصب قائد على قبيلته ثم عين بعد ذلك خلفاً له فور وفاته مباشرة عام 1922.

وقد تميزت طريقة إدارته لشؤون الأهالي على وجه العموم باللين تارة والمناورة تارة أخرى وذلك بحسب طبيعة الظروف والقضايا المعروضة على أنظاره. وقد مكنه هذا النهج في واقع الأمر ليس فقط من إقرار الأمن بين الناس أفراداً أو جماعات، ولكن أيضاً من الاستجابة في هدوء لأوامر ومطالب الإدارة الاستعمارية المحلية. ونظراً لما كان يحظى به الشرفاء أولاد سيدي عيسى من مكانة اعتبارية في الوسط القبلي المحلي بفعل ما كانوا ينعمون به من ظهائر التوقير والاحترام، فإن القائد لكريط لم يكن يقرب ساحتهم إلا بما يناسب مقامهم الاجتماعي والرمزي من تقدير ومواددة.

وبحكم ما كان يتمتع به من دراية واسعة ومعرفة دقيقة بمجالات حدود الأراضي والمراعي الجماعية التابعة لنفوذ قيادته قام بإيعاز من الإدارة الفرنسية بتقسيم الأراضي بين المشيخات الواقعة تحت إشرافه وتحفيظها بصفة قانونية، كما

اضطلع، من جهة أخرى، بدور أساسي في وضع تقسيم إداري محدد بإحداثيات مجالية لا تزال بعض معالمها قائمة إلى اليوم بين أراضي قيادته وقبائل : أيت بوشاون وبني گيل وأولاد جرار وأولاد علي وأولاد دخاوة وتكور ... الخ.

وقد استمر القائد لكريط في ممارسة مهامه في ظل نظام الحماية الفرنسية إلى أن حصل المغرب على استقلاله السياسي الوطني حيث تخلى عن منصبه إسوة بما فعل قواد آخرون في عدة قرى وبوادي مغربية مخلفا وراءه رصيداً غنياً ومتعدداً من الأعمال والممارسات لا تزال الذاكرة الجماعية المحلية تتداول تفاصيلها وتروي أطوارها إلى اليوم بصيغ وأشكال متفاوتة تمثلاً وتأويلاً من سياق إلى آخر ومن شخص إلى آخر.

*وثائق محلية، روايات شفوية، مقابلات ميدانية.*

الفقيه الإدريسي

**عبيدات الرما**، طوائف شعبية تمارس أنماطا من الفنون الاستعراضية. وقد كانت حتى مطالع القرن العشرين منتشرة في أنحاء عدة بمدن المغرب وقراه ثم تقلص عددها في العقود الأخيرة ولم يعد لها وجود إلا في بعض المناطق كمنطقة زعير.

ويقال بأن أتباع هذه الطائفة ينتسبون إلى زاوية الشيخ سيدي علي بن ناصر الذي أسس زاوية الرماية بمراكش في القرن الحادي عشر.

وفي دراسة أنجزها الأستاذ علال الخديمي ذهب إلى القول بأن تسمية "اعبيدات الرما" ضاربة في أعماق التاريخ المغربي وفي الثقافة الشعبية، وأنها تحيل مباشرة على معاني الرماية والجهاد والفروسية والانتظام في جماعة متعاونة ترتبط ممارساتها بسلوكات أخلاقية معينة مازالت بعض معالمها حية وباقية إلى اليوم لدى جماعات الرمي المنظمة لغرض الصيد والقنص".

تتخذ طائفة اعبيدات الرما مظهراً عسكرياً يتجلى في حمل أعضائها للبنادق، ولعل ذلك ما يفسر نسبتهم إلى (الرما) وأنهم كانوا في الأصل رماة يتدربون على الرماية بالبنادق استعدادا للمقاومة، وهي تجمع إلى مظهر العسكري مظهر الفرجة الاستعراضية التي يشترك جمهور المتفرجين في تنشيطها من خلال اقامتهم لحفلة (المعروف) التي يحتفون فيها بأعضاء الطائفة.

ويبدو أن المواضيع التي واكبت نشاط هذه الطائفة كانت في البدء تتمحور حول الإشادة بأعمال الجهاد والفروسية والقنص، ثم تحولت بفعل انقطاع أسباب الجهاد إلى ما يتصل بالترويح عن النفس وأمور الهزل وحكايات العجائز والاحتفال بمحاصيل الصابة واقتسامها، إضافة إلى موضوعات أخرى تتناول النقد الاجتماعي اللاذع من قبيل التعريض بالكسول، وبذلك تحولت فرجات اعبيدات الرما إلى مشاهد تشخيصية تبرز فيها المواهب ويتدفق عبرها الكلام ما بين خطاب مستفز وحوار أخاذ.

ومن خلال متابعة أطوار العرض الفني لعبيدات الرما يلاحظ أنه يتوخى إثارة فضول الجماهير واستقطاب اهتمام الحاضرين وتحريك إعجابهم وانبهارهم، ومن أجل ذلك فهم "يزينون رؤوسهم بقلنسوات مزخرفة بأصداف الحلزون زخرفة مضحكة، ومن ورائهم يتدلى ذنب الثعلب، وقد يرتدي الواحد منهم كسوة نسوية". والمشاهد بصفة عامة تتوالى فيها الأدوار التمثيلية والموسيقية على نحو متكامل بحيث يتخلل الأدوار الهزلية ضرب المقص والنقر على الطار والتعريجة والنفخ في الناي فإذا انتهى العرض وانفض الجمهور عاد مقدمو الطائفة إلى زواياهم ليقضوا ليلتهم في التسبيح والتهليل والصلاة على النبي صلعم.

وقد أورد المستشرق اميل لاووست في مجموعة (قصص المغرب البربرية) وصفا حيا لفرجات "اعبيدات الرما" فأشار إلى أنهم يختمون حفلاتهم يوم الجمعة بقراءة الفاتحة في محفل كبير، يؤدونها أمام بساط مفروش عليه برنس، وحوله يقف المقدمون والشرفاء ثم يلقون بهداياهم وعطاياهم. وبعد نهاية الفرجة يحمل اعبيدات الرما بنادقهم ويؤمون شط النهر حيث نصبت أهداف الرماية، فيشرعون في تصويب بنادقهم نحوها، ثم يوشحون الرامي المتفوق على عمامته.

ع. الله بنشقرون، *فجر المسرح العربي بالمغرب*، تونس، 1988، ص. 41 - 46 ؛ ع. الخديمي، *أصول الرماية والرمي في التراث الشعبي*، مج. *المناهل*، س. 25، ع 64 و65، شعبان 1422 ماي 2001، ص. 470 - 480 ؛ ع. الله، شقرون، مج. *الفنون*، س. 1 ع 7 و8 مايو - يونيو، 1974، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**ابن عبيدة، أبو بكر محمد** هو محمد بن عبيدة الله الأنصاري الاشبيلي السبتي. يكنى أبا بكر وأبا عبد الله. ولد بإشبيلية يوم عيد الفطر سنة 627 / 1230. يشير إليه ابن رشيد في رحلته بالأستاذ المقرئ الأديب النحوي البارع. (*بغية الوعاة*، 1 : 170). استقر بسبتة. أخذ عن جملة من الأساتذة منهم أبي الحسن علي ابن الدبَّاج، وأبي محمد فضيل المقرئ، وأبي محمد بن ستاري، وأبي عبد الله ابن المحلي السبتي، وأبي الحسن الزيات، وابن أبي الربيع (درة *الحجال*، 2 : 259). وتتلمذ عليه جملة من الفقهاء من بينهم محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النميري (*الإحاطة*، 3 : 89). له نظم. توفي بسبتة في رابع عشر القعدة سنة 706 / 1307، ودفن بالمقبرة الكبرى في سفح جبل الميناء منها (*درة الحجال*، 2 : 259 ؛ *اختصار*، 17).

الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1403 / 1983، ص. 17 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الثاني، ص. 27 و259 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثالث، ص. 89 ؛ ابن القنفذ، *شرف الطالب في أسنى المطالب*، محمد حجي، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1396 / 1976، ص. 15 ؛ السيوطي، بغية

*الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، الجزء الأول، ص. .
زليخة بنرمضان

أيت **عتاب**، يتضح من خلال الإشارات الواردة في تضاعيف مصادر التاريخ والأدب أن مجال أيت عتاب كان مأهولا منذ عصور سحيقة. فلما غزا عقبة بن نافع بلاد المغرب أواسط القرن الهجري الأول كان مجالهم من ضمن تراب قبيل هسكورة البربري. على أن عتاب كعلم لم يكن أبدا بربريا، ليس فقط لأن صيغته عربية، ولكن أيضا لأنه من بين أسماء الأعلام العربية التي اشتهر بعضها في مختلف المصادر. فمتى بدأ إطلاق هذا الاسم على سكان ذلك المجال ؟

لا شك في أن هذا التساؤل يفضي إلى تساؤل آخر، وهو من يكون عتاب هذا ـ إذا افترضنا أنه شخص ـ الذي انتسبت إليه هذه القبيلة ؟ فهل يكون ذلك الشخص من بين العرب الذين دخلوا المغرب في عهد يعقوب المنصور الموحدي ؟

لا نستطيع أن نتمادى في التساؤل، لأن معظم أسماء القبائل التي درجت المصادر على إلحاقها بأعلام بشرية لاتزال مثار أخذ ورد ؛ وكل ما تحصل إلى حد الآن لا يتعدى نطاق اجتهادات محتملة، في أغلبها. وإذا سلكنا مسلك من اعتقد أن عتاب ينتمي إلى بني جابر، من بني هلال العربية المعروفة (عيسى العربي، *قبيلة أيت عتاب*، ص. 23)، فكيف انتقلوا إلى ذلك المجال واستوطنوه، وأخذوا لسانه ؟

هذا السؤال وغيره من الأسئلة المهمة لا تزال المصادر المعروفة، إلى حد الآن عاجزة عن أن تجد لها أجوبة شافية.

والغالب على الظن أن اسم أيت عتاب لم يتردد في المصادر العربية المعروفة إلا انطلاقا من القرن العاشر (16 م)، حيث تحدث عنها الحسن الوزان كمدينة أسسها الأفارقة (وصف *إفريقيا*، 1 : 145). وتكاد الأوصاف التي أسبغها على سكانها ومجالهم تطابق ما هم عليه الآن. وهي الأوصاف نفسها التي تكررت لدى مارمول فيما بعد (*إفريقيا*، 2 : 119). لكن أي واحد منهما لم يتحدث عن أيت عتاب القبيلة. فهل ظهر أيت عتاب كاتحادية قبلية، في سياق الاتحاديات التي تكونت في ذلك العصر ؟ نطرح هذا السؤال ونحن ننطلق مما شهده المغرب من "شغور في الأحكام"، على إثر انحلال عرى الدولة المغربية، في أواخر العهد المريني والعهد الوطاسي ؛ وظهور الأحلاف القبلية الكبرى ـ كأيت عطا ـ في الأطراف والجهات النائية، إما بهدف الدفاع عن مجالاتها (من أراض ومراع)، أو من أجل غزو مجالات جديدة، في سياق التدافع مع القبائل الأخرى.

وأيا ما كان الأمر، فإن ذكر أيت عتاب ما فتئ يتردد في المصادر المعروفة منذئذ، لأن موقعها غير بعيد عن الطريق التجارية الواصلة، عبر التاريخ، بين العواصم المغربية، وبين المغرب وبلاد السودان. أي أنها تقع ضمن المجال الذي يكون صلة الوصل بين الشمال والجنوب.

ومن ثم لا نستغرب إذا علمنا أنه بالقرب من ذلك المجال وقعت أكبر المعارك الحاسمة بين جيوش الدول الآيلة إلى السقوط والدول الصاعدة. وبناء على ذلك، ورد ذكر أيت عتاب في سياق معظم الأحداث التي عرفتها تلك الجهة، عند الإفراني والريفي والضعيف والزياني والناصري وابن زيدان وغيرهم. وأشار عيسى العربي إلى أن حفدة مولاي عيسى بن إدريس وحفدة عبد القادر الفاسي يتوفرون على مجموعة من الظهائر المنعم عليهم بها من لدن سلاطين السعديين والعلويين (*قبيلة أيت عتاب*، ص. 26).

ومن تلك الإشارات والمعلومات الواردة في المصادر والوثائق يتضح أن أيت عتاب قبيلة بربرية، ينتمي لسانها إلى مجال الاتصال بين مصمودة وصنهاجة. وتقع مواطنها في هضاب الأطلس المتوسط الغربي، على الضفة اليمنى لوادي العبيد. وتتوسط قبائل هنتيفة وأيت مساض، في الجنوب والجنوب الشرقي، وأيت بوزيد، في الشرق، وبني عياط، في الشمال.

تتكون قبيلة أيت عتاب من أحد عشر فخذا وهي :

- أسمسيل، ويضم هذا الفخذ عدة فرق، من أشهرها أولاد معمر تزروالت وأيت دحان وبوكوت وبوزركان وبوگنفو وأيت بنداوة.
- تسقي، وينضوي تحته أولاد سعيد وأيت حموحقي وأيت عبو وإحلوان وفم الزاوية وإغير وأيت بومليك وأيت بويحيى وتاوريرت.
- أيت عيسى، ومن بين فرقه أولاد غنام وأيت يحيى وأيت عياش. وهذه الأفخاذ الثلاثة كلها في الناحية الغربية من أيت عتاب.
- أيت يحيى، وأشهر بطونه، أيت حدو
- أيت إغص، ومن أشهر فرقه، أيت وابيت
- أيت طوطس، ومن أشهر فرقه، أيت عبد السلام
- أيت يعزم، ويشتهر به فرقتان، أيت يشو وأيت عبد الوافي
- أيت أومعلا، وبه فرقة تسگدلت
- أيت وقدير، وبه إنغماس وتاونزة وتامريغت
- أيت وزگان، وأشهر فرقه، أيت وشاد. وتقع الأفخاذ السبعة سالفة الذكر في الجهة الوسطى.
- إخرخوضن، وبه فرقتان، حنضور وأخداش. وتمتد مواطن هذين الفخذين في الناحية الشرقية من أرض قبيلة أيت عتاب. والجدير بالملاحظة أن السلطات الفرنسية في أثناء أعمال الإحصاء التي قامت بها، لم تثبت إلا عشرة أفخاذ، مستثنية فخذ أيت عيسى *(Répertoire alphabétique)*.

ومن بين أهم مميزات قبيلة أيت عتاب، أنها من القبائل التي شهدت اختلاطا كبيرا في العناصر المكونة لسكانها. ففضلا عن العنصر البربري، المصمودي ـ الصنهاجي، بما انضاف إليهم من مختلف القبائل المجاورة، فهي تضم عددا لا يستهان به ممن يتكلمون اللسان العربي ؛ حتى إن المرء، في بعض الفرق، لا يكاد يميز هل هو موجود في جهة بربرية

أو عربية. كما اشتهرت أيت عتاب من بين أقدم المناطق التي استوطنها العنصر اليهودي.

ولعل شدة الاختلاط التي ميزت أيت عتاب راجعة بالدرجة الأولى إلى وقوعها في مجال عبور، طوال فترات تاريخية مديدة. أشرنا قبل إلى أن تراب القبيلة العتابية لا يبعد عن الطريق الواصلة بين الشمال والجنوب، وهي الطريق التي كانت مطروقة بكثافة منذ العهد المرابطي على الأقل. كما أنها غير بعيدة عن الطرق الجبلية الأخرى، ولاسيما طريق دادس - أحنصال. إلى جانب ذلك، بينا في دراسة سابقة أن أراضي أيت عتاب تقع في مجال عبور اتحادية أيت عطا، التي لا نشك في أن اكتساحها لذلك المجال، ولاسيما في أثناء فتور السلطة المركزية، كان يترتب عنه تحريك عناصر من القبائل الواقعة في طريقها، وقد ينتهي بها الأمر إلى الاستقرار حيث تجد بعض وسائل العيش، كما هو الحال في أيت عتاب الذين يتوافر في أراضيهم نماء وخصب (مقدمة تحقيق الدرة الجليلة). ومما ترتب عن هذا الموقع الوسط، أن عدة قبائل عبرت مجال أيت عتاب في أثناء الأزمات الدورية التي كانت تنزل بالبلاد، فتؤدي إلى هجرات كبيرة بين شمال البلاد وجنوبها.

ونتيجة لما ذكر، حافظت قبيلة أيت عتاب على تماسكها وكثافتها السكانية منذ ظهورها، في القرن العاشر (16 م). فقد شهد مختلف الرحالين والكتاب الذين زاروا تلك الجهة أو تحدثوا عنها، بكثرة سكانها. وإذا استندنا إلى تقديرات هؤلاء، نستنتج أن عدد السكان عند الحسن الوزان حوالي 5000، ومارمول 10000، ودوفوكو وكيدنفيلد 6000.

وبعد فرض الحماية على المغرب، قامت السلطات الاستعمارية بثلاثة إحصاءات كانت نتائجها كالآتي :

1931 : 17.522 ؛ 1936 : 21.766 ؛ 1952 : 22.831 ؛ ليرتفع هذا الرقم، بعد الاستقلال، إلى 31.212 سنة 1971 و33.199 سنة 1982.

بقي أن نشير إلى أن قبيلة أيت عتاب شاركت في جل الأحداث التاريخية التي عرفها المغرب منذ العصور السحيقة، واستأثرت بعناية كل الدول المتعاقبة على الحكم في بلاد المغرب منذ القرن العاشر (16 م).

في هذا السياق نذكر أن قبيلة أيت عتاب أنجبت عددا من الأعلام تركوا بصماتهم، وبرزوا في الميادين العلمية والصوفية والسياسية والعسكرية والاقتصادية. منهم محمد بن سعيد العتابي السلاوي، المتوفى عام 1033 / 1622، من أصحاب الشيخ عبد الله بن حسون السلاسي (*الإتحاف الوجيز*، ص. 97). ومنهم الباشا أحمد العتابي، أحد أشهر قواد السلطان المولى إسماعيل. ومنهم محمد العتابي، الرحالة أحد علماء القرويين ؛ وهو غير محمد بلحاج العتابي، المقاوم المتوفى سنة 1972 (ع. العربي، ص. 174). ومنهم المعمر الفقيه المجوجگي، محمد بن علي بن الرامي (المتوفى سنة 1977) ؛ الفاضل العالم الذي بلغ درجة الإفتاء.

هذا، علاوة عن عدد من الأعلام العتابيين من أهل القرن الثاني عشر (18 م) - من أيت وزگان وأيت طوطس وتزملت - الذين انخرطوا في سلك الطريقة الناصرية ؛ وكانوا من الفقهاء وحفظة القرآن الكريم. وإلى هؤلاء يرجع الفضل في الحفاظ على التوازن في تلك الجهة، بما قدموا إلى السكان من خدمات، كنشر التعليم والدعوة إلى الله والوساطة في النزاعات.

ولما فقد المغرب استقلاله، كانت أيت عتاب من القبائل التي تم احتلالها في أواخر سنة 1916 ؛ حيث زحفت عليها القوات الفرنسية، انطلاقا من قصبة تادلا ومن مراكش، بأمر من الجنرال دولاموث (*قبيلة أيت عتاب*، ص. 178). فاعتبرت منطقة عسكرية، وكل أمرها إلى ضابط للشؤون الأهلية.

البيدق، *المقتبس* ؛ ابن الزيات، *التشوف* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *أفريقيا* ؛ الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ القادري، *نشر المثاني* ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ الزياني، *الترجمانة* ؛ *البستان الظريف* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ أ. التوفيق، إيشولتان ؛ م. بوسلام، *قبيلة بني ملال* ؛ عيسى العربي، *قبيلة أيت عتاب*.

*Répertoire alphabétique.*

أحمد عمالك

**عتاب**، ثائر ارتبط اسمه بثورة الموحدين أدت إلى تخريب مدينة داي، ورغم ذلك فلم يرد ذكره إلا عند ابن الزيات التادلي في إشارات عرضية، لذلك لا نستطيع تحديد اسمه الكامل ولا ملامح شخصيته على وجه الدقة. قام عتاب بانتفاضة ضد الدولة الموحدية في بداية عهد يوسف بن عبد المؤمن، وبالضبط سنة 559 / 1164، انطلاقاً من مدينة داي التي كانت مركزاً صوفياً نشيطاً. وأدت هذه الانتفاضة إلى قيام الموحدين بمطاردة "أشياخ المريدين بسبب ما نسب إلى عتاب، حين قيل إنه يطلب الملك، فقتل وطلب أصحابه" (*التشوف*، 394)، وقمعت حركته بقسوة تسببت في خراب المدينة وجلاء أهلها وافتراقهم في البلاد، ربما لتضامنهم مع الانتفاضة، أو فقط كإجراء تخويفي من إجراءات الموحدين.

اتسمت الظرفية التي ثار فيها عتاب بقدر كبير من الارتباك، فبعد وفاة عبد المؤمن سنة 558 / 1163 توقف عن بيعة ابنه يوسف "قوم من أشياخ الموحدين، وامتنع من بيعته أخواه السيد عبد الله صاحب بجاية والسيد محمد صاحب قرطبة، فكف عنهما ولم يطلبهما بالبيعة وتسمى بالأمير، ولم يتسم بأمير المؤمنين حتى اجتمع الناس عليه" (*روض القرطاس*، 208)، ولم تتم له البيعة النهائية إلا سنة 561 / 1166. وقد عرفت سنة 559 / 1164 التي وقعت فيها أحداث داي اندلاع ثورة كانت أكبر وأشد تنظيماً هي ثورة مرزدغ الغماري الصنهاجي، الذي تبعته قبائل صنهاجة وغمارة

وأوربة، وزحف في اتجاه فاس فدخل مدينة بني تاودة. كما عرفت نفس السنة اندلاع ثورة تادلا بزعامة قبائل صنهاجية أخرى. ويبدو أن عتاب قد أدرك خصوصية الظرف وأراد اقتناص فرصة مواتية للاستفادة من ثورة تادلا، ليقود انتفاضة مدينته ضد أمير متفق على بيعته حتى بين إخوته وأشياخ دولته، لكن قرب المنطقة من مراكش عاصمة الموحدين جعل القضاء على هذه الانتفاضة سهلاً إلى حد ما.

وباستثناء السياق الذي وقعت فيه الحادثة فإن المصادر لا تسعف بشيء يمكن من إزاحة الغموض عنها. وقد رجح الأستاذ أحمد التوفيق أن يكون لحركة عتاب "سند من العصبية، وقبائل تادلا مرشحة لها لأكثر من سبب ... وقبائل المنطقة كلها صنهاجية وليست من المصامدة الذين أيدوا الموحدين" (*التشوف*، مقدمة التحقيق، 20)، وافترض أن قبيلة أيت عتاب المجاورة لمنطقة داي تنسب إليه.

من المؤكد أن مثل هذه الانتفاضات والثورات كانت الرسائل الموحدية والمصادر التاريخية المعاصرة تحرص على ذكرها ولو بإشارات مقتضبة من منطلق تسجيل انتصارات الخلافة على المخالفين، لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار أن تحرك عتاب تزامن مع تحركات أخرى، فلا يبعد أن تكون المصادر قد اعتبرته جزءاً من انتفاضة تادلا، فلم تفرده بالحديث لهذا السبب.

لقد جاءت هذه الحادثة الغامضة في مرحلة تحول خطير بالنسبة للدولة الموحدية هي مرحلة وفاة عبد المؤمن وانتقال الحكم إلى ابنه يوسف، وعادة ما كانت هذه الفترات الانتقالية تعرف نشوب ثورات هنا وهناك. ويظهر أن الموحدين ربما استغلوا مشاركة بعض المريدين في ثورة أهل داي ليوسعوا دائرة مطاردة أهل التصوف من أبناء المنطقة، فطوردوا مع من طورد من أصحاب عتاب وفر بعضهم إلى المشرق، ولا شك أن مصير عدد منهم كان هو القتل، كما حصل لعتاب الذي قتل في ظروف غامضة في نفس السنة.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، 1972، ص. 208 ـ 210 ؛ ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، 1984، ص. 20 ـ 168 ـ 394 ـ 395 ـ 402 ؛ *أخبار أبي العباس السبتي*، ص. 466 ؛ البيدق، *أخبار المهدي*، الرباط، دار المنصور، 1971، ص. 86 ؛ م. العمراني، *الفتن والتمردات بالمغرب الأقصى والأندلس خلال القرن السادس الهجري (12 م)*، رسالة د. د. ع، تاريخ، كلية الآداب بالرباط، 1996، ص. 188 ـ 196.

E. R. Gauthier, *Madinat - Oudai*, *Hesp.*, 1926, t. IV, 1er trim..

محمد المغراوي

**العتابي، أحمد** بن **يشو**، الملالي ثم العتابي، نسبة إلى أيت عتاب القبيلة المعروفة الواقعة مواطنها غربي الأطلس المتوسط، جنوبي بني ملال. ينحدر العتابي من أيت ابن يشو، المنضوين اليوم تحت لواء مشيخة تسقي. أخذ المترجم الطريقة الناصرية عن الشيخ الحسن بن مسعود اليوسي، الذي كان قد ندب نفسه لتلقين الورد الناصري لمن لم يستطع الوصول إلى تامگروت.

ولعل العتابي رحل إلى درعة حيث أخذ الورد، مرة أخرى، عن الشيخ أحمد ابن ناصر، كدأب سائر مريدي ذلك العصر. كان هذا الرجل من بين تلاميذ الناصريين الذين عملوا على ترسيخ التعاليم الإسلامية واللغة العربية لدى سكان الجهات النائية ؛ في عهد كان قد عرا السلطة فتور كبير، واستشرت الانحرافات التي لم ينج منها الميدان الديني نفسه.

وكما لا نعرف شيئا عن ميلاده ونشأته، لا نعرف تاريخ وفاته ؛ على أننا نرجح أنه توفي فيما بين 1182 و1204 / 1768 و1790.

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ *التحري الميداني*.

**العتابي، الباشا أحمد**، أحد قواد السلطانين المولى إسماعيل والمولى عبد الله. اشتهر بالحركة التي قادها ضد زاوية أحنصال بأيت مضريف، حيث أضرم النار فيها، وطارد أتباعها من أيت عطا ـ نُ ـ مالو، وأخلى قصبة ووزغت. وهذا هو المتداول إلى حد الآن ؛ في غياب المصادر الكفيلة بكشف حقيقة هذه القضية. ويظهر أن نفوذ الباشا العتابي كان ممتدا على مجال واسع، يتجاوز أيت عتاب ليصل إلى أيت مساض وأيت بوزيد، وقسم من هنتيفة الجبل : من القبائل المجاورة في الشرق والجنوب. وبصدد تاريخ وفاته نرجح أن يكون في صدر دولة المولى عبد الله الثالثة ؛ أي فيما بين 1145 و1151.

وثائق من زاوية كرول، بالقرب من دمنات ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ *التحري الميداني*.

أحمد عمالك

**العتابي بلحاج**، ابن زاهر محمد، مقاوم ولد حوالي 1914، بدوار أولاد معمر بمشيخة اسمسيل بأيت اعتاب. حفظ ما تيسر من القرآن الكريم في كتاب قريته، ثم التحق بزاوية سيدي إبراهيم البصير في بني عياط من أجل متابعة دراسته.

وعندما حلت المجاعة بالمنطقة انتقل مع أمه إلى بلاد زيان، وبعد مدة من الزمن، غادرها متوجهاً نحو سطات، فالدار البيضاء التي حل بها في سنة 1930، حيث تعلم هناك مهنة ميكانيك كهرباء السيارات. وفتح محلا خاصا به في "كراج علال". وفي هذه المدينة احتك بلحاج العتابي بالحركة الوطنية فانخرط في صفوفها، إذ انضم إلى الحزب الوطني عام 1934. ثم بعد تأسيس حزب الاستقلال أسندت إليه مسؤولية مكتبه بالحي الصناعي في الدار البيضاء سنة 1944.

وفي عام 1953 ـ وبعد نفي جلالة الملك محمد الخامس ـ أصبح من بين المنظمين الرئيسيين لحركة المقاومة السرية إلى

جانب مقاومين كبار أمثال محمد الزرقطوني، الذي كانت تربطه به علاقات طيبة للغاية. ولذلك كان عضوا في إحدى المنظمات السرية تسمى "منظمة الهلال الأسود". ولهذا صنفه محمد الفرقاني ضمن القيادات البارزة للحركة الوطنية (*الثورة الخامسة*، ج. 1، ص. 352).

ومن الخدمات الجليلة التي قدمها بلحاج العتابي لهذه الحركة، أنه جعل من محل عمله ورشة لصناعة القنابل التي يقوم الفدائيون بتفجيرها في مختلف الأماكن، حيث تحدث رعبا قويا وارتباكا كبيرا في صفوف المحتلين الفرنسيين ومن في خدمتهم من خونة ومتعاونين مغاربة (الفرقاني، م. س. 287).

وكنتيجة لتحركاته المكثفة ونشاطاته الواسعة في أكثر من مدينة في ميدان المقاومة والنضال، تعرض لاستنطاقات متعددة من قبل المسؤولين الفرنسيين، الذين أصدروا في حقه عدة أحكام بالسجن والنفي.

ولما تبين لبلحاج العتابي أن أمر الوطنيين المنخرطين في خليته قد اكتشف من قبل سلطات الاحتلال سنة 1954، وهي السنة التي استشهد فيها محمد الزرقطوني، فر مع مجموعة من المقاومين إلى المنطقة الشمالية للمغرب الخاضعة للاحتلال الإسباني، وهناك تابع نضاله الوطني، حيث قام بعدة مهام تناسب ما تميز به من شجاعة وإقدام وغيرة وطنية، ومن تلك المهام المهمة التي أسندت إليه والمتمثلة في الإشراف على شؤون اللاجئين المغاربة الذين فروا من منطقة الحماية الفرنسية. كما قام بربط الاتصال ببعض قادة الحركة الوطنية، وعلى رأسهم علال الفاسي الذي كان مقيما في القاهرة بمصر، إذ كان يوجه إليه تقارير دورية وفي مختلف المناسبات يخبره فيها بالأحداث المستجدة في ظل الاحتلال الفرنسي على وجه الخصوص.

وعندما تم تشكيل هيئة لأركان الحرب بتطوان، أصبح بلحاج العتابي أحد أعضائها النشيطين، وقد لعبت هذه الهيئة دورا طلائعيا في إدارة شؤون جيش التحرير. وأسهم أيضا بفعالية في تزويد المقاومين بالسلاح عن طريق تهريبه، وذلك قصد تنفيذ عملياتهم البطولية وتوجيه ضربات موجعة لجيش الاحتلال وعملائه.

وعندما حصل المغرب على استقلاله، وأدمج جيش التحرير في القوات المسلحة الملكية، تم تعيين بلحاج العتابي ضابط احتياط برتبة قبطان. كما عينه جلالة الملك محمد الخامس عاملا على إقليم الشاون، ثم على إقليم الناضور. وكان المواطنون يقدرونه ويحترمونه لما اتسم به من استقامة وتواضع، ومما كان يقوله حسب ما صرح به صديقه المقاوم إبراهيم النصر "دار العامل ما هي إلا دار للشعب، ونحن لا شغل لنا سوى خدمة مواطنينا بكل صدق وتجرد".

وبعد ذلك تقلد مسؤوليات أخرى في المجلس البلدي ومجلس عمالة الدار البيضاء، وانتخب عضوا في مجلس المستشارين ومجلس النواب.

وبذلك كله يمكن القول بأن المجاهد بلحاج العتابي نجح إلى حد بعيد في جهاديه الأصغر والأكبر على السواء.

توفي رحمه الله تعالى في شهر شعبان 1392 الموافق لشهر أكتوبر 1972.

م. الحبيب الفرقاني، *الثورة الخامسة*، صفحات من *تاريخ المقاومة وجيش التحرير*، طبعة 1990، ج. 1، ص. 17، 287، 352 ـ 353 ؛ الحسن العرائشي، *انطلاق المقاومة المغربية وتطورها*، الرباط 1982، ص. 17، 35، 92 ؛ م. التجكاني، *دار بريشة أو قضية مختطف*، مراجعة وتقديم الحاج أحمد معنينو، طبعة 1987، ص. 55 ـ 56، 58، 62، 86 ؛ ع. الله الصنهاجي، مذكرات في تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من 1947 إلى 1986، طبعة 1987 ؛ عز الرحيم الورديغي، *المقاومة المغربية ضد الحماية الفرنسية 1952 ـ 1956*، طبعة 1982، ص. 139 ؛ ع. الحفيظ الهلالي، *عمليات فدائية لمنظمة الهلال الأسود*، مجلة المقاومة وجيش التحرير، عدد 3 دجنبر 1981، ص. 19 ؛ م. س. لقدماء المقاومين وأ. ج. التحرير : سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال، الوثائق 2 ص. 140، الوثيقة 3 ص. 77 ؛ عيسى العربي، *مقاومة سكان قبيلة أيت عتاب ضد الاحتلال الفرنسي 1908 ـ 1956*، مطبعة الرباط، ط. 1 يونيو 1995، ص. 180 ـ 193.

عبد العزيز الضعيفي

**العتّابي، محمد** من رواد الحركة الوطنية المغربية، درس بفاس وكان على صلة وثيقة بالشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي منذ كان يدرس عليه بالقرويين، ثم عمل معه كاتباً حين أصبح الشيخ وزيراً للعدل على عهد السلطان عبد الحفيظ. ولما عمل الفرنسيون على إقصائه بعد فرض الحماية، ثارت ثائرة العتابي فتوجه إلى المشرق سنة 1332 / 1913 وحج، وبعد سنين دخل إلى عاصمة الخلافة العثمانية الآستانة وانضم إلى الشخصيات الشرقية والمغربية النازلة بها والساعية إلى تحرير الأوطان والشعوب تحت ظل الجامعة الإسلامية، وفي مقدمتهم الوطني التونسي الكبير عليّ باش حامبة الذي أصبحت له حظوة وكلمة مسموعة لدى رجال الدولة، فقد سهّل على العتابي ماموريته النبيلة حتى حضر لدى الخليفة محمد رشاد الخامس وأحاطه علماً بأخبار المغرب وأحداثه، وما يقاسيه السكان تحت السيطرة الأجنبية وأحوال المقاومة المسلحة المنتشرة آنذاك في أكثر الأقاليم سهلاً وجبلاً.

بعد ذلك سافر العتابي إلى ألمانيا التي كانت تخوض الحرب ضد فرنسا وحلفائها. وقد استضافته الدولة في برلين وحاولت أن تسخره لخدمة أغراض سياستها الرامية إلى فتح واجهة سياسية وحربية في المغرب، لكنه رفض كل مالا يتفق وخطته الوطنية التحريرية الهادفة إلى الاستعانة بألمانيا

لصالح المعارضة والمقاومة بالمغرب، فعاد إلى تركيا. ولما اعترف المؤتمر الإسلامي المنعقد بالآستانة باستقلال المغرب - بسعي من محمد العتابي - حرص على ألا يحتفظ بقراراته كحبر على ورق فسعى إلى الدعوة لمقرراته حينما عهد المؤتمر إلى فريق من أعضائه بالسفر للخارج قصد التجول في مختلف الدول الملتزمة للحياد في الحرب العالمية الأولى كالدانمارك والسويد والنرويج للتعريف بمقررات المؤتمر وتنوير الرأي العام بخصوص قضايا العالم الإسلامي عامة، وخاصة المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر. لقي وفد المؤتمر كل مساعدة وأفسح له المجال للدعوة بوسائل الاتصال والنشر، وكان من أعضائه محمد العتابي وعلي باش حامية وشكيب أرسلان، فضح العتابي خطة فرنسا وإسبانيا في المغرب وساعده رفاقه في ترجمة بياناته وكتاباته إلى اللغات الأجنبية، ورددت الصحافة حتى في باريس أصداءها، لذلك أدانته السلطة الفرنسية بواسطة المحكمة العسكرية وأصدرت ضده حكماً غيابياً بتحريم عودته إلى المغرب وبالاستيلاء على ممتلكاته .. تابع العتابي نشاطه ونجح في استصدار قرارات هامة من المؤتمر المنعقد في اسطوكهولم عاصمة السويد سنة 1917 بإعلان استقلال المغرب التام وضم إقليم شنگيط إلى المغرب ومناشدة دول الحياد للعمل حتى يصبح الاستقلال المغرب مطلباً نافذاً. وكان العتابي يعمل في نفس الوقت للاتصال بمن في داخل المغرب من المهتمين مثله بقضية الحرية، كرجال المقاومة المسلحة، وكاد أن يظفر من دولة الخلافة بما طلبه للثورة الداخلية من إسناد بالرجال والأسلحة حيث وقع الاتصال بالسلطان السابق عبد الحفيظ بمدريد ليتولى زعامة الحركة الجهادية لكنه لم يقبل لأسباب خاصة به. وبعد ذلك طرأت أحداث في الشرق العربي وأوربا الشرقية : ثورة الملك حسين بالحجاز بإيعاز من الأنجليز والتحاق لبنان وسوريا به، وانفصال رومانيا وبلغاريا عن الدولة العثمانية بتدبير من الحلفاء لإلحاق الهزيمة بها كحليفة لألمانيا في الحرب وكدولة تتزعم العالم الإسلامي وتحكم أقطاراً مسيحية في أوربا، فتضعضعت الدولة العثمانية وتعرضت هي نفسها للاحتلال في أطرافها.

هكذا ضاع الأمل في إعانة تركيا للمجاهدين المغاربة واضطر محمد العتابي في نهاية الحرب إلى مغادرة الآستانة والنزول بمصر لدى ملكها فؤاد الأول. وقد قال عنه الزعيم محمد حسن الوزاني في نهاية هذه الترجمة الحافلة التي خصه بها ومنها أخذنا هذا المختصر :

"أسهم العتابي باسم المغرب والنخبة الواعية المخلصة من رجاله في جميع حركات النهضة الإسلامية والسياسية في المشرق خاصة لصالح قضية الحرية ... وبهذا خلّد ذكره في سجل التاريخ واستحق تقدير وطنه والأجيال المغربية التي عاصرته أوجاعت من بعده ... أوذي في سبيل الله والواجب الأقدس، فحكم عليه قضاء الاستعمار بالتغريب والمصادرة عقاباً واقتصاصاً".

انقطعت أخبار محمد العتابي في مصر فمات غريباً مغموراً في تاريخ غير محدد.

م. حسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، بيروت، دار الغرب الإسلامي / مؤسسة محمد حسن الوزاني، د. ت. الجزء الأول، ص. 226 - 232.

محمد حجي

**العتابي، مَحمد** بن **سعيد**، عالم مشارك، يعتبر من أبرز تلامذة الشيخ عبد الله بن حسون السلاسي السلاوي - صاحب المزارة الشهيرة قرب المسجد الأعظم بسلا - لذلك تولى أمر الخلافة بعد وفاته في محرم 1013 / ماي - يونيو 1604. تصدى المترجم للتدريس بمدينة سلا، وكانت له اليد الطولى في التصوف، والفقه، وعلوم القرآن، فذاع صيته، وقصده الناس من المدن النائية للأخذ عنه. ومن أبرز تلامذته سيدي أحمد ابن مَحمد الطالب الذي حل إليه من القصر الكبير بإذن الشيخ سيدي محمد المُجَوّل القصري. وإذا غلب على محمد بن سعيد العتابي التصوف، فإنه كان - على غرار شيخه ابن حسون - يتتبع عن كثب الأحداث السياسية التي كانت تمر منها البلاد. ومما لاشك فيه أنه تأثر بعد أن وجه شيخه هذا المجاهد مَحمد العياشي للمرابطة في سبيل الله بناحية البريجة لمناوشة البرتغاليين عن العاصمة مراكش التي كانت مهددة بالحروب بعد وفاة السلطان أحمد المنصور السعدي 1012 / 1603. إلى جانب ذلك، كان المترجم من أبرز الشخصيات العلمية بسلا التي كانت تدرك كل الإدراك الأضرار التي لحقت السلاويين من جراء احتلال المعمورة من الإسبان 1023 / 1615. ونستشف من إشارة وردت عند الإفراني في *النزهة* أن المترجم كان ممن قدم مَحمد العياشي - بعد رجوعه من البريجة سنة 1024 / 1615 - للقيام بأمور الجهاد، ودرء كل الأخطار المحدقة بمدينة سلا، لا سيما وأن الأمر يتعلق بثغر قريب جداً من هذه الأخيرة.

توفي مَحمد بن سعيد العتابي عام 1032 / 1623، ودفن بجوار شيخه ابن حسون، وعليهما - اليوم - دربوز واحد.

م. الإفراني، نزهة، ط 2، ص. 265 ؛ م. بلحسن السلاوي، *قصيدة السلوانية*، تعليق، أ. معنينو، ضمن مجلة البحث العلمي، ع 39، 1985، ص. 214 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، ط 2، 1996، ص ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ط. 1978، 2 : 445 ؛ ع. اللطيف الشاذلي، *الحركة العياشية*، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1982، ص. 89 - 90.

محمد السعدين

ابن **عتُّو، محمد** بن عبد الرحيم شيخ الجماعة بقبيلته بني يسّف الهبطية كان يرأس مجاهدي القبيلة الذين انضموا معه إلى الحركة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد شارك في جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة. وفي المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية بالفحص يوم 11 ماي 1913 انتخب عضواً بالمجلس الاستشاري للمقاومة ؛

كما شارك في عدة معارك إلى أن استشهد في المعركة التي جرت باشروطة يوم 17 نوفمبر 1914.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**العتيقي، عبد الله**، كنيته أبومحمد. ينتسب إلى أيت عتيق، أحد أفخاذ قبيلة فطواكة (إنفضواك) التي تقع أراضيها غربي مدينة دمنات.

لا نعرف شيئا يذكر عن طفولته ولا نشأته. وكل ما وصلنا عنه نستقيه من الترجمة الطويلة التي أفرده بها مَحمد بن عبد الله الخليفتي (*الدرة الجليلة*، ص. 252). وقد ذكر في هذه الترجمة أن العتيقي كان فقيها أستاذا، إماما عالما عاملا. أخذ طريق القوم عن الشيخ أحمد ابن ناصر (ت. سنة 1129 / 1717). وأشار إلى أنه اشتهر بكثرة الرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم. وأثبت له واحدة من تلك الرؤى، وهي التي رآها ليلة السبع والعشرين من رمضان عام 1155. والخلاصة، أنها كانت بمثابة محاكمة وقع فيها تداول بعض القضايا الكبرى التي شغلت بال أهل ذلك العصر ؛ أبرزها تصنيف الزوايا القريبة من المحيط الذي كان يعيش فيه. وفي الوقت الذي لم يتردد فيه عن وضع المعيار الشرعي للتمييز بينها ؛ فإنه اكتفى بالتلويح إلى موقف المخزن منها.

في هذا السياق، نوه بالناصريين، الذين قبل الرسول - حسب الرؤيا - ملاقاة شيخهم مَحمد ابن ناصر فرحب به وقبله ضمن وفده. ومعلوم أن طريقة تلك الزاوية كانت تتبنى التمسك بالسنة وتحارب البدع. وكان ذلك حذو مختلف فروعها التي انتشرت في سائر بلاد المغرب، ولا سيما زوايا المناطق الجبلية.

وعلى العكس من ذلك، كان صنف آخر من الزوايا ؛ يظهر من خلال الرؤيا مرفوضا من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم. وعلى رأسها إيحنصالن وتنمسلا.. وهي من ضمن الزوايا التي نعتها المعاصرون بالانحراف عن الشرع ؛ فضلا عن التناقض بينها وبين المخزن.

كما أن تلك الرؤيا لم تنِ عن نقد المخزن الذي قام ببعض التجاوزات في مجال الشرع. والقصد هنا إلى السلطان المولى إسماعيل ؛ في مسألتين :

- المسألة الأولى، وهي الإفراط في تعدد النساء. وبالرغم من أن هذا الأمر مخالف للشرع، فقد تجنب المعاصرون الحديث فيه. ولعل السبب معروف.

- المسألة الثانية، وهي قضية تمليك الحراطين التي تواجه بصددها العلماء والمخزن، وتخلفت عنها أدبيات كثيرة ؛ تندد أغلبها بالتجاوزات التي صحبتها.

هذا فضلا عن بعض القضايا التي وقع التلويح إليها، كقضية السماع الذي كانت تتعاطاه بعض الطرق الصوفية ؛ أو القضايا التي اكتفى بالتعريض بأصحابها، وهي لا تزال في حاجة إلى بحث وتنقيب للكشف عنها.

توفي عبد الله العتيقي بالوباء، فيما بين 1156 و1160 / 1743 و1747 (*الدرة الجليلة*، ص. 263).

مَحمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*.

أحمد عمالك

**العثامنة**، يغطي مجال قبيلة العثامنة القسم الشرقي من سهل تريفة بأقصى شمال المغرب، وهي في الأصل قبيلة تابعة لاتحادية قبائل أنكَاد المحيطة بمدينة وجدة، وقد نزحت بمعية قبيلتي هوارة وأولاد الصغير إلى سهل تريفة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي إثر نزاعات قبلية، فصارت فصائل هذه القبائل تشكل ما يعرف في المصادر التاريخية بأهل تريفة تارة وعرب تريفة تارة أخرى، وهي قبائل ذات أصول عربية كما هو شأن اتحادية أنكَاد. ومعلوم أن اسم العثامنة ينتشر في جهات أخرى من المغرب وفي القطر الجزائري على وجه الخصوص، كما هو شأن اسم هوارة وغيرهما من الأسماء القبلية. وقد احتمت قبيلة العثامنة بقبيلة بني خالد المنتمية لاتحادية قبائل بني إزناسن، واستأذنتها في الاستقرار بشرق سهل تريفة، الذي كان في الأصل يُعدّ مجالاً لقبائل بني إزناسن. وكانت قبيلة العثامنة تتركب من الفصائل التالية :

- أولاد مسعود - الخُضْران - المعاريف - المخاليف - أولاد ناجي - الحداشات - العبادة. وفي مطلع القرن العشرين تقلصت فصائل قبيلة العثامنة إلى خمسة وهي : الخضران وأولاد ناجي والعبادة والمعاريف والحداشات. ويفسر ذلك بفعل النزوح نحو مدينة أبركان والهجرة إلى الخارج خصوصاً قبل تجهيز قرى هذه القبيلة بالماء الشروب والكهرباء.

لم تبرز شخصيات مخزنية من هذه القبيلة مثلما كان الأمر بأنكَاد أو ببني إزناسن خلال القرن التاسع عشر، فهي في غالب الأحيان كانت تابعة لإحدى قبائل بني إزناسن، وقد تولى أحد أعيانها المشيخة - وهو معروف باسم مَحمد برحاب في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، حيث كان مكلفا من قِبل المخزن بزجر المهربين الذين كانوا يمارسون نشاطهم بالأسواق الحدودية بجوار مصب وادي كيس في البحر الأبيض المتوسط. وقد انحازت قبيلة العثامنة أثناء ثورة الروكَي بوحمارة إلى قبيلتي بني عتيق وبني خالد الذين ناصروا الثائر. وبعد الاحتلال الفرنسي لشرق المغرب سنة 1907، تولى كبار أعيان قبيلة بني ازناسن بيع الأراضي التي كانت تستغلها قبيلة العثامنة إلى المعمرين الفرنسيين بصفتهم ملاك أرض تريفة الفعليين، فتكونت ضيعات عصرية بمجال قبيلة العثامنة اشتهرت بأغراس الليمون والكروم، وفي وقتنا الحاضر (2002) تشكّل قبيلة العثامنة جماعة قروية تابعة لدائرة مدينة السعيدية ضمن إقليم أبركان، حسب التقسيم الإداري المعمول به منذ العقد الأخير

من القرن العشرين، ويوجد مقر الجماعة بالموقع المعروف باسم المقهى المغربي بتراب فرقة الخُضران. وتحتضن هذه الجماعة الفصائل التي لم تندثر، وهي الخُضران والعبادة وأولاد ناجي والحداشات والمعاريف.

ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي ؛ المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين*، 1900 - 1912، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002 ؛ ملف وجدة بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

Mhmmad Ben Rahhal, *A travers les Beni Snassen*, *B.S.G.A.O.*, 1889 ; Voinot, *Oujda et l'Amalat*.

عكاشة برحاب

**عُثمان**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Hozmen.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1151.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عثمان**، أسرة علمية عريقة في مكناس، يرجع نسبها إلى قبيلة مسطاسة، وهذه من فروع زناتة. وقد اشتهر هذا البيت بمن برز فيه من المشتغلين بالعلوم الشرعية والأدبية، فضلاً عن مجموعة من الخطباء والوعاظ والموثقين المنتصبين لخطة العدالة، حيث امتد هذا النشاط - متنوع الاتجاهات - عبر دولتي الشرفاء حتى أواسط ق 19.

1 - ومن أوائل المعروفين منهم : عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن عثمان المسطاسي ثم المكناسي، حسب تعبير آخر منتسخ بخطه، فرغ من كتابته زوال يوم الأربعاء أوائل ربيع الثاني 999، مخطوط، خ. س 8457.

2 - واشتهر مع هذا اسم أخيه عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عثمان المسطاسي، كما يسمي نفسه، آخر منتسخين - بخطه - عامي 989 و990.

ويعتبر هذا بين علماء الأسرة المرموقين، انظر ترجمته بالملحق رقم 1.

3. 4. 5 - وخلف ابنه أبا العباس أحمد، والد الأخوين عبد الرحمن ومحمد، حيث جاءت الإشارة للثلاثة في وثيقة بتاريخ 8 شعبان 1048.

6 - ومن علماء هذه الأسرة علي بن محمد بن محمد ابن عثمان، ورد ذكره - عرضاً - عند أبي زيد عبد الرحمن الفاسي، محلياً له بصاحبنا الفقيه القاضي : سيدي علي ابن عثمان.

وجاء اسمه في وثيقة موصوفا بالفقيه الأجل، العالم الأفضل، المدرس : أواخر رجب 1086.

وفي وثيقة أخرى (رجب 1108) خطط بوصف النائب عن السلطان.

وورد عدلاً شاهداً في وثيقتين : الأولى : بتاريخ أواخر رجب 1108.

والثانية : بتاريخ أوائل رمضان 1117.

7 - ولعلي أخ شقيق هو الفقيه العدل السيد محمد.

8 - وعلي - أيضاً - هو والد الفقيه العدل أحمد اليماني.

9 - وهذا - بدوره - والد الفقيه محمد المدني.

10 - ومن المرموقين بهذه الأسرة عبد الواحد بن أحمد ابن عثمان : أستاذ القراءات السبع، حيث نوه بالأخذ عنه تلميذه عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن كريم الصنهاجي.

وكان عبد الواحد ابن عثمان يتعاطى خطة التوثيق، فيأتي اسمه عدلاً أول في وثيقة بتاريخ 23 ربيع الأول 1149.

11 - وله ولد يحمل اسم عبد الوهاب : عدل في وثيقة مؤرخة في 7 قعدة 1169 ثم في وثيقة أخرى بتاريخ 28 جمادى الأولى 169.

12 - 13 - ونشير - الآن - إلى الفقيه العدل عبد الوهاب بن الفقيه العدل محمد العربي ابن عثمان.

14 - ثم أحمد بن عبد الوهاب السفير، وكان - أيضاً - من صدور عدول مكناس، وقد حافظت إحدى حوالات مكناس على وثيقة مذيلة بإمضائه على شكل توقيعات العدول، مع التعريف به وتاريخ وفاة صاحبه في وباء عام 1214.

15 - وبعد السفير ابن عثمان يأتي اسم محمد الطاهر بن أحمد ابن عثمان، ويظهر أن هذا هو ناظر الأحباس الكبرى بمكناس، المتوفى عام 1270، وهناك رسالة من السلطان أبي زيد ابن هشام خطابا لهذا الناظر، حيث لا يستبعد أن يكون هو ابن السفير ابن عثمان، ويكون هذا ابن عبد الوهاب بن العربي.

16 - غير أن الناظر المنوه به لم يعقب، وكان عاصبه هو ابن عمه الطالب أحمد، حسب وثيقة مؤرخة في أوائل شعبان 1270.

17 - وينبغي أن لا يلتبس اسم ابن عثمان السفير باسم قريبه ومعاصره أحمد بن الرضي العالم الأديب الطائر الصيت.

18 - ووالده الرضي محلى بالفقيه، في الوثيقة التي ذكر فيها هو وابنه.

19 - وهذه طائفة أخرى تكمل أسماء النابهين المعروفين من نفس الأسرة، بدءاً من محمد بن محمد ابن عثمان : عدل مذكور في عدة وثائق.

20 - عبد الوهاب ابن عثمان.

21 - أحمد بن محمد ابن عثمان.

22 - الصغير بن الحاج محمد ابن عثمان.

23 - عبد الله بن أحمد بن عثمان.

24 - عبد القادر بن أحمد ابن عثمان.

25 - محمد بن محمد ابن عثمان.

26 - محمد ابن عثمان.

27 - المجذوب بن محمد ابن عثمان

28 ـ الطاهر ابن عثمان : واعظ في المسجد الأعظم بكتاب المنذري، يقرأ منه بعد العصر على كرسي العنزة، وقد يكون هو المذكور سابقاً.

28 ـ الفقيه السيد عبد العزيز ابن عثمان.

29 ـ أحمد ابن عثمان : كتب بخطه أكثر النصف الثاني ممّن حاشية الفيشي على المختصر الخليلي، وفرغ من انتساخه عقب صلاة العصر من يوم عيد المولد النبوي عام 1174، وخطه حسن سريع.

ب ـ الربع الأخير من حاشية بناني على شرح الزرقاني للمختصر الخليلي، فرغ منه بعد زوال الأربعاء 2 شعبان 1213، حيث يسمى نفسه أحمد بن محمد بن أحمد ابن عثمان.

30 ـ محمد ابن عثمان : ورد ذكره ضمن لائحة علماء مكناس عام 1149 وقد يكون أحد المحمدين سابقي الذكر.

محمد المنوني

ابن **عثمان، الطاهر** من أحفاد السفير ابن عثمان المكناسي كان من أتباع الزاوية العلمية في مطلع القرن العشرين. وكان له باع طويل في فن "العمارة" وتنشيط حلقات الذكر الصوفية.

وقد كان يشكل مع رفيقه ومعاصره الفقيه المسمع محمد الزهراوي ثنائيا فنيا متكاملا، فإذا التقيا يوما في الزاوية العلمية أقبل عليهما الأتباع من الراغبين في التعلم، فكانوا يأخذون عن الزهراوي البردة وإنشاد البيتينات وما يندرج عادة في فن السماع، ثم يتحولون إلى ابن عثمان فيأخذون عنه الحلل والأذكار والبراول وما يندرج عادة في فن المديح.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**عثمان** بن **مالك** من أهل مدينة فاس، واعتبر "فقيه فاس وزعيم فقهاء المغرب في وقته" *المدارك*، أخذ بفاس عن الفقيه ابن مروان الأزدي. وأخذ عنه فقهاء مدينته منهم ابنه أبو بكر وأبو بكر بن الخياط وغيرهما. له *تعليق على المدونة* لسحنون يعتبر أقدم ما كتبه المغاربة حولها، نقله عنه تلاميذه، ورغم شهرة هذا العالم في زمنه فإن الإشارة الوحيدة عنه هي التي وردت في مختصر *ترتيب المدارك* لابن حمادة ونقلتها عنه المصادر المتأخرة.

توفي سنة 444 / 1052.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تح. سعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف، ج 8، ص. 78 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، نشر عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، دار المنصور، 1974، ج 2، ص. 457 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1989، ص. 308.

محمد المغراوي

ابن **عثمان، محمد** بن أبي **بكر** بن إبراهيم يعتبر العلامة الرئيس محمد بن عثمان الأب الروحي للجامعة اليوسفية. ينحدر من أسرة سوسية استوطنت زاوية ابن ياسين بسفيوة.

ولد مع مستهل القرن العشرين بمدينة مراكش بحي المواسين. بعد حفظه للقرآن الكريم، التحق بالجامعة اليوسفية ودرس على شيوخها. ثم شد الرحال إلى مدينة الرباط ودرس على :

- الشيخ أبي شعيب الدكالي
- المحدث محمد المدني بن الحسني
- العلامة محمد بن عبد السلام السائح

وقد التقى بالأستاذ عبد الله الجراري الذي يقول عنه : (وكنا في هذه الأثناء نعقد ندوات تدور فيها مذكرات ومطارحات في مختلف القضايا العلمية). وبقي يدرس بالرباط نحو ثلاث سنوات، ثم عن له أن يتوجه إلى مصر لإتمام دراسته ـ وهنا التقى بالأستاذ عبد الرحمن بن الشيخ أبي شعيب الدكالي ـ فاحتك بشيوخ الأزهر، وحظي عندهم بالتقدير لنباهته، وحسن سيرته. وبعدما قضى بضع سنوات في مصر عاد إلى مسقط رأسه، وأقيم له حفل ترحيب ألقيت فيه كلمات وقصائد شعرية. وأخذ يؤدي رسالته العلمية بمسجد المواسين، وبالجامعة اليوسفية. ثم تدرج من الأستاذية إلى رئاسة جامعة ابن يوسف خلفا للرئيس مولاي أمبارك الأمراني، واستمر يديرها بجد وحزم، تدفعه غيرته وطموحه لأن يبوئها مكانة عالية، ويحدث فيها تغييراً في مناهجها، ونظام تسييرها، وإليه يعود الفضل في إحداث النهائي بالجامعة اليوسفية بعد معركة طويلة مع الأستاذ الفاسي رئيس جامعة القرويين الذي كان يحاول أن تبقى الجامعة اليوسفية تابعة للقرويين، وتحت إمرتها ومسؤوليتها، إذ على طلبة نهائي الجامعة اليوسفية أن يذهبوا إلى فاس لاجتياز الامتحانات الكتابية والشفوية، لكنه رحمه الله لم يرض هذه التبعية، مما دفع به إلى تأليف كتاب عن الجامعة اليوسفية، محاولاً فيه إبراز مكانة الجامعة اليوسفية، والدور الريادي الذي لعبته في نشر الثقافة العربية والإسلامية عبر العصور.

وبعد معاناة كلامية بينه وبين المتعصبين لإحداث النهائي بمراكش، تم له مراده، وأصبح امتحان النهائي بمراكش. وقد أورد الشاعر مولاي الصديق العلوي هذا الحدث العظيم في تاريخ الجامعة اليوسفية بقطعة شعرية جاء فيها :

وفللت شوكة من يهـ     ـدمه كما كسرت فاسه
وقطعت آمال الـذي     يبغي اذاه وزدت ياسه

ولم تشغله أعباء الإدارة عن الاهتمام بمشاكل الطلبة والوقوف بجانبهم ماديا ومعنويا مما حببه للجميع : أساتذة وطلبة.

توفي رحمه الله فجأة وهو على مأدبة عشاء في بيته أقامها لبعض الضيوف عام 1365 /1945 ودفن بضريح الإمام السهيلي، وترك كتابه الشهير (الجامعة اليوسفية في

تسعمئة سنة). صدر منه الجزء الأول، والثاني ضاع. وقد رثاه شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم بيتين هما :

رئيس المجلس العلمي توفي     وداهم بدره ليل التخفي

فقل للشامتين بـه جزيتم     جزاء ذوي الشماتة والتشفي

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط ؛ *التأليف ونهضته بالمغرب*، ص. 169 ؛ موسوعة *أعلام المغرب*، 9 : 3188 ؛ *أعلام الزركلي*، 6 : 264 ؛ *المعسول*، 16 : 99.

أحمد متفكر

**عثمان** (مولاي -) بن **محمد** بن **عبد الرحمن**، دأب سلاطين القرن التاسع عشر، سيراً على عادة وتقليد مألوفين لدى سلفهم من الملوك، على الاستعانة بثلة من أبنائهم وإخوتهم وبني عمومتهم في تدبير وتسيير شؤون البلاد، وهو الأمر الذي ينطبق تماما على مترجمنا وإخوته الثلاثة إسماعيل وعرفة، والحسن الذي صار، فيما بعد، سلطانا للمغرب، وهم في السن على هذا الترتيب.

وهؤلاء الأمراء الأربعة هم الذين كان يعهد إليهم والدهم السلطان محمد بن عبد الرحمن (1276 . 1290 / 1859 . 1873)، وكذلك من جاء بعده من السلاطين، بالاضطلاع بمهام الخليفة السلطاني بإحدى الحاضرتين فاس أو مراكش، وقيادة الجيوش المخزنية وحُراك القبائل في جهات مختلفة من البلاد، ما عدا الأمير إسماعيل الذي لم نعثر له، وفي وثائقنا، على ما يُفيد تحمله مسؤوليات عسكرية، على رأس الكتائب والتجريدات المخزنية.

فإذن، نحن أمام شخصية بارزة في الأسرة العلوية الحاكمة. استفادت ولا شك، أيام الطفولة والشباب، من العناية الفائقة والاهتمام المتواصل اللذين كان جده السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام (1238 . 1276 / 1822 . 1859)، ومن جاء بعده من السلاطين، وبالخصوص ابنه وخلفه سيدي محمد، وابن هذا الأخير المولى الحسن (1290 . 1311 / 1873. 1894)، يولونهما لتعلم وتربية الأمراء.

وقد تجلى ذلك، على الخصوص، في إلحاحهم الدؤوب وحث المشرفين والقيمين على تعليم وتربية ورعاية شؤون الأمراء، على عدم التساهل والتسامح معهم، والتعامل معهم بكل صرامة وجدية، ولا سيما فيما يرجع إلى حصص الدراسة والمواظبة عليها، ومسألة الملبس والغذاء.

وأيّا كان الأمر، فإن صاحبنا لم يرد ذكره لا عند مؤرخ مكناس النقيب عبد الرحمن بن زيدان في مصنفه "*إتحاف أعلام الناس*" ولا في مؤلفاته الأخرى، لا المطبوعة منها ولا المخطوطة، كما أن العباس بن إبراهيم السملالي لم يشر إليه قط في مصنفه "*الإعلام بمن حل*"، مما قد يعني أنه ليس لا من مواليد العاصمة الإسماعيلية، ولا من حاضرة المرابطين.

وحتى من ذكره من الإخباريين والمؤرخين المغاربة، كصاحب "*الدرة السنية في ذكر الدولة الحسنية*"، ابن داني، مَحمد بن أحمد بن محمد المدرومي (ت. 1331 / 1913)، أو مؤلف "*الدرر البهية والجواهر النبوية*"، الشريف إدريس بن أحمد الفضيلي (ت. 1316 / 1898). لم يفردوه إلا ببضعة سطور، حيث قال عنه هذا الأخير ما يلي :

"... أما الفرع الأول (من ذرية السلطان محمد بن عبد الرحمن) وهو السيد عثمان، ففقيه أستاذ، مفضال جواد، حليم كريم، ذو قدر خطير وجاه فخيم، حاز من المجد عنانه، ففاق أقرانه...".

ومن حسن حظنا أننا نتوفر على مجموعة من الوثائق، صادرة عن المخزن الحسني أو العزيزي، لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالمترجم، وتسمح بتلمس جوانب من شخصيته وأوجه من المهام التي كانت تُناط به. وحسب صاحب "*الدرر البهية*" سالف الذكر، فإن والده السلطان محمد بن عبد الرحمن، كان قد عينه خليفة له، أواخر عهده، في فاس، وهي المهام التي أقره فيها صنوه المولى الحسن، ولكن هذه المرة في مراكش، أسابيع معدودات بعد الانتهاء من مراسيم دفن والدهما، وعقد البيعة للعاهل الجديد، أواخر شهر رجب 1292، الموافق لأواخر سبتمبر 1873.

ومعلوم أن مهام الخليفة السلطاني كانت تكتسي، في مغرب القرن التاسع عشر، صبغة رمزية وروحية أكثر منها مادية وتقريرية، إذ لم يكن بيده أدنى سلطة على أعوان المخزن المحليين، كالعامل، والقاضي، والمحتسب، والأمين والناظر...، كما كان لا يتخذ أدنى قرار قبل التوصل بتعليمات وأوامر السلطان، سواء تعلق الأمر بما كان يعرض عليه من قضايا في عين المكان، أو بما كان يكلف بالسهر على إنجازه من أغراض مخزنية.

وكان من عوائد المخزن وتقاليده، أن يكون للخليفة السلطاني حاشية من الأشراف والفقهاء والكتاب والظرفاء والأعوان، يستعين بجميعهم ويستأنس برأي بعضهم للقيام بمهامه المخزنية من جهة، وقضاء أغراضه الشخصية من جهة أخرى. وهذا ما نستشفه مما تضمنته ثلاث وثائق ارتأينا استغلال مضمونها هنا، على سبيل الاستئناس.

فقد جاء في أولاها، وهي بتاريخ 5 جمادى الأولى 1296، الموافق 27 أبريل 1879، أن السلطان يأمر خليفته بمدينة مراكش "باستخدام الشريف مولانا إدريس بن الطيب بن مولاي سليمان معه، وبالاحتفاظ له بمئونته التي قدرها 9 أواقي في اليوم...". وأما الثانية، وهي بتاريخ 22 ذي القعدة 1291، الموافق 31 دجنبر 1874، فنعلم مما ورد فيها، أن السلطان، بعد أن أقال من منصبه القائد العسكري عبد الله بن أحمد الشرادي، فقد قرر توجيهه إلى الخليفة المذكور، للانضمام إلى مخزنه والعمل إلى جانب "عمال أزغار المعزولين الذين يخدمون معك ليريح ويستريح، ولا تجعل له مونه...". وفي الثالثة والأخيرة من هذه الوثائق، وهي بتاريخ 13 رمضان 1290، الموافق 4 نونبر 1873، فتفيد، على لسان الحاجب موسى بن أحمد، أن السلطان أصدر أمره بإطلاق سراح القائد الراضي الصفاعي من سجن مصباح.

ويبدو أن صاحبنا لم يعد قط خليفة للسلطان بمدينة مراكش، وذلك بحلول سنة 1308 / 1890 . 1891، أو على أكثر تقدير في مطلع السنة الموالية لها، أي الثلاثة أشهر الأخيرة من سنة 1891، حيث نجده يتأهب لمغادرة مدينة فاس، أواسط شهر شوال 1309، الموافق لأواسط مايو 1892، على رأس جيش مخزني، قرر السلطان توجيهه إلى ناحية الريف.

ونستشف من مصادرنا حول هذا الموضوع، أن الأمير ومن كان في رفقته من "كبراء المحلة"، كان يتعين عليهم، قبل كل شيء، إخراج ما تخلد بذمم قواد المنطقة من ديون لفائدة المخزن، إما برسم الواجب الشرعي، أو برسم الفروض والتوظيفات والذعائر... وقد نصت وثيقة مخزنية، وهي بتاريخ 26 شوال 1309، الموافق 24 مايو 1892 على قدر المبلغ المالي المستحق عليهم جميعا والذي وصل إلى 173.593 ريال، في حين لم يستخلص الأمين محمد الحريشي الذي رافق الحركة، إلا بما قدره 53.518,50 ريال، كما يتبين لنا ذلك من وثيقة بتاريخ 4 رجب 1310 الموافق 22 يناير 1893، أي أسابيع معدودات بعد عودة الأمير عثمان في مصادرنا، تفيد مآل المترجم في الجهاز المخزني، هل ظل مستقرا بالحاضرة الإدريسية، أم رحل عنها إلى مدينة مراكش التي نجده بها في مطلع سنة 1896، وهو يتأهب للانضمام إلى الجيش السلطاني الذي تقرر توجيهه إلى منطقة سوس، بإيعاز من الوزير الصدر أحمد بن موسى، تمشيا مع خطته في تدبير دفة الحكم بالبلاد والرامية إلى تهميش وإبعاد أبرز الشخصيات المخزنية، بمن فيهم أقرب الناس وأوفاهم للعاهل الجديد السلطان المولى عبد العزيز (1311 . 1326 / 1894 . 1908)، كالمترجم نفسه، وباشا مكناس الشهير حم بن الجيلاني، وقائد سلاح المدفعية الشريف أحمد بن عبد الله أمهرير الصويري والقائد سعيد الكلولي، والقائد الباشا محمد ويدة السوسي الذي كان أبلى البلاء الحسن في الدفاع عن مدينة مراكش، أيام انتفاضة قبيلة الرحامنة، على إثر وفاة السلطان المولى الحسن في السنة 1894. وقد ظل المترجم وبمعيته الباشا حم بن الجيلاني السابق الذكر، في هذه الربوع السوسية، وبالضبط في مدينة ردانة، إلى أواسط شهر مايو 1897، إذ كان على الرجلين وعلى من كان في رفقتهما من الجنود والأصحاب، استخراج ما أمكنهم استخراجه من الأموال من قبيلة هوارة.

ومرة أخرى، يعود صمت تام لاكتناف مسار ومشوار صاحبنا في الجهاز المخزني العزيزي. فلا ندري مثلا، هل استقر به المطاف بمدينة مراكش، بعد عودته من الديار السوسية، أم رحل عنها مباشرة إلى فاس، وهل عُهد إليه بمهام جديدة أم لا ؟ فالإشارة الوحيدة التي ظفرنا بها في هذا الصدد، وتُفيد بأن الرجل رجع فعلا إلى فاس وبها توفي بعد سنة 1898، عن غير عقب، استقيناها من عند صاحب *"الدرر البهية والجواهر النبوية"* للفضيلي سابق الذكر، نصّت على ما يلي : "... واستخلفه أخوه مولانا الحسن بمراكش مدة مديدة، وسنين عديدة، فسار سيرة مرضية، انتقل لفاس، منشرح الصدر، طيب الأنفاس، ولم يزل بها بداره بحومة زقاق الرواح، فاس القرويين، أبقى الله مهجته".


الخزانة الحسنية، محفظة مولاي الحسن سنة 1290 / 1873 . 1874 ؛ رقم 378 ؛ رقم 422 ؛ رقم 481 ؛ كناش رقم 199 ؛ رقم 409 ؛ رقم 776 ؛ مديرية الوثائق الوطنية بالرباط، محفظة مراكش ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929 . 1933، 5 أجزاء. انظر الأجزاء 1، و2، و3 ؛ ابن داني المدرومي، *الدرة السنية*، مخ. خ. س. رقم 481 ؛ م. بوشعراء، علاقة *المخزن بأحواز سلا*، الدار البيضاء، 1996 ؛ إدريس الفضيلي، *الدرر البهية*، 1999.

A.G.V., 3h9, Rapp. n° 93, année 1895 ; n° 77 du 1er mai 1896 ; n° 80 de juin 1896 ; n° 91 du 1er novembre 1896.


مصطفى الشابي

ابن **عثمان، محمد** بن **عبد الوهاب** المكناسي هو أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي المسطاسي (ت. 1213 / مارس 1799)، ولد ونشأ بمدينة مكناس في بيت علم، حيث كان والده ورّاقاً وواعظاً بأحد مساجد المدينة، لا نعرف شيئاً عن المراحل الأولى من حياة ابن عثمان، ولكن مما لاشك فيه، كان لبيئته الأسرية وكذلك لظروف مدينة مكناس التي أصبحت منذ العهد الإسماعيلي العاصمة السياسية للمغرب، دوراً هاماً دفعه نحو تحصيل العلوم منذ سن مبكرة حتى أصبح ـ وهو في ريعان الشباب ـ وراقاً وواعظاً مثل أبيه.

عاصر ابن عثمان ثلاثة سلاطين علويين هم : المولى محمد بن عبد الله (1757 . 1790)، المولى اليزيد (1790 . 1792) والمولى سليمان (1792 . 1822)، وتقلّدَ على عهدهم مَهامَ مخزنية منها الكتابة والسفارة ثم الوزارة. بدأ المترجم له نشاطه المخزني مع المولى محمد بن عبد الله عندماعينه هذا السلطان سارداً للكتب بالقصر السلطاني، ثم رقاه كاتباً لحضرته حتى صار ملازماً للأمراء أبناء السلطان المذكور وخاصة الأميران المولى علي والمولى عبد السلام الذي كتب في حق ابن عثمان يقول : "وكان الفقيه محمد بن عثمان حسن البديهة، قوي العارضة، وله قصائد في أخينا مولاي علي ... وهو الذي جذب بطبعه، ورفَع من قدره، وكان منقطعاً إليه، غمره إحساناً وإنعاماً وامتناناً" (*اقتطاف الأزهار*، ج 3، ص. 490). ونظراً للاهتمام الذي أولاه المولى محمد بن عبد الله للعلاقات الدبلوماسية للمغرب، كان يختار من رجالاته من يليق للسفارة وهكذا عين ابن عثمان سفيراً إلى أوروبا مرّتين، ثم إلى المشرق مرة واحدة.

ـ سفارة ابن عثمان إلى إسبانيا عام (1193 / 1779 . 1780) لدى الملك كارلوس الثالث، قصد التفاوض بشأن مجموعة من الأسرى الجزائريين، وكذلك قصد إبرام الصلح بين المغرب وهذه الدولة، وقد وُفق في عقد اتفاقية أرَنخويس (Aranjues) (26 جمادى الأولى 1194 / 30 ماي 1780).

ـ سفارة ابن عثمان إلى جزيرة مالطة ومملكة نابولي عام (1195 . 1196 / 1781 . 1782)، توجه أولاً إلى مالطة

وافتدى عدداً مهماً من الأسرى المسلمين، ثم رحل إلى مملكة نابولي حيث حرر عدداً آخر من الأسرى ووقع على اتفاقية صلح وتجارة بين المغرب وهذه المملكة، بتاريخ (11 ذي القعدة 1196 / 19 أكتوبر 1782).

- سفارة ابن عثمان إلى القسطنطينية والديار المقدسة عام (1200 / 1785) تندرج هذه السفارة في إطار العلاقات المغربية بالمشرق الإسلامي، أيام المولى محمد بن عبد الله والسلطان العثماني عبد الحميد الأول، وقد حققت هذه الرحلة إلى المشرق رغبة طالما راودت ابن عثمان، وهي أداء فريضة الحج، وكذلك مكنته من توسيع رصيده المعرفي بلقاء العديد من العلماء والشيوخ واطلع على بعض مؤلفاتهم، في كل من القسطنطينية، ودمشق.

وقد واصل المترجم له نشاطه المخزني، مع المولى اليزيد هذا الأخير الذي أعلن الحرب ضد الإسبان في سبتة، مباشرة بعد بيعته وعندما بلغت العلاقات بين المغرب وإسبانيا أقصى درجات التوتر، عين المولى اليزيد ابن عثمان سفيراً إلى إسبانيا، باقتراح من هذه الأخيرة، عام (1205 / 1790)، فحمل رسالة إلى كارلوس الرابع يعرض فيها شروط المغرب من أجل الصلح، فأخفق في مهمته الدبلوماسية ولذلك أعفاه المولى اليزيد من مهامه، فآثر ابن عثمان الإقامة بالديار الإسبانية ما يناهز السنتين حتى مات المولى اليزيد، وعاد المترجم له إلى المغرب بطلب من المولى سليمان، الذي عينه مكلفاً بجميع أمور أجْناس النصارى في رسالة وجهها إلى قناصل الدول الأوروبية بتاريخ (16 ربيع الأول 1207 / 1 نونبر 1792). وقد انتهت حياة ابن عثمان المخزنية والدبلوماسية بتوقيعه على اتفاقية مكناس بين المولى سليمان وإسبانيا عام (1213 / فاتح مارس 1799)، توفي بعدها بأيام في مدينة مراكش، وكلّف الوزير الزياني بنقل متخلفه منها إلى مكناس. وقد نعاه الزياني في فهرسته ببيت شعر يقول فيه :

ثم محمد بن عثمان الوزير      أخذ من وفر ودرّ كثير

والخلاصة أن اسم ابن عثمان المكناسي اقترن كثيراً بالسياسة الخارجية المغربية خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر، لكن هذا الدبلوماسي كان على قدر هام من ثقافة عصره مكنته من خوض غمار التأليف فترك لنا في الخزانة المغربية ثلاث رحلات سفارية، ومجموعة من الرسائل الدبلوماسية، كما طرق باب المقامة والشعر أيضاً، ولذلك يصح أن يقال في حقه إنه كان أديباً من أدباء عصره.


م. بن عثمان المكناسي، *الإكسير في فكاك الأسير*، ت. تح، م. الفاسي، الرباط، 1965 ؛ م. بن عثمان المكناسي، *البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر*، دراسة وتحقيق، مليكة الزاهدي، د. د. ع في التاريخ، الرباط، 1995 ؛ محمد بن عثمان المكناسي، *إحراز المعلّى والرّقيب*، مخطوط، رقم 2564، الخزانة الملكية، الرباط ؛ ع. السلام العلوي، *اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار*، تح. كحلي زهراء، د. د. ع في التاريخ، الرباط، 1992، ج 1 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1990، ج 4، ص. 159 ـ 160 ـ 161 ؛ م. الفاسي، محمد بن عثمان المكناسي، صفحات من تاريخ المغرب الدبلوماسي في القرن الثامن عشر، *دفاتر شواطئ البحر الأبيض المتوسط*، الرباط، 1992.

M. Avidas Palau, *Cartas Arabes de Marreucos en tienpo de Maulay Al Yazid (1790 - 1792)*, Tetuan, 1961.


مليكة الزاهدي

**عثمان** بن أبي **يوسف يعقوب** بن عبد الحق المريني، ولد سنة 675 / 1276 وبويع بالخلافة في جمادى الثانية أو شهر رجب من سنة 710 / 1311 برباط تازة بفضل تدخل أخته عَريبة ومساعدة بعض الوزراء والأشياخ. كان في سياسته العامة "شديداً في حدود الله تعالى، شفيقاً رقيقاً جواداً كريماً، ذا أناة ودهاء وسياسة وعقل. وهو أحد السواس من الملوك" (الأنيس، 395 ـ 396). لذلك قضى عثمان أكثر من واحد وعشرين عاماً من الحكم في تهدئة البلاد وخلق وضعية مناسبة لأزهى فترة في تاريخ بني مرين خلال حكم أبي الحسن وأبي عنان.

اهتم عثمان خلال فترة حكمه بمواجهة مشاكل مختلفة داخلياً وخارجياً، فعلى المستوى الدّاخلي انشغل بمحاربة الثائرين والمتمردين عليه خاصة :

- عدّي بن هنو الهسكوري الثائر ببلاد هسكورة سنة 713 / 1314.

- الأمير المريني وأخ السلطان يعيش بن يعقوب المتمرد بأحواز وجدة سنة 714 / 1315.

- الأمير أبو علي عمر، ولد السلطان أبي سعيد وولي عهده الذي استغل شغف والده به وتفضيله إياه عن بقية إخوته وشدة حبه لزوجته جيلة الرومية أم أبي علي، فثار عليه عدة مرات، كانت الأولى سنة 714 / 1315 عند عودة السلطان من حربه لبني عبد الواد ليجد ولي عهده قد عزم على الثورة ضد والده بدعم من والدته وخاله قائد الفرقة المسيحية القشتالية. وقد استطاع الأمير تحقيق مبتغاه والاستبداد بحكم المغرب الأقصى في حين انزوى السلطان بمدينة تازة.

لكنه بعد فترة وجيزة تمكن من استعادة سيطرته على الحكم وعفا عن ولده وأقطعه بلاد القبلة ولم يتوقف أبو علي عن محاولات الافتراء إلى سنة 734 / 1334 حيث كانت نهايته على يد أخيه أبي الحسن.

- أبو زكرياء يحيى بن الفقيه أبي طالب العزفي الذي انتفض على أبي سعيد بسبتة سنة 716 / 1317 واستطاع مقاومة الحصار المريني حتى سنة 719 / 1320 اضطر العزفي بعدها الدخول في طاعة السلطان ودفع الجزية والهدية كل سنة.

- محمد بن أبي زكرياء العزفي الذي ثار على السلطان بتواطؤ مع ابن عمه وقائد أسطول سبتة أبي القاسم محمد بن

علي بن الفقيه، لكن أبا سعيد قرر القضاء نهائياً على تمرد العزفيين وأرسل حملة عسكرية سنة 728 / 1329 لمهاجمة سبتة واحتلالها واعتقال أصحابها واستعادة نفوذ المخزن المريني عليها.

أما على المستوى الخارجي فقد اضطر أبو سعيد للتعامل مع ما يجري وراء حدود بلاده سواء في الشرق أو في الشمال ووضع ذلك في اعتباراته السياسية ونهج سياسة الانفتاح الحذر على محيطه.

ففي الجبهة الشرقية استمر بنو عبد الواد في عدائهم لبني مرين وتهديد استقرار المغرب الأقصى وذلك إما بالهجوم على حدوده الشرقية أو بدعم واحتضان المعارضين للسلطان المريني الذي لم يتردد في توجيه حملة عسكرية إلى تلمسان سنة 714 بقيادة ولديه الأميرين أبي علي عمر وأبي الحسن علي استطاع الجيش المريني خلالها محاصرة العاصمة الزيانية وصاحبها أبي حمو موسى بن عثمان (707 / 1308 - 718 / 1318) مدة طويلة، بعدها عاد بنو مرين إلى تازة تاركين وراءهم الخوف والدمار. وفي سنة 730 / 1330، وعلى إثر استغاثة السلطان أبي يحيى أبي بكر الحفصي (718 / 1318 - 747 / 1346) بالسلطان المغربي من تمادي صاحب تلمسان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو (718 / 1318 - 737 / 1337) في الهجوم على إفريقية واحتلال مواقع كثيرة منها، قام أبو سعيد بتنظيم حملة عسكرية لمواجهة الخطر الزياني وتلبية نداء حليفه الحفصي، لكن هذه الحملة لم تتم وتم الاستغناء عنها بفضل تمكن السلطان الحفصي من صد الهجوم الزياني واستعادة نفوذه على حضرته تونس.

أما الجبهة الأندلسية فكانت تعيش منذ سنة 709 / 1309 على إيقاع حروب لم تهدأ بعد أن استغل النصارى عزوف ملوك المغرب عن الاهتمام بمشاكل الأندلس، فتوالت على السلطان أبي سعيد استصراخات أهل الأندلس ودعواتهم له بالجواز وذلك سنوات 718 / 1318 و719 / 1319 و727 / 1327، لكن كل هذه المحاولات فشلت في تليين موقف السلطان المغربي الذي اشترط مقابل ذلك تسليمه غريمه الأمير عثمان بن أبي العلاء إدريس بن عبد الحق شيخ الغزاة بالأندلس واللاجئ عند ابن الأحمر.

تميزت العلاقات بين أبي سعيد وملوك إسبانيا المسيحية بنوع من الترقب والحذر تبعا للظرفية التي كانت تخيم على منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط. فمملكة قشتالة كانت لا تخفي عداءها المتزايد لبني مرين وللأندلسيين على السواء، فالصراع بين غرناطة وقشتالة ودور هذه الأخيرة في دعم الفرقة العسكرية القشتالية العاملة في الجيش المغربي وانحيازها إلى جانب الأمير أبي علي في ثورته على والده كلها عوامل زادت من حدة التوتر بين إشبيلية وفاس مما دفع بالسلطان المغربي إلى نهج سياسة منفتحة على مملكة أرغون غريمة قشتالة وربط علاقات ودية معها. وتؤكد المراسلات المتبادلة بين أبي سعيد وخايمي الثاني (Jaime II) (1291 - 1327) رغبة الطرفين في حل المشاكل العالقة بينهما وربط البلدين باتفاقية سلام وهدنة لتعزيز العلاقات بينهما ومن تجليات ذلك أن طلب ملك أرغون من السلطان المغربي إمداده ومساعدته بالفرقة الأرغونية العاملة في جيشه للاستعانة بها في حملته على جزيرة سردينية. وهي الفرقة التي وقفت إلى جانب أبي سعيد في حربه ضد ولده الثائر عليه. لكن مسار هذه العلاقات سيتغير بعد وفاة خايمي الثاني وخلافة ولي عهده الفونسو الرابع Alfonso IV (1327 - 1336) التي تزامنت مع عودة بني مرين إلى الاهتمام بمشاكل الأندلس مما أثار شكوك برشلونة وجعلها بين اختيارين صعبين، إما الاستمرار في التحضير لاحتلال جزيرة سردينية البعيدة وضمها إلى عرش أرغون أو التفرغ "للخطر المريني" القريب والذي بدأ يطل على الأندلس من جديد ويهدد مصالح القوى الأرغونية والقشتالية معا.

وعلى الرغم من هذه المشاكل فإن ذلك لم يمنع أبا سعيد من البحث عن حلفاء آخرين لخلق نوع من التوازن في علاقات المغرب الخارجية فلم يجد أفضل من الحفصيين للتحالف معهم ضد بني عبد الواد وتعزيزه بواسطة المصاهرة بتزويج ابنه أبي الحسن بابنة السلطان الحفصي. كما نشطت في عهد العلاقات الودية مع شرفاء مكة ومماليك مصر وحكام بلاد الشام والعراق، وازدهرت حركة الحجاج المغاربة إلى الديار المقدسة والاعتناء بهم.

عانى المغرب الأقصى في عهد أبي سعيد إلى جانب المشاكل السياسية أزمات طبيعية تمثلت في توالي ظاهرة الجفاف والقحط أدت إلى استفحال المجاعات وغلاء الأسعار سنوات 722 و723 و724 و725. وكان لذلك عواقب وخيمة على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية اضطرت السلطان لنهج سياسة اجتماعية توفق بين حاجيات الدولة ومخلفات الأزمة، ومن أهم ملامح هذه السياسة لجوء أبي سعيد إلى محاولة الاكتفاء بالضرائب الشرعية وإزالة المغارم والمكوس، والتخفيف من حدة مخلفات المجاعات والأزمات الطبيعية عن طريق تأمين الغذاء للناس وفتح أهراء الزرع وإخراجه للبيع بأسعار تقل بكثير عن الأسعار الحقيقية، كما أمر بالصدقات والجياب والأكسية للمحتاجين والفقراء. وحسب المؤرخين فقد كانت سيرة السلطان هاته حتى في أيامه العادية إذ لم يقتصر عطاؤه على المستضعفين فقط بل كان يهتم أيضاً بالعلماء والفقهاء ويبذل الأموال لفك الأسرى المغاربة في كل سنة وبالغ في إعطاء الشرفاء وإكرامهم خاصة بعد اكتشاف قبر المولى إدريس الأول سنة 718 / 1318. ويمكن القول إن هذه السياسة تندرج في إطار توجه عام يُدشن لسيادة المخزن المريني الرسمية واهتمامه بقضايا المجتمع المختلفة مثل قضايا التعليم وبناء المدارس التي شهدت في عهد أبي سعيد ازدهاراً كبيراً خاصة بفاس كمدرسة فاس الجديد (720 / 1320) ومدرسة الصهريج (721 / 1321) ومدرسة العطارين (723 / 1323 - 725 /

1325) وكذلك بنى مدارس أخرى بمدن مراكش وتازة. كما شيد العديد من المنشآت الدينية كالجوامع (جامع جزاء ابن برقوقة وجامع السمارين) والمنشآت السكنية كالأحياء ومنها ربض اليهود والقناطر بفاس كقنطرة أبي طوبة وقنطرة باب السلسلة. وحظي العلم والعلماء بأوفر من رعاية السلطان "لأنه كان له نظر في العلوم، واتصاف يدخل به في ذوي الفهوم" (*أعيان*، 3 : 232)، وكان علم التاريخ عنده من أجل العلوم وأشرفها وبوأه مكانة مرموقة أثارت إعجاب الجميع وليس بغريب أن يزدهر هذا العلم في عهده ويدشن مرحلة التدوين التاريخي المريني من خلال تشجيعه للمؤرخين على الكتابة في تاريخ الدولة المرينية خاصة وتاريخ المغرب عامة فظهرت في أيامه مصادر مشهورة ومتميزة ككتاب *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية* وكتاب *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس* لابن أبي زرع *والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب* لابن عذاري *ومفاخر البربر* لمؤرخ مجهول.

توفي خارج مدينة فاس بعلة النقرس في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام 731 / 1331.


ع. التازي، *التاريخ الدبلوماسي*، المحمدية، 1988 ؛ ع. التعارجي، *الاعلام*، الرباط، ط 2، 1997 ؛ الجزنائي، جنى *زهرة الآس*، الرباط، ط. 2، 1991 ؛ ح. حافظي، سجلماسة *وإقليمها في القرن 8 / 14*، الرباط، 1997 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، القاهرة، 1975 ؛ ابن خلدون، *العبر*، *المقدمة*، بيروت، 1988 ؛ ر. السلامي، وثائق مرينية، دراسة وتحقيق، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرقون، الرباط، 1989 ؛ ع. العروي، مجمل *تاريخ المغرب*، بيروت، 1994 ؛ ماياشاتزميلر، *المؤرخون والسلطة في المغرب*، الرباط، 1993 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، الرباط، 1972 ؛ م. المنوني، *ورقات*، الرباط، 1979؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ الونشريسي، *جذوة*، الرباط، 1974.

Mas-Latrie, *Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale du moyen âge*, Paris, 1866 ; S. M. Alarcón, L. R. Garcia, *Los documentos arabes diplomáticos del archivo de la corona de Aragón*, Madrid - Grenade, 1940 ; Ch.-E. Dufourq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux 13è et 14è siècles*, Paris, 1966 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986 ; A. Khaneboubi, *Les premiers sultans mérinides, histoire politique et sociale*, Paris, 1987.


رشيد السلامي

**العثماني**، أسرة سوسيّة عريقة يوجد فروع لها في أماكن متفرقة من الإقليمي السوسي. أنجبت العديد من العلماء والصلحاء. وقد خصص لها محمد المختار السوسي أكثر من مئة وستين صفحة في الجزء السابع عشر من كتابه التاريخي (*المعسول*). وفي بداية ذلك التعريف قال الأستاذ المختار (ص 43) : "وبهذه المناسبة يجب علينا أن نؤدي الحق لهذه الأسرة المباركة العثمانية بجميع فروعها على حسب ما نعلم". إلى أن قال : "والله يوفقنا ويسدد خطانا حتى نؤدي ما علينا من حق أكيد لهذه الأسرة التي تسلسل فيها العلم والصلاح في (سوس) منذ القرن السادس إلى الآن. ولم أعرف الآن في المغرب أسرة تسلسل فيها العلم أبا عن جد في زهاء ألف سنة إلا هذه، والأسرة الفاسية بفاس التي عرفت أول عالم منها في أواخر القرن الخامس وهي ميزة انفردت بها الأسرتان وحدهما". ووصفها في (*سوس العالمة*) ص. 121) بأنها "أعظم أسرة علمية سوسية"، وأنها "لم تزل في جميع أجيالها منذ ذلك القرن (أي القرن السابع) تطفح بالعلماء، بل وبالأدباء إلى الآن". وقد ذكر المختار السوسي من رجالاتها المعروفين بالعلم والتدريس أو بالصلاح قريبا من مئتي شخصية.

**العثماني، عبد الله** بن **محمد** بن أحمد بن الحسين السوسي، الجرسيفي أصلا (1302 / 1388 / 1968) من رجالات الأسرة العثمانية السوسية، ومن الفخذ الذي استقر بأكرسيف ثم بأسكاور من أملن بناحية تافراوت بإقليم تزنيت. ولد بقرية أسكاور. كان فقيها معروفا بالصلاح. حفظ القرآن عن والده، وافتتح مبادئ العلوم على يد أبي العباس أحمد الجشتيمي الشهير بالعلم والأدب، إمام السلطان المولى الحسن الأول. وقد أمضى العثماني عبد الله حياته في الإمامة والتدريس، لكن المختار السوسي ينوه أساسا بمعرفته بتاريخ المنطقة، ويقول عنه في *المعسول* (17 : 159) : "هذا هو مؤرخ الأسرة، وأنبه رجالاتها اليوم، وهو الذي يفيدنا بجميع ما نكتبه عن رجالات أسرته، وعن غيرهم في تلك الجهات، بل هو المؤرخ الوحيد الذي يقدر هذا الفن حق قدره، ولم نره نظيراً في جزولة، مع تثبت وتبصر وصدق في النقل، وسداد في الرأي". ويقول عنه أيضاً : "وهذا السيد آية الآيات في الاستحضار لكل ما كان طالعه، مع حرصه الشديد على الازدياد كل حين بكل جديد (...) وهو من أحبائنا نفعنا الله به في ما نحن بصدده". وكانت له صداقة خاصة مع الأستاذ المختار السوسي. كما كان ضمن الوفد من علماء سوس الذي استقبله جلالة الملك محمد الخامس في دجنبر 1955، ورفع إلى جلالته ملتمسا بإحداث عدد من الإصلاحات.

**العثماني، محمد** بن **عبد الله** بن **محمد السوسي** (1338 / 1919 - 1417 / 1996) هو الابن الأكبر للمتقدم الترجمة. شاعر وأديب ومفكر. ولد بقرية أسكاور (دائرة تافراوت). حفظ القرآن وعدداً من متون العلم ومبادئ الفقه والنحو وأصول الدين على يد والده. وذهب به والده بعد ذلك إلى الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، فأخذ عنه أول درس في ألفية ابن مالك. وأخذ على عدد من شيوخ العلم بسوس منهم العلامة سيدي محمد الحبيب البوشواري الذي قضى متعلما بمدرسته في تنالت بآيت صواب (عمالة شتوكة آيت باها) ست سنوات من عام 1351 / 1932 إلى بداية عام 1356 / 1937. ودرس عليه العديد من المتون، وبالأخص في

اللغة والنحو والبلاغة والأدب والفقه والتفسير والحديث. وقد حصل منه على إجازة مطلقة في جميع مروياته عنه، وخاصة صحيح البخاري. وقد تأثر شاعرنا كذلك بصوفية شيخه وورعه، وهو ما أدى إلى شدة إعجابه به فقال عنه في تعريف خصه به حتى قبل وفاته : "لا يوجد نظيره إلا في بطون التاريخ وتحت صفائح القبور". ثم رحل إلى فاس فأخذ عن علمائها بعض الفنون التي تدرس في القرويين آنذاك، من عام 1356 / 1937 إلى عام 1359 / 1940، وبالأخص أصول الفقه عن الشيخ الطائع بن الحاج، والمنطق عن الشيخ عباس بناني، والمعاني والبيان بالجوهرة المكنونة عن الشيخ رشيد الدرقاوي، وبعض أبواب الفقه والنحو عن الشيخ عبد الله الفضيلي، وبعض أبواب سنن أبي داود عن الشيخ القاضي محمد السايح، والأدب واللغة عن طريق دراسة المعلقات عن الشيخ عبد الواحد العلوي، وأصول الدين عن الشيخ الطاهري. واتصل بالمؤرخ العلامة مولاي عبد الرحمان بن زيدان نقيب الأشراف العلويين بفاس فاستفاد منه كثيراً، وكان من أهم مساعديه على البروز في مجال الإبداع الأدبي. لكن أهم ما استفاده الشاعر في فاس هو الجو الوطني العام الذي كان سائداً بها في تلك الفترة. فاندمج فيه وشارك فيه بفاعلية، عاملا مع طلبة جامعة القرويين على بث روح الوطنية ومقاومة الاستعمار، وهو الذي وضع في بيته ووسطه معاني المقاومة مع الجو الذي تركته ثورة الهيبة ضد الاستعمار في المنطقة، ومع العلاقة القوية لوالده مع ابن الشيخ الهيبة ووارثه الشيخ مربيه ربه، ومع تتلمذه على الشيخ محمد الحبيب التانالتي. وهكذا أسهم العثماني في الأنشطة الوطنية والثقافية بفاس أديباً وشاعراً. وكانت قصائده تنشر على أعمدة بعض الصحف الوطنية، وقد تذاع أحيانا. وأبلى في ذلك بلاء جعله يعرف بين طلبة القرويين بلقب "جرير العصر". واغتنمت سلطات الحماية فرصة إضراب الطلبة بالقرويين، فكان ممن نفتهم وجعلتهم تحت الإقامة الإجبارية. لكن على عكس باقي الطلبة الآفاقيين المبعَدين، والذين سمح لهم - بعد قرار المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه - بالرجوع إلى دراستهم بفاس بعد شهرين فقط من إبعادهم، أصرت السلطات المحلية العسكرية بتافراوت على إبقاء الشاعر تحت نفوذها ومراقبتها. ودامت مدة النفي سبع سنوات، من 1940 إلى 1948. وسمح له بعد السنتين الأوليين بخروج محدود، فالتحق بمدرسة تنالت ليقرأ على شيخها العلامة محمد الحبيب صحيح البخاري. وبعد إتمامه أجازه إجازة مطلقة في جميع مروياته. ومن منفاه واصل نظم شعره المقاوم. وكان يراسل بعض الصحف الوطنية وبالأخص جريدة *العلم* منذ بدايتها، حيث نشر فيها سلسلة مقالات وقصائد باسمه الحقيقي تارة وباسم رمزي تارة أخرى.

وفي فاتح يناير سنة 1948 أفرج عنه نهائيا فتقلب مدرسا ببعض المدارس العتيقة بسوس، ثم انخرط في التعليم الثانوي الحر الذي تشرف عليه الحركة الوطنية، فعين بالأقسام التكميلية التابعة للمدرسة العبلاوية. وفي فاتح أكتوبر 1952 انخرط في سلك التعليم الابتدائي الرسمي بالدار البيضاء بشهادة الكفاءة التربوية. وكان له بعد الاستقلال دور رائد في محاولات علماء سوس الإسهام في نهضة المنطقة ومحو آثار الاستعمار. وتولى باسم وفدهم إلقاء كلمة التهنئة بين يدي جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، بعد رجوعه من المنفى في شهر دجنبر من سنة 1955. وفي سنة 1956 يقوم الشاعر بتسيير مكتب فرع حزب الشورى والاستقلال بأگادير. وفي أكتوبر 1958 عين في التعليم الثانوي بتارودانت ثم انتقل سنة 1964 للتدريس بثانوية يوسف بن تاشفين بمدينة أگادير. ومنذ 05 / 08 / 1968 تفرغ للشؤون الثقافية لجمعية علماء سوس بقرار من وزارة التعليم. ثم عين بظهير شريف بتاريخ 12 يوليوز 1981 عضواً بالمجلس العلمي لأقاليم تيزنيت - كلميم - طاطا. ألقى بين يدي جلالة الملك الحسن الثاني في رمضان 1408 / 1987 ضمن الدروس محاضرة بعنوان : "السلام في مفهوم الإسلام وفي منظور العصر".

اشتهر الأستاذ العثماني منذ شبابه بكونه شاعراً مرموقاً، أشاد بشعره العديد من العلماء والأدباء في سوس وخارجها. والأستاذ المختار السوسي معجب به شديد الإعجاب. يقول عنه في كتابه *(سوس العالمة)* وهو يتحدث عن الأسرة الجرسيفية : "وفيها اليوم الشاعر العثماني المفوه الذي يقل نظيره في الجنوب"، ويصفه بأنه "النابغة العثماني"، وبأنه "أديب سوس حقا على الإطلاق" (ص. 10). وفي كتابه *(المعسول)* يقول أثناء التعريف به : "هذا أديب سوس، وشاعره المفوه وهزاره الصداح، وأول من انفتق لسانه بالشعر العالي الذي يرضى عنه الذوق العالي (...)". وفي آخر التعريف يقول : "وبعد، فالرجل إن راجع الشعر وزاد فسيكون شاعر العروبة لا شاعر المغرب فقط"، وشعر الأستاذ العثماني شعر عمودي ذو قافية موحدة، ويتميز بمتانة اللغة، وقوة الخيال، وحدّة الانفعال. ويجعل العثماني مثله الأعلى في ذلك في الطائيين : أبي تمام والبحتري، وفي الأحمدين : المتنبي وأحمد شوقي. وعلى الرغم من أن أكثر شعره في الوطنيات والرثائيات، إلا أن النفحة الدينية فيه قوية، مع اهتمام كبير بالقضايا الإسلامية. كما اهتم في مرحلة الحماية بتأجيج الحماس الوطني بقصائده التي ينشر بعضها في الجرائد الوطنية حديثة الظهور، ويُتناقل بعضها الآخر في الصدور وفي الكراريس. وبقي يشارك بشعره في مختلف الأحداث السياسية الوطنية والإسلامية إلى سنة 1995. وكان إنتاجه الإبداعي موضوع رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا ناقشها الأستاذ إبراهيم إد منصور بكلية الآداب بالرباط تحت إشراف الدكتور عباس الجراري بعنوان : "شعر محمد العثماني : جمع ودراسة".

لكن ما يميز أيضاً هذا العالم الشاعر، فكره المجدد. ففي

محاضراته المتعددة، ومقالاته المنشورة، وفتاواه الشرعية، كان دائماً يرنو إلى التجديد المؤصل. يدافع عن الإسلام، عاملاً على محاربة التقليد والبدعة والجمود، لا يتساهل في ذلك قيد أنملة. وكان شديد التأثر بشيخي الإسلام تقي الدين ابن تيمية وابن قيم الجوزية وكان ينصح الشباب بقراءة كتاباتهما.

وكانت له أحاديث وبرامج إذاعية متعددة بث فيها جزءاً من فكره في مواضيع الأدب والتاريخ والاجتماع، منها برنامجا "علماء مجاهدون" و"مجال الفكر" بالإذاعة الجهوية بأكادير وبالإذاعة الوطنية.

ومن كتاباته: *"نظام الزكاة تاريخا ومقترحا وقضايا مطروحة"* وهو غير مطبوع. ومصطلحات أبواب الإجارة والجعالة واللقطة والضوال في الفقه المالكي، وما يقابله من المذاهب الأخرى، ساهم بها في موسوعة المصطلحات الفقهية التي يشرف على إنجازها بمدينة وجدة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي. أسس سنة 1971 مجلة *"الكلمة"*، وهي ثقافية جامعة باسم جمعية علماء سوس، فكان رئيس تحريرها حتى توقفت عن أربعة أعداد. حصل على وسام الرضى من الدرجة الأولى سنة 1969. وحصل على وسام العرش من درجة ضابط سنة 1972.

توفي الشاعر العثماني يوم الاثنين 14 صفر 1417 / فاتح يوليوز 1996 بمدينة الدار البيضاء رحمه الله وغفر له، وأجزل له الرضوان وألحقنا به صالحين.

**العثماني، مَحمد** بن **عبد الله** بن **محمد** الفقيه (1340 / 1922 ـ 1404 / 1984) أخ العثماني محمد الشاعر المتقدم. أخذ القرآن الكريم والمبادئ العربية وهو بعد صغير عن والده الفقيه عبد الله بن محمد الجرسيفي العثماني الذي سبقت ترجمته. ودرس عليه وعلى علماء المنطقة بعض مبادئ العلوم الشرعية قبل أن يلتحق بمدرسة "تانالت" بآيت صواب (إقليم شتوكة آيت بها) عند الشيخ العلامة الحبيب بن إبراهيم البوشواري المعروف بالحاج الحبيب التانالتي، والمشهور بعلمه وصلاحه. فلازمه أزيد من ست عشرة سنة، من حوالي 1356 إلى 1372. ودرس عليه مختلف الفنون مما كان متداولا في المدارس العلمية السوسية آنذاك. ولم يكن العلامة الحاج الحبيب مجرد أستاذ لتلاميذه، بل كان لهم أيضاً شيخاً مربيا، وكان ذا نفحة صوفية، كثير العبادة والتهجد، جم التواضع، زاهدا، متفرغا للتعليم والتربية والتوجيه. وكان المثال الأعلى في سوس كلها في الصلاح والعلم والجهاد ما يقرب من نصف قرن من الزمان، وتخرج على يده أفواج من العلماء تميزوا بما نفخ فيهم من حيوية الإيمان، وقوة العلم، وتحرر الفكر...

وكان أستاذنا أحظى تلاميذ الشيخ عنده، ومن أكثرهم تأثرا به. وقد كتب له، بعد مغادرته لمدرسة (تانالت)، رسائل تعكس إعجابه به وعرفانه بجميله عليه. ووجه إليه قصائد تعرض فضائله وتثني عليه. وقد انخرط الأستاذ العثماني في فترة تتلمذه بتانالت في العمل الوطني، والتعبئة ضد الحماية الفرنسية. وكان هذا طبيعيا لأن الشيخ محمد الحبيب كان من كبار المقاومين للاستعمار عند محاولاته دخول منطقة سوس. وكان الأستاذ العثماني رأس خلية من خلايا المقاومة الوطنية في آيت صواب. ونفته سلطات الحماية الفرنسية إلى مسقط رأسه بتافراوت حوالي 1950. ولما سمح له بالعودة إلى مدرسة تانالت التي يدرس بها، بقي مدة تحت الحراسة والمراقبة حتى لا يتصل بأحد.

وابتداء من سنة 1953 عمل إماما وأستاذاً بعدد من الجوامع والمدارس العتيقة بسوس. ثم حصل على شهادة العالمية من جامعة القرويين في مارس 1958. وفي فاتح أكتوبر 1962 انتقل للتدريس بالمعهد الإسلامي بتارودانت. وهو المعهد الذي أسسته "جمعية علماء سوس" منذ سنة 1956، في إطار مشروع نهضة علمية طموحة بالمنطقة. وعلى الرغم من هذا الالتحاق المتأخر للأستاذ امحمد العثماني بالمعهد، إلا أنه ما لبث أن قام بدور رائد في استمرار المعهد في أداء رسالته. ولما تأسست دار الحديث الحسنية بالرباط كان ضمن أول فوج التحق بها سنة 1964. ونال منها دبلوم الدراسات العليا سنة 1971 ببحثه *"ألواح جزولة والتشريع الإسلامي"* تحت إشراف الأستاذ علال الفاسي.

وقد تقلب بعدها في عدة مهام نذكر منها بالخصوص أنه كان: ملحقا برئاسة جامعة القرويين بفاس في دجنبر 1966 لمدة سنتين، فمرشدا للطلبة الأفارقة في معاهد تارودانت وفاس ومكناس ابتداء من فاتح دجنبر 1969، فمكلفا بمراقبة المدارس العتيقة بسوس وحاحة وإحصائها ابتداء من سنة 1971، فأستاذا مساعدا بكلية اللغة العربية بمراكش ابتداء من 1973، ثم أستاذا محاضرا ابتداء من 1975. ثم أستاذا محاضرا بكلية الشريعة بأكادير ابتداء من فاتح 1982 إلى حين وفاته.

ولقد كان للجو العام السائد في منطقة سوس والتحديات التي عاشتها قبيل الاستقلال وبعده دوراً أساساً في توجيه اهتمامات الأستاذ العثماني ونشاطه وإنتاجه. فالمعروف عن سوس تشبث أهله الشديد بالدين، وعنايتهم بالعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وآدابها وتدريسها ونشرها والتأليف فيها، وقد أقام السوسيون لذلك حوالي مئتي مدرسة علمية، اصطلح على تسميتها بالمدارس العتيقة، وكثير منها لا يزال يؤدي دوره إلى اليوم على الرغم من هزال الإمكانات وقلة الاهتمام المعنوي والمادي.

ولقد ركزت الحماية الفرنسية منذ دخلت المغرب على فصل "البربر" ـ ومن بينهم سكان سوس ـ عن العرب، إثارة للتفرقة بين المغاربة، وتسهيلا لإبقاء سيطرتها، ومحاولة لإبطال مفعول أي مقاومة ضدها. كما كانت تهدف بوضوح إلى سلخ المنطقة عن الإسلام، لأنه ضمان وحدة المغاربة، وموقد جذوة المقاومة ضد الاستعمار.

ولقد كانت هذه السياسة الاستعمارية وخصوصاً ما اصطلح عليه بـ "الظهير البربري"، المشعل الأساس لمقاومة شعبية متصاعدة شملت القبائل الأمازيغية كما شملت مختلف مدن وقرى المغرب. وكان لكل ذلك صداه في ربوع سوس، فتعبأ علماؤها وفقهاؤها لمواجهة مؤامرات سلطات الحماية بكل وسيلة. وقد كان من بين أوجه تلك المقاومة تأسيس "جمعية علماء سوس" بمدينة مراكش في خامس أبريل 1953. وجعل المؤسسون رئاستهم الشرفية للأستاذ محمد المختار السوسي وهو آنذاك في معتقله بتنجداد في صحراء تافيلالت. وبقيت الجمعية تعمل في الخفاء بسبب الضغط الاستعماري إلى أن أعلن استقلال المغرب. وقد عملت الجمعية بعد ذلك وفق برنامج إصلاحي واسع ومتكامل ركز على تعليم المبادئ والأحكام الشرعية في المساجد والإسهام في عملية التوعية الشعبية، والعمل على إصلاح نظام المدارس العلمية العتيقة وتطويرها، وإنشاء المعاهد التعليمية، والتي كان المعهد الإسلامي بتارودانت المذكور آنفا أهمها. كما رفعت الجمعية ملتمسات متتالية إلى الجهات المسؤولة مطالبة بالعمل على صيانة الأخلاق والقضاء على الفساد وإصلاح العدالة والتعليم، وتعميم اللغة العربية ...وغيرها. وكانت أسرة الأستاذ مَحمد العثماني معبأة بقوة في مشروع جمعية علماء سوس. ونذكر مثالا على ذلك الوفد من علماء سوس الذي استقبله جلالة الملك محمد الخامس في دجنبر 1955. وكان يضم 130 شخصية، كان من بينهم فقيهنا مَحمد العثماني، ووالده عبد الله، وشقيقه الأكبر الأديب الشاعر محمد العثماني. وهذا الأخير هو الذي تلا كلمة الجمعية أمام جلالة الملك.

لقد كان لهذا الجو ولهذه المعركة أثر بعيد المدى على تكوين الأستاذ مَحمد العثماني واهتماماته. ويمكن أن نختصر المحاور الكبرى لإسهاماته في مواجهة تأثيرات السياسة الاستعمارية المذكورة في أربعة محاور هي :

1 ـ إصلاح المدارس العتيقة بسوس.

2 ـ الدفاع عن التعليم الأصيل.

3 ـ بعث تراث سوس الإسلامي.

4 ـ بعث الوعي الديني .

وعلى الرغم من أهمية الإنتاج العلمي والتاريخي الذي تركه إلا أنه لا يزال مخطوطاً ينتظر العزائم لطبعه. توفي الأستاذ مَحمد العثماني بالدار البيضاء يوم 27 جمادى الثانية 1404 موافق 30 مارس 1984.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1963، ج 17 ؛ *سوس العالمة*، المحمدية، 1960 ؛ م. العثماني، *نظام الزكاة*، مرقون ؛ *وثائق خاصة* ؛ امحمد العثماني، *ألواح جزولة*، د.د.ع. بدار الحديث الحسنية، 1971، مرقون ؛ *معالم من تاريخ سوس*، حلقات إذاعية، مخطوط ؛ *تقرير عام عن المدارس العلمية القرآنية العتيقة سنة 1972* ؛ *وثائق ورسائل خاصة* ؛ أيت بومهاوت امحمد الوسخيني، *منار السعود عن تفراوت الملود ومدرستها العتيقة*، تصدير محمد العثماني، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1414 / 1994 ؛ مجلة *الكلمة*، أصدرتها الجمعية الإسلامية للثقافة والإرشاد (جمعية علماء سوس) 1971 إلى مايو 1972 ؛ عمر الساحلي، *المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس*، الدار البيضاء، 1990 ؛ ع. الجراري، *الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه*، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الرباط ؛ جمعية علماء سوس، *منجزات جمعية علماء سوس في عهد محمد الخامس*، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، 1980 ؛ سعد الدين العثماني، *الشخصيات التي ساهمت في تكوين الأستاذ محمد العثماني*، ضمن : منجزات جمعية علماء سوس، 2000 ؛ إبراهيم إد منصور، شعر محمد العثماني، جمع ودراسة، د.د.ع. كلية الآداب بالرباط.

سعد الدين العثماني

**عجرود** (واد – قصبة) كان البكري أول من أشار إلى عجرود باعتباره مرسى من مراسي غرب البحر الأبيض المتوسط، وحدّد موقعه شرق جزر ملوية التي تنعت أيضاً بجزر كبدانة في بعض الأحيان أو الجزر الجعفرية (البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، ص. 89). إلا أن الاهتمام بهذا الموقع الجغرافي وتحديده بدقة تزامن من الاحتلال الفرنسي للجزائر، إذ صار محط نزاع بين المخزن والسلطات الفرنسية المحتلة للجزائر آنذاك، وانتهى أمر الحدود باعتبار عجرود معلمة حدودية بين الأراضي المغربية والجزائرية في أقصى شمال خط الحدود بين البلدين، ونصّت عليه اتفاقية مغنية حول الحدود سنة 1845 في البند الثالث باعتباره وادا يصب في البحر الأبيض المتوسط، ولمزيد من الدقة وقع التنصيص عليه بكونه امتدادا لواد كيس في مجراه الأسفل. وبناء على ذلك يمكن تعريف واد عجرود باعتباره يشكل القسم الأسفل من مجرى واد كيس قبيل مصبه في البحر، حيث لا يتعدى مجرى الواد الذي يسمى عجرود حوالي ثلاثة كلم من مصبه في البحر إلى خانق مشهور باسم "بين الاجراف"، ويحدّ واد عجرود المجال الترابي لقبيلة أولاد منصور من جهة الشرق، وهي القبيلة التي تستوطن الأراضي الممتدة من خط الحدود شرقا إلى مصب وادي ملوية غربا.

وفي العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر كثر تداول اسم قصبة عجرود في الوثائق، ويُقصد بذلك قصبة السعيدية التي كانت تعرف إبّان تأسيسها باسم القصبة السعيدة (انظر مادة قصبة السعيدية في المجلد الخامس عشر)، حيث كثيراً ما كانت تنسب القصبة المذكورة إلى عجرود باعتباره المجال الذي شيدت عليه، وعلى نفس النسق نصادف في الوثائق اسم شاطئ عجرود، ويقصد بذلك الساحل الممتد على ضفتي واد عجرود. وفي مطلع القرن العشرين استُحدثت سوق عند مصب الواد، وصارت تُنسب إليه، بعد أن ألغت سلطات الاحتلال سوق عجرود الشرقي التي كانت تنعقد كل يوم أربعاء، وكان موقعها على الضفة اليمنى لواد كيس على بعد 4 كلم من البحر، وكان ينعتها أهالي المنطقة بسوق الحيمر، وقد ورد ذكرها بهذا المعنى في اتفاق 20 أبريل

1902 الخاص بتنظيم التجارة بالحدود المغربية ـ الجزائرية: وبعد احتلال المنطقة سنة 1907، قررت السلطات الفرنسية نقل سوق الحيمر إلى جوار قصبة عجرود (السعيدية)، حيث صار يُعقد كل يوم أحد ليتناسب مع عطلة نهاية الأسبوع عند المستوطنين الفرنسيين، ومازال الأمر كذلك إلى وقتنا الحاضر (2003)، فاشتهر السوق باسم عجرود، وصار هو الاسم السائد بين الأهالي، بينما طغى اسم سوق السعيدية بين المستوطنين الفرنسيين، لكن هذه التسمية الأخيرة هي التي ترسخت في الأذهان بعد استقلال البلاد. ويجب التنبيه إلى أن مرسى صاي المعروف حاليا باسم بلْمهيدي كان هو أيضاً في بداية القرن العشرين ينعت باسم مرسى عجرود كيس (انظر مادة صاي، المجلد الخامس عشر).

البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، ص. 89 ؛ ملف وجدة بمديرية الوثائق الملكية، الرباط ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي* ؛ *المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين*، 1900 ـ 1912، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002.

L. J.-B. Say, *La frontière du Maroc*, in *Bulltein de la Société de géographie commerciale de Paris*, 1888 ; L. Voinot, *Les entraves au commerce algéro-marocaines et la conclusion d'accords spéciaux (1898 - 1902)*, *B.S.G.A.O.*, 1933 ; F. Llabador, *Port Say et son fondateur*, Oran, 1955 ; J. Rouch, *Saïdia, port méditerranéen du Maroc français*, La Géographie, TLX, 1933.

عكاشة برحاب

**العجلة** عرف المغاربة القدامى العجلة ونقشوها على الصخور وجدران الكهوف لكننا لا نعرف بالضبط متى استعملوها ولأية أغراض، خاصة وأن النوع المرسوم نوع متطور (عجلات ذات عرائش) "أشعة Rayons". مما يجعلنا نفترض أن الإنسان في التاريخ القديم كان يسجل ما يراه ويبهره فينقشه أو يرسمه قصد تقليده أو جلبه عن طريق الحظ كما كان يعتقد، وفي تقديري أن المغاربة شاهدوا العربات أول ما شاهدوها عندما تعرض شرق إفريقيا وشمالها الشرقي لهجمات الفراعنة عند توسعهم غرباً مما اضطر شعوب هذه المناطق إلى النزوح باتجاه الجنوب والغرب مسجلين في المواطن التي حلوا بها ما لاحظوه من بطش عددهم وجبروته وما بهرهم من أسلحته وآلاته ومنها العربات، وإذا قفزنا على المرحلة الرومانية في المغرب والتي كانت فيها العربة ولاشك من وسائل تنقلاتهم السريعة.

وأثبتت المصادر التاريخية والأثرية هذا الاختفاء البطيء للعربات، لكن الملاحظ ومن خلال الإشارات النادرة أن البطء نفسه مسجل في عودة ظهور العجلات بالمغرب، ففي العهد المريني ـ الوطاسي سجل أول ظهور للعجلات ـ كما يفيدنا صاحب كتاب (جنى زهرة الآس، ص. 36) فقد تحدث بتفصيل عن البيلة الرخامية التي استوردت في عهد السلطان أبي الحسن من مدينة المرية بالأندلس إلى مدينة فاس نقلت بحراً من الأندلس إلى ميناء العرائش ومنها إلى نهر سفدد (الكوس) ومنه نقلت براً إلى وادي سبو على العجلات تجرها القبائل، وتعود إشارة أخرى إلى العهد الوطاسي أوردها الحسن الوزان في (*وصف إفريقيا*، 1 : 192) ففي معرض حديثه المفصل عن مدينة فاس جرد الدكاكين والصنائع ولما وقف عند صناعة النجارة ذكر أن من مصنوعاتها : "عرائش العجلات" دون أن يحدد استعمالها، لكن مارمول كربخال الذي زار المغرب وعاش في الفترة القريبة جداً من عهد الوزان تحدث عن عجلات العربات.

لم يظهر النقل على العربات في المغرب إلا أواخر القرن 19، ولعل هذا التأخر في ظهوره راجع بالأساس إلى ما سبق وأن عرضنا له من توالي الاضطرابات السياسية والحروب والصراعات القبلية وتحرك السكان الدائم، إضافة إلى الكوارث الطبيعية والغزو الأجنبي، كل ذلك حال دون استمرار وتيرة التطور، أما العجلة فقد وجدت كما لا حظنا منذ القديم وفي كل العصور التاريخية ومنها العهد السعدي، إذا استعملت فيه العجلات على نطاق واسع لكنها اقتصرت على الميدان العسكري، فكانت المدافع المختلفة الأحجام والأوزان توضع على حامل أو سرير من خشب أو حديد له أربع عجلات إما من خشب أو من حديد، لكن ظروف استعمال العجلات في النقل لم تتوفر مثلما توفرت للأوروبيين في الفترة نفسها وما عرفه النقل من تطور في القرون الثلاثة اللاحقة، فقد تطورت عندهم العربات والنقل على العربات بشكل كبير من عربات ثقيلة وبسيطة تجرها الأبقار إلى عربات كبيرة سريعة تجرها عدة خيول، ومن نقل محلي محدود إلى نقل عمومي يربط بين البلدان بل وتكوين خطوط قارة ربطت بين كبريات الحواضر، فكانت من أنجح الوسائل للتبادل التجاري والحضاري، وهذه الوسيلة نفسها لعبت دوراً كبيراً في اكتساح الأوروبيين للعالم الجديد وسهلت استغلاله، وفي المغرب استمر التطور بطيئاً إلى أن جاء الغزو الامبريالي ومعه أدواته ووسائله وآليات لاستغلال الشعوب الجامدة.

البكري، *المغرب*، الجزائر، 1911 ؛ ابن عذاري، *البيان*، بيروت، 1948، 1 : 39، الجزنائي، *زهرة الآس*، الرباط، 1967، ص. 36 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، 1 : 99 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980، 1 : 192 ؛ مارمول، *إفريقيا*، 2 : 151 و154 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار*، الإسكندرية، 1998، ص. 155 و455 ـ 435 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981، ص. 417 ؛ ابن الحاج، *فيض العباب*، الرباط.

محمد حجاج الطويل

**العجميسي**، أبو **الربيع** سليمان فقيه سبتي. اسمه الكامل يعرفنا به صاحب *اختصار الأخبار* هو سليمان بن سبع العجميسي. يكنى أبا الربيع (الملاحظ أن الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور لم يعتمد على ما يبدو على مخطوطة الخزانة الحسنية والمصنفة تحت رقم 5570 حيث يرد لقبه). يصفه الأنصاري بالفقيه الخطيب المحدث الحافظ. وربما اعتبر

أحد أسلاف أسرة العجميسي أو العجيسي التي أنجبت العديد من العلماء المالكيين، توفي بسبتة، ودفن في الربض الأسفل بصحن جامع الشيابين حيث تقام صلاة الجمعة، حسب المخطوطة المذكورة، وليس بصحن جامع التبانين كما ورد في النص المحقق. ويذكر من مؤلفاته كتاب *شفاء الصدور*. من الملاحظ أن مؤلفا بنفس العنوان يحفظ الجزء الثاني منه مخطوطاً في الخزانة الحسنية تحت رقم 5733، وقد نقله ناسخه تحت عنوان *شفاء الصدور لابن سبع في فضل الأمة والصحابة وآل البيت* ... إلا أن اسم المؤلف ورد في الكتاب على هذا النحو : الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ أبي مهدي عيسى بن سبع. وقد فرغ ناسخه من نسخه بكرة يوم الخميس 8 من ربيع الأول النبوي عام 1260.

الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، مخطوطة خ. ح ، رقم 5570، ص. 4، تح. ع. الوهاب بن منصور، الرباط، 1403 / 1983، ص. 22.

زليخة بنرمضان

**العجوري، عبد النبي** من مواليد سنة 1916 بدوار تاسبيب ملحقة تيزي وسلي ناحية تازة. التحق بصفوف جيش التحرير تحت رئاسة السيد العجوري محمد، حيث شارك في الهجوم على مركز تيزي وسلي والهجوم على مركز سيدي علي بورقبة وذلك بمركز تيزي انتيدا.

توفي في 7 / 6 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504256.

**العجوري، محمد** ولد 1934 بدوار بغلاست جزناية إقليم تازة وعند اندلاع الشرارة الأولى لجيش التحرير التحق بصفوفه، بمركز تيزي وسلي تحت قيادة الغابوشي. شارك في عدة هجومات من بينها هجوم بين الصفوف، سيدي عيسى، جبل لقرع حيث أبلى البلاء الحسن وبعد الاستقلال التحق بصفوف الجيش الملكي.

توفي يوم 20 شتنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504292.

ابن **العجوز، أحمد** بن **عبد الله** بن موسى الكتامي، من أهل أصيلا، وإليه ينسب بيت بني العجوز الشهير في العلم بسبتة لعدة أجيال. كان من أهل الفقه والشعر، ودخل الأندلس وسمع بها من وهب ابن مسرة الحجاري (ت. 346 / 957) وغيره. وكان ولده عبد الرحيم (ت. 420 / 1029 من علماء المغرب المشهورين.

توفي في حدود أواخر القرن الرابع الهجري.

ابن بشكوال، *الصلة*، القاهرة، 1955، ج 1، ص. 87 ـ 366، رقم 184 ـ 824.

ابن **العجوز، عبد الرحمن** بن عبد الرحيم بن أحمد، من أهل الفقه والصلاح. أشهر بني العجوز في العلم وأعلاهم قدراً وجلالة. انتقل من أصيلا إلى سبتة وبها اشتهر ذكره وعرف بباقي مدن المغرب، وكان حسن الأخلاق، ذا علم وفضل ونباهة. لقي العالم أبا إسحاق التونسي في منصرفه من الحج، وأخذ معه في المسائل. وأخذ عنه جماعة من السبتيين.

توفي سنة 449 / 1057.

ابن بشكوال، *الصلة*، طبعة القاهرة، ج 1، ص. 338 ؛ القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، طبعة وزارة الأوقاف، ج 7، ص. 280، وج 8، ص. 84 ؛ ابن حمادة، *اختصار المدارك*، ملحق *ترتيب المدارك*، ج 8، ص. 204 ؛ القاضي عياض، *الغنية*، طبعة بيروت، ص. 196 ؛ ابن فرحون، *الديباج المذهب*، ج 1، ص. 476 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 115.

محمد المغراوي

ابن **العجوز، عبد الرحيم** بن **أحمد** بن عبد الله بن موسى الكتامي. كان أبوه أحمد يسكن أصيلا واستوطن هو سبتة، جال في طلب العلم في الأندلس وارتحل إلى إفريقية حوالي سنة 380 حيث تتلمذ على فقيه القيروان عبد الله بن أبي زيد صاحب كتابي *النوادر والمختصر*. كان عبد الرحيم من حفاظ الفقه المالكي والقائمين به، فتفقه عليه كثير من الناس بسبتة ورووا عنه، منهم جماعة من فقهاء سبتة وفاس، وممن روى عنه أبناؤه عبد العزيز وعبد الرحمن وعبد الكريم ؛ وصف في *"بيوتات فاس"* بالمفتي والعالم المدرس بفاس أيام مغراوة، ورد ذكره ضمن *"بيت بني العجوز"* (41 : 68). ووصفه القاضي عياض بقوله "كان ذا شهرة في بلاد المغرب ... وإليه كانت الرحلة في جهة المغرب في وقته وعليه مدار الفتوى" (*المدارك*، 7 : 278 ـ 280) ؛ ولد سنة 340، وتوفي سنة 413.

وقد تسلسل الفقه والقضاء في سلالة عبد الرحيم، فمن أبنائه الفقهاء : عبد العزيز المتوفى حوالي سنة 430 (تر. في *المدارك*، 8 : 83)، وأخوه أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الرحيم الذي اشتهر ذكره بعد أبيه في العلم بسبتة، ووصف "بالفقيه الكامل العالم الصالح الزكي الفاضل" وممن أخذ عنهم أبوه وأبو إسحاق التونسي بالقيروان ؛ وممن أخذ عنه ابنه محمد الآتي ذكره ؛ توفي عبد الرحمن سنة 449 (*المدارك*، 8 : 84، 88 ؛ *الديباج*، 149 ؛ *شجرة النور الزكية*، ص. 115). ومحمد بن عبد الرحمن المعروف "بأحد رؤوس فقهاء سبتة ومفتيهم"، أو بعبارة أخرى "من جلة فقهاء سبتة مقدما في المفتين" وهو من أهل التدريس بها أيضاً، وقد ترجم له بشيء من التفصيل القاضي أبو الفضل عياض السبتي في المدارك ؛ تولى محمد قضاء فاس في أوائل عهد يوسف بن تاشفين ثم صرف عنه وتوفي بفاس سنة 474 (*المدارك*، 8 : 174).

أما ابنه أبو القاسم عبد الرحمن الذي كان مستوطنا

سبتة، أخذ عن والده أبي عبد الله محمد، وأخذ عنه القاضي عياض وغيره ؛ فكان عالماً فاضلاً فقيهاً ثقة كاملاً، وصف بكونه أشهر أهل بيته في العلم والجلالة، ذكر ابن الزبير أنه "كان يميل إلى النظر والاجتهاد" ؛ تولى قضاء الجزيرة الخضراء ثم سلا ثم خطة خليفة قاضي الحضرة (مراكش) ؛ توفي بفاس مصروفا عن هذه الخطة سنة 515 (وقيل توفي سنة 510).

عياض، *المدارك*، 7 : 278 - 280 و 8 : 83، 84، 88 - 174 ؛ *الغنية*، 168 - 169 ؛ ابن شكوال، *الصلة*، 1 : 85، 2 : 354 - 355 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، ق 3 : 218، ع 370 ؛ ابن فرحون، *الديباج*، 149، ط. دار الكتب العلمية - بيروت ؛ ابن القاضي، جذوة *الاقتباس*، 2 : 408 ؛ ابن الأحمر وغيره، *بيوتات فاس*، 41 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، 118 ؛ ابن مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 115 - 124، بيروت، 1349.

أحمد عزاوي

ابن **العجوز، عبد الكريم** بن **عبد الرحيم** بن أحمد الكتامي أخذ العلم عن أبيه ثم رحل في طلبه، لكنه لم يتفرغ له كإخوته الأربعة، بل فضل الانصراف إلى تدبير شؤون قبيلته كتامة فصار رئيساً لها، وكانت هذه القبيلة تنتشر على المنطقة الجبلية التي تشمل اليوم تراب قبائل بني يوسف وسوماتة إلى منطقة قصر كتامة، وكانت قاعدتها دمنة عشيرة أو الدمنة الواقعة شمال شرق القصر الكبير في تراب قبيلة بني گرفط.

ظهر عبد الكريم بن العجوز على مسرح الأحداث السياسية كشيخ لقبيلة كتامة في أواسط القرن الخامس الهجري (11 م)، ويبدو أنه سعى إلى نقل قاعدة قبيلته جنوباً إلى مدينة سوق كتامة بعد الفراغ والتدهور الذي أعقب سقوط إمارات الأدارسة بالشمال، لذلك اهتم بمدينة سوق كتامة وزاد في عمرانها "فبنى داراً سميت قصراً لعدم القصور بتلك الجهات" (*الاستبصار*، 189)، ولهذا السبب صارت المدينة تعرف بقصر كتامة وقصر عبد الكريم. ومن غير المستبعد أن هذا العمل كان خطوة في سبيل تأسيس إمارة جديدة تنضاف للإمارات المدينية التي كانت تتقاسم المغرب قبل توحيد المرابطين له، مثل الإمارات التي كانت قائمة بسبتة وسلا وفاس وسجلماسة وأغمات وتارودانت، فضلاً عن إمارة برغواطة. لكن مشروع عبد الكريم الكتامي أجهض في بداياته لأنه تزامن مع الزحف المرابطي إلى الشمال، فبعد فتح المرابطين لمدينة فاس سنة 462 / 1069، اضطر أصحابها أمراء مغراوة الزناتيون إلى الفرار واللجوء إلى حليفهم عبد الكريم بن العجوز الذي تراجع شمالاً إلى قلعة الدمنة الجبلية، فتعقبهم المرابطون خوفاً من استجماع قوتهم، وتدخلوا بعنف في قلعة الدمنة فخربوها وقتلوا رئيس كتامة عبد الكريم بن العجوز سنة 465 / 1073.

ابن بسام، *الذخيرة*، تح. إحسان عباس، بيروت، ج 2 - 2، ص. 660؛ ابن خلدون، *العبر*، طبعة بيروت، 1981، ج 6، ص. 296 ؛ القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، طبعة وزارة الأوقاف، ج 7، ص. 230 - 280 ؛ محمد العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، فاس، طبعة حجرية، 1324، ص. 145 ؛ مجهول، *الاستبصار*، تح. سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، 1958، ص. 189 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، تح. محمد يعلى، مدريد، 1996، ص. 194.

محمد المغراوي

ابن **عجيبة، أحمد** بن **محمد** الحسني (1161 - 1224 / 1748 - 1809) ولد بقرية بقبيلة الحوز (بإقليم تطوان) تعرف باسم "اعجيبش". تعلم القرآن في قريته، وحفظه على جده المهدي، كما أقرأه إياه : أحمد الطالب، عبد الرحمن الكتامي الصنهاجي، العربي الزوادي، محمد أشمل. وإلى جانب القرآن كان يشتغل في حفظ المصنّفات كالآجرومية وألفية ابن مالك، والمرشد المعين لابن عاشر، ونظم الخرّاز، وحرز الأماني للشاطبي. وحينما كان يقرأ القرآن ويحفظ المتون على الفقيه أشمل بدار الشاوي من قبيلة بني مصوّر، تعرّف على محمد السوسي السملالي الذي كان يدرّس بمدينة القصر الكبير، فأخذه معه، وهناك تفرغ لدارسة العلم وللعبادة.

وفي سنة ثمانين ومائة وألف (1767)، انتقل إلى مدينة تطوان، فدرس على الفقيهين أحمد الرشتي، وعبد الكريم ابن قريّش، درس على الأول : *الألفية*، ومختصر *خليل*، و*السلم*، ومختصر *السنوسي* في المنطق والصغرى والبكرى له، ودرس معه *المقنع* و*الخزرجية* ؛ ودرس على الثاني، *التفسير*، وصحيح *البخاري* مراراً، وصحيح *مسلم*، ومختصر *خليل* مراراً و*الرسالة* لابن أبي زيد القيروان و*تحفة الحكام* لابن عاصم، ولاميّة *الزقاق*، و*ألفية ابن مالك* مراراً، و*المغنى* لابن هشام، ولامية *الأفعال*، ومختصر *السنوسي*، و*العقيدتين* الصغرى والكبرى له، و*السلم في المنطق*، وتخليص *المفتاح في البيان*، ومختصر *السبكي* في الأصول، و*الشفا* للقاضي عياض، وهمزية *الإمام البوصيري* ... ودرس على غيرهما أيضاً : مثل النحوي محمد العباس، والقاضي عبد السلام ابن قريش ومحمد غيلان وعلي شطير. ولما قدم الشيخ محمد الجنوي الحسني إلى مدينة تطوان، درس عليه ابن عطاء الله في التصوف، وأصول الطريقة للشيخ زروق في التصوف كذلك وغيرهما.

ولما توفي شيخه هذا رحل إلى مدينة فاس، بغية التزود بالعلم، فدرس على العلامة محمد التاودي ابن سودة صحيح البخاي، وأجازه إجازة عامة ؛ ودرس علم الفرائض على فَرَضيّ وقته محمد بَنّيس، كما درس جزءاً من "التسهيل" لابن مالك، ودرس التفسير أيضاً على الفقيه أحمد الزعري، وأخذ "التلخيص" عن الطيب ابن كيران ... ومن فاس رجع إلى تطوان فزاول التدريس بها، واشتغل بذكر الله تعالى فرداً وجماعة إلى أن تعرف على شيخه الروحي العارف بالله محمد البوزيدي الحسني فأخذ عنه أصول الطريقة الدرقاوية ولازمه. مدة وتأثر به في سلوكه، وأطاع أوامره في الزهد والتقشف والورع والتقوى.

مؤلفاته : ولم يكتف الشيخ أحمد ابن عجيبة بالتدريس والعبادة والذكر، بل ترك لنا عدة مؤلفات ندعه يتحدث عنها بنفسه. قال تحت عنوان : *"ذكرما جمعناه من التصانيف"* ما يلي :

فمن ذلك شرح الهمزية والبردة للبوصيري. وشرح (الوظيفة) الزرّوقية ؛ وشرح الحزب الكبير للشاذلي ؛ وشرح أسماء الله الحسنى، أفردت لكل اسم باباً ؛ وشرح المنفرجه لابن النحوي ؛ وتأليف في علم النيّة، فيه نحو خمسين بابا ؛ وتأليف في ذم الغَيْبة ومدْح العزلة والصمت ؛ وتأليف في الأذكار النبوية ؛ وتأليف في أربعين حديثاً في الأصول والفروع والدقائق ؛ وتأليف في القراءات العشر، مشتملا على آداب القراءة والتعريف بالشيوخ العشرة ورُواتهم وتوجيه قراءة كل واحد منهم ؛ وتأليف في طبقات الفقهاء وذكر أرباب المذاهب والتعريف بهم وبمشاهير أصحاب مالك من زمانه إلى زماننا هذا على ترتيب وجودهم كل قرن وحدهُ إلى وقتنا هذا ؛ ثم أتبعته بذكر النحويين والمحدثين والصوفية غير أن الصوفية لم أستكمل ذكرهم.

ثم شرحتُ ـ بعد ملاقاتنا بشيخنا البوزيدي ـ حِكَمَ ابن عطاء الله ؛ والمباحث الأصلية ؛ وتصلية القطب (مولاي عبد السلام) بن مشيش ؛ وشرحت فاتحة الكتاب ثلاثة شروح :

أحدهما صغير (نحو كراسين) ؛ والآخر كبير فيه نيف وعشرون كراساً صغيراً، وآخر صغير جداً (نحو ورقتين). ثم فسرت كتاب الله العزيز من أوله إلى آخره في أربعة مجلدات كبيرة، جمعت فيه بين عبارة أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن، سميته (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) ؛ ثم شرحت خمرية ابن الفارض التي قال في أولها : (شَرِبْنا على ذكْرِ الحبيب مُدَامَةً) ؛ وبعضَ مقتطعات الششتري ؛ ثم شرحتَ قصيدة شيخنا الرائية في طريق السلوك ؛ وألّفت كتاباً في القضاء والقدر، ألفته في زمن الوباء ؛ ثم شرحت أبيات الجنيد :

توضّأْ بماء الغيبِ إنْ كُنتَ ذا سرّ ... وإلا تَيمَّمْ بالصَّعيد أو الصَّخر
وقدِّمْ إماماً كنتَ أنتَ إمامَه ... وصلِّ صلاة الفجر فيَ أوَّل العَصْر
فهذى صلاةُ العارفين بِربِّهم ... فإنْ كنتَ منهم فانضَح البَرَّ بالبَحْر

ثم شرحت تصلية ابن عربي الحاتمي ؛ وشرحت نُونية الششتري في أربعة كراريس صغار، ثم ألفت كتابا في حقائق التصوف ؛ كما شرحت تائية شيخنا في الخمريات الأزلية (ثمانية كراريس) ؛ وأعددت عليها شرحاً آخر (12 كراساً ونصْف كراس) ثم شرحت "الآجرومية" جمعت فيه بين النحو والتصوف وعبارة وإشارة كصناعة التفسير ... الخ

ولم يطبع من هذه المؤلفات غير : شرح الحكم المسمى *(إيقاظ الهمم في شرح الحكم)*، وشرح الآجرومية مجردةً عن النحو، وخمسة عشرَ حزباَ فقط من تفسير (البحر المديد) والباقي مازال مخطوطاً.

وتوفي في سابع شوال من عام 1224 (15 نوفمبر 1809) في دار شيخه الصوفي سيدي محمد البوزيدي الحسني بقرية بوسلامة، بفرقة بني سلمان من قبائل غمارة، وبقي مدفوناً بالقرية مدة اختلف فيها : فمن قائل إنها كانت ثلاثة أيام، ومن قائل، إنها كانت أربعين يوماً ومن قائل إنها كانت ثلاثة أشهر ؛ ولكن مريديه (الفقراء) اغتنموا فرصة فنبشوا قبره، وأتوا بجثته إلى موطنه بقرية الزُّمَّيج من قبيلة أنجرة حيث مازال ضريحه هناك يتبرك به.

عبد الله العمراني

ابن **عَجيبة، محمد** بن **تاج الدين**، عالم كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته أنجرة انظم إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد كان يشهد له الجميع بشجاعته البالغة حيث يكون دائماً في مقدمة رجاله دون أن يصاب بجروح، فكان الجميع يعتقدون أنه كان له حجاب "التبريد" (أي تبريد الرصاص) كما جاء في أحد تقارير قيادة الجيش الإسباني بتاريخ 14 فبراير 1920.

وكان قد عين عضواً بالمجلس الاستشاري للمقاومة في المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913، كما انتخب عضواً بالقيادة المركزية للثورة في المؤتمر الذي انعقد بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**العدالة والتنمية** (حزب -) شارك حزب العدالة والتنمية في استحقاقات 14 نوفمبر 1997 على مستوى الانتخابات التشريعية، لكن بنسبة محدودة، حوالي 140 مرشح من مجموع 325 عدد أعضاء مجلس النواب. ولم يعلن رسميا إلا عن نجاح 9 أعضاء. ورغم سلبيات العملية الانتخابية، ثمن الحزب هذه المرحلة لأنها أفرزت ما سمي بحكومة التناوب سنة 1998 من المعارضة السابقة، بالإضافة إلى حزبين هما الأحرار والحركة الوطنية الشعبية. وكان اسم الحزب وقتها (الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية). وفي يوم الأحد 6 دجنبر 1998 بالرباط عقد مهرجان لتغيير الاسم والتعريف بالاسم الجديد الذي اختير له وهو اسم (حزب العدالة والتنمية) حضره العديد من ممثلي الأحزاب والهيئات السياسية. وقد حسم في مسألة تغيير الاسم بالقرار الذي اتخذه المجلس الوطني في دورته المنعقدة بأكتوبر 1998. ومن دلالات اختيار اسم العدالة والتنمية ما يلي : العدالة يقصد بها العدالة الشاملة بين الأفراد والجماعات، والمؤسسات والهيئات والمناطق والجهات. ويتوخى من خلالها الحزب بناء مجتمع تتكافأ فيه الفرص أمام جميع المواطنين في الاستفادة من خيرات البلاد وثرواتها وخدمات الدولة، وتتوزع فيه الثروات توزيعا عادلا وتحفظ فيه حقوق الفرد والمجتمع على

حد سواء وبشكل متوازن. أما التنمية فهي تتعدى المفهوم المادي التقليدي إلى مفهوم أعمق مدى ودلالة ذلك أن الإنسان هو أساس كل إصلاح منشود. وبذلك تكون التنمية ذات محتوى إنساني بالمدلول العلمي الواقعي الذي ينصرف إلى الإصلاح الذاتي للإنسان حتى يصير طاقة خلاقة تبني المجتمع وتدافع عن مصالحه وتحرس قيمه وتذود عن مقوماته وتعمل من أجل الأمن والاستقرار وتضمن الرخاء والنماء والازدهار. وهذا يحتاج إلى أن يكون الإنسان محور التنمية، وهذا الكلام يعرفه الجميع، ولكنه في المغرب مازال بعيداً أن يصبح واقعا ملموسا ومازال للتنمية مفهوم تقني مادي ميكانيكي ضيق. ومازالت فاشلة لأنها تستبعد الإنسان المغربي وخصوصياته ومستوياته وإيجابياته ونقائصه. وهذه التنمية تعنى بالإنسان المغربي المسلم الموجود على هذه الأرض والمتمتع بحقوق المواطنة. وإنه إنسان لا ينتمي إلى عرق بل ينتمي إلى عقيدة. ينتمي انتماء اختياريا، ولا ينتمي الانتماء القهري الذي يورده موارد أخرى. هكذا إذن يختفي اسم (الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية) من الساحة السياسية بعد أن عمر عشرين سنة واستعيض عنه باسم (العدالة والتنمية). لكن كيف سرى الدم من جديد في عروق هذا الحزب ؟ وكيف ظهر (حزب العدالة والتنمية) ؟

في بداية التسعينيات أرادت بعض فعاليات (حركة الإصلاح والتجديد) إنشاء هيئة سياسية تمارس من خلالها نشاطها السياسي فاتفقوا على إنشاء (حزب التجديد) لكن السلطات رفضت الترخيص له. فأصدرت الحركة (حاتم) ورقة سياسية تقترح فيها العديد من المشاريع لممارسة العمل السياسي. فاختار المكتب التنفيذي (الحاتم) بعد موافقة مجلس الشورى لديها بالسماح لمن أراد من أعضاء الحركة (حاتم) الانضمام إلى حزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية الذي تأسس منذ 1967 من أجل الدفاع عن التعددية والحركات العامة. والأمور الثلاثة التي اشترطها الخطيب للدخول للحزب هي الإسلام، واحترام الملكية الدستورية، ونبذ العنف (*الشرق الأوسط*، عدد 12 / 12 / 1997). وكان الدكتور عبد الكريم الخطيب والسيد عبد الله الوكوتي قد اقتنعا بجهود حركة الإصلاح والتوحيد (حاتم) وما تدعو له. وهي تؤكد شمولية الأزمة التي تعاني منها الأمة الإسلامية، ولا يمكن تجاوز هذه الأزمة إلا بالعمل على الإصلاح والتجديد. وذلك بالدعوة إلى تجديد التزام الأمة، فرديا وجماعيا، وتدشين عملية بناء شامل يحيي روح الجهاد والاجتهاد في إطار التدرج والرفق (*التنظيم*، 115). وذلك عبر أسلوب الحوار المقنع، والمشاركة الفعالة مع جميع مكونات المجتمع. وهي تعمل في إطار القوانين الجاري بها العمل وفي إطار الثوابت المجمع عليها وطنيا. وتلتزم النهج الديموقراطي بكل تجلياته وتؤمن بالتعددية السياسية والخصوصيات الثقافية في إطار المقومات الإسلامية للمجتمع المغربي (ميثاق، حاتم). وفي يوم الأحد 2 يونيه 1996 عقد المؤتمر الاستثنائي للحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية الذي توج ببيان ختامي جاء فيه "الحركة ملتزمة بقيم الحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان وسيادة القانون في إطار المقومات الإسلامية (...) لاصلح مع العدو الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين. وتعتبر الحركة أن مشكل المغرب بالأساس مشكل خيارات وكفاءات وأساليب في التسيير وتدعو إلى إرجاع جو الثقة والتوافق والتعاون (*الراية*، ع 199). وكان لهذه المشاركة أثر وردود فعل متباينة في العديد من الصحف الوطنية دفعت بالمكتب التنفيذي ل (حاتم) لأن ينشر توضيحا وقعه محمد يتيم رئيس الحركة بتاريخ 22 يونيه 1996 جاء فيه : أن العلاقة بين (حركة الإصلاح والتجديد) و(حزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية) ليست انضماما من الأولى إلى الثانية ولا هي تحالف بين الهيئتين. وكل ما هنالك أن الأعضاء المهتمين بالعمل السياسي في (حاتم) سيمارسونه في إطار الحزب، بينما ستستمر الحركة إسلامية شاملة قائمة بذاتها تقوم بمهامها كما كانت من قبل (*الراية*، ع 202). ومن جهة أخرى كان الحوار الذي بدأت أطواره منذ مدة بين (رابطة المستقبل الإسلامي) و(حركة الإصلاح والتجديد) (حاتم) حول مشروع التوحيد بينهما. قد طويت فصوله الأخيرة بميلاد حركة جديدة وهي (حركة التوحيد والإصلاح) نهاية شهر غشت. ونشر بيان عن توحيد الحركتين وقعه الدكتور أحمد الريسوني كرئيس للحركة الجديدة بتاريخ 31 غشت 1996 محرر بالرباط (*الراية*، ع 212). وكان لهذا الحدث وقع بارز في الساحة السياسية الوطنية لكونه خلف ردود فعل متباينة. لكن جهل الكثيرين بواقع الحركة الإسلامية بالمغرب وقدرات روادها على تجاوز خلافات المرحلة الانتقالية بين ثلاث حركات مستقلة جلعهم يتوقعون حدوث نزاع حول زعامه الحركة الجديدة من جهة بين أعضاء (حركة الإصلاح والتجديد) وأعضاء (رابطة المستقبل الإسلامي) وقد توحدوا في إطار حركة واحدة وهي (حركة التوحيد والإصلاح). ومن جهة أخرى توقعوا انشقاقاً داخل حزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية لوجود عناصر في الحزب تخشى فقدان مصالح شخصية أو مكتسبات داخل الإطار النقابي التابع للحزب (الاتحاد الوطني للشغل بالمغرب) والعناصر الجديدة المنضمة للحزب خصوصاً بعد أن فاز الأستاذ جامع المعتصم كمستشار في الغرفة الثانية وهو عضو في (حركة التوحيد والإصلاح). فأضحى لأعضاء حركة التوحيد والإصلاح النشطاء سياسيا إطار قانوني يمارسون من خلاله نشاطهم السياسي من داخل حزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية، حيث تقدم العديد منهم كمرشحين لاقتراع 14 نونبر 1997. عملت (حركة التوحيد والإصلاح) على مساندة مرشحي الحزب. وسخرت إعلامها ومتعاطفيها لخدمة الحملة الانتخابية لمساندة المرشحين للانتخابات وكأن (الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية) جناحها السياسي.

وكان البرنامج الانتخابي تحت شعار "من أجل نهضة شاملة : أصالة ـ عدالة ـ تنمية" (*الراية*، ع 272). وبالرغم من أن الحزب لم يتمكن من تغطية كل الدوائر الانتخابية، إلا أنه فاز بتسعة مقاعد في البرلمان وكان الكل متفائلا بالمستقبل رغم الخروقات المسجلة. وقبل ظهور هذه النتائج قال عبد الرحمان اليوسفي عن (ح. ش. د، د) "يظهر أن هذا الحزب يتموقع في صف المعارضة ونعتبره كحليف موضوعي، ونتمنى أن النتائج التي سيحصل عليها ستصب في اتجاه التغيير المنشود في بلادنا" (*المستقل الأسبوعي*، ع 201). فكان كذلك، وقد ساند الحكومة مساندة نقدية فيما يراه الحزب منافيا للمرجعية الإسلامية. وقد اتضح موقف الحزب المساند في تعامله الإيجابي مع مجموعة المشاريع والمقترحات القانونية سواء المقدمة من قبل الأغلبية أو الحكومة، وكذلك معارضته الشديدة لقانون السلفات الصغرى والخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية (*من المساندة النقدية* ... 15).

بعيداً عن الانتخابات ونتائجها، بدأت تلوح في الأفق طبيعة العلاقة المستقبلية بين (حزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية) و (حركة التوحيد والإصلاح). ومن خلال تصريح لعبد الإله بن كيران عضو الأمانة العامة لحزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية ونائب الأمين العام، وعضو المكتب التنفيذي لحركة التوحيد والإصلاح الذي حاول توضيح طبيعة هذه العلاقة بقوله : "كون أعضاء الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية الذين فازوا في الانتخابات التشريعية هم أعضاء في حركة التوحيد والإصلاح لا يفيد أبدا أي تغيير أو تعديل في السياسة التي خططنا لأنفسنا، وهي أننا سنمارس العمل السياسي من خلال حزب الزعيم الدكتور الخطيب (ح. ش. د. د). وانتماؤنا لهذا الحزب ليس قرارا تكتيكيا، إنما قرار عادي وطبيعي، باعتبار أننا وجدنا حزبا ينسجم مع أفكارنا واختياراتنا وقناعاتنا ونظرتنا للأمور انسجاما تاما. وهذا لا يعني نفي الاختلاف الذي يمكن أن يقع أو واقع حول قضايا معينة ذات صبغة مرحلية (*الراية*، ع 276). توالت الأحداث بعد هذا كله وبدأت الحركة والحزب يتغلبان على المشاكل التنظيمية بالتدريج. فوضع الحزب مخططا وطنيا مكونا من أهداف كبرى وهي : أولا، إرساء البناء التنظيمي للحزب ويشمل : 1. تقوية الهيكلة والتنظيم 2. تحديد التصورات والرؤى. ثانيا، تطوير الأداء والتسيير ويشمل :1 ـ الرفع من أداء الأمانة العامة 2 ـ تفعيل العمل الحزبي 3 ـ الاهتمام بالتربية والتكوين. ثالثا، تقوية إعلام الحزب. رابعا، تقوية الانفتاح الخارجي. خامسا، تطوير الإمكانات المادية. وقد حددت البرمجة الزمنية للهدف الأول ليتحقق قبل المؤتمر الوطني الذي هو تتويج لإتمام الهيكلة المحلية. فتم تشكيل 52 مكتبا إقليميا جديداً استطاع من خلالها تغطية حوالي 78٪ من مجموع أقاليم المملكة. ولتأكيد مغربية الصحراء وإبراز الاهتمام بالقضايا الوطنية التي حولها الإجماع الوطني عقد المؤتمر الإقليمي لمدينة العيون الذي حضره الأمين العام وبعض أعضاء الأمانة العامة وقد ترك صدى طيبا لدى عموم المواطنين هناك. أما باقي الأهداف الأخرى ومقترحات أولويات الفترة ما بعد المؤتمر الرابع فقد حددت في : 1 ـ استكمال إعداد الأوراق التصورية وبالأساس تلك المرتبطة بالمنظمات الموازية للحزب، الشبيبة والنقابة بالخصوص. 2 ـ الاهتمام بالتربية والتكوين من خلال وضع البرامج المناسبة لحفظ التوجه الإسلامي للحزب، ورفع مستوى التربية الأخلاقية والسياسية والإدارية داخله. 3 ـ تطوير إعلام الحزب ليكون قويا ومنافسا. 4 ـ تقوية الانفتاح على المكونات السياسية وعلى الشعب وتنشيط العلاقات الخارجية. 5 ـ تطوير إمكانات الحزب المادية. ولتفعيل كل هذه الإجراءات أحدثت وظيفة مدير الحزب لتغيير آليات الاشتغال ووتيرة اللقاءات. وأسندت للدكتور سعد الدين العثماني (تقرير عن أداء الحزب، 96 / 99).

تمكن حزب العدالة والتنمية من عقد مؤتمره الوطني الرابع في نونبر 1999 بالرباط، تحت شعار "معا.. من أجل البناء" وحضرته مختلف الهيئات السياسية والنقابات الفاعلة في المجتمع. وكان ذلك في بداية العهد الجديد واعتبرت خطوة جريئة بالنسبة لسرعة توالي الأحداث. فكانت فرصة لتثبيت المكتسبات وتوسيع هامش الحريات، والتعبير عن مواقف الحزب تجاه قرار الملك الراحل الحسن الثاني إسناد الوزارة الأولى إلى عبد الرحمان اليوسفي. وقد أعرب الحزب عن أمله في نجاح التجربة. رغم اعتذاره عن المشاركة في الحكومة لأسباب ذاتية وموضوعية. إلا أنه اعتمد موقف المساندة النقدية التي تعني ممارسة واجب المناصحة وإبداء الرأي في إطار المبادئ الإسلامية والمصلحة العليا للبلاد. ومن تلك المنطلقات قرر الحزب مواصلة مسيرته السياسية لدعم الاختيار الديموقراطية داخل الحزب وخارجه والإسهام في تنقية الممارسة السياسية من كل أنواع الفساد، ودعم خيار المشاركة والاستمرار في نهج سياسة الحوار والانفتاح على جميع مكونات المجتمع السياسي والمدني، وتأكيد دعوة المجلس الوطني هيئات الحزب إلى إعادة تقييم موقف المساندة النقدية للخروج بالخلاصات المناسبة التي ستوجه مواقف الحزب من الأداء الحكومي وكذا عمل الفريق البرلماني للحزب الذي تمكن من تشكيله قبل انعقاد المؤتمر، الذي تلي فيه مشروع التقرير السياسي المكون من 20 صفحة ومتضمنا للمحاور التالية : 1 ـ تجديد الانطلاقة وترسيخ الهوية انطلاقا من الورقة المذهبية التي صادق عليها المؤتمر الاستثنائي. 2 ـ النهوض بالوضعية الدينية والأخلاقية للمجتمع المغربي. 3 ـ استكمال وصيانة وحدتنا الترابية. 4 ـ تعزيز الحريات العامة وحقوق الإنسان. 5 ـ النهوض بالوضعية الاقتصادية والاجتماعية. 6 ـ إصلاح نظام التربية والتكوين. 7 ـ النهوض بالثقافة الإسلامية والعربية والأمازيغية، والحد من هيمنة الثقافة

الفرنكفونية. 8 ـ تدارك التخلف في قطاع الإعلام. 9 ـ الأسرة والمرأة والارتقاء بهما ضمن منظور تنموي شمولي حقيقي يراعي خصوصيات المجتمع المغربي ويقوم على أسس متعددة ومتكاملة. 10 ـ تفيعل السياسة الخارجية المغربية وتعزيز حضور بلادنا مغاربيا وأفريقيا وعربيا وإسلاميا ودوليا (التقرير السياسي للحزب 1999). فما الذي تغير بعد انعقاد المؤتمر الرابع للحزب ؟ من خلال المحطات النضالية للحزب، كانت مشاركته فاعلة وحضوره وازنا في المشهد النيابي بعد تشكيل الفريق. إذ ما فتئ يؤكد تشبثه بالدفاع عن عدد من القضايا وعلى رأسها التأكيد على وجوب اعتبار الشريعة الإسلامية ومرجعيتها في كافة شؤون الأمة. فكان له موقف من قانون السلفات الصغرى بفائدة وتقدم الفريق بتعديلات للإقراض وفق أسس شرعية. كما ناهض مشروع خطة إدماج العمل الوطنية لإدماج المرأة، لأنها طرحت بطريقة أثارت خلافا حادا داخل المجتمع المغربي وجند كل طاقاته لشرح موقفه الذي توج بمسيرة شعبية بالبيضاء يوم 12 مارس 1999، مزامنة لمسيرة أخرى حول نفس القضية بالرباط. كما طالب بإصلاح المنظومة التربوية من منظور إسلامي. التصريح بالممتلكات وقانون معاشات النواب وكان رد الفريق على التصريح الحكومي برفض كل مقترح من شأنه أن يزيد في تحميل خزينة الدولة أعباء جديدة لفائدة النواب. كما قرر الفريق أمام أية مراقبة لحضور النواب. مراسلة رئيس مجلس النواب بعد كل جلسة بلائحة حضور أعضائه وغيابهم لكل غاية مفيدة. منها تطبيق القانون الداخلي لمجلس النواب عليهم بما في ذلك الاقتطاع من تعويضاتهم لتغيب دون عذر والرقابة على الحكومة من خلال الأسئلة الشفوية والكتابية وكذا المطالبة بتشكيل لجان تقصي الحقائق حول وضعية بعض المؤسسات المالية الوطنية. وكانت مكاتب استقبال المواطنين في دوائر نواب الحزب نقط تواصل دائمة مع المواطنين ومشاكلهم الفردية والجماعية. وعمل الفريق الكثير من الجهد لحذف كل الفقرات التي تشير إلى اعتماد مفهوم المقاربة حسب النوع الواردة في مشروع الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية. قدمها الفريق كأرضية خلال اجتماع فرق الأغلبية وأثمر الجهد إذ حذفت هذا المفهوم من مشروع المخطط (الخطة، 197.194) في 1 غشت 2000، قدمت الأمانة العامة للحزب مذكرة حول الأداء الحكومي وفق ما اصطلح على تسميته بالمساندة النقدية. وكان أول انتقاد وجه للحكومة هو كثرة أعضائها مما ينبئ عن منطق الترضيات أثناء تشكيلها. واتصف العمل الحكومي بضعف في المبادرة ونقص في الفاعلية وارتباك في الأداء وهذا بعد مضي سنتين من تشكيلها. وتم رصد مظاهر القصور في مجال تخليق الحياة العامة. فاعتبر الفساد السياسي والقضائي والإداري من أخطر عوامل الأزمة التي تعيشها بلادنا، بالنظر لكون الإصلاحات الضرورية في هذا الملف لا تثقل كاهل الميزانية العامة للدولة بقدرما ستوفر لها من مبالغ هامة. وبما أن الحكومة لم تواكب من حيث الإيقاع الخطوات الملكية من أجل إرساء دولة الحق والقانون والتضامن مع الطبقات الفقيرة ومقاومة التبذير. دعا الحزب إلى تفعيل مقتضيات التصريح الحكومي وإعادة هيكلة الحكومة وتحسين طرق أدائها بما يضمن لها الفعالية والمبادرة ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا من خلال تشكيل حكومة مقلصة من حيث عدد أعضائها والأحزاب المشكلة لها. باختيار أفراد أكفاء أقوياء أمناء، بعيداً عن الحسابات الضيقة بين الأحزاب وداخلها. ووضع برامج واضحة المعالم ومضبوطة، مثبتة زمنيا وقابلة للمتابعة والتقييم حسب معايير موضوعية. ملتزمين في ذلك بمبادئنا الإسلامية (مذكرة حول الأداء الحكومي غشت 2000).

بعد المؤتمر الرابع للحزب أعيد انتخاب الدكتور عبد الكريم الخطيب أمينا عاماً للحزب والدكتور سعد الدين العثماني نائبا له ومديراً للحزب. أما القانون الأساسي الجديد لحزب العدالة والتنمية فشكل من 15 بابا وقرابة 40 فصلاً، موزعة بين أهداف الحزب وشروط العضوية وتنظيم الحزب، كالمؤتمر الوطني والأمانة العامة والمجلس الوطني واللجنة المركزية ومجلس المنسقين الجهويين والإجراءات الانضباطية والجانب المالي.

1 ـ يهدف الحزب إلى : الإسهام في تأطير الشعب المغربي والعمل على توعيته من أجل مجتمع أفضل تسوده المساواة والعدالة وتتحقق فيه كرامة الإنسان وتتاح فيه الفرص للجميع، للمشاركة الفعالة في التنمية. تحقيق ديموقراطية منبثقة من تعاليم الإسلام، ومتلائمة مع تقاليدنا الوطنية السليمة في نطاق ملكية دستورية، تمكن الشعب من ممارسة حقوقه ومظاهر سيادته.

2 ـ العضوية : يمكن الانتماء للحزب وفقا للشروط الأساسية التالية : 1 ـ طلب الانخراط في الحزب بعد الاقتناع بمبادئه وأهدافه وقوانينه الأساسية. 2 ـ تأدية واجب الانخراط. وتتخذ العضوية فيه شكلين : 3 ـ عضو مشارك، وهو الذي ينخرط في الحزب لأول مرة ويمنحه المكتب الإقليمي هذه الصفة. 4 ـ عضو عامل، وهو الذي قضى سنة على الأقل في الحزب كعضو مشارك، وتمنحه الأمانة العامة هذه الصفة.

3 ـ هيئات الحزب : يقوم كيان الحزب ابتداءً من القاعدة على الخلايا ثم الهيئات التالية :

1 ـ المكتب المحلي ويحدث على صعيد الجماعة المحلية ويشرف على اللجان المحلية وينبثق عن المؤتمر المحلي.

2 ـ المكتب الإقليمي : ويحدث على صعيد الإقليم أو العمالة، ويشرف على المكاتب المحلية، وينبثق عن المؤتمر الإقليمي.

3 ـ مجلس التنسيق الجهوي : ويحدث على صعيد الجهة، ويقوم بالتنسيق بين المكاتب الإقليمية على صعيد الجهة.

4 ـ المؤتمر الوطني : وهو أعلى هيئة تقريرية داخل الحزب.

5 ـ المجلس الوطني : يسهر على تقويم أداء الأمانة العامة واللجنة المركزية وجميع الهيئات واللجان التابعة له.

ويصادق على تعديلات القانون الأساسي باقتراح من الأمانة العامة ويناقش جدول أعمال المؤتمر الوطني المقترح من قبل الأمانة العامة.

6 ـ الأمانة العامة : تسهر على تسيير الشؤون العادية وتنظيم المسائل الإدارية، وتعيين المنسقين الجهويين، وتراقب سير المكاتب المحلية. ينتخب الأمين العام مباشرة في المؤتمر الوطني، وينتخب باقي أعضاء الأمانة العامة من قبل أعضاء المجلس الوطني أثناء انعقاد المؤتمر الذي يصادق عليهم.

7 ـ اللجنة المركزية : هي هيئة استشارية للتواصل والتنسيق. تتكون من الكتاب الإقليميين والمنسقين الجهويين، ويترأسها الأمين العام أو من ينوب عنه. وتجتمع بدعوة من الأمانة العامة مرتين في السنة على الأقل.

8 ـ مجلس المنسقين الجهويين : يتكون من المنسقين الجهويين ويرأسه الأمين العام أو من ينوب عنه وينعقد مرة كل شهرين على الأقل. يقوم بمهام التواصل والتنسيق بين الأمانة العامة والمكاتب الإقليمية.

ـ الإجراءات الانضباطية : وتتخذ في حق كل عضو انتهك السياسة التي أقرها المؤتمر بالتنبيه، أو الإنذار، أو التجريد من المسؤولية أو بتجميد العضوية، أو الفصل. ويتخذ القرار بأغلبية ثلثي الأعضاء الحاضرين في الهيئة التي ينتمي إليها، وهو قابل للاستئناف أمام الهيئات العليا حسب المسطرة التي يحددها القانون الداخلي.

ـ للحزب حق التملك وحق الشراء والبيع وتقبل التبرعات، والأمين العام أو من ينوب عنه هو الذي يمثل الحزب في جميع القضايا.

م. نجيب بوليف، *التنظيم بين النظرية والتطبيق*، الدار البيضاء، 1998 ؛ نور الدين قربال، *حزب العدالة والتنمية من المساندة النقدية إلى المعارضة الناصحة*، الدار البيضاء، 2000 ؛ أبو زيد المقرئ الإدريسي، في *المساندة النقدية لحكومة التناوب*، الدار البيضاء، 1999 ؛ مصطفى عنترة، المساندة *النقدية بين حزب العدالة والتنمية ومنظمة العمل*، جريدة *المستقل*، عدد 29 ـ 05 ـ 2000 ؛ مصطفى أعشي، *الحركة الشعبية*، *المعلمة*، عدد 10، سلا، 1998 ؛ ميثاق حركة *الإصلاح والتجديد*، الرباط، 1996 ؛ حركة التوحيد والإصلاح، موقفنا *مما سمي خطة العمل الوطنية لإدماج المرأة في التنمية*، الرباط، 2000 ؛ مشروع *خطة العمل الوطنية لإدماج المرأة في التنمية*، الرباط، 99 ؛ جريدة *الشرق الأوسط*، عدد 12، دجنبر، 1997 ؛ جريدة *المستقل الأسبوعي*، عدد، 201 ؛ جريدة *الراية*، العدد 199 ـ 202 ـ 212 ـ 272 ـ 276 ؛ *برنامج حزب العدالة والتنمية*، 1997 ؛ حزب العدالة والتنمية، الأمانة العامة، التقرير السياسي للمؤتمر الوطني الرابع، الرباط، 1999 ؛ حزب العدالة والتنمية، الأمانة العامة، تقرير عن أداء الحزب ما بين 96 / 99، الرباط، 1999 ؛ حزب العدالة والتنمية، الأمانة العامة، مذكرة حول الأداء الحكومي، الرباط، 2000.

عبد الرزاق ازريكم

ابن **عُدّة، محمد الأندلسي** الفاسي شيخ القراء وإمامهم. ويدعى أيضاً العُدِّي، ولد بغرناطة قبل سقوطها بيد الإسبان بنحو اثنتي عشرة سنة، وبها نشأ وبدأ تعلمه قبل أن ينتقل مع أهله إلى فاس حيث تم تكوينه على يد الأئمة محمد ابن غازي المكناسي ومحمد الهبطي السماتي صاحب *وقف القرآن* وبلديه الفقيه أحمد الدقون، وَعُمِّر العُدّي فأصبح بعد وفاة أشياخه مضرب المثل في حفظ القراءات السبع والمنظومات المتعلقة بعلوم القرآن، مع الضبط والإتقان، وجودة الخط. ومن أشهر الآخذين عنه المؤلف المشهور أحمد المنجور الذي ترجم له في فهرسه وقال عنه : "جوّد عليه القرآن من الطلبة من لايحصى".

توفي بفاس سنة 975 / 1567.

أ. المنجور، *فهرس*، تح. م. حجي، الرباط، 1977 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 213 ؛ *لقط الفرائد / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 2 : 918 ؛ ع. الرحمن الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 2 : 353 ـ 354.

محمد حجي

**عدِّي** (سيدي –) مركز حضري من المراكز التي نشأت ونمت في القرن الماضي على طول المحاور الطرقية الكبرى الحديثة، مراكز استمدت حيويتها ونشاطها الاقتصادي من انفتاحها وسهولة الاتصال بها. غير أن ما يميز هذا المركز عن غيره، كونه يستفيد من موقع جغرافي هام، حيث إضافة إلى مرور الطريق الرئيسية فاس ـ مراكش به، نجده يتوسط منخفض تيكريكرة، وهو السهل الفلاحي الغني الوحيد بالمنطقة، اشتهر على مستوى وطني، خاصة في العقود الأخيرة بمغارس التفاح والإجاص والخوخ، وزراعة المشاتل.

ترجع النواة الأصلية لهذا المركز إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث استقرت عناصر مهاجرة من منطقتي تافيلالت وسوس بجانب ساكنة محلية مكونة من أيت واحى الأحرار وأيت إشن وغيرها (المنحدرة من قبيلة بني مگيلد الشهيرة) وأقامت تجمعا سكنيا مبنيا بالتراب على النمط الصحراوي الأصيل بالواجهة الشمالية للطريق الرئيسية ومنتظما حول ما كان يسمى "بتيگمي"، وهو تجمع مكون من أسرتين أو ثلاث تربط بينها وحدة القرابة (تيگمي ـ ن ـ إزوضن..). وقد استقر من بين هؤلاء الصحراويين شرفاء صلحاء، يمثل ضريح أحدهم وهو الولي سيدي المخفي، محج سكان المنطقة الذين مازالوا يولونه الاحترام والتقدير.

ويرجع أصل اسم هذا المركز إلى استيطان تاجر صغير به، يدعى عدي. فتح دكانا لبيع السكر والشاي والتوابل والعطور التقليدية والتبغ وغيرها من البضائع، واكتسب شهرة كبيرة لدى سكان المنطقة الذين أصبحوا يتوافدون عليه من كل مكان وشاع اسمه إلى أن أخذ محل اسم "أيت واحى" الذي كان يعرف به هذا التجمع السكني من قبل.

لقد سجل هذا المركز القروي توسعاً حضرياً مهماً خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي حيث وصلت ساكنته حسب إحصاء 1994 إلى 2.196 نسمة وتعززت بنياته الإدارية

والخدماتية العمومية بتأسيس إدارة محلية (مركز القيادة، مركز الجماعة، مركز البريد، ومستوصف) كما أن تجهيزات التعليم تعززت هي الأخرى ببناء مدرستين ابتدائيتين استقبلتا في أكتوبر 2001، 620 تلميذ وإعدادية فتحت أبوابها في نفس الموسم في وجه 346 تلميذ.

تتجمع معظم الأنشطة الاقتصادية على طول المحور الطرقي الذي يعبر المركز حيث تصطف على الواجهتين دكاكين ومقاهي ومطاعم صغيرة شعبية على مستوى الطابق السفلي يعلوها طابق أو طابقين خاصين بالسكن. أزيد من نصف هذه الدكاكين أبوابها مغلقة ومازالت شاغرة (أي ما يقارب 80 دكانا). يزاول الباقي تجارة المواد الغذائية والعقاقير والأدوات الفلاحية والأسمدة والمبيدات. تبقى هذه التجارة محدودة وغير متنوعة بسبب عدم استقرار المداخيل وضعف السوق المحلية، هذا على الرغم من التطور الذي تسجله يوما عن يوم هذه الأنشطة، إذ يلاحظ ظهور خدمات جديدة مثل الصيدلة وغسل الملابس إضافة إلى الخياطة وإصلاح الآلات الفلاحية والشاحنات... ويلجأ السكان إلى السوق الأسبوعي الذي يقام كل يوم السبت لقضاء حاجاتهم أو يقصدون مدينة أزرو التي تمثل أكبر سوق تجاري وأهم مركز بالمنطقة والتي لا تفصلها عن سيدي عدّي إلى 10 كلم.

غير أن التطور السريع الذي سجلته الأنشطة الاقتصادية غير الفلاحية وهو الأمر الذي نلمسه بوضوح من خلال تكاثر الأماكن التجارية لم يضف على مركز سيدي عدي طابعا حضريا.

إن حركة البناء المكثفة منذ ما يقرب من عقدين من الزمن، أدت إلى ظهور أحياء جديدة بهذا المركز انتظمت حول الطريق الرئيسية، غير أنها أحياء مكونة من بنايات بسيطة وغير جاهزة، حيطانها أجورية وغير مبلطة، أبوابها حديدية وتنفتح على أزقة غير معبدة. يمتد البناء أساسا على طول المحور الطرقي رابطاً بذلك التجمعين القرويين العتيقين، أيت بوهو وإخرمازن (الجنوب الغربي) ومتسلقا في الجنوب المنحدرات الأولى لكدية سيدي المخفي (شلواط 1257 م). يظهر الكل في مشهد ورشة بناء مستمرة. أما على الواجهة الشمالية لم تستطع المضاربة العقارية بمركز سيدي عدي إلى حد الساعة أن تجلب بأرباحها المغرية منتجي التفاح والإجاص والخوخ وتدفع بهم إلى التخلي عن هذه الزراعات التي لم تعد مربحة كما كانت من ذي قبل بسبب الندرة المتزايدة للماء والتكلفة العالية للأسمدة والمبيدات واليد العاملة.

إن هذا المركز الطرقي الذي استمد نشأته ونموه من المؤهلات الفلاحية الهامة لمحيطه ومن سهولة ربطه بمختلف أنحاء المغرب بقيت مقوماته الاقتصادية هشة وغير سليمة. فمعظم النشطين يشتغلون رجالا ونساءً في المزارع والمغارس المجاورة حيث الأشغال موسمية والأجور غير منتظمة والبطالة متفشية خاصة في أيام فصل الشتاء والأنشطة التجارية والخدماتية الموجودة تبدو قادرة على امتصاصها.

فكما يلاحظ فإن مركز سيدي عدي لم يستفد بصفة إيجابية من هذه المؤهلات، الأمر الذي جعل منه معقل الوسطاء من كل نوع، من سماسرة الفواكه الذين يبسطون نفوذهم على المنتجين الشيء الذي جعلهم يستثمرون أرباحهم في مجال بناء السكن والمتاجر والمقاهي.

A. El Belghiti Alaoui, *Urbanisation et domination du monde rural I : l'exemple d'Azrou*. Thèse de doctorat, de spécialité, Université de Toulouse le Mirail, déc. 1978 ; *Population légale du Maroc, 1994*. Direction de la Statistique. L'Enquête sur le terrain, juin 2001.

عائشة البلغيثي العلوي

**عدّي وبيهي**، هو القائد عدّي وبيهي الزدگي من قبيلة آيت يزدگ المنتشرة شرقي الأطلس المتوسط بين مرتفعاته ومرتفعات الأطلس الكبير الشرقية، ازداد بكرّ أندو، قرية جنوب الريش. كان قائدا على قبيلته في فترة الحماية. لكنه فصل عن الوظيفة في الأربعينيات. وهل كان ذلك لاستبداده بالسلطة وتجاوزه كل الحدود حتى بالمقاييس الاستعمارية التي كانت ترخي العنان للقواد شريطة أن يخلصوا للسلطات الفرنسية، يوم كان بيد القائد أدوات التنفيذ الإدارية والقضائية، فضلا عما يستند إليه من قوة الجيوش الاستعمارية بعد أن انتزع من القبائل المغربية سلاحها الذي كان يحميها قديما من شطط قوادها ؟ أم كان ذلك لشعور وطني يستبطنه المترجم له الذي شهد له شيخ الإسلام الفقيه محمد بن العربي العلوي بأنه كان يزوره سرا عندما كان هو في الإقامة الإجبارية في تافلالت غداة أحداث 1944، فلما أحسّ الفرنسيون بذلك، فإنهم قرروا فصله عن القيادة سنة 1948، علما بأن الصحفي الفرنسي جان لاكوتور Jean Lacouture يقول بأن القصر الملكي لم يعترض على القرار. وكانت العلاقات بين القصر والإقامة العامة الفرنسية قد صارت يومئذ إلى التوتر. ولم يخف عدّي وبيهي ولاءه للسلطان، فهو من القواد الذين امتنعوا عن المشاركة في المؤامرة المدبرة من قبل السلطات الاستعمارية لعزل الملك الشرعي بدعوى أنه صار ملكا لحزب الاستقلال ولسكان الحواضر الكبرى، وأن سكان البوادي والقبائل البربرية على وجه التخصيص نفروا منه. ولذلك ما أن عاد محمد الخامس من المنفى واسترجعت البلاد استقلالها حتى كان عدّي وبيهي من أول من يعيّن من العمال على الأقاليم المغربية الكبرى، فأسندت إليه عمالة تافلالت الممتدة من الصحراء جنوب الأطلس الكبير الشرقي إلى مشارف الأطلس المتوسط المطلة على السهول الغربية. وصار من وجوه المغرب المستقل، لا سيما وأنه كان من المقربين من الحسن اليوسي، الذي لم يشارك هو كذلك في المؤامرة الاستعمارة ضد محمد الخامس فكان أول وزير للشؤون الداخلية في عهد الاستقلال. وكلاهما كانا ممن أقاما يوم 11 يوليوز 1956 المهرجان الشعبي الكبير على هضبة أجدير قرب خنيفرة، الذي ترأسه

الملك تزييفا للدعاية الاستعمارية التي كانت تلعب بحبال التفرقة بين البربر والعرب في البلاد. بيد أنه لم تمض على ذلك الملتقى الوطني إلا بضعة أسابيع حتى شنّ عدّي وبيهي والحسن اليوسي حملة دعائية ضد حزب الاستقلال متهمين أياه بالرغبة في الانفراد بالحكم. وتلك الحملة هي التي جعلت عدّي وبيهي يعلن العصيان على الحكومة كفاحا، ابتداء من 17 يناير 1957، وقت كان محمد الخامس في رحلة رسمية في إيطاليا تاركا زمام الأمور بيد ولي عهده الأمير مولاي الحسن. وكان هذا التمرد اختبارا للمغرب المستقل، واختبارا لملكه المتغيب ولمسؤولية ولي العهد ولحكومة حديثة الخبرة بممارسة السلطة العمومية، وذلك قبل انتظام صفوف القوات الملكية المسلحة ببضعة أشهر، وقت كان الجيش الفرنسي لايزال مرابطا في مختلف أنحاء المملكة، يتتبع ما يجرى فيها بقلق يزداد تفاقما بما كان يشتد من ضراوة حرب التحرير في القطر الجزائري المجاور. ثم إن الصراع على الحكم صار يحتدم في المغرب بين أقطاب المخزن التقليدي الذين كانوا يرغبون في العودة إلى ما كان لهم من النفوذ قبل الحماية، وبين مناضلي الأحزاب الوطنية وفي طليعتهم حزب الاستقلال الذي كان أنصاره في منتهى النشاط والحماس في جميع الجهات، متطلعين إلى تعويض ما قدموه من التضحيات من أجل التحرير بما ينالون من شرف المساهمة في تجديد صرح الدولة. وظل هذا الصراع يجري بشكل خفي على الصعيد المركزي في الرباط في الشهور الأولى من الاستقلال، إلى أن افتضح بشكل مفاجئ في إقليم تافلالت النائي على يد القائد عدّي وبيهي الذي أزعجه أول الأمر عزل صديقه الحسن اليوسي عن وزارة الداخلية في شتنبر 1956 وإسنادها إلى إدريس المحمدي وهو من وجوه حزب الاستقلال، فصار عامل تافلالت ينتقد كل القرارات الوزارية ويرفض الامتثال إلى الأوامر والنواهي، ولا يرضى عمن يعينه الوزير من القواد في الإقليم بدعوى أنهم تابعون لحزب الاستقلال، كما أبدي تمام الامتعاض للنظام القضائي الجديد الذي أقيم على مبدأ فصل السلطتين الإدارية والقضائية وجعل شؤون العدل من اختصاص قضاة لا نفوذ للعامل ولا للقواد عليهم. ولم يكن عدّي وبيهي ممن يمكن أن يستسيغ تلك الإصلاحات التي تنال من حرمته. فسولت له نفسه أن يتمرد على الحكومة بدعوى أنها تحت سيطرة حزب الاستقلال، مستفيدا من وجود الملك خارج البلاد، ومستعينا بما تسلمه من السلاح من بعض الضباط الفرنسيين الذين حملهم اليقين بعجز المغاربة عن حكم أنفسهم بأنفسهم على اصطناع من يأتي بالبرهان على ذلك. ولكن السلطات المغربية، وفي طليعتها الأمير مولاي الحسن، سرعان ما تصدت بحزم إلى القائد المتمرد، مطوقة إياه سياسيا أول الأمر، إذ أوفد إليه الأمير من يحاول رده عن غيه وثنيه عن عزمه، ومن الموفدين الشيخ بلعربي العلوي الذي عاد من المهمة مقتنعا بخيانة عدّي وبيهي. فكان التطويق العسكري بقوات حاصرت المتمردين من جهة الشمال ومن جهة الجنوب. وبعد أيام قليلة، ألقى القبض على العامل وعلى ابنه وأنصاره. وسيق الجميع إلى السجن. وأجرى البحث القضائي، وأقيمت المحاكمة في شهر دجنبر 1958، وصدر الحكم بالإعدام في حق عدّي وبيهي وفي حق قائد ميدلت موحا أوهرّوا العياشي، وبأحكام حبسية على باقي المتمردين تتفاوت بحسب درجة ضلوعهم في العصيان. ومجمل القول أن كل ذلك كان مؤامرة يدها عدّي وبيهي، ورأسها الحسن اليوسي الذي صار وزيرا للتاج بعد عزله من وزارة الداخلية، إذ تبين في المحاكمة أن عامل تافلالت كان لا يحرك ساكنا دون استشارته، فأمرت المحكمة بمتابعته لكنه فرّ لاجئا إلى إسبانيا ولم يعد منها إلا سنة 1962. أما سلاح المؤامرة، فمما جاد به بعض الضباط الفرنسيين على المتمردين بإذن أو بغير إذن من رؤسائهم. ولذلك كتب الملك الحسن الثاني رحمه الله قائلا: "لقد كان عدّي وبيهي شجاعا ومقاتلا قديما، كما كان حاذقا ومراوغا، وسبق للفرنسيين أن اعتقلوه وأبعدوه، وقد أثارته مطامع النزعة المتطرفة في حزب الاستقلال والتعديات التي اقترفتها فاستثار، وأكد لي فيما بعد أن مبعث ثورته هذه هو أنه كان يريد "أن يجعل السلطة الملكية محترمة". وسعدت بهذا الحادث طائفة من الجيش الفرنسي كانت لا تزال في المنطقة فأمدت عدّي وبيهي بالأسلحة والذخيرة. لقد كانوا يأملون أن يلتهب إقليم تافلالت كله، وأن تسقط الأمة المغربية الجديدة في هاوية الحرب الأهلية. وهذا ما دعاني إلى القيام برد فعل سريع". ولم ينفذ حكم الإعدام إلا في محا أوهرّا العياشي. أما عدّي وبيهي فقد ظل أسيرا في جناح خاص من مستشفى ابن سينا يستقبل الأقرباء والأصدقاء، إلى أن توفي حتف أنفه يوم 30 يناير 1961، ونقل جثمانه إلى كرّ أندو ليوارى التراب في مسقط رأسه.


الحسن الثاني، *التحدي*، المطبعة الملكية، الرباط، 1403 / 1983؛

ع. اللطيف جبرو، عدي وبيهي، *حكاية عصيان تافلالت*، الرباط، 2001.

Lacouture, Jean, Le Maroc à l'épreuve, Paris, Seuil, 1958.


إبراهيم بوطالب

**العُدّيدْ** لون من ألوان الشِّعر الشعبي النِّسوي. يقوم مقام الرثاء في الشعر العربي القديم. ينظم للتعبير عن الحزن البالغ في حالات الموت وتشييع جثمان الفقيد ويقال أيضاً في ندب الحظ العاثر والتنفيس عن هموم الحياة وما يكتنفها من تعاسة ونكد.

تختص به نساء محترفات عادة ما تستقدم العدّادة إلى بيت الجنازة، فتقوم بسرد وتعداد خصال المتوفى على شكل قصيدة فلكلورية بأسلوب أقل جودة من الأسلوب الكلاسيكي العربي ولكن بمستوى أعلى من اللهجة العامية.

ومن ميزاته الأساسية أنه أدب خاص بالنساء فقط، يقُلنه في رثاء عزيز مات، وذلك إما تعبيراً عن حزن حقيقي لفقدان من هلك، أو مجاملة للأخريات من أهل الفقيد عند العزاء. وتقوله النِّسْوة كذلك تعبيراً عن همومهن وأشجانهن الدفينة حينما يلم بالواحدة منهن ابتلاء أو مصيبة. ويضم العدّيد نفس المكونات كما في القصيدة العربية الكلاسيكية. يجسد المعاني الرفيعة والعواطف الإنسانية في صورة حية مؤثرة، يجعل أكثرها تبدو وكأنها صادرة عن شخص الميت نفسه كلاماً ووصفاً وشكوى. كما أنه يرتكز على شكل وإيقاع موسيقي معين، إذ تحرص قائلته على إلقائه وفق تلحين معين، إلا أن طابع الحزن والتراتيل الجنائزية توحد بين كل الألحان، وفي صياغته الموسيقية يلتزم هذا التراث بالقافية مما يقرِّبه كثيراً من قوالب الشعر العربي، كما ينهل من التصوير والمبالغة ...

تلقي العدادة المقاطع من شطرين أو أكثر بينما تقوم النساء المتحلقات حولها بترديد اللازمة بين المقطع والآخر وفق إيقاع تصنعه سرعة الإلقاء وتصفيقات الأيدي أو الأرجل، يتم ذلك بمنزل الفقيد أو في المقبرة. قد تشكل النساء دائرة محيطة بالعدّادة، يخدشن الوجوه والصدور على طبيعة الإيقاع وما يستلزمه النحيب. وبالنظر إلى أصول العديد، ينتشر في أوساط القبائل العربية كما هو الحال بالنسبة لقبائل وسط المغرب كورديغة والسماعلة وبني خيران ... وفيه تقول الأغنية الشعبية بالمنطقة :

طَاحَتْ الطَّيارَة من السْمَا (ء)    كايْنْش عَدَّادَة لَّلكْرا (ء)

وتقول إحدى العدّادات في وصف فقدان ابن لها على إثر سقوطه في بئر :

أَيْلي وْمَالْكْ عْلـيَّ، أَيْلي وْمَالْكْ عْليَّ
الرَّعْدة فْ البْرُوجْ وانَا طَاحَتْ عْليَّ
أَيْلي وْمَالْكْ عْليَّ، أَيْلي وْمَالْكْ عْليَّ
حَايْطْ يْرُدْ فيَّ لْحَايْطْ حْتَى الكَاعْ مَارْث ليَّ
أَيْلي وْمَالْكْ عْليَّ، أَيْلي وْمَالْكْ عْليَّ
مَلَّ طَاحْ "مْكيكَّي" لْغَطْ كي الوَحْشيَهْ
أَيْلي وْمَالْكْ عْليَّ، أَيْلي وْمَالْكْ عْليَّ
إلى عْيَاتْ الخَيْلْ رَا العَوْدَاتْ كي لَحْديَهْ

ونشير إلى أن هذا الأدب الشعبي المتميز في طريقة للانْقراض، كما أن تسجيله يطرح صعوبات تتعلق أولا بالمقام الذي يقال فيه، إضافة إلى كون العدّادة ترتبط في إبداعها بالحالة، لذلك يتعذر في الكثير من الأحيان إعادة ما نظم ساعة النواح.

*تحريات ميدانية* ؛ شوقي عبد الحكيم، *موسوعة الفلكلور والأساطير العربية*، بيروت، 1982 ؛ *المأثورات الشعبية*، العدد العاشر، أبريل، 1977.

صالح شكَاكَ

**العدس**، ينتسب إلى فصيلة الفوليات (Fabaceae) التي تنتمي بدورها إلى فصيلة القرنيات (Leguminoseae)، إسمه العلمي هو "لينس كوليناريس" (Lens culinaris). تختلف أصنافه حسب خصائص الحبوب. ومن أشهر ضروبه : العدس ذو الحبات العريضة (var. macropaea)، والعدس ذو الحبات الصغيرة (var. microsperma)، وضرب كريكس أوروبيا (var. grex europaea)، وضرب كريكس أزياتيكا (var. grex asiatica). إلا أن أسماء أصنافه تختلف محليا بحسب المناطق.

إن العدس نبات حولي عشبي، كثيف السيقان، سيقانه مضلعة، يصل ارتفاعها إلى 50 سنتمترا، مائلة، أوراقه مركبة، تتكون من 1 إلى 8 وريقات متقابلة أو متناوبة، شبه جالسة، مزغبة. الأزهار صغيرة، بيضاء ومخططة بالبنفسجي، منفردة أو مجتمعة على طرف الأغصان. الثمار قرنية مسطحة، مستديرة، أو منحرفة، تحتوي غالبا على حبة واحدة أو حبتين، لون الحبوب يتباين حسب الأصناف، وزن مائة حبة يصل إلى 9 غرامات. تمتد فترة النمو والتطور من 150 إلى 200 يوم.

العدس من أشهر القطاني الزراعية، وتنتشر زراعته في بقاع كثيرة من المعمورة حيث المناخ معتدل. إن بذور العدس تنبت عندما تكون الحرارة أعلى من 5 درجات، أما الحرارة الملائمة للنمو فهي تقع ما بين 15 و25 درجة. وهو من ضمن الأنواع النباتية ذات التأقت الضوئي الطويل (Une plante de jour long)، وكذلك من ضمن الأنواع المقاومة للجفاف والجليد القليل، ولكنه يخشى الرطوبة الكثيرة في الهواء بحيث يصبح عرضة لبعض الأمراض الفطرية.

تصلح جميع أنواع التربة لزراعة العدس، غير أن التربة الطينية تلائمه أكثر، ويتحمل العدس حموضة التربة (pH) ما بين 6 و9 درجة. أما احتياجاته من الأسمدة فهي تتغير حسب نوع التربة ومخزونها من المواد العضوية والأملاح المعدنية. وعموما لإنتاج 20 قنطاراً للهكتار يحتاج العدس إلى 100 كلغ من الأزوت و28 كلغ من الفوسفور و78 كلغ من البوتاس.

يزرع العدس عموما في أرض البور ولا يحتاج إلى السقي إلا حين تقل التساقطات المطرية عن 350 ملمتر، أما الاحتياجات الضرورية للنمو والتطور فهي تقدر بحوالي 400 ملمتر. وعلى هذا الأساس يمكن زراعة العدس في المناطق الجافة، وشبه الجافة، وشبه الرطبة، والرطبة.

يزرع العدس في مختلف المناطق المغربية، إلا أن المساحات المزروعة تتغير من سنة لأخرى ومن منطقة لأخرى وذلك حسب أهمية التساقطات المطرية، وكذلك تبعا للدورات الفلاحية. إن الإحصائيات المتوفرة لدى وزارة الفلاحة ما بين 1960 و2000 تبين أن المساحات تتباين بين 13 ألف هكتار سنة 1967 و89,6 ألف هكتار سنة 1987 التي تعتبر سنة قياسية لإنتاج العدس بالمغرب. وعموما تعتبر فترة الثمانينيات أكثر إنتاجاً من التسعينيات. أما الإنتاج فهو يتغير كذلك بحسب أهمية المساحات المزروعة وبالأخص حسب أهمية وتوزيع التساقطات المطرية. ويلاحظ أن قلة

التساقطات المطرية، وبالأخص الربيعية منها تؤثر سلبا على إنتاج العدس بشكل حاد. إن الاحصائيات المشار إليها تبين أن أقل إنتاج سجل هو 27 ألف قنطار سنة 2000 حيث زرعت 41.4 ألف هكتار، وأن أعلى إنتاج مسجل هو 695,5 ألف قنطار سنة 1986 حيث زرعت 85,6 ألف هكتار. أما المناطق المهمة لزراعة العدس بالمغرب فهي نواحي الخميسات، وتازة، وسطات، والحسيمة، وأزلال، وإفران، وبنسليمان، وكذلك نواحي فاس، ومكناس، وتاونات، والغرب، وآسفي.

عمل المعهد الوطني للبحث الزراعي بالمغرب على إنتاج أصناف جيدة من العدس تتكيف مع الظروف المناخية المغربية، ومن أهم هذه الأصناف "L 24" ذات الحبات الصغيرة، و"L 56" ذات الحبات الكبيرة، و"L 1" ذات الحبات الصغيرة الخضراء.

يعتبر العدس من أهم وأكثر القطاني استهلاكا بالمغرب، خصوصا في المناطق الجبلية بشمال المغرب (جبالة)، وبالبوادي عموما. ويكون بالنسبة للأسر الفقيرة وجبة مهمة، حتى أنه يعتبر بمثابة وجبة "لحم الفقير"، والأسر ذات الدخل المحدود. أما أشكال تحضير وجباته فهي متنوعة حسب المناطق والعادات الأسرية، فهو يحضر كوجبة مستقلة، أو يستعمل كعنصر مكون لبعض الوجبات كالحساء مثلا، أو حتى مع اللحم. أما خصائص طهي العدس فهي مرتبطة أساسا بالتركيز الكيميائي للتربة التي يزرع فيها، وبالأخص مستوى الكالسيوم، والمانيزيوم، والبوتاس.

*العدس*، منشور تقني للمعهد الوطني للبحث الزراعي بالمغرب ؛ إحصائيات مديرية الإنتاج الفلاحي، وزارة الفلاحة والتنمية القروية، والمياه والغابات لسنة 2001 ؛ *أبحاث شخصية*.

عبد النبي زين العابدين

أبو **عدس** - مهاة - لمهي Addax nasomaculatus (blainville) حيوان من الثدييات المنتمية إلى فصيلة الظباء ومن المجترات الكبيرة المتميزة بالقرون : ترجع تسميته باللاتينية إلى أنفه المرقط ويطلق عليه أيضاً اسم ظبي ماندس (Mendes) وظبي نوبي (Nubie) وذلك لأن قرونه كانت تزين رؤوس الآلهة والكهنة والملوك في الآثار المصرية.

إنه ظبي كبير القامة، علوه عند الغارب يتراوح بين 105 و115 سم، طول ذيله 32 سم، طوله جمعا بين الرأس والجسم 160 سم، ويزن ما بين 80 و125 كلغ. شعره كث، قصير وخشن يميل إلى البياض المصفر إلا أنه يصير بنيا جهة الرأس والعنق والعرف. لفافة عريضة بيضاء فوق عينيه تزين رأسه. شفته العليا مزركشة بالبياض، ينتهي ذيله بباقة شعر أبيض وبني. يصبح لونه خلال فصل الصيف رماديا. ظلفه عريض، إسفنجي، دائر من الأمام وطويل من الخلف. قرنه حلقي وملولب في معظمه ويبلغ 80 سم تقريبا. الأنثى أقل حجما من الذكر وتتميز بقرون ضعيفة وغير منتظمة.

يعيش وسط قطيع صغير في المناطق الصحراوية القوية الجفاف : ويستنتج من أقوال سكان جنوب المغرب أنه يستطيع الاستغناء عن شرب الماء بضعة أشهر كاملة ويُحتمل أن له تكييفا فيزيولوجيا يساعده على اقتصاد الماء.

يقوم بهجرات فصولية كبيرة يتوغل فيها داخل الصحراء وذلك وسط قطيع يشمل مائة فرد.

خلال القرن المنصرم كان توزيعُه الجغرافي يشمل الصحراء بأكملها ابتداء من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر. نذكر خلال الأربعينيات من هذا القرن أن قطيعاً بأكمله ذهب ضحية صيد في وادي الذهب.

ويبدو أن توزيعه الجغرافي الحالي يقتصر على الصحراء الوسطى وتنقلاته الفصولية تصل به نادراً إلى الصحراء المغربية.

محمد رمضاني

**العدل** (وزارة -) بالمغرب، أنشئت لأول مرة عند تأسيس الحكومة الوطنية الأولى بعد الاستقلال سنة 1955. وكانت مهمة الإشراف على شؤون القضاء طوال العهد الإسلامي موكولة إلى قاضي الجماعة المقيم بالحاضرة السلطانية يعين القضاة في الأقاليم ويرعى أعمالهم. تحت نظر أمير المومنين. ولما فرضت الحماية على المغرب سنة 1912 وضع الفرنسيون والإسبانيون وزارة مصطنعة سموا إحداها وزارة العدلية، كانت مجرد مصلحة تهتم بالمحاكم الشرعية وأطرها على مستوى القضاء والتوثيق، ولم تسند إليها سلطة أو نفوذ على جميع اختصاصات هذه المحاكم، لتعارض نفوذ سلطات الحماية، فالقضاء المخزني كانت تمارسه في أغلب الأحيان السلطة الإدارية، وقد توسع على حساب القضاء الشرعي. وفي سنة 1930 أنشأت سلطات الحماية المحاكم العرفية. أما المغاربة اليهود فقد كانت لهم محاكمهم الخاصة.

إلى جانب هذه المحاكم الخاصة بالمغاربة، عرف المغرب وجود محاكم أجنبية، كالمحاكم الفرنسية في الجنوب، والإسبانية في منطقة الشمال. وفي منطقة طنجة أنشئت محاكم مختلطة تحولت لاحقا إلى قضاء دولي. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل كانت توجد خلال هذه الفترة، إلى جانب الأصناف المذكورة. محاكم عسكرية فرنسية وأخرى إسبانية، وقضاء خاص بالبنك المخزني المغربي بالإضافة إلى القضاء القنصلي، حيث احتفظت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأنجلترا بامتيازاتهما القضائية، الأولى في مجموع التراب المغربي، والثانية في منطقة الشمال وطنجة.

وقد حددت الدولة منذ اللحظة الأولى لإنشاء وزارة العدل، ضمن أول حكومة وطنية، وأقرتها كميثاق لوزارة العدل، الأهداف التالية :

تنظيم وزارة العدل تنظيما عصريا ينسجم مع السيادة

الوطنية، وذلك بالإشراف على جميع المحاكم الموجودة فوق التراب الوطني، وعلى كل المصالح المكملة للعمل القضائي.

- توفير قضاء عادل للمواطنين ؛
- استقلال السلطة القضائية ؛
- جعل الأحكام مستمدة من نصوص تشريعية مدونة، تسهيلا لمهمة القاضي والمتقاضي ؛
- تقريب القضاء من المتقاضين ؛
- إدماج القضاء الأجنبي (المحاكم العصرية) في القضاء المغربي وتوحيدهما في قضاء منفرد ؛
- تكوين الأطر اللازمة لمغربة القضاء ؛
- تعريب لغة القضاء في المداولات والمرافعات والأحكام والمستندات.

وقد بادر أول وزير عدل في عهد الاستقلال (عبد الكريم بنجلون) إلى هيكلة وتنظيم المصالح المركزية للوزارة وتنصيب محاكم منظمة في مجموع التراب الوطني على الشكل التالي :

أ - التنظيم الهيكلي للوزارة : بمقتضى ظهير 16 أكتوبر 1956 تم إحداث خمس مديريات :

1 - مديرية القضاء الديني (الشرعي والعبري)

2 - مديرية القضاء العصري (المحاكم الفرنسية والإسبانية المؤسسة بمقتضى ظهير 12 غشت 1913 والظهير الخليفي المؤرخ في فاتح يونيو 1914).

3 - مديرية إدارة السجون (وكانت خاضعة فيما قبل لإدارة الأمن العام)

4 - مديرية القضاء العادي (القضاء المخزني سابقا)

5 - مديرية الموظفين والميزانية

ب - التنظيم القضائي : بتاريخ 19 مارس 1956 صدر ظهير شريف ألغى كل مراقبة عامة أو خاصة، على تدبير شؤون القضاء المغربي، وقد تجلى ذلك في إنشاء محاكم للحاكم المفوضين فوق كامل التراب المغربي، ووضع النيابة العامة تحت السلطة المباشرة لوزير العدل ومنعها من تسيير المداولات والتدخل في إصدار الأحكام.

أما توحيد المحاكم فقد مر بعدة مراحل :

1 - تنظيم المحاكم العادية على غرار المحاكم العصرية (ظهير 14 أبريل 1956) ؛

2 - إلغاء المحاكم العرفية وإنشاء محاكم عادية ومحاكم القضاة (ظهيران شريفان مؤرخ كل منهما في 25 غشت 1956) ؛

3 - تنظيم محاكم القضاة على شاكلة المحاكم العادية (ظهير 8 - 12 - 1956)، وبنفس المنهجية تمت إعادة تنظيم المحاكم العبرية (ظهيران شريفان صدرا بتاريخ 23 فبراير 1957 ؛

4 - إلغاء المحكمة المختلطة بمنطقة طنجة، وإنشاء محكمة استئناف ومحكمة إقليمية ومحكمة الحاكم المفوض، للقيام بمهام تطبيق القانون الخاص الذي كان العمل جاريا به من الإدارة الدولية على مجموع السكان بدون تمييز (ظهير 11 أبريل 1951) ؛

5 - إحداث محاكم الشغل بمجموع التراب الوطني (ظهير 29 أبريل 1957) ؛

وبذلك أصبح القضاء المغربي في هذه المرحلة يشتمل فقط على ثلاثة أنواع من المحاكم، الدينية والعادية والعصرية بكل درجات التقاضي مع وجود المجلس الأعلى على قمة هرمه.

التوحيد : بمقتضى قانون 26 يناير 1965 تم توحيد القضاء على مستوى ما كان يعرف بالمحاكم العادية، فتم إحداث محاكم سدد، ومحاكم إقليمية، ثم محاكم استئنافية إلى جانب المجلس الأعلى وذلك وفق ما نصت عليه المادة الأولى من القانون المذكور.

التعريب : وقد صدر تطبيقا للمادة الخامسة من نفس القانون، القرار الوزيري رقم 65.414 بتاريخ 18 غشت 1965 عربت بمقتضاه جميع المحاكم، وكان إلزاما من أجل بلوغ هذا الهدف أن يتم التركيز على تعريب القوانين، فانطلقت قبل ذلك أشغال اللجنة المكلفة بمراجعة وتعريب قانون الالتزامات والعقود وباقي التشريعات الصادرة سنة 1913 بتاريخ 19 أكتوبر 1964. ثم كونت لجن أخرى قامت بنفس العمل على مستوى القانون التجاري وقانون التحفيظ العقاري وقانون المسطرة المدنية. كما تم تعريب حوالي 9000 نموذج مطبوع وعشرات السجلات على مستوى الإدارة المركزية بالوزارة.

بعد إرساء آليات تنفيذ قانون توحيد المحاكم ووضعه حيز التنفيذ انطلقت بموازاة ذلك عملية الإصلاح التشريعي، وفي ضوء القانون المذكور شرع في مراجعة النصوص التشريعية الموروثة عن عهد الحماية، من أجل ملاءمتها مع الظرفية الاقتصادية والاجتماعية لمغرب ما بعد الاستقلال، أو من أجل ملاءمة تلك النصوص فيما بينها مما أسفر عن إصدار نصوص جديدة بالنسبة لقوانين المساعدة القضائية، المصاريف القضائية، تنظيم مهنة المحاماة، القانون العقاري، مدونة الأحوال الشخصية، الوضعية المدنية للأجانب، التوثيق، التكوين القضائي، تفتيش المحاكم، التعويض الخاص بضحايا حوادث السير. وذلك خلال الفترة ما بين سنة 1967 و1971 مما ساعد على تحسين أداء العدالة في كل هذه المجالات.

وقد ورد في المادة الرابعة من قانون 26 يناير 1965 إذ نصت على وجوب أن يكون القضاة من جنسية مغربية، وبذلت جهود خلال هذه الفترة لتعويض القضاة الأجانب بأطر وكفاءات مغربية صالحة للقيام بالبت في المنازعات، وإصدار الأحكام وتسيير المحاكم، في وقت بلغ فيه عدد الملفات المعروضة على القضاء 100.000 في حين لم يكن عدد القضاة المغاربة يتعدى 800 منهم 100 قاض مجاز فقط، قدم منهم 70٪ استقالتهم للالتحاق بمجالات أخرى تضمن لهم وضعية

أفضل، بينما كان نصف العدد الباقي وهو 700 قاض شرعي. ونصفهم الآخر من قدماء كتاب ضبط المحاكم العرفية والمخزنية، وبعض تراجمة سابقين أدمجوا في السلك القضائي غداة الاستقلال. وهذا يعني أنه عند صدور القانون المذكور كان القضاة الأجانب وعلى الخصوص الفرنسيين والإسبان يشكلون نسبة مهمة في السلك القضائي.

ومن أجل الاحتفاظ ببعض هؤلاء وتحديد مهمتهم في تقديم المساعدة التقنية للمسؤولين الجدد بالمحاكم الموحدة، تمت إعادة النظر في الاتفاقيتين المبرمتين مع كل من الحكومة الفرنسية والحكومة الإسبانية سنة 1957 حول وضعية القضاة المنتمين لهاتين الدولتين لتحل محلهما اتفاقيتان جديدتان، الأولى في 20 فبراير 1965 مع الحكومة الفرنسية، والثانية بتاريخ 6 أكتوبر من نفس السنة مع الحكومة الإسبانية، تحولت بمقتضاهما مهام هؤلاء القضاة من الوظيفة القضائية إلى عمل ذي طابع تقني.

عرف الجهاز القضائي خلال سنة 1974 تغييرات مهمة شملت التنظيم القضائي، القانون الأساسي لرجال القضاء ثم بعض القوانين كقانوني المسطرة المدنية والمسطرة الجنائية. فبمقتضى الظهير الشريف بمثابة قانون رقم 1.74.338 لـ 15 يوليوز 1974 المتعلق بالتنظيم القضائي، تم إحداث محاكم ذات ولاية عامة تبت ابتدائيا أو ابتدائيا وانتهائيا مع حق الاستئناف، حسب الشروط المحددة قانونا، سميت ـ المحاكم الابتدائية ـ . كما تم إحداث محاكم الجماعات والمقاطعات إلى جانب محاكم الاستئناف والمجلس الأعلى.

وقد عرف هذا القانون تعديلات متعددة همت على الخصوص التراجع عن نظام القضاء الفردي ثم إحداث محاكم متخصصة.

وبمقتضى الظهير الشريف بمثابة قانون رقم 1.74.467 الصادر في 26 شوال 1374 الموافق لـ 11 يوليوز 1974 يكون النظام الأساسي لرجال القضاء، أصبح القضاة مصنفين في درجات تبتدئ بالدرجة الثالثة وتنتهي بالدرجة الاستثنائية مروراً بالدرجة الأولى مع ترتيب الرئيس الأول والوكيل العام للمجلس الأعلى خارج الدرجة، وقد عرف هذا القانون خلال السنوات الأخيرة عدة تعديلات.

التنظيم القضائي الحالي : بمقتضى الفصل الأول من الظهير الشريف بمثابة قانون 1.74.338 لـ 15 يوليوز 1974 كما وقع تتميمه وتعديله المتعلق بالتنظيم القضائي، تحدد أنواع المحاكم الموجودة بالمملكة في :

1 ـ المحاكم العادية

2 ـ المحاكم المتخصصة

3 ـ المحاكم الاستثنائية

كلمة محكمة تعني المحاكم الدنيا كالمحاكم الابتدائية والتجارية والإدارية كما تعني محاكم الاستئناف والمجلس الأعلى.

ويحدد الفصل المذكور هذه المحاكم فيما يلي :

1 ـ المجلس الأعلى

2 ـ محاكم الاستئناف وعددها حاليا 21

3 ـ المحاكم الابتدائية وعددها اليوم 67 تشمل 183 مركز قاض مقيم

4 ـ محاكم الجماعات وعددها 706 والمقاطعات وعددها 131.

2 ـ المحاكم المتخصصة تتكون من :

أ ـ المحاكم الإدارية : ويبلغ عددها سبعة موزعة على مختلف جهات المملكة، وقد أنشئت بمقتضى الظهير الشريف رقم 91.225 بتاريخ 22 ربيع الأول 1414 / 10 شتنبر 1993 والقاضي بالمصادقة على القانون رقم 90.91 بإحداث المحاكم الإدارية.

ب ـ المحاكم التجارية : وقد أحدثت بالقانون رقم 43.95 بتاريخ 6 يناير 1997 المصادر بالظهير الشريف رقم 1.97.65 بتاريخ 2 فبراير 1997 وقد باشرت عملها منذ سنة 1998، ويبلغ عدد المحاكم الابتدائية منها ثماني والاستئنافية ثلاثا.

3 ـ المحاكم الاستثنائية :

أ ـ محكمة العدل الخاصة : أحدثت بمقتضى الظهير الشريف بمثابة قانون قم 157 ـ 72 بتاريخ 27 شعبان 1392 (6 أكتوبر 1972).

ب ـ المحكمة العسكرية الدائمة للقوات المسلحة الملكية : أحدثت بظهير 10 نونبر 1956 بمثابة القانون العسكري للعدل بقانون 26 يوليوز 1971 وبمقتضاه يجب التمييز بين : المحكمة العسكرية الدائمة للقوات الملكية المسلحة في وقت السلم والمحاكم العسكرية في وقت الحرب.

ينظم الإدارة المركزية للوزارة العدل مرسوم 23 يونيو 1998 المتعلق باختصاصات وتنظيم وزارة العدل انطلاقا من ثلاثة أقطاب أساسية :

1 ـ القطب القضائي : يمارس اختصاصات الوزارة في المجال القضائي والمجال المتعلق بالسجون ويتكون من :

- مديرية الشؤون المدنية
- مديرية الشؤون الجنائية والعفو
- مديرية إدارة السجون وإعادة الإدماج
- قسم محاكم الجماعات والمقاطعات

2 ـ القطب التنظيمي : ويهتم بتدبير الموارد البشرية والمادية للوزارة ويتألف من :

- مديرية الموارد البشرية
- مديرية الميزانية والتجهيز

3 ـ القطب التوجيهي : ويشكل نظاماً للتقييم الذاتي وللتواصل والتحدث، يتركب من وحدتين :

- مديريةالدراسات والتعاون والتحديث
- مركز تحليل وتتبع الشكايات

الإدارة المركزية تقع تحت سلطة الوزير والكاتب العام، والهياكل المرتبطة مباشرة بالوزير هي :

- الديوان
- المفتشية العامة وأحدثت بمقتضى ...
- المعهد الوطني للدراسات القضائية
- كتابة المجلس الأعلى للقضاء

م. الفاسي الفهري، *L'itinéraire de la justice marocaine*, Ed. Association pour la promotion de la recherche et des études judiciares؛ *الجريدة الرسمية*، عدد 3237، 31 نونبر، 1974، ص. 3315 ؛ *مجلة القضاء والقانون*، عدد شتنبر، 1957 ؛ *مجلة القضاء والقانون*، عدد خاص بمنجزات الاستقلال، 1956 - 1966 ؛ دليل وزارة العدل، نشر وزارة العدل، 2001.

محمد الأيوبي

**العدلوني**، أسرة تستوطن صفرو، طفحت شهرتها على هذه المدينة الصغيرة وما حولها خلال العصر العلوي، لفضل ما نَبُه منها من الرجال في المجالات العلمية والاقتصادية والسياسية. وتفيدنا وثيقة محلية (شهادة لفيفية) بأن أعيان صفرو يشهدون بأنهم "يعرفون الفقيه الأجل السيد علي عَدلُّون وأولاده الفقيه السيد محمد، والعدل الأرضى السيد عبد الرحمان والسيد عمر .. معرفة تامة، ويشهدون أنهم يعرفونهم ينتسبون إلى النسب العلي .. ويسمعون ذلك سماعا فاشيا مستفيضا على ألسنة أهل العدل وغيرهم وأنهم من بني عدلون ... الكائنين بملوية من ناحية زاوية الدلاء" ..

ويتضح من خلال إشارات هذه الشهادة، التي يرجع تاريخ تحرير أصلها إلى جمادى الثانية عام 1098 / أبريل 1687. أن أسلاف العدلونيين كانوا يستوطنون قبل نزوحهم إلى "قرية صفرو" بلاد ملوية من ناحية الزاوية الدلائية. فهل كان الجد الأعلى للعدلونيين الصفرويين واحداً من عموم طلبة الزاوية الدلائية ؟ فلما لحق هذه الزاوية ما لحقها من السلطان مولاي رشيد العلوي سنة 1079 / 1668. هاجر الطالب "العدلوني" ضمن عامة الطلبة فانتهى به المطاف إلى قرية صفرو ! وسواء صح هذا الافتراض أم لا، فإن الشيء الأكيد أن علي عَدلُّونْ، الذي ينتسب إليه العدلونيون بصفرو، يُقر بأن أسْلاَفه كانوا من أجلة العلماء، ونذكر من هؤلاء :

**العدلوني، عبد السلام** بن **عبد الرحمان** بن علي، فهو كما يظهر حفيد علي عدلون، لا نعرف شيئا عن ميلاده ونشأته العلمية، ونرجح أن يكون قد تلقى مبادئ القراءة والكتابة على يد أبيه وبني قومه بصفرو، ثم انتقل بعد ذلك إلى رحاب القرويين على عادة طلبة العلم من مجموع أنحاء المغرب، لإتمام تعليمه.

وبعد تخرجه عاد إلى صفرو، فانكب على التدريس. وكان يمارس نسخ الكتب، حيث لا تزال بعض الكتب بخطه الجميل موجودة إلى اليوم في بعض الخزانات (*تاريخ الوراقة المغربية*، 120).

كان عبد السلام بن عبد الرحمان العدلوني ناصري الطريقة لذلك نلاحظ أن الطابع الصوفي حاضر في بعض ما خلفه من مؤلفات مثل *شرح الغنيمة الناصرية والفتح المُبين في شرح عدة الحصن الحصين وطبقات في التراجم* ؛ وذكر له ابن سودة كتاباً في *تاريخ وأحداث المغرب*.

ومن المناصب التي تولاها في حياته منصب القضاء بصفرو خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري (18 م) حيث كان لا يزال على قيد الحياة سنة 1152 / 1739.

توفي عبد السلام بن عبد الرحمان العدلوني في زمن غير معروف خلال النصف الثاني من القرن (12 هـ - 18 م).

**العدلوني، عبد السلام** بن **العربي**. وُلد بصفرو في أواسط العشرية الأولى من القرن الرابع عشر الميلادي / 1887 أو 1889. تلقى مبادئ القراءة والكتابة بمسقط رأسه ولم يتجاوز في تكوينه حفظ بعض السور من القرآن الكريم وإتقان القراءة والكتابة. إلا أنه استفاد من مخالطة أهل فاس من رجال المخزن حيث كانت هذه المخالطة تسمح له بمجالسة أهل العلم، فالتقطت ذاكرته الكثير من الفوائد العلمية.

كان عبد السلام العدولوني، باعتباره ابن خليفة القائد عمر اليوسي، آخر ركيزة مخزنية قبل وصول الفرنسيين إلى المنطقة، ولما ورثه من أبيه من ثروة ضخمة، يرى نفسه أكثر استعداداً للتعاون مع سلطة الحماية.

كانت بوابة التعاون مع سلطة الحماية بالنسبة لعبد السلام العدلوني، هي اللجنة البلدية لمدينة صفرو، التي أحدثتها فرنسا سنة 1913، وتتشكل هذه اللجنة من أعيان ووجهاء المدينة. ولم يتمكن عبد السلام العدلوني، ليكون ممثلا لحي "ناس أعَدلُّونْ" في أول لجنة بلدية في إطار التنظيمات الجديدة لتدبير الشأن العام، ولم يفز بعضوية اللجنة إلا في دورتها الخامسة لعام 1921 (*تطور أدوات السياسة المحلية*، 192).

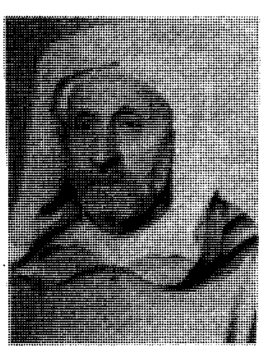

ما كاد عبد السلام العدلوني يأخذ مكانه بين أعضاء اللجنة البلدية حتى أثار انتباه المسؤولين الفرنسيين بتدخلاته الموافقة أحيانا والمعارضة أحيانا أخرى، وكان لا يجد غضاضة في قول كل ما يختلج في نفسه حول قضايا المدينة

حتى ولو كان الأمر يتعارض مع المراقب الفرنسي أو مع رئيس المصالح البلدية أو الباشا. وبقدر ما كان المسؤولون المحليون يتحرجون من مواقف وتدخلات عبد السلام العدلوني بقدر ما كانوا يرون فيه الرجل الذي يمكن الاعتماد عليه لتنفيذ مخططاتهم، ليس فقط داخل صفرو وإنما أيضاً في المناطق المجاورة. ولعل ما يؤكد ماذهبنا إليه أن عبد السلام العدلوني، قد استمر كعضو في اللجنة البلدية في كل دوراتها منذ 1921 إلى غاية نهاية عهد الحماية، باستثناء دورتين أو ثلاث دحضته القرعة وأبعدته عن كرسي العضوية في اللجنة البلدية. نجح عبد السلام العدلوني، منذ أن أضحى عضواً فاعلاً في اللجنة البلدية، بذكائه ودهائه في نسج علاقات واسعة مع كبار المسؤولين الفرنسيين من مستوى المقيم العام فمادونه، فكانت موائده وصِلاَته السَّنية تفتح له أبواب مكاتب الإقامة العامة بالرباط، وتقَطع ألسنة الانتقاد على المستوى المحلي، وهكذا أصبح يتمتع بتأثير كبير على مختلف أعضاء اللجنة البلدية، فاكتسب نفوذاً قوياً، فكلمته مسموعة وشفاعته لا ترد، ولا يرفض له اقتراح. ونستشف مما يروى عنه شفويا، أنه كان قد بلغ مبلغا من النفوذ عند سلطة الإقامة، أضحى معه يعترض على تعيين بعض المراقبين الفرنسيين على رأس دائرة صفرو.

وبعدما انفض النزاع بين رئيس المصالح البلدية سنة 1930 رولان مارشال (Roland Marchal) والباشا العموري عن عزل هذا الأخير، كان عبد السلام العدلوني ثالث ثلاثة، رشحوا لباشوية المدينة (*Naissance et développement*).

واعترافا من فرنسا بالدور الكبير الذي بات عبد السلام العدلوني يقوم به ليس بمدينة صفرو فحسب، وإنما في كل ناحية فاس قلدته بعض الأوسمة منها الوسام العلوي من درجة فارس سنة 1944 ووسام جوقة الشرف سنة 1953، وقد انتخب ممثلاً للغرفة الفلاحية بجهة فاس وصفرو في القسم المغربي لمجلس الشورى الذي أقامته سلطة الحماية سنة 1954 في محاولة لتجاوز مطالب الحركة الوطنية التي كانت تلح على إشراك المغاربة في تدبير أمور بلادهم (جريدة *السعادة*، ع 9244، 12 / 1954). وبعد الاستقلال تمكن عبد السلام بن العربي العدلوني من الخروج سالماً من العواصف السياسية التي واجهت أمثاله بعد نهاية عهد الحماية بل إنه نجح في استرجاع موقعه جزئياً في الحياة العامة بصفرو، حيث تم انتخابه عضواً ممثلا للغرفة الفلاحية بالبرلمان المغربي سنة 1962. وقد توفي عبد السلام بن العربي العدلوني بعد مسيرة اجتماعية وسياسية حافلة يوم 17 نونبر سنة 1972.

ع. إبراهيم، *الإعلام* ؛ ع. السلام بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية* ؛ م. الزرهوني، *تهيئة وتدبير المجال الحضري بالمغرب على عهد الحماية*، حالة مدينة صفرو، فاس، 2001 ؛ م. يخلف، *تطور أدوات السياسة المحلية بصفرو أواخر ق 19 ـ 1956*، د. د. ع. الرباط، 1986 ؛ جريدة *السعادة*، العدد، 9244، دجنبر، 1954 ؛ مجموعة وثائق العدلونيين بحوزة الأستاذ الوالي العدلوني ؛ *رواية شفوية*.

Chafai El Alaoui El Hassane, *Naissance et développement d'une municipalite marocaine sous le protecorat français. Sefrou (1912 - 1956)*, D.E.S., Paris, 1983.

أحمد البوزيدي

**العدلوني، عبد السلام** بن **محمد** تذهب الرواية الشفوية الرائجة بين العدلونيين بصفرو أنه من ذرية عمر بن علي عدلون. كانت ولادته بصفَرو في زمن غير معروف من القرن (19 م)، وقد تكون في بداية النصف الثاني من نفس القرن. وإذا كنا لا نعرف شيئا عن مراحل تكوينه، فإنه قد يكون أخذ مبادئ القراءة والكتابة على يد بني قومه بمساجد صفرو، ثم رحل إلى فاس فانخرط في سلك المتعلمين بجامع القرويين فأخذ من العلم والفقه ما أهله ليفوز بسمة الفقيه بين أهل صفرو.

كانت أسرة عبد السلام بن محمد العدلوني في نهاية القرن (19 م) ومطلع القرن (20 م)، تتمتع بوضعية اجتماعية واقتصادية متميزة لما تملكه من عقار داخل صفرو، وأراض شاسعة في مزارع المدينة والضواحي، ناهيك عما تتمتع به من جاه وسلطة، فقد كان العربي العدلوني ابن عم عبد السلام العدلوني خليفة مخزنياً إلى جانبْ القائد عمر اليوسي. ورغم أننا لا نعلم شيئاً عن نشاط عبد السلام العدلوني بعد عودته من رحلته العلمية بفاس، فإننا نعتقد أنه كان يشتغل بممارسة العدالة والتدريس ولو على نطاق محدود.

ويستشف من ظهير سلطاني على عهد مولاي عبد الحفيظ بتاريخ 19 جمادى الثانية عام 1326 / يوليوز 1908، أن الفقيه عبد السلام بن محمد العدلوني كان يمارس القضاء قبل الانقلاب الحفيظي على مولاي عبد العزيز، فقد جاء في هذا الظهير ما يلي "يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا أقررنا ما سكه الفقيه القاضي السيد عبد السلام العدلوني على التكليف بخطة القضاء بصفرو، وأبقيناه مكلفا بذلك كما كان قبل ... ونأمر عامل صفرو بشد عضده على خطته والسلام، صدر به أمرنا الشريف في 19 جمادى الثانية عام 1326" ويظهر أن ثورات القبائل التي عرفتها صفرو والأطلس المتوسط ما بين 1908 و1912، قد أرغمت عبد السلام العدلوني على التخلي عن القضاء حيث لزم بيته إلى أن تنفرج الأزمة.

ولما طما عباب سلطة الحماية على صفرو، عملت فرنسا على تغيير الأساليب التقليدية لتدبير شؤون السكان، باستحداث اللجنة البلدية المحلية، وتتشكل هذه اللجنة من الأعيان الممثلين لأحياء المدينة، وقد شكلت أول لجنة سنة 1913، فكان أن اقترحت على المخزن الشريف وسلطة الحماية إعادة الفقيه عبد السلام بن محمد العدلوني إلى منصب القضاء. وقد قوبل الاقتراح بتزكية الباشا محمد بن علال العموري، وهكذا توصل بظهير تعيينه من جديد قاضيا

لصفرو ونواحيها ابتداء من شهر رجب الفرد 1332 / مارس 1913. وقد ظل بهذا المنصب إلى سنة 1922 حيث تخلى عنه لصالح ابنه محمد الوالي عبد السلام (*Naissance d'une municipalité*, 448).

توفي عبد السلام العدلوني فيما يبدو بصفرو قبل سنة 1930.

**العدلوني، عبد القادر** بن **عبد الرحمان**، نجهل كل شيء عن ميلاده ونشأته العلمية، ولا شك أنه تلقى تعليمه الأولي على يد بني قومه بصفرو، ثم التحق بجامع القرويين، وبعد عودته إلى صفرو، ظل يعيش وراء أخيه عبد السلام، وكل ما نعرف له من نشاط علمي هو نسخه للكتب. وقد حلاه أخوه عبد السلام بالعالم الناسك (*الوراقة*، 120) ونستشف من هذه الإشارة أن عبد القادر العدلوني من أهل القرن الثاني عشر الهجري (18 م).

أحمد البوزيدي

**العدلوني، علي** (مولاي -) بن **محمد** فقيه، نوازلي، مفتي. تنسب الأسرة العدلونية إلى الجد الأعلى (علي عدلون) الصفريوي، انتقل جده الثالث من صفرو إلى دمنات وبها كون الأسرة العدلونية.

ولد المترجم له بدمنات يوم 28 رجب عام 1280 / 1863. قرأ القرآن الكريم على والده، وعلى بعض المقرئين، ثم بالروايات الرسم والتجويد عن الشيخ الهاشمي بن عبد الكريم الفيلالي إلى جانب بعض المتون. ثم تفرغ لدراسة العلوم اللغوية والدينية، فدرس على :

- والده المرشد المعين، والرسالة، والشيخ خليل، ثم على العلامة محمد بن حمو كرداس، والشيخ علي بن سليمان الدمناتي. ثم رحل إلى مدينة مراكش فدرس على : العلامة محمد أزنيط، والعلامة سعيد جيمي. ثم رحل إلى مدينة فاس عام 1300 / 1882 فدرس على يد :

العلامة محمد بن المدني كنون، والعلامة أحمد بلخياط، والعلامة المهدي الوزاني، والشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، وغيرهم.

وعندما رجع إلى مسقط رأسه اقترح عليه شيخه كرداس أن يتولى العدالة رغم صغر سنه، وجعله يتلقى الشهادات مع والده. ولما توفي والده عام 1306 / 1888 أسندت إليه مناصب والده : من وعظ، وتدريس، وخطبة جمعة بالجامع العتيق بدمنات.

وفي سنة 1314 / 1896 انتقل إلى مراكش، وتولى العدالة والإفتاء. وفي سنة 1321 / 1903 رافق الشيخ عبد الكبير الكتاني في رحلته إلى الديار المقدسة مروراً بفرنسا، وإيطاليا، والإسكندرية، والقاهرة، ومنها إلى الحجاز لأداء مناسك الحج. ثم ذهب مرة ثانية إلى الحج عام 1354 / 1935، وكان له لقاء مع علماء هذه الأقطار التي زارها، وتبادل معهم الإجازات.

عين قاضيا بالمجلس الأعلى للاستيناف عام 1344 / 1925. ثم قاضيا بأحواز مراكش، وقبائل الجيش عام 1348 / 1929 إلى أن أعفي منه سنة 1362 / 1943 لكبر سنه.

توفي في 20 شعبان عام 1366 الموافق 20 يونيو 1947 ودفن بالضريح العباسي. وقد خلف مؤلفات وتقاييد منها :

1) *روض الأنس في اجتماع الإنسان بالروح والنفس*
2) *أوامر القرآن بإصلاح الأرض، وتشييد العمران*
3) *شرح الصلاة الأنموذجية*
4) *شرح نظم السلطان مولاي عبد الحفيظ للشمائل المحمدية للترمذي*
5) *شرح الحكم العطائية*
6) *السيف المسلول على هامة أهل الفضول*
7) *ديوان شعر*
8) *فهرسة شيوخه*
9) *فلسفة الأخلاق وغيرها*

*الوارد الحسن في التعريف بأبي الحسن*، تأليف ابنه مولاي أحمد العدلوني ؛ جريدة *الميثاق* لرابطة علماء المغرب، عدد 47، سنة 1964.

أحمد متفكر

**العدلوني، محمد** بن **عبد القادر** بن عبدالرحمان : كان حياً سنة 1178 / 1764. لا نعرف شيئاً عن ميلاده ونشأته سار على نهج آله في الإقبال على العلم والتصوف، فانتهى به المطاف إلى زاوية عبد الله بن حْسَين الناصري بفطواكة ناحية مراكش، وبهذه الزاوية نسخ بخطه عدداً من الكتب مثل تبصرة الحكام لابن فرحون، وكتاب *في حل ألفاظ الأجرومية بالإضافة إلى نوازل مجهولة* (*تاريخ الوراقة*، 122).

ومن محمد بن عبد القادر العدلوني تفرعت الأسر العدلونية التي كان لها ذكر خلال القرن الثالث عشر الهجري (19 م) بمدينتي دمنات ومراكش.

**العدلوني، محمد** بن **علي** بن محمد بن عبد القادر، من ذرية علي عدلون الصفريوي، من فرع عبد الرحمان بن علي، ولد بدمنات سنة 1230 / 1814. تلقى مبادئ القراءة والكتابة على يد والده فلما شب عوده، انطلق في رحلة طلب العلم، فانتهى به المطاف إلى مصر، حيث جاور بالأزهر الشريف، فأقبل بهمة عالية على أخذ العلم، وكان عمدته الشيخان علّيش والبُولاَقِي (*الإعلام*، 7 : 66) كان في نية الفقيه العدلوني وهو في مصر، البحث عن شيخ صوفي بقيد الحياة، يأخذ بيده إلى الله ويُنْفحه نفحة تطيب لها نفسه. فكان يكثر من زيارة المشايخ، وبعد ثماني سنوات كان الفقيه العدلوني قد أوكأ خلالها على فقه كثير، جاءته البشارة من بعض أهل الكشف الذي أشار عليه بأن طُلبته من الشيخ

الصوفي ستأتيه إلى باب بيته بالمغرب، وهكذا انتقل إلى الحجاز فأدى فريضة الحج ثم يَمَّم أرض الوطن، فنزل بفاس حيث التقى بالشيخ علي التسولي، ومنها انتقل إلى مدينة أسفي فتصدر للتدريس بها مدة، ثم أزعجته الأقدار إلى مدينة مراكش، فأقبل بهمته المعتادة على التدريس وحسُه الباطني منشغل بترقب الشيخ الصوفي الذي سيزوره في بيته.

ويذكر العباس بن إبراهيم أن أهل دمنات، جاءوا إلى مراكش فراودوا الفقيه العدلوني بالعودة إلى مسقط رأسه دمنات لنشر العلم بها (*الإعلام*، 7 : 83). وبدمنات تأهل الفقيه العدلوني وأقبل على التدريس بمسجد القصبة الدمناتية، فأحيى الله به ما اندرس من العلم بهذه الجهات.

ساقت الأقدار الشيخ محمد بن العربي المدغري، في إحدى سياحاته إلى دمنات، فأخذ عنه الفقيه العدلوني الورد الدرقاوي، وتحققت له البشارة المصرية، ففسح الله له في صدور الناس، فنال شهرة واسعة بين قبائل دمنات، فطواكة، السراغنة ونتيفة وجل قبائل الأطلس الكبير، فكان يُفتي ويصلح بين الناس وجعل الله له قبولا في قلوب العامة والخاصة.

ومن مؤلفاته المعروفة شرح على منظومة البردة للبصيري، وكتاب عن السنوسية.

توفي العلامة العدلوني بعد حياة حافلة بالتدريس سنة 1306 / 1888. ولا يزال أحفاده بمراكش، وفيهم بعض الفقهاء ومن أشهرهم الفقيه مولاي أحمد العدلوني الذي انتقل إلى الرفيق الأعلى في أواسط 2001. وللعدلونيين المراكشيين مصاهرة إلى اليوم مع بني عمومتهم بصفرو.

**العدلوني، محمد الوالي** بن **عبد السلام** بن محمد. وُلد بصفرو حوالي 1298 / 1880. درج في أول مدارج العلم تحت نظر والده القاضي عبد السلام العدلوني، فلما شب رحل إلى فاس لإتمام تعليمه، فالتحق بالقرويين، وجال في ما كان يروج إبانه من علوم فقهية ولغوية، فتخرج فقيهاً مشاركاً، وأديباً يقرض الشعر ويهتزله، نسخ بخطه الجميل عدة قصائد أدبية لاتزال عند حفدته إلى اليوم، ويظهر من بعض تعاليقه أنه سليم الأسلوب نقي العبارة، ولن نبالغ في شيء إذا قلنا إنه آخر فقهاء بني عدلون بصفرو.

تزامن تاريخ عودة محمد الوالي العدلوني من رحلته العلمية إلى صفرو، مع وصول طلائع القوات الفرنسية إلى المدينة واستحداث التنظيمات الجديدة لتدبير شؤون السكان من خلال اللجنة البلدية ابتداء من سنة 1913.

وبالرغم من أن الفقيه محمد الوالي العدلوني، لم يتمكن من الحصول على العضوية في اللجنة البلدية الأولى سنة 1913، فإن وضعه الاجتماعي كفقيه وابن لقاضي المدينة، وعلاقاته الخاصة بمحمد بن علال العموري، باشا صفرو في وقته، قد سمحت له بالحصول على عضوية اللجنة في دورتها الثانية سنة 1917 وقد كان يتمتع بنفوذ كبير داخل اللجنة البلدية. وبعد خمس سنوات من وجوده في اللجنة البلدية، رشح محمد الوالي العدلوني لوظيفة قضاء صفرو ونواحيها خلفا لأبيه الذي عزل سنة 1922 ومما جاء في ظهير التعيين "يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعزه وجعل في الصالحات طيه ونشره، أننا بحول الله وقوته وشامل ... ومنته ولينا ما سكه الفقيه السيد محمد بن عبد السلام العدلوني خطة القضاء بمدينة صفرو وما يضاف إليها .. فنأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه .. صدر به أمرنا الشريف بالله تعالى في ثامن وعشرين ربيع الثاني عام 1340 / يناير 1922.

وإذا كنا نجهل الأسباب التي جعلت المخزن اليوسفي يعزل الفقيه عبد السلام العدلوني عن القضاء ويولي مكانه ابنه محمد الوالي بن عبد السلام، فإننا نعتقد أن للباشا العموري يدا في هذا التعيين، حيث كان القاضي الجديد لا يتردد في التأشير على رسوم الأملاك العقارية التي أثلها العموري بعد الاستحواذ عليها من أصحابها بأبخس الأثمان. وهكذا أصبح محمد الوالي العدلوني يتمتع بنفود واسع بين سكان صفرو والقبائل المجاورة، فأثل أملاكا عريضة وبات يتصرف في ثروات ضخمة جعلت منه واحداً من أغنياء المدينة.

وفي سنة 1923، تخلى محمد الوالي العدلوني عن عضوية اللجنة البلدية لأن القانون يمنع الجمع بين وظيفتين، ومع ذلك فقد ظل يؤثر من وراء ستار في قرارات اللجنة بواسطة صديقه الباشا محمد بن علال العموري. وبعدما قررت سلطة الحماية عزل الباشا العموري سنة 1930، طالت مسطرة العزل أيضا القاضي محمد الوالي العدلوني.

وقد ظل الوالي العدلوني في أخريات أيامه يتنقل بين فاس وصفرو لعلاقاته الوطيدة ببعض العائلات الفاسية، وحسب ما يرويه حفيده فإن كتب ووثائق القاضي العدلوني قد استولى عليها عبد الحي الكتاني، وبضياع هذه الوثائق ضاع الكثير من أخبار فقهاء وقضاة العدلونيين بصفرو.

توفي محمد الوالي العدلوني سنة 1948 ودفن بمقابر أهله بصفرو.

أحمد البوزيدي

**عدوتا المغرب والأندلس**، العدوة في اللغة المكان المتباعد والمكان المرتفع وشاطئ الوادي. ورد المصطلح في القرآن الكريم (*الأنفال*، 42) "إذ انتم بالعدوة الدنيا وهو بالعدوة القصوى" بمعنى ما يلي المدينة وما يلي مكة.

انتقل مصطلح العدوة إلى بلاد المغرب، عبر الكتاب المشارقة، على الأرجح، فأطلق على ضفتي كل مجال يفصله مجرى مائي. فوجدت في البداية العدوة المغربية

والعدوةالأندلسية، لوجود فاصل مائي بينهما هو البحر المتوسط، الذي عرف في القديم بالبحر الشامي أو بحر الروم أو البحر الأعظم.

وإذا كانت الأندلس لا تطرح مشكلة على هذا المستوى، باعتبارها وحدة جغرافية مستقلة، لذلك سميت بالعدوة الأندلسية، منذ فترة مبكرة من الوجود الإسلامي بها، فإن العدوة المغربية طرحت مشكلة، تتمثل في اختلاف الجغرافيين العرب القدامى حول امتداداتها الجغرافية، بين قائلين بضم العدوة المغربية للمغربين الأوسط والأقصى مع استثناء إفريقية (المغرب الأدنى)، وبين قائلين بكون العدوة المغربية شاملة للوحدات الجغرافية الثلاث.

وتكرس مفهوم العدوتين المغربية والأندلسية، بظهور ما يعرف "بالمنافرات" أو "المفاخرات" بينهما، التي لم تبدأ فعليا إلا في عهد الموحدين، وإن كان الفخر بالأعلام في نطاق المفاضلة بين العدوتين قد بدأ منذ العهد المرابطي حين أصبحت الأندلس تابعة للمغرب.

وهكذا فإن أولى المفاخرات المدونة التي وصلتنا هي تلك التي جرت بين أبي الوليد الشقندي وأبي يحيى ابن المعلم الطنجي، التي تعود إلى العهد الموحدي. وظهرت في العصر المريني مراشقات قلمية بين مغاربة وأندلسيين، مثل "طرفة الظريف في أهل الجزيرة وطريف" و"مفاخر البربر" و"المفاخرة بين مالقة وسلا" لابن الخطيب.

واقتبس مصطلح العدوة من الدلالة على مجالين جغرافيين كبيرين هما المغرب والأندلس، إلى الدلالة على مجالين أصغر منهما. فأطلق على سلا والرباط، بعد شيوع عبارة "مدينة سلا وعدوتها شالة"، ثم تطور الاستعمال إلى أن ضاق فأصبح يهم شطري المدينة الواحدة التي يفصل بينهما نهر، مثل مدينة فاس ذات العدوتين : الأندلسيين والقرويين. بل إن الأمر طال جهات أخرى في بلاد المغرب، مثل بلاد درعة، فقد تحدث ابن الزيات التادلي (*التشوف*، 410) عن عدوتي درعة باعتبارها ضفتين لوادي درعة.

عدوتا سلا والرباط :

أشهر مدينتين عرفتا في المغرب بالعدوتين، أسست عدوة سلا (أو العدوة الشمالية) في زمن قديم، يرجع أنه العهد الروماني، أما عدوة الرباط (أو العدوة الجنوبية) فقد ظهرت في العهد الموحدي، ودعيت في البداية برباط الفتح.

ومهما اختلف زمان تأسيس العدوتين سلا والرباط، واختلاف الهدف من وجود كل واحدة منهما، فقد جمع بينهما وادي أبي رقراق (الذي عرف في المصادر القديمة بعدة أسماء مثل وادي سلا ووادي وانسيفن ووادي اسمير ووادي الرمان ...)، ومن هنا جاءت تسمية كل واحد منهما بالعدوة. ورغم اختلاف تطور المدينتين، فقد تدهورت الرباط بعد الموحدين، ونشطت الحياة التجارية في سلا، فإن العلاقة بين العدوتين ظلت قائمة عبر العصور، وسهل هذا الارتباط وجود جسر - يعود إلى العهد الموحدي - بني من ألواح وحجارة يعبر عليها الناس عند الجزر، ويستعملون القوارب عند المد. غير أن ذلك استدعى بناء قنطرة خشبية ضخمة وصلبة، لا يؤثر فيها عبور العساكر والمسافرين، بحيث يمكن رفعها عند المد، مما عزز وحدة الحاضرتين وسهل عملية التبادل بين الشمال والجنوب.

عدوتا الأندلسيين والقرويين :

يرجع تاريخ تأسيس العدوتين إلى الفترة الإدريسية، فقد أسست عدوة الأندلسيين في ربيع الأول من سنة 192 / يناير 808، وعدوة القرويين في مستهل ربيع الأول من سنة 193 / دجنبر 808، وذلك حسب معظم الروايات التاريخية القديمة.

ابتدأ تعمير عدوة الأندلسيين منذ تأسيسها، فقد سورها إدريس الثاني وفتح بها أبوابا، منها باب القبلة وباب الفوارة وباب المخفية وباب الشيبوبة وباب أبي سفيان وباب الكنيسة (باب الخوخة حاليا)، كما بنى بها جامعا للخطبة هو جامع الأشياخ (جامع الأنوار حاليا). أما تعمير عدوة القرويين فقد بدأ أيضاً مع تأسيسها، فقد سورها إدريس الثاني وفتح بها أبوابا مثل باب إفريقية وباب القوس وباب الفصيل (باب النقبة) وباب الفرج (باب السلسلة) وباب الحديد وباب القلعة، وبنى بها جامعا للخطبة هو مسجد الشرفاء.

وأنزل إدريس الثاني الوافدين عليه من الأندلس - الربضيون - بالعدوة الشرقية فسميت عدوة الأندلسيين، وأنزل الوافدين عليه من القيروان بالعدوة الغربية فسميت عدوة القرويين.

يفصل بين العدوتين وادي بوخرارب، الذي أنشئت عليه قناطر تربط بينهما، ويلتقي هذا الوادي بوادي سبو على بعد أربعة كيلو مترات إلى الشرق منها.

ومنذ تأسيس العدوتين استقطبتا القبائل والأسر فاستقروا بهما. وشاع في الأدبيات التاريخية منافرات بين العدوتين، مصدرها الاحتكاك اليومي بين أهليهما، ونموذج ذلك المقارنة التي يقيمها الكتاب بينهما، سواء من حيث نوعية بعض المغروسات التي تجود بها تربتهما، أو غزارة المياه أو العادات أو الشجاعة أو الجمال.

وخلال حكم مغراوة لمدينة فاس، وبالضبط أيام دوناس بن حمامة أصبحت العدوتان مدينة واحدة، حيث أدار بهما وبأراضيهما الأسوار، غير أن فترة حكم ابنيه الفتوح وعجيسة أعادت الفصل الذي كان قائما من قبل بينهما، فقد اختص الأول بعدوة الأندلسيين واختص الثاني بعدوة القرويين. ونشأت عداوة بين الأخوين، تطورت إلى مواجهات، لم يجعل حدا لها سوى وصول المرابطين، الذين قاموا بهدم بعض الأسوار الفاصلة بين العدوتين، وتم ترميم قناطر قديمة وإحداث أخرى جديدة، تربط بينهما، مثل قنطرة أبي طوبة وقنطرة أبي برقوقة وقنطرة باب السلسلة وقنطرة الصباغين وقنطرة كهف الوقادين وقنطرة الرملية.

وهكذا تحولت العدوتان مرة أخرى إلى مدينة واحدة، مع الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين وابنه علي، وتأكدت هذه

الوحدة مع دخول الموحدين مدينة فاس، حيث أمر الخليفة عبد المومن بن علي الكومي بهدم ما بقي قائما من أسوار بين العدوتين، وقال قولته الشهيرة : "إنا لا نحتاج إلى سور، إنما أسوارنا سيوفنا وعدلنا". (جني *زهرة الآس*، 42 ـ 43).

*القرآن الكريم*، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، كتاب البلدان، 1988 ؛ قدامة بن جعفر البغدادي، *نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة*، 1988 ؛ ابن الفقيه، أبو بكر الهمذاني، *مختصر كتاب البلدان*، 1988 ؛ ابن القوطية القرطبي، *تاريخ افتتاح الأندلس*، 1957 ؛ المقدسي البشاري، محمد بن أحمد بن البناء، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، 1987 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، 1984 ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، 1978 ؛ أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، ج 5، د. ت ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، م 4، 1997؛ محمد ابن شريفة، *من منافرات العدوتين*، 1977 ؛ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، *صورة الأرض*، 1979 ؛ الشريف الادريسي، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، ج 1، د. ت ؛ مؤلف مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، 1985 ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، 1978 ؛ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل، تقويم *البلدان*، د. ت ؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، 1975 ؛ أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، ج 5، د. ت ؛ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، *وصف إفريقيا*، ج 1، 1983 ؛ محمد بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تاريخ العدوتين، 1986 ؛ عبد العزيز بن عبد الله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق*، 1989 ؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، *كتاب البلدان*، 1988 ؛ أبو عبيد البكري، *المسالك والممالك*، ج 2، 1992 ؛ مؤلف مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، 1985 ؛ ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي، *كتاب الجغرافيا*، 1970 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، 1973 ؛ علي الجزنائي، *جنى زهر الآس في بناء مدينة فاس*، 1991 ؛ أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، ج 5، د. ت ؛ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، *وصف إفريقيا*، ج 1، 1983 ؛ إ. ليڤي بروفنسال، *الإسلام في المغرب والأندلس*، مقال بعنوان : تأسيس مدينة فاس، 1956 ؛ روجي لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، ج 1، 1992.

عبد الإله بلمليح

**العدول** في الاصطلاح المغربي هم الموثقون المنتصبون لتلقي الشهادات وتوثيق العقود في المعاملات المختلفة. ويعرفون في الاصطلاح الأندلسي بكتاب الشروط. وتستند خطة العدالة على مقتضى الآية الكريمة التي أمرت بتقييد الدين بين الناس "وليكتب بينكم كاتب بالعدل" (*البقرة*، آية 281)، والإشهاد في قوله تعالى "واستشهدوا شهيدين من رجالكم" (*البقرة*، آية 281)، وقوله تعالى "وأشهدوا ذوي عدل منكم" (*الطلاق*، آية 2) وفي آيات وأحاديث أخرى.

لقد أدى استخدام الكتابة في الإشهاد والتوثيق بالمغرب الإسلامي إلى ظهور فئة الموثقين أو العدول أو كتاب الشروط أو الشهود المؤهلين، ثم ظهر علم الشروط أو علم الوثائق. وقد ازدهرت صياغة الوثائق القانونية بكل من الأندلس والمغرب على خلاف المشرق الذي لم تعرف فيه نفس المسار، ويعتبر التراث المغربي الأندلسي غنيا في هذا المجال بعدد المؤلفات التي وضعت فيه. وظلت كتب الشروط أو العقود بمثابة مراجع قانونية لصياغة الوثائق في ضوئها. وأقدم النماذج الأصلية التي وصلتنا هي وثائق أندلسية، أما النماذج المغربية فقد وصلتنا منقولة في بطون الكتب. ولاحتواء الأعراف والممارسات المحلية وإدماجها في الفقه المالكي عن طريق الوثائق ظهرت بعض النماذج التوثيقية مثل شهادة اللفيف.

اعتبر ابن خلدون في *المقدمة* العدالة من الخطط الشرعية وجعلها بعد القضاء، وهي من الخطط الضرورية والخطيرة في نفس الوقت في المجتمع الإسلامي نظراً لما يترتب عليها من نتائج قانونية تخص أوضاع الأشخاص ومعاملاتهم المختلفة، لذلك كان القاضي على مدى تاريخ المغرب هو صاحب الصلاحية في توثيق العدول أو منعهم من الجلوس للشهادة، استناداً على معيارين أساسين هما الأهلية العلمية والسمعة الأخلاقية. وفي المدن المغربية الكبرى كان يخصص لهم مكان تصطف فيه حوانيتهم يعرف بسماط العدول، غالباً ما يقع بالقرب من دار القاضي. ومن خلال تراجم العديد من العدول الذين احتفظت بها كتب التراجم نلاحظ أنه كان من بينهم علماء كبار وفقهاء مشهورون، خاصة خلال العصرين المرابطي والموحدي.

وفي العصر المريني كتب ابن الخطيب رسالة سماها *مثلى الطريقة في ذم الوثيقة* نبه فيها إلى الأزمة التي أخذت هذه الخطة تشهدها، ووصف ما وصلت إليه العدالة على يد بعضهم من انحطاط لتصدر كثير ممن ليسوا أهلا للشهادة، لذلك تندر ببعض عدول عصره، وأورد نماذج من ضعفهم في الإنشاء، وتعابيرهم المضحكة، واعتبر أن من عيوب هذه المهنة تعريض صاحبها للاحتكاك بالعامة في قضاياهم وخصوماتهم بينما هو داخل في عداد العلماء والفقهاء. ومما يدل على أن بعض العدول لم يكونوا من ذوي الكفاءة الفقهية، إثباتهم لشروط غير شرعية، فكان القضاة يرفضونها إذ نشبت بشأنها خصومات، لكن على العموم فإن العدالة استمرت إلى جانب القضاء في القيام بدورها الفقهي والتوثيقي وظل العدول في المجتمع المغربي من بين الشخصيات التي تحظى بالاحترام والتوقير.

ولضبط الوثائق والرسوم المختلفة كان العدول يضعون عليها أسماءهم إلى جانب اسم القاضي الذي أجاز الوثيقة ؛ ثم ظهرت الحاجة فيما بعد إلى وضع توقيعات معقدة يصعب تقليدها عرفت لدى المغاربة باسم "البخوشة"، وقد أصبح من الصعب جداً قراءتها إلا من طرف خبير مختص، وكان كل عدل يختص ببخوشته، ومع ذلك فقد كان بعض العدول غير الأمناء يقلدون توقيعات غيرهم ويزورون وثائق بأسمائهم. وهذا التوقيع المعقد هو تقليد لتوقيع السلاطين السعديين الذي استوحى الطغراء العثمانية لكن بشيء من الأصالة والخصوصية المغربية.

العدول في عهد الحماية : تم في عهد الحماية دمج

العدول في نظام قانوني جديد وضعته فرنسا، فأدمج قانون العقود لسنة 1913 في قانون الالتزامات والعقود، وأصبحت المادة 418 منه تنص على قبول الوثائق المحررة من قبل العدول طبقاً للإجراء القديم القائم على إجازة القاضي للوثيقة كسند قانوني. وفي سنة 1925 أدخل نظام الموثق العمومي Notaire publique الفرنسي ليأخذ محله إلى جانب العدول كما عرفوا في تاريخ المغرب.

من الإجراءات الجديدة التي لجأت إليها وزارة العدل في عهد الحماية فرض استخدام الورق المدموغ في الكتابات العدلية. كما دخل الرقن إلى عالم العدول وبدأ التخلي عن تحرير العقود بخط اليد كما كان سابقا.

أستحدث نظام الحماية سلسلة من القوانين جعلت استخدام السجلات فيما يحرره العدول من وثائق أمراً إجبارياً، وتم توحيد مواصفات هذه السجلات بحيث تتكون من دفاتر تقسم صفحاتها إلى أعمدة مطبوعة يقوم العدول بملء البيانات المطلوبة في خاناتها، وكانت محتويات هذه السجلات تنقل في سجل كبير بمحكمة التوثيق، ثم يحرر العدل نسخة العقد التي يقوم القاضي باستقلالها. فأصبحت مراقبة الدولة لعمل العدول أمراً سهلاً.

وعلى ضوء هذه الإجراءات أصبحت العقود هي الأخرى منمطة من ناحية بعض الشكليات على الأقل، فبجانب الاستخدام الإلزامي للورق المدموغ، ظهرت في هوامش الوثائق الأرقام الدالة على تقييدها في السجلات، وفي بعض الحالات أختام تشير إلى تسجيل إضافي يفيد نقل ملكية عقارية، كما أن القضاة أصبحوا يوقعون على العقود إضافة إلى وضع أختام المحكمة.

ومع مرور الزمن أصبح تعيين العدول من صلاحيات وزارة العدل، وليس القضاة المحليين كما كان آنفا.

العدول في عهد الاستقلال : استمر العمل خلال مرحلة الاستقلال بما كان قبلها من التقاليد المغربية في كيفية صياغة العقود والأساليب المستعملة مراعاة المذهب المالكي والعمل الجاري، وبما ورثته العدالة عن عهد الحماية من المستحدثات الشكلية. كما نصت مدونة الأحوال الشخصية لسنة 1957 على ضرورة الشاهدين العدلين في بعض المعاملات كالزواج طبقاً للمذهب المالكي، وغير ذلك.

تخضع خطة العدالة لمراقبة وزارة العدل مباشرة، ويشرف عليها قاضي التوثيق بكل مدينة ؛ وقد تم تنظيمها بمجموعة من النصوص القانونية أهمها القانون المنظم لخطة العدالة رقم 11.81، الذي أصبح تعاطي هذه المهنة الحرة بموجبه خاضعاً لمقاييس مضبوطة تعتمد على المؤهل العلمي والخبرة المطلوبة في المجال الفقهي، مع تحديد معايير مباراة ولوج المهنة والتداريب المطلوبة للترسيم فيها. كما أن هناك مسطرة محددة ودقيقة لتسجيل العقود بدفاتر العدول (دفتر الجيب) أو بسجل محكمة التوثيق تحت نظر القاضي، حتى تكون العقود التي تسلم لأصحابها مستوفية لجميع الشروط القانونية. وبما أن أجرة تحرير العقود تقع على كاهل صاحب العقد فإن القانون حدد الأجور التي يتقاضاها العدول عن تحرير كل نوع من الرسوم العدلية. كما نص على العقوبات التي يواجهها المخلون بأخلاقيات المهنة.

وتم في السنوات الأخيرة نقل نظام التوثيق الشرعي إلى الخارج لتقريبه من المهاجرين المغاربة، فألحق بعدد من القنصليات المغربية بالدول الأوربية قضاة شرعيون إلى جانب عدول يسهرون على إجراء المعاملات وفقاً للشريعة الإسلامية، وكانت هذه الخطوة إيجابية باعتبارها الأولى من نوعها التي تقوم بها دولة إسلامية.

وقد أدى الدمج التدريجي لنظام العدول في التنظيم القانوني بالمغرب إلى تغيرات هامة في الوضع القانوني للعدول في ظروف أدائهم لمهامهم. ومن ذلك تزايد الإشراف والتنظيم القانوني من قبل الدولة، وهو ما أدى إلى أن تصبح إشهادات العدول في المجال العقاري أساساً قانونياً لفرض الضرائب، كما أن للرسوم العدلية قيمة قانونية كاملة في المعاملات التي تمس عدداً من المصالح العمومية كقطاع التحفيظ العقاري ومصلحة التسجيل والتنبر ومختلف أنواع المحاكم.

أبو إسحاق الغرناطي (ت. 579 / 1183)، *الوثائق المختصرة*، الرباط، مركز إحياء التراث المغربي، 1988 ؛ ع. بن يحيى الجزيري، *المقصد المحمود في تلخيص العقود*، دراسة وتحقيق أسونثيون فريرس، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1988 ؛ ابن فتوح، *وثائق المرابطين والموحدين*، طبع منسوباً لعبد الواحد المراكشي، بعناية حسين مؤنس، القاهرة ؛ ابن الخطيب، *مثلى الطريقة في ذم الوثيقة*، تح. عبد المجيد تركي، ضمن كتابه قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988، ص. 249 - 287 ؛ الجريدة الرسمية، عدد 3678، 27 أبريل، 1983.

محمد المغراوي

**عُدَيِّل**، بيت فاسي أصله من الأندلس، واشتهر ذكر أفراده في المصادر المغربية "بأولاد عديل". وكان هذا البيت من بيوتات التجارة والثروة في فاس في القرن الثاني عشر (18 م). كما كان "أولاد عديّل" من أعيان المدينة ووجهائها. ولعل فخامة الدار التي تنسب إليهم في فاس، والمعروفة "بدار عديّل"، خير دليل على أهمية الثراء والجاه الذي كانوا يتمتعون به.

ونذكر من بين شخصيات أسرة عديّل الأولى التي تحدثت عنها المصادر، محمد عديّل. وكان محمد هذا من أعيان التجار بفاس، وقد خصه المولى إسماعيل بمكانة متميزة حيث جعله أمينا وأسند إليه مهمة الإشراف على بيت المال والتصرف في المراسي، ثم ولاّه بعد ذلك إمارة ركب الحج الفاسي. وقد خرج مرة أو مرتين على رأس الركب، ثم تولى بدله أبناؤه وأبناء أخيه وهم : عبد العزيز، والخياط، وعبد القادر، والشاوي ثم عبد الخالق.

وتداول أولاد عديّل لمدة طويلة أمانة بيت المال بفاس، وإمارة ركب الحج لمدة تزيد عن الأربعين سنة، لم يترأس خلالها الركب أحد من خارج بيتهم سوى من أنابوه عنهم. كما أسندت، كذلك، للبعض منهم مهام مخزنية مختلفة كالسفارة، وقيادة فاس.

وورد في *زهر الآس* أن بيت عديّل استمر وجوده بفاس إلى القرن الثالث عشر (19 م). لكن مع ذلك تجب الإشارة إلى أن وضعه المادي والاجتماعي قد تدهور منذ العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الثامن عشر الميلادي، حيث تمت مصادرة أموال أفراده ودارهم لفائدة المخزن. ومن الإشارات التاريخية التي تعبر عن ذلك ما جاء في *سلوة الأنفاس* بخصوص أحد أولياء فاس : "...ومن كراماته أنه نادى مرة على أولاد عديّل وهم في صولتهم من الدنيا والجاه وإمارة الحج فكان يقول : يا عديّل ! تْقطع الحْبيّل، وطاح الحْميّل ومشى السْويّل ! فوقع لأولاد عديّل ما قال".

م. الشرقي، *رحلة الإسحاقي*، م. خ. ح. رقم 11869، الرباط، ص. 28، 29 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، 1316، ج. 3، ص. 113.

**عْديّل، الطيب** بن **الخياط** بن محمد، كان حيا سنة 1162 / 1749، تذكره المصادر المغربية تحت اسم "الطيب عديّل" و"الخياط عديّل" - وهو اسم ولقب والده المتوفى سنة 1141 / 1728- ثم "عديّل" فقط. كما تفعل مع أعلام آخرين من نفس البيت. وتشير إليه الوثائق المصرية باسم "الطيب بن المرحوم الخياط عديّل".

ينتمي الطيب بن الخياط عديّل إلى بيت عديّل الفاسي الأندلسي الأصل، وهو ابن أخ عبد الخالق عديّل أمير ركب الحج المعروف. والطيب هذا اشتهر كذلك كأحد أعيان المدينة وأثريائها.

ويجب التنبيه إلى أنه كثيرا ما يقع الخلط بين صاحب الترجمة - الذي أسلفنا القول أن المصادر تذكره، كذلك، بالخياط عديّل - وولده عبد الله الخياط الذي تشير إليه نفس المصادر في سياق الأحداث الواقعة في عهد سيدي محمد بن عبد الله بنفس الاسم، أي "الخياط عديّل". وقد أدى هذا إلى الخلط بينهما، فتنسب المعلومات الخاصة بالإبن للأب. وقد انفرد *زهر الآس* من بين هذه المصادر بإيراد الأسماء الشخصية لكليهما مقرونة بذكر اسم الوالد واللقب، غير أنه لم يورد الاسم الشخصي الكامل للابن مكتفيا "بالخياط" بدل "عبد الله الخياط".

ومما يزيد من صعوبة التمييز بين هذين العلمين، كون المعطيات المقتضبة التي جاءت في المصادر لا تسعف في تتبع حياتهما بما يكفي من الوضوح. كما أن مزاولتهما لنفس المهام، ونعني بذلك أمانة بيت المال بفاس وإمارة ركب الحج، جعلت الإشارات القليلة المتعلقة بهما تتشابه.

إن كل ما يعرف عن صاحب الترجمة أنه تداول إمارة ركب الحج مع شخصيات تنتمي لنفس البيت. ومعلوم أن هذا المنصب كان من المناصب البالغة الأهمية، ولم يكن يرشح له، في الغالب، في القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر الميلادي سوى أصحاب الجاه والثروة. كما كانت مشيخة ركب الحج - في حد ذاتها - مصدرا للاغتناء واكتساب المزيد من الثروة والجاه.

وتفيد المعطيات المتوفرة أن الطيب عديّل خرج على رأس الركب مرّات عديدة نذكر منها سنوات 1146 - 1147 / 1733 - 1734، و1148 - 1149 / 1735 - 1736، ثم 1151 - 1152 / 1738 - 1739 . ويمكن القول، بناء على رئاسته المتكررة للحجاج، أنه كان يتوفر، إلى جانب الثروة، على مؤهلات خولته الاستمرار في قيادة الوفد الحجي، كالمهارة والخبرة في التسيير، ودماثة الأخلاق، إذ غالبا ما كان يعزل عن إمارة الركب كل من كان يسيء معاملة الحجاج، أو يطمع في أموالهم وفي تركات المتوفين منهم.

ومما يعرف عنه كذلك، أن أسندت إليه أمانة بيت المال بفاس بعد وفاة عمه عبد الخالق عديّل (ت. 1158 / 1745. وقد ألزمه المولى عبد الله بدفع مائتي مثقال كل شهر من المال الذي كان مؤمنا عند عمه. ففر بسبب ذلك إلى المشرق في رجب من سنة 1162 / ماي 1749. لكن المصادر لا تسعفنا، بعد هذا التاريخ، في تتبع حياته.

إلا أنه، واستنادا إلى متابعة سيدي محمد عام 1174 / 1760 لأبنائه في المال الذي كان مؤمنا عنده، يبقى أمامنا احتمالان إما أنه رجع إلى المغرب وتوفي قبل هذه السنة، وإما أنه استقر بصفة دائمة بالبلد الذي فر إليه في سنة 1162 / 1749.

سجل رقم 138، أرشيف محكمة قسمة عسكرية، دار الوثائق، القاهرة ؛ سجل رقم 148، أرشيف محكمة قسمة عسكرية، القاهرة ؛ المشنزائي، *التقاييد التاريخية*، مخطوط مكتبة بودليان، رقم س 79، أكسفورد ؛ القادري، نشر *المثاني*، الرباط، 1976 - 1986، ج. 3 ؛ ع. الكريم الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002، ج. 2.

نزهة عقيلي

**عْديّلْ، عبد الخالق الفاسي** الذي تنسب إليه دار عديل بفَاس، ناسك (18م)، كان شيخ الركب الحجازي بفاس في منتصف القرن الثاني عشر ويأتي ذكر اعديل هذا في سياق الأحداث التي عرفتها مدينة فاس أثناء النزاع الذي كان قائما بين السلطان محمد بن إسماعيل المعروف بابن عربية وأخيه المولى عبد الله عام 1150، فقد كان من بين الذين قبض عليهم أعوان ابن عربية وصادروا جميع أمواله.

وسيعودُ اعديل إلى سطح الأحداث عام 1154 عندما ولاّه السلطان المولى عبد الله عاملاً على فاس، وقد كانت له عند السلطان حظوة ومكانة، فلما قضى على عامل طنجة أحمد بن علي الريفي كلفه في جماعة من تجار فاس بحيازة ممتلكاته، وكان ذلك عام 1156.

وفي عام 1158 انتهى إلى علم المولى عبد الله نبأ تصرف عديل في قدر لا يستهان من مال الريفي المودع لديه، فأحضره وأخذ عليه ميثاقا بإرجاع ما أخذ تحت ضمانة بعض أعيان فاس.

وتوفي بفاس يوم 23 أو 27 من ذي القعدة عام 1158، ودفن بزاوية سيدي عبد القادر الفاسي.

تقع دار اعديل في زقاق لبغل بعدوة القرويين. وتحتوي على صحن تتوسطه نافورة ماء، تقابلها في إحدى الزوايا سقاية حائطية، وتقوم في زواياه الأخرى قاعات فسيحة ذات أبواب ضخمة نقش على واجهة إحداها هذا البيت الشعري :

انظر إلى سري فلا يلقى له مثـــل وكيف لا ونشأتي بلوغ الأمـــل

احتضنت هذه المعلمة في بداية عهد الحماية دار السكة، ثم توالت عليها وظائف أخرى، فأصبحت متحفا للفنون الشعبية، ثم مدرسة للبنات، وانتهى بها المطاف إلى احتضان تعليم "الآلة الأندلسية" بعدما كان ذلك في دار الجامعي ثم في دار السلام بالبطحاء.

وقد تقاطر على تعليم الآلة بدار اعديل شيوخ هذا الفن بفاس وأصبحت مقراً للمعهد الموسيقي التابع لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، يديره الحاج عبد الكريم الرايس، وإلى جانبه من المعلمين شيوخ من طبقته اضطلعوا بالتدريس منهم محمد دادي، وعزوز بناني، ومولاي امحمد اشاواش ومولاي أحمد الوكيلي والحاج محمد مصانو الشرشي التازي، والحاج محمد بوزوبع ... وعلى يد هؤلاء تخرجت فئة من الشباب يمارس بعضهم اليوم تدريس الموسيقى، ومنهم بريول، ومحمد اطراشن، وعبد الفتاح بنموسى وآخرون.

وقد عمدت مصالح وزارة الثقافة إلى إيقاف التعليم بدار عديل عام 1978 بسبب تعرض مرافقها للتلاشي وتداعيها للسقوط. وفي إطار العناية التي أولتها منظمة اليونسكو لمدينة فاس التي صنفت ضمن التراث الإنساني، عهدت الحكومة الإيطالية لهذه المنطقة في سنة 1993 بإنجاز دراسة حول ترميم دار اعديل بغرض تحويلها إلى مركز للأبحاث في تراث الموسيقى الأندلسية والملحون.

وقد رصدت الحكومة الإيطالية لهذا المشروع اعتمادات مالية هامة، ثم انطلقت أعمال الترميم سنة 1995 من شركة مغربية وتحت الإشراف التقني لوزارة الشؤون الثقافية التي حرصت على احترام الطابع المعماري الأصلي للدار كما حرصت على استخدام مواد البناء والنجارة بما ينسجم مع الطبيعة المعمارية للدار.

وقد انتهت أشغال الترميم في متم سنة 1998، وجرى حفل افتتاح الدار يوم 18 يبراير 1999 وأطلق عليها اسم "مركز الحاج عبد الكريم الرايس للأبحاث في تراث الموسيقى الأندلسية والملحون"، تكريما لهذا الرجل الذي اضطلع بإدارتها والتعليم ونشاط بالمركز المهام التالية :

- جمع وتصنيف التراث الموسيقي الأندلسي
- جمع المستندات والدراسات والمدونات المختصة
- إنجاز دراسات وأبحاث علمية حول الموسيقى الأندلسية والتعريف بالبحوث الهادفة إلى إبراز خصائصها.
- تنظيم حلقات دراسية وندوات ومحاضرات ومعارض حول الموسيقى الأندلسية.
- تشجيع ممارسة الإنشاد والعزف الفرديين

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص. 145، ج 4، ص. 424، 433 - 438 ؛ *جريدة الاتحاد الاشتراكي*، عدد 16 - 24 يبراير، 1999 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7، ص. 145 - 152 - 158 - 170؛ محمد الضعيف، *تاريخ الضعيف*، ص. 134 - 147 - 150، تح. العماري ؛ محمد بن الطيب القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، ج 4، ص. 52.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**عديـل، عبد الله الخياط** بن **الطيب**، (كان حيا سنة 1175 / 1762). هو أحد أبناء الطيب بن الخياط عديّل. جاء ذكره في المصادر باسم "الخياط عديّل"، وأشارت إليه إحدى الوثائق العثمانية باسم "عبد الله الخياط". كان عبد الله الخياط هذا من أعيان فاس، ومن خدام الدولة المرموقين.

ويستفاد من المعطيات المقتضبة الواردة في المصادر، أن أمانة بيت المال بفاس انتقلت إليه بعد والده في عهد سيدي محمد بن عبد الله. وأن هذا الأخير أدخله مع أخيه عزوز السجن بسبب ما ترتب في ذمتهما من ديون المخزن سواء فيما يتعلق بالمال الذي أمنه بنفسه عندهما أو الذي كان مؤمنا من قبل المولى عبد الله عند والدهما، وذلك في ربيع الثاني عام 1174 / نونبر 1760.

وعلى الرغم من توتر علاقة المترجم بسلطان وقته، إلا أن هذا الأخير أسند إليه مسؤوليات هامة، إذ بعثه عقب تسريحه من السجن سفيرا مع الفقيه الطاهر بناني الرباطي في صفر 1175 / شتنبر 1761 إلى السلطان العثماني مصطفى الثالث (1757 - 1774)، وأصحبهما هدية اشتملت على نفائس المصنوعات المغربية، وذلك رغبة من سيدي محمد بن عبد الله في تعزيز الصلات الودية بين المغرب والدولة العثمانية. وأرسل مصطفى الثالث رفقة السفيرين، عند رجوعهما من اسطنبول، هدية فخمة إلى سلطان المغرب.

وإلى جانب تولّي السفارة وأمانة بيت المال، تقلد عبد الله الخياط إمارة ركب الحج. غير أن المصادر لا تفيد في تحديد السنوات التي خرج فيها على رأس الحجاج المغاربة. وتجمع العديد من الإشارات على أنه كان خبيرا في تدبير الأمور، وحازما في تصريف الشؤون المالية على الخصوص.

ومن بين ما نجهله عن صاحب الترجمة تاريخ وفاته. وكل ما أشار إليه الإخباريون، وبالضبط محمد بن الطيب القادري، أنه توجه إثر عودته من إسطنبول سنة 1181 / 1767 إلى تونس حيث كان أخوه، ومكث بها.

لكن، الواضح أن القادري التبس عليه تاريخ رجوع الطاهر بناني وعبد الله الخياط إلى المغرب. والذي يتضح،

من خلال التاريخ الذي تحمله الرسالة التي بعثها السلطان العثماني رفقة السفيرين، أن مغادرة الوفد المغربي لإسطنبول قد تمت في حدود أواخر شعبان 1175 / أواخر مارس 1762. كما تؤكد معطيات أخرى ذهاب الفقيه الطاهر بناني سفيرا مرة أخرى إلى الدولة العثمانية سنة 1179 / 1765. ولعل هذه السفارة الثانية لرفيق عبد الله الخياط هي التي تفسر الخلط الذي وقع فيه صاحب *نشر المثاني*.

ابن إبراهيم الدكالي، *التقاييد التاريخية* ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج. 4 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1956، ج. 8.

*Nâme - i Hümâyûn de Fterleri*, Istanbul Basbakanlik Devlet Arsivi, Istanbul, Def., n° 8, S./ 445 - 448.

نزهة عقيلي

ابن **عَذاري**، مؤرخ جليل نسيه التاريخ وغفل عن ذكره المؤرّخون ومؤلفو كتب التراجم أو لم يصل إليها ما كتبوه عنه، ولهذا لا يعرف عنه شيء ولا يستدلّ على وجوده إلا بكتابه الحافل المسمى *بالبيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب*، وقد كانت المخطوطات التي وجدت منه أول مرة خلوا من اسم المؤلف وهي التي نشرها دوزي ثم بروفنسال وكولان ولم يكن يعرف منه إلا شهرته بابن عذاري التي وردت في بعض المصادر التي نقلت عنه مثل *الإحاطة* لابن الخطيب، وبعد مرور نحو قرن ونصف على طبعة دوزي كشف عن نسخ خطية جديدة في الخزانة الملكية بالرباط فإذا بعضها يبدأ بما يلي : "قال الشيخ الأجل الأثير الأكمل الراوية المطلع الحسيب الأفضل أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري" وبهذا انتهى الجهل والاضطراب في إسم هذا المؤرخ الذي وقع فيه الإفراني في نزهة الحادي إذا التبس عليه بابن عذاري آخر وكذلك العباس بن إبراهيم الذي ذكره في الأحمدين ثم عاد فذكره في المحمدين وقد كان بروفنسال حصل على البداية المذكورة من شخص كان جلّد المخطوطة المذكورة فأوردها في تقديمه القصير لما سمّاه الجزء الثالث من *البيان المعرب*.

ومن قبيل الاضطراب في اسم هذا المؤرخ الاختلاف في ضبط عذاري فقد قرأها المستعربون بكسر العين والصواب فتحها لأنها جمع عذراء.

وقد شكلت بالفتحه في ترجمة علم له فيما نظن علاقة بمؤرّخنا وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد البلنسي يعرف بابن عذاري، وهو مشكول في نسخ التكملة لابن الأبار بفتح العين، وقد عاش هذا إلى نهاية القرن السادس الهجري، ولعل المؤرّخ ابن عذاري من قرابة هذا أو ذريته وربما تكون هذه الأسرة لجأت إلى مراكش بعد إخراج المسلمين من بلنسية عام 636.

ويستفاد من *البيان المعرب* أن مؤلفه ابن عَذاري عاش في مراكش وهذا ما يبدو من الأخبار الأخيرة في كتابه وقد كانت له صلات بالمؤرّخ ابن عبد الملك المراكشي قاضي الجماعة في مراكش، وهو يروى عنه مباشرة ونجد ذلك في الفصل المتعلق بنكبة الوزير الكاتب أبي جعفر ابن عطية الذي يفتتحه بقوله : "أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الملك" كما نجده في خبر يتعلق بعبد المومن أوله : "ومن جده وظهور سعده ما أخبرني أبو عبد الله ابن عبد الملك قال : حدثني أحد أشياخ الموحدين بحضرة مراكش" وقد نقل أكثر من مرة عن *الذيل والتكملة* لابن عبد الملك ولكنه لم يعده في المصادر التي سردها كما أنه سمّاه : *التكملة والذيل*.

وثمة تاريخي آخر سمع منه ابن عذاري بعض الأخبار وهو أبو علي صالح بن أبي صالح الايلاني الذي وصف في كتاب *مفاخر البربر* وكتاب *درة الحجال* بالفقيه الصالح العالم التاريخي الزاهد الورع. كان حيا سنة 712. ويمكن عده - كابن عبد الملك - من شيوخ ابن عذاري.

وقد كان صاحب البيان - فيما يبدو - على صلة كذلك ببعض رجالات الدولة فهو ينقل أخباراً تتعلق بالمرتضى الموحدي عن أبي عمران بن تيجا الذي كان والده أبو سعيد بن تيجا وزيراً للمرتضى، ويمكن القول بأن الأخبار المتعلقة بالسنين الأخيرة لدولة الموحدين رواها عمن عاصرها وهي تنتهي بمقتل أبي دبوس عام 668 وبها يختتم كتاب البيان ولكن ابن عذاري فيما يبدو عاش حتى مطلع القرن الثامن الهجري. وإذا كان القدر ضنَّ علينا بترجمته فقد جاد بوصول كتابه الذي يعتبر أهم مصدر لتاريخ الغرب الإسلامي من الفتح إلى نهاية القرن السابع الهجري.

وهو كما يذكر مؤلفه في بدايته يقع في ثلاثة أجزاء الجزء الأول في الامارات والدول التي قامت في المغرب الأدنى والأوسط والأقصى من الفتح الإسلامي إلى قيام المرابطين. والجزء الثاني في تاريخ الأندلس من حين الفتح الأول إلى حين دخول المرابطين سنة 478.

والجزء الثالث في أخبار المرابطين والموحدين والحفصيين والنصريين ويقف عند استيلاء بني مرين على مراكش عام 667.

هذه هي التجزئة التي ذكرها ابن عذاري في فاتحة كتابه لكنه طبع على أساس مغاير بعض الشيء لأنه ظهر على مراحل وعرف أول مرة من خلال ما نشره منه دوزي ثم عثر على جزء جديد نشره كولان وبروفنسال مع ما نشره دوزي قبل ذلك ثم ظهر الجزء الأخير من الكتاب الذي أعدّه ميراندا ونشر في تطوان وأعيد نشره بتحقيق مجموعة من الأساتذة، وما أحوج هذا الكتاب الجليل إلى أن يعاد إخراجه كله بتحقيق حقيقي بمعارضته على جميع نسخه الخطية التي ظهر عدد منها في السنين الأخيرة وفي ضوء بعض مصادره الموجودة.

الأجزاء المطبوعة من *البيان المغرب*، أطروحة Emile FRICAUD.

محمد بنشريفة

ابن **عذراء الجزولي، سليمان** فقيه من أهل السوس

الأقصى، ومن أصحاب وجاج بن زلو اللمطي، التحق بالمرابطين وانخرط في جهادهم. وبعد استشهاد شيخهم عبد الله بن ياسين بكريفلة في حربه ضد البرغواطيين سنة 451 / 1059 اختار المرابطون سليمان بن عذراء زعيماً روحياً لهم، لكنه توفي بعده بسنة واحدة فقط سنة 452 / 1060، فبقي منصب القائد الروحي شاغرا. وكان له أخ يدعى أبا القاسم من أصحاب وجاج بن زلو ومن الفقهاء المتحمسين للدعوة المرابطية أيضاً.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، ج 8، ص. 78 - 80.

محمد المغراوي

**عراصي مراكش**، العرصة البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء وقد عرفت المدن المغربية على العموم عراصي وجنات عديدة اشتهر بعضها على الصعيد الوطني، وأحيانا على الصعيد الدولي، واعتبر متنفسا مهما للمدينة وفضاء لإقامة الأفراح والتنزه.

وقد ساعد على ظهور هذه العراصي توفر المياه بغزارة في كثير من مناطق المغرب.

فالاهتمام بالعيون التي تتفجر هنا وهناك وتعهدها بالتنظيف وتسهيل سيلانها وابتكار أسلوب الخطارات في مناطق أخرى وشق السواقي التي تجلب المياه من الجبال والأودية إلى المدن وحفر الآبار في المناطق التي تحتاج إلى الماء وبناء الصهاريج والبركات والضايات لتجميع المياه والحفاظ عليها ثم إعادة توزيعها على امتداد السنة حسب الحاجة إليها.

هذه المجهودات كانت وراء انتشار الخضرة وظهور العراصي وتوسعها قبل أن تمتد إليها يد العمران وبناء المدن.

- أن لكثرة العراصي بمراكش أثراً واضحاً في حياة السكان وثقافتهم، بل لقد أدى ذلك إلى ظهور اسم آخر نافس اسم المدينة الأصلي وهو "البهجة" وإنما لقبت بها لكونها ذات منظر حسن، تنشرح بها الصدور، ولاشتمالها على حدائق ذات بهجة بالنظر إليها يكمل السرور (*الإعلام*، 1 : 138).

وقد نهضت العراصي بوظائف عديدة ومهمة منها :

- إنتاج الخضر والفواكه في العراصي المحيطة بالمدينة للاستهلاك المحلي.

- النزهة والاستجمام في فصل الربيع وبعد عاشوراء مباشرة.

وكانت تقام بمنتزه الحارثي الواقع خارج باب الجديد وبين اغصانه وسواقيه احتفالات سلطان الطلبة أثناء عطلة فصل الربيع خلال عقدي الثلاثينيات والأربعينيات، يحضرها طلبة ابن يوسف والسلطان وتتبادل بها الخطب. وتقدم فيا أنواع المأكولات، في جو من المرح والترفيه والاستجمام.

- ولم تكن بعض العراصي تقوم بهذه الأدوار فقط، وإنما أنيطت بها أدوار مهمة على الصعيدين الاقتصادي والعسكري، فعرصة أكدال التي تعني المرعى الخاص بخيول السلطان، غرست من طرف عبد المومن بن علي في ظاهر عرصة الصالحة المرابطية جنوب سور مراكش، طولها ثلاثة أميال وعرضها قريب من ذلك.

- معمل للسكر : تأسس في مؤخرة أكدال (مكينة سيدي عمارة)، جلبت آلاته من أوروبا كذلك وبذل فيه محمد بن عبد الرحمن أموالاً طائلة، وكلف به أوربيين فعجزوا عن تنفيذه، ثم كلف به مصريين فشغلوه مدة ثم توقف (*الجيش العرمرم*، 2 : 80).

وكان المشرف على بنائه محمد الدكالي العارف باللغات الأجنبية، وتعاقب على ادارته كل من عبد الله المعلم، وعبد القادر العلج (*الإتحاف*، 3 : 556).

- معمل صنع القرطوش : أسسه الحسن الأول، وهناك خمس رسائل تتعلق ببنائه، تتضمن الأولى تكليف محتسب المدينة مولاي عبد الله بن إبراهيم البوكيلي بالإشراف على البناء، وذلك في 12 شعبان 1304 ويستفاد من الملحق الأخير أن المصنع قد كمل بناؤه في آخر سنة 1310 / 1892. أما ادوات استخدامه فقد استجلبت من فرنسا بمبلغ 83900 فرنك وهي مفصلة في لائحة مطولة، وكان المصنع يستخدم بالبخار (*الإتحاف*، 2 : 499).

كما كان ينظم بين أشجار جنان الحارثي المعرض الكبير للجنوب تعرض فيه المنتوجات الفلاحية، والصناعية للمغرب عامة ولجنوبه خاصة. وقد أعيد تنظيمه منذ بضع سنوات بعد توقف طويل.

- وكانت للعراصي مكانة كبيرة في الحياة العامة والخاصة يعيش فيها الملوك والأمراء والوزراء ومختلف الطبقات الشعبية وتشيد بها قصور على قدر متفاوت من العظمة والضخامة بحسب مكانة صاحبها ومستواه.

- ومن الأمثلة على ذلك قصور ومنتزهات أكدال : ومنها المسرة الذي يعود إلى العصر الموحدي عند بعض المؤرخين، والراجح أن المسرة والمشتهى قصران سعديان، وهما اللذان سميا فيما بعد بقصري الهناء والدار البيضاء.

- وفي عهد سيدي محمد بن عبد الله العلوي أعيد غرس أكدال وجدد بها قصر الدار البيضاء، وفي عهد سيدي محمد ابن عبد الرحمن شيد جنان الرضوان مع قصره ومنزهه وذلك سنة 1862 / 1863 وغرست به عراصي النيل.

ولا تقل عراصي المنارة أهمية عن سابقتها فمع أن إحداثها كان لهدف عسكري أساساً : تعليم الجنود السباحة وأساليب التجذيف في صهريجه الكبير، فإن ملوك الدولة العلوية قد بنوا على ضفة الصهريج منزها هو قبة المنارة على عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن، وأعيد غرس زيتونه ومجموع أشجاره خلال سنتي 1869 و1870 (Deverdun, 1870 : 531).

- وتعتبر عرصة النهر من مكملات حدائق قصر البديع وملحقاته بعدما أشرف المنصور السعدي على تشييده وزخرفته.

ـ أما عرصة الرشيدية فتقع داخل باب أيلان وفي الحومة التي تحمل اسم هذا الباب، كان المولى الرشيد يخرج إليها أثناء إقامته بمراكش.

ـ إن إصلاحات المولى محمد بن عبد الله بمراكش كثيرة منها قصر القصبة وتجديده لكثير من الأضرحة والمساجد، وقد أحدث جنان العافية وغرس أشجار وأغلبها من أشجار الزيتون، وكانت تسقيه عين جراوة عبر الساقية المعروفة بهذا الاسم، وكذا ساقية الباشا، وساقية تاسلطانت الشهيرة.

ـ ومن العراصي التي شيدت بها قصور سلطانية كذلك الجنان الكبير الذي يقع خارج باب الخميس على الضفة اليسرى من وادي إيسيل يمين طريق الويدان.

وبمراكش عراص مشهورة كانت في ملكية بعض الأمراء وهي :

ـ عرصة المامونية غرسها مولاي المامون بن سيدي محمد بن عبد الله وإليه تنسب وبنى بها قصراً كان ينزل به عندما يحل بمراكش إذ كان خليفة لأبيه بفاس.

توفي مولاي المامون سنة 1200 / 1786.

وتقع عرصة المامونية داخل السور وبمحاذاته على طول المسافة بين الباب الجديد وباب الرب، وبها شيد فندق المامونية ومستشفى المامونية (ابن زهر حاليا) وتحيط بها غابة من أشجار الزيتون والنخيل والليمون.

ـ عرصة مولاي الحسن بن محمد بن عبد الله العلوي تقع شمال باب المخزن، وحولت إلى ما سمي بـ Parc Lyanbey، تقع أمام قصر البلدية بين باب النقب وباب المخزن، وكانت تسقى من عين العرفاوي.

وكان يسكن بهذه العرصة الواقعة داخل باب الرب بين السور وحي سيدي ميمون وأمام باب أگناو، وقد صارت فيما بعد ملكا لشاعر المولى عبد الرحمن ووزيره محمد بن إدريس العمراوي (1209 / 1794 ـ 1264 / 1847) فحملت اسمه وقد نزل بها بعض الضيوف الأجانب من أشهرهم :

Sir Moses Montefiore president du London committee of british jews

عندما جاء ليتدارس مع محمد بن عبد الرحمن قضايا اليهود بالمغرب سنة 1281 / 1864 وانتهى اللقاء بصدور ظهير ملكي بتوقيرهم مؤرخ في 5 ـ 2 ـ 1864 (Deverdun, 571).

ـ عرصة مولاي موسى بن محمد بن عبد الله العلوي، تقع بين روض الزيتون وعرصة المعاش، حل بها الولي الصالح ابن داوود بن العربي الشرقي سنة 1295 / 1878. وقد بني الجزء الجنوبي من العرصة خلال القرن التاسع عشر وهو الحي المسمى بدرب العهد الجديد أو درب العفو وبني بها كذلك قصر موخا التازي أمين الأمناء في العهد الحسني والعزيزي، وقصر القايد إبراهيم الگلاوي.

وتنتسب بعض العراصي لشخصيات ذات نفوذ وسلطة في البلاد، مثل باحماد (أحمد بن موسى) حاجب مولاي الحسن ووزير المولى عبد العزيز، كانت له عرصة تسمى أگدال باحماد وبها قصر الباهية حفر فيها صهريجا على غرار أگدال الكبير.

ـ وجنان بنشقرا الذي كان ملكا لابن شقراء أحد قواد السعديين وخليفة مراكش على عهد محمد بن عبد الله السعدي يقع بين روض الزيتون الجديد والباهية (*الاستقصا*، 5 : 57).

ولم يكن الملوك والأمراء والوزراء هم وحدهم الذين يملكون العراصي الفيحاء بمراكش، بل كان لعدد من الصوفية والفقهاء عراصيهم لا تقل أهمية عن سابقتها، مثل :

ـ جنان أولاد سيدي عبد العزيز التباع أحد رجالات مراكش السبعة المتوفى سنة 914 / 1508 يقع خارج باب الخميس.

ـ وجنان توايز سيدي بوعمرو القسطلي المراكشي دفين روض العروس، كانت له أملاك كثيرة بمراكش واغواطيم واكفى، وهذا الجنان يقع خارج باب الخميس، بجانب جنان بلحداد (انظر عن أملاكه كتاب *أضواء على الزاوية البوعمرية بمراكش*).

ـ وعرصة الفقيه العالم السباعي قرب جبل گيليز.

وقد كانت كثير من العراصي محبسة على بعض الزوايا والأولياء ترصد مداخيلها للعمل الخيري والإنساني.

فجزء كبير من الداوديات وجزء من جنان العافية كان محبسا على أبي العباس السبتي صاحب مذهب مشهور في الصدقة (*حوالة أحباس الزاوية العباسية*) وأخرى محبسة على محمد بن سليمان الجزولي : القبة والضريح وقراء دلائل الخيرات (*حوالة أوقاف الجزولي*).

وهناك محبسات أخرى من العراصي على باقي مساجد المدينة كبيرة وصغيرة، وكذا دور العلم والمدارس، وكراسي العلماء ومناصب القضاء والفتيا، وحتى الحيوانات (*حوالة أحباس مراكش*). وتناول بول باسكون موضوع الأراضي المحبسة بمراكش وناحيتها وعدد مواقعها ومساحاتها في كتاب حوز *مراكش* (*Le Haouz de Marrekech*, 390 - 391).

الملاحظ أن أغلبية أسماء العراصي لها صيغة أمازيغية، وتفسير ذلك أن أرض مراكش كانت أصلا ملكا لمصمودة فاحتفظوا عبر التاريخ بملكية الأرض، أو بقيت العراصي تحمل الاسم القديم مع ما يطرأ عليها من تغيير من حيث الملكية.

فمن الصيغ الأمازيغية على سبيل المثال : أگدال، ازدو، أدرازن، اتكريانت، أككمار، أدراق، ازدوا، أسليم، اگوش، تاصاغت، تارگينت، تالعينت ...

أما العنصر الأجنبي الذي ملك الأرض في فترة الاستعمار فقد تسمت بعض العراصي باسمه مثل عرصة إيگرى، سينكو، قاسيمو ...

وفرضت العرصة حيزاً كبيراً في تراثنا الشعبي، إذ كانت من أسباب ظهور بعض الفنون الشعبية كفن الكف، وازدهار أخرى كالدقة والملحون والنكت والحكايات الشعبية التي

كانت متداولة في العراصي، فهنالك رجز شعبي حول جنان الصالحة رواه صاحب ( *الاستقصا*، 2 : 258) وآخر عن عرصة احريلي :

النزاها وقت النوار    فاحريلي واحريلي

سيدي ربي نرجاك بالعالي    يزيان حوزنا ترخاص كل امسالي

وقيلت قصائد شعرية في عراصي أخرى كعرصة السهب والمامونية والمسرة.

ونظراً لكبر عراصي بيدة، وتفرطا وبلحداد ... صدرت أمثال شعبية متداولة في شأنها منها :

(واش كيسلك بيدا) و (واش عندو تفرطا أو بلحداد).

ولكثرة مياه بلحداد البالغة مساحته حوالي عشرين هكتارا خارج باب الخميس، وتعدد بركه وصهاريجه نسبت إليه قصة التقاء الشاعر الشعبي الجيلالي امتيرد، ومشاركته لهم بالغناء ليلا، فسلموا له تعريجة، وكان ذلك سبب موهبته وبروزه في ميدان الملحون ونظم القصائد، (*القصيدة*، ص. 612).

يمكن اعتبار العراصي بالمدن المغربية عموما، وعراصي مدينة مراكش خصوصاً من التراث الحضاري الذي يجب المحافظة عليه نظراً لما شهدته من أحداث، وما تحتفظ به الذاكرة الشعبية عنها من مردودات ثقافية متنوعة.

وقد نهضت بدور ريادي في مجال المحافظة على البيئة الطبيعية، موفرة فضاء شائقا يستفيد منه سكان المدينة في النزهة والاستجمام وممارسة الرياضة وفي الدراسة والمطالعة، وإقامة الندوات والمطارحات الأدبية، وتعاطي هواية الغناء والعزف وخاصة في مجال التراث الشعبي الملحون.

إلا أن زحف التمدن، وقطع الأشجار لبناء العمارات والمجمعات السكنية، كان له الأثر على عرصات المدينة إذ أصبح مجرد ذكريات جميلة في أذهان الناس، في حين مازال الكثير منها صامدا، نتمنى أن تلتفت الجهات المختصة بالمدينة إليها لإنقاذها وتجهيزها تجهيزاً يمكنها من الاستمرار في أداء هذه الرسالة الاجتماعية والثقافية النبيلة، في وقت كثر فيه الحديث عن مكافحة كل أنواع التلوث والحفاظ على البيئة الطبيعية التي هي ضمان لاستمرارنا ووجودنا وعيشنا عيشة آمنة كريمة على وجه الأرض.


ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1347 / 1929 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدا البيضاء، 1954 ؛ ع. إبراهيم، *الاعلام* ؛ الكنسوسي، *الجيش العرمرم* ؛ *حوالة أحباس الزاوية العباسية*، ميكروفيلم الخزانة العامة بالرباط، رقم 118 ـ 120 ؛ *حوالة أوقاف الجزولي* ؛ ع. الجراري، *الزجل في المغرب*، ط. الرباط، 1970 ؛ ابن منظور، *لسان الدين* ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث* ؛ ح. جلاب، *معجم عراصي مدينة مراكش* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*.

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1977 ; G. Deverdun, *Marrakech dès origines à 1912*, Rabat, 1956.



حسن جلاب


**العرائش** (مدينة ومحيط) يتبنى سكان العرائش الفكرة القائلة باشتقاق اسم مدينتهم من "العريشة" أي البيت من النبات وحطام الأشجار. ذلك أن أسلافهم أقاموا عرائش على ضفاف اللوكوس كانوا يضعون بها أدواتهم وقت تنقلهم عبر منعطفات الواد والمرجات المحاذية له، يلجأون إليها أثناء فترات الراحة ؛ تقيهم حرارة الشمس كما توفر لهم الأمن والمساعدة. وهي تسمية يرى المؤرخون أنها مستمدة من عرائش العنب التي كانت تزين نقود "لكش".

تقع مدينة العرائش ببلاد الهبط على الجانب الأيسر لمصب واد اللوكوس في أقصى شمال أولاد عكبان، عند الإحداثيات الجغرافية '08 °06 طولا و'12 °35 عرضاً. تخترقها طريق الدار البيضاء ـ طنجة ويتفاداها الطريق السيار ؛ تطل على المحيط الأطلنتي بواسطة حافة صخرية يبلغ مداها أزيد من 10 أمتار. تبعد العرائش عن ليكسوس الأثرية (تشمس أو توشمس) بحوالي أربع كيلومترات، يفصلهما واد اللوكوس المعروف بكثرة المنعطفات عند السافلة حيث يتسع السهل ليشكل مجالا مفضلا تستريح به الطيور المهاجرة بين أوربا وإفريقيا.

يرتكز اقتصاد المدينة أساسا على الفلاحة والصيد البحري والصناعات الغذائية المرتبطة بهما. وكغيرها من التجمعات السكانية، تسجل المدينة نمواً ديمغرافيا سريعا بسبب الزيادة الطبيعية والهجرة الداخلية. وقد أدت هذه الزيادة السريعة إلى تغيير المعالم العمرانية للمدينة على حساب فن العمارة الإسباني الذي ساد خلال معظم القرن العشرين.

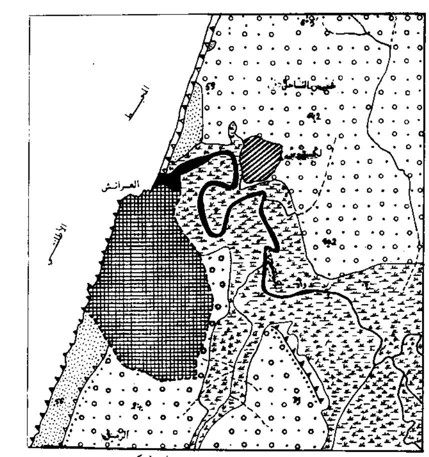


مدينة العرائش عند مصب واد لوكوس
مجال خلفي يغلب عليه الانبساط

موقع متميز وإطار طبيعي وتاريخي ملائم :

يتميز محيط المدينة بخصوصيات طبيعية جيدة ومناسبة للتنمية الاقتصادية. فطابع التدرج من الجبل نحو البحر يتم على عدة مستويات يغلب على طبغرافية المنطقة بدءاً من قمم الريف الغربي ونزولا نحو هضبة أولاد عكبان وسهل القصر الكبير جنوبا، أو بمحاذاة المحيط الأطلنتي غربا.

المستوى الأول أو الظهر الكلسي

يتألف الظهر الكلسي من مجموعة من الجبال عادة ما تفصل السفوح المطلة على المتوسط عن سفوح الواجهة الأطلنتية. يمتاز هذا الحزام الكاربوناتي بارتفاعات تقارب 2000م وباستقرار كثيف للمداشر على جوانبه. واعتباراً لشروط مناخية رطبة تتجذر شبكة التصريف المائي هنا لتضمن تغذية مستمرة للسافلة إن بالمياه السطحية أو الجوفية.

المستوى الثاني أو النطاق النوميدي

يغلب على كل المجالات التي تلي الظهر الكلسي إلى الغرب والجنوب، يمتد ضمنها حوض اللوكوس الأعلى بعرض لا يقل عن 40 كم. وتتميز عن باقي المجالات الريفية بفرشات الصلصال (وحدة طنجة ـ الهبط) وبسمك المواد الحثية ـ السليسية (مئات الأمتار)، يرجعها البعض إلى مخلفات فرشة كبيرة كانت تغلف السواحل المغاربية والأندلسية، لم يتبق منها حاليا إلا أحجام منعزلة طولية، تشرف بانحدارات قوية على فرشة طنجة وأحيانا ترتبط بها بواسطة تغليفات وتراكمات سفحية من الرباعي القديم كما تستقر فوقها غابة البلوط الفليني (جبل حبيب، جبل علم 1338م).

المستوى الثالث أو مقدمة الريف

هي منطقة أنسب من سابقاتها للأنشطة الزراعية، وهي الأحدث نشأة وتأثرا بتنقل وتراكب إرسابات الزمن الثالث. لذلك يعمل الجيلوجيون على التمييز بكثير من التعميم بين أراض نقلية ومواد دخيلة على المنطقة ثم قاعدة صلصالية محلية (ميوسين).

المستوى الرابع أو الهضاب الساحلية

تمتد الهضاب عن جانبي المجرى السفلي لمحور اللوكوس، تتناقص ارتفاعاتها من 200م في أقصى الشمال لتصل أقل من 100م جنوبا. تمتاز بغطاءات حصوية ورملية سميكة تدل على قدر هائل من المواد المقتلعة من قمم الريف الغربي، توضعت عند قدم الجبال، تغلفها غابة السنديان الفليني. فخميس الساحل بالشمال هضبة متقطعة بفعل الجريان، أكثر انحسارا نتيجة تقدم جبهة الزحف الريفي شمال مجرى اللوكوس كما أنها أكثر علوا من نظيرتها هضبة الرمل بالجنوب.

المستوى الخامس أو الشريط الساحلي

على شكل زاوية مغلقة في الشمال، ينحصر هذا المستوى بين مقدمة الريف خط الساحل يتراوح بين ساحل رملي ضيق شمال المصب، وأجراف حثية نشيطة تطل مباشرة على المحيط من علو قد يصل عشرات الأمتار.

تصنف مدينة العرائش وضاحيتها ضمن النطاق المناخي الرطب بسبب وفرة تساقطاتها (656,5مم / سنة)، وبسبب وفرة مواردها المائية، خصوصا عند حافة الهضبة سواء منها المطلة على البحر (عيون شاطئ أشقار وسيدي عبد الرحيم) أو على نهر اللوكوس (عين خماسة). وتكثر بالمنطقة كذلك المرجات الدائمة والضايات الموسمية : الغديرة، البكارة، سافلة واد اللوكوس حيث يقدر متوسط الموارد المائية السطحية القابلة للتعبئة بحوض اللوكوس ـ جنوب العرائش بـ 1237 مليون م$^3$.

يظهر أن المعطيات ملائمة للأنشطة الفلاحية : وفرة التساقطات، اعتدال حراري (17 كمتوسط سنوي) وأتربة خصبة.

تم بناء سد وادي المخازن (772,7 مليون م3) سنة 1979، وهو تاريخ انطلاق عملية السقي الكبير بالمنطقة. إضافة إلى الري تستعمل مياهه في أغراض الشرب وإنتاج الطاقة والصناعة والحماية من الفيضان. كما تم تشييد سد آخر على نفس المجرى (سد المنع لفصل المياه العذبة عن المالحة) سنة 1981، عند سافلة السد الأول، سعته 4 مليون م3، تستعمل مياهه للري فقط.

ساعدت هذه الخصوصيات الطبيعية على نمو غابة مهمة ومتنوعة نسبيا بمحيط المدينة تقدر مساحتها بحوالي 70000 هكتار، كما تتشكل من عدة أصناف شجرية : بلوط أخضر، بلوط فليني، صنوبر حلب، صنوبريات أخرى، سرو، أيك ... تتميز هذه الغابة كذلك بإمكانيات رعوية وقنصية هائلة، وخصوصا فيما يتعلق بالأيل، الرت، القواع، الأرنب الوحشي، الحجل ...

ليكسوس واحدة من أقدم مدن المغرب

ورد ذكر مدينة ليكسوس في جل النصوص الإغريقية واللاتينية المتعلقة بالمغرب القديم. غير أن هذه النصوص لا تفيد إلا بمعلومات هزيلة يطبعها التكرار والغموض. وترتبط أساسا باسم المدينة وبموقعها الجغرافي أو بنهر لكسوس.

وأهم شهادة أدبية حول ليكسوس هي التي وردت عند بلينيوس الأكبر (سنة 79م) الذي يشير إلى جزيرة قريبة من مصب نهر ليكسوس كان بها مذبح أو معبد هرقل (وهو ملقارت الفينيقي)، ويبدو أن هذا المعبد قد أسس في القرن

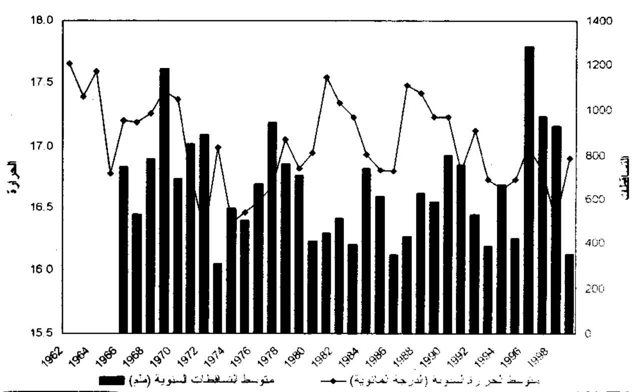

الثاني عشر قبل الميلاد، أي قبل بناء معبد قادس بإسبانيا. كما يورد بلينيوس كذلك، ولو بلهجة تشكيكية، أقوال المؤلفين القدامى الذين وطنوا بليكسوس قصر أنتيوس ومعركته ضد هرقل، وكذلك حديقة الهسبريسات ذات التفاح الذهبي، التي كان يحرسها تنين رهيب. وليس هذا التنين في نظر بلينيوس إلا تمثيلا رمزيا لنهر اللوكوس الذي يرسم انعراجات كثيرة وملتوية قبل التحامه بالبحر.

وتمكن المعطيات الأثرية اليوم من تقديم الخطوط العريضة لتاريخ الاستيطان على امتداد أزيد من 2000 سنة. وقد تم ذلك على خمس مراحل كبرى من البداية إلى الهجر النهائي للموقع.

1 ـ المرحلة الفينيقية : تعود أقدم البقايا الفينيقية بالموقع إلى القرن الثامن قبل الميلاد، كما هو الشأن بالنسبة للمستوطنات الفينيقية على الضفة الشمالية لمضيق جبل طارق. وتدفع وفرة البقايا الخزفية التي تم العثور عليها بالموقع إلى الاعتقاد بأن الفينيقيين سكنوا جزءاً مهما من الهضبة ومن منحدراتها الشرقية، وكذلك إلى العلاقات الوطيدة التي كانت تربط ليكسوس بالمستوطنات الموجودة بإسبانيا حيث صدر ميناء المدينة مواد كجلود الحيوان والخشب، والعاج، وريش وبيض النعام ...

2 ـ المرحلة البونية : رغم قلة المعلومات عن هذه المرحلة، يبدو أن المدينة ساهمت وقتئذ في التجارة المتوسطية بتصدير جزء من فائض منتجاتها السمكية، الشيء الذي يستدل عليه من وفرة بقايا الأنفورات التي صنعت خلال هذه الفترة والتي كانت مخصصة لحمل المنتجات البحرية في إطار شبكات بحرية متوسطية.

3 ـ المرحلة المورية : تميزت الفترة سياسيا بتشكيل المملكة المورية، وعرفت نشاطا معماريا مهما ومتواصلا تشهد عليه مجموعة من البنايات وخزان الماء...

4 ـ الرومنة : بدأ هذا العهد منذ القرن الأول قبل الميلاد مع استعمال اللاتينية على النقود المضروبة بالمدينة. وفي 42 ـ 43، رقيت ليكسوس إلى مرتبة مستوطنة رومانية تحت ظل حكم الإمبراطور كلاوديوس، وبذلك دخلت المدينة عهداً جديداً. خلال هذه الفترة، ارتكز اقتصاد ليكوس على استغلال الثروات السمكية، وهو ما تشهد عليه آثار المركب الصناعي المهم الذي كان مخصصا لتمليح الأسماك وصناعة الكاروم (نقيع السمك). وتعد هذه المعلمة أكبر وأهم معمل في البحر الأبيض المتوسط. وقد كان المنتوج اللكسي يصدر في أنفورات تحمل اسم ليكسوس إلى جهات عدة، ضمنها روما.

صاحب هذا الازدهار تطور عمراني تجلى في تعدد المباني والمسارح والمدرجات والحمامات العمومية والمرافق الإدارية ؛ زينت جميعها بزخارف مصبوغة وفسيفساء تمثل الإله أقيانوس، مارس وهيليوس، الحسناوات الثلاث، موكب باكوس، ... (وكلها لوحات محفوظة بمتحف تطوان الأثري).

ولعل مساحة لكسوس (60 هكتارا) كفيلة بأن تجعل منها أكبر مدينة في موريطانيا الطنجية. غير أن هذا الازدهار لم يدم طويلا، إذ توقف في النصف الثاني من القرن الثالث بسبب تخريب وحريق لحقا بالمدينة فانكمشت في القرن الرابع، واستمرت الحياة بها حتى إفراغها النهائي خلال القرن السادس الميلادي.

5 ـ الفترة الإسلامية : عادت الحياة للموقع، بعد "فترة غامضة"، وذلك خلال الفترة الوسيطية حيث قامت مدينة إسلامية فوق أنقاض وخرائب ليكسوس. وحملت هذه المرة اسم "توشمش" المذكور في النصوص العربية الإسلامية ابتداء من القرن الحادي عشر.

موضع مدينة العرائش، زاوية يحاصرها المحيط والنهر

يتألف إقليم العرائش من قبائل العوامرا، ريصانا، بني عروس وبني جرفط. ومما أورده ابن خلدون (ق 14) أن المنطقة كانت تسكنها قبائل غمارة ومنهم بنو حسان. وقد شكل استقرار عرب الخلط (بنو هلال) منذ القرن 16 بعدما جاؤوا للمغرب في القرن 13، محطة أساسية في تاريخ المنطقة. فطوال القرنين 16 و17 تعرضت العرائش لغزو متواصل من البرتغال والإسبان والإنجليز. ولصد الغزاة أنشئت جيوش الجهاد من عرب الخلط وسكان الريف فحصل مزج عرقي بين العرائش وظهيرها يختزل الاندماج الحاصل بمجموع السهول الأطلنتية. وكباقي المناطق الشمالية خضعت العرائش للاستعمار الإسباني ما بين 1912 و1956.

يمكن اعتبار موضع مدينة العرائش زاوية مغلقة محصورة بين مخطط الأجراف البحرية غربا ونطاق المرجات والمستنقعات من جهة الشرق. فبعدما كانت مقتصرة على المحيط المباشر لمينائها، امتد مجالها لعدة كلمترات على حساب هضبة الرمل جنوبا وذلك بواسطة تجزئات وأحياء سكنية أخطبوطية ترامى بعضها فوق المجالات الغابوية أو أراضي الحبوس أو الأراضي الجماعية. فضفاف اللوكوس غير مؤهلة لاستقبال المباني كما أن الأجزاء المحاذية لحافة البحر تتعرض لانزلاقات عنيفة جراء وضع استرتيغرافي سائل ودينامية هيدروجيولوجية خاصة تتمثل في دكات حثية تعلو قاعدة صلصالية تستقبل فرشة مائية غنية. وقد تسبب هذا الوضع في متاعب تعرضت لها المدينة منذ القدم حيث ظلت كل الأبراج والمنشآت عرضة للهدم والبتر جراء الحركات السفحية.

يتكون إقليم العرائش من دائرتين (العرائش والقصر الكبير)، ومن جماعتين حضريتين و17 جماعة قروية (تقطيع 1992). يعمر المدينة نسبة مهمة من الوافدين من الريف الأوسط وغمارة وفحص طنجة، وسهل الغرب... كما تتجاوز نسبة التعمير 56٪. بينما يتوزع سكان الإقليم (471000 ن) إلى 231000 ن بالوسط الحضري و240000 ن بالوسط القروي (تقديرات 1999)، أي بكثافة تتجاوز خمس مرات المتوسط الوطني (174 ن / كم2، مقابل 37 ن / كم2). نسبة النمو الحضري بـ 3.2٪ / السنة / أعمار حوالي 40٪ من

ساكنة العرائش تقل عن 15 سنة، وهي نسبة مرتفعة مقارنة بالمستوى الوطني (35٪). وتمثل نسبة النشيطين (بين 15 و59 سنة) 53.5٪. وهي نسبة دون المتوسط الوطني (58٪).

أنشطة اقتصادية تعتمد الفلاحة والصيد

مدينة العرائش تستحوذ على معظم المصالح الإدارية والاجتماعية وبعض المصالح الخارجية كالقنصلية الإسبانية والفروع الممثلة للشركات الأجنبية ؛ فيما تنفرد القصر الكبير بالمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي. يشغل القطاع الأول حوالي 44٪ من السكان النشيطين المشتغلين. ويشغل القطاعان الثاني والثالث نسبا تقدر على التوالي بـ 22 و33٪.

فلاحة أراضي البور ومنتوج سقوي كثيف

تتقاسم مجال المنطقة الأراضي الغابوية والمجالات المخصصة للرعي ثم الزراعة البورية والمسقية. فإلى جانب الفلاحة ذات الطابع التقليدي تتكون الزراعات البورية من الحبوب الشتوية (10 ق / هك) والقطاني والزيتيات. كما تتميز بادية العرائش بقطاع سقوي تغطي مساحته 40000 هكتارا. بينما تتكون الزراعات المسقية من الحبوب (= 15 ق / هك) والزراعات البقلية والعلفية، والقطاني والزراعات الصناعية (شمندر وقصب السكر) والزيتية (عباد الشمس، فول سوداني وصوجا). يمثل إنتاج الشمندر بالمنطقة 10٪ من المنتوج الوطني وبمردودية متوسطها 357 در / قنطار، ويمثل قصب السكر 25٪ بمردودية متوسطها 632 در / قنطار.

مع التسعينيات، بدأت تتكاثر زراعة التسويق والمضاربة : كرز، بطيخ، مغارس المشمش والأفوكا والكيوي كما انتشرت البستنة على مساحة تقدر بحوالي 7800 هك. وهو يوحي بالحاجة الملحة إلى خطة تنموية دقيقة وواضحة تستوعب تحولات فلاحة التسويق والمضاربة بالأساس وتأخذ بالاعتبار أصناف النبات، ووحدات التصنيع، ووحدات التبريد والتثليج... وهي عناصر وثيقة الصلة بتنوع المنتوج وتعدد آفاق التسويق محليا ووطنيا ونحو البلاد الأوربية.

تربية الماشية :

تمكن مؤهلات الإقليم الطبيعية ووفرة المراعي من تربية الأغنام والماعز. وقد عرفت تربية الأبقار في النطاق السقوي نمواً مهماً (91 رأسا / 100 نسمة)، وذلك نتيجة للإنتاج الهائل للعلف ولحصيدة هذه المنطقة المسقية والمستعملة بشكل ملائم.

جدول 1 : عدد رؤوس الماشية سنة 1999 (1000)

| الأبقار | الغنم | الماعز |
|---|---|---|
| 84,6 | 179,3 | 109,3 |

وكذلك لاستيراد سلالات خالصة بغرض الرفع من إنتاج الحليب. إلا أن النشاط الفلاحي بمنطقة العرائش يواجه عدداً من المعيقات يمكن إجمالها في استمرار التعامل السلبي مع المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي من جهة وفيما يرتبط بفاتورة مياه الري ومحدودية دور التعاونيات والعزوف عن التعامل مع القرض الفلاحي ومخلفات هجرة الشباب إلى الخارج من جهة أخرى.

جدول 2 : عدد رؤوس الأبقار حسب النوع سنة 1994 (1000)

| محلي | محسن | المجموع |
|---|---|---|
| 46,9 | 37,7 | 84,6 |

مصايد العرائش، الأهم بشمال المغرب

يعتبر نشاط الصيد البحري الساحلي حيويا واستراتيجيا لساكنة المدينة. يساهم بشكل فعال في التشغيل كما يساهم بنسب مداخيل أكبر، مقارنة بمجموع المصيدات على المستوى الوطني كما يتضح من تطور منتوجات الصيد البحري الساحلي خلال السنوات الأخيرة :

جدول 3 : تطور منتوج الصيد البحري الساحلي (بالطن)

| سنوات | 1995 | 1996 | 1997 | 1998 | 1999 |
|---|---|---|---|---|---|
| منتوج | 41168 | 23036 | 25648 | 26419 | 30537 |

وبنفس الوتيرة تطور الصيد البحري الساحلي فأصبح المنتوج السمكي يستعمل في مجالات اقتصادية متعددة مثل الاستهلاك المباشر، التصبير، التثليج، مشتقات السمك، التمليح، التطعيم... تستهلك منه العرائش كمية 8613 طن في السنة، ويصدر الباقي إلى مناطق أخرى أو إلى الخارج (سمك أبيض وقشريات).

جدول 4 : تطور الصيد حسب الأصناف (بالطن) وحسب القيمة (1000 درهم) سنة 199

| | الصنف | ميرلان | روبيو | باجو | آخر | المجموع | قشريات | رخويات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| سمك أبيض | كم بالطن | 100 | 14 | ** | 557 | 671 | 207 | 63 |
| | قيمة/در | 1971 | 114 | 4 | 4075 | 6164 | 2181 | 703 |
| | الصنف | أنشوبة | إسقمري | شرن | سردين | تن | أخرى | المجموع |
| سمك سطحي | كم بالطن | 6155 | 169 | 150 | 284 | ** | 914 | 7672 |
| | قيمة/در | 15403 | 599 | 465 | 1024 | ** | 3998 | 21489 |

تعبر الأرقام الواردة (جدول 4) عن سجلات رواج سوق الجملة بميناء المدينة علما أن كمية أخرى من السمك تروج بموازاة السوق الرسمي. ويختلف حجم هذا الرواج السري حسب الصرامة في تطبيق القانون لدى المسؤولين عن تسيير

الميناء ؛ والواقع أن استغلال هذه الموارد يتأثر أيضاً لتقادم وضعف التجهيزات والبنيات التحتية.

العرائش جزء من القطب الصناعي طنجة - تطوان

يساهم القطاع الصناعي في التشغيل وفي الاستثمار والتصدير، فيما تمثل الوحدات الصناعية بالعرائش 7.6٪ مقارنة مع مجموع وحدات جهة طنجة - تطوان. وتتميز البنية الصناعية خصوصا بمؤسسات صناعية - غذائية، ونسبيا نسيجية أنشئت من أجل الرفع من مردودية المنتجات الفلاحية والموارد البحرية. ومن أهم مؤسسات العرائش الصناعية وحدات تكرير السكر، وتصبير الطماطم، وتعبئة الغاز، ووحدات تصبير ومعالجة السمك وبعض معامل النسيج ومعمل الآجر.

جدول 5 : أهم المؤشرات الصناعية بعمالة العرائش سنة 1998
(مليون درهم)

| عدد المؤسسات | مستخدمون دائمون | قيمة المبيعات | إنتاج | صادرات | نفقات | استثمارات |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 44 | 2391 | 737 | 767 | 273 | 140 | 29 |

الصناعة التقليدية :

تعتبر الصناعة التقليدية في الإقليم إحدى القطاعات الرئيسية للنشاط الاقتصادي علاوة على كونها تشكل تراثا ثقافيا وفنيا تمت المحافظة على أصالته وقيمته جيلا بعد جيل. وقد أكسبته السياحة طابعاً استهلاكيا يعتمد الرواج أساسا على مواد أولية محلية أو مستوردة مثل الجبس والطين والفضة والنحاس والصوف والجلد والخشب والحرير والنباتات المائية مثل البردي.

السياحة :

يواجه الوضع السياحي بالمدينة مفارقات كبيرة تنعكس سلبا على أدائه حيث يظل ضعيفا على الرغم من الاستعداد وعلى الرغم من تعدد المؤهلات :

موقع ليكسوس الأثري، يشكل قطبا كبيراً يؤمه السياح كما يفسر جاذبية الموقع أهميته التاريخية الكبيرة ضمن حوض الأبيض المتوسط الغربي.

رغم أن مرور الطريق السيار قلل من عدد زوار المدينة، فمليونا مسافر يمرون سنويا عبر الطريق الرئيسية التي تخترق مدينة العرائش ؛ وهو معطى يبقى محدوداً في غياب خط للسكك الحديدية.

- مؤهلات طبيعية عالية مرتبطة بمناخ متوسطي، حار وجاف صيفا، رطب ومعتدل شتاءً. كما أن المدينة تطل على ساحل بحري صخري يمتد على عشرات الكلمترات في اتجاه الجنوب، وآخر رملي يمتد شمالا حتى مدينة أصيلة تقريبا.

- نظراً للطابع الفلاحي المميز لاقتصاد المنطقة، تعتبر مداخيل السكان محدودة وضئيلة وهو ما يفسر تكلفة معيشية في متناول الزوار متوسطي الدخل، ويشجع على السياحة الداخلية.

جدول 6 : الوحدات التجارية والخدماتية بالعرائش

| مقاهي | مطاعم | متاجر | تجارة جملة | محطة بنزين |
|---|---|---|---|---|
| 91 | 40 | 22 | 15 | 8 |

أدى هذا الوضع إلى ضعف ومحدودية مساهمة القطاع السياحي في النشاط الاقتصادي للمدينة، ويستدل على هذا من خلال الجدول التالي :

جدول 7 : توزيع الفنادق المصنفة بالإقليم (31 - 12 - 1999)*

| فنادق | نجمة واحدة | نجمتان | 3 نجوم | 4 نجوم | 5 نجوم | قرى العطل السياحية | إقامة سياحة مراكز الاستحمام | مجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| عدد الفنادق | 2 | 1 | ** | ** | ** | ** | ** | 3 |
| عدد الأسر | 122 | 54 | ** | ** | ** | ** | ** | 176 |

* لم يدرج الجدول الفنادق غير المصنفة والمخيمات والمنازل الخاصة القابلة للاستئجار

إكراهات التنمية : رغم المؤهلات المتوفرة، تعاني العرائش من عدة إشكالات :

- محدودية الاستثمار عامة، وفي المجال السياحي خاصة ؛

- غياب الاستثمار للموقع السياحي ليكسوس، ونفس الشيء بالنسبة للسواحل ولمصب النهر ؛

- الطابع الموسمي للنشاط السياحي الذي يمتد بالخصوص إبان الفترة الصيفية ؛

- التركيز على الاستحمام كمنتوج سياحي أحادي وإهمال باقي المؤهلات الثقافية والإيكولوجية للمنطقة ؛

- تدني جودة الخدمات ؛

- غياب المراقبة الصارمة والفعالة للجودة ولأسعار المنتوجات المباعة بالبزارات والمؤسسات ؛

- نقص وسوء تنظيم التأطير بالنسبة للمرشدين السياحيين.

خاتمة :

يتوفر إقليم العرائش على مؤهلات اقتصادية كفيلة بتحقيق إقلاع اقتصادي واجتماعي منشودين. وتتضح هذه المؤهلات في فلاحة حديثة ذات إمكانات هائلة بواسطة السقي وتربية المواشي المنتقاة. أما القطاع الصناعي فبمقدوره إبراز قيمة وتنوع المنتوجات الفلاحية، وخلق مناصب الشغل وتوسيع السوق وطنيا ودوليا.

غير أن المدينة تعاني من بعض الإكراهات كتكاثر السكن غير اللائق والضعيف التجهيز، وتراجع الأراضي الفلاحية بسبب السيرورة المستمرة للبناء. كما تعاني من

ضعف الاستثمارات في الصناعة الغذائية ومن محدودية وسائل النقل كغياب السكة الحديدية وتوقف النقل البحري التجاري.

فهل يمكن للقطاع السياحي أن يساهم في دعم الاقتصاد بنسب أكبر إذا تمت الاستفادة أكثر من الثروة الطبيعية عبر البدائل المقترحة، مثل الحدائق الطبيعية، وتشجيع القنص والسياحة الغابوية وتصميم وتجهيز المخيمات بالغابات الثلاث المحيطة بالمدينة...

الواقع أن انعدام بنية سياحية وانعدام بنية ثقافية وفي غياب استراتيجية تنموية بالإقليم ؛ يتوجب تركيز العناية وفق محاور هادفة منها :

- حماية المجال والموارد الطبيعية من الاستنزاف وذلك بوضع استراتيجية تنموية تعمل بالتخصص في الإنتاج وتقنينه بما يضمن الشغل والمردود وتطور مستوى عيش السكان.

- تدبير وتنظيم الموارد البشرية في قطاع الخدمات خاصة على مستوى السياحة البيئية مع إنشاء متحف للبحر قرب مصب نهر اللوكوس وآخر للتنمية البيئية ومنتزه طبيعي في سافلة اللوكوس.


مديرية الإحصاء، 2000، *النشرة الإحصائية السنوية للمغرب*، 2000، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ؛ أكراز، ع. و 1999، *لكسوس ؛ حدائق التفاح الذهبي*، مخطوط برنامج مندمج في المواقع الأثرية ممول من "ميدا" للاتحاد الأوربي، وثيقة داخلية.

A. El Gharbaoui, *La terre et l'homme et le Habt de Larach. H.T.E.*, vol. 5, n° 21 ; *Aspects de la morphologie littorale de la péninsule de Tanger, R..G.M.*, n° 23 / 24, 1973 ; *L'homme et la terre dans le péninsule tingitane*, Rabat, 1981, 2 vol. ; M.A.D.R.R.M., *Stratégie 2020 de développement rural. Conseil Général du Développement Agricole*, Casablanca, 1999 ; A. Slaoui, *Contribution à l'étude de la variabilité des précipitations et des bilans hydriques dans le Nord-ouest du Maroc*, D.E.S.? Univ. des Sciences et Techniques de Lille, France, 1986 ; PISA (Programme Intégré des Sites Archéologiques), Espace culturel LI-LA(Lixus-Larache), projet pilote, Fév. 2002 (inédit).



بوشتى الفلاح وعبد المالك سلوي


تميز تاريخ العرائش كمدينة بحرية بدورها الكبير في مكافحة الاختراق الإيبيري للمغرب، خاصة وأن ميناءها كانت له أهمية خاصة لأنه كان محميا حماية طبيعية، إضافة إلى قربه من مضيق جبل طارق، وبسبب ذلك تعرضت المدينة لمهاجمة الإيبيريين عدة مرات، فقد هاجمتها سفنهم منذ أوائل العصر المريني في حملة خاطفة ودخلوها سنة 668 / 1270، وقتلوا عدداً من سكانها في الوقت التي كان فيه المرينيون منشغلين بفتح مدينة مراكش. وقد أعاد المرينيون بناء المدينة وجعلوا بها رباطا.

وابتداء من احتلال سبتة سنة 1415 بدأ تهديد البرتغاليين للعرائش يزداد، حتى تمكنوا من مهاجمتها سنة 876 / 1471، فهجرها سكانها لمدة لا بأس بها خوفاً من العدوان. وفي عهد الوطاسيين قام مولاي الناصر بن السلطان محمد الشيخ الوطاسي بإصلاح المدينة وإعادة الحياة لها، بل أصبحت المركز البحري المتقدم للوطاسيين إلى الشمال بعد طنجة وأصيلا وأهم ميناء مغربي للتجارة. وهذا ما جعلها تتعرض للهجوم من جديد من البرتغاليين سنة 910 / 1504.

وبعد سقوط الأندلس ازدادت أهمية مدينة العرائش خاصة وأن العديد من الأسر الأندلسية قد استوطنتها، وأصبح لها دور في حركة الجهاد البحري الذي نظمه الأندلسيون، ثم سرعان ما أحس الأتراك العثمانيين بالدور الهام لمرسى العرائش في حركة الجهاد البحري فقصدها أسطولهم سنة 1517 ليتخذها منطلقاً لعملياته في المحيط، الشيء الذي دعا الإسبان إلى مهاجمتها من جديد عدة مرات بعد ذلك كان أعنفها هجوم سنة 953 / 1546 الذي انطلق من قادس، لكنه لقي فشلا ذريعاً. وحاول الإسبانيون والبرتغاليون بعد ذلك أن يعرقلوا حركة الملاحة بمرسى العرائش سنة 1566 بإغلاق فم المرسى عن طريق إغراق سفينة محملة بالحجارة، لكن مدفعية المدينة منعتهم من ذلك.

وبفضل مقاومتها العنيدة للغزاة ظلت العرائش لمدة لا بأس بها الميناء الوحيد في الشمال الذيّ أفلت من السيطرة البرتغالية، فازدادت أهميتها في حركة الجهاد البحري بعد إخلاء البرتغال لأصيلا سنة 957 / 1550. وكان السعديون قد شجعوا الدور الجهادي للعرائش خاصة في عهد السلطان عبد الملك المعتصم الذي دعم النشاط الجهادي للمغاربة والأندلسيين حيث "أمر بإنشاء السفن بالعرائش، وصار أهل الأندلس يسافرون في البحر مع أهل المغرب، وضيقوا بالنصارى أشد تضييق، وكثرت الغنائم" (*تاريخ الدولة السعدية*، 53). الأمر الذي دعا الملك الإسباني فليب الثاني إلى التفاوض بشأن تسليمه العرائش مع السلطان عبد الملك السعدي سنة 1571 مقابل مساعدته ضد أخيه المتوكل في النزاع الذي كان بينهما. وإحساسا من الأتراك بنفس الأهمية والخطورة فإنهم عرضوا على نفس السلطان عرضا مماثلا مقابل المساعدة في نفس النزاع ؛ لكن السلطان السعدي كان واضحاً في رفض تلك المساومات التي تمس سيادة البلاد. وعندما عزم البرتغاليون على مهاجمة المغرب اشترط ملكهم دون سبستيان على محمد المتوكل التنازل له عن العرائش. ولا شك أن دور مجاهدي العرائش كان بالغ الأهمية في الانتصار الساحق الذي حققه المغاربة على الجيش البرتغالي في معركة وادي المخازن سنة 986 / 1578، وكدليل على أهمية المدينة خلال هذه الفترة كلها فإن اسمها تردد كثيراً في الوثائق الرسمية الإسبانية والبرتغالية.

وظلت مكانة العرائش الجهادية قوية أيضاً في عهد المنصور الذهبي الذي اهتم بها فأسس بها حصنين دفاعيين عرف أحدهما بحصن الفتح وهو مطل على البحر. وعين على رأس أسطولها البحري القائد أبا سالم إبراهيم الشاط.

وإحساسا من الإسبان بخطورتها جعلوها على رأس مطالبهم في تفاوضهم مع السلاطين السعديين، حتى رضخ محمد الشيخ المأمون وسلمها لهم سنة 1019 / 1610 مقابل

20.000 دوكة، ومقابل مساعدته ضد أخيه زيدان، الشيء الذي أثار سخط العلماء فأفتوا ضده، وعم الحزن المغرب بأسرة إثر هذه الواقعة، فأصبح المغاربة يلبسون نعالاً سوداً تعبيراً عن الحداد على العرائش، لكن هذا السلطان الخائن لم يفتأ أن اغتيل سنة 1022 / 1613. وعندما دخل الإسبان المدينة بنوا بها برجا دفاعيا يعرف ببرج اللقالق.

ومنذ ذلك التاريخ ظلت مدينة العرائش على رأس اهتمامات المجاهدين المغاربة وعلى رأسهم المجاهد العياشي والمجاهد الخضر غيلان والزاوية الدلائية في الفترة التي أعقبت سقوط دولة السعديين، لكنها مع ذلك استعصت على التحرير وظلت مستعمرة إسبانية لمدة 82 سنة إلى أن حررها القائد أحمد بن حدو بعد حصار دام ثلاثة أشهر في عهد السلطان مولاي إسماعيل سنة 1100 / 1689 في ملحمة جهادية يطول الحديث عنها، وعم الفرح بفتح العرائش سائر أهل المغرب، وتذكر بعض المصادر أن السلطان مولاي إسماعيل أمر بعد فتح العرائش بخلع النعال السود ولبس النعال الصفر تعبيراً على فك الحداد. وقتل من النصارى في الفتح حوالي 1200 وتم أسر 2000 ؛ ووقع نقاش علمي بين فقهاء المغرب عن حكم غنائم تحرير المدينة، فألف قاضي مكناسة أبو مدين السوسي كتاباً سماه السهم الطائش في حكم غنيمة العرائش. وكان فتح العرائش منطلقا لفتح مدينة أصيلا بعد سنتين فقط.

ومنذ تحرير العرائش إلى إعادة احتلال الإسبان لها من جديد يوم 8 يونيو 1911 لم تتوقف تهديدات السفن الأوربية للعرائش، فقد هاجمها أسطول فرنسي من 14 قطعة بقيادة الأميرال الفرنسي دوشوفو وقنبلها سنة 1765، وضربها أسطول النابريال (النمسا) سنة 1829، وقنبلتها السفن الإسبانية خلال حرب تطوان سنة 1860.

ومع ذلك فقد عرفت خلال القرنين (18 و19) استمراراً للنشاط التجاري البحري، كما أن بعض السلاطين العلويين قد أولوها بعض العناية مثل المولى سليمان والحسن الأول.

كانت العرائش من بين المراسي الأولى التي أعيد فتحها في وجه التجارة الأوربية في بداية القرن التاسع عشر وظلت مرسى نشيطاً منفتحاً على المراسي المغربية الأخرى والمراسي الأجنبية، لكن حركتها التجارية ما لبثت أن تراجعت في أوائل القرن العشرين.

ومن الناحية العمرانية كانت العرائش القديمة محاطة بسور تتخلله خمسة أبواب هي باب البحر وباب المرسى وباب القصبة وباب المنجرة وباب بارة.

وعندما احتلها الإسبان سنة 1911 اتخذوها نقطة عسكرية هامة بالنسبة لاستراتيجيتهم العسكرية في التحكم في منطقة الاحتلال الإسباني في شمال المغرب، وأصبحت قاعدة إقليمية في منطقة الهبط، وأسسوا بها حياً بني على طراز هندسي حديث خارج المدينة العتيقة، فاستوطنتها جالية إسبانية مهمة، وتطور عدد سكانها من 5000 نسمة، منهم 2000 من اليهود و150 أوربيا في نهاية القرن الماضي، إلى 10.000 نسمة في بداية عهد الحماية. وقفز العدد في إحصاء سنة 1955 إلى 43.000 نسمة منهم 27.000 مسلمون و13.000 إسبان، و1300 من اليهود. واستمر نشاطها البحري في عهد الحماية بالخصوص في مجال الصيد، فقد كان بها سنة 1953 حوالي 230 قارباً صغيراً ومتوسطاً للصيد.

ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، الرباط ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية التاكمادارتية*، الرباط، 1934 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ الوفراني، *نزهة الحادي*، تصحيح هوداس، الرباط ؛ عدة أبحاث بمجلة *المليحة*، إصدار مجموعة البحث حول بلاد الهبط، العرائش، ع 1، يوليوز، 1997.

محمد المغراوي

**العرائشي، أحمد** بن الحاج **عبد القادر** بن علال المكناسي، من أسرة العرائشيين الذين وفدوا مع الولي الصالح سيدي عبد الله بن حَمَد، واستوطنوا بالعرائش من أرض "تلاجدوت" أحد أحواز مكناس القديمة - بأمر من الولي المذكور وذلك حوالي أوائل القرن التاسع للهجرة، ثم انتقلوا للسكنى بداخل مكناس في تاريخ غير مضبوط. وهم أهل علم منهم القضاة والنظار والمحتسبون والفقهاء المدرسون.

كان أحمد بن عبد القادر العرايشي معدوداً من كبار علماء مكناس عارفا بالفقه والنحو والفرائض، بارعا في الحساب والتوقيت والتعديل ومعرفة الطوالع وأحكام النجوم والأوفاق.

أخذ عن شيوخ مدينة مكناس في وقته أمثال العلامة الحاج المختار الذي درسه مختصر خليل والألفية، وموقت مكناس الجيلالي الرحالي وميقاتي فاس إدريس الحبابي اللذين أخذ عنهما التعديل والحساب.

تولى إثر عودته من فاس خطة الكتابة مع شيخه العلامة الحاج المختار، ثم الأمراس السلطانية المخصصة لخزن الحبوب والزيوت التي تجبى من أعشا الإيالة. ثم الكتابة مع محتسب مكناس الحاج محمد أجانا. ثم انسلخ عن ذلك كله وأقبل على تدريس الحساب والتوقيت والتعديل، كما درس القلصاوي ومنية ابن غازي وروضة الأزهار، والرسالة الستينية في الضرب والقسمة وغير ذلك فانتفع من تدريسه خلق كثير، وممن أخذوا عنه الفقيه المعدل عبد القادر بن المعطي والوجيه الميقاتي الطالب العلمي بن رحال والعدل الفقيه الحسن المنوني وغيرهم.

توفي في ذي الحجة عام 1318 ودفن بالزاوية الناصرية بمدينة مكناس.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 1، ص. 455 ؛ *والإتحاف*، 5، ص. 355 ؛ محمد المنوني، *محمد بن الحسين العرايشي*، مجلة *دعوة الحق*، ع 9 و10، 1968، ص. 108 - 109.

**العرائشي، عبد الوهاب** قاضي الحضرة الاسماعيلية

وخطيب منبر جامعها الأعظم، عبد الوهاب بن الحاج محمد الشهير بـ "حم العرائشي المكناسي". علامة مشارك فقيه متفنن، نحوي ماهر، خطيب بليغ مصقع. جاء في ظهير تعيينه ناظرا على أحباس المساكين : "الفقيه النحوي الخطيب البليغ الناظر الاسعد ... طاهر النشأة وقورها، محمود السجية مشكورها متحليا بالسكينة. خطبته الخطط العلية واغتبطت به المجادة الأولية، واستعملته الدولة المنيفة التي ترتاد أهل الفضائل للرتب، وتستظهر على المناصب بأبناء التقى والحسب، فسار معدوداً من أعيان خطبائها وصدور نبهائها".

قربه المولى إسماعيل وعهد إليه بنظارة أحباس المساكين بعد وفاة والده، ثم بخطة القضاء، كما تصدر للتدريس بجامع النجارين واعتنى بتدوين ما يرجع إلى ماموريته. هذا إلى جانب الخطابة بالجامع الأعظم.

توفي في 10 جمادى الثانية عام 1127 ودفن بضريح الولي الشهير عبد الله بن حَمَد.

*حوالة أحباس الأحمدية* بمكناس، رقم 3، ص. 2 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 398 - 399 ؛ ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، ص. 36.

**العرائشي، محمد** الحاج الشهير بـ "حم" بن أحمد العرائش، "فقيه جليل، صوفي نبيل" كان ناظراً في العهد الاسماعيلي على أوقاف الولي عبد الله بن حمَد، وهو الذي تولى بناء ذلك الضريح بأمر من السلطان. وظل متوليا منصب نظارة تلك الأوقاف حتى وفاته في 18 جمادى الأولى عام 1089 / أبريل 1686، فتولى نفس المنصب بعد ابنه عبد الوهاب. وقد توارثت عائلة العرائشي هذا المنصب أجيالا متعددة.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 4، ص. 43 ؛ *حوالة أحباس الأحمدية* بمكناس، رقم 3، ص. 127 ؛ محمد المنوني، *محمد بن الحسين العرائشي*، مجلة *دعوة الحق*، ع 9 - 10، 1968، ص. 108.

رقية بلمقدم

**العرائشي، مَحمد بن عبد القادر** العلمي المكناسي. ولد عام 1344 / 1926 في مدينة مكناس. وقرأ على عمه الفقيه المؤدب سيدي عبد السلام العرائشي، وعنه تعلم مبادئ الكتابة والقراءة. ثم على شيوخ مكناس أمثال محمد بن الحسين العرائشي والشيخ محمد بن إدريس الشبيهي والقاضي محمد بن أحمد العلوي والشيخ محمد العربي المنوني وغيرهم. ثم انتقل إلى فاس ودرس في التعليم النظامي بالقرويين إلى أن حصل على شهادة العالمية تخصص العلوم الشرعية سنة 1366 / 1947.

وفي خضم مزاولته لعمله كمحافظ للخزانة المذكورة طلب منه رئيس المجلس العلمي الإقليمي لمدينة مكناس مولاي المصطفى العلوي المساهمة في دروس الكراسي العلمية التي أمر الملك الحسن الثاني بإحداثها بأهم المدن المغربية لتكون بمثابة جامعة شعبية، على غرار الدروس التي كانت تلقن للعموم بالمعاهد الإسلامية، فأسندت إليه مهمة تدريس علمي الفرائض والتوقيت بالمسجد الأعظم بمكناس بمقتضى قرار من وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري مؤرخ بـ 21 محرم 1407 الموافق لـ 26 شتنبر 1986. وفي السنة نفسها عين مستشاراً لأكاديمية التعليم الجهوية بمكناس بقرار من وزير التربية الوطنية الدكتور محمد الهلالي. وفي 13 رجب 1408 الموافق لـ 02 مارس 1988 عين عضواً بالمجلس العلمي الإقليمي بقرار من وزير الأوقاف سابق الذكر بناء على ظهير ملكي. وقد ظل يشغل هذه العضوية وأستاذية الفرائض والتوقيت إلى حين وفاته يوم الخميس 03 رمضان 1421 الموافق لـ 30 نونبر 2000 بمدينة الرباط في فندق حسان بالغرفة رقم : 101 حيث كان وقتها يستعد لحضور الدروس الحسنية الرمضانية. ونقل جثمانه يوم الجمعة إلى مسقط رأسه بمدينة مكناس، فووري الثرى في صحن ضريح مولاي عبد الله بن حَمَدْ على يمين الداخل، خارج باب البرادعيين أحد أبواب مدينة مكناس.

وعلى الرغم من اختلاف انتماء سيدي مَحَمَّدْ العرائشي السياسي مع العديد من زملاء الدراسة والعمل المكناسيين سواء بمكناس أو بفاس فقد استمرت علاقته بهم طيبة - بشهادة الأستاذ عبد اللطيف الصايغ والسيد علال العيساوي - مادامت أفكارهم وطموحاتهم كانت تلتقي عند هدف واحد هو تحرير البلاد.

واعترافا بخدمات سيدي مَحَمَّدْ العرائشي فقد حصل على مجموعة من الامتيازات حيث عين عضوا في وفد الحج الرسمي سنة 1391 موافق 1972 برئاسة وزير الأوقاف آنذاك الحاج أحمد بركاش، وأحرز على وسام الرضى من الدرجة الأولى في 7 ربيع الأول سنة 1390 موافق 13 ماي 1971، ثم وسام الاستحقاق من الدرجة الممتازة بتاريخ 21 جمادى الثانية 1406 موافق 03 مارس 1986.

واعتباراً لهذه الإسهامات العلمية المتعددة والمتنوعة وغيرها التي لم يتم الإشارة إليها الصادرة بمجلات : دعوة الحق والإرشاد والإيمان والسفير واللواء الثقافي، وبجرائد : المرشد والرأي العام والمعركة. وكذا لمكانة الرجل الوطنية، أقامت جمعية البعث الثقافي بمكناس بتاريخ 11 شوال 1421

الموافق 06 يناير 2001 حفلا تأبينيا للفقيد مَحَمَّدْ العرائشي بمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاته، شارك فيه العديد من أصدقائه وتلامذته، وتليت خلاله قصائد في رثائه وكلمات بينت مناقب وخصال الرجل الوطنية والعلمية والخلقية.

محمد العرائشي، *فهرس شيوخي المسمى "الفهرس الجامع لشيوخ والمدرسة والجامع"*، مخطوط، انتهى من تحريره ليلة الجمعة 11 شوال عام 1411 موافق 26 أبريل 1991 ؛ حوار أجراه محمد العرائشي مع الإذاعة الوطنية بتاريخ السبت 16 جمادى 1410 موافق 16 دجنبر 1989 بمنزله في حمرية. وقد أجرى معه الحوار محمد الرمال من قسم البرامج بالإذاعة الوطنية بالرباط، وأذيع ببرنامج ضيف الزوال ؛ محمد العرائشي، *ترجمة الشاعر أبي محمد عبد القادر العرائشي المكناسي*، مطبعة كريماديس، تطوان، 1972 ؛ محمد العيساوي المسطاسي، *التعليم الحر والأصيل وتأطير الطلبة والشباب*، مقال منشور ضمن كتاب لمحات من تاريخ كفاح مدينة مكناس، منشورات الجمعية الإسماعيلية الكبرى، ص. 19 ـ 47 ؛ جون جيمس ديمس، *المدارس الحرة بالمغرب*، 1919 ـ 1970، تر. السعيد المعتصم، منشورات تانسيفت، 1991 ؛ روايات شفوية.

محمد ياسر الهلالي

**العراق والمغرب**، احتل العراق حيزاً متميزاً على المسرح الدولي، على مدى الثلاثة عشرة سنة الأخيرة من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين (1990 ـ 2003)، وذلك في ظل أزمة غزوه للكويت (غشت 1990) وما ترتب عن ذلك من تداعيات متسلسلة، ابتداء بحرب الخليج الثانية (يناير 1991)، وانتهاء بالاحتلال الامريكي ـ البريطاني له (أبريل 2003). مروراً بمحنة الحظر الشامل الذي فرض عليه (1991 ـ 2003). وبانعكاسات الحرب الاستنزافية التي جاربها عليه سلاح الطيران الأمريكي ـ البريطاني، في إطار ما سمي بـ " مناطق الحظر العسكري" في الشمال والجنوب، والعواقب الاقتصادية الناجمة عن تدمير منشآته المدنية والعسكرية وعملية "ثعلب الصحراء" (دجنبر 1998).

وعلى مدى الثلاثة عشر سنة الأخيرة من التوترات والمجابهات والمنازلات السياسية والعسكرية والدبلوماسية، ظل العراق موضوع انشغال كبير من قبل المجتمع الدولي ومجلس الأمن، تجلى في صدور العديد من القرارات الاممية، طالت مختلف مراحل التوترات والمواجهات، من جهة، وأطرت، من جهة أخرى، إقامة وتدبير حالة الحظر الذي فرض عليه.

بل أن هذا الانشغال المركز، بما انطوى عليه من رؤى ومصالح متباينة لمختلف الفاعلية الدولية قد أدى إلى إحداث انقسام حاد في حظيرة مجلس الأمن، ما بين دعاة خيار الحل العسكري المباشر ودعاة الحل السياسي المشروط، مما كاد أن يفضي إلى أزمة دولية مؤسساتية عميقة.

كما أسس العراق، من جانب آخر، موضوع اهتمام واستقطاب للرأي العام العالمي، عكستهما، بصفة خاصة، المسيرات الشعبية الحاشدة التي عرفتها الساحة العالمية، من إسبانيا إلى اليابان، ومن المغرب إلى اندونيسيا، في إطار حملة لمناهضة الحرب، ورفض العدوان الامريكي ـ البريطاني عليه (شاء 2003).

ومما لا ريب فيه، أن هذا المعطى السياسي المعاصر، بما اتسم به من دينامية وكثافة، ينم عن رهانات حيوية تنصب على مقومات المكان والإمكان والمكانة، وهي العناصر التي كيفت على الدوام تاريخ بلاد الرافدين، منذ العهد السومري ـ الاتحادي التليد، في الربع الأول من الألفية الثالثة قبل الميلاد (2700 ق. م) إلى العصر الجمهوري النهضوي المعاصر، في النصف الثاني من القرن العشرين (1958 ـ 2003).

فمن حيث المكان، إن العراق الذي تمتد أراضيه في آسيا العربية، في أقصى الجانب الشرقي لـ "الهلال الخصيب"، احتل على الدوام موقعاً جغرافيا حيويا : فهو ملتقى المحاور الكبرى للتيارات التجارية بين البحر الأبيض المتوسط وآسيا الغربية والمحيط الهندي، قديماً، وهو يمثل حاليا مركزاً حساسا لشريان نفطي يمتد من بحر قزوين إلى خليج غينيا في إفريقيا، كما يشكل بؤرة استقطاب سياسي واقتصادي وثقافي في الخليج العربي والشرق الأوسط.

ومن حيث الإمكان، فإن توفر العراق على ثروات اقتصادية هائلة، لم تجتمع لأي بلد من بلدان منطقة الشرق الأوسط والخليج : الثروة النفطية (أزيد من 10٪ من المخزون الاحتياطي العالمي للنفط) والثروة المائية (مياه الرافدين : دجلة والفرات)، والثروة البشرية، بفضل انتشار التعليم والتكوين ـ باتت تؤهله أن يكون قطباً اقتصادياً وانتاجياً وثقافياً فاعلاً ومؤثراً في مستقبل المنطقة.

ومن حيث المكانة، فإن العراق، بحكم دوره التاريخي وميراثه الحضاري ومقدراته الاقتصادي ومؤهلاته البشرية، بات يحتل مكانة متميزة في محيطه العربي ـ الإسلامي، بل في محيطه الاقليمي والدولي.

فعلى مدى خمسة آلاف سنة، ظلت بلاد الرافدين مركز إشعاع حضاري وثقافي أسهم أيما إسهام في بناء الحضارة الانسانية وفي دفع عجلة التطور البشري. وهكذا فقد أسهمت "ميزوبوتاميا" القديمة، في ظل الحضارة الأكادية ـ البابلية ـ الاشورية في إحداث طفرة بشرية جبارة في مجالات فن الري والعمران وفي ابتكار فن الكتابة وغيرها.. كما اسهمت "بلاد الرافدين"، في ظل الدولة الإسلامية العباسية في تحقيق ثورة معرفية وثقافية وفنية وعمرانية وتنظيمية وتشريعية هائلة، امتدت أمواجها الحضارية إلى كل أرجاء العالم القديم، من آسيا إلى إفريقيا وأوربا، ومن المتوسط والمحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي والمحيط الهادي. ولقد استهل المقدسي حديثه عن العراق بقوله : "هذا إقليم الظرفاء ومنبع العلماء، لطيف الماء، عجيب الهواء ومختار الخلفاء.." (*أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، 1906، ط. 2، ص. 113).

2 ـ معالم من العلاقات المغربية العراقية : بالرغم من

امتداد المسافة الجغرافية التي تفصل بين العراق في أقصى المشرق العربي، والمغرب، في أقصى المغرب العربي، فإن أواصر العلاقات بين البلدين، بمستوياتها السياسية والثقافية والاقتصادية، لم تنقطع تماماً، منذ القرن السابع الميلادي، بالرغم من تقلبات الأحوال وتبدلات الظروف ..

ولئن اتسمت، في البدء، حركية العلاقات المغربية ـ العراقية بكثافة التبادل المعرفي، ودينامية التفاعل الثقافي، في ظل سيادة الجفاء السياسي، على امتداد الفترة الإسلامية ـ العباسية، فإن دينامية هذه العلاقات سرعان ما اعتراها تراجع بل جمود خلال الحقبات اللاحقة من تاريخ العراق، الحقبة المغولية (1258 ـ 1534) والحقبة العثمانية (1934 ـ 1917) والحقبة الاستعمارية (1917 ـ 1958)، قبل أن تعرف من جديد انتعاشاً وتطوراً، ابتداء من منتصف القرن العشرين...

ويمكن إجمال معطيات هذا التطور من العلاقات الثنائية بين البلدين، خلال الحقبة المعاصرة، في ثلاثة مستويات حيوية : سياسية وثقافية واقتصادية.

فعلى المستوى السياسي، عرفت العلاقات الثنائية تطوراً إيجابياً ومطرداً على امتداد عدة عقود، كان الموقف العراقي خلالها حاضراً بقوة في كفاح المغرب من أجل الاستقلال ثم في نضاله من أجل وحدته الترابية.

وفي هذا المضمار، لم يعد سراً اليوم أن أول دعم مادي ومعنوي خارجي، تلقته الحركة الوطنية المغربية، والحركة المسلحة بالذات، كان مصدره العراق الملكي في بداية الخمسينيات، وذلك بشهادة قادة المقاومة المغربية الذين لا يزال بعضهم على قيد الحياة (شهادة حسن صفي الدين، المدعو حسن الأعرج). كما كان دعم العراق لقضية استقلال المغرب في أروقة الأمم المتحدة، إلى جانب دعم باكستان ودول إسلامية أخرى، دعما قوياً وفعالاً في ذلك الظرف العصيب الذي كانت تجتازه "القضية المغربية" آنئذ.

ومن منتصف السبعينيات، غداة استرجاع المغرب لأقاليمه الصحراوية، في إطار من التعبئة الشعبية حول الملك الحسن الثاني، تغمده الله برحمته، كان العراق البلد العربي الوحيد الذي عبر عن موقف مبدئي صريح وواضح من تأييده للوحدة الترابية المغربية ورفضه لأطروحة قيام "كيان صحراوي مستقل"، وهي الأطروحة التي كان يروج لها خصوم الوحدة الترابية للمغرب، وانساقت معها دول وحكومات ومنظمات عربية وغير عربية ..

وقد تحمل العراق، بشجاعة وصلابة تبعات موقفه المبدئي هذا، حيث تزامنت لفترة علاقاته الثنائية مع حكومة الجزائر، في وقت كانت فيه الأخيرة تمارس دور الوساطة في معالجة النزاع العراقي ـ الإيراني.

وعلى قاعدة هذه الأرضية الصلبة التي تسند تضامن وتفاعل البلدين مع القضايا التحررية والمصيرية، سادت بين القيادتين السياسيتين للبلدين علاقات تفاهم وتواصل وتعاون تحدت بمتانتها كل الملمات واخترقت بصلابتها كل الملابسات.

وانطلاقاً من مواقف المغرب المبدئية وتقاليده العريقة من التضامن مع اشقائه في العراق، فقد استمر المغرب في تأكيد انشغاله بتطورات الشأن العراقي خلال التسعينيات وضرورة إيجاد حل دبلوماسي وسياسي للمسألة العراقية. وفي مجال التعاون الثقافي، فقد كان العراق سباقاً إلى فتح مركز لتكوين المعلمين بالدار البيضاء (1957) عقب حصول المغرب على استقلاله، تخرج منه عدد من مدرسي التعليم الإعدادي في المدارس المغربية، كما زودوا وزارة التربية الوطنية بعدد من المدرسين العراقيين لسد حاجة المغرب آنئذ إلى الأطر التدريسية، في إطار الحملة الوطنية من أجل تعميم التعليم ... كما ظل العراق يستقبل عدداً من الطلبة المغاربة للدراسة بالعراق بمنح عراقية فتزايد عددهم، سنة بعد أخرى، ليبلغوا المئات عند نهاية الثمانينيات.

ومن جهة أخرى، فتح المغرب مؤسساته الجامعية لاحتضان عدد من أساتذة التعليم العالي العراقيين الذين ساهموا إلى جانب مدرسين عرب آخرين، في إرساء بنيان الجامعة المغربية الفتية...

وقد وقع البلدان في إطار الدورة السابعة للجنة المغربية ـ العراقية المشتركة، المنعقدة في شتاء 1998 (9 ـ 11 نونبر 1998) على بروتوكول تنفيذي للتعاون الثقافي والعلمي والفني يغطي السنوات 1999 ـ 2001.

أما فيا يتعلق بمستوى التعاون الاقتصادي، فقد عرفت علاقات التبادل التجاري والتعاون الاقتصادي نمواً مطرداً منذ منتصف السبعينيات، وذلك عملاً بمقتضيات الاتفاق التجاري الموقع ببغداد بتاريخ 24 أبريل 1976، والبروتوكول الملحق به في 15 يوليوز 1980، والذي أصبح بموجبه تبادل السلع بين البلدين بدون رسوم جمركية. ولقد غدا العراق، قبل الحظر الاقتصادي الذي فرض عليه، المستورد العربي الأول للمنتجات المغربية.

وللرفع من حجم المبادلات التجارية وقع البلدان على بروتوكول التجارة والتعاون الاقتصادي بتاريخ 27 يونيه 1988 يتم بمقتضاه زيادة مشتريات المغرب من النفط مقابل تخصيص جزء من قيمة هذه المشتريات لتسديد قيمة سلع مغربية مصدرة إلى العراق ..

كما استقبل العراق عدداً من العاملات والعمال المغاربة بقصد الاستيطان والعمل في المجال الفلاحي، تمتعوا بشروط مشجعة من مجال الإقامة والاستثمار..

وقد عقدت الدورة السابعة للجنة المغربية ـ العراقية المشتركة ببغداد في نونبر 1998، لإعطاء دفعة جديدة للتعاون بين البلدين، تمت خلالها الدعوة إلى تكثيف مشاركة الشركات المغربية في المناقصات الدولية التي تطرح لتزويد العراق بالمواد الغذائية والأدوية، في إطار "مذكرة التفاهم" بين العراق والأمم المتحدة، كما تم تأكيد التزام العراق

بتسديد ديون الشركات المغربية بعد رفع الحصار الاقتصادي عنه، إضافة إلى تأكيد عزم البلدين على توثيق التعاون بينهما في مختلف الميادين الاقتصادية والفنية ..

كما عقدت بالرباط، في الفترة من 3 إلى 5 أبريل 2000، الدورة الثامنة للجنة المشتركة المغربية ـ العراقية، وخلالها تم تحديد عدد من مجالات التعاون بين البلدين..

وفي سياق علاقات التضامن والتعاون التي تدعمت بين البلدين، وعلى كافة المستويات، خصوصاً خلال العقود الثلاثة الأخيرة، أمضى البلدان سلسلة من الاتفاقات والبروتوكولات طالت مختلف مجالات الأنشطة الاقتصادية والتجارية والفنية (اتفاق تجاري : أكتوبر 1976 / بروتوكول ملحق بالاتفاق التجاري : يوليوز 1980 / اتفاق للتعاون البحري والتجاري : أكتوبر 1981 / اتفاقية للتعاون الاقتصادي والفني : أكتوبر 1981 / بروتوكول للتجارة والتعاون الاقتصادي : يونيه 1988) والجوية (اتفاقه جرى في يونيه 1974) والسياحية (اتفاق سياحي في أبريل 1976) والفلاحية (بروتوكول اتفاق في شأن العائلات المغربية الموفدة إلى العراق، بقصد الاستيطان والعمل في الميدان الفلاحي : أكتوبر 1980) والاعلامية (اتفاق للتعاون الاعلامي : يونيه 1979) والشبابية (بروتوكول اتفاق للتعاون في مجال الشباب والرياضة : دجنبر 1976) والعلمية والثقافية (اتفاق علمي وثقافي : أبريل 1976 / برنامج تنفيذي للتعاون الثقافي والعلمي للسنوات 1999 ـ 2001).

محمد الاخصاصي

**العراقي، أحمد** بن **محمد المهدي** الحسيني من أعيان العلماء المحدثين في القرن (13 هـ)، أستاذ مشارك، فقيه علامة "ذا جد وانقباض وصلابة في الدين وهدي حسن وصلاح متين وأمر بمعروف ونهي عن منكر غير مألوف" (*سلوة*)، وكان إماماً خطيباً ومدرساً بالضريح الإدريسي، ويأمر به وينه [ى] ولو في حال الخطبة .. وكان يطول في الصلاة كثيراً حتى ترك كثير من الناس الصلاة وراءه من أجل ذلك (*سلوة*).

أخذ عن جماعة من العلماء كسيدي الوليد العراقي (صاحب *الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس*) وغيره، وانتفع به غير واحد من نجباء الطلبة.

والعراقي هذا هو صاحب الفتوى حول مساهمة الرعية في أعباء السالية التي اقتضاها صلح تطوان مع إسبانيا عام 276 / 1860، إذ كانت المبالغ المالية الثقيلة التي يطالب بها الإسبان كغرامة حربية (المادة التاسعة من نص المعاهدة 16 أبريل 1860)، لم يتيسر لحكومة المغرب أن تجمعها بسهولة، وبدأ من خلال رسائل المخزن إلى المدن والقبائل المغربية مدى القلق والحيرة التي استبدت بالمغاربة. فكان أن فكر المخزن في استفتاء أهل العلم ورجال الرأي في شأن هذه النازلة، فجاءت أجوبة العلماء عن استفتاء السلطان، وأثارت، في مجملها، مسألة المعونة، وفيها دعوة إلى الاستكانة والصبر وإلى عدم الثقة في الأعداء وعدم الركون إليهم. وربط العراقي ـ كباقي العلماء ـ وجوب الطاعة بالتروي في مواجهة الشدة وصلابة العزم. ولا يمكن فصل نص فتوى العراقي عن الأجوبة التي أوردها الوزاني في *نوازله الصغرى* ومحمد داوود في *تاريخ تطوان* فبينهما صلات وعرى وثيقة، فمضمونها متشابه، كما يلاحظ أن لأصحابها نفس الصياغة الفقهية، ونفس الأسلوب في طرح مسألة المعونة، ونفس الطريقة في معالجتها بالتماس الشرعية الدينية لها.

توفي أحمد العراقي في منسلخ جمادى الآخرة سنة ست وثمانين ومائتين وألف.

م. المهدي الوزاني، *النوازل الصغرى*، 1 : 340 ـ 345 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 3 : 37 ؛ الأزهري، *اليواقيت الثمينة*، 1 : 88 ؛ م. داوود، تاريخ، 5 : 102 ـ 118 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2 : 139 ؛ ع. التازي، جامع القرويين، ج 3 : 813. ط 1 : 972، بيروت، ع. العزيز التمسماني خلوق، *حرب تطوان من خلال الأجوبة الفقهية*، ضمن ندوة، *التاريخ وأدب النوازل*، دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر، منشورات كلية الآداب الرباط، المحمدية، ط 1 : 1995، ص. 238.

**العراقي، إدريس** بن **محمد** بن إدريس من الشرفاء الحسيْنيين بفاس، فقيه عمدة، محدث ومتفنن مطلع. كان ـ رحمه الله ـ أحد أئمة الدين وأكابر العلماء المتبحرين "سلطان الحفاظ في الآثار النبوية ورئيسهم وأعلمهم بالصناعة الحديثية" (*الدر النفيس*، ص. 254). وكان آية في الحفظ والرواية والإتقان والضبط وما يتعلق بذلك، ومن المعول عليهم في الحديث والإسناد والرواية والضبط والتخريج والأنساب وما يتبع ذلك، مرجوع إليه في علم الحديث من أهل عصره من غير مدافع، فقل ما تفرغ باب داره من الفقهاء الذين يسألونه عن علم الحديث كالشيخ أبي محمد عبد الكريم اليازغي (*الدر النفيس*، ص. 257)، حتى أنه ـ فيما يذكر معاصروه "استدرك أحاديث كثيرة على الجامع الكبير للجلال السيوطي". أخذ ـ رحمه الله ـ الحديث وغيره عن شيوخ فاس كوالده وأبي العباس بن المبارك والشيخ ميارة الأصْغر والشيخ محمد جسوس وغيره، وأسانيده من أعلى الأسانيد كما في (*الدر النفيس*، ص. 257). وقد أخذ عنه أقوام وانتفعوا به منهم ابن عمه العلامة سيدي زيان وولداه أبو محمد وأبو زيد عبد الرحمان وغيرهم، وممن أخذ عن المترجَم علم الحديث العارف أبو عبد الله محمد الصقلي الحسيني.

وله تآليف منها شرح على الشمائل، وشرح على إحياء الميت في فضائل أهل البيت وشرح الثلث الأخير من الصغاني وغير ذلك وأغلبه شروح في علوم شتى.

توفي سيدي إدريس سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين ومائة وألف (1182 / 1183) ودفن بمحراب زاوية مولاي أحمد الصقلي الحسَيْني.

ع. الفاسي، *غاية الأمنية*، ص. 38، خ. ع، الرباط، 97 ج ؛ الوليد الفاسي، *الدر النفيس*، ص. 254 - 257، خ. ع، الرباط، 97 ج، فهرسة ؛ ابن الصادق، م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 351.

**العراقي، الحسن** بن **عبد الرحمان** بن العباس الحسَيْني، العلامة المطلع المشارك العدل الموثق "كان يكتب الوثيقة عن فهم ومعرفة ما يراد بها مع خط حسن" (*إتحاف أعلام الناس*) له شهرة في ذلك مع خيارة ودين.

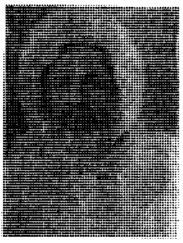

أخذ عن الشيخ التهامي بن المدني كنون، وعن الشيخ محمد بن محمد زويتن، وعن الشيخ علال بن الفاطمي الهرابلي الحسني، وعن الشيخ محمد - فتحا - بن قاسم القادري، وعن الشيخ عبد السلام بن عمر العلوي الحسني، وعن الشيخ أحمد بن الخياط وعن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني وغيرهم من الأشياخ.

وذكر في *سل النصال* أنه اتصل به واستفاد من علمه خصوصاً علم التوقيت والفرائض والحساب.

توفي في صباح يوم الأحد سابع وعشري رجب الفرد الحرام عام ثمانين وثلاثمائة وألف ودفن بروضتهم بالقباب (ابن سودة، *سل النصال*).

ع. ابن سودة، *سل النصال*، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 9 : 3361.

**العراقي، عبد الرحمان** بن **العباس** الحسيني، من الشرفاء بفاس خير فاضل، كان علامة مشاركاً.

قرأ على أخيه محمد بن العباس العراقي وعلى الفقيه الحاج محمد كنون وغيرهما من أشياخ الحاضرة الإدريسية فشأنها عال في المدائن العلمية. وتصدر بعد ذلك للتدريس في القرويين وامتاز بتدريس الفقه والنحو وغيرها من العلوم التي كانت يومئذ تلقى بحلقات الدرس بالجامع السعيد.

ولسيدي عبد الرحمان بن العباس عارضة قوية في نظم الشعر، ومن نظمه همزية عارض بها همزية الإمام البوصيري، ومنظومة في آداب الدعاء وأخرى في شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم، وله "منظومة في النكرة والمعرفة وعلم الجنس والمطلق" (خ ع الرباط 2572 د ضمن مجموع) وغير ذلك من الأنظام والاشعار.

توفي في عنفوان شبابه (*إتحاف المطالع*) عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف، دفن بروضة الصقليين داخل باب عجيسة.

ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 2809 ؛ الأزهري، *اليواقيت الثمينة*، ص. 200 ؛ مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 432 - 433 ؛ كحالة، *معجم المؤلفين*، 5 : 142 ؛ الزركلي، *الاعلام*، ج 3 : 309، قدور الورطاسي، *ذكريات الدراسة في فاس*، ص. 171.

**العراقي، عبد العزيز** بن **محمد** رشيد الحسَيْني، كان مدرساً علامة مشاركاً، أدخل إلى النظام القروي (*الدرة الفاخرة*) في الطبقة الثانية في بيان العلماء الذين عينوا بالقرويين للتدريس.

وممن أخذ عنه قدور الورطاسي، أخذ عنه قواعد اللغة العربية وعلوما أخرى كانت مقررة في برنامج الدروس بالقرويين.

توفي عام تسعة وخمسين وثلاثمائة وألف ودفن بروضة والده معه.

*إتحاف ذوي العلم والرسوخ*، ص. 70 ؛ *دليل مؤرخ الأقصى*، 1 : 95 ؛ *الدرر الفاخرة*، 51 ؛ *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 3075 ؛ ع. الله الجراري، *شعراء المغرب وأدبائه المعاصرين*، تح. سعيد الفاضلي، مرقونة، ص. 127 ؛ قدورالورطاسي، *ذكريات الدراسة في فاس*، ص. 65 - 66.

**العراقي، عبد القادر** بن أبي القاسم الحسيني، الفقيه العلامة، الواعظ المحدث. نشأ في حفظ وصون، وحفظ القرآن والمتون المعتادة، وأخذ عن أشهر علماء بلاده، وفاس يومئذ من أزهر بلاد العلم بالمغرب، واحتضنت أعلاما أجلاء كعبد السلام القادري وعبد القادر الفاسي وولده محمد، وعبد الهادي العراقي وعبد الله المسناوي. من مؤلفاته "*رفع الخفاء عن منظومة الفناء*" (طبع على الحجر مرتين).

ع. الفاسي، *غاية الأمنية*؛ الوليد العراقي، *الدر النفيس*، خ. ع، الرباط، 97 ج، ضمن مجموع، ص. 218 ؛ الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، ص. 237.

عبد المجيد بوكاري

**العراقي، عبد الله** بن أبي القاسم الأنصاري العراقي، عالم أديب شاعر من أهل مدينة فاس، لا نعلم عنه كثيراً سوى أنه كان متضلعاً بعلم الكلام وأقرأه بإشبيلية مدة. وكان من خاصة الخليفة الموحدي السعيد ومن جلسائه، فعينه مزواراً لطلبة الحضر سنة 643 / 1245، ونظراً لتوتر الظروف السياسية في عصر هذا الخليفة الذي يقع في مرحلة ضعف الدولة الموحدية وقيام الصعوبات في وجهها، فإنه كان يبعث

شيخ الطلبة العراقي في بعض المهام ذات الطابع السياسي لدى الثوار والقبائل.

توفي بمراكش في حدود سنة 646 / 1248.

ابن الزبير، *صلة الصلة*، ج. 8، الرباط، 1984 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، تح. إ. عباس، بيروت ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، الدار البيضاء، 1985.

محمد المغراوي

**العراقي، عبد المجيد** بن المهدي بن عبد المجيد العراقي الحسَيْني "الشيخ الجليل والعلامة المشارك، المطلع المؤرخ المعتني النسابة" (*سل النصال*). كانت ولادته عام خمسين ومائتين وألف. نشأ في بيت صلاح وتقوى وعلم .. وفي فاس أخذ عن الشيخ عبد السلام بن الطائع بوغالب الحسَني، والشيخ محمد ـ ضما ـ بن المدني كنون، والشيخ المهدي بن الطالب بن سودة، وشقيقه الشيخ أحمد بن سودة، والشيخ المدني بن علي بن جلون، والشيخ أحمد بن أحمد بناني كلا، وأضرابهم.

ذكر ابن سودة في *سل النصال*، أنه كان له اتصال بالمترجم لقرب محل سكناه منهم، إذ كان في آخر عمره سكن "بدار برأس الزاوية من حومة المخفية" وتبرك به، وكان يسأله عن الحوادث.

وكان له ولع "بعلم الآلة وحفظ أشعارها وموشحاتها"، وأظهر معرفة كبيرة حتى أنه يجلس وسط الجوق ويطلبون منه "أن يقترح عليهم النوبة التي يرتضيها" فيلاحظ عليهم الأوقات، إن وقت الصبح يصلح له كذا ووقت المساء يصلح له كذا .. "فإنه كان يحفظ هذه المناسبات ويعللها بعلل حلوة مستطابة ويذكر في ذلك حكايات مناسبة كلها مضحكة لا تمل مجالسته" (*سل النصال*).

وللمترجم اعتناء بالتقييد والتأليف، وكان به ميل لتقييد الحوادث مما شاهده أو أُخْبِر به منها، ذيل على نشر المثاني للشيخ محمد بن الطيب القادري الحسني، وله ذيل على تأليف قريبه الوليد العراقي في الشعبة العراقية المسمى "*الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس*" إلى غير ذلك...

توفي عام ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وألف.

ع. السلام بن سودة، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 2910.

**العراقي، علي زين العابدين** المدعو زيان بن هاشم ابن عبد الرحمان بن محمد بن حمدون، من الأشراف العراقيين وهم حسَيْنيون بالياء بعد السين. والمترجم من مشاهير الفقهاء العلماء، كان مشاركاً في عدة فنون لا سيما النحو "فقد كان فيه لا يجاري ولا يُدرك شأوه ولا يباري، بل كان أنحى أهل فاس على الإطلاق" (*سلوة*، 1 : 114)، مع ملكة في التدريس وفصاحة في اللسان وضبط وإتقان.

أخذ عن أبي العباس بن مبارك وأبي عبد الله جسوس، والكبير السرغيني وعبد المجيد الزبادي وابن عمه الهادي العراقي وغيرهم، وعمدته الإمام أبو حفص الفاسي. وأخذ عنه خلق كثير من أهل فاس وغيرهم منهم أولاده والعلامة عبد الواحد الفاسي (صاحب *غاية الأمنية*)، والفقيه محمد بن إبراهيم مفتى فاس سنة 1241 وأبو عبد الله الطيب بن كيران وأبو الفيض حمدون بن الحاج وأبو الربيع سليمان الحوات، ذكر في *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي* وانتفعت به العلوم الأدبية نحواً وبياناً وتصريفاً وعروضاً ولغة وأنسابا وإفادات وإنشادات وغير ذلك مما تمس ضرورة الأدب إليه، وكذلك أخذت عنه جملة صالحة من الفقه والحديث والمنطق" (*ثمرة أنسي*، 251).

توفي يوم السبت 29 جمادى الأولى سنة 1194 وهو في سن الخمسين، ودفن داخل قبة أبي عبد الله التاودي (خارج باب الجيسة).

الحوات، *السر الظاهر*، خ. ع، الرباط، 2619 د ؛ *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي*، ص. 215، مرقونة ؛ م. الزبادي، *سلوك الطريق الوارية في الشيخ والمريد والزاوية*، خ. ع، الرباط، 247 ك ؛ الوليد العراقي، *الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس*، خ. ع، الرباط ؛ ع. الفاسي، *غاية الأمنية*، خ. ع، الرباط، 97.

**العراقي، عمر** بن **عبد القادر** بن قاسم بن عبد الرحمن بن إدريس بن عبد الرحمان بن إدريس الحسَيْني، "العلامة المطلع، المشارك الخير الصالح العامل المتواضع" .. أخذ عن الشيخ أحمد بن الخياط، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ بن قاسم القادري الحسَني، وعن الشيخ عبد السلام الهواري، وعن الشيخ أحمد بن الطالب بن سودة، وأخذ علم الهيأة عن الشيخ صالح التادلي، وتبرك بالشيخ أحمد بن أحمد بناني كلا، وغيرهم من الأشياخ.

ذكر ابن سودة (*سل النصال*) أنه طلب منه قراءة المقنع فلبى طلبه بشرط أن يكون ذلك في جامع صغير، فكان يقرأه بجامع الشيخ إسحاق بحومة مصمودة. وكان قليل التدريس إلا في بعض الجوامع "قليل المخالطة مع الناس، ملازماً عبادة ربه".

توفي في جمادى الأولى عام ثمانية وخمسين وثلاثمائة وألف، ودفن بروضتهم الكائنة قرب السويقة داخل باب فتوح.

ع. السلام بن سودة، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 3067.

**العراقي، عمر** بن **محمد** بن رشيد الحسَيْني، القاضي بن القاضي، فأسرتهم مشهورة بالقضاء والفتيا، أجلة علماء فضلاء.

وزاوج سيدي عمر بين القضاء والتدريس، فدرس بالقرويين الحساب، ثم تولى القضاء بقبيلة شراكة بمكناس،

وأخيراً عضوية مجلس الاستيناف الأعلى بالرباط، ثم أحيل على التقاعد، وسكن الدار البيضاء.

توفي ونقل إلى فاس ودفن بروضة والده بحوانيت عبد الله قرب رأس القليعة داخل البيت مع والده، عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة وألف.

ع. بن سودة، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 4374؛ م. الفاطمي، *إتحاف ذوي الرسوخ والتمكين*، ص. 104 ؛ ع. الله الجراري، *شعراء المغرب الأقصى وأدبائه*، تح. سعيد الفاضلي، مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1991 ـ 1992.

**العراقي، محمد** بن **إدريس** بن حمدون العراقي الحسيني، من بيت مشهور بالنسب إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ نحوي علامة، عالم مشهور بالنباهة والتحصيل. أخذ عن جماعة منهم عبد السلام القادري وعبد القادر الفاسي وولده محمد وهو عمدته. وعنه أخذ أبو محمد بن أحمد الفاسي وعبد الهادي العراقي ومؤلف *الأنيس المطرب*، وأبو حفص عمر الفاسي. وبينه وبين عبد الله المسناوي خلة وأسئلة.

والمترجم هو أحد أئمة النحو والعروض بفاس، لغوي بياني، محقق مشارك نفاع. وولي تدريس النحو بالكرسي الذي عن يمين الداخل للقرويين من باب الكتبيين زمناً مديداً. وذكر له مترجموه تقاييد كثيرة في النحو (*سلوة*، 2 : 28). وله من المؤلفات شرح على أرجوزة عبد السلام القادري في السيرة، وسمى شرحه "*جمع ما انتشر من أخبار خير البشر*" ولم يصلنا كاملاً، وقسم منه بالخزانة العامة بالرباط رقم 43 ك.

توفي في 20 ربيع الثاني سنة 1142، قال في *المورد الهني* "ودفن بروضة ابن عبد الرزاق قرب ولي الله سيدي أبي غالب".

العلمي، *الأنيس المطرب*، ص. 292 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 2 : 219 ؛ *التقاط الدرر*، 2 : 353، *الإكليل والتاج*، الرباط ؛ الوليد العراقي، *الدر النفيس*، خ. ع، الرباط، 97 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 28، م. مخلوف، *شجرة النور الزكي*.

**العراقي، محمد** بن **رشيد** بن محمد الحسيني، كانت ولادته عام 1275 / 1858، العلامة المشارك، المطلع النوازلي، المحقق المدقق، من بيت علم وشرف، مما هيأ له الجو المناسب للتبحر في العلم والنبوغ فيه، وهذا الجو بالذات هو الذي خلق منه عالماً بارعاً، وساعد على تكوين شخصيته العلمية والفكرية وفاس يومئذ معقل رجال العلم والأدب والفكر وموطن تفاعل ثقافي وحوار ومناظرة.

أخذ عن الشيخ محمد بن المدني كنون، وعن الشيخ محمد ـ فتحاً ـ بن عبد الرحمان العلوي الحسني (قاضي فاس)، وعن الشيخ أحمد بن أحمد بناني كلا، وعن الشيخ محمد بن عبد الواحد بن سودة ... وعن الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني، وعن الشيخ عبد الهادي بن أحمد الصقلي الحسيني (قاضي الجماعة بفاس)، وعن الشيخ المدني بن علي جلون، وعن الشيخ عبد المالك بن محمد العلوي الحسني الضرير، وعن الشيخ محمد بن العباس العراقي الحسيني( 1295) وغيرهم من الأشياخ.

ذكر ابن سودة أنه قرأ عليه المختصر صباحا، وحضر عليه صحيح البخاري في رمضان بضريح أحمد الصقلي الكائن بباب النقبة (*سل النصال*)، وممن أخذ عنه الجيلاني بن الباشا حمو بن الجيلاني البخاري المكناسي (*إتحاف*، 2 : 155)، وأخذ عنه محمد بن عبد الرحمان العراقي (*سل النصال*).

تولى العراقي القضاء بطنجة عام 1303، ثم تولى النيابة عن شيخه عبد الهادي الصقلي بمقصورة السماط، ثم عين قاضياً بفاس الجديد إلى أن نقل لقضاء مقصورة السماط في عام 1326، واستمر عليها إلى أن أخر عنها في شعبان عام 1346، وله معرفة واطلاع واسع على النوازل والقضايا.

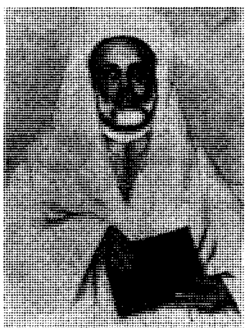

وتعرف للمترجم مؤلفات عديدة في فنون مختلفة من تاريخ وأنساب وتراجم وفقه وتفسير وفتوى وتقاييد مختلفة. ويذكر مترجموه بعض هذه المؤلفات مثل شرح على الهمزية، ورسالة في الإمامة، وتأليف في السدل، وتأليف في رؤية الهلال، وآخر في المقاصد الدينية، وتأليف في أضحية فاس القديم قبل فاس الجديد التي أفتى فيها الإمام القصار، وختمتان للمختصر : ختمه صغرى (طبع على الحجر وختمه كبرى (طبع على الحجر بفاس، 6 : 13)، وأحكام صدرت منه أيام قضائه، قال ابن سودة : "لو جمعت لكانت في عدة أسفار" (*سل النصال*) وله كذلك تأليف في المولى عبد العزيز سماه "*الذهب الإبريز في محاسن السلطان المولى عبد العزيز*" وتأليف في العائلة المقرية، هذا عدا تقاييد وفتاوى في بعض القضايا التي كانت تطرح في زمانه، سياسية واجتماعية واقتصادية ..

وقد عرف الرجل بمواقفه الوطنية وغيرته، كما ثبت من خلال تقاييده ومدوناته وفتاويه ورسائله، كغيره من العلماء والوجهاء في فاس وغيرها من بلاد المغرب، الذين كانوا يتفاعلون مع قضايا عصرهم، وقد أثمرت هذه المواقف النبيلة كتابات كثيرة، شعراً ونثراً، وأثرت الخزانة المغربية في هذا العهد، وعكست النقاش الفكري حول بعض القضايا والنوازل. ونذكر مثالاً واحداً من هذه المواقف التي حركت

ضمير الأمة وألهبت حماس الوطنيين الغيورين على بلادهم.. وأقصد بذلك النبأ الذي نشرته جريدة "كوكب إفريقية" التي كانت ترتبط بالولاية العامة بالجزائر، فقد نشرت في عدد المؤرخ بـ 10 ذي القعدة 1327 / 1907، خبراً مفاده أن السلطان مولاي عبد العزيز استفتى علماء فاس في الاستعانة بدولة أجنبية على تنظيم البلاد وتهدئتها، فزعمت هذه الصحيفة أن هؤلاء أجمعوا على إفتاء السلطان بجواز هذه الاستعانة، فكتب العلماء تكذيباً قاطعا لما اختلقته الجريدة المذكورة مؤيدين ردهم بالحُجَج، ودونوا ذلك في شكل أجوبة متتابعة حررها زمرة من فقهاء فاس وقضاتها، كان من بينهم القاضي محمد بن رشيد العراقي، ومن بين الذين كتبوا هذه النازلة العباس التازي، أحمد بن الخياط، وعبد السلام الهواري، ومحمد المهدي بن رشيد العراقي، وغيرهم.

وقد ألف في ترجمة محمد بن رشيد العراقي الفقيه محمد بن إدريس بن فرتون السلمي (1346 / 1927) تأليفا سماه "*الجواهر اللؤلؤية في التعريف بواسطة الشعبة العراقية الحسينية*"، كما ألف فيه محمد بن أحمد أحمد بن الحاج السلمي (1364 / 1944) "*اليواقيت السنية المهداة للحضرة العراقية*".

توفي المترجم عام 1348 / 1929، ودفن بروضته التي أحدثها بحوانيت السيد عبد الله بن أحمد السوسي قرب باب الحمراء.

ع. ابن سودة، *سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 299 ؛ *إتحاف المطالع* : ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 2 : 115 ـ 391؛ الاعلام، 6 : 361 ؛ *الدرر البهية*، 2 : 244 ؛ *الدر المكنون*، 70 ، فهرس محمد بن إدريس القادري، *معجم الشيوخ*، 1 : 90 ؛ *معجم المؤلفين*، 9 : 312، *مختصر العروة الوثقى*، 5 ؛ القيطوني، *معجم المطبوعات المغربية*، ص. 237 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 2 : 337، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2 : 141 ؛ ع. الله الجراري، *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين*، ص. 153، مكتبة المعارف، ط 1 : 1406 ـ 1985 ؛ ع. الهادي التازي، جامع *القرويين*، 3 : 820.

**العراقي، محمد** بن **عبد الرحمان** بن العباس الحسيني، عالم من كبار علماء القرويين، وشيخ لطائفة من الشيوخ، ومجاهد صلب في عهد الاستعمار حيث وقف مواقف خالدة لنصرة دين الله والوطن.

أخذ عن الشيخ الشريف ـ اسما ـ بن علي التكناوي الحسني، وعن الشيخ علال بن الفاطمي الهرابلي، وعن الشيخ حماد الصنهاجي، وعن الشيخ عبد السلام بن محمد بناني الطبيب، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ بن الشيخ قاسم القادري الحسني، وعن الشيخ عبد السلام بن عمر العلوي الحسني، وعن الشيخ خليل بن خالد الخالدي، وعن الشيخ محمد بن رشيد العراقي.. وعن الشيخ أبي شعيب الدكالي، وعن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، وعن الشيخ أحمد بن الجيلاني الامغاري، وعن الشيخ عباس بن أحمد التَّازي، وعن الشيخ عبد الله بن الهاشمي ابن خضرا السلاوي (قاضي فاس) .. وغيرهم من الأشياخ.

ولما دخل النظام إلى كلية القرويين كان من أول من أدرج به، وكانت له مشاركة في حلقات التدريس بها، وامتاز بتخصصه في علم قواعد اللغة العربية وما إليها من آلات "على ما كانت له من مشاركة عميقة في مختلف العلوم التي كانت تدرس في عهده بالقرويين" (بين ظلال الأصالة). وصفه الورطاسي بقوله "أشقر طويل القامة مهاباً على ما به من دعابة ونكت، يمشي في عزة وهو يمد بصره نحو الآفاق، يزور الطلبة في حجراتهم وفي أقاليمهم ويزورونه، لا يمل جليسه من أحاديثه الممتعة، علماً وأدباً وفكاهات ونوادر" (*بين ظلال الأصالة*).

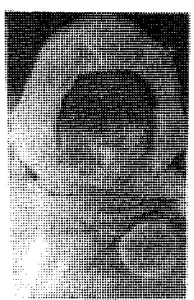

وأثبت بعلو همته وإخلاصه عزماً وصلابة ووطنية خالصة، وهي خصال كانت مطلوبة في أيامه لما كانت تجتازه البلاد من تحولات وتشوف إلى الرفع من قدر هذه المؤسسة كمنار للعلم ومعلمة للحفاظ على الهوية الوطنية .. والأمة يومئذ تمور وتغلي، فكانت القرويين معقل رجال الحركة الوطنية وخزانا هائلاً للطاقة الخلاقة المبدعة.

وفي حوادث 1944 / 1363، كان المترجم من الرجال الذين أظهروا تحمساً وشجاعة حول القضية الوطنية، فامتحن ـ رغم شيخوخته ـ ونفي إلى الصحراء وبقي في منفاه ما يزيد عن عام ونصف لم تؤثر على ثباته وقوة عزيمته، ووقع سراحه في شعبان 1364، ولما خلع السلطان محمد الخامس امتنع من التوقيع على عزله، فنهبت داره وأخذ ما بها من المتاع، واستمر في التدريس بالقرويين وأظهر الإخلاص والتفاني في خدمة وطنه.

توفي محمد بن عبد الرحمان العراقي في سابع صفر عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة وألف ودفن بروضتهم بالقباب، وفي أربعينيته أقيم حفل تأبيني بمعرض فاس حضره جمع من العلماء بالقرويين وأعيان البلد، وألقيت فيه كلمات مؤثرة، وفيها ألقى قدور الورطاسي قصيدة في شيخه ضمنها آهاته وعدد فيها صفات الفقيد.

ع. ابن سودة، *سل النصال بالأشياخ وأهل الاكمال* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 9 : 3471 ؛ ابن زيدان، *الدرر الفاخرة* ؛ م. الفاطمي، *إتحاف ذوي العلم والرسوخ*، 145 ـ 157، الدار البيضاء، 1978 ؛ ع. الله الجراري، *شعراء المغرب الأقصى وأدبائه المعاصرين*، تح. ع. الفاضلي، مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1991 ـ 1192 ؛ قدور الورطاسي، *بين ظلال الأصالة*، 190 ـ 192 ؛ الأمنية 1409 ـ 1989 ؛ قدور الورطاسي، *فضيلة العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان العراقي الحسيني في ذكراه الأربعينية*، جريدة العلم، 108 / 10 / 25 ربيع الأول عام، 1398، الموافق 26 / 2 / 1978.

**العراقي، محمد بن محمد** بن رشيد بن محمد الحسيْني، دعي سيدْهُم، علامة مشارك مطلع، يدرس مبادئ النحو، ويتنزل مع المبتدئين حتى يعرفوا درسه جيداً، مستظلا بشهرة والده وجاهه.

أخذ عن والده وهو عمدته، وعن عمه الشيخ المهدي العراقي، وعن عمه الشيخ المامون العراقي، وعن الشيخ علي بن عبد القادر بن سودة، وعن الشيخ أحمد بن الخياط، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ القادري وغيرهم.

تخرج من جامع القرويين، واشتغل بالشهادة والإفتاء والتدريس ذكر ابن سودة أنه أخذ عنه بالقرويين خطبة الألفية. ولي العراقي قضاء قبائل سلاس وفشتالة والحياينة ناحية فاس ثم قضاء مزكلدة ناحية فاس أيضا.

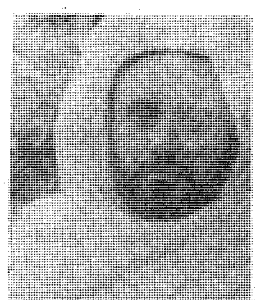

للمترجم مجال في التأليف نذكر منها : "*السعادة الأبدية في أحوال الأبوين وفروعها المرضية*" (طبع على الحجر بفاس) وله شرح على قصيدة بانت سعاد سماه "*حديقة أزهار زهير في قصيدة كعب بن زهير* (طبع على الحجر)، وله "*الصوارخ المنزلة في أحوال البسملة*" تكلم فيه مع عبد الحي الكتاني في كتابه "*الرحمة المنزلة*" حيث تعرض فيه للشيخ عبد الحافظ إدريس بن محمد العراقي (1183)، أطال فيه، وله ختمة على الألفية، وله "*إلهام المنزلة في طرق حديث البسملة*" وتقييد في ذم الحسد، والمورد الهني الأسعد في حديث كشف نبينا وآدم بين الروح والجسد". هذا عدا الأحكام النهائية التي صدرت عن والده القاضي محمد بن رشيد العراقي زمن قضائه في طنجة وفاس العليا الإسلامية، سماه "*التحفة المنشية في الأحكام العراقية النهائية* "الطنجية والفاسية" وصدره بترجمة للمنوه به، ذكر العلامة محمد المنوني أنه عند أسرة المؤلف بفاس ثلاثة أجزاء، حسب المؤرخ بن سودة (*المصادر العربية*، 2 : 141).

توفي المترجم منتصف ليلة الأربعاء فاتح شعبان 1359 ودفن بزاوية والده بسوق عبد الله حومة وادي الزيتون بفاس.

ع. ابن سودة، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 3077 ؛ القيطوني، *معجم المطبوعات المغربية* : م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2 : 141.

**العراقي، محمد الهادي** ويدعى بسيدي عبد الهادي بن محمد بن عبد الرحمان بن حمدون، من العراقيين الحسيْنيين، شهير في رجال العلم والعرفان بفاس، ومن بيت علم وجود، كثير الإحسان والرفق بالمساكين يبذل لهم المجهود ويميل بهم إلى التيسير، وهو بالصلاح والزهد والتقوى والعفاف مشهور، وليس بذي حرص على متاع الدنيا، وله محبة في الصالحين، زوار لأولياء الله تعالى. قرأ عل شيوخ فاس كأبي العباس الوجاري، وأبي عبد الله محمد بن قاسم جسوس وولد عم أبيه سيدي محمد العراقي وأبي عبد الله الجندوز وأبي العباس بن المبارك.

والمترجم من علماء القرويين البارزين في عصره "يقوم على مختصر خليل ويجيد تدريسه تحقيقا وفهما .. وقد طالت ممارسته له قراءة وإقراء، وله اعتناء بتدريس ألفية بن مالك" (*نشر المثاني*، 2 : 254)، وكان حسن التقييد في النحو، وله قلم بارع في النوازل وحل المشكلات، وهذا ليس بدعا فيهم. وكان له ـ رحمه الله ـ ثلاثة مجالس للتدريس : من الصباح للضحى ومن الزوال إلى صلاة الظهر وبعد صلاة العصر إلى غروب الشمس (*سلوك الطريق الوارية*، 185). وإلى جانب ذلك تقلد إمامة مسجد أبي الشتا من حارة قيس وفاس القرويين ثم ولي الإمامة والخطبة بمسجد باب الجيسة كما شغل الإمامة في جامع الأبارين من حارة قيس.

حج عام 1157 وكان ضمن ركب الحجاج الذي عاد في قعدة 1159 والذي تدخل مستشفعا للسلطان مولاي عبد الله أثناء حصار فاس للتوسط في شأن العفو والصفح.

ونجد تفاصيل كثيرة في رحلة عبد المجيد الزبادي الموسومة بـ "*بلوغ المرام في الرحلة إلى بيت الله الحرام*" عن أهمية هذه الشخصية في ركب الحجاج، وتلقي كثيراً من الضوء عن علاقة الرجلين : الزبادي والعراقي، فلا ينعته إلا بأجل الصفات. وخلال هذه الرحلة ـ كما هي العادة عند المغاربة ـ زار طائفة من العلماء والصالحين وأجازه بعضهم مثل الشيخ حجاري البيومي (*بلوغ المرام*، 582)، وعبد الدائم الأشموني الأحمدي والشيخ أحمد بن مصطفى بن أحمد الإسكندري (*بلوغ المرام*، 470) وآخرون مثل الشيخ علي بن أحمد الصنهاجي.

توفي المترجم هو وزوجه في ساعة واحدة بالوباء وأقبرا متجاورين في شهر ربيع الثاني عام 1163 عدوة الأندلس

بروضة بمسجد الأنوار وبباب المسافرين قرب الشيخ سيدي علي الحجام. وصلى عليه الشيخ سيدي عبد الكبير بن محمد السرغيني.

الحوات، *السر الظاهر*، 122، خ. ع، الرباط، 2619 د، ع. الزبادي، *بلوغ المرام في الرحلة إلى بيت الله الحرام* (في مواضيع متفرقة)، مرقونة ؛ القادري، *التقاط الدرر*، 2 : 411 / 414، نشر المثاني، 2 : 254، الوليد العراقي، *الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس*، خ. ع، الرباط، 97 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 17.

عبد المجيد بوكاري

**العراقي الوليد، عبد الله** بن **العربي** بن الوليد الحسني الفاسي، الشهير بسيدي الوليد العراقي، ولد بفاس سنة 1209، أخذ عن الشيخ محمد بن أبي بكر اليازغي وأحمد بن الشيخ التاودي ابن سودة والطيب بنكيران، وحمدون ابن الحاج، وسيدي محمد بن عمرو الزروالي، وسيدي التهامي بن حمادي المكناسي، وغيرهم، وتلقى الورد والمصافحة من الولي العارف أبي عبد الله سيدي الحاج محمد المختار بن علي البقالي، وهو الذي لقبه بمولاي الوليد، كما لقي العارف بالله سيدي محمد بن القطب مولاي أحمد الصقلي الحسني وتبرك به وأخذ عنه.

ومن الذين أخذوا عن سيدي الوليد العراقي، جعفر بن إديس الكتاني، وقاسم القادري، وأحمد بن أحمد البناني، ومحمد بن المدني گنون، وأحمد ابن الحاج مؤلف الدر المنتخب، وأحمد الخياط وعلي بن أحمد بن عبد الصادق الرجراجي الصويري، المتوفى عام 1308، وغيرهم. وصفه مترجموه بنادرة وقته في الحديث وعلم المعقول والمنقول، وكان متميزاً بالحفظ والضبط، مشاركاً في الإقراء، شديد الزهد والورع، كثير العبادة والصمت لا يتكلم إلا فيما يعنيه، تولى الإمامة والخطابة بجامع ضريح مولاي إدريس، وكان في الوقت نفسه يدرس به فنونا من العلوم، وله عارضة قوية في التأليف والتدريس، وكانت له مجالس بالقرويين وغيرها من مساجد فاس التي يحضرها الجم الغفير من العلماء والطلبة، ومن جملة ما كان يدرس علوم الحديث والسنة إلى جانب البيان والأصول، وله مجالس مشهورة في شرح همزية البوصيري. ألف حواشي وتآليف نذكر منها :

- *الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس*، عرف فيه بالنسب العراقي الحسيني، وترجم فيه لزمرة من علماء وصلحاء أسرته، ثم ختم بترجمة ذاتية، وهو يشير خلال حديث نسبه إلى مصادر كانت في عصره، يعتبر بعضها الآن من أندر النوادر، مخطوط الخزانة العامة رقم 1283 ك / 2. و2277 ك. والخزانة الحسنية رقم 1119.

- *التذييل المنتخب، فيما لفضلاء الشعبية العراقية من المآثر وجب*، مخطوط الخزانة العامة رقم 1283 / 3 ؛ وهو ذيل على الدر النفيس.

- *تأليف في التعريف* بالمحدث سيدي إدريس العراقي.

توفي في ليلة الأحد 8 ربيع الثاني عام 1265 / 3 مارس 1849، ودفن بروضة سيدي الهادي بنزيان خارج باب الفتوح.

الفضيلي، *الدرر البهية*، ج 2 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 3 ؛ مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 399 ؛ بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء* ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج 2 ؛ الحجوي، *الفكر السامي*، ج 2 ؛ المنوني، المصادر العربية، ج 2، ص. 23.

أحمد اشرخان

**العرب**، يرمز لفظ العرب حالياً بالمغرب الأقصى - ومنذ القرن الثامن (14 م) - إلى العنصر البشري الناطق سليقة بما يعرف باللغة العربية "العامية" أو الدارجة مع إضمار نوع من المقابلة الضمنية بين هذا العنصر نفسه وبين العنصر البشري الناطق فطريا بإحدى الفصائل اللسانية المتفرعة عن اللغة الأمازيغية. وبغض النظر عما يعكسه المعطى اللغوي قبل غيره من تداخل فعلي وامتزاج مؤكد بين العنصرين المعنيين، فالواقع أن ثنائية المرجع تحيل بالدرجة الأولى على الظاهرة التاريخية المتمثلة في قدوم العرب إلى المجال المغربي واستقرارهم به. ومعلوم أن هذا القدوم قد تقمص عدة أشكال تندرج كلها ضمن ظرفيات متميزة خاصة يتحتم استحضارها عند المقاربة والتصنيف.

تتقدم هذه الظرفيات إجمالا في شكل ثلاث صيغ كبرى. أما الظرفية المؤسسة الأولى فتعد امتداداً لظرفية دولية عامة مترتبة عن خروج الإسلام من موطنه الأصلي واتجاهه صوب الشمال ثم نحو الغرب وصوب الأراضي المصرية وما وراءها مع منتصف القرن الأول للهجرة أو السابع للميلاد. وانطلاقا من مصر كقاعدة جهوية، تم توجيه الحملات العسكرية تباعا في اتجاه إفريقية ثم نحو المغرب الأوسط إلى أن تقدمت نحو أقاصي المغرب على يد عقبة بن نافع فيما بين سنة 62 وسنة 64 للهجرة في محاولة أولى قبل أن تظهر محاولة ثانية أخرى على يد موسى بن نصير ابتداء من سنة 86 هجرية على الأرجح. ومعروف أن هذا التوجه قد أفضى إلى الجواز إلى الأندلس بقيادة طارق بن زياد و"من كان معه من العرب والبربر" سنة 92 هجرية. ومعروف من جهة أخرى أن الوحدات العربية القادمة من مصر وما وراءها لم تكن كثيرة العدد بحكم البعد وتنوع الجبهات بالمشرق وارتباط الخروج بمعطيات النسب والقرابة ولحمة الولاء. وعلاوة على هذا فإن امتداد الرقعة الإسلامية إلى ما وراء البوغاز قد حكم على أقصى المغرب وربما على مجمل الشمال الإفريقي بأن أضحى مَعْبَرا قبل أن يُتَّخذ مجالا للإقامة والاستيطان. والظاهر من جهة أخرى أن إقامة العرب في هذه الفترة بالمغرب الأقصى - ومنذ مقدم عقبة بن نافع - قد جاءت مرتبطة في جملتها بدافع الرغبة في تلقين القرآن ونشر الشرائع عبر نقط معدودة بشمال المغرب أساسا وبعض النقط المتباعدة بجنوبه.

وإذا كانت هذه الأفواج العربية الأولى قد توجهت صوب المغرب الأقصى ضمن إطار يختزل عادة فيما يعرف

بالفتوحات، فمما لاشك فيه أن أفواجا متناثرة أخرى قد التحقت بسابقتها عند انفجار أزمة الخلافة بالمشرق وظهور الفرق وانتشار الدعاة بغرب الرقعة الإسلامية فيما بين بداية القرن الثاني للهجرة ومنتصف القرن الثالث. والظاهر أن قيام كيانات عربية بهذه الرقعة خلال نفس هذه الحقبة قد مثل عامل استقطاب بالنسبة لبعض مكونات النخب العربية عند التحاقها بأموي الأندلس وأدارسة المغرب الأقصى ثم بالأئمة الفاطميين بالمغرب الأوسط وإفريقية. وإذا كانت وتيرة القدوم إلى المغرب قد ظلت محدودة إجمالا حسبما يبدو، فالراجح أنها قد أصبحت الآن مرتبطة بمجموعة من الوظائف المتنوعة كالتجارة والتعمير والخدمة في الدواوين بالإضافة إلى الدعوة والتفقيه والتعليم. بمعنى أن الأمر يتعلق حتى الآن بساكنة نخبوية تميل إلى الدعة والاستقرار والكسب في الغالب. واعتباراً لمحدودية الكم بالنسبة لهذه الساكنة من حيث هي، فالأعداد المقدرة عادة بالنسبة إليها تقف عند مستوى الآلاف وإن تجاوزته فلا تعدو بضعة عشرات الآلاف على الأكثر، وذلك إلى أن انتهت هذه المرحلة الثانية لتفسح المجال لخريطة أخرى بعد استتباب الأمر للخلافة الموحدية في منتصف القرن السادس للهجرة أو الثاني عشر للميلاد.

ما هي الخريطة التي ترتبت عن مجموع المكونات الملتصقة بنزول هذه القبائل العربية بالمغرب الأقصى ؟ لنسجل في البداية أن الرقعة المجالية المعنية بهذه الخريطة قبل غيرها إنما هي أراضي السهول الأطلسية بالدرجة الأولى ثم بعدها المجال الخارجي المحيط بها كمنطلق لمجموع التحركات البشرية التواقة إلى التحكم في الأراضي الواطئة جريا وراء الخصب والرخاء وسعة النفوذ. واعتباراً لهذا الوضع الثابت الذي يميز السهول الغربية كمجال مستهدف من لدن القبائل المتطلعة النازلة بالهوامش، ربما كان من المفيد أن يتم التركيز هنا على القبائل العربية التي توزعت عبر الشريط الشرقي الواصل بين التل وبلاد ملوية شمالا وبين واحات كَرارة والتوات وما جاورها من بلاد درعة وبلاد السوس بالجنوب. يتعلق الأمر هنا بقبائل المعقل التي صنفت آنئذ "من عداد هلال" على حد تعبير ابن خلدون وإن كانت يمنية الأصل على الأرجح وهلال من نجد بالحجاز. والغالب أن "عدها" هذا إنما هو إشارة إلى دخول المعقل في ركاب القبائل الهلالية بحكم الغلبة واعتبار التبعية إبان فترة العبور. وإذا كانت القبائل المعقلية قد اكتفت بالرحلة عبر الشريط الشرقي الآنف الذكر إلى أن ظهر الوهن في جسم الدولة الموحدية مع بداية القرن السابع الهجري، فالملاحظ أنها سوف تحاول مزاحمة القبائل الزناتية المجاورة من بني عسكر وبني مرين طوال فترة التسرب الأولى نحو الغرب لولا أن تقدُّم بني مرين قد دفع بالرشيد الموحدي إلى استخدامهم فكلفوا بمدافعة بقية الغزاة عن التل وما جاوره من الأراضي الغربية الواطئة خلال العقد الرابع من نفس القرن. وبذلك تمَّ إقصاء المعقل عن السهول الأطلسية فاكتفت باعتماد القفر لتنتهي جولاتها الأولى بالهيمنة على الواحات الشرقية ثم باعتناق حركة الثوار من بني يدَّر ببلاد السوس قبل أن ينتهي المطاف بجملة منها إلى الصحراء المغربية في منتصف القرن المذكور. وهكذا تكون القبائل المعقلية قد انتشرت عبر مجموع المجال الخارجي الممتد في شكل هلال مكتمل محيط برقعة المغرب المريني خلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة وحتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد. ولقد استقر توزيع هذا المجال بين بطونها الثلاثة المكونة من ذوي عبيد الله وذوي منصور وذوي حسان في منتصف هذه الحقبة بالذات حسبما أثبت ذلك ابن خلدون كمعاصر وشاهد عيان. أما ذوي عبيد الله "فمواطنهم ما بين تلمسان إلى وجدة إلى مصب وادي ملوية في البحر ومنبعث وادي صا من القبلة" أي من جهة الجنوب (*العبر*، ج 6، ص. 123) ؛ وأما ذوو منصور" فهم معظم هؤلاء المعقل وجمهورهم، ومواطنهم تخوم المغرب الأقصى من قبلته ما بين ملوية ودرعة (*العبر*، 6، ص. 131)، مما يعني تحكمهم في محطات تجارية أساسية بالتوات وتافيلالت كتمنطيط وسجلماسة على الأخص، وذلك بزعامة كل من قبيل أولاد حصين ومجموعة الأحلاف التي كانت تشمل قبائل العمارنة والمنبات ؛ وأما ذوو حسان وبنو عمومتهم من الشبانات والرقيطات ـ ويعرفون جميعا ببني مختار ـ، فيبدو أنهم بادروا إلى الالتحاق بثورة بني يدَّر بالجنوب ضد الخليفة المرتضى في منتصف القرن السابع "وحمدوا مواطن السوس لعدم المزاحم من الظواعن فأوطنوها وصارت مجالاتهم بقفرها وغلبوا كَزولة وأصاروهم في جملتهم ... وغلبوا على القصور التي بتلك المواطن في سوس ونول ..." (*العبر*، ج 6، ص. 138 ـ 137).

وهكذا فإن حصيلة المسار الذي سارت عليه القبائل الهلالية في جملتها قد أفضت إلى نوع من استنزاف المقومات العسكرية التي دعت إلى استقدامها أول الأمر فلم تلبث أن لبست لبوس بقية القبائل المغلَّبة الغارمة المحيطة بها. ومن أهم ما نتج عن هذا الوضع أن تقوت وتيرة الامتزاج بين مختلف هذه العناصر المتجاورة فترتب عن ذلك تعريب ساكنة السهل وبداية تعريب أهل التل مع تأثر عربية الجميع بلسان الأمازيغ نطقا وصياغة وقاموسا. وبما أن التفاعل اللغوي يقتضي الأستناد إلى تفاعل حضاري أوسع، فلقد كانت النتيجة النهائية أن تميز سكان السهول الغربية أساسا عن بقية الأهالي كعرب (أو عْرَبْ، عْروبيَّة) متميزين لغة وسلوكا عن ساكنة الجبل بالدرجة الأولى.

وموازاة مع هذا التطور، يلاحظ أن ذوي حسان بأقصى الجنوب قد استغلوا مهادنة الدولة المرينية وضعفها ابتداء من منتصف القرن الثامن فاكتسحوا السوس رغم صمود قبائل جزولة طوال القرن التاسع للهجرة وحتى أوائل القرن الموالي. ومن أبرز تجليات هذا الاكتساح أن بعض فصائل هذا القبيل قد أسهمت في الصراع القائم بين البرتغاليين والأهالي حول مرفأ "سانتا كروز" بموقع مدينة أكادير الحالية فلم تتردد في التعامل مع الغزاة والوقوف في وجه المقاومة المحلية إلى أن

حُسِم الأمر بقيام الحركة الجهادية والتفافها حول الأشراف السعديين. ولعل من بين نتائج هذا الوضع أن لجأت الدولة السعدية بعد قيامها إلى استخدام هذه الفصائل بزعامة "الشبانات" على الخصوص ضمن قبائل "الگيش" "مع ترسيم وضعها كما سبق أن رُسِّم وضع القبائل الهلالية على يد الموحدين من قبل. ومعلوم أن قبائل معقلية أخرى قد انطلقت من بلاد الواحات بالجنوب الشرقي لتتسلل نحو الشمال عبر ممرات الأطلس المتوسط مع نهاية القرن التاسع فلم يفلح في الاستقرار من بينها إلا قبيلة زعير بأكملها على الأرجح. ومعلوم من جهة أخرى أن معظم هذه القبائل من ذوي منصور كغيرها من القبائل النازلة بالتخوم الشمالية ـ الشرقية من ذوي عبيد الله لم يكن لها أن تنفذ نحو الجهات الغربية وتستقر بها إلا عندما دخلت في ركاب الدولة العلوية الناشئة كقبائل خادمة من قبائل "الگيش" كالأوداية على الأخص. مما أدى إلى نوع من إعادة تجربة القبائل الهلالية عبر العلاقة الهيكلية القائمة بين كل من التجربتين وبين مختلف الأطراف المكوِّنة من الدولة والمجال وساكنة المجال. خصوصا وأن هذه الموجة المعقلية قد عرفت نفس مآل الموجة الهلالية الأولى على المستوى الحضاري العام كما يتبين من خلال ما هو قائم من اندماجها في المحيط المستقبل على مستوى اللغة والتقاليد بينما ظلت القبائل المعقلية المقيمة بالصحراء محتفظة بلهجتها الخاصة وأعرافها المتميزة العريقة إلى اليوم.


ابن عذاري، *البيان المغرب*، ليدن، 1948، ج 1، 23 ـ 28 و42 ـ 44 ؛ القسم الثالث، تطوان، 1960 ؛ ابن خلدون، *كتاب العبر*، بيروت، 1959، ج 6، 23 ـ 141 ـ 572 ـ 577 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الترجمة العربية، الرباط، 1400 / 1980، ج 1، 34 ـ 47 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، تطوان، د. ت. ج 2، 167 ـ 168 ؛ ج 3، 167 ـ 168 أيضا، ج 4، 98 ـ 105 ؛ *المعسول*، الدار البيضاء، 1960 ـ 1961، ج 19، 148 ؛ م. القبلي، "*حول التحركات البشرية بمجال المغرب الأقصى* ..."، ضمن الدولة والولاية والمجال بالمغرب الوسيط، توبقال، الدار البيضاء، 1997.

*Encyclopédie de l'Islam* (2ème éditionà, I, 548 - 550 ; III, 398 - 399 ; VI, 138 - 141 ; G. Marçais, *Les arabes en berbérie du XIe au XIVe siècle*, Constantine - Paris, 1913 ; Id., *La berbérie et l'Orient au Moyen-Age*, Paris 1946, 2ème partie ; R. Montagne, *Les berbères et le makhzen dans le sud du Maroc*, Paris 1930 ; Id., *La civilisation du désert*, Paris 1947 ; J. Le Coz, *Les tribus Guich au Maroc*, *R.G.M.*, 7, 1965 ; A. Laroui, *L'histoire du Maghreb*, Paris 1970 ; G. Camps, *Comment la berbérie est devenue le Maghreb arabe*, *R.O.M.M.*, 35, 1er semestre 1983 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen-Age*, Paris, 1986.


محمد القبلي

**ابن العَرْبي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Arabe - Arabi - Alarbi - Arbe - Arbi.


م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 311.


**العَرْبي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : - Arbi - Alarvi - Arabe - Arbe.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **العـرْبي** ـ بسكون الراء ـ أسرة سلوية، أهل دين ومروءة وحرفة الحصارة، أنجبت كثيراً من الناسكين والصالحين، وآخر من عرفناه منهم الشيخ مَحمد ابن العربي من أصحاب أبي المواهب سيدي العربي ابن السائح، كان ملازما له وملحوظاً لديه كثيراً. وقد مات السيد ابن السائح وهو متكئ على صدر ابن العربي. عرفته وأنا طفل صغير شيخاً طاعناً في السن معتكفاً بركن في مؤخر قبة الزاوية التجانية بسلا، ابيضّ شعره وعليه نورانية وهيبة، نظيف الثياب، كنت أزوره صحبة والدي كلما ذهبنا إلى الزاوية وكنا كثيري التردد عليها، فأصبح يعرفنا ويدعو لي بخير.

كان بعض التجانيين يلتفون حوله أو يستدعونه إلى بيوتهم مع فقراء الزاوية لإكرامهم، فكان كثير الانصات وإذا أراد أن يعلق على مجرى الحديث لا يتحدث إلاّ بما سمع من سيدي العربي ابن السائح، يبدأ كلامه هكذا : "سمعت مولانا السيد يقول ..." وربما ذكر الظروف والملابسات التي أحاطت بهذا الكلام. ولا أتحقق بتاريخ وفاة هذا الرجل الصالح إلاّ أنه أقدّره تقديراً حوالي سنة 1369 / 1950 بعد انتقالي إلى أزرو.

ابن **العربي، إبراهيم** بن أحمد السلوي، فقيه فلكي مشارك، أديب شاعر، جميل الصورة، رخيم الصوت، بارع الخط، أريحيّ كريم، درس بمسقط رأسه على شيوخ سلا أمثال أحمد بن خالد الناصري، وعبد الله ابن خضراء، وعلي بن محمد عواد، ونسخ عدة كتب بخطه الجميل.

عمل في العهد العزيزي كاتباً بمرسى الدار البيضاء، وفي العهد اليوسفي عدلاً لنظارة الأحباس بالدار البيضاء أيضاً، وأسند إليه في نفس الوقت التوقيت بمسجدها الأعظم، وكان على صلة بالأدباء الفاسيين في هذه المدينة، وله معهم مساجلات شعرية، مثل *القصيدة الدالية* التي ذيل بها همزية الأديب يحيى الصقلي المسماة : *الخريدة الغيداء في وصف الدار البيضاء*. وهي مطبوعة.

أصبح المترجم بعد أن رجع إلى مسقط رأسه قيماً على الأمداح النبوية بالزاوية التجانية، وكان ماهراً في طبوعها الموسيقية، مقدماً في تصريفها بدون منازع.

له *كناشة الأمداح النبوية* مشتملة على *البردة والهمزية وبانت سعاد*، وعلى مجموعة كبيرة من الصنائع والبراول وكلام القوم أمثال رباعيات عبد الرحمن المجذوب وغيره من شعراء الملحون، كل ذلك منظم حسب مقتضيات الطبوع

الموسيقية. وعند والدي نسخة من هذا الكناش كتبها ملونة بعناية بخطة الجميل إلا أني لا أدري إن كانت كاملة أو مختصرة فقد حفظ والدي المديح النبوي وأتقن صنعته على يد الشيخ إبراهيم ابن العربي لمدة سنين طويلة كان يحضر معه في حلقات الإنشاد بالزاوية وفي حفلات خاصة، بل وبباب دكانه المجاور له في القيسارية، إذ كانا معا تاجرين في القماش. وبعد وفاة المترجم خلفه والدي في تسيير حلقات الأمداح بالزاوية لنحو أربعين سنة.

يذكر له أيضاً *ديوان شعر*، لكن لم نطلع عليه. توفي بسلا يوم الأربعاء 14 ربيع الأول عام 1345 / 22 شتنبر 1926.

ع. الله الجراري، من *أعلام الفكر*، الرباط، 1971، ج 2، 262 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2960 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة*، الدار البيضاء، ص. 306 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ص. 191.

محمد حجي

ابن العربي، أبو **بكر** محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي المعافري - نسبة إلى معافر بن يعفو بن مالك، ينتهي نسبه إلى قحطان.

ولد بإشبيلية وبها نشأ وتعلم، حذق القرآن وهو ابن تسع سنين، ولم يبلغ 12 من عمره حتى أتقن القراءات العشر، وجمع فنونا من العربية، وتمرن على الأدب والشعر.

ومن شيوخه في هذه المرحلة أبو عبد الله السرقسطي، وخاله أبو القاسم الهوزني.

وزر والده للمعتمد بن عباد الذي ثل عرشه المرابطون عام (484 - 1091)، وفي السنة بعدها (485 - 1092) - رحل إلى المشرق هو وولده أبو بكر - وكان طريقهما على القيروان، فأبحرا من المهدية إلى الأسكندرية، ودخلا القاهرة وهي تحت حكم العبيديين، فلم تطل إقامتهما بها، وتابعا سيرهما إلى القدس، فوصلاها والحكم فيها للسلجوقيين، وكانت هناك مدارس لمختلف المذاهب، فكان أبو بكر يتردد عليها جميعا حيث أخذ عن الرميلي، والزوزني، والصافي، وابن مرزوق، والزنجاني، وابن الكازروني. ولازم أبا بكر الطرطوشي طويلا، فقرأ عليه الجدل، وعلم الكلام، ومسائل الخلاف - وهي علوم لم تكن تعرفها بلاد الأندلس. وتجول في ربوع القدس، وشرق الأردن، وزار عدة قرى، ودخل مدينتي نابلس وعسقلان، ومكث بهما بضعة أشهر.

وفي إطلالة سنة (489 - 1095)، ركبا البحر إلى عكا، ومنها إلى دمشق وهي بلد علم وأدب وحضارة، اتخذها السلجوقيون عاصمة لهم، نافسوا بها بغداد وخراسان ؛ وقد سمع بها أبو بكر من أبي الفتح المقدسي، وأبي محمد الاكفاني، وأبي الفضل بن الفرات، وأبي سعيد الهروي ؛ لكنه سرعان ما انتقل عنها إلى بغداد - صحبة والده - وهي أملهما المنشود، وكان وصولهما إليها في رمضان من نفس السنة (489).

وما إن استقر بهما المقام، حتى تحرك ركب الحجاج إلى البقاع المقدسة، فحرك فيهما كوامن الشرق لأداء فريضة الحج، فالتحقا بالركب، وبعد أداء مناسك الحج، زارا المدينة ؛ وقد سمع أبو بكر بالحرم الشريف من طراد الزينبي، والحسين الطبري، وثابت بن بندار الحمامي، وأبي محمد اليابري - شيخ الزمخشري.

ثم عادا إلى بغداد، وواصل أبو بكر مسيرته العلمية، فأخذ عن كبار المشايخ، كالشاشي، وأبي القاسم الطوسي، والمبارك بن عبد الجبار، وابن طرخان التركي، والتبريزي، وأبي الحسين بن الفراء، وأبي المطهر الاصبهاني ؛ واختص بأبي حامد الغزالي، وقرأ عليه مختلف كتبه، وتوثقت الصلة بينهما حتى صار من مريده السالكين. ولم يقتصر نشاط ابن العربي على الجانب العلمي، بل تجاوز ذلك إلى الميدان السياسي، فقد قام هو ووالده باتصالات مع الوزير عميد الدولة بن جهير، وقدما إلى الخليفة العباسي المستظهر بالله - خطابا مطولا - يذكرون فيه ما يقوم به الأمير يوسف بن تاشفين من الدعوة للخلافة العباسية، وإشاعة العدل بين الرعية، وجهاد في أعداء الإسلام - وهو في معرض طلب التقليد له بذلك.

فاستقبلهما الخليفة، وبالغ في إكرامهما ؛ ثم أصدر مرسوما بالتقليد الرسمي للأمير ابن تاشفين منوها بأعماله الجليلة، ويوصيه بحاملي الخطاب : ابن العربي، وولده أبي بكر.

فغادر أبو بكر بن العربي ووالده عاصمة بغداد إلى الإسكندرية - في حدود أواخر سنة (492 - 1098)، وما إن نزلا بها، حتى ألم المرض بوالد أبي بكر في ضيافة أستاذه الطرطوشي، ولم يلبث أن توفي في محرم عام (493 - 1099) ؛ وكان لذلك أثره في حياة أبي بكر، فاعتزل الناس، وعاش حياة الزهاد في المحارس والربط، وربما ألقى بعض الدروس في أحد المحارس.

وفي سنة (495 - 1101)، عاد إلى المغرب، فالتحق بمراكش - عاصمة المرابطين، وقدم إلى الأمير يوسف بن تاشفين مراسيم التقليد من الخليفة العباسي، فنال أبو بكر حظوة كبرى لدى اللمتونيين ؛ فولوه الشورى، ثم قاضي القضاة ؛ لكن صرامته في الحق، وتشدده في تطبيق نواميس الشريعة ؛ مما ألب عليه كثيراً من خصومه، وأثار الغوغاء في وجهه ؛ فاستقال من كل وظيف، وتفرغ للتدريس والتأليف ؛ فأقرأ بقرطبة، وإشبيلية، وسبتة، وفاس، وتلمسان، وسواها.

ومن أولاده : أبو محمد عبد الله، وكان من أهل النباهة، معنيا بالرواية وسماع العلم ؛ قتل خطأ يوم أن دخلت إشبيلية على المرابطين، فثكله أبوه، واحتسب أجره. وأبو

الحسن عبد الرحمان، يروي عن جماعة من شيوخ الحديث ـ وفي مقدمتهم والده، توفي قبل أن يبلغ مبلغ التحديث.

وقد أخذ عن أبي بكر جمهرة كبيرة من تلاميذه، من أشهرهم :

أبو نصر الفتح بن خاقان، وأبو الفضل عياض السبتي، وأبو بكر بن خير صاحب *الفهرست*، وأبو زيد السهيلي، وأبو القاسم بن بشكوال، وأبو القاسم بن حبيش، وأبو بكر بن الجد، وأبو العباس بن مضاء، وآخر من حدث عنه بالسماع أبو بكر بن حسنون ؛ وقد استوفاهم ابن الأبار في كتابه *(معجم أصحاب ابن العربي)* لكن هذا الكتاب يعتبر مفقوداً الآن.

عاش أبو بكر أيام المرابطين وصدراً من دولة الموحدين، توفي منصرفه من بيعة عبد المومن بن علي، ودفن بفاس خارج باب المحروق.

خلف ابن العربي آثاراً علمية قيمة، من أهمها في علوم القرآن :

ـ *الأحكام (الكبرى)* ط.

ـ *الصغرى*، مخطوطة، الخزانة العامة بالرباط، خع (274 -د).

ـ *أحكام الآخرة، والكشف عن أسرارها الباهرة*، خع (928 - ك).

ـ *أنوار الفجر* في ثمانين مجلداً، أقام في تأليفه عشرين سنة، ظل موجودا إلى حدود القرن الثامن الهجري (*الديباج*، ص. 283).

ـ *خامس الفنون* (جزء وسط)، فسر فيه الآيات التي تحدثت عن أمم سالفة أعرضت عن آيات الله، وتمردت على شرائعه، فحقت عليها كلمة العذاب، مخطوط انفردت به، فيما نعلم الخزانة الحمزاوية، وتوجد صورة منه بـ (خع) على شريط ميكوفيلم رقم (142).

ـ *سراج المريدين*، ذكر العباس بن إبراهيم أنه وقف على نسخة منه عليها خط المؤلف (الإعلام، 4 / 96). وبدار الكتب المصرية صورة عن نسخة أخرى (2348 ب).

ـ *سراج المهتدين*، حذا فيه حذو (الشهاب) للقضاعي، مخطوطة خاصة.

ـ *القانون في التفسير*، توجد أجزاء منه مخطوطة، الأول بالاسكوريال مبتور الورقة الأخيرة، صفحاته (140)، والرابع بالقرويين (926)، وبدار الكتب المصرية جزآن (مجلة معهد المخطوطات العربية، م 5، ج. 1 ص. 166).

ـ *صنوة قانون التاويل*، مخطوطة تامة بخزانة أحمد بن منصور، (بزو)، المغرب. وبخع نسخة أخرى مبتورة الأخير (251 ـ ك).

ومعلوم أن هناك فرقا بين التفسير والتأويل، فحاول ابن العربي أن يضع قوانين وأصولا لكل.

ـ *الناسخ والمنسوخ في القرآن*، خع (2024 ـ ك).

وفي الحديث :

ـ *ترتيب المسالك في شرح موطأ مالك* .

ـ *عارضة الأحوذي، في شرح جامع الترمذي* ـ 13 ـ جزءاً ط.

ـ *رسالة في حديث عقبة بن عامر*.

ـ *رسالة في أحاديث المصافحة*.

وفي التوحيد وعلم الكلام :

ـ *الأمد الأقصى*.

ـ *العواصم من القواصم*.

ـ *المتوسط في صحة الاعتقاد والرد على من خالف من ذوي الإلحاد* ـ خع (2963 ـ ك)

ـ وله عليه شرح أسماء (المقسط، في شرح المتوسط) لم أقف عليه.

ـ *الوصول، إلى معرفة الأصول*.

وفي الفقه :

ـ *الإنصاف، في مسائل الخلاف*.

ـ *التقريب والتبيين في شرح التلقين*.

ـ *الرسالة الحاكمة*.

ـ *المحصول في علم الأصول*.

ـ *كتاب النكاح : فرائضه، وسننه، وآدابه*، دار الكتب المصرية (97 ـ مجاميع).

وفي الأدب :

ـ *حواش على شرح ابن السيد البطليوسي*.

وفي السير والرحلات :

ـ *ترتيب الرحلة*.

ـ وجرد منه أوراقا اسماها *(شواهد الجلة والأعيان، في مشاهير الإسلام والبلدان)* ـ خع ـ ضمن مجموع (1000 د).

فابن العربي عالم موسوعي، فهو : مفسر، ومقرئ، ومحدث، وفقيه، وأصولي، ولغوي، وأديب، ورحالة ؛ وقد ألف في هذه المعارف جميعها ـ كما نجد ذلك في مصادر ترجمته.

ابن الأبار، *التكملة*، ط مجريط، 1887 ؛ ابن بشكوال، نشر *العطار*، 1955 ؛ ابن حزم، جمهرة *أنساب العرب*، ط. دار المعارف، 1962 ؛ ابن خاقان، *الفتح مطمح الأنفس*، مصر، 1908 ؛ ع الرحمان ابن خلدون، *المقدمة* ؛ *العبر*، بيروت، 1956 ؛ ابن خلكان، *الوفيات*، مصر، 1948 ؛ ابن العربي، *الأحكام الكبرى*، القاهرة، 1967 ؛ *قانون التأويل، مخطوطة خاصة* ؛ أعراب سعيد، مقالات نشرت بمجلة، دعوة *الحق*، 1979 ؛ م. الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، بيروت، 1954 ؛ م. صغيري، *تحقيق قانون التأويل*، رسالة ديلوم، مرقونة ؛ عامر طالبي، *آراء أبي بكر بن العربي الكلامية*، بيروت، 1976 ؛ ي. عياض الغنية، فهرسة شيوخه، ليبيا ـ تونس، 1978 ؛ ح. الكتاني، سلوة *الأنفاس*، ط. حجرية بفاس، 1898 ؛ كواتشكو فسكي، *تاريخ الأدب الجغرافي العربي، النص العربي*، 1963 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، مصر، 1939 ؛ *نفح الطيب*، بيروت، 1968.

سعيد أحمد أعراب

ابن **عربي الحاتمي** محيي الدين، أبو بكر أو أبو عبد الله ويدعى عادة ابن عربي الحاتمي ـ بحذف أداة التعريف تمييزا له عن القاضي محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري الإشبيلي. ولد سنة 560 / 1165 بمرسية بالأندلس من أسرة عربية من قبيلة حاتم الطائي.

وقد عرفت أسرته بالمجد العتيد والمكانة المرموقة، مع التدين ووفرة التقوى، مما أهل ابن عربي لتكوين روحي متميز اشتهر به وهو غلام ما بقل وجهه، وقد سمع ابن رشد الفيلسوف بشهرته تلك وهو بقرطبة فطلب من والد ابن عربي ـ وكان صديقه ـ أن يلتقي بابنه. وقد وصف لنا ابن عربي هذا اللقاء بتفصيل (*الفتوحات*، 1 : 153 ـ 154).

لقد كان ابن عربي مهتما غاية الاهتمام بتربيته الروحية ومجاهدة نفسه منذ طفولته المتأخرة ومرحلة شبابه، فعمل على الاجتماع بشيوخ التصوف رجالا ونساء والأخذ عنهم وقراءة كتبهم، فأخذ بإشبيلية عن أبي عمران موسى بن عمران الميرتلي وأبي الحجاج الشبربلي، وأبي يعقوب يوسف بن يخلف الكومي (تلميذ أبي مدين) وعبد الله المغاوري وأبي العباس العريني وفاطمة بنت ابن المثنى القرطبي وغيرهم. هذا إلى جانب شيوخه في القراءات كمحمد بن خلف اللخمي وأبي بكر محمد بن أحمد بن حمزة، وفي الحديث كابن زرقون الأنصاري، ودرس كتب ابن حزم على تلميذه أبي محمد عبد الحق الإشبيلي. وبعدما تمكن حاله واستوى في العلم نصابه، اتجه ابن عربي إلى حياة السياحة والتجوال باحثا ومستفسراً وملقنا ومناقشا ومؤلفا، وكانت قرى الأندلس ومدنه بداية تلك السياحة، وقد ألف خلالها بمدينة مورور كتابه "*التدبيرات الإلهية*"، إلا أن روحه التواقة دفعته لركوب البحر والتوجه إلى إفريقية سنة 590 / 1193 وكان هدفه الالتقاء بالشيخ الإشبيلي الكبير أبي مدين الغوث الذي أسس مدرسة صوفية بمدينة بجاية، وكثيراً ما ذكره ابن عربي على أنه من شيوخه. وفي تلك السنة التقى في تونس بولد الشيخ ابن قسي (ت. 546 / 1151) الذي روى عنه كتاب أبيه "*خلع النعلين*" (قمنا بدراسة وتحقيق ونشر هذا الكتاب، ط 1، 1997، المغرب)، وفي نفس السنة يعود ابن عربي إلى الأندلس بعدما زار تلمسان. وفي سنة 591 / 1194 اجتاز العدوة للمرة الثانية متجها إلى فاس وكان حينها يعقوب المنصور الموحدي قد جهز الجيوش واتجه للأندلس لخوض غمار معركة "الأرك" التي انتصر فيها الموحدون بقيادة المنصور انتصاراً باهراً على ألفونسو الثامن، وكان ابن عربي مهتماً بمصير الجيوش الإسلامية ولعل انتصارها بالأندلس جعله يعود مرة أخرى إلى إشبيلية سنة 592 / 1195 ولم يطل به المقام هناك، حيث عاد سنة 593 / 1195 إلى فاس وسمع عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن قاسم التميمي الفاسي بقراءته كتابه : "*المستفاد في ذكر الصالحين من العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد*"، وبفاس كان يعتكف على العبادة والدراسة بجامع الأزهر ويختلي بنفسه مجاهدة في بستان ابن حيون، وفي هذا البستان كان يقصده المريدون للأخذ عنه وسلوك الطريق على يديه، ومن الذين كانوا يحضرون مجلسه الشيخ أبو عبد الله الدقاق وأبو العباس الحصار. وبفاس عانى ابن عربي بعض مواجده الصوفية من حالات التجلي.

ويبدو أن السلطات الموحدية كانت تتخوف من الحركات الصوفية فتنظر إليها بشيء من الحيطة والحذر لما صاحب تلك الحركات من انتفاضات سياسية في التاريخ الإسلامية، وربما كان هذا الأمر من بين الأسباب التي جعلت ابن عربي لم ينل حظوة عند الخليفة الموحدي خاصة وأنه يشير إلى ما كان له من موقف إزاء المعونات الغذائية التي قدمها أبو يعقوب المنصور الموحدي بسبتة لأتباع الشيخ أبي محمد عبد الله إبراهيم المالقي، وهو موقف أوقع الشيخ وأتباعه في حرج وترتب عنه كلام جرى بين يعقوب المنصور وابن عربي أفضى إلى كلام "يوجب وغر الصدور ويضع من القدر" (*الفتوحات*، مج 4 : 540، وقارن : ابن عربي : *الدرة الفاخرة عند حديثه عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم المالقي*)، ولعل موقف يعقوب المنصور من أبي مدين الغوث وخوفه من أن يكون له مع الموحدين ما كان للمهدي مع المرابطين فعمل على حمل أبي مدين إليه ليمتحنه ولكنه توفي في الطريق بتلمسان سنة 594 / 1197، لعل هذا الموقف للسلطة من الصوفية عامة كان عاملا في ما نشأ من نفور بين ابن عربي والخليفة يعقوب المنصور، وكان ختامها أن جرح ابن عربي في كرامته. ويعود ابن عربي في أواخر سنة 594 / 1197 إلى الأندلس فيدخل غرناطة في أوائل 595 / 1198، ويدخل مرسية ثم ألمرية وكانت مركزاً صوفياً كبيراً يرأسه أبو عبد الله الغزال تلميذ ابن العريف (536 / 1141)، وفي ألمرية ألف ابن عربي كتاب "*مواقع النجوم*" وهي محاولة رمزية فلكية لمقاربة مراحل الطريق الصوفي، وفي نفس السنة حضر بقرطبة مراسيم دفن ابن رشد الفيلسوف (*الفتوحات*، مج 1 : 154) وفي سنة 597 / 1200 يركب ابن عربي البحر ويتوجه لمراكش عاصمة دولة الموحدين ويلتقي فيها بالصوفي الكبير أبي العباس السبتي، وبمراكش تظهر له تجليات صوفية يؤمر خلالها بالتوجه إلى فاس للالتقاء بمحمد الحصار والذهاب معا للشرق، وفي طريقه إلى الشرق ظهرت له مواهب روحانية فدخل بجاية سنة 597 / 1200 وفي سنة 598 / 1201 دخل تونس وأقام بها تسعة شهور حيث بدأ تأليف كتابه : "*إنشاء الدوائر والجداول*" ببيت الشيخ أبي محمد عبد العزيز والكتاب شرح لنظرية ابن عربي الكونية بأشكال هندسية، وفي نفس السنة بلغ مكة وهناك ذاع صيته، وألف ديوانه الشعري "*ترجمان الأشواق*"، ومن مكة زار ابن عربي بلاد العراق ثم عاد لمصر وكاد الفقهاء أن ينكلوا به ولكنه سلم من كيدهم وقصد مكة سنة 604 / 1207، ثم توجه نحو قونية في آسيا الصغرى فخرج الملك كيكاوس الأول لاستقباله بحفاوة ومنحه دارا فخمة ما لبث ابن عربي أن وهبها لفقير. وهنا بلغ ابن عربي أوجه الصوفي ومجده واشتهر بتجلياته

الصوفية، وبدأ المريدون يقصدونه، فكان من أشهرهم صدر الدين القونوي، ثم ساح في آسيا الوسطى وتوجه في سنة 608 / 1211 إلى التعرف على صوفي مشهور هو شهاب الدين عمر السهروردي (ت. 632 / 1234) صاحب كتاب *"عوارف المعارف"* الذي قال عن ابن عربي "إنه بحر الحقائق"، وفي سنة 611 / 1214 شرح ابن عربي ديوانه *"ترجمان الأشواق"* بكتاب سماه *"الذخائر والأعلاق"* دفعا للشبهات التي أثارها بعض الفقهاء حول الديوان. ولقي ابن عربي حفاوة وتقديراً منقطعي النظير من سلاطين بني أيوب كالسلطان الظاهر صاحب حلب (ت. 613 / 1216) وسلطان حمص أسد الدين شيراكوه (ت. 637 / 1239) الذي أغدق مالا كثيراً على ابن عربي الذي كان يزهد فيه ويتصدق به جميعا. واستقر بابن عربي المقام في دمشق ابتداء من سنة 620 / 1223 وكان الحاكم آنذاك هو الملك المعظم ابن الملك العادل (ت. 625 / 1227) وكانت صلته بابن عربي صلة المريد بشيخه. وفي تلك المرحلة الأخيرة من حياة ابن عربي اغتنت تجلياته الصوفية وكثرت خواطره في الطريق وفاض عليه الفتح بالإلقاء السبوحي والنفث الروحي فظهر له النبي (ص) في نهاية محرم سنة 627 / 1229 بدمشق وسلمه كتاب *"فصوص الحكم"* وأمره بنشره بين الناس : وهو أهم كتاب لابن عربي في الكشف الصوفي، وفي سنة 636 / 1238 أنهى ابن عربي كتابة النسخة الثانية من كتابه الضخم *"الفتوحات المكية"*.

وسواء اعتبر ابن عربي فيلسوفا أو صوفياً أو حكيماً إلهيا أو وارثا محمدياً أو ولياً، فمما لاخلاف فيه أنه بمؤلفاته التي تفوق أربعمائة كتاب يعد من بين مفكري الإسلام الأكثر عطاءً ونتاجاً.

ولاشك أن الطابع الاصطلاحي لمؤلفات ابن عربي يمكن المتتبع لها من الارتواء من نبع روح دقيقة فياضة غنية باللوينات والإيحاءات المؤثرة، ولكنها في نظر معارضيه لا تعدو أن تكون مفاهيم غامضة وباطنية وهي بذلك علامات عشوائية.

لقد أثار مذهب ابن عربي الصوفي ردود أفعال متباينة مازالت أصداؤها تتردد إلى اليوم. فمن الرافضين له رفضا باتا شيخ الإسلام ابن تيمية (ت. 728 / 1328) الذي رغم إعجابه به لم يجد حرجا في نقده وحشره في زمرة أهل الحلول والاتحاد (را : ابن تيمية *الرد الأقوم على ما في كتاب فصوص الحكم*. والقسم 1 و4 من رسائل ابن تيمية)، ويذهب ابن القيم الجوزية (ت. 751 / 1350) إلى اتهام ابن عربي بالإلحاد لأن مذهبه يدعو إلى الاتحاد بين العبد والرب، ومن الصوفية المنتقدين لابن عربي المتهمين إياه بالقول "بوحدة الوجود" التفتزاني (ت. 791 / 1389) والقاري الهروي (ت. 1014 / 1605) ونضيف لهؤلاء ابن خلدون (ت. 828 / 1406) (*المقدمة*). على أن مذهب ابن عربي أثار لدى آخرين إعجابا وتفهما واعتبروا أن المنتقدين أخذوا الآراء مأخذا خاطئا ولم يحسنوا فهمها. ومن هنا، نرى هذا الاتجاه يقوم مدافعا عن ابن عربي شارحا دلالة "مذهب وحدة الوجود". هذا المصطلح الذي استعمله أول مرة صدر الدين القونوي (ت. 672 / 1273) في كتابه *"مفتاح الغيب"* وتابعه في الدفاع عنه الشيخ عبد الغني النابلسي (ت. 1143 / 1730) ووجيه الدين العيدروس (ت. 677 / 1278) في رسالته *"لطائف الجود في مسألة وحدة الوجود"* والشيخ أحمد بن عجيبة (ت. 1225 / 1810)، يضاف لهؤلاء شراح *فصوص الحكم* وهم كثيرون استمروا منذ صدر الدين القونوي حتى بداية القرن السابع عشر الميلادي (الحادي عشر الهجري)، وكلهم ينزلون ابن عربي منزلة الولاية الكبرى ومقام الشيخ الأكبر ويفسرون أقواله ويوضحون الدلالات الخفية في مذهب "وحدة الوجود" من حيث إنه مذهب يقرر على لسان ابن عربي أن "الحق خلق وما الخلق حق" وليس في هذا اتحاد ولا حلول ولا نفي للذات العلية وصفاتها، وإنما هو معرفة ذوقية لا تفصل الخلق عن الخالق، كما لا توحد بين الخالق والمخلوق.

والحقيقة أن ابن عربي ترك آثاراً عميقة جداً في كثير من مدارس الحكمة الإلهية والطرق الصوفية، وشمل أثره الأدباء المسلمين من عرب وفرس وأتراك وغيرهم.

ويمكننا بهذا الصدد إلحاق آراء الشيخ عبد الكريم الجيلي (ت. 820 / 1417) وأمثاله بالمدرسة الأكبرية (الشيخ الأكبر = ابن عربي)، ولا ننسى أثر الأكبرية في الفلاسفة الإشراقيين أمثال شهاب الدين السهروردي (ت. 586 / 1190) وجميع شراحه وأتباعه، وكذا في مختلف فروع طريقة نعمة الله، وبوجه عام في التصوف الشيعي، كما أن الأكبرية استلهمتها الحركات الباطنية (العلوية والبكتاشية وأهل الحق). ومن المتأثرين بابن عربي والحاملين راية الأكبرية في القرن العشرين نذكر الأمير عبد القادر الجزائري في كتابه *"المواقف"*. هذا عن أثره في العالم الإسلامي، أما في العالم المسيحي الأوروبي فيؤكد أسين بلاثيوس تأثير ابن عربي في كل من ريموندو لوليو ودانته (*ابن عربي حياته ومذهبه* : ترجمه عبد الرحمن بدوي، ص. 99).

توفي في سنة 638 / 1240. وافته المنية بدمشق في منزل ابن الزكي يحيط به أهله ومريدوه فدفن خارج دمشق في قرية الصالحية على سفح جبل قاسيون، وقد عظم مقامه العثمانيون فأمر سليم الثاني بن سليمان الكبير (986 / 1578) ببناء مسجد باسمه ومدرسة كبيرة على ضريحه ورتب الأوقاف عليهما.


ابن عربي الحاتمي، *فصوص الحكم*، تح. د. أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1980 ؛ *الفتوحات المكية*، دار الفكر، بيروت، د. ت ؛ ابن قسي، *خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين*، تح. د. محمد الأمراني، ط 1، المغرب، 1997 ؛ أسين بلاثيوس، *ابن عربي حياته ومذهبه*، تر. د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1979 ؛ علي شودكيفيتش، *الولاية والنبوة عند محيي الدين بن العربي*، تر. د. أحمد الطيب، ط 1، دار القبة الزرقاء للنشر، مراكش، 1999.

C. Addas, *Ibn Arabi et le voyage sans retour*, Paris, 1996.
محمد الأمراني

**ابن العربي، الصديق** إنسان نبيل، وعالم جليل، ووطني صادق، همه من الحياة :

كفاف عيش كفاني ذل مسألـة     وخدمة العلم حتى ينقضي أجلي

إنه الأستاذ الصديق بن إبراهيم بن أحمد بن العربي السلاوي. ولد عام (1329 / 1911) من أب سلاوي يرجع أصله إلى منطقة الشاوية ومن المهتمين بالأدب وقرض الشعر. لما بلغ الطفل سن التلقي أدخله والده إلى كتاب قرآني بمدينة الدار البيضاء التي كان يعمل بها الأب موظفا بميناء المدينة أيام السلطان مولاي عبد العزيز وعدلا أيام السلطان مولاي يوسف، ومعدلا بالمسجد الأعظم. بعد حفظه القرآن الكريم التحق بمدرسة النجاح فدرس بعض المتون على يد الفقيه أبي بكر الزيراوي، وعلى يد محمد الزيراوي، والأديب محمد بليماني الناصري. كما حضر المجالس العلمية التي كانت تعقد بمساجد البيضاء.

وبعد وفاة والده سنة (1345 / 1926) رجع إلى مسقط رأسه سلا حيث واصل دراسته العلمية بمساجدها، فدرس على ثلة من علمائها مثل :

عبد النبي، وزين العابدين بنعبود، والشدادي، وغيرهم.

وفي سنة (1346 / 1927) التحق بالمدرسة الابتدائية، ومنها إلى الثانوي، وفي هذه الأثناء عكف مع زميله المرحوم سعيد حجي على التثقيف الذاتي من قراءة ومطالعة في المنزل، والمكتبات. وانهمكا معا على تعلم مبادئ اللغة الفرنسية والانجليزية.

لما أسس سعيد حجي جريدة *(الوداد)* التي كانت تصدر بخط اليد، اشتغل معه مدة طويلة إلى أن سافر حجي للمشرق لإتمام دراسته، فاشتغل كاتبا مع أحد التجار ثم موظفا بالمطبعة الرسمية مدة سنتين، وفي هذه الأثناء تعرف على بعض الوطنيين من سلا والرباط.

وفي سنة (1352 / 1933) اشتغل موظفاً بمصلحة المالية قسم الترتيب بالرباط أولا، ثم الدار البيضاء، ومراكش، وآسفي، والقنيطرة. ولما لاحظت السلطات الاستعمارية اتصالاته بالمنظمات الوطنية فصل من عمله.

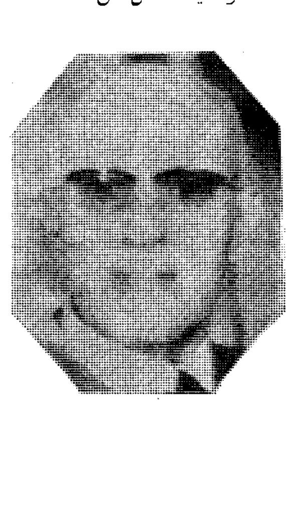

ولما عاد سعيد حجي من الشرق أسس مطبعة الأمنية بالرباط عام (1359 / 1940) اشتغل معه مشرفا على المطبعة إلى جانب إدارة جريدة *(المغرب)*، إلى جانب مساهمته في التصحيح والتحرير.

وفي سنة (1361 / 1942) انخرط في الحزب الوطني، وكان من السباقين للتوقيع على وثيقة الاستقلال يوم 11 يناير 1944، فأدى ضريبة هذا التوقيع بين السجن، والتعذيب، والتشريد.

وعندما صدرت مجلة *(رسالة المغرب)* برئاسة الفقيه محمد غازي عمل بجانبه في الإشراف والكتابة. وتأتي سنة (1366 / 1946) لتحمل ميلاد جريدة (العلم) التي عمل فيها من أول عدد لها إلى أن أوقفها المستعمر سنة (1372 / 1952). كان عمله في هذه الجريدة موزعا بين المطبعة والتصحيح والإدارة والكتابة، كما أضيفت له مهام أخرى كقيم وأمين على الشؤون المالية للجريدة.

وفي أعقاب الأحداث الخطيرة التي وقعت سنة (1373 / 1953) اتجه إلى ميدان التعليم، فاشتغل أستاذاً لمادة التاريخ بمدرسة النهضة السلاوية إلى أن نال المغرب استقلاله، فانتقل إلى مدارس محمد الخامس بالرباط، ومنها عين في حكومة الاستقلال الأولى كاتبا في أول سفارة مغربية بتونس. وبعد مضي سنة على هذا التعيين قرر العودة إلى المغرب، فعمل بوزارة الخارجية، ثم استقال من عمله، ورجع إلى الصحافة والتعليم، فاشتغل مدة في جريدة *(العلم)*، ثم أستاذاً في مدارس محمد الخامس لعدة شهور.

وفي سنة (1378 / 1958) عين محافظا لخزانة ابن يوسف العتيقة فأعطى لهذه الخزانة من صحته ووقته وعلمه ما لم يعطه أي محافظ آخر. ووضع فهارس مختلفة، للمخطوطات والمطبوعات، وأنشأ قسما خاصا بالفتيات، وقسما خاصا بالأطفال، كما سعى إلى استرداد ما ضاع من الكتب المعارة.

أما إنتاجه فمتنوع، فالمطبوع منه هو :

1) *كتاب المغرب* : طبع ثلاث مرات : 1952 ـ 1956 ـ 1984.

2) *فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف* عام 1994.

3) *نصوص*

أما مقالاته فكثيرة ومتنوعة بين التاريخ والترجمة، وتاريخ المكتبات والأدب ... وقد قمت بجمعها وستصدر في كتاب من 280 صفحة.

توفي رحمه الله يوم الثلاثاء 15 جمادى الأولى 1416 الموافق 10 أكتوبر 1995 بعد مرض ألزمه الفراش مدة (14) سنة. وأقبر بمقبرة أبي العباس السبتي. وفي ذكراه الأربعينية أقيم له حفل تأبيني برياض الثقافة (دار الباشا) شارك فيه نخبة من الأساتذة من مراكش والرباط وسلا، وجمعت هذه الكلمات والقصائد الشعرية في كتاب صدر عام (1417 / 1996).

أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

ابن العربي، عمر ولد سنة 1929 بدوار الرباط أدا اموزك فرقة متوكة قبيلة اشمرارن بمراكش.

انخرط في صفوف المنظمة السرية للمقاومة، تشكيلة علي بركاتو التي كان يرأسها الشهيد حمان الفطواكي.

وقد عرف الشهيد منذ شبابه بالاستقامة ونقاوة الضمير ورباطة الجأش، حيث قام أيام كفاحه بعدة أعمال كحمل السلاح ونقله، كما كان يقوم بتوزيع المناشير على الفرقة ويقوم بجمع الإعانات النقدية من لدن المواطنين وبقي يواصل عمله بكل نشاط إلى أن وشي به فألقي عليه القبض في غشت 1955 حيث استشهد في أكتوبر 1955 من جراء التعذيب الذي تعرض له في زنزانة المستعمر.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 512915.

بنت العربي، فاطنة ولدت سنة 1929 بدوار البراهمة إقليم خريبگة.

عندما مدت يد الطغيان والظلم يدها على بطل الحرية والاستقلال محمد الخامس قدس الله روحه، هو وأسرته المالكة ونفته إلى جزيرة كورسيكا ثم إلى جزيرة مدغشقر، خرجت الشهيدة فاطنة بنت العربي إلى الشارع وهي تحمل العلم الوطني مندرة بالعمل الوحشي اللامسؤول الذي قامت به سلطات الظلم والاستبداد محرضة جماهير مدينة وادي زم للجهاد، من أجل الخلاص من أغلال الحجر والاستعمار البغيض والضغط بكل الوسائل المتاحة لإرجاع الأسرة المالكة وعلى رأسها رائد الوحدة والاستقلال محمد بن يوسف إلى عرشها الشرعي واستمرت في عملها البطولي تزغرد وترشق بالحجارة عناصر الاحتلال وتوقد النار إلى أن استشهدت تحت رصاص رشاشات اللفيف الأجنبي وكان ذلك يوم 20 غشت 1955 في مدينة وادي زم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاومة رقم 524149.

ابن العربي، محمد بن محمد ولد سنة 1931 بوادي زم شارك في الانتفاضة الشعبية التي شهدتها مدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955 والتي خرج فيها المواطنون للتعبير عن استيائهم من الأعمال القمعية التي تنهجها الإدارة الاستعمارية.

وفي هذه الانتفاضة قام ابن العربي بأعمال فدائية استهدفت منشآت المستعمر، واستمر في كفاحه إلى أن استشهد برصاص العدو في نفس اليوم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520840.

ابن العربي، الهاشمي ولد بناحية أبي الجعد إقليم خريبگة سنة 1907 وعندما اشتد عوده التحق بصفوف المقاومة السرية حيث عمل تحت مسؤولية الزين عبد السلام باسم مستعار وهو "العبار" طيلة فترة كفاحه أي منذ سنة 53 إلى غاية 1955. ومن أبرز أعماله نذكر، أنه قام برفقة إخوانه - المجاهدين بإضرام النار في مزرعة القائد دحو وكذا مزرعة ابنه، كما شاركوا في الهجوم على العميل المدعو ولد الحاج العربي وأحرقوا منزله كذلك تمكنوا من إضرام النار في متجر هو في ملكية أحد اليهود، وعند مشاركته الفعلية في مظاهرة 20 غشت 1955 سقط متأثراً بالإصابة التي نتجت عن طلقة نارية من سلاح العدو. وقد توفي على إثرها في نفس اليوم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523711.

ابن عرس أو السرعوب كما هو في المعاجم وتازلدمان وتازگاگة وتازگطا في المناطق الجنوبية المغربية وفأرة الخيل في المغرب العربي، حيوان من أصغر الثدييات الوحشية اللاحمة، يكثر نشاطه ليلا وفي مطلع النهار وعند الغروب. يصنف إلى فصيلة السرعوبيات أو السموريات (العرسيات) Mustelidae ويسمى علميا Mustela nivalis 1855 numidica Pucheran، وبالفرنسية Numidie وبالإنجليزية Numidian weasel وبالإسبانية Comadreja، وهو ضرب موطنه أفريقيا الشمالية (المغرب والجزائر) ويعيش نظيره السرعوب الأوروبي Mustela nivalis (Belette d'Europe) في أوروبا وآسيا الشمالية باستثناء المناطق الشديدة البرودة.

قوائمه قصيرة تنتهي بمخالب قوية تساعده على حفر الجحور جسمه ممدد ونحيل، مسطح الرأس طويل العنق، ذيله أسمر ينتهي بخصلة من الشعر الطويل. شعره قصير، أسمر داكن على الظهر وأبيض مصفر على البطن وأسفل العنق وعلى الواجهة الداخلية للقوائم. صيغة أسنانه كالتالي : 3 / 3 أسنان، 1 / 1 أنياب، 3 / 3 أضراس أمامية، 2 / 1 أضراس = 34 سنا.

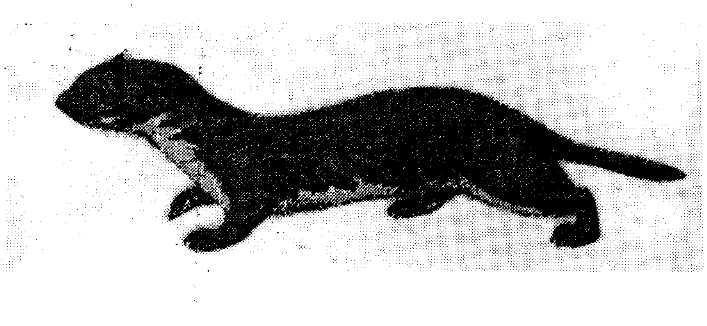

يتراوح وزن الكبار بين 75 و130 غرام ويبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 20 - 27 سم وطول الذيل 3 - 6,5 سم ؛ علوه عند الغارب 3,5 - 5 سم. الذكور أكبر حجما من الإناث.

يعيش مزدوجا أو في مجموعات عائلية تشمل الصغار والأبوين ويتكون غذاؤه من الضفادع وفراخ الدجاج وصغار الأرانب والحشرات والقواضم وبالأخص منها فئران الحقول يبحث عنها ليلا وخلال الأيام الغائمة. تساعده نحالة جسمه وصغرها على اقتحام الجحور ليزعج طريدته ويفترسها. يحسن السباحة ويصعب عليه تسلق الأشجار. يفضل العيش في المناطق الغابوية وخواصر الجبال ذات الكسور والحقول المزروعة والمنازل المهجورة في الأرياف. شائع في سهول وهضاب وجبال معظم المناطق المغربية والجزائرية باستثناء الأوساط الصحراوية الحارة. يخشى الكواسر الليلية والإنسان.

يتوالد مرتين في السنة : في مارس - أبريل وفي يوليوز - غشت ؛ تدوم مدة الحمل حوالي 35 يوما وتلد الإناث 4 - 7 صغار تفتح عيونها بعد 21 - 25 يوما وتدوم مدة الرضاعة 4 - 5 أسابيع. تصير بالغة بعد سنة وتعمر حوالي 7 سنوات.

محمد رمضاني، *باقع*، *معلمة المغرب*، جزء، 3 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان - الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc*, les mammifères, Albums didactiques, Rabat, 73 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc. Trav. Inst. Sci. Série Zoologie*, n° 41, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

**العرش** (عيد -) لم يشرع في المغرب إلا في سنة 1934 على عهد جلالة المغفور له محمد الخامس. لم يكن معروفاً لا في نشأة الدولة العلوية (1050 / 1640) ولا في ما سبقها منذ عهد الدولة الإدريسية (172 / 788) وإنما كانت تعقد البيعة عند وفاة سلطان من سلاطين المغرب للابن البكر من أنجاله من لدن كبار العلماء ونقباء الأشراف ويشارك في عقد البيعة كبار أعيان الدولة.

عند تنازل السلطان عبد الحفيظ بن الحسن عن العرش سنة 1912 بعد بسط الحماية على المغرب تولى شقيقه مولاي يوسف، فلما توفي سنة 1927 خلّف ثلاثة أبناء : إدريس النجل الأكبر، والحسن يليه، والأصغر محمد. كان من المتوقع أن يلي العرش إدريس خصوصاً وقد كان مرشحاً من لدن الحاجب السلطاني آنذاك التهامي عبابو الذي كان له نفوذ كبير على المولى يوسف. لكن أصحاب الحل والعقد اجتمعوا وعقدوا البيعة لسيدي محمد (محمد الخامس). تمت البيعة أيام المقيم العام الفرنسي طيودور سطيگ بالمغرب. وشاع أن إدارة الحماية الفرنسية كان لها ضلع في هذه البيعة، وفند هذا الزعم الفقيه محمد المعمري مؤدب محمد الخامس ورئيس تشريفاته فيما بعد مؤكداً أن ما كان يتصف به المغفور له من فطنة وحيوية وخلق متميز هو الذي أهله لتبوإ الأمانة الكبرى.

وفعلاً منذ اعتلائه العرش وخاصة بعد تحرره من الوصاية، ومحمد الخامس يبرهن عن كريم الأفضال وسمو الشمائل زيادة عما كان يتحلى به من عناية بالصالح العام. اقترن عهده بنشوء الحركة الوطنية في أعقاب استصدار الحماية للظهير البربري الذي أرادت الحماية من ورائه كسر الوحدة المغربية. وبعد نهاية المقاومة المسلحة منذ الاحتلال الفرنسي ونهاية حرب الريف بقيادة ابن عبد الكريم ضد الحماية الاسبانية، حمي وطيس المقاومة السياسية على يد فئة من الشباب انتظموا في "كتلة العمل الوطني" فأيقظوا الوعي في الداخل وشهّروا بالاستعمار في الخارج، هذه الفئة هي التي قادت الكفاح تحت اسم "الحزب الوطني" ثم "حزب الاستقلال" بعد ذلك إلى أن تحرر المغرب سنة 1956 بعد نضال طويل التحم فيه العرش ممثلاً بمحمد الخامس والشعب مؤطراً من لدن حزب الاستقلال.

هذا الالتحام تم منذ نشأة الحركة الوطنية التي قررت تعزيز مركزها بالانضواء تحت المشروعية المتجلية في صاحب العرش ضد السيطرة الأجنبية للنضال في سبيل استرجاع السيادة المغتصبة. وهو ما جعلها تقيم عيد العرش ابتداءً من سنة 1933. احتفلت به لأول مرة يوم 18 نونبر ذكرى اعتلاء محمد الخامس العرش. أول من فكر في ذلك أحد أبناء سلا المناضلين المرحوم محمد حصار، وكان من ألمع شباب جيله تفكيراً وثقافة وتحريراً باللغتين العربية والفرنسية : دعا إلى الاحتفال بعيد تتويج محمد الخامس في مقال نشر بمجلة *"المغرب"* لصاحبها محمد صالح ميسة، وكان عنوان المقال : "الأعياد الإسلامية". تلقف الدعوة أبناء سلا والرباط وفاس، فأقاموا أول عيد للعرش سنة 1933 بعد ما تألفت لجان لهذا الغرض ونشطت في تنظيم الحفلات والدعوة لإقفال الإدارات والمدارس والمتاجر وتزيين الشوارع والتحلي بأحسن الملبوس وتبادل الزيارات والتهاني وتوجيه برقيات التهاني لجلالة محمد الخامس.

تنبهت إدارة الحماية الفرنسية لمغزى هذا العيد وما يرمي إليها من صحوة وتشبث بالمشروعية وما يستهدفه من استرجاع السيادة الوطنية فوقفت ضده محاولة أن تقضي عليه في المهد باعتقال بعض دعاته. لكن الشعب احتضنه فلم تمر سنة حتى عم الاحتفال به المغرب بأسره، فاضطرت الإدارة أمام الأمر الواقع لأن تعترف به ومالبث أن صدر قرار وزاري فأصبح عيداً وطنياً رسمياً إلى يومنا هذا.

بالإضافة إلى ما أصبح يتسم به هذا العيد من أفراح، فقد اغتنمه جلالة المغفور له محمد الخامس مناسبة لإلقاء خطاب جامع يستعرض فيه إنجازاته السنوية في جل المجالات ويبين برنامج أعماله في المستقبل. منذ 1944 أي منذ إعلان وثيقة المطالبة بالاستقلال أصبح خطاب العرش خطابا سياسياً يوضح فيه العاهل آراءه في القضايا الوطنية المطروحة والحلول التي يرتئيها : ما انجز منها، وما فاتح به الدوائر الفرنسية سواء في رحلاته إلى فرنسا أو في مذكراته لحكومة

باريس وينتظر الإجابة عنها. هذه الخطب اكتسبت أهمية كبرى فأصبحت بمثابة ميزان الحرارة يقاس بها تطور العلاقات المغربية - الفرنسية خاصة بعد رحلة محمد الخامس إلى طنجة سنة 1947، وآخر خطاب له في عهد الحماية سنة 1951 طرح فيه الحالة بكل صراحة قبل أن يتم خلعه ونفيه.

وبعد الاستقلال استأنف الشعب المغربي الاحتفال بعيد العرش في عهد محمد الخامس وخلفه جلالة المغفور له الحسن الثاني ونجله من بعده جلالة محمد السادس نصره الله.

قاسم الزهيري

ابن **عرضون الزجلي أحمد** بن الحسن بن يوسف، من أسرة عربية قرشية الأصول، أقامت بقبيلة بني زجل الغمارية. ولد بمدشر أدلدال شرقي مدينة شفشاون سنة 948 / 1541، ونشأ في وسط علمي، بقرية تلنبوط من نفس القبيلة، حيث كان أبوه خطيباً ومدرساً بمسجدها، ومن أعيان القبيلة.

حفظ المترجم القرآن الكريم، وكثيراً من الشعر، وكان له اهتمام بالأخبار وهو مازال حدثا، كما أخذ عن عمه عمر بن عرضون؛ ثم تابع مسيرته التعليمية فتلقى مبادئ العلم على يد بعض فقهاء منطقته التي كانت في القرن العاشر (16 م) تعرف نهضة علمية ملموسة، فدرس على أبي محمد عبد الله الهبطي وسليمان بن أبي هلال الملولي الزجلي وابنه أبي الحسن علي الملولي ومحمد بن عيسى بن عبد الوهاب ومحمد بن عبد الجبار وأبي حفص عمر بن عبد الوهاب الحسني.

ورحل بعد ذلك إلى فاس لإتمام مشواره العلمي بجامع القرويين، وسكن بمدرسة الحلفاويين بها، فأخذ عن المحدث النسابة محمد بن قاسم القصار وأبي زكريا يحيى بن محمد السراج الرندي خطيب القرويين، ومحمد ابن مجبر المساري أحمد بن قاسم القدومي والفقيه الورع رضوان بن عبد الله الجنوي وأبي راشد يعقوب بن يحيى اليدري وحامل لواء المذهب المالكي العلامة الحميدي وأبي العباس المنجور. وعدد آخر ممن ذكرهم أو أشار إليهم في كتبه حتى بلغ شيوخه بفاس عشرين شيخاً. وظل بعد تخرجه يتردد على فاس بين الحين والآخر، كما ظل على اتصال مع عدد من علمائها كتابة، وكان بعضهم شديد الإعجاب به، مما يدل على تميزه العلمي ونباهته.

تولى ابن عرضون مهام مختلفة ومجتمعة في آن واحد، منها القضاء بمدينة شفشاون، وزاول الخطابة في جامعها الكبير، وتقلد إلى جانب ذلك مهمة التدريس والإفتاء. وعرف أيضاً بالفضل والصلاح والاهتمام بمصالح الناس وقضاء حوائجهم، مستغلاً منصبه وجاهه.

وكانت له معرفة جيدة بالتفسير والحديث واللغة والمنطق، واشتهر بنبوغه في علم الفرائض والحساب، وبرع في التوثيق وعلم الأنساب. وتميز عن باقي فقهاء عصره بعدم التقليد في الفتاوى المعروضة عليه، التي سلك فيها مسلك الاجتهاد بحسب ما بلغه من الدرجة العلمية والفطنة والنباهة، كما هو الشأن بالنسبة لاستنكاره لبعض بدع عصره، ودعوته إلى ضرورة تعليم المرأة، وفتواه في قضية المرأة البدوية التي تشتغل مع زوجها، وهي الفتوى التي اشتهر بها وعرف من خلالها بدفاعه عن المرأة عن طريق إقرار حق الكد والسعاية، والتي لاقت معارضة من الفقهاء المقلدة.

خلف المترجم كتباً متنوعة، لم يعرف منها إلا القليل، وقد أحصى له الأستاذ عمر الجيدي حوالي 29 عنواناً ما بين كتاب وتقييد ومنظومة وشرح، في الفقه والنبويات وآداب السلوك والتاريخ وغير ذلك، وما هو معروف منها: كتاب *اللائق لمعلم الوثائق*، وهو أشهر تآليفه، وقد طبع مراراً على الحجر، ثم صدر في طبعة عصرية بتطوان سنة 1355 / 1936، *وشرح أسماء الله الحسنى*، وكتاب *حدائق الأنوار وجلاء القلوب والأبصار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأخيار* (مخطوط)، *ومسائل ملقوطة من نوازل مازونة* (مخطوط)، وأجوبة في الفقه (مخطوط)، وكتاب *فيما لابد للعبادة من اعتقاده* (مخطوط)، *ومقنع المحتاج في آداب الأزواج* (مخطوط)، *ورسالة التودد والتحابب*، وهي في آداب الصحبة (مخطوط)، وله *منظومة في آداب الجماع* (مخطوط). كما كان له اهتمام بالتاريخ، ولا ندري هل ألف فيه أم لا.

توفي بفاس أو ببلده يوم 10 رجب سنة 992 / 1584.

أ. بن القاضي المكناسي، *جذوة الاقتباس*، نشر عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، دار المنصور، 1973، ص. 160؛ ع. الوهاب بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، الرباط، المطبعة الملكية، 1990، ج 5، ص. 196؛ ع. الجيدي، *ابن عرضون الكبير حياته وآثاره وفقهه*، الرباط، منشورات عكاظ، ط 1، 1987.

محمد المغراوي

ابن **عرضون، محمد** بن **الحسن** بن يوسف ابن عرضون الزجلي الصالحي، ولد على الأرجح سنة 945 بمدشر أدلدال قرب قرية تلمبوط في بني زجل الغمارية على ضفاف وادي لاو جنوبي بني زيات.

وأخذ عن والده العلامة النوازلي الحسن ابن عرضون - المتوفى بعد عام 950 - المبادئ الأولى للنحو والفقه، ونشأ في أسرة تشتغل بالعلم ولها شهرة في الفقه والوثائق والأدب والتاريخ والشعر، فأخذ عن عمه عمر بن يوسف ابن عرضون اللغة والأدب والعروض، وعن الشيخ أبي محمد عبد الله الهبطي العقائد والأصول والتصوف، وكانت له شهرة مع أخيه القاضي أحمد المتوفى عام 992 في جبال غمارة ومدينة شفشاون، ثم انتقل إلى فاس وأخذ عن شيوخها، منهم شيخ الجماعة أبي العباس أحمد المنجور، والعلامة النوازلي أبي راشد يعقوب بن يحيى اليدري، والعلامة أبي عبد الله بن أحمد بن مجبر المستاري، وفي طريق القوم لزم صحبة الشيخ الورع الصالح أبو النعيم سيدي رضوان الجنوي لمدة تربو عن عشرين سنة. وكان قبله ملازما لسيدي موسى بن علي بزرهون، ثم لصحبة الشيخ سيدي محمد بن علي بن ريسون.

وفي مدينة فاس ظهرت نجابته وتصدر بعض مجالس التدريس فكان كما وصفه معاصروه فقيها نحويا يقوم على ألفية ابن مالك أحسن قيام، وله معرفة بالعروض والأصلين والمنطق والبيان، ثم رجع لشفشاون وتصدر للتدريس والإفتاء، وبرز في عدة علوم وبخاصة الفقه والأصول والمنطق والبيان والفرائض والحساب.

ومن أشهر الذين أخذوا عنه ولده أحمد شارح التحفة، والقاضي محمد بن أخيه أحمد ابن عرضون، والشيخ قاسم ابن القاضي، وإبراهيم الكلالي الورياكلي مؤلف تنبيه الولدان، والقاضي أحمد بن علي الشفشاوني، والقاضي مخشان الشفشاوني، والعربي الفاسي مؤلف مرآة المحاسن، والقاضي الحسن الخالدي، وغيرهم ...

تولى قضاء شفشاون بعد وفاة أخيه أحمد عام 992، واستمر قاضياً عشرين سنة إلى وفاته، ووصف في بعض المصادر بقاضي القضاة.

اشتهر محمد بن الحسن ابن عرضون بمجالسه العلمية التي كان يعقدها في مدينة شفشاون، وكانت مقصداً لطلاب العلم من جميع أنحاء المغرب، كما اشتهر بوثائقه كقاض من قضاة العدل والإنصاف التي نقف على نماذج منها في نوازله وحواشيه وشروحه، ومن أبرز مؤلفاته :

1) شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني

2) شرح عقيدة السنوسي المسماة بالحفيدة، مخطوط الخزانة العامة رقم 1002.

3) شرح مثلث قطرب، مخطوط الخزانة العامة بتطوان، رقم 830.

4) ممتع المحتاج في آداب الأزواج، طبع على الحجر بفاس سنة 1319 في 120 صفحة.

5) منظومة في التصوف في 137 بيتا، توجد في فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد للحسن ابن محمد بن ريسون.

6) مجموعة من الفتاوي والنوازل، مبثوثة في كتب الفقه والنوازل، كفتواه في إحراق التبغ وإهراق الخمر التي أصدرها في مجلس السلطان أحمد المنصور الذهبي، بالإضافة إلى العديد من المقطعات، نقف على نماذج منها عند ابن القاضي في درة الحجال.

انتقل في آخر حياته إلى مدينة فاس، وتوفي بها - رحمه الله - عصر يوم الثلاثاء 11 شعبان عام 1012 / 11 يناير 1604، ودفن بروضة الأنوار بأرض أولاد بن بكار خارج باب الفتوح.

ابن القاضي، *درة الحجال*، ج 2، ص. 137 ؛ علي بن عيسى العلمي، *نوازل العلمي*، صفحات متفرقة ؛ الفاسي، *مرآة المحاسن*، ص. 169 ؛ الإفراني، *صفوة من انتشر*، ص. 136 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج 1، ص. 94 ؛ ابن ريسون، *فتح التأييد في مناقب الجدوانية والوالد*، تطوان، 1405 - 1985، ص. 85 - 93 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 2، ص. 267 ؛ الحجوي، *الفكر السامي*، ج 2، ص. 325 ؛ مخلوف، *شجرة النور*، ص. 295 ؛ حجي، *الحركة الفكرية*، ج 2، ص. 424 ؛ الجيدي، *ابن عرضون الكبير*، ص. 76 ؛ عبد القادر العافية، *الحياة السياسية*، ص. 426.

أحمد ايشرخان

**العرعر** أو العرعار، اسم يطلق في المغرب على العديد من الأنواع الشجرية، أهمها : العرعر المغاربي والعرعر الأحمر والعرعر الفواح والعرعر الكادي وسورو الأطلس ... غير أن هذه الأنواع تتوزع، على مستوى الحقيقة العلمية، بين جنسين نباتيين اثنين، هما Juniperus وTetraclinis ؛ لكنها تنتمي في مجموعها لفصيلة السرويات Cupressaceae. للتذكير، فإن الأنواع الأربعة الأولى هي التي سيشملها المقال ؛ أما النوع الأخير - سرو الأطلس - فالأجدر أن يفرد له باب خاص، بالنظر إلى الأهمية التي يكتسيها من حيث ندرته وقيمته الإيكولوجية.

1 - العرعر المغاربي Tetraclinis articulata : يعرف كذلك بالعرعر المفصلي أو العفصية، ويحمل أسماء محلية أخرى، منها أزوكا (تشلحيت) وأملزي (تريفيت) .. يعتبر من أهم الأنواع الشجرية بالمغرب، ليس على مستوى المساحة التي يحتلها فحسب، بل ومن حيث صلابته ومقاومته لقساوة الظروف البيئية كذلك. ثم لكونه ذا فائدة اقتصادية جمة، إذ يغطي نوعا من الأخشاب عالية الجودة، تستخدم في أغراض شتى.

نشير هنا، إلى أننا آثرنا تبني اسم العرعر المغاربي، عوضا عن تسميات أخرى سائدة، لاعتبارين اثنين : يتعلق أولهما، بأصالة هذا النوع واتساع رقعته في البلدان المغاربية. وثانيهما، لرفع اللبس الحاصل بفعل تداول المصطلح الفرنسي الذي أطلق على هذا النوع، عن قصد أو غير قصد، اسم العرعر البربري Thuya de bérbérie وأحيانا (Boudy, 1950) ...

يدخل العرعر المغاربي ضمن الأنواع الصمغية Résineux؛ ويتميز، من حيث مرفولوجيته، بقامة متوسطة

تتأرجح بين 10 و12 مترا، وبجذع يتراوح قطره بين 40 و 50 سنتم. في بعض الظروف الإكولوجية الاستثنائية قد يصل علوه إلى 20 م، وقطره إلى متر واحد، وهي حالات نادرة لا تتأتى إلا في مواضع منيعة، لم تصل إليها يد الإنسان؛ أو في مقابر مازالت تأوي نماذج من هذه الأشجار، لا يجرؤ السكان على استئصالها، بالنظر لطابع التقديس والاحترام الذي تحظى به هذه الأماكن. في فتوته، يتخذ أوراقا إبرية الشكل، يصل طولها إلى 1 سنتم؛ أما عند بلوغه سن الرشد، فتبدو هذه الأوراق على شكل حراشف متعارضة ومتراكبة، محمولة فوق أغصان ذات مفاصل ... يتوفر العرعر المغاربي على شبكة من الجذور الكثيفة والمتشعبة، التي تشده إلى الأرض بقوة، سواء في المنحدرات أو المجالات المستوية ... يصل مرحلة الإثمار مبكرا، وبداية من سنه الخامسة عشر، والثمرة عبارة عن مخروط صغير ذي شكل مكعب. كما يعمر طويلا، ليبلغ سنه أحيانا 500 سنة.

من خصائصه الأساسية، أيضاً، قدرته على مواصلة التوالد والتكاثر إلى سن متقدمة جدا. علاوة على أنه يبدو أكثر صمودا وتجلدا حيال الاستغلال الجائر الذي قد يتعرض إليه. إذ يفلح، وبوتيرة سريعة، في استعادة عافيته وحيوية، من خلال ترميم الأضرار التي تمسه، خاصة عندما تبتر فروعه وأغصانه أو يخدش لحائه ..

2 ـ العرعر الأحمر Juniperus phoenicea : يطلق عليه أيضاً العرعر الحر، كما يسمى آيفس بالأطلس الكبير وتاكا بالأطلس المتوسط ... وهو عبارة عن شجيرة شديدة التفرع ذات أوراق إبرية؛ يصل طوله إلى 8 أمتار وقطر جذعه إلى 60 سنتم. يتسم بحيوية كبيرة مكنته من تكوين تشكيلات شبه غابوية شاسعة، خاصة في المجالات الهشة، التي يستعصى على غيره من الأنواع الأخرى الإستيطان بها. مما ينم عن طاقة فائقة على تحمل أقسى الظروف الإكولوجية.

ويعد من أكثر الأنواع تكيفا مع الجفاف، ويرتبط توزيعه الجغرافي أساسا بعامل المناخ. لا يبالي بنوعية التربة، ويتكيف مع معظمها باستثناء التربات المحتقنة. يبدأ بالظهور انطلاقا من مستوى سطح البحر، ليصل إلى حده العلوي عند 2000 متر، ويمثل ضمن أصناف المستوى النباتي المتوسطي الحار بامتياز، مع حضوره الملحوظ إلى حدود المتوسطي الجبلي.

يشغل العرعر الأحمر مساحات شاسعة بالمغرب، وتصنف تشكيلاته إلى نوعين مختلفين (Emberger, 1939) :

ـ التكشيلات الساحلية : تنتشر عند مستوى الشواطئ أو فوق الكثبان ذات التربات الرملية المثبتة أو الضعيفة الاستقرار. حيث يفلح العرعر الأحمر في إنشاء تكوينات نامية ومتطورة، تارة بمفرده وتارة بمعية العرعر الكادي، تماما كما هو الشأن بالساحل الطنجي أو في السعيدية .. على البحر المتوسط، أو في المهدية والصويرة .. على المحيط الأطلنتي. تتعايش التشكيلات الساحلية مع عديد من البيومناخات، خاصة منها شبه الجاف وشبه الرطب والرطب، ذات الشتاء الحار Chaud والمعتدل Tempéré والبارد Frais.

ـ التشكيلات الجبلية : تغطي مساحات أكبر من سابقتها، وتنتشر بخاصة في الجبال الأطلسية ... تخضع لنفس المستويات البيومناخية الثلاثة الآنفة الذكر : شبه الجاف وشبه الرطب والرطب، ولكن بمتغيرين اثنين فحسب، البارد Frais والقارس Froid (G.E.M., 1987). وتنمو فوق التربات الكلسية أو الصلصالية الحمراء المالحة العائدة لحقبة الترياس، كما هو الحال في واد سرو بالأطلس المتوسط مثلا...

ينتشر العرعر الأحمر، عموما، على هيئة تكوينات وطيئة Formations basses، غالبا ما تتبدى في شكل سحنات منسغية Faciès de taillis منثورة هنا وهناك عبر التراب المغربي. وتعكس هذه المنسغات الدينامية الكبيرة للعرعر الأحمر، التي تتجلى أساسا في قدرته على الإفتسال السريع كلما تعرض للقطع الجائر أو الاستغلال العشوائي، خاصة في فتوته. حيث يتمكن وبسرعة ملحوظة من إرسال بتائل Rejets جديدة ووفيرة، ما تفتأ أن تتحول إلى منسغات أجمية كثيفة، ضامنة تخليفه وتجدده.

تتميز الطبقة التحت ـ شجرية للعرعر الأحمر بكونها في الغالب هزيلة، خاصة عندما يكون مستقراً فوق نوع من التربات الصلصالية الحمراء الفقيرة. ومع ذلك يلاحظ في تشكيلاته حضور دائم لأنواع شجرية أخرى كالعرعر الكادي والعرعر المغاربي والبلوط الأخضر والأركان ...

وفي هذا الإطار، ينبغي تسجيل ملاحظة هامة، تتمثل في أن التدهور الشديد الذي مس تشكيلات العرعر الأحمر في كل أرجاء المغرب، قد حال دون التوصل لرصد تجمع نباتي متماسك مرتبط به، من شأنه أن يساعد على استخلاص رؤية دقيقة حول التركيبة النبيتية الأصلية لهذا النوع. إذ على مستوى تشكيلاته الساحلية، تبدو الحاشية النبيتية مماثلة لتلك التي ترافق العرعر المغاربي عادة؛ بخلاف تشكيلات السفوح الجنوبية الجافة للأطالس، التي تسللت إليها أعداد لا يستهان بها من النباتات المتوطنة، مما جعل إمكانية الضبط العلمي المتكامل لنوع العرعر الأحمر وإكولوجيته أمراً عسيراً.

إن السفوح الجنوبية لسلاسل الأطلس التي تبدو عارية من أي غطاء نباتي في الوقت الحاضر، قد كانت فيما مضى موطنا للعرعر الأحمر. وقد اختفى نتيجة للتدخل البشري المفرط الذي لم يسبب في تدميره وانقراضه فحسب، بل وأدى كذلك إلى تدهور خطير للأتربة، سيما في هذه المجالات الهامشية الهشة. ولعل هذا المثال وحده كاف لإلقاء الضوء على الأهمية الإيكولوجية التي يكتسيها هذا النوع من حيث جانبه الوقائي Forêt de protection، لا الإنتاجي. إذ أن أهميته الاقتصادية تبقى محدودة نسبيا، باعتبار كونه لا يوفر سوى أنواع رديئة من خشب الوقود والتفحيم ... ولا

ينتج الأنواع الأخرى المرتبطة بخشب الإستعمال والصناعة ..

3 ـ العرعار الكادي : يطلق عليه كذلك العرعر المجنح، ويعرف في الأوساط الشعبية باسم تاقا أو تيقي. لا يكتسي سوى أهمية ثانوية، مقارنة بأنواع العرعر الأخرى السالفة الذكر. يصادف في المغرب انطلاقا من مستوى سطح البحر وإلى حدود غابات الأرز ... في بيئات شديدة التفاوت والتنوع، إن على مستوى المناخات التي يحتملها أو الترباتالتي يستقر فوقها ... مما يطرح إشكالا حقيقيا فيما يتعلق بتحديد حاجياته الضرورية، وكذا طبيعة تفاعله مع الأوساط الطبيعية التي يعيش فيها. وفي الحقيقة، فإن العرعر الكادي مازال لم ينل نصيبه من الأبحاث الكافية والدراسات الشافية، التي من شأنها أن تستجلي كوامن طبيعته وتعرف بأسلوب عيشه ودناميته، فثمة جوانب عديدة من إكولوجيته ما يزال يكتنفها الغموض على المستوى العلمي.

يعرف العرعر الكادي توزيعا جغرافيا شاسعا على مستوى التراب المغربي. ويكون إما في حالة شتيتة أو على شكل أشجار منفردة ومتناثرة، حيث يشترك في تنظيم بنية التشكيلات التي يرافقها، سواء كانت غابوية أو شبه غابوية أو شبه سهوبية :

ـ في التشكيلات الغابوية، يلاحظ حضوره بقوة في الجبال الوسطى بخاصة ؛ حيث يميز المستويين النباتيين : المتوسطي العلوي والجبلي المتوسطي. يتعايش هناك مع عديد من الأصناف الرئيسية، غالبا ما يمثل في حاشيتها النبيتية بكثافة. إذ نجده يلازم البلوط الأخضر، كما يرافق العرعر المغاربي والعرعر الأحمر وبعض أنواع الصنوبر، وكذا الأرز أحيانا ... وبالتالي، يمكن القول بأن هذا النوع ما فتئ يلعب دوراً متميزاً، من حيث إسهامه، بصورة عامة، في ملء الفراغات والهوامش الغابوية (Lemoine S.C., 1965).

ـ أما في المجالات شبه الغابوية، التي تهيمن في الجبال السفلى، على الخصوص، فنجد العرعر الكادي يتأقلم مع بيومناخ شبه رطب ذي شتاء معتدل أو بارد. كما يشغل المستوى النباتي المتوسطي الأوسط، حيث يمتزج بإيقاع شبه دائم مع البلوط الأخضر .. وقد يقترب في تلك المواطن من الظهور في صورة تشكيلة صرفة، ذات كثافة متوسطة إلى خفيفة.

ـ فيما يتعلق بالمناطق شبه السهوبية، المرتبطة أساسا بالمجالات الوطيئة، فإن العرعر الكادي يبدو فيها ماثلا ضمن المستوى النباتي المتوسطي الحار، مؤديا نفس الدور الذي يلعبه العرعر الأحمر في مثل هذه الأوساط، كما تمت الإشارة لذلك آنفا. غير أن ثمة تبايناً ملحوظاً في سلوك النوعين يجدر التلميح إليه، ويتمثل في أنه إذا كان العرعار الأحمر يشغل هوامش السهوب المحكومة بمؤشر يجنح نحو الجفاف، فإن العرعار الكادي يبقى مرتبطا بمؤشر حراري ينزع نحو البرودة. ويقع، عموما، ضمن المستوى البيومناخي شبه الجاف العلوي البارد أو القارس.

إن العرعار الكادي، بالرغم من سعة انتشاره ومرونته الإكولوجية، فإنه لم يبلغ قط حالة الذروة، كما لم يفلح البتة في إنشاء تشكيلات خالصة قائمة الذات. وإن بدا مهيمنا في بعض المحطات، فذلك ليس سوى تعبير عن تدهور مرحلي، شمل النوع الرئيسي : بلوط أخضر، صنوبر، أرز... واستثنى العرعر الكادي. ومن تم فإن سيطرته في مثل تلك الظروف تكون ظاهرية ليس إلا ؛ ولا تعني بحال من الأحوال، تكوين تشكيلات أصيلة. وتلك ملاحظة تكتسي طابع الشمول ليس على صعيد المغرب فحسب، بل وتشمل باقي البلدان المغاربية ... حيث تمتد رقعة النوع.

قصارى القول أن أنواع العرعر الثلاثة : المغربي والأحمر والفواح هي التي تتمكن من إنشاء تشكيلات شبه غابوية Peuplements préforestiers أو شبه سهوبية Présteppiques حقيقية. أما العرعار الكادي، الذي يعرف انتشارا واسعا في الجبال المغربية فيعتبر نوعا ثانويا ؛ ولا يوجد إلا بشكل متناثر هنا وهناك، أو مختلطا بأنواع أخرى رئيسية تمثل نظما بيئية قائمة الذات، كالبلوط الأخضر والأرز والعرعر المغربي ...


A Achhal [et al.], *A propos de la valeur bioclimatique et dynamique de quelques essences forestières au Maroc*, Ecol. mediter. 5, 219 - 249, 1980, Marseille ; A. Benabid et M. Fennane, *Connaissance sur la végétation du Maroc. Phytogéographie, phytosociologie et série de végétation*, Lazoroa, 14, p. 21 - 27, 1994 ; P. Boudy, *Economie nord-africaine*, t. I, II et III, Larose, Paris, 686, 678 et 363 p., 1958 ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Larose, Paris, 1938 ; *Aperçu général sur la végétation au Maroc*, Varoff. Geob. Inst. Rübel Zurich, 14, 40 - 157, 1939 ; *Grande Encyclopédie du Maroc*, G.E.M., 1987 ; C. Lemoine Sébastien, *Ecologie des genévriers au Maroc*, Bull. Soc. Sci. Nat. Phys. Maroc, t. 45, 49 - 111 ; C. Sébastian et F. Bagnouls, *Conditions climatiques du genévrier de Phénicie et du genévrier thurifère au Maroc*, Bull. Soc. Sci. Nat. Phys. du Maroc, t. 39, 2ème trimestre.


إدريس شحو

**عرفة** بن **محمد** بن السلطان محمد بن السلطان عبد الرحمان بن السلطان هشام، أمه السيدة غزالة أم ولد، تحمل المسؤوليات الكبرى في عهد أخيه السلطان المولى حسن الأول، إذ كان خليفة عنه على مدينة فاس خاصة وعلى الأقاليم الشمالية والشرقية بوجه أعم، فكان ينوب عنه في البعثات النائية وفي الحركات التي لا يتأتى للسلطان القيام بها بنفسه في تلك الجهات. وهكذا قاد سنة 1301 / 1884 البعثة التي تنقلت على طول الحدود مع الجزائر المحتلة لضبط خطوطها ومحاولة إيقاف العسكريين الفرنسيين عند منطوق معاهدة لالة مغنية المبرمة بين المغرب وفرنسا سنة 1261 / 1845، والتي كان أولئك الضباط يؤولونها ويتصرفون بمقتضياتها بحسب مصالح الاستعمار، مستفدين من عجز الجهاز المخزني عن فرض وجوده وسلطته في كل وقت وفي كل مكان هنالك، ومن مقاومة القبائل التي صارت أراضيها تضم ظلما وعدوانا إلى التراب الجزائري. ومع أن البعثة لم تفلح في إيقاف الزحف الاستعماري الفرنسي، إلا أن كاتبها

الفقيه علي السوسي قد سجل وقائعها على شكل ما كانت تدون الرحلات. وقد ذكر الأمير عرفة بكل خير، قائلا في مطلع تقييده : "ثم صرف (يعني السلطان المولى الحسن) عنان عنايته لتحويط مملكته وتحديدها من مجاورة لفرنصيص ـ كذا ـ في ناحية الصحراء. وبعث نصره الله صنوه الخير الدين الفاضل الناسك مولاي عرفة وبعثني معه معينا ورد ءا ومشورة". وكان من مهام البعثة أيضا تمهيد قبائل بني يزناسن وجاراتها من قبائل الأعراب، فقال السوسي : "فبعثنا لقضايا في بني يزناسن وسائر أعراب تلك الناحية لشقاق وقع بين كل قبيلة وجارتها شقاقا لا يرجى له زوال، كما بعثنا للحدادة بين فرنصيص وإيالته هناك من مبدأ الحدادة وهي عجرود إلى ثنية الساسي. وكما بعثنا لفجيج للحدادة بين الروم أيضا من فجيج إلى درميل، إلى أم الكرار الفوقانية والتحتية وتيوت، ونشرف على وادي الناموس وهو واد كبير ليس فيه ماء صار كذلك إلى توات، والحدادة معه كما ذكرنا ونصل إلى اليش ـ كذا ـ". وقد أفلح المولى عرفة في رب ء الصدع بين قبائل الشمال الشرقي، ويمكن الوقوف على ما أبرم من أوفاق التصالح والتآزر بينها بفضل وثيقة نقلها مؤرخ الدولة عبد الرحمان بن زيدان، جاء فيها : "الحمد لله عن إذن الشريف أخي سيدنا نصره الله الفقيه العلامة سيدي مولاي عرفة، حضر لدى شهيديه وعمال سيدنا الواضعين طوابعهم أسفله..." ولقد أوفد السلطان أخاه المولى عرفة سنة 1311 / 1893 للأخذ بخاطر قبائل قلعية وكبدانة عندما لم يعد أبناؤها يطيقون صبرا على تجاوزات الإسبان وتحرشاتهم ولينصح لهم بالاعتماد على المخزن المركزي في الدفاع عن حقوقهم بالوسائل السياسية، فإن المولى حسن، كما قال علي السوسي في رحلته، صار "يلعب مع الرومي الشطرنج ببيادق الحيل". ولم يفلح الأمير المولى عرفة في مهمته. ومع ذلك ظل محتفظا بوظائفه الخلافية حتى بعد وفاة أخيه السلطان، إذ أورد ابن زيدان رسالة من السلطان المولى عبد العزيز إلى عمه المترجم مخاطبا إياه بعمنا الأرضى مولاي عرفة سددك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد..." وذلك بتاريخ 2 جمادى الأولى 1313 / 1895. وقد لبى داعي ربه سنة 1324 / 1906، مخلفا من الأولاد ولده محمد الذي سيلعب به الاستعمار الفرنسي لعبته الفاشلة في نهاية الحماية.

م. العماري، *مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر واستغلالها في المخطط الفرنسي للسيطرة على المغرب من حوالي 1830 إلى حوالي 1902، من خلال رحلة علي السوسي، منتهى النقول، القسم الخاص بالحدود*، مرقون.

إبراهيم بوطالب

**عرق السوس** أو عرق سوس أو السوس بالعربية، أو علميا كْليسيريزَا فيتيدا Glycyrrhiza foetida وكْليسيريزَا كْلاَبْرَا Glycyrrhiza glabra نوعان نباتيان من فصيلة الفراشيات أو الفوليات Fabaceae.

إنهما نوعان عشبيان مخشوشبان ومُعَمِّرَان، يعرفان بعروقهما الطويلة. وهما بريان أصلا لكنهما يزرعان في كثير من بقاع آسيا وأوروبا الجنوبية. يصادف النوع الأول بريا في المنطقة المتوسطية، والثاني في أواسط وغرب آسيا.

وقد عرف عرق السوس منذ أقدم العصور. وسمي بهذا الاسم لأن كميات كبيرة من عروق هذين النوعين كانت في الماضي تنتج في سهل سوس بالإضافة إلى سهل الغرب. لكن المغرب يستورد حاليا هذه المادة من تركيا التي تنتج النوع الثاني الذي هو أحلى من النوع الأول المزروع في غرب المنطقة المتوسطية.

تهيّأ جذور عرق السوس على هيئة قطع اسطوانية بعد تجفيفها لاستعمالها في التطبيب التقليدي وفي صناعة الأدوية وكملينة للجلد، وكمادة مطيبة في تهييئ الأطباق والحلويات وكذلك في صناعة دهان الأحذية وبعض المشروبات، لكن مضغ عرق السوس يعتبر من العادات السائدة عند بعض الناس.

ـ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة زاهر عبد المجيد وآخرين، القاهرة، 1962.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle. médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, Paris, 1997, 764 p.

عبد المالك بنعبيد

**عروس** (آيت –) من فروع قبيلة إيداوسملال بالأطلس الصغير الغربي، تستوطن الجزء الأوسط من القبيلة، في مجال جبلي متدرج الارتفاع، حيث يمر واد توغزيفت.

فحسب تقديرات Le Chatelier، فإن آيت عروس تتوفر على تكتل بشري مهم، ضمن وحدات إيداوسملال بـ 700 كانون و1500 بندقية. ويبدو في سياق الأحداث التي ميزت جبال جزولة، أنها كانت تتبوأ مكانة مهمة. ويذكر أن قرية "أيت مولاي" العروسية تعتبر مسقط رأس الشيخ مَحمد بن سليمان الجزولي. كما كانت أراضيها بمثابة النواة الأولى لنشأة الشيخ أحمد بن موسى قبل انتقاله إلى تازروالت.

وتفيد الإشارات الواردة بوثائق دار إيليغ، أن آيت عروس تشكل الدعامة الرئيسية لإيليغ داخل تراب إيداوسملال، وأن للعروسيين اتصالا مستمرا بزعمائها. وغالباً ما يكون تدخلها لفض النزاعات التي تنتاب علاقة أيت عروس مع جيرانها آيت أوليلي. كما أضحت جبالها ملجأ تتحصن فيها الأسرة الايليغية، عندما تكون إيليغ مستهدفة من قبل القوات المخزنية أو القبائل المعادية ... توجد بالقبيلة عدة مزارات ومشاهد أهمها مشهدا سيدي بوبكر بن سليمان وإبراهيم بن عبد الرحمان المعروف بـ "جندوز"، ويقال إنه أول من نزل من الأشراف بإيداوسملال. وقد أسهمت في تأمين الاستقرار والتعايش بين السكان، وبحرمها تعقد التحالفات وتعتبر مدرسة "بومروان" أبرز مركز علمي وروحي بالقبيلة منذ القرن العاشر الهجري، ومازالت تؤدي دورها الإشعاعي.

الاحسن البعقيلي، *تبين الاشراف*، ص. 100 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 402.

L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVI siècle*, A.M., 1933, p. 109 - 146 ; A. Le Chatelier, *Tribus du sud-ouest marocaines*.... Paris, 1891, p. 46 ; Cap. Meheut, Les Ida ou Semlal, Arch. S. H.A. 1948.

أحمد بومزگو

ابن **العَرُوسي**، أسرة من فرقة عامر الحوزية ومن قبيلة بني حسن تنتمي إلى العيايدة الهلاليين الذين يبدأ مجالهم الترابي ببلدية العيايدة التابعة لعمالة سلا الجديدة. كان منها قواد، منهم : ابن العروسي، أحمد بن محمد العيادي الهلالي العَمْري أحد ولاة عامر الحوزية بعد وفاة أبيه سنة 1285 / 1867، وكان مدة قصيرة قائداً لفرقتي السهول وحصين.

ومامرت سنتان على تنصيبه حتى انهالت على المخزن شكايات من العمامرة وأولاد عامر تذكر تعسفه عليهم حتى اضطروا إلى الالتجاء منه بضريح الشيخ الحاج أحمد بن عاشر بسلا. لكن القضية التي كانت سبباً في عزله هي مخالطته للأجانب وتبايعه معهم، مند سنة 1288 / 1872 مع أن ذلك كان ممنوعاً عليه وعلى غيره من المسؤولين.

وفي سنة 1290 / 1873 وضعت به مواجب عدلية تنتقده وتذكر مساوئه. فلم يلبث مولاي الحسن أن عزله سنة 1291 وثقف الدار التي له بسلا غرسة بخمسة آلاف ريال وذعَّره وفرض على عمه الحاج العربي ألف ريال. ثم أمر السلطان بتوجيهه إلى مراكش ليريح ويستريح، ولما تبين أن بظهره ألماً يمنعه من الركوب أعفاه. لكن في سنة 1294 / 1877 صدر أمر سلطاني لعامل الرباط عبد السلام السوسي بالقبض على ابن العروسي وإرساله مكبلا إلى سجن مراكش.

ولم أقف على تاريخ وفاته التي يحتمل أنها كانت قبل سنة 1302 / 1885.

م. بوشعراء، علاقة *المخزن*، 151 ـ 153 ؛ والعريف، ج 2 : 162.

*Villes et tribus*, Rabat, Tome III, p. 68.

مصطفى بوشعراء

ابن **العروسي، إبراهيم** ولد سنة 1927 بأيت باعمران إقليم تزنيت، التحق بصفوف المقاومة المسلحة وانضم إلى تشكيلة نجاجي بلال.

وقد شارك في عدة عمليات فدائية إلى جانب تزويد الفرقة بمجموعة من المسدسات والبنادق والرصاص.

وأثناء عمليات التمشيط التي قامت بها السلطات الاستعمارية وخشية تفشي أسرار الفرقة قام المسؤولون بنفيه إلى مدينة سيدي إفني حيث اتصل بمجموعة من الفدائيين المنفيين في انتظار صفاء جو العمل. وظل هناك إلى غاية انطلاق عمليات جيش التحرير فانخرط في صفوفه تحت قيادة أبكا الحسن وبقي يعمل ضمن صفوفه بكل نزاهة وإخلاص إلى أن قتلته قوات الاستعمار الإسباني بسيدي إفني سنة 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514325.

**العروسي، أحمد** دفين الساقية الحمراء هو أحمد بن عمر العروسي، دفين الساقية الحمراء قرب مدينة السمارة، في "... بادية تسمى عريب" (*ملتقط الرحلة*، ص. 49)، وإليه يرجع نسب الشرفاء العروسيين، الذين يعيشون جنوب مدينة العيون في المكان الفاصل بين منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب، غير بعيد من ساحل المحيط الأطلسي في أرض السبخات الكبرى (*الساقية الحمراء*، 1 : 127).

ومرد شهرة هذا الرجل إلى أمرين اثنين : أولهما نسبه الرفيع، باعتباره من آل البيت، وثانيهما ولايته وصلاحه، باعتباره من رجال التصوف.

وبينما ينسب هذا الرجل إلى الفرع الحسيني في شجرة الأشراف (*الفواكه*، 2 أ)، تتعدد الآراء حول موقعه في المنظومة الصوفية. ومن الروايات المتداولة كثيراً في هذا الباب حكاية نقلها الشيخ ماء العينين عن السلف في شأن انتقال سيدي أحمد العروسي إلى الصحراء، مؤداها : "وسبب إتيانه إلى الصحاري، أنه كان صاحبا لعبد الرحمان المجذوب، دفين مكناس، وخرج من أول نشأته في العبادة، ولما كتب له معلمه (إذا زلزلت الأرض زلزالها) الآية وهو صبي، وبلغ : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)، قال لمعلمة : والأمر هكذا ؟ قال : نعم، قال : ففيم القراءة. فترك القراءة من ذلك اليوم، واشتغل بالعبادة، فظهر على يده من خوارق العادة ما لايوصف، فنمت به الوشاة عند أمير دهره، فحبسه، وكان إذ ذاك في مراكش في جمع "لَفُنَ" فحبس فيه، وكان في يديه حصيات يقلبها ويقول : ما طارت هذه ولانزلت هذه، حتى فرج الله، فضرب عبد الرحمان المجذوب بيده حائط الجامع، حتى انفرجت منه فرجة، ودخل عليه ونزع عنه الأغلال ... ونقله إلى الصحراء" (*الحركة الصوفية*، 189).

ويفهم من هذه الأخبار الشفوية أن أحمد بن عمر العروسي كان يطلب العلم شمال المغرب الأقصى، وأنه انخرط في سلك الصوفية برعاية الشيخ الشهير عبد الرحمن المجذوب (ت. 976 / 1569) دفين مكناس. كما تشير روايات شفوية أخرى شهيرة إلى اتصاله بالشيخ رحال الكوش البدالي (ت. 949 / 1543) في مراكش. وهذا يعني أن أحمد العروسي كان في بداية القرن العاشر الهجري (16 م) طالب علم ومريداً من مريدي التصوف.

وفضلاً عن أتباعه ومريديه، يفهم من الأخبار التي أوردها صاحب : *ملتقط الرحلة*، نفسه أن سيدي أحمد بن عمر العروسي كان يحظى بشعبية كبيرة في أوساط أهل التصوف في المغرب. وأشار في هذا الصدد إلى الشيخ محمد بن علي بن ريسون، دفين تازروت بجبل العلم، وذكر أنه نصحه بل حثه على زيارته في الصحراء، مخاطباً إياه

بقوله : "لا بد لك تلقاه، ولو بقي من عمرك إلا يوم واحد، لا بد لك تصافحه بيدك"، وكتب رسالة بعث بها إليه صحبته. بل لقد اعتبر بعض الفقراء سيدي أحمد العروسي صاحب الوقت في عهده. وكان الناس، وفيهم المشايخ، يزورونه فرادى وجماعات، رغم بعد المسافة وصعوبة الطريق، للأخذ عنه أو التبرك به. وكان الفقيه يوسف بن عابد الإدريسي، صاحب *ملتقط الرحلة*، ممن زاره وأقام عنده في زاويته سنة 990 / 1583، ومما كتبه في مؤلفه بمناسبة حديثه عن هذه الزيارة : "دخلت على الشيخ أحمد المذكور آخر النهار، وفرح بوصولي إليه كثيراً، وأردت أن أقبل قدمه فأبى، وقال : لو تركنا قدمنا يقبلها مثلك ما جاءت إلينا الأقدام، يشير بذلك إلى التواضع مع الله تعالى. وينزل الناس منازلهم، ولكل مقابلة من المشايخ الوافدين عليه على قدر أحوالهم وما تقتضيه المراتب، لقوله عليه السلام : أنزلوا الناس منازلهم. فأقمت عنده نحو خمسة عشر يوما في أطيب حال وأنعم بال. وناولته ورقة الشيخ محمد بن علي المذكور (ابن ريسون)، وكان ذكر له فيها كلاماً رجزاً، على صفة الخفر ... وكانت بيني وبينه منازلات ومطارحات، ومكاشفات منه على ما في ضميري، وأخذت اليد منه، كما أخذها عن مشائخه، وقال لي : حين استخلفت منه وسار معي ينفذني مع خطار : افتح فاك ففتحته، فقرأ : ونفخت فيه من روحي، ثم نفخ في فمي ثلاث نفخات، وقال لي : لا تفتح فاك إلا في المكان الفلاني، ودعا لي بالبركة".

وعلى كل حال، فقد كان سيدي أحمد العروسي من أنصار الإبداع والانفتاح في تاريخ الفكر الصوفي المغربي. كما كان من أنصار الحرية في إبداء الرأي. لكنه كان حريصا على أن يكون ذلك الانفتاح، وهذه الحرية في مغرب مستقل وموحد. إذ لا ننسى أنه ظهر في فترة كان المسيحيون الإيبيريون يطوقون سواحل المغرب، والعثمانيون في الجزائر ما انفكوا يكيدون ويتربصون بالبلاد الدوائر. كما لا ننسى أن سيدي أحمد العروسي كان من المجاهدين (*الحركة الصوفية*، ص. 188).

ولا شك أن جهاده للخصوم والغزاة جاء منسجما مع جهاده ضد الانغلاق الفكري، وضد التمزق السياسي، ومن ثم لا نشك في انخراطه ضمن المشروع السياسي الذي تزعمه شيوخ الزوايا، والذي انبثق من جنوب البلاد، وتوج بوصول الأشراف السعديين إلى الحكم، وإعلان بداية عهد الأشراف في تاريخ المغرب. وكانت وفاة سيدي أحمد العروسي عام 1002، ودفن بزاويته في الساقية الحمراء، وقبره بها شهير مزار متبرك به.

م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، دار الكتاب، الدار البيضاء، دون تاريخ، ج 1 ؛ م. الظريف، *الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية*، 1800 - 1956، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، 2000 ؛ ف. يوسف بن عابد الإدريسي الحسني، *ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضر موت*، تح. أمين توفيق الطيبي، نشر المدارس، الدار البيضاء، 1988.

أحمد الوارث

**العروسي، أحمد** بن **طلحة**، تسلم القيادة من والده طلحة العروسي وذلك يوم 28 يونيه 1510. وقد أصهر أحمد العروسي إلى مولاي إبراهيم بن علي بن راشد العلمي بأخته بط بنت طلحة، وهو الذي أعطى صورة أكثر استقرارا وقوة لشؤون مقاومة الوجود البرتغالي بأصيلا. ونظم بمعية المولى إبراهيم العلمي وقواد الهبط العديد من غزواته ضد أصيلا خاصة.

والمعروف أنه شارك المولى إبراهيم العلمي بالهبط تدبير عزل بوحسون عن العرش الوطاسي وتولية ابن أخيه أحمد الوطاسي، فلم يبق سوى مرحلة التنفيذ، وهي التي ستتم بنجاح إثر العودة إلى فاس خلال الأسبوع الأول من يونيه 1526، مما جعله يستحق منصب الوزارة. واستمر أحمد العروسي في قيادة القصر الكبير ووزارة أحمد الوطاسي إلى غاية الإعلان عن مقتله بتازا يوم 12 رمضان 936 / 10 مايو 1530، بعد أن كلفه أحمد الوطاسي بالتوجه إليها لتسوية مناعب ثورة قائد المدينة مولاي محمد.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.
Bernardo Rodrigues, *Anaes de Arzila*.

**العروسي، حدو** بن **أحمد**. أقدم العروسيين الذين عرفهم ميدان سبتة وهو مقدم المشاركين من بني عروس أثناء حصار سبتة الأول، حين ظهر بالميدان يوم 11 رجب 821 / 14 غشت 1418 وحاول برجاله اقتحام سور قصر أفراك المريني بما أعدوه من السلالم، إلى أن استشهد في المكان.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.
Gomez Eanes de Azurara, *Cronica do D. Pedro de Meneses*.

حسن الفگيگي

**العروسي، زيان** شيخ بني زكار وحاكمها، من شخصيات الهبط المجاهدة، وابن عم حاكم القصر الكبير أحمد العروسي سابق الترجمة. التجأ في شتاء سنة 919 / 1514 إلى جبل حبيب بستين محاربا بنية الانصراف لشؤون الجهاد بعد أن حدث خلاف بينه وبين الناصر بن محمد الشيخ الوطاسي، أخي محمد البرتغالي. أغار الشيخ زيان على طنجة مرتين، ربما كان ذلك خلال شهر يناير السنة. وفي الوقت الذي كان مستعدا للزحف نحو أصيلا فضل حاكم المدينة الهجوم عليه بجبل حبيب فتمكنوا من أسره جريحا، غير أنه صدر الأمر بقتله وترك جثته غرب الجبل بالمكان المعروف بواد المسوس، يوم 22 فبراير 1514 / 29 حجة 919.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.
Bernardo Rodrigues, *Anaes de Arzila*.

**ابن العروسي، سعيد** بن محمد، أسندت إليه القيادة على عامر الحوزية سنة 1302 / 1885 وكذلك على السَّاكْنية والعَبُّوبيين. وما كاد يبدأ عمله حتى وردت على السلطان شكاية طويلة تتهمه بالحيف والظلم. ولما عرضها مولاي الحسن على عامل سلا الحاج محمد بن سعيد تبين أنها غير صحيحة. ومكث في منصبه حتى توفي سنة 1325 / 1907 بعد ولاية استمرت اثنين وعشرين عاماً ولعل التجمع السكني المعروف بابن العروسي بضاحية سلا ينسب إليه.

م. بوشعراء، علاقة *المخزن*، 164 ـ 166.

**العروسي طلحة**، قائد القصر الكبير من قبل الوطاسيين. من أسرة بني عبد الحميد العروسيين. تسلم المنصب في بداية عهد محمد الشيخ الوطاسي، وإليه يعود فضل وضع أسس المقاومة ضد أصيلا المحتلة سنة 1471، إذ أنه قام بترتيب شؤون القبائل الهبطية وتعيين مقدميها الجهاديين.

وعلى الرغم من أنه تخلى عن الزحف ضد أصيلا منذ وقوعه في الأسر سنة 1488، مفضلا سيادة الهدنة بين القصر الكبير وأصيلا، إلا أن انتقاض الهدنة سنة 1500 وتوالي حدة الغارات البرتغالية كان مما أثار عودته إلى الميدان، ولذلك وجدناه يغير على أصيلا لصد البرتغاليين عن حوز القصر الكبير وإبعادهم إلى وراء واد المخازن، الذي كان يمثل حدود شمال القصر وجنوب حوز أصيلا. كانت لطلحة العروسي غزوات في نطاق التضامن مع باقي قواد الهبط وأثناء حملات محمد البرتغالي على كل من أصيلا وطنجة. واستمر في منصبه إلى أن أعلن عن تنازله لابنه أحمد بعد أن أثقلته عوارض الشيوخة، وذلك في يوم 28 يونيه 1510.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Damiao Gois, *Chronica do D. Manuel* ; Bernardo Rodrigues, *Anaes de Arzila*.

**العروسي، عبد الله** شيخ قبيلة بني عروس في آخر عهد بني مرين، كان في منتصف القرن التاسع الهجري (15 م). من أشهر قواد المنطقة الهبطية. ففي سنة 863 / 1458 شارك في الحصار الأول للقصر الصغير إلى جانب قائد القصر الكبير بيد المسمى إبراهيم بن عمر. وأصبح إثر ذلك بإمكان شيخ بني عروس التمرد على السلطان عبد الحق المريني وعدم الاستجابة لدعوة الحصار الثاني سنة 1459 بسبب عدم اهتمام السلطان عبد الحق المريني بافتداء ابنه الأسير بالقصر الصغير بعد أن فقد آخر بالميدان. ويبدو أن هذا التنافر استمر إلى انتزاء محمد الشيخ الوطاسي بأصيلا سنة 868 / 1463.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Gomez Eanes de Azuerara, *Cronica do D. Duarte de Meneses*.

**العروسي، عبد الواحد** بن طلحة، شارك في الحملات الجهادية المنظمة ضد أصيلا وطنجة. وحكم القصر الكبير بالنيابة عن أحمد الوزير سابق الترجمة ما بين 1527 و1530 ثم استقل بحكمها إثر وفاته ما بين 1530 و1557. وأضيفت إليه مدينة أصيلا سنة 1550 إثر الجلاء البرتغالي عنها. إلى أن ولي عليها خلفه عبد الرحمن (رحو) بن تودة العمراني، سابق الترجمة قائداً على المدينة وعلى أختها العرائش. وربما كان ذلك سنة 1554، ونعلم أن عبد الواحد العروسي بقي بالقصر الكبير إلى سنة 1557، حيث تم تعيين موسى بن مخلوف الجزولي.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

*S.I.H.M.*, France, I / 528 ; Angleterre, I / 392 ; Bernardo Rodrigues, *Annaes de Arzila*.

حسن الفكيكي

**العروسي، عمر** بن الحاج محمد بن العروسي الهلالي المصباحي الدكالي ثم الرباطي ذكره سليمان الحوات في فهرسته التي ألفها في التعريف بشيخه بناني محشي الزرقاني وعدّه من تلامذة الشيخ المذكور. ويقول بوجندار إنه وقف بخط حفيده العلامة الصوفي الحاج عمر عاشور على ما كتبه في التعريف به، ومُلخص ذلك أن المترجم أصله من دكالة انتقل منها بعد وفاة والديه إلى الرباط فاستوطنها وتزوج بها، قال وكان عالماً متفنناً مفتياً فريد عصره ووحيد دهره، انتهت إليه الرياسة في وقته، قرأ على شيوخ فاس مدة عشر سنين كاملة وارتحل إلى طنجة فأخذ عن شيوخها ثم على مشايخ الرباط كالعلامة الغربي ومعاصريه وتصدر للتدريس، فكان من جملة تلاميذه القاضي بَسِّيرْ والقاضي صالح الحكموي والقاضي عاشور وأخوه أبو العباس والفقيه الرفاعي والمفتي المكي أبو عبد الله بناني وغيرهم.

كانت وفاته في رجب الفرد عام خمسة عشر ومائتين وألف ودُفن بظاهر العلويين قصْبة الرشيد المعروفة بالقشلة وبين ضريح سيدي إدريس.

م. بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

محمد الشياظمي

**العروسي محمد بن العربي** ولد سنة 1930 بإقليم سطات دفعته غيرته الوطنية إلى الانضمان إلى صفوف المقاومة المسلحة بمجرد انتقاله إلى مدينة الدار البيضاء حيث التحق بفرقة فدائية سرية يتزعمها عبد الرحمن الازهاري وذلك سنة 1954.

وقد كان مثالا للمواطن المجاهد في سبيل الله والوطن حيث قام بإيصال رسائل تهديد لبعض المتعاونين مع الاستعمار كما شارك في محاولات اغتيالهم وقد استشهد سنة 1955 في إحدى المواجهات مع الشرطة الاستعمارية.

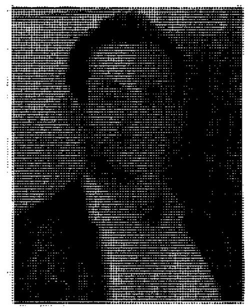

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 522822.

**ابن العروسي، محمد العيادي** العمْري، أسندت إليه قيادة عامر سنة 1283 / 1865 بعد عزل عبد الرحمان بن المعطي الهلالي. غير أنه مات سنة 1285 / 1867 مغتالا، وتقدم ذكر ولديه أحمد وسعيد.

م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 117 ؛ و*علاقة المخزن*.

مصطفى بوشعراء

**العروسي، الناصر** بن طلحة سابق الترجمة، قائد القصر الكبير والعرائش بعد وفاة أخيه أحمد العروسي سابق الترجمة أيضا، وذلك في ربيع سنة 1530. نظم غزواته ضد أصيلا وطنجة بمعية القائد بنخديجة حاكم إزاجن وعلي بنشقرون، قائد العرائش السابق، وبمعيته أيضا الشيخ قرواش الخلطي. فمن ذلك غزوة يوم الجمعة 12 شتمبر 1532. وغزوة يوم 30 نوفمبر 1532. وكانت الغارة الأخيرة التي نظمها سنة 1534.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Bernardo Rodrigues, *Anaes de Arzila*.

حسن الفگيگي

**عروض البلد** صنف من أصناف الشعر العربي غير المعرب، اشتغل بنظمه بعض شعراء المغرب منذ العهد الموحدي مثلما اشتغلوا بنظم التوشيح والزجل، وكان في طليعتهم مبتكره بالمغرب، وهو ابن عمير.

وقد نوه بذكره المؤرخ ابن خلدون في المقدمة فقال : استحدث أهل الأمصار بالمغرب فنا آخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالموشح، نظموا فيه بلغتهم الحضرية وسموه "عروض البلد". وكان أول من استحدثه فيهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير، فنظم قطعة على طريقة الموشح لم يخرج فيها عن مذاهب الإعراب إلا قليلا، فاستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الإعراب الذي ليس من شأنهم، وكثر سماعه بينهم، واستفحل فيه كثير منهم، ونوعوه أصنافا إلى المزدوج والكاوي والمُلَعَّبة والغزل، واختلفت اسماؤه باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها.

وقد ساق ابن خلدون نموذجين من عروض البلد في صنف المزدوج من نظم ابن شجاع، كما ساق قطعة على نمط الموشح نظمها ابن عمير أولها :

ابكاني بشاطئ النهر نوح الحمـــام
على الغصن في البستان قريب الصباح
وكف السحر تمحو مداد الظـــلام
وماء الندى يجري بثغر الأقـــاح
باكرت الرياض والظل فيه افتـــراق
سر الجواهر في نحور الجـــوار
ودمع النواعـــر ينهرق انهـــراق
يحاكي ثعابين حلقت بالثمـــار
لَوَّا بالغصون خلخـــال كـل ســاق
ودار الجميع بالـــروض دور الســوار

وقد أورد في ثنايا الفصل الثالث والخمسين من الباب الثالث عند الكلام على الملاحم بيتين من مُلَعِّبة منسوبة إلى الهَوْتني على لغة العامة في عروض البلد، وعقب عليهما بقوله : هي طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الأقصى. والغالب عليها الوضعُ لأنه لم يصح منها قول إلا على تأويل تحرفه العامة أو الحارف فيه من ينتحلها من الخاصة. أما البيتان فهما :

دعني بدمعي الهتـــان      فترت الأمطار ولم تفتـر
واستقت كلها الويــدان      وانى تملـى وتنغـــدر

وقد أقل المؤرخون في نقل هذا الشعر وأعرضوا عن ذكره في كتبهم على نحو ما فعل المراكشي في *المعجب* والمقري في *النفح*، وكانوا يسمونه هزلا في مقابل الجاد من الشعر وهو الفصيح، ولذلك ضاع جل ما نظم فيه. ومن القلائل الذين نسب إليهم عروض البلد ابن عمير، وابن شجاع، وابن خبازة.

ويبدو أن هذا الشعر ارتبط بالغناء مثلما ارتبط به الموشح والزجل. ومما يدل على ذلك أن ابن عبد الملك ذكر في كتابة في ترجمة محمد بن حسن الفهري السبتي المتوفى عام 583 أن والده كان قوالاً يغني في المحافل والأسواق.

ع. الرحمن ابن خلدون، *المقدمة*، ط. بولاق، ص. 553 - 555 و529 - 530، المكتبة التجارية، ص. 340 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**غْريبْ**، تطلق في عرف سكان وادي درعة عامة، وسكان واحتي محاميد الغزلان ولكتاوة خاصة، على مجموعة من قبائل الرحل من رعاة الإبل والمعز التي طرأت على الواحات الجنوبية بدرعة خلال نهاية القرن 19 ومطلع القرن 20 م.

وتختص هذه الكلمة في مدلولها المحلي، بكل العناصر الأعرابيـة من شـذاذ الآفـاق، وشـذاذ القبـائل الصـحراوية المنحلة. وقد طوحت الأحداث السياسية التي عرفتها مناطق الأطراف الجنوبيـة والشرقيـة ـ الجنوبية بعد الاحتلال الفرنسي لهذه الجهات في نهاية القرن 19 م ومطلع القرن 20 م، بهذه البقايا الأعرابيـة إلى واحات درعـة. وقد ظلت قبـائل عْريبْ بعد وصولها إلى درعة تزاوج ما بين الترحل والانتجاع وراء القطيع وممارسة حراسة المنتوجات الزراعيـة لسكان القصور، وتعرف هذه العملية محليا باسم "الرّعْية".

وبالرغم من أن عـددا من البـاحـثين في تاريخ القبـائل بالجنوب المغربي، يعتقدون أن قبائل عريب تنحدر من أصول معقلية، على اعتبار أنهم لا يختلفون عن القبائل الصحراوية من الحسانيين المعاقلة وغيرها في نمط العيش وأسلوب الحياة اليـوميـة ناهيك عن اللهـجة ونوعيـة اللبـاس التي تصنفهم ضـمن لابسي الخنث (لبـاس من القطن الملون بـالنيلج)، فـإن هذه القبـائل تتكون في الواقع من عناصر مـتبـاينة الأعـراق والأصول لا شيء يجمع بينها إلا المصالح المشتركة المرتبطة أساسـا بالتكتل والتحـالف لتـحقـيق نوع من الحـمـاية من القبائل الصحراوية الأخرى.

إذن فلا غـرو والحالة هذه أن نجد من بين قبـائل عـريب بعض العناصر الزناتيـة أو الصنهاجيـة، وبعض المرابطين من أمثال حفدة مولاي عمر من ذرية أبي بكر بن عمر اللمتوني حسب ما يزعمون، أو فرقة النواجي، التي تنتسب إلى سيدي أحمد الناجي الوافد من تونس.

ويرى جورج سبلمان أن قبـائل عريب، قبل نزوحها إلى وادي درعة، كـانت تعيش في الصحراء المغربيـة، وينحصر مـجال تحـركـهم مـا بين تينبكتـو جنوبا وهوامش بلاد درعة شـمالا بل إنهم كـانوا في زمن مـا يهـيمنون على السـاورة وتيندوف وقد أدرك الفرنسيـون بعض البقايا لقبائل عريب بعد احتلالهم لهذه الجهات. وكانت منطقة إيگيـدي جنوب غرب محاميد الغزلان هي مركز التجمع لهذه القبائل قبل أن يتحركوا نحو بلاد درعة في نهاية القرن 19، وفي العقدين الأولين من القرن 20 م، كـانت قبـائل عـريب تنتجع المناطق الممتدة ما بين الداورة السفلى شرقا وفم زگيد بإقليم طاطا الحالية غربا مروراً بواحة محاميد الغزلان.

وبعدمـا أحكمت قـوات الاحتـلال الفرنسي والإسـباني قبضتـها على الصحاري الجنوبيـة (بلاد أدرار، والصحراء المغربيـة) تدفـقت أمواج بشـرية من قبـائل أولاد دليم، أولاد بوسبع والرگيـبـات على الواحات الجنوبيـة بدرعـة، ونظراً للتشابه الكبير بين سلوك ونمط عيش هذه الأمواج البشرية الطارئة وقبائل عريب، فإن الطارئين لم يجدوا أدنى صعوبة في الاندماج والانصهار في القبـائل العـربيـة، فـتضـخـمت أعدادها، وأصبحت أكـثر استعدادا، لتدخل حلبة المنافسة والصـراع من أجل الهـيـمنة والسـيطرة مع بعض القبـائل العلوانيـة التي كانت لها الكلمة العليا على سكان قصور دراوة بواحة المحاميـد، وهكذا نجحت قبائل عـريب بقيـادة شيخها في حينه، سيدي محمد ولد سيدي خليل، من انتزاع قصر أولاد محيا من هيمنة قبائل آيت علوان، وحتى يتمكن ولد سيدي خليل من البقاء بالقوة في قصر أولاد محيا فقد استنجد بقبائل آيت خباش. إلا أن العلاقة قد توترت لأسباب غيرمعروفة بين آيت خباش والشيخ ولد سيدي خليل فقتلوه سنة 1349 / 1929 ولو لا تدخل القـوات الفـرنسـيـة بعـد احتلالها لوادي درعة مع بداية سنة 1350 / 1930، لاستولت قبائل آيت خباش على كل القصور التي هيمنت عليها قبائل عريب بواحة المحاميد.

تتشكل قبائل عريب من فرقتين كبيرتين هما النعامنة، وتتكون من النواجي والگواسم وأولاد رزگ ثم البْوادين.

وفرقة الكرادبة وتتكون من أولاد بوودن والزيود وأولاد رزوگ والدوابات وأولاد يوسف والورات ثم أولاد رحو. وبعد الاستقلال، انتقلت بعض القبائل العربية بشكل جماعي إلى أهم المراكز الحضرية بواحات درعة خاصة تاگونيت وزاگورة.

م. بن لحبيب التمنوگالي، العقود الجوهرية، مخطوط، خاص ؛ وثائق محلية في حوزة السيد بقاس صالح من مجاميد الغزلان.

Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Dra* ; *Districts et tribus de la haute vallée du Dra* ; P. Azam, *Structure politique et sociale de l'oued Dra* ; *Sédentaires et nomades dans le sud marocain le coude de Dra*. (C.H.E.A.M.), Paris ; Dj. J. Meunier, *Les oasis des Lektaoua et des M'hamid*, *Hespéris*, n° 27, 1947 ; Inconnu, *Monographie de oued Dra*.

أحمد البوزيدي

**عريضة 11 يناير 1944** جاءت كنقطة تحـول هامـة في تاريخ الحركة الوطنية المغربية لأنها مثلت القطيعة مع مرحلة الإصلاحات ودخول مرحلة جديدة تميزت بالنضال من أجل إلغـاء نظام الحـمـاية المفروض على البـلاد في سنة 1912. وخلقت الحرب العالمية الثانية ظروفاً جديدة ساعدت الوطنيين على الانتقال بمطالبهم من مستوى ترميم نظام الحماية إلى القطيعـة النهـائيـة مع هذا النظام. فـهـزيمة فـرنسـا على يد الجـيـوش الألمانيـة في سنة 1940 بعـثت الأمل في نفـوس المغاربة بعدما أظهرت لهـم أن فرنسـا ليـست بالقـوة التـي لا تُقهر. كـما أن اعـتـماد مـيـثاق الأطلسي من دول الحلف المناهض لألمانيا في سنة 1941 جعل الوطنيين يتطلعون إلى مبادرات عملية من أجل ترجمة مبادئ هذا الميثاق إلى واقع ملموس يتجلى في تمتيع الشعوب المستعمرة (بفتح الميم) بحقها في تقرير مصيرها.

ثم جـاء إنزال القـوات الأمريكيـة في نونبر 1942 ومؤتمر أنفا بالدار البيضـاء في سنة 1943، وخاصـة ما جرى على هامـشـه من لقـاء بين السلطان مـحـمـد بن يوسف والرئيس الأمـريكي فرانكلن روزفيلت ؛ وهذه تطورات أكـدت أهميـة الدور الذي أصبحت أمريكا تلعبه على المستوى الدولي بعد تراجع القوى الاستعمارية التقليدية كبريطانيا وفرنسـا. ولا يمكن كـذلك إغـفـال التطورات التي شـهـدها المشرق العربي

والتي تمخضت في سنة 1943 عن استقلال كل من سوريا ولبنان، وهي أحداث كان لها وقع عميق في المغرب وفي سائر البلدان العربية. فهذه العوامل المرتبطة بالحرب العالمية الثانية أو الناتجة عنها فتحت آفاقاً جديدة أمام الحركة الوطنية المغربية وأذكت حماس الوطنيين للانتقال إلى مرحلة جديدة من النضال.

إن العريضة التي حررت بمنزل أحمد مكوار بفاس وقُدمت صبيحة يوم 11 يناير 1944 إلى السلطان والمقيم العام تستدعي بعض الملاحظات بخصوص محتواها وطبيعتها. فهي، أولا، لا تعكس التوجه السلمي الذي حاول علال الفاسي ومن ماثله من خريجي القرويين إضفاءه على الحركة الوطنية.

وقد يُفسر ذلك بالدور القيادي الذي لعبه خريجو المدارس العصرية، كأحمد بلافريج، في تحضير الوثيقة. كما قد يُفسر برغبة حزب الاستقلال في استدراج قيادة "الحركة القومية" وكسب تأييدها للعريضة. ثم إن الوطنيين من خلال هذه العريضة كانوا يتوجهون بالدرجة الأولى إلى القوى الغربية، وخاصة الحلفاء، لاقناعهم بحقوق المغرب المشروعة، فخاطبوهم بلغة "تقرير المصير" و"الديموقراطية" متحاشين إضفاء الطابع الديني على مطالبهم، وهو ما قد تستعمله فرنسا لتُظهر الوطنيين بمظهر المتعصبين للدين والمناهضين لقيم التقدم والتحرر بمعناها الليبرالي الغربي. والواقع أن المرجعية الدينية للوثيقة ضعيفة جداً إذ انحصرت في الإشارة إلى انتماء المغرب إلى مجموعة الدول الإسلامية، وفي أن الحريات الديموقراطية التي يطالب بها المغاربة لا تتعارض مع "مبادئ ديننا الحنيف".

ثانياً، إن الوطنيين بتقديمهم لعريضة الاستقلال لم يقطعوا الصلة تماماً مع النهج الإصلاحي. فالاصلاحات التي طالب بها الوطنيون من قبل مازالت موجودة في صلب الوثيقة، لكن الوطنيين أصبحوا يعتقدون الآن أن هذه الاصلاحات لن تتحقق إلا عبر الاستقلال وليس تحت رعاية الدولة الحامية. ثالثاً، لقد اختار الوطنيون للوصول إلى هدفهم، الذي هو الاستقلال، طريق الحوار والإقناع، متجنبين نهج التطرف أو الدعوة إلى العُنف. فالعريضة مثلا تُطالب بالاستقلال ولم تُعلن الاستقلال كأمر واقع. وهكذا صرحت الوثيقة بأن الحزب "يطالب باستقلال المغرب" ويلتمس من السلطان أن يدخل في حوار مع المجموعة الدولية كي تعترف بهذا الاستقلال. رابعاً، لقد أعلنت العريضة بوضوح عن طبيعة النظام السياسي الذي يطمح الوطنيون إلى تحقيقه، وهو نظام ملكي وديموقراطي، ولكنها تركت للملك رعاية الاصلاحات الداخلية وتحديد مضمونها.

موقف السلطان من عريضة الاستقلال وردود الفعل

عندما قدم الوطنيون عريضة الاستقلال يوم 11 يناير 1944 إلى السلطان سيدي محمد بن يوسف قرر هذا أن يُعين لجنة مخزنية لمتابعة الحوار مع الوطنيين وفوض لوزيرين من وزرائه مهمة الإشراف على هذه اللجنة. ويظهر أن الضغوط القوية التي تعرض لها السلطان من الإقامة العامة قد أدت إلى ظهور تباين في المواقف بين سيدي محمد بن يوسف وقيادة حزب الاستقلال. وهكذا فشلت لقاءات الوطنيين باللجنة الملكية يومي 15 و18 يناير من الوصول إلى نتيجة ملموسة، وهو ما جعل حزب الاستقلال يوضح موقفه في مذكرة رفعها إلى السلطان يوم 18 يناير 1944. ويظهر من هذه المذكرة أن سيدي محمد بن يوسف كان لا يزال يُعلّق الأمل على أسلوب الإصلاحات في إطار سيادة مشتركة مع فرنسا، بدل اختيار الاستقلال الذي كان الوطنيون يُلحون عليه. وتقول المذكرة بهذا الخصوص : "لقد درسنا بإمعان مجموع الإصلاحات التي تم التطرق إليها خلال اجتماعاتنا، إصلاح جوهري ودائم على أساس سيادة مقتسمة بين المغرب وفرنسا ... وبالإضافة إلى ذلك فنحن لا نتوفر على أية ضمانات لتحقيق الإصلاحات المقترحة ... وفي الواقع، تقول المذكرة، فإن أي إصلاح حقيقي لا يمكن أن يتم إلا في إطار سيادة واحدة، ولايمكن أن تكون هذه السيادة إلا في يد جلالة السلطان الذي هو منبع السلطتين التشريعية والتنفيذية".

كما حرص الوطنيون في هذه المذكرة أن يُطمئنوا الفرنسيين وأن يؤكدوا لهم أن المغاربة لن يقطعوا حبل التعاون مع فرنسا، وأن مصالح الفرنسيين والأجانب بالمغرب سوف تبقى محفوظة، وأن الاستقلال المنشود لا يتنافى مع هذه المصالح.

لكن هذه التطمينات لم تمنع سلطات الإقامة العامة من اللجوء إلى أسلوب الاستفزاز والقمع لإخماد صوت الحركة الوطنية. وهكذا عمدت الشرطة العسكرية يوم 29 يناير إلى اعتقال أحمد بلافريج ومحمد اليزيدي وأعضاء آخرين من حزب الاستقلال، متهمة البعض منهم بالتواطؤ مع العدو وربط اتصالات مع ألمانيا النازية. وقد أسفرت هذه الاعتقالات عن موجة من المظاهرات الشعبية في كل من الرباط وسلا ومراكش وفاس حيث استمرت المواجهات مع قوات الاحتلال أكثر من عشرة أيام. وخلال هذه الأحداث الدامية سقط العشرات من الضحايا. ثم بعد ذلك عمدت سلطات الحماية إلى إبعاد أحمد بلافريج إلى جزيرة كورسيكا بينما منعت أحمد مكوار من الإقامة بفاس واعتقلت عشرات الوطنيين.

عريضة الاستقلال وعريضة ما بعد الاستقلال

بين عريضة 11 يناير 1944 كما قدمها الوطنيون إلى السلطان والمقيم العام وممثلي الدول الحليفة والعريضة التي أصبحت متداولة بعد استقلال المغرب في سنة 1956 توجد اختلافات واضحة، خاصة فيما يتعلق بقائمة الموقعين على الوثيقة. فالنسخة التي تحتفظ بها الأرشيفات الفرنسية والبريطانية والأمريكية تحتوي على ثمانية وخمسين موقعاً (58)، وليس على خمسة وستين (65) كما نجد في العريضة "المنقحة" التي تنشرها الصحف كل سنة عند حلول ذكرى 11

يناير. وبوسعنا أن نطمئن إلى العدد الأول لأنه هو العدد الذي أكده الحسن الثاني في كتابه التحدي (ص. 35)، والمؤرخون الذين عاشوا الأحداث عن قرب مثل شارل أندري جوليان. ويظهر إذن أن الوثيقة التي تُنعت بالأصلية، والتي تحتفظ بها الوثائق الملكية بالرباط، قد أدخلت عليها زيادات (وانتقاصات) ربما لتلبية رغبات وطنيين لم يتمكنوا من توقيع الوثيقة في حينها. ومن الغريب أن حتى حزب لاستقلال، الذي كان وراء العريضة تفكيراً وإنجازاً، قد تبنى هذه الصيغة "المنقحة" فأصدر في سنة 1988 "قائمة شرف" تتضمن ستة وستين موقعاً (66) بدل الثمانية والخمسين المثبتة أسماؤهم في عريضة 11 يناير 1944. ومما يسترعي الانتباه بخصوص قائمة الموقعين أن "عريضة ما بعد الاستقلال" لم تلحقها الزيادة فقط، بل انتقص منها أحد الموقعين وهو محمد الفرسيوي، عالم من وزان، والذي كان من جملة من وقع عريضة 11 يناير 1944.

أما نص الوثيقة فلم يطله تغيير، لكن المتمعن في النص الذي أثبته علال الفاسي في الحركات الاستقلالية يلاحظ غياب الجملة الأخيرة من العريضة والتي تتعلق بتصور النظام السياسي الداخلي. وتقول هذه الجملة: "ويكل [حزب الاستقلال] لنظره [السلطان] السديد إحداث نظام سياسي شوري شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الإسلامية في الشرق، تُحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب المغربي وسائر طبقاته، وتحدد فيه واجبات الجميع".

ونشير في الختام إلى أن هذه العريضة همت منطقة الحماية الفرنسية فقط، أما الوطنيون بالمنطقة الخليفية بالشمال فقد سبق لهم أن اعتمدوا "ميثاقاً وطنياً" في دجنبر من سنة 1942 يطالبون فيه باستقلال المغرب واستعادة وحدته الترابية في ظل النظام الملكي. وقد أبلغوا محتوى هذا الميثاق إلى خليفة السلطان بتطوان وكذلك إلى ممثلي بريطانيا والولايات المتحدة بطنجة. ومما لاشك فيه أن أحمد بلافريج الذي كان على صلة وثيقة بالوطنيين بالمنطقة الشمالية قد استلهم من هؤلاء الكثير من الأفكار التي يظهر أثرها واضحاً سواء في مضمون عريضة الاستقلال أو في الاستراتيجية المتبعة لتقديم المطالب الوطنية.

الموقعون (58)

(حسب الترتيب الوارد في النسخ المسلمة
إلى الإقامة العامة وممثلي الحلفاء)

محمد اليزيدي - الحاج أحمد الشرقاوي - الحاج أحمد بلافريج - محمد غازي - عبد الكريم بن جلون التويمي - عبد الكبير بن عبد الحفيظ الفاسي الفهري - عبد الجليل القباج - عبد الله الركراكي - مسعود الشيگر - المهدي بن بركة - محمد الجزولي - الحاج محمد الرفاعي - أبو بكر القادري - محمد البقالي - الصديق بن العربي - عبد الرحيم بوعبيد - أبو بكر الصبيحي - الطاهر زنيبر - محمد الديوري - محمد الفرسيوي - إدريس المحمدي - أحمد بن شقرون - محمد بن عزو - محمد العيساوي المسطاسي - عمر بن شمسي - عبد الهادي الصقلي - أحمد مكوار - الحاج عمر بن عبد الجليل - الهاشمي الفيلالي - عبد العزيز بن إدريس العمراني - الحاج الحسن بوعياد - مَحمد الزغاري - أحمد باحنيني - أحمد ختات الحمياني - أحمد بن بوشتى - محمد السودي - عبد الكبير بن المهدي الفاسي - عبد الوهاب الفاسي - محمد عبد الرحمان السعداني - قاسم بن عبد الجليل - الفاطمي الفاسي - بناصر بن الحاج العربي - عبد الحميد بن مولاي أحمد - عبد الله بن عمر - عمرو بناصر - بوشتى الجامعي - مَحمد بن الجيلالي بناني - أحمد بن عثمان بن دلة - الحسن بن جلون - محمد الحمداوي - محمد العربي العلمي - محمد بن الخضير - عبد السلام المسناوي - عبد الله بن إبراهيم - عبد القادر حسن - الحسين بن عبد الله الورزازي - امبارك بن أحمد - أحمد المنجرة.


لجنة الإعلام لحزب الاستقلال، *قائمة الشرف*، 1988 ؛ مذكرة إلى جلالة الملك بشأن محادثات لجنة حزب الاستقلال مع اللجنة المخزنية (الترجمة الفرنسية) ؛ عريضة حزب الاستقلال (الترجمة الفرنسية)، *وثائق وزارة الخارجية البريطانية*، F0371 / 42170 . نفس العريضة أثبتها جون هولسطيد (John Halstead) في كتابه المذكور أسفله.

Hassan II, *Le Défi*, Albin Michel, Paris, 1976 ; Charles-André Julien, *L'Afrique du Nord en Marche*, René Julliard, Paris, 1972 ; *Le Maroc face aux impérialismes*, 1415 - 1956, Editions Jeune Afrique, Paris, 1978 ; John Halstead, *Rebirth of a Nation*, Center for Middle Eastern Studies of Harvard University, Cambridge, Mass., 1969 ; Robert Rezette, *Les partis politiques marocains*.


محمد المنصور

**عريضة 13 يناير 1944** (للمطالبة بالاستقلال والديموقراطية). ظلت عريضة 11 يناير 1944 تُذكر وحدها في مجال المطالبة بالاستقلال وتدرج عريضة 13 يناير المعززة لها المقدَّمة من طرف الحركة القومية من ضمن رسائل التأييد العديدة التي كانت تحملها الوفود إلى القصر الملكي من مختلف الجهات طوال أسبوع التضامن والتأييد لمطلب الاستقلال.

وقد قدم المرحوم محمد حسن الوزاني بعد رجوعه من المنفى بيانات عن ظروف تأخر أنصاره القوميين عن توقيع عريضة 11 يناير، ودواعي قيامهم بتحرير عريضة 13 يناير 1944، فأدرك الناس حينئذ أهمية مذكرة 13 يناير 1944 وتغيرت نظرة المنصفين إليها، ومنهم الحاج بوبكر الصبيحي العضو البارز في حزب الاستقلال الذي كان يؤلِّف كتاباً في تراجم الموقعين على عريضة 11 يناير، فراسل محمد حسن الوزاني وتلقى منه جواباً مفصلاً ونسخة من عريضة 13 يناير، فأعاد الصبيحي النظر في تصميم كتابه ليضم تراجم الموقعين على عريضتي 11 و13 يناير 1944 معاً. وكان من بين الذين اتصل بهم من الموقعين على عريضة 13 يناير وطلب منهم عناصر ترجمتهم محمد بن عبد الهادي المنوني وتوجد صورة من مسودة هذا الكتاب وضمنها عريضة 13 يناير في

الخزانة الحسنية بالرباط، كما توجد المسودة الأصلية للكتاب في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا.

وقد نشرت جريدة الاتحاد الاشتراكي بمناسبة الذكرى الخمسينية للمطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير 1994 نص عريضة الحركة القومية مع تقديم تناول ظروف انقسام الحركة الوطنية سنة 1937 إلى فرعين، أحدهما الحركة القومية التي أصبحت تدعى حزب الشورى والاستقلال سنة 1946 بعد أن استعاد الزعيم الوزاني حريته.

ثم تحدث محمد حسن الوزاني بإسهاب في الجزء السادس من *مذكرات حياة وجهاد* عن أسباب تأخر القوميين في توقيع عريضة 11 يناير. ذلك أنها عُرضت عليهم في المرحلة الأخيرة قبيل تقديمها للجهات الرسمية، ولم تُعطَ لهم الإيضاحات التي طلبوها ليكونوا على بصيرة منها. بالإضافة إلى أن العرض الذي قُدم إليهم اشتمل على شقين، الأول الدخول في الحزب الجديد (الاستقلال) الذي كان الاعلان عنه وشيكاً لتحقيق الوحدة الوطنية مثلما فعل قدماء التلاميذ، والثاني التوقيع على عريضة المطالبة بالاستقلال التي قُدمت يوم 11 يناير.

رفض القوميون الشق الأول من العرض لأنهم لا يؤمنون بالحزب الوحيد، ويرون إمكانية تحقيق الوحدة الوطنية عن طريق تأليف "جبهة وطنية، وكتلة سياسية ووحدة ائتلافية". ورحّبُوا بالشق الثاني الذي هو المطالبة بالاستقلال ورغبوا في مهلة قصيرة لأخذ رأي فروع الحركة في مختلف أنحاء البلاد عملاً بمبدئهم الديموقراطي. فأعطوا المهلة وشرعوا في اتصالاتهم، لكنهم فوجؤوا بعد قليل بتقديم العريضة دون مشاركتهم. وقد زاد عبد الهادي بوطالب مسألة تأخر القوميين في توقيع عريضة 11 يناير 1944 توضيحاً وتدقيقاً في كتابه *نصف قرن في السياسة* المنشور سنة 2001، إذ كان هو المخاطب الرئيسي لأصحاب العريضة بسبب وجود الزعيم الوزاني في المنفى وغياب قيادة الحركة القومية كلها. جاءه أولاً مَحمد ابا حنيني ومحمد الزغاري في 21 أو 22 دجنبر 1943 من جمعية قدماء تلاميذ مولاي إدريس فأخبراه بأن هناك اتجاهاً إلى تأسيس حزب وطني جديد يخرج بالمغرب من مرحلة المطالبة بالإصلاحات في إطار الحماية إلى المطالبة بالاستقلال ويرغبان في أن تكون الحركة القومية من بين الفصائل التي يتألف منها الحزب الجديد، ثم اتصل به المهدي ابن بركة في الموضوع، وبعد اتصالات عديدة برديف القيادة القومية بفاس لم يجرؤا على اتخاذ موقف حاسم لا سيما حل الحركة القومية واندماجها في الحزب الجديد، وظلوا ينتظرون جواب الوزاني الذي بعث إليه بلافريج وابن عبد الجليل مبعوثاً سرياً يحمل نسخة من العريضة لاستشارته، لكن تأخر الاتصال بالوزاني بسبب الحراسة المشددة حوله، وأخيراً تم الاتصال به فرفض فكرة الحزب الوحيد وأيد المطالبة بالاستقلال مبدياً ملاحظات حول تحرير الوثيقة وحيثياتها. واعتبر بلافريج ومن معه ملاحظات الوزاني حول العريضة رفضاً وتخلوا عن محاولة جلب الحركة القومية إلى جانبهم.

ظل بوطالب على اتصال بابن بركة آملاً أن يشارك القوميون في توقيع العريضة بطريقة مَّا حتى صباح الجمعة 10 يناير حين تهامس الناس في الرباط بأن العريضة تم التوقيع عليها وستقدم قريباً إلى السلطان والاقامة العامة. حاول بوطالب دون جدوى أن يوقع هو والأستاذ الجناتي المحامي بالرباط هذه العريضة باسم الحركة القومية.

وعن اهتمام محمد الخامس بموقف القوميين في المطالبة بالاستقلال بقول بوطالب: "وفي نفس اليوم - 11 يناير 44 - نودي عليَّ للتوجه من المعهد المولوي إلى القصر فاستقبلني السلطان وقد بدا على محياه الاهتمام بالموضوع الخطير. وبادرني بسؤاله: "لماذا لم توقع "الحركة القومية" على العريضة؟" وأضاف: "عندما قدمتُ عريضة حزب الاستقلال إلى المقيم العام اعترض عليَّ قائلاً: هذه العريضة لا تمثل إلا فصيلة من فصائل الرأي العام المغربي، ولم يُمض عليها جزب وطني آخر هو الحركة القومية فلا يوجد عليها إجماع". فرويت للسلطان قصة عدم توقيعنا عليها. وقال: "وماذا ستفعلون الآن؟" قلت: سأتصل حالا بأصدقائي بفاس ليُعدّوا عريضة خاصة بنا، فأعطنا بعض الوقت". سألني: "كم يلزم من الوقت؟" فكان جوابي: "العريضة ستكون جاهزة في أقرب وقت ممكن، سأتصل برفقائي وآمل أن تصل عريضتنا إلى جلالتكم قريبا".

وفي صباح يوم 13 يناير حضر وفد من حزب "الحركة القومية إلى القصر حاملا عريضة موقعة من فووع الحركة بالمغرب. وهي تواقيع تم جمعها في أقل من 48 ساعة، وتقدمنا بها إلى جلالة السلطان الذي قال لنا: "هذه العريضة لها أهمية كبيرة عندي. سأستدعي المقيم العام الفرنسي لأقول له: ها هي عريضة الجماعة الوطنية التي قلت لي إنها غير موافقة على المطالبة بالاستقلال. وما أن اطلع المقيم العام على عريضة 13 يناير 1944 حتى سُقط في يده، وفي نفس اليوم انعقد المجلس الوزاري الموسع وحضره كبار القواد والباشوات والقضاة والأعيان وأفراد الأسرة المالكة، وبعد أن عرض عليهم جلالة الملك مضمون العريضتين أيدوه بالإجماع.

تتجلى أهمية عريضة 13 يناير، علاوة على أنها حققت الإجماع السياسي، في أنها صيغت بكيفية متقنة لا تترك للعدوّ أيّ ثغرة للطعن فيها. فهي تعلن في الطليعة موقف أصحابها إجمالاً بالتضامن التام مع حزب الاستقلال، وتستعمل في التفصيل عبارات عريضة 11 يناير المتعلقة بالسياسة العامة والسياسة الداخلية حتى يكون مطلب العريضتين واحداً موحداً. وتحمل عريضة القوميين توقيعات شخصيات بارزة، إن نقص عددها عن توقيعات العريضة الأولى، فإنها لاتقل عنها أهمية وتمثيلية ونضالاً. إذ فيهم علماء وكتاب وأساتذة في القرويين وفي الثانويات العصرية الكبرى، وقدماء تلاميذ وعدد وافر من علماء الشباب خريجي جامعة القرويين بالإضافة إلى تجار وفلاحين وملاكين عرفوا المنافي والسجون.

لقد كانت بحق عريضة 11 يناير 44 فتحاً مبيناً في التفكير الوطني وتوجيهاً سليماً للكفاح السياسي نحو الطريق اللاحب الأقوم للتحرر من نير الاستعمار، كما برهنت عريضة 13 يناير 44 عن وطنية مثالية صادقة وعزيمة ثابتة لأصحابها على متابعة العمل المشترك من أجل تحقيق الاستقلال والديموقراطية.

وهذه أسماء الموقعين كما أثبتها محمد بن الحسن الوزاني :

عبد الهادي الشرايبي - عمر بن محمد العراقي - علي العراقي - عبد القادر بن شقرون - محمد بردلة - محمد بن الغالي الكتاني - حماد العراقي - عبد الهادي بن المأمون العراقي - إدريس بن الماحي الإدريسي - عبد العزيز بوطالب - الحاج عبد القادر العلج - محمد بوطالب - محمد بن المكي بن زاكور - محمد الصميلي - محمد بن عبد الله - العابد الخرشفي - عبد الرحمان بن محمد الوزاني - الحبيب بن عمور - إدريس بن محمد الوزاني - محمد بن عبد السلام المنوني - محمد الطاهري - محمد بن عبد الهادي المنوني - إبراهيم الهلالي - محمد بن أحمد برادة - عبد القادر بن جعفر العلوي - العلمي بن محمد الزهراوي.

*نص عريضة 13 يناير 1944* ؛ م. حسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، مؤسسة م حسن الوزاني، بيروت، ج 6 ؛ ع. الهادي بوطالب، *نصف قرن في السياسة*، الدا البيضاء، 2001 ؛ م. حجي، جولات تاريخية، الدار البيضاء، 198، ج 2.

محمد حجي

**العريف** يعني لفظ العريف والعريفة في اللغة العربية العالم بالشيء والخبير بأمره. ويطلق مصطلح العريف أيضاً على الشخص القيم على أمر كعريف المطبخ والفراش واللباس والزينة وتربية الأطفال. كما أن لفظ العريف في الميدان العسكري يدل على أقل رتبة في التسلسل الهرمي للجندية وهو قائد عشرة جنود وهي مجموعة أصغر عدد من القوة العسكرية. وقد كان هذا المصطلح بالضبط ومازال مستعملاً بشكل قليل في اللسان الدارج المغربي على نفس الطريقة التي كان يتداوله بها الجنود الفرنسيون الذين كانوا يطلقون على العريف "الكابران" وهي في أصلها كابورال Caporal. كما كان نفس اللفظ سائداً في ميدان التربية والتعليم في عهد الاستعمار وفي بداية الاستقلال حيث كان العريف رتبة إدارية تربوية تطلق على المدرس المبتدئ الذي كان يفوض إليه أمر رعاية الأطفال وحراستهم وتلقينهم المبادئ الأولية والكتابة، فكان المعلمون إلى أجل قريب يتحدثون عن العريف والعرضي والمتدرب والرسمي.

إلا أن الاستعمال السائد لكلمة العريف والعريفة في اللسان الدارج المغربي يرتبط أساسا بجهاز القضاء. فقد كان الشخص المكلف بالبحث والاستقصاء وتتبع تنفيذ الأحكام الشرعية - والإشراف على عمليات التفتيش داخل البيوت عن المسروقات أو غيرها والسهر على الحجز الكلي أو الجزئي للأمتعة والممتلكات والوقوف على العيوب الجنسية وعلاقات التوتر والإخلال بالقيام بالواجبات الزوجية وإلحاق الأضرار بالأطفال يسمى عريفاً. وبما أن هذه المهمة كانت ترتبط بالأسرار الداخلية للأسر وتنظر في أمور يصعب على الذكور ممارستها. فقد كان شأنها يوكل بأمر من القاضي نفسه إلى الإناث فكان الناس لذلك في المحاكم الشرعية المغربية يعرفون العريفة أكثر من العريف.

وكانت العريفات من النساء تتوفرن على سلطة معترف بها لدى الخاص والعام، وكان القاضي ومازال إلى اليوم، يستعين بهن قبل إصدار أحكامه أو بعدها أو الإشراف على تنفيذها. من أجل ذلك كانت العريفات تخترن من بين أكثر النساء خبرة ومعرفة واتزانا وكفاءة وعدلا وصرامة، فكان يؤخذ برأيها ويعتد بتقويمها للأمور ويستنار باقتراحاتها واستقصاءاتها في النوازل والدعاوي والشكاوي.

Joseph Bourilly, *Eléments d'éthnographie marocaine*, Paris, 1932 ; Louis Brunot, *Textes en arabe du dialecte de Rabat*, Fès 1918 ; R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, tome 2, s. d. ni lieu ; Joseph Chelhod, *Introduction à la sociologie de l'Islam*, Paris, 1958 ; G. S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953 ; Un document sur l'arabe dialectal, in *Hespéris*, tome 12, fasc. unique, 1931 ; Albert Depreaux, *Les uniformes des troupes de la marine et des troupes coloniales et nord-africaines*, Paris, 1931 ; A. Dialmy, *Sexualité et discours au Maroc*, Casablanca, 1988 ; Tarik Faizi, *La situation de la femme en Islam*, in *La Pensée* n° 1, novembre 1962.

محمد بوسلام

**عريف، علي** بن حسن من مواليد الدار البيضاء سنة 1935 عرف منذ شبابه بالوطنية والاستقامة ونقاوة الضمير والشجاعة فانضم إلى الحركة الوطنية وشارك في الكفاح المسلح بروح حماسية منذ التحاقه سنة 1954 بمنطقة الهلال الأسود وشبان الفداء بالدار البيضاء تحت اسم عليوات المستعار.

وأعماله في المقاومة كثيرة ومتنوعة حيث كان يقوم بكل ما من شأنه أن يقلق راحة المستعمر، كإحراق أحد الأوربيين داخل سيارته بطريق مديونة واغتيال أحد المتعاونين مع المستعمر بمشاركة عبد الرحمن الغويري، كما قام بوضع قنبلة في إحدى الحافلات وأخرى بمركز للشرطة بالإضافة إلى إحراق حافلة نقل بابن مسيك ومحل للدخان بدرب الإسبان ومتجر لبيع الراديو بنفس الحي، وبقي نشيطا في عمله هذا دون خوف أو تعب مؤمنا بأن السلاح هو طريق الخلاص إلى أن لقي حتفه سنة 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 525669.

**العزابة**، ويقصد بهم من جهة، الرعاة الظعن الذين ينتقلون رفقة قطعان الماشية بحثاً عن الماء والكلأ في رحلات رعوية دورية دائمة أحيانا وظرفية محدودة لا تتجاوز سوى

أشهر معدودة أحيانا أخرى. إذ يقيمون، في هذه الحالة، عزائب في مواضع محصنة طبيعيا يأوون إليها ليلا رفقة ماشيتهم ولا يبرحونها إلا مع إشراقة الصبح. وغالبا ما تبنى هذه العزائب على مقربة من الكهوف والأجراف على هيئة سياجات دائرية بواسطة قطع مصفوفة من الحجارة مدعمة بالحلفاء والنباتات الشوكية. وتلعب هذه العزائب في المجال الطبيعي دورا لا يستهان به سواء في حماية القطيع من قساوة أحوال الطبيعة وتقلباتها الجوية أو في حراسته من أي اعتداء من الاعتداءات المحتملة (اللصوصية أو هجومات الحيوانات). وكلما غادر العزابة مجالات رعوية معينة - بعد استنفاذ ما بها من إمكانات عشبية ونباتية وحلوا بمجالات جديدة أكثر خصبا ووفرة ماء - إلا وأقاموا فيها عزائب بديلة. وتستمر هذه الحركة وفق هذا النسق في تساوق تام مع تقاليد وأعراف رعوية مرعية، تستجيب، من جهة لخصوصية التنظيمات القبلية للمراعي الجماعية، وتتوافق، من جهة أخرى، مع المؤهلات الرعوية التي توفرها الأوساط الطبيعية المتفاوتة جداً وخصوبة من منطقة إلى أخرى.

ومن جهة أخرى، يقصد بهم العزاب غير المتزوجين الذين كانوا يتولون، أول الأمر، عملية الإشراف على استغلال وتسيير العزائب التي كانت في حوزة إما بعض وجهاء المخزن وأعيان المدن أو بعض الشرفاء وشيوخ الزوايا. غير أن هذا المعنى اتسع فيما بعد، حيث أصبح يدل في مغرب القرن الثالث عشر (19 م) على كل سكان القرى والمستغلات الزراعية والأراضي الرعوية التابعة لسادة العزائب إما بموجب علاقات الاستغلال الخاضعة حصرا لاقتسام المنتجات وتوزيع أعبائها، وإما بموجب صلات التبعية الإقطاعية التامة سواء من جهة التصرف القانوني في الأرض أو من جهة التحكم الفعلي والكامل في رقاب العزابة ذاتهم وحرياتهم وحقوقهم الاجتماعية. والملاحظ في هذا السياق، أن الأوضاع العامة التي عاشتها فئات العزابة في مختلف المناطق المغربية لم تكن على قدر واحد من حيث درجة الاستغلال أو هامش الحرية، بل اختلفت اختلافا متفاوتا من عزيب إلى آخر. ويرجع ذلك، كما هو معلوم، إلى أن ظهائر إقطاعات العزائب لم تكن تخول للحائزين عليها من الشرفاء وأرباب الزوايا، في آن واحد، الحاصلات الزراعية وموارد الجباية الشرعية فضلا عن حرية التصرف في سكان القرى والأراضي المقطعة، بل كانت تمنح لهم أحيانا كل هذه الامتيازات مجتمعة وأحيانا أخرى منقوصة بهذا القدر أو ذاك.

وقد اتسمت علاقات العزابة بمتبوعيهم من الشرفاء ومشايخ الزوايا، في بنيتها العامة، بالقهر والإكراه على أكثر من مستوى، حيث لم يكن بإمكانهم التحرك أو الانتقال بحرية من عزيب إلى آخر إلا إذا حصلوا على موافقة سادتهم لأنهم هم الذين كانوا يملكون وحدهم دون سواهم حق التصرف في رقابهم إلى حين انقطاع ذريتهم، كما كانوا ملزمين بتقديم مختلف أصناف الخدمات والتسخيرات التي تقتضيها روابط التبعية والحماية الواجبة، علاوة على الأعشار والزكوات والهبات الموسمية. وفي مقابل هذا وذاك، كان الشرفاء وأقطاب الزوايا يوفرون للعزابة الأمن والإعفاء من أي تكليف أو مطلب جبائي فضلا عن حمايتهم من الخضوع للقضاء المخزني. وإذا كانت مؤسسات العزائب قد انتشرت بدرجات متفاوتة تنظيما ومساحة في جهات مختلفة من المغرب خلال القرن الثالث عشر (19 م)، فإن أكبر العزائب شساعة وأقواها نفوذا وتمكنا قد تركزت على وجه الخصوص في جهتي الغرب وجبالة. ويكفي للدلالة على خصوصية هذا الواقع الإشارة هنا، تمثيلا لا حصرا، إلى أن الشريفين الوزانيين مولاي علي ومولاي ابنا الشيخ الحاج عبد السلام الوزاني كان بحوزتهما في مطلع القرن العشرين 18 عزيبا في منطقة الغرب تحتوي على 130 خيمة تسع 2.255 فردا من السكان وتتوفر على 204 من البنادق و22 من الخيالة و194 زوجة حرث و5650 رأس من الأبقار و200 فرسا.

م. الهراس، *القبيلة والسلطة*، 95 - 96 ؛ د. إيلكمان، *الإسلام في المغرب*، 66 - 70 ؛ هـ. الهروي، *مسألة الإقطاع بالمغرب من خلال البنيات القبلية*، رسالة مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1996 - 1997، 142 - 145.

A. Halim, *L'iqta et l'appropriation de la terre au Maroc* (le cas du Gharb), mémoire de 3ème cycle en sociologie, Université Mohammed V, Rabat, 1977, p. 160 - 166.

الفقيه الإدريسي

**العزّ**، أسرة تطوانية أصلها من قرية العز الواقعة بمقاطعة ألمريا Almeria بجنوب الأندلس حيث مازالت القرية المذكورة تعرف بـCariatiz (قرية العز) ؛ ويتعلق الأمر بالأسرة التي غادرت قريتها وانتقلت إلى غرناطة أمام الزحف المسيحي على مقاطعة المريا سنة 895 (1490)،

وعند سقوط غرناطة سنة 897 (1492) نزحت إلى قبيلة بقوية الريفية حيث استقرت بقرية بوغمبوب وأصبحت تعرف باسم ابن عزوز (انظر ابن عزوز).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية:

محمد ابن عزوز حكيم

**العزّ ضياء الدولة البرغواطي** هو ضياء الدولة يحيى بن سكوت بن محمد البرغواطي. ثاني وآخر أمير برغواطي يتولى السلطة في سبتة بعد موت سكوت 471 / 1079 (*المعلمة*، 1170). وقد رشحه أبوه للسلطة عندما اختاره حاجبا لدولته، وعينه خليفة له في ولاية العرش. جسد ذلك في العملة التي ضربها والتي حملت بالإضافة إلى اسم سكوت ولقبه واسم الخليفة العباسي عبد الله القائم بالله، اسم ولقب ابنه الحاجب بهاء الدولة العز. كما انتدب لحكم طنجة باسم أبيه. وتفيد المصادر أنه كان للعز ضياء الدولة تأثير مباشر على والده في إبعاده عن المرابطين وعدم

الاستجابة لهم عندما عرضوا عليه التحالف ضد الزناتيين المغراويين الفارين من وجه المرابطين والمعتصمين بحصن الدمنة بالقرب من طنجة. إلا أن سقوط الحصن بيد المرابطين والقضاء على الامارة المغراوية وضعت الإمارة البرغواطية وجها إلى وجه مع الزعماء المرابطين. فكانت المعركة التي وقعت بالقرب من وادي منى بضواحي طنجة سنة 70 . 471 / 78 . 1079 والتي انتهت بمقتل سكوت ودخول المرابطين طنجة. فأفضى الملك إلى العز ضياء الدولة الذي تحصن بسبتة التي أقام بها دولة امتدت زهاء خمسة سنوات، ذاع خلالها صيته، وجاءه الشعراء من كل صوب. فوجدوا في رحابه الجود والكرم. "فأعرض به الشعراء وأطالوا ووجدوا به السبيل إلى المقال فقالوا". فكان من أهم الشعراء الذين نالهم الحظ الجسيم من دنياه، الشاعر الحصري الضرير الذي نظم فيه "ما أذهل الناظر عن الرقاد وأغنى المسافر عن الزاد". ويبدو أن العز ضياء الدولة انشغل باللهو وزينة الدنيا عما يجري حوله وما يدبر في شأنه. فكان التحالف والتعاون العسكري الذي حصل بين المعتمد ابن عباد حاكم إشبيلية ويوسف بن تاشفين زعيم المرابطين الذي كان قد استتب له الأمر في المغربين الأقصى والأوسط. وفي يوم خميس من صفر سنة 476 / 83 . 1084 اقتحم أسطول كبير مياه سبتة، وخرج العز بأسطوله للدفاع عن ملكه. وكادت الدائرة ان تدور على المرابطين لولا تدخل سفينة محاربة قوية حديثة الصنع لابن عباد. فحاول العز الفرار بحرا ثم بعد ذلك برا في نفر من جاله، لكنه فشل عندما كشف العز بن يوسف بن تاشفين أمره. فكانت بذلك نهايته في فجر اليوم الثاني من دخول المرابطين سبتة. وقد عثر من بين ما عثر عليه من مجموع الذخائر التي كان قد عهد بها لدى أحد الأوفياء له، جوهر كثير ونشب وخاتم يقال إنها خاتم يحيى بن علي بن حمود.

ابن بسام، *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*، تح. إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1398 / 1978، القسم الثاني المجلد الثاني، ص. 657 ـ 664 ؛ *معلمة المغرب*، المجلد الرابع، ص. 1170 ـ 1171.

زليخة بنرمضان

**عزّة** (أولاد ابن ـ) أو العزاويون طائفة مشهورة بشمال شرق المغرب من وجدة إلي تاوريرت غربا وإلى السعيدية شمالا مع وجود فرق منهم في جهات أخرى من المغرب، كما توجد فرق منهم في غرب الجزائر ؛ وذُكر أنّ ضريح جد إحدى هذه الفرق المعروفة بالسنوسية يوجد بمقبرة الولي أبي مدين الغوث بتلمسان وهو سيدي مَحمد السنوسي ابن سيدي عبد الله بن عزة. ينتسب العزاويون إلى جدهم الولي الصالح سيدي عبد الله بن عزة دفين جبل بني يزناسن في الجهة الجنوبية المقابلة لسهل أنكاد ومدينة وجدة، وينتهي نسب هذا الولي إلى أحمد بن إدريس بن إدريس مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب.

تمتّع هؤلاء الشرفاء كغيرهم بالاحترام والتوقير من عامة الناس ومن السلطة المخزنية حيث توصلوا بظهائر التكريم والتوقير منذ عهد السلطان العلوي مولاي رشيد على الأقل ـ حسب ما بيدنا من ظهائر لحد الآن ـ فمن المحتمل أنهم توصلوا بمثل ذلك من السلاطين السعديين.

يمثل الشرفاء عادة نقيب منهم ينظر في مشاكلهم ويكون واسطة بينهم وبين السلطة المخزنية، ومن المؤسف أننا لا نملك رسائل تتعلق بالنقباء قبل أواخر القرن التاسع عشر، وأشهر من تولّوا النقابة منذ هذه الفترة : محمد بن الحاج عبد المومن ومحمد بن عبد الله.

اشتهرت كرامات الولي الصالح سيدي عبد الله بن عزة بمقره الجديد بجبل بني يزناسن بعد رحلة علمية صوفية بدأها من قبيلة بني زروال ـ التي لجأ إليها أبوه أو جدّه من فاس بسبب الضغط على الشرفاء بها في بعض فترات الفتن ربما في نهاية العصر المريني ـ فوصل الولي المذكور إلى فجيج حيث تتلمذ على بعض علمائها وصوفيتها، ثم غادرها بعد أن آنس منه شيخه المقدرة على التربية الصوفية فاتجه إلى جبل بني يزناسن. وبعدما اشتهرت كراماته بين الناس أسس زاوية للتربية الدينية والصوفية (ومقرّها لا يبعد الآن كثيراً عن ضريحه)، وأهدت إليه القبائل المجاورة مجموعة من الأراضي بالجبل وبسهل أنجاد. غير أننا لا نعلم تطوّر هذه الزاوية خلال الفترات اللاحقة حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث اشتهرت هذه الزاوية في عهد الشيخ سيدي محمد الحاج الهبري (راجع في *المعلمة* مادة : *الزاوية الهبرية*). ومن الضروري التأكيد على اختلاف دور كل من الشيخ والنقيب، فهذا كما رأينا وسيط بين السلطة والشرفاء ويعالج مشاكلهم، أما الشيخ فهو المربّي للشرفاء من المريدين. ومن أشهر الشيوخ الذين نعرف أسماءهم الشيخ سيدي محمد الهبري المتوفى حوالي سنة 1900 وابنه الشيخ سيدي محمد الهبري المتوفى آخر سنة 1939 (وهو دفين الزاوية التي أنشأها قرب السعيدية في حياة أبيه وبتفويض منه).

أهم فروع أولاد سيدي عبد الله بن عزة تعود إلى ولديه محمد السنوسي وأبي عزة، فمن ذرية السنوسي : فرقة الجلايلة (ومنهم الهبارة من أحفاد الفضيل بن الجيلالي الذين منهم شيوخ الزاوية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ـ على الأقل ـ حتى الآن، ومنهم القادريون نسبة إلى جدهم عبد القادربن الجيلالي المذكور، وعبد القادر هو جد جد كاتب هذه المادة)، ومن ذرية السنوسي أيضاً فرقة العزايزة (نسبة إلى عزة بن محمد السنوسي) ... ومن ذرية أبي عزة ابن سيدي عبد الله المذكور فرقة أولاد بن دحمان، وفرقة أولاد العابد، وفرقة أولاد يوسف الحاج، وفرقة أولاد الحسين ...

أما الابن الثالث للولي المذكور واسمه أحمد المجيديب فقد قيل إن من ذريته فرقة المجادبة بأنكاد وتاوريرت وزايو

(إقليم الناظور)، وفي رواية أخرى أن المجادبة المذكورين هم من ذرية أبي عزة وأن المجيديب لم يخلف ولدا.

ومن الملاحظ أن أكثرية العزاويين اتخذوا أسماء أجدادهم المتأخرين لقباً لهم مثل الهبري، الدحماني، السليماني، التاج، المومني ...

*وثائق وظهائر خاصة ؛ روايات شفوية.*

أحمد عزاوي

ابن **عـزّة** الرايس علي من بين الرياس الأندلسيين العاملين في أسطول الجهاد في سلا الجديدة في مطلع فترة الديوان، ويبدو أنه كان فضلا عن ذلك من بين كبار شخصيات المدينة ومن ذوي النفوذ، إذ ذكر اسمه من بين الموقعين على الشكاية المبعوثة إلى الملك الانجليزي شارل الأول في غشت 1628 بخصوص تعسف القبطان نيستون على الرايس بيرم.

*S.I.H.M.* - les - Angleterre - T. III, p. 77 note.

حسن أميلي

**عَزُّوز**، عائلة جَبَلية غُمارية من قبيلة (بني زيَّات) إحدى قبائل غُمارة التِّسع، مازالت موجودةً بتطوان، وبعضهم ينتسبُ إلى الأندلس. ولا ينبغي المصير إلى هذا دون توثيق بل لمجرد تشابُه في بعض الأسماء كما يقال عن أولاد (غُطَّيس) بتطوان، بأن اسمَهم مُحرف عن (كُرطيسْ) وعن اسم عائلة (الرَّبَّاجْ) بأنه محرف عن (الرِّبَّاسْ) مع أنهم ينتسبون إلى الشَّرَف !

أجَلُّ مَن عَرفنا من هذه العائلة بتطوان : الفقيه المدَرِّر الصالح الحاج محمد عَزُّور (بدون ابن) مقدَّم الطريقة التجانية وإمام زاويتها. وكان يقرئ القرآن بالمدرسة الخيرية بتطوان عقوداً من السنين وبها توفي. كما نَعرف من أفراد هذه العائلة : الطالب عبد الله المأمور بالمكتبة العامة بتطوان أيامَ الحماية، وكان تزوجَ بنت (حَكّام) الغماري وأنجب منها أولاداً على رأسهم الأستاذ الباحث محمد بن عبد الله عَزوز.

*معلومات شخصية.*

محمد بوخبزة

ابن **عزوز**، أسرة مكناسية عريقة في الاشتغال بالثقافة الإسلامية، وقد جاءت التكنية بابن عزوز من اسم الجد الأعلى : عبد العزيز الذي يدعى بعزوز، ويضيف المصدر ذاته إلى نسب الأسرة : فقرة "الركلاوي ثم الصنهاجي"، وواضح أن نسبة الركلاوي تشير إلى ركلاوة، وهذه معدودة بين فروع قبيلة بني مْگيلد، حيث لايزال اسمها معروفا ضمن قيادة أزْرو جنوب مكناس.

على أن النسبة إلى ركلاوة قديمة بهذه المدينة، فكان بين أعلامها - خلال العصر الموحدي - محمد بن عبدالله بن مصالة الفازازي ثم الركلاوي، المعروف بابن عبّو، وكان حيا عام 611، وهو اسم تعدد ذكره في كتب التراجم.

وقد تنوسي في القبيل نسب الركلاوي، واشتهر - بدله - بالتكنية بابن عزوز، وأقدم اسم معروف بهذه الحلية هو الذي يقدمه عبد الله الفاسي عند وفيات 1066 هكذا :

محمد بن عمر بن أحمد ابن عزوز المكناسي، شديد الطلب، بارع في الأدب، من أصحاب الشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي، حضر مجالسه المختلفة الفنون، واقتنى من مقتناها العيون، وكانت وفاته بتونس رحمه الله.

علي عزوز، قال عند القادري : أصله من أولاد ابن عزوز، وهم رهط بفاس، وعند حسين خوجة : أنه تزايد بمدينة فاس، على أن أحمد الفاسي يقول عنه : أصله من المغرب من مكناسة الزيتون، واستوطن الحضرة الإدريسية.

فحسب هذا المصدر يرجع أصل المترجم إلى مكناس، بينما ينسبه المصدران الأولان إلى فاس، فيمكن أن استيطان المترجم بفاس، جعل القادري يلحقه برهط ابن عزوز الفاسيين.

ومما يقرب مكناسية المنوه به أن أحد علماء الأسرة : محمد المفضل ابن عزوز آتي الذكر عند رقم 18 يرفع عمود نسبه إلى علي عزوز هذا، ويحيل على الأفراني قائلاً : وقد عرف به في الصفوة (صفوة من انتشر).

وهذا المصدر - بدوره - يؤكد انتسابه لمكناس ويذكره هكذا : أبو الحسن علي بن عزوز المكناسي نزيل زيوان (زعوان) ... ص. 224 ط. ف.

ونشير - الآن - إلى قولة القادري في التعريف به : ومنهم السيد المبارك، الولي الصالح : سيدي علي أعزوز ... رحل عن فاس بإخراج عاملها، واستقر بجبل زغوان من أعمال تونس، فاتخذ هنالك زاوية ودفن بها بعد وفاته، وله هناك صيت وأصحاب وأتباع، وظهرت له كرامات ومكاشفات وخوارق.

نلتقي - الآن - مع عالم من الأسرة أغفله المترجمون، ولولا أنه بقي من آثاره أحد مؤلفاته لكانت درجته العلمية تضيع ضحية الهمال، والقصد إلى الذي يسمي نفسه ويسلسل آباءه كالتالي : عبد السلام بن عبد الواحد بن محمد بن الحاج أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن عبد العزيز المدعو عزوز به يكنى، المكناسي دارا ومنشأ.

هكذا يذكر اسمه وآباءه آخر شرحه الذي وضعه على المقدمة التي رجز فيها "الورقات" لإمام الحرفين مع زيادات وترتيب : ورقة 144 / 1. فضلا عن إشارته لستة من مؤلفاته الأخرى : أ - شرح تحفة (المنافع في مقرإ الامام نافع) نظم (ميمون) مولى الفخار : ورقة 69 / 1.

ب - الشرح الكبير على الحفيدة للسنوسي باسم الفوائد المجيدة : ورقة 110 / 1 مع 140 / 1.

ج - ووصف هذا الشرح بالكبير، يسير إلى شرح صغير للمؤلف على الحفيدة.

د ـ شرح منظومة تاريخية للمؤلف تسمى بالتيسير : ورقة 116 / 1.

هـ ـ شرح السراج للشتوكي : ورقة 140 / 1.

و ـ شرح الجواهر المنطقية للقادري : 140 / 1.

وفي الشرح إشارة إلى ثلاثة من شيوخ المترجم : ففي مكناس أ ـ محمد البوعصامي : ورقة 118 / 1، واثنان من فاس : ب ـ الحريشي، ج ـ ومحمد بن حمدون بناني : ورقة 131 / 2.

هذا إلى نقل المترجم عن خط بعض أشياخ والده، مما يعني أن والده ـ بدوره كان من أهل العلم، وقد تبينا في صدر هذه الترجمة أن اسم والده عبد الواحد، فهل يكون هذا هو نفس الاسم الذي سبق ذكره عند رقم 5.

وبعد هذا : فإن صاحب الترجمة هو ناسخ المخطوط الذي استند إليه التعليق رقم 1.

وعن المخطوط المنوه به أولاً : تبينا ـ وشيكا ـ أن المؤلف شرح به منظومة التي رجز فيها الورقات لإمام الحرمين، وقد فرغ من المنظومة، يوم الأربعاء 15 رجب 1138 وهو مشغول البال وصغير السن وضيق الحال.

ثم فرغ من الشرح بين الظهرين من يوم الاثنين 13 ربيع النبوي 1141، وأكمله ناسخه ـ الذي لم يسم ـ يوم 25 من الشهر والعام : من خط مؤلفه، وخطه مغربي مجوهر مليح مختلف، ويتخلل مواضع منه خط المؤلف بالتشطيب والإلحاق.

يقع الشرح ثاني مجموع من ورقة 60 / 2 إلى ورقة 145 / 2، مسطرة 22، مقاس صغير.

تحتفظ به خزانة خاصة.

يوجد ضمن الجواب عن فصوله باسم حل الرموز بإيضاح سؤال العلامة ابن عزوز، تأليف المفتي المغربي الطائر الصيت، الشيخ مَحمد بن المبارك بن علي الهلالي المكناسي، المتوفى عام 1372 / 1953، حيث فرغ من تأليفه يوم 12 رمضان 1349.

خزانة خاصة : ضمن مجموع ص. 1 ـ 51، بخط مؤلفه.

ملاحظة : هذه المؤلفات العشر كلها غير منشورة، وباستثناء التأليف رقم ط، فباقيها في حجم متوسط.

أ ـ شرح الخلاصة لابن مالك، لم يكمل

ب ـ شرح أرجوزة الذكاة نظم أبي حامد العربي الفاسي، اختصر فيه من شرحها للزياتي.

ج ـ شرح منظومة أبي العباس الهلالي في الدعاء باسم اللطيف.

هذه المؤلفات الثلاثة ذكرها ابن زيدان، ولا يعرف الآن مكان وجودها.

د ـ شرح السلم المرونق للأحضري، ذكره القاضي عبد الحفيظ الفاسي في أحد كناشاته.

هـ ـ مجموعة خطب جمعية غير تامة، ورد ذكرها في تقييد متخلف بعض فقهاء مكناس، وهذه ـ أيضاً ـ مع سابقها لا يعرف ـ الآن ـ مكان وجودهما.

توفي المترجم عن زوجه هنية بنت الفقيه العدل سيدي صالح الشرقاوي، وعصبه أشقاؤه : الطالب السيد عبد الوهاب، والسيدة طاهرة، والسيدة السعدية، والهاشمية، لا غير، ومن هنا يتبين أن المنوه به لم يعقب.

ودار سكناه هي التي صارت على ملك أسرة بوطريقة في حي زقاق القرموني من مكناس.

نذيل بالإشارة إلى أن المترجم يسوق سلسلة آبائه كالتالي : محمد الفضل، بن الهادي، بن أحمد، بن المجذوب صنو العارف بالله سيدي الطيب، ابني علي، بن عبد الرحمن، بن علي بن عزوز دفين زغوان، حسب افتتاحية *كشف الران* ... غير أنه يؤخذ عليه إدراج علي بن عزوز ـ دفين زغوان ـ بين أجداده، اعتبارا بأن هذا لم يعقب، وذلك ما يصرح به أحمد الفاسي قائلا عنه : ولم يعقب، وله أقارب من أولاد عمه، وهذا هو المعروف بين فريق عزوز المشهورين بتونس على أنهم من أقاربه، وليسوا من ذريته.

*إتحاف أعلام الناس*، 4 : 303 ؛ *نزهة الأبصار*، خ. ع، ك 579 ؛ *عنوان السعادة والإسعاد لطالب الرواية بالإسناد*، خ. س ؛ *المصدر*، 4 : 327.

محمد المنوني

ابن **عزوز الحسن**، عرفت سنة 1955 تصعيدا كبيرا في أعمال المقاومة كما عرفت اندلاع ثورة 20 غشت بخنيفرة نظيرتها بخريبگة (وادي زم) ومظاهرات أخرى كانت جميع أنحاء المغرب مسرحا لها حيث سقط في ساحة الشرف العديد من المقاومين الذين استرخصوا دماءهم فداء للحرية والوطن.

والشهيد لحسن بن عزوز المولود سنة 1914 بدوار السبالغة إقليم خريبگة من والديه غزوز بالعربي وعائشة، وهو من الذين أسدوا لهذا الوطن خدمات جليلة.

حمل السلاح يوم المظاهرة من نوع "بوحبة" الذي كان يرمي به جنود الاستعمار ويدافع باستماتة عن مقدسات وطنه إلى يوم 21 غشت 1955 حيث استشهد إثر اصابته برصاص العدو رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520890.

**عزوز**، بن **رحال** (سيدي -)، أحد الأولياء الصالحين بعبدة، وهو أخو الولي الصالح المشهور مولى البرگي. يقول عنه الفقيه الكانوني : "(هو) الولي البركة من مشاهير الرجال وأحد الفرسان. كان ممن ورد مع أخيه على هذه البلاد لقتال البرتغال في القرن العاشر الهجري، وعليه قبة مشهورة بالساحل قرب زاوية أخيه".

محمد بن أحمد الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج. 2 (مخطوط).

عبد الرحيم العطاوي

**ابن عزوز، عبد الله** المراكشي المعروف ببلة عزوز وعند العامة بسيدي بلّة. هو أبو محمد عبد الله بن عزوز القرشي العباسي نسباً الشاذلي طريقة المراكشي داراً السوسي أصلاً، و"بلة" تصغير لعبد الله عند البرابرة. وهو ولي صالح شهيد فتح الله عليه في علمي الظاهر والباطن كما تشهد له بذلك مؤلفاته الغزيرة. اختلف المؤرخون في التعريف به ما بين واصف له بالولاية والصلاح وبين واسم له بالحكمة وبين ناعت له بالبدعة والزندقة، حتى اختلط الأمر على العباس بن إبراهيم فقدم لنا ترجمتين مختلفتين ومستقلتين لبلة عزوز، إحداهما للولي البركة والطبيب الحكيم والثانية للبدعيّ الضال.

كان بلة عزوز فقيها زاهدا في الدنيا وشيخا متصوفا ورأسا من رؤوس علم الطب وسر الحرف في وقته رغم كونه لم يُعرف باجتهاد في طلب العلم أو بكثرة قراءة ومشايخ. ترك مؤلفات عديدة في كل هذه الميادين وهي متوفرة في الخزانات المغربية، منها في الفقه والتصوف :

1 - *الأسئلة والأجوبة* في الفقه والأصول والطب
2 - *رسالة الصوفي إلى الصوفي*
3 - *تنبيه التلميذ المحتاج*
4 - *إثمد البصائر*
5 - *المختصر الأزهر*
6 - *الأجوبة النورانية*

أما في الطب فله مؤلفان انتشرا في المغرب انتشاراً كبيرا هما :

1 - *ذهاب الكسوف* (في الطب)
2 - *وكشف الرموز* (في الأعشاب)

وفي علم الحرف ذكر له ابن المؤقت أربعة كتب وجد منها واحداً فقط هو *لباب الحكماء في علم الحروف والأسماء*. ولا غرو فإن كتب هذا الفن لا تنتشر عادة في الخزانات. وقد عرّف ابن المؤقت بمحتوى بعض هذه الكتب كما أورد عباس بن إبراهيم ومحمد الأخضر مقاطع منها في ترجمة هذا الشيخ.

أخذ بلة عزوز الطريقة الشاذلية - وكذا علوم الظاهر - عن أحمد بن محمد الحبيب البكري اللمطي (ت. 1765)، وهو خال وشيخ الشيخ أحمد بن مبارك اللمطي مجدد الطريقة ومؤلف الإبريز. وكان بلة عزوز ملازما لخدمة الشيخ أحمد الحبيب كما شهد له بذلك السلطان سيدي محمد ابن عبد الله. جاء في *الدر المنتخب* عن سيدي محمد أنه قال : "إني كنت صغيراً وكانت أمي ترسلني مع أخي مولاي أحمد لزيارة الولي الصالح سيدي أحمد الحبيب ... وكنت أجد سيدي بلة ابن عزوز جالسا مع سيدي الحبيب على هُويدرته، فلولا أنه كان من الصالحين ما أجلسه الشيخ معه".

كان سيدي بلة زاهداً في الدنيا متقشفاً يعيش من حرفته كخرّاز (صانع نعال) ويقصده مريدوه في حانوته فيبعثهم للخلوة في جبل گليز. اتهم بلة عزوز بالزندقة، ورغم مدافعة السلطان عنه والوقوف إلى جانبه فإنه مات مقتولا. ومن بين من شهد عليه بالزندقة الفقيه السوسي محمد الحضيكي الذي كتب تأليفاً في الموضوع. وقد وقف المختار السوسي وكذا عباس بن إبراهيم على هذا المؤلف وأورد مؤلف *الإعلام* مقاطع منه في الترجمة المخصصة "لبلة بن عزوز الرحماني" المبتدع.

وتمكننا الانتقادات الموجهة لبلة عزوز من لدن الحضيكي من التعرف على مدرسة المترجم الصوفية التي تعتمد التقشف والزهد والابتعاد عن الخلق ومجاهدة النفس من أجل تطهيرها. ولهذا يكون بلة عزوز شهيد الحركة التجديدية في التصوف التي تبلورت بعده في الطريقة الدرقاوية على الخصوص.

ومن الطبيعي أن يقف فقيه بدوي مثل محمد الحضيكي موقف المعادي لممارسات بلة عزوز وأتباعه الصوفية، وهو الذي كرّس حياته للدعوة الإسلامية البسيطة : الدعوة إلى التوحيد وإلى فرض الشريعة الإسلامية في وسط تغلب فيه العادات والاعتقادات ما قبل إسلامية.

تاريخ وفاة بلة عزوز مختلف فيه كذلك، والغالب أنه كان في أواخر القرن الثاني عشر (18 م). ودفن في حصن داره كما هي العادة في المغرب بالنسبة للصلحاء في درب الحمام من باب إيلاّن بمراكش، وقبره لازال مزارة كبيرة وكراماته مازالت متداولة إلى اليوم.

م. الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب*، الدار البيضاء، 1977، ص. 316 - 321 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج 3، ص. 74 - 77، ج. 73، ص. 317 - 319 ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، ج 10، مخطوط، خ. ح، عدد 1920، ص. 97 - 98 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*، 1960، ج 2، ص. 446 - 449 ؛ ابن المؤقت، *السعادة الأبدية*، الطبعة الحجرية، فاس، 1918، ج 1، ص. 92 - 96 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، المحمدية، 1960، ص. 193 ؛ ع. الله گنون، *النبوغ المغربي*، بيروت، 1961، ج 1، 304 - 305.

فاطمة الحراق

**عزوز، الغياثي**، الفقيه السيد محمد بن الحاج عبد الرحمن، أصله من غياث بعبدة، وهو أحد مشاهير فقهاء مدينة أسفي التي تولى عمالتها في الربع الثالث من القرن الثالث عشر الهجري، وتُعرف ذريته الآن بأسرة ابن عزوز. ومعلوم أن هذه الأسرة أنجبت العديد من الأعيان والعلماء، وهي دون عائلة ابن عزوز الأندلسية الأسفية التي ربما تنحدر من أسرة العلامة سيدي مَحمد بن عبد العزيز الأندلسي البلنسي الأسفي المعروف بكَرْضيلو.

توفي الفقيه سيدي محمد بن الحاج عبد الرحمن عزوز الغياثي عام 1272.

م. بن أحمد الكانوني، *أسفي وما إليه قديما وحديثا*.

عبد الرحيم العطاوي

**ابن عزوز، محمد** بن **أحمد** السوسي، محمد (فتحا)

بن أحمد بن المكيس ابن عزوز السوسي المكناسي، العلامة المشارك والنحوي الأصولي والمدرس النفاعة، كانت ولادته عام 1285، أخذ العلم عن أخيه الشيخ محمد بن عزوز المتوفى سنة 1316، وعن عمه الشيخ فضول بن المكي ابن عزوز المتوفى سنة 1320 وعن التهامي بن عبد القادر الحداد المراكشي المتوفى سنة 1336 وعن الشيخ التهامي بن الطالب ابن سودة وعن الشيخ عبد الله البدراوي وعن الشيخ محمد (فتحا) القادري وغيرهم من الأشياخ. وتخرج على يده علماء أجلة منهم الشيخ عبد الرحمن بن زيدان وكان عبد السلام ابن سودة يتصل به ليملي عليه من حفظه كما في *سل النصال*، إذ يقول : "اتصلت به مراراً وأملى علي من حفظه رحمه الله"

توفي المترجم سنة 1369.

ابن سودة، *سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3250.

عبد القادر سعود

**ابن عزوز، محمد المفضل** بن عبد الهادي بن أحمد بن محمد المجذوب المكناسي، يرتفع إلى الولي الصالح سيدي الطيب ابن عزورز دفين زغوان بلاد قرب تونس. ولد بمكناس وتلقى عن شيوخها نذكر منهم الفقيه مبارك بن عبد الله الفيضي، والفقيه العربي بصري، والفقيه المهدي بادو والعالمين العباس بن كيران والمهدي بن سودة، أخذ عنهما لما توليا قضاء مكناس، ثم تصدر للتدريس بالمدينة نفسها خصوصاً علم التفسير والحديث والسير والفقه والأصول وعلوم البلاغة، تولى نيابة القضاء بمكناس وانتهت إليه رياسة النوازل والأحكام فيها.

1 - فتاوى اشتهرت بفتاوي ابن عزوز مخطوط في الخزانة الحسنية 10926 ومصورة على الورق عن شريط جائزة الحسن الثاني رقم 66 س. سنة 1975. جمعها تلميذه محمد بن الحسين بن عبد القادر العرائشي المكناسي، وأضاف لها فتاويه وفتاوي شيخه قاضي مكناس محمد بن أحمد بن الشريف العلوي الإسماعيلي الزرهوني نزيل مكناس ودفينها.

2 - قمع القامعة بالمقمعة، ذوي الجحد والبدع المبتدعة. ألفه عام 1292. تحدث فيه عن الخلافة وأصلها وحكمتها وعن حكم الشرع في الإختيار وعن مكانة ولاية القضاء، وحكم الحاكم الذي يرفع الخلاف. مخطوط بالخزانة الحسنية 12375 ضمن مجموع.

3 - كشف الران عن فؤاد مانع الزيارة ومدعي تفضيل الوظيفة على القرآن وإقامة الدليل والبرهان.

4 - وله النصيحة الشافية النافعة للطريقة الدرقاوية 515 د في كراستين اختصرها أبو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي.

5 - الموارد الصافية طبع على الحجر بفاس

6 - شرح خاتمة الشمائل المصطفوية للترمذي. مخ خع رقم 515 د ضمن مجموع صص 33 - 62 وبآخره قصائد تقريضية على شرح ابن عزوز وهي لعدة شعراء من تلامذة الشارح.

المنوني، *المصادر العربية*، ج 2، ص. 137 - 156.

أحمد ايشرخان

**ابن عزُّوز، محمد** بن **محمد** ابن عزُّوز المراكشي، الوزير الصدر في الحكومة الخليفية بمنطقة الحماية الإسبانية بتطوان بشمال المغرب سابقا.

الفقيه النبيه المطَّلع الحازم المحنَّك. كان والدُه من علماء الرباط، فاتخذه السلطان الحسن الأول إماماً له وأستاذاً لبعض أولاده، وأحد صُدور كُتابه، وكان ملازماً لركابه، وفي مراكش تزوج وَوُلد له المترجَم عام 1281 ثم أدخله الكُتاب فحفظ القرآن وبعضَ المتون العلمية ومنها مختصر خليل، ثم تَعاطى الأدب وعَمل كاتباً بدار المخزن، ولما توفي السلطان بقي بمراكش واشتغل بالفلاحة واتَّصل بالأمير يومئذ عبد الحفيظ أيام خلافته عن أخيه السلطان عبد العزيز، فكان من أكبر أنصاره وأعوانه حتى بعثه سفيراً عنه لبَرْلين عاصمة ألمانيا لإقناع الملك غَليوم بالاعتراف بسَلْطنة مَخدومه عبد الحفيظ، فَنَجَح في مُهمته، وبعد تعيين عبد الحفيظ ملكاً على المغرب ظَلَّ ملازماً له ومُؤنسه ووزيرَه الخاص في الحقيقة، ثم عَمل حاجباً له إلى أن تنازل عن الملك لأخيه السلطان يوسف فَقدم طنجة مع مخدومه عبد الحفيظ، ودَعتْه الدولةُ الإسبانية بعد فرض الحماية على المغرب لمشاورته فيمن يستحق الخلافة عن السلطان بمنطقة حمايتها، وبعد مفاوضات واستشارات وقَع الاختيارُ على الأمير المهدي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الرحمن خليفةً، فذَهَب المترجم له إلى فاس، وأقنع الأمير بقبول الخلافة، وقَدم معه تطوان ودَخَلها في احتفال كبير، وبعد استقراره، أسَّس أولَ وزارة له وعَيّن أعضاءها وعلى رأسهم صدرهم المترجَم، وشَمر الوزيرُ عن ساق الجد، وقام بأعباء الوزارة إلى أن وقع بينه وبين الخليفة سوءُ تَفاهُم أفضَى إلى عزله بمساعدة الإسبان، ونُقل إلى شفشاون ليلةَ السبت فاتح محرم عام 1341 وبقي بها شبهَ مسجون إلى أن أُعيد إلى تطوان في ربيع الأول عام 1342. وبعد وفاة الوزير أحمد الركَيْنَة عام 1343 أعيد المترجم إلى الصدارة، وفَوضَّ إليه الخليفة جميعَ المهام، وَصَف الفقيه الرهوني الذي كان وزيرا للعدل في وزارة المترجم الصدر ابن عزوز خَلْقَه وخُلُقَه، ولَم يُشر إلى أنه كان (مراكشياجْوابُو في فمو) صاحب نكت وجُرأة يُجابهُ بالمكروه، ويتدخل في كل شيء. وحكاياته في هذا مشهورة بتطوان، منهما محنة الفقيه المدرس العدل السيد محمد بن عبد النبي بناني على يده، فقد صدرت من الفقيه أبيات في الغَزَل نظمها تظَرُّفاً في بعض من يغشى مجلسَه، فشاعت تلك الأبيات إلى أن بلغت مسامعَ القاضي السيد التهامي أفيلال، وكان من الحزم والصرامة بمكان، فاستدعاه وأنَّبه

على ما صَدَر منه مما ينافي العدالة، فاعتذر الفقيهُ وتاب، فَعَفَا عنه القاضي ولَم يعزل، ولما علم الوزير المترجم له بالأمر، أمَر بالقَبض على الفقيه وأودَعه السجنَ بعد توبيخ وتهديد، ولولا شفاعات وتدخلات لَلَبِث الفقيه في السجن مُدة. وحدثني الوزير الصدر الفقيه السيد أحمد بن عبد الكريم الحداد - وكان وقتَه كاتبا ثانيا للمترجم له - أن الشريف الشيخ إدريس بن الحُسين الحراق حفيد الشيخ محمد الحراق الصوفي الشهير اتصل بالمترجم له بمكتبه بالمشْوَر شافعاً في أحد مُريديه، وكان الوقتُ شهرَ رمضان. فَرد شفاعتَه بعُنف، وبالَغ في لَومة وتأنيبه، بل وشَتَمه بما لم يسمَع مثلَه في حياته - وهو الشيخ المحترم والوقت وقت صيام - فلم يزد على الصمت، وانفجر باكياً بشكل يُثير الحزْن والإشفاقَ، وخَرج كذلك. قال السيد أحمد الحداد رحمه الله : فَوقَع في قَلبي ساعتَه أن الرجل لَن يَسلَم من جزاء ما فَعل، ولم يلبث بعدَها إلا قليلاً حتى نُكب وسجن.

وهكذا ظل الوزيرُ الصدر إلى أن اخترمته المنية بمنزله بروض الخطيب بحي الجنوي من تطوان يوم الاثنين محرم فاتح 1350 (5 ماي 1931) ودُفن ببيت (المواگين) بالزاوية الريسونية. ولم يُخلف رحمه الله.

ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق، د. محمد حجي، 8 : 3011، ط دار الغرب ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، 2 : 135، من منشورات جمعية تطاون أسْمير بتطوان، ت د جعفر ابن الحاج السُّلمي ؛ *مجلة الاتحاد التطاونية* سنة 5 عدد 48، وبها عدة صُور للمترجم وَحده، ومع أعضاء حكومته ؛ *معلومات شفوية*.

محمد بوخبزة

**العزّوزي، محمد** بن **أحمد**، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني ورياغل، انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف سيدي امحمد أمزيان ضد التدخل العسكري الاسباني بناحية الناظور. وقد شارك في عدة معارك من بينها المعركة التي قتل فيها الجنرال سالفادور ديياث اوردونييث Salvador Diaz Ordonez والتي جرت بتيشكرا بقبيلة بني سيدال يوم 14 أكتوبر 1911.

*أعمال ندوة الشريف امزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي، (1909 - 1912)*، تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

**العَزُّوزي، محمد** بن **المكي** السلوي، ولد بمدينة بسلا عام 1336 / 1917، شاب متعلم متفتح، التحق بصفوف الحركة الوطنية مند نعومة أظفاره، وقاد بعض المظاهرات على صغر سنه ضد السياسة الاستعمارية. ودخل السجن لذلك. عمل في التعليم الحر مدة طويلة لا سيما تعليم البنات لمروءته وعفته.

طلبت منه أن يعمل معي معلماً في مدرسة الفتاة السلوية، فقبل وقدمت ملفه على الطريق الإداري المعتاد إلى مندوبية المعارف بالقصر الملكي المشرفة آنذاك على التعليم الحر. فلم تمض أيام حتى جاء الرد من المراقبة المدنية بسلا بأن طلب العزوزي غير مقبول لأنه سبق أن حكم عليه بالسجن. فأطلعته عليه وأنا في غاية الامتعاض، فلم يتأثر وقال لي ضاحكاً : "هذا السجن شرف !"

بقي محمد العزوزي يزاول عملية التدريس بدون رخصة إلى أنْ جاء الاستقلال فتابع عمله في هذا الميدان وظل على صدقه ووطنيته إلى أن توفي بسلا في 4 ذي القعدة عام 1397 / 17 أكتوبر 1977.

*معرفة شخصية* ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، د. ت، ج 3 : 37 - 38.

محمد حجي

**العزوزي، المعطي** بن **إبراهيم** كان عدلا ومفتيا بالرباط ثم استدعاه المخزن للانخراط في سلك كتبته. وكان السلطان محمد بن عبد الرحمان يقدره لما كان له من المصاهرة معه. وفي كثير من الأحيان كان يسند إليه قضاء أمور سياسية ومهمات مخزنية. لما تولى السلطان مولاي الحسن الحكم أخره عن خطته.

توفي بمراكش في إحدى حركات السلطان، ودفن في ضريح أبي العباس.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 354.

عبد الإله الفاسي

**العزوزي، المعطي** بن **محمد** المفتي، المعطي بن محمد بن قاسم الشريف العزوزي، من جملة مشايخ الرباط ومفتي العدوتين بأمر السلطان مولاي عبد الرحمن، وصف بالشرف وحسن السيرة والسمت وكثرة الإنفاق والكرم، والمشاركة في العلوم، والباع في التدريس وامتلاء مجلسه بالتلامذة، وانتفاع الكل بتقريراته لسلاسة عبارته، إلى غير ذلك من صفاته.

وقد ذكر أبو عبد الله الأوراوي في مقالته المنشورة في *السعادة*، أن المترجم بعدما أسند له المخزن خطة الإفتاء بالعدوتين استدعاه للخدمة بحضرته، ثم عينه قائدا على عدد من قبيلة الزيايدة سنة 1254 / 1838، ثم عينه قاضيا على تارودانت وأحوازها سنة 1260 / 1844. وقد كانت له مصاهرة مع السلطان مولاي سليمان والسلطان مولاي عبد الرحمن. وكانت وفاته بالطاعون في حدود سنة 1273 / 1856 - 1857 تقريبا.

*الاغتباط*، ص. 353 - 54 ؛ *ومجالس الانبساط*، ص. 167.

حسن أميلي

ابن **عزّون** (أولاد -) أسرة مكناسية. في الديوان الاسماعيلي : "أولاد ابن عزون من جزناية منهم الفقيه أبو

عبد الله محمد بن أحمد ابن عزون المكناسي الجزنائي : هكذا أورده القادري في وفيات 1058 حسب المخطوطة السودية من *نشر المثاني*، ونقله في *إتحاف أعلام الناس*، 4 : 41.

الفقيه المشارك الهين اللين المبارك أبو زيد عبد الرحمن ابن أحمد بن عبد الرحمن ابن عزون المكناسي، صحب الشيخ أبا محمد عبد القادر الفاسي، ولازمه، كأخيه، واستفاد منه في كل فن ... هكذا ذكره عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن عبد القادر الفاسي في *"الإعلام بمن غبر"* مخطوط خ. س. 3637 ز.

محمد بن محمد ابن عزون : يوجد بخطه نسخه "خاصة" من المختصر الخليلي مبتورة الأول، وتبتدي أثناء باب التيمّم، في حجم صغير، بخط مغربي مليح مشكول مجدول ملون، وفي آخره : "وكان الفراغ منه يوم الجمعة في آخر جمادى الثاني عام أربعة وثلاثين ومائة وألف، على يد ... محمد بن محمد ابن عزون ـ بخط يده الفانية ـ بمكناسة الزيتون".

عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن عزون : يوجد اسمه أول العدلين الشاهدين في وثيقة مثبتة في *"حوالة الأحباس الصغرى"* بمكناس رقم 4 من قسم الحوالات بالخزانة العامة، ص. 79.

محمد بن عبد العزيز ابن عزون : يوجد اسمه ثاني العدلين الشاهدين في وثيقة عام 1137، حسب الحوالة الأحمدية بمكناس، ص. 253.

عبد العزيز بن أحمد ابن عزون : عدل ثان في وثيقة مؤرخة في 3 ذي القعدة عام 1152.

وفي وثيقة مؤرخة في 11 شوال 1154 جاء ذكر نائب المحاجير الفقيه العدل السيد عبد العزيز.

الفقيه الأجل، العدل الأرضي المرحوم سيدي بلقاسم ابن عزون، هكذا ورد اسمه في وثيقة عتيقة.

والآن انقرضت هذه العائلة من مكناس.

محمد المنوني

**عزّونة** بنت أبي بكر بن أبي زكريا الحفصي سلطان تونس : كان السلطان أبو الحسن المريني قد تزوج فاطمة ابنة السلطان أبي بكر بن أبي زكريا الحفصي، وبعد استشهادها في وقعة طريف سنة 741 / 1340، رغب في طلب يد إحدى أخواتها، فوجه سنة 746 / 1345 وفدا لخطبة أختها عزونة، مكونا من أمير عرب سويد أبي زيان عريف بن يحيى السويدي، وأبي الفضل بن محمد بن أبي مدين العثماني كاتب الجباية والعسكر، والفقيه المفتي أبي عبد الله محمد بن سليمان السطي، ومولاه عنبر الخصي. وتولى حاجب الحفصيين عبد الله بن تافراجين إقناع السلطان أبي بكر بإتمام المصاهرة تأكيداً للعهود والمواثيق بين الدولتين. وزفت الأميرة إلى السلطان أبي الحسن سنة 747 / 1346 في وفد من كبراء مشيخة الموحدين بتونس على رأسه الأمير أبو العباس الفضل بن أبي بكر الذي عينه السلطان أبو الحسن على بونة فيما بعد عند رحلته إلى إفريقية.

لم تهنأ الأميرة الحفصية بحياة ملكية هادئة، فقبل أن تصل إلى فاس بلغ الخبر بوفاة أبيها أبي بكر، وحصول تطورات سياسية خطيرة بتونس اضطرت السلطان أبا الحسن للتدخل فيها سنة 748 / 1347. ولم يلبث السلطان إلا سنوات قليلة وتوفي سنة 752 / 1351، فبقيت أرملة بعده 11 سنة، ثم تزوجها سنة 763 / 1361 أبو ثابت عامر بن محمد الهنتاتي كبير جبل درن والبلاد المراكشية الذي كان نفوذه قد تقوى بالمنطقة زمن استبداد الوزير عمر بن عبد الله الفودودي بعد وفاة السلطان أبي سالم المريني.

ابن مرزق، *المسند الصحيح الحسن*، باريز، لاروز، 1925، ص. 38 ـ 39 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الرباط، وزارة الثقافة، 2001، 4 : 146 ؛ ع. الهادي التازي، *المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي*، الدار البيضاء، 1992، ص. 240.

محمد المغراوي

**عزّيمان**، أسرة كريمة قديمة بتطوان أصلها من الريف من فرقة بني تعيان من قبيلة بني تُوزين الريفية من مجشر يُسمى حتى الآن آيت عَزيمان وفي عمدة الراوين للرهوني، 6 : 118 أن أصلهم من ربع أجْدير من قبيلة بني وَرْياغل انتقلوا لتطاون عام 1020 كما حدثني الأستاذ علال بن علال بن الفقيه القاضي محمد بن علي عزيمان نقلا عن كُنَّاش والده الذي بحوزته. وفي حوالة مسجد الرزيني بحومة الجنوي رسم كتب بتطاون عام 1091 وَرَدَ فيه اسم علي بن عبد الله عزيمان به عُرف الريفي الساكن بمجشر (القَلاَّلين) من قبيلة الحوز الآن و(مجكْسَة) قديماً التي بُنيت تطاون على ترابها، قال الأستاذ داود : ثم يظهر أنه سكن تطوان من هذه العائلة فرعان أو فروع ثلاثة، أشهرها فرعُ الفقيه القاضي محمد بن علي. وقد ذكر من أفراد هذا الفرع تجار وحرفيون، ومتصوفون وعدول وأبو المواريث خلال سنوات 1174 / 1212 . 1234 وهَلُم جرا إلى الآن، ومن أشهر هذا الفرع : القاضي المشار إليه وابناه الفقيهان العدلان : مَحمد فتحاً وعلال، ونجل هذا الأخير الأستاذ الكبير مَحمد وابنُه الدكتور عمر وزير العدل بالمغرب سابقا.

عائلات تطوان للأستاذ محمد داود (حرف العين) نسخة بخط المؤلف بخزانته الداودية بتطاون.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، 6 : 118، نسخة خاصة مصورة ؛ *معلومات شفوية*.

محمد بوخبزة

**عَزّيمان، مَحمد بن علال** بن مُحمد بن علي التطواني، وُلد بتطوان بدرب عَزيمان (باسم جده القاضي) بحي الطَّرنكات عام 1330 / 1912 وأدخل كُتاب الفقيه

المدرر الشهير محمد بن عمر ابن تَاويت، وظَلَّ به إلى أن حفظ القرآن وبعضَ المتون على العادة الجارية يومئذ وأخذ عن بعض علماء المدينة دروساً في النحو والفقه بالمساجد، ولما أسست المدرسة الأهلية بتطوان عام 1344 / 1925 دَخَلها وتلقى عن أساتذتها المختارين وعلى رأسهم مؤسسها الأستاذ الكبير محمد داود.

وفي سنة 1928 سافر إلى مدينة فاس والْتحق بجامع القرويين، ومَكَث به سنتين، تلقَّى خلالَها عن علمائها العلومَ المعهودة بها، واتصل بالشباب الوطني لأول عَهد نضاله. وبعد عودته إلى مسقط رأسه أحسَّ بتعطشه إلى المزيدَ من العلم فَسَافَر إلى مصر سنة 1931 ضمن البعثة الطلابية الثانية. ودَخَل دار العلوم بالقاهرة، وَوَاصَل دراسته بها إلى سنة 1935 حيث حصل على الإجازة، وكان أولَ مغربي يحصل عليها هناك، ولم يكن خلال إقامته بمصر منطوياً على نفسه، بل حركةً دائمة، وشُعلةَ نشاط وتيقظ وذكاء، يتردد على أهل العلم والرأي، وزعماء السياسة والتحرير في العالَم العربي، وكانت مصرُ حينئذ مثَابةً لهم، فاكتسب من توجيهاتهم وآرائهم استنارةَ فكر، وفلسفةً بناءة أنالَته قدرةً على حل مشاكل التربية والتعليم والاجتماع. ولعلو همته توجه إلى سْويسْرا سنة 1938 والتحق بمعهد جَانْ جَاكْ رُوسُو لعلوم التربية، واتصل هناك بالأمير شكيب أرسلان وانتفع بصحبته، وفي السنة التالية اندلعت الحرب العالمية الثانية، فَرَجَعَ إلى المغرب، ثم عُين مديراً للمدرسة الحسنية الابتدائية بتطوان التي جمع منها جهابذة التعليم الديني الإسلامي والعصري، وبعدها تقلَّب في عدة وظائف، فكان عضواً بالمجلس الأعلى للتعليم الإسلامي الذي كان يرأسه الفقيه الرهوني، ثم عُين سكرتيراً له، وقام - مع الأستاذ داود - بوضع مناهج التعليم الديني التي سارت عليه المعاهد الدينية بمُدن شمال المغرب، كما وَضَعَا معاً منهجَ التعليم المغربي العصري، وأشرفا على فتح المدارس الابتدائية والمعاهد الدينية، بمختلف جهات المنطقة الخليفية، واشتغل إلى جانب ذلك بالتدريس والتعليم الحر، فكان أستاذا بمعهد مولاي المهدي والمعهد الحُر. ولما عُين الأستاذ داود مديراً للتعليم العربي عَيَّن تلميذَه المترجم له مفتشاً عاماً له، وفي هذه الأثناء أسهم في تأسيس المعهد الديني العالي الذي كان بمثابة جامعة، واشتغل بالتدريس فيه، كما قام بنفس المهمة في مدرسة المعلمات الأولى بالمغرب.

وعندما أسس المعهد الرسمي للتعليم الثانوي بظهير خليفي سنة 1944 عُين المترجم له مديراً له سنة 1946 وبَذَلَ جهوداً عظيمة للحصول على معادلة للشهادة الثانوية به، فأثمرت جهودُه اعترافَ إسبانيا بها ومعادلتَها بشهادة (البْروبي) الأولى بلبنان، والثانوية العامة بمصر في عهد تولي الدكتور طه حسين وزارة المعارف المصرية، وفي سنة 1953 عُين كاتبا عاماً لوزارة المعارف بالمنطقة الخليفية، وفي فجر استقلال المغرب عُين عضواً في لجنة تسلّم السُّلَط من الإسبانيين، كما عُين نائبا عن وزارة التعليم في الشمال فقام بعملية الإدماج بين منطقتي المغرب في ميادين التعليم والثقافة والشبيبة والرياضة والسياحة والأنباء، وفي سنة 1959 عُين مفتشا أول بقسم التعليم العالي، ثم عُين رئيساً لديوان وزير التعليم، وشارك في عهد الاستقلال في اللجنة الملكية لإصلاح التعليم. وأرسلته منظمة اليونسكو سنة 1965 بصفة خبير لَدَى وزارة التعليم إلى أمريكا الوسطى، كما شَارَكَ في مؤتمر التعليم الإلزامي الذي نظمته اليونسكو في القاهرة سنة 1955.

عرفتُ المترجَم له قديماً، وزرتُه ببيته مراراً، واستفدتُ منه فوائد أذكر منها ما كنتُ سمعتُه من بعض علماء المغرب الذين أقاموا بمصر سنوات عن الشيخ طنطاوي جوهري صاحب تفسير (الجواهر) الشهير وغيره من المؤلفات الكثيرة في العلوم الكونية والروحية الحديثة، أنه كان يترجم عن دوائر المعارف الأنجليزية ما يُودعُه تفسيره من معارف علمية، لأنه يُحظَر ترجمتُها مباشرة. وقد أكد لي المترجم له أن هذا غير صحيح، وان الشيخ طنطاوي لم يكن يعرف لغة أجنبية، وأنه كان على اتصال دائم به لأنه من أساتذته في دار العلوم، وأنهما كانا يتباحثان ويتزاوران، وأن الذي كان يترجم له ما يكتب في العلوم الحديثة هو ابنُه، وربما ضَجر الإبن من كثرة الترجمة، فيرجُو الشيخ من المترجم له أن يُقنعَه بالعمل. ومن غريب ماسمعتُه منه عن الشيخ طنطاوي هذا أنه كان يصومُ الدهر، قال : وشكوتُ إليه مرةً ما يرتكبه الاستعمار الانجليزي من مظالم بمصر، وكان يومئذ في أوج طغيانه - فأخبرني أنه سينتهي قريباً، تتحرر مصر ويجلو الاستعمار، ولما رأى الشيخ استغرابي من كلامه واستبعادي لما يقول، قال لي : يابني، أنا لا أقول هذا من عندي وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبرني بقُرب ذلك وبشرني بالتحرير الوشيك مناما.

ومن إنصاف المترجم له أنه وقف على نسخة مصورة من كتاب عمدة *الراوين في تاريخ تطاوين* لشيخنا معاً الفقيه أحمد بن محمد الرهوني، كتبتها بخطي نقلاً عن أصلها الذي هو بخط المؤلف بخزانة تطوان العمومية، وكنتُ يومها محافظا للمخطوطات والوثائق، وعلَّقتُ عليها تصحيحات وانتقادات فقرأها واستطرف تلك التعليقات، وأملَى عليّ بعضَها من حفظه ضاحكاً مستطرفا، وهو من عائلة صوفية أباً عن جد.

وقبل وفاته بمدة أجريت له عملية جراحية، وبعدها سقط وأصيب بكسر تأذى منه غايةً، وهو الرجل القصير القامة، الضعيف البنية. ثم وافاه الأجل المحتوم بعد عُمر حافل بالنفع والعطاء بمنزله بتطوان يوم الأحد 25 شعبان 1422 موافق 3 نوفمبر 2001 ودفن عصر ذلك اليوم بزاوية سيدي السعيدي، رحمه الله تعالى.

كتيب *في تأبينه وترجمته* أصدره تلاميذه، وطبع بتطوان، سنة 2002 ؛ *معلومات شخصية*.

محمد بوخبزة

**عزِّيمان، محمد** بن **علي** التطواني، وُلد بتطوان عام 1225 ـ 1226. وحفظ القرآن والمتون العلمية ولاسيما الفقهية، فكان يستظهر مختصر خليل وتحفة الحكام وغيرهما ويستحضر غالبَ نصوص شُراحها وغالبَ نصوص أرباب النوازل والأحكام، قال الوزير أحمد الغنمية التطواني : أملى عليَّ فتوى من حفظه وأملى على الفقيه العمراني فتوى أطول منها دون الرجوع إلى كتاب، وأخبرني الفقيه أعْجُولُو الأندلسي ثم التطواني أنه كان يراه يكتب الفتاوى في صكوك الرعاوي واقفا أمام نافذة بمنزله، ولكثرة استحضاره وحفظه ما كان يحتاج إلى مراجعة في الغالب، وكانت فتاويه مُركَّزة محقَّقة قلما تَقبل معارضة حتى من فقهاء فاس ومفتيه.

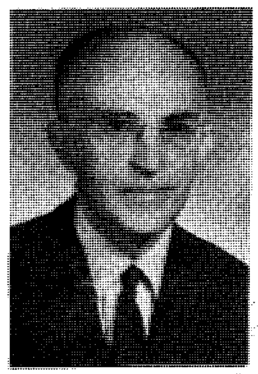

أخذ العلم بتطوان عن الفقيه النحوي علي بوخبزة، والفقيه عبد الكريم غَيلان، والشيخ محمد الحراق الصوفي الشهير والقاضي عبد الرحمن الحايك وغيرهم وبفاس عن الفقهاء : ابن عبد الرحمن الحجرتي والحاج الداودي والمرنيسي وقصارة وإدريس البدراوي وطبقتهم، ثم رحل إلى فاس وَرَجَع لتطوان عام 1252 أو اشتغل بالتدريس والعدالة والإفتاء والإمامة بجامع العيون والخطابة به من عام 1267 ـ إلى أن أقعد عام 1310 ودَرَّس به صحيحَ البخاري، ومُوَطأ مالك، والشمائل، وهمزية البوصيري بردتَه، ومختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد والمرشد المُعين لابن عاشر، وألفيَّة ابن مالك وغيرها مراراً، قال الرهوني وهو من تلاميذه : كان يأتي جامعَ العيون قبل الفجر فيتهجد، ثم يقرأ حزباً من مختصر خليل، قلما يتخلف عن هذا صيْفاً وشتاءً عقوداً من السنين، لازمتُ الحزبَ معه نحو عشر سنوات.

أخذ عنه عامةُ فقهاء تطوان من الفقيه أحمد السلاوي، والفقيه محمد النجَّار الكبير، والقاضي بَعدَه التهامي أفيلال، وأهرار، وابن الأبار، إلى الأخوين أحمد ومحمد الزواقيْين والرهوني وغيرهم كثير.

كان كثير الاعتناء بالتقييد والمطالعة والتحصيل ولا سيما للفقه والنوازل فكان فيهما لا يجارى، وأعلَن الرهوني أسفَه على عدم اطلاعه على شيء من أوضاعه وإن أورد له في (العمدة) خطبتين من إنشائه، كما لم يُتَح ذلك لخَلَفه الأستاذ داود، وقد علمتُ أن له رسالةً في أسماء الأعشاب والأدوية المفردة في تذكرة الأنطاكي وجامع ابن البيطار بلهجة أهل تطوان، وشرحاً على همزية البوصيري وآخر على بردته، وقد أطلعني عليها حفيدُه الأستاذ الكبير مَحمد المأسوف على وفاته أخيرا، وهي بخطه.

وبعد وفاة السلطان المولى عبد الرحمن بمكناس في 29 محرم 276 بويع وَلَدُه وخليفتُه سيدي محمد وبَلَغَ الخبر أهل تطوان يوم 12 صفر عامه فَبَايَعوا الخليفة المذكور. وكتب الفقيه الأديب المفضل أفيلال الحسني العلَمي بَيعتَهم بماء الذَّهَب (أورد نصها الأستاذ داود في تاريخه، 3 : 368) وشهد فيها الفقهاء السلاوي واليعقوبي والرايس، وأدَّى شهادتَهم القاضي المترجَم، وأرسلوا بَيعتَهم وشكَّلوا وفداً للتهنئة برئاسة القاضي عزيمان من علماء وأشراف وأعيان البلَد، وعددُهم ستة عَشَر، وهم : القاضي محمد بن علي عزيمان، والحاج أحمد السلاوي، والمفضل أفيلال، والمكي بن عبد الوهاب، وأحمد بن التهامي الوزاني وعبد السلام ابن ريسون الخراط، والحاج أحمد اليعقوبي، وعبد الله الدليرو، وعبد الله عزيمان، والمهدي الشَّرقي، ومحمد كرِّيش، والحاج محمد الطريس، والحاج محمد اللبادي، والعربي الشَّوْدري، والحاج محمد الشُّربي، وأحمد أبري، ومحمد أجْناو وأربعة من الطبْجية وأربعة من البحرية، وخمسة من صُناع العُدَّة، وعشرة من المخزنية.

وفي يوم الأربعاء فاتح رجب الفرد الحرام عام 1313 توفي بمنزله بالدرب المسمى باسمه إلى الآن (درب عزيمان) بحي (الطرنكات) من تطوان، ودفن بزاوية العلامة الصالح سيدي علي بركة الأندلسي بالسوق الفوقي، وخلف ولَديْن فقيهين عدلين هما مَحمد (فتحا) وعلال رحم الله الجميع.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، 6 : 117، نسخة خاصة مصورة ؛ م. داود، تاريخ تطوان، 7 : 238، ط. تطوان، والمجلد الثاني عَشَر صفحة 152 من نفس التاريخ، بخط مؤلفه بخزانته بتطوان ؛ م. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، تنسيق، د. محمد حجي، 8، ص. 2804، ط. دار الغرب ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *العز والصولة في نظم الدولة*، 2 : 55، ط. الملكية بالرباط.

محمد بوخبزة

**عزِّماني، بن محمد** الطيب، ولد سنة 1914 ببني عتيق إقليم وجدة من أبويه محمد بن عبد الكريم وحليمة بنت الحاج محمد.

كام من الوطنيين المخلصين الذين دفعتهم غيرتهم الوطنية واستكمال الوحدة الترابية إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه في المنطقة الشمالية بمركز بني يزناسن ضمن الفرقة التي كانت تحت قيادة بلحاج بوبو.

وقد عرف الشهيد بين أفراد فرقته بالإخلاص والتفاني في العمل حيث شارك مشاركة فعالة في جميع المواجهات التي خاضها جيش التحرير ضد قوات الاحتلال إلى أن

استشهد رحمة الله عليه سنة 1956 واهبا روحه للحرية والاستقلال.

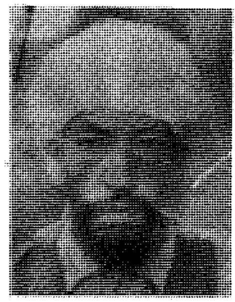

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520927.

**العزفي، أحمد** بن **أبي طالب** عبد الله، أحد أقطاب الشعر المغربي خلال العصر المريني، وأحد أمراء الأسرة العزفية التي حكمت مدينة سبتة ما يقارب القرن. اسمه الكامل هو : أحمد بن أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد العزفي. يكنى أبا العباس. ولد بسبتة وترعرع في أكناف احدى كبريات البيوتات السبتية رياسة ونبلا وكياسة وعلما. كان أبوه أبو طالب رئيسا لسبتة ورثها عن أخيه أبي حاتم، ثم عن الجد أبي القاسم، ثم عن الجد الأعلى أبي العباس محدث الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب. وهو أخ ابني أبيه أبي القاسم صاحب (*كتاب الإشادة*) ويحيى أبي عمرو (أو أبي زكريا) الذي تولى إمارة سبتة بعد محنة التغريب ورحلة العودة إلى الوطن. ففي بيت الحسب والرياسة تربى شاعرنا وتشبع من علوم عصره التي كانت تعج بها المجالس العلمية في سبتة. يصفه ابن الخطيب بأنه كان "فذا في الأدب، طرفا في الإدراك، مهذب الشمائل، ذلق اللسان، ممتع المجالسة والمحاضرة، حلو الفكاهة، يرمي كل غرض بسهم". وقد قال في حقه أخوه القاسم في كتابه *الإشادة* : "هو أخي، الذي بإخائه أزهو وأنتخي، وكبيري، المعتمد بإجلالي وتقديري، ولولا خوفي من أن يلزمني ما لزم مادح نفسه، لأطنبت في وصف ماله من المحاسن التي فاق بها أبناء جنسه، مع أنها لم تزل على منصة البيان مجلوة، وبألسنة الأيام متلوة" (*جذوة*، 2 : 398). لم يكن أبو العباس رجل سياسة فلم يتول رئاسة سبتة، وما نعت ابن الخطيب له بالرئيس إلا من باب التشريف. عاش ظروف المحنة والتغريب التي مرت بها الأسرة العزفية في عهد أميرها والده أبي طالب وذلك عندما انتفض محمد الثالث ابن الأحمر على السلطان يوسف بن يعقوب المريني، وانتزع منه سبتة بعد أن غدر بأهلها، ونقل أسرة بني العزفي إلى الأندلس وذلك في شوال سنة 705 / 1306. فنزلوا أولا في مالقة لدى أميرها فرج بن إسماعيل ابن الأحمر ابن عم الملك محمد الثالث منفذ عملية احتلال سبتة. ثم نقلوا بعد ذلك إلى حضرة ملك ابن الأحمر صاحب غرناطة حيث وصلوا إليها في محرم 706 / 1307. وهناك نسجت وشائج الصداقة بين ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم وأديبنا ساهمت في الحفاظ على كرامة أسرة بني العزفي التي عاشت في كنف ورعاية الوزير ابن الحكيم. يقول ابن الخطيب : "ودخلوهم على السلطان، [أن] الذي تنخل بمثله السخائم، وتذهب الإحن ؛ وخطب لنفسه، فاستمر حاله لطيف المنزلة، معروف المكانة، ملازما مجلس مدبر الدولة، مرسوما بصداقته مشتملا عليه بره".

يؤكد الإنتاج الأدبي الذي خلفه أبو العباس والذي مازال متناثرا بين بطون بعض المؤلفات مثل كتب ابن الخطيب والمقري والشريف السبتي في شرحه مقصورة حازم وغيره على تنوع الانتاج الفكري المغربي خلال العصر الوسيط، ويمثل الشخص أحد الأعلام الأدبية بل من خواص أدباء المغرب وشعرائه المبدعين. تتميز قصائده بمواصفات قلما وجدت في انتاجات أدباء عصره من المحسنات اللفظية والبديعية، مع الحفاظ على المعنى وتناسق الأغراض والمعاني إضافة إلى الفصاحة وحسن السبك وسرعة البديهة والدقة في التعبير حتى في أكثر المواضيع حساسية كشعر الوجدان، مما يدل على اتساع مخيلة الرجل وحضور ملكته الأدبية.

ابن الخطيب، *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، بيروت، 1400 / 1980، ص. 66 ـ 67 ؛ المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني، ص. 356 ـ 357 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1974، القسم الثاني، 398 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، تونس ـ القاهرة، الجزء الأول، ص. 11.

**العزفي، أحمد** بن **أبي القاسم** محمد بن أبي العباس العزفي اللخمي، ويعرف بأبي حاتم. من الأمراء العزفيين. تولى إمارة سبتة بعد وفاة أبيه أبي القاسم العزفي سنة 677 / 78 ـ 1279 إلا أنه لم يمكث فيها إلا سنة واحدة بحيث خلع عنها (*أزهار*، 2 : 377). ويفسر ابن الخطيب أسباب الخلع بقوله : "بحكم الاستقلال في ذلك، والاستبداد التام، من غير مطالعة لأخيه ولا رجوع إليه في شيء من الأمور، ولا تشوف من أخيه إلى ذلك، لخروجه البتة عنه، وإيثاره العزلة. واشتغاله. بنفسه" (*الإحاطة*، 3 : 384). وقد حدث ذلك في سنة 678 / 1280. ويبدو من خلال احدى الرسائل التي كانت من تدوين كاتب ديوانهم خلف بن عبد العزيز القبتوري والمؤرخة في سنة 682 / 1283 والتي صدرت باسم أبي حاتم إلى أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني، أن أبا طالب الذي كان يمارس السلطة الفعلية، احتفظ لأخيه بشرف السلطة الاسمية بحيث ظلت الوثائق الرسمية تصدر باسمه (*رسائل*، 65). كما أن مما يدل على الأهمية التي ظلت للرجل حتى بعد عزله عن امارة سبتة القصيدة الشعرية التي

أنشدتها في حقه شاعرة وأديبة الأندلس سارة بنت أحمد بن عثمان ابن الصلاح الحلبية عند قدومها على سبتة في أواخر المائة السابعة، مطلعها (جذوة، 2 : 525) :

بشراك يا نفس نلت السؤال والأمــلا
وعاد دهرك بعد الجور قد عـــــدلا
ونلت ما كنت طول الدهر تأملــــه
وعنك أضحى العنا والبؤس مرتحلا
فروض بشراك لا تذوي أزاهــــــره
وورد نشرك طيب قد صفا وحـــلا
وقد وصلت إلى بحر الندى علم الهد
ـدى أبي حاتم ابن السادة الفضـلا

يصفه ابن الخطيب بالأمير الصالح. حدث بسبتة وقرأ على يديه جلة من العلماء نذكر من بينهم محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري السبتي (*الإحاطة*، 3 : 201) وعبد المهيمن الحضرمي (*الإحاطة*، 4 : 12) توفي بسبتة في سنة 716 / 1317 (*وفيات الونشريسي*، 102 ؛ *لقط الفرائد*، 174).

القبتوري، *رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي*، تح. م. الحبيب الهيلة، المطبعة الملكية، الرباط، 1399 / 1979 ؛ المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزءان الثاني، والثالث ؛ الونشريسي، *وفيات الونشريسي*، تح. م. حجي، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1396 / 1976 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1974، القسم الثاني.

زوليخة بنرمضان

**العزفي، أحمد** بن **محمد** بن الحسين السبتي، ولد في 17 رمضان 557 / 16 ماي 1162 وتتلمذ على أبيه القاضي أبي عبد الله العزفي وعلى أشهر فقهاء ومحدثي الغرب الإسلامي أمثال الزاهد أبي محمد بن عبيد الله الحجري والقاضي أبي عبد الله ابن زرقون والخطيب أبي القاسم عبد الرحمان ابن حبيش وابن بشكوال وأبي بكر ابن خير وأبي القاسم السهيلي وأبي محمد بن الفرس وغيرهم، كما أجاز له جماعة من المشارقة. وقد عدد تلميذه الرعيني في برنامجه أهم المصنفات التي قرأها ورواها عن شيوخه.

تولى أبو العباس أحمد العزفي قضاء مدينة سبتة بعد أبيه، كما لزم التدريس بجامعها وتتلمذ عليه جمّ غفير من علماء الغرب الإسلامي. وقد أبرز مترجموه سعَة ثقافته الفقهية واطلاعه الواسع على التيارات المذهبيةَ وتبحُّره في علم الحديث خاصة. يقول الرعيني إنه كان "من خاتمة أهل العلم بالسنة والانتصار لها، نفعه الله، برز علماً وعملاً، ودراية، ورواية، وجمع خصالاً من الفضل جمة ولزم التدريس بجامع سبتة مدة عمره، ورحل الناس إلى الأخذ عنه والاستفادة منه، وكان على طريقة شريفة من التسنن واقتفاء السلف، والاكباب على سبل الخير كلها". بينما حلاه ابن أبي الربيع بـ "الشيخ الفقيه العالم العامل الأوحد الورع الفاضل الضابط الناقد المسند، بقية المحدثين". إن مؤلفات أحمد العزفي التي وصلتنا عاكسة ثقافته الواسعة هي التالية :

"*منهاج الرسوخ إلى علم الناسخ والمنسوخ*" (مخطوط) و"*دعامة اليقين في زعامة المتقين*" و"*الدر المنظم في مولد النبي المعظم*" (مخطوط) و"*إثبات مالا منه بُدَّ لمريد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمدّ*". أما تلك التي لم تصلنا فمنها برنامج مشيخته وكتابه "*الجمع بين معاني القرآن للفراء والزجاج*".

توفي بسبتة في 7 رمضان عام 633 / 30 غشت 1236.

أ. العزفي، *دعامة اليقين في زعامة المتقين*، تح. أحمد التوفيق، الرباط، 1989 ؛ أحمد العزفي (وولده أبو القاسم)، *الدر المنظم في مولد النبي المعظم*، تح. فاطمة اليازدي، د. د. ع. كلية الآداب، الرباط، 1987 ؛ *إثبات مالا منه بُدَّ لمريد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمدّ*، تح. محمد الشريف، ضمن منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، تح. *مصطفى السقا وآخرين*، القاهرة، 1949، ج 2، ص. 37 ؛ *نفح الطيب*، تح. احسان عباس، بيوت، 1988، ج 2، ص. 375 ؛ أ. بابا، *نيل الابتهاج*، تح. عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس، 1989، ص. 77، (حرِّف اسم عزفة إلى عرفة) ؛ ابن الشاط، *برنامج ابن أبي الربيع*، تح. عبد العزيز الأهواني، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، 1955، ص. 252 ـ 270 ؛ ليشام، (ديريك)، *بنو العزفي أصحاب سبتة*، تر. أمين توفيق الطيبي، في كتاب، *دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية*، طرابلس، 1989، ص. 64 ـ 66 ؛ ابن رشيد السبتي، *إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح*، تح. محمد الحبيب بلخوجة، تونس، 1974، ص. 105.

M. Cherif, *Ceuta aux époques almohade et mérinide*, L'Harmattan, Paris, 1996 ; J. D. Latham, al-Azafi, *Encyclpédie de l'Islam*, 2ème éd., Supplément, Livraison 1 - 2, p. 110 - 112.

محمد الشريف

**العزفي،** أبو **طالب عبد الله** بن محمد أبو القاسم بن أحمد أبو العباس العزفي، ويلقب بأبي طالب. تولى إمارة سبتة خلفا لأخيه المخلوع أحمد أبي حاتم وذلك في سنة 687 / 1280، وقد حكم سبتة مدة 27 سنة. وخلع عنها ليلة الأربعاء 27 من شوال سنة 705 / 1306 على إثر المؤامرة التي دبرها محمد الثالث من بني الأحمر بتواطؤ مع أحد قادة البحر في المدينة، وكلف بتنفيذها ابن عمه فرج بن إسماعيل بن يوسف بن الأحمر حاكم مالقة الذي اقتحم ميناء المدينة في أسطول مكون من 520 مركبا (*الجذوة*، 2 : 433). فاستسلم دون أن يبدي أية مقاومة حقنا للدماء. فنقل مع جل أفراد أسرته إلى غرناطة حيث مكثوا في كنف ذي الوزارتين ابن الحكيم، وذلك إلى حدود قيام الثورة في غرناطة والتي كان من نتائجها عزل الملك محمد الثالث ومقتل وزيره ابن الحكيم. فسمح لأبي طالب وأسرته بالعودة إلى المغرب. فنزلوا في فاس، وبها كانت وفاته في شعبان من سنة 713 / 1341 (*أزهار*، 2 : 377 ؛ *الإحاطة*، 3 : 385 ؛ *جذوة*، 2 : 433).

خصه ابن الخطيب بمجموعة من الأوصاف توحي بالتربية الأرستقراطية التي تلقاها في أحضان أسرته العزفية العالمة. يقول : "كان من أهل الجلالة والصيانة وطهارة النشأة، عظيم الهيبة، كبير القدر والصيت، عالي الهمة، شديد البأو، معظما عند الملوك، جميل الشارة، ممتثل الاشارة لديهم". تفنن في الحديث وتلاوة القرآن والتاريخ. من أساتذته أبو الحسن بن أبي الربيع (*الإحاطة*، 3 : 384 ؛ جدوة، 2 : 433).

المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني، ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثالث ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1974، القسم الثاني.

**العزفي، عبد الرحمان** بن **عبد الله** بن أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد العزفي. يكنى أبا القاسم. ولد سنة 685 / 1286 في بيت جمع بين شرف العلم والجاه والنبل والسياسة. سمع مع أبي جعفر بن الزبير، والقاضي ابن عبد الملك، وابن خميس وغيرهم وهو صاحب كتاب *"الإشادة، بذكر المشتهرين من المتأخرين بالافادة"* أو *"الإشادة بذكر المشهورين من المتأخرين بالإجادة"* (كما ورد عند المنوني في *المصادر*، 82). ألفه الفقيه عبد الرحمان خصيصا لدى الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم صاحب ديوان الإنشاء في دولة بني نصر في غرناطة. وكان قد أهداه إليه من باب المن بالفضل والاعتراف باليد الطولى التي مدت إلى أسرة بني العزفي بعد أن سلب منهم ملكهم وسيقوا غرباء إلى غرناطة أيام حكم محمد بن نصر الثالث منفذ عملية احتلال سبتة. يصنف الكتاب حاليا ضمن الكتب المفقودة. والملاحظ أن المقري اعتمده كمرجعية أساسية في كتابه *أزهار الرياض* الذي يحوي بين طياته قطعا مهمة من هذا المؤلف، من بينها أشعار أخيه أبي العباس العزفي في مدح ابن الحكيم المذكور (*أزهار*، 2 : 357). كما خلف قصائد شعرية مطولة تناولت مواضيع مختلفة احتفظت بعض أمهات الكتب بقطع منها.

توفي قرب زوال يوم الأربعاء 13 من رجب الفرد من عام 717 / 17 . 1318 بالدرب الطويل من فاس (*أزهار*، 2 : 357؛ *جدوة*، 2 : 398).

م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الرباط، 1404 / 1983، الجزء الأول ؛ المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني، ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1974، القسم الثاني.

**العزفي**، أبو **القاسم محمد** بن أحمد أبو العباس العزفي. يكنى أبا القاسم. ولد بسبتة في منتصف شوال عام 607 / 1211 (*أزهار*، 2 : 374). تربى ونشأ في أحضان بيت علم وحسب. وقد تشبع من علوم عصره، فكان أبوه أول أحادثه، وجل قراءاته كانت عليه. لقد جمع بين الزعامة الروحية والسياسية، فقد كان يترأس مجلس شيوخ أهل سبتة، المجلس الذي لعب أدواراً مهمة على مستوى الأحداث التي عرفتها المدينة منذ بداية تاريخها الإسلامي. ويعتبر الزعيم الروحي للثورة التي قام بها أهالي سبتة بتحريض من قائد البحر أبي العباس حجبون الرنداحي بعدما ذاق أهالي المدينة درعا بالحكم الحفصي. فكان قيامه بسبتة ليلة 27 من رمضان عام 647 / 49 . 1250، انتهت بمقتل والي سبتة أبي عثمان بن خالد وكبار جنده وطرد الآخرين. اعترف بالسيادة الموحدية في شخص الخليفة المرتضى (*البيان*، 398 ؛ *العبر*، 7 : 383). وقد ظل يتبادل الرسائل مع الخليفة الموحدية على الأقل إلى حدود ذي القعدة من سنة 658 / أكتوبر 1260. كما حافظ في نفس الوقت على علاقات جيدة مع المرينيين الذين بدأوا يوسعون نفوذهم في اتجاه الشمال. وفي سنة 660 / 1262 استطاع أن يرد على محاولة محمد الأول النصري لاحتلال سبتة. كما استولى على بعض القطع من أسطوله. إلا أن تدهور الأمن في المضيق وغياب سلطة قادرة على حماية المنطقة، دفعت أبا القاسم إلى اتخاذ سياسة عسكرية حمائية أكثر صرامة، تمثلت في ضم طنجة إلى ملكه بعد مقتل حاكمها ابن الأمين، كما استولى على أصيلة التي كانت مهجورة، وهدم أسوارها (*العبر*، 7 : 384).

لقد نهج أبو القاسم العزفي سياسة المعادلة في علاقاته مع القوى الإسلامية المتنازعة في أقصى الغرب الإسلامي موحدين ومرينيين ونصريين. كما أبدى اهتماما كبيراً بقضية الجهاد في الأندلس، لذلك عمل على دعم الحركة الجهادية، وتيسير عملية مرور الغزاة من بني مرين عبر سبتة إلى الأندلس قصد الجهاد وإغاثة بني جلدتهم (*الذخيرة*، 68). كما أنه في عهده حدث تقارب من جديد بين سبتة وجنوة، وذلك في سنة 665 / 1267 بحيث عينت قنصلا عاما لها يقيم في سبتة، ويتولى مهمة الإشراف على جميع قناصلتها في بلاد البربر والأندلس. كما وقعت سبتة في عهده معاهدة صلح مع مملكة الأرغون في 4 أبريل 1269. وتعد أول معاهدة توقع بين سلطة مغربية ومملكة الأراغون (*L'Espagne*, 163).

إن الاستقرار الذي شهدته سبتة في عهد أبي القاسم العزفي، أفرز الازدهار الفكري الكبير الذي شهدته المدينة خلال هذه الفترة، كل ذلك برعاية من صاحبها وأميرها أبي القاسم. من أهم انجازاته بناؤه لمسجد مقبرة زجلو الذي يعتبر ثاني مسجد في سبتة بعد المسجد الأعظم من حيث الكبر وجمالية البناء (*اختصار*، 33) وقد اتخذه مكانا للاقراء والتحديث به. كما درس بجامع سبتة الأعظم. يشير إليه المقري بالفقيه الاصولي النحوي اللغوي المحدث العارف بالرواية، الشاعر المجيد (*أزهار*، 2 : 377). تتلمذ عليه جملة من خيرة علماء بلده والأندلس من بينهم محمد بن علي بن يوسف بن قطران الأنصاري (*الإحاطة*، 3 : 203)، وأحمد بن عبد الله الأنصاري الرصافي (درة، 1 : 33)، ومحمد بن يوسف بن علي أثير الدين أبو حيان الغرناطي (*الإحاطة*، 2 :

43)، ومحمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى الكتامي، وأبي عبد الله بن مدراس الأشيري (*الذيل*، 1 : 356 ـ 357)، والخطيب أبي علي بن الخطيب أبي فارس بن غالب الجمحي (*أزهار*، 2 : 376). من الآثار الفكرية التي خلفها أبو القاسم العزفي أنه أكمل ما بدأه أبوه في تأليف "الدر المنظم، في مولد النبي المعظم". كما أنه خلف مجموعة من المراسلات كانت من تدوين كاتب ديوانه خلف بن عبد العزيز بن محمد الغافقي القبتوري (*رسائل*، 53). ويعد ما وصلنا منها قليل بالنظر إلى المدة الطويلة التي قضاها أبو القاسم في السلطة، وبالنظر أيضا إلى ما كانت تقتضيه علاقاته المعقدة مع القوى الإسلامية، بني زيان وبني نصر والموحدين والمرينيين والحركة الجهادية التي كان يعتبر أحد كبار دعاتها والمحرضين للقبائل عليها، من مراسلات وخطب وغيرها.

المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزءان الثاني والثالث ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1403 / 1983 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، قسم الموحدين، تح. محمد إبراهيم الكتاني، محمد زنيبر، محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406 / 1985 ؛ القبتوري، *رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي*، تح. محمد الحبيب الهيلة، المطبعة الملكية، الرباط، 1399 / 1979 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بن شريفة، الرباط، 1984، القسم الأول ؛ ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، تونس ـ القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الأول.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIème et XIVème siècles*, T. D de 3ème cycle, Aix -Marseille I, 1987 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIème et XIVème siècles*, Paris, 1966.

**العزفي، محمد** بن **محمد** بن **أبي القاسم**، محمد ابن أبي زكريا (أو أبي عمرو) يحيى بن أبي طالب عبد الله ابن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد بن القاضي الخطيب محمد اللخمي العزفي. يكنى أبا يحيى. أحد الأدباء من أسرة بني العزفي السبتية وشعرائهم البارزين. التقى به أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر بفاس في حضرة بني مرين وكان من بين ما أنشده في مدح سلطان بني مرين أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن علي عند فتحه لتلمسان ودخولها وما نجم عن ذلك من فرار سلطانها من أسرة بني زيان المتوكل على الله أبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمان بن يحيى بن يغمراسن إلى الصحراء قصيدة مطلعها (*نثير الجمان*، 122 ؛ *جذوة*، 1 : 306).

أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر، *نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان*، تح. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1976 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973، القسم الأول.

**العزفي، محمد** بن **يحيى** بن أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد بن القاضي الخطيب محمد اللخمي العزفي. يكنى أبا القاسم. ولد وترعرع أيام عنفوان الإمارة العزفية بسبتة في شوال من عام 699 / 1300. أمه عائشة بنت إبراهيم بنت عم أبيه. تولى حكم سبتة بعد موت أبيه أبي عمرو يحي في شعبان من عام 719/ 1320 ـ 19. وخلع في صفر عام 720 / 1321 عند قيام ابن عمه عليه. فكانت مدة رئاسته ستة أشهر (*أزهار*، 2 : 378 ؛ 2 : 242). ويعد آخر أمراء سبتة من أسرة بني العزفي التي حكمت المدينة انطلاقا من سنة 647 / 49 ـ 1250. فانتقل إلى غرناطة، وهناك عاش في كنه صاحبها الأمير النصري إسماعيل بن فرج الذي حكم غرناطة ما بين 713 / 1314 و725 / 1325. فجرت عليه جراية واسعة، ونال رعاية ذوي الأمر نظرا لنباهة مكانته وعلو مقداره. ثم عاد إلى فاس وتولى بها الكتابة لملوك بني مرين. كما اشتغل بها في الخطط الفقهية (*جذوة*، 300). ويذكر أن أبا عنان المريني رشحه لتولية حكم قسطنطينة عند فتحه لها، إلا أن محمدا رفض الابتعاد عن الولد والبلد، فتركه السلطان لحاله (المقري، 2 : 378).

يصفه العسقلاني بأهل البراعة والذكاء. وقد اشتهر بأدبه، وقام له سوق نافقة ؛ بحيث كانت له قدرة كبيرة على النظم مع قوة نفس في استخراج معميات الأدب، إضافة إلى معرفته بالتاريخ ومشاركته في فنون شتى مثل الطب الذي دون فيه كما يقول ابن الخطيب (*الإحاطة*، 3 : 11 ؛ *نثير الجمان*، 120 ؛ *الدرر*، 4 : 281).

استقر في حضرة ملوك بني مرين بفاس كاتبا لإيالتهم إلى أن توفي بها ليلة السبت 11 صفر عام 768 / 1367 (*لقط*، 213 ؛ *جذوة*، 300 ؛ *درة*، 2 : 242).

المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثالث ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس، في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، تونس ـ القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الثاني.

**العزفي، يحيى** بن **أبي طالب** عبد الله بن محمد أبي القاسم بن أحمد أبي العباس العزفي اللخمي. يكنى أبا عمرو (وأبا زكرية). ولد بسبتة في رمضان من سنة 677 / 1279 ـ 78. عاش محنة التغريب مع أبيه الأمير أبي طالب وباقي أسرته عندما غدر بهم الأمير فرج بن إسماعيل النصري. بعد خلع محمد الثالث النصري على إثر ثورة غرناطة، وعودة سبتة إلى الحكم المريني، سرح لهم بالعودة إلى الوطن فاستقروا بفاس، وهناك ارتبطت وشائج الصداقة بين الأمير العزفي أبي عمرو يحيى والأمير المريني أبي سعيد فارس بن عبد الحق (*العبر*، 7 : 515). وعندما اعتلى هذا

الأخير عرش بني مرين، ابتسم الحظ من جديد لبني العزفي، فعين أبا عمرو حاكما على سبتة، بينما عين أخويه أبا زيد عبد الرحمان قائداً للاسطول وأبا الحسن رئيسا على دار الصناعة، وذلك في سنة 710 / 1311. الا أن ثورة الأمير أبي علي على أبيه أبي سعيد كان من نتائجها نزع السلطة من يد يحيى بن أبي طالب وترحيله من جديد مع باقي أفراد أسرته إلى فاس. إلا أن الإسراع بالقضاء على ثورة الأمير المتمرد، واستتباب الأمر مجدداً لأبي سعيد، عجل من عودة أبي عمرو إلى سبتة وذلك في سنة 714 / 1315. إلا أن هذه العودة كانت مشروطة بترك رهينة من أبناء الأمير أبي عمرو يحيى في بلاط السلطان المريني، الشيء الذي سيؤدي إلى تعكر الجو بين الطرفين، وبالتالي ستتولد نزعة التمرد لدى الأمير العزفي يحيى، بحيث تملص من أداء المستحقات عليه من الإتاوات اتجاه السلطان المريني، وأعلن استقلاله مستعينا بمجلس الشيوخ في تسيير أمور المدينة. كما أحضر عبد الحق بن عثمان أحد أمراء بني عبد الحق، وشيخ الغزاة المتمردين عن السلطة المرينية واللاجئين بالأندلس، وعينه قائداً للجند (*Ceuta*, 109). والملاحظ أنه اعتبر أول من ركب بالرمح والسيف من بني العزفي، وجند الجنود (*أزهار*، 2 : 378). وقد برهن عن تفوقه في حماية المضيق بأن بث بحارته ضد القراصنة المسيحيين (*L'Espagne*, 466). كما واجه المرينيين عند حصارهم للمدينة، وكبدهم الهزيمة وسبب الارتباك في صفوف جيوشهم، الشيء الذي ساهم في اتجاح المكيدة التي كانت من تدبير القائد عبد الحق بن عثمان، من فك سراح الرهينة ابن الأمير يحيى العزفي (*الإحاطة*، 3 : 537). إلا أن يحيى بن أبي طالب بعد أن استرجع ابنه اختار المصالحة، فاعترف من جديد بالسلطة المرينية مقابل دفع الإتاوات المترتبة عليه، وبعث هدية ثمينة إلى السلطان على رأس كل سنة (*الإحاطة*، 4 : 341 ؛ *Ceuta*, 109).


الرعيني، *برنامج شيوخ الرعيني*، تح. إبراهيم شبوح، دمشق، 1381 / 1962، المقدمة ؛ المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزءالثالث ؛ الونشريسي، *وفيات الونشريسي*، تح. محمد حجي، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1396 / 1976 ؛ ابن خلدون. *تاريخ العلامة ابن خلدون أو كتاب العبر*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، المجلدان السادس والسابع.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIème et XIVème siècles*, T. D. de 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIème et XIVème siècles*, Paris, 1966.


زوليخة بنرمضان

**العزفيون** من الأسر العربية الشهيرة التي استقرّت بسبتة، ينتمون على أشهر الروايات إلى المناذرة اللخميين من عرب اليمن. عُرفت هذه الأسرة بالعلم أولاً حتى منتصف القرن السابع الهجري ثم بالعلم والسياسة معاً حتى أواخر العقد الثالث من القرن الثامن، ويظهر أن هذا المجال الأخير هو المقصود فيما ذكر عن العزفيين من أنّهم "كانت لهم الرئاسة بسبتة".

من أقدم من وصف منهم بالعلم - حسبما وقع بين أيدينا من مصادر - "الفقيه الإمام علي" بن محمد بن سليمان بن محمد (المعروف بابن أبي عزفة)، وهو من رجال القرن الرابع حيث ذُكر أنّه كان من معاصري الفقيه أبي زيد القيرواني (*أزهار الرياض*، 2 : 374 ؛ *ترتيب المدارك*، 6 : 215 - 222). ويختلف التجيبي عن المقّري وابن الخطيب في نسب المذكور فيجعله "علياً بن حسين بن سليمان اللخمي ثم العزفي"، كما يختلف معهما حول ذرية المذكور.

وورد عالم آخر هو أبو عبد الله محمد والد أبي العبّاس أشهر علماء الأسرة الآتي ذكره، وهو ممّن أخذوا عن القاضي عياض ؛ وقد وصف "بالشيخ الفقيه القاضي العالم المحدّث". ويظهر أنه اشتغل بالقضاء في بلده سبتة أيام المرابطين.

أما أشهر رجال الأسرة العزفية علماً فهو أبو العبّاس أحمد بن أبي عبد الله محمد المذكور قبله، وقد عاش في أواسط العصر الموحدي حيث توفّي سنة 633 ؛ وقد وصفه المقّري "بالشيخ الفقيه، الإمام، العارف، العالم، علم العلماء العاملين المتقنين، ونخبة الفضلاء الصالحين المتّقين".

ومن مؤلفاته :

- *منهاج الرسوخ إلى علم الناسخ والمنسوخ*.
- *إثبات ما لا منه بدّ، لمريد الوقوف على حقيقة الدّينار والدّرهم والصّاع والمدّ* (وهذا ما يدلّ على درايته بأمور الحسبة).
- *دعامة اليقين في زعامة المتّقين*.
- *الدّرّ المنظّم في مواد النّبيّ المعظّم*، بدأه أبو العبّاس وأكمله ابنه أبو القاسم ؛ وكان الغرض من تأليفه حثّ النّاس على إقامة عيد المولد النّبوي وترك ما كانوا يهتمّون به من أعياد النّصارى وعوائدهم.

أمّا أبو القاسم محمد ابن أبي العبّاس المذكور فقد اشتهر أيضاً في ميدان العلم، فوصف "بالشيخ الفقيه الفاضل، العلم الأوحد، السّنيّ، المبارك الأكمل". وما عُرف به من مؤلفات هو إكماله لكتاب أبيه (*الدّرّ المنظّم*). ونظراً لانشغاله بشؤون الإمارة التي أنشأها سنة 647 فقد غلب على تراجمه منذئذ الجانب السياسي على الجانب العلمي رغم اتّصال صفة الفقيه باسمه.

إن وضعية الإمارة العزفية اضطربت مع مطلع القرن الثامن (14 م) في ظلّ توتّر العلاقة بين المرينيين وأمراء تلمسان حلفاء النصريين ضد المرينيين. وتتحدّث إحدى رسائل السلطان يوسف عن تلكّؤ أمير سبتة في دفع ما تراكم عليه من خراج سنوي "إنّ الخنّاق صاحب سبتة ترتّب لنا عنده مائة ألف دينار من الذّهب في هذه السّنين السّالفة وهي الواجبة عليه المعتادة، فلمّا طُلب منه صار يعاملنا بالتّسويف ..."، وقال ابن أبي زرع "وكان قد فسد حال أهلها عند أمير

المسلمين يوسف وقطع عنهم جميع المرافق" ؛ واتّفق هذا مع أطماع النّصريين في سبتة وتهييئ الجو لاحتلالها، وهذا ما يظهر من عقد صلح بين غرناطة وأركون، ومما ورد فيه "وإن اتّفق أن يرجع إلى طاعتنا بلد من بلاد العدوة [المغرب] أو ناس من أهلها فيكون حكمهم في ذلك [العقد] كحكم سائر بلادنا الأندلسية" ؛ وعندما عزم النصريون سنة 705 على احتلال سبتة تمّ التنسيق بين صاحب مالقة وابن مخلص قائد قصبة سبتة الذي كانت علاقته - فيما ذُكر - متوتّرة مع الأمير العزفي، فتمّ احتلال المدينة ونفي العزفيون إلى غرناطة. كانت هذه السياسة النصرية المعادية للمرينيين تدخل أيضاً في إطار الضغط عليهم لفك حصارهم الطويل على تلمسان الحليفة التقليدية، وهو حصار ابتدأ منذ سنة 698 ولم ينته إلا باغتيال السلطان يوسف سنة 706. وأضاف النصريون إلى احتلال سبتة إنزالهم بشمال المغرب أحد المنافسين على العرش من العائلة المرينية الحاكمة وهو عثمان ابن أبي العلاء فانتشرت عملياته في الريف من تازة إلى منطقة القصر الكبير إلى أن هزم سنة 608 فعاد أدراجه إلى الأندلس لينصب شيخاً "للغزاة" المغاربة بالأندلس ؛ وتمكّن المرينيون في السنة اللاحقة من استرجاع مدينة سبتة إلى نفوذهم المباشر.

أمّا بنو العزفي المنفيون بالأندلس فقد عادوا إلى فاس، ثم منحهم السلطان أبو سعيد إمارة سبتة مرّة أخرى سنة 714 في شخص الأمير أبي عمر يحيى، ذكر ابن أبي زرع أنّ السلطان أبا سعيد : "ولّى القائد يحيى بن الفقيه أبي طالب العزفي مدينة سبتة، وفوّض إليه في جميع أمورها، وعقد له على أسطولها". ثم خلفه ابنه أبو القاسم محمد عند وفاته سنة 719، قال ابن الخطيب "انتهت إليه رئاسة سلفه ... ثم كلح له الدّهر بعدما تبسّم ... [وذلك بسبب] ما كان من تغلّب ابن عمّه، واستقرّ بهذه البلاد [الأندلس] نائي الدّار.. وإن كان نبيه المكانة والمقدار..".

ويظهر ابن عمّه الذي خلعه من الإمارة هو أحمد بن أبي طالب الذي وردت ترجمته عند ابن الخطيب حيث أورد ضمنها عبارة "وخطب لنفسه"، فلا نجد في هذه الترجمة غير هذه العبارة الدّالة على نشاط سياسي معيّن، فقد يكون هذا آخر أمراء سبتة من العزفيين حيث ألغى السلطان أبو سعيد نظام الإمارة فيها سنة 728، وعيّن عليها ولاة من قبله كسائر ولايات المدن الأخرى.

وهكذا يمكن القول إن مكانة سبتة الجغرافية والاستراتيجية وأهميتها الاقتصادية ووجود طبقة هامّة من رجال العلم بها وبعض الأسر الشهيرة أعطتها مكانة متميّزة من بين المدن المغربية، فتمتّعت بنوع خاصّ من الحكم في ظل العزفيين استقرّ بشكل عام خلال النصف الثاني من القرن السابع خاصة في ظلّ أبي القاسم، ثم اضطربت أحوالها في العقود الثلاثة الأولى من القرن الثامن فانتهت بذلك تجربة للحكم "الذاتي". غير أن أهميّة المدينة استراتيجياً وتجارياً كما ذكرنا جعلتها عند تدهور السلطة المركزية المغربية وتزايد نفوذ القوى الأيبيرية عرضة للاحتلال ابتداء من سنة 818 / 1415 ومازالت تنتظر خلاصها من هذا الاحتلال.

أبو العباس أحمد (ابن أبي عبد الله محمد)

1) أبو القاسم محمد (647 - 677)

2) أبو حاتم أحمد (677 - ...)   3) أبو طالب (... - 705)   أبو الوفاء

6) أحمد ؟ (... - 728)   4) أبو عمر يحيى (710 - 711) (714 - 719)   عبد الرحمن

5) أبو القاسم محمد (719 - 720)

شجرة نسب الأمراء العزفيين

ابن أبي زرع، *القرطاس*، 311 - 312 - 330 - 334، ط. 1973 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 383 - 385 - 389 - 418 - 419 - 473 - 474، ط. بيروت، 1968 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، 1 : 278 - 284، 2 : 11 - 17، ط. القاهرة، 1973 - 1974 ؛ المقري، *أزهار الرياض*، 2 : 374 - 378، ط. 1978 ؛ أ. عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله* ؛ أحمد التوفيق، مقدمة كتاب، *دعامة اليقين في زعامة المتّقين*، لأبي العباس العزفي، ط. الرباط، 1989 ؛ م. الحبيب الهيلة، مقدمة كتاب، *رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي*، الرباط، 1979.

أحمد عزاوي

**العزيب** كلمة تعني السكنى الثانوية التي تُخصص لرعاة الدشور سواء بالمناطق المنخفضة المجاورة (الازغار) أو بالمناطق الجبلية المرتفعة، أي بالمراعي العليا أو المنتجعات الجبلية (ألْمُو - تيشكا). ذلك أنه يحدث أن عناصر أو أفراداً من الدوار أو الدشر "يعزبون" بقطعان مواشيهم أو لحراسة مزروعاتهم وتكوين عزبان، في حين يبقى كبار العائلات بالدواوير أو الدشور حيث توجد السكنى الرئيسية. ونجد عند سكان الدير بالمغرب نوعين من العزيب أحدهما بالجبل (أدرار) والآخر بالسهل (أزغار). وتكمن مهمة العزيبين في إيواء الرعاة والماشية خلال فترات الانتجاع الفصلي، بحيث تكون هناك في فصل الشتاء حركة نُجعة نازلة نحو العزيب السهلي، وخلال فصل الصيف تكون هناك حركة نجعة صاعدة نحو العزيب الجبلي. ويكون العزيب بالجبل كما هو الحال بالأطلس الكبير الأوسط أحياناً عبارة عن مغارة أو كهف طبيعيين أو يتم حفرهما تحت طبقة صخرية صلبة (انظر الصور). ويكون الحفر في الطبقات الصخرية الهشة السفلى وفي عدة مواضع لتكوين مجالات كافية لإيواء قطعان الماشية. ويتم إغلاق هذه المغارات والكهوف بجدران من الحجارة. وعند المخارج تُشيَّد أكواخ من حصائر القصب. أحسن مثال على ذلك عزيب إمَرْغَانْ ببلاد الخلا حيث يقضي الرعاة فصل الشتاء (انظر الصور).

وأحياناً أخرى يكون العزيب عبارة عن خيام كبيرة، حيث تُرسل الماشية إلى المراتع مصحوبة بالعَزَّابة إما نحو الجبل أو نحو السهل، لكن هذه الحركات الأخيرة توقفت مع الربع الثاني من القرن (20 م) لظروف اجتماعية واقتصادية جديدة، في حين استمرت عمليات التعزيب بالمجالات الجبلية العليا وفي مناطق مُحددة وتحت مراقبة الدولة (تملك الغابة من طرف الدولة والتكلف بحمايتها).

العزيب المعزل أو العزيب المنحى

هنا نميز بين العزيب من حيث شكله ووظيفته : فالعزيب في شكله ومدلوله المولوي قريب جدا من مفهوم القُصَيْر الريفي الذي كان سائداً في أوربا بالقرون الوسطى. وهو عبارة عن مبنى يُقام بالضيعات ويُخَصَّصُ للسكن. وهو يعكس التمايز الاجتماعي إذا ما قارنا بين سكنى السيد والمساكن التي يتجمع فيها المخابرون من خماسة وخدم وبيازرة. ونجد بالارياف المغربية أنواعاً كثيرة من العزبان ـ القصور التي يُمكن ارجاعها إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي :

العزيب الدادسي، العزيب الشاوي ثم العزيب الحوزي ويعتبر كل من العزيب الحوزي والعزيب الشاوي أنموذجاً للعزيب المعزل.

العزيب الشاوي

كان هذا النوع من العزبان كثير الانتشار بالخصوص بالشاوية العليا إذ كان يشكل العنصر الرئيسي في المشهد الريفي. وكان يتكون من مبنى صلب من الحجارة يُطلق عليه اسم الدار التي تخصص لسكنى الملاك العقاري. وتتميز الدار من حيث شكلها وغناها عن مساكن البيازرة المزارعين الهزيلة المكونة من "نوالات" أو من أكواخ من القصب مُغطاة بالقش والطين ومتكدسة بالقرب من سكنى السيد.

العزيب الحوزي

هنا أيضاً نجد تناقضاً تاماً بين عزيب (سكنى) السيد الملاك ودوار البيازرة والخدم، بحيث سكنى الملاك عبارة عن قلعة مُحصنة بجوارها ثكنة للحراس. ثم هناك جناح مُخصص للترفيه يُدعى "المنزه". وسكنى السيد عبارة عن دارة أو قُصير ريفي، في حين سكنى البيازرة والخدم عبارة عن "نوالات" وبذلك يبدو العزيب عبارة عن مَنْحى شبيه بقيلات القرون الوسطى بأروبا. وهو سكن مدروس حسب أسلوب مُسبق. والعلاقة بين السيد والمزارعين والخماسة هي علاقة تبعية اقتصادية وليست علاقة دموية. ذلك أن عملية اقتناء الملاك للأرض غالباً ما كانت موضوع اعتراض ومنازعة لأنه يتم الاستحواذ عليها باستغلال النفوذ. وأحسن مثال على ذلك عزيب بويدة للقائد الگلاوي ببلاد زمران بالحوز الشرقي. لذلك يقوم الملاك بجلب اليد العاملة الأجنبية عن المنطقة التي تم الاستحواذ على أراضيها. وذلك بهدف التقليل من مخاطر الاصطدام والنزاع مع السكان المحليين.

ومن المحتمل أن أولى العزبان مُنِحَتْ مع السعديين، ثم تطورت عمليات منحها مع السلاطينَ العلويين الأوائل، حيث وُزِّع العديد منها على الغلايين وعلى الشرفاء الأدارسة وغيرهم كالوزانيين بمقدمة تلال الريف والمصلوحيين بحوز مراكش. وقد مُنِحَتْ عزبان زاوية تامصلوحت على شكل اقطاعات تمليك، حيث استغل المصلوحيون نفوذهم كزعماء دينيين فاستولوا على أراضي شاسعة بسهل الحوز، وكوَّنوا عزائب جلبوا إليها مياه الري بحفر الخطارات وشق السواقي، وحظيت برعاية السلاطين (انظر الوثيقتين 1 و2). وما زالت أسماء العزبان والجنان والعزابة تمثل شاهدةً. أما بمقدمة الريف فإن الوزانيين أصبح لهم في عهد المولى إسماعيل تأثير قوي بمدينة فاس ونواحيها خاصة ببلاد الحيانية شمال المدينة. وقد شكلت العزبان الممنوحة لهم بتلك المناطق حزاماً مقوماً ممتداً بين مدينتي وزان غرباً وفاس شرقاً، لكنها كانت أكثر تركزاً بالقرب من المدينتين. وكانت هذه العزائب تحتل مجالات مهمة بسهل العزب الأعلى (Le Coz, 1964). ويتوقف امتدادها المجالي جنوباً بسبب توسع الملكية الحضرية الفاسية ووجود أراضي الجيش وزاوية زرهون. كما لم تتمكن من التوسع شمالاً في بلاد جبالة أو شرقاً ببلاد زناتة.

وقد كشف Michaux-Bellaire عن خمسة أشكال من العزبان ببلاد الحيانية شمال مدينة فاس :

- يمنح السلطان الأرض ومن يستقر بها.
- يمنح السلطان الإنتاج دون الأرض.
- يمنح السلطان الضرائب دون الأرض.
- يمنح السلطان سكان الأرض التي هي مُسبقا في حوزة شريف.
- يشتري الشريف الأرض ويُسْكِنُ فيها مزارعين مأجورين.

والشكل الأول هو الأكثر مصادفة وشيوعاً، بحيث يُشير الظهير الذي يُعْطَى العزيب بمقتضاه إلى الأرض، والسكان، والمنتوجات والضرائب. ويُسمى سكان العزيب عَزَّابة ويُقال لهم المسلمون أو الأصحاب النازلون كما هو الحال بعزبان الشريف السيد الحاج محمد بن سعيد المصلوحي بحوز مراكش والسابقة الذكر. وعندما يموت أحد العزَّابة ترجع ممتلكاته للشريف ماعدا إذا كانت له ذرية وارثون مباشرون والذين يلزمهم العمل لصالح الشريف.

وقد عرفت عزائب الشرفاء هذه تحولات تمثلت في المرور من العزبان التقليدية إلى القرى الأبعدية ثم الانتقال من نظام العزَّابة المسلمين إلى نظام العزَّابة المأجورين. ذلك أن الظهائر التي مُنحت بموجبها العزائب لا تتضمن عقداً فردية مع الأشخاص المسلمين مع الأرض. لذا فضل الشرفاء تأجير الأجانب عن المنطقة والذين تقل متطلباتهم بالمقارنة مع العزابة المسلمين المحليين. وفي نفس الوقت الذي أدَّت فيه هذه التحولات إلى تغيير المفهوم الأول الأصلي للعزيب، فإن الشرفاء أنفسهم تدهور نفوذهم الديني. وقد أدى هذا التطور، وبكيفية واسعة، إلى تحويل العزيب إلى ملكية خاصة شبيهة بالملكية الحضرية، لأن الشرفاء يستقرون بالمدن ولا يشرفون مباشرة على استغلال أراضيهم، بل يعينون واحداً منهم لمراقبة البيازرة يُدعى "النائب".

ففي النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م)، تمكن التجار الحضريون بفاس من اقتناء أراضي شاسعة عديدة بمنطقة الحيانية شمال المدينة مستغلين فترات الجفاف والمجاعات من 1936 إلى 1946، ممَّا أدى إلى تكوين ملكيات كبيرة جديدة شبيهة بعزائب الشرفاء العلويين والوزانيين من حيث تنظيم البيزرة، حيث طُبِّقَ مفهوم العزيب توسعاً عليها وعلى العزبان التقليدية "التاريخية". وهكذا أصبحت عدة عزبان تحمل أسماء عائلات فاسية غنية كعُزبان الحجوي، الطاهر والسلماني ... ومن الدوافع التي دفعت الحضريين الفاسيين لاقتناء هذه العزائب، الترفيه والنزهة والتسلية بالبادية. ثم إن الأرض هي أحسن مجال لإيداع المال، لأن التجارة غير محمية من التأثيرات السياسية الحربية، ومن الأزمات السلطوية والنزاعات الأهلية. لهذه الأسباب أخذت الأرض مثل تلك الأهمية في الحياة الاقتصادية للمدينة.

يعطي الملاك صاحبُ العزيب الأرض ونصف البذور وتكاليف الانتاج، في حين يعطي العزَّابُ "الزوجة" والنصف الثاني من البذور وتكاليف الإنتاج. أما العمل يحسب وحده، بحيث يأخذ العزَّاب خمس الانتاج قبل قسمة هذا الأخير مناصفة. هذا إذا قام العزَّاب بالعمل بنفسه. أما إذا استعان بالخماس أو الخماسة، فإن الخمس يعود إليهم. هذه الشراكة حسب الخدمات المنجزة لم تكن سوى أنموذج نظري، لأنه في معظم الحالات، كانت العقد الحقيقية تُثْقِلُ العزَّابة بدل أن يتم تقسيم الأعمال. ذلك أن تكاليف الانتاج والضريبة كل ذلك كان يتحمله العزابة وحدهم، لأنه في الحقيقة كانت لعُقَد العزَابَة بعض الخصوصيات التي لا تظهر في شكلها القانوني، والتي تميزها عن عقد الشركات الفلاحية العادية. فهي أولا عقد قارة تميز العزابة البيازرة، وتربط هؤلاء باستمرار بالملاكين، بحيث يظل العزَّابة مستقرين بنفس العزبان عند نفس الملاكين. وهم عزَّابة أبناء عزَّابة ظلوا يخضعون لنفس تعاقدات العزابة. فالعزابة بالنصف هم أبناء عزَّابة بالنصف، والعزَّابة بالثلث هم أبناء أو حفدة عزَّابة بالثلث. وبذلك كانت تعاقدات العزَابة تعاقدات تبعية وخضوع لا ترتكز على المساواة بين الأسياد أصحاب العزائب والعزَّابة. ذلك أن عناصر التعاقد تُشير إلى امتيازات المالك ثم إلى الارتباط الفردي بينه وبين العزَّاب المرتبط بالملاك ارتباطاً شبيهاً بارتباط الخماس بسيده.

وكانت العزائب بهذه المنطقة تختلف من حيث الأهمية حسب المساحة ومن حيث كتلة العمل.

وكان نظام الاستغلال بالعزبان الحوزية أكمل ما يكون، وبدون منازع، بالعزائب المولوية أو بعزائب الأسياد مثل عزيبي "بويدة" و "مرس البغال" ببلاد زمران بالحوز الشرقي واللذين كانا في حوزة باشا مراكش الكلاوي كما سبق الذكر. وذلك على الأقل على مستوى المساحة التي تميزت بالشساعة (حوالي 1200 هكتار). ونأخذ كأنموذج عزيب "بويدة". ذلك أن النظام الزراعي الذي كان معتمداً به وقتذاك هو الأسلوب الذي كان غالباً وسائداً بالعزبان الكبرى بسهل الحوز وحتى السبعينيات : مغارس زيتون على شكل صفوف متباعدة فيما بينها بعشرين متراً، زراعة حبوب أو قطاني متداخلة معها، ثم زراعات بقيلة أحيانا. كما تُمارس زراعة الحبوب حول المغروسات. وبتخوم العزيب تبقى الأرض بائرة وتُستعمل المراعي لقطعان الأغنام. وكان هذا النظام متلائما مع السلوك الاقتصادي للملاكين الأبعديين الذين كانوا يُفضلون توجيه الانتاج للاستهلاك الذاتي، لكن مستوى الرفاهية والترف المحتاج للنقود أدَّى بهم إلى تغطيته عن طريق تسويق المنتوجات بالعربان (زيُوت، أغنام، وعن طريق "الفريدة" والضريبة.

لكن هذا النظام تحول إلى نظام التأجير والمخابرة بالنصف بدل السخرة والخماسة سنة 1956. وابتداء من هذا التاريخ عرفت العزبان بصفة عامة تحولات عميقة، وأحياناً عنيفة أدت إلى تعثرها وضعفها. ومن أسباب ذلك : الصعوبات الاقتصادية الناتجة عن توسع الاقتصاد النقدي، وارتفاع تكاليف الحياة، والضغط الضريبي، والنمو الديمغرافي، مما أدى إلى تقسيم وتفتيت العزائب بفعل الإرث ماعدا العزبان التي تم حبسها مثل عزيب عرفة بضواحي فاس. أضف إلى ذلك مصادرة الدولة لبعض العزفان مثل عزفان القواد. وفي هذا الصدد نذكر عزيبي بويدة ومرس البغال اللذين اسْتُرْجِعَا إلى ملك الدولة وتم توزيعهما على صغار الفلاحين.

G. Couvreur, *La vie pastorale dans le Haut Atlans central, R.G.M., N° 13*, Rabat, 1968 ; G. Lazarev, *Structures agraires et grandes propriétés en pays Hayaïna (Prérif), R.G.M., N° 9*, Rabat, 1966 ; *Les concessions foncières au Maroc* ; J. Berque, *Etude d'histoire rurale maghrébine*, Edit. internationale, Tanger - Fès, 1938 ; J. Flouriot, *L'oléiculture dans la région de Marrakech, R.G.M., N° 9*, Rabat, 1966 ; J. Le Coz, *Fallahs et colons*, T. 1, 1964 ; N. Bouderbala, M. Chraïbi et P. Pascon, *La question agraire au Maroc, Bul. écon. et soci. du Maroc* ; M. Bellaire, *Les tribus arabes de la vallée de Lokkos, Arch. Maroc*, T.V., 1905 ; P. Pascon, *Types d'habitat et problèmes d'aménagement du territoire au Maroc, R.G.M., N° 13*, Rabat, 1968 ; *Théorie générale de la distribution des eaux et de l'occupation des terres dans le Haouz de Marrakech, R.G.M., N° 18*, Rabat, 1970 ; *Le Haouz de Marrakech*, Tome 1 et 2, CURS, CNRS et INAV, Rabat, 1983.

أحمد زروال

**عزيب علال وقدور**، قرية تقع بفرقة أجراوا من قبيلة بني سيدال إقليم الناظور جرت به يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912) آخر معركة ضد الجيش الاسباني الغازي خاضها البطل رئيس المقاومة المسلحة بالشمال الشرقي الشريف سيدي امحمد أمزيان حيث استشهد رحمه الله بعد أن خاض 275 معركة ضد الجيش الغازي، كما استشهد في نفس المعركة 250 من المجاهدين ظلت جثثهم الطاهرة بيد الإسبان.

وجاء في البرقية التي وجهها الحاكم العام الاسباني بمدينة

مليلية السليبة الجنرال كارثيا الدافي إلى وزير دفاع بلاده في نفس اليوم : "في هذه اللحظة قدموا علي إلى هذا المركز (بتوريرت حامد) مصحوبين بجثة مغربي يشهد الجميع أنها جثة أمزيان وقد أمرت بنقلها إلى ازغانغان للتأكد من ذلك".

أعمال ندوة الشريف أمزيان في الشمال الشرقي (1919 ـ 1912) تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عزيزة**، الشيخ أبو علي منصور، عُرف بابْن عَزيزَةَ. أحد صلحاء مدينة فاس ـ أو نواحيها ـ خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلاد. لم نعثر له على ذكر فيما رجعنا إليه من مصادر، باستثناء ترجمة مقتضبة أوردها له محمد التميمي (المتوفى سنة 603 أو 604 / 1207 ـ 1208) في كتابه *المستفاد*، ويقول عنه إنه "كان شيخاً منزوياً في بيته لا يخرج منه ولا يتصرف، مشتغلاً بحاله، مقبلاً على ما يعنيه، غافلاً عما فيه الناس". إلا أن سكان فاس كانوا مختلفين حول حقيقته، فمنهم من كان يعتبره "ولياً" ومنهم من كان يقول إنه "أحمق". وعلى الرغم من غموض مكانته داخل الوسط الصوفي بفاس فإن الشيخ ابن عزيزة كان يُزار ويجتمع به الأصحاب في منزله، مما يؤشر على أهميته داخل ذلك الوسط.

وقد طرز التميمي ترجمة هذا الشيخ ببعض الحكايات التي تدل على أن الرجل كان "صاحب مكاشفات وفراسة حادة".

م. التميمي، *المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد*، مخطوط خاص، ورقه 44 ـ 45.

محمد الشريف

**العزيزي، أحمد** بن علال قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني كرفط انظر إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة.

- بسيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913
- عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر
- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913
- قرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915 وشارك في 17 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

**العَسْري**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alaçari، ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Lasry. منهم : محمد بن عبد الله فقيه زاول خطة العدالة سنة 1293 (1876).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1202.

محمد ابن عزوز حكيم

**العسري، أحمد** قائد حدود سبتة المقيم بقلعة الدار البيضاء، أو سيرايو Serrallo مثلما يسميها الإسبان وقد عرفنا بها بهذه المعلمة. تم تعيينه بتلك المهمة قبل سنة 1844، عاصر القائد أحمد الضغوط الإسبانية على مخزن السلطان المولى عبد الرحمن الرامية إلى توسيع حدود سبتة. فكان من ذلك حضور عملية رسم الحدود في مرحلتها قبل النهائية، بدءا من المعاينة الأولى ووضع العلامات إلى التوثيق ورسم الحدود.

توصل أحمد العسري بخبر تنفيذ قرار تعيين الحدود على يد عامل طنجة بوسلهام بن علي في 9 شعبان 1260 / 24 غشت 1844. فكان من ذلك أن توجه الوفد للمعاينة ورسم الحدود بحضور قنصل بريطانيا دريموند هي (الصغير) وقنصل إسبانيا أنطونيو بيراميندي وحاكم سبتة ومتولي قبيلة أنجرة الشيخ محمد بن الطيب قنجاع وقائد الحدود أحمد العسري.

وقد حرص الإسبان هذه المرة على إثبات الحدود بالعلامات القارة، وتعيينها بالسوتري والأعمدة بحضور قنصل بريطانيا دريموند هي (الصغير) وقنصل إسبانيا أنطونيو بيراميندي وحاكم سبتة ومتولي قبيلة أنجرة الشيخ محمد بن الطيب قنجاع وقائد عسة سبتة المقيم بها أحمد العسري. وقد بين لنا صاحب العلائق السياسية أهم نقط الحدود التي وضعت بها العلامات المذكورة. ويلخص مضمون الاتفاق على الشكل التالي :

- لسبتة كل ما كان يعرف بالجزيرة المعرف بها سابقا. ويرسم الحدود امتداد واد فاس واتصاله بخندق العرائش المعروف عند الإسبان باسم تالانكيرا Talanquera.
- وللمغاربة كل ما في الجهة الغربية التي تبتدئ من الضفة اليسرى من مجرى واد فاس وخندق العرائش في اتجاه ظهر غمارة أو جبل بنيونش.

وقد وضع الوسيط الإنجليزي دريموند هاي مؤقتا علامات بين الحدين من النوع الذي وضع بين الخندقين من الحجر عند منبع عين علي. وقد وجد الحل المناسب لاستغلال مياه عين علي الواقعة على خط الحد بين الإسبان والمغاربة في إطلاق حرية انتفاع الطرفين المغربي والإسباني. ويتركز الانتفاع أساسا على توفير الماء للماشية.

وقد تابع أحمد العسري ما تلا ذلك من توثيق عملية التحديد بتاريخ 3 رمضان 1260 / 7 أكتوبر 1844، ويمكن الاطلاع على قائمة الحاضرين في رسم الحدود المسجل بقلم أربعة موثقين مغاربة وحضور كل من قام بالمعاينة.

وقد شارك أحمد العسري أيضاً حسب مراسلة 22 رمضان عام 1260 / 26 أكتوبر 1844 في اختيار موضع الحراسة الجديد المحول من موضعها بغرب قصبة أفراك بوضعها على طرفي الحدود الفاصلة بين الجانبين، الفاصل بينهما واد فاس. وبذلك وقع الاختيار على المكان المعروف سابقا برباط الجويع المعرف به في هذه المعلمة. وتم هذا التحديد بحضور عبد القادر برناط مع عدل آخر.

ع. الرحمن بن زيدان، أرشيف مديرية الوثائق الملكية، *العلائق السياسية*، الرباط، 2002 ؛ ح. الفكيكي، *سبتة المحتلة*، ذروة وعينا الوطني، المطبعة الملكية، الرباط، 2003 ؛ خ. بنصغير، *المغرب في الأرشيف البريطاني*، الدار البيضاء، 1992.

حسن الفگيگي

**العسري، حمّو** بن يحيى (الوزير ـ القائد المريني) كنيته أبو معَرف وسمي أحيانا محمد بن يحياتي العسري وأضاف صاحب *روضة النسرين* "الأوْربي" وجعله من وزراء أبي الحسن متفقا في ذلك مع ابن مرزوق. خدم السلطان أبا سعيد عثمان ثم أبا الحسن، وصفه أبو مرزوق بالوزير الأشهر الشهم، استعمل في الولاية فبان ظلمه وجوره، فأعيد إلى خدمة السلطان بالقصر، وسماه أبو الحسن وزيراً بعد نجاحه في القبض على الأمير الحفص أبي حفص وقتله عند فراره من تونس إلى نواحي قابس وذلك سنة 748 عندما كان أبو الحسن في طريقه من بجاية إلى مدينة تونس. وعندما حلت الكارثة البحرية بأسطول أبي الحسن كان الوزير القائد حمّو بمدينة الجزائر فلجأ إليه أبو الحسن ليدعمه ضد مناوئيه وهذا فيما بين أواخر سنة 750 وأواسط سنة 751. ويبدو أن هذا القائد ظل متمسكا بطاعَة أبي الحسن ضد ابنه أبي عنان وهذا ما يفسر موته في عهده فقيراً مهملاً.

ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، ص. 365 ـ 366 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 248 ـ 559 ـ 561 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، ص. 26.

**العسري، عبد الله** بن يعقوب، من شخصيات سلا المرموقة، ومن كبار رياس أسطول سيدي محمد بن عبد الله، ولقب بأمير البحر، والقائد العام لجميع الثغور منذ سنة 1177 / 1763 قبل إسناد المنصب إلى الرايس الهاشمي عواد السلاوي. وقد انخرط في سلك البحرية تأثرا بوالده العياشي العسري، وكان في سنة 1185 / 1771 يقود سفينة جهادية مجهزة بثمانية عشر مدفعا وتحت إمرته طاقم مؤلف من ثمانين رجلا.

وقد كان في سنة 1198 / 1784، مكلفا بمهمة توزيع إنعام السلطان على الرياس السلاويين. وقد داوم على العمل في الأسطول المحمدي، قائما في شوال 1203 / 1789 بالتوجه إلى العرائش بأمر من السلطان، قصد حمل "القراريط" إلى الصويرة، قبل انتقاله في مهمة إلى جزر الخالدات. ويبدو أن مهمته هاته كانت قصيرة، حيث شارك بعد ذلك في الوفد الموجه إلى السلطان العثماني تحت إشراف السفير الحاج المكي برگاش، والذي عاد إلى سلا في ذي القعدة من السنة الموالية على متن إحدى السفن الأوروبية. واستمر في نشاطه البحري خلال عهد مولاي سليمان، الأمر الذي جعله يمتلك ثروة واسعة، ويدرج ضمن كبار أعيان سلا، حيث يذكره الضعيف ضمن وفدها الذي رافق القائد محمد بن العربي البخاري أواخر سنة 1210 / 1796 لزيارة مولاي سليمان بمكناس.

الضعيف، ص. 195 ـ 96 ـ 218 ـ 272 ؛ العسري، *كناش*، ص. 38 ؛ مجهول، الرئاسة، ص. 3 : 18 ـ 47 ؛ وابن زيدان، *إتحاف*، ج 3، ص. 306.

Chenier, Journal, p. 117 - 118.

حسن أميلي

**العسري، علي** بن أحمد، ولد الشهيد العسري علي ابن أحمد سنة 1909 بدوار سيدي عبد الرحمان، آفناسة، ظهر السوق، إقليم تاونات.

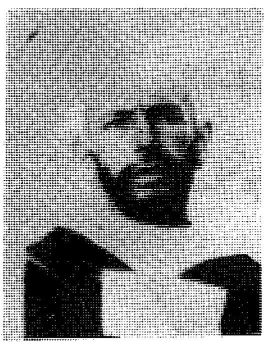

انخرط في صفوف جيش التحرير، وحمل السلاح ضمن الوحدة التي كانت تحت مسؤولية حمادي اغمير والعثماني. كان عنصراً نشيطاً في عمله الفدائي حيث ساعد أبناء الوطن للالتحاق بمراكز جيش التحرير ودعم صفوف المجاهدين، كما كان أيضاً ينفذ الأعمال التخريبية ضد مصالح المعمر بالمنطقة، كقطع الأسلاك الهاتفية، وتدمير القناطر بين ظهر السوق وبني وليد، بالإضافة إلى توزيع المناشير لتوعية الجماهير.

وظل في نضاله إلى أن ألقي عليه القبض ثم اعدم من سلطات الاستعمار يوم 14 دجنبر 1955 بسيدي عبد الرحمان.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524837.

**العسري، العياشي** بن الحاج محمد بن عباد، ينتمي إلى قرية أمكَادي بقبيلة آل سريف شمال القصر الكبير حوالي عام 1290 / 1873. حفظ القرآن ثم أخذ مبادئ العلوم بالقبائل الجبلية، وتتلمذ لأشهر شيوخ المنطقة الفقيه ابن يرمق بقبيلة سماتة. ثم توجه نحو فاس لاستكمال دراسته فأخذ

عن عدد من جلة علمائها. وبعد عودته من فاس سكن بمدينة العرائش متعاطيا للعدالة والتدريس، وكان بجانب ذلك يفتي في المسائل الشرعية وعرف في كل ذلك بالإتقان والضبط، لذلك لم يلبث أن رشحته الحكومة الخليفية لمنصب القضاء بالعرائش فتولاه مدة، ثم انتقل إلى قضاء مدينة القصر الكبير لمدة أخرى، وعلى إثر تعيين الحاج محمد أفيلال التطواني وزيراً للعدل بالحكومة الخليفية استدعي الفقيه العياشي العسري إلى مدينة تطوان حيث عين مستشاراً أولاً بمجلس الاستئناف.

كان المترجم متضلعا في الفقه المالكي خاصة فقه المعاملات والقضاء، مع التدين والورع وحسن السمت ومراعاة جانب الشريعة وآدابها.

توفي عام 1361 / 1942.

أ. المرتجي السوسي، *تقييد حول أعلام القصر الكبير*، مخطوط خاص.

محمد المغراوي

**العسري، محمد** بن **أحمد**، ابن قائد عسة حدود سبتة سابق الترجمة. أمين بديوانة مليلة التي أنشئت حسب اتفاق 31 يوليو 1866، وعين بها محمد الغسال وعبد الكريم الرزيني أمينين بتاريخ 5 صفر 1284 / 8 يونيو 1867، ثم استبدلا بتاريخ 23 رمضان 1295 / 20 شتمبر 1878 بتعيين عبد السلام أحمد البنينو التطواني وعبد السلام بن عبد الكريم أحرضان. وفي هذه السنة ظهر محمد بن أحمد العسري لأول مرة بصفته أمينا بمرسى مليلة الذي يعني الديوانة، دون أن نعلم بمصير السابقين له.

ومنذ ذلك توالت المراسلات المتبادلة بينه وبين محمد بركاش بطنجة على عهد السلطانين محمد بن عبد الرحمن والمولى الحسن بعده تخص المهام المنوطة بالأمين، فيما يتعلق بمراقبة مراسي الريف لمكافحة التهريب، والإخبار بمشاكل الحدود مع مليلة، وإرسال تقارير عن وفر الديوانة، مثلما كان مكلفا بتلقي وإرسال التموين لعسكر قصبة جنادة بفرخانة. كما أن السلطان المولى الحسن أمره بفسخ عقدة استغلال حديد جبل الحمام المبرمة بين بعض أهل الريف الغربي وتاجر فرنسي. بقي محمد بن أحمد العسري بنفس المهمة إلى أن أعلن عن وفاته يوم 3 ربيع الأول عام 1304 / 30 نوفمبر 1886.

أرشيف مديرية الوثائق الملكية والخزانة الحسنية، *كنانيش الخزانة الحسنية*، *معلمة المغرب*.

حسن الفكيكي

بن **عَسُّو، المولودي** من مواليد قبيلة السماعلة إقليم خريبكة سنة 1932 من أبويه عبد السلام بن المعطي وزهرة بنت بوعزة السليماني، عرف منذ شبابه بالاستقامة ونقاوة الضمير ورباطة الجأش، ولما قامت قوات الاستعمار الغاشم بالاعتداء على السيادة المغربية اختار الشهيد الكفاح المسلح صحبة مجموعة من المقاومين الشباب بعزيمة وإرادة ووطنية.

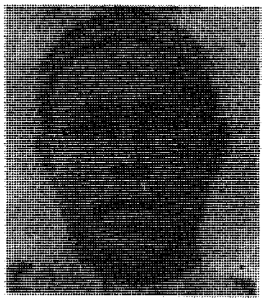

شارك في ثورة 20 غشت 1955 وأبلى البلاء الحسن أثناء هذه الانتفاضة التي استشهد خلالها برصاص المستعمر بأولاد فنان أسكنه الله فسيح جناته.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524502.

**العسّولي** (القائد الجيلالي بن عمر) (1874 ـ 1886)، من شرفاء أولاد سيدي رحال دفين زمران، أصبح قائدا على إخوانه هؤلاء في صدر عهد السلطان المولى الحسن الذي ضاعف عدد العمالات في البلاد لزيارة تكثيف الحضور المخزني بها، وهذا بعد أن كانت أمور هؤلاء موكولة إلى مزوار فقط ثم إلى نظر القائد عمر المصباحي الزمراني الذي استعصى عليه أمرهم لجسارتهم التي استغلوا فيها شرفهم وتوقير المخزن لهم ؛ مما جعل السلطان يعين عليهم قائدا منهم هو العسولي هذا، الذي رفضه أعيان إيالته في مطلع تنصيبه، متبعين في ذلك إغراءات أحدهم وتحريضه هو العربي التباعي، لكن الجو ما لبث أن صفا لهذا القائد، فبنى لنفسه قصبة فخمة وسط إخوانه العساسلة جنوب القلعة، وهم ساكنو زرائب ونوالات أصلا، فجعل مرافقها متعددة من سكنى عيال وخدم، إضافة إلى مسجد ومدرسة ثم ملاح اليهود وفجر عينا مائية حملت اسمه، سقى منها جناته ومحارثه. واتسعت بذلك ثروة هذا القائد في الحرث والنسل، وعظم جاهه لدى المخزن بحسن الخدمة في توجيه عسكر الإيالة وضبط أمن الطريق بين مراكش وفاس، والإشراف على مزارع المخزن بالقلعة وتملالت ثم المشاركة في الحركات المخزنية، إلا أن استقامة الأحوال التي لم تدم طويلا حيث قام على هذا القائد أحد الناكثين يدعى عامر الرحالي، وذلك بتحريض من بعض قواد الجوار كأحمد بن الطيب بالقلعة، سنة 1301 / 1883 ولم تهدأ الأحوال إلا بشد أزر هذا القائد من طرف المخزن الذي بادر إلى تقسيم إيالته بينه وبين آل بن فائدة، وذلك بقصد التخفيف من أعبائه، وهو المعروف بصلاحه وثناء المخزن عليه، فلما توفي عام 1886، خلفه ابنه محمد في منصبه.

ح. شوقي، *قبيلة زمران خلال القرن التاسع عشر*، (1822 ـ 1912)، ج. 1، الرباط، 2001، ص. 271 ؛ كناش الخزانة الحسنية رقم 348.
J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe (1830 - 1894)*, Paris, 1961, t. IV, p. 132.
الحسن شوقي

**عسكر**، إذا بحثنا في المعاجم والقواميس عن تعريف مصطلح عسكر، فإننا نقف على شروح وبيانات مفيدة ومفصلة لمعانيه المختلفة. فصاحب لسان العرب، مثلا، يعتبر أن اللفظة فارسية الأصل، استُعملت للدلالة على الجمع والمفرد معا، كما تُجْمَع على عساكر. ثم يُضيف، مستشهداً بابن الأعرابي، أن العسكر هو الكثير من كل شيء، إذ يُقال عسكر من الرجال، كما يُقال عسكر من الخيل أو الكلاب مثلا. وبعد ذلك، يخلص إلى المعنى الذي يهمنا هنا وهو العسكر، فَيُقال عَسْكَر الرَّجل فهو معسكر، والموضع مُعَسْكَر ...

وبما أن اللفظة فارسية الأصل، فلاشك أنها دخلت القاموس العربي مُنْذُ وقت مُبَكّرٍ، بعد أن اكتملت معالم الدولة العربية الإسلامية ونُظُمُها، أيَّام دولة بني أُمَيَّة، علماً بأن مؤسسة الجيش كانت تُعَدُّ من الدعائم الأساسية في نَشْأة وتطور ومآل الدول بصفة عامة، وضمنها طبعا، الدولة العربية الإسلامية، والمغرب بصفة خاصة. ونَقْصدُ بهذا الدور الحاسم الذي كانت تضطلع به هذه القوات العسكرية في شان الدول التي تعاقبت على الحكم في المغرب، وضمان استمراريتها، واتساع رُقعة نُفوذها أو ضمورها واندراس معالمها. على أن طبيعة تكوين هذه القُوات، وأُصُولها، ومَشَارِبَها الاجتماعية والثقافية، وكذا مُستوي تكوين وتدريب رجالها وتسليحهم، ونظام ضبط أمورهم والتحكم فيها، سَواءٌ وَقْتَ السِّلم، أو في ميادين الوَغَى، كُلُّها عناصر ومُؤشِّرات كانت تختلف، طبعا، من قُطر إلى آخر، وتَعْكسُ المُستوى الحربي والتقني والمادِّي والثقافي للمُجتمع والكيَّان السياسي اللَّذَيْن تَنْتَمي إليهما وتُؤْتَمَرُ بأوامرهما.

وفي هذا الصدد، كَتب الباحث البولوني دزيوبنسي، سياق الحديث عن بُنَى وخصائص الجيش في عهد الدولة السعدية، وبالخصوص عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي (980 ـ 1012 / 1578 ـ 1603)، ما يلي :

"... إن جميع الدول المتعاقبة على الحكم (بالمغرب)، قد ظَفرت بالسلطة عن طريق الغزو والاحتلال، وهو الأمر الذي بَوَّأَ المؤسسة العسكرية مكانة متميزة في جهاز الدولة، إلى حدّ صارت معه عنصراً أساسيا في تسيير شؤون البلاد. ثم إن التنظيمات الداخلية للبلاد، كانت لا تميِّز الإدارة العسكرية والإدارة المدنية...".

وكانت هذه القُوات، في مرحلة النشأة والتأسيس على الخصوص، تتكون من زبناء عصبيتها ومجالها الجغرافي، ومن أبناء القبائل المُوالية لها أو التي تغلبت بالسيف والقوة، وأجبرتها على الخضوع والإذعان والسير في ركبها. وفي مرحلة موالية، أي في مرحلة المَدِّ والتوسع، يَتمُّ تجنيد أبناء البلاد المفتوحة، وإدماجُهم في تنظيمات الجيش المختلفة، وبخاصة التنظيمات العسكرية المسؤولة عن أمن وخدمة العاهل وحاشيته. فكان منهم الصقالبة، والعلوج، والعبيد السود، والأغزاز... وهذا ما نستشف جانبا منه في كلام صاحب "الأنيس المُطرب بروض القرطاس..."، حول انتشار دعوة المرابطين بالمغرب، وهو يقول :

"... ولما كان في سنة سبعين وأربعمائة، شرع في تجديد العساكر ووفورها، وبعث إلى الصحراء : للمتونة، ومسّوفة، وجدالة وغيرهم، يعلمهم بما فتح الله عليه من ملك المغرب وطاعة أهله، ويؤكد عليهم في القدوم إليه، فوفد عليه منهم جموعٌ كثيرة... وضمَّ من جزولة، ولمطة، ومصمودة، وقبائل زنّاتة جموعاً كثيرة، وسماهم بالحشم، وضم طائفة أخرى من أعلاجه، وأهل داخلته وحاشيته، فصاروا جموعاً كثيرة، وسمّاهم الدّاخليين...".

على أنّنا نعتقد أن القصد من استعمال لفظة عسكر، على الأقل في عدد من الحالات، هو هذه القوات الأكثر ضبطا وتنظيما وتكوينا من غيرها والتي كانت تختص بحماية وخدمة العاهل الحاكم، كما نلمس ذلك ممّا كتبه صاحب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب"، في سياق حديثه عن العناية الفائقة التي كان يوليها الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي (524 ـ 558 / 1130 ـ 1163) للجيش بصفة عامة، حيث قال :

"... فلما كان بعد يومين أو ثلاثة، أمر بعرض العسكر آخذي أسلحتهم، وجلس في مكان مطلّ، وجعلت العسكر تمر عليه قبيلةً بعد قبيلة، وكتيبة إثر كتيبة، لا تمر كتيبة إلاّ والتي بعدها أحسن منها، جودة سلاح، وفراهة خيل، وظهور قوة...".

ونقرأ في أحد السجلات المحفوظة في الخزانة الحسنية ما يلي :

"... الدول المغربية السعيدة كانت في القديم تسمّي القائمين بشؤونهم (هكذا) حضراً وسفراً بالجنود العسكرية، ذات القوة والعصبية، إلى أن ظهرت الدولة الحالية العلوية الحسنية ...".

وأشار إلى هذا الجانب السلطان العلوي مولاي الحسن (1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1894)، في رسالة دورية ضمّنها أوامره إلى شيوخ وقواد القبائل بتعيين عدد من إخوانهم الصحاح للعمل في الجندية، مذكراً إياهم بأنه قد "بلغ العسكر البخاري على عهد الجد الأقعد مولانا إسماعيل طيّب الله ثراه مائة وخمسين ألفا، ثمانون ألفا مفرقة في قلع المغرب لأنها ست وسبعون قلعة، وسبعون ألفا بالمحلة، والعساكر كلها سوادها الأعظم ومتفرقها مُدونة في دفتره. وبلغ عسكر لمتونة إثنا عشر ألفا من الرجال، ولقوتهم على ذلك العهد، أوقع بهم اللمتوني وقعة الزلاّقة. وبلغ عسكر

الموحدين الذين دخلوا الأندلس خمسين ألفا من الخيل والرجال، أوقع بهم الموحدي وقعة الأرك...".

سيراً على مفهوم وتصور العسكريين بالمغرب للعملية الحربية برمّتها، كما كان الأمر عليه أيام العرب ومن شابههم من الأمم والشعوب، بمعنى أن طريقة المغاربة الحربية قد ظلت تعتمد على تاكتيك الكرّ والفرّ، وبالتالي ترجيح كفة سلاح الفروسية على باقي التنظيمات القتالية الأخرى. ولابن خلدون، كما هو معلوم، في هذا الشأن، آراء وملاحظات ساقها في عدّة مواضع من "مُقدمته". على أن ظهور السلاح الناري بالمغرب، في الرّبع الأخير من القرن الثالث عشر الميلادي، وبالضبط أيام السلطان المريني يعقوب المنصور (656 ـ 685 / 1258 ـ 1286)، قد أدّى إلى تغيير نسبي في المعادلة التي ظلت تنبني عليها تركيبة الجيش المغربي وفرقه. وهكذا، صارت "جيوش النار"، و"عساكر النار"، و"عساكر الأسنة"، تتبوأ مكانة خاصة ومتميّزة في مؤسسة الجيش، ويُعَوَّل عليها في اقتحام مواقع الخصم وجبره على الاستسلام.

بيد أن انتشار وتنوع استعمال السلاح الناري، من أنفاض، و"بوازات"، ومهاريس، وبنادق قصيرة ( )، إلى غيرها من أفواه النار، لم يتم على نطاق واسع في صفوف الجيش ومن كان ينضمُّ إليه من حُراك ومُتطوعة القبائل على عهد السعديين، وبالخصوص أيام السلطانيين عبد المالك السعدي (984 ـ 986 / 1576 ـ 1578) وأخيه وخلفه أحمد المنصور الذهبي. وذلك لأسباب متعددة ومختلفة، منها ما هو راجع إلى الجمود والشلل اللذين أصابا بُنى البلاد السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، بعد بارقة وادي المخازن سنة 1578، ومنها ما هو مرتبط بالتطورات والإنجازات التقنية والمادية التي عرفتها المجتمعات في أوربا الغربية على الخصوص.

ثم ماذا عن العناصر البشرية والتنظيمات العسكرية التي كان يتشكل منها الجيش المغربي في القرن التاسع عشر على الخصوص ؟

للإجابة عن هذا السؤال، لابُد من الإشارة، أولا، إلى أن لجوء المخزن إلى قبائل معينة، وإعفاءها من أداء الضرائب غير الشرعية، وماشابهها من الكلف والمغارم، ومنح رجالها أراضي فلاحية يستغلونها لحسابهم مقابل الخدمة في الجنُدية مدى الحياة، لتعدُّ ظاهرة متميّزة وعريقة في تاريخ المغرب، ترجع على الأقل إلى عهد الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580 ـ 599 / 1184 ـ 1199)، حين أقدم على ترحيل قبائل بني هلال العربية، وأسكنهم في منطقة الغرب، متخذاً منهم جيشا في خدمة الدولة.

بيد أن هذه المجموعات القبلية، وهي التي دُعيت فيما بعد بـ "قبائل الگيش"، لم تندمج نهائيا في مؤسسة الجيش، ولم تحتل مكانة مرموقة في دواليبها إلا مع السعديين، بالرغم من كون هؤلاء لم يعتمدوا عليها وحدها، حيث عملوا على تأسيس جيش نظامي تطعّم صفوفه بعناصر محلية وأجنبية.

ومع تولي الدولة العلوية مقاليد الحكم بالبلاد، ازدادت أهمية هذه المجموعات القبلية في قطاع الجيش وفي المجتمع، واستكملت عدد من فُرقه تشكيلتها التقليدية والنهائية، وذلك بعد أن تمّ إدماج أشراگة وأولاد جامع، والأوداية، والشّراردة في صفوفها، على امتداد قرنين من الزمن بالتقريب، بدءاً من عهد مولاي الرشيد (1075 ـ 1083/ 1664 ـ 1672)، وانتهاءً بعهد مولاي عبد الرحمن بن هشام (1238 ـ 1276 / 1866 ـ 1859).

إلى جانب قبائل الگيش هذه، تأسيس نواة عسكرية جديدة، على إثر وقعة إيسلي سنة 1844، دُعيَت بـ "جيش النظام"، أو "عسكر النطام"، يمتهن أفراده بكيفية دائمة الجندية ويتكون معظمهم في سلاَحي المدفعية (تاطبجيت) أو الرّماية. ويبدو، أنه منذ هذا التاريخ، صارت لفظة عسكر تطلقَ على أفراد هذا التنظيم الجديد دون غيره من فُرق الجيش المغربي الأخرى.

وهذا ما نتبيّنُهُ مما كتبه المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان، مستعرضاً منجزات السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام السابق الذكر، حيث قال :

"... وفيها (أي سنة 1261 / 1845) اخترع العسكر على الهيئة المنظمة، وضمّه إلى جيوشه، وكلف بتنظيمه على نسق التنظيم التركي عامليه أشعاش وأزطوط، ولكن لم يتم بذلك أمر لأنفة الناس ممَّا لم يألفوه..."

بيد أنَّ أحوال هذا التنظيم لم تتحسن قط، وظل هدف انتظام وانضباط عناصره أمراً بعيد المنال وأمراً عسيراً، لأسباب اجتماعية و تنظيمية ومادية، بالرغم من مُحاولات ومجهودات خلَف مولاي عبد الرحمن بن هشام السلطان سيدي مُحمد (1276 ـ 1290 / 1859 ـ 1873)، وما كان يحذوه من رغبة أكيدة وعزم قوي، في النهوض بقطاع الجيش، وُهُو الخبير بأموره والمطلع على عيوبه ونقائصه، إذ في عهده تم تعيين وزير خاص بالشؤون العسكرية دُعي بالعلاف الكبير، في شخص الفقيه عبد الله بن أحمد، صنو الحاجب موسى بن أحمد.

وحاول السلطان مولاي الحسن بدوره تدارك الموقف، في بداية عهده، بعد أن "وجد القوة العسكرية المحمدية غير كافية، إذ كانت مجموعة من طوابير مختلطة ..."، على حَدِّ قول عبد الرحمن بن زيدان السابق الذكر. وهكذا، ألزم المدن والقبائل بإعطاء عدد معلوم من أبنائها للخدمة في العسكر النظامي.

وسواءً تعلق الأمر بالوسائل المادية والتقنية التي كان يسخرها الجنود في أداء مهامهم وإنجاز أعمالهم، أو نظرنا إلى المؤهلات العسكرية والثقافية لهؤلاء الجنود أنفسهم، فإننا ندرك، أننا أمام جيش بلد تقليدي، ذي بنيات اقتصادية، واجتماعية، وثقافية عتيقة. وهذا يعني أن جيشا

من هذا القبيل، ربّما يكون ذا فاعلية وفائدة عندما يكون خصمه في مستواه التقني والمادي والتنظيمي، أو عندما يكون رجاله يُؤمرون بالزحف ضد الأهالي الأعْزال، وقمع تمردات القبائل. وأما إذا اضطرته الظروف إلى منازلة جيش حديث، مُدَجّج بالعتاد الحربي المُتطور، ومُدرب على فنون الحرب الحديثة، ومؤطّر بذوي الخبرة في التخطيط المحكم للمعارك والعمليات الحربية، وفي قيادة الرجال في ميادين القتال، فإنه لن يستطيعَ الصّمودَ في وجهه، ولو لبضع ساعات، وهو الأمر الذي حدث فعلا في وقعة إيسلي سنة 1844، أمام الجيش الفرنسي، وخلال حرب تطوان سنة 1859 - 1860، على يد الإسبانيين.

والحقُّ أن الجيش المغربي، كمؤسسة للدولة عبر العصور، قد ظل على حاله، لم تتغير قط صيغُ وأسس تنظيمه، ولا أساليب تجنيد، وتكوين، وتدريب عناصره، ولا طُرق قتالهم ومُحاربتهم للعدو، اللهم ما كان قد تحقق من تطور وتحول في هذه الميادين، ولا سيما إلا في بعضها، كالسلاح النّاري، والتّاكتيك الحربي على عهد دولة السعديين، أيام عزّها وامتداد نفوذها في النصف الثاني من القرن السادس عشر على الخصوص.

ومن المُلفت للانتباه في هذا الصدد أنّ ما ذكره الباحث البولوني دزيوبنسكي السابق الذكر، في مقالته حول "الجيش والأسطول الحربي المغربيان على عهد سلاطين الدولة السعدية"، في شأن ترتيب الجنود وحُراك القبائل في ميادين القتال، وبالخصوص حين كانت تجري وقائع المعركة في منطقة سهلية، والذي كان يتم حسب الطريقة المتبعة وقتئذ من طرف الأتراك العثمانيين، على الطريقة التركية..."، نجد أن الجيش المغربي كان يُطبق نفس الخُطة التّاكْتيكية، على الأقل في بعض معاركه، في حدود العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر.

وهذا ما نفهمه ممّا ورد في رسالة الأمير مولاي مَحمد إلى والده السلطان مولاي الحسن الذي كان قد عَهِدَ إليه بقيادة حركة جُهّزَت لتأديب فرقة بني عمرو من قبيلة زمور، بعد أن كان قد انْضَمَّ إلى ركابه قُواد كل من قبيلة عامر، وحْصين، والسهول، على أن يكون كبيرها القائد عبد الكبير الثوري، حيث نقرأ ما يلي :

"... نزول السهول من الناحية الجنوبية بالنسبة للمحلة السعيدة، ثم حصين برمتهم، ثم التزوطي، والقائد بوعزة السلامي في قبلة المحلة، ويليهما لناحية الشمال بالنسبة المذكورة ابن الشيحني، والقائد لحسن بن بوعزة معاً في محل واحد، ثم بن العروسي على حدته، ثم الثوري، فجاء تخْييمُهُم على نصف دائرة، وبينهم وبين المحلة قدر ما يمشي الراكب ثلث ساعة ...".

وإذا كان المخزن قد استطاع التحكم نسبيا في جهاز الجيش، وتدبير أموره، وتطويع فرقه ورجاله، واستعماله في تنفيذ أوامره وقضاء أغراضه، على الأقل حتى وفاة الوزير الصدر أحمد بن موسى في شهر مايو من سنة 1900، فإن الفترة المتراوحة ما بين سنة 1900 وسنة 1912، أي ما تبقى من عهد السلطان مولاي عبد العزيز (1311 - 1326 / 1894 - 1908)، وعهد أخيه المولى عبد الحفيظ (1326 - 1330 / 1903 - 1912)، أصبحت تختلف كل الاختلاف عن الفترة السابقة، لا من حيث السياق الداخلي، ولامن حيث تعامل، ونظرة، وأهداف الدول الأوربية، من أجل وضع اليد نهائيا على البلاد واستغلال خيراتها.

فمن جهة، لم يَعُد المخزن قادراً علي القبض على ناصيّة الأمور وأزمّتها في البلاد، ولم يعد قادراً على التحكم في أمور الجيش، ومن جهة أخرى، استغلت بعض الدول الأوربية، وفي مقدمتها فرنسا وإسبانيا، ضعف وشَلَلَ المخزن، لإثارة العديد من القلاقل والمشاكل المفتعلة، حيث كانت لا تتردد البتة في التدخل المباشر في شؤون البلاد بعرض اقتراحاتها، والتظاهر بإسداء النُّصح، في حين كانت في نفس الوقت تعمل جاهدة، بمُختلف الوسائل والحِيَل، من أجل إشعال الفتن، وإثارة الحزازات هنا وهناكَ، قَصد إعجاز المخزن وإحراجه، ونسف سلطته، وإثقال كاهله بالمبيعات والقروض. ومن المُؤكّد أنه لو لم تكن لهذه الدول يد خفية في تمرد وفتنة الجيلالي الزرهوني، المدعو الروگي بوحمارة، وكذا في عصيان وطيش أحمد الريسوني، لما أمكن لهذين المُغامرين الخطيرين الاستمرار في الاستهانة بالمخزن، والعبث بمؤسساته، وفي مقدمتها، طبعا، مؤسسة الجيش، سنين طويلة.

وأمّا في الفترة المُوالية، أي بعد أن تمكنت كل من فرنسا وإسبانيا من فرض وصايتهما على المغرب سنة 1912، وحَلِّ جميع أجهزة وهياكل النظام العسكري القديم، بما في ذلك تسريح الجنود ورؤسائهم، اتخاذ الإجراءات والترتيبات الأولى بهدف تأسيس نظام عسكري جديد في البلاد، سُرعان ما سُخّر رجاله لخدمة أغراض الدولتين المُستعمرتين، والدفاع عن مصالحهما، في الداخل كما في الخارج. فتلك مسألة تختلف كلّ الاختلاف عمّا حاولنا معالجته في مقالتنا هذه، إذ تقتضي أن تُفرد ببحث خاص.

ابن أبي زرع، *الأنيس المُطرب*، الرباط، 1973 ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، الدار البيضاء، 1978 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1929 - 1933 ؛ ع. الواحد، *المُعجب*، الدار البيضاء، 1978 ؛ م. بن محمد بن مصطفى المشرفي، *الحُلل البهية* ،مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم د 1463 ورقم ك 320.

(Cap. Fort) Delmas, Etudes sur les guichs marocains, B.G.R., 1948, dossier n° 1409 ; (Andzyej) Dziubinski, L'armée et la flotte de guerre à l'époque des sultans sa'adiens, Hesp.-Tam., vol. XIII, Fasc. unique, 1972, p. 61 et suiv.

مصطفى الشابي

**عسكر** (بنو -) المرينيون. تنقسم قبائل بني مرين إلى عدة مجموعات من أهمها : بنو حمامة الذين توارثوا السلطنة، وبنو عسكر نسبة إلى جدهم عسكر بن محمد الذي

كانت له رئاسة بني مرين قديما وورثها عنه ابنه المخضب "فتملك على جميع بوادي زناتة وبلاد الزاب" وفرض وجوده على كثير من جيوش صنهاجة المغرب الأوسط (بني حماد) والمرابطين في منطقة تلمسان ووهران إلى أن تغلب الموحدون على المنطقة، ثم قتل المخضب على يد حلفائهم بني عبد الوادي في جمادى الآخرة سنة 450.

في بداية العقد الثاني من القرن السابع بعد وصول المرينيين إلى نواحي فاس وقع خلاف بين بني حمامة وبني عسكر، فانحاز هؤلاء ضد بني عمهم إلى عرب رياح أنصار الموحدين وجرت المعركة بين الطرفين في قرية تافرطاست انتصرت فيها القبائل المرينية على رياح وبني عسكر رغم موت الأمير عبد الحق بن محيو في جمادى الثانية 614، وعلل ابن مرزوق سبب هذا الاصطدام بحسد بني عسكر على الانتصارات التي حققها عبد الحق.

ونجد دور بني عسكر في خدمة الدولة أيام السلطان يوسف بن يعقوب، كما حدث سنة 685 عندما ثار بقلعة فندلاوة بجبال بني يازغة الأمير عمر بن عثمان بن يوسف العسكري حيث أمر السلطان يوسف قبائل بني عسكر وقبائل البربر بالمنطقة بالخروج إليه لحصاره وقتاله فحاصروه، ثم خرج إليه الخليفة يوسف بنفسه بالجنود والآلات، فطلب الأمان فأمنه على شرط الخروج إلى تلمسان، فبايعه. كذلك عندما خطط السلطان يوسف لتنظيم حملات على تلمسان اهتم بتحصين الثغور الشرقية، فقام سنة 694 بطرد بني زيان من القسم الذي كانوا يحتلونه بتاوريرت، وبنى بها حصنا أسكن فيه بني عسكر تحت قيادة أخيه أبي يحيى ؛ وفي حركته المشرقية خلال سنتي 697 - 698 حصن مدينة وجدة وبنى بها قصبة نقل إليها بني عسكر مع أخيه الأمير أبي يحيى "كما كانوا بتاوريرت" وأمره بتكرار الغارات على تلمسان.

وعين على قيادة الجيل ومنطقة الثغر المريني بعد أبي مهدي ابن قبيلته سليمان بن داوود العسكري الذي كان على رأس المعارضين لحركة التمرد المذكورة.

ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، 350 - 353 - 370 - 371 - 373 - 377 - 385 ؛ مؤلف مجهول، *الذخيرة السنية* (منسوب لابن أبي زرع) ص. 12 - 20 - 33 - 34 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 437 - 454 - 456 - 501 - 502 - 612 - 615 ؛ ابن مرزوق، *المسند*، 111 - 371.

أحمد عزاوي

ابن **عسكر، محمد** بن علي الشفشاوني، الشريف الحسني، فقيه متصوف، وأديب مؤلف. ولد بشفشاون سنة 936 / 1529، ودرس بها وبالقصر الكبير وبادية جبال غمارة وبلاد الهبط. تكون تكويناً متيناً في الفقه والتصوف وبقيت بضاعته في اللغة وقواعدها مزجاة. ومع ذلك فإنه يمتلك قدرة فائقة على التعبير عن دقائق الاشياء.

نال ابن عسكر حظوة كبرى لدى الملوك السعديين فولوه قضاء شفشاون ثم القصر الكبير وما جاورهما فكان يعد كبير قضاة الشمال وإليه المرجع في القضايا الشرعية والتوثيقية. وأصبحت له شهرة واسعة بسبب زياراته المتكررة للبلاط السعدي في فاس ومراكش، وحيث أمكنه الاتصال بفطاحل العلماء ومناظراتهم فازدادت معارفه.

تأثر ابن عسكر كثيراً بشيخه الصوفي الصالح عبد الله الهبطي بعد أن أقام عنده مدة في زاوية بالجبل الأشهب وأخذ عنه الطريقة الشاذلية التي يرويها مباشرة عن الشيخ عبد الله الغزواني أشهر مريدي الشيخ الجزولي. كما كان للأسرة الصالحة التي نشأ فيها أثرٌ بيّن في مسيرته الصوفية. إذ كان أبوه علي بن عمر مجاهداً تقياً، وأمه عائشة بنت أحمد الإدريسية قانتة عابدة على صلة وثيقة بالشيخ الهبطي والغزواني وغيرهما من صالحي الشمال. تخدم الفقراء وتكرم المريدين في زاويتها التي تحث عنها المترجم في كتابه *دوحة الناشر*. وهو عبارة عن فهرس ضمنه تراجم عدد وافر من شيوخه وما قرأ عليه من فنون أو سلك على يدهم طريق القوم. وتوسع في هذا الكتاب فذكر كل من عرف من شيوخ القرن العاشر الهجري لقيهم أو لم يلقهم بل حتى الدين لم يعاصرهم.

ويعد كتاب *دوحة الناشر* مرجعاً أساسياً لأعلام شمال المغرب وقرى الريف من الفقهاء وشيوخ التصوف على عهد السعديين.

أدرك ابنَ عسكر شؤمُ السياسية حين انحاز إلى محمد المتوكل (المخلوع) عند انقسام الدولة السعدية على نفسها للمرة الثانية، فهلك معه في معركة وادي المخازن يوم الاثنين 30 جمادى الأولى عام 986 / 4 غشت 1978.

م. ابن عسكر نفسه، *دوحة*، تح. م. حجي، الرباط، 1978 ؛ م. الهبطي، *المعرب الفصيح*، الأبيات، 1099 - 1103 ؛ م. الافراني، *نزهة*، تح. ع اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 2، الدار البيضاء، 1956، ج 5 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1983 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس بعناية إحسان عباس*، بيروت، 1982 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، ج. 2.

محمد حجي

**العسل** نوعان، عسل ناتج عن نحل مربى وعسل ملتقط من أجباح نحل مصطادة تعيش في الطبيعة في جذوع الأشجار والجحور وشقوق الصخور وغيرها، ويعتبر هذا النوع الأخير الأجود، فغالباً ما تكون أجباحه في مناطق وعرة كونه النحل عبر سنين طويلة من رحيق الأعشاب البرية، وقد كان هذا النوع أكثر انتشاراً في المغرب خلال العصور الوسطى وما بعدها خاصة في فترات الأمطار والخصب ؛ أما العسل الناتج عن النحل المربى فقد كان محدوداً في بعض المناطق خاصة في الجنوب المغربي لكن انتشاره ارتبط أساساً بالتبادل التجاري ما بين المغرب وأوربا وارتفاع الطلب على مادة الشمع المستخلصة من الشهد بعد عصره وتقطيره لاستخراج العسل، وبقدر ما كان هذا الحافز إيجابياً بقدرما عاكس

إنتاج العسل في بعض الأحيان إذ عمد بعض الفلاحين وبعض صيادي النحل إلى قطف الشهد وجنيه حتى ولو كان خالياً من العسل قصد الحصول على الشمع مما أدى إلى إتلاف العديد من الخلايا والأجباح والحد من تفريخ النحل وتكاثره وبالتالي تراجع انتاج العسل.

تحدثت المصادر على اختلاف أصنافها عن العسل حتى إنه لا يكاد يخلو واحد منها من إشارة إليه. لكن كتب الرحلات والجغرافية اهتمت بالعسل أكثر من غيرها. ويمكننا بتتبعها أن نضع خارطة للتوزيع الجغرافي لمراكز إنتاج العسل ومناطق تربية النحل وحتى عن التقدير الكمي للإنتاج وتقلب أسعاره وتصديره وما إلى ذلك ؛ وتحدثت بعض المصادر عن أنواع العسل اعتماداً على لونه فأشارت إلى العسل الأبيض والعسل الأخضر (*بسط الأرض*، 70 ؛ *الاستبصار*، 213).

كما يصنف العسل حسب النباتات التي تربى عليها النحل واستخرج رحيقها. عسل أزهار الليمون، عسل السعتر، عسل الشيح، عسل تيكيوت (الفارابيون)، وعسل الأوكاليبتوس (حالياً)، وتعتبر الأنواع الأخيرة من أجود أنواع العسل. والعسل عرف منذ التاريخ القديم كمادة غذائية وكمادة استشفائية ومادة واقية ومادة للتصبير عند الحضارات القديمة تحظى بنوع من الاهتمام لدرجة التقديس عند بعض الشعوب، وقد أضيف إلى هذا التراكم المعرفي الحضاري عند المسلمين ما جاء به القرآن الكريم من أخبار عن النحل ومنافع العسل الغذائية والدوائية حتى سميت سورة من سور القرآن باسمه "سورة النحل" :

"وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذلك يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس" (آية 19).

تعتبر مادة العسل مادة ثمينة عند المغاربة يكرمون بها أعز ضيوفهم ولا يكاد يخلو منها منزل أو دار في البادية والمدينة، وقد كانت العادة في الولائم أن يُقدم للمدعوين السمن والعسل قبل الوجبات الرئيسية، ولتلازم المادتين السمن والعسل ضرب بها أكثر من مثل أشهرها المثل القائل عن التلاؤم بين شخصين أو أكثر "كالسمن مع العسل"، والعسل اليوم مادة استراتيجية اشتقت منه عدة مواد غذائية وتجميلية وطبية باهظة الثمن ولعل أغلاها ما يعرف بعسل ملكة النحل، ووجدت اليوم أنواع من العسل الاصطناعي والمربى بطريقة عصرية، وتعتبر منطقة الغرب من أهم مناطق إنتاجه على الصعيد الوطني. لكن العسل المذكور في المصادر والوارد في القرآن الكريم أصبح مادة نادرة من الصعب الحصول عليها.

ابن الفقيه، ضمن ملخصات حاج صادق، الجزائر، 1949 ؛ الاصطخري، *مسالك الممالك*، ليدن، 1927 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر، 1911 ؛ الادريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الايطالية نابولي ؛ مجهول، *الاستبصار*، الإسكندرية، 1958 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تطوان، بدون تاريخ ؛ ابن سعيد، *بسط الأرض*، تطوان، 1958 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، مقتطفات فانيان، الجزائر، 1924، ورقات، محمد المنوني ؛ ابن بطوطة، *الرحلة*، السبتي، *اختصار الأخبار*، الوزان، *وصف إفريقيا*.

محمد حجاج الطويل

**ابن عسل، (الحاج -) قاسم** الرباطي، من الفنانين الموسيقيين الذين اشتهروا بالرباط في أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر.

ذكره العالم الرباطي إبراهيم التادلي إلى جانب من عرفهم من الماهرين في العزف على آلات الطرب بالرباط فقال : "وفي ضرب القانون برع الحاج قاسم بنعسل الرباطي". ويبدو أن المترجم كان من ممارسي الطرب الغرناطي بالرباط لما نعلمه من أن آلة القانون تأخر استخدامها في الموسيقى الأندلسية المغربية إلى القرن العشرين.

إ. التادلي، *أغاني السقا ومغاني الموسيقى*، الفصل الخامس من الباب السابع، ص. 76 - 77، ط. حجرية. خ. ع ؛ ص. الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، ص. 122.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**العسلة، الحسين** بن باري، مقاوم، ولد سنة 1907 ببومكاي إقليم طانطان من والديه باري بن العسلة ومحجوبة بنت سعيد.

انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 ضمن الفرقة السابعة بمركز أسا تحت مسؤولية امبارك منار وايدا ولد التامك. وقد كان الفقيد مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله نشيطا في عمله متحمسا في ايمانه معروفا بغيرته الوطنية. شارك في عدة معارك ضد الجيش الفرنسي وأخرى ضد الجيش الاسباني وقد أبلى البلاء الحسن في صحراء المغرب وآيت باعمران. إلى أن تحقق النصر وتم طرد المستعمر الغاشم.

التحق بالرفيق الأعلى رحمة الله عليه يوم 10 فبراير 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 501831.

**العسلوج** عَسْلُوج أو كرْنينَة بالغربية أو غَدُّو أو تَغَدُّوتْ بالأمازيغية أسماء لنوع نباتي شكوي يسمى علميا سْكُولِيمُوسْ هِيسْبَانِيكُومْ Scolymus hispanicum الذي ينتمي إلى فصيلة المركبات أو النحميات Asteraceae.

إنه نبات ثنائي الحول، من الممكن أن يتجاوز علوه 1م. سيقانه مجنحة على طولها. أوراقه مموجة ومفصصة ومشوكة. ازهاره رؤيسي الشكل ويحمل أزهارا صفراء اللون.

يصادف النوع في كل المناطق البيومناخية والطوابق النباتية :

تؤكل ساق العسلوج نيئا بعد تقشيرها أو تطبخ في تهييئ بعض الأطباق، كما تستعمل في التطبيب التقليدي.

يحتوي الجنس على نوع ثان يتميز بسيقانه وأوراقه ذات البقع البيضاء. وله نفس الاستعمالات المذكورة أعلاه.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*. Ibis Press, Paris, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**العشارية**، الجمع : عشاريات ؛ وهي من القوارب الكبيرة الملحقة بالسفن، أو المخصصة للشحن والتفريغ وللربط بين أحواض المراسي وعرض البحر، وهي عبارة عن زورق واسع مسطح خال من المقاعد يبحر بواسطة المجاذيف (اثنا عشر مجذافا)، يصل طوله إلى حوالي عشرة أمتار، ويصل عرضه مترين ونصف تقريبا، ويتسم بغاطسه شبه المسطح، وبارتفاع جؤجؤه نسبيا وكوثله شبه المربع، وقد كان يستعمل بالخصوص لنقل الدواب والبضائع.

Brunot, *La mer dans les traditions*..., p. 249.

حسن أميلي

**عشاش، بلقاسم** بن العربي من أصل جزائري، وكان كغيره من المواطنين الجزائريين الذين عملوا في الإدارة المغربية في عهد الحماية، فعمل ترجمانا للمراقب المدني الفرنسي جون كوستي Jean Coustè ببلدية مدينة سلا في فترة العشرينيات، 1920 / 1930، وقد ذكر بعض معاصريه من معمري مدينة سلا، ممن عاشوا في الفترة المذكورة أنه توفي بمدينة سلا في الأربعينيات.

قال عنه ابن سودة في دليل مؤرخ المغرب الأقصى : من *أهل العصر*، ويقصد النصف الأول من القرن العشرين.

وذكره الأستاذ محمد حجي في *فهرس مخطوطات الخزانة العلمية الصبيحية* الصادر ضمن منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، سنة 1985، ص. 425 : "كان ترجمانا ببلدية سلا أيام الحماية، عندما تحدث عن تعريبه كتاب جون كوستي الفرنسي : عائلات أهل سلا".

اشتهر عشاش بلقاسم بن العربي بتعريب كتاب المراقب المدني الفرنسي جون كوستي Jean Coustè وعنوانه : Les grandes familles indigènes de Salé وذلك سنة 1925، وقد صدر عن المطبعة الرسمية بالرباط سنة 1931.

وقد ذكر بعض معمري مدينة سلا هذا المراقب المدني بأنه كان ذا فكر ثاقب، وثقافة موسوعية، مجتهدا في الدرس والتحصيل، متقصيا الأخبار الاجتماعية والتاريخية والأدبية للمدينة في ماضيها وحاضرها.

ويظهر من خلال قراءة النص الفرنسي وتتبع مروياته أن الكتاب كان تقريرا سياسيا واجتماعيا وأدبيا عن حياة أبناء مدينة سلا، أنجزه للإدارة الفرنسية فترة مزاولته مهمته بالمدينة.

ولعل ملازمة عشاش بلقاسم للمراقب المدني الفرنسي دعته إلى نقله إلى اللغة العربية دون إشارة إلى ذلك، وإهدائه إلى مجادة باشا مدينة سلا السيد محمد الصبيحي، كما أنه لم يضع لهذه الترجمة عنوانا.

وقد عرَّب الدكتور محمد حجي عنوانه : بـ "عائلات أهل سلا" غير أني لم ألتزم بهذا العنوان عندما عملت على تحقيقه والتعليق عليه، وقامت مشكورة الخزانة العلمية الصبيحية بنشره سنة 1989 بسلا، وهو "*بيوتات مدينة سلا*".

ومن خلال قراءة الكتاب والعمل على تحقيقه وتوثيق معلوماته اتضح أن ثقافة الترجمان عشاش ثقافة متوسطة، فإلمامه بتاريخ المغرب ومؤلفات المغاربة والأندلسيين التي اعتمدها المؤلف الفرنسي في التعريف بالرجال العلماء أو الملوك والأمراء في المغرب والأندلس لا ترقى إلى المستوى الأكاديمي الذي يمكن أن يطمئن إليه الباحث، ولعل ذلك راجع إلى عمله الإداري ببلدية سلا، مما لا يمكن معه التضلع في التقاط الأخبار أو تتبع الإصدارات.

نجاة المريني

**العشرة** من العربية الفصحى عاشر يعاشر معاشرة وعشرة وعشيرة ... والعَشْرة في الدارجة المغربية تنطق مخففة العين والشين، ولا تختلف في مضمونها عن المعنى العربي العام، وتعني نوعاً من العلاقات البشرية بين صحبة أو جماعة محددة العدد من الناس يتقاسمون أسباب العيش من أكل وشرب ومبيت، وهموم مشتركة لفترة محددة.

والعشرة أشكال عديدة : منها الدائمة والطويلة والقصيرة...، أما الدائمة فهي عشرة الأهل والأقارب وعشرة الأزواج التي لا تنتهي إلا بوفاة أحد أطرافها أو بالطلاق بالنسبة للزوجين (وتعني عشرة فاشلة)، أما الطويلة فهي التي كانت سائدة قبل زمننا هذا في الأسفار البعيدة المدى عن طريق القوافل والرفاق والركبان (*التشوف* ؛ *أنس*) تجمع بينهم مصلحة مشتركة هي التنقل في أمان والوصول إلى المكان المقصود بسلام، وأطول شكل للعشرة هو عشرة ركب الحج فقد كان الذهاب والإياب لأداء فريضة الحج يستغرق سنة فأكثر حسب فصل حلول موسم الحج (*التشوف*، *المنهاج*).

أما العشرة القصيرة فقد تجمع أطرافاً متعارفة أو أغراباً سواء في رحلة أو سفر قصير أو في مخيم أو محلة أو في منزل من المنازل (النزالة) أو بمناسبة زيارة للأولياء والصالحين أو في زاوية أو رباط أو للقيام بعمل معين (مثل الحصاد وأوراش البناء وغيرها من الأشغال) وهذا الشكل من أشكال العشرة هو المقصود في الدارجة المغربية ونجد عنه إشارات وحكايات متعددة في بعض المصادر وفي الأدب الشعبي والموروث الشفوي (أمثال العوام).

تعتبر العشرة بجميع أشكالها محكاً قوياً وامتحاناً حاسماً في اختبار العلاقات بين الناس، فيها تظهر الحقائق

والعيوب التي لم تكن بارزة في علاقات الصداقة أو الزمالة أو الجوار أو القرابة العائلية وما إلى ذلك من العلاقات والروابط : ففي العشرة تطفوا المحاسن والمساوئ وتظهر أخلاق وسلوكات إيجابية أو سلبية من قبيل الأنانية أو الإيثار ونكران الذات، القناعة أو الجشع والطمع، الكرم أو البخل، الطيبوبة أو الخبث، المروءة أو الوقاحة ...

ولأهمية العشرة عند المغاربة بصفة خاصة وعند العرب بصفة عامة فإنها حظيت باهتمام وتقدير خاص لدرجة القدسية، وارتبطت بها مجموعة من العادات والتقاليد والأحكام والسلوكات، فالاشتراك في تناول الطعام (الملح) وتقاسم الأفرشة والأغطية (المبيت) والهموم المشتركة والمساهمة في الأفراح والأتراح وتقاسم المنافع وتداول الخدمات كل ذلك جعل لهذه العلاقة (العشرة) حرمة وقدسية (طابو) يعتبر المتنكر لها خائنا للعشرة لا تحمد عاقبته في الدارين.

ويكمن الوجه الآخر للعشرة في تمتين الروابط ما بين المتعاشرين لدرجة أنها في بعض المناطق والفترات تفوق روابط الدم والعائلة ونتج عنها أخوة وتزاور فاق صلة الرحم، والعكس صحيح، فكم من علاقة صداقة أو زمالة أو جوار بل وحتى علاقة قرابة عائلية تتفكك عندما تتعرض لمحك "العشرة".

وأحسن عشرة ما كان خالصاً لوجه الله تعالى خالياً من طمع أو حاجة خاصة (عشرة الحج أو ركب زيارة الأولياء) (أبو سالم العياشي)، وأقبح عشرة أشارت إليها المصادر وما تزال واردة على السنة أهل البادية اليوم هي عشرة "الحصادة" ولذلك قيل في الأمثال العامية : "ما تعرف صاحبك حتى تعاشرو".

التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ الزبيدي، *تاج العروس*، بيروت، بدون ؛ الزجالي، *أمثال العوام*، تح. بن شريفة ؛ أبو سالم العياشي، *الرحلة الصغرى*، مخطوط ؛ *ماء الموائد*، تح. م. حجي ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ الماجري، *المنهاج الواضح* ؛ م. حجاج الطويل، *النقل والتنقل*، مرقون، الرباط، 1998 ؛ الونشريسي، *المعيار*.

محمد حجاج الطويل

**العشّاب**، أسرة أندلسية أخذت اسمها من مهنة العشابة التي كانت تزاولها، كما يعرف المكان الذي تعرض فيه الأعشاب وتباع بالعشابين، وهي أسواق معروفة في فاس وغيرها، وانتشر العشابون الأندلسيون في كل من درعة وفاس والقصر الكبير وشفشاون وطنجة وأحواز طنجة بجبل حبيب من قبيلة بني منصور، بل إنه يوجد في جبل حبيب بحوز طنجة مدشر يسمى العشاشبة.

ويرجع الأستاذ محمد الفاسي أصل أولاد العشاب بالمغرب إلى مدينة ألقنت الواقعة في شرق إسبانيا. وذكر الشيخ عبد الكبير بن هاشم الكتاني في كتابه *زهر الآس* أن بيت أولاد العشوبي بيت قديم بفاس كانت لهم ثروة ووجاهة ولهم أصول معروفة بهم إلى الآن.

ومن مدينة فاس انتقل الفقيهان محمد العشاب وأخوه عبد السلام. زمن السلطان مولاي سليمان 1206 / 1794، وكان مشهودا لهما بالفضل والعلم والصلاح فاستقر الأول بالقصر الكبير قاضيا عليها. والثاني بأصيلة قاضيا عليها كذلك. لم يترك الفقيه محمد خلفا من الذكور فانقطع نسله. والثاني الفقيه عبد السلام استوطن أصيلة وصار لأسرة العشاب بها قوة تعتمد على الجاه والمال وكثرة الرجال، وصارت هذه الأسرة بأصيلة من الأسر المعروفة، ولهم نسبة إلى آل البيت فهم أدارسة جدهم الأعلى محمد بن إدريس الثاني وبيدهم شجرة نسب وظهائر يرجع تاريخها إلى سنة 1245 / 1829 زمن السلطان مولاي عبد الرحمن ابن هشام. وفي نهاية القرن الثالث عشر (19 م) على عهد السلطان الحسن الأول انتقل فرع من هذه الأسرة من أصيلة إلى طنجة واستوطنوها وما يزال آل العشاب اليوم بكل من شفشاون وجبل حبيب وأصيلة وطنجة.

ومن أعلام أسرة العشاب :

العشاب، عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف العشاب الغساني الأندلسي : نزيل درعة. ذكره أحمد بابا السوداني، وقال كان من أهل العلم. له عناية بجمع الكتب ونسخ منها بخطه الجميل بعضها. وفي رحلته للحج لقي أعلاما وأجازوه كابن عرفة وابن خلدون والعز بن جماعة. له تأليف :

- *تحفة الناسك في علم المناسك*. *والمقنع في مناسك المتمتع*.

العشاب، إبرهيم بن إبرهيم الأنصاري يكنى بأبي إسحاق المعروف بالعشاب : المتوفى عام 583 / 1187. أندلسي من بلدة أشونة سكن مدينة فاس. كان بارعا في النحو، وفي الأدب، وأتقن فن القراءات أخذه عن الشيخ أبي القاسم بن رضا. حدث وأقرأ وأخذ عنه وأجاز له أبو الحسن القطان جميع رواياته سنة 582 / 1196 ولعله مات بفاس في التاريخ أعلاه. قال عنه ابن فرتون : "كان يعلم ويقرئ النحو ويبيع العشب".

ابن الآبار، *التكملة لكتاب الصلة*، نشر، عزت العطار الحسني، القاهرة، 1375 / 1955، ج 1، 158 ؛ عبد الوهاب بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، ج 1، المطبعة الملكية بالرباط، 1399 / 1979.

عبد الصمد العشاب

**العشاب**، اسم أسرة علمية، طار لها صيت الاشتهار بوادي درعة، خلال القرنين التاسع والعاشر (15 ـ 16 م) وذلك بفضل ثلة من العلماء النابغين فيها، تجاوزت شهرتهم بلاد درعة إلى جهات أخرى من المغرب.

**العشّاب، عبد الله** بن محمد بن يوسف الدرعي مؤسس هذه الأسرة المجيدة، هاجر من الأندلس، ونزل ببلاد

درعة في زمن غير معروف من القرن التاسع الهجري (15 م)، استوطن فيما يبدو، قصر تيدسي القديم وسط واحة ترناتة. وقد كان هذا القصر يشرف على براح من الأرض تقام فيه سوق جهوية كبرى تلتقي فيه القوافل من كل الجهات (*المعلمة*، 8 : 2661) كان عبد الله العشاب واسع الاطلاع، وهذا ما جعل عدداً من العلماء يحلونه بالشيخ الأجل والعالم والعَلَم وله عناية خاصة بتجميع الكتب ونسخها وله خط حسن اشتهر به بين علماء عصره.

لا نكاد نعْرف أي شيء عن ممارسة عبد الله العشاب للتدريس إلا أننا لا نستبعد أن يكون قد قام بإلقاء دروس في الفقه واللغة على غرار ما كان سائدا في ذلك الوقت، ولولا حافز التدريس ما كان لعبد الله العشاب اهتمام بجلب الكتب واستنساخها.

رحل عبد الله العشاب إلى المشرق، فأدى فريضة الحج وأثناء عودته التقى بعدد من العلماء، فأخذ عنهم وأجازوه إجازات عامة، ولو لم يكن مبرزاً ما فاز بإجازات كل من ابن عرفة، وابن خلدون، وسعيد العقباني، والعز بن جماعة. وبعد عودة العشاب من الحج أصبح يعرف بين العامة والخاصة بالحاج عبد الله، وقد لزمته هذه الصفة حتى بعد وفاته إلى اليوم عند عامة الناس، الذين يقصدون ضريحه للزيارة وطلب الاستشفاء.

ومن مؤلفات الحاج عبد الله الفقهية التي خلد اسمه بين علماء درعة *المقنع في مناسك المتع*، و*تحفة الناسك في علم المناسك*، و*تعاليق عن المختصر الفقهي لابن الحاجب*.

توفي عبد الله بن محمد العشاب بوادي درعة، بعد حياة علمية سنة 852 / 1448، ودفن خارج قصر تيدسي القديم بالمكان الذي يعرف محليا بـحْدَبْ الحاج عبد الله، وقد أقامت فرقة أولاد بوزيد من قبائل الرُّوحا، ضريحا بسيطا على قبره. وكانت قبائل الرُّوحَا بواحة ترناتة بفرقها الثلاث تجتمع عند ضريح الحاج عبد الله العشاب، لا تخاذ القرارات الكبرى التي تخصها، وتلح في ذكر اسم الحاج عبد الله في اتفاقياتها التحالفية والتنظيمية، ويعتبر اسم الحاج عبد الله ضامنا لنجاح كل القضايا التي نوقشت عند ضريحه، ولم تختف عادة الاجتماع عند ضريح العشاب إلا بعد الإعلان عن الاستقلال وتلاشي الأنظمة القبلية.

وما تزال عادة الاستقسام عند ضريح العشاب سائدة إلى اليوم عند بعض عامة الناس، الذين يعتقدون أن الحلف بالباطل عند قبره يسبب للحالف في مصيبة مستعجلة غير مؤجلة.

وبعد وفاة الحاج عبد الله وتخريب قصر تيدسي القديم أقام حفدة الحاج عبد الله العشاب، قصرا بالقرب من الضريح ما يزال يعرف إلى اليوم بقصر أولاد العشاب وليس هناك ما يفيد في الوقت الحالي بأن سكان هذا القصر هم من حفدة وذرية الحاج عبد الله العشاب، بل إن جل سكان القصر لا يعرفون عن الحاج عبد الله أكثر من اسمه، وأنه وليٌّ من أولياء الله.

**العشاب، محمد** بن **محمد** بن **عبد الوهاب** الدرعي ثاني اثنين من حفدة الحاج عبد الله العشاب من الفرع الوهابي، لا نعرف شيئا عن ميلاده ولا تعليمه، حلاه الثمنوكَالي بالفقيه الجليل والعالم المحقق (*العقود الجوهرية*، 65). ونعتقد أنه كان معاصراً لابن عمه السابق الذكر، وأن الشهرة العلمية للأول قد غطت على الثاني وجعلت أخباره تضيع تماما، بل إن الأمر التبس على بعض المتتبعين لأخبار آل العشاب فجعلوا من المحمدين من الفرع اليوسفي والفرع الوهابي شخصاً واحداً (*حضارة وادي درعة*، 136) ويظهر أن العلم قد تراجع عند آل العشاب بعد وفاة المحمدين ولم نصادف من بعض أسماء هذه الأسرة خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري (17 م) إلا اسمين : حمادي بن محمد العشاب وأحمد بن علي العشاب، ويظهر من خطيهما وعباراتهما في رسوم الأملاك العقارية أنهما يتمتعان بقدر لا بأس به من المعرفة. وقد انقرض اسم آل العشاب في وثائق وادي درعة منذ هذا التاريخ رغم أن اسم قصر أولاد العشاب ما يزال يذكرنا بما كان لهذه الأسرة من مكانة بين أهل العلم خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (15 ـ 16 م).

**العشاب، مُحمد** بن **محمد** بن **يوسف** الدرعي واحد من اثنين كان لهم ذكر من بين أهل العلم، من حفدة الحاج عبد الله العشاب من ابنه يوسف، ولد على الأرجح سنة 930 / 1523، أخذ مبادئ القراءة والكتابة على يد بني قومه بقصر أولاد العشاب، فلما شب عوده، التحق بزاوية سيدي الناس بواحة فزواطة فلزم دوس الأستاذ أبي القاسم الشيخ (*الحركة الفكرية*، 2 : 535) فلما توفي الأستاذ سنة 953 / 1546، جال محمد العشاب في مدار تاكَمادارت وزاوية الحنا وأغلان حتى اتم تعليمه فتخرج فقيهاً مشاركاً وعالماً جليلاً (*العقود الجوهرية*، 65) له باع طويل في علوم اللغة والفقه والحساب والنحو والفرائض. وقد توفي العلامة محمد العشاب سنة 999 / 1591 ودفن بمقبرة أهله خارج قصر أولاد العشاب.

محمد المكي بن موسى الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ محمد بن لحبيب التمنوكَالي، *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*، مخطوط ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، ج 2 ؛ محمد المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، الرباط، 1991 ؛ الوراقة المغربية، مجلة البحث العلمي، ع 18 ـ 1971 ؛ حضارة وادي درعة من خلال النصوص والآثار ؛ *دعوة الحق*، ع 2، السنة 18 ـ 1973 ؛ أحمد البوزيدي، مادة تيدسي، *معلمة المغرب*، مجلد 8 ؛ *وثائق محلية*، زيارة ميدانية لضريح الحاج الحاج عبد الله العشاب.

أحمد البوزيدي

**العُشّي**، أسرة تطاونية أصلها من الأندلس حيث

مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Aluchi ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1205.

محمد ابن عزوز حكيم

**العشور**، كانت زكاة العشر من مداخيل بيت مال المسلمين، وقد استمر العمل بذلك في المغرب طيلة عهد الإمارات المستقلة عن المشرق : الأدارسة وبنو مدرار ومغراوة وبنو يفرن وغيرهم ؛ وفي عهد يوسف بن تاشفين - من دولة المرابطين - ألغيت كل الضرائب والمغارم والمكوس المستحدثة واكتفى المخزن المرابطي بما هو شرعي منها. الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة ؛ إلا أن مسألة تجاوز الشرعي كانت واردة طيلة التاريخ الإسلامي، فكلما كانت حاجة المخزن إلى الأموال متزايدة إلا واضطر إلى إحداث ضرائب ومغارم جديدة غير شرعية تحت أسماء وذرائع مختلفة كانت وبالا على الرعية، فأحدث ذلك خللا في التوازن وعدم الثقة ما بين الحاكم والمحكومين، كان مناسبة استغلها الخصوم والمعارضون للمخزن : أما الرعية فكانت تضطر لتقليص أنشطتها الفلاحية والتجارية وأحيانا تغادر مساكنها وتهجر أراضيها مكرهة.

كانت الدولة الموحدية أكثر من غيرها تشددا في جمع الزكاة سواء زكاة الفطر أو زكاة العشر حتى إن بعض خلفائها أصدروا ظهائر ورسائل تحث المكلفين بجمع الزكاة والعمل على معاقبة المتنع عن دفعها للمخزن إلى حد الإعدام : "وخذوا بأنباء الزكاة وبالكشف عن مانعيها وتشخيص ممسكيها أو النزر اليسير منها فالزكاة حق المال والجهاد وواجب على من منع منها قدر العقال فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة يقتل..." *(رسائل موحدية)*.

هذه زكاة العشر وقد أحاطت بها كتب الفقه والنوازل والدراسات التي تناولتها بالشرح والتفسير والتعليق، أما "لعشور" في الدارجة المغربية فرغم منطلقاته الشرعية والفقهية إلا أنه حاد عنها عبر التاريخ ليصبح ظاهرة اجتماعية تكافلية، فمنذ تحرير الزكاة (زكاة الفطر ثم زكاة العشر) أي أنها لم تعد من مستحقات المخزن على الرعية، خضعت لتطبيقات واجتهادات اختلفت في الزمان والمكان، ففي البادية المغربية مثلا :

يتم إخراج "العشور" بحسب ما تنتجه الأرض من محاصيل وغلال. ويختلف وقت أداء العشور باختلاف مواسم جني الغلال والمحاصيل فجنى محاصيل الزيتون والتمور والخضر والفواكه يختلف أوانها طيلة السنة ولذلك تدب حركة غير عادية في مناطق إنتاج هذه المواد إذ تقصدها جحافل الفقراء وغيرهم من طالبي "العشور" ؛ أما الحبوب والقطاني فموعد حصادها وجمعها هو فصل الصيف حيث تكثر حركة طالبي العشور من :فقراء وشرفاء وفقهاء ومتصوفة وغيرهم" يطوفون بالقبائل والدواوير جماعات وفرادى راجلين وعلى ظهور الدواب. ومنهم من ينزل بخيامه وقياطينه على قبيلة أو دوار معين حتى إذا أكمل تجواله هز رحاله إلى قبيلة أخرى وهكذا...، وبعد نهاية الموسم وأحيانا خلاله يبيع هؤلاء ما تحصل لديهم من حبوب في عين المكان أو في الأسواق الأسبوعية ؛ ومنه من يرسل أحمال الزرع إلى بلده الأصلي، ويتحصل لهؤلاء "العشارة" أحيانا ما لا يحصل عليه الفلاح الصغير والمتوسط من حبوب وقطاني بعد عمل شاق طيلة السنة.

ويتحدث بعض الفلاحين المسنين عن "العشور" قديما فيقولون أن تطبيقه كان أمرا عاديا عند جميع الفلاحين باعتبار الزكاة ركنا من أركان الإسلام الخمسة وكان إخراجها يتم فورا قبل إدخال المحاصيل إلى الدار وتشمل جميع المنتجات كيفما كانت قيمتها (بهائم وزيت وسمن وعسل وصوف وما إلى ذلك...). أما اليوم فلا يخرج الفلاحون في أحسن الأحوال إلا "عشور" الحبوب، وأحيانا يتحايلون فيخرجون نصيبا قليلا منها في البيدر والنصيب الأوفر يتم إرساله للمعوزين من ذويهم سواء في المنطقة أو خارجها، ومنهم من يرسلها إلى الزوايا والأضرحة والمدارس العتيقة. ومن الفلاحين من يؤدي منها أجرة فقيه الدوار "الشرط" وهكذا...

ما قلناه عن البادية ينطبق على المدينة خاصة عند فئة التجار الصغار والمتوسطين وبعض التجار الكبار، والاختلاف مع البادية يتجلى في زمن إخراج زكاة العشر فبداية السنة الهجرية "شهر محرم" في الغالب يكون موسم العشارة الذين يمرون على أبواب الدكاكين والمحلات التجارية يجمعون ما تيسر من نقود، وبما أن معظم التجار من منطقة سوس فإن مجمل أموال زكاة العشر ترسل إلى مستحقيها من مؤسسات خيرية ومدارس عتيقة وفقهاء وصلحاء ومعوزين ولا يوزع محليا أمام دكانه إلا القليل.

ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن، 1938 ؛ ابن عذاري، *البيان المعرب*، بيروت، 1948، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ الونشريسي، *المعيار المعرب*، طبعة وزارة الأوقاف ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ ليفي بروفنصال، *مجموعة رسائل موحدية*، الرباط، 1941 ؛ محمد الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، مرقون كلية الآداب بالرباط.

محمد حجاج الطويل

**العصافير**، مجموعة من أنواع الطيور المغردة تصنف إلى رتبة الجواثيم Passeriformes ومنها فصائل عديدة وتعتبر من أكبر رتب الطيور وأكثرها تعقيدا حيث تتكون من ثلاثة أخماس مجموعة الطيور كلها في العالم. تضم 130 نوعا من بين 370 من مجموع الطيور التي تشاهد بصفة منتظمة في المغرب. مقاييس الأنواع مختلفة : صغيرة جدا

كالصعو أو متوسطة كالدريس والجحموم ـ الشحرور ـ وأبي الحناء والسمنة والخطاف والجاوش والقويع أو كبيرة كالغراب حيث يبلغ طول الجسم 60 سم. تتميز أنواع العصافير بقصر رسغ القدم الذي ينتهي بأربعة أصابع حرة، الرابع منها متوجه إلى الخلف. بعض الأنواع تعرف من خلال أصوات تغريدها. نذكر من بين الأنواع الشائعة والغريبة في المغرب :

ـ الصعو للذكر والصعوة للأنثى كما في المعاجم تجمع على صعاء وهو طائر بري من القواطع يعتبر من أصغر الطيور حجما إذ لا يزيد طوله على 9 سم ويزن 20 ـ 30 غراماً. يقال له في المغرب الدسيس لكثرة اختفائه وفي الشرق العربي وصع يجمع على وصعان في سوريا والعراق ولبنان سكسوكة ونمنمة ودعويقة وذكر في بعض المؤلفات العربية باسم سكسكة وأطرغلودس وأطرغلوس وصفراغون. يتميز بحركات دائمة وبقلة الطيران. يصنف إلى فصيلة سيتيدي Sittidae ويدعى علميا Troglodytes troglodytes وبالفرنسية Troglodyte mignon وبالإنجليزية Wren وبالإسبانية Chorchin وبالإيطالية Scricciolo. موطنه إفريقيا الشمالية وأوربا والشرق الأوسط. طائر مستقر في المغرب ويألف المناطق الغابوية والصخرية والحقول والبساتين. الذكور شبيهة بالإناث، لونه متوسط بين الرمادي والصفرة وعلى جناحيه ريش ذهبي أشقر بخطوط من الريش الأبيض على الجانبين والذيل، القوائم بنية حمراء داكنة، الذيل قصير ومتوجه إلى الأعلى في أغلب الأوقات منقاره دقيق وعلى ذيله نقط بيض. يتغذى من الحبوب والحشرات والديدان والعناكب. يتوالد في مختلف المناطق المغربية الغابوية والساحلية ابتداء من شهر أبريل وينصب العش على الأشجار وبين الصخور وفي المغاوير وهو كروي الشكل يقوم الذكر بإنشائه وتفرشه الأنثى بالريش لتضع فيه 5 ـ 8 بيضات ملساء بيضاء مزركشة بنقط حمراء وسوداء، يبلغ طول قطرها الكبير 17,5 ملم. تحضن الإناث البيض 14 ـ 17 يوما. تغادر الصغار العش بعد 18 يوما.

م. رمضاني، *السلوي، معلمة المغرب*، الجزء 15 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*. 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p. ; M. Thevenot, P. Beaubrun, R.E. Baouab, & P. Bergier, *Compte rendu d'ornithologie marocaine*, Documents Inst. Sci., Rabat, 1982, 118 p.

محمد رمضاني

**عصور ما قبل التاريخ** في المغرب، تنقسم عصور ما قبل التاريخ في المغرب إلى قسمين رئيسيين :

ـ العصر الحجري القديم (Paléotique)

ـ العصر الحجري الحديث (Néolithique)

العصر الحجري القديم يقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام :

1 ـ العصر الحجري القديم الأسفل أو الأدنى

2 ـ العصر الحجري القديم الأوسط

3 ـ العصر الحجري القديم الأعلى

1 ـ العصر الحجري القديم الأسفل بالمغرب : من الأصول إلى 120000 ق. م. يمثل هذا العصر أطول وأقدم مرحلة تطورية في حياة البشر. وقد قام العلماء بالبحث عن بقايا هذا البشر ومخلفاته في المواقع التي يظن أنه كان يقطنها أو يسكن بجوارها أو يلتجئ إليها كالعيون، والأودية، والمنخفضات، والكهوف القريبة من الينابيع والأنهار، لأن إنسان هذه المرحلة كان يبحث عن طعامه بوسائله المختلفة، في هذه المناطق التي تتجمع فيها المياه والنباتات البرية والحيوانات والطيور والأسماك التي يستطيع فيها تحقيق غرضه الأول وهو الصيد والقنص والالتقاط. وقد ترك بعض آثاره في الطبقات الأولى المطلة على هذه العيون والأودية والمنخفضات. ومن المواقع الأثرية المنتمية لهذه المرحلة في مغرب ما قبل التاريخ محجر سيدي عبد الرحمن، ومحجر مارتان، ومحجر طوما بالدار البيضاء وموقع تيط مليل قرب الدار البيضاء وموقع وادي الخميس بالخميسات، وموقع عين لفريطيسة في شمال المغرب. كما عثر على نماذج من أقدم الأدوات الحجرية التي يبدو أن إنسان هذه المرحلة استعملها والتي تعرف بثقافة النواة أو ثقافة الحصاة (Pebble - culture) في مواقع متعددة بالمغرب في الشمال والوسط والجنوب والصحراء كعرباوة والدار البيضاء والخميسات والرباط إلخ. وتعتبر هذه الثقافة أقدم تعبير لبداية مغامرة الذكاء لدى الإنسان. ويعيد العلماء تاريخ ظهور هذه الثقافة إلى حوالي 2.5 مليون حيث تم اكتشافها لأول مرة بشرق إفريقيا بجانب الاسترالوبيثيك (الإنسان القردي الجنوبي)، إلا أنه في المغرب لم يعثر لحد الآن على بقايا هذا النوع البشري، ولكن الأدوات الحجرية التي يبدو أنه كان يستعملها موجودة مما يوحي بأن هذا النوع البشري العتيق كان بدوره موجوداً إلا أن معاول المنقبين لم تصل إليه بعد.

وفي مرحلة تطورية ثانية ومع ظهور ما يسمى بالإنسان المنتصب القامة (Homo erectus) الذي وجدت بقاياه في المغرب في مواقع متعددة كالدار البيضاء وسلا والرباط ومن أهم هذه المواقع كهف ومحجر سيدي عبد الرحمن بالدار البيضاء، الذي ساهمت الأبحاث التي عرفها في دراسة الزمن الجيولوجي الرابع والتعريف بحضارات وصناعات ما قبل التاريخ، وبالإنسان الذي عاش خلاله، وكذا الحيوانات والنباتات التي كانت تعيش في نفس المجال. وتنتمي البقايا البشرية المستخرجة من هذا الموقع سواء التي استخرجت في بداية منتصف القرن العشرين أو التي عثر عليها سنة 1998 إلى نموذج الإنسان المنتصب القامة الذي يتراوح تاريخ وجوده بالمغرب ما بين مليون و165000 سنة ق. م. وقد عثر على أنواع منه كذلك بالرباط وبسلا. ويطلق العلماء على هذا الإنسان المغربي العتيق اسم أطلانثروب أي إنسان الأطلس. كما عثر على بقايا عظمية لحيوانات متحجرة منها

الفيل ووحيد القرن وفرس النهر والزرافة والحصان. وقد استعمل هذا الإنسان أدوات حجرية تسمى بالأشولية وهي فؤوس يدوية ذات وجهين وكانت منتشرة ومتوفرة في كل مناطق المغرب والصحراء. وقد استغرق العصر الحجري القديم الأسفل مرحلة طويلة من الزمن واجه فيها الإنسان البيئة وتفاعل معها. وهذا التفاعل أكسبه خبرة استعملها في تطوير أدواته الحجرية التي ساعدته على الانتقال إلى المرحلة التطورية التالية حوالي 120000 سنة قبل الميلاد وهو العصر الحجري القديم الأوسط.

2 ـ العصر الحجري القديم الأوسط: 120000 ـ 35000 ق.م.

اتجه الإنسان خلال هذه المرحلة إلى تطوير الأدوات الحجرية وصناعة آلات حجرية أكثر دقة تعرف بالشظايا. تتميز هذه الشظايا بصغر حجمها وتنوع أشكالها كالأزاميل والمكاشط ورؤوس الحراب والسهام ـ تصنع هذه الشظايا عن طريق فصلها عن النواة الأصلية لكي تؤدي وظيفة القطع التي يحتاج إليها. وتعرف هذه الصناعة عالمياً بالصناعة الموستيرية بينما في شمال إفريقيا والصحراء الكبرى فتسمى بالصناعة العاطرية نسبة إلى موقع بئر العاطر بالجزائر. وتتميز الادوات العاطرية عن باقي الصناعات بأنها أدوات مذنبة. ويعتبر ابتكار الذنب تقدماً كبيراً لأنه يعبر على وجود التصور والإمكانيات الفكرية لدى هؤلاء المبتكرين. فرأس الحربة المربوط بعصى مثلاً يصبح سلاحاً فعّالا بالإضافة إلى أنه يزيد من قوة مستعمليه. وقد عثر على الصناعة العاطرية في عدد من المواقع تمتد من المغرب الأقصى غرباً إلى مصر شرقاً بما فيها الصحراء الكبرى، وقد وجدت آثار هذه الصناعة في مواقع بالمغرب كمغارة العالية بطنجة، وكهف دار السلطان قرب الرباط، وكهف المهربين بتمارة وكهف الخنزيرة جنوب غرب الجديدة بالإضافة إلى مغارة الحمام بتافوغالت المستوى 16 و17 الخ ...

ومن البقايا البشرية المنتمية لهذا العصر إنسان جبل إيغود الذي عثر عليه في موقع يبعد بحوالي 30 كلم جنوب شرق مدينة آسفي، والذي عاش منذ حوالي 130000 سنة ق. م. في نفس الفترة التي عاش فيا إنسان نياندرطال بأوربا والشرق الأدنى القديم. وكان زمن اكتشاف إنسان جبل ايغود يعتقد أنه ينتمي إلى فصيلة إنسان مياندرطال، إلا أنه بعد الدراسات التي اجريت عليه، اتضح أنه يختلف عنه اختلافا كليا بعدد من السمات منها أن مظهر وجهه أقرب للإنسان العاقل منه للنياندرطال هذا فضلاً على أن أنفه أكثر اتساعا. كما يتميز بأن جمجمته لا تزال تتضمن بعض السمات القديمة التي تشير إلى وجود علاقة بينه وبين الانسان المنتصب القامة.

ويعتبر انسان جبل ايغود الشهادة الوحيدة على وجود مجموعة بشرية قديمة تجمع بين صفات الإنسان السابق، الإنسان المنتصب القامة، والإنسان اللاحق، الإنسان العاقل مما يعني أنه يمثل حلقة تطور بينهما. وهذه الظاهرة لا نجدها إلا في هذه المنطقة مما جعل العلماء المهتمين بالتطور البشري يميلون إلى القول بأن المغرب هو البلد الوحيد في العالم الذي يتوفر على هذه الخاصية الفريدة من نوعها، بعكس باقي المناطق. ويبدو أن إنسان جبل إيغود هو جد الإنسان العاطري المنتمي إلى الإنسان العاقل. وفي عهده تطورت حياة الإنسان المغربي في العصر الحجري القديم الأوسط بشقيها المادي والفكري مما دفعه نحو الانتقال إلى المرحلة الحضارية التالية المتمثلة في العصر الحجري القديم الأعلى.

3 ـ العصر الحجري القديم الأعلى: (Paléolithique supérieur)

تعتبر هذه المرحلة من مراحل العصر الحجري القديم أهم مرحلة في مجال التطور الحضاري لأنها تمثل خلاصة التجارب السابقة التي واجهت الإنسان خلال المراحل الطويلة من حياته، مما جعلها تمهد لمرحلة حاسمة أخرى في الحياة البشرية وهي مرحلة العصر الحجري الحديث أو مرحلة الثورة الإنتاجية الأولى.

وعلى الرغم من أن حدود العصر الحجري القديم الأعلى غير دقيقة وواضحة عما سبقها، إلا أن الملاحظ أنه كلما اقتربنا من الأزمنة الحالية إلا ووجدنا أن الحدود الزمنية بين مرحلة وأخرى تصبح أكثر دقة ووضوحا، هذا بالإضافة إلى أن التحقيق بواسطة الكربون المشع (14 C) أمدنا بسلم تاريخي ثمين وبالفعل فإنه ما بين 40000 و30000 قبل زمننا هذا، بدأت التقاليد المميزة للعصر الحجري القديم الأوسط تعرف تغيراً عميقاً في الشرق الأدنى القديم وغرب أوربا، مما يدل على الانتقال إلى العصر الحجري القديم الأعلى، الذي يتميز بتطور بنيات السكنى وازدياد أهمية المواد والأدوات والأسلحة المصنوعة من العظام، بجانب الأسلحة والأدوات الدقيقة المصنوعة من الحجر والمعروفة، بالميكروليتية، هذا فضلاً على استعمال المواد الملونة وظهور البدايات الأولى للتغيير الفني.

وتميز هذا العصر في المغرب بطغيان الصناعة العاطرية التي تحتل المكانة التي تحتلها الصناعة الموستيرية خارج شمال إفريقيا والصحراء الكبرى. وفيما يتعلق بالتسلسل الزمني للصناعة العاطرية فقد أثبتت التنقيبات الأثرية أنها تحتل مكانة الموستيرية وتتداخل معها وأحيانا تأتي بعدها مباشرة هذا علاوة على أن العاطرية بدأت في العصر الحجري القديم الأوسط واستمر وجودها في العصر الحجري القديم الأعلى.

ورغم الصعوبة في تحديد المركز الذي نشأت فيه هذه الحضارة لأول مرة ومنه انطلقت إلى باقي المراكز، إلا أن انتشار المواقع وتركزها على الساحل المغربي في المغرب، واستمرار انتشارها في ليبيا ومصر، وتوجهها توجها قويا نحو الجنوب في الصحراء إلى أن تتوقف بصفة عامة على

ضفاف ما تبقى من البحيرات في الصحراء الجنوبية كبحيرة تشاد، يجعل من هذا التركز في المغرب، وتدرج قلة المراكز كلما اتجهنا إلى الشرق إلى غاية مصر، تجعلنا نفترض أن مهد هذه الصناعة كان في المغرب الحالي، ومنه انتشرت في باقي شمال إفريقيا والصحراء. وهذا يعني أن هذه الصناعة فرضت وجودها في كل هذا المجال وأن العلاقات الحضارية هذه المرة كان اتجاهها غربياً ـ شرقياً جنوبياً وشرقياً، أي أن الصناعة العاطرية كانت المحرك الأساسي القوي التأثير في هذه المرحلة، مما يجعلنا نميل إلى القول بأن إرهاصات ما يمكن أن نسميه الوحدة الحضارية بين شمال إفريقيا من جهة والصحراء من جهة أخرى تعود إلى هذه المرحلة.

وقد عثر على إنسان صانع هذه الحضارة في مواقع متعددة في المغرب منها كهف دار السلطان سنة 1975 وكهف تمارة في نفس السنة كذلك ومغارة العالية بطنجة .. الخ ... ويبدو من خلال الدراسات الأثرية أن الحضارة العاطرية، بدأت منذ حوالي 45000 سنة ق. م. واستمر وجودها إلى حوالي 20000 سنة ق. م لتخلفها الحضارة الإيبيروموروسية.

هذه الحضارة التي غطت مرحلة زمنية من العصر الحجري القديم الأعلى تتراوح ما بين 20000 سنة و8000 سنة ق. م. ولقد كان إلى وقت قريب يعتقد أن هناك فراغاً حضارياً وهوة اركيولوجية تفصل بين الحضارة العاطرية والحضارة الايبروموروسية. ولكن التنقيبات الأثرية التي أجراها الباحث الفرنسي القس روش (L'Abbé Roche) في مغارة الحمام بتافوغالت بشرق المغرب، أثبتت أن المستويين الأثريين 17 و18، من مستويات المغارة والواقعين في أسفل الطبقات الأثرية يمثلان الحضارة العاطرية وبداية الحضارة الايبيروموروسية في المستويات العليا انطلاقا من المستوى 16. وهذا ما يعني عدم وجود أية هوة بين الحضارتين. وليس من المستبعد أن يكون للحضارة العاطرية أثر في الحضارة الايبروموروسية.

كانت الحضارة الايبروموروسية تتميز بأنها حضارة ساحلية، تنتشر في شمال إفريقيا من المغرب غرباً إلى ليبيا شرقا، عكس الحضارة القفصية التي هي حضارة داخلية أي قاربة. وأول من سماها بالاري (Pallary) الذي أطلق عليها اسم الحضارة الايبروموروسية معتقداً أنها صناعة قادمة من شبه جزيرة ايبيريا. ولكن اتضح فيما بعد أن هذه الحضارة لا علاقة لها إطلاقا بإيبيريا، وإنها حضارة محلية صرفة. وأعقب ذلك تحريات ودراسات وحفريات قام بها الباحث الفرنسي فوفري سنة 1932 في مواقع بالجزائر على الخصوص، جعله يطلق عليها اسم الحضارة الوهرانية.

وأهم سمات الحضارة الوهرانية صغر أدواتها الحجرية، ولا سيما النصال الصغيرة ذات الشكل الهلالي، والمكاشط المستديرة وبعض الأدوات المستعملة لسحق الألوان، بجانب أدوات من العظام المصقولة المهندمة.

ويحدد الباحث الفرنسي القس روش تاريخ هذه الحضارة باستعمال الكربون C14 ما بين 21900 + - 400 و10 800 + - 400 من الآن. بينما يحدد تاريخها ماكبرني في ليبيا ما بين 14000 ق. م و10000 ق. م. وهذا يعني أن الحضارة الوهرانية في غرب شمال إفريقيا أقدم منها في شرقها. فهل هذه التقديرات المقارنة تسمح لنا بافتراض الأصل في المغرب، ومنها اتجهت بالتدريج إلى الشرق، حتى وصلت إلى ليبيا ؟ هذا مع العلم أنه لحد الآن، تم العثور على أدوات هذه الصناعة في الصحراء المغربية فقط قرب اسمارة. فهل هي حضارة مغربية صرفة ولا وجود لها في الصحراء الكبرى، أم أنها توجد بها ولكن معول المنقبين لم تصل إليها بعد ؟ على كل، وحسب التحريات والتنقيبات التي أجريت لحد الآن في الصحراء فإنها تشير إلى وجود هذه الحضارة في الصحراء المغربية فقط عكس الحضارة السابقة العاطرية. فهل هي بداية انتقال العلاقات بين الصحراء وشمال أفريقيا، من علاقات عمومية إلى علاقات أفقية، أي من علاقات شمال ـ جنوب وجنوب ـ شمال إلى علاقات غرب ـ شرق وغرب جنوب شرق ؟ أي أن العلاقات التي كانت صحراوية شمال إفريقية في البداية انتقلت في عهد الحضارة العاطرية إلى علاقات شمال أفريقية صحراوية ثم أصبحت في عهد الحضارة الوهرانية علاقة بين مناطق شمال إفريقية فقط.

العصر الحجري الحديث Néolithique في المغرب.

أشرنا في التمهيد إلى أن العصور الحجرية تقسم عادة إلى ثلاثة عصور العصر الحجري القديم والعصر الحجري الأوسط والعصر الحجري الحديث. وأن العصر الحجري الأوسط لا يوجد في كل المناطق لكونه عصر قصير جداً، هذا فضلاً على أنه عبارة عن فترة انتقالية. واعتباراً لذلك فإنه غير موجود في المغرب الذي تنتقل فيه من العصر الحجري القديم الأعلى إلى العصر الحجري الحديث مروراً بعصر أطلق عليه القس روش الايبيبالويتسك (Epipaléolithique) أو العصر الحجري القديم الفوقاني الذي يتميز حسب رأيه بكونه عصراً يجمع بين سمات العصر الحجري القديم وسمات العصر الحجري الحديث.

ومن سمات هذا العصر ظهور الثورة الانتاجية الأولى المتمثلة في انتقال الإنسان من مجرد إنسان باحث عن الطعام ومستهلك له إلى إنسان منتج، إذ أنه توصل إلى استئناس الحيوان والزراعة.

وقد عرف إنسان شمال إفريقيا خلال هذه المرحلة الحضارة القفصية، من الناحية الكرونولوجية تلي الحضارة الوهرانية، الحضارة القفصية وهذه الحضارة بدورها كان قد أطلق عليها في بداية اكتشافها سنة 1909 الحضارة والصناعة الجيتولية (Industrie gétule) لكون التشابه بين أدوات هذه الصناعة وأدوات الأدوار الأولى من العصر الحجري القديم الأعلى في أوروبا وخاصة الحضارة الأوريگنسية (Aurignacien)، دفع الباحثين إلى المزيد من التحري والتقصي، وإعادة النظر في المكتشفات الأثرية التي قام بها گوبير (Gobert) وفوفوي

(Vaufrey). وقد ألقيا أضواء جديدة على الموضوع، وخاصة بعد استخراجهم للأدوات الدقيقة باستعمال الغربال، مما يوضح أن الإنسان القفصي كان يستعمل أدوات دقيقة شبيهة بالأدوات الميكروليثية التي تميز العصر الحجري الوسيط (Mésolithique). مما دفع بگوربير وڤوفري إلى إرجاع هذه الصناعة إلى العصر الحجري الوسيط. ونضيف إلى هذا أن مواقعها سطحية، والكثير منها على هيئة تلال مكونة من تكديس الرماد وبقايا الطعام التي تركها الإنسان القفصي، والمتكونة أساساً من الحلزون، مما جعل الباحثين يطلقون عليها الرماديات أو الحلزونيات (Les escargotières).

ومن ميزات الحضارة القفصية أنها أقل انتشاراً في المكان والزمان، إذ لم تتجاوز المناطق الداخلية بتونس، وخاصة جهتي قفصة وتبسة، كما تمتد إلى شرق الجزائر وخاصة جهة سطيف وقسنطينة، ولا تتعدى في الغرب جهة تيارت. ولم يعثر على أي أثر لهذه الحضارة لحقد الآن في المغرب والصحراء، وجنوب مصر وشمال السودان. أما من الناحية الزمنية، فقد أثبتت التحاليل المخبرية باستعمال الكربون C14 أن الحضارة القفصية ظهرت بعد الحضارة الوهرانية، ولم تعمر إلا مدة قصيرة نسبيا تتراوح ما بين منتصف الألف السابع والألف الرابع قبل الميلاد (6450 ق. م + - 400 و3050 ق. م + - 100).

ومن خصائص العصر الحجري الحديث توصل الإنسان إلى تربية الماشية والزراعة فهل وصل سكان المغرب الأقدمين إليهما ؟

- تربية الماشية والزراعة :

كان قدوم الفينيقيين إلى وقت قريب يربط اكتشاف الزراعة ودخول المغرب العصور التاريخية ؛ إلا أن الأبحاث الأثرية الأخيرة والدراسات المنصبة على هذين الموضوعين أكدت أن ممارسة تربية الماشية والزراعة كان معروفا لدى سكان شمال إفريقيا، وربما لدى أبناء الصحراء كذلك، منذ فترات قديمة.

فهل يمكن تحديد تاريخ ظهور الزراعة في بلدان شمال إفريقيا والصحراء وما هي الدلائل أو المؤشرات التي تدل على وجودها ؟

إن أول صعوبة تعترضنا تتمثل في عدم توفرنا على مادة علمية كافية لمعالجة أصول الزراعة، هذا فضلاً عن أن أغلب ما هو متوفر كتبه أجانب انطلاقا من أفكار مسبقة، ترتكز على أن كل الإبداعات الحضارية التي عرفتها شمال إفريقيا جاءتها من الخارج ؛ بل وهناك من هؤلاء الباحثين من يرى أنه بما أن الزراعة مرتبطة بالعصر الحجري الحديث، وبما أننا لا نعرف جيداً متى بدأ هذا العصر ومتى انتهى، فإن هذا يطرح صعوبات كبيرة في التعرف على أصول الزراعة فيها ؟ ويذهب كامبس (Camps) بعيداً إلى حد أنه يذكر بما أن ممارسة الزراعة تعتبر من أهم سمات العصر الحجري الحديث، التي عمت الشرق الأدنى وأوروبا، فإنه لا يمكن الأخذ بنفس الحكم كلية في أفريقيا. هذه بعض الأمثلة من مواقف الباحثين الأجانب من معرفة منطقة شمال إفريقيا بالزراعة، فهل يمكن اعتبارها أحكاما نهائية ؟ وكيف يعقل أن تعرف جهة في شمال إفريقيا، وهي مصر الزراعة ولا تعرفها جهات قريبة من نفس المنطقة ؟

لذلك ولفتح المزيد من الآفاق حول هذا الموضوع، يبدو أنه من الأفضل العودة إلى دراسة بعض المستخرجات الأثرية التي تم العثور عليها في بعض المواقع التي يبدو أن لها علاقة بالعصر الحجري الحديث وبإرهاصات الزراعة. ومن هذه المؤشرات مستخرجات مواقع الحضارة الوهرانية والحضارة القفصية والريف الشرقي.

ففيما يتعلق بالحضارة الوهرانية فقد تم العثور على الكرات الحجرية المثقوبة (Les boules de pierre perforées) الصغيرة الحجم التي تستعمل كثقالة (poids) للعصا الحفارة (Le baton à fouir) في موقعين وهرانيين بالجزائر تمراحت ورأس سيكيلي ويتحدث كامبس عن هذه الأداة قائلاً : "إن هذه الأداة جد معروفة بإفريقيا وخصوصاً عند شعب اليوشمن وأيضاً بإثيوبيا، وأنها تستعمل لغرض تهيئة الأرض وتنعيمها لدى مزاولي الزراعة الفقيرة".

أما بالنسبة للحضارة القفصية، فقد عثر في بعض طبقاتها الأثرية على نوع من المناجل والكرات الحجرية المثقوبة، (Les boules de pierre perforées) والمدقات (Les molettes) وأداة الحصاد (Le lustre des moissons). ومع كل هذا، فإن كامبس يتحفظ بخصوص الأدوات القفصية التي يبدو أن لها علاقة بالزراعة ويؤكد على عدم وجود زراعة لدى القفصيين، مشيراً في نفس الوقت إلى أن أول أداة ربطها بالزراعة هي الشفرة، التي عادة ما تعرف بأداة الحصاد (Le lustre des moissons)، والتي استخرجت من بعض الطبقات الأثرية القفصية. ومع ذلك فان كامبس، ورغم تأكيده بارتباط أداة الحصاد هذه بالزراعة، إلا أنه يقول بأنه لا يجب الاعتقاد بأن أداة الحصاد هذه قد استعملت في الزراعة. بل يمكن أن تكون قد استخدمت في قطع سيقان نباتات غير صالحة للأكل، ولكن لها منافع كثيرة، كالقصب الذي كان يستعمل كثيراً في صنع الفخاخ.

وكأني بكامبس يعمل ما في وسعه من أجل نفي وجود أي إسهام حضاري لأبناء هذه المنطقة، رغم وجود بعض المؤشرات الموحية بذلك. فوجود الأدوات الزراعية في بعض المواقع الأثرية ليس دليلا كافيا في نظر كامبس، بل يمكن اعتبار ذلك محاولة للتوجه نحو زراعة فعلية. وبما أن التحديد الزمني لرماديات الحضارة القفصية يتزامن والعصر الحجري الحديث في البحر الأبيض المتوسط، فإن كامبس، يرجح أن القفصيين يمكن أن يكونوا قد مارسوا القطف بطريقة انتقائية، مكنتهم من حفظ ما جمعوه ويمكن اعتبار هذه العملية، حسب كامبس دائما، أول خطوة نحو زراعة حقيقية.

والجدير بالإشارة هنا، أن الباحث ريگاس تحدث عن نوع

من المعاول (Pics) عثر عليها جنوب قسنطينة بالجزائر، أطلق عليها اسم المحروكاتي الذي يظهر أن لها ارتباطا وثيقا بالزراعة، هو نوع من المعاول الصوانية المنحوتة وغير المصقولة. ويفترض ريكاس أن هذه الصناعة ذات أصول إفريقية، وأن تأثيرها وصل إلى أوربا بطرق يجهلها. وقد وجدت هذه الأداة الزراعية أيضاً في جهة الحوز مما جعل الباحث رودريك (Rodrique) يرجع أن هذه الأداة استعملت كأداة للحرث ؛ وهذا يعني قيام الزراعة بالمغرب قبل ظهور المحراث.

ومن المؤشرات الأخرى التي ترجح كفة معرفة إنسان العصر الحجري الحديث في شمال إفريقيا للزراعة وممارسته لها، ما استخرجته البعثة الأثرية العلمية المغربية الألمانية، التي نقبت في شرق جبال الريف بالمغرب، وأقامت معرضا لمستخرجاتها الأثرية بالمتحف الأثري بالرباط ما بين 16 مايو ويونيو 1998، أثبتت من خلاله ظهور الفلاحين الأوائل بهذه الجهة منذ حوالي 9000 سنة بجانب مربي الماشية والصناع الأوائل للفخار. وفي حوار مع الباحثين المغاربة المشاركين في هذه البعثة العلمية أشار أحدهم إلى عثوره على حيوان يبدو أنه مستأنس في موقع إيفري ن الباورد قرب قرية صاكة بإقليم الناظور.

وإذا أضفنا إلى هذه المؤشرات الواضحة، النقوش والرسوم الصخرية الموجودة في جبال الأطلس وجنوب المغرب والجزائر وليبيا، وفي الصحراء الكبرى ؛ التي تجسد مشاهد من أنشطة سكان هذه المناطق، ومن ضمنها نقوش خاصة بعملية الحرث أشهرها نقش عزيب نائكيس الذي درسه مالوم (Malhomme) ونشره في مجلة "ليبيكا" سنة 1953. فكل هذه المؤشرات تؤكد معرفة إنسان شمال إفريقيا للزراعة انطلاقا من الألف التاسع قبل اليوم.

ويبدو أن الصحراء عرفت الزراعة منذ فترات قديمة، ومما يؤكد ذلك العثور على غبار الطلع في موقع منيات وأمكني بالصحراء الجزائرية. وقد تم التحديد التاريخي لزمن بعض الأدوات الحجرية بغبار الطلع لبعض المزروعات في موقع منيات بـ 3450 ق. م. أما موقع أمكني فقد تم العثور فيه على الفخار وقطعتي رحى وعشر مدقات (Molettes) بجانب غبار الطلع. وهذا ما جعل كامبس يغير موقفه ويؤيد إمكانية ممارسة الزراعة في أمكني بالألف الثامن ق. م.

وعليه، يبدو من خلال ما تقدم، أن الزراعة عرفتها المناطق الصحراوية ومناطق شمال إفريقيا في وقت متقارب، نظراً لعثور الباحثين على بعض أدوات الزراعة في هذه المناطق كلها، مما يؤكد تشابه التطور في كل من الصحراء وشمال إفريقيا مما يؤيد وجود عناصر ثقافية مشتركة بينهما.

ومع ذلك، فإن هذه الافتراضات ليست نهائية ؛ ونأمل أن تسمح الدراسات والأبحاث الأثرية الجارية حول هذا الموضوع في عدد من الجهات في شمال افريقيا والصحراء بكشف النقاب عن حقبة مهمة من حقب العلاقات بين شمال افريقيا والصحراء الكبرى ودورهما في التطور الحضاري للبشرية خلال عصور ما قبل التاريخ.

وبوصول الإنسان إلى اكتشاف تربية الماشية والزراعة انتقل إلى مرحلة الاستقرار التي صاحبتها تغيرات على مستوي المجتمع والعلاقات بين أفراده وظهور نوع من التخصص في بعض الحرف، كالفخار وصناعة الأدوات الزراعية والحجرية والمعدنية وتنظيم ديني معين.

وختم العصر الحجري الحديث تطوره بابتكار الإنسان الكتابة التي ظهرت لأول مرة في بلاد سومر ثم تلتها مصر.

وبابتكار الإنسان الكتابة انتقل من عصور ما قبل التاريخ إلى عصور التاريخ.

وفيما يتعلق بدخول المغرب للعصور التاريخية فقد قيل إنه دخلها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد عن طريق اتصاله بالفينيقيين على أساس أنه لم يعرف الكتابة قبل هذا إلا أن الدراسات والأبحاث التي أجريت حول الكتابة الأمازيغية توحي بأنها ابتكرت قبل نزول الفينيقيين بسواحل المغرب. وهذا يعني أن المغرب دخل العصور التاريخية اعتمادا على ابتكاره الكتابة وليس انطلاقا من الاتصال بشعب يعرف الكتابة.


م. أعشي، *المدخل لتاريخ الحضارة*، الرباط، 1979 ـ 1980 ؛ *ما قبل التاريخ في المتحف الأثري المغربي*، مجلة الفنون، عدد 7 ـ 8، 1975 ؛ *إسهام النقوش الصخرية بالجنوب المغربي في التعريف ببداية استئناس الحيوانات*، المناهل، عدد 58، ص. 28 ـ 45 ؛ *نماذج من التأثيرات المتبادلة بين شمال إفريقيا والصحراء الكبرى خلال عصور ما قبل التاريخ*، عدد 7، سنة 2001، ص. 7 ـ 48 ؛ *جذور بعض مظاهر وحدة أرض المغارب خلال عصور ما قبل التاريخ أعمال الجامعة الشتوية في بناء المغربي العربي*، الكتاب الأول، *المحور التاريخي*، مكناس، 1988، ص. 69 ـ 81 ؛ م. عبد الجليل الجهراوي، *الحضارة الأشولية*، *معلمة المغرب*، ج 2، 1989، ص. 472 ـ 473 ؛ *الايبيروموروزية*، *معلمة المغرب*، ج 3، 1991، ص. 917 ـ 919 ؛ موقع تارديگت الراحلة، *معلمة المغرب*، ج 6، 1992، ص. 2014 ؛ ع. الرزاق قراقب وعلي مطيهط، *حضارات ما قبل التاريخ تونس والبلاد المغاربية*، تونس، دار اليف منشورات البحر الأبيض المتوسط، 1993.

L. Balout, *Préhistoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1955 ; Biberson, *Le paléolithique inférieur du Maroc atlantique*, Rabat, 1961, *(PSAM, 17)* ; Id., *Le cadre paléogéographique de la préhistoire du Maroc atlantique*, *P.S.A.M.*, n° 16, Rabat, 1960 ; G. Camps, *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, éd. Doin, Paris, 1976 ; J. Roche, *L'épipaléotothique marocain*, Lisbonne, 1958 ; A. Ruhlmann, *Le paléolithique marocain*, Nouvelle esquisse d'une étude d'ensemble, P.S.A.M., n° 7, 1947, Rabat ; R. Vaufrey, *Préhistoire de l'Afrique*, t. I, Le Maghreb, Librairie Masson et Cie, Paris, 1955 ; F. Z. Sbihi Alaoui, *La vie préhistorique, Mémorial du Maroc*, vol. n° 1, Nord Organisation, 1983 ; G. Souville, *Atlas préhistoire du Maroc* I, le Maroc atlantique, CNRS, Paris, 1973 ; M. Ouachi, *Origines des nord africains* in *Mémorial du Maroc*, vol. n° 1, Nord organisation, 1983, 83- 103 ; Id., *La vie préhistorique au Maroc* in *Civilisation marocaine*, éditions Oum-actes Sud/sindbad, Casablanca 1996, p. 16 - 21 ; A. Le Roi-Gourhan [et al.], *La préhistoire*, Nouvelle Clio, P.U.F., 3e édition ; *Le geste et la parole*, 2 volumes, Paris, 1964-1965 ; G. Childe, *What happened in history*, harmondsworth, 1952, Penguin Books ; H. Alimen, *Atlas de préhistoire*, 1965 ; D. de Sonneville Bordes, *L'âge de la pierre*, Paris, 1961, collection Que sais-je ? n° 948 ; M. R. Sauter, *Préhistoire de la Méditerranée paléolithique*,

*Mésolithique*, Paris, 1958 ; L.C. Briggs, *The stone age reces of North-Africa*, Americain School of préhitoric nesearch Harvard university, Bull. 8. 1955 ; O. Bates, *The Easterne Libyans*, an essay, Londers Cass, 1914 ; C.B.M. McBurney, *The stone age of northern Africa*, Harmondsworth 1960 (Penguin. Books) ; G. Beaudet, *Le quaternaire marocain : Etat des études, Revue de Géographie du Maroc*, 20, 1971, p. 3 - 56 ; M. Brezillon, *Dictionnaire de la préhistoire, Dictionnaire de l'homme du XXe siècle*, Librairie Larousse, 1969 ; L. Cottrell (sous la direction), *Dictionnaire encyclopédique d'archéologie*, Gouda Hallande, 1962 ; *L'encyclopédie berbère.*

مصطفى أعشي

**العصيدة** أو "تگلا" بالأمازيغية، وهو طعام خشن كما وصفه الوزان يهيأ بالطريقة التالية : "يغلى الماء في قدر ثم يوضع فيها دقيق الشعير ويحرك بقضيب حتى ينضج. تصب هذه في طبق مجوف، وتجعل في وسطه حفرة تملأ بزيت الهرجان. وتجتمع الأسرة كلها حول هذا الطبق، فيأخذ كل واحد منه بيده دون ملعقة ما يستطيع حتى لا يبقى شيء في الطبق. وفي خلال الربيع والصيف كله يطبخ هذا الدقيق في اللبن ويدهن بالزبدة، ذلك هو العشاء العادي" (*وصف إفريقيا*، 1 : 96). وذكر ابن تجلات بأن أهل أغمات عرفوا هذه الوجبة الغذائية باسم "التلبينة" "وهو خليط عصيدة الشعير أو الذرة باللبن". وهي من الوجبات التي مازال أهل المنطقة يعدونها إلى اليوم. من ناحية أخرى نجد عند فئة عريضة من سكان البادية والمناطق الجبلية، عادة الاحتفاء بـ " الحكوز" الذي هو رأس السنة الشمسية الذي يوافق الحادي عشر من يناير الفلاحي. وظل المغاربة يحتفلون بهذه المناسبة في بيوتهم ويعدون العصيدة إلى عهد قريب. وقد كادت هذه العادة عند الأسرة القروية تنسى وتنقرض. إلا أن بعض الجمعيات المغربية المهتمة بالتراث الأمازيغي قد عملت على إحياء هذه العادة. فأقامت لها مهرجانا خاصا لأول مرة بأگادير مطلع سنة 2001. والمهرجان الثاني بداية سنة 2002. وبهذه المناسبة أعدت أطباق من العصيدة قدمت للمشاركين. وعند بعض الأسر المغربية التي لها ارتباط بهذه العادة غالبا ما تعد العصيدة من دقيق الذرة وتصب فوقها الزيت وتؤكل بالأيدي دون ملاعق. وتسمى عند البعض "ملاسة" والاسم مشتق من فعل تقوم به الأم في تلك الليلة بأن تأخذ لقمة كبيرة من العصيدة وتقوم بتمليسها على أحد جدران البيت. ومنهن من تضعها على إحدى أثافي الكانون بعد الانتهاء من استعماله في تلك الليلة. وحين ينتهي الآكلون من أكلهم ينظر إلى الإناء هل بقي به شيء من العصيدة أم لا ؟. ولهم في ذلك فأل حسن واعتقاد له صلة بالتفاؤل بموسم فلاحي جيد إن شبع أفراد الأسرة وفضل من العصيدة شيء. وإن حصل العكس ظنوا الظنون واعتقدوا بأن السنة ستكون غير ممطرة ويعني ذلك قلة وضعف في المحصول. ومن العادات غير المنسجمة مع الشرع في حال انحباس المطر، قيام سكان بعض المناطق في العديد من القبائل المغربية، كقبيلة كدموية - وغيرها من المناطق الجبلية بالأطلس - بعادة معلومة لديهم تدعى "تاغنجا". ومن جملة ما يرد في طقوسها طبخ العصيدة بغير ملح وتوزيعها على أكبر عدد ممكن من الحجارة بالواد القريب من القبيلة، آملين جريانه بعد أن تجف وتأكل منها الطير. وللعصيدة حضور قوي في طقوس الموسم السنوي الذي يقام للشيخ عبد الله بن حساين أمغار نزيل تامصلوحت. ذلك، أن خدام الزاوية يعملون على تقديم العصيدة للوافدين إلى الموسم ثلاثة أيام على التوالي. والعرف عندهم أن يأخذ الآكل من الإناء ثلاث لقيمات لا يتجاوزها، وفي ذلك استحضار لبركة الولي الصالح عبد الله بن احساين أمغار. وللعصيدة معان أخرى نذكر منها الذي أورده صاحب الحلية "سمعت شعبة يقول كم من عصيدة فاتتني قال : أبو عبد الرحمن سلمة يعني كم من حديث قد فاتني". ولما مات السلطان أبو حفص استقر في الملك بعده أبو عصيدة سنة أربع وتسعين وستمائة وجاء في سبب تسميته أن الشيخ محمد المجاني سماه محمدا وأطعم الفقراء يوم ولادته عصيدة فلقب الولد بأبي عصيدة. وفي عام الرمادة مر عمر بن الخطاب على امرأة وهي تعصد عصيدة لها فقال ليس هكذا تعصدين ثم أخذ المسوط فقال : هكذا فأراها. وتذكر بعض المصادر أن طبخ العصيدة كان يتم في الطنجير كما يقول الخطيب البغدادي : "وإذا برجل يبيع حلواء وبين يديه طنجير فيه عصيدة تغلي، فأخذ رقاقة وأدخل يده في الطنجير والعصيدة تغلي فأخذ منها بكفه وطرحها على الرقاقة". وكان الأقدمون يميزون بين الحريرة والعصيدة بالمواد التي تضاف لكل منهما. يقول ياقوت الحموي : "والحريرة أن تنصب القدر بلحم يقطع صغارا على ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق فإن لم يكن لحم فهو عصيدة وقيل غير ذلك". قال الجوهري : والعصيدة التي تعصدها بالمسواط فتمرها به فتنقلب ولا يبقى في الإناء منها شيء إلا انقلب. والعصيدة دقيق يلت بالسمن ويطبخ. يقال : عصدت العصيدة وأعصدتها أي اتخذتها. واعتبرت العصيدة في كثير من المناطق مغذية ولها أثر حميد في الذات. رؤي عن ابن طولون أنه "كان يقوم بإصلاحها ويأتي منها بجام واسع فيأكل أكثره ويطيب نفساً ببلوغ شهوته منها". ومن جلسائه من كان يعتبرها ثقيلة على الأعضاء ويحتاج الأمير إلى التخفيف منها.

ومن وجهة نظر أخرى فالحريرة تؤخذ من اللحم الغاب الذي يقطع قطعا صغيرة فيلقى في القدر ثم يطبخ بالماء الكثير والملح. فإذا أميت طبخا ذر عليه الدقيق فعصد به ثم أدم بأي أدام. "ولا تكون الحريرة إلا وفيها لحم، فإذا لم يكن فيها لحم فهي عصيدة". والسخينة دقيق يلقى على ماء أو على لبن فيطبخ ثم يؤكل بتمر أو بحساً وهو الحساء. والهبيد هو أن ينقع الحنظل أياما ثم يغسل ويطرح قشره الأعلى فيطبخ ويجعل فيه دقيق وربما جعل منه عصيدة والسخينة يقال لها أيضا "النفيتة والحدرقة والحريرة أرق منها". وعليه، فإن اسم العصيدة يطلق على طبخ الدقيق بالماء حتى

يتماسك. ويعدها البعض اليوم من السميدة بإضافة الزبدة لها. كما تعد أيضا من "البلبولة" التي أصلها من الشعير. وتعد أيضا من الذرة وغير ذلك، في مناطق أخرى من دقيق الفول أو الحمص إن انعدمت أنواع الدقيق الأخرى حين الأزمة. إلا أن ابن بطوطة سمى هذه الأطعمة بالعصيدة تشبيها بالذي عندنا في المغرب والدليل على ذلك ما ذكره في التحفة حول حب الشاماخ "وحب الشاماخ صغير جدا، وإذا جمع جعل في الشمس ثم يدق في مهارس الخشب فيطير قشره ويبقى لبه أبيض ويصنعون منه عصيدة يطبخونها بحليب الجواميس وهي أطيب من خبزه وكنت آكلها كثيرا ببلاد الهند وتعجبني. ونوع آخر يعد مما أسماه بـ "القافي" "وأكلنا بعد وصولنا عصيدة تصنع من شيء يشبه القلقاس يسمى القافي وهي عندهم مفضلة على سائر الطعام. وقد تحدثت المعاجم العربية عن معاني كثيرة مشتقة من فعل عصد يراد بها التدليل على أشياء أخرى من مثل : الذي "يعصد العصيدة" أي يديرها ويقلبها بالمعصدة. والطعام الذي يعده يسمى عصيدة. ومنها "عصد فلان عصودا إذا مات". وكذا "عصد البعير عنقه لواه نحو حاركه للموت حين الذبح". ومنها أيضا "العصد وهو اللي". و"العصد والعزد النكاح". ومن معانيها الإكراه "عصدته على الأمر عصدا إذا أكرهته عليه". وإذا قيل "للرجل عصيد" فهو نعت سوء. و"رجل عصواد" أي عسير شديد.

ابن منيع الهاشمي، *الطبقات الكبرى*، المدينة المنورة، 1408 / 1888 ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت ؛ أبو نعيم الأصبهاني، *حلية الأولياء*، بيروت، 1405 / 1985 ؛ موفق الدين بن القاسم، *عيون الأنباء*، دار مكتبة الحياة، بيوت، (د. ت) ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، دار الفكر، بيروت، (د. ت) ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت (د. ت) ؛ ابن تجلات، *إثمد العينين*، تح. م. رابطة الدين، (د. د. ع) الرباط، 1986 / 1406 ؛ أ. بن عبد الله القلقشندي، *مآثر الإنافة*، الكويت، 1985 ؛ ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، 1979 / 1399 ؛ ح. بن محمد الوزان، *وصف إفريقيا*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 ؛ ع. الرزاق ازريكم، *أغمات وما إليها...*، (د. د. ع)، الرباط، 1993.

عبد الرزاق ازريكم

**عطا** (آيت -)، يطلق هذا الاسم على اتحادية كبرى مكونة من مجموعة من القبائل الصنهاجية، أهل الطبقة الثانية والثالثة حسب ترتيب ابن خلدون. تقع مواطنها بالجنوب المغربي، بين مرتفعات الأطلس شمالا، والتخوم الصحراوية - إيگيدي - جنوبا، وواحات تافيلالت والداورة شرقا، ووادي درعة الأعلى والأوسط غربا (Spillmann, 36). ويقع مركز هذا المجال الشاسع في سلاسل وگْنَاتْ وجبل صَاغْرُو (التقى العلوي، 117).

ظل اسم آيت عطا مجهولا في الحوليات وكتب التاريخ حتى بداية العصر الحديث (حسب التحقيب الأوربي). فابن خلدون الذي يعتبر موسوعة للقبائل لم يشر إليهم بالرغم من أنه يذكر أن قبائل صنهاجة : "أوفر عدداً وشدة وبأساً ومنعة، وأعزهم جانبا أهل الجبال المطلة على تادلا ... ولهم اعتزاز على الدولة ومنعة عن الهضيمة والانقياد للمعزم ... منهم ظواعن يسكنون الخص وينتجعون مواقع القطر في نواحي بلادهم ... ينطبق هذا التعريف - في جانب كبير منه - على آيت عطا. أما الحسن الوزان الذي تميز بقوة تحريه، وشدة فضوله، فإنه لم يشر إليهم بالرغم من أنه زار منطقة تافيلالت، المجاورة لمجال تنقلهم سنة 916 / 1511. ومكث بها طيلة شهور (*وصف إفريقيا*، 2 : 128).

إن أقدم مصدر تحدث عن آيت عطا، هو إفريقيا للكاتب الاسباني مارمول، حيث وردت على شكل "Yatata". ألف مارمول كتابه حوالي سنة 979 / 1571 ؛ وأشار إلى آيت عطا كإقليم شاسع يمتد على مشارف تافيلالت (Marmol, 3 : 23).

وتربط الرواية الشفوية تكوين حلف آيت عطا بالحاجة التي أبدتها بعض قبائل صاغرو - مثل آيت وَحْلِيمْ وآيت إسْفُولْ - إلى تشييد مستودع لخزن الحبوب، حمل مَنذئذ اسم إغْرَمْ أمَزْدَارْ. وتشير إلى أن معظم قبائل الأطلس الكبير الشرقي قد انضوت تحت لواء هذا الحلف. فبالإضافة إلى أيْت مَرْغَادْ وأيْتْ ازْدگْ، انضمت إليه بقايا القبائل الصحراوية المتفككة بسبب الغزو المعقلي للجنوب المغربي. ونشير في هذا السياق إلى أن أحمد بن يعقوب الولالي قد ادعى أن آيت عطّا هم من أخص العرب - وهم قريش - ؛ ويستند في ذلك إلى ما تقرر في شجرة أنساب القبائل الموجودة بأيدي الفقراء أهل الصومعة (*مباحث الأنوار*، 122)، كما تشتمل الاتحادية على عناصر من الجنس الأسود ؛ ترجع أصولهم إلى العبيد الذين استقدموا إلى المغرب في عهد المرابطين، أو إلى الحراطين المنتشرين بواحات تافيلالت ودرعة منذ القديم. وقد بارك الشيخ عبد الله بن حسين مؤسس زاوية تمصلوحت، هذا الحلف، حوالي 957 / 1550 (*التقى العلوي*، 115). وتدعي الرواية الشفوية المحلية أن أحد مريديه، ولعله أحد أقربائه، ويدعى دَادًا عطا ؛ هو الذي صار أبا رمزيا لهذا الحلف. بل لقد استعار اسمه من اسم هذا الشخص تيمنابه.

وهكذا انصرف آيت عطا يتوسعون نحو الشمال، فتطلبوا دعماً معنوياً، تجلى في اتصالهم بمولاي عبد الله بن حسين وبمرابطي زاوية أحنصال. وإذا لم يكن بالإمكان تحديد تواريخ هذه الاتصالات بالضبط، فإنه لا ينبغي إنكار حدوثها ؛ خاصة وأن لأولئك المرابطين نفوذاً قوياً على القبائل المستوطنة بالممرات الجبلية. كما أن دور الصلحاء والمرابطين لم يقتصر على التحكيم في النزاعات التي تنشب بين القبائل، بل تعداه إلى تسهيل انتجاع آيت عطا في المراعي الجبلية، وربما الإشراف على إبرام عقود التعزيب بين هؤلاء الرعاة والمستقرين. ولعل النفوذ الذي اكتسبه مرابطو أحنصال داخل هذه الاتحادية راجع إلى هذه الوظائف. كما

يمكن أن تدل تلك الاتصالات على أن آيت عطا كانوا يريدون المحافظة على خصوصيتهم الاجتماعية والثقافية من أجل ضمان مشروعيتهم إزاء المخزن الذي أصبحت تتداوله أيدي أسر شريفة منذ القرن 10 (16 م).

وعلى الرغم مما بذلته السلطات الفرنسية في سبيل إخضاع آيت عطا، فإن مجهوداتها كانت تذهب سدى. فحتى سنة 1930 لم تخضع إلا بعض الفرق المنعزلة الموجودة في الأطراف.

وستظل أعمال المقاومة الباسلة التي خاضتها إلْمْشَانْ (إحدى قبائل آيت عطا) بقيادة حَسُّو أوبَاسْلاَمْ، في جبل صاغرو من بين ألمع صور المقاومة المغربية الخالدة (Spillmann, 110).

وفي النهاية نختم هذا التعريف بآيت عطا برأي واحد ممن شاركوا في عمليات إخضاع هذه الاتحادية؛ يمكننا من خلاله أن نستشف تقييما لبسالة مقاومتها : "لقد أوضحت لنا المقاومة الضارية التي لاقيناها بجبل صاغرو، من طرف أواخر الأنوية الخارجة عن طاعتنا، الخطر الذي قد يشكله العمل العسكري الكثيف الذي قامت به اتحادية آيت عطا". وتعليقا على الكيفية التي تم بها إخضاع آيت عطا يضيف : "تحققت هذه النتيجة بالتدريج، وبفضل عمليات عسكرية متوالية، وجهناها بحذر على جهات متنوعة، غالباً ما كانت بعيدة بعضها عن بعض. وكان العمل العسكري مسبوقاً بالعمل السياسي الذي مهَّد له" (Spillmann, 110).

*مجموعة وثائق زاوية كرول* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، التقي العلوي، *أصول المغاربة*، القسم البربري، دور الاتحاديات الأطلسية، مجلة البحث العلمي، العدد 23، الرباط، 1394 ـ 1974، ص. 115 ـ 134.

M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow* ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc* ; J. Brignon [at al.], *L'histoire du Maroc* ; L. Mezzine, *Le Tafilalet*.

أحمد عمالك

**العطار، أحمد** قائد غرناطي بقلعية، ربما إبن علي بن إبراهيم الغرناطي آتي الترجمة. حل بقلعية يوم 14 جمادى الثانية عام 939 / 11 يناير 1533 بعد ثلاثة أيام من استرجاع مدينة غساسة المحتلة من طرف الإسبان منذ سنة 1506. تفقد أحمد العطار المدينة المسترجعة خلال أسبوع واحد وعاد إلى فاس بعد أن ترك بها حامية مؤلفة من ثمانين فارساً وخمسين من الرماة الأندلسيين.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا* ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلة المحتلة*، الدار البيضاء، 1997.

*S.I.H.M.*, España, t. 1

حسن الفكيكي

**العطار الشامي**، محمد صادق بن العلامة سليم بن الولي ياسين بن القطب الشهير حامد العطار، الشامي أصلا، الدمشقي وطنا، المغربي هجرة. هكذا عرّف الشامي نفسه في رسالته التي طبعت في طنجة سنة 1901. لا يعلم على وجه الدقة تاريخ حلوله بالمغرب، ولكنه كان موجوداً على أرضه أواخر سنة 1311 / 1896 حسبما يظهر من خطاب بعثه في 11 ديسمبر من هذه السنة إلى محمد الطريس، النائب السلطاني، واصفا فيه مظاهر الحفاوة التي استقبل بها الشيخ ماء العينين في مدينة مراكش. ولم يوضح في رسالته المطبوعة تاريخ هجرته إلى المغرب ولا الظروف المحيطة بها، غير أنه سجل فيها أنه استوطن مراكش وكسب فيها مالاً وعقاراً، كما ربط صلات وطيدة مع أعيان مغاربة أبرزهم إبراهيم بن بوشعيب الهنتاتي من مدينة أزمور.

يبدو أن الشامي وفد إلى المغرب لتعقب نشاط بعض المناهضين للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني، خاصة أعضاء من جمعية "تركيا الفتاة"، فحرر سنة 1319 / 1901 منشوراً، باعتباره وكيلا للسلطان العثماني ومديراً للطباعة العثمانية، وقد خاطب فيه المسؤولين في المخزن العزيزي وحذرهم من بعض العثمانيين الذين شقوا عصا الطاعة على الدولة وفروا إلى أوربا ومنها إلى المغرب، حاضا إياهم على طرد هؤلاء بل قتلهم. وطالب أعضاء المخزن وسماهم : المهدي المنبهي، ع. الكريم بن سليمان، محمد الطريس، فضول غرنيط، محمد التازي وعبد الله بن سعيد، بتنبيه السلطان مولاي عبد العزيز والرعايا المغاربة لشأن هؤلاء اللاجئين "حتى تجري المخابرات الرسمية في حقهم".

وفي السنة ذاتها، وبالضبط بتاريخ 17 ـ 8 ـ 1901 ورد في أحد خطاباته إلى المخزن أن حياته معرضة للخطر على يد علي بوطالب، وهو شخص كانت له صلات واتصالات بالأتراك، دون أن يبين علَّة هذا الاتهام. ولعل ذلك حصل في إطار صراع مصالح بين رجلين لهما نفس الارتباطات بالسلطنة العثمانية.

ويظهر أن محمد العطار الشامي لم يلتزم بالمهمة التي جاء من أجلها إلى المغرب، أي مراقبة الأعضاء الهاربين إلى المغرب من المنتسبين إلى جمعية "تركيا الفتاة" فخاض في أمور جرَّتْ عليه نقمة السلطان مولاي عبد العزيز، الذي صادر أملاكه وبهائمه وأمواله، وذلك قبيل وفاة الصدر الأعظم أحمد بن موسى (باحماد) سنة 1318 / 1900، وحينما فشل في استرجاع أملاكه والمحافظة على صلاته مع كبار المسؤولين بعد وفاة باحماد، فرّ إلى جبل طارق وأخذ يتهجم بشدة على السلطان وكبار رجال المخزن، مما جعل المخزن يترصده للإيقاع به، وهو ما أفصحت عنه رسالة من وزير الخارجية آنذاك عبد الكريم بن سليمان إلى النائب السلطاني محمد الطريس مؤرخة في 20 أكتوبر 1904، إذ طلب منه الاجتماع مع بناصر غنان ومحمد المقري لأجل اتخاذ التدابير الضرورية لإسكات صوته أو القبض عليه بمساعدة ممثلي فرنسا وألمانيا وانجلترة، أو توظيف الحيلة

لاستقدامه إلى طنجة وإعلان العفو عنه إذا ما أشهر توبته وتخلى عن ادعاءاته في حق المخزن.

خلف الشامي "رسالة"، تدخل في باب الرسائل النصحية، وقد فرغ من تأليفها سنة 1901 حسبما تدل على ذلك التواريخ المثبتة في الصفحتين الأولى والخامسة منها. وتمتزج في أسلوبها العامية بالفصحى. وقد تعمد كتابتها بهذه الكيفية حتى يتمكن من تبليغ أفكاره إلى أكبر عدد من المتلقين حسب قوله.

عالج في هذا الكتيب أوضاع العالم السلامي ناقداً وناصحاً، ساعياً إلى ائتلاف الجامعة الإسلامية، مركزاً على أحوال الدولة العثمانية والمغرب في عهد السلطانين عبد الحميد الثاني ومولاي عبد العزيز، ومن بين ما تناوله في هذه الرسالة خط سكة الحديد الرابط بين الشام والحجاز، مثنيا على سياسة عبد الحميد بعبارات فيها الكثير من المداهنة والتملق. وتأرجح بين تمجيد مولاي عبد العزيز وانتقاده وإلقاء اللوم عليه، ولعل ذلك بسبب المصادر المذكورة سابقا. وقد خلّف ما كتبه بشأن السلطان مولاي عبد العزيز ردود فعل سلبية في أوساط المخزن المغربي، وهو ما يدل عليه خطاب منه إلى الطريس بتاريخ 17 ـ 8 ـ 1901، حاول فيه تبرئة نفسه من التهم الموجهة إليه، معتبراً أنه قام بدور الناصح.

ومن الأمور التي تناولها في رسالته "النصيحة" ظروف تولي مولاي عبد العزيز العرش وتمرد الرحامنة بزعامة مبارك بن الطاهر بن سليمان، وتقاطر مبعوثي الدول الأوربية على البلاط العزيزي للضغط والحصول على الامتيازات.

توجد في رسالته هاته، الكثير من صيغ التملق لأسرة آل موسى، وخاصة الحاجب باحماد الذي قارنه ببسمارك واللورد سالسبوري واللورد غلادستون، معتبراً موته "كرفد الفاتحة من القرآن" (*رسالة*، 98). وما يبرر ذلك أن هذه الأسرة أحاطته بالرعاية والعطاد. وأثنى على الوزراء فضول غرنيط، المهدي المنبهي، عبد لكريم بن سليمان، محمد التازي والنائب السلطاني محمد الطريس، وبناصر غنان وعبد الله بن سعيد، ناعتا إياهم بالحكمة والدهاء وحسن التدبير والخصال الحميدة ونعوت أخرى مليئة بالغلو والتملق. وقد ذكر أنه بصدد طبع كتاب في مصر لإظهار فضائلهم، وبالفعل تجسد ذلك في مؤلفه "الثغر البسام في مآثر الوزير سيدي أحمد بن موسى الهمام" حيث عرَّف فيه بهذا الحاجب معدداً مزاياه، مترجما لعدد من أعضاء المخزن وبعض العلماء من فاس والرباط.

م. العطار الشامي، *رسالة*، مطبعة الآباء الفرنسيسكانيين، طنجة، 1901 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 455 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، منشورات كلية الآداب، الرباط، ج 2، 1987 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، الرباط، 1989 ؛ أ. المكاوي، *أضواء على رسالة محمد العطار الشامي الصادرة في طنجة*، مجلة دار النيابة، العدد 26 ـ 27 ـ 1990.

أحمد المكاوي

ابن **العطار، عبود** بن سعيد التنوخي، أخذ عن جملة من علماء سبتة أمثال أبي عبد الله المسيلي وابن جماح ومروان بن عبد الملك، وسمع من ابن الأصبغ وحضر مجلسه.

كان من كبار علماء سبتة في عصر المرابطين، وكان يشتغل بالقراءة والتجارة. وعينه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قاضياً على بلده سبتة فأحسن القيام بأمر القضاء، وكان جريئاً في قول الحق لا يهاب أحداً من الأمراء، وبقي قاضياً إلى أن توفي سنة 480 / 1087. وتولى ولده محمد خطة القضاء بسبتة أيضاً بإشارة الفقيه أبي عبد الله الأموي. وكان مثل أبيه ورعا وجرأة في الصدع بالحق، لكنه كان دونه علماً.

القاضي عياض، *مذاهب الحكام*، ص. 109 ؛ ابن حمادة، *اختصار المدارك*، ملحق *ترتيب المدارك*، ج 8، ص. 197 ـ 198 ـ 203 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، ص. 38.

محمد المغراوي

**العطار، علي** بن إبراهيم الأندلسي من مدينة لوشة. رافق والده في أثناء هجرة السلطان المخلوع ابن الأحمر في 3 أكتوبر 1493 ونزل بغساسة في طريقه إلى فاس الوطاسية. اختاره محمد البرتغالي الوطاسي قائد قلعية لتنظيم ما اختل من شؤون مقاومة الوجود الإسباني بمليلة المحتلة منذ سنة 1497، وذلك ما بين سنة احتلال مليلة وقبل سقوط غساسة سنة 1506، مما يفهم أن دوره كان مقتصراً على تنظيم هيكل المقاومة.

اتخذ علي العطار مركز إقامته بقلعة تازوطا الجبلية ومدينة غساسة الساحلية، فاشتغل أولاً بإعادة بناء القلعة ثم بتنظيم أسس المقاومة. وتجسمت تلك الأسس في :

إحداث طريقة النوبة لتوزيع واجب مواجهة خطر الوجود الإسباني بمليلة، وبذلك وزعت الحراسة المرابطة بنقطة الحد الأمني على الأقسام القلعية الخمسة إلى أربعة أقساط، وهي : بني شكر ومزوجة وبني بويفرور وأخيراً الكعدة وبني بوكافر.

إحداث رباط مليلة للحراسة بكدية واقعة على آخر المنحدرات المتصلة بمنعرج واد المدور وانحرافه نحو الشرق. وقد سبق أن عرفنا بالرباط في هذه *المعلمة*.

وضبط إطار الحراسة ومهامها الحربية باختيار المقدم، وهو رئيس المجاهدين بالرباط خلال نوبة الخمس القلعي المشارك. ووجد تحت نظر المقدم عدد من الغزاة المختارين من نفس الخمس الذي ينتمي إليه.

والمهمة الأساسية المنوطة بهذا التنظيم هي الحيلولة بين الإسبان دون الخروج إلى فحص المدينة بحثا عن المياه

والأعشاب والحطب والاشتغال بالعمل الزراعي ورعي الأغنام. كان لهذا التنظيم دوره الفعال في محاصرة الإسبان داخل محيط الصخرة المحتلة إلى غاية منتصف القرن التاسع عشر.

ح. الوزان، وصف *إفريقيا*، مارمول كاربخال، *إفريقيا* ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلة المحتلة*.

Lorenzo de Padia, *Cronica de D. Felipe I* ; Jeronimo de Zorita, *Anales de la Corona de Aragon*.

حسن الفكيگي

**ابن العطّار، محمد** بن عبود التنوخي، كان أبوه عبود بن سعيد قاضياً بسبتة إلى حدود وفاته سنة 480. وقد نشأ أبو عبد الله في مناخ علمي فقهي بمدينته، فأخذ عن بعض علمائها أمثال أبي عبد الله بن عيسى التميمي، وأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن يربوع، واختص بالفقيه أبي عبد الله بن عبد الله صاحب والده، وشيوخه هؤلاء كلهم قد تقلدوا القضاء بمدينتهم.

وقد غلب على شخصية ابن عبود الورع والنزاهة والانقباض عن الناس، مع حرص على تتبع آثار السلف الصالح، الشيء الذي دفع بشيخ سبتة في التدريس والفتيا القاضي أبي عبد الله الأموي لتقديمه لتولي القضاء. فعرف ابن عبود في قضائه بالغلظة على أهل الباطل وعدم الهيبة من الأمراء. وقد طلب إعفاءه من القضاء فتم له ذلك، ويؤكد ابن حمادة في مختصر المدارك أن حزمه وورعه كانا أكثر من علمه.

لا يشير مصدر ترجمة التنوخي إلى تاريخ ولايته للقضاء وتركه له، إلا أن بعض الشواهد من تراجم قضاء سبتة في العصر المرابطي ترجح أن تكون ولايته قد تمت بعد وفاة قاضيها ابن منصور اللخمي سنة 513، واستعفاؤه سنة 515، وهو تاريخ ولاية القاضي عياض.

ابن حمادة البرنسي، مختصر *ترتيب المدارك* ؛ ملحق بالجزء 8 من *ترتيب المدارك*، تح. س. أحمد أعراب، المحمدية، مطبعة فضالة، نشر، وزارة الأوقاف، 1983، ص. 203.

محمد المغراوي

**العطارين** (مدرسة -) بفاس، إزاء جامع القرويين، قبالة مدخل حومة العطارين. وتشرف أيضاً على الزقاق التجاري الهام المعروف باسم رحبة القيس، نسبة إلى قبيلة قيس العربية التي نزلت مع إدريس الثاني أيام تأسيسه لعدوة القيروانيين في نهاية القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي وتتكون من طابقين يتألفان من 34 غرفة أعدت خصيصا لإيواء الطلبة الأفاقيين الذين كانوا يقصدون مدينة فاس لطلب العلم، منذ أيام حكم بني مرين. وقد تم بناء هذه المدرسة تحت رعاية وإشراف السلطان المريني أبي سعيد عثمان سنة 723 / 1323، في إطار السياسة الدينية العامة التي نهجها ملوك بني جنسه لنشر وتثبيت تعاليم المذهب المالكي. وقد شرع في إنجاز أشغالها في مستهل شهر شعبان من نفس السنة، وتولى أمر تشييدها وزخرفتها الشيخ المبارك عبد الله بن قاسم المزوار، فجاءت آية في الدهر لم ير مثلها ملك من قبل على حق تعبير صاحب روض القرطاس. وعندما أصبحت جاهزة، رتب فيها السلطان المذكور، الفقهاء لتدريس العلم، وأسكنها بالطلبة وقدم فيها إماماً ومؤذنين وخدمة يقومون بأمرها، وأجرى على الكل منهم المرتبات والمؤن. واشترى عدداً من الأملاك وأوقفها عليها. وكانت هذه الأوقاف تشمل حوانيت بباب السلسلة، وعين علُّون، والجوطية القديمة وغيرها. كما حبست أملاك أخرى على ستة طلبة كانوا يتولون قراءة الحزب في الصباح والمساء في نفس المدرسة. وقد تحولت هذه المؤسسة التعليمية فيما بعد إلى حُرْمٍ بحيث لا يدخلها إلا المطهرون التقاة، وتوصف أبوابها في وجه المشركين والكفار.

ابن أبي زرع علي الفاسي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المطرب وتاريخ مدينة فاس*، دار المنصور للطباعة، والوراقة، الرباط، 1972 ؛ الحوالة الجديدة لأحباس فاس، ميكروفيلم الخزانة العامة بالرباط، رقم 157.

Larbi Kninah, *L'évolution des structures économiques, sociales et politiques de la ville de Fès au XIXème siècle (1820 - 1912) : L'ouverture au marché mondial et ses conséquences*, (Thèse de doctorat, Université Libre de Bruxelles, décembre 1998, 2 t.) ; H. Reretier, *Les medrasas de Fès. Archives Marocaines*, Tome XVIII, Paris, 1912, p. 257 - 372.

العربي اكنينح

**العطاوي، إبراهيم** بن علي الحطوشي، أصله من تافيلالت من قبيلة آيت عطا حيث ولد حوالي عام 1256 / 1840. صحب الشيخ محمد العربي بن عبد الرحمان المدغري من أتباع الشيخ أحمد بن أحمد البدوي زْويتن "وارث سر مولاي العربي الدرقاوي وخليفته من بعده". وهو صاحب طريقة صوفية حملت اسم "الطريقة البدوية" المقتبسة من الطريقة الدرقاوية وتعتبر فرعاً منها. وقد كلف أصحاب الطريقة الجديدة السيد إبراهيم العطاوي بتأسيس عدد من الزوايا الفرعية في بلاد عبدة. فانتقل إليها حوالي عام 1297/ 1880 صحبة أبيه علي واستقر بقبيلة أولاد سلمان حيث صارت له وجاهة كبيرة. وعن حاله يقول الفقيه الكانوني : "... كان رجلاً فاضلاً ذاكراً حيياً تالياً لكتاب الله، من خير عباد الله، ذا حشمة ووقار، مطبوعاً على الجود والكرم والإيثار، من الذاكرين الله كثيراً ..." وتصدى بعد ذلك لمظالم القائد عيسى ابن عمر علي القبائل العبدية وأصبح من أشدّ معارضيه. ولما تضرر نفسه من ظلم القائد المذكور اضطر إلى الاستيطان في مدينة أسفي بعد ما حصل على كتاب من السلطان المولى الحسن موجه إلى عامل أسفي عبد الخالق بن هيمة يستوصيه به خيراً. ومما جاء في هذا الكتاب المؤرخ بـ 27 رجب عام 1305 : "...وبعد، فحاملة الطالب إبراهيم بن علي الحطوشي (العطاوي) قد أخبر أنه نازل ببلاد عبده ويلزمونه الكلفة في وسطهم وتضرر من أجل

ذلك وطلب الإضافة إلى أهل أسفي، فساعدناه، فنامرك أن تكون منه على بال وتستوصي به خيراً وتدفع عنه كل يد عادية حتى لا يلحقه أحد بمكروه ..." ورغم هذا فإن القائد عيسى بن عمر ظل يتربص به الدوائر إلى أن انْقضّ عليه رجاله وأودعوه السجن الذي بقي به إلى أن توفي عام 1314، ودفن بمقبرة أمام دار القائد المذكور شمال مدينة أسفي.

معلومات ووثائق عائلية ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال* ؛ م. حجي، *أحمد بن أحمد البدوي*، معلمة المغرب، ج 4 ؛ الملكي المالكي، مادة *البدوية*، معلمة المغرب، ج 4.

عبد الرحيم العطاوي

**العطاوية**، مركز يقع بالنهاية الشرقية للحوز على الضفة اليسرى لمخروط تساوت الشاسع على ارتفاع يتراوح ما بين 565 و623.

ينحصر ما بين الحاشية الشمالية للأطلس الكبير من الجنوب وسلسلة الجبيلات من الشمال.

يقع عند محور طرقي مهم يتمثل في الطريق الثانوية 508 بين مراكش دمنات وأزيلال، يبعد عن مراكش بـ 75 كلم في اتجاه الشرق. ثم الطريق الثلاثية رقم 6202 ينتمي إدارياً إلى إقليم قلعة السراغنة حيث يبتعد عن مدينة القلعة بـ 28 كلم في اتجاه الشمال.

أصل التسمية :

تضاربت الآراء حول أصل تسمية العطاوية فهناك من يرجعها إلى ساقية تحمل هذا الاسم وهناك من يرى أنه كانت تستقر في المنطقة امرأة من دوار أولاد عطية، القريب من المركز ونظراً لشهرة هذه السيدة وعلاقتها سميت بها القرية وكل الدوار الذي أصبح مدينة.

ارتبطت مدينة العطاوية بضريح الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد العزيز إذ حملت اسمه لمدة طويلة وأيضا اسم الخميس (خميس بويا أحمد) نسبة إلى السوق الأسبوعي.

من النقط التي تمركز فيها الاستعمار الفلاحي بكثافة. غير بعيد عن الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد العزيز، مركز يتولى إدارة وتسيير مصالح المعمرين في عين المكان دون اللجوء إلى القلعة أو سيدي رحال.

تعرف العطاوية دينامكية ديمغرافية مهمة جداً، حيث ارتفع عدد سكانها من 79 نسمة سنة 1936 منهم 29 أوروبياً و50 مسلما، إلى 1486 سنة 1960 ثم 2098 سنة 1971 إلى 3200 سنة 1994.

ووصل إلى 11919 سنة 1994.

وتتميز في السنوات الأخيرة بسرعة نموها الديمغرافي والعمراني مستفيدة في ذلك من موقعها وسط القطاع السقوي لتساوت الوسطى" 52 ألف هكتار" ومن كونها محوراً طرقياً نشيطاً، إضافة إلى احتضانها لأكبر الأسواق الأسبوعية على صعيد الإقليم "خميس العطاوية" وهو ما قوى ديناميكيتها التجارية.

| السنوات / السكان | عدد السكان | ٪ النمو السنوي |
|---|---|---|
| 1960 | 1486 | |
| 1971 | 2098 | 3,18 |
| 1982 | 3200 | 3,91 |
| 1994 | 11219 | 11,01 |

ف. العمرني، *الأنشطة الاقتصادية الدائمة ودورها في توسيع المراكز الحضرية الصغرى نموذج العطاوية*، بحث لنيل الإجازة، مراكش، 98. 1999 ؛ ع. الله المعطرش، *الإشعاع الاقتصادي والاستقطاب المجالي للمراكز الحضرية الصغرى نموذج العطاوية*، بحث لنيل الإجازة، مراكش، 98. 1999 ؛ ع. الكريم حفار، *قلعة السراغنة مدينة متوسطة وقطب تنمية محلي غير مكتمل*، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، مراكش، 2000 ؛ م. الأكلع، *دراسة جيومورفلوجية للنهاية الشرقية للحوز*، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، مراكش، 1989.

محمد الأكلع

**عطوش** (بنو -) فرع من قبيلة گومية التي ينتمي إليها بنو عبد المومن خلفاء الدولة الموحدية فأصبح بنو عطوش من أعوانها، وممن ورد ذكرهم :

أبو محمد بن عطوش الذي نجد له ذكرا في البيان المغرب بعد استيلاء بني غانية القادمين من ميورقة على مدينة بجاية وما حولها منافسين للسلطة الموحدية، حيث أرسل الخليفة يعقوب المنصور سنة 581 حملة برية بقيادة أبي زيد ابن أبي حفص بن عبد المومن وأخرى بحرية بقيادة أبي محمد ابن أبي إسحاق ابن جامع ومعه القائد أبو العباس الصقلي وأبو محمد بن عطوش، وتمكنت الحملة من استرجاع المدن التي وقعت بيد بني غانية.

ومنهم أيضاً : أبو موسى بن عطوش الذي ذكر من بين أصحاب شرطة الخليفة الرشيد الذي امتدت خلافته بين سنتي 630 و640، ومنها انتقل بعد وفاة أخيه إلى مهمة "الأشغال" (أي الشؤون المالية) لدى الخليفة الرشيد كما ذكر صاحب البيان المغرب دون أن يذكر اسمه، وهو بالتأكيد غير أخيه أبي زكرياء يحيى الآتي ذكره والذي خدم الرشيد ثم الخليفة السعيد. كما تكرر ذكر أبي موسى من جملة أعوان الرشيد دون تحديد وظيفته التي يبدو أنها كانت عسكرية، فقد وردت الإشارة إليه بمناسبة تدبير الرشيد لعملية استدراج مسعود بن حميدان شيخ الخلط وقتله داخل القصر بعد قتل أحد المتآمرين معه وهو أحد رجال الرشيد من هسكورة، وقد أمكن التخلص من هذا الأخير بواسطة الفرقة الگومية وعلى رأسها أبو موسى بن عطوش وذلك سنة 632. وتكرر ذكر أبي موسى ابن عطوش بعد استقرار الرشيد بفاس وتوجيه حملة عسكرية لجباية غمارة بقيادة الوزير السيد أبي محمد فاستخلف على الوزارة أثناء غيابه الشيخ أبا موسى ابن عطوش بينما رافقه في الحركة أبو زكرياء يحيى بن عطوش "مشتغلا" له أي مسؤولا ماليا، فتمت جباية المناطق الغمارية

وكذا الفازازية في هذه الفترة أي سنة 633 خاصة بعد مقتل منافسه المعتصم بن الناصر في هذه المدة.

ومنهم أبو زكرياء يحيى ابن عطوش أخو أبي موسى السابق الذكر، يشير ابن عذاري إلى وجوده بالقصر الكبير مسؤولا عند تولي الرشيد الخلافة وربما كان يتولى مهمة أشغال القصر الكبير، وقد ترك عنده أبو محمد سعد بن أبي سعيد بن المنصور عياله خوفاً من الرشيد، إلا أن هذا رحب به واستوزره. وفي سنة 633 كلفه الرشيد بقيادة حملة إلى غمارة لجبايتها ورافقه في الحملة يحيى بن عطوش مشتغلا له أي مسؤولا ماليا. ثم عينه الرشيد "مشتغلا" على أزمور وهو الذي استقبل عمر بن وقاريط الهسكوري المرسل مكبلا من إشبيلية في زورق إلى أزمور. وكان ابن وقاريط هذا غدر بمدينة سلا فيها لابن هود، ثم فر إلى الأندلس فقبض عليه في إشبيلية بعد أن دخلت في بيعة الرشيد سنة 636 وأرسل مكبلا إلى أزمور ثم أرسله "المشتغل" بها ابن عطوش كذلك إلى مراكش حيث قتل ؛ وذكر ابن عذاري وجود ابن عطوش في مهمته هذه بأزمور في أوائل عهد الخليفة السعيد (640 - 646) وذلك عند حديثه عن قبض هذا الخليفة على أحد كبار رجال الدولة وهو ابن وانودين الهنتاتي واعتقاله بأزمور سنة 642، فدبر الحيلة في الفرار إلى جبال هنتاتة بين عصبيته مما أدى إلى اعتقال ابن عطوش مدة، ثم ظهرت للرشيد براءتهم فسرحه واستوزره.

خلال هذه المدة كان قاضي رباط الفتح هو أبو المطرّف ابن عميرة البلنسي منذ أواخر عهد الرشيد، فأقرّه السعيد (الملقّب أيضاً بالمعتضد) في مهمّته قبل نقله إلى مكناسة، وكان لابن عميرة اتّصالات بالوزير ابن عطّوش، فنجد له رسالة يمدح فيها الوزير تبدأ بقطعة نثرية أولها : "إلى الوزارة المعظّمة أنجدها الله ..." تتلوها قصيدة.

وخلال حركة السعيد إلى تامسنا والغرب سنة 643 كان وزيراه يومئذ أبا إسحاق بن الأمير أبي إبراهيم المعروف بالطاهر وأبا زكرياء يحيى بن عطوش، وقد فشل السعيد في مواجهته آنذاك مع المرينيين ؛ ثم حضر معه حركته إلى تلمسان سنة 646 وقتل معه هناك وكان قد نصح السعيد بعدم اقتحام جبل تلمسان خوف كمائن بني عبد الوادي فلم يعمل بنصيحته.

ومن بني عطوش أيضا من سماه صاحب الذخيرة السنية بابن عطوش دون توضيح وذلك بمناسبة توجيهه من عناصر مؤيدة لأبي دبوس فاستغلّ هذا الغياب واقتحم العاصمة بأنصاره مدعوماً بالهساكرة وفرقة مرينية أول سنة 665، فاضطر المرتضى للفرار عنها. ويظهر أن المقصود هو غير عبد العزيز والي أزمور الآتي ذكره.

ومن بني عطوش أبو فارس عبد العزيز الذي كان والياً على أزمور في عهد المرتضى وكان زوج ابنة هذا الخليفة، وقد افتكّه من الأسر لدى المرينيين قبل أن يولّيه أزمّور ؛ وعندما وقع انقلاب الواثق على المرتضى وهرب هذا إلى صهره والي أزمور أول سنة 665 قبض عليه وبعثه إلى الواثق الذي أمر بقتله في الطريق. وتكرر ذكر عبد العزيز ابن عطوش بمناسبة حركة الواثق إلى هسكورة لجبايتها فوجّهه الواثق إلى شيخها مسعود بن جلداسن الهسكوري "في مصالح ومهمات" ! فقنع الخليفة منه بالطاعة وارتحل بجيشه عن قبيلته، كان هذا في شعبان من نفس السنة التي تولّى فيها الخلافة وهي سنة 665 ؛ ويظهر أنه هو نفسه ابن عطّوش الذي أشار ابن خلدون إلى محاولة فاشلة لاستمرار الدولة الموحدية في مركزها الروحي بجبل تينملل ؛ حيث بويع أحد إخوة الخليفة المرتضى واسمه إسحاق "وكان المتولّي لكبر ذلك وزير دولتهم ابن عطّوش"، غير أنّ الجيش المريني تمكّن من القضاء على هذه المحاولة سنة 674 فقتل ابن عطّوش والخليفة المبايع مع جملة من الأعوان.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، ط. 1985، ص. 177 - 299 - 300 - 302 - 346 - 359 - 312 - 336 - 369 - 370 - 436 - 441 - 442 - 450 - 451 ؛ مؤلف مجهول، *الذخيرة السنية*، 81 - 82 - 110، نسب الناشر الكتاب لابن أبي زرع ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 400 ؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص. 163 ؛ أ. عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله*، ق 2، الرسالة رقم 62، أطروحة مرقونة.

أحمد عزاوي

**عطيّة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Attia - Atea - Atia ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1175.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عطيّة**، أسرة سلاوية أصلها من إشبيلية أواخر القرن التاسع الهجري (15 م) وسكنوا مدينة الرباط، وكان لهم بها صيت حسن وأسسوا مسجداً بحومة أبي القرون عام 1093 / 82 - 1683 ثم انتقلوا إلى مدينة سلا واستقروا بها، وكان لهم شفوف وحظوة بها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 و19 م) وقد أنجبت عدداً من الفقهاء والمدرسين، وانتقل بعض علمائهم إلى مدينة فاس في النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م).

ابن **عطية، أحمد** بن **جعفر** بن محمد بن عطية القضاعي المراكشي، يكنى أبو جعفر وينتسب لأسرة عربية حميرية دخلت إلى الأندلس أيام الفتح الإسلامي للأندلس وبعده واستقرت في الشرق ناحية طرطوشة لاندري متى انتقلت أسرته إلى مراكش التي ولد بها سنة سبع عشرة وخمسمائة حسب ابن الابار وعند ابن الخطيب أنه ولد سنة 527 ولا يتناسب هذا التاريخ مع ما قيل من تصدره

للكتابة في بلاط علي ابن يوسف. كان والده جعفر بن محمد بن عطية من أهل الحفظ للحديث والمعرفة بالتوثيق قيل أنه كان من كتاب علي وابنه تاشفين وأنه بقي مخلصا لهذه الدولة فتصحل في قبضة الموحدين وعفوا عنه إلا أنه عزم على الفرار أثناء محاصرتهم لفاس سنة 540 فالقى عليه القبض من جديد وقتله عبد المومن بعد ذلك. إلا أن اسمه لم يرد ضمن مجموعة كتاب الدولة المرابطية اللهم إلا إذا كان من كتابهم المغمورين الذين قال صاحب المعجب في حقهم بعد ذكر المشاهير "في جماعة يكثر ذكرهم".

نشأته ودراسته :

لم تتحدث المصادر عن هذه الفترة من حياة أبي جعفر واكتفى ابن الخطيب بالقول بأنه "أخذ عن أبيه وعن طائفة من أهل مراكش" دون ذكر أسمائهم.

وكانت حركة التعليم والتدريس نشيطة في مراكش خلال حكم علي بن يوسف إلا أن الفترة التي كان فيها، أبو جعفر في سن الدراسة (بعد سنة 530 على وجه التقريب) بدأت تتأثر بدعوة المهدي بن تومرت وقد دق أبوابها بخيوله قبل هذا التاريخ، واستمر خليفته عبد المومن في تهديد الاستقرار والهدوء ويحدث الخلل والاضطراب في سير الدروس ونشاط حلقات العلم.

وعلى كل حال فيمكن اعتبار هذا الوالد الفقيه الأديب أهم معلمي أبي جعفر فقد لقن ابنه أسرار صنعة الكتابة، وافاده بتجربته في هذا المجال فاختصر بذلك المراحل، وكان عاملا من عوامل نبوغه المبكر. ولايبعد أن يكون قد سعى له عند مخدوميه ليكون من زمرة كتابهم. وأعده لذلك أعداداً كاملا إذ عمله الفروسية والرماية، فكان من أحسن الرماة في شبابه وسلك نفس النهج مع ابنه الاصغر أبي عقيل.

اتصاله بالمرابطين :

تتفق المصادر على أن أبا جعفر كتب عن علي بن يوسف في آخر دولته، وعن تاشفين وابنه أبي إسحاق، وهذا يعني أنه تصدر للكتابة وعمره لم يبلغ بعد العشرين سنة، وفي بلاط كان يجمع مشاهير كتاب الأندلس كابن القبطرنة وأبي عبد الله بن أبي الخصال وأخيه أبي مروان وأبي محمد عبد المجيد بن عبدون ولا يمكن أن يصمد بين هؤلاء إلا من توفرت له موهبة خاصة بالكتابة وأساليبها. ورعاية خاصة تحميه من دسائس البلاطات واحقاد الكتاب. وقد تم له ذلك بفضل علاقة والده بالمرابطين مما مكنه من اكتساب مكانة بين جمهور الكتاب عبر عنها ابن الخطيب بقوله (وكان احظى كتابهم).

وزادت هذه المكانة على عهد تاشفين إذا أنه كان من رفقائه خلال مطاردته لجيش عبد المومن في المغرب الأوسط. ووجهه تاشفين قبل شهر من مقتله بوهران - ودون باقي أفراد حاشيته - مع ابنه الصبى وولى عهده أبي إسحاق إبراهيم إلى مراكش خوفا عليه.

وتمكن من النجاة بنفسه بعد إلقاء الموحدين القبض على الأمير المرابطي. فلم يجد أبو جعفر سبيلا للخلاص مما هو فيه إلا بالتنكر والانخراط في سلك الجندية وهو الذي شب على الرماية والفروسية وقد كان الموحدون - لكثرة حروبهم وما عرف عندهم بوقائع التمييز - بحاجة مستمرة للمحاربين يجندون الأفراد والقبائل. وقد تم ذلك في أواخر سنة واحد وأربعين وخمسمائة. والظاهر أن هذا الانخراط لم يكن لأجل المعاش، وإنما كان يعد نفسه للظهور من جديد وخدمة الدولة المنتصرة.

في البلاط الموحدي :

لم تطل فترة الانتظار إذ أن الفرحة قد سَنَحت في السنة الموالية 542 وفيها عظم أمر محمد بن هود المسمى بالماسي الذي تشبه بالمهدي بن تومرت وادعى أنه الهادي فتبعه الناس. وتمكن من هزم الجيش الأول الذي رماه به عبد المومن بقيادة يحى بن الصحراوية القائد المرابطي السابق. فلم يجد الخليفة بدا من تعيين ساعده الأيمن القائد المحنك أبي حفص عمر الهنتاتي على رأسه جيش ثان لاخماد هذه الثورة بسوس وكان أبو جعفر من رماة هذا الجيش.

وبعدما هزم الماسي طلب أبو حفص كاتبا يكتب خبر النصر للخليفة فدل على أبي جعفر. فكتب الرسالة التي أثارت انتباه عبد المومن، فاستدعاه للالتحاق بركب كتاب دولته.

وكلف ابن عطية بمهام جليلة أثناء السلم والحرب، في المغرب والأندلس فقام بها أحسن قيام، وكان لا يفارق عبد المومن في حله وترحاله فالرسائل التي كتبها له صادرة من مدن ومناطق عديدة.

وتحدثت المصادر عن ابن عطية وسيرته في الناس فقالت، (واسند إليه الوزارة فنهض باعبائها، وتحبب إلى الناس باجمال السعي والاحسان فعمت صنائعه وفشا معروفه وكان محمود السيرة، ناجح المساعي، سعيد المآخذ ميسر ..).

فازدحم أصحاب الحاجات على بابه وحملت إليه قصائد المدح. ومن مشاهير الشعراء الذين مدحوه أبو حبوس الفاسي شاعر الخلافة.

اختلفت الآراء حول أسباب قتل عبد المومن لكاتبه ووزيره أبي جعفر بن عطية ذكر صاحب المعجب أن السبب الأكبر في ذلك عائد إلى افشائه لسر من أسرار الدولة. وقيل بل يعود السبب إلى تحيزه إلى شخصيات مرابطية، وسعيه إلى الرفع من شأنها واعلاء ذكرها. ولا يجب أن نغفل دور الوشاية والمنافسة التي كانت محتدة بين كتاب البلاط الموحدي عموما وبين المغاربة والأندلسيين منهم خاصة. وكان لنجاح ابن عطية ونبوغه، وعلو مقامه في وقت وجيز، مع صغر سنه، دور في تكاثر حساده وتالبهم ضدّه.

وقد استغلوا مناسبة خروجه إلى الأندلس مع أبي سعيد بن عبد المومن لاخماد ثورة على الوهيبي بالمرية واشبيلية فسعوا إلى الوشاية به وألقوا بين يدي الخليفة أبياتا تحرضه.

وتصف المصادر هذه النكبة بتفصيل : فقد انتهى الخبر

إلى ابن عطية وهو بالأندلس فقلق وعجل الانصراف إلى مراكش، إلا أنه حجب عند قدومه وقيد إلى المسجد خاسر الرأس. وتمت محاكمته أمام الملك وأدلى اعداؤه ووشاته برأيهم فيه فأمر بسجنه ولف معه أخوه أبو عقيل.

واعتذر ابن عطية للخليفة عما صدر عنه طالبا عطفه وصفحه وأرسل إليه رسالة نثرية بليغة اردفها بقصيدة.

إلا أن عبد المومن لم يزد على أن علق على الأبيات بقوله تعالى (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وأمر بقتله هو وأخوه يوم 29 صفر سنة 553.

لم يصلنا كل ما كتبه ابن عطية من شعر ورسائل، بالنسبة للشعر : تنسب له النونية التي قالها في الاعتذار لعبد المومن واستعطافه. أما المساجلة الشعرية الغزلية التي يقال بأنها دارت بينه وبين الخليفة عبد المومن فالظاهر أنها منتحلة مصنوعة :

أ ـ كل الذين أوردوا خبرها لم يجزموا بذلك : فصاحب الأنيس المطرب أوردها بلفظ "قيل". وصاحب نفح الطيب أوردها بلفظ "وقد حكى". وصاحب الاستقصا صدرها بقوله "يروى".

ب ـ تسير هذه المساجلة الغزلية في اتجاه معاكس تماما للعقيدة الموحدية ومبادئها، خاصة في هذه الفترة التأسيسية. وقد كانت لعبد المومن مواقف واضحة وحاسمة من كل أنواع المجون والاستهتار.

رسائله :

وصلتنا عشرون رسالة لابن عطية :

ـ سبع عشرة منها وردت في مجموع بروفنصال، نسبت له احداهما خطا وهي الموجهة إلى الطلبة والموحدين بغرناطة في موضوع بناء مدينة جبل طارق لأنها مؤرخة في ذي القعدة سنة 554 أي بعد وفاة أبي جعفر.

ـ والثامنة عشرة في نظم الجمان. كتبها كلها لعبد المومن وأغلبها من مراكش (بعضها من بجاية وتلمسان)، موجهة إلى الطلبة والأشياخ والأعيان في مختلف مدن الامبراطورية الموحدية.

وابن عطية هو واضع خصائص الترسل الموحدي. وتشتمل رسائله على أربعة أقسام :

1) الافتتاح : يذكر فيه اسم المرسل إليه، كقوله :

(من أمير المومنين أيده الله بنصره، وأمده بمعونته، إلى الطلبة الذين بتلمسان، ادام الله كرامتهم بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...).

2) المقدمة : وتشتمل على :

ـ البعدية

ـ التحميد

ـ الصلاة على الرسول : وقد تطول عباراتها أو تقصر.

ـ الترضية على الصحابة، وتقع الترضية أحيانا على الخلفاء الراشدين.

ـ الرضا على الإمام المعصوم المهدي المعلوم .. بعبارات متشابهة تسير على هذا المنوال (... والرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم وليه الذي تقبل سبل الهداية واقتفاها، واقام رسول الشريعة على رغم من جحدها ونفاها).

ـ تحميد الخليفة الحاكم.

وسار كتاب الدولة الموحدية على هذا النهج إلى أن وقع التنكر للمهدوية على عهد المامون.

3) العرض : وفيه يتناول الكاتب موضوع الرسالة، والغرض من كتابتها ويذكر الحادثة بتفصيل مع التعليق عليها بالاعتبار والنصح. لهذا جاءت أغلب رسائله طويلة.

ولا تخلو رسائل ابن عطية من السجع الذي يعد، من مستلزمات الكتابة الديوانية، إلا أنه لا يبلغ حد الزخرفة والتضع. وتاتي الاقتباسات والاستمدادات القرآنية للاستدلال وتدعم الموضوعات الدينية الأمر بالمعروف، النصيحة والاعتبار، أو الحربية (الآيات المندرة بالكفر، عقاب المرتدين، جزاء المجاهدين ...) التي تحمدها، الرسائل، مما يكون له تأثير على المرسل إليهم.

أما الاستشهادات الشعرية فقليلة بالرغم من أن ابن عطية كان شاعرا.

4) الخاتمة : بعد انتهاء العرض يختم الكاتب الرسالة بعبارة "السلام عليكم". مع ذكر التاريخ في بعض الأحيان. وقد ذكره في عشر رسائل فقط. بينما جاءت باقي الرسائل خالية من التاريخ. ولا تخفى أهمية ذكر تاريخ الرسائل في توثيقها وفهم كثير من اشاراتها والملاحظ أن الكتاب الذين جاءوا بعد ابن عطية كانوا احرص على تحديد تواريخ كتابة رسائلهم ..

مع ذلك يبقى ابن عطية نموذجا يقتدى به في كتابة الرسائل من طرف كتاب هذه الدولة. ولعل عبد المومن قد اعترف بتقدمه صراحة في العبارة التي صدرت عنه في حقه (ذهب ابن عطية وذهب الأدب معه).

*نفح الطيب* ؛ *الإحاطة* ؛ الحلة السيراء ؛ *الإحاطة* ؛ ابن القاضي، *الجذوة*، 175 ط، دار المنصور، 1973 ؛ المعجب، ط 173، ط العريان ؛ العبر، 6 : 480 ؛ *الاستقصا*، 2 : 100 ؛ *المقدمة*، 1 : 190، دار العلم ؛ *العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين*، ص. 139 والدولة الموحدية، (أثر العقيدة في الأدب) 49 ـ 52، طبعة ثانية.

حسن جلاب

ابن **عطيّة، أحمد** بن **محمد**، عالم تتلمذ على يد الشيخ عبد الله بن حسون بمدينة سلا، ثم رحل إلى فاس للأخذ عن علمائها. كان يتردد صحبة أخيه مَحمد (فتحا) ـ آتي الذكر ـ لزيارة أبي المحاسن يوسف الفاسي في كل جمعة واستفاد منه. تصدى المترجم للتدريس بمسقط رأسه، وأكثر ما أخذ عنه الطلبة الفقه والعقائد. توفي أحمد بن محمد ابن عطية عام 1016 / 1607.

ابن **عطيّة، أحمد** بن **مَحمد الحارثي** بن محمد، فقيه متصوف، تتلمذ على يد جده محمد بن عطية واستفاد من علي بن عبد الرحمان الدرعي التادلي. حلاه مترجموه بصفات تبرز ملاحه ومعرفة بطريق التصوف. ألف المترجم التفكير والاعتبار، في تاريخ المصطفى وبعض أصحابه الأخيار، ومن اتبعهم من العلماء السادات الصوفية الأبرار، فرغ منه عشية يوم الجمعة 18 ربيع الثاني 1111. كما ألف سلسلة الأنوار، في ذكر طريقة السادات الصوفية الأخيار".
توفي يوم الجمعة 18 ربيع الثاني عام 1129 / 1717.

ابن **عطيّة، التهامي**، فقيه، من عدول سلا كان خطيباً بمدينة سلا. توفي في 26 شعبان 1234 / 1819.
وكان بعض أبناء هذه الأسرة انتقلوا من طرطوشة إلى مراكش في القرن السادس (12 م) وأدركوا حظوة عظيمة عند الموحدين.

ابن **عطيّة، محمد** بن **علي**، فقيه معاصر للشيخ عبد الله بن حسون، كان مقرئا مجوداً يلقن علوم القرآن. حرص على تكوين ولديه أحمد ومَحمد - المذكورين آنفا - سكت مترجموه عن سنة وفاته، ويبدو أنها كانت في العقد الأول من القرن السابع عشر.

ابن **عطيّة، مَحمد** بن **محمد**، بن علي، شيخ متصوف، وعالم مشارك. قرأ في سلا على الشيخ عبد الله بن حسون وعلى أبيه وأخيه أحمد. رحل إلى مدينة فاس قصد تعميق معارفه فاستفاد من علماء بارزين أمثال الإمام القصار، وأحمد المقري والشيخ ابن عاشر. تصدى المترجم بتدريس العلم والقراءات بمدينة فاس فانتفع به كثير من الطلبة أمثال مولاي عبد الله بن إبراهيم دفين وزان، وعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي. أخذ مَحمد ابن عطية الطريقة عن الشيخ أبي الحسن علي الحارثي، عن أحمد بن موسى عن الشيخ التباع. ذكر مترجموه أنواعاً من كراماته ورووا عنه أقوالاً في الطريقة، وأشاروا إلى أنه كان مواظبا على زيارة الصالحين الأحياء والأموات. ألف المترجم فهرسا، واختصر كتاب "مفتاح الجنة، بشرط العمل بالكتاب والسنة" للشطيبي. ظل مَحمد ابن عطية يدرس بفاس إلى أن توفي عن سن عالية يوم الجمعة 18 ذي القعدة عام 1052 / فاتح فبراير 1643، ودفن بالرميلة بزاويته الشهيرة بفاس.

م. الإفراني، صفوة، 80 ؛ م. القادري، نشر، 1 : 184 ؛ م. الكتاني، سلوة، 1 : 371 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح م. بوشعراء، ط 2، 192 ؛ م. بن أبي بكر التطواني، *كناشة*، مخطوط، خ ص. رقم 454، ص. 36 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 445، 446.

محمد السعدين

**العظاءة** كما في اللغة والمعاجم وزرمومية وزرزومية كما هو شائع عند العامة في المغرب العربي وسقاية في الشام وسحلية في مصر وتازرموميت بالأمازيغية وبالفرنسية Lézard وبالإنجليزية Lizard، حيوانات من الزواحف رباعيات القوائم Reptilia ومن رتبة متفوقات الألسن وفصيلة العظائيات Lacertidae. تم إحصاء 26 نوعا في المغرب يألف المناطق الجافة وشبه الجافة الإفريقية والآسيوية وأوروبا الجنوبية وتتحمل حرارة مرتفعة، نذكر من بينها :

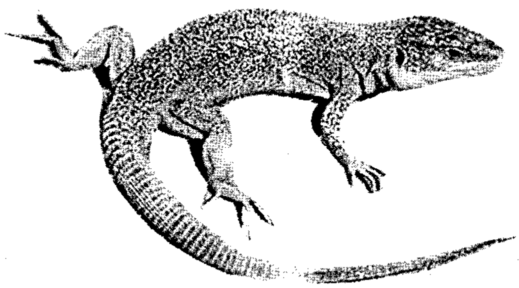

عظاءة غربية Ophisops occidentalis.

عظاءة ذات نظارات Lacerta perspicillata تسمى بالفرنسية Lézard à lunettes.

العظاءة العينية أو رضاعة البقر Lézard ocellé تسمى بالفرنسية Lacerta lepida pater.

عظاءة الجدران Lacerta hispanica vaucheri تسمى بالفرنسية Lézard des murailles.

عظاءة الأطلس Lacerta andreanskyi تسمى بالفرنسية Lézard de l'Atlas.

عظاءة ذهبية Acanthodactylus scutellatus aureus تسمى بالفرنسية Acanthodactyle doré.

عظاءة مدنوة Acanthodactylus scutellatus تسمى بالفرنسية Acanthodactyle pommelé.

عظاءة خشنة Acanthodactylus boskianus asper تسمى بالفرنسية Acanthodactyle rugeux.

عظاءة شائكة الذيل Acanthodactylus spinicauda تسمى بالفرنسية Acanthodactyle à queue épineuse.

العظاءة الفهد Acanthodactylus pardalis تسمى بالفرنسية Acanthodactyle panthère.

عظاءة العامية Acanthodactylus erythrurus تسمى بالفرنسية Acanthodactyle vulgaire.

عظاءة مخططة Psammodromus algirus تسمى بالفرنسية Psammodrome à six raies.

عظاءة صغيرة الأصابع Psammodromus microdactylus تسمى بالفرنسية Psammodrome de petits doigts.

عظاءة الجزائر Psammodromus d'Algérie تسمى بالفرنسية Psammodromus blanci.

عظاءة منقطة Eremias rubropunctata تسمى بالفرنسية Eremias à points rouges.

عظاءة صغيرة الفم Eremias guttulata تسمى بالفرنسية Eremias à goulettes.

عظاءة الصحراء Eremias pasteuri تسمى بالفرنسية Eremias du Sahara.

عظاءة ذات قطرات Eremias olivieri تسمى بالفرنسية Eremias à gouttelettes.

تتميز أنواع العظاءة بجسم رشيق وبقوائم أربع تنتهي بخمسة أصابع رقيقة وطويلة ذات مخالب وبرأس دائري ومسطح شيئا ما، كبيرة لدى الذكور وصغيرة عند الإناث، شديدة الحركة، الذيل طويل مستدق الرأس. اللسان طويل لزج يستعمل للذوق واللمس ولاصطياد الحشرات والديدان والحلزونات وغيرها من الحيوانات الصغيرة. تقع أعضاء الشم على المنخرين الموجودين بين العينين. الأذنان باطنيتان مسمعهما ضعيف وغير متطور بما فيه الكفاية. العينان مغلفتان بغشاءين يضاف إليهما غشاء مختلج. يبلغ الطول الأقصى للكبيرة جمعا بين الجذع والذنب 30 - 60 سم. الحراشف البطنية صغيرة مرتبة على صفوف طولية. المنطقة الشرجية محاطة بحراشف شبه دائرية.

من خصائص العظائيات أيضا القدرة على استعادة نمو الذيل بعد بتر جزء منه وهي ظاهرة دفاعية يستعملها الحيوان ليفلت من الخطر في حالة القبض عليه. يتغير الجلد دوريا عن طريق الانسلاخ لتتخلص العظاءة من جلد القحف المتقادم. تتوفر عدة أنواع على كمية كبيرة من الخلايا الصبغية أو الملونة تستعمل لتغيير اللون وفق البيئة المحاطة بها. تعيش العظاءة منعزلة أو مزدوجة ويكثر نشاطها في فصلي الربيع والصيف وهي فترة التناسل ووضع البيض وتختفي في فصل الشتاء في الجحور وبين شقوق الصخور والجدران لتشتي طيلة أيام البرودة.

أنواع العظائيات في المغرب بيوضة تتغذى من الخنافس والعناكب والعقارب وأم الأربع والأربعين والحشرات والديدان والحلزونات وغيرها من الحيوانات الصغيرة. شائعة في مختلف المناطق الوسطى والجنوبية والشرقية والشمالية بالمغرب. تضع الإناث بداخل الجحور 6 - 20 بيضة وتظهر الصغيرة في غشت - شتنبر وتتغذى من النمل والحشرات الصغيرة.


م. رمضاني، بوبريص، *معلمة المغرب*، الجزء 5، ص. 1627 - 1628 ؛ م. رمضاني، *الزواحف*، *معلمة المغرب*، الجزء 14، ص. 4743 - 4744 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

Salvador, *Guia de los anfibios y reptiles españoles*, Inst. Nacion. Conserv. Natur. Madrid, 1974, 274 p. ; J. Bons, *Les Lacertiens du sud-ouest marocain : systématique, répartition géographique, ethologie, écologie*, Trav. Inst. Sci. Chérif., Zoologie; 18, 130 p., 1959.


محمد غربوعة ومحمد رمضاني

**عفيف، أحمد** بن علي الباعمراني، "هو الأستاذ الكبير. القليل النظير. في الجد والعزوف وعلو الهمة". وهو من أساتذتي اللامعين تنطبق عليه شهادة المختار السوسي هذه تمام الانطباق، بما له من علم وافر وسعة في الأخلاق، ونشاط دائب في سلوك حضاري حازم.

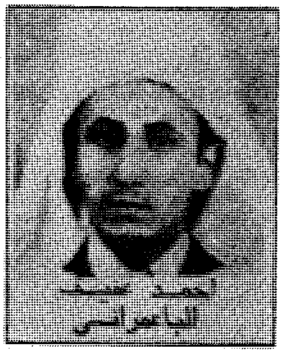


ولد سنة 1922 في إحدى قبائل أيت باعمران، وحفظ القرآن هناك وأخذ العلم في مدارسها ويذكر بالخصوص أستاذه الشهير أبا العباس أحمد اليزيدي الذي أخذ عنه الكثير، وعلى عادة أهل سوس انتقل إلى إحدى الحواضر ليستكمل تكوينه العلمي فحط بمدينة مراكش ولازم العلامة محمد المختار السوسي في مدرسة الرميلة بباب دكالة بمراكش في الأربعينيات من القرن العشرين كما لازمه عندما انتقل إلى الدار البيضاء في بداية الخمسينيات فاستفاد من حلقات دروسه حتى نال شفوفا في تكوينه، خاصة في اللغة العربية والمواد الإسلامية، ثم التحق بالتدريس سنة 1952 في مدرسة حرة تدعى المحمدية بالرباط إلى أن جاء الاستقلال سنة 1956. فتقدم في زمرة من أقرانه إلى امتحان شهادة العالمية النهائية بالقرويين، التي فتحت في وجه العلماء قصد قبولهم في الوظائف الرسمية، فنجحوا جميعا، وكان من ضمن المجموعة الأولى من الأساتذة الذين أقبلوا للعمل في معهد محمد الخامس بتارودانت في أكتوبر سنة 1956 وقد كان له إشعاع هناك بين الطلبة لوفرة علمه وطهارة سريرته، فتخرج على يده الكثيرون. وفي سنة 1962 عين مراقبا عاما لطلبة المعهد وكان عددهم يناهز ألف طالب داخلي فظهر تأثيره في سيرتهم المثلى، وكان قد تزوج في الرباط وله أربعة أبناء. وكان في فجر حياته العلمية لما أصيب في حادثة سير كانت وفاته بعدها بزمن يسير في 12 يناير 1969، وقد برت جمعية علماء سوس بأبنائه فمنهم اليوم أساتذة جامعيون وهم ثمرة يانعة من سيرته.


م. المختار السوسي، *المعسول*، مطبعة النجاح، 1962، ج. 12، ص. 174 ؛ ع. الساحلي المتوكل، *المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس*، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986، ج. 1، ص. 151، 168، 441 ؛ *مذكرات شخصية* ؛ ملف الإداري بمعهد محمد الخامس بتارودانت.


عمر أفا

**العقاب** للذكر والأنثى كما هو شائع عند العامة في كل الأقطار العربية وكما في اللسان العربي وفي المعاجم، تجمع على أعقب وعقبان وعقابين، جنس طير من الكواسر النهارية الضخمة آكلات الصيد الحي، كبيرة القد تسمى أيضا في البوادي العگّاب. لها منسر أي منقار قصير أعقف يعرف بالشعواء واللقواء لتعقفه ولزيادة أعلاه على أسفله. تعد أنواع العقبان من أنبل الجوارح وأشدها بأسا تصيد فرائسها بدقة وتحملها بمخالبها المقوسة السوداء ؛ تأكل الجيف من الماعز والغنم في حالة الجوع الشديد. الإناث أكبر حجما ووزنا من الذكور عند كل الأنواع. تصنف العقبان إلى رتبة الجوارح Rapaces falconiformes وفصيلة الصقريات Accipitridae. منها سبعة أنواع تعيش في المغرب يصعب التمييز بينها لدى الإنسان العادي وهي طيور محمية صيدها محرم في المغرب طبقا للقانون الصادر في حقها من إدارة المياه والغابات.

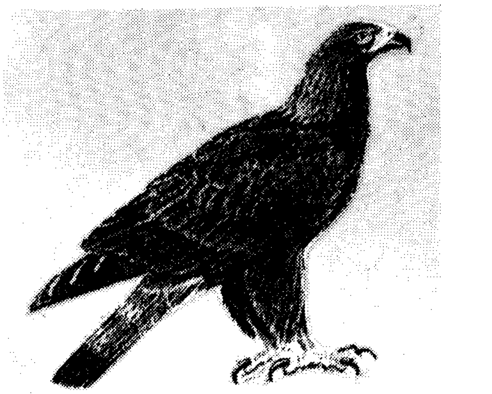

- عقاب بونيلي Hieraaetus fasciatus يسمى بالفرنسية Aigle de Bonelli وبالإنجليزية Bonelli's eagle وبالإسبانية Aguila perdicera وبالإيطالية Aquila del Bonelli. ريشه أسود داكن على الظهر وفاتح على الصدر والبطن. يبلغ طول الجسم 65 ـ 75 سم ويزن 1500 ـ 2500 غرام. يتميز بذيل طويل جدا وبجناحين كبيرين تبلغ بسطتهما 150 ـ 180 سم.

المجموعات المغربية مستقرة وأفرادها موزعة على مختلف المناطق الجبلية الريفية والأطلسية وسهول الغرب والشاوية وبني يزناسن والهضاب العليا الوسطى والشرقية والحوز وتنغير وورزازات وسوس ووادي درعة وفگيگ. عرف عدد هذا العقاب تقلصا ملحوظا خلال العقود الأخيرة على الصعيد العالمي ويتراوح في المغرب بين 500 ـ 1000 زوجة. يألف الأجراف والصخور الصعبة المنال والغابات. يتوالد في مختلف المناطق المغربية الوسطى والشمالية والشرقية منذ فبراير إلى أبريل وينصب الزوجان العش على أشجار الأرز والصنوبر وهو عش ضخم يتعدى قطره أحيانا مترين. تبيض الإناث عادة 3 ـ 4 بيضات عليها نقط بنية بنفسجية، يبلغ طول قطرها الكبير 7 سم. يحضن البيض بالتناوب من الزوجين مدة 42 ـ 44 يوما وتبقى الصغار بداخل العش حوالي 65 يوما قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز. يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا الضرب من عقاب بونيلي على المناطق الجبلية المحاطة بحوض البحر المتوسط وأسيا الجنوبية، وهناك ضرب آخر من نفس النوع يعيش في إفريقيا الوسطى والجنوبية. أغلبية المجموعات المغربية مستقرة وتتنقل أحيانا دون أن تبتعد من أماكن التوالد. يفترس بمهارة شديدة الأرانب والقنية والسناجب والفئران والحمام واليمام والحجل والبط والنورس وطائر البقر والمالك الحزين وغيرها من الطيور المتوسطة الحجم.

- العقاب المسرول Hieraaetus pennatus يسمى بالفرنسية Aigle botté وبالإنجليزية Booted eagle وبالإسبانية Aguila colgada وبالإيطالية Aguila minore. عقاب صغير الحجم لون ريشه شاحب بني إلى بني داكن ويختلف من فرد لآخر. يبلغ طول الجسم 45 ـ 55 سم ويزن 500 ـ 1000 غرام. ذيله طويل نسبيا وجناحاه طويلان تبلغ بسطتهما 100 ـ 120 سم. يعيش في أوربا الجنوبية وآسيا الوسطى والغربية ومعظم مجموعات أوربا الغربية من القواطع تهاجر شتاء إلى جنوب إفريقيا الشمالية. ويتراوح عدد هذا العقاب في المغرب بين 500 ـ 1000 زوجة. يألف الأجراف والغابات ويتوالد في مختلف المناطق الأطلسية والريفية بين مارس وأبريل وينصب الزوجان العش على أشجار العرعار والأرز على الصخور. تبيض الإناث بيضتين عليهما نقط بنية رمادية، يبلغ طول قطرها الكبير 5,5 سم. يحضن الزوجان البيض بالتناوب وتغادر الصغار العش بعد 8 أسابيع.

- عقاب الحيات أو عقاب الأفاعي Circaetus gallicus تسمى بالفرنسية Circaète Jean-le-Blanc وبالإنجليزية Short toed eagle وSerpent eagle وبالإسبانية Aguila culebrara وبالإيطالية Biancone. يسمى في المعاجم الصرارة وأبو صواي في الشام وفي الشرق العربي ويسمى في المغرب عقاب لحناش. طائر ضخم في حجم السقاوة والسرنوف، ريشه أسمر داكن على الرأس والعنق وكدر شاحب موحد على الظهر والجناحين. أسفله أبيض ناصع ضارب إلى التوشيم ببقع مسودة غير واضحة والأخيرة منها عريضة جدا. المنقار رمادي مسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة رمادية سوداء ؛ يبلغ طول الجسم 60 ـ 70 سم ويزن الذكور 1200 ـ 2000 غرام والإناث 1300 ـ 2300 غرام تبلغ بسطة الجناحين 125 ـ 150 سم.

معظم المجموعات المغربية من القواطع منها حوالي 1000 زوجة تتوالد في الغابات القليلة الكثافة. يكثر عدده في المناطق الجافة وشبه الجافة والرطبة بجبال الأطلس المتوسط والكبير والريف والهضاب العليا الوسطى وغابة المعمورة وبنسليمان وشائع أيضا في ضواحي دبدو وجرادة وفگيگ وتافيلالت وعلى الساحل الصخري المتوسطي منذ السعيدية إلى طنجة.

يتوالد ابتداء من أبريل وينصب العش على أشجار الأرز

والبطم والعرعار الحر والفلين، وهو عش ضخم يتجاوز قطره مترا، يتكون من الأغصان اليابسة ومن الطين ويفرش بقطع الأعشاب. تبيض الإناث بيضة واحدة كل سنة، بيضاء ملساء يبلغ قطرها الكبير 74 ملم تحضنها الأنثى 47 يوما ويبقى الصغير تحت الحضانة بداخل العش مدة شهرين ونصف قبل أن يأخذ حريته تدريجيا. يعيش أيضا في إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وآسيا الوسطى وأوربا. يقتات من الثعابين والضب والأفاعي والعظاء وبوبريص والعصافير والخنافس والجراد والطيور الداجنة.

- عقاب ذهبية أو عقاب لماعة Aquila chrysaetos يلقب في المغرب بالعقاب الحر وبالفرنسية Aigle royal وبالإنجليزية Golden eagle وبالإسبانية Aguila real وبالإيطالية Aquila reale. ريش العنق مذهب شاحب وبني على الرأس والظهر الجناحين وفاتح على الصدر والبطن. الذيل طويل ومحفوف بريش أسمر داكن ؛ يبلغ طول الجسم 75 - 90 سم ويزن الذكور 1300 - 4500 غرام وتزن الإناث 3800 - 6500 غرام وتبلغ بسطة الجناحين 205 - 220 سم.

طائر شائع في المناطق الجبلية الغابوية بحوض البحر المتوسط وأوربا الشمالية وآسيا الوسطى والشرق الأوسط وأمريكا الشمالية. المجموعات المغربية مستقرة تتوالد في المناطق الأطلسية والريفية والصحراوية وأفرادها موزعة على مختلف المناطق الجبلية الريفية والأطلسية وسهول الغرب والشاوية وبني يزناسن والهضاب العليا الوسطى والشرقية والحوز والمناطق الصحراوية الجنوبية. يتراوح عدد هذا العقاب في المغرب بين 200 - 500 زوجة. يتوالد في مختلف المناطق المغربية منذ فبراير إلى أبريل. ينصب الزوجان العش عادة على صخور الأجراف الصعبة المنال وهو عش ضخم يفرش بأوراق الأشجار وقطع الأعشاب ومن الأغصان اليابسة يصنعه الزوجان كل سنة. تبيض الإناث 1 - 3 بيضات عليها بقع بنية رمادية، يبلغ طول قطرها الكبير 7,7 سم. يحضن الزوجان البيض بالتناوب مدة 43 - 45 يوما وتغادر الصغار العش بعد 80 يوما.

- ملك العقاب Aquila heliaca adalberti يسمى بالفرنسية Aigle impérial وبالإنجليزية Imperial eagle وبالإسبانية Aguila imperial وبالإيطالية Aquila imperiale. ريشه شاحب بني فاتح، جناحاه طويلان تبلغ بسطتهما 180 - 210 سم. الذيل طويل ومحفوف بريش أسمر ؛ يبلغ طول الجسم 78 - 85 سم ويزن 2400 - 4500 غرام. لم يعد يتوالد في المغرب منذ أزيد من ثلاثين سنة نظرا لتقلص عدده بصفة ملحوظة في جنوب أوربا الغربية ومعظم المجموعات الأوربية مستقرة في جنوب إسبانيا ويأتي بعض أفرادها شتاء إلى ضواحي شفشاون وطنجة والعرائش. يتوالد منذ فبراير إلى أبريل وينصب الزوجان العش على الأشجار العالية وهو عش ضخم يصنع كل سنة ويفرش بأوراق الأشجار وبقطع الأعشاب. تبيض الإناث 2 - 3 بيضات عليها نقط بنية رمادية محمرة، يبلغ طول قطرها الكبير 7,4 سم. يحضن البيض من الزوجين مدة 43 يوما وتغادر الصغار العش بعد 60 يوما.

- عقاب سقعاء الكبرى أو صقر الأرنب Aquila clanga يسمى بالفرنسية Aigle criard وبالإنجليزية Spotted eagle وبالإسبانية Aguila maculada وبالإيطالية Aquila anatraia maggiore. ريشه أسود داكن موشوم بالبياض. الذيل طويل تتوسطه بقعة بيضاء على شكل حرف V ؛ يبلغ طول الجسم 66 - 74 سم وتبلغ بسطة الجناحين 140 - 180 سم.

يتوالد في أوربا الوسطى وآسيا وكل مجموعات أوربا الغربية من القواطع تهاجر شتاء إلى الجنوب ويقطع عدد قليل جدا منها مضيق جبل طارق ليشتو في غابات جبال الريف بضواحي شفشاون وطنجة. يعد هذا الطائر من الأنواع النادرة جدا في المغرب.

- عقاب الصحاري Aquila rapax belisarius يسمى بالفرنسية Aigle ravisseur وبالإنجليزية Tawny eagle وبالإسبانية Aguila rapaz وبالإيطالية Aquila rapace. يختلف هذا الضرب الإفريقي عن نظيره الآسيوي Aquila rapax orientalis الذي يعيش في آسيا الوسطى والشرق الأوسط بلون ريشه الشاحب المكدر الضارب إلى البياض ؛ الجناحان كبيران ودائريان تبلغ بسطتهما 110 - 130 سم. الذيل طويل ومحفوف بريش أسمر داكن ؛ يبلغ طول الجسم 66 - 79 سم ويزن 500 - 1400 غرام. تقلص عدد هذا النوع بشكل ملحوظ خلال العقود الأخيرة حيث كان شائعا في معظم المناطق الغابوية المغربية بجبال الريف والأطلس المتوسط والكبير والهضاب العليا بالمغرب الشرقي. منه مجموعات ضعيفة العدد مستقرة في المناطق الجبلية بالأطلس الكبير الغربي والأطلس الصغير ومناطق حوض سوس ماسة. يتوالد منذ فبراير إلى أبريل وينصب الزوجان العش على أشجار الأرز والصنوبر والأركان وهو عش ضخم يتكون من الأغصان اليابسة يصنعه الزوجان كل سنة ويفرشانه بأوراق الأشجار وبقطع الأعشاب. تبيض الإناث بيضتين منقطتين بالأسمر الأشقر، يبلغ طول القطر الكبير 7 سم. تحضن الأم البيض 45 يوما. تبقى الصغار بداخل العش حوالي 55 يوما. يألف لأجراف والصخور العالية ويعيش منعزلا أو مزدوجا. تسهل مشاهدته في ضواحي تارودانت والصويرة وماسة وكوليمين. يفترس الطيور المائية والحبارى والحجل ويأكل أحيانا الجيف من الماعز والغنم والأرانب.


م. رمضاني، *بولحية، معلمة المغرب*، الجزء 6، ص. 1845، 1998 ؛ *الرخمة، معلمة المغرب*، الجزء 13 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

P. Bergier, *Les falcoiformes marocains. Statut, Répartition et écologie. Annales CEEP (ex. CROP) n° 3, 1987*, 160 p. ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*. Elsevier, 1977, 430 p.


محمد رمضاني

**العقاب**، اسم لمعركة جرت ما بين الجيوش الإسلامية بقيادة الموحدين والجيوش المسيحية بقيادة مملكة قشتالة، وذلك في 15 صفر 609 / 14 يونيو 1212 محص الله فيها المسلمين، والعقاب مكان جرت فيه المعركة في جبل الشارات (سييرامورينا) بالأندلس.

وتعود الأسباب غير المباشرة للمعركة إلى أن المسيحيين لما استفاقوا من هزيمة معركة الأرك التي جرت في عهد يعقوب المنصور أدركوا مدى التغيير الذي حصل في هرم السلطة الموحدية بعد وفاته وتوقعوا الضعف والهوان بعده، فقاموا مستبقين الأحداث بالدعوة لحرب صليبية جديدة في الغرب الإسلامي تستهدف إخراج المسلمين من شبه الجزيرة الإيبيرية. وقد تزعم هذه الدعوة أسقف مدينة طليطلة، فأرسل إلى بلاد فرنسا وإيطاليا وإسبانيا حاشدين، وعمل على توحيد الممالك الإيبيرية المسيحية وحصل على دعم البابا إينوصان الثاني ومباركته، فعبأ نبلاء أوروبا الغربية وعامتها وأعلنها حربا "مقدسة" ضد المسلمين.

في الجانب الإسلامي لم يكن الخليفة الناصر 595 ـ 613 / 1199 ـ 1213 على علم بما كان يجري في العالم المسيحي الغربي من استعداد، حتى إنه اعتبر هجمات ملك قشتالة وأرگون على الثغور الإسلامية الشمالية في الأندلس مجرد خرق لمعاهدة الصلح والهدنة التي أبرمها والده مع المسيحيين إثر هزيمة الأرك، في حين أنها كانت تدخل ضمن تاكتيك ألفونسو الثامن ملك قشتالة والرامي إلى التحرش بالمسلمين وجس نبض الموحدين واختبار ردود أفعال قيادتهم الجديدة وعلى المستوى الداخلي سواء داخل المغرب أوفي الأندلس. فالجبهة الإسلامية كانت متضعضعة، وذلك بسبب تلاعب كبار الموظفين، وسياسة الإهمال التي اتبعوها عقب وفاة يعقوب المنصور، وقد لعب الوزير ابن جامع دورا كبيرا في فقد الثقة والتباعد ما بين الأندلسيين والمغاربة بسبب دسائسه وهيمنته.

تفاوتت أسباب الهزيمة في المصادر العربية والأجنبية واختلفت حول بعض التفاصيل والجزئيات، لكن الأسباب القوية تبقى في التفاوت الكبير في العدة والعدد وفي التعبئة والاستعداد ما بين المسيحيين الصليبيين والمسلمين (مغاربة وأندلسيين) : تمت المواجهة بين طرفين غير متكافئين (التفوق للمسيحيين) على أرض متضرسة احتل فيها المعسكر المسيحي المرتفعات بينما خيم المسلمون على المنحدرات والسفوح، وتقدم المسلمون نحو المواجهة على عادتهم في المعارك السابقة كالآتي : في المقدمة المصامدة بقيادة الخليفة في القلب والأندلسيون في الميمنة والعرب والأغزاز في الميسرة والبرابرة والحشود في الخلف، لكن هذا التاكتيك لم ينفع هذه المرة إذ اندفع المسيحيون نحو المسلمين في ثلاث دفعات ردت الأولى بقوة ثم أخذت مقاومة الموحدين تضعف في الثانية لتنهار في الثالثة وكانت جيوش الأندلس أول المنسحبين ثم تبعتها جيوش القبائل العربية.


ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت 1948، تطوان 1960، الدار البيضاء 1985 ؛ ابن خلدون، *العبر*، دار البيان، بيروت، بدون تاريخ ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن بسام، *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*، بيروت، 1980 ؛ ليفي بروفنصال، الإسلام في المغرب والأندلس، تر. عبد العزيز سالم ومحمد حلمي، القاهرة، بدون تاريخ ؛ م. عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، القاهرة، 1962 ؛ خالد الناصري، *الاستقصا*، الجزء الثاني، الدار البيضاء، 1954.

J. Brignon [et *al.*], *Histoire du Maroc*, Paris, 1967 ; J. Descola, *Histoire d'Espagne*, Paris, 1959 ; Huici Miranda, *Historia politica del imperio Almohad*, 2 tomes, Tetouan, 1956 - 1957.


محمد حجاج الطويل

**عقبة بن نافع**، هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط القرشي الفهري. ولد على عهد الرسول (ص). ويعتبر من رواد الفاتحين المسلمين ببلاد المغرب، وأول من دخل منهم المغرب الأقصى. إذ قدم برقة منذ حداثة سنه، ومنها شارك في عدة حملات عسكرية على إفريقية، أبدى خلالها ضروبا من الإقدام الحربي والحماسة الدينية. وهي مزايا عبر عنها بجلاء إبان تعيينه من قبل عمرو بن العاص سنة 46 / 666 على رأس جيش لمتابعة فتح إفريقية. فقد اغتنم عقبة هذه المناسبة ليقود فرقة من الفرسان نحو الجنوب، حيث فتح مجموعة من الواحات والقصور إلى أن وصل إلى شمال شرقي دولة النيجر اليوم.

ولاشك أن خصال عقبة الشخصية لعبت لصالحه عندما عينه معاوية بن أبي سفيان واليا على أفريقيا سنة 50 / 670. وهي ولاية استغرقت خمس سنوات تفرغ عقبة خلالها إلى متابعة القضاء على الوجود البيزنطي بإفريقية، وإلى بناء القيروان لاتخاذها قاعدة عسكرية وسياسية. وسرعان ما أصبحت القيروان أول مدينة إسلامية ببلاد المغرب، ومركزاً للإشعاع الديني والفكري بالمنطقة.

ولكن في سنة 55 / 675 عزل معاوية عقبة من منصبه لأسباب مجهولة وعوضه بأبي المهاجر دينار. وخلافا لعقبة، سلك أبو المهاجر سياسة في الفتح قوامها ترغيب البربر في الإسلام واستمالتهم للتحالف مع العرب ضد البيزنطيين. وتسجل المصادر أن سياسة اللين هذه أدت إلى إسلام كسيلة ـ زعيم أوربة وصنهاجة ـ وانضمامه وقومه إلى جيش أبي المهاجر. وهذا ما سهل على الفاتحين اجتياح المغرب الأوسط.

وعندما تولى يزيد بن معاوية الخلافة أعاد الاعتبار لعقبة، فرده إلى ولاية أفريقيا سنة 62 / 682. فخرج على التو على رأس حوالي خمسة آلاف رجل لغزو المغرب الأقصى. ولئن كانت هذه الحملة هي أبرز حدث ميز ولاية عقبة الثانية (62 / 682 ـ 63 / 683)، فإن ما يتوفر لدينا من معلومات عنها لا يرقى إلى أهمية الحدث من حيث الامتداد والظروف والعواقب. ذلك أن أقدم وأحسن رواية وصلتنا عن الموضوع هي التي وردت عند ابن عبد الحكم، مع أنه لم

يدونها إلا في منتصف القرن الثالث أي بعد الحملة بما يقرب من قرنين. وبما أن هذه الرواية من صنف المغازي، فإن ابن عبد الحكم لم يقتصر على مصدر واحد في جمعها، فجاءت متنافرة ومتناقضة في كثير من الأحيان، هذا فضلا عن إفراطها في التلخيص.

ورغم عيوب رواية ابن عبد الحكم، انتشرت بالمشرق والمغرب بين الإخباريين اللاحقين الذين أغنوا ما نقلوه عنه بتفاصيل ربما اعتمدت على مصادر مفقودة، الشيء الذي زاد في تشويش صورة حملة عقبة على المغرب الأقصى. وانعكس هذا الأمر على كتابات المؤرخين المحدثين الذين تضاربت آراؤهم حول خط سير الحملة والمدى الذي وصلت إليه والنتائج التي أسفرت عنها. ومن هنا صعوبة الوصول إلى تصور واضح حول هذه القضايا الغامضة التي لا يمكن مقاربتها بما يكفي من الوضوح إلا بالعثور على ما فقد من مصادر عربية أصلية، وبالاستعانة بالنصوص البيزنطية. غير أن مصادرنا - على علاتها - تسمح بتقصي السير لحملة عقبة على المغرب الأقصى وبتقدير ظروفها وانعكاساتها.

وفي هذا الإطار تشير المصنفات التاريخية إلى أن عقبة سار سنة 62 / 682 على رأس جيش كثيف من القيروان إلى شمال الأوراس حيث اصطدم مع جموع من البربر والبيزنطيين في بغاية - وكانت معقلا مسيحيا كبيرا - فانتصر عليهم. ثم اتجه الفاتحون المسلمون بقيادة عقبة إلى حصن بليش الوماني. وبعد مدة من الحصار والمعارك، غادره إلى تيهرت. وفيها خاض المسلمون معركة طاحنة ضد جيش من البربر والبيزنطيين الذين لم ينجحوا في مقاومة عقبة وأصحابه.

تابع المسلمون زحفهم نحو المغرب الأقصى - ربما عبر تلمسان وملوية وممر تازة - إلى أن أدركوا طنجة. وكانت هذه المدينة خاضعة لحاكم يعرف باسم يليان. ويبدو أنه كان يسيطر أيضاً على الجهات المطلة على المضيق بما في ذلك سبتة. غير أن المصادر تختلف حول حقيقة هويته. والراجح أنه كان زعيما بربريا نصرانيا يحكم المنطقة باسم قوط إسبانيا. ومصداق هذا الطرح أن يليان لم يأل جهدا لثني عقبة عن العبور إلى إسبانيا. ولتحقيق هذا الهدف قبل الخضوع لحكم المسلمين دون مقاومة، وفي نفس الوقت أقنع عقبة بالبقاء في المغرب الأقصى وبتوجيه حملته نحو الجنوب.

وبالفعل فإن ابن عذاري يذكر أن عقبة قصد السوس الأدنى - أي بلاد تامسنا والمصامدة - حيث تصدى للمقاومة المحلية وقضى عليها. وكذلك فعل في سهل الحوز واستولى فيه على نفيس وأغمات. بعد ذلك "أجاز إلى بلاد السوس - يقول ابن خلدون - لقتال من بها من صنهاجة أهل اللثام. وهو يومئذ على دين المجوسية. ولم يدينوا بالنصرانية. فأثخن فيهم، وانتهى إلى تارودانت وهزم جموع البربر. وقاتل مسوفة من وراء السوس، وسبى منهم وقفل راجعا" (تاريخ ابن خلدون، 6 : 127).

هذا إذن هو المسار العام لحملة عقبة على المغرب الأقصى، كما تقدمه المصادر. ولئن كان المؤرخون - قدامى ومحدثون - لا يجمعون على محطات الحملة ومراحلها، فإن معظمهم يقبلون بوصولها إلى مشارف الصحراء الأطلسية. بيد أن أحد الباحثين يرى أن عقبة غزا بالفعل تلمسان، وبما نظم حملات على شمال المغرب الأقصى دون أن يتعداه (*Histoire du Maghreb*, 1 : 75). حقيقة أن مثل هذه الشكوك تنبني على نص ابن عبد الحكم الذي اقتصر على استعمال لفظة "السوس" بدون تحديد، للدلالة على النقطة القصوى التي بلغها عقبة. ولكن تفحص النص يثير الانتباه إلى تسمية لها دلالة تاريخية معبرة. إذ يقول ابن عبد الحكم "وأهل السوس بطن من البربر يقال لهم أنبية" (فتوح، 58). وتجزم المصادر المعاصرة لابن عبد الحكم أن أنبية فرع من صنهاجة اللثام الذين كانوا يحيون بالصحراء الأطلسية. وإلى هذا الطرح تذهب المصادر المتأخرة التي تؤكد بوضوح أن عقبة توغل جنوبا حتى السوس الأقصى.

ولم يلبث عقبة أن قرر العودة إلى القيروان. غير أن المصادر لا تحدد تصريحا طريق العودة. ولكن قد يكون اتبع سلسلة واحات سفوح الأطلس الجنوبية، وإن كانت الكتابات الحديثة - في مجملها - تميل إلى القول بأنه عاد عبر ممر تازة. ومما يزكي وجهة النظر الثانية أن ابن عبد الحكم علل في إحدى رواياته مقتل عقبة بكون كسيلة كان يتعقبه أثناء غزواته بالمغرب الأقصى، ويعمد إلى هدم الآبار - وكان الموسم صيفا - بعد مرور جيش المسلمين ليقطع عليهم طريق العودة ؛ الشيء الذي يعني أن خط سير حملة عقبة كان واحدا في الذهاب والإياب.

وعندما وصل إلى تهوذة - جنوب شرقي بسكرة غير بعيد من جبال الأوراس - فاجأه كسيلة على رأس جيش من البربر والروم. وبالنظر إلى أن عقبة كان في قلة من جنده (زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة) وبعيداً عن مراكز إمداده، لم يكن أمامه وصحبه سوى مواجهة الوضع بمحاولة التصدي لحصار العدو. وبالفعل "قاتلوا قتالا شديداً، حتى بلغ منهم الجهد وكثر فيهم الجراح. وتكاثر عليهم العدو، فقتل عقبة وأبو المهاجر ومن كان معهما من المسلمين. ولم يفلت منهم أحد إلا بعض وجوههم أسروا" (*البيان*، 6 : 29).

ويعرف اليوم المكان الذي لقي فيه عقبة حتفه باسم سيدي عقبة. وهو عبارة عن واحة على بعد خمسة كلم جنوبي تهوذة، حيث يوجد مسجد وضريح متواضع، أضحى مزارا لأحفاد الذين قتلوا الفاتح العربي.

لم يتردد المؤرخون العرب المحدثون في اعتبار هزيمة تهوذة (ذو الحجة 63 / غشت 683) كارثة ومأساة لا نظير لهما في تاريخ الفتوحات الإسلامية. إذ أنها أدت إلى تخلي المسلمين عما استولوا عليه ببلاد المغرب كلها، وإلى ظهور مقاومة بربرية عنيفة استمرت زهاء ربع قرن. وهذا ما جعل البحث التاريخي الحديث يحاول استقصاء أسباب هذه

الانتكاسة. ولعل أكثر ما سجل من مآخذ على عقبة سياسته القائمة على العنف والاندفاع، خلافا لمن سبقوه على ولاية إفريقيا ولا سيما أبي المهاجر دينار. وظهرت هذه السياسة بجلاء فيما كان يلحقه من أذى معنوي وجسدي بسكان الجهات المفتوحة، وخصوصا بالزعماء والحكام. وخير مثال على ذلك أن عقبة بدأ ولايته الثانية بأسر أبي المهاجر دينار وكسيلة وأخذهما معه - وهما في حديد - في حملته على المغرب الأقصى. وتستفيض المصادر في ذكر ما ألحقه عقبة بالزعيم البربري من ذلال وإهانة، مع أنه كان قد أسلم وتحالف مع الفاتحين. وزاد عقبة على ذلك بأن غزا منطقة تلمسان معقل أوربة وزعيمها كسيلة. فكان من الطبيعي أن يغير هذا الأخير موقفه من المسلمين. إذ فر من معسكر عقبة في ظروف غامضة، وعقد التحالف مع البيزنطيين للوقوف في وجه عقبة ولإجهاض سياسته.

ومما زاد في خطورة هذا التحالف أن كسيلة كان عارفا بعورات جيش عقبة. ولعل أكبرها إقدام عقبة - لأسباب نجهلها - على الاحتفاظ بقلة من الجند وصرف معظمهم إلى القيروان وهو في طريقه إليها، متجاهلا بذلك تأمين خط رجعته. وهذا الخطأ العسكري هو الذي سهل على كسيلة نصب كمين لعقبة، ودفع ببعض الباحثين إلى اعتبار هذا الأخير مجرد مسلم متحمس لنشر عقيدته وولي من أولياء الله الصالحين. والحق أن الخطأ المذكور لا ينفي عن عقبة كونه رجل حرب بارع ومقدام، نجح في مدة وجيزة في اجتياح المغرب الأقصى من الشمال إلى الجنوب. مع العلم أنه كان أول فاتح وصل إلى هذه البلاد، مع ما يعنيه ذلك من صعوبات ومخاطر كان عقبة نفسه أول ضحاياه.

أدرك كسيلة في تهوذة ثقل الفاجعة التي حلت بالمسلمين، وتفطن إلى ضرورة استغلالها للزيادة في تأزيم وضعهم. لهذا زحف إلى القيروان، بينما اضطر من كان بها من الفاتحين إلى الانكفاء إلى برقة ومصر، ولم يبق سوى من عجز عن الرحيل.

وباستيلاء كسيلة على القيروان (64 - 683) أمن من تخلف فيها من المسلمين، وسيطر على معظم بلاد المغرب لمدة خمس سنوات. وكان يتعين انتظار خلافة عبد الملك بن مروان لمعاودة الفتوح بقيادة زهير بن قيس البلوي ابتداء من سنة 69 / 688.

وإذا كانت حملة عقبة على المغرب الأقصى قد آلت إلى فشل عسكري مؤقت، فلا ينبغي غض الطرف عن انعكاساتها الإيجابية، وخصوصا في المجال الديني. فقد نبهت السكان المحليين إلى عقيدة الفاتحين، وهيأتهم لقبولها فيما بعد، لا سيما وأن عقبة عمد إلى بناء المساجد ببعض جهات البلاد (درعة والسوس الأقصى والحوز). بل إن بعض المصادر تدفع إلى الاعتقاد بوجود جماعات بربرية أخلصت للإسلام منذ هذا الوقت - وبالأخص بين مصمودة وزناتة - وقاتلت بجانب عقبة في بعض المناسبات. كما مهد عقبة الطريق لأسلافه من الفاتحين، وسهل عليهم مأمورية إدخال المغرب الأقصى إلى "دار الإسلام".


ع. الرحمان، ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقيا والأندلس*، 1964، ص. 58 - 61 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، 1980، ج 1، ص. 23 - 31 ؛ أ. النويري، *تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب*، 1984، ص. 190 - 194 ؛ ع. الرحمان، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 1992، م. 6، ص. 127 - 128 ؛ ابن عبد الحليم، *كتاب الأنساب*، 1996، ص. 87 - 90 ؛ مجهول، *كتاب مفاخر البربر*، 1996، ص. 252 - 254 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، 1954، ج 1، ص. 81 - 84 ؛ أ. العبادي، *في تاريخ المغرب والأندلس*، 1978، ص. 38 - 42 ؛ ش. فيصل. *حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول*، 1980، ص. 167 - 170 ؛ ح. مؤنس، *فتح العرب للمغرب*، د. ت. ص. 178 - 207.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français*, s.d., p. 80 - 82 ; Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord des origines à 1830*, 1994, p. 347 - 350 ; A. Laroui, *L'histoire de Maghreb*, 1976, t. 1, p. 74 - 75.


عبد العزيز العلوي

ابن **العقدة، موسى** الأغصاوي من أبرز علماء المغرب خلال الفترة التي عاشتها البلاد خلال الهجمة المسيحية (ما بين سقوط سبتة 1415 وسقوط طنجة 1471 في يد البرتغاليين). أخذ عن القوري (المتوفى عام 872 / 1467) والعبدوسي (المتوفى عام 849 / 1445) والمواسي (المتوفى عام 896 / 1491) أشهر أعلام عصره. تابع دراسته بفاس والتقى فيها بالشيخ الورياجلي وبالشيخ ابن برطال. وعاصر ابن غازي (المتوفى عام 919 / 1514) وأحمد زروق البرنسي (المتوفى عام 899 / 1494).

كان يدعى بفحل المدونة، واشتهر بتدريس علم الكلام، وكان معتمده هو محمد بن يوسف السنوسي.

ينتمي أبو عمران إلى أسرة مشهورة بجبال غمارة سيشتهر أبناؤها بالعلم والولاية.

ذكر ابن عسكر أنه توفي "في أوائل المائة" أي العاشرة، (911 للهجرة)، لا تذكر المصادر أين، لكننا نعرف أن بفاس درباً يحمل اسمه "درب بوعقدة" بعدوة القرويين، ومن أشهر تلامذته الشيخ أبي القاسم ابن حجو.


ابن عسكر الشفشاوني، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. د. حجي، الرباط، 1976 ؛ العلمي، *نوازل العلمي*، ج 2، طبعة حجر ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، طبعة حجر، فاس، 1318 / 1900، في ثلاثة أجزاء.


محمد مزين

**عقرب** جنس حيوانات برية مضرة من المفصليات ورتبة العقربيات لها أربعة أزواج من الأرجل وزوجة من المجسات المفصلية الفوهية تحولت إلى ملاقط قوية ومخيفة. الجسم مفصص ويشتمل على سبع سيات في البطن وستة في الجهة الخلفية التي تنتهي بتحدب متميز يحمل الغدد السامة.

يرتبط بهذه الغدد منخس مستدق الرأس يحقن السم عند اللدغ. يستعمل العقرب الملاقط لاصطياد الحشرات يفتك بها ويطحنها بفكيه القويين. والعقارب من الحيوانات الولودة، يتوالد في فصل الربيع وبداية الصيف بعد رقصات متميزة يقوم بها الزوجان وتنمو الأجنة بداخل جسم الإناث، وبعد انتهاء مرحلة النمو الأولى تخرج وتلتصق بظهر الأم التي تحملها خلال الأسابيع الأولى وتحيطها بالرعاية والصيانة. الصغيرة شبيهة بالكبيرة منذ الولادة وتبقى في هذه الحضانة حوالي أسبوعين أو ثلاثة تتعرض أثناءها إلى الانسلاخ الأول وبعد ذلك تأخذ حريتها لمواجهة حياة مستقلة. يتحمل العقرب تغيرات حرارية قوية ولا يخشى الإشعاعات النووية. يختفي في فصل الشتاء بين شقوق الصخور وتحت الأحجار ويقل نشاطه طيلة الأيام الباردة.

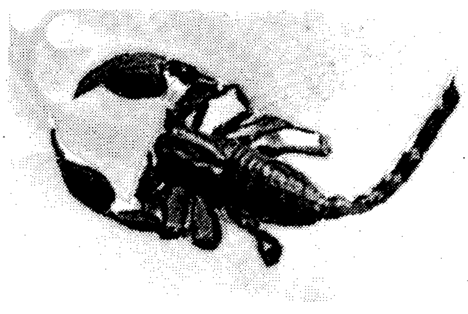

تعيش العقارب في المناطق الحارة والجافة مثل الصحاري وتختفي نهارا في المغاوير وتحت الأحجار وبين شقوق الصخور ثم تستأنف نشاطها بعد الغروب إلى غاية غسق الليل. يبلغ عدد أنواع العقارب 700 في العالم منهم 18 نوعا و21 صنفا يعيش في المغرب. تتكون فصيلة بوثيدي Buthidae من 5 أجناس ومن 28 ضربا موزعة على مختلف المناطق المغربية منذ السواحل إلى أماكن جبلية يفوق ارتفاعها 3500 متر. وتضم فصيلة العقربيات Scorpionidae جنس Scorpio الذي يشتمل على 9 ضروب من نوع maurus. يمكن تمييز مجموعتين من العقارب في المغرب من خلال اللون : العقارب الصفر والعقارب السود. ليست كل الأنواع قاتلة بالنسبة للإنسان فبعض أنواع العقارب الصفر تحدث بلسعاتها آلاما تُعالج دون مضاعفات خطيرة بينما يمثل بعض أنواع العقارب السود خطورة على الإنسان ما لم يعجل بإنقاذه. من بين العقارب الخطيرة على الإنسان والحيوانات الداجنة في المغرب :

العقرب المغربي باثوس ماروكانوس Bathus maroccanus لونه أسمر داكن ويبلغ طوله 5 ـ 6 سم ويعيش في ضواحي الرباط، وعقرب ليوفيلي Androctonus aeneas liouvillei أسود داكن يبلغ طوله 7 ـ 9 سم ويعد من أخطر الأنواع ؛ شائع في ضواحي أگادير وبوذنيب وورزازات وطاطا وزاگورة وفگيگ ووجدة. وعقرب موريتانيا A. mauritanicus mauretanicus وورزازات بوردوني Androctonus mauretanicus bourdoni اللذان تسببا في عدة ضحايا من الأطفال في ناحية الصويرة وفي مناطق أخرى ؛ يعيشان بجوار المنازل ولا يحفران المغاوير ؛ شائعان في المناطق الساحلية من طنجة إلى تيزنيت وفي حوض سوس.

نوعان يعيشان في المناطق الصحراوية والمناطق الجافة وشبه الجافة المجاورة : Buthacus leptochelys ونوع Microbuthus fagei وهو أصغر العقارب في المغرب إذ لا يتعدى طوله 3 سم.

تؤثر سموم العقارب على الجهاز العصبي وتودي في أغلب الأحيان إلى سكتة قلبية وهناك مصل خاص لعلاج سموم العقارب بالمراكز الصحية.

A. Charnot et L. Faure, *Les scorpions du Maroc, leur venin, leur danger pour l'homme et les animaux*. Bull. Inst. Hygiène Maroc, IV, 1 - 72 p., 1934.

محمد رمضاني

**عقرب البحر** والعكرب وأرنيا كما في الأسواق السمكية المغربية وبلم في تونس، سمك بحري من فصيلة تراكينيدي Trachinidae. منه أربعة أنواع تعيش في البحار المحيطة بالمغرب .يصعب التمييز بينها لكثرة الشبه وتعرف عند الصيادين وبائعي الأسماك بالعقرب لوجود أشواك سامة على غشاء الخياشيم والزعانف الظهرية تستعمل للدفاع عن النفس كما هو الشأن عند العقارب. سمك موجود بانتظام في كل أسواق الأسماك المغربية ويستهلك طريا ومبردا. صيده تقليدي ورياضي على طول السواحل المغربية ويصاد بالشباك الحلقية الشاطئية والجيبيات والشباك المستقيمة العمقية وحبال الصنانير العمقية وصنارة اليد.

- العقرب العنكبوتي Trachinus areneus يسمى بالفرنسية Vive araignée وبالإنجليزية Spotted weever وبالإسبانية Arania. يبلغ الطول الأقصى للكبيرة 50 سم وشائع في الأسواق السمكية بين 20 ـ 30 سم، يتعدى الوزن أحيانا 1000 غرام. جسمه طويل ومضغوط جانبيا. العينان صغيرتان ؛ الفم كبير ومائل، الأسنان مصففة على أشرطة بالفكين وعلى سقف الفم كلها قصيرة ومائلة ؛ الظهر رمادي أسمر مخضر مع بقع داكنة على الرأس ؛ الجوانب بيضاء مصفرة عليها خطوط سمراء وزرقاء وصفراء حسب صفوف الحراشف المائلة. الظهرية الثانية مصفرة والشرجية بنفسجية. يحمل الرأس شوكة سامة قوية على غشاء الخياشيم وشوكتين على الجانب الأمامي الظهري لمحجر العين وشوكة أخرى فوق الشفة العلوية أمام العين. يحمل الظهر زعنفتين، الأولى قصيرة، لها 5 ـ 7 أشواك والثانية طويلة، لها 29 ـ 32 شعاعا لينا ؛ للشرجية شوكتان و29 ـ 32 شعاعا لينا. الحراشف صغيرة ودائرية منها 80 ـ 83 على الخط الجانبي.

يألف الأعماق الرملية والوحلية حيث يختفي الأفراد بداخلها في أغلب الحالات ليتربصوا فريستهم من القشريات

واللافقريات والأسماك الصغيرة. شائع في المناطق الساحلية الأطلسية والمتوسطية في أعماق لا تتعدى 300 م. تقترب الأفراد من الشواطئ في الصيف فتكثر كثافتها بين 5 ـ 10 م من العمق وتهاجر إلى المياه العميقة في الشتاء. يتوالد في الربيع والصيف ويصير بالغا بعد ثلاث سنوات.

ـ العقرب الكبير Trachinus draco يسمى بالفرنسية Grande vive وبالإنجليزية Weever وبالإسبانية Arania. الطول الأقصى 45 سم وشائع بين 10 ـ 30 سم ولا يتعدى وزن الكبيرة 600 غرام.

ـ العقرب الصغير Trachinus vipera يسمى بالفرنسية Petite vive وبالإنجليزية Lesser weever وبالإسبانية Salvariego. الطول الأقصى 15 سم وشائع بين 8 ـ 10 سم ولا يتعدى وزن الكبيرة 200 غرام. يحمل غشاء الخياشيم شوكة واحدة.

ـ العقرب نجمية الرأس Trachinus radiatus يسمى بالفرنسية Vive à tête rayonnante وبالإنجليزية Starry weever وبالإسبانية Vibora. يبلغ الطول الأقصى للكبار 50 سم وشائع في الأسواق بين 15 ـ 30 سم. الوزن 900 غرام. الجانبان منقطان ببقع بنية دائرية أو خيطية. يعيش في السواحل الإفريقية وفي البحر المتوسط باستثناء البحر الأسود. يألف الأعماق الرملية والوحلية الممتدة بين 30 ـ 60. تخلف لدغات شوكات غشاء الخياشيم وشوكات الزعانف الظهرية جروحا خطيرة وألما شديدا.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932 ؛ *دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب*، المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

محمد رمضاني

**العُقْلي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Acula وهو الاسم الذي أطلقه الإسبان على قرية عقلة التي كانت بأحواز غرناطة المسلمة ؛ وإلى هذه الأسرة التي انقرضت بتطوان سنة 1198 (1784) تنسب احدى أبواب تطوان وهي باب العقلة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1200.

محمد ابن عزوز حكيم

**العقوبات** في العصر الوسيط عرف المجتمع المغربي نوعين من العقوبات : عقوبات شرعية وعقوبات مخزنية. فالشرعية منصوص علينا في الشريعة الإسلامية، وهي عبارة عن عقوبات توقيفية رادعة، تخص جرائم القتل والسرقة والحرابة والقذف وشرب الخمر والزنا ؛ وينص الفقه على تنفيذها علينا بحضور عامة المسلمين لأخذ العبرة. وإلى جانب ذلك كان القضاة يحكمون في بعض المواد بما يعرف عند الفقهاء بالتعزير، وهو نوع من العقوبات أخف في المخالفات التي لم يرد بشأنها نص محدد، ويترك تقديرها للقاضي الذي قد يكتفي في بعض الحالات بالتوبيخ الشفوي، وقد يتجاوزه إلى الضرب والسجن والتغريم.

أما العقوبات المخزنية، فهي عقوبات بدنية ومالية لا تستند إلى إطار قانوني، تمارسه السلطة الحاكمة بطريقة غير شرعية مستندة في ذلك إلى قوتها فقط، وتهدف من وراء ذلك إلى زرع الخوف في المجتمع لتأمين جانبها، وكانت تصدر عن جميع ممثلي السلطة، سواء تعلق الأمر بالسلاطين أو بمن هم دونهم كالولاة والعمال والقواد وجباة الضرائب، وتنفذ تلك العقوبات دون محاكمة، وغالباً ما تختلط في إنزالها عواطف الانتقام باللامبالاة، كما قد تتحكم فيها مجرد أهواء ممثلي السلطة. وكانت العقوبات المخزنية في كثير من الأحيان ما تخرج عن إطارها المرتبط بالمخالفات إلى نوع من العدوان، ولمحاصرة هذا السلوك غير القانوني وجدت في الدول الغربية خطة قضاء المظالم لكنها لم تكن فعالة إلا في حدود معينة.

وبالنسبة للدول التي تعاقبت على حكم المغرب في العصر الوسيط، يلاحظ مثلاً أن المرابطين كانوا أكثر التزاماً بالعقوبات والضرائب الشرعية. فكانت سلطة القضاء أقوى، وفي هذا العصر حكم القاضي بجلد الأديب المؤلف الفتح بن خاقان على شرب الخمر، ونفذ فيه.

أما في العصر الموحدي فرغم أن الدولة حملت شعار العودة إلى أصول الإسلام فقد ظهرت تجاوزات كثيرة في مجال العقوبات منذ عهد محمد المهدي ابن تومرت الذي وضع نظاماً خاصاً للعقوبات لتنظيم شؤون حركة الموحدين تجاوز به كثيراً العقوبات الشرعية. فبعد أن قسم الموحدين إلى طبقات محددة بتسمياتها ووظائفها، جعل "لكل صنف من هذه الأصناف رتبة لا يتعداها إلى غيرها لا في السفر ولا في الحضر" (ابن القطان، *نظم*، 83)، وألزمهم بمجموعة من العقوبات الصارمة إذا صدر عنهم تجاوز للنظم والقواعد الموضوعة، وتتدرج هذه العقوبات من التأديب، أي الضرب بالسياط، إلى القتل. ولسحب رداء الشرعية على هذه الممارسات أخذ مبايعة أبتاعه على ذلك، وتنص العقوبات حسب ابن القطان على ما يلي :

ـ جعل القتل على ثمان عشرة مخالفة أخلاقية كالكذب والمداهنة وأمور أخرى كثيرة.

ـ يقتل أيضاً كل من تساهل أو تهاون في أمر الطاعة، سواء للمهدي أو لأي مسؤول آخر.

ـ من لم يلتزم الحضور في مواعظ ابن تومرت وحصص تذكيره يؤدب، فإن تمادى في التغيب قتل.

ـ يعزر بالسياط المتهاونون في حفظ الحزب.

ـ و"من داهن على أخيه أو أبيه أو ابنه أو من يكرم عليه قتل".

ـ يضرب بالسوط المرة والمرتين من لم يلتزم هذه الآداب،

"فإن ظهر منه عناد وترك امتثال الأوامر قتل" (*نظم*، 81 ـ 83).

وبناء على هذه التجاوزات اتهم الإمام الشاطبي في *الاعتصام* ابن تومرت بأنه "وضع القتل شرعاً معمولاً به على غير سنة الله وسنة رسوله". وبجانب ذلك كان يضرب شاربي الخمر بالنعال وسعف النخل تشبها بالصحابة.

ويبدو أن توجه ابن تومرت نحو شرعنة العنف جعل الموحدين بعده يتجاوزون أيضاً في مجال العقوبات، وبشكل مبالغ فيه. وأسسوا نظاماً عقابياً يميل أكثر إلى القتل هدفوا منه بهدف تحقيق قدر أعلى من الردع. ومن هذه التجاوزات أن الخليفة المؤمن كان يقتل على السرقة. ويبدو أن التمادي في عقوبة القتل جعل هذا الخليفة يراجع الأمر، فأرسل رسالة رسمية إلى قضاة دولته يأمرهم فيها بالتوقف عن تنفيذ حدود القتل والقطع، وكل ما يترتب عليه نتائج حاسمة، حتى تحال عليهم ملفاتها مشفوعة بجميع الحجج والبينات على الخليفة، ولاشك أنه كان يكلف قاضي الجماعة بإعادة النظر فيها.

واستمر التجاوز في عهود الخلفاء اللاحقين، ونلاحظ أن المنصور أمر بقتل شاربي الخمر في بعض الأحيان. ولكنه اكتفى بنصف العقوبة الشرعية أحيانا، ويتعلق بإقامة الحد على أحد جلسائه وهو العالم الأندلسي يحيى بن سعود العبدري معلم أبنائه، لما تأكد من تناوله للنبيذ، ثم عزله عن تعليم أبنائه وصرفه عن مجلسه.

وظل الموحدون لمدة لا بأس بها يقتلون على ترك الصلاة، وكانت تشريعات الموحدين تنص على أن من يرفع صوته بالليل بمراكش يقتل حفاظاً على هدوء المدينة. وفي سنة 607 / 1210 قتل مجموعة من اللصوص قاموا بعمليات نهب في حريق مراكش أيضاً. أما العمال الذين تشكو الرعايا منهم، أو الذين كانوا يتهاونون في القيام بواجباتهم، أو يستغلون منصبهم للاغتناء فكانوا يلقون نفس المصير في مرحلة قوة الدولة. وكان الخلفاء والأمراء أنفسهم ينفذون القتل لهذا السبب أو لذاك.

وكان جزاء الاغتصاب أو الاعتداء على النساء هو القتل أيضاً، فقد نفذ يعقوب المنصور القتل في ابن أخته عقاباً له على اختطاف امرأة أحد التجار بمراكش، ولم تنفع توسلات أخته في إنقاذ ابنها. وكان لفئة الحفاظ أيضاً سلطة يستطيعون بموجبها قتل من يرون بتقديرهم أنه يستحق ذلك، إلى جانب إنزال العقوبات الأخرى. فقد قتل حافظ فاس أبو موسى بن رمانة شاباً رمى يده في امرأة وغصبها على الدخول لمنزله، وكان هذا الشاب ابن أخ قاضي فاس حينئذ أبي حفص عمر بن عبد الله السلمي الذي لم يتحرك لتلافي قتل ابن أخيه.

وكان الموحدون قد وضعوا بعض الطرق في معاملة الجناة كالتطويف والتشهير، وقد تبنت الدولة المرينية هذه العقوبات واستمرت إلى عصر الونشريسي الذي عاينها واستنكرها في *المعيار* من خلفية شرعية قائلاً: "الشائع الذائع من فعل أمراء المغرب أيدهم الله، جعل السلاسل في أعناق الجناة في المحلة، وحالة سوقهم للنظر في جرائمهم بين يدي الأمراء والفقهاء. وهو منكر عظيم ويجب تغييره. وقد أشرت بذلك مرة فاحتج علي باتصال العمل بذلك، مع شهادة العلماء الأكابر الجلة لذلك ولا نكير فأمسكت. فأنت ترى هذا الاحتجاج الركيك الساقط". ويؤكد هذا النص بوضوح أن هذه المعاملة أصبحت عرفاً بطول الممارسة لا سبيل إلى تغييره. واستمر وضع السلاسل في أعناق الجناة وتطويفهم إلى عصر الحسن الوزان.

ابن خلكان، *وفيات الأعيان* ؛ ابن الزيات، *التشوف* ؛ ابن سعيد المغربي، *الغصون اليانعة* ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن صعد التلمساني، *النجم الثاقب*، مخطوط، خ. ع، ص. 239، الرباط، رقم ك 1292 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، ج 1 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، 1، 1983 ؛ الشاطبي، الاعتصام ؛ الونشريسي، *المعيار*.

محمد المغراوي

**العقوبات**، يمكن تقسيم نظام العقوبات في المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط وبداية الحديث إلى ثلاثة أصناف: عقوبات السلطة أو ما يمكن أن نطلق عليه العقوبات الشرعية مع نوع من التحفظ. وعقوبات المجتمع التي يمكن نعتها بالعقوبات العرفية وإن كان بعضها ينهل من الشرع. ثم عقوبات متخيلة "فرضها" الأولياء على اللصوص.

أولاً:

المقصود بالعقوبات الشرعية تلك العقوبات التي نص عليها الفقهاء في فتاويهم وأحكامهم استناداً إلى الشرع. فمن غير الخفي أن المشرع أقر عقوبة قطع يد السارق بنص الآية 38 من سورة المائدة (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله، والله عزيز حكيم). غير أن النصوص التي كتبت في مغرب أواخر العصر الوسيط وبداية العصر الحديث ـ والتي تم الاطلاع عليها ـ لم تشر بشكل مباشر إلى تطبيق هذه العقوبات على السارق. فقد ذكر ابن يوسف الحكيم (من أهل القرن الثامن، 14 م) أن نصاب قطع يد السارق من الدراهم الصغار اليعقوبية "ثمانية عشر درهما وستة أعشار عشر درهم". غير أنه لم يشر أبداً إلى واقعة تاريخية في هذا الموضوع، وإن كان ذلك التحديد الدقيق لوجوب القطع يوحي بتطبيقه فعلاً. وبعده أفتى ابن أبي البركات (من أهل القرن التاسع (15 م) بالقطع لمن "سرق بيت المال أو من الغنيمة بعد حوزها (...) ويقطع من سرق من المطامير في أي وقت". ثم رأى ابن غازي (من أهل النصف الثاني من القرن التاسع 15 م وبداية القرن العاشر 16 م) أن "كل جماعة سرقت من حرز فلا قطع على كل واحد منهم حتى تبلغ قيمة ما أخرج المخرج منهم ربع دينار أو ثلاثة

دراهم ولو كان مجموع المخرج ألف دينار إلا أن يكون شيئاً حملوه بأجمعهم فيقطعون ولو كانوا عبيداً ومن أهل الذمة أو سرقوا لمثلهم".

وإذا كانت النصوص المشار إليها تبدو أقرب إلى الصيغة الفقهية ـ النظرية منهما إلى الواقع التاريخي، فإن العلامة محمد المنوني أشار في إطار حديثه عن خطط السلطة المرينية إلى صاحب الشرطة الذي يعرف بالقائد، "وظيفته النهمة على الجرائم وإقامة حدودها، ومباشرة القطع والقصاص حيث يتعين، وهو يحكم في هذه بموجب السياسة دون مراجعة الأحكام الشرعية".

والظاهر أن عقوبة قطع يد السارق لن تطبق في مغرب أواخر العصر الوسيط على نطاق واسع اعتبارا للفاقة والحاجة التي رافقت غالبية أفعال السرقة، وكذا توالي القحوط والمجاعات التي كانت تضاعف من عوز الكثيرين. ولعل الفقهاء غضوا الطرف عن إصدار أحكام خاصة بالقطع استناداً إلى اجتهاد فقهي سابق أعفي خلاله المضطر من تنفيذ عقوبة القطع إذا تزامن فعل السرقة مع المجاعة، بل إن اجتهاداً فقهياً آخر أجاز للجائع عموماً أخذ ما يسد به رمقه من لبن الماشية وثمار البساتين وزرع الحقول. وفي مثل هذه الحالات أفتى بعض فقهاء ذلك العصر بعقوبة الضمان فقط فـ "كل سارق سرق شيئا فلا يضمن المسروق حتى يكون موسرا يوم السرقة ويتمادى به اليسر إلى يوم القطع إلا أن يكون المسروق طعاما وأكله السارق قبل خروجه من بيت ربه فلا يقطع وإنما عليه القيمة خاصة". ومن الفقهاء من عمم، عقوبة الضمان على اللصوص الذين كانوا يسرقون أموالا أو سلعا، أما إذا قتلوا للمسروق له "دابة أو أحرقوا له ثوبا أو نحوه لا يسعه أن يضمنهم قيمة ذلك".

وفيما يخص عقوبة السجن، فقد اختلف الفقهاء فيما بينهم حولها. فمنهم من رأى أنه يجب على القاضي التشديد على السارق المعروف عليه تكرار أفعال السرقة بالسجن لعله "يظهر ما اتهم به" خاصة في البلاد التي لا يطبق فيها حكم قطع يد السارق. وأفتى فقهاء آخرون بسجن اللص إلى حين إعلان توبته. بينما لم يكتف فريق آخر منهم بعقوبة سجن السارق ولو لمدة طويلة، بل أفتوا بسجنه "أبدا حتى يموت في السجن" إذا ما اشتهر بالسرقة وعرف بها. إلا أن الإشارات التاريخية تتحدث عن مدة السجن الفعلية التي كان اللصوص يعاقبون بها كل العقوبات "الشرعية" السابق ذكرها، التي طبقت على أفعال السرقة واللصوصية يمكن وضعها في كفة، وعقوبة القتل التي نفذت على قَطع الطريق المُصاحب بالقتل في كفة أخرى لشدة هذه العقوبة التي تنتهي بموت الجاني. إذ لم تتوان السلطة المركزية التي كان يحركها هاجس ضبط الأمن باعتباره أولى أولويات السلطة، عن الضرب بقوة على يد قطاع الطرق الذين كانوا يغيرون على المسافرين والقوافل فينهبون ويقتلون. وعد هذا الشكل من أشكال اللصوصية بحق الأخطر والأكثر عنفا لأنه مورس من قبل مجموعات كبيرة.

ولم يكن حال السلطة المرينية أقل من حال سابقتها الموحدية في تنفيذ عقوبة القتل على اللصوص. ففي الوقت الذي كانت هذه السلطة لا تزال في بداية توطيد حكمها في المغرب الأقصى، قام السلطان أبو سعيد عثمان بن عبد الحق (614 ـ 638 / 1217 ـ 1239) بقتل العديد من قطاع الطرق، فأمنت فاس ومكناسة، وارتفع الخوف والالتباس، وعم الأمان، فتيسرت للناس أمورهم. وحاول أبو ثابت عامر (706 ـ 707 / 1307 ـ 1308) من جهته الحد من ظاهرة قطع الطريق، وهكذا توجه إلى مدينة أنفا عام 707 / 1307) وثقف بها ستين شيخا من أشياخ العرب من الخلط والعاصم وبني جابر وغيرهم بسجن المدينة، ثم "ضرب أعناق عشرين رجلا من أشرارهم الذين كانوا يقطعون الطريق بتلك الجهات وصلبهم على أسوار أنفا". ثم رحل إلى رباط الفتح "وقتل به ثلاثين رجلا من أشرار العرب وفتاكهم وصلبهم على أسوار العدوتين".

وعلى عهد أبي عنان فارس (749 ـ 759 / 1348 ـ 1358) شهد ابن بطوطة أوائل عام 757 / 1356 أن هذا السلطان كان ينفذ عقوبة القتل الشرعية ضد عمل الحرابة. وبعده قام أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن أبي القاسم (796 / 1393 ـ 1396) بقتل "رجلين وجب عليهما القتل بالحكم الشرعي لفسادهما، وقطع السبل وهما : علي بن زكرياء المصمودي ويوسف بن عمر العربي الجابري".

لم تقف السلطة المرينية عند عقوبة القتل في حق اللصوص وقطاع الطرق، بل لجأت إلى العقاب الجماعي في حقه سكان "مدينة" الجمعة الواقعة بين فاس ومكناسة الذين اشتهروا بممارسة اللصوصية حتى اعتبروا من قطاع الطريق الكبار، حيث أمر السلطان أبو سعيد عثمان بن أحمد بن أبي سالم (800 ـ 823 / 1398 ـ 1420) بتدمير هذه "المدينة" عن آخرها.

ثانياً :

إلى جانب العقوبات الشرعية التي سلطت على فعل اللصوصية والحرابة، سن المجتمع من جهته عقوبات أخرى، وهي عقوبات عديدة ومتنوعة وتصنف غالباً في باب الأعراف. فخلال القرن الخامس (11 م) كان أهل الصحراء في المغرب يعاقبون المتهمين بالسرقة بما يمكن أن نطلق عليه "طريقة العود".

وخلال أواخر القرن التاسع (15 م) وبداية القرن العاشر (16 م) كان سكان جبل الحديد في إقليم حاحا يعاقبون اللصوص بنفيهم لمدة معينة يقومون بتحديدها فيما بينهم للحفاظ على ما اتصفوا به من أمانة، وعلى حياة السلم التي كانوا يعيشون فيها.

وبالانتقال إلى النصف الأول من القرن الحادي عشر أواخر (16 م)، يلاحظ أن العقوبات التي سلطت على اللصوص من

قبل المجتمع تجاوزت الحدود السابقة، حيث وصلت إلى حد القتل حرقا. فقد قام أهل فاس بإحراق أحد اليهود عام 1001 / 1593 بعد أن ضبطوه متلبسا بالسرقة. أما المشاركون في السوق الذي كان يقام في إقليم جزولة، لمدة شهرين في السنة، فإنهم كانوا إذا ما ضبطوا لصا متلبسا بجريمة السرقة بقتله على الفور بواسطة طعنه برمح قصير، وترك أشلائه للكلاب.

وكان بديهيا أن يثير تطبيق مثل هذه العقوبات العرفية على اللصوص اشمئزاز واستنكار العديد من الفقهاء لا سيما أن المذهب المالكي لا يبيح العقوبة بالمال. لهذا ألف التنبكتي في صفر 1012 / 11 يوليوز 1603، إبان إقامته في المغرب، مؤلفه "جواب عن القوانين العرفية التي تعارف عليها بعض سكان الجبال"، الذي هو عبارة عن فتوى مطولة نددت بالعقوبات الصارمة التي كان يعاقب بها بعض سكان الجبال المغربية أهل الحرابة واللصوص، والتي لا تستند إلى أي نص من نصوص الشريعة. وقد عرضت القضية على الفقهاء ليقولوا رأيهم في تلك الوسائل الزجرية، وأفتى في هذا الشأن طائفة من علماء المغرب بالإضافة إلى أحمد بابا التنبكتي كالفقيه عيسى السكتاني (ت. 1062 / 1652).

ابن أبي البركات عبيد الله يحيى بن عبد الله، *كتاب بشائر الفتوحات في أحكام التعزيرات والحدود*، خ ح، الرباط، رقم 103 ؛ ابن غازي محمد العثماني المكناسي، *الكليات في المسائل الجارية عليها الأحكام*، خ ع، الرباط، رقم 1729 د ضمن مجموع، ص. 107 ـ 148 ؛ التنبكتي أحمد بابا السوداني، *أجوبة في شأن القوانين العرفية*، خ ح، رقم 5813 ؛ الريفي، محمد بن عبد الله، *جواهر السماط في ذكر مناقب الشريف الرفاعي سيدنا ومولانا الخياط*، مخطوط، خ ع، الرباط، رقم 1185 د ؛ مجهول، *مناقب الشيخ الولي الصالح الإمام الغوث سيدي أحمد بن جعفر السبتي*، خ ع، الرباط، رقم 896 د ؛ زروق، أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، *كناشة*، خ ع، الرباط، رقم 1385 د، ضمن مجموع، ص. 57 ـ 103.

محمد ياسر الهلالي

ابن **العقول**، صالح بن محمد ولد سنة 1913 بأولاد احريز ناحية الدار البيضاء عرف منذ شبابه بالاستقامة ونقاوة الضمير انضم إلى الحركة الوطنية بالمقاومة السرية عند تأسيسها وبدأ عمله بها بكل نشاط وجدية وغيرة وطنية.

ومن أعماله إبان فترة كفاحه مشاركته في إطلاق الرصاص على متعاونين مع الاستعمار، كما قام بوضع قنبلة بملعب الاسبان وأخرى بمقهى على مقربة من المسبح البلدي وأخرى بسيارة عامل بالجمارك، وكان يوزع السلاح على الخلايا السرية والأقراص السامة على المقاومين. وقد اغتيل من مجهولين يوم 5 يونيو 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524097.

**العقيدة**، كانت العقائد المنتشرة في المغرب قبل الإسلام هي الوثنية واليهودية والنصرانية بشيء من الاختلاف المجالي وفي درجة التعايش. وتعتبر الوثنية عقيدة أمازيغية محلية تعود إلى أصول قديمة ارتبطت طقوسها بالخصوص بالكهانة وبتعاطي السحر الذي أخذه الأمازيغ فيما بعد عن اليهود، فكان للكهان والكاهنات في المجتمع الأمازيغي بشمال إفريقيا مكانة اجتماعية متميزة.

ـ اليهودية : أما اليهودية فلم تكن ديانة أمازيغية بل كانت ديانة وافدة حافظت على تميزها وانحسارها العرقي، وكان انتشارها محدوداً بين بعض القبائل الأمازيغية. وقد اعتبرت الدول الإسلامية المتعاقبة على حكم المغرب اليهود أهل ذمة فعاملتهم بمقتضى عهد الذمة الذي منحهم وضعية قانونية واضحة وحافظ عليهم كأقلية احتفظت بعقيدتها وشرائعها.

ـ النصرانية : كانت النصرانية أقل انتشارا وتأثير في البربر قبل الإسلام، رغم أن بعض الأخبار تؤكد توغلها إلى داخل البلاد، مثل أغمات التي ذكر أن بعض حواريي النبي عيسى عليه السلام قد بنوا بها كنيسة. ولازال اندثار النصرانية ببلاد المغرب كلها أمراً غامضا. وفي العصر الإسلامي لم يبد المغاربة أي تأثر بالنصرانية رغم احتكاكهم الطويل بها سواء بالأندلس أو بالمغرب عندما أصبحت البلاد تتعرض لهجمات الإيبيريين، ولا في المرحلة الاستعمارية وما سبقها وحصل خلالها من حملات تبشيرية قوية ومنظمة.

ـ العقيدة الإسلامية : كان الفتح الإسلامي للمغرب سنة 62 / 682 بداية تحول عقدي عميق للمجتمع الأمازيغي لم يتوقف خلال المراحل الأساسية التي عرفها انتشار الإسلام بالمغرب والتي استمرت إلى عصر المرابطين. وشكلت العقيدة الإسلامية بوضوحها وبساطتها حافزا قويا للبربر للدخول في الإسلام. وقد أدت استجابتهم القوية للإسلام إلى انقراض كل من الوثنية والنصرانية.

ترسخت عند المغاربة في البداية عقيدة بسيطة قائمة على مذهب التفويض الذي كان عليه الصحابة وجمهور السلف. ثم توالت على المغرب تأثيرات عقدية مشرقية ارتبطت سواء بظهور الفرق والنحل المختلفة في المشرق أو بتطور البحث الكلامي. وكان المغرب باعتباره من مناطق الأطراف في الدولة الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي مستهدفا لمخططات فرق الخوارج والشيعة لنشر دعواتها. وفي هذا السياق دخلت إلى المغرب عقائد إسلامية متعددة، مثل الخارجية والشيعية والاعتزال والحشوية والأشعرية والسلفية، واستطاع بعضها أن يرسخ قدمه مثل الأشعرية، بينما مرت الأخرى مروراً سريعاً.

ـ آثار الوثنية : خلال العصر الوسيط كانت النزوعات الوثنية، أو المجوسية كما تسميها المصادر العربية، تظهر من حين لآخر في بعض مناطق المغرب، فعندما انحسر مشروع الأدارسة لاستكمال نشر الإسلام بتفتت الدولة وإنهاكها، لم تتمكن الإمارات الزناتية التي خلفتها من متابعة المشروع،

واكتفت بالوقوف في وجه البرغواطيين، لذلك ظلت عند بعض قبائل الجنوب المنعزلة بقايا وثنية تمثلت في استمرار عبادة الكبش إلى القرن الرابع (10م) حيث أشار ابن حوقل إلى وجودها عند قبائل الجنوب. وفي غمارة ظهر رجل يدعى حاميم بن منّ الله من أسرة كان فيها عدد من الكهان فادعى النبوة وأظهر نحلة وثنية تبعتها بعض القبائل، إلى أن تم القضاء عليه سنة 315 / 927. وبعد حاميم ادعى النبوة صالح بن طريف البرغواطي الذي زعم أنه أنزل عليه كتاب باللغة الأمازيغية ودعا إلى نحلته البرغواطية التي جمعت بين مؤثرات وثنية ويهودية وخارجية، وظلت معزولة في المجتمع المغربي لم تتجاوز المجال الجغرافي لتامسنا، وبسبب عقائدها التلفيقية الغريبة لم يكن فقهاء المغرب آنئذ يرون جدوى في استخدام الحجج العقلية لمواجهتها، وفضلوا عزلها ومواجهتها بالتعبئة والجهاد، حتى تمكن المرابطون من القضاء عليها في أول عهدهم. وادعى النبوة أيضا ابن أبي الطواجين الكتامي الذي تعاطى للسحر والكيمياء وادعى النبوة وشرع الشرائع بمنطقة سبتة وتم قتله سنة 625 / 1228. وكانت قبائل صنهاجة الشمال تعرف مظاهر وثنية أخرى مثل ظاهرة الرقادة التي كانت معروفة بمنطقة غمارة حيث كان بعض السحرة ينامون يومين أو ثلاثة متتابعة، ثم يستيقظون بعدها فيخبرون بما يكون خلال ذلك العام من خصب أو جدب أو حرب، وكان السكان يؤمنون بتلك التوقعات وينتظرون وقوعها.

- العقائد الخارجية : دخل المذهب الخارجي إلى المغرب ممثلا في عدد من التأثيرات، وكان أول ظهور لتأثير خارجي قوي هو في ثورة البربر العارمة التي حصلت سنة 122 / 740 في كافة أنحاء بلاد المغرب، والتي فجر فيها خوارج الأمازيغ غضبهم من تجاوزات ولاة الأمويين انطلاقا مما كانت تدعو إليه عقائد الخوارج من عدل ومساواة. ثم استطاعت فرقة الصفرية التي كان من زعمائها الأول سمكو ابن واسول المكناسي أن تنتشر في زناتة إلى أن تمكن أحفاده من إقامة إمارة بني مدرار بسجلماسة، لكن بعد تدهور الإمارة المدرارية أخذت العقيدة الخارجية في التراجع إلى أن اختفت تماما.

- الاعتزال : تسربت إلى المغرب أيضا تأثيرات اعتزالية، حيث أشار البكري إلى وجود فرقة الواصلية أتباع واصل بن عطاء (80 - 141) بين أمازيغ قبيلة أوربة في القرن الثاني الهجري (8 م)، دخلت هذه التأثيرات عن طريق رحلات المغاربة إلى المشرق، ومن بين من مثلوا هذا الاتجاه زعيم قبيلة أوربة إسحاق بن عبد الحميد الأوربي الذي تلقى مبادئ المعتزلة والولاء لآل البيت في رحلته المشرقية. ولا شك أن الاعتزال كان منتشرا في قبيلة أوربة وأنه استمر مدة من الزمن خلال الدولة الإدريسية قبل أن يختفي في ظروف غامضة بغلبة العقيدة السنية.

- العقائد الشيعية : لم تترك الدعوة الفاطمية بالمغرب الأقصى أثرا يذكر بسبب المدة القصيرة التي قضاها عبيد الله المهدي بسجلماسة، لكن التأثير الفاطمي فيما بعد كان تأثيرا سياسيا بالأساس. في حين أن العقيدة الشيعية التي ظلت بالمغرب إلى حدود أواسط القرن الخامس هي عقيدة الشيعة البجلية التي تعود إلى علي بن ورصند البجلي (ت. 296 / 909) الذي جاء من نفطة بجنوب إفريقية واستقر بالسوس الأقصى في رعاية الأمير الإدريسي أبي القاسم بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن إدريس الثاني صاحب إيجلي، وأشاع بنواحي تارودانت مذهبه الخاص الذي كان يختلف عن التشيع الإسماعيلي، وسمت المصادر فرقة البجليين بالموسوية لاعتقادهم في إمامة موسى الكاظم (ت. 183 / 799)، وامتد وجود هذه الفرقة إلى منطقة درعة، لكن تأثيرها العقدي ظل ضعيفا بسبب محاصرة مالكية السوس لها. وقد قضى المرابطون عليها بقسوة سنة 451 / 1059.

- الحشوية : وصف ابن حوقل المالكيين من أهل السوس الأقصى في القرن الرابع الهجري (10 م) بأنهم من فظاظ الحشوية ؛ وأصحاب هذا الاتجاه هم الذين يطلق عليهم أيضا اسم المشبهة أو المجسمة، لأنهم يأخذون نصوص العقيدة على وجهها الظاهر دون تأويل، ورأى ابن رشد الحفيد أن الحشوية يعتقدون "أن طريق معرفة وجود الله تعالى هو السمع لا العقل"، ولا شك أن أغلب فقهاء المرابطين كانوا من الحشوية لأنهم كانوا يأخذون الآيات المتعلقة بالعقيدة على ظاهرها دون تأويل، لذلك وصفهم ابن تومرت بالتجسيم.

- الأشعرية : يعود اتصال علماء المغرب بالأشعرية إلى مرحلة مبكرة حيث تنسب إلى العالم أبي ميمونة دراس بن إسماعيل الجراوي الفاسي (ت. 357 / 968) رسالة في الدفاع عن الأشعرية، وكان قد رحل إلى المشرق واتصل هناك بأئمة الأشعرية. وفي بداية القرن الخامس كتب عالم إفريقي هو أبو الطيب الصفاقصي (ت. 501 / 1107) نزيل أغمات عقيدة أشعرية سماها العقيدة السنجة البرهانية وأهداها للشيخ إسحاق بن إسماعيل أمغار حوالي سنة 412 / 1020. وعبر هذه المسالك المختلفة بدأت مؤثرات المذهب الأشعري تصل إلى المغرب الأقصى. ومن علماء الأشاعرة الذين ظهروا بالمغرب في عصر المرابطين أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير (ت. 520 / 1126)، سكن بفاس وبمراكش وألف منظومة في 1345 بيت سماها التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد.

كانت ملامح المذهب الأشعري واضحة في العصر المرابطي، لكن رفض الحكم المرابطي لهذا المذهب جعله يظل رهين حلقات الدرس، ولم يجرؤ العلماء على نشره في أوساط العامة، رغم أن بعض العلماء المقربين من المرابطين كانوا من علماء الكلام المعروفين مثل الإمام أبي بكر المرادي الحضرمي صاحب كتاب التجريد في علم الكلام، كان "له نهوض في علم الاعتقادات والأصول"، وبسبب تبريزه فيها اعتبره ابن الزيات التادلي "أول من أدخل علوم الاعتقادات إلى المغرب الأقصى". لكن المرابطين تعاملوا في الجانب المذهبي بمحافظة

شديدة وكانوا رافضين لأي تطور يمس ما ورثوه عن أسلافهم سواء في الجانب الفقهي أو العقدي، حتى "دان أهل ذلك الزمان بتكفير من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له، وهجرهم من ظهر منه، وأنه بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلاف في العقائد، في أشباه لهذه الأقوال، حتى استحكم في نفسه بغض النظر في علم الكلام وأهله، فكان يُكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه".

في هذا الوقت كان العالم الإسلامي يشهد تحولات كبيرة على المستوى العقدي، حيث ظهرت حاجة ماسة لدى المذاهب السنية للمذهب الأشعري لمواجهة عقيدة الاعتزال التي كانت هي المذهب الرسمي للدولة الفاطمية. وقد أحس علماء بغداد وعلماء الغرب الإسلامي بهذه الحاجة، فبدأت الأشعرية تزحف شيئا فشيئا على الأوساط العلمية وأثيرت نقاشات في أوساط عديدة حولها، بما فيها أوساط السلطة المرابطية نفسها، وذلك ما تظهره بعض الفتاوى التي وجهها بعض الأمراء المرابطين إلى قاضي الجماعة بقرطبة أبي الوليد بن رشد الجد يسألونه فيها عن حقيقة المذهب الأشعري، وعن علاقته بالمذهب المالكي وبفقهائه.

وفي هذه الظروف أحس محمد بن تومرت بأهمية توظيف المذهب الأشعري في حركته الإصلاحية فاستطاع أن يحاصر المرابطين ببعض التهم مثل المجسمين والمشبهة، بل إنه تمادى إلى حد تكفيرهم واستحلال دمائهم لانحرافهم العقدي بزعمه. وبذلك جعل المسألة العقدية في صلب صراعه ضد المرابطين، فكتب بعض الرسائل في العقيدة باللسانين العربي والأمازيغي بطريقة مبسطة، جعلها في سبعة أحزاب بعدد أيام الأسبوع، ليسهل تعلمها، ووضع عقيدة مختصرة سماها المرشدة خلقت استجابة قوية للأشعرية رغم أنها تلائم كل من الأشعرية والسلفية.

وقام تلميذه عبد المؤمن بن علي الكومي بدور هام في نشر تراثه العقدي المشبع بالأشعرية، فكان يدرس رسائل ابن تومرت بنفسه ويلقيها في مجالسه. وحرص على نشر عقيدة المرشدة باللغتين العربية والأمازيغية لتعميمها، فساهمت هذه الجهود في انتشار تراث المهدي العقدي بين المصامدة على نطاق واسع على عهد عبد المؤمن وابنه يوسف الذي كان هو الآخر يعقد مجالس لدراسة عقائد ابن تومرت، وأمر بجمع رسائله وخطبه في كتاب *"أعز ما يطلب"* حتى صار المذهب مذهبا رسميا لدولة الموحدين.

من بين الوسائل التي اعتمدها الموحدون لنشر عقائد المهدي تحفيظها للطلبة وترديدها في المناسبات المختلفة ترديدا جماعيا جهريا بالعربية والأمازيغية، فكان من رسوم الخلفاء "إذا ركبوا وقف [الخليفة] وبسط يديه ودعا، فإذا فرغ الدعاء افتتح القراءة طلبة الموحدين خلفه، فيقرأون حزبا من القرآن في نهاية الترتيل، وهم سائرون سيرا رقيقا، ثم شيئا من الحديث، ثم يقرأون تآليف ابن تومرت في العقائد بلسانهم وباللسان العربي".

وفي سبيل التقرب للموحدين تكونت مدرسة كلامية انكبت على تراث ابن تومرت كان على رأسها علماء مغاربة وأندلسيون مثل أبي العباس أحمد بن عبد الرحمان بن الصقر الأنصاري الخزرجي (ت. 559 / 1163)، وأبي الحسن علي بن محمد بن حُلَيْد اللخمي المعروف بابن الإشبيلي (ت. 567 / 1171)، وفي المقابل أحس علماء المغرب من جهتهم بأهمية نشر العقيدة الأشعرية في صيغتها الأصلية فاجتهدوا في ذلك اعتمادا على مصادر أخرى خاصة كتاب *الإرشاد* لإمام الحرمين الجويني الذي تناول أهم القضايا العقدية التي تناقشها الأشعرية، ونال اهتماما كبيرا من لدن علماء المغرب، بينما حال طول كتابه الآخر الشامل في أصول الدين وتفصيلاته دون الاهتمام الموسع به. ويظهر أن الإقبال الواسع الذي لقيه كتاب الإرشاد قد جاء كبديل لتوحيد ابن تومرت الذي تم تجاهله بشكل واضح. وحظي كتاب الإرشاد بشروح عدة منها شرح أبي بكر ابن ميمون العبدري أحد طلبة الحضر بمراكش.

ساعد التطور العام للمذاهب السنية بعمق في انتشار الأشعرية، وأدى إلى انخراط فقهاء المذهب المالكي بالمغرب فيها بشكل تلقائي بعد تفهمهم لمضمونها ومنهجها، لذلك فإن الانتماء لها قد حسم بشكل شبه نهائي بعد العصر المرابطي، واستجاب فقاء المذهب المالكي للمنهجية التأويلية للأشعرية بشكل متحرر من انغلاق العصر السابق.

أصبحت مدينة فاس خلال العصر الموحدي من أنشط المراكز العلمية بالمغرب والأندلس اهتماما بعلم الكلام، بفضل جهود أبي الحسن بن الإشبيلي، وبفضل من جاء بعده كتلميذه أبي عمرو عثمان بن عبد الله السلاجي القيسي الأصولي (ت. 574 / 1178)، درس عليه كتاب *الإرشاد* للجويني بمراكش، بعد أن كان قرأه بفاس على أبي الحسن بن حرزهم، ونبغ في المذهب الأشعري حتى اعتبره ابن الزيات "إمام أهل المغرب في علم الاعتقاد"، وكان يحضر مجالس عبد المؤمن، ثم رجع إلى مدينة فاس وانقطع لتعليم أصول الفقه والدين خاصة كتاب *الإرشاد*، حتى غلب عليه لقب الأصولي. ولكثرة من أخذ عنه الأشعرية لقب "بمنقذ أهل فاس من التجسيم". وكان طلبة العلم يرحلون إليه بفاس لأخذ الأصلين عنه، وألف عقيدة مختصرة سماها العقيدة البرهانية وهي اختصار للإرشادو عرفت انتشاراً واسعاً.

وكان شيخ المتكلمين بفاس بعد السلاجي تلميذه أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بابن الكتاني (ت. 597 / 1201)، وقد اعتبره ابن الزيات آخر أئمة المغرب في علوم الاعتقاد، وضع شرحا للبرهانية. وكان الموحديون يحترمونه رغم أنه لم يكن له بهم اتصال. واشتهر

أيضا بالتضلع في العقيدة عدد من علماء فاس أشهرهم يوسف بن محمد المكلاتي.

إضافة إلى من سبق الإشارة إليهم تصدى للتأليف في علم الكلام عدد من علماء المغرب، فشرح البرهانية محمد بن أحمد الخفاف الرعيني الإشبيلي كان مقيما بمراكش. وشرح أبو بكر بن ميمون العبدري كتاب *الإرشاد* لأبي المعالي الجويني، ونظم أبو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن (ت. بفاس، 598 / 1202) "في العقائد قصيدة جامعة كبيرة". وألف علي بن محمد الحصار الخزرجي الفاسي (ت. 610 / 1213) كتاب *البيان في تنقيح البرهان* للجويني إلى جانب عقيدة في أصول الدين شرحها في أربعة أسفار. وألف يوسف بن محمد بن مصامد الصنهاجي كتابي *المنتقى مما هو المرتضى للمتكلمين في أصول الدين*، *والمقام الأعلى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى*. ووضع عالم في الأصلين هو محمد بن يوسف المزدغي الفاسي (ت. 655 / 1257) أرجوزة في أصول الدين. أما أبو عبد الله محمد بن علي بن العابد الأنصاري الفاسي (ت. 662 / 1264) فقد اختصر الكشاف للزمخشري، وحذف منه ما يتعلق بمسائل الاعتزال.

وبجانب المتحمسين للأشعرية ظهر تيار معارض كان على رأسه الفيلسوف أبو الوليد بن رشد الذي انبرى للرد عليها في كتابه الكشف عن مناهج الأدلة مبينا "أن الطرق المشهورة للأشعرية في السلوك إلى معرفة الله سبحانه ليست طرقا نظرية يقينية". وحكم عليها بالإفلاس المنهجي والنظري، وانتهى به التحليل أن حشرها ضمن الفرق الضالة إلى جانب المعتزلة والباطنية والحشوية، معتبرا أن منهجها في الاستدلال ضعيف، لأن طريقها "ليست برهانية صناعية، ولا شرعية".

وفيما يتعلق بمواقف الصوفية من الأشعرية في العصر الموحدي يظهر عليها تنوع ملحوظ، فكان ميل أغلبهم إلى المذهب الأشعري واضحا تماما، بل إن أئمة هذا العلم كانوا من أهل الزهد والتصوف كأبي الحسن ابن الإشبيلي وأبي عمرو السلالجي وأبي عبد الله بن الكتاني. وقدساير المتصوفة التوجه العام القوي نحو المذهب الأشعري خلال هذا العصر بمستويات مختلفة، فالشيخ أبو الحسن بن حرزهم لم يكن ير بأسا بدراسة *الإرشاد* للجويني، وقد درس عليه بفاس أبو عمرو عثمان السلالجي شيئا منه. وكان أبو العباس أحمد بن عبد الرحمان بن الجباب الصنهاجي (ت. 592 / 1196) من أهل مراكش كبير الشأن في التصوف و "من أهل المعرفة بعلوم الاعتقادات". ومن أهل التصوف ذوي الكرامات أبو علي عمر بن النجار الفاسي (ت. 620 / 1223) كان عالماً بعلم الكلام وأصول الفقه.

وكان من الصوفية أيضا من يكره النظر في كتب الكلام، فقد منع أحد صوفية فاس أحد طلبة العلم من دراسة *الإرشاد* للجويني، ووجهه إلى قراءة الفقه والحديث دون أن يحدد سببا لذلك.

وعلى العموم كان من نتائج هذه التطورات أن وقع تحول شامل نحو الأشعرية وأصبح التلازم بينها وبين الفقه المالكي سمة من سمات الهوية الدينية للمغاربة منذ العصر الموحدي، والملاحظ أنه قد غلب على الممارسة الدينية طابع البساطة والرتابة، فظلت تدور في فلك الفقه مبتعدة ما أمكن عن المناقشات النظرية والجدل العقدي. وقد عبر عن ذلك بوضوح الفقيه المالكي عبد الواحد بن عاشر منظومته الشهيرة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، بقوله :

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك

تابع المذهب الأشعري انتشاره بصورة طبيعية في المغرب بعد عصر الموحدين، وظلت البرهانية للسلالجي هي المتن العقدي الأساس في تدريس العقيدة، ومن شراحها في القرن التاسع الهجري (15 م) عبد الرحمن الكرامي السملالي السوسي. كما استمر تداول النص الأمازيغي لعقائد ابن تومرت إلى جانب نصها العربي خلال عصر المرينيين. ولقيت عقيدة المرشدة لابن تومرت إقبالا واسعا عليها لوضوحها وتركيزها وسلامتها، فحظيت بشروح كثيرة ابتداء من العصر المريني، وممن شرحها عالم فاسي أقام بالمشرق مدة طويلة هو شرف الدين الكركي الفاسي (ق 7 : 13)، وخصص لها ابن عباد النفزي الرندي شرحا بعنوان الدرة المشيدة في شرح المرشدة، وشرحها أيضا محمد بن يوسف السنوسي وغيرهم. وعرفت المرشدة بالمشرق على نطاق واسع، ودرست بالمسجد الأقصى بالقدس لسنين عديدة.

وفي أواخر القرن التاسع الهجري ألف العلامة محمد بن يوسف السنوسي دفين تلمسان (895 / 1490) عدة نصوص في العقيدة منها أم البراهين (العقيدة الصغرى)، ومختصرها المعروف بصغرى الصغرى، وشرح المرشدة لابن تومرت وغيرها، لكن كتب لأم البراهين أن تصبح الأكثر انتشارا حتى غطت على ما سواها، وحظيت بشروح عديدة، وصارت تدرس بحلقات العلم في أنحاء المغرب. وهي عقيدة مختصرة في ثمان صفحات تتضمن المحاور الآتية :

- أقسام الحكم العقلي : الوجوب، الاستحالة، الجواز
- ما يجب في حق الخالق سبحانه من صفات، وما يستحيل وما يجوز
- ما يجب في حق الرسل من صفات، وما يستحيل وما يجوز
- معاني العقائد المذكورة تجتمع في الشهادتين (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)

شاعت هذه العقيدة بسبب أسلوبها المختصر، واقتصار مؤلفها على أهم مباحث علم التوحيد، وميله نحو التبسيط. ومع السنوسي لم يعد علم التوحيد يكرر جزئيات علم الكلام وتفاصيله بنفس الطريقة التي غلبت على المؤلفات الأولى. وظلت صغرى السنوسي وشروحها معتمدة في علم التوحيد في جميع معاهد العلم بما فيها القرويين إلى القرون الأخيرة.

وقد ظهرت عند علماء سوس بالخصوص تآليف عديدة في العقيدة باللسان الأمازيغي منها عقيدة للشيخ سعيد بن

عبد المنعم الحاحي (ت. 953 / 1546) ظلت هي أساس التكوين العقدي والأخلاقي في زاويته بإيداوزداغ. ولغيره منظومات في العقيدة بالأمازيغية أيضا مثل الفقيه محمد ابن سعيد السيلي والفقيه أحمد بن محمد الأودشتي من فقهاء القرن الثالث عشر الهجري (19 م).

أما الجدل الكلامي فإن المغرب الأقصى لم يعرفه كما عرفته إفريقية والأندلس اللذان ظهرت فيهما كتب كثيرة في هذا الصدد منذ القرنين الثالث والرابع الهجريين (9. 10 م)، ولا نعلم من كتب المغاربة في هذا الشأن سوى كتاب المناظرة والمعارضة في الرد على الرافضة لعبد الله بن فارس البرنوسي التازي (ت. 894 / 1489).

ـ السلفية : حصلت منذ القرن السادس الهجري (12 م) وحدة عقدية بالمغرب على أساس المذهب الأشعري، ومع ذلك كان بعض العلماء يعتنقون العقيدة السلفية في شكلها الحنبلي لكن على نطاق محدود جدا. إلى أن جاءت رسالة محمد بن عبد الوهاب إلى أهل المغرب في القرن (18 م) والتي أثارت نقاشا واسعا بين الفقهاء حول محتواها، وانبرى للرد عليها عدد منهم مثل الشيخ الطيب بنكيران وغيره. ومع ذلك فقد تبنى السلفية انسلطان مولاي سليمان واكتفى باستعمالها لمحاربة التصوف الطرقي، ووجد نفس التأثير لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان يصف نفسه "بالمالكي مذهبا الحنبلي اعتقادا".

وقد ظل تأثير هذه العقيدة محصوراً جداً في أوساط العلماء إلى أن كان عهد الحماية فظهر تأثير سلفي جديد، يرجع إلى السلفية المصرية التي مثلها رواد النهضة خاصة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، وقد التف زعماء الحركة الوطنية بالمغرب حول هذه العقيدة لمناهضة فكر بعض الطرق الصوفية، سواء منها التي كانت تروج لبعض الخرافات أو التي لم تتحمس لمقاومة الاستعمار، وأبرز رموز الفكر السلفي في هذه المرحلة أبو شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي وعلال الفاسي. الذين راهنوا بالأساس في هذه المرحلة على توظيف أفكار السلفية توظيفا سياسيا في مقاومة المشروع الاستعماري.

وبعد الاستقلال بدأت موجة جديدة من التأثير السلفي، تمثل في استيراد أفكار الوهابية عن طرق متعددة : منها بعض الشيوخ الذين درّسوا بالجامعات السعودية مثل تقي الدين الهلالي أو بعض تلاميذ هذه الجامعات، وكان اعتمادهم في نشرها على التلقين المباشر أو عن طريق أدبيات وهابية معاصرة ؛ أما الطريق الثاني فهو جماعة التبليغ والدعوة، التي وإن كانت في الأصل جماعة صوفية حنفية المذهب إلا أن فروعها في العالم العربي تبنت العقيدة السلفية الوهابية. ثم هناك وسائل أخرى متنوعة كالتأثير عن طريق الحج والكتب وغيرها. ومنذ السبعينيات أصبحت السلفية الوهابية تتخذ بالمغرب شكل مد شعبي، وأصبحت مظاهرها أكثر بروزاً في المجتمع المغربي، بل إنها طرحت نقاشات عقدية عقيمة في هذه الأوساط تذكر بالنقاشات التي كان الحنابلة يخوضونها ضد الجهمية والمعطلة والرافضة وغيرها. وتمحورت نقاشات السلفيين حول ما يعتبرونه من البدع وهو ما جرى عليه العمل في المغرب مثل قراءة الحزب جماعة، وتعدد الأذان يوم الجمعة والدعاء عقب الصلوات والاحتفال بالمولد النبوي الشريف. كما أن هذه العقيدة تدعو إلى عدم التقيد بمذهب فقهي معين، وتعادي التصوف ومظاهره المختلفة عداء مطلقا.

ورغم أن السلفية في صيغتها الوهابية تزعم أنها على منهج السلف فإن طريقتها في الدرس العقدي تؤكد أنها فرقة كلامية تجمع بين مؤثرات المذاهب العقدية القديمة، مثل المذهب الخارجي، لكن أساسها هو الحشوية، وتستعمل التأويل بطريقة انتقائية، لذلك فإنها لا تخلو من تناقض، ومن ذلك أنها تعتبر أن معرفة دقائق العقيدة فرض عيني على كل مسلم.

أبو صالح الأيلاني، *كتاب القبلة*، مخطوط خاص ؛ ابن خزم، *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، بيروت، ج 2، ص. 113 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، تح. كرامرز وآخرون، ليدن، 1939 ؛ ابن رشد الحفيد أبو الوليد، *الكشف عن مناهج الأدلة*، بيروت، 1998 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، باريز، ص. 118 ؛ م. الطالبي، البرغواطيون في المغرب، الدار البيضاء، 1999 ؛ القاضي وداد، الشيعة البجلية في المغرب الأقصى، *أعمال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته*، تونس، ج 1، ص. 167 ـ 194 ؛ ع. كنون، عقيدة المرشدة للمهدي بن تومرت، *البحث العلمي*، العدد 9 : 1966، ص. 175 ـ 185 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، الدار البيضاء، ص. 485 ؛ م. المغراوي، *تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي*، التاريخ والفقه، الرباط، تنسيق محمد حجي، 2002 ؛ س. يفوت، الأشعرية، *معلمة المغرب*، ج 3، ص. 465.

Wilfred Madelung, Some notes on non-isma'ili shiism in th Maghrib, Studia Islamica, Vol. XLIII, 1976, p. 87-97.

محمد المغراوي

**العقيق** : في القاموس، نوع من الحجر الكريم من مركبات المرو الممزوج ببعض أكسيد الحديد الذي يصبغها بألوانها القائمة بين الأصفر والأحمر.

وتوفرت مناجم الحجر الكريم المنتج للعقيق بالهند واليمن، كما لا يستبعد وجود المناجم ذاتها بالمغرب، لوجود قرائن دالة على ذلك تشير إلى تصديره من ميناءي أسفي وأزمور في اتجاه مركزي أركين ولامينا. وقدرت صفقة واحدة منه بقنطار. والعقيق المغربي نوعان : رقيق وخشن : (*S.I.H.M., Portugal* 1, p. 146, 147, 653).

ويصنع العقيق بعد وضع الحجر المعدني المنتج له في النار لفترة محددة، يراقب خلالها بدقة فائقة، وبعد إخراجه من النار، يوضع على قطعة حديدية مثبتة في الأرض ثم يطرق بلطف إلى أن ينكسر القدر المراد منه، ولا يعاد الحجر الذي تم تسخينه مرة أخرى إلى النار حتى لا يفسد. ويحبذ في العقيق، البراق الخالي من العيوب. والعقيق أنواع فهناك :

- الامع كالبلور والموشي بالسواد والبياض ويسمى : عسيم.

- والمذهب وهو العقيق اليمني المتميز بصفائه وصفرته الذهبية المشرقة.

- والأحمر ويتميز بصلابته وغلاء ثمنه.

والجزع البقراني وأصله من معادن الهند وفيه سواد وبياض.

والرومي وهو ما تشوب صفرته حمرة. كما يتميز بسلاسته ورطوبته وسمي بالرومي، لاستحسان الروم له.

- المشمشي وهو المفضل لدى أهل العراق.

- والتمري والكبدي وهما المستحسنان عند أهل خراسان.

ولقد دخل العقيق منذ العصور القديمة في حركة تجارية عالمية انطلقت من الهند واليمن والمغرب - باعتبارها بلدانا تنتج هذا المعدن - ومتجها نحو أسواق البحر الأبيض المتوسط أولا ثم من بعده إلى أسواق المحيط الأطلنطي والهادي.

واستعمل العقيق لأغراض عدة لطبع الخواتم وقلائد للنساء، كما استعمل في الزخرفة الدقيقة الراقية، كما هو الحال في محراب جامع دمشق.

ودخل العقيق الميدان الطبي، حيث عولجت به آلام الأسنان كما استعمل لإيقاف النزيف.

واعتقد الناس أن للعقيق قدرات خارقة بحيث يجعل من الرجل المحارب فارسا مغوارا، كما أن وجوده في البيوت يبعد عنها آفة الفقر.

وفي تطوره التاريخي أخذ العقيق منحى أبعده عن أصله النبيل، فلقد أصبح جزء كبير منه يصنع من الزجاج. وفي شكله هذا انتشر عند عامة الناس خاصة منهم نساء البادية المغربية اللواتي اتخذنه كحلي وكذا لتزيين جل ما يلبسنه، فلقد رصعت به الخلاخل والكتفيات والسفيفة والفستان الوجدي.


*كتاب الجماهر في معرفة الجواهر* - البيروني، المتوفى في القرن الخامس الهجري، ص. 172 - 174.

*Encyclopédie du Maroc*, nouvelle édition, t. 1, troisième impression, p. 346 - 347 ; *S.I.H.M.*, *Portugal* 1, p. 146, 147, 653.


حليمة بنگرعي

**العكاكزة**، طائفة صوفية نشأت بالمغرب خلال الربع الأول من القرن (10 - 16) في إطار التيار الزروقي - الراشدي الذي تدفق على البلاد من المغرب الأوسط، وتفرع إلى اتجاهات متعددة، وعرف انتشاراً واسعاً، وصادف متعاطفين ومنتصرين، وواجه منكرين ومعترضين، وهذا في حياة الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524) صدر الطبقة الزروقية الأولى، ومؤسس الطريقة الراشدية. وقد تزعم الطائفة التي تهمنا الاتجاه الذي عمل على نشر طريقة هذا الشيخ، والمتأثر بالبسطامية، والقائل بالإحسان بلا علل، والمحبة الخالصة، والتساهل في تحقيق الخشية والرجاء. وقد بالغ في التأسي بها إلى درجة القناعة بإحدى تسمياتها وهي "اليوسفية"، والتعفف عن اتخاذ اسم يخصها ويميزها عنها. فاليوسفية هي التسمية التاريخية التي عرفت بها هذه الطائفة غداة تأسيسها، وبها اشتهرت طوال هذا القرن، ولم تعرف بأية تسمية أخرى خلاله.

واتخذ اليوسفيون لأنفسهم اسماً آخر هو "الأحمدية"، وسموا أنفسهم أصحاب أحمد وسموا غيرهم أصحاب محمد (ص). ولاشك في تأخر هذه التسمية لورودها في المصادر المصنفة خلال القرن (11 - 17). وقد استخدموها استخداماً محدوداً، واستعملوها في ظروف خاصة، فكان إذا غشيهم أحد ممن لا يعرفونه يسألونه ويقولون أحمدي أم محمدي ؟ وكان ولدانهم وقت العراك مع أقرانهم من المجاورين، إذا قال هؤلاء يا آل محمد (ص) قالوا يا آل أحمد. وتسميتا اليوسفية والأحمدية مشتقتان من اسم أحمد بن يوسف، ومتعلقتان به، وتعبران عن تأكيد الانتساب إليه.

وهناك تسمية ثالثة لا تظهر إلا بمصادر القرن (13 - 19)، وهي "الملاينة" نسبة إلى مدينة مليانة حيث يقوم ضريح الشيخ الراشدي. وتتصل بالمرحلة الأخيرة من تاريخ الطريقة الراشدية بصفة عامة وتاريخ الطائفة اليوسفية بصفة خاصة، والتي خبا فيها الجانب الفكري خبواً يكاد يكون تامّاً، وطغت شهرة ضريح مليانة على الشخصية التاريخية والمذهبية لدفينه، والذي سلخ من نسبه الزناتي الصريح وألبس جلدة الشرفاء الأدارسة. فارتبطت هذه التسمية بالجانب الاجتماعي المتعلق بالنسب الشريف المنتحل، أكثر من ارتباطها بالجانب التاريخي والمذهبي الذي تعبر عنه التسميتان السابقتان.

واشتهر اليوسفيون بتسميات أطلقها خصومهم عليهم، وهي "البضاضوة" نسبة إلى إباضية مزاب، و"الشراقة" نسبة إلى القبائل التي طرأت على البلاد من جهة الشرق في مطلع المائة العاشرة الهجرية. وتؤكد هاتان التسميتان انتماء اليوسفية، في أصولها المذهبية وعناصرها البشرية، إلى تاريخ ومجتمع المغرب الأوسط المجاور.

وتبقى تسمية العكاكزة التسمية الوحيدة التي تقطع عرى هذه الطائفة بالطريقة الراشدية، وتخرجها من سلك التصوف بالمرة، وتنحو إلى إيجاد سبب لها بتاريخ ومجتمع المغرب الأقصى. وتحتمل أن تكون من ابتداع اليوسفيين، وأن لها صلة بالعكاز الذي اتخذوه شعاراً. وتحتمل أن تكون من ابتكار خصومهم، وأن وراءها محاولة إيصال حبلهم بالعكازين أتباع المهدي بن تومرت (524 / 1129).

وقد اشتهرت الطائفة اليوسفية بتسمية العكاكزة أواخر الدولة السعدية وصدر الدولة العلوية، وطغت هذه التسمية على كافة تسمياتها السابقة، سواء تلك التي ارتضاها أتباعها لأنفسهم، أو التي ميزهم بها خصومهم. وتتصل هذه التسمية بتعلق بعض أهل التصوف باتخاذ الشعارات وإيثار الزي من المرقعات والسبحات والسجادات والعكاكيز وغير ذلك.

وقد ذكر العكاز مرة واحدة في السيرة المفردة في الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي، والمصنفة منَ قبل محمد الصباغ القلعي، والمؤلفة ما بين 952 و962 / 1545 و1555، والموسومة *"بستان العارفين الأزهار"*، وكان صاحب هذا العكاز أحد صحب الراشدي من أهل المغرب الأقصى بالذات ! كما تردد العكاز بكثرة في سيرة أحد أعلام الطبقة الراشدية الأولى، وهو الشيخ عبد الله الخياط (ت. 939 / 1532)، واتصلت به العديد من كراماته، مثلما اتصلت معجزة النبي موسى بعصاه. فكان أن نبع الماء من ضرب الشيخ الخياط الأرض بعكازه في تساوت من بلاد تادلا، وفي زرهون حيث لازالت إحدى العيون به، والتي توعز سيرة الخياط انبجاس مائها إلى كراماته، تسمى "عين العكاز". واشتهر عن اليوسفيين تعبيرهم عن بعض طقوسهم بالجعبة وهي كالعكاز، واحتفظت فرقة منهم، وهم بنو محسن من قبيلة غياثة، إلى مطلع القرن (14 ـ 20)، بعكاز يعتقدون فيه خرق العادة، ويقولون إنهم توارثوه عن مؤسس الطائفة اليوسفية، ويسمونه "الزرواطة".

وتسوغ هذه المعطيات القول باتخاذ الراشديين المغاربة العكاز شعاراً، وغلو اليوسفيين في الاعتناء والظهور به، وبالأخص خلال الثلث الأخير من القرن (11 ـ 17)، حتى اشتهروا ولقبوا به. فأصبحوا بلقب العكاكزة يسمون، وإليه ينتمون، وبه يدعون فيجيبون. ودعوا في المصادر بهذه النسبة العامية لروجانها بين عامة وخاصة مغاربة هذا العهد، ودعوا فيها أحيانا بالنسبة الفصيحة العكازية والعكازين. وقد بربرت احدى فرقهم، وهم أهل زمور، هذا الاسم ولقبوا أنفسهم إعكازين.

ويواطئ هذا اللقب لقب طائفة بدعية مغربية جانبت السنة على عهد بني مرين، وهي طائفة العكازين أتباع المهدي بن تومرت. وأوقعت هذه المواطأة في اللقب أرباب الإفتاء في مشكل تعدد الطائفتين أو عدم تعددهما، ووجود أو خلو الجامع الذي أوجب إطلاق لقب أولئك على هؤلاء، واتفاق أو اختلاف الحكم في نازلتهم.

وترتب عن النكبة التي حلت بالطائفة اليوسفية، على يد المولى إسماعيل عام 1102 / 1691، والتي لم تنهض من عثرتها أبد الدهر، أن عفا الزمان على معظم التسميات التي عرفت بها طوال القرنين (10 و11 / 16 و17)، وانمحت حتى من ذاكرة القبائل التي حافظت على هذه النحلة إلى مطلع القرن (14 / 20). وهذه القبائل هم الزكراويون القاطنون في جبال الزكارة الواقعة في ناحية وجدة، والمحسانيون المنتمون إلى قبيلة غياثة في ناحية تازة، والغنانميون النازلون في الطريق بين مراكش وتامصلوحت، والمليانيون المستقرون بسهل الغرب.

وأوقع هذا التعدد في تسميات الطائفة اليوسفية بعض الباحثين في وهم قوامه تعدد فرقها واستقلال بعضها عن بعض، الأمر الذي ضخم صورة هذه البدعة، وحرف تاريخ الطريقة الراشدية التي تسللت منها، وكان لاختفاء تسميات القرنين (10 و 11 / 16 ـ 17) عاقبة عند بعض الباحثين الذين أرخوا بعام 1102 / 1691 لنهاية هذه الطائفة وانقراضها. أما الباحثون الذين لم يقفوا إلا على المجموعات القبلية الأربع المذكورة في مطلع القرن (14 / 20)، فقد تجاوزوا القرن (10 ـ 16) كإطار تاريخي لنشأة هذه الطائفة، وعادوا بمنطلقها إلى عهود سحيقة.

وينتمي مؤسس الطائفة اليوسفية إلى الطبقة الراشدية الأولى، وتذكره المصادر باسمين مختلفين هما أحمد بن عبد الله المنزول أو المنزولي وعمر بن سليمان العلوفي. ونرجح أن اسمه الحقيقي هو الثاني، وأنه الاسم الأول منتحل، وأن هذا الانتحال له صلة بالمهدوية التي ادعاها. وله في دعواه هاته مناجاة سطرت في كتاب تذكره المصادر باسم ابن رباش وابن نحاس. وقد يكون موضع تغاسروت المسمى اليوم تزغين من بني عتيق الزناتيين اليزناسيين مسقط رأسه، وموطن عشيرته، وموقع تأسيس الزاوية اليوسفية الأم.

وإذا كانت طريقته الصوفية شاذلية زروقية راشدية، ووافقت في نظرتها إلى الله والوجود والإنسان رؤية طيفورية بسطامية، وقصدت إلى علاج أدواء الألفية العصيبة. وجاءت كرد فعل ضد الخوف من النار، والذي أصبح سمة التعبد الذي دعت إليه غالبية الطوائف الصوفية في بداية المائة العاشرة الهجرية. فإن الدراسات التي اهتمت بها حارت في تحديد منطلقها ومصدرها، وقدرت عمرها بنحو ثلاثين قرناً، وأوصلت حبلها بنحل شتى ممتدة من الوثنية المتوسطية القديمة إلى الماسونية الحديثة. فأوصلت النحلة اليوسفية بمذهب عبد الله بن إباض (ت. 86 / 705)، وأوجدت لها أوصولاً في فرق التشيع الغالية، وبالأخص الإسماعيلية والقرمطية والدرزية. ونسبتها إلى طائف مغربية معلومة كالعكازين أتباع المهدي بن تومرت أو إلى طوائف غير معروفة كالسليماني. وذهبت بعض الأبحاث إلى كون شيخ اليوسفيين من أصحاب الإباحة الخاصة من غلاة الصوفية، أو أصحاب الإباحة العامة من الزنادقة. وقطعت أخرى كل صلة لطائفته بالمذاهب الإسلامية والطوائف المغربية، وأوجدت لها أصلا في عهود الوثنية القديمة أو الماسونية الحديثة، مروراً بالفلسفة الوضعية والأفكار الفولتيرية، وغير ذلك من الأصول.

والواقع أن تاريخ هذه الطائفة يتلخص في تعلق طائفة من المغاربة من أهل القرنين (10 و11 / 16 و17 ) بمذهب الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي، والمتصل بمذهب أبي يزيد البسطامي (ت. 261 / 874). وهو مذهب شكل أحد الاتجاهات الفكرية المتميزة في تاريخ التصوف المغربي خلال هذا العصر، واتسم بقدر من الجرأة في تناول المشكلات والقضايا المتعلقة برسم أبعاد العلاقة بين الله والوجود والإنسان. ووافق في ظهوره فجر القرن العاشر الهجري، الذي اعتقد خاصة وعامة أهله عدم مجاوزة عامه الألف، فأقبلوا عليه يزفون.

وذاعت أخبار اليوسفيين منذ أولية ظهورهم بالمغرب على عهد الدولة الوطاسية في مختلف أصقاع البلاد، وتمكنت محبتهم من القلوب، واعتقدالناس في مذهبهم، في البوادي والحواضر. ومن مواضعهم المشهورة خلال القرن (11 / 17) بني يعلى من بني يزناسن، وقبيلة بني عمير من بسيط تادلا وتسمت بعض فرقهم بالبضاضوة والشراقة، وقبيلة زمور بفزاز الذين بربروا اسم العكاكزة ولقبوا أنفسهم إعكازين، وفي جبل تازة، وفي فاس، وفي زعير، وفي الغنانمة بصحاري سجلماسة وتوات وما قرب إليهما.

ومن الحق أن التصوف الذي دعا اليوسفيون إلى الكروع من حياضه يعد من المشارب الصوفية غير المرغوب فيها من قبل غالبية مشاريخ التصوف المغربي على هذا العهد، والذين كانوا يرون فيه أصل شبوب الفتن، والطريق المباشر إلى الانحراف. فكانوا يحذرون الناس من مشايخه، ويصرفونهم عن مصنفاته، ويقولون إنها تسد باب الفتح. فاتهمت الطائفة اليوسفية منذ نشوئها بالبدعة، وصنفت خارج دائرة السنة. وبادر العلماء المصلحون إلى معارضتها، وحذروا الناس من انطلاء ناموسها عليهم، وأغروا ولاة الأمر بمكافحتها.

وامتحن الجيل اليوسفي الأول من قبل السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتغالي، والذي تسنم عرش مملكة فاس ما بين 911 ـ 931 / 1505 ـ 1524. وأشار الفقهاء على السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي (965 ـ 982 / 1557 ـ 1574) بحسم مادة الطائفة اليوسفية، فقاد جماعة منهم إلى السجن وقتل آخرين. وأفاد اليوسفيون من زمان الفترة الذي امتد من وفاة السلطان أحمد المنصور (ت. 1012 / 1603) إلى قيام الدولة العلوية، وجرأهم تهاون الحكام في شأنهم على استحكام بدعتهم، وظهورهم ظهوراً خطيراً. وبادر السلطان المولى رشيد عام 1080 / 9 ـ 1670 إلى استفتاء العلماء في قضيتهم. فأفتاه ثلاثة من أعيان علماء العصر، وهم قاضي الجماعة بالحضرة الفاسية محمد بن الحسن المجاصي (ت. 1103 / 1691) الذي حرر ثلاثة أجوبة في نازلتهم، والفقيه عبد المالك التجموعتي (ت. 1118 / 6 ـ 1707)، والإمام الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102 / 1690) الذي صنف فيهم فتواه الشهيرة *"برسالة العكاكزة"*.

وأدى اختلاف هؤلاء العلماء في نازلة العكاكزة إلى تشعب مسألتهم، وطول مرحلة التفاوض والتشاور في شأنهم. وعلى الرغم من اتفاق اليوسي والتجموعتي في القول بزندقتهم، فقد عمل السلطان برأي المجاصي قاضي الجماعة، ونفذ فيهم حكم الردة والاستتابة، وسجن جماعة من مشايخهم في فاس شهوراً، ثم أطلقهم بعد تحقق توبتهم. ثم نكبهم المولى إسماعيل بعد مضي عقدين من حكمه عام 1102 / 1691، فخرب أنشط مراكزهم الواقعة في تادلا وزمور، ونفذ حكم الزندقة في مشايخهم ولم يستتبهم، وقتل ثلاثة وستين منهم. وبدد تراثهم، وفرق شمل عوامهم، وأجلاهم عن مظاعنهم إلى حيث لاشيعة لهم، ونفاهم خلال القبائل التي لا تدين بنحلتهم.

وخبا ذكر اليوسفيين في المصادر المغربية خبوا يكاد يكون تاما، بعد خضد شوكتهم في مطلع القرن (12 / 18)، وظلت بعض المجموعات الناجية من فرقهم تحافظ على ذبالة نحلتهم. واهتدى إليهم الرعيل الأول من الإتنوغرافيين الفرنسيين في مطلع القرن (14 / 20)، ولم يعرفوهم إلا بأسمائهم من زكراويين ومحسانيين وغنانميين ومليانيين. ولم يأبهوا بصلتهم بضريح مليانة، ومحبتهم في دفينه، وأركابهم التي تشد إلى مواسمه، وخدمتهم لحفدته، وانتظام "أولاد سيدي أحمد بن يوسف" في المجموعات المشكلة لبعض قبائلهم. فلم يخلصوا من ذلك إلى انتسابهم إلى الطريقة الراشدية، أو اتصال أمرهم بتاريخ التصوف المغربي. وعدوا ذلك من ضمن عناصر الحياة الدينية لهذه القبائل، وهو عنصر تبجيل الصلحاء. بل إن معظمهم كان يشك في تغلغل الإسلام خلال هذه القبائل، ولا يخامره ريب في قدم نحلتهم، واتصالها بالمعتقدات البدائية والشعائر الوثنية الطبيعية.


م. الصباغ القلعي، *بستان العارفين الأزهار*، مخ. خ. ع، 234 ك، 113 ؛ م. بن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، 125 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. أ. أبي النور، 2 : 35 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية، 224 ؛ م. القادري، *نشر المثاني الكبير*، مخ، خ. ع، 2253 ك، و33 ظ ؛ م. الريفي، *جواهر السماط*، و26 و ـ و و29 ظ ؛ ع. الكبير بن هاشم الكتاني، *زهر الآس في بيوتات فاس*، مخ. خ. ع، 1281 ك، 328 ؛ م. المجاصي، *نوازل*، ط. حجرية، 89 ـ 95 ـ 105 ـ 124 ؛ ح. اليوسي، *رسالة العكاكزة*، مخ. خ. ع، 1224 ك، 167 ـ 187 ؛ أ. بن محمد الهشتوكي، *هداية الملك العلام إلى حج بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام*، مخ. خ. ع، 190 ق، 71 ـ 75، 82 ـ 86 ؛ ع. الوارث الياصلوتي، *المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب*، مخ. خ. ع، 5723 ؛ مجهول، *تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط أمام المسلمين*، مخ. خاص ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، معلمة المدن والقبائل، ملحق 2 ـ 8 ـ 100 ـ 108 ـ 316 ـ ؛ ع. الجراري، *وحدة المغرب المذهبية عبر التاريخ*، دار الثقافة، الدر البيضاء، 1976 ـ 27 ؛ المؤلف نفسه، *أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب*، سلسلة الدروس الحسنية، 53 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 237 ـ 240 ؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة*، 281 ـ 423.

F. Benoit, Survivances des civilisations méditerranéennes chez les berbères, *Revue anthropologique, juillet-sept., 1930*, 1 - 16 ; J. Berque, *L'intérieur du Maghreb*, 100 n 1, 101 n 2 ; *Ulémas, fondateurs, insurgés du Maghreb*, 60, 64, 92, 276 n 28, 279 n 25 ; E. Doutté, *Marrakech*, 365 - 368 ; *Missions au Maroc*, 330 - 335 ; Id., *Magie et religion*, 43 - 48 ; L. Gognalons, *Une fraction des Ghenânema de la banlieue de Fès : les Ouled Aîssa, Bull. soc.* Oran, t. 27, 1906, 354 - 359 ; Mensempes, *Contribution à la connaissance d'une tribu : les Zkara* ; A. Moulieras, *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara* ; Georges Salmon, *Les Bdadoua, Archives Marocaines*, vol. 2, n 2, 1904, 358 - 363 ; M. De Segonzac, *Voyages au Maroc (1899 - 1901)*, Paris, 1903, 215 ; L. Voinot, *Taza et les Riata, Bull. soc. géo. archéo.*, d'Oran, t. XL, 1920, 47 - 53.


عبد الله نجمي

**عكراش** (واد وسوق ومقالع). يطلق عكراش على

مجرى آخر رافد يتلقاه نهر أبي رقراق من الجنوب الغربي، قبل وصوله إلى مصبه بالمحيط الأطلنتي. كما يطلق على سوق أسبوعي، يقع عند منطقة اقترانه بأبي رقراق، يعرف بسوق أحد عكراش، سمح بنشأة دوار القهاوي. يطلق هذا الاسم أيضاً على مقالع الحجارة المنتشرة بالمنطقة، بالإضافة إلى أكبر مزبلة بضاحية ولاية الرباط، تشغل المقالع المهجورة.

وهو عبارة عن وادي بسيط. يعبره آخر مجرى موسمي، يرفد نهر أبي رقراق من الجنوب، على بعد 13 كلم من مصبه بالمحيط الأطلنتي.

تشكل هذا الوادي في صخور سفلى متحولة. بنيتها التوائية. تنتمي للقاعدة الباليوزوية. قوامها طبقات شيستية تتخللها دكات كوارتزيتية، إلى جانب دكات سميكة مكونة من الكلس المتحول لعكراش. يتوضع فوق هذه القاعدة غلاف رسوبي ميو ـ بليوسيني. يبدأ بدكة حثية مرجانية تعرف بالمولاص القاعدي. يتم المرور منها إلى طبقة صلصالية رملية، تنتمي للميسيني (البليوسين الأسفل). ليتوج الكل بدكتين حثيتين تنتميان للمغربي (البليوسين الأوسط) والفواراتي (البليوسين الأعلى). يشكل هذا الغلاف الرسوبي، سطوح الهضاب المشرفة على الوادي.

سمحت نتائج هذه الأبحاث، بتدقيق انتساب السحنات الصخرية المكونة لتلك المتوالية الرسوبية، وضبط ظروف ترسيبها، والتي تبين أن عمرها يتراوح ما بين 12 و2 مليون سنة قبل الآن، بحيث تمتد من الميوسين الأعلى حتى البليوسين الأعلى.

وسوق عكراش ضعيفة الرواج. لكونها تعقد في منطقة منخفضة وخلفية، محجوبة عن مدينة الرباط، إذ كان ممكنا أن تكون سوقا ضخمة لساكنتها. لذلك ينحصر دورها في تزويد السكان المحليين بحاجياتهم التي بدأت تصلهم يوميا بعد ربط هذه المنطقة بأحياء الرباط الشرقية بالحافلات العمومية والخاصة وسيارات الأجرة.

ويقع دوار القهاوي عند منطقة المقرن، ببلدية الحوزية، بالقرب من مقر السوق. بدأت انطلاقته مع تجديد استغلال مقالع عكراش في بداية القرن العشرين عبارة عن قرية سكنها متخلف من الصفيح. يضم ساكنة ضعيفة، تعيش الآن على عائدات، مقتنياتهم من المزبلة المجاورة لدوارهم. توجد به مدرسة ابتدائية، ومستوصف إلى جانب بعض الحوانيت.

أما مقالع عكراش فتقع ببلاد الحوزية المجاورة للمجرى. وهي مقالع قديمة يرجع تاريخ استغلالها منذ الدولة الموحدية. إذ تم الاعتماد على صخورها الكلسية والكرانيتية في بناء مسجد حسان. وقد تجدد نشاط هذه المقلع خلال مرحلة الحماية الفرنسية، عندما شرع في بناء ميناء الرباط، الذي انطلق تشييده ابتداء من 16 يونيو 1913، ولاسيما بين سنتي 1921 ـ 1925. حيث تقرر بناء الأرصفة، التي مازالت تحمي مصب وادي أبي رقراق لحد الآن (R. Chastel, 1997).

تستغل المقالع هنا على الخصوص، بروزات الكلس المتحول المنتمي للديفوني (حقب ما قبل الأخير للزمن الجيولوجي الأول).

وفي عكراش مزبلة على الضفة اليسرى لمجرى أبي رقراق، على بعد 12 كلم جنوب شرق مدينة الرباط، تشرف مباشرة على دوار القهاوي. حيث تم استغلال المقالع المهجورة بمنطقة عكراش، التي لم يتم استصلاحها كما ينص عليه ظهير 5 ماي 1914 الموافق لـ 9 جمادى 1372، المتعلق باستغلال المقالع ومراقبتها، والملزم بدفتر التحملات.

بدأ استغلال هذه المقالع كمزبلة سنة 1985 للتخلص من معظم أزبال ولاية الرباط، والتي تقدر بـ 257 ألف طن سنويا. تساهم فيها الأزبال بـ 175.000 طن، والنفايات الخضراء بـ 15٪. إضافة إلى 3240 م3 في اليوم من النفايات الصناعية. أزبال تزيد يوميا بنسبة 3٪. تصرف من 65 وحدة صناعية، إلى جانب النفايات المرتبطة بالسيارات وآليات ومستهلكاتها التي تعادل 25.000 طن سنويا. كما تصل إلى مزبلة عكراش نفايات المجازر، التي يتم فيها ذبح 200.000 رأس من الماشية سنويا. إضافة إلى نفايات المستشفيات، خصوصا مستشفى ابن سيناء، الذي يبلغ نصيبه 20٪ مما تستوعبه هذه المزبلة.

أشير في الأخير إلى أن هذه المزبلة، تنتج تبعا لنتائج أبحاث المختبر العمومي للأبحاث والدراسات ومركز الأبحاث والدراسات البيئية والتلوث عصارة سائلة، تحمل معها إلى المياه الجوفية في الصخور الراشحة بالمنطقة، وللمياه السطحية لمجرى سافلة أبي رقراق، 25 مليارا من المكروبات في الغرام الواحد.

G. Beaudet, *Le plateau central marocain et ses bordures. étude géomorphologique*, Thèse de doctorat es-lettres, 478 p., 28 fig., 4 cartes, 1969.

محمد الطيلسان

**عكرمة، محمد** وهو من مواليد سنة 1925 بالرباط من والده عبد الله بن البشير وفضيلة بنت محمد.

انخرط في صفوف المقاومة المسلحة السرية منذ انطلاقتها ضمن تشكيلة العكاري والتي كان مسؤولا عنها حيث عمل على تنفيذ مجموعة من العمليات الفدائية مع أفراد التشكيلة التي كان يرأسها ومن ضمن هذه الأعمال اغتيال شرطي فرنسي كما نظم مجموعة من المظاهرات التي كانت تندد بالاستعمار الغاشم وتطالب بجلائه على الوطن إلى أن عاد رمز الوحدة والاستقلال جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه حاملا وثيقة الاستقلال.

التحق بالرفيق الأعلى بمدينة الرباط يوم فاتح محرم 1416 الموافق لـ 31 ماي 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 511492.

**العكّار** العَكَر بفتح العين والكاف في اللغة العربية هو الراسب من كل شيء وخاثره كعكر الزيت مثلا. ويطلق العَكَر على مرهم دهني كانت المرأة المغربية تستعمله كأداة من أدوات الزينة والتجميل من عدة قرون إلى جانب الكحل والسواك فالكحل لإبراز رموش العينين وتنصيحها والسواك لتنظيف اللثة وتبيض الأسنان والعَكَر لتسطير الشفاه وإبراز ملامحها وتوريد الخدود. ويسمى العَكَر في فاس وتطوان وطنجة وسائر مدن الشمال "العَكّار" وفي باقي مدن المغرب وبواديه "لَعْكَر" بتسكين العين وفتح الكاف لونه أحمر أرجواني يميل إلى البنفسجي، ولفصل هذا اللون عن الأحمر كان المغاربة يسمونه "العكري". وبما أنه كان يستخرج من المغرب ويصنع بداخله فقد دعاه السكان "العكر البلدي".

وينقسم العكر البلدي المغربي إلى نوعين : العكر الفاسي والعكر الفيلالي فالعكر الفاسي من أصل حيواني يستخرج من سحق بيض حشرة تدعى القشينية تعيش على شجر السنديان (البلوط الأخضر). وبعد تجفيفه ومعالجته يعطي دقيقاً قرمزي اللون يستعمل لأغراض التجميل والتزيين. وهو يهيأ على يد عطارين متخصصين ويباع إما على شكل مسحوق أو طلاء. وإذا كان طلاء فإنه يوضع في وعاء من خزف صغير مبلج مستدير الشكل لا يتعدى حجمه كف اليد يسمى "العكار" في فاس ومدن الشمال و"المطلية" في حواضر وبوادي السهول الأطلنتيكية و"المعيكرة" في المناطق الصحراوية والرحامنة والسراغنة والسهول الداخلية بشكل عام. ويعتبر العكر الفاسي في نظر الحرفيين من العطارين أكثر وفرة في الأسواق وأقل ثمنا وجود من العكر الفيلالي.

ويختلف العكر الفيلالي عن الفاسي في أنه يستخرج من باطن الأرض. فهو معدن رخو لزج شديد اللمعان يستنبط طبقات الأرض على شكل حبيبات ذات لون بني تميل إلى الأحمر من الصحراء من منطقة تافيلالت خاصة التي يسمى باسمها. ويتم الحصول عليه من خلال عمليات حفر على مسافات عميقة فبعد استخراج الكحل من طبقة أولى يعمق الحفر بحوالي ثلاثين مترا للوصول إلى طبقة ثانية تحتضن العكر وبعد هذه الطبقة يستمر الحفر إلى أن يتم الوصول إلى طبقة الزئبق (الزَّواق).

ويستعمل العكر بنوعيه الفاسي والفيلالي للتزيين وعلاج الشعر وصيانته ولتصفية بشرة الوجه وتلميعها. وهو يندرج كمادة من المواد الأساسية التي تتكون منها مختلف المراهم والأدهان واللطوخات المتداولة في التطبيب والعلاج وتمديد التشنجات العضلية.

وكانت النساء تقتنيه للتزيين من أسواق البوادي من عطارين متنقلين. وكان العكر يعتبر أداة تجميل رئيسية لا يكاد يخلو منها شوار فتاة ولا خزين امرأة. وكانت النساء التقليديات فيما مضى تحتفظن به في صندوق خاص بها يحتوي على الأمشاط والمكاحل والمراود وقشور السواك والمناديل والسبنيات والاقراط والأساور والدمالج وغيرها.

إلا أن استعمال العكر البلدي تراجع اليوم بشكل منقطع النظير في سائر أرجاء البلاد ولم يستطع الوقوف أمام قوة منافسة مستحضرات التجميل الكيماوية من مساحيق ودهون ومراهم وأقلام تسطير شفاه وتوريد خدود وإبراز حواجب ورموش وغيرها، وبذلك نسيت بنات اليوم عكر أمهات الأمس.

م. العجلاني، *تأليف في الأشربة والمعاجين والأدهان والسفوفات والمراهيم والأكحال والمربيات واللطوخات*، مخ خع رقم د. 761 ؛ ج. الكتاني، *كتاب في الخضاب*، مخ خع رقم ك، 3208 ؛ م. بن الخوجة، *اللباب في أحكام الزينة واللباس*، الجزائر، 1907 ؛ م. جسوس، *النصيحة*، مخ خع رقم د 7 : 1755 ؛ م. حنيني، *نزعة إلى التطور*، المرأة المغربية، *مجلة أمل*، العدد 9، السنة الثالثة، 1997 ؛ مهدية الزميلي، *لباس المرأة وزينتها في الفقه الإسلامي*، عمان، 1982 مؤلف مجهول، *كتاب في التدابير والأغسال واستخراج الأدهان*، مخ خع رقم 7204 ؛ نادية بلحاج، *التطبيب والسحر في المغرب*، الرباط، 1986.

M. Alahyane [et al.], *Portraits de femmes*, Casablanca, 1987 ; F. Bonjeon, *Esquisse d'un portrait de la marocaine*, Casablanca s. date ; A. Lens, *Pratiques des harems marocains*, in *Hespéris*, tome 5, 1er trim., 1925 ; Jean Muzi, *Le corps orné, le corps marqué*, Paris, 1978.

محمد بوسلام

**العكّاري**، أسرة مراكشية كانت على صلة مظاهرة بآل الشيخ التركي صاحب التربة (المقبرة) المعروفة هناك ولعل آل التركي هم المعروفون كذلك بالتريكي الموجودين حتى اليوم بمراكش وأسفي. وقد توارثوا العلم أجيالاً متعاقبة، وهم ينتسبون إلى الشرف الحسني. واشتهر هؤلاء العكاريون بعد أن هاجر طالبان منهم إلى الزاوية الدلائية لطلب العلم وقد أنجح الله مسعاهما وأصبحا من العلماء المرموقين في عصرهما حسبما ياتي في ترجمتهما.

وذكر مؤلف *إزالة الالتباس* أن العكاريين كانوا مستوطنين مدينة فاس في أواخر القرن الثاني عشر (18 م) ووقف على رسم مؤرخ في عام 1198 فيه أن دوراً ثلاثة أسفل عقبة برج الذهب من حُومة القلقليين كانت على ملك الحاج التاودي العكاري الذي توفي بفاس وترك زوجة وثلاث بنات وعصَّبه بيت مال المسلمني. وكانت إحدى البنات زوجاً لأحد الفاسيين الفهريين، ثم اطلع نفس المؤلف في رسم مكتوب على رق الغزال مؤرخ بعام 1087 ذكر أحد العكاريين وان له نصيبا في جنان بالزريقة في فاس. وسنرى كيف انتقلوا إلى الرباط وأصبحوا يكونون أسرة نبيلة توارث أبناؤها العلم والثورة. حتى أصبح ينسب إليهم حي العكاري من أكبر أحياء الرباط.

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 : 121 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1987.

**العكّاري، علي** بن **محمد** بن **علي الجد**، المراكشي ثم الرباطي. أكبر شخصية علمية أنجبتها هذه

الأسرة في القرن الحادي عشر (17 م). وكان من أسباب شهرته تعرفه على عدد من العلماء المؤلفين في مختلف مراحل حياته، أعجبوا بجده واجتهاده وزهده واستقامته فتحدثوا عنه في كتبهم بما شهدوا وعلموا. أولهم أحمد ابن يعقوب الولآلي رفيقه في الطلب بالزاوية الدلائية تكتب عنه في *مباحث الأنوار* (ورقة 7) : "فكان على العكاري مع أخيه في البيت فإذا هو بحالة أخرى من التحري ومجاهدة النفس والوقوف على الحدود، فكان لايعتاب أحد بين يديه، ومع ذلك فهو يشاركنا في أخذ العلوم الآلية عن الشيخ ابن مسعود (يعني اليوسي) مثل البيان والمنطق وأصول الفقه وغيرها كالفقه وأصول الدين".

وكان ذكيا حسن الإدراك لا يحفظ القرآن الكريم ولا المتون. خلافاً لما كان شائعاً من تغلب الحفظ على الفهم، فكان رفاقه الطلبة يتعجبون من تحصيله بالرغم عن عدم إمعانه النظر في الشروح والحواشي، وقد كان يدرس معهم كتباً صعبة *كجمع الجوامع* في الأصول للسبكي، فيطالع شرح الجلال المحلي مرة واحدة قبل حضور المجلس ويكفيه ذلك لفهم الموضوع. وقد أجازه مع أخيه محمد آتي الترجمة الامام الحسن اليوسي إجازة عامة، كما أجازهما بعد ذلك شيخ الجماعة عبد القادر بن يوسف الفاسي.

وبعد تخريب الزاوية الدلائية قصد المترجم مدينة فاس مع معظم الدلائيين وهناك لقي مؤلفاً آخر هو القاضي سعيد العميري الذي خصه بفقرة طويلة في أحد كتبه، وبتر العلماء إذاك متوافرون بها عامة، وكتب حينئذ بالحضرة المذكورة بصدد مما جاء فيها : "لما تحصيل العلم شرع يدرس كبرى *الإمام السوسي* بجامع مع القرويين، فسمع بذلك فقهاء الحضرة، وكان هذا الكتاب من أجل مايتنافس فيه المتنافسون، فاجتمعنا جماعة من الفقهاء وجئنا قاصدين مجلسه لننظر قراءته ونختبر حاله ... فألفيناه جالساً وقد غص عليه المجلس بالطلبه وضربوا عليه حلقة عظيمة وهو يدرس بصوت فصيح جهير ... ".

بعد ذلك توجه علي العكاري إلى مدينة سلا، فلقي حفاوة من أعلامها وصلحائها ، وأخذ يعقد حلقات التدريس بالجامع الأعظم، ووقع عليه إقبال كبير من طلبة العدوتين وفقهائهما حتى القضاة والعدول. وهنا لقي مؤلفاً آخر هو أحمد ابن عاشر الحافي الذي كان من جملة الآخذين عنه فنوه به كثيراً في فهرسه. وكان الأمير عبد الواحد ابن السلطان المولى إسماعيل مقيماً بالرباط فلما سمع بالشيخ العكاري قصده بسلا للأخذ عنه، ثم طلب منه الأمير أن ينتقل إلى الرباط فلبى الشيخ طلبه ونزل معه بداوه وأخذ يلقي دروسه في ضريح الشيخ أحمد العايدي بالسويقة تارة وفي المسجد الأعظم تارة. وحضر المولى إسماعيل يوماً لسماع درس الشيخ العكاري. وتختلف الروايات في مكان اللقاء، يذكر ابن زيدان أن ذلك تم بالمسجد الأعظم بالرباط، ويذكر غيره أن ذلك في مكناس بالقرب من مسجد الأنوار، ومهما يكن فإن السلطان كرّم الشيخ وعظّمه وأغدق عليه أموالاً كثيرة اشترى له بها بعض طلبته داراً كبرى بدرب البروزي من حومة السويقة بالرباط بحوار الدار الصغرى التي كان يسكنها ودفن بها بعد موته.

ولما استرجع السلطان إسماعيل ثغر المهدية من يد الاسبان عام 1092 / 1681 وكان قد شارك في هذا الفتح عدد من المجاهدين السلويين، منهم الشيخ أحمد حجي رفيق المترجم، طلب السلويون من السلطان أن يأذن برجوع الشيخ العكاري إلى مدينتهم فوافقهم على ذلك وعاد العكاري من جديد إلى سلا يدرس بمسجدها الأعظم إلا أن مقامه لم يطل إذ كانت له تعلقات بالعدوة الأخرى فرجع إلى الرباط حيث توفي عام 1118 / 1706 ودفن بداره الصغرى بالسويقة.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ أ. ابن عاشر الحافي، *الفهرس*، تح. م. السعديين ؛ ع. العكاري الحفيد، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ أبو يعزى المسطاسي، *رسالة في مناقب الشيخ علي العكاري*، مخطوط ؛ مجهول، *مطلع الدراري في أخبار سيدي علي العكاري*، مخطوط ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929، ج 4 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط، 1986 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، مصور بالأوفسيط، الرباط، 1987 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1988.

**العكّاري، علي** بن **محمد** بن **علي الحفيد**. قال في حقه بلديه بوجندار "كان من العلماء الأفاضل، والجهابذة الأماثل" اشتهر بفهرسه *البدور الضاوية* في ترجمة جده علي العكاري سابق الترجمة وسيرته ومناقبه وكراماته، وشيوخه وتلامذته. وقد احتفظ الفهرس بعدد وافر من أسماء هؤلاء التلاميذ من العدوتين، وكذلك العلماء الذين كانوا شادين ويحضرون مع ذلك مجالسه العالية وفيهم قضاة وعمال وشخصيات سامية. وبالرغم عن كون النسخ الخطية الموجودة من هذا *الفهرس* كلها مبتورة من الأول والأخير والأثناء، فقد وقع عليها إقبال عظيم، وقعت في يد الفقيه الخطيب محمد ابن الغازي الرباطي فلفقها ووضع لها خطبة وخرجها بعد التنبيه على ما فيها من بتر. وللمترجم مؤلفات أخرى إذ كان مشاركاً في كثير من العلوم لا سيما العقائد والتصوف. منها *الدرر المفصلة في شرح البسملة والحمدلة* ؛ *والمقصد الأسنى في الدعاء بالأسماء الحسنى* ؛ *وأرجوزة سماها جوهر القلائد في ذكر نبذة من العقائد*، وغير ذلك.

كان شاعراً دقيق الاحساس سليم الطبع، قال الأديب بوجندار : له "موشحات وأزجال على القانون الموسيقي في الملحون، وقصائد ومقطعات على القانون الشعري في الموزون" وأورد نماذج جيدة من شعره.

توفي بالرباط عام 1159 / 1748.

م. بوجندار، *الاغتباط*، مصور بالأوسيط، الرباط، 1987 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، الرباط، 1929، ج 1 و4 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1988.

**العكّاري، محمد** بن **علي** الرباطي، درس على والده الشيخ علي العكاري الجد سابق الترجمة ولم يدرس على غيره. ترجم له ولده علي العكاري الحفيد في *البدور الضاوية* وقال إنه "قيد عن والده تقاييد وطرراً على *المختصر* الخليلي *والخلاصة*، *والكبرى*، *والسلّم*، وغير ذلك. وتصدى بعد وفاة والده الشيخ للتدريس والفتيا، وتمهّر وبرع في كل فن، وارتفع ذكره وعظم صيته".

وقد كان متصوفاً خليفة مأذوناً به بتلقين أوراد الشيخ علي بن عبد الرحمن الدرعي. ثم استخلفه الحسن الشرحبيلي ليلقن الأذكار على الطريقة الناصرية، قال : "فقام بالأمرين وحاز شرف الخلافتين، ولم يزل كذلك إلى أن توفي ولم يذكر تاريخ وفاته، كما لم يبين سبب هذه الازدواجية في التلقين، وهي لاشك ذات صلة بالخصومة الطارئة بين الناصريين والحسن ابن شرحبيل (انظر هذا الأخير في *المعلمة*).

ع. العكاري الحفيد، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، مصور بالأوسيط، الرباط، 1987.

**العكّاري، محمد** بن **محمد** بن **علي** المراكشي، أول من خرج من العكاريين من مراكش إلى زاوية الدلاء لطلب العلم، ثم التحق به أخوه علي سابق الترجمة. استقر بالزاوية الدلائية طالباً للعلم مدة طويلة ساكناً مع رفيقه محمد بن عبد الرحمن الصومعي في بيت واحد من بيوت مدارسها، ولما لحق به أخوه علي العكاري أقام معهما في نفس البيت كما رأينا.

حضر محمد العكاري مجالس الدلائيين في مختلف العلوم اللغوية والشرعية، ولازم دروس الشيخ الحسن اليوسي آخذاً عنه النحو والبيان والمنطق والفقه والأصول والتوحيد إلى أن نال منه إجازة عامة. ولما حصل على ملكة علمية كافية أخذ يدرّس بدوره للمبتدئين في الزاوية الدلائية، وكان من بين الآخذين عنه رفيقه محمد بن عبد الرحمن الصومعي.

وبعد تخريب الزاوية الدلائية سنة 1079 / 1669 توجه المترجم إلى فاس - في جملة علماء الدلاء - وأقام بها مدة يحضر مجالس كبار العلماء أمثال شيخ الجماعة عبد القادر بن يوسف الفاسي الذي أجازه إجازة عامة قبل أن يرجع إلى مسقط رأسه مراكش، لكن لم يطل به المقام حتى استقدمه السلطان المولى إسماعيل إلى حاضرته مكناس ليكون إمامه في الصلوات وخطيب الجمعة والأعياد في مسجد القصبة السلطانية، فكان محمد العكاري علاوة على ذلك يلقي دروساً على الطلبة فانتفعوا به كثيراً. وقد ابتلي في آخر حياته بمرض "الضيقة" فطلب من السلطان أن يأذن له في الرجوع إلى مراكش "فأعفاه وتركه بعد أن كتب له عهداً كبيراً بليغاً باحترام جميع من هو في جواره، وتوقيرهم ومحاشاتهم" (*البدور الضاوية*)

توفي محمد العكاري بمراكش عام 1092 / 81 - 1682 ودفن بتربة جده الإمام الشيخ التركي. وقد اختلطت ترجمة محمد العكاري مع ترجمة أخيه علي العكاري الجد عند ابن زيدان في الإتحاف (انظر كتابنا *الزاوية الدلائية*).

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ ع. العكاري الحفيد، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. اليحمدي، *كناشة اليحمدي*، مخطوطة ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929، ج 1 و4 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1988.

محمد حجي

**العُكّاز** مضموم مشدد عصا ذات زُجٍّ والجمع عكاكيز قال الأصمعي : المحْجَنُ : العصا المعوجة، كما جاء في باب العصا عند الجاحظ. والعُكّازة إذا لم يكن في أسفلها زُجٌّ فهي عصاً، والعكاز مثل الخرقة من شعارات الصوفية بالمغرب يطالع الزائر لضريح مولاي إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن حسون، المعروف عند العامة بطير الجبال، ظاهرة بيع "العكاكيز" المأخوذة من شجيرة "الدفلة" لسهولة لي أغصانها. فيقوم معدو هذه العكاكيز بصباغتها بالأصفر ووضع دوائر حول المقبض بالأخضر والأحمر. وحين تسأل لماذا هذه الألوان ؟ لا تجد إجابة عند الباعة. وحين تسأل أيضاً عن الغاية من بيع هذه "العكاكيز" ؟ فإنك لا تسمع إلا عبارة واحدة متفق عليها بين الباعة وهي : "ليأخذها الزائر عربونا على سند الولي الصالح مولاي إبراهيم طير الجبال لزواره". وهذا محض افتراء وكلام غير مقنع فمن الناس من يقنعه هذا الكلام ومنهم من لا يعيره أي اهتمام. وقد لخص بعض الباعة الإجابة عن سؤال بيع هذه "العكاكيز" في موسم مولاي إبراهيم بشيء من الواقعية بقولهم : إن الناس يعتمدون عليها أثناء صعودهم إلى "الخلوة". وهو مكان في مرتفع معروف عند الزوار "بالخلوة" التي كان يختلي فيها "مولاي إبراهيم" لتصفو نفسه وتزكو. فهي عندهم "عكاكيز" وانتهى الأمر، من غير أن يوضع في أسفلها زجٌّ لتصير عكازا. والعامة يسمونها هكذا "عكاز"، على الرغم من أن "العكاز" له زُجٌّ كما في المعاجم العربية، نذكر منها على سبيل المثال ما جاء في لسان العرب. والجانب المهم في المسألة، هو سكوت بائعي هذه "العكاكيز" دون التصريح للناس بالدافع الحقيقي من وراء بيعها. والراجح لدينا في ذلك هو (التكسب فقط، ولا وجود لشيء من ورائه أية غاية أخرى مرتبطة بطقوس وأدب الزيارة للضريح. وعليه، يتأكد إلى حد بعيد غياب أي صلة لهذا الذي ذكرنا بـ "طائفة العكاكزة" المشار إليهم من قبل الونشريسي. ولا بمن أشار إليهم ابن القاضي. ولا بمن تكلم عنهم ابن عسكر بأنهم الطائفة اليوسفية. ولا بمن أدرجهم الفقيه محمد المنوني ضمن الجماعات المتطرفة، حين الحديث عن التيارات الفكرية في المغرب المريني. فهل وجود هذه الظاهرة بهذه المنطقة من جبل درن قد يشير إلى صلة بما كان يحمله ابن تومرت معه من متاع الدنيا المتمثل في "عكاز وركوة" في سياحته الكبرى، واعتقد قومه وأتباعه عصمته ؟

ومن الصعب نفي أو إثبات أي إشارة لها صلة أو علاقة بهذه الطائفة وظاهره بيع "العكاكيز" بضريح مولاي إبراهيم. لهذا كان من الضروري فتح واجهة أخرى ومناقشة الموضوع بما تختزنه الذاكرة الشعبية التي يتداخل فيها الحدث بالخرافة، وتنسج حوله هالة ضخمة تضفي عليه نوعا من القدسية لكي لا يبحث عن السبب ويقبلوا بالنتيجة ويسلموا بها تسليما. ومن جملة ما سجلته من خلال الرواية الشفوية بعد الاتصال ببعض من ينتسبون للزاوية أو هم معتكفون بها، أن "العكاز" يميز حامله عن باقي الناس بباب الضريح أو بفنائه ليستقبل الزوار ويرشدهم إلى ما يفعلون من طقوس أدب الزيارة وتقديم القرابين، وتعيين من يساعدهم على ذلك وخصوصا أيام الموسم السنوي، حيث يكثر الازدحام بفناء الضريح. والرجل الذي كان يقوم بهذا، عذره أن كان الداعي إلى ذلك الكبر والعجز في الخلقة وقلة الفاعلية. وفي *تحفة النظار* إشارة لطيفة لها معنى مشابه لما تضمنته بعض معطيات الرواية الشفوية ـ رغم ما يعاب عليها من عدم الضبط والخلط في المعلومات أن ابن بطوطة يحكي ما رآه عند بعض الطرق الصوفية بمصر لما في ذلك من تشابه في مغزى استعمال العكاز في التميز والإرشاد لمعرفة المريدين وأتباع الطريقة، من الزوار العابرين (ومن عوائدهم مع القادم، أنه يأتي باب الزاوية فيقف به مشدود الوسط وعلى كاهله سجادة وبيمناه العكاز وبيسراه الإبريق. فيعلم البواب خديم الزاوية بمكانه فيخرج إليه ويسأله من أي البلاد أتى وبأي زاوية نزل في طريقه ومن شيخه. فإذا عرف صحة قوله أدخله الزاوية وفرش له سجادته في موضع يليق به وأراه موضع الطهارة فيجدد الوضوء ويأتي إلى سجادته فيحل وسطه ويصلي ركعتين ويصافح الشيخ ومن حضر ويقعد معهم. جاء في هذه الإشارة الإبريق، وما كان يحمله ابن تومرت أثناء سياحته الكبرى هو "الركوة" وفي الحالتين حضور عنصر الماء رمز الطهارة وفي ذلك تشابه بين الروايتين. وللزيادة في التحري، ذهبت إلى تامصلوحت حيث يوجد ضريح عبد الله بن حسون أمغار الذي هو جد مولاي إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن حسون. لعلي أجد شيئا أستنير به في الموضوع. فكان لقائي برجل يدعى مولاي أحمد بالضريح فأكد ما يلي :

ـ يحكى لنا أن عكاز عبد الله بن حسون أمغار يوجد بإحدى الزوايا بالريصاني دون أن يحدد الاسم، لأنه اعترف بأنه أمِّي "ما قريش وما فاهم والو". وظاهرة بيع العكاز في مولاي إبراهيم ما هي إلا وسيلة من وسائل "سدْ الْمَخْفي" ـ وهي عبارة دالة على التدليس والاحتيال ـ أي وسيلة للتكسب والعيش ليس إلا.

ـ ما يقال عن بيع العكاز هناك، (يقصد مولاي إبراهيم) يقال على بيع التراب به وكذا الملح والتمر والحناء، والناس يعتقدون في ذلك ما يشاؤون. كما ينطبق هذا على الذي نقوم به هنا، (ويقصد ضريح عبد الله بن حسون) حيث نبيع الناس الخميرة والملح والتمر، ونرغب الناس في شراء ما نعرض وهم أحرار في ما يعتقدون بعد ذلك.

ـ ويضيف : "إنني أصنع الخميرة "البَلْدِيَة" وأبيعها مقابل ثمن غير محدد"، يرمز له "بالفتوح" من أجل حلول البركة، ليعم الخير صاحبها أو صاحبتها ويفيض كما تفيض العجين عن الإناء الذي تجعل فيه إن أصابته الخميرة. كما يباع التمر والملح، وفي ذلك دلالة رمزية إلى تحقيق القبول. أي أن يكون كلام الشخص وفعله مقبولا عند الناس.

وختاما نقول، بأن ظاهرة بيع العكاز بمولاي إبراهيم ـ وخصوصا أيام موسمه السنوي ـ ما هي إلا وسيلة للتكسب والعيش. وليس لها علاقة بطائفة العكاكزة. وقد تكون لهذا صلة بما خلفه ابن تومرت "صاحب العكاز" من أثر في قبيل المصامدة بجبل درن. وقد لا تكون له به صلة البتة. كما أن الطواف بالناقة التي تنسب إلى مولاي إبراهيم يتم تجهيزها بمدينة مراكش قبل أن تستقر بمولاي إبراهيم ويصحبها الضرب بالطبول والمزامير. وهي وسيلة لجلب الصدقات من الناس، والعامة يعتقدون في ذلك ما يعتقدون. وهذا تقليد تخلد به بعض الطرق الصوفية مواسمها السنوية، أو حين الدخول في غمرة الأذكار أو الحضرة. كما كان العكاكزة يخللون أذكارهم بالضرب على الدفوف والبكاء والرقص مجتمعين رجالا ونساء. وقد تظهر معطيات أخرى جديدة مستقبلا قد تفيد وتغير ما تم تسجيله حتى الآن. وإلا فاجتهاد الناس في تطوير أسلوب بيع الأشياء التي لها علاقة بزيارة الأضرحة، تبقى هي المسيطرة على واقع الاهتمام بثقافة الاعتقاد في الضريح وصاحبه، وتوليد سلوكات للفت انتباه الزوار ونسج هالة من القدسية حولها يرجى احترامها لتحقيق الغايات وما ترجوه الأنفس، أمام ما يعانيه الناس من أزمة وضيق في الأفق.

ابن بطوطة، *تحفة النظار*، مطبعة الرسالة ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، *البيان والتبيين*، تح. عبد السلام هارون، القاهرة، 1975 ؛ محمد حجي، *الحياة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، مطبعة فضالة ؛ محمد بن أبي بكر الرازي، *مختار الصحاح*، بيروت، 1995 ؛ محمد بن عسكر، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1976 ؛ أحمد ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبي النور، القاهرة، 1971 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، د. ت ؛ محمد المنوني، *ورقات عن حضارة المرينيين*، الدار البيضاء، 1996 ؛ عبد الله نجمي، *العكاكزة*، مجلة كلية الآداب، الرباط، العدد 5 ـ 6، مزدوج، 1979 ؛ أحمد الونشريسي، *المعيار المعرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

عبد الرزاق ازريكم

**العكّازون** شيعة المهدي بن تومرت (ت، 524 / 1129) على عهد المرينيين، وسموا بذلك نسبة إلى العكاز الذي اتخذه مؤسس دولة الموحدين في سياحته الكبرى. وتؤرخ لطائفتهم جملة من الفتاوى أصدرها كل من الفقيه يوسف بن

موسى المحساني السبتي (كان حيّاً عام 686 / 1287)، والفقيه عبد الرحمان بن عنان الجزولي (ت. 741 / 1340)، والفقيه يوسف بن عمر الأنفاسي الفاسي (ت. 761 / 1359)، والفقيه محمد بن عبد المومن وهو من أهل القرن (8 ـ 14) أيضاً، والفقيه محمد بن إبراهيم التتائي (ت. 942 / 1535).

وقد سجل الفقيهان أبو يعقوب المحساني ومحمد بن الحاج العبدري (ت. 737 / 1336)، في كتابه "المدخل" قلة ظهور الطوائف البدعية بالمغرب المريني، وردا ذلك إلى وجود العلماء العاملين وتصرفهم بالسنة، وفضلهم في ارتداع كثير من أهل البدع. ولم يذكرا من هذه الطوائف الموجودة على عهدهما سوى الفاطمية والعكازين والسليمانيين. وذكر المحساني نحلة العكازين في شرحه على رسالة ابن أبي زيد القيرواني والموسوم "بالإفادة"، وفسر بدعتهم بأنهم "الذين يكفرون من لا يؤمن بالمهدي الذي تقدم في زعمهم، وهو محمد بن تومرت"، وأفتى فيهم بأن يتقدم إليهم فإن تابوا وإلا قتلوا.

وقال باستتابتهم أيضاً، وأنهم في حكم المرتدين، شيخ "الرسالة" في وقته الفقيه عبد الرحمان الجزولي، وذلك في شرحه على الرسالة، ونصه : "وكذلك الحكم في الطوائف البدعية الخارجين عن السنة بغير تأويل مثل العكازين وأشباههم، أنهم يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا". وأيد حكمه تليمذه يوسف الأنفاسي، إمام جامع القرويين، وذلك في تقييده على الرسالة. ونقل نازلتهم عن المحساني قاضي قضاة مصر الفقيه محمد التتائي، وذلك في شرحه على الرسالة والموسوم "بتنوير المقالة".

واشتمل جمع العكازين خلال القرن (8 / 14) على طائفة متنطعة وموغلة في بدعتهم، وهي طائفة جزنائية من أخماس تازة. وقد رفع سؤال في شأنهم إلى فقيه تازة ومفتيها محمد ابن عبد المومن، وفيه جملة مسائل ينبني عليها مذهبهم، وهي : أنهم قوم فارقوا الجماعة، ويكفرون المسلمين، ولا يأكلون ذبائحهم، ولا يصلون خلفهم، ويقلبون الأحاديث الواردة في المهدي حتى تنطبق على محمد بن تومرت، ويقولون من لم يؤمن به فهو كافر، ويفضلونه على أبي بكر وعمر، ويقولون من لم يعلم اثني عشر بابا من التوحيد فهو كافر، وينكرون الصفات، وينقضون الوضوء بلمس ذوات المحارم، ويقولون من حلق ما تحت اللحية فهو مجوسي.

ولم يكن أهل جزناية كلهم على نحلة العكازين، ووجد بينهم رجل يقال له داوود بن الحسن اشتهر بمناهضتهم، وتزعم حركة إصلاحية ضاق بها غيرهم. ورفع أمره إلى مفتي فاس أحمد بن قاسم القباب (ت. 778 / 1376)، فأجاب بنصره وأنه على المحجة البيضاء. وأيد حكمه في هذا المصلح الجزنائي النسب الفقيهان محمد بن عبد المومن وموسى بن محمد العبدوسي (ت. 776 / 1374).

ولم تقف مكافحة العكازين عند حدود العلماء المصلحين والمجاورين لهم ممن لهم تهمم بالدين، بل اهتم بأمرهم أرباب الدولة أيضاً، فورد فيهم سؤال من السلطان المريني في مدة القاضي محمد بن فتح القيسي الترجالي التازي (ت. 720 / 1320) للبحث عن أمرهم. وحضر الفقيه المفتي محمد بن عبد المومن محاكمتهم بمسجد السيتاني. واجتمع الناس عليهم به، وبحثوا فلم يوجد عندهم شيء من العلم. فاتفق الناس حينئذ على أنهم قوم جهلة، وأنهم يستتابون فإن تابوا والإقتلوا. فتابوا على يد الفقيه محمد بن عبد الرحمان بن عطية التنوخي (ولد عام 650 / 1252)، وأفلتوا من القتل.

ولم يكن جمع العكازين مشتملاً على غوغاء مكثرين السواد مثل هؤلاء الذين حشروا واختبرت عقائدهم، بل وجد بينهم علماء ورؤساء متبوعون دعاة، وكان منهم الشيخ عبد الرحمان بن سليمان اللجائي (ت. 773 / 1371) الذي احتج لدعواهم في كتابه *المقصد الأسنى في المهدي الأقنى*.

ولاشك أن محاكمة العكازين التي وقعت في مدة القاضي الترجالي لم تضع نهاية لبدعتهم، وأنها إنما أفضت بهم إلى التقية والمبالغة في كتمان أمرهم، حتى لا يظهر حالهم ويظهر أنهم لا يزالون على نحلتهم، ويصيرون بمنزلة الزنديق الذي لا تقبل له توبة، ويقتلون من غير استتابة. وهذا ما قصده الفقيه محمد بن عبد المومن في فتواه، حيث أكد على من والاهم في النصيحة أن ينصحهم في الرجوع عما هم عليه، لأنهم إن ظهر عليهم رجوع إلى حالهم يخاف أن يؤمر عليهم بالقتل.

ولم يختص العكازون وحدهم بالظهور بالعقيدة المهدوية خلال المائة الثامنة للهجرة، إذا شاركهم فيها المنتحلون للفاطمية الذين تفرعوا بالمغرب إلى أكثر من فرقة، وذكرهم العلامة عبد الرحمان بن خلدون (ت. 808 / 1405) في *المقدمة والعبر*. ومنهم المتصوفة الذين يشيرون إلى ظهور المهدي، ويتحينون ذلك وبعضهم يقول من ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول فيه. ومنهم قبيل تينمل القائمون على قبر المهدي بن تومرت، مع التصميم مع كافة المصامدة على أن الأمر سيعود، وأن الدولة ستظهر على أهل المشرق والمغرب، وتملأ الأرض كما وعدهم المهدي، لا يشكون في ذلك ولا يستريبون منه.

وروجت الطائفة الجزولية للفاطمية بين أهل القرن (9 / 15) الذين فشا بينهم التعلق برجال الغيب، وحفلت مناجاة وأقوال الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (ت. 870 / 5 ـ 1466) بالتعزز بالشرفية والسبطية والفاطمية. وتحدث الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1493) عن مهدويين ظهرا في وقته، ونعت أحدهم بأهل الخير، وسجل وفاته التي حدثت عام 883 / 8 ـ 1479.

واستعمل السعديون المهدوية في بداية أمرهم مع محمد الشيخ المهدي (ت. 965 / 1557)، وتفاقمت دعواها بعد وفاة السلطان أحمد المنصور (ت. 1012 / 1603) واختلال نظام المغرب. واشتهر من المتمهدين خلال المائة الحادية عشر للهجرة الفقيه الثائر أحمد بن أبي محلي (ت. 1022 /

1613)، ومحمد بن عبد القادر التاهرتي الذي ظهر أمره قريباً من رباط ماسة ما بين سنتي 1035 و1039 / 1626 - 1630، ومحمد بن إسماعيل المسناوي الكوراري (ت. 1064 / 1654).

وقبل وفاة السلطان المنصور عدد المؤرخ أحمد بن القاضي (ت. 1025 / 1616) الطوائف البدعية بالمغرب السعدي، وذلك في الترجمة التي عقدها للفقيه محمد الأندلسي (ت. 984 / 1576) من كتابه *درة الحجال* الذي فرغ منه عام 999 / 1591، وهذا نصه :

"وزيدت هذه الطائفة (الأندلسية) على من كان به (المغرب) من اليوسفية والعكازية، فليحذرهم المسلم ولا يغتر بخز عبلاتهم وما أحدثوه في الدين، أخلى الله منهم الأرض". وهذه الطوائف البدعية ثلاث : الأندلسية أتباع الفقيه محمد الأندلسي الذي انتحل مذهب الظاهرية في الفقه، وقد تلقبوا بالمحمدية نسبة إليه، وسموا من خالفهم بالمالكية نسبة إلى الإمام مالك. واليوسفية أشياع الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524)، وهم دعاة المحبة الخالصة بالمغرب خلال القرن (10 / 16). وذكرهم ابن القاضي بنفس الاسم في كتابه *لقط الفرائد* الذي ألفه بعد *درة الحجال* بمدة، وعدهم من الطوائف المعدودة بالمغرب التي خرجت من الحق إلى الزيغ. والعكازية هم شيعة المهدي بن تومرت قطعاً.

وإذ يفيد قول ابن القاضي تعدد الطائفتين اليوسفية والعكازية، واختلافهما في التسمية والنحلة ؛ فإن الطائفة اليوسفية ستشتهر في المصادر المصنفة أواخر الدولة السعدية وصدر الدولة العلوية بتسمية العكاكزة والعكازين والعكازية. وستطرح هذه المواطأة في التسمية مشكل تعدد الطائفتين أو عدم تعددهما، وذلك بالنسبة للفقهاء الذين أفتوا في نازلة العكاكزة عام 1080 / 1669 : وقد ذهب قاضي الجماعة بفاس محمد بن الحسن المجاصي (ت. 1103 / 1691) إلى القول بعدم التعدد، ولم يسلم بالخلو من جامع أوجب إطلاق لقب أولئك على هؤلاء. ونقل الفتاوى التي صدرت خلال القرن (8 - 14) في العكازين شيعة المهدي بن تومرت من قبل كل من المحساني والجزولي والأنفاسي ومحمد بن عبد المومن والتتائي، وساقها من جملة الشواهد الفقهية للدلالة على صحة حكمه على العكاكزة بالردة والاستتابة. وخالفه الإمام الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102 / 1690)، ولم يعتمد على وجود اللقب على الطائفتين، وقال بالمباينة الصرفة بينهما، وأن حال هؤلاء غير حال أولئك. وقرر اختلاف الفتاوى باختلاف الأحوال، ونقض فتاوى طائفة العكازين، وأفتى في نازلة العكاكزة بالزندقة وعدم الاستتابة.

ولعل قول اليوسي بتعدد الطائفتين هو الذي دفعه إلى ابتداع اسم جديد لشيعة المهدي بن تومرت وتسميتهم "بالطائفة التومرتية"، وهذا بعد مرور ما ينيف عن العقد عن محاكمة العكاكزة. ذلك أنه أثناء تجواله بشمال البلاد يمم إلى جبل لجاية تشوفاً إلى زيارة ضريح الشيخ عبد الرحمان اللجائي مؤلف *قطب العارفين وشمائل الخصوص*، ونجل الشيخ أبي الربيع سليمان اللجائي أول من أدخل مختصر ابن الحاجب الأصلي إلى المغرب وعنه أخذ. فأطلعه حفدته على كتابه *الأسنى في المهدي الأقنى*، فتصفحه وحصل له العلم بأن جدهم هذا من العكازين، فأنف من أكل طعامهم، وفر منهم فراراً.

أ. الونشريسي، *المعيار*، تح. م. حجي وجماعة من العلماء، 2 : 453 - 461 - 511 - 513 - 535 - 540 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. أبي النور، 2 : 35 ؛ أ. بابا التنبكتي، *كفاية المحتاج*، تح. م. مطيع، التراجم رقم 35 - 243 - 441 - 486 - 632 - 675 - 676 ؛ م. المجاطي، *نوازل*، ط. حجرية، 91 - 93 - 95 - 107 - 110 - 112 - 114 - 125 ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. م. حجي وأ. ش. إقبال، 267 - 269 ؛ م. المنوني، *ورقات*، 245 - 247 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 227 - 245 ؛ ع. النجار، المهدي بن تومرت، 401 - 430 ؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة*، 314 - 319 - 381 - 383.

عبد الله نجمي

**عكّي** بن **حمو** بن علي ولد سنة 1904 بدوار أمهروق بإقليم خنيفرة وسط عائلة محافظة على التقاليد الإسلامية العريقة، وبعد قيام السلطات الاستعمارية بفعلتها الشنعاء ضد رمز الأمة المغربية ثارت ثائرته فقام بعدة عمليات تخريبية وإتلافات ضد المصالح الاستعمارية، كما شارك في المظاهرة الشعبية التي نظمت بمدينة خنيفرة يوم 20 غشت 1955 حيث أصيب برصاص المستعمر وهو يحمل قطعة خشبية وينادي بأعلى صوته من أجل مواصلة الجهاد.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 511212.

**العُكّيْزْ** من "التَّعْجِيزْ" الفصيح، ويعرف كذلك بالأحاجي، فكثيراً ما يتخذ العكيز من "حَاجَيْتَكْ وْمَا جَيْتَكْ" مقدمة له. وهو شكل من أشكال الأدب الشعبي المرتبط بالأرياف وبالليل وبالمسنين وخصوصاً الجدات. ويتخذ العكيز من الرموز والألغاز عوالم له. يقدم على شكل تساؤل موزون ومقفى. قد يبدأ بالحرف الأول من الكلمة المقصودة. فيقال : "حَاجَيْتَكْ وْمَا جَيْتَكْ" عْلَى الرَّا والرَّا ..." أو ينسج ضاربا في الرمزية ومنفتحا على أشكال مختلفة من التأويل. قد يتوصل إليها المجيب بسرعة إذا كان على علم مسبق بالموضوع لانتشاره، وقد يتوصل إليها بعد اقتراح أكثر من جواب وبعد أن يكون قد حاول التقرب من الجواب. أما في حالة العجز، فعليه إن أراد الحل أن يصرح للسّائل بـ : "أعْطَيْتْ حْمَارِي".

ويمس العكّيز أو الحُجّاي مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية ...

وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الأدب الشعبي في

طريقه للانقراض شكلاً، أما مضموناً فمازالت الألغاز والتعجيز تطرح في مواضيع عدة وبصيغ مختلفة.

*تحريات ميدانية.*

Colin, Georges, *La vie marocaine*, Paris, 1953 ;
Loubignac Victorien, *Textes arabes des Zaër*, Paris, 1952.

صالح شكاگ

**العلاء** (بنو -) المرينيون بنو أبي العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن محيو هم أقرباء السلاطين المرينيين، فكانوا منافسين لهم على العرش، وكان انتقالهم أو نفيُهم إلى الأندلس يخفف من المنافسة على السلطة داخل المغرب منذ تولّي يعقوب الإمارة سنة 656 وخصوصاً بعد تحويله نظام الحكم القبلي القائم على الشورى إلى حكم وراثي في سلالته سنة 669 بعد فتحه مراكش الموحدية وتسميّه بالسلطان وأمير المسلمين ؛ وكان انتقال المعارضين إلى الأندلس يخدم مصلحة الجهاد ضدّ الإسبان ضمن فرق من المغربين خاصة الأقصى وبالأخص من زناتة تحت توجيه السلطة النصرية، وأصبحت العادة أن يرأس هذه الفرق شيوخ مرينيون من قرابة سلطان المغرب سمّوا بشيوخ الغزاة.

ابتدأت مشيخة الغزاة ببني رحّو بن عبد الله بن عبد الحق الذين دخلوا الأندلس في عهد السلطان المريني يعقوب المنصور، ثم تولاّها بعدهم عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق لفترة قصيرة (خلال العقد الثاني من القرن 7)، ثم انتقلت إلى بني أبي العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق فيما بين سنتي 714 و741 وأولهم عثمان (714 ـ 724)، وكان قبل هذا شيخاً لغزاة منطقة مالقة والثغور الغربية، غير أنه كان من أهم أسباب التوتر بين سلاطين غرناطة والمرينيين إضافة إلى تذمّر غرناطة من الحصار المريني الطويل لتلمسان "الحليفة" بين 698 و706 فساعدت على تمرد سبتة ثم استولت عليها سنة 705 ودعّمت عثمان بن أبي العلاء للانتقال إلى شمال المغرب منافساً على العرش خلال الفترة الأخيرة من عصر السلطان يوسف (685 ـ 706) ثم أيام السلطان أبي ثابت عامر (706 ـ 708) إلى أن انهزم سنة 708 وتراجع إلى الأندلس. وكان المباشر لهذه الأعمال ضد المغرب هو أبو الوليد إسماعيل قريب الأمير النصري الذي كان مسؤولاً عن جنوب الأندلس.

بعد عودة ابن أبي العلاء وجماعته إلى الأندلس تواجه مع القشتاليين الذين احتلّوا جبل الفتح وحاصروا مدينة إصطبونة فأبعدهم عنها، وكلّفه أمير غرناطة بدعم حامية مالقة في وجه الحصار الأركوني لها في نفس السنة ؛ وقد أورد ابن القاضي وصفاً مفصلاً للمواجهات بين المسلمين والنصارى خارج المدينة، فذكر هزيمة الشيخ أبي سعيد عثمان ابن أبي العلاء للنصارى المحاصرين في ربيع الأول سنة 709، قال ابن خلدون "وعقد ابن الأحمر لعثمان ابن أبي العلاء زعيم الأعياص [أي العصبية المرينية] على عسكر بعثه مدداً لأهل المرية، فلقيهم جمع من النصارى كان الطاغية [الأركوني] بعثهم لحصار مرشانة فهزمهم عثمان، ونزل قريباً من معسكر الطاغية، وألحّ بمغاداتهم ومراوحتهم إلى أن رغبوا إليه في السلم".

وفي الوقت الذي ظهرت بوادر التصالح بين السلطان الجديد في المغرب أبي سعيد عثمان وأمير غرناطة الجديد أبي الجيوش نصر قاد الرئيس أبو الوليد المذكور حركة انفصالية في جنوب الإمارة انتهت باستيلائه على منصب الإمارة في غرناطة بدعم عثمان بن أبي العلاء، فجعله في منصب مشيخة الغزاة منذ سنة 714. واستمر عنصراً من عناصر التوتر بين الضفتين وسبباً من أسباب ضعف الدعم المريني الرسمي للأندلس خلال فترة مشيخته، وإن كان قد أبلى البلاء الحسن في الدفاع عن الإمارة بل ومهاجمة الثغور القشتالية بواسطة المجاهدين المغاربة من زناتة المرينية خاصة، إضافة (إلى مجموعة من بني عبد الوادي). إلا أن نفوذ الشيخ كان يتجاوز مهمته بل إنه متهم بتدبير اغتيال أميره أبي الوليد سنة 725 أثناء عودته من بعض الغزوات. وكاد يتسبب في فتنة داخلية في عهد الأمير الجديد محمد بن أبي الوليد لولا أن هذا لبّى رغبته في قتل وزيره المنافس للشيخ عثمان.

وعندما مات عثمان سنة 729 خلفه في المشيخة ابنه أبو ثابت عامر مستعيناً بإخوته خاصة منهم سلطان وإبراهيم إلى أن نُكبوا سنة 741، ويبدو أن هناك عاملين أساسين في نكبتهم مرتبطيْن ببعضهما : الأول، ضلوعهم في مقتل الأمير محمد بن أبي الوليد سنة 733، والتخوف مما يمكن أن يفعلوه بالسلطان الجديد أبي الحجاج يوسف ؛ والثاني، سوء علاقة بني أبي العلاء بسلاطين المغرب وسعي السلطان أبي الحسن في إبعاد هؤلاء من المشيخة حتى يمكن استمرار التنسيق مع السلطان النصري ضد الإسبان، وصادفت هذه الرغبة المرينية من ابن الأحمر "إسعافاً وقبولاً وحرصاً على ذلك ... حيث كان حذراً منهم لفعلتهم التي فعلوا" مع زبيه أبي الوليد وأخيه محمد (*العبر*، 7 : 774 ـ 775). ومما يدل على تخوف بني أبي العلاء من تحسن العلاقة بين غرناطة وفاس وجود اتصالات بين بعضهم وملك أركون تتضمن الرغبة في الانتقال إليه وخدمته، هذه المراسلات ـ التي بين أيدينا ـ وقعت بين سنتي 734 و737 وربما استمرت بعد ذلك ؛ وعندما تمكن أمير غرناطة يوسف من القبض على أبي ثابت وإخوته أفلت منهم سليمان من الاعتقال، ولجأ إلى ملك قشتالة، ثم قاتل معه ضد الجيشين المريني والنصري في معركة طريف سنة 741 ؛ أما بقية الإخوة فقد تم نفيهم إلى إفريقية إلى أن شفع فيهم أميرها لدى السلطان أبي الحسن فعادوا إلى المغرب، ثم ظهر منهم ما يريب فاعتقلوا بمكناسة، ولما ظهر أبو عنان مستبداً على أبيه أبي الحسن أطلق سراحهم للاستعانة بهم، فجعل كبيرهم أبا ثابت في مجلس شوراه، ثم ولاه سبتة وبلاد الريف، ثم هلك بالطاعون في نفس العام أي سنة 749 بينما بقي إخوانه مدة في كنف أبي عنان (*العبر*، 7 : 776 ـ 777).

عاد إدريس أحد أبناء عثمان إلى الأندلس ثم لجأ إلى برشلونة، وبعد الانقلاب على ابن الأحمر محمد الغني بالله (الذي سبق لأبيه أن نكبهم) تولى مشيخة الغزاة سنة 760. وأصبح وجوده في هذه المشيخة من أسباب التوتر مع المغرب مرة أخرى بل واستفزاز قشتالة، مما دفع الطرفين إلى دعم الغني بالله لاستعادة عرشه سنة 763 وإعادة المشيخة إلى يحيى بن عمر بن رحو (763 ـ 764) الذي كان يتولاها منذ نكبة بني أبي العلاء إلى الانقلاب على الغني بالله (741 ـ 761).

نخلص من هذا إلى أن دور بني أبي العلاء كان في أغلب الحالات سلبيا تجاه الدولة المرينية خاصة عندما كانوا شيوخا للغزاة في الأندلس حيث ساهموا في توتر العلاقات النصرية المرينية، وظهر الدور السلبي لهم على المستوى الداخلي لإمارة غرناطة في بعض الأحيان. غير أن دورهم الإيجابي تجلى في العمل الجهادي في الأندلس لرد الهجمات الإسبانية خاصة عندما لا تسمح الظروف بجواز الجيوش المغربية النظامية، هذه الرسالة ظل المغاربة يقومون بأدائها طيلة قرون، وعندما أصبحت الظروف معاكسة للدور المغربي في الأندلس أسرعت نحو النهاية.

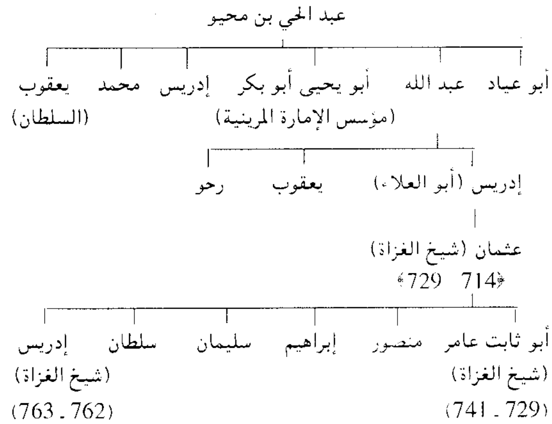


ابن أبي زرع، *القرطاس*، 308 ـ 309 ـ 393 ؛ *الذخيرة السنية*، 125 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 497 ـ 494 ـ 766 ـ 777 ؛ ابن الخطيب، *اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية*، 80 ـ 105 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، 4: 365 ـ 371، تح. عنان ؛ *الإحاطة*، 202، نصوص لم تنشر، تح. ع السلام شقور ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، 3 : 122 ؛ المقري، *نفح الطيب*، 6 : 386 ـ 387، دار صادر، 1968 ؛ ابن القاضي، درة *الحجال*، 1 : 138 ـ 148، ضمن تر. أحمد الجذامي الإسكندراني ؛ مارمول، *إفريقيا*، 1 : 398، تر. حجي ؛ أ. عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله*، رقم 173 ـ 174 ـ 251 ـ 258 ـ 261 ـ 262 ـ 265 ـ 266 ـ 272 ـ 273 ـ 367 ـ 441 ـ 442 ـ 464، والدراسة التاريخية لهذه الرسالة في الصفحات، 157 ـ 159، أطروحة مرقونة بكليتي الآداب بالرباط والقنيطرة.

أحمد عزاوي

**العلالي** (إيقاع) يرتبط إيقاع العلالي بفرقة العلايين التابعة لطائفة احمادشة المنتسبين إلى سيدي أحمد بن حمدوش دفين الجهة الجنوبية من جبل زرهون.

تحيي هذه الفرقة فرجاتها بمناسبة موسم سيدي علي بن حمدوش في موازاة الفرجات التي يقيمها الدغوغيون في الموقع المعروف اليوم بـ "سيدي علي"، وكثيراً ما تلتقي الفرقتان في مشاهد احتفالية متلاحقة تتعاقبان فيها بالتناوب على الساحة ومن حولهما جمهور عريض من المشاهدين قبل أن يتوجه الجميع في موكب كبير يخترق أحياء وأزقة مدينة مولاي إدريس نحو ضريحي بني راشد وبني وراد.

وتتميز الممارسات الفنية لفرقة العلاليين بارتكازها المفرط على إيقاعات معقدة الاوزان، حتى أصبح لفظ "العلالي" بمثابة المصطلح الموسيقي الذي يعني إيقاعات معينة أكثر مما يعني الفرجة الاحتفالية ذاتها.

وتشترك في تشكيل الايقاع "العلالي" مجموعة من آلات النقر هي : التعريجة، والطبل، والهراز، وهو عبارة عن أكوال كبير الحجم مصنوع من الفخار شدت إلى طرفة قطعة من الجلد، يُحمل على الكتف ويضرب باليد، إضافة إلى الغيطة التي يساهم النفخ العنيف فيها على النغمات الحادة في إذكاء المشاعر وتأجيج العرض.

وتخضع إيقاعات العلالي لأوزان متعددة تتنقل بين الوزن خماسي الضربات (5 / 4) بما يشبه نسق "الكباحي" في سرابة الملحون، وبين ثماني الضربات (8 / 4)، وثلاثيها (3 / 8) بما يحاكي انصراف القائم ونصف، وانصراف القدّام من أوزان الموسيقي الأندلسية.

يشرف على تسيير الرقصة قائد مبتدئا بتحية الجمهور. ويشارك في أحيائها ـ إلى جانب الراقصين ـ نافخ الغيطة، وضارب البندير.

أما الأول ـ ويدعى الكصاب ـ فهو ينفخ في آلته على الطريقة المألوفة بين "الغياطة"، فيحدث صوتا ممتدا بدفع الهواء المخزون في فمه مع التنفس خلال ذلك عبر خياشيمه.

وأما الثاني فهو يستخدم بنديراً ضخماً عليه جلد ماعز.

وتسهم نقرات البندير، وهزات الاكتاف، وضربات الأقدام على الأرض في خلق منظومة إيقاعية متكاملة يضبطها "حساب" دقيق.

ويعتبر "الحساب" العنصر المتحكم في الرقصة فبواسطة تحدد الايقاعات ويضبط الانتقال بين صنوفها المتنوعة. وأهم هذه الايقاعات في رقصة "العلاوي" :

ـ الخَوْبة : نقرة قوية تعلن عن بداية الرقصة.

ـ السبايسية : ثلاث دقات (نقرات قوية) تحدث وسط البندير في حركة سريعة.

ـ لعرايشية : دقة بطيئة تتلوها تَكَّتَان بطيئتان (نقرتان خافتتان)، وتتخللها هزات الأكتاف وضربات الأقدام على الأرض.

ـ الجدة : تكة خفيفة تُنقر على جانب البنديرة تتلوها دقة في وسطه.

ـ الصّقلة : تكة خفيفة متكررة على جانب الآلة وللقائد الذي يجهر بالحساب أن يتصرف في أنواعه بما يرضي الجمهور.

ص. الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، المحمدية، 1977.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**العلامة السلطانية** عرفت بأسماء متعددة، منها العلامة والخاتم والتوقيع، على خلاف في الاصطلاحات بين المشارقة والمغاربة. وهي عبارة عن تأشيرة أو ختم كان الخلفاء والسلاطين يضعونها بأيديهم أو ينقشونها على الرسائل والظهائر.

يعتبر وضع العلامة تقليداً إسلامياً قديماً يعود إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد نقل ابن خلدون عن الصحيحين "أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى قيصر، فقيل له إن العجم لا يقبلون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه محمد رسول الله. قال البخاري : "جعل ثلاث كلمات في ثلاثة أسطر وختم به، وقال : لا ينقش أحد مثله". وقد اختلفت نصوص العلامة ومواضعها على الرسائل وطريقة كتابتها حسب تقاليد ومراسيم كل دولة إسلامية أو كل سلطان أحياناً. وأنشأت بعض الدول إدارة خاصة بها عرفت بديوان الخاتم أو ديوان العلامة.

وقد عرفت المراسيم السلطانية بالمغرب استعمال العلامة في المراسلات الرسمية منذ القديم لكن المعلومات عن ذلك غير متوفرة بدقة، ويعتبر ابن الأحمر أهم من أرخ للعلامة السلطانية لملوك المغرب وغيرهم في كتابه *مستودع العلامة ومستبدع العلامة*. وأشار إلى أن "العلامة تكتب بقلم غليظ القطة، وهي شارة في الكتب كالشهادة الشرعية في العقود، وقد اختلفت آراء الملوك فيها ؛ فبعضهم يضعها بيده في الصك بحبر ولم يتخذ لها كاتباً كملوك الموحدين من بني عبد المؤمن بن علي، فإنهم كانوا يكتبون العلامة بأيديهم، ولم يكتبها لهم سواهم، وذلك من أولهم أمير المؤمنين عبد المؤمن إلى آخرهم أبي دبوس". وكان بنو الأحمر بالأندلس يضعون العلامة بأيديهم أيضاً. أما المرينيون فمنهم من كان يضعها بيده، ومنهم من كان يسند وضعها إلى رئيس كتبته أو كاتب علامته، لذلك اتخذ المرينيون منصب كاتب علامة السلطان أو صاحب العلامة، وقد ترجم ابن الأحمر في *مستودع العلامة* لبعض من تولى هذا المنصب.

لقد اختلفت نصوص العلامات كثيراً في الدول المغربية، ورغم عدم وجود أية رسالة أصلية من العصر المرابطي والعصور السابقة له تسمح بالتعرف على طبيعة علامات أمراء تلك الدول، فقد ذكر أن علامة يوسف بن تاشفين كانت هي "صح ذلك بحول الله". وذكر مؤلف *الحلل الموشية* أن علامته كانت أيضاً هي "الملك والعظمة لله". أما بنو غانية خلفاء المرابطين بالأندلس فكانت علامة محمد بن إسحاق بن غانية منهم هي "وثقت بالله".

تبنى الموحدون من بداية دولتهم إلى نهايتها علامتهم المشهورة والتي نصها "والحمد لله وحده"، ومستندهم في ذلك حديث نبوي وردت فيه هذه الصيغة، أما أول استعمال للحمدلة في العلامة فكان على يد الفاطميين الذين كانت علامة الخليفة الظاهر منهم "الحمد لله شكراً لنعمته". وقد خلد بعض الشعراء علامة الموحدين في أشعارهم، مثل الشاعرة الأندلسية حفصة بنت الحاج الركوني التي خاطبت الخليفة يعقوب المنصور الموحدي بقولها :

| | |
|---|---|
| يا سيد الناس يا من | يؤمل الناس رفده |
| امنن علي بصـــك | يكون للدهر عدة |
| تخط يمناك فيـــه | والحمد لله وحده |

وخاطب الكاتب الشاعر محمد بن مرج كحل الخليفة محمد الناصر بن يعقوب المنصور عند قفوله من فتح إفريقية بقوله :

| | |
|---|---|
| ولما توالى الفتح من كل وجهة | ولم تبلغ الأوهام في الوصف حده |
| تركنا أمير المؤمنين لشكـــره | بما أودع الســـر الإلهـــي عنـــده |
| فلا نعمة إلا يؤدي حقوقهـــا | علامـــتـــه والحمد لله وحـــده |

ظهرت صيغ متعددة للعلامات لدى الدول التي أعقبت الموحدين، فالحفصيون الذين شكلوا استمراراً للموحدين في جميع تقاليدهم ورسومهم أصبحت علامتهم "الحمد لله والشكر لله". أما محمد ابن يوسف بن هود الثائر على الموحدين بالأندلس فكتب في علامته "توكلت على الله".

وبالنسبة للمرينيين ميز ابن الأحمر بين العلامة التي كان السلاطين المرينيون يكتبونها بأيديهم ونصها "وكتب في التاريخ المؤرخ به"، وبين العلامة التي بخط يد صاحب العلامة ونصها "وكتب في التاريخ". واتخذ ملوك بين الأحمر أيضاً جملة "ولا غالب إلا الله" علامة لهم، ثم استعملوا علامة "وكتب في التاريخ" تقليداً للمرينيين، وأيضاً علامة "صح هذا".

وكما اختلفت نصوص العلامة، اختلفت التقاليد السلطانية في مكان وضعها، فبالنسبة للختم النبوي فكان يوضع بأسفل الرسائل النبوية جهة اليسار، كما توضح ذلك الرسائل التي وصلتنا، لكن الدول السلطانية المغربية المتتابعة لم تحافظ كلها على هذا التقليد، ففي بعض الوثائق كانت تكتب في الأعلى بعد البسملة كما فعل الموحدون الذين خالفوا التقاليد السلطانية في كثير من رسومهم وقلدهم المرينيون في ذلك مدة، لكنهم رجعوا إلى كتابة علاماتهم أسفل الرسائل بعد الفراغ من الكتابة كما فعل المرابطون من قبل.

ومنذ العصر السعدي عرفت المراسيم السلطانية ظهور نوع جديد من العلامات هي عبارة عن توقيعات بأسماء السلاطين بطريقة مستوحاة من الطغراء التركية لكن بخصوصيات مغربية واضحة، ووجد في بعض الرسائل توقيع السلطان عبد الملك السعدي بالخط اللاتيني، ثم ما فتئ أن نقشت توقيعات السلاطين على أختام بيضاوية الشكل شديدة الزخرفة، أصبحت توضع بأعلى الرسائل بعد البسملة.

ومنذ العصر العلوي اختفى التوقيع من الطابع وحل محله اسم السلطان مع بعض الشعارات الدينية، وكان يوضع دائماً بأعلى الرسائل بعد الحمدلة.

وظلت العلامة في التقاليد المغربية إلى اليوم في توقيعات العدول أو الموثقين، وتعرف في بعض المناطق بالبخوشة، وهي عبارة عن توقيع معقد يختص به كل عدل يوقع به الوثائق التي شهد عليها، تلافيا لتزويره من طرف عدل آخر.

ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت، دار الفكر، 1981 ؛ أبو الوليد بن الأحمر، *مستودع العلامة ومستبدع العلامة*، تح. م. بن تاويت التطواني وم. التركي التونسي، تطوان، د. ت. ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، تح. زمامة وزكار، الدار البيضاء، 1979.

محمد المغراوي

**العلج**، أسرة فاسية عريقة ولو أنه لا يعرف أصل تسميتها إن كان جدهم من علوج المغرب أو الأندلس ممن اعتنقوا الإسلام في فترة معينة. وهم أهل مروءة وديانة وحرفة وثروة وفي القرن الثالث عشر (19 م) سُمي بعضهم "العلج" لكونه كان رومياً مسيحياً فهداه الله إلى الإسلام. منهم :

**العلج، البشير** محمّد العلج المعروف اختصاراً باسم "البشير العلج"، فنّان ممثّل مسرحيّ، وإذاعيّ وسينمائيّ، وتلفزيونيّ، ذاعت شهرتُه بالخصوص في مدينة الدار البيضاء بالمغرب قُبَيْلَ اندلاع الحرب العالميّة الثانية، وارتفع صيته طيلة الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين الميلاديّ. كان ممثّلاً مقتدراً ومسيّراً موفقاً لأفراد مجموعته التي تجلّى نشاطها في تمثيليّات ترفيهيّة عبر المحطات الجهويّة للإذاعة المغربيّة بالدار البيضاء اسبوعيّاً رفقة الكفاءات المسرحيّة الشعبيّة التي كان على رأسها الثّنائيّ المغربيّ الممتع : بوشعيب البيضاويّ والحبيب القدميري، وكان هذا النشاط الذي استمرّ أعواماً قبل استقلال المغرب وذلك بعد نشاطه الفنيّ الآخر للمسرح والموسيقى والغناء ضمْنَ فرقة "كواكب المغرب" مشاركة مع الملحّن المغني المميَّز المعطي المرجاني البيضاوي. وللبشير العلج فضلٌ كبير في ترسيخ فنّان الكمان وزعيم فن موسيقي العيطة محمّد قيبّو ـ المعروف باسم "الماريشال قيبّو" ـ فكثيراً ما يُشْرِكه في هزليّاته المسرحيّة على خشبة المسارح وفي الإذاعة عازفاً مبدعاً إلى جانب الفنّان المبدع البارز بوشعيب البيضاوي المذكور.

وأوّل ما عُرِفَ البشير العلج ممثّلاً ماهراً كان في فرقة مسرحيّة تحمل اسم : "فرقة الهلال التمثيليّة" التي أنشأها محمّد الهرابلي في مدينة فاس وسرعان ما انتقل باسمها إلى الدار البيضاء، التي ظلّت من أواخر العشرينات حتّى مطلع الأربعينيات تستقبل في أبّهة وترحاب الفرَقَ المسرحيّة المتعدّدة القادمة إليها من مدن فاس والرباط وسَلا. وسواها، وكذا من البلاد المصريّة.

وكان البشير العلج، في مطلع تعاطيه المسرح، متخصّصاً في الأدوار النسوية نظرا إلى خلُوِّ المسرح المغربيّ عند قيامه من العناصر النسويّة.

ولعلّ أوّلَ "تصوير" كتابيّ عن الفنّان الصاعد البشير العلج هو الذي سَجَّله عنه عمر برّادة ـ أحد مؤيّدي الحركة المسرحيّة قديماً فقد كَتَبَ في جريدة كانت تصدر في مدينة سلا باسم "الوداد" في عددها 121 المؤرّخ بيوم الثلاثاء 28 شوال 1360 موافق 18 نوفمبر 1941 (عيد العرش) فقال :

"وما قولنا في صاحب علبة السجاير ؟ ـ ذلك هو البشير العلج، الذي أُوتيَ الموهبة من بابي درب "الجبَّاص" وهو شابّ يتوقّد حماساً، وما سبق له أن درس في مسجد أو قَبَضَ على كرّاس، ومع ذلك نجده يحسن الكتابة ويتوفّق في وضع أسلوبها، إلاّ أنّه مولع بمشاهدة الأفلام، ولذا تراه يعرف أسماء الممثلين والممثّلات ورجال المسرح في الشرق والغرب، وميزته الوحيدة أنه يحسن كلّ دور عهد به إليه. يجيد تقليد المرأة في الحركات والسكنات. وإن فاتكم شيءٌ فلا يفوتكم أنّ البشير، أو صوت البشير، كم سَبَّبَ من السهرات".

واستطراداً نقول إنّ مصطلح "التمثيل" هو الذي كان منذ العشرينيات وحتّى أواسط الخميسنيات يطلق على فنّ "المسرح" في المغرب اقتداءً بما كان رائجاً بالمشرق فيما قبل. وكان هذا الفنّان متواضعاً بالرغم من الشهرة التي أدركها. وعندما فُتِحَ مركز التمثيل العربيّ في الدار البيضاء خلال شهر يناير 1952 كمدرسة لتلقين قواعد الإلقاء العربيّ والتشخيص المسرحيّ كان البشير العلج مبادراً إلى الالتحاق به إلى جانب العديد من التلاميذ والتلميذات. وفكان لحضوره لبضعة أسابيع صدى التقدير والإعجاب. وعندما أنشأت مصلحة الشبيبة والرياضة فرقة مسرحيّة سنة 1954 التحق بها فنّاناً في الرباط مُقَابِلَ أجرة شهريّة بالقطعة وكُلِّف بتدوين مجموعة من الحكايات والخرافات الصالحة لأنْ تُحَوَّلَ سكيتشات، وكان في الوقت نفسه قد أمْسَى مُقدّماً لسهرات تمثيليّة في بعض القاعات السينمائيّة بالدار البيضاء مع مجموعته الشعبية ويحصل مقابلها على مداخيل ماليّة جيّدة، وهذا ما حمله، بعد بضعة شهور، على الانقطاع عن العمل مع الشبيبة والرياضة.

وفي سنة 1955 اختير، إلى جانب عدد من الفنّانين المصريّين والجزائريّين والتونسيّين والمغاربة للمشاركة في تصوير الفيلم المغربيّ المصريّ المُمَوّل فرنسيّاً "طبيب بالعافية"، وذلك بعد ما سبق له ـ قديماً ـ الإسهام في أفلام سينمائيّة بين مطوّلة وقصيرة.

وعند قيام التلفزة المغربيّة التجاريّة "لا طلما" في الدار البيضاء خلال موسم سنتي 1954 . 1955 كان البشير العلج من بين الفنّانيم المغاربة المشاركين في إحياء البرامج المسرحيّة لهذه التلفزة مع مجموعته التمثيليّة، كما أنّه، من جهة أخري، شارك على مدى شهور متوالية من سنتي 1957 و1958 في سلسلة الجولات التمثيليّة الموسيقيّة الغنائيّة

المتنوّعة التي نَظّمتها الإذاعة المغربيّة احتفاءً بزمن الحريَّة والاستقلال للمغرب، في برنامجين عموميّين : "اضحك وغنّ" "وسهرة معكم" وكان نجاحه كمنشّط نجاحاً كبيراً.

وكما كان البشير العلج ممثّلاً ومسيّراً ومنشّطاً، كان مؤلّفاً لتمثيليات مجموعته الفنيّة، وكان ينظم كلمات الأغاني لبعض الملحّنين والمغنين.

والبشير العلج متأصِّل عن عائلة العلج الفاسيَّة، وكان والده قدْ هَاجر إلى بلاد السينغال تاجراً، وعندما انتهت حركته التجاريّة هناك، عاد إلى المغرب حيث استقرَّ بالدار البيضاء.

توفي الفنّان البشير العلج فجأة، خلال شهر يونيو 1962، وقد أبّنه كاتب هذه السطور في ذكراه الأربعين التي أقيمت بإحدى القاعات السينمائية في الدار البيضاء، ونشرت صحيفة "صوت المغرب" الصادرة عن دار الإذاعة والتلفزيون للمملكة المغربيّة نصَّ ذلك التأبين في عددها ليوم 27 يوليوز 1962، كما أبّنه آخرون في نفس تلك المناسبة.

ع. شقرون، *فجر المشرح العربيّ بالمغرب*، تونس، 1988 ؛ حياة في *في المسرح*، الدار البيضاء، 1997.

عبد الله شقرون

**العلج، الحسين** قائد من العلوج يقول الناصري إن أصله من جنوة، ويقول اوخيدا Ojeda أنه كان من مقدونة، في حين يقول فرانشي Franchi إنه من رغوسة ؛ كان قائد خيالة الشراگة وقد قاد الجناح الايمن في معركة وادي المخازن بجانب السلطان، مولاي عبد الملك.

أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1954، ج 5، ص. 83.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian* (*S.I.H.M. France* I, p. 575-627), p. 548 ; J. Franchi Consetaggio, *L'union du royaume de Portugal a la couronne de Castille.* (*S.I.H.M.) France* t, p. 506-574) ; José Marie de Murga, *Recuerdos marroquies del moro vizcaino, Bilbao 1868*, Madrid 1906, Barcelona, 1907

**العلج، رضوان** من العلوج البرتغاليين كان مع السلطان مولاي عبد الملك قائداً مكلفاً بتموين الجيش حسب فرانشي Franchi أو بصفته حاجباً كما يؤكد كل من الافراني والناصري ؛ في حين يقول كروث Cruz إنه كان يقوم مقام السلطان مولاي عبد الملك بمراكش بدليل أنه هو الذي دافع عن قصبة المدينة المذكورة وحال دون احتلالها من طرف المتوكل عندما سقطت المدينة بيده في شهر ذي الحجة 984 / مارس 1577 ؛ وفي هذا العدد نتوفر على الرسالة التي وجهها القائد المذكور من مراكش إلى گارتيا گاثپارو Garcia Gazparo يوم 18 جمادى الثانية 985 / 2 سبتمبر 1577.

وقد شارك هذا القائد في معركة وادي المخازن حيث يقول كل من الافراني والناصري أنه هو الذي كان يصدر الأوامر وكأنها صادرة عن الملك عبد الملك بعد وفاته.

ومما يدل على شهرته الكبيرة أن الكاتب الروائي الاسباني لوپي ذي فيگا Lope de Vega يذكره في روايته التي تحمل عنوان : Tragedia del Rey Don Sebastian (مأساة الملك ضوت سيباسطيان).

م. الصغير بن محمد الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، الطبعة الثانية، الرباط، بدون تاريخ ؛ أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا لأخبار دول الأقصى الأقصى*، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1954، ج 5، ص. 80 ـ 87.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian*, (*S.I.H.M.* France I, p. 575-627), p. 590 ; J. Franchi Consetaggio, *L'union du royaume de Portugal a la couronne de Castille. (S.I.H.M.) France* t, p. 506-574), p. 535 ; Cruz (Fr. Bernanrdo da), *Chronica de El Rei don Sebastian*, Lisboa 1837 y 1903 ; Queiroz Velloso, I. M. de. *Don Sebastian* (Traduccion Española por Ramon de Garcia sol), Madrid 1943, p. 289.

محمد ابن عزوز حكيم

**العلج، السلاوي** علج هولندي الأصل اسمه الحقيقي (Salay Mijner)، التحق بصفوف الأسطول الجهادي السلاوي خلال العهد الدلائي. وقد تعرض في سنة 1064 / 1654 لهجوم مفاجئ من السفن الهولندية أثناء عودته من موسمه بمحتويات غنائمه ؛ ورغم العلاقات الجيدة الهولندية ـ الدلائية استولت إحدى القطع على خمسة أسرى مسيحيين من سفينته، قدرت قيمتهم بخمسمائة ريال.

*S.I.H.M.*, 1e s, Pays-Bas, t. v, p. 501.

حسن أميلي

**العلج، سليمان** اسم اتخذه الإسباني القرطبي فيرناندو ذيل پُوثُو Fernando del Pozo. الذي سقط اسيرا بيد قراصنة مغاربة فاعتنق الإسلام وأصبح من القواد العلوج الذين كانوا يحرسون باب السلطان عبد الملك السعدي، وقد رافقه في معركة وادي المخازن.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian*, (*S.I.H.M. France* I, p. 575-627) ; José de la Torre, El *renegado Cordobes SOliman del Pozo y la batalla de Alca zarquivir, Bol. Real Academia Ciencias de Cordoba*, Año XVI, n 52, Enero / Marzo 1945, p. 47 - 65.

**العلج، شعبان** قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان المتوكل ثم فر إلى مدينة أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال، ومنها التحق بالأمير مولاي الشيخ ابن السلطان المذكور بلشبونة. ظل بجانبه إلى أن اعتنق هذا الأخير دين الضلال.

*Archivo General de Simancas* (España) ; *Colección de documentos inéditos para la historia de España* (Codoin), Madrid 1842 - 1895.

**العلج، الطّبيبي**، قائد من العلوج البرتغاليين كان بجيش السلطان عبد الملك السعدي يقوم بمهمة الترجمة وشارك في معركة وادي المخازن.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice*

*jornada del Rey Don Sebastian*, (*S.I.H.M. France* I, p. 575-627), p. 619.

محمد ابن عزوز حكيم

**العلج، عبد الرحمن**، فرنسي الأصل، من أسرة نبيلة تدعى دوستلي، كان سنة 1849 ضابطاً مهندساً بالجزائر، ففشل في مغامرة غرامية اضطر بعدها إلى الخروج إلى تونس ثم إلى المغرب، أسلم وحسن إسلامه وسمى نفسه عبد الرحمن، نزل بمدينة العرائش وعاش بها خفي الحال، وفتح معملاً لصنع الصابون ومواد أخرى وكان يذهب إلى طنجة للتجارة، فأُخبر به السلطان المولى عبد الرحمن فاستدعاه إلى مكناس وعهد إليه بترصيف طريق فاس وأغدق عليه العطايا وألزمه بمصاحبة، ثم ازدادت مكانة المترجم وحظوته عند السلطان محمد بن عبد الرحمن، فكان يطلعه على دواخله، وزوجه بامرأة من دار المخزن فولدت له ولدين.

كان المترجم ماهراً في الرياضيات فانتفع به فيها المهتمون بذلك ومنهم الرياضي إدريس بن الطايع العلوي (ت. 1322).

قام المترجم بخدمات جلّى، منها بناء مشور فاس، وباب بوجات، وحوّل مجرى وادي فاس الذي كان يمر تحت حيطان المنزه السلطاني، وبني قناطر الطريق الموصلة من فاس إلى مكناس، وقنطرة واد مكّس. وكان أيضاً خبيراً بصنع الساعات الشمسية، يسطر الرخامات ـ حسب القوانين الفلكية، لمعرفة الأوقات بظل الشاخص فيها، وهي من أقدم الآلات التي استخدمت في تقسيم الوقت، من اختراع البابليين أو اليونانيين، فصنع وركب عدداً من هذه الساعات داخل القصور الملكية.

وفي عهد الحسن الأول أسندت إلى المترجم أمور المدفعية، وكلفه السلطان بمراقبة حساباته، وأنعم عليه بسكنى المامونية بمراكش.

توفي بفاس سنة 1296 / 1879 ودفن بمقبرة باب المحروق بين المسلمين.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2665 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ط 2، الرباط، 1977، ج 8 : 144 . 146 ؛ نقلا عن *رحلة الوزير* المفوض الفرنسي بالمغرب هـ. دولامارتنيير.

محمد حجي

**العلج، عبد القادر** (الحاج -) بن **محمد** الفاسي، من آل العلج المعروفين بفاس، ومن رواد الحركة الوطنية، عمل في صفوف كتلة العمل الوطني، وبعد انتشقاق الكتلة انحاز إلى فريق الأستاذ محمد حسن الوزاني، فكان في طليعة السياسيين القوميين الذين لا تلين قناتهم، صديقاً حميماً للزعيم الوزاني لا يكاد يفارقه وشارك في الأحداث الوطنية الكبرى فدخل السجن أكثر من مرة، وعذب على كبر سنه لصلابته في الحق.

توفي بفاس صباح الخميس 22 رجب عام 1379 / 21 يناير 1960.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3346 ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، د. ن، ج 4 : 119.

محمد حجي

**العلج، عبد القادر** المدعو قدور. ايطالي الأصل، هداه الله للإسلام فدخل مدينة فاس "وأخذ يبيع شراب القهوة بأحد حوانيت السبيطريين، ثم أراد الانتقال من فاس لطلب المعاش لكنه رجع عن فكرته بأمر من بعض الأولياء في وقته، فاشتهر أمره في الطب ووقع عليه إقبال عظيم.

أصابه العمى فعالج نفسه نحو ستة أشهر، وازداد الإقبال عليه فكان المريض لا يمكنه الاتصال به إلا بعد مدة لكثرة الازدحام عليه.

توفي بفاس عام 1280 / 63 . 1864.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2624.

محمد ابن عزوز حكيم

**العلج، عبد الله** الألماني، اسمه الأصلي شنايتمادل (ريشارد -) R. Schneitmadel . كان سنة 1871 مستخدماً بالقصر السلطاني بعد هروبه من اللفيف الأجنبي والتحاقه بالمغرب واعتناقه أو تظاهره باعتناق الدين الإسلامي. وكان قبلها سنة 1868 مكلفاً بعصر السكر بمراكش وكذلك بمعمل القطن. وكان عميلا لدولته التي لم ترد الدخول في مذاكرات معه سنة 1877 لأنه كان مأموراً بتتبع نشاط الأروبيين ولاسيما الفرنسيين. ويروى أنه اخترع كيراً كبيراً "عجيب الصنع، غريب الشكل" وكان يدعى "معلم الفابريكة" الذي أراد قبل سنة 1871 مغادرة مراكش حتى "عيل صبره، واستبطأ الجواب وطلب الإذن للتوجه لثغر الصويرة بقصد المقام بها"، ولم يتأن ففر في السنة المذكورة تاركاً المعمل و "كل مسألة يخصها حاجة قد أخفاها العلج المذكور لما تشاجر مع القائد إبراهيم الكراوي عامل القصبة بمراكش على المؤونة التي انقطعت عنه حتى وقع في الفابريكة تفريط" فأمر مولاي الحسن بالاحتيال عليه حتى يظفر به ويؤمر برد ما أخفاه".

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1458 . 1458 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 3 : 556 . 560.

Pierre Guillen, *L'Allemagne et le Maroc, 1870 - 1905*, p. 26, Paris, 1967.

مصطفى بوشعراء

**العلج، علي** قائد بجيش السلطان المتوكل كان بجانبه عند ما لجأ إلى قصبة أسنادة بقبيلة بني يطّفت الريفية في شهر رمضان 985 / نوفمبر 1577، وقد شارك بجانب السلطان المذكور في معركة وادي المخازن.

San Roma, Fr. Antonio de, *Jornada y muerte del Rey Don Sebastian*, Valladolid, 1603 ; Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica de El Rei Don Sebastian*, Lisboa 1837 y 1903.

محمد ابن عزوز حكيم

**العلج، عمر** من رياس البحر الأوائل البارزين في عهد سيدي محمد بن عبد الله، وهو علج برتغالي الأصل سافر قبل إسلامه إلى البرازيل وهو ما جعله خبيراً في الميدان الملاحي حيث نال الحظوة لدى السلطان بفضل ذلك. وكان متصفا بالشجاعة والإقدام، وإتقانه للغات متعددة.

كان في سنة 1180 / 1766 يقود سنبكا مجهزا ببطارية من ستة عشر مدفعا وبطاقم مؤلف من مائة وأربعة وعشرين رجلا. وقد تمكن في أبريل من السنة اللاحقة من السيطرة على السفينة الفرنسية "La Thérése" وقادها إلى تطوان، وأردف ذلك باستيلائه في أقل من أسبوع على سفينتين فرنسيتين أخريين "La Mutine" و"L'Ulysse، وقاد غنائمه إلى المعمورة.

وقد أدت هذه التجاوزات إلى تدخل السفير الفرنسي الكونت دو برونيون (C. de Breugnon) الذي كان أنذاك بالمغرب للتوقيع على معاهدة السلم، دافعا السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى التبرؤ من سلوك الرايس عمر، وإلى إيفاد أمير البحر المغربي الرايس صالح والقائد علي رفقة الدبلوماسي الفرنسي بوطونييه (Pothonier) إلى المعمورة من أجل إيقاف الرايس عمر العلج ومعاقبته وإقالته من منصبه. ويشير القنصل شونييه إلى أن الرايس عمر قد أسر له حين التقائه به في الصويرة أن صنيعه إنما كان تنفيذاً لما أمر به ؛ ورغم ذلك اختفى اسم هذا الرايس من لائحة الرياس منذ سنة 1182 / 1768.

*الرئاسة*، ص. 1 ـ 2 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص. 259 . 260.
Chenier, *Journal*, op. cit., p. 58 - 60, 96-97 ; Jacques Caillé, *Les prises du Raïs Omar*, *Hespéris-Tamuda*, vol. I, 1960, p. 273 - 274, 276 - 277, 283.

حسن أميلي

**العلج، مامي** قائد من العلوج الاسبانيين كان بجيش السلطان مولاي عبد الملك وقد فر من معسكره إلى معسكر الملك البرتغالي ضون سيباسطيان Don Sebastian ليلة معركة وادي المخازن صحبة الأمير مولاي الناصر بن عبد الله الغالب والقائد الريوسو El Rapozo.

Bautista Morales, *Jornada de Africa del Rey Don Sebastian de Portugal*, Sevilla 1622 y Madrid 1889.

محمد ابن عزوز حكيم

**العلج، محمد** بن عبد الرحمان المراكشي، (سولتي الابن) لأنه ولد بمراكش سنة 1862، وكان ممن اختيروا للتعلم بالخارج، فكان عضواً في البعثة الثانية إلى فرنسا، بمدرسة الهندسة بمونبوليي من سنة 1885 إلى سنة 1888. ولما تخرج منها رجع مدة إلى المغرب، وكان من أنجب الطلاب.

غير أنه أصبح مخبراً للمفوضية الفرنسية، وكانت مراسلاته معها موجودة بقصر ڤانسين حتى اختفت منه فجأة.

ولما كان يتعلم هنالك سنة 1888 طلب اكتساب الجنسية الفرنسية التي أباها عليه شارل فيرو Ch. Feraud وزير فرنسا بطنجة، لأن ذلك كان مضراً بالبعثة كلها وتنشأ عنه تحرشات وأقاويل. ولكنه مع ذلك نالها بالفعل قبل سنة 1896، حسب رسالة سلطانية إلى الطريس ففي فقرة لا نجد أبلغ منها تعبيراً عن حالته : فهو قد تفرنس، وبدنُه تعرض للتهديد بالقتل ورفيقه قُتِل، فنتج عن ذلك قبض تعويض مالي.

قالت الرسالة إن نائب فرنسا "أجيب عن دعوى رعيتهم محمد دو سلطي (بما وقع له من التهديد بالقتل بوادي سالم من بلاد الغربية، إيالة عامل طنجة، ونجا بنفسه بعد قتل رفيقه سلام بالبارود) بتنفيذ العدة التي قيدوها في معارضة ذلك، وقدرها خمسة آلاف ريال (16 جمادى الأولى 1314 / 23 أكتوبر 1896، تطوان 20 / 30) ومن هذا يظهر أنه كان منغمراً في خدمة المصالح الفرنسية، فكان قبل ذلك مقيماً بمدينة مغنية بالجزائر بوصفه تاجراً وبها ولد له طفل أسماه جوزيف هنري بن محمد بن عبد الرحمان العلج المراكشي J. Henri de Saulty. ولم تنقطع صلته بالمغب الذي رجع إليه سنة 1912، ولما وصل إلى مراكش أسره أحمد الهبة وأسر معه جماعة من الفرنسيين.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1376 و1456 ؛ العباس بن إبراهيم، الإعلام، 2 : 454، حيث تر. عبد الرحمن العلج بقلم هنري دي لا مارتنيير ؛ *وثائق مخزنية*.

H. de La Martinière, *Souvenirs du Maroc*, 196 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 26, 4 : 96 ; Jacques Caille, *Les marocains à l'école du génie de Monpellier : 1885 - 1888*, in *Hespéris*, vol. XLI, 1954, p. 131 et suivantes.

مصطفى بوشعراء

**علاَّ** (آيت –) عمر ولد سنة 1920 بقصر كوان ملحقة ميدلت إقليم خنيفرة.

انضم لصفوف المقاومة السرية عندما تم إبعاد محمد الخامس وأسرته المالكة إلى جزيرة مدغشقر حيث شارك في عدة عمليات تخريبية لمصالح المستعمر وذلك بحكم عمله بمناجم أحولي ميبلادن، حيث تخصص مع مجموعة من رفاقه في صنع المتفجرات إلا أنه تعرض للاعتقال وحكم عليه بالسجن لمدة سنتين إلى أن جاء عهد الاستقلال.

توفي يوم 15 ـ 11 ـ 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520441.

**العَلاَّف**، ترد لفظة عَلاَّف، في المعاجم والقواميس العربية التي رجعنا إليها، قديمها وحديثها، بمعنى بائع أو صاحب العَلَف، أي كل ما تطعم به البهائم والدواب من نبات وحبوب. وعند ابن منظور أن جمع عَلَف هو عِلاَف،

مثل جَبَل وجبال. والكلمة طبعا مُشتقه من عَلَف يَعْلِفُ، ولها ارتباط وثيق بالدواب، وبخاصة تلك التي تستعملَ في الحروب، إما في خلال العمليات القتالية والمعارك كالأفراس والجياد، أو في نقل المؤن والعتادُ الحربي والذخيرة كالإبل والبغال ... وقد اتسع مدلولها ليعني الشخص الذي يَتَوَلَّى توزيع الرواتب والمؤن، ومن ضمنها قيمة مقادير علف دواب الفرسان اليومية، على فرقة أو أكثر من فرق الجيش. ثم فيما بعد، صارت تُطلق على وزير الحرب، إذ تسميه الوثائق المخزنية بالعلاف الكبير.

ويبدو أن هذه التسمية حديثة العهد في الاصطلاح العسكري المغربي، إذ لا أثر لها في عدد من مصادرنا العربية كالمعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي، أو البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي، أو مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء لعبد العزيز بن محمد الفشتالي، أو نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحدي لمحمد الصغير الإفراني ... فكل ما هناك، أن صاحب "البيان المعرب ..." قد أورد لفظة علف، في سياق حديثه عن الحملة العسكرية التي قادها الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580 ـ 595 / 1184 ـ 1199)، في مستهل شهر ربيع الأول من سنة 588 لمنتصف شهر مارس من سنة 1193 ضد مدينة شَنْتَرين الأندلسية، حيث قال :

"... وحدث في هذا اليوم (21 ربيع الأول 558)، على عسكر أهل مرسية حدث مُروعٌ، وذلك أنهم خرجوا للإغارة في بسائط النصارى، فخرجوا عليهم وهزموهم بعد حروب شديدة، ووصلوا للمحلة مهزومين مفلولين. وأخذت من دواب المسلمين خمسون ذابة خرجت برسم العَلَف ..."

وأورد الإفراني، من جهته، في مُؤَلَّفه "نزهة الحادي ..." فقرة من رسالة للسلطان عبد المالك السعدي (984 ـ 986 / 1576 ـ 1578) إلى صنوه أبي العباس أحمد، يأمره فيها بفرض مئونة المحلة التي كانت معه على قبائل المنطقة التي حطت الرِّحَالَ بها، نَصَّت على ما يلي : "... وهذا وأنه ساعة وصوله إليكم، تُخْرِجوا (هكذا) من الخُدَّام لعمالة مكْنَاسَة وَزَمُّور وأولاد جَلُّول، مَن يفرض عليهم علف مَحلتنا المنصورة ومئونتها، وتأمرهم برفعه وإبلاغه لمدينة سلا..."

وأيّاً كان الأمر، فإن اهتمام المخزن بقطاع الجيش قد ازداد وتوطَّد العزم على ضبط وترتيب أموره، بعد أن عاين الخليفةُ سيدي محمد بن عبد الرحمن الذي كان حاضراً في وقعة إيسلي في صيف سنة 1844 بضاحية مدينة وجدة، الحالة المزرية التي بَرَزت بها مختلف فصائل وتنظيمات الجيش المغربي في ميادين الوغى والقتال، إذ لا نظام ولا انضباط في القتال. ولهذا، اتجهت عناية المخزن، منذ هذا التاريخ، إلى تأسيس نواة جيش نظامي، يكون معظم عناصره من الرماة ويُكَوَّنون ويُدَرَّبون على طرق الحرب الحديثة. فكان من جملة الترتيبات والتدابير التي اتخذت في هذا الصدد، إسناد مهام توزيع الرواتب والمؤن على عناصر كل طابور من طوابير الگيش والعسكر إلى شخص أو شخصين، اصطلح على تسميتهما بالعَلاَّفَين، في حين ظَلَّ رؤساؤهم العسكريون يختصون فقط بمهام تكوينهم وتدريبهم وتأطيرهم في ميادين الحرب والقتال. وهذا كله بهدف عدم إتاحة الفرصة لهؤلاء الرؤساء للتدليس على المخزن أو التلاعب والعبث بحقوق ومصالح جنودهم على حَدٍّ سواء، وذلك إمَّا باللجوء إلى حيلة "المنفوخ"، أي استئجار خدمات أشخاص لا علاقة لهم البَتَّةَ بالجندية، وإظهارهم يوم الاستعراض، ثم الاحتفاظ برواتبهم ولوازمهم العسكرية، بعد الانتهاء من عملية العَدِّ والمُراقبة، أو باقتراف بعضهم العسف والتجاوز ضد الجنود بشَتَّى وجوهه، كالاقتطاع من رواتبهم، أو الاحتفاظ بقسطٍ من المئونة أو العلف الخاص بالدواب. واتَّضَحَ جَلِيّاً توجُّه المخزن هذا وَتَوَسَّخَت حَتْمِيَّتُه في الأذهان، بعد هزيمة تطوان سنة 1859 ـ 1860، أمام الجيش الإسباني، وذلك بإعادة النظر في تركيبة الجيش وطُرق تنظيمه وأساليب تكوين عناصره وتدريبهم. ووصولا إلى هذه الغاية، أحدث السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (1276 ـ 1290 / 1859 ـ 1873) وزارة خاصة بقطاع الجيش دُعي المكلف بها "العلاف الكبير".

ونظراً لحساسية المنصب وخطورته، فقد تولاه، أول الأمر، الفقيه عبد الله بن أحمد، أخوا الحاجب موسى بن أحمد ولمُدة فاقت العشر سنوات. ثم تعاقب على رأسه، في عهد السلطان مولاي الحسن (1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1894)، الوزير الصدر وصهر العاهل محمد بن العربي الجامعي، وبعده أخوه محمد الصغير. وأُسندت مهام "العلاف الكبير" أو وزير الحرب، أيام السلطان مولاي عبد العزيز (1311 ـ 1326 / 1894 ـ 1908) إلى كل من سعيد بن موسى، صنْو الوزير الصدر أحمد بن موسى، ثم إلى رجل المخزن الجديد في وقته المهدي بن العربي المنبهي، وبعده إلى مَحمد بن مُحمد الجَبَّاص. وأما في العهد الحفيظي، فقد أسندت هذه المهام، على الخصوص، إلى القائد المدني بن مُحمد الگلاوي.

غَنِيٌّ عن البيان أنَّ واحداً فقط من بين هؤلاء المسؤولين المخزنيين الكبار، ونَعني به الطالب مَحمد بن مُحمد الجَبَّاص هو وحده الذي تلقى تكوينا وتعليماً خَارج المغرب وله علاقة بالمهام التي أسندت إليه وأمَّا بَاقي المَذكُورين، وبالخصوص الفقيه عبد الله بن أحمد والجامعيين، فلا صلَة لهم البتة بقطاع الجيش وشؤونه.

وإليك نماذج من الكتابات المخزنية التي يرد فيها ذكر لبعض علافة الگيش والعسكر، أو للعلاف الكبير والتي نَستشف منها المكانة المرموقة التي كان يتمتع بها هؤلاء الأعوان المخزنيون لدى السلطان وكذلك في الجهاز المخزني بصفة عامة. ومن ذلك مثلا، حضور علاَّفة تنظيم گيش عبيد البُخاري بمكناس، وهم بوعزة بن العربي الفشار البُهاري، ومحمد بناصر، ومحمد بن عبد الله، وصالح بن يوسف،

وقاسم الشَّبَّار، في مراسيم عقد بيعة أهل المدينة المذكورة للسلطان مولاي الحسن، وذلك أواخر شهر رجب 1290، الموافق للعشر الأواخر من شهر سبتمبر 1873. وأمَّا المثال الثاني، فنستقيه مما خاطب به الحاجب موسى بن أحمد أخاه الفقيه عبد الله السالف الذكر، ولكن هذه المرة بصفته باشا فاس العتيق، إذ كتب ما يلي :

"... فقد اقتضى نظر مولانا أيده الله (السلطان مولاي الحسن)، أن يُوَجَّهَ على العَلاَّفَيْنِ العَسْكَرِيَّيْنِ من طبور الحاج مُبارك الحاحي، وهما المصطفى الجزيري وعبد القادر العَمَّالي، وأخْبِرْنا بأنهما بفاس، فإن كانا به، فَوَجِّهْهُما عن الأمر الشريف عزماً، وإن لم يكونا به، فإن خال مولانا السيد محمد بن العربي (وزير الحرب) كتب لقائدهما بتوجيههما ...".

وكما هو الشأن بالنسبة لعدد من المهام والوظائف في الجهاز المخزني، وكذلك في باقي القطاعات الاجتماعية والثقافية الأخرى، فإن مصادرنا تفيد أن مجموعة من الأسر، ظل أبناؤها يتوارثون، على مدى جيلين أو أكثر، منصب علاف الگيش والعسكر. فعلاوة على آل الفشار الذي أومأنا أعلاه إلى واحد منهم، هناك آل ابن هَطَّال الفاسيين والذين كانت تربطهم وآل المقرى أواصر المصاهرة، وآل إگيدر...

ابن عذاري، *البيان المعرب*، بيروت، 1985 ؛ ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تطوان، 1964 ؛ الإفراني، *نزهة الحادي*، الدار البيضاء، 1998 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، بيروت، 1994.

مصطفى الشابي

ابن **علاَّل، الحسن** بن العربي قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني توزين انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي امحمد أمزيان ضد التدخل العسكري الاسباني بناحية الناظور ؛ وقد شارك في عدة معارك إلى أن لقي الشهادة في المعركة التي جرت بقرية عزيب علال وقدور يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912) والتي استشهد فيها زعيم المقاومة الشريف سيدي امحمد أمزيان.

*أعمال ندوة الشريف امزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي (1909 . 1912)*، تطاون، 1996.

ابن **علاَّل، عبد السلام** بن العربي قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته تافرسيت انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف سيدي امحمد أمزيان ضد التدخل العسكري الاسباني بناحية الناظور ؛ وقد شارك في كثير من المعارك إلى أن كتبت له الشهادة مع زعيم المقاومة سيدي امحمد أمزيان في المعركة عزيب علال وقدور التي جرت يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912).

*أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي (1909 . 1912)*، تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

**علال** بن **عبد الله** ولد سنة 1916 في بيت متواضع الحال تشبع منذ صباه بروح العزة والكرامة فرغم فقره المادي كان من ذوي النفس الأبية والحمية الوطنية. لم يكن منخرطا في أية منظمة أو هيأة من الهيئات السياسية الموجودة بالمغرب آنذاك.

احترف مهنه الصباغة التي استهوته كعمل قار في ورشة صغيرة بحي الكعاري بمدينة الرباط حيث كان يقيم مع أسرته الصغيرة المتكونة من زوجته وولديه يعيش معهم عيشة بسيطة.

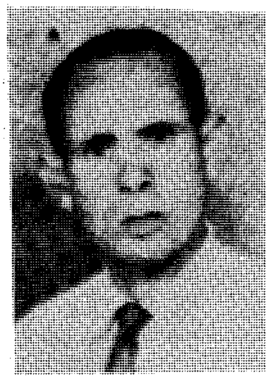

وفي خضم الأحداث التي عرفها المغرب عقب نفي محمد الخامس تحرك إيمانه القوي وحبه لوطنه وشعبه وملكه. فأقدم يوم فاتح محرم 1373 على عمل بطولي إذ هاجم السلطان محمد بن عرفة عندما كان خارجا لأداء صلاة الجمعة في مسجد أهل فاس بحي تواركة بالرباط، مخترقا الصفوف بسيارته البسيطة ومحاولا طعن ابن عرفة فتصدى له الحرس الفرنسي وأردوه قتيلا رميا بالرصاص، وكان سنه سبعا وثلاثين سنة ودفن في مقبرة الشهداء بحي لعلو بالرباط.

ابن **العلام، إدريس** بن محمد، خادم سامي، أصله عبد معتوق من عبيد البخاري. تولى قيادة المشور في عهد السلطان مولاي الحسن بعد وفاة رئيس المشور القائد محمد بن يعيش أواخر رجب 1298 / 1881، واستقر يمارس مهمته تلك في عهد مولاي عبد العزيز وكان ضليعا في المؤامرة التي حاكها الصدر الأعظم الحاجب "باحماد" ضد الجامعيين الذين كانوا مقربين من مولاي الحسن. فهو الذي قام بإبلاغ المعطي بن العربي الجامعي الصدر الأعظم إعفاءه وأخيه محمد الصغير وزير الحربية من مهامهما، وأمرهما بلزوم دارهما لأنهما طغيا في البلاد وشقا عصا الطاعة. كما وجه ابن العلام الأمر بعد ذلك لباشا مكناس حم بن الجيلالي البخاري لإلقاء القبض عليهما وصهرهما العربي الزيدي، واستئصال أموالهم ومخلفاتهم من الأثاث وبيعها.

وتقديراً لخدماته أضاف إليه باحماد عمالة مدينة فاس سنة 1318 / 1895.

وعند وفاته سنة 1317 / 1899، صودرت أملاكه وصفيت في ظروف الضائقة المالية التي انتهى إليها المخزن العزيزي،

وعومل كما لو كانت أمواله من حق سيده باعتباره كان عبدا معتوقا.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 1، ص. 378 ؛ *الإتحاف*، 2، ص. 125 . 196 ؛ *العز والصولة*، ج 1، ص. 32 ؛ م. الشابي، *النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر*، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1995، ص. 66 . 116 . 132.

رقية بلمقدم

**العلاوي، محمد** ولد سنة 1910 بدوار أولاد أليو بتافو غالت.

يعتبر الفقيد من الرعيل الأول لرواد الحركة الوطنية الذين شاركوا في الكفاح الوطني ضد الاحتلال حيث انخرط في حزب الاستقلال واكتسب وطنية صادقة أهلته لتحمل عدة مسؤوليات داخل الخلايا التي انخرط فيها كما شارك في انتفاضة 17 غشت 1953 التي شهدتها مدينة تافوغالت حيث تم اعتقاله من طرف السلطات الاستعمارية ليقضي مدة سنتين بالسجن.

توفي يوم 13 دجنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523227.

**عَلُّوش**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alux.

**علوش،** (الحاج) **أحمد** بن أحمد كان من بين أعيان تطوان وتجارها الذين بايعوا الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 (17 مارس 1821).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1181.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **علّوش، أحمد** ولد سنة 1925 بتالمست اهروشن إقليم تازة وكان يسكن قبل الوفاة بدوار تالمست.

انضم إلى صفوف جيش التحرير في أكتوبر 1955 وعمل ضمن التشكيلة التي كان يرأسها محمد بن علال بمركز بوزينب إلى أن استشهد رحمه الله يوم 15 أكتوبر 1955 بعدما اصيب بطلقات مدفعية من العدو الاستعماري ببوزينب بتازة رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504546.

**علّوش، محمد** عيسى، ولد سنة 1925 بأسفين نواحي الحسيمة انضم لصفوف جيش التحرير بالشمال سنة 1955 وشارك في عدة عمليات فدائية إلى جانب رفاقه في تشكيلة الكفاح في سبيل الوطن إلى سنة 1956، وقد عرف الشهيد بقوة عزيمته وصموده في وجه المستعمر إلى أن ظفر بالشهادة في بني ونجل وذلك سنة 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 406134.

**علّوش، محوش** بن عبد القادر، ولد سنة 1920 بدوار تيناست فرقة أولاد احساين قيادة بني عمارت إقليم الحسيمة، كان متزوجا وأبا لثلاثة أبناء، عاش في مسقط رأسه، وكان فلاحا متواضعا لينضم بعدها إلى الجيش الاسباني ثم تخلى عنه بعدما اكتسب خبرة واسعة في صفوفه وتدرب على ألوان الحرب والنزال وعلم بنوايا الاعداء ثم عاد إلى مسقط رأسه وإلى مهنته الأولى.

انضم إلى صفوف جيش التحرير بمركز "الماعلي" يوم 2 أكتوبر من سنة 1955 وعمل بالوحدة التي كان يرأسها العباس ضمن تشكيلة الغرب تحت قيادة محمادي امعيز، وبحكم عمله في صفوف الجيش الاسباني اطلع على تقنية استعمال السلاح الحديث مما سمح له بأن يدرب رفاقه في جيش التحرير على حرب العصابات وأفادتهم من الخبرة التي اكتسبها.

خاض الشهيد معارك متعددة في صفوف تشكيلته مسلحا برشاشة وعرف بالبسالة والشجاعة إلى أن استشهد بمعركة البربر يوم 17 أكتوبر من سنة 1955 واهباً روحه في سبيل الحرية والاستقلال رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520845.

ابن **علّوش، مسعود** ولد سنة 1900 بدوار الماعلي.

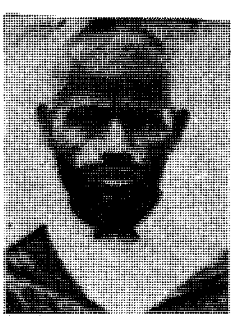

انضم الشهيد يوم فاتح أكتوبر 1955 إلى صفوف جيش التحرير ضمن التشكيلة التي كان يرأسها محمد بن علال بمركز بوزنيب حيث شارك في عدة هجومات إلى أن استشهد يوم 17 أكتوبر من نفس السنة التي التحق فيها بجيش التحرير وذلك إثر اصابته برصاص جنود العدو في معركة وقعت بجبل عونا بإقليم تازة رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504519.

**علّوش، مفتوح** ولد سنة 1912 بجزناية إقليم تازة.

انخرط في صفوف جيش التحرير منذ انطلاقته سنة 1955 ضمن فرقة مركز اسويل وبورد تحت قيادة عبد القادر اقوضاض شارك في عدة هجومات إلى جانب المجاهدين منها هجوم بورد يوم ثاني أكتوبر 1955 وهجوم اهرا شن.

وقد وافته المنية رحمه الله بتاريخ 14 / 3 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504652.

**العلّوفي، عمر** بن **سليمان** مؤسس الطائفة اليوسفية بالمغرب خلال الربع الأول من القرن 10 / 16، وهي طائفة صوفية تسللت من الطريقة الراشدية، واشتهرت فيما بعد بطائفة العكاكزة. تذكره السيرة المفردة في الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524)، والمصنفة من قبل محمد الصباغ القلعي ما بين 952 و962 / 1545 و1555، والموسومة "*بستان العارفين الأزهار*". وتقرن ذكره بوالد المؤلف الشيخ محمد بن معزة، وتجعله من أعيان الطبقة الراشدية الأولى، ومن المقربين من الشيخ الراشدي، ومن صحبه الذين كانوا يقضون الليل في بيته، وذلك في قرية مصراتة المجاورة للقلعة من البلاد الراشدية بالمغرب الأوسط.

وتتفق هذه الإشارة الواردة بهذه السيرة المبكرة مع الروايات الشفوية المتأخرة والمتواترة بالقبائل المغربية التي ظلت على النحلة اليوسفية إلى مطلع القرن 14 / 20، والتي يجمع أهلها على تباعد ديارهم على أن اسم متبوعهم هو عمر بن سليمان، ويتعارفون فيما بينهم بكونهم خدامه، ويجعلون اسمه كلمة السر التي بها يتعارفون، للتقية التي دأبوا عليها منذ نكبتهم في مطلع القرن 12 / 18. ويتفرد فريق منهم بتلقيبه بالعلوفي، وهو اللقب الذي يذكره به المؤلف المجهول لكتاب "تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين"، والذي عاش في المغرب أواخر دولة السعديين.

وباستثناء كتاب "التبصرة" فإن بقية المصادر المغربية التي اهتمت بالطائفة اليوسفية خلال القرنين 10 و 11/ 16 و17 تذهب إلى القول إن اسم شيخها هو أحمد بن عبد الله، وتلقبه بالمنزول أو المنزولي. فهل نحن بصدد اسمين لشخصين مختلفين، أم نحن بصدد شخص واحد أضاف اسما منتحلا إلى اسمه الحقيقي ؟

تعرف الطوائف المغربية في الغالب بأسماء مشايخها ومؤسسيها، ولو سلك شيخ اليوسفية نفس المسلك، ونسب شيعته إلى اسمه، لأفادنا في ترجيح كفة أحد الاسمين. لكنه لم يرض لطائفته باسم غير اسم الطريقة الراشدية التي ينتسب إليها، والتي تعرف أيضاً باسم الطريقة اليوسفية نسبة إلى سلف شيخه أحمد بن يوسف الراشدي. ومادام استبدال الأسماء والألقاب الحقيقية، والانسلاخ عن الأنساب الأصلية، مسألة مشهورة في سير منتحلي المهدوية. ومادام شيخ اليوسفية قد ظهر في معاصريه بهاته الدعوى، فيمكننا الافتراض بأنه قد انتحل اسم أحمد بن عبد الله ليصدق عليه الحديث "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي". كما أن لقب المنزول أو المنزولي الذي اتخذه ليس غريباً عن المهدوية القائمة على فكرة الظهور بعد ترقب وانتظار، ذلك أن هذا اللقب يقصد به النزول الذي له معنى قريب من الظهور.

وتعد قبيلة الزكارة القاطنة بنجود المغرب الشرقي، وهي أكبر المراكز اليوسفية المتأخرة، مصدر الروايات الشفوية المتعلقة بسيرة عمر بن سليمان. وتتوارث هذه الروايات طائفتان متنافستان على الرئاسة الروحية بهذا القبيل، وهما طائفة "أولاد سيدي أحمد بن يوسف" حفدة مؤسس الطريقة الراشدية، وطائفة "الرسمة" أحفاد مؤسس الطائفة اليوسفية. وتتباين هذه الروايات وتتناقض تبعا لتنازعهما وتنافرهما : وينسب حفدة الشيخ الراشدي تلميذه عمر بن سليمان إلى وطن بني راشد من المغرب الأوسط، ويقولون بنشأته على دين اليهودية، ويفخرون بإسلامه على يد جدهم، ويحملونه مسؤولية الانحراف الذي حاق بالطريقة الراشدية، والمتمثل في البدعة اليوسفية التي جاء بها. أما الرسميون فيقولون إنه جدهم الأعلى، وأنه من شرفاء المغرب الأقصى، ويحرصون على رق غزال يرفع نسبه إلى إدريس الأكبر، ويذكرون بأنه قد بنى بإحدى بنات أو حفيدات شيخه أحمد بن يوسف، ويجعلون ضريحه بقصبة شراعة من قبيلة تريفة.

وقبيلة زكارة ليست الوطن الأصلي لعشيرة الرسميين، الذين يزعمون أنهم خلف طائفة صوفية أندلسية. ولا يعلم متى طرأوا على بني عتيق في بني يزناسن، واستقروا بالموضع المسمى تغاسروت، وهو المحل المسمى اليوم تزغين قرب أبركان. وبنو عتيق لم ينظروا بعين الرضى إلى هؤلاء الطارئين المنتحلين لعقائد أنكروها، وقد كافحوهم وراموا استئصال شأفتهم. ولم تنج منهم إلا فئة قليلة فرت إلى فرقة أولاد محمد من قبيلة الزكارة، الذين ينتسبون إلى الطائفة اليوسفية، فاستضافوهم وأكرموهم واتخذوهم متبوعين، لاتصال نسبهم بمؤسس الطائفة اليوسفية الشيخ عمر بن سليمان. وقد تم هذا النزوح إما في القرن 12 / 18، وإما في مطلع القرن 13 / 19.

وتفيد رواية الرسميين في بناء جملة من الفرضيات المتعلقة بسيرة جدهم صاحب الترجمة : فإذا سلمنا بكونهم حفدته وخلفه، وهو الأمر المقطوع به من لدن بعض خدام الشيخ عمر بن سليمان، وهم الغنانميون القاطنون بين مراكش وتامصلوحت، فهذا يساعدنا على تحديد موطن استقراره بعد خروجه عن الشيخ أحمد بن يوسف، ويدفعنا إلى التساؤل إذا

ما كان هذا الموطن مسقط رأسه ووطن عشيرته ؟ وهل شكل المجال الجغرافي الممتد من قصبة شراعة من قبيلة تريفة شمالا إلى فرقة أولاد محمد من قبيلة الزكارة جنوبا، مرورا بموضع تزغين من بني عتيق، موقع تأسيس الزاوية اليوسفية الأم، ومجال نفوذها في حياة مؤسسها الشيخ عمر بن سليمان.

وينازع بعض أتباع الشيخ عمر بن سليمان طائفة الرسميين في اختصاصهم وامتيازهم بصلة الدم له، ويقولون بانتهاء نسبهم إليه أيضاً، وبانحدارهم من صلبه، وهؤلاء هم قبيلة بني مسحن الواقعة ببلاد غياثة. وتؤكد روايتهم المكانة الرفيعة والحظوة الكبرى التي كانت لجدهم عمر بن سليمان لدى شيخ الطريقة الراشدية، وتذهب إلى القول بملازمته له طيلة حياته، وانه لم يغادر المغرب الأوسط إلا بعد وفاته، وتنسب إليه فكرة شد نعش شيخه الراشدي إلى ظهر بغلة، ودفنه حيثما تقف.

م. الصباغ، *بستان العارفين الأزهار*، 59 ؛ مجهول، *تبصرة الرئيس الأمين*، مخ خاص ؛ ق. الورطاسي، *بنو يزناسن*، 93 ؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب*، 285 ـ 299.

A. Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, t. I, 174 ; Monsempes, *Contribution à la connaissance d'une tribu*, 27 - 28 ; E. Doutté, *Merrâkech*, 368, n 1 ; *Magie et religion*, 46 - 48 ; Id, En tribu, 331 ; E. Dermenghem, *Le culte des saints*, 238 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*, 187.

عبد الله نجمي

**العُلَّيق**، يطلق اسم العلِّيق بالعربية أو سَرْمُو بالأمازيغية على عدة أنواع من النباتات المتسلقة كالتوت الشوكي أو السَّتِّيف (انظر سَتِّيف) واللبلاب أو اللواية (انظر لواية).

أما في هذه المادة فسنتطرق إلى سْميلاكْسْ أسْبيرًا Smilax aspera الذي ينتمي إلى فصيلة الزنبقيات Liliaceae.

إنه نبات متسلق شوكي ذو سيقان متعرجة ومضلعة وحاملة لأشواك. أوراقه صلبة، لامعة، جرداء. قلبية الشكل، ذات أعناق تحمل في قاعدتها مِحْلاَقا واحداً أو محلاقين يمكنان النبات من التسلق. ازهراراته عنقودية. أزهاره ضاربة إلى الاخضرار. ثماره عنبية حمراء.

يصادف النوع في كل المناطق المغربية ذات البيومناخات شبه الرطبة والرطبة وشديدة الرطوبة، الموجودة في الطابق المتوسطي الدافئ. وهو يحبذ الأتربة الغنية والسميكة.

من حيث الاستعمال لا تعرف للعليق استخدامات غير تلك التي تخص التطبيب التقليدي.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, 2000, 360 p. ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Soc. Sci. Nat. Phys. Mar., 1955.

عبد المالك بنعبيد

**العلماء بالمغرب ← المجالس العلمية**

**العلم** (جبل -) في الناحية الشمالية الغربية وسط قبيلة بني عروس، بين مدينتي تطوان وشفشاون. وهو أحد جبال الريف الغربي، يبلغ ارتفاعه 1368 م. كان في القديم يعد من جبال غمارة، ضمن تراب قبيلة بني ليث قبل تكوين قبيلة بني عروس. أصل سكانه بربر مصامدة، ينتمون إلى الحلف القبلي الغماري الكبير بالشمال، انضافت إليهم عناصر عربية، تصدرها الشرفاء الأدارسة الذين استوطنوا الجبل بعد سقوط قلعة حجر النسر بسماتة على يد المروانيين سنة 375 / 985).

وأقدم ما بلغنا عن تداول اسم العلم في المصادر ما أورده أبو الحسن الشاذلي في أواخر العهد الموحدي في سرد مناقب شيخه عبد السلام بن مشيش، وبعد هذا التاريخ عثرنا في الجرد المريني للأشراف الأدارسة على يد أبي سعيد سنة 709 ـ 1310 على اسم "العلام" الواقع في بلاد غمارة، وأشار إليه ابن خلدون في سياق تناول مقتل الشيخ عبد السلام بن مشيش على يد محمد بن أبي الطواجن الكتامي. وأطلق عليه الوزان في مطلع القرن السادس عشر اسم جبل بني عروس وعده من جبال الهبط الثمانية في إطار التقسيم الإداري الوطاسي، ووضع له الوزان قياسا، يمتد على مسافة ثمانية أميال شمالا، وعشرين ميلا غربا، وعرضة ستة أميال، وأطلعنا مارمول على اسمه القديم وهو أبطا ـ ديلفي.

كان الجبل خلال الفترة الوطاسية تابعا لدائرة قائد القصر الكبير، وكانت به قصبة تعرف بقصبة بني محرز بمثابة عاصمة حسب مارمول، وكان كثيف السكان كثير الإنتاج الفلاحي، غير أنه تراجع بسبب الصراع بين السكان الأصليين وفئة الشرفاء واحتلال البرتغاليين لأصيلا سنة 876 / 1471، ومنه ينحدر العروسيون قواد القصر الكبير وإزاجن والقصر الكبير الذين ساعدوا الشرفاء السعديين على فتح مملكة فاس.

إن شهرة جبل العلم بين جبال الهبط بدأت مع بداية القرن العاشر الهجري (16 م)، واقترنت بوجود ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش ت. حوالي 622 / 1225 وتمت في إطار حركة تجديد الشرف الإدريسي في الشمال، إثر المد الصوفي الشاذلي الجزولي في المنطقة، حينما تم التأكيد على قطبانية الشيخ عبد السلام بن مشيش صاحب الجبل، ونجح الشيخ عبد الله الغزواني في الكشف عن قبره في قمة جبل العلم انبنت عليه باقي الرموز المتصلة بالولي المعلومة في قمة الجبل وهي الضريح المشيشي ومغارة الخلوة وجامع الملائكة وعين البركة والحجارة المباركة، كما عمل الشيخ الغزواني على ترسيم زيارة التبرك بالشيخ ورموزه في جبل العلم وتشكيل هالة المقدس بالجبل.

وسيتوسع مجال القداسة في الجبل بعد صدور ظهير السلطان أحمد المنصور الذهبي الذي تم بمقتضاه ترسيم حدود الحرم العلمي. وتعززت رموز ابن مشيش في الجبل باستثمار فتوى العلماء حول زيارة أضرحة الصالحين، وكذا تردد كبار علماء فاس على الضريح المشيشي كما هو حال علماء البيت الفاسي والقادري وشيخ الجماعة التاودي بن سودة، مما أدى

إلى ترسيخ ما اصطلح عليه في باب الزيارة بطريقة العلماء، ومن أركانها التمسك بالطهارة.

وأصبحت الزيارة في الذاكرة الجماعية الشعبية تعرف بحج المسكين، يبدو فيها التماثل بين العلم ومكة في توقيت الزيارة ومشهد طقوسها، وأصبح جبل العلم بفعل الإشعاع الكبير الذي تحقق للشيخ عبد السلام بن مشيش في مماته وتزايد سلطة ضريحه، باعثا على تشكيل هوية نسبية ضمت كل المنحدرين من سلالة الجد الجامع أبي بكر بن علي بن أبي حرمة بن عيسى بن سلام بن أحمد المزوار، ومركزاً للشرف العلمي.

ظل جبل العلم وما أحاط به من مداشر الشرفاء العلميين مركزاً نشيطا للتصوف والعلم، وكان له حضور متميز على الصعيد السياسي حيث كان مسرحا لأحداث بالغة الأهمية في تاريخ الدولتين السعدية والعلوية بحكم المكانة الاجتماعية التي احتلها الشرفاء العلميون في قبائل ومدن الشمال الغربي وحرمة الجبل، نذكر هنا بالبيعات التي تمت في جبل العلم الضريح المشيشي كبيعة محمد بن الشيخ السعدي المعروف بزغودة سنة 1619 وبيعة مولاي اليزيد سنة 1790 ومولاي مسلمة 1792 ابني سيدي محمد بن عبد الله على يد أعيان الشرفاء العلميين.

*الجرد المريني*، مخطوط، خ. ع، ص. 36 - 39، الرباط، 36 - 39 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الجزء الأول، تح. م. حجي وآخرون، ص. 249، الرباط، 1980 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، الجزء 2، تح. م. حجي، ص. 256، الرباط، 1984 ؛ م. عمراني، *الشرف والمجتمع والسلطة السياسية*، الشمال الغربي نموذجا، من القرن 10 إلى 13 / 16 - 19، ص. 247 - 251، مرقونة، أطروحة د. د كلية الآداب، الرباط، 2000 - 2001.

محمد عمراني

**عَلَمُ الجِهَاد** (المعروف بعلم سيدي يسّف التليدي).
من المعلوم أن جل الزوايا والأضرحة وبعض الطرق الصوفية بالمغرب لها "علم" خاص يكون أحيانا أخرى مكتوب عليه شهادة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" أو كلمة "الله أكبر".

وكانت هذه الأعلام ومازالت تستعرض في مقدمة المهرجانات والتظاهرات الدينية أو عند زيارة بعض الأضرحة مثل ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش.

إلا أنه كان هناك علم يمتاز على غيره ويعرف بـ "علم سيدي يسف التليدي" وهو العلم الخاص بضريح المولى الصالح سيدي يوسف بن الحسن التليدي الكائن بالمدشر الذي يحمل اسمه بفرقة بني تليد، من قبيلة الأخماس السفلى.

يتعلق الأمر بما كان يعرف عند المجاهدين بـ "علم الجهاد" الذي كان يوضع بالزاوية المذكورة ولا يخرج منها إلا عندما تتفق القبائل على تنظيم حملة جهادية ضد الغزاة الأجانب لنواحي الهبط وجبالة وغمارة انطلاقا من أحد الجيوب المحتلة من البرتغال أو إسبانيا مثل مدينة سبتة والقصر الصغير وطنجة وأصيلا والعرائش.

وكانت العادة تقضي عند إخراجه من الزاوية إقامة حفل ديني تشترك فيه الوفود من جميع القبائل وتقرأ فيه "سلكة" القرآن الكريم، ثم تكون حفلة شعبية يشترك فيها الغياطة والطبالة والبواردية بباب الزاوية وبعد ذلك تنتظم قافلة المجاهدين يتقدمها العلم الذي يحمله مقدم الزاوية طيلة المدة التي يظل فيها العلم خارج الزاوية.

وعند الانتهاء من أمر الجهاد يعاد العلم إلى مكانه بعد إقامة حفلة شعبية مماثلة لحفلة إخراجه.

والجدير بالذكر أن عادة التبرك بعلم سيدي يسف بدأ العمل بها بعد وفاة صاحب الضريح الولي الصالح سيدي يوسف التليد الذي وافته المنية سنة 950 موافق عام 1543.

وقد أشارت المصادر البرتغالية والإسبانية إلى وجود العلم المذكور بأنه كان يحمله المجاهدون في عدة هجومات أو حصارات يقوم بها المغاربة على الجيوب المحتلة خلال القرن السادس عشر والسابع عشر.

ويقول الكولونيل كتاص عن هذا العلم في تقرير له بتاريخ 16 يناير 1929 ما يلي : "كان الثوار يتبركون بصفة خاصة بعلم زاوية سيدي يسف التليدي الكائنة بقبيلة الأخماس السفلى نظراً للمكانة التي يتمتع بها وليهم المدفون هناك حيث ينسبون إليه عدة كرامات خارقة للعادة، وهذا ما جعلهم يعقدون في الزاوية المذكورة أول مؤتمر تمهيدي للثورة ضدنا يوم 7 ماي 1913 وكان ذلك بإيعاز من الريسوني.

"ومن أجل القضاء على خرافتهم هذه قامت طائراتنا بقصف الزاوية المذكورة يوم 4 أكتوبر 1920 ثم تمكنت قواتنا من احتلالها يوم 19 يونيو 1922 وكانت قد أعطيت للكولونيل ليناريس التعليمات لكي يستولي على العلم "المقدس" وقد حصل عليه وبعثه إلى تطاون فأمر المقيم العام بإرساله إلى المتحف العسكري بمدريد حيث يوجد الآن كما توجد في ملفات نيابة الأمور الوطنية صورته".

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**العلمي**، أسرة شريفة تنحدر من ذرية الشيخ عبد السلام بن مشيش ومن ذرية أخويه موسى ويملح وأعمامه يونس وعلي وأحمد ومحمد الملهى. ويتبين من أنساب العلميين أن أبا بكر بن علي بن بوحرمة بن عيسى بن سلام بن أحمد المزوار هو الجد الجامع للشرفاء العلميين والمؤسس الفعلي للأسرة العلمية الواسعة. والظاهر أنه عاصر فترة الصراع على السلطة بين الحموديين والمرابطين وفترة حكم يوسف بن تاشفين. وهو يعد في ذاكرة الشرفاء العلميين أول من استوطن من الشرفاء الأدارسة جبل العلم بقرية الحصن. غير أننا لم نقف على ما يؤشر لشهرته في زمانه. ويوجد قبره في قرية عين الحديد شمال وادي المخازن، وهو مزارة مشهورة في هذه البلدة.

وما من شك في أن الأدارسة أسلاف العلميين، حافظوا رغم انغمارهم وضياع ملكهم على نفوذهم الروحي في قبائل غمارة. فقد تجمع هؤلاء إلى نهاية العهد الموحدي على ما يبدو في قرية الحصن، أسفل قمة جبل العلم مهد الأسرة المشيشية ومسقط رأس الشيخ عبد السلام بن مشيش، وظلوا في طي النسيان إلى غاية أواخر العهد الموحدي، حينما ظهر علم بارز من أعلام الأدارسة في جبل العلم الشيخ عبد السلام بن مشيش، الذي مهد لظهور الشرف الإدريسي على الصعيد الديني، وعوض الشرف الإدريسي عن الملك بما هو أفضل حسب تقدير كتاب *المناقب والأنساب* ألا وهو الخلافة القطبانية.

والواقع أن دور الشيخ عبد السلام بن مشيش في تجديد الشرف الإدريسي في الشمال الغربي يتجاوز حدود حياته، فالولي لم تكتب له الشهرة كقطب صوفي إلا بعد وفاته. ولعل أهم ما أنتجه هو تليمذه أبو الحسن الشاذلي الذي ضمن له الاستمرار في سنده الصوفي الشاذلي الجزولي، وعرف به في بلاد المشرق قبل أن يعرف في المغرب.

وأقدم خبر رسمي مدون بلغنا عن الشرفاء العلميين في جبل العلم يندرج ضمن الجرد الذي قام به السلطان أبو الربيع سنة 709 / 1310 (وثيقة ضمن مجموع، خ. ع، الرباط. د. 723، ص. 36 ـ 39)، والملاحظ أن هذا الجرد اقتصر على فرع الجوطيين بفاس وفرع غمارة من أولاد الشيخ عبد السلام بن مشيش، وهو محمد وأحمد وعبد الصمد دون ذكر علال الذي كان استوطن قرية غيروزيم في الأخماس، مما يدل على أن شهرة العلميين في النسب في ذلك الوقت اقتصرت على البيت المشيشي ممثلاً في أبناء الشيخ عبد السلام الثلاثة، دون باقي الفروع المنحدرة من أخويه موسى ويملاح وأعمامه يونس وعلي وأحمد ومحمد الملهى.

ويظهر أن الشرفاء العلميين بعد وفاة الشيخ عبد السلام ابن مشيش في الربيع الأول من القرن السابع الهجري (13 م)، انصهروا في الهياكل القبلية، وبرزت في صفوفهم قوة محاربة، تألفت من فرسان تزعمهم علي بن راشد، دخلوا في صراع مع سكان بني عروس وبني حسان، وتفرقوا عليهم عسكرياً وهيمنوا على جبل العلم وعلى طرف من بني حسان كما جاء في شهادة الوزان، ثم آلت الغلبة إلى العروسيين والحسانيين، مما أدى إلى هجرة جماعية للشرفاء العلميين إلى غيروزيم بالأخماس السلفى وغيرها من القبائل المجاورة لجبل العلم.

ويقترن ظهور الشرفاء العلميين في جبال الهبط على الصعيد الديني في بداية القرن الخامس عشر بعاملين رئيسيين متكاملين هما : التصوف والجهاد. وساعد على هذا الظهور الأوضاع العامة في المغرب أواخر العهد المريني، نجملها في توفر أسباب الغزو في شبه الجزيرة الإيبيرية وأسباب الهزيمة في المغرب، وعجز الدولة المرينية عن القيام بواجب فريضة الجهاد، مما أحدث هزة عنيفة في نفوس المغاربة وسمح لقيام حركة جهادية شعبية بقيادة شيوخ الطريقة الشاذلية الجزولية انطلاقاً من جنوب المغرب.

وما من شك في أن تأثير الطريقة الشاذلية الجزولية بلغ جبال غمارة والهبط من جراء الاحتكاك الإيجابي بين المجاهدين المحليين والوافدين من مختلف أنحاء المغرب، أثناء محاولات استرجاع سبتة المحتلة سنة 1415، دون أن يؤدي ذلك إلى تأسيس زوايا في المنطقة، فلا علم لنا بتأسيس زاوية شاذلية جزولية في جبال الهبط قبل قدوم الشيخ عبد الله الغزواني إلى هذه الناحية واستقراره في بني زگار زمن السلطان الوطاسي محمد الشيخ 1471 ـ 1504، وتأسيسه لزاويته بقرية تزروت.

ومن الطبيعي أن نترقب النتائج الإيجابية لهذا الحضور الصوفي في المنطقة على الشرف العلمي، فالملاحظ أن الشرفاء العلميين انخرطوا في الطائفة الغزوانية، ونكتفي بالإشارة إلى من تخرج على يده من أولياء الأسرة العلمية والريسونية، يتصدرهم الولي عمر بن عبد الوهاب ت. 956 ـ 1549 وعبد الرحمان الشريف وأخوه علي بن ريسون ت. 963 ـ 1556. غير أن دور الشيخ لم يتوقف عند تنظيم الزوايا في الهبط وإنتاج الأولياء، بل علينا أن نعطي الأهمية أيضاً للتعاليم الجديدة التي أصبحت قاعدة لترسيخ الاتجاه الصوفي السني في المنطقة وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لقد أدرك الشرفاء العلميون دور استرجاع الولاية إلى جبل العلم، وأسهموا بدورهم في نشر الفكر الصوفي السني داخل أسرهم على النهج الذي رسمه شيخهم، لكن دون أن يتمكنوا من تأسيس زاوية خاصة بهم ينتظمون فيها، ويتخذونها وسيلة في تحقيق إشعاعهم الصوفي، بينما نجح تلاميذ آخرون في ذلك، كالشيخ يوسف التليدي ومحمد الهبطي وعائشة الإدريسية.

ويمكن اعتبار الفترة الممتدة من رحيل الشيخ الغزواني عن الهبط سنة 919 ـ 1513 إلى مستهل عهد عبد الله الغالب السعدي (1557 ـ 1574) فترة هامة في تاريخ الشرف العلمي، حيث انضافت إليه قيمة تجلت في انتشار الصلاح في جبال الهبط وتكوين رصيد صوفي داخل الأسرة العلمية والريسونية. وتميزت الفترة اللاحقة بتأسيس زاويتين كان لهما الصدى العميق في الشمال الغربي هما الريسونية بقرية تازروت جنوب غرب جبل العلم والوزانية في قبيلة مصمودة بقرية وزان خارج مركز الشرف العلمي، وستلعب هاتين الزاويتان بشكل متفاوت أدواراً دينية واجتماعية وسياسية طلائعية وفي تاريخ المغرب الحديث، وساهمتا في بروز الأسرتين الريسونية والوزانية.

وإذا كنا لا حظنا في تتبع مسار الشرف العلمي اقترانه بالتصوف، فإننا نؤكد على قوة الترابط بين الشرف العلمي والجهاد، وهو حتمية تاريخية بحكم الموقع الجغرافي المتقدم في خط المواجهة مع شبه الجزيرة الإيبيرية، ولكونه كذلك يعد من أعلى مراتب التمسك الديني، والشرفاء العلميون بالنظر

إلى مكانتهم الاجتماعية والدينية في المنطقة كانوا مؤهلين أكثر من غيرهم لقيادة الحركة الجهادية على الصعيد المحلي.

ويتجلى دور الشرفاء العلميين في الجهاد على مستويات التأطير الديني والتعبئة والقيادة. ومثال كل من بني راشد العلميين بشفشاون والريسونيين بتازروت يجمع هذه الخصائص، ويؤكدان على ترأس الشرفاء الأولين للحركة الجهادية في الهبط منذ نهاية الدولة المرينية وقيام الدولة الوطاسية، واستمروا كذلك إلى غاية سقوط إمارتهم على يد عبد الله الغالب السعدي سنة 1562، ثم انتقلت القيادة إلى أبناء عمهم الريسونيين في تازروت، وبذلك استمرت رئاسة الشرفاء للجهاد في بلاد الهبط من 1471 إلى 1578، أي ما يزيد عن قرن من الزمن.

وترتب عن قيادة بني راشد للحركة الجهادية، تأسيس أول حاضرة في قلب جبال الهبط هي شفشاون، وانتقال الشرفاء العلميين من طور البداوة إلى التمدن، وتحولهم إلى فئة أرستقراطية حققت تراكماً مادياً عظيماً من احتكارها لخيرات جبال الهبط والغنائم والتجارة إلى أن قرر السلطان عبد الله الغالب القضاء على إمارة بني راشد. ونتج عن مساهمة الزاوية الريسونية في معركة وادي المخازن تعزيز الشرف العلمي بصفة عامة، بترسيم حدود الحرم العلمي وحرم المزوار بسماتة والاعتراف بالعلميين رسمياً من طرف لسان أحمد المنصور الذهبي وبروز الأسرة الريسونية على الصعيد الجهوي.

ورغم هيمنة الشرفاء العلميين على الحياة الدينية في الناحية الشمالية الغربية ظل النسب الشريف أقوى عنصر في حياتهم الاجتماعية، وظلت ظاهرة الاعتزاز بالأنساب إلى العلم والدفاع على شهرة النسب العلمي السمة الغالبة في أوساط الشرفاء العلميين بمختلف فروعهم. وتعود أولى خطوات إشهار النسب العلمي والدفاع على المرتبة الأولى ضمن شرفاء الحاضرة الإدريسية إلى الرعيل الأول من علمائهم الشفشاونيين.

فالمبادرة الأولى قام بها الشريف أحمد بن يحيى ت. 1001 / 1593 بفاس، إذ أنه نسخ شجرة العلميين الموسويين قبل سنة 980 / 1573، وحظيت بمصادقة شيخه عبد الواحد الحميدي قاضي فاس سنة 986 / 1578. وهذا كان كافياً لإشهار العلمي في حاضرة فاس، بعد الدعم الذي تلقاه من طرف شيخين نافذي الكلمة في الحاضرة الإدريسية هما محمد القصار ويوسف الفاسي.

غير أن طريق العلميين إلى الشهرة كان ما يزال صعباً أمام الشريف أحمد العلمي، إذ كان عليه التصدي لمصنف ابن السكاك الذي حصر المرتبة الأولى في وضوح النسب في البيت الجوطي والصقلي، وكانت نتيجة حركته إدراج العلميين ضمن أهل المرتبة الأولى من شرفاء فاس، ليتقاسموا الشهرة مع الجوطيين والصقليين. وأسفرت المحاولة عن اعتراف نقيب الشرفاء الجوطيين بشهرة شرفاء جبل العلم وبنصيبهم في فتوحات مولاي إدريس الثاني.

ولاريب أن لهذا الاعتراف الجوطي بشرفاء جبل العلم عواقبه الإيجابية على الشرف العلمي بفاس، فقد توجت العلاقة الجديدة بين الشرفاء الجوطيين والعلميين بزيارة نقيب أشراف الأدارسة إدريس بن أحمد العمراني الجوطي لضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش رفقة الشريف العلمي المذكور، ولم يلبث أن تعزز ذلك الاعتراف بالمصاهرة بين الشريفين، حيث زف النقيب بنته للشريف العلمي، مكسراً بذلك الحاجز الاجتماعي بين البيت الجوطي بفاس والبيت العلمي بجبل العلم.

وكان من نتائج هذا التحول في موقف الجوطيين من العلميين وفود شرفاء جبل العلم على فاس برسم زيارة جدهم إدريس الأزهر في كل موسم، أو لأجل طلب العلم، كما شجع بعضهم على الاستقرار في المدينة بصفة نهائية. وقد كان الاعتراف الرسمي بالعلميين من طرف السلطة السعدية بعد الدور التاريخي البارز الذي لعبه الريسونيون في معركة وادي المخازن، سبباً قوياً في حمل الجوطيين على ذلك، ولا نستبعد أن تكون السلطة السعدية ضغطت على أعيان الجوطيين العائدين من تونس في قبول أبناء عمهم الجبليين في الحاضرة الإدريسية.

وتمثلت المحاولة الثانية في توثيق النسب العلمي على يد عالم آخر هو الفقيه أحمد بن علي العلمي ت. 1027 / 1618 قاضي شفشاون، الذي استفاد من رصيد ابن عمه بفاس، ووضع شجر نسب خاصة بفرع عبد السلام بن مشيش، نسخها على رق الغزال في حدود سنة 1000 / 1592. وهي شجرة غير تامة علق عليها ونشرها العربي الفاسي في *مرآة المحاسن*. ونتيجة لذلك أصبح جبل العلم المعزز برمزية دينية قوية، مصدر اعتزاز الشرفاء العلميين بمختلف فروعهم بهويتهم النسبية الجديدة، مع إقصاء لباقي الفروع الإدريسية، وإن تقاسمت معهم نفس الموطن منذ القديم كالشرفاء العمرانيين مثلاً.

ولم يتوقف الأمر عند هذا التاريخ، بل واصل الشرفاء العلميون حركة تأكيد تفوقهم خارج جبل العلم خلال العهد العلوي الأول، وحظوا باهتمام النسابين المغاربة كمحمد المسناوي الدلائي وعبد السلام القادري وعبد القادر الشبيهي، وبرز في صفوفهم نسابون انكبوا على تدوين النسب العلمي والدفاع على شهرته، كالتهامي بن رحمون والنقيب أحمد بن عبد الوهاب.

وكان من نتائج حركة تدوين الأنساب في صفوف العلميين أن برزوا من منظور النسابين كأرستقراطية سلالية متفوقة على البيوتات الإدريسية الشهيرة القديمة، وتقاسموا المرتبة الأولى في وضوح النسب مع الأسرة العلوية الحاكمة، كما ورد عند صاحب *الدر السني*. ومن المؤكد أن تفوق النسب العلمي كا مستمداً من السلطة الرمزية للشيخ عبد السلام بن مشيش التي لم يزدها الزمان إلا رسوخاً وتجدراً في المجتمع الجبلي. ويمكن اعتبار الشريف العلمي سليمان

الحوات ت. 1231 / 1816 خير معبر عن نزعة تفوق الشرف العلمي على غيره خارج حدود دائرة جبل العلم، إذ سار على نهج أسلافه في إعلاء شأن أبناء جلدته.

وإذا نظرنا بكيفية مجهرية إلى تطور كل أسرة علمية على حدة، نلاحظ تباينا في الأدوار التاريخية والوظائف الدينية والاجتماعية وطبيعة علاقاتها مع المخزن. وقد تحكم في علاقات الشرفاء العلميين الداخلية عاملان رئيسيان هما : التراتب الخاضع لتسلسل هرم السلطة والرمزية الأبوية من جهة، والقرابة من الشيخ المؤسس عبد السلام بن مشيش من جهة ثانية، فقد اختص نسب أولاد مولاي عبد السلام من بين شرفاء جبل العلم برأي النسابين بكونه الأكثر وضوحاً، بناء على شهرة نسب جدهم في المغرب والمشرق، فهم ليسوا في حاجة إلى البحث في أصولهم كما يرى صاحب *مرآة المحاسن*، ويؤكد هذا الاتجاه فيما بعد سليمان الحوات. وإذا كان أدب الأنساب لا يعبر عن حقيقة قوة تشبث العلميين بهويتهم النسبية والدفاع على شرفهم ضد الدخلاء، فيمكن تفسير ذلك بحماية المصالح المشتركة المتمثلة في الامتيازات المادية المنعم بها عليهم من طرف المخزن وصيانة الحرم العلمي، وإضفاء صبغة المشروعية على تمييزهم عن فئة العامة في محيطهم الاجتماعي.

والملاحظ أن معظم الشرفاء أولاد عبد السلام بن مشيش تشبثوا بموطنهم الأصلي داخل مساحة الحرم العلمي في قبيلة بني عروس قرب الضريح المشيشي في قرية الحصن وأفرنو وأدياز ودار الحيط وتاجزة وتاجزرت وطاردان وتازروت، حيث شكلوا أقوى تجمع بشري شريفي في القبيلة، ومعظم الذين غادروا القبيلة الأم، استوطنوا قبائل مجاورة كالأخماس وسماتة وبني يدر وآل سريف وجبل حبيب وبني مصور وبني حسان. ويتبين من مدونات الأنساب أن السمة الغالبة عليهم إلى غاية النصف الثاني من القرن الثامن عشر هي البداوة، وأن جل الشرفاء العلميين الذي استقروا في المدن اختاروا مدن الشمال الغربي القريبة من جبل العلم.

وقد مثل الضريح المشيشي رباطاً أزلياً ولحمة ظاهرية بين الشرفاء المنحدرين من الشيخ عبد السلام بن مشيش، بدافع الاستفادة من الرصيد الرمزي والحصول على نصيب في الفتوحات، وظل معظم هؤلاء خارج التنظيم الصوفي رغم أهمية دور التصوف في نمو الشرف، ويمكن اعتبار هذا العنصر نقطة ضعف في مسار الشرف العلمي. وإذا كان الاعتزاز بالانتماء إلى العلم قد لازم مختلف الفروع العلمية، فإن بعض الأسر شكلت لنفسها هوية خاصة، وبنت كيانها المستقل خارج دائرة مركز الشرف العلمي، كما هو حال الريسونيون بتازروت بعد تأسيس زاويتهم وحصولهم على الدعم السعدي نتيجة لدورهم البارز في معركة وادي المخازن، إذ نجح هؤلاء على عكس أبناء عمهم العلميين في الملائمة بين النسب الشريف والتصوف والجهاد، وأصبحوا بعد رحيل الشيخ المؤسس محمد بن ريسون يعرفون بأولاد ابن ريسون، ويحملون لقب ريسوني نسبة إلى الجدة ريسون. لكن رغم مكانة الشيخ محمد بن ريسون في ميدان الصلاح والجهاد وشخصيته المؤثرة وفضله على الشرف العلمي بصفة عامة، ظل إشعاع الشيخ عبد السلام بن مشيش المتزايد في قبائل جبالة يغمر شهرة الشرفاء الريسونيين، ومثلت تازروت على الدوام محطة رئيسية في زيارة الضريح المشيشي.

وكذلك شأن الشرفاء العلميين المنحدرين من يملاح أخ الشيخ عبد السلام بن مشيش الذين أصبحوا يعرفون بالوزانيين، نسبة إلى مكان تأسيس زاويتهم على يد الشيخ عبد الله بن إبراهيم العلمي، وبها اشتهروا وزالت عنهم نسبة شريف علمي، وكونوا أكبر قوة في الشمال الغربي استفادت من الدعم المخزني المتواصل. وهذا لا يعني أن الانتماء إلى الأسرة العلمية الواسعة كان منعدماً في تجربة الوزانيين، فقد كانت الزاوية الوزانية في طور نشأتها محطة رئيسية في طريق الزائرين من أهل فاس للضريح المشيشي، كما استعمل هؤلاء النسب العلمي في دعم نسبهم الطيني، وإلى غاية حدود تاريخ تشكيل الهويات النسبية المستقلة داخل الأسرة العلمية الواسعة وجب التمييز التاريخي بين الفروع العلمية، فالعلميون في الوثائق الرسمية هم ذرية الشيخ عبد السلام بن مشيش.

ظل هؤلاء زمن المرينيين بعيدين عن الأجواء السياسية في العاصمة فاس، ورغم بروز بني راشد العلميين في عهد الوطاسيين ومحاولة انفصال الأمير علي بن راشد عن السلطة الوطاسية في أمر الجهاد، فإن ذلك لم يكن تعبيراً عن طموح سياسي واضح، إذ سرعان ما سيطر السلطان الوطاسي على إمارة بني راشد، ليستأنف الأمير على الجهاد في إطار رسمي باسم السلطان. وشكل بنو راشد بعد ذلك سنداً قوياً للسلطة الوطاسية، وشغل الأمير إبراهيم بن راشد منصب الوزير الأعظم في الدولة، وسخر قوة إمارة شفشاون الجهادية للدفاع عن السلطة الوطاسية ضد زحف السعديين، وشارك بجنوده من جبال الهبط في معركة أبي عقبة سنة 1516.

وحينما غير خلفه محمد بن راشد موقفه من السعديين وبارك انتصاراتهم في سانتا كروز وآسفي وآزمور سنة 1471، بادر السلطان أحمد الوساطي سنة 1542 إلى تنظيم زيارة إلى الشمال الغربي توجت بزواجه من أخته الست الحرة اعتبره البعض بمثابة صفقة سياسية. ورغم ذلك أسر الشريف العلمي على تأييده السلطة السعدية. وذهب على رأس وفد من الشرفاء وأعيان القبائل لتهنئة محمد الشيخ حينما دخل إلى فاس سنة 1547، فتوطدت العلاقة بين الطرفين وتوجت بتعيين الشريف العلمي قائداً على فاس، فذابت إمارة بني راشد الجهادية في نظام الدولة السعدية الجديدة. غير أن عبد الله الغالب السعدي في إطار مواصلة امتحان الزوايا الشاذلية الجزولية قرر القضاء على إمارة بني راشد سنة 1562، وأدى تنفيذ القرار على يد وزيره محمد بن عبد القادر السعدي إلى نزوح محمد بن راشد مع أفراد أسرته إلى بلاد

المشرق، وتم ترحيل ما تبقى من آل بني راشد إلى مدينة مراكش حيث انغمروا وزالت عنهم شهرة النسب والإمارة.

وفرض دور شيوخ الزوايا الشاذلية الجزولية وشرفاء جبل العلم في التعبئة للجهاد خلال فترة الاستعداد لمعركة وادي المخازن على السلطان السعدي عبد الملك (1576 ـ 1578) تغيير موقفه من شيوخ الزوايا الشاذلية الجزولية وشرفاء جبل العلم، ووقع تلاحم بين القيادة الرسمية وهؤلاء في المعركة الحاسمة في 4 غشت 1578، وكان الشرفاء العلميون من جملة المستفيدين من إنعامات السلطان أحمد المنصور الذهبي المبايع بوادي المخازن.

ويمكن اعتبار الظهير الصادر عن نفس السلطان مباشرة بعد وقوع هذا الحدث، الذي رسم بموجبه حدود الحرم العلمي وحرم أحمد المزوار بسماتة، من أجلى مظاهر الروابط الودية التي توثقت بين شرفاء جبل العلم والسلطة السعدية، وبالمقابل قدم الشرفاء العلميون خدمات للسلطان، نذكر منها على سبيل المثال أن شريفاً علمياً يدعى عبد الله بن عبد الرحمان ألقى القبض على المتنبئ الثائر ابن الحاج قرقوش سنة 969 ـ 1588 بعد أن استعصى أمره على القائد محمد بن إبراهيم بجة (الفشتالي، *مناهل*، 94 ـ 95).

لقد تجنب العلميون خلال فترة ضعف السلطة السعدية الدخول في أية مغامرة سياسية على غرار باقي الكيانات المستقلة التي ظهرت في الجنوب والوسط، وظلوا متشبثين بالمشروعية رغم وهن الدولة السعدية، بدليل أن بيعة محمد الشيخ المعروف بزغودة تمت على يد أعيان العلميين في الضريح المشيشي سنة 1028 / 1619. وإذا كنا لاحظنا غياب أي طموح سياسي واضح لدى العلميين أواخر العهد السعدي، فإن العلويين الأوائل تعاملوا مع الشرفاء العلميين بحذر، لعدة أسباب منها الإشعاع المتزايد للزاوية الوزانية في الشمال الغربي، وبروزها كقوة جهوية كبرى، واستفحال ظاهرة المتشرفة في جبل العلم كوسيلة للارتقاء الاجتماعي، مما أدى إلى ارتفاع عدد المنتسبين للشرف العلمي والعمراني، ترتبت عنه انعكاسات سلبية على بيت المال بسبب الإعفاءات الضريبية المرتبطة بالوقار والاحترام.

ولأجل ذلك، فرض السلطان المولى إسماعيل رقابة صارمة على الشرف العلمي من خلال تجديد هيكلة نقابة الأشراف، وتنظيم حملة تنقيب واسعة النطاق في منطقة جبالة لضبط أنساب الشرفاء. كلف بهذه المهمة في بداية الأمر الفقيه التهامي بن رحمون الذي أسفر مجهوده عن وضع أول ديوان شامل في النسب الإدريسي بالشمال الغربي سنة 1105 / 1693، والنسب العلمي على وجه الخصوص. ونظم السلطان حملة أخرى في حدود عام 1121 / 1709 في جبال غمارة والهبط ومنطقة الفحص، وكلف بعملية التنقيب في الأنساب الشريفان العلميان إدريس بن عبد الوهاب وأحمد بن عمر بن الوهاب، بمساعدة الكاتب عبد السلام بن زاكور، ودعم القائد عمر بن حدو الريفي، كان من أهم نتائجها جمع الديوان الإسماعيلي. غير أن الإجراء الإسماعيلي كان حلا مؤقتا لمعضلة الأنساب، فسرعان ما عادت ظاهرة المتشرفة إلى البروز برحيل السلطان سنة 1727، ولسحب الزعامة من شيوخ الزوايا وتقليص نفوذ الشرفاء أسند السلطان قيادة الجهاد للجيش الريفي المؤلف من أولاد حمامة، مما تسبب من جهة في تقليص نفوذ العلميين الديني، وساهم من جهة أخرى في بروز فئة أرستقراطية عسكرية حققت تراكماً مادياً ووجاهة، وظهرت كقوة منافسة للشرفاء العلميين، وهذا ما أدى إلى خلق نوع من التوازن بين القوى المتحكمة داخل المنظومة القبيلة.

ويبدو من الوثائق المخزنية أن نجم شرفاء جبل العلم المنحدرين من نسل الشيخ عبد السلام بن مشيش مال إلى الأفول خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لفائدة الريسونيين والوزانيين بسبب ضعف التنظيم وتوظيف الحرم المشيشي سياسياً ضد السلطان الشرعي. وتجدر الإشارة هنا إلى مثال مولاي اليزيد الذي استحرم قرب الضريح المشيشي بقرية الحصن إثر تمرده على والده السلطان سيدي محمد بن عبد الله وتمنعه داخل الحرم العلمي إلى وفاة والده سنة 1790، وانطلاقه من جبل العلم في الصعود إلى الحكم، وكان هذا الحدث الذي احتضنه جبل العلم سبباً في فتح باب اقتحام الشرف العلمي من جديد، حيث تقاطر المتشرفة على الجبل من كل حدب وصوب، وتمكنوا من تجديد عقود الشرف، كما استخدم الأمير المولى مسلمة الحرم العلمي في التمنع ضد أخيه مولاي سليمان وخلق أمامه متاعب.

وتم توظيف الحرم العلمي كذلك من طرف القبيلة الأم بني عروس في تجاوز الأحكام المخزنية، وتحول الضريح المشيشي إلى معطى سلبي، كدر على ما يبدو صفو علاقات الشرفاء العلميين بالمخزن. والملاحظ أن الأحداث المتصلة بعلاقات الشرفاء العلميين بالسلطة المركزية تركزت حول هذا الضريح الذي ظل يمثل رباطاً آسياسياً بين الشرفاء المنتسبين إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، ومصدر رزق لغالبيتهم عن طريق تلقي الصلات المخزنية والفترحات.

م. عمراني، *الشرف والمجتمع والسلطة السياسية*، الشمال الغربي المغربي نموذجا، من القرن 10 إلى 13 هـ / 16 ـ 19 م، د. د. كلية الآداب، الرباط، 2000 ـ 2001، مرقونة.

محمد عمراني

**العلمي، إبراهيم** ولد المطرب المغربي إبراهيم العلمي بمدينة الدار البيضاء وعام 1930. وكان من رعيل الفنانين الأوائل الذين أسهموا في تأسيس وضع الأغنية المغربية العصرية.

بدأ خطواته الأولى في مجال الموسيقى، والأغنيةُ الشرقيةُ يومئذ في أوج انتشارها وذيوعها بالمغرب، فأشربت نفسه مقاماتها وإيقاعاتها. ثم أقبل على التعلم، مستفيداً من معاشرة بعض الفنانين أمثال عازف القانون ومؤسس جوق

"أحلام الشباب" الحاج بوبكر الطالبي، وعازف الكمال مصطفى الحريري، وعازف العود الفنان عمرو الطنطاوي، والملحن المطرب المعطي البيضاوي، والفنان عبد السلام الحداوي.

مارس العلمي في بدء حياته الفنية النفخ في الناي، ثم تحول إلى العود، فاتخذه آلته المفضلة، تسعفه في استلهام الألحان، وترافقه في أداء أغانيه، وكان من وراء هذا التحول رئيس جوق الميتم البيضاوي المرحوم محمد زنيبر.

التحق العلمي بجوق الإذاعة الجهوية لمدينة الدار البيضاء وعمره دون الثلاثين، فاشتغل عازفا على العود، ثم تصدى للتلحين والغناء. وفي سنة 1966 أسندت إليه رئاسة جوق الاذاعة، فكان ثالث شخص يضطلع بهذه المهمة بعد المرحومين محمد زنيبر والمعطي البيضاوي. وقد استمر علي رأس الجوق إلى أن أحيل على المعاش في نهاية عام 1990.

وعلى امتداد أكثر من ثلاثين عاما استطاع العلمي أن يلحن عشرات الأغاني، أغلبها مما نظم كلماتها بنفسه، وقليل منها مما نظمه غيره، كأغنية "ما أحلى إفران وما أحلى جماله" التي وضع كلماتها الإذاعي والصحفي أحمد زكي بوخريص، وأغنية "المسيرة امشات" التي نظمها الزجال عمر التلباني بمناسبة انطلاقة المسيرة الخضراء عام 1975. ومطلعها :

كتبنا اسمك يا الحسن   على رمال الصحر الذهبية
على نسايم سلم وحرية   على النصر وأجيال ثورة
على مبادئ بلادنا الحرة

غنى العلمي معظم أغانيه بنفسه، ومما غنى له غيره : أغنية "ياشاغل بالي" من أداء المرحوم المعطي البيضاوي، وأغنية "ديما نخمم فيك" من أداء المطربة سعاد محمد، وأغنية "الأسمر" من أداء المطرب إسماعيل أحمد، كما غنت من ألحانه نعيمة سميح، وعتيقة عمار.

تتوزع أغاني العلمي موضوعات عاطفية ووطنية. فمن أغانيه العاطفية الناجحة : هذا الشمال ماسولت فيا - امساك امساك ياللي عقلي ما ينساك - الليل والليالي وأنا سهران - ياللي صورتك بين عينيا - يالساخي بيا - يا البيضا حرام عليك - يا خالي الباب وناسيني - خليني بعيد - يا الناسي العاهد.

ومن أغانيه في المناسبات الوطنية : عودة الناصرين - أنشودة ولي العهد نشيد العرش - في كل بيت فرقة كبيرة - فرحة الشباب - تحية الملك حسين - شموع الفرح - نشيد الجلاء - ملك القلوب - بشرى وانهار سعيد رائد الجيل - المسيرة امشات ...

ومن أغانيه الدينية : أغنية رمضان - هذي ليلة عظيمة - ليالي العيد. وللعلمي معزوفان نادرة أهمها : تقسيم على العود، وموسيقى كريمة.

يعتبر إبراهيم العلمي من رواد الأغنية الشعبية بالمغرب، فهو بالرغم من معايشة لظروف كاتب فيها الأغنية المغربية مرتبطة بالدفق القادم من المشرق العربي - لم ينقطع أبدا عن البحث في مشروع الهوية الوطنية للاغنية المغربية، ومن ثم تحاشى تقليدَ الأغنية المصرية، وتجَنَّبَ مُحاكاتها سَواء على مستوى الأداء، أو ركوب القوالب، أو استهلال الأغاني بالتقاسيم والمواويل، أو شحنها بالفواصل الآلية المطوّلة. وهو في صياغته لألحانه الموسيقية يساوق الكلمات دونما تقيّد بأيّ قالب لحني كالمُوشّح أو القصيدة، ودونما إفراط في التطريب وتوليد الأنغام.

وفيما يأتي أسلوبه في التلحين بعيداً عن أسلوب أقطاب الأغنية العصرية كأحمد البيضاوي، والمعطي البيضاوي، وعبد الوهاب آكومي، فإنه يبدو وأقرب إلى نهج المطرب محمد فويتح، وهو نهج متميز يمتح من ألوان التراث الغنائية الشعبية ويجعل أغانيهما أحق بأن تحمل صفة الأغاني الشعبية.

وإمعانا من العلمي في ركوب هذا النهج فقد حصر تعامله مع النصوص الشعرية الزجلية، وبذلك نظم جلها بنفسه، فجاءت عباراتها بسيطة، تستدعي ألحانا بسيطة التركيب، بعيدة عن الصناعة الموسيقية المعقدة، كما جاءت متسمة بالصدق، تحمل في كثير من الأحيان سمات بينة من الحزن، تتجلى على مستوى الصياغة، ثم على مستوى إدائه لها بصوته الهادئ، بعيداً عن التشنج والانفعال.

أجريت مع العلمي عدةُ حوارات إذاعية وصحافية، كانت مناسبة للوقوف على بعض آرائه حول الأغنية المغربية وسبل النهوض بها. وفي هذا الصدد فهو يرى أن من أهم عوامل الحفاظ على أصالة الأغنية المغربية واستمرار تجددها أن تكون نابعة من حب الفنان لفنه وتعلقه به، وأن تستفيد من التقنيات التي توفرها الوسائل الحديثة في مجالات التسجيل والإنتاج.

أما الفنان الأصيل فهو - في رأي العلمي - ذلك الذي يملك الشجاعة لمواجهة الجماهير، ويملك القدرة علي تحويل هذه المواجهة إلى لحظات لتحقيق التواصل الروحي معها.

مثل المرحومُ العلمي بلاده في عدة تظاهرات فنية، ومن ذلك مشاركته في ربيع 1981 - وهو على رأس جوق موسيقى من الدار البيضاء - في الأسبوع الثقافي الذي نظمته وزارة الشؤون الثقافية في الكويت.

وقد وافاه الأجل المحتوم بالدار البيضاء عصر يوم الأربعاء 11 صفر 1423 / 24 أبريل 2002.

أبرام نادية، *أغاني العلمي رسل حب*، جريدة *العلم*، الصفحة الفنية، ع 18974 الأحد 15 صفر 1423 / 28 أبريل 2002 ؛ م. بلفتوح، إبراهيم العلمي، *نجم لن ينطفئ شدوه من سماء الذاكرة*، جريدة *العلم*، الصفحة الفنية، ع 18974، الأحد 15 صفر 1423 / 28 أبريل 2002 ؛ م. بهجاجي، حوار مع الفنان إبراهيم العلمي، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 3 . 12 . 1995، ص. 9 ؛ مجلة *الفنون*، ع 1 ربيع الثاني، 1401 / مارس 1981، ص. 25 ؛ مجهول بتوقيع م ب : *الراحل إبراهيم العلمي سيرة التعلم بامتياز*، *الاتحاد الأسبوعي*، ع 4 . 5 . 11 . ماي 2002، ص فنون، عبد الله، *الاتحاد الأسبوعي*، ع 07 . 26 ماي . 1 يونيو، 2002 ؛ صالح الشرقي، *أضواء الموسيقى المغربية*، مط فضالة، المغرب، 1997، ص. 196 ؛ جل تر المعاني، مط. النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1418 / 1997، ص. 199 . 201.

**العلمي، أحمد** بن **الحسن** ولد بفاس عام 1296 / 1876 وكان من مشهوري فني السماع والمديح بهذه المدينة، أخذ تقاليد الفنين عن محمد بوقاع وعبد السلام الدمناتي.

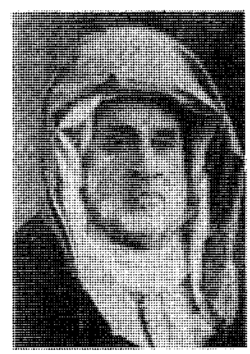

اشتهر بين أقرانه بحفظ كلام القوم وجودة الإنشاد، وكان إلى ذلك واسع الإلمام بميازين الموسيقى الأندلسية.

عبد اللطيف بنمنصور، *مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المعروف بالحايك*، 1397 / 1977، ص. 460.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**العلمي، أحمد** بن **عبد السلام** بن طاهر السريفي الصفصافي، أبو العباس علامة أهل السريف بالمغرب الأقصى، أستاذ مشارك ومقرئ مجيد، له "*تحفة الأبرار في التعريف بالشيوخ والسادات الأخيار*" في نحو أربعة كراريس ذكرها له الكتاني في فهرس الفهارس، وابن سودة في دليل مؤرخ المغرب الأقصى، وأضاف له صاحب *معجم المؤلفين* رسالة فقال "له رسالة تشتمل على أسانيده في القراءات" (ج 1 : 274).

في وفاة المترجم اختلاف في الزمان والمكان، حيث أشار الزركلي إلى أنه قتل في الحرب الريفية نحو 1344 وفي موسوعة *أعلام المغرب*.

توفي في طريقه إلى الحج سنة 1343، مما يدل على عدم التأكد من خبر وفاته وهو ما جعل مترجميه لم يضبطوا التاريخ.

الكتاني، *فهرس الفهارس*، 1 : 285 . 286، بيروت، 1986 ؛ ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 294، الدار البيضاء، 1965 ؛ الزركلي، *الأعلام*، 1 : 150 ؛ كحالة، *معجم المؤلفين*، 1 : 274، دمشق، 1957 ؛ موسوعة *أعلام المغرب*، 9 : 2945 ؛ ع. الجراري *التأليف ونهضته بالمغرب*، 41، الرباط، 1985.

**العلمي، أحمد** بن **عبد الله** الحسني، كان فقيهاً عالماً، وخطيباً بليغاً تولى النيابة عن قاضي مدينة الصويرة وخطب في جامع البواخر بعد وفاة سيدي مولود الشريف أحمد بن عبد الله العلمي وبقي على ذلك.

توفي رحمه الله في رجب عام سبعة وعشرين وثلاثمائة وألف.

م. بن سعيد الصديقي، *إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة*، 1 : 129 ؛ موسوعة *أعلام المغرب*، 8 : 2857.

عبد القادر سعود

**العلمي، أحمد** بن **عبد الوهاب** بن أحمد بن عمر بن عبد الوهاب، كان من أعيان الشرفاء العلميين المنحدرين من سلالة الشيخ عبد السلام بن مشيش، وهو فضلاً عن ذلك فقيه ونسابة مرموق، عينه السلطان مولاي إسماعيل نقيباً عاماً على الشرفاء، وكلفه بمهمة تحقيق أنساب الشرفاء في الناحية الشمالية الغربية وخصوصاً أنساب الشرفاء العلميين والعمرانيين في إطار حملة محاربة ظاهرة المتشرفة سنة 1112 / 1709. وقد تقاسم هذه المهمة مع ابن عمه إدريس بن عبد الوهاب، وتلقيا دعماً مخزنياً من طرف حاكم الناحية القائد عمر بن حدو الريفي.

وأسفرت مهمة النقيب في تحقيق الأنساب عن جمع ديوان عرف بالديوان الإسماعيلي، اشتمل على اثنين وأربعين عقدا مزوراً، خمسة غير مقروءة. وتبين من هذه العقود أن جل المتشرفة انتحلوا الشرف العلمي والعمراني، وأن ظاهرة المتشرفة كادت أن تكون بدوية صرفة. ولتأكيد مصداقية نتيجة التحقيق ألغى النقيبان الرسوم المزورة، وبعثا بسجلين إلى العاصمة مكناس واحد تضمن قائمة أسماء الشرف، وآخر قائمة أصحاب الدعاوي الباطلة. وحسما لداء انتشار اختلاط الأنساب في قبائل الشمال الغربي بإحراق الرسوم المزورة، أعاد السلطان هيكلة نقابة الأشراف وجدد النقابة العامة والخاصة للشريف العلمي أحمد بن عبد الوهاب سنة 1127 / 1715، ومن ضمن الأعمال المنسوبة إليه رسم حدد فيه مجال الحرم العلمي ووطن قراد. نسخه ابن زاكور الفاسي في الاستشفاء من الألم في التلذذ بصاحب جبل العلم.

ع. السلام بن زاكور، *الاستشفا من الألم في التلذذ بصاحب العلم*، ص. 19، مخطوط ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *العز والصولة* ؛ مجهول، كناش النسب الاسماعيلي، نسخة من محمد الأمين بوخبزة.

**العلمي، أحمد** بن **علي** ينتسب إلى الشرفاء العلميين

بشفشاون، ويعد من علماء القرن الحادي الهجري السابع عشر الميلادي، وهو من بين الشرفاء العلميين الذين شدوا الرحال إلى فاس طلباً للعلم واعتكفوا على الدراسة والتحصيل، فأخذ عن كبار علمائها من طبقة الشيخ محمد القصار الذي كان ملازماً له.

وحينما عاد إلى مسقط رأسه مارس التدريس والخطابة مدة في الجامع الأعظم بشفشاون، ثم تولى خطة القضاء بعد الفقيه محمد بن الحسن بن عرضون، لكنه سرعان ما تنصل منها، وتفرغ للتدريس والتأليف في الفقه والأصول والتاريخ والطب واللغة، وبرع في علم الوثائق والأحكام.

ظل أحمد العلمي على صلة بالوسط العلمي بفاس، وخاصة بشيخه القصار، وهو واضع أول مشجر العلميين العبد السلاميين في حدود سنة 1000 . 1592، ولعب دوراً مهماً في زيادة التعريف بهذا الفرع في الحاضرة الإدريسية.

توفي سنة 1027 / 1618.

ع. الفاسي، *مرآة المحاسن*، ص. 167 . 178، طبعة حجرية، فاس، 1314.

**العلمي، أحمد** بن **يحيى** الموسوي جد الشرفاء الشفشاونيين بفاس، وهو من علماء الشرفاء العلميين. درس بشفشاون ثم شد الرحال إلى فاس طلبا للعلم، فأخذ عن كبار علمائها أمثال يحيى السراج والقاضي عبد الواحد الحميدي. وبعد تخرجه عالما، استقر بفاس وانقطع لمطالعة الكتب والتدريس، وهو أيضاً فقيه ومؤرخ وأديب، وكان أول من شهر النسب العلمي بالحاضرة الإدريسية فاس، وناسخ أقدم شجرة للعلميين قبل سنة 980 / 1573 التي صادق عليها القاضي عبد الواحد الحميدي.

وأسفرت حركته بفاس بفضل المساندة المعنوية من قبل شيخه القصار والشيخ يوسف الفاسي أن أصبح الشرفاء العلميون من أهل المرتبة الأولى في وضوح النسب إسوة بالجوطيين والصقليين، والاعتراف بهم من طرف الجوطيين وإقرار نصيبهم في فتوحات الضريح الإدريسي. وما من شك في أن الدعم السياسي القوي الذي تلقاه العلميون من طرف السلطان السعدي أحمد المنصور والاعتراف بشهرتهم رسمياً قد دعم حركة الشرف العلمي.

توفي العلمي أحمد سنة 1001 / 1593.

ع. السلا. القادري، *الدرر السني*، ص. 40 . 44، طبعة حجرية، فاس، 1308.

محمد عمراني

**العلمي، التغزوتي أحمد** بن اليزيد من مواليد سنة 1619 بدوار بني يخلف من أبويه ابن اليزيد واحليمة.

ولما قامت قوات المستعمر الغاشم بالاعتداء على السيادة المغربية اختار الشهيد العمل المسلح صحبة مجموعة من المكافحين، فانضم إلى المقاومة السرية بفاس حيث جعل منزله مخبأ للفدائيين. وفي سنة 1954 ألقي عليه القبض من قبل السلطة الفرنسية. وبعد مرور أربعة أيام استشهد من جراء التعذيب بمقر شرطة الاستعمار الفرنسي، تغمده الله برحمته الواسعة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 512758.

**العلمي الشريف، عبد السلام** بن محمد فقيه من رؤساء البحر السلاويين العاملين في عهد مولاي سليمان إلى حين وفاته في مطلع سنة 1249 / 1833 في عهد مولاي عبد الرحمان. وقد كان السلطان أسند إليه الإشراف على رياس وبحارة الرباط وسلا، وأنعم عليه بوسام الياتاغان المخصص لكبار رجال البحر. وأوكل إليه رفقة الرايس عبد الرحمان بريطل الرباطي مهمة حماية المياه الإقليمية، وملاحقة السفن الألمانية في سنة 1825، وكلفه أيضاً بقيادة السفينة السلطانية "أزيلة" للاتجار بها، مانحا إياه ترخيصا خاص، جاء فيه :

".. كتابنا هذا .. بيد خديمنا الرايس عبد السلام بن محمد بن الفقيه الشريف السلوي، يعلم منه بحول الله وقوته .. أذنناه بالسفر قصد التجارة في مركبنا السعيدة البارز كان المشتملة على صاري واحد، المسماة أزيلة، عدد بحريتها عشرة بالرايس المذكور، ويخوض إن شاء الله في البحر الصغير والكبير، مشترطا عليه أن يشتغل في جميع أموره كلها بما يعينه، متحريا للأمور الذميمة المخلة بالدين، وأن لا يتعدى القانون المتعارف بيننا وبين أجناس النصارى، وأن لا يحمل في مركبه مثل الخمر والخنزير، فإن حام حول ذلك فقد تعرض لغضب الله ونكالنا بحول الله. وبعد قضاء إربه من المحل الذي حل به يأوب إلى أي مرسى من مراسينا السعيدة بالله .. كما نؤكد على من يقف عليه من حكام المدن من مدائن النصارى والقراصين .. وخدامنا وكما نضاضس مراكب الحرب المصالحين معنا أن يوقره ويحترمه، وأن لا يحدوا عما أبرمه أمنا الشريف ولا يتعداه. وعلى الرايس وبحريته بتقوى الله سرا وعلانية، والصلاة في أوقاتها .. بهذا صدر أمرنا المعتز بالله في 14 ربيع النبوي الأنور 1241.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 4، ص. 133 . 134 . 151 . 152 ؛ وابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، وملحقه، ص. 47 و178.

حسن أميلي

**العلمي الشفشاوني، عبد السلام** الأمين من مشهوري شيوخ الموسيقى الأندلسية. ولد بمدينة شفشاون في منتصف القرن التاسع عشر، وبها أخذ عن شيوخ الفن. وفي بداية الثلاثينيات انتقل إلى مدينة تطوان حيث عين مديراً للقسم العربي بالمعهد الموسيقي ؛ وكانت هيئة التعليم يومئذ مكونة في معظمها من عناصر شفشاونية منهم : عازف الكمان أحمد البردعي، وعازف العود محمد بن عياد، والعياشي الورياغلي رئيس الجوق العربي بالمعهد وعازف الرباب في نفس الوقت، والمنشد أحمد احرازم.

وقد كان عبد السلام العلمي وإلى جانبه البردعي والوياغلي المذكوران ـ من بين الفنانين الذين ساعدوا المستشرق الاسباني أركاديو دي لاريا پالاثين على تدوين نوبة الإصبهان.

توفي عام 1956.

Arcadio De Larréa Palacin, *Nawba Isbahan Introduccion*, p. XXIII - XLI, Editora Marroqui, Tetuan 1956.

**العلمي، عبد السلام** بن **الأمين** ولد في أواسط القرن التاسع عشر. وقد تعلم أصول الموسيقى الأندلسية وحفظ مستعملاتها على شيوخ شفشاون. وبعد تمكنه من قواعد هذا الفن استقدم إلى تطوان حيث تقلد إدارة القسم العربي بالمعهد الموسيقي في بداية الثلاثينيات، وكانت هيئة التعليم يومئذ تتكون في معظمها من عناصر شاونية كأحمد البردعي عازف الكمان، ومحمد بن عياد عازف العود، والعياشي الورياغلي رئيس الجوق الأندلسي وعازف الرباب، والمنشد أحمد احرازم.

وقد كان العلمي ـ وإلى جانبه الورياغلي والبردعي ـ من بين الذين ساعدوا المستشرق الإسباني أركاديودي لاريا بالاثين على تدوين نوبة الأصبهان.

توفي العلمي بتطوان عام 1959. ويعتبر مؤسس الجوق التطواني الحديث.

دي لاريا اركاديو بالاثين، *مدونة الاصبهان*، المقدمة بقلم الفريد البستاني : ع. العزيز ابن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص. 277.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

**العلمي، عبد السلام** بن **محمد** بن أحمد بن العربي العلمي الوهابي نسبة إلى الجد عبد الوهاب الأصغر جد الشرفاء العلميين الوهابيين أهل أفرنو بقبيلة بني عروس، المنحدرين من سلالة الشيخ عبد السلام بن مشيش. رحل والده إلى فاس قصد استكمال الدراسة بجامع القرويين وتخرج منها عالماً واستوطن المدينة. وهكذا نشأ عبد السلام العلمي المزداد بفاس حوالي 1250 / 1834، في بيت جمع بين الشرف والعلم. حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ العلوم على والده ثم التحق بالقرويين وتخرج منها عالماً على الطريقة التقليدية، غير أن تكوينه لم يقتصر على ما كان متداولاً في رحاب هذه المؤسسة من علوم، بل درس علوماً أخرى كالفلك والرياضيات والطب في فضاءات علمية أخرى. ومال إلى التخصص في علم الفلك الذي برع فيه، بشكل أثار انتباه السلطان محمد الرابع، فانتدبه لتدريسه بالقرويين. وقام باختراع آلتين شمسيتين الأولى سماها جعبة العالم واسطوانة العالم، أما الثانية فسماها ربع الشعاع والظل، سنة 1283 ـ 1866، وأهداهما لنفس السلطان سنة 1284 ـ 1867، وبذلك احتل مكانة متميزة في الوسط العلمي بفاس ونال إعجاب السلطان محمد الرابع. بعثه السلطان مولاي الحسن إلى مصر في حدود عام 1291 ـ 1874 لدراسة الطب والتوقيت والتعديل والتنجيم والإرصاد وتخطيط الساعات الشمسية بأحدث الطرق العلمية، فالتحق بالمدرسة الطبية بالقصر العيني بالقاهرة التي كان يديرها الدكتور علي باشا على عهد الخديوي إسماعيل، وبدأ رحلته الدراسية التي لا نعرف مدتها بالضبط. حصل العلمي في نفس السنة على إجازة في الطب من شيخه حسين بن مصطفى عودة الدمشقي السوري أحد أساتذة المدرسة المذكورة، شهد فيها على مواظبته واجتهاده وتفوقه على زملائه. وقد ألصق العلمي على يمينها رسم ربع الشعاع والظل الذي ابتكره بفاس قبل رحيله إلى مصر على سبيل التحلية والشغف بنبوعه في هذا الميدان.

دون العلمي في كتابه النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس ما تلقاه في مصر من علوم، وذيله بلائحة لأشياخه من عرب وعجم، وما أخذ عن هؤلاء من علوم بحتة، يستفاد منها مقاربة نوع التكوين الذي تلقاه في مصر على المستوى النظري والتجريبي، وكفاءته كطبيب متعدد التخصص، وذلك بالمدرسة الطبية المذكورة والمستشفيات والمعمل الكيماوي، وهي كما يلي :

| العلم | الأستاذ | المكان |
|---|---|---|
| الجراحة | محمد علي باشا البقلي | الاسبطار |
| العملية الجراحية | محمد به البقلي | |
| الجراحة باليد | محمد هورزي | |
| الأمراض الباطنية | سالم به سالم | |
| الأمراض الباطنية | الحكيم القطاري | |
| الأمراض الباطنية | إبراهيم أفندي | |
| الأمراض الباطنية | موسى عيسى | |
| الأمراض الباطنية | محمد أفندي شكري | |
| التشريح الهيكلي العظمي والمفصلي | محمود أفندي مصطفى | |
| التشريح العظمي والعروق | محمد أفندي درى | |
| التاريخ الطبيعي | محمد أفندي ندا المصري | |
| علم الكيمياء الطبية | كنستيل الفرنسي بواسطة الطبيب المترجم محمود أفندي ندا | المعمل الكيماوي |
| علم الأقرباذيني | علي أفندي رياض | |

| العلم | الأستاذ | المكان |
|---|---|---|
| علم الرمد<br>أمراض الجلد<br>الزهري | حسين بك عوف<br>علي أفندي رياض<br>عبد الرحمان الهراوي | الاسباطلية المذكورة |
| مشاهدة الحيوان<br>وأحجار المعادن | زهران أفندي | |
| أمراض النساء<br>والأطفال | الحكيم الجرائحي | اسبطالية أمراض النساء |

عاد عبد السلام العلمي بعد انتهاء مدة البعثة إلى فاس، وعينه السلطان مولاي الحسن طبيبه الخاص وطبيب أسرته، بدل الطبيب ليناريس، وربما أراد السلطان بهذا الاختيار تقديم الدليل للأجانب على نجاح البعثات العلمية. لازم العلمي السلطان مولاي الحسن لمدة تجاوزت خمس سنوات، وصار معدوداً من خاصة حاشيته. وبعد انتهاء مهمته الرسمية، فتح دكانا بحي النجارين بفاس، كان في ذلك الوقت بمثابة عيادة طبية لعلاج مختلف الأمراض. غير أن تجربة العلمي في الواقع كانت فريدة من نوعها، ولم تسفر عن تأسيس نواة طبية عصرية. ولعل أهم ما أنتجه في هذا الميدان الطبي كتابه البدر المنير في علاج البواسير، ومفتاح التشريح.

تجدر الإشارة إلى أن العلمي كان عالماً موسوعياً جمع بين الثقافة العربية الإسلامية التقليدية التي تلقاها في القرويين والثقافة الحديثة في مجال العلوم الحقة، كما ساهم في نشر الأفكار والمعارف الجديدة في أوساط المثقفين بفاس عن طريق الكتاب التي جلبها معه من مصر في شتى أصناف المعرفة، وأنجب فضلاً عن ذلك عدداً من التلاميذ، وخصوصاً في الرياضيات التوقيتية أمثال محمد بن علي الغزاوي عبد الكريم بنيس. أصيب عبد السلام العلمي بفالج في نصفه الأسفل، ومع ذلك ظل يزاول مهنته كطبيب يقدم الوصفات العلاجية للمرضى.

توفي سنة 1322 / 1904 ودفن بمقبرة الشرفاء العلميين بفاس.

ع. السلام العلمي، *ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس*، فاس، 1318، ص. 123 - 126 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام*، ج 8، ص. 490 - 491، الرباط، 1977 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، الجزء الأول، ص. 117 - 123، الرباط، 1973 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية*، ص. 421 - 426، الدار البيضاء، 1977.

محمد عمراني

**العلمي، عبد القادر** (سيدي قدور) بن محمد بن أحمد بن بلقاسم الإدريسي العلمي الحمدوني، أشهر شعراء الملحون بمكناس وشيخ متصوفة هذا الفن بمغرب القرنين (12 و13 م / 18 و19 م). ولد بمكناسة الزيتون سنة 1154 / 1741.

احتفى المؤرخون والإخباريون بذكره فنعته الناصري بولي الله البركة الشهير صاحب الأزجال الملحونة، وعني بأخباره الكتاني في السلوة، وابن زيدان في *الإتحاف*، كما نوه بذكره تلميذه امحمد بن عبد الهادي غريط في أرجوزة له بعنوان *رياض أنس الفكر والقلب*، ومحمد التاودي السقاط في رسالة له بعنوان *خرق العوائد واستجلاب الفوائد*. استعرض ابن زيدان أسماء شيوخه في التصوف، فذكر منهم سيدي علي بن عبد الرحمن المعروف بالجمل الفاسي المتوفى عام 1194، ومولاي الطيب الوزاني المتوفى عام 1181، كما أشار إلى بعض من كانوا يترددون عليه بزاويته لأخذ الأسرار والمعارف مثل سيدي العربي بن السايح الشرقي دفين الرباط عام 1309، وسيدي منصور حفيد سعيد بن أبي بكر المنشنزائي المتوفى بمكناس عام 1344، وغيرهما.

وقد غادر العلمي مسقط رأسه بعد أن استكمل رجولته، وقصد مدينة مراكش، فكانت محطته الأثيرة، مكث فيها بضعا وعشرين سنة، يؤم فيها مجالس العارفين، ويطلع على أحوال الناس، فخبر النفوس، حتى إذا رجع إلى مكناس وجد شهرته قد سبقته، فاحتفل به خواصها وعامتها، ورحُبت له مجالس السلطان العلوي المولى عبد الرحمن، ونال فيها من الحظوة والتقدير ما عز على كثير من شعراء العربية الفصيحة بله شعراء الملحون.

وبالرغم من أميته، فقد أسعفته قريحته وسعة خبرته بأحوال الناس وأسرار الحياة ليكون غزير الإنتاج حتى إنه لم يترك غرضا من أغراض الشعر إلا طرقه، فنظم في التغزل والخمريات، وأفاض في وصف مباهج الحياة ومجالس الأنس وزينة الدنيا، كما نظم في القصص والحكم، وأخبار الأولياء والأنبياء، وفي الموعظة والتوسل إلى الخالق والتصلية على النبي الكريم والتشوف إلى زيارة قبره الشريف حتى لكأن ديوانه رحلةٌ في عالم اللذة والمتعة، أو سجل للتاريخ واستلهام العبر والذكرى.

وقد تضافرت عدة عوامل لتستقطب اهتمام الناس منذ القديم بالعلمي وبأشعاره حتى أوشكت شهرته أن تغطي على سائر الذين سبقوه إلى نظم الملحون في الحاضرة الإسماعيلية، ومن هذه العوامل أن أشعاره أصبحت تشكل مصدراً لاستلهام النصيحة. وفي ذلك يقول محمد عريط مخاطبا أتباع العلمي :

واقبلوا النصح من أهل الخير ... واستيْقظوا من ورطات الضيْر

كالقاضي الحجة في موزونه ... والعلمي القدوة في ملحونة

ومنها أيضاً أن العلمي كان يُملي بنفسه قصائده على ثلة من الكتبة والرواة، وهو أمر ساعد على حفظها وذيوع نُسخها بين الناس وتشجيع الأشياخ على إنشادها بالنغمات.

وإلى هذين العاملين يضاف صنيع بعض تلامذته وملازميه، خاصة منهم الشيخ العربي المكناسي الذي نقل أشعاره إلى الحضرة التلمسانية بالجزائر مما زاد في سعة انتشارها والإقبال عليها.

وأمام غزارة إنتاجه فقد اتجهت عناية الناس إلى جمعه في كنانيش خاصة ما يزال بعضها مما تحتفي بامتلاكه بعض الأسر المكناسية، كما اتجه بعض المستشرقين إلى نقل بعض قصائده إلى لغات أجنبية. ومن هؤلاء المستعرب بوريت (Bwret) الذي أنجز عن العلمي بحثا بيوغرافيا، وسونيك (Sonnech) الذي نقل إلى الفرنسية إحدى قصائده، وفيشير (Fischer) الذي نقل إلى الألمانية بعض قصائده.

وقد أحصى المهتمون ما حفظ من شعر العلمي فبلغ ذلك سبعين قصيدة وعشرين سرابة، وهذا أمر حمل على الاعتقاد بأن يد الضياع لم تصب إلا النادر من منظوماته. ولعل من هذا النادر القصائد التي أثر عنه أنه أحرقها بنفسه في أخريات حياته.

ومن روائع ما نظمه العلمي قصيدة الدار، والتوسلية، والجمهور، وذابل لعيان، وطالت سيدي هذا الغيبة، وطامويا بهيج الخدادة، وظل نهاري سعيد، وما ازين أو صولك، والمحبوب، والمزيان، والساقي، وورقة مول الحب، وكلها مما يتنافس في إنشاده أشياخ الگريحة، وأكثرها مما سجلته الإذاعة الوطنية بأصوات كبار هؤلاء كالحاج محمد بنغائم، والحاج الحسين التولالي، وعبد الكريم گنون.

ويبدو أن الإقبال على إنشاد قصائد العلمي على الطبوع والنغمات كان مما ولع به الناس حتى في حياته. ويدل على ذلك ما ذكره المشرفي في "الحسام" وهو بصدد الحديث عن زاوية العلمي إذ قال : "له قصائد عديدة في محلون الشعر تلقى في حضرة الملوك وتنشد في مجالس السرور، وتشرق بها الأسماع، ويطيب بذكرها وإنشادها السماع". كما يدل على ذلك ما حكاه المستعرب (بوريت) نقلا عن شخص بفاس الجديد في موضوع رغبة بعض المدعوين إلى أحد الأعراس في الاستماع إلى قصيدة العلمي "طامويا بهيج الخدادا".

وقد وقف النقاد والدارسون من خمريات وغزليات العلمي مواقف متباينة، فرأى البعض أنها تعكس المرحلة الأولى من حياته، وهي مرحلة مارس فيها سلوك الإنسان العادي من حب وإقبال على متع الحياة، فيما ذهب آخرون إلى تأويل أقواله وحمل مضامينها على غير ما يبوح به منطوقها وتعلن عنه كلماتها.

أما أشعاره الحكمية ففيها نفحات من التصوف، غير أنه تصوف "وظيفي"، يتجافى الإغراق في التجريد، ويتجاوز الوقوف عند خلجات النفس وخطرات الفلسفة وشطحات الفكر، ليحرك في المرء دواعي التأمل في الحياة، أو ليثير التساؤل عن المسَلّمَات التي اطمأن إليها الناس، أو ليفضح ما جبل عليه بعض هؤلاء من نفاق وتحايل وخداع، أو ليدلهم على نهج السعادة في الحياة.

توفي العلمي عام 1266 / 1850 عن مائة واثني عشر عاماً ودفن بزاويته بمكناس.

ع. الجراري، *القصيدة*، ص. 629 - 639 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5، ص. 336 - 352 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 9، ص. 61 ؛ ع. العزيز ابن عبد الجليل، سيدي عبد القادر العلمي شيخ متصوفة المحلون ؛ *ندوة الملحون والتصوف*، ملتقى سجلماسة الثالث لفن الملحون، 8 - 10 يونيو، 1990، ص. 43 - 48 ؛ محمد بن عبد الهادي غريط، أرجوزة، *رياض أنس الفكر والقلب*، مخطوط، الخزانة العامة، الرباط، رقم د 512 ؛ م. التاودي السقاط، *خرق العوائد واستجلاب الفوائد*، مخ. خ. ع. الرباط، رقم 524.
Sonnech, *Chants arabes du Maghreb.*

عبد العزيز ابن عبد الجليل

**العلمي، علال** ولد المقاوم العلمي علال سنة 1923 بدوار حضرية ملحقة تيزي وسلي دائرة اكنول إقليم تازة من والديه عمر بن علي ورقية بنت عمر.

انخرط الفقيد في صفوف جيش التحرير بدافع الغيرة الوطنية والتشبث بمبدأ استقلال المغرب حيث انضم إلى وحدات الجيش بالشمال تحت قيادة محمد العجوري شارك في عدة معارك وهجومات مع اخوانه في الجهاد إلى أن تحقق الاستقلال على يد بطل العروبة والإسلام جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه.

وقد وافته المنية رحمة الله عليه يوم 6 / 2 / 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503989.

**العلمي، علي بن عيسى**، لا تسعفنا المصادر في الإلمام بسيرته، وكل ما نعرفه عنه أنه ينتسب إلى فئة الشرفاء العلميين الذين استوطنوا شفشاون منذ تأسيسها على يد بني راشد سنة 1471، وقد عرفوا تارة بشرفاء القوس وأخرى بأولاد الشريف. اشتهرت أسرته بالعلم، وتسلسلت فيها خطة القضاء منذ جده الثاني علي بن أحمد العلمي المتوفى. ولد علي بن عيسى العلمي بشفشاون وتلقى بها المعارف الأساسية في العلوم الشرعية واللغة العربية، وانتقل إلى تطوان حيث تتلمذ على علمائها أمثال القاضي عبد الرحمان الزلال ومحمد قريش كما يستفاد من نوازله، ثم شد الرحال إلى مدينة فاس لاستكمال تكوينه العلمي، وتلقى مختلف علوم العصر على يد كبار العلماء أمثال عبد القادر الفاسي ومحمد العربي بردلة.

ولعل أسلاف علي بن عيسى العلمي لعبوا دوراً في تحديد مساره العلمي من خلال بروزهم في ميدان الفقه والتوثيق، مما أهلهم لاحتكار خطة القضاء والفتوى في مدينة شفشاون لفترة زمنية طويلة. وهكذا عين بعد تخرجه من القرويين قاضياً لشفشاون من عامل تطوان ونواحيها علي بن عبد الله الريفي في تاريخ غير معلوم، ويظهر من خلال رسالة الاستقالة التي قدمها إلى نفس العامل، أن الفقيه عاش محنة حقيقية إثر نازلة تمليك الحراطين على يد السلطان المولى إسماعيل والتي امتد تأثيرها إلى قبائل ومدن الشمال الغربي، إذ كان ثمن امتناعه عن المصادقة على عقود التمليك على ما يبدو من نص نفس الوثيقة، اعتزال القضاء والهروب إلى مكان مجهول.

توفي عام 1127 / 1715، تاركا عمله الهام في النوازل مصدر شهرته، جمع فيها فتاوى متنوعة في بابي العبادات والمعاملات.

ع. بن عيسى العلمي، *كتاب النوازل*، ثلاثة أجزاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، تح. المجلس العلمي بفاس، 1983.

**العلمي، عمر** بن **عبد الوهاب** ت 956 ـ 1459 ينتسب عمر بن عبد الوهاب إلى الشرفاء العمليين المنحدرين من نسل الشيخ عبد السلام بن مشيش من فرع بني عبد الوهاب، سكان قرية أفرنوا في قبيلة بني عروس. وهو يعتبر من أوائل الشرفاء العلميين الذين انخرطوا في الطريقة الشاذلية الجزولية على يد الشيخ عبد الله الغزواني وحققوا شهرة في ميدان الصلاح، وهو فضلاً عن ذلك فقيه سني مشارك، اشتهر بمناظرته للفقيه محمد بن علي الشطيبي التزغردي في مسألة "من زعم أن النبي محمد (ص) قد مات فقد كفر"، وله أيضاً إلمام بالأنساب، فهو واضع أول شجرة للشرفاء العلميين الموسويين، ولا نستبعد أن يكون مارس نقابة الشرفاء العلميين.

م. بن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، ص. 17، الرباط، 1977؛ ع. السلام القادري، *الدرر السني*، ص.42 ـ 43، طبعة حجرية، فاس، 1308.

**العلمي، محمد** بن **الحسن** أبو جمعة لم يرد في المصادر المغربية ما يكفي لكتابة سيرة هذا العلم، وكل ما نعرفه عنه من خلال الإشارات الواردة في المصادر نسبه ومشاركته في الجهاد وشروعه في اختطاط رباط شفشاون، فهو بدون شك من مشاهير رجال جبال الهبط في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي. وأقدم ما بلغنا عنه، ما ذكره صاحب مرآة المحاسن في سياق حديثه عن اختطاط مدينة شفشاون في العدوة الأخرى لوادي شفشاون في حدود سنة 876 ـ 1471، بجوار قرية غير وزيم في قبيلة الأخماس السفلى، وهو حسب عمود نسب أورده العربي الفاسي في نفس المصدر ينحدر من سلالة الشيخ عبد السلام بن مشيش من نسل ولده علال.

والمؤكد أن الشريف اكتسب شهرته وتبوء مكانة دينية واجتماعية من خلال بروزه في ميدان الصلاح والجهاد، حيث شارك في الجهاد الشعبي لتحرير مدينة سبتة ابتداء من سنة 1415 بقيادة شيوخ الطريقة الشاذلية الجزولية، إلى جانب عب بن محمد المجكسي وصالح بن صالح الياباني حاكم طنجة الذي عينه مقدما للمجاهدين في رباط جبل حبيب ابتداء من سنة 1418.

وإذا كانت المصادر لا تضفي على هذا الشخص صفات القيادة في ميدان الجهاد إلى غاية شروعه في اختطاط شفشاون، وتقتصر على ذكر خبر وفاته في نفس السنة في مركز الخروب في جبل حبيب بتدبير من البرتغاليين، فإننا لا نشك في أن هذا الشريف أبلى البلاء الحسن في خلال ما زاد على نصف قرن من الزمن من الممارسة الجهادية في ظرف عصيب، وعزم على بناء رباط جديد بقلب قبيلة الأخماس. ومن جملة الصفات التي حملها أبو جمعة العلمي فضلاً عن الجهاد حسب صاحب *مرآة المحاسن*، الصلاح والتفقه في الدين، مما جعله مؤهلا لقيادة الحركة الجهادية على المستوى الإقليمي.

ع. الفاسي، *مرآة المحاسن*، ص. 168، فاس، 1324؛ أ. بن القاضي، *لقط الفرائد*، تح. م. حجي، *ضمن ألف سنة من الوفيات*، ص. 265، الرباط، 1976؛ ح. الفكيكي، سبتة المغربية، ع 14، ص. 136، أبريل، 2000.

محمد عمراني

**العلمي، محمد** بن **الطيب** المتوفى سنة 1134 هو محمد بن الطيب بن أحمد العلمي، كنيته أبو العباس أحد الشعراء المجيدين، والوشاحين المتألقين في العصر العلوي الأول.

لم تشر المصادر إلى تاريخ ميلاده بالتحديد، وإنما يستخلص ذلك من بعض الإشارات، فهي سنة 1082، بناء على قولة الأديب مصباح الزرويلي في كتابه *سنا المهتدي إلى مفاخر الوزير اليحمدي*: "وكان أسن مني وأعلم بالأدب، وكنت أراعي منزلته"، والزرويلي من مواليد سنة 1098، كما يؤكد هذا الافتراض ابن الحاج في *الدر المنتخب*)، عندما ذكر أن للعلمي قصيدة في مدح المولى إسماعيل وتهنئته بفتح مدينة العرائش سنة 1101، كما أورد العلمي لنفسه قصيدة في *الأنيس المطرب* في مدح المولى إسماعيل بعد فتح مدينة طنجة سنة 1095، قدم لها بقوله: "وقلت في أولية اشتغالي بهذا الفن قصيدة، رأيت أن أثبت منها شيئا على ما فيه من المسامحة"، مطلعها:

لك العز والتأييد والفتح والنصر　　أيا ملكا يصبو له البر والبحر

التحق العلمي بالكتاب القرآني ثم بجامع القرويين، حيث شغفه علما التاريخ والأدب، ومن شيوخه بفاس أحمد المساوي وعبد الرحمن الفشتالي والشاعر محمد بن زاكور وغيرهم، وقد حلاهم أثناء الترجمة لهم في كتابه *الأنيس المطرب* بنعوت وأوصاف منها: "الفقيه المشارك، الفقيه النزيه الورع، من أهل الفضل وأحد قضاة العدل" إلى غيرها.

وبعد مرحلة التلقي والدرس، تصدر العلمي للإقراء، فكانت له حلقات دروس في النحو والبلاغة والأدب.

ورحل إلى المشرق بقصد الحج، فمات بالقاهرة عام 1134، وقيل سنة 1135، بعد أن طال تشوقه للحرمين، لكن لم يقدر له الوصول إليهما.

مؤلفاته:

ـ *الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب*، انتهى من تأليفه سنة 1121، وطبع على الحجر بفاس مرتين، الأولى سنة 1305 والثانية سنة 1315، وهو يتضمن مختارات

أدبية لاثني عشر شاعراً مع نوادر وحكايات، "ومسائل علمية اقتضتها الصنعة القلمية" كما ذكر في مقدمة الأنيس المطرب.

ـ *كناشة* مخطوطة تحتوي على أشعاره توجد بالخزانة العامة بالرباط.

ـ مجموعة رسائل أدبية وإخوانية أرسلها الشاعر إلى عدد من كتاب الدولة وأدباء العصر، وتوجد ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط.

ـ *رسالة في معرفة النغمات الثمان*، وهي في فن الموسيقى، أوردها في الأنيس المطرب.

ـ رسائل في فضائل الخيل، وهي في *الأنيس المطرب*.

ـ *القصائد العشرة في التشوق إلى البقاع المطهرة*، منظومة رتب رويها على حروف المعجم، كل قصيدة بعشرة أبيات، وهي مجهولة المظان.

شعره :

يقول الأستاذ محمد الأخضر : "العلمي من أكبر رجال الأدب والشعر في المغرب، وكثيراً ما يضرب المثل بشعره، ونثره غني ومليء بالصور، شيق القراءة على ما فيه من تكلف، موفق التصوير".

تناول العلمي في شعره جميع الأغراض الشعرية من مدح ووصف وغزل ورثاء وحكم، كما برع في فن التوشيخ.

غزله موزع بين الجنسين، فكما تغزل في فاطمة وليلى وسعاد تغزل في ابن عباد ومسعود وأحمد وغيرهم في موشحات رقيقة شيقة، وله خمريات أبدع في وصف مجالسها وذكر ندمائه وسقاته وعذاله، وقد تميز في قصائده الوصفية للطبيعة الحية والجامدة، فوصف الرياض والأزهار والوديان، والأبهاء والقصور، متمثلا ما يراه بوجدانه ومشاعره في صور أنيقة رشيقة.

أما المدح، فلا يخلو ديوان شعره من قصائد في مدح السلطان المولى إسماعيل وفي مدح بعض الرؤساء والأعيان ممن كانوا يعينونه على غوائل الدهر وذل السؤال.

وله قصائد في مدح الرسول عليه السلام، وفي التشوق إلى زيارة قبره، والتماس شفاعته في نفس صوفي صادق.

يتميز أسلوب ابن الطيب العلمي بالسلاسة والوضوح، مع ما كان يتسم به أحيانا من زخرفة لفظية ومعنوية في غير تكلف، كما كان يتميز بحسن تصويره ودقة تخييله مع عناية بموسيقى شعره، إذ كان يختار البحور ذات الجرس الموسيقي النافذ، معتمداً تارة على نهج القصيدة العمودية وأخرى على فن الموشحات.

وقد اهتم بشعره فجمعه وحققه الباحث عبد الرحيم الراجي في رسالة جامعية غير منشورة. حلاه القادري في نشر المثاني بقوله : "الأديب النجيب أبو عبد الله سيد محمد بن الطيب العلمي، فاسي الدار والمنشإ والقرار، وكانت له ملكة في نظم الشعر، فنظم كثيراً منه"، وقال عنه اليفرني في المسلك السهل : تاج الأدباء، وسراج البلغاء، وصاحب القلم الرفيع" كما يشبهه بعض معاصريه في فصاحته وبلاغته بسحبان وائل وقس بن ساعدة، أما الأستاذ عبد الله كنون فقال عنه : "له الشعر طبع متدفق رقيق، وفي الكتابة أسلوب راق منسجم، وألفاظه فصيحة، ومعانيه واضحة".

وقد قرظ كتاب *الأنيس المطرب* ناسخه ومصححه السيد محمد بن محمد الرئيس سنة 1305 ص. 360، فقال : "جاء اسمه يغني عن الجليس، ويلهو عن محاسن بلقيس، فكم فيه من يواقيت وجواهر، لا يقدر على الإتيان بها شاعر ولا مرصع ماهر، ومع غاية الإيجاز فقد بلغ فيه حد الإعجاز، ولم يغادر من الأدب صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، واستجلب دانيها وأقصاها، فلله دره من أديب ومجتهد في فن البلاغة مصيب".

ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 5 : 283 ـ 220. *البدائع* (معجم أدبي خصص للعلمي) ؛ ع. الوهاب بن منصور، *الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية*، لمحمد الأخضر، ص. 177 ـ 198، ع. الله گنون، *سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب*، الحلقة 14 ؛ گنون، *النبوغ المغربي*، ج 1 : 314 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج 3 : 263 ؛ ع. الرحيم الراجي، *شعر ابن الطيب العلمي*، رسالة جامعية في جزأين ؛ زركلي، *الأعلام*، ج 6 : 171، ط 4، *شجرة النور الزكية*، ص. 336.

نجاة المريني

**العلمي، محمد** بن **عبد الله** الرباطي تلميذ الشيخ أبي بكر البناني. تعلم بفاس على الفقيه المرنيسي الذي لازمه مدة إلى أن صاهره. انتدبه الجيلالي بن حمو كاتبا معه. سافر معه إلى طنجة عندما كان والياً عليها ثم انتدبه السلطان مولاي الحسن كاتبا معه أيام الوزير السي موسى.

توفي بالرباط مسقط رأسه سنة 1318 / 1900 ودفن بجوار شيخه بالزاوية البنانية.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 200 ـ 221.

عبد الإله الفاسي

**العلمي، محمد** بن **العربي** ولد يوم 22 غشت 1914 بمدينة فاس، وتلقى تعليمه بمدرسة السلام (مدرسة لالة تاجة حاليا) التي أسسها أحمد مكوار وأدارها محمد اليمني الناصري.

انخرط في الحركة الوطنية على يد الفقيه محمد غازي في سن مبكرة من عمره، حيث حكم عليه بالسجن مدة شهر واحد بعد صدور ظهير 16 ماي 1930. وقد تحدثت وثيقة رسمية عن "ماضيه الوطني الثقيل" وعن "دسائسه الوطنية" التي أدت إلى اعتقاله وسجنه مدة شهر واحد وإبعاده إلى مدينة خريبكة إثر احتجاجه على السياسة الفرنسية. التحق بجامع القرويين سنة 1933، ثم رحل، على نفقة أسرته الموسرة، إلى القاهرة سنة 1935 ليتابع الدراسة بجامعة الأزهر ويحصل على شهادة العالمية منها في السنة الموالية. ثم التحق بكلية دار العلوم المعروفة بقيمتها العلمية ووزن أساتذتها المتخصصين في العلوم العربية، فتخرج منها سنة 1940.

وأثناء إقامته في مصر، عمل على التعريف بالحركة الوطنية المغربية، حيث ساهم في تأسيس لجنة الدفاع عن المغرب الأقصى بالقاهرة سنة 1936، ونشر عدداً من المقالات في الصحف الجزائرية والمجلات المصرية (الجهاد والبلاغ والأهرام)، وخص مجلة النذير لسان حال جمعية الإخوان المسلمين بملف عن المغرب، يحتوي على وثيقة تاريخية لعبد العزيز بن إدريس العمراوي عن أساليب القمع في منافي كلميمة وسجونها.

وبعد عودته إلى المغرب في سنة 1941، أسس مدرسة الأمير مولاي الحسن المشهورة في مدينة الدار البيضاء باسم المدرسة العلمية، وكانت أول مدرسة وطنية دشنها الأمير مولاي الحسن يوم 16 أكتوبر 1944، قبل أن يفتتح السلطان سيدي محمد بن يوسف قسمها الداخلي. وقد ساهم في تمويل مشروع هذه المدرسة آل العلمي وآل بنجلون.

وقع محمد العلمي على وثيقة المطالبة بالاستقلال، بصفته "شخصية حرة"، إلى جانب الأعضاء الذين كانوا منتمين إلى الحزب الوطني. يكشف أبو بكر القادري عن سياق مشاركة العلمي في التوقيع على الوثيقة، فيقول: "وعندما كنا نتهيأ لتحضير وثيقة المطالبة بالاستقلال، كان السيد محمد العلمي حسب ما يبلغني من أعضاء الحركة القومية التابعة للسيد محمد بن الحسن الوزاني، وأنه في بعض الفترات كان موضع ثقته الأولى، ولربما كان يكلفه ببعض المهام، ونظرا لعلاقة الحاج عمر بن عبد الجليل مع السيد عبد العزيز العلمي (شقيق صاحب الترجمة) الذي كان اتجاهه مع الحزب الوطني ثم مع حزب الاستقلال، فإن الحاج عمر كان يلتقي مع سي محمد العلمي في بيت سي عبد العزيز، وهكذا حصل كثير من التجاوب بينه وبين الحاج عمر لدرجة كبيرة الأمر الذي جعله يطمئن إليه كثير الاطمئنان، ولربما كان هذا هو الدافع الأساسي ليقترحه على الحزب من أجل التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال وهو ما جعل اسم السيد محمد بن العربي العلمي من الموقعين الأولين على الوثيقة. ولست أدري أنه لدى توقيعه على الوثيقة استأذن أصحابه في الحركة القومية أم لا؟"

نعتقد أن صلة العلمي بحزب الاستقلال لم تدم طويلا، إن نقل إنها لم تتعد المشاركة في وثيقة 11 يناير 1944، وقد أشارت إحدى الوثائق الرسمية إلى أنه كان مسؤولا عن قطاع التعليم داخل الحزب سنة 1946. والمؤكد أنه شارك في تأسيس حزب الشورى والاستقلال الذي حل محل الحركة القومية، بل وكان حاضرا في مكتبه السياسي المؤلف في المؤتمر التأسيسي المنعقد أيام 27 و29 يوليوز 1946. وهناك تطرح تساؤلات عن أسباب هذا الانتقال، منها: هل يتعلق الأمر بعدم تلبية طموحه السياسي الشخصي وعدم حضوره في الأجهزة القيادية لحزب الاستقلال؟ أم هل وراء ذلك اختلاف مبدئي مع أفكار هذا الحزب واقتناع برؤى محمد حسن الوزاني، حسب ما ذهبت إليه إحدى الوثائق الرسمية؟ لم يطل ارتباطه بحزبه الجديد، إذ تم طرده وآخرين منه في المؤتمر الثاني سنة 1950، بعد اتهامهم بعدم الانضباط وباستعمال الحرية بشكل يتنافى مع النظام. ويظهر أن نشاطه الحزبي انتهى بعد ذلك، دون أن يقطع علاقاته الشخصية والتجارية مع رفاقه الشوريين السابقين، وذلك من خلال مؤسستين اثنتين محسوبتين على الحزب على الأقل، وهما شركة "دار الكتاب" التي كان العلمي من بين المساهمين فيها والمدرسة العلمية التي توصف بأنها "مدرسة شورية الاتجاه" ويعمل فيها عدد من وجوه الحزب المعروفة من أمثال أحمد بنجلون ومصطفى القصري.

تقلب محمد العلمي في عدة مناصب دبلوماسية بعد الاستقلال، فقد عين سفيرا بتونس (1956 - 1960) ثم بلبنان فكاتبا للدولة في الخارجية ثم سفيرا بإيران وأفغانستان ومصر والسعودية واليمن. وأخيراً، تعاطى للتجارة الكبرى فكان مع أخيه من التجار اللامعين إلى أن وافته المنية يوم 23 يناير سنة 1990.

*تراجم الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال 11 يناير 1944 / 1996*، نشر، *المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير*، ط. 2، 1996، ص. 99؛ محمد معروف الدفالي، حزب *الشورى والاستقلال من التأسيس إلى الانهيار*، أمل، عدد مزدوج، 10 - 11، ص. 65 - 94؛ جون جيمس ديمس، *حركة المدارس الحرة بالمغرب*، 1919 - 1970، تر. السعيد المعتصم عن الإنجليزية، نشر تانسيفت، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. 1، 1991، وخاصة ص. 62 و65 و94؛ عبد الهادي الشرايبي، *ثمن الحرية*، مطبعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1398 / 1978، ص. 183 - 188 و208 - 209؛ أبو بكر القادري، *رجال عرفتهم الموقعون على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ج 12، ط. 1422 / 2001، مطبعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1398 / 1978، ص. 101 - 103؛ *الزيارة الميدانية*.

نجيب تقي

**العلمي، مَحمد** بن **محمد** بن إبراهيم الحسني الفاسي. كبير الفلكيين والموقتين المغاربة المعاصرين. ولد بفاس عام 1292 / 1875 حلاه تلميذه ابن سودة في *سل*

*النصال* بقوله : "العلامة المشارك المطلع المدرس النفاعة، شيخ الجماعة في علم التوقيت والتنجيم والحساب والهيئة وغير ذلك من علوم الرياضيات. آخر من أتقن هذه العلوم اتقاناً نظرياً وعلمياً."

درس بمسقط رأسه على كبار شيوخ القرويين المتوافرين، منهم أحمد بن الطالب ابن سودة، وعبد الله الكامل الأمراني، وعبد السلام الهواري، وعبد السلام بناني الطبيب، وشيخ الفلكيين محمد بن علي الأغزاوي وغيرهم كثير.

اشتغل بالتدريس والتأليف طوال حياته وانتفع به من الطلبة الفاسيين والطارئين علي المدينة من لايحصى عدداً. ويذكر طلبته أنه كان عند شرح المواقع الجغرافية والخطوط الفلكية يرسم لهم بأصبعه في الهواء أو على الحصير لعدم وجود سبورات في القرويين، وكان كثير التقييد، حريصاً على نفع الآخرين بتحقيقاته واكتشافاته. لذلك كثرت تآليفه الكبري والصغرى التي تُعدُّ بالعشرات، طبع الكثير منها على الحجر، وقام بتدريسها وتلقينها، وكانت مرجع هذه العلوم العقلية في التعليم الأصيل خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م).

درستُ بسلا على الشيخ الباشا الحاج محمد الصبيحي - وكان من أخص أحباء المترجم وأصفيائه - كثيراً من هذه التآليف المتعلقة بالتوقيت والتعديل *كتقريب البعيد من الجامع المفيد عن أصول الراصد الجديد* ؛ *وحاشية على شرح الفشتالي على رسالة الماريني في العمل بالربع المجيب*، *وجداول الظل* الأثني عشر، وجدول *النسبة الستينية* إلى غير ذلك من تآليفه المطبوعة. ولما انتقلت إلى الجامعة استفدت كثيراً من كتابه القيم *إنهاض الهمم العالية، في التوقيت والتعديل والهيئة والجغرافية*، ترجم فيه لأعلام هذه العلوم من بدايتها إلى الوقت الحاضر، وهو ما يزال مخطوطاً عندي نسخة مصورة منه بتقديم المؤلف بخطه للشيخ الحاج محمد الصبيحي.

فقد المترجم بصره في آخر عمره، وظل مع ذلك يدرس كعادته، بل ويرسم في الهواء لتحديد المواقع وشرح المطالع الفلكية. إلى أن لقى ربه بعد زوال يوم الثلاثاء 29 مضان عام 1373 / فاتح يونيه 1954. ودفن بروضة العبدلاويين بالقباب خارج باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / سل النصال / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3289 ـ 3290.

محمد حجي

**العلمي، محمود** ولد محمد بن محمد بن إدريس العلمي بفاس عام 1923. وفيها نشأ ببيت علم وتدين، فتلقى عن والده أولى معارفه في اللغة والدين، ثم التحق بالكتاب حيث حفظ القرآن واستظهره. ولما بلغ سن التدريس التحق بالتعليم الابتدائي، فحصل على الشهادة الابتدائية عام 1937، ثم التحق بكوليج مولاي إدريس لمتابعة دراسة الثانوية.

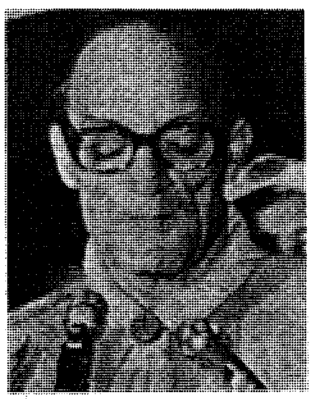

ومنذ يفاعته أحس الفتى بالحاجة إلى العمل الجماعي فانخرط في أوراش التمثيل التي شكلها تلاميذ الثانوية، وكان يشارك في العروض المسرحية التي ينظمونها. وما عتم أن أقبل ـ وبمعيته بعض زملائه التلاميذ ـ على تأسيس فرقة كشفية، وبذلك تحقق أمل ظل يراوده منذ أن كان طفلا يشاهد "الفتيان ... يسيرون مثنى مثنى في أزقة المدينة، وامتلأت نفسه إعجابا بمشهدهم... تؤلف بينهم وحدة كسوتهم ويقولون النشيد".

وقد زاد من حماسه وتعلقه بالنشاط الكشفي حظوة فرقته بزيارة جلالة المغفور له محمد الخامس عام 1940 في المخيم الذي أقامته بمدرسة عين قادوس الفلاحية التجريبية، وبرفقته الأمير مولاي الحسن.

وفي غمرة الأحداث السياسية التي عرفتها مدينة فاس في هذه الظروف والتي لم يكن تلاميذ ثانوية مولاي إدريس ليقفوا بمعزل عنها، وجد الفتى نفسه ذات يوم يتصدر إضرابا لهؤلاء أسفر عن قرار الإدارة بطرده من المؤسسة وحرمانه من متابعة الدراسة بها، ولم يكن قد مضى على نيله شهادة البروڤيه الثانوية سنة 1941 غير عامين.

وأمام المضايقات التي أصبح الفتى عرضة لها بعد توقيفه عن الدراسة من جهة، وصدور قرار بمنع أي نشاط كشفي من جهة أخرى، لم يجد مناصا من مغادرة فاس، فانتقل إلى الرباط عام 1942، وفيها التحق بمدرسة محمد جسوس معلما للغة الفرنسية ومقيما بقسمها الداخلي.

ولما كانت أحداث يناير 1944 أقدمت السلطات الاستعمارية على إغلاق مدرسة جسوس يوم 29 من ذات الشهر، فوجد العلمي نفسه سجينا إلى جانب التلاميذ الداخليين وبقي معهم أسبوعا كاملا يعانون من الحصار والجوع.

لم يطق الفتى البقاء بالرباط، فرحل إلى الدار البيضاء حيث التحق بمدرسة الأمير مولاي الحسن بصفته معلما، وكان على رأسها مؤسسها السيد محمد بن العربي العلمي.

في هذه الفترة ترسخت في نفسه نجاعة التنظيم الكشفي على المستوى الوطني كوسيلة فاعلة لتربية الشباب وخلق طاقات تطوعية تكون مؤهلة لخدمة البلاد. فلما كان ربيع 1946 نظم مخيما سريا لفرقته من أبناء المدرسة ليرميطاج استمر يومي 19 و20 أبريل، ودعا له واحداً وعشرين من مسؤولي الحركة الكشفية بمدن وجدة وفاس ومكناس والرباط وسلا والدار البيضاء وسطات ومراكش، وبذلك تحول المخيم إلى مؤتمر سري انبثق عنه تأسيس هيئة كشفية وطنية تحت اسم "منظمة الكشافة المغربية الإسلامية" تضم سائر الفرق والجمعيات الكشفية المحلية التي حضر ممثلوها في المؤتمر.

إثر ذلك دخلت الهيئة في معركة مع السلطات الاستعمارية يقول عنها مؤسسها محمود العلمي : "انطلق العمل، فكانت مرحلة العمل السري ما بين اصطدامات وحرب القوانين مع السلطات الاستعمارية". وعلى امتداد خمس سنوات عقدت المنظمة أربعة مؤتمرات وطنية تحقق بعدها انتزاع الاعتراف الرسمي عام 1951.

وقد توفي محمود العلمي إثر مرض مفاجئ يوم 16 شتنبر 1983، ودفن في مقبرة الشهداء بالدار البيضاء في محفل كبير. وبمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاته أحيت الجامعة الوطنية يوما مشهوداً بالدار البيضاء ألقيت فيه كلمات وقصائد تنوه بإنجازاته وتشيد بخصاله. ومما جاء في قصيدة رثاه بها الأستاذ عبد العزيز بن عبد الجليل :

محمود كنت حبيبَنا وصديقَنا  تجلو الهمومَ عن الفؤاد السادر
قد كنت نبراساً يُضيء سبيلنا  للحق، للخير المبـين النيّـر

ع. أفا، *نبذة عن حياة القائد الكشفي محمود العلمي بمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاته*. 1029 . 1983 ؛ م. حجي، *رواية شفوية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**العلمي المريصي، إبراهيم** (مولاي -) بن قاسم الشريف الحسني. يُعرف بمولاي إبراهيم الشريف، ومولاي إبراهيم البهالي صالح الرباط الشهير صاحب الضريح القريب من الجامع الأعظم في حي يحمل اسمه (حي مولاي إبراهيم) بين الزاويتين الاحمديين التلمسانية والغربية.

أصله من مدينة سلا انتقل منها في آخر عمره إلى الرباط. كان مجذوبا ساقط التكليف. عاصر الشيخ علي العكاري وغيره من العلماء، فلم يكن أحد منهم يعترض عليه أو ينتقد سلوكه الذي كان يخالف ظاهر الشرع أحياناً كدخوله على النساء بدون استئذان. قال في *الاغتباط* : "فقد تناقلت الألسنة عنه ما هو في الغرابة بمكان، زيادة عن كونه كان يكاشف بالأمور المستقبلة، ... وكثيراً ما كان يحدِّث بالعجائب والغرائب فتقع مطابقة لما حدّث به. والتحقيق أنه لم يتزوج قط ولم يعقب، وإنما عصّبه أبناء أخيه سيدي محمد" ويقول عنه العامة إنه "مولى البلد".

توفي أواخر المائة الحادية عشرة (حوالي عام 1098 / 1687 ودفن أولاً بمقبرة العلو عند شاطئ البحر المحيط الغربي قرب سيدي التركي في موقع أشبار الذي بناه السلطان مولاي عبد الرحمن، ومازال يعرف إلى الآن بمقبرة مولاي إبراهيم. وبعد مرور نحو ثلاثين عاماً نُقل إلى ضريحه الحالي قرب المسجد الأعظم. ويذكرون لهذا النقل حكاية تعد من كراماته. ويوجد ظهير للسلطان المولى إسماعيل مؤرخ في عام 1128 / 1716 إلى بعض الولاة يأمره بالوقوف في حمل جنازة المترجم من قبره بالعلو إلى مدفنه الآن. ويقال إنه وُجد كما دفن حين نقل من غير تغيير، وليست بأول كرامة له. وأصل ضريحه الحالي بيت من دار مجاورة لبعض أقاربه، زيد فيه من المحجّ قبلة وشرقاً، فدفن في النصف الشرقي، وجُعل النصف الغربي مسجداً تقام فيه الصلوات الخمس ويقرأ فيه الحزب.

*ظهائر ورسوم عدلية أصلية لآل مولاي إبراهيم* ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، مصور بالأوفسيط، الرباط، 1987.

محمد حجي

**علوان** (آيت -)، يطلق هذا الاسم اليوم على مجموعة من قبائل القصور بواحتي محامد الغزلان ولكتاوة، وقد كانت وما تزال تعتبر نفسها من آيت عطا. ويتفق كل الباحثين في تاريخ قبائل آيت عطا، أن قبائل آيت علوان قبائل صحراوية بالأصالة والمحتد، وقد تشكلت من فلول وشتات القبائل المعقلية المنحلة التي كانت تجوب بقطعانها هوامش بلاد درعة، قبل تشكيل اتحادية آيت عطا في العقود الأخيرة من القرن 10 (16 م) وقد كانت هذه القبائل في بداية أمرها تعرف بين القبائل باسم علوانة. أما سبلمان فيعتقد بأن هذه القبائل قد اقتبست إسمها من فعل العون الذي تحول في صيغته الأمازيغية إلى "لَعْوان"، مدعيا بأن دَاداً عطا مؤسس اتحادية آيت عطا هو الذي أطلق عليهم هذه الصفة عندما استدعاهم للاستعانة بهم في بعض أغراضه، وقد تحول هذا النعت مع مرور الأيام إلى آيت علوان الحالية.

تعتبر قبائل آيت علوان أوعلوانة من أقدم القبائل التي ساهمت إلى جانب قبائل آيت أونير وآيت وللآلْ ثم آيت واحليم في وضع الأسس الأولى لاتحادية آيت عطا، والجدير بالملاحظة أن عددا من قبائل آيت عطا، ينحدرون من أصول معقلية كما هو الحال مع آيت علوان وآيت بويكنيفس وغيرها من قبائل آيت عطا.

وتشكل قبائل آيت علوان، في هيئة أخماس اتحادية آيت

عطا، الخمس الثالث في هرمية الأخماس، إلى جانب قبائل آيت اسفول.

كانت مجالات قبائل آيت علوان، قبل أن تتحول إلى الاستقرار والارتباط بالأرض، ما بين الدورة السفلى شرقا، وفم زگيد غربا مرورا بالهوامش الجنوبية لبلاد درعة، وقد أضاعت القبائل العلوانية لسانها المعقلي، و"تخلقت بأخلاق وعادات" قبائل آيت عطا بعد ما اندمجت كلية في هذه الاتحادية.

ورغم أن قبائل آيت عطا تعترف لآيت علوان بأنهم من المؤسسين الأوائل لهذه الاتحادية القبلية، فإنه يمنع عليهم أن يتولوا منصب الشيخ الأعلى (أمغار نوفلا) في الاتحادية على غرار القبائل الأخرى من أصول صنهاجية في اتحادية آيت عطا.

وعلى غرار قبائل آيت عطا التي كانت تضطر إلى مغادرة مجالات انتشارها الأولى في الهوامش الصحراوية، بحثا عن أماكن أفضل لرعي قطعانها في الأودية وشمال الأطلس، اندفعت قبائل آيت علوان إلى دادس وبلاد تنيفة وانتشرت في عدة مناطق بالأطلس المتوسط فاندمجت في بعض قبائل آيت عطا نومالو بناحيتي وارزغت وأزيلال، وقد وصلت بعض العناصر منهم إلى أحواز مكناس حيث اندمجوا في قبائل گروا.

إلا أن الأغلبية العظمى من قبائل آيت علوان ظلت مرتبطة بمناطق تجمعاتها الأولى بهوامش بلاد درعة، حيث تمكنت في نهاية القرن 19 م ومطلع القرن 20 م إلى السيطرة على بعض قصور واحة محاميد الغزلان، وبدأت تتحول تدريجيا من الترحل والانتجاع إلى الاستقرار والارتباط بالأرض.

وفي غمرة الصراعات القبلية التي طرأت على وادي درعة عامة وواحتي محاميد الغزلان ولكتاوة بصفة خاصة خلال العقدين الأولين من القرن 20 م، حاولت قبائل آيت علوان من تقوية مجال نفوذها بواحة محاميد الغزلان على حساب قبائل الجوار خاصة قبائل عْريبْ التي استنجدت بقبائل آيت خباش لمواجهة التفوق العددي لآيت علوان.

وأمام وطأة آيت خباش استنجدت قبائل آيت علوان بحلفائها من آيت اسفول، فامتدت مظاهر الفتنة بين هذه القبائل إلى كل أطراف محاميد الغزلان ولكتاوة. وقد حاولت فرنسا أن تسيطر على المنطقة بواسطة آل الگلاوي في أواسط العقد الثالث من القرن 20 م، فنزل حَمّو الگلاوي على رأس حركة قوية إلى وادي درعة، فلما وصل إلى رباط تينزولين في بداية سنة 1924 م، وجه جماعة من المخازنية إلى محاميد الغزلان، لجس نبض القبائل ومحاولة التعرف على مدى قواتها واستعدادها للمواجهة، فقامت قبائل آيت علوان باعتقال مخازنية حمو الگلاوي وترحيلهم إلى تينزولين في تحد صارخ للقائد حمو الگلاوي. وقد ظلت قبائل آيت علوان تصارع القبائل القوية من آيت عطا، تقاوم مرة وتسلم أخرى إلى أن تمكن الفرنسيون من السيطرة على المنطقة في نهاية سنة 1932 حيث نجح الفرنسيون في التمركز بمركز المحاميد الحالي.

ومن القصور التي تستوطنها قبائل آيت علوان بواحة لكتاوة تيراف، وأولاد عْلي والركبة وقصبة آيت علوان. وبواحة محاميد الغزلان، قصر أولاد محيا، وقصبة ولد سيدي خليل وقصبة مولاي مبارك، وبُونُو، وزاوية لَهْنا، حيث تشاركهم السكن بعض قبائل عْريبْ.

وتتشكل قبائل آيت علوان من الفرق الآتية : آيت غْنيمة، آيت بومَسْعود، آيت سيدي ثم آيت أونْزار وكل فرقة من هذه الفرق الأربع تتكون من عدة بطون أو قبائل صغرى.


محمد بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ التقي العلوي، *الاتحاديات الأطلسية*، البحث العلمي، ع. 24، 1974.

G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra : Districts et tribus de la haute vallée du Dra ; Souvenirs d'un colonialiste* : P. Azam, *Sédentaires et nomades du sud marocain*, *C.H.E.A.M.*, 1947 ; F. de Lachapelle, *Le sultan My Ismail et les berbères sanhaja du Maroc central*, *A.M.*, n° 28 : Inconnu, *Monographie de l'oued Dra*.


أحمد البوزيدي

**علوان ، الغماري** ثائر قام بجبال غمارة في أيام الخليفة الناصر الموحدي الذي خرج إليه في حملة عسكرية سنة 595 / 1199 وتمكن من القضاء على ثورته.


ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 206 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ط. 1954، ج 2، ص. 214.


رشيد سلامي

**علوج البحرية المغربية**، العلوج والأعلاج : جمع علْجٌ، وفي اللغة هو الفرد من كفار العجم، والقصد به في المغرب الأفراد المسيحيون واليهود الذين ارتدوا عن ديانتهم الأصلية لمعانقة العقيدة الإسلامية، وهم في غالبيتهم ممن في بؤس الأسر. وقد دأبت الأسر الحاكمة منذ العهد المرابطي على إدماج جموع من المرتدين من مسيحيي الأندلس ممن يتصفون بالكفاءة العسكرية والهندسية والتقنية في قواتها البرية والبحرية للاستفادة من مداركهم المتقدمة المطلوبة في هذا الصدد، وأيضا من ضعف عصبيتهم وسط الأهالي وارتباطهم بشخص السلطان والأمراء وكبار القادة.

وقد كانت عملية تحول الأسير المسيحي إلى علج مسلم تتم بناء على رغبته طوعا أو ترغيبا، يتقدم إلى القائد أو القاضي الذي يشرف شخصيا على ذلك، طالبا من المعني بالأمر ترديد الشهادتين قبل إخضاعه لطقوس الاطهار بتنفيذ عملية الختان، ثم بتكليف أحد الفقهاء بتلقينه قواعد وفروض العقيدة. وكانت نظرة المجتمع إلى هذا التحول من باب الأعمال الحميدة والحسنات الكبرى التي تعود على صاحب الأسير السابق بالثناء والمديح. ومع ذلك لا يؤدي اعتناق العلج للإسلام إلى انعتاقه مباشرة، ولكنه كان مرحلة

أولى في أفق تحرره النهائي. وحدث التحرر هذا كان يتمثل في تحول الأسير إلى مولى تابع لسيده بتأسيس شبه قرابة بينهما يلتزم فيها كل منهما ضمنيا بتعهدات إزاء الآخر. وبمجرد تحول الأسير إلى علج حر، ونجاحه في اكتساب ثقة المجتمع من خلال سيرته الدينية والاجتماعية وكفاءته العلمية والميدانية، ينعم بنفس الامتيازات التي يحظى بها المسلمون الأصليون، ويصبح معدوداً دون تمييز من عناصر البلد، له ما لهم، وعليه ما عليهم، بشكل يفسح المجال أمامه لبلوغ كافة المناصب حسب قدراته ومؤهلاته، الأمر الذي مكن المجتمع الجهادي من الاستفادة من تجارب مجموعة بشرية متنوعة في عدد من الميادين، وخاصة تلك التي لها طابع تقني ؛ كما مكن العلوج من تحسين وضعيتهم وإبراز كفاءاتهم، وتبوإ أسمى المراتب.

وإذا كانت نسبة من العلوج يتم استقطابها من بين مغامري البحر والجنود المسيحيين الفارين من الخدمة العسكرية من مراكز الاحتلال، فإن انتشالهم العام كان أولا من أسرى الإسبان في المعارك البرية بالأندلس إلى حين تضعضع النفوذ المغربي بها عقب معركة العقاب (1212)، ثم من أسرى المعارك الدائرة حول مراكز الاحتلال بالسواحل المغربية في مرحلة لاحقة امتدت من فترة سقوط سبتة حتى تحرير مركز البريجة (ق 18 م). وتخلل هذه الفترة انتشال مطرد للعلوج خارج المجال القاري من أسرى العمليات البحرية الجهادية التي بدأت في عهد محمد الشيخ السعدي، وعرفت أوجهها طيلة القرن (17 م) على يد رياس الجهاد السلاوي ثم على يد الأسطول الإسماعيلي، دون أن يعرف نفس الازدهار في عهد حفيده سيدي محمد بن عبد الله، تعبيراً عن بداية توقف الأسطول، وتآكله التدريجي بفعل افتقاره إلى طاقته الفعالة، وزيادة استفحال ذلك بتراجع انتشال العلوج من بين الأسرى.

لقد كان استقطاب العلوج ينبني على التحفيز المادي والمعنوي، ويتشكل غالبا في الإلزام القسري الممارس على جملة من بحارة أوربا المتعرضين للأسر، مع اضطرار هؤلاء إلى التكيف مع واقعهم، واختيارهم الاندماج الطوعي في محيطهم الجديد، منخرطين بصورة شبه تلقائية في دعم المجهود الملاحي، لما يوفره لهم ذلك من مكانة مادية واجتماعية تعادل أو تفوق مكانتهم في مجتمعاتهم الأصلية ؛ فشكل هؤلاء العلوج منذ القرن (17 م) القوة الرئيسية للملاحة المغربية، مثلما في عموم إفريقيا الشمالية، باعتبارهم بحارة منذ نعومة أظافرهم متميزين بمداركهم الملاحية المجهولة لدى المغاربة، وبدورهم الكبير في إدخالها إلى البلد كعناصر ناقلة للتطور التقني الأوربي، ومسيرين أساسيين لاستمرارية العمليات الضامنة لاستقطاب المزيد من أقرانهم الأوربيين، ولمواكبة الإطلاع على أحدث التقنيات المستجدة.

إن رغبة المغرب في تفعيل أسطوله واستمراره قد دفعته إلى تدبير الاحتياج وتقليص الخصاص بتعدد استقطاباته للعناصر المؤهلة من بين الأسرى، وبكل الوسائل المتاحة طوعا أو كرها، قصد خلق نواة أساسية للأسطول يتحلق من حولها من تمكنت المناطق الساحلية من إعداده من رجال ؛ إذ كانت احتياجاته إلى الكفاءات الملاحية مطروحة بشدة على المستويين النوعي والكمي، في وقت كانت فيه مراكزه الملاحية - وأساسا المركزان الأندلسيان : الرباط وتطوان - لا تنتج إلا ندرة ملموسة منها. وبما أن نوعية الأسطول كانت عسكرية تماشيا مع دوره الجهادي، فإن حاجياته الحقيقية كانت تتطلب تغذية كثيفة بالرجال بنسبة تبلغ رجلا واحدا عن كل طنة، أي مائة رجل لكل سفينة حمولتها مائة طنة (100 / 100)، بمقابل رجل واحد لكل أربع إلى ثمان طنات للسفن التجارية الأوربية (12 - 25 / 100)، الشيء الذي كان يفرض على أسطول الجهاد لمصب أبي رقراق مثلا، خلال فترة 1627 - 1640 التي بلغ فيها متوسطه أربعين سفينة بمعدل 150 طنة للواحدة، التوفر على ستة آلاف (6000) بحار أثناء الموسم الواحد، يشكل الجذافون نصفه (1/2)، والعلوج خمسه (1/5) ونخبته بحكم تشكيلهم لنسبة مهمة من طواقم قيادة السفن وتقنييها، فمنهم الرياس، وكبار البحرية (الكونطرا مشترو)، والديمانجية، واليكانجية، ورؤساء القلفطة، ومعلمو البناء، والباش طبجية، والجراح، والكتاب، والرؤساء التقنيون (مشترو دلماكينة)، بما لهم من خبرة كبيرة في هذا المضمار باعتبارهم بحارة أسروا من على متن السفن.

ومن ثم تحققت على يدهم القفزة النوعية ملاحيا في تطوان ومصب أبي رقراق وأسفي، لا من حيث الكفاءة المهنية والصناعية، ولا من حيث إدخال أحدث التقنيات ومأسسة الفعل الملاحي في شقه العسكري على الأقل. وبرز في هذا الصدد الهولنديون الذين كانت حماستهم في الإضرار بالسفن والسواحل الإسبانية لا تقل حدة عن نظرائهم الأندلسيين اللاجئين إلى المغرب. وهذا النجاح الذي حققه التعاون الهولندي - الأندلسي منذ العقد الأول لانطلاقه الجهاد البحري السلاوي، شكل حافزا كبيرا لغيرهم من رجال البحر للسعي إلى الثراء وإلى تحقيق الشهرة المعنوية في مجال الأطلنتيكي الشاسع، جعلت تقارير المبعوثين الأوربيين عامة، والإنجليز خاصة، يتخوفون من أن يشكل ذلك إغراء لقباطنة وربابنة بلدانهم بالالتحاق بأسطول سلا الجديد. فصار تطور وتيرة الأسطول الجهادي واستمراريته رهين حجم العلوج العاملين فيه، ورأى فيهم الأب دان في القرن 17 النواة الفعلية للعمل الجهادي البحري، وأساس قوته البشرية والتقنية، بما بذلوه من مجهودات محمودة في هذا الصدد، ومن دور كبير في استقطاب المزيد من رجال البحر الأوربيين عن طريق الإكراه وعن طريق التحفيز المتجسد في ما قدموه "من نموذج يحتذى به في أوساط الأسرى" حسب القائد الفرنسي دي رازيلي (Du Razilly)، حتى عدوا هم من مارس العمل الملاحي في أعالي البحار باسم المغاربة.

ولقد نهج السلاطين السعديون خلال النصف الأول من القرن (17 م) سياسة استقطاب مغامري البحر من المسلمين ومن لصوص البحر الأوربيين، باذلين ما في وسعهم لجعلهم عناصر مرتبطة بخدمة النظام على الصعيد الاقتصادي (مغانم / أعشار)، بتحفيزهم على التحول إلى رياس علوج دون التدخل في طريقة تسييرهم لمواسمهم ولقيادتهم للسفن، ودون إسناد دور الدفاع العسكري المباشر عن المياه المغربية لهم اعتبارا لخصوصيات مهنتهم، حيث كان هذا الدور يسند إلى سفن الدول الحليفة، وخاصة سفن الأقاليم المتحدة.

وجعل تنوع المواسم الجهادية وتنوع الأسرى الأسطول يتسم بتعدد جنسيات العلوج العاملين فيه، ما بين إنجليز وهولنديين وإسبان وبرتغاليين وفرنسيين وغيرهم، منضمين إلى العنصر الأندلسي المتمرس للنشاط، وجعل ذلك من مصب أبي رقراق ملتقى عالميا للتجارب والخبرات الملاحية المختلفة، وبلغ عدد المنخرطين في الجهاد السلاوي سنة 1635 ثلاثمائة علج (300).

ولذلك، كانت النظرة إليهم في الأوساط الأوربية مشوبة بالحذر والريبة الممزجتين بالرغبة في الاقتصاص منهم، خصوصا وأنه على أيديهم وسع الأسطول المغربي مجال عمله، لينتقل في ظرف وجيز من مراقبة مياهه الإقليمية إلى تهديد خطوط الاتصال البحرية الرئيسية، واعتبرت مساهمتهم في هذا الصدد في نظر الكثير من المؤرخين سبب شهرة الجهاد السلاوي، ومنشطه الحقيقي بالتقنيات كما بالرجال، إلى درجة القول بأن المغرب لم يكن يملك إلا أجسام السفن وبيارقها، في حين كان توجيه العمليات وعائداتها من اختصاص طواقم العلوج المشاركة فيها، خصوصا وأن وصول السفن السلاوية خلال العقد الثالث من القرن (17 م) إلى مجالات كانت مجهولة لدى المغاربة لم يكن - حسب الأميرال الإنجليزي فرانسيس ستيوارت (F. Steawart)- ليتم لولا الدور الذي قامت به العناصر الهولندية من العلوج، ولا سيما في بحر المانش وحوالي الجزر البريطانية، تحت القيادة الجريئة للعلج الهولندي الأصل موراطورايس (1622 - 1631).

وبالفعل كان العلوج بمداركهم الملاحية والتنظيمية يوفرون للمغرب الاحتياجات التي لم يفلح في تغطيتها بشريا إلا بشكل نادر، وعلى رأس هؤلاء كان العلوج الهولنديون يشكلون نخبة رائدة، تمكن المغرب بفضلها من إحراز تقدم ملاحي تقني واضح ممارسة وتلقينا. وبعدما لم يكن بمستطاعه إنجاز حتى قادس واحد، أصبح بدعمهم ومساهمتهم على عتبة التقدم التقني، وقادرا على التقليص من حدة الفوارق التقنية مع الأساطيل الأوربية، إن على مستوى الأدوات، أو على مستوى الكفاءات. وكان العلوج يشكلون بذلك فريقا أساسيا لا غنى للسفانة السلاوية عنه، سواء في جانب السباكة أو النجارة أو التقطير، وبصورة أسمى في مجال هندسة المراكب وبنائها، ويمكن القول أنه مقابل الوضعية الممتازة التي كانت المنطقة تمنحهم فإنهم قدموا خدمة جليلة بإنشائهم أوراش عصرية على الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق، مكنتها من تغطية الجزء المهم من حاجيات رياس الجهاد على مستوى السفن، أو من استنساخ سفن محلية عن الغنائم المتطورة خلال النصف الأول من القرن.

وعلى يد الرياس والتقنيين العلوج خضع توجيه الأسطول المغربي للتقانة الملاحية الحديثة الضرورية لضبط المسارات البحرية واتجاهات الرياح، متمكنين من التحكم في توجيه السفن بالبوصلة والبركار وبيت الإبرة، وفي معرفة الاتجاهات بالنجوم وبمراقبة بروزها وأفولها بواسطة الوسائل المعتمدة في ذلك مثل المقراب والأصطرلاب؛ ولتحديد المسافات كان الاعتماد على مسجلات السرعة (Lech). وحتى يتم التمكن من استغلال الرياح المواتية بصورة قصوى، تمم العلوج حركة الأشرعة الكبرى بحركة الأشرعة الأمامية المتعددة وأشرعة الدعم؛ وأضافوا إلى ذلك تجديدا مهما أدخلوه على الشراع اللاتيني السائد آنذاك، حيث استلهموا ذلك من التفكير في التقليص من المساحة الكبيرة للشراع باستعمال الشراع العربي الذي يوفر إمكانية التحكم في القدات من الأسفل بيسر وبسرعة أفضل من وضعيتها التقليدية على شكل مروحة في الشراع اللاتيني.

وإذا كانت سلطات الجهاد تخصص الجوائز السنية عن أسر أي مسيحي متخصص في العمل الملاحي أو العسكري في أفق تحويله إلى علج، لما لذلك من انعكاس على قوة الأسطول وفعاليته، وعلى مساعدته على اكتساح حتى المغمور من العوالم الملاحية، فإن القوات الأوربية في مقابل ذلك سعت إلى اختطافهم من أيدي المغاربة، مثلما شجعت الوسطاء والإرساليات الدينية على بذل الفديات الكفيلة بافتكاك أكبر عدد منهم، حتى أصبحت تطوان سوقا تحفيزية لأوربا لاستعادة كفاءاتها المفتقدة. وشكلت هذه الأساليب - إلى جانب الاتفاقيات الرسمية - عوامل أساسية في التقليص المطرد لأعدادهم لا سيما خلال القرن (18 م)، نجم عنها فقدان المغرب لأهم مصدر لإمداداته من اليد العاملة الملاحية والتقنية، مع ما في ذلك من انعكاس كبير على العمل الجهادي خاصة، وعلى النشاط الملاحي عموما أواخر القرن المذكور.

وإلى جانب ذلك أصدرت الدول الأوربية تعليماتها إلى قواد أساطيلها بالتشدد في ملاحقة البحارة والعلوج المغاربة وبنقلهم إلى موانئها وفق تدابير احترازية تامة، هادفة بالأساس إلى إنهاء استمرارهم في النشاط الملاحي حاى بالنسبة للدول الحليفة، بما في ذلك السلطات الهولندية إبان علاقاتها المتميزة مع الدولة الزيدانية، التي كان موقفها من الاملاحين العلوج ينحو إلى تعريضهم للإعدام اقتداء بموقف المسلمين من العناصر المرتدة، بدل الاكتفاء بطردهم وحظر قدومهم استقبالا إلى مراسيها. ومن جهتها، لم تكن إنجلترة لتتورع عن إنزال العقوبة ذاتها بمن سقط في أيدي سفنها من البحارة والعلوج المغاربة.

ح. أميلي، *المغاربة والمجال البحري في القرنين 17 و18 م*، أطروحة دكتوراة الدولة، إشراف، د. أحمد بوشرب، مرقونة، كلية الآداب المحمدية، 2002 ؛ مويط، جيرمان، *رحلة الأسير مويط*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الريصاني، 1989.

Bennassar Bartolomé et Lucile, *Les chrétiens d'Allah : l'histoire extraordinaire des renégats 16° - 17° s*, Perrin, Paris, 1989 ; Braudel Fernand, la *Mediterranée et le monde mediterranéen au temps de Philippe II*, 7° éd., Colin, Paris, 1987 ; Bono Salvatore, *Les corsaires en Méditerranée*. Trad. A. Somaï, La porte, Rabat, 1998 (1° éd. 1993) ; De Castries, Henri et autres, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1° série, Archives Français (1905), Pays-Bas (1906-23), Anglais (1918-35), Espagnols (1921 et 1956), Portugais (1934-51) et 2° série, Archives français, Paris, 1922-60 ; Chenier Louis, *Recherches historiques sur les maures et histoire du Maroc*, T. III, Paris, 1787 ; Coindreau Roger, *Les corsaires de Salé*, éd. La croisée des chemins, Rabat 1993 (1° éd. 1948) ; Dan Pierre, *Histoire de barbarie et de ses corsaires*, (2° éd.), Paris, 1649 ; Lane-Poole Stanley, *The barbary corsairs*, Darf publishers, London 1984 (1e éd. 1890) ; Savine Albert, *Dans les fers du Moghreb*, éd. L. Michaud, Paris, 1912.

حسن أميلي

**علودان** (جبل –) حصن بقبيلة بني زروال من بلاد غمارة بالشمال المغربي. ارتبط ذكره في مصادر العصر الوسيط كقلعة منيعة كان بعض الثوار يتحصنون فيها. ولعل أول إشارة ترد في هذا الصدد هي التي تتعلق بالغزوة العسكرية التي نظمها يوسف بن تاشفين إلى هذا الحصن سنة 465 / 1073 أثناء حملته الكبرى على بلاد الريف. لكن لا نعرف سبب تسمية هذا الحصن باسم علودان وإن كان الأمر يبدو عاديا في منطقة ألفت تداول مثل هذه الأسماء حتى بالنسبة للأشخاص. ومن الأمثلة على ذلك رجل ثار على الخليفة الناصر الموحدي في بلاد غمارة سنة 595 / 1199 كان يحمل اسم علودان الغماري.

شهد حصن علودان في العهد المريني ثورات عديدة ضد المخزن المركزي تزعمها بعض الأمراء في إطار النزاع حول الحكم. ففي سنة 660 / 1262 ثار الأمير يعقوب بن عبد الله على السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني واتخذ من الحصن ملجأ له. وفي سنة 669 / 1271 ثار بعض قرابة السلطان أبي يوسف يعقوب من ولد أخويه عبد الله وإدريس أكابر ولد عبد الحق جد بني مرين لأنهم اعتبروا أنفسهم أحق بالأمر من ولي عهد أبي مالك عبد الواحد. فلجأوا إلى حصن علودان واتخذوه مركزاً لانطلاق دعوتهم وإعلان ثورتهم بقيادة محمد بن إدريس وموسى بن رحو بن عبد الله. في مقابل هذا التحرك جهز السلطان جيشا من خمسة آلاف جندي وولي قيادته لولده الأمير يوسف الذي تمكن من القضاء على الثورة واستولى على الحصن ومن خلاله أحكم قبضته على بلاد غمارة. وفي الأيام الأخيرة من حكم السلطان أبي يعقوب يوسف (685 / 1286 . 706 . 1307) تمكن أحد القرابة من البيت المريني وهو عثمان بن أبي العلاء إدريس من السيطرة على حصن علودان واتخذه معقلا لدعوته وثورته ضد السلطة المركزية بفاس، واستطاع أن يستقطب عدداً كبيراً من قبائل بلاد غمارة المجاورة للحصن ودشن حملته العسكرية باحتلال مدن أصيلا والعرائش فاستفحل أمره بعد أن عجزت جيوش السلطان في وقف هذا الخطر الداهم. وبعد وفاة أبي يعقوب يوسف ولي مكانه أبو ثابت عامر سنة 707 فكانت أولى أعماله توجيه حملة عسكرية كبيرة إلى بلاد غمارة لمحاربة عثمان في قلعته. وبعد مواجهات عنيفة بين الطرفين اقتحم السلطان الحصن على عثمان الذي تمكن من الفرار إلى سبتة التي كانت تحت نفوذ بني الأحمر.

وفي عهد السلطان أبي الربيع سليمان (707 / 1308 . 709 / 1310) عاد عثمان إلى سيرته الأولى في منازعة حكام فاس انطلاقا من قاعدته بحصن علودان، فقرر السلطان هذه المرة التحرك شخصيا بجيوشه لقمع ثورة عثمان وحسم دائه، فهاجم الحصن ودخل ساحته وحاول إلقاء القبض على غريمه عثمان، لكنه فشل في ذلك وتمكن عثمان مرة أخرى من الفرار إلى غرناطة والاستقرار بها. ومنذ هذا التاريخ لم تعد تذكر المصادر المرينية هذا الحصن مما يعني أن المخزن المريني قد تمكن من فرض رقابة صارمة ومتشددة عليه، وإن لم يكن ذلك يعني توقف الثورات ضد المخزن المريني في عموم بلاد غمارة.

مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، الرباط، 1972، ص. 97 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972، ص. 142 . 392 . 411 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، ج 6، ص 380 . 457 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ ابن إبراهيم التعارجي، *الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام*، الرباط، 1977، ج 8، ص. 10.

رشيد سلامي

**العلوي، أحمد** بن **علي** بن أحمد بن علي بن عبد الكريم بن علي بن طاهر، شريف أصيل من فرع الحسن بن يوسف بن مولاي علي الشريف كان من أهل الفضل والدين المتين كما كان عالماً، وخطيباً مصقعاً وإماماً عادلاً، صلبا في أحكامه كما كان محدثا مسنداً وراوية ممتازاً بين أئمة التحرير.

تصدر لحطة الشهادة بسماط عدول مدينة مكناس. ثم تولى خطة القضاء به ومما جاء في ظهير تعيينه : "الفقيه الأجل العلامة الافضل، الحافظ الحجة الأكمل المدرس القدوة ..." فأحكم الخطة غاية الإحكام، وله وقائع في القضاء والأحكام مشهورة، كان لا يراقب إلا الله ولا يخشى سواه.

توفي ليلة الأربعاء 3 ربيع الأول عام 1294 / 1877.

ع. الرحمن، ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 365 ؛ *الإتحاف*، ج 3، ص. 81 ؛ ف. إدريس بن أحمد العلوي، *الدرر البهية*، مخطوط، ص. 270 . 276.

رقية بلمقدم

**العلوي، أحمد** (مولاي –) الوطني الغيور والصحافي المبرز والوزير الذي تقلب على كراسي الوزارات، كان لا يذكر

ولا يخاطب إلا بمولاي أحمد، عند الخاصة والعامة، ولد في فاس سنة 1918، وفيها نشأ وفيها مرّ من مراحل التعليم الابتدائي والثانوي، ليرحل إلى الديار الفرنسية سنة 1936 ضمن الفوج الأول من أقرانه من الشباب المغربي، لمتابعة الدراسة العليا في الطب، فالتحق بجامعة موبيليي جنوب فرنسا أول الأمر، ثم انتقل إلى باريز، حيث أقام إلى أن استرجع المغرب استقلاله، مشتغلا بالنضال السياسي وبالعمل في صفوف خلية حزب الاستقلال في فرنسا التي كان من روادها وأنشط أفرادها، يتصل بالمسؤولين وبالصحفيين وبكل ذي سلطة ونفوذ وصوت مسموع في العاصمة الفرنسية، معرفا بالمطالب الوطنية المغربية ومفندا مزاعم سلطات الحماية في الرباط وما كانت تفتريه للتمويه على الحكومة الفرنسية في باريس. سمعته يقول ذات مرة بأنه بحث عن العنوان الشخصي لرئيس الجمهورية الفرنسية، وهو يومئذ فانسان أوريول، وأنه كان يطرق بابه، فإذا وجده بالدار واستقبله، قال له ما كان يريد أن يقول، وإلا فمن يبالي بطالب مغربي استقبله أو لم يستقبله رئيس الجمهورية في منزله الخاص ؟ وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ما كان مولاي أحمد يتحلى به من خصال السياسي الماهر التي قوامها الصبر والتغاضي والعمل الدؤوب في السر والعلن. ولشدة ما أنهمك في النضال السياسي، فإنه لم يتجاوز السنة الثالثة من الدراسة في الطب. حتى إذا استرجع المغرب استقلاله، وعاد محمد الخامس إلى وطنه وعرشه من المنفى، عاد مولاي أحمد في ركابه من ديار المهجر ليشتغل ناطقا رسميا لدى القصر الملكي، وليصبح وزيرا للأنباء في آخر حكومة شكلها محمد الخامس. ثم إنه كان من خدام الحسن الثاني بعد تربعه على العرش ومن أقرب المقربين منه، متقلبا على الحقائب الوزارية، إذ كان وزيرا للأنباء وللصناعة وللتجارة وللسياحة ثم وزيرا للدولة بدون حقيبة. وكان يقال بأنه خاطب المرحوم الحسن الثاني في بداية عهده قائلا له : "الله يبارك في عمر سيدي، إن محمد الخامس ترك العرش لك، ووصى لي أنا بالوزارة". ولقد وفّى له الحسن الثاني بذلك، فلم ينزل مولاي أحمد عن الكرسي الوزاري إلا سنة 1998 بعد أن أقعده المرض. وإنه اعتنى أثناء عمله الحكومي بمصير مدينة فاس وطنه الصغير أشد العناية فكان نائبا في البرلمان عنها ومستشارا في مجلسها البلدي من 1977 إلى 1990. وله أيادي بيضاء فيما أقيم هنالك من المشاريع الصناعية والسياحية. وفضلا عن كل ذلك، فقد ظل مولاي أحمد مخلصا لمهنة الصحافة التي كانت لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها. وكان من الطبيعي أن تسند إليه رئاسة مجموعة صحافة ماس عندما تقررت مغربتها في السبعينات. فإنه جعلها لسانا ناطقا باسم الدولة، يخبر فيها بتوجهاتها وبانشغالاتها ويجادل الأصدقاء والخصوم من أعلى منبرها، مذكرا بإلحاح اليقين بأن الحركة الوطنية المغربية نشأت حول العرش ولا يمكن أن تعيش إلا في ضل العرش، مما كان البعض نسيه أو تناساه، فيمسك مولاي أحمد القلم ويعيد الوقائع إلى الأذهان دون تحامل ولا حقد ولا ضغينة. ولم يثبت في حقه، على ما كان عليه من الإقدام والجرأة وعلى ما مارس من السلطات، أنه نال أحدا بالإذاية. توفي يوم السبت 2 شوال 1423 الموافق ليوم 7 دجنبر 2002، مأسوفا عليه، مذكورا بلسان الخير لدى الجميع، ووري مثواه الأخير، رحمه الله، في محفل كبير ترأسه الأمير المولى رشيد، نيابة عن صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله.

إبراهيم بوطالب

**العلوي إدريس** الشاكري بن عبد الهادي بن مولاي التهامي العلوي، ورد عنه في *المجد الطارف* : "وهذا الشريف مولاي إدريس من أعيان علماء حضرة فاس ومن أنفس أشرافها الأكياس، وبيتهم من فيلالة بيت علم قديم"، صاهره خاله السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان فزوجه بنته عاتكه، وبعد وفاتها تزوج أختها حليمة التي ماتت بدورها. كان معروفا عن إدريس العلوي الشاكري اعتناؤه بمظاهر الأبهة والإكرام، ولهذه الغاية شيّد قصراً قرب جامع الأندلس، ملأه بالحياض والأغراس والأزهار، فكان من أبدع قصور فاس.

خرج إدريس العلوي من فاس قصد الحج أول مرة يوم 13 رمضان 1283 / 1866 ولم يكن حاجّاً عادياً بدليل العناية الفائقة التي حظي بها في القبائل والمدن التي عبرها من فاس إلى طنجة، فقد استقبله قواد أزغار وبلاد الهبط والأمناء وكبار موظفي المخزن في طنجة بكل مظاهر الحفاوة والإجلال. ثم انتقل من طنجة إلى جبل طارق، ونال حظوة وحفاوة لا تقلان عن السابق، إذ حرص المسؤولون الإنجليز على استضافته بكل مظاهر الإجلال، فأعدوا له بابورا (مركبا) أقله إلى جبل طارق، وجعلوه يطلّع على عدد من المرافق والتنظيمات هنالك : أنابيب الغاز، تيلغراف، مستودعات الذخيرة والأسلحة، المنار، تمارين عسكرية وغيرها. وقد رافقه في جولاته قنصل المغرب في جبل طارق سعيد جسوس وعدد من المسؤولين الإنجليز في جبل طارق. وقد حرص العلوي الشاكري على وصف هذه المرافق والتنظيمات وصفا مفصلا، معربا عن انبهاره ودهشته مما شاهده. ثم غادر جبل طارق باتجاه مصر على متن بابور إنجليزي حامل للحجاج، محاطا بنفس الرعاية، إذ تم إركابه في القامرة (الدرجة الممتازة)، وكعادته تحدث بإسهاب عن مختلف مرافق هذا المركب ومحتوياته.

كان توقفه بمصر مناسبة لزيارة أضرحة الأولياء والعلماء والالتقاء بعدد من الشيوخ والفقهاء، كما زار عدداً من المرافق، أبرزها مطبعة بولاق التي أبهرته كثيراً. لكن الرغد تحول إلى نكد خلال النزول بأرض الحجاز، حيث تعرضت قافلة الحجاج، التي كان من ضمنها للاعتداء . وبعد قضائه

مناسك الحج، انتقل إلى السويس، ومنها إلى القاهرة، فركب بابور البر (القطار) متوجها إلى الإسكندرية ليستقل مركبا إنجليزيا توجه به إلى جبل طارق، وتوقف في مالطة وأعجب بها، على عكس جل مدوني الرحلات الحجازية في القرن 19 الميلادي، وخصصت له السلطات البريطانية في جبل طارق، مرة أخرى، استقبالا يليق بمقامه وأعدت له مركبا خاصا "معدا لأمورها الخاصة" لنقله إلى طنجة، التي وصلها يوم 25 محرم 1284 / 1867 وزار هنالك المنار الذي أبهره كثيراً.

ذكر في رحلته المدونة الشيوخ والعلماء الذين لقيهم وأخذ عنهم في مصر والحجاز، منهم إبراهيم السقا، الشيخ عليّش، إبراهيم السنوسي، أحمد دحلان، وقد لازم هذا الأخير نحو ثلاثة أشهر وأجازه بالإجازة العامة، ولم يذكر أنه استجاز أحدا في هذه الرحلة. وكان العلوي الشاكري قد قرأ على والده فتح الباري مدة ثماني سنين وتفسير أبي السعود ثلاث مرات، وبعضا من تفسير النسفي لأن والده توفي قبل تمامه.

كان العلوي الشاكري على علاقة وطيدة بالسلطان مولاي الحسن، وقد وفد عليه مرات كثيرة لمراكش لقراءة صحيح *البخاري*، ورافقه في بعض جولاته مثلما حصل خلال الحركة الحسنية الثانية إلى بلاد سوس.

وشكل العلوي الشاكري مصدراً للإخبار عن بعض علماء وقته، فقد نقل عنه العباس بن إبراهيم المراكشي الذي استضافه أكثر من مدة، ماوقع بين السلطان مولاي الحسن والفقيه محمد جنون، الذي اختفى عند مبايعة السلطان المذكور إلى أن بحث عنه وأدخله لذلك المحل الذي أدخلني به وأمره بذلك (البيعة) وعرّفه عاقبة المخالفة"، وأخبره أن الفقيه المؤرخ العربي المشرفي هجا عبد الله بن أحمد باشا فاس واحترم بضريح مولاي إدريس، وأنه دار في بعض الأوقات على كبار العمال بالمغرب مثل الشرقي وغيره ولمّا لم يحصل منهم على طائل هجاهم.

كان إدريس العلوي الشاكري من جملة علماء فاس الذين وقعوا "تذكرة نافعة ونصيحة جامعة مضمونها أن الإمام الشرعي بالمغرب الأقصى هو السلطان الحالي والتحذير من الاغترار بأباطيل الثائر الخارج عليه"، وذلك بتاريخ غرة صفر 1321 / 1903، وهي تتعلق بتمرد الجيلالي الزرهوني "بوحمارة" ضد السلطان مولاي عبد العزيز، وقد وجهت هذه التذكرة أساسا إلى طلبة الجبال الذين يدرسون في القرويين، قصد التأثير على آبائهم وذويهم في المناطق التي انحاشت للدعي بوحمارة.

ولا يعلم لإدريس العلوي الشاكري تآليف غير ما ذكر سابقا، أما هو فكان حاضراً في عدد من المؤلفات والدواوين، فقد مدحه عدد من معاصريه منهم الشاعر والأديب إدريس السناني المعروف بالحنش، إذ بلغت قصائده في مدح العلوي الشاكري حوالي 20 قصيدة، كما مدحه صاحب المجد الطارف بقصيدة دالية أورد نصها صاحب الاعلام (48 ـ 49)، وكتب عنه إدريس بن أحمد العلوي الشهير بالفضيلي باحتفالية كبيرة في كتابه *الدرر البهية*.

حج إدريس العلوي الشاكري مرة ثانية، وتوفي في حجته هاته بالمدينة المنوة يوم الثلاثاء 7 محرم 1331 / 1913 حسبما أخبر بذلك رفيقه في رحلته الحجية محمد الصديق الأمراني.

إدريس العلوي الشاكري، *رحلة حجية*، مخطوط، خ. ح رقم 11509 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، طبعة حجرية، فاس، 1314 / 1896، إ. السناني، *ديوان، الروض الفاتح بأزهار النسيب والمدائح*، مخطوط، خ. ع رقم ك، 1678 ؛ ع. ابن إبراهيم، الاعلام، ج 3، الرباط، 1975 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2، الرباط، 1989.

أحمد المكاوي

**العلوي** (مولاي –) **الحسن** بن **المهدي** بن إسماعيل خليفة السلطان المفوض في منطقتي الحماية الاسبانية في شمال المغرب والصحراء ؛ هذه الخلافة التي أحدثت بمقتضى الفصل الأول من المعاهدة الفرنسية الاسبانية المبرمة بمدريد يوم 27 نوفمبر 1912 والتي وافق عليها السلطان مولاي يوسف بظهير مؤرخ في 6 جمادى الثانية 1331 موافق 14 ماي 1913.

وكان والده الأمير مولاي المهدي قد حل بتطاون بصفته أول خليفة للسلطان يوم 13 أبريل 1913 وزاول سلطته إلى أن وافته المنية بمدنية سبتة يوم 24 أكتوبر 1923.

وظل كرسي الخلافة شاغرا إلى أن تم تعيين الأمير مولاي الحسن بن المهدي بن إسماعيل بن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن يوم 25 يونيو 1925، غير أن تنصيبه لم يتم إلا يوم 8 نوفمبر من نفس السنة.

وقد أطلق عليه الاسبان لقب الخليفة الامبراطوري الملكي ؛ وعينوا له حكومة كانت تعرف بالمخزن الخليفي ويرأسها الصدر الأعظم ؛ وكان يستعمل المظل في الحفلات الرسمية، وله حرس خاص وتقدم له "الهدية" كل سنة.

وكان يستعمل الطابع الكبير لإصدار النصوص التشريعية والطابع الصغير لتنفيذ النصوص التطبيقية ؛ كما كان للصدر الأعظم طابع لإصدار القوانين التنفيذية.

وابتداء من سنة 1934 كان يحتفل بعيد جلوسه يوم 8 نوفمبر من كل سنة. وكان الدعاء لجلالة الملك في خطب الجمعة يُشفع بالدعاء للخليفة السلطاني.

وفي شهر أبريل 1947 تقابل لأول مرة مع الملك محمد الخامس بمدينة أصيلا ورافقه في زيارته التاريخية لطنجة.

وفي سنة 1949 تزوج الأميرة للا فاطمة الزهراء بنت السلطان مولاي عبد العزيز.

وعندما اعترفت إسبانيا باستقلال المغرب يوم 7 أبريل 1956 أعفي مولاي الحسن من منصبه ليعين سنة 1957 سفيراً بلندن وذلك إلى سنة 1965 ثم سفيراً بروما إلى غاية سنة 1967. بعدها عين مديراً للبنك الوطني للتنمية الاقتصادية، وذلك إلى أن أسند له منصب والي بنك المغرب الذي زاوله إلى أن وافته المنية بالرباط يوم فاتح نوفمبر 1984.

م. ابن عزوز حكيم، *الحماية الاسبانية بالمغرب*، (1912 ـ 1956)، مطبعة المهدية، تطوان، سنة 1958.

محمد ابن عزوز حكيم

**العلوي الدرعي، أحمد** (مولاي -) بن سعيد من ذرية عبد الواحد أبو الغيث الذي رتبه الفضيلي كفرع خامس من أبناء يوسف بن علي الشريف.

رحل أحمد بن سعيد من تافيلالت إلى درعة طلباً للعلم وذلك على الأرجح في القعود الأخيرة من القرن الحادي عشر (17 م) فنزل بالزاوية الصالحية بواحة اكتاوة وصاحب الشيخ صالح بن إبراهيم حتى تخرج عليه (*العقود الجوهرية*، 9) وعلى يديه سلك طريق القوم.

ويظهر أن مولاي أحمد بن سعيد، استمرأ البقاء في درعة، كغيره من الأشراف الذين طرأوا على الوادي في عهد مولاي إسماعيل، فاستوطن منطقة لَكْنَازطة التي تقع على بعد بضع كيلومترات شمال الزاوية الصالحية، حيث أسس قصبة خاصة به ما تزال تعرف إلى اليوم بقصبة مولاي أحمد ابن سعيد. كان يشتغل بتعليم القرآن والمتون الفقهية لأبنائه ولمن رغب في ذلك من أبناء القبائل المجاورة، كما يشتغل ببعض الأعمال التجارية المحدودة، وقد حرص على عدم التدخل في الصراعات القبلية إلا إذا كان الأمر يتطلب عقد صلح بين المتخاصمين، كان لا يبخل بماله وطعامه لإصلاح ذات البين وإطفاء نار الفتن. وقد أكسبته هذه الصفات احترام الجميع، وأصبح أعيان القبائل لا يردون له شفاعة، ولا ينقضون له اتفاقا عقده، ويرضون بكل ما يقترحه من حلول للمشاكل القبلية.

توفي مولاي أحمد بن سعيد العلوي في زمن غير معروف خلال العقود الأولى من القرن الثاني عشر الهجري (18 م). ودفن خارج قصبته حيث أقامت القبائل المجاورة قبة فخمة على قبره. وقد كان قبره وإلى وقت قريب مقصداً للزوار من قبائل أهل لكتاوة وبعض قبائل آيت عَطّا.

**العلوي الدرعي، عبد الله** بن **الفاطمي** أبرز أبناء مولاي الفاطمي بن محمد ولد بقصبة جده في زمن غير مضبوط خلال العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري (19 م)، تعلم على يد والده وبني قومه بمسقط وأسه، فحفظ القرآن الكريم وبعض المتون الفقهية الرائجة إبانه بالجنوب المغربي، تفتح وعيه مبكراً من خلال ما كان يروج في ذلك الوقت بواحة لكتاوة من أخبار عن الجهاد وعمليات التصدي لزحف القوات الفرنسية بالصحاري الجنوبية والشرقية.

وباعتبار والده، واحداً من وجهاء أشراف لكتاوة، ونقيب العلويين بها، فإن مولاي عبدالله كان من الملازمين لأبيه في حله وترحاله فكان يقتبس منه طرق الاتصال والمعاملة مع الناس، فاكتسب نوعاً من الذكاء الاجتماعي، ونخوة الانتساب إلى الأشراف العلويين ولعل هذا هو الذي جعل محمد بن لحبيب التمنوگالي يصفه بالذكاء والألمعية. فلما اختارت قبائل لكتاوة ومحاميد الغزلان، مولاي الفاطمي بن محمد شيخاً أعلى لها حل، مولاي عبد الله بن الفاطمي العلوي محل والده في مشيخة قبائل لكنازطة وما حولها من قبائل دراوة وأدوافيل فلما توفي والده اختاره المخزن ليتولى وظيفة نقيب الأشراف العلويين بواحتي لكتاوة ومحاميد الغزلان.

كان مولاي عبد الله بن الفاطمي العلوي كثير التنقل إلى مدن الشمال خاصة مراكش، البيضاء، والرباط، وقد أهله منصبه كنقيب للاشراف العلويين وسفرياته المتكررة من الاتصال ببعض رجال الحركة الوطنية وبشكل خاص العلامة السلفي محمد بن العربي العلوي، فاكتسب مولاي عبد الله بن الفاطمي من هذا الاتصال ملكة إدارة الكلام مع ذلاقة في اللسان وجرأة في الجنان فكان مسموع الكلمة بين آله مقبول الرأي بين أعيان القبائل الذين يرون فيه خير خلف لوالده. ولن نبالغ في شيء إذا قلنا أنه كان من الرجال القلائل بوادي درعة، الذين كانوا يتتبعون تطور الأحداث السياسية بين سلطة الحماية والسلطان محمد بن يوسف خلال نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينات من القرن (20 م). فلما تأزم الوضع بين الجانبين كان صوت مولاي عبد الله بن الفاطمي من الأصوات التي تردد في جنبات واحات درعة تحض العامة والخاصة من سكان الوادي بالتشبث ببيعة السلطان محمد بن يوسف. ورغم أن سلطة الحماية على المستوى المحلي، وخلفاء التهامي الگلاوي، قد انزعجوا من نشاط مولاي عبد الله بن الفاطمي العلوي، فإنهم لم يزيدوا عن عزله من مشيخة لكنازطة وتحريك بعض بني عمومته لمضايقته ومنافسته بالمنطقة ثم بدأ الكل يتربص به، فكان يغادر الوادي إلى أن تهدء الخواطر.

ولما أقدمت سلطة الحماية على نفي محمد بن يوسف في صيف 1953 وتنصيب محمد بن عرفة سلطانا على المغرب، كثف مولاي عبد الله بن الفاطمي من نشاطه المناهض للاستعمار الفرنسي ولمحمد بن عرفة، فقرر هذا الأخير التوقيع على ظهير عزل مولاي عبد الله بن الفاطمي من "وظيفة النقابة على أبناء عمه الشرفاء العلويين بلكتاوة والمحاميد .. لسوء سلوكه في وظيفه فنأمره أن يتخلى عن النقابة المذكورة لمن كلفناه بها (من ظهير العزل) ثم قامت السلطة المحلية بإبعاد مولاي عبد الله عن درعة ونفيه إلى مركز تَازَرِينْ حيث ظل تحت مراقبة الحاكم الفرنسي بالمنطقة.

وبعد عودة السلطان محمد بن يوسف من منفاه سنة 1955 كان مولاي عبد الله بن الفاطمي العلوي من أبرز رجال وفد الأشراف العلويين بدرعة،الذين توجهوا إلى الرباط، لتهنئة السلطان محمد بن يوسف بالعودة المظفرة وتجديد البيعة له. وقد أعاده السلطان إلى وظيفة النقابة على بني عمه من الشرفاء العلويين بواحتي لكتاوة ومحاميد الغزلان.

توفي مولاي عبد الله بن الفاطمي العلوي في تاريخ لم نتمكن من ضبطه خلال عقد الستينيات من القرن (20 م)، بعد حياة حافلة ومشاركة فعالة في بث الأفكار الوطنية ليس بواحة لكتاوة فحسب وإنما في كل واحات درعة.

أحمد البوزيدي

**العلوي، عبد الحفيظ** بن الحبيب. ولد بفاس عام 1907، وبعدما تلقى التعليم القرآني ثم الابتدائي بنفس المدينة، اندرج في سلك التعليم الإعدادي في ما كان يُسمّى وقتئذ "كوليج مولاي إدريس" وهو أول إعدادية عصرية أنشئت في عهد الحماية.

وفي أواخر العقد الثالث من القرن الماضي، تَمّ قبوله في المدرسة العسكرية بمكناس "الدار البيضاء"، فتخرّج فيها برتبة ملازم إذ لم يكن أي مغربي يحصل في ختام تكوينه هناك على رتبة أعلى.

وبعد وقت قصير، منحوه رتبة نقيب (قبطان) متخطيا رتبة ملازم أول التي كانت ومازالت تشكل مرحلة تراتبية في حياة الضباط حسب المقاييس الفرنسية.

بقي عبد الحفيظ في صفوف الجيش إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، فكان من الذين تطوعوا لمحاربة الألمان فوق التراب الفرنسي.

وعلى إثر معاهدة وقف إطلاق النار بين ألمانيا وفرنسا، عرفت ميادين الوغى شبه هدوء شمل كثيراً من المناطق الفرنسية، فكان عبد الحفيظ من بين الذين عادوا إلى المغرب.

وعلى إثر انتهاء الحرب العالمية عام 1945 وبعد أن أسندت فرنسا إلى إبريك لابون مهمة الاقامة العامة بالرباط عام 1946، فكّرت سلطات الحماية في توظيف بعض الضبّاط المغاربة، حسب رتبهم، في مناصب مخزنية، تابعة مباشرة للقيادات الأهلية والباشويات. فكان من نصيب عبد الحفيظ أن تقلّد مهام خليفة باشا الدار البيضاء الطيب المقري، وبعد بضع سنوات، خليفة لحمّاد المقري، أخ المذكور. ثم حظي بعناية ملكية فعيّنه محمد الخامس عضوا بالديوان العسكري لسمو الأمير ولي العهد الحسن، عام 1949. وفي صيف نفس السنة، عينه عضواً في هيئة تأطير ولي العهد أثناء تدريبه العسكري على متن السفينة الحربية الفرنسية "جان دَارْك" في عرض بحر المياه الإقليمية الفرنسية.

وبعد ذلك تقلّد مهام باشا مدينة سطات، فتميّز في هذه المسؤولية بالانضباط والصرامة التي كانت إحدى شيمه التي اكتسبها من خلال تكوينه العسكري.

في عام 1956، عيّنه محمد الخامس عاملا على مراكش خلفا للباشا التهامي الأكلاوي ـ وبعد أشهر قليلة، أنيطت به مهام مدير الديوان العسكري لولي العهد، ثم عيّن ضابطا ساميا منسّقا لأنشطة القوات المسلحة الملكية.

وفي عام 1961، عيّنه الملك الراحل الحسن الثاني مديراً للتشريفات والأوْسمة ثم رقّاه بعض أعوام قلائل إلى درجة وزير للقصور الملكية والتشريفات برتبة جنرال وهو المنصب الذي ظل يشغله إلى حين وفاته، يوم 16 جمادى الأولى عام 1410 / 15 دجنبر 1989، وعمره 82 سنة.

أ. العلوي، جريدة *Le Matin*، عدد 16 دجنبر، 1989.

أحمد بنجلون

**العلوي، عبد الحميد** بن الطيب السلوي، شخصية إدارية مرموقة. ولد بمدينة سلا في شهر شعبان من عام 1318 / دجنبر 1900.

أول مهمة إدارية أسندت إليه هي الحسبة في سلا سنة 1940، فاضطلع بها وأدى المهمة على أحسن وجه بالرغم على ظروف الحرب الصعبة، واستمر يزاول هذه الخطة إلى سنة 1955 حيث عينه محمد الخامس باشا بمدينة القنيطرة، وقد جدّ في تطوير هذه المدينة التي كانت ما تزال تحمل طابعاً بدوياً، ونظم أحياءها وأسواقها وجعل من شارعها الرئيسي الممتد على نحو عشرة كيلو ميترات فيما بين المدخل من جهة سلا ـ الرباط إلى الخروج صوب مراكز الغرب والشمال أطول شوارع محمد الخامس في سائر الحواضر الغربية، وعلى جانبيه العديد من المتاجر ومحطات الوقود والمقاهي والمصالح الإدارية والاجتماعية.

وفي نهاية سنة 1964 عينه الحسن الثاني باشا بمدينة فاس الإدريسية، فلم يقل مجهوده في تحسين أو ضاعها وتوسيع مرافقها وتنظيم المنشآت الصناعية والفنية بها عما قام به قبل في القنيطرة، إلى أن أدركته الوفاة وهو على باشوية الحاضرة العلمية.

توفي بالرباط في شهر محرم عام 1385 / ماي 1965، ودفن بأمر من الحسن الثاني بضريح الحسن الأول (ضريح محمد الثالث) بالقصر الملكي.

*وثائق عائلية ومعلومات من ولده الأستاذ إسماعيل العلوي.*

محمد حجي

**العلوي، عبد السلام الضرير** بن محمد، هو الأمير أبو محمد عبد السلام الضرير بن السلطان محمد بن مولاي عبد الله العلوي الحسني، هو الابن الثالث ضمن الأبناء الخمسة عشر للسلطان سيدي محمد بن عبد الله. وأمه فاطمة بنت سليمان بن مولاي إسماعيل، تحدث في كتابه اقتطاف الأزهار الذي فرغ منه في 27 محرم عام 1198 / 22 دجنبر 1783 عن جملة من أشياخه وذكر منهم الشيخ عمر الفاسي ومحمد التاودي ابن سودة، وبعد مسيرته العلمية اشتغل بالتاريخ وبعلم الأنساب والسير والأدب والحديث النبوي، ثم ذهب إلى الحج صحبة أخيه الأمير مولاي علي 1185، ولما قفل منه ولاه أبوه على فاس سنة 1187. ثم حج مرة ثانية وذلك سنة 1188، حيث بعث معه والده السلطان سيدي محمد بن عبد الله مائة ألف دينار برسم التوسعة على أهل الحرمين الشريفين. وفيها التقى بمجموعة من شيوخ مصر فمدحوه بقصائد وأجازوه بإجازات، نذكر منهم الشريف المرتضى شارح القاموس. كما التقى مع الشيخ عمر الطلحاوي، وإمام المالكية بالديار المصرية الشيخ علي الصعيدي، والمؤرخ عبد الرحمان الجبرتي، وفي المدينة المنورة التقى بشيخ الطريقة الإمام أبو عبد الله محمد السمان

الشافعي. حيث كتب رحلته التي اهتم فيها كثيرا بتاريخ مصر، ولما عاد ولاه أبوه على سوس الأقصى ودرعة عام 1195 فاستقر بتارودانت. ونظرا لمؤهلاته الفكرية وتجربته الشخصية، فقد شارك في جل الأحداث التي وقعت بعد وفاة والده السلطان سيدي محمد عام 1204. وكان منحازا إلى جانب أخيه السلطان مولاي سليمان الذي اتخذه للمشورة فكان لا يبرم أمرا إلا به حتى كان تدبيره به في غالب الأمور رغم كونه فاقدا لبصره قبل وفاة والده بقليل. ويذكر الضعيف أنه كان مقبلا على الدنيا وقد بنى دارا عجيبة بعقبة السبع بفاس فيها منارة عجيبة، وكانت له أكثر من مائتي جارية.

صنف الأمير مولاي عبد السلام مجموعة من التصانيف نذكر منها :

1) مورد الصفا في سيرة النبي عليه السلام والخلفا، كانت منه في خزانة الزركلي نسخة ناقصة.

2) اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار، توجد منه أربع نسخ بالخزانة الحسنية منها مسودة بخط المؤلف تحت رقم 106. وأخرى تحت رقم 11527.

3) درة السلوك وريحانة العلماء والملوك، توجد منه 5 نسخ بخ. س. واحدة تحت رقم 237. ونسخة أخرى بخ. ع. 3728د. ونسخة بمؤسسة علال الفاسي تحت رقم 443 ع.

4) رحلة الأمير العلوي عبد السلام، مخ. خ. س. 12392.

5) مناهل الصفا في مناقب سيدي مصطفى، الرباط المتوفى عام 1220.

توفي الأمير عبد السلام بعد مرض طويل عام 1228 / 1813. وخلف أبناءا نعرف منهم مولاي عبد المالك الذي شارك في أحداث تاريخية ترد بعض تفاصيلها عند الضعيف الرباطي.

الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري، ص. 304 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 8، ص. 24، 51، 58، 100 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3، ص. 357 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 8، ص. 482 ؛ الفضيلي، *الدرر البهية*، ج. 1، ص. 211 ؛ المنوني، *المصادر العربية*، ج. 2، ص. 50، 78.

أحمد إيشرخان

**العلوي، عبد السلام** بن **محمد** المعروف بالمحب الرباطي الفاسي، شريف من الأدباء المجيدين، وعروضي حيسوبي حسيب، من الذين اشتهروا بابتكار المعاني وافتضاضها، يقول فيه محمد بوجندار في *الاغتباط* : "إذا نظم نظم جواهر الأسلاك وإذا نثر نثر زواهر الأفلاك ... وكان في الكتابة مدداً معدوداً من كتاب الصدارة العظمى والوزارة الكبرى، ساجلته وساجلني دون أن نعرفه ويعرفني ... " وفيه يقول محمد غريط في *فواصل الجمان* : "كاتب أديب شاعر لبيب جر ذيول الفخر على البحتري وحبيب، ذو همة راقية فوق الكواكب وآثار باقية في صحف المناقب وذكاء يستمد منه ذكاء وخبرة صادقة في فن التصوير وفطنة سابقة لا تقبل التزوير".

ولد المترجم في بيت السلطنة والجاه ونشأ بين أحواله نشأة حسنة فتعلم وعلم وأينعت دوحة شبابه وزهت ثمرة آدابه وتقلد منصب الكتابة بالداخلية أيام المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ فأتقن وأجاد ومدح وأفاد.

كان من الشعراء الذين يقولون الشعر ارتجالا يقول غريط : ... وعارضة معسولة لم تكن عن الارتجال منقولة، أسفر صبح أفكاره عن الشعر الوسيم وما سجى ليل عذاره ولا قضى حكم التعليم بتلومه واعتذاره ..".

توفي سنة 1331.

بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، 412، الرباط، 1987 ؛ غريط، *فواصل الجمان*، 224 ؛ ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 348.

عبد القادر سعود

**العلوي، عبد الكبير** بن **عبد الله** المدغري الصفريوي. وُلد بمدغرة حوالي عام 1275 / 1858. حفظ القرآن الكريم ورسمه وتجويده برواية ورش وهو لم يبلغ بعد سن الحلم.

وقد جعلته نباهته يستوعب بسرعة ما كان يروج بتافيلالت من علوم في عصره ثم يَمَّم شطر العاصمة العلمية في السنوات الأخيرة من عهد السلطان مولاي الحسن، فانخرط في سلك المتعلمين في حلقات العلم بجامع القرويين، فأخذ عن الشيخ محمد القادري، والفقيه عبد السلام ابن محمد الهواري، والعلامة مولاي عبد الملك الضرير، والفقيه عبد الله البدراوي والشيخ مَحمد گنون وغيرهم من كبار العلماء بالقرويين أقبل مولاي عبد الكبير العلوي بجده على حلقات العلم، فكان يلازم دروس كبار العلماء فجال بهمته العالية في علوم الفقه والحديث والتفسير وعلوم اللغة العربية والسيرة النبوية، والفرائض وغيرها، فتخرج فقيها مبرزاً، وعالماً مشاركاً، له كلمته المسموعة بين علماء عصره، إلا أن طبْعهُ البَدَوي الحَبَبيْ جعله يميل إلى الخمول، ويتجنب الخوض فيما خاض فيه أقرانه من نبغاء العلماء من التقرب لرجال المخزن والحصول على المناصب الدنيوية.

أمَّا سبب استيطانه بصفرو، فيذكر ابنه الفقيه سيدي محمد بن عبد الكبير العلوي، أن القائد عمر اليوسي (توفي سنة 1904) قد طلب من المخزن العزيزي إرسال فقيهين إلى صفرو، فوقع الاختيار على مولاي عبد الكبير العلوي، الذي عُيِّن إماما للخطبة والصلوات الخمس بالجامع الكبير بالمدينة.

استغل قائد صفرو عمر اليوسي هدوء طبع الفقيه مولاي عبد الكبير العلوي، فسعى إلى الحصول على ظهير تعيينه قاضياً بالمدينة، لكن الفقيه سعى إلى القصر السلطاني بفاس فحصل على الإعفاء. وبعد هذا التحدي الصارخ للقائد عمر اليوسي، الذي كان يحكم صفرو وما إليها بيد من حديد، كبرت مكانة الفقيه مولاي عبد الكبير عند أهل المدينة، فكانوا يرجعون إليه يستفتونه في أمورهم الشرعية، وقد عرف كيف يحافظ على الحياد بينهم، فكان العامة والخاصة يجلونه ويحترمونه. ما كاد الفقيه مولاي عبد الكبير العلوي، يتخلص من ورطة القضاء، حتى جمع همته وعزيمته لرفع منار الدين، وإحياء ما اندرس من العلم والشريعة بمدينة صفرو، وهكذا كان يشتغل اليوم كله فيخصص الحصة الأولى من نهاره لتحفيظ القرآن الكريم لكل من رغب في ذلك من أبناء المدينة، فتخرج عليه عدد كبير من حفظة القرآن الكريم، وبعد صلاة العصر يجلس لما كان يسمى أنذاك بالتوريق، وهي عملية تقوم على سرد الحديث النبوي من الكتب المعروفة خاصة صحيح البخاري وصحيح مسلم وكان مولاي عبد الكبير يكتفي بشرح المنغلق من الألفاظ والمعاني شرحاً خفيفاً لتعم الفائدة ويستفيد الحاضرون.

أما الدرس الرئيسي، فهو الذي يبدأ مباشرة بعد صلاة المغرب فكان يلقى فيه دروساً في الفقه بالمتون المعروفة مثل المرشد المعين ورسالة ابن أبي زيد القيرواني والمختصر الخليلي أحياناً وتفسير القرآن الكريم بابن كثير والنسفي والجلالين. أما الحديث النبوي فكان يركز في غالب أوقاته على كتب الصحاح وبشكل خاص صحيح الإمامين البخاري ومسلم. ويتميز أسلوب دروسه بالبراعة في التحليل وتبسيط المسائل حتى تكون في متناول العامة الذين كانوا يحرصون على الحضور في مجالسه العلمية إلى جانب الطلبة للتفقه في أمور دينهم، وكان يستغل حضور أكبر عدد ممكن من المستمعين للإجابة على ما يطرح عليه من أسئلة حول القضايا العامة التي تهم حياة الناس وطرق تعاملهم.

وإذا كان من الصعب علينا تتبع أسماء كل المتخرجين من الفقيه مولاي عبد الكبير العلوي خلال ستين سنة قضاها كإمام بالجامع الكبير، فإننا نكتفي بذكر المتخرجين عنه من المتأخرين، كابنه الفقيه سيدي محمد بن عبد الكبير، فخطيب مسجد الحسن الثاني فحتسب مدينة صفرو حالياً، والفقيه المرحوم سيدي محمد بن إبراهيم والفقيه مولاي الحبيب بن علي العلوي، والفقيه سيدي محمد بن أحمد والفقيه عبد الوافي بن محمد العدلوني وغيرهم.

اكتسب الفقيه مولاي عبد الكبير العلوي هالة كبيرة عند سكان صفرو لاستقامته وسلوكه الذي اتسم بالزهد عما في أيدي الناس، وعفة اللسان، ولعلمه الذي وظفه فيما يرضى الله وقد كان مضرب الأمثال في الحياء فكان تأثيره في عامة الناس بالأفعال أكثر من تأثيره بالأقوال.

كان الفقيه مولاي عبد الكبير مواظبا على قراءة القران أناء الليل وأطراف النهار، ويستحضر آياته وكأنه يقرأها في كتاب وكان أعجوبة زمانه في ذلك منة من الله. كان كثير الصلاة على النبي (ص)، كثيرالتجهد والتبتل لربه في جوف الليل على سن السلف الصالح.

كان له اختلاط بعلماء وقته خاصة بالشيخ العلامة سيدي أحمد بن الجيلالي المغاري، وبالشيخ سيدي محمد بن العربي العلوي، الذي كان يقدر كثيراً مولاي عبد الكبير، ويحترمه احتراماً خاصاً لعلمه وعفته وسلامة صدره وحسن طويته.

وقد مارس مولاي عبد الكبير العدالة بصفرو، كما كان ينوب عن القاضي في بعض الأحيان، فلم يثبت عنه إطلاقا أنه حاد عن الشريعة أو مالأ أحداً من الأعيان وأهل الجاه والسلطان في حق من حقوق الله سواء في عهد الحماية أو في عهد الاستقلال.

توفي رحمه الله عن مائة وخمس سنوات في العشر الأواخر رمضان المعظم سنة 1380.

م. حجي، موسوعة *أعلام المغرب*، ج 9 ؛ أ. عبدلاوي علوي، مدغرة وادي زيز، ج 2 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 16 ؛ م. يخلف، *تطورات أدوات السياسة المحلية بصفرو*، أواخر ق 19 ـ 1956، د. د. ع. الرباط، 1986 ؛ *روايات شفوية* نقلا عن بعض المسنين الذين عاشروا الفقيه مولاي عبد الكبير، خاصة رواية ابنه الفقيه سيدي محمد بن عبد الكبير العلوي.

أحمد البوزيدي

**العلوي، عبد الله** بن **إبراهيم** من وجوه الثقافة العربية الإسلامية البارزين في بلاد شنكيط ازداد سنة 1152. بدأ دراسته في الخامسة من عمره، وقضى ستا وثلاثين سنة ينتقل داخل بلاد شنكيط وخارجها طلبا للعلم والمعرفة، فدرس في البداية في تكّانت - مسقط رأسه - ثم رحل ناحية الغرب لأخذ العلم عن مشاهير الشيوخ مثل المختار بن بون الجكني وسيدي عبد الله بن الفاضل المباركي وغيرهما، ثم أقام في فاس مدة طويلة للنظر والتحرير تلقى خلالها بعض العلوم الأصولية على الشيخ محمد البناني، ثم رحل إلى تونس ومصر والشام والحجاز واتصل بأشهر علمائها وزعمائها السياسيين، كما حظي باهتمام كبير من السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ويقال إنه شارك في الجهاد ضد البرتغاليين شمال المغرب.

بعد هذه الرحلة الطويلة عاد إلى بلده سنة 1190 يحمل في ذهنه ثقافة موسوعية أساسها الآثار والأصول ووسيلتها اللغة والأدب، وغاية صاحبها الإصلاح والتجديد ومحاربة

البدع، وقد جلب معه مكتبة ضخمة تناهز الخمسمائة كتاب، ثم تفرغ للتدريس والتربية والتأليف، وقد استمر عطاؤه حوالي أربعين سنة، قضى بعضاً منها في مدينة تجكجة، ثم رحل إلى البادية لأسباب منها احتجاج بعض الناس في المدينة على تشدده في التربية والإصلاح. خلف عدة مؤلفات منها :

- *مراقي السعود* وشرحه *نشر البنود في الأصول*، وقد طبع مرتين في المغرب.

- *يسر الناظرين على روضة النسرين*، وقد طبع في تونس.

- *نوْر الآقاح في علم البيان*، وشرحه *فيض الفتاح*.

- *طلعة الأنوار، في مصطلح الحديث*، وشرحه، وغيرها.

توفي سنة 1152 / 1233.

أ. الشنگيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنگيط*، ص. 37، ط 4، القاهرة، 1989 ؛ الخليل النحوي، *بلاد شنگيط المنارة والرباط*، ص. 513، تونس، 1987 ؛ سيد محمد بن محمد عبد الله ولد بزيد، *معجم المؤلفين في القطر الشنگيطي*، ص. 36، منشورات سعيدان، سوسة، تونس، 1996.

محمد الظريف

**العلوي، الفاطمي** بن **محمد** لا نعرف شيئاً عن ميلاده، تعلم مبادئ القراءة والكتابة بقصبة جده على يد بني قومه، فلما شب عوده رحل في طلب العلم، رحل مع بعض طلبة درعة إلى بلاد تودغة، ولم يعد منها حتى اتقن حفظ القرآن الكريم وبعض المتون الفقهية التي تعينه على الضروري من علوم الدين.

عاش مولاي الفاطمي بن محمد خلال العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري وردحا من القرن الرابع عشر الهجري (19 ـ 20 م). وكان يحب الفخار، لذلك يذكر عنه أنه كان يمتطي فرسا مطهمة ويلبس سلاهم من الملف. ويتمنطق دائماً بدليل الخيرات، اهتم مولاي الفاطمي بن محمد العلوي بعد عودته من تودغة بتعليم كتاب الله، والإقبال كغيره من شرفاء لكتاوة ببعض الأعمال التجارية، فأقبل عليه السعد، فارتاش وتوسع في تأثيل الأملاك، أرضا ونخيلا، فكانت له وجاهة عند رجال المخزن في السنوات الأخيرة من العهد الحسني وبعده، وقد اختاره المخزن نقيبا للأشراف العلويين بواحتي لكتاوة ومحاميد الغزلان، فبات الشيوخ والقواد المحليون بدرعة وأعيان القبائل ينظرون إليه بعين التجلة والتقدير، فكان بيته بالكنازطة مفتوحا أمام الضيوف وأصحاب الحاجات سواء من أهل لكتاوة أو من بعض قبائل آيت عطّا.

ولما بدأت رياح الاستعمار الفرنسي تهب على وادي درعة بعد ظهور طلائع القوات الفرنسية في الجهات الجنوبية (شنقيط، أدرار) وخاصة بناحية تافيلالت، وما صاحب ذلك من دعوات للجهاد ضد الفرنسيين، عقدت قبائل لكتاوة ومحاميد الغزلان، اجتماعاً عاماً حضرة أعيان القبائل، فاتفقوا على تقديم مولاي الفاطمي بن محمد العلوي، وعينوه شيخاً عاماً على قبائل القصور قبائل آيت عَطّا وذلك سنة 1340 / 1921، ويتضح من خلال بنود الاتفاق المكتوب بين أعيان القبائل أن هؤلاء الأعيان قد فوضوا لمولاي الفاطمي بن محمد العلوي في أمور نذكر منها على الخصوص أن يعمل جهده على إنهاء مظاهر الخلاف والفتن بين القبائل، وأن يمنع سكان واحتي لكتاوة ومحاميد العزلان من أن يبيعوا شيئاً من الشعير أو الجمال والخيل والشياه، للتجار الذين يتوجهون بها إلى ناحية النصراني، وحيث يكون التبريح على أمر الجهاد في الأسواق فيجب على مولاي الفاطمي أن يعاقب المعارضين للجهاد. وقد حدد الأعيان ذعائر مالية ثقيلة تتراوح ما بين ألف ريال ومائة ريال لكل من ثبت في حقه خرق شروط هذه الاتفاقية (الورقة الثانية من الاتفاقية) وخصصت بعض الملاحق للأعيان الذين لم تسعفهم ظروفهم للحضور في الاجتماع العام، حيث التزموا لمولاي الفاطمي بن محمد العلوي بما اتفق عليه أعيان القبائل (محلق المشاحين، ملحق قبائل آيت اسفول).

ومن سوء حظنا أن أخبار هذه الحركة الجهادية، التي شاءت إرادة القبائل، أن يكون مولاي الفاطمي بن محمد العلوي شيخا أعلى لها، قد ضاعت في غمرة الأحداث التي عرفتها واحتي اكتاوة والمحاميد في بداية العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري ؛ العقد الرابع من القرن 20.

توفي مولاي الفاطمي بن محمد العلوي، قبيل وصول القوات الفرنسية إلى واحة لكتاوة في شهر رجب 1351 / نونبر 1932، ودفن بمقبرة الشرفاء العلويين خارج قصبة مولاي أحمد بن سعيد.

م. بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية في الأخبار الدرعية*، مخطوط ؛ المهدي الصالحي، *أعلام درعة*، الدار البيضاء، 1974 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية والجواهر النبوية*، 1999 ؛ *وثائق محلية بحوزة الكاتب*.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la Haute vallée du Dra : Souvenirs d'un colonialiste*, Paris, 1968.

أحمد البوزيدي

**العلوي، محمد** بن **عبد القادر** عالم كبير، ومحاضر قدير، ومتكلم مفوه. ولد عام 1318 / 1900 تقريباً بمدينة مراكش، من أب شريف يعمل في التجارة. أصله صوصي من تافيلالت. درس القرآن مع بعض المتون اللغوية والدينية، بعدها التحلق بالجامعة اليوسفية، ودرس على مجموعة من الشيوخ الكبار نذكر منهم :

- العلامة مولاي امبارك الامراني، وهو عمدته ـ العلامة مولاي أحمد العلمي ـ العلامة شيخ الجماعة الحاج العربي الرحماني ـ العلامة بوشعيب الشاوي ـ العلامة مولاي إدريس السرغيني ـ العلامة شيخ الجماعة محمد بن إبراهيم السباعي ـ العلامة البركة سيدي أحمد ولد الحاج المحجوب

كان يعقد مجالسه العلمية والوعظية بالمساجد التالية :

جامع حي درب طباشي : يدرس فيه التفسير والسيرة النبوية ؛ جامع المواسين : يدرس فيه التفسير والسيرة النبوية ؛ جامع الطّيبْ : يدرس فيه التفسير ؛ جامع سيدي أيوب : يدرس فيه الهمزية ؛ مسجد تاسفسارت، والزاوية الكتانية بسوق الجلد، والزاوية الدرقاوية بأزبزط، يدرس فيهم التفسير والسيرة النبوية، والبردة، والمنطق.

وقد اختار لصحبته طبقة التجار والصناع، والحرفيين، يعلمهم أمور دينهم، ويوسع مداركهم حتى يشاركوا في الحياة العلمية ولو مشاركة خفيفة. كانت في كلامه نبرة شرقية، مع فصاحة لسان، وتعبير جميل، ولفظ رشيق، وقوة عارضة مما مكن له في قلوب الناس، وجعلهم يتزاحمون على دروسه، ويحرصون عليها . كان يستميل بحديثه قلوب سامعيه.

كان متميزاً بين أقرانه ؛ رجاحة عقل، وبعد نظر، وسعة خيال، وإتقان لعلوم الآلة. وهذا ما دفع الشيخ أبا شعيب الدكالي إلى أن يقول في حقه : (إن تكن شعلة في الحضرة المراكشية فهو محمد بن عبد القادر العلوي).

وتعتبر دروسه نموذجا حيا للعالم الذي يعتبر العلم فوق كل الاعتبارات، وأنه أمانة يجب أن تبلغ إلى جميع المستويات، لافرق بين حاكم ومحكوم، لأن أبرز سمة تتسم بها حياته هي تجرده عن المطالع التي قد يتلوث بها بعض أهل صناعته ـ العلم ـ.

كانت دروسه تجمع بين التعليم والتثقيف، وبين التأنيب والتقريع لحكام الوقت. كما كانت له آراء واجتهادات في كثير من النصوص.

توفي رحمه الله يوم الأحد رجب 1376 / الموافق 24 فبراير 1957 ودفن بمقبرة باب أغمات.

أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

**العلوي، محمد بن العربي** المعروف بالفقيه ولد بالقصر الجديد بمدغرة الرشيديّة حوالي سنة 1880 من والده مولاي العربي العلوي وأمّه لالة الهاشمية العلوية الذين خلّفا إلى جانب سيدي محمد ابنا آخر : مولاي الصديق وبنتا : صفيّة.

بدأ مسيرته العلمية في تافيلالت حيث تلقّى مبادئ العلوم التقليدية التي لم تكن تخرج عن حفظ القرآن

وتجويده، والحديث، وبعض المتون والشعر الجاهلي. ولعلّ النبوغ الذي أظهره في هذه المرحلة، وملكة التحصيل والنقد دفع أباه إلى الخروج من تافيلالت التي أصبح مجالها المعرفي يضيق عن طموح ابنه ومقدراته. فرحل به إلى مدينة فاس للدّراسة في جامعة القرويين. حوالي سنة 1898 وأقام في المدرسة المصباحية. ثمّ شرع في التدريس في القرويين، وفي مزاولة وضيفة عدل.

بعد عقد معاهدة الحماية سنة 1912 وإرغام الفرنسيين مولاي حفيظ على التنازل عن العرش واستقراره بطنجة انتقل الفقيه محمد بلعربي من فاس إلى طنجة كأستاذ لأبناء مولاي حفيظ. ثمّ عاد إلى مدينة فاس سنة 1915 وبعدها عيّن قاضيا بفاس الجديد والأحواز. وكان قضاء فاس مقسّما بين ثلاث قضاة : فاس الجديد والأحواز، وقاضي الرّصيف، وقاضي السماط.

وعند وفاة السّلطان مولاي يوسف عيّن الفقيه بصفته قاضيا ومدرّسا في جامعة القرويين، وأحد أفراد الأسرة العلويّة، من بين أعضاء المجلس الذي جمعته الإقامة العامّة لمبايعة سيدي محمد الإبن الأصغر لمولاي يوسف الذي اختاره الفرنسيون لصغر سنّه معتقدين أنّه سيكون طوع يدهم. بعد ذلك رحل الفقيه ابن العربي إلى الرباط عندما عيّن رئيسا لمجلس الاستئناف الشرعي الأعلا ثم وزيراً للعدل إلى أن استقال منه سنة 1944. وغداة الاستقلال عيّنه محمد الخامس وزيرا للتاج. وظلّ في منصبه هذا إلى سنة 1959.

ومن الصعب إعطاء معلومات مدقّقة ومسلسلة عن مسيرة الفقيه الفكرية والسياسية. لتعقّد الفترة التي عاشها وتسارع الأحداث فيها، وتعدّد المؤثرات والتيارات والضغوط الفكرية والسياسية. وقد عاش الفقيه كل هذه التناقضات بحكم عمره المديد ووجوده داخل الهيأة المخزنية التي تعرّضت لمؤثرات وضغوطات داخلية وخارجية متناقضة وتحولات سريعة ومتعددة في فترة زمنية قصيرة نسبيا وخصوصا منها الضغوط والمؤثرات الاستعمارية والضغوط والمؤثرات الشعبية النابعة من حركات المقاومة المسلّحة ثم مؤثرات وضغوط الحركة الوطنية، ثم مرحلة عهد الاستقلال وصراعاتها وانقساماتها وكذلك بحكم وجوده داخل جامعة القرويين التي زاول نشاطه الفكري والسياسي والديني داخلها والتي كانت مسرحا لتغيّرات فكرية ومجالا تتلاطم فيه تيّارات فكرية متصارعة، تعتمد كلّها على مرجعية دينية، فإما الرجعية المحبطة للعزائم، وإما الإصلاحية التي تدعو للنضال والتغيير.

ومما يزيد من صعوبة الإحاطة بالمسار الفكري والسياسي للفقيه أنه لم يترك أيّ مؤلف أو أثر مكتوب يمكن أن يلقي الضوء على انطباعاته وموقفه كفقيه قاضي وعالم من الأحداث المصيرية التي عاشها : كتوقيع معاهدة الحماية وعمليات ما سمّي ب "باسيفيكاسيون" والتي صار فيها الجهاد "عصيانا" ومن حرب الريف وبطلها الذي كان في

حاجة لمن يسانده في جهاده، ومن الظهير البربري الذي قسّم القوانين التي تحكم بين المسلمين حسب العرق والتضاريس، ومن الحركة الوطنية والقمع الذي مورس عليها، وعن دوره في إصلاح التعليم في جامعة القرويين الذي اعتبر من أول الأعمال المهمة في عهد الملك محمد الخامس، وعن الدور الذي لعبه في التطوّر السياسي للملك محمد الخامس الذي كان يحترمه ويقدّره. وممّا يزيد في هذه الصعوبة أن أبناء الفقيه كذلك لم يكتبوا شيئا عن أبيهم. فالفقيه خلّف أحد عشر من الأبناء والبنات بقي منهم على قيد الحياة ثلاثة رجال وثلاث نساء. ولم يكتب أحد من أبنائه الثلاثة الباقين شيئا عنه. رغم قدرتهم الثقافية على ذلك.

ذلك بأن الفقيه الذي كان من عباد الله الذين يمشون هونا ولا يريدون في الأرض علوا كما يدلّ على ذلك قبره في المداغرة، الذي هو عبارة عن ركمة حجر وتراب، أوصى أبناءه أن لا يكتبوا شيئا عنه.

إلا أن هناك صفات واكبته في جميع مراحل حياته الفكرية والسياسية بقيت عالقة بذاكرة الأجيال التي عرفته سواء مشايخه أو أقرانه أو تلامذته، أو أبناؤه، أو الذين تعرفوا عليه في شيخوخته وهم لا زالوا أطفالا والذين كانوا ينادونه ببّا سيدي الفقيه. وكلّها صفات تسمح باعتباره شخصية متميّزة في تاريخ المغرب.

فإنه كان يعرف بالفقيه ثمّ بشيخ الإسلام منذ 1962 وهو لقب لم يكن متداولا في المغرب. حيث لم يكن يعرف إلاّ لقب الشيخ الذي يطلق على رؤساء الزوايا والطرقية والقبائل. ولم يعرف بهذا اللّقب أحد لا من العلماء، ولا من غيرهم لا قبل الفقيه ولا بعده ـ اشتهر بالاستقامة والنزاهة وهما خصلتان لم يحد عنهما رغم إغراءات المناصب التي مرّ بها في فترات كان الارتشاء والمحسوبية أمرا عاديا. ولعلّ المقولة الأمزيغية التي كانت معروفة في أحواز فاس والتي كان يردّدها بعض أشياخ القبائل حينما يتعقّد عليهم الإنصاف في قضية من القضايا دليل على هذه النزاهة ومعناها "هذا ما توصلّت إليه من حكم وليس في استطاعتي مع الأسف أن أحضر القاضي بن العربي للحكم في قضيتك".

كما اشتهر بالنباهة وسرعة البديهة فقد سمّي قاضيا على إثر جوابه على سؤال ألقاه عليه ترجمان فرنسي في بلدية فاس في موضوع قانون "الفضاء" أو "الهواء" وهي مادة لم يكن قد درسها وجاء جوابه مطابقا للقانون. فاقترح لمنصب القاضي.

واشتهر كذلك بأجوبته الساخرة واللاذعة في بعض الأحيان. ففي إحدى زيارات السلطان مولاي يوسف لفاس رفض أن يخرج لاستقباله رادّاً على العالم مولاي أحمد الشبيهي الذي عاب عليه ذلك بـ "اللّي دارني دارو" كما يحكي أنّه قال على سبيل البسط لشيخه سيدي المهدي الوزاني الذي كان قد ألّف رسالة في الانتصار للتوسّل برسول الله ردا على المصلح محمد عبده الذي كان قد أصدر فتوى تمنع ذلك : "إنّ سبب دخولي في الإسلام قراءتي لكتيّب صغير لشيخ الإسلام ابن تيمية عنوانه الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان، وأقسم لك يا سيدي أنك لو قرأته لأصبحت أنت كذلك مسلما". ولم يغضب أستاذه بل ابتسم للنكتة والجرأة.

وعرف أيضا بثورته على الجمود والتقوقع والتقاليد والخرافات التي التصقت بالدين. والتي تجعل من العقل المغربي كما كان يقول "مزبلة في حاجة إلى شاحنات لتنظيفه" لهذا كانت كل مواقفه منذ حداثة سنّه إلى وفاته، سواء في حياته الخاصة أو العامة، منبعثة من الإيمان بضرورة حرية التفكير وبناموس التغيير والتطور، والتفتح على العالم الخارجي، رغم ما تسبّبت له مواقفه المعارضة والتي كثيرا ما اعتبرت "شاذة" من طرف أنصار "إبقاء ما كان على ما كان" والمتطرفين، من متاعب طوال حياته.

فقد تحدّى العادة التي كانت تقتضي أن لا يتزوّج شريف إلا من شريفة. فتزوّج سنة 1916 من عامية هي خديجة الخنكي. وكانت أما لطفلة. من زواج سابق. وتم زواجه دون موافقة "المزوار" نقيب الشرفاء العلويين الذي أمر بسجنه .. وكان موقفه هذا بداية زعزعة تقليد راسخ منذ قرون. كما انتقد استعمال كلمة مولاي التي كانت جزءا لا يتجزّء من أسماء الشرفاء، وكان يرفض أن ينادى بها أبناؤه.

كما كان يرفض اتباع التقليد الذي يقتضي من الأعيان والهيأة المخزنية لباس الكسا والسلهام وظل حتى بعد أن أصبح قاضيا يلبس الجلباب فقط والرزّة. ولم يرتد الكسا والسلهام إلا في بعض المناسبات الرسمية حينما صار وزيرا.

وظهر فكره المتفتح على التجديد حينما سمح لا بنته الصغرى بارتداء الزيّ العصري ونبذ "الثّام". وهذا في وقت كان فيه علماء موالون سياسيا للحماية الفرنسية وعملاء للإقامة العامة ومن بينهم الزيتوني وعبد الحي الكتاني، يحرّمون كل تغيير يمسّ ميدان المرأة على الخصوص سواء على مستوى الحياة العامّة كخروج النساء وتعليمهن، ومسألة تعدّد الزوجات والطلاق، أو على المستوى الشخصي الخاص كالهندام، إذ أن الكثير كان يعتبر لباس الجلبات الذي صار يعوّض الحايك عند بعض العائلات بفاس من المحرّمات و"الكبائر" التي يجب محاربتها.

وظهر هذا التفتح في حثه طلبته في القرويين على تعلّم اللغات الأجنبية وخصوصا الفرنسية منذ سنة 1926. وقد حضر في عهد الاستقلال في عدة مناظرات في توميلين حيث كانت له علاقات صداقة واحترام مع رهبانها كالأب عبد الله مثلا.

ولعل فكره الحرّ هذا هو الذي جعله ينهل من كل المشارب الفكرية، دون أن يشكل ذلك بالنسبة له أيّ تناقض مادام لا يمسّ بمبدإ الإيمان وبتعاليم القرآن. فقد نهل من الفكر الصوفي التجاني حيث كان من أتباع الطريقة التجانية. ثم من الفكر السلفي التقليدي و"السلفي الجديد". وهذا التيار بدأ يعرف

نوعا من الانتشار بين بعض المثقّفين والعلماء الذي كانت بينهم وبين المصلح محمد عبده مراسلات. ومن بين هؤلاء الشيخ المهدي الوزاني الذي كان من مشايخ الفقيه. وزاد من هذا الانتشار رجوع أبي شعيب الدكالي (1878 ـ 1937) من مصر متأثرا بالفكر السلفي الجديد بعد دراسته في جامعة الأزهر، ووصول بعض الكتب التي كان بعض دعاة السلفية يرسلونها لتوزّع مجّانا. ومن بينها كتب ابن تيمية (1263 / 1328) وكتب محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي (1703 ـ 1798). زيادة على عدد من المطبوعات المصرية المختلفة والمجلات التي كان فريق المنار ينشرها بين المثقفين، وكتب يبيعها بعض تجّار فاس، ككتب المنفلوطي. فمن خلال النظرات تعرّف الفقيه لأول مرة على محمد عبده وأفكاره وقد أقبل الفقيه الذي كان مغرما بالقراءة منذ نعومة أظافره إلى وفاته على هذه الكتب، وعمل على نشر أفكارها في اجتماعات خاصة في منزله ومن خلال دروسه في ثانوية مولاي إدريس وفي القرويين حيث كانت دروسه فرصة لتنمية ملكة النقد لدى طلبته، وفضح عيوب المجتمع بمنهجية جديدة لمواد تقليدية، كتحفة بن عاصم وجمع الجوامع والكامل. فقد كان "يمزج تدريسه للفقه المالكي بفقه الحديث وبتدريس مذاهب خارجة عن المذهب المالكي معتمدا على عدّة كتب من أهمها نيل الأوطار للشوكاني". كما كان يختم مختصر خليل في سنة بينما كان يُدرّس فيما قبل في ستة وعشرين سنة. وكانت دروسه. تلقى إقبالا كبيراً في أوساط الشباب، سواء من الطلبة أو الصّناع التقليديين أو التجار مما لم يحظ بمثله إلا دروس علال الفاسي الذي كان يعتبر الفقيه أستاذه في السلفية.

وكان تدريسه في ثانوية مولاي إدريس يسير في اتجاه تحبيب اللغة العربية وآدابها للتلاميذ. ومن النصوص الأدبية التي كان يفضلها ديوان الحماسة لأبي تمام لما "يبثه في نفوس قارئه من الشعور بالعزة والكرامة والرفعة، إلى جانب ما فيه من الأدب العربي الرفيع". كما كان يبسط الدين الإسلامي لتقريبه وترسيخه في عقولهم وقلوبهم.

ويعتبر بعض المؤرخين والوطنيون أن الفقيه بلعربي العلوي قد شكل جسرا بين الدين والحركة الوطنية، لأن كثيرا من رواد الحركة الوطنية كانوا من بين من حضر دروسه إما في القرويين أو في ثانوية مولاي إدريس كالزعيم والعالم علال الفاسي والعالم الوطني المختار السوسي وكثير ممن وقعوا عريضة الاستقلال كمحمد إبراهيم الكتّاني ومحمد غازي ومحمد الزغاري. وكان الفقيه بلعربي، رغم وظيفته داخل نظام الحماية، وعدم عمله مباشرة ورسميا أو بتنسيق مع الحركة الوطنية يحسّس الشباب من خلال دروسه، بمشاكل الساعة التي كانت محور نضال الوطنيين فكان مثلا يتكلم عن حرب الريف وعن "انتصاراتها وما يعلّق عليها المؤمنون من آمال". كما كان يقاوم الطرقية من منطق سلفي ومن منطق وطني بحكم موالات عدد من الزوايا للفرنسيين وهذا

اللقاء بين السلفية والوطنية التي كانت "لا تعني الرجوع إلى الوراء بل تخليص الدين مما علق به من خرافات وتقاليد وجمود وتعصّب، من أجل التقدّم والتطوّر"، أثر في نفس الوقت على السلفية المغربية وعلى الوطنية". فقد جعلت الحركة الوطنية من السلفية برنامجا متكاملا بعد الحرب العالمية الأولى، وقد عبّر عن هذا مدير الشؤون الأهلية بمراكش سنة 1939، في تقرير أرسله إلي مجلس البحر الأبيض المتوسط، وكان يترأسه بلوم قائلا : "العبقرية التي أظهرها الحزب الوطني هي أنه استطاع الجمع بين السلفية الجديدة وأحدث الأفكار الثورية".

وإذا كان الوطنيون قد أخذوا على الفقيه، بعض المواقف التي اعتبروها غير موافقة للفكر السلفي الوطني كما يؤمنون به، فإنهم ظلوا يعتبرونه "أستاذ وداعية ومرشدا" ويعترفون له "بالجرأة والثبات الإقدام". ومن بين الأشياء التي أخذوها عليه : قبوله رئاسة مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى الذي "انتقده عليه علال الفاسي في مقال لم ينشر" وهذا التعيين الذي اعتبره آخرون "كمناورة فرنسية لإبعاد الفقيه من التدريس في القرويين للتأثير الذي كان له على عقول الشباب"، لم يمنع الفقيه من مزاولة نشاطه الفكري بكلّ حرية. فقد صار ـ زيادة على تنقّله بانتظام إلى فاس لإلقاء دروسه في جامعة القرويين ـ يلقي الدروس في مساجد الرباط وسلا، وكان يثير فيها عدة مشاكل اجتماعية ودينية وسياسية. كما كان يحضر الدروس التي كان أبو شعيب الدكالي يقيمها بين يدي الملك محمد الخامس وكثيرا ما كان كان يدخل في مناقشات عنيفة يتردّد صداها داخل الأوساط في الرباط وفاس. كما عيب عليه مشاركته في سبتمبر 1939 في سلسلة المحاضرات التي جنّدت لها الإقامة العامة بعض كبار العلماء للدعوة إلى مساندة فرنسا أثناء محنتها في الحرب العالمية الثانية واحتلالها من طرف ألمانيا النازية. وقد دشّن الفقيه، بعد أن وجه الملك محمد الخامس نداءا للشعب المغربي لمساندة فرنسا والتطوع للتجنيد لتعزيز الجيش الفرنسي، سلسلة المحاضرات الإذاعية التي نظمت لهذا الغرض، بمحاضرة عنوانها "الوفاء بالعهد"، ذكر فيها الشعب المغربي بأن بينه وبين فرنسا عهداً ومن باب الوفاء بهذا العهد أن لا يسلّم في فرنسا في محنتها. بينما كانت المحاضرات التي ألقاها علماء آخرون بنفس المناسبة على خلاف محاضرة الفقيه تزخر بتمجيد فرنسا وتنعتها بأنها دولة متديّنة وتنعث ألمانيا بالإلحاد والإباحية، وتذكر بأيادي الاستعمار البيضاء على المغرب. ومن بين العلماء من هاجم الحركة الوطنية وصرّح أن الوقت غير موات للمطالبة بالاستقلال. ومنهم من "خصص محاضرته لسبّ محمد بن عبد الكريم الخطابي". وعلى إثر هذه المحاضرة سمّي الفقيه وزيرا للعدل. وهو منصب احتلّه قبله عدة علماء كالفقيه العلامة بلقرشي. ولم يمنعهم ذلك من مقاومة الفرنسيين فيما بعد إذ أن بلقرشي كان من بين المحتجين على الظهير

البربري، وخطب بذلك أمام السلطان محمد الخامس "الذي دمعت عيناه من التأثر". ولكن هذه الانتقادات لم تأخذ في أي وقت من الأوقات شكل صراع حول المبادئ. فقد بقي التقدير والتجاوب بين الفقيه والحركة الوطنية من التوابث لدى الطرفين إلى استقلال المغرب.

وهناك أمثلة متعدّدة على هذا التجاوب بين طرفين عمل كل بالوسائل المتاحة له لبلوغ نفس الغاية.

فقد جاء الفقيه محمد بلعربي في إحدى محاضراته بالقرويين وهو يحمل مجلة "الشهاب" الإصلاحية التي كان الإمام عبد الحميد بن باديس يصدرها في القسطنطينة بالجزائر "وعوضا أن يلقي الدرس الذي كان مقرراً قرأ على الطلبة مقالا لعلال الفاسي صادر في المجلة وكان هذا الأخير من بين الطلبة الحاضرين.

وبعد 16 مايو 1930 والموقف الرافض والعلني التي اتخذته الحركة الوطنية من الظهير البربري، والمظاهرات التي نظمتها في جميع أنحاء المغرب، حاول بعض علماء القرويين باتفاق مع الإقامة العامة والإدارة السياسية، أن يوقفوا المحاضرات التي كان علال الفاسي يلقيها في القرويين والتي كانت تستقطب الاهتمام وتثير الحماس ضد الاستعمار. فجمعوا المجلس الأعلى للقرويين لهذا الغرض أكثر من 24 مرة، ولكن "موقف الدفاع الصادق الذي قام به الفقيه حال دون ذلك". كما أن علال الفاسي ومحمد إبراهيم الكتاني كثيرا ما كانا يشيدان بالدور الإصلاحي الذي يقوم به الفقيه، ففي الذكرى الأربعينية لوفاة أبي شعيب الدكالي التي أقيمت بسينما الملكي أشادا كلاهما بالفقيه كعالم سلفي. وهذا الثناء تسبّب للفقيه الذي كان قد خلف أبا شعيب في إلقاء الدروس. بين يدي محمد الخامس، في مضايقات من طرف الصدر الأعظم المقري الذي أثار الموضوع في مجلس الوزراء قائلا "إننا لا نقبل بحال من الأحوال أن يكون بعض الذين هم معنا هنا هم في نفس الوقت معنا ومع أعدائنا. فإما معنا أو مع أعدائنا". ويحكي أن الفقيه ردّ عليه بأنه لو "كان له حق الاختيار لاختار" وفي 11 يناير 1944 حينما تقدم الوطنيون بعريضة الاستقلال لمحمد الخامس وللإقامة العامة وسفارات الدول العظمى آنذاك، أسّس محمد الخامس في 13 يناير لجنة مهمتها التباحث مع الإقامة العامة من جهة ومع الموقعين على عريضة الاستقلال من جهة أخرى للتوفيق بين الطرفين. وكان الفقيه الذي كان وزيرا للعدل آنذاك من بين أفراد اللجنة، إلى جانب أحمد بركاش وزير الأوقاف، و"الترجمان" محمد المعمري، وبعض الباشوات وعلى إثر مشاركته في هذه المفاوضات امتعض من موقف فرنسا المتعنّث من قضية استقلال المغرب، وقمعها للحركة الوطنية وزجّها بالوطنيين في السجون بتهمة التآمر مع النازية، وإقفال المدارس الحرة، وإقفال حتى مدرسة أزرو التي كان الفرنسيون يعتبرونها في حمى من تأثير الحركة الوطنية، وسجن عدد من طلبتها، والحكم بالإعدام على 14 متهمين في الأحداث الدامية التي نشبت في كل أنحاء المغرب، رتنفيذ ذلك في عيد المولد النبوي، فقدم الفقيه استقالته للملك لمحمد الخامس من وزارة العدل، معلنا أنه سئم من لعب دور "الوزيرالقرد". فقررّت الإقامة العامة إبعاده عن الرباط، ونفيه إلى القصابي ثم إلى مدغرة وقد أجاب الملكف بالقبض عليه حينما طلب منه تهييئ ملابسه للذهاب للمنفى "أنا طالب فراشي لبدتي، وغطاءي برنسي، ووسادتي بلغتي "وأضاف" رحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قال إن كان الموت فشهادة، أو يكن السجن فعبادة، أو يكن النفي فسياحة".

وبعد رجوعه من تافيلالت سنة 1946، لم يتوقف عن إلقاء المحاضرات في المساجد ونشر الأفكار السلفية، وعن التدريس في القرويين، وساند صراحة الحركة الوطنية وصار يختار المواضيع الدينية التي تلتقي مع القضية الورطنية. كما صار "يخطب في المهرجانات الوطنية، ويحضر تدشين المدارس الحرة التي ينشئها الوطنيون" وتمتنت العلاقة بينه وبين زعماء الحركة. ففي سنة 1948، كتب علال الفاسي في جريدة "الإخوان المسلمون" بالقاهرة مقالا بعنوان : "علم من أعلام النهضة الإسلامية" عرّف فيه بالفقيه كقطب من أقطاب السلفية والإصلاح. وقام محمد إبراهيم الكتاني بإرسال المقال إلى العلامة محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر فنشره في جريدة "البصائر" التي كانت جريدة الجمعية. ومما جاء في تقديمه للمقال : "والأستاذ الأكبر الشيخ محمد بن العربي العلوي إمام سلفي وعالم مستقل، واجتماعي جامع وهو في نظرنا أحق برتبة الإمامة من غيره ممن خلع عليهم المؤرخون هذا اللقب ونحن في اخصّ الصفات التي تربطنا به وهي السلفية والإصلاح نجاوز درجة الإعجاب به إلى الفخر والتعاظم". ثم ختم تقديمه قائلا "ولو أن هذه النهضة وصلت في أطوارها إلى كتابة معلمة لرجالها لكان تمامها أن لا يكتب ترجمة بلعربي إلا علال الفاسي".

وبعد تنبيهات متعددة من طرف الدوائر الحكومية والاستعمارية التي كانت تعتبر دروسه في القرويين كلمات من نار"، وتدعوه للتخلّي عن خلط المواضيع الدينية بالحركة الوطنية، قامت السلطات الاستعمارية بإخضاعه للإقامة الإجبارية في إيموزار كندر، ثم في بيته بفاس. كما أن موقفه الشجاع والواضح طيلة ما عرف بالأزمة المغربية وثورة الملك والشعب، التي زعزعت العلاقة بين الإقامة العامة والقصر وخلقت جوا ثوريا في المغرب، أعطاه شعبية في جميع الأوساط المغربية. فقد كان موقفه صارما في قضية العريضة المسماة عريضة 27 التي هيّأها المقيم العام الجنرال جوان بعد فشله في مهمته الرامية إلى "وضع الملك في حالة نوم"، ورفض محمد الخامس التوقيع على تنظيمات سياسية واقتصادية جديدة.

وكان محمد بلعربي من بين العلماء الذين كاتبوا الملك

يستنكرون ما جاء في العريضة كما أرسلوا برقية لرئيس الحكومة الفرنسية يفضحون فيها ما تقوم به الإقامة العامة وما جاء في العريضة المزيفة. وفي غشت سنة 1953 حينما نفت فرنسا محمد الخامس وعائلته إلى كرسيكا ثم مدغشقر، كان الفقيه العالم الوحيد الذي لم يوقع على بيعة بن عرفة. ويحكى أنه حينما طلب منه التوقيع نزع عمامته من فوق رأسه قائلا " هل بعد أن شاب شعري أقوم بتوقيع ما أعتبره غير الحق. وأخون ملكي وبلدي. لن أوقع حتى ولو قطعتهم يدي. "ونادي بالجهاد في سبيل الله. وأفتى بعدم شرعية مبايعة ابن عرفة انطلاقا من المذهب المالكي الذي يقضي بأنه إذا بويع إمامان يقتل الثاني. كما رفض أن يشارك في فتوى وقعها عدة علماء تدين المقاومين بالسلاح، وتبيح الحكم عليهم بالإعدام، فقامت السلطات الاستعمارية بنفيه من جديد إلى تزنيت.

وفي عهد الاستقلال حينما تولي الفقيه منصب وزير التاج إلى جانب لحسن ليوسي والمختار السوسي، قام بدور مستشار للملك. وكان يكلف أحيانا بمهام سياسية لنفوذه المعنوي. ففي سنة 1957 عند ثورة عدي اوبيهي عامل تافيلالت ضد حكومة أحمد بلافريج، أرسل صحبة الحسن اليوسي والجنرال بلعربي للمفاوضات معه. وكان اختيار وليّ العهد الذي تكلف بالقضية آنذاك لوجود الملك في الخارج، للفقيه بسبب الاحترام الذي كان يتمتع به في هذه الناحية وتعرّفه حينما كان منفيا في تافيلالت سنة 1944 على عدي أوبيهي الذي كان قائدا في الريش، والذي كان يقدر الفقيه، ويقطع الخمسين كيلو متر التي تفصله عن مكان نفيه ليزوره خفية ليلا. وحاول الفقيه أثناء القيام بمهمّته أن يرجع عدّي أوبيهي إلى الصواب. ولكن هذا الأخير أظهر القوة والتعنث مما دفع الفقيه والوفد المرافق له إلى الخروج من اللقاء دون فائدة. وصرّح الفقيه أمام المسلّحين المتجمعين حول عدّي أوبيهي بأن هذا الأخير يخون بلده وملكه. وقام بنفس التصريح في الإذاعة بعد رجوعه. وبعد اشتداد المعارك بين الجيش وعدّي أوبيهي أرسل الفقيه من جديد صحبة اليوسي والجنرال الكتاني الذي كان مكلفا بالعمليات العسكرية لنفس المهمة ووقع الاتفاق على وقف التمرّد. كما أن الملك يكلفه بمام عائلية. فقد اصطحبه معه مثلا إلى بيروت لخطبة لمياء كريمة الزعيم اللبناني رياض الصلح لابنه الأمير مولاي عبد الله.

وفي سنة 1959 استقال الفقيه من منصبه، وفسّرت استقالته هذه بميوله إلى الحركة اليسارية الناشئة التي انفصلت عن حزب الاستقلال. وقد يكون هذا العطف على المعارضة منبعثا من خلافات الفقيه مع حزب الاستقلال، أو مساندة لفئة من الحركة الوطنية كانت تمرّ من فترة صعبة بسبب تبنيها لأفكار جديدة في مفهوم الحكم. وقد تكون استقالته ناتجة عن ترمه من وضعيته "كمستشار لا يستشار" كما كان يقول. وبعد استقالته رجع إلى بيته البسيط في فاس في طريق إيزار.

وعند وفاة محمد الخامس سنة 1961 كان هو إمام جنازة الملك الراحل وممن أدى البيعة للحسن الثاني.

ويظهر أن الفقيه لم يعتزل الحياة السياسية بعد تحرره من القيود المخزنية. بل بالعكس. وتدلّ الرسالة التي أرسلها له المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي في أكتوبر 1960 على أنه كان يتتبع نشاط الفقيه، ويؤمن بأنه لازال قادرا على التأثير في الساحة، "كمرشد ومعارض". ولعلّ الرجلين الذين جمع بينهما في شيخوختهما مراراة الشعور بالخيبة مما آلت إليه الأمور كانت لهما رغبة أخيرة في التغيير "ونحن وإن كنّا لم نتعرف عليهم شخصيا نظرا للعوائق التي صنعها المستعمرون إلا أننا قرأنا عنكم كثيراً وعرفنا عنكم الشي الكفيل بمعرفتكم معرفة تتفق ومواقفكم فيما تسدونه من النصائح والإرشادات والتوجيهات لأبناء الأمة المغربية الأبية.

وتتخلّل الرسالة دعوة الفقيه إلى العمل على تغيير الأمور "نؤكّد تأييدنا لكم فيما تقومون به من محاربة الظلم والفساد والطغيان ومجابهة الاستعمار وأذنابه وأبواقه". و"المهم هو أن تلهبوا العواطف الكامنة في أبناء الأمة المغربية حتى يجنّدوا أنفسهم بكل ما يملكون لطرد العدوّ الظالم من بلادنا". "فاعلموا ولنعمل جميعا عسى أن ننتشل البلاد من الهاوية" "فالمغرب في حاجة ماسة إلى من ينقده. في حاجة إلى مرشدين إلى موجهين وليس أجدر بكم من هذا الواجب المقدس. فسيروا على بركة الله".

وإذا لم يكن للمؤرخ ما يعتمد عليه لمعرفة مدى تجاوب الفقيه مع الرسالة، فقد أبان في سنة 1962 عن سلوكه طريق المعارضة الواضحة، حينما دعا إلى مقاطعة التصويت على الدستور منطلقا من مبدإ عدم أحقية الحاكم في التشريع، منتقدا الملكية الوراثية ومحللا آراءه في عدة مهرجانات خطابية أقامها الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والاتحاد الوطني لطلبة المغرب لمقاطعة الاستفتاء، على عكس حزب الاستقلال الذي نادى بالتصويت بنعم.

ومنذ 1962 ابتعد عن الساحة السياسية ولازم منزله. وكان يقضي وقته في العبادة والقراءة. ويستقبل بعض الأصدقاء المخلصين كمحمد الزغاري وإدريس المحمّدي والمحجوبي أحرضان. ومن حين لآخر يلعب "التّوتي" الذي كام مولعا به فيما قبل حيث كان كلما اجتمع أربعة أشخاص يطلب إحضار "الكارطة" قائلا إن التوتي يشغل عن النميمة والكلام في الناس".

وقد لبى داعي ربه يوم 4 يونيو 1964 ودفن بمسقط رأسه في المداغرة.


ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، مؤسسة علال الفاسي ؛ ع. الكريم غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية*، مطبعة الرسالة، 1987 ؛ م. إبراهيم الكتاني، محمد بن العربي العلوي كما عرفته، استجواب في العلم قام به نجيب الخداري ؛ *روايات شفوية*.

Abdellah Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830 - 1912*, Maspéro, 1977 ; Charles-André Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, éditions J.a., 1978 ; Mohamed Chafik, *Préface de Cheikh al islam*

*Mohamed Bel Arbi, Dar* Al Kalam, 2003 : Moha Kettouch, *Cheikh Al islam Mohamed Belarbi Alaoui*, Dar Al Qalam, Rabat, 2003.

ثريا برادة

**العا... حد بن محمد** (مقا... سنة 1927 بزاوية سيد... حتار دائرة شيشاوة إقليم مراكش، دفعته غيرته الوطنية إلى الانضمام إلى صفوف المقاومة السرية بالدار البيضاء.

شارك في عدة مواجهات واشتباكات مع القوات الفرنسية إلى أن أصيب خلال إحداها برصاص العدو ونقل على إثرها إلى المستشفى ليلفظ أنفاسه الأخيرة وذلك بتاريخ 30 / 5 / 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 107.

**العلوي** (مولاي -) **المهدي** بن **إسماعيل** حفيد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن اقترحته الحكومة الاسبانية ليتولى منصب خليفة السلطان المفوض في منطقتي الحماية الإسبانية في شمال المغرب وصحرائه تنفيذاً للفصل الأول من المعاهدة الفرنسية الاسبانية المبرمة بمدريد يوم 27 نوفمبر 1912 والتي وافق عليا السلطان مولاي يوسف بظهير 6 جمادى الثانية 1331 موافق 14 ماي 1913.

وقد حل مولاي المهدي بتطاون يوم 13 أبريل من السنة المذكورة ليتقلد مراسيم السلطة.

وكانت له حكومة تعرف بالمخزن الخليفي يرأسها الصدر الأعظم محمد ابن عزوز ؛ وكان يستعمل المظل في الحفلات الرسمية وله حرس خاص وتقدم له "الهدية" التقليدية كل سنة.

وكانت النصوص التشريعية تحمل طابعه الكبير كما كانت النصوص التطبيقية تحمل طابعه الصغير، في حين كانت القوانين التنفيذية تحمل طابع الصدر الأعظم.

وكان الدعاء لجلالة السلطان في خطب الجمعة يشفع بالدعاء للخليفة مولاي المهدي.

وفي عهد المترجم له عرف شمال المملكة المقاومة المسلحة التي قادها الشريف مولاي أحمد الريسوني والتي تلتها المقاومة التي قادها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، الأمر الذي جعل الخليفة مولاي المهدي يتعامل مع خمسة من المقيمين الاسبانيين العامين هم الجنرالات ألفاو Alfau ومارينا Marina وخوردانا Jordana وبيرينگير Berenguer وبورگيطي Burguete.

توفي بمدينة سبتة يوم 24 أكتوبر 1923.

م. ابن عزوز حكيم، *الحماية الاسبانية بالمغرب*، (1912 ـ 1956)، مطبعة المهدية، تطوان، سنة 1958.

محمد ابن عزوز حكيم

**العلويون** الأسرة الحاكمة في المغرب منذ أزيد من ثلاثمائة وستين سنة، نسبها شريف من أصرح الأنساب، وسببها متصل برسول الله (ص) بأمتن الأسباب، بشهادة كل المؤرخين. أول الداخل منهم إلى المغرب هو الحسن بن قاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت الرسول محمد عليه السلام. جاء الحسن هذا، المدعو بالداخل، من الينبوع بطلب من حجاج إقليم تافلالت الذين أرادوا أن يتبركوا بسكناه بين ظهرانيهم في رواية، أو استقدموه ليصلح لهم ما كان قد فسد من نخيلهم في رواية أخرى. وكان دخوله سنة 665 / 1266، في العصر الأول من دولة بني مرين الذين اعتنوا عناية متميزة بآل البيت الشريف في المغرب. ولم يلبث الشريف الحسن بن قاسم أن أقام لبيته في تافلالت أمجادا تأثلت جيلا بعد جيل. فإن بركة أولاده وأحفاده ذاعت في الأفاق ولهجت بذكرها ألسن الرفاق حتى صار يتشوف إليهم الخاصة والعامة في كل مكان، ويريد اللواذ بهم أهل الأندلس بعد أن مسك النصارى بمخنقهم فتوسلوا للمولى علي الشريف بأن يهب إلى نجدتهم في القرن التاسع (هـ) / الخامس عشر (م). وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى ما صار للعلويين من الصيت البعيد ومن الذكر الحسن في المغرب، حتى حصل لهم شبه اليقين بأن أمر البلاد سوف يوكل بهم طال الزمان أو قصر. وازدادوا يقينا بذلك عندما تسربت أسباب الضعف إلى الدولة السعدية خلال العقود الأولى من القرن الحادي عشر (هـ) السابع عشر (م). وكان قطب الأسرة يومئذ هو المولى الشريف بن علي المراكشي بن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف السجلماسي بن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل. ولقد رزق المولى الشريف هذا بثلاثة أولاد كانوا من الأفذاذ وممن تقام على كواهلهم الأطواد، وهم المولى محمد (فتحا) والمولى الرشيد والمولى إسماعيل. ومن المولى إسماعيل تنسل باقي ملوك الدولة العلوية إلى يومنا، بناء على الجدول التالي :

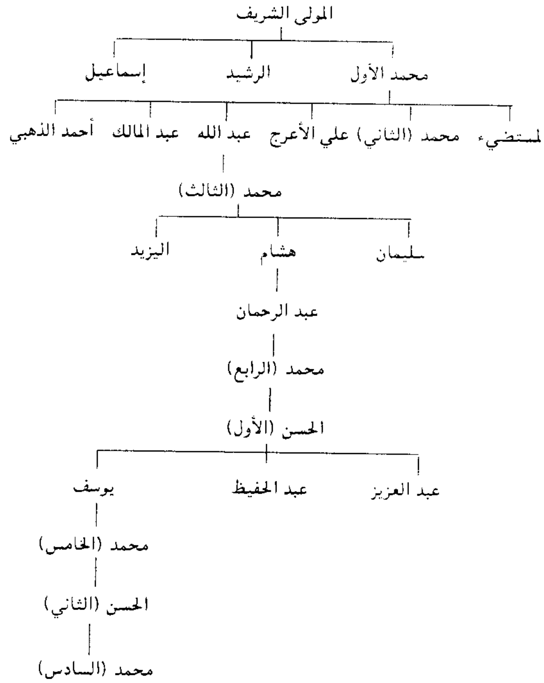


وحيث إن سير هؤلاء الملوك مفصلة في مكانها من هذه المعلمة، باستثناء ملك هذا العصر صاحب الجلالة محمد السادس، فإننا نكتفي بإجمال القول فيما تتميز به الدولة العلوية في تاريخ المغرب منذ أن تربعت على إريكة الملك. فهي الدولة التي أجمع المغاربة على نصرتها وتمسكوا بأهذاب عرشها منذ قيامها سنة 1050 / 1640 إلى يومنا، مفندة بذلك حكم ابن خلدون على تداول الحكم في المغرب بأنه لا يتجاوز أربعة أو خمسة أجيال، من جراء البنية القبلية وما يترتب عليها من العصبيات التي يأكل بعضها البعض. لكن الدولة العلوية تخلصت من هذه الدوامة، ووحدت البلاد والعباد بشكل حال دون أن ينازعها أحد السلطان ما لم يكن من البيت العلوي بالذات. وسبب ذلك أن العوامل الفاعلة في تاريخ المغرب تغيرت منذ القرن العاشر (هـ) / السادس عشر (م) بعد أن صارت التجارة مع السودان بالقوافل عبر الصحراء تميل إلى النضوب بسبب هيمنة الأوربيين عليها بالملاحة عبر المحيط. وكانت تلك التجارة تغذي فيما سبق طموح الراغبين في الملك من أبناء القبائل الصحراوية أو المتاخمة للصحراء. والعلويون آخر من اعتمد ذلك، علما بإن خروجهم من تافلالت جاء دليلا على الحاجة إلى الاستعاضة عن التجارة الصحراوية بفتح باب التجارة عبر الموانئ الأطلسية على مصاريعها. فكأن المغرب مال من شرقه نحو غربه ومن صحرائه إلى شواطئه الأطلسية التي صارت تباشير التغيير منها تلوح ورياح الأخطار الاستعمارية منها تفوح. وقد تعاملت الدولة العلوية مع هذه المتغيرات بتمام الحزم والمرونة، آخذة من التجارة مع الأوربيين ما تحتاج إليه البلاد والدولة، ساهرة في آن واحد على حماية الحمى والذود عن دار الإسلام. ووفقت في تحمل تلك الرسالة، فأخلص الشعب لها والتف حول عرشها. وساعدها على أداء مهامها التاريخية توالي ملوك عظام نافذي البصيرة كرام، يمكن تقسيم عملهم إلى خمس مراحل.

فالمرحلة الأولى هي مرحلة التأسيس الذي قام به أبناء المولى الشريف الثلاثة الأفذاذ. فالمولى محمد (فتحا) هو الذي وضع اللبنات الأولى للدولة في تافلالت وفيما إليها من التخوم الصحراوية الشرقية، وذلك فيما بين 1050 و 1074/ 1640 و 1664. ثم قام عليه أخوه المولى الرشيد وتناول المشعل من يده وطاف به على باقي أنحاء المغرب الذي كانت تتقاسمه العصبيات الدينية والدنيوية، فقضى عليها ومهد البلاد وجدد للدولة سلطانها المركزي، وذلك في أقل من ثمان سنوات من 1074 إلى 1082 / 1664 ـ 1672. ولما توفي فجأة في حادثة فروسية، بويع لأخيه المولى إسماعيل الذي امتد حكمه أزيد من خمس وخمسين سنة، من 1082 إلى 1139 / 1672 ـ 1727، أقام خلالها الدعائم الكبرى للدولة الجديدة مثل جيش عبيد البخاري وجيش قبائل الوداية والنظام الجبائي، فطاعت له جميع أطراف البلاد، وخاطبت الدول الأوربية وده بعد أن جعل حدا لفوضى الجهاد في البحر بأن جعله من اختصاص السلطان.

وتعتبر المرحلة الثانية مرحلة إقرار للدولة وتثبيتا لأركانها، وذلك بشكل سلبي في شوط أول بما جرى من التناحر على العرش بين المتصدرين من أبناء المولى إسماعيل الذين صار يقدمهم ويؤخرهم قواد الجيش الذين تنفسوا الصعداء غداة وفاة المولى إسماعيل فصار الأمر فوضى بينهم. وتداول الحكم خمسة أمراء هم المولى أحمد الذهبي 1139 ـ 1141 / 1727 ـ 1729، والمولى عبد المالك 1140 ـ 1141 ـ 1728 ـ 1729، والمولى عبد الله الذي امتد حكمه من 1141 إلى 1171 / 1729 ـ 1757، علما بأنه أبعد عن العرش أربع مرات على يد المولى علي الأعرج الذي تولى الملك سنة 1147 / 1735 ـ 1736، ثم على يد سيدي محمد بن عريب سنة 1147 / 1736، ثم على يد المولى المستضيء فيما بين 1150 و1152 / 1738 ـ 1740، إلى أن أتى الاقتتال بين قواد الجيش على رؤوس الفتنة، وعم الوهن وتوالت فترات القحط والوباء على الجميع، فاجتمعت الكلمة من جديد على المولى عبد الله إلى أن وافاه أجله. فخلفه ولده سيدي محمد الذي أثبت عهده استقرار الدولة بشكل إيجابي. فإنه أدرك ما كانت البلاد في حاجة إليه من الإصلاح فاتخذ الإجراءات اللازمة، مثلما أدرك أن لا مناص من التعامل مع الدول الأوربية فأبرم اتفاقيات ودّ وتجارة مع كبيرها وصغيرها بناء على مبدأ المصالح المتبادلة. ولما توفي خلفه ولد المولى يزيد الذي كان نزاعا إلى التهور والاتكال على العنف، فلم يتجاوز عهده سنتين، من 1204 إلى 1206 / 1790 ـ 1792. وبويع في الجنوب للمولى هشام، وفي الشمال للمولى سليمان. لكن المولى هشام ما لبث أن تنازل عن الملك للمولى سليمان الذي كان من علماء عصره

فسار في حكمه بسيرة السلف الصالح، ممتنعا عن التعامل مع اللأوربيين الذين علا شأنهم يومئذ علوا منكرا حتى استطاعوا احتلال مصر على يد نابليون بونبارت الذي فكر في احتلال المغرب بعد أن صار إمبراطور فرنسا ودخلت جيوشه البلاد الإسبانية.

ولذلك كانت المرحلة الثالثة هي مرحلة الصمود في وجه الأوربيين الذين صاروا يفكرون في اقتسام ديار الإسلام فيما بينهم، وكانت فرنسا أول من انتزع جزءا منها في الجزائر فأصبحت مجاورة للمغرب من جهته الشرقية. ولم يكن من ملوك هذه الحقبة، وهم المولى عبد الرحمان بن هشام 1238 . 1276 / 1822 ـ 1859، وسيدي محمد 1276ـ 1290 / 1859 ـ 1873 وولده المولى الحسن 1290 . 1311 / 1873 . 1894 إلا أن يتصدوا للغزو الإستعماري بالوسائل العسكرية مثلما جرى في إسلي أمام الجيوش الفرنسية (1259 / 1844) وفي تطوان أمام الجيوش الإسبانية مرة أولى (1276 / 1859) وفي مليلية مرة ثانية (1310 / 1893)، وبالوسائل الديبلوماسية في غالب الأوقات وبالتضريب بين الطامعين، ساعين في آن واحد في ترتيب شؤون المغرب بناء على ما تفاقم من المبادلات مع تجار أوربا.

ولكن تخلف البلاد عن الركب الصناعي وعجز خلفاء المولى حسن عن السير في نهج الصمود حال دون الاحتفاظ بالاستقلال، ففرضت مقررات مؤتمر الخزيرات على المولى عبد العزيز (1311 . 1326 / 1894 1907)، وعقدت الحماية الأجنبية في عهد أخيه المولى عبد الحفيظ (1327 . 1331)، الذي رفض أن يكون سلطانا تحت الحجر، فانتقلت البيعة لأخيه المولى يوسف الذي امتد عهده من سنة 1331 إلى سنة 1346 / 1912 . 1927 وانحصرت مهمته في الحرص على العقيدة الإسلامية وعلى لغة القرآن إلى أن وافاة الأجل المحتوم.

وانطلقت بذلك المرحلة الخامسة التي ما زلنا نعيش لحظاتها المباركة، وهي مرحلة ثلاثة ملوك يعتبرون رموزا للدولة العلوية فهم من كبارها، محمد الخامس (1347. 1381 / 1927 . 1961)، والحسن الثاني (1381 . 1420 / 1961 . 1999) ومحمد السادس ملك هذا العصر مدّ الله في عمره. فمحمد الخامس هو الذي حرر الأرض المغربية من ربقة الاستعمار وهو الذي وضع اللبنات الأساسية للدولة المغربية العصرية المجددة. والحسن الثاني هو الذي ذهب بهذا الجهاد الأكبر إلى أبعد ما استطاع من البناء والإصلاح وفتح آفاق التعليم والتحصيل أمام كافة المغاربة، وهو الذي استرجع الصحراء المغربية، ساعيا في إسماع كلمة المغرب في كل المحافل الدولية وفي توحيد صفوف الشعوب العربية والأمة الإسلامية، مادا يد المساعدة لكل من يحتاج إلى أن يؤخذ بيده عبر المعمور. وقد تقلد هذه الأمانة الكبرى بعد وفاته ولي عهده ووارث سره الملك المنصور محمد السادس حفظه الله، فهو يسير على درب أسلافه الكرام، يبدي من العناية بالإنسان المغربي وبشؤونه المادية والمعنوية ما يبشر بطلائع اليمن والخير والبركات.

إبراهيم بوطالب

ابن **علي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Benahali.

وبتطوان أسر أخرى تحمل نفس الاسم وهي ليست أندلسية.

ابن **علي، إبراهيم** بن بهي محمد من مواليد 1918 بدوار الركن ايت الخمس أيت باعمران إقليم تيزنيت.

انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1957 بعد خروجه من السجن حيث إنه كان قد سجنه الاستعمار الاسباني بالداخلة من يوم 18 . 11 . 1955 إلى ماي 1956 بسبب سياسي كان من جملة الذين قاموا بعدة عمليات في سبيل تحرير البلاد واسترجاع سيادتها، كما خاض عدة معارك قاسية ضد قواعد الجيوش الاسبانية بآيت باعمران. وقام بدور هام مع الجماعة التي يترأسها حيث حمل رتبة قائد المائة بمقاطعة 10. عرف بتضحيته وإخلاصه لله والوطن والملك. اشترك في عدة معارك إلى أن فاز بشرف الشهادة في معركة املو وذلك بتاريخ 8 . 12 . 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503163.

ابن **علي، إدريس** من مواليد 1912 بأولاد جلال ارفود. كان وطنيا غيورا شارك في مظاهرة 20 غشت 1955 بوادي زم حيث فر بعدها على متن شاحنة مع مجموعة من المقاومين ليعتصموا بمنزل القائد الضاوي الكائن بدوار أولاد بوغادي بني خيران إلى أن هوجموا من الجيش الفرنسي.

وكان الشهيد رحمه الله من بين من قتلوا رميا برصاص المستعمر يوم 22 غشت 1955 انتقاما لما خلفته حوادث 20 غشت 1955 وقد بقيت جثته إلى جانب جثث الشهداء الآخرين لم تدفن إلا بعد يومين نظراً للحراسة التي ضربت على المكان من السلطات الاستعمارية الفرنسية.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514518.

**علي** بن **إسماعيل** الأعرج (السلطان)، هو أحد أبناء المولى إسماعيل الذين وصلوا إلى الحكم لمدة قصيرة في خضم الصراعات التي شهدتها البلاد بين 1727 و1757، والتي لعب فيما جيش العبيد دورا بارزا.

بايعه العبيد باتفاق مع أهل فاس بعد أن سئم الناس سياسة البطش والتقتيل التي سلكها مولاي عبد الله بن

إسماعيل في حق الجيش وغيرهم. وتمت مبايعته يوم 28 ربيع الثاني من عام 1147 (شتنبر 1734)، بعد أن فر مولاي عبد الله باتجاه الجنوب. وقد لعب قائد العبيد سالم الدكالي دورا أساسيا في حمل مولاي علي إلى الحكم، وظل طوال عهده الآمر والناهي الحقيقي. وكان مولاي علي بسجلماسة وقت فرار أخيه عبد الله باتجاه مراكش، فبعث إليه العبيد ليأتي إلى الغرب، وتلقوه صحبة أهل فاس بمدينة صفرو حيث بايعوه. وعندما استقر بمكناس وفرق على الجيش ما وجده ببيت المال احتاج إلى ما يقوم به أمور الدولة، فلم يجد إلا أم السلطان مولاي عبد الله خناثة بنت بكار، فاستولى على أموالها وأودعها السجن هي وحفيدها سيدي محمد لكي تُقر بما اتّهمت بإخفائه. وكان مولاي علي قد وعد بعدم قبض المكوس والاكتفاء بالزكاة والعشر، لكن سنة 1148 (1735 - 1736) كانت سنة جفاف وقحط وغلاء في الأسعار فقلت مداخيل بيت المال، خاصة وأن حكمه لم يكن يتعدى المناطق المحيطة بمكناس.

ويذكر أبو القاسم الزياني أن مولاي علي الأعرج جهّز في أواخر سنة 1148 / ربيع 1736 حملة ضد آيت أومالو وبرابرة الأطلس إذ كانوا شيعة أخيه مولاي عبد الله. إلا أن هذه الحملة اتخذت شكل مغامرة خاسرة، إذ تربص أيت أومالو حتى توغل جيش العبيد داخل الجبال فأحاطوا بهم من كل جهة وجردوهم من الخيل والسلاح وردوهم على أعقابهم. ولما دخل مولاي علي عاصمته طالبه العبيد بالراتب والكسوة والسلاح فلم يجد ما يعطيهم.

وأمام هذه الوضعية العسيرة التي عجز فيها مولاي علي عن تحمل أعباء الدولة تحسنت في المقابل حظوظ أخيه مولاي عبد الله الذي رجع من الجنوب واستطاع أن يعود مرة أخرى إلى عاصمة الحكم، بعد أن خلع العبيد مولاي علي في آخر ذي الحجة 1148 / 11 مايو 1736. ولم يكن بوسع مولاي علي إلا الفرار بنفسه شرقا ليستقر عند عرب الأحلاف الذين استضافوه وآووه لعدة سنين. ولما تبين إعراضه عن الملك سمح له مولاي عبد الله بالرجوع إلى الغرب والاستقرار بمكناس عام 1169 / 1755. 1756. ولم يلبث بها طويلا حتى ضيّق عليه العبيد وشكوه إلى السلطان الذي بعثه إلى تافيلالت حيث بقي إلى أن توفي.

الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط 1275، خ. ع، الرباط ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الرباط، 1986 ؛ م. الطيب القادري، *نشر المثاني*، الجزء الثالث، الرباط، 1986.

محمد المنصور

**علي** (الحاج -) من الرياس الأوائل العاملين في مرسى سلا الجديد قبل فترة الديوان، استولى في أكتوبر 1624 / 1034 في أنحاء رأس فينيستير على بعد خمسة عشر فرسخا من الساحل الفرنسي على سفينة هولندية قادمة من إيطاليا ببضائع مقدرة بحوالي ثمانية ألف فلورين يقودها القبطان أوونت هنريكز (E. Henriexz)، وأجبره هو وأحد بحارته بالتعذيب والتهديد على الإقرار بعودة ملكية الشحنة للفرنسيين، قصد إضفاء المشروعية على الغنيمة.

*S.I.H.M., le série, Pays-Bas*, T. IV, p. 74.

حسن أميلي

**علي، رايس** من الرياس العاملين تحت إمرة أمير البحر موراطو رايس خلال المرحلة الأولى من الجهاد البحري الأندلسي. وقد اضطرته ظروف الطقس في نونبر 1625 / 1034 إلى اللجوء بسفينته إلى أحد موانئ الأقاليم المتحدة، حيث قدم الفرنسي نافيو (Navio) اعتراضا بخصوص ملكيته الأصلية للسفينة، مما أجبر السلطات الهولندية على مصادرتها، إلى حين إدلاء الرايس المذكور بما يثبت شراءه لها في سلا، وأثناء ذلك كان طاقمه من العلوج قد تعرضوا لمضايقات من السلطات الهولندية، اضطر معها السفير المغربي يوسف بسكاينو إلى التدخل من أجل تسريح الطاقم والسفينة في مارس الموالي ؛ ولربما واصل نشاطه الجهادي بعد ذلك التاريخ، حيث تشير الوثائق الفرنسية لسنة 1041 / 1631 إلى وقوف علي رايس خلف المحنة التي تعرض لها شاب فرنسي في مدينة سلا.

*S.I.H.M., le série, France*, T. III, p. 371 ; T. IV, p. 98 - 118 - 119.

حسن أميلي

ابن **علي، الرباطي** أحد الوجوه البارزة في فضاء التشكيل المغربي، حيث يعتبر الرائد الأول في هذا المجال. وقد اهتم النقاد المغاربة والأجانب بأعماله واعتبروها نقطة انطلاق الفن التشكيلي بالمغرب فضلا عما تكتسيه من أصالة وأهمية تاريخية.

ولد محمد بن علي الرباطي بمدينة الرباط سنة 1861 وعاش بها فترة الصبا والشباب ثم رحل إلى مدينة طنجة بحثا عن عمل، وقد تأتي له ذلك فاشتغل لأول مرة كطباخ عند الرسام البريطاني الشهير جون لوڤري الذي تعلم على يده فن الرسم وسر الصباغة الحديثة.

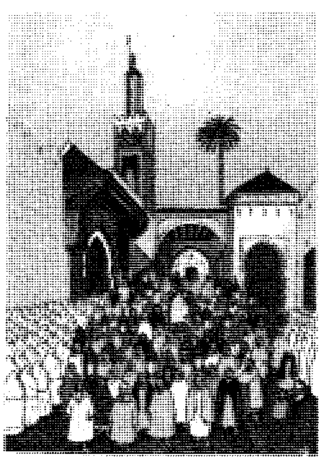

بدأ محمد بن علي الرباطي محاولاته الأولى المحتشمة يرسم مظاهر الحياة اليومية المغربية بأسلوب مجرد بسيط وألوان شفافة تنم عن عفويته الفطرية إلا أنه استطاع أن يجسد أحاسيسه وانطباعاته بصدق وتلقائية.

نظم أول معرض له بلندن سنة 1916، وفي سنة 1919 أقام معرضا آخر بمرسيليا ضم عددا من اللوحات التي تعبر عن عادات وتقاليد أهالي طنجة.

وفي سنة 1922 نظم معرضا بقصر المامونية بالرباط تحت إشراف المدير العام الفرنسي للفنون الجميلة الأهلية (ريكاد) وبعد أن أخذت أعماله تجد صداها خارج حدود المغرب عملت سلطات الحماية الاسبانية على الحد من نفوذه الفني وألحقته سنة 1922 بالطابور الاسباني الثاني كجندي بسيط، وفي نفس الوقت يعمل كجندي الإطفاء. وإثر تسريحه من الخدمة العسكرية التحق ببنك (بلباو بطنجة) كموظف وعاد بعد ذلك ليمارس هوايته الفنية.

وفي سنة 1933 خصصت له قاعة دائمة بقصر رياض السلطان بطنجة يرسم فيها ويعرض لوحاته الزيتية وفي هذه الفترة استطاع أن يلحق عددا من لوحاته بمتاحف باريس ولندن وستوكهولم.

ومن الشخصيات التي اقتنت لوحاته : (السلطان المولى عبد العزيز - الدوق تيمور وسفير انجلترا بطنجة - وسفير الولايات المتحدة الامريكية والمليونيرة (باربارا هاملطن) وعدد كبير من الشخصيات الوطنية والدولية.

توفي محمد بن علي الرباطي بطنجة يوم 13 غشت 1939 عن سن يناهز 78 سنة.

محمد بلعربي

**علي بن عبد الرحمان** بن هشام العلوي (الأمير) كان له ذكر بين أهل العلم بمراكش خلال العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري (19 م). لا نكاد نعرف شيئا عن تاريخ ومكان ولادته. نشأ في كنف والده وتحت رعايته.

ما كاد الأمير علي بن عبد الرحمن ينهي المراحل الأولى من التلقين والتعليم حتى بدأت مخايل النجابة والميل إلى التعليم تلوح عليه، فكان يعرض عما يشتغل به أقرانه من اللعب واللهو ويميل إلى قراءة ما يقع بيده من كتب، فكان يحفظ بعض المقطعات الأدبية والنصوص الفقهية، وقد تنبه السلطان مولاي عبد الرحمان إلى رغبة ابنه وعدد من إخوانه في التعلم والاستفادة فحشد إليهم عددا من نبهاء الفقهاء والعلماء الذين يساعدونهم على تنمية مواهبهم وصقل قرائحهم من أمثال أحمد بن الكبير العمراني، وأحمد بن مبارك الرحماني وغيرهم. وقد تخرج علي بن عبد الرحمان فقيها مشاركاً وعالماً يجول في شتى الفنون والعلوم، وعلى هذا حلاه الفضيلي بالفقيه العلامة وصنفه من الجهابذة الأمجاد والسراة الأنجاد. استوطن الأمير علي بن عبد الرحمان العلوي مدينة مراكش بحي الكتبيين، فتحول بيته إلى قبلة لشيوخ العلم من أهل مراكش من أمثال الفقيه مولاي أحمد بوغربال والأديب محمد الكنسوسي، والعلامة السباعي بالإضافة إلى الفقهين أحمد العمراني وأحمد بن مبارك الرحماني، فكان النقاش لا يكاد يهدأ في المسائل الفقهية، حتى يمتد للقضايا اللغوية والأدبية، ناهيك عن المطارحات الأدبية التي كانت ترتج بها جنبات المجلس، فاكتسب الأمير علي بن عبد الرحمان ملكة عالية في إدارة الكلام في العلم والمذاكرة. ولم تكن هذه المجالس العلمية الخاصة، تمنعه من الاستزادة في طلب العلم، فكان يحضر بين العشاءين صحبة أخويه العباس والرشيد دروس الطالب بن الحاج في *صحيح البخاري* بجامع بن يوسف. ويظهر أن الأمير علي بن عبد الرحمان العلوي كان يتذوق الشعر فقد كان يهتز طربا لقصائد المدح التي كان يلقيها بين يديه الأديب محمد الكنسوسي وغيره من شعراء مراكش.

وفي سنة 1274 هجرية، وجه السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام بعض أبنائه إلى الحج من بينهم الأمير مولاي علي، وبعد عودتهم سنة 1275، خرج أهل مراكش لاستقبالهم وكان "يوم لقائهم يوماً مشهوداً ...

كان الأمير مولاي علي يهتم بتجميع الكتب، ويبذل النفيس في اقتنائها، ويبعث إلى الآفاق بجلبها واستنساخها فكون "خزانة قيمة وحيدة في نفائسها وتعدد مجلداتها في شتى الفنون".

ونستفيد من بعض الوثائق المحلية بوادي درعة، أن الأمير مولاي علي بن عبدالرحمان، كانت تربطه علاقات طيبة ببعض فقهاء وأعيان الوادي، فقد ورد في إحدى رسائله إلى الفقيه يوسف ابن الحبيب حاجي ما يلي : "وبعد فقد وصلنا كتابك وفهمنا مضمنه وصارمنا على بال، ووصل ما بعثت به من المعدن وإلي الآن لم يحصل تجريبه وإن قدمت إن شاء الله لحضرتنا واصحب معك منه رطلا أو ما تيسر ليقع فيه الاختبار بارك الله فيك .. وقد وصلت السلة من التمر هدية أخلف الله عليك خليفة الخير .. وفي سابع ربيع الثاني عام 1288".

ويظهر مما ورد في هذه الرسالة أن الأمير مولاي علي بن عبد الرحمان كان يهتم، فيما يهتم به باستخلاص المعادن والبحث عن مكامنها. أما الرسالة الثانية، فقد وجهها الأمير إلى نفس الفقيه يستعجله بإرسال كتاب أساس البلاغة للزمخشري لاستنساخه وإعادته إلى صاحبه وهو قاضي درعة في وقته محمد بن محمد العربي حاجي.

توفي علي بن عبد الرحمان العلوي في زمن غير معروف في نهاية القرن الثالث عشر الهجري أو في مطلع القرن الرابع عشر.

ع. المراكشي، *الإعلام*، ج 2 - 9 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5 ؛ الفضيلي، *الدرر البهية*، ج 1، ط 1999 ؛ *وثائق محلية من درعة في حوزة الكاتب*.

أحمد البوزيدي

ابن **علي، عبد السلام** بن الحاج محمد، ولد سنة 1920 بدوار امسيتا ملحقة بني عمارت إقليم الحسيمة من أبويه الحاج محمد بن علي ويامنة.

نشأ وسط عائلة متواضعة الحال، كان يمتهن الفلاحة بمسقط رأسه وما إن سمع بنداء الوطن حتى بادر إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بشمال المغرب وذلك سنة 1955.

عمل ضمن الوحدة التي كانت تحت قيادة الحسن الزكريتي. وقد عرف بين رفاقه بالإخلاص والتفاني في العمل من أجل الدفاع عن مقدسات الوطن، إذ شارك في عدة معارك أبلى فيها البلاء الحسن إلى أن استشهد رحمه الله بعد إصابته برصاص المستعمر سنة 1955 بمركز بوزينب.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520836.

ابن **علي، عبد الله** ولد سنة 1906 باداي ادياكو قبيلة صبوية دائرة افني إقليم تيزنيت.

شارك الشهيد في صفوف جيش التحرير ضمن التشكيلة التي كانت تحت إمرة الملالي وكافح بإخلاص من أجل تحرير البلاد واشترك في معركة أصدر التي استشهد فيها وذلك بتاريخ 14 / 11 / 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503176.

ابن **علي، علي** من أبرز رياس الجهاد البحري بسلا الجديد وأولهم شهرة، كان في سنة 1622 يعمل لحساب قائد القصبة فاضل الزعروري، حيث تمكن في شهر أكتوبر من تحقيق غنيمة هولندية ثمينة متمثلة في سفينة القبطان غريث فارنيرز (G. Warnaersz) قادمة من موسكوفيا ببضائع قدرت قيمتها بحوالي مائة وستين ألف فلورين.

*S.I.H.M., Ie série, Pays-Bas*, t. III, p. 269.

حسن أميلي

ابن **علي، علي** فقيه كان يزاول خطة العدالة من سنة 1116 إلى سنة 1154 (1704 - 1741). وقد برز منهم: ابن علي أحمد تطواني سقط أسيرا بيد الفرنسيين سنة 1667 حيث كان يحمل رقم 102 وقد توفي بمستشفى مدينة طولون الفرنسية يوم (28 أكتوبر 1706). ابن علي أحمد بن محمد فقيه زاول خطة العدالة سنة 1275 إلى سنة 1279 (1859 - 1863). ابن علي قاسم تطواني كان أسيراً بفرنسا مند سنة 1119 (1707) وكان يحمل رقم 7390 وكان لايزال بفرنسا عام 1139 (1727). ابن علي محمد العربي فقيه كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1134 (1721).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**علي** بن **عمر** بن إدريس الأزهر بعد وفاة إدريس الأزهر وزع الأمير محمد بن إدريس مناطق المغرب على إخوته، وكانت قبائل صنهاجة وغمارة والساحل من نصيب أخيه عمر الذي وسع نفوذه على حساب أخويه عيسى والقاسم فملك من سبتة إلى إقليم تامسنا، وتوفي سنة 220 / 835 في حياة أخيه محمد الذي عين مكانه ابنه علي. وظل علي يقوم بمهام إمارته إلى أن حصلت حادثة صهره أمير فاس يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس، فاستدعته ابنته عاتكة زوجة يحيى عندما ثار العامة على زوجها وتوفي حسرة على ما فعله، واستقل عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي بالمدينة. وحتى لا تخرج فاس من أيدي الأدارسة زحف علي بن عمر بن إدريس إلى فاس بجيوشه وأخمد الثورة القائمة فيها، وبويع بها سنة 252 / 866، وبذلك انتقل حكم الأدارسة بفاس إلى أبناء عمر بن إدريس.

بعد بيعة أهل فاس لعلي بن عمر ودخولهم في طاعته، أطاعه أهل المغرب قاطبة فخطب له على جميع منابره، واستقر الوضع لصالحه مدة إلى قامت ثورة بزعامة عبد الرزاق الفهري، الذي كان خارجياً صفرياً، بجبال مديونة من أعمال فاس، فتبعه أهل قبائل مديونة وغياثة وغيرهم. وبنى قلعة منيعة ببعض جبال مديونة وسماها وشقة باسم بلده بالأندلس. ثم بدأ في تهديد ممتلكات الإمارة الإدريسية فزحف إلى صفرو ودخلها وبايعه أهلها توجه نحو فاس بمن تبعه، وخرج إليه الأمير علي بن عمر بن إدريس بعسكر ضخم، وبعد مواجهات عنيفة انهزم جيش الأدارسة، وفر أميرهم علي بن عمر إلى بلاد أوربة، ودخل عبد الرزاق الفهري إلى فاس واستقر بعدوة الأندلسيين حيث خطب له بها، لكن أهل عدوة القرويين امتنعوا عن الدخول في طاعته، وبعثوا إلى أمير إدريسي آخر هو يحيى بن القاسم بن محمد بن إدريس، المعروف بالعدام. ولم تذكر المصادر شيئاً عن مصير علي بن عمر بن إدريس.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، الرباط، 1973 ؛ ابن الخطيب، *إعلام الأعلام*، ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ؛ الناصري، *الاستقصا*، 2، طبعة، 2001.

محمد المغراوي

ابن **علي، عيسى**، ولد سنة 1934 ببوعرفة من أبويه علي بن عيسى ومباركة بنت بورحلة.

من أجل تحرير البلاد واستكمال وحدتها الترابية انخرط الشهيد عيسى ابن علي في صفوف جيش التحرير ضمن فرقة فهمي بلعيد بمركز واد الكحل تحت قيادة أحمد لعور سنة 1957.

وقد كان الشهيد مثالا للرجل المناضل في سبيل تحرير وطنه نشيطا في عمله معروفا بغيرته الوطنية مستعدا للتضحية والاستشهاد، حيث شارك في عدة عمليات هجومية ضد العدو أبان فيها عن شجاعة بطولية. وواصل

عمله هذا بكل إخلاص وتفان إلى أن استشهد رحمه الله في إحدى الاشتباكات مع العدو بجبل الكروز وذلك سنة 1958 واهبا روحه في سبيل الحرية والكرامة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 511121.

ابن **علي، محمد**، ولد سنة 1938 بالرباط. التحق بصفوف المقاومة السرية المغربية منذ مارس 1954، وعمل ضمن منظمة "الهلال الأسود" تحت مسؤولية محمد بن إدريس. وقد شارك في عدة عمليات منها :

الاشتباك مع دورية من الحرس المتنقل بكريان كرلوطي بمشاركة محمد بن إدريس. ثم شارك في عملية اغتيال بوشعيب النجار بالبلدية، ثم الهجوم على حراس المقدم خربوش بدرب كرلوطي، ووضع قنبلة في محل للخمر، وإحراق دكان لبيع الدخان.

استشهد في اشتباك مع قوات الأمن الفرنسية يوم 14 نوفمبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524217.

**علي** بن **محمد** بن **إدريس** الأزهر يلقب بحيدرة، عهد إليه أبوه بالإمارة في حياته، وبويع يوم وفاته سنة 221 / 836 وسنه قد تجاوز تسعة أعوام بقليل، ولا ندري من الذي تولى شؤون الدولة في انتظار رشده، لكن يظهر أن الدولة كانت في إقبال مما سهل مهمة أوصيائه من العرب والبربر حتى كبر. أثنى المؤرخون على مدة إمارته التي سار فيها على خطى "أبيه وجده في العدل والفضل والدين والحزم وإقامة الحق وتأمين البلاد وقمع العداء وضبط البلاد والثغور" (*الأنيس*، 53). وإلى علي هذا ينتسب الشرفاء العلميون والوزانيون.

توفي سنة 234 / 849، وقد تجاوز العشرين من عمره بقليل بعد حكم دام 13 سنة. وخلفه أخوه يحيى بن محمد بن إدريس.

ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 2 : 459 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، 53 ؛ ابن الخطيب، *إعلام الأعلام*، ص. 207 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 2 : 47، طبعة، 2001.

محمد المغراوي

ابن **علي، محمد** بن **عبد المجيد**، ولد سنة 1916 بدوار تزركان دائرة غفساي إقليم تاونات. كان يشتغل بالفلاحة لكن ما ان وصل جيش التحرير إلى المنطقة حتى بادر إلى الانخراط في صفوفه بدافع الغيرة على الوطن بتأثر من الممارسات العدوانية التي كان يمارسها المستعمر ضد المغاربة.

وقد خاض المرحوم عدة معارك ضد العدو تحت قيادة محمد ولد علي المكناسي كمعركة سيدي المخفي والقلعة ومعركة أغدير الزرقاء وأخيراً معركة اغدوسة التي استشهد خلالها حيث أصابه رصاص العدو، وكان ذلك سنة 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520874.

ابن **علي، محمد** بن **محمد** بن **محمد** (ثلاثاً) الدكالي السلوي، المؤرخ الشهير، والمؤلف الكبير. ينسب إلى جده الثاني علي بن أحمد. من قبيل دكالة الهلاليين الذين أُخرجوا من ديارهم منذ مطلع القرن العاشر (16 م) حين داهمتهم جيوش الاحتلال البرتغالي، فخرجوا إلى سلا وفاس ومكناس وغيرها من حواضر الشمال.

ولد سنة 1285 / 1868 بمدينة سلا وبها نشأ وتعلم وحفظ القرآن الكريم ثم درس أمهات كتب الفقه والأصول والحديث واللغة والأدب على شيوخ المدينة أمثال إبراهيم ابن الفقيه الجريري، وعبد الله ابن خضرا، وأحمد بن خالد الناصري الذي حبّب إليه التاريخ، وفي سنة 1303 رحل إلى فاس في طلب العلم حيث مكث خمس سنوات للتوسع في الدراسات العليا، وكان من أبرز شيوخه هناك أحمد بن الخياط الزكاري، والتهامي كنون ومحمد بن جعفر الكتاني. ولما رجع إلى مسقط رأسه اشتغل بالتدريس والعدالة والكتابة لعامل المدينة، ويرجع اتصاله بحكومة المخزن إلى كتابه *السراج الوهاج والكوكب المنير، من سنا صاحب التاج، مولانا الحسن الأمير*، في موضوع الفيل الذي أهدته الحكومة البريطانية إلى الحسن الأول عام 1309 / 1891، وهو من أول مؤلفاته، فاستُدعي للكتابة بمصالح المخزن المركزية، وكذلك كتابه *الإتحاف الوجيز في أصول سكان العدوتين سلا والرباط* الذي ألفه سنة 1313 / 1896 وأهداه للسلطان عبد العزيز وكتابه *إتحاف أشراف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا* الذي ألفه سنة 1329 / 1911 وأهداه للسلطان عبد الحفيظ. نال المترجم عن هذه المؤلفات مكافآت مالية سخية وظهائر الاحترام والتوقير، وتمتنت صلته بالمخزن، واشتهر ذكره في الأوساط العلمية والتاريخية لدى المغاربة والأجانب، وأصبح بيته القريب من الجامع الأعظم مقصد كبار المستشرقين من أمثال ماسينيون وميشوبلير، وليفي برڤنصال، يستفيدون من تحقيقاته وينوهون به في كتبهم وبحوثهم.

عُرف عن المترجم شغفه بالبحث والتنقيب والتأليف، لا يكتفي بما يقرأ في الكتب والرحلات وإنما يطلع أيضاً على ما بيد بلديّيه من ظهائر ورسوم وتقاييد، ويقضي أوقاتاً بين أطلال المواقع الأثرية والمقابر يقرأ ما كتب على شواهدها ويستخرج من ذلك كله مادة جديدة مفيدة موثقة عن ماضي سلا وسكانها وأصولهم وعلاقاتهم بالبوادي المجاورة والحواضر الأخرى خاصة الأندلس. وقد ناهزت مؤلفاته الثلاثين، إلا أن كثيراً منها ضاع بعد وفاته ولم يبق معروفاً إلا أسماؤها أو نُقولٌ عنها أثبتها في كتبه الأخرى، من مؤلفاته :

- *أدواح البستان في أخبار العدوتين ومن درج بهما من الأعيان*، في أربعة أجزاء، وهو أهم مؤلفاته وأوسعها قال عنه : ! "وهو كتاب كبير جمع فأوعى وجمع الغث والسمين، والأجاج والمعين، به من أسماء رجال العدوتين ومن له تعلق بهما من الأفاقيين الذين زاروهما واستوطنوهما في وقت من الأوقات ما ينيف على ألفي ترجمة لعلمائها وصلحائها وأدبائها ولملوكها ورجال الأسطول البحري الأندلسي السلوي والعلوي السلوي، ودعت الضرورة إلى البحث عن أول ما يعرف من تاريخ عمارتها القديمة من عهد الفنيقيين والقرطاجيين والرومانيين في الدولة الأولى الغربية والثانية البيزنطية الشرقية، إلى أن دخل الإسلام افريقية والمغرب الأقصى، وتطرق البحث في آثارها إلى الكلام على الحياة بها قبل عصر التاريخ للعثور على ما يدل على ذلك من آثارها الفطرية الساذجة، وجاء جرمه في أربعة أجزاء ضخمة ... والعمل فيه مستمر إلى الآن عام تسعة وخمسين وثلاثمائة وألف". الشائع أنه بعد وفاة المؤلف طلب محمد الخامس من ولده عمر ابن علي أن ياتيه بمؤلفات والده، فحمل إليه في جملة ما حمل هذا الكتاب بخط المؤلف وقدمه إليه وهو يومئذ في قصر دار السلام بضاحية الرباط، ومن يومئذ انقطع خبره، ولم يقع العثور عليه ضمن كتب الخزانة الملكية المجموعة بجوار القصر الملكي بتوارگة.

- *ضوء النبراس في مجالس فاس، أوفي محاسن مدينة فاس*، كتبه حين كان طالباً بفاس فيما بين سنة 1303 و1308 وفيه إنشادات لبعض شيوخه الفاسيين وتعليقاته. ولعله أول مؤلفاته.

- *انساب سكان العدوتين*، جعله ستة أقسام : 1) أنساب لم تبق معروفة إلا في الرسوم والتآليف. 2) أنساب مشرفة على الانقراض. 3) نسبة إلى المدن والقبائل والحرف والصنائع. 4) نسبة إلى المصغّر ومادخله النحت والحذف. 5) الأنساب الأندلسية الباقية على أصلها. 6) الأنساب إلى التحريف الإسباني الطارئ في عهد فيليب الثاني. وقد تُرجم الكتاب إلى الفرنسية من طرف المجمع العلمي بطنجة برآسة ميشوبلير.

- *الدرة اليتيمة في أخبار شالة الحديثة والقديمة*، ألفه بطلب من المستشرق الفرنسي دوزي.

- *تاليف في أحوال السكك الإسلامية* التي كان التعامل بها قديماً بالمغرب إلى العهد الحاضر، ألفه حين كان موظفاً بالبنك المخزني مع الأمين محمد بن عبد الهادي زنيبر.

- *رسالة في أخبار بناء جامع حسان* بالرباط، وصفه وصفاً دقيقاً بالمساحة والتقدير وعدد أبوابه وأعمدته وحالته الأولى وما طرأ عليه من خراب وأسبابه.

- *رسالة في تاريخ المغرب في القديم والحديث* من زمان الفنيقيين والقرطاجيين والرومان ثم الفندال والغوط والإسلام.

- *تأليف في الحسبة في الإسلام*، مشتمل على أحكام الحسبة وأحوال المحتسب مع أهل الحرف والأعمال والصنائع والتجار والباعة، ألفه باقتراح من الوزير الصدر.

- *تآليف في أحوال اليهود قديماً وحديثاً بالمغرب*.

- *ضوء النبراس لدولة بني وطاس*، إلى غير ذلك من الرسائل والمنظومات في موضوعات شتى غير تاريخية.

توفي بسلا يوم الجمعة 6 جمادى الثانية عام 1364 / 18 ماي 1945. ودفن بالزاوية القادرية.

م. ابن علي الدكالي نفسه، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3188 . 3197 ؛ ع الله الجراري، *من أعلام الفكر*، الرباط، 1971، ج 2 : 177 . 182.

محمد حجي

**علي بن مسعود** من الرياس المشارقة الذين وفدوا إلى المغرب للعمل في صفوف أسطول سيدي محمد بن عبد الله، وقد كان قبل سنة 1186 / 1772 على الأقل لم يصل بعد إلى مرتبة متميزة ضمن الطائفة، حيث لم تسند إليه قيادة السفن حتى حدود ذلك التاريخ. وقد حصل بعد ذلك على وضعية متميزة ضمن طائفة الرياس، وكان من بين المنعم عليهم بوسام الياتاغان.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص. 261.

حسن أميلي

ابن **علي، مولاي صالح** من مواليد سنة 1920 بآيت بوحماد إقليم خنيفرة. في الذكرى الثانية لنفي رمز الأمة جلالة المغفور له محمد الخامس عرفت مختلف أقاليم المملكة انتفاضات عارمة كانت مدينة خنيفرة إحداها.

وقد كان الشهيد مولاي صالح بن علي من بين الذين خرجوا إلى الشارع للتعبير عن سخطهم ورفضهم للاستعمار وأساليبه القمعية.

وخلال هذه الانتفاضة أبان الشهيد عن روح نضالية صادقة حيث كان يقوم بإحراق وإتلاف مصالح المستعمر مستعملا بعض المواد المتفجرة، واستمر في كفاحه هذا إلى أن استشهد رحمة الله عليه برصاص قوات الاحتلال التي تدخلت بالسلاح لتفريق المتظاهرين، وذلك بتاريخ 20 غشت 1955 مضحيا بروحه في سبيل الحرية والكرامة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 512823.

ابن **عليات، محمد**، ولد سنة 1928 بالشبيكة. وهو من أولئك المواطنين الافذاذ الذين اختاروا الكفاح المسلح ضمن جيش التحرير، حيث التحق به في فاتح مارس 1957 بالمقاطعة التاسعة بمركز تافودارت تحت قيادة صالح بن عسو الجزائري. وقد برهن هذا البطل الشجاع عن قدرة كبيرة في النزال بميدان الشرف من أجل تحرير الوطن واسترجاع الحرية

والكرامة، فخاض الجهاد بروح وطنية يقودها الإخلاص والإيمان الصادق.

ومن المعارك التي شارك فيها الشهيد البطل معركة الدشيرة الشهيرة التي خاضها جيش التحرير المغربي ضد المستعمر الغازي بعيون الساقية الحمراء، هذه المعركة التي كتبها جيش التحرير بمداد من الفخر والاعتزاز والتي حشدت لها قوتان كبيرتان فرنسية وإسبانية فيما عرف بعملية التمشيط الكبرى المتعارف عليها بعملية ايكوفيون، والتي لقن فيها المجاهدون للعدو درسا في الحرب لن ينساه وإبان هذه المعركة استشهد بطلنا وذلك سنة 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 501114.

**عليلش، محمد** بن قاسم المراكشي، وهذا هو اسمه الصحيح كما نجد في توقيعه لرسالة بعثها إلى العلامة الوزير اليحمدي مؤرخة بعام 1114، وفي بعض رسائل السلطان المولى إسماعيل. وهو ما عند معاصره مصباح الزرويلي، خلافا لما سماه به الناصري في الاستقصا، ولا ندري من أين وقع هذا الخلاف في تسميته حيث ذكر غالب من ترجم له تسميته بأبي حفص عمرو.

ينتسب إلى بيت شهير بمراكش حيث كان والده كاتبا عند السلطان أحمد المنصور الذهبي ومع من جاء من بعده من أبنائه. لا نعرف تاريخ ولادته ولا شيئا عن دراسته والمهن التي زاولها قبل التقائه بالسلطان مولاي إسماعيل، لكن يظهر أنه كان يعرف القراءة والكتابة مع أصول الخدمة المخزنية، فقد اتصل بالسلطان مولاي إسماعيل في قصة مشهورة عند دخوله لمراكش عام 1084 / 1673. وأطلعه على دفتر فيه جرد لأسماء العبيد الذين كانوا في عسكر السلطان المنصور الذهبي، ويظهر من خلال الفارق الزمني بين وفاة أحمد المنصور عام 1012 والسنة التي عرض فيه هذا الدفتر عام 1084 هو ما يفوق 70 سنة بأن الأمر لا يتعلق بأفراد وإنما بأسر كانت في الجيش السعدي، لذلك سأله السلطان مولاي إسماعيل هل بقي أحد منهم ؟ فأجابه عليلش : نعم كثير منهم ومن أولادهم وهم متفرقون بمراكش وأحوازها وبقبائل الدير، فكلفه السلطان بجمع العبيد وكتب له كتابا إلى القواد لإعانته وشد عضده. وقد تمكن في سنة واحدة من جمع ثلاثة آلاف من العبيد والحراطين. بل تجاوز مهمته وجمع حتى الأحرار من السود وكتبهم في دفتر جيش العبيد، ففي آخر عام 1108 خرج محمد عليلش بناحية القصر لتمليك الأحمر والأسود من القبائل. وفي عام 1109 جاء من ناحية القصر بديوان تمليك ماعدا الأبيض. وفي عام 1114 خرج عليلش من فاس ولم يكتب له أحد من الفقهاء. وقد تسبب عليلش في قتل عبد السلام جسوس عام 1121 عند امتناع علماء فاس من التوقيع على ديوان جيش العبيد ويظهر أن الصراع احتدم بين العلامة جسوس وعليلش الذي هجاه وهجا مدينة فاس لما امتنع من الشهادة على ديوان الحراطين، فأجاب عنه تلميذه الزرويلي بقصيدة في 18 بيتا. ومن خلال القصة التي انفرد بذكر تفاصيلها ابن الحاج في الدر المنتخب نستشف أن عليلش كان يحضر مجالس السلطان مولاي إسماعيل. ويشير عليه بمعاقبة العلماء المعارضين لقضية إنشاء جيش العبيد. ولما اشتد أمره وكثرت معارضته بالمدن الداخلية للمغرب بعثه السلطان في سنة 1121 إلى تطوان فنزل بها وشدد الخناق على أهلها حتى قال عنه الزرويلي : فتنهم فتنة يشيب فيها الوليد ويذوب لها الحديد. ولما ارتحل عن تطوان هنأ الزرويلي أهلها بقصيدة أثبتها في ديوانه. ويذكر ابن الحاج أن السلطان مولاي إسماعيل تخلى عن خدمة عليلش وصيره في حيز الإهمال إلى أن توفي عام 1123 / 1711.

الزرويلي، *ديوان علي مصباح الزرويلي*، كلية الآداب، الرباط، ص. 237 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ص. 21، 79 ؛ الضعيف، *الدولة السعيدة*، ص. 80 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخ خ س 12184، ج. 6، ص. 1112، وج. 7، ص. 184 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 7، ص. 56 ـ 57، 94 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 9، ص. 298 ؛ داود، *تاريخ تطوان*، ج. 2، ص. 35 ؛ م. الفاسي، *رسائل إسماعيلية*، مجلة تطوان، 1962، ص. 63.

أحمد إيشرخان

**عِلْيوَات، عبد الكبير** بن عبد المجيد الكثيري الزجلي فقيه متكلم وصوفي صالح، صحب الشيخ مولاي عبد الله الشريف صاحب وزان وخدمه مدة طويلة وتخرج به. وبعد وفاة الشيخ بقي عليوات يقوم بالتدريس في زاوية وزان، ولا يعرف عنه شيء إلا ما ذكره عن نفسه في كتابه *سراج الغيوب في أعمال القلوب*، ألفه على إثر ليلة قضاها مع الإمام الحسن اليوسي في زاوية وزان يتناظران حول أبيات أبي القاسم الجنيد الرمزية.

تطهر بماء الغيب إن كنت ذا سرّ وإلاّ تيمّم بالصعيد وبالصخر ...

وفي الكتاب علاوة على المعلومات المتعلقة به في زاوية وزان مناظره مهمة جرت بينه وبين أحد دعاة الطائفة الأندلسية الضالة تبين نظريات هؤلاء المبتدعة وطرق احتيالهم في نشر مذهبهم الباطل. وقد ذكر في هذا الكتاب أيضاً أن له مؤلفاً آخر بعنوان : *السيف المتين في الرد على من كفّر عوام المسلمين*، وهي مسألة أخرى شائكة تحدث عنها ورد على قائليها الحسن اليوسي في بعض كتبه.

توفي عليوات في تاريخ غير محدد، لكنه يقارب 1103 / 1692.

ع. الكبير عليوات نفسه، *سراج القلوب*، مخطوط، خ. ع. رقم 455 ك ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 1 : 244 ـ 245 ؛ ج 2 : 474.

محمد حجي

**عليوات، هيلال** من مواليد سنة 1924 بمدينة مكناس. التحق بصفوف المقاومة السرية ضمن منظمة الهلال الأسود

تحت مسؤولية المهدي زتوتي. وشارك في عدة عمليات فدائية. ونتيجة نشاطه هذا تم اعتقاله وحكم عليه بثلاثة أشهر سجنا.

توفي بتاريخ 2 نوفمبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524249.

**عماد، عبد الكبير**، ولد الفنان المطرب عماد عبد الكبير بمدينة القنيطرة سنة 1944. وقد بدأ حياته الفنية بعد التحاقه بجوق الكواكب بهذه المدينة في الستينيات ؛ وفي عام 1979 انتقل إلى الرباط حيث التحق بالجوق الوطني لدار الإذاعة عازفا على العود.

وقد تحول عماد عبد الكبير إلى صف المغنين منذ أن قدم أول أغنية له بعنوان "الأرض" في بحر عام 1979.

تميز عماد عبد الكبير بصوت يجمع بين الصفاء والقوة والعذوبة، وتحتفظ الإذاعة الوطنية بأكثر من ستين أغنية غناها من ألحان ملحنين مغاربة، ومن أنجحها أغنية "يا احبابنا اصحابنا" وأغنية "راجع لي ثاني بالأفراح"، وكلاهما من تأليف الفنان محمد بلخياط، وهما من الأغاني الناجحة بفعل توظيف بعض معطيات فن العيطة في الأولى واستخدام الآلات التراثية في توزيع مقاطع الثانية كالكنبري والسنيتر.

وقد توفي عماد عبد الكبير عن عمر بلغ 52 سنة بعد مرض ألزمه الفراش طويلا، وكان ذلك يوم 3 دجنبر 1996.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**العمارة المغربية**، تعتبر عمارة الدور المغربية من أغنى العمارات السكنية، خاصة في الوسط الحضري. على أن هذا الغنى له تجليات عدة في الأرياف، تجعل من عمارة هذه الأخيرة عمارة متنوعة ومتميزة.

وإذ يبدو من البديهي أن تختلف العمارة باختلاف المجال الذي يحويها (مدينة، قرية أو بادية) وذلك بحكم أهمية عنصر التمدن المتشبع دوما بالتأثيرات والتداخلات الحضارية التي تتولد عنها الابتكارات وتهذيب الأذواق، فإن الأرياف والقرى لا تفتقر إلى عمارة "راقية"، شبيهة بالتي داخل أمهات المدن، بل وحتى منافسة لها في كثير من الحالات. ولقد أبانت بعض الحفريات الأثرية (بليونش، عين قرواش، القصر الصغير على سبيل المثال) عن أحقية هذه الملاحظة.

استعمل المغاربة الحجارة والآجور والتراب المدكوك في تشييد دورهم، وذلك إما متفرقة، أو في جمع مادتين معا (حجارة - آجور، أو حجارة - تراب) أو حتى المواد الثلاثة مجتمعة، ومن هذا التنوع تتنوع طرق البناء وتقنياته، دون أن تختلف كثيرا في تطبيقاتها باختلاف المجال لأن حل الإشكاليات المعمارية تتطلب في غالب الأحيان نفس الحلول التقنية.

ولقد ذهب بعض الدارسين للعمارة المغربية في محاولة منهم لتبسيط مقاربتها إلى جعلها تتوزع كالآتي :

- العمارة الحجرية أي التي أساس تشييدها الحجارة وجعلوا لها موطنا الشاطئ الساحل الغربي ؛
- عمارة الآجور واستوطنوها بالمناطق الداخلية التي بها كبريات المدن العتيقة كمكناس وفاس ومراكش ؛
- العمارة الترابية وحددوا مجالها في المناطق الجنوبية الصحراوية وشبه الصحراوية.

على أن هذا التقسيم لا يمكنه أن يكون مطلقا بحكم وجود بعض هذه الأنواع في غير منطقتها المحددة كالعمارة الترابية مثلا التي كانت منتشرة - وإن بتفاوت واختلاف - في الأطلس المتوسط، وبالسهول والهضاب الداخلية والشرق وحتى الشمال بمنطقة غمارة مثلا.

تتميز الدار المغربية التقليدية خارجيا بانغلاقها داخل جدرانها السميكة القوية، لا يفتحها على الزقاق سوى باب المدخل ونوافذ قليلة وضيقة. والدور المغربية متلاصقة ببعضها على طول الأزقة النافذة، أو حول الأزقة غير النافذة والتي تحمل اسم "الدريبة" أو "الصابة" عندما يعلو مدخلها "ساباط".

أما داخليا فتتميز بأهمية الساحة الداخلية كعنصر محوري ورئيسي، وبتوزيع الزخرفة وعناصر التزيين في المنازل الغنية حسب نظام مدروس متوازن ومتكامل.

يفتح المدخل الرئيسي على دهليز يسمى "السطوان" ويتكون عادة من قسمين (وفي بعض الحالات من ثلاثة أقسام) يلتقيان عند زاوية قائمة. ومن العناصر الأساسية في "السطوان"، داخل المنازل الراقية، "الدكانات"، وهي مقاعد مبنية على طول جداري للقسم الأول من السطوان، كانت تستعمل إما لجلوس الحراس وبعض الخدم، وإما لاستقبال صاحب الدار لبعض من يتعامل معهم في نطاق عمله.

وفي الدور الغنية تكسو جدران "السطوان" زخارف من الزليج والجبص، وتزين السقوف إما بزخارف منقوشة أو برسوم ملونة، أنجزت بطريقة "الزواق" المعروفة.

يمر من السطوان إلى داخل الدار، أي إلى وسطها، وفي بعض الأحيان، يؤدي "السطوان" كذلك إلى "المصرية".

و"وسط الدار" (وينطق عموما "أُوسط الدار" وعند بعض العامة "بوسّ الدار") هو النواة الأساسية في عمارة المنازل العتيقة : حوله وعليه تفتح الغرف، وهو مصدر التهوئة والإنارة، ومحور النظام الزخرفي.

ويكون "وسط الدار" إما صحنا مكشوفا عاديا ليس به أي عنصر تزيين، اللهم ما تعلق بأرضيته التي عادة ما تكون مكسوة بقطع الزليج أو بالرخام الأبيض، وإما ساحة تتوسطها نافورة أو بركة ماء، وإما مساحة خضراء تحيط بها وتتقاطعها ممرات مكسوة أرضيتها كذلك إما بالبجماط (وهي قطع مربعة أو مستطيلة الشكل من الآجر المشوي الأحمر اللون) أو الزليج.

وفي المنازل الفقيرة أو الريفية، تنعدم عناصر الزينة والترفيه أعلاه، وتتكون أرضية "وسط الدار" من "الجّص" وهي أرضية سميكة ملساء، مكونة من رمل وجير بكميات مضبوطة لضمان السماكة. وقد كانت هذه الأرضية التي عرفتها العمارة المغربية في جل غرفها وساحاتها ومداخلها، قبل منتصف الفترة الموحدية حيث ظهر الزليج وتطور ثم الفترة المرينية حيث اشتهرت وانتشرت موضة تغطية الأرض بهذا الأخير وبعده بالبجماط. وفي القصور والمنازل الكبيرة، كان يضاف للرمل والجير خليط من مَحَى البيض للزيادة في سمك "الضص" ولازالت إلى اليوم ببعض المنازل العتيقة نماذج من هذه الأرضيات، كما كشفت حفريات شتى على أرضيات وصل سمك بعضها إلى 6 سنتم من "الضص" تعود بالأساس إلى الفترتين المرابطية والموحدية (حفريات الكتبية بمراكش).

وفي النصف الأول من هذا القرن، لما دخلت المغرب مواد بناء جديدة وخاصة الإسمنت الحديث، اتجه البناؤون خاصة في المدن الصغرى والأرياف إلى استبدال "الضّص" التقليدي "بضصّ" يخلط فيه الرمل بالإسمنت عوض الجير ومحى البيض. لكن سرعان ما عدل الناس عن هذا النوع من تغطية الأرضيات، ليعودوا إما للزليج التقليدي أو للزليج الحديث.

وتتوزع الغرف في الدور المغربية التقليدية حول الساحة وذلك حسب مبدئ المقابلة، فهي إما أربعة متقابلة أو اثنان متقابلتان وواحدة يقابلها إما فتحة في أحد الجدران تسمى "البهو" وإما نافورة ماء جدارية تسمى "سقاية". ويعتقد مؤرخو العمارة الإسلامية ودارسو فنونها أن "لبهو: آت من الإيوان الإيراني، الذي أخذه المسلمون من بلاد فارس ووزعوه في كثير من الجهات التي فتحوها. وحيث ما وجد هذا العنصر في الدار المغربية، نجده على ثلاثة أشكال :

- داخل غرف الاستقبال الرئيسية يكون إما فتحة قليلة العمق في الجدار المقابل للمدخل، أو فتحة عميقة في ذات الجدار وفي هذه الحال، يكون كثيف الزخرفة ؛

- في "وسط الدار" مقابلا للغرفة الرئيسية وعليه نفس كثافة الزخرفة ؛

- في الحدائق الداخلية، بنفس الأهمية التي وصفناها به في النوع الثاني.

على أن هذا العنصر كثر إقحامه في عمارة المدن التقليدية خصوصا في القرن 19 م. وقد وصل ذروة حضوره في القصور المخزنية أو الدور الكبيرة التي شيدت خاصة بمدينة مراكش في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن.

ومن العناصر التي تضمها الغرف، "الحناية"، وهو الجزء الممتد على طول أحد الجدارين الصغيرين أو على طول كل واحد منهما، بعمق 1,50 م إلى مترين، أرضيته تعلو أرضية باقي الغرفة ببضع سنتيمات، ويحده من جهة الغرفة قوس يختلف شكله حسب ذوق صاحب الدار. و"الحناية" عنصر قديم في الدار المغربية ازدهر مع تلاقح المغرب بالأندلس بعدما أخذ كغيره من العناصر الإسلامية من بلاد الشام والعراق ومصر.

ومن أجل ما تضمه الدار المغربية كذلك "السقاية" (الحنفية) الجدارية، وهي وإن عرفت في كثير من بلدان دار الإسلام، لم تصل في نظرنا ما وصلت إليه من زينة ودقة عمل ببلاد المغرب الأقصى.

تضم بعض الدور التقليدية ملحقات أو عناصر معمارية إضافية للمسكن الرئيسي أهمها :

- "الدويرية" وهو الجانب من الدار الذي يخص الحرم والخدم وفي هذا الجزء يوجد عادة المطبخ والمخازن التي أهمها "بيت العولة" أي الغرفة التي تخزن بها المؤن وكل ما تحتاجه العائلة من مواد غذائية أساسية كالزيت والقمح والقطاني ؛

- "المصرية" وهي غرفة علوية يصعد إليها من السطوان مباشرة أو حتى من الزقاق دونما حاجة إلى المرور من داخل الدار. وكانت "المصرية" مخصصة للإبن الأكبر يجتمع فيها بأصحابه ويقضي بها جل وقته الفارغ ؛

- "المنزه" وهو عنصر لا نجده إلا في كبريات المنازل والقصور، مكانه في أعلى الدار أو في جانب من الحديقة، يختلي به صاحب الدار للراحة والترفيه، والتفرج على ما بالمدينة من حركة أو سكون (إن كان في مستوى السطح). وقد عرف المغرب هذا الطراز منذ القرون الوسطى، وازدهر في القصور الريفية على شكل برج جميل، يتحول، كما هو الشأن بموقع بليونش، إلى برج للمراقبة وربما الدفاع في حالة الحرب أو انعدام الأمن والاستقرار ؛

- "الروى" وهو الإسطبل الذي يأوي دواب صاحب الدار. وكان لهذا العنصر أهميته القصوى إلى حدود منتصف هذا القرن ؛

- الحمام ووجوده ضروري كلما توفرت لصاحب الدار إمكانيات بنائه، ويكون في هذه الحال نموذجا مصغرا للحمام التقليدي العمومي بغرفة استراحة ("الجلسة" بجيم مصرية) وثلاث غرف للاستحمام : "اللّولي" وهي الغرفة الأولى أو الباردة، و"الوسطى" وهي الغرفة الدافئة و"السّخون" وهي الغرفة الساخنة التي بها "البَرمة" أي صهريج الماء الساخن.

G. Marçais, art. Dar, *E. I., reimp, anastas*, 1977, p. 116 - 118 ; Gallotti, *Le jardin et la maison arabe au Maroc*, 2 vol., 1926 ; G. Marçais, *Salle, antisalle, AIEO*, Alger, 1952 ; A. de la SIERRA, *Vivienda Marroqui, Notas para una teoria*, Ceuta, 1960 ; J. Hassar, Benslimane, *Salé, Etude architecturale de trois maisons de Salé*, Rabat, *ETAM* VII, 1979 ; A. Touri, *L'architecture domestique de Marrakech*, Th. D'état, 1987 ; A. Bazzana, *Maison d'al-Andalus*, Madrid, 1992.

عبد العزيز توري

**العمارة على العهد المريني** بعد قضاء المرينيين على الدولة الموحدية والسيطرة على السلطة، استعادت مدينة فاس دورها السياسي، إذ اتخذها السلاطين الجدد عاصمة لملكهم، نظراً لما كان لها من الشهرة الدينية والإشعاع العلمي والحضاري الكبير، مفضلينها على مدينة مراكش، عاصمة أسلافهم المرابطين ثم الموحدين. وما كاد المرينيون ينزلون بها، حتى شرعوا في توسعتها، حيث وصلها أبو يوسف يعقوب

(656 - 658 / 1256 - 1286) بمدينة جديدة - المدينة البيضاء - أنشئت وفقا لمخطط أشرف على تهييئه بنفسه. وفي سنة 676 / 1276، أحيطت المدينة بسور يصل عرضه إلى مترين وعلوه إلى ثمانية أمتار، حصن بأبراج لحماية القصر ومساكن أعيان الأسرة المرينية، وضم الإدارة وثكنات الجيش وبساتين المسارة الباذخة.

توالى البناء والإعمار على أيدي السلاطين المرينيين، فأنشأ أبو يوسف يعقوب وأبو سعيد وأبو الحسن من حول مسجد القرويين مجموعة من المدارس هي مدرسة الصفارين 671 / 1271 - 1275، ومدرسة العطارين 723 - 725 / 1323 - 1325، والمدرسة المصباحية 734 / 1342 - 1343، وبنيت مدارس أخرى في الحي القائم على الجانب الآخر من الوادي، بجوار مسجد الأندلس هي : مدرسة الصهريج ومدرسة السبعيين 721 - 723 / 1321 - 1323، ومدرسة الوادي التي استبدلها العلويون مسجداً، ظل يعرف لحد الآن بالاسم نفسه. وأنشأ أبو عنان، على مقربة من باب الجنود، المدرسة البوعنانية وجعلها مسجداً جامعاً.

أما بالحواضر الأخرى، فقد سهر بنو مرين على إنجاز مشروع متميز وشيدوا معالم عديدة تبرز رغبتهم في تجميل مدنهم وكسب عطف رعيتهم. ففي مدينة سلا قام أبو يوسف يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق بتحصين المدينة من الجهة المقابلة لأبي رقراق وبناء دار الصناعة. ويذكر ابن خلدون أن أبا يعقوب يوسف أمر بتوسيع المسجد الكبير بتازة وأعاد بناء تحصينات مدينة وجدة وأضاف إليها، خشية تعرضها لهجوم من طرف خصومه بني عبد الواد، قصبة وقصراً ومسجداً (696 / 1296). ولتشديد الخناق على تلمسان، قام السلطان أبو يعقوب ببناء المنصورة (699 / 1299) التي أتمها السلطان أبو الحسن سنة 734 - 1334 وبني مسجدها سنة 739 / 1339. وقد شيد هذا الأخير، مدرسة الطالعة والمدرسة العجيبة (فندق آسكور الحالي) قرب المسجد الأعظم الموحدي بسلا، وروضة شالة والمسجد الأكبر برباط الفتح. ويروي ابن مرزوق أن أبا الحسن بنى سنة 721 / 1321 مسجد ابن صالح بمراكش، ومسجد الحمراء بفاس الجديد ومسجد الشرابليين بفاس البالي. وسار ابنه أبو عنان على نفس النهج، فأمر ببناء زاوية النساك خارج أسوار سلا للمحتاجين والتجار والمارستان العزيزي والحمام الجديد وحمام شالة على الضفة اليسرى للنهر. وبمدينة فاس، أسس مسجد لالة الزهراء (758 / 1358) وقام بجبل طارق بتقوية أسواره وتحصينه من أجل وقف زحف جيوش قشتالة.

وخلافا للعمارة الموحدية التي انحصرت جماليتها في المحاريب والصوامع، ونادراً ما تعدتها إلى الأروقة المحورية، فإن الفن المعماري المريني يقوم على زخرف مالئ، يشف عما يمكن الاصطلاح عليه "بالخوف من الفراغ". فالمعماري المريني يعتمد تناسبا مزدوجاً، أفقياً وعمودياً، يتيح له أن يتحرر ويبتكر التكوينات، مسهبا فيها ومقيماً بينها المقابلات والتماثلات. لذلك جاءت الأشكال متداخلة ومتنوعة ومتراتبة، واجتمعت المأطورات البسيطة المتكونة من عناصر نباتية أو هندسية، مع تكوينات أكثر تعقيداً وتنوعاً في الأشكال، وانتهى ما كان من التفوق لنمط معين من الزخرفة، مما نتج عنه ظهور معمار مكتسح بزخرف يغطي الواجهات وحائط القبلة والأقواس، ويتعداها إلى الأكتاف والسقوف.

من جهة أخرى، ظل الفن المعماري المريني في معظمه، فنا انتقائيا، يأخذ بالإرث المرابطي والموحدي، ويطور الأشكال النباتية، والخطية والهندسية، التي طورت خلال القرنين السابقين، إذ أخذت السعيفة الصقيلة في الابتعاد، تدريجيا، عن الأنماط القديمة، وأصبحت السعيفة المرابطية المزدوجة وغير المتناسقة النموذج الغالب الذي يتحكم في زخرفة الركينات والمأطورات، ويتجاوزها إلى الإطارات الخطية. وتلتف قويساتها وتتلاقى أو تتقابل تقابلاً حراً، لتؤثث الفراغات. وآل التشبيك المعماري نفس المآل، إذ استعير مباشرة من الصوامع الموحدية، واستعمل في الواجهات المطلة على الفناء وفي واجهات الصوامع، ليزين أفاريزها ومأطوراتها.

لكن، إذا كانت العمارة المرينية تراعي التقاليد السابقة عليها، وتستمر في السير عليها، فإنها حرصت شديد الحرص على مدها بدينامية تجديدية خاصة بها. فقد أشاعت التوريق وجددت الأشكال وتحكمت في تقنياته، فأصبحت النماذج أكثر تهذبا، واكتسبت، بفضل الحفر والخطوط المائلة والتشققات، قوة أخاذة واستقلالية فريدة. فما عادت تشكيلات النبات والرسوم الهندسية تتحد بحدود، بل تتفاعل في تقابل وتماثل، وتبرز في ألواح أو في إطارات، في انسجام وائتلاف مع الأرضية الزخرفية، مما جعل تعبيراتها تأتي فريدة في الزخرفة والطلاوة.

ومن مميزات عمارة بني مرين احتفاؤها بالواجهات. فسواء منها الواجهات التي تطل على الصحن، مكان الاجتماع والتهوية، أو تلك التي تقابل المؤمنين في قاعات الصلاة (حائط القبلة) كلها تمتاز بفرادة في التنظيم وغنى في النقش. وقد نحا المهندسون المرينيون في الزخرفة أسلوباً أثبت جدارته في نفس الوقت بالمساجد المرينية والمدارس على السواء، فأفلحوا بذلك في جعل الواجهات تبدو في مظهر فريد وتوازن متناغم. واعتمدوا في زخرفتها وفي إنجاز التنظيم الهيكلي للبنايات، تناسباً محكماً، اتبعوه بدقة محكمة، وألموا بكافة أبعاده، فبعد الانحرافات التي شابت مدرسة الصفارين ومسجد بوجلود، صارت الواجهات تخضع بالإضافة لمحورين متقاطعين يضخم التقاءهما صهريج أو ناقورة ماء، لمحور أفقي. وللحد من رتابتها تم اللجوء إلى بوابة معمارية مقوسة، مزخرفة الحواشي، على غرار الأبواب التي تؤدي إلى صحن مدرسة الصهريج وصحن مدرسة العطارين وصحن زاوية النساك، وفتحة متوسطة على هيئة قوس، شبيهة بالفتحة التي تزين المدرسة البوعنانية. وبذلك

اجتمعت تراتبية مختلف أنماط مواد الزخرفة، المكونة من التراب المطلي (الزليج) والجبص والخشب، وامتزجت باعتناء دقيق ومحدد بكل شكل وبكل تكوين، مع التركيز على مقابلة هذين الأخيرين (الشكل والتكوين) بما يناظرهما في الواجهة المقابلة.

إن هذا الأسلوب الهيكلي في واجهات البنايات المرينية وخاصة في المدارس، ليس حكراً على منشآت القرن الرابع عشر. فقد ساد بشكل محتشم، على عهد الموحدين، في تكوين زخارف محراب مسجد تينمل وواجهات صومعة الخيرالدة في إشبيلية. لكنه استطاع أن يدرك مع المرينيين أكبر اتساع، حتى غلب على هندسة بيوت الخاصة، ومنها المنزل المسمى سويقة الذبان وفي دار الصفايرية في فاس، وكذلك في بيوت مراكش، وتحصل من ذلك زخرف مالئ، قائم على التكرار، مختلف عن سابقية، يشف على انشغال إبداعي كبير.

ولم يكن إدخال البنائين المرينيين الأعمدة في منشآتهم، لينال من تغليبهم استعمال الأكتاف وتفضيلها. فقد أدخلوا الكتف في البناء، على هيئة سارية لحمل رقاب الأقواس، وكثيراً ما يكون هذا الدعام مربع الشكل، مبنيا من الآجر المشوي، المشدود بعضه إلى بعض بطبقات من ملاط من الرمل والجير، وبذلك يظل الدعام وفياً في بنائه للتقاليد القديمة التي نتبينها في المدن الساحلية، كتلك التي نجدها في زوايا صحن مدرسة شالة وفي المدن الداخلية.

أما الأعمدة، فظلت محدودة الاستعمال في البناء المريني. وإذا كانت أعمدة مدرسة أبي الحسن في سلا، قد شيدت من الآجر المشوي المغطى بالخزف المطلي، فإن أعمدة مدارس فاس ومدرسة شالة قد بنيت جميعها من الرخام الأبيض والأسود. وتقوم جذوع الأعمدة الأسطوانية، في صحن مدرسة العطارين، وفي قاعة الصلاة في المدرسة البوعنانية، أو المثمنة الزوايا، كما في محراب هاتين المدرستين، فوق قواعد مربعة منغرسة في الأرضية، ذات تيجان منقوشة متعرجة، صقيلة ومسطحة، محرفة تحريفاً يظهر ارتباطها بورقة الأقنثة، وسعيفات حلزونية وكتابات تاريخية أو شعرية، تشهد عن النضج الكبير الذي تيسر للفن الإسباني ـ المغربي على أيدي المزخرفين الموحدين، كما نتبينه، على سبيل المثال، في تيجان أعمدة مسجدي تينمل والكتبية.

وتكلل جذوع الأعمدة كعيبات، تشتمل على صف من تعرجات أقنثة صقلية ومسطحة ومزينة بظفائر من سعيفات أو بجذع منها. أما كؤوس التيجان، فجاءت على اتساع نسبي، تحمل نقوشا من نماذج نباتية، وسعيفات صقيلة على هيئة أصابع، وصنوبريات، يذكر تشابكها بورقة الأقنثة، وهي تدمج كتابة أو سعيفة مزدوجة وترسم زهيرات. كل ذلك في إحكام صنع، لاتشذ عنه جزيئات الزخرف، أو توزيع النماذج ؛ التي عولجت بصرامة وإحكام، وخضعت في مجملها لتوازن يضمن لها وحدتها ورشاقتها، وتحمل كتف عقد أو أسكفة، يزيدانها توثبا، ويتلقيان رقاب الأقواس، أو رقاب السواكف الخشبية.

لكن هذه التيجان، رغم رشاقتها وجمالها، تنم على فقر في الابتكار وعجز عن التجديد، إذ نلمس فيها الجمود والتحجر، ونتبين فيها آثار فترة طويلة من التقليد، ترسخت مع مطلع القرن الرابع عشر. فما عادت تيجان الأعمدة، سواء منها التي في فاس أو التي في تلمسان وشالة ومراكش، يلحقها شيء من التطور، أو لا يلحقها منه إلا النزر اليسير. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما فقدت الكثير مما كان يميز تكوينها من حيوية ومن قوة، حتى لم تعد تيجان الأعمدة التي تزين المدرسة البوعنانية بفاس أو ضريح سيدي بومدين أو المنصورة في تلمسان لا تدور إلا على نمط واحد جامد، إلا من بعض الاختلافات اليسيرة، لا يلبث أن يشيع، بعد قرنين من الزمان، في تيجان الأعمدة في مدرسة بن يوسف في مراكش.

ورغم خاصيتي الثبات والجمود اللتين تميزان الأقواس، فإنه يبدو أن العمارة المرينية قد آثرت السواكف الخشبية. فباستثناء صحن مدرسة العطارين التي يجتمع فيها العنصران ـ الأقواس والسواكف ـ، تقوم أروقة غيرها من المدارس على سواكف مزدوجة، ومعززة بطُنُف لصيقة مغروزة في البناء، ،منحوتة بعناية. وتظهر مختلف أشكال الأقواس في أبواب الدخول، وفي فتحات بيوت الطلبة، وفي الأجزاء العليا للواجهات المطلة على الصحن، وقاعات الصلاة، وتتوزع أشكالها في فئتين متمايزتين : الأقواس ـ الدعامات أو الحاملة والأقواس الزخرفية.

فالفئة الأولى، والتي تضم الأقواس ـ الدعامات، تغلب عليها القوس المنكسرة المتعدية والقوس ذات العقد الكامل، بشكليها المتعدي أو غير المتعدي، التي استمرت قائمة طيلة عهد الموحدين بفضل المحاريب. أما القوس المقطعة إلى قويسات صغيرة، الغالبة في المساجد المرابطية والموحدية، فما عادت تلقى اهتماماً إلا في الرسم التزييني، بينما أضحت القوس المنكسرة المتجاورة، التي ترسم من مركزين، تحتل مكانة مميزة، إذ صارت توظف في الأروقة أو في المحاريب، وتستند إلى تاج على هيئة منحنى محدب، عُرف شكله "منذ النصف الأول من القرن الحادي عشر بالمقبريات القيروانية" أو في "فسقية بقلعة بني حماد". أما باطن العقد الصقيل في أقواس الأروقة، فيحمل نقوشا في أفاريز الأقواس المطلة على الفناء، ويقوم فوق زخارف ثعبانية، تذكر بتلك النماذج المتداولة على عهد الموحدين ؛ ومنها، على سبيل التمثيل، النماذج التي تطالعنا فوق بوابة الأوداية في مدينة الرباط. وتحظى الأبواب الفخمة، القائمة على الجنبات الصغرى للصحون، والتي تبرز المحور الطولاني بمعالجة محكمة، وتشرف عليها أقواس منكسرة ومتجاوزة، وتذكر بطون العقود المقربصة، المرسومة على هيئة إكليليات في الوسط

وتموجات في الأطراف، بالأقواس الموحدية في مسجد تينمل. أما المجموعة الثانية، فهي أشد اختلاطا، وتضم أقواسا متعرجة، وأقواسا مفصصة، وأقواسا منحنية الأضلاع وهي أشكال من مخلفات الفن الموحدي، ولا تزال مجموعة كبيرة منها تطالعنا في أجنحة مسجد تينمل الكبير. ورغم فقدانها لبعض من أهميتها، فإنها ازدادت مرونة وليونة، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من الذخيرة التزيينية المرينية ؛ فهي تحف بالمأطورات الزخرفية، أو تشكل أرضية خلفية لها. ففي الواجهات المطلة على الصحن، أو فوق جوانب صومعتي مدرسة الصفارين والمدرسة البوعنانية في فاس، ترسم هذه الأقواس مشاكي وتوظف كمرتكزات للتشبيك الهندسي ذي الشكل المعين.

من ناحية أخرى، بقيت أكثر أنواع السقوف استعمالا في العمارة المرينية تجمع بين سقوف مسطحة، ذات هياكل ظاهرة أو ملبسة، تغطي سائر الفضاء الضيق ذي الأبعاد البسيطة، كما في الأروقة وغرف الطلبة والصحون. تقوم هذه السقوف على مبدإ بسيط : فالحيطان مطعمة بعارضات قوية، أما الرافدات الخشبية الموضوعة عمودياً للحيطان، والمتخللة بفراغات متساوية، فتحمل مؤردزات عرضانية، توضع فوقها طبقة من الرمل والجير بينما يرتب السقف من الداخل ويحمل زخرفاً يغطي هيكله، يعتمد على تشبيكات هندسية، تزينها أخاديد، نادراً ما تشتمل على رسوم مصبوغة.

قوام السقوف التي تعلو قاعات الصلاة هيكل هرمي. أما سقف مدرسة الصهريج فيتكون من لجفات تتخلل زوايا وشدادات، فيما سقوف المدارس الأخرى، قوامها هيكل ذو تلبيس بسيط، وتأخذ التصاميم في التدرج، لتتلاقى حول تصميم أوسط أفقي. ويغطي هذه الهياكل زخرف مقعر، من تشبيك مضلعات، جريا على التقليد الإسباني المغاربي، الذي لا زالت نماذجه الجميلة توجد في مدرسة غرناطة الوحيدة وفي قاعة كوماريس. إن المسنمات المضلعة المرينية التي تنحدر من المسنمات المضلعة الأموية، تعلو قاعات الدرس في مدرسة أبي عنان، وتتلاقى أقواس هيكلها وتتقاطع حول مسنمة صغيرة. ويغطي الهيكل تلبيس قوامه عصيات مجمعة على هيئة مضلعات مكوكبة، تتخللها أخاديد وحزوز، تبدو من الخارج على هيئة غماءات بأربعة غطاءات مكسوة بالقرميد الأخضر.

ولتنميق وزخرفة هذه المكونات المعمارية، اعتمد المرينيون زخرفة تحتل فيها الأشكال النباتية مكانة راجحة. وهي تشتمل على سيقان وجذوع وسعيفات وصنوبريات، اعتمدتها العمارة المرينية لمضاعفة الأشكال والتحكم في معالجتها. وقد اكتسبت الساق، خلال هذا النصف الأول من القرن الرابع عشر، مزيداً من التهذيب، لكنها لم تتعرض للتمدد طولاً، ونقص طولها، لتؤول إلى خيط رقيق مكور، نادراً ما يكون مسطحاً وذا شكل هندسي. وقد تطورت تشابكاتها، لتشكل لوالب تزينها عقديات، ونماذج هلالية، أو براعم. وتنجدل هذه الساق في الركنيات وفي المساحات الكبيرة، في أشكال لولبية لامتناهية، مكونة الأرضية الخلفية للزخرفة. وتحتفظ مدرسة الصهريج على تمثيل فريد تظهر فيه الساق المزدوجة المتناسقة متموجة، في شكل أشبه بتشبيك معينات، وتتراكب وسيقانا أخرى أرق منها، تنتهي إلى سعيفات مزدوجة متصعبة وغير متناسقة. وإجمالاً، فإن الساق ما "عادت سوى تمثيل هندسي، لتشكيل نباتي يزداد بعدا عن الواقع، شبيه بما حدث لها في القرن الثاني عشر.

هذه السعيفات تملأ التكوينات بأشكال متنوعة، وتدخل عليها تنويعاً إلى حد لا يصير لأية مأطورة شبه بسابقتها. لكن إذا كانت هذه السعيفة قد حافظت على الحظوة نفسها التي كانت تلقاها من فن المرابطين والموحدين، فإن أشكالها أضحت تتخذ أبعاداً جديدة. فالسعيفة الموحدية التي تمتد انطلاقا من سويقة وتتفرع إلى قويسين منجدلين، تقطعهما حزوز متعاكسة، أو السعيفة المخرمة، حلت محلها سعيفة صقيلة ومنمنمة، ترفض التصبعات الحرشفية والسويقات المستطيلة ـ ما عدا في الزليج المحزز. إنها تنبثق مباشرة من ساق رشيقة، ثم تصير مثلها، إلى انحناءات وتكورات مألوفة.

ومع مطلع القرن الرابع عشر أصبحت السعيفة الصقيلة أكثر حضوراً من السعيفة المتصبعة، التي ارتدت إلى مجرد شكل حشوي، ازدادت أشكاله كثافة وسماكة. وبالمقابل، عادت السعيفة الصقيلة، الأشد حيوية والأشد مرونة، تنجدل إلى سقيفات غير متساوية، تتواجه على هيئة زخارف زهرية، أو تمتد، لتلتف في أنصال مسننة وتشكل حلقات. تجمع السعف، بين بسيطة ومزدوجة ومثلثة، وتتراكب أو تتكرر إلى ما لا نهاية، لبناء لوحة من التكوينات، ونادراً ما تقبل بالانتظام من حول محور بارز، ما عدا حول أركان العقيدات ؛ حيث تتكدس على هيئة زخرف زهري، يزين منصفات الزوايا المستقيمة للإطارات المستطيلة.

لكن إذا كان الحرفي المريني قد غلب استعمال السعيفة الصقيلة المنمنمة، فإنه استمر على دمج بعض التنويعات الموحدية، وأدخلها في تكويناته. فقد وظف بمدرسة العطارين سعيفات محززة وأخرى ذات حشو مألوف. وأما بمدرسة أبي عنان، فجميع تكويناتها مؤلفة من سعيفات مزدوجة ذات قويسات التفافية ومقرنة، تطعمها حزوز عميقة، توجد نماذج منها بواجهة باب الأوداية وأخرى على باب الرواح في الرباط وباب أكناو في مراكش.

وفي مقابل الطغيان الذي صار للتكوينات المعتمدة على السعيفة الصقيلة المفردة، والمزدوجة والمثلثة، بقيت الصنوبريات نموذجا تكميليا بامتياز. فقد أبعد كليا من زخرف مدرسة الصفارين ومدرسة الصهريج، ثم عاد إلى الظهور في المدرسة المصباحية، في هيئة قصيرة وغليظة، قليلة الإتقان. ومنذئذ، أصبح يرافق السعيفة في إبداعات مختلفة : صنوبريات مقرونة، وأخرى بسيطة مستقيمة أو

مقوسة، تملأ تشابكات السعيفات، وتدخل فيها عبر تقنية الخفاء والتجلي، كثيراً من القوة، وتحد من رتابتها.

ومن أجل خلق ديناميكية زخرفية، قابل الحرفيون المرينيون التكوينات النباتية على الخشب أو على الجبص بتشبيك هندسي، يعبر في مختلف أشكاله المنجزة عن تطور ملحوظ. فبعد ظهوره في المعالم الموحدية، في مسجد تينمل وفي الصومعتين الشامختين لمسجدي الكتبية والقصبة في مدينة مراكش، يدمج هذا التشبيك رسوما أكثر توازناً وأكثر تعقيداً. فأما الشكل الأول فينقش على جبص أو تراب مطلي، بالحفر في الحقل المسطح، وينجز الشكل الثاني بعصيات مستقيمة، ينطلق فيها النقاش ويقوم بظفر بنيته عن طريق التقريب والتجميع، لتغطية الأفاريز الكبيرة لأسس الجدران، وعضادات الأبواب، والأفاريز التي تعلو الواجهات المطلة على الصحن، وتغطية الدعامات أو الأعمدة على غرار ما هو موجود في مدرسة أبي الحسن في مدينة سلا.

H. Basset & H. Terrasse, *Sanctuaires et forteresses almohades*, collection Hespéris, Larose éditeur, Paris, 1932 ; H. Basset & E. Lévi-Provençal, *Chella, une nécropole mérinide*, Larose éditeur, Paris, 1929 ; A.S. Ettahiri, *Les madrasas marinide : étude d'histoire et d'archéologie monumentales*, thèse de Doctorat, Paris-Sorbonne, Paris IV, 1996.

أحمد صالح الطاهري

**العمالي، بوجمعة** ولد بالجزائر سنة 1890 وتخرج من مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر، وبعدها درس في المدرسة الوطنية في سيفر ما بين 1913 - 1914، ثم جاء إلى المغرب سنة 1918 بطلب قدمه مفتش الفنون الجميلة بالمغرب إلى رئيس المتحف الوطني بباريس ، فدله على طالب جزائري من مدرسة الفنون الجميلة. وبهذا دخل العمالي في خدمة مصلحة الفنون الجميلة بالمغرب وتم تعيينه بمدينة آسفي.

أخذ في إعطاء دروس تكوينية في الديكور وصنع الفخار. وازدهرت هذه الحرفة من جديد وكان من منتوجاتها الزليج الذي كان يلقى إقبالا. نجح العمالي نجاحاً كبيراً حيث عمل على صنع أدوات فخارية ذات ذوق فني رفيع جعلته لا يكتفي بالمعارض والمكافآت التي كانت تمنحها له فرنسا.

حصل على وسام من رتبة ضابط بعد تقديمه خدمات وقت الحرب. شارك في معرض مرسيليا حيث حصل على الجائزة الكبرى وميدالية ذهبية. وعين كتقني في مصلحة الفنون الأهلية حيث كلف بمهمة الإشراف على صناع الخزف وبهذا لاحظ ضرورة إحداث مدرسة أو سلك تكوين لهؤلاء المعلمين.

علال ركوك

**العمامة** بكسر العين شريط مستطيل من الثوب يتراوح طوله بين متر وأربعة أمتار وعرضه لا يتعدى خمسين سنتمترا يتخذ إما من صوف أو قطن أو كتان أو حرير أو غيره ليلف رأس الشخص الذكر ويغطيه إما بكيفية كلية أو جزئية. والعمامة في الحضارة العربية الإسلامية تعتبر جزءا أساسا من أجزاء اللباس لا يكتمل الهندام أبداً بدونها. أما لدى السكان الأمازيغ من أهل شمال إفريقيا، من حدود التخوم المصرية إلى أقصى المحيط الأطلسي في المغرب فلم يكن غطاء الرأس هذا معروفا لديهم ولا كانوا يلفون رؤوسهم بالعمائم حيث أنهم اشتهروا منذ التاريخ القديم، من بين ما اشتهروا به بين الشعوب الأخرى، "بحلق الرؤوس (وتركها حاسرة) وارتداء البرنوس وأكل الكسكوس".

وقد كانت العمائم في المغرب إلى حدود الأربعينيات من القرن 20 هي أكثر أغطية الرؤوس تداولا عند السواد الأعظم من سكان المدن والبوادي على حد سواء خارج البيوت، وإذا أرادوا عقوبة شخص أو إهانته خلعوا العمامة عن رأسه وحلقوا لحيته. فلما ألقى السلطان عبد الله بن إسماعيل القبض في مكناس سنة 1740 على قاضيها أبي القاسم العميري ومن معه بسبب تعسفات قضائية اقترفوها في حق الرعية، فإنه أزال العمائم عن رؤوسهم وفضحهم أمام الملإ، كما نكل السلطان مولاي الحسن في نهاية القرن 19 بباشا وجدة فأزال عمامته وحلق لحيته جزاء له على سوء تدبيره لشؤون المنطقة. ولما حل الاستعمار الفرنسي بالبلاد حافظ على نفس الممارسات الجارية فكان يُخرج المقاومين والوطنيين من السجون عنوة إلى الأزقة ويأمرهم بتنظيف الممرات العمومية تحت الحراسة ورؤوسهم عارية ولحاهم محلوقة تنكيلا بهم، في حين كان يُسمح للمغاربة الملتحقين بالجيش الفرنسي للاشتغال ضمن قوات الگوم بالاحتفاظ بعمائمهم أثناء ارتدائهم الزي العسكري، كما كان المسلمون من جهة أخرى يعتبرون كل من يرتدي العمامة من الأجانب كأنه اعتنق الإسلام وينظرون إلى كل من تخلى عن ارتداء العمامة من المسلمين كأنه قد ارتد عن دينه وخاصة إذا كان خارج دار الإسلام.

وكانت عمائم أهل الحواضر أجود نسجا وشكلا ومظهرا من عمائم أهل البوادي، كما كانت عمائم الأثرياء ورجال المخزن والقضاة والعلماء والفقهاء والوزراء أرفع من عمائم عامة الناس من صناع وحرفيين وتجار وبحرية وغيرهم. أما المخصصة منها للحضريين من علية القوم فكانت تتخذ "على العادة والقاعدة" من لون أبيض وتلف لفاً حلزونيا حول الرأس حتى تغطيه عن آخره. وكان كبار أهل المخزن من الوجهاء والعلماء وسامي الموظفين ومن إليهم من الأعيان والموسرين يحرصون على ارتداء عمائم كبيرة تثير الإعجاب. وقد لاحظ الأوربيون الوافدون على المغرب بأن البعض من هذه العمائم كانت ضخمة للغاية وهي بجوانبها الناتئة تكاد تتعدى جوانب أكبر القبعات الأجنبية وكانت تبدو فوق الرؤوس كأنها "نصب تذكاري".

هذا وقد كانت العمائم الحضرية السائدة تتخذ من أشكال وأحجام متوسطة لأن الصغيرة منها لا تكفي لتغطية كل الرأس والمفرطة في الكبر يصعب لفها وصيانتها واستعمالها وتفقدها فكان أهل الحرف من الصناع والتجار وغيرهم

يفضلون المتوسط منها لأنه يجمع بين تغطية الرأس وصغر الحجم وسهولة اللف والاستعمال والتفقد.

لكن العمائم التي صمدت لعدة قرون لم تستطع أن تقف في وجه التطور اللباسي السريع الذي عرفه الهندام المغربي بشكل خاص فيما بين سنتي 1912 و1956. فخلال هذه الفترة بدأ الطربوش يحل تدريجيا محل العمامة عند شباب الحواضر وخاصة ابتداء من الأربعينيات من القرن الماضي.

إ. حركات، *السياسة والمجتمع في العصر الأموي*، الدار البيضاء، 1990 ؛ ابن سيرين والنابلسي، *تفسير الأحلام*، تونس، 1984 ؛ أ. المقري، *زهر الكمامة في العمامة*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 984 ؛ محمد فهد بدري، *العمامة*، 1968 ؛ أبو الوليد ابن رشد، *البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل*، الجزء الأول، بيروت، 1988، تح. محمد حجي وسعيد أعراب ؛ شهاب الدين الهيثمي، *در الغمامة في در الطيلسان والعذبة والعمامة*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 911 ؛ محمد رضا شرف الدين، *لباس الرأس في المغرب*، د. ت. ود. م.
Malek Chebel, *Le corps dans la tradition au Maghreb*, Paris, 1984, PUF ; Paul Azan, *Souvenirs de Casablanca*, Paris 1911, Librairie Hachette et Cie.

محمد بوسلام

**عَمَر** (سيدي -) القسطلي المراكشي، قرشي الأصل، أموي يرجع نسبه إلى الخليفة عثمان بن عفان وفي *ممتع الاسماع* أنه من ذرية الشاعر ابن دراج القسطلي.

وفي جمهرة *الأنساب* ان بني دراج من صنهاجة.

وترفع وثيقة خاصة نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وتذكر أنساب شرفاء آخرين، يلتقي معهم في النسب، وهم :

- شرفاء بني راشد بن أحمد : يلتقي معهم عند جدهم موسى بن عمران.
- شرفاء بني زيان بن منصور : يلتقي معهم عند جدهم منصور بن عمران.
- شرفاء تونس أولاد أحمد بن أحمد بن محمد : يلتقي معهم عند جدهم محمد ابن موسى بن عمران.
- شرفاء تلمسان، أولاد عمران المذكور.

وتحكي الوثيقة سبب انتشار الشرفاء في الأرض لما خرج موسى بن أبي العافية على الادارسة وتعقبهم بالقتل، فخرجوا من فاس إلى غمارة، وتادلة، وفجيج، وسجلماسة، ودرعة، وسوس، ودكالة، وتامسنا، والساقية الحمراء، والأندلس وتنتهي الوثيقة بأحاديث في حب الرسول للسبطين ودعوته إلى حبهما، وفي جزاء الكاذب عليه صلى الله عليه وسلم.

وإذا كان المجال لا يسمح بتشريح هذا النسب وتتبع رجالاته، فلابد من الإشارة إلى أن المقدمين كانوا يتناقلون وصية أبي عمرو بعدم التباهي بالنسب الشريف. وكان الحلفاوي لا يذكر مترجمه وشيخه الكامل إلا بلفظ "مولاي الكامل" بخلاف الزروالي في ترجمته لأبي عمرو.

ولد أبو عمرو سنة 912 / 1506 بحي قاعة بناهض. وكان والده "حرارا" من أعيان المدينة وأحد مريدي عبد العزيز التباع. وفي المصادر ان ميلاده قد صادف زيارة التباع لمنزل أحمد الأمين، فحمل بعد ولادته إلى الشيخ لمباركته، فسأل عن اسمه، وقيل له : "أبو عمرو" فقال : "نعمره ونشمره" ثلاث مرات.

ولسنا ندري لماذا لم تستمر هذه العناية، فقد كبر سن أبي عمرو دون أن يتعلم القراءة والكتابة، فيقوم ذلك على التحدي لديه : فقد نعت له صبي حرفي الراء والزاي فلم يعرفهما. قال : (وحقرت نفسي وصرت مجتهداً في القراءة نحوا من خمسة أعوام في تعمير الأوقات بالقراءة والأوراد، حتى استفدت وأفدت، وجمعه بين القراءة والأوراد دليل على كبر سنه. ويؤكد هذا ما كان يقوله عنه شيخه الفلاح في المجالس : "أترك لكم الخلافة في رجل أمي لا يفرق بين الراء والزاي".

- الأوراد : يقوم ورده على تلاوة حزب الفلاح، وحزب البحر، وقراءة القرآن.
- العلم : من الكتب التي كانت تدرس في زاويته : الشفا لعياض، وشرح محمد بن عباد على الحكم. وكان الشيخ يحللها ويعلق عليها بما يذهل العقول.
- الإطعام : سلك أبو عمرو مسلك شيوخ الزوايا الجزولية في الإطعام، وكلف أحمد بن عبد الله المراكشي بالإشراف على اقتصاد الزاوية، وكان يطعم كل وارد عليها بحسب مستواه ومقامه وما تعود أكله. وهي عادة سيشتهر بها تلميذه أبو بكر الدلائي، مؤسس زاوية الدلاء بالأطلس المتوسط.

وترد الروايات ذلك إلى دعاء شيخه الفلاح الذي قال به "أعطاك الله حالة أهل الجنة، ثياب لا تبلى، وطعام لا ينقطع". ومع ذلك فقد اعتمد على عراصيه وأراضيه وما تدره من حبوب وغلل وفواكه. وفي شمس *المعرفة* إشارات إلى كثير من هذه الممتلكات التي آلت بعده إلى أولاده في مراكش والحوز. وكانت هذه المنتجات تحمل إلى الزاوية لتقدم للزوار والمريدين والفقراء.

كانت الزاوية القسطلية بمراكش تعج بالمريدين والزوار اعتباراً لمستواها العلمي، ولما كان يقدم بها من صنوف الطعام. وبلغ عدد المتخرجين على يد الشيخ أبي عمرو حوالي سبعة عشر ألف مريد. أنشأ بعضهم زوايا كبرى في المغرب، نذكر من مشاهيرهم :

- أبو بكر المجاطي الدلائي المتوفى سنة 1021 / 1616 مؤسس الزاوية الدلائية بأمر منه.
- أبو عبد الله محمد بن مبارك الزعري التستاوتي المتوفى سنة 1006 / 1579 كان منقطعا بزاوية أبي عمرو بمراكش، وعاد إلى بلاده لتأسيس زاوية بها.
- الحسن المداح الزعري لازم الشيخ أزيد من ثلاثين سنة حتى صار من أخص مريديه وعنه روى الزروالي كثيراً من أخباره في شمس *القلوب*.

وفي *تحفة أهل الصديقية*، 53 - 55 ذكر لمجموعة من مريدي أبي عمرو وأتباعه.

توفي بمراكش سنة 974 / 1566.

ح. جلاب، *أضواء على الزاوية البوعمرية بمراكش*، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1996 ؛ عباس بن إبراهيم المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، المطبعة الملكية، 1974 - 1983 ؛ محمد المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية الزروقية*، مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، رقم 76 ج ؛ ابن حزم الأندلسي، *جمهرة الأنساب*، تح. ليفي بروفنصال، ط. دار المعارف، مصر ؛ الحلفاوي أبو محمد قاسم بن أحمد، *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة*، مخطوطة، خزانة ابن يوسف رقم 171 ؛ محمد الصغيري اليفرني، *صفوة ما انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر*، ط. حجرية بفاس ؛ محمد المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الأتباع والإلماع*، ط. فاس، 1313، تح. عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد، ط. 1994.

حسن جلاب

**عمْرَان**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Amran وتوجد بتطوان أسرة أخرى شريفة النسب منهم : عبد السلام عمران من أعيان تطوان الذين بايعوا الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا يوم 12 جمادى الثانية 1236 (16 مارس 1820). محمد بن أحمد عمران، فقيه كان يزاول خطة العدالة سنة 1252 (1836).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عمران، عبد الكريم** أبو القاسم من أهل قصر كتامة ويرجع أصله إلى الأندلس. لازم أبا الحسن الغافقي الشاري السبتي وروى عنه وكان أخص أصحابه. سكن مدة بإشبيلية وغيرها من مدن الأندلس، ثم رجع إلى بلده قصر كتامة وولي القضاء به. وبسبب نزاهته وسمعته الطيبة في ممارسة القضاء استدعي لتولي قضاء المناكح وقضاء الجماعة بمراكش.

كان مهتما بالعلم ومتحققا بالآداب، مع الزهد والفضل. أثنى عليه ابن عبد الملك وسماه القاضي الأديب الأبرع. كما حلاه أبو الحسن الرعيني في *برنامجه* بالفقيه، وكان قد صحبه بمراكش.

وبجانب علومه الشرعية كان شاعراً مجيداً، أورد له ابن عبد الملك المراكشي بعض القصائد، ومنها قصيدة جيدة في ثنايا رسالة يهنئ فيها أبا الحسن الشاري على المدرسة التي أحدثها بسبتة بجوار باب القصر، وحبس عليها مجموعة قيمة من الكتب والأملاك.

توفي المترجم وهو يتولى قضاء المناكح بمراكش سنة 643 / 1245.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، نشر عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، ج 3، ص. 134 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1975، ج 4، ص. 189 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ج 8، ص. 197 - 333 - 334 - 385 - 439 ؛ الرعيني، *البرنامج*، تح. إبراهيم، تح. إبراهيم شبوح، دمشق، 1966، ص. 76.

محمد المغراوي

أبو **عمران، موسى** بن عيسى بن أبي حاج القرشي المعروف بأبي عمران الفاسي، ينتمي إلى أحد بيوتات فاس العريقة هو بيت بني أبي الحاج، إذ مازال بطالعة فاس درب يحمل اسمهم هو "درب بوحاج". وأصله بنو غفجوم، أحد بطون قبيلة جراوة الزناتية.

ولد بمدينة فاس عام 365 / 975 - 976، وتلقى تعليمه الأول بها، غير أن ما عرف عنه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، جعله يصطدم بحكام المدينة المغراويين، مما اضطره إلى مغادرتها ؛ فرحل إلى الأندلس، ودخل قرطبة حيث تتلمذ بها على أبي محمد عبد الله الأصيلي وسعيد بن مريم وعبد الوارث بن سفيان وأبي الفضل أحمد بن قاسم وغيرهم.

ثم قصد القيروان فتفقه بها على أبي الحسن علي القابسي، ثم رحل إلى المشرق، فحج ودخل بغداد، التي حضر بها مجلس القاضي أبي بكر الباقلاني في الأصول، وسمع من أبي الفتح بن أبي الفوارس وأبي الحسن المستملي، وبمكة سمع من أبي ذر الهروي.

عاد إلى القيروان واستقر بها، حيث آلت إليه بها رئاسة العلم فرحل إليه الطلبة من المغرب والأندلس : من فاس وأغمات وسوس وسرقسطة وأشبيلية ووشقة وبجانة وألمرية وطليطلة وقرطبة وصقلية .. واشتهر بفقهه وإفتائه وتدريسه وخطابته. وحصل على إجازته أعلام مشهورون - لم يلقوه - كابن محرز وعتيق السوسي وأبي القاسم السيوري. وأشاد بفضله وعلمه وإمامته العديد من علماء عصره، والمشارقة منهم على وجه الخصوص.

ولأبي عمران الفاسي كتاب *التعاليق على المدونة* وفهرسة، كما أنه خرج نحو مائة حديث، وبرع على الخصوص في علم الأصول وعلم الكلام والمناظرة.

وارتبط اسم أبي عمران الفاسي برحلة الزعيم الصنهاجي يحيى بن إبراهيم الجدالي، ولقائه به في القيروان، حيث التمس منه أن يرسل معه فقيها عالما يتولى تلقين أبناء صنهاجة الصحراء الملثمين أصول المذهب المالكي ويرسخ لديهم تعاليم الإسلام. وتنفرد إحدى الروايات التاريخية بالقول إن أبا عمران اقترح لهذه المهمة ابن أخيه عمر، مما يظهر استجابته الكبيرة للمساهمة في إخراج المشروع الصنهاجي (المرابطي) إلى الوجود. غير أن تراجع عمر في آخر لحظة، دفع أبا عمران إلى اقتراح اسم فقيه نفيس بالمغرب الأقصى وجاج بن زلو اللمطي، الذي رشح بدوره لهذا الأمر عبد الله بن ياسين.

توفي أبو عمران بالقيروان ليلة 13 رمضان 430 / 7 يونيه 1039، وقد بلغ من العمر 65 سنة.

ابن الزيات التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، 1984 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، ج 1، 1983 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، 1973 ؛ أحمد بن عبد الوهاب النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، 1985 ؛ إسماعيل بن الأحمر وآخرون، *بيوتات فاس الكبرى*، 1972؛ ابن القاضي المكناسي، *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس*، ج 1 : 1973 ؛ حسن أحمد محمود، *قيام دولة المرابطين*، 1956 ؛ عبد الوهاب بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، ج 2، 1979.

عبد الإله بلمليح

**العمراني**، أسرة ينحدر الشرفاء العمرانيون من شمال المغرب حسب عمود متداول في كتب الأنساب من الجد الجامع عمران الأكبر بن يزيد بن صفوان بن خالد بن يزيد بن عبد الله بن إدريس الثاني. ويعتبر البعض أن جد العمرانيين كان من بين الأدارسة الذين استوطنوا قلعة حجر النسر بسماتة وأنه كان من أنصار الحسن بن كنون ومن أمهر فرسانه، ولا يستبعد استناداً إلى نفس الرواية أنه كان من ضمن الأدارسة الذي نقلوا إلى قرطبة إثر هزيمة الأدارسة على يد المروانيين سنة 364 / 975، وحينما سقطت حجر النسر في يد هؤلاء سنة 375 / 986 لقي عمران الأكبر جتفه في بني يوسف.

ويذكر النسابون أنه كان كثير النسل، حيث خلف ستة وعشرين ولداً عقب منهم واحد وعشرون، هم أصل الفروع العمرانية التي انتشرت في جبال غمارة والهبط. والملاحظ أن اسم عمران تكرر في أعمدة أنساب العمرانيين التي تكرر فيها اسم عمران الأصغر الذي يحكى أنه كان مؤذنا للشيخ عبد السلام بن مشيش بجامع قرية الحصن، وهو حسب تسلسل النسب، عمران بن علي بن عتيق بن يحيى بن سعيد بن مسعود بن عامر بن محمد بن موسى بن عمران الأكبر، وورد في عمود الشرفاء العمرانيين في قبيلة بني مسارة عمران الكبير والصغير.

شكل العمرانيون من الناحية الديموغرافية استناداً على مدونات الأنساب أكثر الفروع الإدريسية عدداً في الشمال، وينحدر معظمهم من فرع حنين، مما طرح أمام النسابين والمؤرخين صعوبة في محاولة ضبطها. وأقدم ما بلغنا من أخبار العمرانيين في الشمال الجرد المريني الذي تم على يد السلطان المريني أبي سعيد سنة 709 / 1310، ساعدنا على تحقيق عمود نسبهم وتوطينهم الجغرافي، حيث ذكر أربعة أعلام من مشاهير الأسرة العمرانية هم علال ومحمد وأبو بكر وعمر أبناء حنين بن يحيى بن سعيد بن مسعود بن عامر بن عمر بن صفوان بن خالد بن زيد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن إدريس الثاني.

كان هؤلاء يقطنون في بلدة بني بوشداد إحدى الفرق الغمارية الواقعة حالياً شمال شفشاون على مرتفع صخري، التي كانت قديماً خاضعة لنفوذ عمر بن إدريس الثاني إثر تقسيم المملكة الإدريسية من طرف محمد الخليفة بن إدريس الثاني بين إخوته وسادت فيها ذريته، وبعد تشكيل قبيلة بني زجل أصبحت فرقة بني بوشداد إحدى فرقها الكبرى. وتعتبر قرية تلمبوط حيث يوجد ضريح وحرم سيد حنين بن يحيى مركزاً للشرف العمراني. وثاني مصدر بلغنا عن العمرانيين بعد الجرد المريني شهادة قاضي شفشاون ابن خجو سنة 952 / 1545 أثبت فيه صحة نسب شرفاء بني بوشداد بقبيلة العمرانيين، وذكر أسماء فروعهم وهم بنو عرمان وأولاد الخشين وأولاد مخشان بقرية تلمبوط وأولاد اجلامط وأولاد بوغدوا بقرية أكومي وأولاد اثول ازرافن وأولاد حسن وأولاد أجيلان بالقلعة.

وبعد ذلك تنقطع عنا أخبار العمرانيين إلى أواخر العهد السعدي سنة 1027 / 1618، وهو تاريخ تعيين النقيب أحمد بن إدريس العمراني الجوطي من طرف السلطان السعدي عبد الله الشيخ. وتنتشر الفرق العمرانية حسب هذا الظهير في كل من سماتة وبني خالد وبني حسان وبني حزمار وبني يدر وبني جرفط وبني يسف وصنهاجة وحوز تطوان وبني مسارة وورغة والحصن بجبل العلم وبني جبارة وبني ومراس وبني سعيد وبني مزكلدة والقصر الكبير وشفشاون ومكناس وفاس.

ويظهر أن شرفاء بني زجل مثلوا من الناحية الديموغرافية أكبر تجمع في القرى المجاورة لضريح جدهم حنين بتلموط، كما استوطنوا مع العلميين قرى الحرم العلمي في بني عروس وبني حسان كما يدل على ذلك الجرد الذي تم على يد السلطان المولى إسماعيل عام 1105 / 1694 الذي يتطابق مع التنبيهات الواردة عند ابن زاكور الفاسي ت. 1115 / 1704 في وصف قرى الحرم العلمي نقلاً عن النقيب أحمد بن عبد الوهاب، مضيفاً إلى ما سبق، شرفاء تازجلوت إحدى بني يوسف المعدودة من قرى الحرم المذكور، وهم أولاد بوقلينة والجعباق والهواري، كما ذكر أولاد العبودي في تازروت العروسية وأولاد الحاج وشرفاء الماء الحائل في أفرنو وأولاد حسون ببني عروس أيضاً.

ومن الملاحظ أن الجرد الرسمي الذي تم على يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله لقبائل الشرفاء الأدارسة بفاس عام 1201 / 1789 أشار إلى أشراف الفحص وبني بوشداد وتلمبوط وخص منهم بالذكر أولاد النجار وأولاد التبر والمنصوريين وأولاد بن سعدنت وأولاد الغريب والمشامريين والمغاربيين وأولاد بوقشابة.

وكلما ابتعدنا زمنياً في رصدنا لأصول العمرانيين إلا وازدادت أنسابهم ومواطنهم تشعباً مما جعل أشهر النسابين المعاصرين المشهود لهم بالضلوع في هذا الميدان مثل إدريس الفضيلي الذي أبدى تحفظه في حصر فروع ومواطن العمرانيين في الشمال واقتصر في ديوانه على ذكر أشهر فروع العمرانيين القاطنين في بين زجل بقرية تلمبوط مضيفاً إلى من سبقه من النسابين أولاد الرفاس في بني عروس وبني جرفط وبني سعيد وبني جبارة وبني ومراس وغزاوة. وعلى

المستوى الاجتماعي يمكن اعتبار العمرانيين أكثر الشرفاء الأدارسة انصاهرا وذوبانا في القبائل الأصلية، ،هم أقل تماسكاً مقارنة مع العلميين وأكثر اختلاطاً بالعامة، كما أننا لم نسجل في رصدنا لمسار الشرف العمراني في الناحية الشمالية الغربية ما توفر لدينا من وثائق مخزنية وغيرها غياب الطموح إلى السلطة في صفوف أعيانهم على غرار العمرانيين الجوطيين بفاس، ويتمثل دورهم بوضوح في ميدان الصلاح والجهاد والعلم.

أ. بن عرضون، *الكتب اللائق في معلم الوثائق*، تطوان، 1936، ص. 201 - 205 ؛ أ. بن عبد الوهاب، *الكناش الإسماعيلي*، مخ خاص، ص. 56 ؛ م. بن زاكور، *الاستشفاء من الألم في التلذ بصاحب العلم* ؛ ت. بن رحمون، *شذور الذهب*، ضمن مجموع رقم د 1484 مخ. خ. ع الرباط، ص. 146 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، الجزء 2، فاس د. ت، ص. 170 - 172 ؛ مجموعة وثائق مخزنية من القرن التاسع عشر؛ ع. السلام البكاري، *الأشراف العمرانيين بالمغرب*، ص. 57، القنيطرة، 1996.

محمد عمراني

**العمراني، الغالي** بن محمد الحسني اللجائي، نزيل مدينة فاس. ينحدر من سلالة المولى إدريس، انتقل من قبيلة الجاية (بلاد الزبيب) إلى فاس، وبها تتلمذ على عدة شيوخ منهم الشيخ الحراق وبدر الدين الحمومي، ثم أصبح مدرساً ومفتياً في المدينة ذاتها، كما تقلد خطة القضاء في وجدة، ويبدو أنه لم يعقب.

كان العمراني اللجائي من العلماء الذين ساهموا بالإجابة عن استفتاء السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بشأن مشروعية تنظيم الجيش المغربي على النمط الحديث بعيد انكسار تطوان (59 - 1860)، فألف لهذا الغرض كتابه : *مقمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام*، وهو مكون من 15 بابا، دافع فيه عن ضرورة إقامة "النظام" أي الجيش المبني على أساس جديد واقتباس تقنيات النظام العسكري الأوربي، اعتماداً على قاعدة "المقابلة بالمقل"، وأورد في هذا الكتاب الكثير من الاقتباسات عن علي التسولي ومحمد الكردودي بخصوص حرب الصف لتدعيم دعوته.

وحرض العمراني اللجائي على الاستشهاد ببعض ما ورد في كتب عربية إسلامية لها نفس انفتاحي، فقد قرأ مؤلف رافع رفاعة الطهطاوي *تخليص الإبريز بتلخيص باريز*، ونقل عنه نصا مطولاً بشأن تنصر المسلمين الذين خرجوا مع نابليون من مصر وندرة وجود المسلمين في فرنسا، وقد أرقت مشكلة التنصير العمراني اللجائي وانزعج بقوة من تخريب الفرنسيين للشريعة الإسلامية في مصر ثم الجزائر وقبل ذلك تحطيم الإسبان للإسلام في الأندلس، وتخوف من أن يتكرر هذا الأمر في المغرب إذا لم يتم الاستعداد لمواجهة المد النصراني وأوله اتخاذ النظام. وحاول العمراني اللجائي تبرير شرعيته النظام ومن ثم جواز الأخذ عن غير المسلم في أمور الحرب باستحضار حفر الرسول "صلعم" للخندق على غرار الفرس لدرء هجوم الكفار بإيعاز من سلمان الفارسي.

ألف العمراني اللجائي في قضايا مختلفة، ومن مؤلفاته :

*دوحة المجد والتمكين في وزارة ونسب العالمين ابني* عشرين، عرّف فيه بأسرة بني عشرين الأنصاريين، وترجم فيه للوزير محمد الطيب بوعشرين ووالده اليماني بن المفضل ترجمة واسعة، وضمّنه استطرادات في مواضيع متنوعة.

- *الروض الزاهر الوريف في نسب العارف بالله عبد الرحمان الشريف وشعبته المستغنية بشهرتها السامية عن التعريف*، عرّف فيه بجده عبد الرحمان ابن محمد ابن الحسين دفين بلاد الجاية المتوفى عام 1048 / 1638.

- *إبطال الشبه ورفع الالتباس*، ردّ فيه على أصحاب البدع والمحدثات في وقته وفقا للمذهب المالكي.

- *الفجر الصادق الزاهر المتلألئ في بطلان مهدية الساحر الثائر الجيلالي*، عالج فيه تمرد الجيلالي الغرباوي على السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، الذي ادعى المهدوية سنة 1278 / 1861.

- *مضض السياط في قضية ناظر المساكين الطالب محمد المشّاط*، تناول فيه تصرفات محتسب فاس المشاط (1279 / 1862)، وقد أدرج مضمّنه في كتابه *السالف الذكر دوحة المجد والتمكين*.

وله كذلك تأليف في *الجهاد* وما يجب أن يعدّ له، وشروح على لامية الزقاق. وكان العمراني اللجائي محور تأليف للمؤرخ العربي المشرفي سمّاه *عجيب الذاهب والجائي في فضيحة الغالي اللجائي*، وهو عبارة عن ردّ على العمراني الذي تنطّع على الأمير عبد القادر الجزائري فيما انتصر المشرفي له. وانتقد المشرفي العمراني في مؤلّف آخر هو *الحسام المشرفي في الرد على أكنسوس المراكشي لأنه أنكر حال العلامة المبروم السني المشهور السيد الحاج حسن قنبور*، وكان العمراني قد سَفّه هذا الصوفي في كتابه المذكور آنفا أبطال الشبه ورفع الالتباس. لم يمتد العمر طويلا بالعمراني.

توفي بفاس سنة 1289 / 1872.

الغالي العمراني اللجائي، *مقمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام*، مخطوط، خ ح، رقم 1030 ؛ العربي المشرفي، *نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار*، مخطوط، خ ح، رقم ك، 579 ؛ ع. السلام بن سودة، تر. الغالي اللجائي اللعمراني، مجلة البحث العلمي، العدد، 19 - 1979 ؛ خير الدين الزركلي، *الأعلام*، ج 6، ط 7، بيروت، 1986 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ط 1، الرباط، 1929 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 1، بيروت، 1985.

أحمد المكاوي

**العمراني، محمد** بن **إدريس** بن محمد بن عبد الرحمن العمراني المراكشي المعروف بالدرقاوي درس بفاس، وكان عالماً فاضلاً.

ركز المترجمون له على علاقته بشيخه في التصوف محمد

العربي الدرقاوي، وأخذه عنه في زاويته ببوبريح (بني زروال)، وخدمته له على عادة المريدين مع شيوخهم. وذكروا أنه أبدى في ذلك خضوعا وطاعة تجعله يُنفِّذ أصعب المهام وأقساها دون تردد.

وأذن له بالذهاب إلى مراكش بعد مدة طويلة من الخدمة. فأسس فرعا للزاوية الدرقاوية بالقصور (حومة أعيان المدينة) بفحل الزفريتي منها. وقد عرفت الطريقة الدرقاوية انتشاراً واسعاً بالمدينة وتأسست بها زوايا عديدة من طرف تلامذة الشيخ، هي : العمرية بباب الخميس (وهي الزاوية الأم) والفتحية بثلاثة فحول، والبدوية بسيدي بولعبادة من حومة بنصالح، وزوايا باب ايلان، روض الزيتون القديم، ازيزط، باب دكالة، والقصبة. وتعتبر زاوية ابن إدريس بالقصور أكثرها نشاطاً في الوقت الراهن.

وقع اختلاف في تاريخ وفاته، فعند ابن إبراهيم أنه توفي في حياة شيخه. والمعروف أن العربي الدرقاوي توفي سنة 1239 / 1823. بينما جعل ابن المؤقت وفاة ابن إديس في أواسط القرن الثالث عشر الهجري (19 م) في العشرة السادسة من القرن (13 هـ).

ودفن بقبة زاوية القصور يساراً. وقد حاولنا حل الإشكال في عين المكان، إلا أنه لا توجد شاهدة عند قبر ابن إدريس المحاط بدربوز خشبي.

وقد نسبت له ـ كغيره من أشياخ الطريقة ـ كرامات في حياته وبعد مماته، كانت سبباً في إصلاح السلطان ـ ولعله محمد بن عبد الرحمن ـ لزاويته، وإجراء الماء لها.

م. ابن الموقت، *السعادة*، 2 : 85 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 6 : 218 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 1 : 40.

حسن جلاب

**العمراني، محمد** بن **محمد** الحسني الإدريسي، أصل أسرته من فاس ولكن أحد أفرادها (سيدي الحاج عمران بن موسى) خرج لأداء فريضة الحج، ولما رجع إلى المغرب حالت بعض قبائل الشمال دون رجوعه إلى فاس، وفضّلت أن يستقر بين ظهرانَيْها. وفعلاً استوطن تيفَرْنين (الزيتونة الحالية) قريباً من جزيرة باديس. وهناك توفي. وأصيبت تيفرنين بما تصاب به المدن المجاهدة من التدمير والخراب، فهاجر النّسل إلى بلدة قويع الفوْقي من قبيلة بني بوفرح. وشاء البعض منهم (والد المترجم وإخوته) أن يزدادوا قرباً من ضريح جدهم، فاستوطنوا "الجنانات" القريبة من مرسى "أبراج القلعة". هذا، وفي متناول أيدي الأسرة بعض الوثائق والظهائر السلطانية التي تفيد أنهم كانوا أيضاً يستوطنون مدينة تطوان.

ولد أبو عبد الله في منزل قويع يوم 11 من جمادى الأولى من عام 294 / 24 مايو 1877، وتوفي بمنزل "الجنانات" يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر شعبان 1350 (فاتح يناير 1932). ودفن يوم السبت التالي في مقبرة "المجاهدين".

وحضر جنازته أعيان القبيلة ورؤساؤها، وشيخ زاوية بني بوفرح الشيخ محمد الناصري وقد كانت بين الإثنين صداقة صحيحة وعلاقة روحية متينة.

حفظ مترجَمُنا كتاب الله المجيد وتعلّم العلوم الشرعية واللسانية بعد ذلك على الطريقة المغربية. وكان أهم شيوخه جدّه ووالده، فقد ربّيَاهُ فأحسنا تربيته، وأصبح مثلهما في اتجاههما الروحي والكفريّ والعلميّ. أجل لقد تخرج على يديهما، فنهج نهجَهما في شؤون الحياة. كان يُكْثر من تلاوة القرآن الكريم أثناء الليل وأطراف النهار، ويكثر من مطالعة الكتب وتحرير الوثائق العدلية، والفتاوى الشرعية، كما كانت داره مقصد طوى الحاجات. وبالجملة، يمكن أن نقول فيه، ما قاله هو في حقّ والده :

"قد كان ـ رحمه الله ـ فاق أهل قُطره في علم الفرائض والحساب، وفي علم الجدول، وكذلك في التوقيت، وعلم الوثيقة. وله خبرة بالطبّ، وتركيب الأدوية. وله من معرفة التوحيد ما يخرجُه من ربقة التقليد". استمر أوَارُ حرب التحرير الريفية بقيادة أمير الجهاد محمد بن عبد الكريم الخطابي وأخيه البطل المجاهد مَحمد (فتحا)، فخاض غمارها مترجَمُنا أبو عبد الله، لكن بالقلم لا بالسيف، فقد كان كاتباً (سكرتيراً) للأمير. ومنذ مدة خلتْ، كنت ضيفاً في دار أحد قواد الساحة الغربية من تلك الحرب، وأعنى السيد اليزيد ابن صالح باشا تطوان الأسبق، فأطْلعني على عدّة رسائل حربية كانت محررةً بقلم مترجمنا أبو عبد الله محمد العمراني، وممضاةً باسم أمير الجيش مَحمد بن عبد الكريم الخطابي، وهي ترينا مدى التقدّم الذي كان المجاهدون يحرزونه يوماً بعد آخروهم في طريقهم لتحرير مدينة شفشاون من يد السلطات الإسبانية.

شجرة نسب الكاتب السطور، كتاب مخطوط مائل للطبع.
S. David Woolman, *Rebels in the Rif*, p. 131, Oxford University Press, London, 1969.

عبد الله العمراني

**العمْراني، محمد المعطي** بن أحمد قاضي قبيلة الأخماس كان يرأس جماعة من مجاهدي قبيلته انضم إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد حضر جميع المؤتمرات التي كانت تعقدها الثورة حيث انتخب عضواً بالمجلس الاستشاري للمقاومة في المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية بقبيلة الفحص يوم 11 ماي 1913 ؛ وقد شارك في عدد كبير من المعارك إلى غاية سنة 1924.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف *الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**العمراوي**، أسرة فاسية أصلها من قبيلة بني حسن، ويعرفون بأولاد ابن إدريس، قال في *إزالة الآلتباس* : "ينتمون إلى الشرف، أهل تجارة ومال ومعاش وحرفة وطلب". وذكر أحمد العمراوي آتي الترجمة أن العمراويين من ذرية عيسى ابن إدريس وأنهم هم المعروفون بالشنويين، سموا بذلك لأن جدهم أخذ عن الشيخ الشنوي بمصر.

**عمراوي، إبراهيم** من مواليد 1928 بزاكورة إقليم ورزازات. وعند اندلاع شرارة الثورة العظمى التي عرفها المغرب خلال فترة الاحتلال قام الشباب التواق إلى الحرية والانعتاق بالانضمام إلى صفوف المقاومة السرية للتعبير عن تضامنهم اللامشروط مع حركة الاحتجاج التي بدأتها الجماهير في جميع المدن والضواحي ضد سياسة الظهير البربري وأحسن مثال لهذه الفئة الشابة في النضال نجد الشهيد عمراوي إبراهيم الذي كان منخرطا ضمن منظمة "جيش الأطلس" التي كان شعارها : "حماية الوطن والعرش والذود عن كرامة الشعب". هذه المنظمة التي كان المسؤول عنها هو السيد بوشتى، اطرت هذا الشاب الذي أنجز معها عدة عمليات بطولية منذ أن التحق بها سنة 1954 إلى آخر عملية وهي عملية تفجير مقهى فيفال حيث أصيب عمراوي إبراهيم برصاص الاستعمار فسقط شهيداً وهو في عنفوان شبابه وذلك بتاريخ 13 نوفمبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520911.

**العمراوي، أحمد** بن عبد السلام من ذرية الوزير الشهير محمد بن إدريس. ولد بمدينة فاس عام 1326 / 1908 وبها نشأ وتعلم وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالقرويين فدرس حراً وداخل النظام إلى أن تخرج بشهادة العالمية. وحصل على إجازات كثيرة من الشيوخ.

تزوج بمدينة سلا واستوطنها. وعمل كاتباً لصهره الباشا الحاج محمد الصبيحي ثم انتقل للكتابة بالحكمة العليا بالرباط، وبعد ذلك التحق بوزارة العدل ككاتب ثم كقاض مكلف بدراسة ملفات العدول والموثقين إلى أن أحيل على المعاش.

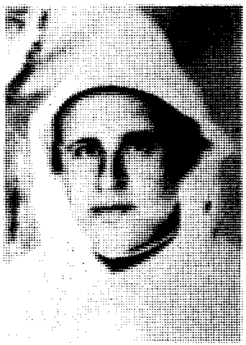

وكان خلال ذلك يلقي دوساً بمسجد سيدي أحمد حجي بين العشاءين، ويحضر المجالس الحديثية بالقصر الملكي، ويفتتحها يسرد النصوص التي تدرس بصوته الجهوري الرخيم.

توفي بسلا ليلة الاثنين 23 جمادي الأولى عام 1409 / 2 يناير 1988.

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 ؛ م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدار البيضاء، 1992، ص. 42 ـ 61.

محمد حجي

**العمراوي، العربي** أحد الإخوة الستة من شرفاء الأسرة العمراوية بفاس ممن اشتهروا بممارسة فن المديح والسماع وإنشاد بردة الإمام البوصيري ولواحقها من المقطعات وفق الطريقة الفاسية المتوارثة. وهؤلاء الإخوة هم : السيد الطاهر، والسيد قاسم، وسيدي حميد، وسيدي العربي، ومولاي أحمد، وسيدي محمد (فتحا) الذي تولى رئاسة حلقات السماع بالضريح الإدريسي بعد وفاة الشيخ سيدي علال بلفقيه.

وقد تميز العربي من بين إخوته بجمال صوته وقوة عارضته وقدرته على طرق النغمات الحادة، فضلاً عن حفظه للستينيات وإجادة إنشادها. وكان له ـ إلى ذلك ـ إلمام بالموسيقى الأندلسية، يحفظ ميازينها ويتقن طبوعها.

وقد أهلته معرفته بالفنين معا للعمل في حضرة جوق المرحوم البريهي برئاسة المرحوم الحاج عبد الكريم الرايس، فضلاً عن ملازمته لحلقات المسمعين فقد شارك بانتظام ـ إلى جانب إخوته الطاهر وحميد ـ وفي مهرجانات السماع التي دأبت على تنظيمها جمعية أبي رقراق بسلا منذ عام 1986. وقد تولى المترجم تنسيق الحصص الفنية التي شارك بها مسمعو فاس في الملتقيات الثلاثة الأولى (1986 ـ 1987 ـ 1988) قبل أن تُعهد إلى الفنان الرباطي الأستاذ عبد اللطيف بنمنصور مهمة التنسيق العام لمساهمات الفرق المشاركة في المهرجان.

وفي إطار الأنشطة الفنية التي كانت تقوم بها "جمعية البحث الموسيقى" بفاس لفائدة أعضائها في بحر الثمانينيات

عهدت إليه مهمة تلقين أصول السماع وإنشاد الستينيات في حلقات أسبوعية منتظمة. وقد كان من النتائج الإيجابية لهذه الحلقات انبثاق "جمعية الإمام البوصيري" التي أسسها بعض تلامذته بفاس يوم 20 دجنبر 1994.

*بطاقة شخصية.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **عَمْرو** - بفتح الميم وسكون العين والراء -، وينطق بها عْمَرْ. أسرتان نبيلتان بفاس والرباط. فأما أولاد ابن عمرو الفاسيون فهم على ثلاث فرق، أما الأولى والثانية حسب مؤلف *بيوتات فاس الكبرى* : "بيتهم بيت ثروة وحسب رفيع، يقال إنهم من ولد عكاشة بن محصن الفزاري، ولهم قصبة ودار متصلة بها خارج باب الفتوح من فاس الأندلس يقال لها دار بن عمرو. وقد انقرضوا منذ مدة ومازالت أطلال القصبة معروفة حتى اليوم خارج باب الفتوح، وهي الآن على ملك أولاد الأزرق. وتوجد بالطالعة أيضاً عرصة تعرف بعرصة ابن عمرو. وأما الفرقة الثانية فيوجدون بفاس حتى اليوم، وهم من شرفاء جبل العلم جاؤوا أوائل المائة العاشرة، وأول قادم منهم إلى فاس عمرو بن محمد بن إبراهيم، أهل طلب ومعاش وحرفة. ومنهم نائب قاضي الجماعة بفاس الغالي بن العربي ابن عمرو الحسني (ت. 1363).

وأما أولاد ابن عمرو الرباطيون، فمن أصل أندلسي، وهم من الأنصار من قبيلة الأوس، نبغ فيهم عدد من الفقهاء والأدباء، وتوارثوا العلم والمجد إلى أيامنا هذه.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 126.

ابن **عمرو**، **الغالي** بن العربي الحسني الفاسي، حلاه في *سل النصال* بـ "بالفقيه العلامة المدرس المفتي المطلع المشارك". درس على كبار شيوخ عصره أمثال مَحمد بن قاسم الشادري، وأحمد بن الخياط، والتهامي گنون، اشتغل بالتدريس والإمامية بجامع القرويين مدة طويلة، نيابة عن امامها الشيخ محمد بن الطالب الفاسي وتاب عن قاضي مقصورة.

توفي بفاس يوم الجمعة 26 قعدة عام 1364.

*إتحاف سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 9 : 3201.

محمد حجي

ابن **عمرو**، **محمد** بن **محمد** من مواليد سنة 1935 بتافوغالت إقليم وجدة.

منذ شبابه عرف بالاستقامة ونقاوة الضمير والوطنية الصادقة الشيء الذي دفعه إلى المشاركة في الانتفاضة العارمة التي عرفتها مدينة وجدة يوم 16 غشت 1953 ضد السياسة الاستعمارية. وخلالها أبان الشهيد عن روح نضالية صادقة في الدفاع عن حوزة البلاد، فقام بعدة أعمال فدائية استهدفت مصالح المستعمر، كما قام باغتيال معمر فرنسي. ونظراً لناشطه الفدائي هذا تمت مطاردته من طرف الشرطة الاستعمارية التي أطلقت عليه الرصاص، نقل على إثره إلى المستشفى ليلفظ أنفاسه الأخيرة في نفس اليوم، تغمده الله برحمته الواسعة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514703.

**العمروي**، **محمد** بن **إدريس** (ثلاث مرات) بن محمد بن عبد الله الفاسي الوزير الكاتب الشاعر. يزيد ابن زيدان، بعد أن رفع نسبه إلى الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة، الزموري البويحياوي. لكنه اشتهر بالعمروي، نسبة إلى بني عمرو من قبيلة زمور، كان سلفه من الأدارسة، قد استقروا فيهم حين قيام مغراوة على هؤلاء، مختفين "في أغمار القبائل فنسبوا إليهم".

لم يقف جميع من ترجموه على تاريخ ولادته. ويرجح ع. گنون أنه من مواليد مستهل القرن الثالث عشر (نهاية القرن 18 م)، بناء على زمالة العمروي لأكنسوس في الطلب، ورفقته له زمن الشباب. ومعلوم أن الأديب المؤرخ قدم فاسا عام 1229 / 1814، وهو إذاك في الثامنة عشرة. وبذلك فهو - بحسب گنون - إما تربه أو قريب من ذلك ؛ بناء على قول أكنسوس : "فتمكن من يومئذ بيننا وبينه حب روحاني.. فقضينا زمن الشبيبة في تحصيل ما كتب من علوم الرسوم، في اشتراك المشايخ والمجالس، واقتناء الفضائل والنفائس...

لكن محمد الأخضر يجزم بأنه ولد سنة 1209 / 1794، ومرجعه في ذلك ترجيح الناصر الفاسي الذي اعتمد على قرينة زواج ابن إدريس حوالي عام 1230 / 1815، وهي قرينة لا نشاطره الاستناد إليها لضبط تاريخ ميلاده (البحث العلمي...، 1 : 159).

وأيا ما كان، فإن العمروي ولد بدار تقع بدرب اللمطي بعدوة الأندلس من فاس القديم، من أسرة عرفت بالخير والصلاح. فقد كان والده يعلم الصبيان القرآن الكريم، في المكتب، حتى انتفع به عدد من الناس، وتخرج على يده كثير من الطلبة. وكان كثيرا ما ينوب عن الإمام الراتب في الصلاة، بجامع الأندلس...

في حجر هذا الوالد المعلم الإمام، نشأ المترجم نشأة مرضية على العلم والبر والتقوى. وما أن صلب عوده حتى تصدر، بدوره، إلى التعليم في مكتب والده، صادرا في جميع أموره عن إشارته. قال أبو عبد الله أكنسوس، منوها بسلوك صاحبه : "ولا يسقط في يده درهم فأعلى [كذا] إلا ألقاه في يد أبيه".

ولم يكن المكتب ليلهيه عن حضور دروس العلم بجامع القرويين، إذ كان ينيب عنه عمه، أحمد بن محمد العمروي، في تعليم الصبيان. ويذكر الأستاذ كنون أن العمروي "رزق على ذلك القوة الباهرة"، حتى إنه كان ـ إلى جانب ذلك ـ ينسخ الكتب "للبيع ويستعين بها على المعاش".

أخذ العمروي العلم عن مشاهير شيوخ عصره. وكان عمدته ثلاثة هم، محمد بن طاهر الحبابي، رئيس الموقتين بمنار القرويين. أخذ عنه الحساب والتعديل. وأخذ عن الشيخ حمدون ابن الحاج النحو واللغة والعروض والأدب. ومن شيوخه أيضا، الفقيه الأزمي والطيب الكتاني وعبد القادر العلمي. علاوة على ذلك، كان مترجمنا كثير التردد على كل من اشتهر بالصلاح. من ذلك أنه كان يأوي إلى مولاي عمرو العمراني، المتوفى عام 1230، ليطلب منه الدعاء الصالح، وهو الذي لقبه بالسلطان الصغير. ويضيف ابن زيدان أن العمروي كان "يحب السماع ويستنعش به ويرتاح له".

ومما ذكر أن المؤرخ أبا القاسم الزياني كان له أثر بيِّن في تكوينه وتوجيهه إلى السياسة. فقد لزمه، وكان ينسخ له مؤلفاته التاريخية. نقل صاحب الإعلام ما قاله الزياني في آخر كتابه البستان : "كان [أي ابن إدريس] في ابتداء أمره يستخرج لنا ما كنا نقيده في تأليف الترجمان والبستان والألفية والجمهرة والفهرسة والحادي والبغية والسهام الراشقة وشرح الكورة والرحلة وغيرهم".

وبفضل تلك الملازمة قدمه الزياني إلى السلطان عبد الرحمن بن هشام، أيام كان خليفة على فاس، فقربه واستكتبه. وكان ذلك سنة 1237 / 1821. لكن حدث ما أوقع الجفوة بين الزياني وابن إدريس. ذلك أن حمدون ابن الحاج استمال الشاعر الشاب الذي هجر الزياني، حتى كان يمر ببابه ولا يسلم عليه. وهذا ما جعل المؤرخ لا يتردد في المن على ملازمه السابق، ويعدد عليه ما كان ينعم به عليه، ثم يستبدله بناسخ آخر. وقد امتدت القطيعة بينهما حتى وفاة الشيخ ابن الحاج، حيث عمد ابن إدريس إلى استرضاء الزياني وطلب مصالحته. فكان أبو بكر المنجرة هو الذي توسط بينهما، ولا سيما حين نظم ابن إدريس قصيدة يتودد فيها إلى ولي نعمته ويمدحه.

ولم يزل من الخليفة مولاي عبد الرحمن بالمكان الأمكن، حتى توفي المولى سليمان، وبويع له بالملك، فولاه العاهل الجديد رئاسة الكتبة. ولما رأى حسن عقله وديانته استوزره، فـ"ارتفع من دكة المكتب وتعليم الصبيان، إلى أريكة الوزارة وتدبير الدولة" على حد تعبير الأستاذ كنون.

ولعل سبب نجاحه راجع إلى ما اتصف به من استقامة، حيث "كان لا يرى في غالب أوقاته غير كاتب أو مطالع أو مصل، وكان محافظا على الطهارة كلما أحدث توضأ". هذا علاوة على قدرة عديمة النظير على تحمل مشاق العمل. يقول ابن زيدان، في هذا السياق : "وكان ذا ملكة واقتدار على الأشغال، يسد مسد أربعة إذا اجتهدوا". كما كان مخلصا في عمله، محبا له. وهذا ما يفهم مما قاله صاحب الإتحاف : "وكان ينبسط إلى الكتاب ويمازحهم قصدا لإدخال السرور عليهم".

لكن مترجمنا تعرض للمحنة، حيث غضب عليه ولي نعمته، بسبب اتهامه بالإفساد بينه وبين جيش الودايا، الذين اشترطوا عزله عند مراجعتهم لطاعة السلطان. فعزل عن الرئاسة والكتابة في شوال من سنة 1246 / 1830، وأمر بلزوم داره. ثم سجن ونهب متاعه، وظل يرسف في قيود الحديد إلى أن أطلق سراحه، فاستحرم بضريح ابن مشيش محاولا الابتعاد عن الجميع. إلا أن السلطان أمر بإشخاصه، هو وزمرة من أصحابه، بسبب وشاية بعض الحسدة الذين أوغروا صدره عليه، حيث "قرروا له أن مقصوده بهذه الوجهة هو الهرب بمال كان دسه". فرد من جديد إلى المحنة التي كانت أشد من الأولى. فبقي بفاس مدة حتى أشار عليه البعض بالتوجه إلى مكناس، والسلطان إذ ذاك بها، ليحترم بالضريح الإسماعيلي. ولما طرق خبره أذن المولى عبد الرحمن، أمنه وأمره بالحضور بين يديه، ليستكتبه من جديد، إلى جانب الوزير المختار الجامعي، قبل أن يرده إلى منصبه. بل رقاه، حيث أعطاه الطابع وعزز له الوزارة بالحجابة. كان ذلك سنة 1251 / 1835. ويذهب الناصري إلى أن السلطان اضطر إلى ذلك، لأنه لم يجد من يسد مسده أو يغنيه عن خدمته. ومازال يسدي الخدمة للدولة حتى وافاه الأجل المحتوم، ضحى يوم الإثنين رابع محرم عام 1264 / 1847.

وبالرغم عن أن الفترة التي عاش فيها ابن إدريس قد تميزت بالضعف والانحطاط في المعارف عامة واللغة خاصة، فإنه ترك من بعده ثروة أدبية متنوعة، من قصائد ومقطعات وأبيات شعرية، في شتى الأغراض. هذا فضلا عن عدد وافر من الرسائل السلطانية والإخوانية، يقول عنها الأستاذ كنون : "لو قدر لها أن تجمع لخرجت في مجلدات".

فأما في الشعر، فكان ابن إدريس من المكثرين. وفضلا عن تنوع أغراضه، "بين مديح ورثاء ونسيب وغزل ووعظ وتصوف، فإن ملكته فيه قوية ونفسه طويل، قد تتخلف عنه الإجادة في بعض الأحيان، شأن المكثرين".

على أن القصيدة التي نظمها على إثر احتلال فرنسا لبلاد الجزائر، تعد من غرر قصائده، في نظري. وفضلا عن نفسها القوي وبنائها المتين، من حيث اللغة والبيان، فإنها وثيقة حية تعبر عن موقف المغاربة، حكومة وشعبا، من ذلك الاحتلال، إذ تخلد صفحة مشرقة من التضامن المغربي مع الأشقاء الذين نزل بهم ذلك الرزء العظيم.

بل إن السلطان قد أمر أن تتلى عقب الصلوات، في المساجد وكراسي الوعظ، في أدنى البلاد وأقصاها (ن. الفاسي، م ابن إدريس، البحث العلمي، عدد 1، ص. 165). ومما قال فيها :

يا ساكني الغرب الجهاد الجهاد فالكفر قد شارككم في البلاد
والشرك قد نصب أشتـــــراكه مستعبدا بكيده للعبـــــــاد
ويا حماة الدين ما صبـــركـم والمشركون يطلبون السداد...

وقال في ذات السياق، على روي صعب :

يــا أهـل مغـربنا حق النفـير لكـم
إلى الجهاد فما في الحق من غلـــط
فالشرك من جنبات الشرق جاوركـــم
من بعد ما سام أهل الدين بالشطط..
من جاور الشـر لا يعـــدم بوائقـــه
كيف الحياة مع الحيـاة في سقـــط

أ. الزياني، *البستان* ؛ أ. ابن خالد الناصري، *الاستقصا* ؛ غريط، *فواصل الجمان* ؛ الفاسي، *سلوة الأنفاس* ؛ ابن زيدان، *الإتحاف* ؛ ابن سودة، *دليل* ؛ الكانوني، *أسفي* ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ ل. بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء* ؛ گنون، *ذكريات مشاهير* ؛ *النبوغ المغربي* ؛ الزركلي، *الأعلام* ؛ البحث العلمي، *ديوان محمد بن إدريس*، تح. شهيد التهامي، 1985 ؛ ع. الرزاق أمجنح، *ديوان أبي عبد الله محمد بن إدريس*، دراسة وتحقيق. د. د. ع. في شعبة ل. ع. أ. كلية الآداب، جامعة القاضي عياض، مراكش، 1997.

أحمد عمالك

**العمري علوي، محمد** بن لحسن، من مواليد سنة 1918 بإقليم الرشيدية.

كان من المقاومين البارزين بإقليم الرشيدية حيث انخرط في إحدى المنظمات السرية سنة 1954 وذلك على إثر الأحداث التي كان يعيشها المغرب بعد نفي محمد الخامس.

ونتيجة أعماله الفدائية تم اعتقاله من طرف السلطات الاستعمارية حيث زج به في غياهب السجون، وقد تحمل كل أنواع التعذيب الجسدي والنفسي في سبيل استقلال وطنه. وقد نقل الفقيد من سجن قصر السوق إلى سجن لعلو بالرباط حيث مكث به إلى أن أنعم الله على المغرب بالاستقلال.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 522136.

**العمري، عمران** بن عبد الله، يكنى أبا هارون، من أهل بصرة المغرب، ذكره عياض في الطبقة الأولى من فقهائها. ينتسب إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قام برحلة إلى الشرق وفي زيارته للمدينة المنورة "قصد دار جده عمر بن الخطاب واجتمع بأهله وانتسب لهم فقبلوه وصححوا نسبه، وأخرجوا إليه درع عمر وسيفه، فلبس الدرع وتقلد السيف".

يعتبر من بين أقدم الفقهاء المغاربة الذين احتفظت المصادر بأسمائهم. وقد انفرد القاضي عياض بالترجمة له في *ترتيب المدارك*، ونقل بعض أخباره من تقييد بخط الخليفة الأموي الحكم المستنصر.

لا يعلم شيء عن أوليته، ولا يبعد أن يكون درس بمدينته أو بمدينة فاس. تبتدئ أخباره بسفره إلى الحج قبل سنة 309 / 921، وهو يومذاك فقيه متضلع. صحبه في رحلته جماعة من فقهاء بلده منهم أحمد ابن حذافة وبشار بن بركانة، وكان العمري متقدما عليهم، فسمعوا جميعا من كبار مالكية العصر، حيث أخذوا بالإسكندرية عن أحمد بن ميسر (ت. 309 / 921)، وابن أبي مطر، وبالقيروان عند عودتهم من أبي بكر ابن اللباد (ت. 333 / 944).

وقام الفقيه أبو هارون العمري وصاحباه أيضاً برحلة إلى الأندلس سمعوا فيها من أحد كبار حفاظ المذهب المالكي بالأندلس هو فضل بن سلمة الجهني (ت. 319 / 931) ببجانة، وسمع فضل بدوره كتاب *ابن المواز من أبي هارون العمري* الذي رواه بالإجازة عن ابن ميسر عن مؤلفه، وبذلك يعتبر أبو هارون أول من أدخل هذا الكتاب إلى المغرب والأندلس.

نسبت لأبي هارون مسائل مستحسنة في الفقه من سؤالاته وسؤالات لصاحب له يعرف بعبد الله ابن يعيش وجهاها لأحمد بن ميسر بالأسكندرية، وقف عليها القاضي عياض وضاعت بعده.

توفي أبو هارون بالبصرة في حدود سنة 331 / 943.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، ج 5، ص. 148 - 149.

محمد المغراوي

**العمل عند الفقهاء** هو العدول عن القول المشهور أو الراجح في بعض المسائل إلى القول الضعيف فيها رعياً لمصلحة الأمة وما تقتضيه حالتها الاجتماعية. ومستندهم في ذلك قول عمر بن عبد العزيز : "تحدث للناس أقضية بقدرما أحدثوا من الفجور" فاتحاً بذلك باب التطور في الأحكام وصبغها بصبغة المجتمع.

ابتدأ العمل في الأندلس منذ القرن الرابع (10 م) حيث ورد في كتاب الفقيه أحمد بن سعيد الهمداني القرطبي (ت. 399 / 1009) أن العمل جرى في الأندلس بإعطاء الخصم نسخة من حجج خصمه ولو كانت غير مشكلة خلافاً للمشهور في مذهب مالك. وفي أوائل القرن السادس (12 م) بلغت مسائل العمل في الأندلس حسب كتاب *المفيد في الأحكام* لأحمد بن هشام الغرناطي (ت. 530 / 1136) اثنتين وعشرين مسألة خالفوا في أربع منها مذهب مالك، وفي ثماني عشرة مسألة مذهب ابن القاسم كالحكم بالشاهد واليمين وغرس الأشجار في المساجد.

دخل العمل الأندلسي إلى المغرب بسبب الامتزاج السياسي والثقافي على عهد المرابطين والموحدين، وأخذ يتبلور العمل المغربي في القرن التاسع (15 م) بظهور فقهاء مجتهدين بفاس، فبلغت مسائل العمل حسب *لامية الزقاق*

18 مسألة، ثم توالت اجتهادات الفقهاء المغاربة انطلاقاً من عهد السعديين وتكاثرت في كتب النوازل حتى جمع عبد الرحمن الفاسي في نهاية هذا العصر عدداً وافراً من تلك الاجتهادات في كتابه المشهور *العمل الفاسي*، وهي أرجوزة من 453 بيتاً شرحها الناظم وغيره.

ومن بين المسائل التي جرى فيها العمل بالمغرب على خلاف المشهور : شهادة اللفيف، أي عدد كثير من الناس لا تتوفر فيهم شروط العدالة المقررة. وقد أخذ القضاة يتساهلون في قبول شهادة اللفيف حين تتعذر شهادة العدول كما هو الشأن بالبادية وبعض الحالات الخاصة في الحاضرة. وقد حضر محمد العربي الفاسي في أوائل القرن الحادي عشر (17 م) مناظرة حول شهادة اللفيف بمجلس قاضي الجماعة بفاس علي ابن عمران، وكان حاضراً بالمجلس الفقهاء المؤلفون المشهورون أحمد المقري، وإبراهيم الكَلالي وعبد الواحد ابن عاشر، وانفصلوا على قول لقاضي ابن عمران : إن اللفيف .. لامستنده، وانما هو شيء اصطلح عليه المتأخرون لتعذر وجود العدول. وألف بعد ذلك العربي الفاسي *رسالة في شهادة اللفيف* جعلها في ثلاثة أقسام، ودافع عن قبول شهادة العامة باعتبارها ضرورة اجتماعية لا مندوحة عنها في البادية وحتى الحاضرة أحياناً.

وكذلك بيع الصفقة الذي يدخل في إطار ما تحدثت عنه *المدونة* وغيرها من رفع ضرر الشركة بإجبار من لم يقبل القسمة من الشركاء عليها إذا طلبها الشريك متى اتحد مدخل الشركاء في الملك بإرث أو غيره، وكانت القسمة تفسد المشترك. لكنّ فقهاء المغرب توسعوا كثيراً في مسألة الشركاء المتحدي المدخل فقالوا (بإجمال البيع وضم الصفقة) أي إعطاء الشَريك حق بيع الملك المشترك كله دفعاً لضرر الشركة، ولشريكه حق ضم حظ البائع بالشفعة.

ألف في الصفقة أحمد الونشريسي صاحب *المعيار* كتاباً بعنوان *حلّ الربقة عن أسير الصفقة*، إلا أنه مات قبل إتمامه، وأكدت *لامية الزقاق* أن الصفقة من المسائل التي جرى بها العمل في فاس تبعاً للأندلس، ثم جاء محمد ميارة مفتي فاس في النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م) فجمع كل ما يتعلق بالموضوع وفصله في كتابه *تحفة الأصحاب والرفقة ببعض مسائل بيع الصفقة*، ذكر فيه استناداً إلى اجتهادات الفقهاء المتأخرين أن بيع الصفقة لا يختص بالعقار، بل هو جار في كل ما لا يقبل القسم من عقار وعروض وحيوان، وحتى في بيع المنافع، وتتبَّعَ ضوابط الصفقة التي جرى بها العمل، وتفرعت عنها فروع كثيرة وضوابط مثل قولهم : "يجبر الداخل للأصيل ولا يجبر الأصيل للداخل" ونبه إلى التطور الذي حصل في مسألة بيع الصفقة حيث كان أولاً بيد القاضي، ثم أصبح بيد الشريك يوقعه متى شاء دونما حاجة إلى أخذ رأي القاضي، وأورد نموذجاً لعقد بيع الصفقة كما كان يكتبه العدول في ذلك العهد. واتسعت اجتهادات الفقهاء المغاربة فيما جرى به العمل خلال القرون الأخيرة في الحواضر والبوادي والجبال، وأبرز ما نشر في الموضوع العمل المطلق وشروحه.

أبو بكر زنيبر، (المفتي السلوي)، *العمل عند الفقهاء*، سلسلة مقالات في ملحق جريدة المغرب، ابتداء من ع 1، أبريل، 1938 ؛ أ. الونشريسي، *حل الربقة عن أسير الصفقة*، مخطوط ؛ علي الزقاق، *لامية الزقاق*، ط. حجر فاس ؛ ع. الرحمن الفاسي، *العمل الفاسي*، وشرحه، ط. حجر فاس ؛ م. العربي الفاسي، *رسالة في شهادة اللفيف*، مخطوط ؛ م ميارة، *تحفة الأصحاب والرفقة ببعض مسائل بيع الصفقة*، مخطوط ؛ م. السجلماسي الرباطي، *العمل المطلق* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، ج 1 : 304 ـ 307.

محمد حجي

**عمّار** (آيت ـ)، منطقة تقع شمال غرب وادي زم، على بعد حوالي 30 كلم. وتمتد على مساحة حوالي 1166 كلم2، محتلة بذلك مجالا يفصل بين قبائل بني خيران والسماعلة وورديغة. ولهذا الموقع تعبرها الطريق الرئيسة رقم 22، الرابطة بين الرباط وبني ملال عبر وادي زم والفقيه بن صالح. ومنها تتفرع طريق ثلاثية رقم 1528 تصل آيت عمار المركز على مسافة حوالي 6 كلم.

يقطنها فرع من الشرفاء الأدارسة، ينقسمون إلى فخذتين : أولاد مْحمد بن عيسى ويحتلون الشمال الشرقي، وأولاد إبراهيم يقطنون الجنوب الغربي. وتتكون كل فخذة من عدة دواوير :

| أولاد مْحمد بن عيسى | أولاد إبراهيم |
|---|---|
| آيت الشرقي | آيت العثمانية |
| آيت الساهل | آيت الصالح بن علي |
| آيت امحمد | آيت الغزوانية |
| آيت علي وعمر | أولاد رابحة |
| القواسم | أولاد بوي حمو |
| الورارقة | |
| الفضالة | |

ويشير Raymond Peyronnet "Zaïan" إلى أن هؤلاء الشرفاء أقاموا "في جنوب شرق بني خيران، وتفرعوا إلى ثلاثة دواوير، وتشيعوا لجيرانهم أولاد بوغادي وبني منصور حتى بدون الاستناد إلى أصل مشترك".

وظل هؤلاء السكان يرتكزون على نشاط اقتصادي تقليدي اعتمد أساسا زراعة بعلية، إنتاجها متذبذب بسبب فقر التربة وضعف الوسائل وعدم انتظام سقوط الأمطار....، وعلى تربية الماشية، وخاصة الغنم، في إطار الرعي ـ الجماعي. وأهم تحول عرفته المنطقة كان في فترة الحماية، فقد سيطر المعمرون على أخصب الأراضي في "بلاد الرباط" وشرع في تقسيم المنطقة بين الدواوير منذ سنة 1924، وبدأ إنتاج منجم الحديد سنة 1937، وكان أهم منجم للحديد في منطقة الحماية الفرنسية، فقد تعدت نسبة مساهمته 80٪ سواء تعلق الأمر بالإنتاج أو بنسبة التشغيل في مناجم الحديد عامة، حيث استقطب يدا عاملة تجاوزت 1650 عاملا سنة 1952.

ونظرا لأهميته أصبحت المنطقة مرتبطة بخط للسكة الحديدية بمحطة "الكفاف" على الخط الرابط بين الدار البيضاء ووادي زم.

ومنذ الشروع في استغلال هذا المنجم، أصبحت منطقة "الحايط لحمر" نسبة إلى تل كبير ذي مرفولوجية حمراء بارزة مقارنة مع باقي التلال وتعرف بـ"آيت عمار". ولتفسير هذا التغيير الحاصل في الاسم، نورد الفرضيات التالية :

- والكثير من سكان المنطقة يفسر هذا الاسم الجديد بالاعتماد على الانتماء إلى الشرفاء الأدارسة العمرانيين، أو بأن المنطقة أصحبت عامرة بعد الشروع في استغلال المنجم.

- ويرجع البعض الآخر أصل السكان إلى قبيلة "آيت باعمران"، وقد حملوا نفس الاسم بعد تحريف.

- وهناك من يرى - وهذا الرأي راجح - أن هذا التغيير جاء على يد الأجانب أنفسهم، فعوض قول : - "El-Heït Lahmar" وقع تحريف صوتي نظرا لصعوبة نطق بحرف "الحاء" من طرف الأجانب، فأصبحت تعرف "L'Aït L'Amar" ثم "Aït Amar" فيما بعد.

واشتهرت المنطقة كذلك بمشاركتها الفعالة إلى جانب جارتها وادي زم في ثورة غشت 1955. وأصبحت جماعة قروية منذ سنة 1959، تابعة لقيادة "بني خيران" دائرة وادي زم. إلا أن إغلاق المنجم سنة 1968 وإزالة السكة الحديدية شكل نكسة اقتصادية للمنطقة، فأصبحت عامل طرد للسكان، وتراجعت فيها عدة أنشطة. وفي سنة 1990، كان مجالها الفلاحي يمتد على مساحة 6.470 ha، ووصل عدد رؤوس المواشي بها إلى 29.000 رأس.

*B.E.S.M.* ; M. et E. Gouvion, *Kitab Aayne Al Maghreb l'Aaksa* ; *Guide des communes 1991* ; Cap. R. Peyronnet, *Tadla, pays Zaïan, Moyen Atlas* ; *Répertoire alphabatique des confédératrions de tribus... de la zone française de l'empire chérifien* au 1er Nov. 1939 ; J.T. Robert, *Dictionnaire des villes et localités du Maroc*.

صالح شكاك

**عَمُّورْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Amor ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

وكانت بتطوان أسرة أخرى تحمل نفس الاسم وأصلها من فاس وقد اتخذت تطوان قاعدة لتجارتها مع جبل طارق عبر ميناء مرتين، وأشهر فرد منها هو :

**عَمُّورْ، حمو** الذي حصل على إذن الاتجار مع جبل طارق عبر ميناء مرتين أصدره السلطان مولاي سليمان يوم 28 شوال 1221 (8 يناير 1807).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1188.

محمد ابن عزوز حكيم

**العمُّوري، محمد** بن **علال** ينحدر من قبيلة الشراردة التي تنتشر بضواحي فاس، لا نعرف شيئاً عن تاريخ ميلاده، ومن الراجح أن يكون شاهد النور في أواخر العقد السابع أو بداية العقد الثامن من القرن (19 م)، انخرط في الجيش المخزني وهو لا يزال غضا طريا، فأثار انتباه كبار القواد بشجاعته وإقدامه، فرقي سنة 1905 إلى رتبة قائد المائة. شارك إلى جانب الباشا محمد بن بوشتى البغدادي في عدد من الحركات العسكرية التي كان بن البغدادي يقودها لردع القبائل المشاغبة في المناطق الشمالية والأطلس المتوسط، وقد كان محمد بن علال العموري نموذجا للعسكري المنضبط، ويتفانى في خدمة المخزن، فانصقلت مواهبه القيادية والعسكرية الأمر الذي جعل المخزن ينتدبه في بعثة إلى مدينة صفرو سنة 1908 للحفاظ على الأمن.

سمحت هذه البعثة إلى صفرو لمحمد بن علال العموري، بالتمرس بمشاكل القبائل المحيطة بصفرو، فوقع الاختيار عليه من باشا فاس الجديد بريك الشرادي، سنة 1911 ليكون خليفته على صفرو بوابة الأطلس المتوسط، وقد سمحت له هذه المهمة بتعميق معرفته بمشاكل مدينة صفرو، وربط اتصالات واسعه بأعيان القبائل المجاورة، خاصة قبيلة آيت يوسي القوية.

وعلى أثر أحداث فاس في شهر أفريل سنة 1912، كان محمد بن علال العموري من القواد المخزنيين القلائل، الذين ظلوا إلى جانب القوات الفرنسية، بل إنه تمكن من انقاذ حياة خمسة من الضباط الفرنسيين وقد اعترفت له سلطة الحماية بهذه المزية، ففصلت مدينة صفرو عن باشوية فاس الجديد، وعينت محمد بن علال العموري باشا لمدينة صفرو في شهر يوليوز سنة 1912. وبعد استحداث بلدية صفرو سنة 1913، امتد مجال نفوذ الباشوية يحد شمالاً بعيون السمار (طريق فاس) وشرقاً بنهر سبو (طريق المنزل) وجنوبا بمزدو (طريق بولمان) وغرباً إلى جبل كندر، وأصبح نفوذ الباشا العموري يشمل زاوية كندر، وصنهاجة، وزاوية سيدي لحسن اليوسي، ومزدغة الجرف وعزابة، وشادكة ثم أولاد جراد.

ورغم أن سلطة الحماية قد أصدرت قوانين جديدة تحدد اختصاصات القواد والباشوات المخزنيين، وطرق تدبير شؤون السكان في مجالات نفوذهم، فإن العموري محمد بن علال، ظل يتصرف تصرفاً مطلقاً في باشوية صفرو، ولم يحاول إطلاقاً محاولة تطبيق القوانين الجديدة، إما عن عمد وإما عن جهل لأنه أمي لا يحسن القراءة والكتابة، وكان شغله الشاغل على غرار القواد المخزنيين التقليديين هو تاثيل الأملاك وجمع الأموال. وقد ظلت فرنسا تتغاضى عن سلوكه، مادام يحافظ على الأمن في مجال نفوذه.

وابتداء من سنة 1927، قررت سلطة الحماية أن تتدخل بشكل قوي في تدبير شؤون سكان صفرو، فعينت في بحر هذه السنة الضابط المتقاعد "جيطن" (Getten) رئيساً للمصالح البلدية وقد استغرب هذا الضابط للطريقة التي ظل

يتصرف بها الباشا العموري في شؤون سكان صفرو رغم وجود القوانين، فعول على تغيير هذا الواقع، إلا أن تجاهل سلطة الحماية لكل التقارير التي كان يعدها، جعله يكتفي بدور المتفرج العاجز. وفي سنة 1929، استبدل "جيطي" بالمسيو رولان مارشال (Rouland Marshal) فعزم على تقليص نفوذ الباشا العموري مهما كلفه ذلك من ثمن انطلاقا من تطبيق قوانين سلطة الحماية.

ومع رولان مارشال بدأت المشاكل تتفجر في وجه العموري وفي صيف سنة 1929 توصلت سلطة الحماية بملف كامل من رئيس المصالح البلدية عن تجاوزات العموري، وبعد ما أكد المفتش العام للمصالح البلدية كل ماورد في تقرير مارشال، قررت سلطة الحماية عزل الباشا العموري ابتداء من أبريل سنة 1930 فظل الباشا العموري يزجي الأيام بين فاس وصفرو إلى وافته المنية سنة 1938 حيث دفن بصفرو.

ح. العلوي الشافعي ؛ محمد يخلف، *تطور أدوات السياسة المحلية بصفرو*، (أواخر 19 ـ 1956)، د. د. ع. الرباط، 1986.

Bouchata & Zrouh El Baghdadi, *La vie de Mohammed El Baghdadi*.

أحمد البوزيدي

ابن **عَميرة، أحمد** بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عَميرة المخزومي الشقري.

وُلد بجزيرة شقر التي كان يقال لها على سبيل الاختصار : الجزيرة، وهذا الاسم هو الذي تعرف به اليوم ALCINA وهي المدينة التي أنجبت ابن خفاجة أشهر شعراء الطبيعة.

وقد كان مولد ابن عميرة في شهر رمضان عام 582 / 1186 والظاهر أنه بدأ تعلمه في بلده شقر حيث حفظ القرآن الكريم ولَقن مبادئ العربية، ثم انتقل إلى مدينة بلنسية كبرى مدن شرق الأندلس حيث تتلمذ على أبي الربيع الكلاعي وأبي الحسن أحمد بن واجب القيسي وأبي عبد الله محمد بن نوح الغافقي وأبي الخطاب أحمد بن واجب وقصد مدينة دانية حيث درس على أبي محمد عبد الله ابن حوط الله، قال : "وقرأت عليه وسمعت جملة من الكتب والمصنفات" وذهب إلى مدينة شاطبة للأخذ عن شيخها الفقيه الجليل أبي عمر أحمد بن عات الشاطبي وقد عرض عليه موطأ مالك وقرأ عليه وسمع منه كتب الحديث المشهورة، ثم انتقل من شرق الأندلس إلى غربها وحل بإشبيلية عاصمة الأندلس يومئذ فحضر مجالس أبي علي عمر بن محمد الأزدي الشلوبيني كبير نحاة الأندلس فحضر مجالسه وحصل على إجازته، ومن شيوخ ابن عميرة أيضا أبو بكر عزيز بن خطاب المرسي الذي تأمّر بمرسية لما انتهى وجود الموحدين فيها، يقول ابن عميرة :

"وكتب صحبته أيام نسكه مدة طويلة مستندا لرأيه ورعيه مقتبسا من علمه وهديه، وقرأت عليه كتاب المستصفى وتلقيحات السهروردي، وهو الذي أوضح منهجها، وفتح مرتجها وكذلك قرأت عليه بعض كتب الطب وبطول مجالستي له من الليل والنهار لم أكن أخلو ساعة من مذاكرته في مسائل النحو وغيرها".

لقد اكتسب ابن عميرة من هؤلاء الشيوخ وغيرهم ثقافة واسعة جمعت بين النقليات والعقليات وبرز في الأدب شعراً ونثراً وهو أشهر مترسل في عصره، وقد ظلت رسائله الديوانية والإخوانية مثالاً يحتذى، ولشهرته العلمية وسمعته الأدبية وعلو كعبه في الكتابة والإنشاء عيِّن في عدد من دواوين الأمراء والملوك في الأندلس والمغرب، وولي القضاء في مدن الأندلس والمغرب وتونس، منها شاطبة والرباط وسلا ومكناس وقابس، وعاش حياة حافلة بالعمل والتنقل بين بلدان الأندلس والمغرب وذلك في فترة اضطراب وفتن ومحن حلّت بالمسلمين في الأندلس، إذ أخرجوا من ديارهم وبلدانهم في شرق الأندلس وغربها كبلنسية وقرطبة وإشبيلية وغيرها ولجأ أهلها إلى بلدان المغرب، ونجد صدى هذا في شعر ابن عميرة ونثره لأنه كان ممن أصابتهم تلك الفتن والمحن فظل يضطرب في الأرجاء إلى أن توفي بمدينة تونس ليلة الجمعة لعشرين من ذي الحجة سنة 658 بعد أن بلغ الخامسة والسبعين من العمر.

وقد ترك آثاراً أدبية وتاريخية ضاع بعضها ووصل إلينا بعضها ومن أشهرها رسائله التي جمعها بعد وفاته بعض المعجمين بترسّله.

أبو المُطَرِّف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره تأليف محمد بن شريفة، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1966.

ابن **عَميرة،** أبو **القاسم**. هو ولد الكاتب الشاعر الفقيه القاضي أبي المطرف أحمد بن عبد الله المعروف بابن عميرة المخزومي الشُّقْري. نشأ أبو القاسم بالمغرب في حضن والده عندما كان والده كاتباً في البلاط الموحدي ثم قاضياً بالعدوتين : الرباط وسلا ثم قاضياً بمكناسة الزيتون وذلك من سنة 637 إلى سنة 646 وفي هذه السنة انتقل والد أبي القاسم من خدمة الموحدين إلى خدمه الحفصيين في إفريقية ومعه أهله وأولاده ومنهم ولده أبو القاسم.

كانت السنوات التي عاشها أبو القاسم في المغرب هي سنوات الصبا وفترة التعلُّم. وقد ذكر والده في رسالة له أن أبا القاسم كرّر خلال هذه السنوات القرآن وتمرّن على اللغة العربية حتى تمكن فيها، ثم إنه أكمل تعليمه وتكوينه في بجاية وتونس على والده وغيره، وحذا حذو أبيه في الكتابة والشعر فأصبح كاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً مع مشاركة في العلوم، وقد نفعته سمعة والده ونهض به زميله في عهد الطلب أبو القاسم ابن الشيخ حاجب الحفصيين، فعاش مكرماً لدى الحفصيين.

ولد بجزيرة شقر في الأندلس سنة 629 وقد هنّأ الكاتب والمؤلف المشهور ابن الأبار شيخه ابن عميرة بميلاد ابنه هذا فقال :

مرحبا مرحبا بأسنى وليد     زيد من آل خالد بن الوليد

وتوفي في الخامس لربيع الآخر من سنة 709.

ابن المرابط، *زواهر الفكر وجواهر الفقر*، مخطوط، الاسكوريال، رقم 520 ؛ ابن الطواح، *سبك المقال لفك العقال*، نشر دار الغرب الإسلامي ؛ إ. ع. الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، السفر الأول ؛ عنوان الدراية للغبريني ؛ تاريخ الدولتين للزركشي ؛ ابن القاضي، *درة الحجال* ؛ أبو المطرف أحمد بن عَميرة المخزومي، حياته وآثاره، تأليف محمد بن شريفة.

محمد بنشريفة

**العميري، علي** بن سعيد أستاذ علامة مشارك، من أبرز علماء الدولة العلوية في عهد المولى إسماعيل ومن المقربين عنده. كان يجلس للتدريس بالمسجد الأعظم بمدينة مكناس، وكرسيه به مشهور. تحليه الوثائق الحبسية بالفقيه الأجل والعالم العلامة الأفضل، كما يصفه معاصره العلامة أبو الحسن على بن محمد العكاري. بقوله : "ذو اللسان الصحيح الفقيه الأديب الحاذق اللبيب... سمعته يقرئ *الشفا* للقاضي عياض بعد صلاة المغرب وبعد الصبح، وهو ذو لسان وذو عبارة مرونقة بالبيان، مولع بالأدب والتاريخ والسير ذو تشبت على ما يطالعه ... وهو من جملة من لقيت من أعلام مكناسة الزيتون لما قدمت إليها في أوائل جمادى الثانية سبعة وأربعين ومائة وألف".

وكان من أعيان الأعلام الذين شهدوا على مولاي إسماعيل في عقد المواخاة بين نجليه مولاي أحمد الذهبي ومولاي زيدان. كما ولاه السلطان المذكور نظارة الأوقاف الحبسية في سائر بلاد المغرب، وهو المنصب الذي استحدثه في عهده ولم يكن يتولاه إلا العلماء ممن يثق فيهم المخزن أمثال محمد الكاتب الأندلسي ومسعود المنقوشي والطيب بن الفقيه غازي وغيرهم ... فقد كان من مهامه : محاسبة النظار والتصرف التام في سائر أحباس البلاد.

كما تولى علي بن سعيد الوزارة في عهد المستضيء بن المولى إسماعيل فسار على حد قول ابن زيدان "سيرة حسنة حمده عليها الأصدقاء والأعادي".

أخذ العلم عن والده الفقيه العلامة، وعن أبي علي الحسن بن رحال المعداني الإمام الكبير وغيرهما. وأخذ عنه عدد من علماء مدينة مكناس وغيرها.

توفي في 9 رمضان عام 1150.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 475-476 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 232 ؛ سعيد بن أبي القاسم العميري، *التنبيه والإعلام بفضل العلم والاعلام*، مخطوط، خ. ع. ورقة (44-49) ؛ العكاري على بن محمد، *البدور الضاوية*، مخطوط، خ. ع. د. 88، ص. 7.

رقية بلمقدم

**العميري، أبو القاسم** بن سعيد العميري الجابري التادلي أصلا، والفاسي ولادة والمكناسي النشأة والوفاة. وهو من بيت علم، أنجب الفقهاء والقضاة خلال القرن الثاني عشر الهجري، فأبوه سعيد بن أبي القاسم اشتغل بالتدريس والقضاء بالحضرة الإسماعيلية. وأبناؤه أبو القاسم وأحمد وعلي من نخبة الفقهاء الذين تولوا الخطط الشرعية. ويعتبر المترجم واسطة عقدهم. وهو من مواليد مدينة فاس عام 1103 هجرية وتلقى بها دراسته على عدة شيوخ، وعلى رأسهم والده وعدد من العلماء منهم محمد بن عبد الرحمان البهلول البوعصامي وأحمد الشدادي وأحمد الولالي وحسن بن رحال المعداني ومحمد المسناوي وعلي التدغي ومحمد بن عبد القادر بن شقرون. وأهم الفنون التي تلقاها على هؤلاء العلماء هي التفسير والبيان وصحيح البخاري والشفا للقاضي عياض وأجزاء من مسلم وشمائل بهرام ومختصر خليل ومختصر ابن عرفة التونسي وكبرى السنوسي وألفية ابن مالك وشرح المقصور والممدود لابن مالك والسلم المرونق للأخضري. فمهر في هذه الفنون وأجازه علامة الرباط الشيخ أحمد الغربي في مروياته عامة كما أجازه الشيخ عبد الكبير السرغيني بالصحيح والمرشد المعين. ولما تقدمت به السن ندم على عدم اهتمامه بالرواية وطلب الإجازة فيها من شيوخ وقته ؛ فقال : "فاتني كثير من الأشياخ بالمغرب ومن لقيته بالمشرق فلم يجزني أحد منهم. ولقد ندمت على ذلك. ومع ذلك فلم احرم في الجملة من الاتصال..."

وعلاوة على شغفه بتحصيل العلوم فقد أخذ نصيبه من التربية الروحية حيث تلقى الورد الناصري عن طريق الشيخ المعطي بن صالح الشرقي سنة 1154 وهو بدوره أجاز العلامة محمد المكي الناصري الدرعي بفهرسته التي هي إحدى مؤلفاته المسماة بالتنبيه والإعلام بفضل العلم والأعلام. وتضم إفادات أدبية وتاريخية علاوة على تراجم شيوخه وذكر نصوص بعض الإجازات فغلب عليه الطابع الأدبي وتوجد مخطوطة في عدة نسخ خ ع ك 1631 - خ م 560 - خ م ز 1610.

وقد اعتمد المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان هذه الفهرسة في كتابه الإتحاف الجزء الخامس في ترجمة أبي القاسم العميري.

المؤلف الثاني شرح على نظم العمل الفاسي.

المؤلف الثالث وهو تلخيصه لكتاب في السيرة النبوية نادر الوجود طالعه بطرابلس بليبيا وهو عائد من الحج ويعرف بالورد الندي في ترتيب ما تضمنه شرح التسميط المحمدي للحافظ محمد بن علي التوزري، فانتهى من اختصاره في أواخر شعبان عام 1144 هـ ومن خلال أعماله الأدبية سواء منها المجموعة أو المتفرقة نلاحظ أن المترجم أديب ناثر وناظم في مختلف الموضوعات وقد أورد ابن زيدان جملة من قصائده في آخر الجزء الخامس من الإتحاف وحلاه بأفضل تحلية ووصفه بأنه آخر أدباء وقضاة العدل بمكناس وأنه صدر من صدور المشايخ في العلوم النقلية والعقلية.

تقلباته في الوظيفة المخزنية :

فتح أبو القاسم العميري عينيه على ارتباط والده بالخطط المخزنية فسار على نهجه. فكان من جملة العدول والفقهاء والقضاة الذين كتبوا عقد التآخي بين الأميرين

زيدان وأحمد الذهبي بأمر من الملك مولاي إسماعيل سنة 1137.

وفي سنة 1143 رافق الأميرة خناثة بنت بكار مع حفيدها الأمير محمد بن عبد الله لأداء فريضة الحج وكان هو قاضي الركب الذي رأسه عبد الخالق عديل، وبعد عودته واجه المحن والانقلابات السياسية وما تلاها من عزل القضاة وتوبيخ العلماء المكرهين على بيعة الأمراء المتقاتلين. فكم من مرة عزله الأمير وأرجعه الآخر إلى منصب القضاء. وبلغت به الأزمة ذروتها أن احتمى بضريح الشيخ سعيد المشترائي خوفا من الملك المولى عبد الله فأخرجه العبيد وأحضروه مع بعض العلماء وفي طليعتهم الشيخ أحمد الشدادي وأحمد بن الحسين بن رحال المعداني وأحمد المليتي فوبخهم الملك على رؤوس الاشهاد وقال لهم : "كيف تزوجون أخي بنسائي وهن لم يخرجن من عصمتي بوجه من الوجوه الشرعية" وبعد ما ألقي عليه القبض في 11 رجب عام 1153 عفا عنه. وأمام هذه الظروف الحرجة اعتزل الحواضر وعاش فترة من حياته وحيدا في الريف. ووصف حاله في هذا المنفى الاختياري في قصيدة احتوت على 24 بيتا منها قوله :

دعيني فوصل الغيد ليس من العدل ولا تعذلي فالاذن صما عن العدل
بمكناسة الزيتون خلف أهلــه وحل بقرب الريف فردا بلا أهــل

واستغل خصومه القضاة من بني عنان عزله ومحنته فأطلقوا عليه الإشاعات المغرضة للنيل من مروؤته وذهبوا إلى حد الإفتاء بقتله فأشار إليها في فهرسته.

ولما تولى محمد بن عبد الله الملك أسند خطة القضاء من جديد إلى أبي القاسم العميري وبقي فيها إلى أن توفي بمكناس سنة 1178.

فهذه الحالات عرفها المترجم طوال حياته.

ع. الرحمان بن زيدان *الاتحاف*، 3 : 79 و3 : 101 و102 و143 و337 ؛ 5 : 541 إلى 563 ؛ ع. السلام الضعيف، *تاريخ الضعيف*، ص. 164 و173 ؛ عمر رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، 8 : 101 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 47 و142 و176 ؛ ع. السلام بنسودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 319 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 381.

محمد ماكامان

**عناق** وعناق الأرض في الدارج واللغة، وأم ريشات وبوريشة وبوسبولة وقط الخلا وصاحب الإبل كما يسمى في المناطق الجافة المغربية والدول المجاورة وفي السودان، حيوان ثديي لاحم من الضواري ومن فصيلة السنوريات Felidae. أصغر من الفهد وأكبر من القط، يسمى علميا Felis caracal Schreber 1776 المستورد من الاسم التركي قره قولق أي أسود الأذنين ويسمى بالأمازيغية إزلدمان وأورزان ويسمى تيلدة في الجزائر وأم اللحم في الصحراء وموريتانيا وبالفرنسية Lynx caracal وبالإنجليزية Caracal. من أسمائه الواردة في اللغة الفنجل والقنجل والغنجل والعنجل والخنجل والعنفط والفرانق أي النذير والتفة. يتميز بقصر ذيله وبخصلة من الشعر الطويل الأسود على أذنيه ولهذا سمي بوريشة وبوسبولة. قامته كبيرة وقوائمه طويلة نسبيا، الأماميتان أقصر من الخلفيتين مما أدى إلى انحناء الظهر وامتداده نحو الأمام. هيأته شبيهة بالكلاب، رأسه مسطح وعنقه ضخم ؛ لون شعره رمادي أمغر إلى صحراوي موحد على الظهر والجانبين والقوائم وأصحر فاتح ضارب إلى البياض على البطن. الفكان قويان يحملان أسنانا صيغتها على نصف الفكين كالآتي : 3/3 قواضم ؛ 1/1 أنياب ؛ 2/2 أضراس أمامية ؛ 1/1 أضراس = 28 سنا.

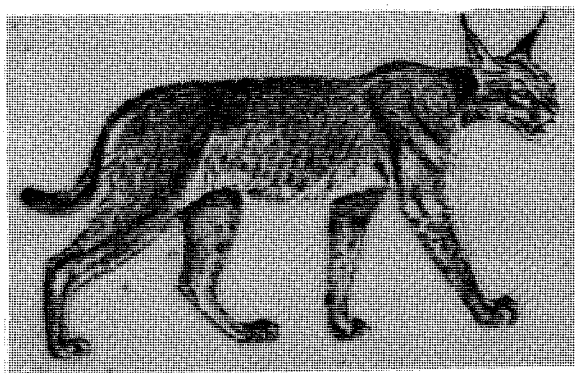

علوه عند الغارب 40 ـ 50 سم وطوله جمعا بين الرأس والجسد 65 ـ 90 سم وطول الذيل 30 ـ 20 سم كبار ويزن ال 8 ـ 18 كيلو غرام ويعمرون 18 ـ 20 سنة. يعيش منعزلا أو مزدوجا ويختفي نهارا في المغاور وبين شقوق الصخور ليستأنف نشاطه ليلا باحثا عن مختلف الحيوانات الصغيرة. يتوالد في فصل الربيع وتدوم مدة الحمل 69 ـ 78 يوما ويبلغ عدد الصغار 2 ـ 5 تفتح عينها بعد 6 ـ 10 أيام، توضع بين الصخور وشقوقها وترافق الأم مدة ستة أسابيع.

يألف الفيافي والمناطق الجافة الغنية بالحلفا والغابات غير الكثيفة. يكثر نشاطه ليلا ويتسلق الأشجار بسهولة ويتغذى من الفئران والزواحف والأرانب والغزلان والطيور. موطنه الأصل إفريقيا الاستوائية والجنوبية والشمالية والمناطق الصحراوية بشبه الجزيرة العربية والشرق الأوسط والهند. أصبح نادرا في المناطق المغاربية ابتداء من منتصف القرن العشرين ويضم المغرب عدة وحدات في شرق البلاد والهضبة الوسطى والمنتهى الغربي من الأطلس الكبير والمناطق الصحراوية جنوب الأطلس الصغير ومنخفضات وادي درعة وتافلالت.

يعد من الحيوانات المهددة بالانقراض في المغرب ويحتاج إلى دراسة دقيقة تهدف إلى حمايته في أماكن آمنة كالمنتزهات الوطنية والمحميات البيولوجية. تعيش عدة أفراد في الحدائق الحيوانية العمومية الوطنية والأجنبية.

J. Dorst et P. Dandelot, *Guide des grands mammifères d'Afrique, Les guides du naturaliste*, Delachaux et Niestlé, éditeurs, Neuchatel, Paris, 1973, 286 p. ; S. Aulagnier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Trav. Inst. Scient., Zool., n° 41, Rabat, 1986, 163p.

محمد رمضاني

أبو **عنان المريني**، المتوكل على الله فارس بن أبي الحسن، علي بن عثمان. ولد بفاس الجديد عام 729 / 1329 وكانت مدة حكمه تسعة أعوام وتسعة أشهر. بويع في تلمسان حينما وصلته أخبار تفيد بغرق والده بالغرب من ساحل بجاية. وعلى الرغم من نجاة أبي الحسن ورجوعه إلى المغرب، فإن أبا عنان رفض التنازل له عن الحكم، وخاض ضده حروبا كان آخرها بتامدغوست سنة 751. فانهزم أبو الحسن ولجأ إلى جبل هنتاتة حيث أجاره عبد العزيز الهنتاتي. وبقي هنالك محاصرا وساءت حاله. فقبل التنازل عن الحكم لابنه، وكتب إليه بولاية العهد. ولما تم الأمر لأبي عنان أسعف أباه ببعض المال، لكن المرض استفحل به فتوفي من جراء سنة 752 / 1352، وحمل نعشه ليدفن بشالة. وكان ذلك فاتحة عهد لعب فيه أبو عنان دورا رياديا بالغرب الإسلامي، وقام فيه بإنجازات كبرى خلدت اسمه ضمن كبار سلاطين المغرب الوسيط.

تتفق المصادر على توفر أبي عنان على ثقافة واسعة، فقد كانت له مجالس علمية وأدبية جمعت أشهر علماء وقته كابن خلدون وابن جزي وابن رضوان ومحمد بن أحمد المقري. وكانت له مشاركة في العلوم الدينية كالحديث والقرآن، وله تدخلات تدل على علو كعب في هذا المضمار، ومن ذلك امتحانه للفقيه علي الصرصري الذي كان عينه لتدريس الفقه بالمدرسة المتوكلية، فأرسل إليه من يناظره في مسائل التهذيب التي انفرد بإتقانها وحفظها فعجز وانسحب كئيبا من المجلس، فبعث إليه أبو عنان ورد له اعتباره بعد أن نصحه باكتساب ملكة المناظرة ولقاء العلماء الذين يردون على المغرب بدل الاكتفاء بالحفظ. وفي نفس الإطار يدخل اعتناء أبي عنان بالعلماء فقد ثبت عنه حرصه على التنويه بأهل العلم وإهداء القضاة والخطباء اللباس المميز بأهل الخطط، والمطايا. ومن ذلك الكسوة التي أرسلها إلى الخطيب الزاهد يوسف بن عمر الأنفاسي (ت. 761) كان لأبي عنان اهتمام ورعاية بالشرفاء، فعين لهم مزوارا ينظر في أحوالهم ويوزع عليهم صلات السلطان. لقد قرب أبو عنان الشرفاء إلى قصره خصوصا خلال المناسبات الكبرى كعيد المولد النبوي، وخلال مراسيم البيعة، ونراه يفرد الشريف أبا العباس السبتي بالرعاية والإجلال ويهديه بمناسبة زيارته له بفاس دينارا زنته مائة دينار ذهبي، ويقضي كل حاجاته. وبغض النظر عن الاستعدادات الخاصة بكل سلطان في تعامله مع الشرفاء والصلحاء وأهل العلم، فإنه يجب ألا يغرب عن أذهاننا أن الاعتناء بالشرفاء وإظهار محبتهم يرتبط أيضا بمصالح الدولة المرينية وبإمكاناتها المادية.

كان أبو عنان كسلفه يهتم كثيرا برجال التصوف ويحرص على الاتصال بهم وقضاء حاجاتهم. ولربما فاقهم في هذا المجال لما ينسب إليه من سمو إلى العلم الصوفي وفهم لإشارات القوم وتخلق بأخلاقهم. فقد زار العالم أبا العباس أحمد بن عاشر بخلوته بسلا. فامتنع هذا الأخير عن ملاقاته وبعد إلحاح من أبي عنان، كتب إليه أحمد بنعاشر رسالة فيها نصح ودعاء. ونراه في سياق آخر يحرص على أن يكون العالم أبو عبد الله الصفار في رفقته خلال تهييئه للحملة المشهورة على بلاد الزاب وقسنطينة، لكن هذا الصالح اعتذر فتركه السلطان لحاله. وفي نفس الحركة زار السلطان ضريح أبي مدين شعيب بالعباد وضريح الشيخ الصالح أبي إسحاق الطيار، كما قصد ضريح الشيخ أبي زكرياء الزواوي.

وتتدرج علاقة أبي عنان بالصلحاء في إطار معطيات روحية وسياسية، فالمناخ الروحي السائد آنذاك كان يتميز بالاعتقاد الراسخ في كرامات الصلحاء، لكن تدبير أمور البلاد كان يقتضي أحيانا الظهور بمظهر مختلف تمليه اعتبارات مصلحية، لاسيما حينما يبدو في سلوك ومواقف الصلحاء ما يتعارض مع اختيارات الحكام، ذلك أن ممارسة الحكم تؤدي بهؤلاء إلى بعض التجاوزات في معاملة الرعية، خصوصا في مجال الجبايات ونظرا لقيام كثير من العلماء والصلحاء بواجب النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن السلطان أبا عنان سلك سياسة البر بالصلحاء وتلبية مطالبهم في الغالب، لكنه انخرط أيضا في سياسة سلفه تجاه الصلحاء، بالقول بصلاح الأسرة المرينية من جهة، وبتأسيس زوايا كالزاوية المتوكلية بفاس، وزاوية النساك بسلا، ورعاية الفقراء الذين يقيمون بها من جهة ثانية، وهذا يدل على وعي السلاطين بأهمية هذا القطاع وعملهم على بعث تصوف معتدل وغير معاد للدولة بالضرورة.

وعلى الرغم من قصر مدة حكمه فقد طبع أبو عنان التاريخ المريني ببصمات قوية جعلت منه آخر السلاطين الأقوياء. ففيما يخص تدبيره لأمور البلاد نراه يتدخل في كل القطاعات، ويسهر على سير العدالة بنفسه، فينظم المظالم ويحرص على تقبل الشكايات بنفسه، وكان يحرص على صفاء ذمة قضاته، ولا يتردد في عزلهم، إذا بدا له ما يوجب ذلك في حقهم كما حصل مع القاضي محمد بن عبد الرزاق والقاضي أبي عبد الله المقري بفاس. وتدخل أبو عنان أيضا لتنظيم حرفة الشهود العدول، فاقتصر على عشرة من شهود مكناس وآخر الباقين، وعين بكل بلد من بلاده عددا قليلا أمر بعدم تجاوزه. ومن إصلاحاته إحداثه لخطة صاحب الصلاة بعدما كانت مندرجة ضمن صلاحيات القاضي. وكان المتولي لها يعين بظهير ويحدد له مرتب، وكان يساعد المتولين لها أعوان بحسب حجم البلاد، وكان هؤلاء يشتدون على الناس لحملهم على الصلاة.

وتصدى أبو عنان كغيره من السلاطين لبعض التجاوزات التي كانت تحصل في مجال الجبايات، فقد ألغى ضريبة الرتب الموظفة على المسافرين في الطرقات، وصار يتصدق بالأمكاس يوم سبع وعشرين من رمضان، ورفع التضييق الذي كان عمال الأعشار وولاة البلاد يفرضونه على الرعايا.

كانت تجارة الذهب الصحراوية تذر على المغرب زمان أبي عنان كميات هائلة من هذه المادة الحيوية، ولهذا نرى السلطان ينفرد بسك دنانير متميزة كالدينار الذهبي الذي يزن

مائة دينار ذهبا عاديا. ويقدمه لبعض زواره بمناسبة عيد المولد النبوي. وكان يسك أيضا دنانير ذهبية من وزن ديناريـن تصنع بدورها من أجل الإهداء، وإلا فإن الدينار المريني كان لا يتجاوز 4,56 غ من الذهب. وقد ظهر الغش على النقود المرينية في عهد أبي عنان فتصدى لذلك بشدة، حتى لا تفسد المعاملات وتتلف رؤوس الأموال. فمنع رواج الزائف والمقروض والخارجي. وإن حرص أبي عنان على جودة المعاملات قد أدى به إلى ضبط المقاييس المعمول بها في وقته، بحيث الصق سنة 755، نموذجين من الذراع المستعمل لدى باعة الأثواب، بمكتب المحتسب بفاس. والذراعان المذكوران هما المعروفات "بالقالة الدرازية" وطولها 0,46 م، والقالة الكتانية وطولها 0,55 م.

كان لأبي عنان تدخل لا يستهان به في الميدان الاقتصادي، فقد تزايدت في عهده العناية بالري بالنواعير، وقد أحدث منها عددا كبيرا حسبما يذكر ابن الحاج النميري، وقد وزع بدوره أزواج الحرث على فقراء الفلاحين يقيمون بها أودهم.

عرف أبوعنان من بين بقية السلاطين المرينيين بكثرة إنشاءاته العمرانية التي لا يزال أغلبها قائما، ويدل على عظمة ملكه. ونذكر منها المدرسة البوعنانية بفاس، والزاوية المتوكلية وجامع الغريبة وجامع الزهر وجامع الحمراء بفاس الجديد، إضافة إلى الزاوية الكبرى بسبتة وزاوية النساك بسلا وزاوية سيدي الحلوي بتلمسان والمدرسة العجيبة بسلا والتي تحولت إلى محكمة شرعية فيما بعد، وعددا من المارستانات في كل بلد. مع تعيين الأوقاف الكثيرة التي وفرت لكل هذه المنشآت مداخيل قارة سمحت باستمرارها في أداء وظائفها، إلى أن دخل الخلل الدولة المرينية بعد عهد هذا السلطان الكبير.

لم يتردد أبو عنان في العمل على إبراز إمكاناته في إخضاع المجال المغاربي لسلطان واحد. وإذا كان قد تذرع في حملاته بالمغرب الأوسط وإفريقية سنة 758 بضرورة توفير الأمن للمسافرين والحجاج والقضاء على أهل الحرابة، فإن حملته تلك تجاوزت ذلك إلى إعلان السلطة المرينية على تلمسان بعد مقتل أميرها أبي سعيد الزياني باعتباره خارجا عن الطاعة. ولربما كانت هذه التوسعات تهدف إلى كف أيدي البدو عن الناس وعن القوافل التجارية. وفي هذا المعنى يكون أبو عنان قد سار على سيرة والده أبي الحسن، فرغب بدوره في مراقبة مسالك التجارة الصحراوية ومنافذها في الصحراء وعلى السواحل المتوسطية، وهذا ما يفسر كثافة العلاقات التجارية والدبلوماسية للمغرب في عهد أبي عنان مع البلاد الأوربية ومصر المملوكية. فقد عقد معاهدات سلم وتجارة في سنوات (751 ـ 752 ـ 755 ـ 757 ـ 759) مع دول البرتغال وإسبانيا المسيحية وصقلية وجنوة إضافة إلى بيزا التي تحتفظ لنا المصادر بالنسخة العربية للاتفاقية المبرمة معها بتاريخ 759 / 1358. هذا علاوة على العلاقات الطيبة الدائمة مع مصر وبلاد السودان. وهو ما كان يسمح للمغرب بلعب دور هام في المبادلات التجارية المتوسطية إلى غاية عهد أبي عنان المريني الذي وفرت علاقاته الطيبة مع مصر وجيران الشمال والجنوب إطارا ممتازا للمبادلات التجارية التي همت كثيرا من البضائع المغربية والأجنبية التي لا يتسع المقام لذكرها. وجدير بالذكر أن أبا عنان كان بحكم موقعه كسلطان يحتكر تجارة بعض البضائع كالحبوب وبعض البضائع الخاصة بالقصر كالأثواب والمجوهرات وأنه كان تاجرا ممارسا وشريكا لتاجر ميورقي بنسبة النصف في حدود سنة 755.

إن هذا النشاط التجاري المتوسطي كان يتم أيضا بواسطة السفن التجارية المغربية التي يرجع الفضل في إنشائها إلى أبي عنان، بعد أن تحطم الأسطول المريني برمته أواخر عهد السلطان أبي الحسن.

توفي السلطان أبو عنان قتيلا سنة 759 وعمره ثلاثون سنة.

ابن خلدون، *تاريخ العبر* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ابن الحاج النميري، *فيض العباب* ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين* ؛ م. فتحة، *النوازل الفقهية والمجتمع*.

De Mas Latrie, *Traités de paix et de commerce*, Paris, 1866 ; Ch. E. Dufourcq, *Le commerce du Maghrib avec l'Europe chrétienne*, Tunis, 1979.

محمد فتحة

ابن العناية، **الطاهر** بن الحاج الهادي بن محمد بن أحمد بن الحاج العناية بن عَبْدو بفتح العين وسكون الباء. يرقى نسبه إلى الولي الصالح سيدي عبد الله الجزار دفين مكناس. وهو من أولاد بوحدو الذين انتقلوا من سلا إلى فاس ومكناس.

أخذ علوم اللغة والدين عن جلة علماء عصره، منهم المهدي بن سودة مقرئ البخاري المتوفى عام 1294 / 1877، والعباس ابن كيران المتوفى عام 1271 ـ وكلاهما تولى القضاء بمكناس من قبل السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ـ والعربي السائح المتوفى بالرباط عام 1309.

وقد تصدر للتدريس، ثم تعاطى خطة الإشهاد فترة قصيرة رحل بعدها إلى مراكش حيث مكث نحو عشرة أعوام في خدمة العلم، ليعود بعد ذلك إلى مكناس حيث زاول العدالة من جديد.

كان زاهدا في الدنيا، يختم في كل يوم ختمة من دلائل الخيرات، طريقته عيساوية جزولية. وقد مارس نظم الشعر، فأنشأ قصائد في مدح آل البيت وبعض شيوخه، كما نظم في الرثاء، وإلى ذلك وضع منظومات في الصرف على نهج لامية الأفعال لابن مالك.

وكان يهوى الطرب ويجيد النقر على آلة العود، له إلمام بالموسيقى الأندلسية وطبوعها.

وقد بث في بعض شعره خطرات من معارفه في الموسيقى، فقال من قصيدة أجاب بها صديقه العلامة أبا العباس بن قاسم جسوس الرباطي :

وتمت بألحان تريح الشجيّ من شجاه، ورنّت إذ رنت بيننا الرصد

وتوفي بمكناس في 13 من ذي الحجة 1306.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3، ص. 103 و118 و345 ؛ ج. 5، ص. 408 و429 ؛ ع. بن عبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، ج. 2، ص. 16.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**العنبر**، أو العمْبر حوت كبير من الثدييات البحرية السطحية، رأسه ضخم ثابت لا يتميز عن الجذع. يصنف علميا إلى طائفة الحوتيات Cetacea وإلى مجموعة الأسنانيات Odontoceta وفصيلة فيسيتيريدي Physeteridae. يسمى علميا Physeter macrocephalus (catodon) Linnaeus, 1758 وبالفرنسية Cachalot وبالإسبانية Cachalote وبالإنجليزية Sperm whale. يعرف عند البحارة العرب بالعنبر والكشالو المعربة من الفرنسية. يخرج منه الطيب المعروف بالعنبر ambre gris المتكون في أمعائه والدهن المعروف بمني القاطوس الموجود في رأسه.

يعتبر العنبر من بين المخلوقات البحرية الحية العملاقة ويتميز برأس ضخم كبير جدا يمثل ربع طول الجسم وأحيانا ثلثه، ويشتمل على أزيد من طن من العنبر الأبيض - مني القاطوس Speermaceti - وهو شحم سائل يستعمله كرادار مجاوز حد الصوت وللتوازن فهو يضبط الغطس والطفو حسب درجة التجميد أو السيلان لهذه المادة بواسطة حرارته الجسمية الذي يتحكم في تغييرها في حدود 33 إلى 39 C°.

للعنبر جلد أسود رمادي داكن يميل إلى الأزرق على الظهر والجانبين، البطن رمادي فاتح. يصل طول الذكور المسنين 20 ـ 21 مترا ويفوق وزنه 60 طنا، والإناث 12 مترا بوزن لا يتعدى 15 طنا. يحمل الفك السفلي للذكور 15 ـ 30 سنا غنية بمادة العاج يصل ارتفاعها إلى 10 سم، وللإناث 7 ـ 30 سنا، الفك العلوي بدون أسنان بارزة ويحمل فجوات تدخل فيها أسنان الفك السفلي. الفم الكبير جدا يساعد على ابتلاع حيوانات كبيرة كالحبار العملاق. يحمل العنق 10 ـ 40 شقا قصيرا وعميقا، ويبدو مظهر الجانبين متجعدا خلف الصدريتين. تحولت الزعنفة الظهرية إلى قنزعة مثلثة الشكل متبوعة بخمس أو ست حديبات صغيرة. الصدريتان أسفل الجانبين، قصيرتان نسبيا وعريضتان. يبلغ عرض الزعنفة الذيلية 3,5 ـ 4,5 مترا وجانبها الخلفي شبه مستقيم تتوسطه فجوة.

يسبح العنبر عادة غير بعيد عن سطح البحر ويطفو على وجه الماء باستمرار خلال كل 2 ـ 10 دقائق ليتنفس ويختزن كمية كبيرة من الهواء. يتمثل قوته في الرخويات (80٪ من الحبار) والأسماك والقشريات، وفي حالة عدم الهضم لسبب ما، تفرز الأمعاء سائلا عضويا يحيط بالفريسة فيتجمد ويتصلب تدريجيا مكونا بذلك مادة العنبر الرمادي ambre gris الذي يتعدى وزنها أحيانا 240 كيلوغراما.

يحسن الغوض ويدخل أعماقا تفوق ألف متر مع البقاء بداخل الماء أكثر من ساعة دون تنفس، ثم يطفو ليلقي زفيرا قويا بمنخره الظهري فيرتفع الماء مقدار ما ينيف عن ثلاثة أمتار من العلو. يتنقل بسرعة تتراوح بين 5 ـ 10 كلم / ساعة ولا تتعدى 20 كلم / ساعة كسرعة قصوى.

يعيش عموما في مجموعات عائلية لا تتعدى 4 ـ 6 أفراد، أغلبها من الإناث والصغار يقودها ذكر مسن واحد ؛ قد يبلغ عدد أفراد المجموعات أحيانا 50 ويعيش بعض الذكور المسنين منعزلين. يألف جميع بحار المناطق المعتدلة والحارة ويقوم بهجرات طويلة المسافة خلال فصل الربيع، وخاصة الذكور المسنين. عدة مجموعات تقترب من السواحل الأطلسية المغربية أثناء تنقلاتها ويحتمل دخول البعض منها في السواحل المتوسطية خلال الربيع والخريف. تصير الذكور بالغة بعد خمس سنوات (9 ـ 10 أمتار من الطول) والإناث بعد أربع سنوات (8 ـ 9 أمتار من الطول). يتوالد عموما في الصيف بالمياه الحارة وتدوم فترة الحمل 11 ـ 15 شهرا وتضع الإناث صغيرا واحدا يبلغ طوله 3,5 ـ 5 مترا ووزنه حوالي ألف كلغ ويعمر 40 ـ 70 سنة. تعتني الأم بصغيرها سنة كاملة وترضعه حليبا غنيا بالدهنيات (حوالي 20 لترا في اليوم).

تقلص العدد الإجمالي لنوع العنبر على الصعيد الدولي لكثرة استعمال زيوته في الإنارة قبل ظهور البترول ويعد من الأنواع المحمية في الوقت الحاضر. يصادف نادرا في شباك الصيد المستقيمة وجنحت منه عدة أفراد ألقى بها البحر على الشواطئ المغربية الجنوبية.

**العنبر** (عطر) والعمبر كما ينطق به كافة العرب، اسم عربي الأصل يستعمل في عدة لغات أجنبية Ambre gris, - amber, ambergris - يطلق على مادة عضوية طيبة العطر وقوية الرائحة تستخرج من الحيتان البحرية المسماة بالعنبر أيضا، منها صنفان شائعان عند بائعي الأعشاب :

ـ العنبر الرمادي مادة عضوية تتصلب وتتحجر في أمعاء حيتان العنبر لما تبتلع حيوانا يهيج جهازها الهضمي فلا ينهضم فيفرز الجسم مادة سائلة تحيط بالفريسة للوقاية من شر السم. يتصلب السائل تدريجيا بداخل جزء من الأمعاء ثم يقيئه آخر الأمر في البحر أو يحتفظ به في بطنه فيستخرجه الإنسان لينتفع به في ميدان العطر. ومادة العنبر موجودة عند معظم بائعي الأعشاب (العطارة) في المدن المغربية ؛ لها قوام الشمع، رمادية وبيضاء وصفراء وسوداء وكثيرا ما تجمع أكثر من لون. الأصل العطري للعنبر من الأصول القليلة الحيوانية التي تزيد الروائح ثباتا وتعطيها أمدا. ثمنه مرتفع جدا لقلته في الأسواق ولجودته الممتازة ـ 100 ـ 150 درهما للغرام الواحد ـ وقد يصل وزن القطعة الواحدة في بطن حيتان العنبر إلى حوالي 240 كيلوغراما. كثيرا ما يستخرج البحارة العنبر مباشرة من أمعاء الحوت بعد صيده، يطلق عليه اسم

"العنبر الحر" ويعرف بغشاء الأمعاء المحاطة به على شكل فصيد يتراوح قطره بين 5 ـ 15.5 سنتمترا.

ـ دهن العنبر (العنبر الأبيض) أو مني القاطوس Blanc de baleine = Spermaceti مادة دهنية تستخرج من رأس العنبر وقد استعملها الإنسان كمادة للإنارة لمدة طويلة قبل ظهور البترول نتج عنها تقليص عدد حوت العنبر في البحار والمحيطات. يحتوي رأس العنبر على 1 ـ 5 أطنان من هذه المادة الشحمية المعروفة عند بائعي الأعشاب بالزهم أو العنبر العادي.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعروف، معجم الحيوان، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

D. Lloris et J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc.*

محمد رمضاني

**عنبري، محمد** يعد من أبرز الشخصيات العلمية التي برزت في مجال النضال الوطني والسياسي، بالإضافة إلى نشاطه المتميز في ميدان التعليم بجامعة القرويين منذ أواسط الأربعينات ومن أول المؤسسين لجمعية علماء القرويين التي كان يترأسها الزعيم الراحل الأستاذ علال الفاسي، وكان عنصرا فعالا وإيجابيا في مختلف أنشطتها الثقافية، والدينة والتربوية... بالإضافة إلى ما كان يمدها به من مساعدات مادية... فكان بيته شبه مكتب مركزي لهذه الجمعية، ففيه كانت تعقد الاجتماعات السرية.

ومن جهة أخرى، كان للأستاذ عنبري ـ وهو ابن بيت علم، حيث كان كل من أبيه القائد إدريس وأخيه الأكبر القائد بوعزة يعزان العلم والعلماء أمثال سيدي عبد الرحمان الغريسي ـ اليد الفضلى في بث الوعي الوطني والعلمي في العديد من القبائل المجاورة لمدينة فاس كأولاد عيسى وشراكة، وظل يكافح دون كلل أو ملل، وفي صمت ونكران ذات... وتحمل في جمعية العلماء فكرة إيقاظ الوعي الديني، فكانت له كتابات عديدة ذات اتجاه سلفي، نشر الكثير منه في مجلة "دعوة الحق" أو أذيع على أمواج الإذاعة الوطنية خصوصا إبان شهر رمضان المعظم في الستينيات.

وإلى جانب كل ذلك كان سلفيا متفتحا طالما ذكرنا في محاضراته ومقالاته بأن الإسلام مادة وروح.

وقد شيعت جنازته في موكب رهيب التقى فيه، بالإضافة لأفراد عائلته الكبيرة، العديد من تلامذته وثلة من رفاقه العلماء والأساتذة.

وقد ابنه الأساتذة محمد بن علي الكتاني ومحمد بن حماد الصقلي وعبد الكريم التواتي.

توفي يوم الأربعاء فاتح يونيو 1994.

*العلم* عدد 16136، الأحد 23 محرم 1415 / 3 ـ 7 ـ 94.

محمد حجي

**العنترية**، سيرة عنترة بن عمرو وقيل بن معاوية بن شداد العبسي نسبة إلى قبيلة عبس الشهيرة، كان أسود اللون وأمه أمة حبشية تدعى زبيبة، وكان من عادة العرب أن لا يلحق ابن الأمة بنسبها بل تجعله في عداد العبيد، ولعل ما سيثير إعجاب جيش العبيد في سيرة عنترة هو نضاله من أجل التحرر من العبودية، فقد كان يكره استعباد أبيه له وعدم إلحاقه به، ولكن عنترة محا عن نفسه عار مولده بما أظهر في حرب داحس والغبراء حيث اعترف به أبوه وألحقه بنسبه، فشب كريم الأخلاق، واشتهر ببطولته في الغزوات وطمح إلى الزواج ببنت عمه عبلة التي أنشد فيها جملة من الأشعار، حتى صار من مشاهير شعراء الجاهلية وفرسانها. ولعل شهرته مرتبطة أيضا بالاستشهاد بشعره في تفاسير القرآن الكريم فضلا عن معاجم اللغة والقواميس وهكذا نجد ابن جرير الطبري يستشهد بأشعار عنترة في عدة مواضع من تفسيره وهو ما فعله القرطبي وابن كثير ونقف عليه في لسان العرب والقاموس، وهو من أصحاب المعلقات، في شعره كثير من الفخر والحماسة. عاش عنترة حوالي تسعين سنة حيث ضعف جسمه وعجز عن الغارة وتوفي قبل البعثة النبوية عام 615 م. وقيل قتل في الغارة على قبيلة بني النبهان بعد أن صار من أشهر أبطال العرب وأصبح مضرب المثل بقولهم : الجود حاتم والشجاعة عنترة، فنسجت حوله أساطير وكتبت سيرته المعروفة بالعنترية وهي سيرته الحجازية، وهي رواية خيالية فيها ذكر أشعار وأحوال كثيرة من زمن العصر الجاهلي بل لا يتم التعرض لذكر سيرة عنترة إلا بعد الحديث عن إبراهيم الخليل وما جرى له مع النمرود. وذكر كل قبيلة وعربها وفرسانها وما قالوا من الأشعار. ومجمل القول فيها هو أن عنترة قمع الله به الجبابرة في زمن الجاهلية حتى مهد الأرض قبل ظهور محمد خير البرية. ولهذه الأسباب كانت من أشهر السير الشعبية الكثيرة التداول. ولا يعلم واضعها على التحقيق ولا تاريخ وضعها. ومن المرجح أن ذلك كان قبل عام 545 / 1150. وغالب الظن أنها كانت من طرف شخص واحد كتب القصة الإطار، وزاد فيها الرواة بحسب هواه حتى اتخذت شكلها البطولي أثناء المعارك ضد الصليبيين، وقد كان للقصاص المحترفين دور كبير في تعديل سيرة عنترة والإضافة إليها جيلا بعد جيل إلى أن وصلت إلينا بشكلها الحالي في العصر الحديث. الشيء نفسه ينطبق على سيرة سيف بن ذي يزن وسيرة أبي زيد وبني هلال وسيرة ذاة الهمة والظاهر بيبرس وقصة لقمان الحكيم. وقد تبين ذلك عند تحقيق مجموعة الحكايات الشعبية المعروفة بألف ليلة وليلة من طرف الباحث المقتدر محسن مهدي.

لا نعرف تاريخ دخول العنترية إلى المغرب ولا من أدخلها، لكننا نرجح أن ذلك كان في العصر المريني أو قبله بقليل من طرف الحجاج المغاربة ؛ علما أن الونشريسي ذكر

في المعيار موقفه من رواية العنترية خلال العصر المريني باعتبارها كذبا، وأن مستحل الكذب كذاب. واعتبرها من كتب السخفاء والتواريخ المعلوم كذبها كتاريخ داة الهمة والهجر والشعر، بل لا يجوز بيعها ولا النظر فيها، وكل من يسمع حديث عنترة لا تجوز إمامته ولا شهادته. وقد جاهد الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي في كتابه معيد النعم في محاربة مطالعة سيرة عنترة، واعتبر المقري في نفح الطيب ألف ليلة وليلة وما يشابهها ضمن حكايات الخرافات التي يكثر الناس في حديثها.

أما في العصر العلوي فقد أمر السلطان مولاي إسماعيل النساخ بنسخ كتب الشجعان وضمنها العنترية، وتوزيع نسخها على جيش العبيد قصد تحميسهم، وبث روح البطولة والشجاعة والإقدام في نفوسهم معتقدا أن أخبار الشجعان تعلم الشجاعة. وقد نبه القادري إلى أن السلطان مولاي إسماعيل سأل عن حكم الشرع فيها فأجيب بنص المعيار وهو عدم الجواز. ولعله لم يقتنع بنص الفتوى فضمن أحداث عام 1099 / 1688 أمر السلطان مولاي إسماعيل بنقل النساخين من فاس لمكناسة، بقصد نسخ أربعة وعشرين سفرا فيها أخبار الأبطال والفرسان وأهل الشجاعة السليقية، فذهب نحو الأربعين من النساخ وعمدوا إلى التفنن في كتاباتها بالألوان العديدة والذهب المحلول والخطوط المغربية الجميلة كالمبسوط والمجوهر. ولا نعثر اليوم في الخزائن المغربية على نسخ العنترية التي كتبت في العصر الإسماعيلي ولعل عدم وجود نسخ منها بالخزانات الملكية هو تفريقها على العبيد في القصبات الإسماعيلية.

إن سرد العنترية كان يتم في مختلف المدن المغربية العتيقة ما بين صلاة العصر وآذان صلاة المغرب، في أماكن مخصصة للحكي والفرجة الشعبية، نذكر منها على سبيل المثال باب الجيسة بفاس، وجامع الفناء بمراكش وقرب جامع الكتبية، وساحة الشيخ الكامل سيدي محمد بن عيسى بمكناس، وسوق الخميس بوزان، وساحة الأوداية بالرباط، وباب المريسة بسلا، وبجانب مقبرة سيدي بوعراقية البقالي بطنجة، وبحي القريعة بالدار البيضاء وساحة درب البلدية...

وقد اشتهر مجموعة من الرواة بطريقتهم المشوقة الساحرة في رواية العنترية مازالت الذاكرة الشعبية تحتفظ بأسمائهم. ففي مدينة مراكش مازالت الألسن تردد اسم باحسن فتحي. أما أشهر رواتها اليوم بهذه المدينة فهو محمد باريس الملقب بالتمعيشة، وهو راوية بامتياز يسرد العنترية بطريقة تذهل السامع. على أن من أهم الأشياء هو طريقة إلقاء رواية العنترية في الأوساط الشعبية التي تتكون غالبا من الحرفيين، الذين ينتهون عادة من أعمالهم قبل أذان العصر، وبعد الصلاة يلتحقون بالحلقة التي يتوسطها الراوي جالسا على كرسي غالبا ما يكون مرتفعا، حتى يتمكن الجميع من مشاهدته، ممسكا بيده سيرة عنترة بن شداد برواية المعمر عبد الملك بن قريب الأصمعي، وبعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأصوات مرتفعة من طرف المتحلقين، يشرع الراوي في سرد السيرة العنترية بأسلوب دارج بعد أن يكون قرأ ما في النص باللغة العربية، تصحبه حركات تنسجم وتتلاءم مع مضمون النص المحكي وما فيه من مواقف من حرب وهجوم ونزال وحوار، مجتهدا في تصوير المشاهد المؤثرة في النص... وغالبا ما يتوقف الراوي عند أحد هذه المشاهد لأخذ الهبات من طرف الحاضرين، أو ليعدهم إلى الغد... وهكذا إلى أن يتم ختم العنترية في يوم يكون مشهودا وفيه كثير من الحزن والتأسف على وفاة العنترة. ومن أطرف ما حكاه لي شيخنا العلامة أحمد الشرقاوي إقبال - رحمه الله - أن أحد الطلبة الآفاقيين امتنع عن الأكل، وكان السبب هو وفاة دادا عنترة حسب تعبيره. وقد أذيعت العنترية على أمواج الإذاعة المغربية بعد الاعتداء الإسرائيلي على مصر وهزيمة 1967 حيث كان الهدف منها رفع معنويات الأمة العربية، بذكر أبطالها والبحث عن ماضي قوي واستلهام التراث للدلالة على قوة هذه الأمة. ولقيت هذه السلسلة نجاحا واستحسانا لدى الجمهور المغربي، وهي من إخراج الكاتب والممثل الشهير محمد حسن الجندي. كما مثلت العنترية مرات متعددة في المسرح المغربي. ونصادف في بعض قصائد الملحون مرددات تشيد بصبر عنترة وشجاعته. كما هو الحال في قصيدة حب السعدية للحاج التهامي المدغري. ومازال كثير من تلامذة الأمس يتذكرون ذلك الكناش الذي يحمل صورة عنترة شاهرا سيفه ممتطيا صهوة جواده الأبحر بن النعامة. توجد سيرة عنترة مخطوطة بعدة خزائن في العالم منها خزانة برلين. وقد طبعت في 32 جزءا بمطبعة محمد شاهين بالقاهرة عام 1286 هـ. وتكرر طبعها في المطبعة الشرقية في 11 جزءا عام 1306 هـ، وطبعت في بيروت سنة 1869 ونسبت إلى يوسف بن إسماعيل المصري. وترجم مختصر سيرة عنترة إلى اللغة الفرنسية من طرف الأستاذ مارسيل دوفيك وطبعت في باريس عام 1864.

أ. الونشريسي، *المعيار المعرب*، تح. م. حجي ومجموعة من الفقهاء، 1983، ج. 6، ص. 70 ؛ السبكي، *معيد النعم*، ج. 5 : 186، 2 : 205 ؛ المقري، *نفح الطيب*، ج. 2، ص. 290 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، ج. 4، ص. 1696 ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري، ص. 69 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخ. خ. س، رقم 12184، ج. 6، ص. 246 ؛ بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، القسم 1، ص. 148، القسم 6، ص. 328 ؛ حركات، *التيارات السياسية والفكرية بالمغرب*، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1991، ص. 42 ؛ سركيس، *معجم المطبوعات العربية*، ص. 1387 ؛ فاروق خورسيد، *أديب الأسطورة عند العرب*، سلسلة عالم المعرفة، ع 284، غشت 2002 ؛ *سيرة أبي الفوارس الجواد حية بطن الواد*، الأسد الضرغام الأمير عنترة بن شداد، المطبعة الأدبية، بيروت، 1882 ؛ محمد حجي، *الحلقة... والتسلية الشعبية*، ضمن جولات تاريخية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995، ص. 713.

أحمد إيشرخان

**عندليب** وهزار كما في المعاجم جنس من الطيور البرية الغريدة، متوسط القد وحسن الصوت. يسمى في الشرق العربي مزقة ومسهر وأبو هرون. يصنف إلى رتبة الجواثم مخروطيات المناقير أو العصفوريات Passeriformes وإلى فصيلة الدخليات. نوع واحد يشتو ويتوالد في المغرب يسمى علميا Lucinia megarhynchos وبالفرنسية Rossignol philomèle وبالإنجليزية Nightingale. طائر من القواطع سريع الحركة كثير الألحان يسكن البساتين والحدائق والأدغال والغابات، يكثر في بلادنا في بداية الربيع والصيف.

وصف العندليب والبلبل مضطرب في كتب اللغة، فالبلبل والعندليب عند بعض العرب كل طائر حسن الصوت وأغلب المعاجم تترجم Rossignol إلى البلبل وهو غير جائز إذ أريد بالبلبل طائر Pycnonotus (انظر مادة البلبل في هذه المعلمة). شائع في مختلف المناطق المغربية ومنه عدد كبير يتوالد في المغرب ثم يهاجر إلى إفريقيا في بداية الخريف ليشتو.

يألف الغابات والأدغال وأشجار البساتين والحدائق. الإناث شبيهة بالذكور، الريش أسمر أشقر على الظهر ورمادي أسمر على الصدر والبطن. تبلغ بسطة الجناحين 28 سم وطول الجسم 16 سم. المنقار أسمر والذيل طويل أسمر محمر. يعيش مزدوجا ويتغذى من الثمار العنابية والحشرات والديدان والعناكب.

شائع في المناطق الجبلية وفي الهضاب والسهول الوسطى والساحلية. يتوالد منذ ماي إلى يونيو وينصب العش على الأرض بين الأعشاب الكثيفة بداخل الأدغال والغابات، تصنعه الأم بدقة بالغة وتفرشه بقطع الأعشاب الرقيقة. تبيض الإناث 3 ـ 6 بيضات ملساء زرقاء مخضرة إلى بنية ومزركشة بنقط شقراء، يبلغ طول قطرها 21 ملم. تحضن الإناث البيض 13 ـ 14 يوما ويقوم الزوج بالحراسة والبحث عن الأكل. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتبقى بداخل العش حوالي أسبوعين.

م. رمضاني، *البلبل*، *معلمة المغرب*، الجزء، 4، ص. 1328 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

**العنصرة**، يهتم المغاربة منذ القديم ببعض المناسبات المرتبطة بالمناخ وفصول السنة الأربعة وهي مناسبات مرتبطة بالفلاحة أساساً منها على وجه الخصوص الحاجوز وهي اليوم الأول من السنة الفلاحية الجديدة ويوافق في الغالب 13 يناير الشمسي وتتخذ هذه المناسبة أسماء تختلف من منطقة إلى أخرى ومن قبيلة إلى أخرى مثل حاجوزة، حيدوزة، عجوزة، حيدروزة وهكذا... ويتم الاحتفال بها بطرق وطقوس مختلفة بحسب المنطقة وإنتاجها على أن المبدأ الذي يحتلها هو أن على أفراد العائلة المحتفلة أن يقيموا عشاءاً يشبع فيه الجميع ومن لم يشبع في ذلك اليوم فلن يشبع طيلة العام لذلك كانت بعض القبائل تعمد عائلاتها إلى تحضير وجبة عشاء يخصص فيها لكل فرد دجاجة وبيضة وتتفق الحاجوزة ومنتصف "الليالي" وهي فترة الشتاء والبرد القارس وتستغرق أربعين يوماً.

في مقابل هذه المناسبة تأتي العنصرة ويومها هو 24 يونيو من كل سنة وهو منتصف "السمايم" ومدتها 40 يوما. وهي الفترة التي تشتد فيها الحرارة والقيظ وفيها تجمع المحاصيل الزراعية وتنضج فيها الثمار وللفلاحين وسكان البادية علامات يعرفون بها حلول العنصرة. تختلف من مكان إلى مكان منها على سبيل المثال في جهة الشاوية ورديغة "بداية طيران صغار اللقالق".

ويختلف الاحتفال بهذا اليوم عن الحاجوزة، ففي هذه الأخيرة يتم أكل الدسم واللحوم أما في العنصرة فيتم تذوق ما نضج من المحاصيل، ويختلف ذلك من مكان إلى آخر حتى داخل القبيلة الواحدة، ففي جمعة الشاوية ورديغة يتم طبخ خليط من الحبوب والقطاني في الماء مع إضافة قليل من الملح فقط ويتم تناول الطبيخ بشكل جماعي في إناء واحد ويسمونه أي الطبيخ "شرشم"، وفي مناطق إنتاج الذرة يستعاض عن الحبوب والقطاني "بالكبال" أي بالذرة الطرية قبل درسها وهكذا... وفي هذه المناسبة "العنصرة" يتم خزن ما يحتاج إليه من نباتات وأعشاب طبية بعد أن يكون قد اكتمل نضجها وتجفيفها "يبسها" مثل السعتر وفليو والمانتا والسالمية والشيح وغيرها كثير، وفي المناسبة يؤكل الحلزون المطبوخ بالأعشاب المشار إليها.

يقول الفلاحون في البادية إن أكل المنتجات والمحاصيل الجديدة يجب أن يكون بعد العنصرة ففي الحبوب مثلا وخاصة القمح ينصحون بعدم أكل خبزه إلا بعد العنصرة ويقولون أن أكله قبل ذلك مضر. وينصح الفلاحون بعضهم بعدم حصد الحبوب التي يراد اتخاذ البذور منها للموسم الفلاحي القادم إلا بعد العنصرة وكذا الحبوب المراد خزنها. فالعملية هنا طبيعية وعادية بالنظر إلى العنصرة وهي منتصف فترة اشتداد الحرارة أي أن المنتجات الفلاحية من حبوب وقطاني يكتمل جفافها ويبسها وتصبح عندها مناعة ضد التسوس أو التعفن.

ابن البنا، *رسالة في الأنواء*، تحقيق Renaud، باريز، 1948 ؛ أبو خير، *كتاب الفلاحة*، فاس، 1357 ؛ ابن وحش، *كتاب الفلاحة النبطية*، مخطوطة مصورة، جامعة فرانكفور بألمانيا ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 و1955 ؛ *تحريات ميدانية*.

محمد حجاج الطويل

**العنصري، محمد** بن بولفضل، من مواليد سنة 1928 بأبي الجعد إقليم خريبكة.

كان من المواطنين المخلصين الذين خرجوا إلى الشارع يوم 20 غشت 1955 بمدينة وادي زم للتعبير عن سخطهم واستنكارهم للأعمال القمعية التي تنهجها الإدارة الاستعمارية.

ولما اشتدت الأزمة ووقعت الاشتباكات بين المتظاهرين والسلطة الفرنسية تدخل الجنود الفرنسيون بقوة السلاح لتفريقهم، فسقط على إثر ذلك عدد من المواطنين من بينهم الشهيد المذكور.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقارم رقم 520851.

**العنقا، محمد** الرباطي من الرياس الأتراك الأصل الذين التحقوا بأسطول سيدي محمد بن عبد الله، والذين استقروا بالرباط. أمر في سنة 1788 بالانتقال بسفينته من العرائش إلى سلا هو وأربعة رياس آخرين، قصد المشاركة في سفارة صهر السلطان القائد محمد الزوين ابن القائد عبد الله الرحماني والحاج المكي برگاش إلى السلطان عبد الحميد العثماني، لنقل بعض الأسرى الأتراك المفتكين ولإهداء أربع سفن.

وبعد أداء المهمة، عاد الرايس المذكور رفقة البعثة في السنة الموالية إلى المغرب على متن سفينة إسبانية. وقد أهلته حنكته في البروز كأحد أعيان الرباط ذوي النفوذ، حيث شارك في منتصف ذي الحجة من سنة 1210 / 1796 ضمن وفد الرباط وسلا المرافق للقائد محمد بن العربي البخاري لزيارة السلطان مولاي سليمان بمكناس بمناسبة عيد الأضحى، واستغل ذلك لمطالبة هذا الأخير بجعل سفينة من الغنيمتين اللتين حققهما زميله إبراهيم لوباريس قبل أسبوع تحت تصرفه.

الضعيف، ص. 195 ـ 196، و218، و272 : ابن زيدان، 3، ص. 306 ؛ عبد الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، فضالة، 1987 ـ 1989، ج. 9، ص. 40.

حسن أميلي

**العنكبوت**، والعنكباء والعنكباة والعنكب والعنكبة كما في المعاجم تجمع على العناكب والعنكوبات والعكب والعكاب والاعكب، تسمى العامة الكبيرة منها "رتيلا" في بعض مناطق المغرب العربي، تجمع على الرتيلات والرتيلاوات وتسمى بالأمازيغية ئسي تجمع على ئسوان وأزيز ـ تزيزن وتاكالت ـ تاكالين وتباخا وأوليلي وتباغاينوزت وتيجدمني. والعنكبوت من الحيوانات اللافقريات ذوات الأرجل المفصلية Arthropodes. تعيش في مختلف الأنظمة البيئية وتكثر في الربيع والصيف والخريف وتختفي في الشتاء. تصنف إلى طائفة أشباه العناكب أو الرتيلاوات Arachnides ورتبة العناكب الناسجة للعكاش أو الشع المعروفة بالفرنسية Araignées وبالإنجليزية Spiders.

والعناكب من نظائر الحشرات يتكون جسمها من رأس وصدر وبطن وأطراف، بينها اختلاف كبير من حيث الشكل والمقاييس والعادات. تتميز عن طائفة الحشرات بالتحام الرأس بالصدر وبأربعة أزواج من الأرجل بدل ثلاثة أزواج، تخرج كلها من الصدر. للعناكب عادة أربعة أزواج من الأعين بها عدسات وشبكيات تقع عليها صور الأشياء المرئية. تتكون القناة الهضمية من فم يتصل ببلعوم ومريء ومعدة وأشباه الأمعاء ثم الإست.

تم إحصاء 105.000 نوع في العالم من العناكب يعرف من بينها 473 نوعا في المغرب ينتمون إلى 37 فصيلة، ويحتمل أن يفوق عدد الأنواع 500 نظرا لتنوع الأنظمة البيئية على صعيد التراب الوطني ولقلة الأبحاث العلمية على العناكب في المغرب. معظم الأنواع التي تعيش في المغرب لا تشكل خطرا على الإنسان لأن سمومها ضعيفة جدا وقد ينتج التهاب خفيف على إثر لدغات عنكبوتية Mygale أو أنواع من فصيلتي Thomisidae وLycosidae. من بين الأنواع الخطيرة : العنكبوت Latrodectus mactans المشهورة بلدغاتها السامة في أمريكا الجنوبية. تتميز ببطن ضخم وبأقدام طويلة وبلون بني داكن وتعيش في المناطق الحارة.

تشتهر بعض أصناف العناكب بنسيجها العجيب الصنع الذي يختلف شكله حسب الأنواع ومن هذه الأشكال ما هو كالقمع عند أنواع فصيلة أجيليدي وفصيلة ديسديريدي ومنه ما هو كالملاءة ومنه الهندسي الدائري عند عنكبوت الأحراج أو السك Epeire التي تستعمله كوسيلة لاصطياد فريستها. تُنسج البيوت بمهارة بين أغصان الأشجار والأعشاب وبين الجواجز وشقوق الصخور وعلى جدران المباني وعلى الأرض وفي جميع الحقول والمزارع والبساتين التي توجد بها دعامات لربط الخيوط. في حالة وجود العنكبوت على السقف أو على الشجرة تبصم بحريرها السائل على الخشب ثم تصنع خيطا واحدا تتدلى به إلى الأرض، وتزيد في صنعه كلما زادت هبوطا حتى تصل إلى الأرض فإذا شاءت صعودا احتفظت بالخيط لتصعد عليه. تتخذ العنكبوت الشبكة مسكنا لها ووسيلة لاصطياد الحشرات التي تكون غذاءها اليومي ولوضع بيضها وصغارها بداخله. والشبكة مكونة من دوائر متراكزة تدعمها أشعة وخيوط ثانوية مفتولة وهذه البيوت في منتهى الهشاشة حيث قال تعالى في سورة العنكبوت : "مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون" (الأية 41 من سورة العنكبوت).

تفرز مادة النسيج بواسطة 4 ـ 6 حليمات تعرف بعيون النسيج تلج في مؤخرة البطن. والخيوط مادة سائلة لعابية شفافة تتصلب عند اتصالها بالهواء. ويعتبر حرير العنكبوت أدق وأخف وأمتن من حرير القز وقد حاول منتجو الحرير تربية العنكبوت إلا أن ذلك باء بالفشل لأن هذا الحيوان يفضل العيش والأكل وحده. يستخدم حرير العناكب في صنع الأجهزة البصرية لأنه أدق خيط معروف إلى اليوم.

ترتقب العنكبوت فريستها وما إن تصطدم الحشرة بالشبكة حتى تشل حركتها أو تفتك بها عن طريق تلقيحها بسم قاتل يفرز بواسطة غدة تقع عند الصدر الرأسي. تمتص كل المواد الضرورية للتغذية من الحشرات.

ليست كل أنواع العنكبوت ناسجة الشباك فمنها التي تطارد فريستها أو تتربص بها للفتك بها على بغتة ومنها أنواع فصيلة الواثبات Salticidés وScaridés وHersilidés.

ومن العناكب أيضا عنكبوت الحقول Opilion التي يعطف عليها الإنسان، منها عشرة أنواع في المغرب تعيش في مجموعات مكثفة في البيوت وفي المغاوير وبين شقوق الجدران وتحت الجسور وعلى جانب الوديان. أقدامها طوال جداً وجسمها نحيل ولا تؤذي الإنسان. تتغذى من القرادة ومن الحشرات الصغيرات.

S. Benhalima, *Ecologie des araignés des subéraies de la Mamora, de Larache et d'Oulmès*. Doctorat de spécialité, Rabat, 163 p., 1992 ; J. Denis, *Note d'aranéologie marocaine. VI, bibliographie des araignées du Maroc et addition d'espèces nouvelles*. Bull. Inst. Sc. Nat. Phys. Maroc, 35 : 179 - 209, 1955 ; Y. Guy, *Contribution à l'étude des araignées de la famille des lycosidae et de la sous famille des lycosinae avec étude spéciale des espèces du Maroc*. Trav. Inst. Chérif., Rabat, 33 : 174 p., 1966.

محمد خربوعة ومحمد رمضاني

**العنَّابي**، من الأسر العلمية التي كان لها ذكر بوادي درعة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (15 و16 م) وموطنها بقصر تازروت بجهة تامگروت وسط واحة فزواطة وقد تألق من آل العنابي في علياء فزواطة ثلة من العلماء، الذين تميزوا بسعة الإطلاع، والاتقان والمشاركة في أنواع من المعارف والفنون.

**العنَّابي، عبد الرحمان** بن **محمد**، لا نعرف شيئا عن ميلاده وتكوينه، ولاشك أنه ولد في قصر تازروت، حيث موطن أهله من آل العنابي، وبين أيديهم درج في أول مراقي العلم، فلما أتقن المبادئ تنقل عبر مدارس واحة فزواطة مثل مدرسة زاوية سيدي الناس ومدرسة سيدي علي بن محمد الشيخ، ومدرسة تاگمادارت ليحط الرحال بمدرسة الشيخ مَحمد بن مهدي الجراري بزاوية الحنا، حيث كان في زمالة عبد الواحد السجلماسي وسعيد الهوزالي وغيرهم من أبرز المتخرجين عن ابن مهدي.

ورغم أن عبد الرحمان العنابي، قد أخذ من العلم والفقه ما جعله يحظى بالتقدير والاحترام بين علماء عصره، فإنه ارتوى من الأدب مثل جده فحظي "بشفوف خاص بين كتاب البلاط السعدي على عهد أحمد المنصور" وكان محل ثقة السلطان أحمد المنصور فقد ورد في المنتقى المقصور، أن عبد الرحمان العنابي كان يوقع الرسائل السلطان بعبارة "ثبت في تاريخه"، خوفا من التزوير ومحافظة على العلامة السلطانية وذلك في غاية الإتقان والضبط. وقد طارت شهرة عبد الرحمان العنابي، بعد قصة إهدائه كبشا ثمينا للقاضي الحميدي، حيث تبارى كتاب البلاط السعدي في تخليد هذه القصة بمقطعات شعرية رائعة. وقد توفي عبد الرحان بن محمد العنابي سنة 989 / 1581. وبوفاته غابت عنا أخبار هذه الأسرة العلمية المجيدة، حيث ضاع تراثها العلمي والأدبي في غمرة الأحداث التي عرفتها بلاد درعة خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري (17 م).

**العنَّابي، عبد الله** بن **محمد** واسطة العقد في هذه الأسرة تصفه المصادر بأنه عالم جليل، وفقيه متمكن. لا نعرف شيئا عن ميلاده وأطوار تعليمه، وكيف تقلب في الحياة إلى أن بلغ ما بلغ من الشهرة بين رجالات عصره.

لاشك أن عبد الله العناني، قد أخذ مبادئ القراءة والكتابة على يد بني قومه بمسقط رأسه بقصر تَازْرُوت، ثم جال ببعض مدارس درعة المعروفة إبانه بتامگروت وتاگمادارت ثم أغلان، حيث كانت جنباتها تتزاحم بأهل العلم ورجال التصوف من أهل الوادي والطارئين من سوس والصحراء وغيرها. وقد تخرج عبد الله العنابي عالماً متضلعاً مشاركاً في علوم شتى. وقد حباه الله بعارضة قوية وذلاقة في اللسان يفحم بهما من ناظره، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح قطب الرَّحَا بين علماء وادي درعة الذين اعترفوا له بالفضل والأولوية، وحسبه أن علامة سجلماسة إبراهيم بن هلال قد وصفه "بالفقيه الإمام، علم الأعلام، حائز فنون العلوم المنقولة والمعقولة، وحيد عصره وزمانه وفريد دهره وأوانه

كان عبد الله العنابي مشاركاً في علوم كثيرة اتقانا وفهما، وقد أشار بنفسه إلى هذه العلوم ضمنها خمسة أبيات في قصيدته التي وجهها إلى إبراهيم بن هلال لاستجلاب مودته، وهذه العلوم هي علوم العربية، إعراباً وتصريفاً وبلاغة وخطابة وبيانا، وعلوم المنطق والموسيقى والطب والتشريح والهندسة، وعلوم الفلك والأرصاد والحساب والكيميا، وأسرار الحروف والزيرجة، وعلم الكلام وما يتطلبه ذلك من جدال ومناظرة ناهيك عن براعة تامة في العلوم الفقهية دراية ورواية أما الأدب والشعر، فإن عبد الله العنابي الباشق الذي لا يطار تحت جناحه، وهكذا، إذا قرض الشعر فكأنما ينحت من صخر أو يغرف من بحر كما يقول الأولون، فإذا ترَسَّل، أطاعته العبارات، فتنساب الالفاظ من أُبلمة قلمه كأنها الرحيق المختوم، تسحر مجامع العقول وتأسر النفوس بهديل حمائم فصاحته".

لم يكن عبد الله العنابي من ذلك الصنف من العلماء الذين ينغلقون على أنفسهم، بل منفتحا على المجتمع، فقد كان كل ما حل بمدرسة من مدارس درعة تحلق العلماء حوله للإفادة والاستفادة، فقد عرفته مدرسة تاگمادارت إلى جانب محمد بن عبد الرحمان الزيداني، وعبد الله بن عمرو المضغري أستاذاً وشيخاً يلقي دروساً عليا في الفقه والحديث،

وكانت سرعة بديهته وقوة حفظه، تجعل لدروسه ميزة خاصة لا تقل عن مكانة عبد الله بن عمرو المضغري.

ويظهر أن عبد الله العنابي، قد فاتته فرصة الاجتماع بالشيخ إبراهيم بن هلال، في إحدى زيارته لواحة لكتاوة فتحسر لفوات الفرصة، فنظم قصيدة من حوالي مائة وتسعين بيتا في مدح ابن هلال، وعنونها "بنظم جواهر الجلال في استجلاب مودة إبراهيم بن هلال" ويفهم من بعض إشارات ابن عسكر، أن بين الرجلين "مكاتبات ومخاطبات ينبغي أن تكتب بماء الذهب لحسن توقيع كل منهما وبلاغته".

وبعد سقوط غرناطة سنة 897 / 1492، تطوع عبد الله العنابي، لفك الأسرى من المسلمين بإسبانيا، فسافر إلى فاس حيث التقى بمحمد الشيخ الوطاسي، "فصادف منه استجابة وتشجيعا وساهم الحريم الملكي بتقديم العون من الثياب والذهب". وأثناء الرحلة إلى الأندلس غرق المركب الذي كان يحمل عبد الله العنابي في هذه المهمة النبيلة، فتوفي غريقا في زمن غير محدد، قد يكون نهاية القرن التاسع أو بداية القرن العاشر (15 ـ 16 م).

**العنّابي، محمد** بن **عبد الله**، علامة جليل ورث عن أبيه الكثير من العلوم. ورغم أننا نجهل كل شيء عن نشأته وتكوينه، فإننا نعتقد أن عمدته هو والده عبد الله العنابي وعليه تخرج. ولا شك أنه صادف عندما بلغ أشده، وصول طائفة من علماء سوس وأتباع الطريقة الجزولية إلى واحة فزواطة، خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع الهجري (15 م)، فانخرط بكليته في الحركة العلمية والصوفية التي طما عبابها على فزواطة، وهي تعرف مخاض ميلاد حركة الأشراف السعديين بقيادة محمد بن عبد الرحمان الزيداني، ولم يتوان محمد العنابي في الانضمام إلى صف الأشراف ومدهم بقدر كبير من المال "ساعدهم على إرساء قواعد دولتهم والإنفاق على حركات الجهاد التي قادوها بسوس".

ويظهر من قصيدة سلسلة الأنوار (حوالي 68 بيتا) التي نظمها لتخليد أسماء شيوخ التصوف والتوسل بجاههم من أبي محمد صالح إلى آخر السلسلة (*الدرر المرصعة*، 257 ـ 260) أن محمد العنابي، قد ارتوى من كأس التصوف، الأمر الذي جعل ابن عسكر يصفه بأنه ولي الله (*الدوحة*، 91) مع الإشارة إلى الخلط البين عند أبن عسكر في المعلومات عن محمد العنابي ووالده عبد الله. وقد توفي محمد العنابي سنة 922 / 1516.


م. الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب من مشايخ القرن العاشر* ؛ بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، القاهرة، 1351 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام*، ج. 8 ؛ أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور*، الرباط، 1986 ؛ م. الصغير اليفرني، *نزهة الحادي*، ط. 1، 1888 ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة من خلال النصوص والآثار*، *دعوة الحق*، ع. 2، السنة 18 ـ 1973.


أحمد البوزيدي

**العواشر**، يرتبط مفهوم العواشر في اليومي المغربي بشهور معينة وأيام معدودات، تحمل دلالات دينية مقدسة، وتشمل هذه المواقيت أيام الجمعة والأيام القبلية والبعدية للأعياد الدينية الثلاث : عيد الفطر، عيد الأضحى، عيد المولد النبوي، إضافة إلى شهري شعبان ورمضان وعاشوراء ورأس السنة الهجرية... وأجمعت بعضها في الأحجية التالية:

حاجيتك على العين والعين عندو طناش علام، ستين فقيرة وثلاث سلاطين ووزيرة وهي : العام ـ الشهور ـ أيام الجمعة ـ الأعياد الثلاث ـ عاشورة.

ويتعامل المغاربة مع هذه المناسبات الدينية بكل ما تستحق من إجلال وتعظيم، فيسمونها بـ"العواشر". فيباركون لبعضهم البعض بعبارة على كل الألسن "مبروك عواشرك"، ويدعون لبعضهم بعضا بالصحة والسعادة وطول العمر... سائلين الله أن يتقبل منهم ما يقدمون خلال هذه الأيام من أعمال يتقربون بها من الله، من صدقات وصوم وصلة رحم الأرحام... فيتبادلون الزيارات، ويجتمعون ببعضهم البعض "التعوشيرة"، فيذكرون الله ويمدحون النبي... فرادى وجماعات. ويعبرون عن سرورهم بهذه الأيام بإقامة المأدبات من حلويات ومشروبات، إضافة إلى بعض الوجبات الخاصة التي تدخل في عاداتهم كالفتات بالدجاج، والكسكس بسبع أنواع من الخضر... وتختلف طقوس الاحتفاء بالعواشر من جهة لأخرى، ففي بعض المناطق تتزين النساء بالحناء والسواك والكحل، وفي مناطق أخرى يلبس الرجال أجمل ما يتوفرون عليه، ومنهم من يبيض الحيطان ويطلق البخور والطيب، ومنهم من يقيم ليالي الذكر، ومنهم من يوسع على عياله ـ كما هو الحال في عاشوراء.


*رواية شفوية.*

Georges S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953 ; Doctoresse Legey, *Essai de folklore marocain*, Paris, 1926 ; Victorien Loubignac, *Textes arabes des Zaërs*, Paris, 1952.


صالح شكاگ

**العود**، آلة موسيقية من ذوات الأوتار، جاء ذكرها في عدة مصادر بأسماء تعددت بتعدد أنواعها، منها البربط، والكران، والمزهر، والقرطبة، والأبج، والمثاني، والمعزف، وسيد الملاهي. وقد كانت هذه الآلة في مقدمة الآلات الموسيقية التي شقت طريقها من المشرق إلى المغرب والأندلس في رفقة العرب الفاتحين، ومنذئذ حفلت المصادر بذكرها والحفاوة بدورها.

تناقل القدماء خبر أول من اتخذ العود للغناء، فزعموا أن لمك بن متوشلخ كان له ابن يحبه حبا شديدا، فمات، فعلقه بشجرة، فتقطت أوصاله حتى بقي منه فخذه والساق والقدم والأصابع، فأخذ خشبا ورققه وألصقه، فجعل صدر العود كالفخذ، وعنقه كالساق، ورأسه كالقدم، والملاوي كالأصابع، والأوتار كالعروق، ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود.

وقد أورد ابن سيده في الخصائص أن العيدان كانت على عهد بني العباس تصنع من خشب الوعس، وهو ـ حسب الفيروزابادي ـ شجر تعمل منه البوابط والأعواد، كما ذكر التنوخي في نشوار المحاضرة أن العود العباسي كان يصنع من العود الهندي المعطر المستورد من بلاد الشرق الأقصى.

ويتبين من تركيب العود أنه يضم زهاء ثلاثين قطعة تتصل صناعتها بحرف متعددة منها النجارة والخراطة والنقش والترصيع، والنسيج والحدادة. وقد اشترط إخوان الصفا في صناعة هذه الآلة أن تكون من الألواح رقاق متخذة من خشب خفيف، وأن يكون الوجه رقيقا من خشب صلب يطن إذا نقر، كما حددوا مقاييس طول الآلة وعرضها وعمقها وعنقها.

وقد اشتهرت بالمغرب في العهود المتأخرة أوراش لصناعة العيدان كان من بينها ورشة المعلم الفاسي محمد ابن حربيط بفاس المتوفى عام 1994، وورشة المعلم المكناسي الأصل محمد بن أحمد بناني (ت. 1984) بمكناس ثم في حدائق الأودابة بالرباط.

ويتحكم وضع أوتار العود في طريقة تسويته. ولعل أقدم ما وصلنا في هذا الصدد وصف أحمد التيفاشي المتوفى عام 651 لطريقة ابن باجة (ت. 529) في تسوية هذه الآلة. وسوف ننتظر مطالع القرن الثامن عشر ليوافينا الأديب الموسيقي محمد البوعصامي المتوفى حوالي عام 1150 بوصف لتسوية العود بالمغرب، وهي التسوية القائمة على أربعة أوتار هي الذيل والحسين والماية والرمل والتي أصبحت تقليدا متوارثا وخاصة بين أرباب موسيقى الآلة في تسوية العود الذي اصطلح عليه اسم العود الرباعي، أو العود الصويري، أو عود الرمل، وهو صدر صغير وعنق طويل، تسوى أوتاره وفق نظام "الخامسات المتعانقة Quintes embrassées".

ومع تسرب الموسيقى الشرقية الحديثة إلى المغرب في مطالع القرن العشرين دخل العود المصري بأوتاره الستة، وأخذ شيئا فشيئا يستبد بالمجموعات الموسيقية وحتى التراثية منها، وانحسر ظل العود المغربي لينقطع تداوله في نهاية المطاف.


المسعودي، *مروج الذهب*، ج. 4، ص. 220 - 221 ؛ ج. 1، ص. 196 ؛ ج. 7، ص. 20 ؛ *متعة السماع في علم السماع* بواسطة محمد بن تاويت الطنجي، مجلة الأبحاث البيروتية، م. 21 أعداد 2 - 3 - 4، دجنبر 1968، ص. 115 ؛ م. البوعصامي، *إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع*، تح. ع. العزيز بن عبد الجليل، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 1995.

A. Chotin, *Tableau de la musique marocaine*, p. 139.


عبد العزيز بن عبد الجليل

**عودة** واسمها هو تخفيف على الطريقة الأمازيغية لاسمها الأصلي مسعودة، وهي بنت الشيخ أحمد بن عبد الله الوزكيتي الورززاتي، تزوجها محمد الشيخ السعدي، وولدت ابنه أحمد المنصور الذهبي. كانت امرأة صالحة عرفت بمشاريعها الإحسانية، فبنت المسجد الجامع بحومة باب دكالة داخل مدينة مراكش سنة 995 / 1586، وأوقفت عليه أوقافا كثيرة، وتردد الرواية الشفوية إلى اليوم هذه المسجوعة "عودة أكلت رمضان بالخوخ والرمان، يا رب تغفر لها"، كتذكير بقصتها في أكل يوم من رمضان بعدما دخلت أحد أجنة مراكش، وغالبتها نفسها لأنها كانت في حالة الوحم. ثم ندمت على ذلك وأمرت ببناء الجامع المذكور تكفيراً عما صدر منها. وأمرت أيضاً ببناء مرافق اجتماعية أخرى، منها قنطرتان إحداهما هي قنطرة حواتة على نهر أم الربيع التي تمت سنة 1000، وبإصلاح الطرق، وحبست عشرات الحوانيت على مشاريعها، وكانت تساعد على تزويج النساء الفقيرات. وينسب لها مسجد لالة عودة بمكناس.

وكانت قد ذهبت إلى القسطنطينية العظمى صحبة ابنها أحمد المنصور وأخيه مولاي عبد الملك. وذكرت بعض المصادر أن التي صحبتهما هي الرحمانية أم عبد الملك. وكانت هذه الرحلة بهدف إقناع السلطان العثماني سليم بن سليمان بمساعدة الأميرين على الحصول على السلطة بالمغرب ضد محمد المتوكل ابن أخيهما محمد الغالب.

توفيت سنة 1000 / 1591.


الناصري، *الاستقصا*، طبعة 2001، 68 - 95 - 122 - 131 ؛ م. حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، ص. 949 ؛ ع. الهادي التازي، *المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي*، ص. 230 ؛ ابن القاضي المكناسي، *المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور*، تح. محمد رزوق، الرباط، دار المعارف، 1986، 1 : 256 - 257 ؛ *درة الحجال*، ص. 405 - 406.


محمد المغراوي

**عَوْسَج** أو غَرْدَق بالعربية أو إينْزيركي، أو ماموزا أو عَاتْليلْ أو أزاكو بالأمازيغية أسماء تطلق على ثلاث أنواع نباتية برية أو شبه طبيعية تنتمي لجنس ليسْيومْ Lycium الذي هو من فصيلة الباذنجانيات Solanaceae.

- ليسْيُرم أنْتْريكاتوم Lycium intricatum : جنيبة شوكية، ذات أوراق بسيطة كاملة خضراء لكن ضاربة إلى اللون الفضي، لحمية. أزهارها أنبوبية الشكل وذات لون ججري. ثمارها عنبية الشكل وحمراء.

يصادف النوع في أحراج السهول والجبال المنخفضة الجافة والسهوب السبخية، وعلى أراضي فقيرة، ويوجد في البيومناخيات الصحراوية والجافة وشبه الجافة.

نظرا لكونه نبات سام كما هو الشأن بالنسبة لجل أنواع الفصيلة، يستعمل النوع لعدة أغراض في التطبيب التقليدي.

- ليسيوم أوروبيُوم Lycium europaeum : شجيرة كثيرة الأشواك يتراوح علوها ما بين 2 و4 م، ذات أزهار بيضاء أو وردية أو بنفسجية اللون وأنبوبية الشكل. ثمارها كروية الشكل وحمراء عند نضجها.

يعيش النوع في الأحراج والسهول والهضاب الساحلية، حيث يستعمل لتشكيل أسيجة حية، أو لتثبيت الكثبان الرملية وكذلك في التطبيب التقليدي.

ـ ليسيوم حَاليميفُولْيُوم Lycium haimifolium : شجيرة قليلة أو عديمة الأشواك، ذات أوراق رمحية وأزهار بنفسجية ضاربة إلى الحمرة.

يعيش النوع في الأحراج والأسيجة في عدة مناطق من المغرب، بصفة شبه طبيعية. لكن موطنه الأصلي غير معروف.

A. Benabid, *Flore et écocytèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Ibis Press, Paris, 2000, 360 p. : L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les connaître*. Ed. Larose, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

**عوض، حسان**، أستاذ جغرافي من الأفذاذ الذين أنجبتهم مصر العربية. وقد ولد من أسرة قبطية في الصعيد المصري سنة 1910 ودرس في مدارسها، وأرسل ضمن البعثة المصرية التي أرسلها الملك فاروق إلى فرنسا لمتابعة الدراسة العليا هناك.

وقد حل بفرنسا لتحضير الدكتوراه إبان الحرب العالمية الثانية وقاسى الأمرين من الغربة والفاقة التي كانت تصاحب عادة الطلبة العرب والأفارقة آنذاك في أوربا وهم قلة.

استطاع هذا الأستاذ العالم الجليل أن يرجع إلى وطنه بعد حصوله على الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس في شهر يوليو 1950. والتحق بجامعة عين شمس بمصر، وعمل أستاذا بها. متردداً على فرنسا عدة مرات قبل التحاقه بالمغرب كأستاذ زائر وكباحث.

يعتبر من بين أعلام الجغرافيين المعاصرين، ومن بين رجال جامعة محمد الخامس ومفكريها إبان نشأتها الأولى، فقد التحق مع الأفواج الأولى التي حضرت من المشرق العربي إلى المغرب في السنوات الأولى من الاستقلال للمساهمة في تعريب أسلاك التعلم الثانوي وجامعة محمد الخامس. وقد سألته مرة ضمن حديث ودي عن أسباب اختياره اللجوء إلى المغرب، خصوصا وأنه استقر به قرابة العشرين سنة، فأخبرني أن هناك سببين رئيسيين، الأول معرفته الجيدة بجغرافية هذه المنطقة ويقصد بها منطقة المغرب العربي بما في ذلك الصحراء الكبرى الإفريقية، والسبب الثاني ميله ليعيش ضمن دولة يضللها النظام الملكي (فقد كان ملكيا بطبعه).

الفكر الجغرافي عند الأستاذ عوض حسان :

كان مفكرا موسوعيا على عكس عصره الذي تتسم فيه سبل العلم ومصادر المعرفة بطابع التخصص الدقيق. فهو متخصص في الجغرافية الطبيعية وبارع في الجغرافية البشرية من حضرية وأرياف، وهو إلى ذلك له معرفة بالتاريخ والسوسيولوجيا والإحصاء، بالإضافة إلى إتقانه عدة لغات، لغته الأم العربية بالإضافة إلى الإنجليزية والفرنسية مع إلمامه باللغة الألمانية.

عزز حضور الجغرافية في مختلف المحافل العلمية، فلا تخلو قاعة مؤتمر من المؤتمرات الدولية أو الإقليمية أو المحلية من حضوره وذلك منذ تخرجه، وهكذا قرب الجغرافية الحديثة من الأجيال الجديدة، بواسطة إشرافه على أطروحات في الجغرافية الطبيعية والبشرية، ودروسه التي يصح أن يطلق عليها بأنها السهل الممتنع ومهد للجغرافية الحديثة السبيل إلى الحياة العامة والحركة المتفاعلة مع المجتمع بواسطة مؤلفاته، وأذكر أنه كان من المناصرين لتكوين لجنة تحمل اسم الجغرافية التطبيقية في المؤتمر الجغرافي الأول الذي انعقد بالعاصمة البريطانية سنة 1964. إذ يرى أنه يجب الاستفادة من الجغرافية في مشروعات التنمية الاقتصادية إذ أن الجغرافية لم تعد علما تربويا بحتا. فهو يقول بأنه غدا من الطبيعي ألا يقف الجغرافي موقف المتفرج إزاء المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي ترافق التقدم والنمو الاقتصادي. فالبحث الجغرافي سجل تقدما في مناهجه وطرائقه، جعلته يتوصل إلى نتائج علمية تتوفر على درجة كبيرة من التثبت والدقة، مما دفع بالجغرافيين إلى الإدلاء بآرائهم في مشكلات الحياة العلمية على أساس المعارف المكتسبة من واقع دراستهم.

ويقول، أن علمنا هذا تجاوز مرحلة الوصف المعقولي أو التفسيرات لظاهرات سطح الأرض، إلى مرحلة الكشف عن الوسائل المختلفة التي قد تعين على حل الكثير من المشكلات التي يصادفها من يعهد إليهم بأمور الدولة والمتصلة بالتنمية الاقتصادية والتخطيط القومي والإقليمي. ويرى أن الجغرافية علم تركيبي مرتبط بمختلف العلوم، يمسك بأطراف المعارف الطبيعية والبشرية على السواء، ويجمعها على صعيد واحد. ومن ثم كانت نتائجها أدعى إلى الصحة وأقرب للشمول من أي دراسة أخرى، وعلى ذلك فلا غرو أن تجد الجغرافية مجالات متعددة للتطبيق العلمي في مختلف مشروعات التجهيز والتنمية. ويرى أن الدراسة الخالصة البحتة ضرورية لأغراض التطبيق حتى لا يتحول رجال البحث العلمي إلى مجرد فنيين في خدمة الإدارات والشركات، لا يفتئون يكررون على مدار الزمن، وبصورة آلية عمليات قد صبت في قوالب معينة، وفي هذا ما يفقدهم بعد حين روح التجديد، وما ينتهي إلى الانحدار بالعلم. ذلك أن البحث العلمي، يجب أن لا يرصد لخدمة غرض محدود، بل يتعين عليه أن ينطلق باحثا في الحقائق التي يكون التوصل إليها سبيلا إلى خدمة البشرية، ومن غير أن تكون هذه النتيجة مضمونة لذاتها، فالصلة إذن وثيقة بين النظرية والتطبيق، ولا يستقيم التطبيق دون ممارسة مستمرة للدراسات البحثية الأكاديمية، ومن الخطر، كل الخطر، القول بوجود نمطين جغرافيين متباينين أحدهما نظري والثاني تطبيقي، ويرى أن الجغرافية التطبيقية امتداد طبيعي للدراسات الجغرافية الأصلية، ولئن أفاد الغير من هذه الدراسات فإن في احتكاك الجغرافيين بغيرهم من أصحاب العلوم الأخرى، وتدخلهم في المسائل الحيوية مصلحة لا تنكر. فلا بد أن يعود ذلك بالفائدة على الدراسات الجغرافية التي ستجد في مجالات التطبيق أبعادها الحقيقية. (انتهى كلام الأستاذ حسان عوض).

وهكذا استطاع بنمط أبحاثه وكتاباته أن يتجاوز حدود وطنه ويخترقها ليصل إلى آفاق عربية وعالمية أوسع وأرحب، فكان موسوعة من موسوعات الجغرافية المتعددة التخصصات، مما يشهد عليه مؤلفاته المتعددة.

توفي ببازيز في شتنبر 1996.

مريم حكم

**العوفي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ofra - Ofre - Ofri ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Ofir وهو اسم مدينة إسبانية.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها ف الرقم 1207.

محمد ابن عزوز حكيم

**العوفي**، أسرة من الأسر العلمية بقرية "أكال ملولن" بتراب قبيلة إيداوبعقيل، إلى الجنوب الشرقي من مدينة تيزنيت. يتصل نسبها بعمرو بن عوف بن مالك السلاوي، ويبدو أن أحد أجداد الأسرة قد نزح من سلا إلى سوس في تاريخ مجهول.

نبغ منها علماء وفقهاء أفذاذ كما يظهر ذلك من خلال وثائق خزانة آل العوفي.

**العوفي، أحمد** بن **عبد الرحمان**، الأستاذ القاضي، ولد في ضحى يوم الاثنين 12 صفر 1332 / 1913. تخرج بمدينة بونعمان لدى العلامة أحمد بن مسعود المعدري. وكان من نجباء المدرسة، حيث أظهر نبوغا وذكاء فائقا، مما أهله للالتحاق بجامع ابن يوسف بمراكش، وبه قضى نحو ثلاث سنوات. ورغم قصر مدة تحصيله بالحمراء، فقد تخرج متمكنا في عدة معارف. ويبدو أن والده استعجله للرجوع إلى بلده، فانخرط في سلك العدالة بتيزنيت. وقد تفطن شيخه أحمد ابن مسعود لهذا الأمر، لهذا نصحه بضرورة الاستزادة من العلم، وأن ما هو بصدده لا يتناسب ومكانة أسرته العلمية. بيد أن المترجم قنع بخطة العدالة، التي قضى بها وقتاً طويلاً، إلى أن استقال منها ثم صار من أطر الأحباس بتيزنيت. وفي بداية الاستقلال تولى القضاء بزاگورة ثم تاليوين، ثم رجع ثانية إلى خطة العدالة حتى وفاته يوم السبت 24 صفر 1414 / 14 غشت 1993.

ع. الرحمان العوفي، *كناشته*، مخطوط ؛ م. السوسي، *المعسول*، 13 : 96 ؛ 14 : 71 - 82 ؛ *خلال جزولة*، 2 : 160 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس*، 241 - 373 ؛ م. بن عبد الرحمان التدارتي، *قلائد المرجان في تعيين بعض أعلام وجان*، مخطوط، ص. 82 - 83.

**العوفي، عبد الرحمان** بن **محمد**، علامة فرضي، ولد في 15 جمادى الثانية 1284 / 1863. تلقى مبادئه العلمية بقرية بونعمان، وفيها لازم العلماء المسعوديين وخاصة العلامة مسعود (1301 / 83 - 1884) ومن بعده ابنه محمد "حتى تفوق على يده، وصدر عنه بعلوم جمة". وقد أجازه هذا الأخير عام 1312 بإجازة قيمة، اعتبرها المختار السوسي من آثار ابن مسعود الكبرى لما أودع فيها من الأسانيد. ومشاركته واسعة في الأدب والفقه والحديث والتفسير، إلا أن منزعه يميل إلى الفرائض والحساب والنوازل.

تصدر للتدريس في عدة مدارس منها : موزايت، وجان، آيت رخا، المسجد الكبير بـ"وانيضا"، وأمسرا بإيفران. ومن حين لآخرو كان المسعوديين يستخلفونه عوضا منهم بمدرسة بونعمان، فاتسعت مداركه. وكان يشارك في المذاكرات العلمية على غرار أستاذه بتحقيقاته وتدقيقاته، لاسيما في النوازل وعلم التركات، وهو القائل مباسطة "سيموت هذا العلم (الفرائض) بموتي" وعد بذلك المرجع والمستشار الوحيد في المحكمة الشرعية بتيزنيت على عهد القاضي محمد أوعمو، فكان "لا يبرم ولا ينقض في قضية تحتاج إلى نظر إلا بواسطة" وعلى هذا الأساس صار قبلة المتقاضين من جميع الآفاق. ونظرا لقيمة وغزارة فتاويه، قام ابنه القاضي الأستاذ أحمد بجمعها في مجلدين كبيرين.

وكان لاتصال المترجم بالمسعوديين أكبر الأثر حتى اعتنق الطريقة الإلغية / الدرقاوية أواخر سنة 1320 فأصبح منذ ذلك التاريخ يفد على زاوية إلغ في المواسم. كما كان الشيخ الإلغي يزوره بداره في ذهابه أو إيابه إلى الزاوية عند قدومه من أزغار تيزنيت. حاز العوفي مكانة علمية مرموقة، أهلته لتوطيد علاقات بعلماء وقته وكذا شيوخ وقياد القبائل.

عرف المترجم بشغفه الكبير في اقتناء الكتب واستنساخها، حتى تحصلت لديه خزانة تعد من أكبر الخزانات الخاصة بسوس.

أحمد بومزگو

**العوفي، محمد** بن **إبراهيم**، نوازلي، أخذ جل معارفه عن الأدوزيين. وصف بأنه كان ذا همة كبرى في مجال النوازل. وإليه يرجع الفضل في تقسيم الأراضي المنبسطة بأزغار تيزنيت بين قبيلة إيداوبعقيل وجيرانها خاصة آيت تيزنيت وآيت جرار والمعدر. توفي عام 1311 / 93 - 1894.

**العوفير**، أسرة أندلسية من الرباط عرف أفرادها بالإحسان والصدقات. وقد بنوا زاوية على أرض كانت في ملك آل بلگناوي وهي زاوية الشيخ لزارو. وتعدد فروع هذه الأسرة فقطنوا مختلف أحياء المدينة القديمة مثل البحيرة التي ربما كانت موطنهم الأصلي قبل أن يتفرقوا في الأحياء

الأخرى مثل فران الزناقي وقرب الزاوية القادرية وحي سيدي الضاوي ودرب الحساني بسقاية البريبري قرب سيدي عبد القادر بن أحمد وعلى مقربة من سقاية بلمكي وتحت الصابة جوار فران الساباط. وتصاهر آل العوفير مع آل طريدانو وآل ابن مسعود وآل بن إبراهيم وآل الباشا ولهم قرابة مع أولاد ابن يوسف.

وعرف منهم عدة شخصيات في التجارة، وكان منهم بعض كبار الملاك العقاريين بالرباط. فأثناء دخول الفرنسيين سنة 1912 كانت هناك أرض العوفير التي تبلغ 122 هـ في طريق زعير ومازال جزء منها يحمل هذا الاسم إلى حد الآن. وأراد الفرنسيون شراء بعض الهكتارات منها لإنجاز المطار هناك فيما عرف فيما بعد بحي المناطيد أو الطيارات ولكنهم عوض أن يشتروا تلك الهكتارات المحدودة استولوا على مساحة شاسعة منها دون مقابل، بالرغم من أن للأسرة رسومها التي تثبت ملكيتها للعقار المذكور.

ومن بين المعروفين من هذه الأسرة المختار ومحمد بن الجيلالي الآتي ذكرهما.

*معلومات شخصية وروايات شفوية* من بعض العارفين بأخبار الأسرة. *ومعلومات* من السيد محمد الأمين بلگناوي.

عبد الإله الفاسي

**العوفير، الحسن** بن **محمد**، قائد كان يترأس جماعة من مجاهدي قبيلة الفحص انظم إلي المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد شارك في المؤتمرات التي عقدتها الثورة بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913، بقرية عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر وبضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة حيث عين عضوا في القيادة المركزية للمقاومة ؛ وقد شارك في عدة معارك.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**العوفير، الصديق** بن **الجيلالي**، من علماء الرباط وعدوله. تتلمذ على يد المكي البطاوري والفقيه محمد الروندة والجيلاني بن إبراهيم. انخرط في سلك عدول مرسى الرباط طوال حياته. درس عليه جماعة من الطلبة وكان يعطي دروسه - بمسجد البحيرة قبالة منزله - في رسالة أبي زيد القيرواني وغيرها من العلوم كالفقه والنحو. توفي في 15 دجنبر 1963.

الجراري، من *أعلام الفكر*، ج. 2، ص. 306.

**العوفير، محمد** بن **الجيلالي**، ولد بالرباط سنة 1878 اشتغل بالتجارة التي درت عليه أرباحا مهمة، له تعليم متواضع، رشح لعضوية اللجنة البلدية سنة 1931 بمدينته. اتجر في وهران ورغب في تقلب وظيفة محتسب، ولم تسند إليه.

و. خ. ع. ملف 620، تجديد أعضاء اللجن البلدية، 1930 - 1931.

**العوفير، المختار** كان أيام السلطان مولاي الحسن أمينا لمستفاذ مراكش، وتعين في هذه الوظيفة سنة 1296 / 1873 ثم انتقل إلى فاس حيث استدعاه السلطان للقيام بوظيفة أمين دار عديّل سنة 1301 / 1883.

الفاسي، *مدينة الرباط وأعيانها*، ص. 224 - 226.

عبد الإله الفاسي

**العولة**، من فعل أعال يعول أي يتكفل بمؤونة شخص أو جماعة من الناس والعولة منها التلقائي ومنها المتفق عليه ومنها المفروضة. فالعولة التلقائية تدخل في نطاق التكافل الاجتماعي إما داخل العائلة أو القبيلة، إذ يتكلف الميسورون أو "الجماعة" بعولة الأسر المحتاجة من آيتام وأرامل ومرضى وغيرهم، وتدخل في هذا الإطار الجمعيات الخيرية وجمعيات رعاية المكفوفين والمعاقين وما شابهها ؛ أما العولة المتفق عليها فتكون عادة ما بين المشغل وطالب الشغل في البادية مثل الخماس والرباع والراعي فيتفق الطرفان على الأجرة أو النصيب السنوي وفق العرف السائد ويتفقان على العولة أي أن يقوم المشغل بتقديم المؤونة السنوية إلى المشتغل عنده إلى حين نضج المحاصيل أو الإنتاج وتوزيعه. ويدخل في هذا الإطار الفقيه في مسجد الدوار أو القبيلة فيتم الاتفاق بعد قبول "شرطه" أن تقدم له العولة السنوية إلى حين بلوغ فصل الصيف وتحصيل "الشرط" أي ما تم الاتفاق عليه من حصته كأجرة على كل "كانون" أو "خيمة"، وأحيانا يتم قبول الفقيه "فقيه الشرط" وفق أجرة نقدية محددة في الأسبوع أو الشهر بالإضافة إلى العولة السنوية أي تزويده بالمؤونة السنوية.

تتكون العولة في الغالب من المواد الغذائية الاستراتيجية الأساسية : حبوب (قمح، شعير، قمح طري، ذرة) وسمن أو زيت ولبن وغيرها وتختلف بحسب المناطق والإنتاج الفلاحي السائد وفي بعد المناطق يدخل فيها العلف والكسوة أو الصوف لصناعتها، وفي مناطق أخرى تدخل فيها الإنارة أو حصة من ماء السقي والحطب أو الفحم للطبخ وهكذا...

العولة لا تطلق فقط على ما يتم التعاقد عليه ما بين طرفي الإنتاج أو الخدمة، بل تشمل ما يخصصه الفلاح لمؤونته السنوية ومؤونة ضيوفه المحتملين فغالبا ما تتحدث المصادر عن كميات ومحاصيل يتم إزالة العولة منها والباقي يباع في الأسواق فيقولون "فلان رفد لعولته كذا، وباع كذا وترك للبذر كذا...".

أما العولة المفروضة فغالبا ما كان يفرضها المخزن على القبائل خاصة أثناء الحركات والحروب فيفرض على كل قبيلة كمية أو نصيب من العولة لصالح المحلة الفلانية، وكل قبيلة

بحسب ما تشتهر بإنتاجه وقد شكلت العولة إلى جانب الخراج والزكاة وغيرها من الضرائب التي تتعدد كلما اشتدت حاجة المخزن إلى الأموال النقدية والعينية، وقد شكلت عبئا كبيرا أثقل كاهل الناس طيلة العصر الوسيط والحديث وإلى بداية القرن العشرين.

التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ الونشريسي، *المعيار المعرب*، بيروت، 1981 ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* (تاريخ الضعيف الرباطي)، الرباط، 1986 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 و1955 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980.

R. Montagne, *Les berbères et le makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1930 ; P. Pascon, *La maison d'Illigh et histoire sociale du Tazroualt*, Rabat, 1984 ; G. Marcy, *Le droit coutumier Zemmour*, Alger, Paris, 1949.

محمد حجاج الطويل

**العولي، محمود**، ولد سنة 1939 بأسا ناحية طرفاية إقليم طانطان.

لما اندلعت شرارة الكفاح التحرري بجنوب المملكة وبالخصوص في أقاليمنا الصحراوية لتعلن بهاية الوجود الاستعماري كان العولي محمود من الوطنيين الذين أهدوا أرواحهم لهذا في سبيل الوطن حيث شارك مع الفرقة السابعة لجيش التحرير بالجنوب والتي كانت تحت قيادة كل من رام فضيلي والتامك إيدي في عدة معارك وهجومات ضد قوات الاحتلال الاسباني وذلك منذ تاريخ انخراطه في صفوفها أي مند سنة 1958 إلى أن استشهد في معركة أم العشار الثانية سنة 1959 بعد أن شارك بفعالية كبيرة في معركة أم العشار الأولى التي دارت رحاها بالصحراء.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 501196.

**عون، محمد** من مواليد سنة 1912 بمركز أربعاء العونات بإقليم الجديدة.

انخرط في صفوف المقاومة المسلحة منذ انطلاق الشرارة الأولى حيث انضم إلى إحدى المنظمات السرية تحت مسؤولية السيد المعتصم التيجاني إلى جانب سالك الجيلالي والمكاوي إدريس وزيوان أحمد، ونتيجة لنشاطه الفدائي فقد تعرض للاعتقال والتعذيب. ثم تم الافراج عنه. بعد استقلال المغرب.

توفي في شهر يناير من سنة 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 519930.

**العونات** إحدى القبائل العربية الهلالية الكبرى بدكالة، يحدها شمالاً أولاد فرج، وجنوباً القصيبة وشرقاً الرحامنة وغرباً مطران والمشرك وتتوسطها الزاوية التونسية على الطريق المؤدية إلى صخور الرحامنة. وتعتبر هذه الزاوية من المراكز الثقافية بالمنطقة، تأسست في عهد السلطان المولى إسماعيل على يد الفقيه الصالح التونسي بن مبارك العوني وتقع على تل صغير يدعى "كدية العرعار" وصفها كولفان عام 1917 بأنها "عبارة عن مجموعة من الدور العتيقة المحاطة بالقباب البيضاء وبغابة من أشجار الزيتون. تشتمل إحدى هذه الدور على فناء رحب مفتوح تحف به أعمدة عالية تحمل إفريزات من الخشب المنقوش ..." ومن مرافق الزاوية : المقصورة وهي مكان إلقاء الدروس وإقامة الصلوات، ومجموعة من الغرف المخصصة لسكنى الطلبة الذين يتجاوز عددهم مائة أحياناً بالإضافة إلى مكتبة غنية بالمخطوطات مفتوحة في وجه الطلبة والمدرسين.

وقد دعي المؤسس "التونسي"، وليس اسمه الحقيقي، وإنما لطول إقامته بالبلاد التونسية نحو سبع سنين عند رجوعه من الحج. وسميت زاويته "تونسية" وعقبه كذلك، وإنما هم من العونات لذلك تجد في كتب التراجم ازدواجية نسبهم : فلان التونسي العوني.

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، الدار البيضاء، 1356، ج 1 ؛ م. الشياظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط ؛ *مدن وقبائل المغرب، ناحية دكالة*، تر. م. الشياظمي ؛ وزارة التربية، *أعلام ومآثر دكالة*، 1981.

**العوني**، أسرة سلوية عريقة أصلها من قبيلة العونات الدكالية الهلالية، انتقلت أوائل القرن العاشر (16 م) إلى سلا عقب اكتساح الاستعمار البرتغالي لبلادهم، وأقدم من يعرف له ضريح من العونيين بسلا هو الأستاذ المقرئ سيدي عبد الله العوني من رجال القرن الحادي عشر آتي الترجمة.

كانت دار الحاج أحمد العوني بدرب حمام الطالعة أكبر دور العونيين بسلا، ومازالت معروفة لهم حتى اليوم اقتطعوا جناحاً منها جعلوه زاوية يقرأ فيها *دلائل الخيرات*، وقد جددت أخيراً وأصبحت تقام بها الصلوات الخمس ويقرأ بها أحزاب القرآن مغرباً وصبحاً.

تميز العونيون السلويون بالمشاركة في حركات الجهاد النشيطة بالمدينة في البر والبحر، وفي وثائقهم القديمة إشارات إلى صفة الجهاد لدى بعض جدودهم، لكن الوثائق الرسمية التي تنظمهم في عقد المجاهدين متأخرة لا يعدو تاريخها أواخر القرن الثالث عشر (19 م) نشرت ضمن ما نشر من وثائق ولاة سلا المتأخرين من أولاد ابن سعيد والصبيحيين باعتبار أن الولاة كانوا مكلفين بتوزيع الصلات الملكية على المجاهدين بالمدينة وهكذا فإن القائمة رقم 85 من وثائق بني سعيد المتعلقة بالصلات التي أنعم بها الحسن الأول على البحريين الواقفين على وظائف الجهاد بتاريخ 16 قعدة عام 1292 (14 دجنبر 1875) تشتمل على أسماء ثلاثة من هؤلاء العونيين إبراهيم بن أحمد العوني، وسي محمد العوني، وسي محمد بن الحاج عبد الله العوني. ويتكرر اسم محمد العوني في القائمة 171 من نفس وثائق بني سعيد المتعلقة بالصلات المنعم بها على المجاهدين البحريين بتاريخ 28 ذي الحجة عام 1311 (2 يوليوز 1894).

كما أن القائمة 84 من نفس الوثائق المتعلقة بالصلات المنعم بها على المجاهدين الطبجية بتاريخ 16 قعدة عام 1292 (14 دجنبر 1875) تشتمل على اسم أحمد بن الفقيه العوني، وفي القائمة 170 المتعلقة بالصلات المنعم بها على الطبجية الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا بتاريخ 28 ذي الحجة عام 1311 (2 يوليوز 1894) نجد اسم عبد القادر العوني.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 3، الدا البيضاء، 2001، ج 6 : 134 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ص. 124 ؛ م. بوشعراء، *التعريف بني سعيد السلاويين*، ج 2، الرباط، 1991.

**العوني، عبد الجبار** بن **محمد**، ولد سنة 1930 بالعونات، إقليم الجديدة. انضم إلى صفوف المقاومة السرية المغربية، وعمل بها من سنة 1953 إلى تاريخ 13 نونبر 1955.

شارك مشاركة فعالة ضمن تشكيلة "جيش الأطلس" التي كانت تحت مسؤولية السيد سيف الحق محمد القادري. وكان نشاطه موزعا بين مدينة الجديدة والدار البيضاء ـ وكان يعمل بإيمان وإخلاص في سبيل تحرير البلاد ـ ومن أهم أعماله الفدائية : اغتيال أحد رجال البوليس ونزع سلاحه، اغتيال خائن بدرب عمار، وضع قنبلة بمنزل أحد الخونة، ثم رمي مفرقعتين على مقهى أفيفال بشارع لاجيراند. وأثناء قيامه بهذه العملية الأخيرة، سقط شهيدا على إثر إصابته برصاص العدو، كان ذلك بتاريخ 18 نونبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 518418.

**العوني، عبد الله** العلامة الولي الصالح، من أصحاب الشيخ سيدي مَحمد مفضل الشرقي (مولى الگمري) (ت. 1071 / 1661) وإذا كانت كتب التراجم لم تتحدث بتفصيل عن العلاقات بين الشيخ والتلميذ فالغالب الذي تعززه الروايات الشفوية أن أخذ المترجم عن شيخه الشرقي كان مزدوجاً : علوم القرآن والقراءات من جهة، وسلوك طريق القوم المتصلة بالشيخ سيدي بوعبيد الشرقي.

توفي عبد الله العوني بسلا عام 1095 / 1683 وقبره مزارة شهيرة خارج باب معلقة.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 3، الدا البيضاء، 2001، ج 6 : 134 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ص. 124.

**العوني، محمد** بن **محمد** بن **عبد الله** السلوي، جدي لأمي، حافظ كتاب الله المداوم على تلاوته حتى آخر عمره رجل طوال قوي البنية، آتاه الله بسطة في العزم والجسم ولد بمدينة سلا ليلة الجمعة 29 رمضان 1292 / 1875 وهو ما يعرف عند المغاربة بالعيد والعويد. (*الاستقصا*، ج 8 : 165).

اشتغل في شبابه بتجارة البز في بادية الغرب، وبالفلاحة في كهولته وشيخوخته، وكان مولعاً ـ كخاله الشيخ العربي معنينو ـ بإنشاد الشعر الملحون ونظمه. ولمادنا أجله أعرض عن الدنيا وأقبل على ما ينفعه في آخرته منقطعاً للصلاة وتلاوة القرآن، يقرأ بالتوالي مائة سلكة فمائة، ويسجل تاريخ بداية السلكة ونهايتها في كناشته العلمية.

تتكون هذه الكناشة من 221 صفحة من القطع المستطيل ـ وهي مصورة بقسم الوثائق من الخزانة العامة، مشتملة على قسمين متميزين، الأول مختارات من قصص تاريخية وأدبية ودينية وأحاديث وأشعار حتى صفحة 59 بخط مغربي جميل ملون لا أدري إن كان لصاحب الكناشة في مقتبل عمره أم لغيره، والثاني بخط المترجم النسخي المدمج المليح، عبارة عن مقيدات فلكية وميقاتية متنوعة. وقصائد من الملحون لشيوخ سلا ومكناس وفاس ولصاحب الكناشة نفسه. وأطول قصيدة له فيها رحلة حجازية على طبع (الأگناوي) قام بها عام 1373 / 1954 واصفاً خروجه مع ركب الحجيج من باب فاس فالمراحل التالية إلى الوصول إلى الحرمين الشريفين، حربتها :

شفْ من حالـي وْحالـتي يالامت لانتـاج
رغبُو مولانـا خالقـي يكمّل مـــرادي
انمتّعْ نظْري فامقام النُّبى الهادي لَبْشير

وتشتمل الكناشة أيضاً على فوائد تاريخية واجتماعية منها وفيات بعض الشخصيات السلوية المرموقة في النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م).

توفي بمدينة مكناس سنة 1375 / 1956 ودفن بمقبرة الشيخ الكامل خارج ضريحه.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 3، الدا البيضاء، 2001، ج 8 : 165 ؛ م. العوني نفسه، *كناشته العلمية*، مخطوطة.

**العوني، مَحمد** بن **محمد** المترجم قبله. خالي وشيخي. ولد بمدينة سلا في فاتح رجب عام 1330 / 16 يونيه 1912، وبها نشأ وحفظ القرآن وجوّده على يد شيخ القراء الأستاذ مَحمد بوشعراء، ودرس على فقهاء المدينة أمثال شيخ الجماعة أحمد ابن بنعاشر ابن عبد النبي والميقاتي الباشا الحاج محمد الصبيحي، والنحوي الطيب ابن الشليح. وحضر مجالس حافظ العدوتين سيدي المدني ابن الحسني الرباطي في التفسير والحديث والأصول.

كان آية من آيات الله في الفهم والتفهيم والإيضاح والتشويق والمثابرة على التدريس قرأت عليه في المرحلة الأولى لطلبي للعلم مبادئ العربية والعقائد والتجويد والفقه وأصوله والمنطق والجدل، منفرداً أو مع جماعة من الطلبة بمنزله أو بضريح سيدي عبد الله ابن حسون ومسجد الصابونجي برأس الشجرة. وختمنا عليه أكثر من مرة *الأجرومية* ولامية *الأفعال* وجمل *المجراد* السلوي *وألفية ابن مالك والمرشد المعين* ورسالة *ابن أبي زيد وسلّم الأخضري*، فنقيم نزهة شيقة لبضعة أيام عند كل ختم حسب الفصول على الفلك بوادي أبي رقراق أو بضريح سيدي أبي موسى

الدكالي أو بأحد البساتين في ضاحية المدينة، وكان لجمالية طبعه يُعد لها أطايب الطعام والشراب ويحضر جماعة من المنشدين العارفين مثله بالطبوع الموسيقية.

درّس مدة بمؤسسة مَحمد جسوس الحرة بالرباط قبل أن يعينه محمد الخامس كاتباً بدار المخزن، وكان من المقربين إليه، ثم قاضياً بمجلس الاستيناف الشرعي، وبعد الاستقلال أصبح قاضياً مستشاراً أو نائب رئيس أو رئيساً لبعض المحاكم الإقليمية بالرباط ومكناس والجديدة. وحرر بخطه الجميل أحكاماً تحتوي على اجتهادات شخصية نالت استحسان عدد من القضاة والرؤساء. لم يؤلف كتاباً إلا تعليقات وطرراً كثيرة مفيدة بهوامش الكتب التي كان يدرسها للطلبة بخزانتي كثير منها.

نكب في آخر عمره جسمياً ومعنوياً عندما هاجمه بالسلاح الأبيض طالب عاق من قدماء طلبته، وتوفي بمدينة الجديدة، وهو قاض بها، يوم 27 جمادى الأولى 1392 / 9 يوليوز 1972.

*معرفة شخصية ؛ وثائق عائلية ؛ مقيدات المترجم بخطه.*

محمد حجي

**عوآ** (ضاية –)، تحتل منخفضا كارستيا يقع على بعد خمسة عشر كلم شمال مدينة إفران وثمانية كلمترات جنوب المركز الحضري لإيموزار كندر بالأطلس المتوسط الهضبي وعلى الطريق الرئيسية رقم 24.

يطل عليها شمالا جبل ليما اوكوالي بارتفاع 1608 م وجنوبا جبل عوا بارتفاع 1730 م، ويرتفع سطح البحيرة بـ1462,7 م على مستوى سطح البحر وهي محاطة بسفوح غابوية تسود بها شجرة الفلين الأخضر.

وإذا كان تعريف البحيرة عبارة عن وسط مائي ممتد وذو عمق مختلف محاط بمرتفعات تحول دون تصريف مياهه في كل الاتجاهات فإن لكل بحيرة خصوصياتها التي تتعلق بعمقها، وطبيعة جوانبها، ومحيطها البنيوي وطبيعة صخارتها، مما يسمح بتفسير نشأتها وتطورها قديما وحديثا. وإذا كانت عموما تصنف تبعا لتلك الخصوصيات إلى بحيرات بنيوية، جليدية بركانية أو كارستية، فإن ضاية عوا تجمع في آن واحد صفات البحيرة الكارستية، والبحيرة المرتبطة إلى حد كبير بوقع ظروف البيئة والبنائية للوسط المحيط.

ويورد بحث الأستاذ *Martin* 1981 تفاصيل دقيقة عن ظروف المحيط المباشر للضاية مثل سيادة صخور كلسية دولومية تنتمي للحقبة الجيولوجية اللياسية ووجود شبكة انكسارات كثيرة توجه إلى حد كبير التصريف الجوفي للمياه ونشأة المنخفض الكارستي لضاية عوآ. كما أن الثقوب المنجزة في المنطقة من طرف مديرية هندسة المياة 1991 تكشف بشكل دقيق التطابق والتراتب الصخاري للوسط المحتضن لضاية عوآ. كما أن الفحص المرفلوجي لمؤشرات التشكيل المحلي يوحي بتأويلات متداخلة، منها ما هو بنيوي، مناخي، هدرلوجي، صخاري، وبنيومناخي. وقد تعرض المنسوب المائي للضاية لضغط الجفاف في السنوات الأخيرة فتواصل تراجع مستوى سطحها باستمرار رغم التصاعد الظرفي وقد سجلت الضاية فترات جفاف مطلق في السنوات الأخيرة، لا سيما خلال سنة 1994 / 95 وأيضا في سنة 2001 حيث جفت البحيرة كل مرة لأكثر من فصل كامل.

ولقد تتبعت مديرية هندسة المياه لحوض سبو متوسط المنسوب السنوي للضاية [بالسنتمتر] فاتضح تراجع عمقها بشكل متواصل من 644 سم سنة 1992 إلى 278 سم سنة 1995.

ورغم انتشار فلاحة الورديات في محيط الضاية، فإنه يستبعد أن يكون للعامل البشري وقع مباشر في جفاف الضاية المتواصل، لأن عدد الضيعات المسقية بناءا على ضخ المياه الجوفية ما يزال محدودا في الوقت الحاضر. كما أن العيون المتفجرة في محيط الضاية بعين سيدي ميمون تلبي حاجيات الساكنة من الماء في كثير من الحالات إذا أضفنا لذلك الطبيعة السياحية للضاية، وضآلة تأثير سقي الماشية يمكن القول أن تراجع المنسوب المائي للضاية يبقى طبيعيا بالأساس، مرده نفادية الصخورة، البنائية وقوة التبخر.

أمام إشكالية جفاف البحيرة وتكراره المتزايد، ظهرت منذ الثمانينات ضرورة التفكير في حلول وقائية. كان أولها إنجاز ثقب بطلب من سلطات إفران، تفجرت مياهه يوم 21 يناير 1986 بصبيب يصل 100 لتر / ث، لكنه لم يدم سيله أكثر من ثلاثة أشهر.

كما تم التفكير في تخصيص جزء من صبيب عين سيدي ميمون [المطل شرقا على الضاية] من أجل تعويض البحيرة من فاقدها المائي، لكن هذا الحل فجر صراعا بين السلطات المحلية والمستعملين للماء من قبيلة آيت إدير.

عموما فإن موقعا ترفيهيا ذو قيمة طبيعية عالية مثل ضاية عوآ يطرح إشكالا كبيرا يستوجب تعميق الرؤى في معالجته من أجل اتخاذ الحماية ودعم المؤهلات البيئية والسياحية للضاية، أو بالنقيض دعم التنمية الفلاحية المتعصرنة باستمرار لضخ واستهلاك الموارد المائية المحدودة لسقي الورديات المتكاثرة مع الزمن في محيط البحيرة.

إبراهيم أقديم

**عوّاد، أحمد** السلوي، من أوائل رياس مطلع عهد سيدي محمد بن عبد الله، حيث تمت الإشارة إلى حضوره بهذه الصفة منذ سنة 1175، واعتبر كأحد الرياس الفاعلين إلى جانب الرايس قنديل السلاوي. وقد ظل معتمدا ضمن الرياس في سنة 1182 / 1768 دون أن تشير الوثائق إلى قيادته للسفن آنذاك، ودون أن يتجدد حضوره في لوائح الرياس للسنوات اللاحقة.

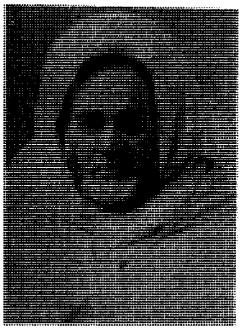

الضعيف، ص. 70 ـ 169.

Chenier, *Journal*, p. 96 - 97.

**عوّاد، بنحسون** (الحاج -) السلوي، من كبار رياس عهد سيدي محمد بن عبد الله. كان في سنة 1760 إلى 1766 م من بين الرياس الأساسيين المعتمدين، قبطانا لموكب جهادي مجهز بأربعة وعشرين مدفعا، ومائة وخمسين من رجال البحرية.

وقد واصل مهمته في سنة 1182 / 1768 مشرفا على سفينة دعومة مجهزة بأربعة عشر مدفعا، ورفع كفاءته الهجومية في السنة التالية إلى ستة عشر مدفعا، قبل أن يستبدلها في سنة 1770 بفرقاطة أكثر قوة مجهزة بثمانية وعشرين مدفعا وبطاقم مؤلف من مائتي رجلا. ويبدو أن الرايس المذكور قد أسندت إليه مهمة خفر السواحل قبالة ثغر الصويرة رفقة الرايس أحد الكوار، كما يتضح في الظهير السلطاني الموجه إلى الرايس يوسف الطرابلسي. وقد استمر نشاطه الملاحي حتى ما بعد سنة 1784، حيث كان من الرياس السلاويين المنعم عليهم بإنعام السلطان.

العسري، ص. 34 ؛ ابن زيدان، 3، ص. 260، 262 ـ 263 ؛ *الرئاسة*، ص. 1 ـ 2.

Chenier, *Journal*, pp. 97, 103-104 et 111.

**عوّاد، الطاهر** بن الهاشمي السلوي، من رياس الأسطول المغربي العاملي انطلاقا من مصب أبي رقراق خلال عهدي سيدي محمد بن عبد الله وابنه مولاي سليمان. وقد حصل في سنة 1799 على أمر السلطان مولاي سليمان بإنشاء سفينة جديدة تحت إشراف أبي القاسم الزياني، وهي السفينة التي حضر المؤرخ الضعيف وعدد من الأشراف والطلبة لحظة تعويمها في ذي الحجة 1216 / 1801، وتعرضت لمصاعب في ذلك نتيجة انزلاقها عن دعائمها، بشكل اضطر معه أهل سلا العمل طوال الليل رفقة الطلبة والأشراف لإعادة تثبيتها فوق الدعائم تمهيداً لتعويمها في اليوم الموالي.

وكان نشاطه البحري خلال الفترة التي بدأ فيه تأزم العلاقات المغربية ـ الأمريكية، حيث كان القناصل يترصدون حركته وحركة باقي الرياس المغاربة، ورغم ذلك تمكن من الإبقاء على نشاطه، حيث كان في سنة 1219 / 1803 يتنقل بين العرائش والرباط، قبل أن يصدر أمر السلطان إليه بالسفر إلى لشبونة، لولا أن الرياح المعاكسة منعته هو وغيره من الرياس من مغادرة مرسى الرباط.

الضعيف، ص. 318، و324، و327، و334 ؛ العسري، ص. 3 و47.

**عوّاد، علي** بن محمد من رجال البحرية المرموقين في سلا خلال منتصف القرن 12 (18 م)؛ كان في مطلع حياته المهنية من الرياس العاملين انطلاقا من مرسى العرائش وطنجة لحساب القائد الريفي أثناء معارضته للسلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل، وقد تميز في أواخر سنة 1155 / 1742 بإقدامه رفقة قريبه الرايس عواد قنديل باعتراض سفينة للحجاج من أهل مراكش وأهل سوس بأمر من القائد الريفي المذكور.

وبعد استتباب الأمر للسلطان سيدي محمد بن عبد الله، ونظرا لسمعته وشجاعته ولاه السلطان المذكور سنة 1180 / 1767 على عمالة سلا بعد مقتل عبد الحق فنيش. وقد ذكره القنصل الفرنسي شونييه ضمن الرياس العاملين في سنة 1183 / 1769، مشرفا على سفينة سنبك مجهزة بأربعة عشر مدفعا، واستمر في نشاطه المهني إلى ما بعد سنة 1198 / 1784، حيث ورد ضمن لائحة رياس سلا الذين حظوا بإنعام السلطان.

الضعيف، ص. 144 ؛ وعشاش، ص. 38 ؛ العسري، ص. 34.

Chenier, *Journal*, p. 103.

**عوّاد قنديل، محمد** السلوي، كان ضمن الرياس الفاعلين خلال فترة الأزمة المغربية في النصف الثاني للقرن 18، والتحق بدوره بمراسي الشمال للعمل تحت إمرة القائد الريفي الخارج عن سلطة مولاي عبد الله، مشاركا في سنة 1155 / 1742 في اعتراض سفينة الحجاج المراكشيين والسوسيين.

ومع بداية استقرار الأوضاع في الرباط وسلا، كان الرايس المذكور سنة 1756 يترأس سفينة جديدة أنشئت في أوراش الرباط، وقد شارك في سنة 1172 / 1759 في الاستيلاء على سفينة سويدية، دفعت السلطان سيدي محمد أثناء قدومه إلى الرباط في تلك الفترة إلى مجازاته هو والرياس الآخرين بسلاح من الذهب (الياتاغان) "مثل السيف والخنجر، ومكحلة، وكسوة، وأعطى للبحرية أيضا". وقد داوم الرايس عواد قنديل في مهنته، ضمن كبار رياس بداية عهد السلطان المذكور إلى ما بعد سنة 1174 / 1761.

الضعيف، ص. 144، و157، و166، و170 ؛ التازي، التاريخ الدبلوماسي، ج. 9، ص. 256.

**عوّاد مانيطة، محمد** السلوي، رايس بحري. كان في مطلع حياته الملاحية قبل استتباب الأمر للسلطان سيدي محمد بن عبد الله يباشر مهنته الجهادية لفائدة أعيان سلا،

ولذلك بادر سيدي محمد لحظة وروده على سلا في سنة 1756، إلى مصادرة سفينته الجديدة واستصفائها لسلطته.

وقد واصل الرايس المذكور حياته البحرية تحت إشراف السلطان، حيث نجح في سنة 1172 / 1759 بمشاركة جماعة من الرياس منهم عواد قنديل والعربي المستيري الرباطي في الاستيلاء على مركب سويدي، مما جعل السلطان سيدي محمد بن عبد الله يجازيه بسلاح من الذهب ( الياتاغان). وظل عواد مانطة ضمن كبار الرياس إلى ما بعد سنة 1174 / 1761.

الضعيف، ص. 157، و166، و170 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3، ص. 159 ؛ ج. 4، ص. 461 ؛ التازي، *التاريخ الدبلوماسي*، ج. 9، ص. 256.

**عوّاد، الهاشمي** بن إحمد، قبطان ورايس بحري من أهل القرن 12 (18 م) ابن الرايس أحمد عواد، ومن أبرز رجالات الجهاد خلال عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، الشيء الذي جعل هذا الأخير يبادر في سنة 1179 / 1765 إلى تعيينه على رأس بحرية العدوتين وسفنهما، وفق ما جاء في ظهير السلطان :

"...يعلم منه أن حامله المجاهد الأرضى القبطان النبيه المرتضى، الحاج الهاشمي بن المنعم الرايس أحمد عواد، لما كان ممن مارس أمور البحر وراضها، واقتحم لججها وخاضها، وظهرت في الرياسة نجدته، وحمدت فيه بدؤه وعودته، وزادت على الغير نجابته ومعرفته، رأينا أن نعمر به منصبا يبقى مرتبطا بولايته، مقصورا على مكانته ومنزلته، فجعلناه قبطانا على جميع البحرية أهل العدوتين سلا والرباط وعلى سفنهما القرصانية الجهادية، ظفرها الله بالعدو الكافر، وقضى لها من الغنائم بالحظ الوافر، وأيد سلامته في الموارد والمصادر، وعلى سائر القوارب وجميع أمور البحر كيف ما كانت، وعلى أي حال ظهرت وبانت. فقد أسندنا جميع ذلك كله إليه، وجعلناه إلى نظره وقدمناه عليه، وقصرنا عليه الكلام وحده، وأنفذنا في كل ما يرجع إلى البحر أقواله، وأمضينا في سائر أمورها أفعاله من غير تعقب ولا انتقاص، فنأمر جميع البحرية أن يقدروا قدره، ويمتثلوا أمره... ومن خالفه منهم في شطر كلمة فقد أذنا له أن يؤديه بما ظهر له من العقوبة والحد، وليكن من عقوبتنا على وعد ؛ ونعهد إلى القبطان المذكور أن يكون حازما ضابطا، متعهدا أحوال البحريين، غير غافل عن شيء من الأمور، وأن يؤسس على الجد مسائله، ويشد في هذا الوظيف الجهادي عراه ووسائله.. صدر منا الأمر بكتابه بحاضرة فاس في 2 ربيع الثاني 1179.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3، ص. 264 ـ 265 ؛ *الرئاسة*، ص. 30 ؛ *ملحق الإتحاف الوجيز*، ص. 179.

حسن أميلي

**العوّادة** أو العوّاد، مزمار يستخدم في بعض أصناف الموسيقى الشعبية المغربية.

وتطلق على هذه الآلة ـ أيضا ـ أسماء أخرى تختلف بحسب المناطق، فهو في نواحي زمور بالأطلس المتوسط "تاعواديت"، وفي منطقة الريف بالشمال "ثامجا" بثاء مثلثة، وفي مرتفعات الأطلس الكبير "تلعوات" أو "تاعواديت" ويجمع على "لعواويد".

تصنع العوادة في الغالب من القصب، وعلى ندرة من نحاس، وينتشر استخدامها بين الرعاة في الحقول أو في مصاحبة رقصات أحواش في حاحا وماسا.

والآلة عبارة عن أنبوبة من قصب أو نحاس، طولها نحو 27 سم، تقسم إلى جزأين مستاويين، في الجزء الأسفل منهما تبثت ستة ثقوب تفصل بينها أبعاد متساوية، ويقابل أعلاها تقب واحد من الجانب الآخر للآلة.

تستخدم الآلة في وضع أفقي اعتراضي، وهي تحدث أصواتا حادة تشكل منها المقام الخماسي. وتشبه في حدة صوتها آلة البيكولو أو الناي الياباني المعروف باسم شاكوزاتشي.

أ. بوزيد الكنساني، أحواش الرقص والغناء الجماعي بسوس، ص. 70 و118 ؛ عبد الله زاران، مجلة التراث الشعبي، ع. 2، السنة 12، 1981.

Chottin Alexis, *Corpus de musique marocaine*. Fasc. II, *Musique et danses berbères du pays chleuh*, p. 51 ; *Tableau de la musique marocaine*, pp. 36 - 46 ; Rouanet Jules, *Encyclopédie de la musique arabe*, p. 2744.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**عوّام**، اسم مدينة وجبل (والأصح تل مرتفع) ومعدن فضة شهير بالمغرب. ويعتبر الزهري (النصف الأول من القرن 12 م) أول من أورد عنه إشارة صريحة، وبعده تواترت المعلومات وخصوصا في المصادر الجغرافية. بيد أنها كثيرا ما يعتريها الغموض والتناقض والأخطاء، فيما يتعلق باسم المنجم وموقعه، وتلتزم الصمت المطبق عن تقنيات الاستغلال وأهمية الإنتاج. وجاءت الدراسات الميدانية ـ ولا سيما تلك التي قام بها بيرنارونبيرجي ـ لمحاولة ملء هذه الفجوات، والجواب على بعض الأسئلة التي يثيرها الرصيد البيبليوغرافي عن عوّام.

ويقع منجم عوّام شرق الهضبة الوسطى على أطراف الأطلس المتوسط على بعد 10 كلم غربي مريرت و25 كلم شمال خنيفرة. وموضع المنجم عبارة عن تلال مرتفعة بين هضيتي مريرت وتندرة. وكانت هذه المنطقة تعرف في العصر الوسيط باسم فازاز، وكان يسكنها بربر زناتة الذين دأبوا على الانتجاع بهذه الجهات. ولازال نمط العيش هذا سائدا بين قبائل زيان في هذه المنطقة. وكان عوام بفضل موقعه نقطة عبور أساسية بين الشمال حيث مكناسة وفاس، وبين الجنوب حيث تادلة وتافيلالت، الشيء الذي أثر إيجابيا ـ بلا شك ـ على عمليات الاستغلال والتسويق.

وينفرد الوزان ومارمول بين مصادرنا بالحديث عن عوّام كمنجم للحديد، غير أن البحث الأثري أثبت أن هذا المعدن لا يوجد سوى في الطبقة السطحية، ولا يمثل - من حيث الكم - شيئا ذا قيمة مقارنة بالفضة. وبالفعل فإن منجم عوّام عبارة عن خمسة عروق من الفضة تمتد على مساحة عشرين كلم. وهي غنية جدا بهذا المعدن النفيس وخصوصا في جزئها العلوي، إذ يبلغ معدل الفضة حوالي 1500 غ في الطن الواحد. وعلى الرغم من شدة ميلان هذه العروق فإن العمل فيها سهل نسبيا. وهذا ما يفسر استغلالها على نطاق واسع في الماضي.

واللافت للانتباه اليوم ضخامة المخلفات التعدينية من ردم وخنادق ودهاليز وآبار. وقد تبين من خلال التنقيب في هذه المخلفات أن المنجميين كانوا يستخدمون الفؤوس والمطارق، وربما استعانوا بالنار لتكسير الصخور الصلبة. ولا تعرف وسائل الرفع إلى خارج المنجم، وربما كان من بينها القفاف التي وجدت بقاياها بعين المكان. وخلافا لباقي مناجم الشمال الإفريقي، استعملت في عوّام الدعائم الخشبية لتفادي الانهيارات الترابية، الشيء الذي كان يسمح بالعمل المنهجي وبالابتعاد عن العروق المعدنية.

والملاحظ أن منطقة عوّام غنية بالعيون، الأمر الذي كان يؤدي إلى تسرب الماء بكثرة إلى الدهاليز والأنفاق، ويصبح العمل بالتالي محفوفا بالصعوبات والمخاطر. ولمواجهة هذه المشكلة تمت الاستعانة بالسواني والنواعير التي كانت تتولى إفراغ المنجم من المياه. وقد كشفت أعمال الحفر الحديثة عن قنوات طينية وقطع خشبية، قد تكون من بقايا هذه الآلات التي جمعت بين البساطة والفاعلية. ولكن الأكيد أن مشكل الماء كان من العراقيل الكبرى التي واجهت العمل بمنجم عوام. ولا أدل على ذلك من أن استعمال المضخات العصرية حاليا في هذا المنجم لم يؤد على حل جذري للوضع. ونظرا للظلام الدامس ببطن المنجم، عمل المنجميون على نور القناديل الزيتية التي وصلتنا نماذج كثيرة منها.

ورغم هذه الإجراءات والتقنيات فإن المنجميين كانوا يعملون بلا شك في ظروف مضنية وخطيرة، لقلة التهوية وشدة الحرارة وكثرة الغبار والدخان واحتمال الانهيارات. ومعلوم أن العمليات التعدينية - وخاصة الفرز والتصفية - كانت تستلزم كميات كبيرة من الفحم الخشبي. وهذا ما وفرته منطقة عوّام التي كانت عبارة عن غابة من أشجار الأرز. كما كانت مصدرا لأخشاب الدعم ولمتطلبات الحياة اليومية للمنجميين.

ولا ريب أن المنجم كان عاملا رئيسيا في اختفاء هذه الغابة وتحولها اليوم إلى منطقة جرداء. والراجح أن المعدن كان يحول - كلا أو جزءا - بعين المكان، وهذا ما يمكن أن يفهم من بقايا الأفرنة والمصافي الموجودة بجوار عوام، وخصوصا داخل قصبة تمتد على حوالي 26 هكتارا، وربما كانت تضم كذلك بيوت المنجميين. ولضمان الحماية لهذه الثروة المعدنية حصنت القصبة بسور يبلغ سمكه حوالي مترين وارتفاعه ثلاثة أمتار تقريبا، وتتخلل السور أبراج للحراسة والمراقبة. وتدل الخرائب الباقية من القصبة ووصف الوزان ومارمول أنها كانت مدينة منجمية بكل مرافقها ووظائفها. وقد تكون المصادر تعنيها حينما تشير إلى وركناس ومدينة معدن عوّام.

وتبرهن الفضلات المعدنية على دقة الفرز والتصفية. كما يجوز اعتبار غنى المنجم وضخامة مخلفاته وتقنيات استغلاله قرائن على أهمية الإنتاج. وهي أهمية يزكيها عمق الحفر الذي وصل أحيانا إلى مائتي متر، ولم يكن يتوقف إلا عندما تعجز التقنيات المتوفرة عن متابعة الاستغلال. ويعتبر هذا العمق حالة فريدة من نوعها في تاريخ التعدين بالشمال الإفريقي، حيث لم يتجاوز في الحالات العادية خمسين مترا. وتقدر الدراسات الحديثة من جهتها أن الإنتاج الكلي بعوّام كان كبيرا بالفعل، إذ وصل إلى 230.000 طن من الرصاص.

ومن المعروف أن سك العملة هو أهم مجالات استعمال الفضة. لكنها كانت تستخدم أيضا في صناعة الحلي والأواني وزخرفة الأسلحة وفي المبادلات التجارية مع الخارج. ومثل هذه الأنشطة الاقتصادية تدخل في صميم اهتمامات اليهود التقليدية، الأمر الذي يدفع إلى التساؤل عن علاقتهم بمنجم عوّام. وهو تساؤل يستمد وجاهته من إشارة وردت عند صاحب "الاستبصار" تفيد أن اليهود كانوا يمثلون معظم سكان قلعة المهدي بن توالي غير بعيد عن عوّام، وأنهم "سرقة فيلجؤون للحصن حيطة على سلعهم".

ونظرا لأهمية هذا المنجم من حيث نوع معدنه ووفرة إنتاجه، ووقوعه بممر استراتيجي، عملت الدول المغربية الوسيطية منذ نشأتها من أجل السيطرة على فازاز حيث يوجد عوّام. كما كانت المنطقة مجالا للتنافس الشديد بين مختلف القوى السياسية سواء تلك التي اقتصرت على حكم يهودي أو شملت مجموع المغرب الأقصى.

ولعل أصعب القضايا التي يطرحها منجم عوّام هي فترة استغلاله ومدتها. وهنا يتعين مرة أخرى استنطاق المصادر المكتوبة والأثرية التي تدفع إلى الاعتقاد بأن الأعمال التعدينية بعوام تعود إلى ما قبل القرن الثامن (14 م)، وأنها عرفت الأوج خلال القرنين السادس والسابع (12 و13م).

ولئن كان من شبه المؤكد أن منجم عوّام لم يستغل في العصر القديم، فإننا نجهل بداية العمل فيه، ويفترض B. Rosenberger أن يكون ذلك تم منذ القرن الثاني (8 م)، وبالضبط في عهد الأدارسة الذين قد يكونون ضربوا عملتهم بفضة عوام. ودليله على ذلك تعدد دور السكة في عصرهم بالمدن والبلدات المجاورة لعوّام.

ولاحظت بعض الدراسات التشابه القائم بين تقنيات استخراج وتصفية معدن عوّام، وبين مثيلاتها بأوربا في القرنين التاسع والعاشر (15 ـ16 م)، لتستنتج بأن استغلال عوّام امتد إلى هذه الفترة. بل إنها نسبت مخلفاته المعدنية ـ

اعتمادا على الرواية الشفوية - إلى البرتغاليين. والواقع أنه لا ينبغي الركون إلى هذه الرواية لما يعتريها من تشويش، ويكفي الإشارة إلى أنها تزعم في مناسبة أخرى أن العمل بعوام استمر إلى العصر الإسماعيلي.

وفي كل الأحوال تميل مختلف مصادرنا إلى نفي أي نشاط تعديني بعوام بعد القرن العاشر (16 م)، وربما قبل ذلك. وفي هذا الإطار يخبرنا الوزان أن بني مرين هم الذين خربوا مدينة معدن عوام إبان حروبهم مع الموحدين منتصف القرن السابع (13 م). وقد تكون التقنيات المتوفرة عجزت أيضا عن متابعة عمليات الاستغلال، مما أدى إلى التخلي النهائي عن عوام.

وظل المنجم مهجورا منذ ذلك الحين. وخلال العقد السادس من القرن الماضي دلت التحريات على احتفاظ عوام باحتياطات كافية وقابلة للاستغلال، بفضل التطور الحاصل في التقنيات التعدينية الحديثة. فجهز المنجم واستؤنفت الأعمال فيه. وبلغ إنتاجه 12.600 طن سنة 1963، أي أنه كان رابع أهم منجم للرصاص بالمغرب. ولكن مع توالي السنوات تكاثرت أزمات معدن عوام، الشيء الذي انعكس سلبا على العلاقات بين العمال والشركة المستغلة.

م. الزهري، كتابة الجغرافية، د. ت. ص. 115 ؛ مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، 1985، ص. 187 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، 1963، ص. 448 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1983، ج. 1، ص. 203 - 240 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، 1984، ج. 2، ص. 132 - 133.

B. Rosenberger, *Une mine d'argent au Moyen Atlas marocain*, *Hespéris-Tamuda*, 1964, vol. 5, p. 15-77 : *Les vieilles exploitations minières et les centres étallurgiques du Maroc. Essai de carte historique*. *Revue de géographie du Maroc*, n° 17, 1970, p. 97-98.

عبد العزيز العلوي

**العوينة، محمد** بن المحجوب، من رجال التعليم الذين خدموا هذا القطاع بكل تفاني، وعالم فقيه، من علماء الرباط البارزين. ولد بالرباط سنة 1903 وأقام بها طيلة حياته، لكنه احتفظ في شبابه بعلاقة وطيدة بالبادية، وذلك بقيامه برحلات عديدة على ظهر الدواب في مناطق زعير ووورديغة وبني خيران ودكالة. وهو ينتمي إلى قبيلة بوزرارة بدكالة وينتسب إلى أحفاد سيدي رحال.

بدأ محمد العوينة تعليمه متأخرا إذ زاول، بعد تحصيله القرآن الكريم في سن مبكر، الكثير من الحرف، نذكر منها حرفة السراجة والتسوق في الأغنام، التي كان يسافر إلى الأسواق النائية من أجل جلبها إلى الرباط، على غرار ما كان يفعله والده. ثم ارتبط بطائفة من الطلبة الذين جمعته وإياهم حلقات دروس مساجد الحضرة الرباطية والسلاوية. وقد رافقه في هذه الطائفة أساتذة مثل مصطفى بن المبارك، إبراهيم الإلغي، إبراهيم الطاطي، عبد الكريم بن الحسني، عثمان جوريو وآخرون تتلمذوا على علماء مدينة الرباط. ومن بين أساتذته قاسم الحاجي، محمد الرغاي، الصديق الشدادي المدني بن الحسني، الشيخ أبو شعيب الدكالي، محمد بنعبود وعبد الله الجراري.

وقد كانت له مكانة عظيمة في نفوس أصدقائه لما آتاه الله من بسطة في العلم والجسم، فلقد كان سريع التحصيل مثابرا وملازما لشيوخه وأساتذته. كما كان يعتمد عليه في المهمات الصعبة لما كان يعرف فيه من أوصاف الرجولة الكاملة والشجاعة والسلامة الصحية.

وقد امتازت فترة التعلم هاته بتنوع أنشطتها، من دروس علمية في المساجد منذ صلاة الفجر، وحلقات علمية يومية في بيوت الطلبة، وندوات في بيوت الطلبة المتقدمين، تهم قضايا متنوعة من بينها قضايا تطور المجتمع الإسلامي، ونزهات للتسلية والمتعة، تجمع الأساتذة والطلبة، في ضيعات بجوار الرباط، يتم خلالها الالتفاف حول الشيوخ وحلقات مذاكرة وقراءة للشعر والطرب.

وقد خلد عميد علماء الرباط سيدي المدني بن الحسني اسم محمد العوينة وأسماء طلبة آخرين، كانوا يحضرون حلقات دروسه في قوله :

إن الكريم مدني الطبع    والعين تغزو بلطيف النبع

ولما قرر الأستاذ أحمد بلافريج إنشاء معهد جسوس، كان محمد العوينة من بين المتخرجين من الدروس العلمية الرباطية، الذين وقع الاختيار عليهم للتعليم في هذه المؤسسة. وهناك برزت مؤهلاته التربوية والعلمية، فكان مثال المعلم المخلص في أداء رسالته التربوية وتوجيه تلاميذه. فتخرج على يده العديد من شباب الرباط، احتل بعضهم مواقع عالية.

وخلال أحداث المطالبة بالاستقلال سنة 1944، أظهر وطنيته الصادقة، عندما أقدم أساتذة جسوس على تحرير عريضة تؤيد الوثيقة التاريخية المطالبة بالاستقلال. فكان أحد من طافوا بهذه العريضة على الأساتذة، ورجال العلم والآداب من أجل الحصول على توقيعاتهم، قبل تبليغها للسلطات العليا. كما كان من بين الأساتذة الذين أخرجوا بقوة البنادق من معهد جسوس يوم أقدمت سلطات الحماية على إغلاقه.

عندئذ أخذ يعمل في نشر العلم في المساجد، قبل أن يتفق مع بعض زملائه على فتح مدارس عصرية مغربية،

درس بها، خاصة منها المدرسة القاسمية، قبل فتح مدارس محمد الخامس.

ولما نادى المغفور له محمد الخامس بتعليم الفتاة، كان محمد العوينة من الذين انتدبوا للقيام بهذه المهمة، فعمل بتفاني وإخلاص في هذا المجال، قبل أن ينتقل إلى مدرسة أبناء الأعيان، ثم ثانوية مولاي يوسف. وخلال مدة تعليمه، كان يساهم في الإشراف التربوي على الأساتذة الجدد.

يذكر أهل الرباط فيه الرجل المتواضع والصدر المفتوح لبذل النصح والتوجيه والافتاء في القضايا الفقهية، والعلم الواسع والاطلاع على ميادين التفسير والحديث والفقه والنحو والبيان والعروض والتاريخ والحساب والجغرافيا والفلك، والحرص على التفوق في مهنة التعليم من أجل الحصول على إقرار الأساتذة والمديرين الأجانب بتميز رجال التعليم المغاربة. ومن غرائب مواقفه الوطنية رفضه التام لكل لباس أو ثوب مستورد إلى حين حصول المغرب على الاستقلال. كما كان معروفا بمهارته في رياضة السباحة والمشي وبعدم انقطاع شفتيه عن ذكر الله. كان يقضي جل وقته في البحث في خزانته الخاصة الغنية بأمهات الكتب ونفائس المخطوطات والمطبوعات. وقد استمر في التردد على كتبه وتحرير تعاليق علمية أصيلة على طرتها إلى آخر أسبوع من حياته. وتوجد هذه الخزانة الغنية الآن برمتها، وبما فيها من تقارير وتعاليق بخط يده بمركز جمعية الماجد بمدينة دبي بالإمارات العربية المتحدة. وقد وافته المنية رحمه الله يوم 14 يونيو سنة 1985 بمدينة الرباط ودفن بمقابر لعلو.

محمد البخاري وعبد الله النووي العوينة

**العيدي، رضوان** مقاوم من مواليد مدينة الدار البيضاء سنة 1930، من والده عبد الله بن بورحيم وأمه حليمة بنت محمد.

كان الفقيد من المقاومين الأوائل الذين انخرطوا في منظمة أسود التحرير، وقد قام بعدة عمليات فدائية رفقة أفراد خلية درب كلوطي بالبيضاء قبل أن يلتجئ إلى المنطقة الخليفية بتطوان أواخر سنة 1955 حيث التحق بصفوف جيش التحرير وبعد حصول المغرب على استقلاله انضم إلى صفوف الأمن الوطني إلى أن وافاه أجله المحتوم يوم 5 أكتوبر سنة 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 517409.

**عيساوة**، طريقة صوفية هم أتباع الشيخ مَحمد بن عيسى المدعو الشيخ الكامل دفين مكناس.

كانت هذه الطريقة في البدء تقتبس أصولها - كغيرها من الطرق الحادثة بالمغرب في القرن السادس عشر - من الطريقة الجزولية التي تستمد بدورها من تعاليم أبي الحسن الشاذلي (ت. 658 / 1258) تلميذ القطب الصوفي المولى عبد السلام بن مشيش العلمي دفين جبل العلم بالقرب من مدينة تطوان، كما كانت تضطلع بدور التربية الروحية، فيجتمع مريدوها على العبادة وتلاوة القرآن الكريم وقراءة حزب "سبحان الدايم" الذي وضعه الشيخ الكامل وضمنه كثيرا من قواعد التوحيد.

ثم حدث أن اتسع نشاط أصحابها، فأصبحوا يمزجون بين قراءة الأوراد والأدعية والاشفارات والهيللة والتصلية على النبي (ص) وبين أنواع الشطح والجذب، إضافة إلى ممارسات أخرى ابتدعوها كالتعرض للسموم والنيران ورفع الأعلام والبيارق وضرب الطبول ونفخ المزامير.

وللطائفة العيساوية داخل المغرب أتباع كثيرون، ولها زوايا بمختلف المدن المغربية، وخاصة زاوية مكناس التي تستقطب الوافدين عليها من مدن المغرب وبعض مدن دول الشمال الإفريقي بمناسبة المولد النبوي. ويقام موسم الشيخ الكامل حول ضريح أسسه السلطان محمد بن عبد الله في ساحة تقع خارج باب السيبة، وكان ذلك عام 1190.

وقد أصبح للطائفة العيساوية شيوع واسع تجاوز حدود المغرب إلى دول الشمال الإفريقي، وامتد إلى بلاد مصر، فقامت لها بهذه الأقطار زوايا خاصة يلتقي فيها الأتباع والمريدون.

وعن انتشار هذه الطائفة في مصر يقول المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي في وصف احتفالهم : إنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين، ويقولون كلاما بلغتهم بنغم وطريقة مشوا عليها وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على قدر النغم ضربا شديدا مع ارتفاع أصواتهم، وتقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون بالدفوف فيضعون أكتافهم في أكتاف بعض لايخرج واحد عن الآخر ويلتوون ويتنصبون.

أما في تونس فماتزال الطائفة العيساوية حتى اليوم من أكثر الطوائف الدينية شيوعا وانتشارا، ولها أتباع يفوق عددهم الحصر، يحملون الأعلام، وتسمى جماعاتها بالفقرة. وهم يتغنون بالأمداح العيساوية التي يسمونها "براول"، كهذه التي جاء فيها :

| | |
|---|---|
| سيدي امحمد بن عيسى | قالو حلف يمين |
| اللي خدمني بالنيه | مضمون في الدارين |
| الشيخ بن عيسى الغربي | علاه في الدرجه ربي |
| مغموس في بحر النبي | مضمون في الدارين |

وعلى غرار أغلب الطوائف الصوفية القائمة بالمغرب ترتبط باحتفالات الطائفة العيساوية ظاهرة تقديس الولي الصالح الشيخ الكامل وتلتقي جملة من الطقوس التي تضرب في أعماق التقاليد الشعبية المتوارثة التي دخلتها صنوف من الممارسات هي حصيلة تعايش صعب وتناقض بين الدين وبين الخرافة.

وينطلق الممارسون من اعتبار التقديس للولي الصالح ذا وظائف سياسية وعلاجية ورمزية، تساعد على تخليصهم من همومهم اليومية، وما تراكم في نفوسهم من مكبوتات، كما

تُتيح لهم الانغمار في أجواء إيروتيكية يمتزج فيها الرقص والجذب بنشوة الاحتماء في أحضان الولي.

وقد تسربت عادة التغني إلى الطائفة العيساوية كما تسربت إلى غيرها من الطوائف نتيجة تأثرها بطرق المشارقة كالرفاعية المصرية، فأصبحت مراسيم أتباعها عبارة عن تظاهرات موسيقية تلتقي فيها فئات شعبية تتباين مستوياتها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

وقد أفضت الممارسة والتداول إلى نشوء مجموعات ينحصر نشاطها في ترديد الأذكار والأدعية على الأنغام والإيقاعات بعيدا عن الممارسات الطقوسية الأخرى، وبذلك تحولت هذه المجموعات إلى فرق فنية موسيقية صرفة تمارس نوعا خاصا من أنواع الغناء الشعبي الصوفي له مقوماته التي تميزه عن الفنون الغنائية الأخرى.

يصطلح أصحاب الطريقة العيساوية على تسمية عرضهم الفني الكامل بـ"العمارة". وتستوعب العمارة سائر العناصر الفنية التي تشاد عليها الأغنية الصوفية من إنشاد وترجيع، وعزف، ونقر، ورقص وجذب.

وتتكون العمارة العيساوية من ست حلقات متتالية تستقل كل حلقة منها بمستعملات خاصة تؤدى على نحو خاص. وهي على النحو التالي :

- قراءة حزب سبحان الدايم لشيخ الطريقة على نغمات رتيبة مع التركيز على مخارج الحروف. وتكون في البدء بطيئة، ثم تتحول بالتدريج نحو السرعة.

- الأذكار : كلام منثور يسرد على نغمات موسيقية متنوعة في تحاور بين الذكار والفقرا. وفي هذه المرحلة تتدخل آلات النقر بأنواعها التالية : الطبيلة، والطاسة، والتعارج، والطارة، والبندير.

- أمداح الشيخ (الدرقاوية : أزجال وبراول مختارة من نوبات الآلة الأندلسية، تتخللها دعوات تسمى "الفاتحة"). وفي هذه المرحلة يدخل عنصر الشطح وهز الأكتاف على إيقاع آلات النقر.

- حادون : عبارات مسجوعة من قبيل : باسم الله أبدينا يا أحد بالرحماني - على النبي صلينا يا أحد يا لرحماني.

ويكون إنشاد هذه العبارات من طرف الفقرا على طبوع متنوعة بمصاحبة النفخ على الغيطة والنقر على آلات الإيقاع. ويتوسط المجموعة فرد يقوم بالشطح.

- الحضرة : تعلن عن الدخول في المرحلة الحاسمة من العمارة. وخلالها يردد الفقرا أمداحا نبوية وأخرى في مدح بعض الأولياء، مع الشطح والجذب على إيقاع الطبول والبنادير ونفخ الغيطة والنفير.

- المجرد : ترديد بعض التصليات بمصاحبة الغيطة وسائر آلات النقر على إيقاع شبيه بالحضاري.

وتختم العمارة العيساوية بقراءة الفاتحة.

عبد الرحمن الجبرتي، *عجائب الأمصار* ؛ محمد داود، *تاريخ تطوان*، ج. 1، ص. 308 ؛ الصادق الرزقي، *الأغاني التونسية*، ص. 117 و125 ؛ عبد الرحمن ابن زيدان، *الاتحاف*، ج. 1، ص. 194 ؛ حوار خاص مع مقدم الطائفة العيساوية للركب الفيلالي بمكناس السيد إدريس المرابط.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**العيساوي، أحمد** مقاوم من مواليد سنة 1922 بتندرارة.

انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1955 تحت رئاسة بالحاج يوبو الفكيكي، شارك في عدة معارك من أهمها معركة بني ونيف، عين يعلو، الحوابي، تندرارة. وبعد أن أحرز المغرب على استقلاله عمل بصفوف القوات المسلحة الملكية.

انتقل إلى عفو الله يوم 13 / 01 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 520348.

**العيسوك، علي** مقاوم من مواليد سنة 1921 بدوار أكورته بإقليم تزنيت.

كان المرحوم من الرعيل الأول الذي انخرط في صفوف جيش التحرير بمنطقة آيت باعمران وبصفوف المنطقة السرية تحت مسؤولية بن الطالب محمد حيث كافح وعمل بكل اخلاص وتفان في الهجومات التي خاضها جنود جيش التحرير ضد مراكز وقوات الاستعمار الإسباني بالمنطقة منذ سنة 1957 حتى سنة 1960 وبفضل ذلك تمكن الباعمرانيون من تحرير بعض المناطق حيث اضطر الإسبان إلى اللجوء إلى مدينة سيدي إفني إلى أن عادت إلى حظيرة الوطن الأم يوم 30 / 06 / 1969.

رحل إلى دار البقاء يوم 19 / 03 / 1995 بسيدي إفني.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 507996.

ابن **عيسى**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ayza - Eça.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 324.

محمد ابن عزوز حكيم

**عيسى** (آيت -)، قبيلة حاحية تقع في الصف الشرقي الجبلي ضمن القبائل الأثنتي عشرة التي تكون إتحادية قبائل حاحة. وموطن آيت عيسى يحده من جهتي الشمال والشرق موطن قبيلة إيداوبوزيا، ومن الغرب قبيلة إيداوكازو. وتحده جبال قبيلة آيت واعزون التنانية من الجنوب، وبذلك تقع بلاد آيت عيسى في السفح الشمالي للأطلس الكبير، وتتميز

بتضاريسها المتنوعة من جبال مثل جبل (تاسكا أو كرض) البالغ علوه حوالي 1300 متر، وسهل آيت عيسى الذي يخترقه منحدر نهر (أسيف واعزيز) النابع من قبيلة امتوكة ليلتقي بوادي تامسولت ـ النابع بدوره من قبيلة إيداوبوزيا ـ عند نقطة (تاكاديرت ـ ن ـ آيت عيسى) حيث تنبع أربعة منابع غزيرة لا تجف أبدا لتكون مجرى نهر آيت عيسى المتدفق شتاء وصيفا، فتنشأ عنه واحات نخيل جميلة على طول خمسة عشر كيلومترا، كانت مصدر ثروة وغنى آيت عيسى، وتبلغ مساحة أراضي قبيلة آيت عيسى حوالي 260 كلم$^2$، وتعداد سكانها أقل من عشرة آلاف نسمة ـ حسب الإحصاء الأخير ـ وهي أصغر قبيلة حاحية بعد آيت واضيل، لذلك كان القائد امبارك أنفلوس (ت. 1299 / 1881) ـ عند تعداده لقبائل حاحة ـ يضم قبيلة آيت واضيل إلى قبيلة آيت عيسى رغم تباعدهما. قيل أنه يتعمد ذلك نظرا لضيق رقعتيهما وقلة سكانهما، وقيل لأنه أدرك أن تينك القبيلتين ظلتا منعزلتين حتى ذهبت عصبيتهما ولم تنشأ فيهما رياسة خاصة ولم ينضما إلى جاراتهما كما انضمت إداوكرض إلى نكنافة، وكما انضمت إداوكازو إلى إداوتغما. ورغم خصوبة أراضي قبيلة آيت عيسى المكسوة بأشجار الأركان واللوز والزيتون والخروب والنخيل، مما شجع السكان على تربية المعز والأبقار وتربية النحل ـ إلا أنهم مع ذلك ظلوا دائما تابعين لغيرهم في الرئاسة.

وبعد عهد المولى إسماعيل (ت. 1139 / 1727) كان القائد علي يعيش الزلطني يحكمهم وضمهم إلى قبيلته (آيت زلطن) رغم بعدهم عنها، وبني بجبل آيت عيسى قصبته المشهورة باسم (قصبة يعيش) كما بنى نظيرتها بآيت زلطن. وتعد قصبته من المآثر التاريخ التي لاتزال ماثلة للعيون بآيت عيسى، وهي عبارة عن سور من الحجر الجاف وأبراج دائرية وأخرى مربعة يتراوح سمك جدرانها ما بين مترين إلى ثلاثة أمتار، وتشكل مساحة أرض القصبة صورة مربعة واسعة من 250 م$^2$ وتضم أطلال مسجد عتيق وعدد من المنازل المخربة.

وفي عهد القائد الحاحي الكبير الحاج عبد الله أوبيهي (ت. 1284 / 1867) ثارت قبيلة آيت عيسى ضد حكمه الجائر حينما أثقل كاهلها بالضرائب، فوجه إليهم جيشا مخزنيا لتأديبهم فهرب أمامه خصومه المناوئون لسياسته الضريبية ملتجئين إلى حرم مبنى مدرستهم العلمية العتيقة المشهورة بـ(إيكي مهند) وتحصنوا بجدرانها، فأمر القائد بإحراقها وتخريبها عليهم. وبعد زوال قيادة آيت بيهي أومولود أعلنت قبيلة آيت عيسى ولاءها لقيادة إينفلاس النكنافيين إلى حين زوالها بدخول الحماية سنة 1912.

وفي مطلع عهد الحماية كانوا تابعين للقائد المختار الزلطني الذي أرسل إليهم خليفته أحمد عام (1340 / 1921)، ولم تمض عليه سنة حتى ثاروا ضده ورموه بالبارود عازمين على قتله لكنه نجا منهم.

وعلى إثر هذه الحادثة قرر القائد المختار أن يفرض على أفراد القبيلة بناء حصنه المشهور بإيكي مهند وذلك بإلزام كل فرد بالخدمة الإجبارية ودفع قسط من المال، ولازال رياضه هناك محتفظا بجودة معماريته ومتانة بنيانه. وفي عام 1354 / 1935 تنازل القائد المختار لأسباب عائلية عن حكم قبيلة آيت عيسى لقائد قبيلة إيداكيلول الحاج سعيد أوتكزيرين (ت. 1374 / 1954).

ومن المآثر التاريخية والثقافية المشهورة بقبيلة آيت عيسى زيادة على ما ذكر :

1 ـ حصن قديم فوق جبل آيت عيسى يدعى بالأمازيغية (تين سْگَمُوضْ) يقال أنها قلعة منسوبة إلى ملكة تسمى (سگَمُوض) في الزمن الأسطوري، ويروى أن جيشا غازيا كان قد حاصرها وقطع عنها الماء كي تستسلم، فحفرت خندقا داخل حصنها الواقع فوق قمة الجبل المذكور حتى بلغت به أسفل النهر عند سفح الجبل، وجعلت تستقي من النهر ما شاءت من الماء، والعدو لا يعرف من أين تحصل على الماء حتى يئس منها فرفع الحصار عنها وانجلى.

2 ـ مدرسة (إيكّي مهند) العتيقة : توحدت القبيلة واجتمعت على بنائها بإشارة من الولي الصالح السيد إبراهيم بن محند الألياضي السوسي عام 1151 / 1738 حينما مر بالقبيلة في إحدى سياحاته الصوفية إذ استشاره بعض أتباعه في أين يبنون مدرسة علمية تنسب إلى آيت عيسى، فعين لهم موضعين هما (إيكّي مهند) و(إيدْقي) وأخبرهم بأنه رأى النبي (صلعم) في كلى الموضعين المذكورين، ثم وضع الحجر الأساسي للمدرسة في إيكي مهند فاتخذتها القبيلة مدرستها العلمية الوحيدة إلى الآن ثم أنشئت بجوارها منشآت اقتصادية وإدارية كالسوق الأسبوعي يوم الخميس ورياض القائد المختار المذكور، ومقر الجماعة القروية، ومرافق أخرى. ومن مشاهير أساتذة هذه المدرسة :

1 ـ الفقيه الثائر المشهور بـ(بوحليس) قام بالتدريس فيها عام 1206 / 1791 كما ذكر صاحب كتاب لب الوقائع في أخبار حاحة في قصة طويلة.

2 ـ الفقيه محمد بن المؤذن العيسي من قرية إيكي مهند نفسها، بلغنا أنه كان نساخا ماهرا، انتسخ كل خزانته بخط يده، وهذا مما يدل على مكانته العلمية، وعلو همته.

3 ـ ومن أساتذتها المشهورين بالتدريس والعلم والأدب الفقيه الشاعر السيد محند بن عبد الله التناني التافكاختي (ت. 1349 / 1930) قضى فيها زهاء 27 عاما من الجد في التعليم فتخرج عليه عشرات ممن يمثلون زينة العلم والأدب والتصوف في هذه الناحية إلى الآن.

4 ـ وآخر من تصدر للتدريس بها الفقيه الأديب أوالعسري محمد بن أحمد العيسي قضى بها فترة ما بعد الاستقلال إلى اليوم وتخرج عليه عشرات من طلبة القبيلة وغيرهم من القبائل المجاورة وقد تجاوز الثمانين من عمره وله تآليف مفيدة في الفقه نظما ونثرا تدل على المكانة العلمية لقبيلة آيت عيسى.

مجهول، *لب الوقائع على تولية حاحة والبدائع*، مخطوط بخزانة ورثة محمد المختار السوسي ؛ محمد بن الطيب الصويري، *الكتاب المتنقل*، مخطوط متداول ؛ آيت الحاج محند، *مظاهر الحياة الثقافية بحاحة وإيداوتنان*، أطروحة نوقشت سنة 1994 ؛ *تحريات ميدانية*.

محند آيت الحاج

**العيسي**، الحاج **عابد** السوسي، فمن باب التنويه : ذكر الباحث الأمريكي جان واتربوري John Waterbury في كتابه : "أن الحاج عابد أصبح شخصية شبه أسطورية في عالم التجارة والمال" ويسود الاعتقاد عند الجميع بأنه أغنى رجل في المغرب في عهد الحماية وبداية الاستقلال، وكان يصفه الفرنسيون يومئذ بـ"الملياردير". وقد عبر العلامة المختار السوسي - في شموخ العلم وتواضع العلماء - عن عرفانه بالجميل للحاج عابد حينما رعاه مادياً في جملة من الطلبة أثناء دراستهم في فاس قائلاً : "إنه هو الذي قام بي في فاس حتى تعلمت، ولولاه ما قدرت أن أبيت في فاس ولا في الرباط ليلة واحدة، وأمثالي في ذلك كثيرٌ، و"من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه" والمؤرخ - يضيف المختار السوسي - "ليس في يده من المكافأة إلا أن يخلد الشكر في طيات التاريخ الخالدة".

كانت ولادةُ الحاج عابد السوسي بقبيلة تافراوت سنة 1894 بالأطلس الصغير وكان والده الحاج الحسن بن محمد التِّملي، وهو الصوفي المشهور، كافح من أجل نشر الطريقة الصوفية في تافراوت. ثم في جهات درعة وتافيلالت وتوات لمدة طويلة استمرت ما بين 1304 / 1887 إلى 1317 / 1899 تعرض خلالها للسجن من قبل الفرنسيين وهو ينشر الطريقة الصوفية الدرقاوية في تلك الجهات، وقد انشأ زاويتين في تافراوت لنفس الغرض، وكان له ولدان : عليٍ وعابد تشبعا من معين التصوف هذه، فكان أن لازم عليٌّ والده وخلّفه في تصرفه، بينما تميز الحاج عابد بميزتين : الأولى مهارته في التجارة والثانية الالتزام بالسنة النبوية في جميع أعماله وممارساته اليومية، وبالإضافة إلى أنه كان تَـالِـيًا لكتاب الله محافظاً على الصلاة وسريعاً إلى أعمال الخير فقد لازم أحد العلماء المشهورين العلامة المحدث عبد الرحمان النتيفي لمدة ثلاثين سنة فاستفاد من علمه وورعه.

كل هذا مضافاً إلى اقتحام الميدان التجاري، ففي معرض الظروف الصعبة التي واجهها في بداية مسيرته التجارية، وما كان يتحمله بصبر في سبيل مساعدة الآخرين ووفاء لعلمه، ذكر واتربوري أن أهل أمّـلن الموجودين في طنجة يرسلون مع الحاج عابد أموالاً إلى دويهم في تافراوت لأنه كان يسافر راجلاً مسافة 800 كلم عبر طرق صعبة مليئة بالأخطار فهو بمثابة ساعي البريد، وقد انتقل يافعاً إلى الدار البيضاء وفتح دكانا بسيطاً طوّره في سنة 1910 وبسرعة أصبح يدير سلسلة من الدكاكين تبلغ المئتين واتخذ له شركاء عديدين، وكان يساعد القادمين إليه من التجار الجدد ويقدّم لهم السلف أو يزودهم بدكاكين جاهزة، بما يطور المجال التجاري في هذه المدينة إذ تعامل في تجارته في التصدير والاستيراد مع العديد من المسلمين واليهود والنصارى داخل المغرب وخارجه.

وتوسع نشاطه سنة 1951 فأصبح رئيساً للغرفة التجارية والصناعية بالدار البيضاء، ثم اقتحم ميدان الصناعات الخفيفة، كما أنه اشترى الأراضي لمزاولة الفلاحة بسوس وضواحي الدار البيضاء ومن أعماله الخيرية أنه تولى رئاسة الجمعية الخيرية الإسلامية بالدار البيضاء منذ الأربعينيات والإشراف المادي على الميتم الإسلامي بعين الشق وطريق مديونة كعمل اجتماعي رائد أنقذ الكثير من الشباب والفتيات وأهّلهم أعضاء عاملين في المجتمع وقد زوج كثيراً من بنات الميتم وجهزهن وأعلن أنه "ولي أمرهن الشرعي".

ومن مواقفه الوطنية أن الفرنسيين كانوا يعلقون آمالهم على الحاج عابد ليحققوا استراتيجيتهم الاستعمارية بعد نجاحه في الغرفة التجارية بجدارة واستحقاق، لكنه خيب آمالهم عند ما جعلوه سنة 1954 على رأس بعثة وطنية إلى باريس وفي ندوة صحفية (انظر الوثيقة) : طالب برجوع السلطان محمد الخامس إلى المغرب من منفاه، فكان ذلك مؤلماً بالنسبة للمقيم العام وللفرنسيين، وفي فرنسا ساهم بمساعدة مالية لرجال المقاومة على يد الدكتور الخطيب، وكانت مواقفه مع الحركة الوطنية على جانب كبير من السرية. وبعد الاستقلال وفي شهر غشت سنة 1956 عندما استقبل السلطان محمد الخامس جمعية علماء سوس، قصد تأسيس المعهد الإسلامي بتارودانت، عين الحاج عابد رئيساً للجنة المالية بحضور وزير الأوقاف محمد المختار السوسي، ووزير التعليم محمد الفاسي، وَوَفد الجمعية وقد بذل الحاج عابد من ماله وتفانى بنفسه في تأسيس وتحقيق مشروع المعهد الإسلامي (معهد محمد الخامس الآن) إذ كثيراً ما يترك تجارته ليقيم بين الطلبة في تارودانت ليشرف بنفسه على سير الأعمال ضارباً في ذلك المثل الأعلى في خدمة العلم والدين.

وكانت مساهمة الحاج عابد رائدة في بناء الاقتصاد المغربي على المستوى التجاري وفي مجال بعض الصناعات، كما أنه سعى وراء فكرة التنقيب على البترول وسعى

للحصول على رخصة بذلك، وقام بحفر العديد من الآبار استغلت كمصدر للمياه، وتوقف عن الفكرة.

ولكن مساهمته الكبرى كانت في المجال الاجتماعي والثقافي نتيجة ميله إلى الأعمال الإحسانية والإسهام في المؤسسات الاجتماعية في المياتم ودور العجزة وبناء المعاهد والمدارس وبناء المساجد وحفر الآبار والبحث عن المياه في المناطق البدوية ومساعدة الطلبة على متابعة دراستهم في القرويين وجامع ابن يوسف وفي المدارس العتيقة والعصرية وفي بعض الجامعات بالخارج. وإعانة ذوي الخصاصة من الفقراء، وكان يحرص أن تتم هذه الأعمال في سرية تامة ودأب على ذلك حتى وافاه أجله عصر يوم الخميس 28 مارس 1996 بالدار البيضاء بعد مائة واثنين من السنين.


م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 17، ص. 42، الدار البيضاء ؛ *من أفواه الرجال*، ج 3، ص. 13 ـ 16، تطوان : جمعية علماء سوس، *منجزات جمعية علماء سوس في عهد محمد الخامس*، ج. 1، ص. 19 ـ 45، 1980، ج. 4، ص. 304 ـ 363، 1994 ؛ ع. الساحلي، *المعهد الإسلامي والمدارس العتيقة بسوس*، ج 1، ص. 76، الدار البيضاء، 1985 ؛ أرشيف الجمعية الخيرية الإسلامية، الدار البيضاء ؛ أرشيف الغرفة التجارية والصناعية بالدار البيضاء.

John Waterbury, *North For the Trade Life and Times of Berber Merchant*, 1972.


عمر أفا

**عيشة قنديشة**، شخصية أسطورية أو واقعية ترمز إلى المقاومة المغربية للاحتلال الأجنبي. يروي التاريخ أخباراً تردُّ أصل هذه الشخصية إلى الواقع التاريخي المغربي. فخلال استعمار البرتغال للمغرب ظهرت هذه المرأة في صورة مناضلة محاربة اقتحمت جيوش العدو قريتها فدمرتها عن آخرها ولم تغادرها إلا بعد أن قتلت سائر الأهالي ما عادا تلك المرأة التي لم تكن حاضرة وقت حدوث المجزرة الوحشية، بل كانت بعيدة عن القرية تنظر لوقائع الجريمة البشعة (القتل الجماعي (Génocide) وقلبها يعتصره الأسى. وبعد ذهاب العدو رجعت المرأة إلى ديار أهلها تبكي وتولول وتتمرغ في الدماء. وأقسمت بأغلظ الأيْمان أن تنتقم لأهلها المقتولين ظلماً وعُدواناً. فدبرت لهذه الغاية تدبيراً قدّرت أنه قمين بأن يحقق ما تصبو إليه من انتقام مبيّت، فكانت كلما جَنّ الليل وضعت عليها أحسن لباس وأبهى حلية وازّيّنت أتم ما يكون التزيّن، فخرجت لإغراء ضباط الأعداء. فكانت إذا مُثلتْ أمام أحدهم، لم تَدخر جهداً في إبداء محاسنها وجمالها الأخاذ لإغوائه ولفت اهتمامه. وإذا تحقق لها ذلك، عزلته عن الجماعة وانفردت به لترديه قتيلاً إذ لا تتركه إلا وهو مجَدَّل مضرّج بدمائه.

إن هذا الاعتبار التاريخي لا يحصرُ دلالات هذه الشخصية الأسطورية داخل نفق الحيثيات الاقتصادية والاجتماعية التاريخية الضيق، وإنما يمنحُها صفة الشخصية الأسطورية التي تعدّت حدود التاريخ وحفرت في اللاشعور الجمعي للمجتمع المغربي لا سيما الفئات الشعبية مجرى عميقاً رفع عائشة قنديشة من مستوى الواقع التاريخي لمناضلة ممتازة إلى رمز كبير تحيطه بهالة عجائبيّة (Fantastique) وخرافيّة من الصور البطولية التي تحولت بعد انتهاء محاربة العدُو إلى أفعال عدوانية خارقة لا تأويل لها إلا حضور هذا الشبح المهدِّد للرجال في كل لحظة وآونة بالشر والدّمار.

وإذا كانت رمزية النضال ومثالية الفعل البطولي هي التي رسخت عائشة قنديشة كشخصية أسطورية في المتخيل الشعبي المغربي، فإن وصفها بالخيرية أو الشريّة في الحكايات التي تُرْوى عنها يظل أمراً ثانوياً تطغى عليه الصفة البطولية الأولى وهي التي ترفع هذه الشخصية إلى مستوى الرمز الخالد الذي لا يموت ويمنحها صفة الحضور الدائم في المتخيل الشعبي في سائر العصور.

ولعل خارقية (L'extra-ordinarité) الفعل البطولي الذي قامت به هذه الشخصية الرمز، هي التي جعلتها تتبوأ مكانة القوة الفاعلة في المتخيل الشعبي والتي أدت إلى إنتاج عدد هائل من الحكايات والروايات الشعبية التي تدور حولها من جهة وحول خصوصياتها الخارقة من جهة أخرى.

فمن خلال مجموعة من الحكايات التي رويت لنا عن عائشة قنديشة، فإننا نكاد نجزم بأن هذا الرمز يشكل مجالا خصبا لتأويلات مجالية ذات بعد انتربولوجي وتأويلات نفسية ذات أبعاد باتولوجية (مرضية) وذات انعكاسات اجتماعية واقتصادية على أوضاع المرضى العقليين الذين تسكنهم هواجس هذه الشخصية العفريتية أو لدى الفئات الشعبية التي تظن فعلاً أنها مسكونة بهذه الجنية، بعد أن أصابهم مس أو حدثت لهم نوبات صرع.

إن تنوّع ضحايا هذا المخلوق الأسطوري في البيئة المغربية منذ القديم يحوجُنا إلى مقاربة هذه المشكلة في السرد الشعبي المغربي من زوايا نظر مختلفة نكتفي منها بالزاوية الانتربولوجية المجالية.

إن شخصية عائشة قنديشة ترتبط في الحكي الشعبي بمجال الغرب، أي السهل، وما يشمله من مجالات مائية وساحل وغابات تتخللها مواقع الماء. فمن خلال المتن السردي الذي جمعناه من خلال شهادات حيّة لدى أصحاب المنطقة ممن لهم سابق علاقة مع هذا المخلوق سواء في الواقع والخيال أو في الحلم، فإننا نلاحظ ارتباط هذا السرد بمكونين لازمين لجُلّه وهما :

أ ـ المكوّن المائي أو المجال الذي يتحرك فيه الماء كضفاف نهر سَبُو أو غيره من الأنهار وساحل البحر وبالقرب من الآبار أو الضايات وفي مجال ملتف الأشجار أو كثير الخضرة والنبات كالمروج والسهول والمراعي والغابات الصغيرة والكبيرة والتلال المخضرّة.

ب ـ المكوّن الزماني : وهو الليل إذ أغلب الشهادات إن لم نقل كلها على اعتبار ما قد يتخلّلُهَا من تحريف، تؤطّرُ فعل ظهور عائشة قنديشة في زمن الليل الحالك والظلام

الدامس، الذي تظهر فيه هذه الأخيرة كمصدر للنور المادي نظراً لجمالها الباهر، والنور المعنوي لإنزالها العقاب بمن يستحقه ممّن يتخذون الليل قناعاً يخفُون به تحركاتهم المشبوهة دينياً وأخلاقياً.

إن تعقبنا للظهورات المختلفة لهذه الشخصية الأسطورية جلعنا ننتهي إلى نتائج أهمها ما يأتي :

أ ـ إن عائشة قنديشة شخصية تاريخية ارتبطت بالمجال المائي للمغرب. وفي زمن الاستعمار كانت واقعاً ملموساً في صورة عائشة المناضلة التي أودت بالحيلة الذكية والمكر الخفي بعدد كبير من جنود الاحتلال وضباطه صرعى مجدلين في دمائهم بعد أن أغوتهم وانتقمت منهم أشد الانتقام.

وتطور هذا الزمن البطولي واتسعت دلالاته في أذهان الطوائف الشعبية، فصار ملازما للخيال الشعبي، باعتباره رمزاً لكل خلاص، وكل هداية في كل حال من الأحوال في تاريخ هذه الفئات الشعبية الساذجة.

ب ـ إن هناك خلطا واضحا بين شخصيتين جنيتين في السرد الشعبي في المتخيل المغربي، وهما شخصية عائشة قنديشة وشخصية عائشة البحرية، والتي تخصَّصُ لها نوبات موسيقية وإيقاعية في الطقس الكناوي، فعندما تتغير الخرق التي تختلف ألوانها، يأتي دور لُبس الخرقة الزرقاء وهي بلون الماء الذي تنعكس عليه فضاءات السحاب والسماء الزرقاء، وهذه الخرقة مرتبطة بحضور عائشة البحرية، وتدعى أيضاً بـ (مولات الماء) أي صاحبة الماء.

ولقد سألنا لأجل التثبت من هذه المسألة ممارسي الطقس الكناوي فتبيّن أن الشخصيتين عائشة قنديشة وعائشة مولات الماء قد تعنيان الشيء ذاته لدى غير المميّزين وعديمي الخبرة بمجالات الجن وتنوعات أفعاله وحضوره في الخيال الشعبي.

أسطورة عائشة قنديشة والأبعاد الاجتماعية :

إن هذه الأسطورة المنبعثة من رماد واقع تاريخي مطبوع بنضال ضد المستعمر البرتغالي، استطاعت أن تعبر عن وحدة المجتمع المغربي على مستوى الشرائح الشعبية التي صنعت الانتصارات بمساهمتها في الحروب وعملها الدّؤوب من أجل الحفاظ على مقومات اللغة والدين والمجال. وقد طور الخيال الشعبي في السرد الحكائي عدداً كبيراً من الرموز التي خلّدت فعله في المجال وإسهامه في الحضارة. ورمز عائشة قنديشة، استطاع أن يوحد الرؤى حول تجربة الحرب والمواجهة التي أعلنتها فئات الشعب في هذه المناطق المغربية في وجه الاستعمار. كما سمحت هذه الأسطورة باتفاق هذه القبائل على طول المجال البحري والنهري في منطقة الغرب، وتشكيلها حلفاً متماسكا على المستوى الواقعي أيام الحرب الاستعمارية، وعلى المستوى اللاشعوري فيما بعد من خلال توحيد المخيل الشعبي حول زمز من رموز النضال وهو عيشة قنديشة.


ع. الملك ابن عبيد، كتاب *جوانب من تاريخ المجال والسكان بالمغرب*، الدار البيضاء، 1998، ص. 28.

Rovertson Smith, *Religion of the Semits*, Edinbourg (2ème édition), 1894 ; J.P. Vermant, *"Religion grecque"*, *Religions antiques* in *Religions. Histoire, raison*, Paris, 1979, p. 5-53


محمد أديوان

ابن **عيشون**، أسرة من فاس لا يعرف أصلها ولا متى استقرت بهذه المدينة. لكن من خلال تتبع آثارها في كتب التراجم والمناقب تبين أن إسم عيشون قد ارتبط بالأندلس حيث تردد هذا الاسم كثيرا في المؤلفات التي اهتم أصحابها بتراجم الأندلسيين، وكان فيهم علماء ومدرسون وفقهاء وأدباء وصلحاء عاش معظمهم بين القرن الرابع والسابع (10 و13 م) وفيهم من حمل لقب الأنصاري، ولعل لأسرة ابن عيشون صلة بالأنصار، وربما يكون أحد أفرادها قد انتقل فيما بعد مع المهاجرين الأندلسيين إلى المغرب واستقر في مدينة فاس.

ابن **عيشون، محمد** بن **محمد** بن **طاهر**، ينتمي إلى أسرة ابن عيشون التي عاشت في فاس، ولم يعرف قبله من أفراد هذه الأسرة غيره، وقد ترجم له ابنه محمد بن عيشون في كتابه حول صلحاء فاس ووصفه بالصالح المجاهد، وذكر أن شيخه في الطريق مسعود بن محمد الشراط (ت. 1031) دفين خارج باب الجيسة وهو ممن انتسب في الطريق لأبي الحسن الشاذلي عن طريق شيخه محمد بن موسى المعروف بأبي شتاء دفين أمركو بمنطقة فشتالة (ت. 997). توفي صاحب الترجمة سنة 1040 / 1631 بحلق سبو، في غزوة قام بها مجاهدو فاس بتحريض من المجاهد العياشي ضد الإسبان أثناء احتلالهم للمهدية، ودفن خارج باب الجيسة بروضة شيخه مسعود الشراط.

ابن **عيشون، محمد** بن **محمد** بن **محمد** (ثلاثة) بن طاهر، أبي عبد الله الملقب بالشراط، وصفه محمد ابن الطيب القادري بالمرابط والمجذوب، ووصفه بعضهم بالفقير، ولد سنة 1035 / 1625 ـ 1626، كان محبا للعلماء ولأولياء الله، كثير التردد عليهم، وكانت حرفته حرارا، ولعل للقبه (الشراط) صلة بحرفة الشراطين التي هي من الحرف التقليدية المعروفة بمدينة فاس، وربما يكون والد المؤلف قد احترفها أو تلقب بها اعتبارا لشيخه في الطريق مسعود الشراط. وينتسب ابن عيشون في الطريق إلى مسعود الشراط عن طريق والده وشيخه أحمد المدعو حمدون بن عبد الرحمان الملاحفي (ت. 1072) دفين زاويته بدرب الحرة بفاس.

ولابن عيشون مؤلفات في مواضيع مختلفة من أشهرها كتاب *الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس* الذي اهتم فيه بتراجم ومناقب مجموعة من الصلحاء والعلماء ممن عاشوا ودفنوا بمدينة فاس فيما بين القرنين الثاني (8 م) والحادي عشر (17 م)، وهو الكتاب الذي

اتهمه كثير من المؤلفين بأنه نسبه إلى نفسه بناءا على ما ذكره محمد العربي بن الطيب القادري في كناشته من أنه هو الذي ألف الكتاب بطلب من صاحبه محمد ابن عيشون وجمع فيه تراجم ثمانين إلا واحدا من صالحي فاس ثم قام بنسخه لابن عيشون، مقابل أجر معين، في بضع وثلاثين كراسة، وأن ابن عيشون قد تصرف في الكتاب بالزيادة والحذف وأضاف له بضع تراجم بلغ عددها في القسم الأول خمسة، كما أضاف إليها، باتفاق، قسما ثانيا وهو المعنون بالتنبيه على من لم يقع به من فضلاء فاس تنويه ونسبه إلى نفسه، وعن القادري تناقل هذا الاعتراض عدد من المؤلفين.

ولابن عيشون مؤلفات أخرى نسبها له عدد ممن ترجموا له وهي تأليف في الأذكار نسبه له محمد العربي القادري في كناشته ؛ وتأليفان أحدهما في أشياخه ويسمى سلسلة الأنوار (أو *حديقة الأنوار في سلسلة السادات الأخيار* كما جاء في هامش إحدى نسخ الروض) ونسبه له محمد بن الطيب القادري في كتابيه *نشر المثاني والتقاط الدرر*. والآخر في الأذان نسبه له القادري أيضا في كتابه التقاط الدرر ؛ ثم له أيضا تأليفا في الأدب نسبة له إسماعيل باشا البغدادي في كتابه هدية العارفين. لكن هذه المؤلفات تبقى غير معروفة ولا تعرف خزائنها وبذلك ظل كتاب الروض بالرغم من الشكوك التي أحيطت بنسبته كتابه المعروف.

توفي ابن عيشون بفاس سنة 1109 / 1697.

م. ابن عيشون، *مقدمة كتاب الروض العطر الأنفاس*، ص. 22 - 24 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج. 3، ص. 84 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج. 2، ص. 35 ؛ لفي بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، ص. 198 ؛ ك. بروكلمان، *تاريخ الشعوب الإسلامية*، ج. 2، ص. 683 ؛ إسماعيل باشا البغدادي، *هدية العارفين*، ج. 2، ص. 305 ؛ ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ج. 1، ص. 51.

زهراء النظام

**العيشي، محمد** جدو، مقاوم من مواليد سنة 1909 بأسا. انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء المغربية منذ سنة 1959 ضمن المقاطعة السابعة بمركز آسا تحت قيادة سيدي أحمد بن أمان، حيث شارك في عدة معارك وهجومات ضد المستعمر الغاشم أبان خلالها عن وطنيته الصادقة وإخلاصه في سبيل الذوذ عن حوزة البلاد وتحقيق الاستقلال.

انتقل إلى جوار ربه بتاريخ 24 دجنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 503121.

**العيطة**، لون من الغناء ظهر في البوادي وتوسع في الحواضر، وهو عبارة عن أهزوجة شعبية مركبة تتكون من مقدمة بطيئة في الإيقاع ثم مجموعة من الفصول أو القاطبات تربط بينها أبيات انتقالية تدعى حطات (مفردها حطة أو قنطرة عند أصحاب الآلة) وتختم العيطة بقفل من بيت شعري في إيقاع سريع.

وكلمة عيطة مشتقة من عيط أو نادى، والنداء هنا قد يراد به النداء للجهاد كما قد يراد به إثارة الانتباه إلى حدث أو نازلة. وأسلوب النداء هذا نجده في مقدمة كل العيوط تقريبا مثلا : آه شريفي بورحال، والحمرا خربوشة زروالة وآه يا وين آه ربي وتانا تانا. وتعتبر العيطة من جهة أخرى وسيلة أو خطاباً يعكس بيئة وتطلعات الإنسان المغربي ومعاناته. والعيطة حاضرة في تاريخنا وفي ثقافتنا الشعبية بمفهومها الواسع، وهي بالتالي تمثل ذاكرة المجتمع وجزءاً من مكونات بنيته الفوقية التي سادت عبر مراحل مختلفة.

نشأت العيطة نتيجة الالتقاء والتداخل والتمازج الذي حصل بين مكونات ثقافتين مختلفتين الأولى أمازيغية والثانية عربية تعززت بالهجرات العربية خلال القرن السادس الهجري. وفي هذا الإطار نتج عن اختلاط إنتاجات الأحواشات والأحيدوسات مع الأهازيج والرقصات الآتية من الشرق إفراز هذا اللون من الغناء الذي نسميه اليوم العيطة. نشأ هذا في السهول خصوصا الأطلسية منها مع فرق تسمى لهوير، وانطلاقا من هنا بدأت تتكون بعض المقاطع عبارة عن عيطة بسيطة أي لم ترق إلى مستوى التركيب. هذه المرحلة الأولى غامضة بالنسبة للبحث. بعدها دخلت الأدوات النفخية العيطة وهذا يعتبر التطور الأول الذي طرأ عليها، ثم جاءت المرحلة الأخيرة التي أدخلت فيها الأدوات الوترية للعيطة كالرباب والسويسدي أي الكنبري الصغير. ومن المرجح أنها شهدت فترة تركيب أو هيكلة العيطة أي أن تلك المقاطع التي كانت تغنى وسميناها عيطة بسيطة أو بروال تم الربط بينها وأصبحت عبارة عن عيوط مركبة. ومن المؤكد أن هذا التركيب لم يتم في فترة واحدة بل جاء عبر مراحل مختلفة، وهذا ما يفسر افتقار جسد العيطة إلى وحدة الموضوع حيث نجد أن فصلا تكون في فترة بداية القرن 15 ثم أضيف فصل ثالث أو رابع في القرن 20 وهكذا.

والملاحظ أن فترة القرن 19 تعتبر منعطفا في مسيرة هذا الفن، نظرا لما شهدته هذه الفترة من تحول وتصدع في بنى ونظم ومؤسسات المجتمع المغربي ما قبل الرأسمالي في إطار ذلك الاصطدام اللامتكافئ مع المجتمعات الأوربية. ونظرا لما صاحب هذه الفترة من تحولات وأثار على قيم وسلوك وواقع الإنسان المغربي تشكلت من جديد لحظات البوح الجماعي لتجسد الصراع بين الأنا والأخر عبر قنطرة هذا الفن أي العيطة. وانطلق الصوت الشعبي من جديد معبرا ومصورا تلك اللحظات بكل ملابساتها ومعطياتها.

ينحصر مجال العيطة جغرافيا في المناطق السهلية الساحلية التي تمتد من الغرب إلى الشياظمة ثم المناطق الداخلية كالحوز وتادلة وازعير إلى حدود منطقة الدير أي سفح جبال الأطلس. وهذه المناطق ناطقة بالعامية ولا ننسى مناطق زموز وزيان حيث ينتشر فن العبطة بالأمازيغية. يمكن حصر فن العيطة في مجموعة أنماط تختلف باختلاف مناطق وجودها وخصوصياتها الشعرية والموسيقية واللحنية والآلاتية الخ. هذه الأنماط هي :

- الحصبة أو الحصباوي وهي منطقة بعبدة إقليم أسفي حيث ظهر هذا النوع من العيطة الذي يعتبر من أقدم الأنماط وأصعبها منالا. ومن أهم العيوط التي تنتسب لهذا النمط عيطة ارجنا فلعلي، عيطة حاجتي في كريني، عيطة خربوشة، عيطة رادوني، عيطة العمالة، عيطة كبت الخيل، عيطة بين الجمعة وبين الثلاثاء، عيطة اعلى قبلك بايت عساسة، عيطة سيدي حسن وغيرها كثير إضافة إلى ما نسميه بالعيوط الميتة أي التي لم تعد تتداول. والتي نذكر منها عيطة كاسي فريد وعيطة والييني والييني وعيطة سيدي راكب على اجوادو.

تمتاز عيوط هذا النمط بصعوبة أدائها وتنوع إيقاعاتها وغنى مضامينها وتعدد موضوعاتها. داع فن الحصبة وانتشر صحبة رواد أوائل من رجال ونساء أمثال الشيخ المصطفى ولد الضو توفي سنة 1958، والشيخة البوكدراوية والشيخ الدعباجي الذي توفي سنة 1998. وهو لازال متداولا بشكل واسع عند عدد من الفرق العبدية كفرقة الشيخة عيدة والشيخة الحامونية والشيخة فاطنة بنت الحسين والشيخ الدامو وعبد الرحمان لبصير وغيرهم من الفرق.

- المرساوي أو البيضاوي وهو لون العيطة الموجود في مختلف مناطق الشاوية كسطات والكارة وابن احمد، وأولاد زيان ومعظمه يتركز حاليا في الدار البيضاء.

والعيطة المرساوية عذبة رقيقة تخاطب الوجدان وتدعو إلى التأمل والركون للبوح ترافقها ألحان رنانة ونبرات صوتية دافئة.

إن بيئة الشاوية الغنية وهي موطن المرساوي كان لها أثر بليغ على حمولات عيطاته سواء على مستوى الصيغة اللحنية أو الشعرية.

من أهم عيوط المرساوي نجد عيطة دامي، عيطة لبغاحبيبو، عيطة ركوب الخيل، عيطة ماشتو لغزال، عيطة خربوشة منانة وعيطة شاليني.

والملاحظ أن عيوط المرساوي هذه كثيرا ما تغنى على شكل مقاطع منعزلة عن عيوطها الأصلية.

تطورت العيطة المرساوية وانتشرت مع الشيخة العرجونية وأخذت أبعادا جديدة مع الفنان بوشعيب البيضاوي وقيبو وبوشعيب زنيكة هذا الطاقم الذي عمل على بعث هذا اللون من جديد وفي قوالب غير معتادة ساهمت في تقريبه إلى الجماهير بشكل أوسع. هذا إضافة إلى رواد آخرين كالصحيب بلمعطي وصالح السماعلي والمرينية والزروقية وغيرهم.

- الحوزي أو العيطة الحوزية مجال انتشارها هو حوز مراكش والرحامنة وبنگرير والسراغنة واليوسفية هذا النمط له مجموعة خصوصيات كاعتماد المقام الموسيقي المرتفع والأصوات الحادة بحيث تصبح العيطة عبارة عن موال في بدايتها مما يجعله قد يعتمد مجموعة عازفين للكمان ومجموعة أخرى للنقر على الطعارج، وتعتمد مؤخرات عيوط الحوزي على ميزان سريع جدا أصبح يرافق حاليا بالنقر على الأرض بواسطة الأرجل أي الدرديك.

وقد اختلفت مواضيع الحوزي كذلك من حيث التقاطاتها حول ظاهرة التضاد الثنائي كما مر معنا القبيلة / السلطة، السكان / المعمر... ونسجل اهتمامها بالأضرحة والمزارات المقدسة عموما.

من أعم عيوط الحوزي الشجعان، عيطة بويا رحال، عيطة سيد الزوين، عيطة خالي ياخويلي، وقد شهد هذا النمط نوعا من الرواد الذين حاولوا تطويره ونشره بشكل واسع من أمثال الشيخ بن احمامة والشيخة الرويضة وآخرين.

- الزعري أو العيطة الزعرية، وهو لون آخر موجود بمنطقة ازعير وهو أكثر انتشارا في ربوع المغرب. والزعري هو قريب نوعا ما من الحوزي وخاصة في مجال اللحن والمضامين.

ومن أهشر عيوط الزعري اجعيدان، الشجعان...

ونذكر من بين رواد هذا الفن الشيخة خربوعة ونعينيعة وولد العواك وغيرهم.

ونظرا لتجاور مناطق وجود العيطة وقع تلاقح وتداخل بين هذه الأنماط فنتج عن ذلك ظهور أنماط جديدة متقاربة في الألحان والمضامين وتنقل في بعض الأحيان عيوط من نمط معين وتغنى في قالب نمط جديد مثل التلاقح الذي وقع بين المرساوي والحصباوي والتلاقح الذي وقع بين المرساوي والحوزي والزعري وأعطى نمط الخريبكي.

وبخصوص الآفاق المستقبلية لهذا الفن الأصيل نقول أنه عموما ورغم هذا التشتت والنحل الذي لحق متون النصوص العيطية نتفائل لتجربة المجموعات الشبابية الجديدة أي الأوركسترات التي شرعت في غناء هذه العيوط الأصلية ولا يلاحظ التغيير إلا على مستوى إدخال أو تطبيع بعض الآلات العصرية مما يساهم لا محالة في إعادة إنتاج هذا الفن ونشره في أوساط الشباب.

تلك أهم أنماط العيطة الموجودة حاليا، غير أنه توجد أنماط أخرى نذكر من بينها على الخصوص: الغرباوي والشيظمي والعيطة الزيانية وغير ذلك.

Allal Regoug, *Laïta chant du Maroc entre musique et histoire*, *Horizon Maghribin*, n° 43, 2000, Toulouse, France.

علال رگوگ

**العيلال، الحسين** بن أحمد، ولد سنة 1927 بدوار لبيار إقليم گلميم.

اختار العمل المسلح، فانضم إلى جيش التحرير بالصحراء المغربية بمركز تافودارت تحت قيادة الفطيح السالك وذلك سنة 1956.

شارك في عدة معارك أظهر فيها شجاعة كبيرة، إلى أن استشهد في معركة الساقية الحمراء بالمسيد بتاريخ 1 / 1 / 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 514283.

**عين إسحاق** (مدينة)، تقع هذه المدينة الأثرية الدفينة قرب دوار دار الغول الواقع بمشيخة الربع الفوقي التابعة لجماعة بني فراسن (إقليم تازة) وتنتشر أطلالها على علو 1160 م على ثلاث هضاب تشكل امتدادا لسلسلة قصبة بني فراسن ويخترقها مجرى واد صغير يعرف بوادي السلال. تحتل هذه المدينة موقعا استراتيجيا وممتنعا يصعب الوصول إليه، لا يعرف بالتحديد تاريخ بناء هذه المدينة، لكن المصادر التاريخية تتفق منذ البكري حتى الناصري على أن بناءها تم على يد الأمير المكناسي موسى ابن أبي العافية، ويبدو أن نواتها الأصلية تعود إلى فترة ما قبل قدوم مصالة بن حبوس في حملته الأولى على المغرب سنة 928. وقد شهدت هذه المدينة طوال تاريخها عدة مراحل :

1 ـ خلال حكم موسى ابن أبي العافية لعبت عين إسحاق دورا أساسيا كقاعدة عسكرية وكعاصمة سياسية. وقد بلغ مدى أهميتها وإشعاعها حتى قرطبة والمهدية. ومنها قاد الأمير المكناسي حملته العنيفة ضد الأدارسة من أجل السيطرة على الحكم بالمغرب.

2 ـ بعد فترة الأوج هاته التي تميزت بالاستقرار والرخاء عرفت المدينة فترة عصيبة حيث يذكر المؤرخون أن أبا عبيد الله الفاطمي سير سنة 933، ضد عامله الأسبق الذي نكث عهده، قائده المكناسي حميد بن يصليطن، هذا الأخير هاجم جيوش موسى ابن أبي العافية ليلا واضطره للتراجع والاحتماء بقلعته الحصينة بعين إسحاق.

3 ـ بعد عودة القائد الفاطمي إلى الشرق استعاد موسى ابن أبي العافية سلطته على البلاد وأصبح حسب ما يذكر المؤرخون ملكا على المغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط. ومن المؤكد أن المدينة عرفت فترة ازدهار خصوصا عندما أعلن موسى ولاءه للأمويين بالأندلس، ويخبرنا ابن حيان بهذا الخصوص أنه جزاء للأمير المكناسي على وفائه لعهده، أرسل له الناصر هدايا ثمينة عدة مرات.

4 ـ ولم تفتأ فترة الرخاء التي عاشتها المدينة أن تحولت إلى انحطاط وخراب، وبالفعل ففي سنة 935 هاجم القائد الشيعي ميسور الخصي موسى بن أبي العافية وهزمه. ثم حاصر عاصمته وهدمها بعد أن طرده إلى بلاد ملوية.

يشير البكري في وصفه لمدينة عين إسحاق إلى أنها تتوفر على جامع وأسواق وحمام وقبة تعلو العين.

يبدو من الصعوبة بمكان تحديد أمكنة لهذه المعالم التي ورد ذكرها عند البكري على اعتبار أن المدينة الأثرية كلها الآن مخربة ودفينة. وسطح أرضية الموقع يتم استغلالها منذ مدة من طرف سكان الدواوير المجاورة في الفلاحة وهو ما أدى إلى طمس هوية المدينة. وبقاياها مغطاة حاليا بركامات من الأتربة الناتجة عن التعرية وتعاقب السنين وكذلك كتل من الحجارة في البناء إضافة إلى نسبة مهمة من البقايا الخزفية. إلا أن آثار وقواعد بعض البنايات لازالت بادية للعيان وهي ذات علو لا يتجاوز في أفضل الأحوال المتر الواحد. ويلاحظ أن أغلب هذه البقايا الأثرية تتمركز حول العين الحالية في حين تقل آثار البنايات كلما اتجهنا نحو الجنبات.

أ. أسوار المدينة

مكنت المعاينة الميدانية من تتبع بقايا سور ضخم وذي تصميم متعدد الأضلاع. يحيط بالمدينة من الجهات الجنوبية والغربية والشرقية على طول أزيد من 1000 متر. وهو إما بارز ذو علو لا يتجاوز 70 سنتمترا وإما مهدم ومغطى بخرابه في حين يظل أزيد من نصف الموقع معتمدا من الجهة الشمالية والشمالية الغربية على تحصينات طبيعية مشكلة من مرتفعات وحافات يصعب اختراقها على أمهر الجيوش.

هذا الجدار الدفاعي تتخلله بعض الأبراج المستطيلة وهو سميك إذ يصل عرضه في بعض الأحيان إلى 2.34 متر. وهو مبني من الحجارة المقطوعة ذات الحجم الكبير التي تشكل الواجهتين الداخلية والخارجية، ويتوسطهما خليط من الحجارة الصغيرة والتراب المدكوك.

ب ـ القلعة المحصنة

بقمة الهضبة التي تعرف باسم "كدية الطبالة" تنتشر بقايا أثرية مهمة. وهي على شكل قلعة صغيرة محصنة ومحاطة بسور مبني من الحجر عرضه 18 متر، وتتوسطها آثار بنايات يصعب تحديد تصميمها ولا الدور الذي كانت تلعبه وإن كان أغلب الظن أنها بنايات عسكرية على شكل حصن عسكري أو برج للمراقبة.

ج ـ المجال الداخلي للأسوار

في المجال الداخلي للأسوار تتناثر بنايات أثرية من الصعوبة التعرف على طبيعتها وتصميمها. فنص البكري يتحدث عن جامع وأسواق وحمام وعين مغطاة بقبة لم يبق لها اليوم أثر باستثناء العين التي لازالت مياهها جارية، إلا أنه اعتمادا على الرواية الشفوية يمكننا تحديد أماكن بعض البنايات وخاصة المسجد الذي يوجد بالقرب من العين الحالية في الجهة الشمالية. وفي الجنوب الشرقي تتم الإشارة إلى بنايات مخربة على أنها حمام المدينة. وتتعدد آثار البنايات داخل المدينة والتي توحي من خلال هندستها بتصاميم المنازل المغربية التقليدية التي تتميز بانتظام مجموعة من الغرف حول صحن أوسط.

توضح دراسة البنايات والبقايا الأثرية والمنتشرة داخل الموقع على أن الحجر والتراب والجير هي المواد الأساسية التي استعملت في البناء كما أن السقوف كانت منحنية ومغطاة بالقرميد.

البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، نشر دوسلان، الجزائر، 1857 ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959 ؛ ابن حيان القرطبي، *المقتبس*، نشر شالميطا كورنطي، محمد صبح، مدريد، 1979.

محمد بلعتيق

**عين بلال**، إذا كانت لفظة عين لا تستوجب وقوفا ؛ فإن لفظة بلال تتطلب وقفة صغيرة. من خلال البحث الميداني، يبدو أن بلال تدل على العلمية. لكن هذه العلمية ليست بشرية، إذ أن أهل البلد يطلقون - شأنهم في ذلك شأن القبائل المجاورة - اسم البلال (ومفردها بلالة) على نوع من الجراد، ليس من النوع المعروف الذي ينتظم في هجرات جماعية ؛ ولكنه من بين الحشرات العاشبة الكثيرة التي تسيح في البرية. فلعل المنطقة التي اشتهرت قديما بعدد كبير من العيون، ولاسيما في الأودية التي تتخلل أراضيها الهضبية ؛ قد كانت من بينها عين يجتمع حولها عدد لافت للانتباه من تلك الحشرة ؛ فدعيت بالاسم الذي غلب عليها بعد ذلك، بسبب جريانه على الألسنة.

وأياما كان الأمر، فإن عين بلال قبيلة عربية تنتمي إلى مجال قبائل بني مسكين الغربية. وتمتد أراضيها شمالي الرحامنة، على الضفة اليمنى لوادي أم الربيع ؛ على بعد حوالي عشرين كلم شرقي مشرع ابن عبو. وهي أولى قبائل بني مسكين من حيث التصنيف الإداري.

وتنقسم قبيلة عين بلال إلى ست فخذات (أو دواوير حسبما هو رائج)، وهي من الشرق إلى الغرب : درقاوة، أولاد سيدي عبد الحميد، أولاد سيدي مَحمد، أولاد سيدي أحمد، أولاد بابا علي، أولاد سيدي عبد العزيز، المغارات، أولاد واحي. وكل فخذة (دوار) تنقسم بدورها إلى عدة فروع. وينتمي كل فرع إلى جد معين. من ذلك مثلا، أن فخذة أولاد سيدي أحمد تتفرع إلى الحواسنة والعوامرة والبكاكرة والزراولة ... وكل فرع ينقسم إلى عشائر معينة، تقطن حيزاً خاصاً بها. كل ذلك لحفظ الأنساب والشعب ؛ مما يذكرنا بالتقسيمات المعروفة لدى قبائل الجزيرة العربية.

وعلى الرغم من اشتراك عين بلال مع بني مسكين في المجال والعرق ؛ فإن جل سكانها ينتسبون إلى المولى إدريس بن إدريس، حسبما يشتهر عندهم منذ سالف العصور. فقد درج الناس هناك على أن جدهم، ويدعى سيدي عبدالله بن عبد الغني، الذي فر من المذابح التي أقامها بنو أبي العافية المكناسيون لاستئصال شأفة الأدارسة، في القرن الهجري الرابع (10 م). فانتهى المطاف بالشيخ المذكور إلى تلك الجهة، حيث ألقى عصا التسيار. وحسب الرواية نفسها، يذكر أنها كانت مأهولة منذ القديم، وأن سكانها القليلين كانوا في صراعات مستمرة.

يفهم من هذه الرواية، أن الرجل جاء إلى تلك المنطقة النائية لاجئا، لأنه كان يتوجس عاقبة ما تعرض إليه كثير من الأدارسة في مكناس وما حولها. وللإشارة فقط، فقد كانت أعمال بني أبي العافية سببا في فرار عدد من الأدارسة إلى الجبال للاختفاء بها. ولعل هذا ما كان سببا في وجود بعض الشرفاء في المناطق الجبلية. فهل يتميز عين بلال عن قبائل بني مسكين العربية التي قررنا في مادة سابقة أنها من ضمن القبائل العربية التي استقدمها يعقوب المنصور الموحدي إلى المغرب في القرن السادس (12 م) ؟

ومهما يكن من أمر، فإن هذه القبيلة تضم عناصر أخرى، وفدت عليها من القبائل المجاورة كالسراغنة والرحامنة، أو من قبائل بعيدة. وإلى جانب العنصر العربي المتميز بقرب لسانه إلى الفصحى، فإن الباحث يدرك من خلال بعض أسماء الأماكن والأعلام، أن مجال عين بلال لا يخلو من آثار بربرية. من ذلك مثلا أسماء أعلام كطاطة وكنيس وعيطونة؛ وأسماء أدوات كتزاكَلوت، وأسماء مواقع، كترهلة وتاسوكا الخ ..

وعلى الرغم من حرص أهل عين بلال على نسبهم، وتمييزهم للشرفاء من غيرهم، فإن مختلف العناصر انصهرت في بوتقة واحدة ؛ ناسين أو متناسين الأعراف والأصول، في سبيل مواجهة قسوة طبيعة أراضيهم التي يغلب عليها طابع الهضاب الصخرية الفقيرة التربة، القليلة الأمطار.

وقد اطلعنا على شجرة أنساب يملكها رجل من فخذة أولاد سيدي أحمد، تصل والده بإدريس بن عبد الله، فاتح المغرب سنة 172.

لم تتحدث المصادر عن عين بلال - حسبما نعلم - إلا في غضون القرن الثالث عشر (19 م) ؛ حيث ذكرت حين "ثار على القائد الشافعي إخوانه"، فلاذ بزاوية عين بلاد الكائنة بفخذة درقاوة. وفي سياق ذكر هذه الزاوية، نشير إلى أننا وقفنا على بعض ظهائر التوقير والاحترام التي توصل بها أحد شيوخها، في عهد السلطان عبد العزيز. ولا شك في أن ذلك الظهير لم يكن إلا استمرارا لظهائر سابقة ؛ باعتبار أن كل سلطان يقر من سبقه على نفس الامتيازات التي خولها لبعض الجهات، ومنها الزوايا. ومما يذكر عن هذه القبيلة، أن المختار السوسي، الذي مر بها في أواسط العقد الرابع من القرن الماضي (14 هـ)، فعبر عن إعجابه بحفظ الناس لكتاب الله ؛ حتى قال : "كل بني مسكين يحفظون القرآن". وعلى الرغم من أنه جعل سبب الحفظ متصلا بالإفلات "مما يكلف به العوام من الوظائف المخزنية"، فإن الظاهرة في حد ذاتها إيجابية. وفي هذا السياق برّز عدد من الأعلام، يلقب معظمهم بالمسكيني، قليل منهم ورد ذكره في المصادر.

وخضعت هذه القبيلة، شأنها شأن باقي بلاد المغرب إلى الاحتلال الفرنسي ؛ حيث تم إخضاعها منذ سنة 1914، وسخرت السلطات الاستعمارية عليها القائد بوحافة، الذي سام الناس مختلف ألوان الضغط، سواء على صعيد الجباية أو السخرة. ولعل ما لحق سكانها من جور كان سببا في انكماشها وتراجع أحوالها، ولاسيما في الميدان العلمي. وبذلك رجعت إلى الهامش، حيث استمرت هامشية حتى في عهد الاستقلال، إلى أن يسر الله بدء أشغال سد المسيرة. فدعت الحاجة إلى بناء الطريق المعبد الذي ترتب عنه فك العزلة عنها، وانفتاح السبل أمام سكانها للاتصال بباقي جهات المملكة.

*وثائق الخزانة الحسنية : وثائق خاصة ؛ الاستقصا*، 1 ؛ *المعسول*، 6 ؛ *التحري الميداني*.

Répertoire alphabétique...

أحمد عمالك

**عين بني مطهر** أو ريباي نيكراي (Ripae Nigrae)، مدينة عتيقة من مدن موريطانيا (المغرب القديم) ذكرها عرضا جغرافي رافنا في مؤلفه الذي يعود إلى سنة 700 م، دون سائر المؤرخين الجغرافيين والمؤلفين القدامى من الإغريق واللاتين على حد سواء. وتجاهلها أو جهلها المؤلفون العرب، مؤرخون وجغرافيون، فلم يرد لها أي أثر ولم يورد عنها أي خبر طيلة العصور الوسطى والحديثة.

اسمها اللاتيني Ripae Nigrae اسم مركب من لفظتين في صيغة الجمع تدل أولاهما Ripa في معناها الحقيقي على الضفة وفي معانيها المجازية على مرتفع أو منحدر أو حافة أو جرف. ويدل اللفظ الثاني Niger, Nigra, Nigrum على السواد والظلام.

وعليه يكون المعنى الحرفي لهذا الاسم هو الضفاف السوداء، أو المرتفعات السوداء أو الحافات السوداء أو الأجراف السوداء.

هذا وذكر بلينيوس الشيخ في خضم حديثه عن حملة القائد الروماني القنصل كايوس سويطونيوس بولينوس Caius Suetonius Paulinus، في سنة 40 ـ 41 م، أن هذا القائد كان "أول قائد روماني تجاوز الأطلس ببضعة أميال... (إذ) وصل في ظرف عشرة أيام ـ حسب قوله ـ إلى الأطلس، ثم إلى نهر يدعى كير Ger، مخترقا صحاري ذات رمل أسود تتخللها من مكان لآخر أكمات صخرية (سوداء) كأنها محروقة".

ولما كان هذا النص يذكر بصريح العبارة الأطلس ونهرا باسم كير Ger، فإن الأقرب إلى الصواب هو أن تنطلق التحريات من هذه المعالم الجغرافية في شكل ثلاث ملاحظات :

أولها : أن القائد سيوطونيوس بولينوس قد تجاوز الأطلس ووصل إلى نهر يدعى كير Ger رأى فيه الباحثون النهر المعروف بنفس هذا الاسم ـ إلى يومنا هذا ـ والذي يجري إلى الشرق من تافيلالت، منطلقين من أن هذه التسمية في حد ذاتها جذر أمازيغي يعني وادا أو نهرا.

ثانيها : أن الأوصاف التي أوردها بلينوس الشيخ عن هذه المنطقة التي عبرها هذا القائد في ظرف عشرة أيام قبل وصوله إلى الأطلس تنطبق إلى حد كبير على جغرافية النجود العليا الشرقية بما فيها من صحاري ذات رمل أسود تتخللها من مكان لآخر أكمات صخرية سوداء، كأنها محروقة، تعرف اليوم باسم الكارات في المنطقة.

ثالثها : أن الأطلس الذي ذكره بلينوس، وانطلاقا من الملاحظتين السالفتين لا يمكن أن يكون إلا شرق الأطلس الكبير الفاصل بين النجود العليا الشرقية شمالا ووادي كير وتافيلالت جنوبا.

وبناء على هذه الملاحظات نرجح أن تكون مدينة عين بني مطهر ـ اليوم ـ باسمها العتيق بركم / بركنت هي تلك المدينة التي أشار إليها جغرافي رافنا بالاسم اللاتيني المركب بصيغة (Ripae Nigrae) بمعنى الضفاف السوداء، أو الأجراف السوداء أو المرتفعات السوداء. ونستدل على ذلك بأن لفظة بركم أو بركنت تختزل جانبا مهما من الطبوغرافيا السوداء اللون في المغرب الشرقي، علما أن اللفظة "بركم / بركنت" نفسها مجرد نطق مخفف للفظة "تبركنت" التي تعني "السوداء" في بعض اللهجات المحلية المعروفة بالمنطقة.

م. اللبار، *حول مقاومة شرق المغرب للأهداف التوسعية الرومانية خلال منتصف القرن الأول للميلاد*، ضمن وقفات في تاريخ المغرب، دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، سلسلة بحوث ودراسات رقم 27، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001، ص. 275 ـ 303.

F. De la Chapelle, *L'expédition de Suetonius Paulinus dans le sud-est du Maroc*, *Hespéris*, T. XIX, 1934, p. 107-124 ; *Le géographe de Ravenne*, III, 9 ; H. Lhote, *L'expédition de Cornelius Balbus au Sahara en 19 av. J.C.*, *Revue Africaine*, T. XCVIII, 1954, p. 41-83 ; Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 14-15, *Traduction et commentaire de Jehan Desanges*, Les Belles-Lettres, Paris, 1980 ; R. Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.

محمد اللبار

**عين بيضا**، قرية ومركز علمي بقبيلة سماتة الهبطية. تعد القرية السماتية أصغر مداشر فرقة سيدي مزوار، واقعة على السفح الشمالي من جبل الخلوة، ويقابلها من جهة الشمال السفح الجنوبي من جبل الصريخ. كان المدشر في مستهل القرن العشرين صغيراً لم يتجاوز عدد دوره الثمانية والعشرين داراً أو أسرة، وهو ما يعادل مائة وأربعين نفر. غير أن شهرة عالمها أحمد بن يرمق سابق الترجمة جعل من القرية مركز علم لامع في جميع المنطقة الشمالية.

كان الشيخ أحمد بن يرمق قد أسس معهد عين بيضا في آخر العقد الأول من القرن العشرين ودرس فيه العلوم الدينية الوقتية، ومنه تخرج العديد من طلبة الهبط وجبالة والريف، كما كانت إجازة التخرج من المعهد معترفا بها لمتابعة الدراسة بجامع القرويين.

ومعهد عين بيضا بقي يدرس إلى وفاته في تاريخ لم يتحقق بعد، مكتفين الآن بالإشارة إلى مستهل العقد الثاني من القرن العشرين، مع الترجيح أن يكون التاريخ المحدد هو سنة 1921. ولا يزال أهل القرية وطلبة جبالة والريف يذكرون في تقليدهم مناقب الشيخ ومعهده عين بيضا.

ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس والإثبات*، لبنان، 1982 ؛ المريني العياشي، صورة من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة ؛ م. الهبطي المواهبي، *مفتون متسيون بغمارة وشفشاون*، الرباط، 2000 ؛ محمد بن عبد الرحمن بن خليفة، *أعلام القصر الكبير*، طنجة، 1994 ؛ ع. الصمد العشاب، أحمد بن المكي يرماق ؛ حمو الشكري، *تقييد* ؛

محمد بن حمو البنيحياتي، *مذكرات مرقونة* ؛ ع. عاصم، العلامة محمد التوزاني، الرباط، 1999 ؛ *معلمة المغرب*، عدد 16 ؛ ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، تطوان، 1252.

حسن الفگيگي

**عين تساف،** تقع ضمن تراب جماعة تساف التابعة إداريا إلى دائرة أوطاط الحاج، يحدها شرقا واد تساف وغربا مزارع لمسيديرة وشمالا دوار أولاد امحمد وجنوبا كارت فجان. يتشكل المجال الذي تنتمي إليه العين من الناحية الجيومرفلوجية من تكوينات مستنقعية مرتبطة بمواد نشر تمثل مخروط انصباب في اتجاه واد ملوية. وتتغذى الفرشة المائية الموجودة داخل هذه التوضعات من عين تساف. وعلى الهوامش السفلى للمخروط تنبثق 26 عينا تتراوح درجة حرارة مياهها ما بين 19°C و27°C.

تعد عين تساف المورد المائي الأساسي والأوحد لسكان الجماعة، يصل صبيبها إلى 250 ل / ث، مسجلة بهذا المعدل أكبر صبيب بالقياس مع باقي المنابع الأخرى المنتشرة على الواجهة اليمنى لواد ملوية الأوسط. تبلغ درجة حرارة مياهها 27°C لعمق الفرشة المائية التي تغذيها، وتتأرجح درجة حموضتها ما بين 7 و7,3 (وحدة pH). كما تتميز مياهها بسحنات كيماوية كبريتية وكلسية ومنغنيزية بتعدن إجمالي يتراوح ما بين 1 و1,5 غ / ل. ونظرا لغلبة الطابع الدوري للجفاف مع انتشار غطاء رسابي غير نافذ فوق توضعات الدوليمي الممتدة على الجهة اليمنى لواد ملوية والركام، فإن مياه التساقطات التي تتلقاها المنطقة بمعدل لا يتجاوز سنويا 160 ملم، لا تساهم عمليا في تغذية مخزون الفرشة المائية الباطنية، مما يؤكد، من دون شك، أن مصادر تزويدها تتصل أساسا بمجالات بعيدة نسبيا عن الوسط المحلي.

وباستثناء هذه العين التي تعتبر مصدر كل مظاهر الحياة بالنسبة للساكنة المحلية، فإن وجود واد تساف الذي يتوسط مجراه أراضي الجماعة، لا يمثل موردا مائيا موازيا للعين، لأن جريانه موسمي يرتبط بوجه أساسي بالتساقطات المطرية الفجائية التي تشهدها في بعض الأحيان عالية الواد. وبالنسبة للعيون الأخرى المنتشرة داخل تراب الجماعة كعين سيدي عيسى وعين المخينزة وعين الحلوف بالطوال، فإن أهميتها على مستوى الموارد المائية محدودة للغاية، إذ لا يتجاوز صبيبها 7 ل / ث. وتتناقص مياهها بكيفية ملحوظة في فصل الصيف، بل يجف بعضها أحيانا إذا توالت فترات الشح لسنوات متعاقبة.

وعلى مستوى الملكية القانونية، تعتبر عين تساف ملكا جماعيا للسكان المحليين، إذ تعاقبت على وراثة قسماتها المائية عبر حقب التاريخ البعيد، خلفا عن سلف، مختلف الأفخاذ والعشائر التي تنتسب مجتمعة إلى الولي الصالح سيدي عيسى. على أن الكميات المائية المتدفقة من العين لم تكن حسب ما تتداوله الذاكرة الجماعية المحلية تتجاوز قبل القرن الماضي عشرات اللترات فقط. إلا أنه مع تزايد وتيرة النمو الديمغرافي في وسط وحدات قصور القبيلة مع ما كان يرافق ذلك من تزايد الحاجة الملحة إلى الماء، كان يفرض على السكان التدخل بين الفينة والأخرى لاستصلاح العين وتنقيتها من الأوحال الطينية وتوسيع حجم منابع المياه. بيد أن هذا النوع من العمليات الاستصلاحية ظل عبر تدرج الزمن التاريخي تقليديا إلى غاية تدخل السلطة الاستعمارية في المنطقة، حيث قامت الإدارة الفرنسية في هذا السياق، بخطوتين إصلاحيتين للعين، كانت الأولى سنة 1920 وشملت تحديدا تسوير العين بسور اسمنتي عال نسبيا لحمايتها من تسربات الرمال ونفايات الزوابع والحيوان، ثم إنشاء قنوات تصريف محورية تتناسب مع أنظمة توزيع كميات الماء الإجمالية بحسب عدد "النوبات" وأنماطها القسموية بين الدواوير. بينما تمت الخطوة الثانية سنة 1952 وتضمنت أساسا استصلاح منابع المياه وتوسيع حوض تجمعها الخارجي وتقوية دائرة السور بزيادة أعمدة ولبنات جديدة وشق قنوات تصريف إضافية. وقد أسفرت حصيلة الأعمال التي تخللت هذه المبادرة الإصلاحية الأخيرة عن المشهد الذي توجد عليه العين إلى حدود اللحظة الراهنة.

وفيما يتعلق بأنظمة توزيع مياه العين، فهي مقسمة حسب العرف الجاري إلى نصفين متقاطبين على مدار كل 24 ساعة. وتقاس حصص الماء في إطار دورات التناوب بين تجمعات القصور على أساس وحدة "الخروبة" وهي وحدة تعادل زمنيا ساعة ونصف. وحيث كان من الصعوبة بمكان منذ القدم، ضبط الحصص المستحقة من الماء بالنسبة للأفراد والجماعات ومعرفة نسق توزيعها بدقة بين الدواوير والعشائر والأسر وتتبع سيرورة التناوب الدوري على أساس مستويات حقوق التملك والحيازة وفق شبكة من المعادلات الزمنية التناسبية، انتدبت القبيلة لهذه الأغراض كاملة، شخصا يدعى محليا "بالمزوار" تتوفر فيه شروط الخبرة والنزاهة والحزم والضبط الزمني للإشراف في عين المكان على مسارات التناوب اليومي على ماء العين بين الناس رعيا لحقوقهم الشرعية ودرءا لكل تطاول أو تنازع محتمل بينهم. وتجدر الإشارة في هذا الإطار، إلى أن حلقات الدورة التناوبية الكاملة على الماء بين كافة مكونات القبيلة تستغرق في المجموع 17 يوما، وهي حلقات تتدرج تباعا بحسب عدد الدواوير ومقدار ما يملكه كل دوار على حدة من الحصيلة الاجمالية لمياه العين.

وعلى صعيد إمكانيات الري، تسمح عين تساف بمعدل صبيبها الحالي بسقي مجال زراعي تبلغ دائرته السقوية 950 هكتار، وهي مساحة إجمالية، تبقى بلا شك، دون السقف المفترض في مثل حالة هذا الصبيب داخل مجالات جغرافية أخرى. ويعزى ذلك إلى عدة عوامل بنيوية، نذكر من بينها :

- شدة الجفاف ونسقيته الدورية.
- وجود شبكة من السواقي التقليدية تؤدي إلى ضياع

نسبة 30٪ من مجموع المياه المستعملة إما عن طريق عامل النفاذية أو عن طريق آلية التبخر.

- انقسام الحصص المائية المملوكة للأفراد والجماعات إلى وحدات ومجزوءات صغيرة بسبب عامل الإرث.

- تجزؤ ملكيات الأراضي الزراعية الخاصة وتشتتها في مواضع متفرقة من المجال بأشكال يصعب معها ترشيد المياه واستغلالها الاستغلال الأنجع.

- غياب تدبير زراعي معقلن في وسط السكان يساعد على الموازنة والمواءمة في نفس الآن، بين إمكانات الماء المتاحة والخيارات الممكنة على مستوى الأنماط الزراعية البديلة.

وتبرز تأثيرات هذه العوامل المتداخلة فيما بينها بصورة أوضح على مستوى بنيات المشهد الزراعي، إذ تشكل ظاهرة الملكيات الصغيرة والمجهرية الخاصية الأساس لهذا المشهد. فاستقرار حصيلة الموارد المائية للعين في ظل تزايد عدد سكان الجماعة بوتيرة متصاعدة يؤدي باستمرار إلى تعميق اختلال التوازن المحلي بين حاجات المحيط الاجتماعي وإنتاجية المجال المستغل، وهو الاختلال الذي تعكسه سيرورة التفتيت المتواصل للملكيات الزراعية خصوصا مع تعذر إمكانيات توسيع مساحات المجال المزروع أو خلق مجالات جديدة موازية.

ونتيجة لهذه المعضلة البنيوية واستجابة لإكراهاتها الميدانية يجنح التسافيون إلى تقسيم استغلالياتهم الزراعية وفق نظام استغلالي يعطى الأولوية لأصناف محددة من الزراعات تستجيب عضويا للحاجيات المعاشية الأساسية وتتوافق من جهة أخرى، مع خصوصيات وآليات الوسط الطبيعي وتتمثل بوجه خاص في زراعة الحبوب والفصة وغراسة الزياتين.

أصناف الزراعات وتوزيعها داخل المجال المسقي لجماعة تساف

| نوع الزراعة | المساحة | نسبتها المائوية |
|---|---|---|
| المغروسات الشجرية | 355 | 28 |
| الحبوب | 500 | 40 |
| الكلأ | 300 | 25 |
| البقول | 20 | 2 |
| القطاني | 30 | 3 |
| الأراضي الراقدة | 20 | 2 |
| المجموع | 1225 | ٪100 |

المصدر : Direction Provinciale de l'Agriculture de Boulmane

وباعتبار أن مشكلة الماء هي التحدي الاستراتيجي الأكبر الذي يعيق كل إمكانية لتنمية وتطوير الأنشطة الزراعية المحلية وتوسيع نطاق ممارستها أفقيا في المجال، فإن جماعة تساف تعرف حركة هجروية نشيطة لطاقاتها الشابة إما إلى مدينة فاس حيث تزاول الجماعات المهاجرة بعض الأنشطة الحرة (التجارة) أو مهنة الحمالة (تزرزايت) وإما تتوجه إلى مدينة الدار البيضاء حيث يتم التعاطي لحرفة الخبازة في الأغلب الأعم. وقد ازدادت دينامية هذه الهجرة الاضطرارية بوثيرة متسارعة في العقدين الأخيرين مع تفاقم آفة الجفاف وارتفاع الطاقة السكانية للجماعة وغياب مشاريع تنموية لإعادة تهيئة المجال الزراعي سواء من خلال تعميم شبكة قنوات الري الاسمنتية والبحث عن موارد مائية إضافية (إقامة سدود تلية، حفر آبار... إلخ) أو من خلال استصلاح الأراضي وإدخال أنماط زراعية جديدة تضمن إنتاجية أكبر وبتكلفة أنسب.

*المركز الفلاحي لأوطاط الحاج ؛ مقابلات خاصة ؛ معاينات ميدانية.*

*Ressources en eau du Maroc*. Editions du service géologique du Maroc, Rabat, 1971, T. I ; *Direction provinciale de l'agriculture de Boulmane*, service de la production agricole.

الفقيه الإدريسي

**عين الخيل**، عين ماء بنيت في عهد الاستعمار، تقع في تراب عمالة ابن سليمان في الحدود الشرقية لقبيلة الشاوية والحدود الغربية لقبيلة زعير.

تبعد بحوالي 1,5 كلم يميناً عن الطريق المؤدية إلى بئر النصر انطلاقاً من مدينة ابن سليمان مروراً بسوق الأحد (فريد) الذي تبعد عنه بحوالي 17 كلم.

أهميتها تتجلى في اعتماد سكان المنطقة عليها في السقي والمورد فهي تقع وسط الغابة بجانب مركز للمياه والغابات، مما جعلها مورداً مقصوداً من طرف الحيوانات الأليفة والوحشية، وهذا ما جعل سكان المنطقة يعظمون شأنها وينتسبون إليها باعتزاز، كأن تقول لأحدهم : من أي مكان أنت ؟ فيقول : أنا من عين الخيل.

أحيانا يقل ماؤها كغيرها من العيون خاصة في السنوات الأخيرة التي عرفت بالجفاف وقلة الماء.

*بحث شخصي.*

عبد القادر سعود

**عين الركَّادة**، مركز قروي شرق مدينة بركان بالمغرب الشرقي، يبلغ عدد سكانها حوالي 2374 نسمة، وهي تابعة إداريا لإقليم بركان وإلى قبيلة بني منقوش إحدى أقسام بني إزنا سن الأربعة التي تستوطن القسم الأوسط من جبالهم، وعين الركَّادة قرية فلاحية تتميز بخصوبة أراضيها وتدفق مياهها من العيون الطبيعية التي نعتت بها (عين الركَّادة) هذه العيون التي عرفت عبر التاريخ بخاصية فرشتها المائية إذ أن ماءها تارة يغور وتارة يفور، وقد ينزل المطر وهي جافة وقد تشتد الحرارة فتتدفق تدفقا غزيرا.

وعرفت الركَّادة بقصبتها المشهورة التي بناها المولى إسماعيل عام 1090 / 1679 وأمر عليها القائد العياشي بني الزويعر الزراري وعززها بـ500 فارس، إلى جانب قلعة السعيدية وقلعة بوغريبة، وقلعة العيون سيدي ملوك.

وقد بنيت هذه القصبة على موقع استراتيجي كحصن حصين لتهدئة قبائل بني إزناسن ومنعها من النزول إلى السهول المجاورة، إلا أنه لم يبق من هذه القصبة إلا الأطلال، كما أن هندستها المعمارية وشكلها ومواد بناءها لا يختلف عما عرفت به القصبات الإسماعيلية بالمنطقة الشرقية.

*دراسة ميدانية.*

الصغير مبروك

**العين (الروحية)**، يراد بالعين "الروحية" تلك الظاهرة الفيزيائية المتولّدة عن إصابة الشخص بأذىً من جراء النظر إليه بعين خبيثة من لدن شخص آخر. وقد سميت كذلك لأن ما يبدو من هذه الظاهرة ليس إلا فعل النظر لا أقل ولا أكثر، وقد استطاع بعض الأشخاص أن يجعلوا آخرين يتلعثمون في القول أو يتعثرون في المشي أو يصابون بالدوار أو بالقلق إلى حد الهوس بمجرد تركيز النظر إليهم، بل بلغ بعضهم إلى درجة القتل بحد العين.

والحال أن "العين" ليست مجرد نظرة وكفى، بل هي نتاج فعل عقلي (باطني) مركّز ومعقّد لا بد أن تشترك في صنعه عناصر وعوامل غير قليلة يمكن أن يُذكر منها : التركيبة العقلية والنفسية للفاعل، والبنية الخُلُقية لهذا الأخير، وقوة شخصيته، أو ما يسمى بمغناطيسيته الذاتية، ثم قابلية الشخص المستهدَف (بالفتح) لتلقي "الطعنات البصرية".

وقد أجمع العلماء (في مجالات الطبيعة، وعلم النفس، والأحياء، ثم في حقل الباراسيكولوجيا والعلوم الباطنية) على أن "العين" أمر لا يمكن إنكاره وإثبات ذلك علميا، مثل ما يتعذر تقديم الدليل العلمي على وجوده في أرض الواقع الموضوعي. وذهب معظم الباحثين في هذا الاتجاه إلى القول باقتران البصر بالعمليات العقلية، وأرجعوا هذه الأفعال العقلية إلى أفكار وعواطف وانفعالات بعضها غريزي وبعضها الآخر يدرك بالاكتساب، ويأتي في مقدمتها عنصران اثنان على الخصوص هما الكِبْر والحسد، ويتدرج من هذين الأخيرين عنصران آخران هما الغضب والحقد. وقد اقترنت العين بسبب ذلك، وعلى الدوام، بأحد هذه العناصر أو ببعضها أو بها جميعا، فقيل "عين الحسود" "وعين الحقود"... إلخ.

وبالبحث انطلاقا من رافدي الكبر والحسد [أي الغضب والحقد] ومنها إلى الأولَيْن، يتسنى الوقوف أوَّلاً بأوَّل على التفاعلات التي تنتج ما يطلق عليه مصطلح "العين" أو "عين الحسود"، ويتسنى بالتالي إثبات أن "العين" أو "النظرة" ليست إلا وعاءً ظاهرياً لمواد عقلية روحانية جوانية سامة وأحيانا قاتلة :

- الغضب :

يعتبر هذا العنصر بمثابة القوة الضاربة أو الطاقة القابلة للانفجار، وبالتالي، لإطلاق "قذيفة" العين باتجاه الشخص الضحية، سواء تعلّق الأمر بالشخص ذاته مباشرة، أي ببدنه وعقله وسلوكاته، أو بصورة غير مباشرة بأحواله وأمواله ومتاعه ومختلف علائقه.

إن الفاعل في هذه الظاهرة، الباطنية الظاهرية في آن واحد، لا يكون قطعا في حالة من الرضى والسكينة والدعة، بل يجد نفسه يستشيط غضبا ويراكم في داخله وقرارته طاقة متفجّرة تغذيها "النفس الأمارة بالسوء" والتي ما هي إلا حالة من التتلمذ على إبليس، أول الغاضبين المتكبّرين الحاقدين الحاسدين في تاريخ الوجود الإنساني، كما سيتبين أدناه.

إن العقل تحت تأثير حالة الغضب النفسي (لأن الغضب فعل نفسي وجداني وليس عقليا) يتحول إلى محرك للقوى المتفاعلة وموجه إياها صوب الهدف أو الأهداف المملاة تحت تأثير الغضب ذاته، والذي يكون مغذى بالأحقاد والضغائن وبما يتفرع عنها من العواطف الهدامة والانفعالات المدمرة.

والحال أن الغضب يفعل فعل البارود بإزاء الطلقة أو القذيفة كما سبق القول، ولذلك فهو يحتاج إلى سهام الحقد وقذائفه حتى تكمل الترويكة الضارة والقاتلة.

- الحقد :

يعتبر الحقد بمثابة حجر الأساس في ظاهرة العين. فالشخص الحاسد المتكبّر لا يسعه - وإنْ أراد ذلك - أن ينظر إلى ضحايا حسده وغضبه بعين المحبة والمودة. وإنه يجد في قرارة نفسه كراهية عظمى تجاه الآخر، وربما تجاه نفسه أحيانا، لعلمه بعجزه عن مجاراة الآخرين في نجاحاتهم، فيكون الحقد والحالة هذه بمثابة "القذيفة ذاتها"، حيث تتشكل هذه - كما ترى الباراسيكولوجيا الحديثة - من موجات كهرومغناطيسية تطرد على التوالي زخماً من الفوطونات الضوئية المركزة بفعل العقل والفكر، فينتج عن كل ذلك ما يشبه السهام غير المرئية تصيب بالأذى كل شخص أو شيء مستهدَف (بالفتح) في قواه الباطنية ثم يظهر ذلك على صعيد جسده وحاله.

ولو أننا رجعنا إلى كتاب الله عز وجل لوجدنا النموذج الأول لهاتين الخصلتين المذمومتين يعبّر عن نفسه منذ بدء الخليقة على لسان إبليس اللعين، الذي كان أول الغاضبين الحاقدين الحاسدين في تاريخ الوجود الإنساني، مصورا ذلك في قولته "خلقتني من نار وخلقته من طين". وبذلك يكون الشيطان أول أستاذ للحسد ولفرعيه أو رافديه، الغضب والحقد، ويكون في ذلك مهلكة لأناس وأقوام وأمم مُتنعة على العد والحصر.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى خصلتَيْ الغضب والحقد في مواطن غير قليلة من كتابه العزيز، كقوله تعالى في وصف أحوال الكفار بإزاء رسوله الكريم (ص) : "إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين" مبينا بذلك، وبمطلق الوضوح، التعارض الكلي بين حال الكافر من الحمية (الغضب والحقد والحسد والكراهية...) وحال المؤمن اقتداء برسول الله صلى

الله عليه وسلم، من السكينة والدعة ومن السلامين الداخلي (في أغوار القلب والنفس) والخارجي (في حركات الجوارح وظاهر القول والفعل).

إن أساس الغضب والحقد والحسد مشترك وهو الكبر والعجرفة والتطاول على الخلق، وحب النفس إلى درجة عالية من النرجسية، ولا غرو في ذلك، فمن لم يعبد نفسه لا يجد غضاضة في أن يكون غيره أحسن منه حالا وأكثر مالا وأفضل مآلا.

إن الكِبْر يثمر الغضب، والغضب يغذي الحقد، والحقد يولّد الحسَد. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحسد إنه "يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"، وفي حديث قدسي مروي عن زكريا عليه السلام "قال الله تعالى : الحاسد عدو لنعمتي، متسخّط لقضائي، غير راض بقسمتي التي قسّمت بين عبادي".

وكما أن للحاسد القدرة الطبيعية على إلحاق الضرر المادي الملموس بالمحسود، كأن يتدخل بقوله وفعله أو بأحدهما في إيذائه في نفسه أو ماله ومتاعه، فإن له في بعض الأحيان قدرة أخرى مستترة على إلحاق الأذى بالمحسود دون الوصول إليه بالبدن ونحوه من الأدوات والآلات والأفعال، إذ يكفيه بحسب الطاقة "الحقدية" و"الغضبية" المضغوطة في قرارة نفسه، بقوة الفكر، أن يوجه إلى المحسود نظرة ضارة أو قاتلة "بعين الفكر والتركيز الذهني"، فيؤدي ذلك إلى انطلاق موجات شبه مغناطيسية وتيارات شبه ضوئية تنال من الجسم الباطني للمحسود، أو ما يطلق عليه بالجسم الأثيري أو الكوكبي أو الإيكتوبلازيمي، فيتضرر هذا الأخير في مرحلة أولى، ثم ينتقل الضرر في مرحلة لاحقة أكيدة إلى فكر الضحية ثم إلى توازنه النفسي والعقلي، وبالتالي، إلى أقواله وأفعاله وردود فعله فتصير الإصابة ظاهرة ملموسة ومضبوطة بمعايير الظاهر والواقع الملموس، وتصير مشاهدة بالعيان.

أخرج الشيخان والحاكم وأبو نعيم، واستدركه النووي على البخاري لعلة فيه، أن أم سلمة رضي الله عنها حدثت أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيتها جارية في وجهها "سعفة" فقال "استرقوا لها فإن بها النظرة". أي أن النظر المليّ إلى عينيها قد نتج عنه ضرر لأن لها قوة تستطيع أن توجهها بواسطة بصرها، لذلك يحسن النظر إليها باستراق فحسب. وقيل إن "السعفة" في هذا الحديث الشريف تشير إلى أن الجارية المذكورة أصيبت من نظر الجن بعين فجعلت نظراتها أنفذ من أسنة الرماح. وقد ثبت في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "كان يتعوذ من الجان ومن عين الإنسان".

ولعل أصدق دليل على حقيقة الضررين المادي والروحاني (العقلي) الناتجين عن حسد الحاسدين، نزول المعوذتين عموما، وأولاهما على الخصوص، متطرقة بصريح العبارة إلى شر الحاسد عندما يتحول حسده إلى قوى وإلى فعل صار ظاهريا وباطنيا على السواء، وذلكم في قوله تعالى "ومن شر حاسد إذا حسد" أي إذ خرج حسده إلى الفعل.

وبرغم إنكار طائفة من الجاحدين بأسرار النفوس وطبائعها، ومن العاجزين عن الإنصات إلى حديث الأرواح والنظر إلى حركات العقول، لوجود قوى "العين" وآثارها، فإن عقلاء الناس على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم وعقائدهم فضلوا عدم إنكار تأثير العين حتى وإن لم يقولوا بصحته وثبوته، بل رأى جلّهم فائدة في تشبيه عين الحاسد بنظرات نوع من الأفاعي اشتهر عنه نقل السم بواسطة تركيز البصر فحسب، وبذلك يتسنّى لهذا النوع أن يصطاد فرائسه عن بُعد، كأن سمه ينتقل بالذبذبات وليس بالإبر واللدغات !

إن تأثير "قوى العقول" أو ما يصطلح عليه بالأرواح أمر وارد وتدل على صحته شواهد كثيرة يبدو أبسطها : في الحمرة والاصفرار يتناوبان على مُحيّا الشخص وهو يتلقى نظرة شخص آخر تصدر عنه هيبة ووقار وقوة مغناطيسية نفاذة، وينتهي أكثرها تعقيدا : إلى السكتة يصاب بها المنظور إليه من لدن شخص بلغت قوة التركيز العقلي والفكري لديه درجة صارت معها نظراته أكثر نفاذاً من السهام القاتلة، وأشد فتكاً من السم الزعاف.

إنّ "العين"، أيضا، سلاح غريزي حبا الله سبحانه به بعض الحيوانات الضارية، فصار في وسع هذا البعض أن يشلّ حركة فريسته بنظرته الحادة فيصيبها بما يشبه النوم المغناطيسي، فتعجز عن تمثل الخطر المحدق بها فيسهل عليه ذلك أن ينقض عليها من حيث لا تحتسب !

يعالج بعض أطباء النفس والمحللون النفسانيون بعض مرضاهم بالإيحاء، حيث تنطلق من الطبيب المعالج نظرات بالغة التركيز يضمنها زخات غير مرئية من قواه المغناطيسية الذاتية فتصيب المريض بما يتفق وكلمات الإيحاء المنطوقة، ولولا مصاحبة هذه الأخيرة بالتركيز البصري لما كان لها الوقع المطلوب على نفس المريض عقله.

وخلاصة القول، إن "العين" أمر يصعب إنكاره من الوجهة العلمية بمثل ما يصعب إثباته علميا، ولذلك درج الجمهور عموما على الاحتراز والاحتياط مخافة الإصابة بها، تارة بالكتمان انطلاقا من الحديث الشريف "استعينوا على قضاء حاجتكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود"، وتارة أخرى باللجوء إلى المعوذتين، أو إلى ترتيبات متعددة ومختلفة بحسب تعدد العقائد والمفاهيم واختلافها، كتعليق الرّقى والتمائم، أو اغتسال المصاب بالعين بماء يكون قد وضع فيه المعتدي أصبع قدمه اليمنى الأكبر (كما ورد في الآثار) أو نحو ذلك من العلاجات "شبه المادية / شبه الروحانية".

محمد عزيز الوكيلي

**عين زورا**، قرية وقصبة بالريف الشرقي إقليم الناظور. تقع ضمن أراضي دوار أولاد عبد الله وفرقة أولاد داود، من

قبيلة المطالسة. اشتهرت بقصبتها وهي أقدم المواقع المعروفة لدينا بالمطالسة، وأولى الإشارات التي عثرنا عليها هي التي أدلي بها أثناء حركة المولى سليمان إلى الريف الشرقي. وربما كانت مناسبة إحداث التعمير بها عائد إلى عهد المولى الحسن حينما أمر ببناء قصبة عين زورا بناء على طلب السكان سنة 1292 / 1876.

ارتبط التجمع السكاني المستقر بوصول الإسبان إلى المطالسة وإخضاعها واتخاذ القصبة الحسنية مركزاً لقواتهم، بدأ الزحف الأول يوم 24 أكتوبر 1919 لينتهي في بداية سنة 1920.

بدأ لهم التشوف لغزو مجال عين زورا خطوة حاسمة لربط الاتصال بنقطة الحدود الفرنسية المتوقفة عند الضفة اليمنى من واد ملوية. ولتحقيق تلك الخطة بدأت العمليات من منخفضي أكرواو وكرط. حيث كانت حركة القائد المجاهد الحاج عمر المطالسي القلوشي عقبة في وجه كل تقدم.

وتعد اليوم عين زورا جماعة، تتألف من مشيختي أولاد إبراهيم وأولاد داوود.

ح. الفگيگي، مع *الفقيه الحاج حمو الشكري، سلسلة من أعلام إقليم الناظور*، القنيطرة، 2003 ؛ ضابط الأمور الوطنية، ص. 98 ؛ خريطة طبوغرافية سنة 1935 ؛ *استطلاع ميداني* يوم الأحد 3 غشت 1975، م. الكنسوسي، *الجيش العرمرم*، مراكش، 1994، ص. 286، *وثائق الخزانة الحسنية ومديرية الوثائق الملكية*.

D. Berenguer. *Campañas en el Rif y Yebala*, Madrid, 1948.

حسن الفكيكي

**عين الشعير**، واحة صغيرة تقع جنوب شرق المغرب بالقرب من التخوم المغربية الجزائرية على مسافة حوالي 60 كلم جنوب غرب مدينة بوعرفة بإقليم فجيج، وكانت تسمى قديما "العين البيضاء" ثم ذكرت باسم "عين بني مغيت" في بعض وثائق بداية القرن التاسع عشر. وتعتبر هذه الواحة المعزولة من أهم المراكز القروية بالإقليم وأقدمها رغم بطء نموها، بل ركودها، وموطنها بمحاذاة الطريق الوطنية رقم 10 التي لا تفصلها عنها سوى مسافة حوالي كيلومتر واحد، مما يعكس وضعها الهامشي.

بلغ عدد سكان مركز عين الشعير 1330 نسمة سنة 1971 بمجموع 232 أسرة، بينما تقلص إلى 1233 نسمة سنة 1982 بمجموع 200 أسرة ثم استمر في التقلص إلى 1185 نسمة و182 أسرة في إحصاء سنة 1994. وكان مستكشفو الاستعمار الفرنسي قبل 1894 قد أوردوا أن عين الشعير بإمكانها تجنيد 700 من المشاة و100 فارس، وقد لا تكون في ذلك مبالغة مع اعتباره "المركز الحقيقي للعمليات بوادي گير وسهل تامللت بسكانه البرابرة (الأمازيغيين) المتسمين بالحزم والاهتياج...". وفي سنة 1911 قدّر أحد الجغرافيين عدد سكان هذا المركز بنحو 3500 نسمة.

كانت واحة عين الشعير مكونة من قصر واحد بنواتين هما ويحلان (مهجورة) والقصر الكبير الذي يتوسطه مسجد، يحميه سور تعلوه عدة قلاع وتخترقه بضعة أبواب وتحف به من الجنوب جنان من النخيل والأشجار المثمرة تسقيها عيون متفاوتة الملوحة، تنتج بعض البقول والتمر والشعير والفصة التي كان جزء منها يباع ببوعرفة. وتمتد داخل هذا القصر الحصين ساحة كبيرة كان لها دور إيواء الأعراب الوافدين للتبضع وتسويق الماشية وقد كان هذا التحصين يفرضه الموضع المتميز بالانبساط وسط سهل ممتد بين مجموعة من التلال على ارتفاع حوالي 980 متر فوق مصطبة الضفة اليمنى لوادي تضرضورت الذي يخترق معدر عين الشعير قبل اقترانه بوادي زلمو.

كانت القوات الاستعمارية الفرنسية بالجزائر قد اقتربت أول مرة من عين الشعير "مسالمة" سنة 1857 أثناء قيامها بمهمة عسكرية "تأديبية" ضد بعض الجماعات المغربية المنضوية تحت لواء قبيلة زگدو حسب زعمها، غير أنها لم تعد لمهاجمتها إلا سنة 1870 رغبة منها في استكمال فوز حققته ضد قبائل بني گيل، إثر لجوء بعض فلولها إلى الواحة التي كانت قد دعمت عملها ضد الغزاة ؛ وأمام الفشل في اقتحام القصر المنيع وشدة مقاومة أهله أفضى الحصار إلى مفاوضات سلمية مع سلطة الجماعة التي "تكرّمت" على الجنود الفرنسيين بمؤونة ثقيلة لم تُثن المقاومة من مناوشة المستعمرين المتعقبين لبوعمامة وأتباعه سنة 1982 على مقربة من الواحة.

يتكلم سكان عين الشعير الأمازيغية بلهجة أقرب إلى فجيج التي كانت تشكل في القديم أحد مراكز التموين والتزود إضافة إلى مركز دبدو البعيد، في غياب أسواق أقرب، وهم مستقرون خلافا لسكان محيطها من أعراب بني گيل ودوي منيع وأولاد الناصر وأيت سغروشن وأولاد جرير.

سادت في هذه الواحة سلطة دينية على يد شيوخ بعض الزوايا وأتباعهم وخاصة منها الدرقاوية والقندوسية إلى جانب تأثيرات الزوايا الأخرى مثل الناصرية والطيبية ولازالت تشهد على ذلك الأضرحة الكثيرة التي تحيط بالقصر وهي سيدي مغيت وسيدي امحمد أُورحّو ومولاي بوعبد الله (المدغري التلمساني) وسيدي امساعد وسيدي علي بن يوسف وسيدي علي مول الكاف (التونسي)...

رغم الركود الذي يميز الجانب الديمغرافي لهذه الواحة، فإنها لم تسلم من التوسع السكني بسبب مغادرة السكان لمنازل الطوب التقليدية القديمة ذات المستويين والتي تتقاسمها عادة مع المواشي، من أجل الإقامة في منازل حديثة أنشئ معظمها ضمن إحدى تجزئات الدولة في أواسط السبعينات. وتحتوي عين الشعير على بريد ومستوصف ومسجد ومدرسة، وتتوفر على شبكة للماء الشروب كما أنها متصلة بالشبكات الوطنية للكهرباء والهاتف، وتعقد فيها سوق أسبوعية أيام السبت.

دأب سكان عين الشعير كسائر سكان الواحات القديمة على الهجرة منذ القديم إلى بعض المدن والمناطق المغربية

وخاصة منها وجدة حاليا وتازة قديما حيث لازال حي "بني عيون" يرمز إلى جالية منهم، كما هاجر بعضهم إلى فرنسا منذ فترة مبكرة.

*استطلاعات ميدانية وروايات شفوية.*

H.M.P. De La Martinière & N. Lacroix, *Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest Africain*, Gouvernement Générale de l'Algérie, p. 390-397, 1896 ; A. Bernard, *Confins algéro-marocains*, Paris, Larose, 1911, 420 p.

عبد الرحمان الحرادجي

**عين الشقور**، معسكر قديم وردت أولى الإشارات إليه عند تيسو (Tissot) ودولامارتنيير الذي قدم وصفا جاء فيه ما يلي "تشغل الخرائب مجالا واسعا ويحتل المعسكر مكانا يفوق مساحة معسكر "Castrum" وهو موقع غني وجميل.." أجريت بهذا الموقع حفريات جزئية واكتشفت نقائش لاتينية أغنت معرفتنا بهذا الموقع لكنها لم تحمل عناصر تمكن من معرفة هذا الموقع بدقة.

إنه معسكر مربع الشكل تبلغ مساحته (90 x 90 م) كان مدعما بأبراج مستطيلة ومهمته تتجلى في مراقبة مفترق الطرق المتجهة نحو طنجة وبناصا.

ويعتبر من بين المعسكرات التي يعود فيها الاستيطان لفترة بعيدة حيث تم اكتشاف نقائش تشير إلى الكتيبة I من الاشتوريين والغاليين قبل سنة 57 م.

وقد زود هذا المعسكر في شكله الأخير بأبراج زاوية الشيء الذي مكن من مقارنتها بما يسمى بـ"Quadriburgia" المعروفة في باقي ولايات العالم الروماني.

ويبدو أنه قد خضع لعملية توسيع ليكون مقر إقامة الكتيبة العسكرية التونگرية "IV. Coh. Tungrorum" بين نهاية فترة أنطونينوس وماركوس أورليوس لكن لا شيء يدل على أنه تحول إلى "Quadriburgium"، أو حصن حدودي، ولا شك أن مساحة 90 م الجانبية لم تكن كافية لاستيعاب وحدة عسكرية وبالتالي قد يكون بني لأغراض أخرى في نهاية القرن الثالث الميلادي، هذه السنة التي شهدت إنهاء الأشغال في معسكر تمودا شمال المغرب.

M. Euzennat, *BCTH, 1963-64*, p. 140-141 ; R. Rebuffat, *Inscriptions militaires du génie du lieu d'Aïn Schkour et de Sidi Moussa Bou Fri*, *BAM*, 10, 1976, p. 151-160 ; *L'histoire de l'identification des sites urbains antiques du Maroc*, *Africa Romana*, Atti del XIII, Convegno di Studio, Djerba, 1998, p. 888-889 ; *L'implantation militaire romaine en Maurétanie Tingitane*, *Africa Romana*, Atti del IV, Convegno di Studio, Sassari, Décembre 1986, p. 38 ; J. Napoli, *A propos des quadriburgia, les espaces frontaliers dans l'histoire du Maroc*, Publications de l'Université de Mohammedia, n° 6, 1999, p. 27-65.

عبد العزيز بل الفايدة

**عين عتيق**، شكلت عين عتيق وقناتها ابتداء من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي المصدر الثاني للماء الشروب لمدينة رباط الفتح، إذ بقي صبيبها منتظما حتى سنة 1936. وفي بداية القرن العشرين، كانت بقايا القناة التي يصل طولها إلى حوالي 19 كلم مائلة بمناطق متعددة بين السورين الموحدي والعلوي للجهة الجنوبية - الغربية لمدينة الرباط، وخاصة بالمنطقة المحاذية لباب القبيبات. ويذكر جاك كايي خلال الأربعينيات من القرن نفسه أن القناة المذكورة، التي مازالت أجزاء هامة منها قائمة بحي الأقواس وبمحاذاة المقبرة الأوربية بحي العكاري، كانت تتشكل انطلاقا من هذا الموضع - باب القبيبات - من سور تعلوه قناة مائية، مبني بالطابية وبعض الأحجار غير المنجورة، ويتجاوز ارتفاعه مترين ونصف، ثم يمتد على مسافة تزيد عن 800 متر قبل أن يتفرع عند حدود باب العلو على عدة فروع، يزود بعضها السقايات والحمامات والمساجد، في حين تختص ثلاث منها لتزويد دار الباشا ودار شرفاء وزان ودار مولاي الرشيد (جاك كايي، *مدينة الرباط*، ص. 541).

بنيت قناة عين عتيق والتي توجد بمنطقة تمارة من طرف السلطان سيدي محمد ابن عبد الله (1171 - 1194 / 1757 - 1780) حيث يروي الضعيف الرباطي أن من منجزاته إيصال الماء الجاري "لرباط الفتح من عين عتيك". وفي رواية أخرى، يؤكد الضعيف أنه "قي سنة ثمانية وثمانين ومائة وألف وصل الزرع سبعة أواق للمد وهو ابتداء الغلاء في الزرع والأسعار، وفيها أمر السلطان بإيصال الماء الجاري من عين أعتيك للرباط"، وقد استغرقت الأشغال أربع سنوات إذ لم يدخل الماء إلى المدينة إلا في سنة 1192 / 1778. في حين ذهب خالد الناصري، وعلى الرغم من كل التأكيدات التي وردت عند الضعيف، إلى أن تهييء العين وبناء القناة من أعمال السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (1276 - 1290 / 1859 - 1873) مؤكدا أن هذا الأخير بنى "داره الكبرى بأجدال رباط الفتح، والسور الكبير المحيط ببسيطها، وجلب الماء بعد أن صير عليها أموالا كثيرة". ومهما يكن، فإن بناء القناة قد تم على الأرجح قبل هذا التاريخ، على عهد سيدي محمد ابن عبد الله، خاصة وأن هذا الأخير قد دشن منذ توليه الحكم عدة أوراش بالرباط وأمر في سنة 1182 / 1768 بقطع أشجار أجدال وبناء المنازل والمسجد والحمام والمدرسة والسوق وأنزل جيوشه بها. وقد أضحت عين عتيق المزود الرئيسي لأحياء المدينة في حين خصصت مياه عين غبولة لدار المخزن وملحقاته. وفي سنة 1330 / 1911 قامت السلطات بتعميم هذه الأخيرة قصد توفير الماء الصالح للشرب بينما تم الاعتماد على الأولى في الري والسقي وما والاهما.

الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة العلوية السعيدة*، الدار البيضاء، 1988 ؛ أحمد خالد الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، الجزء الثامن، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الرباط، 2001.

J. Caillé, *La ville de Rabat jusqu'au protectorat français. Histoire et archéologie*, Tome 1, éditions Vanoest, Paris, 1949.

أحمد صالح الطاهري

**عين علي مومن**، تتحكم في أسماء الأماكن بالمغرب قاعدة معروفة وهي أن معظمها من أصل أمازيغي، ونشدد على كلمة أصل لأن الكثير من هذه الأسماء طوع ليتلاءم مع النطق العربي الفصيح والدارج، ونجد اليوم بعض هذه الأسماء مركباً من كلمتين عربية وأمازيغية مثل "عين غبولة" و"وادي زم" و"قاع اسراس" وغيرها كثير، وبعضها الآخر عربي الأصل مثل المدن التي تحمل أسماء أشخاص كسيدي سليمان وعلال التازي وابن أحمد وبرشيد وغيرها ومنها ما يحمل أسماء النباتات والحيوانات مثل النخيلة، وعين الحلوف، ووطات الحاج... ومن شأن علم الطوبونيميا أن يغني التاريخ ويكشف عن مراحل التعمير والهجرة، ومن الأماكن المنسوبة إلى الأشخاص ينابيع المياه والآبار مثل عين علون وعيون اللصادي في فاس وعين بندغل في إقليم ابن سليمان وغيرها كثير.

أطنبت المصادر في ذكر أسباب تسمية بعض الينابيع والبحيرات واختلط في ذلك الواقع والأساطير لينسج حكايات شيقة أحيانا يمكن من خلال تتبعها الخروج بتصور عن الحياة الثقافية والاجتماعية للفترات التاريخية التي ظهرت فيها مثال ذلك "عين أسردون" و"بحيرة إميلشيل".

من الينابيع المنسوبة إلى أشخاص عين علي مومن، وهواسم مكان ارتبط بنبع ماء وشخصية تاريخية، يقع المكان جنوب شرق مدينة سطات، وتعود شهرته إلى عهد الحماية الفرنسية على المغرب، فقد حول المستعمر هذا المكان المتوفر على تربة خصبة (التيرس) وماء دافق، إلى سجن فلاحي خدمة للسياسة الاستعمارية الهادفة إلى استغلال ثروات البلاد وجهد أبنائها. ومن مرامي هذه السياسة توفير يد عاملة مجانا مكونة من السجناء ومدربة للعمل في ضيعات المعمرين ومزارعهم، وقد عملت فرنسا على تغطية سائر التراب الوطني بهذا النوع من السجون نذكر منها على سبيل المثال فقط سجن العدير بدكالة وسجن بير قاسم بالرباط وسجن تيط مليل بالدار البيضاء (وقد حول السجنان الأخيران إلى مركبات ترفيهية تابعة لوزارة العدل).

أما سجن عين علي مومن فأصبح سجنا إقليميا وذاع صيته حتى خارج إقليم سطات لما يلقاه السجناء من معاملة سيئة ولما يكابده ذووهم من معاناة لزيارتهم، أما العين فلم يبق لها وجود بعد توالي سنوات الجفاف وكانت مياهها تستغل في ري الحقول والمزارع التي كان السجناء يجبرون على العمل فيها، فبقي الاسم يذكر بها وبالشخص المنسوبة إليه علي مومن.

كان علي مومن من أكبر شيوخ الشاوية وزعمائها في التاريخ الحديث خاصة خلال الاحتلال البرتغالي لساحل دكالة ومحاولاته المتكررة لإخضاع القبائل المجاورة لمدينة الجديدة وأزمور ومنها كذلك غاراته المتكررة على قبائل الشاوية ؛ وقد برز علي مومن كزعيم ومقاوم للأطماع البرتغالية في الشاوية بل ومجاهد ضد الوجود البرتغالي في المغرب، لقد شارك بأتباعه وعائلته في عدة معارك وبلي البلاء الحسن في إحداها، وكانت بضواحي مدينة سلا في شهر نونبر 1522 ؛ أما العلاقة ما بين علي مومن والعين فلاشك أنها تعود إلى الفترة المؤرخة، فالعين كانت ضمن مجال قبيلة أولاد سعيد - ومازالت - وهي من أكبر قبائل الشاوية وكان مجالها أوسع مما هو الآن إذ ضم في العصر الحديث معظم الشاوية الجنوبية على امتداد الضفة اليمنى لنهر أم الربيع وجاور في حدوده الشمالية قبيلة زناتة البربرية والشخص كان شيخا للقبيلة وزعيمها. وقد يكون المكان مقرا له ومضرباً لخيامه ومركز نشاطه الفلاحي. ولما ذهب الرجل وعقبه في الذاهبين وأكلتهم السنون بقي اسم المكان يذكر بتلك الأمجاد والبطولات. ولنا أن نتساءل عن التحول الذي عرفه المكان، إذ أصبح سجنا للمغاربة في عهد الاستعمار الفرنسي للمغرب بعد أن كان مركز قيادة ومقاومة للاستعمار البرتغالي الذي أفشلت محاولاته للتوسع ليس في بلاد الشاوية فحسب ولكن في كل المناطق الساحلية الواقعة شمال نهر أم الربيع، هل اختيار المستعمر الفرنسي للمكان كان بمحض الصدفة ؟ أم أن الاستعمار هو الاستعمار وإن اختلفت أسماؤه وتباعد زمانه ؟ فأول ما قام به بعد إخضاع البلاد لسلطته العسكرية والمدنية هو ضرب الرموز والإشارات التي تذكر بالهوية قصد طمسها وإذلال الشعب ليصبح سهل الانقياد.


ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ الجزنائي، جني زهرة الآس، الرباط، 1967 ؛ الخارطة الطبوغرافية : ورقة سطات، نشر وزارة الفلاحة ؛ مجلة البحث العلمي، العدد 27 : "في أن أسماء" شفيق ؛ أحمد بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984 ؛ حليمة بنكرعي، *العنصر العربي والمجال في* مغرب، الرباط، 2000 ؛ عبد الوهاب بن منصور، *قبائل المغرب*، ج. 1، المطبعة الملكية، الرباط.

De Sousa, *Les Portugais et l'Afrique du Nord*, traduc. Ricard, Paris, 1940.


محمد حجاج الطويل

**عين العودة**، يقع مركز بلدية عين العودة عند الهوامش الشمالية لهضاب زعير السفلى الغربية أو المسيطا الساحلية، حيث يشكل مركزا ضاحويا جنوبيا لعاصمة المغرب الرباط على بعد 29 كلم، وهو بذلك ينتمي إلى جهة الرباط - سلا - زمور - زعير. تحد هذا المركز شمالا الجماعة القروية المنزه وغربا جماعة سيدي يحيى زعير وشرقا وجنوبا جماعة أم عزة. وحيث يحتل بمساحة تبلغ 20 كلم² مجالا هضبيا يغلب على سطحه التجانس، بارتفاع لا يزيد عن 250م. مرفلوجيا، يحتل مركز عين العودة مجالا انتقاليا، إذ يوجد عند النهاية الشمالية لسطح تحاتي متعدد الأصول والمراحل، يقطع التضاريس المتشكلة في صخور متحولة : شيستية فليشية في معظمها، وذلك في بنيات التوائية هرسينية مبتورة ضمن مجال الدرج الأسفل من الهضبة الوسطى، ارتبط بناؤها بحركات بنائية انطلقت خلال الديفوني وانتهت في العصر البيرمي. كما يمثل موقع عين

العودة أيضا البداية الجنوبية لحوض سهل الغرب التهدلي، المتمثل في الهضاب الساحلية، المتشكلة في الصخور اللوماشيلية البحرية والحثية الكثيبية المنتمية للحقبة البليورباعية. الشيء الذي نجم عنه التعمق الكبير لوديان الأنهار المجاورة، ومن ثم تشكيل تضاريس هضبية، تصبح أكثر تقطعا جنوب المركز.

يتميز مناخ هذا المركز بالجفاف والاعتدال صيفا، إذ يتراوح معدل حرارته ما بين 26° و35°، مقابل فصل شتاء دافئ، تتأرجح حرارته ما بين 7° و22° وممطر، مع تساقطات يبلغ معدلها في السنوات العادية 500 مم.

يرتبط المركز إداريا منذ أن كان يشكل جماعة قروية بعمالة الصخيرات ـ تمارة التي أنشئت سنة 1983، والتي تضم إلى جانبه بلدية الصخيرات الساحلية وبلدية تمارة المكونة من أربع دوائر وخمس جماعات قروية ممثلة في : عين عتيق، مرس الخير، المنزه، أم عزة، إلى جانب جماعة عين العودة.

وعلى الرغم من ارتباط هذه الجماعة ببلدية تمارة وعمالة تمارة ـ الصخيرات، فإنها ترتبط قبائليا ببلاد زعير، التي تضم ثاني جماعات قروية هي : سيدي يحيى زعير، حد الرباشوة، مولاي إدريس أغبال، مرشوش، عين السبيت، لغوالم وازحيليكة إضافة إلى عين العودة. إلا أن التقسيم الإداري الذي طبق قبيل الانتخابات الجماعية لسنة 1992، جعل مركز عين العودة يرقى إلى جماعة حضرية، تدخل ضمن نطاقها الإداري جماعتان قرويتان هما : المنزه وأم عزة، وذلك ضمن مجال قبيلتي أولاد ميمون وأولاد كثير.

اقترنت نشأة هذا المركز بدخول الاستعمار الفرنسي، خصوصا الفلاحي إلى هضاب زعير سنة (1928)، حيث بادر إلى الاستحواذ على الأراضي الفلاحية وتقنين استغلال المجال الغابوي المجاور للرباط، التي كان الجنيرال ليوطي قد اختارها لتكون مركزا للقيادة العسكرية الاستعمارية وعاصمة سياسية وإدارية جديدة للمغرب عوض فاس، وذلك على إثر تحول محور النشاط الاقتصادي للبلاد نحو الساحل الأطلنتي، موضع تقع فيه مدينة الرباط عند ملتقى شبكة الطرق، التي شرع في تشييدها منذ ذلك الوقت والمؤدية منها صوب شمال وشرق وجنوب المغرب. الشيء الذي دفع بالقبائل الهامشية المقيمة جنوب الرباط، خصوصا قبائل زعير السفلى إلى الاستقرار والارتباط بالأراضي الزراعية بدل حياة الرعي والترحال، التي اقترنت بصراعهم الدائم مع المخزن والاستعمار الفرنسي، مما أدى إلى تكسير النظام الرعوي القديم، وبالتالي تفكيك أسس النظام القبلي.

ولتأمين استقرار الاستعمار بالمجال والاستيلاء على الأراضي الزراعية لقبائل زعير، عمدت سلطته إلى خلق مركز عين العودة لتسهيل عملية الاحتواء، وقد ضمنته مجموعة من التجهيزات والمرافق الخدماتية من طرق وسوق أسبوعي ومدرسة ومستوصف إلى جانب ثكنات عسكرية، بهدف تأمين المركز من هجمات القبائل المتمردة واستقطاب المزيد من المطرودين منهم، لاستخدامهم كيد عاملة في ضيعات المعمرين الفلاحية المستحدثة. وتلك عوامل جعلت المركز يستقبل دفعات هجروية قوية ومتتالية من سكان تلك القبائل، للاستقرار به والاستفادة من خدماته، التي لم يعتدها السكان المحليون من قبل. وقد ترتب عن ذلك حدوث تزايد في ديمغرافية المركز، ابتدأ بـ 176 معمرا فرنسيا و105 قروي أي بما مجموعه 281 نسمة سنة 1936، لينتقل سنة 1960 إلى 3.247 نسمة. وقد تمخض عن ذلك إرغام السكان المحليين على الاستقرار، ضمن أشكال سكنية عوضت الخيمة بالتدريج، لكنها ظلت قروية، تمثلت في النوالة والأكواخ المبنية بالطين والحجارة.

بحلول فجر الاستقلال، وبعد حدوث تراجع في ساكنة مركز عين العودة خلال الفترة البيإحصائية لسنتي 1960 ـ 1971، نشطت حركات الهجرة من المجالات الريفية المجاورة على الخصوص، ليعرف مركز عين العودة استقطابا متزايدا لسكان المهاجرين، الذين اتخذوه محطة انتقالية، تؤهلهم لدخول العاصمة بصفة نهائية ولا سيما قبل ارتقاء عين العودة إلى مرتبة بلدية، استقطاب قفزت بفضله ساكنة المركز بنسبة 60٪ فيما بين الفترات الإحصائية الثلاث (انظر الجدول أسفله).

تطور عدد سكان عين العودة

| إحصائيات | 1971 | 1982 | 1994 |
|---|---|---|---|
| عين العودة | 8.229 | 12.284 | 13.708 |

وذلك بوتيرة تزايد سنوي فاق 5٪، مما أدى إلى ارتفاع كثافة سكان عين العودة بأكثر من 300 ن / هـ. وقد ترتب عن هذه الطفرة الديموغرافية، تطور ظاهرة أحياء السكن غير اللائق، الذي عم في البداية معظم أرجاء المركز. ساهمت في هذه الظاهرة، الهجرة القروية إلى مركز عين العودة، التي اتسمت بالتزايد من 55,72٪ سنة 1982 إلى 70,75٪ سنة 1994. بل إن عين العودة تمكنت من جذب ما بين 44,27٪ و30٪ من السكان الحضريين خلال نفس الفترة، وذلك راجع لعدة أسباب نجملها في ترقية عين العودة إلى درجة بلدية، وقربها من العاصمة، وتوفرها على الخدمات الأساسية العامة للسكان، وابتعادها عن ضوضاء ومشاكل العاصمة المرتبطة بارتفاع تكلفة المعيشة، وغلاء اقتناء بقع التجزئات السكنية بعكس بلدية عين العودة الشيء الذي يفسر توافد 56٪ من السكان المهاجرين ما بين 1994 و2002، في حين لم تتجاوز نسبتهم 1٪ خلال سنة 1960.

هذا، وبتطبيق مشروع التقسيم الإداري لسنة 1992، عرفت بلدية عين العودة تغيرات شبه جذرية في نسيجها العمراني، على إثر ارتقائها من جماعة قروية إلى جماعة حضرية، أهلتها لتسيير جماعتي المنزه وأم عزة القرويتين،

ولتضم بذلك منذ سنة 1994، 12٪ من مجموع سكان عمالة تمارة ـ الصخيرات.

تتميز جماعة عين العودة بأهمية فئة الشباب على ساكنتها، التي بلغت نسبتها 56٪ سنة 1994، مقابل تطور سكني يتسم بوجود نوع من التساوي بين الجنسين.

ترجع نزعة ارتقاء نسبة الإناث ابتداء من سنة 1982 إلى هجرة الذكور بحثا عن العمل خارج عين العودة، لكن ارتفاع معدل الذكور منذ سنة 1994 يفسر بتوافد عدد من الموظفين إلى الجماعة التي تمت ترقيتها إلى بلدية، مقابل انجذاب الفتيات نحو العاصمة من أجل العمل في أحيائها الصناعية أو العمل كخادمات في البيوت.

التحول الوظيفي لبلدية عين العودة

| | |
|---|---|
| السكان المشتغلون بالفلاحة | 6,66 |
| عمال غير فلاحيين | 35,33 |
| التجار والباعة المتجولون | 11,33 |
| الخدمات والحرف التقليدية | 21,33 |
| الموظفون | 24,66 |

بحث ميداني 2002

تضم بلدية عين العودة حاليا، باشوية ومركزا صحيا، ومركزا للمساعدة، إلى جانب مدرسة وإعدادية، وقيسارية تضم 14 متجرا. بل إن هذه البلدية، أضحت تشكل بفضل بنيتها السوسيو ـ اقتصادية المتطورة، مركزا حضريا تابعا للعاصمة، مؤهلا للخدمات الطرقية، التي يقدمها 84 محلا، تتركز على جنبات الطريق الرئيسية رقم 22، التي تربط مدينتي الرباط وبني ملال، وكذا بالقرب من السوق الأسبوعية التي تعقد صبح كل يوم إثنين وسط البلدية. سيتم دعم هذا النشاط في السنوات المقبلة تبعا لتصميم تهيئة مازال ينتظر المصادقة عليه، ليتم بفضله إنشاء حي صناعي من الدرجة الثالثة، بهدف خلق شروط الاستقرار بالبلدية وتخفيف الضغط على العاصمة في الشمال. وهذا ما يتبين من خلال التحول الوظيفي لعين العودة بعدما أصبحت بلدية، والذي يكشف عنه بالملموس، الجدول أعلاه.

لذلك أخذ النسيج العمراني لمدينة عين العودة يتغير نحو الأفضل، من خلال انتشار السكن الاقتصادي، المكون من منازل من طابق إلى ثلاث طوابق، تتراوح مساحاتها ما بين 80 م$^2$ و140 م$^2$، والذي يحتل 80٪ من مجموع المجال المبني. يليه السكن العشوائي أو السكن غير اللائق المتركز بحي النصر، يضاف إليه سكن الصفيح الذي بدأ يتراجع بوضوح في السنوات الأخيرة، والمتمثل في دوار العوامر. كما بدأت تعرف بلدية عين العودة ظهور سكن الدارات (الفيلات)، الذي استقر بداخل النواة القديمة للبلدية، ولاسيما قرب مقرن الطريقين الرئيسية والثانوية، إضافة إلى مجموعة فيلات دكالة وفيلات حي الشراكة التي عوضت مواقع سكن الصفيح، وهذا ما يعني في النهاية تحول بلدية عين العودة حاليا إلى مركز جاذب لسكان مدينة الرباط على الخصوص، لتصبح بذلك حاضرة ضاحوية تابعة لها، الشيء الذي يعززه ارتباطها اليومي بواسطة حافلات النقل الحضري الجماعي بمركز عاصمة المغرب الرباط.

ألبير عياش، *المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية*. سلسلة المعارف الممارسة، الطبعة الأولى، 1985 ؛ محمد الطيلسان، هضاب *زعير السفلى وساحلها. التكونات السطحية وتطور الوسط الطبيعي منذ النيوجين*. أطروحة دكتوراه الدولة في الجغرافيا الطبيعية، جامعة محمد الخامس، 1999 ؛ محمد بن عمر بن سودة المري، *قبيلة زعير قديما وحديثا*، الجزء الأول، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1977 ؛ *منوغرافية بلدية عين العودة الاقتصادية وأفجتماعية لسنة 1999*.

P. Aubert, *Le pays des Zaers*, *Bulletin économique et social du Maroc*, 1960 - 1961 ; M. Belfquih et A. Fadloullah, *Mécanismes et formes de croissance urbaine au Maroc "cas de l'agglomération de Rabat - Salé"*, 1994 ; A. Fadloullah et M. Belfquih, *Colonisation rurale et espace agricole dans l'arrière-pays de Rabat-Salé*, *R.G.M.*, n° 2, p. 95 - 116, 1978 ; J. F. Troin, *Maroc : région, pays, territoire*. Maisonneuve & Larose, Tarik, Urbama. UMr 6592 CNRS-Université de Tours, 2002.

محمد الطيلسان وعائشة الخيري

**عين غبولة**، تقع عين غبولة على بعد 17 كلم جنوب ـ غرب مدينة الرباط، قرب سوق الأربعاء، وشكلت بفضل قناتها ـ لما يزيد عن ثمانية قرون ـ المصدر الأساسي للماء الصالح للشرب لساكنة قصبة الأوداية ورباط الفتح، بسبب افتقار هاتين الأخيرتين إلى "الماء الجيد" وملوحة آبارهما ودخول مياه البحر إلى نهر أبي رقراق "إلى مسافة اثني عشر ميلا فيه". وفي شهر فبراير من سنة 1922، تم خلال عمليات للحفر والتجهيز الكشف عن بعض بقايا هذه القناة المائية قرب باب شالة في اتجاه المسجد الكبير وقصبة الأوداية عبر السويقة. وقد خلص البحث الذي أجراه هنري باسي إلى أن هذه البنيات هي جزء من قناة عين غبولة التي تخترق أحياء الرياض والسويسي وأگدال، وتصل إلى باب زعير عبر باب المصلى لتوفر الماء لمختلف أحياء المدينة والقصبة. ومن خلال معاينة الأجزاء المتبقية بالجهة الجنوبية الغربية لمدينة الرباط وخاصة تلك الموجودة بحي الرياض، يتبين أن القناة، رغم كل الترميمات التي خضعت لها، مازالت تحتفظ بطابعها الأصيل، حيث يلاحظ أنها بنيت بالتراب المدكوك الغني بالجير فوق سور متين تقويه بعض الدعامات ويصل ارتفاع بعض أجزائه المكشوفة إلى 1,30 م وعرضه إلى 0,59 م. وخلال حفريات تجهيز ثانية سنة 1999، تم الكشف عن بقايا قناة متوسطة المقاييس بمحاذاة قاعدة السور الموحدي، بين باب المصلى وباب زعير، مبنية على الطريقة التقليدية بواسطة "قواديس خزفية"، لكن أشغال الحفر والتجهيز التي دمرت أغلب أجزائها وأدت إلى اندراس معالمها حالت دون تحديد خاصياتها وتتبع مسار تفرعاتها.

أوردت المصادر التاريخية روايات عديدة حول ظروف تهييء عين غبولة وإنشاء قناتها. فمباشرة بعد "الاعتراف"، خرج الخليفة عبد المومن إلى مدينة سلا وأمر "ببناء قصبة حصينة في ذلك الموضع على فم البحر الداخل إلى سلا، وأقام بمحلاته المؤدية إلى عين غبولة، والفعلة معه والمهندسون، فأجروا لها الماء من عين غبولة المذكورة في سرب تحت الأرض حتى قصبة المهدية المذكورة. ودام اشتغال الأمر بذلك شهورا وهو مقيم بعسكره حتى وصل الماء المذكور إليها، فصنع له سقاية لشرب الناس والخيل وسقي الأرض حواليها، فصارت فيها البحائر والجنات والمغروسات". ويؤكد البيدق أن الخليفة مكث واقفا على المشروع "خمسة أشهر" قبل أن يقلع من مدينة سلا في اتجاه بجاية ويترك أمر إتمامه إلى عبد الحق بن إبراهيم بن جامع. ويظهر من خلال روايته أن ماء عين غبولة أجري في نفس الوقت إلى مدينة سلا، وهو الأمر نفسه الذي ذهب إليه ابن أبي زرع الذي يروي أن أمير المؤمنين عبد المومن قد "دخل إلى حاضرة سلا وأمر بالأشغال اللازمة لجلب مياه عين غبولة إليها عبر رباط الفتح". من جهة أخرى، يقول صاحب كتاب *الاستبصار* إن أبا يعقوب يوسف أمر، أثناء وقوفه على بناء أسوار مدينة رباط الفتح، بجمع المياه في صهريج داخل القصبة وتوزيعها على السقايات والقصر - قصر عبد المومن - والمسجد - المسجد العتيق - والحمامات. ولحماية العين ودفع أي هجوم عنها أمر الموحدون ببناء قلعة محصنة مازالت أطلالها تعرف بالدشيرة، وهي عبارة عن مركب معماري عسكري يصل طوله إلى 268,50 متر وعرضه إلى 145 متر، يضم مسجدا وبنايات ومطامير وأفران....

لكن يبدو أن القناة تعرضت للخراب ودمرت بعض أقواسها بسبب الحروب والصراعات التي دارت بين الموحدين وبني مرين خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي / النصف الأول من القرن السابع الهجري، فانعكس ذلك على مدينة الرباط وقصبتها وربما كان ذلك سببا في هجرهما إذ لم يجر ماء عين غبولة من جديد إلى على عهد السلطان أبي يوسف يعقوب الذي أوكل سنة 683 / 1283 - 1284 إلى المهندس بلحاج بإصلاح القناة وإعادة ربط فروعها بمختلف مكونات المدينة . ورغم بناء قناة ثانية على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله لتربط عين عتيق بالمدينة، فإن عين غبولة بقيت، بفضل انتظام صبيبها وعذوبة مياهها، المزود الرئيسي للرباط بالماء الشروب حتى بداية القرن العشرين حيث بدأ، نظرا لارتفاع عدد القاطنين بحاضرتي مصب النهر، التفكير في بناء سد سيدي محمد بن عبد الله على وادي أبي رقراق واستغلال الفرشات المائية للفوارات، لتوفير الحاجيات المتزايدة من الماء الشروب لساكنة العدوتين وضواحيهما .

ع. الملك ابن صاحب الصلاة، *تاريخ المن بالإمامة*، تح. ع. الهادي التازي، بيروت، 1964 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، تح. أ. بوميي، مطبعة الباب، الرباط، 1999 ؛ البيدق، *أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين*، دار المنصور، الرباط، 1971 ؛ مجهول، كتاب *الاستبصار في عجائب الأمصار*، تح. سعد زغلول، الرباط، 1985 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الجزء الأول، تح. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980 ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا*، الجمعية المغربية للنشر، دار نشر المعرفة، الرباط، 1984.

J. Caillé, *La ville de Rabat jusqu'au protectorat français. Histoire et archéologie*, Tome I, éditions Vanoest, Paris, 1949 ; H. Basset, *Un aqueduc almohade à Rabat. Revue africaine*, vol. 64, 1923, p. 523 - 528 ; R. Thouvenot, Une *forteresse almohade près de Dchîra. Hespéris*, T. XVII, 1933, p. 59 - 88.

**عين قرواش**، موقع أثري على الضفة اليمنى لوادي ورغة (قيادة خنيشات، دائرة حد كرت)، على بعد حوالي 50 كلم جنوب - شرق مدينة وزان وبعض كلمترات شمال مدينة جرف الملحة و60 كلم شمال شرق مدينة فاس. اكتشف الموقع سنة 1976 أثناء عمليات حفر وبناء قنوات مائية من سكان دوار المعاريف ودوار عين قرواش، حيث كشفت الأشغال عن بعض البنيات المعمارية والزخرفية، تبرز في غالبيتها تميز الموقع وتوفره على بنيات أثرية وجمالية تذكر بتلك التي توجد بالمدن العتيقة مثل فاس ومراكش ومكناس وسلا وغيرها .

وفي نفس السنة، أجرت بعثة أثرية مسحا سطحيا للموقع شمل قريتي المعاريف وعين قرواش وحفريات إنقاذ، قبل أن تعود بعثة ثانية، سنة 1977، للقيام بمسح مغناطيسي وكهربائي، أظهرت نتائجه الأولوية مكانة الموقع ومؤهلاته الأثرية، وسمحت في نفس الوقت بتوطين ثلاثة أفران لصناعة الفخار. وفي سنتي 1981 و1991 نظمت حفريات أثرية تكميلية قصد التأكد من معطيات المسح الجوفيزيائي، فكان من أبرز نتائجها الكشف عن مركب معماري متناسق البنيات، مكون من بناية مستطيلة الشكل (5,35 x 4,90)، تغطي أرضيتها زخارف من الزليج متعدد الألوان، ويتوسطها صحن تزينه نافورة مستديرة الشكل. وقد سمحت كل هذه اللقى من خلال ترتيبها وعمارتها وجماليتها، بفضل دراسة مقارنة، من وضعها في إطار كرونولوجي تقريبي يعود إلى العصر الوسيط وبالتحديد إلى الفترة المرينية.

ويبدو من خلال المصادر التاريخية أن عين قرواش تحتل موقع أول روضة مرينية، حيث ورد عند ابن أبي زرع وابن خلدون والناصري أن قبائل رياح العربية التي استوطنت ناحية الغرب قد ساندت أبا دبوس الموحدي وثارت ضد بني مرين، فالتقى الجيشان سنة 614 / 1215 في معركة "قرب وادي سبو، على بعد بضعة أميال من تافرطاست" انتهت بمقتل عبد الحق بن محيو بن أبي حمامة، وابنه إدريس. وفي سنة 684 / 1284 - 1285 قام أبو يعقوب ببناء زاوية تافرطاست فوق قبر الأمير أبي محمد عبد الحق ووقف عليها أربعين زوجا من البقر. ويؤكد ابن خلدون أن أبا يوسف

يعقوب أوعز لابنه أبي يعقوب يوسف "بالبناء على قبر أبيه عبد الحق وابنه إدريس بتافرطاست، فاختط هنالك رباطا، وبنى على قبورهم أسنمة من الرخام، ونقشها بالكتاب، ورتب عليها قراء لتلاوة القرآن...". ومن المحتمل أن هذه الروضة قد بدأت تفقد أهميتها خلال العهد المريني بسبب الحروب التي شهدتها المنطقة بين القبائل العربية وبني مرين، والتي لم تنته إلا على عهد السلطان أبي ثابت الذي أغار سنة 707 / 1308 على قبائل رياح فقتل منهم خلقا، وكذا بناء النواة الأولى لمقبرة شالة سنة 684 / 1284 ـ 1285 وجعلها روضة خاصة بالأسرة المرينية وأعيانها، بعيدا عن الغرب، بؤرة الصراعات والفوضى السياسية والاجتماعية.

وذكر الحسن الوزان في بداية القرن السادس عشر أن يوسف ثاني ملوك بني مرين قد بنى "الزاوية [وهي] بلدة صغيرة على بعد أربعة وعشرين ميلا من فاس، وأسس بها زاوية كبرى أوصى أن يدفن فيها، لكن القدر لم يشأ ذلك، فقد قتل أمام أسوار تلمسان أثناء حصاره لها، وانهارت الزاوية منذ ذلك الحين وتهدمت، ولم يبق قائما بها غير جدران الزاوية، ويحرث أرضها أعراب تكاد زراعتهم تصل إلى أرض فاس". أما مارمول كاربخال فقد سماها جمعة القرواش ووصفها بأنها مدينة صغيرة أسسها يعقوب المريني (657 ـ 685 / 1258 ـ 1286) على ضفة واد (وادي الركلة)، في سهل على الطريق الكبير المؤدي من فاس إلى العرائش، كانت غنية آهلة بالسكان في حياة هذا الأمير ومن خلفه، دمرت أثناء حروب سعيد، ثم لم يعد تعميرها منذ ذلك العهد".

ع. الرحمان ابن خلدون، *كتاب العبر*، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد السابع، 1992 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الجزء الأول، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980 ؛ م. القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، الجزء الأول، الرباط، 1977 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، الجزء الثاني، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1984 ؛ خ. الناصري، *كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1959.

P. Cressier, *Prospection géophysique sur le site médiéval d'Aïn Kerouach*, dans *BAM*, 1981 - 82, p. 246 - 255 ; M. De Cardinal - Breton, *Ramassage de surface à Ayn Karuash : méthodes, résultats et perspectives*, dans *BAM*, 1985 - 1986, p. 339 - 343 ; J. Hassar-Benslimane, *Ayn Karuash : un nouveau site islamique dans le Gharb*. *BAM*, XII, 1979 - 80, p. 364 - 376 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat*, éd. Atlantide, Casablanca, 1954.

أحمد صالح الطاهري

**عين الـگطارة** (محمية -) أنشئت سنة 1954 من طرف ما كان يدعى بالمجلس أو الهيأة المسؤولة عن الأغنام (Comité Bovin) على مساحة تقدر بـ 5520 هكتار، واقتطعت من أجود الأراضي الجماعية الرعوية لقبيلة أولاد خاوة، الواقعة على الضفة اليمنى لوادي ملوية، أي حوالي 20 كلم جنوب غرب مدينة ميسور، يحدها شرقاً واد حروش، وغرباً واد عش الغراب، وشمالاً الطريق المؤدية من ميسور إلى ويزغت، وجنوباً محمية عش الغراب. تحتوي هذه المحمية على نباتات مهمة تتألف من صنفين : الأصناف العطرية Aromatiques مثل الشيح والزعتر والنگد واخزامة وشندگورة، والتي تعد من النباتات الطبية أيضاً والأصناف الشجرية مثل الرتم والسدرة والعريش، إلى جانب أصناف أخرى كالجل والگريش، والگزاح، وگرن الكبش، والسحمة ...

تقسم المحمية إلى 4 أقسام : 1500 ـ 1400 ـ 1320 ـ 1300 وهي متخصصة في انتقاء وتحسين سلالة الأغنام، حيث بدأت هذه العملية الانتقائية منذ سنة 1974، أي بعد 16 سنة من الفترة المحروسة، وهكذا ففي الفترة الأولى أي ما بين 1974 ـ 1975 تم اقتناء 507 رأس من الإناث، و14 رأس من الذكور، وذلك من أجل دراسة وتتبع الخاصيات الأساسية لسلالة بني گيل المعروفة بهذه المناطق، وتتلخص هذه المواصفات في ما يلي :

ـ الرأس والجوانب منقطة بلون أسمر إلى أصفر . ـ صوفها غالباً أبيض. ـ قرونها من سلالة الميرينوس. ـ فخذها أكثر تطوراً. ـ ذيلها قصير نسبياً.

*التحري الميداني*.

محمد ازهار

**عين لفريطسة**، تقع ضمن المجال الترابي لجماعة لفريسطة، يحدها شرقا الطريق الوطنية رقم 15 الرابطة بين مدينتي جرسيف وأوطاط الحاج، وغربا كدية جلال العقاب، وشمالا واد سهيب علال، وجنوبا كراكير بوغردة. تتغذى هذه العين من فرشة مائية طليقة توجد في رصيص الميوسين الأعلى، كما تتغذى بكيفية باطنية من فرشة الحث الكالوفي. ويؤثر نظام هذه التغذية المزدوجة على التركيبة الكيماوية لمياه العين، إذ تغلب عليها سحنة كبريتية كلسية، بحكم آلية ذوبان مواد الكبريت الموجودة داخل الصخور الصلصالية الكالوفية. يتراوح معدل تعدن مياه العين ما بين 0,5 و3 غ / ل، في حين تتأرجح درجة حرارة مياهها ما بين 17°C و20°C، أما فيما يخص درجة حموضتها فهي قاعدية وتتراوح في المجمل ما بين 7,5 و8 (وحدة pH).

على مستوى نظام الملكية، تعد عين لفريطسة ملكا جماعيا، إذ تندرج مجاليا ضمن أراضي الجموع التابعة لدواري الشوارب وبنعيدات. يصل صبيبها إلى 6 ل / ث، وتقدر مساحة الأراضي المسقية التي يغطيها هذا الصبيب 4 هكتارات على وجه التقريب، موزعة على شكل أشرطة زراعية متفاوتة السعة والامتداد. وبحكم تعذر إمكانية توسيع المجال الزراعي المستغل في ظل غياب موارد مائية للعين، يكرس السكان المحليون المساحات المسقية، على محدوديتها، لأصناف محددة من الزراعات تتوزع حصرا بين زراعة الحبوب والفصة وغراسة أشجار الزيتون.

ونظرا لخصائصها الكيماوية والمعدنية من جهة، وارتفاع درجة حرارة مياهها على امتداد دورات فصول السنة من جهة ثانية، غدت عين لفريطسة منذ أن تم استصلاحها وبناء صهريج لتجميع المياه المتدفقة منها في العقود الماضية، عبارة عن "حامة" محلية يقصدها سكان القرى والدواوير المجاورة بهدف الاستحمام أو العلاج من بعض الأمراض سيما الجلدية منها على وجه الخصوص.

*المركز الفلاحي لدائرة أوطاط الحاج ؛ تحريات ميدانية.*

*Ressources en eaux du Maroc*, Editions du service géologique du Maroc, Rabat, 1971 ; Direction provincial de l'agriculture de Boulmane, service de production agricole.

الفقيه الإدريسي

**عين اللوح** مركز حضري جبلي صغير يقع في منطقة إتصال بين مرتفعات الأطلس المتوسط والهضبي الغربي في الجنوب ومنخفض الهضبة الوسطى الواقع في الشمال عبر انبساط تيليوين، وهو موقع متميز بمؤهلات طبيعية متباينة ومتنوعة، تتمثل في غابات الفلين الأخضر والأرز الفسيحة والمسارح الرعوية فوق الأعالي ووفرة المياه والأراضي الصالحة للزراعة في المنخفضات. وقد شكل هذا الإطار الطبيعي المتباين في الماضي موطنا ملائما لنمط عيش قبيلة آيت عبدي المنحدرة من قبائل بني مگليد نصف الترحالية، والتي تقيم في المنطقة منذ القرن التاسع عشر بعد ما رحلت من بلاد ملوية العليا. ومثلت عين اللوح بالنسبة لهذه القبائل نقطة عبور، إثر تنقلاتها الفصلية عند صعودها نحو المراعي الجبلية الخضراء في الصيف أو الهبوط نحو منخفضات أداروش الدافئة في فصل الشتاء. ونتيجة لهذا الموقع الاستراتيجي الهام الذي يشغله مركز عين اللوح فقد كان له في الماضي دور عسكري أساسي بالمنطقة.

فبحكم كونه إحدى البوابات الرئيسية التي تربط مرتفعات الأطلس المتوسط بالمناطق الغربية للبلاد، فقد جعل منه السلطان المولى إسماعيل الذي حكم المغرب من 1672 إلى 1727 قصبة أقام بها جيوشه على غرار القصبات التي أقامها في الأطلس المتوسط مثل أزرو والحاجب وأگوراي وإتزر، قصد بسط نفوذ المخزن على هذه المناطق وإقرار السلم بها.

ومما يزيد من أهمية هذا الموضع، كونه يتمتع بغزارة مياه عذبة صافية حيث تكثر العيون المغذية لواد عين اللوح الذي يمر بوسط المدينة (عين أجعبو). وقد مكنت وفرة هذا المورد الثمين ومنذ الماضي البعيد، في جلب ساكنة متنوعة الأصول (شرفاء، آيت غريس وحراطين) واستقرارها به منذ ما قبل الاستعمار. فبالإضافة إلى هجرة العنصر الأمازيغي المتمثل في قبائل آيت عبدي السالفة الذكر، عرف مركز عين اللوح تقاطرا لعناصر صحراوية قادمة من تافيلالت، مكونة من زراعيين وحرفيين (في البناء أساسا) كانوا في الماضي البعيد يتوافدون على هذه المناطق كل موسم الصيف، قصد مد هذه القبائل الرعوية المتعودة على تربية الماشية والعيش تحت الخيام بمهارتهم في ميدان السقي والزراعة والبناء. ونذكر أن هذه الهجرة الفصلية غالبا ما كانت تنتهي باستقرارهم التام، وهو ما كان له الوقع العميق والآثار الواسعة في رسم وتشكيل المعالم العمرانية والثقافية لعين اللوح.

إن استقراء مشهد هذه المدينة الجبلية الصغيرة ليوحي للزائر على مدى التأثيرات الصحراوية المتمثلة في أنماط البيوتات وأساليب البناء وهي أنماط وأساليب دخيلة وغير موافقة للطابع الجبلي لمناخ المنطقة المتميز بتساقطات غزيرة قد تصل إلى 1600 مم في السنوات العادية، تكون مرتين على الأقل في الفترات الباردة على شكل ثلوج.

وعلى الرغم من أن المنطقة كانت تزخر بمؤهلات غابوية وفلاحية وسياحية هامة، بقي مركز عين اللوح على هامش التطور الذي عرفته جارتها آزرو خلال القرن العشرين والتي لا تبعد عنها إلا بما يقرب 20 كلم. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كون عين اللوح لم تحتل وظيفيا المكانة المتميزة التي شغلتها أزرو داخل السلم الإداري الجهوي في فترة الاستعمار والتي جعل منها المركز الإداري والخدمي الرئيسي لتدعيم سياسته البربرية التقسيمية التي تجسد بتأسيسه للثانوية الفرانكو - بربرية بها سنة 1926.

فخصوصية هذا الموضع المعلق على مستوى 1500 - 1600 من العلو ووعورة شكله الطبغرافي حيث تطل عليه شرقا وغربا سفوح وعرة صعبة الاستيطان (جبل دادة حمو 1808 مو) وكذا وقوعه على هامش الطريق الرئيسية فاس - مراكش يمكن اعتبارهما من الأسباب التي أدت إلى عزلة عين اللوح وجعلها تخطو خطوات نمو بطيئة.

انكمشت عين اللوح على نفسها بالمقارنة مع جارتيها أزرو وإفران فالأرقام التي يحملها الجدول توضح أن مركز عين اللوح لم يسجل طيلة هذه العقود إلا تزايدا ضئيلا من حيث عدد ساكنته ومقارنة مع باقي المراكز يلاحظ أن مركز عين اللوح سجل أقل نسبة من التكاثر الدمغرافي سواء تعلق الأمر بمرحلة الاستعمار أو بمرحلة الإستقلال.

| المراكز | 1926 | 1936 | 1960 | 1971 | 1994 |
|---|---|---|---|---|---|
| عين اللوح | 1531 | 1261 | 3123 | 3403 | 5055 |
| أزرو | 1593 | 6729 | 14143 | 20756 | 40508 |
| إفران | 629 | 941 | 3260 | 6016 | 11209 |

فالبنيات الاقتصادية بقيت معتمدة على أنشطة ضعيفة وهشة. ولا زال جزء مهم من النشطين يشتغلون كعمال بالقطاع الأول المتمثل في الاستغلال الغابوي كقطع الخشب وصنع الفحم وجمع الأعشاب الطبية.

كما أن الزراعة وتربية الماشية تشكلان قطاع نشاط مازالت تعيش منه عدد من الأسر. فالزراعات الشجرية مثل

مغارس الخوخ والتفاح وأساسا الكوز (حب الملوك) بدأت تأخذ مكان زراعة الحبوب فوق منخفض توفست ألت وركادة، وهي زراعات سقوية وكثيفة تتطلب يداً عاملة وافرة استطاعت أن تفرض وجودها بعد عمليات استصلاح هذه الأراضي التي كانت مغطاة بأفرشة من حجر البزالت الذي استعمل بعد إقلاعه في تشييد سياجات الاستغلاليات.

أما داخل المدينة، فتوفر الحرف فرص شغل للرجال في البناء والنجارة والحدادة والخياطة وغيرها. وتشتغل بعض النساء في بيوتهن أو في إطار التعاونية الصغيرة الوحيدة الموجودة بالمركز في نسج القطيفات والحنابيل لبيعها في الأسواق الأسبوعية. وتمثل التجارة الغذائية وخدمات المطاعم أهم نشاط اقتصادي بارز بالمدينة تمركز بالأساس في ساحة علال الفاسي وشارع الحسن الثاني. غير أن ضعف المداخيل عامة وعدم استقرارها، لم يساعد على ازدهارها وإنعاش قطاعات تجارية أخرى مثل تجارة الملابس والتجهيزات المنزلية التي تبدو شبه منعدمة. ولقضاء حوائجهم يتوجه السكان إلى السوق الأسبوعي الذي يقام كل يوم الأربعاء بشمال المدينة أو إلى سوق أزرو (الدائم أو الأسبوعي).

تبقى الخدمات التعليمية التي تعززت بفتح، أول ثانوية بعين اللوح (أبو بكر الصديق) منذ أكتوبر 2001،، إضافة إلى وجود إعدادية وخمسة مدارس ابتدائية وكذا الخدمات الصحية والإدارية العمومية المصدر الوحيد لتوفير مداخيل مستقرة ومنتظمة محلية لدى السكان. ولولا موارد الهجرة الداخلية والخارجية لعرف هذا المركز ركودا تاما.

تبدو الآفاق الاقتصادية والاجتماعية غير مطمئنة. فغابات الفلين الأخضر والأرز التي شكلت مواردها المصدر المالي الرئيسي لمداخيل المدينة ولمدة عقود طويلة إذ جعلت منها أغنى الجماعات بالمغرب أصبحت اليوم مهددة بالانقراض بسبب الاستغلال الفاحش الذي تعرضت له في غياب أي اعتبار للبعد الاقتصادي والاجتماعي والبيئي لهذه الثروة الطبيعية الثمينة. كما أن المغارس الفاكهية المتزايدة وهي التي توفر فرص شغل مهمة تبدو هي الأخرى مهددة على المدى البعيد إذا لم نقل المدى المتوسط بنفاد المياه الجوفية نظراً للجفاف المستمر الناتج عن التغيرات المناخية الحديثة.

وتبقى المؤهلات السياحية أملا في تنشيط هذا المركز شريطة أن تكون إيكولوجية وأن لا تسرع بالتدهور البيئي للمنطقة.

أما الأشكال العمرانية فتتميز بمزيج من الأنماط والأساليب في الهندسة والبناء فالبيوتات التقليدية صحراوية الأصل. نجدها من حيث الأشكال واضحة المعالم. فالحيطان ترابية وسميكة، قليلة العلو، منفتحة على أبواب صغيرة مصنوعة من خشب الأرز، غالبا ما غرست على خلفها كرمة مظللة، تحدوها على الواجهتين نافذتان صغيرتان تحمل شبابيك حديدية. السطوح أفقية، تتوسطها "زنونة" صغيرة منبع الضوء والهواء الوحيد لوسط الدار، الذي غالبا ما يكون مظلما. تغطي هذه السطوح أفرشة من الشست المدكوك (أسكين). معظم البيوتات سفلية ولا تحمل طابقا علويا إلا إذا كانت ملكا لأعيان. وطابعها القروي لا يخلو من مرجعية فنية حضرية من حيث أساليب تزيين النوافذ والأبواب. وهذا النمط من السكن المبني على طريقة "الركز" قد سار في طريق التدهور والتراجع بسبب تعميم استعمال مواد البناء المصنعة من إسمنت مسلح وآجر وقرميد وغيرها من المواد الدخيلة الأمر الذي أدخل تغييرات عميقة على الأشكال العمرانية. ففي حي بوفلا، وإغبولة، وتيزي وغيرها تراجع السكن التقليدي بما يقرب من أربعين في المائة، أما في الأحياء المجاورة لشارع الحسن الثاني فقد تقلص بما يقارب أزيد من ستين في المائة. ويبدو أن هذا السكن القديم تقطنه الفئات الاجتماعية الضعيفة من الساكنة والتي لا قدرة لها على تغيير وضعها السكني، باعتبار أن هذا النوع من السكن أصبح لدى شرائح الساكنة لا يلائم خصوصية المناخ الجبلي للمنطقة وغير مساير لشروط حياة العصر. غير أن نظرة سلبية تجاه كل ما هو عتيق وتقليدي قد شاعت في جميع أوساط المجتمع المغربي ولم تستثن سكان عين اللوح. وانطلاقا من هذا المنظور فإن رمز الارتقاء اجتماعيا يبقى رهينا بتغيير نمط السكن. وليس الإرث الاستعماري غريبا عن هذه الرؤية. فمنشآته العمرانية الإدارية والسكنية ذات الأسلوب الأوربي المحض مازالت قائمة. فالبنايات ضخمة، نوافذها واسعة وشرفاتها مطلة على الواجهات وسطوحها مائلة مغطاة بالقرميد الأحمر، تبدو بارزة في المشاهد الحضرية لمدن الأطلس المتوسط وتأثيرها متواصل وعميق على المنجزات العمرانية لفترة الاستقلال.

إن عين اللوح الغارقة في الخضرة والظلال، والمنكمشة على نفسها قد أخرجتها الفضائيات التي غزت سطوحها وفضاءات الأنترنيت التي بدأت تكتسح دكاكينها من عزلتها ورمت بها في مهب كل التأثيرات. فلا مفر لشباب هذه المدينة الهادئة المعرض للفراغ والبطالة من الاستلاب الثقافي والفكري والحلم بالهجرة نحو جنة الثراء : أوربا.

A. Alaoui El Belghiti, *Urbanisation et domination du monde rural : l'exemple d'Azrou*, Thèse de doctorat du spécialité, Université de Toulouse le Mirail, déc. 1978 ; Gaston Beaudet, *Les Beni M'guild du nord*, *Revue de géographie du Maroc*, n° 15, 1968 ; *Population légale du Maroc, recensements : 1960, 1971, 1982, 1994*, Direction de la Statistique : *Enquête* sur le terrain, juin 2002.

عائشة البلغيثي العلوي

**عين مازة**، تقع عين مازة بتراب بني خيران، قرب الطريق الرئيسية رقم 22 الرابطة بين الرباط وبني ملال، عبر الرماني وو ادزم. شكلت محطة أساسية لتوقف السلاطين في طريقهم بين فاس والرباط ومراكش، وخاصة عبر طريق زعير. فإليها تشد الرحال من خيمة بوخلالة أو المرس البيض من زعير ومنها تشد الرحال إلى صخرة الدجاجة أو سيدي محمد

لبصير ببلاد السماعلة. وأورد الضعيف الرباطي بأن السلطان "نهض من خيمة بوخلالة وسلك على طريق صعبة لم يمر عليها أحد من الملوك قبله، خرج على عين العتارس لأنه بات في مازة في الحجر المثقوب" وأورد مؤلف "مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن" أثناء حديثه عن إحدى رحلات السلطان نحو مراكش، أنه رحل يوم الأربعاء 24 محرم 1308 / 1890 "من المرس البيض إلى مزا ومن مزا إلى صخرة الدجاجة". وأثناء توجهه من مراكش نحو فاس، اختار المولى عبد الحفيظ، الساعي إلى الإطاحة بأخيه المولى عبد العزيز، عين مازة كموقع استراتيجي، حيث رست حركته بها منذ أواخر 1908. ومنها شرع في إعطاء بعض الإشارة السياسية بالمنطقة، فعين قوادا جددا، وأمن لحركته الطريق نحو مكناس.

تحتل عين مازة موقعا حيويا في منخفض محمي بعدة تلال. واعتبرتها إدارة الحماية من النقط المائية المعول عليها بمنطقة بني خيران، فكانت مصدر سقي خمسة هكتارات وتروية ألف رأس من الماشية وتزويد أربعين خيمة بالماء الشروب. وبحكم قربها من منجم الحديد بآيت عمار، سعت الشركة المستغلة إلى الاستفادة من مائها، وخاصة في فترات الجفاف، وذلك بجر قناة باطنية نحو القرى المنجمية. وتطلب هذا الأمر صدور قرارين وزارين بتاريخ 13 دجنبر 1929، و18 أبريل 1939، متعلقين بشأن معاينة حقوق الماء في هذه العين. وتم الاتفاق بين إدارة الشركة والمستفيدين من مياه العين على كراء شهري، تستفيد بموجبه الشركة من 50٪ من صبيب العين، على أساس سبعين فرنكا للخدام الواحد، أي 750 ف للهكتار الواحد، أي بما مجموعه 1.750 ف لكل المستفيدين.

*الجريدة الرسمية*، عدد 894، 13 دجنبر 1929 ؛ عدد 1383، 28 أبريل 1939 ؛ أحمد المنصوري، *كبار العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر*، تح. محمد بن لحسن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، 1997 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تحقيق وتعليق أحمد العماري، الرباط، 1986 ؛ مؤلف مجهول، *مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن*، مخ.

صالح شگاگ

**العيني، سعيد** بن بهي الحمزاوي من أعيان قراء قبيلة آيت إخلف إلى جانب الحمزاوي سيدي مبارك إجيوي الخلفي، ينتسب سعيد هذا إلى موضع العين بتاگراگرا، كان صهر للقائد أحمد بن الشيخ همّو الخلفي، الذي سهر مدة حياته على تعمير مدرسة آيت بوبكر العتيقة، حيث قضى هذا المقرئ الصوفي حياته، وكان يشتغل على الدوام بتعليم الروايات والنوافل، فصار بعناية الله محترما لدى الجميع.

ولذلك اجتمع أعيان (إنفلاس) قبيلة آيت بوبكر الباعمرانية فحرروا هذا الفقيه المقرئ من جميع الكلف القبلية، وأنذرت بشدة كل من مسه بضر ولو من بعيد، وأن من خالف هذا التحرير، يعد - أرنبا = أوتيل - بهذا اللفظ، يتخطفه أهل الله والجميع. ولدى نسخة من نفس التحرير القبلي.

وفي سنة 1303 نال هذا الفقيه ظهير السلطان الحسن الأول عندما نزل بتيغزا عند القائد أحمد الخلفي، وورد فيه تزكية وتثبيت ما بيد مترجمنا هذا من التوقير والاحترام لانشغاله بالتعليم والتدريس والمشارطة في مدرسة آيت بوبكر الباعمرانية.

توفي سنة 1320.

الحسين الباعمراني جهادي

**عيون أزفاط**، اقتضت علاقات الجوار على امتداد الصحراء الأطلسية أن تنظم إقامة الفصائل المتحالفة إلى جوار بعضها البعض. تقيم أفراك هذه الفصائل على صغر حجمها بمجاورة بعضها البعض في إطار نظام للتحالفات تضبطه قوانين مراقبة المجال. في هذا الإطار يمكن تعريف المجموعات السكنية بالصحراء كوحدات منتظمة داخل نظام تعاقدي لمراقبة المجال. من هنا تندرج إقامة بعض فصائل قبيلة آزوافيط التكنية خلال فترة كانت تندمج فيها بأهم فصائل قبيلة إزركيين. فقد كان الأصل الزفاطي المشترك للقبيلتين داعيا لتمتين علاقات الترحال المشترك والحماية الدافعة لمفهوم الدفاع المشترك. كان مجال ترحال أزرگيين هو المحور الساحلي للساقية الحمراء غير بعيد عن مصب الوادي. أما حجم الحضور الفعلي لأزوافيط، فتعتبر تسمية عيون أزفاط في حد ذاتها دليلا على الامتداد الفعلي لأهل أزفاط بعين المكان. وهو بالضبط ما سجله العقيد الإسباني Del Oro لدى مقدمه إلى هاته العيون سنة 1940. فقد استقر رأيه على اعتبار المكان مؤهلا لكي يصبح مقرا للبناء ولتشييد عاصمة إدارية للصحراء تحت المراقبة الفعلية للقوة الإسبانية بالساقية الحمراء. كتب في هذا الشأن تقريرا رفعه إلى الإدارة الإسبانية فنال من العناية ماجعل هذه النقطة تتحول تدريجيا إلى عاصمة إدارية هي مدينة العيون العاصمة الحالية لمنطقة الساقية الحمراء.

Angel Flores, *El Sahara español, ensayo de geografica fisica, humana*. Ediciones de la Alta Comisarie de España en Marruecos, 1946, 104-105.

مصطفى ناعمي

**عيون أم الربيع**، تقع عيون أم الربيع في الأطلس المتوسط الهضبي، تحد شمالا بمنخفض ويوان الترياسي وهضبة الحمام، وجنوبا بهضبتي أغبال وأجدير ومنخفض بوغيز (واد بوإدجي)، وشرقا بمقعر بكريت - ثمحضيت وغربا بنهر أم الربيع. وهي عبارة عن مجموعة من العيون، كان عددها يناهز في بداية القرن العشرين أربعين عينا، وتعتبر من أهم العيون الكارستية بالمغرب بصبيب يصل إلى حوالي 10م$^3$ / ث. وتنبثق عبر صخور دلوميتية لياسية عند جبل كدود، وهي عيون طافحة توافق انكسارا مهما شماليا

شرقيا جنوبيا غربيا، يفصل بين وحدتين هيدرجيولوجيتين مختلفتين :

- وحدة غربية، وهي وحدة أجدير وتصرفها عيون مالحة توجد عند مستوى ارتفاعي أعلى من مستوى عيون أم الربيع العذبة، الشيء الذي يزيد من أملاح عيون الضفة اليسرى لعيون أم الربيع (تسرب مياه مالحة عبر جلاميد دلوميتية وسفحيات)، في حين تبقى عيون الضفة اليمنى محتفظة بسحنتها البيكاربوناتية الكلسية.

- وحدة هيدرجيولوجية شرقية وهي وحدة عيون أم الربيع، وتعتبر أكثر الوحدات تعقيدا نظرا لوضعيتها الجيولوجية التي توافق عموما مقعر بكريت - ثمحضيت الذي يحتوي فرشة مائية حبيسة عميقة جدا عند المحور وطليقة عند الهوامش، قاعدتها طينية ملحية ترياسية وسقفها صلصالي طيني ينتمي لما بعد الدوميري (الشكل رقم 1). تتطور هذه الفرشة ضمن الصخور الكاربوناتية (دلومي اللياس الأسفل وكلس اللياس الأوسط) المتشققة ذات نظام جريان باطني كارستي.

تحد وحدة عيون أم الربيع :

- من الشمال بوحدتي أمكلا وإفران.

- من الشرق والجنوب الشرقي بالإنكسار الشمالي الأطلسي أو ما يسمى بانكسار تيسدادين الذي يمتد من جبل إغود في الجنوب الشرقي (هضبة أجدير) إلى جبل مكسيس في الشمال الشرقي (جنوب شرق هضبة أمكلا).

- من الغرب والشمال الغربي بوحدة عين اللوح - الحمام.

- وأخيرا من الجنوب بوحدة أجدير.

واعتمادا على هذه الحدود فإن حوض عيون أم الربيع يمتد على مساحة تصل إلى 1563,6 كلم$^2$ تجمع بين حوضين نهريين هما : حوض نهر سبو (واد كيكو) في الشمال الشرقي وحوض نهر أم الربيع في الجنوب الغربي. لكن المعطيات الجيولوجية تبين أن هذا الحوض بأكمله لا يساهم في تغذية عيون أم الربيع بحيث يجب حذف المجال الذي تغطيه إرسابات ما بعد الدوميري وهو مجال تصل مساحته إلى 636 كلم$^2$ وتم تحديده اعتمادا على الأثقاب الموجودة داخل الحوض. فالحوض الفعلي لعيون أم الربيع إذن لا يشغل سوى 928 كلم$^2$، ويتميز بالخصائص التالية :

- على مستوى الارتفاع (الشكل رقم 2) : تشكل الفئة الارتفاعية التي تتعدى 1600 م 87,2٪ من المساحة الإجمالية للحوض، بينما لا تشغل الفئة التي تقل عن 1600 م سوى 12,8٪، ويساوي متوسط الارتفاع 1781,4 م في حين يساوي الوسيط 1780 م.

- على مستوى الغطاء النباتي : تغطي السهوب مساحة تصل إلى 61٪ من مجموع مساحة الحوض، بينما لا تمثل غابة البلوط الأخضر والأرز سوى 37,4٪.

- على مستوى الصخارة : تمتد الصخور النافذة على مجمل مساحة الحوض إذ تغطي 783 كلم$^2$ أي بنسبة 84,4٪ في حين لا تمثل الصخور شبه النافذة سوى 15,6٪ من مساحة الحوض الإجمالية.

أما المجالات الحبيسة فتشغل مساحة تصل إلى 349,8 كلم$^2$ أي بنسبة 37,7٪ من مساحة الحوض، وهي مساحة مهمة تساهم في تغذية الفرشة المائية الباطنية الحبيسة.

تتغذى هذه العيون من مياه الأمطار والثلوج التي تتساقط على حوض تغذيتها الذي يتلقى أكثر من 700 ملم في السنة، تتسرب منها كمية تناهز 254 ملم سنويا، بمعامل تسرب يصل إلى 33,6٪، الشيء الذي يجعلها تتوفر على موارد مائية مهمة ذات جودة كيماوية عالية، تصل إلى 235,6 مليون م$^3$ أي ما يعادل 7,5 م$^3$ / ث أو 8,05 ل / ث / كلم$^2$ كصبيب نوعي.

تتميز وحدة عيون أم الربيع من الناحية الهيدروديناميكية بنظام معقد وبمخزون مائي مهم إذ لا يتعدى معامل الشح بها 3-10 x 1,8. وهي خصائص تجعل عيون أم الربيع تلعب دورا أساسيا في تغذية نهر أم الربيع وفي دوام صبيبه بحيث لا يعرف نظامه الهيدرلوجي فترات شح طويلة كالتي تعيشها أودية المجال المتوسطي، خاصة منها تلك التي لا تستفيد من الخزانات الكارستية. فصبيب الشح الأدنى لهذا النهر لا ينزل عن 6 م$^3$ / ث عند المحطة الهيدرلوجية لثغاط بخنيفرة (6,7 م$^3$ / ث في غشت وشتنبر 1995).

يحيى الخالقي، *الأنظمة الهيدرلوجية الكارستية للهضاب الجنوبية الغربية للأطلس المتوسط : دراسة هيدرلوجية وهيدروكيماوية (عين اللوح - الحمام - أجدير - عيون أم الربيع)*. بحث لنيل دكتوراه الدولة، بني ملال ؛ المعطيات الهيدرلوجية : وكالة الحوض المائي لأم الربيع، بني ملال.

A. Bentayeb et C. Leclerc, *Le causse moyen - atlastique. Ressources en eau du Maroc*, Tome 3, Domaines atlastique et sud - atlastique, Notes Serv. Géol. Maroc, n° 231, p. 37 - 66, Rabat, 1977 ; Y. El Khalki, *Etude hydrogéomorphologique du Haut Sebou : cas du synclinal de Skoura et de ses bordures*. Thèse de Doctorat Univ. Aix-Marseille II, 2 t., 239 p., Aix-en-Provence, 1990 , J. Loup, *L'Oum-er-Rbia : contribution à l'étude hydrologique d'un fleuve marocain*, Série Géol. Géog. Phys., 9, Rabat, 1960.

يحيى الخالقي

**العيون - بوجدور - الساقية الحمراء** (جهة)، تشكل جهة العيون - بوجدور القلب النابض للجهات الصحراوية المغربية، وذلك بسبب احتضانها لأنشطة اقتصادية مهمة تجمع بين الاستغلال المنجمي والبحري، وأيضا بسبب احتضانها لمدينة العيون التي تعتبر بحق أكبر تجمع بشري واقتصادي داخل التراب الصحراوي المغربي.

أحدثت جهة العيون - بوجدور على إثر التقسيم الجهوي الذي عرفه تراب المملكة المغربية سنة 1997، لتصبح أهم الجهات الثلاث التي تغطي المناطق الصحراوية المغربية. تحدها من الشمال - الشرقي جهة كلميم - اسمارة، ومن

الجنوب جهة واد الذهب ـ لگويرة، ومن الشرق الجمهورية الإسلامية الموريطانية، ومن الغرب والشمال ـ الغربي المحيط الأطلنتي. تشغل مساحتها حوالي 81.413 كل$^{2}$، وتمثل هذه المساحة حوالي 11.5٪ من مجموع التراب الوطني، وحوالي 23٪ من مجموع مساحة الجهات المغربية الصحراوية الواقعة جنوب الأطلس الصغير.

تتكون من إقليمين هما إقليم العيون وإقليم بوجدور ويشغلان على التوالي 46,3٪ و53,7٪ من مجموع مساحة الجهة، ويتشكل هذان الإقليمان من 3 دوائر، و10 جماعات قروية، و4 جماعات حضرية.

التقسيم الإداري لجهة العيون ـ بوجدور

| الإقليم | الدائرة | الجماعة | المساحة (كلم2) |
|---|---|---|---|
| العيون | العيون | بوكراع<br>الدشيرة<br>فم الواد | 14.900<br>3.270<br>3.982 |
| | طرفاية | أخفنير<br>الداورة<br>الطاح<br>الحكونية | 3.700<br>2.850<br>3.883<br>5.000 |
| | الجماعات الحضرية | العيون<br>طرفاية<br>المرسى | 40<br>17<br>18 |
| بوجدور | الجريفية | كلتة زمور<br>جريفية<br>لمسيد | 20.350<br>17.500<br>5.858 |
| | الجماعات الحضرية | بوجدور | 45 |

يغلب على تضاريس جهة العيون ـ بوجدور الطابع الهضبي، ويعود ذلك إلى كون القاعدة القديمة المتمثلة في كتلة الرگيبات وغطائها الأولي قد تعرضت للتهدل على نطاق واسع، مما سمح بنشأة حوض رسوبي شاسع انطلق مع الطباشيري وتعرض لتطورات بنيوية هادئة خلال الزمنين الثالث والرابع جعلت تضاريس جهة العيون ـ بوجدور تنتظم على شكل أربع وحدات متباينة.

ـ هضبة گلتة زمور تمتد على مساحة محدودة، وتتخذ شكل مثلث يستقر عند أقصى الجنوب الشرقي من جهة العيون ـ بوجدور. تتشكل من نواة أصلية عبارة عن صخور من الگرانيت الهرسيني وهي جزء من كتلة الرگيبات، تغطيها تكوينات الزمن الأول على شكل شريط يتكون من منخفضات شستية طولية تفصل بينها أعراف كوارتزيتية وحثية ذات اتجاه شمالي ـ شرقي / جنوبي ـ غربي.

ـ حمادة الساقية الحمراء، عبارة عن شريط هضبي واسع يمتد بين الساحل وكتلة الرگيبات، يتراوح عرضه بين 80 و160 كلم، ينطلق شمالا من ساحل الطرفاية ـ طانطان ويمتد في اتجاه الجنوب نحو جهة العيون ـ بوجدور عند حمادة بير أنزران. وحسب مظاهر السطح يمكن تقسيم حمادة الساقية الحمراء إلى وحدتين متباينتين هما : حمادة واد الخط وحمادة لغرنات ـ الگعدة. تمثل الوحدة الأولى القسم الجنوبي من الشريط الهضبي المذكور، يتوافق سطحها مع صخور كاربوناتية تنتمي إلى الحوض الرسوبي الطباشيري ـ الإيوسيني. ويتميز هذا السطح بعدم التجانس بسبب تعمق نظام واد الخط الهيدروغرافي، أحد روافد واد الساقية الحمراء الرئيسية. وإذا كانت هذه الحمادة تنمحي وتختفي بشكل تدريجي في اتجاه الغرب تحت التكوينات الساحلية الحديثة، فإنها في اتجاه الشرق تنتهي بأجراف صخرية واضحة تشرف بواسطتها على هضبة گلتة زمور ؛ أما حمادة لغرنات ـ الگعدة فإنها تشغل حوالي ثلثي حمادة الساقية الحمراء، تتميز بتقطع شديد ألحقه واد الساقية الحمراء الأسفل وروافده بالمواد الرسوبية الميبلوسينية القارية التي تغطي تكوينات الحوض الطباشير ـ الإيوسيني.

ـ ساحل الساقية الحمراء، في اتجاه الغرب يختفي مظهر تضاريس الحمادات ليحل محله شريط ساحلي شديد التنوع من حيث تكويناته الصخرية وأشكاله التضاريسية.

عند القطاع الشمالي الواقع على الضفة اليسرى من واد الساقية الحمراء، تتكون التضاريس من هضبة ضيقة تطورت بداخلها سبخة الطاح المشهورة، ويغطيها عند هامشها الغربي شريط من الكثبان الرملية المتحركة. وتشرف هذه الهضبة بجرف بحري ميت جيد التشخيص على ولجة ساحلية حديثة ضيقة.

وانطلاقا من مصب واد الساقية الحمراء عند فم الواد يتوسع هذا المظهر التضاريسي أكثر من اتجاه الجنوب. وهكذا يتوسع المظهر الهضبي المتموج، وتتطور السبخات بشكل أوسع عند القطاع المعروف بالحسيان، ويستمر الشريط الكثيبي المتحرك ليفصل بين حمادة واد الخط والساحل. والتغير الذي يحصل هو غياب الولجة وظهور جرف بحري حي مستمر.

أما بالنسبة للمناخ فإنه نظرا لانتمائها للمجال الصحراوي المغربي وبسبب موقعها عند عروض مدارية، فإن جهة العيون ـ بوجدور تنتمي لوحدة المجال القاحل الذي تمثله الصحراء الإفريقية الكبرى المعروفة بجفافها المفرط. غير أن محاذاتها للمحيط الأطلنتي يجعل مناخها يتميز بنوع من الاعتدال تتضح معالمه أكثر في اتجاه خط الساحل. لذلك فإن هذه الجهة تقدم، على غرار باقي المناطق الصحراوية المغربية الساحلية، نموذجا جيدا لنوع الصحاري الساحلية الضبابية، التي تتميز برطوبة نسبية عالية وبنظام حراري معتدل.

يتميز الإطار المناخي العام للجهة باستقرار نظام خلايا الضغط المرتفع المدارية الذي يتسبب في جفاف المنطقة،

وتترتب عنه التيارات الهوائية شمال = شمال ـ شرقية المعروفة بالرياح التجارية. وإذا كانت هذه الرياح معروفة بجفافها وبارتفاع نسبة ترددها بالمنطقة، فإن الرسم الذي يتخذه خط الساحل الأطلنتي محليا يجعلها تساهم في تحريك المياه البحرية وفي نشأة تيارات عمودية ترفع المياه العميقة الباردة إلى السطح، كما تؤدي إلى نقل الرمال وتشكيل أشرطة كثيبية متحركة. ومن حين لآخر ينقلب هذا الوضع حيث تستقر عند الساحل أنوية ضغط منخفض ينتج عنها هبوب رياح الشرگي التي ترفع درجات الحرارة وتؤدي إلى اندلاع زوابع غبارية قد تستمر على مدى عدة أيام.

يعتبر شهر يناير أبرد الشهور ويدور متوسط الدرجات الدنيا حول °8، مع التمييز بين الشريط الساحلي الذي يتراوح عنده هذا المعدل بين °8 و°12 والمناطق الداخلية التي قد تنزل عندها معدل الدرجات الدنيا إلى حدود °4 تحت تأثير القارية. أما معدل الحرارات العليا فإنه يتراوح بشكل عام بين °20 و°40، أضعف المعدلات يتم تسجيلها عند الشريط الساحلي بسبب التلطيف الحراري المرتبط بالمحيط الأطلنتي، ويعتبر غشت أكثر الشهور حرارة.

ككل المناطق الصحراوية، لا تتلقى جهة العيون ـ بوجدور سوى كميات مطرية محدودة لا يتجاوز معدلها السنوي 50 مم، وتتخذ هذه التساقطات طابعا إعصاريا مركزا في المجال وفي الزمن.

ولا يتعدى الأيام الممطرة في أحسن الحالات 30 يوما كما هو الحال عند ساحل طرفاية. وتهطل هذه الأمطار، حسب معطيات محطة العيون، بشكل أساسي خلال شهري دجنبر ويناير، ويدل ذلك على تأثر هذه الجهة المنتمية لمجال الصحراء الإفريقية الكبرى الشمالي بنظام الأمطار المتوسطي. وإن كان ذلك لا يتم إلا بشكل محدود.

وهكذا وفي غياب الواردات المطرية الكافية، فإن ارتفاع معدلات الرطوبة النسبية عند الشريط الساحلي يشكل موردا مهما للرطوبة بالنسبة للحياة بشكل عام وعلى الخصوص بالنسبة للغطاء النباتي الذي يعرف كثافة ونسبة تغطية غير معهودة عند المجالات الجافة القريبة. وإذا كان هذا الغطاء النباتي الطبيعي ليست له مردودية اقتصادية مباشرة على قطاع الماشية، فإن له دوراً حيوياً على صعيد تثبيت التربة وصيانتها من عوامل التعرية المائية والريحية.

ونظرا لضعف الوارد المائي المطري، فإن إمكانيات الحصول على موارد مائية متجددة بجهة العيون ـ بوجدور تبقى محدودة. وفي غياب مياه سطحية ذات مواصفات كمية وكيفية مقبولة فإن الجهة تتوفر على مكامن مائية جوفية ترتبط بشكل أساسي بالفرشات العميقة، وإن كانت لا تتمتع بالجودة المطلوبة في جل الأحيان.

وبالنسبة للمياه السطحية، تتميز جهة العيون ـ بوجدور بشبكة هيدروغرافية ونافذة بشكل إجمالي، وتشكل هذه الشبكة نظاما هيدرلوجيا واسعا يتوافق مع الحوض الأسفل لواد الساقية الحمراء الذي يتكفل بتصريف مياه حمادة واد الخط وأيضا جزء من مياه حمادة الگعدة في اتجاه المحيط الأطلنتي. وبالطبع، وترابطا مع نظام التساقطات المطرية، فإن الجريان لا يتم إلا بشكل لحظي على شكل فيضانات مركزة في المجال وفي الزمن.

عند الساحل تتعرض الشبكة الهيدرغرافية لنوع من الاضطراب تحت تأثير التكوينات السطحية، فتصبح متقطعة وغير نافذة. بعض قطاعات هذه الشبكة تنتهي عند منخفضات مغلقة من نوع الگرارات ومن نوع السبخات كما هو الحال عند سبخة الطاح وسبخات قطاع الحسيان، وتتمكن هذه المنخفضات المغلقة المالحة من جمع المياه والاحتفاظ بها لفترات تختلف حسب حجم الواردات وحسب حدة التبخر.

وفي غياب الموارد المائية السطحية ارتباطا مع طبيعة نظام التساقطات المطرية المحلي، فإن جوف أرض جهة العيون ـ بوجدور بحكم طبيعته الرسوبية يحتضن مكامن مائية جوفية متعددة يمكن أن تلعب عنصرا مساعدا ومدعما لعملية تنميتها في حالة التحكم في تدبيرها.

وتختلف هذا المكامن من حيث حجمها وجودتها ووضعها وذلك بالارتباط مع تنوع طبيعة البنية الجيولوجية. ويمكن التفريق بين مجموعة من الوحدات المائية الجوفية :

ـ خزانات الكتلة البلورية القديمة، لا تكون فرشات مائية مستمرة وإنما جيوبا متفرقة ترتبط بارتفاع نسبة تشقق الصخور محليا، تتشكل عندها من حين إلى آخر مكامن مائية يمكن استغلالها لتزويد السكان الرحل وإرواء ماشيتهم كما هو الحال عند گلتة زمور.

ـ الفرشات المائية السطحية، وترتبط بالتكوينات السطحية الحديثة الممتدة على طول المجاري المائية أو المركزة داخل المنخفضات المغلقة. وهذا النوع من الفرشات يبقى محدود الأهمية من حيث الحجم والجودة، فالجيوب المائية تتكون في الغالب من خزانات صغيرة، ترتبط في تغذيتها بالتساقطات المطرية، وتتأثر بشكل كبير بالتبخر الذي يقلص حجم المخزون ويرفع نسبة ملوحته. أهم الفرشات من هذا النوع يستقر على طول المجرى الأسفل من واد الساقية الحمراء وكذلك رافده الرئيسي واد الخط، ويتم استغلالها حول مدينتي العيون وبوجدور وأيضا عند فم الواد على نطاق واسع.

ـ يحتضن الحوض الرسوبي الثنائي ـ الثلاثي الذي يغطي مساحة شاسعة من جهة العيون ـ بوجدور أهم المكامن المائية الجوفية داخل الجهة. وتقدم خزانين عميقين رئيسين على مستوى طبقات الطباشيري والباليوسيني.

فيما يخص الموارد الطاقية والمعدنية، فإن طبيعة البنية الجيولوجية تقدم مؤشرات واعدة حول إمكانيات توفر جهة العيون ـ بوجدور على مكامن للمحروقات داخل الحوض الرسوبي الثنائي ـ الثلاثي الواسع والمستمر تحت المياه

البحرية. وقد تم القيام بحفر مجموعة من الأثقاب الاستكشافية العميقة داخل هذا الحوض لكنها لم تمكن من التوصل إلى نتائج جيدة. وفي غياب الطاقة البترولية، فإن الجهة تتوفر على إمكانيات مهمة على مستوى مصادر الطاقة المتجددة من نوع الطاقة الريحية والطاقة الشمسية، إضافة إلى مخزون مهم من الصخور الشستية - النفطية عند طرفاية. وجدير بالذكر أن هذا المكمن النفطي يتوفر على مخطط إنتاجي يمكن تنفيذه في حالة ارتفاع أسعار النفط في السوق الدولية بشكل يسمح بتغطية تكاليف الإنتاج المرتفعة.

إن الامتداد الواسع للحوض الرسوبي الثنائي - الثلاثي يجعل الجهة تتوفر على احتياطي مهم من معدن الفوسفاط الذي يتم استغلاله عند مناجم بوكراع، كما تتوفر على احتياطي من الأورانيوم المرتبط بهذا المعدن. وبالإضافة إلى ذلك فإن الجهة تتوفر على الرمال السليسية وأنواع متعددة من الرخام، وعلى إمكانيات مهمة لاستخراج الملح انطلاقات من السبخات المنتشرة داخل حدودها الترابية.

إن جهة العيون - بوجدور تسجل، على غرار باقي الجهات المغربية الصحراوية، وتيرة نمو ديموغرافي سريعة بلغت 3,12٪ في السنة خلال الفترة الفاصلة بين إحصائي 1982 و1994، ولم يتعد المعدل الوطني خلال نفس الفترة 2,06٪. وقد جعل هذا النمو حجم السكان ينتقل من حوالي 121.000 إلى حوالي 176.000 نسمة، وإذا تم اعتماد نفس نسبة النمو السنوي فمن المرجح أن تكون ساكنة الجهة قد تجاوزت عتبة 200.000 نسمة بكثير عند نهاية القرن العشرين. مقارنة مع جهتي واد الذهب - الگويرة وگلميم - اسمارة، تتميز جهة العيون - بوجدور بكثافة سكانية متوسطة تبلغ 2,2 نسمة / كلم$^2$، لكنها تبقى بعيدة جدا عن معدل الكثافة الوطني الذي يبلغ 36,7 نسمة / كلم$^2$. وقد عرفت هذه النسبة ارتفاعا ملحوظا بسبب تزايد عدد السكان خلال العقدين الأخيرين.

إن التزايد السكاني الحاصل بالجهة يتم بشكل غير متجانس بين الوسطين الحضري والريفي، ففي الوقت الذي نسجل فيه نموا سكانيا داخل مدن الجهة بنسبة متساوية مع ما يجري على الصعيد الوطني، أي 3,7 مقابل 3,6٪، فإن الأرياف تعرف عملية نزوح متواصلة جعلت ساكنتها تتراجع بنسبة 1,2-٪ في السنة خلال نفس الفترة المذكورة. ومعنى ذلك أن ظاهرة اختلال توزيع السكان بين الوسطين الحضري والريفي وتزايد عدد السكان المستقرين تعززتا أكثر خلال العقدين الأخيرين، وجعلتا نسبة التمدين تتجاوز 91٪. وحدها مدينة العيون أضحت تحتضن أكثر من 85٪ من مجموع السكان الحضريين المقيمين بالجهة.

وقد بلغ عدد السكان الحضريين تبعا لنتائج إحصاء 1994 داخل الجهة حوالي 160.000 نسمة، وذلك في الوقت الذي لم يكن يشكل هؤلاء سوى قرابة 105.000 سنة 1982. وقد ارتبط هذا التزايد بالدينامية الديموغرافية التي تعرفها مختلف المراكز الحضرية داخل الجهة، فكل المدن سجلت نسب نمو عالية تتعدى المعدل الوطني بكثير خاصة بالمراكز الحضرية الصغرى. فقد عرفت مدن العيون وطرفاية نسب نمو تتراوح بين 3,2٪، وسجلت مدينة بوجدور نسبة 7,7٪ وبلدية المرسى 9,3٪ في السنة.

ومهما اختلفت أهمية نسبة النمو، فإن مدينة العيون بساكنة تناهز حاليا 150.000 نسمة تبقى هي أكبر مدن الجهات المغربية الصحراوية الواقعة جنوب الأطلس الصغير على الإطلاق. وبذلك فهي تمثل 85,1٪ من مجموع جهة العيون - بوجدور، وحوالي 1/3 مجموع السكان الحضريين بالجهات الصحراوية المغربية الثلاث.

إن مدينة العيون تشكل اليوم القطب الحضري الرئيسي داخل جهتها وداخل مجموع المناطق المغربية الصحراوية، لقد نشأت وتطورت كمركز إداري وتجاري عند واد الساقية الحمراء على مقربة من الساحل الأطلنتي، حيث تم خلق وتوسيع أحد الموانئ الوطنية الرئيسية التي تلعب دورا طلائعيا في ميدان تصدير معدن الفوسفاط وفي ميدان نشاط الصيد البحري وأيضا تموين المناطق الصحراوية. وقد عرف هذا المركز، على غرار باقي المناطق الصحراوية التي ظلت تعاني لفترة طويلة من الاستعمار ومن التهميش بسبب بعدها وموقعها الجغرافي، نموا متواصلا خلال العقود الأخيرة جعل منه القطب الإداري والتجاري والصناعي الأول بهذه المناطق.

والعيون تشكل حاليا عاصمة جهة العيون - بوجدور وإقليم العيون وفي نفس الوقت مقر جماعة حضرية، الأمر الذي جعلها تعزز مكانتها كمركز حضري مغربي يحتل مركز الريادة داخل الجهات الصحراوية. وقد عرفت تنويعا مهما لقاعدتها الاقتصادية وتوسعا واضحا لنسيجها الحضري وتطورا ملموسا في بنياتها التحتية، بحيث تم تجهيزها بمطار عصري وبحي صناعي، كما تم ربطها بشبكة النقل الجوي الداخلي وبشبكة الطرق البرية الوطنية وكذلك بشبكات المواصلات اللاسلكية والبريد.

وقد سمحت الدينامية الاقتصادية التي تعرفها مدينة العيون بتطور مركز المرسى حول الميناء التجاري على الساحل الأطلنتي إلى الشمال من ميناء الفوسفاط، الذي أخذ يستحوذ على حيز هام من الوظيفة التجارية والصناعية داخل الجهة. ويتوفر مركز المرسى حاليا على مجال صناعي يمتد على مساحة 54 هكتار، وقد تم وضع برنامج لتجهيز حي صناعي جديد على مساحة 95 هكتار إضافية.

كانت طرفاية تشكل عاصمة إقليم حدودي، لكن مباشرة بعد استرجاع المناطق الصحراوية إلى الوطن الأم تم دمجها في إقليم العيون فأصبحت تمثل عاصمة جماعة قروية ودائرة، وتمت ترقيتها على إثر التقسيم الإداري الأخير إلى بلدية. ويعتمد اقتصاد هذه المدينة الصغيرة بالدرجة الأولى على النشاط البحري، وقد استفادت من خلق ميناء حديث لتنشيط هذه الوظيفة، غير أن ظروف الوسط الصعبة المرتبطة

بالتعرية الريحية والساحلية النشيطة جعلت هذا المرفق يعاني من طمر أحواضه بالرمال وعرقلة نشاط سفن الصيد الذي يتوقف خلال فترات طويلة خلال السنة. لذلك فإن نسبة نمو عدد سكانها بقي محدودا ولم يتجاوز بين سنتي 1982 و1994 نسبة 3.7٪ في السنة، هذا النمو المحدود جعل من طرفاية مركزا صغيرا لم تتجاوز ساكنته 4.500 نسمة إلى حدود سنة 1994.

وعلى العكس من ذلك فإن مدينة بوجدور الواقعة بين مدينتي العيون والداخلة، وبعد ترقيتها إلى درجة عاصمة إقليم، أصبحت لها وظيفة إدارية وتجارية بالدرجة الأولى مما سمح لها بتسجيل نسبة نمو ديموغرافي عالية خلال الفترة الإحصائية المذكورة تتعدى 7٪ في السنة، فانتقلت ساكنتها من حوالي 6.250 نسمة سنة 1982 إلى أكثر من 15.000 نسمة سنة 1994. ومن المتوقع أن يناهز هذا العدد 20.000 نسمة حاليا.

وقد واكب هذا التوسع الديموغرافي لمدينة بوجدور توسع في التجهيزات الأساسية الحضرية، والمتمثلة في تجهيزات إنتاج وتوزيع الماء، والكهربة والإنارة، وشبكة الطرق والمسالك، وغير ذلك من المرافق اللازمة لتدبير الحياة الجماعية مثل المدارس والمراكز الصحية ومختلف الإدارات والفضاءات التجارية.

ويتميز اقتصاد جهة العيون - بوجدور عن باقي الجهات المغربية الصحراوية بكونه أكثر تنوعا، فهو يجمع بين ثلاثة ركائز رئيسية تتمثل في استغلال الأحياء البحرية واستغلال معدن الفوسفاط بمنجم بوكراع المكشوف والزراعة المرتكزة على النشاط الرعوي بالدرجة الأولى، وكل ما يترتب عن هذا الاقتصاد من أنشطة حرفية وتجارية وخدماتية وإدارية، إضافة إلى كون جهة العيون - بوجدور بحكم موقعها تبقى مرشحة للعب دور تجاري دولي موجه نحو دول الصحراء الإفريقية الكبرى وباقي دول العالم.

وعلى غرار باقي الجهات الصحراوية، يتم النشاط الفلاحي بجهة العيون - بوجدور في إطار نظام زراعي رعوي مبني على الترحال، لا تمثل داخله زراعة الأرض إلا نشاطا تكميليا وعابرا يتوسع نسبيا خلال السنوات المطيرة ويتراجع ويتوقف خلال السنوات الجافة التي تدوم لفترات طويلة.

تتمثل الأراضي القابلة للزراعة في المجاري المائية وفي الكرارات التي تمثل منخفضات مغلقة تنتهي عندها الأودية التي تحمل إليها المواد الغرينية لتشكل قاعدة غطاء ترابي غني نسبيا. ويبقى المحصول الوحيد القابل للنجاح عند هذه الأوساط هو الشعير الذي يدخل في نظام تغذية السكان وكذلك كعلف تكميلي للماشية في بعض الحالات.

إضافة إلى هذا النشاط الزراعي، تتوفر الجهة على محيط سقوي صغير هو محيط فم الواد الممتد عند سافلة واد الساقية الحمراء حيث تسمح الظروف المحلية بتكوين فرشة مائية عذبة توجه مياهها لتزويد مدينة العيون ومركز المرسى بالماء الشروب، وأيضا لسقي حوالي 200 هكتار التي تشكل مساحة محيط فم الواد. ومن الظاهر أن هذه المساحة تتعرض لتراجع واضح أمام تقدم ظاهرة غزو الرمال لهذا القطاع من حوض وادي الساقية الحمراء.

وعلى رأس قائمة الأنواع النباتية المتداولة داخل هذا المحيط السقوي نجد الزراعات العلفية وعلى الخصوص نبتة الفصة التي تشكل أساس تغذية الأبقار، إضافة إلى البقليات والموز والشعير. ومهما تنوعت وتعددت هذه المزروعات فإن حجم إنتاجها يبقى محدودا ولا يمكن أن يغطي حاجيات السوق المحلية المتزايدة.

إن النشاط الفلاحي المسقي والبوري يبقى محدود الأهمية، ووقعه على الحياة الريفية يبقى محدود جدا بالقياس إلى النشاط الرعوي الذي يظل أساسيا لدى فئات عريضة من السكان، وذلك على الرغم من التحولات التي عرفها المجتمع خلال العقود الأخيرة، والتي جعلت عددا كبيرا من مربي الماشية يستقرون داخل المراكز الحضرية.

بحكم طابع الجهة الصحراوي ونمط عيش الترحال وتوفر مراعٍ شاسعة تتعدى 8 ملايين من الهكتارات، تعتبر تربية الماشية هي النشاط الرئيسي لدى سكان الأرياف وأيضا حتى لدى شريحة عريضة من سكان المدن.

تطور قطاع تربية الماشية بإقليم العيون

| النوع | 1992 | 1993 | 1994 | 1995 |
|---|---|---|---|---|
| الماعز | 98.105 | 95.045 | 90.142 | 100.000 |
| الأغنام | 84.632 | 57.431 | 55.914 | 57.000 |
| الإبل | 26.293 | 27.555 | 27.021 | 30.000 |
| الأبقار | 349 | 24 | 217 | 250 |
| المجموع | 290.379 | 180.055 | 173.294 | 187.250 |

وإذا كان من الصعب ضبط حجم القطيع بسبب نمط الترحال الذي يفرض التحرك المستمر للماشية، وبسبب التغيرات الصارخة التي تعرفها التساقطات المطرية، فإن المعطيات والتقديرات المتوفرة والمتعلقة فقط بإقليم العيون وحده تبين أن عدد رؤوس الماشية بكل أنواعها تجاوز 187.000 سنة 1995، منها 90.142 رأسا من الماعز و55.914 من الغنم و27.021 من الإبل. ومقارنة هذه التقديرات مع تقديرات السنوات الفارطة تظهر أن القطاع آخذ في التوسع، وأن التأطير الذي تقوم به مصالح الفلاحة على مستوى تنمية النقط المائية، والمراقبة والعناية الصحية بالقطيع، وتنفيذ وتنظيم برامج دعم الأعلاف، وغير ذلك من التدخلات بدأت تعطي أكلها وأنها لاتزال في حاجة للدعم وبشكل متواصل.

إضافة إلى هذا القطيع، تجب إضافة حوالي 250 رأسا من الأبقار التي تتم تربيتها داخل إسطبلات مرتبطة بمحيط

فم الواد السقوي حيث يتم تخصيص مساحة مهمة للمزروعات العلفية، وعلى الخصوص زراعة الفصة.

وتتوفر جهة العيون - بوجدور على وسط ساحلي وبحري متميز على الصعيد الوطني، تطورت وانتظمت عناصره بشكل جعل منه أحد أغنى الأوساط الإحيائية البحرية المغربية، التي تبحث عنها مراكب الصيد الوطنية والدولية بإلحاح، ولا يضاهيه في ذلك إلا القطاع البحري المقابل لسواحل جهة واد الذهب - الكويرة الذي يشكل امتدادا طبيعيا له.

تستفيد الجهة من هذه الموارد البحرية بشكل محدود انطلاقا من ميناء طرفاية وميناء العيون، فالميناء الأول يعاني من صعوبات كبيرة بسبب غزو الرمال البحرية والقارية لحوضه الصغير، والميناء الثاني لا يشكل داخله الصيد البحري إلا نشاطا ثانويا. وعلى الرغم من ذلك فإن هذا النشاط سمح بظهور مجموعة من الوحدات الصناعية بالحي الصناعي المجاور للميناء عند مركز المرسى، وحدات متخصصة في إنتاج الثلج، وتصبير السمك، وإنتاج بعض مشتقات السمك مثل زيت ودقيق السمك، ومعالجة الطحالب.

وقد بلغ عدد وحدات الصيد العاملة بميناء العيون سنة 1994 أكثر من 400 وحدة، أكثر من 60٪ منها عبارة عن قوارب صغيرة متخصصة في الصيد الساحلي. وبلغ حجم الإنتاج في نفس السنة حوالي 121.000 طن، أكثر من 90٪ منها عبارة عن سمك صناعي.

وبالنسبة للنشاط المعدني، فإن طبيعة البنية الجيلوجية بجهة العيون - بوجدور لا تمكن في الظروف الاقتصادية الحالية إلا من استغلال مكامن الفوسفاط، وجمع محدود لملح بعض السبخات، إضافة إلى أخذ الرمال واستخراج بعض مواد البناء الأخرى.

وتتوفر هذه الجهة على أحد مناجم الفوسفاط الأربعة المغربية الرئيسية وهو منجم بوكراع الذي يوجد جنوب - شرق مدينة العيون على مسافة حوالي 100 كلم. وترتبط هذه المناجم بنفس الحوض الرسوبي الثنائي - الثلاثي الممتد شمال الأطلس الكبير بهضاب أولاد عبدون والكنتور الفوسفاطية، والمستمر نحو الجنوب في اتجاه دول إفريقيا الغربية.

وتختزن مكامن منجم بوكراع حوالي 3 ملايير طن من معدن الفوسفاط، وهو ما يمثل حوالي 3٪ فقط من مجموع المدخرات الوطنية، وتبلغ نسبة تركز الفوسفاط به 75٪. وتتم عمليات الاستغلال بشكل مكشوف، وتتلخص في حفر وجمع الفوسفاط، وغربلته محليا، تم نقله عبر بساط نقال آلي على مسافة 95 كلم حتى ميناء فوس - بوكراع الواقع على بعد 4 كلم جنوب ميناء العيون (المرسى)، وعند هذا الميناء يخضع المعدن للمعالجة داخل وحدة خاصة قبل شحنه من أجل التصدير.

ويتراوح معدل حجم الإنتاج بين 700 ألف طن ومليون ونصف طن في السنة، وقد مثل خلال النصف الأول من العقد الماضي حوالي 6,5٪ من مجموع الإنتاج الوطني من معدن الفوسفاط. وبذلك فإن هذا النشاط المعدني يساهم في تنمية الميزان التجاري الخارجي الوطني، وفي تنشيط الاقتصاد المحلي بسبب فرص الشغل المباشرة وغير المباشرة المترتبة عنه.

خارج قطاع الفوسفاط فإن جهة العيون - بوجدور تعرف نشاطا معدنيا آخر لا يخلو من أهمية وهو استخراج ملح الأوساط المائية المالحة المتمثلة في السبخات. ويمكن هذا النشاط من تغطية الحاجيات المحلية ومن تصريف حجم مهم من الإنتاج في اتجاه الأقاليم المغربية الأخرى. ويتم أيضا استخراج مواد البناء المختلفة التي يتطلبها توسع المجال الحضري ومختلف التجهيزات الأساسية داخل الجهة، وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة إلى أهمية نشاط أخذ الرمال التي يتم تصدير حجم مهم منها نحو الجزر الخالدات عبر ميناء المرسى.

إضافة إلى هذه المقومات الاقتصادية، تزخر جهة العيون - بوجدور بإمكانيات سياحية غنية وشديدة التنوع تجمع بين المشاهد الجافة الصحراوية، والفضاءات الطبيعية الفسيحة، والمناظر الساحلية المتغيرة المغرية بالقيام بأنشطة رياضية واستجمامية متعددة، وتقدم هذه المنطقة كإحدى الجهات المغربية الصحراوية إرثا حضاريا نوعيا يبرز أحد الأوجه المضيئة للشخصية الثقافية المغربية. لكن رغم كل هذه الإمكانيات فإن النشاط السياحي المسجل يبقى محدودا، ويرتبط بالدرجة الأولى بسياحة رجال الأعمال وبتنقلات الموظفين، ويتركز بشكل أساسي داخل مدينة العيون. وتعتبر مدينة العيون القطب السياحي الأول داخل الجهات المغربية الصحراوية، وذلك على صعيد حجم الطاقة الإيوائية، وعلى صعيد عدد الوافدين. فالطاقة الإيوائية تناهز حاليا 1.200 سرير، 51,1٪ منها توفرها الفنادق المصنفة. وبلغ عدد الليالي السياحية المسجلة سنة 1994 حوالي 124.600 ليلة، 70٪ منها سجلت بهذه الفنادق المصنفة، أي بمردودية 38,7٪.

حاليا، وعلى الرغم من المجهودات المبذولة على صعيد البنيات التحتية مثل ربط الجهة بشبكة الطرق البرية الوطنية وأيضا شبكة النقل الجوي الداخلي، فإن عدد السياح الوافدين يبقى محدودا. ذلك بإن الجهة لا تستقطب إلا قسطا ضئيلا من مجموع الليالي السياحية المسجلة على الصعيد الوطني(0,7٪ من ليالي الفنادق المصنفة، و1,3٪ من ليالي الفنادق غير المصنفة)، مما يدعو إلى المزيد من العمل من أجل مجال سياحي قادر على استثمار الموارد الطبيعية والثقافية المتوفرة والقادرة على إبراز منتوج سياحي جديد يمكنه أن يوسع وينوع منتجات الوجهة السياسية المغربية.

إن جهة العيون - بوجدور، كباقي الأقاليم الصحراوية مباشرة بعد عودتها إلى الوطن الأم شكلت، في إطار عملية تضامن واسعة النطاق بين الأقاليم الشمالية والجنوبية، ورشا كبيرا استهدف إدماج هذه المناطق في النسيج الاقتصادي

الوطني. وبفضل المجهودات المبذولة تمكنت هذه الجهة من خلق بنية تحتية صلبة وتجهيزات عمومية كبرى، جعلتها تحقق نهضة اقتصادية واجتماعية لا تقل مستوياتها عن باقي أجزاء التراب الوطني.

وقد رافق هذه المجهودات التنموية تحولات عميقة شملت المجتمع والمجال تجسدت في نمو عدد السكان، وفي نزعة عامة نحو الاستقرار البشري نتج عنها تضخم كبير للظاهرة الحضرية بشكل لا مثيل له عند باقي التراب المغربي. وإذا كانت جهة العيون ـ بوجدور تطرح في السابق تحدي إدماجها في النسيج الاقتصادي الوطني، فإن التحدي الذي أصبحت تطرحه اليوم يتجسد في دعم الاستثمار الرامي لخلق فرص الشغل ومواصلة تحسين مستوى عيش السكان، وأيضا في اختيار عمليات التنمية المتكيفة مع هذا الوسط البيئي الصحراوي الجاف المحدود الموارد وسريع التدهور.


*منوغرافية جهة العيون ـ بوجدور*، ولاية العيون، 1999 ؛ الحسن المحداد وآخرون، *جهة العيون ـ بوجدور. مجلة جغرافية المغرب*، مجلد 19، السلسلة الجديدة، عدد 1 ـ 2، ص. 19 ـ 32، 2001.

E. El Mahdad et L. Ouhajou, *Le patrimoine hydrique face aux dangers de l'explosion urbaine dans les milieux arides et semi-arides. Cas du Maroc sud-atlasique : Atlas des ressources naturelles*, Rabat, 1984 ; Direction de la Statistique, *Résultats des différents recensements de la population et de l'habitat*, Rabat ; Direction de la Statistique, *Annuaire statistique du Maroc 1999*, Rabat, 2000.


الحسن المحداد

**عيون (سبع)**، تقع مدينة سبع عيون بجهة مكناس ـ تافيلالت. وتتبوأ موضعا مركزيا ضمن هضبة سايس، جعلها تحظى بأهمية استراتيجية، في إطار ربط ثلاثة مراكز حضرية لها أهميتها المتميزة على المستويين المحلي والوطني. ونعني بذلك مكناس التي توجد إلى الغرب منها، بمسافة 17 كلم فقط ؛ فاس الواقعة شرقها على بعد 40 كلم ؛ وكذا عمالة الحاجب التي تتبع لها إداريا، وتقع إلى الجنوب منها بحوالي 30 كلم (خريطة 1).

1 ـ نشأة المدينة : يرجع اسم سبع عيون إلى وجود سبعة ينابيع مائية في الجنوب الشرقي منها، على بعد كيلومترين من المركز الحالي للمدينة. ومما لا شك فيه، أن لهذه العيون دوراً فعّالاً في نشوء البلدة ونموها وتوسعها فيما بعد. وهذا التطور، يمكن إجماله في مراحل ثلاث :

ـ المرحلة الجنينية : يعود تاريخ ظهور المعالم الأولى لسبع عيون إلى نهاية القرن 17 م. حيث كان المولى إسماعيل قد أقام قلعة بمنطقة الحاجب، لأجل الحيلولة دون زحف القبائل البربرية نحو السهول الداخلية، بحثا عن المرعى. هذه القبائل المكونة، أساسا من أنصاف الرحل كانت تجد في موقع سبع عيون مكانا ملائما للتوقف، وهي في طريقها نحو المراعي السهلية بسايس شتاء، أو أثناء عودتها إلى المراعي الجبلية بالأطلس المتوسط صيفا : أزرو، إفران، گيگو... وقد كان لهذا التوقف أبعاد صحية واقتصادية، تتيح لأنصاف الرحل إمكانية ترك قطعانهم للإنتجاع والاستراحة، في الوقت الذي يمارسون فيه المقايضة مع السكان المحليين. إلا أنه بعد انتهاء حكمه وضعف سلطة المخزن، تمكنت بعض تلك القبائل من الوصول إلى حدود بوفكران، وخصوصا منها "بني مطير"، التي زحفت باتجاه سبع عيون. حيث استقرت بها مشكلة النواة لنشأة أول تجمع بشري ؛ ما لبث أن تقوى واتسع على يد الاستعمار الفرنسي منذ مستهل القرن الماضي.

ـ سبع عيون إبان الاستعمار : هذا الوضع سرعان ما تغير مع دخول الاستعمار، الذي سن حدودا جغرافية وإدارية بين الأراضي، مكنته من فرض سيطرته على القبائل، وإجبارها على التنقل في مجال محدود. تلك الإجراءات أدت، كذلك، إلى إرباك نمط العلاقات التجارية التقليدية السائدة بعين المكان، والتي كانت قائمة في إطار سوق غير مهيكل، يلتقي فيه الأهالي لتبادل المنتوجات. حيث عمل الاستعمار على جعل هذا السوق غير القار، ينعقد مرة واحدة في الأسبوع، وهو يوم الأحد الذي يوافق عطلة المعمرين المستقرين بالمنطقة. وأنشئت محطة للقطار، لجلب خيرات المنطقة وتحويلها نحو المدن ؛ ثم محلات تجارية وترفيهية أطلق عليها اسم "الكانتينا". كما أقيمت دورا لهم لتميز بشكلها الطولي، وسقفها الهرمية المبنية بالقرميد، ومواد بنائها الصلبة على غير عادة الأهالي. هذا، علاوة على أنهم أقاموا معمل "نورا" لتصبير الفواكه والخضراوات سنة 1933، الذي شكل إلى جانب النشاط الزراعي العصري المبكر، أحد عوامل تحريك عجلة النمو الاقتصادي بالمنطقة، مما جعلها موضع جذب للهجرة الريفية. وقد كانت النتيجة ظهور حي صفيحي عرف بدوار بوقبر، امتد على جانبي خط السكة الحديدية العابر لسبع عيون ؛ حيث بلغ عدد أفراده حوالي 600 نسمة. لقد مثلت الفترة المواكبة للاستعمار، مرحلة النشأة الفعلية للبلدة.

ـ مرحلة ما بعد الاستقلال : دخلت سبع عيون في فترة ركود غداة الاستقلال وإلى حدود منتصف السبعينيات ؛ حيث شهدت انطلاقة جديدة في نموها، وتطورا متزايدا في عمرانها وساكنتها. وقد ساهم في هذه القفزة النوعية، العديد من العوامل التي ترتبت عنها تحولات شاملة، لا سيما في العقود الثلاثة الأخيرة.

2 ـ النهضة الحديثة لسبع عيون : تعد سبع عيون حاليا، من بين المدن الحديثة الأكثر دينامية بإقليم الحاجب. وقد كانت تمتد في الماضي على رقعة شاسعة تصل إلى 28.400 هكتار ؛ إلا أنه، وبموجب التقطيع الذي خضعت له الجماعات المحلية سنة 1992، انبثقت عنها جماعتين قرويتين، إضافة إلى مدينة سبع عيون التي ارتقت إلى مستوى جماعة حضرية. في إطار هذا التقسيم، ألحقت قروية آيت حرز الله بالحاجب ؛ في حين، ظلت الجماعة القروية لآيت بوبيدمان، بمساحة 8.130 هـ، تابعة لبلدية سبع عيون التي تقلصت حدودها إلى 4.070 هـ فقط. من هنا يتضح أن منطقة سبع

عيون عرفت تحولات مستمرة، منذ نشأتها وإلى الوقت الراهن، شأنها في ذلك كباقي المراكز المنتشرة في هضبة سايس - مكناس. غير أنه، إذا كانت بعض تلك المراكز قد استفادت من وقوعها على محور طرقي، فتحولت تدريجيا إلى مراكز طرقية، مثل : بوفكران، ولمهاية، وواد الجديدة... فإن سبع عيون استفادت من عوامل أخرى متنوعة، ساهمت في صيرورة نموها وتحديد وظيفتها، نذكر من بينها :

- المؤهلات الطبيعية : تحظى منطقة سبع عيون بمؤهلات طبيعية متعددة، إذ تتميز بانبساط سطحها وخصوبة تربتها وغنى مياهها، خاصة الجوفية منها. كما تتسم بجودة مناخها الذي يصنف ضمن النمط القاري المعتدل ؛ باعتبار أن درجات الحرارة القصوى التي تسجل بها في شهري يوليوز وغشت، ترتفع إلى 39° ؛ بينما تنخفض الحرارة الدنيا خلال شهري دجنبر ويناير، إلى حدود 2°. وهكذا يكون متوسط الحرارة السنوي 20°. أما التساقطات، فتبدو مهمة على مستوى الكم، إذ يبلغ معدلها حوالي 500 مم سنويا. ومرد ذلك يعود، إلى انفتاح المنطقة على المؤثرات الأطلنتية الغربية، التي تساهم في اعتدال مناخها، بالرغم من وقوعها على بعد 157 كلم من المحيط. أما ما يتعلق بالشبكة الهيدروغرافية، فباستثناء واد الجديدة الذي تغذيه كل من عين خادم وعين السلطان، ثم المجرى المائي لواد المهدومة.. فإن العيون والآبار والثقوب المجهزة، أساس الموارد المائية بالمنطقة ؛ مما ينم عن وجود سديمة باطنية غنية. ولا أدل على ذلك من أن عدد الآبار في تزايد مستمر، إذ بلغ سنة 1995 حوالي 486 بئرا ؛ 200 منها مجهزة للسقي، والباقي مخصص للاستعمال المنزلي كمياه الشرب والغسل...

- تحديث القطاع الزراعي : عرف المجال الريفي بالمنطقة تطورا وإعدادا عصريين متواصلين. وقد تم التحديث ابتداء، على يد المعمرين الفرنسيين الذين استحوذوا على أجود الأراضي الزراعية، مكونين مزارع شاسعة على حساب أراضي السكان المحليين. ثم تواصلت العصرنة بعد الاستقلال، لتضخ رؤوس أموال كبيرة تابعة للخواص أو للدولة، في هذا النشاط الزراعي وتتحكم في نمط استغلاله.

إن النظام العقاري بالمنطقة يتوزع بين أراضي الملك الخاص، وهي المهيمنة ؛ ثم أراضي الدولة المستغلة، إما عن طريق شركة تسيير الأراضي الفلاحية SOGETA، أو شركة التنمية الفلاحية SODEA. الأولى تختص بإنتاج الحبوب بمختلف أصنافه على مساحة 1267 هـ ؛ بينما تختص الثانية بإنتاج الفواكه والكروم والخضر وبعض المزروعات الأخرى، ضمن رقعة محدودة لا تتجاوز 367 هـ. وتأتي أخيرا تعاونيات الإصلاح الزراعي، بنسبة لا تعدو 5,85٪، من مجموع الأراضي التي تدخل في نطاق المجال الجغرافي التابع لسبع عيون.

- موقع البلدة وموضعها : تمتد المدينة فوق هضبة سايس - مكناس، التي تتميز بانبساط سطحها وسهولة التنقل فوقها. إذ لا تتخللها سوى موانع طبيعية بسيطة، كبعض الأودية غير المتعمقة : واد المهدومة، واد الجديدة... وبالتالي فالموضع المنبسط، ساعد على امتداد السكن وتوسعه بشكل مطرد.

وتتعزز هذه المكانة، أيضا، بوقوع سبع عيون على مفترق العديد من خطوط المواصلات الهامة منها محور البيضاء - فاس باتجاه الشمال والشمال الشرقي، الذي يعد منفذا حيويا على المناطق الأخرى... فمنه تأتي الشاحنات المحملة بالسلع الضرورية، وعبره يتم تصريف المنتجات المحلية. خاصة نحو مكناس التي تعتبر المزود الرئيسي لهذا المركز الناشئ بكل ما يحتاج إليه ؛ وإليها يتجه السكان لقضاء مآربهم التجارية : تسويق المحاصيل الزراعية بسوق الجملة وبالتقسيط، أو اقتناء الآلات الفلاحية والبذور المنتقاة والأسمدة الكيماوية والمبيدات، أو قضاء الحاجيات الإدارية... وقد ظل الأمر على هذه الحال إلى حدود سنة 1992، حيث ألحقت المدينة بعمالة الحاجب. وتستفيد سبع عيون كذلك، من وجودها بمحاذاة الطريق الرئيسية الرابطة بين مكناس وأزرو، مرورا إلى الصحراء. علاوة على أنها تعتبر بمثابة نقطة إشعاع لشبكة كثيفة من الطرق الثانوية، كتلك التي تصلها بالحاج قدور وبوفكران ثم إفران، أو الطريق المؤدية إلى تاوجطات والحاجب... وقد أنشئت هذه الطرق الثانوية إبان الحقبة الاستعمارية، إما بهدف ربط الاستغلاليات الزراعية بين بعضها، أو لتسهيل نقل المنتجات نحو مراكز الشحن، ثم تصديرها إلى المتروبول : الورود، توت الأرض، الخمور...

- خط السكة الحديدية : إذا كانت شبكة الطرق المعبدة قد ساهمت وتساهم في توسع مجال المدينة، فإن خط السكة الحديدية يعتبر عنصرا أساسيا في ظهورها وتطورها. وقد أنشأه الاستعمار لغرض اقتصادي وعسكري، مساهما بذلك في استقرار الأجانب، استقدموا كتقنيين وإداريين، أو مغاربة جاءوا بحثا عن فرص للشغل بالمنطقة. ولعل أهمية الخط الحديدي في نمو وتوسع هذا المركز تبرز واضحة، عندما نقارنه ببعض المراكز المجاورة المحرومة من هذه الخدمة، مثل بوفكران والحاج قدور ولمهاية... فالقطار سهل عملية الانفتاح على باقي المناطق، كما ساعد على تنقل السكان لأغراض تجارية أو إدارية من وإلى المركز. ولذلك ظل بمثابة وسيلة النقل الأكثر استعمالا إلى نهاية عقد الثمانينيات وبداية التسعينيات، بعد الظهور المكثف للحافلات وسيارات الأجرة.

- محطة تقوية الإرسال الإذاعي والتلفزي : أسست مع بداية الاستقلال ؛ وقد ساهمت في استقطاب عدد من الإداريين والتقنيين العاملين بها، والذين استقروا في منازل تابعة للدولة.

- الهجرة نحو الخارج : إن التوسع العمراني للمدينة الناتج عن تنامي حركة البناء، يبدو مرتبطا في جزء منه

بأهمية الموارد المالية المحولة من المهجر. لدرجة أن أكثر من 50٪ من البقع الأرضية بالتجزئات السكنية الحديثة، تعد مملوكة لأفراد عاملين بالخارج. مما يؤدي إلى خلوها من أي ساكن لمدة 11 شهرا في السنة، وهي المدة التي يغيب فيها المهاجر خارج الوطن. وإن عامل الهجرة نحو الخارج ليعد، بحق، عنصرا ديناميكيا في تطور سبع عيون وتوسعها وتمدنها.

- تمركز المرافق الإدارية بسبع عيون : إذا كانت سبع عيون، وإلى حدود الثمانينيات، تفتقر لمؤسسات إدارية واجتماعية... باستثناء المستوصف القروي ومحطة الإرسال الإذاعي : فإنها تعززت، بعد هذه الفترة بمجموعة من المرافق الإدارية والاجتماعية، في إطار تقريب المصالح من المواطنين. ومن بين هذه الإدارات :

- مقر القيادة، الذي برز لأول مرة كملحقة سنة 1974، ثم ما لبث أن تطور إلى قيادة فباشوية.

- مقر البلدية، ظهر إلى الوجود بعد ارتقاء سبع عيون من جماعة قروية إلى جماعة حضرية سنة 1992.

- مكتب البريد، أنشئ سنة 1983.

- المركز الصحي، الذي تأسس سنة 1957 كمستوصف قروي، ثم ارتقى إلى مستوى مركز صحي في بداية التسعينيات. يضاف إلى ذلك وجود أربع صيدليات وطبيبان يشتغلان في القطاع الخاص، وكذا طبيب بيطري.

- المؤسسات التعليمية، تعد المؤسسات التعليمية أهم المرافق الاجتماعية بالمدينة. وتتمثل في ثلاث مدارس واستقطاب عدد كبير من الأساتذة والموظفين، وكذا التلاميذ الذين كانوا مجبرين، سابقا، على التوجه إلى مكناس بهدف استكمال تعليمهم.

- النادي النسوي، أسس سنة 1973 من قبل المندوبية الإقليمية للشبيبة والرياضة بمكناس.

3 - الخصائص البشرية للمدينة : تولدت عن مجموع التحولات، التي أسلفنا الحديث بشأنها، تطورات هائلة شملت الجانب البشري الذي كان وراء تكثيف آليات تعمير المدينة وتوسع مدارها. وهكذا فقد تميز النمو الديموغرافي بإيقاع سريع، خاصة في الفترة الممتدة بين 1982 و1994.

فبعد أن لم يتجاوز عدد السكان 833 نسمة في حدود 1960، انتقل ليصبح 1122 نسمة سنة 1971، ثم ارتفع بوتيرة سريعة، ليسجل حوالي 15575 نسمة سنة 1994. ويعزى هذا التطور السريع إلى أهمية الهجرة الداخلية المكثفة نحو سبع عيون، خاصة الريفية منها. مما أدى إلى تحولات عميقة في التركيبة البشرية للمدينة، التي بات الاختلاط أحد أبرز سماتها. فإلى جانب السكان الأصليين من برابرة بني مطير، توجد مجموعة من العائلات الشمالية، التي وفدت على المنطقة من الريف الشرقي. وقد جاءت إما للاستثمار الزراعي، أو للعمل في القطاع الفلاحي أو الغابوي... بالنسبة للعنصر العربي، فإنه حاضر بنسبة أقل ؛ ويمثل على وجه الخصوص، فئة من الموظفين والتقنيين الذين قدموا من المدن المجاورة... إما للعمل بالإدارات أو في قطاع التعليم، أو في بعض الشركات الموجودة بعين المكان. وعلى وجه الإجمال، فإن الأصول الجغرافية للسكان تبدو متنوعة، بالنظر إلى مكان الازدياد. إذ يلاحظ أن أكثر من ثلثهم مولود خارج المدينة.

مديرية الإحصاء، *الإحصاء الوطني للسكان والسكنى*، 1994 ؛ تقرير ملحقة المديرية الإقليمية للفلاحة، 1996 ؛ تقرير ملحقة المديرية الإقليمية للفلاحة، 2000 ؛ تقرير تصميم التهيئة لسبع عيون.

إدريس شحو

**العيون الشرقية** (أو عيون سيدي ملوك)، مركز حضري يقع على الطريق الرئيسية رقم 1 والسكة الحديدة، بممر توريرت - وجدة. موضعه عبارة عن سطح خفيف التضرس، يتعمق به واد أرسان جنوبا، وواد بورديم شمالا. كما يتميز الموضع بوجود عين تنسب لسيدي ملوك، وهو الاسم الذي لايزال يطلقه الكثير من السكان على المدينة. لكن حاليا، تفاديا للخلط الذي كثيرا ما يحصل بالنسبة للطرود البريدية بعيون الأقاليم الصحراوية، أصبحت المدينة تعرف بشكل شبه رسمي، بالعيون الشرقية.

وعلى خلاف الواجهة الغربية من المغرب التي عرفت نواة عمرانية منذ العهد الروماني، فإن المغرب الشرقي لم تزدهر به الحركة العمرانية إلا بعد الفتوحات الإسلامية، حيث أصبحت المنطقة تشكل الممر الطبيعي للقطر الإسلامي. وهكذا بنيت مجموعة من القصبات بممر تازة - وجدة، أغلبها في عهد المولى إسماعيل، منها قصبة العيون المبنية في سنة 1679، قصبة مسون، سلوان، بوعرق، الركادة... وهكذا أصبح للمنطقة دور استراتيجي هام، نتيجة اشتداد الصراع مع الأتراك في الواجهة الشرقية، ومع الإسبان على الواجهة الشمالية حيث تزايدت أطماعهم في الثغور الواقعة على البحر المتوسط.

أصبحت قصبة العيون ذات موقع استراتيجي متميز داخل الممر، مما دفع المخزن إلى إنزال عدد من جنود عبيد البخاري بها، وذلك لحماية الممر، وضمان البريد، وجمع الضرائب ومراقبة القبائل البربرية. لكن ظلت القصبة شبه جامدة، ضعيفة التوسع، خاصة بعد انهزام الجيش المغربي في معركة دارت ضد الأتراك على مشارف نهر ملوية في نهاية القرن السابع عشر، وانهزامهم، في معركة إسلي في 1844، ضد القوات الفرنسية، التي أنزلت جنودها بمركز العيون سنة 1859، مما جعل الأمن يهتز بهذا الممر ويحد من استقرار سكانه ونمو عمرانه. لكن سرعان ما أخلت القوات الفرنسية هذا المركز بعد أن انتشر فيه وباء الكوليرا الذي حصد 2500 من جنودها.و ظلت قصبة العيون ذات اهتمام بالغ لدى السلطة المركزية لما كان لها من دور في تأمين طريق السلطان

ونشاط تجاري مع مليلية، مما أدى إلى ترميمها من طرف السلطان الحسن الأول، أثناء حركته إلى وجدة سنة 1876. ورغم ما كان للقائد حمادة البوزگاوي من شأن لدى المخزن، في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث أنعم عليه السلطان بظهير شريف للتوقير والاحترام وإسقاط الغرائم والتكاليف المخزنية، فإن ذلك لم يخوله مدّ سلطته على القصبة المجاورة له، حيث كان السلطان يعين بها قائدا مخزنيا، ليس له أي عصبية من بين القبائل المجاورة. وهكذا وصل عدد الجنود المغاربة بالقصبة في أواخر القرن التاسع عشر، إلى ما يزيد على 450 جندي و35 فارس. لكن سرعان ما تم احتلال مركز العيون من جديد من طرف القوات الفرنسية، وذلك مباشرة بعد اجتياحها لمدينة وجدة سنة 1907. وعلى غرار استسلام عامل وجدة، أحمد بن كروم، صارت باق المراكز الحضرية والقبائل على نفس المنوال، بل بادر أغلب القياد ورؤساء القبائل، من بينهم بوعمامة المعروف بشراسة مقاومته سالفا، إلى التبريك للجنرال اليوطي والكولونيل Reibell. وساعد هذا الوضع المستقر على توسيع الرقعة الحضرية لمركز العيون، حيث وضع لها تصميم بشكل مبكر، من توقيع المعماري الفرنسي Ecochard، والذي لاتزال نسخة منه ببلدية العيون. لكن لم يتم في الواقع احترام هذا التخطيط، إلا خلال فترة الاستعمار، حيث عرفت المدينة بعد ذلك فترة البناء العشوائي، الذي نتج عنها نسيج حضري ممزق، صعب الهيكلة والتجهيز.

واعتمادا على الصور الجوية لسنة 1950، تبين على أن مساحة الرقعة الحضرية كانت لا تتجاوز بعض عشرات الهكتارات، ليصل حاليا المدار الحضري إلى 336 هكتار. كما ارتفع عدد السكان بسرعة، حيث انتقل من حوالي 1800 نسمة، سنة 1951، إلى ما يزيد عن 35.000 نسمة حاليا. يرجع سبب هذا الانفجار الديمغرافي إلى عوامل عدة، أهمها: عائدات الهجرة التي أصبحت توظف على الخصوص في البناء والمضاربة العقارية. كما يرجع هذا التوسع الحضري إلى الهجرة القروية المتزايدة خلال النصف الثاني من القرن العشرين لأسباب متعددة. حاليا أصبحت بلدية العيون، الفتية، حيث لم تنشأ إلا في بداية التسعينيات، تعاني من مشكل عويص، يتمثل في انتشار السكن العشوائي غير المهيكل، إذ بلغ عدد الأحياء غير القانونية ستة عشر حيا، يقطنها حوالي 90٪ من مجموع سكان المدينة. فباستثناء حيي المركز وحي الثكنة، اللذين تم إنشاؤهما منذ سنة 1950، فباقي الأحياء لم تظهر إلا ابتداء من 1970. وقد أدت المضاربة العقارية والإبهام الذي يشوب أراضي الجموع الواسعة الامتداد، إلى تمزق النسيج الحضري وإلى صعوبة تمديد شبكة التطهير والمواصلات والكهرباء وماء الشرب، مما جعل هذه الأحياء تعاني، جزئيا أو كليا، من انعدام التجهيزات الضرورية. ومن المشاكل الأساسية والمستعصية، وجود فراغات متعددة، تعوق الاستصلاح والتجهيز، حيث 48٪ من البقع المتوفرة داخل المجال الحضري لاتزال غير مبنية. كما أظهرت بعض الدراسات الميدانية على أن ثلاثة أحياء لاتزال تفتقد إلى كل التجهيزات الضرورية، يتعلق الأمر بحي التقدم وحي الأمل واليعقوبيات والتي يسكنها 1050 نسمة، حسب إحصاء 1991. أما الأحياء الأخرى غير القانونية، والمتمثلة في (النخلة وبوكديم والكريان وعين لحجر والحرية والمطار والمركز والملعب والمسيرة وحرشت مومنة والفتح والثكنة والخميس) فهي مجهزة أو في إطار التجهيز، لكنها في حاجة إلى تصاميم إعادة الهيكلة. وأصبحت بذلك مدينة العيون تعرف احتدام حركة البناء العشوائي على أراض غير محفظة، وبالتالي يصعب إنجاز مشاريع عمرانية لائقة، تتوفر على مواصفات مركز حضري جذاب، قادر على تلبية متطلبات سكانه، داخل بيئة متزنة. لكن تجدر الإشارة إلى عزم البلدية بتعاون مع السلطة المحلية والمجتمع المدني، على الحد من انتشار العمران العشوائي والعمل على توفير سكن لائق. كما نسجل دور وداديات الأحياء والجمعيات المحلية التي تسهم في رفع العديد من العراقيل لتجهيز الأحياء والحفاظ على التراث المعماري، حيث شرعت جمعية قدماء مدارس العيون في ترميم القصبة التي أصبحت تتعرض لإتلاف خطير.

أما الوظائف الرئيسية الحالية للمدينة، فهي تتمثل على الخصوص في المبادلات التجارية، وذلك نظرا لموقعها بمركز شبكة المواصلات الرابطة بمختلف الاتجاهات، المحلية منها والوطنية. فالمدينة تعتمد في مبادلاتها على المحاصيل الزراعية بالأراضي المجاورة من جهة، وعلى التجارة المحظورة والتهريب، اللذين يعرفان تعاقب فترات الانكماش والانفراج، من جهة ثانية. كما أن مدينة العيون تحظى بوجود منشأة صناعية كبيرة تتمثل في معمل إسمنت المغرب الشرقي (سيور) المجاور لها، والتي قد يمكن أن ترتبط بها صناعات أخرى في قطاع البناء.

لكن في الواقع لاتزال مدينة العيون تعتمد في نشاطها وحياتها على عائدات الهجرة المدمجة لجل الأسر، مما أحدث تغيرات ثقافية واجتماعية عميقة وعادات استهلاك جديدة، تتطلب خلق قاعدة اقتصادية قائمة على أسس متينة ومستدامة.


عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873 - 1907*، الرباط.

A. Guitoni, *Le nord-est marocain, réalités, potentialités, d'une région excentrée*, Oujda, 1955 ; M.A.T.U.E., *Schéma de développement et d'aménagement régional de l'Oriental*, 2000 ; *Illustration*, Journal universel, tome 1904 - 1908.


الميلود شاكر

**عيّاد** (أولاد -)، مركز يمثل المدن الموجودة بين الجبل والسهل بمنطقة تادلة، يحتل من جهة تادلة موقعا حيويا نظرا

لوجوده على الطريق الوطنية 24 الرابطة بين مراكش وفاس مرورا ببني ملال. مساحته 6 كلمتر مربع، ويعود تاريخ إحداثه إلى سنة 1992، تحده شرقا جماعة أولاد ناصر وغربا جماعة حد بوموسى وشمالا أولاد ناصر (كلها بإقليم بني ملال) وجنوبا ارفالة (إقليم أزيلال).

ظهر مركز خميس أولاد عياد، الذي ينتمي سكانه إلى قبائل بني موسى، في سياق التطورات المجالية التي عاشها القطاع المسقي لتادلة، إذ بالموازاة مع انتشار السقي الحديث والمنتوجات الفلاحية العصرية عرف سهل تادلا عموما، ومراكزه الناشئة بشكل خاص، استقرار وحدات صناعية كبرى لمعالجة المنتوجات الفلاحية المحلية ورفع قيمتها بالتصنيع. وفي هذا السياق تقرر سنة 1971 إنشاء معمل السكر في هذا المركز. تبلغ طاقة هذه الوحدة الإنتاجية 42 ألف طن في السنة، ويشغل 200 عامل، أما طاقته الاستهلاكية خلال اليوم فتصل إلى 6000 طن من الشمندر السكري.

ومن دون شك فقد زاد هذا القرار من انتعاش المركز، حيث شكل بداية استقرار التجهيزات اللازمة للساكنة والضرورية للمدينة في هذه المرحلة (إدارات، خدمات، تجهيزات اجتماعية...). وقد تزامنت هذه الفترة مع نمو سكاني مهم رفع حجم الساكنة بالمركز من 3997 نسمة سنة 1960 إلى 11687 سنة 1982، فيما أصبح العدد سنة 1994 ما يناهز 18958 نسمة.

ظروف نشأة المركز :

إن الظروف الطبيعية الجيدة (ماء، تربة، انبساط...) منحت منطقة تادلة حظوظا كبيرة للاستثمار الفلاحي، وشدت إليها اهتمام السلطات من فترة الحماية إلى اليوم. وتفتق عن هذا الاهتمام تصور ووضع برامج استثمارية ضخمة بقطاعي بني عمير (الضفة اليمنى لواد أم الربيع) وبني موسى (الضفة اليسرى لواد أم الربيع) بتادلة.

لقد حركت هذه التدخلات دينامية عميقة غير معهودة في تفاصيل الوسطين الريفي والحضري. وحملت بذلك اقتصاد المنطقة المعاشي البسيط، الذي ساد قرونا، إلى اقتصاد فلاحي حديث يعتمد وسائل إنتاج متطورة، وينتج محاصيل متنوعة وعالية المردودية، جزء منها يستهلك والجزء الآخر يصنع محليا ودوليا.

تولدت عن هذه التحولات حركة ديموغرافية متزايدة نظرا لإمكانيات الشغل التي تعددت، ونظرا لفرص تحسين مستوى العيش بالدائرة السقوية. لقد تنوعت إمكانيات العمل في الحقول والوحدات الصناعية التي تقوم بتحويل المنتوجات الفلاحية المحلية، ومن بينها معامل السكر التي استقرت ببعض المدن المهمة ومنها المركز الحضري أولاد عياد.

يمكن ربط تنامي ظاهرة التمدين بالتحولات التي تعرفها منطقة تادلة فيما يخص القطاع الفلاحي، حيث تحولت جهة تادلة أزيلال، التي كانت إلى عهد قريب ضعيفة الكثافة السكانية، إلى حوض تجميع للسكان وللعمران. ومن شأن هذا التطور أن يساهم بشكل كبير في تأسيس ودعم الشبكة الحضرية المحلية والجهوية. ويشكل في هذا الإطار مركز أولاد عياد مكونا أساسيا داخل البنية الحضرية للجهة، والتي تتكون من 12 مركزا بإقليم بني ملال و6 بإقليم أزيلال.

حركة البناء والتجهيز :

يتكون المجال الحضري من بناء وأحياء في مجملها غير منظمة وغير مخططة. لقد كان التطور العفوي هو السمة الغالبة على طبيعة البناء، لذلك يعكس السكن بالمركز نفس الخصائص التي يتميز بها على المستوى الجهوي والوطني، حيث ينتشر السكن الاقتصادي (بشكل واسع) (86٪ سنة 1994) والتقليدي (7٪ في نفس السنة). أما السكن والأحياء التاريخية فليس لها دلالة بهذا المركز.

في مجال التجهيزات التقنية فإن المركز يفتقد إلى الشوارع والأزقة المنظمة والمعبدة على نطاق واسع. ويعاني أيضا من ضعف انتشار شبكة الماء الصالح للشرب، فمن حجم السكان الإجمالي لا يستفيد من هذه الخدمة سوى العشر حسب إحصاء 1994.

ونظرا لتوسع المركز زاد استهلاكه للأرض الفلاحية. ففي بحث أجراه المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي سنة 1993، لتقويم ما تم استعماله في البناء من أراض فلاحية جيدة، تبين أن مركز أولاد عياد، إلى جانب مدن الدائرة السقوية المتوسطة والكبيرة، قد وسعت مرات مداراتها الحضرية من خلال تصاميم التهيئة والتقسيم الجماعي والإداري، مما كان له انعكاسات واضحة على الأرض الفلاحية. فالمدن الأربع المهمة بالقطاع السقوي (بني ملال، الفقيه بن صالح، سوق السبت، أولاد عياد) احتاجت كلها إلى 5430 هكتار، وهي مساحة قدر المكتب الجهوي قيمة منتوجها الفلاحي بما يناهز 42 مليون درهم، وكلف تجهيزها 56 مليون درهم، كان نصيب أولاد عياد من المساحة في حدود 217 هكتار.

تطور بناء المدينة بدون تخطيط جيد، وترك للمتدخلين حرية المبادرة بدون توجيه، وهذا ما يفسر وجود تجزئتين قانونيتين فقط (مساحتهما 11 هكتارا). وقد صارت المساحة الحضرية التي بلغت في 1994 حوالي 238 هكتار تنقسم على النحو التالي :

- 55٪ للسكنى.
- 10٪ للتجهيزات.
- 25٪ للأنشطة.
- 10٪ للطرقات.

يعتبر المركز أفقر مدينة من حيث التجهيزات الأساسية قياسا مع مدن الفقيه بن صالح وسوق السبت مثلا، إذ أن 25٪ من الساكنة فقط هي التي تستفيد من شبكة التطهير، ولا تتعدى نسبة المستفيدين من شبكة الماء الشروب 15٪ حسب دراسة أجريت سنة 1994.

محمد مداد

ابن **عيّادْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Benayyad ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت بحومة الطرانكات ثلاث دور تنسب إلى هذه الأسرة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 323.

**عيّادْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ayad.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1208.

محمد ابن عزوز حكيم

**عياد، محمد سالم** بن محمد بن حمادي ولد سنة 1928 بالعيون. عرف بغيرته وإخلاصه للوطن الشيء الذي دفعه إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 بالمقاطعة التاسعة فرقة تافودارت تحت قيادة صالح بن عسو.

وقد كان مكلفا بتزويد جيش التحرير بالمؤونة كما شارك في عدة معارك حيث أظهر شجاعة نادرة إلى أن استشهد رحمه الله في معركة تافودارت بتاريخ 8 / 2 / 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 503411.

ابن **عياد، محمد** بن **علي** الهبطي، عالم من قبيلة سماتة الهبطية كان يرأس جماعة من المجاهدين وقد انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمر الثورة المنعقد بقرية عين الدالية بقبيلة الفحص حيث انتخب عضوا بالمجلس الاستشاري للمقاومة بتاريخ 11 ماي 1913، كما شارك في المؤتمر المنعقد بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 وفي المؤتمر المنعقد بقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**العيادي الرحماني**. هو القايد العيادي بن الهاشمي بن مبارك الرحماني من مواليد عام 1300 / 1880 بقبيلة الرحامنة وبالضبط بدوار الشلالكة فخذة أهل الله الواقعة شمال غرب الرحامنة وغرب مركز صخور الرحامنة الذي كان يمثل أهم النزالات داخل مجال قبيلة الرحامنة على الطريق الرابط بين الشاوية ومراكش. تربى القايد العيادي بلهاشمي في أحضان أمه المصونة الشريفة للافاطمة بنت الشريف العلمي. توفي والده السيد الهاشمي بن مبارك الرحماني الشليكي في شهر رمضان من سنة 1311 / 1894 وقد كان محل إعجاب عند معاصريه نظرا لقيادته الحازمة وتطلعاته العالية، جاد بأمواله أثناء تفشي مرض الطاعون بالمغرب الذي قضى على سكان الحوز وتادلة ودكالة سنة 1285 / 1867 حيث كان يقوم بعدة زيارات ويقدم المساعدات للمتضررين من هذا الوباء.

أما سبب تسميته بالعيادي فقد اعتمدت روايتين شفويتين :

- تقول الرواية الأولى إنه سمي بالعيادي لأنه ولد يوم عيد المولد النبوي.
- أما الرواية الثانية فقد استقيتها من أحد خدامه يدعى بوعلي وكان بوابا بدار القايد بالبويبة بقاع المشرع بمراكش والذي فسر هذه التسمية بكون القايد كان حراكا ماهرا وقد غلب عليه استعمال كلمة "أعايد... عايد..." في حركاته أو في لعب "التبوردة" ولذلك لقب بالعيادي.

ومما يؤكد هذا الرأي أن القايد كان يتميز بشجاعة نادرة، وإقدام قل نظيره، حيث كانت له دراية واسعة بفن الفروسية ذلك أنه كان يقيم مهارة الفارس بمجرد النظر إليه راكبا صهوة جواده. إن القايد العيادي تدرب على حمل السلاح منذ نعومة أظافره على يد ابن عمه أحمد الكراوي الذي كان من أمهر المحاربين. يقول دوكوفيون، في كتابه أعيان المغرب الأقصى : "كما يزداد الإنسان شاعرا يمكن القول أن القايد العيادي ولد محاربا ماهرا فمنذ صغر سنه أطلق نار بندقيته قرب مرشده الروحي ابن عمه الكراوي، فهو فارس كامل ورجل بارود يافع، كسرت مشط يده اليمنى بالبارود وهو في ريعان شبابه، لقد من الله عليه بذكاء خارق وكانت له نظرة غير مألوفة وجد ثاقبة للأشياء".

بعض خصوصيات شخصية القايد العيادي :

- اللباس :

كان القايد العيادي بلهاشمي يفضل اللباس "البلدي" الوطني الذي كان يتكون من "الكساء والفرجية والقفطان والمضمة سكرية مطروزة باللون الأبيض والبلغة صفراء، والجلباب والرزة من الكتان الأبيض والسلهام وكان اللون المفضل عنده هو الأبيض الذي لازمه طول حياته.

- اهتمامه بالعلماء :

كان للقايد العيادي مجلس للعلماء يتكون من خيرة العلماء نذكر منهم : الفقيه بلحسن الدباغ، والفقيه العاقب الشنكيطي، والفقيه مولاي أحمد بن اليزيد البدراوي، وغيرهم بالإضافة إلى نخبة من الأعيان أمثال أحمد بن الأشهب، والحاج عبد القادر برادة، والشريف مولاي مبارك السباعي.

- كان القايد العيادي يرفض التعليم الفرنسي بدليل أن معظم أبنائه تلقوا تعليما عربيا أصيلا بمدرسة جامع ابن يوسف بمراكش، أو بجامع القرويين بفاس. وبهذا الخصوص عمل القايد العيادي على بناء مدارس حرة كمدرسة بحي قاع المشرع بمدينة مراكش والتي ما زالت تحمل اسمه إلى الآن (مدرسة القايد العيادي) بالإضافة إلى جامع ومدرسة بن جرير وهي المعروفة اليوم بمركز ابن جرير "بمدرسة بن گرير للتعليم الأصيل" وقد حبس على هذه المدرسة مجموعة من الأملاك.

- قضية تمليك الأراضي بقبيلة الرحامنة :

كان القايد العيادي يتميز ببعد نظر كبير حيث فكر منذ البداية في قطع الطريق على المعمرين الأجانب للسيطرة على أراضي قبيلته، فبادر إلى تشجيع أهل قبيلة الرحامنة للتعجيل بتمليك أراضيهم حتى لا تبقى أرضهم في ملك "الجماعة" لأن الاستعمار يستطيع الاستحواذ على هذا النوع من الملكية بسهولة. بهذا الإجراء سلمت أراضي قبائل الرحامنة من سيطرة المعمرين وهذه إحدى حسنات القايد العيادي بل يمكن اعتبار هذا العمل الوطني أحسن هدية قدمها القايد لقبيلة الرحامنة.

- مواقفه السياسية

إن فترة الخمسينات تمثل مرحلة جديدة في المسار السياسي للقايد العيادي الرحماني حيث راجع مواقفه السياسية المساندة للحماية الفرنسية، وانضم إلى التيار الوطني المناهض للقوى التي يمثلها القواد الكبار فبعد أن كان حليفا للكلاوي وفرنسا تحول إلى خصم عنيد رفض المشاركة في الخطة الاستعمارية التي اقتضت تنصيب سلطان جديد لا شرعية له. لم يقف العيادي عند هذا الحد بل ترأس غداة تنصيب محمد بن عرفة حركة انضم إليها بعض المقاومين، ودخل مراكش وواجه رجال الكلاوي. نتيجة لهذا الموقف وبعد نفي بطل التحرير جلالة المغفور له محمد الخامس، تعرض القايد العيادي للاعتقال من طرف الإقامة العامة، وتم نفيه إلى فرنسا وبعد أشهر عاد إلى المغرب. وبما أنه لم يعترف بشخصية الملك المزعوم "ابن عرفة" فقد خضع القايد للإقامة الجبرية بمدينة الدار البيضاء مدة سنتين، وتم تقسيم قبيلة الرحامنة أثناء غيابه إلى ثلاث قيادات.

ومباشرة بعد العودة الميمونة لجلالة المغفور له محمد الخامس من المنفى، رجع القايد العيادي إلى قبيلته التي ترأسها في تقديم فروض الطاعة والولاء إلى السلطان الشرعي، عاد بعدها إلى قيادته. لكن التحول الذي عرفه المجتمع المغربي في أجهزته الإدارية حتم تقاعد القواد الكبار وهكذا تقاعد القايد العيادي تقاعدا تاريخيا تفرغ من خلاله إلى التعبد ومجالسة العلماء بعد أن قضى مدة تزيد عن نصف قرن قائدا كبيرا على قبيلة الرحامنة. وقد لبى القايد العيادي الرحماني داعي ربه في العاشرة ليلا من يوم الأحد 26 شعبان 1383 / 12 يناير 1964 أقبر في أسفل صومعة مسجد ابن جرير بوصية منه.

وثائق خاصة ؛ ابن إبراهيم، *الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام*، تح. عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1975؛ ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ ع. الوهاب بنمنصور، *قبائل المغرب*، المطبعة الملكية، الرباط، 1968 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

Dr. Louis Arnaud, *Au temps des Mehellas, ou le Maroc de 1860 à 1912*, Edition atlantides Casablanca, 1952 .

عبد العزيز تيلاني

**العيادي** بن **قصو** بن عمر ولد سنة 1911 بإيموزار مرموشة. انخرط في صفوف جيش التحرير برتبة جندي ضمن فرقة مرموشة التي كان يرأسها السيد إلياس ميمون أوعقى.

وقد شارك إلى جانب رفاقه في الكفاح خلال انتفاضة مرموشة يوم 2 أكتوبر 1955 في الهجوم الذي تم على ثكنة الفرقة 22 للكوم بمركز إيموزار مرموشة.

انتقل إلى رحمة الله يوم 6 / 8 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 516299.

**عياش** (آيت -)، قبيلة بربرية من أكبر وأشهر قبائل المغرب، لعبت دورا هاما في الميدان السياسي والثقافي، وأنجبت شخصيات بارزة أمثال أبي سالم العياشي صاحب *الرحلة* الشهيرة، وولده حمزة الذي تولى شؤون الزاوية الحمزوية المنسوبة إليه.

وتمتد بلاد آيت عياش جنوبي ميدلت، على بعد نحو 25 كيلومترا من هذه المدينة، إلى الأطلس الكبير، يحدها شمالا الجبل العياشي (أو عاري أو عياش)، وشرقا آيت إزديگ أو آيت وافلا، وغربا آيت يحيى، وهو فرع آخر لآيت وافلمان، وجنوبا بني مجيلد.

وكانت هذه القبيلة مؤلفة من أربع قرى (قصور) وخيام

مـوزعـة في وادي نـهـر آيت عـيـاش، على نهـر وطاط آيت إزديگ وأحيانا على نهر ملوية، وهذه القصور الأربعة هي : تفـراجين وتُـراسْتْ في الضـفـة اليـمنى، وبنعلي وأنزگـميـر المقابلان لهما في الضفة اليسرى لنهر آيت عياش الذي ينبع في الجبل العياشي.

هذه هي القبـيلة الأم. وقـد نُقل منهـا، في عـهد مولاي عبد الرحمن، فـخذ هام أقيم جنوبي فـاس، على بعد نحو خمسة عشر كيلومترا من هذه المدينة، واتخذ جيشا لحماية العرش العلوي (جيش)، كالأوداية وغيرها من القبائل.

وتحد هذه القـبيلة جنوبا الشـجع، وشـرقـا آيت والال، وشـمـالا آيت السـبع، (وهو فـرع من آيت سغـروشن إيموزار كندر)، وشرقا آيت يوسي. والبلاد على شكل مـستطيل مساحتها ما يقرب من 200 كيلومتر مربع، وارتفاعها نحو 600 ميتر بالنسبة لمستوى البحر. وكلها هضاب، ما عدا الجنوب، حيث تقع بعض التلال المكسوة بالأدغال وتسمى "بوحاجة". مناخها قاري، يكون فيها الصيف شديد الحرارة والبرد قارسا في فصل الشتاء. ترابها صالح جدا لزراعة الحبوب والقطنيات وغرس الأشجار المثمرة، لا سيما منها التين والزيتون.

والأرض بورية في نصفها الجنوبي، وسقوية جزئيا في نصفها الشمالي. ذلك لأن عينين من الماء تنبعان في وسطها، هما عين الشگاگ وعين أفحام. الأولى مكونة من عدة عيون تتدفق بغزارة وتنحدر نحو الشمال في وادي نهر يسيل إلى فاس، والثانية تكوّن فرعاً يلتقي بها على مسافة غير بعيدة من هناك. بحيث إن هذين النهرين يرويان الحقول والبساتين التي يمران بها، بينما يبقى الجزء الآخر الجنوبي رهينة تقلبات الطقس. حقا أن جدول ماء (ساقية) يشقه، منحدرا من إيموزار كندر، إلا أنه لا يكفي لسقي جميع المزروعات الموجودة في طريقه، لاسيما في الصيف، الأمر الذي يتسبب في نزاعات ومشاجرات تكون دامية أحيانا بين الفلاحين.

تشتمل البلاد على عدد من القرى والدواوير (مجموعة الخيام) تعرف بأسماء الفروع والعائلات التي تسكنها، منها : آيت الحاج، وآيت بوفتين، وآيت حمّي، وآيت عمرو كوّ، آيت داوود أو سعيد وغيرهم. كما تشتمل على مواقع وأماكن كبوحاجة المذكور،وأعمود، وترابكة، ودندون، وتاعروست، وسيدي بوفطّوز، وسيدي مسعود، وسيدي بومعيز، والگريعة، والرمل وسيدي خيار والزاوية وما إلى ذلك.

أصل آيت عياش فاس هذه من قصر واد أنزگمير المذكور، جنوبي ميدلت. وأول من نزح إلى هذه الناحية، مع عشيرته وبعض الفروع من القبيلة، هو الحاج محمد بن أبي مدين، في أوائل القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد) وهو الذي بنى الدار الحالية بعين الشگاگ. ومات وعمره 65 سنة تقريبا. وبه عرفت العائلة الحاكمة للقبيلة (أولاد الحاج) وخلف عدة أولاد منهم :عبد الوهاب، وأبو مدين، وحماد.

وكان هذا الأخير خليفة للأول عندما كان قائدا على بني مجيلد.

ولد القائد عبد الوهاب سنة 1225 / 1847، وقرأ في المنزل العائلي على الشيخ مولاي الحبيب إبُرْبّوهم، إلا أنه سرعان ما تبين أنه رجل معد للحرب وركوب الخيل، فأصبح أحد القواد الرئيسيين لبني مطير وآيت عياش. شارك في عدة غارات، إقليمية كانت أم مخزنية، جرح خلالها ثماني مرات، إحداهما بجبل زرهون، حيث لمست رصاصة شغاف قلبه، وتطلب علاجه قطع ضلعين، وقام بالعملية الطبيب الجراحي للملك سيدي محمد بن عبد الرحمن. وبعد القيام بحملات حربية في تافيلالت والسوس، ذهب لمحاربة بوحمارة وكاد يلقى حتفه قرب مدينة تازة. إن جميع هذه الصدمات المتكررة أصابت جسمه كثيرا، ولكن دون أن ترغمه على الراحة. وفي 23 ربيع الأول 1327 / 4 أبريل 1909، قتل وهو يحارب بني مجيلد الذين كانوا قد تحالفوا مع بعض الثوار من بني مطير، وكان ذلك بالحاجب. فحمل جثمانه فوراً إلى سيدي مسعود، بقبيلة آيت عياش، ودفن هناك قرب أحد أبنائه، وهو رحّو، الذي كان خليفته على القبيلة. ورحّو هذا كانت شهرته الحربية وشجاعته يرتجف العدو منهما. وقتله أيضا بنو مطير سنة 1314 / 1906، قبل أبيه بثلاث سنوات.

وخلف القائد عبد الوهاب ابنه علي، بظهير من السلطان مولاي حفيظ سنة 1287 / 1909، الذ ي عيّنه مكافأة لما أنجزه أبوه من خدمات للمخزن "ولو ترك الراحل إلا امرأة لسلّمت لها خاتم القبيلة". وكان علي أصغر إخوته، من بينهم بوگرين الذي كان خليفته على آيت عياش. وهما الابنان الوحيدان اللذان كانا على قيد الحياة بعد وفاة أبيهما.

ولد القائد علي بعين الشگاگ سنة 1318 / 1890، وتلقى المبادئ الأولية في الدين واللغة في المنزل العائلي. إلا أن مهامه الجديدة ـ كمسؤول عن قبيلته ـ جعلته يخوض باكراً ميدان السياسة والحرب. إذ لم يتعد عمره إذ ذاك 19 سنة. وهكذا، فلم يلبث أن حشد 200 فارس و500 راجل وقاتل الأعداء بني مطير، آخذا بالثأر لأبيه عبد الوهاب وأخيه رحو.

ولما تعرض المغرب لهجوم الجيش الفرنسي، عام 1912، دافع القائد علي وأخوه بوگرين عن نفسهما على رأس قبيلتهما. ولم يكتفيا بذلك، نظرا لانعدام الوسائل الكافية للصمود أمام أقوى جيش عصري في ذلك العهد فتحالفا مع أعدائهما السابقين، عاملين بالمثل القائل : "إذا أوشك الغريق على الهلاك، تعلق ولو بحية". فتصديا للعدو والمهاجم، مع حلفائهما بني مجيلد وبني مطير مرة أولى برأس الماء، ومرة ثانية بعيون السمار. فانهزما شر هزيمة وارتأيا أن يلتجئا في الجبل القريب، ثم بعين الجراح غربي إيموزار كندر.

توفي القائد علي العياشي بفاس في شهر يونيو 1940.

أبو سالم العياشي، *رحلة*، طبعت على الحجر بفاس عام 1316 /

1898 في جزنين : محمد العياشي، *الثغر الباسم (أو النور أو الزهر) من كلام أبي سالم*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 5304 ك ؛ عبد الله العياشي، *الاحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية أيت عياش*، ميكروفيم، الخزانة العامة بالرباط رقم 1433 د ؛ *كتاب أعيان المغرب الأقصى*.

Marthe et Edmond Gouvion, *Kitab Ayane al-Maghrib al-Aqsa*, Librairie orientaliste Paul Genthner, 12 rue Vavin, Paris (VI°), 1939, p. 781-785.

محمد الأخضر

**عياش، جرمان** الأستاذ الجليل والعالم النحرير والمربي المقتدر، من أقطاب المدرسة التاريخية المغربية المعاصرة. ولد بمدينة بركان على ملة اليهود سنة 1915. وكان والده يتردد على الجزائر المحتلة بقصد التجارة. فنال من ذلك الجنسية الفرنسية فانتقلت إلى ولده جرمان الذي التحق بالتعليم الفرنسي. وسرعان ما تبدى فيه نبوغه، فقطع مراحلة بسرعة أثارت الانتباه إليه باكرا، إذ حصل على شهادة التبريز في الآداب الكلاسيكية، وهي دراسة اللغة الفرنسية بالاعتماد على اللغتين اليونانية واللاتينية، ولما يتجاوز عمره عشرين عاما. ثم التحق بسلك التدريس في ثانوية ليوطي (وهي اليوم ثانوية محمد الخامس). وما أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، حتى لبى نداء الواجب العسكري دفاعا عن وطنه الثاني ودفاعا عن معسكر الحرية ضدا على معسكر العنصرية والاستبداد. وكان قد تشبع بفلسفة ماركس وبالمبادئ الشيوعية فكان عضوا في فرع الحزب الشيوعي الفرنسي في المغرب. ويوم تأسس الحزب الشيوعي المغربي بقيادة ليون سلطان وعلي يعتة، انضم جرمان عياش إليه فصار من وجوهه البارزة. ولذلك تعرض للمضايقات وللزجر من قبل سلطات الحماية التي لم تطق صبرا على نضالة من أجل القضايا الوطنية المغربية غداة الحرب الكبرى، ودفاعه عن حقوق الشعب المغربي في الحرية والكرامة وهو متدرع بالجنسية الفرنسية. فصدر الأمر بنقله إلى سلك التعليم بفرنسا في طليعة الخمسينات من القرن العشرين. ولم يعد من منفاه إلا غداة الاستقلال. واشتغل عندئذ بالبحث التاريخي فكان ممن انكب على ترتيب جانب من الوثائق المخزنية تحت إشراف الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة. ثم التحق بالطاقم الأول لأساتذة التاريخ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية فور إنشاء جامعة محمد الخامس سنة 1957. وفي سنة 1960، أسندت إليه إدارة تحرير مجلة هسبريس - تمودا، وظل يشرف على إصدارها إلى وفاته سنة 1990. وكان جرمان عياش ممن اعتمدت عليه كلية الآداب يوم تقرر إلغاء الشعب المفرنسة فيها وتعميم التعليم بها باللغة العربية. فكان شهادة حية على أن حسن التعبير بحسن الإراك، فهو الذي كانت عربيته لا تتجاوز في الأصل عربية الجاليات اليهودية المغربية، قد استطاع أن يبلغ الرسالة العلمية لجيل كامل من الشباب الباحث الذي هو اليوم يؤطر للدراسات التاريخية في مختلف جامعات المغرب. وقد خلف جرمان عياش فضلاً عن دروسه في الجامعة كتابات تعتبر نموذجية في البحث التاريخي انطلاقا من مقاله عن "مظاهر الأزمة المالية في المغرب بإثر الهجوم الإسباني سنة 1960"، الصادر في مجلة Revue historique، عدد أكتوبر - دجنبر سنة 1958، وتتويجا بكتابه عن "*أصول حرب الريف*" الصادر سنة 1979، وهو أطروحة دكتورة ناقشها في جامعة باريز. وكان يعد لكتاب عن ماجريات حرب الريف. لكن المرض أقعده، ثم استعجلته المنية قبل أن ينتهي منه. وأصدر ورثته فصول. الكتاب على ما وجدوها عليه، وذلك سنة 1996 تحت عنوان حرب *الريف* عن دار لارمطان L'Harmattan. وقد توفي جرمان عياش في شهر غشت سنة 1990 في الديار الفرنسية حيث وري جثمانه في مدينة نيس، مأسوفا عليه من قبل زملائه وطلابه وأصدقائه لما كان عليه من الخصال الحميدة ومن اللباقة و السكنية والوقار، ولما أسداه للبحث العلمي في وطنه الأصلي.

إبراهيم بوطالب

**العياشي، حمزة** بن عبد الله، أكبر أبناء ابن سالم، لمعت شخصيته في إطار الاهتمام البالغ بتطوير الزاوية والمحافظة على استمرار دورها الديني والتعليمي حتى اشتهرت باسمه.

ولد الشيخ حمزة سنة 1068 / 57 - 1658، ونشأ في رعاية والده فأفاد من علمه، وتجاربه، وإجازاته المتنوعة، كما حظي بإجازة عامة نظمية منه، واستجاز له عددا من شيوخه المغاربة والمشارقة. وانطلاقا من زاويتهم كمركز بدوي نشيط يتلقى الشيخ حمزة العلم على يد عدد من أفراد الأسرة الأكفاء وبخاصة عن الشيخ محمد بن محمد بن عبد الجبار الذي لازمه أعواما قرأ عليه خلالها غير ما كتاب كما حضر دروس الدين، والحساب، والعروض، والمنطق. وعلم القراءات وغير ذلك. وأجازه إجازة عامة موسعة ناظمية ركز فيها على سلسلة الإسناد في كل فن من الفنون المدروسة. ويظهر أن الميول العلمية دفعت الشيخ حمزة منذ وقت مبكر إلى الانكباب على تثقيف نفسه بالدرس، والمطالعة، والمشاركة في مجالس العلماء. وقد وجد في مكتبة الزاوية إرثا ثقافيا، وفي علاقاتها العامة مجالا واسعا لإثراء تلك الميول وإغنائها بالزيارات والمراسلات المتبادلة. وبذلك وقف على أصداء الحركة الفكرية في عاصمة المغرب العلمية - فاس - أو في باقي المراكز البدوية. كما أنه استغل رحلته الشرقية إلى الديار المقدسة سنة 1099 / 1688 في السماع والمذاكرة، وطلب عددا من الإجازات منها إجازة الشيخ محمد الخرشي باسمه واسم أبنائه، وأخيه أحمد، وعدد من أصدقائه من أبناء الزاوية الفاسية ومن غيرهم.

ويبدو أن هذه الرحلة كانت موفقة اتضحت نتائجها في اتساع المعرفة واتصال الأسانيد والمحافظة على صدى الحركة التربوية التي قادها أبو سالم.

وإذا حاولنا تتبع النشاط الذي أسهم فيه الشيخ حمزة اعتمادا على المصادر المقربة من الأسرة أو الأقرب تاريخيا نجده يشمل الاعتناء بتوسيع أملاك الزاوية ومواردها ومداخيلها وهذا الجانب المادي يعبر عنه الشيخ محمد بن الطيب القادري (في نشر المثاني) في الترجمة القصيرة التي عقدها للشيخ حمزة بقوله : "من أهل الوجاهة والثروة"، ويقدم مؤلف الاحياء والانتعاش في نفس السياق وصفا لمكانة الزاوية ومستوى ثرائها في أيامه بقوله : "...وطلعت سعودها، وغابت نحوسها، وفاضت بركاتها، وكثرت خيراتها، وبلغ صيته المشارق والمغرب... ورجعت الزاوية قاعدة من قواعد المغرب العظام". ويقترن هذا الصيت والغنى - حسب ما يستنبط من نفس المؤلف - بسلوك الشيخ حمزة ومكانته العلمية والخلقية فهو يصفه بالعلم والعمل، والتواضع والصبر، وعدم المبالاة بمظاهر الترف. وبذلك نخرج بملاحظة عامة مفادها أن هناك إجماعا حول اتساع ثروة الزاوية وهو شيء لم تعرفه من قبل. فالنصوص المذكورة تشير بشكل صريح أو ضمني إلى كثرة عدد الزوار الذين يحضرون لرؤية الشيخ والتبرك به أو الذين يرسلون رسلهم. وكلهم يقدمون أحسن ما لديهم من الهبات والمنح اعترافا بمحبتهم للشيخ وتعلقهم بتعاليم الزاوية الشاذلية المبنية على محبة الرسول (ص) غير أن صورة الالتزام بتقديم المنح، واهتمام الشيخ حمزة بثروة الزاوية لا يخرج عن إطار الأهداف التي كانت تسعى لتحقيقها خدمة للصالح العام. لذلك سوف نحاول التعرف على خلق الشيخ حمزة ومجهوداته في سبيل نشر العلم. برغم الثراء - المشار إليه - لم يبتعد الشيخ عن السلوك البسيط والعمل بالمبادئ التي يدعو إليها. ولن نجد لدى مترجميه اختلافا حول زهده وورعه. فالشيخ لا يرتدي الملابس الرفيعة، ولا الملابس التي تنكرها النفس، بل كان لباسه غالبا متوسطا وثيابه من منسوجات الدار مما يتناسب مع الحال. كما أنه يقضي يومه في العمل والوعظ، يكثر من الأذكار، وله ورد معلوم من تلاوة القرآن والصلاة على النبي (ص) وهو يقضي نصف الليل الأول تاليا ذاكرا. أما مجهوداته في سبيل تشجيع الحركة التعليمية واستمرارها فيتجلى في الإقبال الكبير على اقتناء الكتب، وبذلك كان له الفضل في جمع نصيب هام من محتويات المكتبة كما تدل الملكية المسجلة على قسم من المخطوطات سواء المنقولة من الشرق أو مما تملكه من المغرب من مدينة فاس أو من غيرها، وكان يشترى أحيانا مكتبة بكاملها كما تثبت الملكيتان على المخطوط رقم 290.

وهنالك قسم من الكتب ساهم في نسخه شخصيا أواستنسخه داخل الزاوية وأحيانا خارجها. وكانت النساخة من أقوى موارد المكتبة وهي حركة نشطت في أيامه بشكل ملحوظ ونشير إلى مورد آخر أقل أهمية ولكنه ساهم في مكونات المكتبة وهو إهداء الكتب، ومن أمثلة ما توصلت به المكتبة أيام سيدي حمزة المخطوط رقم 311 الذي قام بتحبيسه على زاوية ابن سالم الأمير عبد الملك بن السلطان إسماعيل العلوي بتاريخ جمادى الأخيرة سنة 1128 / ماي يونيه 1716 وهو شرح فريدة السيوطي لابن زكري. وكان دور الشيخ حمزة أساسياً في إنجاح هذه الحركة بالإسهام المادي أو في المقابلة ومقارنة النسخ، وتصحيح منتسخاتها، بالإضافة إلى ما تستلزمه مهمة المحافظة على ثروة المكتبة من الضياع وتعاهدها بالصيانة والعناية. وقد استمر في أداء هذا الدور التعليمي الصوفي إلى وفاته في 10 صفر 1130 / 13 يناير 1718.

ع. عبد الله بن عبد الكريم، *الإحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1433د، ورقة 173 - 194 ؛ محمد بن الطيب الحسني القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، نشر وتوزيع مكتبة الطالب، 1986، ج. 3، ص. 237 ؛ *التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر*، تح. هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1983، رقم الترجمة 475، ص. 313 ؛ محمد حسنين بن محمد مخلوف، *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة مصورة بالأوفسيط، ص. 336 ؛ محمد المنوني، *مكتبة الزاوية الحمزية صفحة من تاريخها*، مجلة تطوان، العدد 8 سنة 1963.

نفيسة الذهبي

**العياشي**، أبو **سالم**، الرحالة الكبير والعلامة الشهير أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى بن محمد بن يوسف. وكان يعرف بعفيف الدين المالكي المغربي. وينتمي نسبه إلى الأدارسة.

ولد لليلة بقيت من شعبان 1037، موافق 4 ماي 1628، في قبيلة آيت عياش البربرية، المتاخمة لبلاد الصحراء من أحواز سجلماسة والواقعة في جبل الأطلس الكبير، جنوبي مدينة ميدلت الحالية، على بعد 60 كلم منها. فنشأ هناك وقرأ على أبيه الذي أسس زاوية في سنة 1044 / 1634، قرب قرية تازروفت، على ضفة أحد روافد نهر زيز، بإشارة من شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي.

ثم رحل إلى وادي درعة، حيث لازم الشيخ محمد ابن ناصر وأخذ عنه الفقه والحديث والتفسير والتصوف. وبعد ذلك توجه إلى مدينة مراكش، ولقي بها الشيخ أبا بكر بن يوسف السجلماسي المراكشي الذي لقنه الذكر وأجازه إجازة عامة مشتملة على الإذن له في لبس الخرقة والجلوس على السجادة لموعظة المريد.

وفي سنة 1063 / 1652، أُجلي مع عشيرته إلى مدينة فاس لكونه رفض خطة القضاء بمراكش التي عرضها عليه السلطان محمد الشيخ السعدي. فأقام بها سنة كاملة قرأ فيها على أجل أساتذة ذلك العصر أمثال الشيخ عبد القادر بن يوسف الفاسي، أخذ عنه علوما جمة كالتفسير والحديث والفقه والنحو والبيان والأصلين والتصوف، وأجازه في منتصف شعبان 1063 / 11 يوليوز 1653. ونص هذه الإجازة

هو الذي ترجمه محمد بن شنب ؛ وحمدون الأباز : قرأ عليه المختصر وفرائضه بالعمل وجملة من القلصادي، وصحيح البخاري والفاتحة لابن مالك ؛ ومحمد بن أحمد ميارة : قرأ عليه جملة من الفقه المالكي فأجازه ؛ وعبد الرحمن بن القاضي ؛ والقاضي محمد بن سودة : قرأ عليه الفقه المالكي ؛ وعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي : قرأ عليه الروضة وقصيدة في الأسطرلاب وضعها من أجله ؛ وأحمد بن علي بن مواشي الزرهوني ؛ وميمون الرتبي ؛ وحمدون المزوار ؛ ومحمد بن أبي القاسم الدادسي.

حج أبو سالم العياشي ثلاث مرات، أقام خلالها في القاهرة ومكة والمدينة وبيت القدس والرملة : الأولى عام 1059 / 1649، والثانية عام 1064 / 1654، والثالثة عام 1072 / 1661. وإثر سفره الأخير ألف رحلته المشهورة "ماء الموائد"، المطبوعة على الحجر في مجلدين بفاس عام 1316 / 1898.

وخرج، في حجته هذه، من سجلماسة يوم السبت 10 ربيع الثاني 1072 / 3 دجنبر 1661، ودخل مكة المكرمة عشية يوم السبت 5 ذي الحجة من السنة المذكورة / 22 يوليوز، بعدما قطع المراحل الآتية : وادي چير، ضاية الحمام، توات، وارگلا، طرابلس، اليهودية، برقة، درنة، انبابة، القاهرة، درب الحجاز، الدار الحمراء، السويس، البندر، الينبع، بدر، رابغ والظهران.

ولقي بمصر أبا اللطف الوقائي، الذي ألبسه الخرقة وكنّاه أبا سالم بقوله : "سالم إن شاء الله في الدنيا والآخرة !" سمع عليه بلفظه جملة صالحة من مناسك الحطاب وخطبة القاموس وخطبة نفح الطيب.

وبعد تأديته مناسك الحج، توجه إلى المدينة المنورة لزيارة الأماكن المقدسة، وذلك يوم الخميس 2 محرم الحرام 1073 / 17 غشت 1662. وأثناء إقامته التي دامت ثمانية أشهر، تمكن من التعرف على عدد كبير من المشايخ، منهم : علي الأجهوري : قرأ عليه البخاري وابن ماجة وابن الجوزي ؛ إبراهيم الميموني : أخذ عنه الترمذي والبخاري ومسلم والشفاء ؛ شهاب الدين الخفاجي، إمام الحنفية بمصر ؛ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الربيع اليمني الزبيدي، الذي كان قد لقيه بمكة عام 1064 / 1654 : أخذ عنه القراءات السبع وأجازه ؛ الملا إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري الشهراني : أخذ عنه الحديث المسلسل بالأولية وشرح الهداية في الحكمة لولد الجرجاني والتحفة المرسلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في علم الحقائق للشيخ محمد بن فضل الله المهدي ؛ القشاشي : لقنه الذكر وحضه على لزوم طريقة السادات الشاذلية ؛ ياسين بن محمد بن غرس الدين الخليلي : قرأ عليه صحيح البخاري وإحياء علوم الدين وبعض كتاب المواهب وبعض كتاب الشفا وغير ذلك، وأجازه إجازة عامة ؛ إبراهيم بن الشيخ خير الدين ؛ بدر الدين الهنري : أخذ عنه مختصر السعد التفتزاني على تلخيص المفتاح وأول شرح المواقف للسيد وأول شرح القطب على الشمسية ؛ جمال الدين الهنري النقشبندي ؛ شهاب الدين أحمد بن التاج ؛ محمد القزاري ؛ يحيى بن الباشا الأحسائي الحنفي ؛ علي الضرير المالكي الأحسائي : قرأعليه الرسالة وتفسير البغوي والدر المنثور للسيوطي ؛ محمد السوداني : قرأ عليه المختصر ؛ محمد بن رسول الشهرزوري : أخذ عنه فقه الشافعية ؛ السيد مصطفى ولقي بها محمد بن محمد بن سليمان الروداني.

ولقي بالرملة السيد محمد بن أبي الوفاء الأشقر الحسني وعقد معه الأخوة عند قبر سيدنا الفضل بن العباس.

عاد إلى مكة المكرمة أول رمضان 1073 / 9 أبريل 1663، ولقي بها بعض الأفاضل والاخوان، منهم : زين العابدين الطبري الحسيني، الذي أجازه ؛ أبو محمد عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري ؛ عبد الرحمن الثعالبي الجزائري ؛ سعيد المقري : أخذ عنه جميع معجم الطبراني الصغير بلفظه وأربعين حديثا عن أربعين شيخا لتقي الدين الفاسي والربع من الشمائل والفوائد المنتخبات الحسان من الصحاح والغرائب، تخريج أبي نصر الشيرازي من أصول سماعات القاضي أبي الحسن الخلفي (20 جزءا).

وكان رجوعه إلى بلاده يوم الأربعاء ظهرا 17 شوال 1074 / 13 ماي 1664، سالكا تقريبا نفس الطريق التي مر بها في ذهابه. وكانت مدة غيابه ثمانية عشر شهرا وسبعة أيام.

وتوفي بالطاعون في 17 ذي القعدة 1090 / 20 دجنبر 1679 (في 18 منه / 21 دجنبر حسب القادري، وفي 10 منه / 13 دجنبر حسب مصادر أخرى). والأرجح هو الأول المذكور في "الثغر الباسم" (ص. 20).

خلف العياشي، بالإضافة إلى رحلته المذكورة : في النحو كراسة في لو الشرطية ؛ في الفقه : أ ـ شرح المحلي (لم يكمل) ؛ ب ـ أرجوزة في البيوع لابن جماعة "معونة المكتسب وبغية التاجر المحتسب" ؛ جـ ـ شرح هذه الأرجوزة "إرشاد المنتسب إلى فهم معرفة المكتسب" ؛ د ـ "أجوبة الخليل عما استشكل من كلام خليل" ؛ هـ ـ "القول المحكم في عقود الأصم الأبكم" ؛ و ـ "العلاوة فيما ركع في محل سجود التلاوة" ؛ ز ـ "المغربات في إصطلاح الوتريات" ؛ حـ ـ "تحرير الكلام في أمر النبي صلى الله عليه وسلم في المنام" ؛ في علم الكلام : "الكشف والبيان في مسألة الكسب والإيقان" ؛ في الحديث : أ ـ "المسلسلات العشرة المنتخبة" ؛ ب ـ "الحكم بالعدل والإنصاف الدافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سجلماسة من الاختلاف في تفكير من أقر بوحدانية الله وجهل بعض ما له من أوصاف" ؛ الفهارس : أ ـ "اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر" (أو "مسالك الهداية إلى معالم الرواية" أو "العجالة المرقية بأسانيد الفقهاء والمرشدين والصوفية") ؛ ب ـ "تحفة (أو "إتحاف") الأخلاء بأسانيد الأجلاء" ؛ جـ ـ "وسيلة العبد الغريق بإثمه في الطريق" ؛ في التصوف : أ ـ نظم أصول الطريقة لزروق ؛ ب ـ "إظهار المنة

على المبشرين بالجنة" ؛ جـ ـ "تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية" ؛ د ـ "سوق العروس وأنس النفوس" ؛ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم : مجموعة تشتمل على اثنتين وأربعين قصيدة ؛ قصيدة في صناعة الجدول ؛ رسالة إلى أبي العباس أحمد بن سعيد المجيلدي في الحج. وهذه الرسالة هي التي ترجمها إلى الفرنسية، مع مقدمة، كاتب هذه السطور.

م. ابن تاويت وم. الصادق عفيفي، الأدب المغربي، بيروت، 1960 ؛ ابن الحاج أحمد بن محمد بن حمدون، الدر المنتخب المستحسن في مآثر مولانا الحسن، مخطوط ؛ م. ابن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص. 29، 179، 216، 233 و362 ؛ م. الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075 ـ 1311 / 1664 ـ 1894)، الدار البيضاء، 1977.

J. M. Abdeljalil, *Brève histoire de la littérature arabe* ; A. Berbrugger, *Voyages dans le Sud de l'Algérie et des états barbaresques de l'Ouest et l'Est, par el-'Aïachi et Moulay Ahmed* dans Exploration scientifique de l'Algérie (Sciences historiques et géographiques), IX, Paris, 1856 ; J. Berque, *Al-Yousi, Problèmes de la culture marocaine au XVII° siècle*, Ecole pratique des Hautes Etues, VI° section, Paris.

محمد لخضر

**العياشي، عبد الله** بن عمر بن عبد الكريم، من أسرة بني عياش المشهور أفرادها بالعلم والتصوف والرحلة، القاطنين بالزاوية العياشية التي تقع على سفح جبل العياشي، على ضفة أحد روافد واد زيز، بقرية تدعى تزرفتو، جنوبي مدينة ميدلت بنحو ستين كلم (ع. العياشي، فهرس، ص. 28).

لا نعرف شيئا عن طفولته ولا عن مستواه المعرفي والاجتماعي. لكن بالرجوع إلى مؤلفه *الإحياء والانتعاش في تراجم سادات أيت عياش*، نستطيع أن نقول إنه كان من بين فقهاء البادية الذين استطاعوا أن يكسروا طوق العزلة التي يفرضها المحيط الذي نشؤوا فيه ؛ فحصلوا ثقافة لا بأس بها ؛ لا سيما وأن زاويتهم كانت يومئذ إحدى منارات العلم. فمن خلال المصدر المذكور يبدو أن المترجم كان حافظا لكتاب الله الكريم، وأنه كان ملما بما هو معلوم من الدين بالضرورة، لا سيما ما يتعلق بالعبادات والمعاملات. لكن لا يخالجنا شك في أنه كان من بين أدباء ذلك الوقت. فقد تخللت أسلوبه سجعات جميلة لا تكلف فيها ولا تمحل. وشحن تراجمه بالشواهد الأدبية التي تدل على أن ثقافته لم تكن متواضعة.

وإذا كانت معرفتنا به ترتبط أساسا بالكتاب الذي ترك ؛ فلأنه يتضمن معلومات تعز في نظرائه، وبخاصة في منطقة كانت تسودها الثقافة الشفهية ويندر فيها التدوين. ومن ثم، يعد وثيقة فريدة، ولاسيما حين ترجم محمدا بن عبد الجبار العياشي ـ أت الترجمة ـ وضمنها الرسالة التي بعث بها إلى أحد أقربائه، ليخبره بحال المغرب الذي نزلت به مجاعة عظمى عامي 1071 ـ 1072.

توفي عبد الله بن عمر العياشي عام 1169 ـ 1756.

ع. العياشي، فهرس، تح. ن. الذهبي ؛ ع. بن عمر العياشي، *الإحياء والانتعاش في تراجم سادات أيت عياش*، مخطوط مصور، الخزانة العامة بالرباط، 1433 د ؛ م. المنوني، المصادر العربية، 1 : 163.

أحمد عمالك

**العياشي، عبد الله** ابن المجاهد مَحمد السلاوي، فقيه عامل أديب ناظم ناثر. درس بسلا وفاس على عدد من علمائها، أمثال محمد العربي بن محمد البوعناني الذي أجازه سنة 1048 / 1638 ثلاث إجازات في الحديث والقراءات والمصافحة، وأبي القاسم بن أبي النعيم وعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي. كما أجازه من علماء المشرق عالم الحرمين الشريفين عيسى الثعالبي. وكانت له مجالس علمية في مدينة سلا يتردد عليها كبار علماء الوقت، مثل محمد بن أحمد ميّارة الفاسي الذي أطلعه على تأليفه المعنون بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين، وهو شرح لنظم الفقيه عبد الواحد بن عاشر الأكبر، فأشار عليه باختصاره، فألف ميارة الشرح الأصغر المعروف بمختصر الدر الثمين. وقد مدح عبد الله العياشي كتاب المرشد بقوله :

عليك إذا رُمْتَ الهدى وطريقه    وبالدين للمولى الكريم تدين
بحفظ لنظم كالجمان فُصُولــه    وما هو إلا مرشد ومعيــن

إلى جانب نشاط عبد الله العلمي والأدبي، كان يشارك والده في عملياته الجهادية، ويساعده في مهمته وينوب عنه في بعض العمليات. وقد حاول الثأر لوالده بعد مقتله، فجمع أنصاره واصطدم بجيش الدلائيين سنة 1053 / 1643، في معركة انتهت بتفوق الدلائيين وتشتت أنصار عبد الله العياشي.

ويظهر أن عبد الله استقر بمدينة فاس، حيث كان من بين أعيان المدينة وعلمائها الذي حضروا لاستقبال مولاي مَحمد بن الشريف عند دخوله هاته المدينة آخر جمادى الأولى 1060 (29 يونيه 1650) وقد خاطبه بقصيدة منها :

لَمّا حللتَ حلولَ بدر التمِّ في    أوطانــنا والوابل المتوكّف
ورآيتُ وجهَكَ ذا المهابة بعدما    كاد الإياس يصدني عن موقفي
وعلمتُ أن الدهرَ أسعد بالمُنى    ولطالما عهدي به لم يسعف

ومن نماذج شعره قصيدة في رثاء والده منها :

أحمّل نفسي ما استطعْتُ على الرضى    بأحكام مَنْ المسلمين بصير
وأصبرُ صبرَ المقتفين سبيل مَنْ    يرى أنه للصابرين نصير

توفي عبد الله العياشي عشاء ليلة عرفة عام 1073 (15 يوليوز 1663) ودفن جوار سيدي بوسلهام من بلاد الغرب.

لا نعرف من عقب المجاهد العياشي إلا ابنه عبد الله هذا. ويظهر أن بعض أحفاده انتقل إلى مصر واستقر بها مدة طويلة، وبلغ مرتبة اجتماعية تؤهله للتوسط بين الحجاج المغاربة وحكام مصر.

أبو أملاق، عبد القاهر بن محمد، *الخبر عن ظهور الفقيه العياشي بهذه البلاد وذكر سبب قيامه بوظيفة الجهاد* ؛ محمد حجي، *الحركة*

*الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، 2 : 447 ؛ *الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي*، طبعة ثانية، 1409 / 1988 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 4 : 1515.

عبد اللطيف الشاذلي

**العياشي، عيوش** مقاوم ولد سنة 1915 بمرنيسة إقليم فاس من والده عبد الله بن محمد وأمه فاطمة بنت محمد.

كان الفقيد من المقاومين وأعضاء جيش التحرير المخلصين والمدافعين عن عزة الوطن وكرامته لذلك اختار العمل المسلح ضمن صفوف جيش التحرير بمركز بورد تحت قيادة محمد علال وقد شارك في العديد من المعارك والهجومات التي شهدتها مناطق تازة إلى أن تم طرد المستعمر الغاشم وتحقق الاستقلال.

وقد استجاب لنداء ربه 30 / 11 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 529154.

**العياشي، مَحمد** بن **أحمد**، المجاهد السلاوي، من رجال السياسة في مغرب النصف الأول من القرن 11 (17 م). ظهر في وقت عرف فيه المغرب ظروفا سياسية خاصة تتمثل في تنازع أبناء أحمد المنصور السعدي على الملك بعد وفاة والدهم سنة 1603، واقتصار سلطتهم على بعض المدن كفاس ومراكش، وقيام زعامات محلية في مختلف جهات المغرب، واستغلال إسبانيا لهذه الوضعية لاحتلال العرائش سنة 1610، ثم المعمورة (المهدية حاليا) سنة 1614.

ولد مَحمد بن أحمد المالكي الزياني سنة 980 / 1573، في بيت خير وصلاح منذ القديم، وكانت لآل العياشي الرئاسة المتوارثة على بني مالك في الغرب.

تلقى العياشي مبادئ القراءة والكتابة في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى سلا حيث لازم الشيخ عبد الله بن حسون، ووقف نفسه على خدمته. وكان أسرع التلاميذ إلى خدمة الشيخ وأكثرهم طاعة له. وكان تلقيه منه على وجهين : وجه التتلمذ العلمي، ووجه المصاحبة في الطريقة، ورغم أن ابن حسون لم يجز أحدا، فإن كل الذين تحدثوا عن العياشي أطنبوا في تحليته بألقاب العلم والمعرفة.

حوالي سنة 1012 / 1604 أهدى بعض أشياخ القبائل إلى عبد الله ابن حسون فرسا، فأمر الشيخ بإسراجه وقال : أين محمد العياشي، فقال له : ها أنذا يا سيدي، فقال له : اركب فرسك ودنياك وآخرتك، فتقهقر متأدبا، فحلف له وحبس له الركاب بيده وقال : ارتحل عني إلى أزمور، وانزل على أولاد أبي عزيز وجاهد في سبيل الله. وهكذا نزل العياشي عند أولاد أبي عزيز وطال به المقام عندهم حوالي 10 سنوات، نظم العياشي خلالها عددا من العمليات الجهادية ضد البرتغال الذين كانوا يحتلون البريجة (الجديدة حاليا). وبذلك نمت شهرة العياشي وشعبيته، إلى أن ولاه السلطان زيدان بن أحمد المنصور على ثغر أزمور.

واصل العياشي عمله الجهادي. فازدادت شهرته وتناقل الناس حديثه، وأبلغ أعداؤه السلطان زيدان بأنه يخشى منه على الملك، فانتقل العياشي إلى سلا، ناجيا بنفسه أو بأمر من زيدان، حسب روايات متضاربة.

استقر محمد العياشي بسلا، منشغلا بنفسه مبتعدا عن الخوض في ما كانت تعرفه منطقة سلا والرباط من اضطرابات وفتن، بعد أن ثار أهل سلا على قائد السلطان زيدان، عبد العزيز الزعروري، وحبسوه، ثم طردوا القائد عجيب الذي بعثه إليهم نفس السلطان. وقد اتخذ أهل الرباط نظاما سياسيا خاصا قوامه ديوان مكون من عدد من الرؤساء، بينما ظلت سلا "فوضى لا ولي بها، فكثر بها وبأحوازها العيث والنهب ومد اللصوص أيديهم للمال والحريم، وكثرت الشكاية من التجار المسافرين من إخافة السبيل وقطع الطرقات". فاتصل عدد من أهل سلا وأشياخ منطقة الغرب بمحمد العياشي وطلبوا منه القيام بوظيفة الجهاد والسعي في مصالح العباد "فأمر أشياخ ا لقبائل وأعيانها من عرب وبربر ورؤساء بأن ينزلوا خطوطهم في ظهير بأنهم رضوه وقلدوه وقدموه على أنفسهم والتزموا طاعته... فكتبوا بذلك خطوطهم ووافق عليه قضاة الوقت وفقهاؤها من تامسنا إلى تازي". وبذلك غدا محمد العياشي أميرا للجهاد في السهول الأطلسية من طنجة إلى أزمور.

بدأ محمد العياشي نشاطه السياسي بمحاولة ضبط أمور بعض القبائل التي استغلت ظروف الفترة للتضييق على جيرانها. ومن تلك القبائل سگير والحياينة وشراگة. وزاد من حدة شوكتها قيادة بعض الأمراء السعديين لها واستغلالها لترسيخ نوع من النفوذ السياسي المحدود. واستعان محمد العياشي في هذه العمليات بمحمد بن أبي بكر الدلائي الذي أنجده بقوة يقودها ابنه محمد الحاج. وتمكن محمد العياشي من إقرار نوع من الاستقرار في المناطق التابعة له، مستعدا لإنجاز عمله الجهادي. حاصر المعمورة مرتين وأوقع بالإسبان المحتلين للعرائش في عدد من المعارك، وهاجم الحصون المحتلة في العرائش وطنجة والبريجة، وضيق على الإسبان والبرتغاليين تضييقاً كبيراً.

لقيت الانتصارات التي حققها المجاهدون بزعامة محمد العياشي صدى واسعا في مختلف أرجاء البلاد. وراسله عدد من العلماء والصلحاء من فاس وغيرها يهنئونه بما حقق من انتصارات ويدعون له بالنصر. وكاتبه شيوخ الوقت مثل الشيخ أحمد بناصر الدرعي، وحلاه في رسالته بأمير المؤمنين وسيد المسلمين، ومدحه الإمام الشهير عبد الواحد بن عاشر بقصيدة، كما كاتبه العلامة محمد بن العربي الفاسي، والشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، وعبد الرحمن العايدي ومحمد المكلاتي ومحمد بن أحمد ميارة ومحمد بن أحمد الشريف البوعناني، وغيرهم من علماء ومشايخ الفترة.

حدد المجاهد محمد العياشي لعملياته هدفا كبيرا هو تحرير المراكز التي يحتلها الأجانب. غير أنه ما كان ليصل إلى تحقيق هذا الهدف إلا عبر المشاركة في الحياة السياسية التي تعيشها البلاد، مما أدى به إلى الخوض في النزاعات والخلافات التي عاشها المغرب في هذا الإبان. فقد حاول في البداية استغلال العلاقة الطيبة التي كانت تربطه بالسلطان الوليد ابن زيدان، وكان المجاهد قد آواه في سلا وأحسن استقباله عندما وفد عليها بها منهزما أمام أخويه. فكتب إليه بعد أن اقتعد أريكة الملك في مراكش يوجهه وينصحه. لكن السلطان السعدي المنشغل بمشاكله الخاصة لم يعر نصائح المجاهد أي اهتمام. وفي نفس الوقت، بعد أن تبين للناس فضل المجاهد واستقامته وسعيه في مصالح العباد، سنة 1631، وصلته بيعة أهل فاس. ثم انضمت إليه مدينة مكناس وقبائل الشاوية، بينما ثار على عبد الله النقسيس في تطوان المقدمان أحمد بوعلي وسليمان بن يوسف، وأعلنا تبعية المدينة للعياشي. وقد ربط المقدم سليمان بن يوسف علاقات ببعض تجار لندن وبريستول، باسم العياشي، فأخذوا يترددون على مرسى تطوان ويزودون المجاهد بالسلاح. كما جرت بين محمد العياشي وأبي حسون السملالي في إليغ مراسلات كانت تدور كلها حول الحالة في البلاد وضرورة تنظيم عمليات الجهاد. وربطته بالزاوية الدلائية علاقات متينة؛ فقد كان محمد الحاج الدلائي يساعد المجاهد في محاربة القبائل المتنطعة ويسانده معنويا وماديا. ومن جهة أخرى ربطت بين العياشي والسلطان محمد الشيخ الأصغر، الذي خلف أخاه الوليد بعد وفاته سنة 1045 / 1636 علاقات ودية.

وعمل المجاهد محمد العياشي على ربط صلات بعدد من الدول الأوربية، بغاية الحصول على السلاح اللازم لإنجاز مهمته الجهادية. وساعده على ذلك اهتمام بعض الدول الأوربية بربط الصلة بالمغرب الذي كان يعد في هذه المرحلة من المناطق التي استقر بها نشاط القرصنة والجهاد البحري؛ فكانت الدول المشار إليها تسعى لربط الصلة بكل القوى السياسية في المغرب، للحصول على اتفاقيات مهادنة وصلح تؤمن بها حركة سفنها، وتمكنها من تحرير رعاياها الواقعين في الأسر في المغرب.

وفي هذا الإطار أوفدت بريطانيا عددا من المبعوثين لهاته الغاية. كان من أشهرهم المدعو جن هارسون John Harrison الذي زار في مهمته العاشرة تطوان سنة 1625 وانتقل منها إلى سلا رفقة المجاهد العياشي الذي استغل المناسبة فعرض على الإنجليز مشروع تحالف ضد الإسبان، وحمل المبعوث رسالة في هذا المعنى إلى ملك إنجلترا. وبعد مفاوضات واتصالات، توصل الطرفان إلى إبرام اتفاقية بتاريخ 13 ماي 1637، نصت على تجديد عهود المهادنة والسلم الواردة فيما سبق بين البلدين من اتفاقيات، والعمل على تأمين التجارة وعدم مهاجمة السفن التابعة للمتعاقدين. كما نصت على ألا تتعامل بريطانيا مع أعداء العياشي من أهل الرباط وأن تساعده بمحاصرة هاته المدينة وأن تزود بريطانيا العياشي بالسلاح وأن تسهل له الحصول على ما يريده من مواد تجارية.

ومن جهة ثانية، حاول العياشي استغلال الحرب المعلنة بين إسبانيا وهولندة، وهكذا رحب بقنصل هولندة المدعو بسترفلت Juriaem Van Bystervelt الذي أقام بمدينة سلا مدة. استغل العياشي عداوة هولندة لإسبانيا للتزود بالذخيرة وحصل منها سنة 1639 على عشرين ألف رطل من البارود.

لم تقف إسبانيا مكتوفة الأيدي أمام ما يقوم به العياشي، فتدخلت في الصراعات القائمة عند مصب أبي رقراق، وأجرت اتصالات مع بعض سكان القصبة الهورناشيين. ويظهر أن بعض هؤلاء أبدى استعدادا للعودة إلى مدينتهم الأصلية هورناتشو بالأندلس، مقابل عدد من الوعود لإسبانيا من بينها اغتيال العياشي.

ويطغى على هذه المرحلة من تاريخ المغرب كثير من التشابك في المعطيات والتعقيد في الحياة السياسية؛ فإلى جانب تعدد مراكز القوى السياسية، واستقرار عدد من المهاجرين الأندلسيين عند مصب واد بورقراق، مع ما جر ذلك من صراعات داخلية وهجومات أجنبية، كان التأثير الأوربي يلعب دورا في تأليب تلك القوى على بعضها. لذلك عمل المجاهد العياشي على المحافظة على نوع من التوازن بين تلك القوى السياسية عن طريق الاعتراف الدائم بسلطة السعديين - على وهنهم وضعفهم - وعدم خلع طاعتهم، ثم المحافظة على علاقات ودية مع باقي القوى السياسية، واعتبار تقديم الناس له وسيلة للقيام بما اعتبره مهمته الأساسية، وهي تنظيم عمليات الجهاد لتحرير الثغور المحتلة. لكن المحافظة على هذه السياسة في الجو العام الذي أشرنا إليه ما كانت لتدوم، وبدأت حركة المجاهد العياشي تعرف، ابتداء من سنة 1638 اصطدامات بين القوى السياسية المتعايشة في هذه المرحلة.

وبدأت الحرب بين العياشي ومحمد الحاج الدلائي سنة 1641 حيث جرت بين القوتين ثلاث معارك انهزم بعدها العياشي ولاذ بقبيلة الخلط بالغرب.

اغتيل المجاهد محمد العياشي في 9 محرم يوم الخمار 21 أبريل 1641.

عبد اللطيف الشاذلي

**العياشي، محمد** بن **أبي بكر**، أحد المرابطين المشهورين بالصلاح من قبيلة آيت عياش البربرية (الأطلس الكبير الشرقي جنوبي مدينة ميدلت)، ومؤسس زاويتها سنة 1044 / 34 - 1635.

ولد محمد بن أبي بكر (بن يوسف بن موسى بن محمد ابن يوسف بن عبدالله) - حسب مؤرخي الأسرة - سنة 981 / 73 - 1574، وتوفي في 20 شعبان 1067 / 3 يونيه

1657. أتيحت له فرصة الرحلة والتعلم نظرا لاهتمامات أسرته بهذا الجانب ـ رغم إمكانياتها المحدودة واستيطانها في منطقة جبلية نائية ـ وبذلك أخذ عن كثير من شيوخ العلم والتصوف، وبخاصة الشيخ أحمد أذفال الدرعي السوساني، وجماعة من الصلحاء أمثال ؛ عبد الله بن أبي بكر الفيلالي من أصحاب أبي الطيب الميسوري، ومحمد بن محمد الملواني ومحمد بن يوسف الملواني، أما شيوخ الزاوية الدلائية فقد لازمهم مدة طويلة، وتتلمذ للإمامين أبي بكر وابنه محمد، وهذا الأخير هو الذي أشار عليه بتأسيس زاوية له بغاية إرشاد قومه، وتعليمهم القراءة ومبادئ الدين، وكانت الزاوية العياشية على صورة زاوية الدلاء يطعم فيها الطعام، وتلقن أوراد الشاذلية وتشرح كتب القوم وخاصة وظيفة الشيخ أحمد زروق، وأحزاب أبي الحسن الشاذلي.

وقد أحسن الشيخ محمد بن أبي بكر استغلال قدراته العلمية والتربوية مما أعطى لزاوية سيدي حمزة ـ كما تسمى اليوم ـ نوعا من النفوذ الروحي والمعنوي تجلى في كثرة المريدين، وإقبال الطلبة وكذلك في العلاقات الطيبة والواسعة مع سائر قبائل المنطقة التي التزمت في كثير من الأحيان بتقديم الهبات والعطايا للزاوية بشكل منتظم. ويظهر أن هذه العلاقات ازدادت متانة بعد تأسيس الزاوية كما تشير رواية مؤلف الإحياء والانتعاش لكون الشيخ محمد بن أبي بكر ارتبط مع عدد من قرى المنطقة وأهلها منذ وقت سابق لتأسيس الزاوية بعد تنقل بين سبعة مواضع، وجمعته بسكانها علاقات النسب، والمصاهرة، وشراء العقارات، إلى جانب إمامة الصلوات وخدمة العلم، وكان الموضع السابع هو موطن آبائه في ترزفت، وهو مقر الزاوية. أما عن اهتمامات محمد بن أبي بكر ونشاط زاويته فيظهر من إشارات مترجميه أن الزاوية العياشية كانت بسيطة في أيامه، ولكنها لعبت دورا لا بأس به في تلقين المريدين وتعليم الطلبة، وإيواء المحتاجين، كما أنها طبعت بطابع السلوك الصوفي السني وكان محمد بن أبي بكر متمسكا بالصلاح عاملا بالكتاب والسنة، ورعا، زاهدا، وصفه شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي بأنه من عدول الوقت، وعده ابنه أبو سالم في طليعة أئمته في التصوف، واعترف بفضله في تكوينه وتوجيهه. وفي إطار النشاط الصوفي التعليمي قرب الشيخ مريديه وطلبته حتى أصبح بعضهم من أقرب المقربين إلى الأسرة، ومن بينهم الشيخ عثمان بن علي اليوسي الذي شهد لشيخه بالاستقامة بقوله : "وقد شاهدت من استقامته، وظهر من كرامته ما لا يتزلزل معه يقيني.

وفي هذه المرحلة الأولية والبسيطة من حياة الزاوية نهج الشيخ نهجا صحيحا لترسيخ الدور التربوي عندما أنجز مخططا متكاملا لوظائف الزاوية. فقد اهتم بتوسيع مسجدها سنة 1066 / 55 ـ 1656 لاستقبال أكبر عدد من المصلين وفسح مجال الاستفادة والمذاكرة في أمور الدين، كما أنه وضع مع أخيه عبد الجبار القواعد الأولى لخزانة الزاوية إذ أوقفا جميع كتبهما على بينهما الذكور، وسجلا هذا الوقف في وثيقة لاتزال موجودة ضمن أحد مخطوطات المكتبة.

العياشي أبو سالم عبدالله، *اقتفاء الاثر بعد ذهاب أهل الأثر*، دراسة وتحقيق نفيسة الذهبي، رسالة جامعية مرقونة، كلية الآداب الرباط (شعبة التاريخ) ؛ العياشي عبد اله بن عمر بن عبد الكريم، *الاحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية أيت عياش* ؛ الإفراني محمد بن محمد المراكشي، *صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر*، المطبعة الحجري بفاس، دون تاريخ، ص. 134 ؛ القادري محمد بن الطيب الحسن، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1982، ج. 2، ص. 183 ؛ *التقاط الدرر ومستفاد الواعظ والعبر من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر*، تح. الاستاذ هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1983، رقم 232، ص. 139 ؛ *الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج*، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط، رقم 1897، ص. 190 ؛ الحضيكي محمد بن أحمد السوسي، *طبقات*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 1124 د، ورقة 106 ؛ محمد المنوني، مكتبة *الزاوية الحمزية صفحة من تاريخها*، مجلة تطوان، العدد 8 سنة 1963، (إشارات في مواضع متفرقة من المقدمة) ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة فضالة، 1978.

نفيسة الذهبي

**العياشي، محمد بن عبد الجبار**. لا نعرف له ترجمة إلا في كتاب الإحياء والانتعاش. تجمعه قرابة العمومة مع العياشي سابق الترجمة. ومن خلال إشارة وردت في ذلك المصدر نفيد أنه ولد عام 1056، حيث جزم بأنه توفي عام 1090 وهو ابن أربع وثلاثين سنة.

وقد ذكر أنه "كان.. هضبة توقير لا ترجف ولا تزلزل، وذروة علم دونها السماك الأعزل..". أي أنه اكتسب حظوة في المجتمع الصغير الذي كان يعيش بين ظهرانيه. ولعل تبوأه لتلك المكانة كان نتيجة لما توافر له من فضل وعلم. فقد اشتغل بالتعليم، وتصدر للإفتاء ؛ حتى كانت النوازل ترد عليه من الآفاق البعيدة. من شيوخه الرحالة أبو سالم عبد الله العياشي، الذي يبدو أنه ابن عمه. ويشير المصدر نفسه إلى أن صاحب الترجمة توفي بالوباء، صبيحة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شوال عام 1090 / 1679، بعدما "قرأ وألف". لكننا لا نعرف له إلا الرسالة التي بعث بها إلى شيخه المذكور حين كان الأخير بالمشرق ؛ وهي بعنوان "*نزهة المشتاق لبعض ما وقع في المغرب عام اثنين سبعين من الجوع والشقاق*". وهي تويلف يقع في ثمان وعشرين صحيفة من القطع الكبير، أثبتها صاحب *الإحياء والانتعاش* في كتابه من صحيفة 248 إلى صحيفة 275. وتعد وثيقة فريدة فيما يختص بوصف مجاعة 1071 ـ 1072 ؛ من حيث انتشارها في المكان والزمان، وهولها بما ترتب عنها من آثار ديموغرافية واقتصادية وسياسية ونفسية ؛ حتى إننا لم نقف لها على مثيل في الأزمات السابقة واللاحقة.

ع. العياشي، اقتفاء الأثر ؛ ع. ع. العياشي، *الإحياء والانتعاش*.

أحمد عمالك

ابن **عياض** هو أبو عبد الله محمد ولد القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي.

لم تذكر المصادر تاريخ ولادته، ونقدّر أنها كانت حوالي سنة 520 وكان والده في هذا التاريخ قاضي سبتة وزعيم الجماعة بها في عهد المرابطين، وذلك من عام 515 إلى عام 531 وفي هذا العام عين قاضياً بغرناطة وقد ترك أهله في سبتة التي رجع إليها بعد إعفائه من القضاء بغرناطة عام 532 ثم أعيد إلى خطة القضاء بسبتة عام 539 وخلال هذه السنوات كان أبو عبد الله محمد ولد القاضي عياض الوحيد مقبلاً على الدّراسة والرواية في سبتة عن والده الذي اعتنى بتثقيفه بنفسه وتخريجه على يده، ولعلّه ألّف من أجله كتاب *الإعلام بحدود قواعد الإسلام*. عندما كان في بداية التعلّم، وتأثر ولد القاضي عياض بأبيه واضح في الكتاب الذي ألّفه في التعريف به وكذلك في كتاب مذاهب الحكام الذي جمع فيه نوازل وفتاوي والده.

وقد روى ولد القاضي عياض أيضاً عن شيخين من شيوخ العلم في سبتة هما أبو علي الحسن بن سهل الخشني، وقد أشار إليه وأبو عبد الله مراراً في مذاهب الحكام، ومن هذه الاشارات قوله : "وأخبرني الفقيه الحافظ أبو علي بن سهل شيخنا حفظه الله"

توفي هذا الشيخ الفقيه المحدث الذي كان من أنبغ أصحاب الحافظ الصدفي في حدود 560 والشيخ الثاني الذي روي عنه ولد القاضي عياض كذلك هو أبو بكر يحيى بن محمد ابن رزق من جلّة المحدثين وهو من أهل المرية خرج منها عندما سقطت في يد المسيحيين سنة 542 وأقام بسبتة يسمع منه أهلها كتب الحديث ومنهم ولد القاضي عياض الذي قرأ عليه كتاب السنن للحافظ النسائي، وقد توفي هذا الشيخ بقرية بنيونش من قرى سبتة سنة 560.

وقد روى أبو عبد الله أيضاً عن الشيخين الشهيرين أبي بكر ابن العربي وأبي القاسم ابن بشكوال في إشبيلية كما روى عن غيرهم، وهو في كتاب التعريف يروي بالإجازة والإذن عن أحمد بن بقي ويونس بن مغيث والحافظ السّلفي، وهؤلاء من شيوخ القاضي عياض ولعله هو الذي استجازهم لولده.

وبفضل هذا التكوين الجيد الذي تم في ظروف عائلية قلقة وأوقات صعبة بسبب الحروب بين المرابطين والموحدين أصبح أبو عبد الله "فقيها محدّثاً مشهور العفاف والطهاره عالي الهمة متواضعاً ذا حظ من الأدب ومعرفة الأخبار" ولهذا عين في عهد يوسف بن عبد المومن قاضياً في مدينة دانية قبل سنة 570 ولسنا ندري هل كان هذا التّعيين ضربا من "رد الاعتبار" بعد محنة القاضي عياض ووفاته مغربا عن بلده أم أنه كان نفياً وإبعاداً عن مدينة سبتة على أنه ولي بعد ذلك قضاء غرناطة وبها توفي حميد الذكر نزيه السيرة سنة 575.

وقد خلف ولداً يحمل اسم جده كان له ولولده مكانة كبيرة في غرناطة النصريين كما خلف عدداً من المؤلفات عنى فيها بالتعريف بوالده وجمع تراثه وهي :

1 ـ التعريف بالقاضي عياض 2 ـ مذاهب الحكام في نوازل الأحكام 3 ـ ديوان رسائل القاضي عياض 4 ـ رسائل الكتاب إلى القاضي عياض 5 ـ شعر القاضي عياض 6 ـ ما قيل من شعر في القاضي عياض وقد وصل إلينا من هذه المؤلفات كتاب التعريف بالقاضي عياض الذي حققته ونشرته وزاره الأوقاف في أكثر من طبعة وكتاب مذاهب الحكام الذي حققته أيضاً وطبعته دار الغرب الإسلامي مرتين، وقد ترجم إلى اللغة الإسبانية.

*مقدمة التعريف بالقاضي عياض ؛ مقدمة مذاهب الحكام.*

**عياض** (القاضي -) هو أبو الفضل عياض بن موسى ابن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي. هكذا ساق نسبه ولده أبو عبد الله محمد في كتابه : *التعريف بالقاضي عياض*.

وقد تكرّر اسم عياض ـ بكسر العين ـ في أجداد القاضي وفي عقبه، ويبدو أن الجد الأعلى المسمى بهذا الاسم الذي قدم من المشرق إلى المغرب واستقر بالقيروان وعاش فيها هو وبعض ولده، ثم انتقل بعضهم إلى جهة بسطة بالأندلس، ومنها انتقلوا إلى مدينة فاس حيث اشتهر منهم عمرون والد جد القاضي عياض، ولما دخل المنصور بن أبي عامر ـ أو ولده المظفر ـ أخذ معه إلى قرطبة بعض أولاد أعيان فاس كرهائن وكان فيهم أخوان لعمرون المذكور، فترك مدينة فاس وسكن مدينة سبتة ليكون قريباً منهما، وقد اشترى بها أرضاً بنى فيها مسجداً وديارا ومقبرة وعرف هذا الحي بالمنارة وكانت وفاة عمرون هذا سنة 397 مخلفا ولده عياض الذي سينجب موسى والد القاضي.

ولد عياض في النصف من شعبان عام 476 في حضن أسرة تعتز بما كان لها من ذكر في القيروان وبسطة وفاس وما أنشأته في سبتة، وقد عني والده بتربيته "فنشأ على عفة وصيانة، مرضي الخلال، محمود الأقوال والأفعال موصوفا بالنبل والفهم والحذق، طالبا للعلم حريصا عليه مجتهدا فيه، معظما عند الأشياخ من أهل العلم، كثير المجالسة لهم والاختلاف إلى مجالسهم، إلى أن برع أهل زمانه وساد جملة أقرانه".

وكانت مدينة سبتة وقتئذ قد أصبحت مركزاً علميا وظهر فيها عدد من شيوخ العلم الذين درس عليهم ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى. والقاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن منصور اللخمي والقاضي أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البصري والخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافري والفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر اللواتي المعروف بابن الفاسي وغيرهم.

وقد أراد أن يتوج مسيرته العلمية فعزم على الرحلة إلى الأندلس للأخذ عن كبار مشايخها ؛ ولمكانة أسرته في خدمة

المرابطين كتب أمير المسلمين علي بن يوسف إلى ابن حمدين قاضي الجماعة بقرطبة يدعوه إلى الاعتناء به، وكان خروج عياض من سبتة متوجها إلى قرطبة في يوم الثلاثاء منتصف جمادى الأولى سنة 507 ووصل إليها يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخرة بعده، وقد أخذ بها عن قاضي الجماعة المذكور أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين وأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب وأبي عبد الله محمد بن أحمد التجيبي المعروف بابن الحاج وأبي عبد الله محمد بن أحمد بن رشد وغيرهم، ثم انتقل منها إلى مدينة مرسية للقاء المحدث الكبير الحافظ أبي علي الحسين بن محمد الصدفي فسمع منه وقابل كتبه بأصوله ؛ ولم يكتف عياض بالأخذ والسماع من شيوخ العلم في سبتة والأندلس وإنما طلب الإجازة من غيرهم في إفريقية ومصر والحجاز كالمازري والطرطوشي والسلفي وبلغ عدد من أخذ عنهم بالسماع أو الإجازة مائة عرف بهم في فرسته المعروفة بالغنية.

ولما رجع عياض من رحلة الدراسة في الأندلس إلى بلده سبتة أجلسه أهلها للمناظرة عليه في المدونة وهو ابن اثنين وثلاثين عاما، وتعدّ المناظرة في المدونة أسمى درجات العلم ؛ وبعد ذلك ولي خطة القضاء في سبتة عام 515 ونُقل إلى غرناطة قاضيا بها سنة 531 ثم أعيد إلى قضاء سبتة عام 539 ولما قامت دولة الموحدين امتنع أهل سبتة من الدخول في طاعتهم ومعهم قاضيهم يدبر أمر البلد ويسوس أهله إلى أن اشتد الحصار على سبتة واستولى عليها الموحِّدون عام 543 فحمل القاضي عياض إلى مراكش "فوصلها والحال متغيرة عليه" كما يقول ولده لكنه عرف كيف يستعطف عبد المومن فعفا عنه، ويقال إنه ولاه القضاء في مدينة داي بتادلا لكن ولد القاضي عياض لم يذكر شيئاً من هذا وإنما ذكر أن عبد المومن أمره بلزوم مجلسه، ولما خرج إلى غزو دُكّالة خرج صحبته لكنه مرض في الطريق فأذن له في الرجوع إلى مراكش حيث مات في 9 جمادى الآخرة من عام 544.

كان القاضي عياض إماما في الحديث وعلومه والتفسير وأدواته والفقه ورجاله وفروعه وأحكامه ونوازله مع معرفة بعلمي الأصول والكلام وتوسع في علوم اللغة وآدابها يجيد قول الشعر ويحبّر الرسائل الفنية ويبهر في الخطابة ويتفوق في التأليف وقد ترك أزيد من 30 مؤلفا وصل إلينا عدد منها وأشهرها كتاب *الشفا*، بتعريف حقوق المصطفى وكتاب *مشارق الأنوار* وكتاب *ترتيب المدارك* وكتاب *الالماع* وكتاب *الغنية* وكتاب *الإلماع* وكتاب *بغية الرائد* وكتاب *الإعلام بحدود قواعد الإسلام* وهي كلها مطبوعة ومتداولة.

لقد أدرك القاضي عياض شهرة واسعة في المغرب والمشرق ومن العبارات الشائعة : "لولا عياض لما ذكر المغرب".

*التعريف بالقاضي عياض* لولده أبي عبد الله محمد، *مذاهب الحكام في نوازل الاحكام* ؛ ت. تح محمد بن شريفة ؛ المقري، *أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض*، تر. القاضي عياض بقلم محمد بن شريفة ؛ في مذكرات من التراث المغربي، 2 : 271 . 274.

محمد بنشريفة

**العيّاط**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد ظل هناك بعض أفرادها أرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ayat وAyet ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان، وليس هناك ما يثبت بأنها تنتمي إلى أسرة القاضي عياض كما يزعم البعض.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1209.

محمد ابن عزوز حكيم

**عيّاط** (بنو-)، وتدعى أيضا أبا عياض ؛ قبيلة بربرية تتكون من بقايا عناصر هسكورة وصنهاجة، لأن مواطنها تمتد على إحدى جبهات الاحتكاك والاتصال بين هذين القبيلين الكبيرين. كما تضم بعض التجمعات العربية، بسبب موقعها بين السهل والجبل. ومن ثم، فكما يتحدث البربر لسانا يندرج في سياق مزيج بين تاشلحيت وتامزيغت، على اعتبار أن بني عياط ينتمون إلى منطقة الاتصال بين مصمودة وصنهاجة ؛ يتحدث العرب لسانا عاميا لا يختلف عن لسان أهل السهل المجاور.

تقع مواطن هذه القبيلة في غربي دير بني ملال، الممتد على سفوح الأطلس المتوسط ؛ وعلى بعد حوالي خمسة وعشرين كلم من المدينة المذكورة. تحد هذه القبيلة من الغرب قبيلة أولاد عياد، ومن الجنوب قبيلة آيت عتاب، ومن الشمال قبيلة أولاد موسى، ومن الشرق قبيلة أيت بوزيد.

وقبيلة بني عياط ليست قبيلة كبيرة، ومع ذلك فهي تتكون من قبيلتين هما : أهل الشعبة وإسفاون.

- ينقسم أهل الشعبة إلى ثلاث فخذات وهي : آيت وايو، وفيها يوجد أهل تزگي، وآيت يحيى، وآيت فارس التي ينضوي تحتها عظما آيت صالح وأيت وعتيق.

- وينقسم إسفاون إلى خمس فخذات وهي : أهل الدير، وأيت العوينة، وآيت إملول، وآيت مگونة، وآيت سيدي علي بن إبراهيم. ويوجد أيضا دوار إملول ؛ وعظم آيت حمزة وعظم تگموت إريان، ضمن إسفاون.

وإلى جانب القبيلتين المذكورتين، بمختلف فروعهما ينضوي تحت لوائهما أربع زوايا تنتمي ترابيا، إلى زاوية سيدي علي بن إبراهيم. وهي عبارة عن أربعة مداشر تصنف كالآتي : أگرض والكنيز والكديات والزرايب ؛ في حين انسلخت عنها تاخسيت التي أصبحت ضمن تراب قبيلة أولاد عياد المجاورة.

من خلال القرائن العديدة التي تزخر بها المصادر تبدو هاته المنطقة من المناطق القديمة التعمير. وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى ما توافر لها من أسباب أهمها :

- موقع ترابها في دير جبال غنية بالمياه.

- وقربها من طريق طالما عدت صلة وصل بين شمال البلاد وجنوبها.

ـ وكونها أحد مجالات عبور لكثير من الهجرات التي عرفها المغرب، منذ العصور السحيقة.

لهذه الأسباب مجتمعة، استقطبت قبيلة أيت عتاب اهتمام كثير من المتصوفة. فقد قصدها الشيخ سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي، واستقر بأگرض حيث بنى زاوية صارت مقصودة من مختلف الآفاق ؛ ونشأت حولها قرية استبحر عمرانها. كما أضحت في القرن الثاني عشر (18 م) منطقة ناصرية، بسبب إقبال كثير من سكانها على الانخراط في طريقة الشيخ أحمد الخليفة. ومن أمثلة مقدميه الذين ترجمهم الخليفتي، نذكر أحمد بن البكري، وهو أحد حفدة علي بن إبراهيم البوزيدي ؛ وأحمد بن عبد العزيز التاخسيتي. وقد أسس هذان التلميذان وغيرهما، في هذه الجهة مدارس لتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين، إلى جانب التصوف الذي كان بمثابة علم السلوك الذي لم ينفك الناس في ذلك الزمان عن الانخراط في سلكه.

ابن عسكر، دوحة ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ م. السوسي، *المعسول* ؛ *التحري الميداني*.

*Répertoire alphabétique des tribus.*

أحمد عمالك

# غ

**الغابة** (في المغرب القديم) لعبت الغابة دوراً متميزاً في الاقتصاد الزراعي للمغرب القديم سواء خلال الفترة البونية أو الرومانية، ويبدو أن غابات الريف والأطلس المتوسط اثارت انتباه البحارة البونيين ثم الفينيقيين الذين وصلوا إلى سواحل الأطلنتي منذ القرن 7 ق م. أن هؤلاء القادمين من الساحل اللبناني يعرفون جيدا قيمة هذه الأشجار، وخاصة أشجار الأرز والعرعر (Tuya) مع العلم أن الأطلس المغربي يحتوي على أشجار جيدة من الأرز في شمال إفريقيا والتي امتدت ربما على مساحات شاسعة في الفترة القديمة.

ولقد تحدثت النصوص القديمة سواء الإغريقية أو الرومانية عن أهمية ليبيا الغربية على مستوى الأشجار وخاصة الأنواع النادرة منها ،سطرابون في حديثه عن أعمدة هرقل يصور جبل أبيلا "كمجال آهل بالحيوانات ومغطى بأشجار ضخمة" ويشير في فقرة أخرى إلى أن بوصيدونيوس في اتجاهه نحو إيطاليا لاحظ وجود غابة من الفلين على ساحل ليبيا".

ويصف هيرودوت وبعده رحلة حانون راس اسبارطيل بأنه "مجال غابة كثيفة" ومعلوم أن الكتلة الجبلية الممتدة على مساحة 8 كلم من طنجة إلى رأس سبارطيل أي "الجبل الكبير" تعرف انتشار رقعة غابوية كبيرة توجد بها أصناف لا نجدها على الساحل الأطلنتي.

ولاحظ بومبنيوس ميلا عند وصفه للساحل الأطلنتي "أن بعض ساكنته تعيش داخل الغابات وهي أقل ترحالا من غيرها". ولابد من الإشارة كذلك إلى أن إحدى محطات موريطانية الطنجية الواردة في مسلك انطونان تحمل إسماً ذا دلالة هو "Tremulis"، وحسب شاتلان فان لهذا الاسم علاقة ببعض الأشجار النادرة في هذه المنطقة والتي تحتاج لكميات من الرطوبة. أما فيما يتعلق بالكتلة الأطلسية، فيفيدنا بلنيوس بمعلومات دقيقة بشأنها إذ يقول" من وسط الرمال، يعلو نحو السماء جبل أطلس .. المغطى بغابة ذات ظلال وارفة ..." ويخبرنا في فقرة أخرى بوجود غابة تمتد من الأطلس إلى الغروب حيث تعيش حيوانات ضارية.."

ومن بين الأشجار التي تنتجها هذه الغابات، أشجار الكتروس (Citrus) التي يتفق الباحثون بأنها هي أشجار العرعر التي مازالت منتشرة إلى يومنا هذا.

وخلال فترة حكم كلاوديوس، يخبرنا بلنيوس بأن القائد الروماني سويطونيوس أثناء مروره بالمغرب ترك وصفا لبعض الغابات التي كانت تمتد عند قدم الأطلس، "إنها غابات كثيفة وعميقة وذات أشجار من أصناف نادرة، وتذكرنا أوراقها، بأوراق السرو وهي ذات رائحة زكية ومغطاة بزغب خفيف يتحول إلى مادة تستعمل في صنع بعض الأثواب":

ونجد كذلك إشارة لهذه الغابات التي تغطي الأطلس المغربي عند كل من فرجليوس وسيلوس إيطاليكوس وبوزنياس إليانوس ( Elien ) فلم يغفل هؤلاء المؤرخون الحديث عن صنوبر نوميديا الذي استعمل في بناء هيكل أبولون بمدينة اوتيكا والذي يعود للقرن XII ق. م.

فهل هذه الإشارات النصية تتماشى مع المخلفات الأثرية ؟ وما هي الشهادات المادية التي خلفتها الآثار المتعلقة بالاستغلال الغابوي ؟

ان الطبقات الرمادية في مغارة تافوغالت، خلفت بقايا من الخشب المحروق وهي في الغالب من الصنوبر الحلبي (Pinus Helpensis) وبما أن تاريخ هذه المغارة يعود إلى الفترة الممتدة ما بين القرن الثاني عشر والثامن (ق م) يجب الاعتقاد بأن هذه الأنواع ذات جذور محلية.

ويشهد القبر التلي الذي اكتشفه كل من A. Ruhlman وA. Luquet سنة 1938 بسيدي سليمان، عن استعمال شجر التويا من طرف الليبيين والفينيقيين، فهو يضم قاعة جنائزية حيث الأسوار الحجرية يُدعمها سقف من الخشب. ولاحظ A. Luquet أثناء حفرياته في السور الشمالي بوليلي، وجود دعائم من الخشب مستعملة في واجهات الجدران، وهذه

الطريقة كانت موجودة عند الإغريق والغاليين. وبالرغم من صعوبة تحديد أشكال هذه الأخشاب يبدو أن هذه الدعائم كانت من العرعر.

وإن امتداد الغابات المغربية حاليا يجعلنا نعتقد بأهميتها في الفترة القديمة، وقد بينت دراسات علماء الجيولوجيا والنبات، والمؤرخين على أنها قلت بنسبة النصف أو أكثر.

وحسب كاركوبينو، فإن زوالها لا يعود لفترة قريبة، بل يعود لاستغلال على مدى آلاف السنين. يقول "لقد استغل الرومان، الغابات بشراهة كبيرة" كما تحدث أيضاً عن حنطات تجارية لتجار التويا "Negotiatores citruarii" وأشار گزيل كذلك إلى نفس الحنطة التي ظلت موجودة في روما على عهد الامبراطور أدريانوس.

وكان خشب التويا يستعمل في روما مع بداية العهد الامبراطوري، في صنع طاولات ذات قيمة كبرى "Tabulae Tigrinae" كما أشار إلى ذلك بلنيوس، وكانت أكبر هذه الطاولات والتي وصل قطرها إلى 4 اقدام ونصف، في ملكية الملك الموريطاني بطليموسي.

وإذا كان استغلال الخشب كثيفا في كل الفترات، فإن الغابة المغربية رغم محدوديتها، لم تختف نهائيا. لقد كان الأطلس الذي كان معروفا عند الفينقيين والإغريق والرومان عبارة عن خزان لا ينضب، فقد كان يضم أشجار الأرز ممتدة على ملايين الهكتارات، وكانت قممه تضم أشجار التويا والفلين. لقد شكل استغلال الغابة الأطلسية أهم الثروات الاقتصادية للمغرب القديم مما يمكن من فتح طريق دائم في اتجاه الجنوب انطلاقا من أعمدة هرقل إلى حدود الصحراء، وهي الطريق الملكية التي ظلت إلى عهد قريب، محور البلاد المغربية.

Pline, *Histoire naturelle*, Livre V, éd. J. Desanges, Coll. Belles-Lettres, Paris, 1980 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1943 ; A. Jodin, *L'exploitation forestière du Maroc antique*, Actes du 93e Congrès National des Sociétés Savantes, Tours, 1968, p. 413 - 422.

عبد العزيز بل الفايدة

**الغابة المغربية** تغطي مساحة تقدر بأقل من 9 ملايين من الهكتارات أي ما يوافق حوالي 8 في المائة من مساحة التراب الوطني انظر أيضاً : 1) الطوابق النباتية والسلسلات البيئية التعاقبية 2) النظم البيئية.

أ - مكونات وبنيات الغابة المغربية :

تشمل هذه المساحة غابات بمعناها الصحيح وتشكيلات شبه غابوية وأخرى شبه سهبية وكذلك سهوب الحلفاء وسافانات صحراوية. أما السهوب الأخرى فهي لا تدخل ضمن هذه المساحة.

إن الغابة عشيرة نباتية منظمة من أشجار سائدة ترافقها جنبات وجنيبات وجُنَيِّبَات وأعشاب وأشَنَات وفطور وغيرها من الكائنات الحية النباتية والحيوانية. فالغابة إذن نظام بيئي مؤلف من كائنات حية منتجة وهي النباتات وكائنات مستهلكة وهي الحيوانات، وكائنات مُفَكِّكة تعيش في حالة تفاعل مع بعضها البعض ويوجد بينها تكافل وتبادل في المواد بشكل مستمر. ولا يمكن لهذه الغابة أن تتشكل إلا في المناطق شبه الرطبة والرطبة والرطبة جداً واستثنائيا في المستوى العلوي للمناطق شبه الجافة.

وفي المناطق الجافة وشبه الجافة تتكون عشائر نباتية شبه غابوية أو شبه سهبية أو سهبية. وتتميز العشائر شبه الغابوية وشبه السهبية بقلة الأشجار التي تكون ممثلة بأفراد متناثرة في تشكيلات مكونة من الجنبات والجُنَيْبات المتوسطية بالنسبة للصنف الأول أو من النباتات القزمية السهبية بالنسبة للصنف الثاني. أما العشائر السهبية فهي خالية تماما من الأشجار ولا تتشكل إلا بجُنَيِّبَات أو حشائش جفافية تتحمل أقصى الجفاف في المناطق الجافة أو الصحراوية أو أقصى البرودة المصادفة في قمم الجبال العالية جداً.

أما عشائر السافانا فإنها تتكون من أشجار وشجيرات متناثرة في تشكيلات من الحشائش النجيلية والجُنَيْبات والجُنَيِّبَات الصحراوية.

إضافة إلى هذه التشكيلات النباتية المناخية الواسعة الانتشار نسبياً، تصادف محليا عشائر إلْفَمَائية تعيش على ضفاف الأنهار والبحيرات أو إلفملحية تقطن الأراضي المالحة.

- التشكيلات الغابوية : تكسو الغابات مساحة تقدر بما يقارب المليونين من الهكتارات. وتتشكل من الأرز والشوح وأنواع البلوط وأنواع الصنوبر والعرعر البربري والخروب والزيتون البري.

- التشكيلات شبه الغابوية وشبه السهبية : تغطي هذه التشكيلات أكثر من المليونين ونصف المليون من الهكتارات. ويتعلق الأمر بتشكيلات العرعر البربري والعرعر الأحمر والعرعر الفواح والبطم الأطلسي وأركان والسرو وغير ذلك .

- التشكيلات السهبية (انظر "سهوب" و"حلفاء") : تمتد تشكيلات السهوب بمختلف مكوناتها على مساحات شاسعة جداً من المناطق الصحراوية والجافة واستثنائياً شبه الجافة وشبه الرطبة على قمم الجبال الشاهقة.

تكسو سهوب الحلفاء لوحدها أكثر من 3 ملايين من الهكتارات معظمها متواجد بالمنطقة الشرقية من المغرب شبه الجاف والجاف.

- السافانا الصحراوية : تُنَظَّم السافانا الصحراوية من طرف أنواع شجرية وشجيرية تنتمي إلى أجناس الطلح (انظر طلح) والزَّقُّوم أو تَيْشَط (انظر الزَّقُّوم) وأتيل (انظر أتيل) وغيرها.

تلاحظ السافانا الصحراوية المغربية في كل المناطق الموجودة ما بين فيگيگ والگويرة مروراً بتافيلالت ودرعة والساقية الحمراء ووادي الذهب.

تقدر مساحة السافانا المغربية بما يفوق مليون هكتار

معظمها مكوّن بأنواع الطلح وخاصة النوع السائد في المناطق الصحراوية وهو Acacia raddiana.

ب ـ التوزيع الجغرافي لغابات المغرب :

تنتشر التشكيلات الغابوية وشبه الغابوية وشبه السهبية والسهبية والصحراوية كالآتي :

. الريف والشمال الشرقي وتازكا :

. بيومناخات شبه رطبة ورطبة، وشديدة الرطوبة ومحلياً شبه جافة.

ـ تشكيلات غابوية وشبه غابوية ومحلياً شبه سهبية منظمة من طرف البلوط الفليني والبلوط الأخضر، والبلوط القرمزي، وبلوط الزان، والبلوط الزغبي، والعرعر البربري، والزيتون البري، والصنوبر البحري، والصنوبر الحلبي، ومحليا الشوح المغربي.

. تشكيلات سهبية منظمة من طرف الحلفاء.

ـ الأطلس المتوسط والجهة الشرقية من الأطلس الكبير :

. بيومناخات شبه رطبة ورطبة ومحلياً شبه جافة.

. تشكيلات غابوية وشبه غابوية منظمة من طرف البلوط الأخضر وبلوط الزان، والأرز ومحلياً العرعر البربري.

. تشكيلات شبه سهبية منظمة من طرف العرعر الأحمر والعرعر الفواح.

. تشكيلات سهبية منظمة من طرف القتنات الشوكية أو الجنيّبات الشوكية على قمم الجبال العالية ومن طرف الحلفاء على الواجهة الشرقية.

ـ سهول الغرب والمعمورة ودكالة والشاوية وعبدة وتادلة :

. بيومناخات شبه رطبة وشبه جافة.

. تشكيلات غابوية منظمة من طرف البلوط الفليني والعرعر البربري ومحلياً الزيتون البري.

ـ الهضبة الوسطى :

. بيومناخات شبه جافة وشبه رطبة

. تشكيلات غابوية منظمة من طرف البلوط الفليني والبلوط الأخضر والعرعر البربري ومحلياً الزيتون البري.

ـ الهضاب العليا للمغرب الشرقي :

. بيومناخات شبه جافة وجافة

. تشكيلات غابوية وشبه غابوية منظمة من طرف البلوط الأخضر والصنوبر الحلبي والعرعر البربري.

ـ تشكيلات شبه سهبية منظمة من طرف العرعر الأحمر والبطم الأطلسي.

ـ تشكيلات سهبية منظمة من طرف الحلفاء.

ـ المنطقة الوسطى من الأطلس الكبير :

ـ بيومناخات جافة ومحلياً شبه رطبة

ـ تشكيلات غابوية وشبه غابوية منظمة من طرف البلوط الأخضر والعرعر البربري والصنوبر الحلبي.

. تشكيلات شبه سهبية منظمة من طرف العرعر الأحمر والعرعر الفواح.

. تشكيلات سهبية باردة فوق قمم الجبال العالية منظمة من طرف الجُنَيِّبات الجفافية الشوكية. ـ الحوز والرحامنة :

. بيومناخات جافة ومحليا شبه جافة.

. باقات على مساحات جد محدودة منظمة من طرف الطلح المغربي.

ـ الجهة الغربية من الأطلس الكبير، والشياظمة، وحاحا وسوس، والأطلس الصغير :

. بيومناخات شبه جافة وجافة.

. تشكيلات غابوية وشبه غابوية منظمة من طرف البلوط الأخضر والعرعر البربري.

. تشكيلات شبه سهبية منظمة من أركان والعرعر الأحمر والعرعر الفراح ومحلياً السرو الأطلسي.

. تشكيلات سهبية باردة منظمة من طرف الجُنَيِّبات الجفافية على قمم الجبال العالية.

ـ المناطق الصحراوية :

. بيومناخات صحراوية.

. تشكيلات من السافانا منظمة من طرف أنواع الطلح الصحراوية والزقوم.

. تشكيلات سهبية منظمة من الجُنَيِّبات الجفافية الصحراوية.

ج ـ أدوار الغطاء الغابوية وفوائده :

إن للغابة أدوار وفوائد عديدة من الصعب ذكرها كلها. ومن هذه الأدوار والفوائد نذكر :

ـ إنتاج مواد جد هامة لفائدة البشر كالخشب والحطب والفواكه والأعشاب الطبية والعطرية والرعوية ... (انظر الاقتصاد الغابوي في المادة التالية).

ـ المحافظة على التربة والتوازن للدورة المائية.

ـ المحافظة على التنوع البيولوجي.

ـ المحافظة على التوازن الطبيعي وتنقية الهواء من التلوث ...

فمن الملاحظ أن المناطق المغطاة بغابات كثيفة ومتسعة الأرجاء كالمنطقة الوسطى من الأطلس المتوسط. تتميز بينابيع أهم الأنهار المغربية، وبأهم الثروات والموارد الغابوية في المغرب.

فالغابة تساعد على التقليل كثيراً من نسبة المياه التي تنسال على سطح الأرض، بحيث تكون بمثابة حاجز بين الأمطار والأرض، وتقوم بهذا الدور حتى ولوكانت تكسو أراض شديدة الانحدار. وهكذا فمهما بلغت غزارة المطر فإن القطرات تسيل أولاً على أوراق الأشجار وأغصانها وجذوعها قبل أن تسقط على الأرض، وبذلك تخف حدة سقوطها. مما يساعدها على التسرب داخل الأرض.

وعلاوة على هذا تؤدي الغابة دور تحسين التربة من حيث نفوذيتها للماء والهواء وقدرتها على الاحتفاظ بالماء. وذلك نظراً لكون تربة الغابة غنية بالمواد العضوية، وبالتالي تكون ذات مسامية عالية مما يجعلها قادرة على امتصاص أكبر قدر من الماء والاحتفاظ به.

د. الغابة وعوامل التدهور :

إن أهم أسباب تدهور أو اندثار الغطاء الغابوي تكمن في الاستغلال المفرط أو في الإدارة اللاعقلانية. ويتجلى ذلك في ممارسة عمليات قطع الأشجار أو الاجتثاث لفائدة الأراضي الزراعية أو لاستبدال الغابة الأصلية بتشكيلات اصطناعية من الصنوبريات أو الأوكاليبتوس أو السنط الاسترالي. كما يعتبر الرعي الجائر في بعض المناطق أهم أسباب التدهور.

أما من حيث إدارة الغابة فإن تمزق الغطاء الحراجي واندثاره ينتج عن التقنيات غير المتلائمة مع الأنظمة الغابوية. فبالقطع الكلي أو المنسغة المبسطة أو الغابة العالية المنتظمة المكونة من أشجار لاتتفاوت في الأعمار. التي هي تقنيات غير ملائمة للغابة المغربية، تدمر بنيات هذه الأخيرة وتفقد تنوعها البيولوجي ومؤهلاتها التي تمكنها من الاشتغال المتوازن مع الظروف البيئية. وفي هذه الحالات تحدث تغيرات محلية للظروف البيئية الموقعية تتجلى في تزايد في الحرارة القصوى وانخفاض الحرارة الدنيا وفي التعطيل الوظيفي للدورة المائية ...

ومن أهم تداعيات تمزق واندثار الغطاء الغابوي نذكر :

- اتساع ظاهرة انجراف التربة، والانخفاض الخطير في خصوبتها. تجدر الإشارة في هذا الشأن إلى أن نسبة انجراف التربة على السفوح الجنوبية والشرقية من الريف ومقدمته تعتبر من أعلى النسب في العالم، نظراً للانقراض التام للغطاء الغابوي بهذه المنطقة.
- التدهور لبنيات ومكونات واشتغال الأنظمة البيئية الطبيعية.
- التراجع الخطير للتنوع البيولوجي
- التعطيل الوظيفي للدورة المائية وما ينتج عنه من فيضانات وانجراف التربة ونضوب الينابيع ...
- انهيار المناطق من الناحية البيئية بفعل ظاهرة التصحر الذي يحول أراضي خصبة منتجة إلى أشباه صحار عقيمة.

*أبحاث شخصية.*

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*. Ibis Press. Paris, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**الغابة والاقتصاد** تعتبر الغابة منذ أقدم العصور مجالا حيويا بالنسبة للإنسان الذي وجد فيها كل ما احتاجه من خشب وحطب ومواد تغذية أو عطرية أو طبية وغيرها. وكان هذا الاستغلال لا يخل بالتوازن الطبيعي للغابة التي كانت انتاجيتها تفوق بكثير متطلبات الإنسان الذي كان يعيش في مجتمعات قليلة العدد. لكن تكاثر عدد السكان أدى إلى الخلل الكبير في التوازنات الطبيعية للمنظومات الغابوية.

تصنف أدوار الغابة إلى صنفين رئيسيين. فيه إنتاج لمواد غابوية تكون موضع مبادلات تجارية وتحويلات صناعية وغير ذلك، أو حماية التربة والتنوع البيولوجي والبنيات التحتية للاقتصاد كالطرق والسدود ...

- الانتاج الغابوي : تنتج الغابة أنواعا مختلفة من الأخشاب والحطب والعلف والمواد الأخرى منها الطبية ومنها العطرية ومنها الغذائية وغيرها :
- خشب النجارة : أهم الإنتاج الوطني من خشب النجارة مصدره غابات الأرز الأطلسي Cedrus atlantica (انظر أرْز) التي توفر سنويا أكثر من خمسين ألف متر مكعب. وهذه الكمية لا تغطي إلا نسبة ضعيفة من متطلبات الوطن من هذه المادة، مما يجعل المغرب يستورد كميات كبيرة لسد عجزه في هذا الإطار.
- خشب الصناعة يتعلق الأمر هنا بخشب الأوكاليبتوس المستعمل في إنتاج عجين الورق (انظر سليلوز المغرب).
- الحطب أو خشب الوقود : تساهم الغابة بحوالي 30٪ في الاستهلاك الوطني للطاقة. وتقدر كمية الحطب المستهلك في المغرب بما يقارب عشرة ملايين متر مكعب تستخرج كلها من الغابة، ويستهلك أكبر قدر من هذه الكمية في القرى والمناطق النائية عن المصادر الطاقوية الأخرى، وكذلك في عملية تحضير الخبز وتسخين الحمامات.
- خشب الصناعة التقليدية : تعتبر الصويرة أهم مراكز الصناعة التقليدية للخشب ولا سيما خشب العرعر (انظر "خشب" و"عرعر").
- الفلين : تنتج غابات البلوط الفليني المغربية حوالي 4٪ من الانتاج العالمي للفلين، بالرغم من أن المساحة الوطنية لهذه الغابات تقدر 350 000 هكتار أي ما يعادل 15٪ من المساحة العالمية (انظر "فلين").
- مواد أخرى : يتعلق الأمر بمواد مختلفة منها النباتات الطبية والنباتات العطرية. والقنص. وقد بلغت مبيعات جزء من هذه المواد 315 مليون درهم سنة 1994 و258 مليون درهم سنة 1995، أي ما يعادل ثلاث مرات عائدات تصدير الفلين. وكانت المداخيل الغابوية عن طريق القنص 10 ملايين درهم سنة 1997.
- العلف الغابوي : تنتج المراعي الغابوية حوالي مليار ونصف المليار من الوحدات العلفية في السنة أي ما يعادل 16٪ من مجموع الانتاج الوطني لهذه المادة.
- الصناعة الغابوية : تتشكل الصناعة الغابوية المغربية من وحدات عصرية منظمة وأخرى تقليدية. والمجموع الحالي لعدد هذه الوحدات يبلغ 300، منها ما يكمل هذه الصناعة : مقاولة عجين الورق، مقاولات تحويل الفلين، مقاولات الورق والكارطون، مقاولات الخشب. تمثل صناعة الخشب وحدها 5٪ من الوحدات الصناعية وتشغل 2٪ من اليد العاملة في هذا المجال.

إضافة إلى هذه المقاولات الكبيرة تُوجد بالمغرب أكثر من 1000 مقاولة صغيرة لها أنشطة تتعلق بالتشجير أو بالاستغلال الغابوي أو بالقيام بالأعمال الغابوية وغير ذلك.

وإن هذه المقاولات تلعب دوراً مهما في التنمية الاقتصادية والتشغيل والرفع من القيمة المضافة.

- التجارة الغابوية : تنتج الغابة المغربية أقل من خمس مجمل الاحتياجات الوطنية.

مثلت الواردات من الخشب ومشتقاته سنة 1993 حوالي 2,5٪ من القيمة الاجمالية للواردات العامة، أو ما يعادل 47,2٪ من مبلغ مشتريات القمح أو 17,3٪ من مشتريات الطاقة. وفي نفس السنة احتل الخشب المستورد المركز السابع من بين الواردات الاجمالية، والمركز الثاني من بين المواد الفلاحية. وقد بلغت قيمة الخشب المستورد سنة 1998 ما يقارب 4 ملايير من الدرهم.

تتشكل الصادرات من عجين الورق، والفلين ومشتقاته، والورق والكارطون، وبعض أنواع الخشب. بلغ معدل الصادرات في التسعينيات من القرن العشرين أقل من مليار واحد من الدراهم.

- الغابة والشغل : تساهم النشاطات الغابوية أو المرتبطة بها بحوالي 10 ملايين يوم عمل في السنة. هذا بالإضافة إلى أقل من 50 000 منصب شغل قار سنويا.

- الغابة والتنمية المحلية : هدف ظهير 20 شتنبر 1976 إلى إشراك الجماعات المحلية القروية في الاقتصاد الغابوي وتنمية مواردها المالية.

*أبحاث شخصية.*

A. Bouslihim, *Contribution à l'étude socio-économique des composantes de la filière du liège au Maroc*, DES, Fac. Sc. Jur. Econom. et Soc., Agdal, Rabat, 1996 ; Ministère Chargé des Eaux et Forêts, Colloque National sur la forêt, *Ifrane*, Mars 1996 ; Ministède de l'Industrie et du Commerce, *L'industrie de transformation*, décembre 1998.

عمر بوسليهم

**الغابوش، علي** بن ميمون من مواليد سنة 1905 بآيت أفلمان إقليم بولمان، لما قامت قوات الاستعمار الفرنسي الغاشم بالاعتداء على السيادة المغربية انضم الشهيد إلى العمل المسلح السري فحمل السلاح وقام بعدة عمليات جريئة. إلا أن افتضاح أمره أدى برجال الأمن الاستعماري إلى إلقاء القبض عليه والزج به في المعتقل وبقي فيه إلى يوم الهجوم على مرموشة، حيث حاول الفرار من السجن بعدما استولى على سلاح هاجم به حارس السجن لكن هذا الأخير كان أسرع في استعمال سلاحه فأطلق طلقات نارية عليه اسقطته شهيداً وذلك سنة 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 521982.

**الغاز الطبيعي** نوع من المحروقات الغازية، تكون مع البترول من تحلل أجسام كائنات بحرية دقيقة في باطن الأرض، عاشت في بحار دافئة منذ مئات الملايين من السنين، طمرت في أعماق القشرة الأرضية بفعل التقلبات الجيولوجية، فتحولت تحت الضغط والحرارة الأرضية الكبيرة إلى زيوت وغازات. ويكتشف الغاز اليوم في مخازن باطنية ضمن صخور مسامية مع البترول أو منعزلا عنه، بسبب تنقله في باطن الأرض. يتكون من غاز الميتان CH بنسبة 90 - 99٪ ومن الأزوت بنسبة 1 - 3٪ ومن مواد أخرى بنسب وشوائب مثل الكبريت والفوسفور، وتوجد مكامنه غالبا على أعماق تصل إلى 5000 متر، بينما توجد مخازن البترول على عمق معدله 3000 م. فالحرارة والضغوط التي ترتفع مع زيادة العمق هي التي تعمل على تحويل جزء من المحروقات إلى غاز. ترتبط مكامنه بصخور ترجع إلى أقدم الأزمنة الجيولوجية، فصخرته الأم غالبا ما ترجع إلى الزمن الجيولوجي الأول، بينما توجد "مصايده" في صخور الزمن الثاني أو الثالث الجيولوجي. ويتميز بقدرة حرارية عالية : 9000 - 12000 سعر لكل متر مكعب، لكنه لا يستعمل خاما إذ لابد من تنقيته من الشوائب وتصفيته وتصنيفه إلى عينات متجانسة أهمها : غاز البوتان الذي يستعمل في الطبخ المنزلي، وغاز البروبان الذي يستعمل في المنشآت الكبرى حيث يخزن في قارورات ضخمة في ظروف أمنية أقوى لأنه غاز قوي سهل الانفجار. والغاز المصفى لا لون له ولا رائحة، لكنه يخلط بمركبات كبريتية لإعطائه رائحة كريهة لإنذار مستعمليه بتسربه، لتجنب أخطار حرائقه وانفجاراته المدمرة بالمنازل. ويتميز الغاز الطبيعي بسهولة احتراقه وقلة تلويثه للبيئة، وانعدام الفضلات، لذا عم استعماله في المنازل بسرعة كبيرة في جميع أرجاء العالم.

ابتدأت عمليات التنقيب عن المحروقات الهيدروكربونية : البترول والغاز، بجوانب سهل الغرب، خاصة بواد بهت منذ بداية عهد الحماية سنة 1914. وتم حفر أول بئر منتجة للبترول بجبل تسلفات بجوار سيدي قاسم سنة 1919، كان عمقها 90 م، تعطي بضعة أمتار مكعبة من البترول يوميا، وتوالت الاكتشافات لكنها تتعلق دائما بآبار ضعيفة سرعان ما ينفذ احتياطها الهزيل بعد عدة سنوات. وفي 8 مارس 1934 تم حفر بئر بجبل تسلفات أعطى تدفقا للبترول والغاز، أنعش الآمال من جديد في اكتشاف ثروة حقيقية للبترول والغاز، لكن سرعان ما خابت الآمال بعد التأكد من ضعف احتياطه الذي بدأ ينفذ بسرعة مع توالي الأسابيع. وبتوالي عمليات التنقيب تم حفر بئر للغاز الطبيعي بمكمن المنزه بين سيدي يحيى والقنيطرة تم استغلاله بين 1953 و 1958، حيث نفذ احتياطه وتوقف عن الإنتاج، وربط بأنبوب طوله 14 كلم فزود لمدة أربع سنوات معملا للشركة المغربية للورق والكارطون بالقنيطرة بحوالي 23 مليون م3 من الغاز. ثم اكتشفت آبار أخرى للغاز ضعيفة في بودراع في منتصف الخمسينات، وجه إنتاجها إلى مصفات سيدي قاسم، لكن سرعان ما نفذ احتياطها بعد بضع سنوات. وبعد الاستقلال توجه الاهتمام إلى حوض الصويرة حيث اكتشفت بنيات جيولوجية واعدة من طرف الشركة الإيطالية للمحروقات فتم

حفر بئر منتجة للغاز في "كشولة" على بعد 50 كلم من الصويرة سنة 1957. ولم يتقاعس المسؤولون المغاربة عن استمرار في البحث والتنقيب عن المحروقات سواء بإمكانياتهم الخاصة أو بالتعاقد مع شركات دولية مختصة إيطالية وأمريكية وفرنسية وإنجليزية من أجل اكتشاف البترول والغاز في البر والبحر. وهكذا حفرت آبار عديدة بحوض الصويرة أعطى بعضها مؤشرات عن احتياطي بسيط من البترول والغاز خاصة، مما شجع على المزيد من التنقيب. وتوج ذلك باكتشاف عدة آبار منتجة للغاز فوق مكامن صغيرة وعميقة عددها أربعة هي : توگيمت ومسكالة وزلتن اندارك، يستخرج من الثلاثة الأوائل غاز مع نفط مكثف، أما مكمن اندارك فيستخرج منه غاز جاف مصحوب بكمية من الآزوت ومركبات كبريتية وهو أغناها يقدر مخزونه القابل للاستخراج بـ 1.26 مليار م$^3$. ويتم استخراج الغاز حاليا من مكمن مسكالة وتوگيمت، ويوجه إلى وحدات تجفيف الفوسفاط للمكتب الشريف للفوسفاط باليوسفية عن طريق شبكة من الأنابيب الصغيرة ويتوفر المكتب على وحدتين للمعالجة لفصل النفط المكثف عن الغاز، تبلغ طاقتهما الإجمالية 250.000 م$^3$ يوميا من النفط والغاز المكثف. وما زال المكتب الشريف للبترول يعمل على إيجاد زبناء آخرين لغاز حوض الصويرة، كمعمل الإسمنت بأگادير ونواحي مراكش. لكنهما مترددان لأن عملية التحول إلى الغاز ستكلف نفقات إضافية لتغيير الأفران والتجهيزات.

وأنتج المكتب الشريف للبترول كميات من الغاز من آبار جديدة صغيرة تم حفرها بهوامش سهل الغرب وجهت غالبيتها إلى معمل الكارطون بالقنيطرة ومصفات سيدي قاسم.

ورغم تطوير أحواض الصويرة والغرب فإن إنتاج المغرب من البترول والغاز ظل متواضعا إذ بلغ خلال الفترة الممتدة من 1980 إلى 1985 حوالي 75.000 طن، واستمر في الانخفاض بسبب ضعف احتياطي الآبار التي تنضب بعد سنوات قليلة من الإنتاج، ولسبب آخر هو انعدام الأجهزة والخبرة لمعالجتها لكي تعطي مزيدا من البترول والغاز. وقد بلغ معدل الإنتاج السنوي خلال الفترة الممتدة من 1995 إلى 1999 : 45.000 طن معادل بترول. أي ما يعادل 1٪ من مجموع الحاجيات الوطنية. وقد كانت سنة 1987 قياسية واستثنائية في الإنتاج الذي بلغ 18.000 طن معادل بترول موزعا كالآتي :

النفط والغاز المكثف : 40.000 طن معادل بترول.

غاز الغرب : 50.000 طن معادل بترول.

غاز حوض الصويرة : 90.000 طن معادل بترول.

وانتج المغرب سنة 1999 من الغاز الطبيعي 43.8 مليون م$^3$، و11.300 طن من البترول. وإنتاجه في تناقص مستمر، فقد بلغ 75 مليون م$^3$ من الغاز سنة 1980، ذلك أن ثروته سواء النفطية أو الغازية في طريق الاستنزاف السريع. لكن معلقة الآمال على اكتشافات جديدة للبترول والغاز بشرق المغرب (تالسينت) وبالرصيف القاري البحري خاصة بالسواحل الجنوبية.

وبلغ استهلاك المغرب 8.18 مليون طن من البترول سنة 1999، تم تكريره بمصفاتي المحمدية وسيدي قاسم استخرجتا منه 184.000 طن من غاز البوتان و671.000 طن من غاز البروبان وذلك سنة 198 حيث عالجتا 6.112 مليون طن من البترول الخام، بالإضافة إلى استيراد 839.000 طن من الغازات النفطية ومحروقات أخرى و372.000 طن من الغازوال والفيول.

المغرب، *البترول والتنمية*، العدد 19، منشورات الزمن.

أحمد هوزالي

**الغازي** (سيدي -) بن **أحمد**، درعي الأصل، وسجلماسي الدار والقرار. توفي في شعبان عام 981 / 1570 أخذ عن الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله السجلماسي دفين سجلماسة وعن الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، ثم الشيخ أبي العباس أحمد زرُّو والشيخ اليونسي الفاسي. وأخذ عنه هو الشيخ أبو العباس أحمد بن علي الدرعي وغيره.

دفن الشيخ سيدي الغازي بتبُوبكرت بسجلماسة. ولازال قبره هناك يتردد عليه الزوار. أسس هو وأتباعه زوايا متعددة في الحواضر والبوادي المغربية. وكان له عدد غفير من الأتباع والمريدين، أشهرهم تلميذه المجدوب أبو حامد سيدي الحاج العربي الروندي الأندلسي المتوفى سنة 1077 / 1664 والمدفون بدار برأس الشراطين بفاس. وهي التي يصعد إليها الآن بالأدراج قبالة وجه الداخل للزنقة المقابلة لباب مدرسة الشراطين. وقد تحولت تلك الدار فيما بعد، إلى زاوية معدة لإيواء أتباع ومريدي الشيخ سيدي الغازي جيلا بعد جيل. وصارت أيضا مقبرة دفن بها عدد من صلحاء مدينة فاس. وكانت تقام بها أيضا الصلاة. وتم تحبيس عدد من الأوقاف عليها، منها كان الإمام المؤذن والمكلف بمهمة التدريس يأخذ أجرته.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، الجزء الأول، فاس سنة 1899 ؛ ع. الكتاني، *روض الأنفاس*، ميكروفيلم، خ. ع بالرباط رقم 62.

العربي اكنينح

**غازي، الباشا** أحد أركان ديوان الشرطة في دولة السلطان العلوي المولى إسماعيل. اضطلع إلى جانب عدد من القادة والعمال ممن كانوا أعمدة الجهاز المخزني الجهوي في جنوب المغرب، بأدوار على قدر كبير من الأهمية سواء على مستوى استتباب الأمن وتثبيت سلطة الدولة وتوسيع دائرة نفوذها المخزني بين القبائل القاصية والدانية، أو على مستوى تعقب وملاحقة كل من يروم المساس برموزها أو عدم الامتثال لمطالبها. تولى الباشا غازي بوحفرة إدارة الحكم في مدينة مراكش وإقليمها بعد وفاة الباشا عبد الكريم بن

منصور التكني، وحظي يومها بسلطات واسعة في تدبير شؤون المناطق والمجموعات القبلية التي كانت تقع ضمن مجال نفوذه وتحت مراقبة عيونه، إذ جمع، في ذات الوقت، بين المهام الأمنية والإدارية والعسكرية، لأن منصب الباشا في النسق الإداري للدولة الإسماعيلية كان متعدد الاختصاصات والمسؤوليات. ويعود ذلك، كما هو معلوم، إلى كون بنية هذه الدولة ذاتها وتركيبة هياكلها لم تكن تقوم أو تشتغل بالأحرى على أساس الفصل الوظيفي بين السلطة المدنية والسلطة العسكرية.

وإذا لم تحتفظ كتب التاريخ إلا بأخبار محدودة عن الباشا غازي لا تتجاوز في عمومها بعض الإشارات الشاردة، فإن ذلك لا يعني البتة أن مسار حياته في سلك الخدمة المخزنية كان محدود الآثار وغير ذي شأن يذكر، بل على العكس من ذلك، ساهم الباشا غازي، بحكم مكانته الوازنة كنائب للسلطان في مراكش، مساهمة فعالة في إقرار الأمن بين الناس وعبر المسالك والطرقات وفي زجر المعتدين والمخالفين والتصدي للمارقين والمتمردين تجسيدا لحضور رمزية الدولة وتأكيدا لهيبتها المخزنية. ومما ينهض دليلا على مكانته وكبير حظوته لدى السلطان المولى إسماعيل ما جاء في الرسالة التي وجهها هذا الأخير إلى شيخ زاوية تاسفت الحاج إبراهيم الزرهوني بهدف جبر خاطره والاعتذار له عما صدر عنه من مواقف وأفعال أقر فيها على سبيل الإبانة والنصح مانصه : "... ولا تقطع كلامك عن مملوكنا الأحظى الباشا غازي لأنه هو العوض منا، والنائب عنا والسلام". مما يؤكد أن سلطة الباشا كانت من القوة والشمول ما جعلها حقا موضع رهبة وتوجس من قبل عامة الناس، بل وأحيانا من طرف رموز الوسط الصوفي حتى، التي كانت تتمتع بنفوذ روحي قوي وتحظى بتأييد قبلي واسع كما هو الحال بالنسبة لشيخ زاوية تاسافت الذي كان يرقب من داخل وادي نفيس بعين الريبة والحذر حركات الباشا غازي وأعوانه وعيونه المنبثين في كل مكان رغم صفح السلطان عنه وزوال ما كان قائما بينهما من توتر وجفاء. وتفيد الحوليات التاريخية في هذا الصدد، أنه بسبب هذه الحظوة البالغة التي نالها الباشا غازي لدى المولى إسماعيل، فإنه لم يتردد كلما دعته الظروف إلى ذلك في ملاحقة وتعذيب واعتقال حتى العناصر التي كانت تحظى بتقدير وإجلال كبيرين في أوساط المجتمع، بل وحتى في قتل بعض الرموز المنتمية إلى النخبة المخزنية ذاتها كما حدث بالنسبة للكاتب الخياط بن علي بن منصور وأخيه عبد الرحمن اللذين ذبحهما الباشا بسجن مكناسة سنة 1125.

وقد توفي الباشا غازي في آخر شهر صفر من عام 1113 بوادي بهت وهو في طريقه إلى العاصمة السلطانية، وإن كان صاحب الجيش العرمرم يجعل وفاته بوجدة في شهر محرم من نفس السنة. وقد خلفه على رأس باشوية مراكش الباشا المدعو حمو طرف.

ع. الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 150 . 200 ؛ ع. الله بن إبراهيم التاسافتي، *رحلة الوافد*، 217 . 218 . 219 . 226 . 229 ؛ أ. القاسم الزياتي، البستان الظريف، 186 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، 87 . 260 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 4 : 128 ؛ أ. عبد الله محمد الكنسوسي، *الجيش العرمرم*، ج 1 : 155.

الفقيه الإدريسي

**الغازي، الشاوي**، المزامزي أو المزيزي. ولي عمالة العدوتين الرباط وسلا وعرب الويدان والشاوية في 17 ربيع الأول 1220 كما في تاريخ الضعيف. تنسب إليه العرصة الغازية المشهورة، وذكر الضعيف أنه جاء الأمر السلطاني عام 1228 بأنه حبس سانية الباشا الغازي المذكور التي على البحر على الحزابين بالجامع بالرباط وجامع سلا الكبير.

الفاسي *مدينة الرباط*، ص. 111، *دينية مجالس*، ص. 210، *الضعيف*، *ت. العماري*، ص. 337.

عبد الإله الفاسي

**الغازي** (سيدي -) بن **قاسم** الأسفي. أحد الأولياء الصالحين بأسفي، ربما كان من جملة المرابطين على هذه المدينة في فترة احتلالها من قبل البرتغاليين في النصف الأول من القرن السادس عشر. يوجد ضريحه في حي القصْبة بأسفي بجوار المسجد والزاوية الحمدوشية.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج 2، مخطوط.

عبد الرحيم العطاوي

**غازي، محمد** (الفقيه الوطني) أحد قادة الحركة الوطنية المغربية المنظرين المناضلين الكبار منذ البداية إلى بزوغ الاستقلال. ولد بمدينة مكناس سنة 1901. وتعلم بجامعة القرويين في حلقات كبار علماء عصره وكان من العصاميين النبهاء فوعى علوم الدين وعلوم الآلة على اختلافها. كان ولوعاً بالاصلاح العقائدي فتابع الدعوة السلفية بالشرق العربي على يد الافغاني ومحمد عبده وتشرب بها وأصبح من دعاتها. كما مارس الكفاح الوطني مع رفاقه الأوائل علال الفاسي، الهاشمي الفيلالي. عبد العزيز بن إدريس الخ ... وهو في طور التحصيل.

وما أن أتم دراسته حتى أنشأ مدرسة حرة بفاس : مدرسة الناصرية، كانت إلى نشرها لتعاليم العقيدة واللغة العربية تناهض الانحراف خاصة الطرق المنحرفة والشعوذة وأشياعها الذين كانوا يتعاونون مع رجال الحماية الفرنسية. فتضايقت منه الإدارة فنفته إلى الدار البيضاء حيث أسس مدرسة حرة ثانية : مدرسة عكور وانشأ جماعة أحباء السنة ومناهضة البدع.

بعد صدور الظهير البربري 1930 الرامي إلى تمزيق وحدة المغرب عاد إلى مكناس وأخذ يقوم بدروس دينية وتوعوية بمساجدها وأسس جماعات وطنية لمناهضة الاستعمار. ثم

التحق بالرباط حيث ساهد في تحرير دفتر المطالب الوطنية وترأس الوفد الذي قدمها سنة 1934 إلى الصدر الأعظم (الوزير الأول) بالقصر السلطاني في الرباط. وقعت له كثير من المضايقات بعد ذلك.

تم رحل إلى مدينة آسفي حيث زاول مهنة وكيل شرعي لدى المحاكم الشرعية، ثم انتقل نهائياً إلى مدينة الرباط سنة 1936 حيث اندرج في قيادة كتلة العمل الوطني ثم بعد حلها على يد السلطات الفرنسية وقمع قيادتها ومسيريها أصبح من قادة الحزب الوطني. وكان من أبرزهم تجربة وتفكيراً وأقدرهم على الإشارة بالرأي وصياغته. وكانت السلطات الفرنسية تدرك خطره وقد اعتقلته مرات عديدة وقضى سنوات طويلة في سجون البلاد ومنافيها سنة 1937 و1944 و1952. كان عن اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال ومن الذي ينسقون مع جلالة، محمد الخامس العمل في الخفاء بالقصر المواقف التي أفضت إلى تحرير وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال وتحرير المذكرات والخطب التي كانت تصدر عن القصر إبان الأزمة المغربية ـ الفرنسية 1952. نفي أثناء قمع دجنبر 1952 إلى آسا بگلمين وبقي بها إلى عودة محمد الخامس واستقلال المغرب وكان له دور بارز غداة الاستقلال، ثم عينه محمد الخامس سفيراً بالمملكة العربية السعودية. وكانت منتهى آماله. توفي بها سنة 1972.

قاسم الزهيري

ابن **غازي، محمد** بن **أحمد** بن محمد بن علي بن العثماني المكناسي. ولد بمكناس على الأرجح سنة 841 / 1437، يحدثنا ابن غازي عن نشأته قائلاً "نشأت بهذه المدينة كما نشأ بها أسلافي، وقرأت بها ثم ارتحلت إلى مدينة فاس في طلب العلم أظنه سنة ثمان وخمسين ثمانمائة، فأقمت بها ما شاء الله تعالى، ولقيت من الأشياخ بالمدينتين جماعة ذكرت مشاهرهم في الفهرست [...]، ثم عدت إلى مدينة مكناسة فأقمت بها بين أهلي وعشيرتي زمانا، ثم انتقلت إلى مدينة فاس كلاها الله تعالى فاستطونتها.

وكان ما كان مما لست أذكـره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

أما عن أمه فيقول بأنها "رحمة بنت الجنان [...] وكانت رحمها الله تعالى ملازمة لدرس القرآن العزيز في المصحف".

أجمع معاصرو ابن غازي وتلامذته والمؤرخين له على أنه كان عالم عصره وجهبذ وقته، وصدر زمانه في جميع العلوم الفقهية والعقلية، "رحل الناس للأخذ عنه وتنافسوا فيه، كان عذب المنطق حسن الإيراد والتقرير، فصيح اللسان عارفا بصنعة التدريس، ممتع المجالسة جميل الصحبة، سري الهمة نقي الشيبة، حسن الأخلاق والهيئة عذب الفكاهة معظما عند الخاصة والعامة" على ما قال التنبكتي، أسند له كرسي بالقرويين لتدريس الحديث والفقه وكان الكرسي من وقف أبي فارس الورياغلي.

ولم يقتصر ابن غازي على نشر العلم دراسة وتدريسا وتأليفا، بل كان نموذج المثقف العضوي الملتزم بقضايا أمته، "فلم يزل باذل النصيحة للمسلمين محرضا لهم في خطبه ومجالس إقرائه على الجهاد والاعتناء بأموره" وقرن في ذلك القول بالفعل فقد شارك في الجهاد مراراً "وحضر فيه بنفسه مواقف عديدة ورابط مرات" فقد جاهد ضد الاحتلال البرتغالي إلى جانب السلطان محمد الشيخ الوطاسي (ت. 910 / 1505) وابنه السلطان محمد البرتغالي (ت. 932 / 1524) والذي كان يقرب ابن غازي من مجلسه.

واستمر ابن غازي على الجهاد ضد البرتغاليين إلى آخر أيامه، فقد خرج ـ كما يقول تلميذه عبد الواحد الونشريسي (ت. 955 / 1548) ـ "رحمه الله في آخر عمره لقصر كتامة المذكور [= القصر الكبير] *بقصد الحراسة* فألم به مرض فآب لفاس واستمر مرضه إلى أن توفي.

ترك ابن غازي ذخيرة مهمة لا يستغنى عنها، ذات طابع شمولي: في الفقه والحديث والتاريخ والآداب والحساب الخ ... فاقت الثلاثين، نذكر منها على سبيل المثال ثلاثة مؤلفات تعكس توجه ابن غازي واهتماماته الفكرية المتنوعة..

1 ـ *التعلل برسوم الإسناد، بعد انتقال أهل المنزل والناد*: وهو فهرس من أشهر الفهارس بالمغرب في القرن 10 / 16. فهو صورة جامعة للأحوال الثقافية والتعليمية بالمغرب في عصر ابن غازي. يضم هذا الفهرست أسماء الشيوخ المغاربة الذين أخذ عنهم ابن غازي وأجازوه، والكتب التي كانت تدرس ويفوق عددها ثلاثمائة كتاب، وفي نهاية الفهرسة يذكر ابن غازي مؤلفاته التي تم إنجازها أو التي كان قيد إنجازها.

2 ـ *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون*: خصه لتاريخ مدينة مكناس، وقسمه إلى ثلاثة أقسام: قسم جغرافي وآخر تاريخي، وثالث خاص بترجمة الأعلام. والكتاب إلى جانب أهميته التاريخية فهو مهم من ناحية الجغرافية المحلية والحياة الاقتصادية وقد ترجم جزء منه المستشرق "هو داس" في المجلة الأسيوية.

3 ـ *الكليات في الفقه*: ويندرج هذا الكتاب ضمن المشروع المجتمعي للفقيه ابن غازي كمثقف مجاهد. حيث أن الكتاب ـ في تقديرنا ـ ليس مجرد عرض لقواعد فقهية في صيغ كلية، وإنما هو كتاب ملتزم بالمجال التداولي لصاحبه (عقديا وسياسيا ومجتمعيا)، ضمن مشروع يهدف لشرعنة الدولة الوطاسية (876 / 1471 ـ 961 / 1553) من خلال تقعيد الشريعة من أجل وحدة تنظيمية سياسيا واجتماعيا بالمغرب.

توفي بفاس إثر صلاة الظهر من يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة تسع عشرة وتسع مائة [= 919 / 1513] وصلى عليه ولده أبو العباس سيدي أحمد بالمقابر بالغادين [يعرف بالقرادين] الموضع المعروف داخل باب الفتوح عدوة

فـاس الأندلس ... واحـتـفـل الناس لحـضـور جنازته احـتـفـالا عظيـما حضرها السلطان ووجوه دولته ..."

ابن غـازي مـحـمـد بن أحـمـد، *الروض الهـتـون في أخبـار مكناسـة الزيتون*، طبعة حجرية، د. ت؛ الكليات في الفقه، طبعة حجرية، د. ت؛ *التعليل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد*، تح. محمد الزاهي، ط 1، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1979؛ أ. بَابَ التنبكتي، *نيل الابتهاج*، (طبع بهامشي، الديباج لابن فرحون) ط 1، مصر، 1351؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج 4، الرباط، 1929 - 1933؛ ع. الله كنون، *النبوغ المغربي*، ط 1، بتطوان، د. ت؛ م. الأمراني، مداخلة في ندوة مراكش الحلقة الثانية، نونبر، 1990.

محمد الأمراني

**الـغازية**، طائفة صوفيـة أسسـهـا الشيـخ أبو القاسم بن محمد بن عمر بن أحمد السوسي الهرغي مولداً، السجلماسي داراً ومـقـبـراً، المعـروف بسـيـدي الغـازي، المولود عـام 901 / 1494 والمتوفى 981 / 1574.

ويـتـصـل سيـاق نشأة هذه الطائفة بتـاريخ دخول الطريقـة الراشدية إلى المغرب وانتـشـارها به، والذي اتخذ في مـسـاره الجغرافي اتجاهين رئيسـيين، انتهى أولهـما إلى التـمركز في زرهون وبعض المداشر الزرواليـة ومواضع من القطر التـادلي، وامتد ثانيهـما على شكل هلال يصل طرفاه ما بين السـواحل الشـمـاليـة المتوسطيـة والسـواحل الأطلسـيـة الصحـراوية مروراً بالأقـاليم الشرقيـة والجنوبيـة، من بني يزناسن ففـجيج ووادي غير والرتب وكـرزاز وتوات وسجلماسـة ودرعـة إلى السـاقـيـة الحمراء. وقد استغرق هذا الانتـشار القرنين 10 و11 / 16 و17 بأتمهما، وتوج جهـود أجيـال متـعـاقـبـة وطبـقـات متـتـاليـة من مشـايخ وإخوان الراشدية المغاربـة، الذين جمعت بينهم وحدة السند وفرقت بينهم الاختلافات المذهبية.

وتنتمي الطائفة الغـازية في جغرافيتهـا إلى الاتجاه الثاني الأكـثـر امـتـداداً واتصالا، وتحـتـل مكانا مـتـقـدمـاً في تاريخ حلقـات تسلسله وانـتـشـاره. وتكاد تكون هي والطائفـة السهيلية الأصلين اللذين تفرعت عنهما جل الطوائف والزوايا المشكلة لهـذا الاتجـاه، وعلى رأسـهـا الكـرزازية والشـيـخـيـة والناصرية.

ويحسب الشيـخ الغازي علي الطبقة الراشدية الثانية، وقد انتسب إلى الشيـخ علي بن عبد الله السجلماسي (ت. 940 / 1533)، أي في حياة شيـخ شيـخه أحمد بن يوسف الراشدي الذي توفي في العـام الذي يليـه 931 / 1524. وصرف الغـازي عقداً كـاملاً من عـمره في مـلازمة شيخه السجلماسي إلى أن أتاه اليـقين في العـام المذكـور، وورث عنـه المشـيـخـة وقـد بلغ أشده وبلغ أربعين سنة.

ويشبه المذهب الصوفي الذي تصدر الشيخ الغازي لنشره، والمبـثوث في ثنايا التراجم المفردة فيـه، صورة الطلل الماحل الذي يبرز بعض رسمه وينطمر معظمه. ويوافق بعض ما بقي منه مـذهب الشـيـخ الراشـدي، ويتـفق مع نظرتـه إلى العـلاقـة التي تنظم بين الله والـوجـود والإنـسـان. ومنه قـولـه : "الجنة جنتـان : جنة في الدنيـا هي مـعـرفـة الله عـز وجل، وجنة الفردوس في الآخرة. من دخل جنة المعرفة لا يحتـاج إلى جنة الفردوس، إذ جنة الفردوس ليس فيـها إلا حظ النفس (كُلُوا وَاشْرَبُوا)، وجنة المعرفـة (وُجُوهٌ يَـوْمَـئِـذٍ نَّـاضِـرَةٌ إِلَـى رَبِّـهَـا نَـاظِرَةٌ). وقال أيضاً - والقول منسوب للشيخ أحمد بن يوسف الراشدي قبله - "شـتـان ما بين مـن همتـه الحور والقـصور وبين من همتـه رفع السـتـور ودوام الحضـور، ومـا افـترقت النـاس إلا في الهـمـة". والتـهـوين من شـأن الجنة باد في هذه الأقـوال المتصلة بالمعرفة والهمة، وهو هروع على أثر موقف الراشدي من الخلدين، والذي يقـول إن العـارف غـايتـه من الله لاسكنى الجنة، وإنما التـوجه الخالص إلى خالق الكونين، وأن العبـادة إحسان بلا علل، وعلى رأسها الخلدان.

وصدر الشيـخ الغـازي في مـشـيـخـتـه عن تعـاليم الشـيـخ الراشدي، فكـان يسعى في رضى النـاس وإطعـامـهم وإيوائهم والاحسـان إليـهم، وبالأخص طلبـة العلم، وقـال : "كـان سيـدي أحـمـد بن يـوسف الراشـدي يقـول : أيأوي الغـريب، أيأوي الغـريب ؟ ! أي يـعظم أمـر من يأوي الغـريب، لكثـرة أجـره ولايحصيه إلا الله، فإن في إطعام الطعام رضاء الله تعالى". وأقام الشيخ الغازي طريقته على الذكر، لأهميته في الطريقـة الراشدية ومدارها عليه، باعتباره أرقى وسائل الطلب والرجاء التي تعين السـالك على تلقي النور وبلوغ الغـاية واحـتـلال أعلى المقامات.

وكـان مـثل الشـيـخ الراشـدي يؤثر الذكر بالجـمع والجـهـر، وذكر بعض أصحـابه أنهم كـانوا جلوسـاً عنده، "والفقـراء في الحـضـرة يذكـرون لا إله إلا الله حتى وصل العـصـر، فـقـال بعضـهـم : نسكتـهم يا سـيـدي حـتى يصلون العـصر، فـقـال الشـيـخ : إنا لا نقـول لمن يذكـر الله اسكت". وكـان يحـذر من الغفلة التي تـتربص بالأعضـاء القائمة بالذكر من الانسان من لسـان وقلب وجـوارح، وقـال : "أشـد المصـائب الـغـفلة، قـال تعالى (ولاَتَـكُـنْ من الْـغَـافِـلِينَ)، وقال صلى الله عليه وسلم : لاظلمـة أشـد من عـمى القَلْب"، وكـان يسـتـشـهـد بالحـديث القدسي القائل على لسان الحق "أنا جليس من ذكرني".

وجـمع الشـيخ الغـازي مـثل الشـيـخ الراشـدي بين المعرفـة والشطح، وصدرت عنه شطحات في مقالات لم نقف عليها، والشطح عـلامـة بلوغ مرتبـة العـارف. وقد أسلفنا قـول الشـيـخ الغازي يجعل المعرفة جنة الدنيا التي لا يحتـاج العارف معها إلى جنة الفردوس.

واسـتـمـرت الطائفـة الغـازية وتـفرعت وانتـشـرت على يد العديد من أتباع الشـيخ الغازي وأتباعهم، ومن أكابر تلامذته ولد أخيـه أحمد بن يوسف السجلماسي، ونجل شيـخه محـمد بن علي بن عـبـد الله السـجلمـاسي وكـان يخـرج إلى توات وتنبكت للتـجـارة، والفـقـيـه الصـوفي عـبـد الله الدليـمي، ومـسـعـود بن بركـة، وعـبـد الواحد الجـاوزي، وأبو القـاسم بن مـولود الجـاوزي وأبوه مـولود من أصحـاب الشـيـخ أحـمـد بن

يوسف الراشدي، ومحمد الفيلالي وأخوه أحمد دفيني مراكش، وأحمد بن محمد الفيلالي دفين بني بوزرا.

واشتهر من بين تلامذة الشيخ الغازي مسعود بن مبارك الفيلالي الذي تصدر للمشيخة بفاس، وأسس بها زاوية غازية وافرة التلامذة والأتباع والأشياع. وتوفي في أوائل القرن (11 / 17)، ودفن خارج باب الشريعة المعروف بباب المحروق من فاس القرويين، وبنيت عليه قبة. ونبتت قريباً من روضته نخلة، ولذلك عرف عنه أهل فاس "بسيدي مسعود مول النخلة". وظلت روضته معمورة من قبل الفقراء الغازيين، ولم تنقطع عمارتهم منها إلا بعد أن أسس الشيخ العربي الرندي الأندلسي (ت. 1177 / 1763) زاوية بداره براس الشراطين من فاس القرويين، فتحولوا إليها. وقد أحيى هذا الشيخ ذمامة الطائفة الغازية بفاس خلال القرن (12 / 18)، وشد المطا إلى تافيلالت وأخذ عن المشايخ الغازيين بزاوية تبوبكرت قبل أن يؤسس زاويته المذكورة.

ومن مشاهير الطبقة الغازية الأولى الشيخ أحمد بن علي الحاجي الدرعي (ت. 998 / 1589)، صاحب الزاوية المعروفة "بزاوية جبار المكسور" بقصر أولاد الحاج على الضفة الشرقية لنهر درعة. وتؤرخ مشيخته لانتقال الطريقة الزروقية بوجه عام والطائفة الغازية بوجه خاص من تافيلالت إلى درعة، حيث انثال عليه الناس من مزگيطة إلى محاميد الغزلان على مشارف الصحراء. وورث عنه مشيخة الطائفة الغازية تلميذه عبد الله بن حسين الرقي المدعو القباب (ت. 1045 / 1635)، الذي انتقل من زاوية سيد الناس بفزواطة من درعة إلى زاوية تامگروت الأنصارية، والتي أصبحت حسينية لعلو صيته وكثرة أتباعه، وعن طريق تلميذه محمد بن ناصر الدرعي (ت. 1085 / 1674) ستتصل السلسلة الغازية بالطائفة الناصرية.

ومع هذا الاتصال تطوى الصفحات المستقلة من تاريخ الطائفة الغازية، والسابقة لنشأة الناصرية وتطورها المتعاظم، الذي غبر في وجه العديد من المشايخ، وجرف في طريقه العديد من الزوايا، وعفا معه أثر العديد من الطوائف. ويشرع التأريخ الناصري للغازية باعتبارها توطئة وتمهيداً للناصرية، ويحتب الشيخ أبو القاسم الغازي مكانة مكينة في سلسلة الأقطاب التي تصل الشيخ محمد بن ناصر قطباً عن قطب بالرسول (ص). ويسلم له الناصريون بالامامة، ويقولون إنه رأس طريقهم الأكبر، وأصلها الأشهر، وسندها الأعلى في الشاذلية. ويجعلونه أمجد أهل الطريق، وأبجلهم وأشرفهم وأصلهم، وأولى أهل الطريق وأفضلهم، ورئيس الأولياء وصنديدهم. وعنوا بشد الرحال إلى روضته بتبوبكرت، وتنافسوا في تعليق قصائد مدحه بجدرانها، وتواطأوا على أكبار من صافحهم وانتسب في حرمها إلى شيعتهم.

وصبغ الناصريون تاريخ الغازية بصبغة ناصرية محضة، وأقحموا العمل على أحياء السنة في سياق نشأتها وصلب دعوتها، وحاولوا سدل الأستار بينها وبين الشبهات التي حامت حول الطريقة الراشدية شيخاً ومذهباً وأتباعاً. ومع ذلك فان نفراً من أتباع الزاوية الناصرية تبرأوا من الشيخ محمد بن ناصر لما حدث بقولة " من رأى من رآني إلى سبعة ضمنت له الجنة" بسنده إلى الشيخ الغازي، وكتبوا في ذلك كراسة، وأضرموا على الناصريين نار الفتنة في سجلماسة بالذات. وقالوا إن هذه المقالة توقع الناس في الأمن، وفي الاعراض عن علم التوحيد، زيادة على أنها لا وثوق بها ولايعول عليها بحال. ولم تصرف هذه الفتنة الناصريين عن إشاعة هذه القولة بين خاصة وعامة أتباعهم، والاذن بروايتها لأشياعهم من الشرقاويين، واستمر الناس على خلافهم في شأنها، وانقسموا إلى معتقدين ومنكرين.

ولاشك أن الناصرية قد كسفت بدر الغازية، وزاحمتها شيئاً فشيئاً إلى أن اضمحلت ولم يبق منها إلا مزار تبوبكرت. وقد تم احصاء الغازيين بالمغرب خلال النصف الأول من القرن (14 / 20) فكانوا أقل من ألف مريد، نصفهم بتافيلالت، وقريباً من المائتين بمكناس، وقريباً من المائة بالرباط، وبضع عشرات في كل من فاس ومراكش وآسفي والأطلس المتوسط.

م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، 72 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، 122 ـ 130 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تح. نوحي، 315 ؛ نفس المؤلف، *الروض الزاهر*، تح. م. الغالي، 92 ؛ أ. المنالي الزبادي، *سلوك الطريق الوارية*، تح. ن. بنونة، 354 ـ 360 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 193 ـ 195 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 24 ؛ *المعلمة*.

L. Rinn, *Marabouts et Khouans*, 274 - 275 ; O. Depont et X. Coppolani, *Les confréries religieuses*, 468 ; G. Spillman (G. Drague), *Esquisse d'histoire religieuse*, 75, 120, 122, 186, 190, 277.

عبد الله نجمي

ابن أبي **غافر**، أبو زيد **عبد الرحيم** بن مسعود عرف بابن أبي غافر، من أهل سبتة، سمع وتفقه بها، وارتحل إلى مصر ولقي أئمة المالكية بها مثل بكر بن أبي العلاء القشيري وأبي حفص الإسكندراني وغيرهما. أخذ عنه كثير من مشيخة بلده سبتة منهم عبد الرحيم ابن العجوز الكتامي (راجع في المعلمة مادة "بنو العجوز").

توفي ابن أبي غافر بعد سنة 390.

عياض، *المدارك*، 6 : 276.

أحمد عزاوي

**الغافقي**، أبو إسحاق **إبراهيم** بن **أحمد** بن عيسى بن يعقوب الغافقي الإشبيلي السبتي. وغافق قبيلة من الأزد، وإليهم ينسب حصن غافق من أعمال فحص البلوط بالأندلس غير بعيد عن قرطبة.

ولد الغافقي بإشبيلية سنة 641 / 1243 وحُمل صغيراً إلى سبتة سنة 646 / 1248 عندما تغلب النصارى على إشبيلية. وبسبتة نشأ وتربى على العلم وعلى مصاحبة

العلماء. فأخذ علم العربية على كبير النحاة أبي الحسين بن أبي الربيع فتقدم فيها، ونهل من علم القراءات عن استاذها أبي الحسن بن الخضار، وسمع الحديث عن الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن جرير، وقرأ *الموطأ* و*الشفا* على القاضي محمد بن عبد الله الأزدي وعلى الحافظ أبي يعقوب يوسف الحساني، وقرأ بالتيسير والكافي على أبي بكر محمد بن شلبون وعلى أبي العباس أحمد بن ثابت المازري، وروى عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان والأديب الفرضي أبي الحكم مالك بن المرحل المالقي والقاضي أبي عبد الله بن أبي موسى عمران وغيرهم من علماء المشرق والمغرب والأندلس. تصدى الغافقي للتدريس وخاصة علوم العربية بمدارس سبتة فصار شيخها وأستاذ أهل المغرب فيها، وألف فيها كتباً وتقاييد نافعة. كما برز في تدريس علوم القراءات وتفنن فيها حتى أصبح من كبار شيوخها وصنف تأليفا في قراءة نافع. وكان يحج إليه طلبة العلم فتتلمذ على يديه علماء كبار في قراءة القرآن وعلوم العربية من أمثال المقرئ أبي القاسم بن يحيى بن محمد الوَازَرْوالي بن درهم، والخطيب أبي جعفر الزيات، وشيخ النحاة بغرناطة أبي عبد الله محمد بن علي الخولاني، والقاضي أبي بكر محمد بن أحمد بن شبرين والقاضي أبي إسحاق إبراهيم بن يحيى بن زكرياء والقاضي أبي القاسم الشريف الغرناطي وأبي القاسم بن عمران الحضرمي. تولى الغافقي إلى جانب التدريس قضاء سبتة مدة من الزمن إلى أن توفي بها في آخر ذي القعدة من عام 716 / 1316.

النباهي، *المرقبة العليا في القضاء والفتيا*، تح. ليفي بروفنسال، بيروت، بدون تاريخ، ص. 133 - 134 - 153 - 154 - 176 ؛ ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً*، *العبر*، ج 7، بيروت، 1978، ص. 831 ؛ ابن الجزري، *غاية النهاية في طبقات القراء*، بيروت، 1980، ج 1، ص. 8 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، بيروت، د. ت. ج 1، ص. 13 ؛ السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، بيروت، د. ت. ج 1، ص. 405 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، طبعة القاهرة، تونس، 1970 : ج 1، ص. 176 - 177 ؛ ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، بيروت، د. ت، ج 6، ص. 38.

**الغافقي، محمد بن إبراهيم** شيخ النحاة المترجم أعلاه. كان فقيها راوية ومشاركاً في فنون شتى. يعد من أشهر الوراقين بسبتة والمغرب الأقصى. له مصنفات كثيرة في علوم مختلفة.

توفي قبل عام 750 / 1350.

مجهول، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب*، الرباط، 1984، ص. 31 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1991، ص. 60.

رشيد السلامي

**الغاق والغاقة** كما في اللغة وفي المعاجم وكما ينطق به في بعض المناطق المغربية، طائر بحري أسود الريش من رتبة كفيات القدم البجعيات Pélicaniformes ومن فصيلة Phalacrocoracidae، يألف الشواطئ والأماكن الصخرية الساحلية ويتغذى من الأسماك البحرية. منه نوعان يعيشان في المغرب.

الغاق الكبير Phalcrocorax carbo sinensis ويسمى أيضاً غراب الماء وغراب البحر لسواد ريشه المعدني اللمعان. يسمى بالفرنسية Cormoran وبالإنجليزية Cormorant وبالإسبانية Cormoran grande وبالإيطالية Marangone. يتميز بريش أسود معدني اللمعان على جسده وبخصلة من الريش الأبيض على عنقه من الجهة الأمامية، ذيله طويل نسبيا بقربه غدتان تفرزان مادة زيتية تجعل الريش كتيمة، عنقه طويل ممتد نحو الأمام. للقوائم أربعة أصابع، ثلاثة منها ملتحمة بواسطة غشاء سباحي والرابع الخلفي حر. قده بين البجعة والبط، ويحسن السباحة والغطس حيث يبلغ أعماقاً تتعدى 20م ليبحث عن الأسماك وتدوم مدة الغطس دقيقة واحدة. المنقار مسطح وممتد نسبيا، رمادي مصفر. الإناث شبيهة بالذكور ويبلغ طول بسطة الجناحين 130 - 140 سم وطول الجسم 90 سم ويزن الكبار 1700 - 2900 غرام. طائر اجتماعي يعيش في مجموعات متعددة الأفراد. عدة مجموعات أوروبية تشتي على السواحل المتوسطية وخاصة منها رأس كبدانة وصبخة بوعرك ومصب نهر ملوية وسد محمد الخامس، بينما معظم مجموعات المناطق الساحلية الأطلنطية مستقرة في الجهات لوسطى والجنوبية من البلاد وتتوالد قرب الصويرة وماسة وسيدي إفني والداخلة منذ أبريل إلى يونيو. توضع الأعشاش متقاربة على الصخور الساحلية وتفرش بالأغصان اليابسة وقطع الطحالب البحرية. يبلغ عدد البيض 3 - 5 زرقاء شاحبة، طول قطرها 6.6 سم وتزن 50 غرام. يحضن البيض بالتناوب مدة 28 - 29 يوماً. يقتات الصغار من الأسماك يأتي بها الآباء وتغادر العش بعد خمسة أسابيع وتحسن الطيران بعد شهرين.

الغاق المتوج Phalcrocorax aristotelis ويسمى بالفرنسية Cormoran huppé وبالإنجليزية Shag وبالإسبانية

وبالإيطالية Cormoran monodo Marangone dal ciuffo. يختلف عن الغلق الكبير بريشه الأسود الموحد على سائر الجسد وعدم وجود خصلة الريش الأبيض على العنق، تبلغ بسطة الجناحين 90 ـ 100 سم وطول الجسم 76 سم. طائر اجتماعي يعيش في مجموعات يتراوح عدد أفرادها بين 4 ـ 20. تشتي المجموعات الأوروبية على طول السواحل المتوسطية والأطلنطية تضاف إلى مجموعات مستقرة في المناطق الممتدة بين الواليدية وماسة وهناك بضع وحدات تتوالد قرب الصويرة وماسة وسيدي إفني والداخلة منذ أبريل إلى يونيو. نمط العيش والتوالد لهذا النوع شبيه بالغاق الكبير.

م. رمضاني، *البط*، *معلمة المغرب*، الجزء 4، ص. 1264 ـ 1265 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*. Elsevier, 1977, 420 p.

محمد رمضاني

ابن **غالب، عبد الله** بن غالب بن تمام بن محمد الهمذاني : عالم صالح ورع من أسرة علمية يرجع أصلها إلى مدينة نكور، وسكنت سبتة واشتهرت بها. كان أبوه عالما متضلعا في الوثائق والفقه والحساب والفرائض، وله في ذلك تآليف.

أخذ أبو محمد بن غالب عن أشياخ بلده سبتة، ورحل إلى الأندلس، فسمع من أبي محمد الأصيلي، وأبي بكر الزبيدي. ثم يمم شطر المشرق نحو سنة 380 / 990، فدخل القيروان صحبة بلديه عبد الرحيم بن العجوز الكتامي، وسمعا معا من أبي محمد بن أبي زيد القيرواني كتبه، وتابع ابن غالب طريقه إلى المشرق فسمع بمصر من أبي بكر ابن إسماعيل بن المهندس وابن الوشاء، وكانت له أسفار كثيرة ربما وصل خلالها إلى العراق.

وصف بالتفنن في علوم كثيرة، وكان قائما على المذهب المالكي، "نظارا حافظا بليغا أديبا شاعرا مجيدا" *المدارك*. فضلا عما اشتهر به من الصلاح والدين. وللتأكيد على شهرته العلمية وتضلعه في الفقه ذكرت المصادر أن رجلا من أهل سبتة رفع مسألة إلى القيروان، فقيل له أليس ابن غالب حيا ؟ قال نعم، فقيل له : ما ينبغي لبلد فيه مثله أن يرفع منه سؤال. شاوره قاضي سبتة ابن زوبع، ثم اعتمده قضاتها بعده إلى أن مات.

أخذ عنه جماعة من أهل سبتة، منهم ابنه القاضي أبو عبد الله، وإسماعيل بن حمزة، وأبو محمد المسيلي، والقاضي ابن حجاج، والقاضي ابن جماح وابن علا قومه وابن البربا، وغيرهم.

توفي في صفر سنة 434 / 1042.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تح. سعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف، 1983، ج 8، ص. 188 ـ 189 ؛ ابن بشكوال، كتاب *الصلة*، القاهرة، 1955، ج 1، ص. 288 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف، 1993، ق 3، ص. 154 ؛ ابن فرحون، *الديباج المذهب*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، ج 1، ص. 435 ـ 436.

ابن **غالب، محمد** بن عبد الله بن غالب بن تمام الهمذاني : من أسرة علمية سبتية، ومن أهل الفضل والورع. أخذ عن أبيه ومن شيوخ بلده، ثم حج فسمع من عدد من علماء مصر مثل الحوفي، وأخذ بمكة عن أبي ذر الهروي. نفي صحبة جماعة من فقهاء سبتة إلى مالقة فيما يبدو خلال ظروف الاضطراب التي عرفتها مدينتهم إبان حكم الحموديين. وعاد إلى سبتة فعين قاضياً خلال عصر المرابطين، ثم نقل إلى قضاء الجماعة بمراكش. وقد أدركته محنة أخرى فأخرج مع أهله إلى بادس، وبعد رجوعه إلى سبتة تفرغ للفتوى إلى وفاته. وكان حسن السيرة متثبتا في قضائه.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تح. سعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف، 1983، ج 8، ص. 170 ـ 171.

محمد المغراوي

**غالي، أحمد** بن محمد ولد سنة 1917 بمدينة الدار البيضاء عمل الشهيد في صفوف المقاومة السرية المغربية، وشارك مشاركة فعالة في تحرير البلاد واسترجاع سيادتها.

ألقت السلطات الاستعمارية عليه القبض بتهمة امتلاك بعض الأسلحة وتخزينها (بندقية ومسدس وقنبلة) وعذبوه كثيرا ولما أعياهم البحث معه، ولما لم يقر لهم بشيء رموه من أعلى مركز الشرطة (كومسارية المعارف) فسقط رحمه الله شهيداً مقدما روحه ثمنا للحرية والاستقلال.

وكان ذلك بتاريخ 15 شتنبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524708.

**الغالية** عرفت الغالية بالمغرب منذ أقدم العصور، وكانت تدخل ضمن أصناف الأطياب المستوردة إليه من المشرق العربي والحوض المتوسطي. وقد نقل العرب صناعتها عن حكماء اليونان القدامى، وبرعوا فيها لعدة قرون، وجعلوا منها مادة رفيعة وثمينة تهدى للملوك والحكام دون غيرهم، واستعملها الأطباء منهم في علاج عدة أمراض ذات الصلة بالأبدان والغرائز الجنسية. وذكر البكري أن المولى إدريس الأول قُتل غدرا بغالية مسمومة، وقال إن الخليفة العباسي شكا إلى يحيى بن خالد البرمكي دخول المولى إدريس إلى بلاد المغرب وإقامته بها، فتولى يحيى المذكور عملية قتله بواسطة سليمان بن جرير الجزري.

إلا أن المغاربة يطلقون أحيانا اسم "الغالية" على مسك الزبادة وقد ذكر عبد الرحمن السعدي في هذا الصدد أن

"السلطان مولاي أحمد الشريف الهاشمي - [أرْسَلَ] - رسوله إلى أسكيا الحاج بهدايا عجيبات له، وقصده في ذلك الاطلاع على حال بلاد التكرور، لأنه عزم على بعث رسوله إلى كَاغُ فتلقاه أسكيا بالإكرام، وأرسل له عند رجوع مرسوله أضعاف ما أَرْسَلَ هو من الهدايا من خدام وسنانير الغالية وغير ذلك". وقد شكلت مادة الغالية - (الزبادة) - إحدى أهم المواد التجارية التي كانت تنقلها القوافل المغربية من إفريقيا الغربية إلى حدود نهاية القرن الثالث عشر (19 م). وذكر دُ زُورَارَا /De Zurara أن المغاربة كانوا ينقلونها إلى بلدانهم وإلى قلعة أرگوين / Arguin إلى حدود منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، وأكد ڤالنتين فرنَانْدِشْ / Valentin Fernandes صحة تلك الشهادة، وأشار إلى أن مصادرها تقع في المناطق الممتدة من كَزَامَنسا بجنوب السنگال إلى غاية السِّيِيرَاليون الحاليتين.

وقد حظيت الغالية - (الزبادة) - باهتمام التجار المغاربة بصفة خاصة في البلاد السودانية، واحتكروا تجارتها بشكل كبير خلال القرن التاسع عشر الميلادي، فذكر محمد بن عثمان الحشائشي أن عدداً من أعيان التجار الغدامسية وصلوا إلى بلدة غات الليبية سنة 1896، وقد قدموا من بلاد السودان - (الأوسط) - "وكانوا يقيمون بكَانُو - [بنيجريا] - منذ ثماني عشرة سنة، وصلوا أثناءها إلى مكانة طيبة جدا، وكان لأحدهم يدعى (ابن حمود) بكَانُو أربعون قطا من النوع المنتج للزباد، يملكها لحسابه الخاص وتنتج له يوميا كمية كبيرة من الزباد السوداني دون اعتبار ما كان يشتريه من الزباد من التجار الآخرين". ومن المحتمل أن تكون هذه الطريقة هي الأكثر انتشاراً عند التجار المغاربة المقيمين في البلاد السودانية، في إنتاج وجمع وتصدير الزباد إلى المغرب.


أبو عبيد الله البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، تح. تر، دوسلان، باريس، ميزونوف، 1965 ؛ داوود بن عمر الأنطاكي، *تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب*، المكتبة الثقافية، بيروت، جزءان ؛ عبد الرحمن السعدي، *تاريخ السودان*، تح. تر، هوداس وبنوة، أنجي، بريدن، 1898 ؛ محمد بن عثمان الحشائشي، *الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق*، تقديم وتعليق ومراجعة، محمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، 1988.

Gomes Eanes de Zurara, *Chronique de Guinée*, Mem. n° 60, Dakar, 1960 ; Valentin Fernandes, *Description de la Côte d'Afrique*, Paris, Larose, 1938 ; Raymond Mauny, *Tableau géographique de l'Ouest Africain au Moyen Age*, Mem. n° 61, Amesterdam, Swets et Zeitlonger N.V. 1967.


خالد أوشن

**غَانم**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Janem - Ganim - Ganem.


م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1213.


ابن **غَانم، محمد** قائد مشارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان المتوكل وقد فر يوم 4 غشت 1578 إلى أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال، ومنها التحق بعاصمة لشبونة حيث انضم إلى حاشية الأمير مولاي الشيخ بن السلطان المتوكل وظل بجانبه إلى أن اعتنق الأمير دين الكفر.


*Archivo General de Simancas* (España), Guerra antigua


محمد ابن عزوز حكيم

ابن **غَانم، يحيى** بن علال القرشي العمري المالكي (تـ. 945 / 39 - 1538) ينسب إلى قبيلة بني مالك. إمام في العلم والعمل. من أجل تلامذة الشيخ التباع. وأخذ كذلك عن أحمد الحارثي عن الإمام الجزولي. وكانت له زاوية بموضع يقال له تيزغوين من بلاد أزغار (قريب من واد الردم، حيث كان الخلط يستقرون آنذاك). ودفن بوصية منه في فاس. وحضر السلطان أحمد الوطاسي لجنازته.

توفي سنة 945 / 1539.


ابن عسكر، *دوحة*، ص. 140 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج*، ص. 130 - 144 - 148 ؛ م. ع. الفاسي، *مرآة*، ص. 190 ؛ م. م. الفاسي، *ممتع*، ص. 55 - 109 ؛ ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، ص. 70 - 71 ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، ص. 68 ؛ أ. ابن يوسف الفهري الفاسي، *المنح الصفية*، ص. 13.


المصطفى البوعناني

**غانية** (بنو -) تنتمي أسرة بني غانية إلى قبيلة مسوفة، عاصرت دولتي المرابطين والموحدين، وتوارث أفرادها الولاية والحكم في الأندلس وجزر البليار وإفريقية. قادت مقاومة عنيفة ضد الدولة الموحدية على امتداد حوالي قرن من الزمان، إلى أن توفي آخر ثوارها : يحيى بن إسحاق 633 / 1235 / 1236.

ومسوفة التي ينتسب إليها بنو غانية، إحدى قبائل صنهاجة ؛ كانت مواطنها في شمال إفريقيا، وأمام ضغط القبائل الأمازيغية البترية، اتجهت إلى الغرب والجنوب عبر موجات بشرية، شأنها في ذلك شأن القبائل الصنهاجية الأخرى، لتستقر في الصحراء، بين المغرب والسودان الغربي، في مناطق قاحلة تقع بين سجلماسة في الشمال وأودغشت في الجنوب، وكانت بعض بطونها توغل شرقا حتى تصل تادمكة وكوكو، مما جعلها تبسط سيطرتها على الطريق الحيوي للتجارة العابرة للصحراء ؛ وظلت كذلك إلى زمن ابن بطوطة (القرن 8 / 14).

ساهمت مسوفة في الأحلاف الصنهاجية التي مهدت السبيل لقيام دولة المرابطين، وانخرطت في الدعوة التي قادها عبد الله بن ياسين، فوفدت على المغرب الأقصى ضمن القبائل الصنهاجية الأخرى، خاصة لمتونة وجدالة، استجابة للدعوة التي وجهها إليها أمراء المرابطين للهجرة إلى الشمال

والاستقرار إلى جانبهم حتى "أصبح للكثير منهم في دولة المرابطين حظ وجاه" (ابن خلدون).

كان علي بن يوسف أول من برز من أسرة بني غانية على المسرح السياسي المرابطي، فقد أهلته كفاءته ومكانته بين قومه، ليكون قريباً من الأمير يوسف بن تاشفين. وربما كان تقريب الأمير المرابطي له مما أثار غيرة بعض رجالات لمتونة، تطورت إلى خلاف، مما اضطره إلى النجاة بنفسه واللجوء إلى الصحراء موطنه القديم. غير أن يوسف بن تاشفين استرضاه بعد سنين وأعاده إلى مكانته السالفة، التي يرجح أنها منصب مهم في البلاط ؛ وزوجه امرأة من بيته تدعى "غانية"، ومنها استمدت تسمية الأسرة.

ويعد تعيين يحيى بن علي بن يوسف من قبل الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، حاكما للأندلس سنة 520 / 1126، أول بروز سياسي فعلي لأسرة بني غانية. فقد ظهر محمد بن علي بن يوسف، الذي عهد إليه أخوه يحيى بحكم جزر البليار، عقب اندلاع ثورة هناك في السنة ذاتها.

وهكذا كان بروز كل من يحيى ومحمد ابنا علي بن يوسف بمثابة تأسيس لأسرة حاكمة، تحت حكم المرابطين، ومستقلة بعد انهيارهم، في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

خاض بنو غانية الصراع ضد المتمردين على الدولة المرابطين في السنوات الأخيرة من عمرها، حيث شهدوا انفصال معظم المدن الأندلسية عن المرابطين، وحاولوا الوقوف في وجه التدخل المسيحي الإسباني من الشمال، والموحدي من الجنوب. وعرف نفوذ بني غانية بعض التراجع بسبب عجز يحيى بن علي عن منع تطور الأحداث في الأندلس لصالح الموحدين، وتوفي في خضم ذلك في غرناطة، في شعبان 543 / دجنبر 1148.

وفي البليار، كان إعلان سقوط دولة المرابطين يعني استقلال الجزر استقلالا نهائيا تحت حكم محمد بن غانية، الذي انصرف إلى العناية بشؤونها ؛ وآوى فلول المطاردين في الأندلس، من أتباع المرابطين، وربط علاقات ودية وتجارية مع المدن الإيطالية (بيزا وجنوة)، إلى أن قاد ابنه إسحاق انقلابا ضده، رداً على إعلانه ابنه الأكبر عبد الله ولياً للعهد.

وهكذا أصبح إسحاق بن محمد حاكماً للبليار منذ سنة 550 / 1155، يدير أمورها بمعزل عن الصراعات التي شهدتها الأندلس بين الموحدين والثوار الأندلسيين والإسبان، مما أتاح له القيام بتحصينها وضبط شؤونها، بمساعدة أولئك الذين فضلوا الحفاظ على ولائهم للمرابطين، وبفضل هؤلاء أيضاً قاد حملات عسكرية في البلاد المسيحية. ووعيا منه بأن استقرار جزر البليار رهين بانشغال الموحدين بأحداث الأندلس، وبأن خضوع الأندلس للسيطرة الموحدية، يعني تفكير الخلفاء في التوجه إلى الجزر غير البعيدة منها، قام بمهادنة الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن عبر إرسال الهدايا والأسرى المسيحيين، لكسب مودته.

وحدث ما توقعه بن محمد من تطلع الموحدين إلى جزر البليار، ففي سنة 578 / 1182 / 1183 دعا الخليفة الموحدي يوسف، زعيم بني غانية إلى الدخول في طاعته والدعاء له على المنابر. وأحدثت هذه الدعوة انشقاقا في صفوف بني غانية، وانقسموا بين راغبين في الاستجابة لها وبين آخرين فضلوا الاستقلال وقيادة المقاومة ضدها. وأمام تردد إسحاق في اتخاذ القرار المناسب، فكر في إشغال أتباعه بالحرب ضد المسيحيين، فكانت تلك آخر حملة في هذا الاتجاه، حيث قتل فيها سنة 579 / 1183.

غير أن تأجيل الرد على الدعوة الموحدية الموحدية لم يعد مقبولا لدى خلفه محمد بن إسحاق، الذي وجد نفسه أمام خيارين : الاستجابة وما قد تثيره من حرب أهلية بين أنصاره، أو الرفض وتبعاته، إذ لن يكف آنذاك الموحدون أيديهم عن إمارته.

أظهر محمد بن إسحاق ميله إلى الخضوع للموحدين، فأعلن طاعته لهم. وسارع الخليفة الموحدي إلى إيفاد أحد قادته، و علي بن الربرتير، إلى جزر البليار للوقوف على جدية قرار بني غانية والاطمئنان إلى صدقه. وكان ذلك إيذانا بإشعال نار الفتنة في ميورقة، حيث دبر في السر انقلاب ضد محمد بن إسحاق، تزعمه إخوته، وعلي رأسهم علي، فقاموا بسجنه ومبعوث الخليفة، واستولوا على السفن التي حملته من سبتة. وجرت هذه الأحداث فيما بين محرم وربيع الثاني من سنة 580 / أبريل - يونيوز 1184.

اعتقد علي بن إسحاق وقد تولى زعامة بني غانية، أن بإمكانه الوقوف في وجه الموحدين، شرط أن يكون ذلك خارج جزر البليار، وبالضبط في إفريقية، مستغلا ظروفهم هناك. ومن هنا جاء تفكيره في غزو ممتلكات الخلافة الموحدية في المغرب.

واتخذت مقاومة بن غانية للموحدين في بلاد المغرب أبعاداً خطيرة، وذلك بنجاحها في عقد تحالفات مع الأتراك الأغزاز ومع عرب بني هلال، وفي الحصول على دعم بربر الإمارات السياسية السابقة كبني حماد، واستقطاب مجموعات بربرية مازالت على ولائها للمرابطين.

وهكذا تمكن علي بن إسحاق من تحقيق انتصارات سريعة في المغرب الأوسط،لكنها سرعان ما تحولت إلى انتكاسات بمجرد تحرك القوات الموحدية، براً وبحراً، في المنطقة ؛ ليضطر بنو غانية إلى التوجه إلى إفريقية، خاصة في الجنوب، في قفصة وتوزر... مما استدعى تدخل الخلافة الموحدية من جديد.

وتوالت جولات المواجهات بين بني غانية والموحدين في إفريقية، أسفرت إحداها عن هزيمة موحدية (موقعة عمرة 583 / 1187)، ثم هزيمة بني غانية (موقعة الحمة في السنة ذاتها)، ليتوالى سقوط مدن وقواعد إفريقية في يد الموحدين، مثل قابس وقفصة وتوزر ونفطة وتقيوس ...

وفي الوقت الذي كان فيه علي بن إسحاق يعمل على تجميع قواته لمواجهة الموحدين واستعادة ممتلكاته في إفريقية،

فاجأه الموت سنة 584 / 1188 / 1189، ليخلفه في زعامة بني غانية أخوه يحيى بن إسحاق.

وهددت حركة بني غانية بقيادة يحيى بن إسحاق، مرة أخرى الوجود الموحدي في إفريقية، فقد قاد هذا الزعيم انطلاقا من الصحراء حملات عسكرية، تمكنت من إخضاع طرابلس، مؤقتا، ثم قابس والمهدية، مما مهد السبيل أمامه لاكتساح مدن باجة وقسنطينة وبسكرة وبونة، ولم يبق أمامه سوى مدينة تونس مركز الوالي الموحدي.

وتفسر انتصارات يحيى ابن غانية تلك بقوة حركته وانبعاثها من جديد، كما تفسر بظروف الخلافة الموحدية التي كانت تعرف تدهوراً كبيراً، بفعل ثورات داخلية كثورة عبد الرحيم الجزولي في سوس، وبفعل انشغالها بفصل قاعدة بني غانية الأولى، وهي جزر البليار، عنهم، وهو ما تم فعلا، لتسقط الجزر نهائياً في يد الموحدين، ولم تعد للملثمين أية سيطرة عليها.

وتوجه يحيى بن إسحاق، من المهدية إلى تونس آخر معقل للموحدين بإفريقية، سنة 599 / 1203، فحاصرها في جيش كثيف لمدة أربعة أشهر، وحين لم تصلها الإمدادات، أعلنت استسلامها في 7 ربيع الثاني 600 / 14 دجنبر 1203، فدخلها ابن غانية ونكل بأهلها.

ولم تكن الانتصارات العسكرية التي حققها يحيى ابن غانية كفيلة بضمان استقرار الوضع لصالحه في المناطق التي خضعت له، خاصة وأن السياسة التي سلكها في تدبير شؤونها كانت تقوم على الشدة وقوة السلاح وقسوة المغارم. مما ولد شعوراً بالتذمر الشديد، تطور إلى إعلان عدة جهات التمرد عليه، مثل جبل نفوسة بعمل طرابلس، وطرة بإقليم نفزاوة والحمة وقابس. ووجدت الخلافة الموحدية نفسها مضطرة إلى القيام بحملة عسكرية حشدت لها جيشاً كبيراً وأسطولاً بحرياً، سيرهما الناصر الموحدي باتجاه بجاية وتونس. وحمل هذا التحرك إشعاراً لبني غانية بعزم الموحدين على استئصال حركتهم.

وهكذا قرر يحيى إخلاء تونس والتراجع إلى القيروان ومنها إلى قفصة التي دخلها الموحدون، ومنها إلى قابس حيث عقدوا العزم على مطاردته مهما كلفهم ذلك من ثمن. والتقى الطرفان في معركة تاجرا، قرب قابس، سنة 602 / 1205، أسفرت عن هزيمة زعيم بني غانية، أمام الشيخ عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي قائد الموحدين، وفراره في جماعة قليلة من أتباعه، في وقت كان فيه الناصر الموحدي محاصراً للمهدية، التي استسلمت له بعد مقاومة عنيدة، في جمادى الأولى 602 / 1205. ثم عاد الناصر إلى مراكش، بعد أن عين الشيخ عبد الواحد والياً على إفريقية.

لم يكن نصر تاجرا انتصاراً مبرما على ثورة بني غانية، وإن كان قد أعلن العد العكسي لنهايتها. فقد توغل يحيى ابن غانية في الصحراء وظل هناك يترقب الفرصة السانحة. وأمام ظهوره من جديد، بادر الوالي الموحدي عبد الواحد بن أبي حفص سنة 604 / 1207 إلى التصدي له، وأرغمه على التراجع مرة أخرى. والبحث عن مناطق ضعف في الامبراطورية الموحدية غير إفريقية ؛ وهو ما تحقق له في تلمسان حيث نجح في استقطاب قبيلة زناتة المناوئة للموحدين، التي آوته وبفضل دعمها تمكن من هزم الوالي الموحدي، خارج المدينة. وفضل يحيى عدم دخول تلمسان لامتناع أهلها عن دعمه، فاستولى على تاهرت مؤجلا تلمسان إلى فرصة أخرى.

وتحركت الخلافة الموحدية من جديد، بعد أن تيقنت أن حملة الناصر لم تكن كافية للقضاء نهائيا على بني غانية، فقرر يحيى التراجع مرة أخرى خوفاً من تضييق الموحدين الخناق عليه شرقاً (الهنتاتي) وغرباً (أبو زيد بن يوجان والي تلمسان). لكن الشيخ عبد الواحد الهنتاتي اعترض طريقه فهزمه، وجعله يلجأ إلى جبال طرابلس، بل ويواصل مطاردته في عقر داره جبال نفوسة، وهو ما تم له سنة 606 / 1209 / 1210، مما أسفر عن هزيمة منكرة لحقت يحيى ابن غانية وأتباعه.

استغل ابن غانية وفاة عبد الواحد الحفصي، والي إفريقية، في غرة المحرم 618 / 1221 ليعاود الظهور من جديد من معاقله الصحراوية، منتهزاً ما رافق ذلك من اضطراب الوضع في إفريقيه. فقاد جولات من الصراع ضد الوالي الموحدي الجديد (أبو العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن)، امتدت من طرابلس إلى بسكرة وتونس ورالقيروان. وبدا أن بني غانية عادوا لاكتساح إفريقية من جديد، فانتشر الهلع بين أهلها، غير أن هزيمة أخرى ليحيى ابن غانية قرب قرية مجدول، بين قفصة والقيروان أرغمته على التراجع من جديد إلى الصحراء.

وظهر يحيى ابن غانية في مناطق بجاية وبعض سواحل المغرب الأوسط، التي استطاع اكتساحها، غير أن تصدي والي إفريقية الجديد عبد الله بن عبو بن عبد الواحد الهنتاتي له، دفعه إلى الاتجاه صوب سجلماسة، مما أعجز الموحدين عن مطاردته، لكن إلى حين.

وتولى أبو زكريا الحفصي أخذ زمام المبادرة، فلم ينتظر ظهور يحيى بن إسحاق بل سارع إلى ملاحقته وأنصاره من عرب بني هلال وبني سليم وغيرهم، في المنطقة الواقعة بين طرابلس وورقلة.

وأمام شدة وطأة هذه المطاردة، لم يبق مع يحيى ابن غانية في أواخر أيامه سوى قلة قليلة من أتباعه المخلصين، فقد تخلى عنه إخوانه وأقرباؤه، وقتل ابناه في إحدى المواجهات ؛ ومع ذلك لم يفكر في الاستسلام، إلى أن توفي على ضفاف الشلف، غير بعيد عن مليانة، سنة 633 / 1235 / 1236، ودفن هناك، مخلفا وراءه ثلاث بنات، استأمنهم لدى خصمه الأمير أبي زكريا الحفصي، فحظين بمعاملة طيبة، وجعلت إقامتهن في قصر خاص بمدينة تونس، عرف بقصر البنات. وبذلك أسدل الستار على حركة بني غانية، وانقطعت أخبارهم.

**شجرة نسب بني غانية**

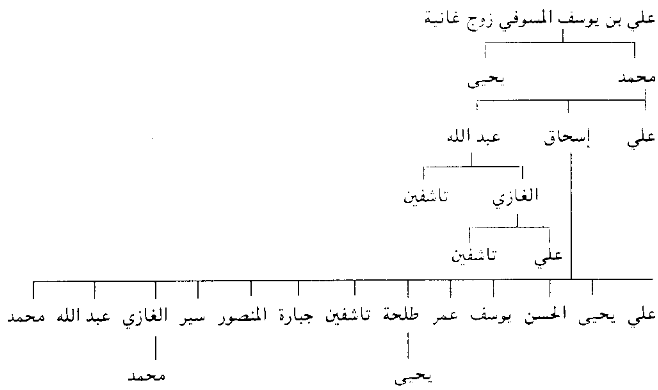


ابن **غانية، علي** بن **إسحاق** : ينتمي علي بن إسحاق إلى أسرة بني غانية الصنهاجية الشهيرة، التي قادت مقاومة عنيفة ضد الموحدين. فهو علي بن إسحاق بن محمد بن علي بن يوسف المسوفي، الملقب بالميورقي. تولى زعامة ثورة بني غانية في جزر البليار في ظروف مضطربة، فانتقل منها إلى المغرب الأوسط وإفريقية، حيث وجه من هناك ضربات موجعة للسلطة الموحدية، فتت في عضدها. وصفته المدونات التاريخية بالجرأة والبسالة والحكمة والحزم.

لم تسجل المصادر معلومات تهم حياة علي بن إسحاق قبل توليه قيادة حركة بني غانية في ميورقة سنة 580 / 1184 ؛ ففي هذه السنة حدث انقلاب في جزر البليار ضد زعيم الحركة محمد بن إسحاق، الذي اتخذ قرار إعلان ولائه للموحدين دون استشارة بقية إخوته، الذين نقموا عليه انفراده بالرأي، فقرروا التخلص منه، ورمود في السجن وعينوا مكانه أخاه علي. ويرجح وقوع هذه الأحداث بين تاريخ توجه الخليفة الموحدي يوسف إلى الأندلس في محرم 580 / أبريل - ماي 1184، وبين وفاته يوم السبت 12 ربيع الثاني 580 / 23 يوليوز 1184.

كان أول عمل أقدم عليه علي بن إسحاق وقد تولى زعامة الحركة، هو اعتقال علي بن الربرتير موفد الخليفة الموحدي وإيداعه السجن، ليتفرغ لتنظيم الدفاع عن جزر البليار، مستشعراً خطورة خطوته ومستغلاً انشغال الموحدين بشؤون الأندلس.

رغم الإمكانيات المادية والبشرية التي وفرتها جزر البليار لبني غانية، فقد ارتأى زعيمهم الانتقال منها إلى بلاد المغرب، لأنها توفر مجالاً شاسعاً للمقاومة والمناورة في انتظار المواجهة الحاسمة، كما أن مواجهة الخصم في عقر داره يحمل دلالة نفسية قوية، سواء بالنسبة لأتباعه أو لخصومه.

وتنم خطوة الانتقال عن جزر البليار إلى المغرب عن حس سياسي كبير، فقد عول علي بن إسحاق على دعم مجموعة من القوى، على رأسها عرب بني هلال وبربر الإمارات السابقة كإمارة بني حماد، بالإضافة إلى عدم جهله ببقاء مجموعات بربرية على ولائها للمرابطين. كما أنه بإعلانه الحرب على الموحدين سيجبرهم على استدعاء قسم كبير من قواتهم من الأندلس، فيصرف بالتالي نظرهم عن ضرب جزر البليار، قاعدته الخلفية.

كانت إفريقية تعيش اضطرابا سياسياً كبيراً في خلافة أبي يوسف يعقوب المنصور، إذ لم يكن الوضع قد استقر فيها لصالحه بعد، نتيجة بقائها في الظل أمام انشغال الموحدين بالأندلس والمغرب الأقصى (ثورة غمارة)، وبعدها عن مركز الخلافة في مراكش. وتعزز هذا الوضع بظهور الزعيم الأرمني قراقوش، أحد رجال صلاح الدين الأيوبي، على رأس مجموعات تركية مصرية، ابتداء من سنة 568 / 1173، جعلت هدفها الاستقرار في إفريقية، وتأسيس إمارة بها. وهو ما تحقق لها بدعم من العرب هناك.

عجل خبر موت الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف ببداية تنفيذ علي بن إسحاق لمشاريعه، فقد استغل انشغال الخليفة الموحدي الجديد بتوطيد سلطته، ليقوم بإسناد حكم البليار لأخيه طلحة، وليجهز أسطولا، قاده بنفسه صحبة بعض إخوانه كيحيى وعبد الله والغازي وجبارة. وكان الأسطول يتكون من 32 سفينة ومائتي فارس وأربعة آلاف من الرجالة، ساعدته رياح مواتية على مغادرة ميورقة والتوجه عرضا في البحر إلى الشرق. وبعد مرور عدة أيام وصل الأسطول إلى بجاية، واستولى عليها في 6 شعبان 580 / 12 نونبر 1184.

انضم العرب الهلاليون إلى زعيم بني غانية، خاصة منهم الأثبج وجشم ورياح - في حين ظلت زغبة وفية للموحدين - مما شجعه على تنظيم استقراره بمدينة بجاية والمنطقة المجاورة لها، فعين أخاه يحيى حاكما للمدينة، وعين الفقيه عبد الحق ابن الرحمان الأزدي خطيباً بالجامع الكبير. وعمل على كسب ود القبائل عبر توزيع الغنائم على أفرادها، ثم فتوحات جديدة خارج المدينة باتجاه الغرب، فتمكن من الاستيلاء على مدينة الجزائر، وولى عليها ابن أخيه يحيى بن طلحة، ثم واصل زحفه غربا، لتسقط كل من مدينتي موزية ومليانة في قبضته.

وكانت مدينة مليانة الحد الذي لم يتجاوزه علي بن إسحاق في فتوحه الغربية، باعتبار أن هذه المنطقة تعد مجال ولاء قوي للموحدين، وهو ما تؤكده برودة استقباله في مليانة نفسها، وباعتبار سماعه بخبر انتقال الخليفة يعقوب المنصور من الأندلس إلى المغرب.

عاد علي بن إسحاق إلى الجبهة الشرقية عبر قلعة بني حماد، التي اقتحمها بعد حصار دام ثلاثة أيام ؛ وبدعم من العرب وصل إلى أسوار قسنطينة الحصينة، التي استعصت عليه.

وأغرت هذه الانتصارات السريعة ابن غانية ودفعته إلى مواصلة زحفه، دون أن يلتفت إلى أن حلفائه من العرب وغيرهم لم يكونوا مستعدين للصمود معه في أول نكسة يتعرض لها، وهذا ما حدث فعلا.

عاد الخليفة يعقوب المنصور من الأندلس بعد أن اطمأن إلى استقرار الوضع نسبيا هناك، ليتفرغ لحركة بني غانية التي تهدد دولته. فقام بإعداد حملة عسكرية برية وبحرية، ضمن 20 ألف رجل، واتجهت شرقاً. وكانت أخبار هذه الحملة كافية لبداية تصدع صفوف بني غانية. فقد نزع أهل مليانة ولاءهم لعلي بن إسحاق، وعادوا إلى الطاعة الموحدية، مما اضطر حاكمها إلى الانسحاب منها ليلا، وهو ما عرضه للملاحقة التي انتهت بمقتله. وما حدث في مليانة تكرر في الجزائر، فقد قام أهلها بأسر حاكمها واستقبال الأسطول الموحدي بحفاوة وقدموا إليه الأسرى عنوانا لولائهم. ثم جاء دور مزية التي فتح أهلها أبوابها للموحدين.

أثرت هذه الأحداث في القبائل المناوئة للموحدين، ودفعتها إلى التخلي تباعا عن بني غانية، مما عجل بسقوط بجاية نفسها، التي انسحب منها يحيى وعبد الله ليلتحقا بأخيهما علي المحاصر لمدينة قسنطينة، وذلك أمام تقدم القوات الموحدية براً وبحراً. وهكذا سقطت بجاية بدورها في يد الموحدين في صفر 581 / ماي 1185 بعد أن ظلت سبعة أشهر بيد بني غانية.

وكان إقدام الأسطول الموحدي على مهاجمة مدينة بجاية خطأ كبيراً، عندما لم ينتظر وصول القوات البرية، مما وفّر لبني غانية فرصة تجميع صفوفهم ورفع الحصار عن قسنطينة واللجوء إلى الصحراء ؛ حيث لم تتمكن القوات الموحدية من اللحاق بهم.

واخترق علي بن إسحاق الأطلس الصحراوي عبر بعض الواحات ليصل إلى بلاد الجريد، وهناك بدعم من عرب جشم ورياح قام بفرض الحصار على توزر، التي استسلمت له بعد مقاومة عنيفة، سنة 582 / 1186، فصادر أملاك أهلها وباع سبيها في الأسواق. ومن توزر قصد ابن غانية قفصة التي فتحت له أبوابها دون مقاومة، ومنها إلى طرابلس التي عقد بها حلفا مع قراقوش وأنصاره الغز وعرب رياح.

ولم يهمل علي بن إسحاق جزر البليار، فأمام تطور الأوضاع بها لغير صالحه، منذ تدبير مبعوث الخلافة الموحدية علي بن الربرتير السجين انقلابا ضد الأمير طلحة ونجاحه في إرجاع محمد بن إسحاق إلى مكانه حاكما للجزر، وإعلانه ولاءه للموحدين سنة 581 / 1185 ؛ أوكل علي بن إسحاق إلى أخيه عبد الله مهمة استعادة الجزر، وهو ما تم له في ظروف غامضة.

واستشعرت الخلافة الموحدية خطورة الموقف فوجهت أسطولها المرابط في بجاية إلى الجزائر الشرقية، وفرضت الحصار عليها. غير أن رد فعل علي ابن غانية كان سريعا، فقد أوفد، مطمئناً إلى تحالفه مع قراقوش، أسطوله بقيادة أخويه عبد الله والغازي، اللذين وصلا إلى ميورقة وتمكنا بمساعدة أهلها من فك الحصار الموحدي عنها، في نهاية سنة 582 أو بداية 583 / 1187.

وأمام استفحال سيطرة بني غانية والعرب على جل جهات إفريقية عدا المهدية وتونس، قام الوالي الموحدي عبد الواحد الهنتاتي بمراسلة الخليفة الموحدي مستنهضا إياه لإنقاذ البلاد، خاصة وأن زعيم بني غانية علي بن إسحاق أصبح يتصرف في المناطق الخاضعة له باعتباره الأمير الشرعي للدولة المرابطية، فقد اعترف بولائه للخليفة العباسي الناصر بن المستضيء بالله، وراسله أملا في الحصول على دعمه، بل قام بإيفاد ابنه على رأس وفد إلى بغداد إلحاحا منه في طلب العون.

واستجاب الخليفة العباسي، فعقد لابن غانية على سائر ما تحت يده من أقطار وأمصار، ثم أصدر أمره إلى حاكم سوريا ومصر صلاح الدين الأيوبي بدعم ابن غانية، وهو ما حصل عليه علي بن إسحاق من قراقوش، الذي سارع إلى التحالف معه ضد الموحدين.

ودفعت هذه التطورات المتلاحقة الخليفة الموحدي يعقوب المنصور إلى تجهيز حملة عسكرية، بلغ تعداد أفرادها 20 ألف فارس. وفي بداية سنة 583 / 1187 غادر الخليفة العاصمة مراكش باتجاه إفريقية. واستعد علي بن إسحاق للمواجهة الحاسمة، بتجميع قواته في بلاد الجريد في الجنوب، حتى يكون قريبا من الصحراء، في حال انكساره. واستقر المنصور الموحدي بمدينة تونس، ومنها بعث بحملة تتكون من 6 آلاف فارس، دخلت في مواجهة مع بني غانية، في سهل عمرة، قرب قفصة، في 15 ربيع الأول 583 / 25 ماي 1185، أسفرت عن هزيمة الموحدين وفقدانهم أعداداً كبيرة من الجند، ولجوء الباقين إلى قفصة، حيث أمنهم ابن غانية ثم قتلهم.

وقرر الخليفة الموحدي المقيم في تونس القيام بنفسه وقيادة الحملة، وهو ما أحدث اضطرابا في صفوف بني غانية، اضطر علي بن إسحاق إلى الانسحاب إلى موقع حصين قرب قرية الحمة، بين قابس ونفطة، خاصة بعد انكسار العرب أمام الزحف الموحدي. وهناك التقى الطرفان في 9 شعبان 583 / 14 أكتوبر 1187، في معركة عنيفة، خلفت العديد من القتلى من بني غانية وأتباعهم العرب ؛ ليترك علي بن إسحاق إفريقية ويقصد الصحراء، ولتتوالى سقوط مدن وقواعد إفريقية بيد الموحدين ؛ مثل توزر وقابس وقفصة وتقيوس والحمة ونفطة ...

وأغرت هذه الانتصارات الخليفة الموحدي، فترك مطاردة بني غانية وقرر العودة إلى الأقصى معتقداً أن إفريقية أصبحت آمنة. غير أن علي بن إسحاق ظهر صحبة قراقوش من جديد في جنوب إفريقية، وقام بتجميع قواته وترميم صفوفها ؛ لكن الموت فاجأه في وقت كان يستعد فيه لبداية جولة جديدة من الصراع ضد الموحدين.

ويكتنف الغموض تاريخ وفاة علي بن إسحاق ابن غانية وظروفها، إذ يتراوح ذلك بين روايتين : الأولى لعبد الواحد المراكشي التي تشير إلى وفاته متأثراً بجراحه في معركة الحمة، في خيمة عجوز أعرابية ؛ والثانية لابن خلدون التي ترجعها إلى صابته بجراح في معركة ضد نفزاوة سنة 584 / 1188 / 1189. ثم إن روايات أخرى تذهب إلى أنه كان

حيا سنة 591 / 1195. ويشمل الغموض قبره أيضا، فهو موجود لدى نفزاوة، وفي روايات أخرى تم حمل جثته إلى ميورقة، ودفن بها. ومرد هذا الغموض هو تعرض المعلومات المكتوبة والأثرية إلى الإتلاف، أو انعدامها أساساً.

ولم تكن وفاة علي بن إسحاق لتنهي مقاومة بني غانية، فقد تسلم قيادتها خلفه يحيى بن إسحاق.

ابن **غانية، محمد** بن **علي** (ت. 550 / 1155) ينتمي محمد بن علي إلى أسرة بني غانية المسوفية الصنهاجية، التي اضطلع بعض أفرادها بدور فاعل في تاريخ الأندلس قادة للجيوش وولاة على بعض الجهات، واستمر هذا الدور بعد زوال الدولة المرابطية، في جزر البليار وإفريقية. وغانية، التي انتسب إليها هؤلاء - ومن ضمنهم محمد بن علي - هي قريبة يوسف بن تاشفين وزوجها يوسف كان أحد زعماء قبيلة مسوفة الصنهاجية.

تلقى محمد بن علي بن غانية تربيته الأولى في بلاط مدينة مراكش المرابطية، وأصبح موضع ثقة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، الذي أرسله إلى الأندلس، صحبة أخيه يحيى الوالي على بلنسية وقرطبة. وعهد إليه أخوه هذا بولاية بعض أعمال قرطبة التابعة له. وتذهب بعض المصادر إلى القول إن الأمير المرابطي عينه والياً على الجزائر الشرقية سنة 520 / 1126، عند قيام ثورة أهلها ضد الوالي وانور بن أبي بكر، وإن كنا نجهل الكثير عن السنوات الأولى من حكمه للجزر.

وتلقي ظروف المرحلة الانتقالية بين المرابطين والموحدين في الأندلس بظلالها على ولاية محمد بن غانية على جزر البليار، وإن كانت هذه الولاية سجلت فاتحة عهد جديد في تاريخها. فقد عمل على ضبط شؤونها بحزم كبير، جعل حكمه لها يمتد زمناً طويلاً إلى ما بعد وفاة الأمير المرابطي علي بن يوسف سنة 537 / 1143. بل إنه نجح في توطيد نفوذه بجزر البليار بمعزل عن تطور أحداث الدولة الموحدية، فقد حافظ على ولائه للمرابطين، واستمر في الدعوة لهم على المنابر إلى جانب خلفاء بني العباس.

وهكذا غدت جزر البليار تحت حكم محمد بن علي بن غانية ملاذا لفلول المرابطين، من أمثال ابن هلال والي لاردة. وشجع استقرار الأوضاع في الجزر أميرها على التحكم في شؤونها، فعهد إلى ابنه الأكبر عبد الله بولاية عهده.

وتختلف الروايات التاريخية بشأن مصير محمد ابن غانية بين قائلة بوفاته وتولية ابنه عبد الله بعده، وأخرى تقول بقيادة ابنه إسحاق انقلابا ضده وضد ولي عهده، انتهى بمقتلهما، وبتوليته أمور الجزائر الشرقية سنة 550 / 1155.

وقد حقق حكم محمد ابن غانية للجزائر الشرقية نوعاً من الاستقرار بفضل حنكته الإدارية والدبلوماسية، فقد ضبط شؤونها بمساعدة مجلس يسهر معه على تدبير أمورها. كما حافظ على علاقات طيبة بأخيه يحيى في الأندلس، وهو ما يعبر عنه مغادرته جزره سنة 538 / 1143 - 1144 نحو الأندلس مهنئا أخاه بمناسبة تعيينه قائداً عاماً لها. كما نجح في ربط ولايته بعلاقات ودية وتجارية مع المدن الإيطالية، خاصة بيزا وجنوة، منذ سنتي 544 - 545 / 1147 - 1150.

مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، 1985 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، 1978 ؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 10 : 1995 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، 1973 ؛ ع. الله بن محمد التجاني، *رحلة التجاني*، 1981 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر*، 6 : 1992 ؛ م. عبد الله عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، 2 : 1964 ؛ م. العروسي المطوي، *السلطنة الحفصية*، 1986.

Alfred Bel, *Les Benou Ghânya*, 1903.

عبد الإله بلمليح

**غَجُّو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Gallo نسبة إلى المدينة الإسبانية التي تحمل نفس الاسم.

**غجو، محمد** بن أحمد، كان يعتبر أمهر مدفعي بحامية تطوان سنة 1246 (1831).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1217.

محمد ابن عزوز حكيم

**غدات** (واد وحوض -) مجرى مائي بالسفوح الشمالية للأطلس الكبير الغربي، ينبع عند حدوده الشرقية بمنطقة فج تيزي ن تيشكا، يعتبر من أهم روافد نهر تانسيفت، ويقال إن التسمية معربة ومشتقة من كلمة أمازيغية : تاغدوت التي تعني جذع شجرة، وقد اشتهر سرير الواد بأشجار الصفصاف. تبلغ مساحة حوضه الجبلي 537 كلم$^2$ وطول مجراه الجبلي 50 كلم والسهلي بشرق الحوز 24 كلم. يبلغ معدل ارتفاع مجراه الجبلي 1825 متر ودرجة انحداره 15 درجة.

تبدأ منابع روافده من سفوح سلسلة أعراف أنرار أوزليم وأدرار تيغشت 3578م، تكون حاجزاً صخرياً بين الواجهة الأطلنتيكية الشمالية الغربية والواجهة الصحراوية الجنوبية الشرقية، تتجاوز بعض قممها 3500 م، يقطعها اثنان من أهم فجاج الأطلس الكبير هما : تيزي ن تلوات 2415 م الممر التاريخي نحو تافيلالت ودرعة، وتيزي ن تيشكا الممر الجديد الذي تعبره الطريق الوطنية رقم 9 بين مراكش وورزازات علوه 2200 م.

تتكون هذه الجبال المركزية من شيست قديم يرجع إلى الزمن الجيولوجي الأول توضع خلال نظامي الفحمي والكامبرو أوردوفيسي، تتوزع حول نوايا گرانيتية وصخور صهيرية اندفاعية : الريوليت، ترجع إلى ما قبل الكامبري.

ساهم اندفاعها خلال الانتهاض الهرسيني على رفع وتحويل الشيست إلى شيست متبلور، وإعادة تشكيل الكتل الكبرى بفعل ما تخللها من الفوالق والانزلاقات. ويبدو أن الأغطية الرسوبية للأزمنة اللاحقة، أزيلت بفعل عوامل التعرية القوية هنا. يلي هذه القمم نحو السافلة مجالات ترجع إلى الزمن ج ا، توضعت بها مواد البيرموترياس : حث وطين وهي مواد هشة، شكل فيها واد غدات وروافده مجراه الرئيسي، كانت تشكل الغطاء الرسوبي لما بعد الفترة الهرسينية تغطي القاعدة القديمة، تعرض خلال الحقبة البيرينية والألبية إلى حركات لي قوية، كونت به مقعرات واسعة تنفصل عن بعضها بمحدبات ضيقة وتدفقات بركانية قديمة مازالت تتمثل في سطوح من اللافا فوق بعض القمم. ونجد بسافلة الحوض مقعرات وأحواضاً أكثر اتساعا خاصة بصخور البيموترياس وسلاسل من الطبقات الكريتاسية. يتعاقب فيها الكلس والصلصال والحث وقليل من الرصيص، تكون كتلا وأعرافا يخترقها الواد مكونا أحواضا صغيرة وخوانق ضيقة متوالية تشرف عليها أجراف يبلغ علو بعضها مئات الأمتار. وتتراوح الارتفاعات في الجبال المتوسطة 1500 ـ 2000 م. وأهم ما يميز هذا الحوض الجبلي أنه ظل محافظاً على بنيته الأصلية رغم معاودة نشاط التعرية بقوة خلال الحركات التكتونية التي خلفت التواءات وانكسارات وانزلاق أغطية رسوبية ترجع إلى الزمن ج 2. فهو نهر سالف كجل وديان الأطلس الغربي، بالمقارنة مع أهم الحوادث الأطلسية. وتسمح المدرجات والسطوح الغرينية النهرية بتتبع أهم مراحل الحفر والترسيب التي عرفها الحوض خاصة بسافلته. وبعدها يعبر الوادي منطقة الدير التي تتكون من مجموعة تلال مقدمة الأطلس : 900 إلى 1200 م، وينتهي الواد بعبور آخر ثغرة له بمخرجه إلى السهل عند مركز سيدي رحال مكوناً مروحة مخروط غير منتظمة تتميز بقطاع مستعرض مقبب، ينحرف الواد عن محورها نحو شمالها الغربي ليصل إلى مستوى قاعدته : تانسيفت، كما تتلاصق مع مروحة واد لاغ ومروحة واد تازارت.

المناخ : تتميز المنطقة بتباينات مناخية ومطرية كبيرة من فصل لآخر ومن سنة لأخرى، خاصة في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، حيث صارت السنوات الجافة أكثر من المطرة. يسود حوض غدات مناخ متوسطي يخضع لمؤثرات أطلنتيكية تميل إلى القارية، وصحراوية أحياناً، تتبدد تساقطاتها من سنة لأخرى. ويصنف هذا المناخ في إطار شبه الجاف ودون الرطب، تتزايد مقادير الأمطار من منطقة الدير بسافلة الواد حيث سجل في محطة سيدي رحال على علو 700 متر : 340 ملم / سنة وذلك في الفترة 1975 ـ 1996. لكن معدل الأمطار يزيد في الجبال الوسطى، ذلك أن الكتل الهوائية الرطبة التي تأتي من الشمال الغربي تصعد مع الوادي إلى أن تصطدم مع جبهة عالية تتكون من جبل إيفروان وجبل گدروز، فتتوقف جل السحب مما يكون فضاءاً مضبباً طيلة أسابيع عديدة من أشهر الشتاء، وهنا يقع المركز الغابوي الاصطيافي لتوفليحت على علو 1450م حيث يسجل أكبر معدل مطري بالأطلس الكبير الغربي 884 ملم خلال الخمسينيات والستينيات لكنه انخفض في الفترة 1978 ـ 1994 إلى 676 ملم (سجل به في السنة الفلاحية 94 ـ 95 : 426 ملم وفي السنة الموالية 95 ـ 96 : 1218 ملم). يبدأ تساقط الثلوج بعد علو 1400 ـ 2000م حسب السنوات إن كانت رطبة أو جافة، لكن بعد 2500م تكون جل التساقطات من الثلج التي تدوم طيلة أشهر الشتاء، مما جعل جل المجال الجبلي العالي خالياً من الغابات. يتميز شتاء حوض غدات بقساوته، إذ تنخفض حرارة الأحواض الداخلية والقمم العائلية إلى ما دون الصفر خاصة في شهري دجنبر ويناير. وتزداد البرودة مع الارتفاع حيث تبقى الثلوج طيلة الشتاء، وكثيراً ما أغلقت فج تيشكا خلال الستينيات والسبعينيات. أما الصيف فيعرف اعتدالاً نسبياً عندما تسود رياح "أزاغار". لكن عندما تهب عليه الرياح الشرقية الجنوبية ترتفع حرارة أحواضه إلى ما فوق 40 درجة أحيانا، وقد تتسبب في عواصف رعدية عنيفة لتصادم كتل هوائية متناقضة وتخلف كوارث كما حدث في صيف 1995.

التربة : تسود القمم والمنحدرات العالية تربة هيكلية معدنية خشنة تفتقر إلى الدبال ذات سمك بسيط، ذلك أن شدة الانحدار وقساوة المناخ لا تسمح بنضجها أو تراكمها، أما على السفوح المغطاة فتستقر تربة أفضل لكنها ناقصة التطور والنضج، تحتفظ بالركيزة الصخرية، فهي تربة شيستية رمادية في الجبال العالية وطينية حمراء على منحدرات الجبال المتوسطة، تعمل جذور النباتات على تثبيتها وإغنائها. ويغلب على المنخفضات وأسرة المجاري تربة طينية أكثر سمكاً تغنيها محلياً الإرسابات تشكل مصطبات ومدرجات تعرف تفاوتا في مساحتها وجودتها، فهي بعالية الوادي فقيرة تتطلب تسميداً عضوياً كثيفاً قبل كل عملية زراعية، أما بوسط الحوض فتنتشر مصطبات أكثر اتساعاً ذات تربة متوسطة الجودة تتخللها أتربة رملية ناتجة عن عمليات الغمر المائي المؤقت، وهناك مدرجات قليلة تتوفر على تربة طينية جيدة تسمح بزراعات شجرية مهمة.

الجريان المائي : يكون واد غدات شريان الحياة في هذا الحوض، يتميز بدوام جريانه لكنه يجف صيفاً بعد مخرجه إلى السهل اللهم عندما تنبثق عين بضفافه تأسرها السواقي حالاً. يتلقى روافد على طول مجراه الجبلي أهمها : بالضفة اليمنى واد أسيرس إيغي وإيفردان وأسوال وبالضفة اليسرى: تازليدا وإيموزار وتيسخت. لكن طبيعة صخوره تجعل نسبة خزن المياه ضعيفة مما يقلل صبيبه صيفاً، لهذا فإن تساقطاته تصرف مباشرة بعد سقوطها عل شكل سيول جارفة خطيرة في بعض الأحيان تؤدي إلى اقتلاع الأشجار ونقل المفتتات بل الصخور الضخمة مما ينشط التعرية المائية ويزيدها حدة شدة الانحدار وضيق قعر الوادي وكثرة المعرجات. وباستثناء

السواقي التقليدية فإنه لم ينشأ عليه أي منشأة لخزن مائه والتخفيف من حدة فيضانه. ولازال واد غدات يعرف فيضانات ربيعية قوية عندما تتآزر لتغذيته أمطار رعدية ربيعية مع ذوبان متسارع للثلوج بسبب ارتفاع مفاجئ للحرارة. كما يعرف أحياناً صيفاً طويلاً حاراً خاصة بمجراه الأعلى تنعدم فيه الأمطار طيلة 6 ـ 7 أشهر (مايو ـ نونبر). يتميز فيضانه بحمولة طينية كبيرة لأن 53٪ من مساحة حوضه صخور هشة : بيرموترياس، مما يرفع حمولة مياهه إلى 4,5 كلغ / م3 فتبلغ حمولته السنوية الصلبة 500.000 م3.

يتميز واد غدات بصبيب غير منتظم فهو واد موسمي مرتبط أساساً بالتساقطات وكثيراً ما تجف منه مقاطع بمجراه الجبلي صيفاً لقلة العيون المغذية وارتفاع نسبة التبخر. يبلغ معدل صبيبه 2,42 م3 / ث في الفترة 1977 ـ 1992، لكنه سجل 0,41 سنة 82 ـ 83. وسجل به كأكبر صبيب عند فيضانه بتاريخ 13 ـ 8 ـ 182 : 685 م3 / ث. يبلغ معدل جريانه السنوي 120 مليون م3 خلال الخمسينيات والستينيات، لكنه تناقص خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين إلى 91 مليون م3، مع تذبذب كبير من سنة لأخرى. ولم يستفد واد غدات من أي تجهيزات أو مشاريع مائية سواء في عهد الحماية أو بعد الاستقلال.

المياه الجوفية : تتميز الأحواض وقعور الأودية بوجود جريان باطني وفرشات مائية منعزلة غير عميقة على مستويات متباينة، تزود القرويين بآبار مياه الشرب، لكنها لا توفر إمكانية خلق مشاريع سقوية مهمة، كما تتميز العيون بسفوح الجبال وقعور الأودية بتغيرات فصلية كبيرة تصل إلى درجة الجفاف صيفاً، وقد جف بعضها منذ سنوات لتوالي السنوات الجافة.

الغطاء الغابوي : يعتبر حوض غدات من أهم المجالات الغابوية بالأطلس الكبير الغربي، تعرف أشجاره ونباتاته تنوعاً كبيراً تبعاً للارتفاعات واختلاف نوعية الصخور ومقادير الأمطار والتوجهات ودرجة انحدار السفوح، ومما ساعد على انتعاشها قلة سكانه قديماً، كما تتباين في تراجعها أو بقائها، فإذا كانت المناطق الغربية بالجبال الوسطى لا زالت تحتفظ بإحدى أجمل وأكبر الغابات : غابة اكلاوة الشمالية الغنية بالبلوط الأخضر وأنواع من العرعار وأشجار ثانوية ومحلية كانت مساحتها 36165 هـ، فإن الغابة بالمناطق الشرقية بالحوض والجنوبية والعالية تراجعت كثيراً بسبب الاستغلال الجائر ولم تعد تغطي الغابة سوى 40٪ من مساحة "زرقطن" بعالية الحوض التي تحتضن أكبر المجالات الغابوية.

السكان : يعتبر غدات مجال قبيلة هسكورة التاريخية وبعد تفتتها واندثارها في القرن السابع الهجري بزيادة سكانها واتجاههم إلى الاستقرار وممارسة الزراعة، حلت محلهم مجموعة قبائل استطينابية صغيرة معظمها من نسلهم، أهمها بسافلة الحوض "تكانة" بالضفة اليسرى و"غجدامة" بالضفة اليمنى وبعالية الحوض "مسفيوة" بالضفة اليسرى و"گلاوة" بالضفة اليمنى. وكان معظم الحوض منذ القرن (17 هـ) يخضع لقائد زمران المقيم بسيدي رحال. لكن القرنين الأخيرين (13 و14 هـ) تميزا بتوسع نفوذ قبيلة گلاوة المنطلقة أصلاً من حوض تلوات بالسفوح الجنوبية الشرقية للأطلس الكبير الأوسط نحو المنحدرات الشمالية للأطلس الكبير وذلك عبر واد غدات وقد استوطنوا عاليته منذ قرون. وفي سنة 1856 أسندت سلطات المخزن قيادة آيت أوزاغار بوسط الحوض إلى قائد تلوات أحمد أمزوار الگلاوي فأقام سوقاً أسبوعية قرب مركز زرقطن. وبعد عقود قليلة تسرب نفوذ گلاوي إلى سافلة الحوض بل إلى سهل الحوز الشرقي : زمران وذلك على حساب نفوذ مسفيوة وغجدامة وتگانة. وامتلك رؤساؤهم مساحات شاسعة بأراضي حوض غدات والدير والحوز الشرقي. وبنشر الأمن الاستعماري تدعم نفوذ قواد وشيوخ گلاوي بحوضي واد غدات وواد الزات وبقسم كبير من الحوز الشرقي والأوسط. وكان حوض غدات خاضعاً لقيادة گلاوة بتلوات يمثلها عدد من الخلفاء بعدة مراكز مثل سيدي رحال وتازارت. وبعد الاستقلال أعيد تنظيم الإدارة بالحوض عدة مرات.

اقتصاد فلاحي تقليدي متدهور :

يتميز اقتصاد الحوض بسيادة النشاط الفلاحي الذي يتمثل في زراعة الحبوب والأشجار المثمرة وتربية المواشي إضافة إلى أنشطة غير مهيكلة أو غير مشروعة كالتجارة والاستغلال الغابوي والعمل المنجمي وبوادر أنشطة سياحية. لكن هذا الاقتصاد لا يحقق اكتفاءً ذاتياً بسبب شح مصادر المياه والتدهور البيئي والتزايد السكاني، فضلاً عن ظروف استغلال معقدة بسبب تخلف التقنيات وأساليب العمل والعجز المالي للأغلبية عن شراء أدوات حديثة وبذور منتقاة، يضاف إلى كل التفتت المتوالي للأرض وحقوق السقي بتوالي عمليات الإرث والتقسيم عبر الأجيال، وهجرة مستمرة للطاقة الشابة الطامحة إلى تغيير واقعها المتحجر خاصة الشباب المتعلم، وأخيراً تأخر تطبيق برامج تستهدف التحديث الزراعي. وينتشر الآن بجماعة غدات عدد من التعاونيات والجمعيات غير الحكومية يتلقى بعضها مساعدات إنسانية خارجية تهدف إلى تحديث البنية وإدخال مهن جديدة لرفع المستوى المعاشي.

الملكية : تتلخص في نموذجين :

ـ الملكية الجماعية الموروثة عن التنظيم القبلي تهتم أساساً بالأرض الرعوية وحقوق الرعي حتى بالمجالات الغابوية وإن كانت غير معترف بها رسميا، فكل ما ليس ملكية خاصة هو ملكية للدولة.

ـ الملكية الفردية : تخص الأراضي الزراعية، تتميز بالتفتت والصغر وتوزيعها بعدم تكافؤ.

تربية المواشي : تتكامل مع الزراعة، فهي توفر المادة العضوية المخصبة للأرض إضافة إلى مساهمتها في تغذية الأسر. وتتنوع تربية الماشية بالحوض، حيث يأتي في

مقدمتها الأغنام ثم الماعز والأبقار والدواجن والدواب، وقد تأثرت بظروف الجفاف وتراجع ظاهرة التعزيب وارتفاع تكاليف العلف، وتتم تربيتها في إطار عائلي فكل أسرة تعتني بقطيعها الذي يتكون غالباً من بقرة أو بقرتين وبعض رؤوس الأغنام والماعز. تقدر نسبة الأغنام بـ 50٪ من مجموع الرؤوس والماعز 40٪ والأبقار 10٪. ويلاحظ أن الكثير من العائلات صارت تعوض تراجع رعي المواشي الصغيرة بتربية بقرة حلوب رومية أو مهجنة. ويقدر قطيع الأغنام بالحوض الجبلي بحوالي 40.000 رأس والماعز 38.000 والأبقار 8500 رأس. أما الدواب خاصة البغال فلا زالت تعتبر وسيلة نقل أساسية ولا زال عددها يكتسي أهمية : 4650 بغلاً إلا أنه عرف مع ذلك تراجعاً لضعف إمكانيات تربيتها ثم لاستخدام سيارات الأجرة في النقل خاصة بالنسبة لكل القرى المتصلة بطريق مرصف.

الاستغلال المعدني : تمثل الثروة المعدنية عنصراً جديداً في اقتصاد الحوض الذي يتميز بتوفر منتوجين أساسيين هما : الملح والباريتين، ذلك أن صخور البيرموترياس تحتوي على طبقات ملحية كثيرة اهتم السكان باستغلالها وذلك إما عن طريق ملاحات تقليدية تقوم على تجفيف المياه المالحة أو مناجم تنتج ملحاً صخرياً، ويوجه كل إنتاجها للأسواق المحلية. كما يتخلل الصخور الصهيرية اندفاعات لعروق الباريتين، أنشئت عليها استغلالات منجمية لكنها لا تعمل إلا موسميا خاصة في الصيف إذا ارتفع ثمن البارتين في السوق العالمي لأنها توجه للتصدير.

*استطلاعات ميدانية ؛ كتب جغرافية المغرب ؛ مونوغرافيات ودراسات قطاعية من الجماعات المحلية بحوض واد غدات ؛ بحوث* طلبة السنة الرابعة بكلية الآداب بمراكش ؛ *خرائط طوبوغرافية.*

*Etude monographique de la probvince d'Alhaouz*, PNUD octobre1997, Direction de la programmation, Rabat.

أحمد هوزلي

**غداوي، عباس.** ولد سنة 1938 بمدينة وادي زم بإقليم خريبگة. كان من الشباب المغربي الذي وقف سدا منيعا ضد الهجمة المسعورة التي قامت بها الإقامة العامة على إثر الانتفاضات الشعبية، فبالرغم من تفوق الآلة العسكرية الاستعمارية حاول هؤلاء الشرفاء بجهادهم واستبسالهم خلق توازن القوى التواقة إلى التحرر والسلطات الفرنسية آنذاك.

ومدينة وادي زم التي ينتمي إليها الشهيد غداوي عباس احتضنت داخل دروبها ثورة كبيرة ضد الحجر والعدوان وذلك يوم 20 غشت 1955 فكان غداوي عباس من بين الوطنيين الذي برزوا كمؤطرين ومنظمين في ذلك اليوم العظيم. ولما تدخلت القوات الفرنسية بالقوة للحيولة دون انفجار الوضع من جديد وبشدة، قتل عدد كبير من الضحايا الذين فضلوا الاستشهاد في سبيل الله وخدمة العرش العلوي المجيد على أن يظلوا تحت السيطرة الأجنبية. وقد استشهد غداوي بتاريخ 20 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 524147.

**الـغُدّان**، نوع من التين مازال معروفاً بهذا الاسم في شمال المغرب وتحديداً في بلاد جبالة، ولهم عنه حكايات ونوادر، وهو من أجود أنواع التين، لبياض بشرته ورقة قشرته وحلاوة لبه ودقة عجمه وقابليته للتحول إلى زبيب (شريحة) منتظم في خيوط على أن استهلاكه طرياً أفضل.

لم يرد له ذكر في المصادر التي اهتمت بالمنطقة الشمالية خاصة في العصر الوسيط مثل المقصد الشريف واختصار الأخبار فقد قرب لنا هذا الأخير مدينة سبتة ومحيطها وما تحتويه من مرافق وبنايات ومتاجر ومصانع وما يحيط بها من مزارع وبساتين وقدم لنا جرداً بمنتجات مدينتي سبتة وبنيونش الفلاحية ؛ وعند ذكره للفواكه (ص. 92) صنفها إلى صيفية وخريفية وشتوية لكنه لم يذكر الغدان ولا أي اسم آخر للتين بل أشار إلى أن الموجود منه في سبتة وبنيونش 28 نوعاً وهذا رقم كبير لكنه غير مستبعد بالنسبة لمنطقة سبتة في عهده (ق 9 : 15)، ولاشك أن الغدان من ضمنها.

الإشارة الوحيدة إلى الغدان وردت عند ابن غازي فقد استعرض ما تنتجه مكناسة الزيتون وأحوازها من فواكه وغلال وأطنب في وصفها وأبراز خصائصها ومميزاتها وأصولها، وبخصوص التين قدم لنا لائحة بالأنواع التي كانت موجودة في عهده لكنه لم يحصرها : "... وفيها من التين أنواع منها الشعري كشعري إشبيلية ومنها نوع يقال له السبتي وهو أبيض للطول رقيق البشرة وهما نوعان طيبان إذا أكلا أخضرين ومنها نوع جليل أبيض للخضرة مستدير يقال له الانبضار يشرح فتأتي شريحته في غاية الطيب وغير ذلك من أنواع التين كالأشكوز والشبلي والحمراء والغدان والحافر والنقال وغيرها ...". وما يلاحظ من قراءة نص *الروض الهتون* أن كثيراً من الفواكه مستوردة أصولها من الأندلس وبقيت تحمل اسم المكان القادمة منه، كالاشكور، والشبلي وغيرها ولاشك أن الغدان من ضمنها، وفي المصادر التاريخية إشارات كثيرة إلى استيراد التين من الأندلس إلى المغرب فقد كانت تجارة مربحة لشدة الإقبال على استهلاكه طرياً، و"شريحة". لكن ذلك لا يعنى أن المغرب لم يكن ينتج تيناً، بل أن المسألة تتعلق بالتفاوت ما بين العرض والطلب، فالاستهلاك خاصة لبعض الأنواع يفوق الانتاج كما أن الجودة والنوع تلعب دوراً في التسويق، يضاف إلى ذلك فترات الجفاف. والملاحظ كذلك أن استيراد التين كان يتم بحراً وحتى لو استوردت دكالة مثلاً التين براً من شمال المغرب فإن ثمنه سيكون مرتفعاً لتكاليف السفر وجودته أقل بسبب ظروف النقل البري وطوله، بينما نقله بحراً يجعله يحافظ على طراوته وجودته لأن ظروف النقل أسرع وأحسن، من هنا كانت تجارته مربحة.

وبرجوعنا للمصادر في مختلف العصور تبين لنا من

خلال الإشارات أن التين (الفلاحي) كان في جميع مناطق المغرب جباله وهضابه وسهوله وحتى واحاته وأن انتشاره انطلق من الشمال من بلاد جبالة - وخاصة الأنواع الجيدة والجديدة المستوردة من الأندلس - ليعم باقي الجهات.

الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الإيطالية، نابولي، بدون تاريخ، ج 3، *سوس وقاعدتها تارودانت*، ص. 227، *جبل درن*، 230، مكناسة، 245 ؛ مجهول، *الاستبصار*، الإسكندرية، 1958، *تازة*، 186، *مطماطة امسكور*، 193 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1956 و 1984، شفشاون، شفشاون، 62، أزمور، 169، *ايروجان*، 200، *مغيلة*، 296 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، تطوان، ع 3، 1958 - 1956، *سبتة وبنيونش*، 92 ؛ ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1964، *مكناسة الزيتون*، 6.

محمد حجاج الطويل

**غدة** ولد الرايس من رياس أواخر عهد سيدي محمد بن عبد الله، ويبدو أنه لم يكن في سنة 1198 / 1784 إلا من بين الثانويين منهم، إذ لم يذكر من بين الرياس العاملين بسلا والذين حصلوا على إنعام السلطان، رغم أن المعطيات تشير إلى انتسابه إلى طائفتهم، حيث كان البحارة المذكورون ضمن طاقمه غالبيتهم من الأسر السلاوية.

العسري، *كناش*، ص. 49.

حسن أميلي

**الغراب** يجمع على غربان وأغرب وأغربة وهي طيور سوداء من رتبة الجواثم Passeriformes ومن فصيلة الغرابيات Corvidae منها خمسة أنواع تعيش في المغرب : الغراب الأسود الكبير Corvus corax والغراب الأسمر Corvus ruficollis وغراب الزرع Corvus monedula والغراب أحمر المنقار Pyrrhocorax pyrrhocorax والغراب أصفر المنقار Pyrrhocorax graculus.

الغراب الأسود الكبير Corvus corax يسمى في الشرق العربي غراب أسحم وغراب حاتم وفي شمال إفريقيا الغراب وبالفرنسية Grand corbeau وبالإنجليزية Raven وبالإسبانية Cuervo وبالإيطالية Corvo imperiale ؛ وهو طائر بري شديد السواد يعيش على النصف الشمالي من الكرة الأرضية وشائع في شمال إفريقيا وأوروبا وأمريكا الشمالية. يعد من أكبر أنواع رتبة العصفوريات في شمال إفريقيا وأوروبا. المنقار محدب طويل وقوي، اللسان غضروفي، يبلغ طول الجسم 50 - 63 سم وبسطة الجناحين 117 - 130 سم ويزن 1000 - 1300 غرام.

طائر مستقر ويتنقل قليلا في نفس المنطقة دون أن يبتعد عن مكان ولادته. يألف الجبال والغابات والصخور الساحلية ونادر جدا في السهول. يعيش مزدوجا ولا يفترق الزوجان طيلة الحياة. يتوالد في فبراير - مارس، يبني عشه غالبا بين شقوق صخور الجراف ونادرا على الأشجار، وهو عش ضخم يبلغ علوه مترا وقطره مترا ويتكون من فرشة من الأغصان الكبيرة متبوعة بفرشة من الأغصان الدقيقة ومن الأعشاب اليابسة وقطع من الصوف أو القطن يأتي بها الزوج وترتبها الزوجة. تضع الإناث 3 - 6 بيضات خضراء تميل إلى الأزرق ومنقطة بالبني الداكن وتزن 23 - 33 غراما، تحضن طيلة 20 - 23 يوما ويقوم الزوج بتقديم الأكل لزوجته خلال هذه الفترة. تنمو الفراخ ببطء مدة 5 - 6 أسابيع ثم تغادر العش. يعمر الغراب حوالي 70 سنة.

الغراب الأسود قارت يتغذى من الحبوب والثمار والطيور الصغيرة والحيوانات اللبونة الصغيرة وجثث الغنم والمعز، يبحث عنها في مسافات قد تتعدى 10 كلم ويأكل أيضا الحشرات والديدان ويصيد أحيانا صغار الأرانب والفئران. يألف أماكن تجمع الأزبال المنزلية بجوار المدن والقرى ليبحث عن الأكل.

يبلغ طوله 62 سم ويزن 1000 - 1300 غرام ؛ تبلغ بسطة جناحيه مترا، منقاره طويل ومقوس قليلا وقوي، القائمتان قويتان. ريش عنقه طويل ومستدق الرأس، الريش والمنقار والقوائم سوداء لها انعكاسات معدنية بنفسجية زرقاء عند الجنسين، الذيل دائري. يضرب به المثل في الشؤم ولا يأكله الإنسان.

الغراب الأسمر Corvus ruficollis أحمر العنق يسمى في مصر الغراب النوحي نسبة إلى النبي نوح ويسمى بالإنجليزية Brown-necked raven وبالفرنسية Corbeau brun، موطنه النصف الجنوبي من الكرة الأرضية، يألف سهوب وفيافي المناطق الصحراوية والجافة وشبه الجافة المغاربية والإفريقية والجزيرة العربية والعراق وسوريا وإيران والهند. طائر مستقر، ريشه أسمر محمر على مؤخرة الرأس والرقبة يصعب تمييزه من بين الريش الأسود الطاغي على الجسم. يبلغ طوله الأقصى 50 سم، منقاره طويل، أسود اللون ومقوس قليلا إلى الأسفل وأقل قوة من منقار الغراب الأسود الكبير. الجناحان مستدقا الرأس، الأرجل قصيرة وبنية.

يتوالد في فبراير - مارس ويصنع عشا ضخما بين كسور صخور الجرف وأحيانا على الأشجار يفرشه بقطع الأعشاب والريش والصوف. تضع الإناث 3 - 6 بيضات زرقاء شاحبة مزركشة بخطوط معوجة سمراء، يبلغ طول قطريها 32 X 47 ملم وتحضنها 20 - 21 يوما ؛ تغادر الصغار العش بعد حوالي خمسة أسابيع. يتغذى من مختلف الثمار ومن الحشرات والقواقع والزواحف الصغيرة وجثث الغنم والمعز وغيرها.

الغراب أحمر المنقار Pyrrhocorax pyrrhocorax يسمى أيضا الغراب الأعصم وزميت وغراب الزرع وبالإنجليزية Chough وبالفرنسية Crave à bec rouge، وبالإسبانية Chova piquirroja، يتميز عن سائر أنواع غرابيات المغرب العربي بمنقار وقوائم حمراء. موطنه المناطق الجبلية بالريف والأطلس ويقتصر توزيعه الجغرافي على شمال المغرب والجزائر وأوروبا الجنوبية في كل من إسبانيا والبرتغال وجبال الألب ومناطق نورماندي الغربية والجزر البريطانية وإيطاليا

واليونان وتركيا والشرق الأوسط وإيران. لا يتعدى طوله 39,5 سم ويألف صخور الجرف والغابات الجبلية. منقاره طويل ومقوس ؛ ريشه أسود لامع يميل إلى الأزرق.

طائر مستقر في المغرب ويتنقل قليلا، يعيش في أسراب ويتوالد خلال أبريل - يونيو ويضع عشه بين كسور صخور الجرف الشديد الانحدار ويفرشه بقطع الأعشاب والقطن والريش والصوف. تضع الإناث 3 . 6 بيضات بيضاء إلى خضراء مصفرة منقطة بالأسود وتحضنها 17 . 18 يوما. تغادر الصغار العش بعد خمسة أسابيع.

الغراب أصفر المنقار Pyrrhocorax graculus يسمى بالإنجليزية Alpine Chough وبالفرنسية Chocard des Alpes - Chocard à bec jaune وبالإسبانية Chova piquiamarilla، يتميز عن سائر أنواع غرابيات المغرب الغربي بمنقار أصفر قصير وبقوائم حمراء داكنة، ذيله قصير وريشه أسود قليل اللمعان، لا يتعدى طول الجسم 38 سم. ويألف كسور صخور الجرف والغابات الجبلية. يعيش في مجموعات قليلة الأفراد ويخفي عشه بين الكسور الصخرية. تبيض الإناث 3 . 6 بيضات ملساء لامعة تميل إلى الأبيض المخضر الباهت ومنقطة بالأسمر الداكن، يبلغ طول قطريها 25,5 X 39 ملم. تدوم مدة الحضانة 19 . 21 يوما وتهجر الصغار الأوكار بعد ثلاثة أسابيع.

طائر مستقر منه عدة مجموعات تعيش في المناطق الجبلية بالأطلس المتوسط ونادر في الأطلس الكبير. يقتصر توزيعه الجغرافي على جبال البرانس والألب وجبال اليونان وتركيا وإيران.

غراب الزرع Corvus monedula يسمى بالإنجليزية Jackdaw وبالفرنسية Choucas des tours وبالإسبانية Grajilla وهو الغراب الأسود الوحيد الذي يملك ريشا رماديا على مؤخرة عنقه. لا يتعدى طوله 33 سم ويألف كسور صخور الجرف والمزارع والغابات غير الكثيفة ويقترب أحيانا من المدن والقرى. يعيش في أسراب متعددة الأفراد ويحدث ضجيجا بأصوات جماعية متتالية. يعد من الطيور المهاجرة ويوجد بكثرة في مناطق الريف وشمال الأطلس المتوسط وخاصة على الجرف الساحلي بالبحر المتوسط - الرأس الأسود والحسيمة ومليلية -. يتوالد من مارس إلى يونيو. يوضع العش على الأشجار وبين كسور الصخور، تحضن الإناث 4 . 6 بيضات حوالي 18 يوما. تغادر الصغار العش بعد 4 . 5 أسابيع.

شائع في أوروبا وآسيا وشمال المغرب والجزائر وتونس ومنه عدة مجموعات تشتو جنوب المغرب الشرقي.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*. Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

**الغراب** سفينة من الأنواع المتوسطية المجذافية شائعة الاستعمال منذ العهد القرطاجي، ويبدو أن التسمية مأخوذة من الأصل اللاتيني (Corvus) الذي انحدرت منه سفينة الحراقة أو القريبطة (Corvette). والغراب سفينة حربية طولية تسير بالمجاذيف (180 مجذافا في الأقصى) وبالأشرعة (صاريان إلى ثلاثة)، وتحمل في المتوسط مائتي رجل، متسمة بدقتها وبطلائها باللون الأسود وبجؤجؤها البارز على هيئة رأس غراب، ولذلك أصبح اسمها يحيل على الغراب من الطير، وفي ذلك يقول ابن الساعاتي (ت. 604) :

وركبت بحر الروم وهو كحلبة ... والموج نحسبه جوادا يركض

كم من غراب للقطيعة أسود ... فيه، يطير به بجناح أبيض

ويقول يحيى ابن أبي حجلة التلمساني :

غربانها سود وبيض قلوعها ... يصفر منها العدو الأزرق

وقد شاع استعمال الغراب في المغرب منذ العهد المرابطي، وظل يمثل جزءا رئيسيا في الأنواع المكونة للأسطول المغربي في العهد الموحدي ويشكل ثلث الأنواع المستعملة على الأقل، وكانت دار الصناعة بمدينة سبتة مركزاً رئيسياً لإنشاء العدد الأوفر من وحداته. واستمر العمل به حتى العهد المريني.

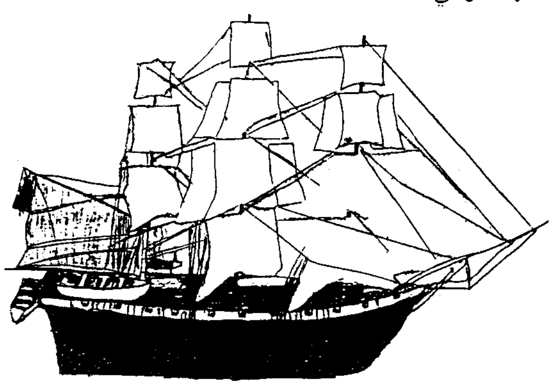

وقد ورد ذكر الغراب في أشعار العهد الموحدي، وجاء في مدح الشاعر أبي عمر ابن حربون للأمير أبي حفص عمر بن عبد المؤمن الموحدي أثناء عبوره إلى جبل طارق سنة 560 :

بحر كأن أبا حفص بصهوته ... لقمان والمركب الجاري به لبد

تعجبوا من غراب فوق غاربه ... نهلان ذو الهضبات الشم أو أحد

وأيضاً مدح الشاعر أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني للسلطان أبي عنان المريني :

فلله ما أنشأته من مراكب ... ترادفها في البحر منه تكاوس

قطائعها مثل النجوم قلوعها ... وغربانها قطع من الليل دامس

كأن مجاذيف الغراب قوادم ... يطير بها والنسر في الأفق كانس

ع. الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، ص. 214 - 15 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 4، ص. 165 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، ص. 188 . 89 ؛ عبد العزيز سالم ومختار العبادي، *تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس*، ص. 243 . 281 . 288 . 89 - 297 ؛ النخيلي، *السفن الإسلامية*، ص. 104 . 12.

حسن أميلي

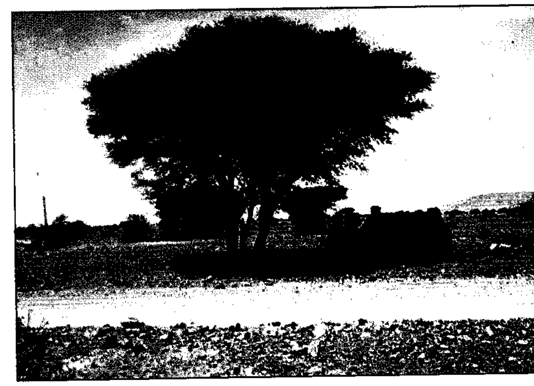

الطلح الصحراوي

الطلح الصحراوي

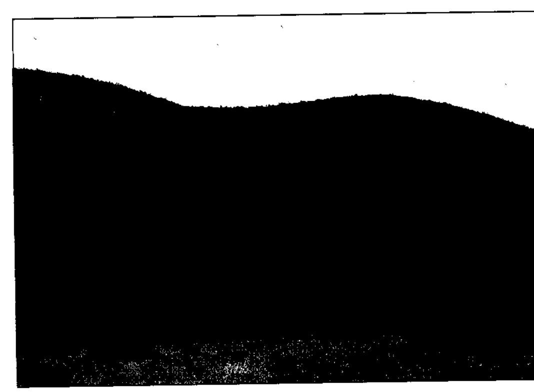

العرعر البري

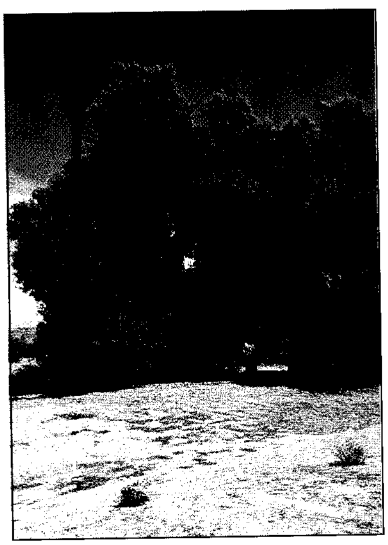

الطرفاء

العليق

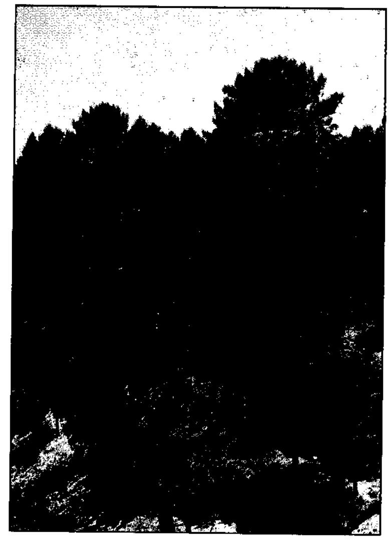

غابة
الصنوبر المغربي

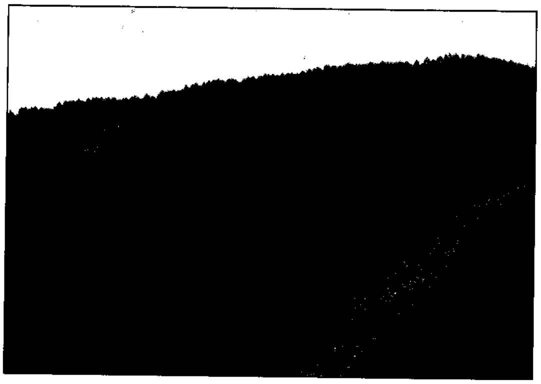

غابة الصنوبر المغربي

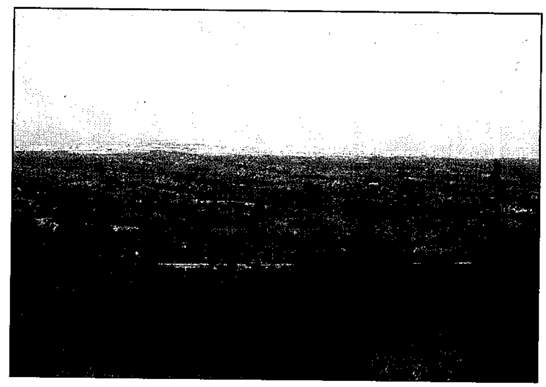

غابة العرعر الأحمر

غابة العرعر الفواح

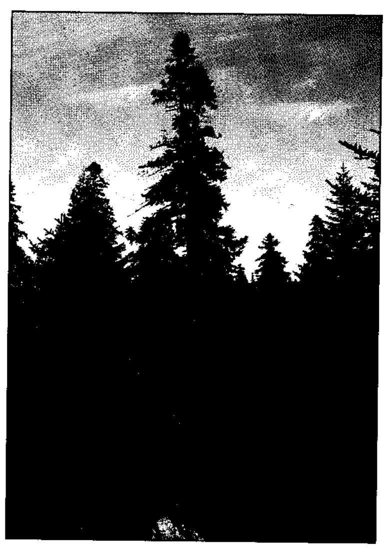

غابة الشوح

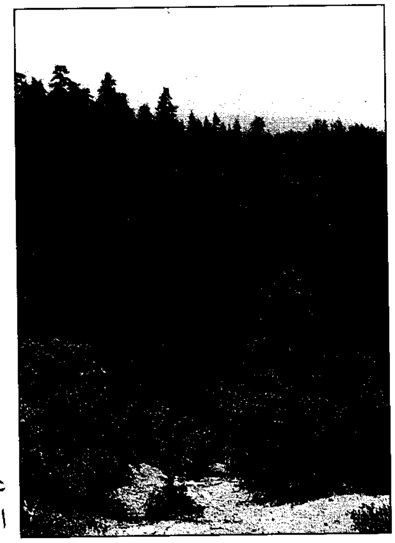

غابة
الأرز

غابة الأوكالبتوس

غابة البلوط الفليني
(تازا)

غابة البلوط الفليني
(المعمورة)

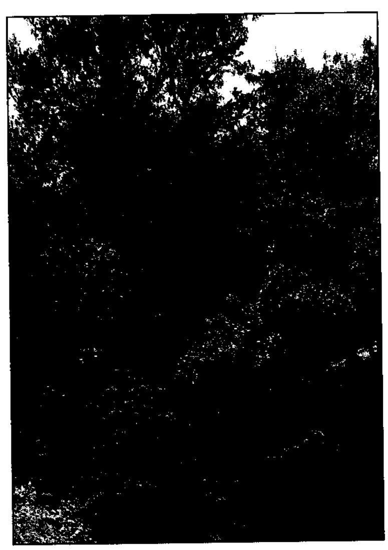

غابة البلوط الأخضر

تم طبع الجزء 18 من معلمة المغرب
بمطابع سلا وبمطبعة النجاح الجديدة
في شعبان عام 1424 / أكتوبر 2003

مطابع سلا
قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
الحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا

Directeur de publication : Feu Mohamed **Hajji**

Comité de rédaction : Ahmed **Toufiq**
Mohamed **Hajji**





«sala»

IMPRIMERIE DE SALÉ

**Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane**

**Zone Industrielle de Tabriquet**

**B.P. 596 SALÉ**

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

18

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

"SALA"

2003 - 1424

ISBN 9981 - 03 - 000 - 7 (Ensemble)
ISBN 9981 - 03 - 025 - 2 (Tome 18)

Encyclopédie
du
Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

19

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2004 - 1425

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984 / 0629



ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 0 - 026 - 03 - 9981 (الجزء 19)

# معلمة المغرب

المغرب الأقصى

19

بسم الله الرحمن الرحيم

أعد هذا الجزء من معلمة المغرب بدعم من وزارة الثقافة ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق عبارات الشكر والامتنان.

# اختصارات

| | |
|---|---|
| ت. | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. ت. | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. ت. | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في هذا الجزء

محمد **أبو إلياس**، باحث ـ الرباط

ميلود **أحمن**، كلية الآداب ـ مراكش

محمد **الأخضر**، باحث ـ بني ملال

مصطفى **أعشي**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ـ الرباط

عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط

إبراهيم **أقديم**، كلية الآداب ـ فاس

المختار **الأكحل**، كلية الآداب ـ المحمدية

حسن **أميلي**، كلية الآداب ـ المحمدية

حسن **أنشاد**، باحث ـ الرباط

إبراهيم **أنوار**، باحث

خالد **أوشن**، باحث

محمد **أيت حمزة**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد اللطيف **بربيش**، أكاديمية المملكة المغربية ـ الرباط

ثريا **برادة**، كلية الآداب ـ القنيطرة

عباس **برادة**، باحث ـ الرباط

بلكامل **البضاوية**، كلية الآداب ـ الرباط

الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية ـ البهاليل

عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة

عبد الإله **بلمليح**، كلية الآداب ـ فاس

حفيظة **بلمقدم**، معهد الدراسات الإفريقية ـ الرباط

رقية **بلمقدم**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **بنبراهيم**، كلية الآداب ـ وجدة

زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية

عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين سلا

عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب ـ مراكش

حليمة **بنكرعي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب ـ فاس

محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط

المصطفى **البوعناني**، كلية الآداب ـ القنيطرة

أمينة **البوعيشي**، كلية الآداب ـ فاس

عبد المجيد **بوكاري**، باحث

محمد **بوكبوط**، باحث

أحمد **بومزكو**، وزارة التربية الوطنية ـ تيزنيت

جامع **بيضا**، كلية الآداب ـ الرباط

نجيب، **تقي**، باحث

عبد اللطيف **جبرو**، صحافي وباحث ـ الرباط

حسن **جلاب**، قيدوم كلية اللغة العربية ـ مراكش

الحسين **جهادي**، باحث ـ الدار البيضاء

محمد **حاتمي**، كلية الآداب ـ فاس

محمد **الحاتمي**، كلية الآداب ـ أگادير

حسن **حافظي علوي**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ بنمسيك ـ الدار البيضاء

محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة

عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب ـ فاس

محمد **حمام**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **حنداين**، وزارة التربية الوطنية ـ أگادير

عبد اللطيف **الحوتة**، باحث

علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط

خالد **الخضري**، وزارة الثقافة ـ الرباط

عبد العزيز **الخمليشي**، كلية الآداب ـ الرباط

نجاة **الخياطي**، كلية العلوم ـ الدار البيضاء

مارية **دادي**، كلية الآداب ـ وجدة

محمد بن **عبد العزيز الدباغ**، باحث ـ فاس

عبد الإله **الدحاني**، المدرسة العليا للأساتذة ـ الرباط

نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

علال **ركوك**، كلية الآداب ـ بني ملال

محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط

محمد المصطفى **الريسوني**، باحث

أحمد **زروال**، كلية الآداب ـ مراكش

قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط

عبد النبي **زين العابدين**، باحث ـ الرباط

محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا

عبد القادر **سعود**، باحث

رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش

محمد **الشريف**، باحث ـ تطوان

محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط

عبد العزيز **الضعيفي**، كلية الآداب ـ بني ملال

أحمد صالح **الطاهري**، المعهد الوطني للآثار ـ الرباط

محمد **الظريف**، كلية الآداب ـ المحمدية

عبد العزيز بن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة ـ مكناس

سعد الدين **العثماني**، باحث ـ الرباط

محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان

محمد **رضوان العزيفي**، باحث

عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش

محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة

الحاج موسى **عوني**، كلية الآداب ـ فاس

عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط

مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط

حياة **الغراس**، باحثة ـ مراكش

إدريس **الفاسي**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

حسن **الفكيكي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

أبو بكر **القادري**، أكاديمية المملكة المغربية ـ الرباط

علي **قاسمي**، باحث ـ الرباط

عبد الرحمن **القياج**، باحث ـ الدار البيضاء

عبد الباسط **الكراوي**، باحث ـ سطات

جمال **الكركوري**، كلية الآداب ـ فاس

لطيفة **الكندوز**، معهد البحث العلمي ـ الرباط

محمد **ماكامان**، باحث ـ مراكش

أحمد **متفكر**، باحث ـ مراكش

محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمدية

نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **مزيان**، كلية الآداب ـ فاس

مينة **المغاري**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **المكاوي**، كلية الآداب ـ الجديدة

عبد الرحمن **الملحوني**، باحث ـ مراكش

مصطفى **ناعمي**، معهد البحث العلمي ـ الرباط

أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش

أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة

محمد **وحيد**، باحث ـ الدار البيضاء

حسن **الوزاني**، المعهد الوطني للاحصاء ـ الرباط

عبد الرحيم **وطفة**، كلية الآداب ـ الرباط

إبراهيم **ياسين**، باحث

سالم **يفوت**، كلية الآداب ـ الرباط

## Listes des principales abréviations des périodiques

A.A. : *L'Afrique et l'Asie.*
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales, Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignement Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus.*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.G.M : *Bulletin de Géologie du Maroc.*
B.I.D.M : *Bulletin de l'Informatique et de la Documentation Marocaine.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique* (Paris).
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographgie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Comptes-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Comptes-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.B : *Encyclopédie Berbère.*
E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam.* (1ère édition).
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam.* (2ème édition).
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerraniennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp. : *Hespéris.*

H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
M.E.F.R : *Mélange de l'Ecole Française de Rome.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scienfitiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
R.G.L : *Revue de Géologie de Lyon.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique* (Paris).
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.C.M : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.F.P.E : *Revue Marocaie des Finances Publiques et d'Economie.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
Rev. Int. Hist. Mil. : *Revue Internationale d'Histoire Militaire*
S.G.L : *Sodiedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*
Trav. Inst. Sc. : *Travaux de l'Institut Scientifique.*

**الـغرابلي، أحمد** (الحاج -) من شعراء الملحون في فاس، ومن كبار أشياخها. أبدع الكثير في "المرمّات" التي كانتْ تجري عليها قصائده، حتى لُقّب عند أهل الملحون في وقته بشاعر "التّضمين" ويتّضح ذلك من قصيدته "مَلكَة".
كان يشتغل حرفة "الدِّرازة" ثم تركها للاشتغال بكتابة "الحروز، والتّمائم". وظهر أيام مولاي الحسَن الأول، وأدرك مولاي عبد العزيز. وشعره مشهور ومحفوظ عند شيوخ القريحة. ويذكر الأستاذ محمد الفاسي في معلمته، أنّه كان بين الشيخ الغرابلي، وبين الشّاعر بريسول، مُساجلات شعرية، أدّتْ إلى عداوتهما. ولما كان الشّيخ الغرابلي في فراش مَوته، أتى عنده بريسول لطلب المسامحة، وكانا لم يتكلّما قبلَ ذلك بسبع سنين، فتسامحا. وفي هذا السيّاق تذكر العامة أن الشيخ الغرابلي انتَقل من "الحياكة" إلى كتابة " الحروز" لأسباب، منها ادّعاء بعض محترفي هذه الصّناعة الصّولةَ في قَرض الشعر الملحون، والعمل على إخفاء مكانته بين مُعاصريه، إلا أنّه ظلّ فارساً من فرسان "الزّجَل"، وأبدعَ في النَّظم مالم يستطع مُعاصروه الإتيان به، كالتّضمين، وبراعة "نشب" الكلمتين، على حدّ ما تثبت هذه الأشطار من قصيدته "عِينْ الرَّحْمَة" التي تقول بعض أبياتها ما يلي :

أعِينْ الرَّحْمَة الرَّاحْمَة، يَاقُرَّتْ لَنْيَامْ
يَاقُرَّتْ لَنْيَامْ، جُدْلي يابحْرّ التَّعْظِيمْ
يابحْرّ التَّعْظِيمْ، والفْضَلْ، يَاعِينْ الرَّحْمَا ...

ويُشير الدكتور عباس الجراري في كتاب *القصيدة*، إلى ما حدث من مساجلة بينه وبين شاعر مراكش، المَدني التّركماني، دراتْ حولَ "الإيمان" و"العَمل"، وأثارتْ جَدَلاً فقهياً بين النّاس.

توفي بفاس عام 1340 .

عبد السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2927.

عبد الرحمن الملحوني

**غرَابو** ، من أكثر القوارب المحلية انتشاراً على امتداد عموم الساحل، اعتباراً لشيوع استخدامها وليس استعمالها وملاءمتها للأعمال الملاحية الاعتيادية وللصيد البحري.
وكان الغرابو يتسم باختلاف أحجامه وهيئاته بحسب طبيعة أماكن الرسو، مع تشابه القارب البربري والريفي في أبعادهما (طول ثمانية أمتار / عرض متر ونصف)، وفي الارتفاع النسبي للجؤجؤ والكوثل، وفي تجهيز هيكليهما عادة بصالب وداعم صالب، وبمجاذيف تصل إلى سبع وحدات. وفي تميزهما بمرونتهما وأهليتهما للرسو على الساحل حتى وسط الأمواج.
وبالمقابل يختلف عنهما ما يشبههما من قوارب منتشرة في مراسي الساحل الأطلنتيكي (من طنجة إلى شمال أسفي) بطولها الفائق (حوالي خمسة عشر مترا)، وبهيئتها الواسعة والعميقة، وبتميزها بكونها أقل خفة وأقل يسرا في الانقياد رغم مضاعفة وحدات مجاذيفها (أربعة عشر مجذافا)، وإن كان حجمها يمنحها قابلية أكبر على التحمل واقتحام أمواج الأعاصير.

Brunot Emile Laoust, Pêcheurs berbères du Sous, in *Hespéris*, vol. 3, 1923, p. 249 ; Robert Montagne, Coutumes et légendes de la côte bérbère du Maroc, in *Hespéris*, vol. 4, 1924, p. 190.

حسن أميلي

**الـغرارة** والغرائر جمع غريرة وهي نوع من الأكياس لحمل الحبوب ونقلها من مكان إلى آخر. وقد جاءت الإشارة إليها في المصادر على النحو الذي ذكرناه. لكن *كتاب التشوف* للتادلي استعمل مصطلحين لنفس الشيء فجاءت الغرائر مرادفة "للتليس" وهو كيس مستطيل يحمل منه الجمل زوجين لثقله، ولا يمكن لدابة أخرى أن تحمله لطوله : وهذا ما أفادته الكرامة المنسوبة إلى أبي محمد عبد الجليل : "...كنت بدكالة فقال لي الفقيه أبو حفص أريد أن أبعث بقمح إلى عبد الجليل ... فأحضر لي جملين عليهما غرائر

من قمح..." إلى أن قال المتحدث : "... فناولته كتاب أبي حفص فقرأه وأنزلت الغرائر عن الجملين فدخل داره ثم خرج وجعل ينظر يميناً وشمالاً فقال لي قرب الغرائر فجعلت أدحرجها واحدة بعد واحدة إلى أن قربتها من باب داره فلم أشعر إلا وهي في داخل الدار ...".

وفي المصادر ما بعد العصر الوسيط اختفت كلمة غرائر لتحل محلها كلمة تليس، وحتى في كتاب *التشوف* نفسه حيث ذكر التليس في أكثر من مكان : في رجراجة وعند أهل أسافو وفي تينمل ... والغرائر أو التليس عبارة عن كيس كبير مستطيل ومتين ينسج من خليط من خيوط شعر الماعز والصوف أو الوبر ويكون من لون واحد أو من لونين وعادة ما يكون التليس "مطرقاً" أي مخططاً بالطول. قال : "استترت (زوجة أبي محمد صالح) بشق غرارة خلق كانت تحت جنبها فلما أصبحت أرسلت إلى الفقراء فباعوا تلك الثياب واشتروا بثمنها بقرة صفراء..".

والغرائر أو التليس تعادل الحمل والوسق ومقداره 3 قناطر. على أن كلمة غرارة المتداولة اليوم والواردة في (*المسند*) أعلاه تبعد عن الغرائر التي وصفناها أو أن العلاقة تكمن في كيل (إكتيال) الحبوب وما في حكمها كالتمر والزبيب وغيره فهي مكيال صغير يكوّن إثنان منه ما يعرف في أسواق الحبوب "العبرة" وتعادل ما بين 16 إلى 18 كلغ من الحبوب، ونصف العبرة هي الغرارة التي تسمى في مناطق أخرى "بالنصاصية"، ومن الفلاحين من يطلق اسم (الغرارة أو لغراير) وأحياناً (لغرور) على الأواني التي تحملها "الناعورة" أو "السانية" والتي تغرف الماء من البئر المستطيل وتفرغه في الصهريج أو الساقية للاستفادة منه في السقي والشرب، والشبه بين الشكلين الأخيرين واضح فكلاهما من قصدير إلا أنهما يختلفان من حيث الحجم والشكل.


التادلي، *التشوف*، الرباط، 1956 و1984 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، مجلة، تطوان، 1958 ـ 1959، العدد 3 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981 ؛ الماجري، *المنهاج الواضح*، الطبعة المصرية، 1352 ـ 1933 ؛ أبو العباس اللخمي، *إثبات ما لابد منه لمريد الوقوف على أحوال الدينار والدرهم* ؛ العزفي، *الصاع والمد*، قطعة من مخطوط، خزانة خاصة، الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ محمد الطويل، *النقل والتنقل في المغرب*، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1998 ؛ الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1988.


محمد حجاج الطويل

**الـغرامة** ، لغة من فعل غرم يغرَم غُرما وغرامة وهي الدَّين، أي ما يلزم أداؤه من المال. وفي ذلك أنشد الشاعر :

دار ابن عمك بعتها    تقضي بها عنك غرامة

وقد أشار صاحب *لسان العرب* إلى أحاديث وردت في شأن هذا اللفظ، من ذلك الحديث في التمر المُعَلّق : "من خرج بشيء منه فعليه غرامة مثليه والعقوبة". وقد علق ابن الأثير على هذا الحديث بقوله : "قيل : كان هذا في صدر الإسلام ثم نسخ، فإنه لا واجب على متلف الشيء أكثر من مثله، وقيل : هو على سبيل الوعيد لينتهى عنه". ومنه الحديث الآخر : "في ضالّة الإبل المكتومة، غرامتها ومثلها معها".

وهكذا، إذا كان هذان الحديثان يندرجان ضمن سياق ردع وتذعير كل متطاول ومعتد على حقوق الآخرين، وضمنه بيت المال، وذلك بتضعيف الغرامة على محدث الضرر، فإن الغرامة، حسب ما يتضح من الوثائق المغربية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كانت من عدة أنواع :

من بينها، أولاً، الأموال التي تغرمها القبائل كرهاً لحساب المخزن المركزي وبيت ماله متى خالفوا أمره ولم يمتثلوه، أو بسبب تمرد قامت به. ومن أمثلة ذلك أن المولى الحسن غرم سنة 1893 قائدي الرحامنة، عيسى بن مبارك الرحماني وإبراهيم بن الحسين الرحماني، بمبلغ عشرة آلاف ريال، مناصفة بينهما، بسبب مباشرتهما عملية الدرس قبل إحصاء زرع الدارسين من قبل أصحاب الخرص. وبعد هذا التاريخ بسنة وإثر تمرد قبيلة الرحامنة برمتها، غداة وفاة المولى الحسن، فرض عليها خلفه المولى عبد العزيز غرامة بلغت 420.000 ريال.

ومن بينها، ثانياً، الغرامات التي كانت تفرض على الأفراد والجماعات متى ارتكب بعضهم عدواناً على غيره سواء تعلق الأمر بجرائم القتل أو السرقات أو إتلاف ممتلكات الناس. وفي هذه الحالة فإن الغرامات المفروضة على مقترفي هذه الأفعال كانت تختلف بحسب نوع التعاقدات والتحملات المتفق عليها، المسماة بـ "الرفود". ولأخذ فكرة ملموسة عن نوع تلك التعاقدات، وما يكتنفها من أعراف، نكتفي بمثال واحد ينطلق من رسم إشهاد ـ موقع من قبل عدلين ـ مؤرخ في شهر رجب 1313 / دجنبر 1895، حيث يتضح منه ما يلي :

أولاً، أن هذا التعاقد جاء نتيجة أمر سلطاني موجه إلى عامل الرباط محمد السويسي وذلك بهدف "الحرص على حفظ طرقات رباط الفتح وأحوازه وجوانبه كلها من النهب والسرقة والقطع والإخافة وإغارة أعراب بواديه بعضهم على بعض واختطاف للبهائم وغيرها [...] حتى تأمن المارة في الطرق وتسرح البهائم في مسارحها". وقد عين السلطان كبير قواد قبيلة جيش الأوداية، علال بن بوعزة الأودي، للوقوف على تنفيذ هذا الأمر (باعتبار أن من بين الوظائف الأساسية التي كانت تقوم بها هذه القبيلة حماية الطريق الواقعة جنوب الرباط من هجمات زعير وغيرها).

ثانياً، انعقاد مجلس عامل الرباط، وخليفته الصديق بركاش، والقائد الأوديي آنف الذكر، وسبعة عشر عاملاً من قبيلة زعير، من فرق المزارعة، وتسعة عمال من قبيلة أعراب الرباط، وخمسة شيوخ من قبيلة الحوزية (كانوا تحت نفوذ عامل الرباط)، وعامل بني ورى، وعامل الزيايدة، وقائدين من جيش الأوداية "وتوافقوا وتعاقدوا على حفظ ما

ذكر[...] ومن تعدى أحد من إخوانه المذكورين طوره أو أضاف طريقاً أو سرق أو قطع أو نهب [...] فهو المؤاخذ بذلك والملزم بما وقع عليه الاتفاق من الذعائر" وذلك وفق الآتي :

ففي حالة السرقة أو إتلاف شيء، فالمتهم ملزم أولاً بغرم ما أتلفه أو سرقه، وبأداء ذعيرة للمخزن قدرها 300 ريال، وأخرى قدرها 200 ريال للمتقاعدين (الرفادة). وإذا ألقي القبض على السارق، فيلزمه أداء ـ علاوة على ما ذكر ـ 50 ريالاً أو أن يدفعها عنه أهله، ويطلق سراحه. أما إذا تعرض للقتل، فيؤدي من قتله 50 ريالاً فقط لوليه.

أما في حالة قتل نفس عمداً، فعلى الجاني أداء 500 ريال لولي المقتول وهي الدية، و300 ريال لجانب المخزن، و200 ريال للرفادة. بيد أن عمال زعير من فرق المزراعة أشهدوا على أنفسهم إشهاداً خاصاً مفاده أن مبلغ الذعيرة على القاتل عمداً هي 1000 ريال، تؤدى للمخزن وللرفادة، فضلاً عن دية 1000 ريال أخرى، تؤدى لولي المقتول.

ثالثاً، ما العمل مع من أنكر تهمة من هذه التهم ؟ يضيف رسم الإشهاد، في خصوص هذه النازلة، أن المتهم لا تبرأ ذمته إلا بعد أداء يمين القسم من قبل خمسين رجلاً من إخوانه.

وأخيراً، أشارت الوثيقة إلى أن أجل هذا التعاقد هو عام واحد، يبتدئ من التاريخ المثبت في الرسم.

يتضح مما ذكر أعلاه أن الأمر يتعلق بنوعين أساسيين من أنواع الغرامات : أولاهما، غرامات تؤديها القبائل لحساب خزينة الدولة ؛ والثانية، يؤديها الأفراد والجماعات لثلاثة أطراف : لصاحب أو لأصحاب الحق، وللمخزن، وللرفادة.

غير أن ما يجب إضافته أنه مع مطلع ستينيات القرن التاسع عشر، وفي سياق التكالبات الاستعمارية على سيادة البلاد، ظهر نوع جديد من أنواع الغرامات : يتعلق الأمر بالغرامات التي أصبح المخزن يؤديها كرها، إما لحساب بعض الحكومات الأوربية، أو لحساب الأجانب المقيمين في المغرب.

وأول تلك الغرامات وأشهرها الغرامة الثقيلة التي فرضتها إسبانيا إثر حربها العدوانية، فيما سمي بحرب تطوان (1859 ـ 1860). فمن أجل انسحابها من احتلال مدينة تطوان اشترطت على المخزن ـ من بين ما اشترطت ـ أداء مائة مليون بسيطة أي عشرين مليون ريال. وهو ما كان يفوق طاقة البلاد. ذلك أنه بمجرد تسديد نصف هذا المبلغ ـ بعد الاستعانة بقرض من بريطانيا سنة 1862 ؛ بلغ مليونين من الريال ـ حتى تعرضت البلاد إلى نزيف. وعلى حد تعبير جرمان عياش فإن "هذا النزيف لم يترك الدولة مفلسة فحسب، بل أدمى مجموع الاقتصاد المغربي محدود الموارد".

وقد استمر هذا النزيف قائماً، إذ كان على المغرب لأجل تسديد النصف الثاني من الغرامة أن يسمح للموظفين الإسبان بالإقامة في الموانئ الثمانية المفتوحة للتجارة الخارجية لاقتطاع نصف مداخيل الجمارك وذلك إلى حدود العام 1884.

وبعد مرور تسع سنوات على هذا التاريخ استغلت إسبانيا مرة ثانية حوادث الاصطدامات التي وقعت بين الريفيين والإسبان بحدود مليلية سنة 1893 لتفرض على البلد غرامة جديدة بلغت أربعة ملايين ريال.

وفيما يخص الغرامات التي كان يفرضها القناصل على المخزن بدعوى تعرض مواطنيهم إلى أذى من قبل المغاربة فلا تكفي المجلدات لملئها، وقد ساهمت بدورها في تعميق النزيف. ومن بين الأمثلة الدالة على ذلك أنه إثر تعرض أحد التجار الألمان إلى حادثة قتل سنة 1895، فإن قيمة التعويض بلغت 200.000 فرنك، هذا فضلاً عن تهديد السفير الألماني طاطنباخ بقنبلة البلاد في حالة عدم الاستجابة إلى تنفيذ الطلب، وفي أقرب الآجال.

أما الغرامات التي فرضتها فرنسا لضحايا أحداث الدار البيضاء (غشت 1907) وكذا الغرامة المتعلقة بالنفقات العسكرية التي تحملتها في عدوانها على الدار البيضاء ومجموع الشاوية، فقد كانت من بين أسباب القرض المفروض على المولى حفيظ سنة 1910 الذي بلغ 90 مليون فرنك، وإن لم يحصل منه المغرب فعليا على أي شيء.

والخلاصة أن هذا النوع الجديد من الغرامات بقدر ما كان أداة فعالة لنهب البلاد وتفقيرها والدفع بها إلى حالة الإفلاس الشامل بقدر ما كان، في الآن ذاته، سببا في تفجير التناقضات بين الدولة والمجتمع من جراء إثقال كاهل الناس بالمكوس والجبايات والذعائر والغرامات.

*وثائق الخزانة الحسنية* ؛ *مديرية الوثائق الملكية* ؛ *وثائق خزانة تطوان* ؛ أ. التوفيق، إينولتان، 1850 ـ 1912 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ ج. عياش، *دراسات في تاريخ المغرب* ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3 ؛ م. بن منظور، *لسان العرب*.

عبد العزيز الخمليشي

**المغرب** (تاريخ ـ) لعل أول تقسيم إداري جرى في المغرب هو ذلك الذي أحدثه الأمير الإدريسي محمد بن إدريس الثاني عندما قسم جهات الإمارة الإدريسية بين إخوته، واستقر هو بفاس. وكيفما كان الاختلاف بين ما جاء عند البكري وما جاء عند إدريس الفضيلي، فإن بلاد الغرب كانت من نصيب القاسم الذي ولي "البصرة وطنجة وما والاها" حسب تعبير البكري، أو نواحي طنجة وما والاها من القبائل الهبطية" حسب تعبير الفضيلي. ولأن الإدريسي، في منتصف القرن (6 هـ)، يقول عن هذه الجهة : "وكانت هذه البلاد [يقصد سبتة وقصر مصمودة وطنجة وتشمس وأزيلا والقصر الكبير والبصرة والأقلام وقرت] منسوبة إلى بلاد طنجة ومحسوبة منها". وكما سنرى فإن القصر الكبير والبصرة والأقلام وقرت معدودة من منطقة الغرب.

وذكر "لوي ماسينيون"، بالنسبة للمرابطين، أن يوسف بن تاشفين قسم، في القرن (5 هـ / 11 م)، البلاد كلها إلى أربع قيادات عسكرية، ولكننا لا نعرفها جيداً، مع العلم أن

الناصري ذكر أن يوسف بن تاشفين، في سنة 467 بعد أن فتح مجال غياثة وبني مكود وبني رهينة، فرق عماله على بلاد المغرب بهذا الشكل :

- مدائن مكناسة وبلاد فازاز وبلاد مكلاتة تحت قيادة سيرين بن أبي بكر اللمتوني.
- فاس وأحوازها تحت قيادة عمر بن سليمان.
- سجلماسة ودرعة تحت قيادة داوود بن عائشة.
- مدينة مراكش وأغمات وبلاد سوس والمصامدة وتادلا وتامسنا تحت قيادة ابنه تميم بن يوسف.

ولما فتح تلمسان سنة 474 عين عامله محمد بن تينغمر المسوفي على تلمسان ووجدة وبلاد بني يزناسن وما والاها.

فأين نضع منطقة *الغرب* في هذا التقسيم الإداري ؟

في عهد الموحدين، كان محمد بن يحيى بن تاكغت المسوفي عاملاً على مدينة القصر الكبير، عند مرور الخليفة الناصر بها سنة 607 ، وهو نفسه العامل على مدينة سبتة. وجاء عند ابن عذاري أنه في أواخر سنة 635 عندما استقامت الأمور نسبيا للرشيد الموحدي 630 / 640 ، وأطاعته سبتة وطنجة، عين ابن وانودين على البلاد الغربية بما فيها قبائل غمارة. وقال بأن وانودين أقام في ولاية الغرب سنتين تقريباً، وكانت مدينة القصر الكبير هي مركز إقامته. وكان أكثر سكان هذا الإقليم من عرب رياح.

وعدد عبد الواحد المراكشي ولايات الدولة الموحدية التي تدفع الخراج لبيت المال، هكذا : إفريقية - بجاية وأعمالها - تلمسان وأعمالها - المغرب (= الغرب) - سلا وأعماله - سبتة وأعمالها - جزيرة الأندلس - مراكش وأعمالها. وأضاف قائلاً : "وحد عمل المغرب (= الغرب) عندهم الذي يطلقون عليه هذا الاسم من مدينة تدعى رباط تازا إلى مدينة تدعى مكناسة الزيتون، طول هذه المسافة وعرضها نحو من سبع مراحل، وهي أخصب رقعة على الأرض فيما علمت، وأكثرها أنهاراً مطردة، وأشجاراً ملتفة، وزروعاً وأعناباً".

وعلى الرغم من أن المرينيين، خاصة في عهد الخليفة يعقوب بن عبد الحق (657 / 685 / 1259 / 1286) ، أحدثوا تقسيماً إدارياً لعمالات بلاد المغرب والأندلس، فإن مكانة منطقة الغرب لم تكن واضحة فيه. ولاندري أين نضعها في ذلك التقسيم الإداري :

- مراكش وأعمالها وجميع بلاد السوس. أغمات وتينمل وجبالها. مدينة سلا وأحوازها ومراسيها. مدينة مكناسة وأحوازها. مدينة فاس. رباط تازة وجميع أحوازها. مدينة سجلماسة. بلاد درعة وأحوازها. بلاد الأندلس.

وابتداء من مطلع القرن (10 هـ)، بدأت بلاد الأزغار - أي منطقة الغرب فيما بعد - تظهر كإقليم قائم الذات. وهكذا، فإن مملكة فاس آنذاك كانت تتكون من نفس عدد الأقاليم الموجودة في مملكة مراكش، وهي : تامسنا - فاس - أزغار - الهبط - الريف - كرط - الحوز. وتوجد في إقليم أزغار مدن : الجمعة (أي جمعة القرواش) - العرائش - القصر الكبير.

وعاصمته أو مركزه، حسب ما جاء عند مارمول، هو القصر الكبير بعد أن كانت العرائش من قبل هي مركزه. و "يبدأ هذا الإقليم من نهر أبي رقراق غرباً [= جنوباً]، ويمتد في الجانب الآخر إلى أحد جبال الريف، منتهيا في بعض المواضع إلى جبلي زرهون وزلاغ. يحده المحيط شمالاً [بل غرباً] ونهر بونصر جنوباً [بل شرقاً] [...] طوله عشرون فرسخا من الشرق إلى الغرب، وعرضه عشرون من الشمال إلى الجنوب. يخترقه من طرف إلى طرف وادي سبو الكبير".

وكان يشرف على هذا الإقليم، في بداية عهد السعديين، عامل واحد. يقول مارمول : "وليس للشريف الذي يحكم اليوم، سوى عامل واحد للمدن الثلاث : أصيلا والقصر الكبير والعرائش. ومعه خمسمائة فارس وأكثر من ألف من رماة البنادق لشن الغارات على طنجة. ويقيم عادة بالقصر، وإن كان يذهب، مرة بعد أخرى، لتفقد الحدود كلها".

وفي عهد السلطان أحمد المنصور السعدي 986 - 1012 / 1576 - 1603 أصبحت منطقة الغرب مضافة إلى فاس. لأن هذا السلطان كان قد فرق عمالات المغرب على أولاده فاستعمل الشيخ - يعني المامون - على فاس والغرب، وولاه عهده. واستعمل زيدان على تادلا وأعمالها. واستخلف، عند نهوضه إلى فاس، ابنه أبا فارس على مراكش وأعمالها.

وفي بداية عهد الدولة العلوية، خاصة في عهد المولى الرشيد، كان أخوه إسماعيل نائباً عنه في فاس ومكناس والغرب، ويحمل لقب "الخليفة". وكانت المصادر غالباً ما تستعمل صيغة" الخليفة على بلاد الغرب".

واتبع المولى إسماعيل أسلوباً خاصاً في إدارة المملكة، حيث قسمها إلى مدن كبرى وعدة وحدات إدارية. فمن المدن الكبرى : مكناس العاصمة - فاس الجديد - سلا والرباط - أسفي. أما الأقاليم الكبري فهي : الإقليم الشمالي - الإقليم الشرقي - إقليم توات - إقليم سجلماسة - إقليم درعة - إقليم سوس - إقليم مراكش - إقليم تادلا - إقليم دكالة.

كانت أراضي الإقليم الشمالي تمتد من وهران على البحر الأبيض المتوسط حيث الحدود بين الإمبراطورية المغربية والممتلكات الجزائرية إلى المعمورة التي تقع على ساحل المحيط الأطلسي. كما تمتد من البحر المتوسط إلى نهر سبو على مساحة تعادل مساحة مملكة البرتغال. ومدنه الرئيسية، هي : تطوان - طنجة - أصيلا - العرائش - القصر الكبير. وقد أسند المولى إسماعيل هذا الإقليم الشاسع إلى أسرة الريفي، حيث تناوب عليه القائد عمر بن حدو الريفي (ت. 1092 / 1680 )، وابن أخيه القائد علي بن عبد الله (ت. 1125 / 1713)، وأخيراً الباشا أحمد بن علي بن عبد الله.

وعندما زار "وندوس" (Windus) هذه المنطقة عام 1721 كان الإقليم مقسما على الشكل التالي : فقد كان القسم الشرقي منه وباديته تحت قيادة عبد الكريم بن عبد الله، الذي كان يدعى بعامل إقليم الريف. وكان عبد الواحد بن علي قائدا لمدينة تطوان، وعبد الكريم بن علي قائدا

للعرائش، وعزوز بن علي قائدا لمدينة طنجة، والكل تحت إشراف القائد العام وهو الباشا أحمد بن علي. وكان ابن الأشقر أمير الزراهنة وعلى يديه أعشار القبائل من أهل الغرب وبني احسن.

وانطلاقاً من عهد السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل، خاصة عندما تولى الحكم في المرة الرابعة، عُين، في أواخر ربيع الأول 1161 ، الباشا الحبيب الحمادي المالكي على قبيلة بني مالك، وكان يستقر في مدينة القصر الكبير، لأنه أضاف إليه قبائل الجبل كلها. وعين القائد عبد الله بن محمد المعروفي السفياني على قبيلته سفيان ومن انضاف إليهم من قبائل تلك الجبال والنواحي.

وسيبقى نفس التقسيم في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (صفر 1171 ـ رجب 1204 / 1757 / 1790)، حيث كانت البلاد مقسمة إلى 17 عمالة، من بينها الغرب، الذي كان تحت نظر القائدين الحبيب الحمادي المالكي، وعبد الله بن محمد المعروفي السفياني، الذي سيعوض بالهاشمي السفياني. وأنشأ السلطان عمالة جديدة هي المهدية، تضم قبيلة بني احسن، وعين عليها القائد محمد بن علي العروسي سنة 1175 / 1761 وجعل الكل تحت ولاية نجله أبي الحسن، ووجهه إلى فاس الجديد سنة 1179 / 1765. وسوف تعرف تقسيمات المغرب الإدارية تغيرات كثيرة بعد هذه المرحلة.

ففي عهد السلطان المولى سليمان (رجب 1206 ـ ربيع الأول 1238 / 1792 ـ 1824 سيتم فصل عمالة بني احسن عن منطقة الغرب لأنها أصبحت تابعة لعمالة العدوتين، التي أضيفت إليها الشاوية والدار البيضاء وعرب الويدان. وأصبحت منطقة الغرب ككل، أي قبائل بني مالك وسفيان، بما في ذلك العرائش، في عمالة واحدة، تولاها الفقيه حمدون بن عبد الرحمان ابن الحاج السلمي (ت. 1232 / 1817) ابتداء من سنة 1219 / 1808 ، وكان يستقر في العرائش إلى عام 1221 / 1806.

وفي سنة 1223 / 1808 ، ستصبح منطقة الغرب بما فيها القبائل والجبال ضمن عمالة الثغور البحرية، أي منطقة الشمال، من تطوان وطنجة والعرائش والقصر الكبير والقبائل المجاورة من أهل الجبل وبني مالك والخلط وطليق. وولى عليها السلطان القائد محمد السلاوي البخاري، الذي سيعزله، ويولي مكانه الأمير مولاي عبد السلام الضرير ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ويكلفه، بالنيابة عنه، فيما يخص الأجانب.

وفي عهد السلطان المولى عبد الرحمان (ربيع الأول 1238 ـ محرم 1276 / 1824 ـ 1859 ) وابنه سيدي محمد (صفر 1276 ـ رجب 1290 / 1859 ـ 1873 ) كانت عمالة الغرب تضم سفيان وبني مالك مجتمعين، وعليهم قائد واحد هو عبد السلام بن عبد الكريم السفياني، إلى أن استشهد في حرب تطوان في شعبان 1276.

وفي عهد السلطان المولى الحسن (رجب 1290 ذو الحجة 1311 / 1873 ـ 1894) ومن خلال رسالة مؤرخة في 3 جمادى الثانية 1300 / 1883 ، يتكرر ذكر عاملي الغرب، وعمال الغرب عدة مرات. ويذكر عبد العزيز بن عبد الله أن المغرب كان مقسما إلى (6) عمالات، من ضمنها عمالة الغرب، وهي :

ناحية الشمال (تضم تطوان وطنجة وأصيلا والقصر الكبير والعرائش ووزان) ومركزها هو فاس.
- الغرب، مركزه مكناس.
- المغرب الشرقي (من وجدة وتازة إلى تافيلالت).
- ناحية الحوز (مراكش وآسفي والصويرة).
- العدوتان وتامسنا (الرباط وسلا والشاوية ودكالة).
- الجنوب، ويمتد من المحيط إلى حدود الجزائر، ويندرج فيه أقصى الجنوب إلى نهر السنيغال. وفي بداية القرن (20 م)، خاصة مع الاستعمار الفرنسي، أصبح مصطلح الغرب يطلق على جزء من حوض نهر سبو السفلي، الذي يستقر فيه مالك وسفيان. وبهذا وقع التمييز بين الضفة اليمنى لنهر سبو، مجال استقرار بني مالك وسفيان. وبين الضفة اليسرى مجال استقرار قبيلة بني احسن.

وكان لاستقرار جزء من قبائل الشراردة فيما بين مدينتي سيدي قاسم وسيدي سليمان أن برز اسم جديد سينضاف إلى الاسمين السابقين، وهو الشراردة، وأصبحت التسمية الثلاثية : "الغرب، الشراردة، بني حسن "ذات مدلول مجالي وبشري ؛ فالغرب يعني الأراضي الواقعة شمال نهر سبو وقبيلة بني حسن ذاتها. وكذلك الأمر بالنسبة للشراردة، فالاسم يعني القبيلة ثم مجال استقرارها حالياً في المنطقة.

وقد أنشأ الفرنسيون، ابتداء من 1913، منطقتين مدينتين في الجهات المحتلة مبكراً (وجدة، الدار البيضاء) وعدة لجان بلدية مختلطة في المدن الساحلية، ثم في المدن الداخلية بمقتضى ظهير 1917، ليصبح مجموعها 16 بلدية، منها بلدية القنيطرة. كما أحدثوا، بمقتضى مرسوم للمقيم العام سنة 1919 ثلاث نواحي مدنية، هي : الدار البيضاء ووجدة والرباط، ألحقت بها سنة 1921 ناحية الغرب. وبعد تعديلات 1940 / 1947 أصبح التراب المغربي ينقسم إلى 7 نواحي تضم 17 إقليماً، وهي :

- ناحية الرباط (الرباط، القنيطرة، الغرب، وزان). ناحية الدار البيضاء (الشاوية، الدار البيضاء، الجديدة، واد زم، تادلا). ناحية مراكش (مراكش المدينة، بادية مراكش، أسفي، ورزازات). ناحية فاس (فاس المدينة، تازة). ناحية مكناس (مكناس المدينة، مكناس البادية، تافيلالت، إفران). ناحية وجدة. ناحية أگادير.

وفي عهد الاستقلال، بادر المغرب إلى تعويض هذه النواحي السبع، بمقتضى مرسوم 19 دجنبر 1955، بحاضرتين مستقلتين (الرباط، الدار البيضاء) و13 إقليماً. ثم صدر، بعد بضعة أشهر، ظهيران يعيدان تقسيم المغرب إلى 5 عمالات و19 إقليماً، حيث كان إقليم الغرب يضم إليه

إقليمي العرائش وسيدي قاسم ووزان. وظل الوضع كذلك إلى أن صدر ظهير 2 دجنبر 1959 الذي قلص من عدد العمالات إلى عمالتين، والأقاليم إلى 16 إقليم. وظلت خريطة التقسيم الإداري تتغير باستمرار إلى سنة 1994، حيث أصبح عدد العمالات 22، والأقاليم 43، منها عمالة القنيطرة التي انفصل عنها إقليم العرائش وأصبحت تضم إقليمي القنيطرة وسيدي قاسم ووزان فقط.

وبمقتضى ظهير 16 يونيو 1971 تم تقسيم المغرب إلى سبع مناطق اقتصادية، وهي :

- الشمال الغربي (مركزه الرباط، ويضم أقاليم الرباط، القنيطرة، تطوان، طنجة). الوسط الشمالي (فاس). الوسط الجنوبي (مكناس).الوسط (الدار البيضاء).الشرق (وجدة). الجنوب (أكادير). تانسيفت (مراكش).

وفي غشت 1997، صدر المرسوم المحدد لعدد الجهات (16 جهة اقتصادية) وأسمائها ومراكزها ودوائر نفوذها ... منها جهة الغرب الشراردة بني حسن التي تضم إقليمي القنيطرة وسيدي قاسم ووزان، ومركزها هو القنيطرة.

يتضح مما سبق، أن إقليم الغرب التاريخي هو إقليم أوسع من إقليم الغرب في وقتنا الحاضر. ويمكن أن نجعله يتطابق مع المجال الذي انتشرت فيه القبائل الاعرابية، الهلالية والمعقلية وغيرها من البطون الصغيرة، التي دخلت إلى المنطقة في فترات زمنية متفاوتة منذ القرن (6 هـ / 12 م) إلى حدود القرن (13 هـ / 19 م). وكانت حدوده تمتد، شمالاً، من جنوب مدينة العرائش (كانت هذه المدينة، أحيانا، هي مركزه الرئيسي، ويعوضها القصر الكبير أحيانا أخرى) مروراً بالمجرى الأسفل لوادي اللكوس إلى حدود مدينة القصر الكبير، وتجاور شرقاً جبال بلاد الهبط والقبائل المستقرة فيها، وهي على التوالي : سريف - رهونة وجبل صرصر - مصمودة وزان - أهل الربوة وبنو مستارة - بنو مزكيلدة - سطة. وفي الجنوب الشرقي : بلاد شراگة - حجاوة - جبل زرهون - كروان الشمالية. وفي الجنوب، يقسم مجال غابة المعمورة بين بني احسن وزمور. أما في الجهة الغربية، فهناك الحدود الطبيعية المتمثلة في المحيط الأطلنتي، أي المجال الذي كان ينحصر في فترات سابقة بين المراكز الحضرية : العرائش والقصر الكبير وسيدي قاسم والمهدية.

م. البوعناني، *مساهمة في دراسة تاريخ منطقة الغرب من القرن (6 هـ / 12 م) إلى القرن (11 هـ / 17 م)*، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ، مرقونة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1423 / 2002.

المصطفى البوعناني

**الـغرب - الـشراردة - بني احسن (جهة)** أحدثت جهة الغرب - الشراردة - بني احسن بموجب التقسيم الجهوي لسنة 1997، عندما أصبح المغرب مقسما إلى ست عشر جهة. تشغل مساحة تقدر بحوالي : 8805 كلم2، يتكون إطارها المجالي من سهل الغرب وهوامشه المكونة من تلال مقدمة الريف في الشمال ومرتفعات ما قبل الأطلس المتوسط في الجنوب - الشرقي والشرق وهضبة المعمورة في الجنوب وتنفتح على المحيط الأطلنتي غربا.

استقرت بالإطار الترابي لهذه الجهة بعض القبائل الرعوية وأبرزها : بنو مالك وسفيان في الشمال والشمال - الشرقي لنهر سبو وهي قبائل عربية متفرعة عن بني هلال استقدمها الموحدون إلى هذه المنطقة منذ القرن 12م، وكذلك قبيلة بني احسن وهي أيضا قبيلة عربية من بني معقل، نزحت من شرق المغرب في أواخر القرن 18م واستوطنت جنوب نهر سبو وأجزاء من غابة المعمورة على حساب بني مالك وسفيان في الشمال وقبائل زمور في الجنوب التي كانت تتطلع للسيطرة على غابة المعمورة، ثم قبيلة الشراردة وهي خليط من العرب والبربر الذين نقلهم المخزن من حوز مراكش سنة 1829 ووطنهم حول سدي قاسم للقيام بخدمات عسكرية ومن ثم تسميتهم بقبيلة "الجيش".

على صعيد التقسيم الإداري تتألف جهة الغرب - الشراردة - بني احسن من إقليمين هما : إقليم القنيطرة وإقليم سيدي قاسم، وتتألف على صعيد التقسيم الجماعي من : 12 جماعة حضرية و61 جماعة قروية.

تحتل هذه الجهة موقعا متميزا ضمن المجال الجغرافي الوطني بفضل وجودها في ممر رئيسي بين شمال وجنوب المغرب، فضلا عن مجموعة من المزايا التي يتيحها هذا الموقع نذكر منها بالخصوص : الأهمية النسبية للتهاطل المطري السنوي على الجهة ومحيطها الجغرافي (تتلقى مختلف أرجاء الجهة كميات مطرية تتراوح معدلاتها السنوية ما بين 520 مم غربا و450 مم شرقا) ومن ثم وفرة الموارد المائية ولا سيما السطحية المتمثلة في نهر سبو وروافده ومن أهمها ورغة وبهت، ويبلغ الوارد المائي السنوي لهذه الشبكة 6 ملايير متر مكعب وهو ما يعادل 27٪ من الإمكانيات المائية السطحية الوطنية، إضافة إلى الأتربة الخصبة التي تكسو أرجاء واسعة من السطح المتميز في جزئه الأكبر بالانبساط الذي يوفر تسهيلات في ميدان الربط الطرقي والمواصلات بصفة عامة، فبالإضافة إلى السكة الحديدية التي تتكون من محورين : محور يربط بين القنيطرة وسدي قاسم ومكناس ثم محور يربط بين سدي قاسم وطنجة، فإن شبكة الطرق المعبدة بجميع أنواعها بالجهة تمتد على مسافة 1850 كلم منها 313 كلم من الطريق السيار، إلا أن من عيوب هذا الطريق كونه لا يساهم في فك العزلة عن البوادي التي يمر بها، إذ من القنيطرة حتى مولاي بوسلهام على مسافة 74 كلم لا يوجد أي محول انطلاقا من الطريق السيار. وعموما تساهم المحاور الطرقية القائمة بمختلف أنواعها في تقوية مردودية الإنتاج الاقتصادي وخاصة الإنتاج الزراعي المسقي الذي تشتهر به الجهة وتجعل مجالها الجغرافي ملتقى ومنطلقا لمجموعة من التيارات التبادلية بحكم الانفتاح القوي على عدة تجمعات حضرية كبرى على الصعيد الوطني الموجودة

على مسافات غير بعيدة : الرباط ـ سلا، والدار البيضاء ـ المحمدية، وفاس ـ مكناس، ثم طنجة ـ تطوان. لكن هذا الانفتاح يقتصر على المجالات الوسطى والنطاقات المحاذية للمحاور الطرقية الكبرى بينما ما زالت الكثير من المجالات الهامشية خاصة بإقليم سدي قاسم تعيش في عزلة بسبب النقص في الطرق المعبدة، كما أن انفتاح الجهة ما زال غير مكتمل في ظل التراجع المستمر الذي عرفه الرواج التجاري بميناء القنيطرة النهري بعد الاستقلال، فعدم تجهيزه وتأهيله بالشكل المطلوب حرم الجهة من اتصال مباشر بالعالم الخارجي من شأنه أن يمنح قيمة مضافة لاقتصاد الجهة خاص والاقتصاد الوطني بوجه عام.

بخصوص الجانب الديمغرافي فقد قدر مجموع ساكنة جهة الغرب ـ الشراردة ـ بني احسن سنة 2001 بحوالي 1.837.000 نسمة منهم :768.000 حضريين (41,8) و1.069.000 ريفيين (58.2٪). وهكذا فإن الكثافة السكانية العامة في مستهل القرن الحادي والعشرين بهذه الجهة تناهز 209 نسمة / كلم$^2$ ، في حين كانت لا تتعدى 20 نسمة / كلم$^2$ في بداية القرن العشرين فإنها تضاعفت بحوالي عشر مرات ونصف. وبالقياس مع معدل الكثافة السكانية العامة على الصعيد الوطني، وهو تقريبا 42 نسمة / كلم$^2$، فإن هذه الجهة تعتبر من الجهات ذات الثقل الديمغرافي القوي، علما بأن السكان داخل هذه الجهة يتركزون أساسا بالنطاقات القريبة من الأودية وخاصة سبو وبهت وبتلال مقدمة الريف بشمال الجهة في حين مازالت الكثافات السكانية معتدلة إلى واطئة بالساحل غربا وبالمعمورة جنوبا وبعدة نطاقات سهلية وسط الجهة. وتعزى هذه التباينات في الكثافة السكانية بالأساس إلى التغييرات الجذرية التي أحدثها المستعمر الفرنسي في الهياكل العقارية إذ استحوذ على ما يناهز 210.000 هكتار من أجود الأراضي. ونتيجة لذلك فإن جزءاً كبيراً من الفلاحين المحليين إما سيلجأون إلى استغلال أراضي زراعية ورعوية أقل خصوبة في الهوامش أو سيتحولون إلى عمال بالاستغلاليات الفلاحية الكبرى التي أصبحت في حوزة المعمرين أو بالأوراش، في حين سيضطر آخرون إلى الهجرة فرادى وجماعات خاصة نحو أقرب المدن والمراكز التي أصبحت تتوفر على بعض الصناعات الخفيفة كمدينة القنيطرة. وجل هؤلاء المهاجرين سيتخذون البيوت الصفيحية مأوى لهم. ومن ثم ظهرت ونمت تجمعات صفيحية ضخمة بجل مدن منطقة الغرب كتجمع الساكنية بالقنيطرة ودوار أولاد الغازي بسيدي سليمان ودوار كليطو بسوق أربعاء الغرب .. ومنذ فترة الاستعمار والتجمعات الصفيحية بمدن الجهة في تنامٍ مستمر بفعل تضافر مجموعة من العوامل في مقدمتها سوء الأحوال المعيشية واتساع دائرة الفقر والبطالة في بادية الجهة مما يغذي باستمرار تيارات الهجرة إلى المدن وخاصة مدن الجهة، ومن ثم تحويل جزء من مشاكل البوادي إلى المدن عل شكل معوزين وعاطلين إلى كتلة العاطلين بالمدن إذ قدرت نسبة العاطلين بالوسط الحضري لجهة الغرب ـ الشراردة ـ بني احسن سنة 2001 بـ 23.3٪، مما يساهم في توسع التجمعات الصفيحية التي تطبع المشهد الحضري لمعظم مدن ومراكز الجهة بل إن العديد من الدواوير القريبة من المدن تختلط فيها الدور المبنية بالمواد الطينية والمواد الصلبة بالدور الصفيحية.

ويعتمد اقتصاد الجهة أساسا على النشاط الفلاحي بنطاق الري العصري، فهذا النطاق بالغرب يعتبر الأهم من نوعه على الصعيد الوطني بحكم أنه الأوسع والأكثر تطوراً وإنتاجا بفضل شساعة الأراضي الخصبة القابلة للري وعزم الدولة القوي على تنفيذ برنامج سقوي طموح بالمنطقة يرتكز على التوسيع التدريجي للمساحات المجهزة للسقي وفق الأساليب والتقنيات المتطورة التي يؤطرها جهاز تابع للدولة وهو المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للغرب. لقد شرع في تجهيز أول نطاق سقوي بمنطقة الغرب إبان الفترة الاستعمارية وهو نطاق بهت المجاور لمدينة سدي سليمان الذي كان يمتد على حوالي 11000 هكتار حيث شيد لهذا الغرض سد القنصرة على واد بهت الذي أصبح جاهزا للاشتغال سنة 1935. وبعد الاستقلال قامت الدولة بتشييد سدود كبرى خاصة على روافد سبو، بهدف التحكم في المياه التي تصل إلى الغرب قصد حمايته من الفيضانات المدمرة التي عانى منها لمدة طويلة، ثم لتعبئة هذه المياه من أجل توسيع الدوائر السقوية المجهزة، ومن أهم هذه السدود : سد إدريس الأول على وادي إيناون وقد أنجز سنة 1973 وسد الوحدة على وادي ورغة الذي أنجز سنة 1997 ويعد أكبر خزان للمياه بالمغرب.

ولحد الآن مكنت الأشغال والتجهيزات المائية الكبرى من سقي حوالي 107.400 هكتار بجهة الغرب ـ الشراردة ـ بني احسن منها 92.000 هكتار بواسطة الري الكبير والباقي عن طريق الري المتوسط والصغير، ومن المنتظر أن تصل مجموع المساحات المسقية مستقبلا بهذه الجهة إلى 270.000 هكتار.

وعلى صعيد الإنتاج الفلاحي فإن الحيز الأوفر من المساحة القابلة للزراعة بالجهة تخصص للحبوب والقطاني وكذا المزروعات العلفية، وهذه الأخيرة ساعدت على التطوير الكمي والنوعي لتربية الماشية ولا سيما الأبقار الحلوب ذات المردودية العالية التي تصل إلى 5000 لتر من الحليب في السنة والتي نجدها بوجه خاص عند الحيازات الكبيرة التي تتوفر على مختلف الإمكانيات، كما تنتج بالجهة المزروعات الزيتية والمزروعات الصناعية التي يتصدرها الشمندر السكري وقصب السكر، وكل هذه الزراعات ساهمت في رفع مستوى الاكتفاء الذاتي الوطني في بعض المواد الغذائية وخاصة السكر وزيت المائدة والحليب ؛ وتشغل الأشجار المثمرة مساحة : 44.400 هكتار مع هيمنة الحوامض التي تحتل مساحة 18.400 هكتار. لكن مردودية مختلف المزروعات والمغروسات وكذا مردودية الماشية تقل بشكل كبير داخل المجالات البورية للجهة حيث تبقى رهينة عوامل متعددة منها الظروف المناخية.

وتشكل غابة المعمورة بالجهة (حوالي 133.000 هكتار) ثروة ذات أهمية اقتصادية واجتماعية وبيئية ثمينة فهي مصدر لعدة مواد أولية : الخشب الصناعي وخشب التدفئة والفلين والفحم، وهي أيضا مصدر للكلأ، ولعدة أعشاب طبية وعطرية ومجال مناسب لتربية النحل وللاستثمار في السياحة البيئية ... ومن ثم دورها في خلق فرص الشغل وفي تحقيق مداخيل لصالح الجماعات المحلية المعنية، فضلا عن كونها تشكل مجالا للترفيه على السكان من عناء المدن وحزاما أخضرا طبيعيا يقاوم ترمل التجمعات الحضرية الكبرى للرباط وسلا والقنيطرة وكذلك الأراضي السقوية للغرب ولذلك يتعين الحرص بقوة على استغلال هذه الغابة بأساليب عقلانية تعمل على الحد من التراجع والتدهور الذي تعاني منه منذ مدة طويلة.

أما النشاط الصناعي العصري بجهة الغرب ـ الشراردة ـ بني احسن فلا زال متواضعا كما ونوعا بسبب تعدد الإكراهات التي تعترض تطويره ومنها : غلاء الأراضي وتعقد الخريطة العقارية وما يتبع ذلك من تعثر في تهيئة مناطق صناعية جديدة إضافة إلى تعقد المساطر الإدارية المتبعة في قبول أو رفض ملفات الاستثمار..

وتمثل الصناعات الغذائية ضمن النشاط الصناعي بالجهة ما يقارب 22٪ من النسيج الصناعي وتحقق حوالي 95٪ من رقم معاملات القطاع. وتجسد مدينة القنيطرة القطب الصناعي الجهوي، إذ تتركز به بعض الأنشطة الصناعية بنسبة تصل إلى 100٪ كصناعات النسيج والورق وتعليب الأسماك ... كما نجد معامل في باقي مدن الجهة كمعمل السليلوز بسدي يحيي الغرب ومعمل صغير لتكرير البترول بسيدي قاسم ومعامل للصناعة الغذائية المرتبطة أساسا بالزراعة السكرية والزيتية بمدن سدي سليمان ومشرع بلقصيري ودار الكداري وسيدي علال التازي ...

وعلى المستوى السياحي : تتوفر الجهة على مؤهلات متنوعة لكن معظمها يعاني من الإهمال وسوء الاستغلال. ومن هذه المؤهلات : الساحل الذي يمتد على 140 كلم وغابة المعمورة ومنطقتان تندرجان ضمن المحميات الطبيعية الدولية وهما : بحيرة المرجة الزرقاء بمولاي بوسلهام وبحيرة سيدي بوغابة، ومناطق مشهورة للصيد البري بعرباوة وبقرية ابن عودة ثم قصبة المهدية وكذلك العمران العتيق والصناعة التقليدية بمدينة وزان فضلاً عن المآثر التاريخية الموروثة عن الفترة الرومانية كتاموسيدا وبناصا..

وعموما فإن أهم ما يطبع المجال بجهة الغرب ـ الشراردة ـ بني احسن هي تجربة السقي الكبير التي أدت إلى التغيير الجذري للمشهد الريفي بها. إن هذه التجربة التي تحتل الصدارة من بين تجارب مماثلة على الصعيد الوطني قد ساعدت بشكل فعال على الحد من وطأة الجفاف الذي أصبح، منذ بداية الثمانينيات من القرن العشرين، يتواتر على المغرب بمعدل مرة كل ثلاث سنوات، كما مكنت المنتجين بالجهة من التفتح على التجديدات التقنية وعلى اقتصاد السوق، فضلاً عن مساعدتها على الرفع من مستوى الاكتفاء الذاتي الوطني في بعض المواد الغذائية الأساسية. لكن هذه التجربة عملت من جانب آخر على تعميق الفوارق الاجتماعية والمجالية بشكل صارخ، خاصة وأن البرنامج السقوي لم يتضمن مشروعا جريئا لإصلاح البنيات العقارية الموروثة عن العهد الاستعماري كما أن النظام العقاري مازال

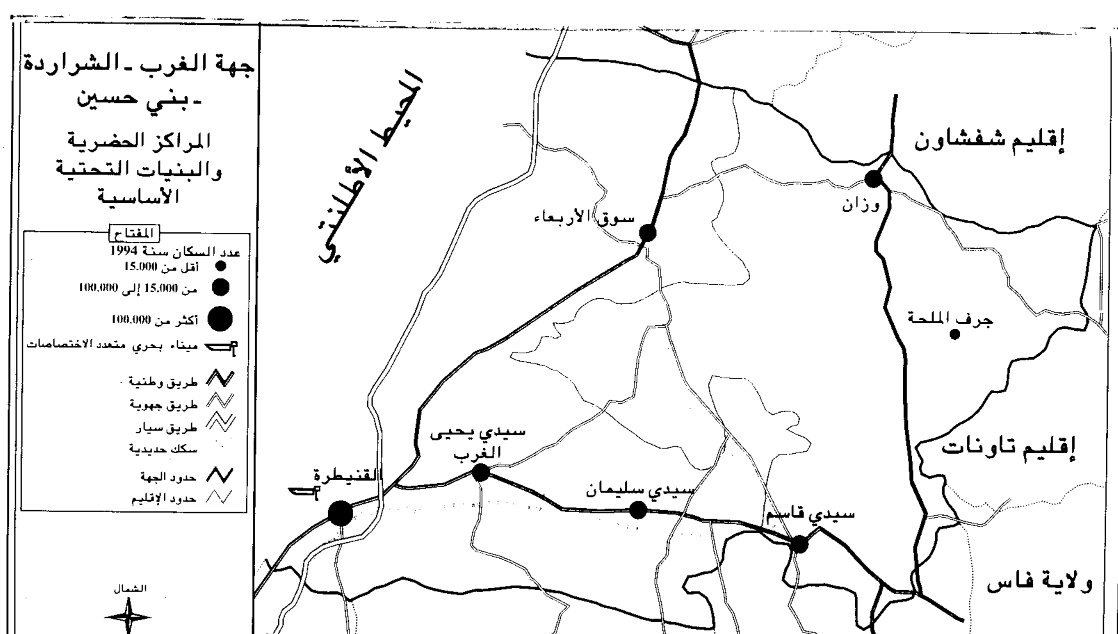

مطبوعا بتعدد الحالات التي تعيق الاستثمار. فإلى جانب مجالات الري العصري المحظوظة نسبيا على صعيد التجهيزات الأساسية الكبرى توجد مجالات بورية فقيرة (الغرب الأعلى والساحل والجنوب ...) وتجمعات سكنية ذات كثافات سكانية مرتفعة تحيط بالنطاقات المسقية (دار الكداري ودار بلعامري والخنيشات ...) تعاني كلها من الخصاص على صعيد التجهيزات الاقتصادية والاجتماعية الأساسية بما في ذلك الماء الشروب والكهرباء والمدارس والمستوصفات ويسودها العوز والبطالة مما يجعل كل هذه المجالات والتجمعات السكنية مصدراً للهجرة القروية التي نالت منها القنيطرة النصيب الأوفر.

م. كرزازي، *جوانب من التحولات الاجتماعية المجالية الحديثة في أرياف سهل الغرب*، ندوات ومناظرات، 1994، كلية الآداب الرباط.

J. Lecoz, *Le Rharb, fellahs et colons, Etude de géographie régionale*, Thèse d'Etat, 2 tomes, Rabat, 1964 ; J. Martin [et al.], *Géographie du Maroc*, France, 1970 ; Collecttif, *Le Gharb, l'Espagne et l'Homme*, Pub. de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Kénitra, 1997.

المختار الأكحل

**الغرباوي، أحمد** أحد رواد الجغرافيا الحديثة بالمغرب. خصص أكبر قسط من أعماله للبحث الجغرافي الطبيعي، مع اهتمام خاص بتقنيات وضع الخرائط. اضطلع وقتا غير يسير بمهام رآسة شعبة الجغرافيا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية لجامعة محمد الخامس بالرباط، وهو يرأس شعبة الجيومرفلوجيا والخرائطية بالمعهد العلمي بنفس الجامعة، وعمره دون الستين.

جمع بين هاجس العلم أعباء السياسة. فنشأ على مبادئ الاشتراكية العلمية منذ متم الخمسينات إلى أن أصبح من الأركان القياديين لحزب التقدم والاشتراكية، كما أنه التزم بخط نقابي ثابت، فناضل بدون كلل وهو عضو في المجلس التنفيذي للاتحاد المغربي للشغل.

لم يكن بالإمكان التحقق من أولى اهتماماته بين السياسة والبحث والتدريس. كما أن تقلبه بين مختلف المهام والأنشطة التي زاولها جاء متسلسلا، به منطق داخلي يرقى دائما إلى الأفضل.

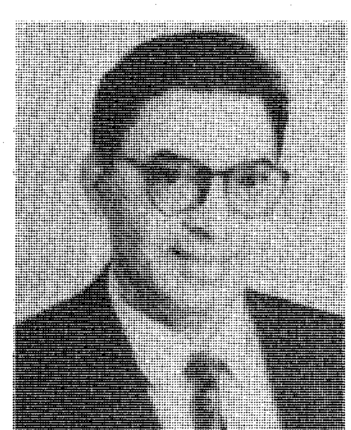

لما كان طالبا بباريس، تولى التسيير في "جمعية الطلبة المسلمين الشمال إفريقيين". ولما التحق بجامعة محمد الخامس بالرباط، انخرط في النقابة الوطنية للتعليم العالي، وعُرف بوفائه النشيط، حتى النهاية، لكل المواعيد العمالية، وعلى رأسها تجمعات الفاتح من ماي.

تلقى تقنيات الخرائطية الجيومرفلوجية على يد الأستاذ فرنان جولي، بمقر مختبره المتخصص بمعهد الجغرافيا التابع لجامعة الصربون، قبل أن يعود إلى المغرب ليرأس شعبة الجيومرفلوجية والخرائطية بالمعهد العلمي بجامعة محمد الخامس.

لا شك أن أهم أعماله العلمية المكتوبة هي رسالة دكتوراه الدولة في الجغرافية التي قدمها بعنوان "الأرض والإنسان بشبه الجزيرة الطنجية"، والتي طُبعت من ضمن أعمال المعهد العلمي بالرباط 1981. فجاءت مكرسة لتخصصه الطبيعي، واهتمامه البشري الوطني، ووفاء لمسقط رأسه ومراتع طفولته بالريف الغربي.

يُعتبر الأستاذ الغرباوي من أغزر المعلمين تأطيراً للبحث العلمي بتخصص الجغرافيا الطبيعية، إذ أشرف على ما يناهز المائة عمل جامعي. ولا شك أن في الأمر تجاوبا مع النزعة الجماهيرية التي طبعت حياته.

صحيح أنه أطَّر البحث العلمي، بالمستوى الأول، في مجال تخصصه الطبيعي، لكنه، على غرار رواد المدرسة الفرنسية الطبيعية القديمة، اهتم كذلك بالجانب البشري، بنسبة تناهز ثلث الحالات تقريبا. لذا وجد نفسه، تلقائيا، من أوائل الذين جمعوا بين الإنسان والأرض في إطار الدراسات البيئية.

أبانت كتاباته على تنوع المشارب.

فجاءت ماسحة للعديد من المواضيع، فيها أولا التخصص الدقيق، من خلال دراسات عن الكتلة الجبلية الكاربوناتية بالريف الغربي، وأخرى في السواحل، وغيرها في الأتربة.

مواضيع ثانية بارزة تناولت عنده الخرائطية ووسائل التعريف العريض بالمجال المغربي، على أساس وضع الخرائط الجدارية 1980، والمقاربة الخريطية لـ "إسهام المغرب في الحرب العالمية الثانية"، وكذا المشاركة في "الموسوعة الكبيرة للمغرب" 1987. وقد رافقتها معالجات أخرى تنم عن فضول حضاري مشكور، من قبيل "زدوس من حرب الريف الشعبية ضد الاستعمار" 1975 أو "الخرائطية والجغرافيا العربية الإسلامية أثناء الازدهار" 1998.

وقد تعامل كذلك مع مواضيع بشرية، يخامر جلها حسٌّ نضالي، منها "البروليتاريا المغاربية النازحة إلى ضاحية باريس الشمالية الغربية" أو البحث الجغرافي والالتزام السياسي بالمغرب".

أما الذين خبروا منا، عن كتب، شخصية المترجم له، فقد أنسوا منه، بالإضافة إلى انسجام مراحل حياته على النحو المذكور، مجموعة من المفارقات.

ذلك أنه، هو الذي ألف جل ما كتبه باللغة الفرنسية، صادف أن جل الأعمال التي أطرها جاءت باللغة العربية.

وهو الذي تبدو أعماله مشاركة، رابطة بين الإنسان والأرض، كان في واقع منهجه جيومرفلوجيا بنيويا محافظا، وخرائطيا نمطيا ثابت المعالم. لا شك أنه ورث قناعاته البنيوية من طبيعة سلسلة جبال الريف، ذات البنيات الشديدة التعقيد، والتي كان، هو شخصيا، من القلائل الذين يتقنون استنباط دقائقها.

أما تمكسه بالنمطية الخريطية فلم يكن مجانيا، بل كان له وقع إيجابي ذو بال، إذ أكسب البلاد مجموعة محترمة من الخرائط الجيومرفلوجية، أنجزها طلبته، بمقياس : 50000 : 1، يمكن أن تعتبر نواة لتغطية وطنية في المادة.

ألصقُ السمات بشخصية الأستاذ الغرباوي، والتي عُرف بها الأكثر عند معاصريه، هي نوعٌ من التلقائية يسلُكها كيف ما كانت الأوضاع. وهي تتجلى في أسلوبه الشفوي الذي تغلب عليه البساطة والمباشرة، يرفعه إلى مستمعيه بصوت جهوري، يأتي دائما مُدويّا ساخراً. لكن الرجل الباحث هو في الواقع على خلاف الظاهر تماما. أية رحلة دراسية معه في جبال الريف تكشف بالتأكيد عن العالم الدقيق والمثقف المشارك الزاخر المعارف الرقيق الأحاسيس.

آخر المفارقات أنه كان أخضر العود يانعه، يبدو وكأن السنين لا تأخذ أي شيء من تقاطيعه الخالية من التجاعيد ولا من ناصيته الغزيرة الطبيعية السواد. كان يبدو أصغرنا جميعا، يوحي بأنه سيعيش مائويا، غير عابئ بصروف الدهر. وفجأة اختطفته المنية.

قضى أحمد الغرباوي كل حياته عنصرا نشيطا، منذ أن كان صبيا يجدُّ في أحضان أودية وقمم الريف، إلى أن تحول إلى أستاذ جامعي عالم، يُستشار في قضايا ذات بال، انطلاقا من أمور البنيات الصخرية وبنائية القشرة الأرضية بشمال المغرب وبالأندلس، تحسبا لإقامة مشروع الربط القار الكبير بين العدوتين، إلى شؤون إصلاح التعليم ببلادنا. وقد كان يعتز أيما اعتزاز بتواضع المنشأ ومدى أصالة ارتباطه بالأرض.

وهو، خلال حياته القصيرة التي كانت في الواقع شبابا طويلا، يخطب في العمال ويكون الأجيال ويؤسس، بدعم من أتباعه، لتراث خرائطي وطني نموذجي، صدقة جارية من أجل رفاه البلاد ونمائها.

توفي في 18 نوفمبر من سنة 2000.

إدريس الفاسي

**الغرباوي، الجيلالي** ولد سنة 1930 بجرف الملح قرب مدينة سيدي قاسم. فقد أبويه وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره فتكفل عمة بتربيته ثم وضعه في إحدى دور الأيتام وتعلم بها ثم رحل إلى فاس للالتحاق بالتعليم الثانوي.

بدأت حياته الفنية باهتمامه من الناحية الموضوعية بما يحيط به من أشياء وأماكن، وعادات. لكن شغفه بفن التشكيل جعله يشد الرحال إلى الديار الفرنسية لمتابعة دراسته هناك حيث تم احتكاكه بنماذج كبيرة من الفنانين والنقاد ورجال الدين قبل أن يعود إلى المغرب.

وفي سنة 1957 ، انتمى إلى مجموعة السرياليين الفرنسيين.

انطلق في رحلته الفنية من الفن التشخيصي واتجه إلى التعبير عن طريق التجريد المطلق مارا على درب تجربة جديدة في العالم التشكيلي وكان يمثل طوال خمس عشرة سنة تجربة طلائعية عانق فيها الإنسان ابتداءاً من الرجوع إلى ذاته، وهمومه، وقضاياه.

والغرباوي كفنان واع، ملتزم ومؤطر في مدرسة واتجاه، كان يفكر كما يرسم وكان يرسم بالفكر.

تحتضن العديد من المتاحف الكبرى في فرنسا، وبلجيكا، وهولندا، وأمريكا انتاجاته الفنية التي تعتبر من النتاجات الفنية ذات القيمة الانسانية الهامة.

توفي الجيلالي الغرباوي في مدينة باريس يوم 2 أبريل 1971 بعد أن كان يستعد لافتتاح معرضه الفني بالديار الفرنسية.

*جريدة العلم*، ذكرى الغرباوي ؛ م. أديب السلاوي، *الفن التشكيلي العربي في المغرب*.

**الغرباوي، مصطفى** وُلد بالدار البيضاء يوم 16 نوفمبر 1914 ، في أسرة فقيرة نزحت في فترة مبكرة من منطقة الغرب (قبيلة المناصرة). كان والده يتعيش من بيع الخضر، فلم يتمكن من إلحاقه بإحدى المدارس الابتدائية العصرية. درس بكتاب قرآني في "المدينة" (المدينة القديمة)، ثم التحق بالقرويين في أوائل الثلاثينيات من القرن الماضي، واتصل بالشباب الوطني القادم من مختلف جهات المغرب إلى فاس.

بعد عودته إلى الدار البيضاء، أخذ يلقي دروساً في الحديث بجامع الشلوح في المدينة القديمة، وعمل على نشر القراءة الجماعية للقرآن الكريم هناك، اقتداء بما كان يجري

في سلا والرباط، وذلك من خلال تأسيس جمعية المحافظين على القرآن الكريم التي تولى كتابتها العامة. وكان من بين أعضائها البارزين الحاج عبد القادر بن الهاشمي الوسيط بينها وبين كتلة العمل الوطني.

وساهم في التقريب بين الشباب المغربي المتلقي تكوينا غربياً عصرياً والشباب المغربي المتلقي تكويناً إسلامياً أصيلاً. وفي هذا الإطار، عمل على التوفيق بين الجناحين المتصارعين داخل الكتلة، من خلال جمعية الإخوان المسلمين التي تأسست في بدايات الثلاثينيات من القرن الماضي، وفي وقت سابق على ظهور هذا الاسم في المشرق. وكان إلى جانبه في هذه الجمعية الساعية إلى تذليل الخلاف بين جناح علال الفاسي وجناح محمد حسن الوزاني عدد من رجال الوطنية بالدار البيضاء، مثل الحاج محمد بن جلون التويمي "شوكولا" وعبد القادر بن الهاشمي وعبد السلام بن جدية وحميد المكاوي وعبد المجيد الديوري وأخويه التهامي والمدني.

وأسس مدرسة أطلق عليها اسم "محل للتعليم والتربية الإسلامية" في المدينة القديمة، بعد أن أغلقت إدارة الحماية مدرسة السلام التي كان يسيرها الشاعر محمد بن اليمني الناصري. وربما صار اسم هذه المدرسة فيما بعد مدرسة النهضة التي كانت تقع في زنقة خروبة رقم 52، والتي ظلت تحت إدارته حتى دجنبر 1954 على الأقل.

وكان، إلى جانب الحاج محمد ابن كيران والمختار "بو الصبع"، في قيادة المظاهرة التي خرجت من جامع السوق في المدينة القديمة سنة 1936 ، على إثر اعتقال قادة الوطنية كعلال الفاسي ومحمد حسن الوزاني في أعقاب اجتماع انعقد للمطالبة بحرية الصحافة. وكان أيضاً من الجماعة التي تعرضت للاعتقال مدة قصيرة أثناء المواجهة مع الشرطة.

وشارك في الوفد الذي ندبه رجال الحركة الوطنية بالدار البيضاء، إلى جانب الحاج محمد ابن كيران والحاج محمد بن جلون التويمي، للسفر إلى فاس لإصلاح ذات البين بين علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني. قضى الثالوث ما يقارب أسبوعاً بفاس، دون حصول الفائدة، فقرر، حسب شهادة عبد الرحمان بناجح، "... قراراً عملياً وإيجابياً وذلك من أجل مواصلة الاتصال بالشعب البيضاوي قصد الحفاظ على الروح الوطنية وتقويتها. وعلى هذا توجه الحاج محمد بن كيران إلى ميدان المسرح وأخذ الحاج محمد بن جلون التويمي ميدان الرياضة كما توجه الأستاذ مصطفى الغرباوي إلى ميدان التعليم ومحاربة الأمية". وهناك من يقول إن الغرباوي كان من الفريق الذي مال إلى صف الوزاني، بعد فشل المساعي الرامية إلى الحفاظ على وحدة كتلة العمل الوطني، فانخرط في الحركة القومية التي أسسها سنة 1937، بل وكان مسؤولاً عنها بالدار البيضاد مع تكليفه بمنطقة "المدينة".

وإلى جانب نشاطه الحزبي في فترة الثلاثينيات من القرن العشرين، نشر في بعض الصحف المغربية، مثل *الوحدة المغربية والوداد* ، مقالاته الاجتماعية والسياسية وقصائده الوطنية، كما كتب عدداً من المسرحيات التي شارك في تمثيلها ضمن فرقة الشمس، ومنها مسرحية اجتماعية تحت عنوان *"أنا القاتل"* سنة 1937 ، ومسرحية دينية وطنية تحت عنوان *في المولد النبوي* تم طبعها سنة 1935 وتمثيلها سنة 1939. ومما طبع من إنتاجه القصة التي اختار لها عنوان *عجائب الأقدار*، *وعواقب الإصرار* والتي طبعت سنة 1938.

ظل مصطفى الغرباوي وفيا للوزاني بعد الحرب العالمية الثانية، حيث واصل نشاطه السياسي في حزب الشورى والاستقلال الذي تأسس سنة 1946 على أنقاض الحركة القومية. وقد عين مفتشاً عاماً للحزب لمدينة الدار البيضاء ونواحيها، مع مسؤوليته عن منطقة المدينة القديمة. وفي هذا الإطار، سعى إلى نشر أفكار حزبه وكسب السكان إلى صفه، بدليل شهادة عبد الرحمان بناجح أحد الأطر الشورية المعروفة في الدار البيضاء فيما بعد، والتي جاء فيها أن انخراطه في الحزب وأداءه "يمين الإخلاص للروح الوطنية" كانا على يد مصطفى الغرباوي. إلى جانب ذلك، لم يتوقف عن الإنتاج الأدبي، فقد ألف سنة 1950 مسرحية اختار له عنوان *"الهادي العباسي"* ، للرد على تمثيل مسرحية *"طارطوف"* الفرنسية المعروفة، كما نشر عدداً من المقالات في أسبوعية الرأي العام لسان حزب الشورى والاستقلال. وتشهد الوثائق الرسمية أن نشاطه الوطني الدائب كان سببا فيما لحقه من مضايقات السلطات الفرنسية المحلية. فقد تعرض للاعتقال والسجن عدة مرات، سواء في عين الشق أو السجن المدني بالدار البيضاء، كما صدر في حقه وحق مجموعة من الوطنيين من الدار البيضاء في بداية شهر ماي 1954، أمر رسمي بإبعاده من هذه المدينة. وقد وصفته الجهات الفرنسية الرسمية، كما وصفت غيره من هؤلاء المبعدين بأنهم "وطنيون متطرفون من الدرجة الثانية إلا أنهم عناصر خطيرة". لم يبعد مصطفى الغرباوي إلى خارج الدار البيضاء، وإنما تقرر فرض الإقامة الجبرية عليه، حسب شهادة ابنه.

سافر مصطفى الغرباوي إلى باريس سنة 1955، في الوفد الذي قرر حزب الشورى والاستقلال إرساله لتهنئة السلطان سيدي محمد بن يوسف على عودته من منفاه في مدغشقر. وقد كان من جملة الذين استقبلهم السلطان في قصر سان - جيرمان - أون - لي، بل وتولى "تقديم الوفود المهنئة إلى جلالته" وناقشه في مسألة ترتيب عودته إلى المغرب وما يستدعيه ذلك من تنظيم لحركة السير والمرور.

واستقدمه أحمد بن سودة للعمل إلى جانبه في وزارة الشبيبة والرياضة، بعدما تكلف بهذه الحقيبة في أول حكومة مغربية برئاسة امبارك البكاي يوم 7 دجنبر 1955. لكن هذه المسؤولية الرسمية انتهت بحل الحكومة يوم 27 أكتوبر 1956 وعدم مشاركة حزب الشورى والاستقلال في الحكومة الثانية المكونة بعد ذلك. فأسند إليه المكتب السياسي للحزب وأمينه العام محمد بن الحسن الوزاني مهمة الإشراف على "مدرسة الإطار" في عرصة ابن مسيك ابتداء من 11 فبراير

1957 ، من أجل تكوين و"تخريج المسيرين الشوريين ... وإعدادهم للعمل النافع في دائرة الحزب". ويظهر أن مصطفى الغرباوي قد تخلى عن كل نشاط سياسي، خاصة بعد الأزمة الخطيرة التي عاناها الحزب من جراء انسحاب أحمد بن سودة وعبد الهادي بوطالب والتهامي الوزاني وعدد آخر من أطره البارزة من قيادته وانضمامهم إلى الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الحزب الجديد الخارج من رحم حزب الاستقلال. وساهم في ابتعاد مصطفى الغرباوي ومجموعة أخرى من الأطر الشورية ما خلفه ذلك الانسحاب من صدمة قوية وتصدع كبير في صفوف الحزب، وما ترتب على ذلك من انزواء الأمين العام في فاس وانهيار البناء الذي أسسه سنة 1947. وقد اضطر مصطفى الغرباوي، من أجل التعيش، إلى إعطاء دروس خصوصية في اللغة العربية لأبناء بعض الأسر، ومنها أسرة الكتاني. ثم عين قاضياً بمحكمة الاستئناف في الدار البيضاء إلى إن أحيل على التقاعد سنة 1979 ، فالتحق بخطة العدالة التي مارسها مدة تقرب من عشر سنوات، إلى أن ألم به المرض الذي أقعده مدة طويلة قبل أن يتوفاه الأجل المحتوم في الفاتح من شهر نوفمبر 2000.

أ. زياد، *دفتر أيام في الدار البيضاء*، الدار البيضاء، ؛ أ. زيادي، *تاريخ الوطنية المغربية في القصة القصيرة*؛ دراسة ونصوص، الدار البيضاء، ط 1 : 1998 ، م. معروف الدفالي، حزب الشورى والاستقلال من التأسيس إلى الانهيار، 1946 ـ 1959، *أمل*، عدد مزدوج، *10 ـ 11* ؛ جون جيمس ديمس، *حركة المدارس الحرة بالمغرب*، 1919 ـ 1970، تر. س. المعتصم، الدار البيضاء، ط 1، 1991 ؛ م. ح. الوزاني، *خط* ، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، ط 1، 1408 / 1988 ؛ *رواية شفوية*.

نجيب تقي

**الغَرْبي** ، أسرة أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Garbi ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Algarbe وهو اسم مقاطعة بجنوب البرتغال ومعناه غرب الأندلس ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الغربي، أحمد** بن **عبد الله** : قيل إن بيت الغربي بالرباط لم يعرف بيت سواه بقي به العلم مدة تزيد عن مائتي سنة. وأحمد الغربي عالم محدث ورحالة، أول من أتى من دكالة إلى الرباط واستوطنه، ذكره سليمان الحوات في كتابه *الروضة المقصودة والحلل الممدودة* في ترجمة يوسف الناصري، وذكره في *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي*، كما ترجم له الحفيد العكاري الذي قال إنه أخذ عن جده الشيخ العكاري بالرباط ولازمه أكثر من اثني عشر عاماً. وأولع بالتصوف، وهناك شبه إجماع على أنه لم يبق في العدوتين أعلم منه على الإطلاق في وقته. من شيوخه ابن ناصر وخليفته مولاي الحسين بن محمد الشرحبيلي الدرعي والشيخ سيدي أحمد بن يعقوب الولالي والعلامة الشهير محمد بن عبد السلام البناني الفاسي.

رحل إلى الشرق سنة 1140 فأخذ عن شيخ مصر والحرمين منهم عالم المدينة آنذاك الشيخ أبو الطاهر الكوراني الذي أخذ عنه الحديث المسلسل بالأولوية وعدة أحاديث وفاوضه في علم الكلام والسير والأصول واصطلاح الحديث. وفي مكة أخذ عن الشيخ تاج الدين القلعي وحضر مجلسه في التفسير والبخاري وسرد عليه بقصد الرواية كراريس اشتملت على أوائل كتب الإسلام المشاهير الحديثية الصحاح وغيرها من الأجزاء والمسانيد والموطئات. وفي مصر أخذ عن شيخ المالكية في وقته أحمد الصماوي وحضر مجالسه في التفسير والفقه وقرأ عليه المواهب وأوائل الكتب الستة وشيئاً من أول الموطأ والشفا، وأخذ عن الشيخ سالم بن سالم البصري والشيخ سيدي عبد الله السجلماسي والفقيه سليمان بن أبي سلهام الحصيني. وقد ذكر ذلك في رحلته إلى الحجاز التي اقتبل فيها بحفاوة كبيرة من قبل العديد من الشيوخ أمثال أحمد الجوهري الخالدي الشافعي المصري الذي نوه به تنويهاً عظيماً. ومدحه شيخ المالكية العماري بأبيات شعرية.

له عدة تلاميذ من المشرق والمغرب منهم راوية سوس الأقصى محمد بن أحمد الحضيگي المتوفى سنة 1189 وقاضي القضاة عالم مكناس قاسم بن سعيد العميري وعالم فاس وشيخ علمائها التاودي بن سودة ولكل هؤلاء فهاريسهم التي ذكروه فيها. ومنهم الفقيه محمد بن عمر الاسغركيسي الذي ذكره من مشايخه في فهرسته، ومنهم الهاشمي اشكلانط الأندلسي الرباطي الذي ذكره في تقييده المسمى *منهاج التوضيح في صلاة التسبيح* ، ومنهم الفقيه القاضي محمد بن حجي زنيبر السلاوي المتوفى 1194 صاحب الشرح على همزية البوصيري الذي جمعه من تقرير شيخه أحمد الغربي والتي كان يمليها على الهمزية المذكورة عند تدريسه لها. وعثر محمد بن علي دينية على أبحاث بخط يده على بعض الشروح والحواشي مثل "شرح السعد لتلخيص المفتاح" وله حواش على "المواهب اللدنية" للقسطلاني كما عثر على بعض فتاويه.

اشتغل عدلاً، فقد رأى دينية المذكور رسمين مؤرخين بعام 1173 أحدهما مكتوب بخطه وموقع بتوقيعه، وكان يقرئ التفسير بالزاوية الناصرية.

توفي سنة 1178 ودفن بالزاوية الشهيرة المنسوبة إليه إزاء ضريح مولاي إبراهيم بالرباط.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 8 ؛ م. بن علي دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 101 ـ 107.

**الغربي، أحمد** بن **العربي** من العدول المبرزين كذلك. فقيه صوفي. اشتغل بالتدريس فكان يقرئ رسالة أبي

زيد القيرواني بمسجد النخلة وختمها عدة مرات. كان يحضر مجلسه علي دينية العالم الشهير. رحل إلى المشرق عام 1244 ورجع إلى مسقط رأسه. واشتغل كاتباً مع القائد عبد اللطيف فرج المتوفى سنة 1267.

توفي سنة 1274.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 50 ؛ دينية، *مجالس*، ص. 184.

عبد الإله الفاسي

**الغربي، أحمد بن المختار** من العدول الرباطيين المبرزين. زاول خطة الشهادة ما ينيف عن العشرين عاماً. تولى القضاء بالرباط على سبيل النيابة عن قاضيه الحسن بن فارس أوائل ربيع الأول 1242، تاريخ وفاته مجهول.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 49.

**الغربي، الحسن** القاضي أحمد بن عبد الله بن أحمد الغربي نسبةً إلى غربيّة دكالة، فهو الدكالي أصلاً الرباطيّ منشأً وداراً، وجدّه عبد الله المذكور هو أول من جاء إلى الرباط، فهو جدّ عائلة أولاد الغربي بهذا الثغر وهي من البيوتات الشهيرة بالفضل والعلم والعرفان وناهيك ببيت آهل بالعلم مدّة تنيف عن القرنين حتى الآن، ولو لم يكن من مفاخر هذا البيت سوى والد صاحب الترجمة أبي العباس الغربي الحافظ الراوية المسند الحجة المحدث الرحالة الشهير لكان كافياً وهو عمدة المترجم لازمه في القرآن والأخذ روايةً ودرايةً في كثير من العلوم العقلية والنقلية من عربية ومنطق وبيان وأصول وفقه وتفسير وحديث وقرأ عليه الصحيحيْن وكتاب *الموطأ* أربع مرات قراءة تحقيق وكتاب *الشفا* مرات عديدة. كما حكى ذلك كله في إجازة عامة أجازه بها وحلاّه فيها "بولدنا الفقيه النجيب الدرّاك الأريب اللّوذعي الأديب السيد الحسن الخ".

ولما رحل المترجم إلى المشرق سنة ست وسبعين ومائة وألف أخذ عن شيوخ مصر والحرمين الشريفين واستجاز أبا الحسن السندي المدني وأبا عبد الله محمد الحفناوي وأبا عبد الله بن أبي بكر الطرابلسي الملقب بالسوداني وغيرهم وكلهم أجازوه إجازات حفيلة في سائر مروياتهم من معقول ومنقول، خصوصاً الجامعيْن وباقي الكتب الستة الحديثية وكتب الأثر والأسانيد، ووصفوه بأوصاف سامية أطالوا فيها ممّا يدل على شفوف قدره وشرف مكانته في العلم والأدب والفضل.

تولى القضاء بالرباط بعد سابقة ولم تطل مدّة ولايته وإنما دامت بضعة أشهر حتى رجب عام ستة وثمانين ومائة وألف. ويضيف بوجندار أنه لم يقف بعد البحث على تاريخ وفاته.

م. بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

محمد الشياظمي

**الغربي، العربي** ابن القاضي محمد بن أحمد، عالم من علماء الرباط الذين عاصروا القاضي محمد بن الطيب بسير والأديب بن عمرو. وكانوا جميعاً أقراناً في طلب العلم ومن الملازمين لمجالس والده القاضي، ولهم في ذلك محاورات علمية ومذاكرات تشهد بتفوقهم على سواهم، له فتاوى وأوراق منها رسم عقد صداق ابنته عائشة بالفقيه مولاي عبد السلام بن السلطان مولاي سليمان بتوقيع عدلين رباطيين وخطاب القاضي بسير.

توفي عام 1250.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 417 ؛ دينية، *مجالس*، ص. 160.

عبد الإله الفاسي

**الغربي، محمد** القاضي بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الغربي الدكالي ثم الرباطي فهو أخو القاضي الحسن الغربي. ذكره سليمان الحوات من جملة من أخذ عن الشيخ بناني وحلاّه بقوله : "العلامة الحجة الدهقان الحافظ قاضي رباط الفتح أبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام الراوية الصالح أحمد بن عبد الله الغربي الدكالي المحتد الرباطي المنشأ والمولد أيّدني الله وإيّاه بالتقوى بصدق الوجهة في السرّ والنجوى".

كان المترجم من جهابذة العلماء الحاملين راية التدريس والإفتاء. تداول بالرباط خطة القضاء كما أنه في آخر عمره ولي على دكالة حينما أمره السلطان مولاي سليمان بالذهاب إليها مع رفيقه الفقيه الـمير السلاوي برسم ان يعملا عليها، وذلك أواخر ذي الحجة عامَ أربعة عشر ومائتين وألف ثم ولاّه عليها قاضياً آخر السنة، وجلس للحكم بها أول عام ستة عشر ومائتين وألف.

وكان في أول أمره من خواص العلماء الملازمين لمجلس السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذين كانوا يقرأون معه الحديث ويؤلفونه له طبق إشاراته وعلى مقتضى ما كان يجمعه ويستخرجه من كتب الحديث التي جلبها من المشرق كمسند الإمام أحمد ومسند أبي حنيفة وغيرهما، كما في كتاب *الاستقصا* وتاريخ *الجيش العرمرم* لأكنسوس. وعلى قدر هذه الألفة التي كانت بينه وبين السلطان سيدي محمد كان من الأنَفَة بينه وبين السلطان مولاي سليمان حتى إنه مراراً هَمَّ بالبطش به، وفي المرة الأخيرة كتب بكتاب خاص لأهل الرباط في شأنه تُتلَىَ على منبر المسجد الأعظم، فإذا مُضمّنه التهديد عليه بالنفي من الرباط والأمر بملازمة داره ومنعه من الخروج والتدريس والإفتاء، وإعطاء الإذن لعامل الرباط القائد المكي بركاش ليفتك به إن لم يمتثل، إلى أن تَشَفَّعَ فيه العامل المذكور وحضرا معاً لدى السلطان بفاس، عند ذلك عفا عنه وأصفح وكلفه بالذهاب لدكالة مع الفقيه الـمير كما ذكرنا.

والحاصل أن صاحب الترجمة كان من أجَلِّ علماء الرباط ومن مفاخرهم وخزانة كتبه وكتب والده كانت عديمة النظير

وكان يضرب بها المثل في الرباط بل في المغرب ولكنها الآن ضاعت كلها، وحسب ما جاء في تاريخ الضعيف أن ولايته دامت نحو أربع سنوات وكانت وفاته بعد رجوعه من دكالة عام ثمانية عشر ومائتين وألف (1803) ودفن مع والده بزاويتهم التي كان قد أدارَ دَيْرها وشيَّد قبّتها الرئيس الشهير المعطي بريطل، وهي التي بإزاء ضريح مولاي إبراهيم الشريف، وقد صارت اليوم مكتبا للصبيان يتعلمون فيه القرآن.

م. بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

محمد الشياظمي

**الغربي، المعطي** مفتي الرباط، عالم وفقيه، تفقه عن شيوخ بلده فأخذ عن عمدته أحمد دينية وكان يحضر مجلسه. كما أخذ عن محمد الرندى الذي أصبح قاضياً بعد ذلك. تصدى للشهادة والإفتاء، تصدر للتدريس والإقراء أيام ولاية القاضي محمد البريبري. توجه للدار البيضاء نائبا عنه في القضاء فمكث هناك مدة وتوجه للحج سنة 1310 ولما أدى الفريضة وهم بالعودة وافته المنية بجدة في صفر 1311.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 355 ؛ دينية، *مجالس*، ص. 234.

عبد الإله الفاسي

**الغربية** ، (قبيلة -) تقع قبيلة الغربية في نواحي أصيلا، في مجال سهلي خصب يخترقه وادي الغربية والخروب، وينحصر بين جبل حبيب شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً وواد تاهدارت شمالاً وواد عياشة جنوباً. يحدها من الشمال والشرق قبيلة بني عروس ومن الجنوب الخلط ومن الغرب جزء من قبيلة الساحل وساحل البحر المحيط إلى مدينة أصيلا. تتفق المراجع على أن أصل سكان الغربية من دكالة، نزحوا من موطنهم الأصلي على إثر الاحتلال البرتغالي، وتتألف القبيلة من أربع فرق هي أولاد خلوف على الشريط الساحلي واسبيطة في الوسط وأولاد حباس وأولاد عروس، ومن إحدى وخمسين قرية.

اشتهرت الغربية في التاريخ بوظيفتها العسكرية منذ استقرارها في هذا الماجل، وتتجلى في مراقبة تحركات البرتغاليين بطنجة ومنعهم من التوغل في الداخل وحراسة الطريق المخزني الرئيسي المؤدي إلى المدينة في إطار التنظيم المخزني المعروف في العهد العلوي بالإدالة، كما شاركت القبيلة في المحلات المخزنية المجتمعة عادة في مجالها الترابي إلى جانب قبيلتي الخلط وطليق تحت إشراف عامل طنجة، وشكلت درعاً واقياً أمام زحف قبائل الجبال المجاورة على السهول الأطلنتيكية.

E. Michaux-Bellaire et G. Salmon, *Les tribus arabes de la vallée du Lekkous*, *A.M.*, vol. 5, 1908, p. 114 ; A. Lechatelier, *Notes sur les villes et les tribus du Maroc en 1890*, Angers, 1902, p. 15.

محمد عمراني

**الغربية** ، (مدينة -) قديمة من مدن دكالة، "تقع على بُعد سبعة وثلاثين كيلو متراً شرقيَّ كُونْتي (رأس القُنْط) وعشرين كيلومتراً جنوب شرقيّ قصبة الولَيدية، ولاتزال آثار المدينة الغربية ماثلة للعيان. ولما كانت دكالة الكبرى تمتد جنوباً إلى نهر تانسيفت، كانت المدينة الغربية هي عاصمتها.

أسَّست قبائل دكالة هذه المدينة في فترة غير محدّدة قد تكون هي صدر الاسلام أو قبله حسب بعض الروايات، وقد سُمِّيت بالغربية لكونها توجد في غرب البلاد، بينما كان يطلق على أزمور المدينة الشرقية.

ويروي صاحب *الترجمانة الكبرى* عن ابن قنفذ أن الشيخ أبا بكر بن العربي المعافري الأندلسي ـ وكانت سنه لا تتجاوز آنذاك السادسة والعشرين ـ مَرَّ بمدينة الغربية، عندما كان متوجهاً لدى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني سنة أربع وتسعين وأربعمائة، وأنه تعجب من قلة مائها وكثرة ثمارها وخيراتها ورخص أسعارها وطيب زرعها وضروعها وكثرة عدد سككها التي بلغت مائة ألف سكّة.

ويضيف إلى ذلك ابن خَلِّكان ان ابن العربي استضاف أهل مدينة الغربية، فلم يضيفوه لسبب لا نعلمه وبات طاوياً، فهجاهم ودعا عليهم بقوله :

فَأَبْدِلْ يَاذَا العُلاَ عِمَارَتَهُمْ قَفْرَا
حَتَّى يُرَى الذِّئْبُ بِأَرْضِهِمْ عَاوِيَا

أما فيما يرويه صاحب *الترجمانة الكبرى* من أنّ ابن قُنْفُذ اجتمع مع ابن العربي في مدينة الغربية، فهذا كلام لا يمكن تصديقه، لأن هناك بوناً شاسعاً في الزمن بين الرجلين. إذ أن ابن العربي توفي سنة 543 / 1148 وابن قنفذ كان قاضياً بهذه المدينة في القرن الرابع عشر، بحيث لا يوجد أي أثر في كتابه *أنس الفقير وعزّ الحقير* لذلك الاجتماع. والغريب أن الأستاذ سعيد أعراب لم ينتبه لهذا الخطأ وأعاد ذكر ذلك الاجتماع المستحيل في المقالات التي كتبها في دعوة *الحق* عن الشيخ أبي بكر ابن العربي.

وفي سنة 667 / 1268 ، تعرضت مدينة الغربية للتخريب أوّل مرة لأسباب نجهلها، وظلت كذلك مدة من الزمن إلى أن قام أبو عنان المريني بإعادة بنائها في القرن الرابع عشر. ولقد وصف الشيخ أحمد ابن قنفذ هذه المدينة التي ظل يقيم فيها طيلة أربعة عشر عاماً بصفته قاضياً لدكالة، كما يلي : "مدينة عظمى بها خمسة وعشرون مسجداً وخمس وعشرون مدرسة معمورة بطلبة البربر من صنهاجة، أهلها قلّما تجد فيهم من يتكلم بالعربية".

وخربت المدينة مرة ثانية حوالي 919 / 1513، أثناء الهجومات الأولى التي شنّها البرتغال على الناحية. ويقال إن الذي خرّبها ونَقَل جميع سكانها إلى ناحية فاس خوفاً عليهم من البرتغاليين هو الناصر أبو علي بن محمد الشيخ الوطاسي.

ويقول الحسن بن الوزان الذي زار ناحية دكالة في ذلك العصر وشاهد بعينه كثيراً من الأحداث التي جرت بها، ما يلي :

"يحيط بهذه المدينة سور مبني على الطريقة المتبعة في البلاد، أي بمواد غير متقنة ومنظره كئيب. وسكان المدينة جهال يرتدون بعض الملابس الصوفية المصنوعة في عين المكان وتتحلى نساؤهم بكثير من حلي الفضة والعقيق الأحمر، ورجالهم شجعان يملكون عدداً من الخيل، وقد نقلهم ملك فاس إلى مملكته حذراً من البرتغاليين، وظلت المدينة فيما بعد خالية، وقد جرى ذلك عام 921 / 1515".

ولقد شك البعض في كون الملك الوطاسي نقل جميع سكان مدينة الغربية إلى ناحية فاس، لأن الحسن ابن الوزان كان قد غادر المغرب من هذا التاريخ، فلم يكن يعلم ما إذا عَمرت المدينة بعد "حَرْكَة" الوطاسي أم لا.

ويؤكد مَارْمُول الذي زار المغرب في أواخر القرن السادس عشر أن مدينة الغربية بقيت مخرّبة بعد أن كانت قبل تخريبها كثيرة الغنى آهلة بالسكان، وبعد أن كانت عاصمة لهذه المنطقة التي لا توجد ناحية أخرى في جميع مملكة مراكش تضاهيها في خصوبة ترتبها وكثرة إنتاجها للقمح والكلإ.

ويعزو مَارْمُول أسباب خُلوّ هذه المدينة من السكان إلى القَحط الذي أصابَ البلاد في عام 1521 قائلا إن السكان أصابهم قحط مُهْوِل، فاضطر أكثرهم إلى بيع أنفسهم وأولادهم للحصول على ما يقتاتون به، بحيث أصبحت المدينة خالية من أهلها، ثم يضيف : "وإنه لمنظر كئيب حقا أن يرى الإنسان هذه المدينة الفائقة الجمال الطيبة الموقع المحاطة بالعديد من البساتين تستحيل إلى هذا الركام من الأطلال وإلى هذه الجدران المنهارة".

وزار كذلك دُوتي أطلال المدينة الغربية في أوائل القرن العشرين، فوصفها كما يلي : "إن أطلال هذه المدينة تغطي مساحة ثلاثين هكتاراً، وجدرانها مربعة الشكل ولها باب مُلْتَوٍ إلى الواجهة الجنوبية الغربية، ولا تزال ماثلة للعيان آثار حُصينات تبعد عن بعضها بعشرين متراً وآثار مَلاَحٍ كان يقيم به اليهود، ويسكن اليوم بعض الأهالي من قبيلة الغربية داخل سور المدينة في بيوت من حجر".

ويقول الكانوني إن مدينة الغربية كانت متسعة الأرجاء واسعة المساحة يوجد لها الآن ثلاثة أبواب : باب مراكش، باب أسفي، باب الوليدية، وعلى كل باب منها برج وفي كل ربع ثلاثة أبراج، الجميع 18 برجاً. وبها مات الواثق المعروف بأبي دبّوس آخر ملوك الموحدين سنة 666. فتفرقوا حينئذ في أقطار الأرض وانتقل أكثرهم إلى مراكش وتحَضّروا بها ؛ ومازال الجمّ الغفير من أعيانها من العلماء والصلحاء والأولياء وأهل الخير ... ولاتزال بمدينة الغربية أسوار وأطلال عادية، وبها دار القائد الشهير محمد بن حميدة الغربي الذي كان قائداً لقبيلة الغربية أيام الحماية.

عبد العزيز بن عبد الله، *مظاهر الحضارة المغربية* ؛ الحسن ابن الوزان، *وصف إفريقيا*، تـ. حجي والأخضر ؛ ابن قنفذ، *أُنُسْ الفقير وعزّ الحقير* ؛ مارمول، *إفريقيا* ؛ دوتي، *مراكش* ؛ الزياني، *الترجمانة الكبرى*، الكانوني، *أسفي وما إليه*.

محمد الشياظمي

**الغرديس** (آل -) بيت من أقدم بيوتات فاس الكبرى، ينتسبون إلى بني تغلب، جدهم الداخل إلى المغرب هو بكار بن برهون بن غرديس، نزل بسجلماسة، ومنها انتقل إلى فاس، فاستوطنها أولاده وحفدته الذين تأثلو الثروات وتصدروا المراتب في الكتابة والعدالة والقضاء منذ القديم. وبيدهم ظهائر التوقير والاحترام التي دأب الملوك ينعمون بها عليهم على تتابع العصور، وقف صاحب *زهرة الآس* على بعضها، أولها للسلطان أحمد المريني بتاريخ عام 789، والثاني للمولى الرشيد العلوي عام 1081، وثلاثة منها للمولى إسماعيل عام 1103 و1104 و1138، وآخر للسلطان المولى عبد الله عام 1143، وآخر للسلطان سيدي محمد بن عربية عام 1149 ، وآخر للمولى سليمان عام 1206 وآخر للمولى عبد الرحمان عام 1247. ولم تكن هذه الظهائر تمنح إلا لذوي الجاه والشهرة، ممن كانت الدولة ترفع عنهم الكلف المخزنية وتستغني عن زكواتهم وأعشارهم على أن يعودوا بها على ذويهم وأقربائهم من تلقاء أنفسهم. ودار آل الغرديس أشهر من نار على علم في زنقة حجامة بفاس. وزادها شهرة أنها كانت منزل القاضي عياض لدى مقامه في فاس. وكانت خزانة الكتب فيها من الكثرة والنفاسة بحيث منها ألف الونشريسي كتاب *المعيار*. إلا أنها اليوم مفرغة مهملة، رحل عنها أفراد الأسرة وتفرقوا في البلاد على قلتهم.

الكتاني عبد الكبير بن هاشم، *زهرة الآس في بيوتات أهل فاس*، الدار البيضاء، المطبعة الجديدة، 1422 / 2002.

**الغرديس، أحمد** الكاتب الأديب الشاعر، أبو العباس أحمد بن محمد بن القاضي محمد، كان ذا ملكة تامة بعلوم اللغة العربية وآدبها، مؤرخا نسابة. استكتبه محمد الشيخ المامون بن السلطان أحمد المنصور الذهبي أيام خلافته عن والده في مدينة فاس وبعد مبايعته أيام الصراع على الملك مع باقي إخوته. فشاهد من تلك الحروب ومن تصرفات أميره ما شاهد من الأهوال. قال العربي الفاسي بأن المترجم استعار منه كتاب *الأنباء في شرح الأسماء* للإقليلشي، ثم مرض مرض موته. فعاده فوجد الكتاب عند رأسه، ومعه كراريس منسوخة وأخرى معدة للنسخ. فقال المريض لعائده : "إني إن وجدت راحة كتبت منه ما قدرت عليه، فإذا غلبني ما بي أمسكت". فسأله العربي الفاسي عن سبب تكليف نفسه ذلك. فأجابه قائلا : "إني عصيت الله تعالى بهذه الأصابع ما لا أحصيه، فرجوت أن يكون ما أعانيه على هذه الحالة من نسخ هذا الكتاب خاتمة عملي بها وكفارة لذلك". وقد كمل الله قصده.

توفي سنة 1021 بعد مرض أقعده سنتين. وفي ذلك قال هذه الأبيات الدالة على طول الباع في الإنشاء نظما ونثراً وعلى خفة الروح والإحساس المرهف :

فلما انقضى سبعون حام حماميا وأذهلني ماذا ألاقي أماميا

وتبدّل مني كل وصف بضده وأقعدني عما أروم سقاميا

فلا أنا حي أرتجى للمة ولا أنا ميت أكفى همّ ملاميا

وقال القائل فيه بيتين يوحيان بما كان في عصره من الفتن والإحن :

تمتعت يا غرديس والدهر راقد وأنت بفاس وابن حيون واحد

لسعدك راحت خيزران لقبرها مصائب قوم عند قوم فوائد

وإذا كنا لا نعلم من هو ابن حيون، فإن الخيزران هي أم الأمير السعدي محمد الشيخ المامون، السيء السمعة حيا وميتا.

محمد الصغير الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، تح. عبد اللطيف الشاذلي، 1419 / 1998.

إبراهيم بوطالب

ابن الغرديس، **بكار** بن برهون بن عيسى التغلبي، أبو محمد : جد أسرة بني الغرديس الشهيرة بفاس. سكن مدينة سجلماسة. له رحلة إلى الحج، وتجول في الأقطار فسمع من عدد من العلماء، مثل المحدث أبي ذر الهروي سمع منه *صحيح البخاري*، وعمر طويلا حتى انفرد بروايته. وسمع أيضاً من أبي الحسن المبارك بن سعيد الأسدي البغدادي المعروف بابن الخشاب أحد الرواة عن أبي بكر الخطيب البغدادي، وأبي عبد الله القضاعي وغيره.

كان ابن الغرديس مبرزاً في علم الحديث بالخصوص، ومن أجل علو روايته صار الطلبة والعلماء يحرصون على الرحلة إليه بسجلماسة للأخذ عنه، وممن رحل إليه وأخذ عنه أبو القاسم بن ورد قاضي الجماعة بغرناطة في عهد علي بن يوسف، رحل إليه سنة 493 / 1100، وأخذ عنه روايته *لموطإ* الإمام مالك. ومحمد بن علي بن أحمد ابن الصيقل الأنصاري (ت. 500 / 1107) ؛ وإبراهيم بن أحمد بن فرتون السلمي الفاسي (ت. بفاس 538 / 1143) لقيه سنة 493 / 1100 وسمع منه *صحيح البخاري* ؛ ويوسف بن عيسى بن علي بن الملجوم الأزدي أخذ عنه *صحيح البخاري* أيضاً.

عمر طويلا حتى أربى على المائة، ولم تذكر المصادر سنة وفاته.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، نشر عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، ج 1، ص. 331 ؛ ابن الأبار، معجم *أصحاب الصدفي*، بيروت، دار صادر، ص. 24 ؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، نشر عبد الوهاب بمنصور، الرباط، دار المنصور، 1972، ص. 69 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بنشريفة، الرباط، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 1984، ج 8، ص. 429 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، نشر عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، دار المنصور، 1973، ج 1، ص. 84 ؛ الفضيلي، *الدرر البهية*، طبعة وزارة الأوقاف، ج 2، ص. 346.

الغرديس، **محمد** بن **محمد** الفقيه العلامة الأصولي، أبو عبد الله محمد بن محمد، أخذ المنطق والأصلين عن أبي زكرياء يحيى السوسي.

توفي سنة 876.

محمد المغراوي

الغراس، **الصديق** بن أحمد، ولد بمراكش سنة 1922، تعلم بمدرسة "المكتب الإسلامي" الحرة من 1931 إلى 1938. وبفضل الرصيد الثقافي الممتاز الذي حصله في هذه المدرسة اجتاز بتفوق امتحان الدخول لابن يوسف، عند إحداث النظام به سنة 1938، وتابع دراسته الثانوية والعليا إلى أن حصل على شهادة العالمية، شعبة الآداب، وذلك سنة 1947. وأثناء دراسته في الجامعية اليوسفية، سهر على خلق أنشطة هادفة ثقافية ورياضية ووطنية تمثلت في :

- تأسيس جمعية أدبية طلابية أصدرت أعداداً من مجلة "الشرارة" ونشرت عدة مقالات ومقطعات شعرية.
- تأسيس فرقة لكرة القدم سميت "الشبل اليوسفي".
- نشر الأفكار الوطنية في صفوف الطلبة وتنظيم خلايا من بينهم.

وهكذا أصبح الصديق الغراس مسيراً للعمل الوطني داخل جامعة ابن يوسف، وذلك بفضل التربية الدينية الوطنية التي تلقاها في وسطه العائلي وفي مدرسة المكتب الإسلامي. وقد توج جهوده بالإشراف، رفقة زميله عبد النبي بن العدل، على توقيع عريضة تأييد طلب الاستقلال، فكان ذلك سببا في اعتقاله في يناير 1944 مع الموقعين، وكلهم أساتذته في العلم والوطنية.

وقد ساهم بدور فعال في الجهود الأولى من أجل تعليم الفتيات، منذ كان طالبا. وبعد تخرجه عمل أستاذاً بالقسم الثانوي "بمدرسة الفضيلة" الحرة للبنات. وبالإضافة للتعليم، كان يقوم بالتوعية والتأطير من أجل التحرر، حتى صارت تلميذاته "نواة الحركة الوطنية" في صفوف النساء.

وبسبب عمق تأثيره في مجال التوعية الوطنية وحيويته في تأسيس وتأطير الخلايا، منعت السلطات الفرنسية توظيفه، وصارت تترصد خطواته، فغادر مراكش واستقر في

الدار البيضاء التي انتقلت إليها الأسرة سنة 1951 بعد نفي أخيه مبارك.

في الدار البيضاء واصل القيام بنشاط مكثف للتوعية الجماهيرية، كما كلفته قيادة الحركة الوطنية بالقيام بدور المنسق مع من بقي في مراكش من الوطنيين الذين لم يشملهم قرار نفي أو سجن. هكذا صار يتردد على مراكش لعقد اجتماعات سرية مع مسيري الخلايا. ثم أنشأ قيادة سرية للمقاومة الأولية بمراكش سنة 1953، تضم ثلاثة أعضاء هم : حامد الغراس، عمر مبتهجي، محمد بن إبراهيم الحميدي، والصديق الغراس رئيسا. وقد هيأ ظروفا عملية تقرر أن تنفذها "جماعة مسلحة" تأتي من الدار البيضاء إلى مراكش، وذلك في حال إعلان بيعة ابن عرفة يوم الجمعة 14 غشت 1953 ، وهو مالم يتم. وفي الغد، وبعد إعلان البيعة، نظم الوطنيون مظاهرة، وقتل شرطيان فرنسيان، فبدأت حملة اعتقالات شرسة شملت أعضاء "القيادة السرية" ثم رئيسها الصديق الذي ألقي عليه القبض في الدار البيضاء في 1 - 9 - 1953 ، فنقل إلى مخفر الشرطة المركزي بمراكش وبقي تحت العذاب شهراً، ثم حكم عليه بالسجن سنتين قضاهما في السجن المدني بمراكش ثم السجن المدني بالبيضاء، ثم السجن الفلاحي، عين علي مومن، بسطات، ما بين أشغال وعلاج بعدما أصابه السل وثقبت إحدى رئتيه في السجن. وأطلق سراحه في 28 - 9 - 1955.

بعد الاستقلال انخرط في الحقل السياسي واهتم بالسعي إلى تطوير الفكر والممارسة في هذا المجال. وقد كان كاتبا إقليميا للشبيبة الاستقلالية بمراكش. وبعد الانفصال انضم إلى حزب "الاتحاد الوطني للقوات الشعبية"، وظل عضواً في مجلسه المركزي. وقد عرف بالاتزان والاعتدال والنزاهة ورفض الانتهازية. لكن ظروف الستينيات والسبعينيات جعلت موجات الاختطاف والاعتقال تجرفه عدة مرات : اختطف في 1960 وفي 1961 لمدة أيام قصيرة ؛ اعتقل في غشت 1963 في مخفر جامع الفنا حيث عانى ألوانا من العذاب، ثم نقل إلى مخفر باب أغمات، وأطلق سراحه في نهاية شتنبر 1963، إذ لم يقدم إلى المحاكمة لأن التحقيق أثبت عدم صلته بأي اتهام.

وفي فبراير 1970 اختطف من منزله، ثم أطلق سراحه في يوليوز 1970 ولم يتعرض لأي تعذيب "لأن اختطافهُ كان خطأً ولا تهمة ضده" لكنه أصيب بأمراض مختلفة جلدية وتنفسية.

وفيما يخص أنشطته العملية والتربوية بعد الاستقلال، نذكر أنه رفض المناصب الرسمية التي عرضت عليه، وقال : مجالي هو التعليم، وعمل في ابن يوسف بمراكش أستاذاً ثم مراقبا إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1983. ثم عمل في التعليم الخاص، وساهم في إنشاء ودادية التعليم الخاص بالمغرب، وانتخب رئيساً لفرع الودادية بمراكش، واستمر كذلك إلى أن توفي.

ولم يترك ميدانا من ميادين النشاط الهادف إلا ساهم فيه :

- كان عضواً في المجلس المركزي للكشفية الحسنية، وقد ساهم في إنشاء فرع مراكش في عهد الحماية، وبعد الاستقلال سهر على إصدار مجلة باسم الفرع سماها "مستعد" وقام هو برسم تصميم غلافها.
- سبق أن حصل على دبلوم في التدريب، وفي إدارة المخيمات، في سنة 1952 ، الشيء الذي أهله لإدارة مخيمات صيفية في الفترة من 56 - 1961 تابعة "للجمعية المغربية لتربية الشبيبة" التي كان عضواً في مجلسها المركزي.
- ساهم في إنشاء "جمعية أبناء الشهداء" وأشرف عليها.

توفي بسكتة قلبية في الساعة الواحدة من صباح الأحد 4 ربيع الأول 1417 / 20 - 7 - 1996 بمراكش.

الصديق الغراس، *مذكرات*، مخطوط.

**الـغـراس، مـبـارك** بن أحمد بن الصديق (المعروف بالفقيه سي بريك) من "علماء الشباب" رواد الحركة الوطنية، وأحد رموز التعليم الحر.

ولد بمراكش أواخر سنة 1906. حفظ القرآن ودرس في كلية ابن يوسف، وسرعان ما ظهر تفوقه وتمكنه من اللغة، لذلك صار الأساتذة يكلفونه بسرد الكتب المدروسة وبنظم قصائد حفل اختتام الدروس. وقد أجازه شيوخه في مختلف العلوم العربية والشرعية ومنهم أحمد بن الحاج المحجوب، وأحمد أكرام، وأحمد العلمي، وعلي السباعي. لكنه لم يكتف بذلك، إذ أن شغفه بالمطالعة والتفتح على النهضة الحديثة، خاصة في الشرق العربي، جعله يهتم بفنون وعلوم شتى، على رأسها التاريخ والأدب. وقد حضر في هذا الباب بعض دروس المختار السوسي سنة 1929. ثم صار يتطوع بإلقاء دروس في السيرة والتفسير وغيرهما في بعض المساجد، لكن اهتمامه بتطوير التعليم جعله يكرس حياته للتعليم الحر الذي كان الشغل الشاغل للحركة الوطنية آنذاك.

في سنة 1933 بدأ بالتدريس ثم تولى الإدارة في "المكتب الإسلامي"، وهو أول مدرسة حرة بمراكش افتتحت على يد المختار السوسي سنة 1931، وفي سنة 1934 أسس الغراس مدرسة حرة في حي باب الدبغ، ثم ضم تلاميذها إلى "المكتب الإسلامي" في نهاية موسم 35 - 1936.

وبالإضافة إلى متانة التعليم وتفتحه كان يحرص على تربية النشء تربية دينية وطنية، لذلك عانى من اضطهاد السلطة ومن صعوبات كثيرة كانت تعرقل أحيانا تسييره للمدرسة. وكمثال نذكر مشكلة مقر المدرسة، فقد أغلقت ورمي بالمقاعد وباقي التجهيزات في الشارع عقب مظاهرات 1937 واعتقال منظميها وعلى رأسهم أحد الأساتذة بهذه المدرسة وهو عبد القادر حسن. كل ذلك لم يثنه عن مواصلة العمل وتطوير التعليم بإدخال مواد علمية كالحساب واجتماعية كالتاريخ والجغرافيا، وهي مواد كانت سلطة الحماية تمنع تدريسها في المدارس الحرة قبل 1937.

أما يوم 11 يناير 1944 فكان متميزاً وخالداً لأسباب منها :

- أن مبارك الغراس من الموقعين على وثيقة الاستقلال،

- اعتراف السلطات الفرنسية بمدرسته كمدرسة عصرية للبنين، رخص لها بتدريس المواد المقررة في التعليم الرسمي، ومنها اللغة الفرنسية، لذلك غير اسم "المكتب الإسلامي" باسم "مدرسة الحياة".

ومن أبرز جهوده أثراً، تعليم البنات، اللواتي أسس لهن "مدرسة الفضيلة" للبنات، وذلك بعد إخراجهن من المكتب الإسلامي في 11 يناير 1944.

وبعد تقديم وثيقة الاستقلال اعتقلت السلطات الفرنسية مبارك الغراس وباقي الموقعين في مراكش.

في سنة 1945 زار ولي العهد مدرسة الحياة، بعدما رفضت سلطة الحماية طلب مديرها زيارة محمد الخامس، وكان هذا الرفض أساس فكرة الغراس المتمثلة في إخراج المدرسة إلى شارع كبير وبناء مقر عصري. وقد نجح في بلورة الفكرة فأصبحت "مشروع مدارس بني دغوغ"، وتشكلت لجنة لمتابعته، حظيت بتأييد محمد الخامس الذي وضع الحجر الأساسي للمشروع في 4 أبريل 1950.

في بداية شتنبر 1951 صدر قرار بنفي مبارك الغراس خارج مراكش والأقاليم الجنوبية. وأسباب النفي غير المعلنة هي : نجاح مدرسة الحياة، أقدم وأهم مدرسة بمراكش، في تخريج أفواج من الشباب المتعلم والمتشبع بالروح الوطنية، ونجاح مشروع مدارس بني دغوغ الذي اقترب اكتمال إنجازه. وبعد نفيه، خلا الجو لسلطة الحماية، فانتزعت مدارس بني دغوغ من اللجنة، ثم استولت على مدرستي الحياة والفضيلة في صيف 1953.

استقر في الدار البيضاء تحت رقابة السلطات، ومع ذلك استمر يناضل في منفاه، فأسس سنة 1952 مدرسة حرة : "الفتح" ثم "السعادة". وقد ألهمه تأزم الأوضاع الوطنية والعائلية بعد 1953 قصائد تميزت بحرارة العاطفة، منها نونية في 18 نونبر 1954 تعد سجلا لأخطر وأهم المحطات في تاريخ المغرب، بلغ عدد أبياتها 150.

وفي نونبر 1955 قررت السلطات الفرنسية رد المدارس الحرة لأصحابها لكنها اشترطت حضور المدير الرسمي، مبارك الغراس، لتسلم المفاتيح، لذلك عاد إلى مراكش في دجنبر 1955 وتسلم مفاتيح مدرستي "الحياة" و"الفضيلة" وبعد ذلك مدرسة بني دغوغ بروض العروس، التي سماها "مدرسة محمد الخامس".

في دجنبر1958 ، عين قاضيا شرعيا في الدار البيضاء، ثم نقل لآسفي في مارس 1960. لكنه ألح على طلب إعفائه من القضاء ليعود للتربية والتعليم. ولما عُين بابن يوسف، طلب منه الرئيس الرحالي الفاروقي أن يؤسس وينظم إدارةً لمعهد الفتيات التابع لابن يوسف، لخبرته في هذا المجال، ثم اشتغل بالتدريس إلى أن أحيل على التقاعد في دجنبر 1971.

كان الغراس يتطوع بإعطاء دروس دينية في المساجد متى سنحت ظروف العمل، وذلك في كل المدن التي أقام بها وحتى التي يزورها في عطلة. ولما تقاعد تفرغ وواظب على هذه الدروس في مسجد سيدي مسعود وفي جامع باب دكالة. وفي سنة 1982 عين واعظاً رسمياً في هذا الأخير، باسم المجلس العلمي. ولم تكن دروسه تقتصر على الوعظ بالمعنى الضيق، بل تتناول مواضيع علمية واجتماعية سياسية، ويحضرها عدد من الطلاب الشباب، بالإضافة للعامة من الحرفيين وغيرهم. ولقد افتقد رواد الجامع دروسه الحافلة حتى بكاها أحد الشعراء في قصيدة رثاء.

توفي بمراكش في 22 ـ 1 ـ 1996.

م. المختار السوسي، *الإلغيات*، 3 : 115 ـ 118، 1963 ؛ مبارك الغراس، *مذكرات حياتي*، مخطوط ؛ *تاريخ التعليم الحر*، مخطوط.

حياة الغراس

**الغُرَّة** والغراء كما في اللغة والمعاجم، طائر مائي أسود من فصيلة التفلقيات Rallidae ، يألف البحيرات القارية والشاطئية ومصبات الأنهار ومنه نوعان شائعان في مختلف البحيرات والسدود المغربية :

. الغرة السوداء Fulmica atra تسمى بالفرنسية Foulque macroule وبالإنجليزية Coot وبالإسبانية Focha comun وبالإيطالية Folaga . والغرة في اللغة بياض على قدر قطعة الدرهم على رأس الفرس وينطبق هذا الوصف على

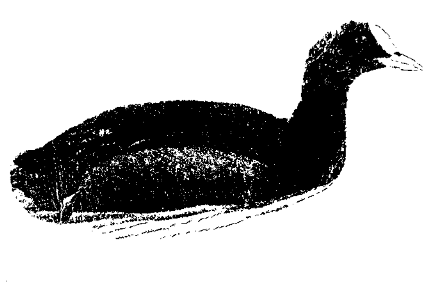

هذا الطائر أبيض المنقار وعلى جبينه ومقدمة رأسه قطعة لحمية ناصعة البياض. ريشه أسود معدني اللمعان على سائر جسده، ذيله قصير جدا وأصابع قائمتيه طويلة. الجناحان دائريان وقصيران. يحسن الطيران والسباحة والغطس ليبحث عن براعم النباتات المائية والديدان ؛ وكثيرا ما يتنقل فوق سطح الماء راكضا محدثا بذلك ضجيجا يسمع من بعيد. يكثر نشاطه أثناء طلوع النهار وغروبه ويتكون قوته من النباتات والديدان. يبلغ طول جسمه 38 سم وتزن الكبيرة 500 ـ 800 غرام. طائر اجتماعي يعيش في مجموعات يفوق عددها أحيانا عشرات الآلاف ومنه عدة مجموعات أوروبية تشتي في مختلف البحيرات والمستنقعات والسدود المغربية إلى جانب المجموعات المغربية المستقرة. يكثر في فصل الشتاء في بحيرة الناظور والمرجة الزرقاء وسيدي بوغابة والواليدية وسيدي موسى وخنفيس والداخلة وجميع السدود المغربية. يتوالد مرتين إلى ثلاث مرات في السنة منذ مارس إلى يونيو في كل من بحيرة سيدي بوغابة والمرجة الزرقاء وضاية أفوركاغ وضاية عوا والضويات وسيدي علي وماسة وغيرها من السدود والبحيرات القارية بالأطلس المتوسط. توضع الأعشاش متقاربة مع بعضها على ضفاف البحيرات الغنية بنبات السمار وقصب الماء وتفرش بالأغصان اليابسة وقطع أوراق الأعشاب. يبلغ عدد البيض 6 ـ 9، طول القطر 5.3 سم. يحضن البيض بالتناوب مدة 21 ـ 24 يوما وتغادر الصغيرة العش بعد أربعة أيام من التفقيس. تتعلم الطيران بعد سبعة أسابيع ثم تصير بعدها مستقلة. يعيش هذا النوع في إفريقيا الشمالية وأوروبا وآسيا ومنه عدة مجموعات تشتي في أفريقيا الوسطى وتعود صيفا إلى أوروبا لتتوالد.

. الغرة المتوجة Fulica cristata تسمى بالفرنسية Foulque à crête وبالإنجليزية Crested coot وبالإسبانية Focha cornuda وبالإيطالية Folaga crestata. يختلف عن النوع السابق الذكر بزائدتين لحميتين على مقدمة الرأس ناصعتي البياض، لونهما أحمر. يصعب على الإنسان العادي التمييز بين النوعين لكثرة التشابه. يبلغ طول الجسم 41 سم وتزن الكبيرة 600 ـ 1000 غرام. طائر اجتماعي يعيش في مجموعات يفوق عددها أحيانا مئات الأفراد ومنه عدة مجموعات أوروبية تشتي في مختلف البحيرات والمستنقعات بالأطلس المتوسط وسهول الغرب إلى جانب المجموعات المغربية المستقرة. يكثر في فصل الشتاء في بحيرة المرجة الزرقاء وسيدي بوغابة. يتوالد منذ مارس إلى يونيو في بحيرة سيدي بوغابة وضاية أفوركاغ وضاية عوا وضاية حشلاف. يوضع العش بين نبات السمار وقصب الماء ويفرش بالأغصان اليابسة وأوراق الأعشاب. يبلغ عدد البيض 4 ـ 6، طول القطر 5.1 سم. يحضن البيض مدة 21 ـ 24 يوما وتغادر الصغيرة العش مباشرة بعد التفقيس تتعلم الطيران بعد ستة أسابيع ثم تصير بعدها مستقلة. يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا النوع على المغرب وجنوب إسبانيا ويعد من الطيور المحمية.


م. رمضاني، *البط*، *معلمة المغرب*، الجزء، 4، ص. 1264 ـ 1265 ؛ *التفلق*، الجزء، 8، ص. 2492 ـ 2493 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p.


محمد رمضاني

**الـغُرِّي** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Algora وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.


م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.


**الـغُرِّي، أبو علي** ويعرف أيضاً بأبي الفضل : قائد أصله من لندراش قرية من قرى جبل شلين المطل على مدينة غرناطة بالأندلس، كان يزعم أنه من ذرية أبي الوليد ابن زيدون وزيرالمعتمد ابن عباد ؛ وقد غادر مدينته متوجها إلى عاصمة الجزائر حيث تعرف على عبد الملك السعدي عندما كان هناك مازال يطالب بعرش والده.

ويبدو أن عبد الملك بعث القائد الغري إلى المغرب للقيام بدعاية من أجل إيجاد أنصار يبايعونه في الوقت المناسب ؛ إلا أنه ما أن وصل القائد الغري إلى فاس حتى التحق بالأمير المتوكل الذي كان آنذاك خليفة لأبيه بالعاصمة العلمية وقد عينه قائداً على جيش الأندلس وبهذه الصفة شارك في معركة الركن بالقرب من فاس والتي جرت يوم 16 ذي الحجة 983 / 17 مارس 1576 حيث كان بجانب المتوكل، ولكنه عند الملحمة فر إلى معسكر عبد الملك الذي أقره على رأس جيش الأندلس، ومنذ ذلك الوقت وهو يشارك في جميع المعارك التي جرت بين عبد الملك وابن أخيه المتوكل بما في ذلك معركة وادي المخازن.

غير أنه لم يمر سوى شهر واحد على المعركة المذكورة حتى نكبه أحمد المنصور الذهبي في شهر رجب 986 / سبتمبر 1578.


ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا*، تح. كريم، الرباط، 1972.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian* (*S.I.H.M. France* I. p. 575 - 627) ; J. Franchi Consetaggio, *L'union du Royaume de Portugal à la couronne de Castille*, *(S.I.H.M.)* France, p. 506-574) ; Jose Maria de Murga, *Recuerdos marroquies del moro vizcaino*, Bilbao 1868, Madrid 1906, Barcelona, 1907.


**غُـرِّيطْ** ويكتب أيضاً غَـرْنـيطْ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Gorreta - Gerret ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم

Gorrita - Gorrite - Garret وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1191 / 1777.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**غرّيط** بيت (آل غرّيط –) وبه يكتب نسبهم، أو غرنيط وبه تنطق الألسن، من البيوتات الأندلسية الكبرى في المغرب، لا يعرف متى انتقلوا إلى المغرب وهل هم من غرناطة على ما يوحي به لقبهم. نزلوا بمدينة مكناس، وفيها ذاع صيتهم، وتقدموا في المراتب المخزنية منذ عهد المولى إسماعيل. ثم إنهم انتقلوا إلى مدينة فاس، واستقرت بعض فروعهم في مدينة مراكش في القرن التاسع عشر. وبيتهم بيت علم وفقه وأدب، كان فيهم الأطباء والكتاب ذوو الخط الجميل والوزراء، وهم على ما قال صاحب *بيوتات فاس* : "أهل تسجيع وتوريق وتزويق". وقال عنهم أديبهم صاحب *فواصل الجمان* : "هؤلاء الإغريطيون كانو ممن هاجر بدينهم من الأندلس إلى المغرب لما لحقهم من الحادث المكرب بإنحاء الأصبنيول عليها، ومدهم يد الوبال إليها. فحلوا بمكناسة الزيتون، واستغنوا بهمم لا ترضى بالدون، إلى أن اتصل خلفهم بالسلطان الأعظم الجليل المولى إسماعيل. فاقتعدوا أريكة العز في دولته، وبلغوا ما أملوا في ظل صولته. فكان منهم علماء ألباء وأدباء وأطباء وتجار أمناء بحضرته نائلون نضرة العيش بنظرته. ولم تزل أعقابهم عند أعقابه الملوك الكبار في مقام التنويه والاعتبار. وشرفوا منه ومن أبنائه الكرام بظهائر تضمنت مزيد التوقير والاحترام. "وآخر من كان منهم في رفقة الملك، السيد عبد الله غرنيط الذي تخرج من الثانوية المولوية في رفقة المغفور له الحسن الثاني وكان من وزرائه مدة من الزمن.

ع. الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات فاس*، 1423 / 2002 ؛ م. غريط، *فواصل الجمان في أنباء كتاب ووزراء الزمان*، فاس، 1929.

**غرّيط، محمد** (فتحا) بن **إدريس** : فقيه جليل، مهر في الطب واشتهر، حاز من العلوم على ما قال صاحب *بيوتات فاس* : "أحلاها وأعلاها، ومن الصنائع أرقاها وأغلاها"، كان قاطنا بمكناس، وكانت له نية صادقة في ولي الله سيدي قدور العلمي دفينها، وكان من خاصة خدمائه فانتفع به، وظهرت عليه بركاته. ولما ذاع صيته، وجد الحظوة الكبرى مع السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام الذي استوزر أحد ولديه الآتي الترجمة، محمد بن محمد الذي تنسل منه مشاهير البيت في الحقبة المعاصرة.

**غرّيط، محمد** (فتحا) بن الكاتب **محمد** بن الوزير محمد غريط. قال عنه ابن عمه صاحب *فواصل الجمان* بأنه "كاتب ذرب اليد واللسان على الإساءة والإحسان، مصيب المقالة محظوظ الحبالة، ماجن يضحك الثكلى، ذو خط رفيع في وجهه ألف شفيع، وفعائل تبسط يد العائل، ونوادر لجلب السرور بوادر، استكتب في الخارجية، ثم نقل إلى الداخلية. ولما صحا من سكرة الشباب ونومته وصغى إلى نصح الشباب ولومته هدأ هياجه واشتد اعتناؤه بطلب العلم وابتهاجه، حتى أصبح علمه يلوح وروح نثره ونظمه يفوح".

توفي في رجب عام 1326 ، ودفن بمقبرة أولاد الموفق بالقباب، خارج باب الفتوح في فاس.

غريط محمد بن المفضل، *فواصل الجمان في أنباء ووزراء الزمان*، فاس، 1928.

**غرّيط، محمد** بن **محمد** العالم الأديب، والفقيه المشارك المقتدر. اشتغل بالكتابة أول الأمر مع الوزير محمد الصفار في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان. ثم انتقل في عهد المولى حسن يكتب مع الحاجب موسى بن أحمد إلى أن توفي، فصار يكتب مع خليفته في الوزارة محمد الجامعي الذي كان له معه حظوة كبرى. ذكره ابن أخيه صاحب *فواصل الجمان* ، قائلا عنه بأنه "أديب نافذ اليراعة، نافق البراعة، شاعر مليح المساجلة، رجيح المجاملة، ذو خط كالدرر المنظومة والحبر المرقومة، بيد أن نظمه أجود من نثره وليس قله بأحسن من كثره. وله أهاجي يقصر عنها ذيل الفرزدق وجرير، ومداعبات جاوزت حد التعريض والتنذير".

توفي يوم الأحد 10 شوال سنة 1296 ، ودفن بضريح سيدي علي بوغالب بفاس.

غريط، محمد بن المفضل، *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، فاس، 1928.

**غرّيط، محمد** بن **محمد** العلامة المشارك الكاتب المقتدر الشاعر المجيد، يدعى بوغنبور، الأندلسي الأصل المكناسي النشأة والدار، الفاسي النقلة والإقبار. قال عنه حفيده صاحب *فواصل الجمان* : "رجل الوقار والجد، أصيل السؤدد والمجد، شاعر تنبع الحكم من لسانه، وتمد أكف التسليم لإحسانه، كاتب حسن الشمائل، ذو رأي لا متأود ولا فائل، وحال عن العرض الزائل مائل، وحظ تحسده الخمائل، ويحفه القبول عن اليمين والشمائل، وتبتهج العيون برونقه، وتنعطف النفوس لنسقه. كانت له يد في الرباعيات والأزجال، وحظوة لدى صلحاء الرجال كسيدي قدور العلمي وسيدي حفيد بن عدو ومولاي الطيب الكتاني. قدم من مكناس مسقط رأسه إلى فاس مطلع شمسه. فاستكتب لعامله الوديني إلى أن عزل العامل لسيئة اجترحها وفتنة اقتدحها. فعزله السلطان المولى عبد الرحمان، ونقل كاتبه غريط إلى الكتابة في دار المخزن، فكان كمن أغناه الله بالبحر عن النهر. وحظي لدى السلطان بما كان له من القدرة

على الاختصار والتجافي عن الإسهاب والإكثار، فكان ينقح للسلطان المذكور ما استطوله ويوضح ما استشكله. وازداد حظوة لديه بوقوفه بجانبه وقفة الخادم المخلص في فتنة الودايا، يوم خرج السلطان من فاس خروج المضطر، إذ تغير شكل موكبه، ونهب ما عدى علمه المقدم ومركبه، واشتد عليه الظمأ حتى لا ساقي ولا ما، فالتفت فلم ير سوى (المترجم) فاستدناه وآواه، فاسقاه بخفه حتى أرواه، ودخل صحبته إلى مكناسة الزيتون فأحله حيث تجله العيون". كما أنه حضر بعض المناوشات من تلك التي جرت بين الجيوش المخزنية بقيادة ولد السلطان وخليفته سيدي محمد وأنصار الأمير عبد القادر بن محيي الدين. ثم لما أقدم المولى عبد الرحمان سنة 1269 على عزل المختار الجامعي عن الوزارة، فإنه أسندها إلى المترجم. لكنه ما لبث أن رأى أن صاحب هذا المنصب على غرر وإن استخرج منه الدرر، ومقتعده في همّ وتعب، وإن افترش السندس ومشى على الذهب. فاستعفى السلطان فأعفي بعد أن أشار بتولية الوزير محمد الصفار. ويثبت صاحب *إتحاف أعلام الناس* أنه كان زاهداً ناسكاً يتورع عما بيد الناس ولو كان على سبيل الهدية. وله شعر جيد في احتلال تلمسان وتطوان.

خلف ثلاثة أولاد وهم محمد ومحمد المفضل ومحمد المهدي، ذاع ذكرهم وتأتي ترجمتهم.

توفي سنة 1280 ودفن بضريح سيدي علي بوغالب.

م. غريط المفضل، *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، فاس، 1928 ؛ ع. ابن زيدان الرحمان، *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، الجزء الرابع، فاس، 1929 - 1933.

**غرّيط، محمد** بن الوزير **محمد المفضل** بن الوزير محمد بن محمد (فتحا) غريط. قال عنه عبد السلام ابن سودة في وفياته بأنه خاتمة أدباء المغرب من غير مدافع، أديب شاعر مبدع مكثر على نمط أهل الأندلس نثرا ونظما، في أسلوب سلس ليس فيه غريب لغة ولا خشونة، له مشاركة في العلوم الآلية واللغوية وأيام العرب وأحوالهم وجيّد شعرهم، مع الإلمام بالتاريخ. ولد بفاس في ربيع الأول سنة 1298، وسار على النهج الذي يسير عليه أدباء العصر. وأول شيوخه والده الوزير الذائع الصيت الذي كان يحفظ الشعر الأندلسي بكامله عن ظهر قلب. كما تخرج على يد أمثال العباس بن أحمد التازي، والكامل بن محمد الامراني الحسني، وعبد السلام بن محمد الهواري، ومحمد (فتحا) بن محمد كنون، ومحمد (فتحا) القادري، استكتب لدى الخليفة السلطاني المولى عرفة، ثم لدى الخليفة المولى علي، ثم لدى الخليفة المولى المامون في عهد السلطان المولى يوسف. وكان ذلك بقصد كسب العيش. أما انصرافه الكلي فكان لناحية الكتابة نظما ونثرا. فله تآليف كلها من إبداعه، منها *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، و*آداب المجالس*، نظم ألمّ فيه بتاريخ الأندلس والمغرب، وديوان شعر تحت عنوان *الرخيص والثمين واليسار واليمين*، وذيل عليه بعنوان *الغث والسمين في ذيل الرخيص والثمين*، وله أيضا *محاضرة النديم بالموجز النظيم*، وذيل عليه سماه *تزيين المسامرة لتذييل المحاضرة*، وله *نزهة المجتلي في أنباء أبي الحسن علي*، نظم الدولة العلوية، و*الصادح المغرب في أمداح قطب المغرب*، و*وسيلة المحتدي في مدح الجناب الأحمدي ومن بهداه يهتدي*، ومجموعة نثرية سماها النزر اليسير من *إنشاء*

*الفقير إلى الكثير*. بيد أنه لم يطبع من كل ذلك إلا *فواصل الجمان*، طبعه والدي الشهيد سيدي عبد العزيز بوطالب. ولم يلاق في حينه ما كان ينتظر منه من الرواج. ولقد فتحت عيني على غرفة مكدسة بنسخ من *فواصل الجمان* تكسوها الغبرة إلى أن غابت عن نظري بعد استشهاد الوالد رحمه الله وتقلب ظروف الحياة بالأسرة. حتى إذا دارت الأيام دورتها واشتغلت أنا بالتاريخ، فاضطررت إلى اقتناء نسخة من الكتاب في سوق الكتب البالية بأعلى ثمن. أما شعره فقد نشرت منه بعض القصائد عند محمد بن العباس القباج وفي بعض مقيدات الزعيم علال الفاسي. فمن ذلك نشيد مدرسي للنشء الصاعد يقول فيه :

| | |
|---|---|
| يابني العصر أجيبوا | داعي النصح المنير |
| واستجدوا ذكر قطر | كان ذا صيت شهير |

وقوله في الحكم :

| | |
|---|---|
| إن تكن تطلب آدابا فكن | قانعا واصرف عن المال الطلب |
| قلما تلقى أديبا مثريا | أو ترى من هو مثر ذا أدب |

توفي يوم الجمعة 7 شوال 1364، ودفن بضريح سيدي علي بوغالب في حي صريوة بفاس.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع*، *سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، ت. تح. محمد حجي، *دار الغرب الإسلامي* ؛ م. بن العباس القباج، *الأدب العربي في المغرب الأقصى*، الرباط، 1929.

**غرّيط، محمد المفضل** بن محمد الكاتب السلطاني بن محمد الوزير الصدر، المدعو السي فضول، الفقيه العالم المشارك والوزير الذائع الصيت، عيّنه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان وزيراً لدى ولي عهده المولى حسن عندما أمره بالحركة إلى سوس، سنة 1280 / 1863، في أول اختبار للأمير ولمواهبه العسكرية والسياسية. وهكذا صار السي فضول باكراً من خدام المولى حسن، الذي ما أن انتقلت إليه الأمانة الكبرى حتى جعل المترجم من كبار وزرائه. ولقد وكّل به أمر إحداث وزارة شؤون البحر، وهي أول صيغة لوزارة

الشؤون الخارجية في تاريخ المغرب. فكان السي فضول هو الذي أقام بنائقها وأول من استقل بها، وصار هو صلة الوصل بين المخزن والسفراء والقناصلة الأوربيين. وتزخر الوثائق المخزنية لتلك الحقبة بالمراسلات الصادرة عنه باسم السلطان أو الواردة إليه ليرفعها إلى علمه. ثم إنه أبعد عن كرسي المسؤولية غداة وفاة المولى حسن سنة 1894، يوم استحوذ الحاجب أبّا احماد بن موسى على زمام الحكم باسم السلطان الشاب المولى عبد العزيز، بعد أن نحّى آل الجامعي الذين كان السي فضول من شيعتهم. بيد أنه ما أن توفي أبّا احماد سنة 1900، حتى عاد الفقيه المترجم إلى الوزارة، بل وإلى الصدارة العظمى في دولة المولى عبد العزيز، إلى جانب عبد الكريم ابن سليمان في وزارة البحر والمهدي المنبهي في شؤون الحرب والشيخ التازي على بيت المال. ولقد ظل متربعا على كرسيها إلى أن وافته المنون يوم الأربعاء 19 حجة عام 1344/ يونيو 1926، ودفن بزاوية الشيخ سيدي ابن رحمون البخاري.

ولما كان السي فضول مكلفا بالعلاقات مع الأوربيين، فإن تقاريرهم مشحونة بذكره ووصفه جسديا ومعنويا. قال عنه كابرييل شارم Gabriel Charmes الذي جاء في سفارة فرنسية إلى بلاط المولى حسن سنة 1885، عندما رآه إلى جانب الوزير الصدر يومئذ محمد العربي الجامعي، مايلي : "لم يأت السي محمد بن العربي (الجامعي) لزيارة المسيو فيرو Féraud (السفير الفرنسي) بمفرده، بل كان في رفقته السي فضول، ساعده الأيمن في الشؤون الخارجية. وقد جلس السي فضول إلى جانب الوزير الأعظم، لكنه يختلف عنه تمام الاختلاف. وإني لم يسبق لي أن رأيت إنسانا توحي ملامحه بمثل ما توحي به ملامح السي فضول من تأملات الرهبان. فإنه قصير القامة نحيف الجسم، ملفوف كله في السوسدي الأبيض، يبدو وكأنه زاهد من الزهاد، بمحيا مستطيل شاحب السحنة، وأنف عظيم متطاول، وعينين واسعتين مرفوعتين إلى السماء إلى درجة انسحاب البؤبؤين من وسطيهما وسيطرة البياض عليهما وامتداده حتى الجفن الأسفل [...] وما أن رأيناه يتقدم على حذر في خطى الوزير الأعظم، حتى أدركنا أنه يفوق بكثير كل من التقينا بهم إلى ذلك الحين في المغرب. وكان هذا الارتسام الأول صائبا، ولم يتغيّر فيما بعد". هذه صورة السي فضول سنة 1885. أما صورته سنة 1903، فجاءت على يد القنصل الفرنسي ديسكوس Descos، صاحب كتاب *مغرب اليوم*، قال : "لم يكن السي فضول ممن يفرض حضوره بالدخول في مناقشة الأقوال والوقائع التي تميزت بها السنوات الأخيرة، فإنه شويّخ تجاوز السبعين من العمر متآكل البنية، مصاب بالشلل من أحد جانبيه، قضى حياته في الدسائس المخزنية السخيفة، مطوي على الكياسة والارتياب وخفة الروح. وصل إلى أعلى مرتبة في الدولة بإشارة من السي المهدي المنبهي الذي أراد أن يتخلص من تنبيهات الوزير الأعظم السابق فجعل مكانه رجلا على درجة من الخنوع والحذر حتى لا يفسد لدى سيد البلاد أعمال الوزير صاحب الحظوة. وقد امتثل السي فضول لهذا الأمر غير المشرف بدون مقاومة، إذ مرتبته ثقيلة في اللسان، لكن بنيقته تظل فارغة، وداره خالية من الموالين. ولا يسمع له حسٌ إلا من خلال بعض الانتقادات المحتشمة اليائسة. بيد أن الجلوس إليه لا يخلو من متعة لما يتميّز به من الظرف. فإن ملامحه دقيقة، تحيط بها لحية بيضاء في منتهى الأناقة. ولباسه من ألطف وأنصع البياض. ورزته التي هي في ضخامة مرتبته الكبرى ملفوفة أتقن لف. وهو من أولئك الشيوخ النحفاء المهذبين الذين يحلو لهم ذكر نوادر الماضي ويفيضون في ذلك لعلمهم بما أوتوا من خفة الروح. وهو وإن لم يخرج من المغرب أبدا، إلا أنه يستشف من أحوال أوربا ما يكفي ليتكلم عن أحوال المغرب بما ينبغي أن يسمعه زواره الأجانب. وينتسب السي فضول لتلك الطبقة من رجالات الدولة الظرفاء المنقادين غير المكترثين، الذين يتصدرون تلقائيا في ساعة انحلال الدول الإسلامية، والذين رأى جيلنا هذا نماذج منهم في اسطنبول أو القاهرة".

Gabriel Charmes, *Une ambassade au Maroc*, Paris, 1885 ; Aubin Eugène (Descos), *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904.

**غرّيط، المهدي** بن **محمد** بن محمد (فتحا)، ثالث الثلاثة من أبناء وزير السلطان المولى عبد الرحمان، الذين علا كعبهم وذاع صيتهم، واستكتب منهم من استكتب واستوزر منهم من استوزر قبل عهد الحماية وبعدها. وكان محمد المهدي هذا فقيها كاتبا مقتدرا، من المحبين في آل البيت النبوي الشريف. اشتغل مدة حياته في دار المخزن بمدينة مراكش، ففيها عقبه من أبنائه عبد الهادي وأحمد ومحمد وعبد العزيز، وفيها مات وثوى إلى مثواه الأخير في ربيع الثاني من سنة 1363.

ابن سودة عبد السلام، *أتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع* ؛ الكتاني عبد الكبير بن هاشم، *نزهة الآس في بيوتات أهل فاس*.

إبراهيم بوطالب

**الغرسة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Garza ؛ وكانت هذه الأسرة بتطوان تحترف بصنع الفخار منهم : أحمد بن محمد الغرسة الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1171 (1758).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**غَرْسيّة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Garçia - Garsya ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Garcia وهو اسم مدينة إسبانية منهم :

الحاج العربي غرسية الأمين الذي أصدر بخصوصه السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام ظهير فاتح جمادى الثانية 1259 (29 يونيو 1843) يأمره بالتوجه من تطوان إلى الدار البيضاء "لإنقاذ الموقف بديوانتها".

عبد السلام الأمين غرسية الذي كلفه السلطان بتحديد الدور والعزائب الساحلية الواقعة بين مدينتي الجديدة والرباط في 30 ربيع الأول 1299 (19 فبراير 1882) وفي سنة 1305 (1887) عين أمينا بديوانة الصويرة.

عبد السلام بن أحمد غرسية فقيه كان ناظراً بالمسجد الذي كان يحمل اسم مؤسسة محمد غيلان بحومة المطامر وأصبح يعرف بمسجد غرسية.

وافته المنية سنة 1322 (1904).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**غرسية** بن **أنطون** أو **أنطول** Garcia ben Antoun، قائد فرقة جند النصارى التي عملت في الجيش النظامي المريني وفي خدمة كل من السلطانين أبي عنان وأبي سالم. يرجع أصله إلى منطقة قطلونية بشمال شرق إسبانيا. ويبدو من الأخبار التي أوردتها المصادر حول شخصيته أن الرجل كان مشهوراً بذكائه ودهائه وكذلك بشجاعته، وقد شهد له بذلك معاصره لسان الدين بن الخطيب الذي قال فيه : "وكان فتى حمي الأنف، شديد الصَلَف، مترامياً إلى أقصى حدود البسالة محتقراً للأمة".

بعد وفاة السلطان أبي عنان سنة 759 / 1358 نشبت نزاعات دموية بين الأمراء والوزراء حول السلطة والحكم. وقد برزت هذه الفرقة من جند النصارى لتزيد الوضع تدهوراً والأزمة استفحالاً بسبب تدخلاتها ومؤازرتها لطرف دون آخر من أطراف الصراع. وقد لعب غرسية هذا بحكم منصبه القيادي دوراً أساسياً في التأثير على أحداث الصراع الذي احتد بين السلطان أبي سالم المريني ووزيره عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الياباني الذي تمرد على سلطانه واستولى على دار الملك بفاس. وقد قرر الوزير الثائر استقطاب قائد جند النصارى غرسية إلى جانبه فعقد معه تحالفا ليلة السابع عشر من ذي القعدة عام 762 / 1361 بهدف محاربة السلطان وخلعه. وعلى إثر هذا الاتفاق قام الوزير وحليفه غرسية بالدعوة لأخ السلطان الأمير أبي تاشفين بن أبي الحسن الملقب بالموسوس، فبايعوه وعينوه سلطانا على المغرب الأقصى مكان السلطان الشرعي أبي سالم. فقامت من جراء ذلك الفتنة وعمت الفوضى بعاصمة بني مرين وكثر النهب والقتل، وأمام تصاعد وتيرة الأزمة وفشل أبي سالم في السيطرة عليها وفي أن يستعيد نفوذه خاصة بعد فرار مناصريه من حوله، أسرع المتآمرون إلى أخذ زمام المبادرة وتربصوا بالسلطان وتمكنوا من اعتقاله مع بعض وزرائه وأعوانه خارج فاس. وتكفل أحد جند النصارى بإيعاز من غرسية بذبح السلطان أبي سالم وكان ذلك يوم الخميس 21 ذي القعدة سنة 762 / 22 شتنبر 1361. وأبقى المتمردان على حياة بعض وزراء السلطان المغتال خاصة مسعود بن رحو بن ماساي وسليمان بن داود فحبساهما في مكانين متفرقين، فكان معتقل سليمان بن داود بدار غرسية بن انطون ومعتقل ابن ماساي بدار الوزير عمر.

لم يكتب لهذا التحالف بين الوزير والقائد الرومي أن يستمر طويلاً إذ سرعان ما انقلب غرسية على حليفه القديم واتفق مع مقدم الموالي والجند سليمان بن ونصار (أو نزار) وتفاوضا معاً في قتل الوزير عمر عدوهما المشترك على أن يجعلا لسليمان بن داود المعتقل بدار غرسية الوزارة مكانه. فنمي الخبر إلى الوزير الذي استجمع قواته واستعان بقائد الموكب السلطاني من الرَّجْل الأندلسيين إبراهيم البطروحي وبشيخ بني مرين وصاحب شوارهم يحيى بن رحو فأعدوا كمينا لغرسية في داره ثم انقضوا عليه وقتلوه في نهاية شهر ذي القعدة من عام 762 / نهاية شتنبر من عام 1361 أي بعد أسبوع من مقتل السلطان أبي سالم. وبعد ذلك استلحموا من وجدوا بالدار من جند النصارى ففر عدد كبير منهم إلى معسكرهم بالملاح جوار البلد الجديد. وعندما علم أهل فاس بما كان قد عزم عليه غرسية من الغدر بالوزير عمر، فإنهم طاردوا جند النصارى حيثما وجدوا في سكك المدينة، وزحفوا إلى الملاح للفتك بمن به من النصارى ونهبوا أموالهم وأمتعتهم إلى أن تدخل بنو مرين لحماية جند الروم من هيجان العامة.

ابن الخطيب، *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، الدار البيضاء، 1985، ج 2، ص. 271 ـ 278 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج 7، ص. 651 ـ 654 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج 4، ص. 38 ـ 41 ـ 42 ؛ نشاط، *الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية*، ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، الرباط، 1995، ص. 126 ـ 127 ؛ ر. السلامي، *الروم في الجيش المغربي*، *معلمة المغرب*، مطابع سلا، 2001، ج 13، ص. 4487.

J. Alemany, *Milicias cristianas al servicio de los sultanes musulmanes del maghreb*, in "Homenaje à D. Francisco Codera", Zaragoza, 1904, p. 151-153.

رشيد السلامي

**الغَرْغَاري، أحمد** بن **عبد الله** : قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني سلمان. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة التي عقدت :

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1914
- عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر
- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913
- قرية الزوة يوم 11 يناير 1915

وقد شارك في 11 معركة

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, *Cabecillas rebeldes de Gomara*, 1949..

محمد ابن عزوز حكيم

**الـغرْغر** وحبيش ودجاج حبشي ودجاج فرعون في الشام ودَجاجَ التدرجية كما في اللغة والمعاجم، طائر بري من رتبة الدجاجيات وفصيلة التدرجيات يسمى في بعض المناطق المغربية الحجل الرومي المربى. منه ست سلالات في العالم أشهرها الغرغر الرمادي الشائع مهده الأصلي غابة المعمورة والأطلس المتوسط. عرفت هذه السلالات تدجينا في ميدان تربية الطيور الأهلية إلى جانب الدجاج في مختلف دول العالم. وكان الرومان أول من أدخل هذه السلالة المغربية إلى أوروبا.

كان الغرغر الوحشي يعيش في أدغال وغابات المعمورة وأعالي نهر أبي رقراق وضواحي عيون أم الربيع بالأطلس المتوسط. وعرفت المجموعات المغربية مضايقة شديدة من الإنسان خلال النصف الأخير من القرن المنصرم وانقرضت بعد سنة 1970.

يدعى الغرغر علميا Numida meleagris وبالفرنسية Pintade وبالانجليزية Guinea Fowl . يتميز برأس صغير ومنقار أبيض قوي وعرف أحمر أسفل المنقار وزائدتين لحميتين على الرأس. العنق والرأس رماديان وبدون ريش. الريش رمادي داكن مزركش بالأبيض وذيله قصير جدا وأصابع قائمتيه طويلة. الجناحان دائريان وقصيران. لا يحسن الطيران ويفضل المشي والركض. يبلغ طول جسمه 63 سم وتزن الكبيرة 1200 غرام. طائر اجتماعي يعيش في مجموعات قليلة الأفراد ويحدث ضجيجا متواصلا أثناء إزعاجه. يكثر نشاطه أثناء طلوع النهار وغروبه ويتكون قوته من الحبوب والديدان والحشرات. يتوالد منذ مارس إلى يونيو ويوضع العش متسترا بين الأعشاب ويفرش ببعض قطع الاغصان. يبلغ عدد البيض 10 ـ 20، طول القطر 4.8 سم. يحضن البيض مدة 24 ـ 28 يوما، وتغادر الصغيرة العش مباشرة بعد خروجها من البيض. تتعلم الطيران بعد بضعة أسابيع ثم تصير بعدها مستقلة وتعيش في مجموعة عائلية وكثيراً ما تنضم إلى مجموعات أخرى لتكون أسرة متعددة الأفراد. تعتني الأم بتربية الصغار وحمايتها ولا تفارقها مدى الحياة كما تفعل الطيور الأخرى. يعيش هذا النوع في إفريقيا الشمالية.


م. رمضاني، التدرج، التفلق، الدجاج، *معلمة المغرب*، الجزء 7 ـ 8 ـ 12 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p.


محمد رمضاني

**غرم الـعلام**، ارتبط ظهور وتشكل غرم العلام كنواة للاستقرار والتجمع البشري بالقصبة العسكرية التي ترجع الرواية المحلية تأسيسها إلى السلطان المولى إسماعيل. ومما لاريب فيه، أن هذه القصبة قد لعبت، منذ أن تم بناؤها إلى جانب القصبات العسكرية الأخرى القريبة منها في كل من فشتالة وفم ودي وبني ملال وداي وتادلة التي كانت تمثل يومها قاعدة عسكرية وإدارية للإقليم برمته، أدواراً على قدر كبير من الأهمية سواء فيما يتعلق بتطويق تحركات صنهاجة الأطلس، أو فيما يتصل بإقرار الأمن بين القبائل المتنازعة، أو فيما يخص مراقبة وتأمين الطريق السلطانية والمسالك الفرعية الموازية لها، أو فيما يرجع لتحصيل مستحقات الضرائب وتجميعها. وهي أدوار لا ندري بالضبط المدى الزمني الذي استمرت فيه هذه القصبات تضطلع بها كلا أو جزءا، لأن أغلب الإشارات التاريخية الواردة في الحوليات الإخبارية والوثائق المخزنية ابتداء من نهاية القرن الثاني عشر (18) إلى غاية مطلع القرن الرابع عشر (20) لا تتحدث بكيفية واضحة إلا عن قصبة تادلا والقصبة الزيدانية. مما يفيد على الأرجح أحد أمرين في هذا الخصوص : إما أن هذه القصبات الفرعية قد فقدت أهميتها وإشعاعها الوظيفي مباشرة بعد وفاة واضع مخططها السلطان المولى إسماعيل فتحولت تدريجيا إلى بنايات هامشية اندرست معالمها مع مرور الوقت فغدت وكأنها لم تغن بالأمس، وإما أنها استمرت تمارس بعض وظائفها التقليدية كما هو الحال بالنسبة لقصبة غرم العلام التي حظيت في عهد السلطان الحسن الأول بوضع إدالة عسكرية يرأسها القائد زيدان بن علي الغيغائي وذلك بهدف دعم وتعزيز الأدوار الطلائعية التي كانت تنهض بها على أكثر من واجهة كل من قصبة تادلة والقصبة الزيدانية التي كانت تضم إلى جانب فرقة عسكرية مستقرة أكبر المخازن والأمراس الجهوية في منطقة تادلا بأتمها.

وإذا كان من الصعوبة بمكان، في ظل محدودية المعطيات التاريخية المتوفرة حاليا، ترجيح أحد هذين الاحتمالين بكل ثقة ويقين، فإن الأمر المؤكد، من دون شك، هو أن الموقع الذي احتلته قصبة غرم العلام في منطقة الدير يتميز بعمق استراتيجي غاية في الأهمية، وذلك لكونه يشكل حلقة وسطى بين مجالين جغرافيين وبشريين متباينين هما مجالا الجبل والسهل، يسمح بمراقبة أوسع وأدق لما يجري من تحركات وتموجات بشرية سواء أكانت تهم المجموعات القبلية الأمازيغية في العالية أم التجمعات العربية في السافلة. ولعل هذا الواقع هو ما يفسر ميدانيا تركز مجموعة من الإنشاءات والمعالم العسكرية على امتداد نطاق الدير يعود إلى حقب تاريخية مختلفة، وهو ما يبرر، في الوقت ذاته أيضا، تمحور ظاهرة الصراع والتوتر الاجتماعي المتجدد منذ القدم سواء بين القبائل المحلية أو بين هذه القبائل مجتمعة والقوى الغازية من الخارج حول مجال الدير بغية الانفراد بالسيادة عليه والتحكم من ثمة في ما يزخر به من موارد وخيرات شتى.

لذلك فإن استيلاء الإدارة الفرنسية زمن الحماية على مركز غرم العلام بعد الإجهاز على قصبة بني ملال والتمكن

من تهيد تادلا ومحيطها قبل ذلك، كان يمثل في هذا السياق خطوة ضرورية لا مناص منها للتحكم التدريجي والفعلي في الدير كقاعدة خلفية للانتقال بعد ذلك مباشرة لتنفيذ خطة التوغل الشامل في الجبال المجاورة. وقد أفادت الكتابات العسكرية الفرنسية في هذا الصدد، أن احتلال غرم العلام من قبل الكولونيل "تفيني" (Theveney) يوم 6 أكتوبر 1917 لم يتم بالسهولة المتوقعة، إذ تطلبت العملية حشد فيلق عسكري مكون من 3200 جندي مزودين بالأسلحة المتطورة الخفيفة منها والثقيلة. وقد انتهت الحصيلة العامة لهذا الاحتلال بهلاك 58 جنديا و28 جريحا من القوات الفرنسية وعدد غير معلوم في صفوف المقاومة الويراوية بقيادة موحا وسعيد التي وصل تعدادها يومها 8000 مجاهد.

م. بن البشير بوسلام، *تاريخ قبيلة بني ملال*، 172 ـ 187 ـ 217 ـ 222؛ ف. الإدريسي، *استراتيجية الاحتلال الفرنسي للقصيبة وردود فعل المقاومة المحلية*، ندوة المقاومة بجهة تادلا ـ أزيلال 1908 ـ 1956، السياق والحصيلة، 230.

R. Peyronnet, *Tadla, pays zaian*, Moyen Atlas, Alger, 1923, p. 206-209 ; G. A. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central (1912-1933)*, Paris, éd. Julliars, 1946, p. 172 - 173.

الفقيه الإدريسي

**الغَرْنَاطي** ، أسرة تطوانية أصلها من غرناطة بالأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم هكذا Granadino ؛ ومازالت باسبانيا أسر تحمل اسم Algranati وGrantino نسبة إلى مدينة غرناطة Granada ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1207 / 1792.

**الغرناطي، محمد** بن علي ، كان يتعاطى خطة العدالة إلى أن وافته المنية سنة 1207 (1792).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الغرناطي** (الطرب -) يطلق مصطلح "الطرب الغرناطي" على التراث الموسيقي الأندلسي المنتشر في مدينتي وجدة والرباط وفي مدن الجزائر وخاصة منها المحاذية لحدود المغرب الشرقية.

ويعتبر المجموع الذي وضعه المطرب اليهودي بالجزائر إدمون يافيل عام 1902 المرجع المعوّل عليه لمن يُريد التعرف على الأشعار المستعملة في الطرب الغرناطي، وبذلك فهو بمثابة *كناش الحايك* بالنسبة لمستعملات "الآلة المغربية".

ترجع بدايات انتشار الطرب الغرناطي في الجزائر والمغرب إلى الفترات التي أعقبت سقوط حاضرة غرناطة في يد الاسبان (1492 ـ 1610) والتي تميزت بنزوح الموريسكيين إلى مناطق الشمال الإفريقي.

وقد زاد من التمكين لهذا الفن بالمغرب نزوح بعض الأسر التلمسانية إليه خلال فترات الحكم العثمانية ثم الاستعمار الفرنسي. ومن بين هذه الأسر برز فنانون جزائريون اضطلعوا بتلقين مستعملات الطرب الغرناطي وفق تقاليد المدرسة التلمسانية، واشتهر منهم خاصة محمد بنغبريط (ت. 1940) الذي حل بالرباط في العشرينيات، وبها أخذ عنه جماعة من الهواة الذين سرعان ما حملوا بدورهم مشعل هذا الفن وأخذوا يلقنونه في المجالس الخاصة أو في معهد مولاي رشيد، أو في إطار أجواق الطرب التي أنشأوها بالمدينة. وقد برز من بين هؤلاء الحاج عبد السلام بنيوسف، وأحمد بناني، وأحمد بن المحجوب زنيبر، والمكي امبيركو، ومحمد بن الحاج أحمد الدكالي الشهير بلقب "احبيبي امبيركو"، وأحمد الشافعي، والحسين بن المكي، ومصطفى المعروفي، وبنعيسى العوفير، والصديق بن الشرقي، والعربي الدكالي، وأحمد لمزّارو، والفقيه محمد السبيع، وأحمد بيرو.

وإلى جانب العناصر التلمسانية ساهم اليهود المغاربة في نشر الطرب الغرناطي بالرباط وبغيرها من مدن المغرب، ومنهم الشيخ "عيوش" الذي نسب إليه جلب "الصنعة" الجزائرية. ويراد بها تقاليد الطرب الأندلسي المتداول بعاصمة الجزائر، وعصريّه الصويري داڤيد بن باروخ المعروف بلقب "أفلاح"، والشيخ الزجال انيسم النقاب، وجوزيف بانون الشهير بلقب "بيشان" من الدار البيضاء.

وقد حقق الطرب الغرناطي بفضل فناني الرباط تطوراً منقطع النظير، فأسسوا سنة 1957 جوقا عتيدا بدعم من جمعية هواة هذا الطرب، خصصت له حصة أسبوعية منتظمة بدار الاذاعة الوطنية، وكان على رأس هذا الجوق يومئذ الفنان الرباطي الحاج أحمد بناني، ثم خلفه بعد وفاته الفنان الحاج أحمد بيرو.

وبوفاة جل أعضاء هذا الجوق أو إحالتهم على المعاش يدشن عهد تراجع الطرب الغرناطي وبداية أفول نجمه بالرباط لولا خيط أمل يمسك اليوم بطرفه الفنان الحاج أحمد بيرو، ومن حوله عناصر "جوق شباب الأندلس" بهذا المدينة.

ومثلما ينسب إلى محمد بنغبريط أنه نشر مستعملات الطرب الغرناطي بالرباط، فكذلك ينسب إلى محمد ابن إسماعيل أنه نشر هذه المستعملات ذاتها بمدينة وجدة حيث شكل في العشرينيات أول خلية لهذا الفن ورأسها بنفسه. ومنذئذ أولت الأوساط الفنية بهذه المدينة للطرب الغرناطي عناية خاصة تجلت في تعدد مراكز تلقينه، كما تجلت في الإقبال على تشكيل المجموعات الفنية والتي كان من أولها "الجمعية الأندلسية للطرب الغرناطي" التي أسست عام 1921، ثم تلتها مجموعات أخرى بلغ عددها في الثمانينيات نحو العشر، غير أنها عرفت في السنوات الأخيرة نوعا من التراجع والنكوص.

ويبدو أنه لامناص للنهوض بالطرب الغرناطي سواء في وجدة أو في الرباط من أن تلجأ المصالح المعنية بالتراث

الموسيقي إلى فتح معاهد تضطلع بتلقين مستعملاته عزفا وغناء وفق التقاليد والطرق الفنية الأصلية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الـغَرَنْدي** ، ويكتب أيضاً الغراندي أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Grande - Grandi - Garandi. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**غريبة الحسين** أحد طبوع الموسيقى الأندلسية المتفرعة عن طبع المزموم. نسب استخراجه إلى غريب الفارسي. ويضيف التادلي أن لغريبة الحسين من الأوقات طلوع الفجر، ونغماتها وألحانها تثير في قلوب المستمعين الرأفة والتحنن والبكاء.

يرتكز هذا الطبع على نغمة الذيل، فهو شبيه بسلم ضو الكبير.

ومن جهة أخرى تطلق نفس التسمية على إحدى النوبات الاحدى عشرة، وهي السابعة في ترتيب محمد الحايك للنوبات.

وتذكر بعض المصادر أن مستعملات ميزان القائم ونصفاً من نوبة غريبة الحسين تعرضت للضياع شأنها كشأن كثير من صنعات ميازين النوبات الأخرى. وقد عمد شيخ جماعة فاس الحاج حدو بن جلون إلى تلحين ميزان جديد كبديل للميزان الضائع، وكان ذلك في منتصف القرن الثالث عشر.

وقد دأب أرباب الفن منذ ما قبل عهد الحايك على إلحاق الصنعات اليتيمة المتبقية من نوبتي الصيكة والغريبة المحورة بنوبة غريبة الحسين، وذلك لما بين طبوع هذه النوبات الثلاث من تجانس.

إ. التادلي، *أغاني السقا ومغاني الموسيقا*، الباب السابع، ص. 80 ؛ ع. العزيز ابن عبد الجليل، *معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية*، ص. 50 ؛ *الموسيقى الأندلسية المغربية*، فنون الأداء، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1983، ص. 72.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**غريس** (واد -) من بين الوديان الرئيسية المنحدرة من مرتفعات الأطلس الكبير الشرقي شبه الجاف في اتجاه النطاق الصحراوي جنوب واحة تافيلالت بالجنوب الشرقي المغربي. يخترق وحدات تضاريسية متنوعة ومتدرجة تتباين من حيث ارتفاعها وبنيتها وظروف تشكالها وهي : الأطلس الكبير الشرقي المكون من صخور كلسية نفودة ذو بنائية حديثة، الذي يشرف على المجال الهضبي الكريطاسي للأخدود الجنوبي الأطلسي بفضل الحادث الجنوبي الأطلسي وأخيراً الكتلة القديمة ذات الصخور البلورية للأطلس الصغير الشرقي (صاغرو وأكنات). وهذه الوحدات جميعها تكون حوض تصريف واد غريس الذي ساهم منذ استقراره خلال نهاية الزمن الثالث في بناء المشهد الجيومرفلرجي والإكلوجي على طول مجراه، الذي يبلغ 185 كلم إلى حدود نقطة التقائه بواد زيز بمنخفض الرملية جنوب سهل تافيلالت، حيث يكونان واد الداورة.

وينبع واد غريس قريبا من منطقة أسيف ملول، جنوب هضبة البحيرات، بالأجزاء العليا من الأطلس الكبير الشرقي حيث منابع واد زيز أيضا. كما يتميز حوض تصريفه باتساعه وامتداده. ويضم إليه روافد مهمة هي : واد تدغة بمنطقة تنغير وواد فركلة إلى الغرب من منطقة كلميمة، اللذين ينحدران من السفوح الجنوبية للأطلس الكبير الشرقي، وروافد أخرى منحدرة من السفوح الشمالية لجبلي صاغرو وأكنات. وهذه الروافد كلها تتميز بطول مجاريها واتساعها حيث تتخللها مصاطب من الرباعي الأوسط والأعلى مكونة عموما من مواد فتاتية ذات نفادية ومسامية عاليتين تسمح بالتسرب السريع للحمولة السائلة، الشيء الذي يساهم في انخفاض منسوبها في اتجاه واد غريس وعدم تمكين هذا الأخير من ديمومة الجريان به.

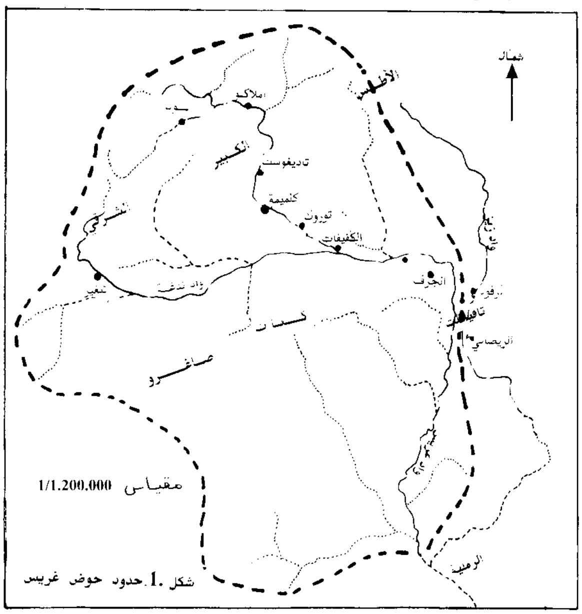


شكل 1. حدود حوض غريس

يجري واد غريس من الشمال الشرقي في اتجاه الجنوب الغربي بالقسم العلوي من الحوض حيث يتخذ أشكالا متعرجة وأودية ضيقة تقلص من ظروف الاستغلال الفلاحي، كما هو الشأن في حوضي أمدغوس وأسول على ارتفاع 1600 متر. ويحمل واد غريس تسمية واد سيدي بويعقوب، نسبة إلى زاوية سيدي بويعقوب، عند اختراقه لخوانق أملاكو وامسيد وأخيراً تاديغوست عند ارتفاع 1200 متر لينتقل إلى منطقة أقل ارتفاعا وأكثر انبساطا تتمثل في حادور نشر تازوميت - كلميمة. بعد واحة كلميمة ينحرف واد غريس نحو الجنوب الشرقي مخترقا واحات تالوين وتوروك وفزنة والجرف

قبل دخوله سهل تافيلالت الذي يقترب فيه من واد زيز بأقل من ثلاثة كيلومترات لكن بانحدار يقل عن مستوى جريان هذا الأخير بحوالي 12 متر، أي ما يعادل 1.67 بالألف.

وتعزى مصادر مياه واد غريس إلى الاضطرابات الأطلنطية التي تعترضها مرتفعات الأطلس الكبير الشرقي في فصل الشتاء وإلى ذوبان الثلوج في فصل الربيع، إلى جانب الاضطرابات التي تنشأ خلال فصلي الصيف والخريف فوق هذه المرتفعات مؤدية إلى ظروف امتطاح على طول المجرى الرئيسي.

ويصل المعدل المطري بحوض غريس 161 مم في السنة أي ما يعادل 160 ألف متر مكعب في السنة وفي الكيلومتر المربع، كما أن قياس الحجم السائل للمعدل السنوي لواد غريس بتافيلالت لا يتعدى 160 ألف متر مكعب في السنة وفي الكيلومتر المربع. وتعتبر عموما معدلات السنوات الأقل مطراً بالحوض أكثر من معدلات السنوات المطيرة. غير أن قياس صبيب واد غريس يبقى عموما أقل قياسا من واد زيز وذلك لعدم توفر محطات قياس على طول الواد قبل السنوات السبعين من القرن الماضي.

ولا يستثنى نظام جريان واد غريس عن باقي المجاري المنحدرة من السفوح الجنوبية للأطلس الكبير الشرقي، إذ يتميز بفصلين للطمو هما الخريف والربيع يتخللهما فصلين للبراض وهما الشتاء والصيف ينخفض أثناءهما الصبيب السائل أو ينعدم ويعوض بما تذره بعض العيون المحلية وخاصة منها تلك الموجودة في عالية واحة كلميمة في حين يجف وادي غريس عند نقطة التقائه بوادي فركلة في اتجاه الجنوب ولا يجري به الماء إلا في الفترات المطيرة المركزة محليا أو أثناء الامتناح. ويبقى المتوسط السنوي لهذا النظام نسبيا نظرا للتغايرات التي يعرفها من سنة لأخرى والتي تخص كميات المياه الجارية وليس توزيعها في السنة. كما ان معامل جريان واد غريس لا يتناسب غالبا واستدلالي المحل داخل الحوض وهذه حالة تحصل خلال الأمطار العنيفة والمستمرة لفترة طويلة.

وقد عمل الإنسان منذ عهد بعيد على استغلال مياه واد غريس عبر إقامة سدود أو "أكوك" على طول المجرى، تنطلق منها سواقي في اتجاه الحقول، كما أنه بحث في استخلاص المياه التحتسطحية للوادي بفضل تقنيات تقليدية تتمثل في "الخطارات". وفي العصر الحديث عملت الدولة، بفضل مصالح هندسة المياه والمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بتافيلالت، على توسيع استغلال مياه واد غريس التي تضيع غالبا خلال فترات الامتتاح وذلك بترميم وتهيئة المنشئات الهدروفلاحية الصغرى والمتوسطة من سواقي وقنوات وسدود (مثال : سد رأس صراف وسد بلاد شتام وآيت لزام ثم سد الكارة). وفي إطار توسيع مجال سقي سهل تافلالت بالقسم الأسفل لوادي غريس تم إنجاز مشروع تحويل فائض مياه هذا الأخير نحو واد زيز عبر منشأتين هما : قناة "لحميدا" التي تسمح بتحويل ما يعادل 15 مليون متر مكعب في الثانية عبر قناة مبنية طولها 16 كيلومتر، وسد مولاي إبراهيم الذي يسمح بتحويل صبيب يعادل 20 مليون متر مكعب في الثانية عبر قناة "الغريسية" نسبة إلى واد غريس.

وتمثل الموارد المائية السطحية لحوض غريس ما يعادل 82 مليون متر مكعب، تحول نسبة 31.2 مليون متر مكعب منها إلى المجال المسقي في حين يتسرب ما يعادل 5.6 مليون متر مكعب إلى الفرشة المائية للمجرى وتبقي نسبة 46 مليون متر مكعب غير مستغلة.

محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، *كتاب مختار الصحاح*، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1978، ص. 745.

M. Ben Brahim, *Le sillon de Boudenib (SE. Maroc), Structuration morphotectonique, Hamadas tertiaires et paléoaltérations associées. Morphogenèse quaternaire et aridité actuelle*. Thèse de Doctorat d'Etat, 281 p., Institut de Géographie, Paris I, Université Panthéon, Sorbonne, France, 1994 ; D. Jaques-Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, 2 tomes, Librairie Klincksieck.

محمد بنبراهيم

**غْريسُو** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Garisa ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الغريسي، الحسين** أبو القاسم المعروف بأبي زايدة (بسكون الياء)، عالم أديب، احتل مكانة متميزة من بين علماء سلا خلال القرن الثاني عشر (18 م). ذكر مترجموه أنه "كان حسن الإلقاء والتعليم، ذا حفظ تام"، كما كان كثير المداعبة، تولى القضاء بدمنات قبل أن ينتقل إلى مدينة سلا ليتفرغ لتدريس العلم بها. تخرج على يده عدة طلبة، أبرزهم أحمد بن عاشر الحافي السلاوي. خلف المترجم عدة قصائد شعرية، أورد الحافي بعضها في فهرسه، ومنها البائية التي كتبها الحسين الغريسي لأبي محمد عبد الله ابن الخطيب.

توفي صاحب الترجمة في جمادى الأولى عام 1115 / شتنبر ـ أكتوبر 1703. أشار ابن علي الدكالي إلى أنه دفن بضريح سيدي أحمد الطالب، قرب المسجد الأعظم بسلا، لكن الراجح هو ما ذهب إليه ابن عاشر الحافي حيث ذكر أنه دفن قرب روضة الشيخ أحمد بن عاشر الجزيري السلاوي.

أ. بن عاشر الحافي، *فهرس*، تح. م. السعديين، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 1991، ص. 212 ـ 215 ؛ *كناشة*، ضمن الروض لأحمد الصبيحي، مخ، خ. ص. رقم 428، ص. 149 ؛ م. بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، ط 2، 1996، ص. 127 ؛ *وإتحاف أشراف الملا*، مخ. خ. ع، 11 د، ص. 68.

محمد السعديين

**الـغْرِيِّش**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل

بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Garis.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الـغـزال** ، جنس حيوان رشيق الجسم من الحافريات مزدوجات الأصابع ومن البقريات (Bovidae) العاشبة المجترة ذات معدة مقسمة إلى أربعة أجزاء، تكيفت حوافرها مع الجري السريع والقفز والركض. القرون مجوفة، الأسنان غير متكاملة تنقصها الأنياب العلوية والقواطع، صيغتها : 0/3 قوارض، 0/1 أنياب، 3/3 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 32 سنا. تقتات من الأعشاب وأوراق الشجر والتبن الذي تبتلعه دون مضغ وتتحمل العطش مدة طويلة، شديدة الحذر وتلتجئ إلى الفرار بسرعة فائقة للتخلص من أعدائها ولكن الصيد المكثف العشوائي كان وراء انقراضها في معظم أماكن توزيعها الطبيعي بشمال إفريقيا.

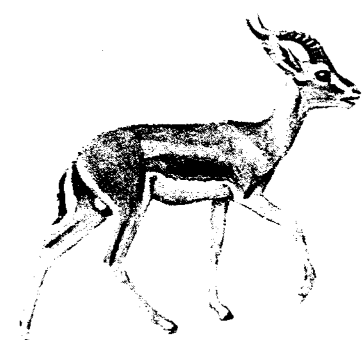

ثلاثة أنواع تعيش في المغرب :

غزال آدم ـ يجمع على أدم ـ كما ينطق به في المغرب وفي الجزيرة العربية والغزال الأحمر في الجزائر، ويسمى أيضا الجرجر وغزال الصحراء وبالأمازيغية أجدير وأزنكوض وتاملالت. اسمه العلمي Gazella dorcas (Linnaeus, 1758) وبالفرنسية والإنجليزية Gazelle dorcas وبالإسبانية Gacela comun . ظبي صغير لطيف ورشيق الجسم، كفله أعلى من الغارب، شعره قصير ناعم إلى أصحر على الظهر والقوائم، أبيض على البطن والعنق والجوانب الداخلية للقوائم ؛ تميزه لفافة طويلة من الشعر الأسمر الداكن على جانبيه. القرنان محلقان منحنيان إلى الخلف ثم إلى الأعلى، متقاربان في الوسط ومتباعدان في القاعدة وفي مؤخرتهما. يعد هذا النوع من أصغر الغزلان حجما، يتراوح علوه عند الغارب بين 55 ـ 65 سم وطوله جمعا بين الرأس والجسد 90 ـ 110 سم، ويبلغ وزنه 18 ـ 25 كيلو غراما، طول قرن الذكور 25 ـ 38 سم وطول الذيل 15 ـ 22 سم ينتهي بخصلة صغيرة من الشعر الأسمر الداكن.

يتوالد في الربيع وتدوم مدة الحضانة 164 ـ 174 يوما. تلد الإناث صغيرا واحدا يبلغ وزنه 1000 ـ 1700 غرام ويعمر حوالي 18 سنة.

يألف سهوب وفيافي خصور جبال الأطلس الكبير الجنوبية الممتدة من المحيط الأطلسي إلى الحدود الجزائرية. يعيش أيضا في سهوب إفريقيا الشمالية والجزيرة العربية وإيران. انقراض في معظم مناطق المغرب بعد منتصف القرن العشرين وقد كان شائعا في مختلف أنحاء المغرب في القرن السادس عشر الميلادي حسب قول Léon l'Africain. تعيش عدة وحدات في المنتزهات الوطنية : سوس ماسة وتزكا ودرعة السفلى والداخلة وإيريقي في المحمية البيولوجية لسيدي شيكر جنوب غرب تازة وفي محمية جبل كروز شمال فكيك ومحمية وادي ميرد قرب زاكورة وفي بضع محميات الصيد الملكية.

ـ غزال الجبل أو غزال أغيس Gazella gazella cuvieri (Ogilby, 1841) يسمى بالأمازيغية أهرموش وهرموش وهرماس ودمي وبالفرنسية Gazelle de cuvier وبالإنجليزية Edmi Gazelle وبالإسبانية Gacela comun . وهو ضرب من الغزال Gazella Gazella موطنه شمال إفريقيا فقط رشيق الجسم وأكبر من غزال آدم وأصغر من غزال مهر، شعره كثيف وطويل نسبيا ناعم أغبر إلى مصفر شاحب وأشهب رمادي على الظهر والجانبين، أبيض البطن والعنق والجوانب الداخلية للقوائم ؛ يحمل بقعة داكنة على جانبيه قصبة الأنف تميزه عن سائر أنواع الغزلان المغربية. القرنان مستقيمان، متشعبان قليلا ويحملان عدداً قليلا من الحلقات (12 ـ 17 حلقة). يبلغ علوه عند الغارب 60 ـ 80 سم وطوله جمعا بين الرأس والجسد 95 ـ 105 سم، طول قرن الذكور 25 ـ 37 سم. ينتهي الذيل بخصلة صغيرة من الشعر الأسمر الداكن ويبلغ طوله 15 ـ 20 سم.

نمط عيشه شبيه بنمط عيش غزال آدم، يألف المناطق الجبلية وخصورها ذات الكسور باستثناء جبال الريف. يصادف في حواشي الهضاب الوسطى والغربية لجبال الأطلس الكبير ـ جبل تافنكولت ـ وفي المنتزه الوطني للأطلس الكبير الشرقي بين إملشيل وجبل أمردوز وفي محمية آيت أو مريبط بين جبل باني ووادي درعة وفي المنتزه الوطني لدرعة السفلى بالأطلس الصغير وفي هضاب جبل بوناصر بالأطلس المتوسط وهضاب المغرب الشرقي. يحتمل انقراضه بالهضاب الوسطى للأطلس المتوسط خلال الثلاثة عقود الأخيرة.

ـ غزال مهر Gazella dama mhorr (Bennet, 1833) يسمى بالفرنسية وبالإنجليزية Gazelle dama وهو ضرب لنوع غزال داما الذي يعيش في المناطق الصحراوية بإفريقيا الشمالية الغربية ؛ يسمى أيضا أريل وأدرع ويدعى لمهور وأنير في الصحراء المغربية وفي موريتانيا. جسمه رشيق، قرناه متقاربان جدا في قاعدتهما ويحملان 20 ـ 30 حلقة. يعد هذا النوع من أطول الغزلان قامة، يتراوح علوه عند

الغارب بين 90 ـ 120 سم وطوله جمعا بين الرأس والجسد 140 ـ 165 سم، ويبلغ وزنه 72 كـيلو غـرامـا ، القـوائم والعنق طويلان، طول القـرن 20 ـ 43 سم، ذيله طول (25 ـ 35 سم) ينتهي بخصلة صغيرة من الشعر الأسمر الداكن. شعره قصير أملس ناعم، العنق والجانبان والظهور سمر محمرة والبطن والذيل والجانب الداخلي للقوائم بيضاء، بقعة بيضاء على أسفل الصدر. الإناث شبيهة بالذكور.

يألف سهوب وفيافي المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية المتوفرة على شجر الطلح ونادر في الهضاب الشمالية للحمادة وتندوف. يتنقل في مجموعات صغيرة بحثا عن الأكل والماء. غزال مهر مهدد بالانقراض في المغرب وتعيش منه بضع وحدات في المنتزه الوطني لسوس ماسة ينتظر من تكاثرها إعادة انتشاره في بيئته الأصلية.

م. رمضاني، *الأيل*، *معلمة المغرب*، ج 3، ص. 942 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc, les mammifères, Albums didactiques*, Rabat, 73 p. ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et présentation de la biodiversité*, Editions Ibis Press, 2000, 359 p. ; J. Dorst et P. Dandelot, *Guide des grands mammifères d'Afrique. Les guides du naturaliste*, Delachaux et Niestlé, éditeurs, Neuchatel, Paris, 1973, 286p.

محمد رمضاني

**غزاوة** ، (قبيلة –) تقع شمال مدينة وزان، يحدها من الشمال الشرقي غمارة ومن الشمال الأخماس ومن الشمال الغربي بني زكار ومن الشرق بني أحمد ومن الجنوب بني مسارة ومن الغرب رهونة. وتنتمي من الناحية السلالية إلى صنهاجة الشمال، وتتألف من ثلاث فرق كبرى هي : بني مدراسن وبني فلغوم وبني عمر، وأكبر قراها الحرايق مقر الزاوية البقالية.

اقترن تاريخ غزاوة بهذه الزاوية وعرف سكانها بخدام المؤسس الشيخ علي الحاج البقال ت. 981 / 1573 ، أحد كبار مشايخ القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي في بلاد الهبط، بزغ نجمها بفعل الدعم المادي والسياسي الذي تلقاه شيخها من السلطان السعدي عبد الله الغالب، وتحولت في ظرف وجيز إلى قوة جهوية كبرى مقابل استغلال السلطة السعدية لنفوذها الديني في القبائل الواقعة بين ورغة وشفشاون إلى حدود غمارة، وأصبح شيخها يتنزل منزلة الأمراء في الأمر والنهي ونفوذ الإرادة على حد تعبير ابن عسكر، ومن الطبيعي أن ينعكس نمو الزاوية البقالية على القبيلة وتستفيد منه.

واستمر الدعم المخزني للزاوية البقالية وتحولت في ظل الحكم السعدي إلى قوة جهوية كبرى، واستظل بها سكان القبيلة، وخصوصاً سكان مدشري الحرايق وفيفي. شكل هؤلاء لحمة توحدها رابطة الانتماء الديني، وأصبحت القبيلة تمثل على الصعيد الجهوي قوة لا يستهان بها، وخصوصاً حينما أصبح شيخ الزاوية البقالية محمد بن علي البقال ت. 1019 / 1610 ، يشرف على الإصلاح الديني في غمارة استناداً إلى ظهير السلطان أحمد المنصور الذهبي. وتكونت حول الزاوية مدرسة شهيرة لتعليم الرمادية، مما أضفى على تاريخ القبيلة الطابع الجهادي.

وظهر بها خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجريين علماء تخرجوا من القرويين جلهم من الأسرة البقالية أمثال محمد بن أحمد الأغصاوي ت. حوالي 92 / 1511 وعلي الحاج سالف الذكر وابنه محمد قتيل المامون، وخلال الفترة المعاصرة ظهرت أسر علمية أخرى ذائعة الصيت مثل أسرة العبودي بمدشر دار الوادي.

وتدل الوثائق المخزنية أن قبيلة غزاوة المستفيدة من حرم أولاد البقال والمستظلة به، ظهرت أحياناً بمظهر سلبي حينما انخرطت في دائرة الصراع القبلي الذي ساد في منطقة جبالة خلال القرن التاسع عشر، وتشهد الأحداث والوقائع أنها تبادلت العنف مع الأخماس وشكلت حلفاً مع بني مستارة ضد رهونة ومصمودة الواقعين في ناحية وزان وخلقت بدورها متاعب أمام المخزن، مما تسبب في اهتزاز علاقتها بالسلطة المركزية. وفي بداية عهد الحماية ناصرت القبيلة بزعامة الفقيه محمد العبودي (1886 ـ 1950) ثورة الشريف أحمد الريسوني، ثم انتقلت إلى صف محمد بن عبد الكريم الخطابي تحت تأثير الفقيه نفسه وشاركت بفعالية في الثورة الريفية. وبعد احتلال وزان سنة 1925 خضعت القبيلة للسطرة الاستعمارية، وتم تقسيمها بين فرنسا وإسبانيا.

م. بن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، ص. 40، الرباط، 1977 ؛ ع. السلام البكاري، *الإشارة والبشارة في تاريخ أعلام بني مستارة*، الدار البيضاء، 1984، ص. 258 ـ 264.

محمد عمراني

**الـغزاوي، محمد** من الخدام الأوفياء للعرش المغربي، وأحد الوطنيين المخلصين وواحد من رجال الأعمال العصاميين. ولد بفاس سنة 1324 / 1906. بعدما أتم دراسته بثانوية مولاي إدريس بفاس إلى جانب من نبغ من رجال العلم والقانون وكبار الشخصيات الذين كانت روابط المودة والعمل الوطني تربطه بهم، دخل ميدان الأعمال فكان موفقاً

حيث كانت له حاسة صادقة فأسس من جملة ما أسس شركة نقل كبرى للمسافرين والبضائع. تعرف منذ حداثة سنه بالمغفور له جلالة محمد الخامس فأصبح موضع ثقته وكلفه بتموين القصور ثم اتخذه مساعداً للقيام ببعض المهام، منها الاتصال بقادة الحركة الوطنية.

توثقت صلاته مع رجال "كتلة العمل الوطني" ثم مع قادة "الحزب الوطني" وفي مقدمتهم الزعيم علال الفاسي وأحمد بلافريج وعمر بن عبد الجليل، وكان ممّن شهدوا تأسيس "حزب الاستقلال" والموقعين الأوائل على وثيقة 11 يناير 1944 ومن جلساء شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي وأصدقاء النخبة المثقفة بفاس : محمد الزغاري، عبد الكريم بن جلون، أحمد الحمياني وغيرهم. أصبح معروفاً بالوطنية والأعمال الاجتماعية فأدرجه الاستعمار في لائحة العاملين الخطرين على نفوذه وكان يتتبّع خطواته. فزج به في سجن "برج النور" بفاس سنة 1937 ثم في سجن "العاذر" سنة 1944. فلما أفرج عنه منع من العودة إلى فاس بفرض الإقامة الاجبارية عليه في مدينة الجديدة لمدة طويلة.

من أعماله الاجتماعية تأسيس جمعية النجاح الرياضية بفاس وإنفاقه عليها وكانت لها شهرة واسعة في الأربعينيات. وكان يقدم المنح للطلبة المعوزين كي يتابعوا دراساتهم في الداخل والخارج. وكان من ضمن الذين ينفقون على نشاطات الحركة الوطنية.

في 7 ديسمبر 1950 حين كانت الأزمة على أشدها بين المغرب وفرنسا، رشحته الحركة الوطنية لـ "مجلس شورى الحكومة" في عهد مقيم فرنسا العام الجنرال جوان هو وجماعة من الوطنيين، فألقى في المجلس تقريراً أدان فيه سياسة الحماية الفرنسية مبيناً إفلاسها في شتى الميادين. فاستشاط الجنرال جوان غضباً ووجه للسيد الغزاوي الخطاب قائلاً : "إن هناك حداً للوقاحة والاستفزاز. أطلب منك أن تخرج من المجلس". فخرج وتبعه عدد من أعضاء المجلس وقصدوا جميعاً القصر حيث أطلعوا جلالة المغفور له محمد الخامس على ما جرى إثر هذا الحدث. وازدادت الأزمة شدة بين العرش والإقامة العامة فأوعزت إلى عميلها باشا مراكش الإقطاعي التهامي الأكلاوي بالتحرك .. فكانت مقابلة جلالة محمد الخامس له يوم 21 دجنبر حين عاتب جلالته على علاقته بحزب الاستقلال الذي يناهض سياسة الحماية الفرنسية وأعرب عن وفائه للحماية وشجبه لموقف العرش منها وعطفه على خصومها وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير. فطرد الأكلاوي من القصر واشتدت الأزمة التي أفضت إلى قمع الحركة الوطنية وخلع جلالة محمد الخامس ونفيه، ثم في النهاية إلى الاستقلال.

خلال الأزمة ارتحل محمد الغزاوي إلى أوروبا ثم إلى الولايات المتحدة وهيئة الأمم المتحدة للالتحاق بوفود حزب الاستقلال التي كانت تقوم بالتشهير بسياسة فرنسا. وقام في الولايات المتحدة بمشاريع اقتصادية كان يسدد منها قسطا من نفقات الوفود الوطنية.

وبعد الاستقلال عاد إلى سالف سيرته في خدمة العرش ثم تقلد مناصب هامة في الدولة منها : إدارة الأمن الوطني، وسفارة المغرب في فرنسا وأنجلترا، وإدارة المكتب الشريف للفوسفاط، ووزارة التجارة.

توفي بالرباط سنة 1419 / 1998.

*معرفة شخصية.*

قاسم الزهيري

**الغزالي والمغرب** : كان الإمام أبو حامد الغزالي الطوسي (ت. 505 / 1111 ) أحد العلماء المتميزين في طروحاتهم الفكرية التي أثرت تأثيراً قوياً في مسيرة الفكر الإسلامي، سواء بمجهوده في علم الأصول أو في التصدي لأفكار الباطنية والفلاسفة أو في مجال التصوف.

وقد ارتبط المغرب بفكر الإمام الغزالي في سياق عرف تحولات فكرية وسياسية عميقة مست المغرب تحت حكم المرابطين والموحدين. وظهرت علاقة الفكر المغربي بتراثه في عدة مستويات :

1 - تتلمذ بعض العلماء المغاربة عليه : أشارت كتب التراجم إلى تتلمذ عدد من العلماء والصوفية المغاربة والأندلسيين على الإمام الغزالي بالمشرق، فمنهم من أخذ عنه سنده الصوفي مثل أبي محمد صالح بن حرزهم الفاسي الذي التقى به في بعض قرى بيت المقدس، وأبي بكر بن العربي المعافري الإشبيلي، وعن طريق هذين الرجلين دخلت تعاليم التصوف الغزالي وسنده إلى التصوف المغربي. ومن تلاميذه أيضا أبو الحسن علي بن أحمد بن حنين الكناني الذي أخذ عنه *موطأ الإمام مالك* وسكن مدينة فاس منذ عودته من المشرق سنة 503 إلى وفاته سنة 569 ؛ ومحمد بن جابر الماجري.

وحاولت الأدبيات الموحدية أن تثبت لقاء محمد ابن تومرت بالإمام الغزالي بواسطة مجموعة من الروايات لا تخلو من شبهة الانتحال. ويظهر أن ابن تومرت لم يعول في علاقته بالغزالي على الجانب الصوفي، بل اختار أن يرتبط به على طريق الأشعرية التي كان الإمام الغزالي أحد أئمتها الكبار.

2 - إعجابه بالتجربة المرابطية : لم يتردد الإمام الغزالي في الإشادة بالتجربة المرابطية، وذلك ما تؤكده بجلاء الرسالة التي بعث بها صحبة أبي بكر بن العربي إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سنة 498 / 1105، وذلك بناء على ما كان يصله عن جدية أمير المرابطين والتزامهم بالشريعة وحماسهم للجهاد في الأندلس. وبلغت درجة إعجابه بالمرابطين إلى حد عزمه على زيارة المغرب للالتقاء بيوسف ابن تاشفين، لكن خبر وفاة الأمير سنة 500 / 1107 بلغه وهو يستعد في الإسكندرية لرحلته فأثناه عن عزمه.

3 - دخول كتاب *إحياء علوم الدين* إلى المغرب والضجة التي أثارها : على إثر دخول كتاب إحياء علوم الدين إلى الأندلس، وقع الفقهاء فيه على ما اعتبروه أخطاء علمية،

منها إيراده لبعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ولومه للفقهاء الذين فرقوا بين العلم والعمل، ودعوته إلى الربط بين الفقه والتصوف، فقرر بعض الفقهاء إحراق الكتاب، وتولى قاضي الجماعة بقرطبة ابن حمدين تنفيذ ذلك، فوقع إحراقه في كل من المغرب والأندلس سنة 503 / 1109، وتم حظره في جميع الدولة المرابطية، وجمعت نسخه من أصحابها، واستحلف من تشككت السلطة في حيازته لنسخة منه. وقد استدعت هذه الحملة مواقف مناقضة خاصة من الصوفية في العدوتين الذين سارعوا إلى الانتصار لكتاب الإحياء مثل أبي الفضل ابن النحوي التوزري الذي كان يقيم بسجلماسة والذي بعث برسالة إلى أمير المسلمين علي بن يوسف يلومه فيها على فعله. ورغم موقف الغزالي من المرابطين فإن ذلك لم يشفع له عند أمير المسلمين علي بن يوسف الذي تبنى موقف الفقهاء وترجمه إلى قرار سياسي بإعدام الكتاب ومنع تداوله.

4 ـ موقع الغزالي في البرنامج الفكري للموحدين : كان تركيز ابن تومرت على الانتساب للإمام الغزالي أمرا له دلالته في الصراع ضد المرابطين، ورغم ذلك فلا نلمس حضورا لكتاب *الإحياء* ضمن برنامجه الإصلاحي، لأن الفقيه المصمودي لم يسلم من الناحية العلمية بفكر الغزالي كله، واكتفى بتوظيف اسمه سياسيا.

غير أنه حصل خلال العصر الموحدي نوع من إعادة الاعتبار للإمام الغزالي ولكتابه *الإحياء*، خاصة وأن الحكم الموحدي نفسه كان يعلن نوعا من القرابة الفكرية مع تراث الغزالي. ويعود نشر فكر الغزالي خلال هذا العصر بالخصوص إلى الإقبال المتزايد للصوفية على كتابه *الإحياء*، وكان من أكثر المتحمسين لتدريسه أبو الحسن بن حرزهم (ت. 559 / 1164 )، الذي "أحكم كتاب *إحياء علوم الدين* وضبط مسائله"، على أساس نسبة غزالية أخذها عن عمه أبي محمد صالح بن حرزهم تلميذ الإمام الغزالي، واستمر أثر هذا التوجه بالخصوص مع أبي مدين تلميذ أبي الحسن بن حرزهم، الذي كان شديد الملازمة لكتابي *الإحياء* و*قوت القلوب* لأبي طالب المكي، وكان يشرح هذا الجمع بين الكتابين بقوله : "كتاب *الإحياء* يورثك العلم، وكتاب *القوت* يورثك النور"، كما يظهر أثر *الإحياء* جليا في ابن الزيات صاحب *التشوف* الذي قال عن الطاعنين في الكتاب : "فما طعن عليه إلا علماء الدنيا الذين أظهر عوارهم".

وقد عم تأثير الإمام الغزالي التصوف المغربي، حيث أصبح طابعه غزاليا في جوانب عديدة ؛ جانب الأسانيد التي ربطت كبار صوفية المغرب بالغزالي مثل ابن حرزهم وأبي يعزى، وجانب الثقافة الصوفية التي أصبح اعتمادها قويا على كتاب *الإحياء* ؛ وجانب الممارسة الصوفية التي ركزت على العلم والعمل، وعلى الأخلاق بنفس الطريقة التي رسمها الغزالي في كتابه.

وانتشرت كتب أخرى للغزالي مثل كتابه *المستصفى في أصول الفقه* الذي أدخله إلى الأندلس تلميذه أبو بكر بن العربي المعافري، إضافة إلى كتبه الأخرى، وكان شديد الاهتمام بها. وقد وجد هذا الكتاب في عصر الموحدين سياقا مناسبا للانتشار نظرا لدقته وعمقه، فهو من الكتب التي أضافت جديدا إلى علم أصول الفقه، ومن مميزاته أيضا أنه شجع علم الخلاف الذي ظهر جليا في كتاب ابن رشد *بداية المجتهد ونهاية المقتصد*. لذلك أولاه الفيلسوف أبو الوليد ابن رشد عناية خاصة فقام باختصاره رغم معارضته للغزالي في مجال علم الكلام وفي جانب انتقاده للفلسفة. واختصر *المستصفى* أيضا أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي جنون التلمساني (ت. 577 / 1181 ) قاضي الجماعة بمراكش، في كتاب سماه *المقتضب الأشفى من أصول المستصفى*.

لقد صارت كتب الغزالي نماذج للبرامج الإصلاحية في الفكر والسلوك خلال عصر الموحدين، وقد انزعج الفيلسوف أبو الوليد بن رشد من انتشار الفكر الكلامي والصوفي للغزالي وموقفه من الفلسفة اليونانية، ووجه له نقدا لاذعا في كتابه *الكشف عن مناهج الأدلة* استهدف موقفه العقدي المستند إلى المذهب الأشعري. كما انتقد بعنف مواقفه من الفلسفة اليونانية وطريقة تقبلها عند فلاسفة الإسلام، فرد على كتاب *تهافت الفلاسفة* للغزالي بكتاب سماه *تهافت التهافت*.

وعلى العموم فإن تقبل فكر الإمام الغزالي خاصة في الأوساط الصوفية بصيغ ومستويات مختلفة قد استفاد من تعاطف الموحدين معه، وساهم في تجاوز أزمة *الإحياء* التي خلقتها الثقافة الرسمية في عصر المرابطين، إلى الحد الذي يمكن القول معه إن التصوف المغربي قد أصبح تصوفا غزاليا.

ابن الأبار، *التكملة*، ج 1، ص. 288 ـ 290 ؛ ابن الزيات، *التشوف*، ص. 36 ـ 169 ؛ ابن عطاء الله، *لطائف المنن*، ص. 103 ؛ ابن عيشون، *الروض العطر*، ص. 65 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، ص. 13 ؛ الغبريني، *عنوان الدراية*، ص. 33 ـ 34 ؛ ع. المجيد الصغير، *الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام*، بيروت، دار المنتخب، ص. 350 ؛ م. القبلي، *رمز الإحياء وقضية الحكم في المغرب الوسيط*، ضمن : *مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط*، الدار البيضاء، دار توبقال، 1987، ص. 21 ـ 51 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، ص. 162 ـ 163.

محمد المغراوي

**الـغـزّ** أو الأغْزاز أو الأغُز، وهم طائفة من مماليك الترك المصريين وردوا على بلاد المغرب في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي.

ويبدو وأن لفظ الغز لم يكن معروفاً في بلاد المغرب قبل هذه الفترة كما هو الشأن بالنسبة للفظي الأتراك والأكراد. وتفيد بعض المصادر بأن هؤلاء الأتراك قدموا إلى بلاد المغرب في القرن (5 / 11 ) قبل الغز واستخدمهم المرابطون وبنو زيري في جيوشهم. لكن الأمر اختلف بعد ذلك عندما أصبح لفظ الغز يطلق أيضاً علىَ الأتراك أو الاكراد والعكس

صحيح مما جعل التمييز بين هذه الألفاظ صعباً خاصة في العهد الموحدي والمريني.

دخل الغز إلى بلاد المغرب عبر إفريقية قادمين من مصر في القرن (6 / 12) خلال مرحلتين : في المرحلة الأولى دخلت أول فرقة من هؤلاء منطقة برقة واستولت على مدينة طرابلس الغرب سنة 568 / 1172 بقيادة شرف الدين قراقوش. ويرى بعض المؤرخين أن صلاح الدين الأيوبي كان وراء إرسال هذه الحملة الغزية إلى بلاد المغرب لتنفيذ سياسته التوسعية في اتجاه المناطق الغربية لمصر ووضع حد لنفوذ الموحدين الذي بدأ يهدد دولة بني أيوب. لم يقف قراقوش عند طرابلس بل استمر في حملته على بلاد الجريد أيضاً مستغلا اضطرابات المنطقة وتمرد قبائلها ضد الموحدين.

وفي هذا الاتجاه تحالف زعيم الغز مع ابن الرند الثائر بقفصة سنة 575 / 1180 أيام الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدي ونجحوا في توسيع نفوذهم ليشمل إلى جانب طرابلس الغرب مدنا أخرى كقابس وقفصة، وازدادت قوة قراقوش بانضمام قبائل عربية وكذلك بنو غانية إلى حلفه لتندلع بذلك ثورة عارمة ساهمت كثيراً في تخريب البلاد ونهبها وهددت النفوذ الموحدي في حدوده الشرقية خاصة بعد قطع بني غانية لدعوة الموحدين بافريقية وإعلان تبعيتهم لبني العباس وذلك على إثر هزيمة الجيش الموحدي أمام هذا التحالف بفحص عمرة قرب قفصة في يوم 15 ربيع الأول من سنة 583 / 25 مايو 1187.

أمام هذا التحول الخطير في موازين القوى اضطر الخليفة الموحدي الجديد يعقوب المنصور إلى قيادة جيوشه بنفسه في حملة عسكرية كبرى إلى المنطقة في نفس السنة ومواجهة الغز والمتحالفين معهم، فالتقى الطرفان بالقرب من مدينة قابس ودارت الحرب على الغز وتمكن يعقوب من فتح المدينة في يوم الجمعة 9 شعبان من سنة 583 واعتقل أولاد قراقوش وأهله وأرسلهم إلى مراكش، ثم توجه إلى مدينة قفصة وحاصرها ثلاثة أشهر ليقتحمها بعد ذلك ويأسر من بها من الغز ويبعث بهم إلى الثغور لحمايتها حتى يكونوا تحت المراقبة المباشرة للمخزن الموحدي.

عندما استقر الغز في المغرب الأقصى شرع يعقوب المنصور ومن أتى بعده من خلفاء الموحدين في الاستفادة من خبرتهم وقوتهم العسكرية فألحقوهم بالجيش الموحدي النظامي وأشركوهم في حروبهم ضد النصارى بالأندلس فكان لهم ذكر في معارك عديدة خاصة معركة الأرك سنة 591 / 1195 ومعركة العقاب سنة 609 / 1212 ، كما استخدموهم في صراعهم مع بني مرين والقبائل المنافسة لهم خاصة في الفترات المتأخرة لدولتهم. ويفهم من كلام ابن خلدون أن هناك فرقة ثانية من الغز أو الاكراد دخلت المغرب الأقصى في مرحلة ثانية فراراً من هجومات هولاكو على بغداد بعد سنة 656 / 1258 ونزلوا على الخليفة الموحدي المرتضى بمراكش. وتتألف هذه الفرقة من عشيرتين هما بنولوين وبنوتابير فأكرمهم وأحسن استقبالهم وربما اندمجوا مع عناصر الفرقة الأولى وشكلوا مجموعة واحدة. ومباشرة بعد انهيار امبراطورية الموحدين وانقسامها إلى دول مختلفة تفرق الغز الذين كانوا في الجيش الموحدي بين هذه الدول ولجأوا إلى الخدمة في دولة بني عبد الواد بتلمسان وفي دولة الحفصيين بتونس وفي دولة بني الأحمر بغرناطة بينما بقي جزء كبير منهم في المغرب الأقصى في خدمة بني مرين سواء ضمن الجيش النظامي أو كمرتزقة إلى جانب العرب والروم يقومون بحراسة السلطان.

وتؤكد المصادر المرينية بكل وضوح أهمية حضور الغز في سياسة المخزن المريني وطبيعة استخذامهم لتحقيق طموحاته السياسية والعسكرية. فهذه المصادر لم تنكرقط مساهمات الغز في حروب الجيش المريني منذ قيام دولة بني عبد الحق سواء لدعم نفوذها بالمغرب الأقصى وحمايته من الثوار والمعارضين أو لمواجهة استفزازات بني عبد الواد بتلمسان وقبائل العرب بافريقية. إضافة إلى ذلك فقد أشادت نفس المصادر بالبلاء الحسن الذي أبلاه الغز في حروب الجيش المريني بالأندلس وما أبدوه من شجاعة حيث كانوا يتقدمون الجيوش المغربية لمحاربة النصارى في معارك عديدة خاصة معركة شريش سنة 684 / 1285.

ومع تعاظم أهمية السلاح الناري بدأ الغز يفقدون دورهم العسكري في المغرب في نهاية العصر الوسيط وبداية العصر الحديث، ولم تعد مصادر القرن (10 / 16) تتكلم عن أي حضور لهؤلاء الغز في الحياة العسكرية أو السياسية للمغرب ولكنها تتحدث عن الأتراك بصفة عامة علماً بأن وجود هؤلاء أصبح قوياً في شمال إفريقيا خلال العهد السعدي. ومن غير المستبعد أن يكون ما تبقى من الغز القدامى قد اندمجوا وانصهروا مع القادمين الجدد من الأتراك وبذلك لم يعد لهم أي ذكر يميزهم عن بني عمومتهم.

من الأسباب التي جعلت هؤلاء الغز يحظون بعناية واهتمام ملوك المغرب كونهم عرفوا بتجربتهم العسكرية ودرايتهم بفنون الحرب والقتال وتميزوا في استعمال نوع من السلاح كانت له أهمية قصوى في حروب العصر الوسيط وهو الرماية بالأقواس أو القسي حتى أن اسمهم أصبح لصيقابها فاشتهرت بأقواس الغز، وفي ذلك يقول الزهري : "... ومن عجائب هؤلاء القوم ما بلغنا من رمايتهم، وأنهم يرمون كورة في الهواء فيرمونها بالنبال فلا تقع في الأرض، وأنهم يرمون بالأقواس العربية رماية لا يرمي بها أحد غيرهم".

ولكفاءتهم تلك استعملهم ملوك المغرب إما كحراس لهم أو كجنود في جيوشهم النظامية حيث كانوا يتقدمون جميع الأجناد أثناء المعارك إلى جانب الرماة الأندلسيين والرماة السبتيين، وقد وصف المؤرخون في العصر الموحدي والمريني ما كان يتمتع به هؤلاء الغز من صبر وبلاء في الدفاع عن السلطان وفي محاربة العدو. وعند ولاية سلطان جديد نجدهم كباقي القبائل الأخرى يقدمون البيعة العامة ويضعون أنفسهم في خدمته وحراسته ومرافقته في جل تحركاته كما كانوا

يفعلون مع الخلفاء الموحدين الذين كانوا يصحبونهم في زياراتهم الخاصة لقبر المهدي بن تومرت بتينمل.

ويبدو من خلال الإشارات المصدرية أن هؤلاء الغز قد تميزوا عن باقي الفرق العسكرية العاملة في الجيش المغربي بتنظيمهم لعروض عسكرية خاصة بهم عند الاستعداد للحرب. فمثلاً عندما كان السلطان أبو عنان المريني يتهيأ لحملته إلى قسنطينة وبلاد الزاب اصطفت الجيوش أمامه في ساحة خارج فاس الجديد سنة 758 / 1356، وكان في مقدمة الموكب قواد الجيش من بني مرين والعرب والأندلسيين والأعلاج والوصفان والأغزاز، كل قائد له علمه ونظامه الخاص به، وتميز قواد الأغزاز عن غيرهم بالطبول والمزامير كعادة المماليك في مصر، وجعلوا بأعلى أعلامهم شعارهم الذي عرفوا به منذ مجيئهم إلى المغرب وحافظوا عليه وهو عبارة عن خصلة من الشعر كانت تسمى في مصر وبلاد الشام أيام الايوبيين والمماليك بالجاليش.

ومن العادات والتقاليد الأخرى التي حافظوا عليها بالمغرب إبقاؤهم على لحاء طوال يضفرونها كشعور النساء، إذا أسبلها الواحد منهم تبلغ لحيته إلى بطنه وربما بلغت إلى سُرَّته.

لا نعرف بالضبط عدد الغز الذين دخلوا بلاد المغرب أو الذين استخدموا في الجيش المغربي، والإشارة الوحيدة التي نتوفر عليها تخص عهد السلطان أبي الحسن المريني حيث بلغ عدد الغز في جيشه 1500 فارس وكثير منهم استقروا في جهات معينة من المغرب الأقصى كفاس ومراكش والسوس الأقصى وكانت لهم بها مقابر خاصة.

من مظاهر عناية ملوك المغرب بالغز أن منحوهم امتيازات وإقطاعات مهمة، وخصصوا لهم إنعامات ورواتب عالية ومنتظمة. ففي عهد الموحدين مثلاً كان الغز يتقاضون راتباً شهرياً سمي بالجامْكية بينما كان الاجناد المغاربة يأخذون رواتبهم ثلاث مرات في كل سنة أي مرة واحدة في كل أربعة أشهر، إضافة إلى ذلك خص الخليفة يعقوب المنصور الموحدي فرقة الغز بما سمي بالبركة وأوصى الموحدين بإبقائها لهم حسب وصيته المشهورة: "... وهؤلاء الأغزاز أمرنا لهم بهذه البركة يأخذونها فاتركوها على مارتبنا وربطنا لأن الموحدين لهم سهام يرجعون إليها وليس للأغزاز سهام". وبدون شك استمر الغز في الاستفادة من نفس الامتيازات والرعاية عند ملوك بني مرين.

اشتهر من غز بلاد المغرب شخصيات معدودة كقواد عسكريين وسفراء وأدباء ووزراء وولاة، ومن أبرز هؤلاء نذكر شخصاً كان يدعى شعبان بن كوجبا أو كوحيا الذي ولاه يعقوب المنصور على ولاية مدينة بسطة بالأندلس وأقطعه بها قرى كثيرة تغل في كل سنة نحواً من تسعة آلاف دينار، وكانت لشعبان هذا محاورات شعرية مع المؤرخ عبد الواحد المراكشي، ثم خضر بن محمد قائد عشيرة بني لوين من الغز في جيش يعقوب المريني، وسلمان بن حسن وأخوه علي قائدا عشيرة بني تابير الغزية في عهد نفس السلطان المريني، وكان لعلي هذا ولد اسمه موسى كان السلطان يوسف المريني اصطفاه من بين قواد الغز وربي بين حريمه وكشف له عن داره لينتقل بعد ذلك إلى تلمسان لخدمة ملوك بني عبد الواد الذين ولوه الوزارة والحجابة وقيادة جيوشهم حيث كانت له صولات وجولات ضد الحفصيين بإفريقية.

ومن بين هذه الشخصيات أيضاً المدعو أيدغدي الشهرزوري الذي قربه السلطان يوسف المريني إلى مجلسه وقدمه حتى صار في منزلة وزير وبعثه بالهدية إلى صاحب مصر في ركب المغاربة المتوجهين للحج. كما اشتهر عند الحفصيين شخص يدعى محمد بن يحيى ابن القالون الحاجب والمزوار في دولتهم.

الزهري، *كتاب الجغرافية*، تح. م. صادق، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، د. ت، ص. 60 ـ 61،

E. Fagnan, *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924, p. 416 ; Ghuzz, *Encyclopédie de l'Islam*, 1977, T. II, p. 1132 - 1137 ; R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, Beyrouth, 1981, T. 2, p. 210 ; M. Kably, *Société, pourvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986, p. 230 ; A. Khaneboubi, *Les premiers sultans mérinides*, éd. L'Harmattan, Paris, 1987, p. 57, 138 - 139, 156, 166.

رشيد السلامي

**الغزّال، أحمد** بن **المهدي** الغزال المالقي الحميري ثم الفاسي من الأسر الأندلسية المهاجرة إلى المغرب وهو من بيت علم ووجاهة مخزنية، فأبوه المهدي اشتغل كاتبا بالبلاط الإسماعيلي إلى حين وفاته بعد سنة 1140. وأما ابنه أحمد فتلقى دراسته بالقرويين وكانت نشأته بين فاس ومكناس بجانب والده الذي اهتم بإعداده لخطه الوظيفة المخزنية. ويحدثنا المؤرخ أبو القاسم الزياني بأن أحمد الغزال كان من جملة رفاقه أيام الطلب بالقرويين وممن التحقوا بخدمة السلطان محمد بن عبد الله لما تولى الملك سنة 1171، فقال عنه في كتابه *الترجمانة الكبرى*: "ولما سألنا عمن كنا نألفه من الطلبة في القراءة والأنس وجدنا أكثرهم تعلق بخدمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله لما بويع كالفقيه أحمد بن ناصر العياشي والفقيه الأديب أحمد الغزال و.... ". وجل المترجمين له يصفونه بالكاتب الفقيه الأديب الأريب.

وحلاه صاحب *سلوة الأنفاس* بقوله: "كان رحمه الله فقيهاً أديباً بل كان آخر أدباء الوقت".

والحديث عنه باعتباره أديباً وكاتباً مخزنياً وسفيراً يعكس نموذجا من النخبة المغربية التي احتضنها المخزن وتعلقت به وخضعت لتوجيهاته في سبيل خدمة بلادها والدفاع عن قضاياها في المحافل الدولية. ورغم تعرفه على الحضارة الأوربية وتقدمها العلمي والعسكري من خلال سفارته لإسبانيا سنة 1179، فإنه لم يبد انبهاره بها بل ظل محافظا على قيمه الروحية ومعتزاً بالآثار الإسلامية بالأندلس ومباهيا بوفرة خيرات المغرب وازدهار اقتصاده معجباً بقواته وفرسانه. ولعل رحلته المسماة *نتيجة الاجتهاد*

*في المهادنة والجهاد* تعبر عن مواقفه وآرائه وثقافته واهتماماته الفنية والاجتماعية، ويقدم فيها كذلك صورة عابرة عن المجتمع الإسباني.

خلف أحمد الغزال أربع رسائل ورحلته السفارية لاسبانيا وهي :

- الرسالة الأولى : *الأطروفة الهندسية والحكمة الشطرنجية الانسية* وهي في حجم كراسة في أربعة فصول في شكل غريب الصنع.
- الرسالة الثانية : تحت عنوان *نتيجة الفتح المستنبطة من سورة الفتح* وهي في مدح السلطان محمد بن عبد الله استنبط فيها ما اشتملت عليه حروف أول سورة الفتح
- الرسالة الثالثة : *اليواقيت الأدبية بجيد المملكة المحمدية*.
- الرسالة الرابعة : وهي ترجمة للشيخ أبي عبد الله محمد بن عيسى شيخ الطريقة العيساوية ودفين مكناس وهي تقع في سفر صغير وقد طبعت بمصر سنة 1348 / 1929 وعنوانها *النور الشامل في مناقب فحل الرجال الكامل*.
- *نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد* وهي رحلته السفارية إلى إسبانيا نحا فيها منحى سلفه الوزير الغساني سفير السلطان المولى إسماعيل إلى إسبانيا أيضاً والذي دون رحلته تحت عنوان *رحلة الوزير في افتكاك الأسير*.

أشار أحمد الغزال في بداية رحلته إلى رغبة كارلوس الثالث ملك إسبانيا في استقبال مبعوث السلطان محمد بن عبد الله فقال : "ومن جملة ما طلب من سيدنا المنصور بالله أن يتفضل عليه ليبعث أحد خدام حضرته العلية ليطأ بالنعل أرضه ويستوعب من إقليمه جله وبعضه ..." فحظي طلبه بموافقة السلطان "أن ما طلبه الطاغية من بعث أحد خدامنا لبلاده هو هنا على بال غير أن القصد منا مخالف لما قصد مباين لما ارتقب ورصد. وانما اهتمامنا بذلك أوجبته الرحمة والشفقة بأسارى المسلمين ..." وقد عين السلطان خاليه القائدين أبا يعلى عمارة وأبا عبد الله محمد بن ناصر سفيرين عنه لكارلوس كما عين أحمد الغزال كاتبا لهما. ولعل الغزال ادرك بحدسه أن صاحبيه يصعب عليهما القيام بمهامهما فكتب لأحد الوزراء طالبا منه أن يشرح للسلطان هذا الأمر ومما جاء في قوله : "إني أريد منك أن تعرف أمير المؤمنين أن هذين الرجلين لا معرفة لهما بقوانين النصارى واني قد خفت عاقبة الأمر فيما ينشأ عن رأيهما" فلا يؤاخذني أمير المؤمنين بشيء من ذلك إن كان. وأخيراً تم اختياره لرئاسة البعثة والاحتفاظ بصاحبيه عضوين فقال معتزا بهذه المهمة المنوطة به وبمكانته المخزنية :

"وقدم لهذا الأمر المعتبر والغرض المحتم بالعقل والنظر أحد كتابه وخديم أعتابه وملازم أبوابه والمحافظ على أوامره في ذهابه وإيابه غزال أمداحه والمضاهي لنجباء مداحه لخلوص محبته وصدقه في خدمته" واستغرقت سفارته ثمانية شهور ذهابا وإيابا انتهت بعقد الهدنة وفك 290 أسيراً مغربياً واسترجاع 290 مخطوطا وعند رجوع البعثة المغربية صاحبها السفير الاسباني فتم استقبالها مع الاسرى بمراكش.

ولما أنهى السفير الاسباني مهمته كلف الغزال بتوديعه ومرافقته إلى مدينة الصويرة التي مكثا فيها شهرين في انتظار وصول السفينة.

وفي سنة 1182 استطاع السلطان محمد بن عبد الله أن يفك الاسرى المسلمين بإسبانيا وكلهم جزائريون وعددهم 1600 فعهد إلى كاتبه أحمد الغزال بالإشراف على تبادل الأسرى الاسبانيين والجزائريين، فتوجه إلى الجزائر لهذه المهمة الانسانية والسياسية.

لم يدم صعود نجم أحمد الغزال طويلا، فرغم حذره من النصارى وادعائه معرفة قوانينهم ومناوراتهم فإنه أدى ثمن غفلته وتقصيره في تحرير المواثيق والعهود حسب زعم المؤرخين فكان ضحية تزوير العقد الذي أمضاه مع الإسبان ولم ينكشف هذا التزوير إن صحت روايته إلا بعد أن حاصر السلطان مدينة مليلية في فاتح محرم سنة 1185 وقصفها بالقذائف عدة أيام. وأمام هذه الحالة ذكره الملك كارلوس الثالث بعقد الهدنة والصلح المبرم مع الغزال. وحسب الوثيقة التي بيد الإسبانيين فان الهدنة تكون بحراً وبراً حيث عمدوا إلى إبدال لام الالف بالواو في حين يعتقد السلطان أن الهدنة معهم في البحر لا غير وانتهى الأمر برفع الحصار ومعاتبة الغزال وعزله من وظيفته. وعقب المؤرخ الناصري على هذا التزوير بقوله : "وكان من حقه أن يأتي بعبارة مطولة ومفصلة حتى لا يمكن تحريفها ..."

وبعد هذا العزل، أقام أحمد الغزال بقية حياته بفاس مغتماً وفاقدا بصره إلى أن توفي بتاريخ 15 جمادى 1191. دفن بزاوية الشيخ عبد القادر الفاسي.

أ. المهدي الغزال، *نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد*، تح. إسماعيل العربي، أبو القاسم الزياني، *الترجمانة الكبرى*، ص. 60، نشر عبد الكريم الفيلالي، *تاريخ محمد بن عبد السلام الضعيف*، تح. أحمد العماري ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 8، 8 : 24 ـ 8 : 38 ـ 8 : 40 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 331 ؛ عبد الرحمان ابن يدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 3 ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات في الاعلام*، 2 : 293، تح. عبد الوهاب بنمنصور ؛ عبد السلام بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* ؛ ل. بروڤنصال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. عبد القادر الخلادي ؛ م. الأخضر، *الحركة الأدبية في عهد الدولة العلوية*، ص. 312.

محمد ماگامان

**الغَزَّالْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Algatzel ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منها : علي الغزال كان له سفن قرصانية بوادي مرتين سنة 929 (1523).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الغزّي، أبو الحسن** علي من متصوفة فاس خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد. لم يرد له ذكر فيما رجعنا إليه من المصادر باستثناء كتاب *المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد* لمحمد التميمي الفاسي المتوفى سنة 603 أو 604 / 1207 ـ 1208 . أصله من بلاد الأندلس واستوطن مدينة فاس وتوفي بها في النصف الثاني من القرن السادس الهجري على ما نرجح. وقد أورد التميمي ترجمته استناداً على رواية أبي محمد عبد الحق المومناني أحد "أصحاب" الشيخ الغزي من الفاسيين ؛ ومنها يتضح أن أبا الحسن الغزي قد خرج عن الناس وهو ابن سبْع سنين، وأقام مع الأولياء والسياح ثمانية عشر عاماً، وبعد ذلك رجع إلى الناس وخالطهم.

م. التميمي، *المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد*، مخطوط، ورقة، 68 ـ 69.

محمد الشريف

**الـغزو** ، نمط إنتاج، يشكل هذا المفهوم إطارا نظريا عاما لتوصيف وتنميط التشكيلة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي انتظمت سيرورة تطور بنيات المجتمع العربي الإسلامي بصفة عامة، والمجتمع المغربي بصفة خاصة، خلال أزمنة التاريخ الوسيط. وقد صاغ هذا المفهوم المفكر المغربي محمد عابد الجابري في إطار مقاربته للإشكاليات التاريخية والسوسيولوجية المعقدة والحاسمة التي يطرحها الفكر الخلدوني فيما يرجع تحديدا لطبائع "*منظومة العمران البشري* " وما يلحق بها من عوارض وتبدلات ضمن مجال حيوي مخصوص هو مجال انتقال المجتمع العصبي من طور البداوة إلى طور الحضارة. وقد حظي هذا المفهوم النسقي باهتمام خاص من قبل الدارسين والمتخصصين في تاريخ المغرب السياسي والاجتماعي والاقتصادي والأنثروبولوجي نظراً لما يقدمه من أدوات إجرائية وتفسيرية، ليس لفهم خصوصية التجربة الحضارية والتاريخية للمجتمع المغربي فحسب، وإنما أيضا لإدراك خواص التجارب العربية الإسلامية ككل سواء في إطار ماضيها البعيد أو في اتجاه امتداداتها إلى الواقع. على أن ما يميز هذا الأسلوب من الإنتاج إنما يتمثل عموما في الثوابت التالية :

إن القوى التي يرتكز عليها هذا النمط من الاقتصاد وتمثل قوام هويته الاجتماعية، هي قوى حربية مجبولة على القتال والمنازلة، عارفة بفنونهما ومتمرسة على أساليبهما، أكثر مما هي قوى اقتصادية تمارس أنشطة إنتاجية صرفة. لذلك فإن العلاقات الناشئة في ظل هذا الصنف من الاقتصاد بين مختلف الأطراف الاجتماعية ليست في أصلها علاقات مادية تابعة لاختلاف المواقع الاجتماعية أو تكاملها في بنية الإنتاج العامة كما هو الحال بالنسبة للمجتمعات الزراعية أو الصناعية مثلا، وإنما هي علاقات عصبية تلعب فيها روابط القرابة والنسب المشترك دور المنشط لكل مظاهر التلاحم أو التعارض بين الأفراد والجماعات البدوية.

إن الأساس الذي يمثل عصب هذه النحلة المعاشية ومصدر نموها وقوتها وتوسعها هو أساس الجاه باعتباره "القدرة الحاملة للبشر على التصرف في من تحت أيديهم من أبناء جنسهم بالإذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة ليحملهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل بأحكام الشرائع والسياسة وعلى أغراضه فيما سوى ذلك" على ما قال ابن خلدون. لذلك فهو أساس هش وغير منتج، لأنه لا يقوم على إرادة استثمار واستغلال أوجه المعاش المتاحة بقدر ما يقوم على نهب الخيرات الجاهزة والمتوفرة طبيعية كانت كالمراعي ومنتجات الحيوانات أو غير طبيعية، كالجبايات والمغارم وأصناف المصادرات والاحتجانات.

وتبعا لذلك، فإن الملك بوصفه الغاية التي تجري إليها العصبية، لا يتحقق في سياق هذا الأسلوب من الإنتاج إلا من خلال أواصر التعاضد والترابط العصبي التي تفضي بالجماعات القبلية متى بلغت درجة قصوى من النعرة والغلبة، إلى الاستحواذ على الملك والاستئثار بثمراته ومكاسبه. ولذلك، فإن عملية الانتقال من خشونة البداوة إلى رقة الحضارة التي هي في الأصل عملية تحول في أنماط الحياة وسبل تحصيل المعاش وكيفيات إدارة الملك، لا تتم على أساس تطور كيفي وتدريجي في وسائل الإنتاج وطرق تحصيلها وأشكال استثمارها وإنما على أساس آليات الغزو وتغريم الأموال والزيادة في أنواع المجابي بضروب شتى.

وبالجملة، فإن هذا النوع من الاقتصاد القائم على حضارة الاستهلاك والغزو المنظم والاحتكار الفاحش للخيرات والممتلكات والأموال العامة هو في نهاية الأمر اقتصاد نخبوي استهلاكي ترفي مغلق تقتسم موارده النخبة الحاكمة وبطانتها من الجند ورجالات الدولة. ولذلك فهو اقتصاد غير قابل للنمو والتطور والتراكم لأنه مرتبط دوما بمصادر دخل مؤقتة وغير ثابتة، وبظروف سياسية غير قارة، هي ظروف قوة السلطة السياسية ومدى تمكنها من محكوميها.

ابن خلدون، *مقدمة*، 279ـ289 ـ 389 ـ 393 ؛ م. عابد الجابري، *فكر ابن خلدون*، 405 ـ 421 ؛ م. عابد الجابري، *العقل السياسي العربي*، 57 ـ 197، علي أمليل، *الخطاب التاريخي*، 147 ـ 170 ؛ عبد الله العروي، *ثقافتنا في ضوء التاريخ*، 38 ـ 44 ؛ ن. نصار، *الفكر الواقعي عند ابن خلدون*، 189 ـ 279.

الفقيه الإدريسي

**الـغزْوَاني، أحمد** بن المختار، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني گرفط (انظر إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني) وقد شارك في مؤتمرات الثورة التي عقدت :.

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913.
- عين الدالية يوم 11 من نفس اليوم.
- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913.

ـ قرية الزوة يوم 11 يناير 1915.

وقد شارك في 19 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**الـغزواني، الـحسن** ولد سنة 1904 بآيت عتاب دائرة ابزو إقليم ازيلال.

كان من الرعيل الأول لرواد الحركة الوطنية حيث إن مهنته كمساعد مقدم مع السلطات الفرنسية بالمنطقة خلال فترة الثلاثينيات سمحت له بالاطلاع عن قرب على ما كان يمارسه المستعمر على المغاربة من مضايقات وأعمال وحشية، فنشأت لديه أفكار نضالية بحيث أصبح يعمل على عقد الاجتماعات السرية بمنزله لتوعية السكان والتنسيق بين بعض الخلايا السرية التي تكونت بآيت عتاب، ورغم المضايقات التي كان يتعرض لها من حين لآخر من الفرنسيين فقد ظل متشبثا بوطنيته الصادقة إلى أن نال المغرب استقلاله.

وقد وافته المنية رحمة الله عليه يوم 26 ـ 12 ـ 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 509127.

**الـغزاوني، صفية** ولدت سنة 1920 بالسماعلة إقليم خريبكة من أبويها الغزاوني وفاطنة بنت أحمد.

شاركت في الحوادث الدامية التي عرفتها مدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955 أثناء الانتفاضة الشعبية العارمة التي نظمت تخليدا للذكرى الثانية لنفي جلالة المغفور له محمد الخامس وأسرته الملكية. فخرجت جموع المواطنين في انتفاضة نضالية تطالب بالاستقلال وبرجوع رمز الأمة. وعندما تدخلت قوات الاحتلال الفرنسي لتفريق جموع المواطنين بقوة السلاح، سقط العديد من الضحايا في ساحة الشرف، كانت من بينهم الشهيدة صفية الغزاوني.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520936.

**الـغزواني، عبد الله** بن عجال، ينتسب لغَزَوان قبيلة من عرب تامسنا (الشاوية). قيل إنه علوي وهو قول لا يستند إلى دليل. كان يدرس أول أمره بمدرسة الوادي من عدوة الأندلس بفاس، فسمع بأبي الحسن علي بن صالح الأندلسي وذهب إليه ولازمه أياما. وطلب منه أن يسلك به طريق التربية النبوية فأشار عليه بالشيخ التباع (صاحب الوقت).

فسافر إلى مراكش ولازم شيخه الجديد يشتغل في زاويته. واستعمله على حياطة بستانه. فأظهر في ذلك خضوعا وطاعة وجدية. وأذن له بعد عشر سنوات من الخدمة بفتح زاوية له ببني فزكار بالهبط. وذاع صيته بها وكثر أتباعه، خاصة وأنه ينتمي إلى المنطقة.

وكان والده تنبأ له بذلك، اذ كان يردد في المجامع "عندي ابن تركته يقرأ العلم سيكون له شأن، وله من الأتباع عددما في صابة الزبيب من حبوب كبيرها حلو وصغيرها حلو".

وتضايق السلطان أبو عبد الله محمد بن الشيخ من هذه الشعبية، خاصة وأن الدولة كانت تمر بفترة ضعف واضطراب، فأمر حاكمه على الهبط بارساله إليه مكبلا. وسجن مدة بفاس، ثم أطلق سراحه على أن يفتح زاويته بفاس لتكون تحت مراقبة السلطة. فأسسها داخل باب الفتوح.

ومع ذلك لم تتحسن علاقته مع الوطاسيين، فقد اصطدم بالناصر أخ السلطان المريني بسبب شقه لساقية من وادي اللبن إلى فاس لمساعدة الناس على السقي خلال سنة من سنوات القحط.

فقرر مغادرة فاس إلى مراكش. وتنسب إليه أثناء ذلك عبارة (أيا يا سلطنة من فاس إلى مراكش) يفسرون بها انتقال الحكم من المرينيين إلى السعديين في هذه الفترة بالذات. ووقف إلى جانب السعديين يشجع الناس على الصمود والتصدي لمواجهة الوطاسيين أثناء حصارهم لمراكش الذي انتهى بالكرة الحديدية التي تحطمت على صدره !!!

والغزواني هو وارث سر التباع، مع وجود عدد من كبار تلامذته، أمثال عبد الكريم الفلاح، ورحال الكوش، وعلي بن إبراهيم، وسعيد بن عبد المنعم. وقد اجتمعوا لدى الفلاح لاختيار خليفة للشيخ ودار بينهم حوار أبدى فيه كل واحد إمكاناته ومواهبه.

وكانت مداخلة الغزواني (أنا سلطانكم، وصاحب سكتكم، عندي تضرب. فمن طبعت درهمه أو ديناره جاز، ومن لا فلا). فسكتوا استنكاراً إلا أنه أقنعهم بكرامة من كراماته. وقد سبق أن ذكرنا طبع التباع لدرهم ابن عيسى، بمعنى أن الغزواني ورث الطبع (او المشيخة والتربية) عن شيخه. وما زال الناس يطلقون على الغزواني (مول الطابع).

طريقته الصوفية :

طريقته شاذلية جزولية تقوم على حب الرسول (ص) والصلاة عليه والمداومة على ذكر الله تعالى، فقد روى الإمام القصار أن الغزواني كان من كبار المحبين لرسول الله (ص).

وأوصى مريديه وأتباعه بترك الفضول والأشتغال بالدنيا بسلطانها وحكامها وحثهم على الاهتمام بالسبحة ولا إله إلا الله محمد رسول الله (ص).

وهكذا جاءت وظيفته جامعة بين آيات الذكر الحكيم وترديد الصلوات على النبي.

يتصل الغزواني بالجزولي عن طريق شيخه عبد العزيز التباع واتصال الجزولي بالشاذلي معروف فقد أخذ عبد الله محمد أمغار ـ عن سعيد الهرتناني ـ عن أبي زيد عبد الرحمان الرجراجي ـ عن أبي الفضل الهندي ـ عن أحمد عنوس البدوي ـ عن أحمد القرافي ـ عن أبي عبد الله محمد المغربي ـ عن أبي الحسن الشاذلي.

الدور التربوي والعلمي :

نهض الغزواني كغيره من الصوفية بدور تربوي علمي، إذ تصدر للتدريس وتربية المريدين.

وقد احتفظ ابن عسكر بوثيقة مهمة عن دروس الغزواني وعلاقته مع مريديه.

وقال الهبطي كذلك : (وكان إذا رأى من تحرك في حلق الذكر أو يقصر في خدمته ضربه بعصا لا تفارقه. وكل من ضربه يفتح الله عليه في الحال) وعلق ابن عسكر على هذا قائلاً : (رأيت ضربة فوق حاجب الشيخ سيدي أبي محمد الهبطي هشمت العظم كان ضربه إياها الشيخ الغزواني، وكانت تثور عليه إلى آخر عمره وكان أبو محمد الهبطي يقول كل ما فتح علي به إنما هو من بركة الغزواني).

وكانت له زاويا بالهبط وفاس ومراكش.

وكان الغزواني وصوفية مراكش يدرسون الكتب الفقهية والدينية كمختصر الشيخ خليل، والإحياء والحكم العطائية وشرح ابن عباد لها إلى جانب قصائد التصوف.

الدور الاجتماعي

تتعاقب على الإنسان حالات يشعر فيها بالخوف من البشر أو الطبيعة أو يعجز عن تحقيق رغباته فيكون اللجوء إلى الولي هو السبيل الوحيد للتخلص من الخوف ومقاومته أو تحقيق الرغبة، ويصبح الأمر أكثر أهمية عندما تصير هذه الحالات تهم مجتمعا بكامله.

ويكون الاعتماد على الولي مبنيا على اعتقاد راسخ في قدرته الخارقة على الإغاثة والإنقاذ بواسطة الكرامة. لهذا حرص المجتمع على ان يكثر أولياؤه، منهم من يحمي البلاد أو يحمي مدنا بعينها أو أحياء ودروبا ومداشر.

وأهم الادوار التي نهض بها الغزواني :

ـ الإطعام : لم يكن خاصا بالطلبة والمريدين وإنما يشمل عامة الناس خاصة في وقت المجاعات والأوبئة، فمنذ سنة 922 / 1516 ظهر ضعف في الإنتاج بسبب الجفاف الذي استمر سنة 923 / 1517 وتسبب سنتي 926. 927 / 1519 - 1525 فيما سماه صاحب (*الاستقصا* بالغلاء الكبير حتى كادت المدينة أن تفرغ من السكان سنة 929 / 1522 وتعاقبت عليها الأوبئة ما بين 927 و930 / 1520 و1523 فكان الغزواني لا يحتفظ بشيء يذكر من أسباب الدنيا بل كل ما تيسر له دفعه لذوي الحاجات.

التجهيز الفلاحي

لم يكن الإطعام كافيا لتدهور الوضع الاقتصادي بالمغرب في مطلع القرن (10 / 15م) بسبب ضعف الدولة والصراع بين ملوكها والاحتلال البرتغالي والإسباني لبعض المدن، وتردد الاوبئة والمجاعات. فكان لا بد من القيام بعمل مضمون النتائج يلبي حاجيات الناس.

فعن أبي عبد الله الدقاق أن شيخه الغزواني كان دأبه الحركة في أسباب الحراثة واستخراج المياه.

وكان التقليد أن كل من حفر ساقية صنع طعاما للناس (وسيلة للتخفيف من آلامهم في فترة المجاعة) وتشير المصادر إلى الساقية العظيمة التي أخرجها من وادي اللبن لم تكن في سواقي السلطان وغيره مثلها. وكانت سببا في خصامه مع أخ السلطان. وقد وجه الغزواني مريديه نحو الاهتمام بالسقي والفلاحة لإطعام المحتاجين ومساعدتهم فكان له الفضل في تعمير بعض المناطق سواء تلك التي لم يكن فيها سكان أصلا أو التي غادرها سكانها منذ العصر الموحدي.

وفي الحوز أمر مريديه عبد الله بن ساسي وعبد الله بن حسين الأمغاري بفتح زاويتين الأولى على ضفة نهر تانسيفت، والثانية بتامصلوحت، وأذن لأبي يعقوب التليدي بفتح زاويته ببني تليد، وأمرهم بشق السواقي، وتجهيز الأراضي، وحفر الآبار، وإطعام الوافدين.

مؤلفات الغزواني

يضم كتاب (*النقطة الأزلية في سر الذات الإلهية*) آثار الغزواني كلها. لهذا اعتقد بول نويا في حديثه عنه أنه عبارة عن كتابين ( *أضواء على التصوف المغربي من خلال آثار الشيخ عبد الله الغزواني*) ففي الكتاب :

- مجموع شعر الغزواني ما يناهز 2400 بيت.
- مراسلات مع بعض مشايخ العصر كاللقاني والهبطي حول موضوعات صوفية وأجوبة على تساؤلات بعض مريديه في حلقات الذكر والدرس.
- دعواته وأوراده.
- كلامه عن الطريقة والمقامات والتربية والمشيخة.
- سيرته الذاتية وعلاقته بشيخه التباع وشيوخ عصره.

توجد منه نسخ بالخزانة العامة بالرباط والخزانة الحسنية وخزانة ابن يوسف إلا أنها غير تامة، وتوجد نسخة تامة عند حفدة الشيخ.

وللتعرف على موضوعات شعره، وتحليل كتابته الصوفية ومجموع آثاره العلمية بتفصيل يرجع إلى كتاب *الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب*، الجزء، 2.

أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1954 ؛ ع. بن إبراهيم المراكشي، *إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال*، مخطوط، خ. ح. رقم 233 ؛ أ. بن محمد الشريسي، *أنوار السرائر وسرائر الأنوار*، مخطوط، خ. ع. الرباط، 984 ؛ م. الغالي بن المكي الأندلسي، بادرة *الاستعجال في مناقب السبعة رجال*، مخطوط خاص، بالرباط ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية الزرقية*، خ. ع. الرباط، ج 76 ؛ ح. جلاب، *الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب*، الجزء الثاني، مراكش، 1994 ؛ م. بن عسكر، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. م. حجي، ط. دار المغرب، الرباط، 1976 ؛ م. بن محمد المؤقت المراكشي، *السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية*، ط. حجرية، 1335 ؛ م. الصغير الإفراني المراكشي، *صفوة ما انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر*، ط. حجرية بفاس ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الاتباع والاماع*. ط. حجرية بفاس، 1313 ؛ م. بن العباس السوسي الجزولي، *المواهب*

*القدسية في أسانيد بعض المشايخ الصوفية*، مخطوط، خ. ع. الرباط، ج 97.

Paul Pascon, *Le Haouz de Marrakech* ; G. Deverdun, *Marrakech dès origines à 1912*, Rabat, 1959.

حسن جلاب

**الغزواني، المعطي** ولد سنة 1903 بقبيلة أولاد السلاوي، وادي زم، إقليم خريبكة.

شارك في حوادث 20 غشت 1955 بوادي زم، وكان من بين المواطنين الذين عبروا عن نشاطهم الفدائي وقاموا بأعمال تخريبية ضد مصالح المعمرين الأوربيين بالمنطقة.

وقد صرعته رصاصة العدو في يوم ثورة الملك والشعب.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520880.

**الغساني ← الوزير الغساني**

**عصاوة ← اغصاوة**

**العصاوي ← الاعصاوي**

**غساسة**، سكان قلعة ومدينة أثرية بقبيلة قلعية بالشمال الشرقي المغربي، ينتمي تجمعها إلى تحالف نفزة، احتكر سكنى الساحل الغربي من قلعية ما قبل الفتح الإسلامي إلى جانب ورتدى البطوئيين، وجماعات من مطماطة وبني يفرن، يعرفون محليا بإخساسن، وإغساسن كان لهم دور في استقبال التجارة الصحراوية، مما مهد لظهور القلعة والمدينة في بداية القرن السابع الهجري على يد المرينيين المستقرين بقلعة تازوطا منذ عام 609.

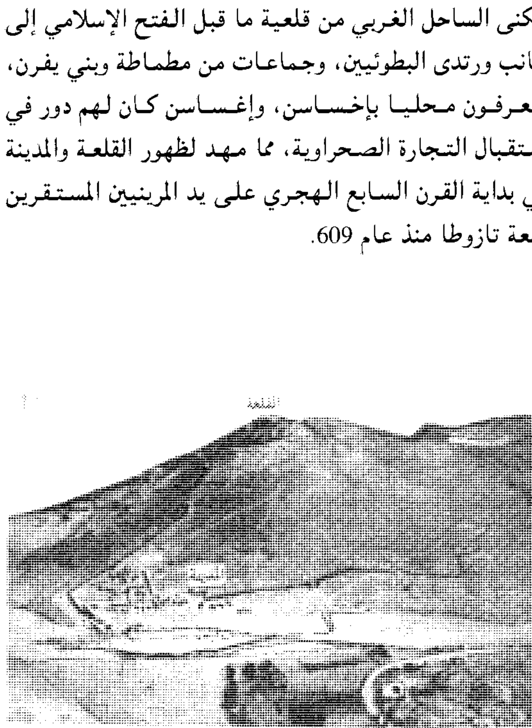

ـ اختار المرينيون بناء المدينة على كدية بساحل خميس بني بوغافر في حدوده مع خميس بني شكر. تعرفنا على عمرانها من خلال البحث الأركيولوجي وبعض الرسوم والزيارة الميدانية. وهي مكونة من قسمين :

القلة : لفظ محول عن أصله العربي القلعة ليفيد معنى القمة التي تعلو الكدية. وباسم الكدية والكدية البيضاء عرفت في التواريخ والوثائق الأراغونية. تقع القلعة أو الحصن بالقسم الأعلى من الكدية بارتفاع نحو 70 مترا. تبدو قاعدة الحصن الصخرية بما يشبه مائدة معلقة منعزلة بارتفاعها عن سفوح الكدية، لذا كان الصعود إليها يتم عبر سلم صخري منحوت في الصخر بالحافة الجنوبية من القاعدة، وما تزال ستة عشر منها ماثلة للعيان.

المدينة : تغطي مساحتها السفوح الثلاثة الشرقية والجنوبية والغربية من الكدية، وقد كشفت عمليات الحفر عن أهم معالمها من أسوار ومرافق. وأظهرت أن أهم قسم عمراني هو الواقع بين أنقاض الزاوية الجنوبية الغربية من محيط الكدية بجوار ملتقى كل من مياه واد حلوبة وواد غساسة.

وتغني الرسوم والأسوار الملحقة عن كل وصف. وتدل مجموعة البقايا الأثرية الراقدة بالمكان على أنه القسم التجاري الذي كان مقصد تجار الأندلس وجنوة والبندقية وأراغون وجزر البليار. وكشف الحفر أيضا عن وجود ورش معدني لم يتم التعرف على نوع تخصصه.

وتقابل المرافق التجارية مجموعة أخرى من الأنقاض بجوار الزاوية الشرقية الجنوبية من سور المدينة، وربما كانت مخصصة لسكنى الأعيان.

ويحيط بالمدينة سور يصل طوله إلى كيلومترين كان في بداية القرن العاشر الهجري قائما، ولا يزال رسمه وبعض الأجزاء منه بارزة إلى اليوم. وبتتبع خطه نلاحظ امتداده على طول السفح الجنوبي من الكدية على شكل مثلث، قاعدته الكبرى مسايرة لمجرى واد حلوبة.

وهناك سور آخر يبدأ من زاوية انتهاء السابق باتجاه جنوبي طوله مائتا متر، يبرز منه برجان كبيران يواجهان كدية سيدي مسعود الغساسي (أروف إرسحن وكدية الأنقاض). وهذا هو الجانب المهم من المدينة. ويوازي السور المذكور من الداخل امتداد سور آخر طوله خمسون مترا، ليشكل اقترابهما فراغا يصبح ممراً ينتهي إلى الباب الرئيسي النافذ إلى قلب المدينة.، اختير لهذا الباب الاتجاه الجنوبي المقابل لالتقاء واد حلوبة بواد غساسة، ويبدو أن المرينيين اعتنوا بتحصين المدينة من حدها الجنوبي الموازي لمجرى واد حلوبة بالإكثار من الأبراج والزيادة في عرض السور وعلوه.

والجدير بالملاحظة أن التحريات الأثرية كشفت النقاب عن

وجود قرية صغيرة تقع خرائبها مقابل كدية غساسة، تدعى محليا بتاعرورت، وهو ما يقابل الكدية، لا يفصلها عن المدينة سوى مجرى واد حلوية، بينما تشرف من ناحيتها الغربية على واد غساسة، ومن المعتقد أنها شكلت النواة الأولى للمدينة.

تلك هي المدينة التي قال عنها ابن خلدون : "ومنهم غساسة، وبقية منهم لهذا العهد بساحل بطوية، حيث القرية التي هناك حاضرة البحر ومرسى لأساطيل المغرب، وهي مشهورة باسمهم"، ولهذا السبب دبرت مليلة المحتلة وسيلة اغتصابها في أقرب الآجال.

ولا بد من العودة إلى تصور الظروف الوطنية والمحلية المساهمة في تسهيل مهمة الإسبان. وفي حال غساسة كان محمد الشيخ الوطاسي قد توفي سنة 910 / 1504. ففي أواخر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجة من سنة 911 / أبريل 1506 استولى حاكم مليلة على حين غفلة على القلعة والمدينة معاً. وقد سرد الحسن الوزان طريقة الاستيلاء الإسباني بما يشبه احتلال مليلة، متعللا بانشغال السلطان المريني الحديث العهد بثورة أحد أقربائه.

استمر الاحتلال الإسباني لغساسة إلى غاية سنة 939 / 1533، حيث تمكن القلعيون من استرجاعها بوسائلهم الخاصة. وقد وصل إليها القائد علي العطار الأندلسي يوم 14 جمادى الثانية 939 / 11 يناير 1533 موفدا من فاس، لكنه غادرها بعد أسبوع بعد أن ترك حامية مؤلفة من ثمانين فارسا وخمسين من الرماة.

غير أن هذا لم يمنع من اختفائها فقد غابت عنا أخبارها منذ أواخر خمسينيات القرن العاشر الهجري إلى أن أعلن مارمول كاربخال عن تخريبها على عهد عبد الله الغالب وذلك قبل سنة 979 / 1571، وكان التخريب قد أسلمها للنسيان ليستمر إلى الوقت الحاضر.

ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، الدار البيضاء، 1997 ؛ مليلة حاضرة قلوع كرط، *دار النيابة*، 7 : 1985 و9 : 1986 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ مارمول كاربخال، *أفريقيا*، الرباط، 1984 ؛ ضابط الأمور الوطنية، تطوان، 1952.

Fernando de Castro, *Historia y exploracion de las ruinas de Cazaza*, Madrid, 1943.

حسن الفكيكي

**الغسال، الحسن** بن محمد الشياظمي أصلا، الطنجي منشأ وداراً، المراكشي مدفنا. ولد في 16 جمادى الآخرة عام 1283 / 1866، وتربى في حجر والده الذي كان أمينا بثغر طنجة، فحفظه القرآن الكريم، وحبب إليه العلم وأهله، فقرأ ما تيسر له من العربية والفقه على علماء بلده، ثم شد الرحلة إلى مدينة فاس في أوائل القرن الحالي، وأدرك بقية الصدور من علماء القرن الثالث عشر كالشيخ محمد بن المدني كنون، والشيخ أحمد بن أحمد بناني كَلاًّ، والشيخ محمد بن عبد الواحد بن سودة، وغيرهم. وعاد إلى بلده طنجة سنة 1305 / 1887 حين بلغه مرض والده الذي لم ينشب أن توفي في السنة نفسها.

اشتغل بالكتابة بدار النيابة السلطانية، والنائب يومئذ هو الحاج محمد الطريس وذلك سنة 1309 / 1891، ولم يزل يترقى إلى أن أصبح الكاتب الأول للنائب. وبعد ذلك عين لفصل بعض دعاوى الأجانب بمرسى الدار البيضاء، وقضى في هذه المهمة سنة كاملة. ثم عين في سنة 1319 / 1901 ناظراً للأوقاف بطنجة، وفي السنة التي بعدها عين عضواً في الوفد الذي مثل المغرب في حفلة تتويج (إدوارد السابع) ملك انجلترا، برياسة الباشا عبد الرحمن بن عبد الصادق. وماكملت هذه السنة حتى زار الملك المذكور جبل طارق، فعين مع الباشا المذكور علاقاته.

وفي أواخر سنة 1322 / 1904 انتدب مع بعض الشخصيات من مختلف أنحاء المغرب للمداولة مع سفير فرنسا (سان رينى طايانديي) بفاس، واستغرقت هذه المهمة 18 شهراً حتى انتهى مؤتمر الجزيرة الخضراء.

وفي سنة 1325 / 1907 عين معتمداً للجنة التعويضات عن خسائر وقعة الدار البيضاء المشهورة.

وفي السنة التالية كلف مع جملة من الأمناء بتصفح ديون الأجانب بدار النيابة بطنجة، ثم كلف بالوقوف على بعض الأراضي المتنازع فيها بين بعض المواطنين وإحدى الشركات الفرنسية بالمغرب.

وفي سنة 1331 / 1912 عين خليفة أول لباشا طنجة إلى أن استقال طلبا للراحة، ثم أعيد تعيينه في نفس الوظيفة سنة 1336 / 1917 وبقي فيها إلى سنة 1340 / 1921 حين أعفي منها بطلبه. وأنعم عليه بكثير من الأوسمة.

وبالجملة فالرجل كان مجموعة كفايات ومزايا، فهو من أهل العلم وحملة القلم، وهو رجل سلطة.

توفي رحمه الله يوم الجمعة 16 جمادى الآخرة عام 1358 / 1939 بمدينة مراكش فجأة ودفن يوم السبت بروضة الولي الصالح سيدي علي بن قاسم المجاورة لجامع الكتبية.

مؤلفاته : ترك إحدى وخمسين رسالة أو تأليفاً أو تقييداً، اشتملت على مواضيع مختلفة من فقهية، وأدبية، وتاريخية، واجتماعية، يختلف نفسه فيها بين المحافظة، والتجديد، ويتراوح أسلوبه بين التسامح والتجويد.

*جريدة الميثاق* لرابطة علماء المغرب، عدد 253 و254، سنة 1977؛ *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8، ص. 3068 ؛ *فهرس المخطوطات العربية*، 2 : 240 ؛ معجم المؤلفين، 3 : 288.

أحمد متفكر

**الغساني، أبو القاسم الوزير** بن محمد : عرف به الأستاذ حجي في *الحركة الفكرية*، فقال : " شيخ الأطباء ونقيبهم، وعميد الصيادلة وخبيرهم"، ونعته ابن القاضي في *درة الحجال* : بـ "الأديب الناظم، الناثر، المؤلف، له في الطب موضوعات، وله كتاب في الأعشاب". أما المقري فقد خصه بترجمة مختصرة في كتابه *روضة الآس*، وكان قد لقيه بمدينة فاس، وروى له أشعاراً، وموشحة فريدة في المدح، نعته بقوله : "تفرد حفظه الله بعلم الطب بالحضرتين، وشارك في سائر العلوم".

أخذ علم الطب عن أبيه، وسائر العلوم عن الإمام المنجور والقاضي الحميدي وغيرهما، وقد ترك جملة من المؤلفات أهداها إلى السلطان أحمد المنصور السعدي منها : *حديقة الأزهار في الأعشاب والعقار*، و*الروض المكنون في شرح أرجوزة ابن عزرون*، و*مغني الطبيب عن كتب أعداء الحبيب*.

ذكر المقري في *روضة الآس*، ص. 222 "أن الوزير الغساني رحل إلى المشرق، وقرأ على جملة من علمائه ومنهم القاضي بدر الدين القرافي، والإمام السنهوري، مشيراً إلى انقطاع أخباره في المشرق".

المقري، *روضة الآس*، ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 289 ؛ *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، 2 : 249 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، 10 : 23، م. حجي،2 : 381 ؛ ع. الجراري، *موشحات مغربية*، ص. 127 ؛ ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 2 : 144، ن. المريني، *شعر الفشتالي*، ص. 66.

نجاة المريني

**الغساني، الوزير محمد** بن **عبد الوهاب** الفقيه المشارك المتفنن أبو عبد الله محمد المدعو حمّ بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي نجاراً الفاسي داراً كان من كتاب السلطان المولى إسماعيل، تميز لديه بما كان عليه من جودة الأسلوب وحسن الإدراك وسرعة التنفيذ في صناعة الترسيل. كان السلطان يأمره بكتابة رسائل عديدة للعمال وغيرهم فيذهب الكاتب إلى منزله ويحرر ما أمر بكتبه ثم يأتي بذلك ويعيده على مسامع السلطان فيرضى عليه. وكان من علامة رضاه عليه أن أوفده في سفارة إلى إسبانيا لدى ملكها كارلس الثاني لافتكاك أسرى المسلمين عام 1102 / 1690 ـ 1691. وكان من ثمرات تلك السفارة تقييد مفيد عنوانه *رحلة الوزير في افتكاك الأسير*. يعتبر على شكل باقي الرحلات المغربية بمثابة تقرير عن إسبانيا وعن غرائبها في نظر المغاربة بداية القرن الثاني عشر من الهجرة الموافق للعقد الأخير من القرن السابع عشر من الميلاد. فمما أثار انتباه السفير قيام الفنادق على طول الطرق الإسبانية فقال : "فعند كل مسافتين أو ثلاثة مسافات يجعلون فندقاً أو داراً معدة لنزول الضيوف والمسافرين فإذا وصل المسافر إلى موضع منها ينزله ويجد فيه من الطعام ما يشتهيه وما تبلغ إليه مقدرته كل على قدر وسعه ويجد العلف لدوابه والفراش لنفسه فيأكل ويستريح ويطعم دوابه ..." كما وصف نظام المطاعم العمومية قائلاً : "من عادة النصارى أن لا يخبز أحد منهم بداره وجميع مونته إنما هي عالة على السوق من كل شيء وبالسوق عدة حوانيت لطبخ الطعام وصنعه للغرباء والضيوف والمسافرين الذين ليس لهم موضع معهود فيدخل الرجل للحانوت فيحتكم على المرأة التي به ويطلب منها من الطعام ما يشتهيهُ [...] فيأكل ويشرب ويدفع للمرأة ما يجب عليه في ذلك". ويتعجب من نظام البريد فيقول : "وبسوق مادريد أيضا موضع للرسائل والبراوات الواردة من جميع البلدان والأقاليم والأقطار، فإن في كل يوم من أيام الجمعة ترد رسائل بلد من البلدان، فمن كان يرتجي ورود براءة يمضي إلى الحوانيت المعدة لذلك وينظر هل أتاه شيء أم لا [...] وكذلك من يحب بعث رسالة إلى بلاد يكتبها أيضاً ويطرحها في الموضع المعلوم ولا يعطي عليها شيئاً فإن الذي يتسلمها هو الذي يخلص كراءها". ويتكلم على سياسة إسبانيا الداخلية وعن "الانكسثيون" التي تبحث "عمن فيه لمزة يهودية ولو بأدنى سبب" ويشير إلى ما يتوقع من النزاع بين القوى الأوربية حول وراثة العرش الإسباني لأن الملك القائم كارلس الثاني كان لا ينجب. وتلك إشارات تدل على فطنة الكاتب وعلى قدرته على بسط الأمور بأسلوب سلس مبسط.

وقد توفي سنة 1119.

الغساني محمد بن عبد الوهاب، *رحلة الوزير في افتكاك الأسير*، ح. فريد السبتاني، طنجة، 1940 ؛ ابن سودة عبد السلام، *موسوعة أعلام المغرب*، تح. محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

إبراهيم بوطالب

**الغساني، محمد** بن **محمد** بن يحيى بن محمد يحيى بن جابر، أستاذ فقيه علامة، نزيه محقق، له باع طويل في الفقه والحديث والتفسير. يقول عنه ابن زيدان : "فقيه عالم، ذكي، واعية حافظ متضلع مطالع نقاد ... غساني الأصل، نسبة إلى غسان ... وهي قبيلة كبيرة من الأزد شربوا من ماء غسان وهو باليمن فسموا به". أخذ عن والده العالم محمد، وعن الشيخ يحيي بن يحيى.

أخذ عنه الإمام محمد ابن غازي العثماني الذي قال عنه في *الفهرس* : "جالسته بمكناسة واستفدت منه كثيراً ومن أغبط ما أخذت عنه المصافحة المروية من طريق الخضر. كما أخذ عنه الإمام سقين العاصمي.

ويشير عبد الرحمن ابن زيدان أنه لم ير من تعرض لولادة المترجم ولا لوفاته ممن ترجموا له كأحمد بابا في *نيل الابتهاج* وابن غازي في *الفهرس*. ويظهر على حد قول ابن زيدان أنه عمر طويلا.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 4، ص. 46 ؛ ابن غازي، *الفهرس*، التحلل برسوم الإسناد، تح. م. الزاهي، دار المغرب، الدار البيضاء، 1979.

**الغساني، محمد** بن **يحيى** بن محمد بن يحيى بن جابر الغساني، فقيه علامة، له في العلم مشاركة حسنة،

رفيع القدر والشأن، أستاذ في القراءات السبع وتجويد القرآن والحديث والتاريخ والطب. كما أن له عارضة كبيرة في النثر والشعر. تحدث عنه تلميذه ابن غازي في *الفهرس والروض الهتون* قائلاً ما نصه : "الأستاذ المقرئ، الشاعر المجيد المحسن شيخ شيوخنا ... ذو التصانيف الحسان والقصائد العجيبة ...". ويقول عنه ابن القاضي في *الجذوة* :"الفقيه الأستاذ من أهل مكناسة، دخل مدينة فاس، وأخذ عنه الإمام القوري، له نظم رحال الحلية، وله في علم التعبير نظم فائق وله نزهة الناظر". أما ابن زيدان في *الإتحاف* فيحليه بـ "فقيه عالم ناظم ناثر وشاعر مجيد، محسن، حافظ، لا فظ ذكي واعية، متقن متضلع نقاد، أستاذ مقرئ .. راوية ذو دين متين واطلاع كبير ورسوخ وتضلع زائد واقتدار وإمامة كاملة في المعقول والمنقول..."

أخذ العلم عن شيوخ عصره الكبار أمثال الفقيه عبد الله بن محمد الذكواني الأندلسي، والشيخ ابن قاسم بن داوود السلوي، والشيخ الإمام محمد بن علي المراكشي، والشيخ الفقيه الأديب أحمد بن يحيى بن عبد المنان كاتب السلطان وغيرهم ... وأخذ عنه عدة علماء منهم قاسم بن محمد القوري ومحمد بن قاسم القوري وعبد الرحمن بن محمد العبدوسي.

من مؤلفاته :

*نظم المراقبة العليا في تعبير الرؤيا*، *ونزهة الناظر* وهي عبارة عن رجز بديع في التعريف ببلده مكناس اقتبس منه صاحب الروض الكثير في حديثه عن مكناس، وتأليف في رسم القرآن، وتسميط البردة للبوصيري، ونظم رحال الحلية، وشرح على منظومة التلمسانية في الفرائض وهو شرح حفيل ملأه درراً وفرائد.

وقد أورد كل من ابن القاضي وابن زيدان في *الإتحاف* بعضا من نظمه الجميل.

وهناك كتاب باسمه يقع بحومة التوتة بمدينة مكناس محمولاً على سقايتها مبني على الطراز المريني، مازالت آثار جماله بادية للعيان ولا يستبعد ان ابن جابر كان يلقي به بعض دروسه لذا حمل اسمه.

توفي بمدينة مكناس عام 827 / 1424.

ابن زيدان، *الإتحاف أعلام الناس*، ج 3، ص. 590 - 594 ؛ ابن غازي، *الروض الهتون*، ص. 57 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ج 1، ص. 317 ؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس*، ج 1، ص. 139 - 141.

رقية بلمقدم

**الـغضبان** (أولاد -)، مركز شاطئي بعيد عن الجديدة بحوالي 11 كلم نحو الجنوب، قد اتخذ هذه الصفة الحضرية منذ إحصاء 1994 وبعد إنهاء مدّ شبكة الماء والكهرباء (1988) بتجزئة سكنية لها طابع حضري وسط فضاء ريفي محاذ لدوّار أولاد الحاج علي وللتجمع القروي الذي يحمل اسمه (أولاد الغضبان أو الغضابنة). وهو موقع محصور بين الطريقين السّاحلية والشاطئية عند الحدّ الشمالي لامتداد منطقة الجرف الأصفر الصناعية.

وقد أنشيء المركز لامتصاص قسم من السّاكنة المجاورة التي اضطرت إلى الرحيل عن أراضيها الفلاحية ومساكنها الريفية على إثر نزع 3000 هكتار من جماعة مولاي عبد الله لإقامة مشروع الجرف الصّناعي. ويتعلق الأمر بسكّان خمسة دواوير كاملة وبجزء من سكان دوارين، أي بمجموع 2468 نسمة و4899 أسرة إلى حدود إحصاء 1994.

في الأصل كان مشروع التجزئة قائماً على تجهيز 8,5 هكتارات تضمّ 216 بقعة ذات التصميم الموحّد وفي فئة 132 م$^2$ ترصد منها 42 م2 لإيواء الماشية. غير أنه تدريجياً وقع تقسيم الكثير من البقع إلى مسكنين أو تحويل الحظائر إلى مساكن إضافية. وذلك راجع إلى مجموعة من الأسباب الأساسية :

- إقبال الناس على اكتراء هذه الدور بجميع مرافقها أو ببعضها بنسبة تقترب من نصف المنازل ؛
- الارتفاع النّسبي لثمن شراء الأرض المجهزة بسعر 150 درهم للمتر المربّع ؛
- ضعف التعويضات عن نزع الملكية المدفوعة من وزارة التجهيز والمكتب الشريف للفوسفاط، بقيمة 000 10 درهم للهكتار البوري و000 50 درهم للهكتار المسقي.
- هزال الموارد الطبيعية والاقتصادية بالمنطقة والطابع الموسمي لبعض الأعمال غير الفلاحية، حيث إن أكثر بقليل من نصف المشغّلين ينتمون للقطاع الصناعي و17٪ يمتهنون الصيد ولقط الطحالب.

والآن، قد اكتمل تشييد تقريباً كلّ المساكن المبرمجة وبموادّ صلبة ووفق تصميم منتظم، فإن وجه المشهد المعماري تغيّر، بل وأخذت تمثل التجزئة نموذجا يقتدى به في تحسين الإطار العمراني للدوارين المجاورين قصد تكوين مركز ضاحوي حقيقي في امتداد مولاي عبد الله (4 كلم) وغير بعيد عن الجرف الأصفر (5 كلم). على أنّه مازال ثمة نقص في التجهيزات الجماعية والبنيات التحتية (الترصيف والتصريف) وتباين في المستويات الاجتماعية والمعمارية، كما لازال السّكان النازحون لم يستأنسوا بعد بالحياة اليومية والاقتصادية الجديدة التي قطعت الأواصل الوثيقة باستغلال الأرض.

*زيارات ميدانية* ؛ س. نصيف، *ظاهرة التمدين والأنشطة الاقتصادية بساحل منطقة دكالة*، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، 1998 - 1999.

مصطفى عياد

ابن الـ**غضبان، صالح** من مواليد سنة 1930 بخنيفرة شارك في حوادث الانتفاضة الشعبية العارمة التي نظمتها حركة المقاومة المغربية في مدينة خنيفرة يوم 20 غشت 1855 بمناسبة الذكرى الثانية لنفي محمد الخامس وأسرته الشريفة.

وخلال هذه الانتفاضة قام الشهيد بأعمال جريئة كإحراق وإتلاف مصالح المستعمر.

ولما تدخل جنود الاحتلال لقمع جموع المتظاهرين وتفريقهم بقوة السلاح سقط في ساحة الشرف العديد من الضحايا من بينهم صالح بن الغضبان وذلك بتاريخ 20 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 511825.

**الـغـضـفـة** بنت المدني رحال مثال حي على كفاح المرأة المغربية. فهي من مواليد قلعة السراغنة سنة 1935 من أبويها المدني رحال وآمنة بنت القائد أحمد، وهي زوجة الشهيد عبد الرحمان المخنت المعروف ببطولاته في المقاومة ورئيس منظمة اليد السوداء.

وعند انتقالها صحبة أسرتها إلى مدينة الدار البيضاء بدأت في عملها مع المقاومة السرية بالمدينة فكانت تنقل السلاح وتوزعه على الفدائيين. كما كان منزلها من أهم المعاقل لإخفاء الفدائيين الفارين. وقد عملت مع المقاومين بكل شجاعة إلى أن افتضح أمرها أثناء تربص الشرطة الفرنسية بزوجها عبد الرحمان المخنت حيث ألقي عليها القبض بمنزلها. غير أنها لم تبح بأي سر عن نشاط زوجها ومنظمته.

وبمجرد إحساسها بقدوم زوجها لمنزله صرخت بأعلى صوتها تحسسه بوجود العدو الدخيل بالمنزل حتى يتسنى له الهروب وذلك ما تم فعلا فما كان أمام رجال الشرطة إلا إطلاق النار عليها، سقطت إثره شهيدة ملبية واجبها الوطني، وكان ذلك بتاريخ 28 يناير 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524141.

**الـغطاس** كما في المعاجم طائر مائي من رتبة كفيات القدم Podicipédiformes ومن فصيلة Podicipitidae، يألف البحيرات ويتغذى من الأسماء الصغيرة. منه ثلاثة أنواع تعيش مع البط والإوز في البحيرات والسدود ومصبات الأنهار المغربية.

ـ الغطاس المتوج Podiceps cristatus يسمى بالفرنسية Grèbe huppé وبالإنجليزية Great crested grebe وبالإسبانية Somormujo lavanco وبالإيطالية Svasso maggiore. يتميز بخصلة من الريش الأشقر المسود على رأسه، رمادي أسمر على الجناحين والصدر وأبيض على بطنه وأسفله، ذيله قصير يحمل غدتين تفرزان مادة زيتية تجعل الريش كتيمة، عنقه طويل ممتد نحو الأمام. للقوائم أربعة أصابع، ثلاثة منها ملتحمة بواسطة غشاء سباحي والرابع الخلفي حر. يحسن السباحة والغطس وكثيراً ما يحجب عن الأنظار تحت الماء أزيد من دقيقتين. المنقار مستدق الرأس وكبير. الإناث شبيهة بالذكور ويبلغ طول بسطة الجناحين 75ـ85 سم وطول الجسم 48 سم وتزن الكبيرة 700ـ1100 غرام. طائر يفضل العزلة يعيش منفرداً أو مزدوجاً ومنه عدة وحدات أوروبية تشتي في بحيرات وسدود الأطلس المتوسط وخاصة منها ضاية عوا وإفراح وسيدي علي وتكلمامين والعزيزة، وشائع أيضا في مصب نهر ملوية وسد محمد الخامس وسد سيدي محمد بن عبد الله وبحيرة سيدي بوغابة وسوس ماسة والمنصور الذهبي وغيرها من السدود الكبرى والبحيرات القارية. بعض الأفراد مستقرة في المغرب وتتوالد في عدة بحيرات منذ أبريل إلى يونيو. توضع الأعشاش بين الحشائش الكثيفة الملتفة وسط البحيرات ومصبات الأنهار. يتراوح عدد البيض بين 3ـ5، طول قطرها 5.5 سم وتزن 38 غرام. يحضن البيض مدة 25ـ29 يوماً. تغادر الصغيرة العش مباشرة بعد التفقيس وتحسن الغطس والطيران بعد شهرين.

ـ غطاس أسود العنق Podiceps nigricollis ويسمى بالفرنسية Grèbe à cou noir وبالإنجليزية Black necked grebe. يختلف عن الغطاس المتوج بحجمه الصغير حيث لا يتعدى طول الجسم 30 سم بريش أشقر خلف العينين. تشتي المجموعات الأوروبية في مختلف البحيرات القارية والسدود ومصبات الأنهار. منه عدة وحدات مستقرة في مختلف المناطق المغربية.

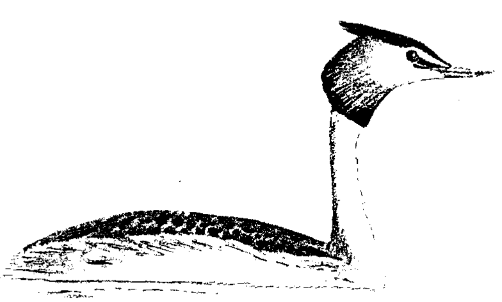

ـ غطاس صغير Tachybaptus ruficollis ويسمى بالفرنسية Grèbe castagneux وبالإنجليزية Dabchick. لا يتعدى طول الجسم 27 سم وله خصلة صغيرة من الريش

الأبيض أسفل العين. شائع في مختلف البحيرات القارية طيلة الشتاء والربيع ومنه عدة وحدات مستقرة في المغرب.

م. رمضاني، *البط*، *معلمة المغرب*، الجزء 4، ص. 1264 ـ 1265 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

**غُطِّيس**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cortes ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Cotes ؛ نسبة إلى مدينة إسبانية تحمل اسم Cortes.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الغفارة** وتجمع أيضاً على صيغة غفارات (*معجم البلدان*) ومفردها غفارة وهي لباس خفيف شفاف يلبس فوق الثياب شبيه بالعباءة إلا أنه أخف منها وأرق (*لسان العرب*) وقد اختص بلباسه منذ العصر الوسيط علية القوم من أفراد المخزن وأعوانه وباقي الأعيان ولبسه الخلفاء الموحدون واختصوا بلون مُعين لا يزاحمهم فيه أحد، لكن بعض السادة والأعيان وبعض أشياخ الموحدين تجاوزوا الأعراف والتقاليد ولبسوا غفائر بألوان الخلفاء فامتعض من ذلك الخليفة يعقوب المنصور، يقول ابن عذاري : "ولما كان الزوال برباط تازة التفت المنصور إلى ساقته فرأى أكثر القرابة من الإخوة والعمومة قد اصطفوا واختصوا لباس الغفائر الزبيبية والبرانيس المسكية فأنكر عليهم ملازمة ذلك الزي لكونه من زي الخليفة في حالتي ركوبه وجلوسه في كل موطن ... فجمعهم (السيد أبو زيد) وذكرهم بعوائد الأمر والمحافظة على آدابه ... ويتجنبوا أفعال الخليفة المختصة به فلم يعد أحد منهم بعد ذلك للباس تلك الألوان المختصة بالسلطان".

وكانت الغفائر ألبسة رفيعة ينعم بها السلاطين على أعوانهم مثل ما فعل أبو يعقوب يوسف الموحدي في إحدى المناسبات "... ثم أنعم عليهم بالكسوة التامة من العمائم والغفائر" (*المن*)، لكن ذلك لا يعني أن هذا النوع من اللباس ظهر في العهد الموحدي، فقد عرفه المرابطون ولبسه أمراؤهم وأعيانهم. لكن الانتشار الواسع لهذا اللباس كان في العهد لموحدي. "... ولما وصل إليها (أغمات) أبو بكر بن عمر بعث إليه (يوسف بن تاشفين بهدية أهداها إليه وكان معظم ما فيها 25 ألف دينار من الذهب ومنها 100 غفارة" (*الحلل*).

ولم تكن الغفائر تستورد إلى المغرب رغم أن أصلها ليس من المغرب. فقد صنعها المغاربة وبرعوا في نسجها وخياطتها كما يفهم من حديث صاحب (*معجم البلدان* عن سجلماسة : "... ولنسائهم يد صناع في غزل الصوف فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الأزر تفوق القصب الذي بمصر يبلغ ثمن الإزار 35 ديناراً وأكثر كأرفع ما يكون القصب الذي بمصر ويعملون منه غفارات يبلغ ثمنها مثل ذلك ويصبغون بأنواع الأصباغ".

اختفى اسم الغفائر في المصادر اللاحقة واختفت الغفارات نفسها، فاللباس الرفيع مرتبط بالازدهار والازدهار مرتبط بالاستقرار وهذا فقده المغرب منذ العصر الوسيط الأدنى.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، بيروت، 1964 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تطوان، 1960، بيروت، 1948 و1985 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء، 1979 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، طبعة مصر، 1906 ؛ ابن الزيات، *التشوف*، الرباط، 1956 و1984 ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، فانيان الجزائر، 1924 وورقات محمد المنوني ؛ المقري، *أزهار الرياض*، نشر اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، *معجم لسان العرب*.

محمد حجاج الطويل

**الغلاسة** (Galléasse) أو الجلاسة، سفينة من الأنواع المتوسطية المجذافية شائعة الاستعمال منذ القرن 9 / 15، وهي أثقل من القادس وأكثر السفن الطويلة شبهاً بالمراكب الدائرية. ولذلك اعتمدت منذ القرن 10 / 16 في أساطيل شمال إفريقيا كنوع انتقالي بين القادس المجذافي والغليون الشراعي، لا سيما وقد جهزت بثلاثة صوار وبتجسير الهيكل. وبمقابل هذه الامتيازات اتسمت بطول وعرض

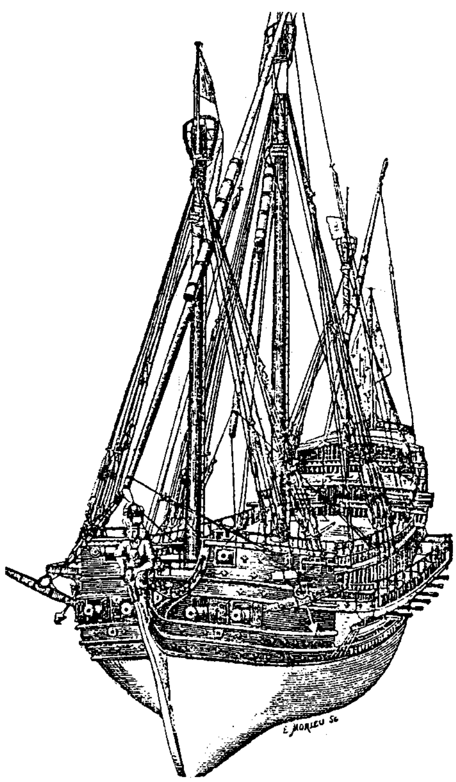

وارتفاع واضح، مما كان له تأثير كبير على بطئها وعلى صعوبة تسييرها، وعدم ملاءمتها بالتالي للعمل في الأعماق الضحلة، مما سيجعلها أقل حضورا في الأسطول المغربي خلال القرن 11 / 17، ومن ثم اندثارها تماما.

النخيلي، *السفن الإسلامية*، ص. 27.

A. Du Sein, *Histoire de la marine de tous les peuples*, éd. Firmin/Didot, Paris, 1879, p. 38 ; Stanley Lane Poole, *The Barbary corsairs*, Darf publishers ltd, London 1984 (1e éd. 1890), p. 206 note et 231.

حسن أميلي

**غلايب**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس من أفرادها : عبد الله بن قاسم غلايب فقيه كان ناظراً على أحباس جامع سيدي بن مسعود العيون سنة 1059 (1649) وقد تولى خطة العدالة بالمدينة سنة 1071 (1661).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الغلاّوي، محمد بن عبد العزيز** بن حَامَّنّ الغلاّوي. ولد بشنقيط حوالي سنة 1284 / 1867. أخذ العلم على يد عمه ابن حَامَّنّ. لما قدم على الشيخ ماء العينين اتخذه قاضيا له وأستاذاً لأبنائه ومريديه وكاتبا من كتابه. شارك في كثير من المعارك التي شنها أبناء الجنوب المغربي في الصحراء على الجيش الفرنسي في أدرار كالمينان ودامان وانيملان واگجوجت وغيرها. بعد وفاة الشيخ ماء العينين ظل يمارس نفس المهام التي كان ينهض بها في السمارة، فلازم الشيخين أحمد الهيبة ومربيه ربه. كما مارس التدريس في مسجد إيفني، وظل بها إلى أن توفي في العاشر من ذي القعدة سنة 1375 / 1955.

خلف عدة أعمال أدبية وعلمية منها بعض *الأجوبة الفقهية* وكثيراً من الأشعار في الحكم والأمداح النبوية والإخوانيات وغيرها، توجد عند ابنه السيد ماء العينين مربيه ربه بآيت المقدم بوجان ناحية تزنيت.

ترجم له : الشيخ أحمد بن الشمس في *النفحة الأحمدية*.

الشيخ النعمة في كتابه، *الأبحر المعينة*، ج 1، ورقة، 43 ؛ أ. المختار السوسي من كتابه، *المعسول*، ج 4، ص. 299.

محمد الظريف

**الغلاّوي، محمد بن عبد الله** ولد سنة 1327 / 1908 بمنطقة حاسي البيّض بشنقيط. تلقى تكوينه الأول في قبيلة الأغلال التي ينتمي إليها، وعندما اجتاحت القوات الفرنسية بلاد شنقيط هاجر إلى الساقية الحمراء وانخرط في حركة الجهاد التي عرفتها أقاليم المغرب الجنوبية ضد الوجود الأجنبي. تولى القضاء ضمن مجموعة من الفقهاء الذين عرفتهم الصحراء مثل الشيخ محمد بن عبد العزيز ولد حامَّنّي وسيدي عثمان ابن حسن وماء العينين بن العتيق والشيخ يحجبُ بن خطر وولد حيْبَلتِي ومحمد عبد الرحمان الرّباني وغيرهم.

توفي يوم 16 فبراير 1976 عند جبل بولوتاد (60 كلم غربي أو سرد) ودفن به.

له ديوان شعر كان ينوي جمعه يتناول مختلف أغراض الشعر العربي ورحلة نظم فيها رحلة الشيخ محمد الإمام إلى تطوان سنة 1947 لمقابلة الخليفة السلطان ورجال الحركة الوطنية.

م. الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 403، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه، 2003.

محمد الظريف

**الغلاّوي، يحظيه** ولد سنة 1921 بطرفاية من والده عمار بن الغلاوي وأمه مريم بنت إبراهيم.

التحق بصفوف جيش التحرير منذ انطلاقته بمركز سيدي إفني حيث عمل تحت قيادة إدريس بن بوبكر. وقد شارك في عدة معارك من بينها معركة تلوين وبريغث وثلاثاء صبويا، وبعد أن أحرز المغرب على استقلاله انضم إلى صفوف القوات المساعدة إلى أن أحيل على التقاعد.

وافته المنية يوم 30 شتنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 526750.

**غَلْيَان**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Galian وGaliana ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الغليوطة** (Galiote) تدعى أيضا قليوطة. وهي في الأصل مركب مجذافي - شراعي خفيف شاع استعماله

متوسطيا منذ القرن 6 / 12 م، وكان من الأنواع الأكثر ملاءمة للعمل في الأعماق الضحلة وفي مراسي المصبات، بسبب غاطسه الضعيف وسرعته الفائقة وانقياده السهل، واعتماده في الأساس على قوة المجاذيف بمقابل تجهيزه بصار واحد.

وقد تم تبني الغليوطة في المساحلة منذ أواخر القرن 10 / 16 م، وفي اختراق مياه المحيط مع نشاط الأسطول الجهادي في القرن الموالي، بعد إخضاعها لتحسينات وتحويرات مست أبعادها، بالتقليص من طولها الذي كان يصل إلى خمسة وعشرين مترا، مع الاحتفاظ بعرضها الأصلي (حوالي ثمانية أمتار ونصف)، الأمر الذي جعلها تبدو شبه دائرية وأكثر خفة، من حيث عدم تجاوز حمولتها المائة طنة إلا نادرا. وهكذا أصبحت أكثر قدرة على احتواء طاقم يتراوح بين مائة ومائة وعشرين بحارا، وبقوة مجذافية تتراوح بين ستة وعشرين وثمانية وثلاثين مجذافا، يسير كل منها رجل واحد.

وقد أصبحت الغليوطة مع توالي مواسم القرنين 11 و12 / 17 و 18 نوعا رئيسيا ضمن وحدات الأسطول المغربي، لا سيما في مرافئ الشمال (تطوان وطنجة)، وتطورت نسبة تمثيليتها من 33٪ من حجم الأسطول في سنة 1680 (5 / 15 مركبا) إلى 50٪ في سنة 1112 / 1700، الشيء الذي حافظت عليه أواخر عهد سيدي محمد بن عبد الله، حتى أضحت تسميتها تطلق جزافا على مختلف أنواع السفن متوسطة الحجم.

مارمول، *إفريقيا*، ج 2، ص. 189 ؛ ومجهول، *الرئاسة*، ص. 1 ـ 2 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 8، ص. 70 ؛ وابن زيدان، *إتحاف*، ج 3، ص. 258 ـ 60.

Chenier, *Journal*, p. 103-104, 111-112, 117-118 ; *Recherches*, p. 244 ; *S.I.H.M.* 2 France, T. I, p. 516 ; T. IV, p. 231 note 511 ; Lane Poole, *The Barbary*, p. 218.

**الـغليـون** (Gallion) أو القليوم، من المراكب الدائرية عالية السطح والمعدة للعمل في أعالي البحار. وهو في

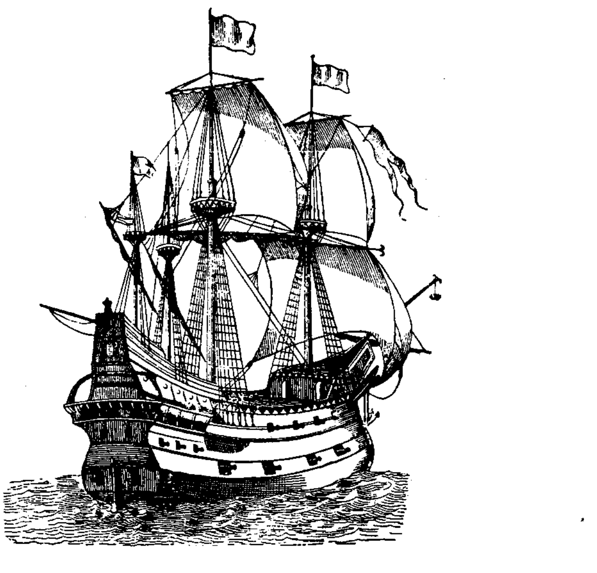

الأصل سفينة تجارية ضخمة اعتمدت منذ أواسط القرن 10 / 16 كمركب أكثر كفاءة وقوة ـ قياسا بالكرافيل ـ للربط بين إيبيريا ومستعمراتها الأمريكية والأسيوية، خاصة وأنها كانت أكثر تصرية من باقي السفن الكبرى الأخرى. وقد اعتمدت سفينة الغليون في البحرية المغربية خلال القرن 11 / 17 بعدما تعرضت لتعديلات هامة على مستوى الحجم والحمولة، واقتصر في تصريتها على صاريين إلى ثلاثة، وعلى طاقم لا يتعدى مائة رجل. لكنه رغم ذلك كان ثقلها لا يتناسب وطبيعة المراسي المحلية، مما جعل اعتمادها ضعيفا ومتوقفا على فترات استثنائية من القرن المذكور.

النخيلي، *السفن الإسلامية*، ص. 112 ـ 114.

Champs, *Pirates et flibustiers*, p. 30.

حسن أميلي

**غمارة** ، اسم دال على حلف قبلي تابع لبربر مصمودة بالشمال وعلى مجال جغرافي جبلي جد فسيح مساحته وحدوده غير ثابتة ولامضبوطة من الوجهة التاريخية، فبلد غمارة في المصادر خضع للتوسع تارة وللتقلص مرات أخرى، تبعا للظروف السياسية السائدة. ويبدو الاضطراب في تحديد المجال فيما نستخلصه من المصنفات الجغرافية القديمة وخلاصات بعض المؤرخين، فغمارة حسب البكري كانت تعني المنطقة الممتدة من طنجة غرباً إلى سهل نكور شرقاً، غير أن هذا التحديد لا يعني سوى الجانب الطولي، وهوبذلك يفتقر إلى تعيين الحد الجنوبي الغماري، المشار إليه فقط بجبال الكواكب، كما في *نزهة المشتاق* للإدريسي.

وربما كان التحديد الذي وضعه ابن خلدون لمنطقة غمارة أهم من التحديدين السابقين، فغمارة في نظره "تمتد من عن يمين بسائط الغرب من بلاد غساسة فنكور فبادس فتجساس فتطاوين فسبتة فالقصر إلى طنجة خمس مراحل أو أزيد، أوطنوا فيها جبالاً شاهقة اتصل بعضها ببعض، سياجا بعد سياج خمس مراحل أخرى في العرض إلى أن ينحط إلى بسائط قصر كتامة ووادي ورغة من بسائط الغرب".

وإذا تجاوزنا ما هو من قبيل المبالغة في تقدير ابن خلدون بإدماجه كل من غساسة ونكور وبادس وما لم يشر إليه تجاوزاً أو اختصاراً فيما يخص مثلاً المساحة الواقعة بين تجساس وتطوان، وإذا استثنينا كذلك الأراضي التي كانت تشغلها صنهاجة وكتامة، واستفدنا مما ذكر البكري والإدريسي وجدنا أن أراضي غمارة هي التي كانت تمتد جهاتها الأربع من البحر المتوسط شمالاً وبوغاز جبل طارق غرباً وبادس شرقاً وبسائط الغرب وورغة جنوباً أو ما كان يعرف خلال الفترة الرومانية بموريطانيا الطنجية.

وبتأملنا في تقدير ابن خلدون الطولي والعرضي لمجال غمارة، يمكننا مقاربة المساحة الداخلية المتميزة بجبالها وعناصر سكانها وجرد أسماء القبائل المنضوية في حظيرة الكتلة الغمارية القديمة وهي (مجكسة وتجساس وبني سعيد وبني حزمار وأنجرة وواد راس وبني زكار وغزاوة وبني أحمد

وبني زروال وبني مشارة وبني بوزرة وبني جرير وبني سميح ومتيوة وبني رزين وبين منصور وبني سلمان وبني سدات والأخماس وبني بوشداد وبني مصور وجبل حبيب وبني عروس وبني جرفط وسماتة وبني يسف وأهل سريف).

وبعد عصر ابن خلدون توزع مجال غمارة حسب التقسيم الإداري الوطاسي بين إقليمي الهبط والريف التابعين لمملكة فاس، وهو يشمل حسب الوزان مساحة ناحية الهبط التي تبتدئ جنوباً من نهر ورغة لتنتهي شمالاً على المحيط وتتاخم غرباً مستنقعات أزغار وشرقاً الجبال المشرفة على أعمدة هرقل. وكلما تقدمنا في الزمن ازداد مجال غمارة في التقلص، لينحصر خلال الفترة المعاصرة في مساحة ضيقة، بين الشاطئ الغربي من البحر المتوسط، وجبل تيزاران الفاصل الطبيعي بين غمارة وكتامة وبني أحمد وبني زروال.

وكانت تتقاسم هذا المجال قبل التقسيم الإداري الاستعماري قبائل جبلية صغيرة هي من الغرب إلى الشرق (أسراس وبنو زيات وبنو بوزرة وبنو جرير وبنو سميح وبنو سلمان وبنو مصور وبنو زجل وبنو خالد وبنو رزين) احتفظت بانتمائها لغمارة القديمة، يحدها من الشمال واد لو ومن الشرق واد أرنيغة. والملاحظ أن هذه القبائل اندمجت خلال القرن الثامن عشر والتاسع في قبيلة واحدة هي غمارة التي كانت تابعة من الناحية الإدارية لعمالة تطوان.

أبو عبيد الله البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، باريس، 1985، ص. 100 ـ 102 ـ 104 ـ 108 ؛ م. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، باريس، 1965، ص. 10 ؛ عبد الرحمان بن خلدون، *العبر*، الجزء 6، ص. 436، لبنان، 1983 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الجزء 2، تح. م. حجي وم. الأخضر، ص. 237، الرباط، 1980.

محمد عمراني

**الغماري، أحمد** بن محمد بن قاسم الغماري الحسني، ينتمي إلى أسرة إدريسية النسب انتقلت إلى المنطقة منذ القرن العاشر (16 م)، وهو جد الأسرة الصديقية الغمارية التي اشتهرت بالعلم والتصوف. كان من تلاميذ الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، ومن الشيوخ المربين بجبال غمارة. ألف كتاباً في آداب المريدين وعدة رسائل في التصوف. تفرغ للتربية الصوفية في زاوية أسسها بتجكان بمنطقة غمارة. من تلاميذه الشيخ الهاشمي بوزيد.

أ. بن محمد بن الصديق، *التصوف والتصديق بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق*، القاهرة، ط. 2، 1980، ص. 15 ـ 17.

**الغماري، مرزدغ.** على إثر وفاة عبد المومن بن علي الكومي، أعلنت بعض قبائل غمارة الثورة ضد الدولة الموحدية مستغلة غياب هذا الخليفة الشديد الذي قمع خلال عهده عشرات الثورات في جميع أنحاء دولته الشاسعة. وقد انطلقت ثورة غمارة سنة 559 / 1164 بزعامة شخص يدعى مرزدغ الغماري الصنهاجي، من صنهاجة مفتاح حسب ابن أبي زرع. أما البيذق الموالي للموحدين فأورد اسمه بصيغة التصغير "مريزدغ" تحقيراً له.

كان مرزدغ من شيوخ وكبراء صنهاجة، أعلن عصيانه في واگرارن ثم تغلب على المنطقة المجاورة له بمن التف حوله من جموع غفيره من صنهاجة وغمارة وأوربة. وحاول توسيع دائرة نفوذه إلى الجنوب فزحف في اتجاه فاس، ووصل إلى بني تاودا على مقربة منه فعاث فيها فساداً وقتل كثيراً من أهلها لرفضهم الانصياع له.

تميز هذا الثائر عن غيره من ثوار عصر الموحدين بإقدامه على ضرب السكة باسمه وكتب عليها "مرزدغ الغريب، فتح الله قريب"، مما يعطي الانطباع بأن هذه الثورة كانت تحمل مشروعاً سياسياً، ولاشك أنها استفادت من تجارب الانتفاضات المتتالية التي عرفها جبل غمارة.

تختلف المصادر حول نهاية مرزدغ الغماري، فابن أبي زرع يقول إنه قتل وحمل رأسه إلى مراكش. لكن الراجح هو ما ذكره البيذق المعاصر للأحداث والمقرب من الموحدين، حيث قال بأن الخليفة يوسف بن عبد المومن أرسل إلى الثوار جيشا بقيادة الشيخ يوسف بن سليمان (من أهل الجماعة) فقاتلهم حتى بدد قواتهم، ثم أذعن مرزدغ للتوحيد، وسمح له بالجواز إلى الأندلس، فنزل قرطبة، لكننا لم نسمع عنه بعد ذلك.

وليس مستعبدا أن يكون الموحدون قد سلكوا مع الثائر الغماري مسلك العفو اعتباراً لمكانته في قومه، وللحيلولة دون انتشار التوتر خارج المنطقة، في وقت كان على الخليفة الجديد فيه أن يحسن ترتيب أوراقه لمواجهة ما تفرضه تحديات الحكم.

*البيذق* ، أخبار المهدي بن تومرت، تح. د. عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 1986، ص. 126 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس* ، الرباط، دار المنصور، 1973، ص. 209 ـ 210 ـ 264 ؛ الناصري، *الاستقصا* ، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1954، 2 : 147.

محمد المغراوي

**غمران، محمد** ولد بمدينة الدار البيضاء سنة 1923. كان من المقاومين الأوائل الذين هبوا إلى ميدان الكفاح والمقاومة من أجل تحرير البلاد وحصول المغرب على استقلاله حيث شارك في العديد من العمليات الفدائية التي استهدفت ضرب مصالح المستعمر وطرد فلوله من التراب الوطني.

توفي يوم 13 شتنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503140.

**الغمّاد، محمد** بن علي الوجدي، كنيته أبو عبد الله، ولقبه الغماد، لا نعرف من خلال المصادر التي ترجمت له أو أشارت إليه سنة ميلاده أو ظروف نشأته بمدينة وجدة، وإن كانت اهتمت باسمه وكنيته ولقبه، وهو نفسه يعتز

بانتمائه إلى مدينة وجدة، وفي ذلك يقول أثناء مدحه للأمير المأمون السعدي :

وإليكها يا ابن الرسول خريدة عذراء ترفل في إزار وقار
وافى بها الوجدي عبدكم وقد فلت حجاه صوارم الإقتار

ويشير صديقه المؤرخ الأديب محمد بن يعقوب الآيسي إلى انتسابه إلى مدينة وجدة في قوله :

تألم هذا القلب من ألم الوجد ولا غرو في وجد أتانا عن الوجدي
فتى العلم والآداب والخط والحجى ونظم القريض والسيادة والمجد

صنفه الدكتور محمد حجي ضمن أعلام مدينة وجدة، عندما تحدث عنها كمركز من مراكز العلم في عهد السعديين، فهي : "لم تخل من حلقات التدريس ـ على قلتها ـ ولم تعدم علماء أعلاماً من أبنائها أمثال محمد بن علي الوجدي الغماد"، ويذكر الدكتور حجي أنه لقب بالغماد تمييزاً له عن عالمين آخرين من المدينة هما أحمد بن المهدي الوجدي (ت. 930) وأحمد بن جوهر الوجدي (ت. 1000)، أما المقري وقد لقيه بمدينة فاس فقال : "إنه من أهل فاس"، والمرجح أن غلبة كنية الوجدي عليه تأكيد لانتسابه إلى المدينة وهو بمدينة فاس، إذ وفد عليها طلباً للعلم والشهرة، فنعته أبناء فاس بالوجدي فيما يظهر.

في مدينة فاس، يتألق نجم هذا الشاعر، وفيها يلتقي بأبي العباس أحمد المقري سنة 1009، في رحلته الأولى، فأعجب به، وروى شعره مشافهة، وسجل ما رواه في كتابه : *روض الآس*، وهو المصدر الوحيد الذي حفظ لنا شعره من الضياع. وعن هذا اللقاء، يقول المقري : "لقيت هذا الفاضل حفظه الله بفاس، وأولاني من بساتين إيناسه زهر صفاء عاطر الأنفاس، وسلاني عن الأهل والوطن والإخوان، وشربت من عقار براعته، فها أنا من ذلك نشوان"، تفيد هذه التحلية أن الشاعر الوجدي كان من فرسان البلاغة وأمراء الشعر، فلم يكن سنة 1009 في سني الطلب الأولى، وإنما وفد إلى فاس شاعراً قد نال قصب السبق، راغباً في الحظوة عند الأمير المأمون، ومن ثم سيخصه بمدائحه وأشعاره. وعلى الرغم من علو كعبه، فإنه ـ كما يشير إلى ذلك المقري ـ سيأخذ العلم عن علماء منهم، القاضي الحميدي والشيخ القصار وعن الوزير الغساني وغيرهم، مع "مشاركة حسنة في العلوم". حلاه المقري بقوله : "الكاتب البارع، الذي سن البدائع وشرعها، وولد عقائل المعاني واخترعها، وافتض أبكار المحاسن وافترعها، حاز قصب السبق في النظم والنثر"، كما يحظى بتحلية المؤرخ القادري في كتابيه، *الإكليل والتاج* و*نشر المثاني* : "فهو الفقيه الأديب، العلامة المشارك".

يذكر المقري أن الوجدي ترك مؤلفات نثرية نعتها بقوله : "أما نثره فغاية في بابه، وقد ألبسه البيان من جلبابه"، أما مؤلفاته فلم يبق منها غير أسمائها وهي :

ـ *تميمة الألباب وزتيمة الآداب*، قال عنه المقري : "أجاد فيه غاية، كتاب عظيم، جامع للأدب، اشتمل على فنون شتى".

ـ *الألباب الطائشة في مناقب أم المؤمنين عائشة*

ـ *العنبر الشحري فيما أنشدنيه صاحبنا أبو العباس المقري*

ـ أما شعره، فيمكن اعتبار *روضة الآس* أهم مصدر حفظ لنا شعره من الضياع، وإن لم يكن كل شعره، ذلك أن ما أورده المقري منتقيات أعجب بها وأشعار لقيت من نفسه هوى فسجلها، لذلك لا يمكن اعتبار ما في *روضة الآس* من الأشعار هو كل شعر الغماد، إضافة إلى أن المقري لم يخبرنا إن كان له ديوان شعري أم لا ؟ كما أن المصادر الأخرى التي أشارت إلى الوجدي إشارات عابرة لم تشر إلى الديوان، وأغلب الظن أن الديوان ضاع كما ضاعت الكثير من الدواوين الشعرية في العصر السعدي عندما وقعت القرصنة على الخزانة الزيدانية بعد تنازع أبناء المنصور على السلطة، أو أن الإهمال لحقها ـ أي الدواوين الشعرية ـ فضاعت، أو أنها ما تزال مجهولة المظان في خزائن خاصة. وقد عملت على صنع ديوانه وتصنيفه في أطروحتي الجامعية *الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي*، وقد توزعت أشعاره بين المدح والغزل والوصف، إضافة إلى قصائد ومقطوعات في موضوعات مختلفة.

أجمل ما في شعره قصائده الغزلية، فيها يحكي عن تجربة ومعاناة، وعن أجمل ما في الحب، وعن الحبيب وصباحته وملاحته، وعن غنجه ودلاله، إلى غير ذلك.

وللوجدي موشحة يتيمة في الغزل أوردها المقري في *روضة الآس*، ولاشك أن له موشحات أخرى إلا أنها ضاعت كما ضاع شعره، وكما ضاع كتاب مدد *الجيش* للفشتالي الذي جمع فيه أزيد من ثلاثمائة موشحة لم يصلنا منه غير إحدى عشرة موشحة.

ويعتذر المقري عن عدم إيراد موشحات أخرى للوجدي بقوله : "وموشحاته التي خجل منها ابن زهر، وهي كثيرة".

أ. المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، تح. جماعة من الأساتذة، ج 4 : 302 ؛ *روضة الآس*، ص. 71 ـ 99 ؛ *الإكليل والتاج*، م. خ. م، الورقة 39، القادري، *نشر المثاني*، ج 1 : 261 ؛ الإفراني، *نزهة الحادي*، طبعة حجرية، ص. 167 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، ج 2 : 432 ؛ المقري، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، ج 6 : 58، كناشة الزجالي، م. خ. ع ؛ عبد العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا للفشتالي*، تح. عبد الله كنون، *شعر عبد العزيز الفشتالي*، ن. المريني، *الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي*، ص. 311 ـ 351.

نجاة المريني

**الغمّاس** أو **الغمّاسة** كما في اللغة والمعاجم، طائر بحري كبير الجثة حسن المنظر من رتبة كفيات القدم وفصيلة Gaviidae، يألف أعالي البحار بالمناطق الباردة بالقطب الشمالي وأوروبا الغربية وينزح في فصل الشتاء إلى البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي بشمال المغرب. سمي بالغماس لكثرة انغماسه في الماء مدة طويلة ولا يذكر له اسم في المغرب لندرته وقلته.

يسمى علميا Gavia stellata وبالفرنسية Plongeon catmarin وبالإنجليزية Red throated diver وبالإسبانية Colimbo chivo وبالإيطالية Strolaga minore. يتميز بريش رمادي على جوانب العنق والظهر والجناحين وأسود على الجانب الخلفي للجناحين. تظهر على عنق الذكور في فصل الصيف خصلة من الريش الأشقر، ذيله قصيرجداً يحمل غدداً تفرز مادة زيتية تجعل الريش كتيمة. للقوائم أربعة أصابع، ثلاثة منها ملتحمة بواسطة غشاء سباحي والرابع الخلفي حر. يحسن الطيران والسباحة والغطس ليبحث عن الأسماك

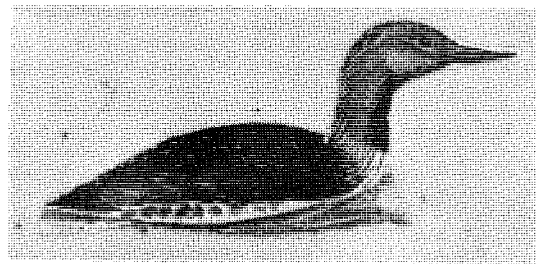

البحرية. يبلغ طول بسطة الجناحين 97 ـ 110 سم وطول الجسم 53 ـ 61 سم وتزن الكبيرة 800 ـ 1750 غرام. وهو طائر يفضل العزلة ومنه عدة أفراد أوروبية تشتي في أعالي البحار المتوسطية والأطلنطية بين الدار البيضاء وطنجة ولا يقترب من الشواطئ إلا نادراً. كل المجموعات تتوالد في أوروبا الشمالية والقطب الشمالي منذ مايو إلى يونيو حيث تغادر البحار وتعيش في البحيرات القارية والشاطئية بالمناطق الاسكندنافية. توضع الأعشاش متقاربة على ضفاف البحيرات وتفرش بالأغصان اليابسة وقطع أوراق الأعشاب. يبلغ عدد البيض 2، طول القطر 7.4 سم وتزن 100 غرام. يحضن البيض بالتناوب مدة 24 ـ 29 يوما. يعدّ من الطيور النادرة في المغرب ويصعب تمييزه بين الطيور البحرية في أعالي البحار.


م. رمضاني، *البط*، *معلمة المغرب*، الجزء 4، ص. 1264 ـ 1265 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p.


محمد رمضاني

**الغنباز** (لباس -) يجمع على غنابيز، لا وجود لذكره بالقاموس، كما أن مفهومه الأمازيغي بعيد عن التعريف الوارد في المصادر فإنها تجعله نوعا من اللباس يختلف شكله وطريقة ارتدائه من بلد إلى آخر.

ذكره المقري، وهو يتحدث عن أبي عثمان سعيد بن حكم القرشي حاكم منورقة فحين ركب هذا الأخير حصانه بمعية أحد ضيوفه نظر لحمالة سيف ضيفه قد أثرت في عنقه، فأمر له بإحسان وغنباز وكتب معه :

حمالة سيف توهي جيد حاملها ... لا سيما يوم إسراع وإنجاز
وخير ما استعمل الإنسان يومئذ لجسم ... علتها لباس غنباز

وكان الغنباز من جملة الألبسة التي غنمها المغيرون البرتغال من بيوت دواوير بسهل أزرو السوسي، حيث أخذوا "البدن والأخنفة والملاليط والجلاليب والغنابيز".

وفي المشرق العربي ذكر الغنباز في الكتابات الأجنبية.

ونخلص إلى أن الغنباز صنف من الملبوس ميز الحضارة العربية الإسلامية، واستعمل في بلاد المغرب والأندلس لوقاية العنق من تأثيرات حمالة السيف وهو من صوف خشن أو من جلد. كما لا يستبعد استعماله في البلدان ذاتها كملبوس قصير.

وفي المشرق عرف الغنباز بكونه رداء أعيان أهل البادية. يتميز بكونه يغطي الجسم كله وهو من حرير أو من قطن ويلبس فوق القميص القطني الخشن. وارتدته كذلك نسوة مدينة بيروت.


Al Makkari, *Histoire d'Espagne* ; R. P. A. Dosy, *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes*, Amsterdam, 1845, p. 324 - 326 ; *Chronique de Santa Cruz du Cap de Gué*, texte portugais du XXI sicèle, traduit et annoté par Pierre de Cenival, Paris, 1934, p. 38 et 39.


**الغنباز** (نبات -) يعني باللغة الأمازيغية نوعا من الزهور البرية لونها ما بين الأحمر والأصفر وعندما تزهر تشبه القرنفل. كما يزرع الغنباز في البيوتات المغربية التقليدية بمعية زهرة الحَبَق وتصنع منه كذلك العطور.

حليمة بنگرعي

**الغنبور**، لفظة أمازيغية أصلها "أغنبور". والكلمة لا علاقة لها في اللغة العربية بالخمار الذي يدل على ما تغطي به المرأة رأسها دون وجهها.

والغنبور منديل من ثوب أو قطن أو كتان أو حرير أو غيره، طوله وعرضه لا يتعدى نصف متر، لونه أسود داكن وغير شفاف في الغالب الأعم، حتى لا يكشف عن فم المرأة وشفتيها وملامح وجهها. وهو يغطي مطلع العنق والرقبة وكل الوجه باستثناء العينين، وقد يغطي عينا ولا يترك إلا واحدة للنظر. يُشَد طرفه الأيسر إلى الأيمن بقطعة خيط تُمرر من موضع القفا في مؤخرة الرأس، ويمدد فوق كل المحيا بكيفية تطمس ملامح الوجه ولا تمنع التنفس. وقد كان هذا الرداء قطعة أساسية في لباس المرأة. ولا يجوز أن تنتزعه سائر النساء وهن خارج البيوت، ماعدا الصغيرات واليافعات من البنات ممن لم تبلغن بعد سن الرشد فلا جناح عليهن في تركه.

وقد بدأ التخلي المرحلي عن الغنبور منذ مطلع النصف

الثاني من القرن الماضي (القرن 20) مع بداية تراجع ارتداء الحائك وتعويضه بالجلبات من لدن المرأة. وما أن حلت الستينيات من القرن (20) حتى تنافست نساء فترة مابعد الاستقلال في تطويره والتغلب على الإكراهات التي كان يفرضها عليهن. وباستمرار البحث عن أنجع الأساليب للتخفيف من إكراهاته استطعن تنويع أشكاله وأحجامه حتى تحول بالتدريج من قطعة كانت مخصصة أصلا لصد نظر الذكور إلى حلية موشاة بأنواع التطريز والتشبيك ومهدلة بالتجديل والتخريم تثير إعجاب الناظرين.

وبعد أقل من ربع قرن من الزمان، ومع توالي اكتساح اللباس الأجنبي لسائر البلدان العربية والإسلامية ومنها المغرب، عزفت الشابات العصريات من النساء ممن التحقن بالعمل خارج البيت للمساهمة في التنمية الوطنية عن ارتداء الجلبات التقليدي الذي حل سابقا محل الحائك وعوضنه بالجلباب بدون قَبٍّ قبل التخلي بصفة نهائية عنه بدوره واخترن "الملابس الرومية" جملة وتفصيلا. وهذا بالضبط هو ما أشار إليه محمد أفيلال في مؤلفه *تنبيه الأكياس* حيث قال: "تنافست نساء الوقت في استعمال أنواع الثياب الباهظة الأثمان السريعة التغيير ... ويا ليتهن اقتصرن على ثياب وطنية بل تراهن يترامين على المنسوجات الخارجية ترامي الفراش على النار":

محمد بن التهامي أفيلال، *تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والأعراس*، تطوان، 1976 ؛ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *حجاب المرأة ولباسها في الصلاة*، دون مكان النشر، 1393 ؛ أحمد ابن طوير الجنة، *فيض المنان في الرد على مبتدعة هذا الزمان*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 3651 ؛ محمد بن عبد الله، ابن المؤقت المراكشي، *الرحلة المراكشية أو مرآة المساوئ الوقتية*، القاهرة، 1351 ؛ فاطمة الزهراء أزرويل، عائشة بلعربي وآخرون، *الجسد الأنثوي*، الدار البيضاء، 1990 ؛ محمد المهدي الحجوي، *المرأة بين الشرع والقانون*، الدار البيضاء، 1967.

André Adam, *Casablanca, essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'Occident*, Paris, 1972 ; Fatna Aït-Sebbah, *La femme dans l'inconscient musulman*, Paris, 1982 ; M. Alahyane, A. Belarbi [et al.], *Portraits de femmes*, Casablanca, 1987 ; Navarro Albarracine, *El Haik en la zona atlantica del marruecos*, español, Tetuan, 1954 ; Henri Amic, *Le Maroc hier et aujourd'hui*, Paris, 1925 ; M.M. Barde, *Coiffures féminines du Maroc*, Aix-en-Provence, 1990 ; Martine Bertrand, *Le voile et les parures, essai sur le regard du Maghreb*, Université de Paris 10, 1981.

محمد بوسلام

**الـغَنْدُورْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Gandur ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الـغندور** (سيدي -) صاحب الضريح بالركن الأيمن للداخل من باب الأحد بالرباط بين السورين القديمين الموحدي والأندلسي، ولعله أندلسي. اشتهر بلقب الغندور. والغندور يعني لدى المغاربة ذو النخوة والإباية.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 453.

عبد الإله الفاسي

**الـغنم** مجموعة سلالات وضروب من جنس الضأن باعتبار المعز جنسا مستقلا. وتشمل كلمة الغنم في اللغة الضأن والمعز إلا أنها في الدارج تتضمن الضأن فقط وتسمى الأنثى المسنة النعجة أو الشاة، تجمع على شياه وأشوه ؛ ينعت الذكر المسن بالكبش والخروف للصغير في السنة الأولى من عمره. تدعى صغار الغنم والمعز في اللغة سخلة ذكراً كان أم أنثى بعد الولادة (ج. سخال) ثم تصير بهمة (ج. بهم وبهائم). والغنم من الحيوانات الأهلية اللبونة العاشبة المجترة الصغيرة تصنف إلى فصيلة الغنميات Ovidae وتسمى علميا ضائن Ovis aries . وهي حيوانات لبونة من الحافريات مزدوجات الأصابع. تتميز الذكور بقرون قوية وملولبة والإناث المسنات بقرون قصيرة ومنحنية قليلا إلى الوراء.

تتوفر معدة الغنم على أربعة جيوب، الخطم طويل وضيق، الأذنان مستدقتا الرأس، الذيل طويل نسبيا والدسم مغطى بالصوف. ويتوفر الفم على شفتين متحركتين وعلى أسنان غير متكاملة تنقصها الأنياب والقواطع العلوية وعددها 32 سنا صيغتها كالتالي :

3/0 قواضم، 1/0 أنياب، 3/3 قواضم أمامية، 3/3 أضراس = 32 سنا.

يبلغ الطول الأقصى للجسم جمعا بين الرأس والجسد 1,5 ويختلف الوزن بين الذكور والإناث وكذلك بين السلالات.

يرجع انحدار أصل الضأن إلى نوع الأروية الشرقية Ovis ammon orientalis وقد أثبتت علوم الأثريات أن تاريخ علاقة الإنسان بالغنم يرجع إلى حوالي 11000 سنة قبل ميلاد المسيح، وأكدت الأبحاث أن أول علامات تدجين الضأن الوحشي ظهر في الشام بشمال العراق. تعتبر سلالة ضأن الشام Ovis aries asiaticus من السلالات الأولى التي انتشرت في الشرق الأوسط في البداية ثم في إفريقيا وأوروبا عن طريق التبادل التجاري وتربية المواشي عند القبائل الرحل.

تطورت طريقة تدجين الضأن مع تطور الفلاحة في عهد الفراعنة والرومان ونتج عن هذا التهجين فرز وعزل عدة سلالات لتلبية حاجيات الإنسان من اللحوم والحليب والجبن والصوف والجلد. وتعرف حاليا للغنم حوالي 350 سلالة في العالم منها أزيد من 800 ضروب محلية تأقلمت في مناطق

معينة حسب معطيات المناخ. طور الإنسان تربيتها بطريقة علمية ليرفع من إنتاجها ويلبي مختلف الحاجيات البشرية.

ومن أشهر السلالات في العالم سلالة مرينوس المنتجة للصوف الممتازة. مهدها إفريقيا الشمالية ثم إسبانيا حيث تم انتقاؤها في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وتعيش حاليا في أستراليا ونيوزيلندا وأمريكا الجنوبية وإفريقيا الجنوبية وتمثل حوالي 50٪ من مجموع رؤوس الغنم في العالم.

تختلف مرحلة التوالد بين السلالات وتدوم مدة الحضانة حوالي 5 أشهر. يبلغ عدد الصغيرة بين 1 - 4 وتعمر زهاء عشرين سنة.

تعد السلالات المعاصرة نتيجة انتقاءات وتصالبات بين مختلف الضروب قام الإنسان بتحقيقها عبر آلاف السنين. تنحدر مجموعة السلالات والضروب التي تعيش في المغرب إلى صنف الضأن الشحمي الذيل الذي يتميز بخزن كمية كبيرة من الشحم في الرداف والذيل وبإنتاج قوي للحليب. خيوط الصوف شديدة الالتواء ومتوسطة الغزارة. يوجد هذا الصنف في إفريقيا والشرق الأوسط وآسيا الجنوبية الغربية.

وتربى ستّ سلالات وعدة ضروب منذ زمن بعيد في مختلف مناطق الرعي المغربية :

- السردي أو الصردي : كما هو شائع في المغرب، سلالة من الضأن مشهورة في مناطق الشاوية، مهدها على وجه الحصر هضاب الفوسفات وسطات وقلعة السراغنة وبني ملال وخريبگة. تتميز بقامة كبيرة يفوق ارتفاعها عند الغارب 60 سم ويبلغ وزنها 70 - 80 كغم للذكور و45 - 50 كغم للإناث. تربى أيضا في السهول الساحلية لمغربية. يتراوح عدد رؤوس هذه السلالة في المغرب بين 70000 - 80000.

- بن حسن : سلالة تعيش على سهول الغرب وغابة معمورة، تتميز بقامة كبيرة وبصوف بيضاء مكثفة تغطي سائر الجسم. تقلص عدد رؤوس هذه السلالة بسبب تقلص المراعي وتحولها إلى أراضٍ فلاحية سقوية بسهول الغرب.

- الدمان سلالة من الغنم تربى على وجه الحصر في الهضاب والسفوح الجنوبية للأطلس الكبير والصغير وخاصة منها مناطق الرعي على حوض وادي زيز ووادي درعة وواحات وارزازات وتافلالت. قامتها صغيرة، وإنتاجها للصوف ضعيف نسبيا ؛ يختلف اللون من فرد لآخر : أسمر داكن، أبيض موحد، أسود موحد، أسود وأبيض، أسمر وأبيض. تتميز سلالة الدمان بخصب مرتفع في التكاثر يبلغ 220 - 280٪ إذا توفرت لديها الظروف المناسبة للعيش والاعتناء الكامل. يتوالد طول السنة ويتراوح عدده في المغرب بين 60000 - 90000 رأس تربى لاستهلاك لحومها وتعتمد تربيتها أساسا على الرعي وأكل الفصة التي يخصص لها الفلاحون حوالي 30٪ من مساحة المزروعات السقوية في الواحات. تجنى الفصة 8 مرات في السنة وتقدم للغنم طول ا لسنة مباشرة بعد جنيها أو يحتفظ بها ككلأ جاف.

- بوجعد : سلالة غنم تعيش على وجه الحصر في ضواحي دائرة أبي الجعد ويتراوح عدد الرؤوس في السنوات الأخيرة بين 35000 - 45000 . القامة كبيرة والصوف بيضاء مصفرة رقيقة. تتوفر على إنتاج جيد للحوم وللصوف.

- بني كيل : سلالة شائعة على الهضاب العليا الشرقية الممتدة من فكيك إلى وجدة وسهول ملوية العليا وكرسيف وتاوريرت وميدلت وبولمان وتازة. تتميز بصوف بيضاء مصفرة خالية من البقع السوداء وبرأس وقوائم سمراء بنية داكنة. متوسطة القامة يبلغ وزن الذكور 50 - 78 كغم والإناث 30 - 40 كغم، يبلغ العلو عند الغارب حوالي 60 سم. جودة لحومها الممتازة ترجع إلى تناولها لأعشاب الشيح التي تتوفر عليها مناطق الرعي في المناطق الشرقية من البلاد. يفوق عدد رؤوس هذه السلالة في المغرب 000 500 1.

- تيمحضيت أو تيمحديت : سلالة هضاب وجبال الأطلس المتوسط شائعة في مراعي خنيفرة وأزرو وإفران ومكناس. الرأس بني داكن، الصوف بيضاء وغزيرة، القامة متوسطة يبلغ معدل العلو عند الغارب 60 سم وتزن الذكور 50 - 60 كغم والإناث 30 - 40 كغم. يفوق عدد أفراد هذه السلالة في المغرب 000 750.

- السلالات والضروب الأطلسية : ترعى على الهضاب الجبلية بالريف وبالأطلس المتوسط والكبير وتوجد بكثرة في نواحي أزيلال. تأقلمت جيدا بالمناطق الجبلية وتعودت على المسالك الجبلية الصعبة. تعيش مندمجة مع قطيع المعز وتتميز بقامة صغيرة ؛ يبلغ الوزن الأقصى للذكور 50 كغم ولا يتعدى وزن الإناث 30 كغم. ألوانها مختلفة جدا بين الأفراد. يبلغ عدد مجموع هذه الضروب في المغرب 000 500 رأس.

تعتمد تربية الغنم في المغرب بالأساس على الرعي ويقوم مربو الماشية الرحل بتنقلات فصلية من المناطق الجبلية إلى السهول والسفوح في فصل الشتاء ثم يعودون إلى المناطق الجبلية في فصل الصيف. يتراوح معدل إنتاج لحوم الغنم في المغربي بين 50000 - 60000 طن في السنة ويتراوح عدد رؤوس الغنم خلال سنوات العقد الأخير بين 15 - 20 مليون.

M. El Jerrari, Le *marché de la viande ovine*, 17ème journée de l'ANPA, Rabat, 1987 ; Ministère du Plan, Direction de la Statistique, *Annuaire statistique du Maroc, 1989 et 1998* ; A. Eddbbarh, La production animale au Maroc, *Grande Encyclopédie du Maroc*, Agriculture-Pêche, 1987.

محمد رمضاني

**غَنَّامْ** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا - Ganana - Gannem Jennem.

**غنام** ، أسرة رباطية لا يعلم بالضبط أصلها فهناك من يقول إنها من الأسر الأندلسية وهناك من يرجع أصلها إلى

قبيلة الغنانمة الموجودة بالشاوية وعلى كل حال برزت بعض الشخصيات المخزنية فيها منذ عهد السلطان محمد بن عبد الله، فاشتهر عباس غنام كرئيس من رؤساء البحر، أما في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان وابنه سيدي محمد فقد عرف أحمد غنام الذي أسندت إليه نظارة الأحباس الكبرى خلفا للحاج محمد وازهرا من سنة 1265 / 1848 إلى 1284 / 1867.

ت. العماري، *الضعيف*، ص. 338 ؛ الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 78 ـ 126 ـ 127.

Brunot, *La mer dans les industries indigènes de Rabat et Salé*, p. 236-238.

**غنام، بناصر** بن أحمد ابن الناظر المذكور. ولد سنة 1262 / 1845 بالرباط وخلف أباه في النظارة بعد وفاته سنة 1290 / 1873 . وأظهر كفاءة وجدية فأصبح مقربا إلى السلطان مولاي الحسن الذي كان يكاتبه مباشرة. وفي سنة 1876 كان من أعضاء السفارة التي ترأسها محمد بن الطاهر الزبدي إلى بعض البلدان الأوربية لتدارس أمر الحماية القنصلية، ثم عينه أمينا للمال فكان قيما على ضرب الريال المغربي مع من شارك في العملية. وفي أوائل سنة 1300 / 1883 أسند إليه السلطان وظيفة أمين الاختيار بالمراسي وهي من أرقى الوظائف ولا يتبوأها إلا من حظي بثقة السلطان وبرهن عن كفاءة ونزاهة كبيرتين. وكان مع محمد الرزيني من الذين أشاروا على السلطان باتخاذ التدابير الكفيلة بتنمية الموارد المالية كرفع مرتبات الموظفين وعزل الأمناء الذين دلت التحريات على عدم صلاحيتهم وإصلاح مرافق المراسي. وفي سنة 1318 / 1900 عين مستشارا للنائب السلطاني محمد بن العربي الطريس بطنجة وبعث في السفارة إلى فرنسا وروسيا صحبة عبد الكريم بن سليمان وزير الخارجية سنة 1349 / 1901 ثم أرسل إلى الجزائر سنة 1902 لتحية رئيس الجمهورية الفرنسية بمناسبة زيارته للجزائر ووهران. وتفقد المنشآت الفرنسية الواقعة على الحدود المغربية في أرض الجزائر والأراضي المغربية التي اغتصبتها فرنسا وألحقتها بممتلكاتها. واستمر يعمل بدار النيابة. وكان السلطان مولاي عبد العزيز قد استدعاه في الشهور الأخيرة من ملكه من جديد فعينه معتمداً في اللجنة المكلفة بالتعويضات المتعلقة بالأضرار التي لحقت الدار البيضاء التي احتلها الفرنسيون سنة 1907. ولما بويع مولاي عبد الحفيظ أقره على منصبه وحاول أن يعينه خليفة لمحمد الجباص النائب الجديد بطنجة للاستفادة من معرفته وخبرته لكن السفارة الفرنسية ثارت على هذا الترشيح لأنها اعتبرت بناصر غنام رجلا متعصبا فلم يتم تعيينه. وفي سنة 1327 / 1909 عينه السلطان عضواً في سفارة أحمد بن المواز إلى إسبانيا. ولما حلت الحماية تقاعد. ويقال إنه جمع ثروة كبيرة من عمله الطويل بالمخزن وكانت وفاته سنة 1915 بمدينة الرباط.

ع. الوهاب بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، ج 1، ص. 217، م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج 1، ص. 410 ؛ الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 233.

**غنام، العباس** من الرياس الرباطيين العاملين في صفوف أسطول مولاي سليمان، وقد تميز في سنة 1220 / 1805 بمهمة قيادة سفينة أوربية مصادرة من السلطات المغربية لقيامها بوسق الزرع من منطقة الريف دون ترخيص من السلطان، وكان على الرايس غنام التوجه بها إلى إسبانيا قصد بيعها، لولا أنه اضطر إلى الدخول إلى طنجة حيث منعتها البوارج الإنجليزية المحاصرة للمراسي الإسبانية من استكمال طريقها. وبعد هذه المهمة، صدر الأمر إليه في سنة 1226 / 1811 بتجهيز سفينته في العرائش هو وريّاس آخرين، قصد الاستعداد لحمل الزاد من طنجة إلى الأمير مولاي إبراهيم بالإسكندرية، وإعادته إلى المغرب. وفي سنة 1226 نصبه الوزير محمد السلاوي مشرفا على أنشطة مرسى الرباط بمعية زميله إبراهيم لباريس خلفا للرايس السبيع أثناء تغييره لطاقم نظارة الرباط وأمانة جماركه.

*الضعيف*، ص. 338 ـ 356 ـ 361 ـ 367 ـ 373.

حسن أميلي

**غنام، عمر** ولد في 23 شتنبر 1930 بمدينة الرباط. ويعتبر أحد رواد السينما المغربية الأوائل. بعد حصوله على شهادة الباكالوريا بثانوية الليمون بالرباط، التحق بمدرسة محمد الخامس سنة 1950 لتدريس فن الرسم واللغة الفرنسية إلى غاية 1955. بعد ذلك سافر إلى القاهرة لقضاء تدريب سينمائي بالمركز الدولي "سيرس إليان" للسمعي البصري رفقة المخرج المرحوم أحمد المسناوي وكان ذلك سنة 1956. وفور عودته إلى المغرب عين رئيسا لقسم السمعي البصري بوزارة التربية والفنون الجميلة سنة 1957 ، بعدها التحق مباشرة بوزارة الإعلام.

ويعد المرحوم عمر غنام ثاني مدير مغربي للمركز السينمائي المغربي ـ بعد أحمد بلهاشمي ـ شغل هذا المنصب في مرحلة أولية من 1960 إلى 1963 ، حيث غادره ليعمل لحسابه الخاص، ثم عاد إليه بنفس الصفة انطلاقا من سنة

1967 ليظل هناك إلى أن وافته المنية في أحداث الصخيرات في يوليوز 1971.

ونظراً لانشغالاته الإدارية كمدير للمركز، لم ينجز عمر غنام أعمالاً سينمائية كثيرة بصفته كمخرج وإنما اكتفى بإدارة إنتاج عدد من الأفلام الوثائقية القصيرة التي كان المركز السينمائي المغربي ينتجها في تلك الآونة، وبالتالي اقتصرت فيلمغرافيته على الأعمال التالية :

ـ الإخراج :

1960 (سفر محمد الخامس) إلى الشرق الأوسط. 1961 (مؤتمر إفريقيا). 1968 (طنجة أيام المهرجان). 1970 (المغرب 70). وكلها أفلام وثائقية قصيرة

ـ إدارة الإنتاج :

ـ قام بإدارة إنتاج مجموعة من الأفلام منها على الخصوص :

1963 (العودة إلى المنابع) لعبد العزيز الرمضاني. 1967 (أطياف من خيوط الذهب) لأحمد المسناوي. 1968 (البساط) لمحمد الزياني. 1968 (الحياة كفاح) لمحمد التازي وأحمد المسناوي .. وهو فيلم روائي طويل.

توفي بالرباط في العاشر من يوليوز 1971.

*دليل المخرجين السينمائي المغاربة*، ص. 186 ـ 187.

خالد الخضري

**غنام، محمد** كان من بين أعيان تطوان الذين شهدوا بأن الباشا السابق عبد الكريم ابن زاكور قد تصرف في أموال بيت المال لصالحه في صفر 1180 (1766).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**غنام، محمد** بن عبد القادر رشح للخدمة بمرسى الرباط أمينا للديوانة الجديدة وولي أيضاً ناظراً على الأحباس الكبرى به من 1320 إلى 1327 / 1902 ـ 1909. ويرجح أن الأمين بمرسى الرباط بين سنة 1862 و1865 هو أبوه.

الفاسي، ص. 153 و193، دينية، *مجالس*، ص. 245.

**غنام، مَحمد** ابن الناظر أحمد ولي بدوره نظارة الأحباس الكبرى مدة ابتداء من 1285 / 1868. أورد محمد دينية رسالة وجهها العالم القاضي محمد بن إبراهيم الرباطي المتوفى سنة 1297 / 1880 يصفه فيها بأوصاف سامية ويحضه على المزيد من العناية بأمر الأحباس وخصوصا ما يتعلق بالمساجد. استخدم أخيراً بمرسى الصويرة.

توفي في رمضان 1312 / 1894 ودفن في الزاوية المباركية.

دينية، *مجالس*، ص. 244 ؛ الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 153.

عبد الإله الفاسي

**الغنيمة**، ج. غنائم وهي مصدر أساسي من مصادر دخل بيت مال الدولة المغربية منذ بدايات تأسيسها، إذ كانت عائداتها تتزايد كميا وبوتيرة مطّردة كلما توالت في الزمان حملات الجهاد واتسعت بموازاتها جبهات المواجهة مع دار الكفر. لذلك صنفت مداخيلها بحكم تلازمها الدائم والمستمر بالعمل الجهادي المقدس الذي كان يتقوى ويشتد طوراً، ويخبو ويتراجع طورا آخر، ضمن الموارد المالية الظرفية غير العادية التي كانت تتغذى منها باستمرار مالية الدولة المغربية.

وعند استقراء الحوليات المغربية التي راعت أخبار وأطوار المواجهات المسلحة التي خاضها السلاطين المغاربة على الساحة الأندلسية إبان التاريخ الوسيط، يتبدى بكيفية واضحة، أن تلك المواجهات كانت تنتهي ليس فقط بإلحاق أشنع الهزائم بالقوات المسيحية المتحالفة، بل كانت تكبدها أيضا خسائر فادحة في الأرواح والمعدات والفوز علاوة على غنائم وأسلاب بالغة الأهمية تفاوتت كمياتها وقيمتها بحسب الظروف من جواز مغربي إلى آخر ومن لقاء عسكري إلى آخر.

فعلى إثر الانتصار الساحق الذي حققه المغاربة مثلا في معركة الزلاقة (479 / 1086) بقيادة الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين على ملك قشتالة ألفونسو السادس وحليفه سانشو الثاني ملك أركون، عاثت فرق الجيش المشاركة في معسكر العدو ومحلاته نهبا وتدميرا وسبيا "تهدم بناءها وتستلم ذخائرها وأسبابها وتريه (أي يوسف بن تاشفين) رأي العين دمارها ونهابها" إذ تحصلت لديها غنائم وافرة فضلا عن قتل ما يزيد عن 20 ألف محارب. وقد تجددت ملامح هذا المشهد الحربي الجهادي بأشكال متفاوتة من حيث قوة الاندفاع وقيمة المغنم في معظم الجوازات التي سارع إلى النهوض بها السلاطين الموحدون فيما بعد، استجابة لصريخ ملوك الإمارات الطائفية المتداعية، بعدما صارت الممالك النصرانية تضيق الخناق على الحصون والمدن الإسلامية بأشد ما تكون أشكال المضايقة والحصار. وقد مثلت غزوة الأرك (591 / 1195) الشهيرة بزعامة يعقوب المنصور الموحدي في هذا الخصوص، أبرز معركة فاصلة حصد فيها المسلمون "الأموال والذخائر والأرزاق والأسلحة والعدد والأمتعة والدواب والنساء والذرية" إضافة إلى قتل" ألوف لا تعد ولا تحصى من الغزاة الكفرة" وأسر" أربعة وعشرون ألف فارس". وقد تكررت نفس هذه المظاهر الحربية سبيا وتقتيلا، وإن بصور أقل ملحمية، في مناسبات متعددة خلال القرن السابع (14) في لجة الحملات العسكرية التي قادها الأمراء المرينيون في أكثر من موضع داخل العدوة الأندلسية. ولم تشذ معركة وادي المخازن (986 / 1578) التي حقق فيها السعديون انتصاراً عز نظيره في العصر الحديث على الجيوش المسيحية بقيادة الأمير البرتغالي سيباستيان عن هذا المسار، إذ حصل على إثرها المغاربة على أموال طائلة من عمليات

افتداء الأسرى جعلت أحمد المنصور يأمر ".. بضرب السكة وجعلها منحسة وسميت دراهم سنة"، وذلك في الوقت الذي لم تقسم فيه حصيلة غنائم هذه المعركة بين المجاهدين على الوجه الشرعي إذ "انتهبها الناس كما اتفق لهم بحسب القوة والبخت الدنيوي". وفي سياق ما شهده النصف الأول من القرن الحادي عشر (17 ) من تصدع في وحدة السلطة السعدية وظهور إمارات جهوية مستقلة، أصبحت غنائم الجهاد البحري تمثل مصدراً أساسياً لتمويل النشاطات العسكرية للأمراء السعديين الأواخر، حيث استأثروا في هذا الإطار - بعد أن غدت عمليات الجهاد البحري تنظم تحت إمرتهم - بحصة الخمس بدل العشر كما كان عليه الأمر سابقا فضلا عن نصف بقية الغنائم وجميع الأسارى. ومع تواصل حركات تحرير الثغور والمدن المغربية المحتلة في العهد العلوي حصل المغاربة، أجنادا ومتطوعة مجاهدين، على كميات هامة ومتنوعة من الغنائم والسبايا عددت المصادر المعاصرة حصيلاتها ونوعياتها في أسلوب حماسي جياش. إلا أن المشكلة التي ظلت تطرح نفسها بصورة دائمة ومتجددة عبر تاريخ الحركات الجهادية المغربية سواء في الأندلس أو على جبهات الثغور الداخلية أيام الاحتلال الإيبيري وانعكست أصداؤها بكثافة في حقل الآداب الفقهية النوازلية، هي مشكلة تقسيم الغنائم بين المحاربين، والأنصبة التي ينبغي أن يحصل عليها كل من الجندي النظامي والجندي المتطوع وتلك التي ينبغي أن يحصل عليا المحارب الراجل والمحارب الفارس إلى غير هذا وذلك من النوازل الأخرى الكثيرة والمتعددة.

أ. القاسم البرزلي، *جامع مسائل الأحكام*، م. خ. ع. رقم 3907، ورقة 144 - 149 ؛ إ. عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *الأنيس المطرب*، 191 - 167 - 126 ؛ عبد العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، 39 ؛ م. مجهول، *تاريخ السعدية*، 65 ؛ عبد العزيز الزياتي، *الجواهر المختارة*، م. خ. ع. ج 66، ج 1 : 72 - 66 ؛ م. الأفراني، *نزهة الحادي*، 150 ؛ أبو القاسم الزياني، *البستان الظريف*، 176 - 179 ؛ عبد الكريم الريفي، *زهر الأكم*، 166 - 170 ؛ أ. الناصري، ج 5 : 82 ؛ ر. كواندرو، *قراصنة سلا*، 55.

الفقيه الإدريسي

**الغنيمي، أحمد** بن عبّاد أحد مشاهير الأولياء الصالحين بعبدة. تحكى عنه كرامات غريبة وأحوال عجيبة، وهو من أهل القرن الحادي عشر الهجري. يوجد ضريحه بجوار أضرحة أخرى لبعض أفراد أسرته بالزاوية الغنيمية شمال مدينة أسفي.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*.

**الغنيمي، أحمد** بن علي أحد الفقهاء الغنيميين العبديين، عاش خلال القرن الثالث عشر الهجري. كان بارعاً في علم القراءات وشاعراً رقيقاً في الملحون، له أزجال في المدح النبوي وأخرى في موضوعات اجتماعية عامة. توفي عام 1290. ودفن بمقبرة أسرته بالزاوية الغنيمية شمال مدينة زسفي.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج 2، مخطوط.

عبد الرحيم العطاوي

**الغنيمي** (سيدي -) دفين سطات اسمه الطاهر بن عبد الملك بن عبد السلام بن فلاح بن أحمد بن الحسن بن رحو ويعتبر من أشهر أولياء سطات. كما اشتهرت سطات نفسها بموسمه. لكن رغم ذلك يعرف عنه الشيء الكثير. بل إن كثيراً من الناس يسمونه خطأ سيدي لغليمي باللام بدل سيدي الغنيمي بالنون.

إنما الأكيد أن هذا الرجل من سلالة الشرفاء الغنيميين الذين ينتسبون إلى الشيخ الحسن بن رحو مؤسس ودفين الزاوية الغنيمية الكبرى في عبدة. مما يعني أنه رحل عن هذه الزاوية، وانتقل إل سطات حيث أسس زاوية خاصة به. كما أننا لا نعدم بعض الأخبار التي تفيد بأنه عاش في أيام حكم السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله، وأنه كان يحظى عنده بمكانة سامية. بل ترجح نفس الأخبار أن يكون عام 1195 هو تاريخ وفاته.

ومما يؤثر عنه في باب المكارم إسهامه الهام في نشر الثقافة الصوفية بالمنطقة، ويقال عنه في هذا الصدد إنه كان من أهل الحضرة والأحوال. كما يذكر في باب مكارمه أيضا اشتراكه في الغزوات إلى جانب المغاربة لتحرير الثغور المحتلة، والمقصود هنا، دون شك، مشاركته إلى جانب الجيش المغربي في حصار وتحرير مدينة الجديدة من الاحتلال البرتغالي، زمن السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

ولعل من أهم السمات التي مازالت قائمة في ضريح سيدي الغنيمي : قراءة دلائل الخيرات والأمداح النبوية والأحزاب الغنيمية، كما لا ننسى الموسم الشهير الذي يعمر حول ضريحه كل سنة.

ع. العزوزي، *الاستبصار بما فات في أخبار الشاوية وسطات*، مخطوط في ملكية عائلة العزوزي بسطات، ص. 50 ؛ ف. لموني، *الزاوية الغنيمية ودورها الاجتماعي والسياسي*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، تحت إشراف أحمد الوارث، كلية الآداب بالجديدة، 90 - 1991، ص. 20 - 22 ؛ ن. صافي الدين، *دراسة إحصائية تحليلية لمختلف مظاهر التصوف بسطات*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، تحت إشراف أحمد الوارث، كلية الآداب بالجديدة، 94 - 1995، ص. 26 - 29.

أحمد الوارث

**الغنيمية، رقية** لَلاّ أم علي إحدى الوليات الصالحات بمدينة أسفي، وهي زوجة الفقيه السيد عبد الله القليعي المدعو "الكَبْريتْ" الذي توفي عام 1180. فهي بالتالي من أهل النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري. يوجد ضريحها بدرب القوس بالمدينة القديمة ويُعرَف بضريح "لَلاّ امُّوعْلي".

م. الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ أ. بن محمد الصبيحي، *باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة*، تقديم وتعليق، عبد الرحيم العطاوي ومحمد الظريف، مطبعة الأنباء، 1994.

عبد الرحيم العطاوي

**الغوث**، أبو مدين شعيب بن حسين بن أسعد الأندلسي التلمساني، والده (الحسن) يلقب أيضاً بإمام الزهاد والعباد، وشيخ الشيوخ لأنه تخرج على يديه ألف تليمذ.

ولد في قطنيانة على بعد ثمانية أميال من إشبيلية وذكرت المصادر سنة 520 / 1126 تاريخا لميلاده، وجعلها عبد الحميد التلمساني بين 514 و 523 / 1120 و 1128.

نشأ يتيما يرعى غنم أخيه، وكان يصادف النساء والعباد في البرية. فتتوق نفسه إلى تقليدهم في العبادة وقراءة القرآن. فكان يهرب من أهله قاصداً المدينة، فيلحق به أخوه ويرجعه إلى البيت. وقد تمكن من الفرار فعلاً وقطع البحر إلى المغرب فحل بسبتة وطنجة وانتقل منها إلى مراكش للانخراط في سلك الجندية. وانتهى به الأمر إلى مدينة فاس، حيث أخذ على علمائها ومتصوفيها وعلى رأسهم علي بن حرزهم.

وسافر إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، فالتقى في مكة بالشيخ عبد القادر الجيلاني وأخذ عنه.

ثم تردد في بلاد إفريقية، واستوطن في الأخير مدينة بجاية، حيث تصدر للتدريس والتربية والإرشاد، فظهرت بها ولايته، وبرز علمه، وكانت المدينة حاضرة المغرب الأوسط. ففضلها على غيرها لأنها ـ حسب رأيه ـ تعين على طلب الحلال.

وقد أخبره شيخه أبو يعزى أنه ستهدى له جارية حبشية وستلد له ولداً، لذلك قبل الزواج بها عندما أهديت له، وبعدما ولدت، أصبحت عبئا عليه فطلقها فتزوجت تلميذه عبد الرزاق الجزولي، (*أنس الفقير*، و*المعزى*).

واختلفت الآراء حول علاقته بالموحدين. فقد مالت أغلب المصادر إلى القول بأنها كانت متوترة بسبب التفاف الناس حوله وخوفهم من ذلك، وبسبب ما كان يدرسه لطلبته ومريديه من أمور مخالفة للمذهب الموحدي، وقد أوشى به الشيخ أبو عمر الحباك، وقال بأنه يشبه الإمام المهدي، فأوصى يعقوب المنصور أن يحمل إليه من بجاية إلى مراكش إلا أنه توفي وهو في الطريق إليه بالعباد قرب تلمسان فدفن هناك سنة 594 / 1198.

وفي *المعزى* أن الشيخ أبا عمر قد تاب عن عمله، وأن السلطان عوقب فمات بعده بحوالي سبعة أشهر، وهي سنة الله مع أوليائه لا يروعهم أحد إلا روعه الله وهذا مجرب من أيام أويس القرني إلى الآن.

وهنالك رأي مخالف ورد في كتاب *المعزى* يذهب إلى أن المنصور قد عانى من مرض عضال بسبب قتله لأخيه عمر وعمه سليمان اللذين خرجا عليه سنة 582 / 1186 فلم يفلح الأطباء في معالجته، فأشار عليه بعضهم بأن شفاءه عند أبي مدين سيد الطائفة في ذلك الزمان. فسعى إليه : إلا أنه مات بتلمسان وهو في طريقه إليه كما أسلفنا، وقال لمرافقيه بأن دواءه عند أبي العباس السبتي الذي كان في خلوة بجبل جيليز آنذاك. وبسبب ذلك استدعى المنصور أبا العباس السبتي.

ورواية المعزى غير مقبولة لأن حادثة القتل ومرض الخليفة كانت في بداية حكم المنصور 582 / 1186 بينما استدعاء أبي مدين لم يتم إلا في آخر الحكم 594 / 1198.

أخذ أبو مدين عن كبار شيوخ العصر بالمشرق والمغرب وهم :

1 ـ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم (ت. 559 / 1202 )، درس عليه بفاس كتاب : *الرعاية لحقوق الله*، لأبي عبد الله الحارث ابن أسعد المحاسبي (ت. 245 / 859 )، وإحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي (ت. 504 / 1110).

2 ـ أبو الحسن علي بن غالب (ت. 568 / 1172) درس عليه بفاس كتاب *السنن* للترمذي، ولازمه وتفقه على يديه (*أنس الفقير*، 26).

3 ـ أبو عبد الله الدقاق : أخذ عنه علوم التصوف، قال (أنا أول من أخذ منه الشيخ أبو مدين علم التصوف). درس عليه الرسالة القشيرية. التي كانت من الكتب المفضلة لدى أبي مدين، وكان الدقاق يتردد بين فاس وسجلماسة.

4 ـ عبد القادر الجيلاني : قرأ عليه في الحرم كثيراً من الحديث، وألبسه الخرقة، وأودعه كثيراً من أسراره، وحلاه بملابس أنواره، فكان أبو مدين يفتخر بصحبته ويعد من أفضل مشايخه.

5 ـ أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري السبتي : درس عليه بمدينة فاس، وله كتاب عرف فيه بأبي مدين وذكر فيه فضله.

6 ـ أبو يعزى يلنور الهسكوري (ت. 572 / 1176) أخذ عنه التصوف العملي، وسلك الطريق على يديه. وكانت تتسم ببعض القسوة والشدة، لأن الشيخ اشتهر بعدم المداراة وبمواجهة الناس بعيوبهم، كان يتردد عليه ويأخذ عنه، فهو شيخه قدوة وتصوفا وخرقة وصحبة، وكان الشيخ يعظمه ويثني عليه ويهتم به ويشير إلى أنه سيكون خليفته في التصوف.

وقد تمكن أبو مدين من تكوين نفسه في العلوم الشرعية وفي التصوف على السواء وبرز فيهما معا، حتى قيل عنه بأنه جمع بين علمي الشريعة والحقيقة، وأفتى ببلاد المغرب على مذهب الإمام مالك بن أنس وناظر وأملى.

وقيل عنه كذلك : أنه كان من أعلام العلماء وحفاظ الحديث، وكانت ترد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها.

أما في التصوف فإن أبا مدين يعد من صدور المقربين،

وعظماء العارفين، وأصحاب الحقائق والمعارف، وذوي التمكين والتصريف، وخرق العوائد مما جمع له بين علمي الحقيقة والشريعة، وانتهت إليه رياسة هذا الشأن. وتخرج به جماعة.

وكان أبو مدين زاهداً فاضلاً عارفاً بالله تعالى، خاض بحار الأحوال، ونال أسرار المعارف خصوصاً مقام التوكل لا يشق غباره ولا تجهل آثاره.

وداوم على تلقين الذكر للمريدين والمريدات. وقد أنكر عليه بعضهم تلقين النساء وإعطاءهن الورد والكشف على صدورهن وبطونهن لكي يتفل عليها، فتصدى أبو مدين للرد على هؤلاء قائلاً : لو كان الأمر متعلقا بطبيب ألا يحق له ذلك ؟ فكيف به وهو الشيخ المربي الزاهد.

كما كانت له مجالس في الوعظ بعد صلاة الصبح ببجاية، يجتمع عليه غفير من الناس، لا يتكلم فيه إلا على أهل التصوف ومناقبهم وأخبارهم وزهدهم وورعهم، ويذكر رجال الرسالة القشيرية ويحث الناس على السير على نهجهم، وتتبع طريقتهم.

ويعتقد أبو مدين أن الأساس في التصوف هو الزهد والاجتهاد، ويبدأ الطريق عنده بالتوبة، ثم الإرادة، لأن طلب الإرادة قبل التوبة غفلة. ومن تخلى عن التزام الطاعات والقيام بالفرائض ضاع.

وعلى المرء أن يحاسب نفسه ليصل مقام المراقبة، فإذا ادعى المريد المقامات، مع تقصيره في الفروض وفي الذكر، فإنه من المبتدعة الذين يجب تجنبهم.

ويعتبر أبو مدين الغوث محطة مهمة في الربط بين الجنيد والشاذلي وذلك بواسطة ثلاثة أسانيد : عن طريق شيوخه : ابن حرزهم والجيلاني وأبي يعزى.

السند الأول :

عن شيخه علي بن إسماعيل بن حرزهم رأس المدرسة الغزالية بالمغرب عن عمه صالح بن حرزهم عن الإمام الغزالي عن أبي المعالي إمام الحرمين عن أبي طالب المكي عن الجنيد.

السند الثاني :

عن شيخه عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية عن أبي سعيد مبارك المخزومي عن أبي القاسم القرشي عن أبي بكر التميمي عن أبي بكر الشبلي عن الجنيد.

السند الثالث :

عن شيخه أبي يعزى يلنور الهسكوري عن أبي سعيد أيوب بن سعيد الصنهاجي عن أبي ينور بن عبد الله الدكالي الاغماتي عن أبي الفضل عبد الله الجوهري عن أبي بكر الدينوري عن أبي الحسين بن محمد النوري عن الجنيد ( *أنس الفقير*، *المواهب القدسية*، *المعزى*).

وتتفرع الأسانيد عن أبي مدين لكثرة تلامذته، فقد جاء في (*التشوف* ) عن محمد بن إبراهيم الأنصاري أن أبا مدين خرّج ألف تلميذ ظهرت على يد كل واحد منهم كرامة، وقد ذكر ابن قنفذ مجموعة منهم، وأسس تلامذته طرقاً بالأندلس والمغرب.

ويصل أبو مدين الطريقة الشاذلية بالجنيدية بواسطة سندين مشهورين :

السند الأول : يسمى عند الناصريين بسلسلة العلماء عن طريق تليمذه أبي أحمد بن سيد بونة عن عبد الرحمن المدني الزياتي عن عبد السلام بن مشيش عن أبي الحسن الشاذلي.

السند الثاني : عن طريق تليمذه تقي الدين الفقير عن عبد الرحمن المدني الزيات عن عبد السلام بن مشيش عن أبي الحسن الشاذلي.

وكان أبو مدين يربي مريديه بكتاب *المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى* للغزالي لقوله عنه (إنه بث فيه بعض أسرار علم المكاشفة) كما كان يداوم على تدريس كتاب *إحياء علوم الدين*.

وقد تخرج على يديه ـ كما أسلفنا ـ ألف تلميذ نذكر بعضهم : بلال، خديم الشيخ أبي مدين سلك الطريقة على يديه. جعفر بن عبد الله بن محمد سيد بونة الخزاعي من شاطبة أبو علي حسن بن محمد الغافقي الصواف، لازمه ثلاثين سنة، وحدث عنه أخباراً وانتفع به، ونسب كل فضيلة ظهرت على تلامذته إليه.

أبو الزهر ربيع الانصاري البجائي. أبو محمد صالح بن أبي القاسم السجلماسي وصالح الدكالي الماجري القرشي المخزومي. أبو محمد صالح بن ينصارن الماجري. ظاهر الجدوعي. أبو محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري القصري. أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي الحافظ، صاحب *الأحكام الكبرى والصغرى* في الحديث، و *العاقبة في التذكير* . أبو محمد عبد الخالق التونسي. أبو تميم عبد الرحمن الهزميري، كان حافظا للمسائل .عبد الرحيم بن حجون المغربي. عبد الرحيم القناوي. عبد الرزاق الجزولي، من كبار تلامذته، لازمه طويلاً وتزوج طليقته الحبشية وربى ولده محمدا. أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي. أبو محمد عبد الله بن ماكسن الصنهاجي. عبد الله البوني. أبو محمد عبد الله الصنهاجي المعروف بالزرهوني. أبو الحسن علي بن إبراهيم الصنهاجي. أبو علي عمر الصباغ. فاطمة الأندلسية القصرية. محفوظ بن جعفر. أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي، ذكر في فهرسته أنه أخذ عنه *المقصد الأسنى* ببجاية. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري من كبار تلامذته، كان كثير الرواية عنه. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم القرشي الأندلسي. أبو عبد الله محمد التاودي. أبو مسعود بن عريف من جبل شلف. أبو علي منصور الملياني. أبو عمران موسى بن ندراس الحلاج. أبو زكريا يحيى بن أبي علي الزواوي، كان عالماً صالحاً أبو علي يعزى بن الشيخ أبي يعزى (*أنس الفقير والمعزى*)

ولم يقتصر مجهود أبي مدين على التربية والتعليم

وتكوين المريدين وإنما سمت به همته إلى التأليف، من إنتاجه العلمي :

1 ـ ديوان شعر : فقد كان له شعر كثير في موضوعات دينية وصوفية أورد د. عبد الحليم محمود مجموعة بلغت 12 قصيدة (*أبو مدين الغوث*، 106 ـ 132).

ومن أكثر شعره انتشاراً قصيدته التي قال في مطلعها :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقراء — هم السلاطين والسادات والأمراء
فأصحبهم وتأدب في مجالسهم — وخل حظك مهما قدموك ورا

ولجمالها خمسها محي الدين بن عربي إرشادا للسالكين.

2 ـ *مفاتيح الغيب وستر العيب*

3 ـ *أسس التوحيد*

4 ـ *حرز الأقسام*، مخطوطة مكتبة بايزيد بإسطنبول عدد 253، والمكتبة السليمانية عدد 398.

5 ـ *رسالة في التصوف* : نفس المكتبة رقم 1810

6 ـ حكم أبي مدين نفس المكتبة رقم 613 (*الإعلام*، 10 : 178، هامش، 105)

وقد صدرت عنه كرامات تتبعها بتفصيل ابن قنفذ في *أنس الفقير* والصومعي في *المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى*.

توفي سنة 594 / 1198، وهو في طريقه من بجاية إلى مراكش ودفن بالعباد قرب تلمسان.

ع. الحليم محمود، *أبو مدين الغوث*، شيخ الشيوخ، ط 2 ؛ ع. ابن إبراهيم المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، المطبعة الملكية، 1983 ؛ خير الدين الزركلي، *الإعلام*، قاموس تراجم، ط 8، 1989 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير وعز الحقير*، تح. م. الفاسي وادولف فور، الرباط، 1965 ؛ ي. التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، تح. أ. التوفيق، كلية الآداب بالرباط، 1984 ؛ م. الحفناوي، *تعريف الخلق برجال السلف*، ط 2، 1985 ؛ م. المنوفي، *جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف*، القاهرة، 1967 ؛ م. ابن المؤقت، السعادة *الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية*، 1336 ؛ ع. التلمساني، *السعادة الابدية لأبي مدين شعيب فخر الديار التلمسانية*، فاس، 1935 ؛ الغبريني، *الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية*، تح. عادل بويهض، بيروت، 1969 ؛ أ. التادلي الصومعي، *كتاب المعزى في مناقب أبي يعزى*، تح. علي الجاوي، الرباط، 1996 ؛ ع. التليدي، *المطرب في مشاهير أولياء المغرب*، ط 2 : 1987 ؛ ع. الحنفي، *الموسوعة الصوفية*، دار الرشاد، 1992.

حسن جلاب

**الغواص** اليمني، مولاي عبد السلام أحد أولياء الله الصالحين بالوليدية. أصله من اليمن حسب الكثير من الروايات، وقد يكون رحل إلى المغرب خلال القرن الثامن للهجرة. يقول عنه الكانوني : "... كتب في طريقه من بلده إلى المغرب رحلة ذكر فيها خروجه من اليمن وما رآه في طريقه من المدن، وقد كانت (هذه المخطوطة) موجودة بضريحه إلى حدود العشرين وثلاثمائة بعد الألف، ثم فُقدت، ولم يوقف لها على أثر. وقد ذكر لي صاحبنا البحاثه المؤرخ المعتني أبو عبد الله السيد محمد بن علي الدكالي السلاوي أن وروده المغرب كان صدر المائة السابعة وأن هذه الرحلة تُرجمت إلى اللغة الإنجليزية ..." غير أنني لم أقف لا على المخطوطة ولا على الترجمة الإنكليزية المزعومة.

وللتهامي الويبري قصيدة فيه مطلعها :

خليلي عرج نحو القباب قباب من — أبان لنا الرحمن فضله كالشمس
همام كريم فاضل متفضل — تقي نقي فاق فضلاً بني الجنسِ
سليل رسول الله مولاي عابد — السلام بها الغراص يدعى لدى اللبسِ

وضريحه معروف في الوليدية وبه مسجد وكتاب، ويُقام حوله موسم سنوي في الصيف.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج 2، مخطوط.

عبد الرحيم العطاوي

**الغيرانية**، عملة مغربية لها عدة أسماء في الوثائق المغربية، فهي تسمى سكة الغيران وسكة الكهوف، وسكة الحداد، وسكة برشم بوعثمان، وكلها منسوبة إلى منطقة إفران بالأطلس الصغير ويَرد ذكرها في عقود الناس ووثائق الفقهاء في منطقة سوس والأطلس الصغير وهي أكثر السكك القديمة رواجاً، وترجع نشأتها ـ كما يذكر عبد الله التِّملي ـ إلى القرن التاسع للهجرة. وهي سكك لا تنسب إلى الملوك وإنما تنسب إلى منطقة ايفران معرّبة بالغيران أو الكهوف، وهي إما فضية وإما ذهبية، ولم نعثر على القطع الفضية والذهبية بعينها وإنما تتبعناها من خلال الوثائق والمخطوطات، وهي السكك الرائجة في الغيران (ايفران) منذ العهد المريني إلى بداية العهد العلوي. وتروج مع الغيرانية السكك : الاشقوبية والكُتَامية والرشيدية.

وكانت السكة الفضة الغيرانية ـ كما حدد عمر الكرسيفي ـ تزن بحبات الشعير 20 حبة أما عيارها فهي تتركب من سبعة أثمان النقرة (الفضة) وثمن النحاس. وقد نقص وزنها في القرن الثامن عشر إلى 18 حبة (= 0,79 غ) كما نقص عيارها، وكان الفقهاء يفرقون بين عيار السكة الفضية التي تحتوي على ثمن النحاس فقط باسم "درهم الغيران" بدون نسبة أما السكة الفضية التي تحتوي على نصف وزنها من النحاس والنصف الآخر من الفضة فيطلقون عليها اسم "الدرهم الغيراني" منسوبة بالياء، ويصفونه بالدرهم البالي.

أما السكة الذهبية الغيرانية، فتسمى بالذهب المطبوع، احترازا من الخلط بينها وبين استعمال التبر "غبار الذهب" في التعامل بالوزن بدل العملة، أما العملة الذهبية الغيرانية فقد عرفت في هذه الجهة منذ سنة 940 / 1533 فما بعد، وقد اختلف وزنها وعيارها كما اختلفت أسعار صرفها، كما هو الشأن في أوزان الفضة وعيارها وصرفها. يجب الإشارة إلى ملاحظة هامة لما يرد في الوثائق من ذكر السكك الفضية، فيعتقد أنها سكك ذهبية لأن الفقهاء يستعملون كلمة "الدينار"، أو كلمة "الذهب" عند ذكر سكك الفضة، فيقولون مثلاً : خمسة عشر ديناراً من الفضة أو خمسة عشر ذهبا.

فـمـرادهم بـه هو قـدر مـعلوم من الدراهم التي تصـرف إلى الذهب وليس الذهب الحقيقي.

ع. أفا، *النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، ص. 53 ـ 100 ـ 168 ـ 129 ـ 171 ؛ *تقـيـيد في سكك الغـيـران يوجد في آخر مـخطوط الأجوبة الفقهية*، لعبد الرفيع التونسي، الخزانة الحسنية، الرباط، رقم 8086 ؛ *بَيَان السكك الجارية في الغيران*، ذيل به عبد الله بن إبراهيم بن علي التملي مـخطوط أجوبة المتـأخرين، الخزانة العـامة بالرباط، رقم 298 ق صفحات، 318 إلى 323 ؛ *النقود في العهد السعدي*، نماذج ببليوغرافية، مجلة تاريخ المغرب، عدد 7 و8 سنة 1997، ص. 32 ـ 35.

عمر أفا

**غيس** (واد -) يقع في إقليم الحسيمة بشمال المغرب ويعـتـبـر أحد أهم الأودية التي تجري في الجزء الشـرقي من الريف الأوسط. يمتد الواد على مسافة 70 كلم ويجري حسب اتجاه عام جنوبي ـ غربي، شمالي شرقي. ينبع المحور الرئيسي للمياه عند جبل بوغرضة (1750م) ويتجه بداية من الشمال الغربي نحو الجنوب الشـرقي ثم يغـيـر مـجراه فـجـأة عند اصطدامه بكتلة جبل حمام (1949 م) ليتجه نحو الشمال الشرقي حيث يصب في البحر الأبيض المتوسط. يبلغ حوض صرف واد غيس حوالي 805 كلم$^2$ ويحد من الشرق بحوض صرف واد النكور ومن الجنوب بحوض صرف واد ورغة ومن الغرب والشمال الغربي بظهير كتلة بقوية.

تتشكل تضاريس الحوض الهدروغرافي من أعراف جبلية في الجنوب الغربي (جبل تيموزاي 1577م، جبل إگار ملت 2040 م، جبل حديد 1550 م) تتخللها بعض المنخفضات

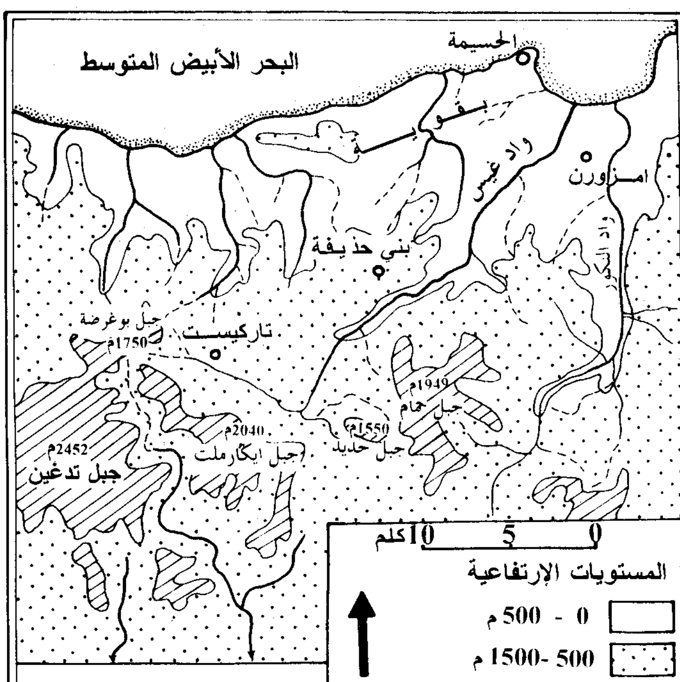


(منخفض تاركيست (1000 م) ومنخفض بني عمارت (1150 م). ويقل الطابع الجبلي كلما اتجهنا نحو الشمال الشرقي حيث لا نجد سوى بعض القمم المنعزلة (جبل تكفرين 686م، جبل آيت قمرة 528م ودهار بوحمود 478م) وبعض المنخفضات منخفض تماسينت، 400م وسلسلة من الهضاب المتدرجة باتجاه البحر (هضبة تيكارت 250م، وهضبة تفراست 100 م). في أقصى الشمال الشرقي يجري الواد، قبل أن يصب في البحر، في منطقة سهلية (سهل سواني) أزغار 100م تشكل الجزء الشمالي الغربي من سهل النكور.

يشكل واد غيس، على طول محوره الرئيسي، منطقة اتصال بين ثلاث وحدات جيولوجية كبرى، تتراكب الواحدة فوق الأخرى انطلاقا من الشمال نحو الجنوب على الشكل التالي : وحدة تيزيرين المكونة أساسا من الصلصال والحث ووحدة شوامات الصلصال ـ شستية ووحدة كتامة المكونة من الشست والكوارتزيت على الخصوص، وتعود صخور هذه الوحدات الثلاث إلى الزمن الجيولوجي الثاني. وقد استغل الواد عدة انخلاعات وانكسارات ليشق مجراه باتجاه الشمال الشرقي.

في علاقة مع التنوع التضاريسي تتميز أراضي واد غيس بتنوع مناخها، فجزؤها الجنوبي الغربي ينتمي للطابق البيومناخي شبه الرطب حيث يبلغ معدل الأمطار 400 ملم (محطة تاركيست) أما جزؤها الشمالي الشرقي فيدخل ضمن النطاق نصف الجاف ولا يزيد به معدل الأمطار عن 300 ملم (محطة مطار الحسيمة). هذه الكميات المتواضعة من التساقطات لا تسمح إلا بجريان موسمي للواد حيث لا يتجاوز معدل صبيبه 3م3 / ثانية. أما من حيث الغطاء النباتي الطبيعي فقد كانت تكسو المنطقة أشجار العرعر على الخصوص لكنها تعرضت للاجتثاث خاصة خلال فترة الاستعمار الإسباني.

تنتمي ساكنة حوض واد غيس إلى قبيلة آيت ورياغل ما عدا تلك التي تستقر في عالية الواد والتي تنتمي إلى قبائل صنهاجة. أما إدارياً فإن الواد يقطع مجموعة من الجماعات القروية تنتظم من العالية إلى السافلة على الشكل التالي : زرقات، تاركيست، سيدي بوتميم، زاوية سيدي عبد القادر، بني حذيفة، بني عبد الله، إمرابطن، لوطا، آيت يوسف وعلي. وتقدر ساكنة هذه الجماعات بـ 66256 نسمة (الإحصاء العام للسكان والسكنى 1994)، أما مساحتها فتقدر بحوالي 828 كلم$^2$ مربع ويبلغ معدل الكثافة السكانية بأراضي واد غيس 80 ن / كلم$^2$.

يعيش سكان المنطقة عموما على الموارد الفلاحية بحيث تبلغ المساحة المزروعة 66٪ من مجموع أراضي وادي غيس (الإحصاء الفلاحي 1996) يخصص أكثر من نصفها لزراعة الحبوب بينما تخصص المساحة المتبقية للقطاني أو الخضروات. كما تحتل الأشجار المثمرة حيزاً مهما من هذه الأراضي تقدر بـ 8813 هكتار أي ما يعادل 20٪ من

الأراضي الصالحة للزراعة. تشكل أشجار اللوز والتين أهم الأنواع المغروسة. وتستعين ساكنة المنطقة بتربية الماشية لسد حاجياتها من اللحوم وللرفع من مداخيلها بحيث يقدر عدد رؤوس الأغنام بالمنطقة بحوالي 30 ألف رأس وعدد الأبقار 9789 رأس وعدد الماعز حوالي 10641.

وارتباطا بقلة الموارد المتاحة بأراضي واد غيس، تعرف المنطقة منذ سنة 1960 هجرة مهمة لليد العاملة خاصة نحو الدول الأوربية. وقد مكنت عائدات المهاجرين من خلق دينامية محدودة في اقتصاد المنطقة وساهمت في تطور مجموعة من المراكز السكنية مثل تاركيست وبني حذيفة وبني عبد الله وتماسنيت. وتعد مدينة تاركيست أهم تجمع سكاني على طول واد غيس بحيث يقدر عدد سكانها بأكثر من 10000 نسمة حالياً.

بالإضافة إلى الهجرة يتعاطى بعض سكان المنطقة خاصة في عالية الواد لزراعة الكيف مما يمكنهم من الرفع من مداخيلهم، خاصة وأن الأثمنة التي تباع بها المحاصيل مرتفعة مقارنة بباقي الأنواع الزراعية المنتشرة بالمنطقة.

جمال الكركوري

**الـغَيْضَة** ويكتب الغَيْدَة أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Algaide وهو اسم مدينة إسبانية. ومن أفرادها : الحاج عبد الكريم الغيضة كان يرأس فرقة المدفعية بحامية تطوان سنة 1246 (1831).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الـغيطة** (آلة -) موسيقية من ذوات النفخ. عرّفها قاموس الموسيقي العربية فذكر أنها هي "الصّرنَايْ" أو "السرناي"، وهي صنف من المزامير، غير أنها أحَدّ تمديداً من سائر أصنافها". وإلى السرنايات أشار ابن بطوطة في الرحلة وهو بصدد وصف موكب السلطان أبي سعيد ببغداد فقال : "وتُسمى عندنا (أي بالمغرب) بالغيطات"، كما قال بصدد حديثه عن استقبال زوجة محمد أوزبك قبيل وصولها إلى القسطنطينية : "الصرنايات، وهي الغيطات".

والغيطة اليوم آلة هوائية، تحمل منفخا صغيراً ينفخ فيه فيؤدي الريح إلى أنبوب خشبي مخروطي الشكل، دقيق في أعلاه، طوله حوالي ثلاثين سم، يتسع بالتدريج إلى أن يبلغ عند طرفه الأسفل نحو عرض كف اليد، وبه ما بين سبعة وعشرة ثقوب يحدث عقفها بالأصابع أصواتا موسيقية متفاوتة الدرجات.

ويعتمد استخدام الغيطة على تقنية خاصة تتطلب تخزين كمية وافرة من الهواء داخل الفم، وأثناء تصريف الهواء في جوف الغيطة يتنفس النافخ عن طريق الأنف معوّضا بذلك الكمية المصرفة، وتلك عملية شاقة يتحول معها الفم بشدقيه إلى ما يشبه قربة هواء.

تستخدم الغيطة في أنماط متعددة من الموسيقى الشعبية، ومنها أغاني رقصات غياتة، وأغاني جبالة المعروفة بالطقطوقة الجبلية، كما تستخدم في عروض المجموعات الشعبية الشهيرة باسم "الطبالين والغياطين"، وذلك في الأعياد الدينية ومواسم الأولياء وفي المناسبات العائلية كحفلات العقيقة والختان وختم القرآن، أو لإيقاظ الناس للسحور في ليالي رمضان.

وقد كان من عادة "الطبالين والغياطين" بفاس حتى أوائل القرن العشرين أن يقوموا في أيام الجمع بمسيرة موكبية عبر الأسواق تنتهي عند ضريح المولى إدريس الأزهر : فخلال الجمع الأربع من كل شهر قمري تقوم المجموعة بضرب "النوبات" وهي عبارة عن معزوفات موسيقية كانت تؤدى أمام الضريح الادريسي على النحو التالي :

- نوبة بيماريشال، ونوبة هالي في الجمعة الأولى من الشهر.
- نوبة شابور أو شنبر الكبير، والمربع في الجمعة الثانية.
- نوبة بشرف، وتركيد الخمسة في الجمعة الثالثة.
- نوبة الحربي الفاسي، والحربي الوزاني في الجمعة الرابعة.

ومن خلال أسماء هذه المعزوفات يتبين أنها تعكس مفاهيم إيقاعية وبنيوية مشرقية الأصل، مما يقوّي احتمال أن تكون من المستعملات الموسيقية التركية التي تسربت إلى المغرب من الجزائر بعد احتلالها من الأتراك، وهي مستعملات لا يتطرق الشك إلى نسبتها التركية، فإن "البشرف" يعني المقدمة الآلية المؤلفة من خمسة أجزاء يطلق عليها "الخانات"، بينما يعني "الشنبر" في الطرب الغرناطي بالجزائر المقدمة الآلية التي يمهد بها لأداء "نوبة الانقلابات".

وإلى طائفة "الطبالين والغياطين" يشير التادلي في كتابه فيقول : "ولأهل الطبل والغيطة طبوع أولها رأس النوبة، ثم بشراف ... ثم حربي ..."

ابن بطوطة، *الرحلة* ، وتقديم وتعليق، د. علي المنتصر الكتاني، 1399 / 1979، ج 1، ص. 252 و384، ج 2، ص. 456 ؛ إبراهيم التادلي، *أغاني الشقا ومغاني الموسيقي*، خ. غ. رقم 3285 د، ص. 43 ؛ ح. علي محفوظ، *قاموس الموسيقى العربية*، بغداد، 1977، ص. 83 و106.

Chottin Aexis, *Tableau de la musique marocaine*, p. 166-167.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**غيغاية** (واد -) ينبع الواد وروافده الأولى من حلبات جليدية قديمة، تكونت فوق صخور صهيرية ترجع إلى ما قبل الكمبري، ويتسع مجراه ويستوي سطحه بفعل التعرية الجليدية والصقيعية التي خلفت به مقعرات صغيرة طمرتها الرواسب وتحولت إلى مروج ندية، لكن مجراه يضيق ويتعمق

بعد عدة كلومترات من منابعه خاصة عندما يعبر كتلا گرانيتية وصخوراً كلسية صلبة ترجع إلى الزمن ج 1، ثم يتسع قليلاً عند إمليل، حيث يلتقي برافدين مهمين من ضفتيه اليمنى واليسرى، وبعد ذلك يتعمق في صخور حتية وگرانيتية وكلسية، يلتقي في نهايته بمجراه الرئيسي إمنان عند مدخل حوض آسني، الذي هو عبارة عن بهرة تمتد على طول الواد لمسافة 6 كلم، تتكون من صخور هشة : طين وطفل، حفرها الواد مستغلا وجود فالق طولي يشرف عليه من الجهة الغربية إفريز هضبة كيك من علو 300 متر، ومن جهة الشرق إفريز مقابل لهضبة إفغان أو سيدي فارس.

وعند خروج الواد من حوض آسني يتعامد مع ثنية محدبة من الشيست الصلب ترجع إلى فترة الفحمي بالزمن ج 1، فيتعمق بها مشكلاً خوانق ضيقة على طول 3 كلم تعرف بخوانق مولاي إبراهيم، لا تتسع لغير مجرى الواد. وبعد خروجه إلى السهل يجد سحنة هشة من الطين والطفل ترجع إلى البرموترياس، فينحتها وينثر عليها رواسبه مكوناً مخروطه الذي تعمق فيه، وبفعل الحت الجانبي لثنيات سريره، يكون حوضاً فلاحياً صغيراً انتشرت به بساتين تاحناوت منذ القديم. وهنا يتسع قليلاً عند ملتقاه بآخر رافد له وهو : واد سيدي فارس، الذي ينبع من سفح جبل تيزراك. وتظهر هنا عدة سطوح نهرية عند مخرجه. وعندما يترك مخروطه الحديث عند دوار سيدي امحمد أو فارس بنقطة ارتفاع 960 متر يخرج إلى سهل الحوز عابراً بقايا مخروط قديم يتسع مجراه مكوناً سريراً رملياً واسعاً، وهنا تجف مياهه إذ تستنفد السواقي ما تبقى منها. ويلاحظ أن واد غيغاية وإن كان يعتبر من روافد واد تانسيفت فإنه لم يعد يتصل به إلا نادراً إذ يتفرع بعد اجتيازه تلال موسخة قرب تامصلوحت إلى فرعين هما : البهجة القديمة الذي تضيع مياهه الفيضية في جريان منتشر على بعد عدة كيلومترات، والبهجة الجديدة الذي لازال يحتفظ بمجرى يربطه بواد تانسيفت. ويلاحظ أن الواد يتغير اسمه حسب مقاطعه، ففي العالية يعرف بأسيف آيت ميزان، وبمجراه الأوسط بحوض آسني يعرف بواد مولاي إبراهيم، وبمخروط تاحناوت يعرف بواد غيغاية، وبمجراه الأسفل يعرف بواد البهجة.

ويعتبر غيغاية من الوديان التي خضعت لمراقبة مبكرة منذ 1927 ، إذ يتوفر على خمس محطات لقياس الأمطار ومحطتين لقياس الجريان والحرارة موطنة في الأماكن الحساسة على طوله. يبلغ معدل جريانه السنوي 58 مليون م$^3$، أما التصريف اليومي فيتراوح بين 1.2 م 3 / ث إلى 470 م$^3$ ث، لكن معدل الجريان يعرف تباينا حادا من سنة لأخرى، فقد عرف الواد فترة مطيرة في عقدي الستينيات والسبعينيات، لكن بعد الثمانينيات تناقصت أمطاره كثيراً، مما يؤثر على مشاريع الري، إذ يبلغ معدل الجريان السنوي الأدنى والأعلى1 ـ 11.

وتبلغ الحمولة الصلبة حوالي 3.5 كلغ / م$^3$، إذ يقتلع حوالي 5200 طن / كلم$^2$ من مساحة حوضه، لكن نسبة أملاحه ضعيفة تقل عن 0.5٪.

ويعتبر واد غيغاية من أقدم الوديان التي أقيمت عليه شبكة ري تقليدية سواء داخل الجبل أو بسهل الحوز، وكان كذلك من أول الوديان التي خضعت للاستغلال الاستعماري، إذ أقيم عليه سنة 1936 حاجز من الإسمنت بتاحناوت لتحويل مياهه إلى قناة جديدة : الباشية (الرومية) بالضفة اليمنى طولها 15 كلم، معدل تصريفها 1 م 3 / ث لسقي التجزئة الاستعمارية بأغواطيم جنوب مراكش، وهذا ما أدى إلى استغلال أكثر من 80٪ من مياه جريانه السنوي. كما أن أول منشأة عصرية لتزويد مدينة مراكش بالماء الشروب، وهي خطارة أزوگار، حفرت بمجرى واد غيغاية للحصول على قسم من مياه جريانه الباطني، حفر بئر رأسها عند دوار آزرو بتاحناوت.

أحمد هوزلي

**غيغاية** (حوض -) يرتبط بالأحواض المجاورة عن طريق مجموعة من الفجاج العالية يتجاوز علوها 3000 م، أهمها : تيزي ن وگان، وتيزي ن تاغرات، وتيزي ن مزيك، المشهورة في مسارات السياحة الجبلية المزدهرة بهذه المنطقة. يبلغ طوله من منبعه بتيزي ن واگان إلى مخرجه إلى السهل عند تاحناوت 40 كلم، ومساحة حوضه 225 كلم$^2$ يتلقى أهم روافده بضفته اليمنى وهو واد إيمينان عند لالا عزيزة بمدخل حوض أسني على علو 1244 م. تعرض حوضه الجبلي لعوامل تعرية متنوعة قوية طيلة الزمنين ج 3 وج 4 وذلك بسبب انتهاض الكتلة الجبلية بفعل الحركة الألبية، وانخساف سهل الحوز، مما جعل الواد يتعمق في واديه مكوناً خوانق ضيقة. وهو واد سلفي اتخذ مكانه مبكراً مما يفسر عدم تكيف مجراه مع البنية الجيولوجية عموماً، إذ نجده يقطع أعرافاً وطيات وفوالق بشكل عمودي. يتكون مجراه الأعلى من حوض متعمق في كتلة توبكال المرتفعة، تتكون من صخور الحث والرصيص والبازالت ترجع إلى ما قبل الكمبري، تظهر بها دكات خضراء داكنة من اللافا ترسم بالمنحدرات الحمراء أفاريز متقطعة. أما بقعور الوادي فيكثر الشيست والحث : البرموترياس. ويسود بالقمم العليا الشيست الأخضر والرمادي الكمبرو أردوفيسي تعلوه أحيانا دكات من الكوارتزيت. وهذه البنية هي نتاج عملية تسوية في الدورة الهرسينية. تناولتها عوامل تعرية لاحقة ولم يبق منها إلا شواهد صلبة مثل : هضيبة تاز اغارت ومحدبات بأعلى قمم وانوكريم وتوبكال المكونتين من صخور الأنديزيت والريوليت ترجع إلى ما قبل الكمبري. وتظهر بجوانبها كتل گرانيتية متقطعة تتخللها أحيانا تدفقات اللافا التي تظهر خاصة على مستوى بعض أودية الروافد. ويوجد بجوانب القمم والهضيبات المعلقة بقايا بنيات صخرية ترجع إلى أزمنة مختلفة أهمها :

أماكن تنتمي صخورها إلى الزمن ج 2 : سحنات من الرصيص والحث الترياسي ذات لون أحمر، بالإضافة إلى سحنات كاربونية وصلصالية ترجع إلى اللياس والكريتاسي تكون بعض الهضيبات المجاورة مثل كيك.

المناخ : إذا كان مناخ الحوز يتميز بالقارية وقلة الأمطار، فإن عامل الارتفاع يجعل المناخ بأودية الأطلس الكبير المراكشي أكثر اعتدالاً ومطراً، وينتمي حوض واد غيغاية حسب تصنيف أمبرجي إلى المناخ شبه الجاف ودون الرطب، إذ يعترض الرياح الشمالية الغربية الرطبة فيتلقى مقادير من الأمطار تزداد كميتها من الهوامش الشمالية نحو عالية الحوض كما يتضح ذلك في الجدول التالي :

| المحطة | الارتفاع بالأمطار | معدل الأمطار (ملم) |
|---|---|---|
| تحناوت | 925 | 465 |
| آسني | 1200 | 486 |
| أرمد | 1850 | 609 |
| ماوى توبكال | 3200 | 896 |

ويكون التساقط بعد علو 2000 متر مزدوجا ما بين أمطار وثلوج، وبعد 2500 متر يكون التساقط على شكل ثلوج تبقى على السطح في الفصل البارد عدة أسابيع، وبتغذية إضافية تبقى على السطح بالقمم والسفوح المحمية عدة أشهر، وتبقى بالمناطق المحمية من الرياح وأشعة الشمس إلى يوليوز وغشت خاصة في بعض السنوات الكثيرة التساقطات. وهناك أماكن تبقى فيها الثلوج متصلبة على شكل ارتجاج لا تكاد تتناقص في الخريف حتى يعاد تطعيمها بالثلوج الجديدة، أهمها بهذا الحوض : أخدود صغير بحلبة جليدية قديمة : أمغراس ن إكلوا.

والجدير بالذكر أن معظم الأمطار تسقط في الفصل البارد، حيث يتوقف الإنبات، مما يقلل من أهميتها، وفي الصيف عندما ينشط الإنتاج الزراعي بالجزء المسكون ابتداء من حوض قرية أرمد فإن الأمطار تنحبس مما يجعل الري ضرورياً للحياة الزراعية. وهنا يقوم الواد بدور حيوي.

الحرارة : يطغى عليها الطابع الجبلي والقاري، تعرف معدلاتها تقلبات حادة، حيث تنتقل ما بين 5 و10 دون الصفر كنهايات دنيا شتاء بمجراه الأوسط والعالي إلى أكثر من 40 درجة صيفاً بحوض آسني وتاحناوت خاصة. لكنها بصفة عامة يطغى عليها تأثير الجبل المتميز بطابع المناخ الجبلي البارد شتاء والمعتدل صيفاً إذ قلما تتجاوز 25 درجة نهاراً مع وجود مدى حراري يومي كبير سواء في الصيف أو الشتاء، كما يتعرض واديه الأعلى وقممه أحيانا لموجات من البرودة الشديدة وتساقط الثلوج التي تغطي كل القمم والسفوح الدنيا بل تتجاوز الجبل أحيانا إلى الدير، إذ كانت تسقط حتى بمركز تاحناوت في بعض السنوات الرطبة.

التربة : تتمير بفقرها وعدم تماسكها، لأنها هيكلية قريبة في صفاتها من الصخرة الأم، كثيرة المفتتات الرملية، ولا تكون متماسكة إلا بسافلة توضعات الميوبليوسين، يميل لونها إلى الاحمرار، تختلط بالحصى، لكن حوض آسني يتميز بتربة خصبة نسبيا، تتكون من رواسب الواد وتوضعات السفوح الحمراء المتكونة من الطين والطفل وكلس الأيوسين.

يكتسي الغطاء النباتي الطبيعي بهذا الحوض أهمية بالغة إذ يميزه عن بقية الأحواض ويمنحه جمالاً ورصيداً سياحياً مهماً. كما يوفر مجال رعي وتشغيل واسع. تبلغ نسبة التغطية الغابوية بهذا الحوض حوالي 57٪. تنتشر الأشجار على السفوح الشمالية إلى علو 2200 متر، تقوم بوظائف بيئية واقتصادية مهمة، لكن تزايد السكان المعتمدين في حياتهم على الرعي قلص من مساحتها، إذ استؤصلت الأشجار من كثير من السفوح والأحواض. وتتوزع الغابات على الجماعات القروية كما يلي :

- غابة غيغاية : تنتشر بجماعتي تاحناوت وآسني، مساحتها : 25334 هكتار، تتكون في معظمها من أشجار البلوط الأخضر : 18450 هكتار.
- غابة سگتانة بجماعة تاحناوت : مساحتها 1564 هكتار، تتكون في معظمها من إعادة التشجير : اللوز والأوكاليبتوس.

ومن العوامل المتحكمة في توزيع أنواع الأشجار التنطيق حسب العلو الذي يغلب عليه الترتيب التالي :

- 900 . 1300 متر : تنتشر أشجار الثويا تختلط في طبقاتها العليا بالعرعار الأحمر وأشجار محلية ثانوية.
- بعد علو 1300 متر تنتشر أشجار البلوط الأخضر، ورغم استئصال مساحات كبيرة منها فإنها مازالت تمثل أكثر الأنواع انتشاراً.
- وبعد علو 1800 متر تبدأ طبقة العرعار الفواح في الظهور، وتتسلق المنحدرات إلى علو 2400 متر. ثم تظهر بعدها طبقات الأعشاب "الألبية" التي تتكون من نباتات شوكية وأعشاب قصيرة، ولا نجد عند علو 2500 . 3300 متر حسب التوجهات سوى أراضي صخرية موحشة. أما بمخروط الدير فإن النبات الطبيعي الغالب هو السدرة وأحيانا الدوم، بالإضافة إلى بعض مناطق التشجير بالأوكاليبتوس وصنوبر حلب واللوز والصبار.

يتميز حوض غيغاية باستقرار قديم، تؤكده درجة تهيىء المجال وتعدد المدرجات والسواقي والقرى والحصون. وقد كان هم سكانه الأساسي تحقيق أقصى درجة ممكنة من الاكتفاء الذاتي، يهتمون خاصة ببناء الحظائر لحماية مواشيهم التي تتكون في معظمها من الماعز والأغنام، ترعى بالأودية العليا والغابات والهضيبات المعلقة صيفاً، وقد كانت لهم مراعي شتوية بسهل الحوز، لكن صارت المواشي اليوم تقضي شتاءها بالغابات والأحواض القريبة من الدوار. وكانت

المراعي الجبلية تثير صراعات مزمنة بين القبائل خاصة مع قبائل السفوح الجنوبية الأكثر جفافا، التي استولت منذ قرون على مراعي عالية وادي غيغاية. وزادت الصراعات بين القبائل في النصف الأخير من القرن (19) بإذكاء نزاعات قواد الأطلس الكبار لبسط نفوذهم على أكبر قدر من المجال الجبلي. لقد أضفى كل هذا على المنطقة طابعاً من العداء المتبادل بين القبائل والفخذات، بل بين القرى وأحيانا حتى بين الأسر بسبب التنازع على تقسيم الإرث، مما يتسبب في تقليص سكان الوادي إما بالموت أو الهجرة إلى مراكش أو سهل الحوز، خاصة إلى مخروط واد غيغاية، الذي عرف توسعا وتكثيفا لفلاحته بعد دحر قبائل الرحامنة عنه في منتصف القرن (19)، وبدأ السكان الجبليون يعودون إلى قراه لإحياء زراعته المسقية : بلاد أغواطيم.

وينتشر اليوم على طول واد غيغاية ثلاث جماعات قروية هي : (إحصاء 1994)

- جماعة آسني : مساحتها 102 كلم$^2$، سكانها 16216 نسمة، تتكون من مشيختين، و30 دواراً، أكبرها أكادير إسمير 1297، وأرمد 873. أما مركز آسني الجديد فلا يتجاوز سكانه 483 نسمة، لأنه مركز تجاري وإداري أكثر منه سكني. أما دوار آسني القديم الموجود بعالية الحوض فيبلغ سكانه 1061 نسمة.

- جماعة تاحناوت : مساحتها 272 كلم$^2$، سكانها 21112 نسمة، تتكون من أربع مشيخات و90 دواراً، يبرز بينها خاصة مركز تاحناوت : 4462 نسمة، الذي ارتقى منذ عقود إلى مستوى مركز حضري وزادت أهميته بعد تحوله إلى عاصمة إقليم الحوز.

- جماعة تامصلوحت : مساحتها 265 كلم$^2$، سكانها 17138 نسمة، تنتشر أراضيها فوق المجرى السهلي لواد غيغاية المعروف هنا بواد البهجة، وتبرز هنا مدينة تامصلوحت القديمة : 4758 نسمة.

الأنشطة الاقتصادية : تلعب الزراعة المسقية دوراً رئيسياً في اقتصاد الوادي، إذ يعتمد على سقي دائم لمروجه بسرير الواد وبساتينه المنتشرة بأحواضه ومدرجاته. ولكل مالك نصيبة من الأرض وماء الري، الذي يستمد من ماء الواد وأحيانا من بعض العيون.

وتدير مياه الواد والسواقي في جريانها عدداً من مطاحن الحبوب التقليدية. ويغذي واد غيغاية 8 سواقي رئيسية تاريخية عند مخرجه بتاحناوت، أهمها : الساقية الباشية المرصفة التي تتغذى من السد الحاجز على الواد. وهناك عيون تلعب دوراً رئيسياً في السقي، وخاصة في تزويد القرى بالماء الشروب باعتبار نقاء مائها ودوام صبيبها، إذ قلما يجف بعضها صيفا، وأنشئت لها مؤخراً صهاريج وجمعيات تنظم استغلال مياه السقي وتقوم بإنجاز بعض المشاريع كتبليط أقسام من الساقية أو بناء صهاريج أو خزانات وأحيانا توزيع الماء بسقايات الدوار وتوزيعه عبر شبكة من الأنابيب على بعض المنازل.

أهم المزروعات : الحبوب الشتوية، وهي الشعير والقمح والحبوب الربيعية وهي الذرة، ثم المزروعات الصيفية أي الخضر وقد كانت قديماً تتكون من اللفت والبصل والقرع، والآن يوجه الاهتمام إلى زراعة تسويقية للبطاطس والطماطم. كما تزرع دائماً الفصة لتغذية المواشي، وتتزود هذه المزروعات التي تحظى بعناية كبيرة بمياه الواد وذلك بتحويل قسم من مجراه إلى ساقية عن طريق سد مؤقت من الحجارة والرمال والأغصان، تستبدل أحياناً بأكياس بلاستيكية مملوءة بالرمال مما أعطاها فعالية كبيرة صارت تهدد سكان السافلة بحرمانهم من مياه الواد الذي يستنفده سكان العالية خاصة وأنهم صاروا يعتنون بزراعات شجرية ذات مردودية عالية هي البرقوق وحب الملوك والتفاح. وتنفصل غالباً ملكية الأرض عن ملكية الماء، ويقسم كلاهما بين الورثة بتوالي الأجيال إلى حدود اللامعقول، وليست هناك وسيلة لإصلاح الأوضاع ودمج الملكية إلا جزئيا بالبيع والهجرة. وكانت الوسيلة التاريخية لإعادة دمج الملكية، هي ما يقوم به بعض القواد والشيوخ وأصحاب النفوذ بالشراء المفروض والمصادرة وطرد الخصوم أو إبادتهم، ولهذا لازالت أهم الملكيات الواسعة نسبيا هي ما كونوه واشتراه منهم بعض المعمرين وحولوه إلى ضيعات، وتتعرض هي الأخرى إلى التفتيت بإعادة التقسيم بين الورثة إذ لم يسلم منها إلا الضيعات المسترجعة التي انتقلت ملكيتها إلى مؤسستي "صوديا" و"صوجيتا"، إذ لا زالت تكون مزارع نموذجية عصرية لزراعة التفاح وحب الملوك وغيرهما من المزروعات التسويقية الجديدة. ولازال لأشجار الجوز أهميتها بعالية الوادي، ويجري استبدال الأشجار الهرمة التي تقطع وتباع أخشابها لنجارة ثمينة، بنوعيات جديدة مستوردة سريعة النمو. أما زراعة القطنيات فإنها تراجعت كثيراً. وأما الكمون والثوم والحناء التي اشتهرت بها منطقة تاحناوت ويقال إنها استمدت اسمها منها، فقد أشرفت على الاندثار.

تعرف الزراعة الشجرية تحولاً مهماً إذ انتشرت أشجار البرقوق والإجاص والتفاح وحب الملوك في مزارع كثيرة واستقطبت رؤوس أموال حضرية وأموال الهجرة، بالإضافة إلى استثمارات بعض الموظفين المحليين وأبناء الأعيان. ويهتم الملاكون الصغار بإعادة تجديد مزروعاتها بإزالة الأشجار الهرمة للزيتون وغرس أشجار التفاح، وأنشئت مخازن مبردة لحفظه قصد توجيه إلى الأسواق الحضرية خاصة مراكش والدار البيضاء. إن زراعة أشجار التفاح توسعت كثيراً لدرجة إفرازها لثورة زراعية غيرت أساليب الإنتاج بل والعلاقات الاجتماعية برسملة العمل والمياه وغيرهما. لكن المجال الزراعي ضيق جداً والملكية صغيرة إن لم تكن قزمية، تتميز بكثافتها واستعمال الأسمدة الطبيعية والاصطناعية، وهي مهددة دوماً بتخريب فيضان الواد والسيول وأحيانا

تتعرض لعواصف مطرية أو ثلجية وفيضانات قوية، ولازال السكان يذكرون فيضان يوم 19 غشت 1995، حيث نقل الواد رمالاً كثيرة أطمر بها مساحات مزارع كثيرة وترك فوقها جلامد ضخمة واقتلع الكثير من الأشجار ببساتين سريره خاصة.

ولازال الرعي يكتسي أهميته رغم تدهور المراعي باستفحال الجفاف والرعي الجائر وندرة الرعاة الجادين. ويجد الماعز في السفوح وغابات العرعار والأودية العليا مراعي صيفية غنية يرافقه عادة بعض الأغنام الجبلية التي تتميز بصغر حجمها. كما تتوسع تربية الأبقار في الحظائر التي لم تعد تكتفي في غذائها بأعشاب المروج الطرية وبقايا المنتوجات الفلاحية والفصة والتبن. بل تتغذى كذلك بالعلف المصنع خاصة الشمندر والنخالة، لأن الفلاحين صاروا حريصين على تربية الأبقار الرومية والمهجنة لإنتاج الحليب إذ تأسست عدة تعاونيات لتسويق الحليب بكل من آسني وتاحناوت.

ويعرف الوادي استغلالات معدنية تتجلى في أوراش الباريتين والموزاييك ومناجم قديمة صغيرة للنحاس أهمها : منجم تاشديرت، توقف العمل به منذ الثمانينيات. وأهم مناجم الباريتين المستغلة حالياً هي منجم سيدي فارس بهضبة أفغان، كما يستغل الجبس بحوض آسني حيث توجد له خمسة أفران موزعة بهوامشه، تحرق صخور الجبس بحطب الغابات المجاورة لتحويله إلى جبص.

ولعل أهم نشاط يشتهر به حوض غيغاية اليوم هو السياحة الجبلية التي يكون الوادي أحد أهم محاورها بالمغرب، إذ يوجد بعاليته عدد من المآوي الجبلية أهمها : مأوى توبكال الذي أعيد بناؤه وتحول إلى فندق جيد لمبيت حوالي 140 شخصاً من العازمين على الصعود إلى قمة توبكال وقمة وانوكريم. كما يكون مركز إمليل أهم قاعدة لانطلاق الرحلات الجبلية، يوجد بها المرشدون الجبليون والبغال للقيام بجولات عبر الأودية العالية وعبور عدد من الفجاج العالية التي تصل بين الروافد العليا لواد نفيس وأوريكة وتيفنوت، ويعرف هذا النشاط توسعاً كبيراً وذلك بزيادة عدد غرف المبيت لدى السكان القرويين، كما يجتذب إليه استثمارات محلية كثيرة وطاقات شابة طامحة.

أ. هوزلي، *التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي* ؛ *تدبير الموارد المائية بحوض غيغاية*، بحث للطالبة نادية المرسلي، شعبة الجغرافيا، كلية الآداب، مراكش ؛ *بحوث ميدانية ودراسات قطاعية حول السياحة الجبلية وإعداد المجالات الجبلية، وإعداد موارد المياه*.

أحمد هوزلي

**الـغيغائي، محمد** بن عبد الله يتعلق الأمر بمؤلف رحلة حجازية اسمه محمد بن عبد الله بن مبارك بن الحاج علي بن محمد الغيغائي، أصله من قبيلة غيغاية الواقعة في أحواز مراكش، غير أنه كان يقطن بقرية اسْكُرْ بأوريكة.

ويبدو أنه كان من حاشية قائد قبيلة أوريكة آنذاك مَحمد القُرشي. قام برحلتين صوب الحجاز : الأولى عام 1263 / 1847 ، والثانية عام 1274 / 1858 ، وقد دون أخبار رحلته الثانية - في مخطوط يقع في 454 صفحة من الحجم المتوسط - بالحاح من بعض أصدقائه بمدينة مراكش وعلى رأسهم المؤلف المشهور محمد الأمين الصحراوي، انتهى من تدوين رحلته في 12 شعبان عام خمسة وسبعين ومائتين وألف.

وكان الغيغائي قد غادر داره بقرية اسْكُرْ بأوريكة في منتصف شعبان عام أربعة وسبعين ومائتين وألف رفقة القائد محمد القُرشي المتوفى بالمدينة المنورة أثناء أدائه لمناسك الحج. ورغم أهمية مضمون هذه الرحلة، فإنها ظلت غير معروفة في المصادر، فباستثناء إشارة بسيطة أوردها المَختار السوسي (في الجزء التاسع من *المعسول*، ص. 153)، فلا نجد لها ذكراً في مصادر أخرى، فالعباس بن إبراهيم، صاحب *الإعلام*، لم يُترجم له، بالرغم من كونه كان من الداخلين إلى مدينة مراكش، لذلك تبقى الرحلة المصدر الوحيد لاستقاء معلومات عن حياته، ويبدو أنه من مواليد بداية القرن التاسع عشر، وذلك حسب ما أورده في الرحلة من كونه "... أدرك الذين حجوا أثناء حملة نابليون على مصر (1798 - 1801). أما عن تكوينه الثقافي، فيبدو من خلال قراءة نص الرحلة أنه يمتلك نصيباً مهماً من ثقافة عصره، ويتجلى ذلك من خلال سرده لمجموعة من الاستشهادات التي استقاها من مؤلفات متنوعة سواء لمعاصريه أو للقدامى : مغاربة ومشارقة، وذلك في شتى أنواع المعرفة المتداولة في عصره، وهو كذلك شاعر، له عدة قصائد بالعربية تضمنتها الرحلة، كما نظم قصيدتين بالأمازيغية تدل الأولى على ما يقع من السرور للحجاج عند رؤية المدينة المنورة، وهي قصيدة طويلة في نحو ثلاثمائة بيت، والقصيدة الثانية كذلك مثلها (*الرحلة*، ص. 15 - 16)، كما أن هناك إشارة في الرحلة تفيد أن المؤلف له معرفة بعلم الفلك الذي لا يمكن تعلمه إلا بعد اكتساب معارف أخرى، كما أشار في الرحلة بأنه ناصري الطريقة. ومع كل هذا فالغيغائي لا تعرف له تآليف أخرى سوى هذه الرحلة الحجازية ولا يتناقض هذا الحكم مع ما أشار إليه في مقدمة الرحلة من كونه "... ليس ممن يجمع التآليف ولا ممن يصدر منه الكلام المنيف ...". أما أهم ما تضمنته الرحلة من أخبار، فالذي يكاد ينفرد به الغيغائي عن غيره من مؤلفي الرحلات الحجازية خلال القرن التاسع عشر هو إسهامه في وصف التقنيات الحديثة كالباخرة والتلغراف والقطار والمطبعة، وأبرز تردي أوضاع المسلمين أمام تفوق الأوربيين، كما تضمنت الرحلة المقارنة بين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بين مصر والمغرب خلال تلك الفترة.

أما تاريخ وفاته فهو غير معروف، غير أن إحدى التقاريظ في مؤلفه تفيد أنه كان بقيد الحياة في جمادى

الأولى عام 1282 / 1865 ، أي سبع سنوات بعد عودته من الديار المقدسة.

م. بن عبد الله، *رحلة الغيغائي*، مخطوط مصور على الميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط، رقمه، 12.

حسن أنشاد

**غيلان** ، بيت الجهاد والعلم والولاية بالشمال الغربي المغربي. أصل الأسرة القديم غامض، إلا أن هناك من يرده إلى قيس غيلان. ومما يرجح هذا الأصل العربي القديم وجود الأسر الغيلانية بمكة المنورة واليمن، ويتصل بهذا الأصل بناء على ما قيل من انحدار الأسرة الغيلانية المغربية من قاضي مولاي إدريس المدعو الفقيه عمر بن محمد بن سعيد القيسي. ومن المرجح أيضا أن أعقاب القاضي تركوا مدينة فاس إثر انتشار الأدارسة بالشمال للاستقرار ببني كرفط.

غير أن ابن رحمون رشح في *"شذور الذهب في خير النسب"* انتماء أولاد غيلان إلى القطب الشيخ عمر الحسني الميموني الفجيجي، المتوفى سنة 1026 / 1617، أو التي تليها. وهذا هو ما ورد أيضا في كتاب التشوف لرجال التصوف، أحد مصادر القرن العاشر الهجري، عن الولي إبراهيم الكرفطي الحسني الفجيجي.

وأغلب قرارات الأسرة الغيلانية في الوقت الحاضر يوجد بمدشر الزراق الكرفطي، بجوار سوق السبت من ناحية الشمال الشرقي، حيث مدفن الشهير عمر بن إبراهيم غيلان الحسني الميموني الفجيجي رفيق سيدي علي الشلي السريفي، وهو من أتباع الطريقة الشاذلية وعلي بن علي وسيدي رزوق وسيدي داود. ومن أعيانهم بنفس المدشر في مستهل القرن العشرين كل من محمد الهاشمي غيلان، وسيدي عبد الله غيلان الذي عزله الشيخ أحمد الريسوني، وأيضا سيدي الطاهر وسيدي الوافي وسيدي إبراهيم من القائمين بإدارة الزاوية الغيلانية بنفس المدشر.

ونجد بدار القرمود قبر سيدي العربي المعروف بسبع القبب. وبمدشر الرملة يوجد قبر سيدي إبراهيم غيلان. وبقبيلة الساحل بمدشر كيسان نجد قبة سيدي محمد بن علس غيلان. وعدد منهم بمدشري الرواح والريحيين. بينما عاش أحمد غيلان بعزيب بن ريسون، بعماير الخلوط على الضفة اليسرى من واد المخازن. وهناك مجموعة من الغيلانيين التطوانيين المهاجرين من الأندلس. ومن الأسر القديمة العالمة، واحدة منها تدعي الانتساب إلى أحمد الركينة وزير السلطان المولى عبد العزيز. ومن الغيلانيين عدد من الأسر بمدينة القصر الكبير.

التادلي، *التشوف إلى رجال أهل التصوف*، مخ. خ. ع. بالرباط ؛ أ. قدور، تيطاوين *المدينة والمجتمع في العصرين الوسيط والحديث*، أطروحة مرقونة، القنيطرة، 2004 ؛ عبد السلام بن أحمد غيلان، *زاوية أولاد غيلان*، القنيطرة، 1987 ؛ *زيارة ميدانية* لبني كرفط، سنة 1993 و1996 و2000.

Archives Marocaines, *Le Rais El-Khadir Gailan*, v. 18,aris, 1912, p. 1-105.

حسن الفكيكي

**غيلان، إبراهيم** بن علي بن محمد بن مسعود بن عيسى بن عثمان بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن يوسف بن غيلان، ينتسب إلى مولاي إدريس، حفيد سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب، ويعرف بغيلان نسبة إلى أحد أجداده.

ويفهم من هذه السلسلة أن إبراهيم غيلان شريف النسب، ويؤكد أولاده هذا الانتماء بما لديهم من ظهائر سلطانية. ولذلك يحلو لهم، كما يحلو لبعضهم أن ينعت أحد أفراد هذه العائلة باسم ابن غيلان الحسني أو الغيلاني الحسني. ومن جهة أخرى يذكر البعض أن إبراهيم غيلان ينتمي إلى عائلة أندلسية، وأنه كان أول من انتقل إلى المغرب، من أولاد غيلان، واستقر ببادية بني جرفط في غمارة، وذلك حوالي القرن العاشر الهجري (16م)، فنسب إليها، وصار يعرف بالجرفطي. كما نسب أبناؤه إليه وعرفوا بأولاد غيلان الجرفطي.

وتذكر بعض الروايات أنه كان مجاهداً في الساقية الحمراء، ضد الاحتلال الإيبيري، وأنه استقر بها زمناً، وتزوج هناك، وأنجب أبناء اشتهروا بعده بالعلم والصلاح والجهاد. ولما علم أن البرتغاليين توغلوا في بعض المدن والضواحي في شمال البلاد، رحل إلى غمارة، واستقر في بني جرفط.

وتذكر الأخبار المتعلقة بحياة هذا الرجل أنه مر في طريقه إلى بني جرفط، عبر وزان، ثم الأخماس السفلى، وأنه نزل هناك في قبيلة بني تليد، في زاوية الشيخ يوسف التليدي، أحد كبار أولياء الطائفة الجزولية، ومن رجال الجهاد في غمارة ضد الغزو البرتغالي. وتضيف نفس الأخبار أن الشيخ التليدي احتضن إبراهيم غيلان، فتعاونا في تأطير العمليات الجهادية الشعبية. ولعل أهم ما أثمره هذا التنسيق انتصار المغاربة على البرتغاليين في معركة تسمى الدبنة، نسبة إلى محل يدعى بهذا الاسم بأعلى جبل بني جرفط، على حوالي 30 كلم من مدينة العرائش، وكان البرتغاليون قد شيدوا به ثكنة عسكرية، لمراقبة قبائل بني جرفط وسماتة، وذلك في عام 948.

وإلى جانب الجهاد، يوصف إبراهيم غيلان بالولاية والصلاح، ويصنف ضمن مريدي الشيخ يوسف التليدي. وهذا يعني أن إبراهيم غيلان كان من زعماء الجهاد المنضوين تحت لواء الطريقة الجزولية، التي اشتهر أمرها كثيراً في مقاومة الاحتلال الإيبيري للسواحل خلال القرن 10 هـ / 16 م. وقد ظل إبراهيم غيلان مجاهداً، وشيخاً مربياً على هدي التصوف الجزولي، في زاويته، التي أسسها بمدشر دار القرمود ببني جرفط، في بلاد غمارة (قبيلة سماتة حالياً).

توفي حوالي 985 / 1587 ، ودفن بهذا المدشر. ويقام بضريحه موسم متواضع كل سنة.

عبد السلام غيلان، *لمحات من تاريخ زاوية غيلان*، مطبعة معمورة، القنيطرة، 1987 ؛ ع. اللطيف الشاذلي، *الحركة العياشية ـ حلقة من تاريخ المغرب في القرن 11 هـ* ، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1982.

Peretie, *Le Rais el-Khadir Ghailan*, in *Archives Marocaines*, volume 18.

أحمد الوارث

**غيلان، أحمد** الخضر يعد من أبرز المجاهدين داخل هذه الأسرة، ولد حوالي عام 1026 / 1617 بمدشر الرزاق من قبيلة بني كرفط. كان من أتباع المجاهد العياشي، فلما توفي هذا الأخير سنة 1641 ، خلفه على رأس المجاهدين. وصفه الاوربيون بالشجاعة والتيقظ والميل إلى الزهد والتقشف. اصطدم بالدلائيين فهزمهم في معركة "بوحريرة". لكنه لم يتمكن من إخضاع مدينة تطوان لنفوذه إلا بعد وفاة حاكمها المقدم عبد الكريم النقسيس الذي ظل طيلة حياته وفياً للدلائيين. وقد انعقد الصلح بين غيلان وحاكم تطوان الجديد المقدم أحمد بن عيسى النقسيس عام 1072 / 1661. وبمقتضى هذا الصلح احتفظ هذا الأخير بحكم تطوان لكنه التزم بأن يقدم عدداً من الجنود لمساعدة غيلان في عملياته الجهادية. عمل الخضر غيلان على توفير الامكانات المادية اللازمة اللقيام بعملياته، فإلى جانب الضرائب الشرعية، ذكر بيريتيي أنه قام بفرض المكوس على التجار في المدن. وغطت غنائم الجهاد جانباً من حاجيات غيلان. وتجدر الإشارة إلى أن أسلحة المجاهدين كانت عبارة عن بنادق خفيفة وأسلحة بيضاء، لذلك كانت أغلب عملياتهم تعتمد على مباغتة العدو كلما سنحت الفرصة. لقد قاد الخضر غيلان الجهاد ضد البرتغاليين - ومن بعدهم الانجليز - بطنجة، وضد الاسبان المحتلين للمدن القريبة منه أي العرائش والمعمورة. ومن المعلوم أن طنجة احتلها البرتغاليون سنة 1471 ثم فقدوها لصالح الاسبان عقب معركة وادي المخازن سنة 986 / 1578. فلما استعادوا وحدتهم سنة 1641 ، عادت إليهم ممتلكاتهم بالمغرب، باستثناء سبتة التي احتفظ بها الاسبان. وكانت بذلك طنجة ضمن المدن التي استرجعوها.

هاجم الخضر غيلان البرتغاليين بطنجة سنة 1651، ورد الحاكم البرتغالي لطنجة بإرسال جنوده لإحراق المحاصيل الزراعية، وبعد مفاوضات بين الطرفين، أبرما اتفاقية هدنة سنة 1653. غير أن ذلك لم يمنع غيلان من إعادة الكرة ومهاجمة البرتغاليين بطنجة بمجرد انتهاء الهدنة. ولما انتقلت السيادة على طنجة إلى الانجليز حوالي سنة 1661 ، عقب زواج الأميرة كاترين دي براكانس من ملك انجلترا شارل الثاني، واصل غيلان التضييق عليهم، لكنه اضطر إلى التوقيع على هدنة معهم رغم الجهود التي بذلها الاسبان لإفشال المفاوضات. ذلك أن الاسبان، الذين عانوا من قبل بدورهم من العمليات الجهادية لغيلان وأتباعه ضد المعمورة والعرائش، نجحوا في إقناعه بالتوقيع على معاهدة للصلح والهدنة، تمهيداً لتحريضه على مهاجمة الانجليز بطنجة. ولئن نجحت محاولاتهم الأولى في ثني غيلان عن التقرب من الانجليز ومهادنتهم، فإن غيلان قبل التوقيع سنة 1666 على معاهدة مع الانجليز، خاصة وأنها كانت تتضمن التزام هؤلاء بتزويده بكميات من الأسلحة.

إن فهم هذا النوع من المعاهدات أو اتفاقيات الهدنة التي وقعها غيلان مع الأجانب يتطلب وضعها في إطار تطور الأوضاع الداخلية للمغرب ؛ فالخضر غيلان كان يسيطر على منطقة واسعة في شمال البلاد، لذلك كان قريباً من الاسبان المحتلين للعرائش والمعمورة وسبتة، والانجليز المحتلين لطنجة ؛ وكان عليه أن يستمر في مواجهة الدلائيين وأتباعهم خاصة من أندلسيي سلا وقبائل شراكة. أضف إلى ذلك ظهور الشرفاء العلويين كقوة ما فتئ نفوذها يتسع ويتزايد. كل هذه التطورات جعلت المجاهد غيلان أمام أخطار متعددة، فلم يكن بإمكانه سوى العمل على مهادنة طرف قصد التفرغ لمواجهة طرف آخر. وعلى ما يبدو فإن تلك المعاهدات كانت مناورات سياسية مؤقتة، بدليل أن غيلان كان يعود لمهاجمة الأجانب، بمن فيهم الانجليز والاسبان، بمجرد انتهاء الهدنة.

وقد أنجبت هذه الأسرة بعد الخضر غيلان، عدداً من العلماء والوطنيين الأجلاء، منهم الحاج أحمد بن محمد بن عبد السلام الذي جدد له السلطان مولاي عبد العزيز عام 1320 ظهائر التوقير والاحترام، وسيدي أحمد غيلان أحد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال.


عبد السلام غيلان، *لمحات من تاريخ زاوية أولاد غيلان*، المعمورة، القنيطرة، 1987 ؛ ح. بنسودة، *الخضر غيلان وحركته الجهادية*، بحث لنيل دبلوم المدرسة العليا للأساتذة، الرباط، السنة الجامعية، 1994 - 1995.

Pereté, *Le Rais el-Khadir Ghailan*, in *Archives Marocaines*, volume XVIII, Paris, 1912 ; *Sources inédites de l'histoire du Maroc,* 2° série, France, t. I, II et III, Pays-Bas, t. I.


عبد الإله الدحاني

**غيلان، العربي** ولد سنة 1920 بمدينة أصيلة من والديه محمد بن الصادق ورحمة بنت المهدي غيلان.

كان الفقيد من الوطنيين الغيورين مما جعله ينخرط في الهيئات السياسية الوطنية كحزب الإصلاح الوطني وحزب الاستقلال منذ سنة 1936 وفي سنة 1953 عند ما اشتعلت شرارة المقاومة المسلحة انضم إلى صفوفها تحت رئاسة المختار البقالي. وقد نشطت أعماله بالخصوص في محاربة الجاسوسية الفرنسية في الشمال. بالإضافة إلى ذلك فقد كان يزود خلايا المقاومة بطنجة بالسلاح بواسطة المقاوم علال بن عزوز ومحمد اطريباق وعبد السلام الصنهاجي وقد سخر نفسه ومنزله وكل ما يملك في سبيل استرجاع كرامة الوطن.

وافته المنية يوم 18 يناير 1996.


المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 519752.


**غيلان، عمر** بن إبراهيم الأندلسي ثم الجرفطي اقتدى بوالده فدخل عالم التصوف. وكان شيخه في طريق القوم هو

أبو الحسن علي الشلي الشدادي، دفين مدشر بوجديان بجبل سريف في غمارة، وكان أحد رفاق إبراهيم غيلان، والد أبي حفص، في صحبة شيخهما أبي الحجاج يوسف التليدي. بل لا يبعد أن يكون أبو حفص قد أخذ عن والده. والمهم في الأمر أنه كان جزولي الطريقة مثلهم جميعا.

والملاحظ كذلك أن أبا حفص لم يطب له المقام في زاوية والده بمدشر دار القرمود ببني جرفط، في بلاد غمارة. فإنه أسس زاوية جديدة خاصة به في مدشر يسمى الزراق، أحد مداشر بني جرافط.

وقد بلغ عمر بن إبراهيم غيلان مقاماً عالياً في العلم والتصوف، وكانت زاويته دار علم وتصوف، بشهادة تلميذه الشيخ أبي العباس أحمد بن الحاج البقال، الذي وصفه : بالولي الصالح، الشيخ الأستاذ الورع الزاهد الناصح، الخليفة الوارث لطريقة الكمال ... سيدي عمر بن إبراهيم غيلان ...»، بل اعتبره بعضهم من الأقطاب في مملكة الأولياء والصوفية. ومن ثم، حظي بمكانة سامية وبشعبية واسعة لدى عامة الناس وخاصتهم، في قبيلته وخارجها، حتى إن جنازته حضرها نحو خمسة آلاف شخص، وأن دفنه تأخر في انتظار حضور تلاميذه ومريديه وأصحابه الآخذين عنه طريقته الصوفية، ولم يوصل الشيخ إلى قبره إلا بمشقة لكثرة الازدحام، وحملت السيوف من أجل حمل نعشه، كل يريد التبرك بحمله. ولاشك أنه كان من المجاهدين أيضاً، مثل والده، وابنه المجاهد الشهير الخضر بن عمر غيلان، وغيرهم من أفراد هذه الأسرة.

وكانت وفاته في يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول 1028 / 1608 ، وليس عام 1027 ، كما أرخ ذلك القادري، ودفن بزاويته في مدشر الزراق أحد مداشر بني جرفط في غمارة، بإقليم العرائش.

م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني* ، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط، 1972 ؛ عبد السلام غيلان، *لمحات من تاريخ زاوية غيلان*، مطبعة معمورة، القنيطرة، 1987.

أحمد الوارث

**غيلان، محمد** بن عبد الصمد عالم من قبيلة بني كرفط الهبطية كان يرأس جماعة من مجاهدي قبيلته وقد انضم إلى صفوف الحركة الوطنية التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1914 وبقرية عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر حيث انتخب عضواً في المجلس الاستشاري للمقاومة ؛ كما شارك في المؤتمر المنعقد بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 ومؤتمر الزوة بقبيلة جبل حبيب ليوم 11 يناير 1915 وتقول عنه الوثائق الاسبانية إنه شارك على الأقل في 14 معركة رغم كبر سنه.

م. ابن وعزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**غيلانة**، اسمها آمنة بنت الفقيه محمد غيلان التطواني، وعرفت بلالة غيلانة، من أهل تطوان. نشأت في أسرة علمية، وقد حرص أبوها على تعليمها فأخذت بحظ وافر من علوم القرآن والحديث والفقه، حتى صارت عالمة مفتية. فكانت تعلم نساء بلدها أمور دينهن، وكانت إلى جانب ذلك امرأة صالحة.

توفيت عام 1189 / 1775 بمدينة تطوان، واتخذ الناس قبرها مزاراً تبركاً بصلاحها وعلمها.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 93 ؛ عبد العزيز بن عبد الله، *معطيات الحضارة المغربية*، الدار البيضاء، دار الكتب العربية، د. ت. 2 : 19 ؛ م. حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2406 ؛ عبد الهادي التازي، *المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي*، ص. 98.

محمد المغراوي

**غينيا والمغرب** ، تقع جمهورية غينيا في غرب إفريقيا، في ما بين خطي العرض 9 و 17 غربا، ويحدها في الشرق ساحل العاج ومالي، وفي الشمال مالي والسنيغال وغينيا بساو، وفي الغرب المحيط الأطلسي، وفي الجنوب ليبريا والسيراليون، وتبلغ مساحتها حوالي 250.875 كلم$^2$، وهي على شكل هلال. ويقدر عدد سكانها بحوالي 5.300.000 نسمة، إلى حدود أواسط الثمانينيات من القرن العشرين . وقد برزت غينيا في الخريطة السياسية الدولية سنة 1893 ، وصارت ضمن المناطق الخاضعة لنفوذ الحاكم العام - الممثل للحكومة الفرنسية - لغرب إفريقيا، واتضحت معالمها المختلفة بحلول سنة 1900 بعد قضاء الفرنسيين على مملكتي فوت - جالون (1896)، وساموري (1898).

ولمّا أُعلن عن استقلال غينيا عن فرنسا يوم 2 أكتوبر 1958 ، وأصبحت دولة مستقلة ذات سيادة، وانضمت إلى هيئة الأمم المتحدة، كانت المملكة المغربية من بين الدول الأولى التي اعترفت باستقلالها، وأقامت علاقات ديبلوماسية معها، وعملت على تطويرها وتعزيزها على مختلف المستويات وساعدت على إخراج تلك البلاد من الأزمة المالية التي عرفتها، نتيجة العواقب السلبية الناتجة عن الموقف الفرنسي الرافض للاستقلال والمؤيد لسياسة اتخاذ الإجراءات العقابية التي تبنتها المؤسسات الخاصة، وبنك إفريقيا الغربية أيضاً.

أبرمت المملكة المغربية عدة اتفاقيات مع غينيا، منها : اتفاقية دفعة مالية بتاريخ 9 مارس 1960 ، واتفاقية تجارية بتاريخ 21 أكتوبر 1960 ، واتفاقية تجارية أخرى بتاريخ 1 فبراير 1961 ، واتفاقية اقتصادية بتاريخ 15 فبراير 1961. وقد جاءت تلك الاتفاقيات بناء على المبادئ والأهداف التي

تبنتها الدول الإفريقية التي تحررت من الاستعمار الأوربي، والتي ستستجيب لنداء الدكتور نكروما أول رئيس جمهورية لغانا المعاصرة بعقد أول مؤتمر إفريقي بأكرا استجابت له الدول الآتية : المغرب، وتونس، والجمهورية العربية المتحدة (مصر)، وليبيا، والسودان، وإثيوبيا، إضافة إلى البلد المنظم (غانا)، وعبرت الوفود المشاركة فيه عن رغبة حكومات بلدانها في اتباع سياسة خارجية مشتركة قائمة على "الحفاظ على الاستقلال، والسيادة، وسلامة الأراضي الوطنية" للدول المشاركة. وبعد ذلك، انعقد مؤتمر الدار البيضاء بالمغرب في الفترة الممتدة بين يومي 3 و7 يناير من سنة 1961، وضم الدول التي وصفت بـ "التقدمية"، استجابة لدعوة جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله، سلطان المغرب، وهي : غانا، ومالي، والجمهورية العربية المتحدة (مصر)، وليبيا، وممثلين عن جبهة التحرير الوطني الجزائرية ؛ ورفضت الطوكو، وليبريا، وإثيوبيا، ونيجريا، والصومال، والسودان الحضور. ويعود سبب ذلك إلى مواقف الدول الكبرى، واختلاف الاتجاهات السياسية للدول الإفريقية المتحررة من الاستعمار إلى غاية سنة 1961. وكانت غينيا وغانا قد اتفقتا على إقامة وحدة بينهما على أساس إعلان أكرا بتاريخ 23 يناير من سنة 1958 ، ثم انضمت إليهما الجمهورية السودانية (مالي) في دجنبر سنة 1960، وسمي الاتحاد باسم "فيدرالية مالي" إلا أنه فشل بسبب الاختلافات السياسية والإيديولوجية، وخاصة بعد تحسن العلاقات الغينية مع مجموعة الدول الإفرقية الناطقة باللغة الفرنسية المنضمة إلى مجموعة منروفيا التي تكونت بليبريا بناءً على طلب نيجريا رداً على انعقاد مؤتمر الدار البيضاء، والذي ضم 20 دولة، من بينها : السنغال، وموريتانيا، وساحل العاج، والداهومي (بنين)، وفولطا العليا (بوركينا فاسو)، وذلك في الفترة الممتدة من 8 إلى 12 ماي سنة 1961.

ويمكن القول بأن أسس العلاقات المغربية ـ الغينية قد ترسخت منذ تلك الفترة، وتطورت بشكل سريع وإيجابي، ولم تعرف توترات قوية، كتلك التي عرفتها العلاقات المغربية ـ الغانية منذ استقبال نكروما لأول رئيس للجمهورية الموريتانية، في وقت احتاج فيه المغرب لدعم الدول الإفرقية من أجل استكمال وحدته الترابية، وكذلك العلاقات المغربية ـ المالية منذ إمضاء اتفاق يوم 18 فبراير 1963 الذي يحدد الحدود السياسية لدولتي مالي وموريتانيا.

تأسست الوكالة الغينية المغربية للتعاون L'Agence Guinéenne et Marocaine de Coopération، في يوم 8 يونيو من سنة 1984، وتم إنشاء مقرها بمدينة الرباط. وكان هدفها هو "تقوية وتطوير العلاقات الاقتصادية، والتقنية، والعلمية، والثقافية، وتنسيق كل الجهود المبذولة في هذا الاتجاه بين السلطات العمومية للجمهورية الغينية وللمملكة المغربية، ومتابعة تنفيذ وتسيير القرارات المتفق عليها". وقد جاء ذلك، حسب المادة الثانية من القانون المنظم للجمعيات والوكالات الصادر في الظهير الشريف بتاريخ 15 نونبر من سنة 1958.

وقد عرفت العلاقات الثنائية بين البلدين تطوراً مهما، وقفزة نوعية بعد التاريخ المذكور، وتمثل ذلك في زيادة التعاون بين الفاعلين السياسيين والاقتصاديين والثقافيين، وكان من ذلك مساهمة المغرب في إصلاح وتوسيع مشتل الشاي ببلدة ماسنتا الغينية، وتقديم مساعدة تقنية في مجال النقل الجوي لفائدة شركة الطيران الغينية، وتكوين الأطر من طلبة وموظفين، الذين ازداد عددهم فيما بين سنتي 1990 و1994 (من 49 إلى 90 إطارا)، وتقديم قروض مالية كالقرض المقدم لغينيا في غشت سنة 1984 بفائدة 10٪ وإرسال الأساتذة المتخصصين في تدريس بعض المواد العلمية في المدارس والثانويات، وخاصة في اللغة العربية والتربية الإسلامية. وقد بلغ عدد الإتفاقيات التي أبرمها البلدان في الفترة الممتدة من سنة 1972 وسنة 1987، ثماني اتفاقات من بينها :

- اتفاقية 17 . 5 . 1976 في مجال التعاون الثقافي والعلمي والتقني،
- اتفاقية 31 . 10 . 1977 في مجال التبادل التجاري،
- اتفاقية 17 . 1 . 1979 في نفس المجال السالف الذكر،
- اتفاقية 7 . 11 . 1982 في ميدان النقل الجوي،
- اتفاقية 16 . 8 . 1984 في المجال المالي،
- اتفاقية 17 . 6 . 1982 في المجالين الإعلامي والسياحي،
- اتفاقية 3 . 12 . 1987 في مجال السكن.

ويمكن القول بصفة عامة بأن العلاقات المغربية ـ الغينية لم تعرف إقلاعا ملموساً إلا بعد اجتماع قمة منظمة الوحدة الإفريقية بالرباط سنة 1972، إثر التغير الملحوظ للسياسة الإفريقية التي نهجها المغرب. فمنذ ذلك التاريخ، استطاع المغرب أن يقيم شبكة من العلاقات الثنائية مع عدة دول افريقية، وخاصة تلك التي تقع في وسط وغرب القارة، رغم عدم تمكنه من الحصول على الدعم المطلوب لتحقيق مطالبه بخصوص استرجاع أراضيه الجنوبية.

وقد بقي المغرب متشبثا بهذا الموقف حتى بعد انسحابه من منظمة الوحدة الافريقية سنة 1984، وعمل على تعزيز وتقوية تلك العلاقات التي عرفت قفزة نوعية جديدة بعد مؤتمر القمة الفرانكفونية بالدار البيضاء سنة 1988، وكان من نتيجة ذلك الاختيار أن ترسخ حضور المغرب في الدول السالفة الذكر، ومن بينها بصفة خاصة جمهورية غينيا، كما ازداد حضوره قوة على الساحة الافريقية بصفة عامة (*أبحاث*، 171 ـ 172).

مجموعة من المتخصصين، *العرب وأفريقيا*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1993 ؛ *التقرير الاستراتيجي للمغرب*، 1995 / 1996، الطبعة الثانية، *مجلة أبحاث*، عدد خاص، 36 ـ 37 ـ 38، السنة 13، 1997 ؛ محمد العربي المساري، *المغرب ومحيطه*، الجزء الأول، شركة توب للاستثمار والخدمات للطباعة والنشر، الرباط، 1998.

Georges Hardy, *Géographie de l'Afrique Occidentale Française*, éd. du Bulletin de l'enseignement de l'A.O.F., 1913 ; *Annuaire de l'Agence Economique de l'Afrique Occidentale Française*, Imp. Thovon - Thèse, 1931 ; R. et M. Corvin, *Histoire de l'Afrique des origines à nos jours*, Payot, Paris, 1956 ; H. Suret-Canale, *La République de Guinée*, Ed. Sociales, Paris, 1970 ; *Le Maroc et l'Afrique*, Actes de la journée d'étude organisée par l'Institut des Etudes Africaines et le Département de Droit Public de la Faculté des Sciences Juridiques, Economiques et Sociales de l'Université Med V., Agdal, Rabat 26-11-1994, Pub. de l'I.F.A., 1996.

خالد أوشن

**الغيوان، ناس** ، أول مجموعة غنائية ظهرت على الساحة الفنية بالمغرب في إطار ما أطلق عليه "ظاهرة الأجيال".

انبثقت هذه المجموعة وسط جماعة من الأشخاص كانوا منذ 1967 يقومون بأداء أغنيات من التراث الشعبي في بعض مسرحيات الفنان الطيب الصديقي كالحراز، وسيدي عبد الرحمن المجذوب، وهو يدير - يومئذ - ورشة التمثيل بمسرح الدار البيضاء البلدي.

وفي عام 1970 انفصل عن الصديقي كل من عمر السيد وأحكور بوجمعة اللذين استقدما العربي باطما، وأقبل الثلاثة على تأسيس فرقة أطلقوا عليها اسم "ناس الغيوان" ؛ ثم لما حلت سنة 1971 اكتملت تشكيلتها لتصبح قائمة على عدد من الفنانين يتراوح بين الستة والثمانية، وهم : عمر السيد مؤسس الفرقة وضابط الإيقاع بالبندير، وبوجمعة احكور منشد الفرقة وصاحب الهراز، وقد اشتهر بلقب بوجميع، والعربي باطما ضارب الطبيلة، وعلال يعلى ناقر العود والبانجو، وعبد العزيز الطاهري الذي تحول بعد حوالي عامين إلى فرقة "جيل جيلالة" ليخلفه في موقعه كعازف على السنتير عبد الرحمن قيرش الذي اشتهر بلقب "باكو". وقد التحق بالفرقة عنصران آخران هما الطيب الجامعي ومحمود السعدي، غير أنهما لم يعمرا طويلاً معها.

وقد حاولت المجموعة - منذ انطلاق نشاطها بتسجيل أغنية "الصينية" في استوديوهات التلفزة المغربية - أن تربط ظهورها على الساحة بالطموح لتأسيس أغنية مغربية جديدة تكون بديلاً للأغاني التي تبثها وسائل الأعلام، وذلك في مواكبة ضجة إعلامية عرفتها حقبة السبعينيات حول ما أسمته "تداعي الأغنية العصرية" التي كان قد أرسى أسسها الرواد الأوائل : أحمد البيضاوي، والمعطي البيضاوي، وعبد الوهاب أكومي، وعبد القادر الراشدي.

وفي حماس نادر أقبلت الفرقة على إصدار أشرطة ضمت زخما من الأغاني التي تمحورت موضوعاتها حول معاناة الإنسان في الحياة، "ومقاومته للتسلط الطبقي وشبح الفقر"، وجال بعضها "في رحاب التوسل والابتهال إلى الخالق من أجل أن يرفع الظلم والألم". وعبْر ثلاثة عقود تقريباً توالى نتاج الفرقة غزيراً من خلال مجموعة كبرى من الأغاني، من بينها : الصينية - الرغاية - انادى انا - المحبوب اللي نريد - يوم فرحي وهنايا - اعلاش احنايا عديان - الزين والثبات - حلاب حلاب - يوم ملقاك - فين غادي بيا آخويا - الماضي فات - لحصادا - الهمامي - مزين امديحك - صيفنا ولى شتا - گولو ليامنا - فاضت الرشوة - السلام - فلسطين - صبراوشاتيلا - غير خدوني - زاد الهم - ياصاح.

ومما وضعته الفرقة حديثا شريط أصدرته تكريما لروح العربي باطما. وهو يضم تسع أغنيات هي : مايدوم حال - تعالى - خليني - هاجت الاحزان - الضر الواعد - علوله - أعلام لقبيلة - دكة - قالت. كما أنجزت المجموعة أعمالاً حاولت أن تتعامل فيها مع الأغنية الحمدوشية والگناوية. ومثال ذلك يتجلى في أغنية "غير خدوني" التي تحمل ملامح الأغنية الحمدوشية، وأغاني "الصدمة، ونرجاك أنا، والضهصيص" التي تحمل طابع الموسيقى الگناوية.

وقد هزَّ كيانَ الفرقة - عبر مسيرتها الفنية - حَدَثانِ مؤلمان، تمثل أولهما في وفاة بوجميع يوم 26 أكتوبر 1974. وفيه فقدت المجموعة أحد أبرز عنا صرها المؤسسين ودعامة من دعاماتها الرئيسة في الإنشاد. وكان الحدث الثاني يوم 7 يبراير 1997 عندما رزئت في وفاة العربي باطما الذي فقدت فيه مبدعاً أثرى رصيد المجموعة بأزجاله وألحانه، والمخرج الذي كان يعد بنفسه سيناريوهات عروضها الفنية.

وقد صارعت الفرقة متاعب الاستمرار بعد هذين الحدثين من أجل أن تبقى وفية لالتزاماتها وهي اليوم تعاني أكثر بعد انسحاب عازف السنتير عبد الرحمن باكو من صفوفها لاقتناعه بأن المجموعة لم تعد تعطي جديداً. وأنه بات من الضروري أن تراجع ذاتها.

والواقع أن مجموعة ناس الغيوان التي استقبل ميلادها بكثير من التفاؤل حتى عُدّ اتجاها يحاكي تجربة "إمام نجم" التي اعقبت نكسة 1967 في مصر، وتجربة مارسيل خليفة مع فرقة الميادين في لبنان، لم تكد تدرك الثمانينيات حتى واجهتها موجة من الانتقادات يرى بعضها "أن تجربتها الفنية عجزت عن أن تتحول إلى تعبير مساهم في تأصيل الثقافة المغربية وتركيز سيادتها بعيداً عن الأغاني الشعاراتية". و"أن ألحانها بكائية سوداوية" و"أنها أغفلت - إلا في حالات نادرة - الجوانب الفنية للعمل الموسيقي، فجاءت البنية التحتية والإيقاعية للأغنية الغيوانية ضعيفة، وذلك أمر يبرره اعتماد عناصر المجموعة أساساً على الموهبة ونكوصهم عن استكمال تكوينهم الفني بالبحث، فبارت الموهبة واستنفدت كل إمكانياتها".

ومن أجل أن تتلافى المجموعة هذا الوضع يسعى رئيسها عمر السيد اليوم إلى استقطاب عناصر جديدة، كما أنه لا يستبعد إمكانية توظيف آلات عصرية بدعوى إضفاء طابع الحداثة على أعمال الفرقة، وهو اتجاه يشكل - في رأي باكو - الضربة القاضية عليها.

ومهما يكن، فقد استطاعت مجموعة ناس الغيوان خلال فترات ازدهارها أن تستقطب إعجاب جماهير واسعة، كما استطاعت أن تفرض حضورها في محافل عربية وأروبية، وأن تحصل على جوائز تقديرية كان من بينها "الاسطوانة الذهبية" بألمانيا. كل ذلك بالإضافة إلى توظيف بعض أغانيها في مسلسلات تلفزيونية وأفلام سنمائية مرموقة.

م. بغداد، *جريدة العلم*، 17 ـ 7 ـ 1983 ؛ ج. بلعرج، 6 ـ 9 ـ 1987 ؛ م. حنون، *الأغنية الشعبية الجديدة ظاهرة ناس الغيوان*، منشورات عيون، الدار البيضاء، ط 1، 1987 ؛ *معلمة المغرب*، ج 5، ص. 1644 ؛ ح. نجمي، *جريدة الاتحاد الاشتراكي*، 3 ـ 9 ـ 1983.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

**ابن غياث، عمر** المعروف بسيدي مغيث، اشتهر بمدينة سلا خلال القرن (8 / 14م) في ميدان الطب. ذكر ابن غازي أن المترجم كان من شيوخ أبي عبد الله بن قاسم القوري المكناسي. ولما شيد أبو عنان المريني المارستان، أو المدرسة العنانية الطبية ـ المعروفة بفندق أسكور ـ بحي باب احساين بسلا، عين له أطباء مهرة، أشهرهم ابن غياث. ورتب لهم الجرايات والصلات. لقد كان هذا الأخير يدرس بهذا المارستان الطب ويعالج المرضى. وأشار ابن علي الدكالي في أحد تقاييده إلى أن عمر بن غياث كان يعطي كذلك دروساً في الطب والتصوف بالمدرسة المرينية بطالعة سلا. إلا أن شهرته الحقيقية كانت بالمارستان المشار إليه. وقد أعجب ابن الخطيب أيما إعجاب بالخدمات الجليلة التي أسداها ابن غياث للمرضى الموجودين به. وعبر عن ذلك في قصيدته العينية التي بعث بها من غرناطة إلى سلا قائلاً :

وابنُ غَيّاثٍ غَيّاثٌ وشفَـا       جُمْلَةَ الخَلْقِ بهِ اللهُ نَفَـعْ

زار أبو عنان المريني هذا المارستان عام 758 / 56 ـ 1357. وتشهد حوالات الأحباس بالريع الوافر الذي كانت تتمتع به هذه المدرسة العنانية، والتي كانت تشتمل على بيوت كثيرة، بعضها لإيواء المرضى، وبعضها الآخر للمعتوهين. ولم تسعفنا المصادر في معرفة المرحلة الأخيرة من حياة عمر ابن غياث. فهل هو الذي أسس زاوية سيدي مغيث، الموجودة شرقي المسجد الأعظم بمدينة سلا ليتفرغ للتدريس بها ؟ أم أنه ظل يزاول نشاطه كطبيب ومدرس بالمارستان المذكور ؟

توفي عمر بن غياث في النصف الأول من القرن (9 / 15م)، ودفن بالزاوية المشار إليها. كما دفن بها بعض كبار العلماء السلاويين خلال القرن (12 / 18م)، أمثال : محمد السوسي المنصوري، وأبي بكر الفرجي.

ابن الخطيب، *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار*، ط. فضالة، 1977، ص. 152 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن*، تح. ماريا خ بيغرا، الجزائر، 1401 / 1981، ص. 415 ؛ م. ابن غازي، *فهرس*، تح. م. الزاهي، الدار البيضاء، 1399 / 1977، ص. 72 ؛ *حوالة أحباس مدينة سلا*، مخ. ح. ح، رقم 593، ص. 119 ؛ م. بن علي الدكالي، *تقييد حول المدرسة المرينية*، ضمن *الإتحاف الوجيز*، ط 2، 1996، ص. 62 ؛ م. بن أبي بكر التطواني، *كناشة*، مخ. خ. ص. رقم 407، ص. 35 ؛ م. المنوني، *دور الأوقاف المغربية في التكامل الاجتماعي عبر عصر بني مرين*، *دعوة الحق*، يوليوز ـ غشت، 1983، ع 230، ص. 29.

محمد السعديين

**غَيّاثة** فرقة موسيقية شعبية تنتمي إلى قبيلة غياثة المقيمة بنواحي مدينة تازة في مجتمعات سكنية متعددة من بينها أهل بني بوقطون، وأهل الواد، وأهل واد الحضر، والبرانس.

تتكون فرقة غياثة من الرجال خاصة، وهم يرتدون جلابيب صوفية بنية اللون، وعلى رؤوسهم رزات بيضاء، وفي أرجلهم نعال جلدية خفيفة.

وعند قيام هؤلاء لأداء عروضهم الفنية يعمدون إلى حمل بنادقهم بأيديهم، ثم ينخرطون في حركات راقصة على إيقاع الطبول ونغمات الغيطة، وهم خلال ذلك يتلاعبون بالبنادق، تارة يضعونها فوق هاماتهم، وتارة على أكتافهم، وأخرى يديرونها بأيديهم، أو يرفعونها في وضع مواز لقاماتهم، أو يوّجهونها نحو الأرض، أو يصوّبون فوهاتها نحو الفضاء، ثم يطلقون بارودها في لحظة واحدة، ترافقها زغاريد النساء، وصيحات الرجال، كل ذلك في استعراض تطبعه الرشاقة والخفة، وتتجلى فيه الشجاعة والفتوة، وكأنه مشهد من مشاهد العراك في ساحات الحرب.

يطلق على فرقة "غياثة" أيضاً اسم "الباردية" نسبة إلى اللعب بالبارود، وهي من المجموعات الفنية التي تشارك بانتظام في دورات المهرجان الوطني للفلكلور بمراكش. وقد مثلت المغرب في لقاءات دولية متعددة.

*بطاقة خاصة* ؛ العلوي الباهي محمد، مج. *التراث الشعبي*، العدد الثاني، السنة التاسعة، بغداد، 1978، ص. 135 ـ 140.

عبد العزيز بن عبد الجليل

# ف

**فاتح** (سيدي -) اسم ضريح وشارع يخترق مدينة الرباط القديمة من باب البويبة إلى شارع العلو في غرب المدينة. وسيدي فاتح يسمى أيضا بفتح الله أوقانيا الأندلسي، يقال إنه من قدماء الأولياء بالرباط، وكان ضريحه صغيراً ثم جدد وزيد فيه أيام الناظر مَحمد غنام.

م. بوجندار، *الإغتباط*.

عبد الإله الفاسي

**الفأر** كما هو في كتب اللغة وكما ينطق به في مختلف الأقطار العربية، دابة قارضة من الثدييات الوحشية. يصنف إلى رتبة القوارض Rongeurs Rodentia وعشيرة الفئران تضم الجرذان والفأر وعضلان الشجر وعضلان الماء، وهي أنواع متجانسة ومتشابهة فيما بينها من حيث الشكل وتركيب الأعضاء الباطنية. مقاييس الفئران في المغرب صغيرة القد وتتوفر القوائم على خمسة أصابع ذات براثن. تتميز عشيرة الفئران بقدرتها الإنجابية المرتفعة حيث تلد الأنثى ما بين 5 و10 صغار عدة مرات في السنة. وأهم خاصيتها تتمثل في أسنانها الأمامية الموزعةإلى أربع قواطع متواصلة النمو وغاية في التطور وهذه الخاصية تفسر كون الفأر يضطر دائما لقرض كل ما يجده أمامه لتفادي النمو المطرد للقواطع وحفاظا على فعاليتها. يستعمل الأسنان الأمامية للقطع والقضم وتفتيت كل مادة كيفما كانت صلابتها.

تكيفت أنواع الفئران مع جميع الأوساط والبيئات وتوزعت في جميع أنحاء المعمور بفضل قدرتها الفائقة على التكيف والتكاثر فهناك أنواع تعيش في الحقول والمزارع وأخرى تعيش في المنازل ومنها ساكنة أشجار ومغاوير. كل هذه الأنواع مضرة باقتصاد الإنسان حيث تقضم جذور النباتات الزراعية والحبوب والثمار مما يدفعها إلى إتلاف الزراعة كما أن معظم الأنواع تنقل أمراضا تكون أحيانا خطيرة على صحة الإنسان. تسعة أنواع باستثناء اليربوع والزباب يعيشون في المغرب ويختلف توزيعهم الجغرافي حسب نمط العيش والتكيف مع البيئة :

- الفأر المنزلي من الحيوانات المزعجة للإنسان لما يلحقه من أضرار بمئونته، تسميه العامة في المغرب زغيدة ويسمى علميا Mus musculus Linnaeus, 1758 وبالفرنسية Souris grise وبالإنجليزية House mouse وبالإسبانية Raton casero ، يتميز بخطم مسنن وبذيل أطول من الجسم، يبلغ طوله 7 - 10 سم وجسمه مكسو بزغب رمادي داكن ضارب إلى السواد. عيناه واسعتان مكيفتان مع الظلام حيث لا يكاد يبصر بالنهار. سمعه وشمه غاية في الحدة والتطور موطنه الأصل أوروبا وأسيا الشمالية وشمال إفريقيا وهو شائع حاليا في مختلف بقاع العالم بفضل تنقلات الإنسان.

- الفأر المتوحش، يسمى علميا Mus spretus Linnaeus وبالفرنسية Souris sauvage وبالإنجليزية Algerian mouse وبالإسبانية Raton moruno ، يختلف عن الفأر المنزلي بذيل أقصر من الجسم، يبلغ طوله 7 - 8 سم وشعره رمادي على الظهر وأبيض على البطن. يعيش بعيداً عن المنازل ويألف الأدغال والسهوب الساحلية والغابات والمزارع، نادر في الواحات ولا يعيش في المناطق الصحراوية. يقتصر توزيعه الجغرافي على حوض البحر المتوسط الغربي. شائع في الريف والأطلس المتوسط والكبير والمناطق الساحلية من السعيدية إلى سيدي إفني. يأكل الحبوب والثمار اليابسة. سمعه وشمه غاية في الحدة والتطور. موطنه الأصل أوربا وأسيا الشمالية وشمال إفريقيا وهو شائع حاليا في مختلف بقاع العالم.

- الفأر الشائك يسمى علميا Acomy cahirinus (Desmaret, 1819) وبالفرنسية Rat épineux وبالإنجليزية Spiny mouse وبالإسبانية Raton espinoso، ويسمى في الشرق العربي قنفع، والفأر الشائك لصلابة شعره على العنق والظهر. يكثر نشاطه نهارا ويألف الأماكن الصخرية بالمناطق شبه الصحراوية ويعد من الحيوانات النادرة في المغرب حيث لا يمكن مشاهدته إلا في سهوب حوض درعة منذ زاكورة إلى

السمارة ونادر جدا في المناطق الصحراوية المغربية. موطنه على وجه الحصر المغرب والجزائر والجزيرة العربية وفلسطين ومصر. لونه بني مصفر على الظهر والجوانب أبيض على البطن. يبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 9 . 12 سم وطول الذيل 9 . 11 سم وهو قليل الشعر.

ـ الفأر متعدد الأثداء يسمى علميا Mastomys erythroleucos (Timmink, 1853) وبالفرنسية Rat à mamelles multiples وبالإنجليزية Western multimammate لوجود عشرة زوجات من الأثداء عند الإناث على صفين متواصلين على كل جانب من البطن، الذيل خال من الشعر وعليه قشور، شعره ناعم مصفر شاحب على الظهر ورمادي على البطن. يبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 11 . 12 سم وطول الذيل 13 . 14 سم. يكثر نشاطه ليلا ويألف الأماكن الطينية بالمناطق الفلاحية ويعيش في جحور عموما غير عميقة. يعد من الحيوانات النادرة في المغرب حيث يقتصر توزيعه على الحصر بين أسفي وتيزنيت وفي هضاب سوس فقط. فهو إلى جانب السنجاب السنغالي الذي يتعايش معه في هذه المنطقة يعدُّ من الحيوانات الواصلة بين الشمال الأفريقي وأفريقيا الاستوائية قبل ظهور الصحراء الغربية الكبرى.

ـ الفأر البربري المخطط يسمى علميا Lemniscomys barbarus (Linnaeus, 1766) وبالفرنسية Rat rayé وبالإنجليزية Barbary striped mouse، يتميز بأحد عشر خطا طوليا على الظهر والجانبين وبأذنين قصيرتين وبعينين واسعتين، لونه مصفر شاحب مخطط بالرمادي الداكن. يبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 9. 11 سم وطول الذيل 10 . 13 سم. يكثر نشاطه نهاراً يألف الغابات فقط وشائع في مختلف المناطق الغابوية المغربية بالريف والأطلس المتوسط والكبير. يأكل الثمار اليابسة كثمار البلوط والحبوب وبعض أنواع الحشرات.

ـ فأر سنجابي يسمى علميا Eliomys quercinus (Linnaeus, 1766) وبالفرنسية Blérot وبالإنجليزية Garden dormouse، يتميز بسنبلة من الريش الأبيض على مؤخرة الذيل وبخطين أسودين يجمعان بين العين والأذن، لونه بني أشقر على الظهر وأبيض على الجانبين والبطن. صيغة أسنانه كالتالي : 1/1 أسنان، 0/0 أنياب، 1/1 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = سنا. الذيل خال من الشعر وعليه قشور، شعره ناعم مصفر شاحب على الظهر ورمادي على البطن. يبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 9 . 13 سم وطول الذيل 10 . 13 سم. يكثر نشاطه ليلا ويألف الغابات والمناطق الفلاحية الغنية بالأشجار وفي المنازل المهجورة ويعيش في الجحور وبين شقوق الجدران والصخور يختفي في الشتاء بداخل الجحور أو ينطوي على نفسه بين أوراق الشجر الساقطة ويمتنع عن الأكل طيلة الأيام الباردة ويستأنف نشاطه في بداية الربيع. يأكل الثمار والحبوب وبعض أنواع الحشرات كالجراد.

ـ فأرة الحراج أو فأرة الحقول ودثيمة في الشرق العربي وفي اللغة تسمى علميا Apodemus sylvaticus (Linnaeus, 1758) وبالفرنسية Mulot وبالإنجليزية Wood mouse وبالإسبانية Raton de campo، تتميز بأذنين طويلتين، يتغيرلون شعره حسب مناطق عيشه فهو رمادي داكن بالنسبة للنماذج الجبلية ومصفر شاحب لمجموعات السهول والهضاب المنحدرة. يبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 8 . 11 سم. يكثر نشاطه ليلا ويختفي نهارا، يألف الغابات فقط وشائع في مختلف المناطق الغابوية المغربية بالريف والأطلس المتوسط والكبير وشائع أيضا في أوروبا والمغرب العربي. يأكل الثمار اليابسة كثمار البلوط والحبوب وبعض أنواع الحشرات.

ـ فأر أسود يسمى علميا Rattus rattus (Linnaeus, 1758) وبالفرنسية Rat noir وبالإنجليزية Black rat وبالإسبانية Rata negra، يتميز بجسم كبير وشعره رمادي داكن ضارب إلى السواد. يبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 14 . 20 سم وطول الذيل 15 . 23 سم. يكثر نشاطه ليلا وعند الغروب، يألف الغابات والبساتين والواحات وشائع في مختلف المناطق الغابوية المغربية بالريف والأطلس المتوسط والكبير وشائع أيضا في أوروبا والمغرب العربي. يأكل الثمار والحبوب والحشرات والبيض ويتخذ له أعشاشا من بين أغصان الأشجار.

ـ فأر نرويجي يسمى علميا Rattus norvegicus (Berkenhout, 1769) وبالفرنسية Surmulot وبالإنجليزية

Brown rat وبالإسبانية Rata comun ، وهو أكبر الفئران حجما في المغرب، شعره رمادي بني على الظهر وأبيض على البطن. يبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 24 ـ 27 سم وطول الذيل 20 ـ 21 سم. يكثر نشاطه ليلا ويألف المناطق الرطبة بجوار المدن والقرى ويوجد بكثافة في قنوات مياه الصرف وعلى ضفاف الأنهار وقنوات الري والواحات. شائع في مختلف المدن والقرى المغربية. يأكل الثمار والحبوب والحشرات والبيض.

ويصعب على الإنسان العادي التمييز بين الفئران القوارض وأنواع فصيلة الزباب Soricidae التي تصنف إلى رتبة آكلات الحشرات Insectivora. تشبه الفأر في الظاهر ولكنها ليست منه ولا من رتبته إذ تتميز بخطم حاد ينتهي بخرطوم ومنها سبعة أنواع تعيش في المغرب، اسمها في الدارج المغربي خرطموش وخردموش أي فأر ذو خرطوم وبالبربرية تاخرطموشت والزباب في الشرق العربي. صيغة الأسنان كالتالي : 1/1 أسنان، 2/3 أنياب، 0/1 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 28 سنا. تتغذى من الحشرات وتألف الأماكن الصخرية والجدران وأماكن تجمع الأحجار ولا يضرون بالإنسان. يكثر نشاطهم ليلا ويخشون الكواسر الليلية التي تلتهمهم بشراسة مفرطة :

ـ زباب طرفاية يسمى علميا Crocidura tarfayensis وبالفرنسية Musaraigne de Tarfaya وبالإنجليزية Tarfaya's shrew موطنه على وجه الحصر طرفاية ووادي الذهب والساقية الحمراء.

ـ زباب إفريقي يسمى علميا Crocidura whitakeri وبالفرنسية Musaraigne de Whitaker وبالإنجليزية North African shrew موطنه شائع في السهول والهضاب والمناطق الجبلية المغربية ومنعدم في المناطق الصحراوية.

ـ زباب شائع يسمى علميا Crocidura russula وبالفرنسية Musaraigne musette وبالإنجليزية Greater shrew شائع في المناطق الشمالية والوسطى وموجود أيضا في شمال إفريقيا وأسيا وأوروبا.

ـ زباب موريتاني يسمى علميا Crocidura lusitanica، يعيش في المناطق الصحراوية بجنوب المغرب وموريتانيا والسنغال.

ـ زباب بوليفاري يسمى علميا Crocidura bolivari، ويعيش في المناطق الساحلية الجنوبية من أگادير إلى الداخلة.

ـ فأر الزباب يسمى علميا Suncus etruscus (Savi, 1822) وبالفرنسية Pachyure étrusque وبالإنجليزية Pigmy white toothed shrew ، وهو أصغر الثدييات حجما في المغرب العربي حيث لا يتعدى طوله جمعا بين الرأس والجسم 5 سم وطول الذيل 3 سم. ينتمي إلى رتبة آكلات الحشرات وفصيلة الزباب Musaraigne ويختلف عن القوارض في نمط العيش. يتميز بخرطوم ممتد على شفته العليا وبقوائم قصيرة. لونه بني على الظهر والجوانب وأبيض على البطن. نادر في المغرب يمكن مشاهدته في ضواحي فگيگ ووبني إزناسن وتطوان، وشائع في أوروبا. صيغة الأسنان كالتالي : 3/3 أسنان، 1/1 أنياب، 4/4 أضراس أمامية، 2/2 أضراس = 40 سنا.

ـ زباب صحراوي يسمى علميا Elephantulus rorozeti (Savi, 1822) وبالفرنسية Macroscélide de Rozet وبالإنجليزية North-african Elephant shrew. صيغة الأسنان كالتالي :

1/ 1 أسنان، 2/4 أنياب، 0/1 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 30 سنا.

ـ يعيش في شمال أفريقيا على وجه الحصر، يألف المناطق شبه الجافة وشبه الصحراوية من المغرب الشرقي إلى ضواحي طرفاية ويخشى المناطق الرطبة.


المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

L. Lyneborg, *Mammifère d'Europe*, Nathan, 1972, 237 p. ; A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc, Les Mammifères*, Albums didactique, Rabat, 73 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maorc*, Trav. Inst. Sci., série Zoologie, n° 41, Rabat, 1986.


محمد رمضاني ونجاة الخياطي

**فأرة الخيل** وابن عرس كما هو في المعاجم وتازلدمان وتازكاكة وتازكطا في المناطق الجنوبية المغربية وفي المغرب العربي، حيوان من أصغر الثدييات الوحشية اللاحمة، يكثر نشاطه ليلا وفي مطلع النهار وعند الغروب. يصنف إلى فصيلة السرعوبيات أو السموريات (العرسيات) Muselidae ويسمى علميا Mustela nivalis numidica (Pucheran, 1855) وبالفرنسية Belette de Numidie وبالإنجليزية Numidian weasel وبالإسبانية Comadreja، موطنه أفريقيا الشمالية (المغرب والجزائر) ويعيش نظيره السرعوب الأوروبي Mustela nivalis (Belette d'Europe) في أوروبا وآسيا الشمالية باستثناء المناطق الشديدة البرودة.

قوائمه قصيرة تنتهي بمخالب قوية تساعده على حفر الغيران. جسمه ممدد ونحيل، مسطح الرأس طويل العنق، ذيله أسمر ينتهي بخصلة من الشعر الطويل. شعره قصير، أسمر داكن على الظهر وأبيض مصفر على البطن وأسفل العنق وعلى الواجهة الداخلية للقوائم. صيغة أسنانه

كالتالي : 3/3 أسنان، 1/1 أنياب، 3/3 أضراس = 34 سنا.

يتراوح وزن الكبار بين 75 و130 غراما ويبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 20 ـ 27 سم وطول الذيل 3 و 6,5 سم ؛ علوه عند الغارب 3,5 ـ 5 سم. الذكور أكبر حجما من الإناث.

يعيش مزدوجا أو في مجموعات عائلية تشمل الصغار والأبوين ويتكون غذاؤه من الضفادع وفراخ الدجاج وصغار الأرانب والحشرات والقواضم وبالأخص منها فئران الحقول يبحث عنها ليلا وخلال الأيام الغائمة. تساعده نحالة جسمه وصغرها على اقتحام الجحور ليزعج طريدته ويفترسها. يحسن السباحة ويصعب عليه تسلق الأشجار. يفضل العيش في المناطق الغابوية وخواصر الجبال ذات الكسور والحقول المزروعة والمنازل المهجورة في الأرياف. شائع في سهول وهضاب وجبال معظم المناطق المغربية والجزائرية باستثناء الأوساط الصحراوية الحارة. يخشى الكواسر الليلية والإنسان.

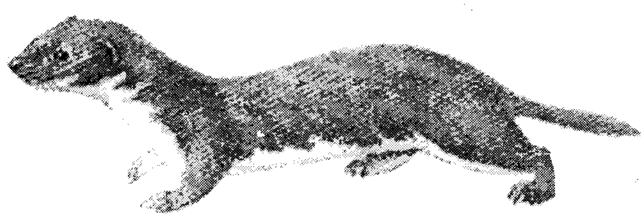

يتوالد مرتين في السنة : في مارس ـ أبريل وفي يوليوز ـ غشت ؛ تدوم مدة الحمل حوالي 35 يوما وتلد الإناث 4 ـ 7 صغار تفتح عيناها بعد 21 ـ 25 يوما وتدوم مدة الرضاعة 4 ـ 5 أسابيع. تصير بالغة بعد سنة وتعمر حوالي 7 سنوات.

م. رمضاني، *باقع*، *معلمة المغرب*، ج 3 ؛ ص. 1010 ـ 1011 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية* ، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc, Les Mammifères*, Albums didactiques, Rabat, 73 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Trav. Inst. Sci., série Zoologie, n° 41, Rabat 1986.

محمد رمضاني

ابن **فارس**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لا زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Faras وAlférez.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الفارس، أحمد** بن **محمد** ولد سنة 1930 بالشاوية انضم إلى صفوف المقاومة المسلحة منذ سنة 1951 حيث أن مهنته في صفوف رجال المطافئ سمحت له بحرية التحرك داخل مختلف مناطق المغرب حيث أصبح محور اتصال بين مجموعة من المقاومين بالدار البيضاء والرباط والقنيطرة المنضوين تحت لواء منظمة "اليد السوداء"إلى أن القي عليه القبض حاملا لبعض الأسلحة فاقتيد حينئذ إلى مراكز التعذيب بباب الحد بالرباط حيث حكمت عليه المحكمة العسكرية بالسجن لكن حصول المغرب على استقلاله وعودة المغفور له محمد الخامس من المنفى عجل بالإفراج عنه.

توفي بتاريخ 18 / 10 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 518553.

ابن **فارس، الحسن** الشريف الحسني الفاضلي الرباطي الفقيه العالم العلامة القاضي. استوطن الرباط مدة تولى فيها القضاء عام 1242 ، كان ينوب عنه فيه الفقيه أحمد بن المختار الغربي. وكان يتقلد خطة الكتابة مع السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام العلوي، الذي ولاه، أيضا ، فاس الجديد.

توفي يوم 14 ربيع الأول عام 1259.

م. بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*.

المصطفى البوعناني

ابن **فارس، محمد** بن **العربي** كان يزاول خطة العدالة من سنة 1197 إلى سنة 1234 (1783 ـ 1819). وفي سنة 1225 (1810) ناب عن قاضي تطوان. الحسن بن فارس الذي زاول خطة القضاء بتطوان سنتي 1230 و1231 (1815 ـ 1816).

م. ابن عزوز، حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1990). تطاون 1999.

محمد بن عزوز حكيم

**فارس، محمد** بن **محمد** ولد سنة 1909 بدوار تسلوين ملحقة أجدير ناحية تازة. التحق بصفوف جيش التحرير بشمال البلاد بمركز بسكور تحت قيادة السرجان عبدالسلام، واستمر في كفاحه ونضاله ضمن صفوف جيش التحرير من أجل وحدة البلاد إلى أن استشهد بتاريخ 28 يناير 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524218.

أبو **فارس المريني**، عبد العزيز بن علي، آخر ملوك بني مرين الكبار. نظرا للدور الذي قام به من أجل النهوض بالدولة، بعدما اعتراها من أزمات سياسية واقتصادية. حينما وصل عبد العزيز إلى الحكم، كان مشايخ الدولة المرينية وكبار الوزراء قد انفردوا بتسيير مقاليد الحكم، وتعودوا على مصادرته من ملوك الدولة. فكانوا يبايعون إما أمراء صغار السن، أو بعض من لا تتوفر فيه شروط الإمامة.

وقد بويع عبد العزيز المريني في هذه الظروف، حيث كان الوزير عمر بن عبد الله الياباني قد تعود على الاستبداد بالسلاطين، فلما تخلص من سلطانه السابق أبي زيان، بعث في طلب عبد العزيز بن علي وأجلسه على العرش واستكمل إجراءات البيعة في ذي الحجة من سنة 767 / 1366. وكان عبد العزيز بن علي قبل ذلك في شبه اعتقال بقصبة فاس. وكانت إصابته بمرض مزمن منذ صغره قد أنقذته من موت محقق، حينما جمع أخوه السلطان أبو سالم إبراهيم كل الأمراء المرينيين وأمر بإغراقهم في بحر المجاز.

وعلى الرغم من علته فقد باشر أبو فارس عبد العزيز الحكم، بكثير من القوة ورباطة الجأش، ورفض الانقياد لوزيره المذكور، وعمل عى تصفيته، فنصب له كمينا بالقصر وقتله، ثم تخلص من رجالات هذا الوزير بالاعتقال أو بالقتل. فلما تمكن من إرجاع هيبة السلطان بفاس، بدأ يتشوف إلى ضبط أحوال المغرب كافة. ومعلوم أن المغرب كان آنذاك في أسوأ حال، مقسما إلى مجالات نفود متعددة؛ فقد كان عامر بن محمد الهنتاتي يسيطر على جبل درن ومراكش، ونصب للإمارة هنالك أبا الفضل ابن السلطان أبي سالم إبراهيم. وكان لذرية أبي علي بن أبي سعيد شفوف ببلاد القبلة بسجلماسة وما والاها، وتوارثوا النفوذ بها بمساعدة عرب المعقل، وبقي الأمر هكذا بين مد وجزر إلى أن توجهت همة السلطان عبد العزيز بضبط أحوال المغرب والقضاء على منافسيه. فاستهدف في البداية غريمه أبا الفضل الذي سلك بدوره سياسة لا تكاد تختلف عن سياسة عبد العزيز. فقد تخلص من كافله عامر الهنتاتي وقتل الأمير عبد المؤمن صاحب سجلماسة.

وطارد السلطان عبد العزيز المريني أبا الفضل في جبال تادلا وأقنع القبائل التي أجارته بتسليمه وحصل ذلك في رمضان سنة 769 / 1368. وبعد هذه الخطوة الأولى، أتى دور عامر الهنتاتي المعتصم بحصنه في جبال الأطلس الكبير. فحاصره مدة سنة كاملة، إلى أن اشتدت الحال بعصبيته وأشياعه، فاختلفوا عليه وسلموا الجبل للسلطان عبد العزيز في سنة 770 / 1369 . أما عامر الهنتاتي فقد طورد مدة بالجبل وأعاقت الثلوج حركته، فقبض عليه واعتقل بفاس ثم امتحن بسبب ما ثبت عليه من اتصال بأبي حمو الزياني، وقتل هو وجماعة من الثوار. هكذا إذن تمكن عبد العزيز من إعادة الاستقرار لدولته واستبد بالأمر ومنع أفراد مخزنه من البت في أمور الحكم دون الرجوع إليه. حينها فقط بدأ يفكر في علاقاته بالكيانات المجاورة، وابتدأ أولا بإنعاش مجهود الجهاد بالأندلس فاسترجع الجزيرة الخضراء سنة 770 / 1369 مستفيدا من ظرفية مواتية تمثلت في التطاحنات التي كان يعرفها المعكسر المسيحي آنذاك. وقد كانت تكاليف هذه الحملة على نفقة السلطان المريني الذي عبأ أيضا أسطوله بسبتة لفرض الحصار على الجزيرة، فسهل استرجاعها على ابن الأحمر الذي ولي عليها من قبله. وهو ما يؤكد أن السلطان عبد العزيز كانت تحذوه رغبة خالصة في الجهاد، ولم يبحث كغيره من سلاطين هذه الدولة، عن التوفر على رأس جسر بالأندلس بل يبدو أن المرينيين كانوا يتحاشون الدخول في خلاف مع بني الأحمر الذين يتوفرون على وسائل قوية للضغط على الأسرة المرينية، وتتمثل في عدد من الأمراء المرينيين المبعدين إلى الأندلس. وفي جيش الغزاة الذي كان يرأسه آنذاك ابن عم السلطان، عبد الرحمن ابن أبي يفلوسن. فكدر ذلك نفس السلطان عبد العزيز، لاسيما بعد وقوفه على مراسلات غريمه المذكور إلى بعض شيوخ بني مرين، فانساق على مضض وراء الأمور الداخلية بالأندلس وأوعز لابن الخطيب باعتقال خصومه بالأندلس، وتم له ما أراد. فلما ضاق ابن الخطيب ذرعا بسعايات خصومه غادر الأندلس واستقر بفاس مشمولا برعاية السلطان الذي وفر له الجراية والإقطاع، ورفض تسليمه لابن الأحمر. وكان ذلك سببا للتدخل الأندلسي المباشر في المغرب بعد وفاة السلطان عبد العزيز.

كما كان على السلطان عبد العزيز الاهتمام بمشكل مزمن في تاريخ دولتهم، ويتمثل في إمارة بني عبد الواد، ومن كان ينظم إليها بحسب الظروف من قبائل بني معقل الذين عاثوا فسادا في المناطق الشرقية خلال ضعف الدولة. وعلى الرغم من الاتصالات التي تمت بين عبد العزيز وأبي حمو الزياني بشأن رجوع أولاد حسين والأحلاف للطاعة، فإنه أبى، وكان ذلك سببا في الحملة على تلمسان والاستيلاء عليها في سنة 772 / 1371، بعد أن خذل بنو معقل أبا حمو، فانسحب إلى الصحراء.

وكان عبد العزيز كسلفه أبي الحسن وأبي عنان، يتطلع إلى حكم شامل ببلاد المغرب يسمح بالاستقرار وتوفير الوسائل المادية للحكم. غير أنه اصطدم كسابقيه بالقبائل العربية المتمسكة بامتيازاتها وبإقطاعاتها، فخرجت عليه حينما رفض الإذعان لمطالبها، وبدأت بعض القبائل الهلالية والمعقلية تشغب عليه، ليس فقط بالمغرب الأوسط حيث انحازت من جديد لبني عبد الواد، بل بالمغرب الأقصى أيضا. فاضطره ذلك إلى بعض المرونة حيث استمال البعض منهم بالإقطاعات رغبة في تهدئة أوضاع المغرب الأوسط، وتوفق في ذلك، وضيق الخناق على أبي حمو وأجبره على الانسحاب إلى تيكورارين. لكن وفاة السلطان عبد العزيز بظاهر تلمسان في ربيع الثاني سنة 774، عجلت برحيل الجيش المريني نحو فاس وهو ما سهل عودة أبي حمو إلى حكم تلمسان في نفس السنة.

وقد أبان السلطان عبد العزيز عن طاقة كبيرة في إنهاض الدولة المرينية من كبوتها، ورد إليها الاعتبار كدولة قوية بالغرب الإسلامي، وتحدثت عنه المصادر كسلطان قوي وحازم لم يتردد أبدا في تصفية معارضيه ومعاونيه وإذا كان هذا محققا ووقفنا على جوانب منه، فإن رسالة ابن عباد الرندي لهذا السلطان تكشف عن معطيات تخالف هذا التصور.

فالوضع الداخلي بالبلاد لم ينل حظه من الإصلاح، خصوصا في المجال الجبائي الذي تضرر منه الناس كثيرا، وقد أشار ابن عباد إلى أحد تلك المغارم ؛ وهي الرتب التي أحدثت بطرق المسافرين وكان يلحقهم منها أذى كبير، وقد كان العمال يجنون من ورائها أموالا جمة. يختصون بها، ولا يصل منها لبيت المال إلا القليل. إن الأمر يتعلق هنا بمسألة هيكلية في تاريخ المغرب همت كل دولة وتتجاوز قدرات أبي فارس. وقول ابن عباد بالنصح لهذا السلطان في هذا الباب يعبر عن الآمال التي عقدتها كثير من الشرائح الاجتماعية على هذا السلطان في مجال إصلاح الدولة، وهو ما تؤكده أيضا إهداءات وتصديرات كثير من المؤلفات التي رفعت إليه، ككتاب العبر والمسند الصحيح والسلسل العذب والدوحة المشتبكة التي تعكس مقامه في نفوس النخبة.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 7 ؛ إ. ابن الأحمر، روضة النسرين ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية*.

Ch. E. Dufourcq, *Commerce du Maghrib médieval*, Tunis, 1979 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion*, Paris, 1986.

محمد فتحة

**الفارسي** (سيدي -) ، **أحمد** بن الطاهر بن الحسن، أحد الأولياء الصالحين بعبدة ودكالة في النصف الأخير من القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر للهجرة. وهو حفيذ سيدي فارس بن الحسن الوريكي من أصحاب الشيخ سيدي عبد الله بن حسين الأمغاري. يقول الفقيه الكانوني عن أحواله : "...كان أحد فضلاء عصره، معدودا في الفرسان النبلاء، مرجوعا إليه في ركوب الخيل والمعرفة بأنواعها وتذليلها...".

يوجد ضريحه بقصبة أيّيرْ على شاطئ البحر غير بعيد من الوليدية.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*.

عبد الرحيم العطاوي

**فارمر، جورج هانري** Farmer, George Henrry، موسيقي إنجليزي اشتغل لفترة طويلة أستاذاً محاضراً وقائداً للاوركسترا السنفوني بجامعة گلاسگو الشهيرة في إيكوسيا شمال انجلترا (1902 - 1928). تخصص في دراسة الموسيقى العربية وتاريخها.

أهلته معرفته بهذه الموسيقى لتمثيل المملكة البريطانية في المؤتمر الأول للموسيقى العربية الذي انعقد بالقاهرة ربيع عام 1932 ، حيث رأس لجنة تاريخ الموسيقى والمخطوطات، وكان فارمر - وإلى جانبه الباحث الفرنسي الأب كولانجيت (Collangettes) يمثل تيار الاستشراق المهتم بالبحث في تاريخ وأصول الموسيقى العربية.

أنجز فارمر دراسات وأبحاثا عدة حول الموسيقى العربية اهتمت بنشرها كبريات الدوريات والمجلات والإذاعات وألف كتبا متعددة، منها المترجم من مصنفات عربية تراثية، وما خصه بوصف مؤلفات عربية في الموسيقى، وما حقق فيه بعض المخطوطات أو عالج فيه موضوعات متفرقة كالآلات والتأثير الموسيقي وتاريخ الموسيقى العربية عموما.

وقد كان نصيب الموسيقى المغربية من أعماله مهما، ومن ذلك :

1 ) التعريف بالموسيقى الأندلسية ونوباتها في المغرب، وذلك من خلال سلسلة المقالات التي نشرها في مجلة "المستمع العربي" لهيئة الاذاعة البريطانية.

2 ) كتاب *معلم عود مغربي قديم* An old moorish lute tutor يضم هذا الكتاب أربعة نصوص مغربية تتعلق كلها بموسيقى الآلة، وقف عليها بالمكتبة الوطنية بمدريد. وقد نشرها كاملة وأرفقها بترجمتها إلى اللغة الانجليزية والتعليق عليها شرحاً وتحليلاً. وهذه النصوص هي :

أ - معرفة النغمات الثمان - مكتبة مدريد رقم 2. cccxxxiv. والمقالة هي ذاتها رسالة الأديب والموسيقي محمد البوعصامي المتوفى حوالي 1150 والتي ضمنها محمد بن الطيب العلمي (ت. 1133 / 1721 ) كتابه *الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من علماء المغرب*. وقد وهم فارمر عندما أرجع هذه الرسالة إلى القرن السادس عشر زاعما أن البوعصامي اقتبس نصها من مصدر سابق. وهو ادعاء يفنده تنصيص العلمي في كتابه المذكور على أنه تلقى نصها من شيخه البوعصامي إملاء.

ب - في الطبائع والطبوع الأصول - مدريد 1889 رقم 3. cccxxxiv. منظومة للشيخ الفقيه سيدي عبد الواحد الونشريسي المتوفى عام 955 / 1549. وتوجد هذه المنظومة بأبيات للإمام الوجدي في مقدمة كناش الحايك، وفي مجامع متعددة من بينها مجموع بالخزانة الحسنية رقم 650.

ج - الطبوع - مكتبة مدريد رقم 4 bis. cccxxxiv. عبارة عن فقرة قصيرة تتكون من حوالي أربعة عشر سطرا، تتحدث عن الطبوع التي قل أن يحفظ لها شيء ما عدا في إنشاد الستينات، مع الإشارة إلى أن الطبوع عند أهل المغرب تنتهي إلى ثلاثمائة وستة وستين.

وتوجد هذه الفقرة ذاتها في نهاية المخطوط المودع بخزانة المرحوم الفقيه محمد داود بتطوان تحت رقم 144 والذي انتهى منه جامعه عام 1202.

د - كتاب *المجموع في علم الموسيقى والطبوع* لعبد الرحمن الفاسي توفي عام 1096 : عبارة من منظومة قوامها 105 بيت. وقد تعددت نسخ هذه المخطوطة، ومنها بالخزانة الحسنية المخطوط رقم 650.

3 ) فصلات متفرقة في كتابه *تاريخ الموسيقى العربية*، تحدث فيها عن نشأة النوبة ونظامها، وعن بعض أعلام الموسيقى الأندلسية من المنظرين ومن شهيرات المغنيات بالأندلس.

فارمر. ج هـ : *تاريخ الموسيقى العربية* A History of *Arabian*

*Music to the XIIth, Century* Londres, 1929، تر. د. حسين نصار، القاهرة، 1956.

*An old moorish lute tutor*, the Civic Press Glasgow, 1933.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**فازاز**، موقع أثري ترتفع بقاياه على بعد حوالي عشر كلمترات شرق مدينة خنيفرة، بموضع يعرف حاليا بـ "الكارة" أو "مدينة السلطان الكحل". يتشكل الموقع من تحصينات سميكة بنيت بالحجارة الكبيرة بالجهات المطلة على المنخفضات والحجر الدبش المردوم بباقي الأسوار. تتبع هذه الأخيرة في تخطيطها الأجراف الصخرية، وتدعمها أبراج نصف دائرية وأخرى دائرية شبيهة بتلك الموجودة بأسوار مدينة البصرة وقلعة أم گو وبني تاودة، مما يدفع إلى تصنيفها ضمن البنايات الإسلامية الأولى بالمغرب.

يستنتج من خلال النصوص التاريخية أن بلاد فازاز، أي المنطقة الشمالية الغربية لجبال الأطلس المتوسط، قد اشتهرت بقلعة حملت تسميات عدة من أبرزها "قعلة مهدي" و"قلعة مهدي بن تَوَالَة" أو "مهدي بن تبالا" و "قلعة ابن تاولَة" وقلعة فازاز" و"مدينة مهدية". وفي القرن الثاني عشر الميلادي وطنها الإدريسي على الطريق الرابطة بين فاس وسجلماسة، على بعد مرحلتين من مدينتي صفرو وتادلة، ووصفها بأنها "حصن حصين فوق جبل شامخ ولها أسواق وعمارات ومزارع وغلات وبقر وغنم وأحوال صالحة واسعة"، يسكن في قبلتها "قبائل من زناتة من بني سمجون وبني عجلان وبني تسكدلت وبني عبد الله وبني موسى وبني ماوري وتكلمان وأريلوش وانتقفاكن وبني سامري" . كما أورد الحميري، في بداية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي أن بجبل فازاز ببلاد المغرب "قلعة تنسب للمهدي بن توالا في نهاية المنعة، أقام عليها عسكر الملثمين سبعة أعوام وبناؤها بالألواح" وأضاف أنها عند وادي وانسيفن وهو " "المعروف بوادي أم ربيع".

ورغم تعدد الإشارات التاريخية حول الموقع، فإنه يبقى من الصعب تتبع ورصد مراحله التاريخية بسبب شح المعلومات وتضارب مضامينها. فإذا كان صاحبا كتاب *مفاخر البربر وروض القرطاس* قد أرجعا تأسيس القلعة إلى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إثر وصول قبائل مغراوة وبني يفرن إلى المغرب الأقصى على يد الثائر "مهدي بن توالي بن سرجم اليجفشي [نسبة إلى بني يجفش أو بني يحفش، فخذ من زناتة] وكانت ثورته بالقلعة المنسوبة إليه بفازاز"، فإن الناصري قد ذهب إلى غير ذلك مشيراً إلى أن القلعة قد كانت مقراً لأبيه تولى أو توالة "ووليها ابنه من بعده" حيث احتمى بأسوارها حتى عهد يوسف بن تاشفين. أما الحسن الوزان فقد جعل من الموقع مدينة وأرجع تأسيسها إلى أحد زعماء المنطقة حيث يروي أنها "مدينة مبنية في الأطلس وسط غابات وبجوار عيون حتى لكأنها في السهل (...) وقد أسسها داعية ولد في هذه الجبال أيام كانت قبائل زناتة تسيطر على مدينة فاس".

من جهة ثانية، ذكر ابن أبي زرع أن "المهدي بن كلاتو بن توالي" قد استطاع سنة 452 / 1060 أن يوسع رقعة نفوذه ويسيطر على "مدائن مكناسة". ومما يدفع إلى الاعتقاد بأن شوكة بن توالي قد تقوت وأن تأثيره قد عم المنطقة وأن قلعته قد تميزت بالمناعة والحصانة، قرار الأمير المرابطي، أبي بكر بن عمر، عدم المغامرة والهجوم على الحصن سنة 452 / 1060 والاقتصار على ضم المناطق الجبلية المجاورة لها. وفي سنة 454 / 1062 حسب رواية الناصري أو سنة 456 / 1064 حسب رواية ابن أبي زرع أو سنة 461 / 1069 حسب رواية ابن عذاري قاد يوسف بن تاشفين عسكرا كبيرا، ضم عددا من أشياخ لمتونة، وحاصر "قلعة مهدي بفازاز"، قبل أن يبرحها ويترك عليها جيشا من المرابطين لتشديد الخناق عليها، ويتوجه نحو فاس لمواجهة معنصر بن حماد المغراوي. ونظراً لأهمية القلعة الاستراتيجية على الطريق المباشر الرابط بين مراكش وأغمات وفاس، وحصانة عمارتها خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، اضطر الجيش المرابطي لحصارها بضع سنوات قبل دخولها سنة 465 / 1071 ـ 1072 ، وتغريب المعتمد محمد ابن عباد إليها من طرف يوسف بن تاشفين قبل ترحيله نحو مدينة أغمات.

وعلى عهد الموحدين، تحولت القلعة إلى قاعدة لعدد من ثوار المنطقة حيث ثار بها هادي بن حنين وسلام بن حمامة الصنهاجي، مما دفع بالخليفة عبد المومن إلى بعث جند تحت قيادة الشيخ أبي حفص للاستيلاء عليها. لكن الثائر سلام بن حمامة أمر بهدمها قبل أن يفر في اتجاه القبلة، وبذلك فقدت القصبة مكانتها وتدهور حالها ولم يبق منها في النصف الأول من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي "سوى جامع في غاية الجمال وما تبقى من السور".


ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1999 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1959 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1967 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 1983 ؛ البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت وبداية الموحدين*، الرباط، 1971 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1984 ؛ *كتاب الجغرافية*، تح. محمد حاج صادق، دون تاريخ ؛ ليفي بروفنصال، *نبذ تاريخية من أخبار البربر في القرون الوسطى من كتاب مفاخر البربر*، الرباط، 1934 ؛ مجهول، *الاستبصار*، الدار البيضاء، 1985 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 2، الدار البيضاء، 1954 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1، الرباط، 1980.

L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVIe siècle, Tableau géographique d'après Léon l'Africain*, Jourdan, Alger, 1906.


أحمد صالح الطاهري

**فاس** (الجغرافية)، تعتبر مدينة فاس من أهم المدن المغربية المدروسة على مستوى الأطروحات الجغرافية سواء في الجامعة المغربية أو في المحافل الأكاديمية الدولية. فحظيت

بذلك بالتحليل المفصل لحركية المجال والمجتمع وبدراسات تطبيقية حول قضايا التهيئة والتعمير والبيئة الحضرية. وقد استفادت المدينة من تصنيفها من طرف اليونسكو ضمن التراث الحضاري العالمي سنة 1981، لتصبح منذ ذلك الوقت موضع اهتمام وطني ودولي لا سيما في معالجة القضايا التي تطرحها على مستوى التهيئة والإنقاذ ومواجهة التحديات البيئية والتنموية الناتجة عن التوسع السريع للمدينة وتفاعلها مع المحيط الجهوي (استقطاب المهاجرين، وظائف اقتصادية واجتماعية وثقافية، وإدارة، إلخ). وقد استفادت المدينة منذ القدم من مؤهلات الوسط الجغرافي والموقع (مكانتها المركزية في خريطة المغرب الشمالي، وقربها من الكتل البشرية والاقتصادية المهمة للريف والأطلس المتوسط وسهل سايس)، وتفتحت على المحيط الوطني والدولي بفضل شبكة مكثفة من طرق المواصلات (طريق سيار، سكك حديدية، مطار سايس) واستفادت أيضا من الموضع الذي تم اختياره منذ التأسيس لكي تتمتع بإيجابيات الوسط (طبغرافيا، عيون، تصريف، أمن، الخ). وقد تبلورت اقتصاديات المدينة وتشكلت حضارتها المنفتحة (فيها مئات المساجد وثلاث كنائس مسيحية ومعبد يهودي). لكن التوازن العمراني والاقتصادي الملحوظ عبر التاريخ يتعرض حاليا لخلل واضح في النمو. ولم يستمر التوازن الحضري المعروف قديما بفعل العجز الناتج عن تعاظم الاستقطاب البشري وضعف البنيات ووسائل الاستقبال (الحاجيات تفوق الإمكانيات). ونشأت بفعل ذلك منظومة حضرية تضم ساكنة تبلغ 769034 نسمة (إحصاء 1994). وهي منظومة معقدة من حيث التدبير الحضري لأن إشكالياتها مرتبطة بتراكمات الماضي ومستجدات الحاضر. ويستعرض هذا المقال مجموعة من المحاور الهادفة إلى تقديم الواقع الحالي للمدينة، انطلاقا من نقد عناصر النسيج الحضري، ومناقشة مسألة التفكك المجالي المميز لهذا النسيج، وطرح قضايا المدينة الأصيلة من زاوية الانقاذ، واستعراض الوضع البيئي الحالي للمدينة والتوجهات العامة لتنميتها مستقبلا.

1 ـ مسار تطوري طويل لإنتاج النسيج الحضري الحالي :

يصعب فهم الواقع الحالي لمدينة فاس دون استيعاب أبعادها التاريخية والجغرافية وضبط مراحلها التطورية التي تركت رواشم دالة في المجال الحضري. فمنذ تأسيسها في القرن الثامن الميلادي من طرف المولى إدريس الثاني، نمت المدينة بشكل مطرد في المراحل التاريخية اللاحقة بفضل إشعاعها السياسي والاقتصادي والثقافي والديني على المستوى الجهوي والوطني. وكان لهذا الإشعاع امتدادات خارجية على الصعيد الدولي لا سيما منه الافريقي والإسلامي، حيث لعبت فاس أدوارا قيادية باعتبارها عاصمة المملكة في مراحل مختلفة، خاصة في عهد الأدارسة والمرينين والعلويين. فكانت مكانتها رئيسية في الترتيب الحضري الوطني. كما كانت لها وظائف اقتصادية وإدارية جهوية في الحقب اللاحقة، سواء في عهد الحماية أو ما بعده. فارتبط النسيج الحضري للمدينة بهذه الأدوار، سواء في نموه أو شكله أو هيكلته أو تنظيمه أو خصائصه العمرانية. ونشأت تبعا لذلك وحدات مجالية متجاورة، سهلة التشخيص بفصل التمايز الجوهري بين مكوناتها. فنجد منها المدينة الأصلية

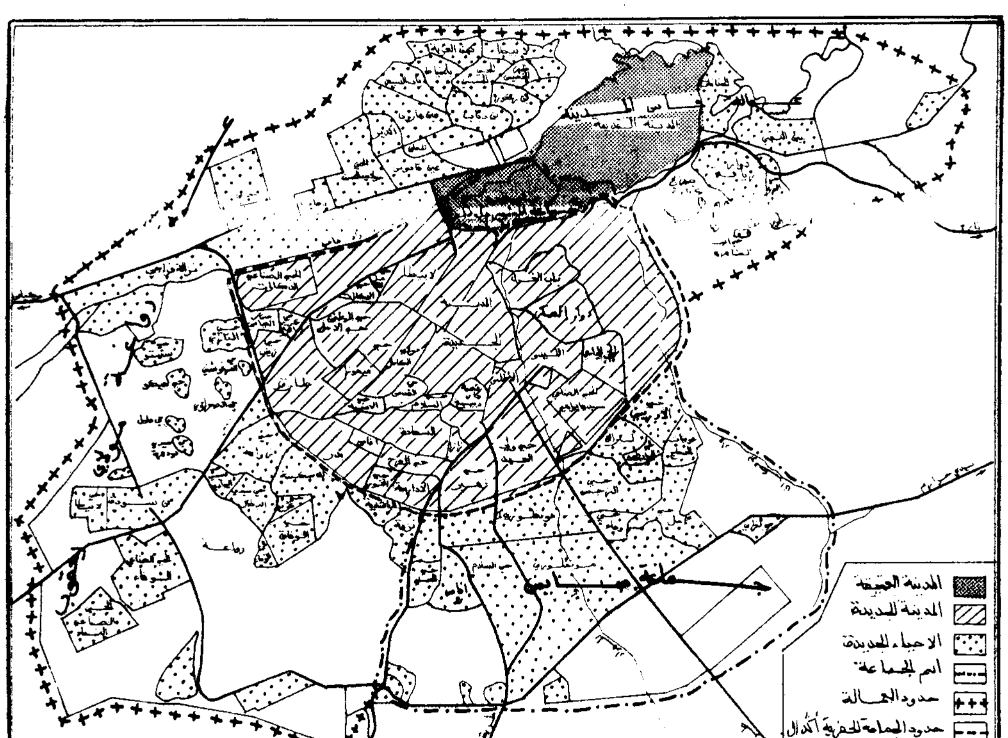

بشقيها التاريخيين (فاس البالي حول النواة الإدريسية، وفاس الجديد حول النواة المرينية). وقد عرفت المدينة تحولات مجالية واجتماعية متواصلة عبر الحقب المختلفة، واغتنت بوفود الهجرة التي صقلت حضارتها كما هو الشأن بالنسبة للهجرة الوافدة بعد سقوط الأندلس. لكنها احتفظت باستمرار بطابعها الأصيل وعززت عبر التاريخ بنياتها الاقتصادية والعمرانية والاجتماعية، رغم أنها مرحليا تعاني في مناحي كثيرة من ضغوط وازنة. ونشأت حول المدينة الأصلية في فترة الحماية، مدينة عصرية كثيراً ما وصفت في الكتابات بطغيان الطابع المعماري الأوربي. وعرفت فاس في العقود الخمسة الأخيرة، توسعا منقطع النظير ساهم في تكشيل المدينة الحالية، سواء في ظاهرها المرفلوجي أو من حيث مكونات منظوماتها المجالية والاقتصادية والاجتماعية. فبرزت تبعا لذلك أحياء كثيرة ذات أوضاع قانونية مختلفة، ودرجات متباينة من حيث وفرة التجهيزات الأساسية.

2 ـ فاس الكبرى : التفكك والاندماج وعلاقات المركز بالهوامش

تؤكد جل الدراسات المنجزة منذ بداية الثمانينات، بقصد التهيئة والإنقاذ (مخططات التهيئة الحضرية، تصاميم حضرية، المخطط المحلي للإسكان والتنمية الحضرية، الخ) على التفكك المجالي لمدينة فاس الكبرى. حيث تضخم التفاوت بين مكونات المدينة وتبلورت نتيجة لذلك أقطاب حضرية ذات خصوصيات عمرانية واقتصادية ووظائف حضرية مختلفة نذكر منها على الخصوص المدينة الأصلية وفاس الجديد، ثم المدينة العصرية وامتداداتها الجنوبية والجنوبية الغربية والشرقية ثم الأحياء الهامشية التي تمت في مناطق خارج المدار الحضري أو بداخله تبعا لآليات التعمير العشوائي التي انتعشت بشكل سريع، لا سيما في عقد الثمانينيات. فتطورت تبعا لذلك مجموعة من الأحياء ضعيفة التجهيز وأحياء السكن غير اللائق من أصناف متعددة (أحياء القصدير، دواوير هامشية، أحياء غير منظمة) مثل حي زواغة، بن سودة، صهريج كناوة، الحي الحسني، دوار العسكر، القصبة وغيرها من الأحياء التي ظلت في العقدين الأخيرين تشكل مصدر الكثير من مشاكل التدبير الحضري. لأن إدماجها المفروض يتطلب إمكانيات مادية ضخمة في وقت تتزامن فيه هذه المتطلبات مع حاجيات إنقاذ المدينة الأصلية، الذي شرعت السلطات وبقية الفاعلين في إنجازه بوثيره لم تكن دائما بالسرعة المرجوة. ورغم الصلات الاقتصادية الوثيقة بين هذه المكونات المجالية لفاس الكبرى حيث ظلت المدينة الأصلية تحتفظ بإشعاعها خاصة في قطاع الصناعة التقليدية وبعض الخدمات (خاصة تجارة التقسيط)، فإن المدينة العصرية ظلت مركزاً للخدمات الإدارية والثقافية وموطنا لأهم الأحياء الصناعية (حي سيدي إبراهيم، حي الدكارات) كما تطورت في بعض الهوامش أقطاب حضرية مهمة بفعل التوجيه والاستثمار العمومي والخاص. ويعتبر القطب الحضري ابن سودة من أهم هذه الأقطاب الناشئة في الضاحية الجنوبية الغربية لفاس.

3 ـ المدينة العتيقة وتحديات الإنقاذ

تتسم المدينة الأصلية بخصوصيات التعمير المميز للمدن الإسلامية والمتوسطية سواء في نسيجها أو في نظامها الوظيفي ومكوناتها الاجتماعية والاقتصادية. لكن هذه المكانة الثقافية والعمرانية والاقتصادية تتعرض حاليا لتدهور بالغ بفعل الضغط السكاني وتلاشي البنيات التقليدية بما فيها المآثر ذات القيمة العمرانية والمصنفة ضمن التراث العالمي لليونسكو، التي تساير في كثير من المناحي هذه التحولات وتعطلت بعض وظائفها لفائدة المدينة العصرية وهوامشا. ورغم الدينامية الديموغرافية المالية للمدينة الأصلية فقد عرفت مكانتها تراجعها بالمقارنة مع حجم المكونات المجالية الأخرى لفاس الكبرى.

النمو الديموغرافي للمدينة الأصلية فاس

| سنة الإحصاء | عدد السكان | نسبة سكان المدينة الأصلية / فاس الكبرى (بالنسبة المئوية) |
|---|---|---|
| 1960 | 155.000 | 75 |
| 1971 | 180.000 | 60 |
| 1980 | 170.000 | 40 |
| 1994 | 182.000 | 23 |
| 2000 | 191.000 | 20 |

**المصدر** : مجلة البرج 2001

ورغم تراجع نسبة ساكنة المدينة الأصلية بشكل متواصل مقارنة بحجم ساكنة فاس الكبرى، فقد تزايدت مع ذلك كثافة السكان في الهكتار، حيث تفوق 600 بل تصل أحيانا 2000 نسمة في الهكتار. وظهرت في المدينة تناقضات غير معهودة منها مثلا خصاص في الإنتاج السكني اللائق وتزايد الدور المهجورة التي سرعان ما تتحول إلى خراب مهجور، وتزايد ظاهرة الدور المهددة بالانهيار. فكانت هذه الأوضاع من دواعي اهتمام السلطات العمومية بمشاكل الإنقاذ لا سيما بعد خطاب الملك الحسن الثاني بتاريخ 21 يوليو 1980. وعرفت نفس السنة نداء اليونسكو من أجل إنقاذ المدينة الأصلية. وصارت مسألة الإنقاذ من أولويات اهتمام الفاعلين. وخلقت وكالة التخفيف من الكثافة وإنقاذ المدينة كما وسعت الوكالة الحضرية اهتماماتها لتشمل قضايا الإنقاذ. وشرع في تهيئ الدراسات القطاعية ووثائق التخطيط الحضري واستراتيجيات الإنقاذ. وأنجز في سنة 1991 التصميم المديري للتهيئة الحضرية صودق عليه سنة 1995 . ورسمت الاختيارات الكبرى لتوجيه النمو الحضري وعمليات الإنقاذضمن إثبات الطابع التاريخي للمدينة، وظروف التخفيف من الكثافة السكانية، والتحكم في

التوسع العمراني في اتجاه الشمال وشرق المدينة والتحكم في وفود الهجرة وتثمين التراث المعماري والاقتصادي والثقافي وفك العزلة عن المدينة الأصلية. كما أن تصميم التهيئة حدد مجموعة من الاختيارات العملية لتحقيق تلك الأهداف (الولوجيات، إنعاش الصناعة التقليدية وتنظيمها، إنقاذ المآثر، المحافظة على البيئة ضوابط البناء، الخ). كما تم تصنيف المجال إلى مناطق مختلفة للتدخل تبعا لخصوصياتها (مناطق الترميم والمحافظة ورد الاعتبار ومناطق التجديد). وبدأت كل المؤسسات المعنية توجه تدخلاتها لمعالجة قضايا الإنقاذ، وتطلب الأمر البحث عن شراكات مع القطاع الخاص وبقية الفاعلين لترميم عدد من المآثر وإنجاز المشاريع. كما جرت أيضا تدخلات كثيرة خارج الأسوار وفي الأحياء الهامشية بقصد تخفيف الضغط على المدينة الأصلية واستقبال المنتقلين منها من جهة وإدماج تلك الأحياء في النسيج الحضري العام من جهة أخرى. وفي هذا الإطار تندرج العلميات المتعددة لإعادة هيكلة الأحياء الهامشية ومحاربة السكن غير اللائق وتشجيع برامج السكن الاقتصادي وغيرها من البرامج الهادفة إلى تأهيل العمران والبيئة الحضرية.

4 ـ الهيكلة المجالية والإدارية وقضايا البيئة والتأهيل

بفعل التعديل الأخير للميثاق الجماعي سنة 2003، تحققت وحدة المدينة، وتحولت بلديات فاس الخمس (بلدية سايس، بلدية أگدال، بلدية المشور، بلدية فاس المدينة، بلدية زواغة) إلى جماعة حضرية تخضع لتدبير مجلس المدينة وعمدتها. وصار التحدي كبيراً لتلبية حاجيات ساكنة وصلت في مجموعها حوالي 898198 نسمة منذ سنة 1998. وأصبح مجلس المدينة مسؤولا عن تدبير وتنمية مجال حضري يتسم بتواجد ما يفوق 35000 متدخل اقتصادي (مقاولة أو وحدة إنتاجيه أو خدماتية) 45 في المائة منهم في التجارة، وحوالي 24 في المائة في الصناعة والصناعة التقليدية، و26 في المائة في الخدمات، وحوالي 3 في المائة في البناء والأشغال العمومية وحوالي 2 في المائة في باقي القطاعات.

والصناعة التقليدية هي من الأقطاب الاقتصادية المشغلة بفاس بعدد يقارب 50000 صانع ومتعلم موزعين على ما يقارب 205 مهنة. وتتوفر المدينة، في أحيائها الحديثة، على مجموعة من الأقطاب الصناعية ممركزة خصوصا في خمسة أحياء هي الحي الصناعي سيدي إبراهيم 1 و2 على مساحة 112 هكتار، الحي الصناعي النماء (100 هكتار)، الدكارات (83 هكتار)، حي الوفاء (53 هكتار)، عين قادوس (16 هكتار).

ورغم تعدد المبادرات الهادفة إلى معالجة قضايا البيئة، فإنها تظل من أهم المشاكل المطروحة حاليا في تدبير المدينة. وذلك لاستفحال الأحياء الهامشية وكثرة المقذوفات الصناعية، خاصة منها المواد الكيماوية التي تصرف في اتجاه واد سبو، وعدم كفاية تجهيزات الصرف الصحي والنقص المسجل في المساحات الخضراء. وبخصوص هذه الأخيرة تم تقدير نسبة المساحة الخضراء بالنسبة لكل مواطن بحوالي 4 امتار للفرد بينما يصل المعدل العالمي إلى 10 أمتار. لهذه الاعتبارات فقد كانت مسائل البيئة الحضرية من بين اهتمامات المسؤولين منذ سنوات، حيث تمت دراسات، وتحققت إنجازات بخصوص تهيئة ضفاف واد فاس، ووضع مشروع لبناء القناة الباطنية لصرف المياه العديمة ومياه المطر من أحياء زواغة وابن سودة على طول 3 كيلومترات، وتهيئة وحماية المساحات الخضراء، ونقل الصناعات التقليدية الملوثة في المدينة القديمة إلى حي النقبي خارج الأسوار وخلق منطقة صناعية في حي ابن سودة، ومعالجة إشكاليات السكن غير اللائق، وتنظيم جمع النفايات الحضرية، والتحكم في مشاكل التلوث الغازي والسائل، وحسن تدبير محطة عين بيضاء للنفايات الصلبة، وخلق مجال أخضر حول فاس، وغرس الزياتين على طول مخرج الطرق الرئيسية، وحماية فاس من خطر الفيضانات. وهذه قضايا أساسية تبقى مطروحة باستمرار لمسايرة إفرازات الواقع.

5 ـ المشروع الحضري المندمج والتوسع المستقبلي لفاس

من الصفات الواعدة للمرحلة الراهنة في التخطيط التنموي لمدينة فاس، ظهور بوادر نقاش حول التخطيط للمشروع الحضري لدى عدد من الفاعلين. ويستهدف المشروع تحقيق التوجهات الاجتماعية والسياسية المرسومة وطنيا لمحاربة الفقر والتهميش، وتحقيق الأهداف الاقتصادية (الاستثمار، السكن، التنافسية الترابية)، والغايات العمرانية (عقلنة استعمال المجال والتحكم في نمو المدينة وتأهيلها وإدماج هوامشها والمحافظة على معمارها الخ). وعلى المستوى المؤسساتي يسمح المشروع بتأطير التحولات والتنمية في إطار منسجم يجسد وحدة المدينة ويحقق تنسيقا كاملا بين الفاعلين ويسمح بخلق ظروف الحوار البناء حول القضايا المادية والثقافية وغيرها، المؤثرة في مختلف التوازنات. ومن جهة أخرى فإن المشروع الحضري يكون متطوراً في الزمان والمكان ويستوعب حالات وقضايا ومقاييس مختلفة تتفاوت مقاصدها بين الشمولي والجزئي (حي معين) والموضعي (تدخل في موقع محدد). ومراعاة لما سبق فجل المشاريع المطروحة للنقاش، خاصة منها مشروع الوكالة الحضرية وإنقاذ فاس يلخص عدداً من التدخلات الإجمالية التي يفرضها واقع المدينة ومنها :

- إنقاذ التراث المعماري التاريخي والتجديد الحضري.
- إعادة هيكلة أحياء السكن غير اللائق ومحاربة السكن الصفيحي.
- تأهيل النسيج الحضري بمحاربة الظواهر السلبية ودعم الاستثمار وخلق أقطاب التنمية المندمجة ودعم بنيات الاستقبال الصناعي والاقتصادي.
- الإنعاش الحضري بتهيئة المجالات والمرافق العمومية والمراكز التجارية ومحاور المواصلات والتركز الاقتصادي المهيكل للمدينة.

ـ تحسين طرق المواصلات والنقل.

ـ تحسين المناظر والمشاهد وظروف العيش والبيئة ومحاربة أشكال التلوث.

ونظراً لأهمية الشراكة في تحقيق المشاريع، فقد شرع في تفعيلها بفاس في كثير من القطاعات، لا سيما منها مشاريع محاربة السكن غير اللائق. فنجد محليا، نماذج متعددة للتعامل بين فاعلي القطاع العام والخاص كما هو الشأن بالنسبة للمشاريع التالية :

ـ نموذج شراكة الإنتاج من أجل الفئات الاجتماعية ذات الدخل المحدود بين الوكالة الوطنية لمحاربة السكن غير اللائق ومؤسسة التاج.

ـ نموذج تسوية مشكل حي الصفيح ظهر المهراز (خاصة السكن الصفيحي في دوار العسكر) الذي كانت سيناريوهات التدخل فيه تواجه مشاكل عقارية (حي فوق أرض في ملكية المؤسسة العسكرية) وغياب التجهيزات ومشاكل الأمن وضخامة التكلفة المالية للتدخل واختلاف مصالح المعنيين خاصة منها رغبة الساكن في اقتناء البقع المجهزة وتشبث المالك الأصلي بحقوقه العقارية. ولم يكن ممكنا معالجة هذا الوضع لولا بلورة الشراكة متعددة الأطراف بين المؤسسة الجهوية للتجهيز والبناء، والمصالح الاجتماعية العسكرية، وصندوق الحسن الثاني للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، والجماعة المحلية، والسكان. وتطلبت بلورة هذه الشراكة سنوات متعددة مكنت أخيراً من توافق دعمته الاتفاقية المبرمة مع صندوق الحسن الثاني للتنمية الاقتصادية والاجتماعية بإشراف ملكي في مراكش يوم 28 يناير 2002. وكانت مساهمة الصندوق والدعم الوارد من ميزانية الدولة والمداخيل المنتظرة من بيع المنتوج والإسهام المالي للساكنة المستفيدة هي العناصر التي مكنت من استكمال تصور المشروع وسمحت أخيراً بانطلاق أشغاله.

ـ نموذج إعادة هيكلة منطقة زواغة السفلى التي تضم أحياء التازي وميكو والسغروشني وصحراوة، المرجة وسيدي بوظهر حيث ظهرت منذ البداية صعوبات قانونية ومالية وتنظيمية تمكنت مصالح الإسكان من تجاوزها بفضل دراسة أولية استخلصت توجهات جيدة لتجاوز إكراهات تصميم التهيئة والتجهيزات الأساسية فتم التدخل على أساس تحويل اتجاه بعض الطرق التي تخترق البنايات، وتغيير مواقع عدد من التجهيزات العمومية وكذا الطريق المحوري الذي تم تكييفه ليمر عبر كل الأحياء السكنية المبرمجة في إعادة الهيكلة مع تفادي هدم البنايات وأخيراً تم إدماج المنطقة في التصميم المديري للتطهير ليتم ربطها بشبكة الصرف الصحي عن طريق القناة الكبرى للتطهير التي تكلفت الشركة الوطنية للتجهيز والبناء بإنجازها.

ـ نموذج عملية التطهير الكبرى لمنطقة زواغة ابن سودة التي كانت تستهدف فتح المنطقة الجنوبية الغربية بفاس للتعمير والقضاء على السكن غير اللائق وتهيئة القطب الحضري ابن سودة وذلك بإحداث قناة رئيسية للصرف الصحي بالمنطقة. وقد تم ذلك بتنسيق لعدد من المتدخلين على الصعيد المركزي والمحلي لتجاوز الصعوبات المالية والتقنية والإجرائية التي كانت تواجه المشروع في بدايته.

إلا أن قضايا التدبير الحضري تواجه مشاكل متعددة أهمها مثلا مشاكل العقار. وهي مشاكل يمكن تجاوزها بمدينة فاس وضواحيها، حيث يتوفر خزان عقاري عمومي هام (أراضي المؤسسات الفلاحية وأراضي الحبوس) التي بإمكانها الإسهام في حل عقد متعددة في ميدان التعمير والإسكان.

وبالفعل هناك تصورات واقعية للتوسع من أجل ضم هذه الأراضي، فبرزت مقترحات التوسع في اتجاهات مختلفة منها مثلا التوسع الجنوبي الغربي للمدينة لاستيعاب منطقة زواغة مولاي يعقوب، والتوسع الشرقي في اتجاه طريق سيدي حرازم، والتوسع الجنوبي في اتجاه جماعات أولاد الطيب وعين الشقف وطريق صفرو، والتوسع الشمالي فوق سفوح جبلي تغات وزلاغ. وتندرج في هذا الإطار مشاريع المناطق الصناعية الجديدة التي ستبرمج مستقبلا في نادي الطيران بالطريق الدائرية إلى سيدي حرازم (56 هكتار)، ومناطق صهريج گناوة (24 هكتار)، عين النقبي (40 هكتار)، السخينات (29 هكتار) ابن سودة 3 (40 هكتار)، سيف (38 هكتار)، رأس الماء (17 هكتار)، حمرية (3 هكتارات).

## خلاصة

يظهر مما سبق، أن فاس غنية بتاريخها وتنوع محيطها الطبيعي والبشري والاقتصادي والثقافي، وقد نمت تبعا لذلك بوثيرة مختلفة حسب الفترات. فتشكل بها نسيج حضري معقد بسبب اختلاف مكوناته، يعاني من خلل محلي في بعض الأحيان، ارتباطا بالتفكك المادي أو درجة الاندماج الاجتماعي والاقتصادي أو قضايا البيئة مثلا. ومن هنا تحاول المقاربات الجديدة للتدبير الحضري أن تطبق منظوراً شموليا لمعالجة القضايا وتجاوز التقسيم الجبري بين الإسكان والعمران لتعتبرها في الواقع عناصر مترابطة لإشكالية موحدة لا يجوز فصل مكوناتها لأن السكن اللائق لا يتحقق فقط بالإيواء، بل يستلزم توفير الخدمات والتجهيزات والأنشطة المنتجة وظروف العيش المطابقة للمواصفات المقبولة دولياً.

كما أن الإطار الجديد لتدبير المجال الحضري في ضمن وحدة المدينة يمكن أن يكون ملائما لحل عدد من القضايا المطروحة لتحقيق اندماج أفضل بين مكونات النسيج الحضري.

وفي الأخير يمكن القول بأن بوادر تصور المشروع الحضري لمدينة فاس بدأت تظهر في خطاب عدد من الفاعلين، وهو تحول إيجابي لأن المشروع هو أداة فعالة لتوجيه التدخلات في إطار محكم وبرمجة مدروسة وجدولة واضحة. وتبقى

التصورات مشروطة بوفرة الوسائل ومتطلبات الإنجاز، مادية كانت أو قانونية أو مؤسساتية أو بشرية.

أمينة البوعيشي وإبراهيم أقديم، الفاعل وقضايا البيئة في استراتيجية التهيئة الحضرية، تطبيق في ميدان معالجة السكنى المهدد، *مجلة المؤئل*، 2002، العدد 17 ؛ محمد أمياي وإبراهيم أقديم، دراسة المجال المغربي عبر أطروحات الجغرافية، *مجلة المصباحية*، العدد 3، كلية الآداب سايس، 1999 ؛ علي فجال، *فاس الأرض والدينامية الحضرية المعاصرة* ، أطروحة (بالفرنسية) تم تقديمها بجامعة تور، 1992 ؛ محمد عامر، *المضاربة العقارية بفاس* ، أطروحة (بالفرنسية) تم تقديمها بجامعة تولوز، منشورات مركز الأبحاث والدراسات حول تمدين العالم العربي، ملف رقم 25 ، 1993 ؛ *البنك الدولي والحكومة المغربية* ، دراسة سوسيو اقتصادية لمدينة فاس، دراسة قبلية لتهيئ ملفات الإنقاذ ؛ وزارة إعداد التراب الوطني والاسكان والبيئة، *المخطط المحلي للتنمية الحضرية والاسكان بفاس* ، دراسة توجيهية، 2002 ؛ مجلة *البرج*، إنقاذ الإنقاذ، عدد خاص عن فاس، 2001 ؛ *وثائق التهيئة والتعمير الخاص بفاس* ؛ منوغرافيات ووثائق إحصائية وتقارير خاصة من الوكالة الحضرية وإنقاذ فاس، وكالة التخفيف من الكثافة وإنقاذ فاس، مصالح وزارة السكنى، ومؤسسات مختلفة.

إبراهيم أقديم

**فاس** (التاريخ)، حاضرة المغرب التاريخية، وعاصمة من عواصمه الكبرى، تحتل في جغرافيته وفي تاريخه مكانة متصدرة. فإن المغرب عند العثمانيين كان لا يعرف إلا بمملكة فاس. وإن محرري أول مشروع دستوري سنة 1908 جعلوا فاس عاصمة للبلاد على أن لا يكون "لهذه العاصمة امتياز بشيء عن سائر مدن السلطنة". فما هي أسباب هذه المكانة المتميزة ؟ وكيف اتسعت رقعة المدينة قبل فترة الاستعمار ؟ وكيف قطعت مرحلة الحماية ؟ وما هي الخطوط العريضة لنموها بعد الاستقلال في النصف الثاني من القرن العشرين ؟

الموقع والموضع

أقيمت مدينة فاس في موضع ليس هو مركز المغرب. فهي من حيث خطوط العرض في الدرجة 34 شمالا بالتقريب، ومن حيث خطوط الطول في الدرجة 5 غربا، في بلاد تمتد على الإجمال عرضا بين خطي 20 و36 عرضا، وطولا بين 2 و17. بيد أن فاس توجد في ملتقى الطرق التي تحكمت في تاريخ المغرب منذ القدم، فإنها توجد على مدخل باب من أخطر الأبواب الجبلية المغربية شأنا وهو باب مدينة تازة بين سلسلة الريف وجبال الأطلس المتوسط، وهو المضيق الذي يربط بين شرق البلاد وما وراء ذلك من أقطار إفريقيا الشمالية والبلاد العربية، وبين السهول المنفتحة على شواطئ المحيط الأطلسي. وهي أيضا طريق رابطة بين جنوب المغرب وواحة تافيلالت وما يليها من الصحراء الكبرى، وبين الأقاليم الشمالية المطلة على البحر الأبيض المتوسط والمفضية إلى الأندلس وإلى القارة الأوربية. ففاس هي الطريق السهل الرابط بين المغرب والجزائر، كما أن موضعها ممر طبيعي بين طنجة والتخوم الصحراوية، علما بأن مصير البلاد ارتبط في كثير من الحالات بملتقى هذه الطرق. ويتعزز هذا الموضع بموقع يتميز هو كذلك بما حبته الطبيعة من خيرات. فقد أقيمت المدينة في مقعّر من الأرض بين جبلي زالاغ وتغات الذين يحميانها من جهة الشمال، وبين جبل كندر المنتسب إلى الأطلس المتوسط الذي يحميها من جهة الجنوب. كما أقيمت

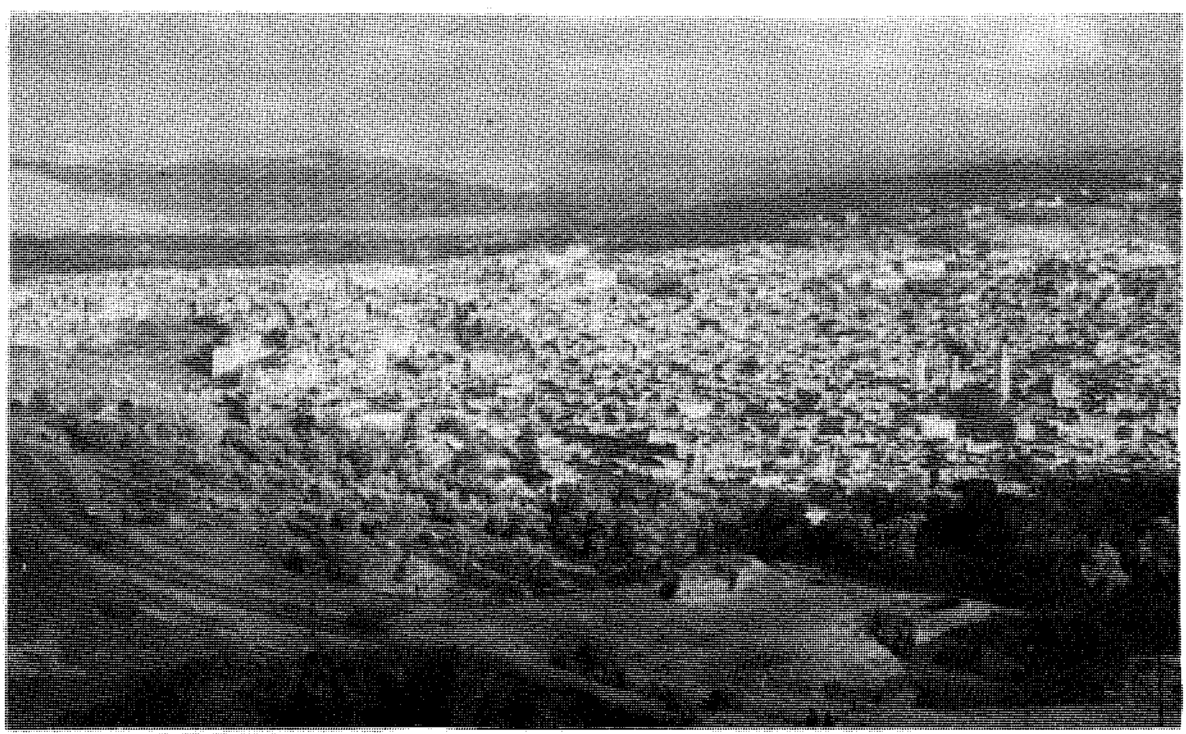

وسط سهل سايس الذي هو من أخصب سهول المغرب، وتمتد أحياؤها على ضفتي نهر فاس الذي هو رافد من روافد نهر سبو الكبير. فلقد نشأت المدينة بين الماء والخضرة في مكان حصين، منفتحة على كل الأفاق، قادرة على الاكتفاء الذاتي عند الاقتضاء.

نشأة المدينة

تتفق المصادر التاريخية المتوفرة عن نشأة فاس أن واضع أسسها هو المولى إدريس الثاني، وذلك في نهاية القرن الثاني من الهجرة (بداية التاسع من الميلاد). ولكن المؤرخ المعاصر يستغرب عدم قيام حاضرة مما أومأنا إليه من مميزات الموضع والموقع قبل قيام الدولة الإدريسية، علما بأن التاريخ احتفظ بأسطورة تفيد أن المكان لم يكن خلوا من السكان في غابر الزمان، وعلما أيضا بأن البحث التاريخي الحديث قد أثبت أن واضع الأسس الأولى هو إدريس الأول الداخل وليس ابنه وولي عهده إدريس الثاني، الذي يقال إنه أراد بناء حاضرة متميزة عن وليلي الحاضرة الرومانية السابقة التي اعتمدها والده عاصمة لملكته، فذهب يبحث عن مكان صالح لذلك، حتى إذا وقف بموقع فاس فأعجبه وعثر فيه على فأس من ذهب، فأطلق لفظ فاس على المدينة، مما يستروح منه ريح الأساطير التي كثيرا ما تطمس ما سبقها من التاريخ. ومهما كان من أمر، فإن الثابت هو أن أول نواة حضرية لفاس بعد انتشار الإسلام في المغرب، أقامها المولى إدريس الأول سنة 172 / 789 على الضفة اليمنى من النهر الذي يخترق الموقع المقعر، وتلك الضفة ربوة مشرفة على الوادي. وكان سكانها من الأمازيغ، بدليل أسماء أحيائها الأولى التي لاتزال متداولة، وهي كرواوة ومصمودة وتامدارت. ولكن المولى إدريس الأول قتل قبل أن تتسع المدينة وتمتد. فقام بالأمر بعده ولده إدريس الثاني الذي التف حوله أفواج متلاحقة من عرب إفريقيا والأندلس في الوقت الذي كان المغرب فيه متأرجحا بين سلطانين متنافرين، سلطان الأغالبة ثم الفاطميين في تونس وسلطان الدولة الأموية في قرطبة. ولذلك قامت فاس الأولى على شكل حاضرتين متجاورتين متميزتين، جهة الأندلس على الضفة اليمنى من وادي فاس التي استقر بها مهاجرة الأندلس بعد انصهارهم مع القبائل الأمازيغية، وجهة القيروان على الضفة اليسرى التي انصهر بها الأعراب القادمون من إفريقيا والجاليات اليهودية على اختلاف مشاربها فضلا عن القبائل الأمازيغية، وذلك بدليل الأحياء التي لاتزال تحمل إلى يومنا إسم درب اليهودي واللمطيين. وصارت المدينتان تتسعان وتستقطبان الساكنة من كل حدب وصوب حول المسجدين الجامعين اللذين أقامتهما أختان هما فاطمة ومريم الفهريتين عند منتصف القرن الثالث (التاسع الميلادي). وظلت المدينتان منفصلتين بأسوار حصينة ولا يجمع بينهما إلا قنطرة لاتزال تعرف "بقنطرة بين المدن". حتى إذا قامت الدولة المرابطية، أقدم مؤسسها يوسف بن تاشفين على هدم الأسوار الأولى وبناء أسوار تضم العدوتين وتجعل من فاس مدينة موحدة تدور على مركز واحد هو حي القرويين. كما أنه بنى قصبة لإيواء جنوده في الحي الذي لايزال معروفا بحي أبي الجنود غربي المدينة (وصار بلسان العامة بوجلود)، ذلك بأن فاس أضحت قاعدة استراتيجية لفتح ما وراءها من الأقاليم الشرقية بما في ذلك ما هو اليوم في التراب الجزائري. وازدادت فاس بذلك امتدادا وتحضرا بما نعمت به في العهد المرابطي من العناية السلطانية ومن الطمأنينة، مما حملها على معارضة الدولة الموحدية عند قيامها والوقوف في وجه مؤسس أمجادها عبد المؤمن بن علي الذي لم يغفر لها ذلك، فأمر بهدم أسوارها وهدم قصبة أبي الجنود. لكنه ما لبث أن جعلها هو كذلك قاعدة لفتح المغربين الآخرين، وأيضا محطة للعبور إلى الأندلس. فبلغت فاس من الرقي والازدهار ما لم يسبق له نظير في تلك العصور، إذا ما اعتمدنا ما ورد في *زهرة الآس* وفي *روض القرطاس* من أنها كانت في عهد أبي يعقوب المنصور الموحدي تنطوي على 785 مسجدا و93 حماما و80 سقاية و372 أرحى و89.236 دارا و467 فندقا و9082 حانوتا وقيسارتين و3.064 درازا و47 معملا للصابون و86 دارا للدبغ و12 مصهرا و116 مصبغة و135 فرنا للخبز و11 معملا للزجاج و186 معملا للخزف. وقد تعززت هذه الحيوية الاقتصادية بما أضفى ملوك الدولة المرينية على المدينة من الإشعاع السياسي، ذلك بأنهم جعلوها قاعدة ملكهم فأقاموا عند مشارفها الغربية مدينة جديدة، تعرف إلى يومنا بفاس الجديد، بنيت فيها القصور السلطانية ومسجد جامع كبير ودور الخدام والعسكر وما يتصل بذلك من أسواق ودكاكين. ولم يهملوا مع ذلك المدينة القديمة التي رسخوا مكانتها العلمية والروحية بما شيدوا فيها من المدرسات الطلابية كالمصباحية ومدرسة اللبادين والسبعيين والصفارين والعطارين والبوعنانية نسبة إلى آخر كبار ملوكهم أبي عنان، فضلا عن مدرسة دار المخزن المقامة في فاس الجديد، وكل هذا في العصر المريني الأول. أما في العصر الثاني الذي ابتدأ غداة وفاة أبي عنان 759 / 1359، فإن المدينة نالت نصيبها مما حل بالمغرب من النكسات في قعر دياره أو في الأندلس. ولا أدل على ذلك مما جرى سنة 837 / 1437، من خروج اليهود من المدينة القديمة التي كانوا يقطنونها جنبا إلى جنب مع المسلمين إلى حارة متميزة في فاس الجديد أقيمت بجوار القصور السلطانية على ملاحة مهجورة، فانضافت نواة حضرية أخرى إلى الأنوية السابقة، وصار لفظ الملاح من يومئذ عبارة عن حارات اليهود في المغرب. ثم إن الأزمة العامة أدت إلى الإطاحة بالدولة المرينية على يد الشرفاء الأدارسة الذين انتهزوها فرصة لتجديد العهد بقبر المولى إدريس الثاني باني المدينة الذي كان قد انطمس في العصور السالفة. وكان ذلك تعبيرا عما انهار من معنويات أهل فاس فتمسكوا بما احتفظ لهم بمكانتهم من الأسباب المقدسة.

فاس في عهد الشرفاء السعديين والعلويين

كان لفقدان الأندلس أثر مشوب على المدينة، ذلك بأنها انقطعت عن مرجعيتها الحضارية بسبب تغلب النصارى هنالك. لكن الكثير ممن فرّ بدينه من مدن وقرى الضفة الأندلسية قصد إلى فاس واستقر بها معززا فيها الحضارة العربية. فدخلت المدينة عصرا من الانتعاش الثقافي والعلمي، لولا ما لحقها من عسف ملوك الدولة السعدية الذين اختاروا مراكش عاصمة لهم، ثم دخلوا فاس عنوة ونكلوا بسكانها وأقاموا في الربوتين المطلتين عليها من الشمال ومن الجنوب قلعتين أو بستيونين شامخين باتت فاس معرضة لفواهات مدافعهما. ولما توفي أكبر ملوكهم أحمد المنصور الذهبي في مطلع القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، فإن فاس وقعت فريسة بين أبنائه المتنازعين على الملك. وترتب على ذلك اقتتال بين أحياء المدينة أتى على الأخضر واليابس جراء عجز وانهيار المخزن المركزي. واستفاد مرابطو الديلاء من ذلك ليمسكوا بزمام الأمور، إلى أن قام الشرفاء العلويون، واستطاعوا بسط نفوذهم على المغرب قاطبة. فاسترجعت فاس شيئا من إشعاعها. فقد بنى المولى الرشيد فيها مدرسة الشراطين. كما أنه بنى قنطرة الرصيف. وخلفه المولى إسماعيل الذي أنّت فاس من صرامة حكمه، لكنها استفادت مما أحاط به الشرفاء والحرم الإدريسي من العناية، فإنه جدد صرح هذا الحرم على الشكل الذي هو عليه اليوم من جلال المقام والإبداع الزخرفي والهالة القدسية. فحق لفاس أن تسمى من ثم فصاعدا مدينة المولى إدريس. وعلى الرغم مما تأزم من أحوالها في الفترة التي تلت وفاة هذا السلطان بسبب اقتتال أبنائه على الملك، إلا أنها ما لبثت أن عادت إلى سابق حيويتها في عهد السلطان محمد بن عبد الله. وقد تعززت صدارتها الروحية والعلمية في ظل الدولة العلوية التي دأب ملوكها على التنقل بين كبريات الحواضر لتفقد أحوال الرعية. واستفادت فاس من ذلك فوائد معمارية مرموقة، منها في عهد المولى سليمان (1792 - 1822) بناء ثلاثة مساجد في حي الرصيف وعند باب عجيسة وفي أبي الجنود. ومنها في عهد المولى حسن (1873-1894) معمل السلاح المعروف بدار الماكنة حذاء دار المخزن في فاس الجديد.

وهكذا كانت فاس في مطلع القرن العشرين، ليلة انعقاد الحماية الفرنسية على المغرب، تصور للمعمار الإسلامي في القرون الوسطى بأحسن ما يكون من التصوير. فكانت مدينة تنبض بالحيوية الرتيبة الرصينة حول مساجدها وأضرحة صلحائها التي تنطلق منها الأزقة المؤدية إلى الأحياء التجارية مثل القيصارية والعطارين والشماعين والسبيطريين والقطانين والصفارين والشرابليين والصباغين والشراطين ودور الدبغ وما يلي ذلك من الأحياء السكنية كالبليدة والعيون وكرنيز واللمطيين وفندق اليهودي والزنجفور والطالعتين وحي الدوح، هذا في عدوة القرويين، وسوق الحدادين والصفاح والطرافين والفخارين ومعصرات الزيت وما يتصل بذلك من الأحياء السكنية كالرميلة والكدان والحبيّل شرقي عدوة الأندلس، والمخفية والأقواس والجزيرة ودرب الشيخ في غربيها. ونقف على مثل ذلك في فاس الجديد حيث تحفل التجارة والمعاملات في الشارع الكبير حول المسجد الجامع الذي يفصله عن القصر السلطاني أحياء سكنية مثل حي مولاي عبد الله وبوطويل وبرج سيدي بونافع والملاح (حارة اليهود). ويحمي المدينة أسوار عالية تنفتح وتنغلق على الأحواز من كل الجهات بأبواب ضخمة كباب السمارين وباب الساكمة في فاس الجديد، وباب الحديد والباب الجديد وباب أبي الجنود وباب المحروق وباب عجيسة في عدوة القرويين، وباب فتوح وباب الخوخة وباب سيدي بوجيدة في عدوة الأندلس. ومن مميزات هذا الأسلوب المعماري أنه يراعي فضائل التساكن بقدر ما يراعي ضرورات السكن، في منظومة اقتصادية قائمة على الاكتفاء الذاتي والمبادلات مع الأحواز أكثر مما هي قائمة على التجارة البعيدة المدى. كما أنها معتمدة على السير على الأقدام وعلى البغال والحمير لنقل الأثقال، فلا رواج فيها للعجلة والعربات التي لا تتسع لها أزقة يشفع لضيقها علو أسوار الدور فيحميها ذلك من القر في فصل الشتاء ومن الحر في فصل الصيف. علما بأن الدور مبنية على النسق الإسباني الإسلامي حول صحن يسمى وسط الدار فيه نافورة أو سقاية، وينفتح عليه غرف متقابلة، يفضى من بعض جوانبه إلى المطبخ، ومن جانب آخر إلى الدرج المؤدي إلى الفوقي أو الطابق العلوي الذي تطل غرفه وصالاته على وسط الدار السفلي من وراء درابزون (أو دربوز) من الخشب المخروط. ومن الفوقي يصعد إلى السطح الذي تنكشف منه باقي المدينة وما يحيط بها من البساتين والجبال. ولشدة التصاق سطوح فاس بعضها ببعض، فمن الممكن الانتقال من خلالها من حي إلى حي، لا سيما وأن بعض الدور تغطي الأزقة التي هي عبارة عن أنفاق في بعض الحالات، يستحيل على الغريب عنها أن يسير عبرها من غير دليل. وكان ذلك من وسائل دفاع السكان عن أنفسهم وعن مصالحهم، فيغلقون بوابات المدينة ويقيمون الحرس والرماة على الأسوار ويركنون في قعر ديارهم إلى أن تمر العاصفة. أو كان هذا أسلوبهم في حروبهم قبل انتشار سلاح المدفعية وإقامة الدولة السعدية للبستيونين المذكورين اللذين صارت المدينة ترمى بوابل من نيرانهما كلما مالت إلى العصيان. وكان حكم المدينة بيد عامل، يساعده خلفان يقومون مقامه في مختلف الأحياء، وقاضيين واحد في المدينة العتيقة، وثان في فاس الجديد، ومحتسب يراقب سلامة المقاييس والمكاييل والأوزان في الأسواق وسلامة الأخلاق بوجه أعم، والجميع تحت أنظار خليفة ينوب عن السلطان عند ظعنه. وهذه المدينة المخلصة إلى ماضيها وأعرافها إلى حد الجمود، وهذه الحاضرة الإسلامية التي لم يتغير شيء من هندستها المعمارية على مر

العصور هي المدينة التي دخل عليها القرن العشرين بكل ما دخل به من العواصف وأسباب الانقلاب والتبديل دفعة واحدة جراء الاستعمار الفرنسي. فامتنعت عن ذلك وظلت جاثمة على إرثها، وتركت العصر يفعل ما يريد في أرباضها الغربية فاتسعت بإضافة مدن جديدة أقيمت على النسق الأوربي العصري.

فاس في القرن العشرين

لايزال البحث التاريخي يفتقر إلى مؤلف عن فاس في القرن العشرين يذكر بالتفصيل ما طرأ على المدينة من التغيير ويقف على كيفية تفاعلها مع ذلك، ذلك بأنها احتفظت على أصالتها حتى يخيل للمرء أنها لن تقلع عنها أبدا، وتمسكت بأسباب الحداثة حتى يبدو وكأنها لا تريد إلا الطليعة موقفا. وهي بكل ذلك إنما تجسد في حدودها ما يجري في المجتمع المغربي برمته منذ مطلع القرن العشرين.

فقد اصطدمت فاس بالاستعمار منذ دخول الجيوش الفرنسية إليها في ربيع سنة 1911. وفي يوم 30 مارس من سنة 1912 التالية، وقع السلطان عبد الحفيظ على عقد الحماية. وثارت ثائرة أهل فاس على ذلك، ففتكوا بكل ما وقع بين أيديهم من الأوربيين المقيمين في المدينة طيلة ثلاث أيام (17 ـ 19 أبريل 1912). ورد الفرنسيون بتمام العنف والقساوة. ثم إنهم اتخذوا القرار بحرمان فاس من وظائف العاصمة السياسية. كما أنهم اتجهوا إلى بناء أحياء سكنية خاصة بهم في الأحواز الغربية. وأطلقوا عليها بلغتهم إسم "لافيل نوفيل La ville nouvelle"، وسماها الفاسيون "دار دبيبغ"لانتظام أحيائها قرب قصر سلطاني هنالك يحمل هذا الاسم، واتخذته الجيوش الفرنسية مقرا لقيادتها عند حلولها بالمدينة. وهكذا اتسعت رقعة فاس مرة أخرى على طريقتها المعهودة بإضافة مدينة رابعة إلى المدن الثلاث السابقة. وقد أقيمت هذه المدينة لفائدة الأوربيين وبناء على حاجياتهم المعمارية والعسكرية، بشوارع تتسع لمرور العربات والسيارات، وفيلات وعمارات متعددة الطبقات، وملاعب رياضية وحدائق تتوسطها مدارس ابتدائية وثانوية، ومحطة للقطار ترتبط بها مخازن وأهراء كبرى والحي الصناعي، ومطار بربوة ظهر المهراس في الجنوب الشرقي أقيمت بجواره الثكنات العسكرية. بيد أن هذه المدينة الأوربية لم تزدهر إلا بسبب حرب الريف، ذلك بأن القيادة العامة للعمليات العسكرية الفرنسية أقيمت بها. وكان المجاهدون الريفيون قاب قوسين أو أدنى لانتزاعها من أيدي الفرنسيين الذين أدركوا مكانتها الاستراتيجية وما كان في التنقيص من شأنها من خطورة على مصالحهم في المغرب. وبذلك صارت فاس تسترجع أنفاسها من صدمة الاستعمار. وتعززت ساكنتها بمن هاجر إليها من أبناء باديتها القريبة والبعيدة. فصارت الأنوية الحضرية القديمة والجديدة تمتد بشكل حثيث. وتمت المرحلة الأولى من الامتداد في عهد الحماية بين 1912 و1956 بأن ألغي شيئا فشيئا كل ما كان موجودا داخل الأسوار العتيقة من البساتين والميادين العارية باستثناء المقبرات، وذلك لإقامة الدور والأهراء والحوانيت والمقاهي مثلما جرى في أحياء باب الخوخة وباب سيدي بوجيدة والزنجفور وباب الحديد والباب الجديد وبورجوع. وجرى مثل ذلك في فاس الجديد في باب الدكاكين والسمارين. وكانت نخبة الجالية اليهودية أول من بادرت إلى الفرار من الاكتظاظ ومن الأزقة الضيقة المظلمة لمساكنة الأوربيين في دار دبيبغ التي اتجهت حركة العمران فيها إلى ملء ما كان في الأصل حقولا وبساتين تفصل بينها وبين المدينة المرينية. وقد تصرف الفرنسيون في هذه المجموعة الحضرية المتناثرة بأسلوب الحكم العسكري، إذ كان حكم فاس وإقليمها الشاسع بيد ضابط برتبة جنرال، يساعده ضباط الاستعمالات والمراقبون المدنيون الذين كانوا بدورهم يستعينون بالموظفين المخزنيين السابقين يتقدمهم الباشا ومن يقوم مقامه من الخلفان في مختلف الأحياء، هذا من جهة قمة السلم الإداري. وأما من جهة السكان، فإن الفرنسيين أدخلوا النظام البلدي على المدينة، معتمدين الانتخاب في المدينة الأوربية، وشكلا من الانتقاء الإداري فيما يرجع لأهل فاس مسلمين ويهود. وكان عدد السكان على الإجمال في نهاية الحماية 179.372 (إحصاء 1952). مما يعني أن هذا العدد تضاعف في ظرف أربعة عقود، إذ يجمع الباحثون على أن عدد سكان فاس قبل الحماية كان يتراوح بين 90.000 و100.000 نسمة.

وأي سبب أقوى في التغيير من النمو الديموغرافي، ذلك بأن 180.000 نسمة الذين كانوا يقطنون المدينة عند إلغاء الحماية صاروا في مطلع القرن الواحد والعشرين يفوقون المليون بكثير أغلبيتهم مسلمون، ذلك بأن الجالية اليهودية لم يبق منها إلا أفراد معدودون. ولا يقطن بالمدينة من الأوربيين إلا بعض المستخدمين في السلك القنصلي أو التربوي. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على امتداد العمران الفاسي في كل اتجاه بما لم يسبق له نظير. فقد حصل في فاس العتيق وفاس المريني من الاكتظاظ ما يشبه فيضان القدر على جنباتها جراء الغليان. ففاضت المدينة العتيقة حتى اكتسح السكن مقابر القباب في الجنوب الشرقي، وكهوف ظهر الخميس في الشمال الغربي والجنانات الممتدة بين باب الخوخة وباب عجيسة. وخرجت فاس المرينية إلى ما وراء أسوارها من باب الساكمة وعين قادوس ومرتفعات جبل تغات كما زحفت خارج باب أبي الجنود وفي دار دبيبغ التي امتدت في اتجاه ظهر المهراس وسهول زواغة في الشمال الغرب. وتشكلت هنالك وترعرعت مدينة أخرى بل مدن أخرى تضم مختلف الصناعات العصرية وتحمل اسم مالكي تلك الأراضي من آل بني سودة، كما امتدت نحو الجنوب الغربي في أحياء سكنية على الطرق المؤدية إلى قلب الأطلس المتوسط وإلى شرق المغرب. مما يوحي بصعوبة انصهار أسباب المحافظة مع أسباب التغيير في مدينة أنشئت قبل إثنى عشر قرنا فلا تزال متمسكة بحيويتها الاجتماعية

ووظائفها الاقتصادية. ولم يتغير شيء من مظاهر فاس العتيق وفاس المريني إلا باعتبار ما صار يخترق شوارعهما من الحافلات والشاحنات والسيارات التي تصل اليوم إلى قلب النواة الحضرية العتقية بعد تغطية وادي الجواهر (بوخرارب) في الستينات من القرن العشرين. وقد أجبر أرباب الحرف على تغيير أساليب عملهم، فهم اليوم يعملون بالمواكن الكهربائية وبالمواد الكيماوية العصرية. ولذلك عواقب وخيمة على المعمار العتيق جراء ما يكون من الاهتزاز القوي من المحركات ومن أخطار الانفجارات المذمرة، هذا فضلا عن النمو الديموغرافي الذي هو كذلك ضرب من الانفجار ولو بأسلوب الدبيب.

بيد أن المدينة تحتفظ في النسيج العمراني المغربي بتمام حيويتها ورتبتها المتميزة، فإنها تشكل بعد الدار البيضاء ثاني قطب صناعي وتجاري في البلاد. وهي عاصمة إحدى الجهات الست عشرة التي تنقسم البلاد إليها، وتسمى جهة فاس بولمان وتتركب من أربع عمالات (فاس ومولاي يعقوب وصفرو وبولمان). ويمثل الدولة فيها وال عام يساعده مجموعة من العمال، كما يمثل السكان مجلس بلدي يرأسه عمدة، ويحيط به مجموعة من المقاطعات يقوم بتدبير شؤونها المنتخبون المحليون. ولاشك أن فاس تعاني من مشاكل انتقال العمران العتيق إلى العمران العصري. ولكن ما تبديه من الحيوية ومن القدرة على التكيف يحتفظ لها بماضيها وبالمستقبل. ولذلك أدرجتها منظمة اليونسكو من جملة مآثر الحضارة الإنسانية منذ سنة 1981.


ليطورنو روجي، *فاس قبل الحماية*، تعريب محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986 (مجلدان).

Mohammed Yakhlef, *La municipalité de Fès, 1912 - 1956*, Thèse d'Etat, Université Libre de Bruxelles, 1990 (Ronéo).


إبراهيم بوطالب

**فاس البالي**، موقع أثري إسلامي ترتفع بقاياه بقبيلة فشتالة، على الضفة اليسرى لوادي ورغة، على بعد حوالي 58 كلم شمال غرب مدينة فاس (قيادة قلعة سلاس، إقليم فاس)، مما يجعل منه نقطة استراتيجية لمراقبة مشرع الخميس والولجات الخصبة لضفتي النهر وروافده. ومما يبرز أهمية هذه المدينة الأثرية كثرة بنياتها المعمارية، من آجور مشوي وقرميد وأحجار منجورة وقطع خزفية، تغطي مساحة يزيد محيطها عن خمس كيلومترات.

يحتل الموقع هضبة يصل ارتفاعها إلى 202 مترا، وموضعا استراتيجيا مما يسمح بمراقبة جل المناطق السهلية المجاورة، ليشكل مع قصبة أمرگو التي تبعد عنها بحوالي ثماني كيلومترات، أحد أبرز الحصون المشيدة لمواجهة قبائل غمارة وحماية الطريق الرئيسية بين فاس وطنجة وسبتة في اتجاه عدوة الأندلس. ويتضح من خلال المكونات الأثرية أنه لعب دوراً عسكريا هاما، إذ ينتظم وراء سور من الحجارة المدكوكة يحاذي المنحدرات ويتبع سطح الهضبة ليسيج مساحة شاسعة يتوسطها مركب صغير محصن أو محْرَز، قد يستعمل من طرف قائد القلعة أو ساكنتها في انتظَار وصول الإمدادات. ويصل علو بعض بقايا هذه الأسوار إلى خمس أمتار وتتخللها بعض الأبراج نصف الدائرية مما يدفع، ـ اعتمادا على تصميمها وتقنيات بنائها ـ إلى ربطها بأسوار كل من قلعة أمرگو ومدينة البصرة الإدريسية، وبالتالي إلى افتراض تشييدها خلال القرون الأولى للفترة الإسلامية.

ولقد ذهبت أغلب الدراسات التي اهتمت بالموقع إلى أن هذه البقايا تعود لمدينة بني تَاوْدة أو بني تاودا أو بني تودة أو بني تودي التي وردت عند عدد من مؤرخي وجغرافيي العصرين الوسيط والحديث. ففي القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي جعل منها مؤلفا كتاب *الاستبصار ونزهة المشتاق* مدينة من بناء المرابطين، على الطريق الثانية الرابطة بين فاس وقصر كتامة مرورا بجبل غمارة، إذ يروي صاحب الاستبصار "أنك إذا أقمت من وادي سبو، أخذت على يمينك في عمائر متصلة إلى مدينة تاودا، وكانت مدينة كبيرة أسسها الملثمون ليملكوا منها جبل غمارة لتتابع نفاقه عليهم". وإذا كانت رواية صاحب *الاستبصار* تشير إلى أن المدينة قد فقدت، رغم إقامة ولاة المغرب بها مع العسكر، بعضا من ازدهارها دون الإفصاح عن الأسباب الكامنة وراء ذلك، فإن نص الإدريسي كان أوضح منه وأعطى تفاصيل هامة، إذ يؤكد أن مدينة بني تاودا، التي "كانت بمكان شبه الثغر سدا مانعا من طغاة غمارة العابثين بتلك النواحي المغيرين على جوانبها"، قد خربت من طرف الموحدين، وهجرت من ساكنتها، فكانت "أول مدينة من مدن المغرب التي حل بها الفساد، ونزل بها التغيير، واستأصلها المصامدة، وهدموا أسوارها وصيروا قائم مساكنها أرضا، ولم يبق منها إلا مكانها. وقد تراجع إلى مكانها نحو من مائة رجل، فعمروها وزرعوا في أرضها لطيب ترابها ونمو زرعها وجودة حنطتها".

من جهة أخرى، تبقى روايتا الحسن الوزان ومارمول كاربخال فريدتين من حيث مضمونهما، إذ تذهبان إلى أن المدينة من إنشاء "الأفارقة القدامى" وقد دمرت من طرف خلفاء إفريقية. ومن الإشارات النادرة التي تفرد بها مارمول كاربخال عن الحسن الوزان، مصدره الأساسي الذي نقل عنه العديد من الأخبار، أن بني تاودا قد عرفت بأسماء أخرى، إذ يروي أنها "كانت تدعى بابا أو جوليا كامبيستري حسب بطليموس الجديد، الذي يجعلها في الدرجة الثامنة والدقيقة العاشرة طولا، وفي الدرجة الرابعة والثلاثين والدقيقة العشرين عرضا". ويشير مارمول إلى أن المدينة، على عكس ماذهب إليه صاحبا كتاب *الاستبصار ونزهة المشتاق*، قد تعرضت للتدمير على عهد بني إدريس أيام حربهم ضد الخليفة الشيعي القائم بأمر الله (322 ـ 334 / 934 ـ 945)، "عندما غزا هذا الإقليم، بحيث لم يبق منها سوى الأسوار، وبقايا بعض المباني القديمة الرائعة، فيها ثلاث سقايات ذات

أحواض كبيرة من الرخام والمرمر، وبعض الأضرحة كذلك تدل على أنها قبور شخصيات مرموقة".

وبالرغم من اختلاف الروايات وتضاربها، فإن قلعة بني تاودة قد لعبت أدواراً طلائعية خاصة على عهد آخر المرابطين. ويذكر البيدق أن القلعة كانت سنة 536/ 1141 مقرا وقاعدة للأمير المرابطي تاشفين بن علي بن يوسف والأبرتير أحد أبرز القواد الموالين للسلطان علي بن يوسف بن تاشفين أيام صراعهم ضد جيوش الخليفة عبد المومن بن علي الكومي، التي عسكرت على ضفة الوادي لأيام عدة ثم رحلت دون القصبة. وفي سنة 559 / 1163 ـ 1164 ثار مزيزدغ الغماري بإقليم غمارة كله على الخليفة يوسف بن عبد المومن، وتبعته قبائل من صنهاجة وأوربة، ودخل مدينة بني تاودة وقتل ـ على قول ابن أبي زرع ـ جل سكانها وأسر ما تبقى منهم. فخرج إليه على رأس جيش من الموحدين، "يوسف بن سليمان وبدد شمله"، وربما إليه يرجع تدمير القصبة كما ورد ذلك عند الإدريسي، لتفقد بذلك هاته الحاضرة أهميتها، وفي نفس الوقت تسميتها ويظهر، كما ذهب إلى ذلك محقق كتاب البيدق، اسم فاس البالي للدلالة عل قرية صغيرة احتمت بأسوار القلعة المهدومة.

الإدريسي، *المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، باريس، 1983 ؛ مجهول، *الاستبصار*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، 1999 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980 ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا*، ج 2، الرباط، 1984 ؛ البيدق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971.

E. Fagman, *Extraits inédits relatifs au Maghreb : géographie et histoire*, Ancienne Maison Bastide-Jourdan, Alger, 1924 ; E. Lévi-Provençal, Les ruines almoravides du pays de l'Ouargha (Maroc septentrional), dans *Bulletin archéologique, 1918, p. 194 - 200* ; H. Saladin, Note sur un essai d'identification des ruines de Beni-Teude, Mergo, Tansor et Angala, situées dans la région de l'Ouergha, dans *Bulletin archéologique, 1916, p. 118 - 131*.

أحمد صالح الطاهري

**فاسْت**، اسم مكان استراتيجي (مراقبة الممر) في نهاية سلسلة جبل باني من جهة الغرب، في جنوب آيت باعمران، وهو المدخل الرئيسي الطبيعي الذي يربط عبر الطريق الرئيسي بين مدينتي سيدي إفني وأكلميم. وهو عبارة عن خانق طويل ضيق شديد الانحدار حسب تعريف معجم المصطلحات الجغرافية بالضبط (يوسف توني مادة خنق).

وفيه يتجلى التتابع التاريخي لتكوين الصخور والطبقات، حيث تبرز الطبقات الرسوبية بشكل أفقي كأنها لوحة فنان تستوقف المارين وتغري عدسة السياح.

وكلمة فاست، مؤنة فاس، تعني باب الخانق، ومحليا تسمى ئمي ن فاست. وأظن أن الكلمة من لهجة قبيلة لمطة من قبيل صنهاجة، وما أكثر أسماء الأعلام الجغرافية في آيت باعمران بلهجة لمطة.

والذي يهم هنا هو التنبيه إلى أهمية الخانق من حيث المواصلات ومن حيث البحث الجغرافي والجيولوجي... وقد تكون فاست أقدم زمانا من الطبقات في منطقة آيت ؤرير ؟.

*بحث ميداني* وصور للموقع سنة 1990.

الحسين جهادي

**الـفاسوخ**، يستخرج الفاسوخ من البوبال أو الكلخ أو عصا الراعي وهو جنس زهر من فصيلة البطاطيات. ومكان نبته، المروج الرطبة في الجبال. وهي عشبة يصل ارتفاعها إلى نحو متر، أوراقها طولانية، معقوفة الرأس تنبت بساق طويلة من الجذر مباشرة في ماي ـ يونيو ويوليوز، على رأس ساق طويلة أزهارها صغيرة وردية بمجموعة سنبلة مبرومة، جذرها معقد ومقوج ولونه في الداخل أحمر أسمر. تمتاز الجذور بمواد دابغة، ومواد قابضة وموقفة للنزف. استعمالها طبيا : من الخارج يستعمل المغلي باردا لوقف النزف في الجروح والقروح، وفاترا للمضمضة لمعالجة نزيف اللثة والرائحة الكريهة في الفم، ومن الداخل يشرب المغلي لمعالجة الإسهال المدمن (تيفوئيد) ويعمل المغلي بالطرق المعروفة بنسبة 5 غرامات من الجذور المفرومة لكل فنجان من الماء، ويشرب فنجانان في اليوم.

كيفية استخراج الفاسوخ من البوبال أو الكلخ أو عصا الراعي يتم بحفر حفرة في جدر النبتة ووضع إناء أو قطعة من البلاستيك ثم يتم جرح الجدر فإذا بسائل يخرج من الجذر أبيض كالحليب. وبعد أسابيع يتم جمع القطع البلاستيكية المملوءة بهذه المادة التي تجفف وتصبح صفراء اللون مائلة إلى اللون البني أو الأسود وهي على شكل عجين يلتصق. وهذه المادة هي التي نسميها الفاسوخ. والفاسوخ المغربي أحسن فاسوخ ويتم تسويقه في الجزيرة العربية ودول الشرق الأوسط ويستعمل للبخور.

الدكتورأمين رويحة، *كتاب التداوي بالأعشاب*، ص. 218.

الحسين البعاوي

**الـفـاسي**، أسرة علم وصلاح، أصلهم من الأندلس من نسل بني الجد الفهريين نسبة إلى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وهو بطن من بطون قريش العدنانية.

اشتهر بنو الجد خلال المرحلة الأندلسية بالضلوع في ميداني العلم والسياسة. وكان لعدد وافر من أبنائهم حظ المشاركة والوجاهة في إشبيلية ولبلة وغرناطة وملقة.

نزحت الأسرة الفاسية إلى المغرب بعد التحولات التي عصفت بالمسلمين كافة وأول من قدم منهم عبد الرحمان بن أبي بكر بن الجد وأخوه أحمد اللذين اختارا مدينة فاس واستقرا بها سنة 880 / 75 ـ 1476. وقد توفيا معا بعد اجتياح وباء الطاعون سنة 887 / 82 ـ 1483 فمات أحمد عن غير عقب بينما خلف عبد الرحمان ولده يوسف المكنى بأبي الحجاج وهو الذي اشتغل في التجارة وتردد من أجل ذلك

على حاضرة القصر الكبير فنسبه أهلها لمدينة فاس وهو اللقب الذي جرى على عقبه من جده.

قدمت الأسرة الفاسية أسماء لامعة في تاريخ الحركة الصوفية منذ تأسيس الشيخ أبي المحاسن لزاوية المخفية، كما قدمت عددا من العلماء الذين طبعوا الحياة الفكرية في تاريخ المغرب الحديث.

القلقشندي، *نهاية الأرب*، القاهرة، 1959 ؛ ع. كحالة، *معجم قبائل العرب القديمة والحديثة*، بيروت، 1968 ؛ الهمذاني، *عجالة المبتدئ*، القاهرة، 1965 ؛ المقري، *نفح الطيب*، بيروت، 1968 ؛ ع. الفاسي، *مرآة*، 144 ؛ م. ع. الفاسي، *ابتهاج*، 101 ؛ ع. الفاسي، *رياض الجنة*، فاس، 1931 ؛ م. القادري، *نشر* ؛ مولاي سليمان، *عناية أولي المجد*، المقدمة ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*.

**الفاسي، أحمد** بن أبي المحاسن، ولد حوالي سنة 1021 / 1612 ونشأ في رعاية عمه وأبناء عمه، فكان أكثر أخذه للعلوم عن الشيخ محمد بن أبي عسرية. كما أنه حظي بلقاء عمه محمد العربي وكان ممن عمتهم إجازته.

أقبل بعد مرحلة التكوين على التدريس في القصر الكبير لكنه أظهر ميلا واضحا نحو أمور التربية والعبادة، فتح زاويته لإطعام الطعام واستقبال الزوار.

توجد زاوية الشيخ أحمد الفاسي مقابلة لمسجد الشجرة بحي القطانين وهي المركز الصوفي الثاني للزاوية الفاسية في القصر الكبير. أما شهرتها فتقترن بدورها الروحي التاريخي وبتصميمها الهندسي والقبتين الموجودتين في ضريح الشيخ.

توفي الشيخ أحمد في زاويته سنة 1094 / 1684.

م. القادري، *نشر* ؛ أ. أشعبان، *أبحاث تاريخية وأثرية* حول القصر الكبير، د. د. ع، الدار البيضاء، عين الشق، 1988، في جزءين ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*.

نفيسة الذهبي

**الفاسي، أحمد** بن أبي **جيدة** بن أحمد. ولد بفاس سنة 1165 ، وبها نشأ في حجر أبيه، وقرأ كتاب الله، ثم العربية والأصول والبيان والمنطق والكلام والفقه والحديث وغيرها على جماعة من الأئمة، فحصل في الزمن اليسير على حظ من العلم الكثير.

وكان يدعى في قومه بالعارف، غير أن الأجل استعجله قبل كمال إهلاله، فصار إلى رحمة الله ورضوانه سنة 1194، ودفن في زاوية جده.

مولى سليمان العلوي، *عناية* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

**الفاسي، أحمد** بن **علي** بن أبي المحاسن. ولد في مدينة القصر الكبير يوم 4 صفر سنة 997. وبها أخذ عن والده وأخيه أبي عسرية وغيرهما. ثم رحل إلى فاس، فأخذ بها عن عم أبيه، وعن عميه العربي وأحمد، وعن أحمد وأبي القاسم ابني القاضي، وغيرهم. ورجع إلى القصر الكبير بعلم غزير، فدرس وأفاد. فكان مشهورا بحسن الإلقاء والتعليم، متسع العارضة في الحفظ والفهم. انتفع به خلق كثير.

واستوطن مكناسة الزيتون. ثم استوطن، آخر عمره، فاسا إلى أن عاد إلى القصر الكبير زائرا، فأدركته المنية يوم 13 شعبان سنة 1062، فحمل إلى فاس.

م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *إلتقاط الدرر* ؛ ع. الرحمان الفاسي، *ابتهاج القلوب* ؛ *أزهار البستان* ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد*؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

**الفاسي، أحمد** (الموسيقى) بن محمد بن عبد القادر من علماء فاس في القرن الثاني عشر. له مشاركة في جملة من علوم وفنون عصره، ومنها "موسيقى الآلة"، فقد كان يعرف قواعدها وأصولها حتى قال عنه صاحب "*عناية أولي المجد*" إنه لا يكاد أحد يحسن الطبوع على كثرتها مثله.

يقال إن محمد بن الحسين الحايك أخذ عنه بعض أشعار الآلة لما أقدم على تأليف مجموعه الشهير.

ويعزى لأبي العباس الفاسي هذا أنه هو الذي اقترح تخصيص طبع رمل الماية لأشعار المديح النبوي. فقد كان رواد الزاوية الفاسية بالقلقليين - وهو يومئذ القائم عليها - يجتمعون بحضوره على إنشاء الموشحات والأزجال والبراول مما نظمه المغاربة المتأخرون في هذا الغرض أو انتخبوه من دواوين شعراء المديح، يدرجون ذلك في ميازين موسيقى الآلة وخاصة منها ميازين القدام.

وقد مهد ذلك للقرار الذي ستتخذه لجنة الوزير الجامعي المكلفة بمراجعة كناش الحايك في مطلع القرن الرابع عشر، وهو القرار القاضي بتحويل أشعار نوبة رمل الماية وما ألحق بها من صنعات - وكانت موزعة بين الغزل ووصف العشي - إلى أشعار في المديح النبوي والتشوف لزيارة قبره الشريف.

وتقديراً لجهود أبي العباس الفاسي في هذا المضمار فقد دأب المسمعون بعد وفاته على إحياء ليلة المولد النبوي وصباح يوم العيد حيث يجتمعون بضريحه فينشدون سائر موازين رمل الماية اعترافا بفضله "وقد استمرت هذه العادة إلى أوائل القرن العشرين ثم توقف العمل بها بعد وفاة كبار المسمعين".

وتوفي أحمد الفاسي سنة 1164 / 1750 - 1751.

ع. العزيز، بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1983 ؛ م. الفاسي، *الموسيقى المسماة أندلسية*، مجلة تطوان، ع 7.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الفاسي، البشير** بن عبد الله. ازداد سنة 1315 / 1898 بفاس، وشب وترعرع في بيت علم ودين، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم على يد الفقيه محمد

العلمي بدرب العيون، ثم التحق بجامع القرويين فأخذ عن ثلة من العلماء منهم أحمد بن الخياط الزكاري، وأحمد بن الجيلالي المغاري، وعبد السلام بن محمد بناني وعبد الله الفضيلي، أخذ عنه علم البلاغة وعلم المنقول، وعن محمد الراضي السناني أخذ الفقه وأصوله والنحو ولازمه كثيرا وهو عمدته، كما أخذ عن والده الشيخ عبد الله التفسير والحديث. وعن هؤلاء أحرز على إجازة علمية عامة.

ويعتبر محمد البشير الفاسي من العلماء والفقهاء الذين كانت لهم يد طولى في النوازل والأحكام، حيث قضى في مهنة العدالة والقضاء ما يقرب من الأربعين سنة، زاول خلالها أولا خطة العدالة بسماط القرويين بفاس والإفتاء الشرعي، ثم عين بعدها كاتبا بأحواز فاس مع القائد علي العياشي، ثم تولى قضاء قبيلة بني زروال وبني ورياگل مركز غفساي وذلك سنة 1346 / 1927 ، ثم قضاء مدينة الجديدة وقبيلة أولاد بوعزيز بالناحية سنة 1354 / 1935.

وإلى جانب القضاء والفتوى كان المترجم له خطيب الجمعة بجامع غفساي، كما تصدر للوعظ والحديث والتدريس بصفة تطوعية بجامع التازي بحي مرشان بالجديدة.

ترك البشير عدة مؤلفات طبع بعضها ولازال أغلبها مخطوطا، نذكر منها *قبيلة بني زروال : مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية* ؛ *النوازل البشيرية* ؛ *شذ أزهار الأحكام والحيال* ؛ *بحث تاريخي عن مدينة مشنزاية العتيقة بقبيلة دكالة*.

توفي إثر حادثة سير قرب سوق الأربعاء في طريقه إلى مدينة طنجة بصحبة شقيقه عبد السلام، وذلك يوم 8 جمادى الأولى عام 1383 الموافق لـ 23 شتنبر 1963، ودفن بالزاوية العيساوية بالرباط.

ع. الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 278 ـ 279 ؛ م. الفاطمي ابن الحاج، *إسعاف الراغبين*، 72 ـ 73 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3375 ؛ بلماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 268 ـ 269 ؛ *روايات شفوية لناصر الفاسي ابن المترجم له*.

**الفاسي الحلفاوي** ، أسرة تطوانية استوطنت مدينة تطوان قديماً قادمة من فاس وأصبحت تعرف بأولاد الفاسي الحلفاوي إلا أنهم يصرحون بنسبة الحلفاوي للفرق بينهم وبين الفاسيين الفهريين وهم كثيرون بتطوان.

**الفاسي الحلفاوي، محمد** بن عبد السلام، المهندس الوزير السفير. ولد حوالي سنة 1914 بمدينة تطوان، وبها تلقى مبادئ التعليم، ثم تابع دراسته الثانوية بمدينة نابلس بفلسطين، بعدها التحق بالجامعة الأمريكية باسطنبول حيث تخرج من قسم الهندسة المدنية سنة 1357 / 1938 ، عاد بعدها إلى مسقط رأسه مدينة تطوان حيث شغل منصب مهندس بالبلدية، لكن سلطات الحماية سرعان ما عزلته من منصبه بسبب أفكاره المعادية للاستعمار، فالتحق حينها بحزب الإصلاح الوطني، وانتخب عضوا في اللجنة التنفيذية لهذا الحزب. وبعد استقلال البلاد عين من طرف محمد الخامس عاملا على إقليم تطوان، وفي سنة 1385 / 1965 أصبح وزيرا للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية، بعدها شغل منصب المدير العام لشركة الخطوط الجوية الملكية، ثم سفيرا للمغرب في كل من الأرجنتين والشيلي.

توفي بمدينة تطوان ليلة الأربعاء 21 رجب 1398 / 28 يونيو 1978، ودفن بمسقط رأسه.

موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3475.

**الفاسي، الصديق** بن أحمد بن الطاهر بن عبد المجيد بن العربي يرتفع نسبه إلى أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري من سلالة آل الجد.

ولد بفاس عام 1322 / 1904 ، تعلم مبادئ القراءة والكتابة بالكتاب، ثم انخرط في سلك طلبة المعرفة الأصلية بجامع القرويين وبغيره من الزوايا والمساجد التابعة له، حتى اجتاز بتفوق امتحان التخرج بالمجلس التحسيني العلمي بالقرويين، وسجل اسمه في لائحة العلماء، وبدأ يلقي الدروس العلمية في القوانين الفقهية واللغة والمنطق.

زاول الصديق الفاسي العديد من الوظائف، ابتدأها مدرسا بمدرسة اللمطيين الرسمية بفاس ثم بالمدرسة الثانوية الإدريسية، بعدها عين نائب عضو مجلس الاستيناف الشرعي الأعلى بالرباط، ثم قاضيا بأحواز الرباط، ومنها قاضيا بسطات ثم بمقصورة الرصيف الشرعية بفاس القديمة، بعدها استوطن مدينة سطات وصار يزاول بها خطة الإفتاء الشرعي، ثم عين عضوا بالمحكمة الإقليمية بالدار البيضاء، ثم رقي إلى النيابة بنفس المحكمة وبقي بهذه الوظيفة إلى أن أحيل على المعاش.

له مجموعة من المحاضرات والأبحاث نشرت بالعديد من المجلات المغربية بالإضافة إلى فتاويه الشرعية.

توفي الصديق الفاسي بمدينة سطات يوم السبت 10 ذي الحجة 1395 الموافق 13 دجنبر 1975 ، ونقل جثمانه إلى فاس حيث دفن بروضتهم بالقباب.

*موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3463 ؛ م. بن الفاطمي ابن الحاج، *إسعاف الإخوان*، 337 ـ 339.

**الفاسي، العابد محمد** بن عبد الله بن عبد السلام بن علال الفاسي الفهري. كانت ولادته بفاس يوم السبت 21 شعبان عام 1320 / 22 نوفمبر 1902، وتربى ونشأ في حجر والده العالم الفقيه عبد الله فغرف من منهل العلم منذ صغره، حيث أخذ العلم بفاس عن والده وهو عمدته، وعن عمه الشيخ عبد الواحد الفاسي. وبعد انتهائه من الدراسة الأولية، التحق بجامع القرويين فأخذ العلم عن مشايخها منهم أحمد بن الخياط، وأبو شعيب الدكالي، وعبد الله

الفضيلي، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، وأحمد بن المامون البلغيثي، ومحمد بن عبد الرحمان العراقي وغيرهم.

وقد كان محمد العابد يطوف على المجالس العلمية ويحضر مختلف الدروس، حتى تكون له رصيد هائل من المعرفة والثقافة الأصلية فأدرج في مرتبة العلماء، حيث أجيز إجازة عامة شفوية من طرف محمد بن جعفر الكتاني، كما أجازه العديد من شيوخه.

ولما حج المترجم له سنة 1351 / 1932، اغتنم الفرصة فزار كلاً من دمشق وبيروت والقاهرة، وحضر حلقات الدروس العلمية بها، فأخذ العلم عن عدة أشياخ أجازوه إجازة عامة بمصر والشام والحرمين الشريفين، وأجازه بعض الأشياخ من طرابلس الغرب والعراق التقى بهم في الحرمين، منهم بمصر الشيخ طنطاوي الجوهري والشيخ بخيت المطيع، وبدمشق الشيخ بدر الدين، كما اجتمع بالأدباء الشباب ومنهم بمصر الدكتور طه حسين.

شغل محمد العابد الفاسي عدة مناصب استهلها كاتبا بمحكمة قائد أحواز فاس عام 1351 / 1932 ثم اشتغل بالتعليم الحر بفاس في الفترة ما بين عامي 1355 و1361 / 1936 و1942، ثم تولى نظارة أوقاف زاوية الشيخ عبد القادر الفاسي، ثم عينته وزارة الأوقاف برفقة المؤرخ عبد السلام ابن سودة باحثا ومنقبا في الكتب المتلاشية بخزانة القرويين، ثم نائبا لقيم الخزانة عام 1371 / 1951 ، ثم محافظا لها عام 1376 / 1956، كما عين أستاذا للتعليم العالي بكلية الآداب بفاس عام 1382 / 1962 ، فدرس مواد التشريع الإسلامي وفقه اللغة والبلاغة والعروض وعلم الاجتماع، كما عين أستاذا بكلية الشريعة وبدار الحديث الحسنية وذلك سنة 1385/ 1965. وقد عينه محمد الخامس عضوا في مجلس الدستور الذي أنشأه في 13 جمادى الأولى عام 1380 / 1960 من أجل وضع إطار دستوري للمغرب. وكان أيضا عضوا بمجلس جامعة القرويين، وعضوا بهيأة أحدثت من أجل تحضير موسوعة المغرب العربي تحت إشراف المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالدول العربية، وكذلك بلجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم وذلك سنة 1388 / 1968.

خلف محمد العابد الفاسي عدة مؤلفات لازالت معظمها مخطوطة نذكر منها : *تاريخ آل الفاسي* ؛ *حياة الوزير* ؛ *رحلته الحجازية* ؛ *مذكراته مع أشياخه وأقرانه*...

بالإضافة إلى مجموعة مختلفة من الأبحاث السياسية والثقافية نشرت في العديد من الصحف والمجلات المغربية والمشرقية.

توفي بالدار البيضاء ليلة الجمعة 2 ذي الحجة الحرام عام 1395 / 6 دجنبر 1975، ودفن بفاس بروضة جده أبي المحاسن يوسف الفاسي بأعلى القباب خارج باب فتوح.

م. الفاطمي ابن الحاج، *إسعاف الإخوان*، 340 ـ 343 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3461 ـ 3462.

لطيفة الكندوز

**الفاسي، العباس** بن عبد القادر بن عبد الرحمان، الفقيه الكاتب. ترقى من الكتابة إلى وزارة الخليفة بمراكش، ثم ناب عن الصدر بفاس. وكانت تصدر منه تواقيع بليغة نيابة عن السلطان المولى عبد الحفيظ.

توفي يوم 5 جمادى الثانية عام 1327.

م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام*.

المصطفى البوعناني

**الفاسي، عبد الحفيظ** بن **الطاهر**، ولد بمدينة فاس عام 1296 / 1879 ، وبدأ تعليمه بزاوية سيدي عبد القادر بالقلقليين حيث أخذ على عدد وافر من أبناء أسرته ومن علماء فاس وقد أورد في معجم مشايخه ما ينيف على المائة شيخ وأستاذ ممن أخذ عنهم العلم أو تبرك بأسانيدهم العالية في الرواية ويمتاز الشيخ عبد الحفيظ بحرصه على الدرجات العلمية والإجازات مع توثيق مروياته وضبط أسانيده المغربية والمشرقية، لذلك يعد فهرسه *"رياض الجنة"* من أهم الفهارس المتأخرة إن لم يكن آخرها.

تولى خطة القضاء الشرعي في فاس زهاء عشرة أعوام ثم أصبح عضوا بالمحكمة الجنائية العليا. وتولى قضاء مدينة سطات قبل أن ينقطع عن العمل في فترة الاستقلال ويعتكف على الكتابة في منزله بالرباط إلى وفاته.

ألف الشيخ عبد الحفيظ كتباً غزيرة المادة منها : *فهرسه رياض الجنة في تراجم من لقيت أو كاتبني من الجلة* (أو *المدهش المطرب بأخبار من لقيت أو كاتبني بالمشرق والمغرب*)؛ *الآيات البينات في شرح وتخريج الأحاديث المسلسلات* ؛ *الترجمان المعرب عن أشهر فروع الشاذلية بالمغرب*؛ *تأليف في ذكر الطرق الصوفية بالمغرب* ؛ *كناشة خاصة*.

وذكرت له مؤلفات أخرى.

توفي الشيخ عبد الحفيظ 1383 / 1964.

خ. الزركلي، *الأعلام* ؛ *فهرسه المدهش المطرب* ، المطبعة الوطنية، فاس، 1931، في جزءين ؛ *رحلته إلى بعض المراسي المغربية* سنة 1910، مخطوط، خ. ع. 4400 د ؛ كناشة خاصة بالرباط.

نفيسة الذهبي

**الفاسي، عبد الحفيظ** بن أبي **مدين** بن أحمد، الفقيه العلامة الخطيب البارع، العدل الموثق. تولى الخطابة بعد والده للسلطان محمد بن عبد الله العلوي.

وكان خطيبا بالمسجد الأعظم بفاس، ويصحب السلطان في أسفاره. ألف شرحا مفيدا على عقيدة الرسالة.

توفي في الرباط يوم 29 رمضان عام 1194.

م. بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط* ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام*.

المصطفى البوعناني

**الفاسي، عبد الرحمان** بن مَحمد (العارف)، ولد بالقصر الكبير في محرم سنة 972 / 1564 وقد توفي والده قبل أن يتجاوز سنه الثانية فتربى في كنف أخيه أبي المحاسن يوسف. وقد كان قرينا لولده أبي العباس أحمد في السن وفي كثير من الصفات العلمية والخلقية.

تعلم في فاس منذ سنة 986 / 1578 وأدرك أشهر أئمتها فأتقن العلوم، وتصدر للتدريس في الزاوية الفاسية القديمة قبل أن ينشئ زاويته بجوار دار سكناه في حي القلقلين سنة 1027 / 1617 أي بعد وفاة أخيه أبي المحاسن وبعد أن اجتمع حوله عدد مشجع من المريدين والأصحاب.

كانت للشيخ عبد الرحمان مع أخيه أبي المحاسن علاقة التربية والرعاية وعلاقة التلقين والتكوين الصوفي وقد اقتنع الشيخ أبو المحاسن بكفاءة أخيه وأشار إلى مؤهلاته وصفاته وردد من الأقوال والإيحاءات ما يفيد اقتناعه به كوارث له يظهر أن الشيخ عبد الرحمان كان مقتنعا بهذا الاختيار بدوره فقد نفى أن يكون لولاية أخيه وارث غيره، كما ألح على وجود تقاليد خاصة برجال الصلاح حول مسألة الوراثة التي لا يعتمد فيها النسب أو القرابة ولكن يقدم الانتساب والتحقيق والتربية والتأهل وقال بأنها تحتمل تأويلا صوفيا متشعب الدلالة إذ قد تظهر صفات الاضطلاع بها مباشرة بعد وفاة الشيخ وقد يتطلب الأمر فترة زمنية قد تطول وقد تقصر ليقع التوافق بين التأهل النظري والالتفاف حول الشيخ الوارث.

حافظ الشيخ عبد الرحمان على طابع الطريقة الفاسية، وعمل على مسايرة الظرفية التاريخية الانتقالية التي واكبت نشاط زاويته. والملاحظ أنه تجاوز ظرفية الأزمة التي شهدتها فاس في بداية القرن الحادي عشر (17 م)، وحقق في غمرتها عمقا اجتماعيا وحضورا عند رجال السلطة وقد جاء ذلك بفعل المكانة العلمية أولا وبفعل الدور الذي قام به بين أهل فاس وطوائفها المتنافرة فقد ساهم في أدوار الوساطة، والمصالحة، والاستشارة، واختيار الرجال أحيانا وبذلك خرجت الزاوية آمنة بل إنها غدت حرما كما صرح بقوله : "ومن دخله كان آمنا وأشار إلى زاويته".

ألف الشيخ عبد الرحمان مجموعة هامة من المصنفات أغلبها عبارة عن حواشي.

توفي الشيخ يوم 27 ربيع الأول عام 1036 / 16 دجنبر 1626.

عبد الرحمان الفاسي *أزهار البستان*، خ. ع 2074 د الكتاب كله ؛ ابن القاضي التودي، *النور القوي*، خ. ع 2301 ك ورقة 92 وما بعدها ؛ م. القادري، *النشر*، ج 1، 266 ـ 269 ؛ م. حجي، *الحركة*، ج 2، 366 ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*، 179.

نفيسة الذهبي

**الفاسي، عبد الرحمان** (الموسيقى) هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي. ولد بمدينة فاس عام 1040 في أسرة مولعة بالعلم وحب المعرفة. أقبل منذ يفاعته على الدراسة وملازمة مشايخ العلوم العقلية والنقلية، فنبغ فيها، مثلما نبغ في علوم اللغة.

وعندما شب طوقه أقبل على التأليف، فوضع كتبا ومنظومات ضمنها حصيلة معارفه.

وإلى جانب ذلك فقد تفتقت عبقريته الفذة عن موهبة في الموسيقى، فدرس أصول "الآلة الأندلسية"، وخبر مستعملاتها الغنائية، ثم ما عتم أن أقبل على الإسهام في إغنائها ممارسة وتنظيراً.

أما الممارسة فتتجلى فيما أبدعه من مقطعات شعرية اتخذها المغنون من أصحاب هذا الفن مطية لألحانهم حتى اعتبر في أعداد الشعراء الموسيقيين ممن تعتمد أشعارهم في إنشاد ميازين النوبات الأندلسية. وفي هذا الصدد نسب محمد الصغير اليفراني في كتابه "*المسلك السهل*" صنعة يجري إنشادها على طبع رصد الذيل، كما ساق له صاحب مجموع "*الروضة الغنا في أصول الغنا*" ثلاثة توشيحات، اثنان منهما في قدام عزيبة الحسين، والتوشيح الثالث في بسيط الحسين، ونصه :

قم انظر الغصون ترقص في البساتين
والطبوع غنت في غصون الرياحـين
مـا أبـدع ذلك الزهـو والمحاسـن
حفظ الله زمانا للوصـال جمع الشمل أرى فيه حسن حـال

وأما على مستوى التنظير فقد ترك الفاسي ثلاثة مباحث موسيقية هي :

1) منظومة رجزية بعنوان "علم الموسيقى"، وأخرى بعنوان "طب الألحان"، ضمنهما كتابه الموسوم بـ (*الاقنوم في مبادئ العلوم*). وهو عبارة عن دائرة معارف عصره تحدث فيها عن مائة وخمسين علما من بينها علم الموسيقى.

وهو في منظومته "علم الموسيقى" يقدم تعريفا لهذا الفن باعتباره أثراً صوتياً قائماً على عنصري اللحن والايقاع فيقول :

علم به يعرف أحوال النغم ومالها من بُعد أو كيْف وكَمْ
وما بـه يقـع نقرتـانِ أقله ياتـي مـن الازمـانِ

وتحتوي المنظومة على ثلاثة وسبعين بيتا يعرض فيها للايقاعات وما يعدل ضروبها، وما تتألف منه الألحان، وكميات النغم وكيفياتها، والبعد وأقسامه، وتضعيف الأبعاد وتصنيفها وتركيبها، وطرح بعضها من بعض، والأبعاد الكبار والصغار، والجنس القوي وأقسامه، والليّن وأنواعه.

ويبدو العلامة عبد الرحمن الفاسي ـ من خلال تسع أبيات هذه المنظومة ـ متأثراً بليغ التأثر بمقولات المنظرين المشارقة القدماء، وخاصة منهم الموسيقي البغدادي صفي الدين عبد المومن الأرموي المتوفى عام 693، فلقد حفلت المنظومة عند شرح الإيقاعات بالمصطلحات المشرقية كالموصل والمفصل والمزج والثقيل، وبذلك جاءت لتكون صياغة رجزية للتحليل المرسل والمفصل الذي أورده الأرموي في كتابه *الرسالة الشرقية* ، في الوقت الذي ظهرت فيه خالية من ذكر

المصطلحات السائدة بين أرباب "موسيقى الآلة، سواء منها ذات الصلة بعلم العروض كالسبب والوتد والفاصلة، أم المرتبطة بطبيعة النقرات المحدثة على الأكف أو على آلتي الإيقاع كالتوسيد والزنج والدف والندف والدور.

2 ) المبحث الثاني بعنوان : المجموع في علم الموسيقى والطبوع". وهو عبارة عن منظومة قوامها من الأبيات مائة وخمسة، تتضمن في معظمها ما جاء في المنظومة المعنونة "علم الموسيقى المدرجة في كتاب "الاقنوم"، ثم تزيد ببحث قوامه ستة عشر بيتا تناول الناظم فيه طبوع موسيقى الآلة الأصلية وطبائعها وفروعها وأول هذه الأبيات :

وتنسب الطبوع للطباع    تحسهن عند الاستماع

وقد عرض في هذه الأبيات لبيان طبوع الموسيقى الأندلسية على عهده، فجعلها واحدا وعشرين طبعا.

3 ) ثالث المباحث عبارة عن رسالة في نحو صفحتين في العود وأوتاره والرباب وأوتاره. وقد ضمّن القسم الخاص بأوتار العود أسماء درجات السلم في البعد الذي بالخمس والبعد الذي بالكل، وكذا أسماء مواقع الأصابع على الأوتار بالأربعة، وذلك وفق الاستعمال المشرقي القديم، مما يعكس سعة اطلاعه على كتب المنظرين القدماء كالفارابي والأرموي.

توفي عبد الرحمن الفاسي عام 1096 / 1684 عن سن يبلغ الستين.

عبد المومن الأرموي، *الرسالة الشرقية*، العراق، 1980 ؛ عبد الرحمن الفاسي، *الأقنوم* ، مخ. خ ع، رقم 15، خ. ص بسلا، رقم 4223، مجموع خ. ح، رقم 650 ؛ مجهول، *الروضة الفنا في أصول الغنا* ، خ. ع، عدد 193 ؛ محمد المنوني، البحث العلمي، ع 14 و15 ؛ عبد العزيز بن عبد الجليل، *الموسيقى الأندلسية المغربية*، فنون الأداء، سلسلة عالم المعرفة، ع 129 ، سبتمبر، 1988 ؛ محمد الصغير اليفراني، *المسلك السهل*، الملزمة السادسة.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الفاسي، عبد الرحمن** بن **يوسف** بن أحمد، رئيس الموقتين. ولد بفاس سنة 1154 وبها نشأ وأخذ العلم. كانت له اليد الطولى في علم التوقيت وأحكام آلاته، لا يقاومه فيه أحد.

لقي كثيراً من الأولياء في المغرب والمشرق، وتردد إليهم وانتفع بهم.

توفي بالطاعون في بداية ذي الحج عام 1213.

المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

**الفاسي، عبد السلام** بن عبد الله بن عبد السلام بن علال الفاسي الفهري من آل الجد. الفقيه الأستاذ الأديب الوزير والخطيب.

ازداد بمدينة فاس عام 1318 / 1900 ، نشأ وشب داخل بيت اشتهر بالدين والعلم المتين، فالتحق منذ صغره بكتاب الفقيه عبد السلام الحياني، ثم كتاب الفقيه محمد العلمي حتى تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، توجه بعدها للدراسة العلمية بجامع القرويين فدرس على العديد من علمائها منهم أحمد بن الخياط الزگاري، وعبد الله الفضيلي، وأحمد بن المامون البلغيثي، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، ومحمد بن عبد الكبير ابن الحاج السلمي، وأخذ عن والده الأديب الشيخ عبد الله الفاسي، وعمه الخطيب المفتي عبد الواحد الفاسي.

وقد أدرج صاحب الترجمة في لائحة العلماء بعد حصوله على إجازة المعرفة والدراية من طرف شيوخه بالقرويين.

تقلد عبد السلام الفاسي العديد من المناصب العلمية والإدارية، حيث اشتغل في مستهل حياته العملية مدرسا بالمدرسة الحرة العربية بضريح سيدي الحاج الشعير الواقع قبالة ضريح جده عبد القادر الفاسي، ثم أستاذا بثانوية مولاي إدريس بفاس، ثم مفتشا للكتاتيب القرآنية بالشمال المغربي، ثم مندوبا في العلوم والمعارف الإسلامية من 1940 إلى 1955 ، ثم وزيرا للخليفة السلطاني بفاس، عين بعدها رئيس قسم الشكايات بالقصر الملكي بالرباط، ثم رئيس جامعة القرويين. وقد كان صاحب الترجمة يتولى في نفس الوقت خطبة الجمعة بالجامع الكبير بفاس الجديد، وكذا خطبة العيدين بالمصلى الأميرية بباب الساگمة بفاس. كما شغل منصب مندوب امتحانات الشهادة الثانوية بجامعة القرويين.

وقد قدمه السلطان محمد بن يوسف خطيبا لصلاة الجمعة بالجامع الكبير بباريس في ربيع النبوي عام 1351 / يوليوز 1932 ، كما عينه رئيسا للوفد الرسمي المتوجه لأداء فريضة الحج خلال موسمي عامي 1368 و1369 / 1948 و1949، ثم مرات أخرى متعددة لمرافقة العائلة الملكية لنفس الهدف.

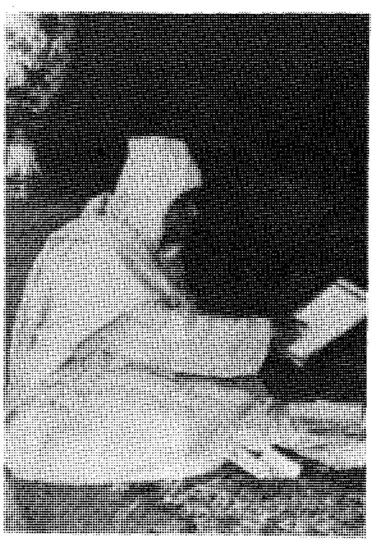

كان صاحب الترجمة فقيها مشاركا وخطيبا بليغا، متخصصا في علوم الأدب والنحو واللغة خصوصا في فن الخطابة حيث ترك مجموعة من الخطب الوعظية لازالت جميعها مخطوطة، أشهرها خطبته لصلاة الجمعة بمسجد

باريس التي وجه فيها نصائح للسلطان محمد بن يوسف وضمنها انتقادات لبطانته ولبعض رجال المخزن ألبت عليه العديد منهم. كما ترك عدة تقاييد في التعليم والأدب والبلاغة (كلها مخطوطة).

توفي عبد السلام الفاسي بالرباط صبيحة يوم الأحد 30 صفر عام 1402 / 29 دجنبر 1981 ، ونقل جثمانه إلى فاس حيث دفن بروضة جده أبي المحاسن يوسف الفاسي بأعلى القباب قرب المصلى خارج باب الفتوح.

م. الفاطمي ابن الحاج، *إسعاف الإخوان*، 434 ـ 435 ؛ روايات شفوية لعائلته.

Daniel Rivet, *Le Maroc de Lyautey à Mohammed V*, 147 et 287.

لطيفة الگندوز

**الفاسي، عبد القادر** بن أبي **جيدة** بن أحمد. ولد بفاس سنة 1171 ، وظهر عليه في صباه أثر الفتح، وأخذ في قراءة العلم عن عدة شيوخ حتى ظفر منهم بحظ من المشاركة غير قليل. ثم رحل للحج والزيارة مرتين، ولقي هناك أشياخا من أهل الشريعة والحقيقة.

ولازم، في آخر عمره، الشيخ العالم محمد الهادي بن زين الدين العراقي في خدمة الطريقة النقشبندية، وانقطع إليه. وعمر زاوية بداخل حومة القلقليين، كان له فيها أتباع يعتقدون فيه.

وكان له فتح كبير في علم القوم نظما ونثرا حتى كان يدعى بخاتمي الوقت، وكان يرجع إليه في حل مشكلاته وفتح رموز الكتاب والسنة، ويتكلم في الحقائق الربانية.

ترك كتابا غير مكمول في علم الحقائق هو "ذوق البداية ولمحة الهداية" وحكما في التصوف وتقاييد كثيرة في علم القوم، وأرجوزة في سلسلة أشياخه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وتائية، وتخميسا على عينية الجيلي.

توفي بالطاعون أواخر ذي القعدة سنة 1213.

المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

**الفاسي، عبد القادر** الشيخ بن **عبد الرحمان**، الفقيه العلامة الكاتب. ولد بفاس سنة 1238. أخذ العلم عن شيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمان الحجرتي، والجد أبي المواهب عبد الكبير. وعنه أخذ الشيخ جعفر الكتاني وغيره.

عُين كاتبا في وزارة الداخلية، وترقى إلى أن تم تعيينه خليفة للوزير، فكان يتقابل مع السلطان عند الضرورة.

كان فصيح القلم واللسان، متواضعا ذا أخلاق حسنة.

توفي بمكناس يوم 3 شعبان عام 1296 ، ونقل جثمانه إلى فاس.

العباس بن إبراهيم، *الإعلام*.

المصطفى البوعناني

**الفاسي، عبد القادر** بن **علي** (أبو السعود)، ولد الشيخ بالقصر الكبير سنة 1007 / 1599 . وبعد المرحلة الأولى من التعليم انتقل إلى مدينة فاس بقصد الدراسة سنة 1025 / 1616 فلم يبرحها بعد ذلك أبدا. وقد حظي بنصيب وافر من العلم إذ تخرج على يد عدد من العلماء الأكفاء في مقدمتهم عم والده الشيخ عبد الرحمان، وعمه الشيخ أبو حامد محمد العربي، والشيخ القاضي أبو القاسم بن أبي النعيم الغساني الأندلسي، وأغلب مروياته في علوم الحديث والأصول والعقائد واللغة عن هؤلاء الثلاثة. كما أخذ عن الشيوخ عبد الواحد بن عاشر وعلي بن الزبير السجلماسي، وأحمد المقري، ومحمد ابن أحمد الجنان وغيرهم.

لعل أبرز الصفات التي توفرت للشيخ عبد القادر هي الصلاح والعلم فقد بلغ في فاس درجة عالية من الصلاح لم يمل معها لأي نوع من العصبية أو التشدد بل كان مثالا للمرونة والورع وتشهد بذلك علاقاته الواسعة وبعض الأمثلة من سلوكه ومن ذلك موقفه من الشيخ الحسن اليوسي الذي استاء من كل الفاسيين حتى تبادلوا الهجاء أحيانا ماعدا الشيخ عبد القادر ورغم كونه وصل إلى فاس عالما متمكنا فقد طلب إجازته تبركا، كما كان زوار فاس يقصدونه للزيارة دون غيره سواء كانوا بدوا أو من أهل الحواضر. وإجازة الشيخ عبد القادر شاهد آخر على بعد صيته وعلى الشبكة الهائلة من الطلبة الذين استجازوه فهي أكثر فهارس القرن الحادي عشر (17 م) شهرة وتداولا وتوثيقا للأسانيد الأندلسية المغربية كما أنها حاملة لما يمثل أسس تكوين الشيخ الذي جمع بين الموروث الأسري وبين حسن الاستفادة من إمكانيات مركز علمي إسلامي مثل فاس.

تألقت شخصية الشيخ عبد القادر بفضل مشاركته وضبطه فقد كان "آية من آيات الله في تحقيق العلوم على اختلاف أنواعها" باعتبار المدة الطويلة التي قضاها في التدريس والحفظ والفهم والانتساخ يستدرك أحيانا على كبار المحدثين مثل الحافظ السيوطي كما أن ممارسته لهذا الفن جعلت دروسه عالية ومتميزة في الدراية والرواية.

أما زاويته فقد بعد صيتها واشتهر ذكرها أكثر لكونه ظل ملازما لمكان تدريسه لا يفارقه ولذلك يضطر الناس للحضور إليه من أجل الرواية والسماع والإجازة والتبرك.

شارك المترجم في الحياة الفكرية بشكل فعلي فقد سخر زاويته لنشر الثقافة الإسلامية فكان أحد أعلام المغرب الثلاثة المبرزين في هذا المنحى، كما أنه اعتمد في معاشه على انتساخ صحيح البخاري ولم يقبل غيره موردا فقد رفض الأحباس والهبات وكل أنواع الهدايا.

ساهم الشيخ عبد القادر في حل قضايا عصره فكتب الفتاوى وألف في الإمامة العظمى ووضع كراسة في الفرائض والسنن وسجلت أجوبته وكتاباته بقلم ولده عبد الرحمان وأشهرها إجازته الشهيرة. ومؤلفاته على قلتها تنم عن جانب مهم في إطار مشاركته وهو الاستجابة لحاجات الناس وتيسير أمورهم.

أما شخصيته الصوفية فقد تميزت منذ حلوله بمدينة فاس، فقد اعتمد على عم والده الشيخ عبد الرحمان (العارف)، ولم يأنف من الانتقال لخدمة الشيخ محمد بن عبد الله معن بعد وفاته. كما أنه امتنع عن التصدر للمشيخة الصوفية، ولم يقبل تلقين الأوراد والأذكار إلا على سبيل الرواية والتبرك لمن يشاء ذلك.

تميزت عناية الشيخ عبد القادر بالتصوف بتحقيقه كعلم وبدراسة كتبه واستحضار إشكالاته ولم يغب هذا التوجه في طريقته التي قامت على إقامة الصلوات، والمواظبة على الذكر وتنشيط الحياة التعليمية وبذلك يمكن الحديث عن الزاوية الفاسية في طورين متميزين الطور الأول ثم مرحلة مشيخته التي تشخصت خلالها الطريقة والمدرسة التي تخدم الحياة الفكرية مع المحافظة على الطابع الصوفي الزهدي.

حظي الشيخ عبد القادر بعناية فائقة من السلطان المولى إسماعيل الذي كتب في حقه ما ينم عن الاحترام والتعظيم والذي استدعاه إلى مكناسة سنة 1091 / 1680 واستقبله بكثير من مظاهر الحفاوة والترحيب وسرح المساجين الذين كانوا في طاعته كافة إكراما لوفادته.

توفي الشيخ عبد القادر في 9 رمضان 1091 / 3 أكتوبر 1680 ودفن بزاويته في موضع تدريسه بوصية منه.

عبد الرحمان الفاسي، *تحفة الأكابر*، خ. ع. 2330 ك الكتاب كله ؛ م. الطيب الفاسي، *أسهل المقاصد*، خ. ع 2843 د ثالث مجموع ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*، 205، 2001.

نفيسة الذهبي

**الفاسي، عبد القادر** بن **عبد الواحد** الفهري، الفقيه المرابط العدل الخطيب الناسك. حفظ القرآن الجليل وجل الأمهات المتداولة كمختصر خليل. توفي عنه والده وهو ابن ثلاث عشرة سنة فانكب على تحصيل العلم حتى حصل منه على ما قسم له.

ولما علم السلطان المولى سليمان بما هو عليه من النجابة والذكاء والديانة نفذ له حينئذ ما كان بيد والده قبله من إمامة القرويين والخطبة بها وهو ابن ثمان عشرة سنة أو نحوها. ثم أخر عن الخطبة وحدها في صدر خلافة السلطان المولى عبد الرحمان لضعف صوته وكبر الجامع المذكور، وأعطاه مكانها خطبة جامع الشرابليين. وولي خطة الشهادة في أحباس القرويين مع ناظرها.

وأخذ الطريقة الشاذلية الدرقاوية عن الشيخ أحمد بن دحمان البلصوتي (ت. 1266).

توفي يوم 18 ربيع الأول عام 1263.

محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

**الفاسي، عبد الكبير** بن **عبد الحفيظ**، رجل ثقافة وقانون وعمل وطني. تربى في مناخ علمي في بيت آل الجد الفهريين تحت رعاية والده الفقيه عبد الحفيظ الفاسي المعروف بغزير علمه. ولد بفاس سنة 1900. وتعلم بجامعة القرويين ثم بالمدرسة الإدريسية وأخيرا بمعهد الدروس العليا وحصل على الشهادة العليا في القانون. كانت له ميول منذ صباه إلى الآداب والتاريخ، خاصة تاريخ الأندلس. كما كان له ولوع بالكتابة الرصينة المركزة فنشر عدة مقالات وأبحاث في الصحف السيارة آنذاك : مجلة "*المغرب*" لصالح ميسة، الملحق الثقافي لجريدة "*المغرب*" لصاحبها سعيد حجي، جريدة "*العلم*" منذ صدورها إلخ... وأصدر مجلة "*العدوتين*" بمدينة طنجة.

تولى بعد تخرجه وظيفة بوزارة الأملاك المخزنية، انتقل منها إلى إدارة الشؤون الشريفة ثم إلى باشوية الدار البيضاء وباشوية مراكش. وعين بعد ذلك عضوا (قاضيا) في المحكمة العليا قسم الجنايات. كان من رفاق قادة الحركة الوطنية وزملائهم في الدرس، فساهم في الكفاح بجانبهم. وكان من الموقعين على وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال. اختار طنجة مقرا بحكم مصاهرته مع عائلة المنبهي الوزير السابق، وكان له بها نشاط أدبي ووطني مذكور حيث تعاون مع حركة الفداء والمقاومة المسلحة المنبعثة من هناك ضد الحماية الفرنسية بعد خلع جلالة محمد الخامس ونفيه.

وبعد الاستقلال، أسندت له مناصب مهمة نظراً لكفاءته ومؤهلاته : خليفة مدير التشريفات الملكية، سفير بإيران ثم بالاردن حيث مكث بهما إثنتى عشرة سنة، عاد من بعدهما إلى إدارة القسم الثقافي في وزارة الشؤون الخارجية بوصفه سفيراً.

وفي آخر حياته استقر بمراكش مهتماً بالكتابة. وخلف مكتبة مهمة.

توفي بعاصمة الجنوب سنة 1981.

قاسم الزهيري

**الفاسي، عبد الكبير** بن **عبد الرحمان** المجذوب، من حفدة الشيخ عبد القادر الفاسي. الإمام العلامة المشارك الخطيب المدرس المرابط الرحالة الراوية. ولد سنة 1221.

أخذ العلم عن أشهر علماء وقته. وأخذ الطريقة الدرقاوية عن الشيخ محمد الحراق وعبد السلام الميسوري عن الشيخ العربي الدرقاوي. وأخذ طرقا صوفية أخرى.

كان يدرس رسالة ابن أبي زيد والشمائل. وجلس للتوثيق والعقود، وتصدر للمنابر والمشاهد، وأتقن صناعة الوراقة، واعتنى بالتاريخ والوفيات.

من مؤلفاته : تذكرة المحسنين، وهو في الوفيات والأحداث التاريخية إلى سنة 1262، وشرح على مقدمة جده، وتأليف في الرد على ابن زكري في تفضيل العجم على العرب، والكشف والبيان في قصة الوداية مع مولاي عبد الرحمان، وغير ذلك من مقامات وخطب وشروح.

كانت له حظوة عند الملوك العلويين، ومنحوه عطاياهم، وكان من جملة الأعيان الخمسة عشر المتوجهين لبيعة السلطان المولى الحسن من فاس إلى مراكش، وهو الذي أنشأ تلك البيعة.

وحج عام 1287 ، وحظي بلقاء أعيان علماء ذلك العهد واستجازهم، وأجازوه عامة ما لهم، وتدبج مع بعض شيوخ مصر.

توفي يوم 27 رمضان عام 1295، ودفن بشالة.

فهرس الكامل المراني ؛ *معجم أصحاب الرضوي* ؛ محمد ابن الحاج، *الدر المنتخب* ؛ محمد بوجندار، *الإغتباط* ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام*.

المصطفى البوعناني

**الفاسي، عبد الكبير** بن **المهدي** أحد رجال النضال السياسي وقادة الكفاح المسلح ضد الحماية الفرنسية ومن أجل عودة جلالة محمد الخامس من المنفى وفي سبيل الاستقلال، ولد بفاس سنة 1920، وأحرز على شهادة عليا في الرياضيات والفيزياء. وكان من أنبغ الرجال ذكاء وذاكرة، يتقن خمس لغات. قام أول الأمر بالتدريس في جامعة القرويين، ثم في ثانوية ليوطي بالدار البيضاء.

انخرط في الحركة الوطنية مبكرا، فكان من الشباب الناشطين المكلفين بتأطير الشبيبة المدرسية في دائرة الوطنية وإعدادها للكفاح ضد الاستعمار، وكان عملهم يشمل أهم الحواضر المغربية : فاس، الرباط، الدار البيضاء وغيرها بحيث يشكل شبكة من الخلايا. ما لبث أن ارتقى في سلم العمل الوطني فأصبح من رجال الطائفة الذين كانوا يخططون ويقومون بأخطر الأعمال. ساهم في تحضير وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال ومن الموقعين عليها، اعتقل أثناء قمع حزب الاستقلال بفاس وسجن بالعذير وبقي سجينا سنتين. عاد إلى نشاطه الوطني مع ممارسته للتدريس في الدار البيضاء. ولما احتدت الأزمة بين القصر والحركة الاستقلالية من جهة والحماية الفرنسية وحكومة باريس من جهة أخرى كان ممن فكروا في الكفاح المسلح وأخذ يعد له، خاصة بعد قمع حزب الاستقلال في دجنبر 1952 تمهيدا لخلع جلالة محمد الخامس ونفيه.

تولى هو وبعض رفاقه من المسيرين الاستقلاليين الشباب مهام اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال بصفة موقتة. وواصلوا العمل الوطني تحت جناح السر، وظل هو وشقيقته السيدة مليكة الفاسي المرأة الوحيدة الموقعة على وثيقة المطالبة بالاستقلال على اتصال بجلالة محمد الخامس إلى ليلة خلعه ونفيه. هاجر هو وعائلته إلى المنطقة الشمالية التي كانت تحت الاحتلال الإسباني في أغشطس 1953، ومنها إلى مدريد حيث استقر. نظم هو والزعيم علال الفاسي الذي كان بالقاهرة آنذاك الفداء والمقاومة المسلحة داخل المنطقة الجنوبية تحت الاحتلال الفرنسي. وقد أبلى البلاء الحسن في هذا السبيل حيث كان المحور الذي تدور عليه المقاومة وكان الأساس في تأسيس جيش التحرير هو وجماعة من المخلصين الأوفياء إلى أن اضطرت فرنسا إلى إعادة محمد الخامس والاعتراف بالاستقلال تحت ضغط الكفاح الوطني والنضال المسلح معا في 16 نوفمبر 1955.

عاد عبد الكبير الفاسي من ميدان الكفاح المسلح إلى العمل الحكومي والدبلوماسي فعينه الملك محمد الخامس مديرا للشؤون الصحراوية، حيث رسم خريطة الحدود الطبيعية للمغرب وعمل على استرجاع الأجزاء التي كانت ماتزال تحت الاحتلال الفرنسي والإسباني، ثم عين بعد ذلك ابتداء من 1958 سفيرا في الجمهورية الألمانية والجمهورية المصرية والاتحاد السوفياتي والجمهورية التونسية قبل أن يشغل منصب مدير الوكالة النووية بفيينا مدة أربع سنوات ابتداء من 1968 ، ثم عينه جلالة الحسن الثاني في النهاية مديرا منتدبا لوكالة كوزرمار.

وتوفي سنة 1997 بالدار البيضاء.

قاسم الزهيري

**الفاسي، عبد المجيد** بن عبد الله بن عبد السلام بن علال الفاسي الفهري من آل الجد. الأديب الشاعر القاضي، أصغر أنجال الوزير عبد الله الفاسي الذي سبقت ترجمته.

إزداد عبد المجيد بفاس سنة 1327 / 1909 ، ونشأ وترعرع داخل أسرة اشتهر رجالها بالعلم الراسخ والدين المتين والخطابة والفصاحة، فكان من الطبيعي أن يسير عبد المجيد على خطى والده وإخوته محمد البشير وعبد السلام والعابد، حيث استهل دراسته بالكتاب القرآني حتى أتقن القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، فالتحق بالقرويين وأخذ على كبار علمائها آنذاك علوما وفنونا متعددة نذكر منهم والده عبد الله الفاسي، والفقيه النحوي محمد بن عبد الرحمان العراقي، وأحمد بن الجيلالي، والمفتي القاضي العباس بناني وسواهم من علماء القرويين. كما تتلمذ على يد نخبة أخرى من العلماء المبرزين منهم محمد المدني ابن الحسني، وأحمد بن المامون البلغيثي، إلى جانب عمه عبد الواحد الفاسي، وشقيقه عبد السلام الفاسي.

ولما أسس النظام الدراسي بجامع القرويين سنة 1350 / 1930 ، انخرط المترجم له في سلك طلبته بالأولى من القسم النهائي الشرعي، وفي السنة الثانية التحق بالقسم الأدبي تشجيعا لهذا القسم الذي كان الإقبال عليه منعدما، وأنهى دراسته بحصوله على العالمية في رجب 1353 / 1934 بالإضافة إلى إجازاته المتعددة، حيث أجازه كتابة والده الوزير عبد الله إجازة عامة بكل مروياته وأسانيده، وشقيقه محمد العابد إجازة سند كتابية بخط يده وتوقيعه فيما صحت له روايته، كما أجازه العلامة محمد المدني ابن الحسني إجازة عامة، وعمه عبد الحفيظ الفاسي إجازة عامة

مطبوعة في كتابه *الإسعاد بمهمات الإسناد*، وأجازه مشافهة الشيخ محمد نصيف بمنزله بجدة عند أدائه مناسك العمرة في رمضان عام 1387 / 1967.

زاول عبد المجيد الفاسي العديد من الوظائف استهلها بخطة العدالة والخطابة بفاس، ثم عين كاتبا بمجلس الاستيناف الشرعي الأعلى بالرباط عام 1355 / 1936، ثم دخل سلك القضاء فعين قاضيا بالقنيطرة عام 1362 / 1943، فقاضيا بوادي زم عام 1375 / 1956، بعدها التحق بميدان التعليم حيث اشتغل أستاذا بثانوية محمد الخامس بطنجة ابتداء من عام 1376 / 1957، ثم مديرا للمعهد الأصيل بنفس المدينة ابتداء من عام 1380 / 1960، ثم عاد بعدها إلى سلك القضاء حيث عين في الغرفة الشرعية بالمحكمة الإقليمية بطنجة سنة 1382 / 1963، ثم مستشارا بمحكمة الاستيناف بنفس المدينة عام 1384 / 1965، وأخيرا مستشارا بالمجلس الأعلى بالرباط ابتداء من عام 1387 / 1967 وهو المنصب الذي بقي به إلى وفاته.

وإلى جانب الوظائف الإدارية، كان صاحب الترجمة يقوم باستمرار بنشاط ديني وثقافي واجتماعي في كل المدن التي استقر بها، فكان يعقد المجالس العلمية بالمساجد، ويلقي المحاضرات في جميع المناسبات، كما كان يعطي دروسا دينية وأحاديث ثقافية وتربوية بإذاعة طنجة طيلة وجوده بها، بالإضافة إلى ترأسه للجمعية الخيرية الإسلامية بالقنيطرة لمدة طويلة.

ترك عبد المجيد الفاسي العديد من الدراسات والبحوث الفقهية والأدبية، وفتاوي شرعية وخطب وعظية، وأحاديث نبوية كلها لازالت مخطوطة، بالإضافة إلى ديوان شعر حاول جمعه في حياته لكن وفاته حالت دون ذلك، وقد صدر أخيرا عن مطبعة دار المعارف الجديدة بالرباط عام 1418 / 1997، في 497 صفحة بتحقيق سعيد الفاضلي.

توفي بمدينة مالقة الإسبانية يوم السبت 28 جمادى الأولى عام 1390 / فاتح غشت سنة 1970، ودفن بالزاوية العيساوية بالرباط إلى جانب شقيقه محمد البشير.

م. الفاطمي ابن الحاج، *إسعاف الإخوان*، 409 ـ 427 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3425 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، 353 ـ 354 ؛ *ديوان عبد المجيد الفاسي*، تحقيق سعيد الفاضلي، 11 ـ 17 ؛ ق. الوطاسي، *بين ظلال الأصالة*، 130.

**الفاسي، عبد الله** بن **عبد السلام** بن علال بن عبد الله الفاسي الفهري من آل الجد. الفقيه المدرس، العالم المشارك، الشاعر المبدع، الخطيب البليغ، الوزير السفير.

ازداد عبد الله الفاسي عام 1278 / 1861 بفاس، أخذ العلم عن والده عبد السلام وعن جده الشيخ علال الفاسي، وهو الذي رباه وكان ينيبه عنه في الخطابة قيد حياته.

منذ سنة 1304 / 1886 التحق عبد الله الفاسي بجامع القرويين، فأخذ عن شيوخها المشهورين في ذلك العصر حتى منحته الهيئة العلمية إجازة التعليم والانخراط في سلك العالمية. ومن بين الشيوخ الذين أجازوه نذكر الشيخ ماء العينين الذي أجازه إجازة عامة.

انكب صاحب الترجمة في بداية حياته على ميدان الأدب والشعر فألف رسالة عن رحلة السلطان مولاي الحسن للديار الصحراوية سنة 1311 / 1893 ضمنها وصفا لهذه الرحلة ذاكرا مقاصد السلطان منها، وما كان يقوم به في كل قبيلة حل بها من إصلاح وعدل. فنالت هذه الرسالة استحسانا وقبولا كبيرا لدى السلطان الذي وجه ظهيرا سلطانيا لجده علال الفاسي يذكر له فيه توصله بمؤلف حفيده ويثني عليه الثناء الجميل.

تقلد عبد الله الفاسي عدة مناصب، ففي سنة 1312 / 1894 أنابه جده عنه في العيدية بعدما خطب بالحضرة السلطانية بالمسجد الأعظم بفاس. فكان لخطبته دوي كبير فصار من وقتها ينوب عن جده في سائر خطب الجمعة والعيدين إلى أن توفي الجد سنة 1314 / 1896 فاستقل بالخطبة وقام بجميع الخطط الدينية التي كانت بيد جده. وفي نفس الوقت عين عدلا بأحباس فاس الجديد ثم نقل بالصفة نفسها لأحباس القرويين. وفي عهد السلطان المولى عبد الحفيظ، تولى عبد الله الفاسي خطة الكتابة المولوية ثم نائبا عن السلطان في الأمور الخارجية، ثم عين في رتبة النائب السلطاني بثغر طنجة مع خطة المندوبية بالبنك المخزني، وفي سنة 1327 / 1909 عين سفيرا بباريس في سفارة كان على رأسها وزير المالية آنذاك محمد المقري، بعدها تولى خطة القضاء بفاس الإدريسية بمقصورة جامع الرصيف عام 1328 / 1910 ألف خلالها رسالة في موضوع القضاء الإسلامي وما له من المكانة في الإسلام، منتقدا حالة القضاة المغاربة حينئذ من قلة علم وعجز عن حل المسائل العويصة. وآخر مهامه الإدارية، تولي منصب الوزارة مع خليفة السلطان المولى يوسف بفاس، وهو المنصب الذي بقي يزاوله إلى أن وافاه القدر المحتوم.

ألف عبد الله الفاسي عدة تآليف نذكر منها : المسلك البهي الحسن ؛ الشمات العنبرية...

توفي عبد الله الفاسي صبيحة يوم الثلاثاء 27 ذي الحجة متم عام 1348 / 26 مايو 1930، ودفن داخل روضة جده الشيخ أبي المحاسن الفاسي بالقباب.

م. بن عبد الكبير الكتاني، *زهر الآس في بيوتات أهل فاس*، تح. علي الكتاني، 2 : 84 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2993 ـ 2994 ؛ م. بن العباس القباج، *الأدب العربي في المغرب الأقصى*، 1 : 31 ـ 41 ؛ م. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء*، 1 : 101 ؛ إ. بلماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 266 ـ 267 ؛ *حياة الوزير*، مخطوط لابن صاحب الترجمة محمد العابد.

**الفاسي، عبد الواحد** بن **عبد السلام** بن علال الفاسي الفهري من آل الجد. الفقيه العلامة المشارك المفتي

المحقق، ولد بفاس سنة 1294 / 1877، وأخذ العلم عن شقيقه عبد الله الفاسي (سبقت ترجمته) وعن مجموعة من علماء فاس فأجازوه إجازة عامة.

كان صاحب الترجمة خطيبا بليغا ينوب عن أخيه عبد الله في الخطابة المولوية، كما كان يتعاطى للفتوى ويتعين لفصل الدعاوى من قبل الشرع. تولى العضوية بالمجلس العلمي بفاس مدة، ثم التحق بسلك القضاء بأحواز الدارالبيضاء، لكنه عزل من منصبه بسبب النشاط السياسي لنجله الزعيم علال الفاسي، فرجع إلى فاس ولزم داره إلى أن توفي وذلك يوم الاثنين 5 رجب 1361 / يوليوز 1942، ودفن بروضتهم بالقباب خارج باب الفتوح ولم يحضر جنازته ولده الوحيد علال حيث كان حينها في المنفى.

*موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3165 ؛ م. بن عبد الكبير الكتاني، *زهر الآس*، 2 : 85.

لطيفة الگندوز

**الفاسي، عبد الواحد** بن **محمد** بن أحمد. ولد بفاس سنة 1172 ، وبها نشأ في حجر أبيه، وقرأ القرآن، وحفظ المتون، واجتهد في تحصيل الفنون، فأخذ عن جماعة من الشيوخ بقريحة نافذة وهمة عالية.

درس أعواما دروسا مباركة يشهدها جمع حافل من طلبة العلم في العربية والفقه والحديث. وكان فصيح العبارة مليح الهيأة والشارة.

كان يحاضر في الأدب، وينظم الشعر، وينثر الرسائل والخطب. وهو أول من خطب بجامع الرصيف الذي شيد بنيانه السلطان المولى سليمان.

له تآليف، منها : ارتقاء الرتب العلية في ذكر الأنساب الصقلية.

توفي بالطاعون في أواخر ذي القعدة عام 1213.

المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

**الفاسي، عبد الوهاب** بن العربي بن يوسف، ولد بفاس يوم 13 ذي القعدة عام 1009 ، وبها نشأ وتعلم. كانت له اليد الطولى في الأدب وغيره من فقه وحديث وتفسير وحساب وفرائض وتوقيت وهندسة وهيئة وجدول ومساحة.

اشتغل بالتدريس، له أشعار كثيرة ومقطعات وتآليف في أغراض مهمة. ومن عجائب إبداعه أن جعل علم العروض كله مرسوما في جدول شرح به الخزرجية، واستخرج، أيضا، جدولا في المنطق كان لا يستغني عنه أحد من أهل عصره.

ولي نظارة أحباس القرويين نحوا من عشر سنين، ثم تخلى عنها صونا لمروءته، وولي القضاء بتطوان مدة، ثم رجع إلى فاس، وناب عن خطيب القرويين بها.

توفي يوم 5 محرم سنة 1078.

م. الفاسي، *المورد الهني* ؛ م. الإفراني، *الصفوة* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *إلتقاط الدرر* ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ ع. الرحمان الفاسي، *أزهار البستان*.

**الفاسي، علال** بن **عبد الله** بن المجذوب الفهري، الفقيه الخطيب، الصارف لاقتناء الكتب وتقييد الفوائد، الساعي في تحصيل الضبط والدراية.

كانت له وجاهة عند الملوك والأمراء، وتعظيم كبير في قلوب العموم والكبراء. وكان كذلك في جملة الأعيان الخمسة عشر الذين توجهوا من فاس إلى مراكش ببيعة المول الحسن.

تولى الخطابة بأمير المؤمنين المولى عبد الرحمان، ثم بابنه المولى محمد، ثم بابنه المولى الحسن، وأجازه.

كان ينتمي إلى الطريقة التيجانية إلا أنه كان شديد الإنكار على بدعهم المختلفة.

إدريس الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ أحمد بن الحاج، *الدر المنتخب* ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام*.

المصطفى البوعناني

**الفاسي، علال** بن **عبد الواحد** (الشخصية الوطنية)، من أقطاب الحركة الوطنية المغربية، وأبرز زعمائها في القرن العشرين، فبالإضافة إلى زعامته السياسية التي اشتهر بها، يعدّ عالما فذاً، وأديباً منتجاً، وشاعراً فحلاً ذواقاً، ومفكراً عملاقاً، ومنظراً كبيراً، فهو شخصية متعددة الأطراف، متنوعة المواهب، كثيرة الطموح، له مشاركة في كثير من المجالات.

نسبه هو محمد علال بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال بن عبد الله الفاسي الفهري من آل الجد، ينتهي نسبه إلى أبي المحاسن الفاسي بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن الجد الفهري. كان أجداده يقيمون في الأندلس بمدينة إشبيلية ومنها انتقلوا إلى مدينة مالقة، وكان أول أجداده الذين انتقلوا من عدوة الأندلس إلى عدوة المغرب، هو عبد الرحمن، وذلك في حدود عام 880.

ولد علال الفاسي في مدينة فاس ونشأ وترعرع في بيت يتوارث فيه العلم أباً عن جد، والتحق بالقرويين، وتدرج في المستويات الدراسية، وكان وحيد أقرانه في الفطنة والذكاء وقوة الحافظة، وسرعة البديهة، والتفوق في مختلف العلوم الشرعية، واللغوية، والأدبية، حيث بزَّ أقرانه وتفوق عليهم، حتى علا كعبه في مضمار العلم وهو لا يزال بعدُ في مَيْعة الشباب، وتصدى لإلقاء الدروس في القرويين، فاجتمعت حوله الجموع، ولفت الأنظار إلى مواهبه وملكاته، وما رزق من قدرة فائقة على التبليغ، فكان هذا أول الطريق إلى البروز، واكتساب الزعامة، عن طريق دروسه التبليغية في القرويين، التي كانت نمطاً فريداً لفتت الانتباه إليه من جميع طبقات الشعب.

انخرط علال الفاسي في العمل الوطني منذ شبابه اليافع، فكان من مؤسسي الخلية الأولى في فاس في حدود عام 1927 والتي جمعت طليعة من الشباب الوطني، الذين كان أغلبهم من طلبة القرويين، والتي اتجهت منذ الفترة الأولى إلى تحديد الفكر، والتفتح على العصر، والاهتمام بالقضايا العامة لبلادها. وبعد أحداث ما يعرف في تاريخ المغرب بـ "الظهير البربري" التي انطلقت في عام 1930، اتجه مع زمرة من إخوانه، إلى توضيح معالم الطريق في العمل الوطني، فكانت كتلة العمل الوطني، التي كان من أبرز أفرادها، وأقوى دعاتها، وكان تحضير مطالب الشعب المغربي، التي شملت أهم ما تتطلبه الحياة المغربية من إصلاح في مختلف المجالات. ومع تبلور الفكرة الوطنية وتصاعد الأخطار التي كانت تهدد مقدسات الوطن، ولدى انتشار الوعي الوطني في مختلف الطبقات، كان تأسيس "الحزب الوطني" في عام 1937 للمطالبة بالإصلاحات المستعجلة، وفي طليعتها الحريات العامة. وكان علال الفاسي قائداً لهذه المبادرات السياسية جميعاً، وزعيماً للحزب الوطني، انزعجت من قوته سلطات الاستعمار، ووقفت الحماية له ولإخوانه بالمرصاد، وشنت عليهم حملة عاصفة من القمع، نتج عنها حلّ الحزب الوطني، ونفي علال الفاسي إلى الغابون في مجاهل إفريقيا في أكتوبر عام 1937، كما نفي الزعيم محمد بن الحسن الوزاني، رئيس الحركة القومية إلى إحدى القرى بالصحراء، ثم إلى قرية إيتزر، وزجّ بقادة الحزب، وقواعده في غياهب السجون.

قضى علال الفاسي في المنفى تسع سنوات، منقطعاً عن العالم، في قرية نائية معزولة من قرى الغابون، وظل السنة الأولى من منفاه محروماً نهائياً حتى من القراءة، إلى أن سمحت فرنسا لوالده المرحوم العلامة عبد الواحد الفاسي بإرسال بعض الكتب إليه، حيث وصله منه ثلاثة كتب هي : *القرآن الكريم*، و *الأحكام الصغرى* للقاضي بن العربي المعافري، وديوان *ابن هانئ الأندلسي*، ثم انقطعت عنه الكتب لمدة سنة كاملة، إلى أن وصله من والده كتابان، هما *يتيمة الدهر*، للثعالبي، *والكامل للمبرّد*، فاعتكف على هذه الكتب طوال فترة نفيه اعتكاف الظامئ إلى العلم، فكتب شرحاً لديوان ابن هانئ (منشور)، وحواشي على الأحكام الصغرى لابن العربي (منشور) اعتماداً على محفوظه العلمي الغزير، فكان آية في الاستحضار.

عاد علال الفاسي من منفاه إلى المغرب في صيف عام 1946، ولم يمكث به إلاّ قليلاً، ليبدأ رحلة طويلة إلى خارج المغرب للدعاية للقضية الوطنية بدأت في شهر ماي عام 1947، زار في أولها فرنسا لفترة قصيرة، ثم قصد مصر حيث أقام بها في المرحلة الأولى، سنتين، لم تهدأ خلالهما الحركة التي قام بها في العاصمة المصرية للدفاع عن القضية المغربية، وفضح المؤامرة الاستعمارية على المغرب. وتعرف إلى أقطاب الحركة الوطنية والمثقفين في مصر، الذين اكتشفوا فيه المناضل الصلب، والعالم الموهوب، والمثقف المشارك، والداعية الإسلامية البارز.

وفي تلك المرحلة، كتب علال الفاسي كتابه "*الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*" بطلب من الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، وألقى المحاضرات في معهد الدراسات العربية العليا، التابع لجامعة الدولة العربية، جمعها في أربعة كتب هي : "*المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى*"، و" *حماية إسبانيا في مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية*"، و"*الحماية في مراكش*"، و"*السياسة البربرية في مراكش : عناصرها ومظاهر تطبيقها*". وانتهت هذه المرحلة في عام 1949، حيث عاد إلى المغرب، وأقام في مدينة طنجة، التي كانت عهدئذ خاضعة للإدارة الدولية. وتميزت إقامته بطنجة التي استغرقت سنتين، بتأليف كتابه المذهبي، الذي لم يسبق إليه غيره من القادة الوطنيين، والذي يشرح فيه مشروعه الفكري، والأهداف التي يقصد إليها، لتوجيه المجتمع المغربي، ليسير في الطريق التي تنهض به في مجال التجديد والتحديث، مع المحافظة على الأصالة التي تربط حاضره بماضيه، وهذا الكتاب هو "*النقد الذاتي*" الذي تعددت طبعاته وترجماته إلى لغات كثيرة. وكان في الأصل فصولاً نشرها تباعاً في جريدة "*رسالة المغرب*" التي كانت تصدر من الرباط.

وفي المرحلة الثانية من زيارته للقاهرة، والتي امتدت أربع سنوات، (1951 - 1955)، قام علال الفاسي بعمل فكري وسياسي واسع النطاق، عميق التأثير، دفاعاً عن القضية المغربية التي كانت قد دخلت في تلك الفترة منعطفاً خطيراً، خصوصاً بعد سنة 1953، حيث نفت سلطات الحماية جلالة الملك محمد الخامس، رحمه الله، والأسرة الملكية إلى خارج الوطن، وأدرك في الدقائق الأولى، الأخطار التي تهدد المغرب بإبعاد ملكه الشرعي، فبادر بتوجيه "نداء القاهرة" من إذاعة صوت العرب، ودعا فيه الشعب المغربي ليقوم بواجبه في النضال السياسي والفدائي ضد قرار النفي والإبعاد. وتُعدُّ هذه الفترة الحرجة من حياة علال الفاسي، من أخصب مراحل حياته الفكرية والسياسية والنضالية، فقد

طاف خلالها بعدة دول عربية وآسيوية وغربية، إذ زار الولايات المتحدة الأمريكية، وبعض دول أمريكا اللاتينية، لفضح السياسة الاستعمارية في المغرب، وحضر المؤتمر التأسيسي لمجموعة عدم الانحياز الذي عقد في عام 1955 في مدينة باندونغ بأندونيسيا، وكان له موقف نضالي مشهود، في أوساط هذا المؤتمر، ندّد فيه بالدولة التي فرضت حمايتها على المغرب، وفضح سياستها الاستعمارية، وطالب قادة الدول الآسيوية والإفريقية المجتمعين في المؤتمر بمساندة المغرب في كفاحه من أجل الاستقلال.

وانتهت هذه المرحلة النضالية من حياة علال الفاسي بالعودة إلى المغرب في عام 1955، واختار أن يُقيم في طنجة، يتابع تطور الأحداث الوطنية من هناك، إلى أن عاد في عام 1958 إلى الرباط ليواصل نضاله الوطني في إطار حزب الاستقلال، داعياً بكل قوة إلى الحفاظ على وحدة الكفاح الوطني.

وتعدّدت مجالات العمل الذي قام به علال الفاسي في حياته، لموسوعية معارفه، وتنوّع مواهبه، فقد كان شاعراً فحلاً له ديوان شعر مطبوع في ثلاثة أجزاء، وكان عالماً عميق التفكير متبحراً في أصول الفقه مقتفياً آثار الشاطبي ومن في طبقته، ويعبّر عن ذلك كتابه "*مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها* " الذي طبع عدة مرات، وكان مفكراً سياسياً واسع الأفق، منفتحا على أفكار عصره، ومذاهبه، وإيديولوجياته، استنبط نظرية سياسية تقوم على مبدإ العدل والعدالة الاجتماعية نَحَت لها مصطلح "التعادلية"، ويتجلى ذلك في كتابه *النقد الذاتي*، وكان مفكراً إسلامياً مستنيراً، ويتضح فكره الإسلامي بصورة عامة في كتبه : "*دفاع عن الشريعة*"، و"*مهمة علماء الإسلام*"، و"*مدخل في النظرية العامة لدراسة الفقه الإسلامي ومقارنته بالفقه الأجنبي*"، إضافة إلى العديد من دراساته ومحاضراته ومقالاته التي نشر بعضها في كتب ورسائل مستقلة، و"*الغرة في أصول الفقه* ". وكان زعيماً سياسياً قائداً لمعارك وطنية دافع فيها عن المغرب ومقدساته، ويتجلى ذلك بالخصوص في طائفة من مؤلفاته السياسية، منها "*منهج الاستقلالية*"، و"*معركة اليوم والغد*"، و"*دائماً مع الشعب*"، و"*عقيدة وجهاد*"، و"*دفاعاً عن وحدة البلاد*".

ويعدّ علال الفاسي في الطليعة من أبرز مفكري المغرب وعلمائه ومنظّريه في القرن العشرين، خلف ثروة فكرية، ومدرسة سياسية، ورصيداً من المؤلفات التي تنيف على خمسين كتاباً في مختلف فروع الثقافة العربية الإسلامية، والدراسات السياسية، والفقهية، والقانونية، والأدبية، واللغوية والتاريخية بالإضافة إلى ديوانه الشعري الواقع في ثلاثة أجزاء وجميع هذه المؤلفات قد نشرت في المغرب، وفي بعض البلاد العربية، ما عدا القليل من البحوث والدراسات والمحاضرات، وطائفة من المقالات، التي لا تزال مبثوثة في بطون الصحف والدوريات.

ولم يكن علال الفاسي زعيماً وطنياً سياسياً فحسب، ولكنه بالإضافة إلى ذلك، كان يشعر بمسؤولياته المتعددة في مختلف المجالات الإنسانية، والثقافية، والعلمية والأدبية، والشعرية والدينية، وفي كل هذه المجالات صال وجال، وكتب وحاضر، وخطب وناظر.

يقول علال الفاسي عن شعوره بمسؤوليته الإنسانية : "إننا نؤمن أننا على ثغرة من ثغور الجهاد الإنساني". لم تكن أفكاره السياسية أفكاراً مبهمة، وإنما كانت له نظرات وتوجّهات واضحة تتجلى في كثير مما كتب وحرر من خطب في كثير من المناسبات وبالأخص في كتابه "*معركة اليوم والغد* ". آمن بالإسلام، وأنه القادر على إنقاذ المسلمين من سيطرة الرأسمالية وروحها المادية الملحدة، وآمن بالقومية المغربية وأنها الحصن الحصين لرفض الاندماج. وفي المجال الفقهي وأصوله، جلّى التجلية العلمية الاجتهادية التي جعلته في صفوف المجتهدين الأصلاء أمثال الشاطبي والقرافي وغيرهما من الفقهاء الحقيقيين. وكتابه "*مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها* "، يعدّ من أهم المصادر الحديثة في التشريع الإسلامي ومقاصده، والذي بذل فيه كل جهده خلال أربعة أعوام، بحث خلالها كثيراً من المصادر الإسلامية، والكتب العلمية الصحيحة، مجتهداً كل الاجتهاد في تفهم آراء المسلمين والتوفيق بينها، وتوضيح مواطن الضعف في كتابات المعاصرين منهم.

أما في المجال الأدبي والشعري فقد لفت إليه الأنظار، مما جعل المرحوم محمد بن العباس القباج يقول عنه سنة 1929 في كتابه "*الأدب العربي في المغرب الأقصى*"، وهو لا يزال إذ ذاك شاباً يافعاً لم يتجاوز العشرين من عمره : "تفتحت قريحته، وترقّت مداركه، وبلغ مرتبة الشفوف بين الشعراء الشباب".

وتراث علال الفكري في السياسة والعلم والفكر والأدب والشعر تراث لا نظير له لدى الزعماء وغيرهم. فقد كان مشغول الفكر بمستقبل بلاده، وكيف ينبغي أن يبنى هذا المستقبل، وما هي أحسن السبل للوصول إلى تطويرها والنهوض بها في مختلف ميادين الحياة. وكان يتتبع تطورات الأمم الناهضة قبلنا والطرق التي سارت فيها، والمناهج التي اتبعتها، لتسير في النهج المستقيم، الذي يحقق الأهداف التي تقصد إليها، حتى يستطيع أن يبلور أفكاراً ومبادئ وتوجهات. تحقق ما يود أن تسير عليها بلاده، وقد تتبع كما قال في تصديره لكتابه "*النقد الذاتي*" دراسة "عشرات المؤلفات العربية والمعربة والفرنسية والمنقولة إلى اللغة الفرنسية من لغات أوروبا الشرقية والغربية وأمريكا وآسيا، ودرس وجهات النظر المتباينة، وقارن بينها بقدر الاستطاعة، ثم عرضها على تجاربه في الكفاح، وتقلباته بين الكادحين في أقطار عديدة، طيلة خمسة وعشرين عاماً، وحاول أن يستخلص من كل ذلك التوجيهات التي وضعها بين يدي إخوانه، لينظروا فيها ويستفيدوا منها

داعياً إلى تكوين النظرية، ووضع البرنامج المفصل، الذي يسهل تحقيق الإصلاحات العميقة، التي تنشدها أمته في مختلف فروع الحياة".

كان علال الفاسي مفكراً ذا رؤية إنسانية عميقة، يقول عن شعوره بمسؤولياته الإنسانية : "إننا نؤمن أننا على ثغرة من ثغور الجهاد الإنساني، في سبيل الحق والحرية، ومسؤوليتنا في تحرير هذا الثغر، ودفع تلك الآفات عنه، تضاهي مسؤولية من يقود المعركة في واجهة لا يبرئه نجاحه فيها من مسؤوليته المشتركة في خط القتال بأجمعه. لذلك لن نحاول أبداً أن نقاوم أمراضنا بما يعرقل سير الإنسانية، أو يقف في سبيل التفاهم بين الشعوب، وإقرار سلام دائم بينها. كنا دائماً جزءاً من الإنسانية، نعيش في وسطها، ونتفاعل معها، غير أننا مازلنا نملك خميرة نافعة من إيماننا بالله وبتعاليم الإسلام، وهي التي سهلت لنا قبول أبعد النظريات الثورية، لصالح الوحدة الكونية، ومهدت لنا سبيل الخلاص، إذا نحن أردناه، لأن الإسلام في ذاته إصلاح ثوري، لديانات كتابية، وتجميع حضاري لأحسن ما في الحضارات السابقة، ودعوة خالصة للتوحيد في جميع مظاهره، ونداء للناس ليدخلوا كافة في سلام أبدي".

توفي علال الفاسي يوم 13 ماي عام 1974، في اللحظة التي كان يجري فيها لقاء مع رئيس جمهورية رومانيا في مكتبه، حيث فاضت روحه إلى بارئها إثر جلطة في القلب، بينما كان يتحدث عن القضية الفلسطينية وقضية الصحراء المغربية.

أبو بكر القادري

**الفاسي، علال** بن **عبد الواحد** (الشخصية التاريخية) بن عبد السلام الفهري، ينحدر من أسرة بني الجد الفهرية. ازداد بمدينة فاس سنة 1326 / 1908.

- بدأ تعليمه في الكتاب ثم في المدرسة العربية الحرة، ثم انتقل للدراسة في القرويين.

تميّز منذ أيام الطلب بحضور قوي في كل المناسبات، فقد كان ضمن مجموعة طلبة القرويين الذين طالبوا بتحديث هذه المؤسسة وتنظيم الدراسة فيها مع المحافظة على جوهر التعليم الأصيل ودفع الرواتب للأساتذة الذين كانوا يعيشون على منح الأوقاف والمحسنين، ومنح شواهد للمتخرجين.

دخل علال الفاسي خضم العمل السياسي فشارك في كل الاحتجاجات والتظاهرات ضد الوجود الفرنسي مما جعله يسجن عدة مرات، كان أبرزها بمناسبة الاحتجاج على صدور الظهير البربري في 16 ماي 1930 فسجن مع رفاقه ونفي إلى مدينة تازة مدة أربعة أشهر.

كان أعضاء الحركة الوطنية في فاس والرباط وتطوان وطنجة ينسقون العمل بينهم، ففي سنة 1933 ألقى علال الفاسي خطابا ملتهبا ضد الاحتلال الفرنسي والاسباني، ولكي لا يتعرض للاعتقال على يد سلطات الاستعمار في المغرب، سافر إلى إسبانيا عن طريق سبتة ومنها إلى فرنسا وساهم في إصدار مجلة *"Maghreb"* *"المغرب"* التي كان يصدرها في باريس بعض الفرنسيين الأحرار للدفاع عن حقوق الدول المستعمَرة. ثم سافر إلى جنيف حيث كان له لقاء مع الداعية العربي شكيب أرسلان. ثم عاد لمواصلة النضال في المغرب.

فقد عمل مديرا للمدرسة الناصرية التي أسسها الفقيه غازي. ثم كان أستاذا بالقرويين.

وكان من المؤسسين لـ "كتلة العمل الوطني" التي بدأت تنظم العمل السياسي بالمغرب، فساهم في تحضير دفتر "المطالب" وكان من أعضاء الوفد الذي قدمه سنة 1934 لمحمد بن يوسف والإدارة الفرنسية.

- وكان عمله في الكتلة يدفعه للنضال في كل الواجهات الشعبية والعمالية والثقافية والعلمية والسياسية، فكان خلال إلقاء دروسه بالقرويين يثير حماس الطلبة الحاضرين وينشر الأفكار ويهاجم الاستعمار وأذنابه ويطالب الجماهير بالعمل على تحرير البلاد، كما أن مقالاته في جريدة *"الأطلس"* كانت تلهب حماس القراء. فكان بذلك هدفا لملاحقة الشرطة والاعتقال عدة مرات.

فقد ترأس سنة 1936 في مدينة الرباط أول مؤتمر للكتلة الوطنية، حيث صدر بيان "المطالب المستعجلة". وبدأ زعماء الكتلة يقومون بمهرجانات خطابية للتعريف بهذه المطالب في المدن المغربية الكبرى مما أدى إلى اعتقال جلهم بما فيهم علال الفاسي ثم أفرج عنهم بعد شهر.

ولما جرت حوادث "بوفكران" بمكناس سنة 1937 وقامت الحركات الوطنية بالاحتجاج، فإن المقيم العام "نوكيس" وقف "كتلة العمل الوطني". فقام الزعماء الوطنيون بتأسيس "الحزب الوطني لتحقيق المطالب" في 22 يوليوز 1937 في المقر السابق للكتلة.

وكان علال الفاسي من بين القادة الذين اجتمعوا في الرباط وأصدروا بتاريخ 7 شعبان 1356 الموافق لـ 13 أكتوبر 1937 ميثاقا وطنيا طالبوا فيه بحرية الصحافة وتأسيس الجمعيات واستنكروا فيه الممارسات الاستعمارية. وسلم الميثاق للإقامة العامة. فكان جوابها اعتقال كل الزعماء الوطنيين وعلى رأسهم علال الفاسي. وفي 25 أكتوبر نفي الجميع إلى ميدلت ومنها إلى قصر السوق. أما علال الفاسي الذي كانت الإقامة العامة تعتبره أخطر العناصر الوطنية، فقد نقل في 3 نونبر 1937 بطائرة خاصة إلى "الغابون" حيث قضى أربع سنوات في قرية صغيرة تسمى Mouila "مويلا" بجنوب الغابون. ثم نقل بعدها إلى برازافيل بالكونغو. وقد جرت أثناء الحرب العالمية الثانية اتصالات بينه وبين الجنرال دوگول بصفته زعيم التحرير الفرنسي، وعرض عليه تعاون المغرب مع فرنسا إن هي قبلت بمنح المغرب استقلاله.لكن الفرنسيين لم يكترثوا لعرضه.

وأفرج عنه سنة 1946 بعد تعيين "إيريك لبون Eirik

Labonne" مقيما عاما بالمغرب، فعاد إلى المغرب واستقبله السلطان محمد بن يوسف. ثم سافر إلى فرنسا ومنها إلي القاهرة حيث عمل بنشاط في "مكتب المغرب العربي"متحدثا باسم "حزب الاستقلال"، وقد اتخذ مصر مقرا رسميا له وكان على اتصال دائم بزعيم المقاومة المغربية محمد بن عبد الكريم الخطابي. وكان يتنقل بين العديد من الدول من أجل إبلاغ صوت الحركة الوطنية إلى كل المؤسسات التحررية.

وبعد نفي السلطان محمد بن يوسف في 20 غشت 1953 وجه علال الفاسي نداءه الشهير من إذاعة القاهرة يدعو فيه المغاربة لإشهار السلاح في وجه المستعمر. فإنه كان مقتنعا بضرورة المقاومة المسلحة إلى جانب الحوار والعمل السياسي.

وقد ساهم في إنشاء ما عرف بجيش التحرير المغربي في منطقة الريف وكان أول من أعلن من إذاعة القاهرة البلاغ الأول لهذا الجيش في 4 أكتوبر 1955. وكان رافضا لما سماه تنازلات القوى الوطنية في"إيكس ليبان" وكذا لتوقيع محمد بن يوسف مع الحكومة الفرنسية لاتفاق "لاسيل سان كلو" في نونبر 1955. إلى أن اتصل به أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال في مدريد لتوضيح ما جرى.

وإنه عاد إلى طنجة بعد عودة محمد الخامس إلى العرش في 16 نونبر 1955. ولم يدخل الرباط إلا بعد أن وقعت اتفاقية الاستقلال في 2 مارس 1956. ولم يوافق على إيقاف عمليات جيش التحرير إلا على مضض، وأمر بنقل الكفاح إلى الجنوب لتحرير الصحراء وموريتانيا، التي ظل يطالب بها، فهو صاحب القول بأن المغرب يمتد من البحر المتوسط إلى نهر السنيغال في الجنوب. وقد أصدر مجلة أسبوعية بعنوان "*صحراء المغرب* " كانت منبرا لكل الصحراويين المغاربة.

وظل حاضرا في كل المناسبات والتظاهرات رغم عدم تقلده لأي منصب وزاري في الحكومات الأولى لعهد الاستقلال. فكان يكتب يوميا في جريدة العلم عمودا في الصفحة الأولى تحت عنوان "رأي مواطن" ويوم كلفه محمد الخامس بتشكيل الحكومة في ماي 1958 فإن المشروع ظل حبرا على ورق لأسباب غير معروفة.

وبعد تعرض حزب الاستقلال للانشقاق في 25 يناير 1959 استطاع بحزمه وحنكته وقوته الوقوف في وجه المنشقين، وحفظ للحزب كيانه.

ولذلك عين في المؤتمر الأول للحزب بعد الانفصال في 1960 رئيسا له بعد إبعاد أحمد بلفريج الذي كان هو الأمين العام.

تقلد وزارة الشؤون الإسلامية في الحكومة السادسة سنة 1962.

- شارك في إعداد أول دستور للمغرب ووافق على التصويت لصالحه.
- انتخب في فاس في أول برلمان للمغرب في نفس السنة.
- قدم استقالته من الحكومة مع أعضاء من حزبه للحسن الثاني ودخل معترك المعارضة "المعتدلة"

وإنه كان في سنة 1970 من المؤسسين "للكتلة" التي جمعت المعارضة المغربية مع عبد الرحيم بوعبيد باسم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وعلي يعتة باسم الحزب المغربي الشيوعي. قاطع انتخابات 1970. وصوّت بلا على دستور 1972.

وقد وافاه الأجل المحتوم إثر سكتة قلبية في "بوخارست" برومانيا سنة 1974 ونقل جثمانه حيث ووري في مقبرة الشهداء بالرباط.

من مؤلفاته : *الحركات الاستقلالية في شمال إفريقيا* و*النقد الذاتي* و*دفاعا عن الشريعة* و *مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها* و*نداء القاهرة* و*رأي مواطن* وغيرها من المؤلفات.

أفكاره :

كان علال الفاسي عالما ملما بأمور الدين والشريعة الإسلامية وكان من دعاة "السلفية" التي أخذ آراءها عن جمال الدين الأفغاني وبعض أساتذته كالعالم أبي شعيب الدكالي والشيخ بلعربي العلوي.

كان أديبا وشاعرا رقيقا وسياسيا محنكا، وإذا حاولنا تتبع أفكاره السياسية، نجد أنها تميزت بثلاث مراحل أساسية هي : "الألوكة" التي طرحها في مؤتمر الحزب سنة 1960 و"الاستقلالية" في مؤتمر يناير 1962، و"التعادلية" بعد الخروج إلى معترك المعارضة سنة 1963 ويمكن تلخيص هذه الأفكار فيما يلي :

تقوم الاستقلالية على دعامتين أساسيتين : الدين هو التوحيد وهو المحافظة على الإسلام ومبادئه وهو التطور والأخذ بالنظريات الحديثة إذا كانت لا تتعارض مع الإسلام بل تساعد على تطوره.

والقانون هو الدولة بمعنى أنه لا بد من التكامل بين الدين والدولة. يقول علال الفاسي : "ولتحقيق هذين المظهرين يجب استمرار الكفاح في إطار سلفية تجدد التوحيد واستقلالية تجدد القانون والنظام وهما دعامة كل حكومة".

والدولة في نظر الاستقلالية هي دولة القانون التي تتوفر على دستور يضمن الديمقراطية للجميع وإشراك المواطنين في حكم أنفسهم ومراقبة سير أمور بلادهم.

ودولة القانون هي الدولة الإسلامية التي تقوم على قواعد الإسلام وتمتاز بالتحرر الكامل من كل مخلفات الاستعمار في الفكر والأرض والمدرسة والإدارة والاقتصاد، ولهذا يجب مواصلة الكفاح والنضال من أجل التحرر الكامل كالتحرر الاجتماعي والاقتصادي، والتحرر الاجتماعي هو مقاومة الإقطاع بكل أنواعه والمساواة أمام القانون في نيل الحقوق والقيام بالواجبات، وإقرار الملكية الخاصة "بشرط ألا تطغى حتى تحرم البعض من الأرض وتكدسها في يد الباقين".

والتحرر الاقتصادي يقوم على وجوب اشتراكية إسلامية

"تناقض الديمقراطية الفردية والرأسمالية الفردية" فهي تحترم الملكية الخاصة وتدعو لتأميم المنشئات الكبرى وتؤمن بتدخل الدولة في القطاعات الحيوية الخاصة، فهي اشتراكية تقوم على ديمقراطية الشغل للجميع "والذي لا يعمل لا يستحق الحياة إلا أن يكون عاجزا". وفرص العمل يجب أن تتاح للجميع وخيرات البلاد يجب أن يستفيد منها الجميع وهو ما يسمى بالعدالة الاجتماعية.

كل هذه القوانين يجب على الدولة أن تقوم بنشرها بين الجماهير ليعرفوا حقوقهم وواجباتهم ويدافعوا عنها متى تعرضت للانتهاك.

كما أن الاستقلالية ليست مذهبا منعزلا بل مذهبا متفتحا ومتطورا، متفتحا على الدول الشقيقة والصديقة، وعلى العروبة والقومية العربية التي تقوم على نفس مبادئ الإسلام دون علمانية، وعلى احترام قانون الآخر.

ولتحقيق هذه الأهداف والوسائل لابد من أربعة شروط هي : 1 ـ التعادلية الاقتصادية 2 ـ الاستقلال الاقتصادي 3 ـ بناء المغرب العربي 4 ـ التعاون الدولي.

ولكي تستطيع الدولة تحقيق ذلك، يجب عليها اتخاذ عدة تدابير، منها تكوين الأطر اللازمة في كل المستويات، وفي جميع الميادين وتطبيق الإصلاح الفلاحي ومساعدة الدولة للفلاحين في ميدان التجهيز والقرض، وزيادة الاهتمام بالتصنيع العمومي والخاص، وتأميم ثروات باطن الأرض وخلق تعاون صناعي بين الدول المتخلفة فيما بينها، وتبسيط الطرق التجارية ومراقبة أسعار البضائع، وحماية السوق الداخلية من المنافسة الخارجية، والاقتصاد في الواردات باستثناء المواد الضرورية، ثم تعبئة الأمة وتشغيلها وفرض الخدمة المدنية وتشجيع التوفير، وإحداث اللامركزية، وتوزيع المشاريع الاقتصادية على الأقاليم، بطريقة ديمقراطية.

عبد الكريم غلاب، *الماهدون الخالدون*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1991، ص. 303 ؛ *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، ج. الأول والثاني، مطبعة الرسالة، الرباط، 1987، ص. 931 ؛ *الفكر التقدمي في الإيديولوجية التعادلية*، مطبعة الرسالة، الرباط، 1979 ؛ أبوبكر القادري. *رجال عرفتهم* ؛ *الألوكة*، *الخطوط الرئيسة لبرنامج حزب الاستقلال*، قسم التوجيه والنشر، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1959 ؛ *المجلس الوطني لإطارات حزب الاستقلال*، اجتماع فاس 29 نونبر 1959 ، لجنة النشر والدعاية، المطبعة الاقتصادية، 1959 ؛ علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، الطبعة الأولى، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948، ص. 560 ؛ *محاضرات في المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى*، معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 1955 ؛ *النقد الذاتي*، مطبعة كريماديس، تطوان، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ص. 340 ؛ *نداء القاهرة* ، مطبعة الرسالة، الرباط، 1981، ص. 223 ؛ *منهج الاستقلالية* ، المكتبة الاستقلالية، 1962، ص. 154 ؛ م. ضريف، *تاريخ الفكر السياسي بالمغرب*،الطبعة الثانية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،1989، ص.319.

*Les Africains*, t. 12 , 1977, Id, J.A. p. 45 - 59 ; Delanoe (Guy), *Lyautey, Juin, Mohammed V Fin d'un protectorat,* Impri- –merie Fedala, Edition Eddif, Casablanca, 1993, 223p ; El Alami (Mohamed), *Mohammed V Histoire de l'Indépendance du Maroc*, Arrisala, Rabat, 1981, 213 p ; Julien (Charles-André), *L'Afrique du Nord en Marche,* René Julliard, Paris, 1953, 414 p. ; *Le Maroc face aux impérialismes*, 1415 - 1956, Jeune Afrique, Paris, 1978, 549p. ; July (Pierre), *Une République pour un Roi*, Fayard, 1974, 285 p. ; Lacouture (Jean et Simone), *Le Maroc à l'épreuve*, Seuils Paris, 1958, p. 171.

حفيظة بلمقدم

**الفاسي، علي** بن أبي المحاسن، ولد بالقصر الكبير في منتصف رمضان عام 960 / 26 غشت 1553. اعتمد على والده في التربية، وانتفع بعدد من شيوخه في الصلاح. كانت له مكانة علمية فقد رحل إلى فاس وأخذ بها عن عدد من الشيوخ منهم : ابن مجبر، والقدومي، والمنجور، والحميدي والسراج وغيرهم لكنه عرف بالميل إلى الانقباض وملازمة زاويتهم بالقصر الكبير، وكان يسهر على شؤونها بالتنسيق مع أخيه أبي العباس أحمد ويقوم بالإشراف على نشاطها الديني وعلى إقامة الأوراد والأذكار المرتبة.

توفي في 16 جمادى الأول عام 1030 / 8 أبريل 1621 ودفن بروضة تدعى روضة سيدي الخطيب، وهي المقبرة المعروفة الآن بمقبرة سبعة رجال.

م. القادري، نشر، ج. 1، 236 ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد*، 25.

نفيسة الذهبي

**الفاسي، عمر** بن عبد الله بن عمر. ولد حوالي 1125 في فاس ونشأ بها، وقرأ القرآن. ثم أخذ في العلوم، فقرأ شيئا منها على أبيه وعلى قريبه الشيخ أبي عسرية محمد بن أحمد الفاسي، ثم توسع في الدراسة على يد عدة شيوخ أخذ عنهم العربية والكلام والأصلين والبيان والمنطق والتفسير والفقه والحديث. ثم اقتصر على شيخ الجماعة أبي العباس بن مبارك، فلزمه إلى أن صار علامة الدنيا جامعا لأدوات الاجتهاد.

كان منقبضا عن مخالطة الأمراء مباعدا عن الرؤساء والكبراء والوزراء.

توفي يوم 29 رجب عام 1188.

محمد الزيادي، *سلوك الطريق الوارية* ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ *طبقات ابن عجيبة*.

**الفاسي، محمد** بن **أحمد**. ولد بفاس سنة 1121. قرأ القرآن وجوده، وأخذ في قراءة العلم على جماعة من الشيوخ حتى حصل على علم كثير وحظ من المشاركة.

كان كثير التقييد والاعتناء بكل مفيد. شرح عقيدة جد أبيه شرحا جيدا سماه تحفة الوارد والصادر في شرح العقيدة التوحيدية للجد سيدنا عبد القادر.

توفي في أواخر شعبار عام 1164، ودفن بزاوية جده.

م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *إلتقاط الدرر* ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

**الفاسي، محمد** بن **أحمد** بن أبي **المحاسن**. ولد يوم 9 محرم عام 1009. كان متضلعا في جميع العلوم، قائما بتدريس الفنون قيام محقق ضابط محرر. يستظهر تسهيل ابن مالك ومختصر ابن الحاجب الأصلي، وغير ذلك، لا يجارى في ذلك في سائر الفنون.

استوطن مكناسة الزيتون، وتقلد قضاءها مدة، فحمدت سيرته إلى أن نقله السلطان المولى الرشيد إلى فاس سنة 1077 ، وولاه الفتيا والخطابة بالقرويين، وتصدى للتدريس بفاس.

واعتنى، في آخر أمره، بالقراءات السبع. وألف عدة تآليف، منها : شرحه على مختصر خليل وشرحان على نظم المراصد لعمه العربي الفاسي، وشرحه لنظمه أيضا في المنطق، وغير ذلك.

توفي يوم 12 ربيع الأول من عام 1084.

ع. الرحمان الفاسي، *أزهار البستان* ؛ م. الفاسي، *المورد الهني* ؛ م. الإفراني، *الصفوة* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *إلتقاط الدرر* ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام*.

المصطفى البوعناني

**الفاسي، مَحمد** بن **أحمد** بن **مَحمد** بن عبد القادر من أشهر من اعتنى في فاس بالتاريخ والأنساب في عصره وكان له إلى جانب ذلك تقدم ملحوظ في الحساب، والفرائض، والتوثيق، والنوازل وبذلك كان مرجعاً لأهل فاس في القضايا العسيرة، كما كان "القاضي العربي بوخريص إذا تفاقم الأمر بين الخصوم من ذوي الفضل والمروءة يرفعهم إليه فيفصل بينهم بوجه يرضي الجميع".

عينه المولى عبد الله في خطة الإمامة والخطابة بجامع الأندلس العتيق، كما ولي الشهادة في أوقاف القرويين سنين، وقد عرف بحرصة الشديد على ضبطها وعلى حسن استغلالها في إصلاح المساجد. وفي نفس السياق حفظت سيرته الأسرية فضله في صيانة الزاوية الفاسية بالقلقليين إبان المسغبة التي شهدتها فاس في منتصف القرن (18 م) عندما مرت بمرحلة حرجة بين التداعي والتعرض للنهب، وقد لجأ من أجل ذلك إلى الاستعانة بمداخيل بيع القبور حيث كان يشتري رباعاً يوقفها عليها ويصرف من ثمنها على مصالحها.

لم ينقطع المترجم عن مهمة التدريس بل إنه اعتنى بالطلبة وبالكتب الدراسية التي اهتم بتبسيطها حيث ألف ما يناهز الثمانين مصنفاً ما بين الحواشي، والشروح، والمختصرات سجل عدد منها ضائعاً.

ولادته بفاس سنة 1118 / 1706 ووفاته بها سنة 1179 / 1766 - 65 ودفن بالزاوية.

م. القادري، *نشر*، ج 4 : 163 - 168 ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*، 300 - 301 ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد*، ص. 58 - 59.

نفيسة الذهبي

**الفاسي، محمد** بن **طاهر**، سيبويه زمانه. ولد بالقصر الكبير ونشأ به في حجر أبيه، وقرأ القرآن وحفظه، وأخذ في حفظ المتون العلمية في أكثر الفنون على أبيه وبعض أقاربه، وغيرهم.

ارتحل إلى فاس واستوطنها، وأكثر العناية بالعلوم العربية على شيوخها في وقته حتى برع فيها وانفرد بتحقيقها، وانتهت إليه الرياسة فيها، مشاركا في غيرها.

وكان مجلسه في العربية غاصا بنجباء الوقت، كثير الحفظ والضبط، حسن العبارة والخط. ودرس الرسالة للعوام بمسجد جزاء ابن عامر في فاس.

وكان كثير المطالعة والتقييد. توفي سنة 1177.

م. القادري، *نشر المثاني* ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

**الفاسي، محمد الطاهر** بن عبد الكبير، من أجلة العلماء الحفاظ، وذوي المشاركة والتمكن في كثير من العلوم، موفور الحظ في الحديث والسير والتوحيد والفقه والعلوم العربية، متقدما في التاريخ والوفيات والحوادث والأخبار.

كان يعتمد في دروسه على حفظه، فيؤيد ما يلقيه من المسائل الفقهية بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وكان خطيبا بليغا، شهيرا بمعرفة المناسبات الزمانية، والتكلم على الحوادث الوقتية، يلبس لكل حال لبوسها. بل ربما خطب ارتجالا. ولهذا، كان الناس يتسابقون إلى استماعها، ويتنافسون في كتابتها ونقلها. ولم يكن للخرافات في عقله أدنى سلطة، شديد الشكيمة في قول الحق.

حج مع والده عام 1287 ، فلقي عددا من أئمة المشرق علماء وصوفية، فأخذ عنهم.

توفي يوم 2 شوال عام 1324.

العباس بن إبراهيم، *الإعلام*.

المصطفى البوعناني

**الفاسي، محمد الطيب** بن مَحمد بن عبد القادر. قام مقام أبيه في تدريس التفسير والفقه، كما قام بالإمامة بالزاوية عندما لازم والده داره. وقد تأكدت مكانته العلمية وبلغ مستوى التحقيق والإفادة في علوم الحديث والأصول والتاريخ والتصوف إلى جانب ما ذكر.

كان لتكوينه العلمي دور في تألق شخصيته فقد أخذ بزاويتهم عن جده عبد القادر بن علي، وعن عمه أبي زيد عبد الرحمان وعن والده مَحمد، كما نال إجازة الشيخ أبي سالم العياشي، وكان لحضوره ومكانته الفكرية تأثير طيب جعل السلطان المولى إسماعيل يستدعيه لمرافقة ولده مولاي عبد المالك من أجل عقد الهدنة مع أتراك الجزائر في حدود عام 1103 / 1692 بعد وقعة المشارع على وادي ملوية، وقد

شارك في هذه المهمة الديبلوماسية عدد من أعيان الدولة ومن علمائها من بينهم الفقيه المؤرخ محمد ابن عبد الوهاب الوزير الغساني الأندلسي.

ذكرت للمترجم تآليف منها شرح على مقدمة جده في الأصول، وكتاب "مطمح النظر ومرسل العبر بالذكرى بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر" بلغ فيه إلى السنة الثالثة عشر، وله تقاييد وأجوبة، وما وقفنا عليه من كتبه هو فهرسة والده التي جمعها تحت عنوان "أسهل المقاصد لحلية المشايخ رفعة الأسانيد الواقعة في مرويات شيخنا الوالد.

توفي في حياة والده في 19 ربيع الثاني عام 1013 / 25 شتنبر 1701.

م. القادري، *نشر*، ج. 3، 131 - 133 ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد*، 46 - 47 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج. 1، 318 - 319 ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*.

نفيسة الذهبي

**الفاسي، محمد** بن **عبد السلام** بن مَحمد. ولد بفاس وبها نشأ. كان حافظا جامعا راسخ الملكة في أكثر الفنون كالنحو والتصريف واللغة والحساب والعروض والتاريخ وأنساب العرب وأيامهم والبيان والمنطق والكلام والأصلين والفقه والحديث والتفسير وعلوم القراءات وأحكام الروايات.

واعتمد في ذلك على جماعة من العلماء النحارير يطول ذكرهم. وأخذ عنه هو الكثير، منهم : السلطان المولى سليمان.

ألف تآليف، منها شرح لامية الأفعال لابن مالك، وحاشية على شرح الجعبري لحرز الأماني، وحاشية على شرح الجاربردي لشافية ابن الحاجب التصريفية، وطبقات المقرئين، وفهرسة أشياخه، وغير ذلك من التآليف والتقاييد والأجوبة.

توفي يوم 12 رجب 1214.

المولى سليمان، *عناية أولي المجد* ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

**الفاسي، مَحمد** بن **عبد القادر**، ولد الشيخ بفاس سنة 1042 / 1632 وبها تخرج على يد والده، ونال إجازة عم أبيه الشيخ محمد العربي كما نال إجازات استحقاق من علماء هذا الدور أمثال أحمد بن عبد الرحمان ابن جلال، وأحمد الزموري الأصغر وحمدون الأبار وعبد الرحمان ابن القاضي وعلي الزرهوني. كانت له فرصة مشرقية خلال رحلته الحجية سمع فيها وأجيز من قبل عدد من المشارقة المرموقين نذكر من بينهم الشيخ إبراهيم بن محمد الميموني والشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني وغيرهما.

تألقت شخصية الشيخ مَحمد العلمية بفضل مشاركته الحسنة في التدريس والتأليف وحل معضل القضايا، والسهر على تكوين الطلبة. وقد ألف كتبا وشروحا وأنظاما في الحديث والفقه والمنطق، وله رسالة في علم الكلام. عمت الإفادة من دروسه وكتبه وزادت من حظوته بالسمعة الطيبة وخاصة عند السلطان المولى إسماعيل الذي راسله بخصوص العديد من القضايا، وكان يقدمه ويستشيره، ويطلب منه الفتاوى، ويحيل عليه ما يتطلب الضبط والتحقيق إلى جانب صلاحيات أخرى. ويظهر هذا الجانب في سيرة الشيخ من زاوية المودة والحظوة، لكنه لم يخل من متاعب فقد عاصر الشيخ فترة حرجة من تاريخ فاس عندما طلب من علمائها الإفتاء لصالح مشروع تأسيس جيش العبيد.

عانى الشيخ مَحمد كغيره من نظرائه من جراء الوقوف مع الشرع دون إلغاء مشروعية البرنامج العسكري الإسماعيلي وكان عليه أن يخوض مخاضا للقيام بهذا الواجب دون التخلي عن مساندة السلطان الذي كان يلح عليه في الوضوح.

ومن قراءة جوابه يظهر أنه استطاع تجاوز هذا المخاض بفضل مواقف الحياد ومسايرة الرأي العام. وربما من أجل هذه الصعوبة لزم الشيخ داره سبعة أعوام حتى ظن الناس أنه مقعد.

توفي الشيخ مَحمد سنة 1116 / 1704.

م. الطيب الفاسي، *أسهل المقاصد*، خ. ع. 2843 ثالث مجموع ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 215 - 217 ؛ أ. الدلالي، *مباحث الأنوار*، تح. ع. بوعصاب، الطبعة الأولى، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1999، 299 ؛ م. القادري، *نشر*، ج. 3، 151 - 154 ؛ مولاي سليمان، *عناية أولي المجد*، 48 - 50 ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، ج. 7، 165 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج. 1، 316 - 318 ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*، 253 وما بعدها.

نفيسة الذهبي

**الفاسي، محمد** بن **عبد القادر** الشهير عند سكان قصبة تامنوگالت بدرعة بالفاسي. لا نعرف أي شيء عن ميلاده أو تكوينه كما نجهل تماما الظروف الذي جعلته يستوطن درعة. ويظهر من إشارة الفقيه محمد بن الحبيب التمنوگالي، أن الطالب محمد بن عبد القادر الفاسي، قد وصل إلى درعة في زمن غير معروف خلال العقود الأخيرة من القرن الثاني عشر الهجري (18 م)، فاستوطن قصبة تامنوگالت، حيث صاهر أسرة آل القائد التمنوگالي على عهد القائد عبد الله، وبعد وفاة القائد عبد الله، كاد الأمر أن يخرج من يد آل القائد، لولا تدخل محمد بن عبد القادر الفاسي، الذي استطاع أن يجمع حوله أنصار آل القائد، فتمكن من ضبط أحوال قصبة تامنوگالت ثم استقدم الطالب الحسن من مكان قراءته بناحية تازرين فنصبه قائداً على واحة مزگيطة. وهكذا يكون محمد بن عبد القادر الفاسي قد انقذ قيادة آل تامنوگالت، خلال العقود الأولى من القرن (13هـ / 19م) من الانهيار.

توفي محمد بن عبد القادر الفاسي بقصبة تامنوگالت في زمن غير معروف من أواسط القرن (13 هـ / 19م). وما تزال ذريته إلى اليوم بتامنوگالت.

محمد لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية* ؛ *المعلمة*، المجلد السابع.

Spillmann, Les pays inaccessibles du Haut Dra.

أحمد البوزيدي

**الفاسي، محمد** بن **عبد الواحد**، واحد من صنف العلماء الموسوعين الذين لا يتجلى تحسنهم في نوع واحد من أنواع المعرفة. فإلى جانب تضلعه في التاريخ كان شديد الإلمام بالأدب واللغة والفنون على اختلاف أنواعها، يبدع فيها كاتبا ومحاضرا ومؤلفا. كان شخصية فذة فرضت وجودها في الميدان الثقافي بوجه خاص على مدى ستين سنة في الداخل والخارج. فضلا عن عمله الوطني وتضحياته إبان الكفاح من أجل الاستقلال ومنجزاته في الميدان الحكومي والحقل الدولي بعد ذلك، فكان بحق أستاذ الجيل، ولا يدعى إلا بالأستاذ القاضي عند الخاص والعام.

ولد بفاس سنة 1908 وبدأ دراسته بها ثم التحق بفرنسا حيث حصل على شهادة الليسانس من جامعة السوربون وشهادة دبلوم مدرسة اللغات الشرقية بباريس. وصادف وجوده بفرنسا نشوء الحركة الوطنية، فأسس هو وجماعة من رفاقه الطلبة المغاربة جمعية للدفاع عن قضية بلاده، وكان معهم من المؤسسين لمجلة *"Maghreb مغرب"* باتصال مع المتعاطفين مع القضية الوطنية من الفرنسيين. كما ساهم في تأسيس "جمعية طلبة شمال إفريقيا" التي قامت بدور سياسي وثقافي إذ ذاك. وكان من المؤسسين كذلك لـ"جمعية الثقافة العربية" التي كانت ترمي إلى تحقيق وحدة طلبة العرب من الخليج إلى الأطلس. ثم مر بجنيف بعض الوقت وتعرف بالأمير شكيب أرسلان وتعاون معه في الدفاع عن القضية العربية، وقضية المغرب بالأخص.

ولع بأدب الرحلات والرحالين المغاربة منذ عهد الطلب بفرنسا، وتخصص في ذلك بعد رجوعه إلى المغرب سنة 1934، أثناء ممارسته للتعليم، عين على التوالي أستاذا في ثانوية بالدار البيضاء وثانوية مولاي يوسف بالرباط ثم بمعهد الدروس العليا والمعهد المولوي الذي أنشأه محمد الخامس لتعليم وتربية الأمراء ومديرا لجامعة القرويين. كان يلقن الآداب والترجمة، والحضارة الإسلامية، وبدأ عطاؤه العلمي يبرز على أعمدة الصحف والملحقات الأدبية والمجلات التي صدرت تباعا في أيام الحماية الفرنسية. كما أخذ يحقق وينشر العديد من رحلات المغاربة، ويعنى بالأدب المغربي الشعبي "الملحون" والأمثال المغربية والأمازيغية.

وبموازاة نشاطه العلمي، لعب الأستاذ محمد الفاسي دوراً بارزاً في الحقل الوطني حيث أصبح بحكم تدريسه في المعهد المولوي أداة وصل بين محمد الخامس وقيادة الحزب الوطني. فكانت الاجتماعات السرية تنعقد بين الجانبين ونشأت عنها وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944، وكان من الموقعين عليها مع وجوه المناضلين إلى أن استقل المغرب في أواخر سنة 1955. وقد اعتقل مرتين ونفي في 1944 و1952.

بعد الاستقلال، عين في الوزارتين الأولى والثانية وزيراً للتربية الوطنية والشبيبة والرياضة، سنة 1955 ثم رئيسا للجامعة المغربية والبحث العلمي سنة 1958. وانتخب عضوا ثم رئيسا للمجلس التنفيذي في اليونيسكو 1958 ـ 1966. وعين عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وفي المجمع العلمي العراقي، إلى جانب تعيينه وزيرا للدولة مكلفاً بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي بالمغرب 1968 ـ 1971. وفي نفس الوقت كانت اليونيسكو تتعاون معه، وكان من المؤسسين لـ"جمعية الجامعات التي تدرس جزئيا أو كليا باللغة الفرنسية" وأسندت إليه رئاستها. وأحدثت جائزة باسمه، كما أصبح عضوا في جامعتي دمشق وعمان ورئيسا لرابطة الجامعات الإفريقية، وغيرها من الجامعات الأمريكية والكندية والأندونيسية. وعين عضوا في أكاديمية المملكة المغربية. وأخيرا عين عضوا في الديوان الملكي.

بلغ ما أنتجه الأستاذ محمد الفاسي أزيد من ثلاثمائة ما بين مؤلفات وأبحاث ودراسات باللغتين العربية والفرنسية بالإضافة إلى ما ترك من مسودات وجذاذات في شتى أنواع المعرفة. وقد دأبت الأكاديمية الملكية المغربية على إصدار بعضها.

توفي من آخر سنة 1991 بالرباط.

قاسم الزهيري

**الفاسي، محمد العربي** (أبو حامد)، ولد بحي العيون من عدوة فاس القرويين يوم 6 شوال 988 / 13 نونبر 1580 أي قبل حوالي سنة واحدة من تاريخ تأسيس والده للزاوية الفاسية الشيء الذي يجعله بحق نموذجا لأحد المتخرجين منها. تخرج المترجم على يد عدد هام من شيوخ المرحلة ونخص منهم بالذكر أخاه أبا العباس أحمد وعمه عبد الرحمان بن مَحمد والشيخ محمد بن قاسم القصار الذي لازمه وحظي بإجازته.

تميز بشغفه بالتعلم، لذلك لم تخل سيرته من مجالس الدرس والتدريس سواء بزاويتهم أو في حلقات القرويين وحتى أثناء زياراته للقصر الكبير، وتاصروت، والزاوية الدلائية أو عندما أقام بزاويتهم في تطوان بعدما خرج من فاس حتى لا يمالئ محمد الشيخ المامون بعد تسليم مدينة العرائش للإسبان.

ألف الشيخ محمد العربي كتبا تعليمية مفيدة نذكر منها مراصد المعتمد في مقاصد المعتقد (نظم في التوحيد) منظومتين في ألقاب الحديث، وتلقيح الأذهان بتنقيح البرهان وقصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي النحو، والفقه، والمنطق ومجموعة هامة من الفتاوى.

تخرج على يده عدد هام من علماء المغرب منهم بنوه الأربعة، وابن أخيه عبد القادر، وأبناء الزاوية الدلائية وشهد له بالتفوق في التدريس والإفتاء علماء معاصرون وعلماء من طبقته من جملتهم الشيخ عبد الواحد بن عاشر الذي أعجب بصراحته وصلابته في الحق وقال عن كتابه حول قضية التبغ : "الناس يدورون على العلم، والعلم يدور على العربي الفاسي" (م. الإفراني، *صفوة*، 71).

ومن أهم فتاويه التي اهتم فيها بتيسير معاملات أهل البادية بالخصوص الرسالة التي كتبها حول إباحة التعامل بشهادة اللفيف.

توفي المترجم سنة 1052 / 1642 بتطوان ونقل رفاته بعد سنتين إلى فاس فدفن بجوار قبر والده.

*فهرسته* المختصرة في آخر كتابه *مرآة المحاسن* ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 71 ؛ م. القادري، *نشر*، ج. 2، 10 ؛ مولاي سليمان، *عناية أولي المجد*، 29 ـ 32 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج. 2، 315 ؛ م. حجي، *الحركة*، ج. 1، 265 ـ 297 ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*، 344 ـ 353.

**الفاسي، مَحمد** بن **علي** (أبو عسرية)، حفيد الشيخ أبي المحاسن، ولد بالقصر الكبير في 3 محرم سنة 995 / 15 دجنبر 1586. بدأ تعليمه على شيوخ القصر الكبير في المستوى الأولي وهو المستوى الذي كانت تضطلع به زاوية والده الشيخ علي حيث كانت تسهر على نشر العلم قبل أن يتوجه المتعلمون وخاصة من أبناء الأسرة في المستوى الثاني إلى فاس أو مكناسة. استكمل تعليمه في فاس وعاد إلى القصر الكبير ليواصل دور والده في تسيير الزاوية وتطوير نشاطها حتى نسبت إليه. وقد وصفه أخوه عبد القادر بما يفيد الاعتكاف على الإرشاد الحضر على الخير والصلاح. ولازالت زاويته تواصل دورها الديني.

توفي بالقصر الكبير سنة 1048 / 1638.

م. القادري، *نشر*، ج. 1، 372 ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*، 154.

نفيسة الذهبي

**الفاسي، محمد الفاطمي** بن المهدي من آل الفهري ابن الجد. ولد بفاس سنة 1914، وبها تابع دراسته الابتدائية والثانوية بثانوية مولاي إدريس حتى حصل على شهادة البكالوريا، فالتحق بكلية الطب بباريس إلى أن نال شهادة الدكتوراة في الطب، ثم التحق بعدها بكلية الطب في الجزائر العاصمة للتخصص في الجهاز الهضمي، ولما عاد إلى أرض الوطن، اشتغل بإدارة الصحة العمومية ثم بمستشفى كوكار COCARD بفاس.

شب محمد الفاطمي الفاسي وترعرع داخل أسرة عرفت بالعلم والوطنية حيث انضم منذ شبابه المبكر إلى الحركة الوطنية، وكان يعمل ضمن خلاياها السرية مع مجموعة من طلبة ثانوية مولاي إدريس. ويعتبر صاحب الترجمة أول من وقع على وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944.

فتح الفاطمي عيادته الطبية أولاً بمدينة مكناس، ثم انتقل إلى فاس فكان الإقبال عليه كبيراً خصوصاً من طرف الوطنيين، حيث كان يقوم بعلاجهم ومساعدة أبنائهم في نفس الوقت.

انتخب عضواً في المجلس البلدي بفاس، فكانت له مواقف وطنية واضحة، دافع من خلالها عن مصالح المواطنين، منددا بالسياسة الاستعمارية العنصرية، رغم ما تعرض له من اضطهاد.

تعرض الفاطمي الفاسي لحادثة سير خطيرة خلال شهر دجنبر 1952 في طريق عودته من الدار البيضاء إلى فاس، حيث كان في مهمة وطنية، فظل ملازماً الفراش عدة شهور.

توفي يوم 23 يونيو 1953 إثر فشل عملية جراحية أجريت له، ودفن بمدينة مكناس حيث كان والده يزاول مهنة القضاء بها.

*خمسون سنة على تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال* (11 يناير 1944 ـ 11 يناير 1994) تراجم الموقعين.

لطيفة الگندوز

**الفاسي،** أبو **مدين** محمد بن أحمد بن مَحمد بن عبد القادر وسم بصفات الكفاءة في علوم اللغة، والحديث، والفقه، لكنه تميّز في مجال الأدب شعراً ونثراً، وفي البلاغة خطيباً، وفي ما وهب من حسن الصوت، وسلامة التعبير.

شغل منصب الإمام والخطيب بجامع القرويين منذ أن ولاه المولى عبد الله إلى وفاته، وبحكم عادة فقهاء فاس الذين كانوا يقدمون إمام مسجد القرويين في الخطبة والصلاة في العيد عندما تكون خارج فاس القرويين كان يؤم السلطان في صلاة العيدين بفاس الجديد.

حُفظت للمترجم مؤلفات غلب عليها الطابع الأدبي فقد كتب في فوائد الأدب وفي الملح، والنوادر، والمنتخبات، والرسائل كما كتب شروحاً ومختصرات في التصوف والسيرة النبوية وغيرها إلى جانب ديوان شعر وخطب الأعياد والجمعة التي جمعت غررها في مجلد توجد منه عدة نسخ.

كانت للمترجم علاقة علمية واجتماعية متينة بعلماء الزاوية العياشية (زاوية سيدي حمزة) وأهلها فهو يروي عن حمزة بن أبي سالم العياشي عن أبيه، وقد سجل هذه المرويات في إجازته العامة لولديه عبد الحفيظ، وأخيه أبي جيدة. كما أنه اختار هذه الزاوية قبلة له عند ما عزم على الهجرة من فاس زمن المسغبة التي عانى منها أهلها في منتصف القرن (18م) (1150 / 37 ـ 1738).

كانت ولادته بفاس سنة 1112 / 1701 ووفاته بها عام 1182 / 1768.

ع. العياشي، *الإحياء والانتعاش*، 345 ـ 347 ؛ م. القادري، *نشر*، ج 4، 181 ـ 182 ؛ المولى سليمان، *عناية أولي المجد*، ص. 59 ـ 60؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج 1، 322 ـ 323 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج 2، 588 ـ 771 ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*، 300.

301 ؛ منى نعيمة، مجموع *الطرف وجامع الطرف*، تحقيق وتقديم، د. د. ع، الرباط، 1989.

نفيسة الذهبي

**الـفاسي، مسعود** أبو سرحان جموع الفاسي ثم السلاوي، وأصله من سجلماسة. عاش في مدينة فاس، ووصف بكونه الولي الصالح والمحدث الراوية والعلامة الحافظ الدراكة. وله عدة مؤلفات.

وقد نقل الأستاذ مصطفى بوشعراء عن القادري في *نشر المثاني* فقرة تصفه بما يلي : (كان عالما بالحديث والسير والفقه والتصوف والنحو والبيان والتفسير واللغة، خيرا دينا ورعا لا يرى إلا مدرسا أو تاليا أو ناسخا، جيد الخط، وهو ممن أخذ عن سيدي عبد القادر الفاسي وولده سيدي محمد وعن ولد عمه سيدي محمد بن أحمد. وله تآليف منها : "*نفائس الدرر، في سير البشر*"، في سفرين و"*الروضة الوسطى*" و"*الروضة الصغرى*" وكلاهما في السير، وله تآليف في القراءة والرسم، وله حاشية على "*الصغرى*" وشرح على "السلم" في المنطق وشرح على "*الأجرومية*" وحواشي على "*الألفية*".

عاش أوائل الدولة العلوية وعصر مولاي إسماعيل. وحل بسلا في ربيع النبوي عام 1118 / 1706 أو 1707 وهو جد آل الفاسي الموجودين بها، واستقر بزاوية سيدي أحمد حجي ودرس بها البخاري و"الشفا" و"الشمائل"، وتوفي بها يوم الثلاثاء 7 جمادى الأولى سنة 1119 الموافق لسنة 1707 أو 1708 بعد إصابته بالحمى. وحضر جنازته أهل العدوتين سلا والرباط. ودفن بالزاوية نفسها، وكان الناس يقصدونه للتبرك في حياته ولما مات ظل قبره مقصدا للتبرك، وحلاه المؤرخ الناصري بالشيخ الإمام العلامة ذي التصانيف المفيدة في كل فن.

وأتى الأستاذ مصطفى بوشعراء أيضا بهذه الفقرة من فهرسة الحافي توضح سبب حلوله بسلا وهي : "ولما أراد الله ظهوره وانتفاع الناس به أتى زائرا لصلحاء سلا فنزل بزاوية الولي الصالح سيدي أحمد حجي، فاجتمع عليه طلبة سلا من أهل الزاوية المذكورة لنشر العلم فساعفهم في ذلك ولازم التدريس بها وبالمسجد الأعظم بسلا" وتتلمذ عليه تلامذة بالرباط وسلا وأجاز بعضهم كابن عاشر الحافي وأبي مدين حجي وغيرهما.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 7، ص. 110 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. مصطفى بوشعراء. منشورات الخزانة الصبيحية بسلا، 1986، ص. 107.

عبد الإله الفاسي

**الـفاسي، يوسف** بن **مَحمد** (أبو المحاسن)، ولد بمدينة القصر الكبير في 19 ربيع الأول عام 937 / 10 دجنبر 1530. وبها بدأ مرحلة تعليمية مبكرة على يد الشيخ أبي الحسن علي الشهير بالعربي، ثم تابع مع أستاذه أبي زيد عبد الرحمان الخباز القصري. أما المرحلة الفاسية في تكوينه فتنقسم إلى فترتين : الأولى قبل سنة 960 / 1553 حين رحل بصحبة والده وأدرك عددا من شيوخ العلم المرموقين. وأما الثانية فقد كان له فيها نفس أطول في التعمق وتحصيل المكانة العلمية في اللغة والتفسير والفقه، والعقائد وهي المواد التي تصدر لتدريسها بالقصر الكبير أزيد من عشرين سنة.

بدأت سيرة السلوك واكتساب الذوق في حياة الشيخ منذ مرحلة الطفولة، حيث تبرك، واقتدى وتأثر بالجو الأسري فجده يصل سنده بأحد خدام الشيخ أحمد زروق، ووالده تأثر بالنهج الجزولي بواسطة الشيخ أبي العباس أحمد بن قاسم الشرفي الأندلسي عن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي عن الشيخ التباع. أما شيخه المعتمد فهو الشيخ عبد الرحمان ابن عياد المجذوب (ت. 976 / 1569) فقد جمعت الرجلين مرحلة طويلة من الصحبة والاقتداء مر خلالها المترجم بكل شروط التلقين وأحوال الإرادة من طاعة ومجاهدة وملازمة ليصل إلى مرحلة التأهل واستحقاق الوراثة. وقد شهد سلوك الشيخ والمريد على نوع من التوافق في النهج والطريقة والأسلوب، غير أن عددا من فقهاء القصر الكبير وجدوا في بعض مظاهر السلوك الملاماتي خروجا عن الشخصية العلمية التي يمثلها الشيخ في المدينة والتي جعلته محط إقبال وجعلت حلقاته مجالا للتنافس. وقد بلغ أمر الاعتراض حد النقمة والاحتكام بعد أن رفعت فئة منهم القضية إلى فاس، وقد أكدت المحاكمة التي جرت في هذا الإطار أن الشيخ متمسك بموقفه، وأن له في فاس مؤيدين وأصحابا بالإضافة إلى عناية الجانب الرسمي وهي عوامل شجعت الشيخ على اختيار مدينة فاس لتأسيس زاويته (انظر مادة الزاوية الفاسية).

تعتبر طريقة الشيخ أبي المحاسن طريقة مجذوبية مهذبة فقد نجح في الملاءمة بين أهداف التصوف المجذوبي القائم على البساطة والمشاركة الاجتماعية، وبين تصوف العالم الذي يسهر على التربية من موقع حياة الاستقرار ويخاطب مريدين في بيئة مثل فاس، ويعتني بالتصوف ونشر العلم معا. وهي أهم مقومات التطور والاستمرار الذي تحقق للمؤسسة الصوفية الفاسية.

كان للشيخ أبي المحاسن حس صوفي متميز فقد تبنى طريقة شاذلية توفيقية أسست لنهج زروقي جزولي ومال إلى أسلوب المرونة في التعامل فلم يكن يصد قاصد مجالسه ولم يكن يرفض الهدايا التي تصله من أبناء الدنيا بل كان يصرفها بنوع من التوازن مراعيا حاجات الناس الدينية والدنيوية. وبذلك يعتبر التسامح والإغضاء عنصرين أساسيين في بناء شخصيته وفي تمييز ما اتسمت به طريقته من اعتدال.

كانت للشيخ أبي المحاسن مشاركة إيجابية في معركة

وادي المخازن فقد عمل ضمن تيار المقاومة التي قادها رجال الصلاح في منطقة الهبط، وكان حاضرا بشكل فعلي أثناء المعركة وقد وصف ولده محمد العربي هذا الحضور، فهو حامل اللواء، والمنادي في المجاهدين بالصبر والمبشر بالنصر.
ألفت في ترجمته سبعة كتب.

توفي الشيخ أبو المحاسن سنة 1013 / 1604، ودفن بروضة خارج باب الفتوح.

المولى سليمان، *عناية أولي المجد*، فاس، 1928 ؛ أ. الفاسي، *المنح الصفية*، خ. ع. 1234 د ؛ عبد الحفيظ الفاسي، *الترجمان المعرب* ؛ عبد الرحمان الفاسي، *ابتهاج القلوب* ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*؛ م. المهدي الفاسي، *روضة المحاسن الزاهية*، خ ع 976 ج ؛ *تحفة أهل الصديقية*، خ ع 2990 د ؛ *ممتع الأسماع* ؛ ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*.

**الفاسية** (الزاوية -)، من أكبر زوايا المغرب شهرة وتأثيرا وحضورا واستمرارية. عاصرت مختلف التحولات التي شهدها تاريخ المغرب الحديث واستطاعت أن تحافظ على وزنها الشعبي والمخزني.

تقع الزاوية الفاسية الأم في حي المخفية من عدوة فاس الأندلس، أسسها الشيخ أبو المحاسن يوسف بن مَحمد الفاسي سنة 989 / 1581، وقد بدأ مشروعه الصوفي بنواة بسيطة وهي عبارة عن دار سكن الشيخ وأهله في الطابق العلوي منها، وأخذ الناس يجتمعون للذكر والصلاة في الطابق السفلي، ثم توسع حواليها حتى خلصت الدار الأولى للسكنى وصار المريدون والأصحاب يجتمعون بدويرة مجاورة، ثم أضاف دارا ثانية من الجهة الجنوبية سنة 1003 / 1595 ليصل مقر الزاوية أقصى اتساع فيشرع الشيخ بعد ذلك مباشرة في بناء المسجد بتاريخ 5 شوال عام 1004 / 2 يونيه 1596 ثم يحوز أثناء انتشار وباء الطاعون الروضة التي يوجد بها ضريحه خارج باب الفتوح على سبيل الهبة من أحد أصدقائه، وبذلك تكون الزاوية الفاسية الأم قد استكملت أهم مرافق المؤسسة الصوفية قبل وفاة مؤسسها.

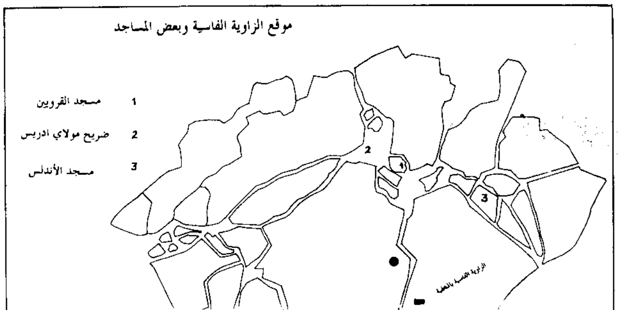


أهم فروع الزاوية الفاسية حضرية منها مركزان بالقصر الكبير، ينسب أولهما للشيخ مَحمد بن علي ابن أبي المحاسن المكنى أباعسرية، والثاني لحفيد الشيخ المؤسس أيضا وهو أحمد بن أحمد بن أبي المحاسن. أما بتطوان فيرجح أن تكون الزاوية الفاسية هي أول زاوية تأسست بحي العيون منذ سنة 1003 / 94 ـ 1595 وكان ذلك بأمر من الشيخ أبي المحاسن وبرئاسة أحد مريديه وهو الشيخ محمد أنوار الأندلسي. ثم تأسس فرع آخر في حي الأطرنكات إلى الجنوب من المركز الأول وذلك في النصف الأول من القرن الحادي عشر (17 م) وينسب للشيخ مَحمد بن علي أبي عسرية وإن كانت المؤشرات توحي بأنه أذن بالتأسيس وسهر عليه بينما الذي اضطلع بأمور هذا الفرع هو أخوه عبد العزيز بن علي بعد أن ارتحل إلى تطوان واستوطنها معظم هذا القرن. وبذلك كان للزاوية الفاسية امتداد في ثلاث حواضر دون أن تكون لها فروع في البوادي رغم العلاقات الواسعة مع أهلها.

أما الحديث عن الزاوية الفاسية في فاس منذ سنة 1027 / 1617 فإنه يعني حتما المركز الفاسي الثاني وهو زاوية القلقليين التي أنشأها الشيخ عبد الرحمان بن مَحمد الفاسي (العارف) بحي القلقليين من عدوة فاس القروين بعد أن لقي إقبالا كبيرا من سكان هذه العدوة.

وقد شهد هذا المقر توسيعا سنة 1062 / 1651، ثم اتسع أكثر سنة 1071 / 60 ـ 1661 بزيادة دور مجاورة، إلا أن أعظم زيادة هي التي تمت بأمر من السلطان المولى إسماعيل سنة 1091 / 1680.

حملت زاوية القلقليين في البداية اسم الشيخ عبد الرحمان (العارف) لكن شهرتها اقترنت باسم حفيد أخيه الشيخ عبد القادر بن علي، فسميت به إلى الآن.

جمعت الزاوية الفاسية بين السندين الجزولي والزروقي كما جمعت أهداف النهجين أيضا فخدم شيخها العوام، وحرص على نفعهم، وبسط لهم أمور دينهم. وحقق بعلمه وبتعليم أبنائه مستوى مخاطبة النخبة المثقفة، والمشاركة في الحركتين التعليمية والفكرية.

اضطلعت الزاوية الفاسية كغيرها من الزوايا بدور ديني وعظي ودور اجتماعي تكافلي، فكانت مركزا للتربية، وإطعام الطعام وإقامة المناسبات الدينية، واستقبال ذوي الحاجات، وحماية المظلومين، كما قامت بدور علمي فكانت موئلا متألقا بفضل شيوخها العلماء، وبفضل عنايتها بعلم الحديث، ونجاح أبنائها في توارث أدوار التعليم والتأليف والانتساخ وبذلك حققت مكانتها، وعمقها الاجتماعي رغم الأزمات التي عصفت بعدد آخر من المؤسسات وأثرت على أحوال فاس بالتحديد.

نجحت الزاوية الفاسية في تجاوز أزمة حادة مثل أزمة تمليك حراطين فاس في نهاية القرن الحادي عشر (17 م) بفضل اعتدال شيوخها ودورهم التوافقي ؛ فهناك مراعاة

لمتطلبات المرحلة الانتقالية، وهناك حرص على تجاوز الصراعات الفئوية المحلية، وهناك احترام للرأي العام ولقواعد الأصول الشرعية والاجتماعية، وبذلك غدت مركزا صوفيا له حضوره على المستوى الشعبي وعلى مستويات التقدير المخزني.

ن. الذهبي، *الزاوية الفاسية*، 2001.

نفيسة الذهبي

**فاضل** الرايس (الحاج -) من رياس مصب أبي رقراق خلال العهد الدلائي، كان في سنة 1654 يقود سفينة كرافيل مجهزة بخمسة صواري وبسبع قطع مدفعية، وتحت إشرافه طاقم من مائة مجاهد وثمانية أسرى مسيحيين، لما سقط مركبه غنيمة في يد القبطان الهولندي ثونيس بوسط (Th. Post) في مياه قاديس ؛ ورغم توفره على جواز سفر من القنصل دو فريس (De Vries) لم يطلق سراح سفينته إلا بعدما تم الاستحواذ على بضائعها وعلى أسراها، وقدرت قيمة الخسائر بحوالي ألفين وخمسمائة ريال. وأدى هذا التجاوز إلى إثارة حنق أهالي الرباط لدى عودة سفينة الحاج فاضل ضد القنصل، حيث تعرض للعنف، وللاعتقال في مطمورة المدينة بعد طرده من منزله.

Les S.I.H.M., 1° série, Pays-Bas, t. V, p. 442 et 536.

حسن أميلي

**فاضل، عبد الحق** بن فاضل بن حامد بن حديد العراقي، لغوي، مترجم، قصاص، روائي، شاعر.

ولد في بغداد سنة 1330 / 1911 من أبوين موصليين، ودرس الابتدائية في الموصل، والثانوية في بغداد، وتخرج من كلية الحقوق في بغداد. وكان أبوه فاضل الصيدلي شاعرا وطنيا، وأصبح أخوه الأصغر أكرم فاضل أديبا. ترجم أعمالا أدبية ولغوية من التركية والإنجليزية.

مارس عبد الحق فاضل المحاماة في الموصل خلال عام 1938 و1939 أصدر أثناءهما مع زميله المحامي يوسف الحاج إلياس *المجلة*، وهي أدبية ثقافية عامة. وفي عام 1940 دخل الخدمة الخارجية العراقية. وتنقل في عدة وظائف دبلوماسية : تبريز - إيران (1941 - 1943)، طهران - إيران - 1946) (1943، أنقرة وإسطنبول - تركيا (1946 - 1948)، طهران - إيران (أواخر عام 1948)، القاهرة - مصر (1951 - 1953)، دمشق - سوريا (1953 - 1954)، روما - إيطاليا - 1957) (1955. وبعد قيام الحكم الجمهوري في العراق أصبح وكيلا لوزارة الخارجية عام 1959، ثم أول سفير للعراق في الصين الشعبية (1960 - 1963). وبعدها ترك العمل الحكومي وتفرغ للبحث والكتابة فأقام في مدينة الدار البيضاء بالمغرب، واشتغل بضع سنين خبيرا غير متفرغ في مكتب تنسيق التعريب بالرباط، ثم انتقل إلى مدينة مراكش التي لاءم هواؤها صحته إذ كان يشكو من هشاشة العظام، فأقام بها زهاء ربع قرن وأقعد في السنوات الخمس الأخيرة من حياته، وعندما أحس بدنو أجله غادر مراكش إلى بغداد حيث توفي بعد بضعة أشهر.

أخذ عبد الحق فاضل ينظم الشعر وهو فتى، مقتديا بوالده الشاعر الذي نشر ديوانا بعنوا "هدية الأحرار". وقد تأثر بأحمد شوقي حتى عده أستاذه في قصيدة رثاه بها عام 1932.

ثم استهوته بعد ذلك الأقصوصة، فأخذ يكتب القصة القصيرة إلى جانب نظم الشعر حتى غلبت القصة على الشعر، ثم كتب رواية *"مجنونان"* التي تعالج حرية المرأة وبعض القضايا الاجتماعية والوطنية الأخرى بأسلوب ساخر سلس. ويضعها بعض النقاد في قمة اكتمال نضج القصة العراقية قبل الستينات من القرن العشرين. كما يجمع النقاد على أن عبد الحق فاضل هو من بين رواد الأدب القصصي الحديث في العراق. وقال سهيل إدريس عن قصصه إنها "تبشر بولادة الجيل الجديد من القصاصين والروائيين العراقيين".

وإضافة إلى الشعر والقصة والرواية، كتب عبد الحق فاضل مسرحية بعنوان *"4 نساء و3 ضفادع"* وهو من أدب اللامعقول، نقل فيها الإنسان المعاصر إلى القرن الثلاثين، وجعله يلتفت خلفه ليرى نفسه من مسافة ألف سنة بعد تجرده من المؤثرات التي تزعزع صحة حكمه على الأشياء المحيطة به والمشتبكة بمصالحه وعقده.

وفي ميدان الترجمة، نشر عبد الحق فاضل كتابا بعنوان "ثورة الخيّام"، وهو دراسة عن الخيّام ورباعياته، وترجمة شعرية أمينة للرباعيات من الفارسية. ومن الأمثلة على ترجمته الشعرية للرباعيات الرباعية التالية :

إنني ابتعت من الكواز كوزا ذات مره
فحكى لي الكوز ما لاقي وأفشى لي سره
قال إني كنت سلطانا من العسجد جامي
وغدوت الآن للحمار، يا ويلي، جره

ولا يعزى نجاح ترجمة عبد الحق فاضل للرباعيات إلى تمكنه من اللغتين الفارسية والعربية ومقدرته على النظم فحسب، وإنما إلى تقاربه مع الخيّام فكرا ومزاجا كذلك.

كما ترجم عبد الحق فاضل مسرحية *"جوليوس قيصر"* لشكسبير من الإنجليزية. وفي طبعة مراكش لهذه المسرحية، قدم عبد الحق فاضل لها بدراسة ضافية تقع في 284 صفحة أكد فيها أن هذه المسرحية هي أروع روائع شكسبير، مخالفا بذلك جمهور النقاد الذين يضعون مسرحية "هاملت" في قمة أعمال شكسبير، كما خالف معظم المتخصصين في الدراسات الشكسبيرية من حيث نظرتهم إلى موقف شكسبير من شخصية "بروتس" في هذه المسرحية، إذ ذهبوا إلى أن شكسبير صوره شخصية تتسم بالنزاهة والإخلاص والوطنية، في حين دلل عبد الحق فاضل على أن القراءة المتأنية الذكية لهذه المسرحية تظهر لنا أن بروتس رجل دنئ نذل، وأن

شكسبير كان يكن له كراهية عميقة بغطاء من الألفاظ والعبارات التي يصعب فهم مغزاها الحقيقي. فشكسبير كان صديق بروتس في الظاهر عدوه في الباطن، وعدو قيصر في الظاهر صديقه في الباطن.

ويقول الدكتور جبرا إبراهيم جبرا عن عبد الحق فاضل : "....قرأت بإعجاب ترجمته لمسرحية يوليوس قيصر، التي ضاهيتها بالنص الإنجليزي سطرا سطرا، ودهشت لمدى صحتها ودقتها، فضلا عن لغته الجميلة".

وأعد عبد الحق فاضل ترجمة شعرية لملحمة "قلقميش" معتمدا فيها على ترجمة مؤرخ الآثار العراقي طه باقر الذي ترجم الملحمة نثرا، وعلى ترجمتين إنجليزيتين أعدهما N.K. Sandars وJames B. Pritchard . وقد كتب مقدمة لترجمته تقع في 172 صفحة حلل فيها الملحمة وظروفها التاريخية.

ويمكن إيجاز منهجية عبد الحق فاضل في الترجمة بأربعة أمور : اختيار الأعمال الأدبية الكبرى، ودراسة معمقة لمؤلف النص وأسلوبه، والإلمام بالظروف التاريخية للنص، ومضاهاة الترجمة للنص من حيث الدلالة والجنس الأدبي، فالشعر يترجم بالشعر.

وفي ميدان البحث اللغوي، أسهم عبد الحق فاضل في تطوير البحث التأثيري، إذ نشر سلسلة من الدراسات بعنوان "دخيل أم أثيل" في مجلة "اللسان العربي" تناول فيها ألفاظا عربية فأرجعها إلى إثلها (أو أصلها) في اللغات العربية القديمة كالآرامية والآشورية وغيرهما، وهذا ما كان يسميه اللسانيون العرب بـ"الإيتمولوجي" مستعيرين المصطلح من اللغات الأوربية. وما إن نشر عبد الحق فاضل دراساته تلك حتى وجدوا فيها ضالتهم. فقد زودهم عبد الحق فاضل بمصطلحين هما : التأثيل الذي يعنى بتطور نطق الكلمة ودلالتها في عدة مراحل من حياتها وردها إلى أمها المباشرة أو جدتها المباشرة أو القريبة، والترسيس، الذي يتتبع نطق الكلمة ومعناها أثناء انتقالها عبر لغة أو عدة لغات وإرجاعها إلى رسها، أي بدايتها وأصلها. ومن الأمثلة على دراساته التأثيلية هذه الفقرة من كتابة *"دخيل أم أثيل"* :

"الدرب : الطريق. آرامية : دربو. أصل معنى الدرب هو الباب الأكبر، وباب السكة الواسع الذي صرنا نسميه البوابة. أما أثل اللفظة فهو (الدار) بالعربية و(دور) بالآشورية. وتوجد الكلمة بشكليها العربيين في الفارسية : (در، درب)، وبشكلها الآشوري في الإنجليزية (door) بمعنى الباب أيضا.

وهذا ينبئ بكل وضوح أن (الدار) كانت تعني الجدار الذي (يدور) أي يحيط بالبيت أول الأمر، ثم أطلقت على البيت نفسه، ثم على باب البيت، ثم على باب السكة، ثم على السكة أي الطريق. وعندئذ ظهرت في الآرامية بصيغة (دربو) بهذا المعنى الأخير".

من مؤلفاته المطبوعة :

- *مجنونان*، رواية (الموصل، مطبعة أم الربيعين، 1939) ؛ *مزاح وما أشبه*، مجموعة قصة (الموصل، مطبعة أم الربيعين، 1940) ؛ *ثورة الخيام* (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1951) ؛ *حائرون*، مجموعة قصصية (بغداد، مطبعة الرابطة، 1958) ؛ *طواغيت*، مجموعة قصصية (بغداد، مطبعة الرابطة، 1958) ؛ *4 نساء و3 ضفادع* (بيروت، دار العلم للملايين، 1968) ؛ *مغامرات لغوية* (بيروت، دار العلم للملايين، 1969) ؛ *هو الذي رأى، ملحمة قلقميش* (بيروت، دار النجاح، 1972 ) ؛ تاريخهم من لغتهم (بغداد، وزارة الثقافة، 1977) ؛ *الأعمال القصصية الكاملة* (بغداد، دار الرشيد، 1979) ؛ *أخطاء لغوية* (بغداد، وزارة الثقافة، 1979) ؛ *قصصي* (بغداد، دار الثقافة، 1984) ؛ *مع شكسبير في يوليوس قيصر* (مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، 1988)، دراسة عن المسرحية وترجمتها ؛ *العربية أم الألمانية* (الدار البيضاء، 1988)، في التأثيل اللغوي ؛ *ديوان عبد الحق فاضل*، مراجعة وتعليق أحمد متفكر (مراكش، 1995).

علي قاسمي

**الفاضلي، سعيد** ولد سنة 1960 بمدينة الرباط من عائلة تنحدر من نواحي مراكش. تابع دراسته الجامعية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس، حيث حصل على الإجازة في الأدب العربي سنة 1985 وعلى دبلوم الدراسات العليا سنة 1991 عن موضوع "تحقيق وتقديم كتاب من شعراء المغرب المعاصرين لعبد الله الجراري". كما ناقش، سنة 2000 / 2001 بحثا لنيل دكتوراه الدولة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة شعيب الدكالي، في موضوع "الإحياء الشعري في المغرب الحديث بين الأصالة والتقليد : من نهاية القرن 19 إلى منتصف القرن 20. اشتغل بالتدريس بالتعليم الثانوي بتمارة، ثم عمل أستاذا مكونا بالمدرسة العليا للأساتذة بالرباط.

دخل سعيد الفاضلي مجال النشر قاصا بصدور مجوعتيه "إرم ذات العناد" و"أيام مغلقة" سنتي 1997 و1999. ونسج لنفسه مسارا سرديا خاصا، من علاماته بحثه عن لغة مغايرة وعن بنية حكائية تنبني على خلق المفاجأة وعلى معاكسة أفق انتظار القارئ وعلى حوار نصوصه مع مرجعيته الثقافية المتعددة.

وإلى جانب كتاباته القصصية، استطاع الفاضلي أن ينجز، خلال فترة وجيزة، ملامح مشروع علمي خاص. وهو مشروع يرتكز أساسا على عودة عاشقة إلى عدد من النصوص المغربية عبر رحلة التحقيق. ومن علامات هذا المشروع تحقيقه لديوان الشاعر المغربي عبد المجيد الفاسي (1997) وكتاب *"وادي الجواهر ومجموع المكنون من الذخائر"* لعلال الفاسي (2000) وتحقيق *"أبيَّات الأبْيات من ديوان ابن هانئ"* (2002 ) للشاعر نفسه والذي أنجزه رفقة الباحث المغربي الراحل عبد الرحمان بن العربي الحريشي. وبالإضافة إلى عودته للأعمال الشعرية، حقق الفاضلي جزءاً من طموحاته على مستوى الإسهام في مشروع سلسلة ارتياد الآفاق الذي أطلقته مؤسسة السويدي بالإمارات العربية

المتحدة، عبر تحقيقة لكتاب *"الرحلة الأوربية"* لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، وقد حصل به، سنة 2003، على جـائزة في إطار الدورة الأولى لجـائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي التي تنظمها نفس المؤسسة.

توفي ليلة الأحد 13 يونيو 2004.

*تحريات خاصة.*

حسن الوزاني

**فاطمة** بنت **أحمد** من مواليد سنة 1924 بـداوار اد منصور قبيلة آيت اعزة جماعة تيوغزة بسيدي افني. لقد أبرزت مرحلة تحرير الوطن بأن المشاركة في المعركة لم تقتصر على الرجال وحدهم بل كان للنساء فيها نصيب فعال ومشهود به. والشهيدة إحداهن إذ نبتت لديها هذه الروح الوطنية فانطلقت تقوم بدورها البطولي المتأصل لدى كل سكان المنطقة الجنوبية رجالا ونساء.

وإنه لمن الصعب حصر أعمال الشهيدة في ميدان المعركة والبطولة التي خلدت بها اسمها في سجل الكفاح الوطني بعد أن وافتها المنية إثر إصابتها برصاص العدو في إحدى اشتباكات قبائل آيت باعمران والجيش الاسباني بالمكان المدعو تكراكرة بتاريخ 11 / 11 / 1957 أسكنها الله فسيح جناته.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503253.

**فاطمة** بنت **حمدون** الشقوري الأندلسي، سيدة عابدة صالحة قانتة. هي زوجة الطيب القادري الحسني وأم العالمين أبي عبد الله محمد العربي وأبي محمد عبد السلام ابني الطيب القادري الحسني. توفي عنها زوجها المذكور وتركها في زمن كثير الأهوال والشرور والغلاء المفرط والقتل على أبواب الديار، فكانت تجتهد في قوتهم وقوتها من عمل يدها وكانت تغزل الغزل وهي معه تذكر الله حتى تجمع منه ما تنسج به شقة تبيعها وتصرف ثمنها في أجرة معلم ولديها القرآن.

كانت من الزاهدات العابدات المجتهدات، ربت ولديها على الديانة والعبادة والمروءة والصيانة واجتهدت في إرشادهما، وحرصت على إقرائهما، فأعانها الله على ذلك وأكمل مرادها في ولديها فكانا معا من أكمل الناس علما وعملا.

توفيت في ذي الحجة من عام مائة وألف بمدينة فاس، ودفنت بجوار بعلها المذكور، قرب ضريح سيدي محمد بن عباد داخل باب فتوح.

م. القادري، *الإكليل والتاج*، تح. م. دادي، ص. 601، رقم 763 ؛ *النشر*، 2 : 359 - 361.

مارية دادي

**فاطمة** بنت **عبد الرحمن** الأندلسية سيدة عابدة صالحة من أهل قصر كتامة، نزلت به أسرتها صحبة مجموعة من الأسر الأندلسية التي استوطنت المدينة في أواسط القرن السادس الهجري (12 م.) وتذكر الرواية الشفوية أنها عمة أشهر أولياء القصر العالم الزاهد أبي الحسن علي بن خلف بن غالب القرشي الشلبي (ت. 568 / 1173) شيخ الصوفية في عصره، والذي كان يلقب بالعارف.

تعتبر فاطمة الأندلسية من صلحاء الشمال القلائل الذين ذكرهم ابن الزيات التادلي في *التشوف* وحكى عنها الكشف وبعض الكرامات. عاصرت عدداً من صلحاء قصر كتامة كأبي محمد بن جميل القصري المعلم، وأبي الحسن بن غالب، وأبي محمد عبد الجليل بن موسى القصري. اشتهر صلاحها وورعها في كل أرجاء المغرب، فكان الصوفية والزهاد يقصدونها لزيارتها والتبرك بها، ومن بين من كان يزورها أبو عبد الله التاودي أحد كبار صوفية فاس في وقته.

توفيت بمدينة قصر كتامة أو قصر عبد الكريم كما كانت تعرف خلال عصر الموحدين، ودفنت بطرف حي باب الواد، وبنيت عليها قبة في العصر المريني أو بعده كانت آية في الزخرفة والنقش. وأصبح الحي الذي فيه قبرها يحمل اسم للافاطمة الأندلسية إلى اليوم.

ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، الرباط، ص. 331، تر. 167 ؛ *الرواية الشفوية.*

محمد المغراوي

**فاطمة الفهرية** هي السيدة فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني الذي وفد على المولى إدريس سنة 172 ضمن الوفود التي جاءت إلى فاس بعد بنائها.

توفي زوجها فورثت عنه مالا كثيرا فرغبت أن تنفقه في مشروع خيري يرجع على الأمة بالنفع وعليها بالفضل والثواب.

وكانت تعيش في عهد يحيى بن محمد بن المولى إدريس الذي تولى الحكم بعد أخيه يحيى بن محمد عام أربع وثلاثين ومائتين.

ويذكر المؤرخون أن مدينة فاس في أيامه كثرت عمارتها وازدهر اقتصادها وأصبحت قبلة لعدد من الوافدين من الأندلس والقيروان الشيء الذي كان يستلزم التفكير في بناء مسجد يوازي التضخم السكاني فقررت أن تقوم بذلك وأن يكون بناؤه تنفيذا للمشروع الخيري الذي كانت ترغب فيه.

وفي الحين اشترت أرضا مناسبة لما أرادت وكانت أرضا متحجرة فاستخرج العمال منها الحجارة الصالحة للبناء وحفروا الكهوف لاستخراج الرمل والبئر لاستخراج الماء وشرعوا في البناء عام 245. وتوالت الأعمال بجد ونذرت أن تصوم تقربا لله جميع الأيام التي يستغرقها البناء وحين الانتهاء من إنجازه صلت فيه شكرا وكان يشتمل على أربع بلاطات وصحن صغير ثم وقعت فيه زيادات بعد ذلك.

وصار منذ بنائه إلى الآن منهلا للعلم والثقافة ومركزا للعبادة أضاء على العالم بإشعاعه الفكري واقترن وجوده باسم تلك المرأة التي خلدها التاريخ بعملها الإحساني كما خلد أختاً لها اسمها مريم قامت بنفس العمل بعدوة الأندلس في فاس حيث بنت جامع الأندلس الذي مازال إلى الآن يعتبر من أهم مساجد فاس العامرة.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب* ؛ ع. الهادي التازي، *جامع القرويين* ؛ حسن السايح، *على هامش تاريخ القرويين*.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

**الـفـاطمي** (آيت –) الطالب ولد سنة 1930 بقلعة السراغنة انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء الشرقية سنة 1957 ضمن الفرقة التي كان يرأسها السيد منير بوشعيب بمركز أوفود بمنطقة فگيگ، وقد شارك في عدة معارك بالمنطقة منها معركة جبل كروز سنة 1958 ومعركة عبو الكحل.

توفي يوم 14 مارس 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 506722.

**فاطمي، الـعربي** ولد سنة 1903 بأولاد بوزرارة وفي سنة 1948. انخرط الفقيد في صفوف حزب الاستقلال فاطلع على مبادئه علما أن الأقليم كان مركزا لقادة من الحزب الذين اشتغلوا بالتدريب أو التجارة وهذا الوعي السياسي والوعي بالواجب الوطني دفعاه إلى الانخراط في إحدى خلايا المنطقة السرية للمقاومة بمنطقة سيدي بنور حيث تسلم مسؤولية خلية صغرى بأولاد بوزرارة بقبيلة فطناسة وكانت تعليمات التحرك والتنفيذ والاجتماع والتخطيط تعطى إليه من أحد المسؤولين بالرباط حيث كانت تقوم خليته بتوزيع المناشير والمساهمة والتحريض على إشعال النيران في ضيعات المعمرين وإتلاف خطوط الهاتف، وبسبب نشاطه الفدائي ألقت سلطات الإقامة الفرنسية القبض عليه حيث قضى مدة رهن الاعتقال وعندما أحرز المغرب على استقلالة عاد لممارسة مهامه إلى حين.

توفي يوم 29 / 7 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 519195.

**الـفـاطمي** (ابن –) **ميلود** ولد سنة 1910 بالعونات إقليم الجديدة من أبويه ميلود واسليمة.

كان وطنيا مخلصا، شارك في صفوف المقاومة السرية المغربية وعمل ضمن منطقة جيش التحرير بالعونات تحت مسؤولية البوعزاوي بن أحمد.

وقد عرف بين رفاقه في المنطقة باسم الحلاق إذ جعل منزله مركزاً للتجمع بالإضافة إلى مساعدة المنظمة ماديا، وبقي كذلك إلى أن افتضح أمره حيث بدأت قوات الاستعمار تترصده إلى أن اغتالته بتاريخ 31 / 8 / 1954.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 509115.

**الـفاطميون والـمغرب**، ارتبط الوجود الفاطمي في بلاد المغرب بالدعوة التي تزعمها أبو عبد الله الشيعي موفدا من قبل الإمام الشيعي الإسماعيلي، حيث نجح في مرحلة أولى في استقطاب قبيلة كتامة، ثم التمهيد لوصول الإمام عبيد الله المهدي إلى المغرب، وإعلان قيام الخلافة الفاطمية.

الدعوة الشيعية بالمغرب :

تعرضت الحركة الشيعية منذ نشأتها إلى شتى أصناف الاضطهاد والقمع ؛ فقد حفلت فترة حكم بني أمية وبداية دولة بني العباس بثورات وانتفاضات شيعية، كان مصير أغلبها إلى الفشل، مما ألجأها إلى العمل السري، الذي فرض عليها عدم الاقتصار على نشر الدعوة في قلب الخلافة فحسب، بل التوجه نحو الأطراف.

ويعتبر قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، إحدى ثمرات العمل السري للفرع الحسيني من الشيعة ؛ إذ ينتسب الفاطميون إلى الشيعة الإسماعيلية، نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، أحد حفدة الحسين بن علي بن أبي طالب. ويرجع تاريخ دخولها مرحلة العمل السري إلى ما بعد وفاة الإمام جعفر الصادق، 148 / 765، نتيجة التصدع الذي عرفه الفرع الحسيني في السنوات الأخيرة من حياة جعفر الصادق، بسبب وفاة ابنه إسماعيل سنة 145 / 762، وانقسام أنصاره حول خلفه في الإمامة، بين منادين بشرعية تولي محمد بن إسماعيل بن جعفر، وهم الذين عرفوا بالإسماعيلية أو السبعية ؛ وبين منادين بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وهم الذي عرفوا بالموسوية أو الإثنا عشرية.

وهكذا قامت الحركة الإسماعيلية ـ في إطارالعمل السري ـ ببعث الدعاة إلى الأطراف في خراسان والسند والهند واليمن واليمامة والبحرين ومصر والمغرب، انطلاقا من مدينة سلمية في الشام، مركز الدعوة وإقامة الإمام، في حين كانت بلاد اليمن مقراً لتكوين الدعاة قبل إرسالهم إلى مناطق الدعوة.

حظيت بلاد المغرب باهتمام الحركة الشيعية منذ وقت مبكر، فقد قام الإمام جعفر الصادق بإرسال داعيين إثنين إليها، هما أبو سفيان الذي نزل موضعا يعرف باسم "تالا"، ثم الحلواني الذي استقر بالمغرب الأوسط في موضع يعرف باسم "الناظور".

وإذا كانت المصادر لا تسعفنا في محاولة تتبع خطوات الدعوة الشيعية في بلاد المغرب بقيادة هذين الداعيين، فإنه يمكن اعتبار وصول أبي عبد الله الشيعي موفدا من قبل الإمام الاسماعيلي البداية الفعلية للدعوة الاسماعيلية في بلاد المغرب.

حل أبو عبد الله الشيعي باليمن لتلقي مبادئ الدعوة وأساليبها، حيث ظل هناك حوالي سنة واحدة، ثم التحق بمكة صحبة الحجيج، ولقي بها بعض شيوخ كتامة، وجلس بينهم محدثا بفضائل الإمام علي بن أبي طالب وأهل البيت.

وانتهت العلاقة بين الداعي الشيعي وشيوخ كتامة إلى اصطحابه معهم إلى بلادهم، التي وصلها في منتصف شهر ربيع الأول من سنة 280 / 893.

شغلت الفترة الواقعة بين وصول أبي عبد الله الشيعي إلى بلاد كتامة بالمغرب الأوسط وبين دخوله القيروان 296 / 909، جهوده من أجل تكوين جبهة داخلية متماسكة، وكذا من أجل اقتطاع مناطق على حساب نفوذ الأغالبة تمهيدا للمواجهة الحاسمة معهم. وهكذا أثمرت هذه الجهود نجاحا كبيراً تمثل في إخضاع مناطق هامة، امتدت رقعتها الجغرافية بين سطيف غربا والقيروان شرقا وبين طبنة جنوبا وقالمة شمالا.

وشهدت المنطقة صراعا مفتوحا بين الحركة الشيعية وبين دولة الأغالبة، انتهى بهزيمة الأربس 296 / 909، التي تؤرخ لنهاية الدولة الأغلبية وزوال النفوذ العباسي من بلاد المغرب.

وتبدأ علاقة الدعوة الشيعية بالمغرب الأقصى ـ أو بالأحرى أقصى المغرب كما كان يعرف آنذاك ـ عندما قرر الداعي أبو عبد الله الشيعي التوجه إلى سجلماسة لتخليص الإمام عبيد الله المهدي من سجن اليسع بن مدرار الصفري.

وإذا كان مسير أبي عبد الله الشيعي نحو سجلماسة، قد انتهى إلى استقدام الإمام الاسماعيلي إلى إفريقية، حيث دخل رقادة سنة 297 / 910 وأعلن قيام الخلافة الفاطمية، فإن هذه الرحلة ـ التي لم تستغرق أكثر من سبعة شهور ـ مكنت الداعية الشيعي من القضاء على إمارتي بني رستم في تاهرت وبني مدرار الصفرية في سجلماسة ؛ وإن كان الخلفاء الفاطميون سيعتمدون على أمراء الإمارة الثانية في حكم المنطقة، فيما بعد.

كما استطاع أبو عبد الله إخضاع القبائل البربرية التي مر من مواطنها في طريقه إلى سجلماسة، وعلى رأسها زناتة، يتقدمها أميرها محمد بن خزر، وإن كان ذلك بشكل مؤقت، إذ سوف تشكل هذه القبائل خطرا كبيراً، ظل العائق الأكبر أماما مد النفوذ الفاطمي في مجموع بلاد المغرب.

الحضور العسكري الفاطمي في المغرب الأقصى :

ينبئ اتخاذ مناد بن منقوش الصنهاجي، في أواخر عهد الدولة الأغلبية، لقلعة حملت اسمه، تقع قرب مدينة سجلماسة، عن عزم صنهاجي على الوقوف بشدة في وجه التحركات الزناتية، وحماية قبيلته من غاراتها المستمرة على مجالاتها.

وأهلت انتصارات زيري بن مناد على زناتة وعلي بعض فروع صنهاجة المعارضة لقيادته، لكي يتبوأ مكانة رفيعة وسط القبائل الصناجية، كما فتحت المجال أمامه لتحقيق مكاسب جديدة، في طريق توغله في المغرب الأوسط. وكان كل ذلك الخطوة الأولى نحو بروز الدور السياسي الصنهاجي مع الخلافة الفاطمية، الذي سرعان ما عرف نموا مطردا بلغ في نهايته إلى ولاية بلاد المغرب كلها، مروراً عبر محطتين رئيستين، هما : الاستماتة في مواجهة زناتة حلفاء أموبي الأندلس، ثم إنقاد الخلافة الفاطمية من ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني.

ويسجل العقدان الأخيران من الوجود الفاطمي في بلاد المغرب تأكيد الدور الصنهاجي في تثبيت نفوذ الدولة ليس في المغرب الأوسط فحسب، وإنما أيضا باتجاه الغرب نحو المغرب الأقصى، وهو ما يعبر عنه صراحة احتدام الصراع الصنهاجي المغراوي، على وجه الخصوص.

حظي المغرب الأقصى باهتمام الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، عندما كان بصدد إعادة النظر في التنظيم الإداري للولايات. فقد قام بتزكية ولاية زيري بن مناد على مدينة أشير وأعمالها، مع انتزاع مدينة باغاية وأحوازها منه، مما يفهم منه الرغبة في توجيه اهتمام صنهاجة نحو أقصى بلاد المغرب على حساب المغرب الأوسط. كما قام الخليفة ذاته بتوزيع ولايات برقة وسرت وأجدابية وقابس، إلى جانب فاس وسجلماسة، على رجال من صقلية وكتامة.

وعموما يمكن رصد الحضورالعسكري الفاطمي في المغرب الأقصى عبر ثلاث حملات :

1 ـ حملة مصالة بن حبوس 307 / 919، ونجاحه في كسب تأييد موسى بن أبي العافية، الذي عمل على التمكين للفاطميين في الطرف الغربي من بلاد المغرب على حساب الأدراسة (الأمير يحيى بن إدريس).

2 ـ حملة جوهر الصقلي 347 / 958، التي تمكنت من اقتحام مدينة فاس ودخول سجلماسة، وبالتالي امتداد النفوذ الفاطمي في معظم بلاد المغرب، دون المساس باستقرار الحسن بن كنون في حجر النسر.

3 ـ حملة بلكين بن زيري 362 / 973، التي نجحت في كسب تأييد صريح من الحسن بن كنون، الذي خطب باسم الخليفة الفاطمي، وتمكن من هزم جيش أموبي الأندلس عقب عودة بلكين من حملته.

قلد المعز لدين الله ولاية المغرب لبلكين بن زيري بن مناد 361 / 972. ويكشف سحبه منه كلا من صقلية وطرابلس، عن امتداد هذه الولاية لتشمل بلاد المغرب ببيئاتها الثلاث : الأدنى والأوسط والأقصى. وقد رأى مجموعة من الدارسين في إسناد ولاية المغرب لبلكين تعبيرا صريحا عن الإحباط الذي مني به الفاطميون في بلاد المغرب.

دور المغرب الأقصى في رحيل الفاطميين إلى مصر :

كانت حملة جوهر الكاتب على مصر 358 / 969 رابع محاولة فاطمية لدخول البلاد المصرية. وجاء انطلاق حملة جوهر من بلاد المغرب بعد استيفاء الإعداد لها، ومتزامنا مع اضطراب الوضع السياسي في مصر، وما ترتب عن ذلك من فوضى أفضت إلى أزمة اقتصادية تمثلت في ارتفاع الأسعار

وغلاء المعيشة، مما أوجد تذمرا شعبيا كبيرا. هذا في وقت كانت فيه الخلافة العباسية في بغداد عاجزة عن التدخل، لانشغالها بالصراع القائم بين بني بويه حول السلطة.

ولم يأت رحيل المعز لدين الله إلى مصر، إلا بعد تأكده من توازن القوى في بلاد المغرب بين صنهاجة وزناتة، ومباشرة عقب تحقيق بلكين بن زيري انتصارا ساحقا على زناتة 360 / 971، وهو أمر له دلالته في السياسة الفاطمية والمعزية خاصة، إذ ضمن الخليفة بذلك اشتداد حدة الصراع بين المعسكرين، وفي ذلك تأمين لاستمرارية نفوذه على بلاد المغرب.

وتم لجوهر الكاتب دخول مصر في 18 شعبان 358 / 7 يوليوز 969 في جيش كثيف مكنه من صد مقاومة أتباع الإخشيد. وهكذا أصبحت مصر ولاية فاطمية تابعة للخلافة في المغرب ؛ وهي الوضعية التي لم تدم إلا ثلاث سنوات فقط، إذ سرعان ما عزم الخليفة المعز لدين الله على الرحيل إلى مصر، التي دخلها في رمضان 362 / يونيه 973.

وإذا كانت المصادر والدراسات الحديثة تتفق على أن رحيل الفاطميين إلى مصر راجع إلى الصعوبات التي واجهتها دولتهم في حكم بلاد المغرب، رغم تحالف إحدى القوى القبلية الكبرى معهم، وهي صنهاجة، فإن للمغرب الأقصى نصيب وافر في اتخاذ هذا القرار. فقد استعر الصراع الفاطمي الأموي في المغرب الأقصى أساسا، ورأى الطرفان معا أن خضوعه لأحدهما يعني تهديدا مباشرا للطرف الثاني. كما أن السيطرة على المغرب الأقصى تمكن من الاستفادة من المحور التجاري الغربي، الرابط بين البحر المتوسط وبلاد السودان عبر مدن سبتة وفاس وسجلماسة.

لذلك كله لم تأل الخلافة الأموية بالأندلس جهدا من أجل دعم كل حركة مناوئة للوجود الفاطمي في بلاد المغرب عامة، والمغرب الأقصى خاصة، وهو ما ساهم بنصيب وافر في التوجه الفاطمي نحو مصر.


القاضي النعمان، *رسالة افتتاح الدعوة*، 1970 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، المجلد 1، د. ت. ابن خلدون، *العبر*، المجلدان 6 ـ 7، 1968 ؛ ابن أبي دينار، *المؤنس في أخبار إفريقية وتونس*، 1993 ؛ ابن تغزي بردي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، الجزء 3، 1963 ؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، المجلد 8 : 1966 ؛ ابن حماد، *أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم*، 1927 ؛ المقريزي، *كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار*، الجزء 1، د. ت. أبو الفداء، *المختصر في أخبار البشر*، ج 2، د. ت ؛ الكندي، *كتاب الولاة وكتاب القضاة*، 1908 ؛ حسن إبراهيم حسن، *تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب*، 1958 ؛ حسن حسني عبد الوهاب، *ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية*، ق 3، 1972 ؛ عبد الكريم بيصعين، *الصراع الفاطمي الأموي في المغرب الأقصى خلال القرن 4*، رسالة د. د. ع. 1984، مرقونة ؛ عبد الإله بنمليح، *إفريقية الزيرية*، رسالة، د. د. ع، 1987، مرقونة، رشاد الإمام، عبيد الله المهدي ومشكلة النسب الفاطمي، *المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية*، ع 40 ـ 43، 1975 ؛ الحبيب الجنحاني، الخليفة الاقتصادية للصراع الفاطمي الأموي في المغرب، ضمن كتاب *دراسات مغربية*، 1980.

F. Dachraoui, *Le califat fatimide au Maghreb*, 1981 ; H. R. Idris, *La berbérie oriental sous les Zirides*, t. 1, 1962 ; A. Pavy, *Histoire de la Tunisie*, 1977.


عبد الإله بنمليح

**فاگار**، الرايس علي من رياس البحر الرباطيين العاملين في منتصف القرن (17 م) على عهد السلطة الدلائية، في فترة تعددت فيها الملاحقات الأوربية المختلفة لسفن الجهاد. وقد سقط مركب هذا الرايس في قبضة القبطان الهولندي فيليب راس (Ph. Ras) سنة 1654، وعلى متنه أربعة وأربعون مجاهدا وثلاثة أسرى، حيث تبين أنه لم يكن يتوفر على أي إذن أو شهادة إبحار، وأودع رهن الاعتقال في مدينة قاديس.


*Les S.I.H.M.*, 1° série, Pays-Bas, t. V, p. 336.


حسن أميلي

**الفاكوات** (الباكوات أو الواكوات)، يذكر الجغرافي بطليموس بأن مواطنهم تقع بين الكاوني من جهة الشمال، والماكينيت من جهة الجنوب. بينما يضع صاحب مسالك أنطونين مواطنهم مع الماكينيت والباربار (تحريف للباڤار). وهو بهذا يقترب من أصحاب لوائح القبائل الموضوعة في نهاية القرن الثالث والقرن الرابع الميلاديين. فصاحب لائحة فيرون (Liste de Vérone) المحررة حوالي سنة 297 م، يذكرهم بعد الباڤار على أساس أنهم كلهم موريون. ويذكر بالضبط : المور الباربار (الباڤار) والمور الباكوات. بينما يجمع صاحب Liber Generationis بين الباكوات والماسيت (الماكينيت) ويشير على أنهما مور. أما القديس جيروم (Saint Gérome) الذي تنسب إليه (Excepta Latine)، فيذكر القبائل على نفس الترتيب السابق. وإذا انتقلنا إلى يوليوس هونوريوس (Julius Honorius) فنجده يذكر بأن الباربار (الباڤار) والباكوات لا يفصل بينهما إلا نهر مالڤا (ملوية).

والغريب في الأمر أن العالم الطبيعي بلينوس الشيخ لا يشير إليهم في كتابه *التاريخ الطبيعي* (*Histoire Naturelle*)، الذي خصص جزءاً منه للحديث عن موريطانيا الطنجية. وقد تعرض فيه مرات عديدة إلى الأوطولول، فلا ندري سبب هذا التجاهل. فهل يعود إلى أنه في الوقت الذي حرر فيه كتابه لم يكن للباكوات وجود ؟ أم أن الباكوات لم يكونوا يلعبون في ذلك الوقت الدور الذي يدفع بلينوس الشيخ للحديث عنهم ؟ أم أن الباكوات كانوا يحملون اسما آخر ؟ أو ربما أنهم كانوا عبارة عن عشيرة من عشائر الأوطولول ؟ وعندما تقووا انفصلوا عن القبيلة الأم (الأطولول).

وبالإضافة إلى المصادر الكلاسيكية، فقد عثر على عدد من الوثائق الإبيغرافية التي تتحدث عن الباكوات أغلبها استخرج من موقع وليلي وذلك انطلاقاً من سنوات 1919 ـ 1920. وأقدم كتابة تتحدث عنهم عثر عليها بموقع كارطينا

(تينيس الحالية Tenes بالجزائر) بموريطانيا القيصرية، وتعود هذه الكتابة إلى ما بين 117 و122 م، يعني إلى عهد هادريان.

وقد جمع فريزول النقائش البالغ عددها خمس عشرة ودرسها. وتذكر هذه الكتابات الباكوات أحياناً بمفردهم، وأحيانا أخرى بمشاركة الماكينيت والباقار، وهذا تأكيد لما ذكره بطليموس من أن الباكوات يقعون شمال الماكينيت، لأنه لكي يكون قائد الباكوات زعيماً في نفس الوقت للباكوات والماكينيت فيلزم أن تكون القبيلتان متجاورتين جغرافياً. كما أن هناك نقيشة أخرى تتعلق بالبافار والباكوات تؤكد تقاربهما جغرافياً، وهذا ما ذكره يوليوس هونوريوس عندما قال بأن الباقار والباكوات يفصل بينهما نهر مالڤا (ملوية).

إذن، فاعتماداً على المصادر والكتابات الكلاسيكية يقع الباكوات بين الماكينيت من ناحية الجنوب، والباقار من ناحية الشرق، ؛ وبما أن الماكينيت في الجنوب يقعون عند منابع نهر بورگراگ والأطلس المتوسط الجنوبي، والباقار شرق نهر ملوية، فتكون مواطن الباكوات تمتد من وسط شمال الأطلس المتوسط إلى نهر ملوية. إلا أن حدود الباكوات من ناحية الشمال صعبة التحديد نظراً لانعدام وجود الليمس. فهل تتضمن ممر تازة وملوية السفلى ؟ أم أن مواطنهم لم تكن تتجاوز وسط شمال الأطلس المتوسط ومراعيه الصيفية وتنتهي عند ممر تازة ؟

ولكن، ماذا يعني هجوم الباكوات على كارطينا ؟ فهل انتقلوا من الأطلس المتوسط إلى موريطانيا القيصرية لمحاصرة هذه المدينة رغم البعد الشاسع ؟ أم أنهم كانوا مستقرين في غرب موريطانيا القيصرية ؟ وبعد هذا الهجوم على كارطينا بين سنوات 117 و122 م اضطروا لمغادرة موريطانايا القيصرية واتجهوا إلى الغرب واستقروا بالتدريج بين الأطلس المتوسط ونهر ملوية.

وإذا افترضنا هذا الرأي، فهل مغادرتهما للقيصرية كان بمحض إرادتهم أم أنه كان مفروضا عليهم ؟ هذه تساؤلات من الصعب الإجابة عليها على ضوء المكتشفات الأثرية الحالية.

ونظراً لأن قبيلة الباكوات لعبت دورا مهما في تاريخ المغرب القديم بصفة عامة وموريطانيا الطنجية بصفة خاصة، فقد حاول بعض المؤرخين المحدثين البحث عن اسمها بين القبائل الحالية أو التي كانت موجودة في العصور الوسطى، آملين من وراء ذلك إيجاد استمرار لقبائل الباكوات. من هؤلاء كاركوبينو (J. Carcopino) الذي حاول أن يربط اسم الباكوات واسم برغواطة، وذلك بعد أن حذف حرف (ر) من بورغواطة وأصبحت بغواطة، إلا أن هذا الرأي عارضه گالان (L. Galand) في الوقت الذي يرى تيراس (Terrase) أن الباكوات أقرب إلى بقوية من برغواطة، وهي قبيلة كانت تستوطن في العصور الوسطى جزءاً من الريف وناحية تازة. وسار في نفس الاتجاه غيريلي الذي درس قبيلة بقوية التي استقرت منذ القرن الحادي عشر في الريف الشمالي، وجعلها ترتبط بقبيلة قديمة كان مجالها متسعاً ويتضمن حتى منطقة تازة.

واسم بقوية لايزال موجودا إلى اليوم في شمال المغرب قرب خليج الحسيمة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. أما بورغواطة فقد قضى عليها المرابطون والموحدون خلال القرون الوسطى.


ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي والأخضر غزال، ط. 2، 1989، بيروت، ج. 1 ؛ ابن خلدون، *تاريخ العرب والبربر*، ط. 2، بيروت، م. 6 ؛ م. أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية بين المور والرومان في موريطانيا الطنجية ما بين 140 و285 م*، د.د.ع. كلية الآداب، الرباط، 1980 ؛ م. مقدون، قبيلة المكنيتيين من خلال النقائش والنصوص الإغريقية واللاتينية، *أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية*، منشورات كلية الآداب، مكناس، 1988، ص. 149 - 157 ؛ أبو عبد الله البكري، *كتاب المسالك والممالك*، قرطاج، 1992.

Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 1-64, 1ère partie (L'Afrique du Nord), Texte établi, traduit et commenté par J. Desanges, Paris, 1980 ; Pachet Maguerite, *Rome et les berbères*, Collection Latomus, n° 110, Bruxelles, 1970 ; Roget Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Rabat, 1924 ; *Index de topographie antique du Maroc*, publications du service des antiquités du Maroc, Fasc. 8, Paris, 1938 ; Ptolémée, *Géographie*, ed. C. Muller, 1901, V, 1 - 5, p. 585 et p. 587 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 volumes , 1913 - 1928 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, 1962.


مصطفى أعشي

**فاكهاني، أحمد** بن الغالي المراكشي، أول حكم مغربي لكرة القدم، وأحد معالم الرياضة المغربية عامة، ومراكش خاصة. ولد حوالي سنة 1907 بمدينة مراكش، في الفترة التي شهد فيها المغرب بداية الاحتلال، حيث أقدمت فرنسا على اختراق الحدود المغربية الشرقية، مستغلة اغتيال الطبيب موشان بالمدينة المذكورة.

وعلى عادة المغاربة، بدأ المترجم بتعلم القرآن الكريم في أحد كتاتيب المدينة، فحفظه مبكرا. ثم انخرط في سلك التعليم الرسمي، في مدرسة القنارية، قبل أن يلتحق بالقسم الصناعي، في مدرسة عرصة المعاش. فحصل على دبلوم التأهيل المهني سنة 1932. وقد امتاز بسرعة الحفظ، وقوة الحافظة ؛ حيث استمر قادرا على استحضار الشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر، وكثير من الحكم والمواعظ، باللغتين العربية والفرنسية.

وكان رحمه الله حركيا، كثير النشاط، متعدد التوجهات، محبا للعمل ومتفهما لروح المسؤولية. وتشهد المهام المتعددة التي اضطلع بها على ذلك. وقد ساعده على النجاح في الجمع بين ما وهبه الله من بسطة في الجسم وسلامة في الفطرة. ويبدو من المفيد أن نقسم تلك المهام إلى ثلاثة جوانب.

- أما فيما يخص الحياة المهنية، فقد أهله حصوله على شهادة التأهيل المهني للاشتغال في مؤسسة "مفر" للنجارة،

قبل أن يؤسس معملا خاصا به، اعتبر الأول من نوعه بالمغرب. وإلى جانب ذلك، تعاطى المترجم استعمال آلات اللحام العصرية، فكان كذلك من أوائل مستعمليها. وتخصص في صناعة هياكل الشاحنات والحافلات ؛ فشارك في إنجاز عدد من المشاريع في ميدان البناء بصفة خاصة. وفي هذا السياق، لا بد من الإشارة إلى أنه أشرف على إعادة بناء المسجد الجامع بالحي الذي كان يقطنه. ونظرا لسبقه وألمعيته، فقد انتخب للاضطلاع بأمانة صانعي هياكل الحافلات والشاحنات، وعضوية غرفة الصناعة التقليدية. وكان هو الرئيس المؤسس لأول تعاونية للنجارين بمراكش، وأمينا لنفس المؤسسة، بعد ذلك عين عضوا للجنة الدائمة لمعرض الجنوب الكبير، ومعارض الصناعة التقليدية.

- وبصدد حياته السياسية، فقد انخرط المترجم في الحركة الوطنية، وكانت الواجهة الرياضية هي المضمار الذي استبد بعمله الوطني، كما سيتبين وشيكا. ومع ذلك فقد ناضل تحت لواء حزب الاستقلال. وبعد انفراط عقد الحماية، انتخب عضوا في أول مجلس بلدي لمدينة مراكش. فأثنى الناس على نزاهته وتفانيه في خدمة الصالح العام.

- وأما حياته الرياضية، فإن أعماله المتعددة لم تنسه الاهتمام ببدنه، حيث استهوته كرة القدم، فانضم إلى نادي الصام المراكشي، ولم يتجاوز بعد الخامسة عشرة من عمره. فحصل، مع ذلك الفريق، على ميدالية البطولة الوطنية في سنوات 1931 و1932 و1933 . ويظهر أنه استمر لاعبا حتى سنة 1937 ، حيث حصل على شهادة التأهيل الرياضي التي خولته ممارسة التحكيم. وبذلك كان أول حكم مغربي في عهد الحماية، إذ كانت تلك الوظيفة حكرا على الفرنسيين. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل دفعه شعوره المفعم بالوطنية إلى تأسيس لجنة التحكيم بالجنوب، مقابل اللجنة الموجودة بالشمال ؛ والتي كانت تحت الهيمنة المطلقة للفرنسيين. ولما بلغ مصدر القرار، وظهرت العصب، ساهم بقسط وافر في تأسيس العصبة الحرة المراكشية لكرة القدم. ونتيجة لسلوكه القويم، فقد مارس التحكيم بنزاهة، تستشف من المراسلات التي وقعت بينه وبين محمد بلحسن، الملقب بالأب جيگو، وغيره من المسيرين والحكام واللاعبين الكبار. ومن ثم لم يكن من الصدفة أن ينال المترجم ميدالية التحكيم سنة 1948. وقد وقفنا على عدد من الوثائق في ملكية أسرته، تفيد المهتم بهذا الجانب من التاريخ. وفي هذا الإبان ظهر فريق الكوكب المراكشي الذي أسهم في تأسيسه. كما أطلق اسمه على إحدى القاعات الرياضية بمدينة مراكش، تخليدا لذكراه.

وإلى جانب هيامه بكرة القدم، لاعبا وحكما ومسيرا ومتفرجا، فقد مارس رياضات أخرى، كألعاب القوى، والصيد والقنص. مع العلم بأن ذلك كله لم يكن ينسيه تلاوة القرآن والذكر والصلاة، ومختلف أعمال الخير ؛ لا سيما الوساطة لإصلاح ذات البين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي سنة 1960 ارتحل إلى المشرق، على متن الباخرة، لأداء فريضة الحج، وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم. وتبينا من خلال مستندات أسرته، أنه كان شديد الحرص على حفظ وثائقه، وتنظيم وقته، وحسن تدبير أموره، بما في ذلك تربية أبنائه التسعة الذين بلغ جلهم أعلى المراتب في الثقافة والمناصب الإدارية والتربوية. وبذلك كان نموذج الإنسان الذي جمع بين العمل لدنياه ولدينه ووطنه. وكانت وفاته رحمه الله يوم السبت 4 أبريل سنة 1998.

وثائق ومستندات الأسرة ؛ *الرواية الشفوية*.

Journaux, *Le Petit Marocain*, *La Vigie*.

أحمد عمالك

**فاكيانوس** Pacianus، قائد عسكري روماني تدخل في موريطانية سنة 82 ق.م.

كلفه القائد صولا Sulla بمساعدة الملك الموري أسكاليس Askalis. وذلك في ظروف الحرب الأهلية الرومانية الأولى التي قامت بين مريوس Marius وصولا.

ففي هذه الأثناء قامت ثورة بموريطانية، نتيجة تفاقم التناقضات الداخلية بين السلطة ومؤيديها ضد المعارضين للانفتاح على الرومان وجعل البلاد عرضة لتأثيراتها الاقتصادية والسياسية.

ونرجح أن السبب المباشر في اندلاع هذا الصراع هو وفاة الملك بكوس Bocchus الأول، الذي وقف من قبل بالمرصاد لمعارضيه، وظل متشبثا بسياسته، ومتعلقا بالسير في فلك الرومان. وبما أنه كان صديقا لصولا فإن هذا الأخير ساند الملك الجديد، لأنه يسير على نفس النهج الذي رسمه بكوس.

غير أن الثوار الموريين استماتوا في المواجهة، وبمساعدة القائد الروماني سيرطريوس Sertorius تمكنوا من تحقيق هدفهم، فقتلوا أسكاليس وفاكيانوس وولوا ملكا جديدا أغفل المصدر ذكره اسمه.

لكن هذا الانتصار لم يدم طويلا، إذ سرعان ما كلف صولا قائدا جديدا يدعى بومبيوس Pompeus بالتدخل في موريطانية وتسوية شؤونها لصالحه. وقد نجح في مهمته، ونصب على موريطانية ملكا جديدا هو مستانسيوس Mastanesosus.

م. مجدوب، *أضواء على أوضاع موروسية*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العددان 2-3، ص. 61-82، 1990 ؛ *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م.*، ر. د. د. ع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1990، فاس، مرقونة.

Plutarque, *Sertorius*, 9, 6 - 10 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, tome 8, Paris, 1928 ; M. Majdoub, Pompeus Magnus et les rois maures, dans *Africa Romana*, 12, p. 1312 - 8, 1998.

محمد مجدوب

**فال ولد عمير** من أمراء الترارزة البارزين الذين قاوموا الاحتلال الفرنسي لبلاد شنقيط. تلقى تكوينا محضريا جيداً كسائر أهل شنجيط، فكان يجيد الشعر والأدب إلى جانب

الثقافة العصرية التي حصلها في المدارس الحديثة والتي مكنته من إجادة الحديث بالفرنسية ومعرفة الثقافة الأجنبية. تولى الإمارة سنة 1951 بعد وفاة والده الديد الذي قاوم التغلغل الفرنسي في بلاد شنقيط لمدة طويلة.

بعد معركة إكوفيون التي شنها التحالف الإسباني الفرنسي على جيش تحرير الجنوب المغربي من أبريل 1958 انسحب من حكومة المختار ولد دادة التي نصبها الاستعمار الفرنسي في بلاد شنقيط لمواجهة ما كان يسميه آنذاك بالمطامع التوسعية للمغرب والتحق بالمغرب رفقة مجموعة من أعضاء هذه الحكومة الصورية مثل الداي ولد سيدي بابا ومحمد المختار ولد بّاه وإسماعيل ولد اعبيدنا وغيرهم، ووضع نفسه رهن إشارة الملك محمد الخامس والحركة الوطنية المغربية.

قضى مدة في سجن بموريتانيا نقل بعدها إلى داكار للعلاج حيث توفي بإحدى مستشفياتها، فنقل إلى نواكشوط ليدفن في تنْدگْسَمِّي (80 كلم جنوب شرقي نواكشوط) بجانب أحد أشياخه وهو محمد سالم ولد ألُمَّا.

- محمد بنسعيد آيت ايدر، *صفحات من ملحمة جيش التحرير الجنوب المغربي*، ص. 39 ـ 68 ـ 165 ـ 166 ـ 209، الدار البيضاء، 2001.

- وقد استقيت باقي المعلومات عنه من الأستاذ ماء العينين الطالب أخيار من نواكشوط عن طريق الأستاذ ماء العينين مربيه ربه.

محمد الظريف

ابن **فائدة** (القائد محمد) أحد قواد صدر العهد الحفيظي على أولاد سيدي رحال من السراغنة، وفائدة التي ينتسب إليها هي إحدى جداته، وهو شريف حسني ينتمي إلى الولي بويا عمر بن عبد العزيز بن سيدي رحال دفين زمران. اشتغل في عهد السلطان مولاي الحسن مقابلا لفلاحة المخزن بتملالة القريبة من مقر آبائه، كما أشرف على الساقية السلطانية وتسييرها ؛ وقد حسنت سيرته وكفاءته، فازدادت حظوته. كما تعاطى للتجارة بين مراكش وفاس واستعمل في ذلك وسطاء اليهود خاصة، ولتطلعه لمزيد من التألق في الخدمات المخزنية ربط علاقات صداقة وود مع قواد گلاوة وآل محمد الصغير السرغيني بقلعة السراغنة ؛ فتم تعيينه قائداً عام 1325 / 1907 من طرف المولى عبد الحفيظ ضمن قواد جدد بالسراغنة وزمران، كرحال بن الگديدة ورحال بن بوشعيب الخيراوي ومحمد اليعگوبي ... وكانوا من المؤيدين لبيعته، بعد ذلك شرع ابن فائدة في تنظيم إيالته وتنصيب شيوخه وأعْوانه عليها، كما جعل أخاه لفضالي خليفة له، إلا أن الإيالة لم تكن لتركن له فقام ضده الغوغاء من أولاد سيدي رحال وقتلوه بعد مهاجمته في داره قرب تملالت، في نفس سنة تنصيبه أي عام 1907، ولعل ذلك بسبب بقاء جلهم وفياً للمولى عبد العزيز، وهو ما جعلَ السلطان المنصب يمكث أكثرية شهر دجنبر وسط زمران والسراغنة لمؤاخذتهم على عنادهم، الذي واجهه قواد گلاوة منذ عام 1903.

ح. شوقي، *قبيلة زمران خلال القرن التاسع عشر، (1822 ـ 1912)*، ج 1، مرقون، الرباط، 2002.

C. Huot, Situation politique en chaouia, *R.G.M., t. III, 1922, p. 233* ; M. Segonzac, *Au cœur de l'Atlas*, Paris, 1910, p. 16.

الحسن شوقي

**الـفائجة** ، كان اسم الفائجة مصطلحا مخزنيا ترابيا يطلق إجمالا في القرن التاسع عشر على الأراضي والقبائل الواقعة بين السفح الجنوبي لأطلس مراكش والصحراء، ويطلق بمعنى أكثر تحديداً على مناطق الأطلس الصغير الواقعة بين جبل سيروا شمالا وجبل باني جنوبا ووادي درعة شرقا، وهي مناطق تضم مجمل القبائل التي شملها نفوذ القادة المزواريين.

إبراهيم ياسين، *جنوب أطلس مراكش تحت حكم الفرنسيين والقادة الگلاويين*، أبي رقراق، الرباط، 2003، ص. 71.

إبراهيم ياسين

**فايضي، خليفة** بن محمد ولد سنة 1921 بأولاد عمور الغربية دائرة خميس الزمامرة إقليم الجديدة.

كان من المؤسسين للمقاومة السرية بالدار البيضاء ومن الذين شاركوا في الكفاح المسلح بروح حماسية وصمود كبير.

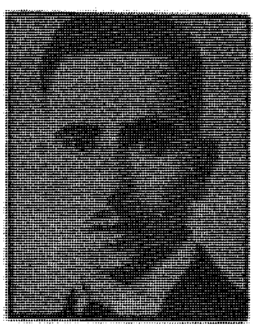

وقد قام بعدة أعمال تخريبية ضد المستعمر منها حسب ما ورد بملفه 13 آغتيالا، وتوزيع أربعة قنابل تستهدف ضرب مصالح المستعمر، كما شارك إلى جانب المرحوم بوشعيب لحريزي والمرحوم عبد القادر في عدة عمليات إلى جانب توزيع السلاح والربط فيما بين الخلايا الأخرى.

وفي سنة 1956 اختطف من طرف مجهولين من منزله حيث عثر عليه مقتولا رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520943.

**الـفتاش**، في بعض المناطق في المغرب يذكر هذا النوع من السرج بصيغة المؤنث "فتاشة" وهو مصباح تقليدي شبيه

بقنديل الزيت، بسيط في صناعته وتشغيله، وقد ظهر مع ظهور البترول ومشتقاته وخاصة الغاز السائل ؛ وهو عبارة عن علبة من القصدير أسطوانية الشكل بها ثقب في وسطها تخرج منه فتيلة مشبعة بالغاز الذي يملأ العلبة ويتم إشعال الفتيل الذي لا ينطفئ إلا إذا أراد المستعمل ذلك أي أن الرياح الشديدة لا تطفئه ومن هنا جاءت التسمية "الفتاش" أي أنه يساعد على البحث وتفقد الأماكن ورؤية الأشياء في الهواء الطلق والتنقل به وبواسطته من مكان إلى آخر حتى في الأجواء العاصفة.

ومن الفتاش التقليدي المصنوع في الغالب من علب المصبرات الأسطوانية الفارغة إلى الفتاش العصري المتقن والذي يستعمل الكازوال وهو أكبر حجما وأكثر إضاءة ودخانا، ويستعمل عادة في الليل من قبل عمال الأوراش والأشغال الجارية على جنبات الطرقات وغيرها لتظهر حدود الأوراش ومعالم الأشغال تجنبا للحوادث.

ابن أبي زرع، *روض القرطاس* ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل* (أطروحة)، مرقون ؛ مذكرات خاصة.

محمد حجاج الطويل

**فتحون البزازية،** امرأة صوفية صالحة ورد ذكرها كثيراً عند كل من ترجم للولي الصالح بمكناس سيدي محمد بن عبد الرحمن بصري، الذي أخذ التصوف وعلم الباطن على يد امرأة صالحة وذلك ما أشار إليه كل من صاحب الدوحة وصاحب *الإتحاف* : "... غير أنه يزعم أنه أخذ طريقة التصوف عن امرأة هنالك ويدعي لها أسراراً ومناقب ونحوه في *ابتهاج القلوب*. إلا أن المصادر اختلفت في تسمية تلك المرأة، فالبعض يميل إلى القول بأنها : "السيدة الجليلة ذات الأحوال الباهرة، والخوارق الظاهرة مريم بنت عبود الأندلسية دفينة رأس التاج خارج باب عيسي أحد أبواب مكناسة الزيتون". بينما يذكر البعض الآخر أن المرأة المتصوفة المقصودة هي فتحون البزازية دفينة رأس التاج، وذلك اعتمادا على ما جاء في منحة الجبار لمحمد العربي بصري : "وأخبرني بعض الأندلسيين من أهل القورجة أنها السيدة فتحون البزازية وأن السيدة مريم هي التلميذة، وللسيدة فتحون أيضا روضة براس التاج مشهورة هنالك".

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 4، ص. 28 - 34، ج 5، ص. 515 ؛ البصري محمد العربي، *منحة الجبار* ؛ ابن عسكر، *الدوحة*، ص. 84.

رقية بلمقدم

**الفتنة والفتان** ، تفيد اللغة أن فتن معناه أعجب وأمال وولّه إلى حد الخروج عن الجادة والوقوع في الضلال. والمفتون بالدنيا أو المفتتن بها من لا يهتم بسواها. والفتان أصلا هو الشيطان. ويقال بين القوم فتنة أي حرب. وقيل بنو ثقيف يتفاتنون أبدا أي يتحاربون. ودينار مفتون دينار فتن بالنار. والفتانان الدرهم والدينار. ويقال : إن كنت من أهل الفطن فلا تدر حول الفتن. ولقد نزلت آيات عديدة في القرآن تحذر من مغبة الفتنة بشتى معانيها. قال الله عز وجل في سورة الأعراف : يا بني آدم لا يفتتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون (آية، 27). وقال عز من قائل في سورة طه : ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمان فاتبعوني وأطيعوا أمري (آية، 90). وفي هذه السورة أيضا : ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (آية، 131). وجاء في الفتنة بمعنى الحرب قوله عزّ وجل في سورة البقرة : والفتنة أشد من القتل (آية، 191) وفيها أيضا : والفتنة أكبر من القتل (آية، 217). وقال في سورة الأنبياء في عبارة جامعة لكل معاني الفتنة : كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون (آية، 35).

وفي *صحيح البخاري* كتاب عن الفتنة في عدة أبواب، منه باب الفتنة التي تموج كموج البحر، فيه عن حذيفة قال : "بينا نحن جلوس عند عمر إذ قال أيكم يحفظ قول النبي (ص) في الفتنة. قال فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفّرها الصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال ليس عن هذا أسألك ولكن عن التي تموج كموج البحر. قال ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابا مغلقا. قال عمر أيكسر الباب أم يفتح " قال بل يسكر. قال عمر إذا لا يغلق أبدا". ويفهم من هذه الشواهد أن الفتنة فتنتان فتنة الفرد وفتنة الجماعة. أما فتنة الفرد فهي ميل عن الوسط إفراطا في العبادة بالتخلي عن نصيبه من الدنيا أو تفريطا في الواجبات الدينية بالانصراف المطلق إلى الماديات والشهوات. وأما فتنة الجماعة فهي خروج عن العقيدة السليمة وعن النظام الجماعي وإثارة البلبلة بالمغالاة على أولي الحل والعقد والتطرف في انتقادهم وتشغيب العامة عليهم. وكل من يدخل هذا الدرب فهو فتان يجوز للإمام محاربته ورد كيده في نحره. وما أكثر صفحات الفتنة في تاريخ المغرب. فإنها تسجل انفجار التناقضات السياسية التي ينطوي عليها المجتمع. وحيث لا يسمح المقام بتتبع ما جرى من ذلك عبر القرون والعصور، فيكفي أن نذكر أن مفهوم الفتنة ملازم للمفهوم الشرعي للدولة الإسلامية فيرمى بإثارة الفتنة كل من يروم الثورة عليها. وتنطلق أسباب الفتنة إما من أعلى الهرم الاجتماعي وإما من أسفل الطبقات. كما تنبعث من الدوائر السلطانية المركزية أو تشتعل في الأطراف النائية. وتأتي الفتنة من أعلى أو من المركز الحاكم في الغالب من اضطراب أحوال الدولة القائمة ومن انتقالها إلى طور الأفول والهرم بناء على النظرية الخلدونية أو لما كان من عادة الملوك من تقسيم ممالكهم بين ذريتهم المتعددة، فتندلع الحروب بينهم حتى يفوز بالملك

أقواهم عصبية أو تتغلب عليهم دولة جديدة. وقد حصل ذلك في تاريخ المغرب مراراً وتكراراً فعقد له صاحب الاستقصا أبوابا متلاحقة، مثل باب حدوث الفتنة بين بني إدريس في القرن الرابع (العاشر من الميلاد). وباب فتنة الخلط مع الرشيد الموحدي واستيلاؤهم على حضرة مراكش في القرن السابع (الثالث عشرم.)، وباب حدوث الفتنة بين السلطان يعقوب المريني وابن الأحمر وما نشأ عن ذلك من حصار الجزيرة الخضراء، وحدوث الفتنة بين السلطان أبي سعيد والسلطان أبي فارس الحفصي سنة 827 / 1423. كما عقد المؤرخ المذكور بابا عن رياسة اليهوديين هرون وشاويل وما نشأ عن استبدادهما من المحنة والفتنة في السنوات الأخيرةمن الدولة المرينية. ثم كان من الفتن ما كان بعد وفاة المنصور الذهبي السعدي فعقد الناصري بابا عن انحراف أهل مراكش عن طاعة زيدان وبيعتهم لأخيه أبي فارس وما نتج عن ذلك من الفتن. وفيه ذكر الحديث القائل إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الأخر منهما، ذلك بأن الفتنة هي الفوضى ولا سبيل إلى عبادة الله وإلى قضاء حاجات الدنيا بدون سلم وسكينة. وينعدم ذلك بمجرد ما تضطرب أحوال إمارة المؤمنين مثلما جرى بعد وفاة المنصور الذهبي (مطلع القرن 11هـ / 17م) وبعد وفاة المولى إسماعيل العلوي (القرن 12هـ / 18م) عندما قام أولاده يتناحرون على الملك بمعاونة عبيد البخاري وقبائل الجيش وغير الجيش (بعقد الجيم). ومما يثير الانتباه أن المؤرخين وسموا تلك المرحلة من تاريخ الدولة العلوية بأنها "الفترة"، ذاكرين كل ما وقفوا عليه مما تخللها من أسباب الفتنة العظمى. وكان الذي أخمد نيرانها هو السلطان محمد بن عبد الله (1170 ـ 1204 / 1757 ـ 1790). بيد أنه ما أن وافاه الأجل المحتوم حت قامت الفتنة بين ورثته إلى أن تغلب منهم المولى سليمان فاجتمعت الكلمة عليه وامتد حكمه زهاء ثلاثين سنة كانت السنوات الأخيرة منها كلها فتن وقلاقل. وكان آخر ما تجلى من الفتن بسبب اضطراب أحوال الدولة من جهة رأسها هو قيام المولى عبد الحفيظ على أخيه السلطان المولى عبد العزيز سنة 1325 / 1907. أيام اشتداد الحصار الاستعماري على البلاد فتزعزعت الأعمدة في المركز والأطراف على حد سواء. وكان من اضطراب الأطراف يومئذ ثورة الجيلالي الزرهوني المدعو بوحمارة الذي يمكن اعتباره آخر تجسيد للفتان على ما وصف عليه منذ قيام الدولة الإسلامية في المغرب، بدءاً بمحمد بن هود السلاوي المعروف بالماسي في عهد عبد المؤمن الموحدي إذ وصفه ابن عطية بأوصاف لم يفتأ المؤرخون يرددونها بحسب ما تيسر لكل واحد منهم من البلاغة فقال : "وكان مقدمهم الشقي قد استمال النفوس بخزعبلاته فأتته المخاطبات من بعد وكثب واستلب إليه الرسل من كل حدب وصوب واعتقدته الخواطر أعجب العجب" (ج 2، ص. 11). ثم لما صارت الدولة الموحدية إلى الانتشار، قام عليها محمد ابن أبي الطواجين الكتامي المتنبي، عرف بأبي الطواجن لكثرة ما كان يستعمل منها فيما ينتحله من الكيمياء فتتبعته الغوغاء ثم ادعى النبوة وشرّع الشرائع وأظهر أنواع الشعبذة فكثر أتباعه ثم اطلعوا على خبثه فنبذوا إليه عهده" وذلك سنة 625 / 1227. وكان من ذلك أيضا سنة 993 / 1584. ثورة الحاج قرقوس تسمى أمير المؤمنين ولم يكن في أول الأمر سوى حائك تلبس بالزهد والصلاح واعتقدته العامة إلى أن "أخذ وقتل وحمل رأسه إلى مراكش وانقطعت مادة فساده فلم تبكه أرض ولا سماء" (ج 5، ص. 117). وفي القرن الثاني عشر / الثامن عشر تصدى السلطان محمد بن عبد الله لفتان مماثل اسمه أبو الصخور الخمسي. قال الناصري : "كان يظهر التنسك والعبادة ويزعم أنه يستخدم الجن فكان للعامة فيه اعتقاد كبير ثم صار يقول للناس هذا السلطان لا تطول مدته فأخذه السلطان وقتله وبعث برأسه إلى فاس". وجرى مثل ذلك في القرن اللاحق في عهد محمد بن عبد الرحمان مع الجيلالي الروگي الذي ذكرنا ثورته في هذه المعلمة فلتنظر في مكانها.

بيد أن الفتنة ليس لها دائما رأس معيّن. فقد تقوم جراء شغب القبائل أو الزوايا أو الحواضر التي يتشكل منها المجتمع المغربي. فمن ذلك فتنة قبائل الخلط العربية مع الرشيد الموحدي واستيلاؤهم على مراكش سنة 632 / 1234. ومنها فتنة قبائل الشاوية ووصولهم إلى المغرب في نهاية العهد المريني. ومنها ظهور بدعة الشراقة من الطائفة اليوسفية. قال الناصري : "واعتقد هذا المذهب الخسيس كثير من الغوغاء وأجلاف العرب وأهل الأهواء من الحواضر" (ج. 5، ص. 50 ). وافتتنت قبائل آيت إدراسن بالأطلس المتوسط أيام الفترة في القرن الثاني عشر / الثامن عشر. وتجددت فتنة القبائل الأمازيغية بتلك الجبال حول الزاوية الحنصالية في السنوات الأخيرة من عهد المولى سليمان في طليعة القرن الثالث عشر / التاسع عشر. أما الحواضر فالذي جرى فيها من الفتن أكثر من أن يحصى على اختلاف المكان والزمان. وسبب ذلك كثافة العمران واختلاط الملل والنحل التي كانت تكبث غضبها وأهواءها تحت السلطان القوي وتفجر كل ذلك عند انخضاد شوكة الدولة، مثلما حدث غداة وفاة المنصور الذهبي السعدي أو في مطلع عهد المولى إسماعيل العلوي وكأن العامة تريد اختبار قوة كل سلطان جديد. قال الناصري : "وهاجت فتنة بفاس قتل فيها نفر من أولاد الثائر المقدم أبي الربيع سليمان الزرهوني مولاي حفيد بن إدريس أخا الشريف المذكور فكان ما كان مما لست أذكره" (ج 7، ص. 48). وكذلك ثار الضباغون على السلطان المولى حسن بعد مبايعته سنة 1290 / 1873، مطالبين بإلغاء المكوس ولكنهم سرعان ما أدركوا أن لا طاقة لهم بحزمه وعزمه. وقد تشتعل نيران الفتنة لأدنى سبب أو ميلا مع ما يشاع من الإشاعات في العامة. قال الناصري : "في سنة إثنين وثمانين ومائتين وألف (1865) حدثت فتنة بفاس وذلك أن الناس كانوا في صلاة الجمعة بمسجد القرويين خامس ربيع

الأول وكان فيهم التاجر الأمجد أبو عبد الله الحبيب بن هاشم ابن جلون الفاسي فلما سجد مع الناس شدخ بعض اللصوص رأسه بحجر كبير من أحجار التيمم التي تكون بالمسجد ثم انحنى عليه بخنجر كان بيده فقطع به صفاق بطنه وساوره التاجر المذكور وما بالعير من قماص. ولما وقعت الضجة قطع الناس صلاتهم وخرجوا فارين من المسجد وتركوا ثيابهم ونعالهم ومصاحفهم وغير ذلك فقائل يقول إن الإمام المهدي قد خرج وآخر يقول إن الناس يذبح بعضهم بعضا في الجامع واهتزت المدينة ثم تراجع الناس بعد حين. وأما اللص فإنه خرج شاهراً سلاحه حتى وصل إلى باب المسجد فإذا به قد أدار حبالا كثيرة من تحت الثياب على بدنه فقتلوه هنالك [...]" (ج 9، ص. 115). وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الفتنة كانت نائمة في المجتمع المغربي قبل الحماية، ويكفي أدنى سبب لإيقاظها فتنفجر التناقضات وتضطرب الأحوال وتتجلى هشاشة البنيات الاجتماعية. أما بعد الحماية، فإن مفهوم الفتنة سوف يختفي من القاموس السياسي المغربي بسبب ما أدخل على البلاد من التغيير. فإذا اعتبرنا أن الفتنة كانت قديما تعبيرا عن حيوية المجتمع ومتنفسا يمكنه من الصدع بهواجسه وتطلعاته وتشوفاته، فإن المجتمع المغربي خرج من مقاومة الاستعمار ومن معركة استرجاع سيادة البلاد والاستقلال بوسائل جديدة للتعبير عن حيويته والصدع بما يختلج في الصدور. فالدستور والحزب والنقابة والجمعيات على اختلاف مشاربها والصحافة والمظاهرات السلمية في الشوارع والأزقة وما إلى ذلك من الوسائل النظامية الرصينة لإبلاغ الحكام بما تريد الجماهير الشعبية إبلاغهم به، كل ذلك يوحي بثقافة سياسية تختلف تماما عما كانت عليه الأمور في السابق فكأن الفتنة استحالت باستحالة الافتتان على الوجوه التقليدية، مما لا يعني أن الشارع المغربي قد التزم السكينة المطلقة، فإنه هاج وماج في عهد الملك الحسن الثاني عدة مرات في الدار البيضاء وتطوان ومراكش وفاس. ولكن ذلك سمي بالشغب أو بالاحتجاج أو بالانتفاض ولم يوسم بالفتنة إلا على سبيل المجاز.

أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 9 أجزاء، 1960.

إبراهيم بوطالب

**الفتوح**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Fath. ومن أبرز أفرادها : محمد بن محمد كان من بيت عدول تطوان سنة 1052 (1642) ومحمد بن عبد السلام كان من أبرز فقهاء تطوان وكان على قيد الحياة سنة 1162 (1652).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الفتوح** (باب -) يعد من الأبواب الرئيسية بفاس، وهو يقع بالسور الشرقي لعدوة الأندلس، شيد في مرحلة عسيرة من تاريخ المدينة تمثلت في الصراع المرير بين الأخوين الشقيقين : الفتوح وعجيسة ابني دوناس بن حمامة. فبعد وفاة هذا الأخير عام 452 / 1060، تولى ابنه الأكبر الفتوح شؤون المدينة واتخذ عدوة الأندلس مقرا له، في حين أسند إلى أخيه الأصغر عجيسة أمر عدوة القرويين. وبما أن هذا الأخير كان طموحا، فقد أعلن الثورة ضد أخيه مستفيداً من مورفولوجية المدينة وتكوُنها من عدوتين مستقلتين عن بعضهما البعض. وأمام احتدام الصراع بين الطرفين قام الأمير الفتوح ببناء قلعة منيعة وباب جديد بعدوة الأندلس بغية تعزيز الوسائل الدفاعية لمدينته، وبالمقابل قام أخوه عجيسة بإنشاء قلعة وباب بعدوة القرويين، وقد أخذ كل باب اسم صاحبه وبانيه. وهكذا يتبين بأن باب الفتوح شاهد على إنجاز مجموعة ثانية من الأبواب بأسوار عدوتي فاس وذلك بعد الأبواب الأصلية التي أقيمت أثناء إنشاء المدينة خلال العهد الإدريسي.

ومنذ تشييده قام باب الفتوح بأدوار مختلفة ذات طابع عسكري واقتصادي وتواصلي (خروج الجيوش المتوجهة نحو المناطق الشرقية، ودخولها، تجمعها بجواره، إدخال السلع والبضائع، تنقل من وإلى المدينة الخ) ومع أن عدداً من أبواب فاس أغلقت بسبب الفتن والمجاعات التي توالت على فاس خلال العقدين الثالث والرابع من القرن السادس الهجري، فإن باب الفتوح استمر في أداء وظيفته.

وتعرض باب الفتوح لتحول كبير خلال الفترة العلوية، ذلك أن السلطان العلوي المولى سليمان أمر عام 1213 / 1798 بفتح باب آخر بإزاء باب الفتوح أكبر منه على قدر باب المحروق ... وخط الباب الجديد بإزاء باب الفتوح.

الظاهر اذن أن باب الفتوح القديم كان صغير الحجم قبل أن يتم بناء باب ضخم بإزائه أيام العلويين. وتدخل عملية توسيع باب الفتوح والزيادة فيه في إطار مشروع كبير للمولى سليمان استهدف ترميم أسوار فاس وأبوابها، علما بأنها تعرضت عام 1142 / 1729 لعمليات الهدم من قبل حمدون الروسي عامل السلطان المولى عبد الله على فاس.

يمثل باب الفتوح إحدى المعالم التاريخية والأثرية بفاس، وهو يعطي نموذجا حيا لمدى قدرة المعلمين والفنانين المغاربة على تكييف المعمار مع التطورات التاريخية. فالبالرغم من تعدد التدخلات وعمليات الترميم لباب الفتوح فإنه ظل منسجما ومتناسقا مع المشاهد المعمارية والعمرانية الأصلية المحيط به.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، 1970 ؛ الجزنائي، جنى زهرة *الآس*، ط 1، 1971 ؛ الزياني أبو القاسم، *البستان*، الرباط، 1992 ؛ الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، الدار البيضاء، جزءان، 1988.

الحاج موسى عوني

**الفتوى**، تعني لغة الإبانة والإجابة عن مسألة من المسائل، وتفيد اصطلاحا الإخبار بحكم شرعي من غير إلزام حول واقعة من الوقائع سواء أكانت هذه الواقعة متكررة أم نادرة الحدوث، أو كانت قديمة أم مستجدة، أو كانت حقيقية أم افتراضية. والفتاوى بهذا المعنى، ترادف النوازل والمسائل والأجوبة مع فارق بسيط يتمثل في كون النوازل تختص حصرا بالحوادث والقضايا التي جرت في الواقع، في حين تتضمن الفتاوى الأحكام الشرعية التي وقع الإفتاء بها حول مسألة من المسائل المسؤول عنها، سواء حدثت أم لم تحدث. وتتردد في القرآن الكريم في مواضع متعددة وعبر سياقات مختلفة لفظتا الفتوى والسؤال بمعاني متشابهة. يقول الله تعالى في سورة البقرة "يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير" (الآية، 215) ثم "يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس" (الآية، 217) وأيضا "ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير" (الآية، 218 ) وفي سورة النساء يقول عزّ شأنه "ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن" (الآية، 127) ثم "يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة" (الآية، 176).

وتتألف الفتوى في بنيتها العامة من سؤال وجواب. فأما السؤال فيعرض إلى تفاصيل النازلة وملابساتها كما جرت في زمان ومكان محددين. وأما الجواب فيتضمن الحكم الشرعي الذي يقدمه الفقيه المستفتى على ضوء الضوابط الجامعة والنصوص المقررة في القرآن والسنة وكتب شيوخ المذهب المالكي التي ظلت تمثل مراجع ثابتة فيما يتصل بأبواب الفقه والفتوى في منطقة الغرب الإسلامي بأتمها. كما يعرض الجواب أحيانا أخرى كذلك، لآراء بعض الفقهاء، قدامى كانوا أو معاصرين، ممن كان لهم نظر واجتهاد وتحقيق بخصوص نفس النازلة، إما على سبيل الاستئناس والمحاججة تارة، وإما على سبيل القياس والمقارنة تارة أخرى، وذلك لاستنباط الأحكام الفقهية وتحقيق المناط الشرعي. وينتهي مساق الفتوي بذكر اسم الفقيه الذي جرى استفتاؤه أحيانا، وبإثبات أسماء الشهود الذين حضروا الفتوى وتاريخ البث فيها وهي حالة قلما تتكرر عبر ثنايا الفتاوى.

أما تبويب كتب النوازل والفتاوى فقد كان يتم وفق نمط ترتيبي معلوم تركه مالك ابن أنس وتبعه خليل في ذلك فيما بعد، حيث كان يخصص القسم الأول منها للعبادات فيما كان يخصص القسم الثاني للمعاملات. وبالنسبة لجامعيها فقد يكون فقيها واحدا أو مجموعة من الفقهاء معاصرين لجامعها أو سابقين لعصره وقد يكون تلاميذ الفقيه المفتي أو أقاربه، إلا أن ما يلاحظ في هذا الشأن هو أن عملية الجمع هاته لم تكن تقف عند مستوى التصنيف والتبويب فقط، وإنما كانت تتعداها أحيانا إلى التدخل لإبداء الرأي حول نازلة من النوازل إما من خلال تأييد الحكم الوارد في شأنها وتعزيزه بأدلة تفصيلية جديدة أو من خلال معارضته والرد عليه ببيان أوجه القصور التي تعتري محتواه وبناءه، وقد يصل هذا التدخل، في أحيان أخرى، إلى حد صياغة تأليف قائم بذاته حول مسألة من المسائل المطروحة في سياق من السياقات إما في صيغة خطبة أو رسالة أو تقييد مستقل. أما فيما يتصل ببنية الفتاوى فإن حجمها عموما كان يختلف بين الطول والقصر تبعا لنوعية النازلة المستفتى عنها (نظرية أم واقعية) ومكانة المفتي بين معاصريه ومستوى تكوينه الفقهي وكفاءته العلمية.

ولما كانت خطة الإفتاء من الخطط الدينية جليلة القدر والرتبة، عظيمة الحرمة والقداسة لما لها من دور مؤثر في توجيه حياة المجتمع وتنظيم أحواله ومجرى معاملاته وفق مقتضي أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها النبيلة، فإن تقلد شأنها لم يكن أمراً مرسلا مفتوحا في وجه كل من أنس من نفسه القدرة على الإفتاء، وإنما اشترط العلماء في من يتولى أمرها أن يكون عدلا عارفا بكتاب الله عز وجل وبناسخه ومنسوخه وبمحكمه ومتشابهه وبتأويله وتنزيله وبمكيه ومدنيه، محيطا بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ملما بعلوم اللغة العربية وبالفقه وأصوله، مستحضرا نصوص المذهب الذي يفتي به، مميزاً بين عامها وخاصها ومطلقها ومقيدها، مستوعبا اصطلاحات العلماء، مطلعا على أحوال الناس وعاداتهم وأعرافهم وبما يجري به عملهم، متعودا على مراجعة كتب الفتاوى وأقوال الأئمة، حتى يكتسب ملكة الفتوى ويمتلك الدربة وحسن الصنعة التي تؤهله لتنزيل الأحكام على القضايا تنزيلا محكما وتطبيق كليات علم الفقه على جزئيات الوقائع تطبيقا سليما ومتصبرا ... الخ.

وبحكم ما عرفته بلاد المغرب منذ أن أشرقت على أرضها شمس الإسلام إلى يوم الناس هذا، من حوادث وملمات ومشكلات مختلفة مست كافة شؤون حياتها الدنيوية والأخروية من عبادات ومعاملات، فإن أهلها لم يكفوا عن سؤال أهل العلم والورع والتقوى من الفقهاء والعلماء واستفتائهم عن حكم الشرع وموجباته فيما يعرض لهم من وقائع ونوازل ويجدّ في حياتهم من مستجدات ومسائل. فكان بذلك أن نشأت خطة الفتيا وتطورت في تاريخ المغرب وصارت من الخطط الدينية الست التي يقوم عليه وجود الدول وانتظام شؤونها، وأصبح للمنتصبين لها في المجالس العلمية والحلقات الدراسية والجوامع الكبرى شأن وازن ومميز في مختلف مناحي الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية بل والسياسية كذلك. وإذا كانت هذه الخطة قد بقيت مطلقة من كل قيد أو حجر غير خاضعة لأي تنظيم أو تقنين من قبل السلطة الحاكمة يمارسها كل من حمدت سيرته بين الناس من جمهور الأئمة والفقهاء والقضاة وأدرك درجة عليا من العلم والمعرفة، فإنها تحولت مع أواسط القرن الثامن الهجري (14م) إلى وظيف رسمي خاضع لإشراف الدولة وتوجيهها. وهو تحول لم تكتمل ملامحه التنظيمية والعلمية بصورة أوضح وأوثق إلا مع مجيء دولة الأشراف السعديين مطلع القرن العاشر الهجري / 16 (م). حيث صار المفتي شأنه شأن

القاضي يعين بظهير رسمي من قبل السلطان في كل حاضرة من الحواضر الكبرى الثلاث التي كان يوجد بها قاضي الجماعة وهي فاس ومراكش والمحمدية، (تارودانت) وأمسى يومها كل من يترقى هذا المرقى يحظى بمكانة عالية من التقدير والإجلال حتى وإن لم يكن من اختصاصه إصدار أحكام إلزامية، لأنه كان هو أول قاض بعد السلطان، إليه ترفع أحكام القضاة من طرف المتقاضين على وجه الاستئناف لتقويمها أو الإفتاء ببطلانها، وإليه كان يلجأ المتداعون للاستشارة القانونية في أمهات القضايا وأدق الملمات للحصول على فتاوى قصد عرضها على أنظار القضاة للاستناد إليها في صياغة الأحكام الابتدائية أو للطعن في أحكام صادرة عن المحكمة بدت غير منصفة، وهي مهمة استمر المفتون يضطلعون بها أيما اضطلاع إلى غاية عهد الحماية.

على أن تولي خطة الإفتاء لم يكن ليمنع بأي حال جماعات المفتين على امتداد فترات تاريخ المغرب من مزاولة وظائفهم وأنشطتهم الأخرى الموازية. حيث كان بعضهم يزاوج في آن واحد بين مهمة الإفتاء ومهام القضاء والتدريس في حين كان البعض الأخر يجمع بين وظيف الفتيا والتدريس والإمامة والخطابة ونظارة الأحباس .. الخ. ومع ما كانت تستوجبه هذه الخطة الدينية من تحر للصدق والعدل والنزاهة سواء في إنشاء وتقرير الأحكام الشرعية أو في الجهر بها والدعوة إلى الالتزام بها باعتبار أن "المفتي مخبر عن النبي وموقع للشريعة على أفعال المكلفين بحسب نظره كالنبي ..." (الموافقات، 4. 244. 246)، فإن كثيراً من المفتين من أهل الصلاح والفضيلة كانوا يتبرمون من تولي هذا المنصب ولا يأتونه إلا وهم مكرهين في أغلب الأحيان، وذلك حتى يبقون بعيدين عن ساحة المخزن ورموزه تجنبا لكل إحراج ناقم أو تفريط مخل بالأمانة، ومن جهة أخرى، حتى لا يختلطوا مع من كان يسند إليه هذا الوظيف وهو يفتقد لشروط الأهلية والكفاءة اللازمة لتقلده علما واستقامة ونزاهة.

ومما تجدر إليه الإشارة في هذا الإطار، أن جمهور المفتين على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم قد لعبوا عبر مسيرة تاريخ المغرب أدواراً على جانب كبير من الأهمية والخطورة. فبالإضافة إلى مهمة الإفتاء في كل ما يعرض لحياة الناس من مشاكل ونوازل سواء أكانت تهم دينهم ودنياهم أم عقائدهم ومعاملاتهم أو تتعلق بسكان المدن والبوادي أو بالأفراد والجماعات، كان المفتون يساهمون مساهمة فعالة في استقرار الحياة السياسية وانتظام أحوالها، وذلك من خلال حضور عقود البيعة وإقرار مشروعيتها إلى جانب هيئة أهل الحل والعقد، وكذا من خلال استصدار فتاوى تزكي مواقف السلطة أحيانا من بعض القضايا والمستجدات السياسية الطارئة على البلاد، فضلا عن المشاركة العملية والهادفة في بعض الاستشارات السياسية التي كان يجريها بعض أولياء الأمور خاصة في بعض الظروف الدقيقة والاستثنائية حينما يقر عزمهم مثلا على القيام بعمل من الأعمال ذي بال أو إصدار قرار من القرارات البالغة الشأن والخطورة. علاوة على هذا وذاك، كان المفتون بوصفهم الضمير الحي للمجتمع والهيئة المؤتمنة قولا وعملا على قداسة وحرمة الشرع الإسلامي، يدعون إلى الجهاد وتعبئة الناس للانخراط فيه حينما يحدق بالبلاد خطر من الأخطار الأجنبية، كما لم يكونوا يتورعون في مناسبات عديدة عن الدعوة إلى الإصلاح والتغيير حينما يشيع بين الناس أو يصدر عن الماسكين بالسلطة ما يدعو إلى ذلك ويستوجبه.

ونظراً لما تكتنزه مجموعات كتب النوازل والفتاوى من معلومات وإفادات هامة ومتنوعة حول ما كان يجري داخل واقع المجتمع من قضايا ومستجدات عارضة أو متجددة على مر الحقب والأزمنة سواء على الصعيد الديني أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي، فإنها صارت اليوم تشكل مصدراً معرفيا وتاريخيا لا محيد عنه بالنسبة للباحثين والمختصين في مختلف حقول المعرفة الاجتماعية والدراسات الفقهية، إلا أن استغلالها الاستغلال الأنجع والأفضل لازال، مع ذلك في بداية الطريق، نظراً لما تطرحه المادة العلمية والأدبية التي تحتويها هذه المصنفات الفقهية الجامعة من مصاعب منهجية وعلمية معقدة.

إ. منظور، *لسان العرب*، بيروت، م 15 ؛ إ. خلدون، *مقدمة*، بيروت، 1981 ؛ إبن قيم الجوزية، *أعلام الموقعين*، راجعه وقدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد، بيروت ؛ عبد العزيز الزياتي، *الجواهر المختارة*، مخ، خ. ع. رقم 66 ؛ أبو العباس أحمد الونشريسي، *المعيار المعرب*، خرجه جماعة من الفقهاء، بيروت، 1981 ؛ ابن رشد، *فتاوى*، تح. المختار التليلي، بيروت، 1987 ؛ ق. عياض، *مذاهب الحكام*، تح. محمد بن شريفة، بيروت، 1990 ؛ إ. فرحون، *الديباج المذهب*، تح. مأمون بن محي الدين الجنان، بيروت، 1996 ؛ المهدي الوزاني، *المعيار الجديد الجامع المعرب*، قابلة وصححه، عمر بن عباد، الدار البيضاء، 1996 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1976 ؛ *نظرات في النوازل الفقيهة*، الدار البيضاء، 1999 ؛ ع. الجيدي، *محاضرات في تاريخ المذهب المالكي*، الدار البيضاء، 1987 ؛ م. فتحة، *النوازل والمجتمع*، الرباط، 1999 ؛ ل. اليوبي، *الفتاوى الفقهية في أهم القضايا*، المحمدية، 1998 ؛ ح. العبادي، *فقه النوازل*، الدار البيضاء، 1999 ؛ ندوة *النوازل الفقهية وأثرها في الفتوى والاجتهاد*، الرباط، 2001 ؛ م. مزين، التاريخ المغربي ومشكل المصادر : نموذج النوازل الفقهية، مجلة، كلية الآداب، فاس، 1985.

الفقيه الإدريسي

**فْتيتَحْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Fatih ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ؛ مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت بحومة الطرانكات دار تحمل اسم هذه الأسرة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**فتيّح**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Fatih ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الفج** (معركة -) وقعت المعركة قرب المكان المسمى بسهب الرياح الواقع بين قبائل أولاد علي وأولاد خليفة وأولاد عمران بتاريخ 29 يوليوز 1911، وكانت معركة حامية الوطيس استشهد فيها العديد من المجاهدين الزعريين. وإثر هجوم شديد نفذه مجاهدوا زعير على معسكر (مارشان) يوم 31 غشت 1911 قتل فيه أربعة جنود من المحتلين، تقدمت قوة كبيرة من جيش الاحتلال إلى الشرق وخيمت قرب عين الفج. بفرقة الهداهدة من قبيلة أولاد خليفة. وفي منتصف ليلة 2 شتنبر 1911 شن المجاهدون الزعريون هجوما شديدا في الساعة الثانية بعد منتصف الليل واستمرت المعركة إلى مطلع النهار حيث تمكنت قوات الاحتلال من إبعاد المجاهدين بواسطة المدفعية ؛ بعد أن تكبدت خسائر محسوسة ذكرت منها الرواية الفرنسية 9 قتلى و31 من الجرحى وكان من بين القتلى القبطان كريستيان الذي أطلق اسمه على قرية الزحيليكة والليوطنان تيبري دي مونكلان.

ع. الخديمي، *مقاومة زعير للاحتلال الفرنسي*، ندوة أگادير ؛ ع. المجيد التركي، *مقاومة زعير*، مخطوط مرقون ؛ *تحريات ميدانية*.

علال الخديمي

**الفجر** (جريدة -) ظهرت أول الأمر بطنجة في 27 يونيو 1908 لمناصرة المولى عبد الحفيظ ضدا على أخيه المولى عبد العزيز. ولما كانت تبشر بعهد جديد، فإنها كانت تحلي صفحتها الأولى بجملة تنم عن ذلك، ونصها : "لولا سواد

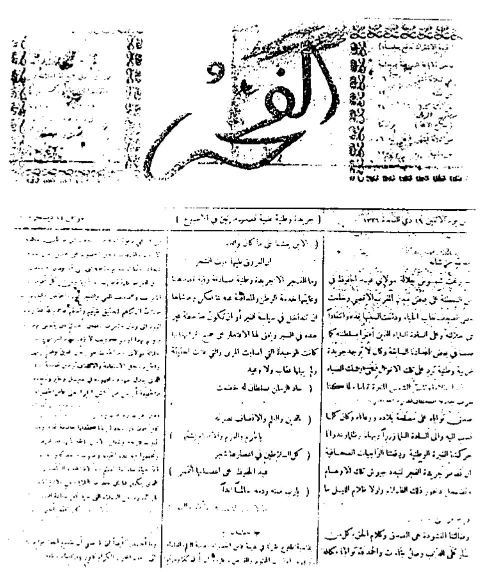

الليل ما طلع الفجر". وفضلا عن ذلك، تقدم الفجر نفسها كـ"جريدة سياسية أدبية تجارية اقتصادية صادقة وفية". أما صاحبها فهو المدعو "وافي"، وهو اسم مستعار لرجل أعمال فرنسي اسمه الحقيقي "إرنست فافيي بولي" Ernest Vaffier-Pollet . وقد أوكل هذا الأخير مهمة تحرير الفجر إلى الصحفي الشامي المسيحي نعمة الله الدحداح.

ولما كان الخط السياسي لهذه الأسبوعية مناوئا للمخزن العزيزي، فإن دار النيابة قد بادرت إلى حظر صدور الجريدة بعد عددها السابع لكن، بمجرد أن استتب الأمر للمولى عبد الحفيظ، استأنفت *الفجر* نشاطها في فاس، وذلك بتاريخ 14 دجنبر 1908. غير أن هذه "السلسلة الجديدة" لم تعمر طويلا إذ لم تتجاوز عددين اثنين (14 و20 دجنبر 1908). ذلك أن بعض الشخصيات المغربية قد فطنت إلى الدور المريب الذي كان يقوم به "الوافي" في حاشية المولى عبد الحفيظ، حيث كان يتجسس على حركات السلطان وسكناته لفائدة الوزارة الخارجية الفرنسية. وفي هذا الصدد أنشد أحمد البلغيثي البيتين التاليين :

أقول مقال فتى عارف ... يجاهر بالحق عن ملء فيه
إذا طلع الفجر من مغرب ... فقرب القيامة لا شك فيه

وأردف البلغيثي في ديوانه قائلا بأن شيوع هذين البيتين على ألسنة الكبار والصغار في حاضرة فاس هو الذي جعل المولى عبد الحفيظ يأمر بتوقيف إصدار جريدة *الفجر*.

ديوان أحمد البلغيثي، مخطوط، ج 1، ص. 287، المكتبة الوطنية، الرباط، رقم : د 3662 ؛ جامع بيضا، صحافة طنجة، مرآة للصراع الدولي حول المغرب، 1900 - 1912، في طنجة في التاريخ المعاصر، 1800 - 1956، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ومدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، 1991، ص. 205 - 218.

L. Mercier, La presse arabe au Maroc, in la *Revue du Monde Musulman, janvier-février 1909*, p. 128 - 133 ; *Archives du Quai d'Orsay*, Paris, Nouvelle Série-Maroc, vol. 196.

جامع بيضا

**الفجل** أو علميا رافانوس ساتيفوس Raphanus sativus نبات من فصيلة اللفتيات Brassicaceae وهو يعتبر من النباتات الحولية أو ثنائية الحول التي تنتمي إلى الخضراوات التي تخزن غذاءها الإحتياطي في الجذر والتي تأكل عادة نيئة أو ممزوجة بعصير الحوامض، وفي بعض الأحيان مطبوخة. ويعتبر الفجل عنصراً لكثير من السلطات، وهو يساعد على الهظم.

يزرع الفجل قديما في المغرب وخصوصا في ضواحي المدن العتيقة كفاس ومكناس ومراكش حيث يكون عنصرا مهما في الموائد الغذائية للأسر الموسرة، لما له من فوائد طبية وغذائية.

يشمل الفجل ضروبا عديدة تختلف فيما بينها خصوصا من حيث الشكل وحجم ولون الجذور، وكذلك من حيث المذاق. هناك أصناف صيفية وأخرى شتوية. من أشهر الأصناف

الفجل ذو الجذر الكروي الأحمر من الأعلى والأبيض من الأسفل، وكذلك الصنف ذو الجذر الطويل الأحمر.

يزرع الفجل عن طريق البذور وهو يتناسب مع التربة الخفيفة الغنية بالدبال. ويحتاج للسقي ولايتحمل الحرارة القوية أو البرودة وبالأخص الجليد. إلا أن الفجل ذا الجذر الكبير يعتبر أكثر تحملا للحرارة والبرودة.

ألبيرت هيل، 1962، *النبات الاقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرون، القاهرة، نيويورك ؛ *معلومات شخصية*.

J.M. Clement, *Larousse Agricole*, édition Larousse, Paris, 1981.

عبد النبي زين العابدين

**الفحصي، محمد** بن عبد الكريم بن محمد، استوطن أجداده قبيلة الفحص بمدشر قلعية ناحية طنجة قادمين إليها من قبيلة بني سيدل بالريف، ولد بمدشر قلعية حوالي (1322/ 1904) وانتقل مع والده إلى تطوان وعمره عام واحد، وبها نشأ ودرس فالتحق بالكتاب القرآني حيث تعلم مبادئ الكتابة والقراءة، ودرس القرآن الكريم على يد ثلة من فقهاء مدينة تطوان الأجلاء.

وبعد أن قضى أربه من الدراسة القرآنية توجهت عزيمته للدراسة العلمية فأم عام (1335 / 1916) الجامع الكبير بتطوان حيث أخذ عن عدد من الشيوخ العلماء من أمثال الفقيه عبد الرحمن بن محمد أقشار، والفقيه المهدي التطواني وشيخ الجماعة أحمد الزواقي والفقيه المؤرخ أحمد الرهوني.

وبعد أن توفرت لديه مسكة وافرة من العلم نزح إلى مدينة فاس عام (1344 / 1925) والتحق بجامع القرويين فقرأ على كبار شيوخ عصره كالعلامة العباس بناني، والعلامة العباس المسطاري والعلامة محمد بن عبد الرحمن العراقي، والعلامة محمد بن عبد الكبير السلمي والعلامة مولاي أحمد البلغيثي والعلامة مولاي عبد الله الفضيلي وغيرهم.

وغادر حلقات الدراسة بعد أن حصل على الإجازة كتابة من قبل جل شيوخه، ورجع إلى تطوان أواخر عام (1350 / 1932) وصار يقدم دروسا تطوعية بجامع السوق الفوقي.

تقلد المترجم وظائف متعددة حيث عين أستاذاً بالجامع الكبير بتطوان، ثم أضيف إليه وظيف الكتابة بالعدلية بتطوان عام (1354 / 1935) ثم نقل إلى خلافة القضاء الشرعي، ثم عين عضواً بالمحكمة العليا للاستيناف الشرعي حوالي عام (1366 / 1946) تم نقل إلى وظيف مستشار بالعدلية عام 1372 / 1952) وبقي على ذلك إلى أن عين قاضيا شرعيا بتطوان عام (1376 / 1957) مع القيام ببعض الدروس في المعهد الديني، ثم عين قاضيا بالقسم الاقليمي لاستيناف أحكام القضاة بتطوان عام (1378 / 1959) كما عين خطيبا بجامع السوق الفوقي وظل كذلك إلى أن أحيل على التقاعد عام (1390 / 1970).

توفي في 17 جمادى الأولى عام (1393 / 1975) ودفن بباب المقابر بتطوان.

محمد بن الحاج، *علماء المغرب المعاصرين*، ص. 242.

رقية بلمقدم

**الفحل**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس منهم علي الفحل، شيخ صوفي اعتراه الجذب حيث كان ينطق بأشياء تحدث كما يذكرها، ترجم له ابن عسكر في *دوحة الناشر*.

توفي بالوباء سنة 964 (1557) وضريحه مشهور بباب المقابر بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الفحلي، أحمد** شوقي الدكالي : الأديب الشاعر أحمد بن العربي الدكالي، لقبه العائلي الفحلي، اشتهر في الأوساط الأدبية بأحمد شوقي الدكالي، والذي أطلق عليه هذا اللقب هو أستاذه محمد المختار السوسي مع ثلة من رفاقه لنبوغه الأدبي والشعري. ولد بالرباط سنة 1337 / 1918 ، تلقى تعليمه الأولى بكتاب الفقيه الشاذلي، وبعد سنتين انتقل إلى كتاب الفقيه محمد الأزرق، ومنه إلى كتاب الفقيه بنقاسم، ولما انتقل والده من قضاء الرباط إلى آسفي صحب والده رفقة الأسرة فألحقه بكتاب السيد محمد الخنبوبي وعنده ختم القرآن الكريم. ثم انكب على تعلم مبادئ اللغة العربية والدينية على يد السيد بوبكر المسفيوي. وعندما عين والده قاضيا بقبيلة المذاكرة قرب الدار البيضاء انتقلت العائلة وبصحبتها الأستاذ المسفيوي الذي يسهر على تعليم الطفل.

ومنذ ميعة شبابه ظهر اهتمامه بالشعر، وانكبابه على حفظ ما يقع بين يديه من شعر لمختلف العصور. ثم انتقل رفقة الأسرة إلى مراكش التي كان له فيها شأن، وبزغ نجمه كشاعر تزدان به المحافل الأدبية. وتشاء الأقدار أن تسكن الأسرة بالدرب الذي توجد فيه زاوية المختار السوسي أو مدرسته بحي باب دكالة، فيلتحق الطفل بهذه المدرسة التي وجد فيها كل العناية والرعاية لما أبداه من استعداد كبير للتحصيل والفهم، ولما لمسه فيه المختار السوسي من موهبة شعرية، فدرس عليه بالزاوية مواد مختلفة، من نحو وأدب وتاريخ وجغرافية ... إلى غير ذلك من المواد. كما كان يصحب شيخه في كل الدروس التي كان يلقيها على تلاميذه خارج الزاوية مثل : *مختصر خليل* بالجامعة اليوسفية بعد صلاة الصبح. ظل المختار السوسي يرعاه ويوجهه إلى أن نفي من طرف المستعمر الفرنسي سنة 1355 / 1936، ورغم هذا البعد لم ينس الأستاذ تلميذه النجيب حيث كتب له ولزميله البونعماني رسالة سماها [الشوقية والبونعمانية] وقد طبعت. وفي أحداث الظهير البربري سنة 1349 / 1930

تعرض لعدة مضايقات وتعسفات من طرف الباشا الگلاوي، وخليفته البياز مما اضطر والده لإرساله إلى تونس لإتمام دراسته بجامع الزيتونة ليدرس المواد الدينية، لكن ميوله الأدبية طغت عليه فقرر الالتحاق بالجامعة الخلدونية، واستغل تواجده بتونس للاتصال بالشخصيات التونسية أمثال المجاهد الحبيب بورقيبة، والمجاهد الثعالبي وغيرهما، لإطلاعهم على مستجدات القضية المغربية. وعندما أدركت السلطات الإستعمارية بتونس موقفه المعادي للإستعمار الفرنسي طلبت منه مغادرة تونس في الحين. فعاد إلى وطنه ليساهم مع إخوانه في الحركة الوطنية في مراكش في الجهاد ضد الإستعمار الفرنسي، وجبروت الباشا الكلاوي. ومن مواقفه الوطنية توقيعه مع زميله مولاي عبد الله إبراهيم رسالتين بتاريخ 21 يونيه 1937 ، رفعها رجال الوطنية إلى صاحب الجلالة محمد الخامس، والثانية إلى المقيم العام الفرنسي يستنكرون فيها بشدة التصرفات الهمجية التي يقوم بها الباشا وأعوانه. وبعد مضايقة السلطات الاستعمارية له ذهب إلى دكالة، موطن أسرته، وحتى في هذه المنطقة لم يسلم من سين وجيم من طرف المستعمر الفرنسي وفي خضم هذا الصراع تشاء الأقدار أن يصاب بمرض لزمه بقية حياته، وشلت يده ورجله اليمنى، وبهذا المرض تنطفيء شعلة ذكاء ووطنية صادقة ويخبو فيه قبس الشاعر المغرد.

كانت له رحمه الله مراسلات ومساجلات مع بعض الأدباء والشعراء، وخاصة أستاذه المختار السوسي ورد ذكرها في كتاب *الإلغيات*، وفي كتاب *الشوقية والبونعمانية* . أما شعره فضاع ولم يبق منه إلا مقطعات استطعت أن أجمع منها ما أمكنني جمعه، وصدر في كتيب صغير، مذيل بترجمة عن حياته الوطنية والأدبية.

توفي رحمه الله يوم الأربعاء 13 ربيع الأول 1422 موافق 6 يونيو 2001، ودفن بالزاوية الدرقاوية.

مقدمة كتاب من شعر أحمد شوقي الدكالي الفحلي، جمع وتقديم وتعليق أحمد متفكر، مراكش، 2001 ؛ أحمد متفكر، *ذيل الإعلام*.

أحمد متفكر

**الفخّار، حسن** المدعو الشّهْري هو أحد مشاهير أولياء الله الصالحين بمدينة أسفي، ولقد اختلف المهتمون بتاريخ أسفي حول اسمه الشخصي، فقال الكانوني حَسَن المدعو الشاهري، وجاء عند الصبيحي عبد الرحمن الفخار الشاهري. ولقد ورد في كتاب *المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح* ذكر رجل إسمه حسن الفخار وذلك في رواية إحدى كرامات الشيخ، ومفاد الرواية أن مجموعة من الحجاج المغاربة تاهوا في الصحراء واشتد بهم العطش. وليس معهم ماء، وأيقنوا أن ساعتهم الأخيرة قد وصلت، فقصد أحدهم سدرة ليموت تحتها وبدأ يستغيث بالشيخ. فإذا به يجد رجلاً جالساً تحت السدرة ومعه كوز ماء أخضر من عمل أسفي، فتروى منه كما تروى أصحابه، وتركهم الرجل وانصرف. ولما رجعوا وقدموا على الشيخ وجدوا الرجل معه وعرفوا أن اسمه حسن الفخار. وإذا ما ثبت أن حسن الفخار المذكور في *المنهاج الواضح* هو السيد الشهري فإن هذا الولي الصالح يكون من أصحاب الشيخ أبي محمد صالح. أما اسم "الشهري" فربما عُرف به لكونه كان يراقب الهلال ويضبط أوقات الصلاة وبداية الشهور ونهايتها. ويوجد ضريح سيدي الشهري بالدرب الذي يحمل اسمه بالقرب من ضريح الشيخ أبي محمد صالح. وكان على مرّ العصور مدرسة لتعليم القرآن الكريم وعلومه ومجالاً يلتقي فيه الفقهاء من أسفي وخارجها.

أ. الماجري، *المنهاج الواضح*، القاهرة، 1352 / 1933 ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج 2 ، مخطوط ؛ أ. الصبيحي السلاوي، *باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة*، مطبعة الأنباء، 1994.

عبد الرحيم العطاوي

**الفخدة** أو العظم أو الموضع، هي مجموعة من الدواوير (انظر مادة دوار)، من ثلاثة إلى أربعة حسب دراسة مونطاني لمنطقة سوس.

تتميز هذه الوحدة القبلية بوجود بعض المؤسسات كالمسجد الذي تقام به صلاة الجمعة، ومخزن جماعي يعرف بأگادير، وكذا مراعي وغابات جماعية.

من الناحية الإنسانية تنتسب كل العائلات المكونة للفخدة إلى نفس الجد الأعلى. وقد يكون هذا النسب حقيقياً أو وهمياً، ولكنه - في جميع الحالات - يوجد بين مختلف أفراد الفخدة، الذين ينتخبون جماعة يعهد إليها بتسيير شؤونهم الداخلية.

عبد الجليل حليم

**فداء الأسرى** ، اكتسى فداء أو افتداء الأسرى أهمية خاصة في تاريخ العلاقات المغربية الأوربية خلال العصر الحديث، ومعلوم أن المسألة تجد جذورها في العمليات البحرية المتبادلة بين المراكب الجهادية المغربية والتركية من جهة والمراكب الأوربية من جهة أخرى. ورغم العداء المستحكم حينا والحذر والتوجس حينا آخر بين المغرب والبلدان الأوربية، فإن عملية افتداء الأسرى ظلت وسيلة لبقاء خيط الإتصال بين الطرفين. ومن الفترات التاريخية التي اشتهرت بافتداء الأسرى عهد مولاي إسماعيل الذي كانت بسجونه أعداد من الأوربيين وقعوا في أسر المجاهدين، فشهدت أوربا حملات لجمع التبرعات قصد افتدائهم وألفت كتب كثيرة للتعريف بمأساتهم. من جانب آخر لم يغفل السلطان مولاي إسماعيل الأسرى المسلمين في أوربا، فبعث وزيره محمد بن عبد الوهاب الغساني سفيراً لدى ملك إسبانيا كارلوس الثاني سنة 1690 - 1691 في مهمة متصلة بافتداء الأسرى، ألف عنها الغساني كتابه "*رحلة الوزير في افتكاك الأسير*".

ويبقى أن عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 ـ 1790) هو الذي اقترن بأكبر عملية افتداء للأسرى المسلمين والأوربيين في العصر الحديث، إذ أولى هذا السلطان عناية خاصة لمصير مئات من الرعايا المسلمين المحتجزين في مختلف بلدان أوربا أغلبهم من غير المغاربة، فبعث السفراء وأبرم معاهدات وخصص مبالغ طائلة لهذا الغرض. وفي هذا الصدد يجدر ذكر سفارة أحمد الغزال إلى إسبانيا سنة 1766، التي ألف عنها كتابه الموسوم *"نتيجة الإجتهاد في المهادنة والجهاد"*، أورد فيه أن هدف السلطان من هذه السفارة "الرحمة بأسارى المسلمين ... وأن يتفقد من أعينه لذلك أحوال الأسارى ويختبر أمورهم". ومما له دلالته في هذا الصدد أن تطبيع العلاقات المغربية الإسبانية انطلق من مسألة الأسرى، إذ أفضت سفارة الغزال عن مباشرة عملية الإفتداء. وبعد الغزال لمع نجم سفير مغربي آخر هو محمد بن عثمان المكناسي الذي اقترن اسمه بعمليات افتداء الأسرى على عهد هذا السلطان نفسه، فكانت مهمة أولى سفاراته مرتبطة بهذا الموضوع حين بعثه سيدي محمد في شوال سنة 1193 / 1779 ـ 1780 إلى إسبانيا مكلفا بتوزيع صلات مالية على الأسرى المسلمين الموجودين بإسبانيا وجنوة ومرسيليا وغيرها، فأدى السفير المهمة أحسن أداء وتمكن من تحرير 122 أسيراً جزائرياً. وعن هذه السفارة ألف ابن عثمان رحلته *"الإكسير في فكاك الأسير"*.

ومنذئذ عول عليه السلطان في المهمات الحساسة المتصلة بفداء الأسرى وإبرام معاهدات السلم مع القوى الأوربية، ففي سنة 1195 / 1781 توجه ابن عثمان على رأس سفارة إلى جزيرة مالطة للتفاوض حول افتداء الأسرى بها، ومن خلال رحلته التي ألفها عن هذه السفارة والموسومة *"البدر السافر في هداية المسافر إلى فكاك الأسرى من يد العدو الكافر"* نقف على الملابسات التي أحاطت بالعملية، حيث أبان السفير عن مهارته الدبلوماسية التي مكنته من افتداء ستمائة وثلاثة عشر أسيرا بعثهم في مراكب إلى طرابلس ليبيا وتونس. وبعد نجاح مهمته في مالطة واصل ابن عثمان سفارته في مملكة نابولي التي أبرم مع ملكها فردناند الرابع في 18 أكتوبر 1782 معاهدة صلح وسلام وافتك عدداً آخراً من الأسرى.

إلى جانب هذه الجهود الدبلوماسية والإمكانيات المالية التي رصدها السلطان سيدي محمد بن عبد الله، تكشف نصوص المعاهدات والإتفاقيات التي أبرمها مع مختلف الدول الأوربية عن أن هذا السلطان كان سابقا لعصره بخصوص افتداء الأسرى ووضع حد لمعاناتهم، إذ نصت العديد من مواد هذه المعاهدات على آليات الإفتداء، وفي شتنبر 1777 أعلن لكافة الدول سواء التي توجد في حالة سلم أو حرب معه عن استعداده لحل هذا المشكل وفق شروط محددة وثابتة تتمثل في تبادلهم أسيراً بأسير، وفي حالة انعدام أسرى لدى طرف ما يتعين دفع 100 ريال عن كل أسير، بل اقترح على الدول الأجنبية الإلتزام بعدم بقاء الأسرى أكثر من سنة واحدة في الأسر، وإذا وجد أسير من أية دولة في ملك أحد رعاياها فيجب إرغامه على تسليمه طبقا للشروط السابقة، أما إذا كان الأسير شيخا هرما أو امرأة كيفما كان عمرها فيسلمان فورا دون أن يعانوا من العبودية. وهكذا حق لجريدة المونيتور الفرنسية أن تكتب في معرض تعليقها على المعاهدة المغربية الإسبانية المبرمة على يد ابن عثمان المكناسي سنة 1799 : "إن مبادىء الحقوق الدولية المقدسة قد انتقلت من كتب الفلسفة إلى دواوين الممالك المغربية ... فلم تبق الخلافات الدينية بين الشعوب تقف حجر عثرة في سبيل التقارب بينها ... وباختصار فإن امبراطور المغرب يكتب أنه يتمنى أن تزول لفظة الإسترقاق البغيضة من ذاكرة البشر ويوقع على ذلك باسمه".

م. الفاسي، *الإكسير في فكاك الأسير*، الرباط، 1965.

M. Arribas Palau, Cartas Arabes de Mawlay Muhammad B. Abd Allah, relativas a la embajada de Ibn Utman de 1780, *Hespéris Tamuda, 1961, vol. 2, fasc. 2-3, p. 328* ; P. Grillon, *Un chargé d'affaires au Maroc. La correspondance du consul Louis Chénier 1767-1782*, vol. 1, Paris, 1970, p. 577 ; J. Caillé, *Les accords internationaux du sultan Sidi Mohammed ben Abdallah 1757-1790*, Rabat, 1960, p. 221.

محمد بوكبوط

**فدْريكُو** ، ويكتب فدْريكُ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Fedrich ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Federico وFederiqui ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 (1677) ولم يذكر اسمها إلا في المثل التطواني الذي يقول "الله يرحم عمي فديكو اللّي خلا كل شي في *طريقو*". ومن أشهر أفرادها : عبد الرحمن بن أحمد فدريكو كان يصنع الورق حسب تقنية ورثها عن أجداده وعلمها لابنه عبد السلام وكان بقيد الحياة سنة 1035 (1626). قاسم بن أحمد فدريكو كان يصنع الورق حسب تقنية ورثها عن أجداده وعلمها لابنه عبد القادر، وكان بقيد الحياة سنة 1040 (1631). عبد القادر بن قاسم بن أحمد فدريكو كان يصنع الورق مثل والده وكان يكلف الطلبة بنسخ القرآن الكريم في عدة مصاحف يهديها إلى مساجد البادية، وكان بقيد الحياة سنة 1126 (1714). عبد السلام بن عبد الرحمن بن أحمد فدريكو كان يصنع مثل والده الورق وقد علّم تقنية صنعه لابنتيه عوالي وفاطمة، وكان بقيد الحياة سنة 1126 (1714). عوالي بنت عبد السلام بن عبد الرحمن فدريكو كانت تصنع صحبة أختها فاطمة الورق حسب تقنية ورثتها عن والدها وكانت بقيد الحياة سنة 1126 (1714). فاطمة بنت عبد السلام بن عبد الرحمن فدريكو كانت هي الأخرى تصنع صحبة أختها عوالي الورق، وكانت بقيد الحياة سنة 1126 (1714).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**فراح، (الحاج -) مبارك** من مواليد سنة 1921 بدوار باحمان إقليم تزنيت. انضم الفقيد إلى صفوف المقاومة السرية بالاخصاص والدار البيضاء حيث عمل تحت مسؤولية المسمى بن الطالب ومبارك بن محمد بن مبارك الباعمراني.

وقد تكللت أعماله النضالية بعمليات فدائية عديدة ضد مراكز العدو إلى جانب مجموعة من إخوانه المجاهدين حيث أسفرت عن استقلال الوطن وطرد المستعمر الغاشم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 507271.

**فرانسيسكو دي أندرادي**، ارتبط موضوع المقاومة المغربية بالثغور الشمالية المحتلة بظهور حوليتين خاصتين بعهد جواو الثالث، الأولى منهما لصاحبها فرانسيسكو دي أندرادي (Francisco de Andrade) وعنوانها : *Chronica do Muito poderoso Rei d'estos reinos de Portugal D. Joao III d'esto nome* المنشور بلشبونة سنة 1613.

تكمن ميزة المؤلف في معالجته لمسألة الجلاء عن مدينتي أصيلا والقصر الصغير. ويمكن من خلال قراءة ثلاثة عشر فصلا تتبع المراحل التي درجت فيها المسألة إلى نهايتها سنة 1550.

حسن الفكيكي

**فراي، جواو ألفريس** Frei Joao Alvares برتغالي ألف كتابه بأمر من الأمير هينريكي المتوفى عام 1460، وظهر بعنوان : Chronica do Infante Santo D. Fernando وطبع بلشبونة عام 1567 ثم أعيد طبعه سنة 1960. والمؤلف رفيق الأمير فيرناندو في الأسر لم يطلق سراحه بعد وفاة الأمير إلا سنة 1448 ، بمناسبة استبداله بأسير مغربي يدعى الفقيه الكزنائي ورفيقه المدعو عبد الله.

يتألف الكتاب من 43 فصلا. وابتداء من الفصل التاسع شرع المؤلف في تقديم المعلومات عن أسير بني مرين بفاس المشهور إثر اندحار الجيش البرتغالي بساحة طنجة سنة 1437 ، سواء أثناء الاحتفاظ بالأسير في أصيلا أو بعد نقله إلى فاس. والتأليف ذو قيمة لا تقدر بالنسبة للأحداث التي تلت الهزيمة البرتغالية بميدان طنجة ومارافق ذلك من المحادثات المغربية البرتغالية المتعلقة باسترجاع المغرب المريني لمدينة سبتة لقاء إطلاق سراح الأمير فيرناندو. ونضيف إلى ذلك أن المصدر مرجع هام لكل من أراد دراسة فاس المرينية ما بين 1437 و1443 بفضل الاطلاع المباشر لمؤلف الكتاب أثناء مقامه بمعتقلها.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية الغربية*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991 ؛ سبتة المحتلفة، ذروة الوعي الوطني، الرباط، 2004.

Frei Joao Alvares, *Chronica do Infante Santo D. Fernando*, Lisboa, 1567.

حسن الفكيكي

**الفرايطة**، منطقة تقع بالجزء الشمالي الشرقي من سهل الحوز الشرقي غرب مقرن وادي لخضر وتساوت. يحدها من الشمال الحاشية الجنوبية للجُبيلات الشرقية، ومن الغرب الساقية اليعقوبية والطريق الرابطة بين مدينتي العطاوية وقلعة السراغنة. كما تحتل منطقة الفرايطة كذلك الجزء الشمالي الشرقي من القطاع السقوي الحديث لتساوت الوسطى (العليا في اللغة الرسمية).

من الناحية الطبغرافية يوافق مجال الفرايطة الأطراف السُّفلى لمخروط واد تساوت الشاسع. وفي التفاصيل يُظهر السطح تموجات كبيرة الشعاع، إذ تتعمق فيه قليلاً شعاب كشُعْبَتي المصوبر والمساخين اللتين كانتا تُمثلان مَجْرَيَين قديمَيْن لواد تساوت أو لفرعين منه.

من الناحية البنيوية تتكون ركيزة منطقة الفرايطة من صخور أولية مُغطاة بصخور برْمُونزْيَاسية عبارة عن بازلت ورصيص وطين. نجد فوق هذا الغطاء بالحاشية الشمالية المحاذية للجبيلات كلساً بُحَيْرياً يَرجع عمره للعصر الميوسيني. وفوق الكل نجد مواد فتاتية پليوسينية ورُباعية. يعتبر الغطاء النيوجيني والرُّباعي حَمَلْمَاءً جيدا إذ تزخر المنطقة بالعديد من العيون التي تَنْبَجِسُ بقعور الشعاب أو بحاشية الجبيلات حيث الجدار الأولي - الثانوي الحاجز غَير عميق وعُمْقُ السديمة المتوجَة أقل من 10 م. ومن هذه العيون نجد عين أولاد سيدي علي، عين گازولي، غير أن أهمها عين غَبْري التي يبلغ صَبِيبُها 362 ل / ث.

من الناحية البيومناخية، تتميز منطقة الفرايطة بتساقطات مطرية متواضعة (حوالي 250 ملم) وغير منتظمة زمانيا، وبمتوسط حراري سنوي مُرتفع (19,8°)، وبرطوبة مُنخفضة (43,5٪) خلال شهر غشت)، وبمتوسط تبخر عالي 2300 ملم (مقياس Piche). كل هذه المعطيات تجعل من مناخ الفرايطة مناخاً جافاً خاصة خلال فصل الصيف، وأن القيام بأي نشاط زراعي خلال فصلي الصيف والربيع أمر غير مُمْكن بدون رَي وبدون توفير الماء الذي يُعتبر العامل المُتحكَم في الانتاج الفلاحي. لذا فكر سكان الفرايطة بتحريك جزء من مياه واد تساوت الذي يَحُدُّها من الشرق. وذلك منْذ القديم وبواسطة سواقي تقليدية هي من العالية نحو السافلة، الساقية الفرايطة، ساقية بوزنقة، الساقية العيساوية وساقية گرطيط. هذا بالإضافة إلى استغلال مياه العيون عبر شبكة من السواقي والمصارف. وقد أدى ذلك إلى إيجاد نظام سقوي تقليدي متجدر في البنيات السوسيو اقتصادية، مما سيطْرحُ مُشكلا أمام عملية الإصلاح الزراعي لأن الفرايطة كانت بعد تشييد سد مولاي يوسف (آيت

عـادل) على وادي تسـاوت هدفـاً لذلك. لذا احْتُـفظَ به كوسيلة لتوزيع الصبيب المُنظم.

وبما أن منطقـة الفـرايطة هي جزء من القطاع السـقـوي العصري لتساوت، فإنها كانت مسرحاً لعدد من التجهيزات الهيدروزراعية والتنظيمات المجالية التي واجهتها صعوبات عريضة :

من هذه التجهيزات حفر آبار جماعية لضَخّ مياه السديمة بالحاسية الشمالية واستغلالها استغلالاً عقلانيا بدل الاستغلال الفوضوي، مما أدي إلى استنزافها بسبب تكاثر الآبار التقليدية بكيفية خطيرة. وفي الحالتين أدى استغلال المياه الباطنية إلى نزول مستواها وإلى تجفيف العديد من العيون. وأمام ذلك تم التفكير في تغذية السديمة عن طريق استغلال مياه السد بواسطة خلق نظام سقوي عصري غمري بجوار مجال الضخ. لكن حسب عمق التربة ونسبة الحمولة الخشنة (1٪ الحجارة)، وحسب أنسجة الأتربة إذ توجد بالفرايطة أتربة متنوعة النسيج ومتفاوتة القابلية للري والمزروعات، فإنه تم اعتبار الانتاجية الفلاحية فقط. وبذلك تم تخصيص كمية سنوية للمياه تقدر بحوالي 800 م$^3$ / للهكتار / السنة لري 1400 هكتاراً بنظام الغمر العصري، منها 300 هـ بواسطة تقينة الرش.

وهكذا تم إعداد الأراضي الجماعية لمنطقة الفرايطة ذلك أن هذا النوع من الأراضي هو المسيطر بها. ويعتبر هذا النظام عـرقلة أمـام التنمـيـة. ومما زاد من حـدة المشكل أن هذه الأراضي تعرف كثافة سكانية عالية وساد بها نظام تحكمه قوانين خاصة، فإلى حدود 1967 كانت الأرض تُوزَّعُ سنوياً على ذوي الحقوق وحسب معايير تحددها الجماعة. كما تُوجدُ على طول السـواقي بساتين وجنان لعبت العيون كذلك بها دوراً في تطور زراعة شجرية مُختلطة أساسها الزياتين والتين والرمان. وهي مظاهر متجدرة في البنية الاجتماعية والاقتصادية من الصعب إزالتها.

لكن التزايد الديمغرافي أدى إلى تفتيت الأرض، بحيث مرّتْ المساحة المخصصة للفرد النشيط (20 ـ 65 سنة) من 5,3 هـ سنة 1965 إلى ثلاثة (3) هكتارات فقط سنة 1975. وهي الآن أقل من ذلك بكثير بالتأكيد.

وقد صاحب هذه التحولات الهيدروزراعية، تطورات سوسيو اقتصادية تمثلت في التجهيزات الجماعية لتلبية حاجيات السكان والعمل على تجميعها :

ـ بخلق مركز دوار سيدي موسى بالأراضي الجماعية التي كانت في الأصل بورية ومجالاً لزراعة حبوب هزيلة أو للرعي الواسع، حيث تم توزيع بقع أرضية على الفلاحين وتجميع السكن بهدف توفير حاجياتهم من الصحة والتعليم والكهرباء والماء الشروب ....

ـ تعزيز مركز أحد الفرايطة الذي عرف عدة تطورات تتمثل في كونه مقر جماعة قروية تحمل اسم "جماعة الفرايطة" التي بلغ عدد سكانها 10222 نسمة حسب إحصاء 1994، ويلغ عدد الأسر بها 1496 أسرة وهي إحدى الجماعات التابعة لدائرة العطاوية التابعة لإقليم قلعة السراغنة. كما يُعْقد بهذا المركز سوق أسبوعي "سوق أحد الفرايطة". وقد شهد المركز تطوراً عمرانيا من حيث المظهر والمساحة. وتركزت فيه المدارس والأنشطة التجارية الدائمة. كما ظهرت حرف جديدة مرتبطة بالفلاحة.

ـ إنشاء بنية تحتية طرقية إضافية للربط بين هذين المركزين والمراكز الأخرى الموزَّعة بالدائرة السقوية العصرية لتساوت، والتي تنتمي إليها منطقة الفرايطة كالطريق الرابطة بين مركز أحد الفرايطة ومركز سيدي موسى وقلعة السراغنة والعطاوية، أو الطريق الرابطة بين أحد الفرايطة ومراكز الجمعة، وارگي والصهريج من جهة ومنطقة صنهاجة شرقا من جهة ثانية. هذا بالإضافة إلى شبكة الطرق الثلاثية.

وقد لعبت هذه الطرق دوراً في تنقل الأشخاص وحركة المنتوجات وربط المنطقة بأهم مراكز الاستهلاك القريبة والمتمثلة في مدينة قلعة السراغنة أولاً ثم مدينة مراكش ثانيا.

أ. زروال، *دراسة جيومورفولوجية لدير أطلس مراكش بين وادي الزات وتساوت*، الرباط، 1987 ؛ مشكل الماء ووسائل جلبه وتقنيات استغلاله وقسمته بالمجال الريفي لجهة مراكش ـ تانسيفت ـ الحوز، جماعة أولاد يعگوب أنموذجاً، *أعمال ندوة مجموعة البحث في تاريخ المجال والإنسان بتانسيفت، مراكش، 2002* ؛ النظام الخطاراتي، أسلوب من أساليب تدبير المياه الباطنية بالحوز المراكشي، *مجموعة البحث في تاريخ المجال والإنسان بتانسيفت، مراكش، 2002.*

A. Lahlimi, Les terres irriguées et le monde rural de la Tessaout moyenne, *R.G.M., n° 11, Rabat, 1967* ; M. Ducrocq et P. Pascon, La mise en valeur du périmètre de la Tessaout (Haouz de Marrakech), in *Revue Hommes, Terres et Eaux, n° 6, 1er trimestre 1973* ; Direction de l'Hydraulique, *Carte hydrogéologique de la plaine du Haouz* (Maroc occidental) au 1/200.000, Notes et mémoires du service géologique du Maroc, Rabat 1980 ; P. Pascon, *Le Haouz du Marrakech*, 2 tomes, Rabat 1983.

أحمد زروال

**فربيون** (Euphorbe) نبات طبي، هو من عدة أصناف اشتهر منه الصنف المعروف بين النباتيين باسم (Euphorbia resinifera) سمي هذا النبات في المصادر الإغريقية اللاتينية باسم الأوفورب (Euphorbe) نسبة إلى طبيب عاهل الموريطانيتين الإغريقي أوفورب أخ الطبيب المشهور موزا (Musa).

كان أوفورب هو مكتشف هذه النبتة "ببلاد الأوطولول حيث جبل أطلس (حول مادة الأطولول انظر *المعلمة*) :

وقد ألف حولها يوبا الثاني بحثا (Traité) ضاع ولكن تتوزع شذرات منه عبر مؤلفات عديدة أهمها مؤلفات الموسوعي اللاتيني بلين الشيخ (القرن الأول الميلادي).

استعملت عصارة هذه النبتة لعلاج العديد من الأمراض كتسوس الأسنان، وأمراض العيون والنساء وضماد للذغ الثعابين.

لقد تواتر الحديث عن هذه النبتة في المصادر العربية فحافظت على نفس التسمية، إذ حملت اسم الفربيون وأشهر من ذكر مزاياها ابن البيطار الذي أضاف بها خاصيات أخري مثل علاج آلام الظهر والمفاصل وما إلى ذلك.

لا يختلف القدماء والمحدثون في التنبيه لمخاطرها لاحتوائها على مواد سامة. وتطرح المشكلة بالنسبة لتعريفها فهل هي تكاوت ؟ فهي حسب الوزير الغساني من فصيلة اليتوع أو الينبوع بما أنها تعطي مادة لزجة بيضاء يدرجها المختصون في عائلة الأوفربيكاكي (Euphorbiceae). وهي حسب يعزى الزرهوني تعطي المادة المشهورة بالبربرية باسم تكيّوتْ. وتكيوت هي غير تاكوتْ وبذلك فالعشابة بالمغرب يقدمون للمشتري مادتين مختلفتين : الفربيون الذي تدهور استعماله إذ أصبح يستعمل في الشعوذة وتكاوت التي تصلح للصباغة وسمومها معروفة لدى الخاص والعام.

*مخطوطات* بقسم الوثائق بالخزانة العامة، يعزى الزرهوني، *عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب* ؛ مؤلف مجهول، *تحفة الأحباب في ماهيات النبات والأعشاب*.

B. Bel Kamel, Histoire de la médecine du Maroc antique, *Revue Histoire des Sciences Médicales, XXVI, n° 4, 1992, p. 271-279* ; Id., *L'Euphorbe plante miltenaire : propriétés thérapeutiques, essai d'identification,* Italie, 1999.

بلكامل البضاوية

**الفرتالة** في اللهجة الدارجة المغربية لا يعرف لها أصل في العربية الفصحى، ويقصد بها تلك الأداة المساعدة على جر المحراث بواسطة الأبقار والدواب، وتختلف تسميتها من منطقة إلى أخرى في المغرب ففي سهول الغرب وسايس وأحواز الرباط وسلا تنتشر الفرتالة. أما في مناطق أخرى مثل الشاوية والحوز ودكالة وتادلة فلا وجود لهذه الكلمة ؛ وتقابلها مصطلحات أخرى (القوس، الدير).

الواقع المشاهد اليوم في الفلاحة التقليدية أن المحراث يربط إلى دواب الجر بشكل مختلف ؛ فقوة الجر عند الدواب: (حمير بغال خيول) موجودة على مستوى الصدر ولذلك يضع الفلاح (الحراث) الفرتالة على كتف الحمار أو البغل أو الفرس ومنهم من يضع الفرتالة بشقين العلوي والسفلي بحيث تحيط بأسفل عنق الدابة ؛ وبخصوص الأبقار فقوة الجر عندها توجد على مستوى الرأس. ولذلك تربط الفرتالة على قرون الثيران.

في المناطق الأخرى المشار إليها يستعاض عن الفرتالة بأشرطة من ظفائر الدوم مغلفة بقطع من القماش وتربط إلى صدور الدواب ويسمونها "الدير". وإذا كان الجار للمحراث جملاً - وقد كان ذلك شائعاً قبل السبعينيات من القرن الماضي - فالفرتالة غير ممكنة ويستعاض عنها بالدير الذي يستعمل على كتفه أسفل السنام، فقوة الجر عند الجمل توجد في هذا الجزء من الجسم.

استعمل القوس ومنهم من يسميه "القربوس" وهو من خشب مبطن استعمل على ظهر الدواب ومربوط بأشرطة جلدية إلى مراكز القوة في أجسامها وفيه يربط المحراث وغيره من الأدوات الفلاحية، وحتى العربات، ووجدت صناعة متخصصة للفرتالة (أو الأقواس والقرابيس) إزدهرت في المدن الكبرى منذ العصر الوسيط قبل أن تنتشر في الزمان والمكان.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، الرباط، 1987 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*، مرقون، كلية الآداب، الرباط ؛ *أبحاث وزيارات ميدانية*.

محمد حجاج الطويل

**فرتّلة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان سنة 1250 (1834). ومن أشهر أفرادها الحاج محمد فرتلة، كان من فرقة البحرية التابعة لحامية تطوان سنة 1246 (1830).

محمد ابن عزوز حكيم

**فرج**، أسرة رباطية يجعلها البعض ذات أصل دكالي والبعض الآخر يرجع أصلها إلى الأندلس. وعلى كل حال تألق فيها شخصيات سواء مع المخزن أو في ميدان التجارة والأعمال.

عبد الإله الفاسي

**فرج، الرايس** من شخصيات الرباط، ومن بين الرياس الأوائل المعتمدين في أسطول سيدي محمد بن عبد الله. حقق قبل سنة 1762 غنيمة رست عملية بيع محتواها على التاجر الجزائري علي خوجة. وقد كان الرايس فرج قبل سنة 1766 من العاملين في المياه المتوسطية، يقود سفينة غليوطة مجهزة بثلاثين مجذافا وثلاثة مدافع، وبطاقم مؤلف من مائة رجل انطلاقا من مرسى تطوان. ويذكره القنصل الفرنسي شينيي ضمن الرياس الذين حصلوا منه على جواز السفر وعلى الهدية المعتادة في سنة 1767 و1768، وقد ظل على رأس غليوطته محافظا على فعاليته، رغم تقلص أعداد طاقمه إلى ستين رجلا فقط سنة 1772.

ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 3 : 260 - 264.

Chenier, *Journal du consulat...*, pp. 96 - 97, 103-104, 111-112 et 125 - 127.

حسن أميلي

**فرج** (سيدي -)، صاحب الضريح قرب باب القنانيط من الأولياء الذين لا تعرف لهم ترجمة، ولعله من آل فرج البيت الشهير بالرباط.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 457.

**فرج، عبد الخالق**، شخصية فذة، تقلب في عدة وظائف مخزنية، كان داعقل راجح وأمانة كبيرة ودينامية

جعلت سلاطين الفترة يعتمدون عليه ويكلفونه بعدة مهام وخدمات مخزنية، داخلية ودبلوماسية. كان في بداية أمره يشتغل بالتجارة بجبل طارق ثم عينه السلطان محمد بن عبد الرحمان أمينا بمرسى الرباط وأعفي من هذه الوظيفة سنة 1864. اختاره السلطان مولاي الحسن محتسبا للرباط ابتداء من سنة 1298 / 1881 فظل في وظيفته تسعا وعشرين سنة حيث لم يعف منها سوى سنة 1328 / 1910 في عهد مولاي عبد الحفيظ، وهذا يدل على أنه نجح في مهمته حيث كان أمر التجارة والحرف والصنائع والأسواق يسير على أحسن ما يرام مدة ولايته، سواء في العهد الحسني أو في عهدي ولديه مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ. وأثناء قيامه بالحسبة عينه مولاي الحسن أمينا لمستفاد الرباط سنة 1893 كما عينه مولاي عبد العزيز أمينا بمرساه سنة 1896. وبعد ذلك عينه مولاي عبد الحفيظ ناظرا على الأحباس الكبرى بالمدينة نفسها سنة 1911 زاولها إلى سنة 1912.

الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 193 و196.

**فرج، عبد القادر**، أبوه هو العربي التاجر الكبير وأمين السلطان مولاي الحسن. ولد حوالي سنة 1866، تصاهر مع أسرة برگاش، ورث التجارة عن أبيه وكان من أغنى الملاكين بالمدينة، عين سنة 1922ع ضوا في اللجنة البلدية الرباطية بعد أن اشتغل أمينا للمرسى.

*ملف 688 : تجديد أعضاء اللجن البلدية لسنة 1927* ؛ *وثائق الحماية*، الخزانة العامة بالرباط.

**فرج، عبد اللطيف**، أقره السلطان عاملا على الرباط سنة 1845 بعد نزع العامل السابق محمد بن الطاهر الزبدي متزعم الانتفاضة التي قادها أعيان المدينة ضد القائد محمد السويسي. وظل عبد اللطيف فرج ست سنوات في العمالة إلى وفاتة سنة 1267 / 1851 ودفن بالزاوية القادرية.

الناصري، *الاستقصا*، 9 : 55 ؛ دينية، *مجالس*، ص. 171 ؛ الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 114.

عبد الإله الفاسي

**فرج، عبد المالك** سليل أسرة أندلسية عريقة تنتسب إلى بني نصر الغرناطيين الذين استوطنوا فاس بعد 1492.

كان أول طبيب مغربي تخرج من الجامعة الفرنسية وأول وزير للصحة بعد الاستقلال وأول مدير مغربي للمعهد الوطني للصحة وأول عميد لأول كلية للطب في المغرب.

ازداد في فاس سنة 1906 ففتح عينيه على نازلة الحماية الفرنسية مما أثار فيه باكرا المشاعر الوطنية ؛ وكان من الأفواج الأولى التي التحقت بالثانوية الفرنسية الإسلامية. وكانت يومئذ لا تعد للباكلوريا فلما تخرج منها سافر إلى فرنسا للحصول على هذه الشهادة ولمتابعة الدراسة العليا في الطب. وقد كان ما يتشوف إليه، على ما روى صديقه المرحوم إبراهيم الكتاني، هو أن يأخذ بيد مواطنيه ليتغلبوا على ما كان يفتك بهم من الأمراض. وذلك لأن والده توفي قبل مولده بسبب التيفوس الذي لم يكن يعرف له يومئذ علاج، فتربى يتيما على يد جده ومنه أخذ ركائز الأخلاق النبيلة المبنية على روح التفاني في خدمة الناس. وقد ظلت هذه السمة من أبرز ما تميز به عبد المالك فرج إذ ستكون سببا في وفاته شهيدا في واقعة الصخيرات.

وحصل على الباكلوريا سنة 1928 ثم التحق بكلية الطب التي تخرج منها في يونيو 1935 بعد مناقشة أطروحة عنوانها : "العلاقات الطبية الإسبانية المغربية في القرن الثاني عشر م". وأثناء أيام الطلب قام بنصيبه من النضال الوطني مع أقرانه من أمثال محمد الفاسي وعبد القادر بنجلون وأحمد بلفريج وغيرهم. ولما عاد إلى المغرب التحق بصفته أول طبيب مسلم تخرج من الجامعة الفرنسية بإدارة الصحة العمومية في أكتوبر 1935 فألحق بفريق كان مكلفا بمكافحة حمى المستنقعات وكان من مهامه على وجه التخصيص مكافحة ذلك في منطقة الغرب التي كانت تلك الحمى تفتك بأهلها فتكا ذريعا.

وعين بعد ذلك بناحية تازا ضمن الجماعات الطبية المتنقلة التي كانت مهمتها تتبع الأسواق الأسبوعية للتقرب من الساكنة ومن المرضى. وقضى هكذا سنين طويلة يكافح الأوبئة مثل التيفوس والجدري والأمراض المعدية الأخرى، فنجده طبيبا في الدار البيضاء (المدينة الجديدة) ثم في مستشفى موشان بمراكش (ابن طفيل حالياً) وبمستوصف سيدي فاتح بالرباط. وفي كل مكان كان عبد المالك فرج يمارس مهامه بمنتهى التفاني وتمام الاحترام لمرضاه إذ كان يعتبر الطب رسالة سامية وواجبا على المرأ أن يقوم به أحسن قيام. وكان من الطبيعي بعد الاستقلال أن تسند مهمة وضع أسس وزارة الصحة المغربية إليه ابتداء من دجنبر 1955 وكان إلى جانبه عبد القادر بنجلون في المالية ومحمد الفاسي في التربية الوطنية وأحمد بلفريج في الشؤون الخارجية. وقد وفق في مهمة المحافظة على البنيات التحتية الطبية التي تخلفت عن فترة الحماية إذ كان يقول بأن هدفه الأول هو أن تبقى "الدار قائمة". ولكنه اهتم كذلك بإنماء تلك البنيات ويجعلها قادرة على تلبية حاجيات الجماهير المغربية المتزايدة وهكذا

فإنه وضع برامج شاملة للنهوض بالطب في الأرياف وبشؤون صحة الأطفال وبضرورة مكافحة المخدرات ومختلف التسممات. وقضى على رأس تلك الوزارة ثلاث سنوات عين بعدها مديراً للمعهد الوطني للصحة وهنالك واجهته كارثة صحية ذهب ضحيتها أكثر من عشر آلاف نسمة تسمموا بزيوت فاسدة بعد استهلاكها في مكناس وناحيتها. وهو الذي سهر على بناء وتجهيز مستشفى العياشي بسلا بقصد مساعدة من أصيب من الضحايا بالشلل على استرجاع حيويتهم. ثم إنه عين سنة 1962 أول عميد لأول كلية طب بالرباط وكعادته فإنه انصرف إلى تلك المهمة بما كان معهوداً فيه من الإقدام والتبصر فطاف بمختلف كليات الطب بفرنسا ليتعرف على مشاكلها وعلى أنظمة الدراسة فيها واستخرج من ذلك استراتيجية مناسبة لتلك المرحلة التأسيسية في المغرب وتغلب شيئا فشيئا على الحواجز والصعوبات إلى أن صدرت النصوص القانونية المنظمة للدراسات الطبية في المغرب 1967، مستعينا بثلة ممن كان يوجد من أطباء بالمغرب من بين فرنسيين ومغاربة أمثال (سيمون دي لونس) (وجورج فرانكي) والمرحوم عبد الهادي مسواك وحسن التازي، فضلا عن الأساتذة الفرنسيين الذين كان يستقدمهم من فرنسا في بعثات محصورة في الوقت تتراوح بين ستة وثمانية أسابيع يلقنون فيها للطلاب معلوماتهم بشكل كثيف واشتغل في ذات الوقت بإعداد الفوج من أطباء الأساتذة المغاربة في دجنبر 1967، كما أن أول أطروحة لنيل درجة الدكتوراة في الطب نوقشت وهو عميد سنة 1969. وتدين له كلية الطب بالرباط بالجو السليم الذي بثه فيها فجعلها مثالا احتذت به باقي كليات الطب التي أنشئت في المدن المغربية الأخرى.

هذا ولم يكن اهتمام عبد المالك فرج منحصراً عند شؤون الطب والصحة بل كان ككل طبيب نطاسي حكيما يحبّ البحث في الأصول ويستريح من متاعب المستشفى بالنظر في تاريخ الطب وحياة الأطباء، تجلى ذلك في أطروحته التي تعالج موضوعا تاريخيا صرفا كما تجلى في اتصاله منذ أيام الطلب ببعض وجوه الثقافة الفرنسية من أمثال لويس ماسنيون وإميل ديرمنكيم وهنري دي مونترلان. وبعد رجوعه إلى المغرب انكب على دراسة كتاب من أكبر كتب الطب العربي وهو كتاب *التيسير* لعبد المالك بن زهر فوقف على جميع رجال آل ابن زهر الذين اشتغلوا بالطب والفلسفة وتمكن من نسخ المخطوطات الأربعة لكتاب *التيسير*، الأولي من الزاوية الناصرية بتامگروت والثانية من المكتبة الوطنية بباريس والثالثة من أكسفورد والرابعة من فلورنسا ووضع لكل ذلك مقدمة باللغة العربية لم تر النور في حياته ولكن أكاديمية المملكة المغربية أبت إلا أن تخرج تلك الأعمال إلى حيز الوجود فوكلت للفقيه محمد الروداني القيام بذلك فنشر الكتاب سنة 1991.

وكانت وفاة عبد الملك فرج شهيدا في أحداث الصخيرات يوم 10 يوليوز 1971، ذلك بأنه بادر إلى إغاثة أحد زملائه ممن أصيب بالرصاص ومنعه المتمردون من ذلك فلم يمتنع فرمي بالرصاص فأردي قتيلا.

عبد اللطيف بربيش

**فرج العربي**، عينة السلطان محمد بن عبد الرحمان أمينا في الصويرة سنة 1865 ثم أمينا لمرسى آسفي سنة 1283 / 1867 ثم أمينا للتعشير بالدار لبيضاء كما كلفه بسفارة إلى مدريد نظرا لأسفاره ومعرفته بأحوال الأوربيين. جمع بين المهام المخزنية والأعمال الحرة وخصوصا التجارة، فكان له وكلاء في الخارج منهم أخوه أحمد بلندن سنة 1875. ولما كان متغيبا عن الرباط بسبب مهامه المخزنية المذكورة فإنه ترك ابنه محمدا مكلفا بتجارته التي كانت تشمل السكر والزيت والأثواب، وكان يستورد السكر من مرسيليا، وأرسل ابنه الثاني أحمد إلى منشسطر ليتاجر هناك وليستقبل منها الصوف المغربي ويبعثه إلى لندن. وكان مشتركا مع العربي بريشة التطواني الذي كان يتاجر مع مرسيليا ولندن، وتشارك أيضا مع العربي العفير في تجارة الأثواب. وكان له وكلاء في عدد من المدن المغربية مثل مراكش والجديدة ومكناس والدارالبيضاء. وفي غير التجارة كان له مع بريشة المذكور اشتراك في الفلاحة حيث امتلكا قطعانا من الأغنام والأبقار. وكان ملاكا كبيرا. وفي أكتوبر سنة 1886 أوكل إليه السلطان مولاي الحسن أمر التفاوض مع السفير الألماني بطنجة قصد توقيع معاهدة تجارية.

الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 202 . 204 ؛ عبد الرحيم بن عبد الله، *الحاج عبد الخالق فرج، محيطه العائلي*، أميريكلور، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1989، ص. 50.

**فرج، محمد** من كبار تجار الرباط أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ربما هو أخ العربي السابق. استخدم من طرف المخزن أمينا بمرسى العرائش من 1904 إلى 1909. كانت له تجارة كبرى امتدت داخل البلاد وخارجها، فكان يستورد أثواب منشسطر ولندن على يد التاجر الإنجليزي لام Lam والسكر من مرسيليا والحديد من انجلترا وآلات الطباعة من القاهرة والكتب من الإسكندرية وكان يصدر سلعا عديدة منها البطانيات والبلغة إلى مصر. شمل نشاطه الميدان الفلاحي أيضا فامتلك الأراضي الزراعية في ضواحي الرباط والجديدة. كما أن كناشاته تبين - لما كان يقرضه للتجار - أنه كون شبه مؤسسة للقرض. درت عليه هذه النشاطات المختلفة أرباحا كثيرة أضافها إلى ميراثه العائلي وكان له من الأملاك ما جعله يدخل من أكريتها وإيجاراتها دخولا إضافية تطلبت منه تكليف معاونين له لقبض الأكرية. كما كانت له عدة عرصات بوادي أبي رقراق كان يسوق غلالها الشتوية والصيفية. إلى جانب كل هذه الأنشطة كان محمد فرج كاتبا في نيابة القنصلية الأنجليزية بالرباط. توفي سنة 1909 غرقا بالسفينة التي كانت تقله إلى الديار المقدسة والتي غاصت في مياه ساحل مالطة.

الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 204 - 220 ؛ نقلا عن كنانيش خاصة لعائلة فرج.

**فرج، محمد** من أمناء مرسى الرباط في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام. كان متوليا لهذه الخطة وأعفي منها سنة 1842. ثم أصبح أمينا بمرسى الجديدة ابتداء من 1298 / 1880.

*وثائق الخزانة الملكية* : محفظة التجارة الداخلية والخارجية رقم 5، رسالة 20 محرم 1258 ؛ الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 193 و224.

**فرج، محمد** بن **إبراهيم**، أحد مشايخ الرباط، كان مفتيا ومدرسا، من تلامذة المفتي المكي البناني. تعرض لمحنة أيام مولاي اليزيد إذ سجن لاتهامه بمال وزير السلطان محمد بن عبد الله المسمى قادوس سنة 1205. تولى نظارة أحباس الرباط سنة 1209 / 1795، ثم ولي قيادة المدينة عام 1230 نيابة عن الباشا العربي بن بلال، ثم استقل بقيادة الرباط عام 1231، فجمع بين النظارة والعمالة، كما كان من بين أمناء المرسى سنة 1232 أو ربما شغل هذه الوظيفة أو الوظيفتين الأخيرتين أي الأمانة والنظارة شخص آخر له الاسم نفسه. ذكره الفقيه المكي بناني في نوازله وحلاه بالشيخ العلامة. ليس هناك خبر عن تاريخ وفاته.

بوجندار، *الاغتباط*، 158.

**فرج، محمد** بن **عبد القادر** القاضي، فقيه خطيب، تتلمذ على البدوي السرايري وآخرين، وكان رجلا ناسكا ورعا، تعاطى للعدالة، فرشح عدلا بمرسى العرائش، زاول الكتابة مع المخزن فكان أولا بدار عديل سنة 1302 / 1884 وثانيا في بنيقة الصائر بمراكش ثم ببعض الثغور. ولي القضاء بالدار البيضاء نيابة عن قاضي الرباط والدار البيضاء محمد البريبري سنة 1892 لكنه لم يستمر فيه سوى بضعة أشهر.

توفي سنة 1330 / 1912.

دينية، *مجالس*، ص. 301 ؛ بوجندار، *الاغتباط*، ص. 232 ؛ الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 227.

**فرج، المكي**، أحد أعيان الرباط الذين لعبوا دورا سياسيا مهما في مدينة الرباط بعد وفاة السلطان مولاي اليزيد سنة 1792، حيث كان مناصرا للمحتسب الحاج عباس مرينو في قيادة أهل حي الگزا الذين كانوا شيعة مؤيدة للأمير مولاي هشام أخ مولاي اليزيد معارضين بذلك قسما آخر من سكان المدينة والذي كان مناصرا للأمير مولاي سليمان، وقامت الفتنة وتصارع الفريقان ولكن بيعة مولاي سليمان من طرف أهل فاس وضعت حدا للفتنة التي انتهت بقتل المكي فرج والمحتسب سنة 1792.

الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 32.

عبد الإله الفاسي

**فرج** (مارستان سيدي -) هو أشهر المارستانات في تاريخ المغرب وأكثرها أهمية. أسسه بمدينة فاس السلطان أبو يوسف يعقوب المريني حوالي 685 / 1286 على الهندسة المعمارية المرينية المستوحاة من الطريقة الإسبانية، وأعاد ترميمه السلطان أبو الحسن المريني. وهو واحد من سلسلة مستشفيات أنشأها المرينيون في المدن المغربية المهمة آنذاك، مثل مكناس وسلا والرباط وآسفي. كما كان واحدا من عدة مستشفيات بنيت بمدينة فاس.

يقع مارستان سيدي فرج في مركز المدينة القديمة بفاس بجوار ضريح مولاي إدريس ما بين سوق العطارين وسوق الحناء الذين يفصل بينهما باب يسمى باب الفرج. ومن الراجح أن اسم المارستان سيدي فرج مأخوذ منه. ويظن كثير من الناس إلى الآن أن هذا اللقب مأخوذ من اسم أحد "الأولياء"، لكن من المؤكد أنه ليس هناك أي قبر في بناية المارستان.

وكان المارستان يتكون من طابق أرضي يحتوي على 18 غرفة صغيرة مخصصة للرجال، وطابق أعلى به 22 غرفة مخصصة للنساء، ويحتوي على حديقة للمرضى من أجل النزهة وإقامة الحفلات الموسيقية الأندلسية الأسبوعية. ويشرف على تنظيم المارستان مدير يساعده كاتب ويتولى ناظر الأحباس مهمة مراقبة صرف الأموال.

وقد ساهمت جامعة القرويين وهي من أعرق الجامعات في العالم التي لا تزال تؤدي دورها العلمي، وهي موجودة على بعد مائة متر من المارستان في تخريج متخصصين ماهرين في الطب. وقد ذهب بعضهم إلى إسبانيا لتعميق الخبرة أو للتخصيص في الجراحة مثل علي بن أبي شلب الإدريسي أو محمد بن قاسم قرشي المتوفي سنة 757 / 1356 الذي كان مديراً بمارستان سيدي فرج. وكانت تمارس بالمارستان تخصصات عدة، كالطب النفسي وطب العيون والجبارة والطب البيطري ويقوم المسؤولون بالمستشفى في إطار دوره الاجتماعي بتوزيع الملابس والأكل على العجزة والفقراء والمعسرين.

كما كان المارستان ملجأ لطير اللقلاق، فكان كل من أتى به جريحا أو مصابا وعالجه ينال مكافأة على ذلك.

أما فيما يخص الموارد المالية للمارستان فهي تتكون من عائدات أراضي الأحباس ومساهمات الدولة والعطاءات والهبات والصدقات المقدمة من قبل المحسنين.

كان مارستان سيدي فرج لفترة طويلة معلمة حضارية يعتز بها سكان فاس. فمن المستحيل أن يزور زائر المدينة ولو لمدة قصيرة دون العلم بوجوده. ومن الراجح أن الأب جيلبير جوفر Le père Gilbert Jofre عندما جاء إلى مدينة فاس من أجل استرداد الأسرى في الحرب المسيحية في نهاية القرن السادس عشر قد استفاد من هذه المعلمة الحضارية مما حفزه عند عودته إلى إنشاء جمعية أسست أول ملجأ للمرضى عقليا في إسبانيا سنة 1410 مما يعتبر مثالا بارزاً لنقل العلم والمعرفة من العالم الإسلامي إلى أروبا.

وكان المارستان يعالج مختلف المرضى العضويين والنفسيين، إلا أنه أصبح بعد ذلك ملجأ للمختلين عقليا مع دخول المغرب في حالة من الجمود والانحطاط منذ القرن الخامس عشر. فقد شرع السلطان المريني أبو سعيد عثمان في بيع ورهن ممتلكات المستشفى من أجل تجهيز الجيش، مما أدى إلى تدهور حالته وتحول شيئا فشيئا إلى ملجأ للمجانين، وقد عمل به أبو الحسن الوزان كاتبا لمدة سنتين في بداية القرن السادس عشر وأعطى صورة عن وضعيته غير الجيدة في تلك الفترة، وأشار إلى أنه "لا طبيب فيه ولا علاج". وذلك على الرغم من أنه كان يتوفر على "كل ما يحتاج إليه من كتاب وممرضين وحراس وطباخين وغيرهم ممن يهتمون بالمرضى، ويتقاضى كل واحد من هؤلاء المستخدمين أجرا حسنا". وقد ازدادت الحالة سوءا مع مرور الوقت، والشهادات التي وصلتنا من قبل كل من سالمون Salmon وميشو - بيلير Michaux-Bellaire سنة 1906، والدكتور دو مازيل Du Mazel سنة 1922 تعبر عن حالة يرثى لها، بحيث أصبح المرضى العقليون فيه شبيهين بالسجناء. وبقي على هذا الحال إلى سنة 1943 عندما تهدم جزء منه فتم إغلاقه.

وعندما ثم فتحه بعد فترة حول إلى قيسارية تباع فيها الملابس والأثاث المنزلية وقد بقي كذلك إلى يومنا هذا وفي سنة 1949 أنشئ مارستان جديد بباب خوخة بفاس سمي "مارستان سيدي فرج الجديد" ونقل إليه مرضى المارستان القديم، إلى أن حول إلى إدارة عمومية سنة 1987 بعد أن أنشئ أنشئ مستشفى حديث للطب النفسي بفاس.


عبد الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ط 1، 1368 / 1949 ؛ الحسن بن محمد الوزان، *وصف إفريقيا*، ج، 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983.

J. Luccioni, Les maristanes du Maroc : le nouveau maristane de Sidi-Frej à Fès, *Bulletin Economique et Social du Maroc, vol. XVI, n° 58*, 1953, p. 461-470 ; D. Moussaoui et S. El Otmani, Introduction des hôpitaux dans les pays arabes et musulmans, in *Histoire de la médecine au Maroc et dans les pays arabes et musulmans*, sous la direction de Driss Moussaoui et Michel Roux Dessarps, 1ère Edition Association Marocaine d'Histoire de la Médecine, 1995 ; B. Belkamelia et B. Raouyane, Les bimaristanes au Maroc, *idem, p. 47* ; A. Chakib, O. Battas, D. Moussaoui, Le maristane Sidi Frej à Fès, *idem, p. 59* ; Du Mazel, Visite au maristane de Sidi Frej à Fez, exposition coloniale de Marseille, *Service de la santé et de l'hygiène publique au Maroc*, 1922.


سعد الدين العثماني

**الفرجي**، أبو **بكر** السلاوي، من أبرز علماء سلا في القرن الثاني عشر (18م)، شهد له مترجموه بعلو كعبه في الفقه والبيان والمنطق وأصول الدين، فضلا عن ولعه بالتاريخ. "لم يكن يبالي بنفسه في مأكل وملبس وفراش". كان كثير الصدقة على المساكين والطلبة، معظما لآل النبي، ومكرما لهم بما يستطيع، إلا أن في خلقه شكاسة في بعض الأحيان، كان يسكن قرب عقبة المغيلي بطالعة سلا.

خصص ابن علي الدكالي للمترجم إثنين وعشرين بيتا في رجزه *إتحاف أشراف الملا* أبرز فيها مكانته العلمية المتميزة في المجتمع السلاوي. قرأ أبو بكر الفرجي على أخيه القاضي محمد بن علي، وعلى شيخ الجماعة بمراكش أحمد العطار المراكشي، وعلى ابن خالته أحمد بن إبراهيم. كان حسن الإلقاء، يقرر كتاب الشفا لعياض أحسن تقرير، ويفسر آياته ويذكر ما فيها من علم البيان البديع ويأتي من ذلك بالعجب العجاب.

تخرج عل يده عدة طلبة من سلا أمثال محمد ملاح وأحمد بن عاشر الحافي الذي قال عن شيخه الفرجي : "إنه خاتمة المحققين في جميع الفنون".

ألف أبو بكر الفرجي فتح الباب المغلق، إلى شرح السلم المرونق للأخضري، كما ترك عدة تقاييد. كانت تربطه بالتستاوتيين علاقات متينة، لاسيما مع العياشي بن عبد القادر التستاوتي. ويتجلى ذلك في الرسالة التي بعثها عام 1118 / 6 ـ 1707 إلى هذا العالم التستاوتي بمناسبة وفاة ولده يعفور، وهي عبارة عن نثر بليغ أردفه بقصيده بائية تشتمل على أربع وأربعين بيتا يتجلى من خلالها طول نفسه في الشعر.

توفي ضحى يوم السبت 8 ذي القعدة عام 1139 / 27 يونيو 1727 ، ودفن قرب داره بزاوية سيدي مغيث بحومة الطالعة بسلا. وقد رثاه تلميذه أحمد بن عاشر الحافي برائية بليغة تتكون من ثلاثين بيتا.


أحمد بن عاشر الحافي، *فهرس*، تح. م. السعدين، د.د.ع.، كلية الآداب بالرباط، 1991 ، ص. 273 ـ 280 ؛ أحمد الصبيحي، *تقييد ضمن كناشة الروض* ، مخ. خ. ص، رقم 428، ص. 151 ؛ *وثيقة مصادرة أملاك فناشة* بتاريخ 15 جمادى الثانية عام 1180 / 18 نونبر 1766 ، ضمن ملحق الإتحاف الوجيز لابن علي الدكالي، تح. م. بوشعراء، ط 2، 1996، ص. 319 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ، 7: 114 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ص. 139 و*إتحاف أشراف الملا*، مخ. خ. ع. 11 د، ص. 64 ـ 65 ؛ أبو بكر بوشنتوف، *كناشة*، مخ. خ. ص.، رقم 438، ص. 2.


محمد السعدين

ابن **فـــرجي، بلال** ولد سنة 1937 بدوار تورضي ادموسكنة آيت الخمس، أيت باعمران إقليم تيزنيت. انخرط الشهيد المذكور في صفوف جيش التحرير سنة 1957 بالمقاطعة 13 وكان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله، وكان نشيطا في عمله، متحمسا في إيمانه معروفا بغيرته الوطنية لاسترجاع ما تبقى من أرض وطنه.

اشترك في عدة معارك ضد العدو إلى أن استشهد في معركة بيرري بآيت باعمران وذلك بتاريخ 05 / 12 / 1957.

**الفرَجية**، قميص تقليدي طويل خاص بالرجال لا أكمام له أو لا تتعدى أكمامه حدود المرفقين إن كانت. وهو يتخذ من صوف أبيض شفاف أو من قطن أو كتان ناعمين ويفتح ويغلق بواسطة أزرار من مجدول حرير.

استمدت الفرجية اسمها من اللغة العربية لأنها رداء منفرج واسع ومنفتح من ثلاثة جوانب، من العنق إلى الخصر ومن السرة إلى ما قبل أسفل الساقين وكذا من الجانبين الأيمن والأيسر.

ويرى محمد بن أحمد شماعو أن "لبسها وعدم لبسها سواء، إنما هو يزيد في أناقة المظهر". ويصفها موريس هيم فيقول أنها "رداء رقيق شفاف يلبس فوق القفطان الفاقع ليخفف من حدة اللون ويضفي بهاء خاصا على الهندام التقليدي الأصيل". وقد كان لباسها سائد الانتشار عند العرب قبل الإسلام وبعده، وكان يرتديها خاصة الناس من النخبة وأهل العلم.

والفرجية رداء يشكل دائما ثنائيا مع رداء آخر يكون أسفله. فالسواد الأعظم من الناس يلبسونه فوق التشامير ذي الأكمام الطويلة التي تصل إلى حد الكوعين في حين ترتديه الطبقات المتوسطة والعليا فوق القفطان. وكانت أحسن أنواع الفرجيات التي ترتديها النخبة من أهل المخزن من صوف شفاف أو حرير ناعم وتدعى "فرجية الثلج على الجبال" من فرط نصاعة لونها. كما كان القفطان والفرجية إضافة إلى السلهام الأبيض هو لباس العمال والقواد والباشوات وغيرهم من سامي الموظفين المخزنيين الممثلين للمخزن المركزي الذي كان ينعم سنويا على جلهم بنصيب معين من خزانة الملابس السلطانية. وفي هذا الإطار تسلم عامل سوس حميدة بن علي الشرگي من أمين هذه الخزانة في عهد السلطان مولاي الحسن الأول هدية تتكون من "قفطان عجمي وسلهام ملف سكري وفرجية وتشامير وسروال وعمامة". وكان "أصحاب المحفة" وهم المرافقون للسلطان أثناء تنقلاته وتحركاته في المناسبات الرسمية والاستقبالات والأعياد يمشون إلى جانبه وهو يمتطي صهوة جواده "مترجدين في القفطان والفرجية".

وعليه، فقد كانت الفرجية على الدوام ملازمة للقفطان وما كان بوسع أحد أن يلبسه بدونها كما كان لا يقبل أن يتعدى طولها طول القفطان. وابتداء من مطلع الأربعينات من القرن 20 بدأ الكثير من الناس ممن لا ينتمي إلى صفوف المخزن والفئات الموسرة يتخلى عن ارتداء الفرجية محتفظا بالقفطان وحده مع إحاطته على طول الخصر بحزام من جلد مزين بسفيفة مجدول حرير أو مضمة رفيعة.

م. بن أحمد شماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته*، الرباط، 1980 ؛ محمد الحلوي، *معجم الفصحى في العامية المغربية*، الدار البيضاء، 1988 ؛ عبد العزيز بنعبد الله، *معجم الألوان*، الرباط، 1975 ؛ عبد الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، مكناس، 1931 ؛ *العز والصولة*، الرباط، 1961.

Maurice Heim, *A travers le vieux Maghreb*, Paris, 1929 ; Louis Brunot et Elie Malka, *Glossaire judéo-arabe de Fès*, Rabat, 1940 ; R. Dozy, *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes*, Amsterdam, 1845.

محمد بوسلام

**الـفرخ**، كما هو شائع في اللسان الدارج المغربي جنس أسماك بحرية تصنف إلى طائفة شائكات الزعانف وفصيلة كونقريدي Congridae. يدعى أيضا الغرنوك وصغاغ وغوغونك والصنور في كل من المحمدية والدار البيضاء والرباط والقنيطرة ومولاي بوسلهام والعرائش وطنجة وآسفي والصويرة وأگادير ويدعى قرنقو في الأسواق السمكية التونسية. يسمى الكنجر في المعاجم والكلمة مأخوذة من الإنجليزية Conger.

سمك رمادي أو أسمر داكن، بطنه ناصع البياض وجسمه شبه أسطواني جهة الأمام، مضغوط جانبيا جهة الخلف ومتمدد جدا يحتوي على 148 ـ 153 فقرة. العينان كبيرتان والفك العلوي أطول من الفك السفلي وتحمل الشفة العليا ثنية جلدية. المنخر الأمامي أنبوبي يفتح قرب مؤخرة الخطم. المنخر الخلفي أمام العين وأحيانا فوق أو أسفل مستوى العين، لكن لا يفتح بتاتا في الفم. الأسنان على الفكين وعلى عظم الميكعة. الفتحات الخيشومية جانبية لها أقل من 15 شعاعا خيشوميا غير متراكبة جهة البطن. الزعانف الظهرية والشرجية ممتدة على طول الجسم وتلتقي بالزعنفة الذيلية. الزعانف الصدرية جد نامية والزعانف الحوضية منعدمة. الخط الجانبي كامل وخال من الحراشف.

ثلاثة أنواع من سمك الغرنوك تعيش قرب السواحل وفي أعماق تصل إلى 800 م في بحار المناطق المعتدلة وشائعة في

البحر المتوسط والأماكن الدافئة من المحيط الأطلسي. تألف الأماكن القاعية الصخرية والرملية بالهضبة القارية والجرف القاري العلوي وتفضل العزلة. صيدها تقليدي على طول السواحل المغربية وتصاد بالجيبيات العمقية والشاطئية وبالشباك المستقيمة وحبال الصنانير العمقية وشباك الحواجز وصنارة اليد. موجودة بانتظام في الأسواق السمكية الوطنية وتستهلك طرية ومبردة ومملحة.

الفرخ العادي يسمى علميا Conger conger وبالفرنسية Congre d'Europe وبالإنجليزية European conger وبالإسبانية Congrio comun. يتميز بأشعة عريضة ومجزأة على الزعانف الظهرية والشرجية.

جسمه طويل جدا وشبه أسطواني مضغوط جانبيا خلف الشرج الموجود في النصف الطولي الأمامي للجسم، تتكون الشفة العليا من ثنية جد عريضة. يحمل الفكان صفا خارجيا من الأسنان القاطعة مضغوطة وملتحمة تشكل جانبا حادا وصفا داخليا من الأسنان الصغيرة مخروطية الشكل وحادة. الفتحات الخيشومية نصف جانبية وهلالية الشكل. يحمل الخط الجانبي 44 ـ 47 مسامة قرب الشرجية و6 مسام صدرية ومسامة واحدة صدغية. يبلغ طوله الأقصى 3 م وشائع بين 60 ـ 150 سم. يبدأ النضج الجنسي بعد 5 سنوات ويتوالد في فصل الصيف تبيض الإناث 3 ـ 8 ملايين بيضة وتدوم مرحلة الصغار فترة طويلة. لاحم، يتكون غذاؤه من الأسماك والقشريات والرخويات.

الفرخ البلياري يسمى علميا Ariosoma belearicum وبالفرنسية Congre des Baléares وبالإنجليزية Baleares conger وبالإسبانية Varga. يتميز بأشعة غير مجزأة على الزعانف الظهرية والشرجية. جسمه طويل نسبيا وشبه أسطواني. يحمل الفكان والميكع صفوفا من الأسنان الصغيرة المخروطية الشكل. الفتحات الخيشومية جانبية. يحمل الخط الجانبي 43 ـ 53 مسامة قرب الشرجية و9 مسام صدرية و3 مسام صدغية. يبلغ طوله الأقصى 50 سم وشائع بين 30 ـ 40 سم. سمك لاحم يتغذى من الحيوانات اللافقرية القاعية.

الفرخ رقيق الشفة يسمى علميا Gnathophis mystax وبالفرنسية Congre bec fin وبالإنجليزية Thinlip conger وبالإسبانية Congrio dulce . يتميز بأشعة مجزأة على الزعانف الظهرية والشرجية. جسمه طويل وأسطواني. يحمل الفكان والميكع صفوفا من الأسنان الصغيرة المخروطية الشكل. الفتحات الخيشومية جانبية. يحمل الخط الجانبي 30 ـ 33 مسامة قرب الشرجية و6.5 مسام صدرية و3 مسام صدغية. يبلغ طوله الأقصى 60 سم وشائع بين 20 ـ 50 سم. سمك لاحم يتغذى من الأسماك الصغيرة والحيوانات اللافقرية القاعية. يتوالد في فصل الصيف.


الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, FAO, 1998, 263 p.


محمد رمضاني

**فرخانة**، فرقة مندرجة ضمن خميس مزوجة، أحد أقسام قبيلة قلعية، وذلك منذ أن تعرفنا على وجود هذا الاسم عام 939 / 1533، حسبما وصلنا من المجهول صاحب تقييد "نسب قبيلة قلعية". تشغل فرخانة القسم الشمالي من أراضي مزوجة، وتنطبق مساحتها على الفراغ المنحصر بين حوض واد فرخانة من لدن منبعه إلى نقطة التقائه بواد المدور بمقربة من مدشري سمّار والورياشيين شمالا إلى ظهر مدشر إزروالن جنوبا كحد فاصل بينها وبين جماعة بني انصار. وتستند مداشر تجمعات فرخانة إلى توزيع الأراضي المجاورة لوادي فرخانة في مجراه الأوسط وهي تظهر موزعة بالوادي من الغرب نحو الشرق حسب الترتيب التالي :

ـ آيت يخلف التراريون المستقرون بأعلى الوادي من جهة اليمين بجوار إعمرانن، وإعمرانن أو العمارنة من الطائفة المعقلية الداخلة إلى قلعية على العهد المريني. استقرت بالمكان الموازي لآيت يخلف على الجانب الأيمن من الوادي، وإجهرتن وهم يستقرون على الجانب الأيمن من وادي فرخانة غرب المركز الإداري. وفي سنة 1209 كان بنفس المدشر نحو 216 ساكن. وإحاجيون وهم من الجماعات التي لم يلتفت إليها المجهول صاحب النسب، غير أن وجودها بالمكان لا غبار عليه، ورسائل حكام مليلة خلال القرن العاشر الهجري تؤكد موقعها الحالي، وهو يشمل الأراضي المحيطة بمجرى واد أضرضور (واد فرخانة) من مباني المركز الإداري الحالي إلى نقطة الحدود مع مليلة المحتلة. وحسب أ. موليرا Auguste Mouliéras فإن فرخانة، التي يدعوها جنادة باسم قصبتها كانت أواخر القرن الماضي فرقة تتألف من 200 كانون، أي ما يقارب 1000 نسمة. ولم يختلف هذا مع ما قاله دلبريل Delbrel أيضا.

ويمكن تتبع تاريخ فرقة فرخانة ضمن مقاومة الوجود الإسباني بمليلة المحتلة منذ احتلالها سنة 903 / 1497 إلى سنة فرض الحماية الإسبانية، مما أدرجناه في كتابنا المرتبط بالفترة المتراوحة بين 1497 و1859. وتحتضن أراضيها قصبة فرخانة المعروفة بجنادة أو دار المخزن. ودورها بارز في أحداث الحدود مع مليلة إلى سنة 1912. ونخص بذلك ما عرف بحرب سيدي ورياش ما بين سنوات 1890 و1893. وما أبدته من مقاومة حركة الروكي بوحمارة ما بين سنوات 1903 و1908.


*تقييد لمجهول* عاش خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري (16 م) ؛ ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، الرباط، 1997، ص. 43 ؛ *سيدي محمد بن عبد الله وقضية مليلة المحتلة*، ص. 59، الرباط، 1996 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، ص. 101، تطوان، 1951، وثائق قيادة فرخانة، عام 1975.

A. Moulieras, *Maroc inconnu*, 2 : 164.


**الفرخاني، محمادي** بن **الطاهر** بن محمد، أصله من فرقة مجاور من قبيلة بني سعيد الريفية، وهو ناشر الطريقة

العلاوية بقبيلة قلعية. انتقل به والده إلى بني شكر واستقر بآيت علا حيث نشأ وتربى. وبعد وفاة والده توجه إلى زاوية مستغانم وبقي هناك في رعاية شيخها أحمد عليوة إلى أن أمره بالتوجه إلى فرخانة آذنا له بالتلقين ونشر الطريقة، فنزل بمدشر إجهرتن واشتغل بالإمامة في مسجده ثم إلى مسجد مولاي إدريس المجاور لدار المخزن.

غير أن الحظ لم يبتسم له بسبب منافسته للطريقة القادرية على يد شيخها آنذاك الحاج محمد بن أحمد القادري، آتي الترجمة، وما واجهه من الاستنكار للبدع الصوفية التي أتى بها. وكان من ذلك أن استدعي للمناظرة مع الشيخين عبد القادري الفكيكي آتي الترجمة وشيخ زاوية ورك البغدادية، بناء على الدعوة الموجهة إليه من طرف قائد بني شكر عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري، سابق الترجمة بهذه المعلمة.

وما نعلمه أن الغلبة في المناظرة كانت ضد الفقيه محمادي وأتباعه، ولكن الذي لم يصل إلينا هو القبض عليه من طرف السلطات الإسبانية وزجه في السجن بتيزطوطين أولا ثم بمليلة بعد سجن زايو، حيث بقي نحو سبع سنين. والثابت أيضا أن نشاطه في نشر الطريقة العلوية قد استمر خلال مدة سجنه بالسجون التي أحيل إليها، وشاع أمره بعد أن خرج من السجن بتوسط من أصدقائه لدى الإقامة العامة بتطوان.

وبمجرد خروجه من السجن توجه لمستغانم لزيارة شيخه أحمد عليوة برفقة 500 فقير وأمر بتأسيس زاوية بفرخانة. ومن خلصائه الشيخ سليمان الشريف الحسني الودغيري المقيم ببني بوكافر، علاوة على ما كان له من أتباع بقبائل عموم الريف الشرقي. وعندما توفي شيخه العلاوي حول زاويته من آيت علا إلى داخل حدود مليلة، حيث بقي إلى وفاته يوم الخميس 13 يوليو 1946 ودفن بالزاوية.

الشيخ البوزيدي، *إتحاف ذي النهى والبصائر بتراجم الشيخ العلاوي وشيوخه وبعض خلفائه الأكابر*، 1990 ؛ عبد القادر الفكيكي، مخطوطة بيد حفيده حسن الفكيكي ؛ *أرشيف مديرية الوثائق الملكية*.

**الفرخاني، محمد** بن **علي** أزريوح، المعروف بالفقيه. أولى المعلومات التي وصلتنا عنه أنه كان في أول أمره أمين جماعة فرخانة، ثم حولته حرب بوحمارة بالشمال الشرقي المغربي إلى قائد حربي عزيزي. ويبدو من جهة أخرى أنه كون جماعة عسكرية من المتطوعين الفرخانيين وانخرط بهم في سلك المحلة. وكانت تلك الجماعة من ضمن رجال المحلة الذين حاربوا أنصار محمد الشاذلي المناصر لبوحمارة.

دأب محمد بن علي الفرخاني ما بين سنوات 1904 و1907 على حرب أنصار بوحمارة بقلعية وعلى رأسهم محمد الشاذلي، سابق الترجمة والاتصال بعبد الرحمن بن عبد الصادق وانتظار قدومه من وجدة، كما التحق به رجاله حين وصوله إلى ملوية للمشاركة في معارك تقدمه نحو أربعاء أركمام وأخيراً عمهم ما شمل المحلة المخزنية من الحصار بالجزيرة إلى أن تم نقلهم إلى مليلة.

وتم تعيينه أمينا لديوانة مليلة إلى جانب كل من عبد السلام بن يحيى الفاسي والطالب محمد فرطوط في 26 شعبان 1324 / 13 ديسمبر 1906 وإلى غاية 17 قعدة 1324/ 2 يناير 1907 كان مازال بتلك الصفة.

وفي مايو 1908 أبحر الفقيه محمد الفرخاني برفقة القائد الجيلالي إلى أسفي للدفاع عن شرعية المولى عبد الحفيظ. وفي أواخر 1909 كان ما يزال بفاس في انتظار أوامر المخزن، في وقت كان بها محمد الشاذلي، والشريف القادري في مهمة البحث عن المساعدة الحربية لحركة الشريف محمد أمزيان. ولا نعرف شيئاً عن موقف محمد الفرخاني تجاه مقاومة الشريف محمد أمزيان وبعده. ونعلم فقط أنه توفي في أكتوبر 1920.

*الكناش السعيد لمكاتيب العمال* ؛ وثائق مديرية الوثائق الملكية ؛ عدد يوم 13 فبراير من جريدة *Telegrama del Rif*.

A. Riera, *Espana en Marruecos, Cronica de Guerra de 1909*, p. 379 ; José Antonio Cano Martin, *Buhmara y Melilla*, Melilla, 1989, p. 59 ; Gabriel Morales, *Datos para la historia de Melilla*.

**الفرخاني، ميمون** بن المختار، أمين جماعة فرخانة من قبيلة قلعية ومراقب مراسي الريف الشرقي خلال فترة كل من مولاي الحسن وابنه مولاي عبد العزيز، كانت سكناه بمدشر سيدي محمد المجاهد من بني أنصار. تم تعيينه في الغالب في نطاق زيارة مولاي الحسن لقلعية عام 1291 / 1876. وخلال واحد وعشرين سنة من الخدمة المخزنية برزت في وجهه عدة مشاكل، أولاها تلك التي قادته إلى مقاتلة مبارك بن الطاهر الرحماني، قائد المحلة المخزنية بالريف الشرقي في آخر شعبان 1307 لتسريح محمد بن عبد الله الشكري، أمين خميس بني شكر، من سجنه، فبادر المولى الحسن إلى استبدال قائد المحلة في شهر رمضان 1307 / أبريل ماي 1890 بالقائد حمان السعيدي.

ولم يقبل ميمون بن المختار الفرخاني تولية محمد بن العربي السعيدي فاستمر النزاع بينهما بسبب مشاكل حدود مليلة. ومن أهم تلك المشاكل التي سببتها أحداث 20 يوليوز 1890 / 4 ذي الحجة 1307 حين داهمت جماعة من القلعيين فيلقا من فرسان مليلة، وانضاف إلى تلك الأحداث تخريب المزوعات وسطو القلعيين على الأغنام والحبوب. ومن أجل ذلك بعث السلطان القائد علي إكدر الحاحي الذي وصل إلى مليلة في نهاية غشت السنة.

وبما أن علي إكدر كان قد قبض على المتسببين في أحداث 20 يوليو 1890، وكان منهم أفراد من عائلة الأمين، فإن هذا الأخير لم يتأخر عن محاصرته بدار المخزن بفرخانة، وتلا ذلك مقتل المبعوث السلطاني قبل 17 حجة 1307 / 4 أكتوبر 1890. والنتيجة أن أصوات التنديد بأعمال ميمون المختار المزوجي ورفيقه الحاج حدو المزوجي، قائد مزوجة كانت

قد رجحت كفة القائد حمان السعيدي سواء بقلعية أو على الصعيد المخزني المركزي.

ونتيجة لتلك التهمة تحركت مزوجة ضد الأمين الفرخاني وألجأته إلى بني شكر. أما المخزن الحسني فلم يتخذ موقفا معاديا من الأمين، مما سمح له بالتردد على فاس محاولا منع خميس مزوجة من الحصول على تعيين حم بن العربي الحفطلاوي قائدا عليها. ونعلم في الأخير أن ميمون المختار الفرخاني أعاد طلب الانتقال إلى فاس غير أن طلبه رفض من طرف السلطان قائلا : "ثم أولى وأنفع".

وقد تخطت الأخبار الواردة عن ميمون المختار فترة حرب سيدي ورياش، (1311 / 1893) وبعد ذلك بتسع سنين وجدنا الأمين الفرخاني مازال رسميا قائما بمهمته حسب مراسلة 10 جمادى الأولى 1319 / 25 غشت 1901. وبعد هذا التاريخ لم نتمكن من العثور على معلومات أخرى دالة على مصيره الأخير.

*أرشيف مديرية الوثائق الملكية ؛ وثائق الخزانة الحسنية.*

G. Morales, *Datos para la Historia de Melilla*, Melilla 1909.

حسن الفكيكي

**الـفـردال** ، أسـرة تطوانيـة أصلهـا من الأندلس وقـد انقرضت بتطوان سنة 1088 (1677). ومن أفرادها : إبراهيم بن قاسم الفردال من أعيان تطوان، كان من أرباب البصر في الشؤون العقارية سنة 1079 (1668).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**فـردي، فـيـجي**، مقـاوم ولد سنة 1917. انخـرط في صفوف جيش التحرير بالجنوب المغربي منذ سنة 1956 وقد أبان عن شجاعة كبيرة من خلال مشاركتـه حيث شارك في عدة معارك كوادي الصفا والساقـيـة الحمـراء بالصـحـراء المغربية وكذا الخنفوف وثلاثاء صبويا وتولاشت ضد الوجود الفرنسي والإسباني إلى أن تحقق الاستقلال وتم استرجاع ما تبقى من الأراضي المغتصبة.

انتقل إلى رحمة الله بتاريخ 31 يناير 1996 بمدينة أسا.

**فـرّ، محمد** بن **مبارك**، رزئت أسرة المقاومة وجيش التحرير يوم 24 دجنبر 1995 في أحد أبطالها البارزين إبان فترة الكفاح الوطني وهو المقاوم محمد بن امبارك فر.

كان الفقيد من الرعيل الأول من الوطنيين الذين انخرطوا في صفوف جيش التحرير ضمن المقاطعة التاسعة بمركز الساقية الحمراء تحت إمرة السيد صالح بن عسو الجزائري وقد أبلى البلاء الحسن خلال مشاركته رغم كبر سنه حيث أن الفقيد من مواليد سنة 1900 بمدينة طانطان. وقد ظل الفقيد وفيا لمبادئه الوطنية.

**الـفرّان** ، فران الخبز أنواع وأشكال تختلف من منطقة إلى أخرى في البوادي المغربية وتختلف عن غيرها في المدن، ففي السهول وجد فران بسيط في شكله وفي استعماله ووقوده يعرف ببوجيهة، وكما يدل عليه اسمه : فهو مقسم إلى جزءين جزء للحطب وجزء للعجين، وشكله كالقبة الصغيرة تبنيها النساء عند الحاجة بخليط من الطين والتبن أو الحلفاء أو ما يقوم مكانها، وتستعمل في ذلك تقنية بسيطة لكنها لا تخلو من ذكاء، وتستخدم في تسخينه وإنضاج الخبز المواد المتوفرة في المنطقة : الحطب، والتبن أو روث الأبقار وغالبا ما تستعمل في السهول بقايا المواد ويستعان بسنابل الحبوب (الخشلاع) وقد عرف بوجيهة في السنوات الأخيرة تطورا شمل شكله وطريقة استعماله سماه أصحابه "عويطة" لسرعة تسخينه وإنضاجه للخبر ويختلف عن بوجيهة اختلافا دقيقا ففي الفران السريع تستعمل كل الأشياء القابلة للإشتعال لتوليد حرارة عالية من بلاستيك وكارطون وغيرها وعند بلوغ الحرارة درجة مرتفعة بعد أن تأتي على المواد المشتعلة يتم إدخال أقراص العجين وتغلق الفتحة الوحيدة الموجودة بقطع من الخرق المبللة وبعد حوالي ربع ساعة ينضج الخبز.

هذان النوعان كانا مستعملين في الغالب عند الرحل وأنصاف الرحل في السهول والهضاب والجبال، أما في مناطق الاستقرار وخاصة في شمال المغرب فالفران بناية قارة إما عائلية أو خاصة بأسرة معينة وأحيانا شخصية وتستخدم الحطب والأخشاب وشكلها مكعب وتبنى بالحجارة أو قاعدتها من الحجارة وأعلاها من طين مخلوط بالحلفاء والتبن وهو أكبر حجما من الشكلين السابقين ويستعمل هو والنوع السريع وقوفا. أما بوجيهة فتستعمله النساء جلوسا.

وفي الجنوب ينتشر نوع آخر من الفران عرف "بالتنور". مكون من جزئين علوي مبني بالحجارة أو الطين وسفلي عبارة عن حفرة لإيقاد النار، ويختلف عن الأنواع الأخرى بشكله الأسطواني وبطريقة استعماله إذ تلصق أقراص العجين غير السميكة بجدرانه.

هذه الأنواع من (الفران) انتقلت إلى المدن حسب أصل ساكنتها لكن التطور أدى إلى ظهور أفران عمومية واختفاء الأفران العائلية، وأصبحت للفران أهمية كبرى في حياة الحي أو الدرب، أو "الحومة" لتلبية حاجيات السكان العادية وغير العادية "إنضاج الخبز - الحلويات - المشويات وغيرها". وأصبحت علاقته "بالحومة" حميمية لأن العاملين فيه من معلم "بيت النار" وطراحة وأحيانا حتى رب الفران يعرف خبز كل بيت بيت : عدد أقراصه ونوعه ويعرف المناسبات المقامة والمبرمجة في كل بيت أو دار وما تحتاجه من الفرن من خدمات ؛ وانتقل رب الفران من شخص عادي وأحيانا دون العادي إلى رتبة الأعيان وكانت له مكانة اجتماعية متميزة بعد تطور الفران إذ أصبح يقوم بإنتاج الخبز والحلويات وما شابهها للسوق.

وقد لحقت الأفران التقليدية في المدن بعض التغييرات التي حسنت من خدماتها ومن ظروف العاملين بها إذ أدخلت أفران تشتغل بالكهرباء أو بمشتقات البترول، لكن الفران التقليدي فقد أهميته وعلاقته الحميمية بالحومة منذ ظهور الأفران المنزلية المشغلة بالغاز أو بالكهرباء منذ الثمانينات من القرن الماضي، وانتشار المخابز العصرية التي تبيع جميع أنواع الخبز والحلويات الجاهزة. ومع هذا التطور أصبح السوق والمنازل تعرف نوعين من الخبز والحلويات "البلدي والرومي أو العصري" ولم يعد الفرن ذلك الذي يدخل في المثل الشعبي "فران وقاد بحومة".

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ التادلي، *التشوف* ؛ الونشريسي، *المعيار* ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار* ؛ الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ الضعيف، *تاريخ الضعيف* ؛ م. الطويل، *الفلاحة المغربية*، مرقون ؛ *النقل والتنقل* ؛ *الرواية الشفوية*.

G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912* ; J. Caillé, *La ville de Rabat jusqu'au protectorat* ; Letourneau, *Fès avant le protectorat*..

محمد حجاج الطويل

**الفرّوج، بوجمعة** ، فنان شعبي كبير. اشتهر خلال الخمسينيات من القرن العشرين، وغلب عليه بين معارفه لقب "الفروج".

كان ينظم الكلمات بنفسه، ثم يغنيها بصوته على ألحان شعبية. وأغلب أغانيه تستمد موضوعاتها من قضايا الناس الاجتماعية، فتأتي معبرة عن معاناتهم وحاملة لهمومهم.

لقيت أغاني الفروج نجاحا كبيرا، وحظيت بإعجاب الناس واستحسانهم بفضل الأسلوب الذي اختاره لأدائها والذي كان يزاوج بين الحوار والمشهد التمثيلي الذي يطبعه النقد الساخر وروح الفكاهة.

ومن أنجح أغانيه في هذا السياق محاورته الغنائية "المفتاحة" وأدوار اعبيدات الرما الفكاهية التي كانت تستقطب الجماهير الوافدة على حلقاته في كريان بنمسيك بالدار البيضاء أو في ساحة جامع الفنا بمراكش.

ويعتبر بوجمعة الفروج بحق الفنان الذي مهد سبيل الشهرة والنجاح للأعمال التي يبدعها معاصره وخلفه في مجال الأغنية الشعبية الفنان الحسين السلاوي.

*مجلة الفنون، السنة الثانية، العدد 5 و6، 1975، ص. 125*، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ؛ معلومات خاصة.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**فرس البحر** ، حيوان من الأسماك العظيمة البحرية ينتمي إلى فصيلة زمارات البحر Sygnathidae، يشبه الفرس في رقاع الشطرنج. تضم الفصيلة أربعا وعشرين نوعا تعيش في البحار المعتدلة والإستوائية، منها نوعان يعيشان بالسواحل المغربية :

- حصان البحر المبقع يدعى علميا Hippocampus guttulatus وبالفرنسية Hippocampe moucheté وبالإنجليزية Sea-horse. سمك بيوض يختلف عن باقي أنواع الأسماك في الشكل حيث يتميز بذيل أخاذ يمكنه من التشبث بالنباتات البحرية. بظهره زعنفة واحدة، وزعنفتان صرديتان. الزعانف الذنبية والبطنية منعدمة. الفم أنبوبي وطويل خال من الأسنان. تكسو جسمه صفائح قرنية خشنة تحميه من أعدائه.

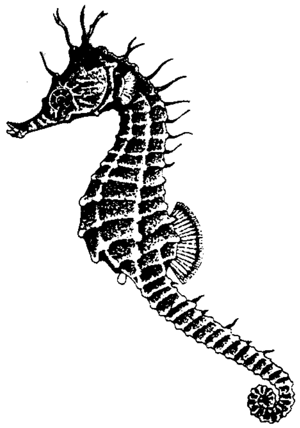

- حصان البحر اللين يدعى علميا Hippocampus ramulosus كثير الشبه بالنوع الأول. ويحتمل وجود أنواع أخرى من السواحل المغربية.

يعد التناسل عند أنواع حصان البحر من الغرابة إذ يبتدئ بالتلاطف من طرف الزوج للأنثى فتضع هذه الأخيرة أنبوبها البطني داخل الجراب البطني للزوج لتبيض بداخله من مائة إلى مائتي بيضة مما يجعل الذكور تقوم بمهمة الحضانة التي تدوم من ثلاثين إلى ثمانية وثلاثين يوما. تخرج الصغار من جراب الذكور بعد التفقيس وطولها لا يتعدى اثني عشر ملم ويبلغ طول الكبار ما بين 15 ـ 20 سم.

وحصان البحر حيوان بطيء التنقل يسبح عموديا ويقضي معظم أوقاته بين الحشائش والطحالب البحرية القريبة من الشواطئ ويتغذى من الهائمات ومن الحيوانات والنباتات الدقيقة السابحة.

إنه من الحيوانات النادرة يقبل العيش بداخل الأحواض السمكية الصغيرة.

أحمد شفيق الخطيب، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، 1988، لبنان.

R. Ch. Dollfus, *Première contribution à l'établissement d'un fichier ichtyologique du Maroc atlantique*, Trav. Inst. Sci. Zoologie n° 6, p. 136, 1924 ; J. Anthony, *Grande Encyclopédie Alfa des Sciences et Techniques*, Zoologie II, 1984, p. 229.

محمد رمضاني

ابن **الفرس**، أبو **القاسم عبد الرحيم** بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي. عالم أندلسي من أعيان غرناطة، كان فقيها جليل القدر لغويا أديبا شاعرا، موصوفا بالذكاء المفرط وسرعة البديهة والتقدم في الفلسفة والعقليات والعلوم القديمة. زار مراكش وتقرب من الموحدين فحضر مجلس الخليفة المنصور، ولاعتداده بنفسه صدرت عنه بعض الأقوال

فاختفى عن الأنظار خوفا من عاقبتها، ثم ظهر بعد وفاة الخليفة.

تحدثت مصادر ترجمته عن طموحه الجامح إلى الملك، فقد كان "جاريا على أخلاق الملوك في مركبه وملبسه وزيه". وانتهى به المطاف أن أعلن الثورة ضد الدولة الموحدية بمنطقة السوس الأقصى. فما هي إذن ظروف وملابسات ثورة هذا الرجل ؟

عاين ابن الفرس أثناء وجوده بمراكش مخلفات ثورة أبي قصبة الجزولي التي كانت قد اندلعت بالسوس سنة 597 / 1200 ، وكان يخرج مع بعض أصدقائه لرؤية رأس الجزولي ورؤوس أتباعه معلقة بإحدى أبواب المدينة، فكان يبدي إعجابه بهم وتقديره لهم ويصرح بذلك لأصدقائه. ويظهر أن هذه الثورة قد غذت طموحه في خوض مغامرة طالما حلم بها، وتوسم في فشل هذه الثورة بعض العناصر الصالحة للاستغلال، فهيأ الظروف للانتقال إلى منطقة جزولة، وتحديدا إلى حصن تيونوين معقل أبي قصبة، فعمل في ظرف دقيق على استغلال مشاعر الحقد والنقمة التي كان سكان المنطقة لايزالون يكنونها للموحدين نتيجة العنف والإبادة اللذين تعرضت لهما حركة الجزولي. ومن العوامل التي وفرت النجاح لابن الفرس في جمع الناس بأعداد غفيرة حوله مؤهلاته الشخصية وقوة تأثيره.

وتقليدا لأغلب ثوار عصره، فقد بحث عن مبرر ديني لثورته، فتسمى بالقحطاني، الذي ورد ذكره في الحديث النبوي "لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يقود الناس ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا"، فتبعه خلق كثير من أهل جزولة، وأعلن ثورته في حدود سنة 600 / 1203، وتسمى بالخليفة، وكان أتباعه يحيونه بتحية الملك.

وقد أورد ابن الآبار في *الحلة السيراء* لابن الفرس بعض الأبيات الشعرية يتوعد فيها الموحدين، ويدعو إلى نفسه، منها :

| | |
|---|---|
| قولوا لأبناء عبد الموحد بن علي | تأهبوا لوقوع الحادث الجلـــــل |
| قد جاء سيد قحطان وعالمهـــا | ومنتهى القول والغلاب للـــدول |
| الناس طوع عصاه وهو سائقهم | بالأمر والنهي نحو العلم والعمل |
| فبادروا أمره فالله ناصـــــره | والله خازي أهل الزيغ والميــــل |

نلاحظ أن فكرة "المهدوية" وظهور المخلص، كانت قد استهوت عددا من الثوار منذ نجاح المهدي بن تومرت، كابن قسي بالأندلس، وابن هود الماسي الذي تسمى بالهادي. ولكن فهم هذه الثورات يحتاج إلى وضعها في سياق أوسع بتجاوز الخلفيات الفكرية إلى طبيعة التطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بمغرب القرنين 6 و7 هـ. وجدير بالتذكير أن ابن الفرس قد كرر مفارقة عرفها المغرب الوسيط، وتتمثل في اختيار بعض العرب الخلص لبيئات أمازيغية لإعلان الثورة بها.

لقد تزامنت ثورة ابن الفرس مع اندلاع ثورة أخرى بجبال ورغة شمال مدينة فاس تزعمها رجل يدعى محمد بن عبد الله بن العاضد، ادعى أنه فاطمي عبيدي، وقتل سنة 600 / 1203.

وكان ابن الفرس ثاني عالم أندلسي يركب مغامرة الثورة ضد الدولة الموحدية في بر العدوة بعد الثائر الجزيري الذي تحدى الدولة في أوج عزها، وقتل سنة 586 / 1190.

كباقي الثورات التي اندلعت ضد الدولة الموحدية، فإننا لا نعرف عن ثورة ابن الفرس شيئا من الداخل، لا عن أفكار صاحبها، خلا ما ذكر، ولا عن تنظيماتها، ولا عن طبيعة علاقة العالم الأندلسي بالبيئة السوسية. وعلى كل حال فقد كانت نهاية هذا الثائر مشابهة لنهايات جميع الثوار، حيث جهزت الدولة جيشا لقتاله، فأحدقت به العساكر من كل جانب وهزم ومن معه، ثم حزّ رأسه ونقل إلى مراكش ليعلق بباب الشريعة إلى جانب رؤوس الثوار من قبله ـ على العادة الموحدية ـ وبقي معلقا في شبكة حديد مدة عشرين سنة. وكان عمره يوم قتل 36 سنة.

وقيل فيه بعد قتله :

| | |
|---|---|
| لقد طمح المهر الجموح لغايـــة | فقطع أعيان الجياد السوابـــق |
| جرى وجرت رجلاه لكن رأســه | أتى سابقا والجسم ليس بسابق |

ابن الآبار البلنسي، *الحلة السيراء*، تح. حسين مؤنس، القاهرة، ط. 1، 1963، 2 : 270 ؛ ابن سعيد المغربي، *المغرب في حلى المغرب*، تح. د. شوقي ضيف، القاهرة، ط 3، 1978، 2 : 111 ؛ ابن الزبير الغرناطي، *صلة الصلة* ، تح. د. عبد السلام الهراس وذ. سعيد أعراب، الرباط، 1993، 3 : 228 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب* ، تح. جماعة من الأساتذة، الدار البيضاء، 1985، ص. 348؛ ابن الخطيب السلماني، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1975، 3 : 473 ـ 476 ؛ ابن خلدون، *تاريخ ابن خلدون*، بيروت، 1981، 6 : 296.

محمد المغراوي

**فرشادو** ، ويكتب أيضا فرشاضو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Fajardo ؛ ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Fajardo ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1175 / 1762.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **الفرضي، عبد الله** بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي، أبو الوليد، ولد في ذي القعدة من سنة 351 / 963، كان أبوه من العلماء المهتمين بعلم الفرائض حتى غلب عليه اسم "الفرضي"، وسمي ابنه بـ "ابن الفرضي"، أخذ عبد الله عن الكثير من العلماء بالمغرب والمشرق الإسلاميين، نذكر منهم بالأندلس أبا عبد الله محمد بن مفرج القاضي، وأبا محمد عبد الله الثغري، وأبا محمد بن أسد، وخلف بن قاسم، وعبد الله بن يحيى الليثي، ومحمد بن عمر بن

القوطية، وغيرهم كثير. كما استفاد خلال رحلته إلى المشرق في سنة 382 / 992 من ثلة من كبار المشايخ، ففي مكة أخذ عن يوسف بن أحمد بن يوسف بن الدخيل المكي، وعلي بن عبد الله جهضم، وأحمد بن عمر بن الزجاج، وغيرهم. ومن المرجح أنه أخذ عن بعض شيوخ المدينة المنورة. وفي مصر أخذ عن أحمد بن محمد بن إسماعيل البناء، وأبي بكر الخطيبي، وإبراهيم بن علي بن سيخت، وسواهم. وفي القيروان أخذ عن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي زيد، وأحمد بن دحمون، وأحمد بن نصر الداودي، وعلماء آخرين. يقول أحمد اليزيدي عن اختلاف الاهتمامات العلمية والأدبية لهؤلاء العلماء" أن شيوخ ابن الفرضي لم يكونوا من طبقة واحدة، ولا من صنف واحد من العلماء، وانما هو خليط، فيهم المحدث والمفسر والمقرئ والفقيه، وفيهم الاخباري والأديب والشاعر واللغوي والنحوي، وفيهم المشارك، كما أن فيهم الحافظ والحجة والثقة ومن هو أقل درجة من ذلك...". ومن تلامذته الكثيرين نذكر أبا عمر بن عبد البر، وأبا عبد الله الخولاني، وابن حيان القرطبي، وابن حزم الظاهري. وقد تولى ابن الفرضي منصب القضاء ببلنسية في دولة محمد المهدي المرواني. وكان فقيها ومحدثا ومؤرخا وأديبا. وتتضح أهمية تكوينه العلمي والأدبي من خلال شهادات بعض كبار العلماء، فقد قال فيه تليمذه ابن عبد البر "كان فقيها عالماً في جميع فنون العلم في الحديث وعلم الرجال، وله تواليف حسان". وقال فيه أبو عبد الله الخولاني وهو من تلامذته أيضا "كان من أهل العلم، جليلا، ومقدما في الآداب، نبيلا مشهوراً بذلك". أما ابن بشكوال الذي عني بترجمته فقد ذكر أنه "لم يرد مثله بقرطبة من سعة الرواية وحفظ الحديث ومعرفة الرجال والافتنان في العلوم إلى الأدب البارع والفصاحة المطبوعة"، ووصفه الذهبي بكونه "الإمام الحافظ البارع الثقة". أما مؤلفاته فمتعددة منها أخبار شعراء الأندلس، المؤتلف والمختلف في الحديث، تاريخ علماء الأندلس، رسالة في الفقه، ديوان شعر. قتل ابن الفرضي أثناء فتنة البربر بقرطبة في شوال 403 / 1012.

ابن الفرضي، *تاريخ علماء الأندلس*، تح. إبراهيم الابياري، القاهرة، ج 1 : 7 ـ 15، ابن بشكوال، *الصلة*، بيروت، الطبعة الأولى 1410 / 1989، ج 1 : 391 ـ 393 ، محمد بن أحمد الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ؛ محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، الطبعة الثامنة، 1412 / 1992، ج 17 : 179 ـ 180 ؛ المقري، *نفح الطيب*، حققه ووضع فهارسه يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، الطبعة الأولى، 1406 / 1986، مج. 2 : 333 ـ 335 ؛ أحمد اليزيدي، *أبو الوليد ابن الفرضي، القرطبي، حياته وآثاره العلمية*، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1415 / 1995، ج 1: 73 ـ 142، ج 2 : 4، الزركلي، *الإعلام*، بيروت، الطبعة السابعة، 1986، مج 4 : 121.

عبد العزيز الضعيفي

**فرطوط**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس انقرضت بتطوان، وقد جاء ذكرها في القصيدة المشهورة للحاج عمر لوقش ؛ وتوجد بحومة الطرانكات دار تعرف بدار الفقيه فرطوطة. ومن بينهم أحمد بن عبد السلام فرطوط، من أعيان تطوان، كان من أرباب البصر في الشؤون الفلاحية سنة 1263 / 1847.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**فرطوط، محمد** تاجر تطواني انتدبته نيابة طنجة بصفته أمينا ليقوم بمتابعة أخبار بوحمارة بالمغرب الشرقي من مقره بمليلة من جهة، والإشراف على مؤونة الباخرة المغربية "التركي" من جهة ثانية. عين بتلك المهمة حسب مراسلة 24 محرم 1321 / 22 أبريل 1903، إثر سقوط قصبة فرخانة بأيام بيد أنصار بوحمارة من قلعية. ويمكن متابعة دور محمد فرطوط في تلك المهمة المتمثلة في ربط الاتصال بعمال قلعية بحرا، نتيجة استحالة وصول البريد البري، والتعريف بدور الباخرة المغربية في المعركة مع بوحمارة على طول ساحل المغرب الشرقي الممتد من مليلة إلى السعيدية.

وعين محمد فرطوط في تلك المهمة ليقوم بماله الخاص بتسديد المصاريف التي كانت الباخرة في حاجة إليها، ثم يطالب نيابة طنجة بأداء النفقات التي سبق صرفها. وتمثلت تلك المصاريف في الغالب في تزويد الباخرة المغربية التركي وزوارق إفراغ الحمولة وتوفير البحارة، وغير ذلك مما كانت في حاجة إليه خلال وجود بوحمارة بقصبة سلوان إلى حين انسحابه منها.

وما عرف عن محمد فرطوط أنه عين أمينا لديوانة مليلة إلى جانب الفقيه محمد بن علي أزريوح الفرخاني، والفقيه عبد السلام بن يحيى الفاسي وذلك بتاريخ 26 شعبان 1324 / 15 أكتوبر 1906. وكان في آخر سنة 1324 / فبراير 1907 مازال في المهمة. الغالب أن مهمته انتهت مع زوال خطر بوحمارة عن قلعية في أواخر السنة الموالية.

*وثائق الخزانة الحسنية ومديرية الوثائق الملكية ؛ كنانيش الخزانة الحسنية.*

حسن الفكيكي

**فرفرة، المكي**، فنان موسيقي وعازف ممتاز على القانون. وهو من الفنانين الأوائل الذين دعوا للالتحاق بالجوق الملكي أواخر العقد الرابع من القرن العشرين وهو يومئذ تحت رئاسة العازف المصري على القانون مرسي بركات.

وبعد توقف نشاط الجوق الملكي إثر حوادث غشت 1953 التحق المكي فرفرة إلى دار الإذاعة الوطنية فاشتغل عازفا في الجوق العصري برئاسة المرحوم أحمد البيضاوي قبل أن يتحول إلى جوق المتنوعات.

وفي عام 1959 أدمجت العناصر العاملة في الجوق العصري وجوق المتنوعات في مجموعة واحدة أطلق عليها

اسم "الجوق الوطني" فكان ذلك بداية تحول المكي فرفرة إلى جوق الطرب الأندلسي برئاسة المرحوم مولاي أحمد الوكيلي.

وعلى هامش عمله في الأجواق المذكورة مارس المكي فرفرة التدريس خلال الستينيات في كل من المعهد الوطني للموسيقى بالرباط والمعهد البلدي للموسيقى بالدار البيضاء، فكان يعلم العزف على القانون ويلقن دروسا في النظرية الخاصة بهذه الآلة.

ومن أجل صقل تجربته في مجال التعليم انتدب للمشاركة في البعثة المغربية الموفدة إلى باريس في صيف 1957 لحضور التدريب التربوي بمركز التربية الموسيقية الذي كان يديره موريس مارتونو.

وقد تخرج على يده ثلة من أجود العازفين اشتهر من بينهم - خاصة - الطالب النابغة المرحوم عبد الوهاب بن سعيد الواشري الذي عاجلته المنية وهو في ريعان الشباب.

توفي المكي فرفرة يوم 22 يوليوز 1975.

أحمد البيضاوي، *مجلة الفنون*، ع. 5 و6، السنة الثانية، محرم وصفر 1395 / يبراير - مارس 1975، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الفرقاطة** (Frégate) تدعى أيضا فرغاطة وفلگاطة وفلغاطة، وهي سفينة مجذافية متوسطية الأصل تندرج ضمن فصيلة القادس، مترتبة كسفينة أصغر من الدعومة التي تشابهها بناء وتصرية وتجهيزا. وتمتاز بخفة وزنها، حيث يتراوح طولها ما بين سبعة عشر وسبعة وعشرين مترا، وعدد مجاذيفها بين ستة واثني عشر مجذافا. وتتميز بسطحها المجسر والمكشوف والمفتقد إلى الأحواض. وقد اعتمدها المغاربة كمركب أساسي بديلا عن القادس، ولا سيما منذ أواخر القرن (16م) بعدما جهزت بالأشرعة. ويشير جان لوي ميج (J.L. Miège) إلى أن اسمها أطلق جزافا على مختلف المراكب الحربية المتفاوتة الأحجام على امتداد القرنين المواليين.

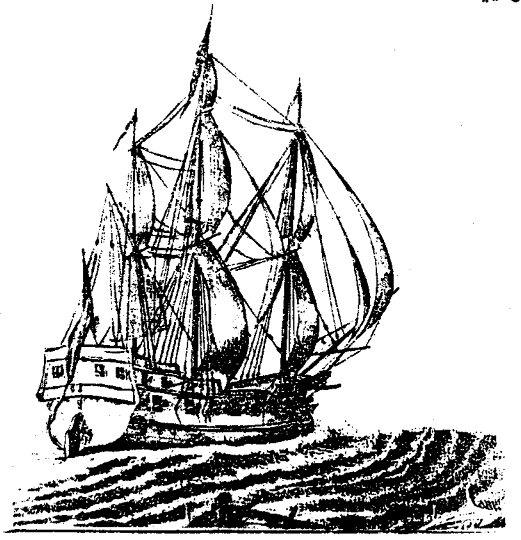

وقد استنسخت الفرقاطة المغربية عن نظيرتها الأوربية، وكانت من النماذج الأكثر إنشاء بالأوراش المحلية، واختلف حمولتها بين ثلاثين طنة في الأدنى ومائتين في الأقصى. وكانت الأنواع شائعة الاستعمال في الأسطول المغربي، حيث كانت نسبتها من مجموع الأسطول العامل أزيد من 70٪ سنة 1669 (8 / 11 مركبا)، و40٪ سنة 1671 (7 / 16)، و60٪ سنة 1700 (7 / 11).

غير أن كفاءتها صارت تقل عن نظيرتها الأوربية وخاصة إبان عهد سيدي محمد بن عبد الله، الشيء الذي جعل أعدادها تتراجع ضمن قطع الأسطول. وربما كان هذا هو دافع السلطان - في محاولة منه لمواكبة التطور العالمي - إلى إصدار أمره سنة 1174 / 1761 بإنشاء فرقاطة ذات طابقين بلغت تكلفتها حسب الضعيف ما يناهز الأربعين قنطاراً من الذهب.

النخيلي، *السفن الإسلامية*، ص. 115 - 116.

Dan, *Histoire de Barbarie*, p. 307 ; Chenier, *Journal...*, p. 111-112, 117-118, 125-127 ; Les *S.I.H.M.*, 2° série, France, T. I, p. 278-280 ; T. III, p. 3, 528 ; T. VI, p. 98 ; Brunot, *La mer dans les traditions*, p. 116, 168, 250, 295 ; Clas Broder Hansen et Peter Knuth, *ABC de la marine à voile*, Trad. de l'allemand par Anne-Marie Tattevin, ed. Arthaud, Paris, 1990, p. 51-52.

حسن أميلي

**الفرقة** أو الخُمس، هي مجموعة من الفخدات (انظر هذه المادة)، من ثلاث إلى خمس، تمثل (مقارنة مع الدوار والفخدة) وحدة سياسية، إذ تنتخب جماعة تمثل سلطة سياسية، إدارية، تشريعية وتنفيذية، من أهم مهامها السهر على مصالح الساكنة والدفاع عن حدود الفرقة، وهي حدود قارة لا تتأثر بالتغيرات التي تطرأ على عدد السكان. وليس من الضروري أن تنحدر الفخدات المكونة للفرقة من نفس الجد. إن الأمر يتعلق بوحدة تعاقدية، الشيء الذي جعل بعض الإثنولوجيين الكولونياليين ينعتونها بالجمهورية.

عبد الجليل حليم

**فركلة** (أولاد -) من الأودية الصحراوية بالجنوب الشرقي للمغرب، ينبع من السفح الشرقي للأطلس الكبير الأوسط، وبالضبط من الكتلة الجبلية الواقعة بين تاديغوست شرقا وأغبالون كردوس غربا، ويمتد على طول 155 كلم متخذا اتجاها جنوبيا غربيا ثم جنوبيا داخل مرتفعات الأطلس، ولدى خروجه من الكتلة الجبلية يغير اتجاهه نحو الشرق عند بلدة إزرقان، مجتازا المنبسط الفاصل بين قدم الأطلس الكبير الشرقي والسفوح الغربية لجبل أوكنات، وفي هذا المنبسط يلتقي مع واد تودغا عند الأطراف الغربية لواحة أسرير التي تشكل بداية الواحات المنسوبة للوادي الذي يسقيها.

ولعل ما اشتهر من فركلة بالذات هي واحاته التي لعبت أدواراً مهمة في تاريخ الجنوب الشرقي المغربي، باعتبار

موقعها الإستراتيجي على محور تافيلالت مراكش ودرعة، ولكونها مجالا لإحدى أهم القبائل الأمازيغية المكونة لاتحادية آيت يافلمان، ونقصد بها آيت مرغاد. فبفضل مياه واد فركلة استوطن الإنسان الواحات المحيطة به منذ القدم، حيث انتظم السكان في إيغرمان أو قصور عديدة لعل أشهرها هو إيغْرَمْ نْ أسْرِيرْ الذي يتكون من ستة قصور هي آيت فراح وآيت عيسى وآيت بوحدوك وآيت حمو وآيت لبزام وآيت بوتغسايين. أوردت المصادر التاريخية ذكر أسرير كمحطة على طريق القوافل التجارية المتجهة والآتية من الصحراء، وظل يلعب هذا الدور التجاري إلى عهد قريب، حيث كان يقام فيه سوق مرتين في الأسبوع (الأحد والخميس) يؤمه سكان المناطق والقبائل المحيطة بالواحة. إلى جانب أسرير توجد قصور عديدة أخرى في فركلة أهمها الخربات وآيت عاصم، لكن شأن قصور كل الواحات الجنوبية الشرقية فإن تأزم اقتصاديات الواحات والهجرة القروية وتحولات الحياة في المراكز الحديثة أثر بعمق في أوضاع قصور فركلة، بحيث تعرف تدهوراً مطرداً ترجم في إخلائها من طرف السكان لحساب مدينة تنجداد التي أصبحت المركز الإداري لفركلة منذ فترة الحماية. (M. Laaouane, *Evolution récente des ressources en eau et des paysages dans la plaine de Ferkla*).

M. Laaouane, M. Amyay [et al.], Les khettaras de Ferkla : un patrimoine agonisant. *Communication présentée au colloque : "Eau et environnement au Maroc aride et semi-aride", El-Jadida le 30-31 octobre 2000* ;. Naciri, Les Ksouriens sur la route. Emigration et mutation spatiale de l'habitat dans l'oasis de Tinejdad. Colloque *"Habitat, Etat et Société au Maghreb"*. Publication du C.N.R.S., p. 348-364, 1988 ; My Lhassan Ouzaouit, L'eau et les transformations socio-spatiales des oasis, cas de l'oasis de Ferkla, in *Espace et société dans les oasis marocaines*, Publication de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Meknès, série colloques n° 6, Meknès, p. 83-95, 1993.

محمد بوكبوط

**فرناشو** ، ويكتب فرنيشو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Fornazo وHornachos ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1216 / 1802.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**فرن الجير** ، يستخرج الجير من حجر الكلس، إذ يتم إحراقه في فرن يتميز بتركيبة خاصة تتراوح فيه الحرارة ما بين 200 و300 درجة. ويعود استغلال الجير إلى أقدم الحضارات سواء قصد البناء أو كسماد للأرض، واستمر استغلال هذه المادة إلى الوقت الحاضر مع إدخال تكنولوجيا حديثة. ونظرا لأهمية هذه المادة فقد خضع استخراجها واستغلالها إلى قوانين مضبوطة تعود أولى نصوصها إلى القرن الثاني ق. م. ويقدم المزارع اللاتيني كاطون الشيخ نماذج من هذه العقود كما أنه عمد إلى تقديم وصف دقيق لبناء فرن الجير. يتبين من خلال هذه العقود أنه يتم استخراج أحجار الجير من المقالع التي يتم كراؤها من عند الدولة أو الخواص، إذ تحدد عقدة الاستغلال المدة الزمنية وكمية الأحجار التي سيتم استخراجها، كما يتم شراء الخشب الذي تحتاجه الأفرنة. بعد توفير هذه المواد الأساسية، بالإضافة إلى كل ما يحتاجه فرن الجير، ويتم التعاقد مع متخصص في استخراج الجير، وتنص العقدة بين الطرفين على أن يتولى صاحب الفرن كل العمل بما في ذلك وضع وتصفيف الحجر في الفرن وإزناد النار وتغذيتها بالأخشاب طوال مدة الطهي ثم إخراج الجير من الفرن ووضعه رهن إشارة صاحبه. ومن أجل بناء فرن الجير يقدم لنا المزارع اللاتيني كاطون الشيخ وصفة دقيقة تكشف أن الرومان كانوا متمرسين في بنائها، ويعتبر هذا النص من أقدم النصوص التاريخية على الإطلاق حول تقنية بناء فرن الجير. يتكون الفرن من أربعة عناصر ضرورية تنطلق من القاعدة التي يصل قطرها إلى حوالي 10 أقدام، تكون على شكل دائري وغالبا ما يتم ترصيفها بأحجار الجير ثم تبليطها قصد دفع الحرارة في اتجاه أفقي. إلى جانب القاعدة يتوفر الفرن على المدخنة التي يضيق قطرها كلما صعدت، على أن لا تقل فوهتها عن ثلث القاعدة في الأعلى. يضاف إلى هذا، مدخل متصل بالقاعدة لإدخال مواد الإحراق وأخيرا مخرج لتصريف الرماد. تشكل هذه العناصر العمود الفقري لبناء فرن الجير ويراعى في حجمها كمية الأحجار التي سيتم بناؤها من أجل إحراقها. ويتم بناء الفرن من حجر الكالكير من النوع الأبيض إذ توضع الكبيرة في القاعدة ويتم تصفيف الباقي حسب حجمها بشكل دائري في اتجاه القمة. وبعد ذلك، تتم عملية تلميط الواجهة الخارجية بالطين والجير حتى لا تخرج ألسنة النار والحرارة وتتجه بشكل عمودي في المدخنة. تساعد هذه التقنية على توجيه ألسنة النيران من الأسفل نحو الأعلى وبالتالي يتم إحراق الأحجار وتحويلها إلى جير. وحتى تتم العملية في ظروف

جيدة يجب أن لا تنطفئ النار طوال مدة الطهي والتي قد تستمر أزيد من ثلاثة أيام حسب نوعية الحجر إلى أن تصبح الأحجار العليا بيضاء ويعمها شقوق. وحين ينقطع خروج الدخان من الأعلى وتبدأ شرارات اللهب تخرج من المدخنة فإن ذلك يعني أن العملية قد تمت بنجاح، فيتم إخماد النار لتبدأ عملية فسخ الفرن لاستخراج الجير. ونشير إلى أن هذه التقنية لاتزال متبعة في كثير من مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط ومنها المغرب خاصة بالأطلس المتوسط الغربي حيث تتوفر مقالع الكلس والغابات.

R. Goujard Caton, *De l'agriculture*, Paris, les Belles Lettres, 1975, p. 16 et 38.

سعيد البوزيدي

**فرنسا والمغرب**، تضرب العلاقات بين فرنسا والمغرب بجذور عريقة في القدم. ولئن أتى عليها حين من الدهر كانت فيه متناثرة منحصرة عند المبادلات التجارية بين بعض موانئ البلدين، فإنها أضحت في القرن العشرين علاقات على جانب كبير من الاسترسال والعمل المشترك. بحيث يحتاج المؤرخ إلى جهد جهيد للوقوف على ما يشهد لقدم هذه العلاقات في عصورها الأولى مثلما يحتاج إلى جهد مماثل لئلا يغرق في ما تراكم من الوثائق عنها في الفترة المعاصرة. ويمكن أن نميز في المسار العام لذلك بين عدة مراحل.

فالمرحلة الأولى هي مرحلة العلاقات التجارية المتناثرة. ويعود أول اتصال بين البلدين إلى الرحلة التي قام بها تاجر من مرسيليا، أيام كانت مستعمرة يونانية، لا يعرف عنه سوى اسمه فهو أوتمين Euthymène (بالنطق الفرنسي) قام برحلة فيما بين القرن السادس والقرن الرابع قبل الميلاد بقصد اكتشاف البحر الكبير والبحث عن الذهب والفضة والعاج والجلود النفيسة التي كان الفنيقيون والقرطاجيون يحرصون على أن تبقى حكرا على تجارتهم. ولاشك أن أوتمين هذا لم يصب إلا الفشل بدليل ما يكتنف رحلته من الغموض فلا يعرف عنها إلا ما تناقله الرواة في العصور اللاحقة. ولا تعود الصلات بين البلدين إلى الطفو على سطح التاريخ إلا بعد انهيار الإمبراطورية التجارية القرطاجية على يد الرومان الذين جعلوا الممالك الأمازيغية في إفريقيا الشمالية تحت حمايتهم في لحظة أولى ثم لم يلبثوا أن ألحقوها بالحكم الروماني مباشرة، إذ أقدم الإمبراطور كاليكولا على اغتيال بطلموس آخر الملوك الأمازيغ، وذلك في مدينة لوكدنوم Lugdunum، وهي مدينة ليون اليوم، مما ترتب عليه ثورة الأمازيغ فشارك في قمعها جنود من بلاد الغال (فرنسا فيما بعد) الذين كان بعضهم سابقا من جنود يوبا جد بطلموس. وتشهد الوثائق الرومانية على وجود أولائك الجنود الغاليين في بانسة وفي جوار وليلي. وكان والي موريطانيا الطنجية في مطلع القرن الثالث رجلا من بلاد الغال. وأدى الأمر في القرن الرابع بعد إصلاحات الإمبراطور قسطنطين إلى إدماج البلدين في مقاطعة إدارية واحدة، مما زاد ولاشك في وثاقة الاتصال بينهما علمابأن الأمر لم ينحصر في المجالات العسكرية والمدنية، وإنما كان له ذيول تجارية، فإن الأبحاث الأركيولوجية كشفت في جزيرة السويرة وفي بناسة وليكسوس عن أدوات خزفية من بلاد الغال التي تحولت فرنسا بعد استقرار قبائل الفرنج الجرمانية فيها. وبلاد الفرنج هاته هي التي دخلتها الجيوش الإسلامية غازية في العقود الأولى من القرن الثامن من خلال واديي الرون Rhône والسون Saône وتوقفت عن غزوها بعد معركة بواتيي Poitiers في أكتوبر 732. وغني عن البيان أن معظم جنود الإسلام هنالك كانوا مغاربة. ولقد استقر بعضهم بقصد الجهاد على الشواطئ المتوسطية لفرنسا. ولا يزال جبل شرقي مرسيليا يحمل اسم جبل المور Maures. بيد أن المعلومات عن هذه الحقبة مختزلة مهزوزة، فمن قائل إن صيادي مرسيليا جاؤوا منذ القرن التاسع إلى سبتة لصيد المرجان، وقائل بأن الراهب جربير من قرية أورياك Aurillac مرّ من جامعة القرويين قبل أن يصبح بابا تحت اسم سيلفستر الثاني (999 ـ 1003)، مما يغدي الأساطير ولا يشفي غليل المؤرخ الذي يمكن أن يطمئن إلى ما تثبته الوثائق عن المبادلات بين تجار إقليمي بروفانس Provence ولانكدوك Languedoc في القرنين الثاني والثالث عشر من الميلاد انطلاقا من ميناء مرسيليا ومونبليي وناربون في اتجاه سبتة التي كانت هي باب المغرب التجارية الكبرى في تلك العصور. ولقد احتفظت الربائد بأسماء بعض التجار وأسماء المراكب المرسيلية التي دخلت سبتة خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر، كانت تأتي بالمنسوجات المختلفة وبالتوابل والأدوات المعدنية والخمور وتذهب محملة بالجلود والشموع والصوف والخيول والمرجان والرقيق. ويؤدي تجار مرسيليا الأعشار على كل ذلك ولهم فندق خاص بهم يترأسه قنصل يتوسط بينهم وبين السلطات المغربية، ويقضي في ما يقوم بينهم من النزاع. كما أنهم أقاموا أول هيئة دينية لفداء الأسرى. ومن علامات انتظام العلاقات وغزارتها بين فرنسا والمغرب من ثم فصاعدا قيام أولى الاتصالات الرسمية بين الأمراء والملوك. فقد رام الكونط ريمون السادس حاكم إقليم تولوز Toulouse الاستنجاد بمحمد الناصر الموحدي في صراعه مع القبائل الإفرنجية الزاحفة من شمال فرنسا. كما أن أبا يوسف يعقوب المريني كتب رسالة مطولة إلى ملك فرنسا فيليب الثالث سنة 674 / 1275. يعرض عليه فيها التعاون لمساعدة ملك قشتالة ألونسو العاشر الذي كان يعاني من تمرد بعض الأمراء من أتباعه عليه. ولم تسفر هذه المبادرة الديبلوماسية الأولى عن نتيجة تذكر. ودخل القرن الرابع عشر، ودخلت فرنسا خلاله في حرب المائة سنة. ولم نعد نعثر على ما يثبت استمرار الصلات بين البلدين إلا ما كان من ظهور بعض مراكب تجار نورماندي Normandie من موانئ دييب Dieppe وروان Rouen على شواطئ المغرب الأطلسية. ولكن ما أن وضعت حرب المائة سنة أوزارها حتى صار ملوك

فرنسا يهتمون بالتجارة مع إفرقيا الشمالية، فقد كاتب الملك شارل السابع السلطان عبد الحق آخر ملوك بني مرين فيما بين 1455 و1461 . ولكن المغرب كان بدوره قد دخل مرحلة متأزمة من تاريخه بسبب انهيار الدولة المرينية وبسبب فقدان الأندلس، فأصيبت العلاقات بين البلدين بفتور لن تتخلص منه إلا بعد استتباب الأمور للدولة السعدية، فانطلقت مرحلة ثانية من تلك العلاقات هي مرحلة اتصال الملوك بشكل رسمي والتعامل بين التجار بشكل مسترسل.

وتندرج العلاقات بين الدولتين في القرن السادس عشر ضمن الصراع الدولي بين أقطاب البحر الأبيض المتوسط الذي حذا بفرنسا إلى تدشين سياستها الإسلامية بالتحالف مع الدولة العثمانية ضدا على إمبراطورية النامسا وإسبانيا الموحدة يومئذ في شخص الملك كارلوس الخامس، مثلما حذا بالدولة السعدية إلى التقرب من إسبانيا لحماية نفسها من الخطر العثماني الجاثم على حدودها الشرقية. ففي ظل هذه المفارقات الديبلوماسية كان المغرب حليفا ضمنيا لفرنسا بصفة كونه دولة مسلمة مثلما كانت فرنسا حليفة موضوعية للمغرب وإن لم يبرم بينهما أدنى معاهدة. وهكذا توفرت شروط التواصل بين الدولتين وإن لم تنتظم وتسترسل أسبابها. فنرى عبد الله الغالب السعدي يسعى في مفاداة الأسرى وفي مساعدة عسكرية فرنسية على يد الأمير أنطوان دي بوربون بعد مباركة ملكي فرنسا هانري الثاني وخلفه فرانسوا الثاني. ولكن الأمر لم يتم. ونرى المنصور الذهبي يتبادل المراسلات والسفارات مع فرنسا، فقد ذكر مؤرخ الدولة عبد العزيز الفشتالي السفارة الفرنسية التي جاءت تقدم التهاني للمنصور بعد مبايعته وانتصاره في معركة وادي المخازن فقال : "وكان ممن وصل أيضا على تفئة ذلك عامئذ أرسال الإفرنجة ويقال افرنصة وبه يعرفون اليوم فقضوا فرض التهنئة" (ص. 51). أما المبادلات التجارية فإنها ظلت مسترسلة من جهة مرسيليا، وإن كان مستواها دون ما كانت عليه تجارة إنجلترا والأراضي المنخفضة. ولعل أبرز ما يحفظ من أسباب التواصل في هذه الحقبة اعتماد الملوك السعديون على بعض الأطباء الفرنسيين مثل كيوم بيرار Guillaume Bérard الذي اصطحبه عبد المالك من اصطنبول. وقد سفر له في فرنسا، ثم صار قنصلا لجنسه في المغرب. وخلفه أرنو دي ليل Arnous de Lille الذي كان يساعده بيير تريبو Pierre Treillaut . ولما عاد أرنو دي ليل إلى فرنسا فإنه اشتغل بتدريس اللغة العربية في الكوليج دي فرانس. وقام مقامه في المغرب الطبيب إيتيين هوبير Etienne Hubert الذي تضلع هو كذلك في علوم اللغة العربية. ومما يذكر أيضا أن الصيدلي أو العشاب جان موكي Jean Moquet زار المغرب مرتين سنة 1601 وسنة 1606 وكتب رحلة بذلك. كما طفت على وجه الأحداث بعد وفاة أحمد المنصور صلات المولى زيدان بالقنصل والتاجر جان فيليب كاسطلان Jean-Philippe Castellane الذي تكلف بنقل حريم السلطان وخزانته من أسفي إلى أگادير، ففر بالكل، ووقع في قبضة الإسبان الذين أودعوا تلك الخزانة في قصر الإسكوريال، وكان ذلك سبب نزاع مطوّل بين المغرب وإسبانيا وفرنسا. ومن خدام المولى زيدان الفرنسيين أيضا مهندس اسمه أنطوان دي ساليط Antoine de Sallette يذكر أنه أشار ببناء ميناء في الوالدية لم يخرج إلى حيز الواقع. ومما زاد العلاقات بين الدولتين تذبذبا انقسام المغرب إلى عدة إيالات وانشغال فرنسا بمشاكلها الداخلية والأوربية، بحيث لم تنتظم أسباب التواصل المسترسل إلا بقيام الدولة العلوية ودولة المولى إسماعيل على وجه الخصوص في المغرب وبجلوس لويس الرابع عشر على عرش فرنسا.

فابتدأت مرحلة ثالثة من تاريخ العلاقات المغربية الفرنسية مواكبة لما جرى من انقلاب في الظرفية السياسية العامة بعد منتصف القرن السابع عشر. فإن الدول الأوربية التي كانت مهيمنة إلى ذلك الحين مثل إسبانيا والإمبراطورية العثمانية والأراضي المنخفضة صار نجمها إلى الأفول، بينما صار نجم فرنسا وانجلترا إلى الطلوع بدون مزاحم. وتجلى ذلك في ظهور أساطيل هاتين الدولتين في كل البحار وفي امتعاضهما المتزايد مما كانت تتعرض له مراكبها التجارية من عمليات الجهاد البحري المغربي التي بادر المولى الرشيد والمولى إسماعيل من أول ما بادرا إليه إلى جعلها حكرا على الدولة وتحت أوامرها. فصارت العلاقات مع فرنسا تدور على ذلك، فرنسا تطالب بإيقاف ما كانت تسميه قرصنة وبإطلاق سراح الأسرى المسيحيين المحتجزين في المغرب ساكتة على ما بيدها من أسرى المسلمين الذين كانوا يجدفون على الأساطيل الفرنسية، والمغرب يطالب بمفاداة أولائك الأسرى على قدم المساواة ويرغب في اقتناء الأسلحة النارية الجديدة والمعدات البحرية الضرورية لمراكبه ويستفيد من خبرات من كان بيده من الأسرى الأوربيين. مما يوحي بما دارت عليه العلاقات بين الدولتين وبين الملكين العظيمين المولى إسماعيل ولويس الرابع عشر من التقارب تارة والتنافر تارة أخرى. ولقد حاصرت أساطيل فرنسا مرسى الرباط وسلا لعدة شهور سنة 1680 . 1681. وكانت المفاوضات تجري من جهة أخرى لإبرام حلف رفض لويس الرابع عشر إمضاءه، فأوفد المولى إسماعيل سفيراً هو الحاج محمد تميم إلى قصر فرساي سنة 1682 لإبرام معاهدة ود وتجارة بين الدولتين، هذا في الوقت الذي لم تكفّ فيه المراكب المغربية عن الجهاد البحري. فعادت العلاقات إلى التوتر إلى أن جاء سفير فرنسي هو بيدو دي سانطولون Pidou de Saint-Olon إلى مكناس سنة 1689 ولم يحصل على طائل. وكذلك كان شأن السفارة المغربية بقيادة الرئيس ابن عائشة سنة 1698 التي تعثرت مرة أخرى في قضية مفاداة الأسرى على قدم المساواة. وذاع صيتها في التاريخ بسبب ما تقدم به السفير المغربي من خطبة الأميرة دي كونتيDe Conti إحدى بنات لويس الرابع عشر على المولى إسماعيل واستخف بها البلاط الفرنسي.

ونتج عن ذلك تقلص التجارة الفرنسية في المغرب التي سيطر عليها تجار فرنسيون من المذهب البروطسطانتي لكونهم كانوا يحقدون على لويس الرابع عشر قامع مذهبهم في فرنسا فكانوا لا يترددون عن بيع الأسلحة والمعدات البحرية للمولى إسماعيل. وظل البلاط الفرنسي يحتج على ذلك إلى أن حلت سنة 1718 فانقطعت العلاقات الديبلوماسية بين البلدين. ودامت القطيعة إلى سنة 1767 في عهد سيدي محمد بنعبد الله الذي نهج سياسة الانفتاح على التجارة العالمية، فجدد الاتصال بفرنسا وأبرم معها معاهدة شاملة في يوليوز من تلك السنة دارت عليها العلاقات بين الدولتين لأمد طويل، مثبتة ما أضحت عليه تلك العلاقات من التكافؤ في الظاهر ومن انعدامه في الواقع. وتتجلى مظاهر التكافؤ في العبارات الديبلوماسية الصقيلة المعسولة وفي الهدايا الفاخرة وفي الصدع بمبدأ المساواة في المعاملات التجارية والملاحية. أما سوء التكافؤ في الجوهر فيتجلى في عجز المغرب عن إنتاج السلاح الناري والمعدات الملاحية وفي حاجته إلى اقتناء كل ذلك من فرنسا ومن غيرها من بلدان أوربا، وفي اكتفائه بتصديربعض المواد الخام فكان الميزان التجاري دائما لصالح فرنسا التي كان لها قناصل في العديد من المراسي المغربية، ولم يكن للمغرب ولو قنصل واحد في فرنسا، ذلك بأن فرنسا كانت يومئذ قد دخلت طور التصنيع وصارت قطبا من أقطاب قيادة هذا المعمور برمته، بينما ظل المغرب ملتزما ببنياته التقليدية ووسائل إنتاجه العتيقة، وزاده إدراكه لتفوق الأوربيين حبا في الانطواء وخوفا من مخالطتهم لا سيما بعد الذي تعرض إليه القطر المصري من غزو الجيوش الفرنسية بقيادة نابليون بونبارت. وخطة الانطواء هاته هي التي سار عليها المولى سليمان وولي عهده المولى عبد الرحمن بن هشام، إلى أن نزلت الجيوش الفرنسية بالجزائر العاصمة في يوليوز 1830 وانطلقت تفتح القطر المجاور برمته حتى صارت جاثمة على الحدود بينه وبين المغرب. وبادر السلطان إلى مدّ يد العون والمؤازرة إلى الإخوة الجزائريين. ولكن الجيوش المغربية منيت بهزيمة نكراء في أحواز مدينة وجدة (معركة وادي إيسلي في غشت 1844)، فصارت العلاقات الفرنسية المغربية بالضرورة علاقات غالب ومغلوب، تتخللها مبادلات تجارية غير متساوية وسفارات فرنسية تقوي جوانب الاستخبار عن أحوال المغرب، تقابلها سفارات مغربية لا تزيد المسؤولين المغاربة إلا تأرجحا بين الانبهار والتوجس. وأبرمت أوفاق بين البلدين مثل وفق بيكلار (1863) فتحت أبواب الحماية القنصلية على مصارعها فصارت الحماية الفرنسية تباع أو تمنح بالتقسيط للآحاد من المغاربة قبل أن تفرض بالجملة على الدولة. ومن يوم فرضت فرنسا حمايتها على القطر التونسي سنة 1881، بات شغلها الشاغل هو إدخال المغرب تحت سيطرتها بعدها وبعد الجزائر. واستطاع السلطان المولى حسن إرجاء الضربة الاستعمارية ردها من الزمان، وعجز من خلفه من أبنائه عن إحباط المناورات الديبلوماسية والعسكرية الفرنسية التي انتهت بعقد الحماية على المغرب يوم 30 مارس 1912، فانطلقت مرحلة رابعة من العلاقات بين البلدين خفيفة في الميزان لانحصارها في أربع وأربعين سنة، لكنها ثقيلة في الميزان بما كان لها من المضاعفات التاريخية.

فلقد امتدت تلك الحماية من 1912 إلى 1956 مدة أقل من خمسة عقود تبدل فيها وجه المغرب جملة وتفصيلا، واتخذت فيها العلاقات بين الدولتين مجرى مجدداً، وذلك بناء على البند الأول من المعاهدة التي يقول بأن : "جلالة السلطان ودولة الجمهورية الفرنسوية قد اتفقتا على تأسيس نظام جديد بالمغرب مشتمل على الإصلاحات الإدارية والعدلية والتعليمية والاقتصادية والمالية والعسكرية التي ترى الدولة الفرنسوية إدخالها نافعا بالإيالة المغربية". وبناء على ذلك فإن أحوال المغرب المعاصر بما لها وبما عليها وليدة فترة الحماية، سواء في ذلك الجوانب المادية والجوانب المعنوية. فعلى الصعيد المادي تم تجهيز المغرب مما كان يفتقر إليه من أدوات التواصل العصري. وانكب المعمرون الفرنسيون يستثمرون خيرات البلاد الظاهرة والباطنة لفائدتهم، ضاربين مع ذلك الأمثلة الصالحة للمغاربة عن فوائد الاستثمار العصري، ومعتمدين أساليب الإدارة الصارمة التي كان لا بد أن يتأثر بها الجهاز المخزني العتيق، وموحدين بين أطراف البلاد وإن لم يتورعوا عن اقتسامها مع الدولة الإسبانية ومن انتزاع أقاليمها الصحراوية منها لإلحاقها بباقي مستعمراتهم شمال الصحراء وجنوبها. أما على الصعيد المعنوي فإنهم نشروا في المغرب لغتهم وثقافتهم وعوائدهم فتسربت شيئا فشيئا في جميع شرائح المجتمع المغربي عن طريق العمال الذين كانوا يشتغلون في معاملهم وأوراشهم، أو عن طريق الجنود الذين قاتلوا في جيوشهم في الحربين الكبريين وفي حروبهم الاستعمارية، أو عن طريق طلاب العلم الذين انخرطوا بأعداد متزايدة ابتداء من ثلاثينيات القرن العشرين في الجامعات الفرنسية، أو من خلال الأحزاب والمنظمات العمالية التي اقتدت بما كانت تراه من نشاط الأحزاب والمنظمات الفرنسية المماثلة. فإن الحماية الفرنسية كانت بمثابة مدرسة قاسية أدخل المغاربة إليها مكرهين ومورست عليهم فيها شتى أشكال العنف فقاوموها بكل ما أوتوا من أسباب المقاومة الكريمة من أول لحظة إلى آخرها، ثم خرجوا منها مرفوعي الرأس مسلحين بمختلف أدوات الرقي والحداثة، قادرين من ثم فصاعدا على أن يعدلوا كفة الميزان بين البلدين ليقفوا إلى جانب فرنسا وقفة الصديق والشريك الذي يعي حاجته بصديقه وشريكه بقدر ما يعي حاجة ذلك الصديق والشريك به. ولقد استفاد المغاربة من الفرنسيين أثناء عهد الحماية مثلما استفادوا هم كذلك من المغاربة الذين بذل العديد منهم النفس والنفيس من أجل الدفاع عن فرنسا في ساحة الوغى أكثر من مرة.

وهكذا تحولت العلاقات بين البلدين بعد استرجاع المغرب

لاستقلاله سنة 1956 علاقات تجمع بين مختلف طبقات الشعبين، إما بالمشاركة في المقاولات وإما بالمشاركة في الأعمال العلمية وإما بالمصاهرات بين الأفراد والعائلات. وهذه مرحلة خامسة من تاريخ العلاقات الفرنسية المغربية تنمّ عن شكل غير مسبوق لعلنا نستشرف في هذا العقد الأول من القرن الواحد والعشرين ما سيكون عليه في المستقبل. فإن الوشائج بين البلدين صارت على درجة من التكامل والشمول بحيث لا يمكن أن تتأثر بما قد يقوم من التنازع في أمر من الأمور. فلقد وقع شيء من الفتور في العلاقات الديبلوماسية فيما بين 1965 و1970 بسبب اختطاف الشهيد المهدي بن بركة في قلب باريس. ولكن ذلك لم يعرقل باقي العلاقات التي تجعل فرنسا أول زبون تجاري للمغرب تصديراً واستيرادا، كما تجعل المغرب حليفا مميزاً لفرنسا التي تعدّ سفارتها في الرباط ثاني أكبر السفارات الفرنسية في العالم بعد سفارتها في واشنطن. ولئن قلّ عدد الفرنسيين المقيمين في المغرب، فإن المغاربة المقيمين في فرنسا وصل عددهم ما يفوق خمسمائة ألف نسمة، منهم من لا يزال محتفظا بجنسيته المغربية ومنهم من يحمل الجنسية الفرنسية، والجميع جالية فاعلة وسط باقي الجاليات المسلمة التي جعلت فرنسا دولة مسلمة بالفعل وليس بمقتضى الاستعمار. أما في المغرب ففرنسا حاضرة بلغتها التي لا تزال الإدارة ومختلف وسائل الإعلام والمعامل والأبناك والجامعات تستعملها. وقد خرج من ذلك خليط من اللغتين ومزيج من المنطقين صار دارجاً بين عموم المغاربة.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا*، تح. عبد الكريم كريّم، الرباط، 1972 ؛ أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا لتاريخ دول المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960 ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم*، المحمدية، 1408 / 1988.

*Sources inédites de l'histoire du Maroc*, série France, 6 vol. ; Chovin Gisèle, Aperçu sur les relations de la France avec le Maroc des origines à la fin du Moyen Age, *Hespéris, 1957, p. 249-299.*

إبراهيم بوطالب

**فرون**، ويكتب الفرون، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Ferron.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**فريج**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Farache ـ Farach ـ Farag ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Farach وFarache وFarage ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1160 / 1747.

ويوجد بتطوان مارستان يحمل اسم سيدي فريج، كما أن أقدم مسجد بالمدينة الواقع بحومة السويقة يحمل اسم للافريجة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**فريجة** ، مدينة قديمة بسوس، تقع على بعد عشر كلم شمال شرق مدينة تارودانت. ويبدو من الصعب تحديد تاريخ ظهورها. فلم تشر إليها مصادر العصر الوسيط، كالبكري (ق. 11) وصاحب *الاستبصار* (ق. 12) وابن عذاري (ق. 13) وابن خلدون (ق. 14 ) التي اهتمت بسوس، مشيرة بالخصوص إلى المراكز الحضرية في سوس، كإيكلي وتييوت وتيويوي، من دون أن تشير إلى هذا المركز.

وبخصوص مدلول إسم فريجة، فهو على ما يبدو ذو أصل عربي، حيث صادف ظهورها وجود القبائل العربية التي استقرت بضواحي مدينة تارودانت، بعد أن استقدمها علي الزكندري من شمال المغرب لمساندته في تمرده ضد الموحدين والمرينيين بعد ذلك. ويشير ابن خلدون إلى تحكم هذه القبائل العربية في سوس. ويشير الحسن الوزان كذلك إلى أنها كانت تفرض الضرائب على سكان تارودانت قبل ظهور الشرفاء السعديين.

ويبدو أن مركز فريجة، نشأ على أنقاض المراكز التجارية التي ازدهرت واشتهرت في العصر الوسيط، مثل إيكلي وتيويوي، وزكندر، واندثرت خلال فترة الاضطرابات التي عمت إقليم سوس في منتصف القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر والذي يتوافق مع عهد الإمارة الزكندرية (1252 ـ 1334). وفي ظل هذه الأوضاع المضطربة، اختفت بعض المراكز الحضرية التي كانت سائدة آنذاك، وبعد ذلك ظهرت مراكز جديدة. وتشير مونيي إلى اختفاء مدينة إيكلي واقتران ذلك بظهور اسم مركز جديد هو إفري Ifri في القرن الثالث عشر، واختفى بسرعة في القرن الرابع عشر.

وعلى ضوء هذه المعطيات، فإن تأسيس مركز فريجة، قد يكون راجعا إلى القرن الرابع عشر والخامس عشر، لتعويض المراكز الحضرية المندثرة. وقد تعرض بدوره للتخريب، مما جعل الأمير السعدي يأمر بإعادة ترميمه.

ولاشك أن أول من أشار إليها هو مارمول (1575) إذ يقول عنها : "مدينة صغيرة على بعد فرسخ ونصف من تارودانت، أعاد بناءها الشريف محمد قبل أن يبايع ملكا على مراكش، ولابنه عبد المالك الحالي عامل يقيم بها عادة مع ثلاثمائة فارس في الأماكن المجاورة، للسهر على الأمن في هذه البوادي التي يملك جزءا منها ملكا خاصا. وتلوح قريبا منها آثار مدينة عتيقة كانت آهلة بالسكان أثناء عهد ازدهار المصامدة، لكن الأعراب خربوها".

ومن الأمور الغامضة في تاريخ هذه المدينة، عدم ورود اسمها عند الحسن الوزان، بينما أشار إليها مارمول، وهو الذي كان يعتمد على كتاب الوزان بشكل كبير. هل هذا راجع إلى إغفالها فقط، أم يرجع إلى عدم أهمية هذا المركز أثناء مرور الوزان في هذه المنطقة قبل أن يأمر الأمير

السعدي بإعادة ترميمه ؟ ومهما يكن من أمر، فقد أعاد محمد الشيخ بناءها قبل أن يصبح سلطانا على مراكش سنة 1544. وليس من المستبعد أن تكون إعادة بناء فريجة، تدخل في إطار حملة محمد الشيخ لإعادة بناء تارودانت سنة 1516 وضواحيها. وعن هذه الحملة، يقول التمنارتي : "إن محمد الشيخ قدس الله روحه أذن للناس عامة وقت تخطيطها [تارودانت] في إحيائها بالبناء والغرس قصدا لعمارتها حتى حكي عنه (...) أن كل من بنى موضعا أو غرسه فهو له حسبما ذكر ذلك صاحب *الروض والقرطاس*".

لقد لعبت فريجة دورا مهما في تثبت سلطة المخزن السعدي في هذه المنطقة التي لازلت لم تتعود بعد على حياة الاستقرار. ويستفاد من شهادة مارمول أن هذه المدينة كان بها عامل يقيم بها مع ثلاثمائة فارس بهدف السهر على الأمن، وتأمين الطرق التجارية ومزارع السكر. غير أن هذ الدور سرعان ما انتقل إلى مراكز أخرى كتيوت وتيدسي، لذلك لم يرد اسم فريجة عند صاحب ديوان قبائل سوس (1580) إبراهيم بن علي الحساني. وبعد انهيار المخزن السعدي، لم يكن أحد يتحدث عن مدينة اسمها فريجة، وتحولت إلى قرية تحكي أطلالها الآن أن السعديين قد مروا بها.

ع. الرحمان التمنارتي، *الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة*، مخطوط؛ إبراهيم بن علي الحساني، *ديوان قبائل سوس*، مخطوط، تح. عمر أفا، الدار البيضاء، 1988 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الطبعة الثانية، 1983 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. م. حجي وم. زنيبر وم. الأخضر وأ. التوفيق وأ. بنجلون، 1984 ؛ م. حنداين، *تارودانت ومحيطها التاريخي، (1603 - 1790)*، د.د.ع. كلية الآداب، الرباط، : 1993

D. Jacques Meunié, *Le Maroc saharien des origines au XVI siècle*, Librairie Klincksiech, 1982.

محمد حنداين

**ابن فريحة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Frexa وFreixa.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**فريخ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Faraig - Faraix.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**فرير**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ferrer وهو نفس الاسم الذي تحمله بعض الأسر الإسبانية حاليا ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**فرير، أوبير** (اللواء) Le Gl .Aubert Frère لقد تركت معاهدة للامغنية لسنة 1845 أمر الحدود غامضا بين المغرب والجزائر ما عدا شريط يبلغ طوله حوالي 100 كلم ويمتد من البحر إلى ثنية ساسي. وقد فتح هذا الغموض المجال لفرنسا قصد تحقيق أطماعها التوسيعية انطلاقا من الجزائر وهكذا تم احتلال مجموعة من الواحات نذكر منها : تيدكلت، كورارة، توات، تيميمون في أواخر القرن (19) وبداية القرن (20).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن فرنسا عينت العقيد ليوطي حاكما على غرب الجزائر بمهمة التوسع في شرق المغرب وإعداد خطة لاحتلال المغرب واستقر بعين الصفراء على مقربة من الحدود المغربية منذ 1903، وقد أحاط ليوطي نفسه بمجموعة من الضباط وذلك لتطبيق سياسيته التوسعية. وشرع في تطبيق سياسة "بقعة الزيت" باحتلال أراضي مغربية واستبدال أسمائها كإطلاق اسم كلومباشار على قرية مغربية حتى يتجنب احتجاج المخزن والدول الأوروبية، وكان من بين الضباط المساعدين للعقيد ليوطي الملازم "أوبير فرير Le Gl .Aubert Frère " الذي التحق بالجزائر بمجرد تخرجه سنة 1902 وعينه ليوطي على رأس الفوج الثاني من الرماة الجزائريين وعزز هذا الفوج بقوات غير نظامية من المخازنية. وقد اشتبكت قوات "فرير" المغيرة مع جيوش المقاومة التي قادها مولاي الحسن بن أحمد السبعي.

ورغم صمود هذا الأخير وإلحاقه أضراراً بالجيوش الاستعمارية المغيرة فإنه انهزم سنة 1908 وبذلك بزغ نجم "فرير" وترقى إلى رتبه نقيب كما نال مجموعة من النياشين ورسائل التنوية العسكري.

واستمر فرير في تطبيق خطة ليوطي في المغرب الشرقي إذ أشرف على تأسيس مجموعة من المراكز والحاميات العسكرية في العرجة وتاوريرت ودبدو. كما واجه مقاومة بني يزناسن بالحديد والنار وسياسة الأرض المحروقة، وإبادة القرى بالمدافع والقنابل، وفي نفس الوقت حاول جلب الأعيان إليه لتلاقي الخسائر في الجيوش الفرنسية. كما قام بدراسة ميدانية لقبائل بني يزناسن وملوية السفلى، وهكذا ساهم في تركيز الاستعمار الفرنسي في المغرب الشرقي إلى أن انتهت مهمته سنة 1912 بعد توقيع معاهدة الحماية فالتحق بفرنسا.

*La Koumia bulletin de l'association des anciens Goums marocains et des A.I. de France, n° 123-124, année 1991* ; *Historique des confins algéro-marocains* (non édité), Amicales des anciens des confins algéro-marocains, 1979 ; *Rapports d'opérations* ; *Archives* du service historique de l'armée de terre, Vincennes.

عبد القادر بوراس

**فريرو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ferrero ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**فريش**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Ferriz ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**فسيفساء المغرب القديم**، تتباين آراء الباحثين المعاصرين حول أصول الفسيفساء، ولكنهم يجمعون على التمييز بين ثلاثة أصناف هي على النحو التالي : فسيفساء بدائية (من الأصول إلى العصر الإغريقي)، فسيفساء قديمة (ماينعث بالفسيفساء الريفية ـ الرومانية)، ثم المعاصرة (وهي التي أعقبت الأنواع السالفة ولازالت متداولة).

وبما أن المغرب القديم عرف التركيب المميز بمكعباته الصغيرة التي لا يتعدى حجمها سنتمترا وسنتمتر ونصف، فهذا يحصر تاريخ ظهور فسيفسائه خلال العصر الروماني. لأن هذه النوعية تطورت على يد الرومان لدرجة اعتبرت من طرف بعض المتخصصين وعلى رأسهم الفرنسي هنري سطيرن (H. Stern) بمثابة "ثورة تقنية".

بالفعل، ففسيفساء التيسلاتوم (Mosaïque de Tescèles) هي رسم بالحجارة في غاية الإتقان. جمعت بين الوظيفتين النفعية بصلابتها والجمالية بزخارفها واستطاع بعضها أن يقاوم عوادي الزمن على عكس الرسوم الجدارية.

وإذا كنا حصرنا كرونولوجيا فسيفساء المغرب القديم خلال العصر الروماني. فكما هو معلوم، امتدت المرحلة الرومانية بالمثلث المحصور بين مدن طنجيس سالا (شالة) ووليلي. أولا بشكل غير مباشر منذ القرن الأول قبل الميلاد ثم استمرت طويلا بعد ذلك بالنسبة للمثلث من القرن الأول إلى الثالث الميلاديين، وشمال نهر اللوكوس بعد ذلك.

ليس من الهين القيام بتحديد أدق أو تاريخ مطلق، وما نضيفه في هذا الباب هو المقاربات الغنية من جهة، وربط الفسيفساء بالمبنى الذي وجدت به من جهة ثانية شجع على حصر معظمها بين القرنين الثاني والثالث الميلاديين.

ومن خلال استعراض مختلف الأشكال الزخرفية لفسيفساء المغرب القديم نلاحظ حضور الأنواع الثلاثة المعروفة بباقي بلدان العالم القديم. ونقصد بها : الفسيفساء الهندسية والنباتية والمصورة أو المشخصة. ولكن تتفاوت أهمية وقيمة وعدد كل نوع على حدة وبذلك نلحظ حضورا قويا للمشاهد الأسطورية وأساسا أساطير العالم الإغريقي ـ الروماني. وكأن موريطانيا الطنجية (المغرب القديم) لم تتجاوز البدايات بالمقارنة مع جاراتها القيصرية والبروقنصلية من جهة والبتيك (Betique) من جهة ثانية.

فهل يبرر وجود هذه النوعية من الموضوعات الأسطورية اختيارات الملاكين لمشاهد معينة دون أخرى ؟ بعبارة أخرى، هل الاقتصادر على الأساطير الإغريقية ـ الرومانية مرتبط بمسألة الأذواق ؟

هل نعزو أسباب اختيار الموضوعات الأسطورية أساسا وغياب المشاهد النوعية (Scènes de genre) أي تلك الخاصة بالمعيش اليومي (La vie quotidienne) لتكلفة الفسيفساء إذا كانت من هذه النوعية ؟...

وعندما نستحضر المواقع التي انتشرت بها الفسيفساء بالمغرب القديم نجد بأنها لا تتعدى المثلث السالف الذكر، ويضاف لهذا موقع موكادور (Mogador) جنوبا. وكما نعلم فالرومان اهتموا بهذا الموقع الأخير الذكر لأهميته الاقتصادية وقد بلغوه بحرا.

ويظهر من تعداد أسماء المواقع المغربية ومحاولة ضبط

عدد فسيفسائها بأن أهمها على الإطلاق المواقع الثلاثة : وليلي - بناصة - ليكسوس، بل إن المواقع السالفة الذكر تتميز أيضا بأنواع فسيفسائها وألوانها وموضوعاتها. كما أننا نجد نوعية من التراكيب (Compositions) متشابهة بالمواقع الثلاثة. فهل نفترض أن الصناع انتقلوا بين الخط المذكور (وليلي - بناصة - ليكسوس) مخلفين بذلك بصمات واضحة أو دالة على التأثر والتأثير ؟

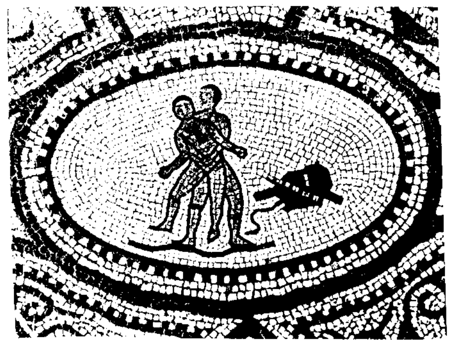

سبق وذكرنا توزع أشكال الفسيفساء بين هندسية ونباتية ومصورة بصور مستوحاة أساسا من الميتولوجيا الإغريقية - الرومانية. فما هي خصوصيات الشكلين السائدين : الهندسي والمصور ؟

نعرف بأن الأشكال الهندسية متنوعة ولا تقل أهمية عن الفسيفساء المصورة وهي تكرار لمربعات ومستطيلات ودوائر وزخارف أخرى. هي جمع بين هذه العناصر الأساسية أو تكرار لما لا نهاية لنفس العنصر الزخرفي (Le motif décoratif). وقد وضعت - كالمصورة - حينا باللونين الأبيض والأسود. وأحيانا عديدة بألوان متعددة : ثلاثة فأكثير ؛ أما عن نوعية فصوصها (مكعباتها / Tessèles) فهي من حجارة طبيعية واصطناعية (انظر اللوحات 1 - 3).

فهل يقتصر دور الفسيفساء (La Mosaïque Géométrique) على ملء وتزيين المساحات التي بدونها ستكون فقيرة وجرداء على حد قول الباحث الفرنسي بروسبر ريكار (Prosper Ricard) ؟ وهل نذهب مذهبه فنقول بأن الهدف الأساسي من الفسيفساء الهندسية نفعي ليس إلا ؟ هل نعطي لبعض العناصر الزخرفية كعقدة سليمان (Nœud de Salomon) والصليب المعقوف (Svastika) بعدا وقائيا (Rôle prophylactique) كما فعل توفنو (Thouvenot) أحد أبرز المهتمين بالفسيفساء المغربية. لقد وضع لائحة طويلة بالزخارف والتشخيصات ذات الدلالة الطلسمية في نظره. فكأن الفسيفساء مجرد ترسانة للوقائيات ليس إلا !

إذا حملنا الفسيفساء دورا زخرفيا، أو أسند لبعضها البعد الوقائي، فهل نعتبر الفسيفساء المصورة مجرد لوحات فنية (Des tableaux) خالية من الدلالات فنقتصر على تأملها ؟ هل يلزمنا أن نسائلها ونحاول فهم مكنوناتها وخباياها ؟

طبيعي أن تتفاوت الإجابات حسب القناعات الشخصية لكل مهتم. ومن جهتنا نؤمن بما أقره غيرنا من الباحثين بأن أي عمل فني لا يستطيع أن يعفي نفسه من أن يكون شاهدا للمجتمع الذي ينتجه، وشاهدا عليه.

عندما نرتب مشاهد فسيفساء موريطانيا الطنجية نسجل الحضور القوي لآلهة وثنية وأنصاف آلهة كديونيسوس (Dionysos) إله الخصوبة والكرمة، وفينوس (Venus) إلهة الحب والجمال، وديانة (Diane) إلهة القنص، ثم عرائش البحر

(Nereides). وحـوريات المـاء (Nymphes) فـإله البـحـر أوقيـانوس (Ocean)، وإله الحرب مارس (Mars) ؛ فالأبطال (أي أنصـاف الآلهـة) هرقـل (Hercule)، أنطي (Antée)، هيلاس (Helas) (انظر اللوحات 4 إلى 6).

وعند التمعن في وظائف وأدوار هذه المعبـودات الوثنية نجـد بأن لمعظمـهـا عـلاقـة وطيـدة بالمـاء في كـافـة تجليـاتـه، والأرض بأشجارها ونباتاتها. وكلها عناصر حيوية بالنسبة لسكان المغـرب القـدمـاء. فكان من الطبـيـعي أن يلجـأوا لاستدرار عطف الآلهة المشرفة عليها.

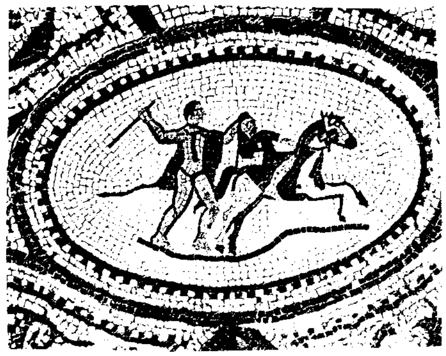

ولا ننسى بأن المصادر القديمة جعلت أرض الليبـيين من شرقها إلى غربها (الليبيون مصطلح عام يدل على كل سكان الشمال الإفريقي) مسقط رأس العديد من الآلهة أو محطة من محطات حلهم وترحالهم بين ضفاف البحر الداخلي (البحر الأبيض المتوسط).

وهكذا، فـعدم تنوع فـسيـفـسـاء موريطانيا الطنجـية، وقلتهـا العددية لا يلغيـان لمسات الإبداع والتميز فهـذا مـا يتـأكـد من خـلال دراسـة كل نموذج على حدة بشكل عـمـيق ومـتـأن وليس سريع ومـتـسـرع. وبذلك فلا تغـيب الأصـالة والتفرد عن فسيفسـاء موريطانيا الطنجيـة مقارنة بنظيـراتها بمواقع إفريقية ومشرقية وأوربية متى نبذنا الأحكام القيمية.

ب. بلكامل، الفسيـفسـاء : تعريف، تاريخ وتقنيـة، مجلة *تاريخ المغرب* 3، 1983، ص. 63 ـ 67 ؛ الهـوية من خـلال نموذج أثري : فـسيـفـسـاء أعـمـال هرقل بوليلي، *ملتقى يوغـرطة* 10، الكاف (تونس)، 1992 (لم ينشـر) ؛ *من أشكال تبليط الأرضـيـات بموريطانيا الطنجية الفسيفساء، تاريخ العمارة بالمغرب*، جامعة القاضي عياض، مراكش، 1992 (لم ينشر) ؛ *مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي*، أطروحة لنيل د. د، كلية الآداب، الرباط، 14 يونيو 2000 (جزآن) ؛ فسيـفسـاء المغرب القديم بين ضراوة الأحكام المسبقة، هاجس التخصص وتعددية المشارب، يوم دراسي حول التاريخ القديم نظمته *الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط في 18 ماي 2001* (قيد الطبع).

J.P. Darmon, L'Italie, ou le disciple devenu maître, *Les dossiers de l'archéologie, n° 15, 1976, p. 26 - 42* ; P. Ricard, Note au sujet de mosaïque à décors géométriques de l'antiquité, *Hespéris XXXIV, 1947, p. 267-268* ; R. Thouvenot, L'art provincial en Maurétanie Tingitane, *M.E.R.F. LIII, 1936, p. 26-27* ; Id., Les mosaïques de Maurétanie Tingitane, *C.M.G.R. (1963), 1965, p. 267-274*; Id., Mosaïques à motifs prephylactiques en Maurétanie Tingitane, *Actes du 79 congrès des sociétés savantes, 1954, p. 187 - 196.*

البضاوية بلكامل

**فشتالة**، قبيلة صغيرة ضمن منطقة جبلية في حوض ورغة شمالي مدينة فاس. وموضع فشتالة الحالي هو نفسه الذي تحدث عنه ابن خلدون قبل قرون، وقد اعتبرها قبيلة بربرية من صنهاجة البز، وأشار إلى انسلاخها عن حكم الموحدين سنة 1237 ودخولها تحت طاعة المرينيين الذين أخذوا في جباية الضرائب من هذه القبيلة، التي تعربت، حسب صاحب كتاب العبر، خلال القرن الرابع عشر الميلادي. وعلى العموم، كانت قبيلة فشتالة من قبائل الطاعة بحكم قربها من فاس، لكنها كانت عرضة لتعديات القبائل القوية القريبة منها ولا سيما قبيلة بني زروال القوية والكثيرة العدد. وتشتهر فشتالة بضريح مولاي بوشتى الخمار الذي يقام به موسم سنوي كل فصل خريف، وكان هذا الولي المتوفى عام 997 / 1589 قد أسس زاوية بجبل أمرگو من هذه البلاد، وإليها لجأ محمد الشيخ المامون لما تمرد على أبيه أحمد المنصور السلطان السعدي.

تجاور فشتالة عدداً من القبائل : بني مزگلدة، الجاية، سلاس ومزيات، كما خضعت لتأثيرات قبائل قوية، بني مسارة وبني زروال أساسا. وتتكون فشتالة من عدة بلدات هي الصافيين وتوجد على وادي فشتالة أحد فروع نهر ورغة، وهي مقر زاوية مولاي بوشتى الخمار الشهيرة، القليعة، الزغيرة، البهاليل. وتمتاز فشتالة بمحاصيلها الشجرية المتنوعة حيث تتوفر القبيلة على عدة أشجار مثمرة مثل التوت، العنب، البرتقال، التين، الزيتون، وأخرى غير مثمرة مثل الصفصاف، كما اشتهرت القبيلة ببعض الصناعات التقليدية ولا سيما نسج الألبسة الصوفية. وكانت تستقبل عدداً من طالبي العلوم الشرعية "الطلبة". وكان الرحالة الفرنسي Auguste Mouliéras قد زار هذه القبيلة سنة 1897 وخصص لها وصفا دقيقا إذ تحدث عن مقوماتها بتفصيل وقدر عدد سكانها وقتذاك بنحو 5600 نسمة. وإلى هذه القبيلة ينتسب علماء مشهورون منهم المؤرخ عبد العزيز الفشتالي (ت. 1621) شاعر البلاط السعدي ومؤرخ السلطان أحمد المنصور حيث تنسب إليه مؤلفات تاريخية عديدة تعتبر مفقودة ولا يعرف منها إلا "*مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا*". ومنهم كذلك أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي الشاعر والمؤرخ، الذي عاش بدوره في البلاط السعدي، وصحب سنة 1595 الشيخ علي التمكروتي خلال سفارة إلى البلاط العثماني، وخلف أرجوزة في التاريخ تحت عنوان "*الوفيات*".

أ. الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، ج 5، الدار البيضاء، 1955 ؛ ل. بروڤنصال، *مؤرخ الشرفا*، تعريب ع. القادر الخلادي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص. 80 ـ 82.

Auguste Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, deuxième partie, Paris, Auguste challamel éditeur, 1899, p. 5 - 27.

أحمد المكاوي

**الـفـشـتـالي، سليـمـان** بن **أحـمـد**، الشيخ العالم العارف، القاضي المفتي. كان فقيها عالما حكيما جامعا للفنون الغيبة، متوغلا في معرفة العلوم القديمة على طريق أهل الحكمة بما لا يخالف الشرع مع المشاركة في غيرها أتم مشاركة.

أخذ عنه عدد من العلماء الحساب والميقات بالآلة وبدونها والطب وغير ذلك.

من تآليفه : شرح سلك اللئالي في مثلث الغزالي.

توفي يوم فاتح رمضان عام 1208.

محمد الزيادي، *سلوك الطريق الوارية* ؛ س. الحوات، *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي*.

المصطفى البوعناني

**الـفـشـتـالي، عبد الـعزيز** بن **محمد** بن إبراهيم الصنهاجي، ويكنى أبا فارس وينتسب إلى قبيلة فشتالة، وهي قبيلة بالشمال الغربي لفاس من صنهاجة، ولد سنة 956 كما ذكر ابن القاضي والمقري، وهي السنة التي انتصر فيها الخليفة السعدي محمد الشيخ على الوطاسيين بفاس بعض حصارها، وبذلك أصبح المغرب خاضعا لسلطة السعديين بعد أن كان موزعا بينهم وبين الوطاسيين فترة من الزمن.

أخذ الفشتالي عن علماء عصره المشهود لهم بالتفوق، أئمة الفقة والحديث واللغة، وقد تحدث عن بعضهم ابن القاضي في درة الحجال، فقال : "أخذ عن جماعة كأبي العباس المنجور والحميدي والزموري، وهم من علماء الوقت"، وعن هذه الجماعة أيضا أخذ السلطان أحمد المنصور السعدي علوم عصره من فقه وحديث ولغة وغير ذلك.

ويشتهر أمر عبد العزيز الفشتالي في بلاط السلطان أحمد المنصور، فيشغل مهمة رئيس ديوان الإنشاء، ورئيس الكتاب، ثم وزير القلم الأعلى ومؤرخ الدولة الرسمي، وعن مهمته يقول المقري : "هذا الوزير صاحب الإنشاء هو سابق الحلبة بالمغرب، وحائز قصب السبق، وبمثله يفتخر أهل المغرب عند أهل المشرق"، ويضيف قائلا : "هو آية من آيات الله في النظم والنثر، ولو لم يكن من محاسن الأحمدية أيدها الله غيره لحصل لها الفخر".

أما ابن القاضي فيصفه في درة الحجال بقوله : "فقيه أديب، ناثر ناظم، وهو متولي تاريخ الدولة المنصورية"، وعن صفاته العلمية والخلقية يقول : "وهو أبقاه الله، واسع الإيثار، عالي الهمة، متين الحرمة، فصيح القلم، زكي الشيم، ركن البلاغة والبراعة، وفارس الدواوين والبراعة".

وعبد العزيز الفشتالي من شعراء السلطان أحمد المنصور السعدي ومن أبرزهم وأكثرهم حظوة عنده، ساعده على ذلك ما امتاز به من قدرة على مواكبة الأحداث وبراعة في التعبير ودقة في التلاعب بالمحسنات البديعية وإتقان لصنعة الكلام، فهو لا يترك مناسبة دينية أو سياسية أو غيرها إلا وخلدها في شعره، ومن ثم أصبح شعره وثيقة تاريخية لأحداث عصره ولسياسة سلطانه، وأغلب أشعاره في مدح السلطان أحمد المنصور ولي نعمته، خاصة بعد انتصاره في معركة وادي المخازن سنة 986 ، وفي قضائه على الثورات الداخلية التي كانت تهدف إلى زعزعة الأمن في البلاد، أو في تهنئته بالفتوحات المتعددة في بلاد السودان أو تحريره للشواطئ المغربية من الاحتلال المسيحي أو غير ذلك، من مدحياته قوله :

| | |
|---|---|
| كتب الإله على عداتك أنهـــم | قنص لسيفك غربوا أو شرقـــوا |
| ضلت ملوك ساجلوك على العلى | سفها، وشأوك في العلى لا يلحق |

وفي كثير من الأحيان يغرق الفشتالي في نعت الممدوح بصفات تكاد توحي بأنه من غلاة الشيعة، فهو الإمام الذي يعقد عليه المسلمون آمالهم، وهو موحد شملهم، وفي ذلك يقول :

| | |
|---|---|
| تقلدوك إماما لا تنازع فـــي | تفضيله بين أقيال وأمـــلاك |
| وخصصوك بتشريف حباك به | من صاغ مجدكم من معدن زاك |

بل أكثر من ذلك، يدعوه إلى تخليص الشرق مما يعانيه من ظلم وجور، يقول :

| | |
|---|---|
| فأدرك مصر والعراق وعـــم | حرم الحي آلكم خيـــــــر آل |
| إن شرق البلاد يرجوك شوقـــا | مثل ما يرتجى طلوع الهـــلال |

ويشارك عبد العزيز الفشتالي في تخليد ليلة إحياء المولد النوبي الشريف، مباريا غيره من شعراء البلاط متفوقا عليهم، مادحا الرسول عليه السلام، متشوقا إلى ديار نجد، يقول :

| | |
|---|---|
| سر العوالم نكتة الكون الـــذي | هتفت به الأحبار قبـــل ولاد |
| هو مجتبى الرحمان من أرسالــه | وإمام جمعهم وبدر النـــادي |
| هو أول هو آخر هو جامــــــع | هو فارق للغي عن إرشـــــاد |
| متقدم متأخر متوســــــــــط | ناهيك من أوصافه الأضـــداد |

كما تناول الفشتالي في شعره موضوعات كثيرة كالوصف والغزل والرثاء والمدح بنوعيه السياسي والديني، إلى غير ذلك من الأشعار السجالية التي كانت زبدة حلقات اللقاء بين شعراء البلاط حول موضوع معين أو موضوع أثار اهتمامهم، من شعره في الوصف ما قاله في قصر البديع بمراكش :

| | |
|---|---|
| معاني الحسن تظهر في المغانـــي | ظهور السحر في حدق الحسان |
| مشابه في صفات الحسن أضحت | تمن بها المغاني للغوانـــــــــي |

وقد عملت على جمع شتات أشعاره المتفرقة من المصادر المختلفة في ديوان سميته *"شعر عبد العزيز الفشتالي"*، وقد صدر ضمن منشورات مكتبة المعارف سنة 1986.

والفشتالي هو رئيس ديوان الكتاب أو وزير القلم الأعلى، وهو منصب لا يرقى إليه إلا السياسي المحنك، والمتمكن الثقة في عمله، وبذلك كان مكلفا بتحبير رسائل السلطان أحمد المنصور المختلفة، بلغة راقية بليغة، وأداء

محكم وصنعة مقبولة، وقد جمع الأستاذ عبد الله كنون هذه الرسائل ونشرها ضمن مجموعة من الرسائل في كتاب سماه *"رسائل سعدية"* سنة 1954، وعدد رسائله ثلاث وثلاثون رسالة، وعن أهميتها يقول الأستاذ عبد الله كنون : "ولا تخفى فائدة هذه الرسائل للأديب والمؤرخ معا، فالأول يجد فيها من النصوص الجميلة ما يعينه على تتبع حياة اللغة والإنشاء في هذا العصر، ويقف على آثار لأدباء لم تكن معروفة من قبل، فتتكون له بذلك فكرة عنهم، ولا سيما عبد العزيز الفشتالي، والثاني يجد فيها تفصيلا لوقائع حربية، وحديثا عن علاقات دبلوماسية وحوادث وماجريات أخرى، لها كثير من الأهمية بالنسبة إلى البحث التاريخي المجرد، وأكثر هذه الرسائل صادر عن مفخرة الدولة السعدية أبي العباس أحمد المنصور السعدي".

والفشتالي هو مؤرخ الدولة الرسمي، يتابع الأحداث ويدون الأخبار ويؤلف فيما بعد كتابه التاريخي الهام *"مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا"* للتعريف بتاريخ المغرب في عهد دولته وبمنجزات ملوكها وأعمالهم، وخاصة ولي نعمته أحمد المنصور، وفي هذا الكتاب تبرز شخصية السلطان قوية واضحة المعالم، تسعى إلى توحيد كلمة المسلمين وإلى الجهاد في سبيل نصرة الإسلام ورد غارات المسيحيين في المغرب بصفة خاصة، وعن هذا الكتاب يقول ابن القاضي : "تاريخه المذكور في مجلدات، اشتمل على تاريخ ساداتنا الشرفاء من أولها إلى وقتنا هذا، اشتمل على وقائعها ومغازيها وحوادثها وغير ذلك، وعلى محاسن أبي العباس المنصور"، غير أن هذه المجلدات قد ضاعت، ولم يصلنا غير مختصر الجزء الثاني، وقد قام بتحقيقه وضبط فهارسه الأستاذ عبد الله كنون وصدر سنة 1964 عن المطبعة المهدية بتطوان، أما الجزء الثاني فقد حققه الأستاذ عبد الكريم كريم وصدر ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة سنة 1972.

وللفشتالي إضافة إلى هذه الآثار مؤلفات أخرى منها : ترتيب ديوان المتنبي، وهو مايزال مخطوطا، توجد منه نسختان، إحداهما بقسم الوثائق والمخطوطات بالرباط والثانية بالخزانة العامة بتطوان، وهو عمل متميز، لم يكتف فيه بترتيب قصائد المتنبي على حروف المعجم، بل أبدى ملاحظاته وآراءه حول الأبيات الشعرية وحول السرقات المتعددة معنى وأداء، إضافة إلى تعليقات وشروح وتضمينات كان يثري بها عمله في هذا الترتيب.

كما أن للفشتالي مصنفا آخر شرح فيه مقصورة المكودي، غير أن هذا المؤلف من بين المؤلفات الضائعة.

أما مؤلفه *"مدد الجيش"* فقد ذيل به *"جيش التوشيح"* لابن الخطيب، وقد قال عنه المقري : "أخبرني أبقاه الله أنه ذكر فيه موشحات أهل العصر في مدح مولانا نصره الله ما ينيف على الثلاثمائة، وذكر فيه جملة من موشحات أمير المؤمنين نصره الله، وذكر ذلك مع جملة ما أغفله الإمام ابن الخطيب"، غير أن هذا الكتاب قد ضاع، ولم تبق منه إلا ورقات توجد بالمكتبة الناصرية بسلا، وتضم إحدى عشرة موشحة، ليس فيها غير اثنتين منسوبتين لشعراء مغاربة، إحداهما لعبد العزيز الفشتالي.

لقد كان الفشتالي ممثلا لحقبة أدبية نشيطة في تاريخ الأدب المغربي، وفي كتاباته النثرية وأشعاره ما يفيد ذلك ويؤكده، ويمكن القول بأنه كان يلخص تطور الحركة الشعرية والكتابة النثرية في العصر السعدي بصفة عامة. أما وفاته فكانت سنة 1031، وعنها يقول المقري : "وقد بلغتني وفاته رحمه الله تعالى، وأنا في مصر بعد عام ثلاثين وألف" كما يشير المكلاتي إلى سنة وفاته في "وفياته" بكلمة "شلا" في البيت الشعري :

يد النثر أمست وهي شلا لصاحب

به جيد هذا الدهر غير معطل

المقري، *روضة الآس*، ص. 112 ؛ *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، ج. 5 : 22، 29، ج. 6 : 49، 59، ج. 7 : 68، 81 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. الأحمدي أبو النور، ج. 3 : 130 ؛ *المنتقى المقصور*، تح. محمد رزوق، في أماكن متفرقة ؛ *كناشة الزجالي*، م خ ع، في أماكن متفرقة ؛ *لقط الفرائد*، م خ ع، ص. 173 ؛ الخفاجي، *ريحانة الألبا*، تح. عبد الفتاح محمد الحلوج، 1 : 290، 296، 365، ج. 2 : 179، 180 ؛ ابن معصوم، سلافة العصر، ص. 582 ؛ المحبي، خلاصة الأثر، ج. 2 : 425 ؛ القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ *التقاط الدرر*، م خ ع، ص. 14 ؛ *الإكليل والتاج*، م خ م، ص. 60 ؛ اليفرني، *نزهة الحادي*، طبعة حجرية، ص. 148 ؛ *أزهار البستان*، م خ م لابن عجيبة، م خ م، ص. 239 ؛ الزياني، *الروضة السليمانية*، م خ ع، ص. 126 ؛ محمد مخلوف، *شجرة النور*، ص. 297 ؛ م. الأزهري، *اليواقيت الثمينة*، ص. 222 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 4 : 152 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 5 : 90 ؛ عبد الله كنون، *النبوغ المغربي*، ج. 1 : 262 ؛ *ذكريات مشاهير رجال المغرب*، العدد 1 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج. 2 : 400 ؛ بروكلمان، *ذيل*، ج. 2 : 680 ؛ بروفنسال، *مؤرخو الشرفا*، ص. 80 ؛ عباس الجراري، *موشحات مغربية*، ص. 154 ؛ م. بن تاويت وم. عفيفي، *الأدب المغربي*، ص. 322 ؛ ابن تاويت، *الوافي بالأدب العربي*، ج. 3 : 681، 690 ؛ عمر رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، ج. 5 : 260 ؛ *شعر عبد العزيز الفشتالي*، جمع وتحقيق ودراسة نجاة المريني.

Charles-André Julien et Magali Morsy, *Les Africains*, t. 2, p. 233 ; *L'Encyclopédie de l'Islam*, t. 1, p. 60.

نجاة المريني

**الفشتالي، محمد العربي** بن **أحمد** بن عبد الكريم

الفقيه العلامة المشارك، الولي الصالح، الناظم الناثر. كان من أكابر الأولياء، مناقبه كثيرة ومشهورة.

وكان أستاذاً مشاركاً في الفنون، له معرفة بالتجويد والأداء وأحكام الرسم. أخذ عن عبد الرحمان ابن القاضي وعبد القادر الفاسي والحسن اليوسي وغيرهم. وأخذ الطريقة عن الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي، ثم عن محمد بن مبارك، والتزمه.

وكان إماماً ومدرساً للرسالة وغيرها في مسجد رأس الجنان، ويقرئ القرآن للصبيان. وكان في بعض الأوقات،

منصبا للشهادة بحانوت من حوانيت شهود فاس القرويين، وكان زاهداً في الدنيا، طالما راودوه على القضاء وغيره، فامتنع منه، لأنه كان يرى في خطة القضاء صداعا في الرأس، وسما قاتلا في الجوف، وسلسلة في العنق، وسنارة في الحلق.

مات بالطاعون يوم آخر جمادى الثانية عام 1092.

م. الفاسي، *رحلة عبد المجيد المنالي* ؛ *المورد الهني* ؛ م. الإفراني، *صفوة من انتشر* ؛ م. القادري، *نشر المثاني / التقاط الدرر*، *فهرسة إدريس المنجرة* ؛ محمد بن جعفر المثاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

**الـفشتالي، محمد** بن **علي** بن إبراهيم، نشأ في قبيلته فشتالة، وهو ابن عم الشاعر عبد العزيز الفشتالي وبلديه، "أخذ عن أبي العباس المنجور وأبي العباس الزموري والحميدي والسراج" كما ذكر ابن القاضي في *درة الحجال*.

ومحمد بن علي الفشتالي من الشعراء الذين نالوا الحظوة في بلاط السلطان أحمد المنصور السعدي، فتبوأ رئاسة القلم ليشارك المؤرخ الوزير المنصب مدة من الزمن، وقام بالسفارة - إلى جانب علي بن محمد التمكروتي - إلى الخليفة العثماني بتركيا أكثر من مرة، وهناك التقى بالأديب الخفاجي الذي تحدث عنه في ريحانته كسفير للسلطان قائلا : "وزير مولاي أحمد، أديب فاس وريحانة فضلائها الأكياس، تقدم فيها متقلدا قلادة إنشائها، فائقا برسائله على سائر أدبائها، وكان في عصره من أجل وزرائها".

حلاه ابن القاضي في كتابه *درة الحجال* بقوله : "وزير القلم الأعلى الكاتب الأديب البليغ، الشهير الذكر بالمغرب، وهو علم في الفضيلة ومكارم الأخلاق، وكرم النفس، واسع الإيثار متين الحرمة، عالي الهمة، كاتب بليغ، أديب، شاعر، حسن الخط، مؤثر لأهل العلم والأدب، بر بأهل الفضل والحسب".

كان أبوعبد الله محمد بن علي الفشتالي من خاصة جلساء المنصور ومن كتابه المقدمين، حدث مرة أن تغيب عن العمل لوفاة ابنه، وقد روى القصة عبد العزيز الفشتالي في *مناهل الصفا*، فقال : "وأطنب أيده الله في السؤال ووليي وصاحبي أبو عبد الله يجيبه عن الحال إطنابا تاما".

اشتهر أبوعبد الله بأشعاره الرقيقة في مدح مخدومه السلطان أحمد المنصور، وبمولدياته التي كان ينشدها في الاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف، كما أن له أشعارا في الوصف والغزل، وله مساجلات شعرية مع غيره في موضوعات مختلفة.

من شعره في مدح السلطان أحمد المنصور والإشادة بالانتصار في معركة وادي المخازن، قوله :

| | |
|---|---|
| إمام يهاب الموت حد حسامـــــه | ويفني العدى فما يقيها سلاح |
| وحسبك من وادي المخازن إذ طمت | بحار الردى والخيل فيها جماح |
| له حالتا سيف وسيب كأنمــــا | تجمع في يمناه ســــم وراح |
| هو الملك المنصور، لازال عدلــه | تروى به الغبرا ربى وبطـــاح |

ومن مولدياته، قوله في مدح الرسول عليه السلام :

| | |
|---|---|
| يا خير من نيطت بعروة عـزه الـ | أسباب وهي وثيقة لا تفصم |
| يا خير من حطت رواحله الدجـى | بفنائه واليوم صعب أيـــوم |
| أوصاف قدرك منهل متهيـــب | وعليه أطيار المدائح حـــوم |

وقد حظي محمد بن علي الفشتالي بعناية الأديب الخفاجي الذي خصه بترجمة وافية في كتابه *ريحانة الألبا*، إذ كان من أصدقائه المقربين كما يذكر، مشيدا بشاعريته وبراعته، وفي ذلك يقول : "فكنت إذا جاذبته أهداب الآداب، وأجلت في ناديه قداح الخطاب، كأني جاث بين يدي الفرزدق أو جرير، لأنه بصير بعورات الكلام خبير".

ومن أشعاره الوصفية، قوله على لسان القبة الخمسينية في قصر البديع بمراكش :

| | |
|---|---|
| وإني كعبة المحاسن كلهـــــــا | وليس علي في العموم جنـــاح |
| فما الشعب والزهراء والصنعة التي | بصنعــاء تلك فخرهن مـــزاح |
| فهذا البديع قد تناهى نضـــــارة | وعندي المحلى إذ تجال قـــداح |

ومن غزلياته :

| | |
|---|---|
| غزال يميس خوط بان وإننــــي | لأنجد دأبا في خواه وأتهـــم |
| فهبني أروم كتم نار صبابتــي | فإن لسان الحال عنها يترجـم |

وقد عملت على جمع أشعاره المتفرقة وضبطها وتحقيقها من مصادر العصر وغيره في كتابي *"الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي"* ، وصنعت له ديوانا شعريا جعلته ضمن ملحق الكتاب، ويضم هذا الديوان عشر قصائد وسبع مقطوعات في سبع وثلاثين وثلاثمائة بيت، توزعت بين الموضوعات الآتية : أربع قصائد في المدح السلطاني، ثلاث مولديات، قصيدتان في الوصف، أربع مقطوعات سجالية، ثلاث مقطوعات في الغزل، ومقطوعة في التهنئة.

وللفشتالي موشحة يتيمة في المدح انفردت بروايتها *"درة الحجال"*، يقول في مطلعها الغزلي :

| | |
|---|---|
| أحسنوا عذري في طلعة كالصباح | في قضيب البـــان |
| قوس الحواجب وترها المــــزاح | قتل الهيمـــــان |

وقد أشاد بأشعاره وكتابته النثرية القادري في *نشر المثاني* فقال : "صاحب الأنظام الرائقة، والإشارات الفائقة، أعجوبة الدهر، وفريدة عقد العصر، يأتي في رسائله بالعجاب، ويسحر في ترسله الألباب".

أما بلديه وابن قبيلته الشاعر المؤرخ عبد العزيز الفشتالي فقد أشاد به أكثر من مرة في كتابه *مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا* وهو يقدم لقصائده، من ذلك قوله : "شعلة الذكاء ومحرز خصل السبق في مضمار الإنشاء، النابه النزيه، العزيز المكانة، المغدق السجية، المسترسل الطبع، العذب الفكاهة، الحلو النادرة، المبرز في أشتات الفضائل، الأخ الكريم، الولي الحميم، أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي".

أما نثره، فأغلب ما نتوفر عليه رسائله السياسية ضمن كتاب *رسائل سعدية* الذي اعتنى بجمعه وتبويبه عبد الله گنون وصدر سنة 1952 ، وتقع هذه الرسائل في ثمان عشرة رسالة كتبها عن السلطان المذكور، بعضها إلى سلطان

الأتراك وبعضها إلى جيش الجزائر وبعضها إلى أهل توات وأشياخهم، وتمتاز هذه الرسائل بدقتها وضبط تواريخها وأسلوبها الأنيق المسجوع، من ذلك رسالة كتبها على لسان السلطان مخاطبا جيش الجزائر على ولائه وطاعته : "أما بعد حمد الله الذي جعل الملة الإسلامية نورا في البسيطة وهاجا، وأمطر من سحائب الائتلاف على نصرتها ماء لا يزال بمنة الله ثجاجا، واصطفى لذلك من خلقه عصائب لا تنفك على الحق ظاهرة، وفي اجتثاث أصول الكفر متناصرة متظاهرة"، إلى أن يقول : "هذا وقد تأدى لمحفلنا العلي من مدرجكم المعتبر ما فض عن ليل نقسه ختامه، وحسر عن وجه مقتضاه لثامه، فلاح بتضاعيفه من ودادكم المحض لهذا الجناب، والخلوص الذي لا يتطرق إلى صفوه كدر ارتياب، ما أسفر لكم عن وجه الإقبال وسيما، وأعبق لولائكم به عرفا عاطرا ونسيما" الخ...

وينبه ابن القاضي إلى ولوع الشاعر بالأدب واقتناء الكتب، وفي ذلك يقول : "وله ولوع بالأدب، وصبابة باقتناء الكتب، صحبه في قفوله من القسطنطينية ما ينيف على المائة تأليف، أقلها في مجلد، وأما ما هو في مجلدات فمما لا يحصى جمع أمهاتها العتيقة، وأصولها الرائقة الأنيقة، ما لم يجمعه في هذه الأعصار أحد سواه.

وفي مقامة لابن عيسى الوزير أثبتتها *رسائل سعدية* في تقريظ أدباء عصره، تنويه بالشاعر بن علي الفشتالي، جاء فيه : "أخو علقمة ولبيد، وذو المقول المحيي المبيد، يوثر المذق والبيد، على الرياض والنبيذ،

وأكرم الشعر أكرمه رجـــالا　　　وشر الشعر ما قال العبيـــد

جزالته في وصف المهامه والقفار، وذكر المرخ والعفار، وعلى ذلك فرمحه في المدح مقوم الأنابيب، لا يقصر فيه عن ابن الحسين وحبيب".

وله رسالة قصيرة في الشكوى انفردت بها *ريحانة الألبا*، بعثها إلى صديقه الخفاجي الذي قدم لها بقوله : "وكتب إلي وقد أصابته حمى فافتصد، يذكر اشتياقه، ويذكر ما منعه من ملاقاتي وعاقه، يقول الفشتالي : أنا في غربتي وعلتي، ونار خليل لم تبل بملاقاته غلتي، لا أظن نسيان الإخوان، وأعتذر لتقصير الزمان.

كأن زماني خاف لحنا فلم يكـن　　　ليجمع بين الساكنين بأوطـان

ومن مؤلفاته أيضا منظومة من البحر الطويل على روي اللام نظم فيها وفيات ابن قنفذ القسنطيني *"شرف الطالب"* و*"وفيات ابن القاضي"* و*"لقط الفرائد"* وتقع في مائة وأربعة وتسعين بيتا، وفيها استوعب وفيات الأعيان من ظهور الإسلام إلى تمام المائة العاشرة للهجرة، وهي مخطوطة في نسختين، إحداهما بقسم الوثائق والمخطوطات بالرباط، والثانية بالخزانة الحسنية بالرباط.

كان مولده في *درة الحجال* سنة 956، أما وفاته فكانت سنة 1021 كما في *نشر المثاني*.

ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. الأحمدي أبو النور، ج. 2 : 190 ؛ الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الله گنون، في أماكن متفرقة، تح. عبد الكريم كريم في أماكن متفرقة ؛ المقري، *روض الآس*، نشرها عبد الوهاب بن منصور، ص. 7، 9، 27، 29 ؛ الخفاجي، ريحانة الألبا، تح. عبد الفتاح محمد الحلو، ج. 1 : 309 ؛ الإفراني، *نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي*، طبعة حجرية، في أماكن متفرقة ؛ القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، ج. 1 : 174 ؛ *رسائل سعدية*، تح. عبد الله گنون ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 5 : 119، 152، 188 ؛ المراكشي، *الإعلام*، ج. 5 : 221 ؛ برونفسال، *مؤرخو الشرفا*، تر. م. الخلادي، ص. 82 ؛ بروكلمان، *ذيل*، ج. 2 : 680 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج. 2 : 399 ؛ ابن تاويت، *الوافي بالأدب العربي*، ج. 3 : 692 ؛ نجاة المريني، *الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي*، ص. 417 ؛ الزركلي، *الأعلام*، ط. 7، ج. 6 : 293.

نجاة المريني

**الفشّار، بوعزة** بن العربي البخاري السفياني، فقيه نبيه وحيسوبي متضلع، ومن أبرز سماته ـ حسب ابن زيدان في *الإتحاف*، التواضع، والصلاح والورع والزهد والإعراض عن الدنيا، وشدة حبه لآل البيت. وكان إلى جانب ذلك كثير الصمت لا يحضر الولائم ولا يأكل طعام أحد، محافظاً على الصلاة في أوقاتها مع السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام (1822 ـ 1859) وقراءة الحزب بكرة وعشية كما كان كثير الأذكار لا يرى إلا تاليا للقرآن الكريم، مواظبا على قراءة دلائل الخيرات.يقوم الليل ويصوم الدهر ولا يفطر في غير الجمع والأعياد.

كان وصيفاً للسلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام الذي استخدمه في حنطة فراشه، ولما آنس السلطان رشده ونباهته كلف من يدرسه الحساب فتضلع في جميع أنواعه وفنونه وظهرت نجابته وصلاحه، عندئذ رشحه السلطان للأمانة العامة فجعله أميناً كبيراً على جيوشه في حركته بمنطقة سوس.

وفي عام (1248 / 1833) شغل بوعزة الفشار مهام متعددة منها : كبير أمناء الجيوش بالحضرة المكناسية، والوصي الرسمي على أبناء السلطان، وكبير أمناء القصر السلطاني، فتمتع بسلطة مطلقة حيث كان أمناء القصر على حد قول ابن زيدان : "يأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه مفوضا إليه في تنفيذكل ما يحدث من زيادة أو نقص في المئون والرواتب الشهرية بالدار السلطانية بالحضرة المكناسية ... وغير ذلك من كل ما هو من متعلقات داره وما هو منضاف إليها، ولا يقبل زمام صائر الأمناء على الدار العلية إلا بعد اطلاعه عليه وتسليمه له بإمضائه عليه بخط يده" ويضيف قائلاً : "وأنابه السلطان عنه في تولي قبض مفتاحه على بيت مال المسلمين وفتحه عند إرادة الإدخال إليه والإخراج منه في ظعن السلطان وإقامته وذلك زيادة على المفتاح الذي بيده بصفة كونه أمينا"...

وقد ظل بوعزة الفشار يشغل تلك الوظائف السامية محبوبا مبجلا بعد وفاة السلطان عبد الرحمن بن هشام في

عهد ابنه السلطان مولاي محمد (1859 ـ 1873) وحفيده مولاي الحسن (1873 ـ 1894) إلى أن توفي في 12 ذي الحجة عام 1300 / 1883 ، ودفن بجامع الأقواس المعروف اليوم بالزاوية الدرقاوية بحومة بين العراصي بمكناس.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 2، ص. 77 ـ 78 ـ 515 ؛ م. الشابي، *النخبة المخزنية*، ص. 208.

رقية بلمقدم

**فشّور** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Faxar.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الـفـصة** أو علميا ميديكاكو ساتيفا "Medicago sativa" أحد أنواع جنس نباتي من فصيلة الفوليات "Fabaceae" وهو ممثل بعدد كبير من الأنواع في المغرب. إنه نبات معمر ثلاثي الأوراق، ذو وريقات مسننة. الأزهار مجتمعة وتختلف ألوانها حسب الأصناف. تعتبر الفصة من أقدم النباتات العلفية المهمة التي تنتشر خصوصا في المناطق السقوية حيث توجد تربية الماشية بشكل مكثف وهي مفيدة للرعي وللتخزين وكذلك لتحسين التربة.

تشمل الفصة عدة سلالات وضروب نتجت عن التهجين والإنتقاء، يرجع أصلها إلى الهضاب العليا لإيران.

تتكيف الفصة مع المناخ المعتدل حيث الحرارة أعلى من درجة (1°C) التي تعتبر الحد الأدنى للإنبات، أما النمو فيكون جيدا عند (30°C). إن الفصة شديدة الحساسية للبرد والجليد.

تتطلب الفصة كميات مهمة من الماء والأملاح المعدنية من أجل نمو وإنتاج جيدين. أما التربة فيجب أن تكون جيدة مهوية وغير حمضية. تزرع الفصة مختلطة مع الحبوب أو غير مختلطة في فصل الربيع أو الصيف بكمية تتراوح ما بين 15 و20 كلغ من البذور في الهكتار.

تؤثر طريقة استغلال الفصة على كمية الإنتاج وجودته واستمراره، ومن أجل تمكين الفصة من النمو والإنتاج الجيدين يستحسن أن يكون الإنتاج الأول غير مفرط وذلك من أجل تمكين الفصة من تقوية الجذور. كما يستحسن أن تكون المدة الفاصلة بين استغلالين بعد السنة الأولى لا تقل عن 5 إلى 6 أسابيع.

تنتج الفصة ما بين 17 و18 طن من المادة الجافة للهكتار، وتستهلك خضراء طرية أو مجففة.

ألبيرت هيل، النبات الاقتصادي، تر. زاهر عبد المجيد وآخرين، القاهرة، نيويورك، 1962 ؛ معلومات شخصية.

J.M. Clement, Larousse Agricole, édition Larousse, Paris, 1981.

عبد النبي زين العابدين

**فضالة** ، نسبة إلى المحمدية، تندرج في عداد إقليم تامسنا الفسيح، منتسبة إلى منطقة زناتة نسبة إلى الفصيل الذي استوطنها تاريخيا ؛ وتنتمي جغرافيا إلى المنضدة الساحلية، يحدها شمالا المحيط الأطلنتيكي، وغربا هضبة ابن سليمان، وشرقا واد النفيفيخ، وجنوبا منطقة الفضالات وسهل الشاوية، على بعد 25 كلم إلى الشمال الشرقي من مدينة الدار البيضاء، وحوالي 56 كلم جنوب مدينة الرباط.

وهي تحتل موقعا متميزاً على ساحل المحيط الأطلنتيكي، مشرفة عليه بخليج طبيعي محمي من الرياح الشمالية الغربية، ومن ارتطام الموج بفضل شريط صخري ذي اتجاه جنوبي ـ غربي / شمالي ـ شرقي، جعلها تبدو كشبه جزيرة يكاد لا يرى من جهة البحر، وشكل حاجزاً وقائيا لحوض الرسو من تراكم الترسبات الرملية، ومن التعرض لأية حركة معادية، حتى بدا ملجأ جيدا للمراكب التي لا تتعدى حمولتها 150 طنة، جذب إليه أنظار الملاحين والصيادين منذ أمد بعيد. ورغم تعرض هذه المرسى الطبيعية لمعوقات تؤثر سلبيا على إمكانياتها الملاحية بفعل الأعاصير الحائلة بينها وبين عرض البحر، فإن خطورتها مع ذلك لم تكن مماثلة لما كان عليه الأمر في المراسي المغربية الأخرى.

وإذا كانت المعلومات التاريخية تنعدم حول أهمية الموقع الاستراتيجي لفضالة خلال الفترة القديمة، فإن وجودها كجزيرة على الطريق الملاحية القديمة التي اجتازتها الرحلات الفينيقية والقرطاجية والرومانية منذ القرن 7 ق. م. رجح قيامها بدور الربط الملاحي بين محطات الاستراحة الأطلنتيكية، لا سيما وقد تأكد الحضور البشري البارز في هذه المنطقة كما أثبتته الحفريات الأثرية.

وبحكم وجودها عند حدود التماس في العصر الإسلامي بين المدى الإشعاعي للعاصمتين التقليديتين فاس ومراكش، وعلو إنتاجيتها الاقتصادية ووجودها في موقع متميز وسط الساحل الأطلنتيكي، عرفت المنطقة توالي القبائل والأجناس. فقد برز موقع فضالة منذ فترة قديمة كجزء من المجال المصمودي، وكمنطقة خاضعة لنفوذ قبائل برغواطة، بفضل مواصفاتها الفلاحية وملاءمة مرساها لاستقبال السفن ؛ وغدت منذ القرن 8 م قاعدة رئيسية للأسطول البرغواطي،

ومركزا مشهورا للمبادلات التجارية الخارجية مع بلاد الأندلس بلغ أوج ازدهاره في عهد الأمير البرغواطي أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار أواسط القرن 10 م.

وقد تأثرت فضالة بعد ذلك بالحروب الطويلة التي خاضتها الإمارة البرغواطية مع الأدارسة، ومن بعدهم ولاة الأمويين من الأمراء الزناتيين، كما اكتسحتها القوات الفاطمية مما عرضها للتخريب. ولن تعرف خضوعا فعليا إلا عند سقوطها في يد القوات المرابطية بقيادة عبد الله بن ياسين سنة 452 / 1060 ، ومن بعده يوسف بن تاشفين سنة 472 / 1079 الذي أباح لجيشه عموم إقليم تامسنا طيلة ثمانية أشهر، ونجح في إبادة القبائل البرغواطية، وهجر فلولها إلى فاس، وخرب مراكزها وعلى رأسها فضالة.

وخلال العهد الموحدي أقدم يعقوب المنصور الموحدي على توطين قبائل من أعراب جشم المستقدمة من إفريقية أواخر القرن 6 هـ / 12م بمنطقة فضالة، وخاصة قبيلتا مقدم والعاصم، وألحق بهما بعض فصائل الخلط من بني معقل، وهو ما كان له الأثر الشديد على إخضاع المنطقة للتعريب، وعلى اندثار ما تبقى من عوائدها العمرانية والحضارية، حيث أصبح النشاط الرعوي المتنقل هو السائد، وامحت إمكانية انبعاث البلدة، تاركة دور الملجإ والملاذ لركب الحجاج وقوافل التجار والمسافرين لمدينة المنصورية شمالها.

وخلال العهد المريني أهدى ملوكه منطقة فضالة لقبائل زناتة وهوارة البربرية، الأمر الذي شجع على الانصهار بين القبائل العربية المقيمة ونظيرتها البربرية النازحة حديثا، ويسر عملية مزاوجة النشاط الاقتصادي بين الرعي والزراعة، حيث عرفت فضالة منذ الربع الأخير من القرن 14 م استعادة لرواجها التجاري السابق مستقطبةالتجار الإيبيريين، تنافسها في ذلك جارتها أنفا. غير أن قيام بعض المجموعات بنشاط قرصاني ضد السفن التجارية الأوربية انطلاقا من ساحل الشاوية قد عرضها للهدم والتخريب سنة 891 / 1486 على غرار ما تعرضت له جارتها أنفا سنوات قبل ذلك، الأمر الذي يفسر إعراض الحسن الوزان عن الحديث عنها.

ومع الهدنة الوطاسية ـ البرتغالية، شجع الملوك الوطاسيون تجار أوربا على تسويق المنتوجات الفلاحية لمنطقة الشاوية انطلاقا من مرساها. وظل موقعها مع ذلك محدود التأثير جراء سيادة أسلوب الظعن والترحال على الساكنة المحيطة به، ولم تعرف أحداثا تاريخية بارزة إلا حينما نشبت معركة خندق الريحان بين جيشي محمد المتوكل وعبد المالك السعدي في يوليو 1576 على مقربة من التلال المتعرجة لوادي الشراط.

وفي عهد مولاي زيدان بن المنصور برزت فضالة كإحدى القواعد الخاضعة لسلطته، ولا سيما أثناء التنسيق مع القبطان الهولندي يان إفريتسن (Everetsen) سنة 1614 للتباحث في شأن ثغر المعمورة ؛ ودامت تحت النفوذ السعدي إلى حين سقوطها في يد المجاهد العياشي عقب انتصاره على القوات السعدية المجردة لمساعدة أندلسيي الرباط عند حدود فضالة سنة 1637 ، حيث أضحت مرسى أساسية له على الواجهة الاطلنتيكية في ظل افتقاده لمنفذ بحري. ومع مقتل العياشي وانتقال السلطة إلى الامارة الدلائية سنة 1051 / 1641 . أضحت فضالة تحت الإشراف المباشر لأمير سلا عبد الله الدلائي، مساهمة في تنشيط التجارة الخارجية والجهاد البحري، دون أن يسمح لها ذلك بتحقيق أي انبعاث عمراني، بل ظلت خزانا للحبوب والدواجن والأنعام المعدة للتصدير، وقاعدة خلفية للسفن الجهادية على امتداد القرن (17م)، وتعرضت بذلك لتعدد المبادرات الأوربية الرامية إلى احتلالها، سواء الانجليزية منها أو الفرنسية.

وقد واصلت فضالة دوريها الفلاحي والملاحي بمنأى عن أي تطور من الناحية الاجتماعية خلال العهد العلوي حتى أواسط القرن (18 م)، حينما تكاثر وفود السفن التجارية الإسبانية والفرنسية إلى مرساها لشحن الحبوب، الأمر الذي حذا بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله في إطار اهتمامه بانفتاح المغرب على الواجهة الأطلنتيكية إلى تأسيس قصبتها الصغيرة سنة 1182 / 1768 على امتداد خمسة هكتارات غير بعيد عن الساحل، عززها بسور متوسط السمك والارتفاع، ووفر لها بابين يتجه أحدهما صوب أنفا، والثاني نحو الرباط، وحصنها بأربعة أبراج تشرف على الواجهات المختلفة قصد مراقبة التحركات المضطربة للقبائل البدوية المنتشرة جنوبها وشمالها من الزيايدة والمذاكرة، وشيد بها منشآت أساسية من مخازن وحمام وسجن وقصر لاستراحة السلطان أثناء تنقلاته عبر المنطقة.

ومن أجل تعمير المدينة الجديدة عمد السلطان إلى منح التجار الأوربيين، وعلى رأسهم البرتغاليين، امتياز تصدير القمح منها، واتخاذ الأهراء والديار بالقصبة، وأقر بها العدول والأمناء من أهل سلا والرباط ومن اليهود. وأردف ذلك، مع بداية ازدهار نشاطها التجاري، بتشييد مسجد جديد "الجامع الأبيض"، ومستودعات شاسعة ومحلات تجارية ميسرا للتجار الأوربيين سبل الاستقرار المتواصل بها، قبل أن يقدم في السنة المواليةعلى جعل كافة الامتيازات التجارية حكرا على الشركة المدريدية الإسبانية (Los Cincos Gremios de Madrid).

ولضمان استتباب أمن أولئك التجار بادر السلطان إلى تعيين قائده الكبير الباشا محمد بن أحمد الدكالي على كافة إقليم تامسنا، وأوكل له مهمة تطوير مدينة فضالة، متمما ذلك بترحيل الجزء الأكبر من قبيلة زناتة المستقرة تاريخيا بمنطقة فضالة إلى بلاد اشتوكة والشياظمة قرب أزمور تحت إشراف ولده الأمير المأمون، ورحل جزءا من هذه القبائل الأخيرة إلى المنطقة بغية إضعاف العصبية القبلية بها. ومع تنامي ازدهارها بادر السلطان سنة 1193 / 1779 إلى إقرار فرقة من عبيد الرباط بالقصبة لحماية المرسى، وأمر التجار الأوربيين بالاستقرار بها بدلا من المراسي التقليدية كسلا

والعرائش لولا الاعتراض الذي تقدم به القناصل الأوربيون.

بيد أن هذا الوضع المزدهر لم يلبث أن عرف انتكاسة جراء الكوارث الطبيعية التي تعاقبت على المنطقة من جراد وجفاف وارتفاع الأسعار، الأمر الذي حذا بالسلطان إلى إعلان الإقليم خارجا عن السلطة. وزاد من مصاعب القصبة تفضيل السلطان لمرسى الصويرة في العلاقات التجارية مع أوربا، مما أدى إلى تراجعها السريع. ومن سخرية القدر أن اختارت فضالة أن تستعيد سكونها التاريخي مع وفاة السلطان المذكور بنواحيها بين وادي الشراط ووادي يكم سنة 1204 / 1788. وظلت فضالة متقوقعة على نفسها طيلة القرن (19م)، معرضة للاضطرابات القبلية السائدة في أنحاء الشاوية وتامسنا، لا سيما بين قبائل أولاد حريز ومديونة والمذاكرة والزيايدة، مما كان يترتب عنه أحيانا خضوعها لحركات تأديبية على يد عرب الدولة، على غرار نزول جزء من قبيلة بني حسن تحت قيادة القائد سليمان القرشي بقصبتها سنة 1226 / 1810 ، دون أن يكفل ذلك استتبابا للأمن.

ومع اشتداد الضغط الأوربي على المغرب، وتنامي ظاهرة المحميين خلال النصف الثاني من القرن (19م)، شهدت منطقة فضالة تطوراً فلاحياً مهماً مع بداية ظهور ما يشبه نظام الجمعيات الزراعية وبروز طبقة من ملاك الضيعات من المغاربة بالتعاون مع الفرنسيين والألمان، دون أن يؤثر ذلك في نسيجها العمراني، حيث كانت وحتى مطلع القرن (20م) عبارة عن قصبة صغيرة تحتضن داخل أسوارها عناصر زناتية لا يزيد تعدادهم عن الثلاثمائة نسمة، تقوم على حراستها وعلى تأمين الطريق الساحلية بين الرباط وأنفا حامية صغيرة من الحرس المخزني، وتمتد حواليها خيام بطون هذه القبيلة على طول ثلاثين كيلومتر.

ولن تتمكن فضالة من الانبعاث حقيقة إلا عقب دخول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة في غشت 1907، حيث عرفت انطلاقا من السنة الموالية اهتماما مباشرا من طرف سلطات الحماية مع إقرار أول حامية عسكرية بها داخل حصن منيع على يد الجنرال الفرنسي داماد (D'Amade) ؛ واستقطبت بوجودها على مقربة من الدار البيضاء اهتمام الشركة الألمانية مانسمان (Mannesman) سنة 1910 في إطار ضغط الدولة الألمانية على المصالح الاستعمارية الفرنسية، حيث بادرت إلى اقتناء الأراضي المحيطة بالقصبة وإلى إعداد المشاريع الاقتصادية الملائمة بها.

ومع فرض الحماية على المغرب سنة 1912، انتقلت فضالة من مجرد مرفإ يستقطب بضعة صيادين محليين إيبيريين، إلى الحظوة باهتمام متزايد من طرف الإدارة الاستعمارية، ولا سيما على يد رجل الأعمال الفرنسي جورج هرسنت (Hersent) ، الذي باشر اقتناء الأراضي الفلاحية المملوكة لشركة مانسمان وباقي ضيعات المنطقة، حيث بلغت ممتلكات شركته أزيد من 1500 هكتار أواسط سنة 1914، سرعان ما أضحت معها فضالة خلال الثلاثينات منطقة إنتاج زراعي مركز بفعل تجميع الحقول الصغيرة في هيئة مزارع عصرية ممكننة على النمط الأوربي، ومعتمدة على نظام سقوي محكم، حيث تركز الإنتاج - إلى جانب الحبوب - في تحصيل الخضروات والبواكر والكروم والمشتقات الرعوية، مع بداية ناجحة في إنتاج الجديد من المواد الموجهة للتصنيع وخاصة القطن والتبغ.

ومن جة أخرى، بادر هرسنت إلى تأسيس شركة فرنسية - مغربية قامت بتشييد الميناء الحديث لفضالة سنة 1913، بتحويل الجزيرتين الطبيعتين إلى رصيف متصل باليابسة، وكان من نتيجة هذا التطور استقطاب فضالة للعديد من رجال البحرية من مختلف المناطق المغربية، ولا سيما من الرباط والدار البيضاء، بشكل أهل فضالة لخلق أعراف ملاحية حقيقية. ومن ثم برزت كأحد الموقعين المقترحين لإنشاء الميناء الأطلنتيكي الكبير لشمال إفريقيا قبل أن يرجح جانب مرسى الدار البيضاء لهذا الغرض.

لقد أنشأ هرسنت شركة ميناء فضالة للبناء واستغلال الميناء تابعة للشركة الأم بعدما حصل من السلطان مولاي يوسف سنة 1914 على حق احتكار الميناء، استخدمه في البداية في استقبال البوارج الحربية الفرنسية، قبل أن يمتد إلى تنشيط المبادلات الخارجية. وشرع من جهة ثانية في تجهيز ميناء صيد مهم بجميع احتياجاته وفق مقاييس عصرية.

وزاد من أهمية مينائها، أنه اختير - نظراً لبعده عن التجمعات الحضرية الكثيفة، ولقربه من الدار البيضاء - كأفضل موقع لإقامة قاعدة لرسو ناقلات البترول، ولتخزين الوقود بالمغرب سنة 1924 ، حيث فرض هذا الوضع بناء خزانات عظيمة للوقود على اليابسة بسعة إجمالية قدرها 15 ألف هكتولتر و70 ألف متر مكعب من المواد النفطية ؛ ولهذا الغرض أسست بها الشركة المغربية - الأسيوية للبترول، ثم الشركة المغربية للوقود سنة 1927. وأضحى ميناؤها بذلك من أهم الموانئ النفطية في إفريقيا الشمالية في ظرف وجيز، وتطلب من السلطات المختصة إدخال تحسينات هامة على بنياته الأساسية خلال الأشغال التي امتدت من 1931 على 1933.

أما على المستوى الصناعي، فإن توافد المعمرين على فضالة وناحيتها جعلها تستفيد من استثمارات مهمة في هذا القطاع، حيث صارت في مدة وجيزة موقعا متميزاً لأولى المصانع العصرية المختصة في تصبير الخضراوات والبواكر والأسماك، وكذا مصانع نسيج القطن ؛ وأنشئت بها المخازن ومستودعات التبريد، وخاصة بروز الشركات الكبرى : سيفان (S.E.F.A.N.) وكاسكاديك (CASCADEC) وإيكوما (I.C.O.M.A.) . وزاد إنتاج معاملها ازدهاراً خلال فترة ما بين الحربين جراء اللجوء الكثيف لرؤوس الأموال الفرنسية الهاربة من السياسة الضريبية المطبقة في البلد

الأصلي، مما أسهم في عمران الجهة الجنوبية للمدينة مع إقرار حي صناعي جديد استقطب آلاف العمال بأسرهم ونوالاتهم.

وقد بدت فضالة منذ ثلاثينات القرن العشرين كأحد المراكز السياحية المفضلة لدى المعمرين بفضل مناخها المعتدل وشاطئها الجميل، ولعبت شركة هرسنت والمصالح البلدية بعد ذلك دوراً حيويا في تجهيز فضالة بصورة أنيقة، بفعل تحويلها للأراضي المتاخمة للشاطئ إلى تجزئات سكنية فخمة ومنشآت وحدائق، فرضت معها جملة من الإجراءات على المنعشين العقاريين لخلق مركز سياحي عصري.

وعلى الجانب الاجتماعي لم يخف هذا التطور الوضع غير المناسب لساكنة فضالة من الأهالي، حيث ظلت منذ انبعاثها تدين بالتبعية المطلقة للدار البيضاء، حتى غدت أشبه بمركز ضاحية منه إلى مركز حضري كامل المواصفات، وزاد من استفحال هذا الأمر استقبالها لهجرة قروية مكثفة من مختلف المناطق، ولا سيما خلال عام البون سنة 1945، أي بزيادة قدرها حوالي 44 ضعفا في غضون 34 سنة. وقد كان من نتائج ذلك تطور مواز لا متكافئ في عمران المدينة، حيث أنشئ خارج القصبة الأصلية الحي الأوربي للمعمرين وفق مواصفات حديثة وجميلة، كما ظهرت أحياء الصفيح في منطقة العاليا.

وكان أغلب العمال يستقرون حوالي القصبة غير بعيد عن الحي الأوربي مع ما يحمله ذلك من تناقضات مظهرية وحياتية، فرضت على سلطات المدينة التفكير في إعداد تصميم حضري جديد في نهاية الأربعينات، مؤسس على تصاميم التهيئة المعدلة منذ سنة 1928 بهدف الفصل بين الفئتين الاجتماعيتين غير المتطابقتين، ومن ثم شرع في استحداث حي عمالي "فضالة - العاليا" سنة 1948 يوفر حدا أدنى من الشروط الوقائية والعمرانية، شاركت في تمويله المؤسسة الإسلامية الخيرية (.S.M.B) وشركة فضالة العاليا (.S.I.F.A) التابعة لمجموعة هرسنت. وحقق هذا الفصل تشطير المدينة إلى جزأين متوازيين من المدينة، يتميز كل منهما عن الآخر مظهرا وفئات اجتماعية، يشكل خط السكة الحديدية حدا فاصلا بينهما.


ح. أميلي وأحمد سراج، *فضالة أو عودة الذاكرة*، مركز الدراسات والبحوث التاريخية والأثرية، كلية الآداب، المحمدية، 2000 ؛ عبد اللطيف الشاذلي، مساهمة في التعريف بتاريخ فضالة، *مجلة بحوث*، ع 2 - 3، *كلية الآداب*، المحمدية، 1990.

Michaux-Bellaire, Casa et les Chaouia, *Villes et tribus du Maroc*, t. II, éd. Lerous, Paris, 1915.


حسن أميلي

**الفضة**، فلز أبيض ساطع غير قابل للصدأ والتأكسد، سهل التصنيع يذوب في درجة 960°. دخل مبكرا في صناعة الحلي والنقود خاصة حتى سميت باسمه في لغات عديدة (Argent) وهي كلمة لاتينية. توجد فضة نقية مولدة على شكل عروق صغيرة في شقوق بعض التكوينات الصخرية النارية لكنها نادرة، إذ توجد غالبا في مركبات معدنية عديدة يدخل فيها غالبا الكبريت والرصاص. كانت تصنع منها الحلي والنقود وبعض الأدوات الدقيقة منذ أقدم العصور، تزايد إنتاجها كثيرا بعد اكتشاف الإسبان لمناجم غنية لها بأمريكا الجنوبية واستغلالها بكثافة، وصنعوا منها نقودهم "الريال" التي راجت في أوربا والعالم. وبتكاثر إنتاجها صارت تصنع منها الأدوات المنزلية للطبقات الغنية بأوربا في القرنين 18 و19 . لكن حل محلها اليوم أدوات الإينوكس. ولازالت الفضة تستعمل كحلي كما تستعمل في صناعات كثيرة : المرايات، حشو الأسنان، ورق التصوير، تجهيزات علمية وطبية، وإلكترونية.

كان يعرفها عامة المغاربة بـ"النقرة" ويظهر أنها كلمة أمازيغية. كانت واسعة الانتشار بالمغرب خاصة خلال وبعد حكم الموحدين، تدخل في منتوجات مهمة : النقود والحلي. وكان الحلي الفضي بالإضافة إلى قيمته الجمالية، يمثل رمزا لسمو المكانة الاجتماعية، كما يكون احتياطا اقتصاديا للطوارئ، إذ عد وسيلة لاختزان قيمة نقدية. كما كانت النقود الفضية نفسها تعلق في أعناق النساء باعتبارها حليا. كان الحلي الفضي واسع الانتشار يصنع بأمكنة عديدة من طرف اليهود خاصة، وقد اشتهرت مراكز عديدة بسوس مثل تاهلة بأملن وإفران وتارودانت وتاكموت حيث يشتغل بصناعة الحلي هنا مسلمون داعت شهرة حليهم بمراكش، أطلق اسمهم على أحد أسواق الحلي التاريخية المشهورة به، بالسمارين. واشتهرت كذلك تازناخت والداي بصناعة الحلي الفضي، بل عرف المغرب في مختلف عصوره صناعا يهودا يتنقلون بين أحياء المدن والقرى بأدواتهم يصنعون الحلي حسب طلب الزبون الذي يقدم لهم فضة خاما أو نقودا أو حليا قديما، فيذيبونه ويعيدون تصنيعه حسب الطلب.

ويلاحظ أن أهم المناجم التاريخية التي اشتهرت بالمغرب كانت تنتج معادن متعددة العناصر تعتبر الفضة من أهم عناصرها وكان معظمها يشتغل خصيصا لاستخراج الفضة. وأهم هذه المناجم : جبل عوام بالمنحدرات الشمالية للهضبة الوسطى. وزكوندار بجبل سيروا قرب إسكاون، والعدانة قرب تامدولت بسوس وإيميتر بجبل صاغرو غرب تودغة والكدية الحمراء بالجبيلات قرب مراكش. وكانت هذه المناجم تستغل تحت إشراف الدولة والأسر الحاكمة، تقيم حولها حصونا لحمايتها، كما تظهر بجانبها تجمعات سكنية أقرب ما تكون إلى قرى معدنية. كما استغل المغاربة أفرادا وعائلات مناجم صغيرة للفضة بشكل عرضي بجهات عديدية خاصة بسوس وتافيلالت والمغرب الشرقي.

عرف المغرب سك النقود الفضية منذ منتصف القرن 8م وأقدمها نقود ضربت بتودغة وزيز من طرف "الخوارج" ثم في نواحي فاس من طرف الأدارسة، كما ضربت بمراكز قرب جبل عوام الذي كون أكبر مصدر لفضة النقود الإدريسية. وضربت نقود كثيرة متباينة بتافيلالت باستغلال فضة مناجمها

الصغيرة. أما المرابطون والموحدون فقد سكوا نقودهم بعواصمهم وبالمدن المخزنية خاصة مراكش وتارودانت. واستمر سك النقود الفضية إلى بداية القرن العشرين. لكن تزايد استيراد الفضة على شكل نقود، وهي ظاهرة بدأ يعرفها المغرب منذ القرن 16 حيث كانت ترد من إسبانيا، أدى إلى تراجع تدريجي لإنتاج الفضة المغربية. وصارت الفضة الأجنبية تدخل في مضاربات نقدية، وأخذ استعمالها يتوسع إلى أن تحولت عملة المغرب الرئيسية إلى "الريال" وهي كلمة إسبانية تعني الملكي. لقد مكنت النقود الفضية من خلق سوق وطني للتبادل التجاري ودفع الرواتب وتجهيز الجيوش. وذاعت النقود الفضية في جميع الأوساط الغنية والفقيرة بالمدن والأرياف، وكانت أهم ما يبحث عنه السراق وقطاع الطرق بالإضافة إلى ما تيسر من القطع الذهبية النادرة، وهذا ما كان يدفع أربابها إلى إخفائها إلى حين الحاجة إليها في قدور تحت أرضية منازلهم أو بمقابر أو بجوار أضرحة الأولياء، وكثيرا ما يموتون دون إخبار ورثتهم بسرها فتبقى هناك لتتحول بعد مدة إلى كنوز يعثر عليها المحظوظون، وأدى انتشار هذه الظاهرة إلى بروز الفقهاء الباحثين عن الكنوز، ينتزعونها من "الجان" حسب ادعاءاتهم، وترتب عن ذلك شعوذة أدت إلى تخصص في اكتشاف الكنوز وانتشار قصص الاكتشاف، والغنى المفاجئ... أو انتقام الجان.

وبنمو الاستغلاليات المنجمية الحديثة في فترة الحماية أقبل المستثمرون على استغلال مناجم الفضة المختلطة بالرصاص غالبا عن طريق شركات خاصة أوربية صغيرة وأحيانا بمشاركة BRPM مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية، الذي تأسس سنة 1928 كممثل لمصالح الدولة. واستغلت مناجم عديدة لرصاص مختلط بالفضة بشرق المغرب والأطلس الكبير، وانكب المكتب على دراسة واستغلال مخلفات المناجم التاريخية بإميتر، وبتقدم الدراسة الجيولوجية اكتشفت بجانب الأنفاق التاريخية مكامن غنية، استمر استغلالها إلى نهاية عقد السبعينات حيث كانت تنتج حوالي 20 طن في السنة. وبتطبيق الخوصصة والمغربة في بداية الثمانينات حصلت شركة مناجم تابعة لمجموعة "أونا" على ملكية 80٪ من منجم أميتر وبيعت 20٪ من الأسهم الباقية بالبورصة. وأعادت هذه الشركة تجهيز المنجم ابتداء من 1980 فتوسع إنتاجه تدريجيا باستغلال ترسبات غنية على عمق يصل أحيانا إلى 200 م تحتوي على 800 ـ 1200 غرام من الفضة في الطن، فصار من أهم مناجم الفضة بإفريقيا مما جعل المغرب أول منتج لها بإفريقيا، إذ ينتج سنويا حوالي 300 طن من الفضة المعالجة النقية بنسبة 99,96٪ منها 240 طن من إميتر والباقي من مصاهر مناجم الرصاص، خاصة معمل زليجة بواد ملوية، ويصدر معظم الإنتاج. وقد أنتج المغرب 277,88 طن سنة 1999 (مقابل 306,1 طن سنة 1998) أصدر منها 265,4 طن بقيمة 462 مليون درهم وبلغت المبيعات الداخلية 175 كلغم بقيمة 313 ألف درهم.

تبلغ كمية الإنتاج العالمي 130 ألف طن أي عشرة أضعاف إنتاج الذهب لكن الذهب أغلى منها بحوالي 40 مرة. ورغم تزايد الإقبال على الفضة فإن سعرها بقي منخفضا منذ عقود وذلك بسبب التوسع في إنتاجها واستغلال مناجم غنية لا تتجاوز تكلفة إنتاج الأوقية 1,5 دولار. كما أن قسما كبيرا من إنتاجها يأتي كناتج ثانوي لمعادن أخرى، بالإضافة إلى إعادة استغلال الحلي والأواني الفضية القديمة بصهرها وإعادة تصنيعها. ويتأرجح سعر الأوقية من الفضة بين 4 و8 دولار (وهي تقاس بأوقية Troy التي تساوي 31,1 غرام) بلغ سعرها في فبراير 1998 : 7,5 دولار للأوقية ثم انخفض إلى 5 بعد بضعة أسابيع. ولتجنب المضاربات في سعرها صارت الشركات المشترية تتفق مع المنتجين على شراء كمية معينة سنويا بثمن ثابت قبل الإنتاج.


أ. هوزلي، *الموارد المعدنية والتنمية بالمغرب*، مطبوع كلية الآداب مراكش ؛ *وزارة الصناعة والتجارة والطاقة والمعادن، إدارة المناجم*، تقارير سنوية ونشرات صحفية ودراسات قطاعية حول المناجم والاقتصاد المعدني بالمغرب ؛ وزارة التوقعات الاقتصادية والتخطيط، *مديرية الإحصاء*، المغرب في أرقام 1999.

B. Rosenberger, Les anciennes exploitations minières et les anciens centres métallurgiques du Maroc, *R.G.M., N° 17 et 18*, Rabat, 1970.


أحمد هوزلي

**الفضلي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة أرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Fadal ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.


م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.


محمد ابن عزوز حكيم

**فضول** (عائلة -) كبيرة بمدينة البهاليل القريبة من صفرو، اشتهر أفراد منها بالعلم والتحصيل والوقار والسمعة الطيبة، سكن أجدادهم القدامى بمدشر بني ملالة القريب من قلعة ميمط، ثم استقروا ابتداء من القرن العاشر الهجري بالبهاليل الحالية، شأنهم في ذلك شأن باقي البهلوليين.

منهم الفقيه النحرير محمد بن إدريس بن الحسن فضول الكاتب والعدل المعروف، وقد ازداد بالبهاليل سنة 1913 وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة وتتلمذ بمسقط رأسه على يد الفقيه الحاج بوعلي خلوق وكذا العباس الباشا، والفقيه الميساوي أو العيساوي الذي لقنه النحو العربي كما أنه درس بالصخينات قرب زرهون قبل أن يتردد على جامعة القرويين فنهل من معينها في شتى علوم العصر سنة 1941 إلى 1953، عمل كاتبا للقائد بن قاسم بن إدريس وابنه من بعده أي محمد بن قاسم شقوندا. وابتداء من 1953 ولج خطة العدالة فبزغ نجمه بها وكان نموذجا لمحترفي هذه المهنة، وهذا ماجعله يرتبط ارتباطا وثيقا بالقاضي البلغمي، أب الأستاذ

عبد اللطيف الفيلالي. امتاز الفقيه محمد فضول بحسن سلوكه وبخطه العربي المغربي الأصيل الحسن، كما أنه خلف نسخة من للقرآن الكريم بخط يده. وفي سنة 1989 التحق بالرفيق الأعلى ودفن بمسقط رأسه البهاليل.

ومن عائلة فضول كذلك الفقيه أحمد فضول الذي يذكره كل أهالي البهاليل وصفرو لما أسداه من أعمال جليلة في التدريس، إذ تخرجت على يده نخبة كبيرة من الدارسين خصوصا بمسقط رأسه البهاليل التي ازداد بها سنة 1920. ودرس تعليمه الأولي بكتاتيبها قبل أن يلتحق بجامعة القرويين ليدرس بها لسنوات. فكد واجتهد في كل صنوف ومواد عصره لاسيما علم الفرائض الذي كاد يكون تخصصه الأول. ولا نعلم إن كان حصل أم لا على شهادة العالمية من جامع القرويين. وقد عاكسته الظروف ليلتحق بسلك التدريس والتعليم بمسقط رأسه ابتداء من تاريخ فاتح أكتوبر 1947، فكان نعم المدرس والمربي، كما أنه ظل طوال حياته مرجعا متضلعا في أمور الفقه والدين الإسلامي الحنيف، يفتي السكان في أمور دينهم كما أنه أم الصلاة بمسجد البهاليل لمدة طويلة، وكان القضاة يلجأون إليه في أمور المناسخة خصوصا وعلم الفرائض عموما. استمر في التدريس بكل من البهاليل وصفرو.

توفي سنة 1981 فدفن بمسقط رأسه.

*الملف الإداري للمعني* ؛ *بحث شخصي.*

الحسين البعاوي

**الفضيلي**، أسرة نسبهم شريف من أصرح الأنساب، وأصولهم عريقة متأصلة كما هو بين في مختلف المصادر وكما تؤكده العقود والرسوم المختلفة التي بحوزتهم هذا علاوة على الظهائر الملوكية المختلفة التي تجزم بثبوت النسب واشتهاره.

وأسرة الفضيلي من بين الشرفاء المدغريين أشهر من نار على علم، وليسوا من الفضيليين الذين هم فرقة من الأشراف العلويين السجلماسيين وإنما شهروا بالفضيليين لأن جدة والدة الشيخ إدريس بن أحمد العلوي الفضيلي شريفة فضيلية ولأن والده كانت سكناه بدار أصهار والده الفضيليين بعقبة ابن صوال من حي راس الجنان. ويدل على ذلك كما قال ابن الحاج محمد بن الفاطمي، أن مولاي عبد الله الفضيلي كان يوقع على جميع ما يتطلب التوقيع هكذا : عبد الله بن إدريس العلوي، أمنه الله.

وقد تألق من أسرة الفضيلي في فاس ثلة من العلماء الذين تميزوا بسعة العلم والإتقان والمشاركة في أنواع المعارف والفنون، وكثر فيهم طلبة العلم وحملة الكتاب، ودارهم دار علم ودراية وصلاح وولاية، لم يزل يعرف في أحوالهم، وفي أبنائهم ورجالهم.

ابن الحاج محمد بن الفاطمي، *إسعاف الإخوان الراقين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، ص. 391.

**الفضيلي، إدريس** بن **أحمد** بن أبي زكري العلوي السجلماسي الفاسي، ولد حوالي عام 1260 / 1844 بفاس، انتقل إليها والده من مدغرة بعد أن أقام مدة في مكناس. وبمسقط رأسه فاس تلقى أكثر علمه على شيوخ أجلاء لهم القدم الراسخ في المنقول والمعقول. أخذ في زمن الصبا على الفقيه محمد بن عمر الريفي ثم الشريف عبد القادر بن علي الصقلي الحسيني، ثم على الشريف المجذوب السالك أحمد بن محمد المشاشتي أخذ قدرا من القراءات، وكان يتردد على الفقيه المجود محمد التازي المدعو أبا حنيفة للتجويد، وقرأ ألفية ابن مالك على الفقيه المحقق أبو النصر بن إدريس البدراوي الورديغي، وأخذ عن الفقيه المشارك المؤرخ أحمد بن محمد بن الحاج السلمي، وأخذ عن الفقيه اللغوي النحوي محمد بن محمد التلمساني، وعن الفقيه شيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمان السجلماسي الحجرتي. وقرأ المختصر من صدر العبادة إلى النكاح على الفقيه المشارك قاضي الحضرة السلطانية المكناسية أحمد بن الطالب بن سودة وكذا ألفية ابن مالك من البدء إلى التمام، وعن الشريف أبي محمد عبد الملك بن محمد الضريرالعلوي الحسني في عدة فنون فقها ونحوا وطرفا وافرا من المعقول، وحضر مجالس الفقيه أبي عيسى المهدي بن الطالب بن سودة المختصر والتفسير، وكذا مجالس الحديث للعلامة محمد گنون الفاسي، وقرأ منظومة الأخضري في المنطق من البدء إلى التمام على الفقيه القاضي حميد بن محمد بناني، وعن الشريف جعفر بن إديس الكتاني الحسيني جملة وافرة في النحو وموطأ الإمام مالك.

من مؤلفاته *الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية*، تكلم فيه على الأنساب بفاس، *وإزالة اللبس عن حقيقة النفس*، فرغ منه أوائل رمضان 1310، وله غير ذلك.

توفي المترجم عام 1316 / 1898، ودفن بروضتهم في القباب.

*تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، 93 ؛ *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2814 ؛ *معجم المؤلفين*، 2 : 216 ؛ *معجم المطبوعات*، 767 ؛ *معجم المطبوعات المغربية*، 279 ؛ *مؤرخو الشرفا*، 267.

**الفضيلي، عبد الله** بن **إدريس** بن أحمد العلوي الحسني الشهير بالفضيلي، أصله من العلويين المدغريين. ولد بفاس سنة 1291. وبعد وصوله إلى سن الإدراك التحق بالكتاب لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن كما هو متداول في ثقافتنا. وقد زاول ذلك على يد الفقيه أحمد البرنوسي المدعو بولحية بالمسيد المزوق المقابل لعقبة ابن صوال ومسجد ابن البياض برحبة الزبيب قرب درب ابن شلوش من حومة راس الجنان. بعد ذلك التفت إلى تعميق معارفه فالتحق بالقرويين عام 1304، وأخذ عن فحول العلماء بفاس منهم والده الشيخ إدريس بن أحمد (1316)، وعن الشيخ أحمد بن الخياط، وهو عمدته، وعن الشيخ أحمد بن الجيلالي

الأمغاري، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ كنون، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ القادري، وعن الشيخ عبد المالك الضرير، وعن عبد الله بن إدريس البدراوي، وغيرهم من الأشياخ. وبقي عاكفا على تلقي العلوم والمعارف إلى أن ظفر بالطلب وظهرت نجابته، وتخرج من أبهاء المعهد العلمي وانتظم في صف المرتبة الثالثة من مراتب العلماء وفقا للنظام المعمول به وذلك عام 1320، وصار يقوم بمهنة التدريس بالقرويين ثم ارتقى إلى سلم المرتبة الأولى عام 1326، وبقي يلقي دروسه إلى عام 1330.

تقلب في عدة مناصب في القضاء والتدريس، حيث تولى القضاء بمدينة الجديدة عام 1330 وأقام على ذلك مدة قصيرة ثم استعفي منه فأعفي عام 1332، وفي القرويين تصدر للتدريس في القسم النهائي منذ بداية النظام، متفانيا في خدمة العلم وأهله، قائما بشروطه، خاصة في ذلك الوقت الذي تعسرت فيه أمور التعليم التقليدي وتعالت الأصوات لضرورة إصلاحه، ونشله من وهدة الجمود والتحجر وإصلاح هياكله، وكل إليه دراسة علم الأصول وذلك بجمع الجوامع بشرح المحلي بالقسم العالي النهائي الشرعي. أسندت للفضيلي رئاسة المجلس العلمي لكلية القرويين حوالي 1353 مدة ثم أعفي منه وبقي يدرس متطوعا إلى أن صدر الأمر ثانيا برجوعه إلى منصب الرئاسة ليستقر فيه إلى آخر أيامه "حتى يتمتع الفكر العام بالاستمداد من مدده" على ما عهد فيه من استقامة.

وممن أخذ عنه المؤرخ عبد السلام بن سودة، قرأ عليه المختصر وجمع الجوامع بشرح الإمام المحلي، وقرأ عليه محمد الطاهري المختصر بالزرقاني والألفية بالأزهري التصريح ورسالة الوضع وجمع الجوامع بالمحلي، وأخذ عنه عبد المالك بن أحمد بن المامون البلغيثي (من شعراء المغرب، 113) وأحمد بن عبد الرحمان بن شقرون، (من شعراء المغرب، 40)، ومحمد بن علي الوكيلي، (من شعراء المغرب، 191)، وممن أخذ عنه محمد الجواد الصقلي درس عليه المختصر الخليلي بالزرقاني وبناني وبالخرشي كذلك وجمع الجوامع بالمحلي وتلخيص المفتاح بالمطول والسلم ببناني ورسالة الوضع بشرح العضد وطرفا من شمائل الترمذي بجسوس، وغيرهم ممن لهم مشاركة في الحياة الفكرية بالمغرب وأبدوا نبوغا في شتى الفنون.

توفي عبد الله الفضيلي في ثالث عشر شوال عام 1363، ودفن بروضتهم الكائنة بالقباب قرب ضريح سيدي الغياثي.

ع. الجراري، *شعراء المغرب الأقصى وأدبائه*، تح. سعيد الفاضلي، مرقونة، ص. 24 ؛ ابن سودة، *سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال* ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3180 ؛ ابن الحاج، *إتحاف ذوي العلم والرسوخ*، الدار البيضاء، 1978، ص. 199 ؛ ابن زيدان، *الدرر الفاخرة*، ص. 165 ؛ ع. التازي، *جامع القرويين*، 3 :821 ؛ *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدار البيضاء، 1992، ص. 390 ـ 393.

عبد المجيد بوكاري

**فطاسين** بن **يكلدان**، أول من عرف في سوس من أجداد الگرسيفيين خلال القرن السادس الهجري، صالح يقصد بالزيارة بأگني إيحراش بمنطقة توغزيفت قبيلة إيداوسملال. ويبدو من خلال آثار محراب قديم حول مشهده، أن ذلك المقام يقصد بالزيارة، لما كان يتمتع به من هالة. لهذا عرف بـ "أكال العفو" أي تراب العفو.

محمد المختار السوسي، *المعسول*، ج 17 : 45 ـ 54 ؛ *رجالات العلم*، 11.

L. Justinard, Notes sur l'histoire du Sous au XVI siècle, A.M., 1933, p. 209.

أحمد بومزگو

**فطاط، أحمد** بن **عبد السلام**، ولد سنة 1938 باكنول، إقليم تازة. انضم إلى صفوف جيش التحرير، وعمل تحت مسؤولية السرجان عبد السلام، وكان يزود جيش التحرير بشمال المغرب بالذخيرة، ويقوم بتهريب الجنود المغاربة من صفوف اللفيف الأجنبي، إلى أن ألقي عليه القبض من طرف السلطات الاستعمارية، فصدر في حقه حكم الإعدام، ونفذ سنة 1956، وبالضبط بتاريخ 29 شعبان 1376 إلى جانب ثلاثة من أصدقائه رحمهم الله جميعا.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524163.

**فطناسة**، فخذة سرغينية شرق واد تساوت على الطريق بين مراكش ودمنات، تحتل منطقة سهلية خصبة عبارة عن مخروط انصباب لأودية تساوت وارگي وإيسيل، وتتكون من أربعة عشر دوارا منها أولاد مبارك وأولاد عيسى. استقرارهم قديم، ولهم إخوة بنفس الاسم في دكالة وحتى في تونس، يرجع هؤلاء نسبهم إلى الشرف النبوي حيث إخوتهم من بني مَحمد يوجدون في درعة وتافيلالت أيضا. كان عدد سكان فطناسة في إحصاء 1936 يصل إلى 2.046 نسمة، وهم حاليا حوالي 10.000 نسمة.

ولمجاريها المائية المشتقة من نهر تساوت فالبلدة وافرة الغلال والثمار خاصة الحبوب وأشجار الزيتون والخضروات،

وقريبا منها هناك عين غبري الغزيزة ومجرى الساقية اليعقوبية الموحدية، ومن الأسواق التي يرتادها الناس هناك خميس سيدي أحمد بالعطاوية وأربعاء الحمادشة وسوق الأحد بدمنات، كما تاجروا مع الشاوية وتادلة...

كان من حكام فطناسة في القرن التاسع عشر القائد علال الشرقاوي (1860 ـ 1867)، وبعده القائد أحمد بن الموذن (1867 ـ 1885) ثم ابنه محمد العربي (1885 ـ 1891)، وبقيت فطناسة هاته تحت نظر ابنه الجيلاني إلى مطلع العهد الحفيظي، وكان من شيوخه عليها محمد بن الحاج من أولاد مبارك ؛ بعد ذلك آلت إلى القائد محمد اليعقوبي (توفي سنة 1911)، ثم أخيه الفاطمي المتوفى عام 1954، وأخيرا القائد أحمد اليعقوبي حتى 1956.

اشتهرت فطناسة عبر تاريخها بكثرة عنايتها بالعلم والعلماء ووفرتهم بها، ومن الأسر المعروفة بذلك آيت سيدي بومهدي الذي أصبح مدرسا بمدرسة المعطي بن الشيخ هناك، فلما توفي عام 1853 بنى الناس عليه مزارة مشهورة، وقد أحيا العلم بتساوت، وقد توفر أبناؤه على ظهير بالتوقير والاحترام من العهد الإسماعيلي مؤرخ في 15 قعدة عام 1102 / 1690، أما أسرة المعطي بن الشيخ الفطناسية فمن آيت باعمران بالصحراء شرفاء أدارسة يذكرون أن لهم ظهائر سعدية، استقروا شرق تساوت وبمراكش فأنجبوا العلماء الفطاحل الذين تغنوا بجمال المنطقة حيث محمد بن المعطي ذكرها في كتابه حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخيار كما يلي :

| | |
|---|---|
| أيا قاصدا دمنات عرج نحو بلدة | وسلم ويصحبنك حتى سلامها |
| تساوت بها استواء قلبي وراحتي | وأول أرض مس جلدي رغامها |

وكان من علماء فطناسة في القرن التاسع عشر الفقيه محمد بن الطالب اشتغل بالتدريس بزمران والفقيه محمد بن عبد الكريم دفين الصهريج سنة 1865 ثم فقهاء كثيرون عجت بهم المنطقة وغذوا كبريات المدن المغربية بالمدرسين والوعاظ ؛ من أمثال الفقيه أحمد بن المكي صاحب المدرسة الشهيرة والمتوفى عام 1976 وغيره.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تح. د. حجي ود. الأخضر، ج. 2، الرباط، 1980 ؛ الدمناتي، *القول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع*، مخطوط ؛ ح. شوقي، *قبيلة السراغنة خلال القرن 19*، الرباط، 1990.

G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Draâ*, Rabat, 1936, p. 25.

الحسن شوقي

**فطواكة**، قبيلة بربرية مصمودية، تنتمي إلى اتحادية هسكورة الظل المندثرة. أصلها إتفضواك، لكنها عربت إلى الصيغة الحالية (فطواكة). تمتد مواطن قبيلة فطواكة على حيز من السفح الشمالي لغربي الأطلس الكبير الأوسط، غير بعيد عن منطقة الاتصال بين هذا الجزء وبين جبال الأطلس المتوسط ؛ قريبا من الطريق الشهيرة العابرة لممر تلوات. يحدها من الغرب قبيلة غجدامة، ومن الشرق قبيلة إينولتان، ومن الشمال زمران والسراغنة، ومن الجنوب إمغران ومگونة.

ومن ثم ففطواكة، شأنها شأن إينولتان، تقع في منطقة انتقالية جغرافيا وتاريخيا. وأهم ما يجلي هذا المجال الانتقالي هو لغة أهلها التي هي مزيج بين تشلحيت وتمزيغت.

والراجح أن هاته القبيلة، كسائر قبائل السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي، كانت تعيش على النجعة بين السهل والجبل حتى زمن بدء الدعوة الموحدية ؛ قبل أن تصل إلى غايتها لتستقر في المواطن التي تحتلها اليوم.

تنقسم قبيلة فطواكة إلى ثلاثة عشر عظما هي : الدراع، وأهل تاسوت، وأهل تيديلي، وآيت عتيق، وآيت عيسى، وآيت بوولي، وآيت فلالاد، وآيت معلا، وآيت مَحمد، وآيت مديوال، وآيت أومديس، وآيت الربع، وآيت سورن. ويكاد الاختلاف بين مداخل مكوناتها (أهل، آيت) يحيلنا إلى القول بوجود عناصر بشرية مختلفة.

ويغلب الطابع البدوي على القبيلة، حيث يتجمع كل سكانها في مداشر وقرى. وفي المجال الاقتصادي يعيش أولئك السكان على الزراعة والرعي واستغلال الغابة، إذ تغطي ترابها غابات ممتدة، تتكون من العرعر الأحمر والبلوط والصنوبر.

وقد أنجبت فطواكة رجالا خلدوا بصماتهم على صفحات التاريخ المغربي ؛ نذكر منهم الشهيد حمان الفطواكي. وتتبع فطواكة اليوم لبلدية دمنات التابعة بدورها إلى إقليم أزيلال.

البيذق، *أخبار المهدي* ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ. التوقيق، *إينولتان*، *التحري الميداني*.

*Répertoire alphabétique des agglomérations de la zone française...*

أحمد عمالك

**الفطواكي، حمّان** بن بريك. مقاوم ذاع صيته، ولد بتيديلي بفطواكة، دوار تسوقت. ولا يعرف بالضبط تاريخ ولادته، لكن من المرجح أن يكون ذلك في بداية القرن العشرين، لأنه عندما شارك في المعارك التي كانت تدور بين قوات التهامي الأگلاوي من جهة، وقوات قبائل آيت عطا وآيت حديدو من جهة ثانية كان يبلغ من العمر السادسة

محمد بن بريك (حمان الفطواكي)

عشرة، ومن بين المواجهات التي شارك فيها معركة بولخماس التي انهزمت فيها قوات الأگلاوي.

هاجر المغرب إلى إسبانيا وانخرط في الجيش الإسباني، ورقي إلى رتبة ملازم، وقد كشفت المخابرات الإسبانية تعاطفه الكبير مع حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي، فاضطر للعودة إلى المغرب.

التحق حمان الفطواكي بمراكش، بعد سنة قضاها ببلدة تيديلي، باحثا عن عمل لاسيما وأن أسرته كانت متواضعة جدا. وقد تمكن من إيجاد عمل في شركة "موبيل" للغاز، ثم بشركة للنقل الحضري ليتفرغ أخيرا لتجارة المواد الغذائية والخشب والحبوب.

خلال إحدى زياراته للدار البيضاء وبالضبط للمدينة القديمة تعرف في أحد البيوت بدرب التازي على مجموعة من رجال المقاومة المنتمين للمنظمة السرية، وقد أثمرت اتصالاته بهم تأسيس فرع للمنظمة بمراكش التي التحق بها عمر الساحلي لنفس الغرض.

وكان من أبرز رجال تنظيم حمان الفطواكي المسلح بمراكش الحسين البزيوي وبوجمعة المزملي ومحمد السوسي وعمر بن لحسن وعلال بن أحمد الرحماني وامبارك بن بوبكر الدكالي. وقد أنجز هذا التنظيم عمليات مسلحة ضد رموز الوجود الفرنسي من مفتشي شرطة وأعوانهم، وأعوان السلطة خاصة المقدمين، بل أقدم أفراد من التنظيم على مهاجمة محمد بن عرفة الذي جرى تنصيبه يوم 16 غشت 1953 سلطانا بديلا لسيدي محمد بن يوسف، وقد جرت المحاولة يوم 5 مارس 1954 بمسجد بريمة، وانتهت بالفشل ليقوم التهامي الأگلاوي بإفراغ ذخيرة سلاحه الناري في المقاوم احماد أقلا، بينما نجحت عملية تصفية المندوب "موني" يوم 14 ماي 1954، كما تم تفجير قنبلة أثناء مرور موكب المقيم العام الجنيرال "أوغستان گيوم" يوم 15 ماي 1954، وتصفية المتعاون محمد بن الجيلالي يوم 7 يوليوز 1954، وكان القتيل قيد حياته قد حاول إلقاء القبض على المقاوم علال الرحماني الذي نفذ مع آخرين عملية تصفية الجنيرال "دي هو طفيل" الحاكم العسكري لناحية مراكش صباح يوم الأحد 20 يونيو 1954 عندما كان يقوم بجولة عبر أحياء مراكش كعادته في نهاية كل أسبوع.

اعتقل حمان الفطواكي يوم 9 غشت 1954 بعد أن أشيع أن والدته على سرير الموت، ولما حاول زيارتها تمكنت مصالح شعبة مكافحة "الإرهاب" من اعتقاله، واتضح لاحقا أن الخبر كان كاذبا، كما اعتقل مقاومون آخرون منهم امبارك ابن بوبكر بن حمادي ومحمد بن العربي بن حميد، ومولاي امبارك بن مولاي الناجي وحسن مولاي أحمد، وقد أصدرت الهيئة العسكرية الملتئمة بمراكش يوم 6 نونبر 1954 حكمين بالإعدام، الأول في حق حمان الفطواكي والثاني في حق امبارك بن بوبكر، وجرى تنفيذ الحكم في حق الفطواكي يوم 9 أبريل 1955 بسجن العاذر، والملاحظ مرور خمسة أشهر بين تاريخ صدور الحكم وتاريخ تنفيذه لاعتقاد السلطات في تورط حمان الفطواكي في عمليات أخرى للمقاومة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، الجزء 1.

محمد وحيد

**الفطواكي، مبارك** ابن بوبكر الدكالي، ولد بدكالة سنة 1342 / 1923، ونشأ بمراكش. وتحمل أسرته اليوم اسم بنطريق، قضى الشهيد فترة من شبابه في الجيش الفرنسي في فيتنام، اشتغل عاملا في القاعدة الجوية الأمريكية بابن جرير آنذاك، ولما تآمر الاستعمار الفرنسي مع أذنابه على المغرب وعرشه في 20 غشت 1953 فإن الفقيد انخرط في صفوف المقاومة ضمن فرقة الشهيد حمان الفطواكي وقام بعدة عمليات جريئة إلى أن تم اعتقاله في غشت 1954 وقدم إلى المحاكمة في 27 / 01 / 1955 وأصدرت في حقه الإعدام الذي نفذ فيه بتاريخ 09 / 04 / 1955 بسجن العاذر بالجديدة.

محمد الحبيب الفرقاني، *صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير*، ج.1 ؛ المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *ملخصات عن حياة وكفاح شهداء الاستقلال*.

محمد ماگامان

**الفقاي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطج وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alfucay ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Alfocai وAlfocay.

**الفقاي، عبد العزيز** من أعيان تطوان، كان يزاول خطة الحسبة إلى أن عزله الباشا الحداد يوم 28 شعبان 1267/ 28 يونيو 1851 ؛ وعلى إثر استرجاع تطوان من يد الاسبان عينه الباشا عبد القادر أشعاش في نفس المنصب وأخبر السلطان بذلك فأجابه بالموافقة يوم 19 ذي القعدة 1278 / 18 ماي 1862.

محمد ابن عزوز حكيم

**الفقه والفقهاء**، الفقه في الأصل هو الفهم والعلم ويعني من حيث دلالته في حقل المعرفة الشرعية" معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة ومانصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة". وتنقسم مباحث الفقه عموما حسبما أجمع على ذلك أغلب فقهاء التشريع الإسلامي إلى قسمين كبيرين : قسم العبادات وتندرج فيه تمثيلا لا حصرا موضوعات الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة والمساجد وفضلها وأحكامها والنذور والجهاد.. الخ. ثم قسم المعاملات ويشتمل من بين ما يشتمل على موضوعات الزواج

والطلاق والعقوبات والبيوع والقرض والرهن والمساقاة والمزارعة والجعالة والشركات والأوقاف والفرائض.. الخ. ولما كان الفقه شديد الصلة بحياة الناس اليومية وأقضيتهم الطارئة ومشكلاتهم المتجددة، فقد تداوله المغاربة، درسا وإنتاجا وتشريعا وتطبيقا، منذ فترة مبكرة من تاريخهم الاجتماعي والديني والثقافي. فقبل أن تستقر ركائز المذهب المالكي في منطقة الغرب الإسلامي قبل القرن الثالث الهجري / 9 م. و ... يصبح لفقهائه نفوذا متميزا في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية كان المغاربة موزعين بين مذاهب ونحل شتى خارجية وإسماعلية وأوزاعية ومعتزلية وبرغواطية وذلك بسبب الصراعات الأموية الفاطمية من جهة، واقتسام مجموعة من الدويلات الخارجية والإمارات المستقلة مجال السلطة السياسية والمذهبية للمنطقة لمدة ليست باليسيرة من جهة ثانية. ولاشك أن انتشار المذهب المالكي بالمغرب على عهد الدولة المرابطية وإقراره من طرف أمرائها كمذهب رسمي لها، إنما يعود الفضل فيه إلى حركة التأثير الواسعة التي مارسها فقهاء المالكية بالأندلس على المغاربة عن طريق تلامذتهم وطلاب العلم الذين كانوا يشدون الرحلة من المغرب إلى الأندلس للتعلم وأخذ قواعد الفقه المالكي، ونذكر من بين هؤلاء الفقهاء يحيى بن يحيى الليثي وعبد الملك بن حبيب وعيسى بن دينار وزياد بن عبد الرحمن الذين تلقوا دروس الفقه عن مالك بالمدينة بمناسبة ترددهم عليها قصد الحج، كما يعود الفضل في وصول هذا المذهب وذيوعه في المغرب كذلك إلى الدور الذي نهضت به بعض الشخصيات منذ أوائل القرن الثالث / 9 في نقل مذهب مالك من علماء مشهورين في المشرق ونخص من بينهم بالذكر هنا الأصيلي ودراس بن إسماعيل، يضاف إلى هذا وذاك، طبعا، المساهمة الواسعة والنوعية التي قامت بها رموز فقهية وازنة عاصرت المرابطين في تجذير وإرساء مبادئ المذهب المالكي بالمغرب ونذكر من بينها على وجه الخصوص وجاج بن زلو وأبي عمران الفاسي وعبد الله بن ياسين والقاضي عياض.

وإذا كان الدارسون والباحثون قد اختلفوا في تحديد أسباب ودواعي انتشار المذهب المالكي في الآفاق شرقا وغربا، فإن أغلبهم قد أجمع على أن انتشاره ببلاد المغرب، إنما يعود إلى تناسبه مع طبيعة فطرة المغاربة وبساطة بيئتهم ووضوح رؤيتهم دون تكلف أو تعقيد، فضلا عن كونه مذهباً فقهياً عملياً يأخذ في الاعتبار عادات الناس وأعرافهم ويبتعد عن التأويلات المعقدة والآراء النظرية المتطرفة. وهكذا ونتيجة لإقبال أبناء الغرب الإسلامي على المذهب المالكي منذ فترة مبكرة، تعلما ومدارسة وتشريعا وعملا، تكونت لديهم مع توالي الأحقاب حصيلة فقهية عتيدة أكمل فيها اللاحق عمل واجتهاد السابق. ففي الوقت الذي كان فيه تلاميذ مالك يتداولون كتاب "*الأسدية*" لأسد بن الفرات بالقيروان جاء أبو سعيد عبد السلام سحنون التنوخي فدون انطلاقا من "*الأسدية*" كتاب "*المدونة*" فصارت يومها المرجع الفقهي الأساس للمالكية في التأليف والتدريس والفتوى والنوازل. ثم بعد ذلك ظهرت تآليف أخرى كتبت على شاكلة "*المدونة*". ففي الأندلس كتب أبو مروان عبد الملك بن حبيب كتاب "*الواضحة*" ثم من بعده كتب وبشكل أكثر توسعا وشمولا تلميذه أبو عبد الله العتبي كتاب "*العتبية*". وبعد هاذين المؤلفين ظهر إبان القرن الرابع كتاب "*النوادر*" لأبي عبد الله بن أبي زيد القيرواني جمع فيه كلا من "*المدونة*" و"*الواضحة*" و"*المستخرجة*"، وتلاه في أوائل القرن السادس كتاب "*البيان والتحصيل*" لأبي الوليد ابن رشد شرح فيه كلا من "*المستخرجة*" و"*العتبية*". وقد اختصر ابن الحاجب في "مختصره" كل هذه المجاميع والمتون الفقهية وجاء من بعده خلال القرن الثامن الإمام أبو الضياء خليل بن إسحاق فشرح "مختصر" ابن الحاجب فكان أفيد الشروح وأشملها فروعا وأوسعها فائدة.

وإذا كان المذهب المالكي قد عرف خلال العصر المرابطي درجة عالية من التمكن والنفوذ بفعل علاقة التحالف الوثيق التي جمعت أمراء الدولة المرابطية منذ نشأتها مع فقهاء المالكية وما استتبع ذلك من تعاظم أوسع لسلطة الفقهاء تجاوز نطاق حدودها ممارسة أنشطة التدريس والتأليف والفتوى إلى التدخل في شؤون الحكم وتوجيه ماجرياته، فإن هذا الوضع سيتغير إلى حين مع الدولة الموحدية التي شن منظر عقيدتها المذهبية ومؤسس حركتها السياسية محمد المهدي ابن تومرت حربا شعواء ضد فقهاء المرابطين المالكية بسبب إسرافهم المفرط في الاهتمام بفقه الفروع وإهمالهم للأصول الحديثية للمذهب المالكي وإغراقهم في الاعتماد على أقوال الفقهاء المستندة في جملتها على مجرد الرأي. فكان من نتيجة هذا التوجه الجديد أن تمت مصادرة كتب الفروع وإحراقها بهدف منع تداولها وتشجيع العودة إلى فقه الأصول القائم على الكتاب والسنة والقضاء على فقه الرأي والمسائل المتسم بتشعب الأحكام واختلاف الأقوال. ومن بين كتب المذهب التي تم إحراقها تكريسا لهذا التوجه نذكر على سبيل المثال : "*الواضحة*" لابي حبيب و"*المدونة*" لسحنون و"*التهذيب*" للبراذعي و"*النوادر والزيادات*" و "*المختصر*"لأبي زيد القيرواني .. الخ. وهي حادثة فسرت من قبل أغلب المؤرخين على أنها انتصار للمذهب الظاهري الذي شهد مع الموحدين صحوة غير مسبوقة بما صار لفقهائه من شفوف وحظوة على أكثر من صعيد. وعلى خلاف هذا الواقع سجلت المالكية عودة قوية مع العصر المريني حيث أصبح الفقه المالكي يتبوأ مركز الصدارة سواء في مجال التشريع أو المعاملات وصار لفقهاء المذهب، بموازاة ذلك، السيادة الكاملة في توجيه الحياة الدينية والاجتماعية والذهنية دون أي منافس من مذهب أو نحلة محلية، وإن كان ميدان التعليم والتأليف قد عرف بوجه عام ميلا شديدا نحو ثقافة الفروع والتبسيط وشرح المختصرات تأليفا وتدريسا.

ولم يحد العصر الوطاسي الذي اتسم فقهاؤه بالجمع بين علوم متعددة عن نفس المنحى في دراسة الفقه وتداوله فكرا وممارسة. كما لم يشذ العصر السعدي عن نفس المسار في التعاطي مع الفقه وامتداداته في مختلف مناحي الحياة، حيث استمر الفقه المالكي يمثل المرجع الأساس سواء في الأحكام الشرعية أو في الدراسات الفقهية أو في الكتب المصنفة ضمن المقررات التعليمية، لدرجة أن فقهاء الحنفية والشافعية الذين وفدوا من المشرق إلى المغرب في هذه الفترة لم يجدوا من يقبل على فقههم "فكفوا عن تدريسه وانصرفوا إلى التفسير والحديث". ومن أبرز المؤلفات الفقهية التي أجاد مؤلفوها في صياغتها على أسس مذهب مالك نذكر : كتاب "*الكليات*" للإمام ابن غازي و"*سنا المقتبس لفهم قواعد الإمام مالك بن أنس* " لعبد الواحد الونشريسي الذي نظم فيها كتاب والده "*إيضاح المسالك إلى قواعد مذهب مالك*" ثم أرجوزة "*المرشد المعين على الضروري من علوم الدين*" لعبد الواحد ابن عاشر .. الخ. أما في العصر العلوي، فعلى الرغم من ظهور الحاجة الماسة إلى تجاوز التقليد والاكتفاء بترديد آراء وأقوال المتقدمين من علماء المذهب وشرحها واختصارها والتعليق عليها، وعلى الرغم كذلك، من ظهور أسماء فقهية وعالمة عديدة ومتميزة تألق نجمها في هذا العهد في ميادين العلوم الشرعية والعقلية على السواء أمثال : محمد بن أبي بكر الدلائي وعبد القادر الفاسي والحسن اليوسي وابن رحال المعدني وأبي سالم العياشي وإدريس العراقي ومحمد الرهوني وحمدون ابن الحاج ومحمد الطيب ابن كيران وعبد الرحمن المنجرة الصغير ومحمد بن إدريس العمراوي ومحمد الطاهر الفاسي ومحمد گنون وعبد السلام العلمي.. الخ، فإن الاشتغال بالفقه ومباحثه ظل، أسوة بباقي العلوم الدينية الأخرى، يراوح مكانه سواء من حيث الاستمرار في تكرار ما قاله الأول وكتبوه في شروح حواش وذيول أو من حيث تجميع المسائل الفقهية ونظمها في أراجيز ومنظومات أو من حيث اختصار الأصول والكتب المطولة وصياغتها في مختصرات يصعب إدراكها وفهم ألغازها. ولعل هذا الواقع هو ما عكس حالة الانغلاق والجمود وانسداد آفاق الاجتهاد والتجديد التي ظلت تجثم على صدر الثقافة والفكر المغربيين منذ زمن بعيد. وهي حالة وإن وجدت من الأصوات الرسمية (كما هو الحال مع سيدي محمد بن عبد الله ومولاي عبد الرحمن بن هشام وسيدي محمد عبد الرحمن ومولاي الحسن) وغير الرسمية (كما هو الشأن مع الحسن اليوسي ومحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي ..الخ) من يدعو إلى إصلاحها وضرورة مجاوزتها من خلال تجديد مناهج التعليم وفتح أبواب الاجتهاد دونما اتباع أو تقليد أو اكتفاء بالفروع وإهمال تام للأصول، فإن هذه الحالة ظلت مع ذلك، تنيخ بكلكلها على الحياة الفكرية والتعليمية بالمغرب إلى عهد قريب.

ومما ينبغي الإشارة إليه في محصلة هذا المسار التاريخي، أن جمهور الفقهاء المغاربة على اختلاف طبقاتهم ونحلهم وتفاوت مراتبهم وحظوتهم، قد اضطلعوا بأدوار طلائعية غاية في الأهمية والحيوية عبر سيرورة تاريخ المغرب. ويمكن إجمال هذه الأدوار عموما في المستويات التالية :

التربية والتعليم سواء داخل المؤسسات التعليمية الرسمية التي كانت توجد تحت إشراف الدولة ومراقبتها أو داخل المراكز البدوية النائية أو داخل الزوايا والرباطات الصوفية أو داخل المساجد والجوامع العامرة التي كانت تنتشر في مجموع التراب المغربي.

- تولي مناصب الفتيا والقضاء والإمامة والعدالة والحسبة وغيرها من الخطط الدينية الأخرى، فضلا عن مناصب أخرى في سلك مؤسسات الدولة وأجهزتها الإدارية كالكتابة والأمانة.. الخ. وهي مناصب تورد بشأنها كتب الأخبار والتراجم والمناقب معلومات على قدر كبير من الأهمية إفادة وتفصيلا.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد مورس هذا المبدأ الشرعي من قبل جمهور الفقهاء بأشكال وتعبيرات مختلفة. فتارة عن طريق الكتابة والتأليف في مواضيع البدع والمحرمات والعوائد والسلوكات المنحرفة عن جادة الشرع ومهياته، وهي ظاهرة طالما تكررت أصداؤها في فترات تاريخية مختلفة. وتارة أخرى عن طريق التواصل المباشر مع المجتمع من خلال حلقات التوجيه والوعظ التي كانت تعقد في المساجد والجوامع أو من خلال الاتصال الميداني بهم في أماكن وجودهم.

- الدعوة إلى الجهاد. وهو أمر ساهم فيه الفقهاء مساهمة فعالة ونشطة عبر تاريخ المغرب، وذلك كلما داهم البلاد عدوان خارجي أو بادرت الدولة إلى القيام بعمل عسكري ما لتحرير جيب من جيوب الاحتلال أو غزو أرض من أراضي دار الكفر. ولم يقتصر دور الفقهاء في التحريض على الجهاد وبيان فضائله ومشروعياته وتجييش الناس وتحميسهم للانخراط فيه فرادى وجماعات، وإنما شاركوا هم أيضا بمالهم وأنفسهم في ساحات القتال ولقي فيها كثير منهم الشهادة.

- حفظ وحدة المذهب المالكي ورعاية تراثه الفقهي. وذلك من خلال الاهتمام بكتب علمائه وشرح مروياتهم ومحفوظاتهم نظما ونثرا، وأيضا من خلال الترجمة لأعلام المذهب وشيوخه كما فعل القاضي عياض أول الأمر في موسوعته التراجمية "*ترتيب المدارك*" وتبعه ابن فرحون في كتابه "*الديباج المذهب*" وأعقبه بدر الدين القرافي فذيل عليه في كتابه "*توشيح الديباج*" ثم تلاه أحمد بابا التنبكتي فذيل على "*توشيحه*" بكتابي "*نيل الابتهاج*" و "*كفاية المحتاج*".

- التصدي للفتوى. وهي عملية لم تكن متاحة لعموم الفقهاء، وإنما مارستها نخبة مخصوصة من كبار العلماء المشهود لهم بالأهلية والدراية بأحكام الشرع وضوابطه ومقرراته. وقد تراكم نتيجة لممارسة خطة الإفتاء عبر تاريخ الفقه بالمغرب رصيد هام ومتنوع من المجاميع والكتب

النوازلية نذكرمن بينها : "*مذاهب الحكام في نوازل الأحكام*" للقاضي عياض، و"*نوازل ابن هلال*" لإبراهيم بن هلال، و"*المعيار المعرب*" لأحمد بن يحيى الونشريسي، و"*الأجوبة الناصرية*" لمحمد الناصري الدرعي، و"*مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال*" لمحمد الگيگي السكتاني، و"*المعيار الجديد*" لأبي عبد الله محمد المهدي الوزاني.. الخ.

ـ المطالبة بالإصلاح والإقلاع عن المفاسد والمظالم. وهي مسألة اعتمد الفقهاء في تصريفها والدعوة إليها أساليب وطرق مختلفة تتناسب مع مقام المخاطب وخصوصية الرسالة المزمع إيصالها إليه والموضوع الذي تدور حوله هذه الرسالة. وقد شغلت في هذا الخصوص، قضايا المظالم وتجاوزات الحكام وولاتهم وقوادهم وجباتهم حيزا هاما في الرسائل والمكاتيب الموجهة من قبل الفقهاء على مر التاريخ إلى سلاطين زمانهم. كما احتلت، من جهة أخرى، قضايا إصلاح الإدارة والجيش والجباية .. مكانة لا تقل عن الأولى أهمية خصوصا وأن مثل هذه القضايا كانت تطرح غالبا حينما يمسي مصير البلاد والعباد قاب قوسين أو أدنى من الانهيار المحقق.

إ. منظور، *لسان العرب*، بيروت، ص. 13 ـ 522، ؛ إ. خلدون، *المقدمة*، بيروت، 1971، ص. 445 ؛ إ. بشكوال، *الصلة*، تح. عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1955 ؛ ق. عياض، *مذاهب الحكام*، تح. محمد بن شريفة، بيروت، 1990 ؛ إ. رشد، *الضروري من أصول الفقه*، تح. جمال الدين العلوي، بيروت، 1994 ؛ إ. حزم، *الفصل في الملل*، بيروت، 1975 ؛ أ. حامد الغزالي، *المستصفى*، بيروت، 1993 ؛ إ. فرحون، *الديباج المذهب*، مأمون بن محي الدين الجنان، بيروت، 1996 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الإبتهاج*، ليبيا، 1989 ؛ *كفاية المحتاج*، تح. محمد مطيع، فضالة، 2000 ؛ أ. بن يحيى الونشريسي، *المعيار المعرب*، بيروت، 1981 ؛ ع. بنعلي الحسني العلمي، *النوازل*، المحمدية، 1983 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 1، ص. 87 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، الدار البيضاء، 1985 ؛ *ورقات عن حضارة المرينيين*، الدار البيضاء، 1996 ؛ م. الحجوي الثعالبي، *الفكر السامي*، القاهرة، 1396 ؛ ح. العبادي، *فقه النوازل*، الدار البيضاء، 1999، ص. 48 ـ 50 ؛ ع. الجيدي، *العرف والعمل*، المحمدية، 1984 ؛ *تاريخ المذهب المالكي*، الدار البيضاء، 1987 ؛ م. القبلي، *مراجعات*، الدار البيضاء، 1987، إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، الدار البيضاء، 1984 ؛ م. فتحة، *النوازل، الفقهية والمجتمع*، الرباط، 1999 ؛ أ. العماري، نظرية الاستعداد، *المعهد العالمي الفكر الإسلامي*، 1997.

الفقيه الإدريسي

**فقيرة** (ابن ـ) **عبد الواحد** بن محمد المكناسي فقيه متمكن، وأديب شاعر وناثر، قال في حقه ابن زيدان في *الإتحاف* : "حاد الذكاء، سريع الادراك، جيد الاصابة، فصيح اللسان، ثبت الجنان، غزير الاطلاع، عدل رضي، موثق ماهر".

ولد ونشأ بمدينة مكناس، استكتبه السلطان مولاي الحسن (1873 ـ 1894 ). ثم أدرج في سلك الطلبة الذين ينسخون الكتب، وانتظم بعد ذلك في سلك كتاب الحضرة المولوية بالصدارة، إلا أنه أبعد عن الوظائف المخزنية لأعمال دس قام بها.

كانت له مقيداته وفوائده العلمية والأدبية التي لوجمعت لجاءت في مجلدات وقد أصيب بكسر في ظهره على إثر سقوطه من علو دار كان يسكنها بمراكش، وكانت وفاته بمكناس في 2 ربيع الأول عام 1317 / 11 يوليوز 1899) وبها دفن.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5، ص. 395 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 214.

**فقيرة** (ابن ـ) **محمد** بن محمد الأنصاري المكناسي من أسرة مكناسية ذات أصول عربية، ورد ذكرها في ديوان تحقيق أنساب ساكني الحضرة المكناسية في عهد المولى إسماعيل (1672 ـ 1727) وهم من الأنصار، لذا يكنون أيضا بالأنصاري.

وهو فقيه علامة متقن، محرر متبحر مدرس نفاع ذو سر وبركة على حد تعبير ابن زيدان في *الإتحاف*. ولد بمدينة مكناس وبها نشأ وتعلم، فأخذ عن الشريف القاضي مولاي أحمد بن عبد المالك العلوي المضغري، وعن العلامة العباس ابن كيران، كما لقي الشيخ الرباني أبا العباس أحمد التجاني، وصحبه وانتفع به، وكان من أخص أصحابه، وعنه أخذ التصوف وطريق القوم. اشتغل بالتدريس واستفاد منه كثيرون نذكر من بينهم سيدي العربي بن السائح العمري دفين مدينة الرباط.

ولا يعرف لوفاته تاريخ.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 4، ص. 262 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 214.

رقية بلمقدم

**الـفقيه**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alfaqui ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Alfaqui.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**فقيه الـدين**، عائلة علم وتقوى وفلاح بالبهاليل القريبة من مدينة صفرو، مما جعل السكان يخصونهم باسم أولاد فقيه الدين. تنحدر هذه العائلة العالمة من بلاد بني سريف، إذ يعرفون هناك بأولاد النوينو. وقد حضر جدهم الأول ويدعى سيدي الهاشمي إلى البهاليل بتوصية من الشيخ ماء العينين الذي أجاز هذا الطالب في أمور الفقه والقراءات القرآنية بعد أن تيقن من متانة معارفه العلمية ودماثة أخلاقه. كان قدوم هذا العالم إلى بلدة البهاليل حوالي سنة 1843، حسب ما يرويه حفيده الدكتور التهامي الراجي، فنال حظوة كبيرة لدى الساكنة ؛ وهكذا أم الصلاة بالجامع الأعظم وأفتى في أمور

الدين ودرس على يديه رعيل بأكمله من الفقهاء والطلبة. وقد دفن بالزاوية الحراقية بحارة أغرديس.

خلف سيدي الهاشمي ابنا يدعى عبد السلام، فكان من أنجب وأعلم وأفقه من تتلمذ على العالم السابق الذكر، إذ خلف أباه في الإمامة بالمسجد الكبير بالبهاليل.

أما سيدي الهاشمي بن سيدي عبد السلام فكان علامة قوي الشكيمة، إذ درس بمسقط رأسه وبجامع القرويين، ثم تولى إحدى الوظائف بنظارة أحباس صفرو، وكان في نفس الوقت يؤم الصلاة بالمسجد الأعظم بالبهاليل، ويترك صلاة الجمعة لأبيه سيدي عبد السلام، وبعد بناء مسجد حي أغرديس بنفس البلدة تولى الإمامة به. وقد كان قوي الحضور في شتى أصناف الفتوى والقراءات القرآنية والفقه واللغة وعلوم أخرى كالتنجيم. وبعد إقامة أول مدرسة نظامية بالمدينة حوالي 1919 (Ecole Forraine) من طرف المستعمر، درس بها اللغة العربية والدين الإسلامي، حيث استمر في استعمال الألواح الخشبية والصلصال وأقلام القصب والصمغ، كما أنه كان لا يعطل خلال العطلة الصيفية، وقد عرضت عليه مهمة عدول قسرا من طرف السلطات الاستعمارية فأخذ في البكاء في كل مناسبة إلى أن أعفي.

تآليف سيدي الهاشمي غزيرة في شتى أصناف العلوم، والمؤمل أن يجمعها ويحققها ابنه البار الأستاذ التهامي الراجي الهاشمي، خصوصا وأن هذا الابن قد أشار إلى بعض القراءات القرآنية (الفريدة !)، كما سمع أباه سيدي الهاشمي وجده سيدي عبد السلام يتلوانها.

*معلومات عن ابن عائلة فقيه الدين، الأستاذ حازم ؛ بحث ميداني ؛* ح. البعاوي، *الشافي من التفاصيل عن ماضي وحاضر البهاليل،* فاس، 1991 ؛ مجلة التدريس، الجزء 8، 1979.

الحسين البعاوي

**الـفقيه** بن **صالح** (مركز -) ينتمي لجهة تادلا أزيلال، ويقع على الضفة اليمنى لنهر أم الربيع مشكلا أكبر تجمع سكني بقطاع بني عمير، الذي يكون القسم الشمالي من سهل تادلا.

يخترق هذا المركز الطريق الرئيسية رقم 22 الرابطة بين مدينة بني ملال والبيضاء عبر خريبگة. يتميز بموضع طبغرافي شديد الانبساط وبخصائص مناخية يطبعها الجفاف، نظراً للطابع القاري الذي يميز المنطقة ككل.

قبل الاستعمار الفرنسي، كان مجال الفقيه بن صالح يخضع لنمط النظام الموروث المتكيف مع خصائص المجتمع القبلي، حيث كانت خلال هذه الفترة عبارة عن تجمع قروي يضم حوالي 2167 من السكان، لم تكن له أية أهمية إدارية لتأطير السكان ومراقبتهم.

بعد استحواذ المعمرين على تادلا، أصبح المراقب المدني الفرنسي يتردد على هذا المركز يوم انعقاد السوق الأسبوعي (الأربعاء) للبث في بعض القضايا المتعلقة بسكان قبيلة بني عمير. لذلك تمت ترقية الفقيه بن صالح في الثلاثينيات لتحتضن بصفة دائمة مركز المراقب المدني وقيادتي بني عمير وبني موسى. غير أن بوادر تشكيل النواة الأولى للمركز الحضري، لم تبدأ إلا مع انطلاق مشروع السقي العصري بقطاع بني عمير اعتماداً على سد الزيدانية.

في سنة 1942 اختارت السلطات الفرنسية مركز الفقيه بن صالح مقرا لمكتب ري بني عمير وبني موسى، عندئذ وضع المعمر أول تصميم حضري للمركز، شمل في البداية الحي الإداري ثم الحي الأوروبي، بعيداً عنهما ظهرت بعض الدواوير كأولاد احديدو ودوار الرجاء وآيت الراضي، التي استقر بها السكان الوافدون من الأقاليم الفقيرة كالسراغنة والرحامنة.

شكلت فترة الاستقلال أهم مرحلة في توسع المركز الحضري للفقيه بن صالح نتيجة انتشار السقي بالمجال التادلي ككل، مما أثر بشكل قوي في تطور الظاهرة الحضرية وتنامي الهجرة القروية من الأقاليم البورية الفقيرة المجاورة لسهل تادلا. فظهرت عدة أحياء هامشية، توسعت على حساب أراضي الجموع. وارتبط مركز الفقيه بن صالح بهذه التحولات، حيث عرف إتجاها نحو إنتاج تجزئات سكنية غير قانونية خاصة في السبعينيات. كما عرف ظهور تجزئات أخرى قانونية في العقدين الأخيرين.

سمح كل ذلك بانتقال محيط المدينة من 880 هكتار سنة 1962 إلى 1700 هكتار سنة 1994 ليصل سنة 2001 إلى حوالي 19 كلم$^2$. لهذا تصنف الفقيه بن صالح كمدينة صغيرة داخل جهة تادلا أزيلال، حسب توقعات مديرية الإحصاء، وكنتيجة للتطور السكاني الذي عرفه المركز كما هو مبين من خلال الجدول التالي :

| 1960 | 1971 | 1982 | 1994 |
|---|---|---|---|
| 13484 | 20918 | 47540 | 74697 |

وقد ساهم في تطور ساكنة المركز النمو الديموغرافي وعامل الهجرة الداخلية خاصة خلال فترات الستينيات والسبعينيات. كما بلغت نسبة المستقرين خلال عقد الثمانينيات حوالي 40٪ من المهاجرين، في وقت لم تتطور فيه المساحة المسقية بقطاع بني عمير كثيراً ؛ إذ يعزى ذلك إلى حدة الجفاف بأرياف الزراعة البورية.

وإذا كانت الهجرة الداخلية قد لعبت دوراً مهماً في دينامية وتوسع هذا المركز الحضري فإن العائدات المالية للهجرة الخارجية إلى إيطاليا وإسبانيا، قد ساهمت بدورها في توسيع الرقعة الحضرية، التي وصلت بعض القرى والبوادي المجاورة للمركز ؛ وذلك نتيجة الاستثمار المكثف لهؤلاء المهاجرين في الميدان العقاري.

هكذا وبشكل مزامن مع تطور الهجرة الدولية عرفت مدينة الفقيه بن صالح مضاربة عقارية قوية جعلتها في مرتبة

المدن الأكثر نشاطا في الميدان العقاري ؛ فقد أدت عائدات الهجرة الدولية إلى تطور عدد الملاكين، مما أدى إلى ارتفاع الطلب على العقار. فتوجه الاستثمار إلى قطاع البناء، مشكلا نوعا من الاستراتيجية المتبعة من طرف المهاجرين من أجل المضاربة ؛ فبعضهم يشيدون المنازل ثم يقومون ببيعها أو يشترونها جاهزة ليعيدو بيعها من جديد، وغالبا ما تتم عمليات البيع بين المهاجرين فقط. إن هاته الدينامية التي يعرفها الجانب العقاري، أدت إلى ارتفاع الطلب وبالتالي ارتفاع ثمن الأرض بشكل يفوق كل التوقعات. وخير مثال على ذلك هو أن عدد تجزئات الخواص عرفت تطوراً ملحوظاً، انتقل من 58 تجزئة سنة 1986 إلى 200 سنة 2000. وتمت معظم هذه التجزئات على حساب الأراضي الفلاحية.

ويُسجل غياب التحفيز والمبادرة عند المهاجرين، بسبب ضعف النسبة من العائدات المالية، التي تستثمر في إقامة مشاريع ذات أهمية اقتصادية على المنطقة كخلق بعض الوحدات الصناعية الصغرى المرتبطة بالقطاع الفلاحي أو إنشاء مقاولات تجارية وفلاحية. في حين تظل المشاريع البسيطة كبعض المقاهي والمحلات التجارية المتوسطة والصغرى هي محط اهتمام النسبة الغالبة من المهاجرين.

وقد فرض التوسع المجالي لمركز الفقيه بن صالح ارتفاع الطلب على مجموعة من المرافق الاقتصادية وظهور عدد من المحلات المهنية، لمزاولة مختلف الأنشطة. ذلك بأن موقع المدينة قريب من القطب الاقتصادي للبلاد، مما جعلها تابعة بدورها إلى مدينة الدار البيضاء القطب المهيمن، الذي يوفر شروط الاستثمار الناجح، الشيء الذي انعكس سلبا على الأنشطة الحضرية الثانية بها.

إن ارتباط السكان بالسوق الأسبوعي من حيث التزود بحاجياتهم المتنوعة، يقلص من دور الأنشطة الحضرية الثابتة، ليساهم في تراجعها من حيث التطور، وتتجلى هذه السيطرة من خلال المداخيل التي يوفرها السوق الأسبوعي.

| | 1992 | 1994 | 2002 | 2003 |
|---|---|---|---|---|
| المداخيل بالدرهم | 5676500 | 2932500 | 782300 | 8060200 |

كما يتضح من خلال بنية الأنشطة، سيادة تجارة المواد الغذائية، وتعكس بنية الخدمات مدى هشاشتها، نظراً لهيمنة الأصول الريفية وضعف المستوى الاقتصادي للسكان.

وعموماً تتميز وظيفة المركز الحضري للفقيه بن صالح بطابعها التجاري، وتأثيرها المحدود الذي يشمل فقط مجالها الريفي.

*مخطط توجيه التهيئة العمرانية والمراكز الحضرية بالمدار المسقي لتادلة ؛ منوغرافية المجلس البلدي للفقيه بن صالح* ؛ م. مداد، *الجهاز الحضري بتادلة*، كلية الآداب، الرباط، 1990.

عبد الرحيم بنعلي

ابن الـفقيه، **محمد** بن **محمد** بن محمد بن عيسى الزجني الفاسي من قبيلة مصمودة، يُعرف رهطه قديماً بأولاد ابن عمر، ثم أصبحوا يُعرفون بابن الفقيه، لأن جد المترجم له كان يقرأ عليه من الطلبة جم غفير، وكانوا لا يقولون إلا الفقيه، فلقب أولاده به. وهم شرفاء النسب من ذرية الإمام عمر ابن إدريس.

كان من أرسخ المحققين في علم الطريقة، عالماً عاملاً ماهراً في أصول الدين وفروعه، سالم المذهب. وكان يجالس علماء وقته ويسألونه عن المسائل، فيجيبهم على البديهة بما يمتعهم ويفرحون بجوابه. وكان لا يفتر لسانه عن الذكر.

أخذ عن الشريف عبد الله الوزاني، ورباه صغيراً، وكان يأتيه من قرية أزجن إلى وزان. قدم إلى فاس، وكثر صيته واجتمعت عليه الخلائق، واشتهر النفع على يده لكثير من الفقراء والمريدين والأشياخ الراسخين مثل الشيخ داود التواتي وأحمد بوالسباع وأبو سلهام الضعيفي المالكي وولده الطاهر وأبو القاسم اليازغي العتابي وعبد الله ابن يخلف.

له عدة تآليف، منها : *شمس القلوب وخرق المحجوب في معرفة علام الغيوب*.

توفي يوم 7 ربيع الأول عام 1136، ودفن بزاويته في حومة العيون، ودفن معه جماعة من ذريته وأحفاده.

م. الزبادي، *سلوك الطريق الوارية* ؛ أحمد حمدون الطاهري الجوطي، *تحفة الإخوان* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ عبد الله ابن يخلف، *سلوة المحبين* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

الـ**فكسلاني** عمر (الحاج -) بوطيب، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني سيدال، انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي امحمد امزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور، وقد شارك في عدة معارك إلى أن فقد بصره في المعركة التي جرت بتيفسور بقبيلة بني بوگافر يوم 10 مارس 1912.

*أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي (1909 - 1912)* تطاون 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

الـ**فكاع** والفگيع والفقيع كما ينطق به في مختلف مناطق المغرب والجزائر وتونس، جنس من الفطور له قبعة وقاعدة، يسمى في الشرق العربي عيش الغراب. والكلمة مشتقة من الفقع ومعناه في اللغة شدة البياض ومنه نوع فقع الذئب وهو فطر مستدير الرأس ناصع البياض.

ينتمي الفكاع إلى مملكة النبات ويصنف إلى طائفة اللازهريات ورتبة الدعاميات التي تضم الفطور الطفيلية على النبات والفطور الرمامة ذات القبعة وأشهرها فصيلة الفقعيات التي تتكون من 850 نوعا من الفكاع في المغرب، منها الأكيلة والسامة والقاتلة. والفطور ذات القبعة هي التي

تتبادر إلى ذهن أغلبية الناس حين يجري الحديث عن الفطريات بصفة عامة.والفكاع جزء من الفطر يظهر فوق التربة ويمثل العضو المنتج لخلايا التناسل فقط ويتكون من قاعدة وقبعة. ينشأ عن المشيجة Mycélium التي تعيش عادة مدفونة تحت التراب كما هو الشأن عند الترفاس وجنس فوزاريوم الذي ينتج عنه مرض البيوض عند النخيل. ومنه فصائل وأنواع عديدة تصنف إلى مجموعة المشوريات الفطريات السامة لا يظهر من أجسامها التمييز من جذور وساق وأوراق كما هو الشأن بالنسبة للنبات العادي ؛ الشيء الذي يجعل هذه المجموعة خاصة وشاذة داخل العالم النباتي.

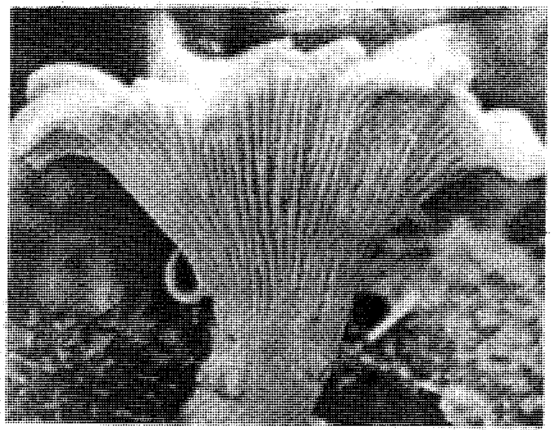

يتميز الفكاع بقبعة وقاعدة يختلف لوناهما وشكلاهما حسب الأجناس. كل الأنواع عضوية التغذية مجردة من اليخضور وغير قادرة على تحويل ثاني أكسيد الكربون إلى السكريات كما يفعل النبات المتطور. معظم أنواع الفكاع يعيش على العضويات بداخل التربة الرطبة ومنه أصناف تقتات من النباتات المتفسخة وتدعى الطفيليات. يرتبط وجود الفكاع بالمناطق الغابوية والساحلية الرطبة وتنمو معظم الأنواع في أيام الخريف والشتاء وخاصة بعد سقوط الأمطار. تعرف خلايا التناسل عند الفكاع بالأبواغ تحملها دعامات خارجية تقع على أطراف هيف ملتصقة بالصفيحات الرقيقة المصففة على شكل أشعة واضحة على الواجهة الباطنية للقبعة. تعطي الأبواغ مشيجات تنمو بداخل التربة الغنية بالمواد العضوية ينتج عنها الفكاع مباشرة بعد الأيام المطرة الباردة.

يتم التمييز بين أنواع الفكاع على أساس بنية الغشي فهي أنبوبية عند فرع السميات وصفيحية عند فرع الغاريقونيات. تتكون السميات من أنواع شهيرة وغاية في الجودة الغذائية نذكر من بينها البوليطس كمأة Boletus edulis يدعى بالفرنسية Bolet، لذيذ الطعم ويتكاثر في ظل أشجار البلوط بغابة المعمورة وغابة العرائش وبنسليمان والزعير، قاعدته قصيرة وغليظة ومغزلية، لونه أبيض مصفر.

ومن أشهر أنواع الفكاع الأكيل الشائع في أسواق الخضر بالمدن الكبرى المغربية فكاع البسباس ويدعى علميا Pleurotus ergingii var. ferulae وبالفرنسية Champignon de fenouil يكثر في الخريف والشتاء في مختلف المناطق الغابوية بجبال الريف والأطلس المتوسط والمعمورة، تصدر معظم كمياته إلى أوربا.

من بين الأصناف الأكيلة المحبذة لدى المتذوقين في المغرب نذكر نوع الأمانيت القيصرية Amanita caesaea يمكن التعرف عليه من خلال القاعدة والغشي الصفراوين والقبعة الحمراء البرتقالية ويتميز في بداية مراحل النمو بشكل بيضوي أبيض وصغير الحجم، وفي المراحل الأخيرة يمزق الغشاء الأبيض وتبقى القشرة ملتصقة بأسفل القاعدة على شكل حلقة. ويضم جنس Amanita كذلك أنواعا سامة قاتلة منها الأمانيت قاتلة الذباب أو الفطر الأحمر الكاذب يسهل التعرف عليه عند بلوغه مراحل النمو المتقدمة حيث يصير لون القاعدة والغشي أبيض ولون القبعة أحمر فاقعا تشوبه بقع بيضاء ويصعب تمييزه من الأمانيت اللذيذة الطعم في المراحل الأولى من النمو لكثرة الشبه بينهما. ويشمل جنس الأمانيت 32 نوعا في المغرب تعيش بين أشجار الفلين والأرز والبلوط الأخضر والصنوبريات، منها عشرة أنواع تؤكل وهي Amanita vaginata, Amanita rubescens, Amanita avoidea, Amanita mairei, Amanita lividoparallescens, Amanita inaurata, Amanita curtipes, Amanita crocea, Amanita codinae, Amanita boudieri.

وهناك أيضا نوع كانثاريلس الشائع في غابات الأطلس المتوسط والريف والعرائش وطنجة وغابة المعمورة وغابة بنسليمان وسيدي بطاش. يسمى علميا Cantharellus cibarius ويتكاثر في المرتفعات بين يونيو ونونبر وفي السهول بين دجنبر ومايو. شائع في كثير من أسواق الخضر بالمدن الكبرى المغربية.

ويشمل جنس الوسفية Lepiote حوالي أربعة أنواع تؤكل في المغرب وشائعة في المناطق الغابوية : Lepiota clypeolaria, Lepiota mastoidea, Lepiota procera.

وتحتوي غابات شجر الأرز وشجر التنوب أو الشح وشجر الصنوبر والبلوط، بجبال الريف قرب الشاون وكتامة وباب برد، على أنواع شاذة ونادرة على الصعيد الوطني، يكثر الإقبال عليها وقد عرف ثمنها ارتفاعا كبيرا نظرا لجودتها المرتفعة ولمذاقها الرفيع ولقيمتها الغذائية العالية، نذكر من بينها : Psalliota arvensis, Limacella illinita, Amanita lividoparallescens Dryophylla adiposa.

ينصح الأطباء عدم تناول الفكاع في حالة عدم التأكد من تمييزه من الأنواع الأكيلة أو السامة القاتلة، ومن المعلوم أن معرفة الأنواع الأكيلة تتطلب خبرة وتجربة كبيرة وليس هناك قواعد علمية واضحة تميز لأول وهلة الأنواع السامة من غيرها وذلك لكثرة التشابه بينها.

ن. الخياطي، بيوض، *معلمة المغرب*، ج. 6، ص. 1981، 1998 ؛ ع. المالك بنعبيد، الترفاس، *معلمة المغرب*، ج. 7، ص. 2332، 1999.

L. Najim, Les champignons, Flore et végétation, *Grande Encyclopédie du Maroc*, 21-25, 1986 ; G. Malençon et R. Bertault, *Flore des champignons supérieurs du Maroc*, Tome I, 601 p. et Tome II, 539 p., Trav. Institut Scientifique Chérifien, série botanique, n° 33, 1970.

نجاة الخياطي

**فگيگ** (جغرافيا -)، يكتب أيضا "فيجيج" و"فجيج" وهي الأصل أو "إفيّيْ" حسب النطق المحلي بالأمازيغية، واحة تقع في أقصى الجنوب الشرقي من الجهة الشرقية في التخوم المغربية الجزائرية، على بعد 370 كلم جنوب مدينة وجدة عبر الطريق الوطنية 17. ويبدو أصل الكلمة عربيا مهما كثرت التأويلات، ومعناه مرتبطة بالجذر "فجج" و منها فج وفجاج وكذلك إفجيج ومعناه ممر مصروف يخترق جبلا، يقابله في الأمازيغية "تاغيّا" الشائعة الاستعمال في الأطلس الصغير، وقد يكون تصغيرها "تاغيّت" محرفا إلى "تاغيت" التي تطلق على الممر الجنوبي الذي يفصل بين عرفين وهما جبل تاغيت وجبل تاغلة موصلا فگيگ ببني ونيف.

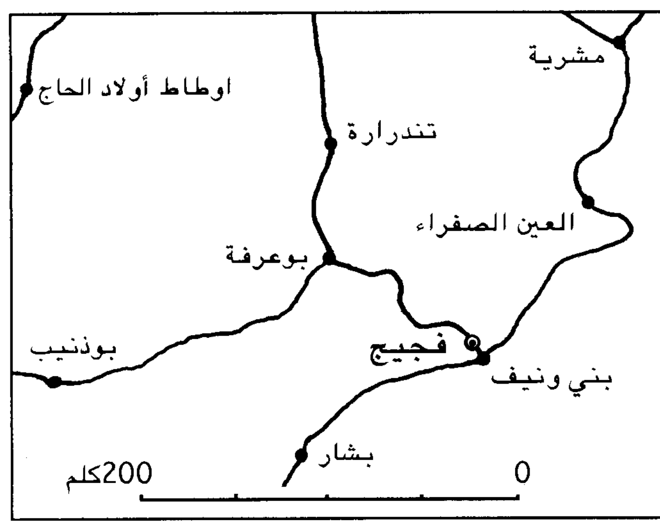


تنبع أهمية فجيج من موقعها الإستراتيجي ودورها الحضاري عبر التاريخ الوطني، وسوف نتعرض لفجيج من خلال مجالها الجغرافي وتنظيماتها المجتمعية، والمراحل التاريخية الكبرى للمنطقة وتراثها العلمي والفكري من خلال أعلامها وعلمائها.

فگيگ المجال والمجتمع :

تحتل فگيگ موقعا وموضعا متميزين، إذ يمكن اعتبارها نقطة التقاء بين وحدات طبيعية متباينة. ففيها تنعطف سلسلة أطلسية ملتوية، حيث يمتد الأطلس الكبير الشرقي من الشرق إلى الغرب، بينما يمدده الأطلس الصحراوي نحو الشمال الشرقي. ويمتد الدرع الإفريقي بتغليفاته المائدية الحديثة القليلة السمك، في الحد الجنوبي للواحة الذي يمر به الانكسار الجنوبي الأطلسي الضخم والذي يتفرع هنا ليهب الواحة ينابيع هامة قد تكون السبب في وجودها، في نطاق سهوبي متوسطي قاحل وعلى أبواب نطاق صحراوي حقيقي، ومنها تشكل هذه الواحة حدا شماليا لنطاق التمر، بمناخ تتميز حرارته بالبرودة شتاء (بين 3 و5 درجات مئوية للحرارة الدنيا المتوسطة) والحرارة المرتفعة صيفا (بين 41 و42 درجة مئوية لمتوسط الحرارة العليا)، فيما لا تتجاوز كمية الأمطار 120 ملم في معدلها السنوي، مع العلم أنها شديدة التغاير. وباستثناء جرف انكساري يجزئ الواحة إلى قسمين يبلغ ارتفاعهما 870 و900 متر، يتميز السطح بانبساط عام، وتحيط به مجموعة من الأعراف الحادة التي لا يتجاوز ارتفاعها النسبي بضع مئات من الأمتار، تفصل بينها أفاجيج كثيرة.

تتكون واحة فگيگ من تجمعات سكنية تحيط بها أو تجاورها بساتين من النخيل المثمر التي تضم أيضا أشجاراً مثمرة وزراعات من البقول والحبوب من قمح وشعير، إضافة إلى الأعلاف التي تغذي أعداداً هامة من المواشي المستقرة التي تشمل الأبقار والأغنام، وخاصة منها صنف "الدمان" المعروف بخصوبته المرتفعة. وكان أصل هذه التجمعات نوىً شكلتها القصور قديما وعددها سبعة، أكبرها قصر ازناگة (أو "إزنايْن" وتطور لنطق "إصنهاين" وهي "إصنهاجن"، من صنهاجة) الذي يقع وسط سهل فيضي تتقاسمه رواسب غرينية وكلسية شبه سطحية، بين وادي زُزفانة شرقا ورافده وادي تاغيت غربا. أما القصور العليا فتتربع على درْجة مُشرفة على ازناگة عبر حافة كلسية رصراصية لا يتجاوز مداها 30 مترا. وتنتظم هذه القصور في ثنائيات منفصلة وهي من الشرق إلى الغرب : الحمّام الفوقاني (آيت عامر) والحمّام التحتاني (آيت واداي) ثم المعيز (آيت المعز) وأولاد (آيت) سليمان وأخيرا لوداغير (آيت عدّي) والعبيدات (آيت النجْ). وتفصل هذه القصور كلها عن الحافة (جرف أزرو) بساتينُ محاطة عادة بجدران، تسقى بواسطة عيون سيقت مياهها عبر "خطارات" (قنوات باطنية)، شكلت مياهها عبر تاريخها الطويل مصدر خصومات ونزاعات دامية أحيانا بين سكان القصور، ولا سيما المتجاورة منها.

لا تستقيم الزراعة بهذه الواحة إلا بالسقي الذي يعتمد على حوالي ثلاثين عينا، يُفرز جلُّها مياهاً دافئة عميقة ومنتظمة تتغذى من بعيد، ويصل مجموع أصبابها إلى حوالي 200 لتر في الثانية، وتوزع بطريقة هندسية باهرة عبر قنوات وصهاريج خازنة في نظام دوري محكم. أما حول الواحة، فتنتشر حقول كان يُعتمد في سقي جلها على مياه وادي ززفانة وعين تاغلة في السافلة، وعين الملياس غرب الواحة وعين تاغيت جنوبها، قبل أن تصادرها السلطات الجزائرية سنة 1976. أما في العالية (العرجة) فيعتمد السقي على آبار قليلة العمق في ضفتي الوادي. ورغم قحولة المناخ،

كان سكان فگيگ يستغلون المعابر في زراعة الحبوب، حيث تفيض مياه السيول والأودية فوق السطوح المستوية والمنخفضات المغلقة، يوجد أهمها جنوب بني ونيف في التراب الذي أصبح محط نزاع بين المغرب والجزائر والذي نشبت حوله "حرب الرمال" التي دارت رحاها سنة 1963.

تعتبر النواة السكنية القديمة "القصر" بواحة فگيگ بمثابة وحدة اجتماعية واقتصادية وسياسية بلورها السكان المستقرون، نسجت حولها عصبيات لا تقوم على أي انتماء عرقي، بل على وحدة المحاط والموارد، وخاصة منها مصادر المياه. وهكذا نشأت مُحاطة بأسوار تكللها مجموعة من أبراج المراقبة شيّدت لتحصين القصر ولحمايته من الأعداء والخصوم من القصور المجاورة ومن الأعراب الرحل الذين كانوا يغيرون على السكان المستقرين في القصور، وخاصة في فترات القحط والمجاعات. وتصطف المساكن متراصة على جانبي أزقة مسقوفة وضيقة لا تتسع إلا لدابة محملة تتكون هذه البنايات عادة من طابق أو طابقين، كانت تستعمل في بنائها مواد محلية، من حجارة وطين صرف ورمل وجير وأخشاب النخيل والدفلى، وكانت تضم عدة غرف يتوسطها فناء تحيط به سواري، وتؤوي عادة السكان وذخائرهم ومواشيهم وبهائمهم على السواء. ظلت هذه الخصائص تطبع السكن المحلي بطابع معماري لم يبق منه في نهاية القرن العشرين سوى شذرات نادرة، بسبب التحولات الاجتماعية والمجالية التي طرأت في كل المناطق التي طالها التغلغل الاستعماري.

يتكون سكان فگيگ من فئات مختلفة توجد داخل كل القصور، وتشمل ذوي الأصول الأمازيغية الزناتية والصنهاجية وذوي الأصول العربية المختلفة وذوي الأصول الإفريقية السوداء، كما كانت تضم مجموعات يهودية سكنت أحياء خاصة داخل القصور حتى بداية الستينيات. ورغم هذا التنوع، يبقى استعمال الأمازيغية هو السائد، مع أن الواحة محاطة بقبائل عربية من الرحل من بني گيل والعمور وذوي منيع وأولاد جرير، مما يرجح كون فگيگ واحة قديمة "بناها البرابرة" كما ذكر ابن خلدون (زناتة ـ مطغرة)، ليلتحق بها ويندمج بها سكان قدموا من جهات مختلفة خلال فترات متلاحقة. فحتى السكان النازحون من القصور التي خرّبت داخل الواحة كان يتم توزيعهم داخل القصور حيث ينصهرون مع مكوناتها.

شهدت فگيگ مع بداية القرن العشرين أولى مظاهر تحولها بارتباط اقتصادها وانفتاحه على السوق الدولية وتحويل مبادلاتها نحو مسارات الامبريالية التجارية الفرنسية، إثر تمديد خط السكة الحديد إلى بني ونيف التي أصبحت تسمى رسميا "محطة بني ونيف فگيگ"، إذ كانت المنطقة كلها تسمى لدى المستكشفين الفرنسيين "بلاد فگيگ" (Pays de Figuig، Le Figuig). تغيرت بعض العادات وظهرت حاجيات جديدة، واستتب الأمن فتلاشت الأسوار والأبراج تدريجيا بفقدانها لوظيفتها الدفاعية، و"انفجرت" القصور فظهر السكن الحديث داخلها وخارجها بمواد دخيلة شملت الإسمنت والحديد والأخشاب الصناعية، وشُوّهت الخصائص المعمارية المحلية.

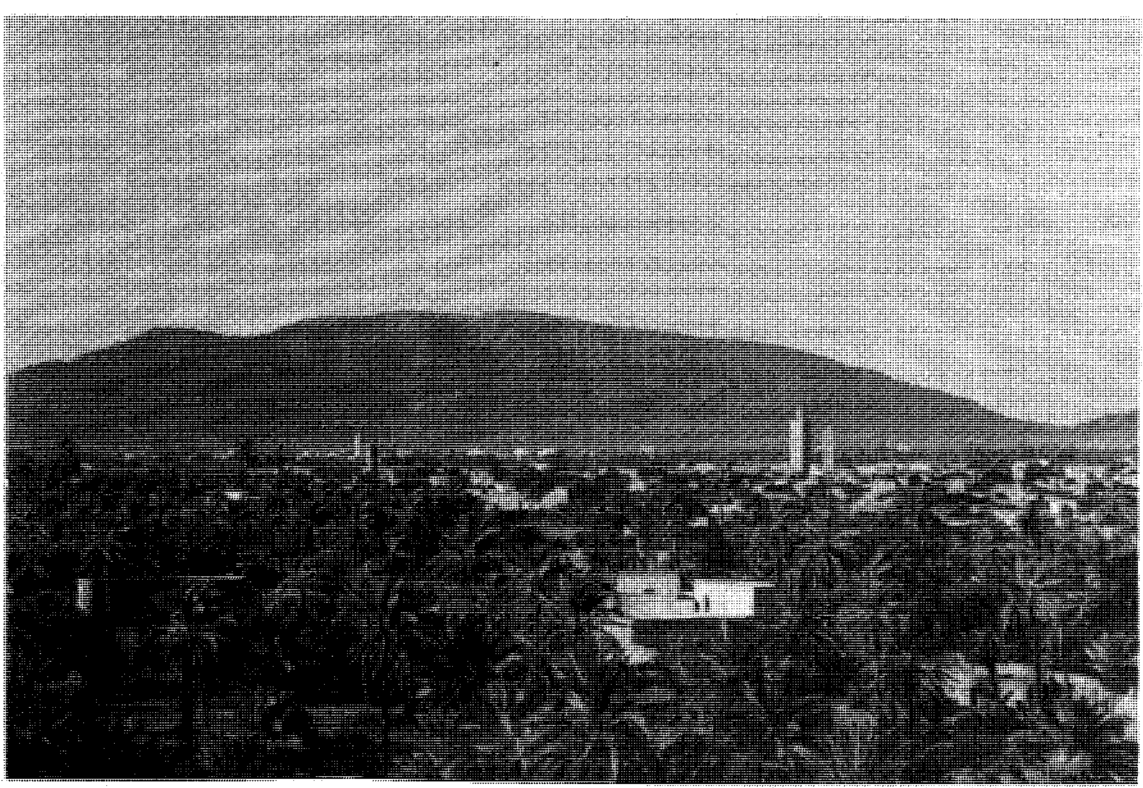

لا تتوفر واحة فكيك على قطاع صناعي لافت، رغم أنها آوت منذ القديم صناعات تقليدية هامة من الفخار والحلي والجلود التي لم يعد لها أي وجود، إلى جانب النسيج الصوفي الممتاز الذي اشتهرت به حتى في الأسواق البعيدة، والذي أصبح يعاني من الكساد. لكن تطور حركة البناء أفرز وحدات للنجارة، وكذلك الحدادة العصرية وما يرتبط بها من أجهزة منزلية وغيرها من التراكيب المختلفة التي أصبحت تزود بها حتى السوق الوطنية. أما الصناعة السياحية فلازالت شبه منعدمة بالواحة رغم مؤهلاتها التراثية الطبيعية والثقافية الهامة، وذلك بسبب انعدام شبه كلي لمرافق الاستقبال، وغياب في البرامج والمستندات الإشهارية.

العربي هلالي، *فجيج، تاريخ، وثائق ومعالم*، ص. 154، طنجة، 1981 ؛ ليون الإفريقي الوزان، *وصف إفريقيا* ، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، ط 2، 1982 ؛ أ. مزيان، *مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التسع عشر*، مطبعة فجر السعادة، ص. 592 ؛ عبد الكريم مرزوق، *المجال والمجتمع بالواحات المغربية*، كلية الآداب، ص. 182، الرباط، 1996 ؛ عبد الرحمان العثماني، *البيئة المحلية لواحة فجيج*، ندوة جمعية النهضة، ص. 135 ـ 148 ؛ عبد الرحمان الحرادجي، *قراءة في موقع فجيج*، 2003؛ محمد بوزيان، *أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي*، وجدة، 2000.

M. Bonnefous, *La palmeraie de Figuig, étude démographique et économique d'une grande oasis du sud marocain*, Rabat ; A. Bencherifa et H. Popp, *L'oasis de Figuig, persistance et changement*, Univ. Md V., Passau-Rabat, 109 p.

عبد الرحمان الحرادجي

**فكيك** (تاريخ -) من خلال الإستقراء العميق للدراسات : الجيولوجية، الأركيولوجية، الأنطروبولوجية والتاريخية المتعلقة بإفريقيا الشمالية والصحراء وضمنها منطقة فجيج، نستخلص ما يأتي :

ظهور الحضارة الإبروماورية (Iberomaurusiennes) البدائية بالمنطقة منذ العهد الباليوليتي الأوسط أي منذ حوالي سبعين ألف سنة ق. م.

انتشار الحضارة الكابسية (Capsienne) بالمنطقة منذ حوالي خمسين ألف سنة ق. م. ذات الأصول الشرق الأوسطية، وذلك على حساب الحضارة الإبروماورية.

شهدت منطقة الصحراء منذ نهاية فترة الفورم (Wuerm) منذ حوالي عشرة آلاف سنة ق. م، تحولات مناخية جوهرية، حيث ساد الجفاف الحاد، صاحبه انتشار ظاهرة التصحر، مما أجبر الساكنة على الهجرة في جميع الاتجاهات، ومنها الشمال، حيث امتزج السكان الصحراويون بالمحليين الكابسيين، مكونين ما يمكن تسميته بالنواة الأولى للأصول النيوليتية لساكنته، أو ما سوف يعرف فيما بعد بالشعوب الليبية، كما أشار إلى ذلك قدماء المصريين منذ الألفية الثالثة ق. م.

مباشرة بعد امتزاج الحضارتين الكابسية والصحراوية، حصل تطور سريع تقنيا واجتماعيا بمنطقة فجيج، فتحول أسلوب حياة الإنسان من الإستهلاك المحض المعتمد على الصيد إلى أسلوب أميل إلى الإنتاجية، حيث اشتغل بالفلاحة وتربية المواشي، مما ألزمه أيضا تطوير صناعته كي يواجه متطلبات نمط الحياة الجديدة. وبذلك ابتدأ العهد النيوليتي في منطقة فجيج (5000 إلى 8000 سنة ق. م).

شهدت منطقة فجيج في الفترة النيوليتية تطوراً ثقافياً وروحياً أيضا، الشيء الذي تسجله النقوش المنتشرة في منطقة فجيج، وأقدمها نقوش صخرة "حمو هكو شيطا" بفج زناقة جنوب فجيج، حيث نلاحظ من بين الرسوم المتنوعة تواجد خروف يحمل فوق رأسه قرصا ذا زوائد يشبه إله "آمون رع" بمصر والذي ظهر فيما بعد، في الألفية الثالثة ق.م.

في مرحلة لاحقة حيث تقدم التصحر شمال الصحراء وجنوب المغرب ومنها منطقة فجيج، استعمل إنسان المنطقة الإبل (حوالي 4000 ـ 5000 ق.م)، كما تسجل ذلك نقوش كدية الحيتمة، شمال فجيج.

اسطاعت ساكنة منطقة فجيج أن تطور هذه الحضارة، حيث فكروا في إقامة أهرام بدائية على شكل كراكر حجرية "Tumelus" فوق مقابرهم، والتي أثبتت الدراسات أن فتحاتها متجهة نحو شروق الشمس، وتم العثور بداخلها على أدوات وبقايا من الحبوب، الشيء الذي يؤدي إلى الاعتقاد بأن سكان المنطقة كانوا يؤمنون بالبعث مرة ثانية، كما هو الشأن في المعتقدات الفرعونية. نلاحظ هنا بأن التطور الحضاري في المنطقة الغربية من شمال إفريقيا وضمنها منطقة فجيج تقدم بخطى بطيئة ومتقطعة بينما في مصر تقدم بوتيرة أكثر ديناميكية واستمرارية، حتى وصل إلى ما وصل إليه من أهرام ومسلات ... ونعتقد بأن ذلك يرجع إلى أسباب أهمها الظروف المناخية الحادة التي ضربت المنطقة والتي أدت إلى انقراض الوديان التي كانت تنبع من الصحراء، بينما نهر النيل الذي ينبع من مناطق جنوب الصحراء استمر، مما ساعد على استمرار تطور الحضارة المصرية القديمة.

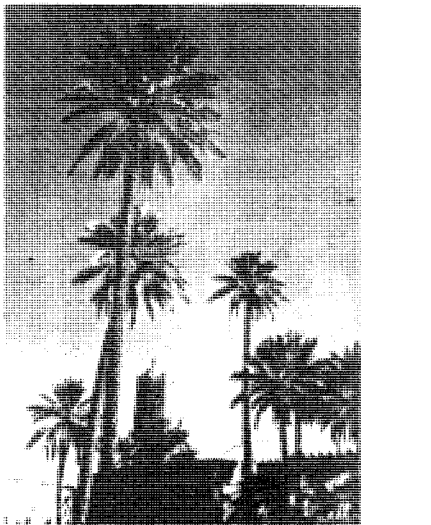

في الأزمنة الموالية مباشرة، تقاطرت على المنطقة شعوب أخرى : يمانية منذ الألفية الثالثة ق. م. كنعانية منذ الألفية الثانيةق.م. وكوشية في القرن الثامن ق.م. (الأسرة الخامسة والعشرين ...)، حيث انصهر الجميع في الساكنة المحلية وحضارتها وكونوا نواة ما يمكن تسميته بالحضارة والعرق الأمازيغي. وتجدر الإشارة إلى أن تأثير الحضارات المتعاقبة فيما بعد، مثل الإغريقية، الفنيقية، الرومانية وحتى العربية منها بقي آثارها محدودا في الجانب الثقافي.

يرجع الفضل في انتشار فن الكتابة السامية بين الشعوب المتوسطية بصفة عامة، منذ الألفية الثانية ق. م. إلى الفنيقيين. وهنا تجدر الإشارة إلى أنه عثرنا مؤخرا في فجيج وما حولها على مؤشرات يمكن الإستدلال بها على استعمال الحروف الفينيقية (الأوغارتية - البيبلوسية) في المنطقة منذ الألفية الثانية ق.م.

هناك مؤشرات تدل على أن اليهودية وصلت إلى المنطقة في وقت مبكر. أما المسيحية فنجد لها في المنطقة آثارا واضحة، وأهمها ما سجلته الكتابات المنحوتة على صخرة في جبل ميمون، جنوب الواحة، والتي تشير إلى تواجد تجمعات إخوانية مسيحية منذ القرن الخامس الميلادي، وأن بعضهم هاجر من فجيج إلى أمريكا عبر مدينة تيط (مدينة الجديدة حاليا) في القرن الخامس الميلادي، وذلك خوفا من بطش الوندال الذين كانوا يلاحقون المسيحيين، كما يشير إلى ذلك أيضا ما وجد في الكتابات على الصخور في غابة (Cockaponset) بأمريكا. وذلك استنادا إلى أعمال الباحثين الأمريكيين الثلاثة (John Gallacer, Barry Fell et Norman Totten) ، وذلك ما أشار إليه أيضا الباحث المؤرخ الأستاذ عبد الهادي التازي.

ومن الجدير بالذكر أنه يشار على أن الإسلام وصل إلى منطقة فجيج عن طريق مجموعة من الحجيج المسيحيين الفجيجيين الذين صادف وجودهم في فلسطين زمان وقعة اليرموك سنة 25 / 645 ، فأسلموا وحملوا إلى قومهم تعاليم الدين الحنيف، قبل فتوحات عقبة بن نافع للمغرب بحوالي 37 سنة. ومنذ بداية النصف الثاني من القرن الثاني الهجري (بداية الثامن الميلادي) ومنطقة فجيج تخضع للنفوذ الخارجي سياسيا ومذهبيا، حيث كانت نقطة تماس بين إمارتين خارجيتين : مكناسة الصفرية (بني مدرار) بسجلماسة (تافلالت) غربا والإباضية (بني رستم) بتهرت (تيرت) شرقا. وعندما تم القضاء عليهما في بداية القرن الرابع الهجري، (العاشر الميلادي) أصبحت المنطقة تحت النفوذ الفاطمي سياسيا ومذهبيا أيضا.

ولم يكن من باب الصدفة أن يتواجد أحفاد إدريس في منطقة فجيج منذ بداية القرن الرابع الهجري (النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي) وذلك بالكثرة المعلومة، لولا أنهم لم يكونوا على علم بأهمية المنطقة، وما كان يروج فيها، حيث اندمجوا في البطون الزناتية مركزين على نشر تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، جماعات وأفرادا، الشيء الذي تبلور في القرون الموالية عل شكل زاوايا علمية عمت المنطقة، وبرزت بشكل أوضح ابتداء من القرن الثامن الهجري، لأن المنطقة تعرضت منذ بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري إلى القرن السابع الهجري لهزات عنيفة متوالية وتطاحنات مهولة سواء في ذلك ما تم بين البطون الزناتية نفسها أو بينها وبين القبائل العربية القادمة من الشرق أو ما بين الدول المتعاقبة على السلطان شرقا وغربا مثل صنهاجة والمرابطين والموحدين... إلخ.

ومع بداية القرن الرابع الهجري (بداية العاشر الميلادي) أصبحت منطقة فجيج مهيأة للتمذهب بالمذهب السني، نظرا لتواجد الأدارسة فيها بكثافة. ونظرا للعلاقة الوطيدة التي تربط منطقة فجيج بسجلماسة التي رفضت مذهب الخوارج منذ أن تولي أمرها أحمد ابن الفتح بن ميمون الملقب الشاكر بالله سنة 321 / 933 والذي أخذ بالمذهب السني خلافا لأسلافه الخوارج. إضافة إلى أن المنطقة تجاوبت مع الإنتفاضة العارمة التي عمت المغرب الأقصى ضد الشيعة أيام حكم المستنصر بالله صاحب الأندلس في بداية النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (961 م). وباعتناق المذهب السني من طرف المعز بن باديس الصنهاجي بالقيروان في بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / بداية النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، بدل المذهب الشيعي (الرافضة) الذي فرضه العبيديون على أسلافه، أعلن سكان المنطقة تشبثهم الصريح بمذهب السنة.

عند الزحف المرابطي نحو الشمال استقر منهم فخذ زناقة في منطقة فجيج، ليضمنوا بذلك بسط نفوذ الدولة المرابطية على المنطقة الجنوبية الشرقية، فأسسوا الحصون، ووطدوا للسلطة المرابطية الجديدة. ثم انتقل جزء كبير منهم إلى تزناقت بإقليم ورزازات. وعندما تم بسط نفوذ الموحدين على المنطقة، استوطنت أغلب بطون زناتة ومن انضاف إليهم في القصور ما بين فجيج وتوات، بينما استقر عرب معقل في ضواحيها.

ونتيجة للاستقرار الذي ساد المنطقة في عهد الموحدين، أصبحت هذه المنطقة الطريق المفضلة والرئيسية للقوافل التي تتجه نحو السودان.

وفي عهد السعديين وحتى قبل أن يقدم السلطان أحمد المنصور الذهبي (990 / 1582) على إخضاع السودان، فإنه أعاد بسط نفوذ الدولة على منطقة فجيج وركز سلطانه فيها ماديا ومعنويا كما فعل أسلافه قبله محمد الشيخ، عبد الله الغالب وعبد المالك حيث أعاد بناء دار الإمارة وهيأ ظروف الاستمرارية حيث أصبغ على الزوايا في المنطقة الصبغة التمثيلية، سواء في ذلك الصوفية منها أو العلمية حيث تم ربط الصلة برجالات الزاوية العملية لآل عبد الجبار، حتى أصبح الإمام أبو القاسم بن محمد ابن عبد الجبار من علماء البلاط في مراكش، وشد عضد الزاوية البوشيخية الصوفية

بمنطقة فجيج، حتى أصبح نفوذها متوغلا إلى تخوم توات وتيگورارين جنوبا وسجلماسة غربا والغواط شرقا وبني يزناسن شمالا، وبلغ ذلك النفوذ ذروته العبد الوافية إحدى أعمدة الاستقرار والتوازن بفجيج.

لقد حاول الأتراك غير ما مرة، بسط نفوذهم على المنطقة فلم يفلحوا، وكانت آخر محاولاتهم في هذا العهد سنة 991 / 1593 حيث تم الصلح بينهم وبين أهل فجيج على أن يبتعد الأتراك عن المنطقة، كما تسجل ذلك الوثائق والتقاييد المحلية.

اتخذ الفقيه العالم أحمد بن أبي محلي من منطقة فجيج نقطة انطلاقه لثورته ضد السعديين، حيث توجه منها سنة 1019 / 1610 إلى سجلماسة، ومنها إلى مراكش قصد الاستيلاء على الملك.

اهتم السلطان العلوي مولاي امحمد الأول بمنطقة فجيج قصد تثبيت النفوذ السياسي للسلطة الجديدة منذ 1051 / 1640 (الوثائق المحلية).

وفي سنة 1089 / 1679 عرج جيش السلطان إسماعيل على منطقة فجيج وهو في طريقه لإخضاع القبائل الصحراوية وتأديبها، مثل العمور وذوي منيع وأولاد جرير وحميان، حيث تمت المعركة الفاصلة في المكان المسمى مولاي الحران، 30 كيلومتر شمال فجيج، وتم القضاء نهائيا على ثورة إخوان المولى إسماعيل (مولاي الحران، مولاي هشام ومحمد) كما تشير إلى ذلك التقاييد المحلية المعاصرة.

ولما تولى الداي التركي محمد بن عثمان الكبير ولاية وهران سنة 1192 / 1779 بسط نفوذه على الأقاليم الصحراوية الواقعة شرق المملكة المغربية مثل إقليم فجيج وتوات وكورارة وحميان (بني عامر)، ويرجع ذلك إلى أن السلطان محمد بن عبد الله خلال هذه الفترة وقبلها كان مشغولا بتهدئة الأوضاع ومحاربة الفتن والفوضى التي عمت المملكة. ومنها ثورة أحمد الخضر بن الزبير الفتان في بداية السبعينات من القرن الثاني عشر الهجري / نهاية الخمسينات من القرن السابع عشر الميلادي والذي اتخذ مدينة فجيج محورا لها.

وفي سنة 1205 / 1792 ساهم أهل فجيج في تحرير تغر وهران من يد الإسبان نهائيا وذلك بتلغيم أسواره.

ولما استقام الأمر للمولى سليمان، وذلك بعد القضاء على إخوانه وتهدئة الأوضاع في المناطق المختلفة، اتجه عزمه نحو إرجاع الأمور إلى نصابها في الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية من المملكة، فتوجه سنة 1218 / 1803 إلى تازة، ومن هنالك جهز جيشا تحت قيادة محمد الصريدي عامل سجلماسة، فتوغل في الصحراء حيث استرجع نفوذ الدولة على إقليم فجيج. وفي عام 1221 / 1807 عين القائد عياد بوشفرة لإدارة شؤونها.

وفي سنة 1222 / 1808 استرجع إقليمي توات وگورارة.

وفي سنة 1254 / 1838 استنجد الأمير عبد القادر المختاري الإدريسي بأهل فجيج من أجل تلغيم الطرق والمسالك أمام الجيش الفرنسي.

وفي سنة 1276 / 1859 دعاهم السلطان مولاي عبد الرحمان للمساهمة في محاربة الإسبان بتطوان تحت قيادة أخيه الأمير المولى العباس بن هشام من أجل زرع الألغام وتفجيرها.

منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وفجيج هدف من أهداف السلطة الاستعمارية الفرنسية، إذ كانوا يعتبرونها مصدرا رئيسيا للمقاومة التي كانت تقض مضجعهم في الجنوب الغربي من إيالتهم، حيث تعددت المواجهات: معركة المعدر، ومعركة أسمان 1299 / 1881، معركة فج اليهودية 1300 / 1882، معركة تاغلة 1320 / 1902، ومعركة تاغيت 1331 / 1903 وبعدها مباشرة تمت قنبلة فجيج بتاريخ 08 / 06 / 1903 وبذلك تم بسط النفوذ الفرنسي على المنطقة نهائيا، إلا أن المقاومة المعنوية والمادية من طرف أهل فجيج، لم تتوقف، فانخرطوا في الحركات الوطنية المنظمة منذ بدايتها، فأسسوا المدارس الحرة وانخرطوا في جيش التحرير إلى أن تم إخراج المستعمر.

وخلاصة القول فإن لفجيج دورا حضاريا وتقاليد متميزة، أسس لها رصيدها التاريخي البعيد والعميق والمشبع بالحضارة العربية الإسلامية، ويظهر ذلك بجلاء في تقاليدها وثقافاتها وصناعاتها، وفي طبيعة ساكنتها المتميزة بالتعايش والتفتح ورحابة الصدر والبساطة دون الانصهار أو التنكر للأرض والإنتماء.

وتمتد جذور التميز الحضاري للمنطقة إلى ما قبل التاريخ حيث يلاحظ قدم حضور الإنسان البدائي وملامح تطوره الحضاري والثقافي.

منذ القرن التاسع الهجري وطوال القرون التالية ومنطقة فجيج تدافع عن ذاتية الدولة المغربية في الجنوب الشرقي، فلا الدولة العثمانية ولا النفوذ الفرنسي فيما بعد استطاع التحكم في تلك المنطقة رغم المحاولات المتكررة.

يتجلى بوضوح من خلال الدراسة التحليلية والمعمقة لتاريخ فجيج، أن حساسية موقعه جعلت منه منطقة استراتيجية، ونقطة تماس وخط احتكاك، بين القوى المختلفة المتعاقبة والتيارات المتباينة. ولم يقتصر ذلك على العهود المتأخرة بل يمكن تتبع جذور هذه الظواهر عبر التاريخ البعيد للمنطقة. إذ كانت منطقة فجيج تمثل دائما مركز تبادل واحتكاك بين ما هو شمالي وجنوبي أو شرقي وغربي سواء في ذلك ما يهم المعتقدات أو المذاهب أو الأنظمة أو القبائل، الشيء الذي عرض المنطقة لهزات عنيفة وتحركات قوية تخللتها محطات استقرار تطول وتقصر تبعا لنفوذ الدول الكبرى التي تعاقبت على السلطان شرقا، غربا وشمالا.

محمد بوزيان بن علي، *واحة فجيج تاريخ وأعلام*، الدار البيضاء، 1987 ؛ أحمدبن عبد الله بن أبي محلي، *الإصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت*، م. خ. ح. 100 ؛ *منجنيق الصخور*، م. خ. ع. 338 ق ؛ محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي، *الرحلة*

*الكبرى*، م. خ. ع. 1327 د ؛ أحمد بن محمد بن داوود الهشتوكي، *هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام*، م. خ. ع. 147 ق ؛ عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، *العبر*، سبعة أجزاء، دار الكتاب اللبناني، 1959 ؛ محمد بن محمد ابن ناصر، *الرحلة الناصرية*، المطبعة الفاسية، 1320 ؛ أبو القاسم بن أحمد الزياني، *الترجمانة الكبرى*، مطبعة فضالة، 1961 ؛ العربي هلالي، *فجيج : تاريخ وثائق ومعالم*، طنجة، 1981 ؛ علي بن محمد السوسي، *منتهى المنقول ومشتهى العقول*، خ. ع. 633 د ؛ أحمد بن خالد الناصري، *الاستقصا*، تسعة أجزاء، تح. محمد وجعفر الناصري، دار الكتاب، 1956 ؛ محمد داوود، *تاريخ تطوان*، تطوان، 1964 ؛ عبد الرحمان العثماني، العربي هلالي، عمرو عبو وإبراهيم باهو، منشورات جمعية النهضة بفجيج، 1997 ؛ العربي الصقلي، *ذاكرة المغرب*، الجزء الأول، 1983 ؛ أحمد مزيان، *فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي*، 1988 ؛ العشرات من المراجع والمصادر الأجنبية، جلها مثبتة بفهرس مراجع الكتاب : العربي هلالي، *فجيج تاريخ، وثائق ومعالم*، المطابع المغربية والدولية، طنجة 1981 ؛ *وثائق العربي هلالي ووثائق عبد الكريم الفلالي*.

العربي هلالي

**الفكيكي، إبراهيم** بن **إبراهيم الأنصاري** نسبة إلى الأنصار حسبما ذكر الرحالة الهشتوكي يعرف في الوثائق بإبراهيم بن آمنة، يتحدث عنه الهشتوكي حديثا نديا زكيا فيقول : ... طالب عالم، كان بفاس يلازم مجالسنا العلمية خلافة السلطان الرشيد، وقد حج بيت الله الحرام، وزار رسول الله عليه السلام، وما تزوج قط، وكان ذا دين قوي، وأخذ العهد عن شيخنا القطب سيدي محمد بن ناصر ـ نفعنا الله به آمين.

ويستنتج من ترجم الهشتوكي عليه أنه توفي قبل عام 1096 / 1685، وهو مدفون بالمسجد الكبير إلى جانب عيسى بن عدي بقصر الوادغير.

أحمد الهشتوكي، *رحلة هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام*، م. خ. ع. 147 ق ؛ العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائقه ومعالم*، ص. 109.

**الفكيكي، إبراهيم** بن **إبراهيم** بن **عبد الجبار**، أبو إسحاق، ولد حوالي 860 / 1455. تلقى علومه الأولى في زاوية والده على السنن المعروف آنئذ من حفظ القرآن الكريم، وإتقانه رسما وتجويداً واداءً، وتلقين بعض المتون الضرورية في الفقه، وتعلم مبادئ العربية. وفي مرحلة لاحقة انتقل إلى فاس للاستزادة والتوسع، فأخذ عن ابن غازي (ت. 919 / 1513) وأبي العباس الونشريسي (ت. 914 / 1508) وأحمد بن محمد بن يوسف الدقون (ت. 921 / 1515)، وفي تلمسان لقي ابن مرزوق الكفيف (ت. 901 / 1490 ) ومحمداً بن يوسف السنوسي (ت. 895 / 1490 ) ومحمد ابن عبد الكريم المغيلي (ت. 909 / 1503 ) ... وفي مصر جلال الدين السيوطي (ت. 911 / 1505 ) وكمال الدين الطويل ... وفي الحرمين الشريفين جلس إلي حلقات شمس الدين السخاوي (ت. 902 / 1497 ) وعمر بن عبد الرحيم الشافعي، وأحمد بن موسى بن عبد الغفار المالكي، وأبي الحسن الأشموني الذي أهداه نسخة من تعليقه على نظم جمع الجوامع وعليها إجازته مؤرخة في الثاني والعشرين من ربيع الثاني سنة 903.

رحل المترجم إلى المشرق أكثر من خمس مرات طالبا ومطلوباً، ومفتيا وقاضيا حتى قل بلد لم يطأها من الأمصار" على حد تعبير ابن أخيه أبي القاسم، ثم انتهى به المطاف إلى مسقط رأسه (فجيج) قبل أن يجبره اختلال حبل الأمن، ومقتل صديقه القاضي عبد الحق السكوني على الهجرة الأبدية نحو السودان الغربي سنة 920 فاستقر في مدينة (جنى Dgenné )، شاهداً على إشعاع المغاربة في هذا الصقع، وأثرهم المحمود في انتشار الإسلام بين أبنائه.

ترك أبو إسحاق خلفه عدة مصنفات بلغنا بعضها، وضاع بعضها في الضائعات، ومنها :

ـ تأليف على قواعد الإسلام : ذكره تليمذه الوادي آشي. وأشاد بمنهجيته قائلاً : "ومثل فيه هذا البيت المبني المستعار في الحديث ببيت شعر له أعمدة وعماد، وحبال وأوتاد، على مثال لم يسبق إليه، ومنهاج لم يسلك أحد قبله عليه..." ويعتبر في حكم المفقود.

ـ مفيدة اللبيب : منظومة فقهية طويلة بلغت 817 بيتا أبدع فيها وأجاد، وضمنها من عيون الفقه ونوادر المسائل مالم يوجد في غيرها. منها نسخ خطية متعددة في الخزانات العامة (الناصرية رقم 1804) والخاصة.

ـ شرح دلائل الخيرات : ذكره صاحب الموسوعة المغربية (ج 2، ص. 9).

ـ منظومة في نسب بني إدريس : وهي من المطولات أيضا. نقل منها علي السوسي في رحلته منتهى النقول ومشتهى العقول أبياتا كثيرة. وهي موجودة لدى الخواص.

ـ روضة السلوان : قصيدة عينية في الصيد، صدرها بمقدمة مؤثرة تؤرخ للفوضى العارمة التي عمت فجيج صدر المائة العاشرة. أبياتها 214 من الطويل، ومطلعها :

يلومونني في الصيد والصيد جامع لأشياء للإنسان فيها منافع

وقد عدها الدكتور عبد الهادي التازي من المبادرات الأدبية المغربية الفريدة ؛ ذلك أنها تناولت موضوعا طريفا لم يكن من المعهود طرقه ولاعلاجه بالمغرب الأقصى على ما في علمنا. بل هي من القصائد العربية التي انخرطت في سلك الآداب العالمية بامتياز فعرفها الفرنسيون والإسبان والألمان والانجليز، واستشهدوا بأبياتها ومن الدلائل التي ترسخ سيرورتها وشهرتها عناية الأدباء والنقاد بشرحها والتعليق عليها، ومن الشروح المعروفة لدينا :

1 ـ شرح أبي القاسم بن مَحمد بن عبد الجبار المطبوع بعناية الدكتور عبد الهادي التازي تحت عنوان : الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد.

2 ـ تكميل الفريد، لأبي القاسم بن الهاشمي الفزكاري، منه نسخة مخطوطة ضمن مجموع بالخزانة الحسنية تحمل رقم 506.

3 ـ الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية للعلامة محمد بن أحمد الراشدي المشهور بأبي راس المعسكري، المتوفى عام 1238 / 1823. منه نسخة فريدة في دار الكتب المصرية بالقاهرة، رمز "متب تيمور ـ 3 ـ فروسية".

4 ـ الوصيد في شرح سلوانة الصيد، له أيضا، ذكره عبد الرحمن بن محمد الجيلالي في تاريخ الجزائر العام، ج 3 ص. 574. ومنهم من تصدى لها بالمعارضة كقول أحد شعراء فجيج :

يلومونني في الصمت والصمت دافــع ... لأشياء للإنسان فيها موانـــع
وقد وردت في الصمت في غيرما يعني ... أحاديث للمختار وهي قواطـع

أما النقل عنها فمشاهد في كثير من المؤلفات كمنجنيق الصخور لابن أبي محلي والكوكب الأسعد لابن حمزة المكناسي. والابتهاج بنور السراج لأبي العباس البلغيثي، والتراتيب الإدارية للكتاني ... الخ.

وهذه الأسباب تحتشد متضامنة إلى غيرها لتزرع فينا شجاعة تلقيب هذا الشاعر القناص بأمير شعر الطرديات في المغرب حتى يظهر من يدفعه عن المكانة واللقب.

ولإبراهيم قصائد أخرى يعبر بعضها عن عقيدته الصلبة ومواقفه الثابتة الحازمة، فكان طرفا فاعلاً في قضية يهود توات إلى جانب شيخه المغيلي فأوجب مثله هدم كنائسهم، ووصفهم مثله بأوصاف تجعلهم ناقضين للعهد (المعيار المعرب ج 2، ص. 214 وما بعدها) بل هجا المسالمين من أهل توات هجاء مراً يسفههم ويطعن في عقيدتهم، يقول :

أيا قاطني توات فاصْغوا إلى قولي ... فقد آن أن أبوح بالبعض والكـــل
أأنتم على دين النبـــــــي محمـــد ... أم القوم واليهود شكل إلى شكل ؟
فما بالكم شرفتموهم عليكمـــو ... والإسلام أولى أن يشرف في الأصـل
فإن كان هذا الرأي رأي فقيهكم ... فما الظن بالسفيه والناقص العقل ؟ !

وحينما قتل صديقه عبد الحق السكوني قال قصيدته المشهورة التي مطلعها :

تغيرت البلاد واحلولك الليل ... وشب ضرام الشر وانهمر السيل
وآن الرحيل من بلاد تأمرت ... بها المفسدون واستمر بها الهـول

ولا تزال هناك جوانب خفية عن حياته العلمية خاصة في السودان حيث قضى أزيد من ثلاثين عاماً.

توفي حوالي 954 / 1547.

*الفريد في تقييد الشريد* (مقدمة عبد الهادي التازي) ؛ أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس، الحفناوي، *تعريف الخلف* ؛ محمد بوزيان بنعلي، *فجيج أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي*.

**الفكيكي، أحمد** بن أبي **زيان** بن يعقوب الجراري. من أهل النصف الثاني من القرن 13 / 19م. لا نعلم له رحلة علمية خارج فجيج، ولا شيوخا، ولا تلاميذ. إلا أنه أشار في أحد مصنفاته أنه تخرج على يد شيوخ متمرسين في علوم القرآن. مارس التدريس في جامع بني جمال ثم المسجد الكبير بقصر الوداغير.

اشتغل بعلم القراءات، وبرع في مسائل الوقف والابتداء. وله فيها رسائل حسان. وعلى هذا العلم قامت شهرته في فجيج ونواحيها، وقصده الناس، واستفادوا منها، وزاد هذه الشهرة ألقاً واتساعا دخوله في مناظرات ومعارك فكرية مع علماء زمانه، بذهم جميعاً وأسقطهم، لولا أنه كان يتحامل على معارضيه بعنف، ويتهمهم بالعجرفة والعناد، والابتداع، والبلادة والسفه، والخروج عن سبيل الحق : "... ومن المتكبر الذي يعقد دعواه بالكذب والجور أم من الجاهل الجهل المركب والذي اتصف بجميع ما وصفته به في كتابك ؟ ومن الذي قلب الحقائق ؟ ومن المتبع من المبتدع ؟ ومن الذي ثبتت قراءته على الشيخ ومن الذي يأخذها من الأوراق ؟ ... الخ".

ويبدو من كتاباته أنه كان شديد الاعتداد بنفسه، معجبا بها، ضيق الصدر، كثير النقد، وكان محيطا بعدد من فنون المعرفة، وخصوصا في النحو واللغة والعروض والفقه، وكان ذا خط رائق بديع.

من مؤلفاته :

ـ رسالة التنوير في الرد على من منع وقف هذه الآيات من أهل الشكير.

ـ رسالة النقاد في الرد على المبتدع ابن الرقاد (وهما معا محققتان في العدد الأول من سلسلة تراث فجيج تحت عنوان : *فجيج نصوص من التراث الفكري* : تحقيق العربي هلالي، محمد بوزيان بنعلي).

ـ رسالة الجواب في الرد على أحمد الجبلي الخارج عن الصواب (مخطوط خاص).

مؤلفات المترجم المذكورة أعلاه ؛ العربي هلالي وبوزيان بنعلي، فجيج نصوص من التراث الفكري، دار الجسور، وجدة، 2003.

**الفكيكي، أحمد** بن **سليمان** بن الرقاد الودغيري قرارا. فقيه ورع، زاهد قنوع، مجتهد في أعمال البر، وخطاط ماهر حاذق. انتظم في سلك الطريقة الدرقاوية، وصار من أقرب مريديها إلى شيخه، يزوره كل عام تقريبا، ويطيل المكث عنده ليتبرك بطلعته وينسخ له ما جد من مؤلفات منها :

ـ تقييد مبارك لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني (ت. 1224 / 1809)، كان الفراغ من كتبها عشية يوم السبت ثاني جمادى الثانية 1209.

ومن منسوخاته أيضا :

ـ الاغتباط في شرح نزهة الاستنباط للعلامة المشارك عبد الرحمن الفاسي (ت. 1096 / 1685).

ـ المصباح ونزهة الأرواح في أسرار علم المفتاح لابن أيدمر الجلدكي. فرغ منه ضحى يوم السبت منذ نصف شعبان 1217.

ـ معونة الصبيان على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع : مما عني بجمعه وتأليفه سعيد بن سعيد بن داوود بن سليمان بن الحاج الجزولي ... نسخها عام 1200.

بقي المترجم منهوما بين نسخ الكتب وصلة شيخه الدرقاوي والاجتهاد في العبادة إلى أن لبى داعي الله عام 1226.

وثائق مخطوطة، خاصة ؛ محمد بوزيان بنعلي، *بيوتات العلم والأدب بفجيج*.

**الفكيكي، أحمد** بن **عاشور** السمغوني الأصل، قال فيه صاحب كشف الحجاب : العلامة الكبير الذي طار صيته في كل الأقطار، وتفجرت من صدره ينابيع الأسرار، أخذ الطريقة التجانية عن صاحبها مباشرة، وأسهم في نشرها في الصحراء الشرقية حتي توفي بفجيج".

كان معاصراً للعالم الأديب محمد بن الصديق بن حمادي. وكانت بينهما مناظرات تشي بعلو كعبه في علوم الفقه والعربية.

توفي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / 19.

عبد العزيز بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، مطبعة فضالة، 1975.

**الفكيكي، أحمد** بن **عبد الرحمن** بن بودي. من أخص تلاميذ الشيخ الصوفي عبد القادر السماحي، وأنجب مريديه، لمع اسمه منذ بدايات القرن 11 / 17، حين اعتبره أحمد بن أبي محلي طرفا فاعلاً في صراعه المزمن ضد السماحي المذكور. ويستنتج من خلال كثرة الإشارة إليه في المنجنيق والمهراس أنه كان نجما لامعاً في سماء العلم، ولسنا بليغا يُخشى جانبه، حتى إن أبا محلي كان في كثير من خطاباته يلاينه ويجامله طمعاً في استقطابه، بل ويصفه بألقاب علمية جليلة "وقاك الله يا ابن بودي سوء الخاتمة ... وأرجو الله تعالى أن يلهمك سبيل هدايتك، فإنه أخونا في الطلب العلمي، والنسب العلمي، فأين النحو ؟ وأين الحديث ؟ وأين الفقه الذي تفرق به بين الطيب والخبيث ؟ فبحق الله عليك إلا ما رجعت حلمك، واستنصحت علمك، واخل بنفسك وحدك واستصفها تصدقْك، وحسبك ما عندك فإنك لبيب عاقل ... وأشقى الأشقياء عالم لم ينفعه الله بعلمه".

تعاطى ابن بودي التدريس، ومارس الفتيا والقضاء إلى عام 1036 / 1627. ويبدو مما وصلنا من شعره أنه كان أديبا ظريفا. وأن شعره في ريعان الشباب ومرَّة العزوبة كان مطبوعا بالتماجن، وتمزيق جلبات الحياء والتصاون. من ذلك قوله في بائيته وفيها من الغزل الفاحش ما فيها : (متقارب).

| | |
|---|---|
| ألا ليت دهري يساعدني | فأنزل ضيفا بتلك القباب |
| لعلي أشفي بلعب البنات | غليل قليبي، وأروى الخراب |
| فيا ابن سعيد تذم الكرام | فهلا رأيت الكريم يعاب |
| تكرمن جوداً لحق العزيب | فصيح الكلام مليح الشباب |

وله تائية طويلة رثى بها شيخه السماحي، سماها : "روضة الأحزان، ومهجة قلوب الإخوان، لتعلم كيف تنل الزمان، شيخنا وقدوتنا نجل أبي داوود سليمان" ومطلعها : (طويل).

| | |
|---|---|
| طلبت من الرحمن عون استقامة | على روضة الأحزان نظم الرثاءة |

ويستنتج من ترحم صاحب تقوية إيمان المحبين عليه أنه توفي قبل عام 1056 / 1646.

أحمد بن أبي محلي، *منجنيق الصخور*، م. خ ع، 338 ق ؛ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن السكوني، *تقوية إيمان المحبين* ؛ *وثائق وقصائد شعرية*، مخطوطة خاصة.

**الفكيكي، أحمد** بن **العربي** بن أبي زيان ابن رحو، من آل الإمام عبد الجبار. ولد حوالي 1222 / 1807. بدأ حياته العلمية في معاهد فجيج، فحفظ القران الكريم، وأتقن رسمه وضبطه وأخذ مبادئ اللغة والفقه عن جماعة من الشيوخ، ثم خرج في غربة طويلة إلى تافيلالت حيث لقي الغازي بن العربي السجلماسي، ومحمد العربي بن قاسم الحسني وإلى فاس موئل الطلاب وكعبة القصاد. ولئن عجزنا أن نعدد شيوخه فإن في كتاباته ما يؤكد أنهم كثيرون، كقوله : "قاله شيخ شيوخنا سيدي عبد الله العياشي في أول شرح نظمه للبيوع ابن جماعة. وتقدمه الأدبيات المحضرة للاستدلال "فقيها نبيها لبيبا، وعالما جليلا، وكاتبا بارعا، وأديبا أريبا، وشيخ المشايخ، ... الخ"، ولا غرو، فقد كان متصوفا عاملا، وعالما كبيراً يتخذ السيوطي نعم المقتدى به، ويحرص أن يقاديه في ثقافته الموسوعية، فهو به معجب إلى حد الهوس.

صاحب وراسل عدداً من مشاهير وقته في العلم والأدب والسياسة والتصوف منهم الأمير عبد القادر الجزائري، ومحمد العربي الهاشمي (ت. 1309 / 1891) وعبد الواحد ابن فقيرة الأنصاري المكناسي (ت. 1317 / 1899) وعبد الله بن محمد بن جعفر الشريف الحسني، وغيرهم.

تولى خطة الأحكام بفجيج ولقب بقاضي الجماعة، وانتصب للإقراء والإمامة والخطابة والفتوى، ولم يشغله ذلك عن نسخ عدد من المؤلفات بخطه الزاهي، والتصنيف في الفقه والنحو والتصوف والتاريخ، نعدد منها ما سلم من عوادي الزمان أو ماوقعت الإشارة إليه في وثيقة أو تقييد.

- روضة الأنس فيمن لا يسأل في الرمس : وهي نظم من 29 بيتا. عدد فيه موتى المؤمنين الدين أمنوا فتنة القبر وسؤال منكر ونكير، شرحها شرحا مستوفيا حافلا بالنوادر، والفرائد، والتنبيهات، والتعليقات ... (حققه الأستاذ بناصر جباري من نسخة خزائنية نادرة وهو قيد الطبع).

- الذخيرة : في سيرة جده التاسع، كما يحلو له أن يسميه الإمام عبد الجبار وبعض أولاده وأحفاده. وهو الآن في حكم المفقود وإن ذكروا لنا أنه لدى أحد أعقابه.

إضافة إلى أراجيز نظم فيها أقوال الفقهاء والنحاة، ومثال ذلك نظمه قول ابن مالك في اسم المصدر، ومنه :

| | |
|---|---|
| وبعد، فالمفعول أعني المطلقا | مؤكدا .. مبينا .. قد حققا |
| والأصل فيه أن يكون مصدراً | وقد ينوب عنه دال قررا |
| فناب عن مبين فيما أثر | ثلاثة عشر فحصل ما ذكر ... |

وله أيضا قصائد شعرية منها رائيته في مدح الأمير عبد القادر الجزائري.

لا نعرف سنة وفاته بالضبط والمؤكد أنه كان في عداد الأموات عام 1322 / 1904 بدليل ترحم ابنه عليه في إحدى رسائله الصوفية.

*روضة الأنس فيمن لا يسأل في الرمس للمترجم ؛ وثائق ومراسلات وقصائد مخطوطة خاصة ؛ محمد بوزيان بنعلي، فجيج أعلام الفكر والأدب.*

**الفكيكي، أحمد** بن **علي** بن **حموش** الفخار الودغيري سكنا. شيخ الفخارين ورئيسهم بلا منازع، خلال القرن الثاني عشر (18 م). تنسب له الوثائق المحلية مهارة لا حدود لها في تشكيل الطين والتفنن في تحويله إلى تحف نادرة، حتى إن شهرته تعدت مجال فجيج. جاء في إحدى رسائل الفقيه عبد القادر بن محمد بن بوزيان من آل عبد الجبار (ت. 1176 / 1763) إلى صديقه بقصر "استيتا"، .... وبعد ... على شأن أحمد بن علي بن حموش الفخار، كل صنعة يريد الإنسان من أجل الفخارة فهي عنده، أتْهَلُّوَ فيه يضع لكم ما شئتم.

والمعروف عند أهل فجيج أجمعين أن "آل حموش" هم مشايخ المتخصصين في هذه الصناعة توارثوها كابراً عن كابر، وقد وجدنا بعض الوثائق تنعت آباءهم بخُدام مَحمد بن عبد الجبار (ت. 956 / 1549) وبناء على التواتر الشائع بأن أسلاف آل حموش وردوا على فجيج من المدينة المنورة في القرون الأولى للهجرة.

*وثائق ورسائل (مخطوطة).*

**الفكيكي، أحمد** بن **علي** ال**معيزي**، المعلم، من ذوي المهارة والخبرة العميقة في البناء، كان الناس يتحاكمون إليه في تقويم الأبنية، وتقدير أثمان الجدران، وتكلفة البناء، وكما تقول الوثائق "ترفع إليه أمور الأبنية".

كان حيا عام 1324 / 1906.

*وثائق خطية (خاصة).*

**الفكيكي، أحمد** بن أبي **القاسم** بن مَحمد (فتحاً) بن عبد الجبار وريث والده في ثقافته الموسوعية دون سائر إخوته، أديب شاعر، فقيه نوازلي، مدرس نفاع، تاجر، مزارع، وقناص كعمه إبراهيم.

نأى بنفسه عن الصراع الذي توسعت فصوله بين السماحي وابن أبي محلي، ووزع وقته بين دينه ودنياه. ولم نسمع عنه أخباراً بعد عام 1036 / 1627.

وصلنا من إنتاجه فتاوى وأحكام وأجوبة، وهائية مبتورة في فقه الصيد، إلى بائية في نقد المجتمع الفجيجي مع شرحها (مبتورة أيضا) ورائية مطلعها :

إذا رحلوا من فجيج الظعون   فأم لياس لهم قــــدرا

ومنها :

وعنهم سألنا فقيل لنــا   تلاشت منازلهم في القــرى
وقد شتت الدهر شملهــمُ   وصَيَّرهم للورى عبـــرا
فلم تبق في البيت باقيـة   وهيهات : قاسَمَهم أشطـرا
منازلهم قد عفـت آيـــة   فلم تبق فيها عدا الأحجـرا ...

وله قصائد في المولد النبوي الشريف لم يبق منها إلا مقطعات ونتف. وكوالده وأعماله ساهم في تأثيث خزانة دار العدة بمنسوخات لا يزال بعضها موجوداً إلى الآن ومثالها :

- تنبيه الأنام لاب عظوم القيرواني، فرغ منه أواخر المحرم سنة إحدى عشرة بعد الألف (يحمل في خزانة سيدي عبد الجبار رقم 17).

*رسائل وفتاوى وأحكام، مخطوطة خاصة ؛ رائية المترجم، خزانة عامة ميكروفيلم، 754.*

**الفكيكي، أحمد** بن **محمد** بن **عبد الرحمن** السكوني، نجهل تاريخ ميلاده، وأطوار حياته العلمية، ولولا الإفادات التي احتفظت بها بعض مؤلفاته الباقية ما استطعنا معرفة طبيعة تكوينه الفكري. ونرجع على ضوء ما بأيدينا من قرائن أنه رأى النور حوالي 1018 / 1609، ولم تخرج بدايات تلقيه العلمي عما كان مألوفا في زوايا فجيج من تحفيظ القرآن الكريم، وجملة من المتون الضرورية... ثم التحول إلى مدينة فاس... ثم الرجوع إلى مسقط الرأس للاشتغال بالإقراء. وتولي الفتوى والقضاء، وبعض ذلك أشار إليه الهشتوكي في رحلته، بل إنه ذكر ما يفيد أن المترجم كان كثير التردد على فاس بعد سني الطلب حيث رآه بها خلافة الرشيد.

أخذ التصوف عن شيخ الزاوية الناصرية محمد بن محمد بن ناصر الدرعي (ت. 1085 / 1674) الذي زارفجيج غير ما مرة ولخص إعجابه بها وبأهلها في هذا البيت :

ديار عليها من بشاشة أهلهـا   أثار تسر النفس حسنا ومنظرا

وصحب جماعة من فضلاء الوقت ونبهائهم وأدبائهم كأبي سالم العياشي، وأحمد بن سيعد المجيلدي، ومحمد بن إسماعيل المسناوي الذي أهداه نسخة من كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الربيع، وأحمد بن محمد ابن ناصر، والهشتوكي وغيرهم.

انتهت إليه رياسة التصوف في زمانه بفجيج، وكان إلى ذلك فقيها ضليعا متمكنا، حتى إن أبا سالم العياشي سماه "فقيه البلد"، بيد أن ابن ناصر يتهمه بالقصور في علوم العربية، يقول : "وله معرفة بالفروع والتوحيد، ومارس ممارسة ما علوم العربية، غير أنه لم يبالغ فيها..." ويترجع صدى هذه التهمة في ما بلغنا من مؤلفاته التي يغلب عليها الطابع الصوفي والفقهي والمناقبي، ومنها :

- حبل الاعتصام في كشف ما سدل من الرواق على معاني كلمات تنبيه الأنام : يشرح فيه تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام،

للشيخ ابن عظوم القيرواني المتوفى عام 960 / 1553. ومنه نسخ خطية بفجيج.

- إتمام النعمة وسبب نيل الشفاعة والنجاة بكشف القناع على ألفاظ دلائل الخيرات : وهو شرح دلائل الخيرات للجزولي (ت. 870 / 1465 )، ومنه نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم 3290.

- *تقوية إيمان المحبين والصديقين* : من المؤلفات المناقبية الخالصة، ركم فيه (154) كرامة من كرامات الولي الصالح عبد القادر السماحي (ت. 1025 / 1616)، حققه الأستاذ عبد الله طواهرية.

- نزول الرحمة وسبب نيل الاصطفا، في مناقب ساداتنا الخلفا، والصحابة وأهل البيت وأمة المصطفى، ضرب إليه العياشي بقوله : "وأطلعني سيدي أحمد ابن أبي بكر على تأليف له جمع فيه مناقب الخلفاء الأربعة" وهو مخطوط بخزانة مسجد مولاي عبد الله الشريف بوزان، رقم 376.

وله غير ما ذكر كتاب البركة وخزانة الرحمة، منظومة على صغرى السنوسي ذكرها ابن ناصر في *رحلته* وله قصائد ومقطوعات هي إلى شعر الفقهاء أقرب.

توفي في بدايات القرن الثاني عشر الهجري.

أبو سالم العياشي، *ماء الموائد* ؛ أحمد بن مَحمد بن ناصر الدرعي، *الرحلة الناصرية* ؛ أحمد الهشتوكي، هداية الملك العلام ؛ محمد بوزيان بنعلي، *بيوتات العلم والأدب بفجيج* ؛ العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائقه ومعالم.*

## الفكيكي، أحمد بن محمد بن مَحمد الراشدي.

ولد حوالي 1210 / 1795. وتلقى علومه الأولى في زاوية أسرته، وزاوية آل عبد الجبار، واختلف إلى مجالس الفقيه الصوفي عبد الله بن فريحة السادات، فأعجب به، ولازمه، وأخذ عنه علوم الباطن ورأي من طلعته ويديه خيراً كثيراً حتى عده إمامه وقدوته وحسنة زمانه، بل ووصفه بعوض الوالد، وقوة الساعد، قبل أن ينشب بينهما الخلاف.

انتقل الراشدي إلى فاس ليبدأ مرحلة جديدة من مراحل الطلب، هي مرحلة التوسع والتعمق والتنوع، ومخالطة المشهورين من رجالات العلم والأدب، إلا أننا للأسف لا نعرف من شيوخه هناك إلا واحداً، هو أبو الفضل العباس بن أحمد بن التاودي بن سودة (ت. 1241 / 1826). قرأ عليه مختصر خليل، وموطأ الإمام مالك، ولم ينفصل عنه إلا بعد حصوله على إجازة تامة مطلقة عامة (مخطوط خاص).

بعد هذه الرحلة التي استغرقت خمس سنوات، عاد إلى فجيج إماما وخطيبا، وقاضيا ومفتيا، ومدرسا، بيد أن حنينه إلى فاس كان يكبر بين جوانحه يوما عن يوم مثلما يظهر من خطاباته البليغة الرقيقة إلى شيخه ابن سودة.

أصيب في مرحلة متقدمة من عمره بمرض ألزمه الفراش وكدر عليه المعاش ما يزيد على العامين كما صرح بنفسه في رسالة مؤثرة إلى "مولانا سليمان بن مولانا عبد الرحمن"، وتوفي أواخر القرن الثالث عشر.

وحتى نأخذ فكرة عن أدبه الترسلي نقرأ هذا الخطاب الذي بعثه إلى شيخه عبد الله بن فريحة لسبب نستشفه منه : "عوض الوالد، وقوة الساعد، قدوتنا أبو محمد السيد عبد الله بن فريحة، سلام عليك ورحمة الله، يتوجانك تاج العناية ويجيرانك من قبول السعاية. وبعد أيها السيد مذ قَرَّ لي في الأرض قرار، وكلفتُ بما يقربني من الجنة ويبعدني من النار، أنت الوالد وأنا الولد البار، حتى لم يبق لي ولك إلا الرحيل، ولقاء الملك الجليل، جاءك من أمرت بمقاطعته، ونهيت عن مواصلته. فأفسد بنميمة لحظة ما أسداه الود، وقطع في هذه المدة ما بلغه الجهد. فإلى الله المفزع منه والمشتكى فهو الذي أضحك وأبكى، ومنع وأعطى، ووفق من أصاب، وأضل من أخطأ، وليس العجب ممّن نمّ، بل العجب مما رامه كيف تمّ، وأنت من ذوي الأحلام، والصلحاء الأعلام الذين يعلمون أن الإجازة أقبح من السعاية، وهَبْ أنك حكمت على من أخبرك أنه صادق، أليس قد سماه الله فاسقْ، وقال عليه السلام : لا يدخل الجنة نَمّام. وهَبْ أن ما قيل لك كان، فأين ما أمرَ به مثلك مع مثلي من الآيات ؟ وأين حلمك مع جهلي ؟ [...]

وكان الظن بسيدنا لما بلغه عني ما ساءه، أن يخلص لي دعاءه ويزيل رداءه، لينقذني من بحر الردي، وينزلني في سفينة الهدى، إذ هو الواجب على كل من اهتدي، لا سيما وقد بلغت بي محبتك حتى استولت على حسي تارة أعاتب فيها نفسي، وتارة أستفتي فيها خالق يومي وأمسي. وما كنت أظن أن بحر المودة الذي بيننا تكدره الدلاء، ولا حبل محبتنا يدركه البلاء، ولو أخبرني عنك خاطري بمثل هذا لقلت : إنه وسواس، أو إنسان لقلت : شر من الخناس، وأقول له :

لا أرأمُ البَوَّ النفوخ ولا أري وأبيك قعقعة الشنان مهيدي

(البيت للحسن اليوسي من داليته في مدح شيخه ابن ناصر).

فو الله ما عرفتك إلا لله، ولا قصدت فيك إلا الله، وغاية القول مني لكل معارض، قول ابن الفارض :

أحبتي أنتم أحسن الدهر أم أسا فكونوا كما شئتم، أنا ذلك الخل

وما منعني من الأخذ عنك إلا خشية ألا أفي بحقك، فاكتفيت بالمحبة مع السلامة، لئلا يحصل لي من طلب الربح ندامة، ولا من التردد إليك إلا أمر ديني، يعلم ذلك مولاي مني.

وكتابي هذا استعفاء واسترضاء، لا عتاب واستعلاء.

وكتب من لا يصدق عنك قول الوشاة، ولا مكائد البغاة، لما لك عنده من الخصوصية، ولو استقبلته بحرب القادسية".

ومعلوم من أدبياتهما أن هذا الشيخ كان طرقيا درقاويا، وأن الراشدي امتنع من الأخذ عنه بعد عودته من فاس لنبذه الطرقية، وتأثره بالسلفية، فأشاع الحساد أن التلميذ يستقل علم شيخه، ويستخف بصوفيته، وما زالوا يكررون الشائعة حتى رجح لديه أنهم على حق فجفاه، ونبذه نبذ النواة.

*إجازة ابن سودة للراشدي* ، خطية خاصة ؛ *مراسلات بين الراشدي*

وشيخيه ابن سودة وابن فريحة، خطية خاصة ؛ العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائق ومعالم.*

**الفكيكي، أحمد** بن **محمد** بن **محمد** بن **موسى** البريشي، المشهور بسيدي حدوش البريشي. لا ذكر له في كتب التراجم المغربية، وإنما استخرجنا بعض أخباره من كتابات ابن أبي محلي. ولد حوالي 965 / 1587، وجل تحصيله تم على أشياخ فجيج كأبي القاسم بن امحمد بن عبد الجبار (ت. 1011 / 1602)، ومربيها كرأس متصوفة وقته الشيخ عبد القادر السماحي (ت. 1025 / 1616)، كان في عداد مريديه وخدامه المخلصين، بل ثاني اثنين يضرب بهم المثل في الولاء له بعد ابن بودي : وإنك أيها البريشي وصاحبه المنتفان بزعم بنانهما ريشي...

وكانت بينه وبين أبي محلي مراسلات عديدة تشي بعلو كعبه في كثير من فنون المعرفة وحذقه في علوم الآلة. كما كان من أجل أصحاب ابن مريم التلمساني صاحب البستان وبينهما أيضا مراسلات حسان.

ويظهر أن ولاءه للسماحي تفتت تحت إلحاح ابن أبي محلي وإصراره على استقطابه فصار كما قال شخصيا (أي المترجم) في إحدى رسائله "إنه لا يخفاكم حالنا معكم، ونسبتنا منكم كنسبة الفيء لقامته... وحين زل بنا القدم حل بنا حينئذ الندم...

لم يبق من كتاباته إلا رسائل معدودة، وأشار ابن أبي محلي إلى أن له كرامة أجاب فيها عن أسئلة طرحها عليه.

توفي قبل عام 1056 / 1647.

أحمد بن أبي محلي، *مهراس رؤوس الجهلة*، مخطوط خ ع 192 ك؛ أحمد السكوني، *تقوية إيمان المحبين* (مطبوع).

**الفكيكي، أحمد** بن **موسى** والد الإمام عبد الجبار (انظر ترجمته). "القرم العظيم، والبركات العظمى، والملاذ الأحمى، أبو المواهب العرفانية، والأسرار الربانية..." من أهل القرن التاسع (15 م) نجهل عنه الكثير. ولكنه عند أهل فجيج معلوم الولاية والصلاح والفقه، تصدر للإصلاح الاجتماعي، ومحاربة المذاهب المنحرفة. حفر متوضأ تحت الأرض لازال إلى يومنا يعرف بالبَحْبُوحَة، وشيد فوقه جامعا للعبادة والتدريس والوعظ، خرج أجيالا من الفقهاء والعلماء، وكان موردا مورودا إلى بدايات القرن الرابع عشر الهجري (أواخر 19 م).

توفي خلال النصف الثاني من القرن التاسع، وقبره مشهور على يسار النازل إلى البحبوحة في قصر المعيز.

*الروايات الشفوية* ؛ *رسالة* (مخطوطة خاصة).

**الفكيكي، بلقاسم** بن **أحمد** بن أحمد بن محمد بن الحاج موسى العثماني الزناكي دارا ومنشأ الفاسي أصلا. هكذا يقدم نفسه في كتاباته، تلقى علومه في معاهد زناكة وفي زاوية بني عبد الجبار بقصر المعيز، على يد رئيسها وذؤابتها محمد بن أحمد بن الصديق.

كان من النبهاء البارزين في علوم اللغة والنحو، مع التضلع في علوم الفقه، وكأغلب رجال العلم بفجيج تعاطى المترجم نساخة الكتب، ومثال ذلك :

- حاشية أبي النجاء المصري على شرح الأزمري (ت. 905 / 1500) للأجرومية.
- شرح البردة للأزهري أيضا، سماه : الزبدة في شرح قصيدة البردة، فرغ من نسخها يوم الخميس عشية عند غروب الشمس 14 ذي القعدة 1291. وهما معا في مجموع (خاص).

ولعله توفي في نهايات القرن الثالث عشر أو بدايات الرابع عشر.

*وثائق مخطوطة* (خاصة) ؛ *حاشية أبي النجاء وشرح البردة* (مجموع خطي خاص).

**الفكيكي، بوزيان** بن **أحمد** بن محمد بن محمد... ابن عبد الجبار. قاضي الجماعة بفجيج، ومفتيها، وخطيب جامعها الأعظم. لا ذكر له في كتب التراجم والرجال، ولد حوالي 1150. من شيوخه خاتمة المحققين أحمد بن عبد العزيز هلالي (ت. 1175 / 1761)، ومحمد بن عبد الرحمن بن عمر التواتي. أخذ علوم الظاهر والباطن على الشيخ أحمد التجاني مباشرة (ت. 1230 / 1815).

وصفوه بالعالم النحرير، اللوذعي الكامل، الفقيه النبيه، البركة الإكسيرية... إلخ.

توفي عام 1209 / 1794 . وبقي من آثاره مجموعة معتبرة من الأحكام القضائية، والفتاوى، ونظم فاتحة مختصر خليل، ومطلعه :

قال بوزيان هو ابن أحمدا    نجل عابد الجبار المجدا...
سميته ياقوته اللوامع    لمن يريد النفع كي يطالع

*أحكام وفتاوى* (مخطوطة خاصة) ؛ *ياقوتة اللوامع* (بقي منها الصفحة الأولى).

**الفكيكي، بوفلجة** بن **عبد الرحمن** بن يحيى الجمالي، ولد في بداية السبعينات من القرن التاسع عشر. من كبار تجار فجيج ووجهائها خلال النصف الأول من القرن العشرين، كان على رأس مؤسسي المدرسة الحسنية عام 1947. وهي المدرسة التي بذل المترجم مجهودا عزيزا في رعيها حتى خرجت أجيالا من المثقفين النبهاء والمواطنين الصالحين.

تعرض لمضايقات عديدة من طرف المستعمر، ونفي سنة 1953 إلى مدينة وجدة حيث وضع تحت المراقبة، ولم يعد إلى فجيج إلا في نهايات 1955.

توفي سنة 1959.

العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائق ومعالم* ؛ محمد بوزيان بنعلي، *بيوتات العلم والأدب.*

**الفكيكي، بومدين** بن **أحمد** بن مرزوق، رجل سياسة وزعامة، محنك أريب، من كبراء قصر زناكة وأعيانها. تولى قيادة هذا القصر في مرحلة حساسة ودقيقة جدا، بظهير حسني نصه : "خدامنا الأنجاد جماعة زناكة كافة من قبيلة فجيج، وفقكم الله، وسلام عليكم، وبعد، فقد ولينا عليكم أخاكم خديمنا الحاج بومدين الزناكي، وأسندنا إليه النظر في أموركم، فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الأمر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم، ووفق الجميع بما فيه رضاه، والسلام". في 3 ربيع الثاني عام 1307 / 1889.

العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائقه ومعالم.*

**الفكيكي**، أبو **حامد** محمد الفكيكي نزيل فاس، لم يترجم له أحد ـ فيما نعلم ـ وسنحاول أن نصنع له ترجمة من كتابه "*مفيد الفوائد في خير العوائد*" بعدما حصلنا على مصورة من أصله المخطوط ببطرسبورغ في روسيا. ونبدأ من التحلية المثبتة غلافه : ... الفقيه الأجل الزاهد" لنؤكد أنه كان فقيها متمرسا وصوفيا صالحاً. ومن أخباره في هذا الكتاب أيضا أنه فكيكي أمازيغي قح، ولكنه لا يعتز إلا بالعروبة والعربية حتى إنه جعلها حسبه ونسبه : (وكتابي هذا بحمد الله تعالى ما جعلت نصوصه إلا باللسان العربي كيلا أخرج عن نسبي وحسبي ... فتركت لذلك لسان زناتة).

عاش في عصر الموحدين مشاركا ومؤلفا في كثير من العلوم وخصوصا الكيمياء وعلم الأحجار وخصائصها، موضوع هذا الكتاب والرسائل الخمس الملحقة به. ويلوح من الرسالة الثانية، وهي عبارة عن منظومة من صفحتين ـ أن اسمه قاسم بن نصر، وأنه اشتهر بين الأصحاب والعلماء بـ "محمد المغربي" شهرة أنستهم أصله وفصله :

| | |
|---|---|
| نظمتها يا ماح في عـــش درج | أرجو بها من مالك الملك الفرج |
| من نظم قاسم بن نصر المغربـي | محمد المشهور بين العـــــرب |

وأنه فرغ من نظمه عام 577 / 1181 ـ 1182 كما أشير إليه بحساب الجمل "عشر درج" أي في زمن السلطان يوسف بن عبد المومن الموحدي.

ويلوح أيضا أن منزلته في بلاد يعقوب المنصور كانت رفيعة جداً، فهو الذي انتدبه لتأليف هذا الكتاب "أما بعد، سألني من أسبغ الله نعمه على الأقطار السعيدية إلى مفرق أرض المهدية ... مولانا السلطان يوسف ... أن أجمع له مصنفا شريفا، وموئلا طريفا، جامعا لفوائد جمة، محتويا على أمور مهمة ... وخدمت به الخزانة السامية ... وجعلته كالخادم بين يديه".

أما شيوخه فقد ضرب إلى أنهم كثيرون ومتضلعون وان لم يذكر إلا اثنين هما مثله هَيَّانَ بن بَيَّانَ في كتب التراجم ومعاجم الرجال وهما :

ـ إبرهيم بن يوسف بن أحمد المراكشي الشهير بالسكاج، حلاه بإمام عصره في الدين والتقوى وأكد أنه كان من الأعلام الأفذاذ في الكيمياء، وأن تجاربه وطرقه تقع موقع الحقيقة.

ـ أحمد التازي : عده من أساتيذه في علوم الحكمة ولم يزد على ذلك.

ونستبين من مقدمة المؤلف أنه أخضع كتابه لمنهج غاية في الصرامة والضبط والدقة حتى يتحقق به الهدف الأسمى، ويكون به عند حسن ظن الخليفة، ولا تعجب بعد هذا إن هو طالع على كتابه أكثر من ألف كتاب، ومائتي كتاب في هذا الفن، واجتمع بعلماء هذه الصناعة من الجم الغفير.

ونستبين منها أيضا أنه كان معتزا بكتابه ضنينا به، فهو عنده "سيد كل كتاب لأني بينت فيه غاية البيان، وجعلته هداية للحائر، ومحملاً للسائر، هذبت نصوصه وألفاظه، كيلا يغمض مطالعه دون تفهم ألحاظه ... جمعت فيه الأصح المعتبر، ونزهته عما تضمنه غيره من الكتب المشتملة على العجر والبجر، لكني حذفت منه الأساتيذ، خشية التطويل البعيد ... أقدمت فيه على ما لم يقدم عليه غيري من المصنفين، وبينت فيه ما يحل رموز الحكماء السالفين ...".

والذي يستوقفنا في الكتاب تكتم صاحبه وتحفظه وحرصه الشديد على ألا يتجاوز نخبة معلومة من أهل العلم والفلسفة وصناعة الأكسير، معللا ذلك بقوله : "واعلم أن مبنى هذا العلم على كتمان السر، وصون العمل عن أعين الأغيار، فهذا شرط لازم ذُمَّ من ترك العمل به ... واعلم أن الحكماء يشيرون إلى أشياء غامضة صعبة المنال، عزيزة المأخذ من التعمية القادحة المستورة عن الجهال، ومن لا هو منهم كيلا يفسد نظام الدنيا فتتعطل الأحوال، فلو علمها كل الناس على الأمر الذي ينبغي وأصابوا، حصل الخلل في الدنيا إذ لا يبقى الحائك حائكا، ولا الحداد حدادا، ولا النجار نجاراً، ولا الحراث حراثا، ولا الزراع زراعا ... أعزها عن الولد الوالدُ خيفة الوقوع في المحظور، وكيلا ينشأ علمها وعملها بين الناس، لأنها سبيل الأكياس، فوضعوا عليها الرموز البعيدة المرمى، فكأنها العنقاء أو بيض الأنوق".

ويقدم تعليلا آخر مفاده أن هذا العلم الجليل يقوم في كبره على التجارب واستعمال مقادير محددة ومركبات معينة لتحويل مادة إلى أخرى أو معدن إلى آخر، فلا بد ـ إذن ـ في تقدير الأخلاط وتدبيرها من دقة واستفاء، ولا سبيل إليهما إلا مع أمانة ولا أمانة إلا مع إيمان راسخ ينزه صاحبه عن الغش الذي لا يرضاه الله ولا رسوله ولا الناس، وإنما هذا من عمل اليهود ـ لعنهم الله ـ حتى يتلفوا المعاملة على المسلمين ويضرب في موضع آخر إلى ما لحق أهل الورع والزهد من غبن اجتماعي مشين، فيقول : "والذي حملني على ما سيذكر (أي تدبير معادن العامة) أحوال أهل عصري من الفقر المستحقين، فإني شاهدت كثيراً من أهل الدين والتقوى اضطروا إلى سؤال الغمرة الأغبياء في أمر المعيشة من الضنك والضيق الذي أحاط بهم سرادقه، فأحببت أن أذكر في هذا الكتاب ما به السعة والراحة للطلاب ...".

والحقيقة أن لهذا الكتاب النادر قيمة علمية وأدبية وتاريخية ليس هذا محل بسطها، وهو - كما أسلفنا - صدر لأربع رسائل لا خمس كما ثبت على الغلاف لأن الخامسة مكررة) هي كما يلي :

مجمع المجربات في تسهيل المستصعبات وقد سماها كتابا، وأعيد نسخه منذ ص. 195 تصغيرة نافعة، منظومة من صفحتين.

مجموع في علم الصنعة.

كتاب خير مجموع في حسن مصنوع.

بقي أن نعترف بصعوبة تحديد سنة وفاة الكيميائي المتميز، والمؤكد أنه كان على قيد الحياة عام 593 / 1197.

أبو حامد الفكيكي، *مفيد الفوائد في خير العوائد*، نسخة مصورة في ملك الأخ أفضل حاجة).

**الفكيكي، أبو زيان** بن هقَّة. فقيه عدل مؤثق، موسوم بالضبط والنزاهة، من أحسن الناسخين الفجيجيين خطاً، حسبما شاهدناه في منسوخاته ومنها :

- تقريض (كذا) المسامع بشرح الكتاب الجامع : وكان الفراغ منه عصر يوم الثلاثاء الثاني من المحرم الحرام فاتح سنة اثنين وتسعين ومائتين وألف ...

ولم نقف له على أخبار بعد هذا التاريخ.

*وثائق عدلية*، مخطوطة ؛ *تقريض المسامع*، مخطوطة خاصة.

**الفكيكي، زينت** بنت إبراهيم بن حسون السليمانية، صالحة فاضلة، عاشت في النصف الأول من القرن الحادي عشر. من مريدات الشيخ الصوفي عبد القادر السماحي (ت. 1025 / 1616). أخذت عنه السر والعهد.

شهدت على وثيقة توكيل قبض صداق رقية بنت السماحي من مطلقها أحمد بن أبي محلي عام 1019 / 1610. وشهدت معها عمتها : فضيلة بنت حسون، وعلّ بنت علي بن رحمون.

أحمد بن أبي محلي، *مهراس رؤوس الجهلة*، ص. 225 (م خ ع 192 ك).

**الفكيكي، سليمان** بن أبي **سماحة** البكري، يرتفع نسبه إلى أبي بكر الصديق. ترك موطنه مراكش بحثا عن شيوخ العلم والتربية الروحية، فأقام مدة بفاس، ثم جاز إلى غرناطة، وتحول بعد سقوطها إلى المغرب الأوسط، فلقي مربي المريدين الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي (ت. 927 / 1521) ولزمه طويلا حتى صار من مذابيحه السبعة.

ألقى عصا التسيار بقصر الوداغير من فجيج حيث تولى إمامة المسجد العتيق، وتصدر للإقراء به، وفي أخريات حياته توجه إلى قرية بني ونيف (تبعد عن فجيج حوالي 6 كلم) فأنشأ بها زاوية صغيرة تعد النواة الأولى لزوايا آل سيدي الشيخ، وبقي هناك إلى أن وافاه الأجل المحتوم عام (946 / 1539)، فدفن بمقبرة الوداغير قرب روضة الولي الصالح عيسى بن عبد الرحمن الوتدغيري، وذلك بوصية مكتوبة.

كان ذا شمائل يتنافس فيها أصلح الصالحين، ونموذجا يقتدى به في الفضل وحب الخير، حتى قال فيه ابن أبي محلي : "لا يسمع عنه من الخير إلا ما يطيل جيده، ويرتفع به بنده".

أما خظه من العلوم فيكاد يكون محصورا في التصوف والفقهيات، وشيء من شعر المديح الديني يتحرك في روعه كلما أطل شهر ربيع، فينساب زجلا يجمع بين الرقة والضعف. ولكنه باق إلى الآن يتلى في نفس المناسبة.

ابن أبي محلي، *مهراس رؤوس الجهلة*، م خ ع 192 ك ؛ العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائق ومعالم*.

**الفكيكي، سليمان** بن محمد بن **محمد** بن محمد بن سعيد من أشهر رجالات الونشريسيين بفجيج، وأغزرهم علما وأوسعهم اطلاعا، تتلمذ على الإمام عبد الجبار في زاويته قبل أن ينشئ بدوره زاوية بقصر الحمام، شع ذكرها، وتخرج منها أفواج من أصحاب العلم.

كان قاضيا ومفتيا، ومدرسا ومحدثا. ومن كثرة ما كان يكتب صار خطه معروفا لدى عدد من أهل العلم المتأخرين، قال العلامة أحمد بن العربي بن رحو في ذلك : "تكرر لدينا خطه في كتبه قالها عارفا ومعرفا به أحمد..." ومما نسخه :صحيح البخاري، فرغ منه في تاريخ 22 محرم 954.

ولم نسمع عنه أخبارا بعد ذلك التاريخ، والغريب أن زاوية الونشريسيين خفت ذكرها نهاية القرن العاشر.

*وثائق مخطوطة* (خاصة) ؛ صحيح البخاري (نسخة خطية خاصة).

**الفكيكي، الشادلي** بن **حمادي** بن محمد بن عبد الجبار، المعروف لدى العامة بسيدي الشادلي، وقبره مشهور تحت قبة جنائزية بيضاء تستقبل الزائر أول خروجه من البوابة الشمالية من قصر المعيز.

ولي صالح، من مريدي السماحي. ويظهر من مراسلاته أنه بلغ شأواً محموداً في طريق القوم والمجاهدة والسلوك، وانفرد بأتباعه ومريديه يخدمون ويجددون به العهد، ويستمنحون خيره وفضله.

توفي قبل عام 1056 / 1646 إذ ترحم عليه صاحب تقوية إيمان المحبين المؤلف في ذات التاريخ.

*رسائل خطية* (خاصة) ؛ أحمد السكوني، *تقوية إيمان المحبين*.

**الفكيكي، الشيخ** بن عدو مشراوي. مولده في العشرينات من القرن العشرين.

من أقطاب الحركة الوطنية الذين سجلوا أسماءهم بمداد الفخر والاعتزاز في تاريخ المقاومة بفجيج، غداة انطلاق شراراتها الأولى. مثقف، متوقد الذكاء، سديد الوعي،

متسامح، كان رجل تربية يتميز بأسلوب بسيط وفعال، لازال يتذكره كل من درس على يديه في المدارس الرسمية، ومدرسة النهضة المحمدية والمدرسة الحسنية.

ولأنه كان من أقطاب الحركة الوطنية ـ كما سبق ـ فقد وضعه المستعمر نصب عينه، وأخذ يضيق عليه المسالك منذ الأربيعات، ثم عومل معاملة وحشية فعذب وسجن ونفي، وتحمل ما لا يتحمله أعتى الأقوياء رغم ضآلة بنيته الجسدية.

وذكرياته مع الاستعمار، ومواقفه الصلبة لايزال صداها يرفرف فوق أسماع مجايليه وتلامذته، فيرتد عبارات زاهية من الإكبار والإعجاب.

*الروايات الشفوية.*

**الفكيكي، عبد الجبار** بن **أحمد** بن موسى بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله البرزوزي الورتضغيري الفجيجي بجيمين بربريتين. هكذا قدمه تليمذه الأعلى به عيناً، أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي حين لقيه بتلمسان عام 895 / 1490 ، قبل أن ينغمر في مقاربة منزلته العلمية والسلوكية بسلسلة من التحليات الجليلة، فهو في نظره : "سيدنا وشيخنا، وبركتنا ومفيدنا، الإمام الأستاذ، المقرئ، العلامة، المحقق الجليل، الراوية، المرشد الناصح، الخطيب، القدوة، الحجة، الحاج الرحال، الصدر الجليل، العالم الصالح، العارف المجيد، المجدد ..." [ثبت 380 ـ 398] ، وقال فيه ولده مَحمد :

غرائب علم، ثم حلم، وحكمة حواها، ولو سارت بها العيس تَحَلَّت
يسرك مظلوما، ويرضيك ظالما كريم إذا لاقيته بالمودة

فمن يكون صاحب هذه المواصفات العظيمة ؟

ولد الإمام عبد الجبار حوالي عام 820 / 1417 ، في أسرة مشهود لها بالعلم والصلاح، ولئن كنا لا نعلم شيئا عن تفاصيل حياته العلمية الأولى، فلقد عرفناه في فاس طالبا نجيبا ألمعيا بشهادة شيخه أبي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن حمامة الأوربي النيجي (ت. 887 / 1482) الذي أجازه عام 842 / 1439 ، جميع ما يحمله عن شيوخه من قراءة وسماع ومناولة. في مجلس علمي وقور حضره نخبة من شيوخ هذا الطالب كالشيخ عبد الرحمن القرموني (ت. 864 / 1460 ) وأحمد بن سعيد الحباك (ت. 870 / 1466 ) وشيخ الإسلام محمد بن قاسم القوري، (ت. 872 / 1462) وخطيب جامع الأندلس علي بن عبد الرحمن الأنفاسي (ت. 860 / 1456) وسواهم (الإجازة في رق غزال : مخطوطة خاصة).

وليس لنا أن نعدد كل شيوخه، فهم كثيرون جداً في فاس، وتلمسان ووهران وبجاية، وتونس، وطرابلس وتاجورا، ومصر، ومكة والمدينة ... ذكر بعضهم في تفسيره، وبعضهم في فهرسته، واحتفظ ببعضهم الآخر الوادي آشي في ثبته، ومنهم من له في سماء العلم طالع لمّاع كابن مرزوق شارح البردة، وقاسم العقباني الحافظ الحجة، وإبراهيم التازي قطب المتصوفة، وأبي الحسن القلصادي آخر أئمة الأندلس، وتقي الدين الشمني شارح المغني، وجلال الدين السيوطي المجتهد المشهور ... الخ.

هؤلاء هم الذين استمد منهم الإمام عبد الجبار مواصفاته السابقة، ونقلها بدوره إلى عدد كبير ممن تخرجوا على يده كالوادي آشي، وأولاده الثلاثة، وأحمد بن محمد بن مرزوق الكفيف، وأبي الحسن العقباني، وأبي القاسم أزروال...

وإلى جانب تصدره للإقراء، تولى المترجم خطتي القضاء والفتوى في بعض المراكز العلمية التي تردد عليها. واشتغل بالتأليف، وقرض الشعر. من ذلك قوله في إحدى مولدياته.

لقد عاد عيدك باليسر أحمد بيمن وبشر وبالسعد الأسعد
بطه البشير النذير الشفيع بيسن مذ مذ سميت يا أحمد
ملأت الوجود بجود أثيل ونوديت رفعا بوصف ممجد

ونذكر من مؤلفاته ما يلي :

1 ـ مختصر حياة الحيوان : اختصر فيه كتاب حياة الحيوان لأبي البقاء محمد بن موسى الدميري المصري (ت. 808 / 1405 ) وأفصح عن منهجيته وتاريخ تزليفه بقوله : "انتهي ما قصدت من اختصار حياة الحيوان بلفظه غالبا، وبمعناه تارة، وبتقديم في بعض، وتأخير في بعض. وكان الفراغ منه عشية الأربعاء في شهر شوال عام أربعة وتسعين وثمانمائة ..."

ومنه نسخ خطية في الخزانة الحسنية والخزانات الخاصة بفجيج والرباط ودبدو. وقد قام بتحقيقه الأستاذ الشاعر بناصر جباري، وهو قيد الطبع.

ـ الفهرست : ترجم فيها حياة مشايخه ذاكراً أسانيدهم، ومروياته عنهم، وإجازاتهم له. ومكان لقائهم وما إلى ذلك مما يتصل بمسيرته العلمية. وقد كانت متداولة إلى عام 1251 كما أكد أحد الناقلين عنها، وهي الآن ضائعة.

ـ مختصر تفسير القرطبي : سماه مختصر الجامع لأحكام القرآن، وألفه بعد عام 897 ، في إثني عشر جزءاً، وبسببه ذاع صيته لتنوع معلوماته، وعمق استدراكاته حتى أن المرحوم محمد حجي اعتبره أهم تفسير في عصره، ويعضده كثرة الإشارة إليه، والنقول عنه في عدد من التآليف والكنانيش، ومبالغة المطلعين عليه في تقريظه كالهشتوكي في هداية الملك العلامة وابن ناصر في الرحلة الكبرى. ولم يبق منه الآن إلا أضابير تبلغ 750 ورقة.

ويذكر الدكتور محمد عابد الجابري أن المستشرق الفرنسي جاك بيرك حدثه في لقاء معه خلال ندوة بواشنطن في أبريل 1982 أنه (أي بيرك) يتوفر في خزانته بفرنسا على عدة مخطوطات لسيدي عبد الجبار، وقال : إنها مهمة جداً، وإنه ينوي تحقيقها عندما يسمح له الوقت بذلك، وقد مات جاك بيرك قبل أن يفعل.

توفي الإمام عبد الجبار عام 918 / 1512 ، بعد حياة فياضة بالعطاء الفكري المتميز جعل منه بحق مؤسس الصرح

الثقافي في فجيج بإنشاء خزانة كتب عظيمة، ومعهد علمي لم يتوقف نشاطه إلا في أخريات القرن التاسع عشر.

أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، *ثبت*، تح. عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 ؛ محمد بوزيان بنعلي، *فجيج أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي*، دار النشر الجسور، وجدة، 2000 ؛ *وثائق خاصة*، إجازة النيجي للمترجم، إجازة التازي للمترجم.

**الفكيكي، عبد الحق** بن **محمد** بن عبد الحق السكوني. شهيد الحق والعدل، من أشهر فقهاء فجيج خلال النصف الثاني من القرن التاسع وبدايات العاشر الهجري. انتصب للقضاء فكان ـ كما وصفه أبو القاسم الفجيجي ـ "صادعا بالحق الملائم ولا يخاف في الله لومة لائم". عدا عليه أحد السفهاء حوالي 920 / 1514، فاغتاله بعد إصداره حكما لم يصادف هوى في قلبه المريض، وقد رثاه صديقه إبراهيم بن عبد الجبار بقصيدة لامية مطلعها :

تغيرت البلاد واحلو لك الليل وشب ضرام الشر وانهمر السيل

وآن الرحيل من بلاد تأمرت بها المفسدون واستمر بها الهول

ومنها :

فتكتم بعبد الحق لا درّ دركم على قوله للحق، وهو له أهل

هنيئا له نيل الشهادة منكم وويل لكم من حاكم حكمه العدل

أبو القاسم بن مَحمد بن عبد الجبار، *الفريد في تقييد الشريد*.

**الفكيكي، عبد الرحمن** بن **محمد** بن أبي بكر السكوني، من أهل القرن العاشر الهجري (16)، توفي في حدود 980 / 1572، فقيه متأدب، وصاحب التائية المشهورة في فجيج حول نقد الأوضاع الاجتماعية المنحرفة، قدم لها بمقدمة رائعة أشار فيها إلى معاناته منها قوله : "... وكنت ممن ضغطوه بالظلم والفجور، واستوطأوه بالغم في الورود والمرور، واستهانوه بالضيم في مهمات الأمور، فأعرضت عنهم إعراض المستهام العديم الناصر، وتغافلت عنهم تغافل المتغيظ الباسر، وتعاميت تعامي من استبان له أن الرابح منهم أقل من الخاسر، ثم نهضت بعده نحوهم نهوض المنتعش الكاسر، وانتفضت انتفاضة المتعسف عن وجه التحاجج جاسر... ولم يكن بآلة الحرب استلامي، بل بفطنة العقل وأدب الفكر ورصافة كلامي..." ومطلعها :

حمدت إله الخلق رب البرية بما هو أهل عاقد الأحدية

ومنها :

زمانا كظمت الغيظ عنهم ولم أفُه بما يوجب التلويث منهم بقولة

وإني وإن آثَمْتُ سيف قتالهم فسيف لساني فيهم الآن سُلّت

ومجموعها : 187 بيتا.

العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائقه ومعالم*.

**الفكيكي، عبد العزيز** بن أبي **زيان** ابن رحو، من ذرية الإمام عبد الجبار، فقيه جليل عارف. مجاهد في سبيل الله. أرخ ابن أخيه أحمد بن العربي وفاته قائلا :

"ومات عمنا الفقيه الأجل مولاي عبد العزيز في الجهاد الذي وقع في وهران في زمن الباي محمد وأخرج الكفار منه، وهي بيد الترك إلى أن دخل الكافر مدينة الجزائر في سنة 1245 / 1830 أعادها الله للإسلام، ولم أقف على السنة التي مات فيها" ثم عاد فقال : "وقفت عليها بعد ذلك وهو عام 1205 / 1790.

*مخطوط رقم 56* بخزانة الإمام عبد الجبار.

**الفكيكي، عبد القادر** بن **سليمان** بن محمد بن عبد الجليل. من أكبر فقهاء فكيگ علما واطلاعا وإحاطة بالمذهب، وأحسنهم قدرة على الحجاج والاستدلال، حتى إن أهل الحل والعقد في جميع القصور الفجيجية اختاروه ليرد على رسالة الجنرال ليوطي، وموضوعها : طلب الصلح وإعادة النظر في الإجماع الفكيكي على تحريم التعامل مع المستعمر، فجاء جوابه حكيما صريحا وطنيا، خلاصته : أن لا مفاوضة بيننا، إذ نحن رعايا سلطان دولة يجب أن يتوجه إليه الخطاب لا إلى غيره.

زاول خطة العدالة، ثم تقلد القضاء والفتوى والإمامة.

توفي حوالي 1322 / 1904، تاركا عددا من الفتاوى والأحكام.

*وثائق ومراسلات* (مخطوطة خاصة).

العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائقه ومعالم*.

**الفكيكي، عبد القادر** بن **محمد** بن سليمان بن أبي سماحة. البكري الصديقي نسبة إلى أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ولد بالشلالة الظهرانية عام 940 / 1533. وبفجيج أخذ العلم عن مشايخها الأجلة كأبي القاسم بن مَحمد بن عبد الجبار وعبد الرحمن السكوني، ثم تحول لملازمة شيخه في التربية الروحية والمجاهدة الصوفية محمد بن عبد الرحمن السهلي.

اشتهر ـ رحمه الله ـ بتوقد الذكاء، وحضور البديهة، وحدة الخاطر منذ طفولته، واشتهر في كهولته متصوفا شاذلي الطريقة في مشرق المغرب وغربه، وفي مصر والشام والحجاز، ومكنته هذه الشهرة من الاتصال بالملوك السعديين والوزراء والمشايخ والعلماء وأصحاب المكانة المرموقة، وكانت زاويته بفجيج قبلة نفر كبير من المريدين وطلاب السر والطريقة. ومن أشهر الطارئين عليها أحمد بن أبي محلي الذي انشرح صدره لسر صفائه القاطع لكل خاطر مريب، وتبين زبده الأصفى من لين الخاصة فصاحبه مدة، وصاهره مدة، ثم لبس له جلد النمر، فعرض به وشنع عليه في مقالات وقصائد ومصنفات مثل منجنيق الصخور، ومهراس رؤوس الجهلة، والسيف البارق مع السهم الراشق .. وكلها تعكس بعض نفايا الصراع الضاري الذي نشب بينهما : وممن طرأ عليها أيضا في أخريات القرن العاشر.، وأشاد بسمت الشيخ وكرمه ونبله وحسن شيمه الرحالة يوسف بن عابد بن محمد

الحسني الفاسي، ولأنه أقام بفجيج مدة مؤثرا في نسيجها الثقافي والاجتماعي سميناه فجيجيا.

وفي هذا الشيخ ألف أحمد السكوني كتابا خصصه لكراماته الباهرة، وفيه أنه توفي من جراء جروح أصيب بها في قتاله ضد الإسبان بناحية وهران، يوم الجمعة ثاني ربيع الأول 1025 / 1615 عن عمر يناهز خمسة وثمانين عاما، بمنطقة حدها العياشي في رحلته بأنها في منتصف الطريق بين كراكدة وأربا، ونقل بناء على وصيته إلى بلدة الأبيض سيدي الشيخ (نسبة إليه) حيث دفن يوم الأحد الرابع من نفس الشهر.

له تائية مطولة انخرط بها في سلك المتصوفين سميت بالياقوتة تارة وبالسلسلة تارة أخرى، ومطلعها :

بدأت بحمد الله قصدا لنجح ما أروم من استفتاح نظم قصيدتي
وأهدي صلاة ثم أزكي تحيــــة إلى المجتبى الهادي شفيع البريئة

كما له مقطعات شعرية وأذكار صوفية متفرقة، ورسالة إلى الأمير زيدان السعدي.

*مؤلفات* أحمد بن أبي محلي المشار إليها ؛ *الياقوتة*، تح. عبد الله طواهرية ؛ *رسالة السماحي إلى الأمير زيدان*، العربي هلالي ومحمدبوزيان بنعلي، *سلسلة تراث فجيج*، العدد 1 : 1903 ؛ يوسف بن عابد الفاسي، *الرحلة من المغرب إلى حضرموت*، تح. عبد الله محمد الحبشي وإبراهيم السامراني، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1993.

العربي هلالي ومحمد بوزيان بنعلي

**الفگيگي، عبد القادر بن محمد** بن عبد الله بن بوبكر (1875 - 1960)، الودغيري الإدريسي. من بيت علم وشرف، ينحدر من أسرة الشيخ عمر الفجيجي الوسمادني، عالم ومتصوف خريج مدرسة اسمارة للشيخ ماء العينين وزاويتها. ولد بقصر أولاد سليمان بفجيج حوالي سنة 1875. وقد عبر، بعد حفظ القرآن وقراءة مبادئ العلوم الدينية، عن طموحه لتنمية معارفه خارج موطنه، ونفذ تلك الرغبة حوالي سنة 1307 / 1889 بالتوجه إلى فاس. وإذا كانت رغبته في البداية لم تخرج عن الالتحاق بجامع القرويين، إلا أن اتصاله بالشيخ أحمد الشمس الشنكيطي، أحد أعلام الزاوية المعينية غير اتجاه رحلته العلمية. ومما ساعد على ذلك أن الطالب الشاب الفگيگي كان على دراية جيدة بشؤون البناء على عادة أهل فكيك، مما رشحه للتوجه إلى اسمارة ضمن مجموعة المعلمين البنائين الذين وجههم المولى الحسن إلى الشيخ ماء العينين للمشاركة في بناء المدينة وزاويتها سنة 1308 / 1890 لتكون مركز مقاومة للغزو الفرنسي الإسباني للصحراء المغربية. وقد اتفقت المصادر التي تعرضت لبناء مدينة اسمارة على أن رآسة البنائين كانت بيد المعلمين الحاج علي الوجدي وحماد بن علي الفاسي والحسين الوادنوني وعبد القادر الفگيگي.

بقي عبد القادر الفگيگي باسمارة في خدمة الزاوية المعينية والدراسة بها في نفس الوقت زهاء ثلاث عشر سنة، هذا موافق لتاريخ التحاقه باسمارة سنة 1890 وتخرجه منها سنة 1902. ونعلم أنه حاز رضى الشيخ ماء العينين إلى أن أصبح في مرتبة أحد أبنائه، ومن ذلك جاءت صداقته الحميمة مع أنجاله أحمد الهيبة ومصطفى مربيه ربه ومحمد الإمام، والنعمة، ومن كان معهم من الأحفاد أمثال محمد حجب بن الخضر والشيخ ماء العينين بن العتيق.

ويقول عنه هذا الأخير : "وقد تتلمذ على شيخنا باسمارة وصحبه مدة وجد في خدمته حتى صدره".

ونستدل على بقائه في اسمارة بالحصيلة العلمية التي استوعبها قبل تصديره إلى قبيلة قلعية من الريف الشرقي سنة 1320 / 1902 . ويلخص هذه الحصيلة الأستاذ ماء العينين بن العتيق في كتابه *الرحلة المعينية* بقوله : "كان صاحب أحوال وأشواق وهمة عالية، لاسيما في تحصيل الأسرار والحكم، خصوصا تآليف شيخنا ماء العينين... وظهرت عليه البركة الكثيرة وانتفع به خلق كثير، وأمره في بلده شهير".

كان الفقيه الفگيگي متمكنا بعلوم الفقه، باحثا في العلوم الدينية، ومشتغلا بنسخ كتب الشيخ ماء العينين ونجله مربيه ربه، فقها وأدبا. وجرت العادة بمدرسة اسمارة أن يكلل الشيخ ماء العينين جهود تلامذته بإجازتهم وتصديرهم. وهذا هو ما سلكه مع الفقيه عبد القادر الفگيگي، حينما قرر توجيهه إلى قبيلة قلعية بالريف الشرقي أواخر سنة 1902 ليصبح في خدمة الزاوية المعينية بالريف الشرقي.

كان للزاوية المعينية بقلعية حضور قبل هذا الوقت في شخص مقدمها محمد بن عبد السلام الويساني، وبتصدير الفقيه الفگيگي إلى القبيلة توفرت الزاوية على عالم في الشؤون الدينية سرعان ما علا صيته بها. وقد توجست سلطات الحماية بمليلة من تحركاته في مجال التوعية الدينية، ولم ينج من الملاحقة إلا بفضل توسط كل من محمد المصطفى بن إدريس بنيعيش بتطوان، وهو من مريدي الشيخ ماء العينين وتدخل الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين من تيزنيت.

ولم ينفرد الفقيه عبد القادر الفگيگي بتسيير الزاوية إلا في بداية الثلاثينيات، فأولى إجازة معلنة عن تعيينه مقدما للزاوية المعينية هي المؤرخة بيوم 28 جمادى الأولى من عام 1352 / شتمبر 1933، موقعة بطابع الشيخ محمد المصطفى امربيه ربه، يجيز له إعطاء الأوراد لمن شاء من العباد. وليس ما نسميه بزاوية عبد القادر الفگيگي بمنزله بأغمير من خميس بني بويفرور سوى مكان بسيط ملحق بمنزله خاص بعموم زواره الوافدين عليه في المناسبات المقتصرة على الأعياد الدينية، مما عايشه حفيده كاتب هذه الترجمة. يستقبل فيه محبيه ومريديه ووجهاء القبيلة ورجال السلطة الذين كانوا يفدون عليه طلبا للمذاكرة والاستشارة في قضية من القضايا الدينية. كان للفقيه عبد القادر الفگيگي اتصالات بمريدي الشيخ ماء العينين بالشمال المغربي بالمنطقة

الخليفية، مثل وزير الأحباس أحمد بن موسى وأسرة إدريس بن يعيش وأسرة عبد الكريم بريشة وغيرهم، يقوم بزيارتهم في أوقات معلومة من السنة، ونحتفظ ببعض المراسلات المتعلقة بتلك العلاقة الحميمة. توفي رحمه الله بالمدينة المنورة سنة 1961 بعد أن حقق له الله أمنيته الغالية في مجاورة الحرم النبوي.

صرف الجد عبد القادر الفكيكي وقتا طويلا في تثبيت المكانة العلمية للزاوية المعينية بالريف الشرقي، بدأه منذ تصديره باستنساخ مؤلفات شيخه ماء العينين وهو ما لازمه طيلة حياته، إذ أن خزانته كانت تحتوي على جميع تلك المؤلفات، وكان قد سبق له أن اشترى منه عددا. ومما حصلنا عليه من خزانة عبد القادر الفكيكي النسخة الأصلية من فتوى محاربة البدع الطرقية بقلعية، وهو تأليف ما يزال مخطوطا. كان رحمه الله مناهضا بشدة واستنكار للبدع الظاهرة بقبيلة قلعية على يد محترفي التصوف من الطرق الرائجة بالقبيلة، مثل العلوية والدرقاوية والعيساوية. حرر الفتوى سنة 1941 بعد طرح الموضوع للمناقشة سنة 1920 في جمع من الطلبة بحضور الشريف الحاج محمد (حم) القادري، شيخ زاوية ورك القادرية ببني شكر منذ 1918، وكان على نفس المذهب الصوفي واستمر خلال السنوات التالية إلى أن بينت مراسلة 23 قعدة 1341 / 8 يوليوز 1923 الصادرة من القائد عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري انتصار الفقيه عبد القادر الفكيكي على مناوئيه أرباب الطرق، فأذن له بإحياء الشعائر الدينية والسنة النبوية وإماتة حوادث البدعة الموسمية، حسب تعبير المراسلة الموجهة إليه، وهو إذن رسمي بمتابعة تنقية أجواء السلوك الصوفي.

ولعبد القادر الفكيكي فتوى لاتزال مخطوطة متعلقة بالسدل والقبض في الصلاة، يقول بالمناسبة :

"فقد كنت في عام تسعة وثلاثين (1339 / 1920) أسئل كثيرا عن حكم القبض في الصلاة، وكنت أجيب كذلك بأن ذلك لا حرج فيما هنا وهناك، لما رأيت ذلك من الخلافات، مع أني لم أفعله قط في النافلة فضلا عن الفريضة، ولا رأيت من أشياخي المعلمين والمربين من يفعله". لكن الداعي إلى الرد على تلك الأسئلة هو الرسالة التي جاءته من نائب الصدر الأعظم بالمنطقة الخليفية بالمنطقة الشرقية الحاج عبد القادر بن الطيب بتاريخ 27 ذي الحجة عام 1341 / 10 غشت 1923 ، للحث على الفصل برأيه في القضية. وكان الرد متضمنا لترجيح السدل على القبض بحجج فقهية وشهادات أشهر الرواة والعلماء في استعراض منهجي فياض وزاخر بالأقوال والأحاديث والأسانيد.

*وثائق حسن الفكيكي* ؛ *وثائق بوبشر الطاهر وبوبكري عبد القادر* ؛ اسمارة، *معلمة المغرب*، *1* : *442* ؛ *شهادات أسرة الشيخ ماء العينين* ؛ ماء العينين بن العتيق، *الرحلة المعينية* ، تح. محمد الظريق، الرباط، 1998 ؛ ضابط الأمور الوطنية، تطوان، 1952.

حسن الفكيكي

**الفكيكي، عبد الله** (عبو) بن **عبد الرحمان** الودغيري. ولد في نهاية القرن التاسع الهجري بقصر الوداغير من فجيج، ينتهي نسبه إلى الشيخ عبد الرحمان الودغيري، الجد الجامع للشرفاء الودغيريين الإدريسيين.

هاجر من فجيج في بداية القرن العاشر الهجري وهو في مقتبل عمره تاركا وراءه صبيه الوحيد محمد الملقب حمو وهو جد آل عبو الملقبين حاليا بهلالي، وبناءً على ما ورد في الوثائق المحلية وفي الأحياء والانتعاش في تراجيم سادات زاوية آيت عياش فإن عبد الله هذا هاجر فجيج إثر نزاع حاد بينه وبين أخيه زيان، فنزل أول ما نزل بمحامد الغزلان من وادي درعة، وكان حافظا لكتاب الله ملما بمختلف العلوم الدينية، عاملا بمقتضاها، يدعوا الناس للنهج القويم والطريق المستقيم، مما جعله ملحوظا محترما من العامة والأكابر على السواء. لم يطل به المقام كثيراً في المحامد، فقد التحق بخنق ملوان من الأطلس حيث استقر محبا ومحبوبا داعيا ومرشدا وموجها، فعلم القرآن ومبادئ الدين والتوحيد، وتلك كانت هي بداية انطلاق الزاوية العياشية أو الحمزاوية الشهيرة بجبل آيت عياش من دائرة ميدلت، برجالاتها وخزانتها العلمية والتي تبلورت بكيفية أكثر وضوحا في عهد حفيده أبي بكر بن يوسف، وبلغت أوج ازدهارها في عهد عبد الله أبي سالم العياشي بن محمد بن أبي بكر. وتوفي في بداية النصف الثاني من القرن العاشر الهجري مخلفا وراءه ابنه يوسف بملوان وكان حاملا لكتاب الله أيضا محبا لأوليائه وناهجا طريق والده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهو جد العياشيين أو الحمزاويين. أما ابنه محمد الملقب حمو والذي تركه وراءه بفجيج فقد تربى وترعرع في أحضان عمه الشيخ زيان الودغيري حتي أصبح مثالا للشهامة والكرامة، مما أهله لأن يصبح من أكابر شيوخ فجيج المبجلين (انظر رسالة الإمام أبي القاسم بن محمد بن عبد الجبار سنة 956، ومنه تنسل بفجيج أولاد عبو الملقبين بآل هلالي).

عبد الله بن عمر بن عبد الكريم، *الإحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية آل عياش*، خ ع 1344 د ؛ *وثائق العربي هلالي*.

**الفكيكي، عبد الله** بن **فريحة** السادات. بناء على عدد من القرائن نستطيع أن نحصر مولده في محيط 1195 / 1781. ثم نسكت عن تفاصيل حياته العلمية التي يظهر أنها تمت في معاهد فكيك دون غيرها.

استهواه علم الباطن منذ وقت مبكر من حياته، وانجذب إلى طريق القوم انجذابا غريبا، ولعل ذلك سبب القطيعة بينه وبين تلميذه أحمد بن محمد الراشدي الذي تأثر بالسلفية في فاس.

وتحت أبصارنا مراسلات بينه وبين شيخه مولاي العربي الدرقاوي (ت. 1239 / 1823 ) تؤكد أنه كان ينصحه بالتفقه في الدين ومعرفة فضل العلم، والأخذ بنصيب وافر من علم الشريعة، وأقله في الفقه رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وربع

العبادة من مختصر الشيخ خليل، والمرشد المعين لابن عاشر، وفي القرآن قراءة ورش. "نحبكم - أحبكم الله - أن تجمعوا بين العلمين الظاهر والباطن لتكون قدمكم على قدم الأنبياء عليهم السلام، وعلى قدم الصحابة رضي الله عنهم، إذ كانوا جميعا سكرى صحاة... إلخ".

ونلتقط من إشارة وردت في أحد ظهائر أنجاله أنه توفي في عهد المولى عبد الرحمن أي قبل عام 1276 / 1860.

*وثائق ورسائل وظهائر* (مخطوطة خاصة) ؛ محمد بوزيان بنعلي، *بيوتات العلم والأدب بفجيج*.

العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائقه ومعالم*.

**الفكيكي، عبد الوافي** بن **أحمد**، ينتمي إلى أسرة شريفة، يتصل نسبها بمحمد بن إدريس، تاريخ ولادته غير معروف، عاش في القرن العاشر (16 م)، وهو أشهر فرد من أسرة آل عبد الوافي. أسس زاوية صوفية متعددة المرافق، واستطاع بصلاحه وحسن سمته أن يضمن لها نشاطاً لفت اهتمام الملوك السعديين، فأصدروا في شأنها، وشأن صاحبها والقائمين عليها، ظهائر توقير واحترام، وهذا واحد منها : "... يستقر هذا المجدد الكريم، المنوط بالبر العميم، بيد المرابط الخيِّر الدين أبو محمد عبد الوافي بن أحمد الفجيجي وإخوته وأولاده، وولد أخته عمر بن عبد الرحمن الشريف، ومن لاذ به من الخدام المتعلقين به، ليتجدد له به حكم ما استظهر به من أوامر سلفنا الكريم المتضمنة احترام الجميع بالاحترام التام المطلق الشامل العام، حيث لا سبيل لمن يطوف بساحتهم، بضيم ولا باهتضام. رعيا لما هم عليه من خدمتنا، وما عرفوا به من محبتنا، تجديداً يطرد حكمه، ولا ينخرم بحول الله رسمه. ومن وقف عليه من خدامنا بالبلاد الفجيجية فليعمل بمقتضاه، ولا يخالفه أو يتعداه، ولابد والسلام. وفي ثالث ذي القعدة الحرام من تمام اثنين وتسعين وتسعمائة عرفنا الله بركته".

وكما لعب المترجم دوراً هاماً في تثبيت سلطة السعديين سلك أبناؤه وأحفاده من بعدهم نفس الجادة مع الدولة العلوية واجتهدوا في خدمتها حتى قال فيهم ظهير المولى إسماعيل 1101 : "... ومن طاف بهم أو بساحتهم أو بجميع من تعلق بهم من ذريتهم وخدامهم ... نحفر جذره، ونمحو آثاره، ونشتت شمله، وأخرجناهم من زمرة فجيج ... فتلك الزاوية زاويتنا، ولاسبيل لأحد عليها ... الخ". وبحوزة أحفاده الآن أزيد من 13 ظهيراً.

ولا نعرف لهذا المرابط مساهمات علمية، إذ يكاد ينحصر نشاطه في زعامته الروحية التي تعدى إشعاعها حدود المنطقة، وجهت حوله حشداً من المريدين والخدام.

وتجعل منه الروايات المتواترة مصلحا اجتماعيا من الطراز الرفيع. ووليا من الأولياء المتمسكين بالكتاب والسنة بعيداً عن شطحات بعض المتصوفة الذين عاصروه.

توفي قبل عام 1008 / 1599 ودفن بمقبرتهم الخاصة.

*شجرة نسب آل عبد الوافي*، مخطوطة خاصة ؛ *ظهائر التوقير الصادرة عن الملوك السعديين والعلويين*، مخطوطة خاصة ؛ العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائه ومعالم*.

**الفكيكي، العربي** بن **خليل** بن أبي غرارة من فقهاء الحمام السفلي، زاول خطة العدالة.

وكان بقيد الحياة عام 1183 / 1769.

*عقود وأحكام* (مخطوطة).

**الفكيكي، علي** بن **حمادي** بن الصغير بن علي بن عيسى. من أسرة شرف وعلم وورع، زاول خطة العدالة في بداية أمره، ثم صار ناظر المسجدين الكبير والعتيق بالوداغير، وسهر على تصريف شؤونهما بحكمة وحنكة حققت لهما أوفارا مستفيضة، وأوقافا كثيرة، جعلتهما من أغنى مساجد فجيج.

كان بقيد الحياة عام 1188 / 1774.

عقود *أحباس مساجد الوداغير* (خطية خاصة).

**الفكيكي** (سيدي -) **علي** بن **عيسى** بن محمد، من أهل القرن العاشر الهجري (16 م). ولي صالح، وعالم عامل، ذو نفوذ روحي مشع. أنشأ زاوية علم وتصوف بقصر الوداغير، وتصدر للتدريس فيها، ولاتزال تعرف بحي آل سيدي علي بن عيسى.

كما تولى الإمامة والتدريس في المسجد العتيق. لا نعلم تاريخ وفاته بالضبط، إلا أن قبره مشهور يزار، وعليه قبة جنائزية أعيد ترميمها مؤخرا على يد أحد أحفاده المهتمين بحفظ تراث الأجداد. وقد ترك ذرية وأحفادا كانوا على طريقته في العلم والصلاح.

*وثائق خطية خاصة* ؛ العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائق ومعالم* ؛ محمد بوزيان بنعلي، *بيوتات العلم والأدب بفجيج*.

العربي هلالي ومحمد بوزيان بنعلي

**الفكيكي، عمرو** بن **محمد** بن **علي**، مدرس ومتصوف، من أحياء مستهل القرن التاسع الهجري. ينتمي إلى الأسرة الادريسية المستقرة بفجيج منذ القرن الخامس الهجري. ونسبه ارتباطه بالوافد عبد الرحمن الودغيري معروف. ففي قصر الوداغير نشأ وتلقى تكوينه الأولى، بينما لا نعرف عن تكوينه إلا على خارج فگيگ شيئا، على الرغم من أنه أمر جد متوقع فهذا ما توحي به شهرته المبكرة بالقصر المذكور، حيث أصبح إثر عودته من رحلته العلمية خطيبا بالمسجد العتيق خلال مدة لا نستطيع تقديرها أو تحديد فترتها من شبابه. ونعلم بعد ذلك أن الشيخ عمرو انتقل من حي الوداغير إلى سكنى حي قصر آيت بارا، وهو جزء من قصر المعيز، حيث أضيف إليه لقب الوسمادني.

ولا يمكن إبعاد ذلك الانتقال عن عزم الشيخ عمرو

للمساهمة فيما كانت فجيج مقبلة عليه من التطور الديني والثقافي. ومن سمات ذلك التحول ظهور المعلمتين الأولين بقصر المعيز، المتمثلين في المسجد والزاوية اللذين وضع أسسهما الشيخ أحمد بن موسى البرزوزي خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري. وعلمنا بتولي الشيخ عمرو الوسمادني إمامة المسجد، والتدريس بالزاوية البرزوزية.

رلا ريب أن ما اضطلع به من النصح والهداية، سواء كان ذلك من منبر الخطابة بقصر المعيز، أو النزول إلى الساحة الميدانية لخدمة المجتمع الفگيگي بمحاربة البدع والمتفشي من بقايا المذهب الخارجي الإباضي خلال سنوات النصف الثاني من القرن الثامن الهجري كان استمرارا لعمل رفيقه الشيخ العالم أحمد البرزوزي. ويعد الشيخ عمر الفگيگي رأس الأسرة الإدريسية البوبكرية الفگيگية، التي منها عقب البوبكريين السليمانيين الفگيگيين، وأحدهم محقق التسلسل النسبي، كاتب هذه الترجمة.

ونعلم من جهة أخرى أن الشيخ عمرو الوسمادني كون أملاكه بالقصر المعيزي والحمام وبني ودرن، وبقي هو بمنزله بآيت برا إلى وفاته قبل سنة 829 / 1426. ودفن في بيته، حيث لا يزال ضريحه إلى اليوم مزارة مشهورة. والأثر الموثق الوحيد الذي تركه لنا الشيخ عمرو الوسمادني الذي أضيفت إليه كنية المعيزي هو رسم التحبيس والصدقة المؤرخ في ذي الحجة عام 829 / أكتوبر 1426، وهو مصدرنا الأساسي في التعريف به وبنسله. تم تسجيله بعد وفاة الشيخ، اعتمادا على ما ذكره نص العقد من الترحم عليه أولا، ومن حيازة المستفيدين أقساطهم ثانيا.

أ. مزيان، *فجيج، مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر*، الدار البيضاء، 1988 ؛ بنعلي محمد بوزي، *واحات فكيك* ؛ العربي هلالي، *فجيج، تاريخ ووثائق ومعالم* ؛ *وثائق البوبكريين* ؛ *وثائق حسن الفگيگي* ؛ ح. الفگيگي، *مشروع كتاب عن البوبكريين الفجيجيين*، مرقون.

حسن الفگيگي

**الفگيگي، فاطمة** بنت عبد الله. والدة الفقيهين المتصوفين أحمد بن رحو وأخيه إبراهيم، من ذرية الإمام عبد الجبار، ملأت وقتها بالعبادة، صالحة عريقة في الفضل، تيجانية الطريقة، بينها وبين أحمد التيجاني مراسلات.

توفيت على الأرجح في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

محمد بوزيان بنعلي، *بيوتات العلم والأدب بفجيج*، ص. 129 - 130.

**الفگيگي**، أبو **القاسم** بن **أحمد** بن زيان، من ذرية الشيخ زيان بن محرز أحد فروع شرفاء وتدغير. ولد حوالي 1235 / 1819. وباقي المعلومات عنه تستقى من كتاباته، تتلمذ على خيرة علماء فجيج وأساتيذها كالإمام أحمد بن محمد الراشدي، والعلامة محمد بن أحمد بن الصديق اللذين كان يمدحهما بأروع شعر، كقوله في رائيته التي خاطب بها الراشدي (طويل) :

لقد كان هو والسري نظيره ... محمد الصديق بحراً سقى بحراً
يدان لدين قل يمينا ولا تقل ... لإحداهما اليمنى ... وأخراهما اليسرى

زاول في بداية حياته العملية خطة العدالة، ثم تولى القضاء والفتوى، وارتقى في العلم والأدب حتى صار أشهر من علم على نار.

توفي سنة 1323 / 1905 . وخلف وراءه ذخيرة مفيدة وقيمة من الفتاوى والرسائل والأحكام والخطب والقصائد التي شهدت له بجودة قريحته، وحسن سبكه، من ذلك عينيته في مدح مولاي عرفة (أخ السلطان مولاي الحسن) رئيس الوفد الذي قدم إلى فجيج عام 1301 / 1883، للوقوف على مشاكل الحدود، ومطلعها :

أكهف الورى مهما تعذر مفزع ... بقيت بعون الله في العز ترتع
نشرت جلال الدين بالعدل قائما ... وقومت دين الله لازلت ترفع
وأصبح هذا القطر يزهو مسرة ... عليه جمال من جمالك يلمع
ومازلت في تشبيه نورك حائراً ... ولم أدر في تمثيله كيف أصنع ...

*قصائد وفتاوي* للمترجم، *مخطوطة خاصة* ؛ العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائق معالم*.

**الفگيگي**، أبو **القاسم** بن **مَحمد** بن عبد الجبار. نقدر استناداً إلى بعض القرائن أنه ولد حوالي 920 / 1514 أخذ العلم في زاوية جده على شيوخ كثيرين، منهم والده الذي أقرأه حرز الأماني (الشاطبية) قراءة تحقيق وتدقيق، وتلقى عنه كتب الحديث المشهورة كالبخاري ومسلم .. وشفا القاضي عياض بسنده المشهور، ارتحل إلى المراكز العلمية المورودة في المغرب والمشرق فلقي عدداً كبيراً من خيرة علماء الوقت جمع جلّهم تلميذه أحمد بن أبي محلي في كتابه *الإصليت* نذكر منهم - على سبيل المثال - عبد الواحد الونشريسي (قتل 955 / 1548) وعبد الوهاب الزقاق (قتل 921 / 1515) وأحمد العبادي التلمساني (ت. 985 / 1577) وعبد الرحمن التاجوري (ت. 960 / 1553) وناصر الدين اللقاني (ت. 958 / 1552) وأبا الحسن البكري (ت. 952 / 1545) وعلي بن عراق الكناني (ت. 965 / 1558)... الخ.

أما تلاميذه فكثيرون جدا، ولا سيما في فجيج وتلمسان ومراكش وفاس التي كان يطيل بها المكث حتى إن المنصور السعدي عهد في عام 996 / 1588 إلى واليه على فاس أن يعين له داراً تناسب مكانته، ومدرسة لقراءة من يقرأ من أولاده، وأرضاً طيبة لاستغلالها (ظهير خطي خاص).

تميز أبو القاسم بشخصية علمية موسوعية يمكن معها التأكيد على أنه أعظم رجل علم درج على أرض فجيج بعد جده الإمام عبد الجبار يشهد لذلك ما قيل في حقه من نعوت، فهو عند ابن أبي محلي : "محدث المغرب في وقته"، وعند الإفراني : "إمام عالم كبير. أحد المشاهير، ومن له الصيت في كل أفق ... ومدحه الشيخ العالم محمد بن الزبير بن عبد الرحمن بقوله :

لولا وجودكم الأعلي وريحته — لطار مغربنا في العلم بالعـــدم
من للبديع سواكم إنه تلـــف — مع الفرائض والحساب في ضرم ؟

وخاطبه الأديب العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن علي بن أبهلول فقيه ناحية زواوة والجزائر بقصيدة منها :

يبدي غرائب آيات الكتاب كما — من الحديث بلين خالص النـدر
قد سابق القوم في ميدان سبقهم — فحاز قصب استباق غير مفتخر

ويبدو من الأدبيات المتعلقة به أنه كان ـ أيضا ـ شخصية اجتماعية وسياسية وحربية ودينية واقتصادية .. فحضر مجالس المنصور السعدي .. وخاض معه معركة وادي المخازن .. وقضى .. وأفتى .. وعقد صفقات تجارية كبيرة .. وربّى الطيور .. وقنص بها .. ولا غرو بعد هذا أن يكون أكثر الفجيجين حظا في كتب التراجم المغربية.

ألف أبو القاسم في الحديث والفقه والأصلين (الدين والفقه) والمنطق والأدب، وأبدع شعراً ونثراً، لكن المصادر لا تذكر له إلا كتابه الموسوم بـ " *الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد*"، وهو من الشروح الأدبية المطبوعة المتداولة. وقد حاولنا في غمرة اهتمامنا البالغ بتاريخ فجيج أن نبحث عن غيره في الخزائن العامة والخاصة، فانتهى بنا البحث إلى ما سنركمه هاهنا :

ـ *الحاوي المنوط بالفتاوي* : وهو من كتب النوازل الفقهية المنبثقة من الحياة العامة، والمشكلات المستجدة داخل مجال فجيج بصفة خاصة. لم يبق منه إلا نقول كثيرة في وثائق الأحكام والفتوى مما يدل على أنه كان مصدراً هاماً لفقهاء فجيج.

ـ نظم اللآلئ الحسان : أرجوزة من (8500 بيت) نظم فيها مختصر الشيخ خليل، وهو نظم فريد سلس عذب على حد تعبيراً ابن ناصر في رحلته الكبرى. منه نسخة في الخزانة الحسنية رقم 1407، وأخرى بالخزانة العامة : د 2815.

ـ الحد المطرد في ضبط مصطلح فن المعتقد : منظومة في علم أصول الدين، نص على الهدف منها بقوله :

وبعد ، فالقصد بنظمي ما انعقد — عليه مصطلح فن المعتقـــد
سبكاً للفظ، أو لحَدٍّ قاعـــده — أو نكتة مسفرة عن فائــــده
قد ألف الأئمة الأجلـــــه — فيها تآليف حوت أدلـــه
ما بين منظوم ومنثور بسيـــط — لهم عليه، ووجيز ووسيـــط
فهذبوا الصفات والأسمــــاء — فارتفعوا لذا سما سنـــاء
في روعي لاح أن أقفو أثرهـم — عسى بأن يلحق نظمي نثرهم..

وقد فرغ منها عام 996، ولا يوجد منها إلا نسخة مبتورة في ملك أحد الخواص.

ـ رجز رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

ـ رجز السنوسية الصغرى. ذكرهما معاً أحد أحفاد أخيه حمادي، وهو الشيخ عبد الجبار بن محمد بن حمادي.

ـ محاجّاة سَوَّال معرض للجواب في الحال. بائية من بحر الرجز في أصول الدين أيضا، ومطلعها :

يا من جرى يسبح في بحر الأدب — ويرتقي في العلم أعلى مرتب
يسحب ذيلا في الكلام الأصوب — مُسَرْبلاً ثوب جمال الكتب

ولم يبق من هذه المنظومة غير أبيات معدودات.

ـ التحليل وإبراء العليل في شرح خليل : وقد شرح فيه منظومته اللآلئ الحسان المذكورة آنفاً، يعتبر الآن في حكم المفقود عدا أوراقاً من أوله.

ـ الفهرست : جمع فيه مقروءاته ومروياته وشيوخه، ذكرها ابن أبي محلي في *الإصليت*، ولم نقف لها على خبر.

ـ تأليف في تاريخ فجيج : أشارت إليه إحدى الوثائق الجامعة لأنساب بعض شرفاء فجيج، وهو مفقود أيضا.

ولأبي القاسم أنظام أخرى في الفقه وبعض الأحاديث الشريفة. كما له إبداعات شعرية كقوله من قصيدة طويلة :

ألا ناصر للدين ينصر ناصـرا — له قائم بالحق والحـق بـــاد
لقد عيل صبري واشمأز فؤادي — وفَوْدَايَ شابا، واستطال سهادي

توفي عام 1011 / 1602 ، على ما حققه تلميذه ابن أبي محلي. لا عام 1021 كما أجمعت كل كتب التراجم والطبقات المغربية وتواتر تقليداً في كتابات المعاصرين وأبحاثهم.

ابن أبي محلي، *الإصليت*، م. خ. ح 100، منجنيق *الصخور*، م خ ع 338 ق ؛ أبو القاسم الفجيجي، *الفريد* ، بعناية، د. عبد الهادي التازي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1983 ؛ محمد بوزيان بنعلي، *فجيج أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي*، مطبعة الجسور، وجدة، ط 1، 2000 ؛ القادري، *التقاط الدرر*، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1983.

**الفكيكي، مبارك** بن **هبة الله**. الشهير بسيدي امبارش بن هيبة. من أهل العلم والصلاح والكرامات الظاهرة والمتواترة، عاش في النصف الثاني من القرن الحادي والثلث الأول من الثاني عشر الهجريين، أخذ العلم في عدد من المراكز المعروفة كفاس، ووصل إلى تغازى، ومكث بها طويلا، ولقي بها صاحبه وشيخه أحمد الهشتوكي، وإلى ذلك يشير قوله : "...ومن جملة من أكرمنا وأحسن ضيافتنا ببلدة فجيج أبو العباس السيد أحمد بن زروق ابن عم صاحبنا السيد الحاج مبارك بن هبة الله الفجيجي وصهره، وقد كنت اشتقت لملاقاته غاية ؛ لكونه من أفضل الأصحاب وأخلص التلامذة والأحباب، انتظمت معه في سلك المحبة والقراءة ببلاد تغازى حرسها الله تعالى سنين عديدة...".

لم ينفق المترجم حياته في الخلوة والعبادة فقط وإنما كان مدرسا مميزا بأسلوبه، فنراه عميقا بليغا مع الطلبة المتفرغين كما نراه بسيطا مع المبتدئين، وخاصة النساء اللائي انتفعن بمنظوماته في الدين وفقه العبادات لأنه كان يتوجه إليهن باللسان الأمازيغي، وهذا مطلع إحداها :

بسم الله الرحيـم — وبالله الرحمـــن
الصلاة والســـلام — خَفْ النبي العدنـان
أَنْنْصَحْ تِسَدْنَــان — سْلَفْرايَضْ دسَّنَنْ...

(خَفْ آي على تِسدْنانْ : أي النساء،والباقي مفهوم).

أحمد الهشتوكي، *رحلة هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام* (م خ ع 147 ق) ؛ *منظومة في الفقه* (مخطوطة خاصة مبتورة).

**الفكيكي، محمد** بن **إبراهيم** بن **أحمد** بن مرزوق. شخصية سياسية بارزة، عينه مولاي الحسن الأول قائدا على قصر زناگة عام 1309 / 1892. وبعد قيام ثورة بوحمارة،

أصدر ظهير تعيينه في نفس المهمة عام 1321 / 1903. ثم أعيد تعيينه في عهد السلطان عبد الحفيظ سنة 1327 / 1909 وظل كذلك إلى عام 1912 ، حيث نُفي إلى أفلو بالجزائر.

توفي بالجزائر عام 1930.

العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائق ومعالم* ؛ كناش رقم 467 بالخزانة الحسنية.

**الفكيكي، محمد** (فتحا) بن **إبراهيم** بن **عبد الجبار** بن معلي الجمالي الودغيري. ولد حوالي 1120 / 1708 . تلقى تكوينه في معاهد فجيج، ثم جامع القرويين، ولم ينفصل عنه إلا بعدما أدرك شأوا بعيدا في الفقه، أهله للتقلب في عدة مناصب جليلة منها : القضاء والإفتاء والإمامة والتدريس، مهد لها بمزاولة خطة العدالة والتوثيق.

خلعوا عليه ألقابا علمية محترمة فهو "الفقيه القروي المحدث، القاضي الأعدل، الورع، الذكي الأفضل، العلامة الأكبر... إلخ.

ترك وراءه ذخيرة معتبرة من الأحكام والكتابات العدلية، والمنسوخات العلمية، ويستنتج من بعضها أنه كان وزاني الطريقة، وصاحب خط بديع رائع.ومما نسخه :

- نظم اللآلئ الحسان لأبي القاسم بن امحمد بن عبد الجبار (ت. 1011 ) فرغ منه بعد ظهر الخميس الأول من ربيع الثاني عام 1194 ، برسم خزانة أبي العباس أحمد بن الشيخ مولاي الطيب الحسني الوزاني (ت. 1195 ) (وهو مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 1407).

توفي عام 1197 / 1783.

*عقود وأحكام* (مخطوطة) ؛ محمد المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، ص. 151 ، مطبعة النجاح الجديدة، ط. 1، 1991 ؛ العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائقه ومعالم.*

**الفكيكي، محمد** بن **أحمد** بن **الصديق**، من أغزر أحفاد الإمام عبد الجبار علماً، وأوسعهم اطلاعا، تتلمذ على شيوخ كثيرين في فجيج وفاس، وتنقل بين تافلالت ومكناس وفاس ووهران مفتيا ومدرسا ومناظراً ألمعيا. ولما استقر به المطاف بفجيج تدفق نشاطه في زاوية جده علما وفقها وأدباً.

وحافظ على رسالتها العلمية في وقت طغى فيه ماء الطرقية، وتخرج على يديه جل فقهاء النصف الثاني من القرن 12 / 18. وخلعوا عليه باقات طيبة من النعوت والألقاب شعراً ونثراً، فهو الشيخ الإمام، العالم القدوة، المتفنن المدرس، الناظم الناثر ... وقال فيه أحد تلاميذه من شعراء فجيج (طويل) :

| | |
|---|---|
| وفي فجنا الفجيجي حبر مــؤيـد | حسيب نسيب زاد فخراً على فخـر |
| زكي وجيه، فاضــل وابن فاضــل | علا نوره قدما على كل من يـدري |
| فلازمْ تجـاه وجهـه متأدبـــــا | تنـال بذاك ما تريد مـن الخيــــر |
| وألق عصا التسيار يا صاح عنده | فقد ضل من رام التجاوز للغيـــر |
| لتحضر هداك الله مجلس درســه | لمختصر الخليل تحظى بما يبْــري .. |

ومن مؤلفاته :

**- لقط الفوائد في الرد على من اعتقد جواز بعض العقائد : كشف فيه عن وجوه بعض ما يجب اعتقاده من عقائد التوحيد، مما ضلت فيه آراء طلبة الوقت ... وأثبتوا الجواز لأربع من العقائد أولها : حدوث العالم بأسرة، ثانيها : نفي الغرض عن الله تعالى في أفعاله وأحكامه، ثالثها : نفي التأثير بالقوة عن الكائنات، رابعها : نفي التأثير بالطبع عن الممكنات، وقد حققناه ضمن العدد الأول من سلسلة *تراث فجيج*.**

- الكواكب الدرية في شرح شواهد المكودي على الألفية : اكتشف مؤخراً في إحدى خزانات فجيج، وشارك به صاحبه في جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق سنة 2002.

كان ابن الصديق على قيد الحياة عام 1287 / 1870. ولا ندري كم امتد به العمر بعد ذلك، والغالب على الظن أنه توفي في العشرة الأخيرة من القرن 13 / 19.

*لقط الفوائد* للمترجم، تحقيقه في العدد الأول من سلسلة تراث فجيج، نصوص من التراث الفكري ؛ محمد بوزيان بنعلي، *فجيج أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي.*

**الفكيكي، محمد** بن **أحمد** بن **عبد الجبار**، يلقب بأمزيان (أي الصغير) تمييزاً له عن أخيه محمد الحاج المعروف بأمقْران (أي الكبير). ولد حوالي 910 / 1504. تلقى علومه الأولى في زاوية أسرته، وتحول إلى مراكز علمية كثيرة، ولقي شيوخا عدة، درس عليهم علوم الآلة والغاية والفلك والحساب، نذكر منهم على سبيل المثال : ناصر الدين اللقاني (ت. 957 ) وأبا الحسن البكري (ت. 952 ) وعبد الرحمن التاجوري (ت. 999) وعبد العزيز اللمطي (ت. 964) ... الخ، وتتلمذ عليه خلق كثير على رأسهم أبو القاسم بن مَحمد بن عبد الجبار الذي وصفه في مقدمة إحدى إجازاته بقوله : "ومن مشايخي الذين أخذت عنهم بفجيج ... الجهبذ النقاد، مفتي الحاضر والباد أبو عبد الله ... (الإجازة خطية خاصة). ونعتوه بالفقيه العالم العلامة الضابط الراوية ... الحجة الحافظ، الناظم الناثر ...

لم يبق من نظمه ونثره إلا فتاوى محدودة ومقطوعات شعرية وقصيدة مولدية طويلة رقيقة، مطلعها :

| | |
|---|---|
| ياربيع قد فقت قــدرا | عن ذويك حدث فخراً |
| فاعتزز قد طبت ذكــراً | إذ بدا فيك محمــد |

ولم يزغ عن نهج ذويه في ولعهم بنسخ الكتب وإثراء خزانتهم دار العدة، من ذلك :

- مختصر الشيخ خليل : نسخه كما قال : كتبتها بالمدرسة العينية في الحومة الأزهرية في عام سبعة وأربعين وتسعمائة / 1540.

**توفي بعد عام 995 / 1587.**

*وثائق وقصائد*، مخطوطة خاصة ؛ محمد بوزيان بنعلي، *فجيج أعلام الفكر والأدب.*

**الفكيكي، محمد** بن **أحمد** بن **فرج**، السكوني نسبا، الزناكي داراً ومنشأ. ولد سنة 1900، تلقى العلم على والده الذي كان عالما وقاضيا، وعلي علامة فجيج وقاضيها ومفتيها محمد بن إبراهيم أمزيان المشهور بين تلاميذه بسيدي محمد القاضي (ت. 1346 / 1327). قضى حوالي 9 أشهر بالقرويين، وسافر إلى مدينة المشرية (بالجزائر) بإيعاز من السيد محمد بلحسن المدغري لتدريس العلوم الدينية بأحد مساجدها، ولما عاد إلى فجيج أسندت له مهمة القضاء بظهير ملكي مؤرخ في 22 / 7 / 1931. ولأنه كان لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يذعن لمشيئة المستعمر، فقد عزله هذا الأخير يوم 24 ـ 6 ـ 1933.

في عام 1946 ، قابل المغفور له جلالة الملك محمداً الخامس "ليؤكد عواطفه الولائية ويعرض عليه رغبته في إحداث مدرسة قرآنية عربية بفكيگ تكون جارية على منهاج الموجودات بمعظم مدن الإيالة الشريفة" (نص الرسالة الملكية)، واختار لها بعد الفراغ من إنشائها اسم "مدرسة النهضة المحمدية"، وانطلقت لتؤدي رسالتها الوطنية السامية بأحسن وجه وأدقه. لكن المترجم لقي بسبب هذه الخطوة المباركة عنتا شديداً من لدن المستعمر انتهى بنفيه إلى الدار البيضاء. وفي غمرة الأحداث الوطنية الكبرى اعتقله من جديد في منفاه ونقله إلى سجن آيت أورير قرب مراكش ثم إلى سجن تزناگت. ثم فم ازگيد ثم فم الحنش، وبقي مدة في معاقله الصحراوية يقاسي كل أنواع التعذيب النفسي، ويعاين المشاهد المكربة. فقد شاهد ـ مثلا ـ المرحوم محمداً الديوري قائد الحركة الوطنية بالقنيطرة يستشهد أمامه في نفس الزنزانة بسبب الإهمال الصحي ...

والحقيقة أن الحديث عن المترجم ذو شجون يتشعب في كل اتجاه ويلتقي في ولائه المقدس لوطنه، وحميته في خدمته .. فقد كان قاضيا فعزل، ومصلحا اجتماعيا فضُيِّقَ عليه وتوبع .. وغداة الاستقلال تم تعيينه باشا على مدينة فجيج بتاريخ 10 / 1 / 1956.

وقد وافاه الأجل المحتوم يوم 18 / 12 / 1964، ودفن في مقبرة علال بن عبد الله بالرباط في جنازة مشهورة حضرها زعماء الحركة الوطنية على رأسهم الفقيدان المرحومان : علال الفاسي وعبد الرحيم بوعبيد.

أحمد سعد الدين وبوبكر لرگو، الحاج محمد فرج، *رائد الحركة الوطنية والنهضة التعليمية*.

**الفكيكي، محمد** بن **بلقاسم** بن ناصر السعيدي الثوري. ينحدر من بني ثور بن عبد مناة بن مضر. والسعيدي نسبة إلى سعيد بن مسروق الثوري والد سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث. لا نجد له ذكرا في مصادر تاريخ الرجال. وهو ثاني اثنين برزا في علمي المعقول والمنقول، والأخ الآخر هو منصور شارح صغرى السنوسي (م خ ع 2989 د).

عاصر أفول الدولة السعدية وبزوغ نجم العلويين، وبينهما أقام بفاس منقطعا إلى مجالس العلم حتى مَتُن تكوينه الفقهي، وتوسعت ثقافته الدينية بصفة عامة، ثم عاد إلى فجيج مدرسا في زواياها العلمية قبل أن يؤسس هو وأخوه زاويتهما بقصر زناگة.

لا نعرف إلا ثلاثة مؤلفات هي :

ـ شرح السنوسية الصغرى : هو أشهر مؤلفاته على الإطلاق إذ به ذاع صيته العلمي وأسرف المهتمون في انتساخه وتحبيسه، وفي الخزائن الخاصة والعامة عشرات منه، وسنعمل على تحقيقه قريبا إن شاء الله. وقد فرغ من تأليفه بفجيج عام 1048 / 1639.

ـ شرح أسماء الله الحسنى، وهو رسالة لطيفة، منه نسخة خطية بفجيج.

ـ شرح التسبيح : أي التسبيح الذي يستحضره المؤمن دبر كل صلاة، ومنه أيضا نسخة خطية بفجيج.

ويستدل من ترحم السكوني قبل عام 1056 / 1647.

السكوني، *تقوية إيمان المحبين* ؛ *وثائق مخطوطة* (خاصة).

**الفكيكي، محمد** بن **بنعيسى** بن **التاج**. من ذرية الإمام عبد الجبار، ولد عام 1927، وحفظ القرآن الكريم وهو صغير، وفي مرحلة لاحقة تحول إلى القرويين لاستكمال تحصيله في العلم والفقه، كان ـ رحمه الله ـ من رواد الحركة الوطنية والمستميتين في الدفاع عن الفكر الإسلامي والهوية الوطنية، انتقل إلى فرنسا عام 1948 لمزاولة الصحافة، فجعلت منه هذه المهنة كاتبا بارعا وناقدا عميق الرؤية، تولى منصب رئيس التحرير في جريدة العرب.

انتقل إلى القاهرة وعدد من العواصم جريا وراء القضية الوطنية وعدالتها. سجن بوجدة ومورس عليه أقسى أنواع التعذيب، وأشدها وحشية، فلما لم يؤثر ذلك في شخصيته الحديدية، لجأ المستعمر إلى حقنه بحقنة خبيثة اغتالت فكره ودماغه، وحولته إلى شبه مجدوب ساقط التكاليف يجوب الأزقة والحواري بفجيج إلى أن أخذه أهله القاطنون بتاوريرت فتوفي بها عام 1998.

كان إلى جانب نبوغه العلمي وكفاحه الوطني يتقن أربع لغات هي : الأنجليزية والعبرية والفرنسية والروسية، وكان من أصدقائه المفضلين الأستاذين أحمد بلافريج ومحمد عزيز لحبابي وآخرون. (جريدة *العلم*، 1998).

**الفكيكي، محمد** بن **بوزيان** بن **عبد الرحمن** بن أفضل العباسي الحسني. من أعلام النصف الثاني من القرن الحادي عشر. ينحدر من أسرة مشهود لها بالعلم والصلاح. ولي عابد، قانت خاشع، ذو كرامات، فقيه عارف، مربٍّ مصلح، محب للعلم والعلماء، جماعة للكتب، يحبسها على طلبة العلم.

لا تذكر الوثائق شيئا آخر عن تفاصيل حياته العلمية، ولا تشير إلى تاريخ وفاته.

*وثائق مخطوطة خاصة.*

**الفكيكي، محمد** بن (الحاج -) **اللحياني**. من فقهاء قصر زناگة. متصوف وزاني الطريقة، بينه وبين شيوخها مراسلات. اشتغل بنساخة الكتب.

ويستنتج من أحد منسوخاته (السلم المرونق للأخضري) ورسالته في نعي الحاج العربي الوزاني أنه كان بقيد الحياة عام 1267 / 1850.

*وثائق ورسائل، مخطوطة خاصة.*

**الفكيكي، محمد** بن **حمادي** بن أبي عثمان الجابري ثم العبيدي، رجل خير فاضل، وولي صالح عامل، وفقيه ماهر في علمي المعقول والمنقول، من أهل التربية والمداومة على تلاوة كتاب الله عز وجل، أرخ صاحبه العالم المفتي قاضي الجماعة بفجيج بوزيان بن أحمد ابن عبد الجبار وفاته بقوله : "توفي الفقيه الأجل، الذكي الأمثل، التالي كتاب الله عز وجل، الولي الصالح أبو عبد الله...

توفي عند طلوع الفجر ليلة الثلاثة (الثلاثاء) الثامنة عشرة من ذي الحجة سنة أربع وسبعين ومائة وألف".

*وثائق خطية خاصة.*

**الفكيكي، محمد** بن **الصديق** بن حمادي. من آل الإمام عبد الجبار. كان مثل جده المذكور قوي الذاكرة، حاضر البديهة. كثير الحفظ. أثار انتباه شيوخه ورفاقه في التحصيل فلقبه أحدهم (يَازِيضْ) أي (الديك) لأنه كان يلتقط كل ما يسقط من أفواه أساتيذه كما يلتقط الديك حبه من الأرض.

من معاصري العلامة أحمد بن عاشور السمغوني (انظر ترجمته)، بينهما معارك فكرية ومناظرات ومساجلات كانت تنتهي أحيانا إلى هجاء وغلظة في القول، كقول صاحبنا يرد على هجوه :

فهجوك لي زَبْلٌ وعَرضيَ روضة  تَزَبَّلْ، فإن الزبل للروض نافع

وكانت تنتهي أحيانا أخرى إلى مؤلفات رصينة جادة حينا وحادة حينا آخر. منها مصنفان للمترجم :

- البرهان الوجودي في الرد على من أفسد إعراب المكودي.
- مطلع النور، وإبطال الإفك والزور في الرد على المماري بالباطل ابن عاشور

وهما في حكم المفقود، وقد شوهدا من قبل لدى أحد الخواص.

توفي عام 1264 / 1847.

*وثائق خطية خاصة ؛ روايات شفوية ؛* محمد بوزيان بنعلي، فجيج أعلام الفكر والأدب.

**الفكيكي، مَحمد** (فتحاً) بن **عبد الجبار** ثالث أبناء الإمام عبد الجبار، وأصغرهم، وخاتمة مواليده الذكور، نجهل كثيراً من تفاصيل حياته العلمية، ونعرف أنه بلغ درجة سامقة في سلم التصوف السني العلمي، لازم أحمد بن يوسف الراشدي حتى صار من مذابيحه السبعة، ولقبوه بالقطب الجامع بين الشريعة والحقيقة، وأخذ في فاس عن شيوخ كثيرين كأحمد الصنهاجي الشهير بالدقون، والونشريسي وابن غازي، وقد طالت ملازمته لهذين الأخيرين حتى ذكر صاحب فهرس الفهارس أن الونشريسي ألف فهرسته باسمه، وما رأيت أحداً ترجم للونشريسي إلا وجعل محمداً صدر تلاميذه ورأسهم.

ومن تلامذته محمد بن أحمد بن داود العطافي التلمساني. وابنه أبو القاسم.

حلاه التنبكتي بالفقيه المحدث، ونعتوه بتاج العارفين وناصر الدين ورئيس العلوم المتبحر في مدارك الفهوم، العالم العلم الصدر الولي ...

وهو صاحب الحبس المشهور الذي قيد استغلال الإناث بالاحتياج، والإبارة من الأزواج. لم يبق من إنتاجه إلا فتاوى فقهية، وقصائد ومقطعات شعرية، منها تائيته في رثاء والده ومطلعها :

| | |
|---|---|
| لتبك العيون الجامدات على الذي | حوى كل فضل من علوم ورفعة |
| لتبكه أرياح البلاد : دبورها | صباء وشمال، مع جنوب وقبلة |
| ليبكك من كانت حياتك عزه | فأصبح لما بِنْتَ غص بغصة |

توفي في شهر رمضان 956 / 1549. ودفن إزاء روضة أبيه تحت قبة جنائزية شماء.

*ثبت الوادي آشي* ، تح. عبد الله العمراني ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ محمد بوزيان بنعلي، *فجيج أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي.*

**الفكيكي، محمد** بن **عبد الجبار** بن ميمون بن هارون المسعودي، من أولياء الله الصالحين، صاحب كرامات مشهورة، له منظومة في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - أخذ عن سيدي أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 927 / 1521) ومحمد بن عبد الرحمن الكفيف السويدي، وأحمد الحاج النميش العامري، وله زاوية في وطنه المعروف بحدوش من تاسالة. كان قد بنى مسجدا على عين، وبيتا للفقراء المريدين ينفق عليهم، ويمونهم، وكان قد باع جميع ما له من الأرض، وأنفقها على المريدين الذاكرين لله على الدوام، لا يفتر عن القراءة والذكر، حتى صار قطبا يأتيه الزوار من كل بلد.

ومن تلامذته أحمد الغماري التلمساني، فقيه موحد، وله أصحاب كثيرون لا يحصون، كان شاعرا ماهرا في الشعر.

ابن مريم التلمساني، *البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان.*

**الفكيكي، محمد** (فتحاً) بن **عمر** بن عبد القادر الإدريسي. يشار إليه بالصلاح، أخذ عن أبي القاسم بن حم بن عبد الوهاب الغساني الملقب بالوزير، ودفن معه داخل قبته، ليس بينهما إلا قبران.

توفي في شهر ذي الحجة عام 1213. (من تذكرة المحسنين)

*موسوعة أعلام المغرب* ، تنسيق وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، 1996.

**الفكيكي، محمد** (فتحاً) بن **عمرو** بن يدير الإدريسي. ولد حوالي 935 / 1528. أخذ علومه الأولى في زاوية بني عبد الجبار. ولم يذكر له أحد رحلة علمية خارج فجيج، وصفته المصادر بالولي الذي انعقد الإجماع على ولايته، ونسبت له فتوحات كثيرة، وفوائد غزيرة، وكرامات منها : أن بعض الأعراب الذين دأبوا على زيارته كل عام بصلات معلومة اشتكو إليه "ظلم الطاغي من بعض الدول الساري حكمه عليهم من أعمال أتراك تونس، فقضى الله على من ظلمهم بإهلاكه" كما اشتكوا إليه قلة البركة في بلدهم فدعا لهم بالغيث والرخاء..

ومن تلامذته الملازمين لمجالسه وحلقات ذكره خليل بن عثمان بن عبد الوافي.

توفي حوالي 1020 / 1611. وقبره مشهور يزار بقصر المعيز.

*وثيقة نسب المترجم* (خاصة) ؛ أحمد السكوني، *تقوية إيمان المحبين*.

**الفكيكي، محمد** بن **مَحمد** بن أحمد بن محمد الراشدي. لا تذكر المصادر شيئا عن تاريخ ولادته ونشأته وتربيته ومكان دراسته، إلا أن انتسابه إلى بيت مشهور بالصلاح والعلم من جهة ووصفه بألقاب علمية صريحة من جهة أخري، يؤكد أنه كان شخصية علمية واجتماعية مرموقة في المنطقة كلها، فالسلطان المولى رشيد انعم عليه عام 1082 بظهير توقير واحترام وإعفاء من سائر المغارم والوظائف، وفي عام 1104. وأصدر المولى إسماعيل مرسوما عينه بمقتضاه قاضيا على فجيج ونواحيها، ونصه : "حامله الفقيه العالم الخَيِّر الدين السيد محمد بن مَحمد الراشدي الفجيجي، ولنياه قضاء فجيج عن آخرها، وأسندنا إليه أمرها، فلا كلام لأحد غيره فيها، على أن يفصل بين الخصوم بالشريعة المحمدية، وينفذ أحكامه فيها من غير معارض له فيها ولا منازع، ولا مزاحم ولا مدافع. وعليه بتقوى الله في السر والعلانية، والله تعالى يوفقه، آمين، والسلام. وكتب في أواخر جمادى الأولى عام أربعة ومائة وألف. وأقررناه على شرطه المعلوم له ولغيره من قبل على حسب العادة في ذلك والله يوفقه، آمين".

وقد استمر في هذه الخطة صادعا بالحق الملائم إلى أن عزله، وصادر أمواله خليفة السلطان على فجيج المولى عبد الملك وذلك عام 1121. فخرج من البلد لإراحة نفسه على حد تعبير ابن ناصر في رحلته. وما أن تناهت أخبار هذا الخلاف إلى أسماع المولى إسماعيل حتى أنهض من يحقق فيه، ولما ثبت لديه ورعه واستقامته وعلو همته ومعلوم عدالته، رد إليه الاعتبار في ظهير مؤرخ بالرابع من ذي القعدة عام 1122 / 1710، يقضي بإعادته إلى منصبه.

ونظراً لكبر سنه فإن الراشدي اعتزل القضاء عام 1130 / 1718، ووافته المنية بعد ذلك بقليل.

العربي هلالي، *فجيج تاريخ وثائقه ومعالم* ؛ أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي، *الرحلة الناصرية* ؛ *ظهائر ووثائق*، مخطوطة خاصة.

**الفكيكي، محمد** بن **محمد** بن **بلخير** بن عبد الحق الجمالي الودغيري. من رواد النهضة الحديثة الذين تركوا بصمات واضحة على كافة مجالات الحياة الفجيجية. تلقى علومه بالمغرب والجزائر حيث اتصل بأعلام الإصلاح كالشيخ عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، وتوفيق المدني، وعبد الرحمن الجيلالي.

من أبرز منجزاته بفجيج توليه إدارة المدرسة الحسنية في عهد الاستعمار، ومساندته لرجال الحركة الوطنية. أما في المجال الفكري فيحمد له أنه أول من فتح باب الاهتمام بتاريخ فجيج وأعلامها بما كان ينشر من مقالات في المجلات الوطنية مثل دعوة الحق، وصحراء المغرب، كما أن له مؤلفات في الفقه والتوحيد كانت مقررة على طلبة المدارس.

توفي عام 1988.

*روايات شفوية.*

**الفكيكي، محمد** بن **محمد** بن **الحسن** المخلوفي الودغيري، بناء على ما أمكن استخلاصه من خلال القراءة المتأنية لمؤلفيه : *الدر النثير وبهجة الأبصار*، تكون ولادته بوادي أمليل في نهاية القرن الثاني عشر الهجري في قبيلته أولاد اخليفة.

ولقد غادر أسلافه فجيج قصد المشاركة في معركة وادي المخازن وبعد انتهاء المعركة استقروا بوادي أمليل 986 / 1578 ، وهم أصول أولاد خليفة الذين أصبحت لهم مكانة مرموقة بين قبائل المنطقة، لشرفهم وعلمهم ودينهم، كما تشهد على ذلك الوثائق السلطانية، السعدية والعلوية، والتي لا يزالون يحتفظون بها. في تلك البيئة المتميزة بالعلم والدين نشأ المخلوفي، إلى أن اشتد عوده وتفتحت مطاميحه، مما دفعه وهو في عنفوان شبابه إلى الالتحاق بفاس حيث أكمل تكوينه ووسع مداركه حتى أصبحت له مكانة مرموقة في الأوساط الفاسية ولا سيما الودغيرية منها، فتعاطى التدريس بمراكزها العلمية ولا سيما جامع الرصيف منها كما ذكر جعفر الكتاني في فهرسته، وأصبح مرجعا من مراجع الأنساب الإدريسية، مما أهله لأن يكون من بين الثقاة الذين كلفهم السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام

بإحصاء وتصنيف الأشراف الأدراسة المقيمين بفاس (1238 / 1822 . 1240 / 1824 ) وذلك قصد التوزيع العادل للصلات السلطانية العبد الرحمانية.

وكان متصوفا، حيث جمع بين الحقيقة والشريعة كما كان ذكر جعفر الكتاني أيضا، وكان من رواد الطريقة التجانية، فلربما انتسب إليها في شبابه في حياة مؤسس الطريقة الشيخ أحمد التجاني. وكان محبا لألي البيت إلى حد التشيع حيث سجل ذلك في مؤلفيه المشار إليهما. وله أرجوزة مطولة في النسب الشريف، استشهد مرارا بمقاطع منها في كتابه *بهجة الأبصار*.

توفي سنة 1300 / 1882 عن سن يناهز المائة.

جعفر الكتاني، *الفهرس*، خ. ع. مخطوط ؛ م. المخلوفي، *بهجة الأبصار في جميع من وقفنا على تحقيق نسبه من آل البيت المختار*، 1268 / 1851، خ. ع. ك. 1265 : 3 ؛ *الدر النثير فيمن صح واشتهر نسبه من شرفاء لودغير*، 1264 / 1847، تح. العربي هلال، مطبعة المحمدية، 2003 ؛ العربي هلالي، *الشرفاء في فجيج كعنصر لتحقيق التواصل وكعامل لنشر المعرفة عبر التاريخ*، مطبعة المحمدية، 2003.

**الفكيكي، محمد** بن **محمد** بن **حَمُّ**. فقيه متمرس، وعدل ثقة رضي، من أشهر نُظار المسجد الكبير بقصر زناكة، ساهم بفعالية في تنمية أوقافه.

كان بقيد الحياة عام 1198 / 1784.

*رسوم أحباس*، مخطوطة خاصة.

**الفكيكي، محمد** بن **محمد المالقي**، وهي نسبة ترجح انتماءه لأسرة نزحت من الأندلس. متصوف عابد لازمته صفة المرابط حتى صارت لا تفارق اسمه، وفقيه متمكن، وشاهد عدل رضي، سكن قصر الحمام قبل أن ينقسم إلى قسميه الأعلى والأسفل.

وكان على قيد الحياة عام 998 / 1590.

*وثائق*، مخطوطة خاصة.

**الفكيكي، محمد** بن **محمد** بن **محمد** بن **العربي** بن الحاج المعضادي، من آل عبد الجبار المستوطنين زناكة. ولد في حدود 1245 / 1830. عاصر جملة من أعلام الأدب والفقه والتصوف. لا نعرف شيوخه في العلم، ولا المراحل التي قطعها في التحصيل، إلا أن كتاباته المتفرقة تدل على أنه كان أديبا، ناثرا شاعرا، وفقيها ضليعا، وعدلا مرضيا، وجماعة للكتب ناسخا، ودرقاوي الطريقة.

أغلب شعره في مدح رجالات التصوف والسياسية، من ذلك ما قاله غداة زيارة الشيخ محمد العربي بن الهاشمي المدغري (ت. 1309 / 1892) لفجيج صحبة أولاده ومريديه :

محمد العربي قطب زمانـــه ... إمام لأهل الله في حضرة الأصـــل
بثغر فجيج أصبح السعد مقبلا ... وأصبح محفوظ الجناب من الهـول

وله في الأمير مولاي عرفة لما بعثه السلطان مولاي الحسن ليقف على مشاكل المياه والحدود عام 1301 :

أيا معشر الحضّار فاصغوا إلى قولي ... فقد آن أن أقول أهلا لذي أهل
ألا حبذا الأنوار من طلعة الرضــــى ... بثغر فجيج بالمهابة والفضـــل

ومما نسخه لنفسه :

- شرح همزية البوصيري للشيخ محمد بن أب بن أحميد بن عثمان المزمري نسبا التواتي مولدا ومنشأ وموطنا فرغ من نسخها كما قال :

تاريخه خمسة وسبعونـــا ... ومئتان ألف ثابتونـــا
من وسط شهر ربيــع الأول ... فيه بدا محيا خير مرسل

- حاشية بناني على الزرقاني وكان الفراغ من نقله عند صلاة الظهر من يوم الثلاثاء 17 جمادى الأولى 1287.

توفي عام 1326 / 1908.

*وثائق وقصائد*، مخطوطة خاصة.

**الفكيكي، مسعودة** بنت (الحاج -) أحمد بن زيان بن يوس، خديمة الطريقة الوزانية بقصر المعيز، أخذت العهد عن الطيب بن العربي بن عبد السلام الوزاني الحسني، وأصبحت "*مقدمة*" تجمع الفقيرات والمريدات للوعظ والذكر.

كانت راجحة العقل، سديدة الرأي، رضية المعشر، ذات اجتهاد في العبادة، متصدقة من أهل الخير والأريحية.

وكانت بقيد الحياة عام 1340 / 1922، بينها وبين شيخها مراسلات.

*مراسلات ووثائق خاصة.*

العربي هلالي ومحمد بوزيان بنعلي

**الفكيكي، مصطفى** بن **عبد القادر**، أحد وجهاء وعلماء إقليم الناظور وقضاته، كناه والده عبد القادر الفكيكي سالف الترجمة بماء العينين. ولد سنة 1909 بقرية أغمير، من خمس بني بويفرور بالناظور، وهو والد كاتب هذه الترجمة. استهل دراسته في العلوم الدينية بالانضمام سنة 1915 إلى طلبة مسجد بني سيدال بمدشر تانوت الرمان الذي كان بمثابة المعهد الديني بقبيلة قلعية كلها، إثر تأسيسه على يد شيخ الجماعة الشيخ علال التانوتي السيدالي، المتخرج سنة 1915 من جامع القرويين.

كان أمل والده كبيرا في مستقبل نجله المصطفى ماء العينين فشجعه في أول فرصة أتيحت له للتوجه إلى جامع القرويين حوالي سنة 1926. ومن مرافقيه المعروفين في الرحلة العلمية القاضي المؤلف العربي الورياشي. ومن الشهادات المروية عنه أثناء حضوره بفاس مشاهدته سنة 1927 مراسيم تولية المغفور له محمد الخامس عرش أسلافه، مستغربا حال تولية ملك شاب في تلك السن المبكرة. ومن تلك المشاهدات ما ذكره عن استماعه إلى بعض الخطب التي كان الطالب علال الفاسي يشير بها حماس رفقائه الطلاب بساحة القرويين بمناسبة المطالبة بإصلاح الوضع التعليمي بالقرويين، ونبه إلى ما بلغته الاحتجاجات سنة 1929 والمترجم له بساحتها.

ومن أساتذة ذلك الوقت المذكورين من طرف المترجم له ورفيقه الحاج العربي الورياشي بجامع القرويين العلماء : عبد السلام العلوي، مدرس شرح الدردير، وعبد العزيز بن أحمد بن الخياط، مدرس شرح الخرشي، والحسن مزور ملقن شرح الزرقاني. والحسين العراقي، أحد علماء الرتبة الأولى بالقرويين سنة 1930 ، وإدريس المراكشي، وعبد الرحمن بن القرشي.

اشتغل الفقيه مصطفى الفكيكي بعد الأوبة إلى بلدته في مستهل عام 1931 بالتدريس في مسجد القرية، إلى أن نودي عليه لتولية منصب العدالة من غير رضى والده، وقد شاءت سنة الحياة أن يسير منطق الأبناء عكس ما يرسمه لهم الأباء، ليعمل بجانب رفيقه القاضي العربي الورياشي سنة 1932 في خطة العدالة متنقلا بين أسواق خميس تيزطوطين وثلاثاء أفسو وأربعاء حاسي بركان.

ومما نعرفه من لحظات حياة الفقيه مصطفى الفكيكي رحيله المفاجئ إلى إسبانيا بعد قيام الحرب الأهلية الإسبانية (1936 ـ 1939) إثر الحملة التي قام بها نائب الصدر الأعظم الخليفي بالمنطقة الشرقية (إقليم الناظور حاليا) عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري لتعبئة الفقهاء والعدول والقضاة قصد تلبية الحاجات الدينية للمشاركين المغاربة في الحرب. منها انتقاله حسب روايته، بحرا من مرسى مليلة إلى مدينة طريف Tarifa والنزول بمرساها سانتا ماريا Santa Maria، بقادس ثم متابعة زحف الجيش نحو مدن مدريد وطليطلة ومدينا دل كامبو (Medina del Campo) ، الواقعة خارج مدريد، التي احتفظ عنها رحمه الله ببعض ذكرياته عن أخطار الحرب وطرفها.

وتولى الفقيه مصطفى الفكيكي منصب خليفة القاضي إثر نجاحه في المباراة المعلن عنها سنة 1947 بتطوان، فعين ببني سيدال بالمركز الإداري المعروف بقرية أربعاء ثلاث.

والمعروف عن الفقيه مصطفى الفكيكي أنه كان عطوفا على رجال المقاومة المغربية المهاجرين إلى الناظور بعد أحداث 20 غشت 1953 ، من اللاجئين من مدن بركان ووجدة وتاوريرت، وكانت له علاقة خاصة بالمقاوم عبد الله الوكوتي مما أدى إلى توجس السلطات الإسبانية في شأنه، وكاد أن يؤدي ذلك إلى عزله لولا تزكية صديقه قاضي الناحية الفقيه عبد الرحمن التوزاني. وفي سنة 1956 تولى القضاء أولاً بمركز دار دريوش، ومنه انتقل إلى قبيلة تمسمان، حيث بقي إلى أن استجيب لرغبته للانتقال إلى مدينة فكيك التي مكث بها من سنة 1963 إلى سنة 1965 ، معاصرا الهجوم الجزائري على تلك الواحات. ثم انتقل إلى جرادة، ومنها إلى تاوريرت فمدينة وجدة، حيث تمت إحالته على التقاعد سنة 1976.

لم يكن الحاج مصطفى الفكيكي من صنف المتقاعدين المخلدين للتواكل والراحة، فقد كان هناك ما يدفعه مما ورثه من حب الانتفاع بالعلوم الدينية إلى استمرار حضوره في الوسط الذي عاش فيه. ولا تزال مشاركته في خطب الجمعة وفي حلقات التوعية والإرشاد الدينيين، ضمن برنامج المجلس العلمي بعدد من مساجد مدينة وجدة مشهورة بين أهل المدينة. فإلى جانب درايته بشؤون القضاء وفتاويه، كان رحمه الله ميالا إلى القراءة ومطالعة مصنفات تفاسير القرآن والحديث، وهو معروف بالتبسيط في الشرح مع الاجتهاد والتجديد. ولا تزال خزانته محتوية على مجموعة خطب الجمعة ودروس الوعظ والإرشاد مما يشكل تأليفا ضخما، مثلما كان محبا للتاريخ ورجاله وهذا هو ما حدا به لكتابة نبذة عن سيرة الفقيه القاضي العربي الورياشي في كتابه الكشف والبيان عن سيرة البطل الأول الشريف محمد أمزيان.

توفي بوجدة يوم 23 أبريل 1992.

*مستندات مصطفى الفكيكي* ؛ العربي الورياشي، *الكشف والبيان* ؛ *الجريدة الرسمية بالمنطقة الخليفية* ؛ *الرواية الشفوية* المستندة من أنجاله وأخيه النعمة وبعض مرافقيه ؛ م. عمراني، *جامعة القرويين ما بين 1914 و1934*.

حسن الفكيكي

**الفكيكي، هلالي محمد** بن أبي القاسم الودغيري المعروف بابن عبو، ولد في بداية القرن الرابع عشر الهجري / بداية الثمانينيات من القرن التاسع عشر ميلادي. لما حفظ القرآن الكريم وبعض المتن الفقهية والنحوية تحت إشراف والده الفقيه البركة هلالي أبو القاسم بن أبي ناصر بن عبو، حيث كان متفرغا ومتطوعا لتعليم القرآن للصبيان في بيت أجداده بحي أولاد زيان من قصر الوداغير بفجيج، أسوة بسنة أجداده، أخذ يتردد على الحلقات العلمية التي كانت تعقد بالجامع الكبير بقصر الوداغير من طرف خيرة فقهاء البلدة من مثل الفقيه القاضي الحاج محمد بن حدو والفقيه القري أحمد بن أبي زيان بن يعقوب الجراري والفقيه الأديب أبو القاسم بن أحمد بن زيان والفقيه القاضي أحمد بن أحمد الراشدي، وعلى المسجد العتيق الذي كان يتصدر حلقاته العلمية الفقيه الفلكي القاضي محمد بن إبراهيم أمزيان الجباري والفقيه العدل محمد بن رقاد وغيرهما.

وفي سنة 1324 / 1906 التحق بجامعة القرويين حيث وسع مداركه وأكمل شخصيته العلمية، وتبلورت ميولاته الذاتية ولا سيما الجانب الصوفي منها حيث وثق صلاته بالفقيه العالم الصوفي محمد بن الحبيب المغاري الفاسي شيخ الطريقة الدرقاوية.

ولما عاد إلى فجيج سنة 1326 / 1908 تولى إمامة مسجد آل عبد الوافي خطيبا، كما تولى والده أبو القاسم إقامة صلوات الخمس وتعليم القرآن بالزاوية الملحقة بالمسجد.

وفي سنة 1334 / 1915 ألحقه الفقيه القاضي جلول بن عمارة بكتابة المحكمة الشرعية بفجيج، وفي سنة 1339 / 1920 رشح لخطة العدالة، وفي سنة 1351 / 1932 عين قاضيا على مدينة فجيج وقبائل بني جيل.

ولقد كان منذ نعومة أظفاره يتحلى بالتقوى والالتزام، متسامحا إلى حد كبير، وكان منهجه في معالجة القضايا التي تعرض عليه هو منهج الصلح والسداد، وساعده على ذلك معرفته العميقة بعرف أهل فجيج وعملهم، ولقد رثاه الفقيه المدرس محمد بن عبد الحق الودغيري في خطبة الجمعة التي تلت وفاته، نورد منها بعض المقتطفات : "ولقد كان قصر الوداغير الذي نحن فيه أكثر علماء من غيره ولم يبقَ شيء من ذلك، وقد أدركنا في شبابنا (بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري) من أولائك : الفقيه القاضي جلول بن عمارة، الفقيه العدل محمد بن محمد بن غزال بن رقاد، الفقيه القري محمد بن أبي زيان بن يعقوب، الفقيه النقيب الحاج محمد بن معلي، الفقيه الإمام عبد الرحمن بن البشير بن عزة، الفقيه محمد بن محمد بن جبور السني، الفقيه الضرير الطاهر بن التاج بن عبو هلالي، الفقيه الحاج محمد بن محمد بن بلعيد بن خليفة، الفقيه أبو علم بن حدو والفقيه الرحالة يحيى بن أبي القاسم بن عيسى. وكانوا كلهم مصابيح يضيئون على الأمة بشخصياتهم ومعارفهم وحسن سلوكهم وتبليغ رسالة العلم والتربية الدينية السليمة لقومهم، وفي فترة وجيزة (1348 ـ 1365 ) التحقوا جميعا بالرفيق الأعلي ولم يبق منهم إلا فقيدنا الفقيه القاضي محمد بن أبي القاسم هلالي، وهو أصغرهم سنا، وأرجحهم عقلا، وأجملهم صبرا، وأكثرهم احتمالا لمشاق الأعمال، والتجاوز عما يلاقيه من بذاءة الأقوال، فاجتمعت فيه نورانيتهم ومكانتهم العلمية ومرتبتهم الدينية، إذ كان هو المرجع في المسائل الدينية والأحكام الشرعية في المحروسة فجيج، فقد كان متقلدا لرئاسة الخطة الشرعية في منطقة فجيج، قضى مدتها مثالا في النشاط والعفة والحكمة والعدل والتواضع والرحمة، ومن آثاره الفتاوى والنوازل الفقهية".

ولقد كانت له مواقف وطنية هامة نذكر منها على سبيل المثال موقفين :

1 ـ في سنة 1946 صممت السلطة الاستعمارية الفرنسية، على أن تجعل حدا لنشاط مدرسة النهضة الحرة وذلك بدعوى أنها تبنى على عقار تم الترامي عليه دون موجب قانوني، وفعلا فلقد تمت المعارضة مشافهة بين المحسن الجليل جلول بن هكو وجماعة قصر زناقة، ولم يتم تثبيت ذلك بعقد عدلي، وكانت السلطة الاستعمارية تعلم ذلك، فاحتدم النزاع في الموضوع وادعى مدير المدرسة الفقيه المربي الحاج محمد بن أحمد بن افرج وجود العقد الذي يثبت عملية التعاوض. ولما قربت ساعة الفصل وأدرك القاضي خطورة ما ترمي إليه السلطة الفرنسية من إخماد الشعلة الوطنية بفجيج، ساعد في هدوء وبكيفية محكمة على توفير العقد الفيصل، مما أثار حفيظة السلطة الفرنسية على الفقيه القاضي وجعلته عرضة لمضايقات كثيرة وكانت تصفه في تقاريرها الداخلية بعدو فرنسا المستتر، ولقد سجل هذا الحدث بحذافيره في تقارير السلطة الفرنسية الإقليمية والمحلية.

2 ـ أما الموقف الثاني فقد حدث في نفس الفترة وذلك بعدما أخفق الفرنسيون وأذنابهم في موضوع مدرسة النهضة، أرادوا أن يسكتوا صوت الفقيه الحاج محمد بن افرج الذي كان يشع من مسجد ومنبر قصر زناقة، فصدرت الأوامر للفقيه القاضي بصفته المسؤول على المساجد شرعيا، بأن يعزل الإمام الحاج محمد بن افرج ويولي إماما آخر مكانه، وبعد مناورات متعددة، امتنع إثرها القاضي وبهدوء أيضا من تنفيذ رغبة المسؤولين الاستعماريين بحجة أنه لا يوجد أعلم منه في البلدة الفجيجية وأن الجانب السياسي من المشكل لا يدخل في نطاق اختصاصه.

وبعد تقاعده سنة 1378 / 1958 أصبح مرجعا ومستشارا للقضاة الذين تعاقبوا على قضاء فجيج. تقديراً لعلمه وخدماته الجلا فقد أنعم عليه الحسن الثاني سنة 1970 بوسام العرش من درجة فارس.

توفي سنة 1394 / 1974.

العربي هلالي *فجيج، تاريخ، وثائق ومعالم*، المطابع المغربية والدولية، طنجة، 1981 ؛ محمد بن علي والعربي هلالي، *سلسلة تراث فجيج*، العدد الأول، 2003 ؛ *وثائق محمد بن عبد الحق*، *وثائق* العربي هلالي *وثائق* عمرو عبو.

**الفكيكي، يايا زانـّة** ، خادمة العلم والمجاهدين. "الزعيمة.. تَوَطَنَيْتْ" هكذا كان يطلق عليها سكان قصر زناگة. لازمت المجاهدين منذ اندلاع المقاومة وكانت مكلفة ـ ضمن مجموعة من النساء ـ بغسل ثيابهم، وإعداد طعامهم. ومع افتتاح مدرسة النهضة المحمدية تكفلت بتنظيف أقسامها، وإعداد الوجبات الصباحية للتلاميذ، وحثهم على الاجتهاد والمثابرة، ولاتزال صورتها على هذه الصفة عالقة بأذهان قدماء هذه المدرسة.

تعرضت للاعتقال من طرف المستعمر إثر قرار إغلاق مدرسة النهضة عام 1953، وتعرضت للتعذيب، ومنعوا عنها الزيارات.

وبعد خروجها من السجن استمرت في أداء مهمة التنظيف بمدرسة أحمد بن عبد ربه بقصر زناگة.

مصطفى لالي، *رواية شفوية*.

العربي هلالي ومحمد بوزيان بنعلي

**الفكيكي، يوسف** بن **عيسى** يصفه ابن عسكر بالولي ذي "الكرامات الظاهرة" وأسماه، "أبا الحجاج يوسف بن أبي مهدي عيسى الفكيكي"، لم نعثر على ما يفيد عن تاريخ ميلاده وسنة وفاته، بيد أن الإشارات الواردة في الترجمة المختصرة التي خصصها له ابن عسكر في الدوحة تقربنا من تحديد الفترة التي عاش خلالها حيث ذكر أنه التقى به (بدون تحديد للمكان) عام 955 وتوجه بعد عامين من ذلك (975 ) إلى المشرق بقصد الحج مرة أخرى أو للمجاورة والإقامة الدائمة، إذ انقطعت أخباره منذئذ عن ابن

عسكر ولم يسمع بعدها عن وقت وفاته وكان سنه آنذاك ما يزيد عن ثمانين سنة، وعلى هذا الأساس يكون المترجم له قد عاش ما بين الربع الأخير من القرن التاسع الهجري والنصف الثاني من القرن العاشر، وأشار ابن عسكر إلى أن أبا يوسف بن عيسى أقام بمكة قبل حجته الأخيرة مدة ست عشرة سنة حج خلالها واعتمر عدة مرات.

تتلمذ يوسف بن عيسى على يد كبار مشايخ العلم كأبي محمد عبد الله الغزواني والشيخ الحطاب وابن عيسى الفهدي المكناسي وغيرهم، حسبما ورد عند ابن عسكر، ويظهر من خلال اختياره الأخذ عن العلماء المذكورين أن رغبته كانت متجهة نحو عالم التصوف والترقي في مدارجه، تعلما وتعبدا ورحلة، استنادا على إشارات ابن عسكر حيث اصطحبه لمدة من الزمن وشاهد له "كرامات كثيرة" وتأكد لديه ما عند شيخه يوسف بن عيسى من "علم الأحوال (...) وأسرار الذكر الخاص الشأن التي لا تدرك "حسب قوله. وقد ذيل ابن عسكر في آخر ترجمته لشيخه بسلسلة للأشياخ الذين أخذ عنهم أسرار التصوف بدءاً بشيخه محمد بن عيسى الفهدي المكناسي "بالعهد والصحبة" إلى أقطاب التصوف كسليمان الجزولي وعبد الله الغزواني وأبي الحسن الشادلي بالتسلسل.

م. الشفشاوني، *دوحة الناشر لمحاسن من كان من مشايخ القرن العاشر*، تح. محمد حجي، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976.

أحمد مزيان

**الفگيگيون المهاجرون** تؤكد النصوص المتوفرة أن فجيج عرفت هجرات عديدة منها وإليها. فشرق أهلها وغربوا وسكنوا السودان الغربي ومصر والشام والقدس ومكة والمدينة، كما نزحوا إليها من أمصار مختلفة من فاس والقيروان والأندلس وتلمسان ... والذين خرجوا من فجيج فرضوا أنفسهم على الأوطان التي سكنوها، وساهموا بامتياز في تنشيط الحركة الثقافية بها. ومن هنا لا يحسن بنا أن نغفل هذه الشريحة التي اعتزت بأصلها فلا تذكر إلا ممهورة بالفگيگي، ومنهم :

- عبد الرحمن بن عبد الله الفگيگي، كان معاصرا للإمام عبد الجبار وبنيه، رحل إلى المشرق ونزل دمشق وصار من أهلها. قرأ على شيخ الإسلام صاحب التآليف العديدة المفيدة بدر الدين الغزي المتوفى 984 / 1576، قرأ عليه الجرومية في النحو وغيرها. وذكر أنه مات مطعونا سنة 930 / 1524.
- محمد بن أحمد أدفال : انتقل إلى لكتاوة على ضفاف وادي درعة جنوبي زاگورة. فأنشأ بها مركزاً علميا غذاه أولاده وأحفاده من بعده، كان من ألمعهم وأغزرهم علما أحمد بن محمد أدفال الصوفي المؤلف صاحب المكتبة الشهيرة (ت. 1023 / 1614). ولم تنقطع الصلات العلمية بين فجيج ولكتاوة حتى ما بعد العصر السعدي.
- أحمد الفگيگي التازي : فقيه، متخصص في القراءات وعلوم القرآن، تصدر للإقراء في تازة فجاءه الطلبة من كل فج عميق، توفي بعد عام 1023 / 1614).
- إسماعيل بن عبد الرحمن الفگيگي الأصل الأغواطي الدار، من معمري الأغواط، ولد سنة 1108 / 1697. أخذ عن المسناوي، والوجاري، والحسن بن رحال، وابن عبد السلام بناني، وأبي العباس أحمد بن المبارك اللمطي، له حماسة في الفنون العقلية، رقيق القلب، سائل الدمع. حج عام 1142 / 1729 صحبة صديقه محمد بن الحسن بناني. ويذكر صاحب الرحلة الكبري أنه أجازه في رحلته إلى الحج عام 1196 / 1789 إجازة عامة بشرطها المعتبر حسبما أجازه شيوخه المذكورون.
- أبو عبد الله محمد بن الحاج محمد بن يعگوب (بقاف معقودة) بن القاسم السليماني الفگيگي، الگراوي، الدرقاوي طريقة، كان من خاصة أصحاب الشيخ الأكبر مولاي العربي الدرقاوي وفضلائهم، وله تلامذة وأتباع. أخذ عن غير واحد من الشيوخ. وله تآليف في علم الباطن منها :
- *مرتع القلوب من حضرة علام الغيوب*، أخبر فيه بأشياء مما منّ الله بها عليه.
- *المواهب اللدنية في العلوم الغيبية من حضرة الألوهية* : وهما مفقودان.

أصيب في بصره حتى توفي بحضرة فاس بين العشاءين من يوم الاثنين 17 ذي القعدة عام 1264.

- سيدي الحاج عاشور الفگيگي : الولي الصالح، الذاكر، الصائم القائم، الصابر، القانت الخاشع، الشريف البركة الخاضع، كان قاطنا بزاوية محمد بن إبراهيم الخياطي التي بدرب الحرة من طالعة فاس، وكان يصوم الدهر، ويقوم الليل، كثير الذكر والقراءة والتلاوة في المصحف، وله كرامات عجيبة وأحوال غريبة توفي في التاسع من شهر ربيع الأول، عام 1264، وشهد جنازته خلق كثير، ودفن بعد الصلاة عليه بالقرويين بالروضة المذكورة.

ومن الأسر التي استقرت بفجيج، وساهم أبناؤها بهمة في تفعيل المشهد الثقافي نذكر :

- أسرة بني منصور التونسية : أصلها من القيروان لا ندري متى نزحت إلى فجيج، ومن أبنائها الداودي بن أحمد بن منصور، من تلامذه شيخ القراء بالمغرب وأكثر أهل زمانه جمعا للروايات أبي القاسم بن القاضي (ت. 1082 / 1671). كان إلى نبوغه في علم القراءات، فقيها متمرساً، وخطاطا ماهراً مجوداً، من منسوخاته "التنقيح للزركشي".
- أسرة آل الخياط، أصلها من الأندلس، استقرت بفاس، وتحول أحد أبنائها إلى فجيج هو الفقيه الزاهد محمد بن الجيلالي بن البشير ابن الخياط بن الطاهر الفاسي الأندلسي النازل في بلاد فجيج ثم المعيز في أوطان سيدنا عبد الجبار، كما يحلو له أن يختم بعض منسوخاته، ومنها :
- الطريقة الواضحة إلى أسرار الفاتحة.
- الفوائد والصلات والعوائد المسمى بكتاب فوائد المائة.

وكان تكميله وتوفيته ضحوة يوم الإثنين في 22 شعبان عام 1269.

- الفقيه عبد الله الكبير بن أحمد بن رزوق الكرزازي، استقر بالوداغير حيث مارس التدريس وتولى الإمامة بمسجده العتيق، ومن آثاره الباقية فتاوى وأحكام تدل على أنه زاول الخطتين، وتحيل إلى أفقه الواسع في علوم الشرع. ورصانة أسلوبه وقوة لغته.

- ومن الذين أدركتهم الوفاة بفجيج المرابط الناسك، الحاج المبرور سيدي محمد بن عبد الرحمن بن داود الگرسيفي الدار، الكشتيمي النجار، حج بعد أن طعن في السن، ولقي بمصر الأجهوري الأخير وأخذ عنه وأجازه. توفي بفجيج مرجعه من المشرق وقبره هناك مشهور يزار. ووفاته إما في سبع أو ثمان وثلاثين بعد الألف.

*الرحلة*، ص. 79 ؛ *فهرس الفهارس*، ص. 219 ؛ الحفناوي، *تعريف الخلف بالسلف*، ص. 114 . 574 ؛ نجم الدين الغـزي، *الكواكب السائر بأعيان المائة العاشرة*، ص. 463 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2، ص. 435 ؛ *أعمال ندوة المغرب الشرقي*، 1986، ص. 469 . 470 ؛ العربي هلالي، *فجيج ؛ تاريخ وثائق ومعالم*، ص. 113 ؛ *مخطوطات خاصة*.

العربي هلالي ومحمد بوزيان بنعلي

**الـفلاحة الـمغربية**، بمناخه المتوسطي، يتميز المغرب بقحولة تتزايد من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق، ولا تخرج عن هذه القاعدة سوى المرتفعات الجبلية. فمن مساحة 71 مليون هكتار (710850 كم$^2$)، 9.5 مليون هكتار فقط هي التي تحمل أنشطة زراعية ورعوية وغابوية، أي ما يمثل 5.5٪ من التراب الوطني، والمساحة القابلة للزراعة، والتي كانت لا تغطي سوى 7,8 مليون هكتار سنة 1980 ، عرفت توسعا حقيقيا على حساب المراعي والأراضي الموات، وكذلك على هوامش الغابات عن طريق الاجتثاب. إلا أن امتداد المساحة الزراعية ليس بلا حدود، حيث امتدت تلك المساحة ابتداء من 1985 على أراضي هامشية، تتميز بأنها أكثر هشاشة ؛ ومنذ 1992 ، هناك نزعة نحو استقرار المساحة الزراعية، دلالة على أن هذه الأخيرة قد وصلت إلى حدودها القصوى.

تتميز الظروف الطبيعية بابتعادها كل البعد عن التجانس. فالموقع من خطوط العرض والقارية والتضرس، كلها عوامل تتدخل بشكل حاسم في الإمكانات الزراعية لمختلف الأقاليم الطبيعية. والمناخ والتضاريس يحدان من امتداد المساحة الزراعية، التي تغطي في مجملها سهول وهضاب المجال المغربي وبعض سهول الساحل المتوسطي. وما عدا ذلك، تتجزأ المساحة الزراعية إلى قطعات مجهرية في الجبال والواحات، إضافة إلى الاقتصاد الرعوي الواسع.

ومن الظروف المساعدة على الرفع من الإمكانات الزراعية، امتداد السهول ذات الأتربة العميقة في المجال الأطلنتي، والتي تجتازها شبكة نهرية دائمة، وتحتوي على فرشة مائية باطنية غنية، إضافة إلى ارتفاع رطوبة الجو واعتدال المناخ : في هذا المجال، تمتد زراعة الحبوب المغلالة ويدخل السقي تنوعا المزروعات.

ويشير توزيع المساحة الزراعية إلى نوعين كبيرين من المجالات.

- في مدرج المغرب الأطلنتي، تتسع المساحة الزراعية إلى ما يفوق 30٪ من المساحة الإجمالية للأراضي في كل الجماعات.

- في السلاسل الجبلية والمجالات السهوبية والصحراوية، لا تمثل المساحة الزراعية سوى أقل من 30٪. ففي الجبال، تمتد الغابات على ما يتعدى ثلث المساحة، بينما لا تتسع الرقعة الزراعية إلا في الجماعات الهامشية (قدم الجبل والأودية السفلى) ؛ في المغرب الشرقي والجنوب، تصبح المراعي والأراضي الجرداء هي الغالبة، بينما تتركز الرقعة الزراعية في الواحات.

يتواجد في المغرب نوعان من الفلاحة، الأول فلاحة بورية (مطرية) تخضع لظروف مناخية تتميز بعدم الانتظام في الهطول مع توزيع مجالي غير متكافئ، والنوع الثاني فلاحة مسقية، ناتجة عن مجهودات عمومية استثمارية كبرى منذ الاستقلال.

ويهم السقي العصري 9 قطاعات كبرى، سبعة منها تساهم بشكل كبير في الإنتاج الزراعي الوطني (تادلة، الحوز، سوس، الغرب، لكوس، دكالة، ملوية السفلى). أما في الجبال وسفوحها وفي الصحراء، فإن السقي موزع إلى قطاعات صغرى، لها رغم ذلك، أهمية كبرى على مستوى الاقتصاد الزراعي المحلي. أما الإمكانات السقوية فتقدير مساحتها يصل إلى 1,6 مليون هكتار، 1,3 مليون منها في إطار ري دائم (850000 هـ من القطاعات البكرى و510000 هـ من المشاريع الصغرى والمتوسطة) و300000 هـ من الري الفصلي. وباعتبار أهمية السقي في التنمية السوسيو - اقتصادية للبلد، ونظراً لامتداد المجالات الجافة، فإن المتاح من الرقعة القابلة للسقي محدود نسبيا، خاصة إذا اعتبرنا التزايد الديمغرافي. فالمساحة المسقية بالمياه الدائمة سوف تتضاءل من 34 هـ لكل ألف نسمة اليوم إلى فقط 25 هـ سنة 2020.

وفي المناطق حيث تقل الأمطار عن 300 مم، يصبح الري ظرفا ضروريا للزراعة، وهي المناطق الموجودة جنوب عرض الجديدة وخاصة منها المجالات قبل الصحراوية والصحراوية. لكن السقي أساسي كذلك في المناطق الأخرى، بغرض تكثيف الإنتاج والرفع من المردود. وارتفاع الإنتاج في القطاعات السقوية قد ساهم بشكل وافر في اشباع الحاجيات الوطنية لبعض المواد الغذائية الأساسية وفي تقويه الصادرات الفلاحية. ورغم أنها لا تغطي سوى 10٪ من الرقعة الزراعية، فإن القطاعات السقوية تساهم بحوالي 45٪ من القيمة المضافة الزراعية وبنسبة 75٪ من الصادرات الفلاحية.

مجالات الزراعة البورية لها امتداد كبير (8 مليون هكتار) في إطار عدد كبير جدا من الاستغلاليات وبساكنة هامة مقدارها 35٪ من الساكنة الوطنية و82٪ من ساكنة الأرياف. أما إمكاناتها الزراعية فهي جد متنوعة بتنوع الأتربة والظروف، وتجعل منها قطاعا استراتيجيا لضمان الأمن الغذائي للبلاد (إنتاج الحبوب والقطاني والزيوت والسكر، والفواكه والعلف). إلا أن هذه الإمكانات ليست كلها مستغلة بسبب عوائق، أهمها عوائق بنيوية.

وفي المناطق حيث تقل الأمطار عن 300 مم، يصبح الري ظرفا ضروريا للزراعة، وهي المناطق الموجودة جنوب عرض الجديدة وخاصة منها المجالات قبل الصحراوية والصحراوية. لكن السقي أساسي كذلك في المناطق الأخرى، بغرض تكثيف الإنتاج والرفع من المردود. وارتفاع الإنتاج في القطاعات السقوية قد ساهم بشكل وافر في اشباع الحاجيات الوطنية لبعض المواد الغذائية الأساسية وفي تقويه الصادرات الفلاحية. ورغم أنها لا تغطي سوى 10٪ من الرقعة الزراعية، فإن القطاعات السقوية تساهم بحوالي 45٪ من القيمة المضافة الزراعية وبنسبة 75٪ من الصادرات الفلاحية.

مجالات الزراعة البورية لها امتداد كبير (8 مليون هكتار) في إطار عدد كبير جدا من الاستغلاليات وبساكنة هامة مقدارها 35٪ من الساكنة الوطنية و82٪ من ساكنة الأرياف. أما إمكاناتها الزراعية فهي جد متنوعة بتنوع الأتربة والظروف، وتجعل منها قطاعا استراتيجيا لضمان الأمن الغذائي للبلاد (إنتاج الحبوب والقطاني والزيوت والسكر، والفواكه والعلف). إلا أن هذه الإمكانات ليست كلها مستغلة بسبب عوائق، أهمها عوائق بنيوية.

فالمصالح الزراعية في المغرب تفرق بين بور ملائم (متوسط تهاطل يفوق 400 مم) وبور غير ملائم (300 - 400 مم) وبور صدفوي، تكون فيه الزراعة عرضية. يضم البور الملائم سهول الشمال المغربي (الغرب - سايس) والهضبة الوسطى وبعض أجزاء قدم جبال الأطلس إضافة إلى جبال الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير الغربي والأوسط وبعض المواقع بجوار وجدة. أما البور غير الملائم فهو يبتدئ من السهول الأطلنتية الوسطى ويغطي تادلة وهضاب الفوسفاط وشمال المغرب الشرقي. ويغطي البور الصدفوي جزءاً من الحوز وسوس والقدم الجنوبي للأطلس ومقدمة الصحراء.

ويتواجد في المغرب نوعان من المجالات ومن الاستغلاليات الزراعية. من جهة أراضي مجزأة إلى استغلاليات صغيرة وحيث التطوير صعب لأسباب عقارية وحيث التقنيات العصرية عامة تقليدية والإنتاج موجه للاستهلاك الذاتي. ومن جهة أخرى، أراضي حيث التقنيات العصرية مستعملة من أجل إنتاج يهدف إلى تزويد السوق.

فأراضي المعمرين قد تم استرجاعها من طرف شركات للدولة أو من طرف الخواص، أو أعيد توزيعها على مستغلين متوسطين مجتمعين في إطار تعاونيات. وتساعد الدولة على عصرنة الزراعة (مكننة، تجميع الأراضي، سقي) وتتدخل في القرى (توزيع المياه والكهرباء) أو من أجل التشجيع على إقامة بعض المزروعات أو تحسين بعض القطاعات.

ويتوفر المغرب على تقليد زراعي أصيل. ولذا نجد المجال القروي متميزاً بتماسكه ضمن مجموعة قروية أو قبلية، قوامها الاستفادة من التكامل بين القطاعات الزراعية والمراعي. كما ينتظم المجال القروي، متميزاً بمشاهد أصيلة، عناصرها نوعية الاستغلال، نوعية السكن (قصر صحراوي، دوار كبير، دوار صغير أو "دشر"، ضيعة معزولة) وكذا علاقته مع الأسواق الأسبوعية المجاورة.

وتتوزع المجالات المغربية إلى مجموعات كبرى حسب إمكاناتها الزراعية.

سهول وهضاب المغرب الأطلنتي كانت إلى بداية القرن العشرين أراضي يسكنها رعاة، منتظمون في إطار مجموعات نطاقية. ومنذ بداية القرن تقدمت الزراعات، على الخصوص مع التعمير الأجنبي للأراضي. حاليا الاقتصاد مبني على الزراعة والرعي، مع دور هام للأشجار في التلال ومقدمة الجبال (مناطق الدير). وتشير الأنظمة الفلاحية إلى تنوع كبير في الدورات الزراعية، حسب الظروف البيومناخية وتقاليد السكان. وقد ائتلفت عدة مزروعات مع الحبوب (قطاني، زراعات علفية، مزروعات صناعية). وتتعمم التقنيات الحديثة للحرث وخاصة في القطاعات السقوية.

الجبال تمثل وسطا زراعيا صعبا بسبب تعددعوائقه الطبيعية. فبسبب صعوبة المواصلات، ظلت الجبال في منحى عن مجهودات الإعداد الحديثة. وتمثل الجبال أوساطا مختلفة من حيث درجة الاستقرار، حيث التكيف الحديث في السكن، تسبب في تزايد وتيرة اقتلاع الموارد. لكنها تمثل كذلك تراثا زراعيا، جد غني على المستويين الثقافي والطبيعي.

نطاق المراعي والزراعات الصدفوية يتوافق مع المجالات حيث تقل الأمطار عن 300 مم وتتسم بعدم انتظام فصلي بيسنوي كبير. في هذه السهوب الممتدة، لا تشغل الزراعات الا مساحات محدودة، بعضها في إطار الري الصغير والمتوسط.

النطاق الصحراوي يمثل ولا شك الوسط الأكثر صعوبة، بسبب عوائق صعبة التجاوز. إلا أن هناك موارد عديدة تساهم في جاذبية هذه المناطق، خاصة الواحات كثيفة الاستغلال والتي تعرف حاليا تحولات عميقة، لكن التصحر يهدد هوامش هذا المجال، الشيء الذي يحتم ضرورة وقاية متزايدة للتربة والغطاء النباتي وتدبيراً أكثر فعالية للمياه.

الرقعة المخصصة للزراعات السنوية (حبوب، قطاني، زراعات صناعية، علفية وخضروات) تساوي حوالي 6,5 مليون هكتار، خمسة منها مغطاة بالحبوب. أما المغروسات الشجرية فهي تهم 700000 هـ، أكثر من نصفها مخصص للزياتين.

قيمة الإنتاج الزراعي معدل 24,5 مليار درهم، أي 50٪ من مجموع الإنتاج الفلاحي، لكن يختلف هذا الإنتاج حسب السنوات. وتمثل الحبوب 47٪ من القيمة الخام للمنتوج النباتي، والخضروات 38٪. أما السقوي الذي لا يغطي سوى 10٪ من المساحة الزراعية فهو يساهم بـ 45٪ من القيمة المضافة.

إلا أن هذا الإنتاج لا يغطي إلا قسطا من حاجيات البلد (60٪ من الحاجيات للحبوب، 52٪ في ميدان السكر و20٪ من الزيوت) بينما الخضر والفواكه تنتج فائضا يتم تصديره.

في الغالب، يظل التكثيف الزراعي متواضعا : فالمكننة مازالت دون الحاجيات (1 جرار لحوالي 230 هكتار، مقابل 1 جرار لـ 45 هـ في مصر). أما استعمال المخصبات فمعدله حوالي 36 كيلوا قنطار (مقابل 64 بالنسبة لتركيا و94 في إسبانيا).

J. Le Coz, *Le Rharb, fellahs et colons*, Etude de géographie régionale, INFRAMAR-CURS, Rabat, 2 vol., 1005 p. + cartes h.t, 1964. ; P. Pscon, *Le Haouz de Marrakech*, 2 vol., Rabat, 693 + 165 p., 1977 ; H. Popp, *Effets socio-géographiques de la politique des barrages au Maroc*, Rabat, 2 vol., 266 p. + atlas, 1984 ; A. Laouina, Dynamiques agraires et dégradation des terres dans les régions de montagne au Maroc, la perspective d'un développement durable, in *La montagne marocaine*, Publ. Chaire Unesco-Gas Natural, vol. 1, p. 5 - 34, 2000 ; J.F. Troin, *Le Maroc, région, pays, territoires*, Paris, Maisonneuve - Larose, 504 p, 2002 ; M. Ferass (édit.), *Atlas du Maroc*, Edition Jaguar, 2002.

عبد الله العوينة

**الـفلاحة الـبورية**، تشمل المساحات الفلاحة البورية بالمغرب ما يناهز 5.400.000 هـ، أي حوالي : 90٪ من الأراضي القابلة للزراعة ؛ وهذه المساحات، التي يعتمد إنتاجها النباتي على مياه الأمطار بالدرجة الأولى، تؤمن خلال السنوات المناخية العادية ما يزيد عن 90٪ من الإنتاج الوطني من الحبوب والقطاني والمزروعات الزيتية وحوالي 60٪ من الإنتاج الحيواني ؛ في وقت تضم فيه هذه المناطق حوالي 80٪ من سكان البادية، وما يعنيه ذلك من موارد هائلة للطاقات البشرية المنتجة ومنافذ لا يستهان بها لترويج المنتوجات الصناعية..

وانطلاقا من المعطيات السالفة يتضح بأن للمناطق البورية أهمية بالغة تستمدها من الوظائف المتعددة التي يمكن أن تقوم بها لصالح تحقيق التوازن الديموغرافي الاجتماعي والاقتصادي والمجالي على الصعيد الوطني، إلا أن أغلب الفلاحين بهذه المناطق لازالوا يتعاطون لفلاحة الكفاف والإستهلاك الذاتي في المقام الأول، وما يتبع ذلك من تدني المردودية وضعف الدخل... ومع اتساع دائرة الفقر وقلة فرص النمو والتطور وكذا التهميش الذي تعرضت له المناطق البورية لعدة عقود، فقد تعمقت الهوة بين البوادي والمدن ثم بين المجالات المسقية والمجالات البورية التي ضاعف من أعبائها ومعاناتها بعد السبعينيات من القرن العشرين تواتر سنوات تميزت بالجفاف الحاد ؛ كل ذلك يدفع سنويا بحوالي : 271.000 فردا من سكان البادية، معظمهم من المناطق البورية، إلى شد الرحال نحو المدن. وتعتبر تيارات الهجرة الريفية الواسعة والمتواصلة من العوامل الرئيسية التي جعلت ساكنة الأرياف سنة 1994، ولأول مرة في تاريخ المغرب، أقل عددا من ساكنة المدن ويترتب عن هذه المسألة تداعيات وصعوبات متعددة على صعيد التوازن والتكامل داخل التراب الوطني، فضلا عن التهديدات التي يشكلها ذلك على صعيد الأمن الغذائي للبلاد.

إن المنهجية الإنتقائية التي تبنتها الدولة في الميدان الفلاحي بعد حوالي عشر سنوات من الاستقلال والقاضي بإعطاء الأولوية في الإستثمارات الفلاحية لمناطق السقي الكبير كان لصالح فلاحة التصدير بالدرجة الأولى، وعلى حساب المناطق البورية التي تنتج أساسا من أجل تلبية الحاجيات الغذائية الداخلية وخاصة الحاجيات من المواد التي لازالت تشكل أساس التغذية عند معظم المغاربة وعلى رأسها الحبوب، حيث تعتبر المجالات البورية موطنها الرئيسي. فبالنظر لعدد سكان المغرب الذي تفيد بعض التوقعات بأنه تجاوز عتبة 30 مليون فردا سنة 2000، فإن حاجياتنا السنوية من الحبوب بداية من هذه السنة لا تقل عن 60 مليون قنطار، وبديهي أن هذا المقدار يتصاعد تبعا لوتيرة التزايد الديموغرافي، والحالة هذه أننا لا نصل إلى الحجم السالف إلا في المواسم الفلاحية التي نستقبل فيها أمطارا كافية، أما في المواسم الجافة فإن حجم المنتوج من الحبوب ينزل إلى أقل من 20 مليون قنطار، علما بأن مردوديتها لم يطرأ عليها تحسن واضح بالمقارنة مع ما كانت عليه في بداية الاستقلال حيث كان المغرب يصدر القمح. لكن منذ أوائل عقد الستينيات من القرن الماضي، ومع التزايد المستمر في عدد السكان، تم اللجوء بصفة تصاعدية إلى استيراد الحبوب لتدارك الخصاص في هذه المادة، فقد كنا نستورد خلال عقد الستينيات : 3 مليون قنطار في السنة في المعدل، وأصبحنا في السنوات الأخيرة نتجاوز 30 مليون قنطار مستورد في السنة، علما بأن اللجوء المتزايد لاستيراد الحبوب يعني ثقلا متزايدا على خزينة الدولة أي صرف أموال من الأجدر أن تصرف في حاجيات أخرى، ثم إن الاستمرار في استيراد الحبوب بكميات متزايدة لا يخلو من خطورة بالنسبة للأمن الغذائي الوطني، خاصة وأن الأسعار الدولية لهذه المادة مهيأة للارتفاع، في وقت انتقل فيه معدل استهلاك الفرد سنويا لدقيق القمح الرطب من 30 كلغ سنة 1973 إلى 80 كلغ سنة 1985.

إن النزيف البشري المرفوق بتراجع الإنتاج الفلاحي الذي يصيب المناطق البورية بالدرجة الأولى يؤدي بطبيعة الحال إلى خلق ضغوطات وانعكاسات سلبية ليس فقط على المناطق البورية نفسها بل أساسا على التوازن والتكامل بين الأرياف والمدن والعلاقات بينهما، وما يتبع ذلك من آثار سلبية على مستوى إعداد وتنمية البوادي والحواضر على

السـواء. ولذلك نرى بأن تزويد المناطق الفلاحيـة البورية بمستلزمات النهوض والترقي على جميع الأصعدة أضحى أمرا لا يقبل التأجيل، وذلك عن طريق وضع أسس سياسة جديدة للتخطيط للفلاحة ولإعداد المجال الريفي والتراب الوطني بوجه عام، تتوخى بلوغ العدالة المجالية التي تقتضي توزيعا جغرافيا متكافئا للسكان والتجهيزات والأنشطة والثروات، في أفق تدعيم التنمية المحلية بكل أبعادها وتقوية أسس اللامركزية والجهوية، وهي سياسة من شأنها أن تساعد على مواجهة تحديات العولمة وكسب رهانات التنمية المستدامة خلال القرن الواحد والعشرين.

المختار الأكحل، المناطق الفلاحية البورية بين التهميش وإمكانيات التطوير، *مجلة المجال الجغرافي والمجتمع المغربي*، عدد 5 : 2000، ص. 29 ـ 37.

Ministère de l'Intérieur, *Analyse des données de la migration interne à partir du R.G.P.H. de 1994*, 1997, p. 16 - 25 ; Direction de la Statistique, *Population légale du Maroc - Recensement de 1994*, Rabat, 1995, p. 22 ; *Annuaire statistique du Maroc* de 1998 (p. 618) et 2001 (p. 606).

المختار الأكحل

**الفلس** (عملة -) وتجمع على أفلُس للقلة، وفُلوس للكثرة، وتستعمل الكلمة إسما لجنس النقود يقال هل عندك فلوس ؟ بمعنى هل تملك نقوداً، والكلمة من أصل يوناني Follis وهي قطع من النقود النحاسية.

من حيث قيمة الفلوس فإنها تعتبر سواء في المغرب أو في المشرق أو في البلاد الأوربية مجرد عملة تكميلية، وكان المخزن في مختلف السلالات المغربية الحاكمة إنما يتعامل بقطع الفلوس النحاسية بهذا الاعتبار، منذ الفتح الإسلامي إلى أواخر القرن التاسع عشر، عند حدود 1868، كما كتب بذلك السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى ابنه مولاي الحسن يؤكد له "بأن الفلوس لم تجعل إلا للفرق بين الناس، وتدفع في الضروريات من اللحم والخضر وشبهها"، بمعنى أن المخزن لا يعتبر الفلوس نقوداً تفي بمختلف الالتزامات كما هو الشأن في النقود الذهبية والفضية. ويؤكد جرمان عياش أن هذا الاعتبار بالنسبة للفلوس مخالف للواقع ابتداء من سنة 1868 بالذات، و"أن البرنز (أي النقود النحاسية) لم يكن عملة تكميلية كما كان الشأن بأوربا، بل كان عملة حقيقية تستعمل لتأدية حسابات لا حد لها". وهذا ما تؤيده التطورات النقدية التي أدت إلى جعل النقود النحاسية قاعدة للسكة المغربية في العقد الأخير من القرن التاسع عشر ابتداء من سنة 1891. ويهمنا أن القطع النقدية في هذه المرحلة كانت تُصنع إما من النحاس أو من النحاس والتوتيا أو من النحاس والرصاص مما يسمى النقود البرنزية في الدراسات الحديثة، وكانت تصنع بثلاثة أحجام وبأوزان غير دقيقة :

قطعة كبيرة : تزن ما بين 21 گراما و9,3 گرامات، وتصرف بـ 4 فلوس.

قطعة متوسطة : تزن ما بين 8,4 غ و4,9 غ، وتصرف بفلسين.

قطعة صغيرة : تزن ما بين 9 غ و1,5 غ، وتصرف بفلس واحد.

وكلها قطع رديئة الصنع ومتشابهة الشكل رسم على وجه كل منها النجمة السليمانية وعلى الظهر يكتب مكان الضرب وتاريخه، وكانت لها أجزاء كسرية صغيرة تدعى الزوالغ، كانت تروج إلى سنة 1884 حيث ألغاها السلطان مولاي الحسن.

ومن حيث أوزان الفلوس فإنها ليست ذات أوزان مضبوطة، ويرجع سبب عدم انضباطها للوزن إلى عدة عوامل أهمها : كون النقود النحاسية "البرنزية" لا يدخل معدنها ضمن المعادن الثمينة فهي لا تعد من النقود المزكاة شرعا ولا يشملها النظام الفقهي الذي رتب الزكاة على نظام "النقدين : الذهب والفضة" مما جعل الفلوس لا تنضبط للوزن الشرعي كما هو الشأن في وزن الدينار والدرهم، وأن الفلوس تصنع بطريقة "الإفراغ" وهي من طرق ضرب النقود التي يصعب معها ضبط الوزن، كما أوضحنا سلفا في أوزان القطع النحاسية الثلاث. أضف إلى هاذين العاملين الاختلاف الموجود بين قيم الفلوس الحسابية وقيمها الذاتية أثناء الصرف : فالموزونة من الفضة وهي ربع الدرهم تقابل وزن 24 فلسا، وبما أن الأوقية تعادل أربع موزونات فهي تقابل وزن 96 فلسا نحاسيا. ولكون وزن الفلس غير مضبوط أكد جرمان عياش "إننا لم نتمكن من الوزن الحقيقي للأوقية لحد الساعة"، عكس ما ذهب إليه بول باسكون عندما حدد وزنها بـ 30,594 غ، وهو وزن يعسر تطبيقه على واقع النقود النحاسية بالمغرب. وقد حاولنا تطبيقه على النقود النحاسية من كتاب بريث لما يقابل الموزونة الفضية فحصلنا على أوزان مختلفة جاءت على التوالي : 31,2 غ و32,4 غ و43,8 غ و52,2 غ. وللحصول على الأوزان المحتملة للأوقية يضاعف كل من هذه الأوزان أربع مرات مما لا يؤدي بالتأكيد إلى نتيجة حاسمة. وقد أوردنا هذا لصرف النظر عن أي ترجيح.

ومن حيث نظام صرف الفلوس النحاسية، فقد أوردنا أن الفلوس عملة تكميلية، إلى جانب نقود الذهب والفضة اللذين يكونان "القاعدة النقدية". وبما أن الفلوس ليست ذات أوزان محدودة، فهي بذلك نقود "معدودة" وليست نقوداً "موزونة". فصرفها يعتبر حسابيا معدوداً، فليس للفلس قيمة صرفية في ذاته وإنما يمثل جزءا من وزن الفضة أو الذهب. وتتكون الفلوس من ثلاث قطع (فلس كبير وفلس متوسط وفلس صغير). ويستعمل الفلس الكبير في الحساب ويساوي أربعة فلوس والمتوسط فلسان والصغير واحد. وللفلس مضاعفات وهي : الأوقية ونصفها وثلثها وربعها ولها أجزاء وهي الزوالغ والحبات، ويأتي الصرف كما يلي : فالأوقية النحاسية تساوي الدرهم الفضي الشرعي وتصرف حسابيا بـ 96 فلسا، والموزونة الفضية هي ربع الدرهم تساوي ربع الأوقية وهي 24 فلسا والفلس الواحد = 12 زلاغي والزلاغي = 12 حبة وهو كسر حسابي ضئيل، وواضح أن المثقال الفضي وهو عشرة دراهم يصرف بـ 960 فلساً.

وقد عرفت عملية الصرف تقلبات في أسعارها، فقد كانت الموزونة تصرف بـ 48 فلسا وحولها السلطان مولاي رشيد العلوي إلى 24 فلساً سنة 1082 / 1672. ولا بد من الانتباه إلى استعمال الفلس الكبير في الصرف لفهم ما يرد في الوثائق منذ عهد السلطان مولاي سليمان من أن الموزونة تساوي 6 فلوس، وهو ما ذهب إليه مييج Miège، فصرف الموزونة بـ 6 فلوس مضروبة في أربعة = 24 فلساً.

وإن تطور العلاقة الصرفية بين النقود الفضية والنحاسية أدى إلى أزمة نقدية خاصة بعد عهد السلطان مولاي سليمان خلال القرن التاسع عشر بعد حرب تطوان ودخول أعداد هائلة من النقود الأجنبية الفضية من الريال الأجنبي إلى المغرب.

وكان المخزن يصدر النقود النحاسية "البرونز" بإسراف لتعويض قلة النقود الفضية إلى حد إذابة نحاس بعض المدافع وتحويله فلوساً، فكان تضخمها يثير مشاكل كثيرة، جعلت صنفا من التجار ينقلون الفلوس كسلعة بين المدن للاستفادة من فارق صرف الريال الفضي بين تلك المدن والحصول على أرباح طائلة، وغالبا ما تمارس عملية إذابة الفلوس للحصول على النحاس بأرخص من ثمنه كمادة خام.

وأصبحت فلوس النحاس في هذه الأزمة تتبوأ مكانة جعلتها قاعدة حقيقة للعملة المغربية بدلاً من الذهب والفضة، نتيجة التطور الواسع للعلاقات التجارية بين المغرب وأوربا، وخروج كميات هائلة من النقود الفضية والذهبية إلى أوربا من جراء هذا التداول ومن جراء دفع مختلف الغرامات. وابتداء من سنة 1903 قرر السلطان مولاي عبد العزيز انتهاج النظام العشري الأروبي، فضرب النقود النحاسية في كل من فاس وباريس ولندن وبرلين قاصداً بذلك إحلالها محل الفلوس القديمة ، وجعل قيمة الفلس تعادل قيمة السنتيم في النظام الفرنسي وسماها الموزونات، فالريال الفرنسي يصرف بـ 500 سنتيم يقابله 500 موزونة من الفلوس النحاسية. وهذه نماذج من الفلوس المضروبة في هذا العهد.

وقد أساء السكان تطبيق النظام العشري وطبقوا نظام الموزونات على نظام صرف المثقال بالأواقي، فوقع اضطراب وهرج في مجال التداول في الأسواق مما جعل السلطان يلغي النظام العشري ويقرر رواج صرف الريال بـ 14 مثقال أي 140 أوقية من فلوس النحاس، وتعرض صرف العملة إلى خسارة فادحة، حيث فقدت في آخر القرن 94٪ من قيمتها الأصلية قبيل وقوع المغرب تحت الاحتلال سنة 1912.

الكرملي اسطاس، *النقود العربية وعلم النميات*، القاهرة، المطبعة العصرية، 1939 ؛ رسالة السلطان محمد بن عبد الرحمان لابنه مولاي الحسن يشير عليه بعدم قبول فلوس النحاس في مختلف الجبايات بتاريخ جمادى الأول 1285 / 13 شتنبر 1868 (*ملف مديرية الوثائق الملكية*) ؛ عياش جرمان، جوانب من الأزمة المالية بالمغرب، ص. 27، 29 ؛ محمد أكنسوس، *الجيش العرمرم*، طبعة فاس الحجرية، ج. 1، ص. 61 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، طبعة 1956، ج. 9، ص. 163 ؛ رسالة السلطان مولاي عبد العزيز إلى عبد الله بن سعيد السلاوي 6 شوال 1318 (*وثائق عائلة ابن* سعيد) ؛ عمر أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، الدار البيضاء، 1988.

J. D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; Miège, *Le Maroc et l'Europe (1830-1894)*, t. 3, p. 105, 97 ; Paul Pascon, Le commerce de la maison d'Ilig Tazrwalt (1850 - 1875), in *Annales, n° 3, 4, 1980*, p. 710.

عمر أفا

**فلسطين والمغرب**، شكل الاستنفار الشعبي الكبير ضد الظهير البربري الحدث الذي نبه النخب الوطنية المغربية الشابة لحجم وقوة دعم الرأي العام العربي والإسلامي للقضية المغربية. فالوطنيون أضحوا على بينة من أن توطيد علاقات الأخوة والتضامن مع شعوب المشرق مسألة إيجابية في اتجاهين الأول هو ضبط العناصر الروحية والثقافية والحضارية المكونة للشخصية المغربية، والثاني هو توسيع دوائر السند السياسي في مواجهة مخططات إدارة الحماية والدولة الفرنسية. وعليه، اقتحمت الإحالات القومية الخطاب الفكري المغربي في جميع أشكاله ومضامينه (السلفي والليبرالي وحتى الشيوعي)، وأوليت قضايا الشرق العربي أهمية خاصة. وصادفت هذه النقلة انتقال الصراع بين عرب فلسطين (مسلمين ومسيحيين) والجماعات الصهيونية حديثة الاستقرار بالأرض المقدسة (عقب أحداث الخليل سنة 1929) من طور المشاجرة الداخلية إلى طور المواجهة الوجودية. فالشعوب الإسلامية باتت تعتبر مساندة الإخوة العرب في محنتهم ضد الصهيونية المؤازرة بالقوى الإمبريالية واجبا دينيا لا يقبل المساومة. وفي المغرب، أخذ التعاطف مع القضايا الفلسطينية أشكالا عديدة ؛ فالوطنيون دأبوا على تنظيم حملات هدفت إلى تحصيل المساعدة المادية عبر جمع التبرعات، والرفع من المعنويات عبر قراءة اللطيف وتنظيم الصلوات الجماعية. وتأكد منذ البدايات أن الصراع بين الصهاينة وعرب فلسطين يثير فضول الجمهور المغربي، وأن الوقوف إلى جانب "الإخوة" يساهم إلى حد كبير في تجنيد الرأي العام ضد القوة المستعمرة وتوطيد روح الوطنية. ولتنظيم الدعم وتفعيل بعض مظاهر السند، تأسست في أغلب المدن لجن لدعم الإخوة الفلسطينيين، قامت بتعميم الإخبار والاطلاع على المستجدات. والأكيد، كان لشخصية ولفكر الأمير شكيب أرسلان الأثر الكبير في تصور الوطنيين المغاربة للصراع العربي الصهيوني، ووعيهم بطبيعة وحجم وراهنية وخطورة التحديات التي يشكلها بالنسبة للأمة الإسلامية والمصير العربي. فالعلاقات المتميزة التي ربطها الزعيم المشرقي مع أقطاب الحركة الوطنية - والتي اتخذت في بداية الثلاثينيات مظاهر احتفالية تاريخية خلال زيارته لتطوان -، وكذلك وقع كتاباته على الأوساط المغربية المتعلمة، أمور جعلت النخب الوطنية تتنبه لحجم المضاعفات السلبية للصراع في المشرق على المغرب، وهي مضاعفات تزداد حدة كلما حقق المشروع الصهيوني مكاسب ميدانية في فلسطين، ودبلوماسية في عواصم القوى الكبرى.

فالصهيونية بنفس قدر تهديدها للوضع في فلسطين مثلت خطرا على التعايش بين الجماعات اليهودية والأغلبية المسلمة.

وقد أبان العديد من الشباب المتعلم خلال عمليات تحصيل التأييد عن مهارات في فنون التأطير والخطابة والتأثير (محمد اليزيدي وأحمد بلافرج والحاج أحمد الشرقاوي). فهؤلاء وغيرهم، شددوا في كلماتهم التوجيهية على إلزامية "الجهاد"، وجدوى مساندة التنظيمات الإسلامية الفلسطينية (خاصة فصائل الحاج أمين الحسيني). وقد تحولت المدن الكبرى في مناسبات عديدة إلى مسارح لمظاهرات نظمت خصيصا لمساندة الفلسطينيين ضد "العصابات الصهيونية"، خلالها وزعت مناشير أكدت على أمور حساسة، مثل حماية الأماكن المقدسة والتنديد بقرارات الدولة المعادية للمصالح العربية في فلسطين.

ومن جهتها، طورت الجماعات اليهودية المغربية قنوات وأساليب خاصة لدعم بني ملتها في فلسطين. وقد سعت سلطات الحماية إلى الحد من مظاهر تعاطف وسند اليهود للمشروع الصهيوني، ونجحت نسبيا في مساعيها. وإجمالا، لم تؤثر مناسبات الاصطدام القليلة بين اليهود والمسلمين المغاربة بسبب المواقف من تطور الأحداث في المشرق العربي، على العلاقات بين الجماعات اليهودية المغربية والأغلبية المسلمة. ودل على تزايد اهتمام الرأي العام المغربي بالقضية الفلسطينية في عقد الأربعينيات، الحيز المهم الذي دأبت الصحافة الوطنية المكتوبة على تخصيصه لتطور الأحداث وعرض مكامن خطر المخططات الصهيونية. فصحف المنطقة الخليفية، وبشكل أقل حدة نظيراتها في المنطقة السلطانية، تجندت للدفاع عن "المجاهدين الفلسطينيين" وللتنديد بدعم القوى العظمى "للعصابات الصهيونية".

وقد أثارت هزيمة الجيوش العربية في حربها ضد القوات الإسرائيلية سخط الشارع المغربي، فاضطر السلطان إلى الإعراب عن موقف المخزن من الصراع الدائر فوق أرض فلسطين، حيث ندد بالخطط الصهيونية، وناشد يهود المغرب بالتزام الحياد، كما نادى بضرورة ضبط النفس والتحلي بالانضباط. وعرفت المنطقة الشرقية (وجدة وجرادة) أحداث عنف استهدفت الجماعة اليهودية ؛ فالمسلمون اتهموا يهود وجدة بتسهيل عمليات مرور الصهاينة الراغبين في التوجه إلى فلسطين عبر الحدود الجزائرية. وقد تصاعدت وثيرة هجرة يهود المغرب في اتجاه إسرائيل منذئذ، خاصة بعد أن سمحت إدارة الحماية بفتح مكاتب هيئة صهيونية (كاديما) كلفتها الوكالة اليهودية بتنظيم الهجرة.

ومنذ الحصول على الاستقلال، جعلت الدولة المغربية من مساندة ودعم المقاومة الفلسطينية واجبا وطنيا، وجندت طاقاتها للوقوف إلى جانب دول المواجهة. وبعد التحاق البلد بجامعة الدول العربية (1958)، التزمت الحكومات المغربية بمقتضيات المقاطعة ورفض أشكال التطبيع، كما انخرطت في مواثيق الأمن والدفاع المشترك. وضغط ملك المغرب بثقله خلال مؤتمري القمة المنعقدين في مصر 1963 و1964 لفرض تمثيلية فلسطينية تعبر عن آمال الفلسطينيين.

وشكلت نكسة يونيو 1967 منعطفا في تعامل المملكة المغربية مع القضية الفلسطينية ؛ وجهت المساعي إلى الحد من آثار الهزيمة عبر دعم دول المواجهة (مؤتمر الخرطوم)، خاصة مصر في حرب الاستنزاف (مؤتمر الدار البيضاء 1969 ). ودشن الملك الحسن الثاني لسلسلة من اللقاءات السرية (استقبال ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي) والعلنية بهدف تهيئة الأجواء لحصول مفاوضات مباشرة بين الأطراف المتنازعة قصد الوصول إلى سلام عادل ودائم، وهو مبدأ أسس للسياسة الرسمية للمملكة خلال العقدين المواليين. ومن جهتها، أسست مجموعة من الفعاليات السياسية المنتمية لحزب الاستقلال والاتحاد الوطني للقوات الشعبية "الجمعية المغربية لمساندة الشعب الفلسطيني"، لتنظيم السند الشعبي وتوجيهه في اتجاه إيجابي. ووافقت غايات الجمعية ما يرمي إليه الملك. فالفعاليات السياسية المغربية على اختلاف قناعاتها وتوجهاتها الإيديولوجية، سعت إلى دعم منظمة التحرير الفلسطينية للتحرر من وصاية الأنظمة العربية. وبعد حادثة إحراق المسجد الأقصى، بادر الملك الحسن الثاني إلى عقد مؤتمر إسلامي بالمغرب، تأسست على إثره منظمة المؤتمر الإسلامي، وهي هيئة إضافية لتنسيق العمل المشترك لصالح القضايا الإسلامية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

وعلى المستوى العسكري، ولتحقيق تغيير في موازين القوى والدفع بالقوى العظمى (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي) للتدخل بشكل إيجابي والضغط على إسرائيل في اتجاه القبول بصيغة "السلام مقابل الأرض" والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، ساند المغرب سوريا ومصر في حرب أكتوبر 1973 ، فبعث بتجريدتين للجولان وضعهما تحت القيادة العسكرية السورية. بعد ذلك، وللاستفادة من آفاق العمل العربي، ضغطت الدبلوماسية المغربية في اتجاه تحقيق الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطيني ممثلا وحيدا للشعب الفلسطيني (مؤتمر الرباط 1974 ). ووظف الملك مصداقيته الدولية للعب دور الوسيط بين الدولة العبرية ومصر، فنظم في قصوره سلسلة من المفاوضات السرية بين وزير الخارجية الإسرائيلي (موشي ديان) ومبعوث عن الرئيس أنور السادات (حسن التهامي)، أدت بالزعيم المصري إلى القيام بزيارته "التاريخية" للقدس (1977)، والانخراط في منطق كامب دافيد (1979). ولم يمنع السند الأخلاقي والفلسفي لمبادرات الرئيس أنور السادات الملك الحسن الثاني من قبول رفض باقي الدول العربية لصيغة السلام المنفرد بين مصر وإسرائيل. وقد رفعت الصحف المغربية من حدة الانتقادات ضد ما اعتبرته مقايضة للحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني مقابل استرجاع مصر لسيناء.

وقد سعت الديبلوماسية المغربية خلال عقد الثمانينيات إلى اختلاق مناسبات للاتصال المباشر بين الإسرائيليين والفلسطينيين. ففي وقت أول، نجحت في تحقيق إجماع عربي في موضوع "مشروع فهد"، إلا أنها فشلت في إقناع الإسرائيليين بضرورة الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني من خلال تأسيس دولة مستقلة ذات سيادة (لقاء الحسن الثاني بشمعون بيريس بإيفران في صيف 1986). ولتجاوز هذا الفشل، وجهت الخارجية المغربية مجهوداتها لتفعيل برامج "لجنة القدس"، وتقديم مساعدات إضافية لدعم ميزانية "بيت مال القدس".

ومنذ انطلاقة الانتفاضة الأولى، أعربت جميع مكونات الرأي العام المغربي عن دعمها لمقاومة فلسطينيي الداخل، وباركت جميع المبادرات ومسلسل مدريد ومفاوضات أوصلو التي أدت إلى لقاء الرئيس ياسر عرفات بالوزير الأول الإسرائيلي (إسحق ربين) في حديقة البيت الأبيض. وفي هذا الإطار، ربط المغرب علاقات ديبلوماسية مفتوحة مع الدولة العبرية، فسمح بفتح مكتب للاتصال الإسرائيلي بالمغرب، وكثفت الأحزاب السياسية وهيئات المجتمع المدني من جهتها من مظاهر التضامن والتعاون مع المؤسسات الرسمية وغير الرسمية الفلسطينية للتأكيد على مواقفها الثابتة تجاه الخيارات التكتيكية والاستراتيجية للسلطة الفلسطينية وطرق عملها في التأسيس للدولة الناشئة. واستمر الشارع المغربي في التعبير عن شجبه ورفضه لسياسة القمع والتنكيل التي تنهجها إسرائيل ضد رموز السلطة الفلسطينية وقوى المقاومة، فالمظاهرات الشعبية الكبيرة التي عرفتها الدار البيضاء والرباط لدعم الانتفاضة الثانية عبرت بشكل واضح عن تضامن المغاربة مع القضية الفلسطينية.

والحاصل، أن القضية الفلسطينية تندرج ضمن القضايا الأكثر حساسية عند الرأي العام المغربي، والتي في موضوعها حصل إجماع وطني. فالقائمون على السياسة الخارجية يراعون إلى أقصى الحدود اتجاهات الرأي العام وإغلاق مكتب الاتصال الإسرائيلي، ويعتمدون الشفافية لشرح مبادراتهم وتحفزاتهم وغاياتهم المباشرة والبعيدة. وإجمالا، التزمت الدولة المغربية، نظاما وشعبا، بالعمل على الدفع بالقضية في اتجاه إنشاء دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة، وتحقيق سلام عادل ودائم بين إسرائيل وجيرانها العرب.

أبو بكر القادري، المغرب والقضية الفلسطينية منذ عهد صلاح الدين إلى إعلان الدولة الفلسطينية، الدار البيضاء، 1989.

محمد حاتمي

**الفلسفة بالمغرب**، نقترح هنا القيام بعملية رصد لجوانب الفكر الفلسفي بالمغرب المعاصر، من منتصف الخمسينات إلى نهاية القرن العشرين وذلك من خلال الإنكباب على الإنتاج النظري الفلسفي. فقد ارتبط ازدهار هذا الإنتاج بتأسيس الجامعة المغربية الحديثة، خصوصا جامعة محمد الخامس، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

سنعتمد في تناولنا للفكر الفلسفي بالمغرب أسلوب التناول التاريخي المركز على أجيال هذا الفكر. وقد استقر النظر على أن ثمة جيلين في الفكر الفلسفي المغربي : جيل الرواد المؤسسين، وجيل الموجات الجديدة.

إنه تقسيم مدرسي فرضته ضرورة التصنيف والتحقيب الزماني.

جيل الرواد والمؤسسين :

ويتكون من أربعة أعلام هم : المرحوم محمد عزيز الحبابي، والأساتذة عبد الله العروي ومحمد عابد الجابري وعلي أومليل.

في نهاية الخمسينات من القرن العشرين، ناقش الأستاذ محمد عزيز الحبابي أطروحته لنيل الدكتوراه في الفلسفة في جامعة باريس، وكانت بعنوان : *من الكائن إلى الشخص، دراسات في الشخصانية الواقعية*. ولما عاد إلى المغرب عين عميدا لكية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط. فكان ذلك بمثابة الانطلاقة الأولى لترسيخ دعائم تعليم فلسفي جامعي بالمغرب، فقد أسس المرحوم العميد شعبة الفلسفة وزودها بأساتذة أكفاء مشاهير جلبهم من الشرق والغرب. ودعما لكل ذلك أسس جمعية الفلسفة بالمغرب، وكانت لها مجلة تنطق بلسانها هي *دراسات فلسفية وأدبية*.

يمكن القول أن هذه الفترة عرفت طفرة نوعية، ذلك أن المرحوم العميد قام بعملية توطين للفلسفة ولخطابها في الفكر المغربي المعاصر من خلال اهتمامه بترجمة أعماله التي كانت مكتوبة في الأصل بالفرنسية، إلى العربية، وعلى رأسها : *من الكائن إلى الشخص وحريات أم تحرر ومن المنغلق إلى المنفتح*... وكذا من خلال الانشغال بالمصطلح الفلسفي وهو ما يعكسه إصداره لكتاب *مصطلحات فلسفية* الذي ظل معتمد المهتمين بالفلسفة في المغرب لفترة طويلة. وقد رافقت عملية التوطين تلك عملية أخرى ندعوها تعبئة الفلسفة في مجتمع مسلم. وتمثلت في إصدار كتاب بالفرنسية ترجمه فيما بعد إلى العربية، يبحث فيه عن النزوع الإسلامي نحو الشخصانية، وهو كتاب *الشخصانية الإسلامية*.

وقد عرف التطور الفكري للمرحوم الحبابي مرحلة ثانية مع بداية الثمانينات، استقطب اهتمامه فيها مستقبل العالم الثالث، وسميت هذه المرحلة بالفلسفة الغدية (نسبة إلى الغد). وأهم مؤلف يعكسها هو المؤلف الصادر بالفرنسية والمترجم إلى العربية فيما بعد *"العالم الثالث يتهم"*.

غير أنه مع منتصف الستينات، لمع نجم جديد في سماء الفكر الفلسفي بالمغرب، ينتمي إلى جامعة محمد الخامس، وإلى شعبة التاريخ. إنه فيلسوف لا كالفلاسفة ومؤرخ لا كالمؤرخين. يتعلق الأمر بالأستاذ عبد الله العروي الذي رفعته جهوده الفكرية المنظرة للتاريخ ولقضايا الفكر العربي

المعاصر إلى أرقى مصاف الفلاسفة. نذكر هنا بالذات مؤلفين : *أزمة المثقفين العرب والعرب والفكر التاريخي* (1973)، تحضر فيهما جملة من المفاهيم الفكرية الفلسفية في صيغة تركيبية وضمن إشكال محدد يهدف إلى بناء تصور نظري للكيفية التي يمكن بها تجاوز التأخر التاريخي في المغرب وفي العالم العربي.

وقد تلاحقت إصدارات العروي محدثة دويا كبيرا في الساحة الثقافية العربية والعالمية، من بينها *الإيديولوجية العربية المعاصرة* (1967)، وسلسلة كتبها حول المفاهيم مثل : مفهوم الدولة ومفهوم الأدلوجة ومفهوم الحرية ومفهوم التاريخ ومفهوم العقل.

جمعت هذه الأعمال بين الانفتاح النظري على صميم الواقع وأسئلة المرحلة، وبين عمق التحليل النظري والفلسفي للمفاهيم وتناولها تناولا نقديا جديدا غير معهود ذا مرجعية فلسفية متميزة تجمع بين الانفتاح على أسئلة الفلسفة السياسية المعاصرة ومعطيات المنزع الفلسفي التاريخاني. إضافة إلى تشبعه بقيم الفلسفة الحديثة في بعدها الحداثي وروحها التاريخية والنقدية ومن خلال الانخراط البارز في معارك تحديث الذهنيات وتحديث المجال السياسي في الثقافة المغربية والمجتمع المغربي والثقافة العربية عامة.

ونستطيع القول أن الخلفية التاريخية ومسألة النجاعة التاريخية، والاعتقاد بدور المثقف والسياسي في التاريخ، تعد بمثابة مقدمات صريحة ومضمرة في النصوص الفلسفية للجيل الأول خصوصا : العروي والجابري وأومليل. ومن هنا فإن الأسئلة الكبرى التي وجهت الإنتاج الفلسفي المغربي، يمكن بلورتها في إشكاليتين كبيرتين : إشكالية الحداثة وإشكالية الموقف من التراث. إذ في إطار هاتين الإشكاليتين وفي ترابطهما، وتكاملهما وتقاطعهما، يمكن فهم الهموم الفلسفية المغربية واجتهادات الرواد الأوائل ومواقفهم الرامية إلى توظيف النظر الفلسفي المنهجي والتاريخي للمساهمة في تجاوز التأخر التاريخي المغربي والعربي وكذا العمل على استنبات وتوطين اللغة الفلسفية في الفكر المغربي. وبذلك تولد مس في الفكر الفلسفي المغربي جعله ينخرط في تاريخ الفلسفة دون أن يفقد وشائجه وصلات قرابته بالواقع الراهن المحلي. لذا ظلت أسئلة الحداثة والتاريخ والتراث حاضرة في مختلف نصوص الفكر الفلسفي المغربي، مع تنويع، بطبيعة الحال، في أشكال التناول والمرجعيات الموجهة للتأمل والنظر، وانفتاح على تاريخ الفلسفة المعاصرة في مدارسه الجديدة ومباحثه في مجال العلوم الإنسانية وكذا في مجال البحث في الابستمولوجيا والمنطق وفلسفة اللغة وتاريخ العلوم. هذا الانفتاح هو ما طبع أبحاث الجيل الثاني أكثر من الجيل الأول.

إن قوة مشروع الفكر لعبد الله العروي تتمثل في المرجعية التاريخية التي تسنده وتحدد أرضيته ومنطلقه. فقد كان الرجل في تكوينه الأول مؤرخا، والمعرفة التاريخية في تكوينه لا تستقيم بالإطلاع على التاريخ المحلي قدر ما تحصل وتكون لها قيمة أكثر عندما يتم تجاوز المحلي فيها نحو فهم أشمل للتاريخ العالمي كما تكون أكثر عمقا ببحثها في التاريخ المقارن. وقد ساعده تكوينه النظري والفلسفي على الاستفادة من قراءاته لفلسفة هيغل وماركس ولأصول الفلسفة السياسية الليبرالية ونصوص فلسفة الأنوار في تصوره لأسئلة التاريخ والفكر والنهضة في بلادنا.

ويعتبر الأستاذ محمد الجابري أحد رواد الفلسفة بالمغرب، فهو من أوائل المتخرجين من شعبة الفلسفة بجامعة محمد الخامس (1963) وأحد ثمارها العلمية البارزة.

يعود إليه الفضل، هو وثلة من أساتذة التعليم الثانوي في الستينات في النضال من أجل تعريب تدريس الفلسفة، وتهييئ الأدوات الكفيلة بإنجاح العملية. وفي هذا الصدد عمل بمعية الأستاذين أحمد السطاتي ومصطفى العمري على إصدار أول كتاب مدرسي متكامل في الفلسفة موجه إلى طلبة البكالوريا، اعتمدته الوزارة حيث كان مكلفا بالإشراف التربوي على برامج ومناهج تدريس الفلسفة. وقد أهله هذا الأمر للقيام برسالة محددة تروم الانتقال بقيمة الدرس الفلسفي من مستوى الدرس التعليمي الذي يكتفي بتلقين جملة من المعارف والمعلومات المجردة والعامة إلى درس مرتبط بأسئلة التاريخ والمعرفة والإنسان، أسئلة المجتمع والمدرسة، وهو الأمر الذي لم تكن ملامح الوعي التربوي به داخل المجتمع المغربي قد نضجت بعد في المدى الزمني البعيد إلى بلورة مشروع مغربة الفلسفة وربطها أكثر بهواجس مجتمعنا والمجتمع العربي عموما.

في هذا السياق انخرط منذ السبعينات من القرن العشرين في قراءة التراث العربي الإسلامي قراءة جديدة موجهة بهواجس وأسئلة ذات صلة بتاريخنا المعاصر. تبلورت ملامح تلك القراءة منذ كتاب نحن والتراث ثم اكتملت هيئاها في سلسلة *"نقد العقل العربي"* : *تكوين العقل العربي وبنية العقل العربي والعقل السياسي العربي، العقل الأخلاقي العربي*.

لقد آمن الجابري بأن سبيل الحداثة يبدأ من نقد العقل العربي، من انكشاف الذات أمام ذاتها انكشافا مرآويا. كما آمن أن تشريح العقل هو منطلق كل نهضة، وأن أدوات ذلك التشريح لا بأس إن كانت مستجلبة من خارج ذلك العقل. وهذا ما نجد الجابري يقوم به، فعلا، حين عكف في منتصف السبعينات على دراسة الابستمولوجيا حيث نشر كتاب *مدخل لفلسفة العلوم* (1976) في جزئين. وكان همه من ذلك همان : هم تربوي تلقيني وهم وظيفي توظيفي يحدوه البحث في الفكر الغربي عن أدوات يمكن توظيفها في قراءة التراث. وقد عثر على ضالته في مفهوم ورد لدى فيلسوف العلم الفرنسي باشلار هو مفهوم القطيعة الذي استخدمه في أطروحته في *نحن والتراث* (1980) حيث التأكيد على وجود قطيعة بين الفكر المغربي والفكر المشرقي. وقد استهله بمقدمة

مطولة تعد مقالة المنهج في تناول التراث. كما سار على نفس الخط في كتاب *الخطاب العربي المعاصر* (1982) الذي يعتبر تمهيدا لرباعية *نقد العقل العربي*(1984 ـ 2000).

أما *إشكالات الفكر العربي المعاصر* (1989) *وقضايا في الفكر العربي المعاصر* (1997)، فإنهما مصنفان يجتهدان ضمن الأفق الفكري العام الذي استوت ملامحه في نحن والتراث والخطاب العربي المعاصر ثم رباعية نقد العقل العربي. كما أصدر تباعا كتبا في موضوعات : *المسألة الثقافية* (1994) و*الديمقراطية وحقوق الإنسان* (1994) ثم *مسألة الهوية* (1995)، *والدين والدولة* (1996).

وكما هو ملاحظ، هذه الأعمال الأخيرة يهيمن عليها الهاجس السياسي مثلا في أسئلة التاريخ والمجتمع والرغبة في الفعل والتأثير في الواقع. لذا فإن أعمال الجابري تروم الدفاع عن الحداثة كأفق في النظر والعمل مفتوح على مكاسب التاريخ المعاصر وذلك انطلاقا من مدخل نقد التراث ونقد آليات الفكر السائدة في الثقافة العربية. فمعركة التأخر الشامل والتأخر الثقافي في مجتمعاتها تقتضي مواجهة الذهنيات المتصلبة، باستعمال التشريح النقدي من أجل المساهمة في تفتيت النواة الصلبة لتلك الذهنيات المستعارة من أزمنة لا صلة لها بحاضرنا ومستقبلنا.

لقد اختار الجابري في مؤلفاته الأخيرة الأكثر ارتباطا بأسئلة السياسة، طريقا قوامه فحص آليات عمل العقل التراثي ومحاولة حصرها بتعيينها للتمكن في نهاية المطاف من محاصرة استمرار حضورها في فكرنا المعاصر، لكن ذلك لا يعني القطيعة التامة والكاملة مع الماضي والتراث. وفي هذه النقطة، بالذات، يختلف الجابري عن العروي. لا فصل بين التراث والحداثة دون وصلهما. وفي هذه النقطة، بالذات، يتهم الأستاذ العروي الأستاذ الجابري بأنه يمارس نوعا من التوفيقية على طريقة محمد عبده، ويدرجه ضمن الاختيار الفكري الذي رسمت ملامحه العامة كتابات الشيخ الإمام محمد عبده. ويعني هذا، في نظر العروي، أنه آن الأوان للقطع كلية مع لغة المخاتلة في مواجهة التراث والماضي، وفي التفكير في وصل الحاضر بالماضي والمستقبل بالماضي ؛ لا خلاص من التأخر التاريخي إلا بإعلان القطيعة والانخراط الواعي في تأسيس ما يضمن تكريسها بما يمكننا من تجاوز تيارات التقليد والتوفيق المحافظة.

إن عقلانية بعض أعلام الفكر المغربي – الأندلسي التي اعتبرها الجابري قطعت مع الفكر المشرقي، لا يرى فيها العروي سوى عقلانية محدودة بنظام الفكر الإسلامي، فالخلدونية والرشدية وكل التيارات المتميزة في العصور الوسطى لم تشكل قطيعة مطلقة مع نظامها المرجعي. لذا يستحيل، في نظر العروي، الاستفادة من عقلانية عصورنا الوسطى ؛ وكل محاولة للاستنجاد بها تجعلنا نبني المفارقات. ذلك أن عقلانية الأزمنة الحديثة تتطلب القطع مع كل ما سبق من أجل التمكن من استيعاب ما هو متاح اليوم للبشرية جمعاء.

يعتبر الجابري هذا النقد الذي يوجهه له العروي، صادراً عن موقف جوهره الهروب إلى الأمام والتخلي عن التاريخ بغية تبني موروث الآخرين.

أما الأستاذ علي أومليل، فإنه التحق في مطلع الستينات، كأستاذ للفلسفة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية. أصدر سنة (1977) كتابه : *الخطاب التاريخي*، دراسة لمنهجية ابن خلدون ركز فيه على محدودية ما سمي بالعقلانية الخلدونية مبينا أنها لم تخرج عن طوق الآليات الفكرية التقليدية الموروثة من منهجية علم الحديث. ثم توالت إصداراته في الثمانينات والتسعينات كما يلي :

*الإصلاحية العربية والدولة الوطنية* (1985)، *التراث والتجاوز* (1990)، في *شرعية الاختلاف* (1991)، *السلطة الثقافية والسلطة السياسية* (1996)، *مواقف الفكر العربي من المتغيرات الدولية : الديمقراطية والعولمة* (1998).

ولا تخرج اهتمامات علي أومليل عن الإطار العام الذي تبلورت في سياقه أفكار العروي والجابري أي سؤال التراث وسؤال الحداثة في الحاضر المغربي والعربي.

يشتغل علي أومليل بموضوع التراث : يقرأ ابن خلدون وابن رشد ؛ كما يقرأ إشكالات الفلسفة الإسلامية. لكنه يواجه في الوقت ذاته إشكالات الفكر العربي المعاصر في مظهرها السياسي. وهو يقرأ هذه الإشكالات انطلاقا من تمرسه بقراءة نصوص وأسئلة الحداثة السياسية كما تبلورت في التاريخ الأوربي ابتداء من القرن 17.

أبان علي أومليل في الخطاب التاريخي عن طريقة في التفكير قوامها الدقة في بلورة الأسئلة. وهي خصلة لا ينفرد بها هذا الكتاب، بل تطبع كل كتبه ومقالاته.

يدافع أومليل فيما يخص التراث عن ضرورة التجاوز، أي القطيعة مع الإرث. لا يتعلق الأمر لديه بشعار انفعالي، بل بقناعة مبنية على أسس نقدية فلسفية تستخدم عدة فكرية مستمدة من القراءة المتمعنة لأصول الفكر الفلسفي الحديث ومن اعتماد المنظور الحداثي خصوصا في تناول قضايا السياسة.

ينتقد أومليل النزاعة التراثية، مثلما ينتقد القراءات الحديثة للتراث التي تنحو منحى التوفيق أو الإسقاط : إسقاط أسئلة الحاضر على الماضي. إن الموقف المعقول من التراث، يتمثل، في زعمه، في الاستيعاب التاريخي للتراث، وهو ما يفضي، في سياق التعقل النقدي، إلى تجاوزه.

لابد، إذن، من التجاوز والانفصال والقطع مع الأزمنة القديمة. وتشكل هذه الأطروحة روح وجوهر كل أعمال أومليل خصوصا التراث والتجاوز والسلطة الثقافية والسلطة السياسية، والخطاب التاريخي.

وفي هذا السياق رفض أومليل كل أشكال اللبس والالتباس التي تخلقها مماثلة مفاهيم من الفكر السياسي الحديث بأخرى مستمدة من التراث.

في الإصلاحية العربية والدولة الوطنية يقدم وجهة نظره في الفكر السياسي النهضوي بمختلف مشاربه.

يقرأ أومليل نصوص الليبراليين العرب كاشفا مفارقاتها ومحدودية تأويلاتهم باعتبارهم يركبون، في نظره، جهازا من المفاهيم لا يعي حدود استعمال تلك المفاهيم التي يقتطعونها من سياقها ومنظومها الفلسفيين والسياسيين لليبرالية ويصنعون لها مماثلات مستمدة من التراث السياسي الإسلامي دون ممارسة النقد الذي تقتضيه عملية التأويل.

يفكر أومليل والعروي في موضوع واحد، كل بطريقته الخاصة وجهازه النظري والفلسفي الخاص. يؤسس العروي رؤيته التاريخانية لسبل تجاوز التأخر التاريخي والثقافي العربي، ويعمل أومليل بوسائل النقد الفلسفي على التفكير في المسألة ذاتها مستندا إلى المرجعية التاريخانية مغنيا لرؤيتها ومواقفها ومدعما لاختيارات تتوخى التفكير في سبيل الانخراط الفاعل في الأزمنة الحديثة.

الفكر الفلسفي بالمغرب في مساره الثاني :

نقصد بالمسار الثاني الاتجاه الذي رسمته كتابات جيل الشباب أو الجيل الفلسفي الجديد الذي وإن ظلت أسئلة الحداثة والتراث حاضرة في مختلف نصوصه، إلا أنها تميزت بتنويع بارز في أشكال التناول، وفي نوعية المرجعيات الموجهة للتأمل والنظر. كما تميزت بانفتاح أكبر على تاريخ الفلسفة المعاصرة في مدارسها الجديدة وفي مباحثها المرتبطة بمجال العلوم الإنسانية ؛ وكذا في مجال البحث في الابستمولوجيا والمنطق وتاريخ العلوم. وقد ترتب عن هذا الانفتاح على تاريخ الفلسفة توسع في شبكة المفاهيم وتعدد في آليات التناول. وهو الأمر الذي سيكون له تأثيره القوي ونتائجه الهامة في مستقبل الفكر الفلسفي المغربي.

إن ما يطبع فكر المسار الثاني هو إرادة الإبتكار المتمثلة في الاستيعاب النقدي لتراث الآخرين المشفوع بطموح التجاوز الخلاق.

سنعمل على إبانة التحولات التي لحقت الفكر الفلسفي بالمغرب بفضل جهود صانعي مساره الثاني.

ساهم الأستاذ عبد الرحمان طه بدور بارز في تطوير البحث الفلسفي المنطقي والفلسفي اللغوي منذ ثلاثة عقود، أي منذ سنة 1969 عندما التحق بهيئة التدريس بشعبة الفلسفة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. زيادة على علمه، اشتهر الأستاذ بجديته وتفانيه وإخلاصه في العمل.

أصدر سنة (1979) مؤلفا بالفرنسية بعنوان : *اللغة والفلسفة* ثم أصدر *المنطق والنحو الصوري* (1983)، في *أصول الحوار وتجديد علم الكلام* (1987)، *العمل الديني وتجديد العقل* (1989)، *تجديد المنهج في تقويم التراث* (1994)، *فقه الفلسفة* (1998 و1995)، *القول الفلسفي* (1999)، *سؤال الأخلاق* (2002).

يهتم هذا الكتاب الأخير بالنقد الأخلاقي للحداثة الغربية. إنه نقد يتجه، كما يتصور المؤلف، إلى استحضار أهمية التجربة الأخلاقية في مقاومة النزاعات المادية الجاهلة والغافلة قصد رد الاعتبار في الفكر وفي الحياة لمبدأ العقل المؤيد، وهو أعلى مراتب العقل في نظره.

يقوم مشروع الأستاذ عبد الرحمان طه على استنبات الفلسفة في الإسلام استنادا إلى محددين اثنين هما : العقيدة واللغة العربية. ونعني بالاستنبات هنا تأصيل الفلسفة وتوطينها في أرضية تكون أرضيتنا. ذلك أن الدرس الذي يقدمه كتاب اللغة والفلسفة هو أن قضايا الفلسفة الغربية لا تنفصل قط عن بنية لغاتها. وادعاء شمول تلك القضايا والقول بأنها قضايا كل إنسان، ادعاء كاذب. من هنا هجوم عبد الرحمان طه على ما يعتبره تغريبا وتغربا في الفكر الفلسفي المغربي. وفي هذا الصدد يمكن القول أن كتاب *سؤال الأخلاق* هو بمثابة تتويج لمشروع الأستاذ طه، وفي الآن ذاته، لا ينوب عن المؤلفات السابقة عليه أو يقوم مقامها.

يعد مشروع الأستاذ عبد الرحمان طه محاولة لوضع معالم على درب الاستقلال الفلسفي، وهو أمر لا يتأتى، في اعتقاده، إلا بالعمل على إقامة فكر إسلامي جديد يحصن اليقظة الدينية والصحوة الحاصلة اليوم. فالفلسفة أداة أو وسيلة في خدمة العقيدة والقناعة الدينية. إن كل تجديد يجب أن يرتكز إلى شرط التجربة الإيمانية كتجربة صوفية تخلقية، وشرط التعقل كتملك لإدراكات النظر المنهجية التي تمكن التجدد من السند العقلي.

يتمثل مقصد عبد الرحمان طه، في نهاية المطاف، في الرغبة في تشييد فكر ديني متجدد ومتكامل، استنادا إلى كمالات التجربة الصوفية.

يمكن اعتبار اهتمامات عبد الرحمان طه انعكاس نوعا ما لاستمرارية في فضاء الفكر الفلسفي المغربي مثلما تبلور مع الجيل الأول، إذ ما تزال الإشكالات الفكرية المرتبطة بالحداثة والمتصلة بمسألة الموقف من التراث مهيمنة.

صحيح أن التفكير في الحداثة يعد أفقا في التاريخ مفتوحا على مصراعيه أمام الجميع، ولم يسلم منه أحد ؛ لكن ما نعنيه هو أن طه يقابل، مثلما فعل رواد التأسيس، التراث بالحداثة ويخاصمهما، لكن مع امتلاك لناصية المنطق وفلسفة اللغة وعمق روحي. ثمة، إذن، مع الأستاذ عبد الرحمان طه، تجاوز داخل الاستمرار.

عرف الفكر الفلسفي بالمغرب بعد الجيل الأول موجات فلسفية جديدة سائدة اليوم. إنها لا تشكل اتجاهات ومذاهب، بالمعنى القوي للعبارة، ففي الفكر الفلسفي المعاصر، لم يعد بالإمكان، بعد الفلسفة الوجودية، الكلام عن مذاهب فلسفية، بالمعنى التقليدي للكلمة.

لذا فإن لفظ الموجة، في هذا السياق، يفيد كثيرا من حيث أنه يساعد على استلهام نوعية العلاقة بين الموج والبحر واليابسة، أي علاقة المد والجزر والذي يعكس حركة التموج الحاصلة في الفكر الفلسفي المغربي اليوم.

اتسم البحث الفلسفي المغربي في مساره الثاني بمسعاه الرامي إلى الانخراط بكيفية أعمق في تاريخ الفلسفة. ففي الثمانينات عرف هذا البحث نوعا من الانفتاح في مختلف إنتاجات تاريخ الفلسفة المعاصرة ومختلف قطاعات المعرفة الإنسانية وغيرها. فقد انعكست الثورة التي أصابت العلوم الإنسانية على الفلسفة، كما نعلم. وكان لذلك صداه لدى المشتغلين بالفلسفة بالمغرب. ولعل هذا ما يفسر الاهتمام المتزايد لدينا بالابستمولوجيا والبنيوية والحفريات الفوكوية، والتفكيك.

لذا، إذا كان المنزع التاريخي السياسي قد وجه، بصورة عامة، الاختيارات الفلسفية في الفكر الفلسفي المعاصر وطبعها، فإن الموجات الفلسفية الجديدة التي عمل الجيل الثاني من المؤسسين على ركوبها واستثمار لغاتها ومفاهيمها، ضيقت من مساحة حضور ذلك المنزع التاريخي لصالح عناية كبرى بقضايا الميتافيزيقا وأساليب التحليل البنيوي والسيميولوجي والابستمولوجي.

إن إلقاء نظرة على نوعية الترجمات والأطروحات والمصنفات التي أصدرها محمد سبيلا وسالم يفوت وعبد السلام بنعبد العالي ومحمد وقيدي وعبد الرزاق الدواي كاف ليؤكد انخراط هؤلاء جميعا، مع بعض التفاوت، في الموجات الجديدة : ألتوسير، ليفي ستروس، ميشال فوكو، دولوز، هايدغر، دريدا، نيتشه، باشلار، تومس كون... فقد ترجم محمد سبيلا خلال عقد السبعينات بعضا من نصوص ألتوسير مقتبسة من كتاب *لينين والفلسفة* ؛ ونشر سالم يفوت، في العقد نفسه، كتيبا ناقش فيه مجمل أطروحات ليفي ستروس ؛ ونشر محمد وقيدي أطروحته في موضوع *فلسفة المعرفة عند باشلار* ؛ كما نشر بنعبد العالي بعد ذلك أطروحة في موضوع *أسس الفكر الفلسفي المعاصر* (1991) ؛ ونشر عبد الرزاق الدواي أطروحة في موضوع : *موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر* (1992) ؛ يضاف إلى كل ذلك الترجمات العديدة التي أنجزها أقطاب الجيل الثاني. فقد ترجم سالم يفوت كتاب *حفريات المعرفة* لميشال فوكو، كما ترجم مع آخرين كتاب *الكلمات والأشياء* لميشال فوكو، وكذا كتاب جيل دولوز حول فوكو بعنوان *المعرفة والسلطة*، كما ترجم محمد سبيلا *نظام الخطاب لفوكو*، وترجم بنعبد العالي كتاب *درس السيميولوجيا لرولان بارط*، و*الرمز والسلطة* لبورديو، وبتعاون مع الأستاذ أحمد السطاتي كتاب *جينيالوجيا المعرفة لفوكو*.

أتاحت هذه الترجمات للثقافة المغربية فرصة استنشاق هواء جيد تمثل في الانفتاح على مناهج جديدة اعتمدت لا في المجال الفلسفي، فحسب، بل وكذا في مجالات النقد والدرس الأدبي واللساني. وفي مختلف مجالات العلوم الإنسانية والتراث. فقد طبق سالم يفوت المنهج الحفري في دراسة التعليل الفقهي في كتابه حفريات المعرفة العربية الإسلامية (1989)، كما كان قد فعل الشيء ذاته في تناوله لقضايا الإبستمولوجيا وتاريخ العلوم في كتابه *فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع* (1985)، ولقضايا الفلسفة في الأندلس في كتاب *ابن حزم والفكر الفلسفي*، نستطيع أيضا تبين ملامح هذه المساهمات المجتهدة في كتابات محمد سبيلا بخصوص الأفكار والظواهر السياسية، ونعثر على الشيء ذاته في مصنفات بنعبد العالي الأخيرة مثل *ثقافة العين وثقافة الأذن* (1994) و*ميثولوجيا الواقع* (1999)، وكذا في قراءة سالم يفوت لبعض قضايا الفلسفة المعاصرة، مثلما هو الشأن في كتابه *الزمان التاريخي* (1988) و*المناحى الجديدة في الفكر الفلسفي المعاصر* (2000).

تتحدد المجالات التي يمكن اعتبارها اليوم فضاءات معرفية تستقطب النظر الفلسفي المغربي أولا في مواصلة العناية بسؤال التراث كما تتحدد، من جهة ثانية، في الحضور البارز لرؤى ومفاهيم ومناهج الفلسفة المعاصرة. إضافة إلى العناية بالقضايا الابستمولوجية وإشكالات تاريخ العلوم والأفكار العلمية وما تجدر الإشارة إليه بهذا الخصوص هو أن البحث الابستمولوجي بالمغرب تحول في السنين الأخيرة إلى عمل جماعي نتيجة تكون فريق بحث من الأساتذة : سالم يفوت وبناصر البعزاتي وعبد السلام بن ميس ومحمد المرسلي وحمو النقاري ومحمد أبلاغ ومحمد أبطوي وإدريس المرابط وعبد النبي مخوخ ومحمد الفايز... وقد أصدر الفريق عدة مؤلفات ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط مثل : *دراسات في تاريخ العلوم والابستمولوجيا*، *كيف يؤرخ للعلم*، *التفسير والتأويل في العلم*، *الخيال ودوره في تقدم المعرفة العلمية*، *آليات الاستدلال في العلم*، *جوانب من الفكر العلمي في العصر الوسيط*، *العلم والفكر العلمي في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط*، *العلم : المحلية والكونية*.

هذا فضلا عن إصدارات كل عضو من أعضاء الفريق على حدة. فقد أصدر الأستاذ البعزاتي كتابا في موضوع : *الاستدلال والبناء* (1999) ثم : *في النهضة الحضارية في أوربا* (2000) ؛ كما أصدر سالم يفوت كتاب *نحن والعلم*، وأصدر عبد السلام بن ميس كتاب *قضايا في المنطق والابستمولوجيا*، كما أصدر الأستاذ إدريس المرابط دراسة موضوعها *تاريخ الرياضيات بالمغارب*، ونشر الأستاذ محمد أبلاغ دراسة بخصوص *رفع الحجاب عن وجوه أعمال الحساب لابن البنا المراكشي*، وأصدر كتابا حول ابن البنا باشتراك مع أحمد جبار بعنوان *حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي* ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

بخصوص مسألة التراث أنجزت أبحاث جديدة هامة نذكر منها على الخصوص أعمال المرحوم جمال الدين العلوي الذي اختطفته يد المنون وهو في أوج عطائه. لقد بلور منهجية جديدة في قراءة نصوص ابن رشد وابن باجة، هذا فضلا عن تحقيقه للعديد منها، نذكر على سبيل المثال النصوص الرشدية التالية : *تلخيص السماء والعالم* (1984)، *مقالات في المنطق والعلم الطبيعي* (1983)، *تلخيص الآثار العلوية*

(1994)، *الضروري في أصول الفقه تلخيص الكون والفساد*. أما كتابه *المتن الرشيدي* (1986) فقد انطوى على قراءة جديدة لابن رشد مثلما انطوى على أطروحة جديدة في فهم التطور الفكري للرجل. ومايزال هذا العمل حتى الآن، وسيظل، عمدة دارسي ابن رشد.

ونذكر أيضا أعمال سعيد بنسعيد العلوي وخاصة *دولة الخلافة : دراسة للفكر السياسي لأبي الحسن الماوردي والخطاب الأشعري* ؛ وأعمال الأستاذ عبد المجيد الصغير وخاصة *الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام* (1994) الذي يعتبر فتحا في مجال الدراسات الإسلامية ببلادنا وبالعالم العربي ؛ وكذا أعمال محمد المصباحي بخصوص ابن رشد والرشدية والتي تتسم بالقراءة النصية التحليلية المتابعة للمتن الرشدي والمتحررة من كل الأحكام القبلية.

وللأستاذ بنسالم حميش أعمال فكرية تتقاطع فيها الاهتمامات التراثية بالاهتمامات المنصبة على بعض جوانب الفلسفة الحديثة والمعاصرة، إضافة إلى كتابته الشذرية التي تعكس رغبته في تبني لبوس الكتابة النشتوية. وهو ما اعتمده في كتاب *الجرح والحكمة* (1988) وله أعمال أخرى منها : في نقد الحاجة إلى ماركس (1983)، *والاستشراق في أفق انسداده* (1992) و *الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ* (1998).

نلاحظ لدى جيل المسار الثاني عناية قصوى بالفلسفة المعاصرة وبأقطابها المرموقين أمثال هايدغر وألتوسير وفوكو ودريدا وباشلار وغيرهم من كبار فلاسفة العصر. تجلى هذا الاهتمتم في أعمال سالم يفوت ومحمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي... إما ترجمة أو تأليفا أو هما معا.

كما نشر سبيلا وبنعبد العالي سلسة من الدفاتر الفلسفية في موضوعات : *الطبيعة والثقافة* والمعرفة *العلمية ثم اللغة والحقيقة والحداثة والإيديولوجيا وحقوق الإنسان*. وهي دفاتر اعتنت بجمع وترجمة نصوص هامة جدا لا يمكن تجاوزها.

لابد من الحديث عن الاجتهادات في مجال الفكر العربي المعاصر حيث العناية بإشكالات هذا الفكر في مستواها النصي الخطابي وفي نوعيات العلاقة التي تقيمها مع التاريخ المؤطر لوجودها. لابد هنا من التنويه بأعمال عبد اللطيف كمال التي أضفت من التأصيل والتأسيس على أعمال جيل المؤسسين، في هذا المضمار، مع التأكيد على أن المرجعية الكونية إطار لبناء تفاعلات إيجابية ونقدية تتيح لهذا الفكر إمكانية انخراط أفضل في المعاصرة. وهو الأمر الذي يعني تحقيق مصالحة الذات مع ذاتها ومع العالم بجوارها وفي قلبها. حيث لم تعد الحدود قائمة ولا فاصلة بصورة قطعية بين ثقافات العالم المتعددة. فقد أصدر عبد اللطيف كمال كتاب سلامة موسى *وإشكالية النهضة* (1982) و *التأويل والمفارقة : نحو تأصيل فلسفي للنظر السياسي العربي* (1987) و *مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر* (1992) و *قراءات في الفلسفة العربية المعاصرة* (1994) والعرب والحداثة السياسية (1997) والمغرب وأزمة الخليج (1997) و *في تشريح أصول الاستبداد* (1999) *وقراءات في أطروحة نقد العقل العربي* (1999) ودرس العروي، *في الدفاع عن الفكر التاريخي* (2000)، و *التفكير في العلمانية* (2000).

من بين الأسماء التي علينا ذكرها هنا الأستاذ أحمد العلمي حمدان بكلية الآداب بفاس، وقد أعاد أخيرا تحقيق *كتاب المكلاني لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول*.

كان الغرض من كل ما تقدم، تقديم حصيلة أربعين سنة من العطاء والإنتاج في حقل الفلسفة بالمغرب ؛ وهو الزمن الذي يتطابق وإنشاء كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط وتأسيس أول شبعة للفلسفة في الجامعة المغربية.

ورغم أن العقد الخامس على وشك الانقضاء، فإنه لا توجد بالمغرب إلا ثلاث شعب للفلسفة : بالرباط وفاس ومراكش. ونتمنى أن يرفع الحصار المضروب على الفلسفة فتفتح لها شعب بكل الجامعات المغربية.

سالم يفوت

**الفلفل** من أهم النباتات المكونة للتوابل والبهارات أو الخضر. أغلب أنواع الفلفل تنتمي لجنس كابسيكوم مثل كابسيكوم أنويوم وكابسيكوم فريتيسانس "Capsicum annum" و"Capsicum frutescens"، وهو ينتمي إلى فصيلة الباذنجانيات "Solanaceae" . يتوطن الفلفل في المناطق الحارة ويرجع أصله إلى أمريكا الإستوائية، ويزرع في بقاع كثيرة من العالم. وهو نبات حولي أو معمر يصل إلى متر من الإرتفاع، أزهاره بيضاء أحادية. ويشمل الفلفل أصنافا وضروبا عديدة في حجم الفاكهة، ولونها ودرجة الحرافة. ومن الضروب الحريفة (الحارة) المشهورة في المغرب هناك "قرن الغزال أو قرن العنزي" و"السودانية أو قلياطة".

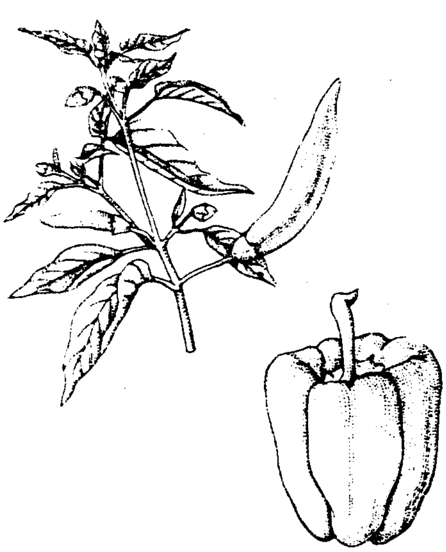

يعتبر الفلفل الحلو والبابريكا من أصناف الفلفل الأكثر استعمالا في الطهي وفي تحضير السلاطة، ويسمى هذا الصنف في المغرب "منيورة أو نيورة". كما يفضل استعمال الفلفل الحريف لدى كثير من الناس لما له من تأثير إيجابي على شهية الأكل وبالأخص لأكل الوجبات المحضرة من القطاني أو السمك. بصفة عامة يستعمل الفلفل طازجا، مطهيا، مقليا، مشويا، مخللا، أو مطحونا كبهار. وهناك أنواع تزرع من أجل التزيين بسبب شكل الفاكهة ولونها، فمنها الفلفل الشيلي، والفلفل الصيني وفلفل الثلاثي الألوان.

توجد في المغرب أغلب أصناف الفلفل وتشتهر زراعتها في السهول الشرقية والسايس وكذلك المناطق المسقية من الحوز وتادلة واللكوس وسوس.

يمكن زراعة الفلفل في المناطق التي تتراوح فيها الحرارة بين 20 و30 درجة نهارا و15 إلى 20 درجة ليلا، ويقف النمو عندما تنزل الحرارة إلى أقل من 10 درجات. يحبذ الفلفل التربة العميقة المهوية والغنية بالدبال ولا يتحمل الرطوبة المستمرة. يتم التكاثر عن طريق البذور (1 غ من الحبوب يحتوي على 200 بذرة).

يستغل الفلفل حسب طريقة استعماله أخضر أو حينما يصل إلى نهاية طور نموه. ويصل الإنتاج إلى 70 طن للهكتار وذلك حسب طريقة زراعته. يعتبر فطر الفيطوفطورا (Phytophthora) من أشد أعدائه، فهو يؤدي إلى ذبل كلي للنبتة بسبب تأثيره على الجذور وبالتالي تلفها.

ألبير هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرون، القاهرة، نيويورك، 1962 ؛ معلومات شخصية.

J.M. Clement, *Larousse Agricole*, édition Laroysse, Paris, 1981.

**فلفل البهار**، هو الإبزار أو علميا بيبير نيكروم "Piper nigrum" ينتمي فلفل البهار لفصيلة الفلفليات "Piperaceae" وهو رغم استعماله المنتشر في المغرب إلا أنه لا يزرع نظرا لعدم تكييفه مع مناخ هذا البلد. وهو من النباتات المعمرة بمناطق من الهند والملايو، ويزرع في كل المناطق الحارة الشرقية من إفريقيا والهند وسيام وجزر الفلبين وجزر الهند الشرقية وجزر البحر الجنوبي.

يعتبر الإبزار من أقدم التوابل استعمالا، ولقد عرف في الشرق منذ القدم وكان من التوابل الهامة في العصور الوسطى مما جعله من أحد الدوافع الرئيسية للبحث عن طريق الهند، ولا يوجد لحد الآن بهار آخر أكثر منه ذيوعا أو استعمالا.

يتميز فلفل البهار برائحة قوية بسبب الزيوت الطيارة التي يحتوي عليها، أما الحرافة فترجع إلى وجود موادة راتنجية. من فوائد فلفل البهار تنشيط اللعاب والسوائل المعوية، وله كذلك أثر مرطب، كما يستخدم في الطب.

ألبير هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرون، القاهرة، نيويورك، 1962 ؛ *معلومات شخصية*.

J.M. Clement, *Larousse Agricole*, édition Laroysse, Paris, 1981.

عبد النبي زين العابدين

**الفلك بالمغرب** (علم -)، يعرف أصحاب الهيئة - منذ علماء اليونان - مصطلح "الفلك" بأنه جسم سماوي محصور بين كرتين متراكزتين، وهو تعريف ساد لقرون عديدة، وارتبط بالتصورات الكوسمولوجية التي اعتقدت بسكون الأرض في مركز العالم، وجعلت من الحركات الدائرية المنتظمة أصلا لكل الحركات السماوية.

وبالنسبة إلينا، فالمقصود بعلم الفلك العلم الحسابي الذي اشتمل فروعا متعددة، منها علوم الهيئة، والأزياج، ووضع آلات الرصد والتقويم والعمل بها، ورؤية الأهلة، وسمت القبلة، والتوقيت والأنواء...

أما لفظ "المغرب"، فالمراد منه مجموع الرقعة الجغرافية التي خضعت لسلطة الدولة المغربية في حقبة تاريخية معينة، فاعتبرنا على سبيل المثال بلاد الأندلس جزء من المغرب عندما ضمها إليه يوسف ابن تاشفين، وكذلك اعتبرناها بعدما استعادها الموحدون.

تكتنز الخزانات في المغرب وخارجه كمّا هائلا من الأعمال الفلكية التي صنفها علماء المغرب، ويتضح منها اهتمام هؤلاء بمختلف فروع علم الفلك التي ذكرنا، وسنحاول فيما يلي ذكر أهم ما ألف في الموضوع، والحديث عن السياقات والتوجهات العامة في ذلك، مع الإشارة إلى المضامين الرئيسية لأبرز المؤلفات الفلكية المغربية.

1 - علم الهيئة

يعرفه ابن خلدون بأنه "علم ينظر في حركة الكواكب الثابتة والمتحيرة، ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية".

يفهم من هذا القول إذن، بأن علماء الهيئة يحاولون - انطلاقا من تأويل ما يرصدونه من حركات ظاهرية في السماء - تصور ما ينبغي أن تكون عليه أوضاع مختلف الأفلاك. ومن تم، يمكن وصف هذا العلم بأنه "علم بنية الكون".

تبين مؤلفات علماء الفلك في المغرب تمسكهم بالنماذج القائلة بسكون الأرض ومركزيتها للعالم، وقد أبرزنا صمود هذا التصور حتى القرن العشرين لدى بعضهم، كالشيخ محمد بن محمد العلمي الإدريسي الحسني (ت. 1373 / 1954)، وأحمد بن محمد الحوزي الجديدي (ت. 1369 / 1950)، والأستاذ محمد بن عبد الوهاب ابن عبد الرازق موقت مراكش حاليا.

لقد كان لكتاب المجسطي (Megale Syntaxis Mathematique)، الذي ألفه كلوديوس بطلميوس منتصف

القرن الثاني الميلادي، الدور الأهم في ترسيخ القول بمركزية الأرض، حيث انبهر علماء العرب الأوائل في الفلك بما وجدوه فيه من استدلالات وبراهين هندسية، فبوؤوه منزلة تكاد تضاهي تلك التي تبوأها عند أهل الرياضيات كتاب إقليدس في الأصول، لذلك انصرف الجيل الأول من أولئك الفلكيين إلى إصلاح هفوات المجسطي وسد ثغراته. لكن، وابتداء من القرن الخامس (11 م)، ظهرت مؤلفات تعرضت للنموذج البطلمي بانتقادات طالت جوهره وشككت في أسسه، فانطلق بعض العلماء إلى البحث في إيجاد هيئات بديلة، أهمها في الشرق ما اقترح بمدرسة مراغة ومن ساروا على نهجها، أما علماء المغرب الأندلسيون فقد نحوا - متأثرين بفلسفة أرسطو - باتجاه رفض الأفلاك الخارجة المركز وأفلاك التدوير. ومن هؤلاء أبو بكر محمد بن عبد الملك ابن طفيل (ت. 582 / 1185 )، طبيب ووزير أبي يعقوب يوسف الموحدي، وأبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد (ت. 594 / 1198) الذي له *اختصار للمجسطي ورسالة في حركات الأفلاك* ومقالة في جوهر الفلك. ويعد أبو إسحاق نور الدين البطروجي (ت. 600 / 1204)، وهو تلميذ ابن طفيل، صاحب أبرز محاولة في هذا المنحى، لكن نموذجه لم يكن موفقا لما بدا من الخلل بين نتائجه وما أظهره الرصد.

وعلى ما يبدو، فإن إخفاق محاولات المدرسة المغربية في الهيئة لم يكن السبب الوحيد في عدم استمراريتها، بل كانت وراء ذلك أيضا - في رأينا - أسباب أخرى، منها بعض توجهات هذه المدرسة التي أوصلتها إلى الباب المسدود، كالإفراط في التمسك بالمرجعية الأرسطية، وعدم التركيز بما يلزم من الجدية على التراكمات الرصدية والحسابية المتوفرة آنذاك ؛ ومنها أيضا ما شهدته الأوضاع العامة في المغرب من تحولات عقب هزيمة الموحدين بالأندلس في معركة العقاب (15 صفر 609 / 16 يوليوز 1212).

وكتقويم عام، نرى بأن إخفاق تلك المحاولات لا يقلل من أهميتها العلمية والإبستملوجية، فهي على الأقل قد أرجعت إلى الواجهة ضرورة الأخذ بالمقولة التي ترى بأن أمر الهيئة لا يمكن أن يستقيم بالاقتصار فقط على المركبة التعاليمية، وأن الاعتبارات الطبيعية والكيفية تبقى مسألة جوهرية في أي بناء كوسمولوجي يراد له القبول.

بعد محاولة البطروجي، لوحظ تراجع بين لدى علماء المغرب في الاهتمام بمسائل الهيئة وقضاياها، واكتفي في هذا الباب بتداول مؤلفات مشرقية تكاد تخلو من أي جديد أو إبداع، من تلك المؤلفات نذكر "*الملخص في الهيئة*" لأبي علي محمود بن محمد بن عمر الجغميني الخوارزمي (ت. 618 / 1221)، وشرحه لصلاح الدين موسى بن محمد بن محمود الملقب بقاضي زاده الرومي (كان حيا 835 / 1432). هذا إلى جانب مؤلفات مغربية قليلة لم تتجاوز إطار الشرح أو التعليم، كشرح *كتاب المجسطي* لأبي عبد الله محمد بن هلال السبتي (وهو معاصر لأبي العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البنا المراكش (ت. 721 / 1321))، و"*المدخل إلى علم الهيئة*" لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الفهري (ت. 1096 / 1685).

2 - علم الأزياج

كتب الأزياج مؤلفات تتضمن - أساسا - مجموعة من الجداول الفلكية التي منها تحسب حركات الأجرام السماوية ومواقعها وما يلحقها من ظواهر، كاستقامة المتحيرة ووقوفها ورجوعها والاقترانات والكسوفات والخسوفات. وإذا كانت الجداول تشغل الحيز الأهم من كتب الأزياج، فإن هذه الأخيرة تخصص في مستهلها أبوابا لبيان طرق العمل بتلك الجداول.

يبدو أن المشتغلين بعلم الفلك في المغرب قد استعملوا أزياجا متنوعة ؛ بعضها من المشرق مثل زيج محمد بن علي بن إبراهيم ابن زريق الخيري الجبرتي (ت. 803 / 1400) الموسوم *بالروض العاطر في مختصر زيج ابن الشاطر*، وزيج السلطان ألغ بيك السمرقندي (ت. 853 / 1449) أو مختصراته ؛ وبعضها من الأندلس مثل زيج محمد بن إبراهيم بن الرقام الأوسي المرسي (ت. 715 / 1315) ؛ وأخرى من باقي أقطار المغرب العربي *كالزيج الكافي* لأحمد بن علي التميمي المعروف بابن إسحاق التونسي (القرن 7 / 13)، و*تسهيل المطالب في تعديل الكواكب*، وهو زيج صغير لأحمد بن حسين بن الخطيب الملقب بابن قنفذ القسنطيني (ت. 810 / 1407).

ويعتبر ابن البنا العالم المغربي الرائد في علم الأزياج، حيث ألف في ذلك "*منهاج الطالب في تعديل الكواكب*" و"الزمام" الذي عرف كذلك بالمستطيل، و"*اليسارة في تعديل السيارة*" وهو زيج جد مختصر يشتمل على "12 بابا قصيرا و14 جدولا"، والواضح من عنوان هذا السفر ومضمونه أنه موجه للمبتدئين في علم التعديل، لذلك انتهج فيه المؤلف طريق التقريب لتيسير العمل به.

وضع ابن البنا منهاجه على مذهب ابن إسحاق التونسي الذي يندرج ضمن تقليد فلكي ساد في الأندلس والمغرب العربي بين القرنين 5 / 11 و8 / 14، وهو التقليد الذي ظهر مع العالم الأندلسي الكبير أبي إسحاق إبراهيم بن يحي النقاش المعروف بابن الزرقالة (ت. حوالي 494 / 1100)، وترتبط شهرة هذا العالم بابتداعه "الصفيحة الزرقالية"، واكتشافه حركة أوج الشمس الذاتية وتغيرات ما بين المركزين (مركز العالم ومركز فلك الشمس الخارج) ؛ غير أن قوله بحركة إدبار الفلك بعد إقباله شكل نقطة الضعف العظمى في نظريته لهيئة الشمس.

كان طبيعيا - إذن - أن ينعكس ذلك على زيج ابن البنا، فظهر فيه الخلل بعد مرور أقل من قرن على تأليفه، وفي هذا الشأن يقول أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الله المعروف بابن هيدور التادلي (ت. 816 / 1413 ) : "والمعتبر في التعديل زيج ابن البنا المعمول على رصد ابن إسحاق التونسي، وإن كان في زماننا هذا قد ظهر في بعض تعاديله

خلل، وإنما الحق في التعديل، أن يعدل بالرصد القريب للوقت المطلوب منه التعديل، ولا يعتبر غير ذلك ؛ والواضح من كلام ابن هيدور أن ما ظهر في المنهاج لم ينل من ثقته بتقليد ابن الزرقالة، فلم يفطن لذلك إلى السبب الحقيقي للخلل، ورده فقط إلى ما يلحق الأزياج من قصور بعد تطاول الأزمان عليها.

ونشير في ختام هذه الفقرة إلى أن آخر ما ألف في الأزياج بالمغرب "*تقريب البعيد من الجامع المفيد على أصول الراصد الجديد*" الذي وضعه الشيخ محمد العلمي سنة 1348 / 1929 انطلاقا من مؤلفات مصرية بنيت على أعمال الفلكي الفرنسي Joseph-Jérome de Lalande (ت. 1222 / 1807)، ويقتصر تقريب البعيد على دراسة حركة النيرين (الشمس والقمر) وما يعرض لهما من كسوف أو خسوف، إضافة إلى مباحثه في رؤية الأهلة. ولايزال هذا الزيج معتمدا لدى أغلب الموقتين بالمغرب.

3 ـ وضع الآلات الفلكية والعمل بها

اهتم العلماء في مشرق العالم الإسلامي ومغربه بوضع آلات الرصد والتقويم واستعمالها، وصنفوا في ذلك العديد من المؤلفات، لكن يبقى أبو علي الحسن بن علي بن عمر المراكشي (كان حيا 686 / 1287) صاحب "أعظم ما صنف في هذا الفن" حسب تعبير حاجي خليفة، فكتابه "*جامع المبادئ والغايات*" كتاب جامع بكل المقاييس في مجال الآلات الفلكية، وفي شأنه يقول David A. King بأنه يحمل عنوانه بكل جدارة، وأنه "كتب لهذا المؤلف أن يحدد مسار علم الميقات لقرون عديدة"، مشيرا إلى أنه "وحتى الآن، لم يحصل من المؤرخين على الاهتمام الذي يستحقه"، بالرغم من كونه "المصدر الأهم فيما يتعلق بالآلات الإسلامية". هذا مع العلم بأن الفرنسي Jean-Jacques Sédillot قد قام بترجمة الجزء الأول من عمل الحسن المراكشي سنة 1834 ـ 1835، وأن ابنه Luis-Amélie Sédillot أصدر موجزا مشوشا ـ حسب تعبير كنج ـ للجزء الثاني.

توحي الأمثلة التي تفحصناها في جامع المبادئ والغايات بأن تأليفه قد يكون بدأ سنة 680 / 1281 ، وأنه استمر إلى ما بعد 686 / 1287 ، ولعل وجود الحسن المراكشي بالقاهرة آنذاك كان وراء استعماله التقويم القبطي (إلى جانب التقويم الهجري وتقويم الإسكندر)، لكن مادة الكتاب الفلكية تؤكد انتماء المؤلف وتبرز تمسكه بتقليد ابن الزرقالة الذي تحدثنا عنه.

يشتمل جامع المبادئ والغايات على حوالي 214 شكلا توضيحيا، وقد قسمه المراكشي إلى أربعة فنون، أولها "في الحسابيات" وهو 87 فصلا، خصصت للمعارف الرياضية والفلكية الأساسية في صنع آلات الرصد والتقويم واستعمالها، وثانيها "في وضع الآلات" وهو سبعة أقسام، وثالثها "في العمل بالآلات" وهو 14 بابا، ورابعها "في المطارحات" وهو أربعة أبواب، قدم فيها المؤلف 101 مسألة لتدريب وتقويم القارئ.

كان تأثير كتاب الحسن المراكشي كبيرا في الشرق الإسلامي، وبشكل خاص في مصر وسوريا وتركيا، ويبدو ـ للأسف الشديد ـ أن تداول هذا الكتاب بالمغرب كان منعدما أو يكاد، وذلك ما يعززه قول الشيخ محمد العلمي في حاشيته : "ولم أقف على نسخة منه تامة بالمغرب بالعربية بعد البحث الشديد".

إلى جانب الحسن المراكشي، صنف كثير من العلماء المغاربة كتبا ورسائل في الآلات الفلكية عني معظمها بجانب الاستعمال، فيما اهتم الباقي بوصفها أو بيان كيفية صنعها. من أشهر المؤلفين في مجال الآلات الفلكية نذكر ابن البنا (*رسالة في الأسطرلاب*، *رسالة في العمل بالصفيحة الزرقالية*، *رسالة في العمل بالصفيحة الشكازية*، *رسالة في العمل بالشبيهة التي ترسم على الأسطرلاب*...) ؛ وعبد الرحمن الفاسي (*الانتخاب في وضع الأسطرلاب*، *كشف الحجاب في علم الأسطرلاب*، *كفاية المطلوب في ربع الجيوب*، *عقد الجوهر في الربع المقنطر*، *الغرة في بيت الإبرة*...). ومن المصنفات المتأخرة في هذا الباب "*إرشاد الخل لتحقيق السعة بربع الشعاع والظل*"، وقد ألفه مبتكر آلة ربع الشعاع والظل عبد السلام بن محمد بن أحمد الحسني العلمي (ت. 1323 / 1905)، إضافة إلى أعمال الشيخ محمد العلمي في العمل بالربع المجيب، وتخطيط الربع المقنطر، وصناعة المزاول...

4 ـ رؤية الأهلة

تعلن بداية الشهر العربي عند أول رؤية للهلال ـ عشية ـ بعد خروجه من شعاع الشمس ؛ لذلك اعتبر الغروب مبدأ اليوم العربي، أي أن ليلته تسبق نهاره.

ويعتبر التنبؤ بإمكانية رؤية الهلال أو عدمها من أصعب مسائل علم الفلك، ويلجأ فيها إلى كتب الأزياج وصيغ علم الفلك الكروي لحساب ما يعرف بضوابط رؤية الهلال بعد غروب الشمس الذي يعقب اجتماع النيرين ؛ من هذه الضوابط ارتفاع الهلال عند مغيب الشمس ومكثه وقوس النور وقوس الرؤية...

تتناول مسألة رؤية الأهلة عادة في باب خاص بكتب الأزياج، لذلك لا يوجد إلا عدد جد محدود من المؤلفات المغربية المستقلة في الموضوع. من هذه المؤلفات "*تلخيص الأعمال في رؤية الهلال*" للحسن المراكشي، و"*المنهاج في رؤية الأهلة*" لابن البنا، و"*العذب الزلال في مباحث رؤية الهلال*" لابن عبد الرازق، وهو مؤلف في جزئين تغلب عليه القضايا والنقاشات الفقهية.

5 ـ تعيين سمت القبلة

تبرز أهمية سمت القبلة أساسا عند تشييد المساجد، ويتطلب حساب ذلك بدقة معرفة طول البلد وعرضه (أي ما نسميه اليوم بالإحداثيات الجغرافية)، واستعمال صيغ علم المثلثات الكروية المناسبة. ففي "*اقتطاف الأنوار من روضة الأزهار*" مثلا، يقدم المؤلف طريقة عامة يوضح تحليلها بأنها ترتكز على أربع استعمالات متوالية للصيغة التي عرفت بالشكل المغني.

لقد سهلت كتب الأزياج أمر القبلة بتخصيص معظمها جداول بأطوال أهم البلدان وعروضها وسمت قبلتها، كما تذكر كثير من مؤلفات التوقيت جهة القبلة لأهم مدن العالم الإسلامي بكيفية سهلة وتقريبية، وندرج كمثال لذلك ما جاء في "*اليواقيت في المبتغى من صنعة المواقيت*"، وهو رجز من 428 بيتا نظمه سنة 1058 / 1648 أبو القاسم علي بن محمد الدادسي (ت. 1094 / 1683) :

قبلة مغرب بلا امتـــــــــراء ما بين برج الحوت والعــــــذراء
إن فيهما حلت بدون خلــــــل فمطلع الشمس إذن فاستقبــــل
عصر إلى غروب شمس فاستبن أو في المصيف استقبلن ذلك من

ويتناول نفس الرجز كذلك في أبيات لاحقة قبلة المدينة المنورة ومنى والمزدلفة وعرفة والطائف والشام.

إن ما أوردناه في شأن القبلة يعطي فكرة عامة حول الجانب الفلكي ـ الرياضي للمسألة، ونرى أن جانبها الفقهي يخرج عن إطار هذا العمل.

6 ـ علم التوقيت

لا يقتصر علم التوقيت على حساب أوقات الصلاة، بل يبحث كذلك في تحديد أجزاء الليل والنهار، وقد حظي هذا العلم في المغرب بمكانة متميزة، ونال أهله أسمى مراتب التقدير وأعلى درجات الشرف.

استعمل علماء المغرب ـ كما في باقي أقطار العالم الإسلامي ـ نوعين من الساعات :

ـ الساعات المعتدلة : تقيس الواحدة منها 24 / 1 من اليوم ؛

ـ الساعات الزمانية : هي نوعان، نهارية وليلية، فالساعة الزمانية النهارية هي 12 / 1 من مدة النهار (أي من طلوع الشمس إلى غروبها)، والليلية هي كذلك 12 / 1 من مدة الليل. إذن، فالساعات الزمانية تختلف حسب فصول السنة باختلاف الليل والنهار.

لتحديد الأوقات، يتم اللجوء إلى علم الأزياج إذا تطلب الأمر الدقة (كما في حساب أوقات الكسوف والخسوف مثلا)، أو إلى الآلات الفلكية كالأسطرلابات والأرباع (المجيبة أو المقنطرة) والمزاول، أو إلى مختلف الطرق التي تقدمها كتب التوقيت، والتي تتفاوت مستوياتها من حيث دقتها ومن حيث المادة الفلكية والوسائل الرياضية المستعملة فيها. لذلك نرى أن نميز في علم التوقيت بين تقليدين، يندرج أحدهما ضمن ما يسمى "علم الفلك الرياضي"، فيما يندرج الآخر ضمن "علم الفلك الشعبي".

1.6. علم التوقيت "الرياضي"

يقدم هذا التقليد في حساب الأوقات صيغا رياضية متنوعة، بعضها دقيق (Formules exactes) مثل الصيغة التي قدمها ابن البنا في منهاجه :

$$S(H) = S\left(\frac{J}{2}\right) - S\left(\frac{J}{2}\right)\frac{\text{Sinh}}{\text{Sin}\Gamma}$$

(حيث $S : x \to$ هي "دالة" الجيب الستيني، و $x \to \text{Sinx}$ 60 - Sinx "دالة" السهم، وJ قوس النهار، وh ارتفاع الشمس وΓ غايته) والبعض تقريبي مثل الصيغة :

$$\text{Sin}\,(15\theta) = \frac{\text{Sinh}}{\text{Sin}\Gamma}$$

(θ الساعات الزمانية الماضية من شروق الشمس أو المتبقية لغروبها) وقد قدمها الجادري في "*روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار*" وكذلك في "*اقتطاف الأنوار...*"، هذا بالإضافة إلى الصيغة التقريبية التي توجد في كثير من مؤلفات التوقيت، مختلف شكلها حسب وحدة القياس المستعملة فيها، ويمكننا كتابتها في شكلها العام :

$$\theta = \frac{6u}{u + s - g}$$

(حيث s هو طول الظل المحسوب له الوقت، وg طول ظل الغاية وu عدد يرتبط بوحدة قياس الأطوال، فيكون u = 12 بالأصابع وu = 7 (أو u = 6) بالأقدام)...

إن صرف الساعات المعتدلة إلى الزمانية (أو العكس) يقتضي حساب الفضل f بين قوسي "النهار والليل، وإذا كانت الصيغة الدقيقة لذلك هي :

$$\text{Sin}\,\frac{f}{2} = \frac{\text{Tan}\varphi\ \text{Tan}\delta}{60}$$

(حيث $x \to \text{Tanx}$ هي "دالة" الظل الستيني وφ عرض البلد وδ ميل الشمس) فإن ما يثير الانتباه فعلا هو الصيغ التقريبية التي أعدت لهذا الغرض. من هذه الصيغ نذكر :

$$f = \frac{11\,b\,(90 - \varphi)\,\delta}{60}$$

(حيث b هي "دالة" الظل المبسوط الإثني عشري) ومن بين من أورد هذه الصيغة ابن البنا في تقييده والجادري في

الروضة والاقتطاف ؛ والصيغة :

$$f = \frac{\varphi\delta}{24}$$

التي توجد في عملي الجادري المذكورين وفي يواقيت الدادسي ؛ والصيغة :

$$f = \delta + \frac{\delta}{2} - 1$$

وهي صالحة لعرض فاس، وقد عبر عن ذلك الجاديري في الروضة بقوله :

أو تأخذ الميل ونصف الميـــل وحُط منه واحدا بالعـــدل
لكنه اختص لعرض فـــاس وما يكون مثله للنــــاس

تثيرهذه الصيغ كثيرا من التساؤلات حول مصادرها وحول الطرق التي أوصلت إليها، وهي تنم في جميع الأحوال عن عبقرية أصحابها. وبالمناسبة، نذكر بأن رجز "الروضة" الذي يعد من أهم ما اعتمد في التوقيت بالمغرب، قد نظمه الجادري وسنه لا يتجاوز الثماني عشرة سنة، وإلى ذلك أشار بقوله :

وإن أكن أخطئ أو أقصر فابن ثمان عشرة قد يعذر

2.6. علم التوقيت "الشعبي"

لفظ "الشعبي" هنا كناية على شيوعه بين العامة لبساطته وسهولة مأخذه، وقطب هذا التقليد هو محمد بن علي البطيوي الملقب بأبي مقرع، وهو عالم لا يعرف عنه شيء سوى رجزه الذي نظمه على ما يبدو سنة 719 / 1319، فاشتهر بين الناس إلى درجة سمي معها هذا التقليد بعلم أبي مقرع، وفيه نظمت أراجيز عديدة صنف على أهمها بعض الشروح. ومن بين أشهر الأراجيز في هذا الباب نشير إلى رجزي الدادسي "*بداية الطلاب في علم وقت اليوم بالحساب*" (وهو من 239 بيتا) و"*اليواقيت*..."، وكذلك إلى رجز أبي عبد الله محمد بن سعيد المرغتي (ت. 1089 / 1976) الذي سماه "*المقنع في علم أبي مقرع*" (وهو من 99 بيتا، نظمه عام 1040 / 1631).

يتناول المضمون العام لهذه الأعمال تحديد مداخل الشهور العربية والعجمية، وتاريخ دخول الشمس إلى كل منزلة من منازل القمر الثماني والعشرين، وذكر أهم "أيام" السنة كأيام الحُسوم والنيسان والعَنْصَرة...، وتحديد أطوال ظلال الظهر والعصر والساعات النهارية (بالأقدام أو وحدات أخرى كالأشبار والأصابع)، وتحديد المنازل الطالعة (أو المتوسطة أو الغاربة) لوقتي العشاء والفجر وباقي أجزاء الليل.

ولتكون فكرة حول طرق هذا التقليد، نورد مثالا على نهج المقنع لتقدير وقت الظهر والعصر يقول المرغتي :

قد وُضعَت للظهر والعصر حروف طَزَهْ جَبا أَبْدَهُ حيٌّ للصفوفْ

وتشير الحروف الإثنتا عشر "طزه جبا أبده حي" إلى أطوال ظل الظهر لمداخل شهور التقويم اليوليوسي يناير، فبراير، مارس الخ. فيكون ظل الظهر في مدخل أكتوبر مثلا هو الهاء أي 5 أقدام، وللحصول على ظل العصر تُضاف 7 إلى أقدام الظهر، فيجتمع من ذلك 12 قدما.

7. علم الأنواء

يعتبر علم الأنواء من أقدم العلوم الفلكية (إن لم يكن أقدمها)، وقد اختُلف في معنى النوء، فقيل إنه سقوط النجم بالغداة، كما قيل إنه طلوع نظيره عند الغروب.

ارتبطت أنواء المنازل القمرية عند العرب قبل الإسلام بما يشبه اليوم علم الطقس أو المناخ، حيث نسبوا إليها نزول الأمطار وهبوب الرياح واشتداد القيظ أو القر.

تتناول مؤلفات الأنواء المغربية فصول السنة وتواريخها والمهمات من الأيام فيها. ولَمّا كان ذلك يتزامن مع تقلبات جوية معيَّنة، فإن جلّ كتب الأنواء تخوض في مواقيت الفلاحة من حرث وغرس وجني للمحاصيل، وقد يطال اهتمامها أحيانا بعض أمور الحياة اليومية.

من المُرَجَّح في تقديرنا أن يكون علم الأنواء الأصل الذي تفرع عنه علم التوقيت الشعبي، ومما يوحي بذلك، تشابه مادتهما الفلكية ومنهجهما الذي يعتمد الملاحظة وما تثبته التجربة، وتفاديهما الأدوات الرياضية التي يعسر على العامة التعامل معها. وما يعزز قولنا أيضا اعتماد علم التوقيت الشعبي على كثير من معارف الأنواء، وفي ذلك نسوق مثال الدادسي الذي يقول في بداية الطلاب :

أيامها سبع بلا بهتـــــان إبريل كرْ منه للنيســــان
ولليالِ يَب من دجنبــــر عَنْصَره في كدٍّ يُنبه حَـر
والحرث يَز أكتُبْرَ مـلازمْ كذا يُليُرِ ترى السمائــمْ

من بين ما ألف بالمغرب في علم الأنواء نذكر "*كتاب الأنواء*" لابن البنا، ورجزا في المنازل لمحمد بن عبد الله الأزموري (ت. 981 / 1573)، وقصيدة من فن الملحون من نظم الشيخ عبد العزيز المغراوي (سنة 1020 / 1611) اعتمد فيه أنواء ابن البنا ؛ هذا إلى جانب أعمال كثيرة بعضها لا يعرف مؤلفوها.

خلاصة واستنتاجات عامة

غطت المؤلفات الفلكية المغربية - على ما يظهر - مختلف فروع ومباحث علم الفلك، وتوحي ندرة تلك المؤلفات في الفروع النظرية، خاصة في الهيئة والأزياج، باستئثار الفروع العملية بقدر أعلى من الاهتمام، ربما لأن هذه الأخيرة تجد لها تطبيقات مباشرة في الحياة اليومية والأمور الدينية.

ولاشك أن للمعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية دوراً أساسياً في تشكيل المشهد الفكري، وتشجيع البحث العلمي، وضمان قدر من التفاعل بين العلماء واستفزاز النقاشات والسِّجالات بينهم، والظاهر أن سمات التراجع في مضامين الأعمال الفلكية المغربية قد غدت واضحة منذ نهاية القرن (7 / 13)، وهو ما أكده انصراف العلماء إلى الأمور العملية والتطبيقية، واقتصارهم في التأليف على مصنفات الشرح والتعليم. وفي الوقت الذي بدأ "السُّبات" يتسرب إلى البحث والإبداع في علم الفلك العربي

وباقي العلوم، لوحظ تزايد في الاهتمام بترجمة ودراسة المؤلفات العربية في أوربا. هكذا هي شمس الحضارة، لا تكاد تغرب عند قوم حتى يلوح فجرها في أفق غيرهم، وتلك الأيام نداولها بين الناس.

عبد اللطيف الحوتة

**الفلاَّح، عبد الكريم** بن عمر الحاحي المراكشي. كان يعيش في حاحا. وقد وصلتنا بعض أخباره وهو صبي صغير عندما بعثه والده لزيارة الجزولي الذي كان يعيش في المنطقة. فأجلسه الشيخ في حجره وجعل يمسح بيده على رأسه. وكانت له قصة من شعر، فأخذ الشيخ المقص وجزها. فلما رجع إلى البيت أخبر والديه بذلك. وصار كلما سئل ردد قوله "إكس أگرام تگرطنو" بالبربرية (أي أزال الفقير قصتي).

وفي المحافظة على هذه القصة وروايتها إشارة إلى :

- اتباع والده للطريقة الجزولية.

- ما لقيه الفلاح منذ صغره من عناية ورعاية لدى كبار صوفية عصره، خاصة وأن له قصة أخرى مع شيخه التباع تبين ما حدث في أول لقاء بينهما. فقد غادر بلاده حاحا بعد مقتل والده في فتنة عمرو المغيطي بينهم وبين الشياظمة. ودخل المدينة حوالي سنة 880 / 1475. وسأل عن الشيخ التباع بصفته وارث الطريقة الجزولية بالمدينة وممثلها. وظل ينتظر بباب أغمات إلى أن أذن له بالدخول على الشيخ في زاويته رابطة الصالحين بحي النجارين. وكانت عبارته فيه (نرفد عبد الكريم من العسل، ونغمسه في السمن) سببا - في اعتقاد المترجمين - فيما لقيه من قبول واعتبار لدى الناس ولازم زاويته يتعلم ويتلو الأذكار والأوراد.

ويبدو أن الفلاح قد استقل بسكناه، وبدأ في تأسيس نواة زاويته خلال حياة شيخه التباع، إذ كان يستأذنه في استدعاء الفقراء إلى بيته عن غيابهم.

واستمر في أداء هذه المهمه خلال حياة شيخه، ذلك أن ما جرى على لسانه في مناظرة خلافة التباع (وأنا مائدتكم، من أحب الطعام فليأتني). يعني أنه كان يقوم به منذ زمن، والإطعام دليل على وجود المريدين والفقراء والوافدين على الزاوية.

وإذا كانت المصادر لا تشير إلى موقع هذه الزاوية فالراجح أنها كانت داخل باب إيلان. فقد جرت العادة أن يدفن الشيوخ في زواياهم - في الغالب - والفلاح قد دفن في هذا الحي.

ويبدو أنه فاق شيخه في أسلوب الإطعام ونوعيته، ففي الممتع أنه "كانت له مائدة مديدة في إطعام الطعام للوارد والصادر، مع جودته، وكثرة الفواكه، وأصناف اللحوم وأنواع الطبخ، شيء يعجز عنه الوصف. وكذلك كان أصحابه من بعده".

والإشارة هنا إلى تلميذه أبي عمرو القسطلي الذي سار على نهجه في الإطعام.

وأدرك الفلاح مكانة جعلت السلطان أبا العباس أحمد بن محمد وأخاه عبد الله محمد الشيخ يترددان على زاويته للزيارة والتبرك.

وإضافة إلى الإطعام والتعليم وتربية المريدين كان الفلاح مهتما بإحياء الأرض وشق السواقي وغرس الأشجار فقد قال الحلفاوي في ترجمته لأبي عمرو - تلميذ الفلاح - (من كلامه ما شهدنا صدقه بعد ستين سنة كقوله سأغرس في موضع كل سدرة شجرة. ولا يزال مراكش يعمر حتى يباع معطن البقرة بقيمة البقرة). وهو اهتمام شارك فيه تلميذ آخر للتباع هو الغزواني. وكانت وفاة الفلاح يوم الثاني من ربيع الأول سنة 933 / 1556 ودفن داخل باب إيلان بالقرب من قبر القاضي عياض.

وامتد نفوذ زاوية الفلاح عن طريق المشاهير من مريديه، وهم :

- أبو عمرو القسطلي المراكشي المتوفى بمراكش سنة 974/ 1566 ؛

- أبو محمد عبد الله الكوش هو والد زهراء بنت الكوش أشهر متصوفات مراكش في القرنين العاشر والحادي عشر المتوفي سنة 961 / 1553.

- أبو عبد الله محمد بن ويسعدن السكتاني المتوفى سنة 985 / 1577.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954 ؛ ع. المراكشي، *إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال*، مخطوط الخزانة الحسنية، رقم 232 ؛ *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام*، المطبعة الملكية، 1974 - 1983 ؛ م. الفاسي، *تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية الزروقية*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ؛ *ممتع الأسماع*، ط. حجرية بفاس، 1313، تح. عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد، 1994 ؛ محمد بن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، ط. دار المغرب، الرباط، 1976 ؛ الحلفاوي أبو محمد قاسم بن أحمد، *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة*، مخطوط خزانة ابن يوسف، 171.

حسن الجلاب

**الفلاَّق، محمد** بن محمد السفياني، قيل إنه سجلماسي الأصل. والفلاق لقب له، وليس من الفلالقة بالغرب الذين هم فرقة من سفيان. وقيل إنه من معيطن من سفيان، ويعرف بالصويبي.

كان قاضيا مشهورا. قرأ بقبيلة الغرب على العلامة النوازلي أحمد بن إدريس بن الزيزون الشهير.

وكان له تعلق بصنعة الإكسير. وكتاب الجواهر لابن شاس لا يفارقه. استقضي بفاس الجديد نحو عامين، ثم استدعاه السلطان المولى الحسن لمراكش واستقضاه بها. وكان يسكن بدرب عزوز بالمواسين. كانت فيه غلظة في الأحكام نشأت عن اتصاله بالمخزن.

كان يلقي دروسه في المحافل والمساجد سواء في ناحية سوق أربعاء الغرب حيث كانت قبيلته أو في مدينته فاس حينما كان قاضيا بها.

ألف كتابا في الدعوة إلى إعداد جيش منظم لازال مخطوطا بخزانة القرويين بفاس، عدد 1997، تحت عنوان : *تاج الملك المبتكر ومواده من خراج وعسكر*.

توفي يوم 26 ربيع الثاني من سنة 1310 / 92 ـ 1893، ودفن بضريح أبي شامة بوادي السبع قرب معيطن من سفيان.

العباس بن إبراهيم، *الإعلام* ؛ محمد بن محمد الفلاق السفياني، *تاج الملك المبتكر ومواده من خراج وعسكر*، 1984 ؛ ع. أفا، الاستشارات السلطانية في مجال الإصلاحات بالمغرب في القرن 19 م. ع 16، ص. 43 ـ 69 ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1991.

E. Michaux-Bellaire, Le Gharb, *Arcjives Marocaines., v. 20, p. 271 - 272.*

المصطفى البوعناني

**الفلُّوس، أحمد** ابن **أحمد** كان قاضياً على مدينة طنجة في عهد المولى سليمان. وعندما بايع أهل فاس ابن أخيه المولى إبراهيم بن اليزيد مكانه في 1820، بعد خلع جيش العبيد والأودايا له إثر هزيمته في وقعة ظيان 1819، انحاز إلى جانبه ضد سلطان البلاد هوّن عليه دخول طنجة، لكن عاملها آنذاك العربي السعيدي منعه من ذلك وطرده منها. وفي هذا الصدد يذكر محمد أكنسوس، وهو معاصر للمترجم، أن المولى إبراهيم عندما بويع بفاس في 24 محرم 1236 / نوفمبر 1820 اشترط عليه أهلها إخراج الأودايا من المدينة، ولما فشل في ذلك توجه به البربر إلى المدن الساحلية. وفي أثناء الطريق "كتبوا لأهل العرائش فأجابوهم بالمنع والرد وكذلك أهل طنجة إلا قاضيها السيد أحمد الفلوس أجابهم بالقبول سراً واستدعاهم وهون عليهم دخولها إذا قدموا إليها فلما تحقق عاملها العربي السعيدي وأعيانها فعل القاضي أخرجوه وطردوه وولوا موضعه السيد خالد [الطنجي] فلم يقبلهم إلا أهل تطوان فذهبوا إليها وأخذوا ما في خزائن السلطان من مال المرسى والسلاح والملف والكتان...".

وعلى الرغم من وفاة المولى إبراهيم، فقد ظل المترجم منحازاً إلى جانب المطالبين بالحكم من أبناء اليزيد. لذلك عندما بايع أهل تطوان ابنه المولى السعيد مكان أخيه المتوفى انضم إليه. وكان الذي انضم إلى هذه البيعة، التي تمت في 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821، من ثغر طنجة كما جاء في نصها : "السيد محمد ابن الحاج بوعزة أحرار والفقيه سيدي أحمد ابن أحمد الفلوس [المترجم] وقائدها الشاب السيد محمد بن عبد المالك والقائد محمد بن عمر الشرقي والقائد محمد بن عبد السلام وجم غفير ..." (*تاريخ تطوان*، مجلد 3 : 262).

ولما علم أشياع المولى السعيد بقرب وصول السلطان إلى تطوان قادما إليها من مراكش خرجوا به نحو فاس فأخبر عامل طنجة العربي السعيدي المولى سليمان بذلك، فرجع هذا الأخير "يؤم فاسا ويسابق السعيد إليها فوافياها في يوم واحد". ولا نعرف ما إذا كان يوجد المترجم ضمن هؤلاء، لأن أخباره اختفت من المصادر منذ هذا التاريخ.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، ج 1، ط. فاس ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، مجلد 3 ؛ *معلمة المغرب*، ج 15.

ميلود أحمنّ

**الفلّوس، أحمد** بن **علال**، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بجبل حبيب. انظم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913 ؛ عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر ؛ ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913، حيث انتخب عضوا في القيادة المركزية للثورة ؛ قرية الزوة يوم 11 يناير 1915. وقد شارك في 29 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**الفلّوس، عبد الكريم** ولد يوم 25 دجنبر 1926 بمدينة الرباط وتلقى تعليمه على علمائها وشيوخها، كما تربى في أحضان الحركة الوطنية منذ تأسيسها، بدأ حياته المهنية كمدرس ومسير لإحدى مدارس التعليم الوطني الحر بالرباط، انتقل بعد ذلك للتدريس بمدرسة إعداد المعلمين التي كان مقرها بالثانوية اليوسفية، وفي سنة 1944 تم توقيفه عن العمل بسبب نشاطه الوطني رفقة رجالات الحركة الوطنية المغربية، وفي مقدمته الإشراف على تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير 1944 فكان مصيره الاعتقال والسجن، وبعد خروجه من السجن عاد إلى حقل التدريس كأستاذ بمدرسة محمد گسوس في الرباط. وخلال الحوادث التي عرفها المغرب بمناسبة تضامنه مع الشعب التونسي لاغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد تم نفيه إلى منطقة آيت باعمران جنوب المغرب، لمدة خمس سنوات، وبعد عودته من المنفى عهد إليه بالإشراف على لجن التنظيم والمحافظة على الأمن استعدادا لاستقبال المغفور له محمد الخامس خلال رجوعه وأسرته الشريفة إلى أرض الوطن، وبعد الاستقلال انتخب عضواً في اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، وعهد إليه بتنظيم حركة الشباب الاستقلالي فكان من مؤسسي (الشبيبة الاستقلالية) وفروعها المتعددة، (كالشبيبة المدرسية، والطفولة الشعبية وبناة الاستقلال) التي قامت بأعمال وطنية كبرى في طليعتها المساهمة في بناء (طريق الوحدة) التي شارك فيها يومئذ صاحب السمو الملكي الأمير ولي العهد، جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، وتبلور نشاطه في الشبيبة الاستقلالية في حضور وتأطير الكثير من مؤتمراتها.. وأسس لها جريدة (الشباب)، ولا تفوتنا الإشارة

إلى أن عبد الكريم الفلوس بحكم اهتمامه بقضايا الشباب ساهم في تأسيس العديد من منظمات الشباب وطنيا وعربيا ودوليا، وتحمل من خلالها مسؤوليات قيادية وإدارية، كما حظي بعضوية المجلس الاستشاري الذي أحدثه المغفور له محمد الخامس بعد الاستقلال والذي كان عهدئذ بمثابة برلمان.

- ثم عين بالمجلس الأعلى للإنعاش والتخطيط.
- وعضوا في البرلمان المغربي مرات عديدة.
- ورئيسا للمجلس البلدي لمدينة الرباط، وعضواً في مجلسها الإقليمي.
- وعضوا في المكتب الدائم لمنظمة المدن العربية.
- وعضوا بالمجلس الإداري لصندوق تنمية المدن العربية.
- وعضو مؤتمر ميلانو لرؤساء بلديات كبرى مدن العالم.
- ورئيسا لجمعية الفتح الرباطية.
- وقد زاول الفلوس مهنة المحاماة بالرباط، فكان من الأوائل الذين ساهموا في إثراء الفكر القانوني وفي إغناء العمل التشريعي بأبحاثه الجيدة، وشكلت مذكراته ومرافعاته مدرسة للكثير من زملائه وإخوانه، فكان بحق المحامي المحنك الذي عشق الحق وتفانى فيه فدافع عنه بثقة مطلقة أضفت على شخصيته قوة ومهابة.
- كما كان كاتبا متميزاً ذا أسلوب متين سلس جذاب، في التعبير، تشهد بذلك مقالاته المتعددة المنشورة بمختلف الجرائد الوطنية وخاصة جريدة العلم الغراء حيث كان يحرر مقالاته زمن الحماية باسم "وديع".
- أما في عهد الاستقلال فكان يكتب باسمه الصريح من خلال أعمدة دائمة منها "أشياء صغيرة" و"أنت والقانون"، عدا مواضيع مختلفة وأبحاث ودراسات تهم الشباب والمجتمع والكشفية.

وقد مارس عبد الكريم الفلوس نشاطه الكشفي منذ نعومة أظافره، حيث انخرط في صفوف الكشفية الحسنية المغربية سنة 1933 تاريخ نشأتها، وبعد أن اشتد عوده وأصبح عنصرا قياديا بدا يهتم بمجالات التكوين وإعداد الأطر وإغناء المكتبة الكشفية بالدراسات والأبحاث والأناشيد، وفي سنة 1955 نظم أول تدريب لأطر الجمعية بمنزله بتمارة حيث انطلقت الخطة الجديدة لسير الجمعية في عهد الاستقلال، وقد أنيطت به في البداية مهمة الكتابة العامة للجمعية، وبعدها تقلد مسؤولية القائد العام بها وبعد تأسيس الجامعة الوطنية للكشفية المغربية شغل منصب رئيس لها سنة 1961، وفي نفس السنة ترأس وفد المملكة المغربية إلى مؤتمر لشبونة العالمي، حيث تسلم وثيقة الاعتراف بالكشفية المغربية كعضو في المنتظم الكشفي العالمي، وترأس عدة بعثات إلى المؤتمرات العربية التي نظمت في مختلف الدول العربية، وفي 17 أبريل 1968 سلم في حفل كشفي كبير بطاقة التنصيب لولي العهد الأمير سيدي محمد جلالة الملك محمد السادس نصره الله كشبل أعظم للكشفية الحسنية المغربية، وترأس التجمع الكشفي العربي الخامس سنة 1962 والتجمع الكشفي العربي 13 سنة 1978 اللذين نظما بالمغرب.

- وساهم في عدة بعثات إلى المؤتمرات العالمية في كل من لشبونة وهيلسينكي وطوكيو ومونريال.
- وترأس بعد ذلك كل المهرجانات التي أقيمت لتخليد ذكرى تنصيب ولي العهد شبلا أعظم للجمعية.
- وآخر نشاط كشفي قام به هو العرض القيم الذي قدمه في دراسة السنديان الثالث الذي نظم بالمعمورة بتاريخ دجنبر 1979.
- وكان من المنتظر أن ينال الوسام الكشفي، الذئب البرونزي باقتراح من اللجنة الكشفية العربية والذي كان سيقدم له في الصيف اللاحق أثناء المؤتمر الكشفي العربي 14، لكن الموت وافاه يوم الاثنين 31 مارس 1980.

محمد المصطفى الريسوني

**فلورة المغرب**، "فلورة" مصطلح علمي مأخوذ عن اللاتينية Flora الذي يعني مجموع الأنواع النباتية لمنطقة أو بلد أو قارة، كما هو الشأن بالنسبة لمصطلح "فونة" Fauna الذي يشمل مجموع الأنواع الحيوانية. ولمصطلح فلورة عدة مرادفات. ويقول البعض بالعربية "النبيت" أو "النبات". لكنه من الممكن أن يحدث الخلط بين ما يتعلق بلائحة الأنواع النباتية Flora باللاتينية ما يعني التشكيلات النباتية Végétation أو Formations végétales بالفرنسية أي أنماط الغابات وشبه الغابات والماطورالات والسهوب وشبه السهوب... وتجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين العرب في المشرق العربي حاولوا في العقود الأخيرة تخصيص لفظي "نبات" و"نبيت" للدلالة على الأنواع النباتية أي فلورة، ولفظ "نبت" للتداول عن التشكيلات النباتية أو النبتية أي Végétation بالفرنسية وما شابهها باللغات اللاتينية والأنجلوساكسونية.

فمعنى "فلورة المغرب" اللائحة التي تشمل جميع الأنواع النباتية الطبيعية أو شبه الطبيعية الموجودة بهذا البلد.

ففي هذا المجال يعتبر المغرب في المنطقة المتوسطية من أغنى البلدان من الناحية الفلورية وذلك بالرغم من أن الأبحاث الاستكشافية مازالت تأتي بإضافة أنواع جديدة.

وقبل إعطاء نبذة وجيزة عن فلورة المغرب ارتأينا أن نقدم لمحة عن أهم مراحل تاريخ الاستكشافات المتعلقة بالأنواع النباتية المصادفة بهذا البلد.

الاستكشافات الفلورية في المغرب

كان المغرب آخر بلد من المنطقة المتوسطية انفتح على العالم الغربي. وذلك بسبب اعتبارات تاريخية ودينية وجيومورفلوجية وغيرها. فلهذا لم يعرف الاستكشافات الفلورية بصفة شاملة إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين.

كان ابن البيطار الطبيب المصري الشهير أول من ذكر في سنة 1229 وجود أركان بالمغرب فسماه لوز البرابرة. ومن بعده بعدة قرون، لم يعرف المغرب أي استكشاف فلوري، باستثناء ناحيتي طنجة والصويرة النافذتين اللتين بقيتا مفتوحتين. ثم جاء في سنة 1675 بإيطاليا صدور مؤلف "تاريخ النبات Historia botanica" لزانوني Zanoni الذي أنجز لائحة الأنواع النباتية التي جمعها في منطقة طنجة التاجر المغربي ابن العم. وفي سنة 1696 ألف الطبيب الإنجليزي سبوطسوود Spotswood كتابه تحت عنوان "فيتولوجيا طينيجيتانا Phytologia tingitana " الذي أتى بذكر عدة أنواع نباتية لشبه الجزيرة الطنجية حيث أقام لعدة سنوات. وفي فترة ما بين 1795 و1801 تعرف بروسوني Broussonet أستاذ مدرسة الطب بمونبوليي على فلورة مناطق الصويرة وأسفي وسلا والعرائش وطنجة وتطوان ومكناس وفاس ومراكش. وفي نفس الفترة وبعد قيامه بجولة في المغرب ألف النباتي الدانماركي شوسبو Shousboe كتابا عن "ملاحظات من عالم النبات بالمغرب Observations sur le règne végéral au Maroc " ويعتبر هذا المرجع الصادر سنة 1801 أول محاولة لإنجاز مؤلف شامل لفلورة المغرب. وواصل هذا الباحث استكشافاته النباتية بالمغرب حتى وفاته بطنجة سنة 1832. ومن أهم باحثي القرن التاسع عشر الآخرين الذين اشتغلوا في هذا الميدان، نذكر : سالزمان Salzmann في منطقة طنجة ما بين 1823 و1824، وويب Webb سنة 1827 في جبال تطوان، وبلانصا Balansa في الأطلس الكبير سنة 1867 ، وهوكر Hooker وبال Ball في مناطق تطوان وطنجة والصويرة ومراكش وتوبقال. لكن أشهرهم في هذه الفترة يبقى كوصون Cosson الذي استعان فيما بين 1872 و1889 ببعض المغاربة لجمع العينات النباتية من جل أنحاء المغرب، وذلك لدراستها والتعرف عليها. كما قام بتصحيح أسماء كل العينات الفلورية التي جمعت قبله.

ثم تكاثرت الاستكشافات في بداية القرن العشرين من طرف عدة باحثين، نذكر من بينهم :

جولي Joly سنة 1905 في منطقة شفشاون، وبيتار Pitard سنة 1912 الذي جال في مناطق شفشاون وأصيلة وطنجة وتطوان، وكذلك موري Mouret الذي قام في ما بين 1911 و1913 بجمع الأنواع النباتية في مناطق فاس ومكناس والأطلس المتوسط. وبعد فرض الحماية على المغرب وخلق المعهد العلمي بالرباط، بدأت مرحلة جديدة من الاستكشافات النباتية المنهجة التي شملت جل المناطق المغربية وذلك بفضل أكبر العلماء النباتيين في المنطقة المتوسطية والأوربية. ونذكر في مقدمتهم :

- في المغرب الخاضع للحماية الإسبانية : پاو Pau وكبابيرو Caballero ، وفيدال Vidal، ولوبيش Lopez، ماوريثيو والإخوان سينين Sennen وموريسيو Mauricio، وفونت كير Font-Quer...

- في المغرب الخاضع للحماية الفرنسية : بطانديي Battandier، وترابو Trabut ، وكاتفوسي Gattefossé، وليتارديير Litardière، وبراون بلانكي Braun-Blanquet، وجهانديز Jahandiez، وموربيك Murbeck، ومير Maire، وأومبرجي Emberger، وسوفاج Sauvage، وكيزيل Quézel، وفانت Vindt. ويعتبر الخمسة الأخيرون في هذه اللائحة أكبر الباحثين في ميادين الفلورة والعشائر النباتية والبيئة المغربية والمتوسطية.

وبعد بضعة عقود من استقلال المغرب، برز عدد من الباحثين المغاربة في هذه الميادين، وذلك في المعاهد ومؤسسات التعليم العالي المختصة، فأنجزوا عدة منشورات علمية (انظر المراجع).

محتويات فلورة المغرب

نظرا لتنوعه البيئي يتميز المغرب بفلورة جد غنية مقارنة مع البلدان المتوسطية الأخرى. فعدد أنواعه النباتية الطبيعية يقدر بحوالي 7000 أو أكثر، 400 نوع أو أكثر من الطحالب، 820 نوع أو أكثر من الفطريات، 700 نوع أو أكثر من الأشنات، 350 نوع أو أكثر من الخز، 60 نوعا أو أكثر من السراخس، 4500 نوع أو أكثر من النباتات المزهرة.

تشمل الفلورة المزهرة 940 جنس و135 فصيلة. وأهم الفصائل من حيث عدد الأنواع فصيلة المركبات أو النجميات Asteraceae التي تحوي 600 نوع، وفصيلة الفلوليات Fabaceae الجامعة لأكثر من 370 نوع، وفصيلة النجيليات Poaceae الشاملة لأكثر من 350 نوع، وفصيلة الصليبيات أو اللفتيات Brassicaceae المشكلة من أكثر من 240 نوع، وفصيلة القرنيات Caryophyllaceae المكونة من أكثر من 240 نوع، وفصيلة الشفويات Lamiaceae التي تشمل أكثر من 225 نوع.

أصول فلورة المغرب

تتأصل فلورة المغرب من عدة مصادر، أهمها الأصل المتوسطي السائد والمتواجد برفقة الأصول الأوروسيبيرية، والإيرانية الطورانية، والصحراوية السندية، والمدارية، والماكارونيزية، إضافة إلى الأنواع القبسية أي الخاصة والتي يقدر عددها بحوالي 800 نوع أو أكثر.


A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Ibis presse, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000 , 360 p. ; Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*. Larose, PARIS, 317 P., 1938 ; Emberger et Maire, *Histoire de nos connaissances botaniques sur le*

*Maroc*, Mémoire de la Société Scientifique Naturelle du Maroc, 38, Larose, Paris, 1934 ; *Catalogue des plantes du Maroc*. Minerva, Alger, Supplément aux vols. 1, 2 et 3, 4 : 915 - 1181, 1941 ; Fennane, *Présentation du monde végétal marocain*, In Grande Encyclopédie du Maroc, vol. Flore, Rabat, 1987 ; Fennane, Ibn Tattou, Mathez, Ouyahya, El Oualidi, *Flore pratique du Maroc*, vol. 1, Travaux de l'Institut Scientifique, Rabat, 1999 ; Jahandiez et Maire, *Catalogue des plantes du Maroc*, Tome 1, 2 et 3 Lechevalier, Paris, 1931 - 1934 ; Maire, *Flore de l'Afrique du Nord*, vol. 1 à 16, Lechevalier, Paris, 1952 - 1968 ; Nègre, *Petite flore des régions arides du Maroc occidental*, 2 tomes, CNRS, Paris, 1961-1962 ; Quézel, *La flore du bassin méditerranéen : origine, mise en place, endémisme*. Ecologia mediterranea, Marseille, XX (1/2) : 19 - 39, 1995 ; Sauvage, la richesse de la flore marocaine. *Bull. Ens. Pub. Maroc, 216 : 6 - 11, 1952* ; Sauvage, *Flore des suberaies marocaines*, Trav. Inst.. Sci., Rabat, Série Bot, n° 22, 1961.

عبد المالك بنعبيد

**فلوريش، إبراهيم** ، من الرياس القلائل العاملين في الأسطول السلاوي أواخر العهد الدلائي. برز في سنة 1659 بنشاطه في مطاردة السفن الإسبانية رغم شدة التضييق الأوربي، وقد نجح في تلك السنة في إجبار طاقم إحدى السفن على الفرار على متن قارب، ولدى ملاحقته وأسره لأحد عشر أسيرا، تعرضت له أثناء عودته سفن هولندية، توجه إليها لإبراز شهادته وجواز السفر المسلم من طرف القنصل، لكن قباطنتها قاموا بإطلاق سراح الأسرى الذين حققهم بمشروعية.

*S.I.H.M.*, 1° série - Pays-Bas, T. VI, p. 540.

**فلوريش، المعطي** ، من الرياس الرباطيين، ومن العاملين في الأسطول العلوي مطلع القرن التاسع عشر على عهد مولاي سليمان. كلفه السلطان هو ورياس آخرين بتجهيز سفنهم في مرسى العرائش، وبالتوجه إلى طنجة لنقل الزاد منها إلى الأمير إبراهيم بالإسكندرية.

الضعيف، *تاريخ*.

حسن أميلي

**فلول** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Fillol ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**فلون** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Fallon ؛ وكانت هذه الأسرة قد هاجرت أول مرة إلى قبيلة بني سعيد الغمارية ومنها انتقلت إلى تطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الفليبو** (Flibot) سفينة شراعية من المراكب الخفيفة التي اعتمدت أصلا في ملاحة المساحلة في المياه الأطلنتيكية الشمالية خلال القرن (17 م)، ولا سيما للربط بين سواحل الأراضي المنخفضة، وبين ضفتي بحر المانش. وقد تم اعتمادها في الأسطول المغربي، ولا سيما من لدن رياس البحر السلاويين نظراً لما تتميز به من مواصفات ملاحية تتلاءم وطبيعة المراسي المحلية النهرية الطابع، بما تستلزمه من ضعف الغطاس لغاطس وخفة الحمولة التي لا تزيد عن مائة طنة. وقد كانت تجهز عسكريا لغرض الجهاد البحري بطاقم يتراوح بين ثمانين ومائة رجل، وبكفاءة مدفعية من حوالي عشرين قطعة خفيفة.

Les *S.I.H.M.*, 2° série, France, t. I, p. 279-280.

حسن أميلي

ابن **فليح الحضرمي**، عبد الله بن محمد من جلة أهل قصر كتامة في القرن السادس (12 م)، لم تترجم له كتب التراجم الأندلسية لعدم دخوله الأندلس، لكن أبا جعفر بن الزبير تنبه إلى تردد اسمه في تراجم من رووا عنه من الأندلسيين والداخلين إليها، فخصص له فقرة بليغة في ترجمة تلميذه يونس بن طربية القصري. ونقل ابن الأبار في *التكملة* عن ابن فليح ما قيده في أحوال شيوخه وأخباره.

أخذ المترجم بمدينته عن عالمها في العصر المرابطي أبي عبد الله بن المدرة الكتامي (ت. 530 / 1136)، وعن الشيخ الزاهد أبي الحسن علي بن خلف بن غالب القرشي الشلبي (ت. 568 / 1173)، وعن أبي الحسن عباد بن سرحان نزيل طنجة. ولازم القاضي أبا الفضل عياض بن موسى اليحصبي مدة وأخذ عنه كثيرا، كما أخذ عن أبي بكر بن العربي المعافري. ثم رحل إلى فاس لاستكمال تعليمه، وروى بها عن جماعة من العلماء كأبي موسى عيسى بن يوسف بن الملجوم، وأبي علي منصور بن فوناس بن مسلم بن عبدون الزرهوني الفاسي (472 - 556 / 1079 - 1161). وأجاز له أبو بكر بن طاهر.

اعتنى طلبة العلم بالأخذ عن ابن فليح لعلو أسانيده، فكانوا يترددون عليه بقصر كتامة. ومن تلاميذه الذين نبغوا في العلم أبو محمد الناميسي الطنجي، أخذ عنه وعن الشيخ أبي محمد عبد الجليل القصري. ومنهم أيضا أبو بكر ابن محرز، وأبو محمد بن حوط الله الأنصاري، وأبو محمد عبد الله بن إدريس القضاعي المعروف بابن شق الليل (ت. 607 / 1210)، وأبو الوليد يونس ابن يوسف بن طربية القصري.

ولي أبو محمد بن فليح قضاء كتامة، وكان حيا به سنة 591 / 1195.

ابن الأبار البلنسي، *التكملة لكتاب الصلة*، الدار البيضاء، (د. ت.)، ج. 2، ص. 306، ج. 4، ص. 181 ؛ ابن عبد الله المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1956، ج. 5، ص. 209، وج. 8، ص. 309، 371 ، تح. م. ابن شريفة، الرباط، 1984 ؛ ابن الزبير الغرناطي، *صلة الصلة*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، 1995، ج. 5، ص. 304.

محمد المغراوي

**فليّو** ، يطلق لفظ "فليو" على نوع مانْتا بوليجيوم Mentha pulegium وأنواع أخـري من نفس الجنس (انظر مانتا) أو أجناس أخرى من فصيلة الشفويات Lamiaceae.

إنه عشب معمر، ذو جذور سطحية ينبعث منها سيقان حولية جد عطرة. أوراقه متقابلة. ازهاره كثيف، ذو أزهار بيضاء وردية أو ذات لون بنفسجي باهت.

ينتشر فليو في جنوب أوربا والمنطقة المتوسطية. أما في المغرب، فإنه يصادف في الأراضي المستنقعية في فصل الشتاء من مناطق السهول والجبال بسيطة الارتفاع. وذلك في المناطق شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة، الدافئة والمعتدلة، وفي مستويات الطابقين النباتيين للمتوسطي الدافئ وتحت المتوسطي.

تجمع كميات كبيرة من فليو في سهول الغرب ومقدمة الريف لاستعمالها في التقطير كنبات عطري وطبي، وذلك في معامل سيدي قاسم ووزان وغيرهما.

تستعمل الأوراق المجففة في التطبيب التقليدي المتعلق بأمراض فصل الشتاء كالزكام وأوجاع الحلق وأمراض الرئتين وأمراض المعدة وغيرها. كما يستخدم عطر فليو في عدة أدوية أو مأكولات أو مواد غذائية أو مشروبات.

ذكر فليو من طرف ابن البيطار والوزير الغساني وعبد الرزاق وفي تحفة الأحباب.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Ibis Press, Paris, 1997, 779 p. ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*. Ibis Press, Paris et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**فم لرجم** (مدافن –)، مدافن من الفرع المعروف بالقبور التلية واسمها بالأمازيغية كركور. وهي مدافن يعلوها كوم من التراب والطين، كانت على شكل نصف دائري ثم أصبحت دائرية وصارت كوما من الأحجار.

تقع هذه القبور التلية عند منطقة مهمة جداً، وهي المنطقة التي يحول فيها وادي درعة اتجاهه من الجنوب إلى الغرب مكونا ما هو معروف بحقفة النهر أو المرفق. تقدر الباحثة جاك ـ مونيبي عدد القبور التلية في موقع فم لرجم وما يحيط به بالمئات. وقد أجرت فيها تنقيبات، ونشرت عنها تقريراً في مجلة هسبريس *الجزء 35 سنة 1958*. تحدثنا عن فم لرجم قائلة :

"شكل قبور فم لرجم تلي أو مخروطي، مبنية من حجر جاف أسود اللون، ويبدو أن التراب الذي ملأ الفتحات الموجودة بين الأحجار حملته الرياح. تختلف أبعاد القبور حسب شكلها، إذ يتراوح القطر بين 4 م و12 م والعلو بين 2 م و4 م... يتوفر عدد من القبور في جهته الجنوبية الشرقية على فتحة مربعة الشكل طول ضلعها 0,5 م، مغلقة بكتلة صخرية كبيرة. هذه الفتحة (أو الكوة) ضيقة لدرجة أن أي شخص بالغ لا يمكنه الولوج منها إلا بصعوبة".

"اتضح أن خمسة من هذه القبور التلية يتضمن كل واحد منها غرفة دفن مبنية فوق الأرض، وليست محفورة فيه، ويمكن أن تكون مغطاة أو غير مغطاة ببلاطات حجرية. وأكبر هذه القبور لا يتضمن غرفة جنائزية، وليس به بقايا عظمية مهمة. ولذلك يبدو أنه لم يستعمل للدفن". وهذا ما يمكن أن نطلق عليه قبر شخص مات بعيداً عن عشيرته، فأقامت له هذا القبر لتتذكره وربما لعبادته.

ثم تستعرض جاك ـ مونيبي أنواع القبور التلية التي يتضمنها فم لرجم والتي هي ثلاثة :

أ ـ النوع الأول : ذو أبعاد متوسطة مع غرفة جنائزية يعلوها قبر خشن.

ب ـ النوع الثاني : غرفة جنائزية مستطيلة الشكل مقامة فوق سطح الأرض، وتغطي الغرفة الجنائزية ببلاطات أفقية تغلق التابوت.

ج ـ النوع الثالث : قبر تلي ذو أبعاد صغيرة، توجد غرفة الدفن في المستوى الأعلى ولا وجود فيه للقبو أو الفتحة التي تسمح له بالاتصال مع العالم الخارجي.

ولم تنس جاك مونيبي الإشارة إلى الصلات التي يمكن أن تكون موجودة بين هذه القبور التلية والأخرى الشبيهة في مناطق أخرى من المغرب، بل وفي كل المغرب الكبير. وفي منطقة قريبة من فم لرجم، في مكان يسمى "إيميركاك" يوجد حوالي خمسة عشر قبراً تليا تشبه من ناحية الشكل والبناء قبور فم لرجم.

والواقع أن المنطقة الواسعة الممتدة بين زاگورة ومحاميد الغزلان عبر وادي درعة تتضمن العديد من القبور التلية.

ويبدو أن فم لرجم يعود لعصر البرونز لأن جاك ـ مونيبي عثرت على سوار من البرونز في أحد القبور، مقاييسه من الداخل 49 X 43 ملم ومن الخارج 57 X 51 وسمكه 4 ملم. ولا يتضمن هذا السوار أي زخرفة أو نتوءات يمكن استعمالها في دراسة مقارنة.

لكن بجانب المواد البرونزية المستخرجة في مقابر المريس وعين الدالية في منطقة طنجة فإن هذا يعني أن هناك دلالات حضارية معينة توحي بمعرفة البرونز واستعماله من طرف الأمازيغ وأنه، ربما عبارة عن عصر برونز محلي وليس

مستورد حسب ما يذهب إليه الباحثون الفرنسيون على الخصوص.

م. أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، دكتوراه الدولة، فاس، ص. 58 ـ 87.

Jacques-Meunié, La nécropole de Foum Le Rjem, Tumuli du Maroc présaharien, *Hespéris, t. XLV, 1958, p. 95 - 112* ; G. Camps, *Aux origines de la berberie, Monuments et rites funéraires protohistoriques*, Actes et métiers graphiques, Paris 1961 ; Id., *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Doin éditeur, 1970.

مصطفى أعشي

**الفنار**، في العربية الفصحى فنار وفي العربية الدارجة فران (بتخفيف الراء) وتقديمه على النون، والفران أداة ووسيلة للإنارة إلا أنه لا يضيء من نفسه وإنما بما وضع بداخله من مصدر للضوء وخاصة الشمع، والهدف العملي منه هو حفظ مصدر الضوء من الريح حتى لا ينطفيء، أما الهدف الآخر فهو التزيين خاصة في القصور والمساجد وغيرها ـ فهو مكمل للزخرفة والنقوش والأقواس ـ ويعتبر اليوم من تحف الصناعة التقليدية في المغرب بما أبدعت فيه أيادي الصناع المغاربة من إدخال الزجاج الملون والنحاس والنقش في أشكال هندسية تسر الناظرين ـ أما دوره الأساسي فقد بدأ ـ في تقديري ـ في العصر الوسيط الأعلى ؛ وبدأ تحديدا في العهد المريني فقد رفع في أعلى الصوامع، وبه ينتهي الجامور لإشعار الناس في المدن آنذاك بمواعيد آذان صلاة المغرب والعشاء والفجر ؛ إذ يمكن ملاحظته من بعيد خاصة في المدن المحاطة بالمرتفعات مثل مدينة فاس.

جاء في رواية الجزنائي في جني زهرة الآس، 94 وصف الجامع الأندلس فقال :

"...عدد المؤذنين والقومة في هذا الجامع 20 شخصا... فنار مسرج في أوقات الليل في أعلى الصومعة وعلم أبيض بالنهار..."

ويبدو من الوصف أن الفنار هنا بداخله قنديل زيت، وهذه التقنية التواصلية التي مازال العمل جاريا بها في صوامع المغرب كانت بدايتها في العصر المريني.

واستعمل الفنار بشكل عملي وضروري عند الصيادين في البحر في القوارب وفي المراكب والسفن، ومن هذه المنطلقات والبدايات انتشر الفنار ليعم المدن والبوادي ويستعمله الخاص والعام، ووضع الصناع أشكالا منه وأنواعا من البسيط الساذج الرخيص الثمن والخالي من أية إضافات إلى التحفة، وكل هذه الأشكال ماتزال موجودة إلى اليوم في الأسواق بالبوادي المغربية وفي البازارات ومعارض الصناعة التقليدية.

الجزنائي، *جني زهرة الآس*، الرباط، 1967 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ التادلي، التشوف، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، الرباط، 1972 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب*، مرقون كلية الآداب بالرباط.

محمد حجاج الطويل

**فنجيرو**، أسرة عربية أندلسية عريقة، كا موطنها ببلدة أندلسية يقال لها فَنْجيرُولاَ، وهي التي تعرف حاليا عند الإسبان باسم فَنْخيرُولاَ. انتقل أفرادها إلى المغرب مع جملة المهاجرين الأندلسيين ونزلوا بفاس وسكنوا بها، ثم انتقل بعض حفدتهم من فاس إلى الرباط واستقروا به، حيث يوجد حالياً معظم أفراد هذه العائلة.

**فنجيرو، قاسم** الولي الصالح من رجال التصوف بمدينة فاس. وكان من أصحاب العلامة الشيخ عبد القادر الفاسي ومن الملازمين له، يجالسه في دروس العلم وحلقات الذكر. وكانت سكناه بحي جزاء ابن عامر من عدوة القرويين. وبها دفن عند وفاته يوم الثلاثاء 4 ربيع الأول سنة 1111 / 29 غشت 1699 ، وضريحه هناك مازال مشهوراً إلى الآن يزار ويتبرك به. وإليه أشار الفاسي في منظومته عن صلحاء فاس بقوله :

وبِجَزَا ابن عامر تنويرُ     أدخله قاسمنا فنجيرو

**فنجيرو، محمد** كان من الرجال الصالحين المتصوفين، له أحوال وكرامات، عظيم النور، جليل القدر. صواماً قواماً، كثير الخشوع والصدقة، صادق الفراسة.

أخذ صاحب الترجمة عن الشيخ القطب مولاي العربي الدرقاوي، حيث كان من فضلاء أصحابه وكبار خيارهم، اشتغل في بدايته بالتجارة في دكان لبيع الكرازي بسوق الجَوَّايين قرب الجوطية بفاس، ثم ما لبث أن ترك ذلك وانقطع للعلم والذكر. انتفع به خلق كثير ومن أشهر تلامذته الصالح العارف محمد العربي المدغري الحسني الشهير بمدغرة.

توفي عن سن عالية، ويقال أنه أدرك الشيخ التاودي بن سودة المرّي وصلى وراءه. وقد كانت وفاته في 14 صفر 1289 / 23 أبريل 1872 ، ودفن بروضته برأس القليعة داخل باب الفتوح، وقبره مزار مشهور.

م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 292، 2 : 106 ـ 107، ط ح 1316 / 1898 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2645 ؛ *وثائق عائلية*.

لطيفة الگندوز

**الفندق** ، بناية ومؤسسة عرفها المغرب منذ العصر الوسيط الأوسط في بعض المدن الكبرى ولم تكن قبل ذلك موجودة. فأبو عبيد البكري في (*المغرب*، 88 ) يقول عن مدينة مليلة : "...ويسكنها بنو ورتدى وهم يقترعون على من يدخل عندهم من التجار فمن أصابته قرعة الرجل منهم كان تجره على يده ولم يصنع شيئا إلا تحت نظره وإشرافه فيحميه عمن يريد ظلمه ويأخذ منه الأجر على ذلك ويأخذ منه الهبة لنزوله عنده...".

ظهرت الفنادق بعد ازدهار التجارة الخارجية والداخلية

وظهور المدن وتعددها ونمو تنوع ساكنتها مثل مدينة فاس ومراكش وسلا وسبتة وغيرها، أما مدينة أغمات في العهد المرابطي فقد ضاقت بالتجار الأجانب الوافدين عليها فخصصت مدينة مستقلة لهم هي اغمات أوريكة. ثم تطورت الفنادق عددا وتجهيزا وخدمات على ما قال الجزنائي وكذا صاحب *روض القرطاس* الذي قدم إحصاء عن الفنادق في مدينة فاس في عهد الموحدين بلغ 469 فندقا وبلغ عددها في مدينة سبتة حسب صاحب.

وهكذا يمكننا من خلال المصادر تتبع موضوع الفنادق منذ نشأتها وظهورها إلى النصف الأول من القرن العشرين. والفنادق لم تكن مثل ما هي عليه اليوم : بناية خاصة بنزول الأغراب وإقامتهم وتقديم الخدمات الموازية والضرورية لهم بل كانت مؤسسة تجارية تجمع ما بين إقامة التجار والمحافظة على سلعهم ودوابهم، مكانا لعرض السلع والبضائع وللتبادل التجاري وإبرام الصفقات وكانت بناية الفندق مصممة لهذا الغرض وغالبا ما كانت مكونة من طابقين : سفلي مخصص للتبادل التجاري وحفظ الأمتعة والسلع وحراسة الدواب وتقديم الأعلاف لها وعلوي معد لإقامة التجار وخدمتهم.

وعرفت الفنادق خلال القرون المتتالية تطورات هامة حتى أصبح فيها المتخصص في سلعة أو بضاعة معينة مثل فندق الزيت بمدينة سلا وفندق السكر في مدينة مراكش وفي المدن التجارية الكبرى الأخرى. ولا نجد في المدن فندقا واحدا بل عددا من الفنادق المتخصصة، مثل فندق الجلد وفندق البيض في مدينة الرباط على سبيل المثال ومازال بنايات بعض الفنادق في بعض المدن تشهد على ذلك خاصة في مدينة سلا وفاس ومراكش ومكناس وغيرها.

ثم تغيّرت أحوال الفنادق في العمق إذ انفصلت مهامها وتجزأت فأصبحت الفنادق المخصصة لحفظ البهائم وحراستها تستقل على الفنادق المعدة لإقامة التجار وغير التجار وإيوائهم وخدمتهم وهذه الأخيرة انتشرت أكثر وتطورت في المدن لتصبح على ما هي عليه الآن ويمثلها غالبا الفنادق غير المصنفة أما الفنادق المصنفة. والفاخرة فهي نتاج تطور صناعة السياحة العصرية.

وحتى فنادق البهائم تفككت لتصبح متخصصة : فندق البقر، فندق الغنم : قال الضعيف "...وفيها (عام 1151) ضيق قبائل بني حسن بها (مكناسة) حتى كانت محصورة من جميع الجهات ونهبوا الكثير من البقر من الفنادق...".

على أن أكثر فنادق البهائم انتشارا في المدن وفي الأسواق بالبوادي هي فنادق الحمير (مع وجود بعض البغال والخيول) واستمرت طيلة القرن 19 و20 إلى أن حدث انتشرت وسائل النقل العصرية "السيارات والطاكسيات" وغيرها، فالنازل إلى المدينة للتسوق أو غير ذلك من الأغراض والداخل إلى الأسواق الأسبوعية في القرى والبوادي لابد وأن يودع مطيته (حمار، بغل، حصان) في مستودع خاص يعرف بالفندق.

أبو عبيد البكري، *المغرب*، الجزائر، 1911، باريس، 1965 ؛ أبو الحسن الجزنائي، *جني زهرة الآس*، الرباط، 1967 ؛ السبتي الأنصاري، *اختصار الأخبار*، مجلة تطوان، العدد 3، 1958. 1959 ؛ الضعيف، *تاريخ*، الرباط، 1986 ؛ مجهول، *الاستبصار*، الاسكندرية، 1958 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1948 وتطوان، 1960 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، تطوان، 1960 ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، الرباط، 1972 ؛ العمري، *مسالك الأبصار ضمن ورقات*، الرباط، 1979 ؛ محمد الطويل، *النقل والتنقل* ، مرقون كلية الآداب بالرباط ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980.

محمد حجاج الطويل

**فندلاوة** (قبيلة -) اسم قديم لقبيلة أمازيغية، انتشر في المجال الممتد بين صفرو ورباط الخير (أهرمومو). كانت على غير دين الإسلام عندما اكتسحت جيوش إدريس الأول مواطنها، وأخضعتها لنفوذه.

وقد اندثر اسم فندلاوة كقبيلة، خلال العصر الوسيط، ولم يحتفظ بهذا الاسم سوى قلعة حصينة، تعرضت للهدم في زمن المرابطين، ثم عادت إلى الظهور أيام بني مرين.

والراجح أن اختفاء اسم فندلاوة كقبيلة راجع إلى اندماجها في قبيلة بني يازغة، التي استقرت في المنطقة في زمن غير معروف. ويحمل مجالها الآن اسم القلوع، لكونه يضم أربعة قلاع محصنة طبيعيا، تشرف على مدينة المنزل، هي قلعة ابن يوسف وقلعة أولاد محمد وقلعة أولاد عبد العزيز وقلعة التوامى (التوأمان).

وكشفت لنا زيارة ميدانية لهذه المنطقة عن كون قلعة أولاد محمد ربما تكون هي قلعة فندلاوة قديماً، حيث يفصلها عن قلعة ابن يوسف مجرى مائي صغير، وتستقر على مرتفع يشكل حاجزاً طبيعياً بينها وبين جوارها. كما وجدنا أهلها ينتسبون إلى النسب العربي، شأنها في ذلك شأن أهل القلاع الثلاث الأخرى.

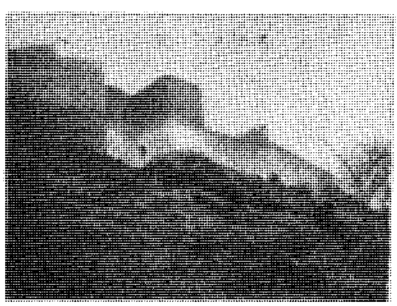

برز اسم قلعة فندلاوة مع تمرد عمر بن عثمان بن يوسف الهسكوري، سنة 685 / 1286 ، خلال بداية فترة حكم السلطان المريني يوسف بن يعقوب بن عبد الحق، الذي لم تمكنه ظروف دولته من مواجهتها، فعهد إلى مجموعة من القبائل المجاورة بمحاصرتها وإخضاعها.

ولم يُجد حصار قبائل بني عسكر وبني يازغة وسدراتة

وبني وارثين وغيرها، لقلعة فندلاوة. وعندئذ لم يجد السلطان المريني بدا من تجهيز حملة عسكرية تولى قيادتها بنفسه لمنازلتها، وفي ذلك إشارة قوية إلى خطورة التمرد.

ويبدو أنه كان للحملة السلطانية صداها في قعلة فندلاوة، حيث رأى زعيم التمرد أن لا قبل له بمواجهتها، فجمع صلحاء المنطقة ووجههم إلى السلطان لأخذ الأمان له، فتمت الاستجابة له مقابل استسلامه بشروط، منها مبايعة سلطان الوقت وصرفه بجميع أهله وأمواله إلى تلمسان. ويبدو من آثار هذا التمرد أن إحدى هذه القلاع الأربع مازالت إلى اليوم تحمل اسم قلعة ابن يوسف، نسبة إلى عمر بن عثمان بن يوسف الهسكوري، قائد التمرد ضد بني مرين.

كما يرجح أن الاسم الحالي لإحدى هذه القلاع، وهو قلعة أولاد عبد العزيز نسبة إلى الشريف الحسني سيدي عبد العزيز بن عبد الواحد، الذي خوطب هو وأبناؤه خلال الحكم السعدي، في ظهائر سلطانية بلقب الفندلاوي كما خوطب أحفاده خلال الحكم العلوي حتى عهد المولى عبد العزيز بلقب القلعاوي.

وقد أنجبت قبيلة فندلاوة مجموعة من الأسماء العلمية البارزة في علوم شتى منهم :

1 - أبو يعقوب يوسف بن دوناس الفندلاوي المغري المالكي. حج واستقر بالشام، إلى حين وفاته بدمشق عام 543.

2 - أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بابن الكتاني الأصولي المتكلم والأديب، توفي بفاس سنة 596 أو 597.

3 - عبد الله بن محمد بن حجاج، المعروف بابن الياسمين، الذي برز اسمه في علوم الحساب والعدد والهندسة والهيئة والمنطق والتنجيم، والمتوفى بمراكش سنة 601.

4 - عيسى بن معنصر بن إبراهيم بن دوناس المومناني الفقيه.

5 - محمد بن عيسى بن معنصر المومناني، الإمام المفتي، قاضي قرطبة ومراكش، الذي توفي بها سة 639.

6 - أبو بكر محمد بن محمد بن عيسى بن معنصر المومناني، الذي رحل إلى إشبيلية.

7 - يوسف الفندلاوي الشهير بالمكناسي، خطيب جامعي الأندلس والقرويين بفاس، توفي عام 914.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، 1973 ؛ بن القاضي، *جذوة الإقتباس*، 73-1974، ج 1-2 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، 1984، س 8، ق 1 ؛ ابن خلدون، *تاريخ*، 1992، المجلدان، 4 و7 ؛ أ. البوشيخي، الإمام الفندلاوي، ضمن كتاب : *صفرو ومنطقتها*، د. ت ؛ *رواية شفوية*، محمد كرونجار (أحد أبناء قلعة أولاد محمد) بتاريخ 28 فبراير، 2004 ؛ *زيارة ميدانية* يوم 28 فبراير، 2004.

عبد الإله بلمليح

**فنزارة**، أطلق هذا الاسم على مكان بين سلا ومكناس. وذهب بروفنصال إلى أن هذا المكان هو الذي يعرف اليوم بالخميسات من قبيلة زمور. وربما كانت فنزارة، في الأصل، اسما لقبيلة بربرية كانت تقطن في هذه الجهة التي كان فيها المكان المعروف بخميس فنزارة.

كما كان يطلق على جماعة يظهر أنها انتقلت من هذا المكان واستقرت بسلا منذ أيام المرابطين أو قبلهم، وإليها ينتسب بعض الأعلام السلاويين.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ص. 165-166 ؛ *مجلة البحث العلمي*، عدد 10، ص. 66 و94.

Levi-Provençal, *Documents inédits d'histoire almohade*, p. 105 ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du 16ème siècle*, p. 213.

المصطفى البوعناني

**فنيش**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Fenis ؛ ومازالت بإسبانيا أسرة تحمل اسم Feneche ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**فنيش**، بفتح الفاء وكسر النون المشددة، أسرة سلاوية، أصلها - على ما يبدو - من الأندلس. وإذا رجح كوستي أن آل فنيش من عرب سفيان فإننا لم نقف على سنده في ذلك وعلى معلومات تدعم هذا الطرح، فإن صاحب *النشر* أشار إلى أن أصلهم من العلوج، الأمر الذي سطره الضعيف في *تاريخه*. ولا ندري هل لتسميتهم صلة بكلمة "الفنش" أو "الفونصو" التي تسمى بها ملك قشتالة أو غيره. على أي، فمازال السلاويون - إلى اليوم - ينبزون آل فنيش بزرقة عيونهم لتذكيرهم بأصلهم المسيحي.

وقد سطع نجم هذه الأسرة في بداية القرن 11 (17م) حيث تقلد أفرادها مناصب سامية إبان قيام جمهوريات أبي رقراق. وسجل منحنى تألقهم تصاعدا ملفتا في عدة ميادين مع السلاطين العلويين. بيد أن اسم هذه الأسرة سيطفو طفوا حقيقيا على أحداث منطقة مصب أبي رقراق غداة فترة الاضطرابات السياسية الخطيرة التي تلت وفاة المولى إسماعيل لكون بعض أفرادها استغلوا نفوذهم السياسي للتدخل في الصراع الذي دار بين بعض أبناء هذا السلطان لترجيح كفة هذا الأمير أو ذاك للظفر بالعرش. هذا علاوة على ما قاموا به من نهب لتوسيع ممتلكاتهم وتنمية ثرواتهم حتى إن بعض الحومات والأمكنة في سلا كانت تنسب إليهم مثل : عقبة فنانشة، وعرصة فنانشة، وفنادق فنانشة وغيرها من الأملاك التي تؤكد ثراءهم الفاحش خلال القرن 12 (18 م).

احتل آل فنيش مكانة متميزة في المجتمع السلاوي، فكان منهم القواد العسكريون المحنكون، والمجاهدون

البحريون المهرة، والفقهاء، والمحتسبون وكبار موظفي المخزن أمثال :

**فنيش، أحمد** (الحاج -)، مجاهد، شارك هو وجماعة من فنانشة في فتح الجديدة. وقد أبلوا في ذلك البلاء الحسن. وتم تحريرها من قبضة البرتغاليين صبيحة يوم السبت 2 ذي القعدة عام 1182 / 28 فبراير 1769 واستشهد الحاج أحمد فنيش خلال هذا الفتح، ودفن بالجديدة "وقبره يعرف بسيدي الضاوي".

**فنيش، الحسن** بن **عبد العزيز**، أحد قواد المولى إسماعيل. "كان سمينا بدينا أبيض طويلا". آزر المستضيء بن السلطان إسماعيل في حروبه مع أخيه المولى عبد الله. وقد ألقى أحد العبيد القبض على الحسن فنيش وقدمه إلى السلطان الأخير الذي ذكر المترجم بأنه من علوج المولى إسماعيل، وأن أباه كان عند والده علجا طبجيا، ثم قتله بنواحي وزان عام 1156 / 43 - 1744. وسيتخذ عبد الحق فنيش - آتي الترجمة - من مقتل أخيه هذا ذريعة للتمرد على السلطان المذكور.

**فنيش، الطاهر** بن **عبد الحق**، جمع بين الحنكة الدبلوماسية والمهارة العسكرية، لاسيما في ميدان المدفعية. بعثه السلطان محمد بن عبد الله سفيرا إلى ملك فرنسا، لويس السادس عشر في 10 شوال عام 1177 / فاتح نونبر عام 1777 من أجل افتداء أسرى المسلمين الموجودين بمالطا وحول مسألة نوعية الألقاب التي ينبغي استعمالها في خطب المراسلات بين الملكين. وقد برز في هذه المفاوضات من الجانب الفرنسي لويس شينيه (L. Chenier)، قنصل فرنسا الشهير بالمغرب. ولما حل ممثل الولايات المتحدة الأمريكية طوما باركلاي على السلطان المذكور بتاريخ 19 يونيو 1786، عقد معه الطاهر فنيش معاهدة سلمية تجارية لمدة خمسين سنة تضمنت كيفية معاملة الأساطيل الأمريكية والمغربية بعضها بعضا إذا التقت في البحر أو التجأت إلى مرسى من مراسي الدولتين وكيفية تسوية مسائل الأسرى بين الطرفين. وتألق المترجم في الميدان الدبلوماسي تجلى ذلك في توجهه مرتين سفيرا إلى تركيا محملا ببعض الهدايا إلى السلطان عبد الحميد الأول في موضوع فك أسرى المسلمين عام 1191 / 1777. وقد نوه العاهل المغربي به في بعض مجالسه قائلا : "لا أوجه القراصين الحربية للعثماني إلا مع الطاهر فنيش". كما كلف السلطان محمد بن عبد الله صاحب الترجمة بسفارة أخرى إلى مالطة لفداء بعض الأسرى، الأمر الذي تحقق فعلا..

ولما توفي المولى اليزيد بمراكش في 23 جمادى الأول عام 1206 / 17 أبريل 1792، كان الطاهر فنيش عاملا على مدينة طنجة، وقد أخبر قنصل إسبانيا بها خوان مانويل غونثالث سالمون ببيعة المولى مسلمة الذي دعا لنفسه ببلاد الهبط. وكان ممن انضم إليه الطاهر فنيش، وصار هو وفنانشة سلا من شيعته. وقد فوض المولى مسلمة إلى المترجم الاتصال بإسبانيا في شأن حدود سبتة ومسائل أخرى، كما تفصح عن ذلك رسالة موجهة من الطاهر فنيش إلى حاكم سبتة لويس دي أوربينا بتاريخ 17 رجب عام 1206 / 11 مارس 1792.

وبعد اجتماع الكلمة بالمغرب على بيعة المولى سليمان رجع المترجم إليه وكان من جملة قواده وأعوانه. ولم يزل يتقلب في الوظائف الحربية البرية والبحرية إلى أن قتل في حركة الجيوش السلطانية السليمانية الموجهة لتأديب بعض القبائل البربرية، وذلك يوم الخميس 5 محرم عام 1215 / 29 ماي 1800.

**فنيش، عبد الحق** بن عبد العزيز، أشهر أفراد هذه الأسرة على الإطلاق، كان من وجهاء سلا. ذاع صيته بعد اعتداءات عبيد القصبة الإسماعيلية - سالفة الذكر - على أهل سلا غداة وفاة المولى إسماعيل، إذ لم يتردد في قتل أحد العبيد الذي كان قابضا على امرأة سلاوية من أهل المروءة يريد إخراجها للقصبة.

كانت هذه الحادثة سببا في إقصاء عامل سلا، محمد بن عبد الرحمان الحافي من منصبه لأن فنانشة وعلى رأسهم عبد الحق فنيش أبلغوه بالذل الذي طالهم كما أخبروه بعدم رغبتهم في ولايته عليهم. هكذا، لزم العامل المذكور داره خوفا من بطش عبد الحق فنيش الذي أجمع هو وذويه العدة لمهاجمة عبيد القصبة المشار إليها. بيد أن أولئك العبيد، وبعد أن سمعوا بالخبر، تركوها خاوية على عروشها عام 1151 / 1739، فقصدها المترجم وأحرقها وهدم البيوت والسقوف خوفا من الرجوع إليها والتحصن بها.

هكذا، دخل عبد الحق فنيش سلا وولي قيادتها وبقي يتصرف في أمرها في دولة المولى عبد الله وصدرا من عهد خلفه محمد بن عبد الله.

بيد أن المترجم أساء السيرة مع بلدييه وضيق عليهم الخناق لدرجة أن كثيرا من أعلام سلا البارزين فروا إلى العدوة الأخرى خوفا من بطشه وعلى رأسهم محمد بن حجي زنيبر (ت. 1194 / 1780)، قاضي سلا وصاحب الشرح الشهير لهمزية البوصيري، وهي إشارة صريحة إلى أن صوت هذا العالم السلاوي ومن في شاكلته لم يخفت خلال الأزمة السياسية والاجتماعية التي كانت تجتازها سلا.

لقد أجج عبد الحق فنيش الصراع الذي جرى بين المولى عبد الله بن إسماعيل وأخيه المستضيء، ذلك أن أهل سلا وبني حسن بايعوا هذا الأخير عام 1156 / 42 - 1743، وهي السنة التي ولي فيها المترجم عمالة سلا، في حين بايع أهل الرباط المولى عبد الله. وهذا يعني أن الفارين من السلاويين إلى العدوة الأخرى لم يعترفوا لا بشرعية المستضيء ولا

بشرعية عبد الحق فنيش كعامل على سلا. وأكد الضعيف أن هذا الأخير قتل أناسا من فقهاء الرباط وسلا. ولم يقف صاحب الترجمة عند هذا الحد، بل نراه عام 1169 / 55 ـ 1756 يقفل أبواب سلا في وجه الأمير محمد بن عبد الله عندما كان في طريقه إلى مراكش. ولم يحفل به ذهابا وإيابا، وتنكب الأمير المرور بسلا وعبر مشرع المجاز أسفل العدوتين ونزل بالدار الحمراء قرب سلا. وانفرد الضعيف بخبر مفاده أن "أهل سلا خرجوا إليه مع رئيسهم [عبد الحق فنيش] بالمحاضر والألواح راغبين خائفين... فعفا عنهم"، وهناك من ذهب إلى القول بأن إعراض السلطان محمد بن عبد الله عن إصلاح دار الصناعة بسلا وعزمه على تشييد الصويرة عام 1179 / 1765 هو بمثابة عقاب للسلاويين وقائدهم على تصرفهم المذكور. بيد أن المعطيات التاريخية المتعلقة ببناء هذا الثغر لا تنسجم ـ كما هو معلوم ـ مع هذا الزعم.

لقد توج عبد الحق فنيش سلسلة اعتداءاته على بلديه بقتله لأحد أقربائه وهو محمد بن الحاج مفضل فنيش، فأعملت المواجب به وبيطشه وتسلطه على أموال الناس، فحرك كل ذلك ما كان كامنا في صدر السلطان محمد بن عبد الله الذي أمر بإلقاء القبض عليه وقتله واستصفاء أمواله وأموال فنانشة وذلك عام 1180 / 1766. ثم فرق آل فنيش شذر مذر حيث غربهم إلى العرائش والصويرة.

وتكشف وثيقة مصادرة أملاك فنانشة المؤرخة في 3 جمادى الأولى عام 1180 / 7 أكتوبر 1766 على أن هؤلاء كانوا متلصصين وأنهم أوقدوا نار الفتنة في البوادي والحواضر وأن ما حصلوا عليه من مستفاد مرسى سلا إنما حازوه عن طريق الجور والتعدي والعناد. وتجدر الإشارة إلى أن أملاك عبد الحق فنيش وذويه الكائنة داخل سلا وخارجها والتي صودرت قومت بـ 10236 مثقالا، وهو قدر له بال ويجسد الثراء الفاحش لهؤلاء. وقد اشترى نسبة هامة من هذه الأملاك الباشا محمد القسطالي بن عبد الله الغزواني العمري السلوي وذلك تحت إشراف قاضي مراكش عبد العزيز بوعبدلي الذي كلفه السلطان المذكور ببيع كل الممتلكات المصادرة لهذه الأسرة.

من منجزات عبد الحق فنيش أنه بنى بأنقاض القصبة الإسماعيلية المذكورة برجين : أحدهما بباب سبتة عام 1151 / 1738، وكان يجلس فيه للفصل بين أهل سلا. أما الثاني فقد جدد به برج الدموع المجاور لضريح سيدي أحمد بن عاشر، وهو المعروف ببرج القائد، وعليه كتابة في ألواح من حجر منحوت تضمنت ذكر المستضيء والدعاء له. وكأنه [أي عبد الحق فنيش] إنما بنى هذا البرج باسمه خوفا من أن ينكر عليه هدم قصبة المولى إسماعيل.

**فنيش، عبد السلام**، كان من ضمن الأسرى المعتقلين بمرسيليا بفرنسا في عهد المولى إسماعيل. أطلق سراحه سنة 1120 / 1709 بأمر من ملك فرنسا طبقا لما تم عليه الاتفاق مع جمعية فداء أسرى الرهبانية في سنة 1119 / 1708.

**فنيش، عبد العزيز**، عين عاملا على سلا بتاريخ 10 رمضان عام 1120 / 23 نونبر 1708 وهو والد عبد الحق والحسن والحسين وعبد الرحمان ومحمد وهؤلاء جميعا تمت مصادرة أملاكهم، كما أسلفنا.

**فنيش، عبد العزيز** بن الحاج عبد الرحمان، فقيه وكاتب للسلطان محمد بن عبد الله الذي كلفه سنة 1203 / 1788، بمهمة في فرنسا ثم في مصر.

كان سنة 1205 / 90 ـ 1791 أمينا بمرسى العدوتين.

**فنيش، عبد الله** بن **الحسن** بن عبد العزيز، من أبرز علماء أسرة فنيش. قرأ على شيوخ العلم السلاويين. ذكر مترجموه أنه كان يحسن الدرس والإلقاء وله باع طويل في علم اللسان. وبعد تأسيس مدينة الصويرة، أمره السلطان محمد بن عبد الله بالتوجه إليها قصد تدريس العلم بها وتعليم الناس أمر دينهم، وأحسن له غاية الإحسان. ويلاحظ أن إسناد هذه المهمة إلى المترجم قد تزامن مع حدث قتل عبد الحق فنيش ـ آنف الذكر ـ واستصفاء أملاك فنانشة. فلا ندري هل إبعاد هذا العالم السلاوي عن مسقط رأسه يدخل في إطار سياسة الاحتراز منه وتجنب كل ما من شأنه أن يتيح للفنانشة فرصة إثارة قلاقل ضد السلطة بسلا ؟

ألف عبد الله فنيش أيام مقامه بالصويرة شرحا جيدا على مقدمة ابن آجروم في النحو، ألفه لولد السلطان هشام بن محمد لما سمع عن نباهته وقريحته الكاملة. توفي المترجم عام 1180 / 66 ـ 1768، ولعله دفن بالصويرة.

**فنيش، عبد الله** بن الحاج **محمد**، ذكر كوسنتي أن المترجم تولى عمالة سلا في عهد المولى إسماعيل وأنه كان رئيسا لديوان الأندلس السلاوي عام 1081 / 1671. أما كواندرو فقد أورد معلومات عن عبد الله فنيش مفادها أنه كان ضمن رياس الأسطول السلاوي العاملين إلى جانب عبد الله ابن عائشة. وقد نجح خلال موسم 1102 / 1691 في غنم سفينة إنجليزية محملة بالخمور كانت في طريقها إلى جزر ماديرا. وفك سنة 1105 / 1694 الحصار الذي كانت تضربه سفن برتغالية عليه. وانتهت حياته العملية خلال موسم 1106 / 1695 حين غرقت سفينته برجالها أثناء اتجاهه نحو سلا عائدة بغنيمة برتغالية.

**فنيش**، أبو **عمرو** بن الحاج **الطاهر**، تم تعيينه عاملا على سلا يوم الجمعة 23 ذي الحجة عام 1257 / 5 فبراير 1842 مكان الحاج أحمد بن محمد بن الهاشمي عواد الذي أسندت إليه نظارة الأحباس بنفس المدينة. وبعد أن تعرضت سلا للقصف الفرنسي عام 1260 / 1844 ـ وهو الخبر الذي انفرد بذكره ابن علي الدكالي في إتحافه الوجيز ـ عمل أبو

عمر وفنيش على تحصين حومات المدينة بأبواب ذات أقواس من حجر، وعوارض من خشب العرعار، حفظا لها وحراسة من أي اعتداء محتمل. كما أبدى المترجم اهتماما بالغا بتجديد وتحصين القصبة الإسماعيلية، المجاورة لضريح أبي موسى الدكالي، والتي كان هدمها عبد الحق فنيش لدوافع سنشير إليها في ترجمته. وقد أسعفه السلطان عبد الرحمان بن هشام في ذلك، لكن، ولأسباب نجهلها، زج بالمترجم في السجن وعزل من منصبه قبل أن ينفذ المشروع المذكور. لم نقف على تاريخ وفاته.

**فنيش، محمد** (الحاج -) من سفراء الدلائيين إلى هولندا. وفي أوائل عام 1061 / 1651 ندب حكام مدن - سلا والرباط والقصبة - الحاج محمد فنيش والحاج إبراهيم ليفاوضا باسمهم وأعطوهما "حق التصرف المطلق في التعاقد مع ضباط أسطول البلاد الواطئة". وبعد وفاة سعيد أجنوي عام 1065 / 1655 صار المترجم عاملا على سلا.

**فنيش، محمد** بن **محمد** بن الحسين، كان قائدا لطبجية سلا، قتل عام 1236 / 20 - 1821 عند حصار المولى سليمان لفاس.

**فنيش، الهاشمي** بن عبد العزيز، كان سنة 1225 / 1810 محتسبا بسلا، وتحمل وثيقة بتاريخ فاتح شعبان عام 1225 / فاتح شتنبر 1810، 162 توقيعا من تجار سلا وحرفييها من بينهم 20 يهوديا يشيدون فيها بنزاهة واستقامة الهاشمي بن عبد العزيز فنيش، ويبدو أن ما حملهم على ذلك هو كون هذا الأخير تعرض لانتقادات كان الهدف منها هو إبعاده من منصبه. لم نقف على تاريخ وفاته.

كوستو، بيوتات سلا ؛ كواندرو، *قراصنة سلا* ؛ براون، موجز تاريخ سلا ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ م. السعديين، سلا في القرن 12/ 18، ضمن *متنوعات محمد حجي*، دار الغرب السلامي، بيروت، 1998، ص. 218 - 221.

محمد السعديين

**الفنون المغربية**، يتحتم - في البدء - تحديد مفهوم الفنون كمدخل للنظر في الفنون المغربية، ومن أجل ذلك فلابد من الرجوع إلى المضمون القديم للفن، والذي كان يتجه بمعناه الواسع في اللغات الإغريقية واليونانية والألمانية نحو غايات جمالية وأخلاقية ونفعية.

وفي إطار هذه الشمولية تفرعت الفنون إلى ثلاثة أقسام :

- فنون جميلة، وهي التي تختص بإدراك الجميل.
- فنون السلوك، وتختص بإدراك الخير.
- فنون عالية، تختص بإدراك النافع.

وقد ظل هذا المفهوم مشوبا بالغموض والالتباس، وأفضت كل المحاولات في تعريفه إلى نتائج حافلة بالتناقض والتعارض، إلى أن حصره المفكرون المحدثون ابتداء من القرن التاسع عشر فيما يدل على الإبداع الفني وينطبق على الأنشطة الإنسانية المتجهة خاصة صوب النزعة الجمالية ؛ ومنذئذ اتجه مدلول هذا المصطلح إلى ما يعني "الفنون الجميلة" بمعناها القديم، مع إقصاء كل ما من شأنه أن يرمز إلى الخير أو النفع.

تتفرع الفنون الجميلة إلى عدة شعب يمكن جمعها في مجموعتين اثنتين.

1) مجموعة الفنون الاستطيقية : Arts esthétiques وضمنها تندرج الفنون التشكيلية Arts plastiques (الرسم - النحت - التصوير - العمارة)، والفنون التقليدية مثل النسيج، والطرز والتذهيب، والزخرفة، والحفر على الحجر والرخام والجص، والنقش على الخشب، وصناعة الفخار والخزف، والحلي وما إلى ذلك.

2 ) مجموعة الفنون الدينامية : (الموسيقى - المسرح - الرقص - السينما - الشعر - الخطابة) وعلى ضوء هذا التصنيف سيكون في وسعنا أن نتلمس مدخلا إلى الحديث عن الفنون المغربية باعتبارها تشكل فرعا من الثقافة المغربية، وتترجم - كسائر فروع الثقافة الأخرى - عن حياة المجتمع المغربي وطبيعة بيئته، وتعكس مدى تنامي الحس الجمالي والإبداع الفني. ويأتي في مقدمة ما يتناوله النظر في هذا الموضوع التساؤل عن تاريخ نشوء هذه الفنون، وهو تساؤل يستلزم الفصل بين مكونات مجموعتي الفنون الجمالية الاستطيقية والنظر فيهما كلا على حدة، وذلك لأسباب ترتبط بطبيعة وخصوصيات هذه المكونات كما ترتبط بالتطور الذي عرفته الفنون الاستطيقية عامة عبر فترات تشكل المجتمع المغربي.

وتأتي في صدارة هذه المكونات الفنون الحرفية، أو ما يطلق عليه في المغرب : الصناعات التقليدية، وسيحملنا النظر في نشأة هذه الفنون على ضرورة إدماجها ضمن ما عرف عند الدارسين بالفن الإسلامي الذي بدأت نشأته الأولى في القرن السابع، ثم أخذ يتدرج في طريق التطور إلى أن بلغ نضجه واكتماله في القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

وعبر مسيرة التطور الذي عرفته هذه الفنون فقد تعددت أنماطها وتشعبت مدارسها وأساليبها نتيجة لعوامل كثيرة منها اتساع رقعة الإمبراطورية الإسلامية، واختلاف الشعوب التي عاشت في كنفها، وطبيعة الأحداث السياسية والاجتماعية التي تعاقبت عليها.

وعلى الرغم من التفكك والانحلال الذي أصاب الإمبراطورية الإسلامية في فترات ضعفها، والذي أدى إلى قيام كيانات مستقلة وفتح الباب على مصراعيه لتسرب المؤثرات الغربية، فقد ظلت السمات العامة التي تطبع هذه الكيانات مشتركة بينها، تلتقي في أصولها وجذورها، وإن تكن قد ذهبت مذاهب شتى في دروب التنوع من جراء ما

دخلها من مؤثرات محلية أو خالطها من عناصر خارجية بفعل الاحتكاك مع الحضارات الإنسانية.

وفي هذا السياق عرفت الفنون الحرفية بالمغرب ازدهارا مطردا على مر العصور، وبلغت في كثير من المناطق درجة قصوى من دقة الصنع، وأصالة الابتكار، وروعة الإبداع. وما انفكت عبقرية الصناع الحرفيين تتفتق عن إنجازات فنية تنطق بالجمال، وتستهوي أعين الناظرين، وذلك على الرغم من الإكراهات التي تواجه أوساط الحرفيين التقليديين وفي مقدمتها تدهور أوضاعهم المادية، وهيمنة الآلة ومنافسة الصناعات الميكانيكية الحديثة.

ولقد أبدع الصائغ في مجال التنميق، فاستخدم الألوان الزاهية في زخرفة المنمنمات والمخطوطات والقطع الزجاجية والمنسوجات والجدران والمصنوعات الخزفية، كما استخدم العناصر النباتية والخيوط الذهبية والفضية الدقيقة في تزيين المصنوعات المعدنية كالأباريق والشمعدانات والمباخر والمحابر وصناديق المصاحف ودلائل الخيرات.

وقد تنوعت أساليب النقش على الخشب، والحفر في الرخام والجص، وماتزال شواهد ذلك ماثلة فيما خلفه الصناع على نافورات الماء وسقوف المساجد وأقواسها ومنحنياتها وأبواب الغرف والخزائن والمرافع الحائطية ومصاريع الأبواب، فيما يراه الناظر في المدارس التي أنشئت على العهد المريني بمدن فاس ومكناس وسلا، أو في القبور الرخامية لملوك الشرفاء السعديين بمراكش، أو في ضريح محمد الخامس في الرباط، ومسجد الحسن الثاني معلمة الدار البيضاء الكبرى.

ومثلما برع الصناع في الزخرفة والنقش والحفر، فكذلك برعوا في صناعة الخشب المخروط بما أبدعوه من مشربيات اتخذوها في البيوت أو في عزل مقصورات المساجد، كما برعوا في صناعة الأواني الفخارية والخزفية التي ذهبوا في تنميقها مذاهب متنوعة ما بين رسم، وطلاء بالألوان، وتجميل بزخارف بارزة تزينها عناصر هندسية ونباتية تدور حول جسم الآنية ورقبتها.

وقد تناولت يد الصانع التقليدي الزجاج، فاتخذت منه القوارير والزهريات والأباريق والأكواب كما اتخذت منه ستارات الشرفات والنوافذ بعد صياغتها بألوان ما بين أخضر وأصفر وأحمر وأزرق.

ومن جهة أخرى ازدهرت فنون الخط المغربي بأنواعه الخمسة : الكوفي، والمبسوط والجوهر، والثلث والمسند، هذه الأنواع التي اتخذت كوسائل لتزيين جدران المساجد ومحاربها وواجهات الغرف المنزلية، كما استخدمت في كتابة المصاحف والمخطوطات. وإلى ذلك كله تطورت المصنوعات الجلدية المطرزة بالحرير والمجدول، والخيوط الذهبيةالفضية، وبلغ فن تسفير الكتب وتذهيب دفاتها مبلغا كبيرا من الروعة.

وننتقل إلى المكون الثاني للفنون الجمالية الإستطيقية - ونعني بها الفنون التشكيلية - فنسجل في البدء أنها تعتبر من الفنون المستحدثة في العالم العربي، وأنها تستمد مرجعيتها من ثقافة الغرب، فقد كان للمد الثقافي الغربي الذي اكتسح العالم العربي منذ نهاية القرن التاسع عشر والذي زاد إيغالا في مطالع القرن العشرين بعد احتلال البلاد العربية أثر كبير في غرس البذور الأولى لشجرة هذه الفنون، لاسيما منها ما اتصل بمجالات الفنون التشكيلية والدينامية.

وقد ظهرت في ربوع العالم العربي - وضمنه المغرب - حركة فنية تأثرت بالمذاهب والمدارس المستحدثة في أوربا وأمريكا، ثم اتسعت رقعة هذه الحركة بعد الحرب العالمية الثانية.

وتبلورت هذه الاتجاهات من خلال ما أبدعه الفنانون من أعمال تجاوزت مفهوم وحدود الكلاسيكية الرتيبة إلى آفاق هي أكثر تحررا وإيغالا في المجمتع وأبلغ تعبيرا عن واقعه وتجلياته.

على أنه مهما تكن أساليب التعبير التي ركبها الرسامون المغاربة فإنها في رأي الفنان التشكيلي "عيسى يكن" تدور حول ثلاثة توجهات رئيسية هي :

1 ) توجه يستمد مرجعيته من حركات الرسم في الغرب باسم النزعة الكونية، وهو توجه ينطلق من قناعة بأن الرسم في جميع الحالات مستورد. ومع ذلك فلا ينبغي أن ينظر إلى هذا التوجه كشكل من أشكال الاستلاب.

2 - توجه ذو نزعة رمزية. وهو يتخذ أسلوبين :

ب - أسلوب يعتمد على إشارات رمزية تستوحي من جذور تمثل متخيل الفضاء الثقافي المحلي وتقاليد الفنون الشعبية كالوشم.

ب - أسلوب يوظف الحرف العربي بعد انتزاعه من سياقه في الكتابة وإعادة تركيبه في إشارات مرسومة مبتكرة.

3 ) توجه يسمى الرسم الساذج. وهو توجه اعتبره البعض رسما تلقائيا تميز بالنزوع إلى حكاية مشاهد الحياة اليومية، فيما اعتبره آخرون من بقايا عهد الاستعمار، وهو أمر يبرره التشجيع المفرط الذي طالما لقيه رواده من طرف البعثات الثقافية الأجنبية بصفة خاصة، وذلك على حساب التراث المغربي الأصيل.

وإلى جانب فن الرسم الأصيل فقد خاض بعض الفنانين المغاربة - على قلة - تجربة الإبداع في مجال النحت، ومن هؤلاء محمد الإدريسي، وأكرام، والتهامي القصري الذي حصل على الإجازة في النحت من كلية سان خوان بإسبانيا.

وبمناسبة ملتقى الرباط لمعرض السنتين العربي الثاني الذي أقيم عام 1976 احتضن متحف الأوداية أعمال ثلاثة نحاتين مغاربة هم : عبد الرحمن رحول، وحسن السلاوي، وموسى الزكاني. وقد نعتها النحات المصري الدكتور عبد القادر مختار صاحب تمثالي محمد عبد الوهاب والسيدة أم كلثوم بأنها "تنتمي إلى المدرسة التجريدية".

لقد كان معظم أوائل التشكيليين المغاربة ممن مارسوا الفن عن طريق الهواية، ومن هؤلاء محمد القاسمي (1942 - 2003 ) الذي يعتبر - في رأي محمد شبعة - من الفنانين القلائل الذين استطاعوا الجمع بين الإبداع والتنظير للفنون

التشكيلية، مثلما استطاعوا تبوأ موقع النجوم المشرقة في سماء الفن التشكيلي المغربي المتقدم. وفيما عدا القاسمي وأمثاله فإن جل الفنانين الرواد التحقوا بالمعاهد الأوربية للتعلم وصقل الموهبة. ومن هؤلاء نذكر محمد السرغيني، والمكي امغارة، وعبد الله الفخار، وسعد السفاج، والتهامي القصري. وكلهم درسوا بالمدسة العليا للفنون الجميلة بمدريد، أو المدرسة العليا للفنون الجميلة بإشبيلية، كما نذكر أحمد الشرقاوي، والجيلالي الغرباوي، وفريد بلكاهية، وحسن لكلاوي، ومحمد شبعة، وعبد الله الحريري، وحميد العلوي، وعبد الكريم الغطاس، وحميد السلاوي. وسائر هؤلاء ممن درسوا بأكاديمية الفنون الجميلة بروما، أو بالمعاهد الفرنسية كالمدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة أو المدرسة الوطنية العليا للفنون التطبيقية، أو أكاديمية جوليان بباريس.

على أن الساحة الفنية بالمغرب شهدت منذ فترة الحماية نشوء مؤسستين :

- مدرسة الفنون الجميلة بتطوان أسست سنة 1945. وقد آلت إدارتها بعد الاستقلال إلى وزارة الثقافة.

- مدرسة الفنون الجميلة بالدار البيضاء. أسست عام 1950. وتشرف عليها المجموعة الحضرية.

وقد تعزز التكوين التشكيلي بالمغرب ابتداء من 1995 بإحداث المركز الجهوي لتكوين أساتذة التربية الفنية التشكيلية. ويضطلع خريجوه بعد سنتين من التكوين بتدريس الرسم في الإعداديات.

2 ) مجموع الفنون الدينامية : يتناول الحديث في هذا الموضوع الموسيقى والغناء، والرقص والمسرح أو مايطلق عليه أحيانا مصطلح الفنون الاستعراضية.

3 ) الموسيقى والغناء : لا مندوحة للناظر في موسيقى بلد ما من رصد الممارسات المغناة والمعزوفة في ذلك البلد، وتقصي قوالبها. وتلك أمور لا يمكن أن تتم في غياب الكشف عن أصول ومواطن نشأتها ومراحل تطورها، ووجوه تفاعلها مع غيرها من الآثار الموسيقية. ومن ثم يجد الباحث في الموسيقى المغربية نفسه منساقا إلى استقراء الأحداث التاريخية التي تعاقبت على البلاد وما أسفرت عنه من إرهاصات وتغيرات أثرت في البنيات الاجتماعية التي عرفت في ظل تلك الأحداث تمازجا مع العناصر البشرية المتوافدة على البلاد بفعل اتساع مناطق نفوذها وانفتاحها على غيرها، وهو تمازج كان من نتائجه إثراء الآثار الغنائية المحلية بأنماط مستحدثة من التعبير الموسيقي وتطعيمها بأصناف جديدة من الآلات بأنواعها النقرية والهوائية والوترية.

وفي إطار هذا التوجه الذي يستفيد من العلاقة بين الحدث والظاهرة الفنية ينطلق نظرنا في الرصيد الموسيقي المغربي من تصنيفه في صنفين اثنين هما : الموسيقى التراثية، والموسيقى الحديثة.

I - الموسيقى التراثية :

نريد بالموسيقى التراثية سائر الأنماط والأشكال الغنائية والآلية التي وصلت إلينا عن طريق الحفظ والتداول الشفاهي، جيلا بعد جيل وبعيدا عن وسائل التدوين المصطلح على تسميتها بالنوطة.

وتشكل هذه الموسيقى الجانب الأكبر من الرصيد الموسيقي ببلادنا، كما تشكل كنزا زاخرا بأغنى التركيبات اللحنية والإيقاعية، وديوانا حافلا بصنوف من الشعر المنظوم بمختلف اللهجات الأمازيغية فضلا عن العربية في صيغتها الفصيحة أو العامية.

ونريد هنا الإشارة إلى ضرورة الحيطة من الانسياق وراء إطلاق "الموسيقى الشعبية" أو "الفلكورية" على عموم أنماط الموسيقى التراثية بالمغرب، وخاصة حينما يتعلق الأمر بطرب الملحون، أو بالموسيقى الأندلسية بنوعيها : "موسيقى الآلة" و"الطرب الغرناطي"، أو بمستعملات المديح والسماع. أما ماعدا ذلك من الأنماط فلا مناص من تسجيل طابعها الشعبي المتميز الذي يؤكده ارتباطها الوثيق بالبيئة، واعتمادها - من أجل البقاء - على التداول الشفاهي، وانطباعها بالعفوية والانفتاح على التصرف البديهي، وقدرتها على التوفيق بين المحاكاة والإبداع، والجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبذلك فهي تؤكد أصالتها في أشكالها وقوالبها التقليدية، مثلما تؤكد معاصرتها في الاستفادة من الوقائع والأحداث كعوامل مثيرة للإبداع والإنتاج.

وتندرج تحت الموسيقى التراثية ثلاثة أقسام كبرى، ومن خلال الجدول التالي يمكن التعرف على الأنماط الموسيقية والغنائية التي تحتويها هذه الأقسام، وكذا مواقع استعمالها ولغة إنشادها :

القسم الأول

| الأنماط البدوية الأمازيغية | مواقعها | لغاتها |
|---|---|---|
| - أغاني ورقصات أحيدوس | - منطقة الأطلس المتوسط | - لهجة تامازيغت |
| - أغاني ورقصات أحواش | - منطقة الأطلس الكبير | - لهجة تاشلحيت |
| - غناء الروايس | - سهول سوس | - لهجة تاشلحيت |
| - أغاني الريف | - منطقة الريف وبني يزناسن | - لهجة تاريفيت |

القسم الثاني

| الأنماط البدوية المعربة | مواقعها | لغاتها |
|---|---|---|
| - أغاني الصحراء المغربية | - إيفني - طرفاية - الساقية الحمراء - وادي الذهب | - اللهجة الحسانية |
| - العيطة الحوزية | - منطقة السهول الغربية | - العربية العامية |
| - الطقطوقة الجبلية | - مقدمة الريف وغربه | - العربية العامية |

القسم الثالث

| الأنماط الحضرية المعربة | مواقعها | لغاتها |
|---|---|---|
| - العروبيات | - فاس / تطوان | - العربية العامية |
| - أغاني كناوة | - بعض الحواضر المغربية | - العامية مع عبارات زنجية |

| ـ طرب الملحون | ـ معظم الحواضر / تافيلالت | ـ عربية ملحونة |
|---|---|---|
| ـ موسيقى الآلة | ـ معظم الحواضر | ـ تواشيح ـ أزجال ـ أشعار فصيحة ـ براول |
| ـ الطرب الغرناطي | ـ الرباط / وجدة | ـ تواشيح ـ أزجال ـ أشعار فصيحة |
| ـ المديح والسماع | ـ أغلب الحواضر المغربية | قصائد ـ أشعار ـ تواشيح ـ أزجال ـ براول |
| ـ أذكار الطرقيين | ـ أغلب الحواضر المغربية | قصائد ـ أشعار ـ تواشيح ـ أزجال ـ براول |

ويمكن تصنيف ألحان هذه الأنماط من حيث جنس سلمها في ثلاث مجموعات :

الأولى : ألحان تقوم على مقامات خماسية (Pentatonique) أكثرها شيوعا المقام الخماسي الطبيعي (Diatonique) والمقام الخماسي الملون (Chromatique). وتندرج ضمنها أغاني أحواش والروايس والأقاليم الصحراوية وأهازيج كناوة.

الثانية : ألحان تجنح إلى ركوب نظام السلم السباعي، غير أنها في معظمها قلما تتجاوز الدرجة الخامسة من السلم. وتندرج تحت هذا الصنف ألحان وأغاني أحيدوس، وعيطات السهول الغربية والعيطة الجبلية، والأغاني الحضرية الشعبية.

الثالثة : ألحان تعتمد على الأجناس التي تنتظمها شجرة الطبوع المغربية، وهي ألحان موسيقى الآلة، والطرب الغرناطي، وطرب الملحون، ومستعملات المديح والسماع.

وتشذ عن هذه الأصناف أغاني الريف الأمازيغية التي تجنح إلى ركوب المقامات الشرقية، ومثل ذلك واقع بالنسبة لبعض قصائد وسرارب الملحون.

أما الآلات المستعملة في الموسيقى التراثية فتتنوع بتنوع أنماطها على النحو التالي :

1 ـ الأنماط الموسيقية الأمازيغية :

- الروايس : الرباب السوسي ـ الناقوس ـ النويقسات
- أحواش : الگنبري ـ البندير ـ الطبول ـ كانكا ـ المزمار (العواد)
- أحيدوس : الكمنجة ـ البندير ـ الغيطة
- موسيقى الريف : الگنبري ـ الدف (آجون) ـ الزمر (ناي مزدوج) ـ شامجا (ناي قصب)

2 ـ الأنماط البدوية المغربة :

- أغاني الأقاليم الصحراوية : التدنيت ـ آردين ـ طبل كونتا ـ طبل الگدرة ـ طبل الإيكيو ـ زوراي
- العيطة الحوزية : العود ـ الكمنجة ـ الكنبري ـ التعريجة ـ الطارة ـ المقص ـ الهندقة
- الطقطوقة الجبلية : العود ـ الكمنجة ـ الكنبري ـ الطبل ـ الغيطة

3 ـ الأنماط الحضرية المغربة :

- أغاني اگناوة : الهجهوج ـ الطبل ـ القراقب ـ النفير
- الملحون : العود ـ الكمنجة ـ السويسن ـ التعريجة ـ الدف ـ الهندقة
- الآلة الأندلسية : الرباب ـ العود ـ الكمنجة ـ الطر ـ الدربوكة
- الطرب الغرناطي : العود ـ الكمنجة ـ السنيترة ـ البانجو ـ الرباب ـ الماندول ـ الكويترة ـ الدربوكة ـ الطر
- أذكار الطرقيين : الطبول ـ الطبيلة ـ الطاسة ـ الطارة ـ البندير ـ اكوال ـ القراقب ـ الغيطة ـ النفير

II ـ الموسيقى الحديثة :

عرفت الممارسة الموسيقية بدءا من فترة الحماية بالمغرب تحولات هامة أثرت في مسار الحركة الفنية وأفضت إلى انبثاق نوعين من الإبداع الموسيقي.

+ أول النمطين ما اصطلح على تسميته منذ ثلاثينيات القرن العشرين "بالموسيقى العصرية" ويراد بها الإنتاجات الموسيقية التي تحمل خصوصيات الموسيقى الشرقية بقوالبها الغنائية والآلية وبمقاماتها وأوزانها.

وقد تدرجت الأغنية العصرية ـ في طريق تطورها ـ عبر مراحل متعددة فهيمنت عليها ـ في البدء ـ طبيعة التقليد المفرط للأغنية المصرية من حيث التركيب النغمي والإيقاعي وأسلوب الأداء، وتبني نظام التخت التقليدي

ومع تزايد إحساس الفنان المغربي بهويته الوطنية فقد تبنى مصطلح "الأغنية المغربية" كبديل "للموسيقى العصرية"، ورافق ذلك محاولات الاستفادة من التراث الموسيقي المغربي من خلال توظيف ألحانه وأوزانه وإيقاعاته وآلاته فيما يغني تجربة التلحين الموسيقي.

وفي هذا السياق عرف المغرب منذ مطالع العقد السابع ظاهرة "فرق الأجيال" بكل ما واكبها من شعارات التمرد على القوالب الغنائية الشرقية وتجديد في موضوعات الأغنية وأسلوب كتابتها.

وعلى الرغم مما حققته أغنية الأجيال من ذيوع واسع فإنها ـ من الجانب الموسيقي المحض ـ لم توفق إلى تقديم النموذج الأمثل للأغنية المغربية الحديثة.

+ ثاني النمطين يتمثل في الأعمال الموسيقية التي ركبت نهج التأليف الغربي، وهذه تجربة حديثة عرفت انطلاقتها الأولى في ستينيات القرن العشرين مع مجموعة من المؤلفين الشباب الذين درسوا قواعد التأليف الغربي على أساتذة أجانب، وتهيأ لبعضهم أن يستكملوا دراستهم في معاهد التعليم العليا بالخارج.

و يتوزع أعمال هؤلاء نهجان في التأليف :

1 ـ نهج ينطلق من التعامل مع القوالب التراثية المغربية والعربية، ومن نماذج ذلك :

ـ توزيع أركسترالي لميزان بسيط الاستهلال لمحمد الرايسي (1948 / 1997)

- نوبة صغيرة للكمان والقيثارة لمصطفى عائشة

2 - نهج ينطلق من التعامل مع قوالب التأليف الغربي. ومن أمثلته :

- سوناتة "افتتاحية الوحدة" لمحمد بودرار (1937 / 1982)

- الرابسودي المغربية لمصطفى بنيس (1935....)

وقد عرفت الساحة الفنية بفرنسا منذ السبعينيات أعمال المؤلف الموسيقي المغربي أحمد الصياد (سلا، 1936....) بعدما أنهى دراسته العليا بستراسبورغ على يد ماكس دوتش أحد تلامذة المؤلف النمساوي أرنولد شوينبرج (1879 / 1951). ومن هذه الأعمال : كانتاتا "ياسمينة" - أوبرات : التويقال، والسلطان، وقراءات - طوق الحيل وهو عمل استوحى فكرته من مقامات بديع الزمان الهمداني، إضافة إلى مؤلفات غنائية منها : "هوية" من شعر محمود ياسين، والماء من كلمات الطاهر بن جلون. وفي السنوات الأخيرة ظهر على الساحة أحد خريجي قسم التأليف بأكاديمية تشايكوفسكي بالعاصمة الأكرانية، وهو نبيل بن عبد الجليل من مواليد مكناس 1972. ومن أعماله : سنفونية "رؤيا" - قصيد سنفوني بعنوان "ايسلي وتسليت" - السنفونية المغربية - خماسي للوتريات - إضافة إلى مؤلفات للبيانو، وأغاني ركب فيها قوالب شرقية كالموشح.

أما بالنسبة للرقص، فأكثر الرقصات الشعبية التقليدية ترتبط بالفرجات والمشاهد الاحتفالية التي تغطي سائر أقاليم المغرب. وفيما يلي أبرز صنوف هذه الرقصات :

1 - رقصات أحيدوس :تغطي مناطق شاسعة تنطلق من قصبة تادلا حتى مشارف فاس الشمالية وذلك عبر المراكز الحضرية والقروية المبثوثة في مرتفعات الأطلس المتوسط وخارجه.

وتقوم رقصات أحيدوس بأنواعها على إيقاع خماسي يحدد مسارها ويؤطر الأغاني التي ترافقها على ضربات البندير. وهي تشكل تظاهرات غنائية وكوريغرافية تعبر عن معاني البطولة وتشحذ العزيمة وتوقظ مشاعر النبل والكرم.

ويحتضن "أحيدوس تمازيغت" و"أحيدوس امسرح" جماع ما تفرق في الأطلس المتوسط من رقصات فتؤدى متتالية، ويرافقها في الغالب إنشاد مقطعات وقصائد بلهجة تمازيغت.

2 - رقصات أحواش : أحواش اسم جامع لأنواع الرقصات المنتشرة في المناطق الجبلية الممتدة عبر سهول سوس ونواحي أكادير ومراكش وورزازات. وتتعدد عروض أحواش وتختلف عن بعضهاباختلاف المناطق وطبيعة البيئة التي تمارس فيها، فهناك رقصات خاصة بالرجال وأخرى يختص بها النساء، أو مشتركة بين الجنسين، غير أنها في مجملها تخضع لنسق استعراضي واحد لا يكاد يتغير، فتبدأ متباطئة، ثم تنتقل إلى نوع من الترنح الذي يتحول شيئا فشيئا - مع احتدام ضربات البنادير - إلى حركة سريعة تبلغ منتهاها في فترة معينة، ثم تعود تدريجيا إلى الهدوء والتباطؤ معلنة من خلال خمس ضربات وئيدة على البنادير عن نهاية الرقصة.

ومن أبرز رقصات أحواش : أحواش اغرم، وتالوين، وتالوات، وحاحا، ورقصات أسكا، وتسنت، وأولوز، وتاسكوين.

3 - الروايس : فرقة غنائية أمازيغية من منطقة سوس. ويحتل الرقص من عرض الروايس موقع الجوهرة من العقد، والعادة الغالبة أن تضطلع به النساء، وفي أيديهم النويقسات النحاسية.

يبلغ الرقص أوجه حينما يتوقف الغناء ويخلوالمجال للكنابر والرباب، فيعمد الراقصون - على وقع نقرات الناقوس الحديدي والنويقسات اليدوية - إلى الضرب بأقدامهم على الأرض (الهرد) في إيقاعات متجددة الأنساق، تؤطرها حركات جماعية متنوعة، ثم يشرعون في هز الأكتاف في حركات رشيقة ومعقدة، وهم أثناء ذلك يقومون بقفزات خفيفة تصطدم إثرها أرجلهم بالأرض فتحدث إيقاعا له وقع بالغ في النفوس، وينتهي العرض بتوجه الراقصين نحو الجمهور في انحنائة تلتقي عندها ركبهم بسطح الأرض فيما ترتفع أيديهم إلى أعلى.

4 - رقصات الريف : لسكان منطقة الريف تعلق شديد بالغناء والرقص حتى لتكاد الممارسات الموسيقية عندهم أن تشكل النشاط الفني المفضل.

وتتعدد هذه الممارسات بتعدد القبائل القاطنة بالريف، مثلما تتنوع أشكالها، غير أنها تظل في مجملها خاضعة لطقوس وتقاليد مشتركة توحد بينها.

ومن أشهر المجموعات الفنية بمنطقة الريف "أمذيازن"، ويغلب عليهم اسم "ازفون". وهو لفظ مشتق من "الزفن" بمعنى الرقص. ومن النماذج الشائعة - أيضا - لالابويا، وهي رباعيات مغناة بمصاحبة الرقص الذي يصطلح عليه اسم "الشظيم"، فيقف الراقصون في صفين متقابلين، ويترنحون على وقع ضربات الأرجل.

5 - رقصة الگدرة : للمرأة الصحراوية دور كبير في تنشيط الساحة الفنية مغنية وعازفة وراقصة. ولعل أبرز مظاهر حضورها في هذه المجالات ما يعرف برقصة الگدرة.

تنتشر هذه الرقصة في منطقة تمتد من الحمادة شرقا حتى أقاليم درعة وزمور والساقية الحمراء، وتكاد - في واقعها اليوم - أن تكون من خصوصيات مدينة "گوليمين".

والرقصة عبارة عن مشهد احتفالي يعتمد على ثلاثة مقومات هي الرقص والغناء والعزف. وتضطلع بالرقصة امرأة أو أكثر، فتتوسط دائرة من المعجبين والمشجعين، وتجثو على ركبتيها مرتدية كساء قاتم اللون، ثم تأخذ في تحريك ذراعيها وأناملها مع إمالة رأسها يمينا وشمالا، ثم إلى أعلى وأسفل، وكل هذه الحركات عبارة عن إشارات ذات إيحاءات معينة لها في نفوس المشاهدين مدلول معين.

يلازم الغناء مشاهد الرقصة حتى نهايتها. أما العزف فعمدته طبل من الفخار تغلفه قطعة من الجلد شدت إليه

بحبل، تنقره الراقصة براحتيها أو بواسطة قضيبين من عود رقيق.

6 ـ فرجات كَناوة : تقوم الفرجة الكناوية على تعاقب شخوص أسطورية على الرحبة". وقد يستغرق العرض ساعات طويلة من الليل، وخلاله يجري ترديد مقطعات غنائية تعرف "بالأبيات" وذلك على إيقاع رقصات مجموعة من الرجال وقد ارتدوا خرقات مشكلة الألوان، وربطوا القراقب المعدنية بأيديهم، يضربون بها فيحدثون دويا صاخبا يزيد من حدة الإيقاع وعنف حركات الراقصين.

أما بالنسبة للمسرح، فقد دأبت بعض الساحات التقليدية بالمدن العتيقة في مغرب ما قبل القرن العشرين، على احتضان ظواهر مسرحية شعبية كان قوامها الحكي، والحركة، والغناء، والرقص، إضافة إلى الرغبة في خلق المتعة لدى الجماهير، وشكلت تلك الظواهر نوعا من "التمثيل"، تمثل في فرجات ومشاهد كان أكثرها شيوعا واكتمالا : فرجات البساط، وسيدي الكتفي، وعبيدات الرما، وسلطان الطلبة. وقد اعتبرت هذه الفرجات بمثابة النواة الأولى لنشوء ظاهرة "المسرح" الحديث بالمغرب ابتداء من ثلاثينيات القرن العشرين بعدما توافدت على المغرب فرق التمثيل العربي كانت أولاها فرقة محمد عز الدين عام 1923. ثم تلتها فرق أخرى كان من ألمعها "الفرقة المصرية لفاطمة رشدي" سنة 1932.

وفيما بين هذين العامين تأتى لمجموعة من الشباب المغاربة أن يتولعوا بالمسرح، وأن يدخلوا غماره، فكانت سنة 1927، إعلانا عن ميلاد أول مسرحية هي رواية "صلاح الدين الأيوبي" التي قدمتها جمعية تلاميذ المدرسة الثانوية الإسلامية بفاس.

وقد سجلت هذه الفترة أحداثا فنية هامة أهمها :

- نشوء فرق مسرحية بمدينة فاس والرباط وسلا والدار البيضاء ومكناس وطنجة والقصر الكبير وغيرها.
- تشخيص روايات من تأليف شبان مغاربة باللغة الفصحى بعدما كان معول الفنانين مقتصرا على روايات مشرقية أصلا أو على الترجمة والاقتباس.
- تبني الغناء والطرب في العروض المسرحية. وهذه ظاهرة رافقت بانتظام فرق التمثيل الوافدة من المشرق العربي.

وقد تلت هذه الفترة مرحلة عرفت الحركة المسرحية خلالها ضروبا من التقلب والانقسام مما كان له انعكاسات سلبية على سير بعض الفرق وعلى مستوى عروضها، وواكب ذلك ظهور بوادر لحركة نقدية موضوعية تدعو إلى استعمال اللهجة الدارجة في بعض مواقف المسرحيات بدل اللغة الفصحى، وتنادي بالتخلي عن اجترار ما يستورد من الشرق من روايات، والعدول عن الترجمة إلى الابتكار بما يعكس واقع المجتمع المغربي ولا يجافي أخلاقه وتقاليده.

وقد عرفت الحركة المسرحية فتورا ملحوظا خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، فلما وضعت الحرب أوزارها وقع بعض الانتعاش، وبخاصة على صعيد برامج إذاعة "راديو ماروك"، فتشكلت في عام 1949 ، فرقة للتمثيل يمكن اعتبارها بمثابة النواة الأولى للاحتراف المسرحي بالمغرب، وعلى رأسها يومئذ الأستاذ عبد الله شقرون، ثم اتسع نشاطها بدءا من سنة 1953 ليتجاوز استوديو الإذاعة إلى القاعات السينمائية ببعض الحواضر المغربية. وقد كان ذلك محفزا لعودة المسرح الهاوي إلى الانبعاث في المدن المغربية، ومن ورائها وعي وطني متقد ؛ فلما امتدت يد الاستعمار بالنفي إلى ملك البلاد ورمز سيادتها في غشت 1953، أسدل الستار على كل نشاط مسرحي، ولم يرفع إلا بعد عودة الملك إلى عرشه وإعلان استقلال البلاد ، فانطلق العمل المسرحي من غير قيد أو مراقبة وتعززت مسيرته حتى اليوم بجملة من الأحداث والمنجزات الهامة نذكر منها :

- تأسيس المهرجان الوطني لمسرح الهواة برعاية وزارة الشبيبة والرياضة. وقد انطلقت دورته الأولى سنة 1957، وهو الذي يشكل المسار الحقيقي للتجربة المسرحية بالمغرب تأليفا وإخراجا ونقدا.
- تأسيس مسرح محمد الخامس بالرباط من طرف وزارة عموم الأوقاف. وكان افتتاحه أواخر سنة 1960. وقد تم تفويته على التوالي إلى وزارة الأنباء، فوزارة السياحة، فوزارة الشؤون الثقافية.
- انعقاد المهرجان الأول "للمسرح العربي الحديث" بالرباط في مارس 1974 ، برعاية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة.
- إحداث مادة المسرح ضمن مقررات التعليم ببعض الكليات أمكن من خلالها إطلاع الطلاب على التجارب المسرحية العربية، والعالمية كما أفضى ذلك إلى إنجاز بعض البحوث لنيل الإجازة في الأدب ودبلوم الدراسات المعمقة والدكتوراه.
- إحداث المعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي بالرباط عام 1986.
- صدور مؤلفات متخصصة في المسرح العربي والمغربي من وضع باحثين مغاربة.
- بروز توجهات حديثة في الكتابة والممارسة المسرحية يمكن إجمال أهمها في الآتي :

أ ـ انطلاق الفرجة المسرحية الشعبية مع فرقة المسرح العمالي التي أسست بالدار البيضاء سنة 1957. ثم التحقت عام 1959 بالمسرح البلدي لهذه المدينة. وكان رائد هذا التوجه الفنان الطيب الصديقي الذي وظف الحلقة والحكواتي والظواهر المسرحية الشعبية متوسلا بالتجربة.

ب ـ انبثاق توجه مواز للسابق يمتح من الذاكرة الشعبية، ويستنطق صامتها.. فيعيد صياغته في قوالب تحاكي ما ألفه عامة الناس من أقاصيص شعبية وفي أشكال تستهوي ما ألفته أعين الجماهير. وقد كان رائد هذا التوجه الأستاذ الطيب العلج.

ج - إعادة كتابة التراث من منظور جديد يؤسس لكتابة مسرحية احتفالية هي في أساسها مسرح شامل، يفترض جمهورا شاملا، فيمد بينه وبين الجمهور جسور الترابط، ويسعى إلى توظيف الاحتفالات الشعبية المحملة بأهازيج وتقاليد مختلفة. وقد كان الأستاذ عبد الكريم برشيد رائد هذه الإضافة النوعية في المسرح المغربي والعربي ممارسة وتنظيرا.

• صدور بيانات تهتم بالتنظير المسرحي والبحث عن صيغة عربية وطنية، ومن هذه البيانات ما قدمته جماعة المسرح الاحتفالي في بياناتها السبعة والتي كان من أعضائها المؤسسين : الدكتور عبد الكريم برشيد والدكتور عبد الرحمن بن زيدان...

• تبلور وعي نقدي جديد لقراءة المسرح بمناهج نقدية مختلفة أسست اليوم تراكما هاما في تحليل الظاهرة المسرحية بالمغرب الحديث. ومن بين المتخصصين في هذا المجال : الأستاذ عبد الله شقرون والدكتور حسن المنيعي، والدكتور محمد الكغاط والدكتور مصطفى رمضاني، والدكتور عبد الرحمن بن زيدان وآخرون.

ع. أفا، *معلمة المغرب*، ج. 11، 1421 / 2000، ص. 3748 - 3753؛ ع. الرحمن بن زيدان، *خطاب التجريب في المسرح العربي*، ط. 1، 1997، مكناس، ص. 132 - 134 ؛ من قضايا المسرح المغربي، طبع بمكناس، ص. 102 - 103 ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، *مجلة المناهل*، مطبعة المناهل، الرباط، ع. 58 مارس 1998، ص. 419 - 421 ؛ الاتجاه العلمي في الكتابة الموسيقية - الآلات، بحث *مقدم إلى المؤتمر الخامس عشر للمجمع العربي للموسيقى ببيروت*، لبنان، 1 - 4 ماي 1999 ؛ ليمان حسن، *معلمة المغرب*، ج. 11، 1420 / 2000، ص. 3117 - 3120 ؛ مج. الفنون، ع. 1 س 1غشت 1973، إصدار وزاوة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة ؛ مج. *فنون*، عدد خاص، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، جمادى الأولى، 1397 / أبريل 1977، ص. 56 - 115 - 199 - 201 ؛ مج. *صوت الشباب*، ع. 3 يونيو 1960، إصدار وزارة الشبيبة والرياضة، ص. 11 ؛ حسن المنيعي، مج. *الفنون*، إصدار وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ع. 1 س 3 ربيع الأول - جمادى الثانية 1396 / أبريل - يونيو 1976، ص. 259 - 261 ؛ محمد شفيق غربال، *الموسوعة العربية الموسعة*، القاهرة، 1965، ص. 1316 ؛ إ. الفاسي، *معلمة المغرب*، ج. 11، 1420 / 2000، ص. 3720 - 3724 ؛ ع. الله شقرون، *ألوان من الفنون المغربية*، ط. 1، 2003، الدار البيضاء، عدة مواضيع.

Abdelaziz Benabdeljalil, *Civilisation marocaine*, Ed. Oum, Actes Sud / Simbad, 1996, p. 224-233.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**فنيكاش** ويكتب فنيقش، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Vanegas ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Venegas وVanegas ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1149 / 1737.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الفهد** كما هو في الدارج وفي كتب اللغة، ونمر في بعض مناطق أفريقيا الشمالية، حيوان بري لاحم من الثدييات الوحشية النشالة، يضايقه رعاة الغنم والماعز ويتخذ من جلده الفراء المشهورة مما تسبب في مبالغة صيد قصد تجارة غير قانونية نتج عنها تهديده وانقراضه في عدة مناطق على الصعيد العالمي. عدة أفراد منه تعيش في المحميات البيولوجية إلا أنها تتعرض لأمراض متنوعة ولمضايقة الحيوانات اللاحمة الأخرى. عرفه المصريون القدامى منذ 1500 سنة قبل المسيح وجعلوا منه حيوانا أليفا يستعمل لصيد الطرائد نظر للرزانة والحذر وشدة التلبس التي يمتاز بها.

يصنف إلى رتبة السنوريات الكبار Félidés وفصيلة Acinonychinés ويسمى علميا Acinonyx jubatus (Schreber, 1776) وبالفرنسية Guépard وبالإنجليزية Cheetah hunting leopard وبالإسبانية Guepardo، موطنه على وجه الحصر المناطق الحارة الإفريقية الأسيوية الممتدة من الهند إلى المغرب، وبعد تقلص شديد لمعظم مجموعاته في كثير من الأقطار خلال العقود الأخيرة أصبح توزيعه الجغرافي يقتصر حاليا على المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية المغربية والموريتانية ومالي وكينيا وأنكولا وبوركينا فاسو ونيجيريا والصومال والسودان وتنزانيا وتشاد وكونكو الديموقراطية وإثيوبيا وزامبيا وزمبابوي وإيران وأفغانستان وتركمانستان.

وهو حيوان في شكل قط ضخم بين الكلب والنمر على تشكل المبلغ أي السلوقي لطول قوائمه النحيلة المكيفة على الركض والقفز، القائمتان الخلفيتان أطول من الأماميتن ومخالبه لا تدخل في أكمام كمخالب النمر والقط فهو بهذا أقرب إلى الكلب منه إلى النمر، متوسط القامة وذيله طويل غزير الشعر يساعده على التوازن خلال الجري. الفروة صحراء شاحبة شيئا ما مرقطة بالسمرة ورقطه متفرقة ولا تجتمع كالحلق كما في النمر، العفرة قصيرة على العنق والرأس

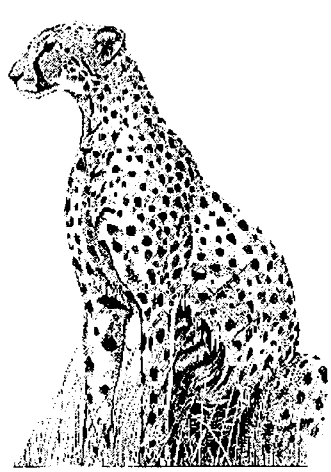

قصير وعريض وموسم بخط أسمر نازل من العينين إلى الشفة العليا. الأذنان قصيرتان ودائريتان، الذيل منقط ثم محلق على مؤخرته، المخالب غير خنوسة عند الكبار كما هو الشأن عند السنوريات الأخرى. يتراوح وزن الكبار بين 30 و65 كيلوكراما ويبلغ طوله جمعا بين الرأس والجسم 110 ـ 140 سم وطول الذيل 65 ـ 80 سم وطوله عند الغارب 75 ـ 85 سم. صيغة أسنانه كالتالي : 3/3 أسنان، 1/1 أنياب، 3/2 أضراس أمامية، 1/1 أضراس = 30 سنا متكاملة تتمثل في قواطع صغيرة وأنياب قوية وحادة معقوفة وأضراس طاحنة أمامية قاطعة لكون الضرس الأمامي الطاحن الأعلى والضرس الأمامي الأسفل يعملان إحداهما عكس الآخر على نحو نصلي مقص.

يكثر نشاطه نهارا ويصيد في بداية النهار وعند الغروب، يقترب من فريسته صامتا متلبسا ثم ينطلق كالسهم نحوها بسرعة تفوق أحيانا 100 كلم في الساعة في فترة لا تتعدى دقيقتين وتبلغ وثباته 6 ـ 8 أمتار. يلقي بفريسته على الأرض ويخنقها ثم ينتظر موتها ليشرع في الأكل. يألف الأماكن العارية السهوبية ويعيش منفرداً أو مزدوجا أو في مجموعات أسرية صغيرة لا يتعدى عددها 6 أفراد وتفضل الإناث العزلة في أغلب الحالات. يتكون غذاؤه من الغزلان والأرانب والثعالب وابن آوى والظربان والطيور الراكضة كالحبارى ويخشى الضبع. يقتصر توزيعه الجغرافي حاليا على بضعة مناطق حارة بإفريقية وآسيا ويفضل العيش في السباسب والسهوب القفرة. لقد تمت مشاهدة بضعة أفراد في نواحي فكيك ووادي درعة وكمكم خلال السبعينيات من القرن العشرين وفي الساقية الحمراء والأوساط الصحراوية المغربية سنة 1981 (Aulanier et Thevenot).

يتوالد في الربيع وبداية الصيف وتدوم مدة الحمل 90 ـ 95 يوما وتلد الإناث 2 ـ 5 صغار تحرسها وتعتني بها 18 شهرا وتصير بالغة بعد 17 ـ 24 شهرا وتعمر حوالي 14 سنة. تزن الصغار عند الولادة 250 ـ 270 كراج وتبلغ نسبة عدد الوفيات 70٪ عند الصغار. تقل نسبة الإنجاب عند الأفراد التي تعيش في المحميات البيولوجية وفي حدائق الحيوانات.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية* ، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc, les mammifères, Albums didactiques*, Rabat, 73 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Trav. Inst. Sci., série Zoologie, n° 41, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

**الـفهدي**، أبو **عبد الله** محمد ـ فتحا ـ بن عيسى المكناسي من فحول المشايخ الداعين إلى حضرة الحق، ومن المشايخ الذين يُقتدى بهم ويُهتدى بهديهم، مورد المريدين، تحدث أهل مكناس بكراماته، وهو صاحب الإفادة، والتنويه والرشاد، قال عنه ابن عسكر في *الدوحة* : وكان تليمذه شيخنا أبو الحجاج ابن مهدي يقول : سيدي ابن عيسى هو الإكسير الذي لا نظير له".

أخذ العلم عن الشيخ أبي العباس الحارثي. من كراماته، يقول ابن عسكر عن أبي الحجاج بن مهدي : "جاء تليمذه الشيخ أبو الرّواين وقال له : يا سيدي ! إني جعلت زمام نفسي بيدك وقد شغفت بحب النساء، فإن لم تكن لك عناية ربانية فصاحبك يعصي الله تعالى في هذه الليلة، يعني نفسه، و والله حتى أفعل، فقال الشيخ : اذهب وافعل ما شئت، فإن الله قادر على أن لا تفعل، ولن تستطيع، ولو أردت بعناية الله سبحانه. قال : فلما كان من الغد جاءه أبو الرّواين وهو في غاية الضعف ووجهه مصفر فقلنا له : مالك هكذا ؟ فقال " شاهدت العجب البارحة. فقلنا له : ومالك ؟ قال : ذهبت إلى امرأة عربية وتكلمت معها أن تبيت عندي، لما سبق من يميني بالأمس، فأتت، فما كان إلا وصلتها وهممت مواقعتها فإذا أنا كالمفلوج لا أستطيع تحريك عضو من أعضائي فبقيت مستلقيا على ظهري كالميت لا نقدر على نطق ولا حركة، حتى إذا طلع الفجر سمعت صوت الشيخ وهو يقول : أتتوب إلى الله يا أبا الرّواين ؟ فقلت بصوت خفي : أنا تائب إلى الله، فقال : قم إلى صلاة الصبح، فنهضت فإذا أنا قائم كأنما نشطت من عقال، فلما دخلت على الشيخ قال : يا أبا الرّواين، ما فعلت ؟ فقلت : يا سيدي، من يكون في رعاية مثلك لا يخشى على نفسه غواية ..." وقال ابن عسكر : "وسمعت الشيخ بصري يقول : ثلاثة مشايخ لم يكن لهم نظير في المغرب : سيدي ابن عيسى وسيدي أبو محمد الغزواني والسيد أبو محمد الهبطي".

توفي ابن عيسى في أول سنة 940، وقبره مزارة مشهورة خارج مكناسة من ناحية الغرب.

ابن عسكر، *دوحة الناشر*، 71، تح. محمد حجي.

عبد القادر سعود

**فهمي، علي** من مواليد سنة 1930 بآيت مَحمد إقليم أزيلال. بدافع غيرته الوطنية ساهم في تأسيس خلية سرية للمقاومة بالمنطقة إلى جانب السيد مشكور احساين تضم أعضاء ينتمون إلى قبائل آيت مَحمد وآيت بوگماز وزاوية آحنصال ابتداءاً من سنة 1954 ، حيث قام بجمع الأموال والتبرعات وتأطير الأفراد وتحفيزهم للتضحية في سبيل الوطن وطرد المستعمر.

وقد كانت أغلب اجتماعاته تعقد في بيته حيث توصلت السلطات الفرنسية إلى اعتقاله وتعذيبه بمركز آيت مَحمد. ورغم ذلك واصل الفقيد عمله النضالي إلى أن حصل المغرب على استقلاله.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

**الفواكه**، يستدعي الحديث عن الفواكه في المغرب (تاريخياً) إبداء ملاحظة أساسية : ذلك أن الكثير من الدراسات والأبحاث المنشورة في عدد من المجلات المتخصصة ترجع جل الفواكه المعروفة في المغرب - إن لم نقل كلها - إلى أصول مشرقية، فهي إما آتية إلينا من الهند أو من بلاد فارس، ودخلت المغرب في أزمنة مختلفة عن طريق مصر أو الأندلس، لدرجة أننا لا نكاد نجد بينها منتوجاً مغربياً واحداً.

- تتناقض هذه الدراسات مع ما ورد في كتب الجغرافية التاريخية من وصف وإعجاب بخيرات المغرب الطبيعية والفلاحية لكن الأمر في تقديري لا يخلو من مبالغة الدارسين أو عدم انتباههم إلى أن الكثير من الفواكه المعروفة اليوم في المغرب - ومنها عدد غير قليل معروف بأسمائه الأمازيغية الأصلية - قد كانت في حالة برية وأن الأنواع المذكورة في تلك الدراسات هي الأنواع الفلاحية المنتجة للسوق، وغاب عن هؤلاء الدارسين أن الكثير من تلك الفواكه قد دجنت وركبت في أصول وأنواع مغربية حتى تكيفت مع البيئة الجديدة فحققت مردودية وجودة عالية. وقد بدأ ذلك منذ عهد الأدارسة ليبلغ ذروته في عهد "الثورة الفلاحية" التي تحققت على يد الموحدين.

عرف إنتاج الفواكه بجميع أنواعها وأشكالها نمواً مضطرداً طيلة العصر الوسيط مع الذروة في الفترة الممتدة من العهد المرابطي والموحدي إلى نهاية العهد المريني الأول ؛ ويرجع هذا النمو والازدهار إلى سيادة حياة الاستقرار وانتشار الأمن وتقارب الثورتين المرابطية والموحدية بصفة خاصة والتي شجعت الفلاحة بصفة عامة ومنها البستنة، ويضاف إلى هذه العوامل التحسن النسبي الذي طرأ على المستوى العيشي، فارتفع الطلب على مواد غذائية مكملة - وكمالية أحياناً - سواء في المدن أو البوادي خاصة لدى الفئات الموسرة، ورغم ذلك بقي الإستهلاك محدوداً أمام ارتفاع الإنتاج مما خلف فائضاً في بعض الأنواع حتى أن ثمنها ينخفض بشكل كبير لتعذر تسويقها خارج مناطق الإنتاج، وأحياناً لا يصبح لها ثمن بالمرة لا نعدام المشتري أو أن ثمنها لا يغطي حتى أجرة نقلها من البستان إلى السوق. بقي أن نشير في ختام حديثنا المقتضب عن الفواكه، أن الفائض الذي أسهبت بعض المصادر في سرده وأعجب به المؤرخون لم يكن فائضاً حقيقياً بالمفهوم العصري ذلك أن الربط بين مختلف جهات المغرب كان متعذراً لأسباب تقنية تتعلق بالنقل أو لأسباب أمنية، فيبقى المنتوج مروجاً محلياً، أو قد يكون لأسباب أخرى، منها حداثة غراسة بعض الأنواع في تلك المناطق والسبب الغالب يرجع إلى سرعة فساد بعض الأنواع لضعف وسائل النقل وبطئها، ولنضوج الفواكه في فصل الحرارة المرتفعة، ولتجاوز هذه الوضعية والتقليل من خسارة المنتجين والتجار سوقت بعض أنواع الفواكه كالتفاح ، والخوخ والإجاص والبطيخ وغيرها إلى أماكن الإستهلاك البعيدة سوقت فجة وغير تامة النضج لتتحمل مشاق السفر وطول مدته مع استعمال مواد مسخنة ومسهلة للإنضاج كالرماد والنخالة وغيرها.

البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المغرب بروض القرطاس* ؛ الحميري، *الروض المعطار* ؛ الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ الونشريسي، *المعيار* ؛ التادلي، *التشوف* ؛ ابن قنفذ، أنس *الفقير* ؛ البادسي، *المقصد الشريف* ؛ السبتي الأنصاري، *اختصار الأخبار* ؛ ابن غازي، *الروض الهتون* ؛ العمري، *مسالك الأبصار* ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب* ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن حوقل، صورة *الأرض* ؛ *مجلة البحث العلمي*، 29 : 30 و197، ص. 97 - 99.

*Bulletin archéologique marocain*, vol. 2, 1964, p. 365, vol. 6, 1966, p. 235 ; *Bulletin d'enseignement public marocain, n° 209, 1949, p. 9-20.*

محمد حجاج الطويل

**الفُودُودي، الحسن** بن **عمر**، ينحدر من أسرة الفودودي التي اختص العديد من أفرادها بالإشتغال بالوزارة في العهد المريني كأبي زيد عبد الرحمن بن ماسي المدعو رحو، وعيسى وإبراهيم ابني عمران وعمر بن موسى بن عمران ومسعود بن عمر ومسعود بن رحو بن ماسي.

كان المترجم له وزيراً للسلطان أبي عنان فارس وكان على خلاف مع غيره من معاصريه من الوزراء المرينيين خاصة الوزير عمر بن ميمون ويحيى بن موسى العقولي وزير ولي العهد الأمير أبي زيان محمد.

ولما عاد السلطان أبو عنان فارس إلى عاصمة ملكه مدينة فاس قادماً إليها من حملته على بلاد المغرب سنة 759 / 1358 أقعده المرض وألزمه الفراش وأعجزه عن القيام بالأمر ولم يجلس لتلقي التهنئة يوم عيد الأضحى على العادة. فاشتد الصراع بين الحسن بن عمر من جهة وعمر بن ميمون ويحيى بن موسى العقولي من جهة ثانية، وحاول كل طرف التمهيد للاستئثار بأمور التسيير إلى أن حالف النجاح الحسن بن عمر في استمالة شيوخ بني مرين وتأليبهم على ولي العهد أبي زيان محمد، فأجمعوا على خلعه والفتك بوزيره والبيعة لأخيه أبي بكر السعيد. وتم لهم ذلك يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ذي الحجة عام 759 / 1358 والسلطان أبو عنان فارس على فراش الموت.

ولما تمت بيعة أبي بكر السعيد ارتقب الناس دفن السلطان أبي عنان يوم مبايعة ابنه أي يوم الأربعاء وكذلك يوم الخميس ويوم الجمعة بعده. ولما لم يدفن ارتابوا في أمر الوزير وفشا الكلام فأدخل الحسن بن عمر إلى أبي عنان من قتله، وقيل دخل بنفسه إليه بمكانه من قصره ثم غطاه حتى أتلفه.

لم يكن اختيار الحسن بن عمر للأمير أبي بكر السعيد الذي كان في الخامسة من العمر إلا لدر الرماد في العيون والتمويه على الرعية. فقد ولاه عرش المرينيين ليستبد بالأمر والنهي دونه فحجبه عن الناس وبعث إلى إخوته بالقدوم عليه

حتى تسهل عملية مراقبتهم بعدما كان السلطان أبو عنان قد ولاهم على أعمال ملكه أثناء مرضه. فجاء المعتصم من سجلماسة وامتنع المعتمد الذي كان في كفالة عامر بن محمد الهنتاتي بمراكش فجهز إليه الحسن بن عمر جيشا أوكل قيادته لشريكه في الاستبداد الوزير سليمان بن داوود الذي سار إلى مراكش في شهر محرم من سنة 760 / 1359 ولم يفلح فيما خرج من أجله لأن المعتمد ووزيره عامر تحصنا بمعاقل هنتاتة في الجبال وبقيا بها حتى تراجعت عنهم الجيوش المرينية إثر محاصرة منصور بن سليمان لفاس الجديد قادما إليها من تلمسان رفقة مسعود بن عبد الرحمن بن ماسي.

وقد كان على الحسن بن عمر بعد استبداده على سلطانه الصبي الحفاظ على نفوذ المرينيين في المغرب الأوسط رغم ما كان يعانيه من مشاكل في المغرب الأقصى. فبعث إلى تلمسان بجيش تحت قيادة سعيد بن موسى العجيسي لمنع بني عبد الواد من معاودة فرض سيطرتهم على عاصمة ملكهم. فتمكن المرينيون من إحكام قبضتهم على تلك المناطق إلى أن نجح أبو حمو موسى بن يوسف الزياني سلطان بني عبد الواد في طردهم بمساعدة شيعته من عرب بني عامر الهلاليين واستباحهم بالقتل وأتى على ما كان لديهم بالسلب والنهب في ربيع الأول من سنة 760 / 1359.

ولما بلغ خبر هزيمة سعيد بن موسى واستيلاء أبي حمو موسى على تلمسان إلى الوزير الحسن بن عمر استشار شيوخ بني مرين في النهوض إلى المغرب الأوسط فأجابوه إلى ذلك لكنهم أشاروا عليه بعدم السير على رأس الحملة بنفسه، فعقد عليهم لقريبه مسعود بن رحو بن ماسي الفودودي، وفتح ديوان العطاء وفرق الأموال وأراح العلل. واتجهت الحملة نحو تلمسان على جناح السرعة في نفس الشهر الذي دخلها فيه أبو حمو وجموعه وأنصاره من بني عامر، حتى إذا اقتربت الجيوش المرينية منها غادرها سلطانها أبو حمو موسى في اتجاه بلاد الصحراء، فدخلها مسعود بن رحو بن ماسي في شهر ربيع الثاني من سنة 760 / 1359. ثم بعث ببعض جيوشه في طلب بني عامر أنصار أبي حمو موسى الذين لم يرافقوه إلى بلاد الصحراء بعد مساعدتهم له في فتح تلمسان فاحتلوا بمواطنهم من أنگاد بحللهم وظواعنهم كما هي عادتهم. لكن القائد الذي كلفه مسعود بن رحو بن ماسي بمهمة تأديب عرب بني عامر بن زغبة وهو عامر بن عبو بن ماسي ابن عم مسعود المذكور لم يفلح في مهمته ومني بهزيمة نكراء جردت على إثرها الأعراب فرسانه من خيولهم ومتاعهم فعادوا إلى مدينة وجدة عراة.

كان لهذه الهزيمة أثر كبير في تغير أغلب شيوخ بني مرين على الحسن بن عمر وإنقلابهم عليه، فاتفق من كان منهم بتلمسان على مبايعة يعيش بن علي بن أبي زيان محمد بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق. لكن قائد الحملة المرينية على تلمسان مسعود بن رحو بن ماسي رفض عقد البيعة لهذا الأمير ودعا بالمقابل لمنصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق مستغلا تذمر الأشياخ من ابنه عمه الوزير الحسن بن عمر المستبد بفاس، وما كان يردده الناس من أن سلطان المغرب سائر إلى منصور بن سليمان هذا بعد مهلك أبي عنان. وقد نجح مسعود بن رحو بن ماسي في مسعاه وتبعه من كان من المرينيين معه في ما ذهب إليه وتخلوا عن بيعتهم ليعيش بن علي. فتحرك رفقة السلطان المريني الجديد في اتجاه فاس واعترضت طريقه جموع العرب من بني عامر والمعقل فأوقع بهم وامتلأت أيدي عساكره من أسلابهم وظعنهم وأنعامهم ثم أغذ السير فوصل مدينة فاس في منتصف جمادى الأخيرة سنة 760 / 1359 وقد أعد له الحسن بن عمر العدة للقاء لكن أغلب من كان معه بالعاصمة إنحاش إلى القادمين وبايع السلطان منصور بن سليمان فتحصن الحسن بن عمر بالبلد الجديد من فاس وحاول منصور اقتحامها عليه ولم يفلح رغم وفرة جموعه وانضمام الجيش المريني الذي كان يحاصر عامر بن محمد الهنتاتي والأمير المعتمد بن أبي عنان بمعاقل هنتاتة بقيادة سليمان بن داوود إليه.

لم يكن منصور بن سليمان في مستوى القيام بأمر المرينيين في هذا الظرف العصيب لأنه أبدى استخفافا واضحا بالأمور وانغمس في الملذات بمكان حصاره للعاصمة فاس بكدية العرائس. وبقي على حاله إلى غرة شعبان من سنة 760 ونزع عنه عدد كبير من وجوه بني مرين والتحق آخرون بمواطنهم في حين سعى بعضهم إلى البحث عن سلطان جديد يعيد للمخزن مكانته وهيبته فكتبوا إلى الأمير أبي سالم إبراهيم في شأن القدوم عليهم إلى فاس بعد أن كان أخوه أبو عنان قد نفاه إلى غرناطة خوفا من منافسته له على ملك أبيهما أبي الحسن.

لما تلقى أبو سالم بيعة بعض أشياخ قبائل المغرب سعى لدى الحاجب رضوان المستبد في غرناطة على محمد بن أبي الحجاج يوسف سلطان بني نصر من أجل مساعدته في طلب الملك فرفض طلبه. ثم اتجه إلى ملك قشتالة في إشبيلية وطلب منه أن يجهز له أسطولا للجواز إلى بر العدوة فأجابه إلى ذلك مقابل شروط اشترطها عليه. فصار إلى مرسى مازاغان بغرض الوصول إلى مراكش، لكن عامر بن محمد الهنتاتي امتنع من قبوله لما كان يعانيه من حصار سليمان بن داوود له وللمعتمد بن أبي عنان. ثم اتجه نحو غمارة ونزل بأصيلة وبايعه أهلها على الموت دونه وكثر أتباعه هناك وبايعه أهل بعض الثغور الأندلسية.

حاول منصور بن سليمان التصدي لأبي سالم وجهز لمواجهته جيشا عقد عليه لأخويه عيسى وطلحة فتمكنا من إلحاق الهزيمة بأبي سالم وأرغماه على الاعتصام بالجبال. وانتهز الحسن بن عمر انشغال منصور بن سليمان بمحاربة أبي سالم فبادر بإرسال بيعته إلى هذا الأخير ووعده بتمكينه من العاصمة فاس وخلع سلطانه أبي بكر السعيد بمجرد وصوله

إليه. كما راسل مسعود بن رحو بن ماسي وزير منصور بن سليمان في أمر مبايعة أبي سالم والتخلي عن سلطانه ففعل، وضعفت بذلك صفوف منصور وانفض أغلب الناس من حوله فاستغل الحسن بن عمر ما آل إليه أمره وأمر رجاله بالخروج إليه لما أيقن من ضعفه فانقضوا عليه ونهبوا محلته ففر مع ولده إلى مدينة بادس في حين التجأ أخواه عيسى وطلحة ووزيره مسعود بن رحو بن ماسي إلى أبي سالم فتقبلهم ثم قرب مسعود منه ونفى عيسى وطلحة إلى غرناطة.

كان دخول أبي سالم إلى البلد الجديد بالعاصمة فاس يوم الجمعة منتصف شعبان من عام 760 / 1359 وحظي لديه الحسن بن عمر في بداية الأمر بحظوة كبيرة. فقد أبقاه على الوزارة وخصه بأحسن الأوصاف وعبارات التبجيل في مراسلاته لسلطان بني نصر أبي عبد الله محمد بن أبي الحجاج يوسف المعروف بمحمد الخامس الغني بالله ومن ذلك قوله فيه "وزيرنا الحظي لدينا الشيخ الأجل الأسنى المعظم الأكمل أبي الحسن علي بن عمر أعزه الله". ثم تغير السلطان عليه لما سعى به أعداؤه لديه فتخوف منه وعقد له على مراكش وأحوازها وجهزه إليها بالعساكر واستوزر مسعود بن رحو بن ماسي والحسن بن يوسف الورتاجني مكانه.

ولما حل الحسن بن عمر بمراكش ثقف أطرافها وصار له بها سلطان ورياسة أثارت حقد حساده من الوزراء بمجلس السلطان أبو سالم فسعوا في تنكر السلطان له حتى أظلم الجو بينهما وخاف الوزير من فتك السلطان به، فخرج من مراكش في شهر صفر من سنة 761 / 1360 ولحق بتادلا منحرفا عن الطاعة، فتلقاه عرب بنو جابر من شجم وشيخهم حسين بن علي الورديغي فناصروه وأجاروه. ثم وجه إليه السلطان أبي سالم جيشا بقيادة وزيره الحسن بن يوسف الورتاجني استطاع السيطرة على مجالات بني جابر وأرغمهم على الفرار أمامه إلى الجبال المجاورة لمجالاتهم بتادلا وقد تمكن الوزير المريني من استمالة بربر صناكة سكان تلك الجبال بالمال وحرضهم على الحسن بن عمر وأنصاره من بني جابر فثاروا بهم وانفض جمعهم وألقي القبض على الحسن بن عمر وسيق إلى مدينة فاس رفقة أفراد أسرته في يوم مشهود.

وصف ابن الخطيب امتحان الحسن بن عمر ونكبته بمدينة فاس وقال بأنه أركب جملا هزيلا أعرج بعد أن ألبس جبة من الصوف عادة ما يتخذها الساسة والملاحون، حاسي الرأس، وقد تصبب عرقا من موقف الهول. وأمر بتأدية حق الخلافة، فأومأ برأسه لثقل قيود الحديد، وتشاغله بالإمساك على السنام. وأغرى به السبابون والرعاع فنالوا منه ومن زوجته سونة زوج الوزراء قبله. ثم نقل إلى مجلس السلطان وقام بعض الحاضرين بتقريعه ومجابهته بالتهم، وهو غير ملتفت إليهم رابط الجأش، رطب اللسان، صادع الحجة، حمل السلطان على الاعتراف بحسن بلائه عنده، وضبط عاصمته وحمايتها من أعدائه إلى حين قدومه إليها. وبعد أن استوفى دفاعه، أمر السلطان بإعدامه، فسحب بالكبول على وجهه ونتفت لحيته وضرب بالعصي. قال ابن خلدون : "وحضرت هذا المجلس يومئذ فيمن حضر من العلية والخاصة فكان مقاما تسيل فيه العيون رحمة وغيرة". ثم اقتيد بعد ذلك إلى باب السبع حيث نفذ فيه الإعدام طعنا بالرماح وصلب جسده بباب المحروق، وظل هناك أياما إلى أن أمر أهله بمواراته وذلك عام 761 / 1360.

عبد الرحمان ابن خلدون، *العبر*، ج. 7، دار الفكر، بيروت، 1988 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين في تاريخ دولة بني مرين*، باريس، 1917 ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، الدار البيضاء، 1985 ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، ج. 2، الجزائر، 1903 ؛ ابن القاضي المكناسي، *جذوة الاقتباس*، ج. 1، الرباط، 1973 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 4، الدار البيضاء، 1955 ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام*، ج. 3، الرباط، 1975.

حسن حافظي علوي

**فور إدكار** Faure Edgar ولد في بيزيي (Béziers) 18 غشت 1908 درس القانون وعين محاميا بمحكمة باريس منذ 1929. ثم شغل عدة مناصب هامة. انتخب ممثلا في البرلمان الفرنسي باسم الحزب الاشتراكي الراديكالي لإقليم الجورا (1946 ـ 1958). عين كاتبا للدولة في المالية 1949 ـ 1951 ثم وزيرا للعدل في غشت 1951 ثم رئيسا للحكومة ووزيرا للمالية من 10 يناير إلى 29 فبراير 1952. ورئيسا للجنة الشؤون الخارجية في المجلس الوطني 1952 ـ 1953. وزيرا للمالية بحكومة جوزيف لانيل 28 يونيو 1953. وزيرا للمالية والشؤون الاقتصادية والتخطيط لحكومة منديس فرانس. 19 يونيو 1954. وزيرا للشؤون الخارجية لحكومة منديس فرانس المعدلة 20 يناير 5 فبراير 1955. رئيسا للحكومة 23 فبراير 1955 يناير 1956. سيناتور لإقليم الجورا ثم دخل الأكاديمية الفرنسية في 8 يونيو 1978.

حينما أصبح رئيسا للحكومة الفرنسية جعل حل الأزمة المغربية ضمن برنامجه الحكومي، فعزل المقيم العام لاكوست وعين جلبير گرانفال، وأعطاه صلاحيات للبحث عن حل للأزمة المغربية. ووضع أجندة لذلك. تمت المرحلة الأولى بالاستشارات التي قام بها كرانفال مع مختلف الفعاليات المغربية وخاصة النخبة الوطنية حيث منحهم حرية أكبر، رغم تصاعد احتجاجات اللوبي الاستعماري داخل المغرب وفرنسا، ووصل كرانفال إلي الخلاصة التالية : وهي تنحية ابن عرفة وإقامة مجلس للوصاية وتأليف حكومة مغربية لتسيير البلاد ووضع إصلاحات لمدة سنتين في انتظار الإعلان عن الملك الشرعي. دافع رئيس الحكومة عن رأي كرانفال في المجلس الوطني في 2 غشت 1955. وعلى إثر ذلك كون فور "لجنة التنسيق حول شمال إفريقيا" ضمت : فور وگرانفال وبوايي دولاتور وجاك سوستيل، وبعد اجتماعات مكثفة خلصت إلى : الإبقاء على بنعرفة وإنشاء حكومة مغربية تمثل كل فئات الشعب وإعطاء الإمكانيات لتطبيق إصلاحات شاملة بالبلاد.

لكن ابن عرفة لم يستطع تأليف الحكومة المطلوبة وأرسل رسالة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية روني كوتي بذلك.

بعدها بدأ فور بتطبيق المرحلة الثانية من خطته وهي استشارة مختلف اتجاهات الرأي العام المغربي بواسطة وفد حكومي يتركب من 5 أعضاء هم : إدكار فور وأنطوان بيني وزير الخارجية والجنرال كونيغ وروبير شومان وگرانفال وذلك للاتفاق على خطة ترضي الجميع وتزرع الثقة بين المغاربة والحكومة الفرنسية واختير منتجع "إيكس ليبان: ليكون مقراً للاجتماع.

ورغم وقوع حوادث 20 غشت بواد زم، استمرت المباحثات واستشارات الوفود التي شملت وفد حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال والتهامي الگلاوي ومجموعة من القياد والباشوات مما اصطلح عليهم بالتقليديين. وفي النهاية أعدت الحكومة تقريراً عرضته يومي 28 و29 غشت على الرئيس الفرنسي روني كوتي، اتفق الجميع بعدها على : انسحاب مشرف لابن عرفة وتأسيس مجلس للوصاية على العرش وتأليف حكومة مغربية تمثيلية وعودة محمد بن يوسف إلى فرنسا. ثم أعادت الحكومة الفرنسية ربط الاتصال بمحمد بن يوسف فأرسلت الجنرال كاترو وهنري إيريسو إلى أنتسيرابي في مدغشقر من أجل التفاوض، حيث انتهت المفاوضات بتوقيع محمد بن يوسف في 8 سبتمبر 1955 على رسالة للحكومة الفرنسية نصت على ما عرف بـ Intendépendamce تضمن الامتيازات للفرنسيين المقيمين بالمغرب وتؤكد الحفاظ على المصالح الفرنسية في مجال السياسة والاقتصاد والثقافة، ثم بدأت الاستعدادات لنقل الملك إلى فرنسا.

وبعد تنازل ابن عرفة على العرش رغم معارضة المقيم العام بوايي دولاتور وتعيين حراس للعرش، وجد التهامي الگلاوي نفسه مجبرا على الإذعان لرغبة الحكومة الفرنسية والشعب المغربي الذي بدأت بوادر تحركه تظهر في الأوساط الشعبية، فأعلن تصريحه في 27 أكتوبر عن قبوله عودة الملك إلى عرشه. وفي 2 نونبر وصل الملك إلى نيس ومنها إلى باريس حيث استقبله أعضاء الحكومة الفرنسية استقبالا رسميا ووقع مع وزير الخارجية الفرنسي اتفاقية لاسيل سان كلو في 6 نونبر 1955.

ويكون إدكارفور بذلك هو رئيس الحكومة الفرنسية الذي أخذ على عاتقه حل الأزمة المغربية ونفذ وعده بعودة محمد الخامس إلى عرشه في 16 نونبر 1955.

توفي في 30 مارس 1988.

حفيظة بلمقدم

**الفوروم** (أو الساحة العمومية)، عرفت هذه البناية الرومانية تطورات عدة حيث كانت في الأصل عبارة عن سوق ثم سرعان ما تحولت إلى مركز للشؤون العمومية والخاصة، وبجوار هذه البناية تقام أهم مباني المدينة الرومانية، بازيليك، معابد، كورية وأحيانا دكاكين.

هذا التطور في الشكل الأول للفوروم سيكتسي خصوصيات اختلفت حسب تصاميم المدن، فهو يتوسط المجال الحضري في المدن ذات التصميم المستطيل عند التقاء الشارعين الرئيسيين (الديكتومانوس والكاردو) ولو أن هذه القاعدة ستعرف بعض الاستثناءات بحيث يحصل أن يكون منحرفا.

كما أن تطور هذا البناء مرتبط كذلك بتطور المدينة، فكل حاضرة تتوفر على فوروم خاص بها غير أن عدم التجانس بين هذه المدن وظهور اختلافات عليه يكون وراء التغييرات التي تحصل بالنسبة للنماذج الكلاسيكية.

لقد توفرت كل مدن إيطاليا ومدن الولايات على ساحة عمومية وهي صورة طبق الأصل للفوروم الروماني "Forum Romanum".

ظهر الفوروم في بداية القرن VII ق. م. حيث كان يلعب دور السوق ودور المركز السياسي، ومنذ البداية وجد في المفترق بين الديكومانوس وبين الكاردو إلا أنه مع العهد الجمهوري سوف يفقد دوره التجاري ليصبح مركزا سياسيادون أن يفقد دوره كمجال للفسحة.

ومع عهد قيصر أصبح مركز المباني العمومية، ومن أجل التنفيس على مركز المدينة، أنشأ أوغسطس وفسباسيانوس ونيرڤا وتريانوس، فورومات أخرى شمال الفوروم الأصلي أطلق عليها اسم "الفورومات الامبراطورية" والتي تستجيب لمفهوم هندسي مخالف لأنها مغلقة شأنها في ذلك شأن الأگورات (Agora) الإغريقية.

وأنشئت فورومات أخرى ذات وظيفة خاصة مثل فوروم الثيران "Forum Boarium" وفوروم الخضر "Forum holitorium" بين الكابتول ونهر التبر، وهناك العديد من المدن التي تحيل أسماؤها على أنها كانت في الأصل عبارة عن أسواق مثل فوروم يوليوم (مدينة فريجوس Frejus) بفرنسا الحالية.

لقد تبنت أغلب المدن في الأقاليم الرومانية النموذج الكلاسيكي الإيطالي وهذا الأمر يكون سهلا في الجهات التي تبنى فيها المدن لأول مرة كما أن توسع المدينة قد يساهم أحيانا في تحويل الفوروم الأول ولو أن ذلك يبقى استثناء إذ أنه في وليلي وعلى الرغم من التوسع الذي عرفته المدينة بقي الفوروم في وضعيته وسط التجمع في مجال تحيط به البازيليك والكابتول وقوس النصر والكورية وهو مجال خصص أيضا لعرض التماثيل التي كانت تقام على شرف الأباطرة والآلهة أو أفراد الأرستقراطية المحلية.

وقد عرف هذا البناء تطورا يمكن حصره في ثلاث نماذج :

- النموذج التقليدي بساحة مبلطة يحيط بها بهو على الواجهات الأربع، ثم النموذج الذي لا يتوفر على معبد حول الساحة ثم نموذج معقد يتميز بتعدد القاعات حول الساحة ووجود حدائق وأحواض.

محمد العيوض، *موقع بناصا الأثري*، دراسة منوغرافية، دبلوم الدراسات العليا، الرباط 1998 - 1999.

J.C. Anderson, J.R., *The Historical topography of imperial Fora*, Coll. Latomus, Bruxelles, 1984 ; P.A. Fevrier, Urbanisation et urbanisme en Afrique, *A.N.R.W., II, 10.2, 1982, p. 321 - 379* ; S. Ben Baâziz, Les forums romains en Tunisie, *Los Foros Romanos de las provincias occidentales*, Madrid, 1987, p. 221 - 236 ; A. Akerraz, Le forum de volubilis, Eléments du dossier archéologique, *Ibid*, p. 203 - 219 ; J.C. Fredonille, *Dictionnaire de la civilisation romaine*, Larousse, Paris, 1986, p. 111.

عبد العزيز بل الفايدة

**الفوسفاط** مركب معدني رمزه $P_2O_5$ خامس أوكسيد الفوسفور، لا يذوب في الماء ولهذا لا يؤدي الغرض في حالته الطبيعية إذ لا بد من معالجته في معامل كيماوية كبيرة الحجم غالبا حيث يعالج بالحامض الكبريتي ليتحول إلى سوبر فوسفاط تستخرج منه مختلف الأسمدة والمبيدات والمطهرات والمركبات الكيماوية. فالفوسفاط عنصر حيوي في الصناعة الكيماوية تقوم عليه صناعة مهمة وحركة تجارية عالمية واسعةالأبعاد، له موانئه الخاصة وأرصفته وآليات تعبئته وسفنه المتخصصة في نقله.

يرجع تاريخ تكوين الفوسفاط المغربي إلى حقب الكريتاسي الأعلى والإيوسين الأسفل أي نهاية الزمن ج 2 وبداية الزمن ج 3 . تكون من بقايا عظام أسماك ترسبت في خلجان بحرية دافئة غير عميقة. تنتشر اليوم أهم رواسبه في منطقتين رئيسيتين واسعتين هما :

الهضاب الأطلنتيكية والسهول الداخلية الممتدة من جنوب الهضبة الوسطى إلى الحدود الشمالية لسلسلة الأطلس الكبير الغربي والأوسط.

السهول الساحلية بالصحراء المغربية الممتدة من الساقية الحمراء : منطقة بوكراع إلى بئر أنزران قرب خليج الداخلة. وتحتوي المنطقتان على أكبر احتياطي عالمي مؤكد للفوسفاط يقدر بحوالي 70 مليار طن يكون 65٪ من الاحتياطي العالمي.

تتميز هذه المدخرات بجودة فوسفاطها الذي يتكون من رمال هشة تتراوح نسبة احتوائها على المركب الفوسفاطي 50 ـ 80٪ ولا يسوق إلا بعد معالجته بعمليات بسيطة تتلخص في تنقيته من الحجارة غير المعدنة وتخليصه من الرطوبة لتخفيف وزنه. وتتميز رواسبه بسمك طبقاتها ووجود الطبقات العليا على بعد قريب من سطح الأرض مما يسهل ظروف الاستغلال السطحي الذي يشكل 78٪ من الكمية المستخرجة حاليا، مما يظهر مستوى ارتفاع المكننة والمردودية. كما أن الاستغلال عبر الأنفاق يتميز بمردودية عالية وسهولة تقنية ذلك أن الفوسفاط يوجد على شكل طبقات رملية أفقية يتراوح سمكها بين 1.5 ـ 4 متر وعددها من 3 إلى 6 حسب المكامن يفصل بينها رواسب ترابية ـ صخرية عقيمة، إلا أن جل المناجم الباطنية تسير نحو الإغلاق النهائي لضعف مردوديتها. ويبلغ السمك الإجمالي للبنية الفوسفاطية بخريبگة مثلا حوالي 200 متر تتكون من أربع طبقات فوسفاطية تفصل بينها طبقات عقيمة من الكلس والطفل والرصيص أحيانا.

وقد وردت أول إشارة لوجود الفوسفاط بالمغرب من طرف باحث جيولوجي A. Bribves سنة 1908 عندما لاحظ وجود طبقة من الفوسفاط ظاهرة بأحد سفوح هضيبة الگرگوري (دوار أگرگور بالسفوح الغربية لهضبة كيك ببلاد وزگيتة جنوب مراكش) ولم يثر هذا الخبر أي رد فعل وبعد ذلك بثلاث سنوات لاحظ صيدلي عسكري فرنسي كان منكبا على تحليل مكونات التربة بـ "گيسر" بأولاد عبدون ش. ش. الشاوية العليا وجود الفوسفاط. وظهر أول إعلان رسمي عن اكتشاف الفوسفاط بالمغرب يوم 3 دجنبر 1912 وذلك بمنطقة البروج وتوالت بعد ذلك أخبار اكتشاف مكامنه. وفي أبريل 1914 أعطت مصلحة المعادن أولى المعلومات الجيولوجية عنه ثم أغنتها بمعطيات أخرى أكثر دقة في خريف 1917. وفي سنة 1919 أصدرت خريطة عامة للمغرب، مقياس 1/ 500000 تبرز أهم التكوينات الجيولوجية لطبقات الميوسين التي يرجع احتضانها لمدخرات الفوسفاط وذلك بأولاد عبدون والگنتور وإمين تانوت، وأعطت الدراسات نظرة عن الأهمية الكبيرة لاحتياطات الفوسفاط المغربي. ولحمايتها من السقوط بين أيدي شركات أجنبية، أصدرت الحكومة ظهير 7 غشت 1920 المؤسس للمكتب الشريف للفوسفاط O.C.P الذي سيحتكر استغلال ثروات الفوسفاط المغربي. ولم يتناول الاستغلال في البداية سوى مكامن أولاد عبدون والگنتور ذلك أن ضخامة احتياطيهما وسهولة استغلالهما قللا من أهمية القطاعات الأخرى باعتبارها بعيدة عن ميناء التصدير الرئيسي الدار البيضاء. وما هي إلا سنوات قليلة على استغلاله وتصديره حتى اتضحت الأهمية العالمية لمدخراته في المغرب حيث صار ثان منتج له في العالم الولايات المتحدة وهذه نظرة تفصيلية عن أهم مناجمه المستغلة حاليا :

ـ مكمن خريبگة (أولاد عبدون) يتكون من 3 ـ 4 طبقات رسوبية معدل سمكها 2 م تفصل بينها طبقات عقيمة من الطفل والكلس، يتباين سمكها من 1 ـ 5 م. طبقاته أفقية مستوية ميلها 1٪ في اتجاه ج. غ تتعرض محليا لتموج ضعيف ويظهر الفوسفاط على شكل رمال دقيقة الحبيبات متراصة رطبة بها 14 ـ 16٪ ماء، لونها أصفر يميل أحيانا إلى السمرة لكنها تكتسب لونا أبيضا، عندما يجف يصبح تركيبه كالتالي : 75٪ فوسفاط و8.5٪ كاربونات الكالسيوم و3٪ سولفاط الجير و2٪ مادة سياسية بالإضافة إلى بعض الشوائب.

يستغل عن طريق مناجم باطنية تبدأ بنفق رأسي للدخول مائل بنسبة 20٪ ويحفر نفق رئيسي بالطبقة الفوسفاطية، تتفرع منه أنفاق ثانوية وثلاثية متوازية يفصل بينها 30م وطولها 300م، تحفر بالفؤوس العادية أو المكانيكية لهشاشة الفوسفاط دون استعمال متفجرات، تتلقفه أحزمة متحركة توصله إلى خارج المنجم. ولهشاشة البنية تدعم جدران وأسقف الأنفاق بأخشاب، وتحفر المناجم السطحية عندما يكون سمك الطبقة السطحية العقيمة لا يتجاوز 8 ـ 10م وهذه

الطريقة شاعت فيما بعد خاصة في مناجم واد زم ثم في بن گرير لكنها تتطلب استعمال المتفجرات بكثرة وتستهلك آلياتها طاقة كهربائية كبيرة وتتطلب آلات ضخمة تغني عن كثرة الأيدي العاملة، استعملت لأول مرة سنة 1951 في منجم سيدي الضاوي حيث استعملت آلة ضخة Dragligne. الطبقات العقيمة المهشمة بالمتفجرات. وتستغل مكامن خريبگة عبر مجموعة مناجم باطنية مجهزة بآليات ومنشآت خارجية مشتركة تبتعد عن بعضها بعدة كيلومترات تعرف بمحطة وهي : محطة بولنوار افتتح أول مناجمها 1923. محطة بوجنيبة افتتحت أول مناجمها 1921. محطة سيدي الضاوي : احتضنت أول منجم سطحي سنة 1951. يعمل بكل هذه المنشآت 7710 عاملا منهم 117 مهندسا و5552 تقنيا سنة 1999. ويعتبر فوسفاط أولاد عبدون من أجود الفوسفاط في العالم ترتفع درجة تركيزه إلى 82٪ بعد غسله وتجفيفه. ينقل الفوسفاط من مناجمه على عربات القطار وغالبا على الشاحنات إلى مركز المعالجة بخريبگة حيث يعالج على عدة مراحل لرفع درجة تركيزه وفصله عن الصخور والتربة العقيمة ثم تجفيفه في أفران خاصة لتخفيض رطوبته إلى 2٪ ثم يخزن في مخازن سعتها 100.000 طن ثم ينقل على عربات صندوقية خاصة من الحديد أو الألومنيوم على السكة الحديدية إلى الدار البيضاء حيث يودع في مخازن خاصة، يخرج منها بالضخ الهوائي عبر أنابيب لتعبئة مخازن بواخر خاصة بنقله.

- مكمن الگنتور (لوي جونتي سابقا واليوسفية حاليا) : يوجد شمال غرب مدينة مراكش، تتعدد طبقاته، يشبه في تركيبه وظروفه الجيولوجية فوسفاط خريبگة، لا يختلف عنه نسبيا سوى في نسبه تركيزه المنخفضة 68 ـ 70٪، كما تعرضت بنيته لحركة باطنية أكثر قوة مما جعل طبقاته متموجة وكذلك سطح الأرض يستغل عن طريق محطتين منجميتين، افتتحت الأولى 1934 والثانية 1951، وتتصل الأخيرة بمركز التخزين والمعالجة بمركز اليوسفية بناقل هوائي طوله 8 كلم. وتنتج بعض مناجمها فوسفاطا أسود مشبعا بمواد عضوية يحتاج إلى الكلسنة (حرق) لتنقيته. يعمل بها 4294 عاملا منهم 58 مهندسا و604 تقنيا.

- مكمن بن گرير : هو امتداد شرقي للطبقات الفوسفاطية لهضبة الگنتور الممتدة من اليوسفية على طول 120 كلم وعرض 4 كلم نجد هنا ست طبقات فوسفاطية لتداخلها مع امتداد طبقات أولاد عبدون. شرع في الإنتاج 1980 بفتح منجم حديث بشمال وسط المكمن، استغلت به الطبقتان 5 و6. وفي سنة 1994 شرع في وضع تجهيزات ومنشآت جديدة باستغلال كل الطبقات من 1 ـ 6 في إطار برنامج استغلال لفترة 1994 ـ 2018. يتكون من منجم سطحي واحد يتوسع باستمرار. وفي بداية التسعينيات فتح منجم سطحي آخر في بوشان يعتبر رسميا تابعا له رغم كونه أقرب إلى اليوسفية. يوجد في مركزه قرب بن جرير منشآت لغربلته ثم يوجه الفوسفاط عبر القطار إلى اليوسفية لتجفيفه بمعاملها ومنها ينقل إلى آسفي أو الجرف الأصفر. يعمل به 1025 عاملا منهم 23 مهندسا و233 تقنيا يسكنون بحي خاص كنواة لمدينة فوسفاطية جديدة تبعد عن بن گرير بعدة كيلومترات على طريق قلعة السراغنة.

- مكمن بوكراع اكتشف سنة 1947 وشرع في استغلاله سنة 1962 من طرف شركة إسبانية. ويستغل حاليا من طرف شركة مختلطة : "فوس بوكراع" التابعة للمكتب الشريف للفوسفاط. يتكون من منجم سطحي يعالج إنتاجه محليا بالغربلة والتجفيف ثم ينقل عبر بساط متحرك إلى ميناء العيون. له احتياطي مؤكد 1.5 مليار طن، تركيزه أقل من المكامن السابقة، ومردوديته أقل من سابقيه، يعمل به 2067 عاملا منهم 44 مهندسا و400 تقني.

- الإنتاج المغربي والعالمي للفوسفاط : تزايد إنتاج المغرب بتوالي السنوات لتزايد الطلب العالمي على الفوسفاط. ففي 1978 أنتج 20 مليون طن و21.3 مليون طن سنة 1987 ثم ارتفع الإنتاج إلى 29 مليون طن سنة 1997. يصدر المغرب نصفها ويبيع النصف الآخر لمركباته الكيماوية. ويلاحظ أن إنتاجه يختلف من سنة لأخرى حسب الطلب الخارجي، ففي سنة 1999 انخفض إنتاجه إلى 22.7 مليون طن من الفوسفاط الخام (نقص بـ 12.7٪ عن سنة 1998 ). استخرجها من : خريبگة 15.20 مليون طن ـ اليوسفية 2.96 مليون طن ـ بن گرير 2,58 مليون طن ـ بوكراع 1.4 مليون طن. بلغت صادراته 11.38 مليون طنة سنة 1999 بقيمة 4462 مليون درهم، وبيع للمركبات الفوسفاطية بآسفي والجرف الأصفر (وهي في ملكية المكتب الشريف للفوسفاط مع بعض الشركاء الأجانب) 10,94 مليون طن بقيمة 2749 مليون درهم.

وأنتجت مركباته الكيماوية بآسفي والجرف الأصفر 2.69 ملون طن من حامض الفوسفاط الذي أعطى بعد إعادة معالجته 1.88 من حامض الفسفور المخفف و2 مليون طن من الأسمدة الصلبة المتنوعة، وفي هذه السنة افتتح معمل حديث بالجرف الأصفر لإنتاج حامض الفسفور المطهر، أنتج 92000 طن وجهت كلها للتصدير. وبلغت صادراته من حامض الفسفور 1.66 مليون طن والأسمدة الصلبة 1.84 مليون طن وبلغت المبيعات الداخلية لأنواع الأسمدة 385000 طن بقيمة 491 مليون درهم. وبذلك حصل O.C.P المكتب الشريف للفوسفاط على 16.98 مليار درهم من عائدات بيع الفوسفاط ومشتقاته بما فيها عمليات البيع لفروعه الداخلية أي المركبات الكيماوية ومعامل الأسمدة. وبلغت صادراته 13.34 مليار درهم منها 6,66٪ من مشتقاته المصنعة.


أ. هوزلي، *الموارد المعدنية والتنمية بالمغرب*، كلية الآداب، مراكش ؛ نشرات صحفية ودراسات قطاعية وتقارير حول المناجم والاقتصاد المعدني بالمغرب.

A. André et J. Lecoz, *Economie minière : notes explicatives de l'Atlas du Maroc*, Rabat, 1961 ; Ministère

de l'Energie et des Mines, *Panorama de l'industrie minière*, t. I, 1988, t. II, 1990 ; *BRPM Maroc*, Rapport d'activités 1999.

أحمد هوزلي

**فونط**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Fonte، وهو اسم مدينة إسبانية؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**فوّاح، أحمد** من مواليد سنة 1930 ببني مگاد جرو غفساي إقليم تاونات. انخرط الفقيد بدافع الغيرة الوطنية والنضال من أجل حرية بلاده في صفوف جيش التحرير عند انطلاقته ضمن فرقة محمد المكناسي.

وقد شارك في جميع المعارك التي خاضتها وحدات جيش التحرير بالمنطقة ضد الاستعمار الغاشم أهمها معركة اللبابنة، وعندما أحرز المغرب على استقلاله واصل الفقيد دوره الوطني وذلك بانخراطه في صفوف القوات المسلحة الملكية إلى أن أحيل على التقاعد.

توفي في 16 ماي 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523833.

**الفوّارات** (واد -) يعني اسم الفوارات كثرة عيون الماء المتدفقة. وهذا ما يؤكده المسنون الذين عاشوا وعرفوا وادي الفوارات خلال النصف الأول من القرن العشرين، حيث كانت العيون الكثيرة لا تنضب خلال فصل الشح، مما يجعل جريان الوادي شبه دائم، على الرغم من طبيعة الصخور والتكونات السطحية الرملية والمنفذة.

ويعتبر الفوارات واديا محليا، ينطلق من سطح هضبة المعمورة عند مركز العرجات حاليا، ويتجه نحو الشمال الشرقي بموازاة خط الساحل، حيث أجبرته الكثبان الحيفتاتية المتصلبة، التي تشكل السطح المتموج لهضبة المعمورة على السير ضمن منخفض بيكثيبي إلى حدود مدينة القنيطرة لينعرج بعدها غربا ويرفد وادي سبو.

يبلغ طول الوادي حوالي 35 كلم، تعرض للاجتثاث منذ القديم وأصبحت غابة البلوط الفليني تحيط به من جانبيه. تبلغ مساحة حوضه حوالي 46 كلم$^2$ بدون "وادي فوي" الذي يرفد ضفته اليسرى قبل اقترانه بسبو. يتميز الوادي بحداثته فهو يتعمق في هضبة المعمورة بحوالي 50 إلى 60 م، تنتشر في قعره توضعات المصطبة الغربية (الهلوسينية)، ويعرف أقصى اتساع له شمال سيدي مبارك "أكثر من 500م". يغلب على سفوحه عموما التحدب مع تقعر بسيط في الأسافل، ويبدو الوادي حاليا جافا، والجريان المائي ضعيف وجد موسمي، ما عدا في الحالات الاستثنائية، ويعود ذلك لعمليات الأسر التي تعرضت لها الينابيع والفرشة المائية الباطنية.

يشكل وادي الفوارات منظومة بيئية خاصة بالمقارنة مع سطح الهضبة الجاف، لذا فإنه كان منذ القديم مجالا مفضلا للاستقرار والاستغلال بفضل رطوبته، وتوفره على تربة أكثر خصوبة، ويبدو أنه عرف الاستقرار البشري مبكرا خلال التواجد الروماني بالمغرب. ولم ينقطع استغلال هذه المجالات مع دخول القبائل العربية للمنطقة خلال العصور الوسطى، إلا أن فترة الاستعمار الفرنسي، والتي أثرت بشكل كبير على المنظومة البيئية للوادي، عن طريق القوانين الجديدة لاستغلال المجال الغابوي والوضع العقاري وحدة استغلال المياه الباطنية.

يتشكل الوادي في بنية جيولوجية مؤلفة من صخور الحث الكلسي الساحلي المنفذة، والتي تشكل خزانا مائيا مهما فوق الصخور الصلصالية المسينية، وبحكم ميل الطبقات نحو الشمال (سهل الغرب) فإن هذه الصخور تضم فرشة مائية مهمة تنحدر نحو الشمال والشمال الغربي تظهر مع تعمق وادي الفوارات على شكل عيون وينابيع.

وقد تم التفكير في إمكانية استغلال هذه المياه منذ النصف الأول من القرن العشرين، لتغذية مدن القنيطرة والرباط وسلا بالماء الصالح للشرب، وذلك بأسر مياه العيون عبر قنوات تمتد من سافلة الوادي إلى هذه المدن. وبالفعل فقد تم إنجاز هذا المشروع في بداية الخمسينيات من القرن العشرين وكانت عمليات الحفر مناسبة للجيولوجيين أمثال Choubert وآخرين 1948 لاكتشاف إرسابات بحرية وكثيبية بليوسيني فريدة في عين عريس. وإن تخدد الإرسابات البحرية للبليوسين الأسفل والأوسط، انطلق منها اسم طابق جديد في التصنيف الجيولوجي المحلي بالمغرب، يعرف باسم الطابق الفواراتي، الذي يوافق البليوسين الأعلى، ويتوافق مع الإرسابات القارية الفيلافرانشية في الهضاب الساحلية.

تتحكم الانحدارات في توزيع التربة على سفوح الوادي، حيث يمكن أن نميز ثلاثة أنواع أساسية :

- في أعالي السفوح، تتوفر تربة متحدسلة ذات مسكة A ضعيفة السمك في طريق البتر.
- أما في الجزء الأوسط من السفح فتظهر تربة حمراء متحدسلة مبتورة بحكم الإزالة المستمرة، حيث تبرز مسكات Bt المتطينة، الحمراء، على السطح مباشرة.
- بينما في القدم يميل السفح إلى التقعر مع انحدار خفيف، ويصبح عل شكل حادورات صغيرة الامتداد، تلتقي مع ضفاف الوادي حيث يتوفر مجال استقبال وتراكم، تمتد فوقه تربات سيدبالية مشبعة بالكربونات، تستغل كمجال أساسي للزراعة حاليا.

يقطن هذا الوادي حاليا إحدى فخذات قبيلة بني حسن العربية، وهي موزعة على طول الوادي من الجنوب إلى الشمال "أولاد العياشي، أولاد طالب، أولاد نصر، أولاد مبارك" ويتم استغلال سفوح الوادي في إطار ملكية جماعية للأرض، وبحكم التكاثر السكاني فإن التقسيم العقاري للأرض يتم على شكل قطع أرضية صغيرة، تمتد على طول السفح من عاليته إلى سافلته لكن عرضها لا يتعدى عشرات الأمتار وهذا بدوره يتحكم في طبيعة الاستغلال في الوادي الذي يتم على الشكل التالي :

- تمتد على هوامش الهضبة المشرفة مباشرة على الوادي غابة البلوط الفليني.
- تخصص السفوح العليا بين الغابة والمجالات المزروعة للرعي لقربها من الغابة.
- تزرع المجالات العليا والوسطى من السفوح بالحبوب الشتوية والربيعية.
- تنتشر في أسافل السفوح وقعر الوادي زراعة الخضر المسقية.

هذا مع العلم أن الجزء الأساسي من قعر الوادي من عاليته حتى مشرع الكتان، يوجد في ملكية المكتب الوطني للماء الصالح للشرب، وهو مسيج، ويمنع استغلاله على المواطنين. إلا أن السكان المحليين يقومون برعي قطعانهم خلسة فيه.

وعلى الرغم من ضعف حدة الانحدارات وقلة تعمق الوادي فإن الاجتثات القديم من جهة، وتزايد حدة التدخلات البشرية من جهة ثانية، جعلا مظاهر التدهور البيئي تبدو واضحة في وادي الفوارات من خلال ما يلي :

- بروز مظاهر التخديد على مجالات واسعة من سفوح الوادي.
- تكاثر المجالات التي أصبحت عقيمة عل شكل أساحل) بفعل التعرية السيلية.
- تتركز أشكال التعرية عل سفوح الضفة اليمنى أكثر من الضفة اليسرى بحكم التوجيه.
- توجد أهم مظاهر التدهور في الحوض الأوسط، والذي يتوافق مع وجود أقوى الانحدارات.
- يشكل الانحدار 10 ـ 15٪ عتبة انطلاق تدهور السفوح والتعرية الخطية فوقها.
- أصبح قعر وادي الفوارات بعد أسر مياهه السطحية والجوفية مجال استقبال للرمال المنقولة بواسطة السيل النازل على سفوح الحوض، مما يوفر خزانا رمليا مهما يعاد تحريك رماله خلال حالات النشاط الريحي الاستثنائي في السنوات الجافة، التي يزداد فيها طول الفصل الجاف بشكل يسمح بتشكيل وتكوين نبكات وكثبان صغيرة ذات أحجام ديسمترية وأحيانا مترية، تنتشر على جوانب الطرقات وفي قعر وأسافل سفوح الحوض.

*هضبة المعمورة وساحل سلا، التكونات السطحية والتطور الجيومورفولوجي*، منشورات اللجنة الوطنية الجغرافية بالمغرب، سلسلة رسائل وأطروحات.

G. Beaudet, *Le plateau central marocain et ses bordures, étude géomorphologique*, Imp. Inframar, 480 p., Rabat, 1969 ; G. Choubert, Ennouchie et J. Marçais, Contribution à l'étude du pliocène de la région de port Lyauty "Ouest Fouarat", *note serv. géol. Maroc, n° 71, t. 1, p. 15-30, 1948* ; R. Nafaa, *Dynamique du milieu naturel de la Mamora et ses bordures : paléoenvironnement et dynamique actuelle,* Thèse d'Etat en Géographie, F.L.S.H., Rabat.

عبد الرحيم وطفة

**الفوّة**، يطلق لفظ "الفوة" على جنس روبيا Rubia الممثل بأربعة أنواع نباتية طبيعية بالمغرب، والمنتمي لفصيلة الفويات Rubiaccae التي تشمل نبات القهوة. ومعروف أن الموطن الأصلي للقهوة هو اليمن وبلدان القرن الإفريقي.

من بين أنواع الفوة "فوة الصباغين" أو بالفرنسية Garance des teinturiers أوعلميا روبيا تانكتوريا Rubia tinctoria نظرا لكونها كانت تعتبر من أهم مصادر الصبغات الطبيعية للصوف وللجلد بالمغرب والبلدان المتوسطية الأخرى العربية والأوربية.

فوة الصباغين نبات عشبي معمر لمدة ثلاث أو أربع سنوات بجذوره فقط، لأن سيقانه وأوراقه النفظية تندثر في فصلي الخريف والشتاء لتتجدد وتنمو في فصلي الربيع والصيف. الأوراق مجتمعة على الساق على شكل حلقات. الأزهار أنبوبية الشكل.

تتواجد فوة الصباغين طبيعيا في المنطقة المتوسطية وآسيا الصغرى حيث شاعت زراعتها في جميع أنحاء هذه المنطقة وخاصة بإيطاليا وتركيا والمغرب مثل مناطق مراكش وفاس، وذلك لإنتاج الصبغة المستخلصة من الجذور التي عمرها ثلاث أو أربع سنوات ذات اللون القرمزي الزاهي المعروف بأحمر الديك الرومي أو الأحمر البدوي أو الأحمر التركي المتميز عن الأحمر البلدي المستخرج من حشرة القرمز التي تعيش على شجرة البلوط القرمزي Quercus coccifera. غير أن هذه الزراعة تقلصت كثيرا حتى كادت أن تندثر تماما لأن الصبغات الصناعية أصبحت موجودة بكثرة في السوق.

من حيث الاستعمالات، تستخدم جذور أو أزهار الفوة لعدة أغراض في ميادين التطبيب التقليدي والصناعة

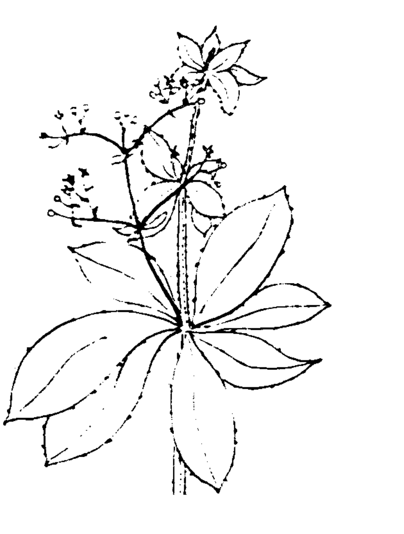

التقليدية. ولهذه الأغراض تباع الفوة من طرف العشابين للتداوي ضد جل أمراض الدم والكبد والجهاز الهضمي، ولاستعمالها في وصفة "راس الحانوت" ووصفات أخرى تتعلق بإذكاء الشهية الجنسية. أما في حالة استعمالها كصبغة للصوف والجلد فإنها تخلط مع الشب والترتر أو التخت. ويفضل قبل استخدام هذا المحلول كصبغة للون الأحمر أن تدهن الجلود بزيت الزيتون.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle. Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Ibis Press, Paris, 1997, 779 p.

عبد المالك بنعبيد

**فويتح، محمد** ولد الفنان محمد التدلاوي بمدينة فاس سنة 1929 من أب كان يمتهن حرفة الحلاقة اسمه الحاج فاتح.

وقد نسج الأهل والأقارب من اسم الوالد لقب "فويتح" وأطلقوه على الفتى، فغدا علما له واشتهر به دون غيره.

التحق فويتح بالمدرسة الابتدائية طفلا، غير أن وفاة والده حالت دون أن يتابع دراسته، فالتحق بمتجر لبيع أجهزة الراديو، وفيه تناهت إلى مسمعه الأغاني الشرقية، فوجد فيها ضالته، واشتد ولعه بها.

وتمضي الأيام لتتكشف عن تعلق الفتى بالموسيقى والغناء، فأخذ يتردد على الأندية الفنية حيث يستمع إلى أشياخ الملحون أو إلى أرباب "موسيقى الآلة"، كما لم يفته أن يحفظ غير قليل من الأناشيد مما كان أبناء المدينة يصدحون به في تجمعاتهم الوطنية.

وقد أحس الفتى في نفسه الرغبة في تعلم الموسيقى. فأخذ يجالس رفيقه وجاره في "حي المخفية" الفنان الفاسي محمد بن عبد العزيز بوزبع، وهو يومئذ عازف العود في جوق المرحوم محمد البريهي، فتعلم على يده مبادئ العزف على هذه الآلة وتلقى عنه بعض صنعات موسيقى الآلة.

ثم تعرف على سيدة فرنسية تدعى ريتا ديستيل (Rita Destel) كانت تدير مدرسة للموسيقى بالمدينة، فكان يحضر دروسها وبمعيته رفيقاه في الشباب أحمدالطيب العلج وعبد الواحد الصميلي، وعنها أخذوا مبادئ قواعد الصولفيج.

ومافتئ فويتح أن اشتهر بين أصدقائه مغنيا وعازفا، غير أنه بدا متميزا بجنوحه إلى الموسيقى الشرقية، فكان يحفظ أغاني المطربين المصريين كمحمد عبد الوهاب وسيد درويش، فإذا اجتمع بخلانه انطلق يغني بصوته ويصاحب غناءه بالعزف على العود.

وفي منتصف الأربعينيات دخل فويتح مجال التلحين، فجاءت محاولته الأولى لتكرس نزعته الشرقية، وهي قصيدة من نظم شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم مطلعها : رددوا لحن التهاني.

وكان قد غناها بمناسبة زفاف أحد أصدقائه بفاس بمصاحبة جوق الشعاع الفاسي.

في أواخر سنة 1949 رحل فويتح إلى العاصمة الفرنسية، وهناك كان عليه خلال فترة امتدت حتى سنة 1955 أن يواجه متطلبات الحياة اليومية وأن يرضي في ذات الوقت ميوله الفنية، فكان يشتغل نهاره بأحد المصانع، وفي المساء يتحول إلى "حي المدارس" أو يتردد على "مطعم الكتامي" و"صومعة حسان"، وهي مواقع كانت محجا للمغاربيين وملتقى لطلبة الشمال الإفريقي وهناك يتحلق حوله عشاق الموسيقى العربية، فيستمعون إليه وهو يردد أغاني محمد عبد الوهاب بمصاحبة عوده.

وقد ظل فويتح - حتى بعد رحيله إلى فرنسا - وفيا للمدرسة الشرقية عندما لحن قصيدتين أخريين وسجلهما باستديو الإذاعة الفرنسية وإذاعة مونتي كاولو. القصيدة الأولى من كلمات شاعر عراقي يدعى عبد القادر رشيد الناصري، وقد تعرف عليه فويتح في باريس، وأولها :

مبعث الحر من سنا عينك

أما القصيدة الثانية فكان أولها :

يا حبيبي ظمئت روحي

وتشاء الصدف - يوما - أن يزوز محمد فويتح الفنان المصري محمد عبد الوهاب خلال إقامته الفنية بباريس، وأن يسمعه إحدى قصائده. وكانت المفاجأة عندما صارحه محمد عبد الوهاب بأنه كان يفضل أن يسمع منه أغنية تحمل خصوصيات الموسيقى المغربية، وأن يوجه اهتمامه إلى تأليف أغاني أكثر تعبيرا عن طبيعة موسيقى بلاده.

منذ ذلك اليوم لم تنفك أصداء كلام محمد عبد الوهاب تتردد بين جوانحه إلى أن كانت سنة 1953 عندما امتدت يد الاستعمار الفرنسي إلى الجالس على العرش بالمغرب المغفور له محمد الخامس، فنفته وأسرته خارج الوطن، فتحركت أعطاف الفنان محمد فويتح، وأمسك بعوده، وانطلق في لحظات من الإلهام يرتجل أول مقطع من أغنيته الناجحة "أو مالولو". وتتوالى كلمات هذه الأغنية، وتتوالى معها ألحانها في تدفق معبر لتسفر في النهاية عن عمل فني متكامل يشق طريقه إلى آذان الجماهير الواسعة بعد أن تم تسجيله في فرنسا برعاية شركة باتي ماركوني وتشجيع من مديرها الفني يومئذ الأستاذ أحمد حشلاف.

وقد توقف فويتح عن التلحين زهاء ثلاث سنوات تهيأ خلالها لهذه الأغنية أن تصبح على كل لسان، يرجعها الصغار والكبار في غفلة عن رقابة الحكام، ويجدون في طبيعتها البكائية رمزية تختزل مشاعر التعلق بالأسرة الملكية المبعدة، وتوحي بالتطلع إلى ساعة الفرج.

وعندما دقت ساعة الإعلان عن رجوع محمد الخامس من منفاه كان ذلك إيذانا بميلاد ثاني أغنية شعبية لمحمد فويتح، وهو - يومئذ - من بين جموع المغاربة الذين كانوا في استقبال الملك بفرنسا قبل عودته إلى المغرب هذه الأغنية التي مطلعها :

ملي امشيتي سيدي     اوراك جيتي     والنار شاعلة في قلبي

بهاتين الأغنيتين دشن فويتح توجها جديدا في التلحين طبعه التخلي عن تقليد قوالب الغناء الشرقي، في مقابل استلهام التراث الموسيقي الشعبي وتبني خصوصياته الإيقاعية والمقامية.

رجع فويتح إلى المغرب بعيد الاستقلال، والتحق بجوق الإذاعة الوطنية ملحنا ومغنيا وعازفا. وفي أجواء النجاح الذي حققته أغنيتاه الشعبيتان وجد نفسه مقبلا على تلحين مجموعة جديدة من الأغاني التي أسست لنشوء الأغنية الشعبية الحديثة واتسمت بالتعبير العميق عن الأصالة وعن غنى وتنوع موروثنا الموسيقي.

وفي هذا السياق لحن فويتح ما يربو على تسعين مقطوعة موزعة بين مواضيع وطنية وعاطفية، بعضها من كلماته، وجلها من نظم شعراء وزجالين مغاربة منهم أحمد الطيب العلج، والطاهر سباطة، وحسن الجندي، ومحمد الطنجاوي، وحمادي التونسي.

غنى فويتح جل أعماله بصوته. وممن غنى له : المطربة بهيجة إدريس (خايف قلبي لا يبوح بسري) والمعطي بلقاسم (الله الحباب) وعبد الحي الصقلي (خليلي). ومن أنجح أغانيه وأكثرها شيوعا طالت الغيبة ـ ما بيني وبينو والو ـ لحبيب لحبيب الي والفتو ـ عندك تساني ـ هاني هاني ياللي ناداني ـ أومالولو ملي امشيتي سيدي ـ البرگي اهواني ـ انحبو بلا اخبارو ـ قولو لي مال لشكر...

وترقى بعض هذه الأغاني إلى مستوى أن تكون عنوانا لأحداث تاريخية كبرى عاشتها البلاد في فترة الحماية الفرنسية كما هو شأن أغنيتيه الأوليين.

لقد كان المرحوم محمد فويتح على خلق سام، طيب المعشر، سموحا، كبير الوفاء لأصدقائه، كما كان مثلا حيا لنكران الذات وإيثار الآخر. وقد انتقل إلى مدينة طنجة بعد إحالته على المعاش عام 1989، وبها أقام إلى أن وافاه أجله المحتوم بعد مرض عضال ظل يقاومه في صبر وجلد، وكان ذلك يوم الأربعاء 4 جمادى الأولى 1417 / 18 شتنبر 1996.

حسن الحويلي، أومالولو، الأغنية الرمز، *جريدة العلم*، *29. 11. 1992* ؛ محمد الزموري، الفنان محمد فويتح المؤسس الرائد، *جريدة العلم 29. 9. 1996* ؛ *مجلة صوت الشباب* : مع فويتح، العدد 2، مارس 1960، ص. 32. 33. 44 ؛ المهدي المنجرة، فويتح ذلك الرائع، *جريدة العلم 22. 9. 1996* ؛ خالد مشيال، السيد محمد فويتح كما أعرفه، *جريدة الاتحاد الاشتراكي، 22. 9. 1996* ؛ *معلومات شخصية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**فوينطش** وفوينطس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Fuentes وهو نفس الأسم التي تحمل بعض الأسرة الاسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الفياشية**، قصيدة شعرية يذهب أكثر الأشياخ إلى نسبتها إلى الشيخ أبي البقاء عبد الوارث الياصلوتي، دفين فاس عام 1076 في زاويته الكائنة في زقاق الحجر، فيما يذهب آخرون إلى نسبتها للشيخ أبي عبيد الله محمد الشرقي دفين الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد عام 1010.

تحتوي القصيدة على ثمانية وأربعين قسما يضم كل قسم أربعة أبيات، الأولان منها معربان، والأخيران زجل ملحون، وتفصل بين الأقسام لازمة زجلية على نسق الحربة في قصيدة الملحون ومطلع القصيدة كالآتي :

ـ اللازمة :

أنا ماني فياش آش عليا مني
نقلق من رزقي لاش والخالق يرزقني

ـ القسم الأول :

أنا عبد رب له قـــــدرة
يهون بها كـــل أمرعسيـــر
فإن كنت عبدا ضعيف القوى
فربي على كل شيء قديـــر
مني آش عليا آنا عبد مملوك
والأشيا مقضية ما في التحقيق اشكوك
ربي ناظر فيا. وأنا نظري متروك
في الأرحام والأحشا من نطفة صورني

يشكل الجمع بين النظمين المعرب والملحون في هذه القصيدة ـ علي حد تعبير الدكتور الجراري ـ ظاهرة لم يعثر عليها في غير هذه القصيدة.

يقوم النظم المعرب في سائر أقسام القصيدة على بحر المتقارب ووزنه :

فعولنْ فعولنْ فعولنْ فعـــولْ فعولنْ فعولنْ فعولنْ فعـولْ

وقع في أعاريضه وأضربه علة بحذف النون.

وقد توخى الناظم أن يستقل كل قسم معرب بقافية خاصة، كما توخى أن تكون قافية الأشطار الثلاثة من كل جزء ملحون واحدة، فيما تكون قافية الشطر الرابع من سائر الأجزاء على قافية النون.

في القصيدة نفحات من الإشراقات الصوفية، والشطحات الربانية والأحوال الصادقة، وفيها أدعية وابتهالات وكلام في المعارف الحقيقة تحلق بالعارفين إلى معارج ربانية روحية. وهي فيض ينبض بالحكم البليغة والوصايا الصادقة، وكأنما يتلو علينا صاحبها طريقته في السلوك من مجاهدة للنفس، وإخلاص في الصحبة والخدمة، وخنوع للخالق في السر والعلن.

وهو يوصي بالقناعة لأن من يقنع بالقليل يستغن ويأته الله بالكثير ؛ ويوصي بإسعاف المحتاج والمعسر، والعفو عن المسيء ؛ إن العفو عنده من شيم المؤمن الذي يقابل الإساءة

بالصبر والحسنى ويتخذ النخل مثلا يحتذى، فهي إذا رماها رام بالحجارة رمته رطبا، وإن بعض مكارم الأخلاق لمما يرضي الخلاق.

والناظم لا يستنكف من العمل، ففي الشغل شرف، وفي التواكل ندم، وليس يشفي الغليل غير التشمير عن السواعد.

وتتعدد في القصيدة شواهد الاقتباس من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله : "يقول لمن شاء كن فيكون" فهو يقتبس من قوله تعالى : "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون".

ومن صور الاقتباس الرائعة في المنظومة :

لا تغتب ولا تسمع غيبة    ففيها وعيد شديد أتى

فغيبة من أنت تغتابه    كأكلك من لحمه ميتا

فإنه يقتبس من الآية الكريمة : "ولا يغتب بعضكم بعضا. أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه".

تتميز القصيدة بكونها من الآثار الشعرية المغناة، ويبدو أن إنشادها كان يجري على طريقة أداء الملحون في مراحله الأولى، وهي طريقة أقرب إلى التلاوة والإلقاء منها إلى التلحين المنغم، وتعرف بالسرادة ؛ ثم حدث في السنوات الأخيرة أن تناولها جوق الإذاعة الوطنية للموسيقى الأندلسية بشيء من الصناعة والتلحين، ومنذئذ أصبحت أجواق الآلة تتغنى بها في المناسبات العامة، وكأنها جزء من التراث الغنائي الأندلسي.

يقوم لحن الفياشية - كما سجلها جوق الإذاعة الوطنية - على طبع الاستهلال، وهو شبيه بمقام العجم الشرقي، ومقام دو الكبير حسب المصطلح الغربي.

أما إيقاع المقطوعة فهو رباعي على ميزان الدرج في الآلة الأندلسية، وحركته متوسطة على امتداد أبيات القصيدة، لا يسبقها بطء الموسع ولا يعقبها الانصراف السريع.

ولا مكان للشغل في إنشاد أبيات الفياشية من قبيل التراتين، وبذلك تختلف عن إنشاد صنعات الموسيقى الأندلسية.

وقد أعاد المرحوم عبد الصادق شقارة في أواخر ثمانينيات القرن السابق تسجيل الفياشية على نفس النموذج المذكور وذلك في إطار نشاط "جمعية مرتع الأذواق لشباب زاوية الحراق" التي أنشأها بتطوان عام 1988.

ومن جهة أخرى فقد أصدرت كتابة الدولة المكلفة بالثقافة - في إطار الاهتمام بالتراث الموسيقي المغربي - تسجيلا ضم ثلاثة أشرطة يحتوي ثانيها على الفياشية بأداء مجموعة من المادحين والمسمعين تحت إشراف الشيخ سيدي عبد اللطيف بنمصور.

ومما حوته الأشعار المرفقة بالأشرطة حديث إذاعي سبق أن سجلته الإذاعة الوطنية في تونبر 1967 مع الأستاذ بنمنصور جاء فيه أن الفياشية من نظم الولي الصالح عثمان بن يحيى الشرفي الشهير بسيدي بهلول الذي عاش بفاس على عهد السلطان المولى سليمان، وتوفي بها ودفن بمقبرة"سيدي العربي المعافري"، وحسب بنمنصور فإن ناظم القصيدة هو الشرفي بالفاء وليس الشرقي، وحجته على ذلك أنها مذيلة بتوقيع صاحبها على طريقة أهل الملحون، وذلك عند قوله في ختامها :

كما يحيى الشرفي المبدا سيدي عثمان  نقلق من رزقي لاش والخالق يرزقني

غير أن كلام الأستاذ بنمنصور يبقى في حاجة إلى مرجعية موثوقة يستند إليها، خاصة وأن بعض الكنانيش المتداولة بين الناس أثبتت على وجه غلافها نسبة القصيدة إلى الشرقي بحرف القاف، فضلا عن أنها تسوق البيت المستشهد به على نحو مغاير هو الآتي :

عمل يحيى الشرقي سبع اسد عثمان

نقلق من رزقي لاش والخالق يرزقني

وفي ذلك ما قد يفيد أن نظم الفاشية عمل يبعث الحياة في الشرفاء.

يأتي عمل بنمنصور في سياق اجتهاداته بخصوص مستعملات المديح والسماع، وبذلك فقد أخضع إنشاد أقسام الفياشية لسبعة طبوع هي على التوالي : رمل الماية - الأصبهان - الحجاز الكبير - الحصار - الرصد - العشاق - عرق العجم.

تتخلل أقسام القصيدة مواويل ومقطعات شعرية مختارة من بين مستعملات الزاوية المغربية، ويجري إنشادها على ألحان هذه المستعملات، وبذلك جانب بنمنصور العمل بوحدة الطبع في إنشاد الفياشية.

ع. المجيد بوكاري، *معلمة المغرب*، ج. 16، سلا،1423 - 2000، ص. 5351 - 5352 ؛ ع. الجراري، *القصيدة*، ص. 82، 597 - 598، 601 - 602 ؛ كتابة الدولة المكلفة بالثقافة، *المنفرجة والفياشية*، دار المناهل، الرباط، 1418، ص. 34 - 37 ؛ الشريط رقم 2 رمضان 1418 ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، *معلمة المغرب*، ج. 16، سلا، 1423 - 2000، ص. 5393 - 5397 ؛ *القصيدة الفياشية للولي الصالح سيدي بهلول الشرقي*، دار إحياء العلوم، الدار البيضاء، دون تاريخ.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الـفيجل**، أو حشيشة الحن أو الروتا أو أورمي أو شجرة الريح أسماء تطلق على عدد من النباتات البرية لفصيلة السذابيات Rutaceae الشاملة لجنس سيتروس Citrus (انظر "الحوامض" و"رنج" و"ترنج" و"ليم" و"ليمون") والممثلة بجنسين نباتيين طبيعيين بالمغرب وهما هابلوفيلوم Haplophyllum وروتا Ruta. ومن أنواع روتا بالمغرب نذكر روتا مونتانا Ruta montana وروتا گرافيولينس Ruta graveolens وروتاكالوبينزيس Ruta chalepensis.

وأنواع الفيجل أعشاب معمرة كريهة الرائحة بالنسبة لبعض الناس، ذات أوراق مجزأة. جلها نباتات سامة.

يصادف بعض أنواعها في المناطق الرطبة الجبلية وبعضها في المناطق الجافة وشبه الجافة، وبعضها في المناطق الصحراوية...

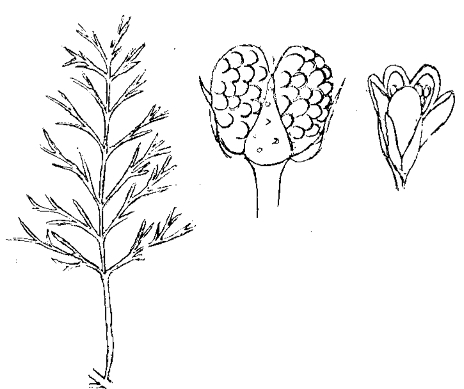

تستعمل أنواع الفيجل أو الروتا في التنجيم والتطبيب التقليدي للتداوي ضد أمراض البرص والروماتيزم والجهاز الهضمي والجهاز السمعي وكذلك للاجهاض عند الحوامل.

وينتج أحيانا عن محاولة القيام بهذه العملية بعض التسممات التي تؤدي إلى الوفيات في حالة تجاوز القدر اللازم. كما يحدث عند بعض الناس انتفاخات جلدية متعفنة وذلك عند تلمسها بأي منطقة من جلد البشر.

ونظراً لتعدد وقدم هذه الاستعمالات، ذكرت هذه الأنواع من طرف ابن ابيطار والوزير الغساني وعبد الرزاق وفي "عمدة الطبيب" و"تحفة الأحباب".

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p. ; A. Benabid, *Flore et Ecosystèmes du Maroc. Evaluation et préservation de la biodiversité*. Ibis Press, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**الـفيربيكاي** أو الويربيكاي، يحدد بطليموس مواطنهم بين الميطاگونيط في الشمال والسالينسي (نسبة إلى سلا ونهر سلا وهو الذي يحمل حاليا اسم بورگراگ) والكاوني في الجنوب، وليس من المستبعد أن تكون للفيربيكاي علاقة بمدينة فوبريكس أو بيريكس التي حدد بطليموس إحداثياتها على الشكل التالي : 9,30° و34,15°، يعني عند خط طول موقع تموسيدا مع الاتجاه قليلا نحو الشرق أو شمال شرق وليلي. ومع ذلك فمن الصعب تحديد موقع هذه المدينة التي قد تكون، نظرا للتشابه الموجود بينها وبين اسم القبيلة، أهم مدينة لدى الفيربيكاي.

أما بالنسبة لمواطن الفيربيكاي، فإشارة بطليموس تدفعنا إلى وضع مواطنهم في سهل الغرب حوالي المجرى الأوسط لنهر سبو، وغرب قبيلة القيرڤ (الوريوري) التي تستوطن ورغة. ويبدو أن كلمتي الفيربيكاي والقيرڤ تشيران إلى وجود تشابه بينهما، وبالتالي تقارب بين القبيلتين. فهل هما تحريفان لاسم قبيلة واحدة، أم أنهما قبيلتان مستقلتان لا رابط بينهما إلا القرابة الجغرافية فقط ؟

وفيما يتعلق بالفيربيكاي، أفلا يمكن الربط بينها وبين قبيلة أوربة التي كانت تستقر في القرن التاسع الميلادي بكتلة جبل زرهون ووليلي ؟ والتي التجأ إليها إدريس بن عبد الله مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب. كما يلاحظ وجود آثار لاسم أوربة وفيربيكاي في اسم قبيلة أيت أوريبل إحدى القبائل القوية في اتحادية زمور بالخميسات، والتي لا يزال أبناؤها يعتقدون بأنهم منحدرون من قبيلة أوربة التي استقبلت إدريس الأول وتزوج منها.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ، ترجمة من الفرنسية محمد حجي والأخضر غزال، ط. 2، 1989، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج. 1؛ ابن خلدون، *تاريخ العرب والبربر*، ط. 2، بيروت، م. 6 ؛ م. أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية بين المور والرومان في موريطانيا الطنجية ما بين 140 و285 م*، د.د.ع. كلية الآداب، الرباط، 1980 ؛ م. مقدون، *قبيلة المكنيتيين من خلال النقائش والنصوص الإغريقية واللاتينية*، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب، مكناس، 1988، ص. 149-157 ؛ أبو عبد الله البكري، *كتاب المسالك والممالك*، قرطاج، 1992.

Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 1-64, 1ère partie (L'Afrique du Nord), Texte établit, traduit et commenté par J. Desanges, Paris, 1980 ; Pachet Maguerite, *Rome et les berbères*, Collection Latomus, n° 110, Bruxelles, 1970 ; Roget Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Rabat, 1924 ; *Index de topographie antique du Maroc*, Publications du service des antiquités du Maroc, Fasc. 8, Paris, 1938 ; Ptolémée, *Géographie*, ed. C. Muller, 1901, V, 1 - 5, p. 585 et p. 587 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 volumes , 1913 - 1928 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, 1962.

**الـقيرڤ**، يشير إليهم الجغرافي بطليموس مرتين في نفس الفقرة، يضعهم في المرة الأولى جنوب السوكوسي، وفي المرة الثانية شمال الوليليين. وقد يعني هذا أن مواطنهم تمتد بين مواطن السوكوسي على البحر الأبيض المتوسط، وبين مواطن الوليليين (نسبة إلى وليلي). وهذا التحديد جعل بعض المؤرخين، وعلى رأسهم ديزانج، يربط بين كلمة القيرڤ (الوريوري) ونهر ورغة. ونظرا لما ذكره بطليموس وما ذهب إليه ديزانج، فليس من المستبعد أن تكون مواطنهم حوالي ضفاف نهر ورغة الذي ينبع من جبال الريف وهو الرافد الأيمن لنهر سبو.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي والأخضر غزال، ط. 2، 1989، بيروت، ج. 1 ؛ ابن خلدون، *تاريخ العرب والبربر*، ط. 2، بيروت، م. 6 ؛ م. أعشي، العلاقات السياسية والعسكرية بين المور والرومان في موريطانيا الطنجية ما بين 140 و285 م، د.د.ع. كلية الآداب، الرباط، 1980 ؛ م. مقدون، *قبيلة المكنيتيين من خلال النقائش والنصوص الإغريقية واللاتينية*، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب، مكناس، 1988، ص. 149 - 157 ؛ أبو عبد الله البكري، *كتاب المسالك والممالك*، قرطاج، 1992.

Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 1-64, 1ère partie (L'Afrique du Nord), Texte établit, traduit et commenté par J. Desanges, Paris, 1980 ; Pachet Maguerite, *Rome et les berbères*, Collection Latomus, n° 110, Bruxelles, 1970 ; Roget Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Rabat, 1924 ; *Index de topographie antique du Maroc*, Publications du service des antiquités du Maroc, Fasc. 8, Paris, 1938 ; Ptolémée, *Géographie*, éd. C. Muller, 1901, V, 1 - 5, p. 585 et p. 587 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 volumes , 1913 - 1928 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, 1962.

مصطفى أعشي

**الـ فيرنيسور، محمد** بن **المكي**، أحد شهداء الاستقلال الذين أعدموا بسجن العادر الواقع بين مدينتي الجديدة وأزمور. ولد بمدينة الدار البيضاء سنة 1933 في أسرة حريزية الأصل. لا نعلم عن طفولته ودراسته شيئا، وربما اشتغل في سن مبكرة من عمره في صناعة الأثاث، وخاصة طلاء الخشب بالبرنيق "فرنيسور". كما أننا لا نعلم شيئا عن ظروف انخراطه في العمل الوطني، إلا أنه كان من السباقين إلى حمل السلاح ضد الاستعمار، حيث انتمى إلى تشكيلة اليد السوداء الديمقراطية بالمدينة الجديدة في الدار البيضاء، واشتغل فيها تحت إمرة أحمد دادون بعد نفي السلطان ابن يوسف.

استعمل السلاح الأبيض في العمليتين الفدائيتين اللتين قام بهما في ظرف وجيز لم يتعد أسبوعا، وكان الهدف غنم السلاح الناري :

1) العملية الأولى يوم 20 أكتوبر 1953 ضد روني موت René Moutte حارس الأمن الملحق بإدارة الشؤون الحضرية : جرت العملية بمشاركة محمد بن جلون الملقب "ولد البوليس" عند ملتقى زنقة هو بايي Haut Bailly وزنقة سولاك Soulac (بين طريق مديونة والسجن المدني). فقد باغث الفدائيان الشرطي الفرنسي عند وصوله على دراجته النارية حوالي الساعة التاسعة والنصف ليلا، وهاجماه قبل أن يطعنه أحدهما ("الفرنيسور") بخنجره في أعلى منكبه الأيمن فيصيبه بجرح بليغ. خارت قوى الشرطي فانهار أرضا أمام دكان بقال مغربي حاول إنقاذه. وقد تمكن الفدائيان من الفرار، قبل أن يتدخل مفتش شرطة لتقديم الإسعافات الأولية له ونقله على جناح السرعة إلى مستشفى جول كولومباني وعلاج الثقب الذي أحدثه الطعن في رئته اليسرى والإصابة البسيطة في أسفل ترقوته. وصفت الصحافة الفرنسية حالته بالخطورة، على الرغم من تحسنها الطفيف، ومع ذلك تمكن من تقديم أوصاف المهاجمين، من مثل ارتداء الطاعن جلبابا أبيض وتلثمه بنقاب أبيض أيضا.

2) العملية الثانية يوم 25 أكتوبر 1953 ضد تيزي حدو حارس الأمن المغربي : جرت هذه العملية غير بعيد من موقع العملية الأولى وبالضبط في طريق مديونة. تختلف الروايات حول ظروف العملية. فحسب ما ورد في شهادة لأحد المساهمين في العملية مقيدة في ملف المترجم بالمندوبية السامية "هجمنا على الشرطي طريق مديونة طلبنا منه السلاح فخرج (فأخرج) الشرطي مسدسه وبدأ يضرب الرصاص فضربه الشهيد محمد بن المكي إلى رقبته...". أما الصحافة الفرنسية، فتحدثت عن انقضاض ثلاثة أفراد على الشرطي المغربي أثناء عودته من عمله إلى بيته في حي عين الشق وعن "غرز أحد القتلة سكينه في ظهره أصاب أعلى رئته اليمنى مما أدى إلى انهياره. ومع ذلك، تمكن الشرطي من سل مسدسه... وإفراغ ما فيه من رصاص نحو المهاجم"، فأصاب محمد بن لحسن (أحد شريكي المترجم في العملية) في فخذه. فلاذ الفدائيون الثلاثة بالفرار، دون أن يسحبوا دراجتهم.

كانت إصابة محمد بن لحسن قاتلة، لسبب تأخر علاجه وتأخر نزع الرصاصة من فخذه، في حين انكبت "فرقة محاربة الإرهاب" على التحقيق في الحادثة، بالاعتماد على الدراجة، فاتصلوا بباعة الدراجات ومؤجريها في المدينة. وقد أفضى التحقيق إلى التعرف على هوية "الفرنيسور" الذي لم يتأخر في الاعتراف بضلوعه في ضرب الشرطي الفرنسي، بعد اعتقاله يوم 27 نوفمبر 1953 واقتياده إلى كوميسارية المعاريف وتعذيبه. وفي الوقت نفسه، أثارت وفاة رفيقه المشبوهة بحث الشرطة التي توصلت إلى أصلها.

وجهت إليه تهمة "تكوين عصابة مجرمين ومحاولة القتل العمد لحارسين للأمن والتهديد بالقتل"، وأودع بالسجن المدني المعروف في الدار البيضاء باسم "حبس اغبيلة"، قبل أن تصدر المحكمة العسكرية الدائمة للقوات المسلحة بالدار البيضاء يوم 4 ماي 1954 الحكم عليه بالإعدام، بينما حكمت على محمد بن جلون بالسجن خمس سنوات مع وقف التنفيذ. وتقدم دفاعه بطلب الاستئناف إلى المحكمة الدائمة للنقض التابعة للقوات المسلحة بالجزائر، لكن هذه الهيئة قررت يوم 18 ماي 1954 تأكيد الحكم الابتدائي. ولعل صاحب الترجمة لم يستفد من طلب العفو الذي تقدم به دفاعه إلى روني كوتي René Coty رئيس الجمهورية الفرنسية، فتم سوقه إلى سجن العادر لإعدامه على الساعة الثامنة إلا ربعا من صبيحة يوم 9 دجنبر 1954.

*بطاقة الشهيد محمد بطالي* (الفرنيسور)، رقم 526004، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط ؛ *ملف عن سجن العاذر*، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط ؛ *ملخصات عن حياة وكفاح شهداء الاستقلال*، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، ج. 1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط. 2، ص. 35 ؛ *المقاومة*

وجيش التحرير سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال الوثيقة الأولى، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، مطبعة الرسالة، الرباط، ط. 2، دون تاريخ (1984) ؟، ص. 113 - 114 و115 - 116 و131 ؛ *المقاومة وجيش التحرير سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال الوثيقة الثانية*، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، مطبعة الأنباء، الرباط، رمضان 1404 / يونيو 1984، ص. 93 و292 ؛ *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع. 51، يونيو 1998، ص. 70 ؛ *جريدة التحرير*، 18 - 6 - 1959.

*Le Petit marocain*, 21-10-1953, 22-10-1953, 26-10-1953 et 27-10-1953.

نجيب تقي

**فيسجيربير** (الدكتور) Dr. Fritz Weisgerber طبيب وصحافي فرنسي من مواليد 1868 بمنطقة الألزاس. تخرج طبيبا من جامعة ستراسبورغ سنة 1892، ومارس مهنته في باريس ولندن وجاوا وسومطرا قبل أن يحل بالمغرب أواخر 1896 ليستقر بالدار البيضاء. وخلال سنتي 1897 - 1898، شارك في بعض الحركات المخزنية في ورديغة والشاوية ودكالة والرحامنة بصفته طبيب الصدر الأعظم أحمد بن موسى. وتوفرت له بعد ذلك فرص التعرف على مناطق مغربية أخرى سجل ملاحظاته وخواطره عنها في بعض المجلات الفرنسية مثل L'Illustration، وكذا في كتاب صدر له تحت عنوان: "Trois mois de campagne au Maroc".

وخلال سنوات 1902 - 1906 قام برحلات إلى الشرق الأقصى. وأثناء احتلال الشاوية وضع فيسجيربير تجربته المغربية رهن إشارة الحكومة الفرنسية، وذلك بتزويدها بالمعلومات والخرائط المتوفرة لديه عن المنطقة. وفي العام 1909 حل بالمغرب من جديد مراسلا لجريدة Le temps. ولم يكتف فيسجيربير بمهمة الصحافي، بل تجاوزها، بفضل معرفته باللغة العربية وبعادات المغاربة، ليسدي خدمات غالية للقوات الغازية إبان المفاوضات والمناورات التي أدت إلى فرض الحماية على المغرب سنة 1912. وهو الشيء الذي مهد السبيل لكي توكل إليه بعد ذلك مهام في إطار المراقبة المدنية في منطقتين كان يعرف شعابها جيدا وهما الشاوية ودكالة، وهي مسؤوليات تقلدها حتى أحيل على التقاعد في فاتح أبريل 1926.

وتختزن كتابات فيسجيربير معلومات بالغة الأهمية فيما يتعلق بحالة المغرب وساكنته وتطوره منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين. ولعل أهمها جميعا كتابه المعنون "*على عتبة المغرب الحديث*" 1947 والذي هو خليط بين التأريخ والسيرة الذاتية، نشرت طبعته الأولى شهوراً قليلة بعد أن رحل الدكتور فيسجيربير إلى مثواه الأخير في دجنبر 1946.

La disparition du Dr. Weisgerber, un grand français, in *Bulletin d'Information du Maroc, n° 1, 15 janvier 1947*, p. 116-122 ; Dr. F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc Moderne*, Ed. La Porte, Rabat, 1947.

جامع بيضا

**فيكوس** Ficus، جنس نباتي من فصيلة التينيات أو التوتيات Moraceae، ممثل في المغرب بنوع طبيعي واحد وهو التين أو فيكوس كاريكا Ficus carica (انظر التين) وعدة أنواع أخرى دخيلة استوردت من المناطق المدارية الأسيوية.

ومن بين هذه الأنواع نذكر :

- فيكوس نيتيدا أو ريتوزا Ficus retusa (= F. nitida) وهو النوع الشائع كشجرة تزيين الشوارع الرئيسية بالمدن المغربية كشوارع محمد الخامس في الرباط أمام فندق باليما وبمحيط مسجد السنة، وفي القنيطرة ومكناس، والدار البيضاء وغيرها. وتجدر الإشارة إلى أن التصنيف وضعها في نفس الجنس مع التين لأن أزهارها وثمارها متشابهة ولكن في حجم صغير يقارب حجم الجلبانة وغير صالحة للأكل من طرف الإنسان.

- فيكوس إلاستيكا Ficus elastica أو الفيكوس المطاطي لأنه وعدة أنواع أخرى من هذا الجنس تعطي بواسطة عصارتها المستخرجة من لحائها مادة المطاط يتميز هذا النوع بحجم أوراقه الكبيرة، وباستعماله كشجرة زينة في الحدائق الخاصة والعمومية.

*استطلاعات ميدانية وأبحاث شخصية.*

عبد المالك بنعبيد

**فيلالة**، يطلق اللفظ على أهل تافيلالت عموما وعلى الأشراف العلويين باعتبارهم ينحدرون من المنطقة. ويجدر التنبيه إلى ضرورة التمييز بين المعنى الجغرافي الأصلي للفظة تافيلالت والمعنى الإداري الذي اشتهرت به المنطقة والذي يشمل إقليم الراشدية الحالي. فتافيلالت التاريخية يقصد بها الواحة المحيطة بمدينة سجلماسة الأثرية ومدينة الريصاني الحالية، تحدها شمالا واحة تيزيمي المحيطة بمدينة أرفود ووادي غريس غربا ووادي أمربوح شرقا وهوامش الكتلة القديمة القاحلة جنوبا، وتشمل تافيلالت مجموعة من المقاطعات مثل السفالات والغرفة ووادي إيفلي وتانيجوت، وفي كل مقاطعة توجد العديد من القصور.

ولفظ تافيلالت أمازيغي يعني منخفضا من الأرض تحيط به الجبال، والعارف بالمنطقة يقف على أن الواحة تشكل

حوضا يلتقي فيه واديا زيز وغريس مكونين سهلا رسوبيا تحيط به مرتفعات جبلية من الجنوب والغرب أهمها جبل واوْفيلالْتْ تنتمي كلها للكتلة القديمة، وأعراف الحمادة من الشرق والشمال، مما يفند ما تواتر في بعض الكتابات المعتمدة على الرواية الشفوية المعولة بدورها على اشتقاقات وتخريجات لغوية عربية تحيل على قصة عدم و فاء أهل المنطقة بما تعاقدوا عليه مع الأشراف العلويين.

ومن ثم فإن فيلالة أو الفيلاليون هو الاسم الذي يطلقه سكان الواحات المحيطة بتافيلالت على سكان قصور هذه الواحة حسب التحديد السالف الذكر، إذ لا يشمل مثلا أهل تيزيمي المجاورين لهم شمالا. ومع قيام الدولة العلوية وإعادة توحيد سلاطينها الأولين للمغرب، اشتهروا بالفيلاليين أو فيلالة نسبة للمنطقة التي انطلقوا منها، تمييزا لهم عن الأشراف الآخرين القاطنين بجهات أخرى من البلاد.

ويشتهر الفلاليون - أي سكان تافيلالت - بتقاليدهم الزراعية العريقة ومهارتهم التجارية، بحيث برعوا في تقنيات الفلاحة الواحية المتميزة بتدبير محكم للثروة المائية في وسط شحيح من حيث هذه المادة، وتزخر كتب التاريخ بمعطيات تشهد بثروة تافيلالت الزراعية خصوصا تمورها الجيدة ومختلف المنتوجات التي تجود بها أرض تافيلالت. أما تقاليدهم التجارية فلعل شهرة سجلماسة تكفي عناء البرهنة عنها، إذ اكتسبوا مهارة بفضل الدور الذي لعبته منطقتهم في المبادلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي، ولازالوا إلى اليوم يقومون بنفس الدور جهويا حيث يلتئم سوق الريصاني ثلاثة أيام في الأسبوع يحج إليه مختلف سكان المناطق المحيطة بالواحة للتزود بمختلف حاجياتهم.

حسن حافظي علوي، *سجلماسة وأقليمها*، المحمدية، 1997، ص. 90.

محمد بوكبوط

**الـفيلالي، أحمد** أبو **العباس**، أحد الصلحاء المعروفين بغمارة في بداية القرن الحادي عشر الهجري. قضى مدة طويلة في تلقي العلوم الدينية وأخذ عن شيخه الغازي بن علي بن عبد الله.

كان له دور هام في تلقين دروس التربية الصوفية بمسجد تيزي عدنيت ببني سعيد الريفية. حل بالمكان قبل 996، وحظي بعناية أسرة عيسى بن محمد بن يحيى البطوئي صاحب كتاب *مطلب الفوز والفلاح*. وكان مقامه هناك إلى ما بعد 1.000 مناسبة لتوافد مجموعة من الطلبة من بني سعيد، وبني أوليشك وبني توزين وبقيوة. منهم أحمد بن إبراهيم الرامي (ت.1039) وأحمد بن جعفر السوسي، وعلي بن قاسم الجريري التوزيني، وعيسى بن محمد البطوئي. وقد حفظ عنه تلميذه البطوئي ستة أبيات قالها في ذم الدنيا :

| | |
|---|---|
| تباً لطالب دنيا لابقاء لهــــا | كأنها في تصرفاتها حلـم |
| صفاؤها كدر وشرها كــــدر | أمانها غدر أنوارها ظلـم |
| شبابها هرم صحتها سقـــم | لذاتها ندم وجدانها عـدم |
| لا يستفيد من الانكاد صاحبها | ولو تملك ما قد جمعت إرم |
| تخل عنها ولا تركن لزهرتهــا | فإنها نعم باطنها نقـــم |
| واعمل لدار نعيم لا نفاد لهــا | ولا يخاف بها موت ولا هرم |

انتقل في بداية القرن الحادي عشر الهجري إلى بني بوزرة بغمارة حيث توفي بها ما بين بني سلمات وبني حميد.

عيسى بن محمد بن يحيى البطوئي، *مطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح*، مخطوط بالخزانة الحسنية، وبالخزانة العامة.

حسن الفكيكي

**الـفيلالي، أحمد** بن **محمد** بن عبد الملك الأنصاري، ولد في زمن غير معروف من القرن (11 هـ / 17م) بأحد قصور سجلماسة، فلما شب التحق بزاوية تامكَروت لإتمام تعليمه على يد علماء الزاوية الناصرية، وبعد أخذه لقسط من العلم مالت نفسه إلى التبحر في علم القراءات، فلازم الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن منصور حتى تخرج عليه.

كان أحمد الفيلالي يقرض الشعر، ويتمتع بحافظة قوية، يستحضر الآيات القرآنية كأنه يقرأها في مصحف شريف، ومن أشهر مؤلفاته "*سمط الجمان في قراءة السبعة النعمان*" وتذييل على الوسيلة للشيخ مَحمد بن ناصر. بالإضافة إلى مقطعات شعرية في مدح آل بناصر.

توفي أحمد الفيلالي سنة 1135، ودفن بمقبرة الأشياخ بزاوية تامكَروت الناصرية.

محمد المكي بن موسى الناصري، *الدرر المرصعة*.

أحمد البوزيدي

**الـفيلالي، اسويلم** ولد سنة 1914 بآسا إقليم كلميم. ولاسترجاع ما تبقى من تراب البلاد في يد المستعمر انخرط اسويلم الفيلالي في صفوف جيش التحرير سنة 1956 بالمقاطعة السابعة بقيادة آيدا ولد التامك.

وقد كان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله معروفا بغيرته الوطنية شارك في عدة معارك كمعركة أم لعشار ووادي الصفا بناحية الساقية الحمراء التي استشهد فيها سنة 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 509915.

**الـفيلالي، محمد** بن **سعيد** بن اليسع الرباطي، كان نقادة في الفقه ومن قادة الفقهاء في وقته، لازم الإفتاء بالرباط نحو العشرين سنة وكانت فتواه مطلوبة ولها نفوذ تام بالعدوتين وغيرهما. ويقول بوجندار : أخبرني صاحبنا أبو عبد الله الدكالي أنه عثر بسلا على عدة فتاو من فتاويه كلها في غاية التحرير والتحبير، ومما قيدته عنه منقولا من كناشة بعض المؤرخين الرباطيين أن القاضي الفيلالي المترجم والقاضي عبد الله البناني والقاضي محمد الغربي كانوا

جميعا يتناوبون قضاء الرباط واحدا بعد واحد، لكل واحد منهم ثلاثة أشهر، ثم يتنازل للآخر وهلم جرا، ثم يضيف قائلا : ورأيت من كلام الضعيف الرباطي ما يفيد أن صاحب الترجمة في بعض ولاياته على الرباط إنما بقي نحو الشهرين فقط، وذلك بعد إعفاء القاضي الغربي، ولي أواخر جمادى الثانية وعزل أوائل رمضان من عام أربعة عشر ومائتين وألف. أما تاريخ وفاته فلم أقف عليه بعد البحث.

م. بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

محمد الشياظمي

**الفيلالي، محمد المكي** بن الخَضِر الفيلالي الفقيه العلامة أصله من قصر گاوز بتافيلالت في دائرة الريصاني الحالية، لا نعرف أي شيء عن ميلاده ومراحل تكوينه، إلا أن شهرته العلمية جعلت السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام يعينه قاضيا على واحتي مزگيطة وتينزولين سنة 1260 وقد أسند له السلطان "في تصفح الرسوم وفصل الخصوم والحكم بمشهور مذهب إمامنا مالك".

وقد نزل مكي بن الخضر الفيلالي بقصبة تامنوگالت بواحة مزگيطة إلى جانب القائد التمنوگالي، ويذكر الفقيه محمد بن لحبيب التمنوگالي أن القاضي المكي بن الخضر الفيلالي، سار في خطته سيرة الصالحين. وعلى عادة القضاة بوادي درعة، كان الفقيه بن الخضر الفيلالي يتصدر للتدريس بين العشاءين بمسجد قصبة تامنوگالت حيث كان يلقي دروساً في الفقه والحديث النبوي، وقد أخذ عنه جم غفير من علماء واحة مزگيطة، وظل يمارس القضاء والتدريس.

توفي بقصبة تامنوگالت في زمن غير معروف عام 1270.

محمد بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*، مخطوط خاص ؛ *رواية شفوية* ؛ وثائق محلية من توقيع الفقيه ابن الخضر الفيلالي.

**الفيلالي، المدني** بن **مبارك** (المدرس)، ولد بقصر الغرفة بواحة تافيلالت في زمن غير معروف من النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري. أخذ القرآن الكريم عن بني قومه بالغرفة، وبعد اتقانه لحفظ كتاب الله وتجويده بحرف ورش تطلع إلى إتمام تعليمه، فتوجه إلى فاس، فنزل بإحدى المدارس يقرأ بها، ويمكن أن نفهم من هذه الإشارة أن الفيلالي المدني بن مبارك لم يتمكن من الالتحاق بجامع القرويين لسبب من الأسباب، واكتفى بأخذ العلم عن أحد الفقهاء الذين كانوا يتطوعون لإلقاء بعض الدروس في هذا المسجد أو ذاك من مدينة فاس. ولعل ما يؤكد ما ذهبنا إليه أنه لما أسند إليه منصب القضاء بالقصبة من مراكش خلفا للقاضي محمد بن العربي الحاجي الدرعي، لم تكن له معرفة بالأحكام على حد تعبير صاحب *الإعلام*.

ولما قرر المخزن العزيزي، إرسال وفد عنه إلى الصحراء المغربية سنة 1323 برئاسة الشريف مولاي إدريس كان المدني بن مبارك الفيلالي كاتبا ضمن رجال الوفد المخزني.

توفي الفيلالي المدني بن مبارك بالصحراء سنة 1324.

العباس إبراهيم، *الإعلام*، ج 7 ؛ م. السوسي، *المعسول*، ج 4 ؛ ابن عزوز حكيم، *السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية*، ج 1.

أحمد البوزيدي

**الفيلالي، منصور**، قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان مولاي عبد الملك وقد ذكره كل من الفشتالي في مناهل الصفا والطبيب اليهودي الذي كان يعالج السلطان المذكور وقالا أنه كان من بين قواد جيش السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا*، تح. كريم، الرباط، 1972، ص. 137.

Medico Judio, Carta a su (*S.I.H.M.* , t. I, p. 312-321).

محمد ابن عزوز حكيم

**الفيلالية** (مدرسة مرينية بمكناس) أكبر المدارس المرينية بمدينة مكناس أسسها أبو يوسف يعقوب المريني (1258 - 1286)، وكانت تسمى آنذاك بمدرسة الشهود لأن سماطهم قديما كان مجاوراً لها، ثم بمدرسة القاضي لأن القاضي أبا الحسن بن عطية الونشريسي كان يدرس بها، أما تسميتها بالفيلالية فجاء نتيجة لسكنى طلبة فيلالة بها.

تقع قبلة باب الحجر أحد أبواب الجامع الكبير، وتبلغ مساحتها 433 م$^2$، بها قاعة للصلاة يقال لها قبة المدرسة يبلغ طولها 9,2م وعرضها 4,2م، وأمام القبة صحن مساحته 102م تقريبا (8,7 x 11,7) في وسطه بركة ماء من الرخام الأبيض وعلى جانبيه مباحان، وفي غربه دار للوضوء بها سقاية.

ويشمل الطابق الأرضي إضافة إلى ما ذكر اثنان وعشرون غرفة للطلبة تتراوح مساحة كل منها بين 3 و7 أمتار ؛ أما الطابق الأول فيضم 17 غرفة محمولة على الغرف السفلى، وتعلو الصحن حلقة تحيط بها مقربصات خشبية جميلة الصنع فوقها مظلل مكسو بالقرميد الأخضر الجميل، وللمدرسة باب واحد قبالة باب الحجر يعلوه مظلل مكسو بحلة من خضراء القرميد. وقد جددها المولى إسماعيل (1672 - 1727) وأصلح ما حل بها من تخريب بدليل ما هو منقوش على جدارها الشرقي في زليج أخضر على صورة محراب قبالة الداخل إليها ومما جاء فيه :

تأنق في البنيان والوشي صانعي ... أنا منزل القراء حزت بذا فخـرا
عن أمير المومنين الذي سمـا ... بنسبته للمصطفى وعلا قـدرا
أبي النصر إسماعيل كمل بهجتي ... بناظره السهلي قد سهل الامـرا
وكملت عام الألف مائـة وورد ... ثلاثين شهر المولد أحبب به شهـرا

تعرضت المدرسة بعد ذلك للاهمال والتخريب وتوقفت عن

أداء مهمتها التعليمية، وأصبحت اليوم ناديا نسويا تابعا للتعاون الوطني.

ابن غازي، *الروض الهتون*، ص. 36 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 329 ؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس*، ج 1، ص. 234.

رقية بلمقدم

**ڤينوس** Venus ، تعتبر من الآلهة التي حظيت بمكانة هامة سواء في روما أو في الولايات الرومانية. فهي وريثة أفروديت الإغريقية وتينوس جبل إريكس بصقلية وعشتارت الفينيقية ـ البونية.

إنها ربة الخصوبة، وربة بحرية وجهنمية وأحيانا أخرى ربة تجارية. احتلت عبادتها مكانة متميزة في شمال إفريقيا ويبدو أنها وجدت مجالا خصبا في ميدان النحث والفسيفساء حيث عثر على عدد كبير من التماثيل التي تجسدها وخاصة في موريطانيا ـ ففي قيصرية عثر على عشر تماثيل اعتبرت تقليدا للتماثيل الهيلينية التي انجزها كبار النحاث الاغريق أمثال Cnide de Praxitèle وLysippe، كما جسدت في تماثيل اكتشفت في كل من وليلي، بناصا وتموسيدا هذا إضافة إلى الفسيفساء التي عرفت هي الأخرى حضوراً متميزاً للربة فينوس (فسيفساء بناصا، وليلي ولكسوس).

أما من خلال النقائش، فيبدو من دراستها أن الربة قدست تحت أشكال مختلفة كما يتجلى من خلال نعوتها وألقابها، فهي المنتصرة (Victrix) والربة الأم (Genetrix) ووليدة جبل إريكس (Erycina) والمقدسة (Augusta)، والمراقبة للعمليات التجارية (Adquisitrix).

وعثر بمدينة قيصرية على نقيشة عبارة عن إهداء تقدم به بروقنصل إفريقيا، گالبا (Galba)، وهو يعبر عن ارتباط سكان هذه المدينة بعبادة فينوس وتشبثهم بمعبودة كانت محبوبة لدى أمرائهم السابقين.

واكتشفت بوليلي نقيشتان على شرف الربة فينوس، إحداها تقدم بها شخص يدعى L. Caecilius Vitalis بمناسبة حصوله على منصب "Sevil" الذي مهمته الإشراف على العبادة الامبراطورية. إنه عبد معتق قدم لهذا الإهداء في إطار خصوصي شأنه في ذلك شأن العديد من المعتقين الذين قدموا إهداءات على شرف ربات أخريات أمثال ديانا، مينرفا وايزيس.

وإجمالا يمكن القول إنه من الصعب تحديد طبيعة هذه المعبوده المعقدة التي اتخذت مظاهر متعددة، وقد أشار إلى هذه الطبيعة والصورة المعقدة المؤرخ أبوليوس (Apuleius) إذ يقول "هي أم قديمة للطبيعة، وأصل العناصر الأولى في السكون (الماء، النار، الهواء، الأرض) وهي مغذيته كذلك، وباختصار هي القوة الكونية التي قدسها معاصروه".

M. Le Glay, Les religions de l'Afrique Romaine au II ap., d'après Apulée et les inscriptions. *Africa Romana*, Atti del I convegno di studi sassari, 1983, p. 47-61 ; Une dédicace à Venus offerte à Calsarea par le futur empereur Galba, *Mélanges Carcopino*, 1966, p. 629-640 ; R. Schilling, La religion romaine de Venus des origines jusqu'au temps d'Auguste, *BEFAR*, 178, Paris, 1954.

عبد العزيز بل الفايدة

**الفينيقيون بالمغرب** من الشعوب السامية القديمة التي كانت تقطن خلال الألف الأول ق. م الشريط الساحلي الذي يشمل حاليا كل لبنان وجزءا من سوريا وفلسطين. وقد تميزت حضارة هذا الشعب بالتجارة البحرية، التي نشطتها وطورتها أهم المدن الفينيقية، مثل صور وصيدا وجبيل وأرواد. غير أن مدينة صور تعد بدون منازع أهم هذه الحواضر وأغناها، والمبادرة الرئيسية في هذه التجارة. كما تعتبر المدينة المسؤولة دون غيرها عن التوسع الفينيقية نحو الحوض المتوسطي، والوصية عن نشأة المستوطنات الفينية في المغرب.

وإذا كانت السّيماء البيّنة لتاريخ الفينيقيين هي توسعاتهم البحرية، فإن أهم نتيجة تمخضت عن هذا التوسع، تمثلت في ربط علاقات تجارية مع العديد من الشعوب المتوسطية، بما فيهم السكان القدامى للمغرب. وفي هذا الصدد، خلّف الفينيقيون العديد من الآثار الدالّة في جهات مختلفة من المغرب، نذكر منها مركز ليكسوس، ومنطقة فحص طنجة، ومدينة شالة، وجزيرة موكادور. كما نضيف مناطق أخرى كشفت مؤخرا عن مخلّفات فينيقية، من بينها منطقة "كشكوش" بوادي لاو، ومنطقة سيدي إدريس بالقرب من الناظور، وربما منطقة "عزيب السلاوي" بإقليم العرائش. علاوة على اكتشاف حطام سفينة فينيقية وحمولتها غرقت في عرض مياه مدينة الفنيدق بشمال المغرب.

صحيح أن ملف الوجود الفينيقي بالمغرب في حاجة إلى دراسة تركيبية حتى نتمكن من إسقاط المعلومات المتوفرة على السواحل المغربية برمتها. غير أن المعطيات المصدرية التي تيسرها النصوص، والنتائج الأركيولوجية المتاحة حاليا حول هذا الوجود في فحص طنجة وليكسوس وجزيرة الصويرة، تمكن من تسطير اللبنات الأولى لتاريخ المغرب خلال الحقبة الفينيقية.

فمنطقة طنجة تعد المنطقة الوحيدة التي كشفت لحد الساعة عن آثار أركيولوجية حول طبيعة الوجود الفينيقي بالمغرب، ونوعية العلاقات التي جمعت السكان المحليين بالتجار الفينيقيين. فقد خلّفت من جهة قبوراً فينيقية، ومن جهة ثانية خلّفت أعداداً كبيرة من المدافن المحلية التي كانت بالقرب منها، تؤرخ جميعها بمرحلة تمتد وقتا غير محدد من القرن الثامن ق. م إلى أواسط القرن السادس ق. م ويتحدد موقع هذه المدافن في شمال غرب شبه الجزيرة الطنجية بمنطقة يحدها من الشرق رأس ملاباطا، ومن الشمال مضيق جبل طارق، ومن الغرب رأس اسبارتيل، ومن الجنوب مستنقعات وادي تهدارت والمهرهر. هذه المدافن، سواء الفينيقية منها

مثل مدفن "رأس أشقار" أو المحتملة أن تكون فينيقية مثل ضريح "المغوغة الصغيرة" ومقبرة "مرشان"، أو المدافن المحلية مثل مقبرة "جبيلة" و"عين الدالية الكبيرة" ودار زهيرو"، احتوت على أعداد كبيرة من مواد التجارة الفينيقية. فعلاوة على بعض الكسرات الخزفية الفينيقية وبيض النعام، كانت هذه المواد تتألف في غالبيتها من الحلي الفينيقية الذهبية والفضية والبرونزية أو المصنوعة من عجين الزجاج الفينيقي، نذكر منها المناجد على شكل الصاع وحلقات الأذن وخزائم الأنف والاختام المطبوعة، ويمكن تبريره بموقع المنطقة في الطريق الملاحية التي فتحها الفينيقيون صوب الساحل الأطلنطي للمغرب، حيث توجد أهم منشأة فينيقية، وهي ليكسوس بالقرب من مدينة العرائش.

وبالفعل تعد ليكسوس أهم مركز مغربي يرتبط في الايستوريوغرافيا القديمة والحديثة ارتباطا وثيقا بالتوسع الفينيقي بصفة عامة، وبالوجود الفينيقي بالمغرب بصفة خاصة، نظرا لتوفره على جميع المقومات والخصوصيات التي تميزت بها المستوطنات التي قام الفينيقيون بتشييدها. فقد وردت أولى المعلومات حول منطقة ليكسوس منذ القرن السادس ق. م مع "هيكاتيوس الميليتي" (Hécatée de Milet). وأورد "سكيلاكس" (Scylax) حرفيا أن ليكسوس كانت مدينة فينيقية . ورغم أن حنون لم يشر إلى مدينة ليكسوس في رحلته، فإن الأوصاف التي ذكرها حول الليكسيين ذوي المعرفة الملاحية والتجارية واللغوية والاثنوغرافية بالساحل الأطلنطي للمغرب، تدفع إلى اعتبار أن المقصود بهم سكان ليكسوس الفينيقين. كما يتبيّن أن ليكسوس كانت تتوفر على منطقة نفوذ خاضعة لها من خلال إشارة "بوليبيوس" (Polybe) إلى "خليج ساكيكي"، وإشارة "استرابون" إلى "خليج الوكالات التجارية الفينيقية". ومن خلال الماضي الميثولوجي لليكسوس الذي عكسه "بلينيوس" (Pline) عبر أسطورة هرقل وأسطورة حدائق الهيسبيريديس،

ومن خلال ذاكرة قدم تأسيس ليكسوس وربطه بتاريخ تأسيس معبد ملقارت في قادس، تتبين الجذور القديمة لليكسوس وبالتالي أصولها الفينيقية.

وإذا كانت المصادر القديمة تتضمن العديد من الإشارات والرموز حول الجذور الفينيقية لليكسوس، فإن مخلفات الفينيقين بها جاءت لتؤكد على قابلية تصديق هذه المصادر. فالخزف الفينيقي ذو البرنيق الأحمر كان موجوداً في ليكسوس بجميع أصنافه المعهودة، كالصحون والجفنات التي تصلح للاكل، والأباريق ذات القرص التي تستعمل لحمل السوائل كزيت الزيتون، والقناديل التي تصلح للانارة. كما أن الجرار المصبوغة المتعددة الألوان من نوع "كروز ديل نيكرو" (Cruz del Negro) ومن نوع pithoi، والتي كانت تستخدم لتخزين البضائع وأيضا لحملها، كانت حاضرة كذلك في ليكسوس، علاوة على الامفورات وثلاثيات الارجل وقارورات العطر الفينيقية. غير أن السكان الفينيقين بليكسوس لم يخلفوا فقط منتوجهم الخزفي، بل تركوا آثارا أخرى غير الخزف، مثل مساكن المستوطنين الفينيقين الأوائل، وبعض المواد النادرة نذكر منها خنفساء مصرية ومغرفة برونزية مستوردة من قبرص.

من خلال هذه المعطيات، وعند مقارنة ليكسوس بأنواع المنشآت الفينيقية فيما وراء البحار، يتبيَّن أنها كانت تجمع من جهة بين عناصر مستوطنة الاستقرار والاستغلال الفلاحي والسمكي والغابوي، ومن جهة أخرى بين عناصر المستوطنة التجارية. فقد كانت تتميز باتساع رقعتها التي ناهزت 12 هكتارا، وبوفرة في أعداد سكانها الذين كانوا يقاربون 2400 نسمة. كما خضعت لمميزات المواقع التي كان يفضلها الفينيقيون للاستقرار، أي بتشييدها في الجهة العليا لتل مرتفع محصّن مطل على بحيرة شاسعة تصلح لرسو المراكب. كما كانت تحظى بمجال محلي غني من الناحية الفلاحية والسمكية والغابوية، موفرا الموارد الضرورية التي تحتاجها الساكنة الفينيقية في الاستهلاك والاستغلال. فمن خلال الدراسة الكاربولوجية (Carpologie)، أي العلم الذي يقوم بدراسة بقايا العناصر الناتجة عن تحول النبات، تبيّن أن السكان الفينيقيين لليكسوس كانوا يمارسون زراعة بورية خفيفة، تعتمد على زراعة نوعين رئيسيين من الحبوب، وهما الشعير والقمح. كما كانوا يزرعون العدس واللوبياء والزيتون. وبفضل الاركيولوجيا - الحيوانية (Archéozoologie)، برزت مكانة تربية الأبقار، باعتبارها أهم المواشي التي كانت تزود سكان المستوطنة الفينيقية باللحوم، وخصوصا لحوم العجول. واستنادا لعلم الاسماك الاركيولوجي (Ichtylogie archéologique) وعلم الرخويات (Malacologie)، تبيّن أن الصيد البحري الممارس خلال المرحلة الفينيقية كان مخصصا للاستهلاك المحلي، ويوحي بأن الصناعات السمكية التي تعتمد خصيصا على التمليح، مثل صناعة الكاروم التي اشتهرت بها ليكسوس، لم تكن

قد تطورت بعد على ضوء بقايا الأسماك المدروسة. ومن خلال علم "الأنطراكولوجيا" (Anthracologie)، أي العلم الذي يدرس بقايا الأخشاب المتفحمة، تبيّن أن جوار ليكوس عرف غابة قوامها البلّوط والفلّين والصنوبريات، كانت توفر للساكنة الفينيقية أنواعا مختلفة من الأخشاب، للاستعمال في البناء والفلاحة والوقود، وربما في صناعة السفن. كما أن تنصيص المصادر القديمة على حضور مؤسسة المعبد في ليكسوس، المتجسدة في معبد ملقارت الذي يرمز إلى المؤسسة المسؤولة في صور عن تنشيط تجارة أعالي البحار، يوحي بأن ليكسوس كانت واحدة من المستوطنات ذات البعد التجاري التي أسستها مدينة صور. وهو البعد الذي يفسِّر بموقعها الاستراتيجي في الطريق الملاحية والتجارية التي أراد الفينيقيون فتحها في اتجاه الجنوب بحثا عن الموارد التي كان يتوفر عليها المغرب القديم، وتنشيطها في التجارة الفينيقية بالساحل الاطلنطي للمغرب، كتجارة المعادن وتجارة العاج والخمور والجلود.

واستنادا للدينامية الداخلية لتاريخ الفينيقيين، التي لم تكن تسمح قبل القرن التاسع ق. م بحدوث ظاهرة التوسع البحري بتبعاته الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية، وتبعا للمعطيات الاركيولوجية المتوفرة، يتضح أن تأسيس ليكسوس حدث في نهاية القرن التاسع ق. م أو بداية القرن الثامن ق. م، وليس في القرن الثاني عشر ق. م أو بداية الالف الأولى، كما كان يُعتقد من قبل. وعند تأسيسها، يبدو أن ليكسوس نشأت منذ الوهلة الأولى مستوطنة ثابتة شاسعة الأطراف، دون أن تعرف ظاهرة التدرج الوظيفي التي عرفتها العديد من المنشأت الأخرى التي مرّت من مرحلة المحطة إلى مرحلة المستوطنة. الأمر الذي يجعل منها واحدة من أقدم المستوطنات الفينيقية في المغرب، وأقدم منشأة فينيقية تُشيَّد على الساحل الاطلنطي للمغرب، حيث تم تشييدها بقرن من الزمن قبل ثاني منشأة فينيقية هامة تعرف لحد الآن، وهي جزيرة موكادور.

وبالفعل، أثبتت الفحوصات الاركيولوجية التي شملت جزيرة موكادور ابتداء من الخمسينيات من القرن العشرين، أن الفينيقيين أسسوا منذ القرن السابع ق. م وكالة تجارية بالجهة الجنوبية الشرقية للجزيرة، كانوا يترددون عليها بشكل دائم إلى حدود أواسط القرن السادس ق. م. ومن الشواهد الدالّة على وجودهم، نشير إلى مآت الكسرات الخزفية المختلفة الاشكال والمصدر، تنتمي عموما إلى نفس الأصناف التي عرفتها ليكسوس، نذكر منها الخزف الفينيقي ذي البرنيق الأحمر بما يعادل 500 كسرة (صحون - جفنات - قناديل ذات مشعلين - مبخرات - أباريق ذات القرص ...)، والخزف الفينيقي غير اللامع المتمثل بحوالي 400 كسرة (أمفورات - ثلاثيات الارجل - قارورات العطر - أباريق إجاصية الشكل ...)، والخزف المصبوغ المتعدد الألوان بحوالي 272 كسرة. وإذا كان العثور على هذه الأنواع كافيا للاعتقاد بوصول الفينيقيين إلى جزيرة موكادور، فإن ما يزيدنا تأكيدا على ذلك هو احتواء 125 كسرة من هذه الكسرات على كتابات فينيقية. وهي عبارة عن خربشات (Graffiti) كتبت فوق إحدى أطراف الآنية بأبجدية فينيقية، لا تتعدى بعض الأسماء، عادة ما تكون على شكل فلان ابن فلان. من هذه الأسماء التي استطاع المتخصصون في علم اللغات السامية القديمة قراءتها نذكر "ماكون" و"حنون" و"عبد لبنان" و"عبد تانيت" و"بن تانيت" و"بعل يعطون" و"إشمون يعطون"، و"جار سكن" و"حيبلك بن أدون" و"حامي القرت". وكانت هذه الأسماء بمثابة توقيعات الفخّارين الذي صنعوا الأواني، أو علامات التجار المصدّرين للسلعة الموجودة بداخلها.

ومن الشواهد الدالة الأخرى على توافد الفينيقيين على جزيرة موكادور، نذكر مجموعة من المواقد المتفحمة كانت مكدسة على الصخر الأم، والتي قد تكون من بقايا المدفئات التي استعملها الفينيقيون داخل مساكن اندثرت نهائيا، أو مخلفات مكان الطبخ، أو بمثابة دليل عن تلك التجارة البكماء التي وصفها المؤرخ الاغريقي "هيرودوت". كما نشير إلى مجموعة متعددة من الحصى الصغيرة، لم تنتج عن تكوينات جيولوجية، بل وصلت إلى المركز بواسطة الفينيقيين الذين نقلوها من الشاطئ القريب، والتي كانت تصلح على ما يبدو إما للترصيف، أو تستعمل لكسر العظام، أو لكسر محار الأرجوان، أو كانت من بقايا الكوانين التي استعملها الفينيقيون لطهي طعامهم. وفي منطقة توجد في التل الأثري، تم العثور على عمود حجري منحوت مربع الزوايا، يبلغ طوله 1,47 م وعرضه حوالي نصف متر، كان يمثل على ما يبدو إحدى الأنصاب الدينية المعروفة في فينيقيا باسم "بيت إيل"، والتي كانت بمثابة معابد في الهواء الطلق تقام أمامها الصلوات وتقدم بجنبها الذبائح.

من خلال هذه البقايا، يبدو أن المركز الذي استقر فيه الفينيقيون لم يكن محطة ثابتة أو مدينة مبنية كسائر المراكز

نماذج من الخزف الفينيقي بليكسوس

الفينيقية الكبرى المعروفة، مثل ليكسوس وقادش وقرطاجة، بل عبارة عن محطة تجارية مؤقتة. غير أن ذلك لا ينفي وجود مركز دائم بالمنطقة، يمكن البحث عنه في مدينة الصويرة، التي كانت على شكل جزيرة كبرى تبعد عن الجزيرة الحالية بتسع مائة متر، اتصلت فيما بعد باليابسة. ومما يرجح ذلك، اكتشاف سور بالمدينة تم اعتباره سورا فينقيا حسب تقنية بنائه.

وكيفما كان الحال، فإن قدوم الفينيقيين إلى منطقة الصويرة يمكن تفسيره بالبحث عن محار الأرجوان لاستخراج صبغته الشهيرة، بحكم العثور على أعداد كبيرة من محار "الموريكس" المهشم في عدة نقط من اليابسة المقابلة للجزيرة، وبحكم الصيت الذي اشتهرت به جزيرة موكادور خلال عهد "يوبا الثاني" في صناعة الأرجوان. كما يمكن تفسير هذا التوافد، بالبحث عن مادة الصمغ المستخرجة من شجر العرعار الذي عرفه الإقليم منذ بداية العصر الجيولوجي الرابع. ويمكن تعليله كذلك بالبحث عن المعادن، بدليل الكشف في الطبقة الأركيولوجية الفينيقية، عن قوالب فخارية تستخدم لصهر المعادن، وعن بعض الشظايا المعدنية المشتتة. ومما يرجح ذلك، أن ناحية الصويرة لم تكن بعيدة عن مناجم الأطلس الكبير وسوس، حيث لدينا عدة دلائل حول استغلال هذه المناجم منذ القدم. كما أن المنطقة كانت قريبة من جبل كان يحتوي على منجم الحديد يدعى "جبل حديد"، يبعد عن مدينة الصويرة في اتجاه الشمال الشرقي بحوالي 25 كلم.

وفي حالة اعتبار جزيرة موگادور آخر محطة أسسها الفينيقيون على الساحل الأطلنطي للمغرب، تطرح مسألة المراسي الأخرى التي كانوا يتوقفون بها خلال مساحلتهم، خصوصا بعد الكشف عن آثار فينيقية بشالّة. والغالب على الظن أن عدم العثور لحد الآن على المواقع المفترض وجودها بين سلا والصويرة، رغم الاستكشافات التي قام بها كل من "بيير سانتاس" (P. Cintas) و"أرمان لوكي" (A. Luquet)، يعزى إلى ندرة التنقيبات الفينيقية بالمغرب بعد الاستقلال. والحالة هذه، أن علامات المنشآت الفينيقية التي كانت موجودة بالسواحل المغربية، والتي كانت وافرة حسب المصادر القديمة، بدأت تتكشف مؤخرا بعد العثور سنة 2001 على منشأة فينيقية جديدة بناحية الناظور.


م. رضوان العزيفي، الفينيقيون بفحص طنجة وعلاقاتهم بالسكان، R.E.P.P.A.L.، ع. 6، تونس، 1991 ؛ السلع المتبادلة بين الفينيقيون والمغاربة القدماء، منشورات كلية الآداب، عين الشق، الدار البيضاء، 1992.

M. Tarradell, Notas acerca de la primera época de los Fenicios en Marruecos, *Tamuda, t. VI, Simestre 1, Tetuán, 1958* ; *Marruecos púnico*, Tetuán, 1960 ; A. Jodin, Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, *E.T.A.M., t. II*, Tanger, 1966 ; L'archéologie phénicienne au Maroc : ses problèmes et ses résultats, *Hespéris-Tamuda, vol. V, fasc. II, 1966* ; Bijoux et amulettes du Maroc punique, *B.A.M., t. VI, 1966* ; J. G. Février, Inscriptions puniques et néo-puniques, in *Inscriptions Antiques du Maroc*, Paris, éd. du C.N.R.S, 1966 ; M. Ponsich, Nécropoles phéniciennes de la région de Tanger, *E.T.A.M., t. III, Tanger, 1967.*


محمد رضوان العزيفي

**فيّاق، عمر** بن **محمد** من مواليد سنة 1920 بأولاد ميمون بإقليم تازة. انخرط الفقيد في صفوف جيش التحرير بتازة منذ انطلاقته بتاريخ 1 أكتوبر 1955، وقد شارك في عدة هجومات ومعارك كأدرج ومسكري تحت رئاسة السيد عبد العزيز، وعين رئيسا لفرقة من فرق جيش التحرير حيث كافح وناضل بكل إخلاص وتفان من أجل الوطن والعرش العلوي المجيد إلى أن استعاد المغرب سيادته واستقلاله.

توفي يوم 11 مارس 1995 بمدينة الدار البيضاء.


المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 520724.


**فـيـيـل** (هنري) Henri Vielle أسقف الكنيسة الكاثوليكية بالرباط بين 1927 و1946. من مواليد فرنسا في يونيو 1866، شارك في بعثات تبشيرية إلى الشرق الأقصى قبل أن يعينه الفاتيكان سنة 1927 على رأس أسقفية الرباط، خلفا للأسقف دريير Dreyer الذي أسندت إليه مهمة في مصر. وكان لتعيين هنري فييل أثر في إعطاء الأسقفية الكاثوليكية بالمغرب توجها تنصيريا جريئا، لا سيما وأن الجو قد صفا أمامها بعد نهاية مأمورية ليوطي. وقد انعكس ذلك جليا فيما كانت تنشره المجلة الفرانسيسكية *Le Maroc Catholique* من مقالات داعية إلى تكثيف العمل التبشيري في أوساط القبائل.

لم تكن وزارة الخارجية الفرنسية راضية كل الرضى على هذا التعيين الذي لم تستشر في شأنه، كما لم تكن موافقة على حملات التنصير التي كانت تخشى أن تجلب على سلطات الاحتلال قلاقل هي في غنى عنها في وقت مازالت فيه الجيوش الغازية تواجه مقاومة مستميتة في مناطق مختلفة من البلاد. غير أن تحفظ الإدارة الفرنسية لم يثن الأسقف عن عزمه، فأسس في فبراير 1929 في أحضان أسقفية الرباط معهدا لدراسات الأديان الذي وكلت مهمة الإشراف عليه إلى الأب هنري كوهلير Henri Koehler.

حلت سنة 1930 وحملت معها عدداً من الأحداث المحلية والجهوية التي عملت كلها على تشجيع هنري فييل في توجهاته. ومن تلك الأحداث محليا تدشين أربع كنائس في كل من مراكش ومكناس والدار البيضاء والرباط، وإصدار ظهير 16 ماي 1930 الساعي إلى التفريق بين العرب والأمازيغ. وأما جهويا، فيمكن الإشارة إلى الاحتفال بالذكرى المائوية لاحتلال الجزائر، وانعقاد المؤتمر الإفخارستي الثلاثين في قرطاج، وتخليد ذكرى مرور خمسة عشر قرنا على القديس أو غسطين Saint Augustin المحتفى به كشخصية "أمازيغية ورومانية".

وقد شكل صدور ظهير 16 ماي مناسبة للحركة الوطنية المغربية للتنديد جهارا بحملات التنصير في المغرب وبالسياسة التي سارت عليها أسقفية الرباط منذ أن تولى هنري فييل شؤونها. ووجد هذا التنديد أصداء واسعة في صحافة عدد من الأقطار الإسلامية التي عبرت عن تضامنها مع الحركة الوطنية المغربية. كما وجد الوطنيون مؤازرة لدى مناضلي اليسار الفرنسي ولدى أتباع الحركة الماسونية الذين كانوا جميعا يناهضون من مواقعهم المذهبية ما كان فييل يعبئ له في المغرب كل طاقاته.

لم تثمر المجهودات التنصيرية أية نتائج ذات شأن عظيم، ولم يؤد اعتناق الشاب محمد بن عبد الجليل للمسيحية سنة 1928 إلا للمزيد من الريب والحذر من مشاريع الأسقفية في المغرب من لدن عامة المسلمين. وفي سنة 1932، لم يتجاوز عدد المتنصرين من المغاربة 26 نفرا، وهو ما جعل هنري فييل يخبر الفاتيكان بأنه لم يستطع أن يقتحم بعد "حديقة الإسلام المحصنة" وأن سبب ذلك يكمن في المعارضة التي واجهته من أطراف مختلفة كالإقامة العامة والماسونية وجمعيات حقوق الإنسان وجمعيات التعليم العلماني. ولم تغير الصرخة التي أطلقها الوطنيون أواخر 1934 في دفتر مطالب الشعب المغربي من السياسة التي نهجها الأسقف أي شيء. بل على العكس من ذلك تماما، فقد استمر الرجل في خطته واصفا تلك المطالب الوطنية بالمثيرة للسخرية والشفقة. وفي خضم أحداث الحرب العالمية الثانية، اختار هنري فييل الولاء لحكومة فيشي ونظام الثورة الوطنية ضدا على فرنسا الحرة وعلى الحلفاء. وقد أملى هذا الاختيار على أسقفية الرباط بعض المواقف السياسية التي وجب على هنري فييل أن يحاسب عليها بعد أن وضعت الحرب أوزارها. وقد عبرت الحكومة الفرنسية عن رغبتها في رحيل هنري فييل من الرباط، غير أن الفاتيكان، وحتى لا يعطي انطباعا بالخضوع لرغبات باريس، فضل المراوغة الدبلوماسية ربحا للوقت. وبينما كانت المفاوضات جارية بين الطرفين، باغتت المنية الأسقف فييل في 7 ماي 1946، مما فتح المجال لتعيين ممثل جديد للفاتيكان في الرباط، وهو الأسقف أميدي لوفيفر Amédée Lefèvre الذي أعطى للكنيسة الكاثوليكية بالمغرب توجها جديداً.

Jamaâ Baïda, *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*, Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat, 1996 ; Gilles Lafuente, *La politique berbère de la France et le nationalisme marocain*, Ed. L'Harmattan, Paris, 1999 ; Jamaâ Baïda et Vincent Feroldi, Une mémoire commune en devenir : chrétien et musulmans au Maroc, 1856-1985, in Chrétiens et Musulmans en dialogue : les identités en devenir, L'Harmattan, Paris, 2003, p. 53-83.

جامع بيضا

ق

**القابلة** في العربي الفصيح وتجمع عل صيغة قوابل وفي الدارجة المغربية "قابلات"، وهي المرأة التي تستقبل الجنين عند خروجه من بطن أمه فيسمى مولوداً وتسمى العملية كلها ولادة. والقابلة هي الأساس في صناعة التوليد كما جاء عند العلامة ابن خلدون في مقدمته : "وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه من الرفق في إخراجه من رحمها وتهيئة أسباب ذلك ثم ما يصلحه بعد الخروج ..." *(المقدمة)*.

لا يقتصر دور القابلة على استقبال المولود وتخليصه مما علق به وفحصه ومتابعته في أطوار نموه وإصلاح ما قد يكون لحق به من اعوجاج أو تشويه أثناء عملية الولادة ؛ وهل هو طبيعي وعادي في رضاعته ونومه وما إلى ذلك ... إلى أن يبلغ الفطام، أي طيلة سنتين على الأقل : "وفصاله في عامين" (لقمان، 14) أي أن القابلة تقوم بدور طب الولادة والرضع ؛ بل إنها تهتم بالمرأة الحامل قبل الوضع : زيارتها والاطلاع على أحوالها ومعرفة موعد ولادتها المحتمل وظروفها وتقدير الوضعية هل ستكون الولادة عادية سهلة أم عسيرة ؟ إلى غير ذلك من الأعمال الممهدة، وفي حالة الوصول إلى الاقتناع بحالة معينة من الحالتين تقوم بما يلزم من تقديم بعض الأدوية ومحلولات الأعشاب عند ما يصيب المرأة المخاض (الطلق) ؛ وتساعدها بالتشجيع والدلك في بعض المواضع وحثها على إخراج مولودها ؛ تقوم بعد الولادة بما يلزم من تمريض للنفساء وتقديم النصائح والتعليمات الضرورية، والأدوية والأطعمة الخاصة لتستطيع النفساء الوقوف على قدميها بسرعة ولتدر الحليب للرضيع كما تقوم بإصلاح ما أفسدته الولادة في جسمها وتخاليصها من ما يصيب المولود أثناء خروجه من أغشية وسوائل ... أي أن القابلة هنا تقوم بطب النساء والولادة.

هذه المرأة ذات المهام الخطيرة والشأن الكبير في المجتمع منذ الأحقاب التاريخية لم تكن في المغرب تتعاطى عن عملها أجراً محدداً ومتفاوضاً بشأنه بل كانت تقوم بعملها ابتغاء "الأجر" في الآخرة والتماساً لثواب الله سبحانه إلا أن المجتمع لم يهملها بل اعترف لها بالجميل فكرمها وجعل لها مكانة متميزة يحترمها فيها الكبير والصغير ؛ وحتى المواليد الذين خرجوا للدنيا على يديها تختلف التقاليد من جهة إلى أخرى في تعاملهم مع القابلة التي تعتبر نفسها الأم الثانية لهم : ففي بعض الجهات عندما يكبر المولود ويصبح مسؤولا عن نفسه فإنه يتكفل بكسوة القابلة كسوة كاملة ولا يبخل عليها بكرمه وخاصة في الأعياد والمناسبات وفي مناطق أخرى تتوطد العلاقة مع عائلة المولود ومع المولود وأسرته ؛ ووجود القابلة ضروري في كل قرية أو دوار أو حي، ويتم إخبارها بحالات الحمل الموجودة في مجالها وتباشر عملها اعتماداً على تجربتها وحنكتها ووفق الأعراف والتقاليد السائدة وغالبا ما كانت ناجحة في مهامها إلا في القليل النادر، هذا قديما ؛ أما اليوم فالقابلات أصبحن يتخرجن من مراكز تكوين متخصصة سواء التابعة للقطاع العام (وزارة الصحة) أو للقطاع الخاص (العيادات، ودور الولادة ...) وحتى اللاتي تعمل بالطرق التقليدية أصبحت تحت وصايه وزارة الصحة، وتعمل القابلات العصريات تحت إشراف طبيب أو طبية مختصة، وفي البوادي والمناطق النائية يتم تزويد القابلة ببعض الحاجيات واللوازم الأولية الضرورية وتقوم الوزارة وبعض الجمعيات المتخصصة والمهتمة بتنظيم دورات تدريبية لبعض القوابل اللاتي تقمن بنشر ما تعلمنه بين باقي القابلات، فلم تعد المسألة خاضعة للبركة التي تستمدها القابلة من الأولياء والصالحين ومن جدودها الشرفاء كما كان الأمر من قبل إذ كانت القابلات تباشرن عملهن وهن تستغثن بالأولياء والصلحاء وتطلب من المرأة الحامل عند المخاض أن تستغيث بهم : "أمولاي عبد القادر" أمولاي إدريس ...".

ورغم عصرنة هذه الصناعة التي ذكرها ابن خلدون فإن الغالب في بعض المدن وفي البوادي المغربية في الجبال والصحارى وفي المناطق النائية، ما تزال كما وردت عنده.

ابن خلدون، *العبر*، الجزء الأول، دار البيان، بيروت، بدون تاريخ ؛ ابن أبي أصبيعة، عيون *الأنبياء في طبقات الأطباء*، بيروت، 1957 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984.

محمد حجاج الطويل

**قادر، الحسين** من مواليد سنة 1933 بطرفاية انضم إلى صفوف جيش التحرير منذ انطلاقته بالصحراء المغربية ضمن الفرقة التاسعة بمركز تافودارت والساقية الحمراء تحت رئاسة ميارة اعلي بويا. وقد أبان من خلال مشاركته عن روح وطنية عالية وشجاعة كبيرة شهد بها كل إخوانه في الكفاح والنضال. وبعد أن تحقق الاستقلال انضم إلى صفوف الأمن الوطني إلى أن وافاه أجله يوم 5 يناير 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 502395.

**القادري**، أسرة شرفاء حسنيين بفاس. جدهم هو الولي الصالح محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن سعد بن أحمد بن أحمد ين محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن شيخ المشايخ وقطب الأقطاب عبد القادر الجيلاني، وهو أول قادم منهم من غرناطة عند تغلب المسيحيين على تلك البلاد أواخر المائة التاسعة في أيام بني وطاس على عهد أول ملوكهم السلطان محمد الشيخ الوطاسي.

كان نزوله بفاس بمحلة الزنجفور من ناحية باب الجيسة، واستمر في فاس حيا إلى حدود سنة 950 ولما توفي، دفن خارج باب الجيسة بالروضة الكائنة عن يمين الذاهب للباب الحمراء المجاورة لجنان الخادم، وبها دُفن بعده جملة من أبنائه وأحفاده، ترك ثلاثة أبناء، هم :

- محمد، أكبرهم، كان يحترف صنعة الحرير توفي أول العشرة السابعة من القرن 10.

- أحمد، أوسطهم، كان تاجرا (كان حيا في رجب 1010).

- عبد العزيز، أصغرهم، مات مسنا. كان في صغره يحترف صناعة الحرير، ثم اشتغل بالتجارة، ثم كُفي عنهما معا في كبره.

توفي سنة 1029.

ع. السلام القادري، *العرف الطاهر* ؛ س. الحوات، *السر الظاهر*، ع. الواحد الفاسي، *منظومة إغاثة اللهفان* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

**القادري، أحمد** بن العالم وُلد عام 1276، ونشأ بالرباط متعاطيا العلم، ورحل إلى المشرق سنة 1307، فحج وزار واستجاز واستفاد.

وكان في سنة 1304 عدلا بمرسى الجديدة. وبعد رجوعه إلى الرباط، تصدر للشهادة في سماط العدول.

توفي يوم الجمعة 27 جمادى الأولى عام 1337.

م. بوجندار، *الاغتباط*.

المصطفى البوعناني

**القادري، الحسني مَحمد** (1259 - 1331) بن قاسم العلامة المشارك المحقق الدراكة، شيخ الجماعة في وقته له تآليف منها حاشية على شرح الطيب ابن كيران على توحيد ابن عاشر وأخرى على شرح كنون على الشمائل وأخرى على شرح الأزهرى على البردة وأخرى على الأربعين النووية، ومنها تأليف في "رفع العباب والملام عمن قال العمل بالحديث الضعيف حرام"، وفهرسة عنوانها "إتحاف أهل الهدايات بما لي من الأسانيد والروايات، وله أيضا البستان السني في النسب الحسني والحسيني. دفن في زاوية الصقليين داخل باب عجيسة بفاس.

ابن سودة، عبد السلام، *إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع*، و*سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تح. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1417 / 1996.

**القادري، الطائع** بن إدريس بن محمد بن الغالي بن عبد الواحد بن محمد (فتحا) بن الطاهر بن الشيخ عبد السلام القادري الحسني، فقيه علامة مشارك أديب شاعر من شيوخه محمد (فتحا) بن قاسم القادري وأحمد بن محمد ابن الخياط وجعفر بن إدريس الكتاني ومحمد بن التهامي الوزاني وعبد السلام بن محمد الهواري ومحمد بن رشيد العراقي وعبد المالك بن محمد العلوي الضرير والشيخ ماء العينين الشنگيطي وعبد السلام بن محمد اللجائي العمراني. وقد أجازه القاضي أحمد بن الطالب ابن سودة.

له تآليف في التاريخ وأنظام وأشعار يقول عبد السلام ابن سودة إنها ضاعت كما قال عنه إنه كان ماهراً في لعب الشطرنج.

توفي عام 1362 يوم 10 ذي القعدة ودفن بزاويتهم بگرنيز حومة سيدي موسى بفاس.

ابن سودة، عبد السلام، *إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع*، و*سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، تح. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1417 / 1996.

إبراهيم بوطالب

**القادري، عبد الرحمن** بن محمد بن أحمد السلوي. من أسرة سلوية عريقة، تلقى تعليمه الابتدائي بالكتاب القرآني ثم بمدرسة أبناء الأعيان بسلا، والثانوي بثانوية مولاي يوسف "وليسي كورو" (الحسن الثاني) بالرباط، ونال شهادة الباكلوريا سنة 1952.

انقطع عن الدراسة سنتي الأزمة المغربية الفرنسية 1953/ 1955، ليهتم بتسيير ثانوية النهضة بسلا والإشراف على تلاميذ المؤسسة بعد أن سجن مديرها الأستاذ أبو بكر القادري، مؤكدا روحه الوطنية ونضاله من أجل استمرارية الرسالة التعليمية للمؤسسة وللحركة الوطنية.

وفي سنة 1955 سافر إلى فرنسا ليتابع دراسته العليا،

فقضى سنتين في كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية بباريس، عاد بعدها إلى المغرب ليقضي سنة كاملة رئيسا للاتحاد الوطني لطلبة المغرب، وبهذه الصفة عينه الملك محمد الخامس رحمه الله عضواً بالمجلس الوطني الاستشاري، ثم عاد إلى باريس ليتابع دراسته، فحصل على الإجازة في القانون العام وعلم السياسة سنة 1960 ، من كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية، جامعة باريز، وعلى دبلوم الدراسات العليا في القانون العام سنة 1963 ، ودكتوراة الدولة في الحقوق سنة 1969 من نفس الجامعة.

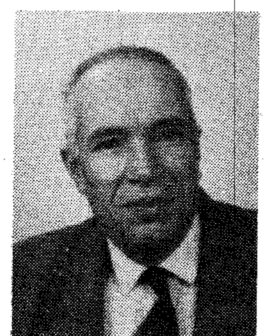

التحق بسلك التعليم العالي بكلية الحقوق بجامعتي محمد الخامس بالرباط والحسن الثاني بالدار البيضاء، فدرّس مادة القانون الدستوري والمؤسسات الدستورية، وأشرف على حلقات دراسية متعددة حول النظام النيابي في أوربا الغربية وفي الأقطار الاسكندنافية والهند واليابان، كما أشرف على حلقات دراسية حول النظام السياسي الفرنسي منذ سنة 1875 إلى 1993 مع طلبة السلك الثالث، إضافة إلى إشرافه على العديد من رسائل دبلوم الدراسات العليا وأطاريح دكتوراة الدولة في القانون العام.

وكان عضواً نشيطاً في اللجنة الإدارية الوطنية للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وعضواً في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وعضو أمؤسساً ورئيساً سابقاً للاتحاد الوطني لطلبة المغرب، عضواً مؤسساً ورئيس جمعية الحقوقيين المغاربة وعضو أمؤسس وكاتباً عاماً للنقابة الوطنية للتعليم العالي، وعضواً مؤسساً وكاتباً عاماً بالنيابة للجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني، وعضو الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ونائباً برلمانياً لمدينة سلا/ المريسة سنة 1993.

أما آخر أنشطته العلمية فمشاركته في ندوة نظمتها جريدة *العلم* بمدينة سلا لتكريم عمه الأستاذ أبي بكر القادري في مايو 1993، موضوعها : "عقد الثلاثينيات من هذا القرن : صفحة مجيدة في كفاحنا الوطني".

له دراسات متخصصة منشورة في مجلات منها :

اللامركزية ومزايا الإصلاح الإقليمي (إثراء الظهير الشريف الصادر بتاريخ 12 . 9 . 1963 الخاص بالميثاق الإقليمي) والإصلاح الجهوي وذلك في خريف 1975 قبيل تحديد موعد الانتخابات الجماعية التي عرفها المغرب في خريف 1976 ، وقبيل صدور الظهير الشريف المؤرخ بـ30 / 9 / 1976 والمتعلق بالميثاق الجماعي.

القضاء الدستوري أو الاجتهاد القضائي للمجلس الدستوري الفرنسي "منذ بداية السبعينات إلى 1981"، *المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد* ، العدد 9 / النصف الأول في سنة 1981.

القضاء الدستوري في القانون المقارن، (ألمانيا الاتحادية والولايات المتحدة وإيطاليا والمغرب)، *مجلة كلية الحقوق، الدار البيضاء*.

*طبيعة العلاقات الفرنسية الإفريقية في عهد الرؤساء الأربعة لفرنسا منذ 1958 إلى أواخر مايو 1983.*

دراسة حول مشروع الإصلاح الدستوري الأخير بتاريخ 6 / 8 / 1992.

الدستور المغربي الجديد "نص لم ينشر"

الغرفة الدستورية بالجزائر في جريدة الاتحاد الاشتراكي سنة 1990.

كانت له أنشطة متعددة في الجمعيات الحقوقية وفي المؤتمرات الدولية والندوات العلمية، كما كانت له مشاركة فعالة في الحياة السياسية والاجتماعية المغربية منذ أزمة 20 غشت 1953.

كان عبد الرحمن القادري رجلا مثاليا في كل شيء، مؤمنا بالقيم الإسلامية في أبهى صورها، لا تأخذه في الحق لومة لائم، حريصا على القيام بالواجب مع أسرته وأصدقائه، طلابه ومعارفيه، ذا أخلاق دمثة، مؤثرا للمصلحة العامة على الخاصة، مناضلا في جبهات عديدة، أهمها العمل الوطني السياسي الذي يتغيى بناء دولة مغربية ديموقراطية عصرية، بإصلاح المؤسسات وتطوير بنيات المجتمع وانفتاحه على الحضارة العالمية مع التمسك بالمقومات الإسلامية والعربية للشخصية المغربية، ملتزما بمنهج صارم في الحياة يبلوره سمو الأخلاق والقدرة على تحمل المسؤولية ووضوح الشخصية، منظما ومؤطرا وقائدا، كما كان مخلصا لرسالته التعليمية، باعتبار الواجب مقدسا، فلا يبخل بجهد ولا بتوجيه ولا بتضحية إذا اقتضى الأمر ذلك، كما كان رجل اللسان والفكر والقلم، باعتبارها أدوات نضالية تخدم الوطن والمواطنين، مؤكدا بذلك ما للمثقف من أدوار في بناء الوطن، ومن مساهمات في خلق الوعي وتنميته لدى فئات عريضة من الشباب وغيرهم، فجمع بذلك بين النضال السياسي والنضال الفكري والثقافي، وكان نموذجا متميزا لرجل الفكر المنفتح ولرجل السياسة المتبصر، ولرجل المجتمع الصادق في كل اللحظات مهما كانت الظروف.

توفي عام 1993.

ع. الرحمن القادري، *معلومات أسرية ؛ مسيرة حياة*، في الذكرى الأولى لوفاة الفقيدين محمد زنيبر وعبد الرحمن القادري.

نجاة المريني

**القادري، عبد القادر التلوانتي**، مؤسس الزاوية والأسرة القادريتين بقبيلة قلعية. ولد بقرية تالوانت حوالي سنة 1194 / 1780 ، وقدم إلى فرقة فرخانة في القرن الثاني عشر (مستهل القرن 19م ) بعد أن استكمل مرحلة من الدراسة بمركز مازونة، بالجزائر. ولم نجد في الرواية الشفوية أو شهادة النسب المحررة قبل سنة 1918 عن دواعي مجيئه إلى بني شكر أي جواب. وكل ما نستخلصه من وثيقة هو احتماؤه بالفقيهين الفرخانيين أحمد والطالب ومحمد الجواهري. وبذلك خصص له مقر للسكنى بمدشر سمار، مما يقابل كدية سيدي ورياش بجوار مدشر الورياشين، قبل معبر واد المدور نحو الشرق من تلك الجهة. ولعل استقراره متعلق عموما بالترحاب المخصص للفقهاء وحمايتهم، على عادة إكرام شيوخ العلم بالقبيلة القلعية. فكان الحظ هذه المرة لصالح خريج مدرسة مازونة الجزائرية، والجامع بين العلم والتربية الصوفية والجهاد، وهو في العقد الثالث من عمره. وستظل مدرسة مازونة مقصد العديد من شيوخ الأسرة القادرية القلعية.

لم يبد على الشيخ عبد القادر التلوانتي بأنه فكر خلال هذا الاستقرار الأول في تأسيس زاوية، إذ أن الرواية الشفوية سجلت غيابه عن فرخانة مدة سنوات، بقصد الاستزادة من منابع العلم واستكمال المعرفة الصوفية في نطاق الطريقة القادرية. ولم يسجل عزمه لتأسيس الزاوية إلا بعد عودته من رحلته العلمية.

واللحظة الأولى البارزة في اتجاهه هي التي أعلن فيها الشيخ القادري عن تأسيس الخلوة التي هي بداية الفتح الصوفي والمشيخة العلمية وعلامة من علامات التخطيط واتخاذ القرار لمرحلة آتية. وما تزال الرواية الشفوية تتذكر الترحاب الذي خص به في قرية ميسديت من شيخها يحيى البطوئي والقطعة الأرضية التي أهديت له لبناء الدار والخلوة. أما الخطوة الحاسمة بعد مرحلة الخلوة فهي تأسيس الزاوية بالموضع الواقع على الساحل الشرقي من شبه الجزيرة الهركية بالمكان المعروف حاليا باسم "تيفافر"، بإشارة من أحد مريديه الأوائل المدعو محند الفحصي، وذلك قبل سنة 1810، وهو تاريخ ولادة نجله البكر محمد بالمقر الجديد. ومثلما نجهل الدواعي التي ساقت المؤسس إلى إرساء قاعدة زاويته يختفي عنا الكثير من دور الشيخ القادري لتثبيت دعائم الزاوية الجديدة قبل أن يغادرها بصفة نهائية بعد معركة إيسلي، مثلما تشير إليه الرواية الشفوية، مخلفا هناك أسرة مكونة من خمسة أبناء ذكور.

ونعتقد أن الشيخ عبد القادر التلوانتي خصص لتلك المهمة على الأقل الفترة الممتدة بين 1810 وسنة 1836، تاريخ ولادة ابنه الخامس عبد القادر الصغير. وإذا صدقنا الرواية الشفوية فإننا سنضع خارج هذا الإطار الزمني الرحلة التي قام بها الشيخ القادري إلى مدينة أرضروم التركية، مما يثير بعض التساؤل، إذ أن نفس الرواية ذكرت أن الرحلة كانت من أجل تلقي المزيد من العلوم العربية، وذلك قبل سنة 1830. وحينما عاد منها وحل بقريته الأصلية تالوانت كانت فرنسا قد تمكنت من احتلال الجزائر. ويمكن أن نكون متأكدين بأنه كان آنذاك قد عاد إلى زاويته قبل سنة 1836.

ومما تذكره الرواية الشفوية أن الشيخ القادري التلوانتي لم ينس موطنه الجزائر والدفاع عنه فانخرط في حركة الجهاد على عادة رجال التصوف المجاهدين ضد الفرنسيين ضمن حركة الأمير عبد القادر الجزائري. فالرأي الراسخ لدى جامع أنسابهم أنه كان يغادر زاويته من حين لآخر ليشارك في الجهاد، ومازال سيفه في حوزة القيِّم بالزاوية شاهدا على تلك المشاركة. وانتهى الأمر بالشيخ عبد القادر القادري بعد أن تجاوز الستين من عمره إلى الوفاة حاجا بمكة المكرمة بعد سنة 1844.

بتأسيس الزاوية تجدرت ذرية القادريين البغداديين بخمس بني شكر، وقد جعلهم المهتم بجمع أنسابهم عبد القادر شقيقي القادري في مذكراته على خمسة فروع، بدءا من المؤسس إلى الأحفاد الحاليين، وهو يقوم بإحصائها وتثبيت نسبها في الوقت الراهن.

*شهادة النسب* المحررة سنة 1338، *مذكرات عبد القادر* شقيقي القادري ؛ *وثائق الزاوية القادرية* بحوزة عبد القادر شقيقي ؛ *معلمة المغرب* ؛ ضابط الأمور الوطنية، تطوان، 1952.

**القادري، عبد القادر** بن **عبد القادر** التلوانتي

رابع أبناء مؤسس الزاوية عبد القادر التالوانتي سابق الترجمة (1836 / 1903) تولى مشيخة الزاوية سنة 1888 إثر وفاة أخيه عبد الرحمن. كان له دور الوساطة في نتائج حرب سيدي ورياش، مناصرا لرأي المخزن وممثله على قلعية بوشنافة الجامعي. وقد تدخل للتوصل إلى تهدئة الأحوال التي انتهت باتفاقي 1894 و1895. ونعلم من وثيقة خاصة أن بوحمارة أثناء سياحته الأولى زار مقر الزاوية أثناء مشيخة عبد القادر القادري في محاولة استطلاع الأوضاع، وذلك يوم 28 ربيع الثاني 1317 / 5 شتنبر 1899 ، وسمى نفسه محمد الجلالي القادري البغدادي، وهو أقدم تاريخ يكشف عن استطلاعاته بالمنطقة قبل أن يعود إلى الغرب الجزائري في السنة التالية.

وحسب الرواية الشفوية فإنه كان كاتبا بقصبة فرخانة أيام كان الشيخ أبو شعيب الدكالي قاضيا بدار المخزن. وأثناء حصار القلعيين لقصبة فرخانة بزعامة محمد الشادلي الموالي لبوحمارة ظهرت محاولتان للتوصل إلى نتيجة حاسمة، إحداهما سلمية والأخرى حربية، ولم يشأ المرابط القادري التدخل في محاولة استسلام البشير بن السناح المحاصر بالقصبة، مثلما اقترحت بني شكر عليه لميله إلى جانب المخزن العزيزي. وربما لهذا السبب تعرض مقره بدوار بوعنانة بفرخانة للتخريب من طرف محاصري القصبة، وضاعت بذلك الودائع التي كان مؤتمنا عليها.

وتاريخ انسحابه من ميدان المشيخة أو وفاته يحتاج إلى تحقيق، إذ أنه كان يوم 29 غشت 1903 مازال على قيد الحياة وتشير الرواية الشفوية إلى توجهه إلى الحج ووفاته هناك. وكيفما كان الأمر فقد ترك الزاوية لمحمد بن محمد الصغير آتي الترجمة في أواخر تلك السنة.

*وثائق عبد القادر* شقيقي القادري ومذكراته ؛ *أرشيف* مديرية الوثائق الملكية ؛ *الرواية الشفوية*.

Gabriel Morales, *Datos para la historia de Melilla*, 1909.

حسن الفكيكي

**القادري، العربي** بن **الطيب** بن محمد القادري الحسني، ولد في 6 رجب 1056 / 18 غشت 1646، (هو عم والد محمد القادري صاحب كتاب *نشر المثاني* وجدّه لأمّه)، عالم علامة، ضابط للعلوم سيما التاريخ والأنساب والفقه والحديث، مرجوع إليه في كلها، ثقة متفنن، مع الزهد والورع ولزوم الذكر والعبادة والخلوة، ظهرت عليه أحوال وبركات، وكان لا يقبل إلا الصدق لشدّة صلابته في الحق.

قرأ النحو والحديث والبيان والمنطق والكلام والأصول، فبرع في الحديث والعربية. أخذ عن مشايخ أهل فاس منهم الشيخ عبد القادر الفاسي، وابنيه، أبي عبد الله محمد وأبي زيد عبد الرحمن، وأخذ عن أبي علي الحسن اليوسي، وعن القاضي محمد بن أحمد الفاسي، ولقي الشيخ سيدي قاسم لخصاصي، وتبرك بجماعة من أهل الصوفية منهم سيدي أحمد اليمني، وصحب الولي سيدي أحمد بن عبد الله معن ما ينيف عن عشرين سنة وكان من المحبين فيه ومن المولهين به، ورافقه إلى الحج فأدى الفرض في رفقته.

ألف كتاب "*الطرفة في اختصار التحفة*"، قصد به اختصار "*التحفة الصديقية في الطائفة الجزولية والزروقية*"، للمهدي الفاسي، وله تأليف صغير فيه ولادات ووفيات أولاد الشيخ عبد القادر الجيلاني، وجمع كناشا فيه تقاييد نفيسة (توجد منه نسخة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 2389).

وهو صاحب التأليف المنسوب لابن عيشون الشراط في صالحي فاس، وذلك أن صاحب الترجمة لما أتمّ التأليف المذكور طلب من ابن عيشون أن ينسخه له ثم سافر إلى الحج، وبعد عودته شغله المرض. وبعد مدة أخبره الفقهاء أن ابن عيشون نسب التأليف المذكور لنفسه وذلك بأن حذف منه وزاد نسبته لنفسه وترجم لوالده. وعلق محمد القادري على ذلك بقوله" وابن عيشون المذكور ممّن يعجز عن فهم الألفاظ التي فيه فضلا عن جمعه".

نزل به مرض في آخر عمره فدام به نحو أربع سنين إلى أن توفي آخر شهر ذي الحجة عام 1106، ودفن خارج باب فتوح بفاس قرب قبّة سيدي أحمد اليمني. وترك من الذكور ولدا واحدا.

ع. السلام القادري، *الدر السني*، ص. 62 ؛ م. القادري، *الإكليل*، تح. مارية دادي، ص. 510 - 511 ؛ *نشر*، 3 : 67 - 72 ؛ *الزهر الباسم*، ورقة 79 ؛ ل. بروفنسال، مؤرخو، 194 - 195 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 354 ؛ الزركلي، *الأعلام*، 4 : 224.

مارية دادي

**القادري، مَحمد** (المكنى بالحاج حم)، بن **أحمد** بن عبد القادر التلوانتي شيخ الزاوية القادرية البغدادية ببني شكر، عالم ومتصوف وقاضي قلعية والمنطقة الشرقية من الشمال المغربي خلال فترة الحماية الإسبانية. ولد بالزاوية سنة 1281 / 1864 ودرس بمساجد الريف الشرقي ثم توجه إلى معهد مازونة الجزائري وعاد إلى الالتحاق بتطوان، وأخيراً توجه إلى القرويين. ومن حياة شيوخه بالقرويين نتعرف على فترة دراسته، فقد درس على الأساتذة : محمد القادري وأحمد بن الجيلالي الأمغاري (1352 / 1934) وعبد الله حمدون وصالح بن المعطي التادلي (1308 / 1891).

تصدر بعد تخرجه للدراسة بمسجد الزاوية القادرية البغدادية، وكان مركزاً دراسياً وحيداً للتعليم الأولي وتدريس العلوم والوعظ والإرشاد وتلقي التربية الصوفية في آن واحد منذ أن أسسه جده عبد القادر القادري التلوانتي، سابق الترجمة. وأولى الإشارات الدالة على ممارسة التدريس متمثلة في الحوار الذي سجله مع بعض طلبة بني يزناسن في آخر ربيع الأول عام 1311 / 11 أكتوبر 1893 بعد إثارة مسألة الطعن في نسب الشرفاء، وهو ما نتج عنه رده بعد سنوات في التقييد المخطوط المؤلف بعنوان "الشهاب الصائب بمن طعن في ذرية علي بن أبي طالب".

ونعلم من الحاج محمد القادري أنه قضى وقتا في زاوية أحمد بن عليوة الجزائري بمستغانم، حسبما أخبر به هو بنفسه. ومستغانم هي المنطقة الجزائرية التي تضم جالية ريفية قوية ناتجة عن الهجرة، تتمثل بها جميع قبائل الريف الشرقي، لا سيما المستقر منها في جهة أرزيو. ونقدر أن تلك الإقامة كانت قبل أن تؤول إليه مشيخة الزاوية سنة 1918 وطرح السؤال المتعلق بما أحيطت به شخصية شيخ مستغانم وزاويته من تهمة التعامل مع المخابرات الفرنسية، مما نفاه الحاج محمد القادري. حين اعتبر الشيخ عليوة الأب الروحي، وعبر عن تقديره له بقصيدة نشرت في قسم الشهائد التونسية تمجيدا لشيخه.

عاش الحاج محمد القادري الفترات العصيبة التي مرت بها قبيلة قلعية منذ بداية القرن العشرين، نتيجة انتقال ثورة بوحمارة إلى الشمال الشرقي المغربي، كما عاين الغزو الإسباني لقلعية وبني شكر خاصة (1909 - 1912) وما رافقه من مقاومة الشريف محمد أمزيان، وآنذاك لم يكن سوى مساعد ابن عمه شيخ الزاوية محمد القادري.

ولم تتحول مشيخة الزاوية إلى الحاج محمد القادري إلا إثر وفاة عمه سنة 1918، كان الشيوخ السابقون قد وسعوا نفوذ الزاوية خارج حدود القبيلة. ومما كان يتحسر له انتشار البدع التصوفية، وكان له دور في الدعوة إلى محاربتها.

ومن ذلك ما كتب به بتاريخ 13 رمضان 1338 / 31 مايو 1920 إلى أعيان قبيلة قلعية. قائلا : "لا مشورة في اتباع سنة، ولا نهي في انتهار صاحب بدعة، فاستعينوا بالله وتوكلوا عليه إن كنتم فاعلين، وما أظنكم تفعلون لصعوبة تغيير العوائد". وفي تلك السنة حضر الاجتماع المنعقد بدار المخزن أو قصبة فرخانة بمناسبة احتدام الجدال الواقع بين أصحاب الطرق بقلعية، وخاصة تلك التي قادها المدعو محمادي الفرخاني، سابق الترجمة، ضم الشيخين الحاج محمد القادري وعبد القادر الفكيكي، سابق الترجمة، بناء على ما جاء في تقييد هذا الأخير.

وكان الحاج محمد القادري من المهتمين بالرابطة الأسرية التي تشده إلى الأسرة القادرية المغربية المقيمة بفاس، ولا سيما أستاذه محمد القادري. وما لدينا من هذا القبيل اتصاله كتابة بأحمد بن محمد بن الحسن القادري الصويري، بتاريخ 3 شعبان 1339 / 12 أبريل 1921 طالبا منه إمداده بالوردين الكبير والصغير لينتفع بهما عامة المريدين. ويبدو أن الحاج محمد القادري طلب منه أيضا شجرة نسب القادريين العامة. ومن جواب هذا الأخير يتأكد أن رأس الأسرة القادرية بالمغرب هو عبد الوهاب البغدادي نجل عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني.

وسبب اشتهار الفقيه العالم الحاج محمد القادري كان اختياره للوظيفتين العدليتين : منصب قاضي قلعية ثم نائب قاضي القضاة بالمنطقة الشرقية على نمط إدارة الحماية الإسبانية. ومن المعلوم أن إنشاء أول نظام قضائي بالمنطقة الخليفية المحتلة يعود إلى سنة 1913، وبه أنشئ ما سمي "إدارة العدلية الإسلامية بالمنطقة الإسبانية" (Oficina de Justicia Islamica) ، وهي بمثابة وزارة العدل التي لم يشأ الإسبان التصريح باسمها، وقد استمر العمل بهذا النظام إلى سنة 1935 حيث ظهر أول إصلاح عدلي معترف بالإستقلال الشكلي للقضاء الشرعي.

وخلال هذا الطور الأول من التنظيم القضائي بالمنطقة الخليفية الذي عمل فيه الفقيه الحاج محمد القادري كان زمام التسيير المركزي في نطاق إدارة الحماية بيد "الإقامة العامة" بتطوان. وبناء على توجهاتها قسم شمال المغرب إلى منطقتين : غربية، (متيوة وبني رزين المتاخمتين لمسطاسة وبني كميل) وشرقية ممتدة من تلك التخوم إلى أن تعم جميع أراضي الريف الشرقي من واد النكور إلى حدود واد ملوية. وقد اقتطعت منها بعد ذلك المساحة التي أطلق عليها "منطقة الريف" المنحصرة بين غمارة وواد النكور لتشكل ما سمي بالمنطقة الريفية، تمييزا لحدود جارتها المنطقة الشرقية.

تقلد الحاج محمد القادري في ظل هذا التنظيم القضائي أول الأمر على قبيلة قلعية وأخماسها سنة 1922 على أكثر تقدير، وعلى ما يظهر كان الخلف المباشر لسابقه القاضي محمد أشهود البوگافري، الذي تولى القضاء قبل سنة 1319 / 1902 على عهد المولى عبد العزيز، وثبت ترشيحه حسب تقييد بتاريخ 12 جمادى الأولى 1329 / 11 مايو 1911 وآخر بتاريخ 25 جمادى الثانية عام 1329 / 23 يونيو 1911 . وبصفة عامة فقد كان تعيين الحاج محمد القادري قريبا من ذلك إن لم يكن متصلا بتاريخ إعفاء سابقه أو وفاته. وأول ما بدا للقاضي القادري الجهر به لدى وزارة العدل بالمنطقة الخليفية هو الإدلاء برأيه بما شاهده من فساد القضاء والعدل الناتج عن تهور الإدارة الاستعمارية في تطبيق الأحكام، حسبما ورد في رسالته إلى وزير العدلية أحمد الرهوني بتاريخ 18 رجب 1341 / 6 مارس 1923.

لم يطل مكث الحاج محمد القادري في هذا المنصب، إذ أن كفاءته أهلته لتحمل مسؤولية أعظم وأوسع، بناء على ما اهتدت إليه الإقامة العامة سنة 1924 من تقليص مدلول وزارة العدلية وتحويله إلى مستوى "قاضي القضاة". وعملاً بهذا التنظيم أصبح الحاج محمد القادري نائب قاضي قضاة بإدارة العدلية الشرعية الإسلامية على المنطقة الشرقية الموافقة إداريا لمنطقة الكرط حسب الاصطلاح الوقتي، وموازية لما نصطلح على تسميته بالريف الشرقي (إقليم الناظور فيما بعد). وقد تردد في قبول هذا المنصب حسب الرواية الشفوية وما انعكس في كتابته أيضا. فقبل أن يوافق على تحمل المسؤولية اتصل بشيخه أحمد علوية على وجه الاستشارة فأجابه : "إن ظننت أنك تقيم حدود الله فأنت بها أحرى، صونا لشرع الله ووفاية لقومك، وإلا فاحذر".

عين الحاج محمد القادري بظهير خليفي بتاريخ 10 جمادى الثانية 1343 / 6 يناير 1925 قاضيا متمتعا في الجهة الشرقية بصفته نائب قاضي قضاة المنطقة الخليفية، ما بين 1925 و1935 . وبقبوله المنصب توفر لدينا دليل استعداد الشيخ القادري لتجاوز العقبات المعترضة مسلك تطبيق الأحكام الشرعية التي لم تتوان الإدارة الاستعمارية الإسبانية عن خلقها طوال مدة بقائه في القضاء، ومن ذلك التغاضي عن تنفيذ أحكام الجنايات بأخماس قبيلة قلعية. ومما دل على استعداداه لتجشم المسؤولية ما سجله في وقت من أوقات النجوى لطلب النجاح في مهمته، حيث قال : "اللهم مهما أمنت علينا بتوفيق لعمل صالح فتولنا فيه، واجعله خالصا لوجهك الكريم، واحفظنا فيه من الشيطان والنفس والهوى فإنك لا يئودك حفظنا وأنت العلي العظيم".

وكانت مدينة مليلة المحتلة منذ فرض نظام الحماية مقر نيابة الإدارة الشرعية الإسلامية بالمنطقة الخليفية، إذ أنها كانت العاصمة الإدارية لعموم الريف الشرقي المحتل، وقد اختير للإدارة القضائية المبنى المحول إلى مسجد مليلة الحالي. وكان تحت نيابة الإدارة الشرعية الإسلامية بالمنطقة الشرقية التي يرأسها الحاج محمد القادري جميع قضاة المنطقة المحتضنة بقبائل الريف الشرقي، ولم يكن آنذاك مركز الناظور قد خرج بعد في سنة 1925 من طور التجمع القروي. وقد حصلنا على مجموعة أسماء القضاة بصفتهم خلفاء نائب قاضي القضاة، وكانوا موزعين على قبائل الريف الشرقي،

وبقي أغلبهم يعمل تحت إشراف النائب محمد القادري إلى غاية 1931.

اختص الحاج محمد القادري بنيابة قاضي القضاة بالمنطقة الشرقية خلال عشر سنوات، بصفة مراقب تطبيق الأحكام الشرعية بمنطقته تحت إمرة أحمد الرهوني ثم أحمد غنمية الذي تم في عهده الإصلاح القضائي، وكان نائب قاضي القضاة قد بلغ سنة 1935 من العمر 71 سنة، مما حتم عليه تقديم طلب إعفائه من المهمة، فكان له ما أراد بظهير خليفي بتاريخ 5 حجة 1353 / 15 مارس 1935، غير أنه فوجئ بعدم التخلي عن كفاءته بصفة تامة وذلك بصدور تعيينه قاضيا على مدينة الناظور وتافرسيت في اليوم التالي من تاريخ الإعفاء، وحينما أصر على اعتزاله القضاء أسندت إليه نيابة المدير العام للأحباس بالمنطقة الشرقية بتاريخ 28 صفر 1354 / 1 يونيو 1935، دون موافقته.

يعد الحاج مَحمد القادري نموذج العالم المثقف بالريف الشرقي في العلوم الدينية والأدبية، فهو عالم ومتصوف وصاحب قلم مستنير. ترك عدة آثار مكتوبة، ضاع أغلبها، وما بقي منها ينم عن آرائه في الأدب والتصوف وإصلاح شؤونه وأدواته. ونشير إلى بعض من تلك الآثار التي لا زالت مخطوطة، مثل : "الشهاب الصائب بمن طعن في ذرية علي بن أبي طالب" و"إحداث الألف والمد في الإسم الشريف"، وهو مقيد بتاريخ 15 محرم 1356 / 28 مارس 1937 وقصائد "التأنيب" و"إيقاظ البنين" و"تأديب" و"مدح الإجاص"، علاوة على كل هذا وله جملة من القصائد في موضوعات مختلفة.

توفي الحاج محمد القادري بقرية تاوريرت الشكرية مساء يوم الخميس 29 جمادى الأولى عام 1357 / 27 يوليو 1938، ودفن بمقبرة الشرفاء بالزاوية.

*وثائق عبد القادر* شقيقي القادري ؛ *تقييد الفقيه عبد القادر الفكيكي*، مخطوطة خاصة ؛ ح. الفكيكي، *مع الفقيه الحاج حم الشكري*، القنيطرة، 2003 ؛ محمد بن محمد بن عبد الباري التونسي، *كتاب الشهائد فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي*، تونس، 1925 ؛ *معلمة المغرب*، 6 : 2009 ؛ عبد الهادي التازي، *جامع القرويين*.

*Boletin Oficial de la Zona de Protectorado Español en Marruecos*, 1925, 1935.

حسن الفكيكي

**القادري، محمد** بن **إدريس** بن محمد بن الغالي القادري الحسني، الشيخ العلامة المحدث المطلع النحرير المؤلف المشارك، ولد بالجديدة سنة 1291. أخذ عن مجموعة كبيرة من الشيوخ منهم الشيخ محمد - فتحا - بن الشيخ قاسم القادري والشيخ أحمد بن محمد بن الخياط والشيخ جعفر ابن إدريس الكتاني الحسني والشيخ أحمد بن الطالب بن سودة والشيخ محمد بن التهامي الوزاني والشيخ التهامي بن المدني كنون والشيخ عبد الهادي ابن أحمد الصقلي الحسني، والقائمة تطول فصل فيها الذكر ابن سودة في كتابه *"سل النصال"*. كما أجازه جماعة من الشيوخ منهم الشيخ يوسف ابن إسماعيل النبهان نزيل دمشق، وتبرك أيضا بجماعة من الأفاضل منهم الشيخ محمد بن محمد بن الشيخ الصقلي المعروف بالسيد، وأجازه بالطريقة الدرقاوية الشيخ محمد بن الأعرج عن الشيخ بوعزة الحثمي عن الشيخ العربي الدرقاوي. وأما الطريقة القادرية فأجازه بها الشيخ الأستاذ البركة المسن التهامي بن محمد الحداوي البيضاوي، يقول ابن سودة عن هؤلاء الشيوخ الذين أخذ عنهم المترجم : "كل هذه التفاصيل عن أشياخ صاحب الترجمة نقلتها من إجازته للشيخ المكي بن محمد البطاوري الرباطي وهي شبه فهرسة له : له عدة تآليف منها : الأحاديث المستطابةفي بعض ما ورد في فضل الدعاء وشروط الإجابة، وإزالة العنا عن المتحير في مسألة هل شرع من قبلنا شرع لنا، والإعلام بتعليق في قول المحادي الكلام، والإلماع بما يتعلق بشيء من مسألة الرقص والسماع، والإلهامات المنامية بالفيوضات الإلاهية، والإلمام بشيء مما يتعلق بالإختام، واستجلاب الإمداد بذكر آداب الأوراد، والقول الراقي في حل ما أشكل من ألفية الحافظ العراقي، وأسباب الإيضاح لتنويم الأرواح، وبلوغ الرضى بشرح الدرة البيضا، وشرح سنن الترمدي، وتأليف في حديث "ماء زمزم لما شرب له" وتحريك كامن الأشواق إلى معرفة بعض كرامات قطب العراق، والحلل السندسية إلى طلب الإذن في الطريقة المحمدية القادرية، وخلاصة الأصفيا على حديث "كنت نبيا" والخير المدرار على حديث "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"، والدرر المبتهجة في شرح القصيدة المنفرجة إلى غير ذلك من الكتب التي أشار إليها ابن سودة بقوله : "ألف تآليف عديدة ذكر بعضها في آخر تأليفه الذي سماه : *إزالة الدهش* ... وهو مطبوع بمصر سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف، ونأتي على ذكرها إتماما للإفادة..."

توفي المترجم بمدينة الجديدة التي هي مسقط رأسه، وكان من أهل العلم والعمل بهاإلى أن قبض رحمه الله، سنة 1350 ودفن بزاوية القادريين.

ابن سودة، *سل النصال*، و*دليل مؤرخ المغرب*، 1 : 265، ط 1 ؛ الزركلي، *الأعلام*، 6 : 28.

عبد القادر سعود

**القادري، محمد** بن **الطيب** بن عبد السلام بن الطيب ابن محمد القادري الحسني، فقيه زاهد، مؤرخ نسابة.

ولد بمدينة فاس في 7 ربيع الأول عام 1124 / 14 أبريل 1712، وتربى في حجر والده الطيب بن عبد السلام القادري الذي كان فقيها متميزا بالقناعة والزهد في ملذات الحياة، شأن كافة أفراد عائلته الذين لم يكن لواحد منهم حرفة سوى حفظ القرآن وتعلم العلم.

درس علوم الفقه ومصطلحات الحديث، وعلوم القرآن، وعلوم العربية، بالإضافة إلى علم التصوف والعقائد والمنطق

والحساب على يد علماء أجلاء بمدينة فاس، منهم : محمد بن عيسى الميسوري (ت. 1150 ) وأبو جيدة بن محمد المشاط (ت. 1148 )، ومحمد التاودي بن الطالب بن سودة (ت. 1209 ) وعبد القادر بن العربي بوخريص (ت. 118) ويوسف المجيلدي (ت. 1148 ) وعبد المجيد بن علي الزبادي (ت. 1163) وغيرهم. وأخذ بالإجازة فقط عن علماء بعيدين عن مدينة فاس منهم محمد الحفناوي المصري (ت. 1182)، وعيد بن علي النمرسي (ت. 1140)، وأحمد بن محمد المؤقت المقدسي (ت. 1171).

هذا إضافة إلى شيوخ آخرين أخذ عنهم علوم التصوف والتربية الطرقية منهم : محمد المدرع الأندلسي (ت. 1147) وأبو بكر بن محمد الدلائي (ت. 1149) وعبد السلام التواتي (ت. 1155).

إلا أن أهم شيوخه هو محمد الكبير السرغيني (ت. 1164 ) الذي لازم القادري مجلسه سنين طويلة وأصبح ساردا فيه، وانطبع بشخصيته، مما جلعه يحذو حذوه في اهتمامه بتراجم الرجال.

حصل محمد القادري على أول إجازة علمية على يد شيخه محمد بن الحاج التلمساني سنة 1164، ثمّ أخذ إجازة أخرى عن الشيخ الحفناوي المصري سنة 1175، وثالثة على يدي الشيخ محمد جسوس. بعد ذلك بدأ بإعطاء دروس للطلبة في بعض مساجد فاس خاصة مسجد لأندلس، إلا أن قلمه كان أبلغ من لسانه كما ذكر تلميذه الحوات.

من تلامذته : سليمان الحوات (ت. 1231) وأبو القاسم الزياني (ت. 1249) وابنه يحيى الذي توفي سنة 1205.

تعاطى محمد القادري لقرض الشعر بإيعاز من والده، بدأ أول أمره بالرثاء فأنشأ قصيدة رثى بها محمد الخديم الدلائي (ت. 1149) وأخرى رثى بها ابن عمه القاسم بن عبد السلام القادري (ت. 1151 )، ثم بعد ذلك أصبحت قصائده تشمل المدح والوصف وغيره، فلم يترك القادري فرصة تمر إلا وأنشأ قصيدة في موضوعها حيث نجد عدداً من القصائد في ثنايا كتبه، بل نجد مؤلفات كلها منظومة، إما عبارة عن أراجيز وإما عبارة عن قصائد منظومة في مئات الأبيات، مثل كتاب "*فريدة الدر الصفي في وصف الجمال اليوسفي*" الذي يشكل 310 أبيات، وكتاب "*درة المفاخر*" الذي يشمل 736 بيت.

ألف محمد القادري حوالي 30 مؤلفا في مواضيع متنوعة، أكثرها في التراجم والأنساب والتاريخ والتصوف، وبعضها في السير وعلوم القرآن والأدب، منها "*الزهر الباسم في مناقب سيدي قاسم*"، و"*نشر المثاني*"، و"*الإكليل والتاج*"، و"*التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر*" في الأنساب، و"*درة المطالب في نسب أبي غالب*"، وغيرهم.

تزوج محمد القادري في بداية حياته بفتاة من أسرة الشرفاء الصقليين وأنجب منها ابنه يحيى، ثم انقطع لخطة العدالة بسماط عدول القرويين بمدينة فاس، وعاش طول حياته زاهدا متقشفا متصفا بالصلاح والتصوف، وفي آخر أيامه تولى خطة الإمامة والخطابة بجامع الأندلس العتيق عن تكليف من سلطان الوقت المولى محمد بن عبد الله

توفي محمد القادري وهو خطيب بمسجد الأندلس عشية يوم الخميس 25 شعبان 1187 / 11 نونبر 1773، وتمت الصلاة عليه يوم الجمعة بمسجد الأندلس، ودفن بمقبرة أسلافه بأعلى الجنان خارج باب الفتوح بمدينة فاس. وقد أرخ تلميذه سليمان الحوات ولادته ووفاته بحساب الجمل بقوله :

والقادري شيخنا أكبر الأجلّ   ولد في العلم بدره استهــلّ
وسارَ بعْدُ لجنـــان الخلــد   مُنذُ قضى فغابَ بدر المَجد

خلف محمد القادري ولدا واحدا هو يحيى، وكان خيّرا فاضلا بصيرا بأخبار النوادر حسن المحاضرة مع الأكابر، غير أنه لم يعمّر طويلا فتوفي سنة 1205. وخلف يحيى كذلك ولدا واحدا اسمه محمد، غير أنه توفي بالطاعون عن غير عقب وذلك سنة 1214، وبوفاته انقطع عقب محمد بن الطيب القادري.

محمد بن الطيب القادري، *الإكليل والتاج*، تح. مارية دادي ؛ *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي ؛ *نشر المثاني* ؛ س. الحوات، *ثمرة أنسي*، مخ. خ. ح. رقم 11861، ص. 19. 20 ؛ *السر الظاهر*، م. 20، ص. 30 ؛ الكتاني، *سلوة*، 2 : 351.

مارية دادي

**القادري، محمد** بن **محمد** الصغير، ولد حوالي سنة 1864، وخلف عمه عبد القادر القادري سابق الترجمة، على مشيخة زاوية هرك القادرية في أواخر سنة 1903 ومن مراسلة موجهة إليه بتاريخ 6 شوال 1321 / 26 ديسمبر 1903 نستطيع التأكد من تسلم زمام المشيخة بصفة نهائية. عاصر الشيخ القادري أحداث بوحمارة وحركة الشريف محمد أمزيان وأخيراً عاش الفترة الأولى من عهد الحماية الإسبانية.

لم يختلف موقف محمد بن محمد الصغير القادري تجاه الأحداث الدائرة بقلعية عما سبق من موقف شيوخ زاوية هرك المزدوج، الحريص على إبقاء الدور المخزني في المقام الأول ضمن السياسة المتبعة من طرف المؤسسة القادرية، دون التخلي عن فكرة المقاومة التي كان لمحمد الصغير رأي خاص في معالجة أوضاعها.

وما ذكرته الرواية الإسبانية يؤيد هذا الموقف المزدوج، ففي الوقت الذي كان فيه اسم شيخ الزاوية الراهن مخيفا للإسبان، ومن الذين يحسب لهم حسابهم في مجال المقاومة، عبر في مستهل يوليو 1909 عن ضرورة تأجيل العمليات الحربية التي كانت تدبر ضد مليلة وتعديل أساليبها إلى حين اكتمال الشروط الحربية، مما جعله أخيراً يفضل التزام الحياد. والحياد الذي يشير إليه الشيخ محمد القادري لا يعني سوى الجانب الحربي المنذر بعدم التكافؤ الصارخ بين القلعيين والإسبان.

ونحن نعلم من جهة أخرى سبب دعوة الشريف القادري إلى الانضمام الفعلي لحركة مقاومة الإسبان، إذ أن الشريف

محمد أمزيان ورجاله كانوا يعدون بمهاجمة منشآت السكة الحديدية المنجزة بأرض فرقة بني أنصار إلى غاية مستهل يوليو 1909 ، لا سيما وأن بني شكر كانت قد شاركت بشيخها عبد القادر بن الحاج الطيب العبدوني في ذلك الحدث الهام. لكن هذا الموقف لم يمنعه من مشاركة الحركة في البحث عن حلول أملت الحركة أن تكون أكثر نجاعة، منها طلب المساعدة من السلطة المخزنية المركزية الحفيظية. هذا هو ما يوضحه قبول محمد الصغير القادري المشاركة في الوفد المتوجه إلى فاس.

وعلى الرغم من إنكار الرواية الشفوية توجه القادري رفقة محمد الشادلي على رأس الوفد القلعي إلى فاس، فإننا نعلم أنه كان بالمدينة يوم 25 أكتوبر 1909 وبقي بها إلى مستهل ديسمبر 1909. وهناك ما يساند توجهه إلى فاس مما وجدناه في سياق الرسالة الموقعة من طرفه في أواخر أكتوبر 1909 . جاءت تلك الزيارة بعدما عرض حاكم مليلة الجنرال مارينا على الشريف محمد أمزيان الاتفاق على استغلال معدن جبل إكسان، وكان جواب الشريف ما نعلمه من المصادر الأجنبية وما نقله الحاج العربي الورياشي من أفواه الشهود المعاصرين للأحداث.

وإذا ما أردنا معرفة ما ذا جرى بعد ذلك في ساحة زاوية هرك وعن رئيسها صاحب الترجمة، فإننا لن نخرج عن إثارة الأحداث التي جعلت فرخانة وبني شكر تتعرضان للغزو الإسباني. وعن هذا الغزو نجد ما ساهمت به الرواية الشفوية التي أوضحت نزول القوات الإسبانية بساحات الزاوية واتخاذها قاعدة للانطلاق نحو داخل شبه جزيرة هرك. فقد تحدثت تلك الرواية عن نزول 24000 جندي إسباني في نهاية شتمبر 1909 أثناء غياب شيخ الزاوية بفاس. وهذا يجعلنا نقر أن دور الزاوية السياسي حيال الوجود الإسباني كان قد انتهى. وعلينا أن نتابع ما أسفر عنه الغزو بما نعرفه من مسالمة بني شكر على يد قائدها عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري إلى الإعلان عن وفاة محمد القادري الصغير سنة 1918 وصعود نجم خلفه الحاج حم القادري سابق الترجمة.

*وثائق عبد القادر* شقيقي القادري ؛ *مذكرات عبد القادر* شقيقي القادري ؛ العربي الورياشي، *الكشف والبيان* ؛ حسن الفكيكي، *الحاج حمو الشكري*، القنيطرة، 2003.

Riera, *España en Marruecos, Cronica de la Guerra de 1909*, p. 379.

حسن الفكيكي

**القادرية**، أسرة وزاوية : بالشمال الشرقي المغربي، من قبيلة قلعية بإقليم الناظور. تعرف الأسرة والزاوية بالقادرية البغدادية إشارة إلى نسبهما الأصلي المتصل بالشيخ عبد القادر الجيلاني البغدادي. ومعلوم أن القادريين شرفاء مندرجون ضمن السلالة الحسنية انتقلوا من الكوفة إلى المغرب إثر النزاع الذي احتد في آخر العهد المريني، وبعد إعراض السعديين عنهم بسبب علاقتهم مع أتراك الجزائر انتعشوا مع ظهور العلويين وبرزوا في ميدان التصوف والعلم والتجارة.

وما يهمنا منهم رب الأسرة الذي قصد قبيلة قلعية للاستيطان، فمؤسس الزاوية من الأسر التي سبق لها أن استقرت بالغرب الجزائري، بقرية تالوانت، الواقعة بجوار مدينة معسكر ربما في أواخر العصر المريني، على أثر استقرار الأسر القادرية بمدينة فاس في نفس الفترة. ومن قرية تالوانت تحول مؤسس الزاوية البغدادية عبد القادر القادري آتي الترجمة، بمفرده في ظروف نجهلها إلى خميس بني شكر بقلعية. وتقع الزاوية على الشاطئ الشرقي من شبه جزيرة هرك، على بعد كيلومترين فقط من حدود مليلة المغتصبة، وهي تابعة حاليا للجماعة القروية بفرخانة.

ويمتاز السلوك الصوفي للقادريين القلعيين بالبساطة والاعتماد على الاتجاه السني، بعيدا عن المبالغات والبدع، ولذلك حرص الشيوخ على الدعوة إلى الالتزام بالأخلاق الصوفية النقية الهادئة وترك البدع. وقد برز عدد من شيوخها في المجال الصوفي.

وإذا كان المؤسس عبد القادر التلوانتي قد ارتبط جهاده بالجزائر فقد ساهم الشرفاء القادريون الهركيون بحكم الجوار للخلية الأجنبية المرابطة بمليلة في نظام المقاومة التي كانت قلعية تخوضها ضد الإسبان المحتلين. هذا هو ما تبين بوضوح بعد وفاة المؤسس على يد ابنه البكر محمد القادري الكبير (1810 ـ 1878) كما أن ابنه الثالث أحمد القادري استشهد بحدود مليلة سنة 1871 في معركة بجوار رباط مليلة قادها القلعيون من أجل الحيلولة دون حفر وادي المدور ما بين يونيو وديسمبر السنة.

ولم تنج الزاوية من طغيان مليلة بسبب دعم المقاومة المغربية المعنوي والمادي، ففي سنة 1308 / 1891 هاجمت السفن الإسبانية الزاوية من جهة البحر أثناء مقدمات حرب سيدي ورياش. وقد لعبت الزاوية إلى جانب المخزن الحسني والعزيزي دوراً في حل المشاكل الناجمة عن تحرشات مليلة وتوسيع حدودها. كما كان لها دورها في حركة الشريف محمد أمزيان وقام محمد الصغير القادري بزيارة مولاي عبد الحفيظ بمعية محمد الشادلي قصد إشعار السلطان بخطر الزحف الإسباني على أراضي قلعية. وقد تابع الشرفاء القادريون تقاليد الزاوية ومؤسسها في المجالين العلمي والروحي خلال الفترات التالية، ونبرز لاحقا من أعلامها المرموقين ترجمة القادري عبد القادر التلوانتي والحاج القادري.

*أرشيف* مديرية الوثائق الملكية بالرباط ؛ *شهادة النسب* المحررة سنة 1338، *مذكرات عبد القادر* شقيقي القادري ؛ *وثائق الزاوية القادرية* بحوزة عبد القادر شقيقي ؛ *معلمة المغرب* ؛ ضابط الأمور الوطنية، تطوان، 1952 ؛ وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية، إدارة الشؤون السياسية والاقتصادية، *وثائق مصورة* بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

حسن الفكيكي

**القادس** (Galère) يدعى أيضا الشيني والجالير والغالير، وهو مركب مجذافي من النوع المتوسطي المستعمل قديما. ويمتاز بهيئته المستطيلة والدقيقة، وبامتداده الطولي البارز الذي يتراوح ما بين خمسة وسبعة أضعاف عرضه، حيث يصل في الأقصى إلى خمسين مترا وعرض ضيق بمتوسط عشرة أمتار، وبقلة ارتفاع سطح هيكله عن سطح الماء. ونظرا لاعتماده على المجذاف كان القادس يحتوي على خمسة وعشرين مقعدا من كل جانب، يبلغ طول كل منها ثلاثة أمتار ونصف، وتشغل خمسة جذافين في القادس العادي، وأربعة في نظيره الحربي، لتسيير مجاذيف يصل طولها إلى أزيد من خمسة عشر مترا.

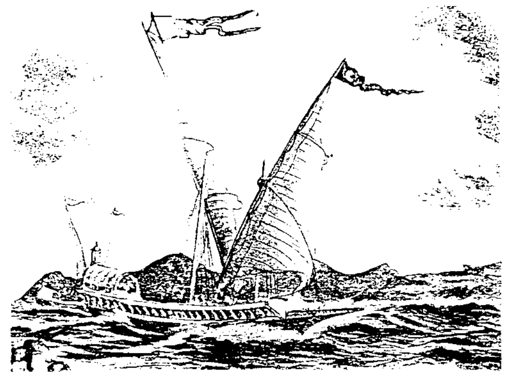

وقد عرف القادس منذ القرن (16 م) تطوراً إيجابياً ناجماً عن تدعيمه بالأشرعة، مما جعله أكثر يسرا في المناورة، وذا إمكانية أفضل في التحكم في المسارات تقدما وتراجعا، وعدم الخضوع للرياح، مما جعل الأب دان يفضل تسميته بملكة البحر وبالنسر.

وبالمقابل، اتسم بعجزه عن مقاومة التيارات المائية وضعف قابليته للإبحار أثناء رداءة الأحوال الملاحية، الأمر الذي أظهر عدم أهليته للعمل في المياه الأطلنتيكية رغم مبادرة رجال الجهاد البحري إلى التقليص من حجمه وحمولته، حيث أن اعتماده على القوة العضلية، وعجزه عن مواجهة أمواج الأطلنتيكي، وعن تحمل الرحلات طويلة المدى سرعان ما أدى به إلى التراجع في قائمة السفن المعتمدة، ولم يبق له حضور متميز إلا في مرفأي تطوان وطنجة خلال القرن (17 م)، وامتد العمل به على الأقل حتى نهاية العهد الإسماعيلي.

النخيلي، *السفن الإسلامية*، ص. 21 ـ 81 ـ 83 ـ 85 ـ 118.

Dan, *Histoire de Barbarie*, p. 306-308 ; Stanley Lane-Poole, *The barbary corsairs*, Darf publishers Ltd, London, 1984 (1ère éd. 1890),, p. 206-214, 229 ; Bono, *Les corsaires ...*, p. 97.

حسن أميلي

**قادوس**، مصطلح القادوس لم يكن معروفا في اللغة العربية القديمة، لكن نجد مصطلح القَدَس أو القُدُسَ الذي يشرحه القاموسيون بالسَّطل أو القدح الصغير. وفي القرون الوسطى ظهر في اللغة العربية مصطلح القادوس الذي يُفسر "ما يجعل فيه الحب عند الطحن وتُسميه العامة الكوز (المنجد في اللغة والأعلام). وهو كذلك "إناء يُخرج به الماء من السواقي".

وفي اليونانية واللاتينية تعني كلمة قادوس "إناء من الطين المطبوخ يُستعمل لاستخراج الماء من الآبار". وفي اللغة المغربية الحديثة يعني مُصطلح قادوس "أنبوباً من الطين المطبوخ" يستعمل لإجراء الماء. ويعني تارة أخرى آنية فخارية تستعمل لدفع الماء من الآبار.

على العموم فالقادوس تقنية من التقنيات التي استُعملت في المغرب كوسيلة لاستعمال الماء الذي لعب ولازال دوراً أساسياً وحيويا في حياة الإنسان المغربي عبر التاريخ، سواء لاستخراجه من الآبار أو إفراغه من المناجم أو لإجرائه إلى الأجنة والبساتين أو لتزويد المدن العتيقة بالمياه لتلبية حاجيات البيوت والحمامات والفنادق والجوامع. وقد اتخذ القادوس عدة أشكال وتسميات أحياناً من جهة لأخرى.

ففي الأرياف المغربية يُطلق مصطلح القادوس أحياناً على بناء يسمح بحمل الماء من ضفة وادي إلى الضفة الأخرى كما هو الحال ببلاد السراغنة. وهي تقنية تتخذ شكلين :

الشكل الأول تكون فيه الساقية أو القناة التي توجه الماء محمُولةً لتجاوز المشاكل التي تطرحها الطبغرافية أمام مَدِّ قنوات الري من سواقي وغيرها. ويكون القادوس في هذه الحالة على شكل جدارٍ متين مبني بالحجارة المرصوصة بالجير المخلوط بالطين ومقامٍ بكيفية متعامدة مع تيار السيل. ولتحاشي نجخات هذا الأخير ودفعاته القوية، والتي قد تقوضه، يتم تشييده على الشكل التالي :

- بناء مخارج للماء السيلي تُدعى محليا "بالخرَّجات" وهي أقواس معززة بجدار قصير مائل مدعم بقاعدتها. وهي شبيهة بالأقواس التي نجدها بالقناطر الطرقية العتيقة أو بأسوار المدن القديمة.
- فوق المخارج تشيَّد القناة المحمولة التي تربط جانبي الوادي. ومما يزيد "القادوس" متانة أنه يتم تبليطه بالجير والطين على شكل طلاء أملس شبيه "بتادلاكْتْ".

الشكل الثاني يكون فيه القادوس عبارة عن قناة مدفونة تحت سرير أو سليل الواد يتم تشييدها أثناء فترات الشُّح، بحيث تحفر وتبنى بالحجارة المسلحة بالجير المخلوط بالرمل والطين، مما يجعله بنياناً مرصوصاً وقوياً يتحمَّل الثيار المائي القعري. ويتكون القادوس في هذه الحالة من :

- القناة المدفونة
- تربط القناة بين بئرين : واحدة بالضفة اليُمنى والأخرى بالضفة اليسرى للوادي، على أساس إمكانية مرور الماء من إحداهما للأخرى إذ لابد من انحناء خفيف أو استغلال التوازن الهيدروستاتي).

في جهات أخرى من الأرياف المغربية القادوس عبارة عن آنية فخارية لها شكل مكون من ثلاثة أجزاء : عريضة من جهة الفم، ضيقة في الوسط، وعريضة في المؤخرة مع قاعدة

ذات رأس مستدير. وهو شكل شبيه بالقادوس اليوناني - اللاتيني. وفي هذه الحالة كانت القواديس تشكل سلسلة من الأواني الفخارية المركبة على الدائرة في الناعورة أو السانية التي يستقى بها الماء. وقد انتشرت هذه التقنية على ضفاف الأنهار بضواحي فاس مثلاً، أو بضواحي المدن بالاجنة و"السواني" كما هو الحال بأرباض سلا والرباط. وبالرباط نجد مصطلح "قلوش" الذي يعني "أنبوب قناة ماء" أو قنطرة ماء.

كما استُعمل القادوس على شكل آنية فخارية لاستخراج الماء الفائض المعرقل للاستغلال المنجمي بمناجم الفضة بالعهد الموحدي على الخصوص. والقواديس هنا عبارة عن "كيزان" طينية (جرات) استعملت في الدواليب كتقنية لتفريغ مياه السديمة كما هو الحال بمنجم زكندر بالأطلس الصغير خلال العهد الموحدي.

وبالمدن المغربية العتيقة استعملت القواديس كتقنية لتوزيع المياه أو تصريفها كما هو الحال بمدن مراكش وفاس. وقد أشار أبو عبد الله الشطيبي في كتابه *"صناعة الفلاحة"* إلى صناعة القواديس وهندستها وكيفية وضعها وإجراء الماء فيها. وبهذه المدن كانت القواديس تستعمل لجر الماء من الأنهار والعيون والخطاطير لغسل المراحيض أو كقنوات لتصريف مياهها ومياه المنازل والدور حيث تشيد القواديس لتصب في الأنهار المجاورة، كما هو الحال بمدينة فاس. كما كانت القواديس وسيلة لملء الصهاريج الموجودة بالدور والفنادق والحمامات أو حمل الماء إلى العراصي والخصات والحدائق.

وقد استعملت هذه التقنية في المدن العتيقة كفاس، ومراكش وسلا والرباط. وقد تحدثت المصادر عن أعمال هائلة في هندسة توزيع المياه بفاس وصلت إلى مستوى تقني وتنظيمي محكمين، حيث جُمعت مياه نهر مصمودة في سد ووُزعت في قنوات موصلة بهدف تزويد البيوت الكبرى والمساجد والمدارس والسقايات. وهي تقنية مبتكرة سهرت عليها حرفة منظمة متخصصة في وضع القنوات "القواديس" وإصلاحها وكنسها تدعى "بالقوادسية".

وفي الأخير نشير إلى أن مصطلح "قادوس" أطلق كذلك على الأنابيب الخشبية أو الفخارية أو القصديرية، وحاليا البلاستيكية التي تستعمل لتصريف مياه الأمطار من عالي سطوح المنازل وغيرها.

م. فتحة، *نازلة وادي مصمودة بفاس*، منشورات كلية، الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، *سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 11*، 1999 ؛ الموساوي العجلاوي، *تقنيات استخراج المياه الباطنية في مناجم الفضة بالمغرب*، (2 هـ - 7 هـ / 8 - 13 م).

L. Brunot, *Noms de récipients à Rabat*, in *Hespéris*, 1921, p. 133 ; G.P. Colin, *Etymologie maghrébine*, n° 46, in *Hespéris, t. VI, 1926, p. 79* ; *La Noria marocaine et les machines hydrauliques dans le monde arabe, Hespéris, t. XIX, 1er trimestre, 1932*, p. 23 - 60.

أحمد زروال

**قارة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Caras ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ومن أشهر أفرادها : الحاج محمد قارة قائد العسكر بحامية تطاون سنة 1246 (1830).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**قارة** (حبس)، هو الاسم الشائع الذي يطلق على المطبق أو الدهليز - على حد تعبير الزياني في الترجمانة - الذي بناه السلطان مولاي إسماعيل تحت الأرض. بجوار دار المخزن، ويصفه ابن زيدان في *الإتحاف* بقوله : "ومن تأسيساته السرداب الهائل الكائن تحت أرض فسيح قبة الخياطين، ذو الأساطين المحكمة البناء والأقواس الضخمة الشاهقة ..." وكان هذا السرداب يمتد تحت الأرض في مساحة شاسعة مهولة مما جعل العامة تنسج حوله الحكايات وتعتقد أنه يمتد تحت القصبة - الاسماعيلية وله منافذ تفضي إلى مخارج المدينة الأربعة.

أعد هذا المطبق ليكون سجناً للأسرى الأوربيين الذين كانت تعجُّ بهم مدينة مكناس ولذوي الجرائم العظيمة فكانوا يبيتون فيه ليلاً ويخرجون نهاراً للخدمة. ومن أشهر الأسرى الذين ضمهم ذلك السجن جرمان مويط Germain Mouette صاحب الرحلة المشهورة الذي قضى به ما يقرب من 10 سنوات (1672 - 1681).

ومدخله الأول ما يزال مجهولا وإنما يُنزل إليه من نقب في سطحه على مقربة من قبة الخياطين وهو محمول على أقواس تتخلل أوائلها نوافذ سقفية للاضاءة. أما تسميته بحبس قارة فلا يعرف لها سبب.

وقد قامت السلطات بغلق منافذ ممراته بجدران تحول بين الزائرين له والتيه في سر اديبه المخيفة، وما زالت أساطينه تحمل آثار السلاسل الحديدية التي كانت تغل السجناء.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 135 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 359 ؛ م. المنوني، *دليل القصبة الاسماعيلية* ؛ *دعوة الحق*، ع 4، ص. 109 ؛ *زيارة شخصية لعين المكان*.

رقية بلمقدم

ابن **قاسم**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çaçim - Casim - Bolcasim ، ومازالت باسبانيا أسر تحمل اسم Benicasim، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان. وكان من بين أفرادها : عبد الله بن قاسم الذي زاول خطة العدالة سنة 1156 (1743).

أحمد بن قاسم الذي كان أسيراً بفرنسا منذ سنة 1128 (1716) يحمل رقم 1501 وقد أطلق سراحه يوم 12 ماي 1717.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**قاسم** (ابن -) **أحمد** بن عيسى بن عبد الكريم السفياني، المعروف بأبي عسرية وبابن اللوشة، إليه تنتسب مدينة سيدي قاسم، اشتهر عند مترجميه باسم : اللوشي، اللوشة، بلوشة، للوشة. ويلقب عند مريديه وأصحابه وغيرهم بأبي عسرية، لأنه كان يعمل بيده اليسرى.

وهو الولي الصالح الأكثر شهرة في بلاد الأزغار، موطنه الأصلي هو دوار الزوايد السفياني في بلاد حروش. كان في شبابه يعد من أشجع رجال قبيلته وأحسن فرسانها. وعندما مسته الرحمة الربانية والنور الرباني، فارق كل شيء، وفقد ذاكرته، ورافق الحيوانات المتوحشة.

التقى في فاس الشيخ يدر، وحصل على بركته، وذلك أثناء سفر قام به صحبة والده إلى فاس لبيع السمن. أخذ الطريقة الجزولية، وضمنها الشاذلية والزروقية، عن شيخه محمد الشرقي عن عبد الله بن ساسي عن عبد الله الغزواني عن التباع عن الجزولي بسنده إلى أبي الحسن الشاذلي. وقيل إنه أخذها عن الشيخ عبد السلام بن مَحمد الشرقي.

وعندما ذاعت شهرة ابن اللوشة قصده الناس من كل الجهات للأخذ عنه. ولقي في فاس كذلك عدداً كبيراً من الأولياء أخذوا عنه، وانتفعوا ببركته، منهم : الصالح منصور، المدعو أبو حفرة، دفين الحفارين من فاس، والشيخ علي عزوز التونسي، والشيخ أحمد السوسي المراكشي والشيخ محمد بن أحمد المكناسي المسطاري، الذي أسس زاوية في مدينة بنزرت التونسية لنشر الطريقة القاسمية في أواخر القرن (11 هـ / 17م).

ولكنه ترك عدداً كبيراً من المريدين والتلاميذ والزوايا في عدة أماكن، منها زاوية في سلا قبالة مسجد الإمام ابن عباد، وزاوية في بلاد حروش. على أن أهمها هي الموجودة على ضفة واد الردم في بلاد الأزغار حيث مدفنه وخدامه - وهم متنوعون، منهم بعض الخلط - الذين تسموا باسمه، وأصبحوا يعرفون بـ "أولاد سيدي قاسم" وهم موقرون، ويتقبلون الهدايا والهبات.

م. بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ص. 103.

Michaux-Bellaire, *Le Gharb*, p. 258, 261 et 263 ; *Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région*, t. 3, p. 324 et 352

المصطفى البوعناني

**القاسم** (أبو -) **القبتوري** أبو القاسم خلف بن أبي الأصبغ عبد العزيز بن محمد بن خلف بن عبد العزيز بن محمد الغافقي الإشبيلي القبتوري، قد يكون من أصل عربي نسبة إلى قبيلة غافق اليمنية التي رافقت مجموعات منها حركات الفتح الإسلامي الأولى في إفريقية وخصوصا الأندلس، ويلقب بالإشبيلي نسبة إلى إشبيلية لكونها مسقط رأسه، والقبتوري نسبة إلى قرية قبتورة أو كبتورة الواقعة في الجنوب الغربي من إشبيلية على الوادي الكبير والتي ربما شكلت إحدى أماكن استقرار عائلته قبل نزولها في إشبيلية.

ولد في إشبيلية في شهر شوال من سنة 615 / 1218 وبها قضى طفولته وشبابه، ولم يغادرها مجبراً مع باقي أعيانها وأهاليها إلا في سنة 646 / 1248 حينما استولى عليها الإسبان. تتلمذ بإشبيلية على أبيه الذي وصفه التجيبي في رحلته بـ "الشيخ الصالح الحافظ"، كما أخذ بها عن المقرئ والنحوي أبي الحسن الدباج وابن أبي الربيع النحوي الشهير، وجلس للاستماع بالقاهرة أثناء رحلاته الحجازية إلى النجيب بن الصيقل، وأبي الحسن الغرافي بالإسكندرية، والرضي بن البرهان بمكة.

اشتغل لدى الإمارة العزفية في سبتة عند وفوده عليها ككاتب لديوان أبي القاسم العزفي طيلة مدة إمارته التي امتدت مدة ثلاثين سنة، واستمر في مهنته في عهد ابنيه أبي حاتم الذي لم تدم ولايته أكثر من سنة وأخيه أبي طالب بعد ذلك في سنة 678 / 1280 . نعلم أن القبتوري ظل في سبتة إلى حدود سنة 686 / 1287 تاريخ كتابته لثاني الإجازتين اللتين بعثا بهما مع الفقيه ابن رشيد لأبي الفضل التجاني التونسي، إلا أننا لا نعلم أي شيء عنه خلال عشرة السنوات التالية أي إلى حدود سنة 696 / 1297 حين خرج حاجا للمرة الثانية ومجاوراً بالديار المقدسة، من المحتمل أن يكون قد اقتبل خلال هذه الفترة في تونس حيث مكث للتدريس مدة طويلة يصعب تحديدها، وحيث جلس للسماع عليه ابن جابر الوادي آش وغيره. وخلال إقامته بالديار التونسية ترك نسخة من مختارات رسالاته التي كتبها حينما كان كاتبا في ديوان الإمارة العزفية، وهو ما يفسر في حد ذاته وجود النسخة الوحيدة لرسائله الديوانية بمكتبة جامع الزيتونة. ولم ينقطع عن التدريس حتى وهو مجاور بمكة والمدينة، حيث أخذ عنه الفقيه فتح الدين بن سيد الناس، بينما يذكر من تلامذته السبتيين والأندلسيين ابن رشيد السبتي وابن جابر الوادي آشي وحيان الأندلسي وعبد المهيمن الحضرمي وخصوصا أبو القاسم التجيبي رفيقه في رحلته الحجازية والجامع الحافظ للكثير من آثاره. وتجمع التراجم التي خصها تلامذته لشيخهم على أنه كان من أهل الصلاح والفضل والتقوى. كما أنه بالرغم من تصنيفه ضمن جماعة النحاة والمحدثين، فلم يذكر له أي تأليف في هذين العلمين، ولم يخلف سوى مقتطفات من رسائله الديوانية من الأمراء العزفيين، وبعض المقطوعات الشعرية التي تتوقف أغراضها عند المديح النبوي والتعبير عن حالات نفسية صادقة.

توفي في المدينة المنورة في أواسط سنة 704 / 1304 (*برنامج*، 63 ؛ *مستفاد*، ص. 53 - 451 ؛ *نفح*، ص. 595).

ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، تح. محمد سيد جاد الحق، ط 2، الجزء 2، 1385 / 1966، ص. 174 ؛ ابن جابر الوادي آشي، *برنامج الوداي آشي*، تح. محمد محفوظ، بيروت، 1400 / 1980 ؛ القاسم التجيبي، *مستفاد الرحلة*

*والاغتراب* ، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا ـ تونس، 1395 / 1875؛ المقري، *نفح الطيب*، تح، إحسان عباس، بيروت، الجزء 2 : 1388 / 1968، ص. 595 ـ 596 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال* ، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، الجزء 1 : 1390 / 1970 ؛ خلف الغافقي القبتوري، *رسائل ديوانية*، تح. محمد الحبيب الهيلة، الرباط، 1399 / 1979 ؛ أ. بابا التنبكتي، *كتاب الديباج*، بيروت ـ لبنان، ص. 222.

زليخة بنرمضان

**القاسمي** ، ويكتب أيضاً القصمي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cosme.

وبتطوان أسر غير أندلسية تحمل نفس الاسم. ومن أفرادها : محمد بن عمر القاسمي فقيه كان يزاول خطة العدالة من سنة 1172 إلى سنة 1198 (1759 ـ 1789). محمد بن عبد السلام القاسمي فقيه كان إماما بجامع المسيندي بحومة النيارين وكان بقيد الحياة سنة 1315 (1897).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القاسمي، الطاهر** (مولاي -) ينتمي إلى القواسم، أحد فروع البيت المشترائي الشهير في دكالة. ويذكر النسابة أن مولاي الطاهر القاسمي من حفدة الشيخ أبي الحسن علي بن قاسم السنجائي، الملقب بأبي سجدة، دفين مراكش.

مولاي الطاهر القاسمي ولد ونشأ في منطقة أولاد افرج بدكالة. وفي هذه المنطقة تربى وتعلم، ثم التحق بزاوية الشيخ الحاج أحمد التاغي الحمداوي (ت. 1268 و1276)، الواقعة في بزام ببلاد الشاوية، حيث واصل تعليمه، وأخذ عن شيخها التصوف والبركة.

وإذا علمنا أن الشيخ التاغي من أصحاب أبي عبد الله محمد العربي بن المعطي الشرقاوي (ت. 1234 / 18 ـ 1819)، وأن هذا الأخير كان من الشرقاويين الذين جمعوا في تصوفهم بين الطريقتين الناصرية والشرقاوية، فمن تحصيل القول بأن مولاي الطاهر القاسمي كان شرقاويا ـ ناصريا في تصوفه، مثل شيخه التاغي، وشيخ شيخه محمد العربي الشرقاوي.

وبعد أن أكمل مولاي الطاهر القاسمي تكوينه، عاد إلى أولاد افرج بدكالة، وأسس زاويته، التي غدت من أكبر الزوايا في المنطقة، كما غدا مولاي الطاهر القاسمي من مشاهير الأولياء. وكان عنوان هذه الشهرة اهتمام مولاي الطاهر بالتدريس. وكان أهم ما اهتم بتدريسه علوم القراءات، اقتداء بشيخه التاغي، الذي اهتم بتدريس هذا العلم كثيراً، على غرار شيوخ المراكز الصوفية التي تفرعت عن زاوية أبي الجعد الشرقاوية، زمن الشيخ محمد العربي الشرقاوي. وفي هذا الصدد كتب الفقيه الكانوني عن مولاي الطاهر ما يفيد عنايته الفائقة بالتدريس، ولا سيما بعلوم القراءات فقال : "الأستاذ المقرئ مولاي الطاهر القاسمي، ذو المدرسة الشهيرة في القراءات، التي قامت بواجب عظيم في بابها".

وإلى جانب التربية والتعليم، اشتهر مولاي الطاهر بمقامه العالي في طريق أهل الله، فقصده المريدون المتشوفون إلى التصوف، واعتقد كثيرون في بركته، وتسابقوا لخدمته، ولم يقتصر الأمر، هنا كذلك، على القواسم، بل تعداهم إلى قبائل أخرى في دكالة وخارجها. غير أن أكثر خدام زاوية مولاي الطاهر شهرة، هم : أولاد زيد بأولاد افرج، والغنادرة بالزمامرة، والمعاشات بأولاد الحاج إبراهيم الفيض، وكلهم في دكالة. وسكان دواوير كثيرة من الشتوكة وغيرها في الشاوية، ثم قبيلة أولاد لبعور، وهي تابعة لجمعة فوكو في عبدة.

ويبدو أن مولاي الطاهر قد حظي بتقدير المخزن العلوي أيضا، كما يفهم من الظهائر السلطانية التي خص بها السلاطين العلويون خلفاءه.

هذا وقد توفي مولاي الطاهر في صدر القرن الرابع عشر الهجري. ويذكر الرواة أنه لم يعقب.

محمد ابن عسكر، *دوحة الناشر*، م. حجي، الرباط، 1977 ؛ م. الكانوني، *آسفي وما إليه* ، مصر، 1353 ؛ م. الحمداوي، من الحلقات المفقودة في تاريخ المساجد المغربية، *دعوة الحق*، ع 1، أكتوبر، 1962 ؛ أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984 ؛ أ. بوكاري، *الزاوية الشرقاوية : زاوية أبي الجعد*، 1406 ـ 1985 ؛ أ. الريساني، *الزاوية القاسمية بأولاد افرج بدكالة*، كلية الآداب، الجديدة، 90 ـ 1991.

أحمد الوارث

**قاسمي علوي، محمد** من مواليد مدينة الراشدية سنة 1921 . التحق بصفوف المقاومة السرية بمدينة خنيفرة منذ اندلاع الشرارة الأولى للمقاومة حيث عمل تحت رئاسة اكريدان الحاج علي والمرحوم المگوني محمد بن عمر. وقد شارك في عدة عمليات فدائية استهدفت ضرب مصالح المستعمر بمدينة خنيفرة، كما كان له دور كبير ومشاركة فعالة في أحداث 20 غشت 1953 التي عاشتها مدينة خنيفرة. ونتيجة نشاطه الفدائي تم اعتقاله من طرف السلطات الاستعمارية حيث تعرض للتعذيب والتنكيل وبعد إطلاق سراحه تابع مسيرته النضالية إلى أن تحقق استقلال المغرب.

توفي في 9 / 11 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 510808.

**القاسمي، محمد** ولد سنة 1942 بمدينة مكناس وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي. بعد ذلك شارك في العديد من التداريب الفنية الوطنية والدولية وخلال هذه التداريب تمكن من زيارة أوربا والعالم العربي والتعرف على الحركة الفنية فيهما.

يعتبر القاسمي أحد الوجوه المشرقة في عالم التشكيل المغربي، وأحد الفنانين الذين تعاملوا مع اللوحة كعقل مبدع، لا كعاطفة هائجة. لقد حاول في العديد من أعماله أن ينبه ذاكرة التاريخ إلى تعبير ظواهر الإنسان ومسيرته الحضارية الطويلة كما حاول عبر أعماله أن يطرح العديد من الأسئلة اللامتناهية حول مصير هذا الإنسان.

يعتبر عمل القاسمي تجريدي ولكن تجريديته عقلانية صارمة. تنبض بأحاسيس العقل وتتحدث لغته ولأجل ذلك توفرت لهذا الفنان المبدع مكانة مرموقة في ساحة التشكيل المغربي.

اهتمت بالقاسمي العديد من الأقلام الناقدة والفنية فأولت لأعماله الكثير من الاهتمام.

وهكذا يبقى الفنان القاسمي في البداية والنهاية أحد الوجوه المناضلة في عالم الفن تشده إرادته وحبه للجماهير لتعميق البحث في اتجاهه المعبر عن الوجود وعن العدم عن الذات ... وعن الفناء.

توفي محمد القاسمي يوم فاتح رمضان 1424 الموافق 27 أكتوبر 2003.

محمد أبو إلياس

**قاضا، محمد** بن أحمد ولد سنة 1937 بعين حرودة ناحية الدر البيضاء. دفعه حماس الشباب وغيرته الوطنية للانضمام إلى الخلايا السرية التابعة للمقاومة المغربية، وقد كان عضوا بمنظمة أسود التحرير بالدار البيضاء والتي كانت تحت مسؤولية شكري مبارك. فقام بعدة أعمال فدائية بطولية إلى جانب إخوانه المقاومين فكان تارة يقوم بإضرام النار في ضيعات المعمرين وتارة أخرى يقوم بتوزيع المناشير، وشارك مع كل من شكري مبارك وقاضا بوشعيب وخموري المكي والتياب بوشعيب في الهجوم على دكان لبيع التبغ (صاكا مادام جان) بطيط مليل، وحاول إطلاق الرصاص على من كان بداخل الدكان إلا أن الحراس تمكنوا من إلقاء القبض عليه، وفي محاولة للفرار أطلق عليه الحراس الرصاص سقط على إثره شهيدا وذلك يوم 15 / 9 / 1954.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 512806.

ابن **القاضي**، أسرة تنتمي إلى موسى ابن أبي العافية المكناسي الزناتي، وتشتهر بابن القاضي، لأن أحدهم، وهو أبو العز كان يتولى منصب القضاء في مكناسة سنة 824 في عهد السلطان عبد الحق بن أبي سعيد (823 ـ 869).

كانت أسرة ابن القاضي تتمتع، في مدينة مكناس، بنوع من الحظوة على المستوى المادي والمعنوي. فما هي الأسباب التي جعلتها ترحل عن مدينتها الأصلية وتستقر في مدينة فاس ؟ وفي أي تاريخ كان ذلك ؟

يكمن السبب، حسب رواية القادري وابن عيشون الشراط، في أن السيدة آمنة (ت. 960) بنت الفقيه القاضي أبي العباس أحمد بن علي ابن القاضي (ت. 955). كانت ذات اعتقاد ومحبة وإخلاص في خدمة الشيخ الصوفي أبي الحسن علي بن أحمد الدوار الصنهاجي، وكانت تخدمه وتتبعه، وأهلها ينكرون عليها ذلك. فسجنوها مدة في غرفة، وجعلوا على رجلها قيدا من حديد. وجاء شيخها المذكور، ووقف وسط الدار، وناداها، فقالت : نعم، ياسيدي، فقال : اهبطي، فسقط القيد من رجليها، وخرجت وهم ينظرون، والغرفة على حالها مسدودة. فمن يومئذ سلموا لهما حالهما. فانتقلت الأسرة إلى فاس لتكون السيدة آمنة على مقربة من شيخها الذي اتخذته قدوة وإماما.

إلى أي حد يمكن اعتماد هذا التبرير كسبب في انتقال أسرة بكاملها من مدينة إلى أخرى تاركة مصالحها وعقاراتها وغير ذلك ؟ ألم يكن الحدث قد شجع الأسرة على تحقيق رغبة سابقة في الانتقال إلى فاس لسبب من الأسباب الأخرى، خصوصا وأن مدينة فاس شهدت نزوح عدة أسر إليها، سواء من المغرب أو خارجه، خلال القرن (10 هـ) لأسباب متعددة.

أما تاريخ انتقال هذه الأسرة إلى فاس، فيمكن استنتاجه، على وجه التقريب، من خلال مقارنة مجموعة من التواريخ : زواج السيدة آمنة كان بمكناس في 5 شوال 911، وفاتها كانت بفاس في حدود سنة 960، ووفاة والدها بفاس كذلك سنة 955، ووفاة شيخها كانت في العشر الخامسة من القرن (10 هـ). ويكون، بالتالي، انتقال الأسرة قد حدث فيما بين سنتي 911 و950.

كانت أسرة ابن القاضي تتمتع، سواء في مكناسة أو فاس، بنوع من الامتياز الاجتماعي على عدة مستويات : تاريخية، علمية ووظيفة، ومادية.

فالأسرة تفتخر، كيفما كان الحال، بإرثها التاريخي والسياسي. فقد أعطت، في فترة سابقة، أمراء حكموا جزءا مهما من بلاد المغرب، وساهموا في توجيه تاريخه.

وكان كثير من أفراد هذه الأسرة على جانب كبير من العلم والمعرفة. يشهد لهم بذلك ما ساهموا به في حلقات الدروس المنعقدة لهم في أكبر مساجد فاس، وما ألفوه من كتب في مختلف أنواع العلوم النقلية والعقلية على الخصوص. وتسلسل القضاء فيهم لمدة طويلة حتى التصق بهم لقب ابن القاضي.

وكانت الأسرة ترتكز على موروث مادي كذلك. ويظهر أن إمكانياتها المادية قد توسعت عندما انتقلت إلى فاس، حيث اشتغل بعض أفرادها بالبيع والشراء، فأصبحت تمتلك دوراً متعددة للسكنى بعدوة الأندلس، وأجنة، وروضة خاصة بأولاد ابن القاضي، بالإضافة إلى ما ظلت تحتفظ به من أملاك في مدينتها الأصلية مكناس. ولعل ما يؤكد أهمية المكانة الاجتماعية لأسرة ابن القاضي أنها عندما انتقلت إلى فاس اتخذت سكناها بحي "سبع لويات" قرب جامع القرويين وهو اختيار يحمل أكثر من معنى.

اشتهرت هذه الأسرة، سواء عندما كانت مستقرة في مكناسة أو عندما انتقلت إلى فاس، بنبوغ عدد من أفرادها، فبرز كثير منهم في مجال العلوم العقلية كالحساب والهندسة والتوقيت، وحظوا بتقدير السلطة السياسية وكانوا من المقربين إلى الملوك ومن أشهرهم :

- أحمد بن أبي العافية : قاضي مكناسة

- محمد بن أحمد بن أبي العافية : (كان حيا سنة 684). فقيه، خير صالح ناسك. عُرضت عليه خطة القضاء في مكناسة، بعد أبيه، فرغب عنها. ألف "موضوع في المسائل الواقعة في المدونة في غير مواضعها".

- علي بن أحمد بن أبي العافية : (كان حيا سنة 684) تولى قضاء مكناسة في عهد يعقوب بن عبد الحق المريني.

- سعيد بن محمد بن أبي العافية : (ت. 788) الفقيه المعمر العدل، شيخ ابن الأحمر.

- أبو العز بن أحمد بن أبي العافية، ابن القاضي : (كان حيا سنة 824) الشيخ الفقيه الأرضى الأعدل الخير الدين. تولى قضاء مكناسة بظهير سلطاني سنة 824. وبسبب قضائه جرى على بني ابن أبي العافية المكناسيين لقب ابن القاضي.

- أحمد بن علي بن عبد الرحمان بن أبي العافية ابن القاضي (ت. 955) كانت له معرفة بالفقه المالكي. تولى قضاء مكناسة. وهو أول من توفي بمدينة فاس من آل ابن القاضي.

- آمنة بنت أحمد بن علي بن عبد الرحمان بن أبي العافية ابن القاضي (توفيت في حدود 960) كانت من الأولياء، وأهل الحظوة. أخذت عن شيخها أبي الحسن الدوار الصنهاجي.

- محمد بن قاسم بن علي بن عبد الرحمان ابن القاضي (ت. 962). كان يستظهر مختصر ابن الحاجب، ويقوم على الرسالة قياما تاما. وكان أستاذا نحويا.

- محمد بن محمد بن قاسم ابن القاضي (ت. 965). الفقيه الأستاذ النحوي. جلس مجلس أبيه في الرسالة بجامع القرويين بعد وفاة والده.

- محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرحمان ابن القاضي (ت. 981). فقيه نوازلي، فرضي، حيسوبي، علامة نبيه. أخذ عنه ولده أحمد الفرائض والحساب وشيئا من منية الحساب للإمام ابن غازي، وقرأ عليه الحوفي والحصار وأوائل الأصول لأقليدس.

- عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبود بن علي بن عبد الرحمان ابن القاضي (ت. 987). فقيه علامة، كان يستظهر مختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد وألفية ابن مالك عن ظهر قلب.

- عبد العزيز بن محمد بن محمد بن قاسم بن علي بن عبد الرحمان ابن القاضي (ت. 1006). فقيه صرف من علماء القرويين. يستظهر مختصر ابن الحاجب.

- أبو القاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن علي بن عبد الرحمان ابن القاضي (ت. 1022). الفقيه الحافظ المجود، نحوي رئيس اللغويين في وقته، فرضي، حيسوبي، مدرس. كان وحيد عصره في معرفة مذاهب النحاة وحفظ أقوالهم. له تعليق على المرادي، وشرح على ألفية ابن مالك، وشرح على مقدمة ابن آجروم.

كان له مزيد وجاهة مع السلطان أحمد المنصور السعدي. وعندما شرح تصريف الشيخ المكودي، رفعه، وغيره من مصنفاته، إلى هذا السلطان بمراكش. وكان قد عُين، مع آخرين، لاستقبال السلطان المنصور عندما قدم إلى فاس آخر مرة في حياته سنة 1012.

كما ألف برسم خزانة السلطان زيدان بن المنصور فهرسه *"تنوير الزمان بقدوم مولانا زيدان"*. وأهداه إليه حين قدومه إلى مدينة فاس بعد أن تعذر عليه الذهاب إلى مراكش لتهنئته بتولية الملك بعد أبيه.

- علي بن أبي القاسم ابن القاضي (ت. 1036). فقيه. أخذ عن أبيه، وابن عمه أحمد السابق، وعمه عبد العزيز.

- محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن علي بن عبد الرحمان ابن القاضي (ت. 1040) فقيه عالم ومحصل، حيسوبي فرضي، مشارك، مدرس، رحالة. كان واحد عصره في علم الحساب والفرائض والتوقيت والتنجيم والجدول. وله مخالطة لعلم الحدثان. وهو من تلامذة ابن عمه أحمد السابق. له مؤلفات في الفقه والفرائض والحساب والهندسة والتوقيت، وله رحلة. قيل في سبب قتله ما اتهم به من موافقته على تمكين النصارى من ثغر العرائش.

- محمد العربي بن علي بن أبي القاسم ابن القاضي (ت. 1074). فقيه. قرأ على يد الشيخ عبد القادر الفاسي، وحضر عليه في كثير من الفنون.

- أبو القاسم بن علي بن أبي القاسم ابن القاضي (ت. 1075). فقيه. قرأ على يد الشيخ عبد القادر الفاسي كذلك، وحضر عليه في الحديث والأصول، وغير ذلك.

- محمد بن عبد العزيز ابن القاضي (كان حيا سنة 1086). من الذين أجازهم الحسن اليوسي بخطه على أول ورقة من فهرسة.

- سيدي الصغير ابن القاضي (ت. 1089). فقيه عدل. كان إماما بمسجد الحوات من حومة رأس الجنان، عدوة فاس القرويين.

- الطيب بن عبد الرحمان بن أبي القاسم ابن القاضي (ت. 1124). فقيه، أستاذ علامة، صالح، مدرس متقن. كان مولعا بتقييد المسائل. وأكثر تدريسه الشفا للقاضي عياض. كان من أصحاب سيدي أحمد اليمني وسيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي، وظهرت عليه بركتهما.

- محمد بن عبد الرحمان ابن القاضي (ت. 1150) ذكره ابن زيدان في إتحافه.

- امحمد، المدعو المخفي ابن القاضي. (كان حيا سنة 1314). الفقيه العدل الأرشد.

أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور على مآثر الخليفة أحمد المنصور*، تح. م. رزوق، الرباط، 1986 ؛ *رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح.*

المصطفى البوعناني

ابن القاضي، **أحمد** من مواليد سنة 1924 بتيزي وسلي دائرة اكنول إقليم تازة. انخرط في صفوف جيش التحرير منذ تأسيسه تحت قيادة محمد العجوري الغابوشي. وقد أبلى البلاء الحسن خلال مشاركته في العديد من الهجومات إلى جانب إخوانه المجاهدين نذكر منها هجوم تيزي وسلي يوم ثالث أكتوبر 1955.

توفي يوم 12 / 4 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 525115.

**القاضي** ( ابن - ) **أحمد** بن **محمد** (المؤرخ) ينتسب أحمد بن القاضي إلى أسرة موسى بن أبي العافية المذكور في القرن الهجري الرابع محاربا للأدارسة. وهذه الأسرة تنتمي إلى قبيلة زناتة المكناسية (نسبة إلى مكناسة القبيلة الأمازيغية) وقد أنجبت هذه الأسرة كثيراً من العلماء والفقهاء، كما تسلسل فيها القضاء ردحا من الزمان.

ولد بفاس عام 960 ، وبدأ تعليمه في بيته على يد أبيه الذي كان فقيهاً وفرضياً وحيسوبياً. وبعد أبيه جلس إلى جملة من الشيوخ الأجلاء بفاس ومراكش، أحصى منهم محمد زروق محقق المنتقى المقصور سبعة عشر شيخا، منهم أحمد المنجور الذي لازمه عشرين سنة فكان له التأثير القوي على تفكيره وعقليته وتوجيهه، ومنهم راشد يعقوب اليدري الذي أخذ عنه الفرائض والحساب والعروض، ومنهم أبو زكريا السراج، وعبد الواحد بن أحمد اليحمدي...

ولم يكتف ابن القاضي بما أخذه عن شيوخ الحضرتين : مراكش وفاس، فأعمل الرحلة إلى المشرق مروراً بالجزائر وتونس وليبيا، واتصل بشيوخ هذه المناطق وأخذ عنهم، ومن هؤلاء : بدر القرافي ومحمد بن إبراهيم الأنصاري وإبراهيم بن عبد الرحمان العلقمي وسالم بن عبد الله السنهوري ومنصور المنوفي وأبو زكريا يحيى الحطاب وسجاع فلقة ومحمد بن علي شلبي.

ولما حصل ما قسم له من العلوم والمعارف رجع إلى بلاده واستقر بفاس وتصدر بها لتدريس العلوم الشرعية والعربية والرياضية، واتبع في تدريسه طريقته "المبنية على التركيز والتحصيل والابتعاد عن المباحث اللفظية، وما لاتدعو الضرورة إليه من شروح وحواش وتعاليق".

ارتحل المترجم إلى مراكش، وانضم إلى بلاط المنصور الذهبي بوساطة شيخه الحطاب. ونظراً لعلمه الغزير ومعرفته الواسعة، واطلاعه على أحوال المشرق حظي لدى المنصور بمنزلة رفيعة، فأراد رد جميل مخدومه فجمع كثيراً من مفاخر دولته ومآثرها وأمداحها وفتوحاتها. وحمله إلى المشرق لينشره هناك بعد إذن سيده، فأبحر نحو المشرق لهذه الغاية، ولسوء حظه وقع في أسر القراصنة الكاثوليك الذين سجنوه بمالطا سنة ذاق فيها من العذاب أصنافا وألوانا، ولم يطلق سراحه إلا بفدية عظيمة من المنصور. وقد ضاع منه في هذا الأسر كل ما جمعه من تآليف وأشعار وغيرها.

رجع إلى مراكش واستقر بها ثانية في كنف المنصور يكتب ويؤلف تآليف تشيد بدولته وتدون مآثرها وتاريخها.

غادر مراكش زمن الفتنة، وقصد زاوية الدلاء، ومكث بها مدرسا لفترة من الزمان، وأخيراً رجع إلى فاس وبها استقر مدرسا للتفسير والحديث إلى أن وافته المنية عام 1025.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن القاضي قد امتهن القضاء والخطابة أول الأمر بالقصر ثم عمل قاضيا بسلا ومكناسة فترة من الزمان قبل توجهه إلى مراكش.

خلف ابن القاضي عدداً من التلاميذ النبهاء أمثال أحمد المقري صاحب *نفح الطيب* ، ومحمد بن أبي بكر الدلائي، ومحمد بن يوسف الفاسي...

وإلى جانب هؤلاء التلاميذ خلف ابن القاضي العديد من المؤلفات التي تدل على طول باعه في مختلف العلوم، وهكذا ألف في التاريخ والفقه والفرائض والحساب والهندسة والمنطق، ومن مؤلفاته : فهرسته : *رائد الفلاح لعوالي الأسانيد الصحاح* ، التي ترجم فيها لشيوخه، وذكر فيها أسانيده ومروياته، وقد أجاز بها زيدان بن أحمد المنصور الذهبي.

أ. المقري، *روضة الآس* ؛ س. الحوات، *الروضة المقصورة* ؛ الحضيكي، *طبقات* ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ ع. الله گنون، *النبوغ المغربي* ؛ المراكشي، *الإعلام*، الزركلي، *الأعلام* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب على عهد السعديين* ؛ ع. الله المرابط الترغي، *فهارس علماء المغرب* ؛ أبي القاضي، *المنتقى المقصور* ؛ ليفي بروفصال، *مؤرخو الشرفاء*.

محمد الحاتمي

ابن القاضي، **أحمد** بن **محمد** بن أبي **العافية** (الأديب) المكناسي، كنيته أبو العباس، ينتمي إلى أسرة بني العافية الشهيرة بمدينة مكناس، ولد بمدينة فاس حيث استقرت أسرته، لقيه المقري وأخذ عنه واستفاد منه.

اشتهر ابن القاضي برحلاته إلى الشرق للحج وللقاء الأعلام من العلماء وفي إحدى رحلاته أسره قراصنة مالطة، فافتداه السلطان أحمد المنصور السعدي، وفكه من ربقة الأسر، وذلك سنة 995 ، ولابن القاضي في مدح السلطان المذكور أشعار كثيرة، إضافة إلى كتابة تاريخ دولته اعترافا بفضله وحسن صنيعه في مؤلف سماه *"المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور"*.

لابن القاضي مؤلفات عديدة في موضوعات مختلفة، في التراجم والتاريخ والفرائض والحساب والهندسة، إضافة إلى

ممارسته القضاء بمدينتي مكناس وسلا مدة من الزمن، وبعد وفاة السلطان أحمد المنصور السعدي سنة 1012، لجأ إلى زاوية الدلاء للتدريس بها، ثم عاد إلى فاس إلى أن وافاه أجله سنة 1025 ، فأقام الصلاة على جثمانه تلميذه أبو العباس أحمد المقري.

من شعره في مدح السلطان أحمد المنصور :

يا أيها المنصور أبشر بالعلى  الله بلغ في العدى المأمولا
أنضاكم سيفا لحتف عدائه  وبكم عدا سيف الردى مفلولا
وهزمتم الشرك المتين بعزمكم  من غير ما سيف يرى مسلولا

مولفاته :

منها المطبوع ومنها المخطوط، فمن مؤلفاته المطبوعة :

*المنتقي المقصور على مآثر الخليفة المنصور* : كتاب يؤرخ لفترة حكم السلطان أحمد المنصور السعدي اعترافا بفضله بعد أن افتداه من الأسر سنة 995، وفي هذا المؤلف يعرض ابن القاضي للخلافة وشروطها ولآداب الرعية مع الحاكم، ليخلص إلى الحديث عن السلطان أحمد المنصوروعن خلقه وكمال عقله، وعن عمله وحلمه وكرمه إلى غير ذلك مما اشتهر به في ميدان البناء والتشييد والفتوحات والانتصارات، أو في النهوض بمجالس العلم والدرس، وقد صدر هذا الكتاب سنة 1986 بالرباط في جزأين بتحقيق الأستاذ رزوق.

*درة الحجال في أسماء الرجال* : وهو كتاب في التراجم ذيل به كتاب *وفيات الأعيان* لابن خلكان، يقول المؤلف : "جمعت فيه من حضرني من الأعيان، الذين لهم فضل قد شهد به العيان، وذكرت من وفاة ابن خلكان إلى آخر العاشرة وأول الحادية عشرة مما حفظته من الأعيان"، صدر في طبعتين، الأولى سنتي 1934 ـ 1936 ، واهتم بنشر الكتاب الأستاذ علوش بالرباط، في جزأين، والثانية سنة 1970 بتحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، في ثلاثة أجزاء، عن دار التراث بالقاهرة.

*جذوة الاقتباس* فيمن حل من الأعلام مدينة فاس : ظهرت طبعتها الأولى (وهي طبعة حجرية) سنة 1895 بعناية الأستاذ محمد الفاطمي الصقلي، والطبعة الثانية بعناية الأستاذ عبد الوهاب بن منصور سنة 1974، عن دار المنصور للطباعة والنشر بالرباط في جزأين.

*لقط الفرائد من لفاظة حقائق الفوائد* : صدر ضمن كتاب *ألف سنة من الوفيات* ، وجعل ذيلا لوفيات ابن قنفذ القسنطيني إلى سنة 1009 ، وحققه الدكتور محمد حجي، وصدر سنة 1976 بالرباط عن الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.

أما مؤلفاته المخطوطة، فقد أحصاها الدكتور محمد حجي في كتابه *"الزاوية الدلائية"* أثناء ترجمته، ويوجد ثبت لهذه المؤلفات في صفحة 98 من هذا الكتاب.

المقري، *روض الآس*، ص. 240 ؛ *درة الحجال*، 1 : 5 ؛ ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس*، ط 2، 1990 ؛ إ. المراكشي، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام* ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب على عهد السعديين*، 2 : 368 ؛ *الزاوية الدلائية*، ط 2، ص. 92 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ ابن مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 297 ؛ رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، 2 : 147 ؛ الفشتالي، *مناهل الصفا* ، تح. عبد الله كنون ؛ *المنتقي المقصور*، تح. م. رزوق، تر. عبد القادر الخلادي، ص. 86 ؛ القادري، *نشر المثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، 1 : 128.

نجاة المريني

**ابن القاضي، عبد الرحمن** بن أبي القاسم ابن القاضي، من أسرة المؤرخ الشهير أحمد ابن القاضي مؤلف *جذوة الاقتباس* وغيرها من كتب التراجم. وكان علامة مشاركاً، متضلعاً في علم القراءات، متمتّعا بالحظوة عند ملوك وقته، كما يدلّ على ذلك ظهير التوقير والاحترام الذي منحه لأبناء هذا العالم، السلطان عبد الملك بن المولى إسماعيل. وقد جدّد السلطان مولاي عبد الرحمن هذا الظهير لحفدة عبد الرحمن ابن القاضي. وكان المترجم من خواصّ مستشاري السلطان مولاي الرشيد بن الشريف.

ألّف عبد الرحمن ابن القاضي كتابا في تراجم صلحاء مدينة فاس بعنوان :

1 ـ *تقاييد* في التعريف بصلحاء مدينة فاس وأضرحتهم.

وتتعلق سائر مؤلفاته الأخرى بعلم القراءات، وهي :

2 ـ *الإيضاح لما يَنْبَهِم على الورى*، في قراءة عالم أمّ القرى،

3 ـ *بيان الخلاف والشهير والاستحسان*، وما أغفله مورد الظمآن،

4 ـ *تأليف* في قراءة الإمام ابن كثير،

5 ـ *قصيدة* في رسم المكي في القرآن،

6 ـ *قصيدة* في القراءات السبع للقرآن الكريم

كان هذا العلامة أيضا أديبا ينظم مقطعات في التصوف

ع. ابن زيدان، *إتحاف* ، الرباط ؛ عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1960 و1965 ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *سلوة أنفاس*، فاس، 1316 ـ 1898.

M. Lakhdar, *La vie littéraire au Maroc sous la dynastie alawide (1075-1311/1664-1894)*, Editions Techniques Nord-Africaines, Rabat, 1971, p. 62-63 et passim ; E. Lévi-Provençal, *Les historiens des Chorfa, Essai sur la littérature historique et biographique au Maroc du XVe au XXe siècle*, Paris, E. Larose, 1922, p. 263 et n° 2, 266.

محمد الأخضر

**القاطبي، محمد** بن الأمين قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني أحمد الغمارية انظم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وحضر مؤتمرات الثورة المنعقدة بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913 وبقرية عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر وبضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة حيث عين عضوا في القيادة المركزية للثورة ؛ وقد شارك في أكثر من أربعين معركة

واستشهد في معركة جرت بقبيلة بني حسان في أكتوبر 1920.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, *Cabecillas Rebeldes de Gomara*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

**قاع قلة** أو قاقلة (نبات -) يشبه القصب، له ثمار علبية تحتوي على عدة بذور. وهذه البذور هي قاع قلة أوحب الهال أو حبهان في المعاجم، وهو نبات عطري موطنه الهند وسيلان. وهو من التوابل العريقة والعطرية في القهوة والحلويات، وهو مضاد للمغص وطارد للغازات، ويقوي القلب، ويزيد في الباه، ويدر الحيض.

ويوصف بمقدار 3 غرامات من مسحوقه في كأس مغلي لمدة 5 دقائق، ثم يترك يختمر 10 . 15 دقيقة ويشرب منه 3 إلى 5 فناجين موزعة كل يوم.

وقاع قلة من التوابل الرئيسية في وصفة رأس الحانوت، ويدخل في تركيبة المساخن المشهورة. وهو معطر للفم ومهضم للأكل، ويمكن إضافة مسحوق حبوبه إلى الشربة أو إلى الحليب ومضغ بعض حبوبه يعطل رائحة الثوم، ومنظف للأسنان. وهذه صفة لتقوية الجنس من نبات قاع قلة :

تأخذ حمص مقلي ومطحون مقدار (100 غ) عسل النحل (160 غ) قاع قلة (10 غ) خود نجال (10 غ) زعفران (غرام واحد) الكل مطحون، وبعد غلي العسل وإزالة رغوته ويبرد، يخلط الجميع ويؤخذ منه ملعقة صغيرة صباحا وأخرى مساء.

المصطفى زهويلي، *كتاب التداوي بالأعشاب المغربية* بتصرف لصاحبه، ص. 161.

الحسين البعاوي

**القاعة** أو الكاعة مصطلحان ليسا مختلفين في نطق حرف القاف فحسب ولكنهما في اللهجة الدارجة المغربية مختلفان اختلافاً بيناً فالكاعة . (بنطق القاف جيما مصرية) - موضع يدرس فيه الفلاح محاصليه من حبوب وقطاني وفيها تُجمع وتبرز غلات السنة بعد الدرس والتذرية والتصفية، ويقابل الكاعة في العربية الفصحى كلمة بيدر (جمعها بيادر).

أما القاعة فمصطلح شائع حتى اليوم في بعض المدن وعند بعض التجار والمستهلكين، ويتعلق الأمر بمحلات عرض وبيع بعض المنتجبات الفلاحية الخاصة مثل الزيت والسمن والعسل والزبد الطري، وفي تقديري أن المصطلح كثر تداوله بعد احتكاك المغرب بالدول الأوربية وتهافتها النصف الأول من القرن العشرين ليختفي بالتدريج بعد ظهور الأسواق العصرية والمتاجر الكبرى والفضاءات التجارية الكبرى على الطرق الأمريكية، فالقاعة أدت وظيفتها حيث كانت تجمع وتعرض ما حصل عليه التجار والوسطاء من المواد التي ذكرناها وما جمعوه منها من كميات من مختلف الأسواق الأسبوعية في البوادي ؛ ولا تعني غرفة واحدة كما قد يتبادر إلى الذهن بل يمكن القول إنها تماثل (القيسارية) المكونة من عدة دكاكين متخصصة في سلعة أو بضاعة معينة.

ولعل القاعة كمحل تجاري متخصص هي تطور وانفصال عن الفندق بمفهومه الوسيطي حيث كان يتوفر على محلات إقامة التجار في الطابق أو الطوابق العلوية ومحلات لعرض المنتجات والبضائع والسلع في الطابق السفلي الذي كان جانباً منه خاصا بإيواء بهائم التجار. وأصبح الفندق اليوم يعني مكان إقامة الأغراب عن المدن والقرى وأحيانا يستبدل بمصطلح نزل وأوطيل واحتفظت القاعة بوظيفة الطابق السفلي دون إيواء البهائم.

الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، الرباط، 1986 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980.

Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris, Casa, Hatier, 1967.

محمد حجاج الطويل

**قَاعَسْرَاسْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Caxeres ؛ وما زالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Cáceres وCazeres وCasares ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

ومن المعلوم أنه يوجد بقبيلة بني زيان الغمارية مدشر اسمه قاعسراس.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القافلة** ، تمثل القافلة الكبيرة أو الصغيرة أزلاي المتخصصة في حمل الملح وتوزيعه على المحطات التجارية، كلا متكاملا يجعل منها شبه قرية متنقلة. فهي تشتمل على رئيس مسؤول عن أمنها وسلامة مرافقيها. ويعتبر هؤلاء أول مكون أساسي يشمل التجار والأعوان المصاحبين للرئيس من أجل التأطير والمحاربين والصيادين والرواد والطهاة والمرضين. إلى هذا المكون الأول ينضاف العدد الكافي من الأبل والبضائع والتجار. فلا يمكن تعريف القافلة إلا انطلاقا من مكوناتها البشرية والحيوانية والسلعية. وهو ما لا يتأتي إلا من خلال مراحل تشكلها الأولى. تتجلى هذه المراحل مع بداية التفاوض بين رئيس القافلة والتجار الذين يؤسس حجم سلعهم لحجم وأهمية وعدد الأعوان الذين يجب إلحاقهم بالقافلة. ولاشك أن التجارة ترتبط بأهمية الحركية التي يعرفها المحور الذي يتفق المتفاوضون على اتخاذه كمسار. إذ يجب أن لا ننسى بأن المعرفة الجيدة بمحور تنقل البضائع وقدرة القافلة ومؤطريها على اتخاد المبادرات اللازمة عبر مختلف مراحل الرحلة ومستجداتها، يعد أمراً مدروساً منذ البداية. يعلم أصحاب السلع بأن الجانب الدفاعي يمثل

مقياسا أساسيا في التأطير للقافلة. فالجانب الدفاعي الحربي يرتبط مباشرة بخبرة رئيس القافلة المسؤول الأول عن حل المشاكل المختلفة والمكونات الدفاعية المأطرة لسير القافلة. من هنا فالانضمام إلى القافلة لا يتم إلا بعد استطلاع حقيقي لأهمية الرئيس و لمدى قدرته على تأمين وتنظيم عملية العبور إلى الضفة الأخرى للصحراء. يمثل المنيرون والحماة والتجار المكون البشري الذي يولى أهمية كبرى لرئيس القافلة ومعاونيه الأقربين. وهو ما يجعل من القافلة بنية متكاملة الأبعاد تعتمد العنصر البشري كمكون أساسي. عندما يأخذ الرئيس في اختيار معاونيه الأقربين، فإنه يكون بصدد الإعداد لبنية تنقلية تشمل علاوة على سابقي الذكر الصيادين وحاملي السلع. وهذا ما يكشف عن قدرة الرئيس المسبقة على تقدير العدد الكافي من العاملين انطلاقا من حجمها. وهو ما يدخل في إطار الادراك الفعلي لنوعية العلاقة بين الرؤساء والمرؤوسين داخل القافلة. وهو عامل هام يوضح أهمية إحكام التنظيم ومدى اقتناع الجميع بمشروعية دور الرئيس الفعلي للقافلة.

تمثل البضاعة العقدة الأساسية الأولى بين مالكيها ومنظم القافلة وحاميها. على أن أجرة الأعوان والحراس والعاملين والحماة لا ترتبط بنسبة الأرباح ولا بنجاح عملية العبور. عند التعاقد بين التجار ورئيس القافلة ما يشترط أساساً هو توفير السلم والأمن والغذاء الضروري والكافي لمدة العبور. هذه الشروط تطرح على الرئيس ضرورة توفير الغذاء دونما إخلال بقدرة الإبل على الحركية والسير بسرعة اعتيادية. فلا بد له من تجنب الاحمال الثقيلة التي تنهك الجمال أو تنقص من إيقاع السير. على أن الايقاع يرتبط أيضاً بنوعية المنطقة ومدى وعورة المسالك وكذا الظروف المناخية المصاحبة للرحلة.

وهو ما يمكن ترجمته بمدى قساوة المجال الطبيعي حيث تمثل الصحراء درجة عالية من الصعوبة الميدانية. إذا كانت القافلة تقتفي أثر مسلك قديم أو حديث فهي تتمتع بظروف أقل صرامة. أما إذا كانت تعتمد على مؤهلات المنير والقدرات الاستكشافية لرئيسها، فهي تعتبر في عداد العمليات الجريئة التي تلعب فيها المخاطرة دوراً كبيراً. خلال موسمي الصيف والشتاء لا يعرف المناخ تغييراً كبيراً يذكر. وهو ما لا ينطبق على فصلي الخريف والربيع حيث التقلبات المناخية على أكبر درجة من التفاعل.

تتجلى أهمية رئيس القافلة وطاقمه الدفاعي في القدرة على مواجهة مختلف أنواع المخاطر الممكنة خلال كل رحلة. لهذا فخلال كل رحلة يجب على الرئيس أن يقوم باستطلاعات وكشوفات مسبقة لترقب نوعية المخاطر المرتبطة بالظرفية السياسية والمناخية ونوعية التقلبات التي يمكن أن تلعب دوراً حاسماً في سرعة الرياح وتكون الكثبان الرملية على امتداد شهرين من السير. يطور الطاقم المحارب قدراته الدفاعية في مواجهة مختلف العينات من الأخطار المحدثة كالكمائن والوحوش الضارية ومناوشات بعض الحيوانات المفترسة التي تقتفي أثر القافلة لمدة طويلة. من المعروف لدى رؤساء القوافل أن القدرة الدفاعية للمحاربين تتناقص باستمرار بعد كل عملية دفاعية وعلى امتداد مراحل. والمؤكد أن هذه القدرة تصل إلى أقل مدى عند اقتراب القافلة من نقطة الوصول.

ومن بين الأمور التي على رئيس القافلة أن يأخذها بعين الاعتبار هو دور العمليات الدفاعية بعد كل هجوم في تعطيل السير. وهو تعطيل يؤثر بشكل كبير على وثيرة السير ويقلل من المسافة المقطوعة. ومن أهم المخاطر التي قد تؤدي إليها هذه الهجومات هو تيهان القافلة داخل الصحراء مما قد يتسبب في هلاكها في هذه الحالة يكون على الرئيس أن يوقف عملية السير لمدة يرسل خلالها الرواد إلى مختلف الاتجاهات مركزاً على أهمية الاستكشافات داخل الصحراء. وقد يتطلب هذا العمل معرفة كبيرة بقوة واتجاه الرياح ثم التأثيرات البحرية القريبة أو البعيدة ومدى ملوحة الأرض ونوعية النبات الذي يكشف عن الحدود المناخية بين الأقاليم والجهات الطبيعية.

على أن المصادفات قد تلعب أيضاً دوراً إيجابياً حين تلتقي قافلتان قادمتان من اتجاهين مختلفتين فتكون كلاهما بمثابة النفس التي تتنفس به الأخرى. تتحول القافلتان في تلك اللحظات إلى برهة لتبادل الأخبار والتداول في حيثيات العمل التجاري. يكون في نفس الوقت على رئيسي القافلتين أن يأخذا بعين الاعتبار وثيرة السير مما يحتم ضرورة التحكم في مدة اللقاء. وهكذا يكون بمقدور الرئيس أن يحسب وثيره السير ومدتها والتقلبات والأخطار التي حدث منها والتأخير الذي طرأ عليها. من بين هذه التقلبات والأخطار ضياع بعض الجمال الناقلة. وهو وإن لم يكن خسارة نهائية، فإن هذا الضياع يمثل عاملا مؤثرا على نفسية المسافرين وعلى وثيرة سيرهم. مهما سعى تجار القافلة ومرافقيها إلى الرفع من وثيرة السير، فإنهم في أمس الحاجة إلى استراحات بالمحطات الطرقية المعروفة من واحات وملاحات ومداشر طرقية. وهو ما يعني أن قدرة الرئيس على إنجاح العملية تتجلى أيضاً في مدى معرفته للمسالك وقدرته على ضبط عملية السير وتحديد أماكن وزمن الوقفات للاستراحة.

مصطفى ناعمي

**القالة** : مقياس من مقاييس الطول استعملها التجار المغاربة لقياس أطوال المنسوجات والأثواب المختلفة ومقدار طول القالة مأخوذ من قياس طول ذراع الإنسان أصلاً وقد وقع تحديد طول القالة بـ 55 سنتيم، وكان الذراع / القالة في بداية الاستعمال متفاوتا فلكل تاجر مقياس خاص به من خشب، وغالبا ما يلتجئ بعض التجار إلى استعمال ذراعه بدون أية وسيلة، وكان للذراع أجزاء منها "الشبر الكبير" : نصف الذراع، وهو البعد ما بين نهاية الإبهام والخنصر من أصابع اليد الممتدة ومقداره 27 سنتيم تقريبا، و"الشبر

الصغير" : ثلث الذراع، ويسمى "فم الكلب" وهو البعد ما بين نهاية الإبهام ونهاية السبّابة من أصابع اليد الممتدة ومقداره 18 سنتيم تقريبا، كما يستعمل من الأجزاء "عرض الأصبع" ومقداره : 23 ملم تقريباً، وهو جزء من اثني عشر من الشبر.

وقد تنبه الملوك المغاربة إلى ضبط مقياس "القالة" لحفظ حقوق الناس على أيدي "المحتسب" الذي كان يراقب المقاييس والأوزان والمكاييل في الأسواق.

ومنذ العهد المريني حدّد الملوك المرينيّون طول القالة رسمياً، وأمروا بصنع صفحتين من الرخام الأبيض حددوا على كل منها المقياس بدقة، فوضعوا إحداهما قرب مارستان سيدي فرج في فاس بجانب مكتب المحتسب، وكان طول هذه القالة يبلغ 46 سنتيم وهي خاصة بتجار الأنسجة الصوفية التقليدية ولذلك تسمى "القالة الدرّازية" أو "القالة الإدرسية" نسبة إلى فاس التي بناها مولاي إدريس، وهذه القالة أصغر من الذراع. كما وضعوا القالة الثانية بجدار بسوق العطارين وطولها 55 سنتيم ويستعملها تجار الأجواخ القطنية والحرير والكتان ولذلك تسمى "القالة الكتانية" أو "القالة السوسية" تمييزا لها عن القالة الفاسية الإدريسية.

وفي العهد العلوي جدد السلطان مولاي سليمان بن محمد رخامة القالة سنة 1234 / 1819 وأثبتها على جدار أحد دكاكين الأقمشة في ساحة القبة بفاس القديمة، وهي قطعة مستطيلة طولها 55 سنتم وعرضها 35 سنتيم كتب عليها في سطرين بخط الثلث المغربي :

"الحمد لله، هذا قياس قالة القيسارية بالحضرة الإدريسية، حققها محتسب أمير المومنين مولانا سليمان نصره الله وأيده وخلد في الأنام وجوده، وذلك عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف".

وقد استمر وجود هذه الرخامات في أماكنها بفاس حتى العقود الأخيرة وقد عاينها وصورها الباحث المستعرب : ألفريد بيل Alfred BEL فكتب عنها سنة 1917. وتعتبر الآن هذه القالات ضائعة نتيجة حريق شب في أسواق فاس خاصة في سنة 1945 فأتلفها.

وكان نظام القالة معروفا في عموم أسواق الأتواب بالمغرب حيث كان التجار يستعملون "الدرازية من 46 سنتيم عند قياس الأتواب الصوفية من الصناعة البلدية، ويستعملون "القالة الكتانية" أو "القالة السوسية" بطول 55 سنتيم عند قياس الأتواب المستوردة المصنوعة من القطن والكتان والحرير، ولكل قالة أجزاء هي : النصف والربع والثمن.

وقد استمر استعمال "القالة" بهذا المقياس في عموم الأسواق المغربية حيث يوضع على جدار في مكان عمومي لتضبط به "قالات" التجار، منذ العهد المريني في القرن الثالث عشر إلى العهد العلوي عند منتصف القرن التاسع عشر حيث وقع يومئذ اختلال في مختلف المقاييس بين التجار المغاربة والتجار الأجانب، وعرفت سجلات المخزن وحدات قياس جديدة ومماثلتها بالوحدات المغربية، كل ذلك نتيجة المستجدات التي عرفها هذا القرن بسبب التدخل الأجنبي بالمغرب وادخاله بالتدريج في دائرة النظام الاقتصادي الأوروبي بعد إبرام عدة معاهدات تجارية غير

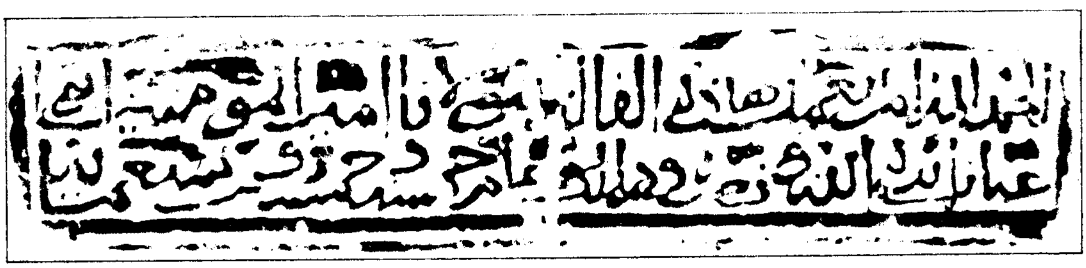

متكافئة خاصة مع بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وألمانيا، اضطر معها التجار المغاربة إلى استعمال وحدات القياس الأجنبية في الأطوال مثل "الياردة" و"القدم" من المقاييس الإنجليزية، كما استعملوا الوحدات الفرنسية المرتبطة بالنظام المتري.

وعند خضوع المغرب للحماية الفرنسية سنة 1912 أصبح استعمال "النظام المتري" مفروضاً بقوة القانون، وقد صدر ظهير سنة 1914 بالجريدة الرسمية بنفس السنة يهدف إلى توحيد المقاييس والمكاييل والأوزان، وصدرت المراسيم التنظيمية بموجب ظهير 1923 المنشور بالجريدة الرسمية لسنة 1925.

وفي مرحلة انتقالية وقع اعتبار الذراع 55 سنتيماً والقالة 56 سنتيما، ثم وقع ضبط القالة بصفة نهائية حيث أصبحت تساوي 50 سنتيم أي نصف المتر بعد تطبيق النظام المتري، وأصبح المتر وحدة لقياس الأطوال تدريجيا في مجموع البلاد، وله أجزاء ومضاعفات.

وما تزال القالة مستعملة عند تجار الأثواب إلى اليوم، على شكل مسطرة خشبية بطول 50 سنتيم، وضعفها هو المتر الذي يعتبر الوحدة الشائعة في الاستعمالات اليومية في تجارة الأثواب.

ع. أفا، نظام المقاييس والمكاييل والأوزان وتطورها نحو النظام المتري، انظر كتاب *فكر وتاريخ* ضمن منشورات كلية الآداب بالرباط، طبعة 1998، ص. 185 - 200 ؛ م. المنوني، *ورقات عن حضارة المرينيين*، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1996 ؛ روجي لوتورنو، *فاس قبل الحماية*، تر. محمد حجي ومحمد الخضر، مطبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص. 404 ؛ ظهير تنظيم المقاييس الصادر *بالجريد الرسمية بتاريخ 26 مارس 1914* ؛ ظهير المراسيم التنظيمية الصادر *بالجريدة الرسمية*، عدد *645*، سنة *1925*، ص. 406.

Bel Alfred, Inscriptions arabes de Fès, *Journal asiatique*, t. 9, p. 312, 197.

عمر أفا

**القانون** من بين الآلات الوترية المستخدمة في الموسيقى الشرقية. حمله العرب الفاتحون إلى المغرب والأندلس حيث أطلق عليه اسم القانون حينا، والسنطير أو السنطورآنا آخر.

ذكره الشقندي المتوفى عام 629 تحت اسم القانون، وبعد سنوات قليلة ذكره ابن خلدون وأتى في نعته بما يجعله أقرب إلى هيئة العود منه إلى صورة القانون كما نعرفه اليوم. وقد تجدد ذكره مع محمد بن الطيب العلمي، ومحمد الضعيف باسم السنطير، ثم تلاهما التادلي في مطلع القرن الرابع عشر فأسماه القانون.

وهذه الآلة عبارة عن مربع منحرف من خشب، ضلعه اليسرى أطول من اليمنى، وجهه مصنوع من الأرز أو الكركاع، وعليه فتحات تغطي عليها شماساتٌ من عود رقيق، وتغطي سفلاها قطعٌ من الجلد.

وللقانون 78 وتراً تمتد على طوله، أطرافها مربوطة باللوالب، وتجري تسويتها بواسطة قطعة معدنية شبيهة بمفتاح الساعة الدقاقة تسمى "الساروت".

ويتم العزف على الآلة بواسطة ريشة من قرن الحيوان تدس بين السبابة وبين حلقة نحاسية مولجة في كل من يدي العازف.

ويبدو أن استعمال القانون كان شائعا في العصور المتأخرة بين أرباب الطرب الغرناطي بالرباط، يدل على ذلك شهادة التادلي الذي منح هذه الآلة المرتبة الرابعة من بين أحسن آلات الطرب، كما يدل عليه مشاهدة سجلها محمد الضعيف في كتابه عندما قال : في ليلة الأحد 17 صفر عام 1226 بعث السلطان المولى سليمان في طلب الحاج أحمد بن الطيب بناني، فطلع عليه لأنه يعرف ضرب السنطير مع الآلة، فبات يضرب السنطير مع العود والرباب.

وقد ظلت هذه الآلة ملازمة لجوق الطرب الغرناطي إلى أن تحول استعمالها إلى أوساط موسيقى "الآلة" الأندلسية على يد الفنان الرباطي المعلم أحمد بن المحجوب زنيبر الذي كان يجيد الفنين معا.

وعلى حين يستخدم القانون - على ندرة - في أجواق موسيقى الآلة حيث تُسوى أوتاره وفق نغمات الطبوع الأندلسية، فانه يُعتبر من الآلات الرئيسية في الأجواق المغربية العصرية، وهذا تقليد شرقي قديم تسرب إلى هذه الأجواق من التخت المصري منذ بدايات القرن العشرين.

وممن اشتهروا في العزف على القانون بالمغرب : المعلم أحمد بن المحجوب زنيبر، وسليم عزرا، والمكي فرفرا، وأبو بكر الطالبي، وصالح الشرقي، ومولاي إدريس الوزاني.

إ. التادلي، *أغاني السقا ومغاني الموسيقى* ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، المكتبة التجارية بمصر، ص. 424 ؛ الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. محمد العماري، ص. 370 ؛ محمد بن الطيب العلمي، *الأنيس المطرب* ؛ صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية* ؛ المقري، *نفح الطيب*، ج 2، المطبعة الازهرية المصرية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**القايد**، المخزن - (الدولة أو السلطة) - في المغرب، تعود أصوله إلى العهد الموحدي (500 / 1130 - 646 / 1266 )، فقد بنى المهدي ابن تومرت مشروع دولته على النظام القبلي البربري الذي كان سائداً في منطقة المصامدة، وخاصة نظام "أگادير وإغرم" والتي أعطت ترجمتها إلى العربية مصطلح (مخزن)، وقد استكمل هذا النظام تطوره ونموه في عهد الخلفاء الموحدين الأوائل - (فترة القوة السياسية) - فكانت الإدارة الترابية في هذا النظام وعلى امتداد الأمبراطورية الموحدية أكثر انضباطاً وأمناً بالمقارنة مع ما سبقها ومالحقها من دول ؛ كانت الأمبراطورية الممتدة على قارتين تدار بصفة مركزية من العاصمة مراكش، منها كانت تصدر الأوامر والقرارات إلى الجهات والمراكز، وفيها تتجمع المعطيات والمعلومات ؛ وقد اعتُمد في ذلك على التراتبية

المخزنية الصارمة - (التسلسل الإداري) - وعلى التقطيع الإداري للمغرب الموروث عن الأدارسة حيث تم اعتماد نظام الجهات والولايات والعمالات والأقاليم ووضع على رأسها أمراء الأسرة الحاكمة وأعيان العصبية القبلية المتغلبة (السيد والشيخ). وإلى جانب حكام الجهات والمراكز عين الخلفاء الموحدون عدداً من الأطر المكونة والمدربة في العاصمة مراكش، توجه إليهم الخطابات والأوامر مثلهم مثل السادة والأشياخ، وهم الطلبة والحفاظ الذين كانت مهامهم أحيانا أخطر من مهام الولاة والعمال إضافة إلى المناصب الأخرى التي اتخذت ألقاب ومصطلحات خاصة بالعهد الموحدي مثل المشرف، وصاحب الأشغال، وقائد الأسطول وصاحب الصلاة الخ...

أما مصطلح قائد فكان مصطلحاً عاماً لا يفهم إلا بالصيغة المصاحبة كما ألمحنا : قائد الجند قائد المحلة، قائد معركة أو غزوة أو (حركة) الخ .. ولم ترد في مصادر العصر الوسيط كلمة قائد قبيلة بل كان المصطلح الشائع في القبائل البربرية هو أمغار وفي القبائل العربية الشيخ وحتى رسائل التعيين أو التقديم التي كان ينصب بها المخزن الموحدي الولاة والعمال والقضاة وأشياخ القبائل كانت خالية من المصطلحات : "... والآن ولله الحمد على ما أمدنا به من الإعانة والإنجاد وسرنا إليه من أعمال الإصدار في تمشية المصالح والإيراد فقد انهضنا العسكر المبارك ... صحبة من تخيرناه من الموحدين مع أبي فلان الذي قدمناه لأشغال العرب وأهلناه لنصحه في خلوصه إلى أكرم الرتب ..." وفي المصادر العربية الوسيطية وردت كلمة أشياخ ورؤساء القبائل "... وأمر للعرب ببركتهم فخرج للفارس الكامل منهم 25 ولغير الكامل 15 ديناراً ... وخرج لأشياخ العرب لكل شيخ منهم 50 ديناراً ولكل رئيس منهم على قبيلة 200 دينار ...".

ولم تتغير الوضعية خلال العهد المريني إذ حاول سلاطينهم تقليد المخزن الموحدي في نظامه وسياسته مع إضافة بعض التعديلات والمستجدات خاصة التأثيرات الأندلسية، وقد عمد المرينيون إلى التوسع والمبالغة في سياسة الإقطاعات حتى أنها أضرت بالرعية وبالمخزن المريني ونفس الضرر ألحقته سياسة ما يشبه نظام الالتزام عند العثمانيين في توزيع المناصب الإدارية السياسية ومنها شيوخ القبائل والولاة والعمال.

ولم يغير السعديون بعدهم كثيراً في نظام المخزن الموروث ما عدا بعض الشكليات التي مست النظام العسكري ومصدرها التأثيرات العثمانية. أما في العهد العلوي وخاصة في القرون الثلاثة الأخيرة فإن مصطلح القائد (القايد) بدأ يحل محل شيخ أو رئيس القبيلة، وحملت ظهائر التعيين هذه الصفة : "... خديمنا الأرضى القائد محمد بن عمر البحتري ... وبعد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وعلمنا ما طلبته من تخليف أخيك الطالب عيسى على النيابة عنك في القبيلة ... وقد أذنا لك في تخليف أخيك بكتاب شريف خاص ...".

هذا التطور في مصطلح القائد وفي مضمونه نتج عن الوضعية الجديدة لساكنة المغرب فقد تنوعت بدخول القبائل العربية الهلالية والمعقلية إبتداءً، من (ق 6 / 12) وامتزاجها بالقبائل البربرية وبباقي العناصر المكونة للمجتمع المغربي لتعطي أحلافاً وتجمعات قبلية كان على رأسها كبير الشيوخ أو شيخ الشيوخ أو رئيس القبيلة الذي كان يختار حسب أعراف وتقاليد القبائل، وتتم تزكيته وتثبيته في المنصب بظهير تعيين من المخزن. وكان (القائد) يختار من بين أعيان القبيلة المتميزين بالشجاعة والحكمة وحصافة الرأي والمعرفة والعلم والثروة والجاه، وقد تتجمع كل هذه الصفات في شخص وقد لا يتوفر إلا على بعضها أو الحد الأدنى منها ؛ وفي القرون الأخيرة كان معظم القياد أميين ومنهم من لا ينتمي إلى القبيلة لكن شخصيته القوية وتسلطه أهلاه ليكون في خدمة المخزن لتحقيق مصلحته الخاصة قبل كل شيء.

هذا على مستوى المصطلح أما على مستوى المضمون فقد انتقلت سلطة القايد وممارساته من القبيلة إلى مجموعة قبائل وكانت مناطق نفوذه تتسع وتضيق بحسب قوته ورضا المخزن عنه، وتتداخل مهامه وتتطور بحسب شخصه وقوته وتسلطه حتى أن بعض القياد في بعض المناطق والفترات فاتت قوتهم وجبروتهم الولاة والعمال وأحياناً السلطان نفسه : "وفي سنة 1166 استقر السلطان مولانا عبد الله بداره بدار الدبيبغ وضعف نهوضه عن الحركة وظهر في الغرب القائد عبد الله السليماني المعروفي من سفيان وظهر في بني مالك القائد الحبيب المالكي ... واشتهر صيتهما وخمدت نار مولانا عبد الله ولا بقى له سوى مرسى تطوان كان يقبض منها العشور".

وتعامل المخزن بدوره خاصة في فترات قوته - مع بعض (القياد) الأقوياء بالشدة تارة وبالمرونة في أغلب الأحوال، فكان يتدخل في كل صغيرة وكبيرة من شؤون قبائلهم حتى أنه انتزع منهم مسألة تعيين الشيوخ، وفي بعض الجهات عمد إلى تفتيت مناطق نفوذ بعض "القياد" وجلعها قيادات صغيرة وفي جهات أخرى قام بالعكس ؛ أما في فترات الضعف فيصبح طغيان القياد هو السائد ولا يستطيع المخزن أمامهم أي شيء، وقد استفحلت الظاهرة لما أصبح المغرب محط صراع القوى الأمبريالية وبعدما تأكد ضعف المخزن بل وعجزه أمام القوات الفرنسية في معركة إيسلي والإسبانية في معركة تطوان، وأصبح القياد سلاطين في مناطقهم مثل قياد الجنوب المشهورين. وتصرف معظمهم حسب مصلحته فهو مع من يحققها له سواء كان المخزن أم الأجنبي وأصبحت ظاهرة "القياد" في المغرب تستأثر باهتمام الباحثين المغاربة والأجانب ومنهم مؤرخون وعلماء الاجتماع الذين اشتغلوا بتصنيف المجتمعات وأنماط الإنتاج فوجدوا المغرب يشذ عن تصنيفاتهم المعروفة فأدخلوه في خانة خاصة هي : المجتمع

"القيادي" ونمط الإنتاج القيادي، ومازال البحث في الظاهرة يستهوي الكثير من الدارسين.

القياد اليوم لا علاقة لهم بالنظام السالف الذكر إلا من حيث الشكل فهم أدوات رئيسية في يد المخزن لإدارة الدائرة الترابية حضرية كانت أم قروية وتحتهم أدوات فعالة لا يستقيم أمرهم إلا بها ونعني. الشيخ و"المقدم" أو "الجاري" تحت وصاية وزارة الداخلية.

ليڤي بروڤنصال، *رسائل موحدية مومنية*، الرباط، 1941، 1 ص. 466 ؛ أحمد عزاوي، *رسائل موحدية جديدة*، كلية الآداب، القنيطرة، الطبعة الأولى، 1995 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، بيروت، 1965، ص. 437 ؛ الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، تح. العماري، الرباط، 1986، ص. 156 ؛ خالد الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1955 ؛ تأليف مشترك *تاريخ إقليم آسفي*، القائد عيسى بن عمر، ص. 271 - 332 ؛ مصطفى فنيتر، *قواد الجنوب الكبار*، د د ع، كلية الآداب، الرباط، 1988.

Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris, 1967 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Tanger, 1977 ; R. Montagne, *Les berbères et le Makhzen...*, Paris, 1930

محمد حجاج الطويل

**القائد**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alcalde ؛ ومازالت باسبانيا أسر تحمل اسم Alcaide ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1219 / 1804.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القائد** (ابن -) **إبراهيم** الأندلسي المراكشي المكناسي التونسي، اشتهر بثقافته الطبية العالية، عاش بمدينة مكناس وكان على صلة بالسلطان مولاي إسماعيل، بل يعد من أقرب أطبائه، يطري عليه عبد الرحمن ابن زيدان في *الإتحاف* بقوله : "طبيب ماهر، حكيم عظيم الشأن من أجلاء الحكماء المتقنين الكاملي المهارة الملازمين لمولاي إسماعيل المرجوع إليه في المعضلات من الداء، وكانت مسائله كلها متقنة". كان يدرس الطلبة شؤون الطب، وكانت له بمكناس حانوت يقصدها المرضى لطلب العلاج والدواء الذي كان يصنعه بيده، أو للسؤال عن مسائل طبية.

انتقل إلى تونس ولا يعرف سبب لذلك، واتخذ بها حانوتا للتطبيب، وسمى نفسه هنالك محمد الأندلسي.

ولا يُعرف شيء عن وفاته ولا عن مؤلفاته.

ومن أبرز تلاميذه عبد القادر بن العربي ابن شقرون المكناسي (ت. 1140 / 1727 ) الذي نبغ في الطب، أخذ عنه علم تركيب الأدوية ومعالجة المرضى، وهو صاحب أرجوزة الشقرونية في الطب التي تناول فيها الأدوية والأغذية النافعة وأنواع الثمار واللحوم وما إلى ذلك، وقد اشتهرت هاته الأرجوزة وأصبحت متداولة بين أيدي الخاصة والعامة من الناس.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1933، 1 : 264 ؛ د. رينو، *الطب والأطباء بالمغرب*، صحيفه معهد الدراسات الشرقية، 1937، 3 : 89 - 99.

رقية بلمقدم

ابن **القائد، صالح** بن عبد القادر كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني سعيد انظم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف سيدي امحمد أمزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور، وقد شارك في عدة معارك كانت آخرها المعركة التي جرت بقبيلة بني سيدال يوم 14 أكتوبر 1911 وقد استشهد فيها.

*أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي*، (1909 - 1912) تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

**القائم بأمر الله** السعدي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي الملقب بالقائم بأمر الله السعدي، جدّ الشرفاء ملوك الدولة السعدية، ولد في منطقة درعة وبها نشأ على العفاف والصلاح، وحج بيت الله الحرام حيث لقي جماعة من العلماء الأعلام، واشتهر باطلاعه الواسع على شؤون الدين والدنيا، ونظرا لصفاته الحميدة اكتسب شهرة بين سكان منطقة سوس وخاصة بتاگمدارت حيث كان يعمل مؤذنا بزاويتها.

لما فشلت ريح بني وطاس في أوائل القرن العاشر الهجري (16 م)، اتفق أهل السوس بما فيهم فقهاء المصامدة وشيوخ القبائل على تقديم البيعة له بعد أن رفضها الفقيه محمد بن مبارك الأقاوي (ت. 924 / 1518)، فلبى دعوتهم وجاء معهم إلى قرية تدسي قرب تارودانت فبايعه الناس بها سنة 916 / 1510 واتفقوا معه على مجاهدة النصارى وطرد الغزاة من السواحل المغربية المحتلة. وبعد ذلك اشترط عليهم شرطا أساسيا، وهو أن تقوم كل قبيلة من القبائل ارتضت بيعته بتقديم عشرة أشخاص مجهزين بكامل الأسلحة والعتاد. فقبلوا ذلك وهيئوا له 500 رجل مجهزة (50 قبيلة) كانت بمثابة النواة الأولى للجيش السعدي.

أول ما قام به القائم بأمر الله هو مواصلة عمليات الجهاد ضد الغزاة الأجانب، فكانت أولى عملياته الجهادية ضد البرتغاليين المقيمين بمرسى فونتي، فحالفه النصر واعتبر الناس ذلك من يُمْن الدولة الناشئة. ولما كان القائم بأمر الله شيخا مسنّا أقدم على تقديم البيعة لابنه الأكبر المولى أحمد الذي أصبح يلقب في المصادر البرتغالية بملك سوس.

وواصل القائم بأمر الله مع ابنه أحمد عمليات الجهاد، ولم ذاع صيته في البلاد طلبه سكان الشياظما وحاحا للانتقال إليهم نظرا لاكتوائهم - هم كذلك - بنار البرتغال، فلبّى طلبهم وانتقل إليهم مسرعا هو وولي عهده أحمد الأعرج وذلك سنة 1513 واستقر بآفغال من بلاد حاحة، وترك ولده الأصغر محمد الشيخ بالسوس يرتب الأمور ويمهد المملكة ويباكر العدو بالقتال ويراوحه.

استمر القائم بأمر الله بمكانه من آفغال محترما مسموع الكلمة، إلى أن توفي به سنة 923 / 1517 فدفن هناك بجوار قبر الشيخ الجزولي. وفي حدود سنة 930 / 1525 عندما دخل أحمد الأعرج إلى مدينة مراكش نقل جثمان أبيه القائم بأمر الله والشيخ الجزولي إليها.

م. القـادري، *نشـر*، 1 : 369 ؛ أ. الإفـراني، *النزهة*، تح. ع. الشاذلي، ص. 40 وما بعدها ؛ الناصري، *الاستقصا*، 5 : 7 ؛ ع. المراكشي، *الإعلام*، 5 : 111 ؛ إ. حركات، *المغرب*، 2 : 274.

مارية دادي

**الـقباب**(مركز -) تجمع سكني على بعد 30 كلم جنوب شرق خنيفـرة. تقع على ارتفاع 1249 م فوق سفح متـقطع ينحـدر في اتجـاه الضـفـة اليـمنى لواد سـرو. يمكن ولوجه باستعمال طريق ثانوية تنطلق من الطريق الرئيسية رقم 33. شكل إلى مطلع القرن العشرين أحد تلك التجمعات المتميزة للدّير مثل زاوية آيت إسحاق وزاوية الشيخ وغيرهما ؛ وكان عبَارة عن قصر يعمره سكان من أصول مختلفة وصل عددهم في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين إلى 1500 نسمة. كـان للمركز إشعـاع ثقافي وديني عن طريق شرفائه ونشـاط تجاري عن طريق سوقه الذي ينعقد يوم الإثنين.

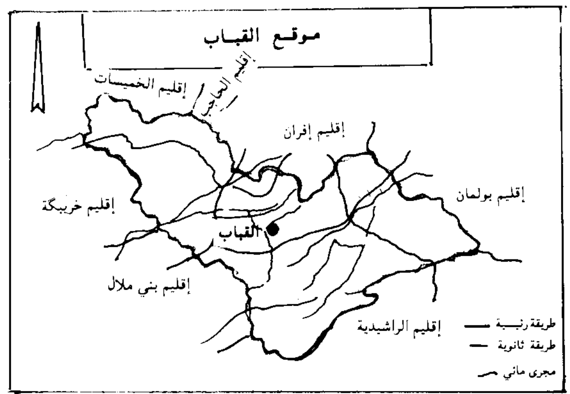


تأثر المركـز بوضـعـيـة عـدم الإسـتـقـرار التي دامت عـدة سنوات خلال عمليات اكتساح جيوش الاستعمار للمنطقة في العـشـرينـيـات من القـرن العـشـرين ولعل ذلك هو السـبب في استقرار عدد سكَّانه إن لم نقل تراجعهم. ففي 1936 لم يصل هذا العـدد سوى 1341 نسـمـة أي أقل مما تحـدث عنه بيروني Peyronnet.

وقـد عـمـل استـتـبـاب الأمن منذ الـثـلاثـينيـات مـن القـرن العـشرين، واتـخاذ المركز كمقر لمكتب شؤون الأهالي (Bureau des Affaires Indigènes) أيام الاسـتـعـمـار وكـمـقـر للـقـيـادة وللدائرة في التـقـسـيم الإداري الخـاص بإقليم خنيـفـرة منذ نشأته، وكمقر للخدمات الأساسية (التعليم، الصحة ...) على نمو فـسـاكنتـه تضاعـفت بـ 3,12 مرة بين 1936 و1971 وبحوالي مرتين بين 1971 و1994.

وأصـبـحت كـمـا ورد أعـلاه تمثل أكـثـر من نصف سـاكنة الجـمـاعـة بعـدمـا لم تكن تمثل منهـا سوى 35,8٪ في 1971 و24,3 فقط في 1936.

لكن عـزلة هذا المركز وضـيـق إمكانيـاته فـيـمـا يخص التشغيل وضعف الرواج تشكل اليوم عـوامل أزمة نستشفها من التباطؤ الذي سجله النمو الديموغرافي منذ السبعينيات. فإذا كـان هذا المعدل قـد وصل إلى 4,3٪ خلال الفترة 1960 - 1971، فهو قد نزل إلى 3,66٪ خلال الفترة 1971 - 1982. ولم يسجل سوى 2,22٪ خلال الفترة 1982 - 1994.

- *الإحصـاءات العـامـة للسكان والسكنى*، 1960 - 1971 - 1982 و1994.

Ministère de l'Agriculture, du Développement Rural et des Pêches Maritimes, *Recensement Général de l'Agriculture, Résultats par commune, Région : Fès - Boulemane, Meknès - Tafilalet, Oriental, Taza - Al Hoceïma - Taounat*, Direction de la Programmation et des Affaires Economiques, Rabat, Janvier 2000.

محمد كريوط

**الـقبالة** هي في الأصل، الضريبة التي تُدفع لبيت المال. وأطلق هذا اللفظ على الضـرائب الزائدة على مـا يقـضي به الشرع. وكـانت الكلمة تستخدم في المغرب والأندلس للدلالة على الضرائب التي كان يؤديها أهل الحرف أو بائعو السلع الرئيسية.

وتعني، كذلك، كراء أرض فلاحية بقدر معلوم من المال، ينعقد بواسطة المزايدات العلنيـة. فـالمتقبلون، هم عبـارة عن مستثمرين وسطاء يكترون الأرض، ثم يُسندون العـمل فيـها لغيرهم مقابل أجر نقدي أو عيني، ويحققون بذلك الربح.

دوزي، *القـواميس العـربيـة*، ج 2، ص. 305 - 306 ؛ ابن صـاحب الصلاة، *المن بالإمـامـة*، ص. 166 ؛ ابن القطـان، *نظم الجمـان*، ص. 193 ؛ أ. الطاهري، *عامة قرطبة*، ص. 92.

المصطفى البوعناني

**الـقبَّاب**، أسرة من الأسر العريقة بمدينة مكناس الذين ورد ذكـرهم في ديـوان تحـقـيـق أنسـاب وأحـسـاب سـاكـني العـاصـمـة الإسـمـاعـيلية المؤرخ بـ (1121 / 1709) وفيـه تمت الإشارة إلى أن أولاد القباب المكناسيين أندلس من المرية.

وقـد اشـتـهـر بنو القـبـاب المكنـاسـيـون بالمروءة والحـيـاء والنسك والعلم، إذ يذكر ابن زيدان في *إتحاف أعلام الناس* أن محـمد القباب كـان من العلمـاء المدرسين بالجامع الأعظم الذين يـقـبـضـون المرتب العلمي حسب مـا جـاء في سـجل الأحبـاس بـتـاريخ (1149 / 1736 ) كـمـا يـشـيـر ضـمن قـائمة العلماء المبرزين إلى العالم الشيخ عبد الجليل بن عبد السلام القباب. ويذكر الفقيه محمد العرائشي أن محمد بن محمد القباب كان له مكتب في حومة صدراتة يدرس فيه الصبيان القـرآن. ومـازالـت هاته الأسـرة مـوجـودة بمكناس إلى الآن، وانـتـقل بعض من أفرادها إلى الرباط واشـتـغلوا بالتـدريس وبالمحاماة في الغالب. ولا أحد يشـير إلى العلاقة بين أسرة القباب المكناسية وأسرة القباب الفاسية.

فـأسرة القبـاب في مـدينة فاس يصعد تاريخهم إلى عهد إسماعيل ابن الأحمر الذي أشار إلى أنهم ربما كانوا من البربر ويضـيـف : "وهم من الأندلس الواردين على أمـيـر المومنين إدريس بن إدريس بن عـبـد الله الكامل، وكـانت ديارهم بالجـيـزيين من فـاس الأندلس حيث اليـوم المقابر داخل باب

الفتوح، وكان بعضهم يسكن بسويقة مغراوة، وتعرف ديارهم بديار القبابين.." كما ينعتهم بأنهم "بيت فقه وعدالة وعلم وثروة" وأنهم كان يملكون أجنة بخندق التمر. وأن عقبهم قد انقرض. وينبه إلى أنهم ليسوا من بني القباب أهل الحرفة وهذا يعني أن هناك بيتين لبني القباب في مدينة فاس. وهذا ما أكده عبد الكبير بن هاشم الكتاني (1263 ـ 1350 / 1846 ـ 1931) الذي ذكر أن أولاد القباب قحطانيون وقال : "اعلم أن بيتهم قديم بفاس، كانوا أهل علم وثروة، وقدموا على فاس من قرطبة أيام مغراوة (في حدود القرن 5 هجري) واستوطنوا عدوة الأندلس منها، ولازالت أجناتهم منسوبة إلى الآن، منها القبابية بخندق التمر، ومنها بداخل باب الفتوح ديارهم، كانت تعرف بالقبابيين ... أما الموجود الآن من أولاد القباب فلا أدري هل من بيت الأول أو الثاني" ويضيف ابنه محمد بن عبد الكريم الكتاني (1295 ـ 1362 . 1878 ـ 1943). "ومازالت بقية منهم بفاس من سكان الجزيرة وحومة الأقواس ،جلهم يحترفون الخرازة والنجارة، وفي عهدي كان أحد منهم بالقبابين .."

واعتمادا على كناشة لبعض علماء فاس يؤكد الكتاني أن بنى القباب أندلسيون وأن خلفهم يسكنون بحومة فندق اليهودي ويضيف : "والغالب على الظن أنه لازالت بقية من أولاد القباب لهذا العهد".

إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 44 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ط 2، 1990، 4 : 303 ؛ *العز والصولة*، الرباط، 1962، ص. 182 ؛ م. الكتاني، *تحفة الأكياس*، الدار البيضاء، 2002، ص. 444 ؛ ع. الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002، ص. 100 ـ 102.

رقية بلمقدم

**القبّاب، أحمد** بن **محمد** ولد بمدينة فاس عام 724 / 1324 في وسط مغمور ويظهر من خلال لقبه أن أحد آبائه امتهن صناعة القباب وهي نوع من الهوادج، والراجح أنه التحق بالدراسة بجامع القرويين أو الأندلس بين 742 و744 / 1342 ـ 1344 حيث كان سنه بين 18 و20 سنة لينهي دراسته بين 747 و749 / 1346 ـ 1349 ، بمعنى أن دراسته العليا كانت على عهد السلطان أبي الحسن المريني 731 ـ 749 / 1331 ـ 1349 ويظهر من عناصر ترجمته كما ورد عند تلميذه يحيى السراج أنه "ولي قضاء جبل الفتح ثم تأخر عنه واشتغل بتدريس مختصر البرادعي بالمدرسة البيضاء (مدرسة فاس الجديد)، وبقراءة كتاب الموطأ بالجامع الأعظم من مدينة فاس ... ثم زهد وانقبض وصحب الصالحين وآثر الزهد ..." وإذا حاولنا تقصي هذه الأخبار ورصدها في الزمن بالاعتماد على عناصر أخرى، منها اتصاله بابن الخطيب الذي ترجم له، في الإحاطة واتصاله بأبي العباس أحمد بن عاشر في مدينة سلا يتضح أن الرجل زار مدينة سلا أو هو يمارس الشهادة (عدل) بفاس مدة إقامة ابن الخطيب عام 761 / 1360 على الأرجح وهو ما تؤكده *رسالة الطريقة لذم الوثيقة* التي انتقد فيها لسان الدين ابن الخطيب مهنة الشهادة نقدا لاذعا لا لشيئ إلا لاعتذار القباب عن ضيافة ابن الخطيب حين زيارته لمدينة سلا الشئ الذي أغضبه فكتب مستفزاً القباب الذي تعفف في الإجابة، وكان وصول القباب لمدينة سلا في ..." غرض اختيار واستطلاع أحوال سلطانية" بمعنى أنه وصل المدينة في مهمة مخزنية ربما من قبل السلطان أبي سالم إبراهيم. ودخل غرناطة بعدها أي عام 762 / 1360 مبعوثا من نفس السلطان. وهذا الاتصال مؤكد أنه وقع 761 / 1360 لأن دخوله غرناطة عام 762 / 1360 رتبه ابن الخطيب بعد هذا التاريخ، وابن الخطيب أقام بسلا بين 761 و763 / 1360 ـ 1362 وربما خلال زيارته لسلا 761 / 1360 اتصل بابن عاشر كما اتصل بقاضي المدينة العقباني.

في عام 762 / 1360 سافر في مهمة إلى غرناطة تتلخص في إيصال صدقة السلطان أبي سالم إبراهيم عهد بها لبعض الربط.

بعد 762 / 1360 تنقطع أخباره إلى 773 / 1372. يقول صاحب بلغة الأمنية ..."ولي قضاء سبتة، ودرس بها بمسجد زقاق ابن عيسى الأعلى ... كان شديد السطوة في أحكامه مغلظا على الظلمة مهينا لهم، وتخلى عن القضاء... وانصرف إلى بلده فاس وذلك في أواخر عام 773 / 1372. إذن بعد الاختفاء من ساحة الخدمة المخزنية بعد 63 / 1362، تظهر أخبار القباب من جديد كقاض بسبتة بعد تخليه عن خدمة بني مرين إثر وفاة أبي سالم سنة 762 / 1360، صاحب خلالها الزهاد وعلى رأسهم أحمد ابن عاشر المتوفى بسلا سنة 765 / 1363 ليعود إلى خدمته من جديد، ويصادف تخلي القباب عن قضاء سبتة سنة 773 / 1372 بقصد التوجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج دخول لسان الدين بن الخطيب المغرب طالبا اللجوء لأبي فارس عبد العزيز. وفي طريقه اتصل بمحمد بن عرفة الورغمي بتونس، والراجح أن هذا الاتصال تم خلال عام 774 / 1373.

وانقطعت أخبار الرجل مرة أخرى إلى أن استقر الوضع في المغرب على يد المستنصر بالله أحمد بن سالم 776 ـ 786 / 1375 ـ 1385 فتذكر المصادر أنه تولى الخطابة بالجامع الأعظم أي بالمدينة البيضاء (فاس الجديد) خلال ذي الحجة عام 778 / 1377 ليلتحق بالرفيق الأعلى بعدها سنة 779 / 1378 على أرجح الأقوال.

فالقباب عاش 55 عاما عاصر خلالها 10 سلاطين : وقد سجلت المصادر خدمته لأبي سالم وأبي فارس المستنصر، فهل مد وجزر القباب في خدمة السلاطين حكمته قوتهم وضعفهم ؟.

خلف القباب آثارا قليلة وشارك في نقاشات فكرية تدل على رسوخ قدمه في العلم ومعظم آثاره فقهية ذات لمسات صوفية وهي :

1 ـ شرح بيوع ابن جماعة.
2 ـ شرح قواعد الإسلام للقاضي عياض.
3 ـ اختصار أحكام النظر لابن القطان.
4 ـ فتاوي متفرقة في المعيار للونشريسي، وجامع الأحكام للبرزلي.

5 ـ ناظر العقباني.

م. الحضرمي، *السلسل العذب والمنهل الأحلى*، القاهرة، ج. 1، المجلد 10 ؛ ابن الخطيب لسان الدين، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1973 ؛ مثلا الطريقة في ذم الوثيقة، تح. عبد الوهاب بنصور، دار المنصور، الرباط ؛ مجهول، *بلغة الأمنية*، تح. عبد الوهاب بنمصنور، المطبعة الملكية، الرباط 1984 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، تح. عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، 1973 ـ 1974 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير وعز الحقير*، تح. محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1965 ؛ *الوفيات*، تح. عادل نويهض، بيروت 1980، ط. 3 ؛ يحيى السراج، *فهرسة*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، ك 339 ؛ أ. المقري، أزهار الرياض، تح. جماعي، الرباط ؛ كريم اعميراش، *شرح بيوع ابن جماعة*، رسالة جامعية لنيل د. د. ع. بالرباط

إبراهيم أنوار

**القَبَّاب**، الشيخ الصوفي الكبير عبد الله بن حُسَيْن، المشهور عند عامة أهل درعة وخاصتهم بسيدي عبد الله بن حسين القبابْ ويعرف في كتابات الناصريين بسيدي عبد الله بن حسين الرّقّي، حيث تذهب هذه الكتابات إلى أن أسلاف سيدي عبد الله بن حسين، نزحوا من الرقة بالعراق إلى المغرب حيث استوطنوا زاوية سيدي الناس بواحة فزواطة بدرعة إلا أن الفقيه الحسين الشرحبيلي، وهو أحد كبار أتباع الشيخ أحمد بن ناصر، يؤكد بأن أسلاف سيدي عبد الله بن حسين الركي قد نزحوا من واد الرگ، بالسفوح الجنوبية لجبل وگنات إلى درعة ولعل ما يرجح هذا الرأي هو تلك الهجرات المتكررة لسكان واد الرگ إلى وادي درعة على مر العصور.

ولد سيدي عبد الله بن حسين القباب بزاوية سيد الناس بضاحية قصر تامگروت بواحة فزواطة، في زمن غير معروف خلال العقود الأخيرة من القرن العاشر الهجري (16 م). ولم يتجاوز تعليمه حفظ كتاب الله، إلا أنه كان طيلة حياته يحرصُ على مجالسة العلماء ويحضر مجالس العلم.

تأثر سيدي عبد الله بن حسين القباب بالجو الصوفي المفعم بحلقات الذكر وحلقات الوعظ بمختلف زوايا واحة فزواطة خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري (16 م) وردحا من القرن عشر (17 م)، فنشأ نشأة صالحة وكان يميل منذ شبابه المبكر إلى عبادة ربه والتحلي بالإعراض عن الدنيا كلية والاكتفاء من نعمها بما يسد رمقه في ورع وزهد تامين، بحيث كان مضرب الأمثال بهذا السلوك الذي يذكر بكبار المتصوفة في القرون الخوالي، فقد كان قوت يومه لا يتجاوز ثنتي عشرة تمرة ولقم من الحساء.

وبعد ما أسس سيدي عمرو بن أحمد الأنصاري، زاوية تامگروت سنة 983 (هذه الزاوية التي سيعرفها التاريخ ابتداء من أواسط القرن الحادي عشر الهجري (17 م) بالزاوية الناصرية) انتقل سيدي عبد الله بن حسين القباب صحبة سيد عمرو بن أحمد إلى الزاوية الجديدة بتامگروت.

ورغم أن الزوايا الكبرى بواحة فزواطة مثل زاوية تاگمادارت وزاوية سيدي علي محمد الشيخ البكري، كانت ترتبط بالورد الشاذلي بواسطة أتباع الطريقة الجزولية الذين انتشروا بواحة فزواطة منذ مطلع القرن العاشر الهجري (16 م)، فإن شيوخ زاوية سيدي عمرو بتامگروت، قد ارتبطوا بالورد الشاذلي أيضا لكن بواسطة أتباع الطريقة الغازية الزروقية التي طرأت على بلاد درعة من جهة سجلماسة.

وكان عراب الطريقة الغازية بدرعة، خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري (16 م)، هو الشيخ سيدي أحمد بن علي حاجي الذي يعرف محليا بجبار المكسور (*معلمة*)، وعنه أخذ سيدي عبد الله بن حسين القباب الورد الشاذلي في إطار الطريقة الغازية الزروقية.

وقد لاحت على سيدي عبد الله بن حسين القباب، منذ انخراطه المبكر في الطريقة الغازية مخاييل الخصوصية، لفنائه التام في ذكر الله والانقطاع للعبادة، فكان مداوما على قيام الليل والصوم إلا في يوم الجمعة، وكان في كل سلوكه اليومي يحرض على ملازمة ماورد في السنة المطهرة، فكان يسترزق الله من ممارسة مهنة النجارة بالزاوية (من هنا التصقت به صفة القباب)، ومن علامات زهده إقلاله في قوته اليومي.

تنبه الشيخ سيدي إبراهيم بنعبد الله الأنصاري، شيخ زاوية سيدي عمرو في وقته إلى السلوك الصوفي العالي لسيدي عبد الله بن حسين القباب، فكان كثيراً ما يردد على مسامع الفقراء بزاوية تامگروت قوله : إذا أراد الله بعباده خيراً يظهر لهم صاحبنا هذا يعني سيدي عبد الله بن حسين القباب ويقلده سياسة القلوب. وقبل وفاة الشيخ سيدي إبراهيم أوصى بأن يتولى سيدي عبد الله بن حسين القباب، مشيخة زاوية سيدي عمرو.

تصدر القباب، بعدما قلده الله أمر الزاوية العمرية، لتربية المريدين، فتضاعف عدد المنتسبين للطريقة الغازية بمختلف واحات درعة، ويرجع ذلك بالأساس إلى الشخصية الصوفية المتميزة للشيخ القباب، فقد كان يعطي المثل للمريدين بالتقشف والورع والزهد، وعرف عنه أنه شديد الشكيمة على الظلمة معرضا عما في أيديهم. ومن أقواله الدالة على سلوكه الصوفي النقي : إن الظهور نقمة والنفس ترضاه والخمول نعمة والنفوس ترضاه، كما كان يؤكد على أتباعه بأنه قد أخذ على الله عهداً ألا يسوق إليه شقيا.

ومن أشهر الآخذين عنه بدرعة على الأطلاق تلميذه والمتكفل بخدمته قيد حياته الشيخ سيدي أحمد بن إبراهيم، والشيخ الفقيه مَحمد بن ناصر، الذي تولى مشيخة الزاوية العَمْرية منذ أواسط العقد السادس من القرن الحادي عشر الهجري (17 م) والذي اشتهرت معه زاوية تامگروت وأصبحت تعرف بعد ذلك بالزاوية الناصرية.

توفي سيدي عبد الله بن حسين القباب بعد حياة صوفية حافلة استمرت حوالي أربعين سنة، يوم الجمعة الثاني عشر

من جمادى الأخيرة سنة 1045 ، ودفن بروضة الأشياخ بتامگروت.

م. المكي بن موسى الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ محمد بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ الحسين بن م. الناصري، *فهرست سيدي الحسين الناصري*، مخطوط ؛ المهدي الصالحي، *أعلام درعة*، الدار البيضاء، 1974 ؛ القادري محمد بن الطيب، *نشر المثاني*، ج 1، الرباط، 1977.
G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse*, Paris, 1951.
أحمد البوزيدي

**القباج**، أسرة توجد أغلبيتها في ثلاث عواصم حضارية فاس والرباط ومراكش، وهي فرعان - حسب ما يروى تاريخيا - فرع نزح من أرض الحجاز عن طريق تركيا، ثم تونس، إلى فاس إبان الدولة الموحدية، وتحديداً في عهد الخليفة الرشيد أبي محمد عبد الواحد الموحدي، أي ما بين سنتي 630 / 1232 و646 / 1242، وفرع نزح من الأندلس إلى الرباط، ربما كان ذلك ضمن الأسر المهاجرة من هناك في القرن العاشر الهجري (16 م).

ومن المؤكد أن عددا هاما من منتسبي هذين الفرعين الفاسي والرباطي اتجهوا إثر ذلك صوب مراكش قصد الاستيطان، والتجارة، أو العمل في دواليب الدولة

ولم تكتف هذه الأسرة بالعيش داخل أسوار العواصم المذكورة أعلاه، ولكنها حلت وارتحلت بالعديد من المدن الأخرى، والحواضر المغاربية، وحتى بلاد الأناضول والأرمن.

واسم القباج يعني خياط القباء (بالهمزة) أي القفطان - استنادا إلى ما أفاد به الدكتور عبد الهادي التازي - وهو من الألقاب العائلية، أو أسماء صناع الحرف اليدوية، وغير ذلك من الأسماء التي لها اشتقاق لغوي صحيح كالتيال والنجار والكيال...إلخ.

أما المعنى الآخر للفظ القباج، فهو الصياد، لارتباطه اللغوي باسم طير القبج الذي يطلق عليه المغاربة دجاج الحبش، وهذا الاسم وارد في معاجم اللغة القديمة والحديثة.

وقد جاء في القاموس المحيط للفيروزبادي (مج 1) حول لفظ القبج أنه عربي أصالة، وصرح غيره أنه ليس عربياً، بل هو كبج، ويؤيده قولهم لا يجتمع القاف والجيم في كلمة واحدة من كلام العرب.

ولعل المعنى الثاني هو أقرب إلى الصواب كما يتردد سلفاً عن خلف لدى العديد من أفراد هذه الأسرة، والله أعلم.

**القباج، أحمد** بن **محمد** بن المدني، ازداد بفاس سنة 1290 / 1873 حيث تلقى مبادىء القراءة والكتابة. ولما اشتد عوده تزوج، ثم شد الرحال إلى وهران بالجزائر سنة 1320 / 1902 قصد التجارة التي كانت تتعاطها عائلته أبا عن جد، فمكث هناك أربعة عقود، كان فيها مثال الجدية والاستقامة والمعاملة الحسنة. وفي أواخر حياته عاد إلى مسقط رأسه حيث توفي سنة 1362 / 1943، وعمره 71 عاما.

الكتاني، *زهرة الآس من أهل بيوتات فاس*، مخطوطة خاصة.

**القباج، الحسين** بن المدني، ولد بمراكش سنة 1868 حيث تابع دراسته بكلية ابن يوسف. اشتغل بتجارة التصدير والاستيراد سنة 1914 ، ثم اتجه نحو الفلاحة. كان عضواً في المجلس البلدي للمدينة سنة 1929 ، ثم عضواً في لجنة استخلاص الضرائب على المواد الغذائية.

عبد الرحمن القباج

**القباج، حمادي** ولد بالرباط سنة 1890. تلقى تعلميا أوليا. عين من بين الأعيان لتمثيل المغرب في معرض ليون الذي نظمته الحماية سنة 1925. وكان يحظى باحترام الناس مكنت تجارته التي كان له فيها باع طويل من فرص ربط علاقات مع بعض الشخصيات المهمة مثل قواد الجنوب. رشح لعضوية اللجنة البلدية الرباطية. كان خليفة لباشا الدار البيضاء واختير رئيسا للقسم المغربي بغرفة التجارة بالرباط أيضا. تولى منصب باشا العاصمة بعد وفاة الحاج عبد الرحمان برگاش في يناير سنة 1944 بقي فيه ست سنوات.

توفي سنة 1950 وبقي منصب باشوية العاصمة من بعده شاغرا مدة سبعة أشهر قبل أن يسند إلى الحاج عباس التازي.

*وثائق الحماية*، خ. ع. الرباط، جريدة *السعادة*، ع 6043 / 7 يناير، 1944.
Mohamed Bargach, *Une famille au cœur de l'histoire*, Editions Maghrébines, Casablanca, 1988, p. 415.
عبد الإله الفاسي

**القباج، عباس** ينتمي إلى أسرة عريقة في التقدم الحضاري وكان جده قد طاف، منذ منتصف القرن التاسع عشر، بمختلف أنحاء أروبا إلى أن وصل إلى منطقة القوقاز ومنها عاد بشريكة حياته وهي مواطنة من الشيشان التي ستكون جدة عباس القباج.

ولد بطنجة يوم 20 نونبر 1912 وسرعان ما انتقل والده إلى مراكش وفتح الطفل عباس القباج عيونه على الدنيا من خلال ما كانت عليه عاصمة الجنوب في العقد الأول لعهد الحماية الفرنسية بالمغرب.

وما أن كبر وصار شابا حتى بدأ يكتشف حقائق نظام الحماية من خلال مهامه بإدارة المحافظة العقارية فأدرك

طبيعة النظام الاستعماري بالمغرب. ونظراً لسياسة القمع التي كانت تمارسها السلطات الفرنسية ضد العناصر التي ربطت مصيرها بالحركة الوطنية المطالبة بالاستقلال، فقد اتخذت قراراً بإبعاده من مراكش إلى أگادير المدينة التي احتضنته واعتبرته واحدا من أبنائها.

كانت المجتمعات في المدن المغربية تتبنى ـ بتأثير من التنظيمات الحزبية ـ كل الوافدين عليها من جراء قرارات النفي والإبعاد وغيرها من الإجراءات القمعية. وبذلك أكدت الحركة الوطنية وحدة الشعب المغربي وتماسكه ضد سياسة فرق تسد.

في أگادير تحول عباس القباج من موظف في المحافظة العقارية إلى مزارع استوعب شيئا فشيئا تقنيات التجديد الفلاحي ونجح في تسويق المنتوجات وتصديرها مما أهله ليصبح ضمن المجموعة الوطنية التي زكاها حزب الاستقلال لعضوية مجلس شورى الحكومة في عهد الجنرال جوان المقيم العام لفترة 1947 ـ 1951.

كان القباج ضمن الذين طردهم المقيم العام من "ڤيلا لوريش" مقر مجلس الشورى والمقر الحالي لوزارة الخارجية في نهاية 1950 لأن الجنرال جوان لم يتحمل ما ورد في تقارير قدمها الوطنيون المغاربة عن الحالة في المغرب.

كانت هذه الحادثة هي بداية الأزمة التي عُرفت في تاريخ المغرب بأزمة المقيم العام الجنرال ألفونس جوان، أزمة ستؤدي في غشت 1953 إلى المؤامرة ضد العرش، مؤامرة خلع الملك الشرعي ونفيه إلى جزيرة كورسيكا مع ما سبقها وما لحقها من اعتقالات في صفوف العديد من الوطنيين عبر التراب الوطني وكان من بينهم عباس القباج مع غيره من رجالات الحركة الوطنية بمنطقة سوس.

أطلق سراح عباس القباج في سياق رفع الحصار عن الزعماء السياسيين عندما شرعت حكومة باريس تبحث عن حل للأزمة، وستصل هذه المساعي إلى مرحلة "الانقلاب" الذي قام به باشا مراكش الحاج التهامي الگلاوي الذي كان في غشت 1953 من الغلاة المطالبين بإبعاد الملك فأصبح في أكتوبر 1955 مستعدا للقيام بأي عمل يرضي الوطنيين من أجل عودة الملك إلى عرشه. وهكذا سيربط عباس القباج وغيره من الوطنيين في الجنوب الصلة ما بين باشا مراكش وابنه عبد الصادق المعروف بتعاطفه مع حزب الاستقلال من جهة وقيادة حزب الاستقلال بالرباط من جهة أخرى بواسطة أحمد بناني.

يقول الأستاذ عبد الصادق الگلاوي في مذكراته بأن اتفاقا تم نيابة عن والده والحاج أحمد بناني نيابة عن حزب الاستقلال على نص سيكون هو التصريح الذي سيدلي به الباشا عندما سيستقبله الحاج الفاطمي بن سليمان المكلف آنذاك من طرف مجلس حفظة العرش بتشكيل حكومة انتقالية. ويقول ابن باشا مراكش بأن نص الاتفاق كُتب في ثلاث نسخ : الأولى يتلوها عبد الصادق لما يكون بجانب والده في دار المخزن يوم 25 أكتوبر 1955، والثانية سلمت إلى اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، والثالثة بعثها أحمد بناني في رسالة مستعجلة إلى الزعيم علال الفاسي بالقاهرة.

بعد التصريح الذي كان بمثابة قنبلة انفجرت في المشهد السياسي لمغرب ما قبيل عودة الملك إلى عرشه، كان عبد الصادق الگلاوي وعباس القباج بمنزل أحمد بناني في حي ديور الجامع بالرباط للاحتفال بالحدث، حدث مطالبة الگلاوي بعودة الملك وبالاستقلال وحضر الاحتفال عضوا اللجنة التنفيذية المهدي بن بركة وعمر بن عبد الجليل.

عاد الملك من المنفى واعترفت فرنسا بالاستقلال وبدأت معركة المطالبة بجلاء الجيوش الفرنسية عندما شرع الفرنسيون في إعادة انتشار قواتهم المسلحة في الجنوب. هنا سنجد مرة أخرى عباس القباج في معركة إقامة الحواجز لمنع الجيش الفرنسي من انتهاك السيادة المغربية وحرية التجول في الصحراء. وفي أول يوم من رمضان موافق 29 فبراير 1960 اهتزت مدينة أگادير من وقع زلزال دمرها وقتل ما يزيد عن 15 ألف نسمة وترك باقي السكان عرضة للكوارث والنكبات فتأسست لجنة الدفاع عن منكوبي أگادير، كان عباس القباج من أبرز أعضائها.

وبعد ثلاث سنوات جرت أول انتخابات برلمانية بالمغرب فصوت السوسيون على عباس القباج كعضو في مجلس النواب دون أن يتمكن من حضور الجلسة الافتتاحية التي ترأسها الحسن الثاني بقاعة كلية العلوم في شهر نوفمبر 1963 لأنه كان ضمن المعتقلين في السجن المركزي بالقنيطرة متهما في ما سُمي بمؤامرة يوليوز 1963. وسيعود القباج إلى الحياة السياسية ليتبوأ مقعده في مجلس النواب بعد إطلاق سراحه على إثر صدور حكم ببراءته ضمن أحكام 14 مارس 1964.

سيظل عباس القباج وفيا لأفكاره ومبادئه وقناعاته يناضل في واجهات سياسية ومهنية وإحسانية إلى أن وافاه الأجل على إثر حادثة سير في طريق العودة من طانطان إلى أگادير يوم فاتح ماي 1984.

وبعد وفاته أسس أفراد أسرته وبعض أصدقائه مؤسسة عباس القباج التي تهتم باحتضان وإنقاذ مئات من الأطفال أبناء عاملات أو أمهات في وضعية صعبة لإعدادهم ماديا ومعنويا قبل وأثناء بلوغهم مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي.

عبد اللطيف جبرو

**القباج، عبد الجليل**، ولد بمدينة الرباط سنة 1323 / 1905، وتابع دراسته الابتدائية والثانوية فيها، ثم انتقل إلى معهد الدروس العليا لنيل دبلوم الترجمة، وإثر ذلك التحق بكلية بوردو بفرنسا حيث حصل على الإجازة في اللغة.

ولما آب إلى المغرب سنة 1929 عين بإدارة الشؤون الإسلامية بصفته كاتبا بوزارة الأوقاف، ثم أحيل على الصدارة العظمى بدار المخزن لتقلد نفس الوظيفة.

انتخب سنة 1934 رئيسا لجمعية قدماء تلامذة ثانوية مولاي يوسف، ثم رئيسا للنادي الثقافي المغربي، كما اختير لعضوية مجلس شورى الحكومة في الأربعينيات.

وعندما قرر حزب الاستقلال المطالبة بالاستقلال كان ضمن الموقعين على الوثيقة باعتباره عضواً في "لجنة الأربعين" المكلفة بالاطلاع على ما جد من الأعمال الوطنية السرية، ومن قدماء الوطنيين الذين أقسموا اليمين في "الطائفة"، وهي الجناح السري للحزب ؛ وكانت نتيجة توقيعه على الوثيقة المذكورة توقيفه عن مزاولة الوظيف الذي كان يشغله بدار المخزن شأنه في ذلك شأن بقية زملائه الموقعين الذين شملهم مثل هذا التوقيف.

ولم تمر مدة قصيرة على هذا الطارىء حتى أخذ يشتغل بالتجارة، قبل أن تسند إليه سنة 1946 إدارة "*جريدة العلم*" باقتراح من أحد الأعضاء البارزين في الحزب إذ كان يرى في تعيينه على رأس جريدة تكون لسان الحزب ضمانة كافية للسير بها طبق الخطة التي يرسمها الحزب سواء في المجال السياسي، أو المجال الاجتماعي، أو المجال الثقافي.

لقد بقي مكلفاً بهذه المهمة طيلة الأربعينيات وأوائل الخمسينيات إلى أن وقعت أحداث اغتيال النقابي التونسي فرحات حشاد سنة 1952، فمنعت جريدة "*العلم*" من الصدور، وتعرض مديرها إلى كثير من الاستنطاقات والتهديدات والمضايقات من طرف السلطات الاستعمارية، كادت أن تودي به إلى غياهب السجون، لولا رباطة جأشه، وصموده المستميت.

ومع بزوغ فجر الاستقلال استأنفت الجريدة الصدور من جديد تحت إدارته كما كانت عليه من قبل، ولكن ما إن حلت سنة 1959، وصدر الظهير الشريف الذي يضمن لجميع الموظفين الذين فقدوا وظائفهم بسبب مواقفهم الوطنية الحق في الرجوع إلى وظائفهم حتى عاد المعني بالأمر إلى عمله بوزارة الأوقاف التي ارتقى فيها سنة 1963 إلى مفتش عام، وبقي بها إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1972.

كان عضوا في أول مجلس تأسيسي مكلف بوضع نص الدستور في الستينيات، هذا بالإضافة إلى أنه نشر عدة مقالات وأبحاث في الصحف والمجلات، وأصدر في فترة الثمانينيات سلسلة كتيبات تحت عنوان "*نداء الضمير*"، كما ترأس "الجمعية الوطنية للإحسان ورعاية الطفل" ذات الأنشطة الخيرية والاجتماعية.

توفي يوم 26 مارس 1994، ووري جثمانه التراب بمسقط رأسه، رحمه الله، وأجزل له الثواب على ما قدم من خدمات لمصلحة دينه ووطنه.

القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية* ؛ *قائمة الشرف للجنة الاعلام والنشر التابعة لحزب الاستقلال.*

**القباج، عبد السلام** بن المدني، ولد سنة 1879 بمراكش حيث تابع دراسته، وتقلد عدة مناصب أثناء عهد الحماية، منها : أمين المستفاد، ثم أمين الأملاك. كان عضواً في كثير من الجمعيات والشركات، وهو حاصل على أوسمة مختلفة.

**القباج، عبد الغني** بن محمد، ولد سنة 1318 / 1901 بمراكش حيث تابع دراسته بالعربية والفرنسية واشتغل بالتجارة مدة، ثم تقلد عدة وظائف فيما بين سنتي 1920 و1924، منها : موظف بمصلحة الفلاحة، وترجمان، وكان آخرها أبا المواريث لمدينة مراكش.

عبد الرحمن القباج

**القباج، عبد الله** هو عبد الله بن العباس القباج، كنيته أبو محمد، ينتسب إلى عائلة فاسية، وكان مولده بمكة المكرمة بعد أن هاجر والده إليها وتزوج من إحدى بناتها، غير أن سنة ميلاده غير مضبوطة، ولعلها كانت في أواخر القرن التاسع عشر، إذ كان متمكنا من ناصية الشعر وهو في أوج شبابه سنة 1899 فمدح الصدر الأعظم أحمد بن موسى بقصيدة تردد ذكرها في المجالس إثر دخوله إلى المغرب.

نشأ بمكة المكرمة وبها تلقى تعليمه الأول من المعارف الدينية والأدبية على يد جلة من العلماء والأدباء. رحل إلى المغرب سنة 1899 في العهد العزيزي، وتنقل بين مدن كثيرة كمراكش وفاس وسلا وبها استقر وتزوج وأنجب.

اشتغل أول الأمر أمينا لمستفاد مدينة الصويرة سنة 1325 / 1906، ثم انتظم في سلك الكتاب بمجلس الاستئناف الشرعي بالرباط سنة 1332 / 1913 وفي الكتابة بوزارة الأوقاف سنة 1341 / 1922 في وزارة العدل إلى أن وافاه الأجل بسلا سنة 1364 / 1945.

اهتم عبد الله القباج بالصحافة أول الأمر ويذكر أنه أحد الذين اختاروا لجريدة *السعادة* اسمها، يقول عنها : "ليست جريدة رسمية للحكومة، بل إنها جريدة مغربية تصدر باللسان العربي، أبوابها مفتوحة لكل المغاربة أدباء وعلماء ومؤرخين، وهي تنهج نهج الاعتدال ولا تقبل التطرف في الأفكار والأخبار" (*جريدة السعادة*، 25 نونبر 1919).

كانت له مناظرات أدبية مع أدباء عصره وخاصة في العدوتين ومنهم محمد بن العباس القباج الذي خصه بمقال عنوانه : "شاعرنا المطبوع" يقول فيه : "كان الواجب يقضي علينا أن نبدأ بنقد شعر السيد عبد الله القباج إذ هو كما يقولون شاعر المغرب وبلبله الصداح والشاعر المطبوع الذي لا يوجد له قرين في النظم والارتجال، تلك هي الألقاب التي يتمتع بها شاعرنا".

مولفاته : تحتفظ جريدة *السعادة* بأغلب إنتاجه، ومنها : مسامرة أدبية عبارة عن محاضرة ألقاها الشاعر بنادي المسامرات سنة 1923 ونشرت بجريدة *السعادة* بعنوان : *الشعر والشعراء* وطبعت بالمطبعة الرسمية في نفس السنة،

وله مقالات في مختلف المواضيع، وطنية واجتماعية ودينية واقتصادية ونفسية وتاريخية وغيرها.

أشعاره كثيرة تضمها جريدة السعادة وبعض المجلات كمجلة المغرب وبعض الكتب كاليمن الوافر لابن زيدان، وقد أحصى شعره الباحث عبد القادر فرجي في رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بالرباط سنة 1988 عنوانها "شعر عبد الله *القباج : دراسة،* " وذكر أنه توصل إلى أحد عشر ألف بيت شعري، (رسالة مرقونة بخزانة كلية الآداب الرباط).

كانت ثقافته موسوعية، متعددة المشارب، فهو ينبه إلى مصادره والكتب التي كان يستقي منها معلوماته، إضافة إلى حفظه للدواوين الشعرية القديمة كديوان المتنبي وأبي تمام والمعري وغيرهم وإلى اطلاعه على المؤلفات الأدبية كمؤلفات عبد الحميد الكاتب والجاحظ وابن العميد وغيرهم، ولعل أهم إنتاجه هو أشعاره التي تناولت موضوعات كثيرة منها المديح بنوعيه النبوي والسلطاني (عاصر أربعة ملوك هم المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ والمولى يوسف والسلطان محمد الخامس) كما مدح بعض الرؤساء الأجانب الذين زاروا المغرب كالرئيس الفرنسي ميران والماريشال ليوطي وغيرهما ومدح بعض الأعيان منهم بركاش باشا مدينة الرباط والمواز رئيس مجلس الاستئناف وأبو بكر عواد والمهدي حصار وغيرهم.

ومدح أهل الفكر والعلم كالشيخ أبي شعيب الدكالي والبلغيثي وأحمد الجريري وابن زيدان في مسامرات أدبية كانت تعقد من حين لآخر في مدن فاس والرباط وسلا، كما كانت له تفاريظ كثيرة لمؤلفات وإنتاجات معاصريه، منها تقريظ *اليمن الوافر الوفي* لابن زيدان وعبير *الآس من روض تاريخ مكناس* المعروف *بإتحاف أعلام الناس* لابن زيدان كذلك، و*الفكر السامي* للحجوي و*دروس التاريخ المغربي* للجراري وغيرها.

ونظم في الرثاء والتعازي والفخر والهجاء، وله مساجلات أدبية مع أدباء عصره منهم حركات وعواد والصبيحي، وله مقطوعات في الشكوى والعتاب والفكاهة والألغاز، كما أن له قصائد غزلية متنوعة في الحسن والعذري، مما يشير إلى وجود بيئة أدبية وثقافية مزدهرة.

م. الغربي، جريدة *السعادة*، 28 / 7 / 1945 ؛ ع. الله الجراري جريدة *الأنباء*، دجنبر، 1968 ؛ *الفكر المعاصر* ؛ النميشي، *الشعر والشعراء*.

نجاة المريني

**القباج، عبد المجيد** بن الطاهر، كان خيّراً وكريماً، اعتمر دكاناً قبالة ضريح المولى إدريس بفاس لخدمة هذا الضريح والصلاة به. كان يجعل للضعفاء والمساكين الفطور في صباح أيام البرد وبقي على هذه الحال إلى أن لقي ربه راضيا مرضيا في أوائل القرن الرابع عشر الهجري.

**القباج، عمر**، كان يعتبر من علماء الرباط ووجهائه، وقد أعفي من وظيفته بالقصر الملكي أثناء نفي محمد الخامس لأفكاره الوطنية ثم أعيد إليها إثر بزوغ فجر الحرية والاستقلال وبقي بها مدة إلى أن أحيل على التقاعد.

التحق بالرفيق الأعلى سنة 1394 / 1974 ودفن بمقبرة سيدي الخطاب.

فريد وجدي، *دائرة معارف القرن العشرين*، مج. 7 ؛ عبد الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، مج. 6 ؛ *الكتاب الذهبي* الصادر أوائل الثلاثينيات بالفرنسية ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، مج. 9، تح. محمد حجي ؛ العباس الجراري، *أضواء على الرباط*، مج. 1؛ عبد الكبير بن هاشم الكتاني، *زهر الآس في بيوتات أهل فاس*، مج. 2.

**القباج، محمد** المدعو بأولو، كان أحد التجار الذين ساحوا بالمشرق قبل عودته للسكنى بفاس، ويذكر عنه الفقيه الحجوي صاحب مؤلف "*العروة الوثقى*" أنه من تلاميذ جمال الدين الأفغاني، فكان يحضر دروسه الليلية التي يلقيها على محمد عبده وأقرانه. وهناك كان رفيقا للشيخ الإمام، ومحمد المويلحي، وسعد زغلون، وعبد الله نديم، وأمثالهم من عظماء الشرق.

وقد استفاد من مجالستهم فوائد لم تكن مع أحد في المغرب في وقته، وهو الذي أذاع فضل جمال الدين وعبده وأمثالهما، وعرّف المغاربة بأخبارهم وأحوالهم.

**القباج، محمد** بن **العباس**، كان يستورد السكر والشاي خلال الحرب العظمى، ويصدر الحياك إلى الجزائر والبلاغي إلى السينغال، وكانت له 8 مفاتيح و11 شريكا .أزيد من 600 مليون فرنك سنة 1918) ولاشك أنه هو الذي كان ضمن الهيأة الدبلوماسية بطنجة التي جدد تنظيمها المولى عبد العزيز سنة 1318 / 1900.

**القباج، محمد** بن **العباس**، ولد بالرباط سنة 1325 / 1906 من أبوين كريمين وأسرة محافظة، وعندما بلغ سن الإدراك والتمييز التحق بالكتاب ليتلقى مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، ولم تمر فترة طويلة حتى أخذ يتردد على المساجد للدراسة على يد كبار علماء الرباط،

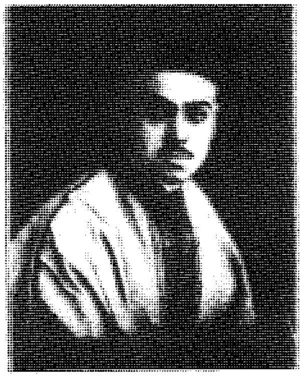

أمثال : الشيخ أبي شعيب الدكالي، والشيخ المدني بن الحسني، والقاضي محمد بن عبد السلام السائح، وغيرهم كثير.

ويقول هو نفسه عن دراسته هاته : "لم يكن اختيار أسرتي لمتابعة دراستي بالمساجد عفوية، ولكن المسجد كان طريق المستقبل الذي ينشده الذين لم يسيطر عليهم الوجود الاستعماري البراق يومئذ، والذين كانوا يؤمنون أن المغرب في حاجة إلى رجال غير مكيفين مع الظروف، وتلك ـ أيضا ـ كانت منهجية رجال المسجد يومئذ".

ولما تمكن من ناصية المعرفة، واستيعاب علوم اللغة والبيان، اتجه نحو فن الكتابة، فبدأ ينشر مقالات نقدية تحت عنوان "لذعات بريئة" في مجلة *"المغرب"* لمحمد (فتحا) صالح ميسة الجزائري، حيث "كان يعلن فيها عن مناهضته للتقاليد البالية الموروثة، وما ينتج عن التمسك بها من تكلف وافتعال، ونسج على منوال الآخرين، وهو في ذلك يدعو إلى أن يكون الشعر فنا وتعبيرا ذاتيا مبتكرا نابعا من تجربة صادقة في نطاق الحقيقة الواقعية التي لا غموض فيها، ولا سطحية، ولا إسفاف، ويحث الشعراء من أجل ذلك على قراءة الشعر الجديد الذي يبدعه المشارقة، متلائما مع روح العصر وذوقه، وينوه في نفس الوقت بالشعراء الشباب الذين يسيرون في هذا الاتجاه".

"وقد قومت هذه المقالات من زيغ المقاييس الأدبية التي كانت متبعة إذ ذاك، وأحدثت ضجة كبيرة بين الأدباء المغاربة الذين كانوا قليلي الاطلاع على الإنتاج الأدبي الجديد في الشرق العربي".

ولاشك أن هذا هو الدافع الذي كان وراء تأليف المعني بالأمر كتابه الشهير *"الأدب العربي في المغرب الأقصى"*، وإصداره سنة 1347 / 1929 في جزئين متوسطين، يحتوي كل واحد منهما على 128 صفحة، ويتناول الجزء الأول نخبة من الأدباء الشيوخ، بينما يتناول الجزء الثاني الأدباء الشباب، فكان هذا الكتاب من الكتب الأولى التي أعطت صورة حية عن أدبنا المغربي في تلك الفترة.

كما انضم ـ آنذاك ـ إلى الحركة المسرحية، وسعى في تنشيط فرقها بالرباط، وراسل عدة صحف ومجلات في الداخل والخارج، بالإضافة إلى ما قام به من تنظيم لقاءات أدبية، ومسامرات شعرية تسابق فيها الشعراء بإلقاء قصائدهم التي تدعو إلى نبذ التزمت والانغلاق والتحلي بروح التجديد والانفتاح على العصر.

أما في الميدان الوطني فكان من أعضاء الجماعة الأولى التي تأسست سنة 1926 لمحاربة الاستعمار، وطرده من البلاد إلى غير رجعة، مما جعله يحظى بمكانة خاصة لدى المغفور له محمد الخامس، فالتحق بديوانه سنة 1950، ويتقرر إثر ذلك في حقه نقل تعسفي ككاتب بمحكمة الدار البيضاء بسبب حل الديوان الملكي، وموقف الإقامة العامة من إنشائه، وإبان أزمة 1953 تم اعتقاله لانتمائه الوطني، واحتجاجه على نفي رمز الأمة وبطل تحريرها.

وفي أوائل الاستقلال ـ أي سنة 1956 ـ عين مديرا للشؤون الإدارية بالأمانة العامة للحكومة، ثم اقتضت المصلحة أن يعين فيما بعد محافظا للخزانة العامة، وهو المنصب الذي بقي فيه إلى أن أحيل على التقاعد.

هذا، وقد ترك هذا الأديب الفذ عدة مخطوطات هامة لازالت تقبع في زاوية النسيان، وتنتظر من ينفض عنها الغبار، لمراجعتها وتقديمها إلى النشر، واستفادة الدارسين والباحثين منها، وهي كما يلي :

- دروس الشيخ شعيب الدكالي (عددها 18 درسا في مجلد).
- ابن عطية والفكر العلمي في المغرب القرن السادس الهجري.
- الأدب المغربي من دخول العرب إلى المغرب إلى العصر الحاضر.
- معجم الشعراء.
- ديوان "ألحان وأشجان" (يضم 60 قصيدة).
- تقاليد وعادات.
- أمثال شعبية.

وفي مجال التحقيق شارك ـ قبل رحيله ـ في تحقيق *"ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحد"* إلى جانب المرحومين محمد ابن تاويت الطنجي، ومحمد ابن تاويت التطواني، وسعيد أعراب، وهو من مطبوعات كلية الآداب بالرباط، ومعهد مولاي الحسن بتطوان.

وافاه الأجل المحتوم عن سن يناهز 73 عاما يوم الخميس 22 رجب 1399 / 21 يونيو 1979 ، ودفن بمقبرة الشهداء. واعترافا بدوره في التعريف بالأدب المغربي، فقد أبنته كل وسائل الإعلام والثقافة الصادرة في المغرب. وفي مقدمتها مجلة *"دعوة الحق"* التي كتب فيها لعدة سنوات، و"اعتبرته من الأعلام البارزين في تاريخ المغرب المعاصر بمكانته العلمية، ودوره الأدبي الرائد، وأصالة فكره، وقوة إيمانه، وشدة تشبثه بقيم الوطن ومقدساته".

زين العابدين الكتاني، في الذكرى الأربعينية لمحمد بن العباس القباج ؛ العباس الجراري، *أضواء على الرباط*، ج. 1 ؛ عبد الله الجراري، *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين* ؛ عبد الله كنون، *أحاديث في الأدب المغربي الحديث* ؛ إبراهيم السولامي، *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية* ؛ عبد السلام التازي، الأدباء المغاربة المعاصرون.

**القباج، محمد** بن **العربي**، اشتهر بالفرنساوي لإلمامه باللغة الفرنسية، وتوفق في الميدان التجاري داخلياً وخارجياً، حسب ما تشير إليه عدة مصادر تاريخية، *كالاستقصا* للناصري، *والإتحاف* لابن زيدان مما دفع بمحمد الرابع إلى تكليفه بتمثيل المغرب في معرض باريس الثاني سنة 1285 / 1867، كما عينه الحسن الأول سنة 1294 / 1877 أمين مرسى الدار البيضاء إلى جانب الحاج محمد بن محمد بريشة التطواني. وقد كان سنة 1305 / 1887 ـ رفقة الحاج

عبد الكريم الغنمية التطواني ـ مشاركاً في مفاوضات القنصل الأمريكي بطنجة حول أربعة محميين أمريكيين من أصل مغربي.

**القباج، المكي**، كانت له الرياسة أيام السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، حتى كان عنده أمين أمنائه الذين أسندت إليهم مهمة قبض المكس. وكانت له من الثروة مثل ماله من جاه المخزن في الكلمة. ثم انقلب عليه الدهر، وتغيرت الأحوال إلى أن حيزت أملاكه لجانب المخزن.

عبد الرحمن القباج

**قبة**، قبب البناء بتشديد الباء الأولى وفتحها أي أقام عليه قبة. والقبة بالضم جمعها قباب وقبب. وتعني بناء محدودبا مقببا من الخارج ومقعرا من الداخل. وتتألف القبة من دوران قوس على محور عمودي ليشكل نصف كرة تقريبا، ويتخذ مقطعها شكل القوس. وتقام القباب مباشرة فوق مسطحات، وهي ترتفع على رقبة مضلعة أو على حنايا ركنية أو مثلثات كروية أو في حالات بنايات رائقة على مقرنصات. وكلها تقنيات تسهل الانتقال من مساحة مربعة إلى مساحة مثمنة تنتهي بالشكل الدائري. وتختلف أشكال القباب في العمارة الإسلامية، فمنها البصلية الشكل والنصف كروية والبيضاوية والمخروطية والمضلعة ... ولعل أقدم قبة أنشأها المسلمون هي قبة الصخرة بالقدس التي تمثل نموذجا معماريا رائعا.

وتستعمل القباب في العمارة الإسلامية المغربية ـ كما هو الشأن في أقطار إسلامية أخرى ـ لتغطية مبان كاملة أو أجزاء منها. وهكذا نجدها في أعالي المحاريب بالمساجد والجوامع، وتغطي أجزاء من بعض القاعات المتميزة في بعض القصور، كما نجدها تعلو القاعات الأساسية في الحمامات وتتوج مناور صوامع المساجد والجوامع. وتتعدد أغراض بناء القبة، فهي وسيلة للإنارة بواسطة النوافذ التي تتوزع حول الدائرة الأسطوانية في القسم الأسفل الذي تقام فوقه القبة. كما تساهم القبة في العناصر الجمالية للمبنى الذي ترتفع فوقه. والقبة علاوة على كل ذلك ذات دلالة روحية إذ ترمز إلى السماء في بعض الحالات. فنجد مثلا نماذج رائعة من القباب المقرنصة على طول البلاطة المحورية في جامع القرويين بفاس.

وتكثر القباب في المباني الدينية، خاصة منها الأضرحة حتى صار مصطلح "قبة" مرادفا لها (قبة مولاي إدريس). وهناك مكان بفاس يسمى "القباب" لوجود العديد من الأضرحة المغطاة بقباب فيه. ومن القباب الأخرى المشهورة في المغرب قبة جامع علي بن يوسف بمراكش التي تغطي فسقية بيت الوضوء والتي كانت من ملحقات الجامع. وهذه القبة التي تعود إلى عهد السلطان علي بن يوسف المرابطي تقوم على أركان مثمنة، وهي ذات زخارف جصية من العناصر النباتية والقواقع. وهي مبنية بالآجر ومكسوة بطبقة من الجبس المنقوش. وتتكون عناصرها الزخرفية من فجوات وعقود مفصصة ومتقاطعة شبيهة بتلك التي تحلي قبة جامع تلمسان بالجزائر. وتعتبر قبة جامع علي بن يوسف أهم نموذج للعمارة المرابطية بالمغرب. وقد أبدع المرابطون في زخرفة القباب التي تميز البلاط المحاذي للمحراب. وتبعا لرواية صاحب القرطاس، كانت قباب جامع القرويين في العهد المرابطي مزينة بالألوان المذهبة واللازورد وأصناف الأصبغة.

ولا تبدو القباب من الخارج كلها على هيئة نصف كروية إذ نجد بعضها يغطى بسقوف جملونية هرمية مكسوة بالقرميد الأخضر كما هو الشأن بالنسبة لضريح المولى إسماعيل بمكناس أو ضريح محمد الخامس بالرباط.

عبد الرحيم غالب، *موسوعة العمارة الإسلامية* (عربي ـ فرنسي ـ إنجليزي)، الطبعة 1، بيروت، 1988 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، 1973.

P. Ricard, *Pour bien comprendre l'art musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne*, Paris, 1924 ; J. Meunié, H. Terrasse et G. Deverdun, *Nouvelles recherches archéologiques à Marrakech*, Paris, Arts et métiers graphiques, 1957 ; L. Golvin, *Essai sur l'architecture religieuse musulmane*, t. 4, L'art Hispano-Musulman, éd. Klincksieck, 1979 ; H. Terrasse, *La mosquée al Qaraouiyin à Fès, Archéologie Méditerranéenne*, III, Paris, Klincksieck, 1968.

مينة المغاري

**القبجية**، ذكرهم الناصري في كتاب *الاستقصا* (ج 5، ص. 163 و164) بأنهم كانوا في العسكر السعدي الساهرين على حفظ الأبواب، وغلقها وفتحها ؛ وقائدهم (مولود المضاوري) وطائفة من هؤلاء تحرس ليلا، وتطوف على مسايف السور المحيط بالدار. ومن وظيفتهم أيضا خدمة الكرسي والسرير اللذين يجلس عليهما السلطان بالإيوان، وتعاهد أنماط الجلوس وكنسها.

فريد وجدي، *دائرة معارف القرن العشرين*، النصاري، *الاستقصا*، ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب* ؛ الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات أهل فاس* ؛ س. بنسعيد العلوي، *الاجتهاد والتحديث : دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب*.

عبد الرحمن القباج

**القَبْري**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل Cabra ؛ وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1161 / 1748.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القبري، عبد القادر** المدعو "السي قدور". من مشهوري فن السماع بمكناس في مطالع القرن العشرين. كان

حيا في الخمسينيات. عرف بجودة الحفظ وكثرته حتى عد خزانا للأمداح. كان بارعاً في الإنشاد جيد النفقة. واختص من بين أقرانه بكلام شيخ متصوفة الملحون سيدي عبد القادر العلمي، وكان يدرجه في الأمداح بالزاوية العلمية. ومما تفرد بإنشاده "القصيدة الإدريسية" التي مطلعها : "حق لله الحمد على نعمة الإسلام". وهي على قَدِّ قصيدة "التوسل" : يَالْواجدْ بالصَّرْخَه عنْ ضيقة الحالْ للعلمي. ومن أخذ عنه فن السماع ابنه المنشد أحمدَ القبري، والفقيه المكناسي محمد بن عبد القادر المزطاري المتوفى أواخر السبعينيات من القرن العشرين.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**قَبْريرَة** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cabrena وهو نفس الاسم الذي مازالت تحمله بعض الأسر الاسبانية نسبة لمدينة Cabrera ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1162 / 1749. ومن أفرادها : محمد بن محمد قبريرة من أعيان تطوان الذين اشتروا أملاك أولاد النقسيس المصادرة من طرف السلطان في فاتح رجب 1079 (5 ديسمبر 1668). عبد الكريم بن أحمد قبريرةفقيه زاول خطة العدالة سنة 1150 (1737) أحمد بن محمد قبريرة فقيه تولى خطة العدالة من سنة 1119 إلى 1126 (1707 ـ 1714).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**قَبْريرُشْ** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Cobreros ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1171 / 1758.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**قَبْريرُو** ، ويكتب أيضا القَبْريرُو أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cabrero وهو نفس الاسم الذي تحمله بعض الأسر الاسبانية حاليا ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1162 (1749).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القبلي، محمد** بن **أحمد** بن علال ولُد 1924 انخرط في صفوف جيش التحرير وعمل بمنطقة تطوان، وبعد ذلك انخرط في خلايا المقاومة بمدينة الخميسات حيث كان منضويا في الخلية التي كانت تحت مسؤولية ابن الميلودي، ومع هذه الخلية قام بعدة أعمال فدائية جليلة آخرها الهجوم الذي شارك فيه على ضيعة المعمر تيسرا والذي استشهد به أثر اصابته برصاصة قاتلة وذلك بقبيلة مصغرة قرب مدينة الخميسات في فاتح مارس 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 404918.

**القبور في المغرب القديم** ، من المعتقد على العموم أن الإيمان بوجود حياة أخرى بعد الموت أو البعث، هو الذي دفع الإنسان إلى القيام بعملية دفن أخيه الإنسان وحفر المقابر واستعمال مادة الأوكر ذات اللون الأحمر، والبديل الشعائري للدم، والذي هو رمز الحياة. وإن المقابر تؤكد الاعتقاد في عودة الحياة. "وأن العودة يمكن أن تكون روحية محضة، يعني أنها مدركة كوجود مسبق للنفس، وهو اعتقاد مؤكد بظهور الموتى في الأحلام. غير أنه يمكن كذلك تفسير بعض المدافن كاحتياط ضد عود مفاجئ للميت، في هذه الحالات كانت الجثث تطوى وربما تحزم. ومن جهة أخرى لا يستبعد أن وضعية الطي للميت بعيدة عن إفشاء الخوف من (الجثث الحية) خوف مؤكد لدى بعض الشعوب، وتعني على العكس الأمل بولادة جديدة، لأنه تعرف حالات عديدة من الدفن مقصودة بوضعية جنينية".

ويظهر أيضا أن عملية الدفن فد تعممت في العصر الحجري القديم الأعلى مع استعمال مادة الأوكر (المغره)، وعدد من الأدوات، كالأصداف والأقراط، والعقود، وبقايا جماجم وعظام الحيوانات. ومن الراجع أن هذه الأخيرة هي "بقايا وجبة شعائرية إن لم تكن تقدمات"، كما أن وجود "أشياء كهذه لا تعني فقط الإيمان باستمرار حياة فحسب، وإنما أيضا القناعة بأن الميت سيتابع نشاطه المميز في العالم الآخر".

ويختم ميرسيا إلياد رأيه قائلا : "يمكن الاستنتاج بأن القبور تؤكد الاعتقاد بحياة أخرى سبقت الإشارة باستعمال المغره (الأوكر) الأحمر... وثمة بعض التأكيدات الإضافية : مدافن موجهة نحو الشرق، مشيرة للنية بتثبيت مصير الروح على مسار الشمس، حيث الأمل بعودة الأمل، أو من تجدد الوجود في عالم آخر، عقيدة في استمرارية النشاط المميز

وبعض الشعائر الجنائزية معينة بالتقدمات لأشياء من الزينة وبقايا وجبات الطعام".

وفكرة الاعتقاد باستمرار الحياة بعد الموت ظهرت عند كثير من الشعوب طوال العصور الماضية، وبلغت هذه الفكرة ذروتها عند قدماء المصريين. على أن إنسان العصر الحجري الحديث كان يعتقد - على ما يبدو - أن هناك شيئا غير الطعام والملابس ينقص موتاهم، فقد اعتقدوا أن السبب الحقيقي هو فقدان الدماء. وجاءت هذه الفكرة نتيجة لمشاهداتهم، وعلى أساس هذه الحقيقة استعملوا الأحجار الحمراء والرمال والأزهار الحمراء، وكان الأحمر الطوبي (الأوكر أو المغره) هو اللون الذي يعبرون به عن لون الدم.

ويمكن الاستنتاج عموما بأن القبور تعمق الدلالة بالحياة الأخرى. يدل على ذلك اتجاه المدافن نحو الشرق والقيام ببعض الشعائر والطقوس الجنائزية الممثلة بقاياها في بعض المواد بالقبر، كأدوات الزينة والأسلحة والمأكولات. كما لا ننسى وضعية "دفن الميت الجنينية بوصف القبر رحماً يعيد إطلاق الحياة مجددا في جسد المتوفى". ومن بين المقابر التي تتضمن ما ذكرناه أعلاه في المغرب مغارة الحمام بتافوغالت العائدة إلى مرحلة الثقافة الإيبيروموروسية التي عرفتها شمال إفريقيا وخاصة المغرب الأقصى والجزائر ما بين 2000 و8000 سنة ق. م. ويبدو أن الإنسان الإيبيروموروسي كان يتوفر على معتقدات دينية خاصة، منها أنه يظهر عليه أنه كان يخاف الطبيعة وغضبها وكان يقدم لها القرابين والتقدمات ويؤمن بالعالم الآخر.

وقد تم العثور على حوالي 180 جثة بمغارة الحمام بتافوغالت فقط أعطيت فيها للميت وضعيات مختلفة وفق طقوس مأتمية خاصة كصبغ أجسام الموتى بالمغره الأحمر بجانب بعض الأدوات. كما اتضح من البقايا الأثرية أن الإيبيروموروسيين كانوا متشبعين بمعتقدات بدائية تتمثل على الخصوص في استعمال الإنسان للتمائم والتعويذات الوقائية ضد الأخطار الخارجية، والتي لم تختف قط دلالتها. كما أن كثرة مدخرات المغره وكبريتات الرصاص في الموقع ليست العنصر الوحيد المعتمد عليه لطرح فرضية وجود رسوم جسدية، لأن العديد من الهياكل العظمية الإيبيروموروسية تحمل إلى يومنا هذا بقايا للمغره الأحمر. وليس هناك ما يسمح بجعل الاستعمال المأتمي هو الاستعمال الوحيد لهذه المدخرات الكثيرة للأوكر. إلا أن هذه الممارسة لن تصل إلى الأهمية التي عرفتها لدى القفصيين الذين استعملوا المغره بكميات كبيرة في أدواتهم وجثث موتاهم.

ونظرا لأهمية القبور والمدافن وما يرتبط بها من شعائر وطقوس جنائزية ومأتمية، في بروز ذهنية دينية، يبدو أنه من الضروري التعرض لبعض أنواع مقابر ومدافن ما قبيل التاريخ بالمغرب.

إن التنقيبات التي أجريت في عدة مواقع مغربية أمدتنا بمعلومات قيمة عن فترة ما قبل التاريخ والتي أجراها عدد من المهتمين والمنقبين والباحثين منهم : بول بالاري وفوانو، وجوزيف كومبرادو، وموريس أنطوان، وأرمان رولمان، وجاك مونيي، وأرمان لوكي، وجورج سوفيي، وگابرييل كامبس، وأندري جودان، وميشيل بونسيك والقس جان روش وغيرهم.

وقد شملت التنقيبات ما قبل التاريخية كل المناطق المغربية، سواء الغرب أو الشرق، أو الجبال، أو الشواطئ، أو الصحراء، مما يدل على أن الإنسان المغربي القديم كان يسكن هذه المناطق خلال فجر التاريخ.

ويبدو أن الإنسان خلال عصر ما قبل التاريخ كان يدفن الميت في حفرة صغيرة يكون فيها الإنسان عاريا أو مكسوا بالجلد. ولما لاحظ الإنسان أن الوحوش كثيرا ما تنبش القبر وتفترس جثة الميت، عمد إلى تعميق حفرة الدفن في الأرض، وإلى تغطية أعلى القبر بكتل حجرية كبيرة تجعل من المستحيل على الوحوش نبش القبر. ومع توالي الزمن وتطور العقائد والطقوس الجنائزية والشعائر المأتمية، أخذ الإنسان يقيم المقابر المتنوعة الأشكال والأحجام منها :

1 - قبور داخل الكهوف : يبدو أن الإنسان في المغرب - خلال عصور ما قبل التاريخ - كان يدفن موتاه داخل الكهوف، وقد عثر على عدد من البقايا البشرية داخل كهوف دار السلطان، وتمارة، وتافوغالت، وجبل إيغود، والهرهورة، وكيفان لغماري، وتازة، ورأس سبارتيل، وكهف سيدي أحمد لحبيب ببركان.

ويبدو أن الأمازيغ قد هجروا الدفن داخل الكهوف منذ أوائل العصر الحجري الحديث وفضلوا إقامة القبور في الهواء الطلق. وظهرت أنواع من القبور والمدافن المتعددة الأشكال والطرز منها :

2 - القبور الدائرية الشكل : فكان الدفن فيها عبارة عن حفرة صغيرة يسجى فيها الميت على هيئة الجنين في الرحم أي أن رجليه مطوية.

3 - القبور المحفورة في الصخر : تحفر عادة على شكل مستطيل أو مربع. ويعلو القبر عدد من الأحجار الكبيرة التي ترص فوق القبر على شكل كوم مربع أو مستطيل. وفي هذه القبور كان الميت يسجى على طوله أو على جنبيه. وتوضع معه أواني من الفخار وأسلحة من الحجر بالإضافة إلى الحلي وأدوات الزينة...

4 - القبور التلية : وتسمى بالأمازيغية كركور وهي القبور التي يعلوها كوم من التراب أو من الطين في البداية كانت على شكل نصف دائري ثم أصبحت دائرية وصار الكوم من الأحجار التي كانت تتماسك - في بعض الأحيان - بملاط من الطين. ويبدو أن هذه القبور التلية تطورت في أواخر فجر التاريخ إلى مقابر وهي المعروفة بالبازينا عند كابرييل كامبس. ومن أشهر القبور التلية الموجودة في المغرب فم لرجم.

5 - البازينا : وهي قبور ضخمة دائرية الشكل مغطاة بقبة مبنية من الأحجار المصقولة المهذبة. رص بعضها فوق

بعض بعناية. ويبدو أن أصل هذا النوع من المعابد مغاربية صرفة، نظرا لأن وجودها يقتصر فقط على المغرب الأقصى وغرب الجزائر، أي المنطقة التي كانت تكون مملكة موريطانيا في عهد يوبا الثاني. بل ويبدو أنها تطور طبيعي للقبر التلي (التومولوس). ومن أشهر هذه البازينات الميدغاسن، وقبر الرومية أو النصرانية بالجزائر، وبازينا سوق جمعة الكور بالمغرب.

6 ـ قبور أسطوانية الشكل : يطلق عليها اسم المقابر التي على هيئة الشوشة، الجزء العلوي من القبر برج أسطواني الشكل لا يرتفع عن الأرض كثيرا. وهذا النوع من المقابر له صلة بنوع آخر من المدافن المعروفة بالدولمينات.

7 ـ الدولمن : عبارة عن حفرة دائرية الشكل يسجى في قاعها الميت، تبنى جدران القبر بالحجر ثم تكسى بالتراب والأحجار، ثم يحاط القبر بأحجار ضخمة تعلوه كتلة ضخمة من الحجر، وتسمى هذه المقابر بالصروح الميگاليتية، وهي منتشرة في مناطق متعددة من المغرب، في جبال الأطلس، وفي سهل سايس، وسهل الغرب، وجبال بني يزناسن. ويحاول عدد من الباحثين ربط طراز هذه القبور بقبور أخرى شبيهة لها توجد في البرتغال، وبريطانيا، والدانمارك، وفرنسا وفلسطين، وآسيا الصغرى وإسبانيا. ونظراً لأهمية هذه القبور فقد حاولوا تفسير وجودها بأنها قبور لأناس لم يدفنوا بها لأن أصحابها غالباً ما يكونوا قد ماتوا بعيدين عن مكان القبر. ونظراً لصعوبة نقلهم من الأماكن التي ماتوا فيها، وبما أنه كانت لهم مكانة مميزة بين عشائرهم فقد أقاموا لهم القبور تخليدا لذكراهم. وقد ظلت ظاهرة القبر الفارغ متواترة في جزيرة مدغشقر حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي حيث كانت تهيأ قبور لأناس ماتوا أو غرقوا في البحر.

والدولمن يعني غرفة مبنية من الحجر بها فتحة لإدخال جثة الميت دون الحاجة إلى المساس بهيكل البناء، وهذه القبور تتسع لإيواء عدة جثث في بعض مناطق شمال إفريقيا، إلا الموجودة بالمغرب فإن أغلبها صغيرة ولا يتسع إلا لجثة واحدة، ويعد هذا النوع من الدولمينات أكثر مدافن فجر التاريخ انتشارا في المغرب، إذ نجدها في نواحي طنجة (المريس وعين الدالية والدار الكبيرة) وفي نواحي ليكسوس والأطلس الكبيـــــر. ومن الدولمينات التي درست في الثلاثينيات دولمن امرزواست بالأطلس الكبير وهو دولمن كامل من المقطع الكلاسيكي : الصخرة الأفقية مستطيلة الشكل طولها 4 م وعرضها 2,60 م وسمكها 30 سم مدعمة بثلاث كتل صخرية عمودية على شكل منهيرات طولها ما بين 1,30 م و1,50 م.

8 ـ المنهير والكرومليك : يرى جل الباحثين أن القبور المعروفة بالمنهير تطورت من الدولمن : وأن هذا الأخير تطور إلى الكرومليك ومن أشهرها عالمياً، سطون هينك، ومغاربيا مزورة ففيما يخص الأول فيعتبر أجمل المنهيرات على الإطلاق، وتبدو المنهيرات، وهي تحيط بالحرم.

ومن خلال هذا العرض الموجز لأنواع المدافن والمقابر يتضح مدى اهتمام أمازيغ فجر التاريخ وبداية العصور التاريخية بها، والعناية التي يوجهها لدفن موتاه، والجهود الذي كان يبذلها من أجل تهييء وإنشاء المدافن، وما يصاحبها من طقوس واحتفالات، وتقاليد، خاصة بنقل الميت من عالم الأحياء إلى عالم الأموات، ومنه إلى العالم الآخر.

م. أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، دكتوراه الدولة، فاس، ص. 58 ـ 87 ؛ ميرسيا إلياد، *تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية*، تر. عبد الهادي عباس، ج. 1، دار دمشق، ط. 1، 1986 ـ 1987.

Youssef Bokbot, *Habitats et monuments funéraires du Maroc protohistorique*, Doctorat, Aix-En-Provence ; G. Camps, *Les civilivations préhistoriques de l'Afrique du Nord et au Sahara*, Doin éditeur, 1970 ; Id., *Aux origines de la berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, Actes et métiers graphiques, Paris, 1961 ; J. Meunié, La necropole de Foum Le - Rjem, Tumuli du Maroc présaharien, *Hespéris, t. XLV*, 1958, p. 95 - 112 ; M. Tarradell, El tumulo de Mezora (Marruecos), *Archivo de Prehistoria Levantina, t. III*, 1952, p. 229 - 239 ; G. Ch. Picard, *Les religions de l'Afrique antique*, 1954 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 volumes, 1913-1928, vol. VI.

مصطفى أعشي

**القبلة** في اللغة، الجهة. وفي الاصطلاح، ناحية الصلاة، ووجهة المسجد ؛ والقبلة، التي يصلى نحوها. وفي حديث ابن عمر : "ما بين المشرق والمغرب قبلة" ؛ أراد به المسافر إذا التبست عليه قبلته، فأما الحاضر فيجب عليه التحري والاجتهاد.. ويجوز أن يكون أراد به قبلة أهل المدينة، ونواحيها، لأن الكعبة جنوبها. واستقبال القبلة هو الشرط الثالث لصحة الصلاة ؛ لقوله تعالى : "وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره" (البقرة، 150). والشطر، الوجهة والعين ؛ عين القبلة ؛ والسمت. والمقصوب بـ"شطره"، أي صوب المسجد الحرام. غير أن العاجز عن استقبالها لخوف أو مرض ونحوهما يسقط عنه هذا الشرط. كما يسقط عن المسافر على ظهر دابته، أو على متن إحدى وسائل النقل المعروفة اليوم ؛ إذ يمكنه أن يصلي حيثما كان اتجاهه ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم رئي "يصلي على راحلته وهو مقبل إلى المدينة حيثما توجهت به".

وقد صلى المسلمون الأوائل إلى بيت المقدس طوال ستة عشر شهرا، قبل أن يتحولوا إلى الكعبة، بعد نزول الآية : "قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها" (البقرة، 144). وكان كذلك قبل غزوة بدر بشهرين.

ولما كان لأحكام القبلة آثار مباشرة على العمران الإسلامي عامة، فقد حرص المسلمون على تحقيق استقبالها ليس فقط لتصح صلاتهم، ولكن أيضا لتوجيه بعض مرافق مساكنهم. وانتقش في أذهانهم، بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، إعطاء ذلك التوجيه الأولوية على كل الاعتبارات العمرانية، لوضع هندسة النسيج الحضري.

ومن ثم، حددوا الطرق الموصلة إليها في خمس، وهي : (أ)ـ رؤية الكعبة بالعين. (ب) ـ خبر العالم الصادق

الذي يجوز قبول خبره. (ج) - الاجتهاد في طلب القبلة لمن كانت عنده دلائل الاجتهاد. ومن العلامات التي استند إليها المغاربة لمعرفة القبلة : النجوم الثابتة، ومطالع الشمس ومغاربها، ومطالع القمر. (د) - قبلة تقليد العامي للعالم الذي عنده دلائل الاجتهاد. (هـ) - قبلة تردد.

وذهب أبو علي المصمودي إلى "أن قبلة أهل المغرب صعب أمرها من أجل أمرين" : - أحدهما أن من شرحوا الأمهات لم يستدلوا بالنجوم وغيرها مما ذكر. وكل من تكلم من العلماء عن القبلة إنما تكلم عن قبلة بلده "والمصامدة خارجون عن ذلك كله".

- الأمر الثاني أن مساجدهم مختلفة الاتجاه. منها من استقبل المشارق الصيفية، ومنها من استقبل موضع الاعتدال، ومنها من استقبل الشتوية، ومنها من استقبل وسط الجنوب، وهو مطلع سهيل. ولعله يقصد أهل الأندلس.

واستقبل أهل المغرب الأقصى، عند بناء مساجدهم، وسط الجنوب ؛وهو قريب من مطلع سهيل كذلك. واستندوا إلى الحديث المذكور أعلاه، "ما بين المشرق والمغرب قبلة" ؛ إذ حملوه على العموم. ولعلهم استمروا على ذلك حتى زمن ابن رشد الذي أكد أن الحديث مخصوص بأهل المدينة، لأن عمر بن الخطاب رفع التعميم حين قال : "وذلك إذا توجه نحو البيت" ؛ يقصد بيت الله الحرام. ووضح ابن العربي ذلك، فقال : "إذا كان الرجل شماليا أو جنوبيا، صح أن يقال له ما بين المشرق والمغرب قبلة، وإذا كان مغربيا أو شرقيا لم يصح له ذلك بحال". وهذا دون إهمال الميل، بأن يتياسر إلى المشرق إن كان الميل إلى الشمال، أو يتيامن إلى المغرب إن كان الميل إلى الجنوب.

ومن العلماء من استدل على القبلة بالظل، في وقت معين من السنة. ومنهم من استدل عليها بالقطب، يجعله على كتفه - أو منكبه - الأيسر. وهذا ما بنيت عليه مساجد القيروان مثلا ؛ واتفقوا عليه بالإجماع.

ومن ثم فقبلة أهل المغرب الأقصى بين الشمال والجنوب، مع مراعاة الميل حسب العرض والطول. لكن أبا علي المصمودي لا يني عن التأكيد على القول : "ونحن المصامدة قليل من تكلم من العلماء على قبلتنا". ويذهب إلى أن العلماء إنما رجحوا "أقوال الفقهاء على آراء المهندسين، لأن الهندسة قليل من يعرفها". وبناء على ذلك، لم يعتمد أهل المغرب ما كتبه أبو الفضل ابن النحوي في قبلة أهل المغرب، لأنه مبني على الهندسة ؛ "وقل من يفهمه".

ومهما يكن من أمر، فإن قبلة أهل المغرب تلتمس، بعد التحري، في وسط الغرب. ولا يجوز طلبها البتة وسط الجنوب، بإجماع العلماء. قد بذلت قصارى الاجتهادات في نصب المساجد، وتحقيق قبلتها ؛ وجوّز العلماء الانحراف القليل، ونهوا عن "التشديد المؤدي إلى افتراق الكلمة مع إمكان مقاربة الصواب". وإذا كان الانحراف يسيرا، انحرف الإمام والناس فيه إلى القبلة، حسبما رأى الإمام مالك. وإن كان كثير الانحراف عن القبلة هدم، إن لم يخف الفتنة على هدمه. فإن لم يتفق الناس على هدمه، صلوا فيه وانحرفوا ؛ أو بدلوا محرابه إلى القبلة.

ومن الدلائل على تحري المغاربة الشديد في تصحيح قبلة مساجدهم ما وتر في موضوع بناء المساجد الأولى. ذلك أن عقبة بن نافع لم ينصب محراب مسجد القيروان إلا بعد أن استدل على سمت قبلته بالنجوم والمطالع، والاجتهاد والتحري ؛ واتفق هو وجماعة من التابعين وخمسة عشر رجلا من الصحابة ؛ فرفعوا قبلته إلى مطلع الشمس في الشتاء ؛ أي فيما يوافق اليوم السادس عشر من دجنبر.

ومن المساجد التي أجمع الفقهاء على "تصويب قبلته" جامع علي بن يوسف بمراكش. فقد جمع الأمير المرابطي أربعين فقيها، فيهم مالك بن وهيب وأبو الوليد ابن رشد، من أجل نصب محراب ذلك المسجد. فنصبوه إلى مشارق الشمس الصيفية، أي مطالع الشمس في الاعتدال. وقد تحرى بعضهم في ذلك، فرصد الوجهة بالنجوم، فوجد القطب على المنكب الأيسر. وهو أيضا توجه صحيح، حسب فلكيي ذلك العصر. وعدد المؤلف مساجد كثيرة، وضعت محاريبها وضعا صحيحا، متوجهة نحو القبلة، منها مساجد فاس، كمسجد الرصيف.

وعلى العموم، فإن قبلة مساجد المغرب الأقصى تلتمس فيما بين الجنوب والشمال ؛ وحددوا ذلك بـ"المشارق الشتوية، وهي ما تطلع فيه الشمس ستة أشهر من اليوم الثامن عشر من شتنبر، وهو الاعتدال الخريفي ؛ فتمر حتى تصل أقصى مطالعها في الشتاء في اليوم السادس عشر من دجنبر... فترجع في مطالع الشتاء أيضا من ناحية الجنوب إلى ناحية الشمال إلى يوم الخامس عشر من مارس... وهو الاعتدال الربيعي". أما "المشارق الصيفية فثلاثة أهشر، ترجع الشمس من أقصى مطالعها في الصيف في اليوم السابع عشر من يونيه... ومن استقبل في صلاته، بالمغرب الأقصى من مطالع الاعتدال إلى آخر المطالع الشتوية، فقد صادف القبلة، في قول أكثر العلماء".

واقترح الموقت محمد بن سعيد الميرغثي مطلع الشمس في اليوم التاسع أو العاشر من مارس ؛ أو اليوم العاشر أو الحادي عشر من شتنبر، لأنها تطلع فيها في مشرق الاعتدال. وهذا "عين القبلة على الحقيقة بلا شك، كما ذكره المحققون من أهل الفن". وهي قبلة مساجد أهل المغرب الأقصى الواقعة في عروض ما بين حاحا وأقا. ولاحظ الميرغثي أن كثيرا من المساجد القديمة، سيما مساجد الموحدين، مائلة عن عين القبلة إلى جهة الجنوب. لكنه ميز بين الميل القليل الذي يميل عن العين ولا يتجاوز الجهة، والميل الكبير الذي يصدف عن الجهة تماما. فإذا كانت الصلاة في الحال الأولى غير فاسدة ؛ فإنها في الحال الثانية تكون باطلة.

ويحدد ذلك بالضبط، فيقول : "وإذا ملْتَ عن الحد الشمالي إلى الشمال أو عن الحد الجنوبي إلى الجنوب..

بأكثر من خمسة وأربعين درجة، الذي هو ربع الدائرة، باعتبار الجهة الصغرى (90 درجة).. فقد ملت إلى غير جهة القبلة، فتبطل صلاة من صلى لكلتا الجهتين".

ومن التمس القبلة على المنهاج الفلكي، يمكنه تحري رجلي الجوزاء. وهذا ما أكده كثير ممن استند إلى علم الفلك، كالدادسي صاحب اليواقيت، والرسموكي صاحب الشرح. وذهب الإمام سحنون، قبلهما، إلى أن "قبلة أهل المغرب مطلع الجوزاء". ولا شك في أنه قصد قبلة مساجد أفريقية.

وقد انشغل المغاربة، زمنا غير يسير بقضية القبلة، سيما لما اكتشفوا انحرافا في بعض المساجد الكبرى كالكتبيين والقرويين، وجامع الأندلس، وجامع تلمسان. فلا يصلي فيها إلا إذا مال عن محاريبها جهة الشمال. ولعل أوج تلك الضجة كان في القرن الثاني عشر (18 م)، حين هجر المصلون بعض المساجد، كما حدث في وادي نفيس عام 1118 / 1706.

ومهما يكن من أمر، فإن كثيرا من التساؤلات تبقى واردة ؛ نقتصر على أبرزها : إذا كان المغاربة قد بلغوا درجة كبيرة من التهمم بقضية تصحيح قبلة مساجدهم، فوضعوا الرسوم والخرائط لبلورة ذلك، فلماذا جاء كثير منها منحرفا عن القبلة ؟

أ. الجزائري، *منهاج المسلم* ؛ ابن حجر، *فتح الباري* ؛ ع. الزرهوني، *رحلة*... ؛ م. المنوني، *حضارة الموحدين*... ؛ م. ابن حموش، *فقه العمران الإسلامي*.

M. Rius, *La Alquibla en al Andalus y al Magrib al Aqsa*, Barcelona, 2000.

أحمد عمالك

**قَبيسَة** ويكتب أيضا قَبيشَة أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cabeça ؛ ومازالت باسبانيا أسر تحمل اسم Cabeza ؛ ومعناه الرأس ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القبيلة**، يعتبر مفهوم القبيلة من المفاهيم التي تعددت بشأنها آراء المتخصصين في العلوم الاجتماعية ولاسيما الأنثربولوجيين والمؤرخين وعلماء الإجتماع. ومهما تعددت التصورات حول مفهوم "القبيلة" أو "المجتمع القبلي" فإن مضامين ومحددات هذا المفهوم تظل نسبية ولا يمكن تعميمها نظرا لتعدد أصناف القبائل تبعا للملابسات والظروف التاريخية العامة : السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي نشأ وتطور فيها المجتمع القبلي.

والقبيلة في البلاد المغربية ظلت عبر التاريخ بمثابة إطار ترابي وسياسي لحياة اجتماعية، ومن ثم فهي الإطار الذي يتحدد فيه النظام القانوني والاجتماعي وكذا مختلف العلاقات بين الناس. تضم القبيلة بالمغرب مجموعة من الفخذات، ونادرا ما يرمز إسمها إلى جد أعلى يعتقد أفراد القبيلة بانتسابهم إليه، وهو أمر بديهي طالما أن القبائل في مختلف الجهات المغربية قد عرفت اختلاطا كبيرا في أصولها. ولعل مثل هذه الوضعية عند المجتمع القبلي هي التي جعلت ابن خلدون يرى بأن النسب هو الإنتماء الفعلي إلى جماعة معينة، أي إلى عصبية ما، وليس فقط الإنتماء إلى جد مشترك، ومن هنا حسب رأيه، فإن تعصب الفرد لعصبية ما (قبيلة أو جماعة) إنما يرجع إلى الألفة وطول المعاشرة وما ينتج عن ذلك من تشبعه بعاداتها وتقاليدها وبالروح الجماعية السائدة فيها، ومن ارتباط مصلحتها ووجوده بوجودها.

وتتميز القبيلة بعموم البلاد المغربية في فترة ما قبل الاستعمار بالخصائص الرئيسية التالية : وجود حدود مجالية لكن متفاوض بشأنها، لذلك تظل غير مستقرة في المكان وفي الزمان، إذ قد تتمدد أو تتقلص حسب ميزان القوى مع القبائل المجاورة ومع المخزن، ثم هيمنة روح التضامن بين أفراد القبيلة لضمان التلاحم والدفاع المشترك خلال الصراعات والمعارك التي تدور حول المراعي والحدود مع القبائل المجاورة، وهي صراعات غالبا ما تحاول القبيلة تلافيها بإبرام معاهدات الصلح وحسن الجوار وأحيانا بربط علاقات تبادل ومصاهرة وغيرها مع الأطراف المعنية. وكذلك وجود "جماعة" القبيلة التي تتكون من أفراد منتخبين ينتمون إلى مختلف الأسر بالقبيلة وتتكلف هذه "الجماعة" بتوزيع المراعي والأراضي الزراعية على الفخذات وتسوية النزاعات مع القبائل الأخرى وتنظيم الدفاع وتوزيع واجباته على الفخذات، وكذا الحرص على تطبيق القوانين العرفية والتقاليد القبلية وإبرام المعاهدات مع القبائل الأخرى واستقبال الأجانب. واستعداداً لكل طارئ تسهر "جماعة" القبيلة على تربية الشباب وتدريبه على ركوب الخيل وحمل السلاح وتهيئته للذوذ عن العرض والأرض والدين وشرف الوطن بتشجيع وتحفيز من طرف العلماء والصلحاء وأولي الأمر بالقبيلة. وهكذا كانت اختصاصات مجلس "الجماعة" على مستوى القبيلة أكثر شمولية وذات طابع سياسي وعسكري بالدرجة الأولى.

ونتوخى من خلال الجدول التالي إعطاء صورة ملخصة حول مرتكزات وأبعاد التراتب والتناسق الذي ميز التنظيم الإجتماعي والترابي عند القبائل المغربية قبل التدخل الإستعماري المباشر في أوائل القرن العشرين.

ومن خلال المعطيات العامة التي يتضمنها الجدول نستنتج بأن التنظيم الإجتماعي والإقتصادي والمجالي عند القبائل المغربية قبل التدخل الإستعماري، كان مؤسسا على تصور عقلاني وقواعد منهجية تهدف، كما عبر عن ذلك ألبر عياش، إلى "تحقيق التوازن بين الموارد ووسائل الإنتاج والبنية الإجتماعية".

تراتب وتناسق التنظيم الإجتماعي والترابي عند القبائل المغربية قبل التدخل الإستعماري المباشر

| الوحدات الاجتماعية المجالية المترابطة | ملكية المراعي والغابات | ملكية الأرض الزراعية | السلطة المسيرة | الوظيفة الأساسية |
|---|---|---|---|---|
| القبيلة | جماعية | خاصة | جماعة القبيلة | إيديولوجية، سياسية وعسكرية |
| الفخذة | جماعية | خاصة | جماعة الفخذة | اقتصادية، دفاعية وتنسيقية |
| الدوار | جماعية | خاصة | جماعة الدوار | اجتماعية، اقتصادية وتنظيمية |
| الأسر الممتدة | جماعية | مشتركة | الأب أو ابنه الأكبر | بيولوجية، اقتصادية وتدبيرية |

وإذا كانت مؤسسة "الجماعة" على صعيد القبائل ثم الفخذات قد اندثرت تدريجيا تحت ضغط الإكراهات السياسية والإجراءات القانونية والإدارية والتقطيعات الترابية التي ما فتئت تتعدد منذ الفترة الإستعمارية، فإن هذه المؤسسة (أي "الجماعة" التقليدية) لازالت صامدة ومؤكدة وجودها لحد الآن على صعيد بعض الدواوير في مناطق مغربية مختلفة وكذلك في بعض القصور بالواحات، لكن وظيفتها أصبحت محصورة في بعض الجوانب ذات الطابع التعاضدي والترفيهي داخل الدوار أو القصر بعد اندماج "الجماعة" الحالية في شبكة المراقبة والتحكم التابعة للدولة. هكذا، وبفعل تأثير التطورات السياسية والإجتماعية والإقتصادية المعاصرة بدأت الروابط الإجتماعية والثقافية القبلية القديمة في البوادي المغربية تضمحل وتختفي تدريجيا لتحل محلها شبكات زبونية وعلاقات ولائية تحكمها المصالح المتبادلة والتي تلعب أدواراً هامة على صعيد بناء جزء من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المحلية في الظروف الراهنة.

أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، الطبعة الثانية، 1983 ؛ م. عابد الجابري، *العصبية والدولة*، الدار البيضاء، 1987 ؛ ع. صدقي، *النسب والتاريخ وابن خلدون*، الرباط، 1985 ؛ م. الأكحل، *المجال الريفي المحلي بالمغرب ؛ حصيلة التنمية بين الموروث والمعاصر*، تونس، 1999 ؛ ع. الخديمي، *نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية*، الدار البيضاء، ألبير عياش، *المغرب والإستعمار*، الدار البيضاء، 1985 .

M. Godelier, Le concept de tribu, crise d'un concept ou crise des fondements de l'anthropologie, in *Diogène n° 81*, Gallimard, Paris, 1973, p. 3 ; Le tribu, in *Encyclopaedia universalis*, Corpus 18, 1988, p. 251-256.

المختار الأكحل

**قَبِيُّو** ويكتب أيضا قَبيُّ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cabellos ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Cabello و Cavello ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**قُجَّاري**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cuchar ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Cujar وGojar نسبة إلى قرية قُجَّر أو قرية قُلْجر اللتان كانتا بأحواز غرناطة المسلمة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**قُجَّان** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cuchan ؛ انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**الـقُجَّاني** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cuchani.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999 ، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1310.

محمد ابن عزوز حكيم

**قدار، محمد** الملقب بـ قدار (لقبه بذلك صبيان وقته) بن الشيخ أبي زكرياء يحيى بن علال بن موسى بن محمد بن يحيى ابن الشيخ غانم أبي خصيب، ينتسبون إلى عمر بن الخطاب، ويعرف فخذهم في بني مالك بأولاد أبي خصيب، ولهم فيهم الرياسة الكبيرة.

أخذ عن الشيخ أبي المحاسن الفاسي. وكان شديد الحب فيه والتعظيم له، كثير الزيارة والمجالسة معه والاستفادة والاستشارة. وكانت بينهما مصاهرة ؛ إذ صاهر محمد قدار بابنته أحد أبناء أبي المحاسن وهو الشيخ عبد الرحمان. دخل مكناسة. ولقي بها أبا الروابن. ثم عاد إليها مرة أخرى، فصحب الشيخ سعيد بن أبي بكر المشترائي، وأخذ عنه، ولازمه إلى أن مات. فذهب إلى مراكش، ولقي بها الشيخ أباعمرو القسطلي. وذهب إلى تامصلوحت، فلقي بها الشيخ عبد الله بن حسين.

طال عمر الشيخ محمد قدار، وكان لا ينام الليل، فيقال إنه كان من حراس المغرب. ويظهر أن الشيخ محمد قدار كانت له مواقف من بعض أحداث وقته. شُكي إليه أولاد

مطاع لما كانوا عليه من الفساد، فقال لهم : يأتيهم أحمد. فكان كذلك، وأتاهم السلطان أحمد المنصور السعدي، فأخذهم وفرق جمعهم. كما عاش أحداث الخلاف بين أبناء هذا السلطان. وعارض بشدة تسليم المامون العرائش للإسبان. ويظهر أنه كان ضد وجود أي نفوذ سواء للمامون أو لزيدان في فاس. ولسبب ما سجن ولد الشيخ مع ابن عمه في أحد سجون الأمير زيدان.

توفي سنة 1024 / 1615.

ع. الفاسي، *ابتهاج*، ص. 125 ـ 205 ـ 408 ـ 411 ؛ م. ع. الفاسي، *مرآة*، ص. 216 ـ 217 ؛ م. الفاسي، *ممتع*، ص. 105 ـ 119 ـ 152 ـ 154 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج 1، ص. 202 ـ 204، ج 2، ص. 12، *إلتقاط الدرر* ؛ ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، ص. 55، م. الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشادلي، ص. 148 ـ 149 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 5، ص. 251 ـ 253.

المصطفى البوعناني

**القدس والمغرب**، لا يمكن أن نتحدث عن القدس في معزل عن القضية الفلسطينية بكاملها، لذلك فإننا نحيل القارئ على مراجعة المادة المخصصة لفلسطين في المعلمة، حتى تكتمل الصورة لديه بالنسبة لموضوع القدس الذي سنفصل الكلام عنه حسب المعطيات الآتي ذكرها :

أولاً : القدس ماضياً وحاضراً :

بحث أوضاع القدس تبرز أهميته لدى تفكيرنا في أولى القبلتين وثالث الحرمين وهي تربض أسيرة لجبروت الاحتلال الصهيوني، يعبث فيها هدماً وتنكيلا، وتشويها. ومصادرة. العدوان الصهيوني يتصاعد في القدس ويزداد شراسة وتوحشاً، في محاولة يائسة للتشكيك في عروبة المدينة المقدسة وإسلاميتها، وتغيير الطابع الديموغرافي والحضاري فيها، وحصرها ضمن جدار الفصل العنصري لتجزئتها، وعزلها عن محيطها الفلسطيني، للاستفراد بها، ومصادرة ما تبقى من أراضيها، واغتصاب بيوتها وعقاراتها، وزرع المستوطنات الصهيونية فوق ترابها، ومنع الزوار والمتعبدين

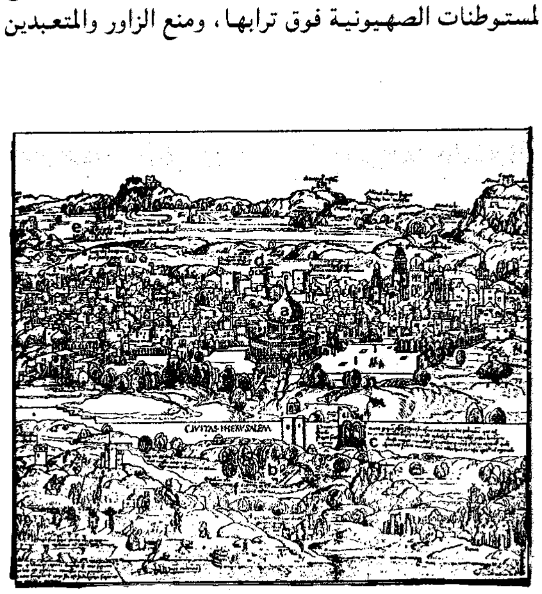


من ممارسة شعائرهم الدينية في مساجدها وكنائسها، وفرض الضرائب الباهظة على سكانها، ومنعهم من دخولها، واعتبارهم غرباء في وطنهم، يتوفرون على بطاقة دائمة للإقامة، تبقى مرْهونة بمزاج المحتل، وحاجته لاستقدام مهاجرين جدد، دون أن يسمح لهم بالمشاركة في انتخاب بلديتهم، أو تكوين المؤسسات التي تعنى بشؤونهم وتدبير أمورهم.

كل ذلك يتم في خرق تام للقيود القانونية والأخلاقية والدينية والإنسانية. ولابد أن نذكر هنا أن الصهانية يتذرعون في تنفيذ سياساتهم العدوانية تلك، بأكاذيب تشكك في عروبة القدس وإسلاميتها، والحال أن تاريخ القدس منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، تميز بأهم ظاهرة في تاريخ الشرق الأدنى : أعنى تلك الموجات المتتالية لجماعات مهاجرة من الجزيرة العربية إلى الشام والعراق، وأن إحدى هذه الجماعات وهم الكنعانيون، اشتهروا في أرض كنعان، ثم جاء يَبُّوس، أحد أولاد كنعان، وتخير موقعا وضع فيه اللبنة الأولى لمدينة سيكون لها شأن عظيم هي يبوس، أو القدس، أو إيلياء، أو أورشاليم، وتعني في اللغة الكنعانية منشأة الإله سالم، أو إلاه السلم عند اليبوسيين.

ورغم أن النبي موسى عليه السلام لم يأت القدس، ولم يدخلها، فإن حَمَلَة الفكر الصهيوني حاولوا إثبات أهمية القدس كرمز لكيان الدولة الموحدة على عهد داود وسليمان، والحال أن مدة حكم هذه المملكة لم تزد عن ثلاثة وسبعين عاماً، كانت خلالها واقعة تحت حماية مصر من جهة، وملك صور من جهة أخرى، إلى أن تفسخت بعد موت سليمان، وانقسمت على نفسها. ومنذ ذلك الوقت أي ستة قرون قبل الميلاد، انتهى التاريخ السياسي لبني إسرائيل في القدس وفلسطين وظلوا خاضعين لدولة الفرس ثم اليونان، وبعدهم الرومان، إلى أن دخل المسلمون إلى المدينة في عهد خلافة أمير المومنين عمر ابن الخطاب عام 17 / 636.

كان فاتح القدس هو القائد العربي المسلم أبوعبيدة ابن الجراح، وكان من تسلم المدينة من حاكمها الروماني صفرنيوس هو أمير المومنين عمر ابن الخطاب. الذي أعطى الأمان والعهد على نفسه "بالمحافظة على سكانها ومنشآتهم وأملاكهم، ودور عبادتهم". وبذلك دخلت القدس في نطاق الخلافة الإسلامية الرشيدة ثم الدولة الأموية، فالعباسية، ثم الأتراك العثمانيون بعد أن كانت الحملة الصليبية قد غشيتها ما بين 1096 ـ 1291 للميلاد، فعاثت جيوش الغز والصليب في الأرض والسكان فساداً، وسفكاً للدماء إلى أن جاء صلاح الدين الأيوبي، محرراً للقدس، ومعيداً لها ما كانت قد افتقدته من فضائل التسامح، واحترام المعابد والديانات.

ثانياً : دور القوى العظمى في دعم سيطرة إسرائيل على القدس :

منذ تحرير القدس على يد صلاح الدين الأيوبي لم يحدث في التاريخ ما يشكك في عروبة القدس وإسلاميتها حتى

صدور وعد بلفور بتاريخ 2 نوفمبر 1917، وفحواه "أن بريطانيا تتعهد بتمكين اليهود من إنشاء وطن لهم في فلسطين".

وعند قيام الانتداب البريطاني على فلسطين منذ عام 1920، لم تدخر بريطانيا جهداً في سبيل تنفيذ وعد بلفور إلى أن انتهى الأمر بها إلى إحالة القضية الفلسطينية على الجمعية العامة للأمم المتحدة، التي أصدرت تحت ضغوط بريطانية وأمريكية قرارها رقم 181 بتاريخ 29 نوفبر 1947 القاضي بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية وتدويل مدينة القدس بكاملها، الأحياء القديمة منها والحديثة، يضاف إليها القرى والمدن المحيطة بها، والتي تشكل معها منطقة واحدة، حددت بخريطة ألحقت بالقرار.

إلا أن النظام الدولي للقدس لم ير النور نظراً لمعارضة الدول العربية وكذا إسرائيل، فبقي التدويل حبراً على ورق.ولم تفلح جيوش الدول العربية المتاخمة عند دخولها إلى فلسطين في حسم الموقف وإعادة الأمور إلى نصابها، وأضحت القدس مقسمة إلى قسمين : القسم الأول داخل السور وهو ما يعرف بالقدس القديمة بما فيها الأماكن المقدسة كلها وقد سيطرت عليه القوات الأردنية، والقسم الثاني خارج الأسوار، وكان يعرف بالقدس الجديدة وقد احتلته إسرائيل. وفي 7 يونيه 1967 احتلت إسرائيل المدينة بأكملها عقب عدوان 5 يونيه في نفس السنة. وفي غشت 1980 أقدمت إسرائيل على ضم القدس المحتلة واعتبرتها عاصمتها الموحدة في انتهاك صارخ لمبادئ القانون الدولي.

ثالثاً : موقف القانون الدولي إزاء قضية القدس ورأى دولة القطبية الأحادية في ذلك :

ليس من شك أن قرارات مجلس الأمن الصادرة على عهد الحرب البادرة أدانت كلها ضم القدس الشرقية، ولم تعترف بإعلانها عاصمة موحدة لإسرائيل. وأكثر من ذلك فإن مجلس الأمن كان يتابع تطورات احتلال إسرائيل للقدس عن كثب، ويصدر في كل مرة ما يراه مناسباً من قرارات لمواجهة الموقف : وفي مقدمتها القرار 250 بتاريخ 2 مايو 1968، والقرار 253 لعام 1968 الذي اعتبر جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية التي قامت بها إسرائيل، بما في ذلك مصادرة الأراضي والأملاك التي من شأنها أن تؤدي إلى تغيير في الوضع القانوني للقدس، إجراءات باطلة ولا يمكنها تغيير الوضع فيها، والقرار 267 لعام 1969 الذي أكد فيه المجلس بأن جميع الأعمال الإدارية والتشريعية التي قامت بها إسرائيل لتغيير وضع القدس لاغية تماما، والقرار 465 لعام 1980 الذي دعا لإزالة المستوطنات الإسرائيلية القائمة في الأراضي المحتلة، ومن بينها القدس الشرقية، والقرار 478 لعام 1980 والذي دعا جميع الدول إلى عدم نقل بعثاتها الدبلوماسية إلى مدينة القدس، مع اعتبار جميع التدابير والإجراءات التشريعية والاستيطانية الرامية إلى تغيير الوضع القانوني للمدينة لاغية ومخالفة للقانون، والقرارات 672 لعام 1990، و 673 لعام 1990 و904 لعام 1994 التي أدانت إسرائيل لارتكابها أعمال عنف ضد الفلسطين في المذبحة التي شهدتها ساحة المسجد الأقصى في أكتوبر 1990، والخليل عام 1994. ووصفت القدس في تلك القرارات بأنها أرض محتلة، وطُلبَ بمقتضاها من إسرائيل اتخاذ الإجراءات من بينها مصادرةَ الأسلحة بهدف منع أعمال العنف غير المشروعة من جانب الإسرائيليين.

هذه القرارات التي وافق عليها المجتمع الدولي لم يكن لإسرائيل أن تتجاهلها أو تتعنت في التعامل معها لولا ما تلقاه من تأييد ودعم من الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، فقد انحازت انحيازاً كليا للمخططات والمؤامرات الإسرائيلية، ونصبت نفسها مدافعاً عن سياساتها التوسعية.

وتجلى ذلك بوضوح بعد نهاية الحرب الباردة، وفي أثناء التحضير لمؤتمر مدريد المنعقد فيما بين 30 أكتوبر و1 نونبر 1991 الذي تعمد الأمريكيون في الرسالة التي وجهوها إلى الفلسطين بتاريخ 18 أكتوبر 1991 أن يصرحوا بأن الولايات المتحدة تفهم الأهمية التي يعلقها الفلسطينيون على مسألة القدس الشرقية ولهذا تريد أن تطمئنهم أن لاشيء مما سيقوم به الفلسطيون في هذه المرحلة من عملية السلام سيؤثر على مطالبتهم بالقدس الشرقية، أو يشكل حكماً مسبقاً أو سابقة لما سينتج عن المفاوضات".

والواقع أن هذه التطمينات إنما هي من باب التمويه والتغطية على النية المبيتة لأمريكا وإسرائيل وحلفائها كي يسقطوا حق الشعب الفلسطيني في استعادة أراضيه المحتلة في القدس، والحال أن مؤتمر أو سلو لم ينظر إلى مسألة القدس وأن إعلان المبادئ الفلسطيني - الاسرائيلي الموقع في واشنطن بتاريخ 13 سبتمبر 1993 جاء مؤكداً في المادة 315 منه الخاصة بالفترة الانتقالية ومفاوضات الوضع الدائم : "أنه من المفهوم أن هذه المفاوضات سوف تغطي القضايا المتبقية بما فيها القدس، واللاجئون، والمستوطنات، والترتيبات الأمنية، والحدود، والعلاقات، والتعاون مع جيران آخرين، والمسائل الأخرى ذات الاهتمام المشترك".

ونصت الفقرة الرابعة في نفس المادة على اتفاق الطرفين على أن "لا تجحف أو تخل اتفاقيات المرحلة الانتقالية بنتيجة مفاوضات الوضع الدائم".

إلا أن إجراء مفاوضات الوضع الدائم كان النظر فيه يؤجل بسبب محاولات إسرائيل لتصفية القضية الفلسطينية بدعم أمريكي.

وفي يوليوز - غشت عام 2000 التأمت قمة كامب ديفيد بين رئيس السلطة الفلسطينية، ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية، ورئيس وزراء إسرائيل للبدء في مفاوضات الوضع الدائم. متأخرة عن موعدها الأصلي بأربع سنوات.

وبعد اجتماعات متواترة لم تتوصل القمة إلى حل يذكر بالنسبة لمختلف الملفات المطروحة عليها بسبب إنجاز الوفد الأمريكي لوجهة نظر إسرائيل بالنسبة لقضية القدس، واللاجئين، وقضايا أخرى.

كل ذلك وما يضاف إليه من اختلال موازين القوى لصالح إسرائيل المتمادية في عدوانها، يدل على الاسقاطات السلبية لاتفاقيات أو سلو، وإعلان واشنطن على مصير القدس ومستقبل القضية الفلسطينية بأكملها. ساعد عليه وشجعه تهاون الدول العربية والإسلامية إزاء التأييد والدعم المطلق الذي تلقاه إسرائيل من الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، وبخاصة منذ نهاية الحرب الباردة.

رابعاً : معطيات عن الوضعية المأساوية للقدس تحت الاحتلال الاسرائيلي :

بلغ نمو السكان الفلسطينيين في المنطقة المحتلة من القدس الشرقية في عام 2003 حسب الإحصاءات الإسرائيلية نفسها ما قدره : 252948 نسمة بزيادة تبلغ نسبتها 223٪ عما كان عليه الوضع عام 1967.

تتراوح نسبة الشباب الذين تقل أعمارهم عن سن الثامنة عشرة بين هؤلاء ما يقارب نصف السكان الحاليين أي حوالي 49٪ من المجموع.

وبالمقابل، فإن سياسة التمييز والتضييق والإقصاء والمصادرة والهدم المتبعة من طرف إسرائيل أدت إلى انتشار البطالة بين السكان الفلسطينيين القادرين على الشغل بنسبة 30٪ وسيمنع جدار الفصل العنصري عند انتهائه 60٪ من العاملين للوصول إلى مقار عملهم في مناطق السلطة الفلسطينية.

وهكذا يلاحظ أن ما تقوم به إسرائيل من جرائم في حق الشعب الفلسطيني يتجاوز كل جرائم الغزاة عبر العصور ؛ كل ذلك يتم كما سبق ذكره بتواطؤ وتأييد من بعض القوى العظمى، بهدف تهويد مدينة القدس، وتدمير مقدساتها ومآثرها الشاهدة على هويتها العربية والإسلامية، وتقرير مستقبلها السياسي كإجراء منفرد، بما يضمن بقاءها مدينة يهودية وعاصمة أبدية لإسرائيل، وإلغاء إمكانية عودتها للسيادة الفلسطينية، فبالأحرى أن تكون عاصمة للدولة الفلسطينية المنشودة.

والأدهى والأمر أن هذا المناخ يشجع المنظمات اليهودية المتطرفة الساعية إلى هدم المسجد الأقصى على تسريع الخطى نحو تحقيق هدفها الرامي إلى وضع حجر الأساس الذي صنعوه للهيكل المزعوم. محاولة منهم منذ بضع سنوات لزرعه في ساحة الحرم القدسي.

وهاهم يفكرون في الذهاب أبعد من ذلك حسب الأخبار المتواترة عن وضعهم لصواريخ موجهة إلى قبة الصخرة المشرفة، وما نشر عن سيناريوهات أخرى لكيفية تدمير المسجد الأقصى بهجوم جوي بالطائرات، كما تفعل دولة الصهانية حاليا مع الأحياء والمنازل ومخيمات اللاجئين في سائر المدن والمحافظات الفلسطينية دون استثناء.

خامساً : موقف الأمة العربية والإسلامية من قضية القدس :

لا بد من الإشارة هنا إلى الاتجاهات التي ظهرت في العالم العربي والإسلامي بعد أن أقدمت إسرائيل على ضم القدس وإعلانها عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل ؛ وهي اتجاهات كانت تدعو لاستخدام مختلف الوسائل لتحرير المدينة المقدسة، بدءاً من المساعي الدبلوماسية، مروراً بتنظيم مسيرة إسلامية سلمية إلى القدس، وصولا لاستخدام القوة إذا لزم الأمر.

وقد ساعد على هذا التوجه حينئذ، تصميم الشعوب العربية والإسلامية ودفعها بالانتصار للقضية الفلسطينية وتحرير القدس الشريف بمختلف وسائل الدعم والمساندة والمشاركة، وكذا مسايرة حكومات بعض الدول العربية الإسلامية لهذه المقاربة، ناهيك عن تعنت إسرائيل وتشبثها بسياساتها العدوانية وما ترتكبه من حماقات وممارسات أقلها تهويد المعالم الدينية للمدينة، وإصدار أحكام عن المحاكم الصهيونية تسمح لليهود بالصلاة في المسجد الأقصى، وتجول أعضاء الحكومة الإسرائيلية والكنيست مدعومين بقوة الجيش في رحاب الحرم الشريف، والمحاولات المتكررة لنسف المسجد الأقصى أبرزها في أعوام 1980 ـ 1983 ـ 1984 والاقتحام المسلح وإطلاق النار على المسلمين في المسجد الأقصى ثلاث مرات كانت تسفر في كل مرة على العديد من القتلى والجرحى، لا سيما عندما حاولت القوات الصهيونية في 8 أكتوبر1998 أن تحمى أمناء الهيكل وهم يحاولون وضع حجر أساس الهيكل المزعوم في باحة الأقصى، فاستشهد من الفلسطين وهم يدافعون عن حرمة المسجد عشرون شهيداً وجرح 115 فلسطيناً. أما عن الحفريات الصهيونية وعمليات التنقيب لتخريب المسجد وتصريع جدرانه، وإزالة الأبنية الإسلامية المجاورة لحائط البراق فحدث ولا حرج.

كل هذه الممارسات الإجرامية وكثير غيرها خلقت شعوراً حادا لدى الشعوب العربية والإسلامية، بضرورة غسل العار وإزالة الإهانة، والانتقام للمقدسات الإسلامية من التدنيس الصهيوني الذي لحق بها.

وإذا أخذنا المواقف المغربية الشعبية والحكومية نموذجاً فسنجد أنها تتجلى في مظاهر غنية بالدلالات، وذلك منذ أن سقطت القدس في مخالب الصهيونية إلى الآن.

فعلى المستوى الشعبي كانت الحركة الوطنية المغربية حتى قبل احتلال فلسطين في أواسط العشرينيات تعتبر القدس أرضاً مقدسة تهم جميع مسلمى العالم، وتستنكر الانتداب البريطاني عليها، وترى أن الحركة الصهيونية حركة استعمارية عدوانية. وعند الإعتداء البريطاني ـ الصهيوني على حائط البراق في أوائل سبتمبر 1929، قامت المظاهرات في العديد من المدن المغربية، وتوجه الوطنيون بعرائض الاحتجاج لرئيس الوزراء البريطاني إذ ذاك ماكدونالد، كما كانت الحركة الوطنية المغربية تشارك في جميع المؤتمرات الإسلامية التي كانت تدافع منذ ذلك الحين على عروبة

وإسلامية القدس، ومنها المؤتمر الإسلامي بالقدس بتاريخ 5 سبتمبر 1931 . وبعد الاستقلال المغرب واستلاب فلسطين والإعلان عن تأسيس حركة فتح كبرى فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، عملت معها الحركة الوطنية اليد في اليد من أجل الدفاع عن القضية الفلسطينية، وتوعية الشعب المغربي بتطوراتها، والعمل على توحيد الرأي بشأنها، وذلك بهدف "تأييد الكفاح الفلسطيني لإقامة الدولة الفلسطينية تأييداً مطلقاً بدون قيد ولا شرط بعيداً عن التدخل في شؤون الثورة. أو محاولة احتوائها واستغلالها..." ولهذه الغاية قررت الحركة الوطنية باتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية في غضون عام 1968 تأسيس الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني.

وأسست الجمعية فروعاً لها في كثير من مدن المغرب، وكانت تعتمد في توعية الجماهير على المقالات والمحاضرات والندوات، وتنظيم اللقاءات والمهرجانات وإحياء الذكريات، ومعارض الكتب والأعمال الفنية، وتحضر المؤتمرات التي تعتمدها منظمة التحرير الفلسطينية، وتصدر في كل شهر صفحة موحدة في جميع الصحف المغربية في يوم واحد وتهتم الجمعية أيضاً بجمع التبرعات النقدية والعينية التي توجه بانتظام لمنظمة التحرير الفلسطينية. ومما ساعد على نجاح تجربة الجمعية التي كان المؤسسون يأملون تعميمها على نطاق الوطني العربي كله، أنها اكتسبت صفة الجمعية ذا النفع العام، ما أسهم في توسيع نشاطها نظرياً.

أما على المستوى الرسمي المغربي، فيذكر في سياقه تأييد محمد الخامس لدخول الجيوش العربية إلى فلسطين في ماي 1948 "دفاعاً عن أهلها، وردعاً لعدوان الصهيونية المعتدية". وبعد استقلال المغرب زار الملك محمد الخامس مدينة القدس وصلى في الحرم الابراهيمي، وكذلك فعل خلفه الملك الحسن الثاني الذي أهدى السجاد المغربي والثريات إلى المسجد الأقصى ...

وعندما تجرأ الصهانية على إحراق المسجد الأقصى وتدمير منبر صلاح الدين الأيوبي على يد اليهودي الاسترالي (ايكل روهان) بمساعدة مجهولين بتاريخ 21 / 8 / 1969، دعا الملك الحسن الثاني باستعجال إلى عقد مؤتمر إسلامي بالرباط في سبتمبر 1969 لتحمل الرؤساء فيه مسؤولياتهم "إزاء قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين، ومسرى الرسول".

ولدى إعلان القدس عاصمة موحدة لإسرائيل جاء الرد الإسلامي سريعاً وحاسماً، فأسس المؤتمر الإسلامي عام 1979 لجنة القدس وأسند رئاستها للملك الحسن الثاني الذي اعتمد في عملها على التخطيط والتنظيم والاتصالات المباشرة.

ونحن لو نظرنا إلى التجربة المغربية في مجال دعم تحرير القدس لوجدنا مثيلات لها في بعض الدول العربية والإسلامية، لكنها ومثيلاتها إن كانت تعبر في الحد الآدنى عن طموحات فصائل من الشعوب العربية، فإنها لا ترتقي إلى استراتيجية المواجهة التي لا مناص في رسمها، والسير بخطوات ثابتة على هديها لانقاذ القدس الشريف وبقية المناطق الفلسطينية المحتلة من المحن التي تتعرض لها عل يد العدو والصهيوني.

وباختصار شديد فإننا نعتقد أن استراتيجية المواجهة تلك لابد أن تقوم على عدة ركائز : استمرار القوة الدافعة للقرارات الدولية بشأن القدس، دعم العرب المقيمين بالقدس بهدف العمل على إحياء التراث الإسلامي بالمدينة العمل على أن تبقى قضية القدس حاضرة في الذاكرة من خلال حملات إعلامية دولية ووطنية والأهم من ذلك أن يبقى العرب والفلسطينيون متشبثين مهما كلف الثمن بالعمل الدائم الدؤوب على استعادة القدس أكان ذلك بالتفاوض حول الوضع النهائي، أو في حالة استمرار التعنت الإسرائيلي بإحياء انتفاضة الأقصى، وبتقييد أو الغاء سبل ومجالات التعاون فيما بين الدول العربية والإسلامية ذات العلاقات مع إسرائيل وبين الحكومات الصهيونية الرافضة لجهود والسلام.

م. الكتاني، *القدس تاريخيا وفكريا*، أكاديمية المملكة، الدورات، مارس، 1981، ص. 45 ـ 48 ؛ أ. الدحاني، *القدس تاريخيا وفكريا*، أكاديمية المملكة، الدورات، مارس، 1981، الرباط، ص. 86 ـ 92 ؛ جريدة *السعادة*، 24، مارس، 1948 ؛ المركز الفلسطيني للدراسات السياسية بواشنطن ؛ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي نقلا عن المحاضر الرسمية للجمعية العامة للأمم المتحدة ؛ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين المجلد الأول والرابع.

عباس برادة

ابن **قدور، أحمد** ولد بنقدور بن محمد سنة 1905 دوار اهروش بأجدير. التحق بصفوف جيش التحرير سنة 1955 وشارك في عدة معارك ومن أشهرها الهجوم على مركز بورد، واستشهد وأثناء معركة جبال أغبال اهروش بتاريخ 5 ـ 10 ـ 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 505377.

**قدور**(ابن -) **أحمد** بن **علي** المولود سنة 1940 ببني سمير إقليم خريبگة شارك مشاركة فعالة في مظاهرة 20

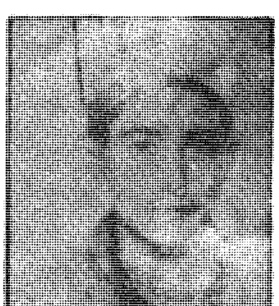

غشت 1955 بوادي زم احتجاجا على الأعمال الاجرامية لقوات الاستعمار الفرنسي وقد لاذ بالفرار على متن شاحنة مع مجموعة من المقاومين ليختفوا بمنزل الضاوي، وبعد البحث الذي قامت به قوات المستعمر حاصرتهم في مخبئهم في نفس يوم المظاهرة فقتلت العديد منهم، وكان من بين الذين لفظوا أنفاسهم حيث بقيت جثثهم بدون دفن مدة ثلاثة أيام لعدم تمكن أهل الشهداء من دفنهم بسبب الحصار المضروب من طرف جيش المستعمر على مكان استشهادهم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 525188.

ابن **قدور، العربي** بن **الكبير** من مواليد سنة 1934 بالسماعلة إقليم خريبگة. بروح وطنية غيوررة اندفع إلى صفوف الوطنيين الذين استنهضوا لهمم في الذكرى الثانية لنفي محمد الخامس عن عرشه المجيد فنظموا مظاهرة عارمة بوادي زم يوم 20 غشت 1955 والتي شارك فيها بحماس كبير إلى أن أصيب برصاص العدو حيث لفظ أنفاسه الأخيرة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520847.

**قدور،** (ابن -) **الغازي البخاري**، أحد وصفان المخزن بمكناس غلبت عليه نسبة ابن الغازي حتى عفت عن أصله البخاري. نال ثقة السلطان المولى عبد العزيز فولاه مناصب عدة، كما كلفه بالعديد من المهام ؛ وكان أول ظهور له على مسرح الأحداث لما عينه هذا الأخير قائدا لمشوره في 1319 / 1901 بإشارة من الوزير المهدي المنبهي. وفي أثناء إرساله من مراكش في ربيع الأول من نفس السنة للقبض على القائد عيسى بن عمر العبدي واستصفاء أمواله ولى المولى عبد العزيز مكانه القائد إدريس ابن يعيش بإيعاز من الوزير فضول غريط.

وكان السلطان قد عين المترجم في نفس التاريخ عاملا على مدينة تطوان التي قابله أهلها بأجمل مقابلة وسار فيهم بأحسن سيرة جعلت معاصره ومؤرخ تطوان أبا العباس أحمد الرهوني يصفه بقوله "وكان رجلا فاضلا محبا للشرفاء والعلماء والصلحاء، متواضعا سهل الحجاب، لين الجانب، كثير الصدقات ؛ لا يذخر شيئا، بل يأكل هو وأهل بيته وأحبته، ويتصدق بما زاد. هاذا دأبه إلى أن مات رحمه الله ؛ غير أنه كان مصابا بالفتنة حيثما ذهب". هذا ولم يمر على حكمه لتطوان سوى وقت قصير حتى اتقدت فيها فتنة عظيمة قال عنها محمد داود : "ومضمن الحادث أن قبيلة بني يدر قد ثارت ضد مدينة تطوان وأعلنت الحرب، ثم انضم عدد من القبائل الجبلية إلى بني يدر، وأرسل السلطان بعض جيشه لإعانة أهل تطوان، فكان بين الطرفين قتال وحصار وهجوم ودفاع وقتلى وجرحى وغنائم وأسرى، وكانت في تطوان فتنة ومحنة والأمر لله. وكان ذلك في سنتي 1321 - 1322 (1903 - 1904).

وقد استمر المترجم في حكم تطوان إلى أن قرر المولى عبد العزيز توجيهه في سفارة إلى إسبانيا في 1906 للنيابة عنه في حضور حفل زفاف عاهلها الفونصو الثالث عشر (1886 - 1931)، وكان قد أرسل قبلها سفارة بمناسبة تتويج نفس الملك في 1902 قادها الحاج أحمد الطريس ابن النائب السلطاني بطنجة. وضمت البعثة المغربية الجديدة، حسب ما كتب به الحاج محمد الطريس إلى الوزير عبد الكريم ابن سليمان في 14 أبريل 1906 ، بالإضافة إلى قدور بن الغازي، كاتب السفارة محمد بن الفقيه الوزير على المسفيوي والأمين الصديق أحرضان وأربعة قواد عسكريين تم تقليصهم فيما بعد إلى اثنين بطلب من السفير الإسباني زيادة على بعض الأعوان الآخرين، وقد رافق أعضاء البعثة المغربية في طريقهم نحو أسبانيا ترجمان المفوضية الأسبانية بطنجة سابيدرة.

ومباشرة بعد عودة المترجم ولاه المولى عبد العزيز عاملا على مدينة طنجة بعد إعفائه من حكم تطوان. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المكانة التي أضحى يتمتع بها داخل المخزن المركزي بالنظر إلى أهمية طنجة أثناء هذه المرحلة، ليس فقط لكونها العاصمة الدبلوماسية للبلاد وبوابة المغرب على الخارج تضم أكبر جالية أجنبية في البلاد. بل لكونها أصبحت أيضا تعاني من تدهور الأوضاع الأمنية فيها باستمرار، بسبب تردي حالة أغلبية سكانها الاجتماعية بما فيهم عسكر المدينة. هذه الفئة المكلفة بحفظ الأمن بطنجة لم يعد لديها ما تسد به رمقها، وأصبحت كثيرة التردد على الحاج محمد الطريس للفت أنظار المخزن المركزي إلى أوضاعها المزرية كما هو واضح من هذا الكتاب الذي وجهه إلى المولى عبد العزيز بتاريخ 11 رمضان 1324 / 28 أكتوبر 1906 يقول فيه : "أن قائد محلة الفحص القائد محمد بن بوشتى ابن البغدادي قدم البارحة هو وجميع العمال وقواد

أرحى العسكر وقواد المائة والمقدمون على دار النيابة السعيدة في موكب حافل وهرج عظيم متشكين مما لحقهم من عدم المؤنة السعيدة متوجعين من آلام الجوع والعرى وفقد الغطاء والوطاء قائلين بلسان واحد إذا كان لسيدنا نصره الله بنا غرض فها نحن على أهبة الاستعداد لامتثال أمره المطاع فليشفق أعزه الله منا وليمتن علينا بما يكفينا وان اقتضى نظره السديد تسريحنا لحال سبيلنا فعلى السمع والطاعة". ولعل هذا الوضع هو ما حدا بالمولى عبد العزيز إلى تولية المترجم على مدينة طنجة لما اتصف به - كما سبقت الإشارة - من فضل وتواضع ولين وكرم وكذلك من تمرس على أساليب الحكم. لقد اضطر إلى استعمال القوة منذ اليوم الأول من تسلمه لمقاليد الأمور في 15 غشت 1906 حيث صادف تنصيبه عاملا على المدينة وقوع مشاجرة بين بعض الأنجريين وبعض الفحصين "أفضت إلى الضرب بالبارود من الجهتين وحين رأى العامل ابن الغازي - يقول ج محمد الطريس - اتصال المضاربة خرج بالعسكر الذي قدم معه وبالذي كان بالبلد وفرق ذلك الشمل وصار حتى أدخل أهل أنجرة ترابهم.

هذا وقد استمر قدور بن الغازي في حكم مدينة طنجة إلى أن عين المولى عبد العزيز في 7 أبريل 1907 القائد علال بن عبو الريفي "خليفة عنه في عمالة طنجة إلى أن يرد العامل المعين لها". بينما توجه هو وعياله وعسكره في 4 ماي 1907 في البابور جبل موسى إلى آسفي قبل نهوضهم منه إلى مراكش لتهدئة الأوضاع بها، بعد أن سادها الاضطراب نتيجة قبول المخزن للمطالب الفرنسية بشأن حادثة مقتل الدكتور موشان في 19 مارس 1907. "وعبر سكان مراكش وخاصة قبائل الرحامنة عن رفضهم لعزل باشا المدينة، وصمموا على منع الباشا الجديد قدور بن الغازي البخاري من الالتحاق بمراكش، فاضطر للبقاء بآسفي حتى عاد منها لطنجة"، بعد أن عينه المولى عبد العزيز عاملا عليها من جديد في مطلع سبتمبر 1907 مكان الحسن بوعشرين. وتزامنت التولية الثانية للمترجم على طنجة بوصول أصداء الحركة الحفيظية إليها و"لم يبال - يقول محمد الطريس - أحد بذلك ولم يلتفتوا له"، وأيضا بتأزم أوضاع السكان الاجتماعية مما يساعد هذه الحركة على الانتشار. وهو أمر حاول النائب السلطاني أن ينبه من وقوعه في رسالة منه إلى المولى عبدا لعزيز في 7 شعبان 1325 / 15 سبتمبر 1907، بشأن تنصيب المترجم على طنجة وعمالتها يقول فيها : "ننهي لشريف العلم أن القائد قدور بن الغازي قد وصل زوال أمس وقبض على زمام الخدمة الشريفة وقرئ كتاب إقراره على منبر الجامع الأعظم وسعادة مولانا دام علاه جميع هذه النواحي في غاية الاطمئنان والسكون وإخلاص الطاعة لمولانا دام عزه إلا ما كان من العسكر المخيم هنا وخارج البلد فإنه مفتقر للمؤنة لتبقى الأحوال كما هي وينقطع تشوف الغير ..".

ويذكر بعض الباحثين أن قدور بن الغازي ظل في منصبه بطنجة إلى أن عاجله الموت في يوليو 1908، وهذا يتعارض مع رواية أحمد الرهوني الذي كان يشتغل كاتبا بدار النيابة السعيدة مع الحاج محمد الطريس منذ 1906، ولما توفي في 1908 استمر في وظيفه مع خلفه محمد الجباص. ومؤدى هذه الرواية أن المترجم "ولي بعد طنجة على آسفي، ثم على الصويرة وبها توفي عام 1326 ودفن في الزاوية القادرية ثمة".

الحسن بوعشرين، *تنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، تقديم وتصحيح محمد المنوني ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ج 2 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، تح. جعفر ابن الحاج السلمي، ج 2 ؛ ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، 1894 - 1910، نشر إفريقيا الشرق، 1991 ؛ جمال الدين العمراني أشطيار، طنجة بين سنتي 1900 - 1912. د. د. ع. رسالة مرقونة، الرباط، 1996.

ميلود أحمّ

**قدور** (بنت -) **فاطنة** ولدت سنة 1919 بواد زم دفعتها غيرتها الوطنية إلى المشاركة في حوادث الانتفاضة الشعبية العارمة التي عرفتها مدينة واد زم يوم 20 غشت 1955.

وقد كانت مشاركتها فعالة إلى جانب إخوانها المتظاهرين إلى أن أصيبت برصاص العدو فسقطت في ساحة الشرف في نفس اليوم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524150.

**قدور** (ابن -) **محمد** من مواليد سنة 1926 بوجدة. من أجل تحرير الوطن والدفاع عن مقدساته عرفت مدينة وجدة انتفاضة شعبية عارمة بتاريخ 16 غشت 1953 لإدانة السياسة الاستعمارية.

وكان قدور بن محمد من بين أولئك الذين خرجوا إلى الشارع للتعبير عن سخطهم وشجبهم للإدارة الفرنسية حيث كان منخرطا ضمن الخلية التي يرأسها زجلي عبد الله.

أبان خلال هذه الانتفاضة عن جرأة وإقدام في الدفاع عن كرامة البلاد وقام بعدة أعمال فدائية استهدفت مصالح المستعمر، وقد واصل كفاحه بكل نزاهة إلى إن سقط في ساحة الشرف وذلك بتاريخ 16 غشت 1953.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 512640.

**الـقدومي، أحمد** بن قاسم الأندلسي الأصل، الفاسي النشأة، كان أستاذاً نحوياً، وإماماً في العربية في عصره، وهو من شيوخ السلطان أحمد المنصور السعدي في علم النحو، وله ألف كتاب *الهادي إلى حل مقفلات المرادي*، ترجم له ابن القاضي في *درة الحجال*، فقال : "أستاذ نحوي، انتهت إليه رئاسة النحو في عصره، وله تقييد على *ألفية* ابن مالك

في نحو أربعة مجلدات، رفعه للخزانة المنصورية عمرها الله تعالى"، وقال عنه السلطان المنصور رواية عن الفشتالي في *مناهل الصفا* : "وقرأت علم العربية على الفقيه الأستاذ نحوي زمانه بلا مدافع أبي العباس أحمد القدومي".

من مؤلفاته *حاشية على شرح المرادي لألفية* بن مالك، *وحاشية على شرح المكودي* للألفية أيضا، ذكرهما المنجور في فهرسته.

توفي بفاس سنة 992 ودفن خارج باب فتوح، وكانت جنازته مشهورة كما ذكر ابن القاضي في الجذوة.

ابن القاضي، *درة الحجال*، 1 : 156 ؛ *جذوة الاقتباس*، 1 : 135 ؛ الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. كنون، ص. 188 ؛ المقري، *روضة الآس*، ص. 34 ؛ القادري، *الإكليل والتاج*، م خ ح. ص. 6 ؛ *نشر المثاني*، تح. حجي، 1 : 43 ؛ الحضيكي، *طبقات*، 1 : 218 ؛ *لقط الفرائد* ؛ *ألف سنة من الوفيات*، تح. حجي، ص. 319، ابن عجيبة، *أزهار البستان*، م خ ح، 1 : 205 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 281 ؛ الأزهري، *اليواقيت الثمينة*، ص. 151 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 359 ؛ ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 5 : 194 ؛ *فهرس المنجور*، تح. حجي، ص. 35.

نجاة المريني

**القرابين** لدى الأمازيغ في القديم تعتبر القرابين المكونة من القرابين الدموية وغير الدموية والهبات المقدمة الآلهة عملية تطهير النفس يمارسها الناس، سواء كانوا ملوكا أو من عامة الشعب. وفي نفس الوقت عبارة عن عملية تستهدف كسب حظوة لدى الآلهة من أجل التكفير عن الخطايا والتخفيف من غضبها. ولربما كذلك لاعتقاد الإنسان أن التقدمات تسبب توالد وتكاثر الحيوانات إذا كانت التقدمة عبارة عن حيوان ؛ وازدياد المحصول، إذا كانت التقدمة عبارة عن غلة من الغلال. وهي عبارة عن ممارسة أساسية في طقوس وشعائر الديانات القديمة. وقد ورد ذكر التقدمات للأرباب في نصوص أو غاريت تحت اسم (ذ ب ح) ذبيحة للرب، عندما تكون هذه التقدمات من الحيوانات. كما ورد ذكرها باسم (م ن ح) منحه عندما تكون من غلال الأرض.

وكان العبرانيون يقدمون نسبا معينة من أبكار الغلال والحيوانات لدرجة أنه أصبح تشريعا ونظاما اقتصاديا حرمة لديهم. رغم أنها، على ما يبدو، كانت في الأساس عبارة عن تقدمة شكر وطلب سلام، للتعبير عن رغبة مقدمها قبل أن تصبح شريعة.

تنقسم القرابين إلى نوعين كبيرين : قرابين غير دمويه، وقرابين دموية.

- بالنسبة للقرابين غير الدموية تتراوح ما بين بناء المعابد الضخمة أو الهياكل المنزلية أو معابد الأحياء، والهدايا والهبات المكونة من الحلويات والمرطبات، والطعام وبواكير محاصيل الغلال، والزيت للعتبة ومصراع وقفل الباب والرتاج والأبواب ؛ وإراقة الجعة والخمر والحليب التي كان لها مكانة خاصة في العبادات المنزلية وفي الطقوس المرتبطة بالموتى ؛ كما يمكن أن تكون عبارة عن بخور أو عطور.

- أما القرابين الدموية فتتضمن بالطبع الحيوانات أو طائراً أو إنساناً. وتؤكد العديد من الشهادات وجود الذبائح الدموية أو الأضحيات منذ أزمنة سحيقة في التاريخ الإنساني، في الهلال الخصيب، ولدى الرومان، والإغريق، والأمازيغ. ويلاحظ أن جميع هذه التقدمات كانت حاجات إنسانية يقتطعها المؤمن من مؤونته للرب. بل هو يختار أعز ما لديه للتدليل على عمق إيمانه واحترامه للرب. وإن التقدمة للرب ليست فريضة ملزمة، بل هي تعبير عن حس داخلي وعلاقة شخصية مع الآلهة. إنها علاقة عاطفية يتساوى فيها العطاء بالأخذ. وهناك العديد من النصوص الكلاسيكية تتحدث عن هذه الطقوس منها إشارة لهيرودوت : وأخرى لترتوليان والقديس أو غسطينوس وكوريبوس.

يذكر هيرودوت في الفقرة المتعلقة بالناسامون عن طقوس معينة متبعة من طرف الناسامون عندما يقربون للشمس والقمر : "إن طريقة البدو والرعاة في تقديم القرابين هي قطع جزء من أذن الضحية من أجل بواكير المحصول وإلقائه فوق البيت. وعندما يتم هذا يلوون عنق الضحية إلى الوراء. وهم لا يقربنون لأرباب سوى الشمس والقمر ..." ويتحدث هيرودوت هنا عن طقس خاص بهذه المجموعة البشرية الأمازيغية في القرن الخامس ق. م. وهذا يعني أن هذه الطقوس أقدم بكثير من هذه الفترة.

إذن كانت هناك طريقة معينة يجب احترامها واتباعها لكي تقبل التقدمة الدموية، وإلا فإن هذه الممارسة تصبح دون فائدة. ولن تكون لها أية فعالية في حالة حدوث أي مخالفة في الطقوس. وحول مصير الأضحية فإن هيرودوت لا يمدنا باية معلومات حولها، ولا ندري هل كان يترك للكهنة، أو كان يوزع بين الكهنة وأصحاب الأضحية وفق تقاليد معينة ؛ أو كان يترك لأصحاب الأضحية ليقدموه في وليمة لأفراد العائلة والأصدقاء وضيوف المناسبة. وهناك سؤال آخر يفرض نفسه، وهو من كان يقوم بذبح الأضحية هل صاحبها أو رجل الدين المتخصص في القيام بهذه الممارسات ؟ هذه أسئلة يسكت نص هيرودوت عنها. أما فيما يتعلق بطبيعة الأضحية فيبدو أن الأمر يتعلق بحيوان من الثدييات إما كبش، أو عنزة، أو عجل، أو ثور، أو بقرة. يعني أنه عبارة عن حيوان من القطيع الذي يمثل ثروة الجماعة البشرية التي ينتمي إليها مقدم الأضحية وهو الناسامون الرعاة.

ويذكر هيرودوت في آخر نفس الفقرة "غير أن القاطنين منهم من البحيرة التريتونية يقربنون لأثينا خاصة ثم من بعدها لتريتون وبوسيدون". ويتحدث هيرودوت عن تقديم القرابين لأثينا وتريتون وبوسيدون دون أن يذكر أي شيء عن الطريقة والطقوس المتبعة، ولا عن نوعية التقدمة. فهل يمكن أن نعتبر أنهم يمارسون نفس الطقوس ويقدمون نفس الأضحيات لنفس الأرباب التي يقربن لها الناسامون ؟ هذه أسئلة ستظل بدون رد إلى حين اكتشاف نصوص أخرى أو مواد أثرية وخاصة نقائش تساهم في وضع أجوبة للتساؤلات السابقة.

أما تيرتوليان فيذكر : "في إفريقيا كان الأطفال يقدمون علانية كقرابين لساتورن [= بعل] حتى عهد بروقنصلية تيبيريوس الذي أمر بصلب الكهنة، الذين كانوا يقومون بعملية ذبح الأطفال، تحت نفس أشجار المعبد الذي كانوا ينفذون فيه جرائمهم ... ورغم هذا المنع فإنه حتى الآن [القرن الثاني الميلادي] فإن نفس الطقوس لا تزال تتبع بطريقة سرية".

يشير ترتوليان إلى وجود قرابين بشرية ظلت تمارس إلى غاية القرن الثاني الميلادي في شمال إفريقيا رغم المنع الذي تعرضت له هذه الممارسة في أواخر القرن الأول ق. م. وبداية القرن الأول الميلادي. وأن الأمر يتعلق بقربنة الأطفال لإرضاء الرب بعل ساتورن. وهذا يعني أن هذه الممارسة التي كانت في الأصل شرقية وبونية، ظلت موجودة رغم مرور أكثر من ثلاثة قرون ونصف على تدمير قرطاج. وهذا يؤكد تشبث السكان الأصليين في جزء من إفريقيا المترومنة بممارساتهم الدينية المقتبسة بدون شك من العقيدة الفينيقية البونية.

وإذا انتقلنا إلى القديس أوغسطينوس الذي عاش في القرنين الرابع والخامس الميلاديين (354 ـ 430) فإنه يذكر أن "الرومان لا يحبون أن يقوم سكان مدينة قرطاج بتقديم أبنائهم قربانا لساتورن". نحن في القرن الخامس الميلادي ولا يزال أبناء شمال إفريقيا يقربنون أطفالهم للرب ساتورن وذلك على الرغم من أن الرومان يحاربون هذه الظاهرة، بل وأكثر من هذا رغم انتشار المسيحية في شرق شمال إفريقيا. وهذا ما يعيدنا إلى ما قلناه سابقا حول تمسك السكان بمعتقداتهم وارتباطهم بأربابهم رغم محاولات الرومان الذين يعتبرون أجانب بالنسبة للسكان الأصليين.

وفي القرن السادس الميلادي واعتمادا على كوريبوس يذكر أن "الليبيين [الأمازيغ] كانوا يقدمون أضحيات في معسكراتهم لأربابهم : گورزيل وآمون وسينيفير وماستيمان. كانوا يقدمون قرابين حيوانية لهذه الأرباب ولكن ماستيمان كان يلزمهم بتقديم قرابين بشرية". هذا هو النص الوحيد الدقيق الذي حدثنا فيه كاتب كلاسيكي عن القرابين البشرية المقدمة لرب أمازيغي بينما كانت هذه القرابين البشرية على العكس من ذلك، كثيرة ومتعددة لدى البونيين تقدم للأرباب القرطاجية.

ويتعلق الأمر هنا أيضا بتقدمات دموية كانت تقع ليلا، في المعسكرات وليس في المعابد. فباستثناء هذه المعلومة المتعلقة بنوع الأضحية الدموية وطبيعتها ووقتها ومكانها فإننا لا نعرف أي شيء عن الطقوس والشعائر المتبعة.

في الشعائر الأمازيغية، إذن كانت التقدمة الدموية تحتل مكانة متميزة. ولكنها لم تكن هي التعبير الطقوسي الوحيد، لأنه كانت هناك تظاهرات أخرى تقام على شرف الربة أثينا حول بحيرة تريتونيس أشار إليها هيرودوت كذلك ؛ حيث يقول : "تنقسم عذاراهم فريقين يحارب أحدهما الآخر بالحجارة والهراوات، وبهذا "على حد قولهن" يظهرن إجلالهن على نمط الأسلاف ـ نحو تلك الربة الوطنية التي ندعوها نحن أثينا. وتعتبر الفتيات اللواتي يمتن متأثرات بجراحهن غير أبكار. وقبل أن تبدأ الفتيات في القتال يختار القوم جميعا أملحهن ويلبسونها خوذة "كورنثية" وعدة حرب إغريقية ثم يركبونها عربة ويجرونها على ساحل البحيرة".

هنا هيرودوت يشير إلى طقوس وممارسات دينية حربية بين العذارى يمكن أن نعتبرها نوعا من التقدمات الدموية لأن هذا الصراع يقام على شرف الربة أثينا ويؤدي في الأخير إلى التضحية ببعض العذارى اللواتي يمتن متأثرات بجراحهن. وأن اختيار أملح الفتيات والطواف بها حول البحيرة تشير بدون شك إلى أن هذه الفتاة المليحة تتقمص شخصية الربة التي تقام طقوس الحرب بين العذارى على شرفها.

هذه كلها طقوس دموية تقام على شرف ربة أمازيغية ؛ وعلى الرغم من أنها تختلف عن طقوس التقدمات البشرية والحيوانية، إلا أنها تنتهي بدورها ـ بدون شك ـ بمقتل بعض العذارى أو على الأقل إصابتهن بجروح. والجروح تعني سيلان الدم، والتضحية أو التقدمة الدموية في حد ذاتها هي عبارة عن ذبح حيوان معين أو إنسان معين، وإراقة دمه، والتضحية بروحه لحماية الروح أو الأرواح الأخرى التي تتغذى بالدم المسال وتتقوى به. فإذا كان الدم يحمل روحا فذلك يعني البعد القدسي في الدم.

وعلى ما يبدو فقد نجد في المعتقدات الأمازيغية بقايا التقدمات الدموية وخاصة البشرية تقدم خلال الطقوس الزراعية أو خلال الطقوس الخاصة لطرد الشر والتي تبدو لنا اليوم كأضحيات بديلة الإنسان.


م. أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، دكتور دولة، كلية الآداب، فاس ؛ سيد محمد القميني، الأسطورة والتراث، سينا، النشر، ط 2، القاهرة، 1993 ؛ و. ديورانت، *قصة الحضارة*، ج 2، تر. محمد بدران الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، 1961.

Hérodote, *Histoire*, IV, 180-187 ; Tertullien, Apologique ; Saint Augustin, *La cité de Dieu*, VII, 9 ; Corrippus, *Johannide*, III, 300 ; Doutté, *Magie er religion dans l'Afrique du Nord*, Jourdan, Alger, 1908 ; C. Bonnet, Les divinités de Lixus, dans *Actes du colloque international de Lixus*, Collection de l'Ecole Française de Rome, n° 166, 1996 ; Mazel, *Enigmes du Maroc*, Robert Laffont, 1971.


مصطفى أعشي

**القراقش** من آلات الموسيقي الايقاعية التي تستخدمها فرق گناوة في عروضها الفنية، وهي عبارة عن أربع صنجات كبرى من حديد (قراقش) أو من خشب (قراقب) تكون على شكل رقم 8، ومُحيط الواحدة 13 سم.

وطريقة استخدام القراقش أن يمسك الناقر بيمناه زوجين، وبيسراه زوجين، بواسطة خيطين يولج في أولهما إبهامه، وفي الثاني بقية أصابع اليد، ثم يضرب إحدى الصنجتين بالأخرى محدثا بذلك دويا قويا يزيد من عنف الرقصة وصنجها، ويضبط الإيقاع في أدق جزئياته.

ويستعمل هذه الآلة أحيانا أصحاب الملحون، وهم يسمونها "الهندقة".

ع. بن عبد الجليل، *طرب الملحون المغربي*، مجلة التراث الشعبي، 1980.

V. Paques, *La religion des esclaves, Recherches sur la confrérie marocaine des Gnaoua*, Berganno Moretti et Vitali, 1991, p. 216.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**ابن قربال، صالح** ولد سنة 1929 بأولاد سمير قبيلة السماعلة، ناحية وادي زم إقليم خريبگة. كان من الذين نالو شرف المشاركة في الثورة الشعبية التي زعزعت كيان المستعمر بعد أن فشلت محاولاته اليائسة والرامية إلى إبعاد رمز الوطنية ملك البلاد.

وعندما سارت الجماهير يوم 20 غشت من سنة 1955 بدروب وأزقة وشوارع مدينة وادي زم الشجاعة رافعة رايات الوطن وحاملة صور جلالة الملك محمد الخامس عاليا مناشدة الهيئات الدولية والإقليمية النظر في المسألة المغربية أبى صالح بن قربال إلا أن يكون من الرواد المساهمين في هذه المظاهرة الشعبية الظافرة .. ولما تأزم الوضع أمرت السلطات الفرنسية قواتها بالتدخل المسلح لتفريق المتظاهرين فاستشهد على أثر ذلك عدد كبير من الوطنيين الغيورين على وطنهم من بينهم صالح بن قربال.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 526114.

**قربوس**، جمعهُ قرابيس، وهو حِنْوُ السرج، أي قسمه المقوس المرتفع من قُدَّام المقعد ومن مؤخره. وكانت صناعة القرابيس من اختصاص النجارين. كما كانت مهمة بالمدن العتيقة كفاس ومراكش وسلا لشدة الطلب عليها. فالقربوس هو القطعة الخشبية التي تشكل الهيكل الأساسي للسروج، تكسوه قطع متنوعة مزوقة ومطرزة ومُرصَّعة.

ويطلق مصطلح قربوس كذلك على أكوام التبن بالأرياف المغربية. مثلاً بأرياف سهول السراغنة والحوز وبلاد الرحامنة نجد القرابيس منتشرة بجوار الدواوير أو بالزرائب أو ببعض المجالات الجماعية. ويتم بناؤها كما يلي :

بعد عملية الدرس، يُجمع التبن بالبيدر "الگاعة" أو بالمجالات المشار إليها أعلاه، ثم يتم دَكُّ التبن، ويُستعمل في ذلك أعمدة من القصب والمدراة وأرجل ووزن الأشخاص. وتتخذ القرابيس في قاعدتها شكلاً مستطيلاً في الغالب، ثم يتم تقويسها شيأً فشيئاً نحو الأعلى إلى أن تصير مُقببة. وبعد ذلك يتم تبليطها بالطين المخلوط بالتبن لحماية التبن من مياه المطر ومن الحيوانات. وتقنية بناء القرابيس هي وسيلة للحفاظ على مادة التبن لِيُستعمل أثناء السنوات الجافة حيث يصبح الطلب على هذه المادة مهما. كما كان بناء القرابيس في المجالات الجماعية وسيلة لتمليك الأرض بعد مرور مدة زمنية معينة.

م. الطويل، *السرج*، *معلمة المغرب*، ج 15، مطابع سلا، 2002 ؛ *المعاينة الميدانية*.

أحمد زروال

**قَرْدُوسَة**، ويكتب قَرْدُوشَة أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Cardosa وCardoso ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**قَرْدُونَة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cardona ؛ ومازالت بعض الأسر الإسبانية تحمل نفس الاسم نسبة إلى مدينة Cardona ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**القَرّ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Garro - Garru ؛ ومازالت بإسبانية أسر تحمل اسم Caro ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1145 / 1733 منهم : علي بن محمد القر فقيه كان يزاول خطة العدالة من سنة 1078 إلى سنة 1092 (1667 ـ 1682 ) وناب عن القاضي سنة 1102 (1691). ومحمد القر فقيه زاول خطة العدالة سنة 1169 (1756).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**قُرَّار**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Corral وهو نفس الاسم الذي تحمله بعض الأسر الإسبانية اليوم نسبة إلى مدينة Corral ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 (1677) وإليها تنسب حومة رأس القراور الواقعة خارج باب النوادر.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القَرِّي، محمد**، فقيه، شاعر، مسرحي ووطني، ينحدر من قرية بني قره إحدى فروع قبيلة صنهاجة الظل بحوض ورغة (تاونات). ولد في 6 يناير عام 1900، وقد تتلمذ أول الأمر على والده الفقيه أحمد بن عبد الرحمان الصنهاجي، فحفظ القرآن والمتون قبل التحاقه بالقرويين ضمن أول فوج

للنظام الجديد بها، وحصل فيها على شهادة العالمية (القسم الأدبي) عام 1351 / 1932. وكان من أبرز شيوخه أحمد بن الخياط وأبو شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي وعبد السلام السرغيني، وبعد تخرجه زاول مهنة التعليم، فأضحى مدرسا بالمدرسة الناصرية ثم بمدرسة أبي مدين قبل انتقاله للتدريس بالقرويين، وإلى جانب ذلك عكف على كتابة المقالات في مواضيع مختلفة نشرت في العديد من المجلات الثقافية ولا سيما مجلة "*المغرب*" لمحمد صالح ميسة الجزائري، وفي جريدة "الدفاع" تحت عنوان "صوت المضطهد" ووقعها تارة باسم "بدوي"، كما نظم الأشعار ذات المضامين الاجتماعية والوطنية ومنها ما تعلق بمحاربة بدع بعض الطرق مثل العيساوية والحمدوشية متأثرا في ذلك بأفكار زعماء الدعوة السلفية منهم الدكالي وابن العربي العلوي. شارك القري، وهو الوطني الغيور، بحماس في حوادث أكتوبر المناهضة للسياسة الاستعمارية، فخلال المظاهرات التي1937 اجتاحت فاس وغيرها، تنقل بين مسجد القرويين ومسجد الرصيف خطيبا معبئا الناس ضد الاستعمار، ومتنكرا، أحيانا، في زي النساء لتضليل السلطات الاستعمارية خلال قيامه بهذه المهمة. وبعد عودة الهدوء تمكنت السلطات من

إلقاء القبض عليه، وحكم عليه بالسجن لمدة سنتين مع الأشغال الشاقة، ورحّل لقضاء العقوبة إلى سجن گوليمة رفقة عدد من الوطنيين. وقد وصف رفيقاه في هذه المحنة محمد بن إبراهيم الكتاني وعبد الهادي الشرايبي بتفصيل صنوف العذاب التي عاناها نزلاء سجن گوليمة وظروف استشهاد القري. فبسبب الضرب الشديد من قبل الگوم وبأمر من الحاكم الكومندان كيار رئيس دائرة گوليمة أصيب في عروق ركبته اليمنى وتعذر عليه وضعها على الأرض، وبما أنه كان محكوما بالأشغال الشاقة كان لزاما عليه، رغم عطبه، السير وقضاء الأشغال القاسية، وهو ما لم يتمكن منه، فتعرض للضرب والتمثيل بتهمة تظاهره بالمرض قبل وضعه في مربط للدواب في حالة فظيعة وبقي يحتضر بضعة أيام قبل أن يلفظ أنفاسه يوم الأربعاء 4 شوال 1356 الموافق 3 ديسمبر 1937. وقد رثاه صديقه الكتاني بالكلمات التالية "فكان موته خسارة لا تعوض ورزية وطنية عظمى، إذ كان مؤمنا سلفيا صادق الإيمان مكثرا وكاتبا وخطيبا مؤثرا، وعلامة لغويا مطلعا متبحرا ومكافحا متفانيا...". ولما شاع خبر استشهاده أقيمت له صلاة الغائب في المغرب بأجمعه، وأقام له نادي الوحدة المغربية بتطوان برئاسة المكي الناصري حفلا تأبينيا مؤثرا، أما قبره فظل مجهولا إلى أن شيد في عهد الاستقلال من قبل القائد عدي وبيهي. وقد عرف القري بلقب "دفين الصحراء".

اشتهر القري بأنه رائد التأليف المسرحي في المغرب، فقد أخذ اسمه يلمع في مجال المسرح منذ سنة 1923 إلى جانب أسماء أخرى أمثال المهدي المنيعي ومحمد بن الشيخ وعبد الواحد الشاوي، وقد صرح بعض الراصدين والمعاصرين لهذه الفترة أن القري كان يكتب مسرحيات ويوقعها أحيانا باسم عبد الواحد الشاوي كي يتجنب عقاب السلطات الاستعمارية، ومن مسرحياته التي عرضت في مختلف مدن المغرب ولاقت نجاحا كبيرا "مجنون ليلى"، "اليتيم المهمل والمثري العظيم"، "الأوصياء"، "العلم ونتائجه"، "المكر والخداع"، ويظهر أنه كان متأثرا بالمسرحيات التي عرضتها الفرق المسرحية المصرية في المغرب، حيث سلك فيها مسلك نجيب الحداد إذ مزج الحوار بالشعر. وترك القري عدداً من القصائد منها قصيدة إلى "مارتي" المسؤول عن التعليم بفاس، شكا فيها حاله وانتقد المحاباة وخاصة في أوساط العلماء. ومنها قصيدة "مالقومي" دعا فيها إلى تعليم ما لقومي الفتاة، كما أنشد قصيدة في الذكرى الأربعينية لوفاة الشاعر أحمد شوقي عام 1932. وقرظ كتاب الفقيه الوزير محمد بن الحسن الحجوي "*الحق المبين والخبر اليقين بما في قراطيس حجة المنذرين مما يخالف الدين*". ومن الأمور المشهورة عنه أنه استدعي من قبل الصدر الأعظم للقدوم إلى الرباط قصد مباشرته للعمل في الوظيفة التي عين فيها بمقر الصدارة العظمى لكنه امتنع عن الالتحاق.

إ. الكتاني، *من ذكريات سجين مكافح في عهد الحماية الفرنسية البغيض أو أيام ڤوليما*، الرباط، 1977، ص. 145 ـ 156 ؛ ع. الهادي الشرايبي، *ثمن الحرية*، 1978 ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، ج 2، ص. 57 ـ 60 ؛ ح. الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، ج 5، ص. 149 ـ 154 ؛ ع. الكريم غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية*، ج 1، ص. 160 ـ 161 ؛ أبو بكر القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية*، ج 1، ص. 465 ؛ عبد القادر السميحي، *نشأة المسرح والرياضة في المغرب*، الرباط، 1986، ص. 279 ـ 286 ـ 291 ؛ عبد الرحمان القباج، م. القري أول شهيد للحركة الوطنية في المغرب، *مجلة البحث العلمي*، الرباط، ع 47، 2001، ص. 116 ـ 126.

أحمد المكاوي

**قَرِّيبَان** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس ؛ وقد انقرضت بتطوان سنة 1172 (1759).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

**قَرِّيرُو**، ويكتب قَرِّيرُ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس Carrero الذي معناه سائق عربة. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

**قُرَيِّطْ**، ويكتب كُرِيِّطْ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Coret ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Coriat ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1173 / 1760.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

**قُرَيِّطْ، أحمد** بن عبد النور قائد كان يرأس فرقة من المجاهدين من قبيلته بني گرير انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقد.

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913.
- عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر.
- بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 حيث انتخب عضو بالقيادة المركزية للثروة.
- قرية الزوة يوم 11 يناير 1915.

وقد شارك في 4 معارك فقط لأنه استشهد في المعركة التي جرت باشروطة يوم 17 نوفمبر 1924.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب*، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, *Cabecillas rebeldes de Gomara,* 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

**القرشي** (ابن -) **عبد الرحمان** ولد بقصر السماطي بسجلماسة حوالي 1250 / 1835 وهو تاريخ يعتمد على تاريخ وفاته لأنّه كان يكره أن يسأل عن سنّه ويقول أنّه نهي عن ذلك.

تتلمذ على أبيه الذي كان مدرسا في ضريح مولاي علي الشريف، وعلى القاضي والعالم سيدي الهاشمي الأنصاري. ثم التحق بجامعة القرويين بفاس حوالي 1280 / 1863 واستقر بالمدرسة الرشيدية حيث جرت العادة أن ينزل الطلبة القادمون من سجلماسة. وكان من بين من درس معه مولاي عبد المالك الضرير ومولاي عبد السلام بن عمر العلوي. ثم قام بالتدريس في نفس الجامعة، وفي ضريح سيدي أحمد الشاوي. وكان يحضر دروسه عدد من كبار الدولة كالوزير عليّ المسفيوي. وقد طلب هذا الأخير من السلطان مولاي الحسن أن يولّي الفقيه بلقرشي خطة القضاء لما كان يعرف عنه من نزاهة وصرامة وصلابة ولكنّ هذا الأخير رفض رغم احترامه للعالم قائلا "إن فيه حرارة صحراوية لا تجتمع مع البرودة الفاسية. ولسنا مقيمين بها دائما لشدّ عضده". وبعد وفاة مولاي الحسن وتولي مولاي عبد العزيز صار الفقيه بلقرشي من بين العلماء الذين كانوا يحضرون المجلس العلمي الذي كان ابا حماد يقيمه عشيّة كل يوم جمعة واشتهر الفقيه داخل هذا المجلس بغزارة علمه. وتضلّعه في الفقه والعلوم الدينية. وداع صيته على الخصوص بعد القضية التي اشتهرت لدى أهل فاس باسم "تحريف المحجّة لنيل المدجّة" وهي قضية تسميم زوجة لزوجها هزّت مدينة فاس واختلف فيها فتاوى العلماء والقضاة وتورّط فيها بعضهم بالرّشوة. وعلى إثرها أسند له القضاء في مقصورة السماط بفاس. حيث اشتهر بالنزاهة والعدل وعدم الخضوع لأيّ ضغط. وتدل رسالته للخليفة السلطاني آنذاك مولاي عرفة الذي اتهمه بأنه "يمزّق مكاتيبه ويطلق لسانه فيه" على أنه لم يكن "يخاف في الله لومة لائم". ومن بين ما جاء في رسالته "وتا الله لو احتجت إلى من يكنس ارواك لكنت أول فاعل وأعتقد أن ذلك قربة وطاعة وأما مكاتيبك فعندي منها ما يزيد على حمل جمل فاذكر لي أي كتاب أحضره لك محفوظا مصونا. نعم سيدي إن الدعاوي والقضايا الشرعية لا أرفع لجنابكم فيها رأسا ولا أقيم لأوامركم فيها وزنا وقد أنيط بي أن أحكم بالمشهور من مذهب مالك أو بالراجح أو ما به العمل وأن لا أخرج عن تلك المسالك فإن كان هذا مخالفة توجب عقوبة فعجل بها لتريح ونستريح. على خالص المحبة والطاعة الشرعية. والسلام". وكان يتصدى لمظاهر الأبهة والشعوذة التي كان بعض شيوخ الزّوايا يظهرون بها. فقد دخل في أحد الأيام [العالم محمد بن عبد الكبير الكتاني القرويين في موكب ضخم فأرسل له أعوانه] يسأله "هل هذه الهيأة هيأة

الأمراء أو هيأة الفقهاء". وكان بلقرشي يعتبر محمد الكتاني رغم تقديره لوالده عبد الكبير "رجلا فاسد الاعتقاد يجب الانتقاد عليه والتحرّز من ثورته. كما ذكر في رسالة أرسلها إلى مولاي عبد العزيز وعلى إثرها استدعى ابا حماد محمد بن عبد الكبير الكتاني لمناظرة علمية في مراكش لم يخلصه منها إلا تدخل الشيخ ماء العينين. وكان الفقيه بلقرشي من بين قضاة فاس الثلاثة الذين قاموا باستجواب والده العالم عبد الكبير الكتاني حول ادعاءاته بأن ولده مطهّر يمكنه الصلاة بالناس دون وضوء. وأنه هو الذي حمل النبي "صلعم" من سدرة المنتهى، حيث أنزله جبريل بعد الإسراء، إلى غير هذا من الاتهامات، وقد نتج عن مواقفه الصارمة إعفاؤه من قضاء فاس واستقدامه إلى مراكش حيث كان في شبه منفى. وكان من بين ما قاله للوزير باحماد "وليتموني بلا طلب واستقدمتموني بلا سبب .. هل ثبت أن قبضت من أحد درهما أو حرّفت حكما. ولكن يوم يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم يوم لا يكون لمولاي عبد العزيز سلطان ولا وزير ولا خليفة ولا عبد الرحمان أحد الرعية، في ذلك اليوم تظهر الحقائق ويحق الله الحق ويبطل الباطل".

وبعد مدة أو كل له اباحماد مراقبة قضاة الدير ونظار الأحباس ولكنه طلب الإعفاء من مهمته لما ظهر له من تفشّي الفساد وبقي في مراكش مدة سنتين قام أثناءهما بإلقاء دروس في جامع ابن يوسف والمواسين، وبالفصل في بعض القضايا المعقّدة التي طالت أمام المحاكم. وكان أحد الأربعين الذي عيّنهم مولاي عبد العزيز بمجلس الأعيان لمواجهة الضغط الأجنبي. وفي عهد مولاي عبد الحفيظ اشتهر بمجادلاته معه ومع أبي شعيب الدكالي أثناء الجلسات الحديثية التي كان السلطان يقيمها. وبعد تعويض مولاي حفيظ بأخيه مولاي يوسف صحب هذا الأخير إلى الرباط. وبعد مدة ولاه قضاء مقصورة الرصيف بفاس العليا في 22 رجب 1330 / 1911 وفي سنة 1341 / 1922 ولاه المجلس الشرعي للاستيناف. وفي رجب 1342 / 1923 عيّنه وزيراً للعدل وإدارة شؤون المعارف الإسلامية. وقرّرت الإقامة العامة إقالته من هذا المنصب لرفضه إمضاء كثير من القرارات من بينها عدم تدخل القضاة في الديون وأن يكتب لقضاة النواحي الأمازيغية بالسماح للسكان أن يتحاكموا أمام أزرف وليس أمام المحكمة الشرعية. وكان جوابه" يريدون أن يتحاكموا للطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به". ومن الجدير بالذكر أن مولاي يسوف لم يوقّع على المشروع الفرنسي الذي قدمته له الإقامة العامة في هذا الشأن والذي أتى فيما بعد في شكل ما عرف بالظهير البربري. وبعد إقالته رجع الفقيه عبد الرحمان بلقرشي إلى خطة القضاء بمقصورة الرصيف إلى أن أعفي منها عند وفاة مولاي يوسف. وظل محل احترام الخاص والعام. وكان الأعيان والعلماء وعامة الناس يلتجؤون إليه في وقت الأزمات. فعند الإعلان عن الظهير البربري في 12 ماي سنة 1930 الذي أثار احتجاجات وحوادث عنيفة في مختلف أنحاء البلاد، وصدور الرسالة السلطانية التي تطالب السكان بالهدوء وتبرر الظهير البربري وقراءتها في مساجد فاس وعدد من المدن المغربية، اختير رئيسا لوفد مركب من عشرين شخصا انتخب في اجتماع عقده بعض علماء فاس وأعيانها وشباب الحركة الوطنية بدار المجلس البلدي في 22 غشت 1930 لتحرير عريضة وتقديمها للسلطان محمد بن يوسف وفي الاستقبال الذي خصّص لهذا الغرض بالرباط، "تكلم الشيخ الوقور المهيب بما يفتت القلوب ألما ولم يستطع السلطان أن يحبس دموعه مما سمعه... وكان هذا المنظر يذكرنا بعهود الإسلام الأولى يوم كان العلماء ينصحون ويعظون الملوك الذين كانوا خدّام الرعية". وبعد رجوعه من مهمته التي صار سكان فاس يلقبونه على إثرها "برئيس الوفد البربري" شاع الخبر بأن الفرنسيين ألقوا عليه القبض فتجمهر الناس أمام بيته بسيدي أحمد الشاوي. وبقي يجلس عدة أيام في باب منزله لتكذيب الخبر منعا لوقوع حوادث. وكان سكان فاس يعتقدون في "بركته" فقبل وفاته بقليل لجؤوا إليه لإقامة صلاة الاستسقاء. وبعد انتهاء الصلاة تهاطلت أمطار طوفانية. وكان هذا أصل المقولة التي لازالت معروفة في فاس "الفقيه بلقرشي خرج يطلب الغيث وغرّق كلّشي".

لم يخلف عقبا رغم زواجه مرتين الأولى من فاطمة الشرقاوية، وبعد وفاتها من فاطمة أخت التهامي عبابو حاجب مولاي يوسف. وقد يفسّر هذا تبنيه لمولاي أحمد الشبيهي الذي كان يتيم الأمّ والذي صار فيما بعد من العلماء المرموقين.

توفي عبد الرحمان بلقرشي بفاس في 20 محرم 1358 موافق 1938 عن سن تناهز مائة وأربعة سنة. وهكذا يكون قد عاصر 6 ملوك ابتداء من سيدي محمد بن عبد الرحمان.

أ. الشبيهي، *إرشاد الراغب المنشي إلى ترجمة أبي زيد بن القرشي*، مخطوط ؛ أبو بكر القادري، *ذكرياتي في الحركة الوطنية المغربية*، ج 1، الدار البيضاء، 1993 ؛ ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طبعة جديدة، مؤسسة علال الفاسي، 1993 ؛ م. بن الحسن الوزاني المنوني، *مظاهر المغرب الحديث*، مطبعة الأمنية، 1973 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *العزّ والصولة في معالم نظم الدولة*، ج 2، الطبعة الملكية، الرباط، 1961 / 1962.

ثريا برادة

**القرض** ، لغة القطع، نقول قرض الثوب المقراض، وقرض الشيء بنانه قطعه، ومنه البعير يقرض جرته يمضغها. والشاعر يقرض لأن الشعر كلام ذو تقاطيع أو لأنه جرة في المجاز. ومنه قرضت القوم أي جزتهم، قال الله جل جلاله في سورة الكهف (آية 17 ) وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال.

وفي مجال المعاملات نقول استقرضته فأقرضني أي استسلفت منه وقارضته مقارضة أعطيته المال مقارضة. ومن ذلك قول الله عز وجل في سورة الحديد (آية 11) من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له. وقال الشاعر : إن

الغني أخو الغني // وإنما يتقارضان ولا أخا للمقتر. والقراض في لغة الحجاز المضاربة. وقد عقد له مالك ابن أنس بابا في الموطأ قائلا بأنه أخذ المال من صاحبه على أن يعمل فيه، وبأنه لا يصلح إلا في العين من الذهب والورق (بكسر الراء) ولا يكون في شيء من العروض والسلع والبيوع، وذاكرا ما يجوز فيه وما لا يجوز مما يشكل "قراض المسلمين" في قوله. وجاءت نوازل التعامل به في المغرب والأندلس في كتب الفقه الأولى وفي نوازل الونشريسي (10 هـ/ XVI م) ونوازل الوزاني (13 هـ / XIX م) في العصور القريبة. ولكننا ما زلنا نفتقر إلى دراسة شافية عن تاريخ القراض في المغرب قبل الحماية. أما بعد انعقادها فقد انتشر التعامل بالقرض بما عم من الرواج الرسمالي المعاصر في الأسواق المغربية وبما تكاثر من الأبناك التي يستودعها الزبناء أموالهم ويقترضون من فائضها عند الحاجة. وقد أجملنا القول في ذلك في هذه المعلمة في مادة بنك قبل سنوات. وكان من الممكن أن نكتفي بذلك ونحيل عليه، لولا ما طرأ على شروط القرض من التغيير الجذري منذ تاريخ كتابة تلك المادة، فلا مناص من التنبيه إلى ذلك من باب الاستدراك وليس الإفاضة.

لقد عملت الدولة المغربية في الثمانينات من القرن العشرين بخطة عرفت ببرنامج التصويب الهيكلي قوامه التخفيف من مراقبة الدولة الضيقة للدورة الاقتصادية وترك السوق تعمل بأكثر مما كان سابقا من التلقائية، وذلك لحفز المبادرة الفردية واستنهاض الاستثمار الناجع وحثه على العمل في الميادين المحتاجة إلى المال أو المثمرة أكثر. ولا وسيلة أنجع للتصرف في النشاط الاقتصادي من بذر الأموال بحسب الحاجة إليها. ولذلك اتجهت الدولة بخطى حذرة لكنها ثابتة إلى التخلي عن التأطير الضيق لسياسة القرض، سعيا في الإنماء والتشغيل وإقرار الأسعار في الداخل وتسوية المعاملات مع الأسواق الخارجية، وجعل ذلك أرضية لحركة نمو سريع متواصل. وغني عن البيان أن هذه المراجعة للسياسة المالية ترتبت على ما جرى في السبعينات من زعزعة الأسواق الدولية بسبب الزيادة في أسعار النفط التي نجم عنها تضخم في الرواج النقدي، فصار من اللازم ترك العرض والطلب في الأسواق يتوازنان من تلقاء حركتهما. وهكذا توجهت السلطات المالية بالتدريج نحو سياسة أكثر مرونة، ففضلت مراقبة الكتلة النقدية والمعاملات من خلال ما يتطلبه السوق تلقائيا من القروض. وصارت ابتداء من 1991 تتخلى شيئا فشيئا عن التأطير الضيق للقروض، فتحررت أسعار القروض الدائنة ثم أسعار القروض المدينة. وألغيت تباعا التوظيفات الإجبارية التي كانت تضطر الأبناك إلى تخصيص حصص معينة من أموالها للسكن مثلا أو لسندات الخزينة أو للديون على الخارج. وتمت هذه الإصلاحات ضمن أخرى منها إماطة الفواصل بين سوق الرساميل وإعادة النظر في تنظيم السوق النقدية وبرصة القيم وتحرير العمليات المالية مع الخارج بإقرار قابلية الدرهم للتحويل بالنظر إلى العمليات الجارية، وذلك سنة 1993، وبإحداث سوق للصرف، وذلك سنة 1996. وأجمل القول بالتوجهات العامة لهذه الإصلاحات في ظهير صدر بتاريخ 15 محرم 1414 (6 يوليوز 1993 )، جدد صرح مؤسسات القرض وشروط الاقتراض وأدوات حماية المهنة البنكية من الغش والزيغ.

والغاية من هذا الظهير هي حماية المؤسسات البنكية والشركات المالية وزبنائها من كل الآفات بعد أن صارت أسعار القروض رهنا بما يترتب على السوق من الحاجيات. فقد أضحى تتبع السياسة النقدية يتم بشكل غير مباشر، وليس من خلال تحديد أسعار القرض والخصم من قبل البنك المركزي كما كان الحال سابقا. وبناء على ذلك لم يعد يفرق بين الأبناك والمؤسسات المالية المتخصصة أي فارق، وإنما اعتبر الجميع مؤسسة ائتمانية على ما لكل مؤسسة من الوظائف المتميزة فتتصرف في القروض بحسب حاجيات السوق ليس إلا.

إبراهيم بوطالب

**القرطاجيون والمغرب القديم** نعرف الوجود البوني القرطاجي في موريطانية بواسطة نص وحيد هو رحلة حنون التي وقعت في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، نقتطف منها الفقرة التالية : "... استحسن القرطاجيون فكرة إبحار حنون وراء أعمدة هرقل ليؤسس مدنا يعمرها الليبيون الفنيقيون Libyphéniciens. أبحر إذن على متن ستين سفينة يسير كل واحدة منها خمسون جذافا على متنها عدد هائل من الرجال والنساء يناهز عددهم ثلاثين ألف فرد مزودين بالمؤونة واللوازم الضرورية ...".

ورد في النص أن حنون شيد ست مستوطنات، ما بين مضيق أعمدة هرقل ونهر لكسوس. والراجح أن حنون شاء أن يخلد المدينة الفينيقية تمياترية لما أطلق اسمها على أولى مستوطناته وهي تمياتريون Tumiatérion. أما اسم المستوطنة الثانية كاركون طيخوس Teichos ومعناها السور "الكاري"، فيوحي بذكرى الآثار الإغريقية بالناحية، والتي ترجع في الغالب إلى فترة المنافسة بين الإغريقيين والفينيقيين في استيطان الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. غير أن الوجود الإغريقي في موريطانية لا نجد له صدى واضحا في النصوص بينما تحدث إفورEphore عن هذه المدينة في القرن الثالث قبل الميلاد قائلا : "كاركون طيخوس مدينة ليبية تقع على يسار أعمدة هرقل". والراجح أن ذكر الكاتب المذكور لهذه المدينة يوحي بأنه علم من مصادره بالأثر الكاري في موريطانية، وهذا شأن تاريخي يهم الكاتب لكونه ينمتي إلى مدينة كوميس Cumes الواقعة في هذه المنطقة الآسيوية من العالم الإغريقي.

وهنا ندلي برأي بلنيوس الشيخ المتوفى سنة 79م. حول هذه المستوطنات، وهذا قوله وهو يتحدث عن مدينة لكسوس: "إن معظم الكتاب الإغريق وكتابنا أيضا يتحدثون

عن أساطير من بينها أن حنون أنشأ عدة مدن في هذه الناحية. لكن ليس هناك أي أثر لها ولا أحد يتذكرها".

ثم هناك نص هيرودوت حول تجارة الذهب بين القرطاجيين وسكان المغرب. وهذا قوله : "يتحدث القرطاجيون عن بلد في ليبيا وراء أعمدة هرقل. فعندما يصلون إليه يعرضون بضائعهم على الشاطئ ويعودون إلى سفنهم حيث يشعلون نارا. وحينما يراها السكان يأتون بالذهب ويعرضونه بجانب السلع القرطاجية وينسحبون بعيدا عن المكان. بعدئذ ينزل القرطاجيون لفحص كمية الذهب، فإذا كانت كافية أخذوها وانصرفوا تاركين أمتعتهم. وإذا كانت ناقصة تركوها وعادوا إلى مراكبهم. وحينئذ يأتي السكان فيضيفوا شيئا من الذهب وقد تتكرر العملية إلى أن يحصل التراضي في صمت ويؤكد القرطاجيون أن الطرفين يلتزمان الإخلاص في معاملاتهما، فهم لا يمسون الذهب إلا إذا وجدوه كافيا لقيمة سلعهم، والسكان بدورهم لا يأخذون شيئا من البضائع قبل أخذ القرطاجيين للذهب".

وآخر ما ندلي به في الشأن القرطاجي بموريطانية، إشارة إلى مقارنة الكتاب الإغريقيين واللاتينيين بين لكسوس وقرطاجة، في نص قال فيه بلنيوس الشيخ ما يلي : "لا داعي للاستغراب كثيراً من تخيلات الإغريقيين حول موضوع حدائق الهسبريات ونهر لكسوس، إذا علمنا أن كتابنا ألفوا مؤخرا حول المدينة روايات خارقة للعادة وإذا صدقنا كلامهم فإن لكسوس كانت أكثر قوة وأعظم من قرطاجة الكبرى". وهذه إشارة هامة في تقديرنا، نرجح أنها تعكس المنافسة بين القرطاجيين والموريين، الذين حرصوا على مصلحتهم في السيطرة على الملاحة التجارية بالمحيط، بمنع غيرهم من ارتياد بحارهم.

وهذا ما يعكس نص هيرودوت حول تجارة الذهب بشروط عن قيود فرضها الموريون على زبنائهم في تبادل هذه المادة وهو ما نلمسه من الفراغ الذي شهدته جزيرة موگدور بعد اتصال الفينيقيين بها بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد. ثم إن واقعة عقاب الموريين للتاجر والمكتشف أودكس الكوزيكي Eudoxe de Cyzique ، توضح بما لا يدع مجالا للشك أن الموريين تحكموا في الملاحة بالمحيط الأطلسي، وكانوا يزجرون كل من لم يحترم مجال نفوذهم أولا يراعي مصالحهم. قال سترابون في هذا الصدد : "لما وصل (أدوكس) سليما إلى موريسة Maurusia باع مراكبه وقصد بگوس Bogos (بكوس الأول) وهو ماشيا، وعرض عليه أن يتولى الإشراف على الرحلة البحرية التي كان يعتزم القيام بها. لكن أصدقاء بكوس تشبثوا بالرفض، محذرين ملكهم من مغبة جعل البلاد عرضة للغزو إذا صار الطريق معروفا عند الغزاة الأجانب ... فقرروا نفيه إلى جزيرة مهجورة".

إن هذه المؤشرات تعكس فرضيتنا حول الوساطة المورية بين العالم المتوسطي وبلاد الإثيوبيين الغربيين، التي اشتهرت بشتى الثروات ومن بينها الذهب. ولعدة اعتبارات لا يسمح المجال بالإسهاب فيها هنا، فإننا نرجح أن الموريين باحتكاكهم مع الفينيقيين وغيرهم من الشعوب، قد لمعوا في ميدان الملاحة التجارية قبل خضوع البلاد للرومان.

وبالنسبة للعلاقات السياسية بين الموريين وقرطاجة، فأقدم خبر حول هذه النقطة يفيد أن جنودا موريين كانوا ضمن قوات قرطاجة في صقلية سنة 406 قبل الميلاد، والراجح أنهم مرتزقة مثل الموريين الذين شاركوا مع القرطاجيين في الحروب البونية ثم نعلم أن ملكا موريا أغفل المصدر ذكر اسمه، قد ساعد ثائرا قرطاجيا يدعى حنون، في تاريخ قدّر بحوالي منتصف القرن الرابع قبل الميلاد. وهذا يدعو إلى الاعتقاد بأن العلاقة كانت سيئة بين البلدين. ونجد امتداد لعداوة مضمرة في مساعدة الموريين للملك الماسيسولي سيفكس Syphax سنة 213 ق. م لما هاجمه الملك الماسولي گايا Gaïa بدعم من قرطاجة ثم ساعد الملك الموري باگا Baga الأمير ماسنيسا Massinissa بن گايا سنة 206 ق. م لكي يعود إلى بلاده لاسترجاع ملكه الذي سلبه سيفكس بتأييد قرطاجة أيضا. والواضح أن هذه المساعدات المورية للجيران النوميديين، تنعكس سلبيا على الأهداف التوسيعة لقرطاجة، ولا ريب في أن هذه المواقف تدل على عدم انسجام الموريين مع تطلعات القرطاجيين في فرض هيمنتهم على الملوك الأفارقة.

نعلم كيف تورط الملوك النوميديون في الحرب البونية الثانية، حيث تحالف الملك الماسولي گايا مع قرطاجة، فكلف ابنه ماسنيسا بقيادة النوميديين الذين بعثهم إلى إسبانيا لنصرة القرطاجيين. بينما كانت رومة تراود الملك الماسيسولي سيفكس بالتحالف. وبعد وفاة گايا سنة 206 قبل الميلاد تمكنت قرطاجة من التحالف معه وقبلت باستيلائه على مملكة الماسوليين واحتلال عاصمتهم كيرتة Cirta. وهذا ما حتم علي الأمير ماسنيسا التحالف مع سكيبيو في إسبانيا بعد انتصاره على القرطاجيين بها. وقد اشترك ماسنيسا مع سكيبيو في حملته على قرطاجة بين سنتي 204 و202 قبل الميلاد وأفضت هذه الحملة إلى تمكن ماسنيسا من إلقاء القبض على سيفكس وسلمه أسيرا لسكيبيو، وذلك ما سنح للأمير الماسولي بتولي عرش أسلافه واسترجاع مملكته وضم مملكة الماسيسوليين. وقد توج ذلك بمعركة زاما التي انتصر فيها الرومان على القرطاجيين. ونصت اتفاقية السلم بينهما على حق ماسنيسا في استرجاع ممتلكات أجداده من قرطاجة. ثم ظل ماسنيسا وفيا للرومان إلى وفاته، قبيل قضاء الرومان على قرطاجة، حيث شارك أبناؤه في الحرب البونية الثالثة لصالح الرومان.

أما الموريون فلا نتوفر على نص صريح يفيد أن ملوكهم تدخلوا في هذا الصراع. غير أن بولبيوس أكد على وجود أشخاص موريين في جند القائد القرطاجي حنبعل سنة 218 قبل الميلاد، وقد ترك هؤلاء الموريين لأخيه حسدر بعل في إسبانيا. والغالب أن الأمر يتعلق بمرتزقة لا تتحمل المملكة

المورية مسؤولية مشاركتهم في هذه الحرب مثل الموريين الذين حسبهم نفس المؤرخ من بين المرتزقة مع الليكوريين والغاليين والبلياريين، وعددهم جميعا يقدر بإثني عشر ألف رجل ونفس الشيء بالنسبة للموريين الذين ذكرهم نفس المؤرخ في معركة زاما، حيث أفاد تيتوس لفيوس أنهم مرتزقة أيضا، وقد ورد نفس الخبر عند أبيانوس، الذي أشار إلى أن القرطاجيين كانوا يأملون في مساعدة الموريين في الحرب البونية الثالثة. والواضح أن هذا الأمل يبرره ما التزمه الموريون من الحياد للحفاظ على استقلالهم السياسي والاقتصادي.

ثم إن الشاعر الروماني سليوس إيطالكوس الذي عاش ما بين سنتي 25 و101 م. قد تحدث عن وجود عناصر وشخصيات مورية ضمن قوات حنبعل يتعلق الأمر ببنييور Baniurae والأوطلول Autololes وأهل طنجة ولكسوس، بالإضافة إلى شخصين غير معروفين هما شاب يدعى لكسوس Lixus وشخص سماه بالموري سكيس Saces. كما ذكر أشخاصا يحملون أسماء الملوك الموريين هم باكا وبكوس وبگوس Bogus ، فأشار إلى أن بگوس كان يكشف الغيب وقد قتل في الحرب مثل باكا والشاب لكسوس. وفي تقديري أن ما أورده الشاعر المذكور اقتضته المبالغة الشعرية وصورها الفنية، في ملحمة تسمو عن الزمان والمكان والواقعية، كرسها لتمجيد الأبطال الرومان الذين هزموا حنبعل.

بالنسبة للمبادلات التجارية بين موريطانية وقرطاجة فإن حصيلة البحث الأثري ضئيلة جدا سواء في التنقيبات أو التحريات فالمنقبون بالمغرب يشكون من قلة المواد التي تندرج في هذا الإطار. والحصيلة منذ بداية البحث الأثري في فترة الحماية وحتى الآن هي بضع نقود قرطاجية وبضع أمفورات من الأنواع التي كانت رائجة في المجال البوني. يضاف إلى ذلك تقليد لبعض النماذج من الأواني التي توصف بالبونية مثل الأمفورات المورية من النوع Dr 18 التي ظهرت في قرطاجة قبل تحطيمها. وفي موريطانية استمر صنعها خلال القرن الأخير قبل الميلاد. وهناك من ظن أن هذا التأثير جلبه قرطاجيون التجأوا إلى موريطانية بعد إحراقها سنة 146 قبل الميلاد. فهل يجوز أن نعزو لهذا الحدث تغلغل التأثيرات الثقافية البونية، التي تتجلى في استعمال الكتابة البونية بموريطانية في العملة والنقائش، إضافة إلى اتباع نظام الشوفيط الذي كشفت عنه نقيشتان من وليلي واحدة بونية وأخرى لاتينية.

ع. اللطيف لبرينسي، *رحلة حنون*، كلية الآداب، 1990 ؛ مجدوب، *أوضاع موريطانية من خلال رحلة أودكس الكوزكي في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد* ، كلية الآداب، مكناس، 1993 ؛ *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد* ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، للمحمدية، 1998.

Hérodote, 4, 196 ; Polybe, Livre 3 et 5 et 11 et 14 et 15 et 31 et 38 ; Diodore de Sicile, 13, 80, 3 ; Strabon, 2, 3, 4 ; Tite Live, livre 23-24 et 27-31 et 34-35 et 40 et 42-45 ; Pline l'Ancien, 5, 4 et 8 ; Silius Italicus, 2, 110-5 ; 160-5 ; 3, 225-60 ; 280-5 ; 300-10 ; 4, 130-5 ; 5, 400-10 ; Appien, Iber, 16 et 29 et 37 ; Lib 26-7 et 10 et 41 et 51 et 68 et 70 et 105 et 110 et 111 et 126 ; Justin, 21, 4, 7 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, tome 2 et 5, Paris, 1912-28 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; A. Jodin, Note préliminaire sur l'établissement préromain de Mogador, dans *B.A.M.*, 2 p. 9-40, 1957 ; Idem, Le tombeau préromain de Mogogha Es Srira Tanger, dans *B.A.M.*, 4, p. 27-46, 1960 ; Idem, Mogador comptoir phénicien du Maroc atlantique, dans *E.T.A.M.*, 2, 1966 (1) ; Idem, Bijoux et amulettes du Maro punique, dans *B.A.M.*, 6, p. 55 - 90, 1966 (2) ; Idem, Un brûle parfum punique à Volubilis dans *B.A.M.*, 6, p. 505-10, 1966 (3) ; Idem, Carthage et le Maroc punique, dans *B.A.M.*, 11, p. 65-78, 1978 ; R. Rebuffat, Recherches sur le bassin du Sebou, 2, Le Périple d'Hannon, *BAM*, 16, p. 257-84, 1985-6 ; M. Kbiri-Alaoui, A propos de la chronologie de la nécropole d'Aïn Dalia Lekbira (région de Tanger Maroc), dans *IV Congreso internacional di Studi Fenici y Punici*, Cadiz, p. 1185-95 ; M. Majdoub, Nouvelles recherches sur l'époque maurétanienne à Volubilis, Actes des 1ères Journées d'Arcgéologie et du Patrimoine, *SMAP*, p. 198-213, 2001 (1) ; La Maurétanie et Carthage, dans *IV Congreso internacional di Studi Fenici Punici*, Cadiz, p. 1217-21, 2001 (2) ; M. Habibi, L'époque dite punique au Maroc, *Actes des 1ères Journées d'Archéologie et du Patrimoine*, SMAP, p. 73-84, 2001.

محمد مجدوب

**القُرْطبي** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cordoba ؛ ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Cortovi وCordobés ؛ نسبة إلى مدينة قرطبة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منهم : محمد القرطبي من أعيان تطوان الذين شهدوا ضد الباشا السابق عبد الكريم ابن زاكور بأنه تصرف في أموال بيت المال لصالحه في صفر 1180 (10 يوليوز 1766). ومحمد بن علي القرطبي كان يملك الطاحونة الوحيدة التي كانت بتطوان سنة 1235 (1820).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القرطبي، الرايس أحمد** "الرجل البدين" الأندلسي الأصل، وأحد كبار الرياس الرباطيين العاملين في عهد الإمارة الدلائية. كان في خريف 1651 يمتطي سفينة حمالة مجهزة للجهاد البحري تدعى "الأرض الموعودة"، لما سيطر على السفينة الهولندية ڤيتي فالك (Witte Valck) في مياه رأس سان فانسان، جردها من صواريها واستولى على شحنتها وأوسع قبطانها وبحارتها ضربا.

كان هذا الرايس بطل حادثة السفينة الهولندية "النبي دانيال" (Le Prophète Daniel) سنة 1658 التي اعترضت مركبه رغم توفره على جواز مرور قانوني، وقتل إثر ذلك بعض من رجاله وأسر خمسون منهم، كما أتلف المركب وأحرق، مما شكل خرقا للمعاهدة الموقعة مع السلطة الدلائية. وقد حذا هذا بالولايات الهولندية إلى الحكم باعتقال القبطان المذنب وبتعويض الرايس القرطبي عن خسائره (9400 فلورين)، ومصادرة وبيع السفينة الهولندية لفائدة القرطبي، وتحميل المذنب مصاريف إقامة هذا الأخير بالأقاليم المتحدة وعودته إلى الرباط.

Les *S.I.H.M.*, 1° série, Pays-Bas, t. V, p. 310-11, 327 ; 2° série, France, t. I, p. 406-07 ; Coindreau, *Les corsaires de Salé*, p. 90.

**القرطبي، الرايس محمد** نجل المتقدم ذكره.سيطر سنة 1670 رفقة محمد الرايس على الفرقاطة الفرنسية لاروايال (La Royale). وكان في سنة 1672 يقود سفينة عالية الكفاءة، مجهزة ببطارية مؤلفة من ستة عشر مدفعا وبطاقم مكون من مائتي رجل. وقد استمرت حياته المهنية حتى أواسط الثمانينيات.

Les *S.I.H.M.*, 2° série, France, t. I, p. 406-07 ; Coindreau, *Les corsaires de Salé*, p. 90.

حسن أميلي

**قرعة**، هي عدة أنواع من جنس الكوكوربيتا الذي ينتمي إلى القرعيات "Cucurbitaceae"، وهي من أصل أمريكي، وكانت لها أهمية في الزراعة البدائية مدة قرون. إلا أنها تزرع الآن في كثير من أنحاء العالم حيث المناخ معتدل.

القرعة نباتات حولية خشنة زاحفة ذات أزهار كبيرة صفراء وثمار مختلفة الأشكال. تنمو حين يكون الجو معتدلا، وتشمل أصنافا كثيرة تختلف من حيث شكل الفاكهة ولونها وحجمها ومذاقها وكذلك توقيت نضجها.

تنتمي أصناف القرعة إلى ثلاثة مجموعات :

- كوكوربيتا ماكسيما "Cucurbita maxima" : تتميز بكبر حجم الفواكه (10 ـ 25 كلغ)، حمراء من اللب وتستهلك عادة في فصل الشتاء وهي قابلة للتخزين بعد بلوغها النضج التام.
- كوكوربيتا بيبو "Cucurbita pepo" : صغيرة الحجم وتستهلك خضراء.
- كوكوربيتا موسكاطا "Cucurbita moschata" : لا تتحمل التخزين.

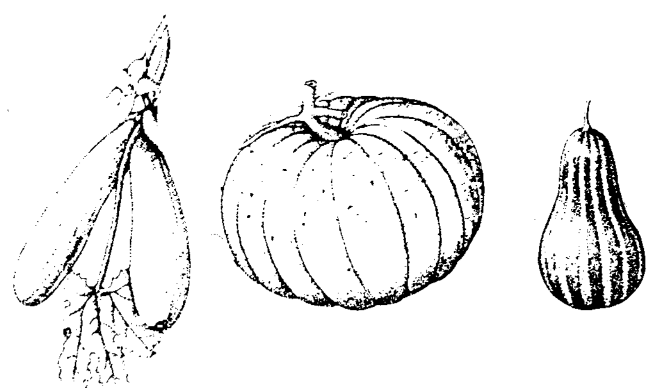

زراعة القرعة تتطلب مناخا معتدلا وتربة غنية بالذبال وكثير من الماء. وهي كثيرة الحساسية للصقيع والبرد، ولا يتم الإنبات إلا عندما تكون الحرارة أعلى من 20 درجة. يتم تلقيح الأزهار بواسطة الحشرات. يصل الإنتاج إلى 70 ـ 90 طن للهكتار.

تستعمل ثمار القرعة غير الناضجة كخضر طازجة أو مطهوة في الطواجن، أو مسلوقة أو مقلية، بينما تخبز الثمار الناضجة أو تعلب أو تعطى للماشية، وتستعمل كذلك مسلوقة أو مقيلة، ومنها ما يستعمل للتزين. من أشهر الأصناف المزروعة في المغرب : السلاوية، الرصاصية، الحرشة، الشرگية، البسيبسي.

بذور القرعة غنية بالدهون والبروتينات، وتستعمل كمصدر لإخراج زيت نباتي، وتستهلك كذلك مقيلة بعد تمليحها.

ألبيرت هيل، *النبات الإقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرون، القاهرة، نيويورك، 1962؛ *معلومات شخصية*.

J.M. Clément, *Larousse Agricole*, édition Larousse, Paris, 1981.

عبد النبي زين العابدين

**القرفي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Querfe. ومن أشهر أفرادها : محمد بن قاسم القرفي معلم ماهر في صنع الفسيفساء كان بقيد الحياة سنة 1158 (1745).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القرقورة** (Caraque) وتدعى الكراكة أيضا، وهي من السفن الشراعية التي ابتكرها البرتغاليون خلال العصور الوسطى، وكان نشاطها الملاحي في بادئ الأمر مقصوراً على البحر الأبيض المتوسط، وكانت عبارة عن مركب مستطيل عالي السطح، ذي أبعاد تصل إلى خمسين متراً طولا وخمسة عشر عرضا، وتتسم بثقل حمولتها التي بلغت مئات الطنات أحيانا، الأمر الذي جعلها تندرج في البداية ضمن المراكب التجارية المخصصة لنقل البضائع والأنعام.

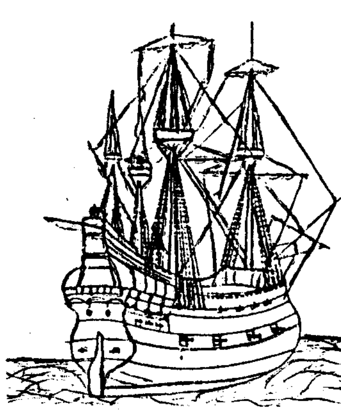

ومع احتياجات التأمين التي تطلبتها الملاحة التجارية أواخر القرن (16 م)، من حيث ملاءمة السفن المدنية للدور الدفاعي قصد مواجهة الهجمات القرصانية واللصوصية،

خضعت القرقورة للعديد من التحويرات التي جعلت منها سفينة مسطحة الغاطس وأكثر استدارة وخفة، مع تجهيزها بصاريين إلى ثلاثة بشكل يسر عليها تحقيق المناورات المطلوبة، والتمتع بالسرعة الفائقة.

وبهذه المواصفات ثم تأهيلها للقيام بالدورين المدني والعسكري، سرعان ما أهلها رياس الجهاد البحري للعب الأدوار الهجومية في المغرب عموما، ومصب أبي رقراق على وجه الخصوص خلال القرن (17 م)، واعتمدوها كإحدى الأنواع المستعملة في الملاحة الشبجية، وفي الوقت ذاته في ملاحة المساحلة وفي الإبحار حتى في الأعماق الضحلة لمصبات الأنهار. ولم تعرف القرقورة تراجعا لحضورها في الأسطول الجهادي إلا مع اشتداد أزمة التجهيزات الملاحية خلال عهد مولاي إسماعيل.

النخيلي، *السفن الإسلامية*، ص. 120 ـ 25.

Dan, *Histoire de Barbarie*, p. 209 ; Les S.I.H.M., 1 série, Pays-Bas, t. V, intro. p. XIII ; Des Champs, *Pirates et flibustiers*, p. 30 ; Chack, Du Maroc à..., p. 5.

حسن أميلي

**القرقوري، المعطي** الشاوي المسكيني. الشاوي نسبة إلى الشاوية، والمسكيني نسبة إلى قبيلته بني مسكين. من أولياء الله الصالحين العارفين الذين نزعوا عن الدنيا ومحوها في القلب بالكلية، ذلك ما تؤكد عليه المصادر، وكما جاء في *إتحاف أعلام الناس* "يحب في الله ويبغض فيه، لباسه حائك صوف وبرنس منه وقميص وعمامة صغيرة ... نفقته من الفيض الوهبي نزيه عالي الهمة كثير الخشية لا تأخذه في الله لومة لائم ...". كما كان مشاركاً في علوم كثيرة إلا أنه ركز في دروسه على التوحيد.

انعزل المترجم في أول أمره عن الناس في خلوة بعيدا عن أهله وقبيلته ؛ ثم انتقل إلى فاس والسبب يعود كما أخبر بذلك ابن زيدان : "لمسألة اعتقادية حيرت ذهنه وعسر عليه فهمها، فرحل لفاس بإشارة من بعض أهل الخصوصية الربانية" ..." وحضر دروس العلامة الحاج محمد بن المدني جنون، ومن عجيب الصدف على ما قال صاحب *الإتحاف* : "أنه أول ما حل بفاس حضر درس جنون ووجده يقرر المسئلة التي أشكلت عليه وكانت سبب رحلته ..." والتزم من حينه مجالس العلامة المذكور حتى حقق غايته واكتمل تكوينه العلمي ومهر في فنون شتى، عندها رحل لبلده وأسس بها زاوية تصدر للتدريس بها فأفاد منه خلق كثير، إذ اشتهرت تلك الزاوية وتوافد عليها طلاب العلم من كل صوب، وعندما مر السلطان مولاي الحسن (1290 ـ 1311 ـ 1873 ـ 1894 ) بتلك الزاوية أكرم المترجم له ورفع المغارم وسائر الكلف المخزنية عنه وعن أقاربه مما أو غر صدر عامل بلده فكاد له وأدخله السجن. "ولما علم بذلك السلطان المذكور قبح فعل المتولي الخبيث ... وأمر بتسريحه حالاً والإتيان به إليه على كامل المبرة والإكرام لحضرته" وعند إقامة المعطي القرقوري بمدينة مكناس تصدى للتدريس فاستفاد منه الكثير ومن أبرزهم الطاهر السوسي.

وظهرت عليه أثناء مقامه في مدينة مكناس ـ على ما تقول التراجم المتناقلة ـ كرامات وخوارق عادات وتذكر له في ذلك أقوال وتنبؤات الأمر الذي زاده شهرة وجعله يتمتع بالتعظيم من لدن العامة والخاصة على حد سواء.

رجع المترجم له لبلده ثم ولي بعد ذلك خطة القضاء بمدينة سطات وبها توفي.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1990، الرباط، 4، 314 ؛ أ. الناصري، *الاستقصاء*، 1956، الدار البيضاء، 9، 148 ـ 152 ـ 162.

رقية بلمقدم

**قَرْمُونَة** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Carmona نسبة إلى مدينة قرمونة. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1145 / 1733.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القَرَنْفُل** ، يطلق لفظ "القرنقل" على عدة أنواع أو منتوجات نباتية مثل ما يسمى عود النوار الذي يستورد من آسيا ويستعمل بهاراً أو لتعطير الحليب. أما الأنواع النباتية الموجودة بالمغرب فهي تسعة من بينها ستة طبيعية والأخرى دخيلة تستخدم للزينة، وكلها تنتمي لجنس دْيَانْتُوسْ Dianthus وفصيلة القرنفليات Caryophyllaceae.

وأهم نوع من بينها هو دْيَانْتُوسْ كَارْيُوفِيلُوسْ Dianthus caryophyllus الذي هو مصدر جل الأصناف البستانية.

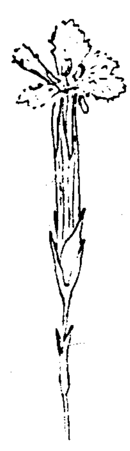

إنه نبات عشبي معمر، يوجد طبيعيا على الأجراف في المنطقة المتوسطية حيث استعملت ضروبه لاستنباط وتحسين سلالات يستخدمها الإنسان كنباتات عطرية أو للزينة. فطورت أشكال الزهور وأحجامها وألوانها لزراعتها في

الحدائق. وتبقى السلالات الغنية بالرائحة تلك التي لم تبتعد كثيراً عن السلالات البرية وذلك لا ستخدامها كنباتات عطرية يستخلص منها الزيت بالمذيبات.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**القرنيع** أو القوق كما هو شائع عند العامة حسب المناطق المغربية، نوع نبات خضري من فصيلة النجميات أو المركبات الأنبوبية الزهر Compositae Tubuliflorales وطائفة كاردووي Cardueae . يسمي علميا كيناراسكوليموس Cynara scolymus ؛ وهو نوع يختلف عن الخرشوف الذي يدعى علميا Cardunculus . يدعى القوق في فاس ومكناس والرباط والدار البيضاء والجديدة والقرنيع في وجدة وبركان وفگيگ والناظور ويسمى القنارية في تطوان وطنجة وشفشاون والعرائش ومراكش والصويرة. ويدعى في الشرق العربي حرشف بستاني ـ بالحاء ـ وأرضي شوكي وكنكر الفارسية الأصل. يسمى بالفرنسية Artichaut وبالانجليزية Artichoke المستنبطة من العامية الشرقية أرضي شوكي ؛ يسميه اليونانيون سكوليموس وقنارة.

حوض البحر المتوسط هو الموطن الأصل لهذا البقل وكانت بداية انتشاره شمال إفريقيا وفرنسا في القرن الخامس عشر الميلادي. نبات معمر تطورت زراعته خلال العقود الأخيرة في مختلف المزارع المغربية السقوية كالشاوية ودكالة وسايس وتريفة. منه حوالي عشرة ضروب تغرس في المغرب وتختلف في الحجم واللون المتراوح بين الأخضر والبنفسجي. يفضل هذا البقل العيش في الأتربة الغنية بالطين بالسهول والهضاب.

موجود بانتظام في جميع أسواق الخضر المغربية في فصلي الربيع والصيف. ترتبط أوراقه مباشرة بالجذور ويتوسطها برعوم لحمي غليظ وطويل ينتهي برأس كروي يدعى القوق. جذوره طويلة وأوراقه خيطية محيطها مقسم. يتكون الرأس الكروي من مجموعة من الحراشف ورقية الشكل تحيط بالأزهار الملتفة على سطح القاعدة.

تستهلك قاعدة الإزهار النباتي لهذه الرؤيسات الكروية غير الناضجة إما نيئة أو مطهوة مع الجلبان أو البطاطس وغيرها ويستعمل في أطباق مختلفة في عالم الطبخ المغربي. يؤكل في أغلب الأحيان مسلوقا مع خلطه بقليل من الخل أو من عصير الليم الممزوج بالزيت والملح.

مكوناته الغذائية كالأتي :

الماء : 82٪

البروتينات : 3,7 ـ 4٪

الدهنيات : 0,2 ـ 0,3٪

السكريات : 12٪

السيلولوز : 0,6 ـ 1,5٪

ويحتوي أيضا على كميات هامة من المنغنيز والكالسيوم والنحاس والحديد والبوتاسيوم وفيتامين C وB1 وA. القوق فاتح لشهية الأكل ويرجع سواده بعد طهيه إلى مادة الدبغ سينارين Cynarine التي تستعمل في العلاج الطبي كمادة مساعدة على إفراز البول، كما أنها تؤثر على خلايا الكبد لإفراز مادة الصفراء.

ع. بنعبيد، *الخرشوف*، *معلمة المغرب*، ج 11 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، الطبعة الثالثة، 1988.

A.G. Akoka, Le médical du 20ème siècle, *Encyclopédie médicale*, t. 7, éd. EDILEC, Paris, 1996, p. 2521-2522.

نجاة الخياطي

**قَرْوَان، أحمد** بن المختار قائد كان برأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني مصور انظم إلى حركة المقاومة المسلحة بزعامة الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة :

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913.
- عين الدالية يوم 11 من نفس نفس أشهر.
- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913.
- قرية الزوة 11 يناير 1915.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, *Cabecillas rebeldes de Gomara*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

**القروي، عبد العزيز** بن محمد الفاسي الفقيه العلامة، المدرس المفتي، الولي الصالح. كان معاصراً للشيخ أبي الحسن الصغير شارح المدونة، وأخذ عنه، وجمع شرحه على المدونة بخطه، وحبّسه بفاس، وهو أحسن التقاييد وأصحها، ووقع النقل عنه في المعيار في غير ما موضع.

وكان ناظرا على المارستان بفاس، يتولى تجهيز الموتى بيده.

وقعت له حادثة مع سلطان وقته أبي الحسن المريني، انتهت بأن أصبح ذلك السلطان يزوره بداره.

ابن القاضي، *درة الحجال* ؛ *جذوة الاقتباس* ؛ أ. بابا السوداني، *نيل الابتهاج* ؛ *كفاية المحتاج* ؛ ع. الرحمان الفاسي، *ابتهاج القلوب* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

**القرويين** (جامع بفاس) يعد من أكبر المباني الدينية الأصلية بالغرب الإسلامي. وقد اشتهر بدوره الثقافي

والفكري لاحتضانه جامعة القرويين التي تعتبر من أقدم المراكز العلمية والمؤسسات التربوية بالعالم الإسلامي، ونظراً لضاخمة المسجد وتعدد مرافقه وتنوع وظائفه الفكرية والتعليمية، فقد حظي بدراسات عدة، بل إن ما كتب في شأنه من مؤلفات ودوّن من وثائق ونشر من أبحاث قديماً وحديثاً يفوق بكثير غيره من المعالم التاريخية والمباني الأثرية.

يمثل جامع القرويين نموذجا حيا للعمل التطوعي والإحساني الذي هو أحد سمات المجتمعات الإسلامية، فقد شيدته المرأة الفاضلة الورعة فاطمة الفهرية خلال أواسط القرن الثالث الهجري. وإذا كان المسجد الأول صغير الحجم، فإنه مالبث أن توسع وزاد حجمه بعد قرن من الزمن خاصة لما تشرف باحتضان صلاة الجمعة التي كانت فيما سبق تقام بجامع الأشراف القريب منه والذي شيده المولى إدريس باني المدينة. ويحتفظ الجامع بصومعته المربعة ذات القامة المتناسقة، وهي شاهدة على اختراق الآذان منها لأسماع الناس منذ القرن الرابع الهجري. وبالتالي تشكل النموذج المرجعي لنمط الصومعة الذي انتشر ببلاد المغرب والأندلس لاحقا.

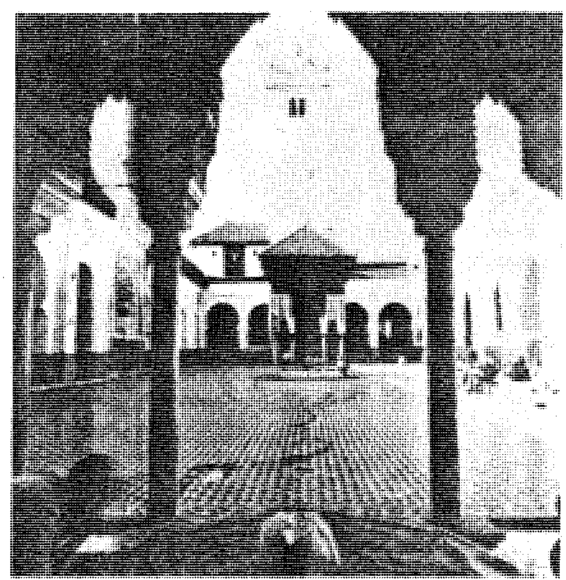

وقد شهد جامع القرويين أهم وأضخم توسعة خلال العهد المرابطي بحيث زاد امتداده في كل الاتجاهات تقريباً، ويمكن إرجاع حدوده الحالية إلى تلك الفترة لأن ما شهده الجامع من عمليات خلال العصور الموالية اقتصر على إضافة مرافق وتشييد ملاحق وإقامة تجهيزات لم تعدل من الحدود التي رسمها له المرابطون.

ويتكون تصميم الجامع المرابطي من قاعة الصلاة وصحن مستطيل الشكل، تحيط به أروقة من الجهات الثلاث. تحتوي قاعة الصلاة على إحدى وعشرين بلاطا. ويتميز البلاط الأوسط، الذي يمتد من العنزة إلى المحراب، باتساعه وقبابه المتنوعة الأشكال والزخارف وهي مزينة إلى يومنا هذا بثريات بديعة الشكل، أصل بعضها نواقيس جلبت كغنائم من الأندلس أيام الموحدين والمرينيين. وتعد الثريا الكبرى المعلقة في القبة الوسطى من أضخم الثريات المغربية وأجلها قدرا وأتقنها صنعة وأغناها زخرفة. ويحتفظ الجامع بعينات فريدة من الفن المرابطي كالمحراب والقبة التي تعلوه والقبة المحاذية له. وقد صنعت "بالجص المقربص الفاخر الصنعة والنقش ... ورفش ذلك كله بورقة الذهب واللازورد وأصناف الأصبغة وركب في الشماسات التي بجوانب القبة أشكال متقنة من أنواع الزجاج وألوانه".

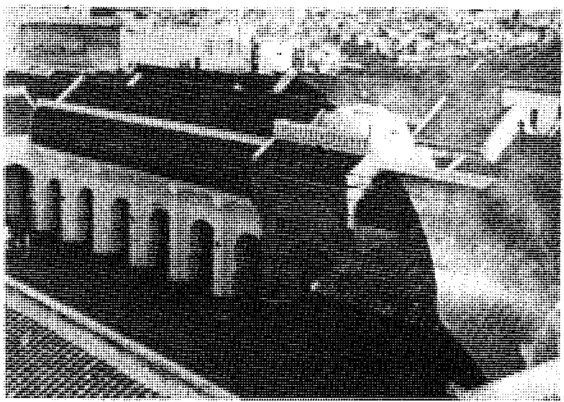

وخص المرابطون الجامع بمنبر في غاية الروعة والجمال، وهو إلى يومنا هذا من التحف الفنية الفريدة بالمغرب. كما شيد واخلف جدار المحراب إلى يمين جامع الجنائز، وهو فضاء فسيح نسبيا يوضع فيه نعش الميت لأداء الصلاة عليه. وهو حسب التازي، أقدم جامع من نوعه في كل بلاد المغرب.

واستمرت الدو ل التي تعاقبت على حكم المغرب في التدخل في جامع القرويين بتزينه وتجهيزه وترميمه، وتفننت أيضا في نقش كتابات لتخليد أعمالها. فإن كان الموحدون شيدوا والمستودع بالركن الشمالي الشرقي للجامع وأقاموا الخصة الحسناء العجيبة المنظر، فإن المرينيين جهزوا الجامع والجامعة بمكتبتين أيام السلطان أبي عنان : الأولى للمصاحف أقاموها بجوار المحراب والثانية للكتب العلمية فوق المستودع الموحدي السالف الذكر.

وبالرغم من قصر حكم الوطاسيين وانحصار نفوذهم السياسي وندرة منجزاتهم المعمارية، فإنهم لم يغفلوا الاعتناء بالقرويين، ويظهر ذلك من خلال ترميم بعض أجزائه المتلاشية

وتشييد مصرية لتكون سكنى إمامه الخطيب. وتوجد المصرية خلف الركن الجنوبي الشرقي للجامع.

ولما جاء السعديون إلى الحكم زودوا الجامع بخزانة جديدة لازالت قبتها ماثلة للعيان خلف جدار المحراب إلى اليسار، وهي من أعمال أحمد المنصور، وقد حبس عليها أمهات الكتب والمخطوطات والتصانيف حتى تستجيب للحاجيات المتزايدة للطلاب الذين يحجون بكثرة إلى القرويين طلبا للعلم.

وعلاوة على القبة، أنشأ السعديون على مرحلتين قبتي الصحن،وبعث المنصور بخصة حسناء جلبها من فرنسا لتركب تحت القبة الشرقية، وقد قدر وزنها بمائة قنطار من الرخام، وهي من محاسن المدينة.

وتذكر القبتان من حيث التصميم وتوزيع عناصرهما وترتيب إشكالهما الزخرفية، بساحة الأسود بغرناطة والراجح أن السعديين استفادوا في بناء القبتين من تجربة الموجات الأخيرة من النازحين الأندلسيين نحو المغرب.

ومع الملوك العلويين شهد الجامع عدة إصلاحات وعمليات الصيانة والتنميق (إقامة العنزات، بناء قاعة كبرى لخزانة القرويين ...) وأسهمت تلك العمليات في استمرار المعلمة في أداء وظيفتها الدينية والتعليمية والتربوية.

فكرة مقتضبة عن الاشعاع العلمي للجامع :

ويجمع أغلب الباحثين على قدم جامعة القرويين، لكن هناك تضارب فيما يتعلق بتاريخ تأسيسها. والظاهر أن الدروس كانت تلقى برحاب المسجد منذ تأسيسه خلال القرن الثالث الهجري، لكن بلورة نظام تعليمي في إطار الجامعة لم يتأكد إلا خلال العهد المريني، وذلك بتنظيم الدروس والامتحانات وبناء المدارس لتوفير السكن للطلبة الافاقيين وبناء المكتبة العلمية وتعيين جهاز إداري تحت إشراف القاضي.

وقد عرفت جامعة القرويين باهتمامها بشتى العلوم المتداولة آنذاك من علوم شرعية وعلمية وفنون أدبية وسير الخ. واشتهرت باحتضانها لحوالي مائة وأربعين كرسي علمي كانت موزعة في جنبات البناية المتسعة الاكناف وفي المدارس والمساجد الأخرى التابعة لها، يقول الوزان : "وفي داخل الجامع على طول الجدران يشاهد المرء كراسي مختلفة الأشكال يدرس عليها العديد من العلماء والأساتذة ...".

شكلت جامعة القرويين كعبة العلماء من المغرب والأندلس وغيرهما، وقد أسهمت في تربية وتكوين الأجيال دون توقف بالرغم من التحولات السياسية التي شهدتها البلاد. وكانت رحاب الجامعة ميدانا للاحتكاك ومجالا للابداع والعطاء. وقد ترك علماؤها الفطاحل تآليف وتصانيف في مختلف العلوم، وهي تمثل جانبا أساسيا من تراثنا المخطوط.

وينبغي الإشارة إلى أن الطلبة الأجانب من غير المسلمين استفادوا من التجربة العلمية للقرويين ونهلوا منها، وشكل أولئك الطلبة أداة لنقل العلوم الإسلامية إلى أوربا.

ابن أبي زرع، *روضة القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ الجزنائي، جني زهر الآس، تح. عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، 192 ؛ ع. التازي، *جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس*، 3 م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972.

(M.B.A.) Benchekroun, *Le milieu marocain et ses aspects culturels, étude sociologique, institutionnelle, culturelle et artistique à l'époque mérinide et wattasside*, Rabat, 1970 ; H. Terrasse, *La mosquée al-Qaraouiyin à Fès*, Paris, 1968.

الحاج موسى عوني

**قرية با محمد** تنتمي مدينة قرية با محمد لتراب إقليم تاونات. وقد تم تصنيفها كبلدية منذ التقسيم الإداري لسنة 1992. وتعود نشأة المدينة إلى القرن الثامن عشر باستيطان بعض القبائل العسكرية من طرف السلطة والتي أصبح نفوذها يتقوى حول ما كان يسمى بـ "القرية القديمة".

وقد أخذت الميزة الحضرية للمركز تتجلى منذ فترة الحماية وذلك مع إدخال التجهيزات الإدارية.

1 ـ معطيات ديمغرافية :

تؤكد إحصاءات 1982 و1994 وكذا التحقيق حول الأسرة لسنة 2000 بأن ساكنة المدينة تشهد تطوراً ملحوظا وتنمو بوتيرة متصاعدة. بحيث انتقل معدل النمو السنوي من 4,8٪ بين سنتي 1982 و1994 إلى 15,2٪ بين سنتي 1994 و2000.

ويتضافر النمو الطبيعي للساكنة مع أهمية رصيد الهجرة نحو المدن المجاورة لتعليل هذا التطور.

وهذه بعض المؤشرات الدالة على تطور ساكنة مدينة قرية با محمد (1982 ـ 2000).

| | 1982 | 1994 | 2000 |
|---|---|---|---|
| عدد الساكنة | 7540 | 13271 | 15080 |
| عدد الأسر | 1340 | 2355 | 2540 |
| أقل من 14 سنة | ٪41 | ٪39 | ٪32 |
| بين 15 و59 سنة | ٪53 | ٪54 | ٪61 |
| نسبة الأمية | ٪45 | ٪41 | ٪28 |

2 ـ البنية الاقتصادية :

يقوم الاقتصاد المحلي على النشاط الفلاحي. ويساهم إنجاز المدار المسقي في تكريس هذا التوجه. وتعتبر المدينة مركزا رئيسيا لتسويق المنتجات الفلاحية وذلك عبر السوق الأسبوعي الكبير الذي يجذب أكثر من 10000 زائر. ويعتبر موقع السوق في مركز المدينة مصدر إشكالات عديدة ترتبط بالبيئة وبحركة النقل وبتوسع وهيكلة مركز المدينة. ولهذا فإن مشروع ترحيل السوق هو قيد الدراسة.

أما النشاط الصناعي فهو شبه غائب.

3 ـ الوعاء العقاري :

تهيمن الملكية الخاصة على البنية العقارية لمدينة قرية با محمد فهي تشغل 91٪ من المساحة العامة للمدينة. وتشكل

الأراضي المخزنية 6٪ فقط وقد تم فتح جزء منها للتمدين.

ويضغط على النظام العقاري للمدينة إشكال هيمنة أراضي الخواص غير القابلة للقسمة "الشيوع" وهي تغطي 55٪ من المساحة الإجمالية للمركز. وتعتبر هذه الأراضي مصدرا لبعض المشاكل المرتبطة بالتجزيء غير القانوني وتنامي السكن غير المنظم.

4 ـ وضعية التجهيز :

ـ التجهيزات الإدارية والمرافق العمومية : تتوفر مدينة قرية با محمد على عدة تجهيزات إدارية، تعليمية وصحية وعلى مرافق سوسيوثقافية وغيرها. لكن هذه التجهيزات لم تعد تستوعب الفائض السكاني إذ أصبحت طاقتها الاستيعابية محدودة الشيء الذي يلزم برمجة وإسقاط تجهيزات إضافية.

ـ التجهيزات التحتية : شبكة التطهير الموجودة هي من الصنف الأحادي وتؤمن 60٪ من حاجيات الساكنة. وتعاني شبكة التطهير من عدة إشكالات مرتبطة بغياب الصيانة، وبتدهور حالة الطرق المعبدة وبغياب معالجة صرف مياه الأمطار. وهناك حاليا دراسة قيد الإنجاز حول المخطط المديري للتطهير.

وتقدر نسبة الارتباط بشبكة الماء والكهرباء بـ 70٪ إلى 80٪ . وتتوطن أغلب البنايات غير المرتبطة بهذه الشبكات في الأحياء الهامشية التي تم إدماجها في المركز منذ 1992.

كما تتميز الشبكة الطرقية بهيمنة الممرات غير المعبدة التي تمثل حوالي 76٪ من مجموع الطرق. وبفضل سلسلة من المشاريع المنجزة من طرف البلدية تعرف هذه النسبة تقلصا تدريجيا ملموسا.

5 ـ التعمير والإسكان :

يؤمن الإنعاش الخاص إلى جانب القطاع العام إنتاج السكن بمدينة قرية با محمد. وينعكس تدخل الدولة عبر تفعيل مشاريع مؤسسات الإسكان التابعة لوصاية الدولة.

وباستثناء هذه العمليات تشهد المدينة وتنامي أنوية سكنية غير قانونية وعمليات التجزيء "المتستر". ويخضع البعض منها لدراسات إعادة الهيكلة من أجل إعادة تنظيم وتأطير ومراقبة وتدبير امتداد وتوسع الإطار المبني. ويطغى عموما على المشهد الحضري للمدينة النمو الأفقي للإطار المبني.

حصيلة عامة :

يتضح من خلال ما سبق أنه رغم المؤهلات الفلاحية والديمغرافية فإن مدينة قرية با محمد تعاني من إشكالات عديدة تستوجب التدخل من أجل خلق وتفعيل شروط تنمية محلية مستديمة. ويمكن تلخيص هذه الإكراهات في النقط التالية :

ـ هشاشة الاقتصاد المحلي، مما يشجع على الهجرة القروية ؛

ـ التبعية الاقتصادية لمدينة فاس في غياب تفعيل محلي لآليات الإنتاج ؛

ـ هيمنة أراضي "الشيوع"، الشيء الذي يعرقل تثمين التراث العقاري ؛

ـ تشتت واضح للنسيج الحضري ؛

ـ تنامي وحدات السكن "المتستر" مما يحتم تفعيل عمليات إعادة الهيكلة ؛

ـ بنية تحتية من مستوى متوسط الجودة تستوجب التعميم ورد الاعتبار ؛

ـ توزيع غير متكافئ للتجهيزات والمرافق الموجودة.

*تحريات ميدانية.*

أمينة البوعيشي

**الـ قريضة** "القَرِّيضَة" أو "القَسْتُوس" بالعربية أو "إرْجَل" أو "تُوزَّالْتْ" أو "شْتَابَّة" بالأمازيغية والعامية أو بالفرنسية أسماء لأنواع نباتية من جنس سِيسْتُوسْ Cistus الذي ينتمي لفصيلة القستوسيات Cistaceae. ويمثل الجنس عدد كبير من الأنواع الجَنْبِيَّة والجُنَيْبِيَة والجُنَيِّبِيَّة في المغرب كما هو الشأن بالنسبة لكامل المنطقة المتوسطية. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفصيلة تعتبر من الفصائل النباتية التي تتميز وتنفرد بها المنطقة المتوسطية. فالستوسيات وخاصة أنواع قستوس هي التي تنظم وتسود تشكيلات الماطورال في أغلب الحالات على الأراضي الحمضية، تاركة الأراضي الكلسية لأجناس نباتية أخرى من الشفويات Lamiaceae أو الفوليات Fabaceae . وتعتبر تشكيلات الماطورال من القستوس من مؤشرات تردد الحرائق لأن هذه النباتات تتطلب في غالب الأحيان النيران لتمكنها من التجديد والتوسع لتسود المنطقة المحترقة. ولهذا وُصِفَت هذه النباتات بالتوسعية والانتهازية والمستعمرة والرائدة والاستيلائية، لأنها باعتمادها على استراتيجية التكاثر تتمكن من غزو الأراضي والاستيلاء عليها بسرعة فائقة بعد اندثار غطائها النباتي بسبب عوامل التدهور الشامل وأهمها الحرائق.

يوجد طبيعيا بالمغرب اثنتا عشرة نوع من جنس القستوس. وهي جَنْبَات أو جُنَيْبَات أو جُنَيِّبَات. أوراقها

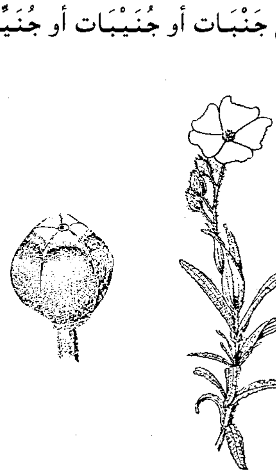

متقابلة، وبدون لذين، مزغبة على وجهها السفلي. لأزهارها ثلاث أو خمس سبلات، وخمس بتلات غير متلاحمة بيضاء أو وددية، وعدد كبير جدا من الأسدية. ثمارها علبية.

تعيش هذه الأنواع حسب متطلبات كل نوع منها في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة والرطبة جدا، وفي الطوابق النباتية المتعلقة بالمتوسطي الدافيء والمتوسطي وفوق المتوسطي واستثنائيا تحت المتوسطي والجبلي المتوسطي.

من حيث الاستعمال تستخدم ثمار أو بذور بعض أنواع القستوس في التغذية أو في التطبيب التقليدي. كما يستخلص من أوراق بعضها بواسطة عملية التقطير زيوت تستعمل في إنتاج مواد سامة لمحاربة الحشرات وغيرها.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p. : J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p.

عبد المالك بنعبيد

**قُزْمَان**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Guzman. وهو نفس الإسم الذي تحمله اليوم بعض الأسر الاسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1077 / 1667 ومن أشهر أفرادها : عائشة بنت علي قزمان فقيهة كانت بقيد الحياة سنة 1100 (1689).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

**القسَّادْري**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس كان جل أفرادها يتعاطون حرفة الصفارين، وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

**قسُّوطة** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**القُسْطَال**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Costal وCostales وCastano ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القسطل** أو القسطال أو الكستناء أو البلوط الرومي بالعربية أو Chataigne بالفرنسية أسماء لثمرة كَاسْتَانُيَا سَاتِيفَا Castanea sativa الذي ينتمي لفصيلة البلوطيات Fagaceae.

يتراوح علو شجرة القسطل ما بين 20 و35 م. أوراقها بيضية أو بيضية رمحية الشكل، ذات حواف مسننة. ثمارها مكسوة بقمع مشوك.

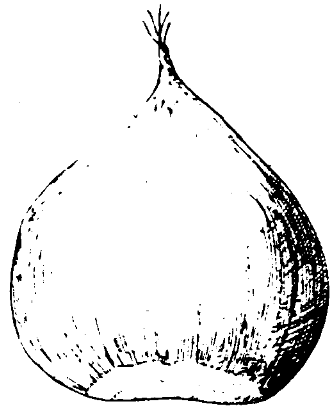

توجد شجرة القسطل طبيعيا في المناطق المعتدلة من آسيا وأوروبا وأميريكا وبصفة جد نادرة بشمال إفريقيا في الواجهة البحرية من الريف الغربي بالمغرب ومن جبال القبائل الشرقية بالجزائر. لكن عملية غرسه كشجرة مثمرة جعلته ينتشر في مناطق أخرى لم يكن موجوداً بها بصفة طبيعية.

علاوة على كون ثماره تستخدم كغذاء للبشر إمانيئة أو مشوية أو مطبوخة، يعطي القسطل خشبا ثمينا يتميز بلونه ورخاوته وحفته وتعريقه المفتوح وقوة احتماله وسهولة تشغيله. مما جعله يستعمل في البلدان التي يكثر بها في صناعة الخراطة والأثاث والعلب والآلات الموسيقية وغيرها.

لكن عدد أشجار القسطل الطبيعية بالمغرب لا يتجاوز العشرين وهي موجودة في عالية واد لاو شرق تطوان.

صورة

*أبحاث واستطلاعات ميدانية شخصية.*

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**القَسْطَلّي**، ويكتب أيضا القَسْطَلُوني أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Castani ؛ ولازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Castellon نسبة إلى مدينة قسطلونة بناحية فلينسيا وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1191 / 1777.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القسطلي، أحمد** الأمين بن أبي القاسم المراكشي، ذكر الحلفاوي انه قرشي الأصل، أموي يرجع نسبه إلى الخليفة عثمان بن عفان وترفع وثيقة خاصة نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ومع ذلك ظل ابنه أبو عمرو يوصي مقدمي الزاوية بعدم التباهي بالنسب الشريف. وفي *ممتع الاسماع* أنه من ذرية الشاعر ابن دراج القسطلي.

لم تذكر المصادر تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته. وكل ما نعرفه : أنه كان من أعيان مدينة مراكش في منتصف القرن التاسع الهجري (15 م)، وصاحب أملاك بها بمنطقة زعير.

وكان حرارا كما كان من مريدي الشيخ التباع، ولما أراد الشيخ المذكور أن يسكن بحي القبابين وهب له الأرض، وامتنع من أخذ ثمنها، فدعا له أن يرزقه الله ولدا صالحا، فحملت أم أبي عمرو في تلك الليلة.

وقد حمل المولود أبو عمرو إلى الشيخ فيما بعد لمباركته فسأل عن اسمه وقيل له "أبو عمرو" فقال "نعمره ونثمره" ثلاث مرات، ودعا له.

وكان لأحمد الأمين ابن آخر اسمه الوالي. ففي (الوثائق البوعمرية) ان أبا عمرو القسطلي وهب لأبناء أخيه الوالي أرض (الكفيان) ببلاد زعير وهي أكبر من أراضي مراكش، في حين خص أبناءه بأملاك مراكش وأحوازها، تجنبا لاي خلاف بينهم بعد وفاته.

توفي بمراكش في العشرة الثانية من القرن العاشر الهجري (16 م).

ح. جلاب، *أضواء على الزاوية البوعمرية بمراكش*، مراكش، 1996 ؛ الحلفاوي محمد قاسم بن أحمد، *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة*، مخطوطة ؛ محمد المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع والالماع*، فاس، 1994.

**القسطلي، محمد الكامل** بن أبي عمرو المراكش أحيط مولده وطفولته بهالة من القداسة والإجلال (كما كان الأمر بالنسبة لوالده أبي عمرو). فقد بشر أبو عمرو زوجته بميلاده، وقال عنه : "في مقام الحرار أربيه، ويبلغ رشده في مقام الجزولي، وعلى خده علامة. وفي سابع أعوامه بشارة، وله فضائل كثيرة". وكان ميلاده سنة 960 / 1556 بحومة حمام الذهب. وهو آخر أبناء الشيخ الذي توفي بعد أربع عشرة سنة من هذا التاريخ. فهل كانت هده الفترة القصيرة كافية لظهور ولايته ؟ أم أنها عناية الشيخ ـ الخاصة ـ بآخر أبنائه خصوصا وأن الطاعون قد فتك بأغلب إخوته. هذه الرعاية المبالغ فيها جعلت الشيخ يغضب لبكاء ابنه المذلل. فقد منع من ذبح كبش بعد ختمه لسورة من القرآن، فلجأ إلى والده باكيا، وكان جواب أبي عمرو (ماتركت لك على أي شيء تبكي ـ كذا ـ كلما أطلعني الله عليه فهو لك، ولا غاب عني إلا ما غاب في ذات الحق ... وجعل يكررها.

وأبدى الكامل رغبته في العلم منذ صغره إذ كان كثير التردد على خزانة جامع ابن يوسف الواقع في الحي الذي يسكنه. وفيها اجتمع* بالولي أحمد بن عبد الرحمن الخطيب. ومن الكتب التي علقت بخاطره وأدمن على مطالعتها : *إحياء علوم الدين*، *وقوت القلوب*.

ولم يكن يهتم بمال أو دنيا، مع العلم ان أسرته كانت غنية ولها أملاك وضيع. لهذا قال عنه الحلفاوي (ولم يفرح من الدنيا بسوى درهم أنفقه على الإخوان والمساكين، أو سد به خلة يجب سدها، ولاسره شيء مثل ما يسره بذل المال. فكان ينفق أضعاف خراج أملاكه. ولا يلج المحافل والأعراس، ولا يزور الأشياخ.

ومع صغر سنه كلفه والده بخلافته على الزاوية بعد وفاته، وصرح للمريدين بذلك بقوله (محمد الكامل المحفوظ من الصغائر، المعصوم من جميع الكبائر، المرشح لتنوير البصائر). وجعل لذلك علامات تحققت كلها، منها :

- لقاؤه بعبد الله بن حسين الذي ألبسه عمامة الصالحين.
- دأبه على تقديم نقود "العوائد" لوالده، وطلب الدعاء منه.

واستمر الكامل في الاهتمام بالمريدين والفقراء والوافدين على الزاوية بعدما آل إليه أمرها. فحققت تطوراً في مجالات التعليم والتربية والإطعام :

- ففي التعليم : سجل الحلفاوي ـ تليمذ الكامل ـ ما كان يدرس بها من علوم ومعارف : مختصر الشيخ خليل، حكم بن عطاء الله، شرح ابن عباد عليها، وكان الكامل يثني على المؤلفين الآخرين ويعلق على أرائهما، ويثني على زروق في "الحقائق القلبية"، ومنها تنوير ابن عطاء الله، ورائية الشريشي، وشرح محمد الدقاق عليها. ويتعرض لبعض كلام والده أبي عمرو ويشرحه. ويكون هذا كله في الصباح.

وبعد صلاة الظهر يقرأ بين يديه القرآن الكريم.

وبعد ورد العصر يتلو أحمد بن محمد الخطيب الوراق نبذة من الشفا. ونبذة من كلام محمد بن عباد على الحكم، ومن التنوير، ويقوم الكامل بالتعليق على ذلك كله، فيأتي (بما يذهل العقول، بكلام صادر عن همة عالية بعبارة نورانية، وحكم روحانية، فيعطي كل ذي حق حقه من النفحات الرحمانية).

قال الحلفاوي فما كملت سنة لنا على هذا الحال حتى صارت الدائرة كلها فقراء وفقهاء.

- الأوراد والأذكار : كانت موزعة على مختلف أوقات النهار
- فورد الصباح : يشتمل على قراءة حزب الفلاح، وحزب البحر، ومجموعة من التصليات وسورة يس، ووظيفة النجا لزروق.
- ورد الظهر : حزب الفلاح، الهيللة، والشهادة، ومجموعة من التصليات
- ورد المغرب : حزب الفلاح، فاتحة الكتاب، سورة الإخلاص، والمعوذتين، وآية الكرسي ومجموعة من التصليات والدعوات.

وفي بعض الليالي تردد أذكار الششتري. وليلة الاثنين والجمعة تتلى البردة (توجد هذه الاوراد مفصلة عند الحلفاوي في *شمس المعرف*.

نلاحظ أثر الجزولي والفلاح على الطريقة القسطلية في اعتماد آيات قرآنية وأحزاب الشاذلي، وفي الإكثار من التصليات والدعوات التي تقوم عليها الطريقة الجزولية (دلائل الخيرات خاصة). كما يبدو أثر السند الثاني للطريقة في اعتماد وظيفة زروق (النجا لكل من إلى الله التجأ).

- الاطعام :

بالرغم من وصية أبي عمرو بسد باب الزاوية لصعوبة تعرض أبنائه لما كان يقدم عليه من إطعام، فان الكامل قد سار على نهج والده بنفس الحماس والتنوع، معتمدا في ذلك على أملاكه وما كان يصل الزاوية من هدايا وعطاءات.

وعلى غرار والده كذلك، كان شديد الانتقاد للسعديين، وما كانوا عليه من فساد وضلال. فكان المنصور يسايره أحيانا، ويعنفه أحيانا، متعجبا لحيازته المحاسن وهو شاب.

وكان القصر السلطاني يقدره ويحترمه، فمع وجود صوفية غيره لجأت إليه الحرة مسعودة عندما خرج ابنها المنصور إلى فاس لاخماد ثورة بعض أقاربه. وزاد من هولها وقوع الزلزال بالمدينة سنة 995 / 1586 فطمأنها وخفف من روعها وأعادها إلى قصرها.

وكانت وفاة الكامل يوم السابع عشر سوال سنة 997 / 1588 بمراكش، ولم يبلغ بعد الأربعين من عمره، بعدما أغنى الطريقة بمقالاته وأوراده وأذكاره وأشعاره الصوفية التي احتفظ لنا بها تلميذه الحلفاوي في كتابه (*شمس المعرفة*).

ح. جلاب، *أضواء على الزاوية البوعمرية بمراكش*، مراكش، 1996 ؛ عباس بن إبراهيم المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، تح. عبد الوهاب بنمنصور، الطبعة الملكية، 1974 ـ 1983 ؛ الحلفاوي محمد قاسم بن أحمد، *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة*، مخطوط.

حسن جلاب

**القسنطيني**، أسرة تطوانية أصلها من مدينة قسنطينة بالجزائر، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1158 (1745) ومن أشهر أفرادها : أبو القاسم بن سلطان القسنطيني عالم كان يعنى بعلم المنطق وتولى خطبة الجمعة بجامع القصبة حيث كان يلقي بها دروس الوعظ والإرشاد، ولعله كان بقيد الحياة سنة 995 (1587) قاسم القسنطيني فقيه زاول خطة العدالة من سنة 1155 إلى سنة 1158 (1742 ـ 1745).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القسنطيني، الرايس أحمد** من الرياس الجزائريين الذين وفدوا على المغرب للانخراط في صفوف أسطول سيدي محمد بن عبد الله. كان في سنة 1773 على رأس غليوطة جهادية. وقد استقر بعد ذلك بالرباط عاملا تحت إشراف عبد الله العسري. وكان في سنة 1784 ضمن الرياس العاملين.

العسري، ص. 34 ؛ وابن زيدان، الإتحاف، ج 3، ص. 261.

حسن أميلي

**القسنطيني، محمد العربي** بن علي قاضي الرباط وخطيب مسجدها الأعظم العلامة المدرس المفتي الشريف الحسني. قال في حقه العلامة الشهير المحدث جعفر الكتاني ما يلي : ومنهم العلامة المحصل الدراكة المجرّح المُعَدِّل المشارك النبيل أتمَّ مشاركة وتحصيل، المتولي لخطة القضاء في كثير من حواضر المغرب فاس ومكناسة ومادونهما أبو عبد الله سيدي العربي بن علي القسنطيني الشريف كان رحمه الله ممن انقادت له العلوم وتوقفت عليه الآراء والفهوم. سيّد علماء زمانه وصدر أهل وقته وأوانه، أصيب في آخر عمره وهو بمكناسة بفالج كان لا يستطيع معه حركة أعضائه في تناول جميع أسبابه، فصبر وعَدَّ ذلك من جملة النّعم وشكَرَ إلى أن توفي رحمه الله.

كانت ولايته بالرباط أول القرن الثالث حسبما ببعض الرسوم وكانت وفاته مما أصيب به من داء الفالج في جمادى الأولى عام ثمانية ومائتين وألف.

م. بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

محمد الشياظمي

**القشّابة** والقشاب لفظة أمازيغية أصلها أقشاب. وهي رداء بدائي خاص بالرجال يتخذ من صوف خشن ذي لون طبيعي أسود أو أبيض أو ممتزج سواده ببياضه مما يعرف في اصطلاح النساجين والدرازين وعامة الناس باللون "الأشخم" أو "صباغة الرحمان".

والقشابة تُنْسَج خرقة واحدة على المنوال التقليدي ثم تُفَصَّل قطعتين على طول وقياس الشخص وتخاط من جانبها الأيمن والأيسر بغرز من نفس سدى المنسوج الأصلي الذي قُدَّت منه. وهي حين تلبس تتخذ شكل معطف صوفي يغطي مقدمة الجسم ومؤخرته من مطلع العنق إلى أسفل الحوض ومن مهبط القفا إلى حدود الركبتين.

والقشابة قطعة لباسية عتيقة جداً في المغرب وتضرب بجذورها في عمق تاريخ سحيق. وهي تعتبر رداء وسيطاً بين اللباس الملتحف والمخيط. وقد أصبح وجودها اليوم كلباس منعدماً أو يكاد في سائر المدن والبوادي وحل محلها ما يماثلها من ملابس الكتان التي انتشرت انتشاراً واسعاً في مختلف أرجاء البلاد بسبب انتشار اللباس التقليدي الحضري المغربي والملابس "الرومية" العصرية.

وقد كانت القشابة ورديفها السروال البلدي في سائر بوادي المغرب هي الرداء المفضل لدى الفلاحين أثناء ممارسة مختلف الأشغال الزراعية. كما كان يرتديها الصناع والحرفيون والقائمون بأعمال الشحن والتفريغ والنقل والحمل

وجلب الماء واستحضار الحطب والمؤونة وغيرها. وهذا مارآه دوسيگونزاك أثناء تجولاته في ربوع المغرب في نهاية القرن (19) ووصف العديد من السكان الفقراء وهم لا يلبسون غير قشابة خشنة وسروال قديم وبلغة بسيطة وقال بأن أشدهم عوزاً كان يكتفي "بمجرد قشابة قصيرة من صوف خشن ويغطي رأسه بعمامة بالية ويلبس سروالاً متلاشياً ويحتذي بلغة مقطعة الأوصال، وقد يسير حاسر الرأس حافي القدمين ويقتصر على ارتداء القشابة وحدها بدون سروال" (De Segonzac, Voyages au Maroc, p. 46).

وكان العديد من الطرقيين من أتباع حمادشة وهداوة ودرقاوة وعيساوة ممن يستهينون بمتاع الدنيا ويزهدون في نعيمها من مأكل ومشرب وملبس لا يرتدون غير القشابة فكانوا لا يشاركون غيرهم حلقات "الذكر والجذبة والحضرة" إلا بها، ومنهم من كان لا يرتدي غيرها في الأسواق والمساجد والزوايا والطرقات. ومازال أتباع الطريقة العيساوية في مكناس وغيرها إلى اليوم يحافظون على ارتدائها ويسمونها "العيساوية".

Emile Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris, 1920 ; René Brunel, *Essai sur la confrérie religieuse des Aissaoua au Maroc*, Paris, 1926 ; Marc De Lamaziere, *Promenade à Fès*, Casablanca, 1934 ; Commandant Larribe, *Le Maroc pittoresque*, Paris, 1917 ; P. F. Rabbe, *Par les rives Bouregreg*, Paris, 1922 ; Vincent Monteil, *Le Maroc*, Paris, 1962 ; De Segonzac, *Voyages au Maroc 1899-1901*, Paris, 1903.

محمد بوسلام

**القَشْتَلِي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Casteller نسبة إلى مدينة القشتلي الواقعة قرب مدينة جيان Jaén، فلا علاقة لهذه الأسرة بمقاطعة قشتلة Castilla الواقعة شمال إسبانيا ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 (1677) ومن أشهر أفرادها : أحمد بن محمد القشتلي الذي كان من بين أعيان تطوان الذين شهدوا بظلم والحاج محمد بن علي القشتلي اللذان كانا من أعيان تطوان الذين شهدوا بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم في السنة المذكورة في شوال 1078 / أبريل 1668.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**قَشْطِيلْيُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا - Castillo Kastali ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Castillo وCastelló نسبة لمدينتين إسبانيتين تحملان الاسمين المذكورين.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**القَشْقَاش**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Cascar ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Cascajo وCascante ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1194 / 1780 ومن أشهر أفرادها : محمد القشقاش الذي كان من بين أعيان تطوان الذين شهدوا ضد الباشا السابق عبد الكريم ابن زاكور بأنه تصرف في أموال بيت المال لصالحه في شهر صفر 1180.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**القَشْنِير**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطّوان سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**قشُوشُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وهناك من يدعى أنها بقية أولاد النقسيس الذين اختفوا وغيروا اسم عائلتهم عندما لجؤوا إلى ناحية غمارة على أثر مقتل جل أفرادها بتطوان ومصادرة أملاكهم بأمر من السلطان مولاي إسماعيل في سنة 1088 (1677) وعلى كل حال فلازالت بمدينة الجبهة الغمارية أسرة تحمل اسم قشوشو.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**قصب السكر بالمغرب**، عرف المغرب زراعة قصب السكر منذ وقت مبكر. ومن الصعب التأكد من ظهوره في المغرب، غير أن الإشارات الأولى لقصب السكر في النصوص ترجع إلى العصر الوسيط، حسب ما يبدو. وقد أشار البكري (ق 11 ) إلى وجود قصب السكر في مدينة إيكلي بسوس. كما يشير الإدريسي (ق 12 ) إلى انتشار قصب السكر حيث لفت انتباهه حلاوته إذ "...ليس على قرار الأرض مثله طولا وعرضا وحلاوة وكثرة ماء". ويقول المختار السوسي بأن "زراعة السكر قديمة بسوس كانت قبل القرن 4 هـ (10 م) ومازالت إلى القرن 11 هـ إلى عصر بودميعة، ولم ينقطع السكر هنا إلا في عهد مولاي إسماعيل فإننا لم نر له ذكرا منذ تولت الدولة العلوية في سوس عام 1081. وعرفت زراعة السكر أوج ازدهارها في عهد السعديين، إذ ترك لنا صاحب مناهل الصفا وصفا دقيقا لمصانع السكر. وقد ورد اسم أحد اليهود الذي يشرف على مزارع السكر في سوس في بعض المصادر ويتعلق الأمر بجون واكمان Jahon Wakeman. كما تشير المصادر إلى وجود حوالي 17 إلى 18 مصنعا للسكر بضواحي تارودانت تدل على انتشار واسع لزراعة قصب السكر. غير أنها مافتئت أن تدهورت بعد موت المنصور الذهبي.

إن الغموض الذي يلف تحديد تاريخ بداية زراعة قصب السكر في المغرب، هو الذي يحيط نفسه بمسألة الاختفاء المفاجئ لهذه المادة خلال القرن السابع عشر. فقد أشار بيرتيي Berthier إلى عدة فرضيات تتعلق باختفاء مادة قصب السكر في المغرب، تتعلق بالحروب الأهلية التي تلت موت المنصور الذهبي والمجاعات والأوبئة التي صاحبت ذلك. ومنها، أيضا، اكتشاف قصب السكر في جزر الآنتيل بأمريكا الوسطى، إلى جانب تحويل العبيد الذين يشكلون اليد العاملة في مزارع قصب السكر إلى جيش عبيد البخاري خلال القرن السابع عشر (P. Berthier, *Hespéris*, 1969). وتؤكد رسالة مأخوذة من المصادر الدفينة لتاريخ المغرب أن زراعة قصب السكر قد اختفت نهائيا بعد الحروب الأهلية التي تلت موت المنصور الذهبي.

لقد كانت مادة قصب السكر من المواد الأولية التي ميزت تاريخ المغرب، خاصة، خلال القرن السادس عشر، وشكلت أحد أعمدة الاقتصاد المغربي للدولة السعدية.

أبو عبيد الله البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، نشر دوسلان، ط 2، الجزائر 1911 ؛ م. السوسي، *خلال جزولة*، الجزء الرابع، مطبعة النجاح الجديدة، 1963.

Haj Sadok Al Idrissi, Le *Maghreb au XIIe siècle*, éd. Publisud, Paris, 1983 ; *S.I.H.M.*, Angleterre, t. III ; D. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien*, t. 2, é. Klinsksiech, 1982.

محمد حنداين

**القصباوي، حمود** بن إدريس السوسي المكناسي من أبرز شيوخ الملحون المعاصرين بمكناس. ولد بقصبة هدراش في العقد الثالث من القرن الحالي، وبها نشأ وترعرع، واشتغل بقالا، ثم احترف البناء.

أخذ فن الملحون عن شيوخ القصبة منذ شبابه. وعلى رأس هؤلاء الشيخ النظام الشهير بلقب "بابادي". وكان أكثر هؤلاء من الشدادة والكنابرية والعراجة، يتناشدون في مسامراتهم القصائد والسرابات، وقليل فيهم من يتقن العزف على العود أو الكمنجة.

وقد تفتقت موهبة حمود القصباوي الفنية، فاشتهر في مسقط رأسه، ومافتئ أن تجاوزت شهرته أسوار القصبة إلى رحاب المدينة، فاشتهر عازفا على الفرخ ومنشدا حَسَنَ الأداء، وناظما في أغراض الملحون. ومنذئذ غدا مقصد هواة الملحون يأخذون عنه ويتناشدون قصائده. ومازال يواصل نشاطه الفني إلى أن انقطعت أخباره فجأة في أواخر العقد السادس بعد أن غادر مسقط رأسه إلى غير رجعة.

وقد أفاد منه ثلة من رجال الملحون بالمدينة من بينهم محمد المربوح المولود بمكناس عام 1928، والحاج الحسين التولالي، وأحمد أكومي، ومولاي عبد العزيز العبدلاوي، ومحمد العناية.

وله قصائد أخرى غزلية من بينها : حليمة - الباتول - زهرا - نعيمة راحه - زايدا، وأخرى وطنية من بينها قصيدة نظمها بمناسبة عودة السلطان محمد الخامس من المنفى، وأخرى نظمها حول حادث الطائرة التي كانت تقل الزعماء الجزائريين الخمسة.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**القصبات الإسماعيلية**، أقام السلطان مولاي إسماعيل عَددا من القصبات بالنقط الاستراتيجية والحيوية من البلاد، تمتد عبر الساحل من مهدية إلى بوزنيقة، وفي الداخل على طول كل الطرق التي كانت تصل العاصمة بمختلف مناطق البلاد مثل قصبات الدير التي كانت تحرس السهل والطريق بين مراكش ومكناس وسلسلة القصبات من مديونة إلى مكناس. وكانت كل قصبة مسورة ومجهزة بأبراج مربعة الشكل أو مستطيلة في أحد جوانبها. وتتضمن مسكن القائد والمسجد ومستودع المؤن، ولم يكن للقصبة في الغالب أكثر من سور واحد عدا قصبتي حميدوش وتادلا اللتين كانت لهما حظيرة مزدوجة.

وترابط في كل قصبة حامية من جيش العبيد - غالبا - يتراوح أفرادها بين 400 و3000 رجل مصحوبين بخيلهم ونسائهم وأولادهم. وتمدها القبائل بالمير والمؤن، وكان القائد في كل قصبة هو المسئول عن سلامة منطقة حراسته حيث يجب أن تسود الطمأنينة والهدوء "فمن وقع شيء في ترابه يعاقب عليه قائد القلعة".

أما عن عدد تلك القصبات فيحددها الزياني : "وعدد القلع التي بنى إسماعيل بالمغرب ستا وسبعين قلعة لازالت قائمة بآفاق المغرب، ظاهرة العين والأثر يعرفها الخاص والعام". ولا يتسع المجال هنا لتعدادها ونكتفي بالإشارة إلى بعض القصبات المهمة التي مازالت قائمة إلى الآن مثل قصبة أدخسان في الشعاب الشمالية للأطلس المتوسط وأكوراي التي مازالت تحتفظ أكثر من غيرها بشكلها الأصلي، وقصبة تادلا، وقصبة حميدوش (على مسافة 30 كلم من أسفي) وقصبة بولعوان (على بعد 60 كلم من آزمور) وقصبة مديونة.

هذه القصبات كانت تذكر القبائل دائما بوجود المخزن وبوجوب أداء الزكوات والأعشار خاصة وأنها كانت ملزمة بدفعها مباشرة لجيش العبيد المرابط في القصبات التي بأرضها، كما كان عليها - كما سبق الذكر - السهر على توفير الخيل والحاجيات لهم مما جعل البلاد تعيش في بحبوحة من الأمن الاستثنائي جعلت أبا القاسم الزياني يقول إن المرأة والذمي كانا يخرجان من وجدة إلى وادي نون ولا يجد من يسألهما من أين ؟ وإلى أين ؟

أ. الزياني، *البستان*، تح. رشيد الزاوية، الرباط، 1992، ص. 185 ؛ ع. ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، الرباط، 1990، ص. 333-339 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1962، ص. 62 ؛ ث. برادة، *الجيش المغربي وتطوره*، الدار البيضاء، 1997، ص. 85-86.

رقية بلمقدم

**القصبة**، يراد بالقصبة في المغرب بناية محصنة بأسوار متينة، وهي التي تقابلها كلمة القلعة الشائعة في الشرق العربي. وتستعمل القصبة باللسان الدارج المغربي في صيغ مختلفة : القصيبة للتصغير والقصابي للجمع. وهناك تجمعات حضرية تحمل اسم القصبة، ولعل أهمها قصبة تادلة. ومازالت الكلمة مستعملة في شبه الجزيرة الإيبرية للدلالة على بقايا حضرية وسيطية : Alcazaba بالإسبانية وAlcazova بالبرتغالية.

وتستعمل كلمة قصبة للدلالة على أشكال معمارية قاسمها المشترك التحصين، إلا أنها تختلف في بعض التفاصيل. ففي الأصل تعني كلمة القصبة - بحكم وظيفتها - أهم بناء في المدينة، وتتميز بتحصينها ومناعتها إذ توفر مكانا صالحا للمقاومة مدة زمنية طويلة. فهي تشكل ملجأ آمنا لممثل المخزن في حالة هجوم طارئ أو ثورة محلية. وكثيراً ما يكون موقع القصبة استراتيجيا يمكن من الدفاع عنها. فالإدريسي يحدثنا عن قصبات أندلسية تشرف على المدن. وكثيراً ما يقترن موقع القصبة بآخر دفاعي قديم كما هو الشأن بالنسبة لقصبة الوداية مثلا التي ترتفع فوق برج قديم كان يعرف باسم برج السيراط. فعادة ما يتم اختيار الأماكن المشرفة كربوة الجبل العالية (قصبة المهدية) لبناء القصبات، مما يجعل أسوارها تزاوج الأشكال الطبوغرافية للمنطقة وكانت القصبة المرابطية بفاس المعروفة بقصبة بوجلود منفصلة تماما عن باقي المدينة وتشرف عليها إشرافا مباشرا.

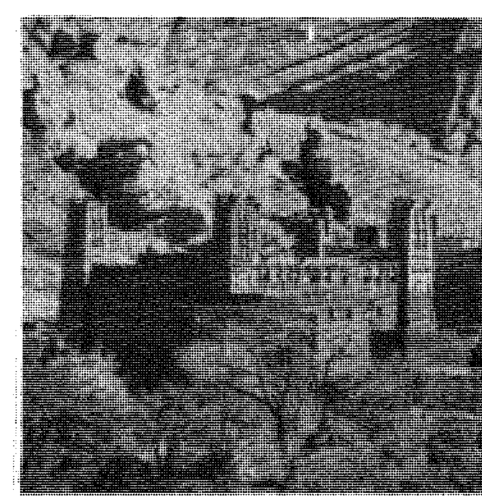

أما القصبات التي تحتل المناطق المنبسطة، فهي تكون منتظمة الحدود وتتخذ أشكالا هندسية معروفة (المربع أو القريب منه أو المستطيل). ونجد هذا الشكل من القصبات في مدن معروفة تكوّن بعض أحيائها الحالية. فمدينة فاس مكونة من عدد من القصبات كقصبة الشراردة وقصبة النوار وقصبة فيلالة...

ونجد داخل القصبات، خاصة منها الوسيطية التي كانت تشكل مقرات للسلطة، أهم المرافق التي تيسر حياة ممثلي المخزن. فهي شبيهة بمدن صغيرة محصنة بمساجدها ومخازنها ودورها ... وتبرز وسط جميع هذه المرافق دار السلطان أو دار القائد بمقاييسها الكبيرة وبناياتها المحكمة وبمشورها المتسع. ويشكل فاس الجديد أهم نموذج القصبات المغربية المرينية.

وأثبتت الدراسات الأثرية أن أهم القصبات المغربية المعروفة كانت تتوفر على باب رئيسي واحد متميز وبارز (قصبة الوداية وقصبة مراكش وقصبة المهدية وقصبة النصراني...) وعلى أبواب ثانوية مخفية (باب الغدير) تصلح في حالات الطوارئ كمنافذ للهروب، كما تستغل للتزويد بالمؤن والأسلحة بعيداً عن الأنظار.

ونجد بالمغرب نوعا آخر من القصبات أقل أهمية من الناحية المعمارية تبنى لتأمين الطرق. وقد ظهرت سلسلة منها خلال العهد العلوي، إذ قام المولى إسماعيل بعد أن بنى قصبته بمكناس على توفير قصبات أخرى تمتد من نواحي وجدة حتى وادي نون، وبلغ عددها حسب المؤرخ الزياني ستة وسبعين قصبة. وهذه القصبات ربما كانت ترتفع فوق حصون أو قلاع قديمة (فقصبة أدخسان مثلا بنيت فوق موقع قلعة مرابطية). وكان معظمها مشيدا في مناطق استراتيجية فهي مراصد لمراقبة القبائل المجاورة وضمان ولائها، كما تيسر الإشراف على الطرق والممرات التجارية.

وخلال القرن التاسع عشر وبداية العشرين كثيرا، ما اقترن مصطلح قصبة بالدور الكبرى التي كانت في حوزة القواد الكبار. وهذه البنايات الشاسعة والمحاطة بجدران محصنة، مازالت بقايا بعضها يميز المظهر الأثري في بعض المناطق المغربية كقصبة القائد الكوندافي وقصبة الكلاوي وقصبة باسو أميمون ...


عبد الرحيم غالب، *موسوعة العمارة الإسلامية* (عربي - فرنسي - إنجليزي)، الطبعة 1، بيروت، 1988 ؛ الزياني أبو القاسم، *الترجمان المعرب* ؛ الإدريسي الشريف، *نزهة المشتاق*، بيروت، د.ت.

J. Caille, *La ville de Rabat jusqu'au protectorat français*, Paris, 1949, 3 vol. ; G. Deverdun, Kasaba, *E.I. nouvelle édition*, t. IV, Maisonneuve & Larose, 1978 ; R. Le Tourneau, *Fès avant le protectorat*, Casablanca, 1949 ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954 ; P. Ricard, *Pour bien comprendre l'art musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne*, Paris, 1924 ; H. Terrasse, *Kasbas berbères de l'Atlas et des oasis*, Paris, 1938.


مينة المغاري

**القصبة الإسماعيلية بمكناس**، اختار السلطان مولاي إسماعيل (1672 - 1727) مدينة مكناس حاضرة للدولة العلوية الفتية، نظرا لطيب التربة وعذوبة الماء وصحة الهواء وسلامة المختزن من التعفن، ولموقعها المتوسط المؤدي إلى الأطلس المشرف على المنافذ الشمالية لفازاز وتادلا الشارعتين إلى مراكش وأقصى الجنوب. ولم يفته لما جبل عليه من الدهاء السياسي وما نشأ فيه من سيرة الملوك، أن

عظمة الدولة تتصور في عظمة ما تقيم من البناء الفاخر. لذلك أنشأ قصبة فاخرة ـ داخل مكناس ـ جعلها مستقراً وحصنا له ولمخزنه الجديد، وأشرف بنفسه على تنسيق قصورها وتنسيق حدائقها مستعينا بالأسرى المسيحيين، حيث تؤكد المصادر أنه كـا شديد العناية بشؤون البناء، شغوفا به، لم ينقطع عن التشييد منذ توليه العرش إلى حين وفاته، من ذلك شهادة جون وندوس John Windus "الامبراطور مولع بالبناء بشكل مدهش ... وقد لاحظ المقربون منه منذ بداية حكمه أنه دائم التشييد والهدم ... وقد رأيت قطعة أرض يظهر لي أنها ضعف أراضي فنادق لنكولن أربع مرات، مخصصة لبناية جديدة..."

اختار مولاي إسماعيل موقع قصبته فوق أرض القصبة المرينية، وما أضاف إليها من الأملاك التي اشتراها من أصحابها، وابتدأ بناؤها حسب الأسير مويط Mouette سنة 1672. ويبدو أنها كانت متسعة المساحة إذ بلغ طول السور المحيط بها بعد إتمامه 25 كلم وترتبط بضواحيها الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية بمجموعة من الأبواب السامقة المقبوة تعلوها أبراج معززة بالمدافع والمهاريس.

صُممت القصبة الاسماعيلية حسب تخطيط هندسي محكم، يشمل عدداً من العناصر أو المرافق تتوزع داخلها بشكل دقيق، فهناك البنايات المخصصة للسكن وتلك الخاصة بالمؤسسات الدينية والثقافية وأيضا تلك المخصصة لمخازن السلطان وإصطبلات الخيول ودور الصناعة إضافة إلى الباحات والمراعي والبساتين والجنان والتجهيزات المائية.

المباني السكنية : بالرغم من شساعة مساحة المدينة السلطانية (أودار المخزن) فلم يكن مهيأ منها للسكن سوى جزء صغير يقع معظمه شمالها، وهو مخصص لاستعمال السلطان وكبار رجال المخزن وكذا لسكنى الجند والخدم. ويحتوي على المجمع الفخم المعروف بـ "الدار الكبيرة" و"قصر المحنشة" و"قصر المدرسة" ثم "قصبة هدراش" المخصصة لسكنى جيش الودايا و"قصبة باب مراح".

أما "الدار الكبيرة" فتشغل مجالا يقدر بنحو 420 م طولا و320 م عرضا، وهي أول إقامة شيدها مولاي إسماعيل بعد اعتلائه العرش، ويحدد الزياني موضعها بقوله : "أسس الدار الكبرى العظيمة التي بجوار ضريح الشيخ المجذوب"، وقد استمرت مدة بنائها 8 أعوام (1672 / 1680)، وكانت تحتوي على قصر الستينية "الفسيح الفائق ذو المنظر البهيج" وقصر النصر الذي بناه مولاي إسماعيل أيام كان خليفة لأخيه مولاي رشيد بمكناس (1664 ـ 1672) وعرف هذا القصر "بدار لالاباني"، ثم هناك "قصر مولاي زيدان" و"قصر الشعشاع"، وكلها ذات طراز هندسي رفيع فلا يقل قصر عن آخر في الأبهة والزخرف والصنعة. ومن قصور "الدار الكبيرة" أيضا "قصر الكشاشين" وكان معدا للطبخ وشؤونه ولخزن لوازمه وسكنى القيمات بمباشرة ذلك، وتتخلل هذه القصور أزقة مستطيلة الشكل مقبوة "ذات أبهة ومهابة في سقوفها كوات ينفذ منها الضوء". وأحاط مولاي إسماعيل هذه الدار بثلاث نطاقات من الأسوار الضخمة والأبراج العالية حسب ما ورد عنه مويط : "ولهذا القصر ثلاثة أسوار من جهة الشمال الشرقي ... وهي محصنة ببروج مربعة ومسننة".

وعند الخروج من الدار الكبيرة مروراً بباب الرايس يوجد ممر طويل يسمى "أسراگ" ويشتمل على قصري "المدرسة" و"المحنشة" وهما الوحيدان اللذان ما يزالان صالحين لسكنى الحرم الملكي، وقصر المدرسة فيما يظهر ـ حسب رأي محمد المنوني ـ جاءت تسميته من وجود مدرسة بداخله، أما القصر الثاني فيبدو أن نعته بالمحنشة أتى من وجود جهاز مائي يحمل هذا الاسم.

ويقابل باب هذا القصر البابَ الداخلي لقصبة هدراش (انظر *المعلمة* مادة هدراش). ومن قصور القصبة الإسماعيلية أيضا :

ـ قصر المنصور المحمول فوق هري "سبع قبب" المحتوى على 20 قبة تشرف على بسائط مكناس وجبالها، ويصفه الزياني قائلا "وفوق هذا الهري من أعلاه، قصر يقال له المنصور لا يقصر ارتفاعه عن مائة ذارع، خمسون في الأسفل وخمسون في الأعلى فيه عشرون قبة ... وكل قبة بالبرشلة والقرمود، منها أربع قبب متقابلات سعة كل واحدة سبعون شبرا تربيعة وباقي العشرين سعة كل واحدة أربعون شبرا تربيعة" كل ذلك وسط بستان شاسع الأطراف.

ـ قصر "دار لا لاصفية" الذي كان بابه في عهد المؤرخ عبد الرحمن ابن زيدان يقابل باب منصور العلج.

ـ القصر المعروف بـ "بين القبب" الذي يحدد المؤرخ المذكور موضعه "بباب ابن القاري" الداخلي المجاور لجنان السلطان المسمى "البحراوية".

ـ القصر المسمى "دار البقر" ويتصل بقصر المحنشة والمدرسة ويجاور "باب مراح" ويقال أنه حمل هذا الاسم في عهد السلطان مولاي الحسن (1873 ـ 1894) الذي جعل منه مقراً للبقر الحلوب لتموين داره العلية بالحليب.

وفي جوار "قصر المحنشة" على ميمنة "باب الناعورة" توجد القصبة المعروفة بـ "قصبة باب مراح" وكانت معدة لسكنى وصفان السلطان لكل وصيف دار يسكنها بعائلته.

المؤسسات الدينية والثقافية : لم يصرف مولاي إسماعيل همته لبناء قصور قصبته فحسب بل اعتنى عناية فائقة ـ لما يتحلى به من خصال الأمير المسلم ـ ببناء مساجد جديدة وإصلاح القديمة كما يبرز هذا النص "وحين بوأه الله المراتب العليا صرف همته لتشييد المساجد وتشهير المعاهد". وما يعنينا هنا هو ما بناه في قصبته المخزنية ومنها : جامع الأنوار الذي أفاضت المصادر في وصف محاسنه "فمن سواري رخامية يقارب عددها المائتين، ومن صحن بديع الشكل بهي المنظر رحب المتسع عديم النظر بالعدوتين، وبوسطه قبة ارتفعت على أن تقاس بمثال ..." ولم يبق من هذا الجامع الذي يضيق المجال عن ذكر ما قيل عن محاسنه إلا بابه

الجميل الذي يحادي باب منصور العلج. إلى جانب هذا تم بناء مسجد الرخام وقد ذكرناه في *المعلمة* فالينظر في مكانه. كما قام المولى إسماعيل بإحداث تغييرات كبيرة في جامع "لا لا عودة" المريني وجعله جزءا من قصبته، وفتح بالقرب من المحراب بابا كان السلطان يدخل منه بعد أداء الفروض إلى قصر "السّتينية". كذلك لم يكن يخلو قصر من قصور القصبة من مسجد أو مدرسة. واعتنى السلطان أيضا بإنشاء مكتبة داخل قصبته اشتملت على نحو 12000 مجلد، وكان مكانها في قبلة جامع الأنوار في دار تعرف بـ "دويرة الكتب" وصفها العياشي في *زهر البستان* قائلا : "ومن محاسن هذا الجامع [الأنوار] الآخذ من الإحسان والصنع بالمجامع ... خزانة الكتب مشتملة على قبتين مصونة حلقتها بشباك من حديد، قائمة على أربعة قوائم من الرخام، وبها من الكتب العلمية ألوف عديدة...."

المخازن : خصص قسم من القصبة الإسماعيلية لمخازن المؤن منها هري عظيم لخزن الزرع وكان يشتمل على 345 أسطوانه، طوله ينيف على 180 م وعرضه لا يقل عن 69 م، وهو الأثر الذي يقول فيه الزياني : "... وجعل بها هريا لخزن الزرع مقبو القنانيط يسع زرع أهل المغرب كله ..." ومازالت أطلال هذا الهري قائمة بقرب *"صهريج السواني"*.

الأصطبل : تمتد مرافقه بضعة كيلومترات تسع آلاف الخيول، وقد سماه اليفراني بـ "قصر الخيل" ويصفه الزياني قائلا : "وجعل بها إصطبلا لربط خيله وبغاله طوله ثلاثة أميال مسقف الدائرة بالبرشلة على سوار وأقواس هائلة كل فرس مربوط في قوس وبين الفرس والفرس عشرون شبرا، يقال إنه كان مربط إثني عشر ألف... وفي هذا الأصطبل ساقية الماء مقبوة الظاهر وأمام كل فرس محل مفتوح كالمعدة لشربه ...".

مستودع السلاح ودور الصناعة : وخلف الإصطبل من جهة السور كانت توجد مسلحة مربعة لإيداع العتاد، وهو بناء شاهق في أسفله عدة أهراء منها "هرى سبع قبب" الذي يعلوه قصر المنصور ويحدثنا "جون وندوس" عن أحد مخازن السلاح بقوله : "بهذه المخازن طبر مستطيل وفؤوس حربية وأسلحة من جميع الأنواع، من طبنجات مختلفة الأحجام ذات أنابيب برونزية، وخوذات في صنادق ملفوفة في ورق، وأنواع أخرى من الأسلحة ... رأينا هذا العدد الكبير من مخازن السلاح التي لم يكن أحد منا يتصور أن هذا الأمير يمتلكها ..." أما عن دور الصناعة فيقول : "قمنا بزيارة ثانية للقصر... فوقفنا على غرف واسعة بها رجال وخدام منهمكون في الشغل يصنعون السروج وأغشية المسدسات وأغمدة السيوف، وعندما رأو السفير أخذوا يشتغلون جميعا مما كون أصواتا منغمة رائعة وأظهر أن الصناعة بهذا القصر الامبراطوري متقنة جداً".

البساتين والجنان : تشمل الجزء الأوسع من القصبة وهي عبارة عن جنان فسيحة في غاية الإبداع مجهز بعضها ببحيرات تجري فيها المراكب الصغيرة، يصفها الأمير عبد السلام قائلا : "وهذه القصور كلها متصلة بعضها ببعض، قد حف بجوانبها بساتين في غاية ما يكون من الهندسة وحسن الغراسة وقد سطر على أطرافها اللرنج والسرو فجاءت في غاية ما يكون من الإتقان وضخامة الأبهة وعظيم الشان" منها : "بستان المشتهى" الذي كان بجوار الأصطبل، غُرس فيه من شجر الزيتون وأنواع الفواكه كل غريب مما جعل الشعراء يتغنون بجماله وهذا البستان هو الذي صار فيما يعد حي الزيتون وبه بنيت الدار البيضاء التي أصبحت الأكاديمية العسكرية، ومنها أيضا "جنان الاترنجية". كان يقع غرب "صهريج السواني" ويمتد منحدراً عن الأرض إلى باب "ابن القاري" الداخلي وهو الذي تحدث عنه ويندوس : "دخلنا روضا كبيرا تحيط به أشجار من السرو، وذلك الروض منحدر عن الأرض 20 متراً يفصل هذا الجنان جدار طوله نصف ميل تقريبا يسمى الإترنجية سعته نحو خمسة أمتار وفوق ذلك الجدار سرائر لدالية العنب و غيره....". يضاف إلى ذلك عرصة البحراوي التي كانت تتصل بقصر المدرسة، وجنان الروى وغيرها.

تزويد القصبة بالماء : زود المولى إسماعيل قصبته بمصادر ثلاث للماء :

المصدر الأول، أنه أمر بإصلاح قواديس عين تاگما التي أصابها الإهمال في الفترات السابقة وخصص ثلث مياهها للمسجد الأعظم بينما أدخل الثلث الباقي لدار المخزن.

المصدر الثاني، اختصت به القصبة الاسماعيلية وحدها، وهو الحوض المائي الكبير المعروف بـ "صهريج السواني"، طوله 300 م وعرضه 140 م، وكانت تغذيه مجموعة من الآبار يذكر ابن زيدان أنها كانت في غاية العمق، ذات مياه عذبة طافية، وجعل لكل بئر دولابا عظيما ينقل منه الماء ويصبه في المجاري المعدة له إلى أن يصب في الصهريج، وكانت مياهه تسقي بساتين المخزن وجنانه، وقد حرص السلطان على تحصين تلك الآبار داخل بناية مقبوة (على مقربة من باب الناعورة) وفوقها صقالة (حصن) مستديرة تصوب مدافعها نحو الجهات الأربع للمدينة.

المصدر الثالث، ماء "واد بوفكران" الذي يعد إدخاله إلى القصبة الإسماعيلية والمدينة القديمة، من أكثر أعمال المولى إسماعيل أهمية، فقد حول ماء النهر المذكور عند نقطة قرب "ضريح سيدي بوزكري" بواسطة ساقية مكشوفة كانت تتفرع عند المحل المسمى "بالشريشرة" إلى ساقيتين، ساقية تتجه نحو الغرب تنقل الماء إلى بساتين المشتهى والروى. أما الساقية الثانية فكانت تسير نحو الشرق فتزود "قصبة هدراش" ثم "الدار الكبيرة". وشيدت داخل القصبة مجموعة من سقايات السبيل على أهم مناطق المرور كسقاية باب الرايس، وسقاية باب الناعورة...

وخلاصة القول أن السلطان مولاي إسماعيل كان في التخطيط المعماري لقصبته رائعا منطقي التوزيع، عرف كيف

يصمم مواقع القصور وأماكن العسكر وأجنحة رجال الدولة ومرابض الخيول وغيرها في بحبوحة متناسقة الأجزاء مستمدا العناصر الفنية من الهيكل الأندلسي وخص الجانب المتعلق بالزينة بكامل العناية لا سيما الزخرف الكتابي، والزخرف البنائي والهندسي.

*حوالة أحباس كبرى مكناس*، 5 : 280 ـ 295 ـ 298 ؛ *حوالة أحباس صغرى مكناس*، 4 : 199 ـ 280 ؛ أ. الزياني، *البستان*، تح. رشيد الزاوية، الرباط، 1992. ص. 148 ـ 181 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1990، 1 : 125 ـ 175 ؛ *المنزع اللطيف*، الرباط، 1993، ص. 300 ـ 323 ؛ ج. وندوس، *رحلة إلى مكناس*، تح. زهراء إخوان، مكناس، 1993، ص. 72 ـ 118 ؛ *رحلة الأسير مويط*، تر. م. حجي والأخضر، 1990، ص. 73 ؛ م. المنوني، دليل القصبة الاسماعيلية، مجلة دعوة *الحق*، ع 4، 1967، ص. 107 ـ 120 ؛ ر. بلمقدم، تنظيم توزيع مياه وادي بوفكران في عهد مولاي إسماعيل، *أعمال ندوة مياه واد بوفكران*، مكناس، 1993، ص. 71 ـ 82.

رقية بلمقدم

**قصبة تادلة** (مركز ـ) تقع قصبة تادلة في القسم الشمالي الشرقي من سهل تادلا، عند مفترق الطرق الرئيسية رقم 24 الرابطة بين فاس ومراكش والطريق رقم 13 الرابطة بين بني ملال والدار البيضاء. تنفرد بموضع طبغرافي مرتفع، أكسبها طابعا هضبيا، تعرض للتقطع على أشكال متون نتيجة تعمق الشبكة المائية المنحدرة من القسم الجنوبي الشرقي للهضبة الوسطى.

يرجع ظهور النواة الأولى لمركز قصبة تادلة إلى عهد السلطان المولى إسماعيل، الذي أمر ببناء القصبة، حيث أقام فيها نجله مع حوالي 3000 جندي من جيش البخاري، قصد حراسة قنطرة عبور موكب السلطان على نهر أم الربيع. كما لعب هذا المركز دوراً عسكرياً حمائيا يتجلى في مراقبة تحركات بعض القبائل المتمردة.

استرعى موقع قصبة تادلة انتباه السلطات الفرنسية، فتم اتخاذها قاعدة عسكرية للإستيلاء على باقي الإقليم، حيث احتفظت بنفس الوظيفة التاريخية خلال فترة الاستعمار ؛ فلعبت بذلك دوراً أساسياً في انطلاق العمليات العسكرية لإخضاع القبائل الجبلية المجاورة (الأطلس المتوسط، زيان). فمنها تم التصدي للإنتفاضة القبلية التي انطلقت من بني ملال يوم 15 مايو 1915. وانطلاقا منها أيضا زحفت الجيوش الفرنسية في اتجاه بني ملال التي تم احتلالها سنة 1916.

ويصعب الحديث عن قصبة تادلة كمركز حضري قبل الاستعمار الفرنسي. فقد كانت مركزاً ريفياً تتقاسمه بعض قبائل آيت الربع وسمگت وگطاية. عند دخول الفرنسيين إليها لم توجد بها سوى القصبة الإسماعيلية ثم الزرايب، التي هي عبارة عن دور ريفية تحيط بها نوالات مثل دوار المرس. بعد ذلك خضعت قصبة تادلة لتصميم هندسي عصري من طرف الفرنسيين، حيث شيدت بها المدينة الحديثة فوق منبسط طبغرافي، وضمت بالإضافة إلى الدور السكنية العصرية للأوروبيين المحلات التجارية والمرافق الترفيهية والخدماتية، ثم شيدت القنطرة الجديدة على نهر أم الربيع والبريد والثكنة العسكرية التي تضم مطاراً عسكرياً. كما شيد بها قصر البلدية بالمدينة القديمة المعروف حاليا بحي الزرايب. وقد اتخذت قصبة تادلة خلال فترة الاستعمار عاصمة إدارية لمنطقة تادلا ككل.

بعد خروج الفرنسيين لم تشهد قصبة تادلة تطوراً عمرانيا ملحوظا، خاصة في سنوات الستينات، إذ بقيت تفتقد لمجموعة من الخدمات والمؤسسات الإدارية، نتيجة الإهمال الذي لحقها خلال هذه الفترة، لكونها لا تدخل في نطاق الدائرة السقوية لقطاعي بني عمير وبني موسى من جهة، ولكون العاصمة الإدارية انفردت بها مدينة بني ملال، التي أصبحت تلعب دور القطب الجهوي للإقليم.

بدأ هذا المركز يعرف بوادر التطور العمراني في السبعينيات وبداية الثمانينيات نظراً لأهمية الوافدين من الأقاليم المجاورة الفقيرة، فظهرت على إثر ذلك مجموعة من الأحياء السكنية كالمرس، اليام، مجاط، وحي العمال التابع لمعمل النسيج. بعد ذلك توالت حركة البناء والتعمير لكن بوتيرة أقل بالمقارنة مع مدن المدار المسقي كالفقيه بن صالح وسوق سبت أولاد نمة مثلا. هكذا ظهرت بعض الأحياء الجديدة كحي المهيرزات والراشيدية والشهداء، إلى جانب هيكلة بعض الدواوير كدوار براكة، مما أهلها لاستقبال بعض المؤسسات التعليمية والمرافق الاجتماعية كالمستشفى المركزي. وأصحبت المدينة تعرف نموا ديموغرافيا ملموسا، فبعد ما كان عدد السكان لا يتعدى 7000 نسمة سنة 1952 و10.000 نسمة سنة 1960، انتقل إلى 14000 سنة 1971 وحقق قفزة كبيرة سنة 1982 بحوالي 27000 نسمة .ثم تضاعف هذا العدد تقريبا في التسعينيات ليبلغ حوالي 42000 نسمة سنة 1994. على مستوى الأنشطة : أمام غياب الموارد المالية اللازمة للنهوض بالنمو الاقتصادي وازدهار المدينة، ونظرا لهيمنة مجال بوري فقير يحيط بالمدينة ويؤثر فيها بقيت قصبة تادلة تابعة باستمرار لمدينة بني ملال والدار البيضاء من أجل تلبية الحاجيات الأساسية مثل الخدمات الطبية والاقتصادية، الشيء الذي انعكس على أنشطتها العادية التي تنمو ببطء شديد خاصة الأنشطة المتوسطة النذرة.

ولا يمكن إغفال المكانة التي يحتلها ويلعبها السوق الأسبوعي ليوم الاثنين في ربط الاتصال المباشر ما بين المدينة وأريافها، حيث يدعم مجال استقطابها بتوفيره المواد الضرورية للاستهلاك اليومي، كما يوفر بعض الخدمات إلى جانب تجارة الحبوب والمواشي، وتجارة الذهب التي تكون على موعدها الأسبوعي مع السكان. إلى جانب خدمات أخرى تتمثل في الحدادة والنجارة. ويجد التجار والصناع في السوق الأسبوعي متنفسا ومورداً أساسياً يضمن لهم مزيداً من الدخل المادي.

كما تكثر بالمدينة ظاهرة الباعة المتجولين نتيجة غياب المنشآت الصناعية وتفشي ظاهرة البطالة والإنقطاع عن الدراسة والنمو الديموغرافي المتزايد وتدني مستوى العيش داخل الوسط القروي، مما يسهل الإندماج السريع داخل هذا القطاع وتطوره.

*تحريات ميدانية.*

عبد الرحيم بنعلي

**قصبة** (أبو -) **الثائر بسوس**، خلال سنوات 597 ـ 598 / 1201 ـ 1202 اندلعت ثورة عارمة، شملت كل إقليم سوس تزعمها أبو قصبة، حيث جمع عددا مهما من الأنصار، وتحصن في حصن تيويوين. وتمكن من هزم عدة حركات عسكرية موحدية، مما دفع السلطان الموحدي محمد الناصر لتجهيز جيش قوي تمكن به من إلحاق الهزيمة بالثائر أبي قصبة الذي قتل، وعلق رأسه بباب مراكش في صيف 1202.

وبالرغم من قوة الموحدين، وعزمهم على قطع دابر أي تمرد، فإن ثورات إقليم سوس لم تنقطع. فبعد مرور حوالي اثنى عشر سنة من ثورة أبي قصبة، ثارت مرة أخرى قبائل جزولة سنة 615 / 1215 ونشرت الفوضى في البلاد، لكن سرعان ما تم احتواء هذا التمرد.

وفي سنة 636 / 1238 ـ 1239 اندلع تمرد آخر في حصن تيويوين تزعمه ثائر مغمور، معروف باسم ابن يوجا. وقد جمع حوله عددا كبيرا من عرب معقل، وأعلن معارضته للعامل الموحدي الذي تمكن في نهاية الأمر من القضاء عليه بالاستعانة بزعماء جزولة. وقد أرسل رأسه ويده إلى السلطان الموحدي الرشيد.

D. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien*, t. 1, Ed. Klinsksiech, 1982.

محمد حنداين

**قصبة القنيطرة** أثناء عملية تجديد بناء القصبة (التي كانت نواة مدينة القنيطرة الحالية ابتداء من سنة 1914، عثر المهندسون على جدار قديم وحجرة قديمة كذلك كانت منصوبة على قبر هنالك بالموضع الذي أنشئت به القصبة مكتوب فيها ما نصه : "يوم الجمعة الأخيرة من محر عام 749. قال محمد بن علي الدكالي في كناشته : "فاستدل بذلك على أن القصبة الأصلية التي بقي جدارها معروفا هناك، وبنيت هذه على أساسها كانت موجودة في ذلك العهد، وصاحب هذا القبر من جملة سكانها حينئذ ...".

محمد بن علي الدكالي، *كناشة*، خ ع د 4257.

المصطفى البوعناني

**القُصْبُر** أو القُصْبُرَة أو الكُزْبُرَة نبات معطر يعرف علميا باسم كُورْيَانْدْرُومْ سَاتِيفُوم Coriandrum sativum وهو من فصيلة الخيميات Apiaceae.

إنه نبات عشبي وحولي، ذو عطر قوي. تتراوح قامته ما بين 30 و80 سم. أوراقه السفلى عريضة ومفصصة بينما العليا رفيعة. ثماره كروية الشكل ومضلعة، بُنِّية اللون أو مائلة إلى الاصفرار.

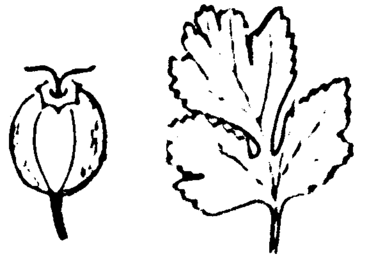

الموطن الأصلي للقصبر هو حوض البحر الأبيض المتوسط، حيث يستعمل كنبات معطر للعديد من وصفات الطبخ مثل الحريرة والشربة والقديد وغيرها، وكذلك في التطبيب التقليدي. ولهذه الأغراض يزرع القصبر في جميع أنحاء العالم. أما في المغرب فإن مساحاته المزروعة جد محدودة بضواحي المدن وفي الحدائق والبساتين العائلية، وعلى نطاق واسع في منطقة الغرب ووزان حيث من الممكن أن تتراوح مساحاته المزروعة ما بين 5 و8 آلاف هكتار سنويا، وذلك لإنتاج الحبوب.

J. Bellakhdar, La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p.

عبد المالك بنعبيد

**القصدير** وينطقها عامة المغاربة بالقزدير، كلمة شائعة تطلق على كل مصنوع من صفائح حديدية رقيقة كالصحون والبراميل، خاصة إذا كانت صدئة، بل تطلق حتى على وجه الإنسان : وجه القزدير إذا كانت ملامحه جامدة، لا تفصح عن خجل أو كان لونه غير طبيعي.

والقصدير عنصر فلزي خفيف نسبيا كثافته 7.3، سهل التصنيع والخلط، سهل الذوبان 231.9° يوجد في الطبيعة على شكل أكاسيد خاصة في خام يعرف بالكستيريت على شكل عروق ممعدنة تكونت بعملية رشح في صخور الگرانيت بفعل سوائل غرينية مشتقة، وهناك احتمال وجوده كعروق بصخور الگرانيت الكثيرة بالمغرب، لكن وجوده بوفرة في السوق العالمي لا يشجع على البحث عنه واستغلاله وهو قليل الانتشار في الطبيعة. ويعد من أقدم المعادن التي عرفها الإنسان إذ كان يخلط بالنحاس لإنتاج البرونز. واستخرج من جنوب إنگلترا منذ أيام الفينيقيين الذين كانوا يطلبونه في تجارتهم مع البريطانيين القدامى. ومن مميزات القصدير مقاومته للصدأ، لا يتأثر بالأحماض، ولهذا يدخل

أساسا في صناعة علب حفظ الأغذية إذ تطلى به صفيحتها الرقيقة من الداخل بالترسيب الكهربائي لمنع تفاعل الأطعمة مع الصفيحة التي قد تكون من الحديد أو النحاس أو الألمنيوم، إذ يحميها من التأكسد. يشتري المغرب من الصفائح القصديرية كميات مهمة لاستعمالها في صناعات تعليب الأسماك والخضر والفواكه. كما يستعمل القصدير في صناعة أنابيب المياه وفي كثير من السبائك المعدنية وصناعة الورق كما تستخدم سبائكه في اللحام وذلك بخلطها بالرصاص.

اكتشفت له بعض المكامن البسيطة بالهضبة الوسطى، وهناك مؤشرات وقرائن تدعم فرضية استغلال بعضها منذ أيام الرومان، إذ اكتشف بأوراش قديمة نقود روومانية وقنديل روماني. ومن المؤكد استغلال بعض المكامن هنا أيام السعديين حيث صار القصدير من أهم صادرات المغرب لديهم لاشتدادالطلب عليه بأوربا لصناعة المدافع البرونزية. لكنها تبدو اليوم ضعيفة المستوى ولم يستغل منها سوى ورش صغير بـ "القاريت" قرب أولماس، حيث يوجد خام القصدير في صخور شيست متحول مرتبط بكثلة گرانيتية تتخللها عروق من الكوارتز، ولم ينتج هذا الورش خلال سنوات إنتاجه في الخمسينات سوي بضع عشرات من الأطنان سنويا، وكان يعالج بالتنقية والصهر في عين المكان بأفران تقليدية لتخليصه من ثقل شوائبه قبل تصديره، وقد وصل إنتاجه إلى 15 طن سنة 1960 . لكنه أغلق في نهاية عقد الستينيات وبذلك توقف إنتاج هذه المادة بالمغرب. لكن تزايد الطلب على القصدير مؤخراً لتوسع صناعة حفظ الأطعمة يشجع على البحث عن مكامن جديدة له بالمغرب خاصة وأن احتياطه العالمي المؤكد قليل حوالي 12 مليون طن.


أ. هوزلي، *الموارد المعدنية والتنمية بالمغرب*، مطبوع كلية الآداب، مراكش ؛ *أبحاث واستطلاعات وتقارير من الصحف المغربية عن الإنتاج المعدني بالمغرب* ؛ *وزارة الصناعة والتجارة والطاقة والمعادن*، نشرات صحفية ودراسات قطاعية وتقارير حول المناجم والاقتصاد المعدني بالمغرب.

A. André et J. Lecoz, *Economie minière : notices explicatives de l'Atlas du Maroc*, Rabat, 1961.


أحمد هوزلي

**القصر** (السكن -) مرآة تعكس علاقة الإنسان بمجاله الجغرافي ومعالم حياته في يُسره وعُسره، في استقراره وترحله. والقصر صنف من السكن تشتهر به الواحات الجنوبية الممتدة بين الأطلس وتخوم الصحراء، بدءاً بوادي درعة الأسفل والأوسط ومرورا بتافلات حتى فگيگ، بل إن معالم هذا النمط من السكن تجد استمراراً لها على هوامش الصحراء الكبرى في كل من الجزائر وتونس وليبيا. ويمثل القصر نمطا معماريا فريدا من نوعه سواء من حيث الشكل أو المضمون.

تعتبر ندرة الأراضي المزروعة والماء وعنصر الأمن، بالمجال الواحي، من العوامل الحاسمة في تنبيت معالم القصر، فمراقبة وتدبير وحماية مصادر الماء والسدود والسواقي والغلال، حتم استقرار القصر وسط الحقول أو على هوامشها، غير أن قلة الأراضي الزراعية حتمت عدم تبذيرها والاعتماد على الانتشار العمودي للبنايات بدل الانتشار الأفقي، كما أن انعدام الأمن وقلة الإمكانيات فرض التماسك العشائري والتآزر عند البناء أو الصيانة ويفرض علاقات ملأها الاحترام والتآخي.

يتكون القصر من مجال مشترك قوامه السور الخارجي والأبواب الرئيسية والساحات العمومية والأزقة ودار القبيلة والمسجد والمصلى، ومجال خاص يشمل المنازل وملحقاتها. فالقصر عبارة عن بنايات أغلبها ذات طابق واحد، تحتمي وراء أسوار عالية محفوفة بأبراج للمراقبة، ولا تتصل بالخارج إلا بواسطة أبواب ترعاها أعين حراس انتدبوا لهذه الغاية.

مباشرة بعد تخطي المدخل الرئيسي يوجد بهو فسيح تصطف على جنبات أسواره كراسي تستغل من طرف مسني القبيلة أثناء مناقشاتهم لمراسم تدبير القصر أو استقبال الزوار الأجانب. وللدخول إلى ساحة القصر يحتاج المرء أن يُعرج إما ذات اليمين أو ذات الشمال. وهذه جزئية معمارية بالغة الأهمية حيث تحمي القصر من التيارات الريحية القوية كما تحمية من أنظار ذوي الفضول من المارة الأجانب وتخلق الارتباك لدى الغزاة المعتدين. ينفتح هذا البهو على ساحة متعددة الاختصاصات حيث تستغل للأنشطة الاقتصادية كالتبادل واستقرار بعض الحرفيين (الحداد)، وبزاوية من زواياها يربط الثور الجماعي، وبها أيضا توجد دار القبيلة (الضيافة) والمسجد، كما تستغل لأقامة كل أفراح القصر ومآتمه وكملتقى للأطفال والشبان قُبيل وبعيد مغرب شمس كل يوم للعب وتبادل الحكايات.

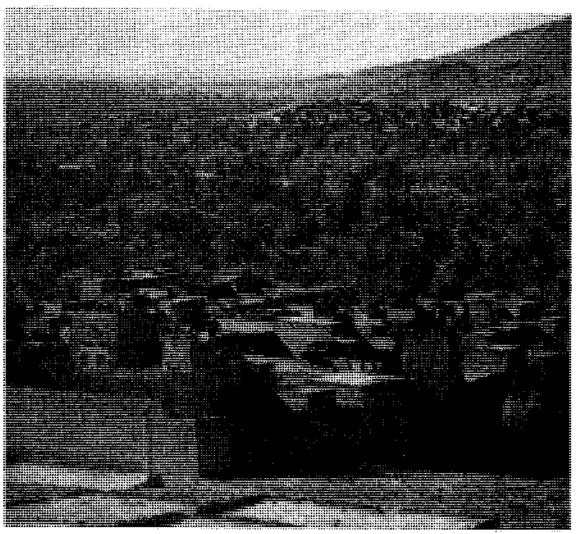

انطلاقا من هذه الساحة تتفرع أزقة طويلة شبه مظلمة، حيث يتعمد السكان تسقيفها لحماية القصر من العواصف

الرملية ومن أشعة الشمس المحرقة وللتمكن من استغلال مستواها العلوي للسكن. ويرسم تناوب مجالات الإشعاع ومجالات الظل داخل هذه الأزقة لوحة فنية فريدة من نوعها، وقد صممت أطرافها لحماية العين من الإشعاع القوي وحماية الأجسام من الحرارة المفرطة ومن الذباب المتناسل، لذا تؤمها النساء بعد عودتهن من أشغال الحقول وإنهائهن للأعمال اليومية داخل المنزل، للجلوس أو للاشتغال في أعمال يدوية كصناعة القفاف والسلال أو لحلج الأصواف. تلعب هذه الأزقة أيضا دور الرابط بين أجزاء القصر ودور قنوات التصريف لمياه الأمطار. وتتفرع الأزقة الرئيسية إلى دروب تنفتح عليها أبواب المنازل.

يتكون المجال الخاص من الدور وملحقاتها. ويتكون كل منزل من عدد كبير من الغرف تنتفح أبوابها وكواتها على فناء تتوسطه أعمدة تمكن من تسقيف حواشيه والسماح لضوء عمودي من إنارة المنزل دون نفاذ أشعة الشمس إليه. ويستغل هذا الفناء لمزاولة الوظائف اليومية العادية كالطهي والنسج كما يستغل مكانا للأكل بل وحتى للنوم في فترات من السنة. وتستغل الغرف أساسا لتخزين الحبوب والثمار والخضر المجففة وخشب التدفئة والأعلاف والأدوات الفلاحية، ولإيواء بعض رؤوس الماشية ومن تم لتجميع روث البهائم قبل نقله إلى الحقول ليستغل كسماد. عندما يتوفر السكن على طابق علوي يتم التراقص بين الطوابق حسب تعاقب الفصول وتعاقب الليل والنهار، حيث تستغل السطوح والطوابق العلوية للنوم وتجفيف الفواكه وبعض الغلال كالحناء والذرة بينما تستغل الطوابق السفلى للاحتماء من حرارة الشمس نهارا والاحتماء من قسوة البرد أيام الشتاء.

تنعدم المرافق الصحية بمعناها المتداول داخل المنزل، لكن الواحي يتخلص من كل فضلاته إما برميها وسط روث البهائم لتختمر أو خارج المنزل وسط الحقول حيث تتحول إلى مادة عضوية وإلى سماد.

تتحكم في تنظيم القصر "لجماعة" وهي مؤسسة تنبثق من العشائر التي تقطن القصر وتنتخب لمدة معينة يتم الاتفاق عليها مسبقا. ويراعى في انتخابها تمثيلية جميع مكونات المجتمع داخل القصر. تسهر هذه المؤسسة على صيانة المرافق الجماعية داخل القصر كالمسجد والساحات العمومية والأسوار الخارجية والأبواب والبئر ودار القبيلة كما تشرف على تسيير المجالات الاقتصادية المشتركة كالثور الجماعي والخزان الجماعي ومصادر المياه والتجهيزات المستعملة في استغلالها، وتسهر على حراسة الحقول والغلال والمراعي وعلى تدبير العلاقات الاجتماعية بشكل يضمن التوازن والاحترام وحسن الجوار ويجعل كل فرد يعتز بانتمائه إلى القصر ويساهم في تنميته والدفاع عنه. الجماعة تتدخل إذن في تعيين إمام المسجد وتحديد حقوقه وواجباته وتتدخل في تنظيم الحفلات والمآتم التي يصعب على الفرد القيام بها (حفلات العيد، حفلات الختان، الزواج الجماعي، المآتم، الاستقبال الجماعي لضيوف القصر، أداء واجبات الزوايا) والاستجابة للإتاوات المخزنية ومختلف الكلف التي يفرضها. الجماعة أيضا كانت تنظم دوريات لحراسة الأبراج والثغور وحماية الرعاة والماشية وتفرض عقوبات قاسية على كل من أخل بالقانون أو تعدى على عرض الآخر أو ممتلكاته. وانطلاقا منه فإن الفرد داخل القصر يحس بالأمن والأمان سواء على نفسه أو ذويه أو ممتلكاته، لكنه وبالمقابل ملزم بالخضوع للجماعة والتنازل عن جزء كبير مما نسميه اليوم "حرية الفرد". فالفرد داخل القصر لا يستطيع أن ينفلت من المراقبة الدقيقة في كل تصرفاته ولا يقوم إلا بما تسمح به أعراف العشيرة سواء تعلق الأمر بحياته الخاصة أو بحياته العامة.

وقد تعرض القصر، كإطار للحياة، وما أفرزه من مؤسسات ونمط العيش، لتآكل كبير بسبب عوامل داخلية وأخرى خارجية نذكر منها :

- النمو السريع للسكان ؛
- تآكل المؤسسات التقليدية واستبدالها بمؤسسات دخيلة؛
- الانفتاح على اقتصاد السوق وما صاحبه من الدعوة إلى الاغتناء وحرية الفرد ؛
- الاحتكاك بالعالم الخارجي عن طريق الهجرة والمدرسة ووسائل الإعلام وما صاحبه من تغيير في نمط التفكير والسلوك ؛
- الاستهلاك الواسع للسيارة والمواد المصنعة الحضرية.

كل هذه العوامل أدت إلى ظهور سكن لاحق للقصر تكمن معالمه الكبرى في تغيير الموضع والانتشار على جنبات الطرق وفي الانتشار الأفقي وسيادة السكن الفردي والاعتماد على المواد المستوردة بدل المواد المحلية والانفتاح على الخارج بواسطة نوافذ واسعة وشرفات، كما أدخلت مرافق جديدة كالمرأب والدكان والمرافق الصحية. فانفلت تنظيم القصر من يد اجماعة ليصبح في يد المجلس الجماعي والسلطة المحلية وأصبح للسياسة وللجاه والمركز الاجتماعي دور أساسي في تنظيمه.

أمام هذا الوضع طرحت إشكالية القصور ومآلها كجزء من الذاكرة المحلية والوطنية وجزء من التراث تجب حماية ما تبقى منه وتأهيله، وطرحت معها إشكالية من الذي سيقوم بذلك وما هي القصور التي يجب أن تحمى وترمم، ولأية غاية سترمم، ومن سيدبر أمرها بعد الترميم، وما وضعيتها العقارية ؟ أسئلة قد يتطلب حلها وقتا طويلا، وبموازاة ذلك تختفي القصور الواحد تلو الآخر. مما دفع ببعض المنظمات بتعاون مع وزارة الثقافة إلى ترميم بعض النماذج بكل من ورزازات وزاكورة والرشيدية (آيت بن حدو، تاوريرت، تسركات السفلى، لمعضيض...) وهي بادرة حميدة لأنها حفزت بعض المقاولين الخواص للاهتمام بهذا المعمار واستغلاله في السياحة لكن واجب المراقبة يظل قائما لتفادي التلاعب بتراث حضري جماعي وتشويهه.

M. Aït Hamza, *L'habitat dans le Dades et le rôle de l'émigration dans son évolution récente*, in La recherche scientifique au service du développement, *Actes de la 3ème rencontre universitaire Maroco-Hollandaise*, série Colloques et Séminaires, 22, Faculte de Letters, Rabat, 1992 ; *Projet de réhabilitation du Ksar Aït Ben Haddou, (Ministère des Affaires Culturelles)* ; Centre de Conservation et de réhabilitation des Kasbas du Sud "CERKAS" Ouarzazate *; PNUD, (Rapport), 1992 ; Mobilité socio-spatiale et développement local au sud de l'Atlas marocain* (Dadès-Todgha), Maghreb Studien 13, Passau, 196 p. plus cartes et photos, 2002 ; Said Mouline et J. Hensens, *Habitats des qsours et qasbas des vallées présahariennes*. Ministère de l'Habitat, 119 p. plus illustrations, 1991.

محمد آيت حمزة

**قصر** زاوية آيت سيدي الحاج (أو زاوية البئر) اسم قصر يوجد في وسط دادس على الضفة اليمنى لوادي دادس في تراب قبائل إورتكَين التي صنفها أبو بكر الصنهاجي البيذق في *كتاب الانساب في معرفة الأصحاب* ضمن قبائل صنهاجة القبلة. وزاوية الحاج ـ حسب الرواية الشفوية المتداولة في دادس ـ تم بناؤها في هذه المنطقة في بداية عهد السعديين من طرف ولي صالح اسمه سيدي الحاج أحمد. وهو شريف إدريسي من عقب سيدي محمد بن إدريس الثاني. تلقى العلم عن الشريف مولاي محمد بن بلقاسم الذي كان صوفيا مشهورا في زمانه بقرية أمريدل بمنطقة سكورة على بعد أربعين كيلو متراً تقريباً شرقي مدينة ورزازات الحالية.

ولما أنهى سيدي الحاج دراسته عند هذا العالم انتشر صيته في المنطقة كلها إذ ظهرت عليه أمارات الصلاح والشياخة بعد أن نال رضى شيخه فأخذ الناس يتبركون به ويرجون لقاءه. وهكذا، فإن أحفاده إلى اليوم بنوا تقليدا يتمثل في القيام بزيارة ضريح شيخ جدهم في منتصف شهر محرم من كل سنة تيمنا وتبركا به.

أما عن استقرار سيدي الحاج أحمد بدادس فتضيف نفس الرواية أنه بعد إتمامه للدراسة عند الشيخ المذكور، شد الرحلة إلى مدينة مراكش التي صادف وصوله إليها أن وجد الناس فيها في صراع بين مؤيد ومعارض لسلطان كان يدعى مولاي المهدي. وأثناء ذلك الصراع كان سيدي الحاج يردد العبارة التالية : "اللهم انصر هذا السلطان إذا كان قائما على العدل والإحسان، ولا تكن له وليا ولا نصيراً إذا كان قائما على الباطل". ومعلوم أن هذه العبارة سببت له المتاعب فزج به في السجن. غير أن ذلك لم يزده إلا تشبثا بأفكاره الشيء الذي عرَّض حياته للخطر إذ تقرر إعدامه لكن ذلك لم يتم ـ حسب الرواية ـ بفضل تدخل شيخه سيدي مَحمد أبلقاسم لصالحه. وجاء في نفس الرواية أن السيد الحاج أحمد لما أخبر بما تقرر في مصيره سره ذلك مما أثار استغراب أحد السجناء الذين سجنوا معه. فسأله هذا السجين عن عدم حيرته أمام ما كان ينتظره. فرد عليه سيدي الحاج قائلا : "ما يجي دباح حتى يجي فتاح". وعنه توارثت الأجيال هذه العبارة الحكيمة. ولما كان إعدام سيدي الحاج وشيكا كان هذا الأخير ينادي شيخه مولاي مَحمد أبُلقاسم الذي سمعه على الفور فلبى نداءه فأخرجه من السجن فأنقذ حياته وأخذ بيده وأعانه في الوصول إلى منطقة دادس بعيداً عن المتربصين به.

وعند وصول سيدي الحاج إلى منطقة دادس قادما إليها من مراكش جال بها طولاً وعرضاً وفي آخر المطاف استقر به المقام في المكان المدعو أتسفال في سافلة الوادي بتراب آيت إحيا السدراتيين (حاليا). وهناك أقام زاويته الأولى على الضفة اليمنى للوادي وسميت باسم المكان (أي زاوية أتسفال). وقبل تشييد الزاوية ـ تقول الرواية ـ أن سيدي الحاج أحمد طلب من جميع الحيوانات المتوحشة والهوام الموجودة بهذا المكان أن تغادره. وكان ـ كما قيل ـ عبارة عن غابة صغيرة. وقد استجابت تلك الحيوانات كلها لطلبه إلا أفعى عمياء واحدة. فبادرها سيدي الحاج بالسؤال عن السبب الذي جعلها لم تلب نداءه. فأجابته بأنها عمياء ولديها أبناء صغار لا يمكنها مفارقتهم ولهذا يستحيل عليها مغادرة هذا المكان. ولما بدا له إصرارها على البقاء دخل معها في مفاوضات أسفرت عن توقيع معاهدة الصداقة وحسن الجوار بينهما وبين أولادهما بعدها ويجري العمل بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وهكذا ومنذ ذلك التاريخ فإن الأفاعي لا تؤذي ولا تلذغ أبناء سيدي الحاج أحمد في كل من زاويتي أتسفال، الزاوية الأولى لسيدي الحاج وبنتها زاوية آيت سيدي الحاج (أو زاوية البئر) ومقابل ذلك فإن الأفاعي (حظيت) وتحظى عند سكانهما بالاحترام والتقدير ولا يمسونها بسوء.

غير أن سيدي الحاج أحمد لم يدفن في زاوية أتسفال التي بناها، بل دفن ـ حسب الرواية ـ بزاوية آيت سيدي الحاج (أو زاوية البئر) التي رأت النور بعد وفاته. ومرد ذلك كما هو متوارث في عقبه إلى كون سيدي الحاج كان قد طلب من سيدي بويوسف صديقه أيام الدراسة (باني زاوية تحمل اسمه شمالي زاوية آيت سيدي الحاج بدادس جنوب قبيلة أشراحيل الحالية) بعد موته أن يحمل جثمانه على ظهر بغلة عائلة آيت القاضي بقصر الحَرْطْ ويوجه تلك البغلة في اتجاه أسفل الوادي ويدفنه في المكان الذي تتوقف فيه عن المسير. وقد كان ذلك سببا في ظهور زاوية آيت سيدي الحاج (بنت زاوية أتسفال) في الموضع الذي توجد به الآن في دادس الأوسط.

وهكذا، وبينما كان سيدي بويوسف، ذات يوم، يعمل في أحد بساتينه، تذكر وصية صديقه سيدي الحاج، فذهب مسرعاً إلى المكان الذي كان قد نبهه إليه، وهناك وجد سيدي الحاج ميتا. وعلى الفور استعار بغلة أسرة آيت القاضي بقصر الخارْطْ عملاً بوصية سيد يالحاج، وحمل جثمانه عليها وقادها نحو سافلة الوادي إلى أن توقفت عن المسير عن طيب خاطرها في المكان الذي توجد به الزاوية. وما أن أخبر أبناء سيدي الحاج بهذا الخبر المفجع حتى جاء البعض منهم فوراً إلى هذا المكان وحفروا به بئراً وأقاموا بجواره زاوية وضريحا لأبيهم سيدي الحاج. ولهذا السبب تسمى هذه الزاوية إضافة إلى زاوية سيدي الحاج زاوية البئر.

وإذا افترضنا أن بعض المعلومات التاريخية الواردة في هذه الرواية يمكن الأخذ بها فإننا نلاحظ ما يلي :

أولاً : أن سيدي الحاج أحمد كان معاصراً لأولياء آخرين أنشأوا بدورهم زوايا خاصة بهم تحمل أسماءهم في أماكن متفرقة ويتعلق الأمر أساساً بسيدي بويوسف وسيدي داود. فالأول توجد زاويته على الضفة اليمنى لوادي دادس في منطقة تماس بين قبيلة أشراحيل وقبيلة آيت حمو. أما الثاني فتقع زاويته على الضفة اليمنى في عالية نفس الوادي في قبائل آيت سدرات نيغيل قريبا من المضايق. وكما سبق الذكر، فكلاهما كانا زميلي الدراسة لسيدي الحاج أحمد بأمريدل في منطقة سكورى لدى العالم الصوفي سيدي مَحمد أبلقاسم. وبتعبير آخر، يبدو أن هؤلاء الأولياء الثلاثة كانوا ينتمون إلى نفس الطريقة الصوفية كان قد اعتمدها أستاذهم والتي لا نعرف عنها شيئاً نظراً لانعدام المصادر.

ثانياً : جاء في الرواية أن سيدي الحاج أحمد لما وصل إلى مراكش وجد الناس فيها منقسمين بين مؤيد ومناهض لسلطان يقال له مولاي المهدي. وهذا السلطان لن يكون إلا محمد الشيخ (أمغار) السعدي الذي كما هو معروف سمي أيضاً بالمهدي وكما هو معروف أيضاً فقد كان لمحمد الشيخ المهدي السعدي صراع مسلح على السلطة مع أخيه أبي العباس أحمد الأعرج الذي تمكن من التغلب عليه وإلقاء القبض عليه وسجنه. وبعد ذلك اتخذ محمد الشيخ المهدي مدينة مراكش عاصمة لملكه وقاعدة لانطلاق عملياته لبسط نفوذه على المناطق المغربية الأخرى. ومعلوم أن دخوله إلى مراكش - حسب المصادر - لم يكن هينا. وهذا المعطى التاريخي يتطابق مع ما ورد في الرواية الشفوية التي أوردناها. وهذه المعلومات التاريخية كفيلة بأن تجعلنا نرجح أن زاوية سيدي الحاج أحمد (زاوية البئر) وزاويتي سيدي بويوسف وسيدي داود بدادس ربما أقيمت خلال فترة بداية الحكم السعدي. وما يزيد هذا الرأي ترجيحا هو أن هذه الفترة شهدت في المغرب كله ظهور حركة صوفية مهمة زادتها قوة الانقسامات السياسية وما نجم عنها من تردي الوضع الداخلي خصوصاً بعد اختلال أمر المرينيين وصعود الوطاسيين إلى الحكم واحتلال الأسبان والبرتغاليين للعديد من المدن والثغور المغربية الشاطئية.

ثالثاً : إن التوزيع الجغرافي لهذه الزوايا الثلاث (زاوية سيدي الحاج، وزاوية سيدي بويوسف، وزاوية سيدي داود) في تراب ثلاث قبائل متباينة (إورتگين وآيت حمو وآيت سدرات نيغيل)، وأماكن متباعدة نسبياً يعطي الانطباع كما لو أنها قامت بدور التأطير السياسي والديني في فترة حرجة من تاريخ المغرب عموماً وهي فترة انتقال السلطة من الوطاسيين إلى السعديين.

رابعاً : يستخلص أيضاً من نفس الرواية أن الولي الصالح سيدي مَحمد أبلقاسم دفين قرية أمْريديل بسكورة، الأب الروحي لهؤلاء الأولياء جميعاً ربما كانت له علاقة طيبة مع محمد الشيخ المهدي السعدي الذي دام حكمه من سنة 946 إلى سنة 964 (1539 / 1556) . وخلال مدة حكمه هذه، كانت سياسته الدينية تجاه الصلحاء والفقهاء - رغم دورهم الفعال في قيام الدولة السعدية - تتسم بالحيطة والحذر إلى درجة أن التجأ إلى امتحان العديد منهم وإعدامهم كما هو حال الفقيه عبد الوهاب بن الزقاق والشيخ حرزوز المكناسي خطيب أحد جوامع مدينة مكناس وغيرهما. ومن المحتمل أن سيدي الحاج أحمد ربما كان من جملة من تعرضوا لامتحان محمد الشيخ المهدي وكان سيعرف نفس المصير الذي عرفه الصلحاء والفقهاء الذين قتلهم بعد امتحانهم إلا أن ذلك لم يقع بفضل تدخل سيدي مَحمد أبلقاسم لديه.

ومهما يكن من أمر، فما يزال قصر زاوية أيت سيدي الحاج يعتبر في وقتنا الحالي من أكبر وأهم قصور وادي دادس إن على مستوى كثافة سكانه أو مستوى عيشهم.

م. حمام، *وثائق من أيت سدرات*، الرباط، 1978 ؛ وثائق غميسة تبرز أهمية زاوية أتسفال بوادي دادس خلال القرن التاسع عشر، مجلة دار النيابة ؛ *تحريات ميدانية* ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، الدار البيضاء، 1993 ؛ أبو بكر بن علي الصنهاجي، *المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب*، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1971.

محمد حمام

**القصر الصغير**، مرسى وموقع أثري من أهم وأبرز المواقع الإسلامية بالمغرب بسبب دوره المحوري بين ضفتي المضيق من جهة، وتصميمه الدائري الفريد من جهة ثانية. ترتفع بقايا بناياته المعمارية على الضفة اليمنى من مصب وادي القصر بالبحر الأبيض المتوسط، قبالة جزيرة طريفة، على بعد 35 كلم شرق مدينة طنجة و20 كلم غرب مدينة سبتة. ونظرا لموقعه الاستراتيجي ومؤهلاته الملاحية، استقطب الموقع نشاطا ملاحيا منذ العصور القديمة حيث وجدت بأحوازه عدة مصانع لتمليح الأسماك، وربما شكل موضعه أو ضاحيته منطقة مدينة ليسا (Lissa) أو إكسيليسا (Exilissa).

خلال العهد الإسلامي، تحول الموقع ابتداء من نهاية القرن الأول الهجري / بداية القرن الثامن الميلادي إلى مرسى للمجاز نحو عدوة الأندلس وتجمعت حوله قبائل مصمودة مما جعله يعرف بقصر مصمودة والقصر الأول. وفي القرن الخامس / الحادي عشر، أورد البكري أن بني طريف استقروا بـ"القصر الأول" حيث تدخل المراكب "إلى حائط القصر" وجمع بينه وبين "مدينة اليم" أو "مرسى باب اليم"، شرق مدينة طنجة، والتي تبعد عن هذه الأخيرة بثلاثين ميلا، مما يدفع إلى الاعتقاد بأن الموقع كان يتكون من مرسى وتجمع بشري، وصفه البكري بالرباط، بينما جعل منه صاحب الاستبصار "قرية تعرف بقصر مصمودة، ولها نهر يصب في البحر عذب، ومنه يقرب الجواز إلى جزيرة طريفة ثمانية عشر ميلا".

استعمل قصر المجاز أو قصر الجواز طيلة حكم المرابطين والموحدين والمرينيين للعبور نحو الضفة الشمالية للمضيق.

وفي سنة 686 / 1287 أمر السلطان المريني، أبو يعقوب يوسف، بتسوير المدينة وتحصينها وبناء أبوابها وتشييد مرافق مدنية عديدة وترميم وتوسيع بعضها كالمسجد والحمام. سقط ساحل طريفة 1291 / 692 تحت سيطرة المسيحيين، فتغيرت وظيفة الموقع وتحول هذا الأخير إلى رباط متقدم في مواجهة الإسبان. ونظرا للضعف الذي دب إلى السلطة المرينية ونزول القوات الإيبرية بنقط متعددة من السواحل المغربية، ظهرت مراكز جهادية عديدة بسلا وتطوان والقصر الصغير، مما دفع ملك قشتالة، هنري الثالث، إلى قيادة حملة عسكرية سنة 802 / 1399، انتهت بتدمير مدينة تطوان، وفي سنة 818 / 1415 احتل البرتغاليون مدينة سبتة، وركزوا على استغلال المنطقة اقتصاديا وعسكريا. ويظهر من خلال بعض المعطيات الأثرية أن القصر الصغير لم يتضرر من ذلك، بل عرف حركية تجارية، وبقي المرسى الوحيد الرابط بين فاس ومملكة غرناطة وأصبح قاعدة متقدمة للجهاد البحري وتنظيم الغارات على سفن المسيحيين وعلى مدينة سبتة.

كان هذا الدور سببا مباشرا في دفع الأمير هنري لقيادة جيش ضم حوالي 25.000 جندي، وانهالت مدفعيته بوابل من القذائف على القصر فأدت إلى انهيار جزء هام من الأسوار التي لم تصمد أكثر من يومين، قبل أن يقبل السكان بالتخلي عن الموقع. وفي 18 أكتوبر من سنة (1458 / 863) دخل الملك ألفونسو الخامس القصر، فأمر بتحويل المسجد إلى كنيسة (Sainte Marie de la Miséricorde) وعيّن Dom Duarte de Meneses قائدا على الحامية التي ضمت 3.000 جندي برتغالي. وخوفا من الهجومات المتكررة على الحصن، قام "دوم دوارتي" بتحصين باب البحر وزوده بممر محصن (Couraca) يربط القلعة بالبحر، ويضمن بذلك حماية الإمدادات البحرية، وأصلح باقي التحصينات، وجعل من الموقع منطلقا لاحتلال أصيلة وطنجة سنة 876 / 1471، وإحكام السيطرة على المضيق والهيمنة على المنطقة لمدة تسعين سنة. وفي سنة 957 / 1550، وأمام نجاحات الجيوش السعدية وسرعة تقدمها أو كما قال مارمول "لقلة النتيجة وكثرة النفقة"، أخلى البرتغاليون القصر بعد أن هدموا عددا من بناياته وتحصيناته، وتركوا بعضها شاهدا على بعض الحقب التي مر بها القصر الصغير، من أبرزها مجموعة من التحصينات والبنايات العامة والخاصة.

تنتظم تحصينات القصر الصغير في شكل دائري شبيه بشكل بغداد العباسية، بنيت أسوارها بالحجر الكبير والحجر الدبش المردوم والآجور الطيني، ويبلغ علوها حوالي ثمانية أمتار وسمكها 1,80 متر، تقويها أبراج نصف دائرية مفتوحة على داخل القلعة، وتتكون من طابقين، يستعمل الأول لخزن الذخيرة، في حين يخصص الثاني للرماة والعسكر. وخلال الاحتلال البرتغالي للموقع، أدخلت عدة تعديلات وأضيفت بعض المرافق التي تتماشى مع التطور الذي عرفته الأسلحة وخاصة المدفعية. وبسبب قوة هذه الأخيرة شيد البرتغاليون حائطا مائلا (Glacis) على طول التحصينات المرينية وحفروا خندقا يصل عمقه إلى أربع أمتار على طول الجهات المقابلة لليابسة، شبيه بذلك المتواجد "بالباستيونات" السعدية بفاس وتازة والعرائش والتحصينات الإسبانية بقصبة المهدية بحلق سبو.

ورغم وظيفته العكسرية، يتوفر القصر على ثلاث بوابات، يظل أكبرها المدخل الشمالي أو باب البحر الذي يشكل هيكلا متقدما عن السور، مدعما ببرجين مستطيلين، ينفتح بواسطة عقد منكسر ومتجاوز ومنعرج مرفقي على غرفة مسقفة بقبة نصف دائرية وأخرى مكشوفة مما يؤكد تصميمه الدفاعي. ولتقوية مناعته، قام البرتغاليون ببناء حصن حيث تم تطويق الباب بسور منيع ليتحول إلى "باستيون" للمؤن والأسلحة والعتاد وحامية للجند والسكان، وعززوه بتهيىء إحدى غرف الباب الإسلامي وتدعيمها من الداخل ببنية من الأحجار والملاط، وجعلوا منها بنية تحمل سطيحة عالية تتحكم في مختلف جوانب المدخل. ومن أجل ضمان وصول التعزيزات حتى داخل القصر، تم بناء ممر محصن ومسقف (La Couraca) يبلغ طوله حوالي 110 متر، يربط الحصن بالبحر ويوفر حماية كاملة لنقل الإمدادات.

أما الباب الثاني فينفتح في الجهة الشرقية، ويعرف بباب سبتة. يتشكل هذا الأخير من قوس منكسر ومتجاوز محاط ببرجين مستطيلين، يؤدي عبر منعرج مرفقي إلى غرفتين شبيهتين بتلك الموجودة بباب البحر. وفي الجهة الجنوبية الغربية تم فتح باب فاس، وهو عبارة عن بوابة بارزة أقل ضخامة من سابقتيها، غُير تصميمها قبل الاحتلال البرتغالي للقلعة، على شكل منعرج مرفقي قبل أن يغلق من طرف البرتغاليين بسبب تواجده بالجهة المقابلة لليابسة، والتي تبقى أكثر عرضة للهجومات المحلية.

من ناحية ثانية، كشفت التنقيبات الأثرية المغربية الأمريكية خلال حفرياتها ما بين سنتي 1975 و1980 بالجزء الشمالي الغربي للموقع عن بقايا مسجد وحمام، ربما شكلت مركز المدينة الوسيطية. ترتفع بنيات الجامع على شكل مستطيل يصل عمقه إلى 30 مترا وعرضه إلى حوالي 17 مترا، وينقسم إلى وحدتين متباينتين، تحتل الأولى الجزء الجنوبي الشرقي للبناية، وهي عبارة عن قاعة للصلاة تتكون من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة، ترتكز على دعامات مستطيلة من الآجر المشوي. وتتميز هذه القاعة باتساع البلاط الأوسط وتواجد محراب يقابل المدخل الرئيسي بالجهة الشمالية الغربية للجامع، ويشكل معه المحور الطولاني للبناية. أما الوحدة الثانية، فتحتل الجهة الشمالية وتضم صحنا مكشوفا، وقاعدة مربعة الشكل قد تكون أساسات الصومعة، ورواقا مسقفا موازيا للجدار الجنوبي الغربي للجامع. وتمثل البناية الثانية بقايا الحمام، وترتفع جنوب شرق المسجد. يتخذ المبنى شكل مستطيل، وينقسم وفق نمط التصميم الكلاسيكي للحمام الموري إلى أربع قاعات

متتالية، تفضي إليها بوابة ملتوية، وتنتظم في قاعة مربعة الشكل لخلع الملابس، وثلاث قاعات مستطيلة خصصت على التوالي للماء البارد (البراني) والدافئ (الوسطي) والساخن (الدخلي أو السخون).

وتؤكد الحفريات التي أجريت بالموقع ما ورد بوثيقة ترجع إلى سنة 863 / 1458 من أن البرتغاليين قد حولوا المسجد إلى كنيسة، إذ تم الكشف عن بناية استعملت أساسات المسجد، يبلغ طولها 20 مترا وعرضها 12 مترا، يتم الولوج إليها بواسطة درج نازل مباشرة من الساحة العمومية، وتضم مذابح وبرجا للأجراس. ومما يبرز التعديلات الهامة التي عرفها القصر الصغير خلال الاحتلال البرتغالي عثور الأثريين على بقايا معمارية عديدة، من أهمها مجموعة من البنيات تبين أن الحمام قد تغيرت وظيفته وبنيته وخصص للحبس، وأخرى توضح أن البرتغاليين قد غيروا مجال القلعة وبنوا دارا للبلدية وكنيسة ثانية بين باب البحر وباب فاس، ودورا سكنية بلغ عدد الوحدات التي تم الكشف عنها إلى سبعين وحدة تضم حوالي مائتي غرفة.

ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1999 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 1983 ؛ الحميري، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1984 ؛ مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، الدار البيضاء، 1985 ؛ الناصري، *الاستقصا*، تح. جعفر ومحمد الناصري، ج 2 ، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1، الرباط، 1980 ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا*، ج 2، الرباط، 1988 . 1989.

E. Fagnan, *Extraits inédits relatifs au Maghreb : géographie et histoire ancienne*, Maison Bastide-Jourdan, Alger, 1924 ; Charles L. Redman, *Qsar es-Seghir, an archaeological view of medieval life*, Academic Press, 1986 ; G. Yver, *Al-Kasr al-Saghir, E.I.*, 2ème édition, tome IV, p. 759.

أحمد صالح الطاهري

**القصر الصغير** (القديم) يتضمن في الواقع ثلاثة مواقع :

1 ـ الموقع الإسلامي المعروف تحت أسماء متعددة منها قصر المجاز وقصر مصمودة والقصر الصغير والذي أجرت فيه البعثة الامريكية التابعة لجامعة ولاية نويورك التنقيب سنوات 1974 و1975 و1976 و1977.

2 ـ موقع على الشاطئ شرق مصب وادي صغير وجدت به أثار لمعمل الگاروم وتمليح السمك يبدو أنه يعود إلى القرن الثالث الميلادي، وقد نقب فيه بعض الإسبان سنة 1958.

3 ـ موقع ثالث يحمل الاسم ويقع داخليا على بعد كيلومتر واحد شرق مصب نفس الوادي، يتضمن آثاراً تعود لفترة الاحتلال الروماني، اكتشف عام 1943. ومن اللقى الأثرية السطحية 22 عملة رومانية من البرونز تعود، للقرنين الثالث والرابع الميلاديين ومصبحان يعودان للقرن الرابع الميلادي. وفي سنة 1953 أجرى طاراديل اسباراً سمحت باكتشاف تحصينات، كانت على ما يبدو، تحيط بكل الموقع وحتى الشاطئ. وفي الجزء العلوي من نفس الموقع أجرى طاراديل اسباراً أخرى أدت إلى العثور على غرف بالأعمدة. وتعود المواد المستخرجة إلى القرنين الثاني والثالث الميلاديين على الخصوص وإلى مرحلة نهاية الاحتلال الروماني شمال المغرب.

M. Tarradell, Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, Région de Tetuan, *B.A.M.*, VI, 1966, p. 431, n° 3 ; Id., Marruecos antiguo, Nuevas perspectivas, Zephyrus V, 1954, p. 130 ; Id., Guia del Marruecos español, Tetuan, 1953 ; Tarradell et Ponsich, *Garum et industries antiques de salaison dans la méditerranée occidentale*, Université de Bordeau et Casa de Velasquez, Paris, 1965 ; P. Quintero Atauri et G. Gimener Bernal, *Excavaciones en Tamuda, Memoria resumen de las practicodas en 1943*, Tetuan, 1944 ; R. Raymond, *Index de topographie antique du Maroc*, Publication du Service des Antiqués du Maroc, 4, 1938.

مصطفى أعشي

**القصر الكبير** (خلال العصرين الوسيط والحديث). مدينة قديمة تعتبر من الحواضر الأولى في المغرب لازالت قائمة، إذ تؤكد الأبحاث التاريخية والأركيولوجية الحالية بأن مدينة القصر الكبير بنيت على أنقاض مدينة رومانية كانت تسمى "أوبيدوم نوفوم" (Oppidum Novum) بمعنى "المدينة المحصنة الجديدة" يرجع تاريخ تأسيسها إلى ما بين القرن 6 ق. م. والقرن (1 م). توفرت لها شروط تأسيس المدن. وكانت تعرف بقصر كتامة، وقصر عبد الكريم، والقصر، والقصر الكبير، تمييزاً لها عن القصر الصغير، الذي كان يسمى كذلك بقصر مصمودة وقصر المجاز أو الجواز، بنيت على أرض سهلية على واد كبير شتوي يقال له لُكُس بالعدوة الشمالية منه. واختلف المؤرخون في تاريخ تأسيسها ؛ فمن قائل إنها بنيت سنة 102 من طرف أمير كتامة عبد الكريم، وقائل : إن يعقوب المنصور الموحدي هو الذي بناها أواخر القرن (6 / 12) . وأمام هذا التناقض يقترح أحد الباحثين، بعد تحليله للإشكالية، أن تاريخ 102 لا يمكن الاعتماد عليه كمعطى صحيح لإثبات تاريخ تأسيس القصر الكبير، خصوصا على يد كتامة في فترة كان فيها المغرب الأقصى يعيش المراحل الأولى من الفتح الإسلامي. وأن يعقوب المنصور لم يكن مؤسسا لها، بل كان، مثل باقي الملوك بعده، مهتما بها، فأضاف إليها مجموعة من البناءات. يرى أن تأسيس المدينة تم فيما بين القرنين 3 و4، وهي الفترة القريبة من استقرار كتامة بالمغرب الأقصى. وأن المدينة ظهرت، أول مرة، في شكل سوق أسبوعي، ثم سوق دائم. وهذا ما جعل التأسيس لا يرتبط بفترة محددة أو سنة معينة، ويفسر، أيضا، الاختلافات السابقة حوله.

ومن الراجح، أن نمو هذا السوق أعطى مركزاً حضرياً يختلف في ذلك عن أصول تأسيس المدن المغربية. وهذا ما يمكن توضيحه من خلال المسافة الفاصلة بين موقع السوق المركزي والجامع الأعظم. إذ أن السوق متمركز وسط المدينة المسورة، بينما يحتل الجامع موضعا متطرفا قريبا من السور.

وعلى إثر وفاة الأمير إدريس الثاني، وتوزيع أقاليم المغرب على أبنائه سنة 213 ـ 827 ، ظهرت نهضة عمرانية أدت إلى تمصير كثير من المواقع، منها قصر كتامة، الذي أصبح قاعدة لأحد الأمراء الأدارسة ـ إدريس بن القاسم بن إبراهيم ـ "كبيرة شريفة على نهر والكس لها سوق عامرة وجامع". ورغم ذلك، يلاحظ أن المدينة كان لها دور ثانوي طيلة الفترة الممتدة إلى نهاية القرن 54 نظراً لقربها من مدينة البصرة المركز الاقتصادي والسياسي والفكري الهام في عهد الأدارسة، الشيء الذي ساهم في عرقلة تطور مدينة قصر كتامة إلى جانب الأضرار الكبيرة التي تكبدتها من جراء المواجهات العسكرية التي واكبت الصراع الأموي الفاطمي حول الهيمنة على المغرب الأقصى منذ أواسط القرن الرابع حتى غدت في حكم القرى إن لم تكن قد أصبحت قفرا لفترة معينة، مما أدى إلى إعادة بنائها لما تم تعمير المنطقة من جديد، من طرف كتامة. لكن هذا المشروع لم يكتب له أن يذهب بعيداً في خضم التطورات التي فرضها الزحف المرابطي، خاصة بعد فتح مدينة فاس سنة 462 / 1069.

وإن ظروف عدم الاستقرار التي عرفتها منطقة الشمال المغربي عموماً أوائل عصر المرابطين قد انعكست على المدينة إلى حد إهمال ذكرها في مصادر هذه الفترة. ولم تبدأ الحياة تعود إليها، من جديد، إلا مع استتباب الأمر للمرابطين بالمغرب وعودة الهدوء، وأصبحت محطة يتوقف فيها المجاهدون القادمون من مراكش والمتوجهون إلى الأندلس، مما دفع بعض سكان البادية المجاورة إلى التوجه إلى القرية وتعميرها. إلا أن ذلك لم يجعلها تتبوأ مكانة المدينة، لأن عهد المرابطين كان قصيراً، وسرعان ما مسته الاضطرابات بسبب ظهور الحركة الموحدية في وقت مبكر ـ سنة 514 / 1121 ـ خاصة المواجهات التي امتدت من سنة 535 إلى سنة 541. وأثر ذلك على الشبكة الحضرية كلها بما فيها قصر عبد الكريم مما جعله يبقى في حكم القرى. وقد سجل هذه الحالة الوفد الأندلسي، الذي توجه إلى سلا لمقابلة الخليفة الموحدي عبد المومن سنة 545 / 1151 حين مر بالموقع، فلاحظ بأن ليس فيه إلا القليل من الناس في خيمات وحانوت واحد كان سوقهم به، وأن الأراضي المجاورة أصبحت موحشة مقفرة بسبب الفتن، والطريق مخيفة ترعب المارين منها بوجود الحيوانات المفترسة.

وتحسنت حالة القصر حينما وضع الموحدون الأوائل سياسة عمرانية كانت تهدف إلى ترميم المدن المخربة ونشر العدل والأمن والاستقرار، فعاد السكان إلى مواطنهم القديمة. ولجأ إلى المدينة بعض أهل الأندلس، وعمروه، وتفرغوا للزراعة والبناء والتجارة" فاتسع فناؤه، وكثر جزاؤه، وأسمع نداؤه، وارتفع بناؤه، فصار في عداد البلاد، وصلح لاتخاذ الطريف والتلاد، وكان ذلك على أيام يعقوب المنصور أو أبيه يوسف". ولعل هذا ما دفع الإدريسي إلى وصفها بالمدينة الصغيرة" بها أسواق على قدرها يباع بها ويشترى، والأرزاق بها كثيرة، والرخاء بها شاملة". وكان نهر اللكوس يساهم في إنعاش اقتصاد المدينة بما يصل عبره من المراكب قادمة من مدينة تشمس.

إن أهم فترة عرفت فيها مدينة القصر الكبير انتعاشا ونهضة على عدة مستويات ـ اقتصادية، عمرانية، دينية، فكرية ـ هي فترة خلافة يعقوب المنصور الموحدي، الذي أولاها عناية خاصة إلى درجة أن بعض المصادر ربطت تأسيسها به.

ومن الإجراءات التي قام بها ومست المدينة ونواحيها استقدامه لقبيلة رياح العربية من بلاد إفريقية، وإقرارها في منطقة الهبط وأزغار، فيما بين القصر الكبير وحوض اللكوس وسبو إلى ساحل البحر المحيط، وذلك سنة 584 / 1188. ولكن لا نتوفر على ما يدل على طبيعة علاقة القبائل العربية بالمدينة خلال هذا العصر، إذ يظهر أنهم تفرغوا، مدة لا بأس بها، للتكيف مع المنطقة التي تغريهم بإمكانياتها الفلاحية للتحول من رعاة رحل محاربين إلى زراع مستقرين. لكن، من الأكيد أن الفضل يرجع إلى هذه القبائل، إلى جانب الهجرات الأندلسية في تعريب المدينة.

ويبدو أن نزول هذه القبائل كان له بعض النتائج السلبية على المنطقة، فلا نعرف إلى أي حد ساهموا في العيث في مخازن الدولة المملوءة بالحبوب وغيرها، والتي وجدها الخليفة الموحدي الناصر فارغة سنة 607 / 1210 أثناء التهييئ لمعركة العقاب. وازدادت حالة المنطقة، والبلاد ككل، تدهوراً بعد هزيمة العقاب سنة 609 / 1212 إلى درجة أن أغلب المؤرخين يعتبرون هذا الحدث بداية النهاية للدولة الموحدية، حيث ظهرت بعد هذا التاريخ ثورات هنا وهناك، كانت أشدها الحركة المرينية الصاعدة، التي زحفت مبكراً إلى بلاد أزغار والهبط، فصارت تهاجمها باستمرار منذ سنة 614 / 1217، وبذلك دخلت في حرب مع قبائل رياح القوية المساندة للموحدين، والتي كانت أقوى قبائل عرب المغرب وأشجعها وأكثرها خيلا وأموالا ورجالا. وقد قتل في إحدى هذه المواجهات الأمير المريني عبد الحق بن محيو وابنه إدريس سنة 614 / 1217 ، فثأر ابنه الآخر عثمان لهما، وهزم رياح سنة 620 / 1223، وكرر الهجوم عليهم مراراً.

وقد زاد من شدة الصراع الموحدي المريني أن المدينة عرفت حركات انفصالية، خاصة حركة أبي الطواجين سنة 625 / 1228، وحركة ابن وانودين سنة 635 / 1238. وبذلك خلا الجو لبني مرين بالمنطقة، فتمكنوا من السيطرة على الغرب، ودخلوا مدينة القصر الكبير، وفرضوا على سكانه ضريبة سنوية يؤدونها للأمير أبي سعيد عثمان بن عبد الحق مقابل حمايتهم ودفع غارات القبائل عنهم وتأمين الطرق.

ولما حل عهد بني مرين، استفادت المدينة من عنايتهم، وجعلتها الأحداث السياسية عاصمة المنطقة، خاصة وأنها أصبحت المدينة الوحيدة في هذه الجهة بعد أن هدمت مدينة أصيلا سنة 663 / 1262 بأمر من أبي القاسم العزفي حاكم سبتة إلى جانب التخريب الذي أصاب المدن التي كانت

تجاورها، فازداد عدد السكان، إذ جعله "فالنثان فيرنانديس" بـ 3000 نسمة، واتسع العمران، وانتظم بسبب وجود العامل أو صاحب البلد بها، وأقيمت بها قصور كبيرة لسلاطين بني مرين الذين نزلوا بها حينما كانوا يقصدون هذه الناحية لمواجهة المتمردين. ويبدو أن قصر السلطان كان متميزاً عن قصور الفئات الأخرى، فنعت بالقصر الكبير، وبه سميت عوض قصر كتامة وذلك منذ القرن (9 / 15 م) وقد ازدادت مكانة المدينة لما أصبحت مقر الحكام من أسرة بني اشقيلولة التي نقلها الخليفة يوسف بن يعقوب المريني من الأندلس حسما للنزاع بينها وبين بني الأحمر. وعرفت ازدهاراً كبيراً في عهد أبي الحسن المريني وابنه أبي عنان نظراً للعناية التي حظيت بها في عهدهما، مثل بناء المدرسة الكبيرة، والمارستان، ومؤسسات تجارية، مما ساهم في تزايد إشعاع المدينة العلمي والحضاري والاقتصادي.

وعلى إثر احتلال البرتغال لمدينة سبتة 1415 وسقوط مراكز أخرى في يدهم، مثل : القصر الصغير 1458 وأصيلا وطنجة ـ 1471 أصبحت مدينة القصر الكبير قاعدة بلاد الهبط الإدارية والحربية. ومما عزز مكانتها وجود أسرة العروسيين على رأس إدارتها. وكان لهذه الأسرة، بزعامة أول واحد نعرفه منها هو عبد الله العروسي، دور كبير في مساندة حركة محمد الشيخ الوطاسي ضد آخر سلطان مريني ـ عبد الحق ـ 823 / 1420 ـ 869 / 1465 في أصيلا ابتداء من سنة 866 / 1463 . ومنذ ذلك الوقت، واتت العروسيين فرصة الاستقلال بمنصب القيادة بالقصر الكبير طوال العهد الوطاسي.

ازداد اهتمام محمد الشيخ الوطاسي بالمدينة رغبة منه في ترتيب مقاومة الوجود الأجنبي بالمنطقة انطلاقا منها خاصة بعد استقراره في فاس سنة 879 / 1470، لأن مشروع المقاومة، الذي وضعه، كان موجها أساسا نحو استرجاع أصيلا، التي كانت مهد سلطته. وفوق ذلك، لأن القصر الكبير كان قريباً منها، ومؤهلا لتلك المهمة بفضل عمرانه، وتزايد عدد سكانه منذ العهد الموحدي وبمن انضاف إليهم من الفارين من بواديهم على إثر احتلال أصيلا خاصة من الخلط، الذين أصبحوا يملأون حوز القصر الكبير وأطراف الطريق العسكري الرابط بين القصر الكبير وأصيلا والذين كانت تتجلى مكانتهم في أن شيخا واحدا منهم كان بمقدوره أن يساهم بـ 500 فارس خلال عمليات الجهاد ضد أصيلا وطنجة. ولهذا كان اعتماد القواد العروسيين على عدة مقدمين وشيوخ من الخلط.

وخلال الصراع الوطاسي السعدي حول الحكم، تراجع دور القصر الكبير في عمليات الجهاد لينساق قواده مع خطة السياسة الوطاسية على عهد السلطان أحمد بن محمد البرتغالي الهادفة إلى توحيد الجهود من أجل مواجهة الخطر الذي أصبح يمثله الزحف السعدي نحو الشمال.

رغم ظروف الاحتلال، والصراع الوطاسي السعدي، فقد أصبحت مدينة القصر الكبير منذ عهد الوطاسيين مركزاً تجارياً رئيسياً في المنطقة وفي الشمال المغربي كله. فقد وصفها الحسن الوزان بأنها مدينة كبيرة فيها عدد كثير من الصناع والتجار، وأراضي باديتها خصبة جدا، غير أن الناس لا يستطيعون أن يزرعوا سوى منطقة تقارب مساحتها ستة أميال لأن البرتغاليين المحتلين لأصيلا يضايقونهم. ووصفها محمد العربي الفاسي بأنها" سوق تجلب إليها بضائع العدوتين وسلعها [...] وتحط به تجار المسلمين من آفاق المغرب وتجار الحربيين من طنجة وأصيلا والقصر الصغير وسبتة. مما كان يدر عليها دخلا يفوق 150 ألف أوقية. وكان بها ملاح، ويشرف على تسييرها، في حدود سنة 1593، قائد يتبعه أكثر من 900 مخازني فرسانا ومشاة وفضلاً عن ذلك كانت مركزاً ثقافياً هاماً شهد ظهور عدد مهم من العلماء كانوا يجمعون بين الدرس والتحصيل والرباط والجهاد.

وبعد السعديين، كانت مدينة القصر الكبير تابعة لإمارة المجاهد العياشي. وبعده، تغلب عليها الخضر غيلان، الذي ظل مستقلا بها إلى أن أخرجه منها المولى إسماعيل.

وفي منتصف القرن (12 / 18 م)، وصفها أحد الرحالة ـ وهو ابن حمادوش ـ بأنها كانت مهدمة.

م. البوعناني، *مساهمة في دراسة تاريخ منطقة الغرب من القرن (6 / 12 م) إلى القرن (11 / 17م)* ، أطروحة دكتوراة الدولة في التاريخ، مرقونة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2002.

المصطفى البوعناني

**القصري، حسونة** من أهل القرن الثاني عشر الهجري. من شيوخ الرباط توجه إلى تونس بقصد التجارة وكان عالماً وله محل بالربع في تونس لوضع سلعه على اختلافها. وكان كل صباح يلقي درسين في جامع الزيتونة احتسابا. وبعدهما يتوجه لموضع سلعه، ورغب الطلبة في دروسه، ولما جعل الباشا علي باي الحسيني مرتبا للمدرسين نظم في سلكهم لكنه لم يرض بقبول المرتب فأحضره الباي وسأله عن سبب امتناعه فأجابه قائلا بأن الله أغناه بتجارته فلا يسوغ والحالة هذه أخذ الأجرة على العلم ثم قال فإني أبث العلم لله خالصا فاعط ذلك من هو أحوج منا.

توفي عام 1199.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 289.

عبد الإله الفاسي

**القصري، عبد الجليل** بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري ويعرف بالقصري وهو من أصل أندلسي حلت أسرته بالقصر الكبير قادمة من الأندلس خلال القرن الخامس الهجري.

وعبد الجليل من الشخصيات الفذة المعروفة لدى علماء الشرق والغرب. تناولته عدة كتب للتراجم والفهارس، أحسنها *سراج الدلجة* لصاحبه عبد العزيز بن محمد بن

الصديق حيث يقول "فهذا الإمام الجليل الذي يفخر المغرب ويتطاول به على الشرق".

حمل المترجم لواء المعرفة في مدرسة شيخه أبي غالب بعد موته بالمسجد الأعظم بالقصر الكبير، وألف كتاباً كبيراً سماه "*شعب الايمان* "، الذي حلل فيه خمسا وسبعين شعبة انطلاقاً من الحديث الشريف الإيمان 75 شعبة...، هذا المؤلف الذي طار صيته واعتمده علماء الشرق والغرب وأكثر النقل منه. وقد أكد الكتاني في *فهرسه* أن ابن ليون التجبي سعيد بن أحمد من المرية ألف فيه *أرجوزة* واختصر شعب الإيمان لعبد الجليل. والكتاب المذكور يوجد بالخزانة الملكية مخطوطاً تحت رقم 4066 و2325، وهو مبتور الأول.

ويظهر أن عبد الجليل احتاج إلى مدة طويلة من الحل والترحال لتحصيل العلم، كما أنه عمل على نشر العلم بين تلاميذته بالقصر الكبير، ولازال أحد المساجد بالمدينة يحمل اسمه إلى الآن وهو موجود بدرب العلوج، ويفيدنا صاحب *سراج الدلجة* أن عبد الجليل كان كثير التردد على أصدقائه العلماء بكل من فاس وسبتة وطنجة وكان يأنف من الإقامة عند أحد حفظاً لكرامته ودينه ويفضل الإقامة في المساجد.. ومن أشهر من كان على صلة بهم من الشيوخ، أبي مدين الغوث دفين تلمسان. وقد نقل صاحب *كتاب الفرق الإسلامية* عن مقصد البادسي عن عبد الجليل القصري عندما تحدث عن رأي عبد الجليل عن الروح الكلية في رأي الغزالي والمتصوفة...

وقد كانت نهاية عبد الجليل القصري في مدينة سبتة، حيث يفيدنا صاحب *تاريخ سبتة* أنه دفن في مقبرة الربط البراني بمدينة سبتة، ومن تلاميذه العالم ابن رشيق عبد الوهاب بن يوسف بن محمد بن خلف الذي ولد بالقصر الكبير وانتقل إلى القطر المصري وتصدر للتدريس به إلى أن توفي عام 650 / 1252 . وهذا يفيدنا أن عبد الجليل القصري كان لا يزال على قيد الحياة في المنتصف الأول من القرن السابع الهجري. أمّا صاحب *الطريق لمعرفة* القصر الكبير فيشير إلى 613 كتاريخ لوفاته.

م. بن تاويت، *تاريخ سبتة* ؛ عبد العزيز بن محمد بن الصديق، *سراج الدلجة* ؛ محمد بوخلفة، *المدارس والتعليم بمدينة القصر الكبير من بداية القرن السادس الهجري وما بعده*، 1989 ؛ *الطريق لمعرفة القصر الكبير*، 1972 ؛ القسطنطيني، *أنس الفقير وعز الحقير* ؛ محمد بن عبد الرحمان بن خليفة، *القصر الكبير*، أعلام أدبية، فكرية وتاريخية، مطبعة طنجة، 1994.

الحسين البعاوي

**القصري، محمد** المكناسي الأصل والنشأة والوفاة، عالم مشارك نحوي متمكن من قواعد اللغة والآداب والخطابة، أشاد ابن زيدان في *إتحاف أعلام الناس* بعلمه وكفاءته فقال : "فقيه علامة مشارك، مدرس نفاع ... كانت له ملكة كاملة يقتدر بها على التدريس بدون مطالعة ... مع همة عالية ونفس آبية". كما نعته ابن إبراهيم في الاعلام بـ "الفقيه العالم النحوي المدرس الوجيه".

ولد بمدينة مكناس وكان في أول أمره يحترف عمل الخبز، ثم توجهت عزيمته للدراسة فقصد حلقات الدروس لإرواء غلته من موارد العرفان وأكب على طلب العلم بجد واجتهاد فأخذ عن شيوخ مدينته المشهود لهم بالتفوق أمثال : العلامة المهدي ابن سودة، والعلامة فضول ابن عزوز، والشيخ فضول السوسي والعلامة محمد الجيلاني السقاط وهو عمدته وغيرهم.

وبعد أن قضى وطره من الدراسة وحصل على مبتغاه من ثمار المعارف تصدر للتدريس فانتفع بعلمه كثير من بينهم على سبيل المثال لا الحصر : قاضي أحواز مكناس أبو العباس الناصري، والعلامة محمد الواستري والشيخ محمد بن مبارك الهيلالي والشيخ الحسن بن اليزيد شيخ المؤرخ عبد الرحمن ابن زيدان ووالده محمد بن عبد الرحمن ابن زيدان (ت. 1300) كما أخذ عنه المؤرخ نفسه وغير هؤلاء من نجباء فقهاء مدينة مكناس. وكان في درسه على حد تعبير صاحب *الإعلام* : "عجيبا في حسن الإلقاء والفصاحة، لطيف المجالسة، وعجيب المحاضرة". ويشير أيضا إلى أنه تولى الخطابة بجامع الأروى وبزاوية الشيخ عبد القادر العلمي نائبا، كما تولى خطة العدالة، وكانت له عند أبناء موسى بن أحمد مكانة فرشحوه لإقراء العائلة الشريفة الملوكية، فكثرت أسفاره مع السلطان مولاي الحسن لإقراء الشرفاء. وسكن بمدينة مراكش سنين.

وعانى بعد ذلك من ضائقة مالية وكان على حد تعبير ابن زيدان مقترا عليه في الرزق، فرشحه السلطان مولاي عبد العزيز لتعليم إخوته وأعمامه، ونفذ له مؤنة ضافية طعامية يومية وشهرية تحسنت بها أحواله المادية، ثم تبدلت الأحوال "وأسقطت عنه تلك المؤنة ورجع لأشر مما كان عليه، ولم يزل صابرا محتسبا إلى أن لقي الله".

وكانت وفاته حسب ابن زيدان في 5 صفر عام 1324 / مارس 1906 ودفن بضريح سيدي الدغوغي في حومة جامع الزرقاء بمدينة مكناس، بينما يشير صاحب *الإعلام* إلى أن وفاته كانت في رجب عام 1327 / غشت 1909 ونرجح هنا رواية ابن زيدان.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ، تح. عبد الوهاب ابن منصور، ج 7، الرباط، 1977، ص. 153 - 154 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ط 2، ج 4، الرباط، 1990، ص. 283.

رقية بلمقدم

**القصرية** ، إناء أو ماعون يستعمل لأغراض منزلية متعددة في مقدمتها تقديم الطعام للأكل، وتختلف القصرية عن القصعة من حيث الصنع فالأولى من فخار أما الثانية فهي منحوتة من جدع شجره (قطعة واحدة) وتختلفان من حيث تاريخ استخدامها فالأولى أحدث من الثانية. فالقصعة

ورد ذكرها في مصادر العصر الوسيط الأعلى والأوسط وما قبله وذكرت بأسماء مرادفة : الصحفة والجفن ... أما القصرية فوردت عنها إشارة يتيمة في مصادر العصر الوسيط : "... قصرية مقلوبة وسط الدار تحتها لحم أهدي إلى الشيخ من عرس ...".

والقصرية اليوم أكثر استعمالاً في الأوساط الشعبية من القصعة التي أصبحت من تحف الصناعة التقليدية المغربية وتستعمل القصرية في أغلب البيوت في البادية والمدن من قبل النساء للعجين ولتقديم الكسكس وما شابهه، ومنها في الأسواق اليوم : البسيطة الخالية من التزويق ومنها اللامعة المطلي داخلها بالبرنيق. وتوجد بأحجام مختلفة، أما أصلها فيدل عليه اسمها : فهي إما من القصر الكبير أو من قصر المجاز (القصر الصغير).

البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، الدار البيضاء، 1985 ؛ الماجري، *المنهاج الواضح* ، مصر؛ الضعيف، *تاريخ الضعيف*، الرباط، 1986 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل*، مرقون.

محمد حجاج الطويل

**القَصَّار**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Alcazar وAlcasar ؛ والغالب على الظن أن اسم هذه الأسرة ينتسب إلى قرية القصر التي كانت بأحواز غرناطة المسلمة وأطلق عليها الإسبان اسم Alcazar ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القصّار، محمد** بن قاسم الفاسي محمد بن قاسم بن مد بن علي الملقب بالقصار الأندلسي القيسي الأصل الفاسي الدار، قدم جده من غرناطة في شهر ربيع الأول من سنة 897 واستوطن مدينة فاس، ولد صاحب الترجمة في 11 جمادى عام 939، محدث المغرب في وقته، سيد علماء زمانه وصدر أهل وقته وأوانه إمام المحققين في العلوم العقلية والنقلية، إمام عالم دراك محصل يحسن أكثر من عشرين علما.

أخذ جل مقروآته عن العالم رضوان الجنوي وأخذ عن علماء أجلاء آخرين منهم خروف التونسي، وأبي عبد الله اليستني وعبد الرحمن بن إبراهيم الدكالي، وولده سيدي أبي شامة، والشيخ محمد بن مجبر، وأحمد التسولي وآخرين.

أخذ عنه وتخرج به جماعة، كالشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي، وأحمد بن يوسف الفاسي وأخيه محمد العربي الفاسي، والعلامة عبد الواحد بن عاشر الأنصاري، ومحمد بن أبي بكر الدلائي والحسن بن يوسف الزياتي والحافظ أحمد المقري، وأحمد ابن القاضي وغيرهم. ولي الفتوى بفاس وخطابة مسجدها الأعظم وول تفريق صدقة المساكين بها.

كان في لسان صاحب الترجمة ضيق في عبارته فضاع بذلك كثير من علمه، ولذلك لم يتصدّ للتأليف وإنما كانت في بطاقات يُذكر أنها بيعت بعد موته بالوزن بالأرطال، وله تقاييد في الأنساب سيما أنساب العلويين التي كان إليه المرجع فيها، وله فهرسة في نحو ورقة كبيرة (منها نسخة خطية بالرباط خ. ع. ك 1427، ص. مج).

قال عنه الحجوي : "عالم فاس بل المغرب ومفتيه ورحلته ومحدثه ومعقوليه وهو الذي أحيا المعقول بفاس هو والإمام المنجور بعدما كان اندث، وإليه مرجع شيوخ المغرب دراية ورواية".

خلف السراج في الإفتاء والخطابة والكراسي العلمية، واشتهر بدقة التفكير والتعمّق في البحث. خرج من فاس إلى مراكش وبه مرض مات به في الطريق بزاوية ابن ساسي، فحمل إلى مراكش ودفن بإزاء باب رضة سيدي أبي العباس السبتي، وذلك في شعبان أو رمضان سنة 1012 / 1604.

القادري، *الإكليل والتاج*، تح. مارية دادي، ص. 306 . 307 ؛ ابن القاضي، *درة*، 2 : 153 ؛ المقري، *روض الآس*، ص. 316 . 332 ؛ العربي الفاسي، *المرآة*، ص. 148 ؛ الإفراني، *نزهة*، ص. 192 ؛ المراكشي، *الأعلام*، 5 : 208 . 217 ؛ الكتاني، *سلوة*، 2 : 63 ؛ الحجوي، *الفكر السامي*، 2 : 273 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 363.

مارية دادي

**قصّارة، علي** بن امحمد الحميري المفتي النوازلي، الموقت بمنار القرويين. كان إماما بمسجد الأبارين بعد عبد المجيد المنالي، يدرس الألفية والجرومية ومختصر خليل، وغير ذلك.

وكان ينوب في القضاء عن قاضي فاس عبد القادر بوخريص، وله أخوة وصحبة مع الشيخ العارف العلامة علي بن عبد الرحمان الدرعي التادلي، وينتسب في الطريق إليه. فقد بصره في آخر عمره.

توفي بفاس يوم 8 محرم عام 1185.

م. الزبادي، *سلوك الطريق الوارية* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

**القصيبي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Qasibi ؛ ومازالت بإسبانية أسر تحمل اسم Alcoceba نسبة إلى قرية القصيبة التي كانت بأحواز غرناطة المسلمة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الـ قصيدة** (في الموسيقى المغربية) استعمل لفظ "القصيدة" للدلالة على قالب من القوالب الغنائية، ويختلف

مفهوم "القصيدة" في الموسيقى المغربية باختلاف أنماطها، كما تتعدد قوالبها بتعدد هذه الانماط وفيما يلي أبرزها :

1 ـ القصيدة في طرب الملحون :

يراد بالقصيدة في الشعر الملحون أبيات شعرية ملحونة يخضع عروضها لبحور أربعة هي : المبيت، والمشبت، ومكسور الجناح، والسوسي.

تتكون القصيدة من ثلاثة عناصر هي الدخول والحدبة، والأقسام. وقد يستغنى عن الدخول فتبدأ القصيدة بحربتها وتسمى أكثر القصائد بحرباتها. ويُمهد لإنشاد هذه الأجزاء بمقدمة آلية تعرف باسم "لَمْشالْيَه" أو بمقطوعة غنائية خفيفة تسمى "السرابة".

ـ الدخول : هو مطلع القصيدة وهو يغنى على طبع من طبوع طرب الملحون.

ـ الحربة : هي من القصيدة بمثابة اللازمة من النشيد. وترجَّعُ بين أقسام القصيدة من طرف الشدادة، وهم مجموعة المنشدين، سُمّوا بذلك لأنهم يشدون أزر المنشد المنفرد والعادة تقضي بإعادة لحن الحربة عزفا ودون كلام.

ـ الأقسام : هي فقرات القصيدة. وتغنى في العادة من طرف منشد واحد.

تنشد سائر الأقسام على لحن واحد لا يُغيَّر من رتابته سوى استبدال طبعه الموسيقى، وهو ما يعرف لدى أشياخ الملحون باسم "لَقْلُوبْ" أو "لَبْدالْ". ومعناه تحويل مقام اللحن الموسيقى من نغمة إلى أخرى كالانتقال من نغمة "الاستهلال" إلى نغمة "المشرقي".

وتختم القصيدة بانشاد فقرة تدعى "الدّريدْكة"، وهي إنشاد القسم الأخير منها مرات متعددة مع المصاحبة الآلية والضرب بالأكف والتعارج عبر حركة حثيثة تعلن عن نهاية القصيدة.

2 ـ القصيدة في العيطة الجبلية :

أغنية جماعية ينفرد بإنشادها الرجال، وبها يستهل عرض العيطة المنتشرة في المناطق الشمالية الغربية من المغرب والتي تغلب عليها تسمية "الطقطوقة الجبلية" فتطرق كلمات القصيدة في "العيطة الجبلية" لموضوع المديح النبوي أو لمدح الولي الصالح المولى عبد السلام بن مشيش دفين جبل العَلَم. ويتميز أداؤها بقيامه على إيقاع هادئ.

3 ـ القصيدة في فن السماع :

أكثر القصائد المدحية تداولا بين أرباب السماع قصيدتا البردةوالهمزية للإمام البوصيري، والبغدادية لابن رشيد البغدادي والمنفرجة لابن النحوي.

ويجري إنشاء هذه القصائد ـ في العادة ـ دون مصاحبة آلية إلا في حالات نادرة. ويستخدم في ضبط موازينها الضرب بالأيدي على الأكف أو على الركبة.

وقد تواضع رجال السماع بالمغرب على انشاد "البردة" على طبوع الموسيقى الأندلسية، وذلك وفق نسقين اثنين ينتمي أولهما إلى الزاوية الفاسية، وينتمي الثاني إلى الزاوية الدلائية بالرباط (انظر مادة : "السماع").

4 . القصيدة في الموسيقى العصرية :

يعتبر الإقبال على تلحين القصيدة الفصيحة في قالبها الشرقي من الظواهر الفنية المستحدثة بالمغرب. وقد تم ذلك في سياق تعامل الفنانين المغاربة مع الموشحات والطقاطيق والأدوار والبشارف والسماعيات الشرقية التي تسربت إلى المغرب منذ العشرينيات وهو تعامل أفضى إلى نشوء ممارسات موسيقية اصطلح على تسميتها منذئذ "بالموسيقى العصرية".

وقد كان الفنان أحمد البيضاوي (ت. 1989) من السباقين إلى تلحين القصيدة وغنائها في قالبها الشرقي. ومن أعماله في هذا الصدد : نونية ابن زيدون، وقصيدة "يا صاحب الصولة والصولجان".

وقد حذا حدو البيضاوي ملحنون آخرون من أوائلهم :

ـ المعطي البيضاوي (ت. 1987) الذي لحن وغنى من شعر ابن زيدون قصيدتي "قلب جمالك"، و"يانائما".

ـ عبد الوهاب أگومي (ت. 1989) الذي لحن وغنى من شعر وجيه فهمي صلاح قصيدة "ربوع المغرب"، ومن شعر الدكتور كريم المهندس المصري قصيدة "التائة".

ومن الفنانين المغاربة المتأخرين الذين تعاملوا مع قالب القصيدة العربية عبد السلام عامر (ت 1979) الذي لحن من شعر عبد الرفيع الجواهري قصيدتي "القمر الأحمر" و"الشاطئ".

وقد أفضى تبني قالب "القصيدة" الشرقية إلى نشوء أسلوب جديد في الأداء يتميز بالتعامل مع الكلمة الفصيحة وفق مقاييس مبتكرة تراعي الوعي بقيمتها الجمالية وتقطيعها على نحو لا يخل بمواقع المد والقصر ؛ وبذلك فهو يختلف اختلافا بينا عن الأسلوب المتبع في إنشاد قصائد السماع المديحية والصنعات العروضية أو الموشحة في "طرب الآلة".

عبد العزيز بن عبد الجليل

**القصيري**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعضُ أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Caçeri - Casiri ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**القُصَيِّر**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Caçer ؛ وما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Alcocer وهو إسم مدينة إسبانية؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

«sala»

IMPRIMERIE DE SALÉ

**Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane**
**Zone Industrielle de Tabriquet**
**B.P. 596 SALÉ**

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

19

Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé**

"SALA"

**2004 - 1425**

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

20

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2004 - 1425

تـم طبـع الجـزء 20 مـن معـلمـة الـمغـرب
بـمطابـع سـلا وبـمطبعـة النجـاح الجـديـدة
في رمضان عـام 1425 / نونبر 2004

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 0629



ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 9 - 027 - 03 - 9981 (الجزء 20)

# معلمة المغرب

المغرب الأقصى

20

بسم الله الرحمن الرحيم

أعد هذا الجزء من معلمة المغرب بدعم من وزارة الثقافة ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق عبارات الشكر والامتنان.

# اختصارات

| | |
|---|---|
| تـ. | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. تـ. | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. تـ. | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في هذا الجزء

عبد المجيد **احساين**، باحث ـ الرباط

الحسين **أخروش**، باحث ـ فاس

الفقيه **الإدريسي**، كلية الآداب ـ بني ملال

محمد **أزهار**، كلية الآداب ـ المحمدية

عبد القادر **اعمارة**، باحث

مصطفى **أعشي**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

محمد **الاكلغ**، كلية الآداب ـ مراكش

العربي **اكنينح**، المدرسة العليا للأساتذة ـ فاس

حسن **أميلي**، كلية الآداب ـ المحمدية

محند **آيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء

محمد **أيت حمزة** ، كلية الآداب ـ الرباط

حسن **الباهي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط

عباس **برادة**، باحث ـ الرباط

الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية ـ البهاليل

محمد **البكراوي**، باحث

عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **بلعربي**، باحث ـ الرباط

البضاوية **بلكامل**، كلية الآداب ـ الرباط

حفيظة **بلمقدم**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط

رقية **بلمقدم**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **بنبراهيم**، كلية الآداب ـ وجدة

زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية

عبد العزيز **بنعبد الجليل**، باحث ـ مكناس

عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا

حليمة **بنكرعي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **بوخبزة**، باحث ـ تطوان

عبد القادر **بوراس**، المركز التربوي الجهوي ـ القنيطرة

سعيد **البوزيدي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط

المصطفى **البوعناني**، كلية الآداب ـ القنيطرة

الحسان **بوقنطار**، كلية الحقوق ـ الرباط

عبد المجيد **بوكاري**، باحث

أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية ـ تيزنيت

جامع **بيضا** ، كلية الآداب ـ الرباط

بوعبيد **التركي**، باحث

نجيب **تقي**، باحث ـ الدار البيضاء

الحسين **جهادي**، باحث ـ الدار البيضاء

أحمد **جوماني**، باحث

محمد **حاتمي**، كلية الآداب ـ فاس

محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة

نعيمة **الحضري**، باحثة

محمد **حنداين**، وزارة التربية الوطنية ـ أگادير

علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **خربوعة**، كلية الآداب ـ وجدة

خالد **الخضري**، وزارة الثقافة ـ الرباط

عائشة **الخميري**، كلية الآداب ـ الرباط

مارية **دادي**، كلية الآداب ـ وجدة

محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب ـ مراكش

علال **ركوگ**، كلية الآداب ـ بني ملال

محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط

بوجمعة **رويان**، كلية الآداب ـ القنيطرة

أحمد **زروال**، كلية الآداب ـ مراكش

عبد النبي **زين العابدين**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا

محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا

عبد القادر **سعود**، باحث

عبد السلام **السعيدي**، باحث ـ مراكش

مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط

صالح **شكاگ**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

أحمد **الشكري**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط

الحسن **شوقي**، وزارة التربية الوطنية ـ العطاوية

محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط

المصطفى **شويكي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

علي **صدقي أزايكو**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد العزيز **الضعيفي**، كلية الآداب ـ بني ملال

أحمد صالح **الطاهري**، المعهد الوطني للآثار ـ الرباط

أحمد **الطريبق**، كلية الآداب ـ تطوان

محمد **الظريف**، كلية الآداب ـ المحمدية

عبد العلي **العبودي**، وزارة العدل ـ الرباط

محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان

عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط

هاشم **العلوي القاسمي**، كلية الآداب ـ فاس

أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش

محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة

الحاج موسى **عوني**، كلية الآداب ـ فاس

سيدي محمد **العيوض**، باحث

عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **الفقير**، باحث ـ الرباط

حسن **الفكيكي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

عبد المجيد **القدوري**، عميد كلية الآداب ـ الدار البيضاء

سليمان **القرشي**، باحث

حمزة بن الطيب **الكتاني**، باحث ـ الرباط

محمد **كربوط**، كلية الآداب ـ الرباط

لطيفة **الگندوز**، معهد البحث العلمي ـ الرباط

عبد السلام ابن **كيران**، باحث

محمد **اللبار**، كلية الآداب ـ وجدة

أحمد **لقمهري**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط

محمد **ماگامان**، باحث ـ مراكش

أحمد **متفكر**، باحث ـ مراكش

محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمدية

الحسن **المحداد**، كلية الآداب ـ أگادير

محمد **مرزاق**، باحث

نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **مزيان**، كلية الآداب ـ فاس

محمد **المغرواي**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **المكاوي**، كلية الآداب ـ الجديدة

محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **الناصري**، باحث ـ الرباط

مصطفى **ناعمي**، معهد البحث العلمي، الرباط

محمد ياسر **الهلالي**، كلية الآداب ـ مكناس

أحمد **هوزلي**، كلية الآداب ـ مراكش

محمد **وحيد**، المركز التربوي الجهوي ـ الدار البيضاء

محمد عزيز **الوكيلي**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

## Listes des principales abréviations des périodiques

A.A. : *L'Afrique et l'Asie.*
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales, Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignement Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus.*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.G.M : *Bulletin de Géologie du Maroc.*
B.I.D.M : *Bulletin de l'Informatique et de la Documentation Marocaine.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique* (Paris).
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographgie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Comptes-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Comptes-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.B : *Encyclopédie Berbère.*
E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam.* (1ère édition).
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam.* (2ème édition).
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerraniennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp. : *Hespéris.*

H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
M.E.F.R : *Mélange de l'Ecole Française de Rome.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scienfitiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
R.G.L : *Revue de Géologie de Lyon.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique* (Paris).
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.C.M : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.F.P.E : *Revue Marocaie des Finances Publiques et d'Economie.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
Rev. Int. Hist. Mil. : *Revue Internationale d'Histoire Militaire*
S.G.L : *Sodiedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*
Trav. Inst. Sc. : *Travaux de l'Institut Scientifique.*

**القضاء والقضاة**، للفظة القضاء، معانيٌ متعددة.

أولاً - في اللغة :

القضاءَ في اللغة : الحكم، يقال : قضى الحاكم في النازلة : إذا حكم وفصل في النزاع المعروض على القضاء.

وتتبع فقهاء الأمة ذلك بما يكفي من الشرح، فوضحوا معناها في اللغة، كما عرّفوا المقصود منها في الإصطلاح، من أجل أن ينتقلوا بعد ذلك إلى تعريف القضاء : كولاية خاصة، أو سلطة في الدولة، أو هيأة يقوم أعضاؤها بالفصل في المشاكل العادية للمواطنين أو في المنازعات المختلفة بين الناس، سواء تعلق النزاع بالنفوس أو بالأموال، أو بالأغراض، أو بغيرها، من كل ما يحال على القضاء بحسب النظام المتبع لدى مختلف المحاكم، ودرجاتها، وتخصص قضاتها بالنظر في كل ما يطرح عليهم.

عقد صاحب : *"تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام"*، باباخاصا، بين فيه : حقيقة القضاء، - وحكمه، - وحكمته، - نقل فيه، عن الأيمة السابقين تعاريف متقاربة المعنى، ظاهرة المقصود، يمكن تلخيص الغرض من ذلك في العبارات الآتية :

1 - حقيقة القضاء : نقل ابن فرحون في تبصرته تعريفا نسبه لابن رشد في معنى وحقيقة القضاء : "بأنه الإخبار عن حكم شرعي، على سبيل الإلزام". كما نقل أيضا تعريفا آخر لابن طلحة الأندلسي يتضمن : "أن القضاء معناه الدخول بين الخالق والخلق"، وذلك ليؤدي فيه أوامره وأحكامه بواسطة الكتاب والسنة.

2 - حكم ولاية القضاء : أما حكم تولي القضاء فيعتبر في كل الأنظمة ومختلف الدول فرض كفاية، يجب على ولاة الأمر في المجتمع، أو على جماعة المسلمين، أن يتفقوا على أن ينصبّوا حاكما بينهم، وقاضيا ينظر في نزاعات السكان ويفصل في خلافاتهم. والقضاء غير واجب على أي فرد بعينه إذا كان هناك من يقوم به وهو مؤهّل له، حسب نظام التقاضي، واختيار القضاة وتعيينهم في البلد الموجود به.

ولا خلاف بين الأيمة في وجوب القيام بالقضاء، لكن يشترطون في صاحبه شرائط معينة لتولية الخطة سواء اختيارا أو بعد أن يجبر المؤهل لها بجميع الوسائل الشرعية إن تعين على أحد بعينه مؤهل للقيام به.

3 - الحكمة من تنصيب القضاء : إن الحكمة في تنصيب أفراد لخطة القضاء في المجتمعات تتجلى حسب الفقهاء وعلماء الأصول فيما يهدف إليه ولاة الأمر من أجل رفع التهارج بين الناس، ورد النوائب، وقمع الظالم فيها، ونصر المظلوم بينهم، وقطع الخصومات التي تحدث بسبب مخالطاتهم في أمور دنياهم.

- فضل ولاية القضاء :

ولولاية القضاء فضلٌ كبير، وبها يشرف من تولاها وقام بحقها، طبقا لشرائطها وأحكامها المحددة شرعا، أو في القانون الوضعي المنظم لها حديثا. ولقد بين الفقهاء، فضلها، والترغيب في القيام بها بالعدل، وحكم السعي في القضاء، ومحلّ التحذير من الولايات كلها بتفصيل، سواءً ممن يتعاطاه من القضاة، أو ممن يحتاج إليه في حل مشاكله، أو ممن له صلاحية تولية القضاة، وتنصيب المحاكم في الوطن والأمة.

ويتعين معرفة هذا الفضل من القاضي نفسه ليقوم بحقه، ولقد أوجبت مختلف الأنظمة الشرعية والإجتماعية والسياسية قديما وحديثا، احترام هذا المنصب، وتعظيم أهله للدور الشريف المنوط بهم في مجتمعهم، حتى أصبح هذا الشرف غير خاف، ومكانة القائم به ظاهرا أخذا من الآثار المتعددة في هذا الشأن، كما جاءت بذلك عدة آيات قرآنية، وأحاديث نبوية شريفة. فلعلو فضله، قال الرسول صلى الله عليه وسلم في حق المجتهد فيه : "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجر اجتهاده، وإذا حكم فأخطأ فله أجر إن أخطأ" وعلل الفقهاء ذلك بما جاءت به الآثار : فبالقضاء بعثت الرسل، وبالقيام به على وجهه الأكمل قامت السماوات والأرض، جعله النبي صلى الله عليه وسلم، من النعم التي

يباح الحسد عليها، ففي الحديث : "... ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعمل بها". "... وأن الإمام العادل من السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله". وهكذا فللحاكم الأجر عند الله على اجتهاده في البحث عن الحق، وعند بذل وسعه في الوصول إلى الصواب، لهذا أعفي في خطئه، ولا شك أن المراد بذلك كل قاض أو حاكم أو متول لأمر العباد، سواء كلف بأن يفصل في أي نوع من الخصومات بينهم، أو بأن يقضي حاجاتهم التي ندب نفسه لقبولها.

ورد بشأن مدح القضاة، والحكام، الذين يحكمون بالعدل قوله صلى الله عليه وسلم "... المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمان، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا".

ثم أن العدل بين الناس من أفضل البر وأعلى درجات الأجر، قال تعالى : "وإن حكمت بينهم فاحكم بالقسط إن الله يحب المقسطين". فأي شرف أسمى في هذه الحياة وأي محبة أعظم في هذا الكون من محبة الله تعالى، ومن مدحه سبحانه لعبده المقسط في حكمه بين خلقه.

وبحث الفقهاء والقضاة أنفسهم شأن ولاية خطة القضاء من حيث طلب توليها، ومتى ينبغي أن يطلب، أو يقبل أحد من المؤهلين له حسبما يأتي :

- طلب القضاء :

هذا وإن أفضل إنسان يتولى منصب القضاء هو الذي يطالبه غيره من أهل مجتمعه لتوليه، أو من ولي أمر المسلمين حسب نظام كل أمة، أما أن يطلب المرء القضاء، أو غيره من الإمارات والولايات، أو أن يقوم هو بالحرص على أن يتولى أيّ واحدة منها، فذاك أمر له حكم آخر ؛ يؤثر أنه يصعب على صاحب هذا الطلب التوفيق فيه.

1 - جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم : أنه خاطب بعض أصحابه رضي الله عنهم، لما طلب إمارةً ما : يا عبد الرحمان ! لا تسأل الإمارة، فإنك إن تؤتها من غير مسألة تعن عليها، وإن تؤتها عن مسألة توكل إليها.

2 - ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، نظر إلى شاب في وفد قدموا عليه، فأعجبه حاله، فلما علم أنه يسأل القضاء، قال له : إن الأمر - القضاء - لا يقدر عليه من يَحبُّه ويَرغَبَ فيه.

3 - ثبت في مختلف الآثار الصحيحة أن طلب القضاء عاقبته حسرةٌ وندامةٌ، في عَرَصات يوم القيامة، مصداقا لقول من قال نعمت المرضعة، وبيست الفاطمة.

فالتحلي بخطة القضاء قد يكون نعمة، لكن التخلي عنها قد يحول تلك النعمة إلى نقمة، خاصة عند فقدان ما هي محتاجة إليه من قوة وعزيمة في تحمل مشاقه، والشجاعة على قول الحق ضد أي كان، والتمسك به في كل حال، على ما كان من حال.

ولقد فَصّل أيمة الفقه في الإسلام، ومعهم مختلف فقهاء المذاهب، البحث في أمر تولي خطة القضاء، وقسم الكلام بشأنه إلى حالات مختلفة : حسب الأحكام الشرعية الخمسة، فبينوا حالات : وجوب طلبه، أو جوازه أو استحبابه، أو كراهيته، أو حرمة طلبه.

1 - من يجب عليه طلب القضاء :

فيجب طلب القضاء إذا كان الطالب له من أهم العلم والإجتهاد فيه، والعدالة والنزاهة في أمره، وخاصة إذا كان لا يُوجد من هو أفضل منه أو يُخاف من أن يتولاه أو يعطى لمن هو أقل منه علما، أو عدالة، أو اجتهادا فيه، وإلا فيتعين على من وصف بما ذكر من العلم والعدالة والإجتهاد أن يتصدى له، ويسعى في أمره، بل ويجب عليه أن يطلبه، إذا لم يُعرَض عليه.

2 - من يجوز له أن يطلب القضاء :

والجواز كما يقال مستوي الأمرين : فكما يجوز الطلب، كذلك يجوز عدمه. ويجوز أن يطلب القضاءَ إذا كان الطالب له مؤهلا في نفسه لتحمل عبئه، يستطيع القيام بواجباته، خاصة إذا كان قنوعا مستعفا، ويقصد في عمله وأخذ الأجر عليه سد خلته، أو دفع الضرر عن نفسه، أو ردّ الجاهل بحقيقة خطة القضاء عن توليته، إذا طلبه أو طلب له القيامَ به.

3 - من يستحب في حقه طلب القضاء :

ويُستحبُّ أن يطلب القضاء ممن كان عالما بقواعده، حافظا لفقهه، وخفى علمه عن الناس، فبلغ ذلك لولي الأمر، وأراد الإمام أن يشهر ذلك عند صاحب الطلب بتوليه القضاء، ليُعرف موضعُ علمه، ومقدار عدله، إذا كان متحققا من أنه في ولايته يستطيع أن ينهض به، وفي توليه للقضاء نفع للمسلمين أكثر من غيره، أو خيف من أن يتولاه جاهل بقواعده عوضا عنه، ممن يَقْصُر عن التمكن من القيام بأمر القضاء على حقيقته.

4 - من يكره في حقه طلب القضاء :

ويكره السعي في القضاء، والتصدي له أو طلبه لتحصيل جاه، أو استعلاء على الناس، أو تعنت فيه وخاصة إذا كان غنيا عن أخذ الرزق عليه، غير محتاج إلى إشهار علمه، ليعرفه غيره به، وليست هناك حاجة للمجتمع تدعوه إليه.

5 - من يحرم في حقه طلب القضاء :

وأخيراً يحرم على غير المؤهّل للقضاء، الجاهل بعلمه وقواعد السير فيه، أن يطلبه لأي سبب، أو يسعى فيه لأي غرض، أو يتصدى له دون قدرة عليه، ولو كان عالما، ولكنه مُتلبس بما يُوجب فسْقَه، أو كان قاصدا من توليه الانتقام من غيره، أو قَبول الرشوة فيه من الخصوم، والإفساد فيه ؛ وقديما قيل :

إذا جار الأمير وحاجباه ... وقاضي الأرض أفسد في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل ... لقاضي الأرض من قاضي السماء

ـ أركان القضاء :

وإذا كان لكل شيء أركان ودعائم يقوم عليها، ويستقر بها، ويرفع عليها فإن خطة القضاء لها أركان كثيرة، لا ينبغي تجاهلها ممن ابتلي به، أو كلف بأمره بصفة مباشرة أو غير مباشر وهي : القاضي والمقضى به، والمقضى له، والمقضي فيه، والمقضى عليه، والحكم في النزاع بعد استيفاء إجراءاته.

وكذلك الأمر بالنسبة للقاضي في ذاته، فله أحكام من أهمها : الأهلية للقضاء، وتوفر الشروط لانعقاد ولايته، لتُنَفَّذَ أحكامُه وعليه واجبات، يجب أن يَكون له علم بها، وبموجبات عزله إن ارتكب شيئا منها، أو دواعي اعتزاله إن توفرت أسبابها، وكل ما يتصل بآداب مهنته، أو بتحمل مسؤولياته في عمله، تجاه نفسه، وتجاه غيره.

ولا يتمكن من النجاح في عمله المنوط به، من ليس له معرفةٌ بنوع النزاع المعروض عليه، والنصِّ الفقهي، أو القانوني المطبق فيه، ولا يحصل هذا إلا بعد العمل على توسيع القاضي لمعلوماته بالكد والإجتهاد فيه، بعد كثرة اطلاعه على أحكام غيره من القضاة، وأقوال الأساتذة المشهورين من الفقهاء المحتاج إلى رأيهم في حل النزاع.

ولا يخفى على ولاة الأمة ذلك كما يتأكد معرفة ما يجب على القاضي أن يعلمه، من الحلال والحرام، والممنوع والمباح واللائق وغيره، ولو في بسائط الأمور، أما العلم بالفقه، بالنسبة لسائر قواعد الأحكام، فإن البعض كان يشترط في القاضي الإجتهاد، لكنه في نفس الوقت أجاز بعضهم أن يقلد غيره من العلماء الموثوق بعلمهم وحسن فهمهم وصواب إدراكهم لحل مشاكل مواطنهم عند عرضها عليه، وقالوا : لا ينبغي للقاضي أن يقلد الجاهل بالأحكام، ولا المشكوك في علمه، ولا الملموز في عدله، لأن الجاهل قد يقضى بالباطل من حيث لا يشعر، والله سبحانه وتعلى يقول : "ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبعي الهوى". الآية 26 من سورة ص.

وباختصار فعلى القاضي من الواجبات المتعددة ما لا يستطاع حصره كثرة، سواء ما يتعلق بوقت عمله، ليكون معلوما للناس، ولا يضر بهم بوجه من الوجوه في معايشهم أو فيما يرجع بسلوكه الخاص داخل بيته وفي محكمته أو في خارجهما وفي سيرته العادية، وكل تحركاته الشخصية داخل مجتمعه مع أفراد هذا المجتمع إنما دون أن يحرج نفسه بشكل يؤثر سلبا عليه أو يتعبها في عمله.

نقل عن الإمام مالك أنه قال : "ينبغي للقاضي أن يكون جلوسه في ساعات من النهار معلومة، وليس عليه أن يتعب نفسه في نهاره كله، لأني أخاف أن يكثر فيخطئ"، وذلك احتياطا له ولحقوق الناس التي بين يديه، ويكره للقاضي أن يعمل شيئا أو يتخلى عنه ولو كان يباح شرعا لغيره القيام به، ولا ينكر عليه عادة، فيكره حتى أنهم قالوا : يكره للقاضي البيع والشراء إلا بوكيل، لا يُعْرف، لئلا يحابى أو يكافأ، فالمحاباة والمكافأة كالهدية، وقديما قيل :

إذا دخلت هدية دار قاض　تطايرت الشريعة من كُواها

وفي الآثار الصحيحة : ما عدل قاض اتجر، وزاحم في البيع والشراء غيره في رعيته، وقصر مالك كراهية ذلك في مجلس الحكم فقط.

ـ القضاء في المغرب :

لم يكن القضاء في المغرب ـ الأقصى ـ بعيدا عن القضاء في غيره من الأقطار المغاربية أو الشرقية بل بقي طيلة القرون السابقة على القرن الثالث عشر الهجري قضاء عربيا إسلاميا روحا ومادة، فلا يقلد خطة القضاء، إلا من توافرت فيه شروطها المرعية، منذ عهد الصحابة ومن بعدهم، قال بن خلدون : "كانت خطة القضاء أعظم الخطط قدرا وكل أهل الولايات الأخرى أعوان له، وهكذا، فلم تضعف هذه الخطة وينزل قدرها في بعض الحالات إلا بحسب تأثر قيمة متوليها في العلم والنزاهة والشجاعة على قول الحق دون أن يخشى في الله لومة لائم وبسبب هذا الضعف صارت سلطة القاضي منتقصة ومقتصرة فقط على النظر في قضايا الزوجية والأطفال والميراث بين الأقارب، ومشاكل العقار وأمور الأوقاف، إنما كان الكل يجري بين يديه طبقا للنصوص المقررة في كتب الفقه وبحسب المذهب المالكي".

ولقد حاول بعض السلاطين في القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين تجديد هياكل نظام القضاء وتحسين كيفية اختيار القضاة، بإدخال إصلاحات تمس بالخصوص الجوانب الضعيفة فيه وحوله، لكن ذلك صادف صعوبة في التطبيق العملي لعدة أسباب، كانتشار الفتن وانعدام الكفاءات العلمية بشكل غطى الكثير من المناطق خاصة النائية منها وفي القبائل التي لم تكن سلطة الدولة كافية عليها سياسيا وإداريا، إما بسبب تدخل الأجانب، أو بسبب صعوبة المواصلات، وتفشي الجهل بين من كان يمثل الدولة من الولاة بمختلف النواحي والجهات، ورغم أن بعض القبائل في البوادي والأرياف توافرت لديها نخبة من العلماء الصالحين للخطة حيث تلقوا تعليمهم بعد الأولي منه في جامع القرويين بفاس أو بمعاهد مماثلة في المدن الكبرى كمراكش ومكناس، وتطوان، وتارودانت وغيرها، إلا أن ذلك وبسبب ماذكر لم يفد ذلك الإصلاح إلا قليلا.

ـ القضاء في عهد الحماية :

وإذا كان من بين بنود عقد الحماية لسنة 1912 بند ينص على مساعدة سلطان المغرب على تأسيس نظام جديد للإصلاح بما فيه إصلاح العدلية المغربية، فلم ينفذ ذلك إلا لمصلحة الحماية، بواسطة تشريعات وضعية خاصة، صدرت سنة 1913 تتضمن إحداث محاكم فرنسية وإسبانية ودولية.

ولم يتم أي إصلاح للمحاكم المغربية واقتصر على بعض المبادئ التنظيمية فقط، كترتيب المحاكم بحسب أهمية المدن والقبائل ويحدث نظام خاص للطعن في أحكام بعض هؤلاء

القضاة بإعادة النظر من طرف قاض آخر يكون مقره بالمدينة القريبة من الأول وحدد له دائرة قضاة القبائل المحيطة بمقره لينظر في أحكامهم. ووضع نظام لتعيين القضاة الشرعيين مخالف لما كان سابقا وذلك بإحداث مباراة لا ختيار القضاة دون إلغاء عملية اختيار من اشتهر بعلمه من بين علماء القرويين وابن يوسف وحدد قدر مرتباتهم، كمنحة يضاف لها تعويضات تؤخذ من الأجور المستخلصة عن الرسوم التي تأخذها مصالح التسجيل التابعة لإدارة المالية، وهذه الأنظمة المدخلة على المحاكم الشرعية بواسطة سلطة الحماية ما كانت تهدف بالأساس إلا إلى تضييق مجال القضاء الشرعي، لصالح المحاكم المخزنية التي كانت تحت إدارة الباشا بالمدن أو القائد بالبوادي وغالبية هؤلاء جهال وتحت المراقبة لضباط الشؤون الأهلية، أو المراقبين أو المناديب الفرنسيين الذين أعطيت لهم صلاحية النظر في كل القضايا المدنية أو الجنائية أو التجارية، كما كان ذلك النظام من جهة أخرى في صالح ما استحدث من المحاكم الأجنبية، التي كانت في الحقيقة محاكم عصرية في بناياتها وفي قوانينها الشكلية والموضوعية وبطبيعة الحال في أشخاصها الأجانب. أما المغاربة فإنهم كانوا مبعدين عنها بشكل كلي لا توظيفا ولا التجاء إلا حسب مصلحة الحماية التي قامت بتأسيس هذه المحاكم عوضا للمحاكم القنصلية لتقوم بما كانت تقوم به هذه قبل عقد الحماية فكانت النتيجة هي إضعاف القضاء المغربي بكل الوسائل والطرق، وتقوية القضاء الأجنبي بإعطائه جميع الوسائل المادية والمعنوية.

- القضاء المغربي بعد الإستقلال :

وما أن حصل المغرب على استقلاله السياسي والإداري حتى اهتم بشكل لافت للنظر بالقضاء وشؤون المتقاضين فكان من أوائل النصوص الصادرة إثر إعلان الاستقلال ظهير 7 مارس 1956 وظهير 19 مارس 1956 وذلك من أجل إلغاء كل تدخل للسلطة التنفيذية في القضاء، وتوالى تدريجيا إصدار ظهائر تلغي المحاكم المخزنية - محاكم الباشاوات والقواد - والمحاكم الخاصة بقبائل العرف الذي أطلقت عليه الحماية العرف البربري لتحل محل كل تلك المحاكم محاكم السدد والمحاكم الإقليمية، لتنظر في أحكامهما الإبتدائية محاكم الإستيناف التي ضمت بعضا من تلك المحاكم الأجنبية واختصاصاتها ليتوج العمل الوطني بشأن إصلاح القضاء بإحداث المجلس الأعلى كمحكمة للنقض والإبرام المؤسس بظهير 27 شتنبر 1957 تلاه ظهير ماي 1958 لينظم من جديد بشكل ملائم للمغرب المستقل كيفية الإلتحاق بالسلك القضائي ليستقطب الفقهاء والقانونيين فتمت مغربة القضاء وتعريبه وتوحيده بواسطة ظهير 26 يناير 1964 المصادق على القانون الصادر عن أول برلمان مغربي. وأعقبت كل ذلك عدة إصلاحات تهدف إلى جعل القضاء المغربي قضاء يحقق ما يريده المغاربة من حريات وصيانة حقوق وذلك بجميع الوسائل المتاحة بشرية كانت أم نصوصا قانونية أو غيرهما.

وإذا كان لا بد من تطوير القضاء لتحقيق ذلك فإنه يبدأ من تحسين التعليم وصلاح التكوين. وقد أحدث معهد للدراسات القضائية يختص بتكوين القضاة لا يحق الالتحاق به والدخول إليه إلا للحاملين لشهادة الإجازة في الحقوق أو لشهادة تعادلها أو لحامل شهادة الإجازة في الشريعة حسب ظهير 26 شوال 1394 (11 / 11 / 1974 ) بمثابة قانون، المكون للنظام الأساسي للقضاة والنصوص التنظيمية المتخذة تطبيقا لمقتضياته والمحددة لطريقة إجراء مباراة الدخول للمعهد المذكور ومدة التدريب فيه والدروس الملقنة لطلابه خلال المدة الواجب أن يقضيها كل ملحق قضائي به قبل اجتياز امتحان الخروج منه بنجاح ليعين بإحدى محاكم المملكة.

المالكي القرطبي، *أقضية الرسول صلى الله عليه وسلم* ؛ ابن رشد، *بداية المجتهد* ؛ ابن فرحون المالكي، *تبصرة الحكام* ؛ الحجوي، *الفكر السامي* ؛ وزارة الأوقاف دولة الكويت، *الموسوعة الفقهية* ؛ القيرواني، *قضاة قرطبة وعلماء إفريقيا* ؛ الكندي، *الولاة وكتاب القضاة* ؛ آشبارو، *القضاء والقضاة في الإسلام* ؛ الزحيلي، *تاريخ القضاء في الإسلام* ؛ ابن عبد البر، *جامع بيان العلم* ؛ وزارة العدل، *المجموعة المنيرة* ؛ أبو الشتاء الصنهاجي، *الوثائق العدلية* ؛ ابن عرضون الزجلي، *الكتاب اللائق لمعلم الوثائق*.

عبد العلي العبودي

**قطر والمغرب**، سنعرف بدولة قطر أولاً ثم بالعلاقات المغربية - القطرية ثانياً.

أولاً - دولة قطر عبارة عن شبه جزيرة تقع في منتصف الساحل الغربي للخليج العربي، تحيط بها مياهه من الشرق والشمال والغرب، وتشترك حدودها الشرقية والجنوبية مع المملكة العربية السعودية (60 كلم تقريباً)، ومن الغرب مع دولة البحرين.

من أهم حواضر قطر : الدوحة (400 ألف نسمة)، وريان (240 ألف نسمة). والوكرة (30 ألف نسمة)، وأم سعيد. ويبلغ عدد سكان مجموع الدولة حسب تقديرات 2003 حوالي 817 ألف نسمة ؛ يتوزعون حسب التركيبة الديموغرافية بين 40٪ من العرب، و18٪ من الباكستانيين، 18,5٪ من الهنود، و10٪ من الإيرانيين، و13,5٪ من الجنسيات الأخرى. وتبلغ نسبة النمو الديموغرافي حوالي 3٪ سنويا.

تعتبر قطر اقتصاديا دولة نفطية بمعدل انتاج يومي يبلغ حالياً 800 ألف برميل. وتتوفر الدولة حسب المصادر القطرية على ثلث احتياطي العالم من الغاز الطبيعي، أي بمخزون يقدر بحوالي ثمانية مليار م$^3$. وقد حقق قطاع الغاز في السنوات الأخيرة طفرة كبيرة بسبب ضخامة الاستثمارات المخصصة له.

يبلغ الناتج الداخلي الإجمالي لقطر حسب احصائيات الدولة لعام 2003 ما يعادل 17 مليار دولار أمريكي يساهم

قطاع النفط فيه بحوالي 39,6٪، ويتوزع الباقي على صناعة البتروكيماويات من أسمدة ويوريا، إضافة إلى صيد السمك والسياحة.

أما الدَّيْن الخارجي فقد كان عام 2000 يناهز حوالي 13,1 مليار دولار.

يشكل النفط ومشتقاته 90٪ من مجموع الصادرات القطرية، وتعتمد قطر في التشغيل على يد عاملة أجنبية تغطي حوالي 96٪ من حاجات القطاع الخاص والعام.

ويذكر أن الإنسان الأول قد استوطن أرض قطر منذ أقدم العصور، وقد دخلها الإسلام في منتصف القرن الأول الهجري، كما سيطر عليها الخوارج لبعض الوقت. في القرن السادس عشر للميلاد أصبحت قطر في دائرة النفوذ العثماني، وتحت ظلِّه نهضت منذ القرن الثامن عشر، أسرة آل ثاني الحاكمة حاليا، حيث عُهد لها بتسيير الشؤون المحلية إلى أن انفصلت نهائيا عن الدولة العثمانية بعد خضوعها للحماية البريطانية بمقتضى اتفاق سايكس ـ بيكو لعام 1916.

سياسيا : في 3 سبتمبر 1971 أعلن عن استقلال قطر وانضمامها إلى الجامعة العربية، والأمم المتحدة والهيئات المتفرعة عنها، وكذا إلى مؤسسات بريطون وودز المالية، ومنظمة التجارة العالمية مؤخراً.

وظل الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أميراً لدولة قطر منذ فجر الاستقلال إلى أن أطاح به ابنه وولي عهده ووزيره في الدفاع الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني في 27 يونيه 1995، إثر عملية انقلابية بيضاء، سعى من ورائها، حسب المصادر الرسمية القطرية إلى " إرساء أسس الممارسة الديموقراطية عن طريق الاقتراع المباشر، ومشاركة المرأة، وخروج البلاد من حالة الركود". وبهذا الصدد أجْريت انتخابات بلدية بمشاركة المرأة القطرية سنة 1999، ثم كان التصويت في 3 أبريل 2003 على أول دستور قطري بنسبة 96,6٪، وهو ينص على تشكيل مجلس شورى جديد، ينتخب ثلثاه، ويعين الثلث الباقي من طرف أمير البلاد. وبموازاة ذلك أعلن عن إنشاء المجلس الأعلى للتعليم، والمجلس الأعلى للأسرة، واللجنة الوطنية لحقوق الإنسان بمشاركة عدد من السيدات القطريات.

دبلوماسيا منذ تولى الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني مقاليد الحكم، لوحظ أن السياسة الخارجية القطرية تحاول أداء دور مرموق على صعيد علاقاتها الثنائية أو المتعددة الأطراف. وهكذا فقد احتضنت دولة قطر في السنوات الأخيرة عدداً من المؤتمرات الدولية ؛ منها على سبيل المثال لا الحصر : دورة الدوحة لمنظمة التجارة العالمية (نوفمبر 2001 )، والمؤتمر الثالث حول الديموقراطية والتجارة الحرة (2003)، والقمة التاسعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي (2000)، وقمة دول مجلس التعاون الخليجي (2002).

هذا، ونظراً لصغر الرقعة الجغرافية لدولة قطر، فقد حاولت الاستفادة من "قناة الجزيرة" الفضائية لمد إشعاعها الإعلامي عبر العالم، إلا أن بعض برامج هذه القناة، سرعان ما أسفرت عن نوع من الاضطراب في علاقات قطر مع الدول المعنية بتلك البرامج، حيث كانت هذه الدول تحتج لدى المسؤولين القطريين، وأحيانا تقدم على سحب سفرائها.

وهذا يجرنا إلى تناول العلاقات الثنائية لدولة قطر، وهي على ما يبدو علاقات تستهدف التقارب عن طريق تبادل الزيارات مع مسؤولي جل البلدان العربية والإسلامية. ومن ضمنها إيران، بينما تتجه من جهة أخرى نحو توطيد علاقات التعاون القوي مع الدول الغربية، وبخاصة منها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا.

نجد قطر تساند الشعب الفلسطيني لاسترجاع حقوقه وإقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني وعاصمتها القدس، ونجدها في نفس الآن تقيم علاقات مع إسرائيل، وتفتح المكتب التجاري الإسرائيلي بالدوحة وتتباطؤ في إغلاقه، ثم تعود إلى إجراء اتصالات بالمسؤولين الإسرائيليين مؤخراً، ومباشرة بعد انتهاء الحرب على العراق.

وبالنسبة للتعاون الأمريكي ـ القطري، فإنه يتمثل في شتى المجالات، وفي مقدمتها مجال الدفاع والتسلح، إذ تعتبر قطر أكبر خزان للسلاح الأمريكي خارج الولايات المتحدة الأمريكية، كما أنها أصبحت الحليف الاستراتيجي لإمريكا في المنظمة كلها، خصوصاً بعد إبرام الاتفاق الأمني والعسكري لعام 2002 بين البلدين، ناهيك عن هيمنة الشركات الأمريكية الكبرى على السوق القطرية للنفط والغاز.

أما بالنسبة لفرنسا وبريطانيا فإنهما تحتلان المرتبة الثانية في الميزان التجاري القطري. خاصة في مسألة التسلح. وفيما عدا ذلك، فإن الاتحاد الأوربي يشكل الزبون الأول لتزويد قطر بالمنتجات الاستهلاكية.

ثانيا : العلاقات المغربية ـ القطرية :

فقد شارك القطريون في المسيرة الخضراء نحو الصحراء المغربية، ورفعوا العلم القطري إلى جانب العلم المغربي. وكان تأييد قطر للموقف المغربي تجاه المخططات المطروحة لحل قضية الصحراء في المحافل الدولية قويا ولا يزال.

لكن العلاقات المغربية ـ القطرية على المستويات الأخرى بقيت جد عادية، ولم ترق إلى مستوى علاقات المغرب مع بقية دول مجلس التعاون الخليجي.

وفي بادرة للرفع من مستوى هذه العلاقات، وتسجيل حسن النوايا، زار أمير قطر سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني المغرب في غشت 1999، للتعبير عن مواساته في فقدان صاحب الجلالة الحسن الثاني رحمه الله.

وفي يونيه 2002 قام صاحب الجلالة الملك محمد السادس بزيارة أخوة وصداقة إلى الدوحة، مكنت من فتح آفاق جديدة للتعاون بين البلدين وتقوية العلاقات الأخوية بينهما. وقد تعزز هذا التوجه بعد زيارة ثانية أجراها أمير دولة قطر

للمغرب في أكتوبر 2002 ، وذلك في إطار جولة مغاربية لسموه.

وجدير بالذكر أن المغرب ودولة قطر يرتبطان منذ تبادل السفراء بينهما في منتصف السبعينيات، بالعديد من الاتفاقيات التي تشمل ميادين الثقافة. والتشغيل، والصحة، والاقتصاد والتجارة، والصناعة، والزراعة وصيد الأسماك، والإعلام، والنقل الجوي، والشباب والرياضة، والاستثمارات، والتجهيز، والتربية والتعليم، والقضاء، والشؤون الإسلامية.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن كل هذه الاتفاقيات أو معظمها كانت مصحوبة بالبرامج التنفيذية لها، وأن متابعة تنفيذها وتطوير مقتضياتها، كانت قد أسندت للجنة مشتركة عليا، تم إنشاؤها منذ عام 1996.

وقد شهد عام 2002 عقد الدورة الأولى لهذه اللجنة المشتركة في الدار البيضاء، وذلك عملا على إعطاء إنطلاقة إيجابية لتطوير العلاقات وتمتينها بين البلدين الشقيقين. إلا أن النتائج المتوخاة من اجتماعات اللجنة على أرض الواقع، لم ترق حتى الآن إلى مستوى الطموحات ؛ فالتعاون بين المغرب وقطر لازال يعاني من العجز والركود، وذلك على الرغم من فتح خط جوي بين البلدين، ومن زيارة عدة وفود تمثل رجال الأعمال والفاعلين الاقتصاديين في البلدين لبعضها البعض، منذ منتصف التسعينيات إلى اليوم..

وما نلمسه على أرض الواقع أنه باستثناء تنقل مسؤولي البلدين للمشاركة في بعض التظاهرات الإعلامية، والشبابية، والثقافية المقامة في بلد الطرف الآخر، وباستثناء إعارة بعض القضاة، والأساتذة، والمعلمين، ومؤطري الشبيبة والرياضة، والمهندسين، والعمال المغاربة لدولة قطر ؛ فإن اتفاقيات التعاون بين البلدين تبقى مجرد مشاريع طموحة للرفع من مستوى ووثيرة هذا التعاون.

عباس برادة

**القطّان** (ابن -) **حسن** بن **علي** بن **محمد** بن عبد الملك الكتامي الفاسي المراكشي، يذكر محمد بن شريفة أنه لم يقف له على ترجمة، ويظن أن الترجمة التي أفردها له تلميذه محمد بن محمد بن عبد الملك في كتابه "*الذيل والتكملة* لكتابي *الموصول والصلة*" وردت في السفر السابع المفقود من الكتاب المذكور. كما أن المصادر القليلة التي أشارت إليه لم تفد إلا بالقليل النزر من أخباره، بل تضاربت تضاربا شديدا في إسمه ولم يحسم في ذلك إلا ابن عبد الملك.

لا يعرف لمولده تاريخ مضبوط، إلا أن محمود مكي محقق كتاب "*نظم الجمان*"، من خلال مقارنته للنصوص والوثائق المعاصرة للمترجم، وتتبعه للإشارات المتفرقة في المصادر يرجح أن مولده كان في حدود سنة (580 / 1184)، وأنه اشتغل بطلب العلم منذ صباه، وتتلمذ على عدد كبير من علماء عصره في مقدمتهم أبوه علي ابن القطان - آتي الترجمة - وكان من أبرز تلاميذه ومستودع ثقته. كما أخذ عن الشيخ أحمد بن سلمة الأنصاري اللورقي (ت. أواخر 597 أو أوائل 598 / 1200) نزيل تلمسان، والفقيه المحدث الكبير محمد بن عيسى الأزدي المعروف بابن المناصف (ت. 620 / 1223) والفقيه الأصولي يوسف بن محمد بن المعز المكلاتي (ت. 626 / 1229) وغيرهم.

تشرب المترجم مبادئ الدعوة الموحدية منذ صباه وورث عن أبيه - الذي كان مثله الأعلى في العلم والسياسة - حماسته لها وتفانيه في خدمتها وتزلفه لخلفائها، فقد عمل في بلاط الخليفة الموحدي عمر بن إسحاق المرتضى (646 - 665 / 1248 - 1266) الذي وافق حكمه غروب شمس دولة الموحدين، وكان على ما يظهر من كتابته من رجال دولته المقربين، ومن الفقهاء الذين لم يتورعوا عن بذل علمهم في سبيل الوصول إلى الجاه والسلطان. ألف حسن ابن القطان عدة كتب قدمها للخليفة المرتضى ذكرها ابن عذاري في "*البيان المغرب*" قائلا : "وكان [الخليفة المرتضى] محبا في مطالعة الكتب وتواليفها وتصانيفها فألف له الفقيه أبو محمد ابن القطان جملة من الكتب الحفيلة الجليلة وأمده بالدواوين العظيمة والخيرات الجليلة، فمنها كتاب *نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان* وكتاب *شفاء الغلل في أخبار الأنبياء والرسل* وكتاب *الأحكام لبيان آياته عليه السلام* وكتاب *المناجاة* وكتاب *المسموعات* فيه قصائد متخيرات فيما يخص المولد الكريم وشهر رجب وشعبان ورمضان وغير ذلك". وهذه الكتب كلها فقدت عدا قطعة من كتاب *نظم الجمان* تشكل جزءا بالغ الصغر من الموسوعة الضخمة. يتناول فيها أخبار ثلاث وثلاثين سنة من 500 إلى 533 / 1106 - 1139 وجاء في مقدمتها : "السفر الثالث عشر من كتاب *نظم الجمان*". أما الموسوعة فتتكون من سبعة أجزاء مقسمة إلى أسفار، ولنظم الجمان أهمية كبرى إذ يعتبر من أمهات المصادر في تاريخ المغرب والأندلس نقل عنه صاحب *البيان المغرب* وصاحب كتاب *الحلل الموشية*، ولسان الدين ابن الخطيب في *أعمال الأعلام* وابن حيان في *الأنساب* وأحمد الونشريسي في *المعيار المغرب*.

وقد نشر ليفي بروفنسال فصولا من *نظم الجمان* دون أن يعرف أن مؤلفه هو حسن ابن القطان على وجه التأكيد فنسبه لأبيه علي، وتابعه على ذلك كل من أتى بعده من الباحثين مثل عبد السلام ابن سودة وأحمد مختار العبادي وغيرهما. إلا أن صدور السفر الثامن من كتاب "*الذيل والتكملة*" الذي حققه محمد بن شريفة أثبت أن مؤلف نظم الجمان هو حسن ابن القطان.

لا يعرف تاريخ وفاته إلا أنه كان حيا سنة 665 / 1266.

حسن ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. علي مكي، بيروت، 1990 ؛ محمد بن محمد بن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، السفر 8، تح. محمد بن شريفة، الرباط، 1984، ص. 15، 138 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، الموحدون، الدار البيضاء، ص. 387 - 450.

**القطّان** (ابن -) **علي بن محمد** بن عبد الملك بن يحيى الكتامي، اختلف المترجمون له حول أصله وموطنه، فابن عبد الملك يقول أنه فاسي سكن مراكش، ويحدد مولده بفاس فجر 9 ذي الحجة عام 562 (27 نونبر 1167)، وابن القاضي في *جذوة الاقتباس* يقول أنه "من أهل مدينة فاس وأصله من قرطبة"، أما من ترجم له من الأندلسيين كابن الزبير وابن سعيد وابن الأبار فإنهم يعدونه أندلسيا من أهل قرطبة، مع أن الواضح أنه ولد في مدينة فاس وعاش معظم حياته في مدينة مراكش.

يقول ابن عبد الملك في الذيل والتكملة أنه : "كان ذاكرا للحديث مستبحرا في علومه، بصيرا بطرقه، عارفا برجاله، عاكفا على خدمته، ناقدا مميزا صحيحه من سقيمه، مثابرا على التلبس بالعلم وتقييده عمره" ... ويقول صاحب جذوة الاقتباس : "وكان من أبصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لأسماء رجاله، وأشدهم عناية بالرواية، مع التفنن في المعرفة والدراية ..." كما كان ذا حظ من الأدب وقرض الشعر.

أخذ علي ابن القطان العلم عن مجموعة كبيرة من العلماء والشيوخ وعلى حد قول ابن القاضي "جمع برنامجا مفيدا في مشيخته"، وتتلمذ عليه الكثيرون، وقد استوفى ابن عبد الملك في *الذيل والتكملة* ذكر شيوخه ونقل ثبت أسمائهم ؛ كما أفاض في ذكر تلاميذه منهيا كلامه بقوله : "في خلق لا يحصون كثرة أخذوا عنه بمراكش وغيرها من بلاد العدوة إلى إفريقية وبالأندلس" منهم شيوخ لمعوا في رواية الحديث كأبي الحسن الكفيف وابن الطراوة وعبد الواحد المشاط وسواهم. كان المترجم وثيق الصلة بخلفاء الدولة الموحدية، يقول ابن عبد الملك : "وكان معظما عند الخاصة والعامة من آل دولة بني عبد المومن، حظي كثيرا منهم عند المنصور فابنه الناصر فالمستنصر ابن الناصر فأبي محمد عبد الواحد أخي المنصور ثم أبي زكرياء المعتصم ابن الناصر حتى كان رئيس الطلبة مصروفة إليه الخطط النبيهة مرجوعا إليه في الفتاوى".

كان يعقوب المنصور (580 - 595 / 1184 - 1198) أول من قربه وأحظاه، إذ عينه لقراءة الحديث بين يديه، ولم تزل مرتبته ترتقى لديه إلى أن توفي وخلفه ابنه محمد الناصر (595 - 610 / 1198 - 1213) فظل علي ابن القطان على حظوته عنده، وكذلك كان أمره في أيام ابنه يوسف المستنصر (610 - 620 / 1213 - 1223)، ومعنى ذلك أنه ظل مقربا من الخلفاء الموحدين قرابة أربعين سنة، يقول صاحب جذوة *الاقتباس* "ورأس طلبة العلم بمراكش، ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة"، يفهم من ذلك أنه كان من أكبر دعاة الموحدين رجال دولتهم المتحمسين لمبادئهم الدينية والسياسية وعلى حد قول علي مكي أننا لو استعرنا المصطلح المعاصر لقلنا أنه كان من العقائديين الذين أسند إليهم خلفاء الدولة الموحدية أرفع المناصب الدعائية فتفانى في خدمتهم بشخصه وعلمه وقلمه. وهذا الغلو في خدمة آل عبد عبد المومن والإفراط في تشيعه لهم وتزلفه كان من المآخذ التي نعيت عن علي ابن القطان، ومما أخذ عليه أيضا :

1 - أنه كان دائم الغض من أهل العلم والإزراء بهم وتتبع سقطاتهم، وكان إذا وفد أحدهم على آل عبد المومن أسرع السعي في قضاء مصالحه حرصا على الانفراد بالرياسة وحتى يعود المعني إلى بلده فيذيع شكره.

2 - إفراط الكبر وشدة العجب بنفسه فقد "كان ديدنه أنه لا يبدأ أحدا بالسلام ولا يرده على من يبدأ به ..."

3 - استعماله المسكر، فقد "صح عنه تناوله إياه والتأول فيه".

٤ - ومن أشنع ما أخذ عليه أيضا تجرده للسعي بغاية الجد في قتل الشيخ العثماني وابنه واستباحة أخذ دارهما والاستيلاء عليها بعد قتلهما مكافأة له وانتقاله إليها بالسكنى فيها إلى أن غادر مراكش.

ومن ذلك تتضح ملامح شخصية علي ابن القطان فهو رجل لم تمنعه سعة علمه، واشتغاله بالفقه والحديث، عن الإقبال على مغانم الدنيا وملابسة الخلفاء ورجال الدولة والتزلف المقيت لهم والاستهانة بأحكام الشرع في سبيل تحقيق مآربه. وقد انتهى به الأمر أن تعرض لمحنة شديدة آذته وأخرجته من مراكش إلى سجلماسة. فبعد وفاة يوسف المستنصر سنة 620 بدأ بناء الدولة الموحدية في الانهيار، وأُخذ على المترجم معارضته لتولي عبد الله العادل أحد أبناء يعقوب المنصور الحكم وتعريضه به، فلما ولي هذا الأخير (621 - 624 / 1224 - 1226) هم بالقبض عليه والإيقاع به إلا أنه رعى له قدم انقطاعه إلى أبيه وخدمته له ولأخيه الناصر وابن أخيه المستنصر فكف عنه، ولكنه صرفه من الدخول إلى القصر وحضور مجالس "الطلبة". وعندما تقلد عثمان بن جامع الوزارة وكان يحقد على علي ابن القطان أخذ ينتزع منه ما كان بيده من خطط حتى لم يبق له إلا القليل الذي لا غنى عنه "ولم يزل يحط من خطط أبي الحسن ويصرف فيها غيره حتى لم يبق بيده منها شيء إلا القليل النزر الفائدة".

وعندما استقرت الأمور في مراكش - بعد مقتل عبد الله العادل - لأخيه إدريس المامون ودخوله مراكش في جمادى الأولى 627 / مارس أبريل 1230 أوقع بالموحدين الذين بايعوه ثم نكثوا بيعته انتقاما رهيبا وكان منهم علي ابن القطان "فانتهبت داره وذهب كل ما كان فيها من مال وكتب، وكانت سبعة عشر حملا، منها حملان بخطه" وفر صحبة السلطان المعتصم إلى سجلماسة فاستقر فيها متوليا لقضائها إلى أن أدركته منيته "حسيرا على ما فقد من أهله وبيته وكتبه وسائر ممتلكاته" وكانت وفاته ليلة فاتح ربيع الأول عام 628 ودفن بجوار الجامع الأعظم بسجلماسة.

كان المترجم غزير التأليف كتب الكثير من المصنفات، وعن ذلك يقول ابن عبد الملك الذي أورد قائمة طويلة بكتبه

"وصنف في الحديث ورجاله، والفقه وأصوله مصنفات نافعة أخذت عنه". هذا فضلا على ما عني بكتابته بخط يده من أصول الحديث منها نسخة من *"صحيح مسلم"* و*"السنن"* لأبي داود، ومن بين مؤلفاته كما جاءت في *الذيل والتكملة*.

- نقع [الغلل، ونفع العلل] في الكلام على أحاديث السنن لأبي داوود (3 أسفار).
- بيان الوهم والإيهام، الواقعين في كتاب الأحكام.
- كتاب في الرد على أبي محمد ابن حزم في كتاب *"المحلى"* مما يتعلق به في علم الحديث.
- كتاب في أحكام الجنان، مجلدان متوسطان.
- النظر، في أحكام النظر ؛ مجلد صغير.
- النزع في القياس، لمناضلة من سلك غير المهيع في إثبات القياس ؛ وهو في الرد على أبي علي ابن الطوير (تـ. 622).
- تقريب الفتح القسي، مجلد متوسط.
- تجريد من ذكره ابن الخطيب في تاريخه من رجال الحديث بحكاية أو شعر، مجلدان متوسطان.
- ما يحاضر به الأمراء، مجلد متوسط.
- أسماء الخيل وأنسابها وأخبارها، مجلد متوسط.
- أبو قلمون، مجلدان ضخمان.
- كتاب حافل جمع فيه الحديث الصحيح محذوف السند حيث وقع من المسندات والمصنفات، كمل منه كتب الطهارة والصلاة والجنائز والزكاة في نحو عشرة مجلدات.
- مسائل من أصول الفقه، زعم أنه لم يذكرها الأصوليون في كتبهم. مجلد واحد.
- شيوخ الدارقطني، مجلد متوسط.

إلى جانب المصنفات أورد ابن عبد الملك أسماء واحد وعشرين من رسائله سماها "مقالات متنوعة المقاصد" فذكر منها : مقالة في الإمامة الكبرى ومقالة في القراءات خلف الإمام ومقالة في الوصية للوارث ومقالة في المنع من إلقاء التفث في عشر ذي الحجة للمضحى ومقالة في صنع المجتهد من تقليد المحدث في تصحيح الحديث لدى العمل ومقالة في الأوزان وأخرى في الختان ... إلى غير ذلك من المقالات والأحاديث والمعلقات والفوائد في التفسير والحديث والفقه وأصوله والكلام والآداب والشعر والتواريخ والأخبار.

حسن ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. علي مكي، بيروت، 1990 ؛ محمد بن محمد بن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، السفر 8، تح. محمد بن شريفة، الرباط، 1984، ص. 15 . 138 . 165 . 195 ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب* ، تح. محمود حقي، الدار البيضاء، 1978، ص. 442 ؛ أحمد ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ج 2، 470 . 471 ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1980، ج 9، ص. 75 . 101.

رقية بلمقدم

**القطف** يطلق القطف أو الرغل على بعض الأصناف الجُنَيْبِيَّة والجُنَيِّبِيَّة لجنس أتْرِيبْلِيكْسْ Atriplex وفصيلة الرمراميات Chenopodiaceae. ويمثل الجنس في المغرب بأحد عشرة نوعاً من بينها عشرة طبيعية والآخر دخيل استورد من استراليا.

إنها جُنَيْبَات أو جُنَيِّبَات أو أعشاب معمرة أو حولية، مكسوة بوبَرٍ حرشفي وجد ناعم يجعلها تتشابه كثيراً في لمسها مع أقمشة "الموبرة" أو "القطيفة" ويعطيها لونا يميل إلى الفضي. أزهارها مجتمعة على شكل كوكبات ثنائية أو وحيدة الجنس.

ومن بين هذه الأنواع نذكر هنا أكثرها انتشارا واستعمالا:

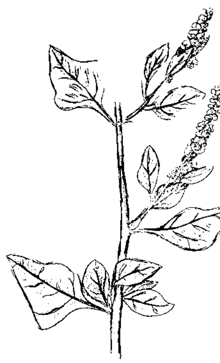

- أتْرِيبْلِيكْسْ حَلِيمُوسْ Atriplex halimus : جُنَيْبة من الممكن أن يتجاوز علوها المترين. أغصانها جد متفرعة، ذات لون فضي. أوراقها بيضية أو بيضية ثلاثية الشكل.

يعيش النوع على الأجرف الصخرية أو الطينية البحرية وفي الأراضي المالحة، والطميية، وذلك في البيومناخات شبه الرطبة وشبه الجافة والجافة والصحراوية.

يعتبر النوع من أهم الموارد الرعوية وخاصة في الأراضي المالحة.

- أتْرِيبْلِيكْسْ نُومُّولاَرْيَا Atriplex nummularia : يتميز عن النوع الأول بقامته التي من الممكن أن تبلغ ثلاثة أمتار، وبأوراقه العريضة والثلاثية الشكل.

إنه نوع دخيل مصدره الأصلي استراليا من حيث استورد لاستخدامه للزينة أو كأسيجة حية للحدائق أو كنبات رعوي. ولهذا الغرض غرس في عدة مناطق من المغرب الشرقي وفي الحوز وفي سوس، وذلك لتحسين المراعي.

*أبحاث واستطلاعات ميدانية شخصية.*

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**القطن** أنواع نباتية من جنس گوسيبيوم "Gossypium" الذي ينتمي إلى فصيلة الخبازيات "Malvaceae" ، ويعتبر

أهم محصول نباتي صناعي في العالم، ومن أقدم المحصولات الليفية وأرخصها. كان القطن مستعملا في الهند منذ سنة 1500 قبل الميلاد وكان الهندوس أول شعب نسج الملابس من ألياف هذا النبات. وقد أدخل العرب القطن إلى أوروبا.

يظهر أن لنبات القطن عدة أصول، فكان معروفا لدى الهندوس والهنود في المكسيك والبرازيل.

يشمل القطن مآت من الأصناف المزروعة التي تنتسب إلى أصول برية أو التي استحدثت عن طريق الزراعة والتهجين.

وينتج القطن من عدة أنواع نباتات شجيرية ولكنها تزرع كنباتات حولية. وهي كثيرة التفرع ويبلغ ارتفاعها مترين أو ثلاثة أمتار. تؤخذ المادة الخام من الشعيرات الليفية التي توجد على البذرة.

يمكن زراعة القطن في الأراضي الرملية والمناطق الرطبة القريبة من الماء، وتنتج الألياف بعد خمسة أو ستة أشهر من غراستها. وتصبح صالحة للجني عقب النضج مباشرة.

تمارس زراعة القطن بالمغرب في بعض المناطق المسقية من سهول تادلة وتريفة بسهول ملوية.

أليبرت هيل، *النبات الإقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرون، القاهرة، نيويورك، 1962؛ *معلومات شخصية*.

J.M. Clement, *Larousse agricole*, édition Larousse, Paris.

عبد النبي زين العابدين

**القعدة**، تعتبر القعدة رقصة لها خصوصيات تجعلها تتميز بطابع خاص حيث يعود أصل هذه الرقصة على الطريقة الحالية إلى العقود المتأخرة، ذلك أنه قبل هذا الوقت كان الراقص أو الراقصة يقوم بعملية الرقص التي تعتمد الضرب بالأقدام على طاولة من الخشب الصلب أو على الأرض حينما تنعدم هذه الوسيلة، وكنا نجد في المنازل وبيوت الأعيان الذين لهم ولع بهذا النوع من الرقص طاولات خاصة لهذه الرقصة أي "طابلة التنظيم". فرقصة القعدة هذه ترافق موسيقى العَيْطَة في السهول الأطلسية والحوز وازعير ومناطق أخرى من المغرب، وتأتي هذه الأخيرة في آخر الشوط من كل عيطة بحيث كان الشيوخ حينما يصلون إلى الفصل الأخير من العيطة يفسحون المجال للرقص قبل الرجوع للعيطة لختمها، وهذه الرقصة كانت تسمى "الحساب" لأنها تعتمد على حساب دقات الأقدام على الطاولة أو الأرض محدثة صدى أو دوياً في تناغم وتداخل مع فترات الإيقاع ونغمات الآلة سواء كانت وترية أو نفخية، وقد يدوم الوقت المخصص لها. كما أنها تعتمد على مهارة العازف وتمرسه كما تعتمد أيضا على قدرة الراقص أو الراقصة في خلق الانسجام والتناغم مع الموسيقى. ولقد أصبحت هذه الرقصة تدعى "القعدة" نظراً لاستبدال الطاولات الخشبية بإناء حديدي مستدير الشكل يدعى "الجفنة أو القعدة" يستعمل للغسيل وأصبح يستعمل لهذه الغاية نظراً لوجوده في البيوت، ونظراً لأن طبيعة معدنه تساعد على إحداث الصدى والدوي المتميز وفي الأونة الأخيرة أصبحت الراقصات يضعن في أصبع أرجلهن أجراسا لتحدث دويا وصدى مرتفعا، كما نلاحظ كذلك أن مجموع فرق العيطة أصبحت تصطحب معها أطفالا صغاراً للرقص على القعدة مع العلم أن الرقص على القعدة أو الركزة أو الدرديك أو الشتيف الذي يعني عملية الضرب بالأرجل على الغسيل كانت عملية خاصة بالجمهور فقط، ويكون الراقصُ حسب الأدوار من الحاضرين وقلما تقوم الراقصات بعملية الركزة على القعدة بينما كان دورهن يقتصر على عملية الرقص المعتمد على الحركات المألوفة، بما فيها تموجات الجسد رفقة موسيقى ما يدعى "بالتعريضة" وهي فسحة للموسيقى الصامتة، ويأتي بعدها غناء بعض "البراول" أو المقاطع الخفيفة وهذه الرقصة تختلف عن مثيلاتها كرقصة الصينية ورقصة هوارة ورقصة الكدرة وغيرها.

علال ركوك

**القفطان** كان القُفطان قبل أن يعرف الانتشار الواسع الذي كتب له اليوم لباساً خاصاً بالمناسبات. عند الفئات المتوسطة والعليا من سكان الحواضر المغربية. أما الطبقات الدنيا فكان يصعب عليها اقتناؤه. وقد لا يحصل عليه الفقراء والمعسرون إلا من سوق الرثاث أو هدية أو صدقة من بعض المترفين بعد استعماله والاستغناء عنه. وقد كان ومازال إلى يومنا هذا هو أحسن وأزهى قطعة لباسية تشوق إلى ارتدائها سائر النساء المغربيات.

وكلمة قفطان بالقاف المضمونة والفاء الساكنة فارسية أصلها خُفْتان تحولت خاؤها إلى قاف عند العرب. وتشهد جميع المصادر التاريخية أن العرب اقتبسوا هذا الرداء عن الفرس لما ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية ونشروه في أرجاء الامبراطورية الشاسعة التي بسطوا نفوذهم عليها وطوروا شكله وتنميقه وتوشيته عبر القرون مع تحسن

أحوالهم وتأنقهم المتزايد في المساكن والمآكل والملابس وفي الغرب الإسلامي أدرك القفطان قمة بهائه وازدهاره في كنف الحضارة الأموية بالأندلس. كما استمر الاحتفاظ به من لدن الأتراك حينما أينعت حضارتهم وعلى يدهم بلغ شأوا عظيماً في التألق والتأنق وانتشر انتشاراً واسعاً في سائر ربوع الامبراطورية العثمانية في المشرق والمغرب العربي على حد سواء ابتداء من القرن (16 م).

والقفطان عباءة من قطن أو موبر أو قطيفة أو ملف أو حرير أو ديباج أو غيرها من المنسوجات الزاهية الرفيعة التي تُقَطَّع وتُفَصَّل وتُخاط بعناية فائقة بما يطابق هيئة الجسم. وهو كسائر الأردية في المغرب يغطي ذات من يلبسه من حدود مطلع العنق إلى الكعبين ويكون على "العادة والقاعدة" موشى بشرائط وأزرار وتنتهي حواشيه بسفائف من حرير مجدول. وقد كان دائماً بدون طوق وله أكمام واسعة وتتوالى فيه الأصداف والعيون في صفين متقابلين فيما يسميه الحرفيون من أهل الخياطة "عين وعقدة". وأحسن أنواعه وأزهاها ما كانت ترتديه نساء الفئات المترفة وحريم المخزن. وكان ارتداؤه عند الرجال - على عكس النساء - لا يكتمل إلا بوضع رديف فوقه يدعى الفرجية وذلك للتخفيف من نصاعة لونه الفاقع وإضفاء المزيد من الرونق والبهاء على من يرتديه.

واستمر القفطان إلى عهد الحماية هو اللباس الرسمي الخاص برجال المخزن وهيئة العلماء والفقهاء وكبار الموظفين والأعيان وكل ذوي الجاه والسلطة. كما كان يرتديه في مختلف الجهات والأقاليم العمال والقواد والباشوات. فقد وصف الأجانب القائد الحاج التهامي الگلاوي وهو يمر وسط مدينة مراكش في نهاية القرن (19) وهو يرتدي كساء من صوف شفاف وقفطان زاهٍ رفيع. كما رأوا القائد الطيب الشرادي أثناء مروره بضواحي سوق أربعاء الغرب وهو يمتطي صهوة جواده في ملابس أنيقة تتألف من قفطان وردي وفرجية شفافة وعلى رأسه عمامة لا مثيل لبياضها. ولم تكن نسوة العمال والقواد والباشوات في الجهات أقل حظوة في مجال اللباس من مثيلاتها في العواصم والحواضر الكبرى. فقد كانت نساء قائد أولوز في سوس تلبس أزهى القفاطين وأبهاها وكانت زوجات باشا مراكش ترتدي قفاطين رائعة من الملف الأصيل وتضع في أعناقها القلائد الذهبية والجواهر التي يتوسطها الزمرد.

إ. حركات، *السياسة والمجتمع في العصر السعدي*، الدار البيضاء، 1987 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، ع 1، الرباط، 1961 ؛ ح. الزيات، ثياب الوشي، *مجلة الشرق*، ع 4، يناير - مارس، 1947 ؛ رشيد رشدي صبيحة، *الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية*، بغداد، 1980 ؛ م. گنون، *كفاية المحتاج في استعمال المحلى والديباج*، مخ. خح. د، 1231 ؛ مؤلف مجهول، *القفطان المغربي*، جريد العلم، عدد 8113، ماي، 1974.

Ahmed Sefrioui, *Le costume marocain, Encyclopédie du Maroc*, vol. 2, Rabat, 1987 ; Jean Besancenot, *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988 ; Emilie Bernard, *Le Maroc en sonnets*, Rabat, sans date ; Ali Amahan, *Le costume traditionnel, Civilisation marocaine*, Casablanca, 1996 ; Raymond Machard, *Les femmes cachées*, Paris, 1935 ; A. Pignol, *Costumes et parures dans le monde arabe*, 1987 ; Camille Mauclair, *Les couleurs du Maroc*, Paris, 1933 ; R.L. de La Charriere, *Le long des pistes maghrébines*, Paris, 1913.

محمد بوسلام

**القلصادي، أحمد** بن **محمد القرشي**، حيسوبي معدل فرضي، مؤقت جامع القرويين بفاس. من أشياخ الحافظ الفاسي، شرح فرائض خليل.

وبيت القلصادي من أصل أندلسي هاجروا منها إلى فاس في القرن 9 هـ / 15 م واشتهر علماء هذه الأسرة بعلم الرياضيات والتوقيت والفلك، فتولوا التوقيت بجامع القرويين بفاس حتى كادوا يتوارثون منصب المؤقت بها.

توفي صاحب الترجمة سنة 1063 / 1653.

القادري، *الإكليل*، تح. مارية دادي، ص. 169 ؛ *النشر*، 2 : 67 ؛ *الالتقاط*، ص. 134 ؛ م. حجي، *المراكز الثقافية أيام السعديين*، مجلة البحث العلمي، ع. شتنبر، 1965، ص. 50 ؛ التازي، *جامع القرويين*، 2 : 509.

مارية دادي

**قلعة السراغنة** حاضرة بلاد السراغنة، تقع شمال شرق مراكش، تبعد عنها بحوالي 80 كلمتراً على الطريق المؤدية إلى فاس، أصبحت مقراً لعمالة منذ صيف 1973، وهي تنتمي لجهة مراكش - تانسيفت - الحوز، تضم العمالة تحت تسييرها كلا من قبائل السراغنة، زمران والرحامنة. عدد سكان المدينة حسب إحصاء 1994 بلغ 51404 نسمة جلهم يشتغل بالتجارة والخدمات وبعض الصناعات الخفيفة والفلاحة ؛ دوائر الإقليم أربعة، الجماعات الحضرية خمسة والقروية اثنتان وستون.

إن الحياة الحضرية بإقليم قلعة السراغنة متقادمة، وقد أكد ذلك شارل الآن في تنقيباته في البحيرة حيث آثار مجمعات سبتة وللاگارة ومدينة صافي المسماة بمدينة الهري أيضاً، وقد تخرب جلها على العهد المريني.

إن الوثائق تبقى شحيحة في موضوع تأسيس قلعة السراغنة، والشفويات تذكر أن المولى إسماعيل (1672 - 1727) هو بانيها، وتذهب بعض الآراء إلى أنها كانت حصناً مرابطياً أقيم لتعمير البلاد وتأمين الطريق التجاري بين الحوز وتادلا، ثم للوقوف في نحر بدعة برغواطة فهل كان بناء هذه المدينة من عمل يوسف بن تاشفين ؟ ومتزامنا مع بناء مراكش عام 454 / 1062 ؟ وقد حملت هذه المدينة أسماء بربرية في الأول، منها گاينو نسبة إلى نهر يمر بها، ولگرار بمعنى الحوش من الحجارة ؛ ومازال موضع شمال المدينة يحمل هذا الاسم إلى اليوم. وتتغذى المدينة بالمياه من النهر المذكور الذي ينتهي إلى سبخة سد المسجون عند قدم الجبيلات شمالها، ومن عدة سواقي مشتقة من واد تساوت القريب، ومنها القايدية والغابية ثم الساقية اليعقوبية المنسوبة للسلطان يعقوب المنصور الموحدي.

وقد ذكرت هذه المدينة عام 1595 كما يلي : "على بعد عشر مراحل من مراكش من ناحية الشرق توجد مدينة صغيرة تسمى لگرار" مع الإشارة إلى كثرة خيولها وخصوبة أرضها، نزل بها السلطان أحمد المنصور السعدي عام 1588 وهو في طريقه إلى فاس، وكانت تسمى قلعة لگرار ؛ وقد جددها المولى إسماعيل وأدار السور على أقدم نواة حضرية بالمدينة وهي القلعة الراشية، ليتوالى تطورها في القرن الثامن عشر على يد السلطان محمد بن عبد الله، حيث عين عليها أول قائد هو محمد الصغير السرغيني، وذلك عام 1779 ؛ فازداد معمارها وتنوع سكانها، خاصة في عهد ابن هذا الأخير أحمد بن القائد المعين عام 1822 حيث تم بناء أبوابها الأربعة (الناعورة، القصدير، المحروك والأرجي) وتعددت اجنتها إضافة إلى تشييد دار الزليج لاستقبال الضيوف، وتوسعت المدينة أكثر في القرن التاسع عشر مع القواد محمد بن صالح العروسي (1860 ـ 1867)، ومحمد بن الطيب الحافي (1874 ـ 1896) حيث عمرت قصبات هؤلاء كل منها حياً بأكمله.

من أحياء المدينة درب الطونية، وروا الخيل ودرب الراضي ثم هناك درب العوينة شمالاً وقصر دراوة جنوبا ثم الزاوية نسبة إلى الولي سيدي عبد الرحمان من سلالة الرحاليين.

إضافة إلى حي المرس شرق المدينة وبه أكثر من الفي مطمورة لخزن حبوب القواد المتوالين ؛ ولقد كان يعمر بالقلعة سوق أسبوعي نافق يوم الجمعة من كل أسبوع يرتاده الناس للبيع والابتياع والتزود، ومما زاد نشاطها الاقتصادي وجوداً سويقة يومية أمام قبة الولي سيدي عبد الرحمان وسط المدينة تسمى برحبة الزرع، وذلك بين أكبر حيين للمدينة هما العرارشة جنوباً والحافات شمالاً، إضافة إلى قيسارية منذ عهد السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل.

لقد ازداد عمران القلعة مع تقدم القرن التاسع عشر، حيث إضافة إلى دور القواد المتعاقبين تعددت فروع الزوايا المغربية بها مثل الرحالية والتيجانية والكتانية والدرقاوية، كما أصبحت لفرق السراغنة هناك مقابر لموتاهم ومنها مقبرة سيدي عبد الرحمان، وسيدي عبد الله، وسيدي الدريوش وسيدي صالح ... إضافة إلى ملاح لليهود، حيث كان عدد هؤلاء 120 عائلة عام 1883 ثم حي صومعة سيدنا جبرائيل وروا بن عرش، ثم ستتوسع المدينة أكثر في عهد المولى الحسن (1873 ـ 1894) عن طريق العناية بالمنشآت المدنية والعسكرية، حيث سترسم القصبة المخزنية في عهد ابنه المولى عبد العزيز ؛ مع الإشارة إلى أن السكن الغالب كان من النوع الخفيف، قوامه "النوالة" و"الزرائب"، وإذا كانت بالسراغنة قلاع أخرى مثل قلعة سيدي قاضي حاجة وقلعة سيدي عبد الواحد والقليعة بأولاد إدريس فقلعة لگرار وحدها وصفها الرحالة الأجانب، حيث في 1862 وصفها خواكين غاتيل بالبلدة الصغيرة ذات السور غير المتين، وفي عهد المولى الحسن قدر جول إيركمان عدد سكانها بما بين 1000 و1500 نسمة، مشيراً إلى أنها محاطة بحدائق مسقية، أما الرحالة شارل دوفوكو فأشار إلى أن سكانها هم 3000 نسمة، في حين ذكر إدموند دوتيه في 1902 أنها مدينة صغيرة، وفي 1907 أشار الصحفي الفرنسي كريستيان هويل إلى أن أسوارها مخربة، وهي داخل مغارس الزيتون المعمرة. وفي عام 1912 قال القبطان كورني الذي شارك في اجتياح الفرنسيين للسراغنة ودخول المدينة يوم 30 نونبر، "أن المدينة القديمة للسراغنة تظهر وسط الزياتين الخضراء" مشيراً إلى صومعتها البيضاء وخرائبها ؛ ومنذ ذاك وبفعل تعدد مرافق المدينة الإدارية والثقافية والاقتصادية تنامى سكانها خاصة منذ الاستقلال حيث أصبحوا في 1994 : 682428 نسمة عوض 17163 نسمة في 1972.


منوغرافية *إقليم قلعة السراغنة*، سنة 2000، ص. 5 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 2، ص. 24، الدار البيضاء، 1955 ؛ يلديرا فردناند، *رجالات وامصار*، خواكين غاتيل، *رحالة المغرب*، ص. 86، تطوان، 1954.

Ch. Allain, *Reconnaissances archéologiques dans le massif des Rehamna et la Bahira, Hespéris*, 1954, p. 175 ; H. De Castries, *Une description du Maroc sous le règne de My Ahmed El Mansour 1595*, Paris, 1909, p. 93 ; Ch. de Foucauld, *Reconnaissances au Maroc*, Paris, 1988, p. 259 ; op. cit., p. 59 ; J. Erckmann, *Le Maroc moderne*, Paris, 1825, p. 61 ; Cap. Cornet, *A la conquête du Maroc du sud avec la colonne Mangin*, Paris, 1932, p. 145.


الحسن شوقي

**قلعة عْبّو** أو أگادير نْد عْبّو : وهي القلعة القائمة المستعملة من طرف عائلة عبّو حتى الآن، وتقع في قمة جبل قبيلة آيْت إخلف وتعرف محليا بأگادير ند عْبّو (حصن آل عْبّو). بينما ترد في بعض الوثائق بالقلعة معربة، من عقود (فقيه ند موسى وْعْلِيّ). والقعلة حصن منيع، لعبت دوراً هاماً في المحافظة كملجئ للسكان عند الضرورة، وحول القلعة (أگادير) هذه مجموعة من ئگيدار لم يبق فيها إلا ما شخص من أثر الديار.

وتدل الملابسات على أن أصل القلعة يرجع على الأقل إلى عهد السعديين، ومما يؤيد هذا وجود ممر في جانبيه صخور تحت الجبل الذي أسست على قمته القلعة، يسمّى ذلك ـ تاسوكت ـ نـ ؤرومي ـ أي مسلك النصراني، في طريقه إلى البير، كما يوجد أثر بسيط للبناء عل صخرة أمام أمواج المحيط، الذي تطل عليه القلعة، يطلق عليه المحليون محل حراسة البرتغال.

وقريبا من عين المكان حفرت بير يزعم البعض أنها من أعمال البرتغال، مع العلم أن تلك البير هي المعتمدة لدى السكان حتى الآن وأهمية القلعة تكمن في مراقبة شواطئ تلك السواحل إلى مسافات بعيدة. ومن أجل احتلال تلك المرتفعات، وقعت معركة ـ رگونت ـ في سنة 1957.

وربما من أجل ذلك اختير ذلك الموقع المنيع ومنذ زمان،

كما كانت تلك القلعة (أگادير) نموذجا حيا مسكونا في قمة جبال أيْت باعمران، بينما القلاع الأخرى كلها أهملت فتهدّمت، وتدل كثافة مطامير خزن الحبوب حول هذه القلعة على كثافة العمران، أو على مخازن احتياطية.

*تحريات ميدانية.*

الحسين جهادي

**قلعة مگونة**، يطلق اسم قلعة امگونة على مركز حضري صغير وسط المنخفض الطبوغرافي الفاصل بين السفح الجنوبي للأطلس الكبير المركزي والسفح الشمالي لجبال صاغرو، على الطريق الرئيسي الرابط بين ورزازات والرشيدية، وينتمي إداريا إلى إقليم ورزازات. أسس مركز قلعة امگونة من طرف سلطة الحماية في نهاية العشرينيات، في إطار تطويق جبال صاغرو وإخماد حركة المقاومة التي تزعمتها قبائل آيت عطا، والتي استمرت حتى سنة 1933 . وإذا كانت الغاية من تأسيسه شل حركة المقاومة وقطع الطريق أمام تحالف آيت عطا وحلفائهم التقليديين بزاوية احنصال والسفح الشمالي للأطلس (آيت عطا ن أمالو)، فإن موضعه أيضا يوجد عند تخوم قبيلتين تتنازعان على المراعي الشتوية بصاغرو والصيفية على السفوح الجنوبية للأطلس الكبير المركزي، وهما قبيلتي امگونة وآيت سدرات. بناء عليه، فإن نمو المركز سيتأثر كثيرا بموقعه هذا كما سيتأثر بتواجده وسط أحد أحواض الهجرة الكبرى بالمغرب الدولية والداخلية.

يطلق اسم القلعة على أحد الدواوير الكبرى المكونة للنواة الأولى للمركز والموجودة على الضفة اليمنى لأسيف امگون حيث استقبلت وضع السوق الأسبوعي (دوار الحارة) والمطار العسكري (آيت مغار) عند النشأة، بينما اختيرت الضفة اليسرى لإقامة المكاتب الإدارية ومقر إقامة ضباط الشؤون الأهلية وأعوان المخزن.

لم يتجاوز المركز الإداري، عند انطلاقه سنة 1929، 118 شخصا جلهم من الملحقين بالإدارة كأعوان أو كموظفين، أما الأهالي فقد فضلوا البقاء بدواويرهم المحيطة بالمركز كدوار زاوية أكرض ودوار القلعة والركن والحارة.

و قد حاولت السلطة الإدارية أن تجلب السكان إلى المركز بتهيئة دائرة سقوية قوامها حوالي 35 هكتارا وجلب المياه من ساقية آيت كمات، وغرسها بأشجار الزيتون والمشمش واللوز والورود، لكن السكان أبدوا رفضهم التام لهذه المبادرة.

ومع نهاية الثلاثينيات، قامت السلطة بإنشاء بناية كبيرة لإيواء أعوان السلطة فوق ربوة مشرفة (القشلة)، لكن الأشغال توقفت بها بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية. وقد استعملت هذه البناية في البداية للغرض الذي أنشئت من أجله ثم تحولت في مابعد إلى مؤسسة سجنية. وقد أدى انتشار المجاعة، بعد الحرب (1947)، إلى حفر عدد من الكهوف حول المركز لإيواء المتضررين والمتسولين الجائعين الوافدين من كل مكان طلبا للقوت (البون). ومع ذلك، فإلى غاية 1960 لم يستطع المركز أن يجلب سوى حوالي 271 ساكنا رغم إدماج السوق في المركز واقترابه من النواة الإدارية التي توسعت بإضافة مقر المحكمة ومدرسة ابتدائية وبناء معمل لتكرير الورود.

مع بداية الستينيات، عرف المركز نموا متسارعا ساهمت فيه عوامل شتى نذكر منها :

- تعبيد الطريق الرئيسي بين ورازازات والرشيدية ؛
- إحداث موسم الورود وإقامة فندق ضخم قصد تشجيع السياحة ؛
- انطلاق تيارات الهجرة الدولية نحو أوربا وبلدان العالم العربية، وكانت لعائدات هؤلاء المهاجرين تأثيرات هامة على مستوى استهلاك المجال وتوسيع حظيرة البنايات أو على مستوى الاستهلاك العام والاستثمار في القطاعات التجارية ؛
- ابتداء من عقد السبعينيات، أدى التنظيم الجماعي الجديد (1976) إلى إنشاء مقر جماعة آيت سدرات داخل تراب المركز، وكان على هذه الجماعة أن تبحث عن مداخل جديدة، فأحدثت سوقا أسبوعيا جديدا (الأحد) غير بعيد عن سوق امگونة (الأربعاء) وأدى ذلك إلى نشوب صراع مكشوف بين القبيلتين وتسابق الجماعات إلى إحداث تجزئات وتوزيع البقع على الراغبين في بناء مساكن بالمركز. ونتج عن هذا التسابق وعن وفرة سيولة أموال الهجرة وعن حاجة عدد من المتقاعدين أو الفارين من سلبيات الجفاف إلى السكن أو أماكن للاستثمار، أن توسع المركز في اتجاه الشمال الشرقي داخل تراب امگونة وفي اتجاه الجنوب الشرقي داخل تراب آيت سدرات، وبين الاثنين ظلت الدائرة المغروسة، الآنفة الذكر، والتي انتقلت ملكيتها إلى يد أحد أعوان السلطة، مجالا غير مفتوح للبناء.

هكذا ورغم أن المركز، من حيث عدد السكان لم يتجاوز خلال إحصاء 1982 العتبة المفروضة في المراكز الحضرية (1500 ن)، فإنه من حيث بنيته ومرفلوجيته استكمل شروط أن يصنف ضمن المراكز الحضرية، بل إنه ارتقى بعد تقسيم سنة 1992 إلى مصاف البلديات بعد أن أدمجت داخله 10 تجمعات قروية (الحارة، آيت عيسى، تلتنامرت، آيت بوبكر، آيت بوعمران، مرنة، الركن، القلعة، زاوية أكرض) وبذلك بلغ عدد سكانه حوالي 10000 نسمة.

وقد أدى هذا التوسع إلى خلق نسيج حضري غير متماسك وغير منسجم لا من حيث النوعية ولا من حيث المحتوى البشري والاقتصادي.

من حيث النسيج الحضري نجد :

- الحي الإداري القديم ويضم إضافة إلى المقرات الإدارية (الباشوية، مقر المجلس البلدي) دور أعوان السلطة ؛
- الأحياء التوسعية الأولى وتتكون من مجال يضم الأماكن التجارية الدائمة ومجالا للسوق الأسبوعي (الأربعاء) وحي درب جديد الذي ظهرت البنايات به مع

بداية الستينيات. وتتمركز جل التجهيزات العامة داخل هذا الحيز (3 وكالات بنكية، 3 موزعين للأدوية، طبيبان متخصصان، مستوصف حضري، مدرسة ابتدائية، 9 حمامات، أزيد من 15 فرن، حوالي 40 مقهى ومطعم، فندقان... ؛

– الأحياء الذي ظهرت بعد إحداث مقر جماعة آيت سدرات (حي النهضة)، ويضم إضافة إلى سكن نسبيا موسر أغلبه في ملك المهاجرين والمتقاعدين، السوق الأسبوعي المستحدث والذي توقف العمل به لفشله لجلب الزبناء ومنافسة السوق الأول، وثانوية ودارا للطالب وأخيرا مستشفى تم بناؤه حديثا (2001) ؛

– الأحياء المكونة من التجمعات السكنية التي ألحقت بالمركز بعد توسيع مداره الحضري، وهي في أغلبها تتكون من سكن مواد بنائه من التابية، ومرفلوجيتها العامة لا علاقة لها بالمدينة، بل إن البعض من هذه الأحياء يوجد على الضفة اليمنى لواد امكون ويكون بذلك مجالا قرويا بكل مواصفاته لكنه حضري إداريا.

من حيث المحتوى :

التوسع الذي عرفه المركز أدى إلى ظهور 3 مجالات بشرية : مجال أغلبية سكانه أجانب عن المنطقة، ويمارسون أنشطة غير فلاحية كالتعليم والإدارة ؛

ومجال سكانه ينتمون إلى قبيلتي امگونة ويتكون من التجمعات التالية (زاوية أكرض، مرنة، القلعة، الركن، آيت عيسى، الحارة) ومجال ثاني ساكنته من آيت سدرات ويضم التجمعات التالية (تلتنمارت، آيت بوبكر، آيت بوعمران) وهي مجالات يغلب عليهما الطابع القروي حيث تتعاطى ساكنتها للفلاحة أساسا ولأنشطة تجارية ثانوية داخل المركز.

خضع تطور مركز قلعة امگونة، منذ النشأة، لمعطيات داخلية وخارجية أخلت بتنظيمه. فرغم أنه لم يستطع أن يجلب إليه ساكنة قارة، فقد فرض نفسه بمرفلوجيته الحضرية مما جعله يترقى من مركز قروي إلى مركز محدد ثم إلى بلدية بعد 1992 . وهذه الترقية الفجائية جعلت مشاكله تتنامى. أغلبية التجمعات التي أدمجت داخله بفعل التقسيم الأخير يغلب عليها الطابع القروي مما فرض إعادة النظر في القوانين المنظمة لهذا الصنف من المدن (نظام الضرائب الحضرية، نظام ضريبة النفايات، نظام الرخص على المباني وعلى الأراضي العارية...) ؛ من الناحية البشرية، فإذا انفردت قبيلة امگونة بالمركز في البداية، فإنه سرعان ما جلب وادمج ساكنة من خارج المنطقة والقبيلة مما كان يفرض محو الصراعات القديمة، لكنها انتقلت لتنفجر على مستوى انتخاب المجلس البلدي ومؤسساته ومستوى اتخاذ القرارات الحاسمة، مما أضر ويضر بمصالح المواطنين. إن المركز في صورته الحالية يسترعي الانتباه بعدد وكثافة بناياته سواء منها المعدة للسكن أو الموجهة نحو التجارة أو الخدمات فهل هذه علامة الرخاء وانتشار حضارة الاستهلاك ؟أم هي علامة سوء استعمال عائدات الهجرة ؟ كيفما كان الجواب فبعد توسيع المجال الحضري للمركز ازدادت مشاكله (مشكل الربط بين الأحياء بشبكة الطرق، بشبكة التطهير السائل والصلب، بشبكة الإنارة، بشبكة الماء الصالح للشرب، مع مشكل مراقبة المباني وتنظيمها. وهل يكفي أن نزحزح خط الحدود بين البادية والمدينة لنصبح حضريين ؟

M. Aït Hamza, Migration internationale du travail et urbanisation des espaces oasiens, *R.G.M., vol. 15, Nelle série, p. 127-142, 1993 ; Kelaât Mgouna est-il un centre ? réflexions méthodologiques*. In *Mutations socio-spatiales dans les campagnes marocaines*, série : Colloques et séminaires n° 28, Faculté des Lettres, Rabat, Coordonné par M. Aït Hamza et Abdellatif Bencherifa, 1994 ; *Mobilité socio-spatiale et développement local au sud de l'Atlas marocain (Dades-Todgha)*, 2000, Thèse d'Etat de géographie sociale, Faculté des Lettres de Rabat, Heft 13, Maghreb Studien, Passau, 2002.

محمد أيت حمزة

**القلعي**، أسرة تطوانية أصلها من مدينة قلعة اگزولين الواقعة بمقاطعة الأندلس حيث Alcalá de las Gazules مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Alkalai وAlkali وAlcalá ؛ ولا علاقة لهذه الأسرة مع أسرة أقلعي التي تنتمي إلى قبيلة قلعية الواقعة قرب مدينة مليلية.

والجدير بالذكر أنه كانت بأحواز غرناطة المسلمة قرية اسمها دار القلعي وقد أطلق عليها الإسبان اسم Alcali، كما أن هناك عدة مدن إسبانية تحمل اسم القلعة Alcalá.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**قلعية** أو گلعية، قبيلة من قبائل الريف الشرقي أو إقليم الناظور الحالي، اشتق اسمها من قلوع گرط القديم المعروف منذ القرن الرابع الهجري على الأقل، نسبة إلى القلاع الجبلية البركانية البارزة بأراضي القبيلة، وعلى رأسها قمم جبل سيدي أحمد الحاج ومتابل والقلة وتازوطا وجبل إكسان. ولم يتحول اسم القبيلة من قلوع كرط إلى قلعية إلا في العهد المريني، حين أصبحت قلعة تازوطا أول معقل للمرينيين بالشمال الشرقي المغربي، ومركزاً للسلطة إثر انتقالهم إليها من فيافيهم بالمغرب الشرقي وتحصنهم بها. يتألف المحيط الجغرافي للقبيلة من الكتلة الجبلية الواقعة بين مجرى واد كرط غربا، وسهوب جارت جنوبا، والبحر المتوسط شرقا.

تكونت قبيلة قلعية منذ القديم من سكانها الصنهاجيين البطوئيين بني ورتدى إلى جانب غساسة وبني يطوفت ومطماطة في بداية الفترة الإسلامية. وانضافت منذ العصر المريني، جماعات من عرب المعقل وبني هلال بعد تغلبهم على السكان القديمي الاستقرار بالمنطقة. وبذلك بدأت تظهر التقسيمات الجغرافية والتجمعات السكانية الخمسة المعروفة آنذاك بالأخماس، وهي التي لا زالت سائدة إلى الوقت

الراهن، وهي : بني شكر بشبه جزيرة هرك شمالا، وبني بويفرور حول كتلة جبل إكسان جنوبا، ومزوجة على السفح الشرقي لجبل قلعية وساحل سبخة بوعرك شرقا، وبني بوكافر على السفح الغربي من الكتلة.

لعبت قلعية أدوارها التاريخية على الصعيدين الداخلي والخارجي بفضل مواقعها المحيطة بكتلة جبلية، ووجودها على ساحل البحر المتوسط. وما يميزها هو وجود سبخة بوعرك بأراضيها الشرقية، وبروزها بكتلة شبه جزيرة هرك بالشمال، وهي التي تعرف في الوثائق الإسبانية بالبحر الصغير.

وبفضل هذا الموقع عرفت قبيلة قلعية في التاريخ منذ العصور القديمة، فيها ظهرت مدينة "رأس أدير" أي الرأس الأكبر على يد التجار الفنيقيين واستمرت تحت الاحتلال الروماني والبيزنطي بعده، وهي التي تحولت إلى مدينة مليلة الإسلامية، وبجاورها قلعتا كرط الجبلية وغساسة الساحلية.

ولكن أهم هذه الأدوار وأبرزها في تاريخ قبيلة قلعية الحديث والمعاصر هو القيام بفرض المقاومة ضد الوجود الإسباني بمدينة مليلة المحتلة سنة 903 / 1497، وهو الدور المنظم الذي لم يوقف ولم ينته إلا بفرض الحماية الإسبانية على الشمال المغربي في مستهل القرن العشرين. وبذلك أصبحت قلعية أرض المجاهدين، ومن أهم رجالها المقاومين وآخرهم المجاهد الشريف محمد أمزيان الذي قاد حركته ما بين 1909 و1912.

وخلال فترة الحماية الإسبانية أصبحت أسماء التجمعات بقبيلة قلعية مندرجة فيما عرف من الوجهة الإدارية بدائرة قلعية، وصعدت أثناء نفس الفترة ومنذ سنة 1935 إلي الوجود أولى حواضر الشمال الشرقي في الفترة المعاصرة باسم مدينة الناظور. وقد أصبحت تجمعات قلعية الحالية أسيرة الدوائر الانتخابية، وما أسفر عنها من إحداث البلديات والجماعات. وحسب إحصاء 1994 تألفت قلعية من بلديات الناظور وبني انصار وأزغنغان، ومجموع السكان بلغ 197.363 نسمة.

ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، 1497 - 1859، الدار البيضاء، 1996 ؛ الحاج حمو الشكري، القنيطرة، 2003 ؛ تازوطا، *معلمة المغرب* ؛ العربي الورياشي، *الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف الأول سيدي محمد أمزيان*، تطوان، 1976 ؛ إحصاء سكان المغرب، 1994 ؛ Population Légale du Maroc, Recensement 1994.

حسن الفكيكي

**القلفاط**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Calafat كلمة مقتبسة من الجلفاط، وقد انقرضت هذه الأسر من تطوان سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

**بن قَلْ**، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل غمارة انجبت بعض الفقهاء ومن أشهر أفرادها : أحمد بن سلام ابن قل فقيه تولى الإفتاء بتطوان سنة 1113 (1701). أحمد بن المكي ابن قل فقيه كان إماما بمسجد للافريجة الواقع بحومة السويقة وكان بقيد الحياة سنة 1219 (1804).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القلّة** تنطق في البادية المغربية "گلة" وهي من الأواني الفخارية وتستعمل في الغالب لجلب الماء إلى المنزل أو الخيمة وتفريغه في أواني أخرى كبيرة مثل الخوابي، وأحيانا وخاصة عند سكان الخيام و"النوايل" وما شابهها، يحتفظ بالماء في القلة وتوضع في ركن ظليل لتحتفظ بالماء باردا، توضع على جانبها في حفرة عميقة إذ ليس للقلة قاعدة تقع عليها، وللقلة مقبض واحد يتم ربطها بحبل يخترقه على ظهر الفتاة أو المرأة التي تستقي، وفي حالة استعمال الدواب وخاصة الحمير لحمل القلل يستعمل (شواري) خاص مصنوع من أعواد الدفلى أو ما شابهها من المتوفر في المنطقة، ويملأ بالقش أو التبن للحفاظ عليها أثناء النقل، واستعملت القلل وخاصة المغبرة منها كمكيال للسوائل أو لحفظ بعض المواد : "...كيل الزيت يسمونه قليلة وهي مائة واثنتا عشرة أوقية ففي القنطار عشرون قليلة...".

"...ثم سار جوهر في بلاد المغرب... وانتهى إلى البحر المحيط وصاد من سمكه وجعله في قلال الماء وأرسله إلى مولاه المعز...".

وللقلل بعد إصابتها بأعطاب كشق أو انكسار المقبض استعمالات أخرى مثل خزن البيض أو التمر أو القطاني وغيرها، وبعد انكسارها استعملت شظاياها (الشقف) للكتابة في زمن انعدام الورق وقلة الجلد والألواح ؛ وهناك اختلاف بين ودقيق ما بين الجرة و"البرادة" و"القلالش" من حيث الشكل والحجم والاستعمال.

البكري، *المغرب*، الجزائر، 1911، باريز، 1969 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1948، تطوان، 1960 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 و1955 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل*، أطروحة مرقونة، كلية الآداب بالرباط ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، القاهرة، بدون تاريخ.

محمد حجاج الطويل

**القلّوشي، عمر** (الحاج -)، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين بقبيلته مطالسة، انظم إلى المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف سيدي امحمد أمزيان بالشمال الشرقي؛ وقد اتخذه هذا الأخير خليفة له حيث شارك بجانبه في جميع المعارك التي جرت بناحية الناظور من يوم 14 جمادى الثانية 1327 (3 يوليوز 1909) إلى يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912 ) الذي استشهد فيه الشريف

أمزيان فحل محله في متابعة الجهاد ضد التدخل العسكري الإسباني بالناحية المذكورة إلى أن استسلم وألقى القبض عليه وسجن بجزيرة كبدانة سنة 1919.

وكان القلوشي بجانب الشريف أمزيان في الانتفاضة ضد وجود الروگي أبي حمارة بقصبة سلوان حيث أرغم على مغادرة القصبة المذكورة يوم 11 ذي القعدة 1326 (5 ديسمبر 1908).

*أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي، (1909 ـ 1912)*، تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **قلوعة، الرايس** (مولاي -) **أحمد**، من الرياس الشرفاء النسب الوافدين إلى المغرب من الجزائر للانخراط في صفوف أسطول سيدي محمد بن عبد الله. كان حتى حدود سنة 1772 على الأقل ضمن الرياس الثانويين، حيث لم تسند إليه في تلك الفترة قيادة السفن. وبعد ذلك كان ضمن الرياس العاملين انطلاقا من مرسى مصب أبي رقراق تحت قيادة الرايس عبد الله العسري، حيث ورد ا ضمن لائحة الرياس لسنة 1784.

العسري، ص. 34 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3، ص. 261.

ابن **قلوعة، الرايس** (مولاي -) **عبد الله**، وفد إلى المغرب من الجزائر للانخراط في صفوف رجال بحرية سيدي محمد بن عبد الله، دون أن يكون ضمن الرياس الأساسيين، حيث لم يسند إليه أمر قيادة السفن حتى حدود سنة 1772 على الأقل. وفي سنة 1784 ورد ذكره ضمن الرياس العاملين انطلاقا من مرسى الرباط تحت قيادة عبد الله العسري، ومن بين المنعم عليهم بعطاء السلطان.

العسري، ص. 34 ؛ ابن زيدان، ج. 3، ص. 261.

ابن **قلوعة، الرايس محمد الشريف**، يعتقد في قرابته للرايس المتقدم ذكره، وقد وفد بدوره إلى المغرب للالتحاق بطائفة رياس أسطول سيدي محمد بن عبد الله، حيث اعتمد ضمن الرياس الأساسيين، مشرفا قبل سنة 1766 على سفينة غليوطة مجهزة بثمانية مدافع وبطاقم مؤلف من مائة وعشرين رجلا. وواصل عمله انطلاقا من مرسى تطوان، حيث تطور طاقمه في سنة 1772 ليبلغ مائة وخمسة وعشرين بحاراً.

وقد تنقل في عمله بين مراسي تطوان وطنجة في ما بين سنتي 1775 و1777، قبل أن يعتمد في مهمته بمرسى الرباط في سنة 1784، وكان من بين المنعم عليهم، ومن بين الرياس المعتمدين في قيادة السفن خلال السنة الأخيرة، مشرفا على طاقم مؤلف من عدة بحارة قليلي التجربة، ولا ينتمون للمدينة ولا لسلا. ولعله واصل نشاطه في هذا المجال بعد وفاة السلطان سيدي محمد، حيث نجده مذكورا ضمن الرياس الفاعلين في سنة 1794.

العسري، ص. 34 و49 ؛ ابن زيدان، الإتحاف، ج. 3، ص. 259 ـ 260.

Chénier, *Journal.*

حسن أميلي

**الـقليعي، عبد القادر** (الحاج -) **علال** بن الحاج محمد بن محمد بن علي، ينحدر من أسرة آسفية عريقة، وهو أحد مشاهير فقهاء أسفي في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري. كانت له دراية واسعة بعدد من العلوم وخاصة بالهندسة والحساب. يقول عنه الفقيه الكانوني : "... رحل إلى المشرق حوالي منتصف القرن الماضي، لم يوقف له على أثر".

م. الكانوني، *أسفي وما إليه*.

عبد الرحيم العطاوي

**قليلو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Coleyle، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

**القلين**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alcalayn وCornejo ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1190 / 1776.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

**قلَيْنَة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Alcalayni وAlcanayni ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

وكانت بالمدينة أسرة أخرى بنفس الاسم وتدعى الشرف وقد انقرضت هي أيضا.

**قلينة، محمد**، من أعيان تطوان الذين اشتروا أملاك أولاد النقسيس المصادرة من طرف السلطان مولاي إسماعيل يوم فاتح رجب 1079 / ديسمبر 1668.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القمح** أو الحنطة، ليست الحنطة كما زعم البعض القمح الطري، فهذا النوع من الحبوب لم يدخل المغرب إلا في القرن العشرين على يد المعمرين الأجانب. فالمرادفات لا تعني نوعا آخر، بل تعني أصنافا من نفس النوع تختلف حجما ولونا وطعما، وهذا ما نجده مؤكدا في اللهجة البربرية، إذ يطلق على القمح الجيد اسم إيردن والأقل حجما (رقيق) إيردن تيزواون.

إذا بحثنا في ما يعرف بالأكلة الوطنية والأكلات الجهوية سنجد أن أساسها الحبوب وبصفة خاصة البُر، فالخبز والكسكس والثريد و"الرغايف والحرشة" وما شابه ذلك، والحلويات المختلفة، كل ذلك مرتكز على البر أي أن القمح مادة غذائية رئيسية وأساسية، فهل كانت كذلك منذ قرون خلت ؟

الإشارات التاريخية الأولى والدراسات الأركيولوجية (القليلة) بينت أن المغرب قد عرف زراعة القمح منذ فجرالتاريخ، إلا أن هذه الزراعة لم تعرف التحسن إلا عبر تطور تاريخي كبير ونتيجة لاحتكاكه بالشعوب والحضارات المجاورة، فرغم تأكيد العديد من الدارسين على أن المغرب لم يكن خزانا للقمح مثلما كانت عليه جارته (نوميديا) فإنه كان ينتج ما يسد حاجيات المستعمرات والمدن المتوسطة العمران في المثلث الذي احتله الرومان (طنجة، وليلي، سلا) بل إنه كان يحقق فائضا يروج خارج هذا المثلث. فلا غرابة أن حملت المسكوكات الرومانية المحلية في أحد وجوهها رسم سنابل القمح.

مع الفتح الإسلامي، طالعتنا المصادر العربية الوسيطية الأولى بإشارات متفرقة مفادها، أن المغرب كان يصدر القمح إلى المشرق والسودان، بل إن القبائل الصنهاجية جنوب الأطلس (لمتونة، مسوفة، گدالة) وغيرها وشعوب السودان جنوب الصحراء قد تعرفوا على القمح ودقيق القمح وأكل الخبز عن طريق المغرب. والذين زاروا المغرب في بداية العصر الوسيط وخاصة في العهد الإدريسي أعجبوا بخصب البلاد وكثرة خيراتها الفلاحية، وأعجب ابن حوقل بكثرة الأرحى التي تطحن الحبوب فأعطانا شبه جرد لمناطق زراعة القمح وأماكن وجود الأرحى. ونفس الجرد قدمته مصادر أخرى أتت بعد مصدر ابن حوقل، مما يجعلنا نستنتج أن الأمر يتعلق بظاهرة جديدة، أو بإعجاب غير متوقع من الزائرين.

فانتشار زراعة القمح والشعير ارتبط بالتوسع في الاستهلاك (التغذية والعلف)، وهذا التوسع ارتبط ببداية تحسن المستوى المعيشي بسبب الاستقرار الذي عرفته البلاد بعد فترة الاضطرابات والحروب التي صاحبت فترة الفتح الإسلامي للمغرب، وثورات الخوارج خلال فترة حكم الولاة، فازدادت المساحات الزراعية بشكل ملموس في عهد الأدارسة والمرابطين، لتبلغ أقصى اتساعها في العهد الموحدي ؛ وطبعا يتبع ذلك زيادة في المردودية والإنتاج، إذ أصبح الاهتمام أكثر بالأراضي الخصبة والتربة الجيدة. ونجد لهذا التطور صدى في أوصاف المؤرخين والرحالة، فقد أعجبوا بخصب حوض درعة ووادي زيز والبصرة (المغربية) وتامسنا ودكالة، وشاعت عبارة "كثرة الزرع والضرع" في معظم تلك المصادر.

لم يكن هذا الرخاء ووفرة الإنتاج قارا ولا مسترسلا بل كان يتأرجح بين قطبي التطرف، إما رخاء مفرط أو مجاعة مميتة، ونادرا ما تحدثت المصادر عن الحالات العادية. ولم تكن العوامل الطبيعية وحدها المسؤولة عن هذه الوضعية بل إن الظروف الأمنية والسياسية كانت في بعض الفترات أقسى من الطبيعة، ويضاف إلى ذلك سبب آخر كانت له أهمية أكبر في بعض السنوات والمناطق وهو عامل الاحتكار وخزن القمح في انتظار أعوام المجاعات، وهي ظاهرة نشطت منذ أواخر العهد الموحدي لتصبح في مابعد عادية - إن لم نقل اكتسبت المشروعية - إذ مارسها كبار موظفي المخزن المريني.

ورغم التقلبات المناخية والسياسية، فإن إنتاج المغرب كان في أغلب العصور متوسطا بل إنه في بعض فترات العصر الوسيط تعدى الاكتفاء الذاتي وحقق فائضا تم تصديره. ومما يجعلنا نؤكد على غزارة الإنتاج في الفترة المذكورة أن كميات هائلة من القمح والشعير كان الخليفة عبد المومن قد أعدها لغزاة الأندلس. وقد بقيت في مكانها من المعمورة حتى تلاشت ولم تستهلك، بعد أن تعذر على الخليفة الجواز إلى الأندلس بسبب مرضه. يقول ابن صاحب الصلاة الذي شاهد هذه الكميات الهائلة : "...وأعد من القمح والشعير للعلوفات والمواساة للعساكر على وادي سبو بالمعمورة المذكورة ما عاينته مكدسا كأمثال الجبال بما لم يتقدم لملك قبله ولا سمعنا به في جيل من الأجيال... بقي في ذلك الموضع معدا من عام 557 إلى عام 562 حتي فني في أكداسه...".

كانت خيرات المغرب ووفرة منتجاته الفلاحية خاصة القمح من بين أسباب اتجاه الأطماع الأجنبية إليه ولم ينج من هذه الأطماع إلا في فترة قصيرة نسبيا (حوالي قرنين) لعبت فيها كميات القمح والشعير التي أنتجها - وهي مواد استراتيجية - دورا أساسيا في قوة الجيش المرابطي والموحدي وصمود المرينيين الأوائل في الأندلس. ونفس المادة إلى جانب مواد وعوامل أخرى دفعت الأوروبيين إلى التكالب على المغرب واحتلال سواحله (الإسبان والبرتغال). ويرجع هذا الإلحاح على طلب القمح إلى تزايد استهلاكه في أوربا بسبب

تحسن المستوى المعيشي لدى فئات عريضة من العامة، فهو إذن مادة تجارية هامة ومربحة لذلك كان البرتغاليون يشنون غارات مفاجئة على السكان وقت الحصاد وجني المحاصيل. ونفس المادة إلى جانب مواد أخرى كان البرتغاليون في حاجة إليها للتبادل التجاري مع السودان بعد أن أصبح استهلاك القمح لدى سكانها غير مقتصر على الأعيان والخاصة.

لم تسجل المصادر التاريخية أن المغرب كان مستوردا للحبوب وللقمح بالذات قبل القرن العشرين ؛ بل إنه ـ كما أسلفت ـ كان مصدرا له منذ بداية العصر الوسيط، وتصديره كان يتم مع بلاد إسلامية غالبا أي أنه كان يطبق الشريعة الإسلامية في مبادلة بعد المواد وتسويقها، لكنه لم يستطع الحفاظ على موقفه خاصة في فترات التفكك السياسي وضعف شخصيات الحاكمين، ففي تاريخه الحديث والمعاصر تعرض لضغوط أمبريالية متعددة اضطر معها لتصدير مواد فلاحية ومعدنية أساسية، كانت محظورة من قبل كالقمح والذهب، إلى النصارى وتسبب هذا التصدير غير المنظم أحيانا، والخارج عن نطاق السلطة المركزية، في مجاعات أزهقت آلاف الأرواح، وزاد من حدة الأوضاع وفداحتها كثرة المضاربين والسماسرة الذين يتعاملون مع النصارى في واضحة النهار أو عن طريق التهريب ؛ من ذلك نسوق الأمثلة والنماذج التالية :

– 1192 / 1777 ـ 1778 حصل الهولنديون على رخص لتصدير القمح من المغرب أسوة بالانجليز.

– 1204/ 1789 ـ 1790 احتكر الإسبان مرسى الدار البيضاء وبعد عشر سنوات حصلوا على امتياز تصدير الحبوب (القمح).

– 1203 / 1788 ـ 1789 تكاثرت السفن النصرانية على مرسى الدار البيضاء لوسق الزرع بعدما سمح لهم السلطان بذلك.

– 1210 / 1795 أذن السلطان مولاي سليمان بتصدير الزرع للنصارى.

– 1211 / 1796 ـ 1797 ورد كتاب السلطان على رباط الفتح بعدم بيع الزرع للنصارى.

– 1219 / 1806 ـ 1807 شحنت مراكب السويد من مرسى الدار البيضاء حوالي 3600 قنطارا من الزرع ـ من أعشار الشاوية ـ (تصدير وبيع من طرف المخزن).

ومما يدل على وعي السكان بخطورة تصدير القمح على أمنهم الغذائي أن الثورات كانت تقوم ضد النصارى والمضاربين، من ذلك مثلا ما جاء عند الضعيف الرباطي : "وفي هذه الأيام من سنة 1210... اتفق الجل من أهل الرباط على عدم كيل الزرع للنصارى فهاجموا على دار القصري ودخلوا على النصراني فكسروا الأمداد ونهبوا النصراني ثم وقعت فيهم الخلة... ثم سجنهم السلطان".

أهم مناطق إنتاج القمح في المغرب، يمكن القول أنها هي نفسها اليوم مع بعض فترات التقطع، فتامسنا كانت المنتج الأول طيلة العصر الوسيط الأعلى والأوسط، وأصبحت منطقة للرعي نتيجة لإخلائها من سكانها الأصليين في عهد يعقوب المنصور الموحدي. أما دكالة فكانت المزود الرئيسي للعاصمة مراكش بالقمح، وحققت هي وتامسنا فائضا كان يصدر منذ العصر الوسيط الأعلى إلى أن توقف في الستينيات من هذا القرن، وتأتي منطقة سايس وفاس في الدرجة الثالثة خاصة في العصر الوسيط الأعلى والأوسط. أما المناطق التي أعجبت بخصوبتها المصادر التاريخية فإن إنتاجها لم يعد يكفيها بل إنه توقف وأصبحت تستورد من مناطق أخرى وذلك منذ بداية العهد المريني ونقصد منطقة سجلماسة على وادي زيز، وحوض وادي درعة وبخاصة مدينة تامدلت ويرجع سبب ذلك إلى الجفاف وقلة مياه النهر وفيضه وإلى فقدان الأمن والاستقرار وتعدد غارات القبائل بعضها على بعض لا فرق في ذلك بين قبائل عربية أو بربرية. ونفس الحالة أدت إلى توقف مناطق كثيرة عن الإنتاج طيلة العهد المريني الأخير والعهد الوطاسي ومعظم العهد السعدي حتى أن الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* عندما كان يتجول في المغرب أو يتلقى سجلات الضرائب كان يشير إلى زراعة القمح وتصنيفه في مناطق إنتاج لم تكن من قبل تنتج القمح، فقدم لنا ما يشبه الجرد عنها، لذلك نلاحظ أن فترات التدهور السياسي تعرف عدم استقرار للسكان وانعدام الأمن، فكان الناس جماعات وفرادى يلجأون إلى المناطق الآمنة أو الوعرة لحماية أنفسهم ؛ وهذه المناطق غالبا هي الجبال والهضاب، فكانت الزراعة الملائمة لها : الشعير أما القمح فإن وجد ففي قطع أرضية محدودة يسهل الدفاع عنها، لذلك كان الحسن الوزان حريصا على تسجيلها باعتبارها ظاهرة غير عادية في زمانه.

من هذا العرض السريع، يمكننا أن نجيب على التساؤل الذي طرحناه في البداية، فالمغاربة عرفوا زراعة القمح منذ القديم، وتحسنت عبر التاريخ معرفتهم بتقنيات زراعته وخزنه وأكله، حتى أننا نجد اليوم طقوسا في عمليات الزرع التقليدي والحصاد والدراس شبيهة بالعبادة أو التقديس.

توسع المغاربة في استهلاك القمح وبلغوا فيه مستوى فاق الكثير من الشعوب بشهادة ابن خلدون في مقدمة *كتابه العبر* إلا أنه وقف عند الظاهرة واعتبرها سلبية، ولا أعتقد أنه مصيب في تفسيره وموقفه، بقي إلى أن أشير إلى أن هذا التوسع في استهلاك القمح لم يكن مسترسلا ودائما بل عرف التقطيع لكن ابن خلدون عاش في فترة صادف فيها ازدهار زراعة القمح واستهلاكه ونعني الفترة المرينية الأولى التي هي امتداد للعهد الموحدي في ميدان الفلاحة، قال :

"...أهل الأقاليم المخصبة العيش الكثيرة الزرع والضرع والأدم والفواكه يتصف أهلها غالباً بالبلادة في أذهانهم والخشونة في أجسامهم وهذا شأن البربر المنغمسين في الأدم والحنطة ... وكذا أهل بلاد المغرب على الجملة المنغمسين في الأدم والبر مع أهل الأندلس المفقود بأرضهم السمن جملة

وغالب عيشهم الذرة فتجد لأهل الأندلس من ذكاء العقول وخفة الأجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لغيره ...".

ابن حوقل أبو القاسم، *صورة الأرض*، ليدن، 1938 ؛ الإدريسي الشريف، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق* ؛ مراكشي مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، الاسكندرية، 1958 و1985 ؛ ابن صاحب الصلاة عبد الملك، *المن بالامامة*، 1964 ؛ التادلي ابن الزيات، *التشوف إلى رجال التصوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *روض القرطاس*، 1972 ؛ ابن خلدون عبد الرحمن، *كتاب العبر*، بيروت ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، الرباط، 1986.

*B.A.M.*, t. VI, 1966 ; Rosemberger, *AESC*, Mai-Aout, 1980 ; B. Boutaleb [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris, 1967, Hatier.

محمد حجاج الطويل

**القمح بالمغرب القديم**، تذهب الدراسات التي اهتمت بالاقتصاد القروي في المغرب القديم تحت السيطرة الرومانية إلى التأكيد على أهمية زراعة الحبوب نتيجة تكامل الظروف الطبيعية والمناخية التي كانت تسود هذا الإقليم، مما حدا بروما إلى إعطاء أهمية خاصة لهذا المنتوج الفلاحي. إذ لم يكن القمح يشكل فقط المادة الضرورية للغذاء بل إنه تحول إلى "عملة صعبة" استغلها القادة العسكريون والأباطرة الرومان لحل مشاكلهم الاجتماعية والسياسية منذ بداية اهتمامهم بإفريقيا الشمالية عموما والمغرب القديم خصوصا. وتجدر الإشارة إلى أن زراعة القمح في المغرب قديمة بدليل العثور على أدوات كانت تُستغل في الحرث وسحق الحبوب تعود إلى العصر الحجري مثل الفؤوس والأرحيات الحجرية. بدأت بوادر اهتمام الرومان بقمح إفريقيا الشمالية منذ بداية صراعاتهم مع القوى القرطاجية في المنطقة، حيث أخذ القمح يتبوأ مكانة مهمة في العلاقات والروابط التي أخذوا ينسجونها مع القوى المحلية. وفي هذا الصدد تؤكد الحفريات في المصادر التاريخية أن روما كانت تأخذ بعين الاعتبار حاجياتها الاقتصادية في العلاقات التي كانت تنسجها مع ملوك موريطانيا قبل ضم هذه الأخيرة إلى باقي الولايات الرومانية. ونُشير إلى أن المصادر التاريخية الرومانية قد مجدت الملك النوميدي ماسينسا واعتبرته واضع "النهضة الفلاحية" في هذا الإقليم، كما أن الكثير من الإشارات عند سالستيوس عن الملك بكوس الأول تجعل منه، هو الآخر، واضع أسس النهضة الاقتصادية التي تعتمد على الفلاحة. وتجدر الإشارة إلى أن القائد الروماني بومبييوس كان من بين مأموريته، في إطار مهامه في الحكومة الثانية، تزويد الشعب الروماني بالقمح، الأمر الذي جعله ينسج الكثير من الروابط مع الملوك النوميديين والموريين مثل يوبا الأول وماستانيسوسوس، كما أن قيصر، هو الآخر، قوى من هذه الروابط من أجل مد روما بالقمح الإفريقي خاصة بعد انتصاره سنة 46 ق. م، حيث استمر في هذا النهج الملك الموري يوبا الثاني. وقد أشار "فلافيوس" إلى كمية القمح التي كانت تجلبها روما من إفريقيا، والتي كانت تكفي لتغذية الطبقة الشعبية في روما لمدة ستة أشهر. وتدخل هذه المحاصيل في إطار الضرائب غير المباشرة التي كان يحصل عليها الرومان وكذا في إطار أداء واجبات الصداقة والزبونية التي كانت تربط شعوب الممالك التابعة بالشعب الروماني. ولعل حرص روما على تأمين حاجياتها الغذائية كان من بين الأسباب التي دفعت الإمبراطور كليكولا إلى تحويل هذه الممالك الحليفة إلى ولايات رومانية. ويرى بعض الباحثين أن الإمبراطور توخى من وراء هذا الإجراء في هذه الفترة بالضبط تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية : ضمان تموين روما بالقمح، تحقيق انتظام هذا التموين واستمراره وأخيرا تلبية رغبات فئة من المعتقين الذين كان لهم في عهده الوزن الأكبر على الصعيد السياسي والاقتصادي". وكانت كمية القمح التي تنتجها إفريقيا تتراوح ما بين 2.600.000 و6.550.000 قنطاراً كان المغرب القديم يساهم بنصفها. واستمر اهتمام أباطرة روما بالقمح الإفريقي مع توالي الأزمات الاجتماعية والغذائية في روما كما كان ذلك في عهد الإمبراطور "نيرون". وإن الاهتمام الروماني بالقمح الإفريقي واكبته "حملة إشهارية" أثارت الانتباه إلى مدى مساهمة طبيعة الأرض والظروف المناخية لهذه المنطقة في الرفع من المنتوج الفلاحي عن طريق تحسين المردودية. فبالإضافة إلى ما أوردته النصوص التاريخية وما خلدته النقائش والمسكوكات عن وفرة وتنوع المنتوجات الفلاحية للمغرب القديم، أشار سترابون إلى أن نسبة المردودية لمادة الحبوب تصل إلى 1 / 240. بيد أن مقارنة هذه الإشارة مع ما أورده "بلينيوس الشيخ" حول مردودية الحبوب في إقليم بيزاكيوم والتي لا تتجاوز 1 / 100 ، توضح أن هناك مبالغة وتضخيماً في المردودية. فقد أوضح "دوزنج" أن إنتاج الحبوب في الساحل التونسي وخاصة في المناطق الخصبة الممتدة بين "تابسوس" و"نيابوليس" كان يتراوح ما بين 1 / 100 و1 / 150. وعن مجالات انتشار زراعة الحبوب في المغرب القديم، توالت المجهودات منذ أعمال بيسنيي" و"لوكي" التي حصرته في شريط ساحل القمح والزيتون والكروم. بيد أن بعض الباحثين المغاربة أبدو تحفظهم من هذه المحاولات وقدموا اقتراحات لتوزيع مناطق انتشار الحبوب في المغرب القديم على ضوء تحليل جديد لبعض النصوص القديمة والمكتشفات الأثرية الحديثة ونتائج الدراسات المناخية والترابية التي شملت أقاليم الغرب ومقدمة الريف وشبه الجزيرة الطنجية". ويتفق الباحثون مع اقتراح محمد التازي سعود الذي يرى أن القمح كان يزرع في مجاورات طنجة وفي سهول الغرب والمعمورة"، وهي بذلك تشمل أغلبية الهضاب والسهول ومرتفعات الأودية للمغرب القديم. وأبانت دراسة المواقع القروية بالمغرب القديم وظهور الاستغلاليات الفلاحية عن مدى الأهمية التي

أولتها السياسة الرومانية لزراعة الحبوب في هذا الإقليم. إذ يتبين أن جل المناطق التي كانت قابلة لإنتاج الحبوب كانت تعرف انتشارها، مما يجعل خريطة توزيعها لا يقتصر فقط على المثلث الساحلي بل شمل أيضا المناطق الشرقية وجيوب السواحل الريفية وكذا المناطق الداخلية بالإضافة إلى الجهة الساحلية. ويمكن تعليل هذا الانتشار الواسع بحاجة الرومان الملحة لهذه المادة. هذا ما يُفسر سياسة إقامة وتطوير الاستغلاليات الفلاحية القادرة على التحكم في الإنتاج وضمان تزويد أسواق روما بهذه المادة الأساسية.

م. التازي سعود، محاولة في الاقتصاد المغربي في عهد يوبا الثاني وابنه باطليوس، *المناهل، 26*، 1983.

G. Camps, *Les berbères, Mémoires et identité*, 3ème éd., Paris, 1995, p. 59-60 ; Massinissa, Les origines de l'agriculture en Afrique du Nord, *Libyca, t VII, 1960, p. 57-91* ; G. Ch. Picard, Néron et le blé d'Afrique, dans *C.T., XIV, 1956, p. 163-173* ; Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle*, V, Paris, Les Belles Lettres, 1980, p. 229 ; J. Despois, Rendements en grains du Byzacium, il y a 2000 ans et aujourd'hui, dans *Mélanges E.F. Gautier*, Tours, 1933, p. 186-193 ; M. Besnier, La géogaphie économique du Maroc dans l'antiquité, *A.M., 7, 1906, p. 271-295.*

سعيد البوزيدي

**قَمْريل**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان سنة 1189 (1775).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**قَمْرين**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Camarena، وهو اسم مدينة إسبانية، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**قَميرو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Camero وGamero ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1040 / 1631.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القنادسة** (الزاوية -) تقع القنادسة داخل التراب الجزائري على بعد 25 كلم من مدينة بشار وحوالي 125 كلم جنوب غرب فكيك وراء الحدود. وكانت تسمى العوينة أو عوينة القنادسة نسبة لمن أسس بها زاوية القنادسة وهو الشيخ محمد بن أبي زيان القندوسي حسب الإشارة الواردة عند أبي مدين أحمد بن الصغير الدرعي في "*الرحلة إلى بيت الله الحرام* ..." بقوله : "... فنزلنا عوينة القنادسة وزارنا المرابط سيدي محمد بن أبي زيان ..."

كانت في الماضي أرضا خلاء لازرع ولا عمارة بها قبل قدوم الشيخ محمد بن أبي زيان والاستقرار بها، ثم تحولت إلى قصر صار يكبر مع توافد الزائرين للتبرك وأخذ الأوراد أو الدراسة على يد الشيخ أبي زيان.

وهو الشيخ محمد بن أبي زيان ولد بقرية المحاتة من قصور بني جومي قرب قصر تاغيت على وادي زوزفانة حيث توفي والده وهو صغير السن، ويصل نسبه وفقا لما دونته كتب المناقب إلى الولي المشهور أبي عبد الله محمد بن عجال الغزاوني. رحل ابن أبي زيان من بلدته إلى تافيلالت حيث مكث خمس سنين حفظ خلالها القرآن وبعض مبادئ التصوف عن شيخه مبارك بن عزي العنبري، ثم انتقل إلى مدينة فاس، فتتلمذ لعدد من العلماء بالمدرسة المصباحية وبجامع القرويين، منهم محمد بن عبد القادر الفاسي وعبد السلام جسوس وأحمد بن الحاج وارتبط مع البعض الآخر بالصحبة والمذاكرة والمراسلة كالعلامة المسناوي والحسن بن رحال ومحمد بن زكري ومحمد ميارة، وأكثر مذاكراته معهم في علوم التفسير والحديث والتصوف بصفة خاصة. وبعد مرور ثماني سنوات على مقامه بفاس خرج منها خوفا من بطش حاكمها لما بدأت تظهر عليه بعض كرامات المتصوفين وانتشر الحديث عنها بين الناس حسبما ساقه اليعقوبي أحد تلامذته الملازمين له في مؤلفه "*فتح المنان*". واستقر بالقنادسة، وبهذا المكان ستبدأ مرحلة جديدة من حياته فكثر عدد زواره مع توالي كراماته، وداع خبره بين سكان المنطقة الشرقية وخارجها. وقد تفرغ في البداية للعبادة والخلوة في الأودية والجبال المحيطة ببشار قبل بناء زاويته ومسجدها بالقنادسة. وقد عاصر الشيخ محمد بن أبي زيان الكرزازي شيخ الزاوية الكرزازية. وباستثناء ما حفلت به كتب المناقب المهتمة بحياة محمد بن أبي زيان من الكرامات والخوارق، فانه عاش حياة عادية كبقية الناس، حيث تزوج عدة مرات وانجب أولادا وذهب إلى الحج واكتفى في مسكنه وملبسه وطعامه بالبسيط وأقل منه أحيانا.

وتميزت علاقة محمد بن أبي زيان مع السلطة الحاكمة بكثير من الحذر والمسالمة فكان يحض الناس على طاعة السلطان مولاي إسماعيل وابنيه ممثليه في إقليم فكيك وهما بالتتابع مولاي علي ومولاي عبد المالك. ويظهر ذلك جليا في ما نقله اليعقوبي شفويا في مؤلفه "*فتح المنان*" عن شيخه ابن أبي زيان، بل كان هذا الأخير يسر أحيانا لبعض خلصائه عن تبرمه وانزعاجه من بعض تصرفات أبناء السلطان مولاي إسماعيل ونوابه الحاكمين في المنطقة تجاه الرعية، من دون أن يكشف ذلك للعامة.

وقد ارتبطت الزاوية القندوسية تحت رئاسة أبناء وأحفاد الشيخ ابن أبي زيان طيلة القرنيين الثامن عشر و التاسع عشر مع سائر السلاطين العلويين بعلاقات جيدة تخللها تقديم البيعة وتبادل الهدايا وتكليف للقيام بمهام الوساطة في نزاعات قبائل المنطقة حسبما ورد في نصوص العديد من المراسلات المتبادلة بين الطرفين.

توفي الشيخ محمد بن أبي زيان في 11 رمضان عصر يوم الخميس من عام 1145 / 24 فبراير 1733 وترك ثلاثة أولاد هم ولده البكر إبراهيم والبدوي ومحمد الملقب بالأعرج، وترك وصية خلافته لتسيير شؤون الزاوية من بعده لولده محمد الأعرج. وفي ما يلي سلسلة المشايخ المتعاقبين على الزاوية القندوسية من نسل محمد بن أبي زيان اعتمادا على مادونه مصطفى القندوسي في مؤلفه "*طهارة الأنفاس*".

محمد بن أبي زيان

إبراهيم — البدوي

محمد الملقب بالأعرج
ت. 18 ربيع الثاني 1175 / 1761

↓

أبو مدين بن محمد الأعرج
ت. 27 ربيع الثاني 1204 / 1790

↓

محمد بن محمد بن أبي مدين
ت. 23 ربيع الثاني 1242 / 1825

↓

أبو مدين الثاني بن محمد بن أبي مدين
ت. 20 جمادى الثانية 1286 / 1852

↓

محمد عبد الله بن محمد المصطفى
ت. 26 ذي الحجة 1312 / 1894

↓

إبراهيم بن محمد بن محمد المصطفى
ت. 1336 / 1918


أبو مدين الدرعي، *الرحلة إلى بيت الله الحرام*، مخطوط، خ. العامة، الرباط ؛ علي التازي، *منهل الظمآن ومزيل الهموم والكروب والأحزان في كرامات قطب الزمان شيخنا محمد بن أبي زيان*، مخطوط، خ. الصبيحية، سلا ؛ محمد القندوسي، *طهارة الأنفاس والأرواح الجسمانية في الطريقة الزيانية الشادلية*، مخطوط، خ. العامة، الرباط.

L. Rinn, *Marabouts et Khouan, étude de l'Islam en Algérie*, lid. A. Jourdan, Paris, 1884.


أحمد مزيان

**القنب** أو "القنب الهندي" أو "الكيف" أو "الحشيش" بالعربية أو Le chanvre بالفرنسية. أسماء لنبات كَنَابِيسْ سَاتِيفَا Cannabis sativa المنسوب في التصنيف النباتي لفصيلة القنبيات Cannabinaceae.

إنه نبات حولي جد معترش إذ من الممكن أن يبلغ علوه ثلاثة أمتار، جد متفرع، مكسو بوبر بسيط، ذو قاعدة غددية وكثيف على الأوراق والقمم الزهرية. سيقانه جوفاء. أوراقه راحية الشكل أي مجزأة إلى خمسة أو سبعة أجزاء رمحية الشكل ومنشارية التسنن على حوافيها. ازهراراته ثنائية الجنس. وتجدر الإشارة إلى أن الأفراد الأنثوية هي التي يتركز فيها العقار المخدر وخاصة في القمم الزهرية، بينما تكون الأفراد الذكورية أفضل منتج للألياف.

الموطن الأصلي للقنب هو وسط آسيا وغربها، ولكنه يزرع حاليا على نطاق واسع في كل المناطق المعتدلة والحارة من العالم. فمنذ الألفية الثالثة قبل الميلاد، انتقلت زراعة القنب إلى أوروبا ثم إفريقيا حيث استعمله الفراعنة في مصر لعدة أغراض واعتبروه كنبات مقدس. كما غرسه الإغريق والرومان كعقار مخدر وطبي ولاستخدام أليافه في صنع الحبال وخاصة لاستعمالها في السفن. ثم بعد ذلك انتشرت زراعته في كل أنحاء آسيا وإفريقيا وأميريكا المعتدلة والحارة.

أما شمال إفريقيا فيعتقد أنها عرفت القنب كعقار مخدر بواسطة التجار الإغريق والعرب، وذلك قبل أن تشرع في زراعته واستعماله ابتداء من القرن الثالث عشر ميلادي كنبات لَيْفي يستعمل في صنع الأنسجة.

ولم تكن زراعة القنب على نطاق واسع بل كانت تنحصر في الحدائق الخاصة وعلى مساحات جد محدودة في كل أنحاء شمال إفريقيا حيث توجد الموارد المائية لسقيه.

ولم تشتهر جبال الريف المغربي كأهم منطقة منتجة للقنب إلا منذ العقد الأخير من القرن الثامن عشر. وتجدر الإشارة إلى أنه في أواخر القرن التاسع عشر أقر السلطان مولاي الحسن الأول منع تجارة العقار. لكن المستعمر الفرنسي سمح لشركة التبغ المغربية بترويج المخدر خالصا أو مخلوطا مع السجائر التي كانت تصنع في معامل طنجة والقنيطرة إلى غاية 1953 تاريخ صدور أول ظهير لمنع بيع القنب، ثم صدور الظهير الثاني بتاريخ 24 أبريل 1954 ليشمل منع الانتاج والاستهلاك لهذا العقار المخدر.

ولكنه بالرغم من صدور هذه القوانين، فقد بلغت زراعة الكيف أو جها في العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين. فأصبحت منطقة الريف،

وخاصة الوسطى منها، أول منتج ومصدر للقنب كمخدر وذلك على الصعيد العالمي، نظرا لما لهذه الزراعة من ربح سهل في ترويج منتوجها دون عناء كبير في القيام بما تتطلبه من أعمال فلاحية.

وهكذا انتشرت زراعة القنب من الريف الأوسط إلى كل مناطقه الغربية، ولا سيما بعد أن تم انتقاء ضروب تتحمل الجفاف نسبيا بالمقارنة مع الضروب التي لم تكن تزرع إلا في الأراضي المسقية. وكان هذا الانتشار وما يزال على حساب الغطاء الغابوي الذي يجتث لكي يزرع القنب على هذه الأراضي الخصبة والغنية بالدبال. لكن سرعان ما تجرف التعرية المطرية كل المواد العضوية والمعدنية، فتدمر التربة ويظهر إلى السطح المستوى الصخري غير القابل لأي زراعة، مما يجعل المزارع يضطر لاجتثاث بقعة حراجية أخرى. فتستفحل ظاهرة انجراف التربة الناتجة عن تدمير المساحات الكبيرة والشاسعة من الغابة وخاصة تلك التي ينظمها البلوط الفليني Quercus suber والبلوط الزغبي Quercus pyrenaica. ففي الفترة الزمنية القصيرة نسبيا والممتدة ما بين بداية السبعينيات من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، عرفت غابات هذين النوعين من السنديان بالريف الأوسط اندثارا شبه كامل. في حين تراجعت بشكل كبير غابات الأنواع الأخرى مثل الأرز Cedrus atlantica وسنديان الزان Quercus faginea والسنديان الأخضر Quercus rotundifolia.

والسبب الرئيسي لانتشار زراعة الكيف في مناطق الريف ولترويجه في المغرب وفي الخارج بالرغم من محاربته من طرف السلطات، يكمن في أن هذا النوع من الفلاحة جد مربح ويُشكل المصدر الأساسي للعيش للفئات الاجتماعية المحلية والقادمة من جهات أخرى من الوطن. وهكذا جمع أباطرة الكيف أموالا طائلة من التجارة في القنب جعلتهم يستثمرون محلياً لبناء فيلات وقصور وبنايات رفيعة، وكذلك في مناطق عديدة من المغرب وإسبانيا.

أما من حيث استعمالات الكيف، فالانتاج المغربي من هذه المادة لايستخدم إلا كعقار مخدر : حشيش، أو زيور، أو ضرسة أو قرية أو زيت الحشيش. والحشيش مادة راتنجية تفرز من القمم الزهرية للنباتات المؤنثة المزروعة بعد جنيها وتجفيفها. ويستخلص الحشيش بطريقة خاصة تتمثل في وضع إناء كبير أو صندوق تحت طبقات من القماش يتم فوقها عصر الكيف أو ضربه بلطف بعصي ليتحول إلى غبار. ويستهلك الحشيش في التدخين أو في صناعة مشروبات وحلويات تحتوي على كمية كبيرة من الراتنج كالمعجون. ويسبب الاستهلاك في أشكاله المختلفة أضرارا وخيمة للإنسان المدمن كالذهول والتخدير المصحوب بالهلوسة والأحلام العذبة، والانشراح والانسجام، أو التعصب والاندفاع إلى القتل.

وتجدر الإشارة إلى أن الحشيش كان ومازال يستعمل في التطبيب التقليدي كمسكن للأوجاع عن طريق تناول المعجون أو التدخين أو كمخدر للإنسان قبل إجراء أي عملية جراحية.

كما أصبح حالياً استعمال الحشيش أو زيته يتعاظم سنة بعد أخرى في صناعة عدة أدوية. حتى صارت المخابر الكيميائية المتخصصة في استكشاف مميزات مواد القنب، من أكبر الوحدات التي تتعلق بدراسة محتويات النباتات في أوروبا وأميريكا. وفي هذا الميدان يعتبر المغرب أكبر المصدرين من هذه المواد الخام دون الاستفادة منها محلياً عن طريق صناعة الأدوية، أو حتى صناعة صابون الكيف أو عطر القنب.

أما الجوانب الأخرى التي لا يستفيد منها المغرب فهي استخلاص الألياف من سيقان القنب التي يحرقها المزارعون بعد جني القمم الزهرية. والمعروف أن القنب ينتج أليافا ذات قيمة كبيرة لطولها ولمتانتها وقابليتها للالتواء والامتطاط وهي ميزات كانت وما تزال تجعل من القنب أهم مصدر في صناعة الحبال وقماش أشرعة المراكب والأكياس والتكفيف، والورق، والورق المقوى، وكذلك صناعة الأقمشة الرفيعة التي يلبسها الإنسان.

ومن المفارقات العجيبة أن المغرب يحرق هذه الألياف الطويلة عوض أن يَسْتَعْمِلَهَا في صناعة الورق فَيَسْتَوْرِد بالعملة الصعبة كل حاجياته من هذه المادة ليخلطها مع الألياف المستخلصة في معمل السِّلِّيلُوز (انظر السليلوز) من خشب الأوكاليبْتُوس.

وخلاصة القول أن المغرب أصبح ملزما بإعادة النظر في سياسته المتعلقة بالقنب وزراعته وتقنينها، وتأثيرها على الثروات والموارد الطبيعية والتنوع الإحيائي، ورد الاعتبار لكل منتوجات هذا النبات.

*أبحاث واستطلاعات شخصية.*

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Ibis Press, Paris, 1997, 779 p. ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. Evaluation et préservation la biodiversité*. Ibis Press, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p. ; A. Merzouki, *El cultivo del cañamo (Cannabis sativa) en el Rif, Norte de Marruecos : Taxonomia, Biologia y etnobotonica*, Tesis Doctorat, Universidad de Granada.

عبد المالك بنعبيد

**الـقَنْجاعْ، أحمد** ولد قائد كان على رأس جماعة المجاهدين من قبيلة انجرة انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة :

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913.
- بعين الدالية يوم 11 من نفس أشهر.
- بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش 20 يوليوز 1913.

وشارك في 9 معارك.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**الـقندوسي، محـمـد** بن **الـقـاسم** العـارف المحـقق الرباني الملامتي. كانت له اليد الكبرى في التصوف. شرح همزية الإمام البوصيري، وألف كتابا سماه التأسيس في مساوئ الدنيا ومهاوي إبليس.

كانت له حانوت بسوق العشابين يبيع فيها العشب، وله خط جيد كتب به عدة كتب، ومصحفا في اثني عشر مجلدا قل أن يوجد نظيره. وهو الذي كتب أيضاً اسم الجلالة البديع الشكل والخط الكبير القدر الذي بجامع الضريح الإدريسي أعلى الكرسي الذي يقرأ به البخاري بين العشاءين.

توفي سنة 1278.

م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

**الـقنديل**، جمع قناديل : سراج للاستضاءة عن طريق وضع فتيل مبلل بزيت الزيتون في جهته العليا. ولهذا كان واسع الانتشار في بوادينا إلى عهد قريب، نظرا لقلة تكاليفه بحكم أن كل ما يتطلبه من وسائل للإضاءة كانت تنتج محليا. كما ظل القنديل وسيلة للإنارة دون منازع في الأماكن المقدسة مثل : قاعات الصلاة داخل البيوت وفي المساجد والأضرحة لكونه كان يعتبر رمزا للطهارة. ويبلغ طول القنديل تقريبا ثلاثين سنتيمترا وعرضه بعض السنتيمترات مع تجويف في الداخل.

والقناديل أنواع منها القناديل الفخارية المبرنقة وهي الواسعة الانتشار، والقناديل النحاسية العادية وتلك التي تتوفر على علاقة تثبت بها في المكان المراد وضعه بها. وللقنديل لوازم منها المقرض المعروف محليا بمقص الدبلة والمطفأة أو الطفاية والنصار أي الدبوس أو الإبرة الذي يصلح لرفع الفتيل المحترق تدريجيا ومنعه بالتالي من أن ينطفئ.

ح. بنكرعي، *العصر العربي والمجال في مغرب، 1459 . 1541، بادية الواجهة الأطلنطية نموذجا*، مكتبة دار السلام، الرباط، 2000.

حليمة بنكرعي

**قَنْديلْ** أو قنديلة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Candil ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1189 / 1775.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**قنديل** ، بفتح القاء وسكون النون، أسرة سلاوية قام أفرادها بأدوار مهمة في ميدان الجهاد البحري لاسيما في العهد العلوي الأول. أشار كواندرو إلى أن أصل آل قنديل من فرنسا. وحدا حذوه في ذلك شاسطيل إلا أن المصادر العربية تلوذ بالصمت عن أصل هذه الأسرة. فهل كان دخول أفرادها إلى سلا مع موجات المهاجرين الأندلسيين الذين قصدوا حاضرتي أبي رقراق في القرنين (10 و11 / 16 . 17 م) ؟ أمر لا نستبعده مادام آل قنديل تبوأوا مكانة عليا من بين الرياس السلاويين خلال الفترة المذكورة أعلاه، من أشهر أفراد هذه الأسرة :

**قنديل، عـبد الـسلام** ، أحد رياس الأسطول الجهادي السلاوي. كان يتحكم في سفينة مكونة من ستة عشر مدفعا هاجم بها في إحدى حملاته سفينة إنجليزية كان يقودها القبطان Plymouth. وقد ورد ذكر اسم عبد السلام قنديل ضمن لائحة المجاهدين البحريين السلاويين غير المتزوجين، وذلك بتاريخ 28 محرم عام 1225.

**قنديل، عـبد الله** (الحاج -) بن **محـمد**، كان أحد السلاويين الموقعين على وثيقة تحمل تاريخ 26 محرم عام 1221 / 15 أبريل 1806 والتي يستنكرون فيها ما كان يلحقهم من أذى من طرف جيرانهم اليهود القاطنين في الزقاق الممتد من رأس الشجرة إلى باب حساين. وبناء على ذلك، أمر المولى سليمان بترحيل اليهود إلى الملاح الجديد بجوار دار الصناعة بسلا، وكان ذلك عام 1222 / 1807.

**قنديل، محمد** (الحاج -)، من رياس الأسطول الجهادي خلال العهد العلوي الأول. كان والده الذي - لم نقف على اسمه - رئيس السفينة لاماري فرانسواز وقد سقط أسيرا في 28 فبراير 1686. وبعد زهاء سنتين ونصف تم تحريره بتاريخ 2 شتنبر 1688 مقابل إطلاق سراح القبطان بيير دوفال. تميز الحاج محمد قنديل عن غيره من الرياس بتخصصه في الجهاد بالبحر الأبيض المتوسط واستمر في ذلك إلى سنة 1694، وفي سنة 1695 كان يقود سفينة مجهزة لحساب المولى إسماعيل ذات طاقم مكون من 79 رجلا. وكان مكلفا بمهاجمة السفن الفرنسية المحملة بالحبوب، إلا أنه سقط أسيراً يوم 12 ماي 1695 من طرف القبطان Antoine de Montauzin وقد حصل هذا الأخير على ميدالية وساعة ذهبيتين مكافأة له على عمله هذا ولم يطلق سراح الحاج محمد قنديل إلا بتدخل من طرف القنصل الفرنسي Jean Baptiste Estelle ، مقابل تحرير الشابة الفرنسية Marie Bounin التي كانت أسيرة بمكناس.

**قنديل، محمد**، من المجاهدين البحريين السلاويين، ورد اسمه ضمن قائمة تضم أسماء 199 من المتزوجين العاملين في الجهاد البحري السلاوي، وذلك بتاريخ 28 محرم عام 1227 / 5 مارس 1812.

**قنديل، مَحمد** بن **الـغازي**، كان قبل 1302 / 84 . 1885 عدلا بمستفاد سلا.

مجهول، *كناش في أمور بحارة العدوتين*، مخ خ . ع، 1409، د، ص. 102 ؛ م. ابن علي الدكالي، *كناشة مصورة*، مخ خ. ص، رقم 574، ص. 13 *والإتحاف الوجيز، ذيل*، 258 ؛ ر. كواندرو، *قراصنة سلا*، تج. م. حمود، نشر بمساهمة المعهد الجامعي، للبحث العلمي، ص. 69، 1991.

Magali Morsy, *La relation de Thomas Pellow, une lecture du Maroc au XVIIIe siècle*, Paris, 1983, p. 171 ; R. Chastel, *Rabat - Salé : vingt siècles de l'oued Bouregreg*, Rabat, 1994 ; I. Aloui, *Salé, cité millénaire*, Ed. Eclat, 1997, p. 115.

محمد السعديين

**قُنْشَة** ويكتب أيضاً القُنْشَة أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Concha نسبة للمدينة الإسبانية التي تحمل نفس الاسم ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1080 / 1669.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القنطار** من العربي الفصيح ونقلت إلى اللاثينية بصورتها ونطقها الأندلسي، والقنطار وحدة من وحدات الوزن والكيل يساوي اليوم 100 كيلو جرام حسب المواصفات العالمية الموحدة، لكن المصطلح قديم تداولته المصادر التاريخية والفقهية وغيرها بكثافة، لكنه لم يكن محدداً بدقة فاستعماله كان وسطاً ما بين الوحدات الصغيرة المتوسطة للكيل والوزن والسعة : (المد، الصاع، الأوقية، الرطل ...) وما بين الوحدات الكبيرة : (الصحفة، الوسق، الحمل...) والتي اختلفت من منطقة إلى أخرى ومن عهد إلى عهد وحسب المواد الموزونة والمطالة، فالبكري ذكر القنطار كوحدة للكيل تساوي 100 رطل وكوحدة لكيل الزيت تساوي 20 قليلة والقليلة تساوي 12 أوقية ؛ أما صاحب *روض القرطاس*، فقد استعمله لإعطاء وزن ثريا الجامع الجديد بفاس (7 قناطير و15 رطلا)، وثريا جامع تازة وزنتها (32 قنطاراً من انحاس).

وللقنطار مفهوم آخر ورد ذكره في المصادر ابتداء من التاريخ الحديث وشاع استعماله في التاريخ المعاصر إلى جانب المفهوم الأول الذي عرضنا له وغالباً ما يستعمل مقرونا بالمادة الموزونة أو المكتالة.

هذا المفهوم يتعلق بمبلغ مالي محدد بالنقود المتداولة في وقته (دنانير، دراهم، مثاقيل، موزونة، فلس، ريال...) وقد اختلف المبلغ الذي يساوي القنطار من مصدر إلى آخر ومن عهد إلى عهد وقد جاء هنا مثل المفهوم الأول ليحل مشكلاً حسابيا ما بين الأعداد الصغيرة والمتوسطة والأعداد الكبيرة (ألف، عشرة آلاف مئات الآلاف). أما التعبير الحسابي ألف ألف فلم يكن دقيقاً فجاء القنطار ليقابل مبلغاً معيناً وتأتي اللفظة مجردة بعد الرقم المعطى وقد نجد المفهومين معاً في مصدر واحد :

جاء في *تاريخ الضعيف*، "... وفي رجب الفرد من العام (1050) وصل الوسق من الزرع ثماني مثقالا والشعير ما يقرب من ذلك والذرة كذلك والزيت بخمسة وعشرين مثقالا للقنطار..."

"... وقر السلطان المستضئ لبني حسن، واحتوى البرابر على ما ينيف على مائة قنطار..." "...قال فنيش (المولاي عبد الله) : اعتقني وانا ادفع لك عشرين قنطاراً..." "... وفي الثاني والعشرين من ذي الحجة أقرض - (مولاي رشيد) - التجار من فاس وغيرها اثنين وخمسين قنطاراً مدة سنة حتى يردها ..."

فإذا فرضنا مع الدارسين أن القيمة المقابلة للقنطار في بداية العهد العلوي هي 470 ألف مثقال - مثلاً - فإن ما حصل عليه تجار فاس وغيرها هو 24.440.000، أي أن القنطار كمصطلح جاء ليحل مشكلاً حسابياً.

البكري، *المغرب*، الجزائر، 1911 وباريز، 1965 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن، 1938 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ الضعيف الرباطي، *تاريخ*، الرباط، 1986 ؛ أ. العزفي، *كتاب إثبات ما لابد منه لمريد الوقوف على أحوال الدينار والدرهم والصاع والمد*، مخطوطة خاصة.

Ahmed khanboubi, *Les premiers sultans mérinides 1269-1331, Histoire politique et social*, Paris, 1987.

محمد حجاج الطويل

**القَنْطري** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alcantara وهو نفس الاسم الذي مازالت تحمله بعض الأسر الإسبانية نسبة إلى مجموعة من المدن الإسبانية التي تحمل اسم القنطرة Alcantera.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القنطري** (عائلة) كبيرة بالقصر الكبير، أصولها تعود إلى مدينة القنطرة الأندلسية من أعمال إشبيلية، بزغ من هذه الأسرة رجال مشهورون لعبوا أدواراً في المجالات العلمية والسياسية والاجتماعية بمدينة القصر الكبير.

منهم محمد بن علي القنطري، تربى في أحضان أبيه الصوفي بمدينة القصر الكبير، كما أنه درس بفاس وأخذ عن فطاحلة علمائها كالمنجور ورضوان الجنوي والقصار والحميدي. وقد وصفه صاحب *نشر المثاني* بالفقيه الأديب الصالح، كما أن أبا حامد العربي الفاسي صاحب *مرآة المحاسن* قال عنه أنه عالم فاضل متفنن متوسع في فنون الآداب شاعر مجيد حسن المحاضرة، وقد توفق في علوم الشريعة واللغة والنحو والتاريخ، كما يشير الأستاذ محمد حجي إلى ضبط القنطري لأسماء الرجال. ويأسف صاحب

أعلام القصر الكبير لأشعاره التي لم يحتفظ بها، وربما تكون قد ضاعت. اتسم المترجم له بالحفظ وهذا ما هيأه للبروز في علوم الحديث، بل تفسيرها لأنه لزم أبا نعيم رضوان الجنوي واستفاد منه، وهذا ما جعل أبا المحاسن الفاسي يسند اليه مادة التفسير بالجامع الأعظم بالقصر الكبير سنة 1000، كما يبدو أن القنطري مارس التدريس لمختلف العلوم بزاوية عبد الرحمان المجذوب بحومة الشريعة بمدينة القصر الكبير.

تشبع القنطري بالصوفية، وبعد معاشرته لرضوان الجنوي وعودته إلى القصر الكبير، أعجب أبو المحاسن بهذا الفذ أيما إعجاب فجالسه وسمع منه الكثير خصوصاً مروياته في الحديث. وقد جمع المترجم له بين القلم و السيف، أي المعرفة والجهاد ضد الوجود الأجنبي بشواطئ المغرب كالبرتغاليين وغيرهم، كما ساند زيدان بن المنصور، وفي معركة باب الفتوح بفاس سقط صريعا في مجابهة زيدان لابن أخيه عبد الله سنة 1018.

- ومنهم محمد بن محمد بن علي القنطري القصري الذي خلف أباه بعد وفاته في نشر العلم والعرفان وقد عاصر قيام الدولة العلوية، ودرس على يد أبيه وعلى يد جماعة من فطاحلة علماء فاس كالحسن اليوسي ومحمد بن أبي المحاسن والقصار وأبي زيد عبد الرحمان الفاسي وأبي حامد العربي الفاسي وغيرهم. وبعد حصوله على إجازة العلماء بفاس عاد إلى مسقط رأسه فزاول التدريس ونشر الرسالة بالزاوية القنطرية إذ اختص في الفقه والحديث واللغة. وله ترجمة في *مرآة المحاسن*، حيث أنه عاصر صاحبها محمد العربي. وله كتاب في الخزانة العامة مخطوط ملخصا على كتاب *القاضي عياض*.

ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله القنطري، عالم مشهور يذكر صاحب دليل مؤرخ المغرب أنه ألف كتاب جمع فيه ما ذكره بعض المؤرخين وغفل عنه صاحب كتاب *أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض*.

ومنهم أبو القاسم أحمد القنطري، ذكر الكتاني أنه فقيه وأضاف أنه كتب *فهرسة* لشيوخه بالسند إلى ابن خير.

توفي سنة 1062.


أ. بن عبد الرحمان بن خليفة، *أعلام القصر الكبير*، طنجة، 1993 ؛ م. عبد السلام بوخلفة، *الطريق لمعرفة القصر الكبير*، مطبعة المهدية، تطوان، 1972.


الحسين البعاوي

**الـقنفذ** (حيوان) كما هو في كتب اللغة وكما ينطق به في مختلف الأقطار العربية، دابة من الثدييات الوحشية تتميز بأشواك على الجسم وتقتات من الحشرات. يسمي في سوريا والعراق كبابة الشوك والقنفذ في مختلف الأقطار العربية، ومن أسمائه أيضا الأنقد والحسشكة والحسكك واللتنة والمدلج وأبو المدلج والدرام. جسمه مغطى بشوك قصير يفوق عدده 6000 شوكة ويكثر نشاطه ليلاً وينام نهاراً بداخل الأدغال والحفر وأحيانا في الجحور. يتحول عند الإزعاج إلى كبابة شوكية كروية الشكل يختفي بداخلها ولا يظهر منها إلا الشوك الذي يحميه من أعدائه كالثعلب وابن آوى والعقاب والكواسر الليلية. بصره ضعيف وحاستا الشم والسمع قويتان.

يصنف علميا إلى رتبة آكلات الحشرات Insectivora وفصيلة القنفذيات Erinaceidae، ومنه نوعان يعيشان في المغرب :

- القنفذ الجزائري يسمى علميا Erinaceus algirus Lereboullet, 1842 وبالفرنسية Hérisson d'Algérie وبالإنجليزية Algerian Hedgehog وبالإسبانية Erizo moruno . جسمه مكسو بشوك مصفر ملطخ بالأسمر البني عليه خطوط طولية وعلى الجبهة بقعة خالية من الشوك ؛ يكسو البطن شعر ناعم أبيض ورأسه خرطومي الشكل ينتهي بمتك حاد وأذناه قصيرتان لا يتعدى طولهما 3 سنتمترات. العينان دائريتان وصغيرتان. القوائم قصيرة تنتهي بأقدام لها 5 أصابع تحمل مخالب قوية. يتراوح وزن الكبار بين 300 و450 گراما ويبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 20 ـ 27 سم وطول الذيل 1,5 ـ 3 سم.صيغة أسنانه كالتالي : 3/1 أسنان، 1/1 أنياب، 2/1 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 36 سنا متكاملة معدة للاقتلاع والتمزيق والمضغ.

يقتصر توزيعه الجغرافي على شمال إفريقيا والسواحل الإسبانية ـ الفرنسية وشائع في المناطق الشمالية المغربية والوسطى. يألف الأدغال والمزارع والمناطق الصخرية وخواصر الجبال ذات الكسور والحقول المزروعة والمنازل المهجورة في أرياف جبال الأطلس المتوسط والكبير والصغير وفي الهضاب العليا بالمغرب الشرقي وفي واحات تافلالت وسهوب وادي درعة باستثناء الأوساط شبه الصحراوية الجافة. يتنقل ليلا ليبحث عن الحشرات والزواحف والعناكب والديدان. يبلغ معدل سرعة مشيه 3 أمتار في الدقيقة. يتوالد القنفذ مرة واحدة ونادرا مرتين في السنة في أواخر فصل الربيع وطيلة فصل الصيف حسب المناطق وتنجب الإناث 2 ـ 8 صغار عارية تفتح عيناها بعد 30 يوما وتدوم مدة الرضاعة 5 ـ 6 أسابيع وتدوم مدة الحمل 34 ـ 36 يوما. تصير بالغة بعد سنة وتعمر حوالي 10 سنوات.

- القنفذ الحبشي الصحراوي يسمى علميا Paraechinus aethiopicus (Ehrenberg, 1833) وبالفرنسية Hérisson du désert وبالإنجليزية Desert Hedgehog ، يتميز بأذنين طويلتين يتعدى طولهما 4 سنتمترات. القوائم قصيرة تنتهي بأقدام لها 5 أصابع تحمل مخالب قوية. يتراوح وزن الكبار بين 250 و350 گراما ويبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 14 ـ 20 سم وطول الذيل 1,5 ـ 4 سم. صيغة أسنانه شبيهة بالقنفذ الجزائري.

يمتد توزيعه الجغرافي من المغرب وموريتانيا إلى الجزيرة العربية وشائع في المناطق شبه الصحراوية المغربية الممتدة من

فگيك إلى طرفاية والعيون. يألف المناطق الجافة الصخرية وخواصر المرتفعات والأوساط شبه الصحراوية الجافة. يتغذى من الحشرات والعقارب والديدان والنمل.

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faume du Maroc, les Mammifères*. Albums didactiques, Rabat, 73 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Trav. Inst. Sci. Série Zoologie, n° 41, Rabat, 1986.

محمد رمضاني ومحمد خربوعة

**القَنَّار**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Alcanar وAlcanal نسبة إلى مدينة إسبانية وإلى قرية كانت بأحواز غرناطة المسلمة تعرف بالقنار.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القنارية** أو الخرشوف، تحدث أطباء العرب الأوائل عن القنارية أو الخرشوف، فقالوا : إنه إذا سُلِقَ نفع ماؤه في الخلاص من نتن البدن، وبخاصة نتن الإبط والبول وهو يُلين الطبخ ويخرج البلغم، ويزيد في الباه ويقتل القمل إذا غسل به وقال عنه أطباء القرون الوسطى : إنه يفتح الشهية، ويشفي من السيلان، ويدر البول، ويخفض الحرارة، ويزيل رائحة العرق الكريهة، واشتهر عندهم أن جذوره إذا أكلت مع العسل كانت منبهة عظيمة للقوة الجنسية ... وتناولوه بجميع أجزائه لتنشيط الكبد والتهابه، وانقطاع البول، ويخفض ضغط الدم، وتصلب الشرايين. وفي الطب الشعبي الحديث : عرفت القنارية أو الخرشوف بأنها تحتوي على مقادير كبيرة من ڤيتامينات ( أ ) ، ( ب ) كما أنه غني بأملاح الفوسفور والمنغنيز، وهذا يقوي القلب وينشط الدهن... وفيه (الأينولين) وهي مادة نشوية تفيد الذين يبذلون جهداً عظيماً .. وتحتوي القنارية أو الخرشوف على مادة (سينارين) المدرة للصفراء والمفيدة في أمراض الكبد، وهي مادة مُرَّة تزول بسلقه في الماء. وتعتبر القنارية أو الخرشوف علاجاً جيداً للكبد، لما فيه من عناصر فعالة في تنشيط إفرازات الكبد والمرارة وإدرار البول وبخاصة في أوراقه التي يُشرب مغليها أو منقوعها بنسبة (10 ـ 30) غراما لكل لتر من الماء. وحيث أن القنارية أو الخرشوف لا يسمّن فهو يستعمل في أنظمة النحافة، وبسبب سهولة هضمه يُنصح بتناوله لذوي المعدة الضعيفة وللأطفال. ويمنع من تناوله المصابون بالروماتيزم والتهاب المفاصل، والنقرس، وأصحاب المسالك البولية الضعيفة، والمصابون بالحساسية.

عبد اللطيف عاشور، *الأعشاب طبيبك الطبيعي* بتصرف، ص.87 .

الحسين البعاوي

**القنُّوط** (حي -)، عندما جاء المبعوثون الفرنسيسكانيون إلى مكناس في مهمة ترتبط بافتداء الأسرى المسيحيين في عهد مولاي إسماعيل أطلقوا اسم Kanot على الدرب الذي كان يسكنه الأسرى، والكلمة تعني المسكن الصغير الذي كان يعيش فيه الأسير أو العبد والشبيه بالدكان أو الحانوت Hanot وبما أن الإسبان ينطقون حرف H ، K فقد حرف اسم الحانوت إلى KANOT الذي حور إلى القنوط. وأصبح يعني حي الأسرى المسيحيين، ذلك أن المولى إسماعيل بعد تحريره لمدينة العرائش في 1 نونبر 1689، أسر 1800 أسير إسباني نقلوا إلى مكناس، وبعد توسيع العمران وامتداده في القصبة الإسماعيلية أصبح من الضروري بناء حي خاص بالأسرى المسيحيين، فاختار المولى إسماعيل درب القنوط بقصبة قاع وردة الواقع بين جامع الزيتونة ومستوصف رياض القسطالي، وبدأ العمل فيه سنة 1693 وتم الانتهاء منه سنة 1695 ، وخصص كل قسم من أقسام هذا الدرب لجنسية من جنسيات الأسرى حسب أهميتهم العددية، وأهمها القسم الخاص بالاسبانيين لارتفاع عددهم ووجود الكنيسة داخله. وعلى إثر الزلزال الذي ضرب مدينة مكناس في 1 نونبر 1755 وأدي إلى هدم عدة مساجد لم يسلم الحي المسيحي ـ درب القنوط ـ من الهدم، فحطمت الكنيسة Notre Dame de Meknès عن آخرها، وزاد من تعاسة المسيحيين سقوط أمطار طوفانية في اليوم الموالي للزلزال مما أدى إلى إتلاف محتوياتها واعتبر هذا الحدث نهاية للعالم على حد تعبير حارس الكنيسة.

ومازال درب القنوط قائما إلى يومنا هذا بالمدينة (القديمة).

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 1، ص. 135 ؛ ب. بوعسرية، *مكناس المدينة الجديدة*، ص. 11 ـ 15.

رقية بلمقدم

**القنيطرة**، قبل القيام بإلقاء نظرة بانورامية حول تاريخ القنيطرة خلال مرحلة ما قبل الاستعمار الفرنسي للمغرب، لا مندوحة من الإشارة إلى أن الإدارة الاستعمارية تؤرخ لميلاد مدينة القنيطرة بيوم 15 غشت 1912 وهو اليوم الذي صادق فيه الجنرال ليوطي المقيم العام على أعمال اللجن التي اعتكفت منذ 1911 على دراسة اختيار القنيطرة كميناء عسكري بدل المهدية، وهكذا تربط كل الدراسات المتعلقة بالقنيطرة وجودها بقرار الإقامة العامة ومعنى ذلك وحسب هذا الطرح الذي يعبر عن وجهة نظر الحماية أن القنيطرة خرجت من العدم وكانت عبارة عن أرض خلاء حتى جاء الفرنسيون وأقاموا هذا الصرح الحضاري. وإمعانا في تدعيم هذا الطرح الاستعماري المغرض قامت الإدارة الاستعمارية بخطوتين في هذا الاتجاه :

1 ـ الخطوة الأولى تتجلى في إقدامها على تدمير القنطرة التي أقيمت على نهر الفوارات من طرف القائد "علي

أوعدي" والتي كانت معلمة تاريخية تشهد على ماض عريق وتستفز منظري الجهاز الاستعماري الذين يريدون أن يكون الحجر الأساسي للقنيطرة من وضع الحماية للتأكيد على دورها الحضاري المزعوم في المغرب ولهذا دمرت هذه القنطرة سنة 1928.

2 ـ الخطوة الثانية تتجلى في إقدام سلطات الحماية على إطلاق اسم ميناء ليوطي Port Lyautey على القنيطرة يوم 24 ماي 1932 وذلك تمجيدا للمقيم العام ليوطي الذي كانت الأوساط الاستعمارية تكن له إجلالا حقيقيا وجعلت منه صاحب شرعيتهم الاستعمارية.

ومما سهل مأمورية سلطات الحماية غياب المصادر والمراجع عن القنيطرة قبل فترة الحماية إذ لا تتعدى بعض الإشارات العابرة التي لا تساعد على ضبط تاريخ القنيطرة كموقع يحتل حيزا طوبوغرافيا، كما أن الروايات الشفوية والذاكرة الشعبية بدورها كانت حافلة بالثغرات والتناقضات بين رواية وأخرى، ومع ذلك وأمام الفراغ المرجعي فلا محيد من الرجوع إلى تلك الإشارات العابرة والروايات الشفوية سعيا ضبط الحلقات الجوهرية في تاريخ القنيطرة.

إن أول ما يثير انتباه الباحث هو تنامي ظاهرة التصوف والولاية (الأولياء) بالقنيطرة وضواحيها، وقد ذكر محمد ابن عسكر في كتابه *دوحة الناشر* مجموعة من هؤلاء الأولياء ومنهم محمد بن منصور المصباحي الذي دفن بجزيرة البسابس من بلاد أولاد جلون وكان يأتي كل ليلة الجمعة من جزيرة البسابس لإلقاء دروسه الدينية بالمكان الذي عرف لاحقا بالقنيطرة، ومن هؤلاء الشيوخ أيضا سيدي محمد بن عبد الله الشهير بأبي غابة وسيدي علي بن بوشتى وسيدي العربي الركراكي بن أبي جمعة (كلهم دفنوا بأضرحة في القنيطرة وضواحيها) وكانت هناك زاوية أطلق عليها "زاوية التصوف" بالقنيطرة ورد ذكرها حوالي 1050.

إن القيام بجرد سريع للأولياء وأصحاب الكرامات الذين استقروا بالقنيطرة والضواحي سيجعلنا نندهش من ارتفاع عددهم مما يطرح بعض التساؤلات.

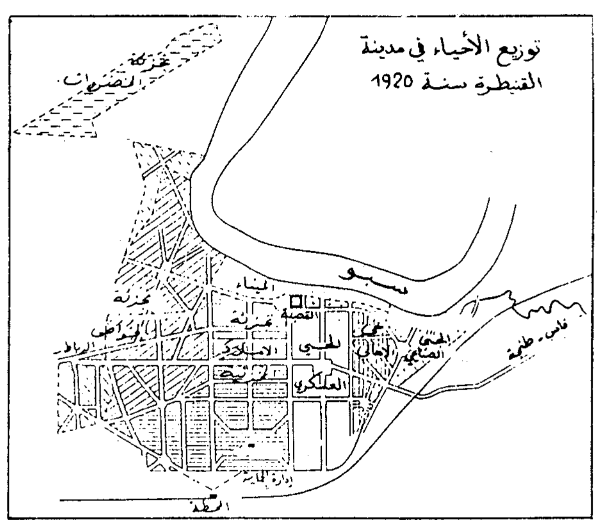


أولاً : هل يعود استقرارهم بكثرة في الغرب عموما والقنيطرة خصوصا إلى متاخمة المنطقة للسواحل المهددة من طرف الاستعمار الأوربي ومن تم اختار هؤلاء المنطقة قصد تعبئة السكان للمساهمة في المقاومة والجهاد مما يكسبهم الحظوة والنفوذ لدى العامة والسلطة معا ؟

ثانيا : وهل يعود ذلك إل كون المنطقة خصبة وغنية (سهل الغرب) وكان استثمار الكرامات يعود على هؤلاء بالنفع والفائدة ؟

وعلى كل لسنا معنيين في هذا المجال بالإجابة إذ أن المهم من ذلك أن القنيطرة كانت قطبا ومركزا للعلماء وأهل الكرامات في ذلك الوقت.

أما عن الأصل الاشتقاقي للقنيطرة فتجدر الإشارة إلى أن قاضي مدينة القنيطرة في عهد الحماية السيد محمد السجلماسي بن عبد الرحمان عثر سنة 1934 على رسالة بعث بها صاحب القنيطرة آنذاك (أواخر القرن 17) الشيخ السيد العربي بن محمد بن جعفر بن أبي جمعة الركراكي (دفين مدينة القنيطرة) ومضمون هذه الرسالة أن الشيخ المذكور حث سكان هذه الناحية خاصة عامر مهدية لإطلاق اسم القنيطرة على منشئها وهو القائد المخزني "علي أوعدي" أي "قنطرة علي أوعدي" بل أيضا طلب إطلاق اسم "علي أوعدي" على "القصبة".

ويفهم من ذلك أن القائد المخزني "علي أوعدي" أنشأ القنطرة لتسهيل عملية عبور القوافل التجارية وكذلك الحركات المخزنية في اتجاه العاصمة فاس أو في اتجاه سلا كما أنه أقام قصبة في مكان غير بعيد من القنطرة لإقامته وإقامة الحامية العسكرية، ونستشف من بعض الإشارات التي وردت هنا وهناك أن السكان استقروا حول "قصبة علي أوعدي" واتخذوا خياما لصيد سمك الشابل بالنهر وكان "علي أوعدي" يشرف على جمعه وتسويقه والملاحظ أن أغلب هؤلاء السكان من عامر الحوزية ـ وأولاد سلامة والمناصرة...

وازدهرت التجارة بالمنطقة وأقيم سوق أسبوعي عرف باسم سوق القصبة وكان هذا السوق يجاور "ضريح سيدي العربي بوجمعة".

وخلال العقود اللاحقة كانت بلدة قنطرة "علي أوعدي" معبرا أساسيا للحركات المخزنية في اتجاه فاس العاصمة وسهل الغرب من جهة وسلا والرباط من جهة أخرى، وغالبا ما تتعرض القوافل التجارية وحتى الحركات المخزنية لهجومات قبائل "زمور" و"بني حسن" و"عرب عامر" وكان المخزن يبعث بحملات تأديبية ضد هذه القبائل ـ كما أن السلطان المولى الحسن أمر في أواخر عهده بإنشاء قصبة مخزنية بالقنيطرة أو قنطرة علي أوعدي وذلك لتأمين الطريق بين فاس العاصمة وسلا وتم إتمام بناء هذه القصبة سنة 1895، أي في بداية عهد السلطان المولى عبد العزيز. وقد عين "المعطي بلقايد" كقائد على القنيطرة والضواحي وذلك بسبب خصاله الحربية حيث خدم المخزن كقائد المائة ثم قائد الرحا

واستقر بالقصبة ومعه حامية عسكرية. واستعادت القنيطرة نشاطها التجاري حيث استقطبت بعض العائلات التجارية خاصة الشريف سيدي مشيش بن عبد السلام العلمي الذي استقر غير بعيد من القصبة (في المدينة العاليا الحالية) واشتغل بالتجارة بكل من فاس والقنيطرة وكان يقوم بالتصدير والاستيراد عن طريق الرباط، وكان ازدهار تجارة سيدي مشيش هذا بمثابة مؤشر وحافز لبعض بيوتات فاس التجارية التي استقرت بالمدينة في المراحل اللاحقة ولعبت دورا في الحركة الوطنية.

كما ظهرت بجوار القصبة مجموعة من النوالات استقر بها السكان الذين توافدوا بكثرة. وهكذا لما قررت السلطات الاستعمارية نقل الميناء من المهدية إلى القنيطرة لم تجدها أراضي خلاء بل كان بها تجمع سكاني ونواة تجارية، فسيطرت على الأراضي التابعة للجموع وأزاحت السكان لإقامة المدينة الأوربية وتم تحويل المغاربة إلى أحياء خاصة بهم.

وقد جاء إنشاء مدينة القنيطرة بشكلها العصري بعد سلسلة من الأحداث مرتبطة باحتلال فرنسا للمغرب بعدما تم التمهيد لذلك منذ أواخر القرن التاسع عشر.

تم إنزال القوات الفرنسية بميناء المهدية سنة 1911 لكونه أقرب ميناء لتصريف السلاح والجنود نحو فاس.

وهكذا أصبحت المهدية محطة ثانية لاستقبال المؤونة والأسلحة، واحتوت على مرفأ سبو لإرساء جنودها، كما احتوت قصبة المهدية بعد طرد سكانها وإفراغها نهائيا منهم، على مستودع الهندسة العسكرية المنتمي لفيلق فاس سنة 1911 ، وأقيمت بالقصبة مصلحة الاستعلامات وكان من ضمن الذين تم تعيينهم للقيام بهذا الدور، روبير مونطاني "Robert Montagne" الذي ترقى في البحث الميداني حتى صنف ضمن الضباط الذين أطلق عليهم "العلماء العسكريون"، وقام بدراسات حول القصبة وحول محيطها القبلي.

وخلال هذا المرحلة كان يتم إرسال الأسلحة والمؤونة والمواد المختلفة إلى الداخل بواسطة وسيلتين أساسيتين :

- عن طريق البر انطلاقا من المهدية في اتجاه فاس مرورا بالطريق المخزنية التقليدية، وذلك باستعمال القنطرة التي أقيمت على أحد روافد سبو وهو وادي "الفوارات" وهي قنطرة أقامها القائد "علي أوعدي" منذ أواخر القرن 17، وكانت معلمة تاريخية.

- عن طريق النهر، إذ كانت الزوارق التابعة لشركتي "أومنيون Omnium" و"الشركة الليونية Société Lyonnaise" تتكلف بنقل حمولتها عبر النهر بالإضافة إلى مقاومة القبائل القاطنة على ضفتي نهر سبو. فكان لا بد من إيجاد ميناء نهري يستجيب لحاجيات الجيوش الاستعمارية التي ما فتئت تتعاظم وتتزايد بتزايد توغلها في الداخل. وبالإضافة إلى ضرورة إيجاد ميناء عسكري، كان لا بد أيضا لهذا الميناء المرتقب أن يلعب دورا تجاريا، وذلك لكون المبادلات التجارية بين فاس ومكناس تتم مع الخارج عبر ميناء العرائش، ولهذا فإن تبعية هذه المناطق لميناء العرائش في المنطقة الإسبانية يشكل تهديدا للمصالح الفرنسية، وهكذا فإن الضرورة الاستراتيجية والجيوسياسية حتمت إقامة ميناء نهري كبير، وبإيعاز من إدارة الحماية تم القيام بدراسة ميدانية أسفرت عن وجود مكان مناسب لهذا الميناء قرب القصبة المخزنية التي شيدت سنة 1895. ويتميز النهر في هذا الموقع باتساع يتراوح ما بين 250 و300 متر وعمق يتراوح ما بين 6 و10 أمتار بالإضافة إلى وجود رصيف قاري يصل طوله إلى 1200 متر ولا يتعدى ارتفاعه عن سطح مياه النهر مترا واحدا.

ووقع الاختيار على الموقع بسبب ملاءمة الظروف الطبيعية، وخلال اجتماع بالإقامة العامة بحضور المقيم العام "ليوطي" يوم 15 غشت 1912 تم استعراض نتائج الدراسات وتمت المصادقة على إنشاء ميناء القنيطرة، بفضل وجود نهر سبو، وقد قيل قديما "أن مصر كانت هبة النيل" ويمكن القول أيضا أن "القنيطرة هبة نهر سبو" وليست هبة ليوطي، لأنه لولا النهر لما أمكن إقامة الميناء الذي نسجت حوله مدينة القنيطرة.

وبسرعة فائقة تم نقل التجهيزات من المهدية إلى القنيطرة وأصبح بإمكان الميناء الجديد استقبال سفن تصل حمولتها إلى 15000 طن.

كما أقيمت حول الميناء الثكنات العسكرية، وتم الاتفاق بين ممثلي المصالح العسكرية والجمارك والمالية والإقامة العامة خلال اجتماع عقد بالقنيطرة في شتنبر 1912 على القيام بمسح طبوغرافي، وذلك من أجل تهيئة المجال الحضري لمدينة القنيطرة، خاصة وأن الأراضي التي ستقام عليها المدينة، إما تابعة للجماعات وأطلق عليها مجازا : الأراضي العمومية، أو للخواص، إذ علينا أن لا ننسى أن هناك بعض التجار كانوا يقيمون بالقنيطرة قبل 1912 ، كما أن بعض الأوربيين اقتنوا من الجماعات السلالية الأراضي وباعوها للإقامة العامة بعد معرفتهم المسبقة بنوايا إدارة الحماية في إقامة مدينة عصرية على هذه الأراضي. ونذكر على سبيل المثال : المضارب العقاري السويسري روبير موسار Robert Mussard ، الذي اشترى الأراضي التي بنيت عليها المدينة العصرية من سلالات : أولاد أوجيه، والحدادة، والبوشتيين.

وسرعان ما توسعت الاختصاصات الإدارية للقنيطرة : وهكذا قرر المقيم العام نقل "مكتب الاستعلامات لبني احسن" من المهدية إلى القنيطرة، وذلك بواسطة مرسوم بتاريخ 4 يونيو 1913.

وبمقتضى مرسوم آخر صادر بتاريخ 27 يونيو 1913، أصبحت القنيطرة "منطقة المراقبة المدنية للغرب وبني احسن" وبذلك أصبحت مركزا إداريا رئيسيا بالنسبة للغرب، كما أنها كانت تستقبل العتاد الحربي الموجه نحو المناطق

العسكرية لكل من فاس ومكناس، وبذلك أصبحت قاعدة خلفية بالنسبة للمنطقتين.

وخلال فترة ما بين الحربين توفرت للقنيطرة مقومات المدينة العصرية وأخذ دورها يتعاظم بعد صدور قرار من الإقامة العامة في 1 يناير 1913 فتح بموجبه ميناء القنيطرة للملاحة التجارية بعدما كان خاصا بالنشاط العسكري فقط.

وانطلاقا من 1914 تم إعفاء "المراقب المدني للغرب وبني احسن" من إدارة شؤون مدينة القنيطرة الناشئة وعين لهذه المهمة "رئيس المصالح البلدية". وفي نفس الوقت أصبح المراقب المدني يراقب القيادات الستة التي تم استحداثها وهي قيادات : المناصرة - عمرو السفلية - أولاد النعايم - أولاد سلامة - اعمرو الحوزية - وأحواز القنيطرة.

وقد تم إنشاء اللجنة البلدية في دجنبر 1914 وعهد إليها بتنظيم وتهييئ المجال الحضري الذي أصبح ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

- التجزئة العسكرية خاصة بالمصالح العسكرية.
- التجزئة المخزنية المخصصة لبناء المدينة العصرية للأوربيين.
- التجزئة الخاصة بالأهالي لإقامة مدينة يسكنها المغاربة وبجوارها الحي الصناعي (الخريطة).

وخلال زيارة المقيم العام للمدينة سنة 1915 تقرر وضع تصميم مديري للمدينة من أجل التهيئة، وحدد هذا التصميم مساحة المدينة في 130 هكتار كان البناء يغطي 2/5 منها، وقد جاء في رسالة رئيس المصالح البلدية إلى الإقامة العامة في 14 يونيو 1915 ما يلي :

"... على عكس المدن المغربية التي أقيمت فيها المدينة الأوربية بجوار مدينة الأهالي "La Medina" فإن القنيطرة برزت في مكان يخلو من تكدس السكان، ولهذا كضرورة أولى ينبغي إقامة حي خاص بالأهالي، وذلك لربط الأهالي بالعمل وترويضهم عليه، وكذلك لجلب مزيد من اليد العاملة، وبذلك نضمن مردودية أفضل بتكاليف أقل، كما أن إقامة مدينة للأهالي سيجلب التجار من فاس للقيام بدور الوساطة. فأرجو أن يحظى مشروعي واقتراحي لبناء مدينة الأهالي برضاكم...".

وفعلا عرفت القنيطرة تزايدا سريعا في عدد سكانها كما يبين الجدول الآتي :

| السنة | الساكنة | | |
|---|---|---|---|
| | المغاربة | الأوربيين | المجموع |
| 1912 | 500 | 600 | 1100 |
| 1920 | 2263 | 2204 | 4467 |
| 1936 | 11912 | 5684 | 17596 |

ويعود تزايد الهجرات إلى القنيطرة إلى عاملين استعماريين أساسيين : الأول يتلخص في سيطرة المعمرين "الكولون" على الأراضي الخصبة في مختلف السهول واقتلاع أهاليها بشتى الوسائل مما يدفعهم للهجرة، والثاني يتجلى في إقامة بعض الأنشطة الصناعية من طرف المعمرين وجلب "الأهالي" كيد عاملة.

وبموازاة مع تزايد عدد سكان القنيطرة عرف الميناء بدوره نشاطا ملحوظا وبشكل مطرد كما هو مبين في الجدول الآتي :

| السنة | عدد السفن | الحمولة |
|---|---|---|
| 1913 | 35 سفينة | 13000 |
| 1914 | 147 سفينة | 27000 |
| 1915 | 250 سفينة | 42000 |
| 1916 | 178 سفينة | 44000 |
| 1917 | 171 سفينة | 55000 |
| 1918 | 343 سفينة | 72000 |
| 1919 | 303 سفينة | 82000 |
| 1920 | 309 سفينة | 98000 |

وإن تزايد نشاط ميناء القنيطرة يعود أساسا إلى ازدياد حجم الصادرات من المواد الفلاحية لحوض سبو والمواد المعدنية ومختلف المواد الأولية، وكذلك بسبب استيراد مواد التجهيز المختلفة والمواد المصنعة، وكذلك العتاد الحربي لمواجهة مقاومة قبائل الأطلس المتوسط، ومقاومة الريف لاحقا بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي.

وإمعانا في التمويه سعت الإقامة العامة إلى منح الصبغة التمثيلية لمدينة القنيطرة، وذلك بمقتضى مرسوم وزاري بتاريخ 24 ماي 1932 ولهذا فقد ولدت هذه اللجنة ميتة في المهد ولا تمثل أحدا.

غير أن مدينة القنيطرة لم تكن في معزل عن التحولات التي تعرفها المدن المغربية الأخرى التي نشأت بها الحركة الوطنية للمطالبة بالإصلاحات : فعلى إثر صدور الظهير الاستعماري بتاريخ 16 ماي 1930 عرفت القنيطرة مظاهرات كبرى. ونظرا لأهمية المساجد في انطلاق المظاهرات، ونظرا لخلو مدينة القنيطرة من هذه المساجد فقد ناضل الوطنيون من أجل تخصيص أراضي لإقامة المساجد للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للمدينة، وفي هذا الصدد رفع السكان عريضة إلى المقيم العام، وقدمت نسخة منها إلى السلطان، وذلك يوم 5 أبريل 1934 وكانت العريضة تطالب بإنشاء مسجد جديد وسط المدينة الإسلامية كما نددت بمماطلات السلطات الاستعمارية من أجل تحقيق هذا المكسب.

واستغلت الحركة الوطنية الفترة الممتدة ما بين 1934 - 1937 وهي الفترة التي قدمت فيها مطالب الإصلاحات للحماية. واستغلت هذه المدة لرص صفوفها، فاتجهت الحركة الوطنية إلى ميدان التعليم، وكان ثلاثة تجار فاسيين من رواد

الحركة الوطنية بمدينة القنيطرة هم السادة : محمد الديوري ومشيشي العلمي والجيلالي بناني، وقد بادروا سنة 1935 إلى إنشاء أول مدرسة أطلق عليها مدرسة سيدي مشيش لأنه تطوع ومنح أحد منازله واتخذ هذا المنزل مقرا لهذه المدرسة قبل أن تنتقل إلى مقر آخر أمام تزايد عدد التلاميذ ثم مقر ثالث يتسع لمزيد من التلاميذ، وكلها مقرات بالمدينة القديمة (مدينة الأهالي حسب تعبير الاستعمار) وأسندت إلى العلامة أبي الشتاء الجامعي مهمة التدريس والتسيير، لهذا كانت تسمى أيضا مدرسة سي بوشتى. وقد كانت هذه المدرسة تضم عددا من الأساتذة والفقهاء وصل عددهم إلى 10 وهم السادة :

- أبو الشتاء الجامعي وهو في نفس الوقت مدير المؤسسة.
- الشاعر أحمد النور المراكشي.
- الحسين الورزازي أحد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال بعد نفيه من مدرسة القنيطرة على إثر مظاهرات 1937.
- الفقيه حمان المراكشي. - الفقيه الخصاصي. - مولاي العربي الدرقاوي. - محمد الدرقاوي. - الفقيه بوجمعة المراكشي. - الفقيه بناني. - بن محمد الطنجاوي للتربية البدنية.

وكان مسؤولو الحماية بالمدينة يتخوفون من سيطرة الحركة الوطنية على المدرسة الوطنية. وتأكدت مخاوفهم بمشاركة تلاميذ هذه المدرسة الحرة في مظاهرات 1937 . كما تأكدت في السنوات اللاحقة بعدما تكاثرت المدارس الحرة على حساب مدارس الحماية ومن ذلك مدرسة التقدم الإسلامية التي فتحت أبوابها في 1946 ، وكان تلاميذ هذه المدارس أطرا في السنوات اللاحقة في صفوف الحركة الوطنية أمثال أحمد الدمناتي بوفلوس وغيره.

ولقد عرفت مدينة القنيطرة على غرار المدن المغربية الأخرى مظاهرات كبرى خلال أكتوبر 1937 احتجاجا على تحويل مياه وادي بوفكران لصالح المعمرين وكذلك احتجاجا على سياسة نوكيس Nogues إزاء الحركة الوطنية. وقد انطلقت المظاهرات كما هي العادة آنذاك في رحاب الزاوية التيجانية بعد الاستماع إلى خطبة حماسية ألقاها الزعيم محمد الديوري واستقطبت المظاهرة جماهير المدينة فأصيبت سلطات الحماية بالهلع والذعر. إذ عملت فرنسا منذ البداية على تحويل مدينة القنيطرة إلى واجهة تسعى بواسطتها إلى إبراز الدور الحضاري المزعزم لها في المغرب. ومن ثم كانت القنيطرة مفخرة للأوساط الاستعمارية تقام فيها التظاهرات الرياضية المختلفة والحفلات ويستدعى إليها أقطاب الحماية.

كما كانت إدارة الحماية تتوخى أن تبرز من خلال نموذج القنيطرة ما روجت إليه من : "أن روح الوئام تلف بين شعوب المستعمرات والوطن الأم أي فرنسا".

لهذا جاءت مظاهرات 1937 لتوجيه ضربة قاضية لهذا الطرح الاستعماري المغرض وبقدر ما كانت خيبة آمال منظري الحماية كبيرة بقدر ما كانت الوسائل المجهزة لقمع مظاهرات 1937 ضخمة إذ جندت إدارة الحماية قوات تكاد لا تنتهي من اللفيف الأجنبي والمرتزقة من أبناء المستعمرات كالسينغاليين والجزائريين وحتى من الگوم المغاربة، وخلف الاصطدام عددا كبيرا من القتلى والجرحى كما تم اعتقال زعماء الحركة الوطنية منهم "أبو الشتاء الجامعي ومحمد الديوري والفقيه برادة وأحمد بن دلة الإدريسي، ومحمد بن الجيلالي بناني، وعبد القادر برادة، والصديق المكينسي... بحيث بلغ عدد المعتقلين 72 وثم سجنهم ولو كانوا جرحى وتم نقلهم إلى السجن بالريش حيث حكم عليهم بالأعمال الشاقة. ويحكي "المجاهد محمد إبراهيم الكتاني في كتابه من ذكريات سجين مكافح" المعاناة والاضطهاد الذي تعرض له الوطنيون في كوليما والريش على يد الكوم والجلادين الاستعماريين.

وهكذا استقبلت القنيطرة كغيرها من المدن المغربية الحرب العالمية الثانية في جو من الإرهاب والقمع الدموي.

وخلال الحرب العالمية الثانية تم إنزال القوات الأمريكية يوم 8 نونبر 1942 بالقنيطرة في إطار عملية "طورش Torch" التي استهدفت أيضا إنزال القوات الأمريكية بالمحمدية وأسفي.

وقد واجهت القوات الفرنسية الموالية لألمانيا أي : "حكومة فيشي Vichy" القوات الأمريكية قرب المهدية مما أدى إلى مقتل حوالي 88 جنديا أمريكيا وعلى رأسهم الكولونيل Craw. وبعد إخماد هذه المقاومة الفرنسية أنشئت القاعدة العسكرية الأمريكية بمدينة القنيطرة والتي تعد من أهم القواعد العصرية بشمال إفريقيا، وكان لوجودها تأثير على تطور المدينة، وارتفع عدد اليهود بالمدينة من 752 نسمة سنة 1936 إلى 3083 سنة 1952 ، كما تميزت هذه الحقبة بنمو النشاط الصناعي إذ كان الاهتمام بالتصنيع ضعيفا إلى حين نشوب الحرب العالمية الثانية، إثر انتقال بعض رؤوس الأموال الفرنسية إلى المغرب تحسبا لظروف الحرب، وقد ازدادت وتيرة النمو الصناعي بعد سنة 1945 ، حيث ساهم انخفاض قيمة الضرائب وضعف الأجور والتكاليف العائلية في جلب الاستثمارات الصناعية في ميدان البناء والصناعات الغذائية والكيماوية والمعدنية.

ومن أهم المعامل التي برزت خلال هذه الحقبة في القنيطرة :

- 1942 الشركة المغربية للتركيب المعدني SOMETAL.
- 1943 الشركة المغربية للأسمدة المصفاة S.M.E.P.
- 1946 الشركة المغربية للكارطون والورق C.M.C.P.
- 1947 الشركة المغربية لصناعة النسيج M.A.F.C.O.
- 1948 شركة التبغ R.T.
- 1949 شركة التعدين والميكانيك METAMECA.

وبموازاة مع هذه الصناعات أنشأت عدة أبناك فروعا بالقنيطرة مثل بنك المغرب، البنك المغربي للتجارة "B.M.C."، البنك الشعبي "B.P."، الشركة العامة "S.G." إلخ...

ونتيجة لذلك عرفت مدينة القنيطرة تحولات اجتماعية متعددة، ومن أبرزها التزايد السكاني والتوسيع الحضري. وهكذا ارتفع عدد السكان من 17596 نسمة سنة 1936 إلى 63202 نسمة سنة 1949 ، لكن هذا النمو ارتبط بظهور وانتشار أحياء الصفيح في ضواحي المدينة، خاصة في اتجاه المرجة حيث يقطن السكان في ظروف سيئة إذ تعتبر القنيطرة من أكبر المدن التي توجد فيها نسبة عالية من مدن الصفيح. ففي أواخر الخمسينات كان عدد سكان أحياء الصفيح يقدر بحوالي 30000 نسمة من بين 86000 نسمة على الإجمال. ومن بين هذه الأحياء دوار الرجاء في الله. ومما زاد من تأزيم وضعية السكن بالقنيطرة الحريق المهول الذي شب بأحياء الصفيح سنة 1946 مما دفع بسلطات الحماية إلى إنشاء حي "الساكنية" للتخفيف من هول الكارثة. وفي نفس الوقت شرع سنة 1951 في حي "فال فلوري" في إيواء مزيد من الأوربيين، ولتشييد الفيلات للمعمرين.

وفي الوقت الذي تعمق فيه الوجود الاستعماري الفرنسي بالقنيطرة اقتصاديا واجتماعيا تعمق أيضا الوعي الوطني بفضل تزايد حجم الطبقة العاملة نتيجة للتطور والنمو الذي عرفه النشاط الصناعي، ولعبت هذه الطبقة دوراً طلائعيا في تأجيج الصراع ضد الاستعمار الفرنسي بالقنيطرة.

وقد زادت بعض الأحداث المحلية في بلورة الشعور المعادي للاستعمار بالمدينة، ومن ذلك مراسيم تسليم القاعدة العسكرية بالقنيطرة من طرف الفرنسيين للأمريكيين التي تمت سنة 1949 دون إشعار السلطان بذلك رغم إلحاح الأمريكيين بإشراك السلطات الشرعية للبلاد في توقيع البروتكول. إلا أن المقيم العام "ألفونس جوان" رفض ذلك كرد فعل من السلطات الاستعمارية على خطاب طنجة التاريخي وعلى رفض السلطان توقيع بعض الظهائر.

وقد بلغ غضب الجماهير في القنيطرة ذروته على إثر إقبال سلطات الحماية بتاريخ 20 غشت على نفي السلطان وعائلته إلى جزيرة كورسيكا ومنها إلى مدغشقر، فكانت القنيطرة من أولى المدن، التي ردت بعنف على نفي السلطان، وذلك عندما قام الوطنيون يوم 23 غشت 1953 بتدبير حادثة القطار الشيء الذي أدى إلى خروجه من السكة وتسبب ذلك في دماره. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أن القنيطرة تحولت إلى مركز لتزويد المقاومين بالأسلحة وذلك بفضل وجود القاعدة الأمريكية، وفي خضم اشتداد مقاومة أهالي القنيطرة ضد الوجود الاستعماري عملت سلطات الحماية على بناء حي مستعجل لتجميع الأوربيين في مكان محصن يدعى "المدينة المستعجلة Cité d'urgence"، خاصة بعد ظهور حركة فدائية مسلحة عملت على تصفية عملاء الاستعمار وإحراق مزارع المعمرين في الغرب... وأصبحت المظاهرات تكتسي صبغة عنيفة ودموية.

وهكذا شبت القنيطرة وترعرعت في أحضان الجهاز الاستعماري والمعمرين الذين جعلوا منها نموذجا للمدينة الاستعمارية. لكن القنيطرة بفضل مقاومتها وبفضل جذورها العميقة في الوطنية ساهمت بقسط كبير في تاريخ الوطنية المغربية، وتحولت بفضل كفاح ودماء أبنائها إلى مدينة شهيدة إذ تصدت للوجود الاستعماري والإطار الذي رسمه لها الجهاز الاستعماري، ولم تضعف عزيمة أبنائها مطلقا. وهكذا كانت صورة القنيطرة ترتفع، منذ الحرب العالمية الثانية إلى أن تم تحقيق الاستقلال، كما يرتفع النجم المتألق في السماء.

م. مشيش العلمي، *القنيطرة، ميلاد المدينة والحركة الوطنية، 1913 ـ 1937* ، منشورات سيدي مشيش العلمي، 2002 ؛ *أعمال ندوة الحركة الوطنية والمقاومة في منطقة الغرب*، أيام 18 ـ 19 و20 مارس 1998 ، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 1998 ؛ *أعمال ندوة منطقة الغرب : المجال والإنسان*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، أيام 22 ـ 23. 24 أكتوبر 1991؛ *أعمال ندوة القنيطرة في أفق 2000* ، جامعة ابن طفيل المجموعة الحضرية بالقنيرة أيام 19 ـ 20 ـ 21 نونبر 1993 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *معلمة الغرب* ، مطبعة البوكيلي، 2000 ؛ ع. القادر بوراس، دور التعليم في تدعيم الحركة الوطنية، مجلة جسور، ع. 1 ، أكاديمية وزارة التربية الوطنية بالقنيطرة ؛ الحركة الوطنية بمدينة القنيطرة، جريدة القنطرة أعداد 17.16.14.12.5.4 ؛ محمد إبراهيم، *أيام كوليمية*.

H. Nepsola, Kénitra, historique et analyse du développement de l'agglomération et du port et ses incidances sur l'évolution de l'économie du Gharb, *B.E.S.M.*, 1969 ; R. Coindreau, *La casbah de Mehdeya*, éd. La porte, Rabat, 1945 ; Robert Mussard, *Souvenirs du vieux Maroc*, Genève, 1980.

عبد القادر بوراس

**القْوَاسْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alaquas - Alaqua ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Lacuas ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القويع** ، صنف من الطيور المشهورة بالمغرب، يسمى باللغة العربية القبرة أو القبرة، وهي عصفورة صغيرة يبلغ طولها ما بين 17.5 و19.5 سم، دائمة التغريد، من فصيلة القبريات، وعند العامة تسمى بصيغة المؤنث. لعلها سميت بذلك لما فضل من الريش القائم فوق رأسها، وهي سهلة الاصطياد، مغرية للأطفال، خاصة في مرحلة البيض، وتسمى باللغة الفرنسية Alouette ، وقد ذكرها الشعراء الفحول في

أشعارهم أمثال طرفة بن العبد، وكان يصطادها في صباه حيث قال :

يا لك من قبـــرة بمعمـر
خلا لك الجو فبيضي وصفـــري
ونقري ما شئت أن تنقري
قد ذهبت الصياد عنك فابشري
لا بد من أخذك يوما فاصبري

ولعل السبب في قول هذا الشعر هو أن طرفة كان مع عمه في سفر وهو ابن السابعة، فنزلوا على ماء فذهب طرفة بفخ فنصبه للقنابر وبقي يومه ولم يصطد شيئا ثم أخذ فخه وعاد إلى عمه. فحملوا ورحلوا من ذلك المكان فرأى القنابر تلتقط ما كان نثره لها من الحب فقال ذلك.

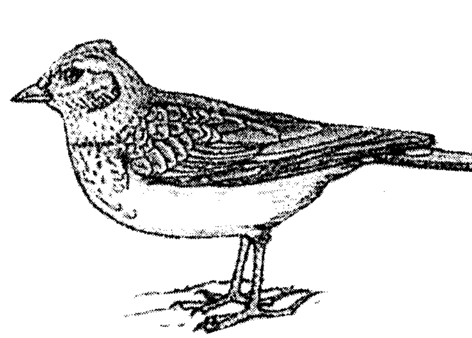

وفي *"حياة الحيوان الكبرى"* أشار الدميري إلى أن القويع طائر أسود، أبيض الذنب يكثر تحريك ذنبه، ولكن الذي تواضع المغاربة على تسميته بالقويع هو ما ذكرناه بالقول والصورة، وأهل البادية بالمغرب، قديما كانوا يعرفون وقت إسفار الصبح من خلال نداء القويع، حيث تطير إلى السماء بعد طلوع الفجر، لما يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، فترسل تغريدا على شكل صفير فيستيقظ كل من يريد النهوض مبكرا، وتكون هذه العصفورة أكثر نشاطا وحيوية في فصل الربيع على وجه الخصوص، وذلك لأنه فصل البيض والتفريخ، إذ تبدأ في صنع عشها المستدير الشكل حيث تحفر في أول الأمر حفرة صغيرة مستديرة بجانب نبتة، قد تكون عسلوج گرنينة أو غيره، وبعد ذلك تبدأ بنقل المواد التي تسعفها في بناء العش، وغالبا ما تكون هذه المواد من الليف والصوف والريش واليابس الرقيق من الأعشاب. ولا يشارك الذكر الأنثى في بناء العش، بل يكتفي بمراقبتها ذهاباً وإياباً وهي تحمل في منقارها ما تختاره من المواد. بعد انتهاء مرحلة البناء تبدأ مرحلة البيض، حيث تبيض بيضة في كل يوم، ومنها من تبيض يوما وتغيب عن العش يوما، وعندما تضع بيضتها اليومية تغادر العش لتعود إليه في اليوم الموالي لتضع بيضة أخرى. قيل إنها تبيض يوم الجمعة خارج العش، وفي الصغر كثيراً ما كنا نجد قرب عشها بمتر أو مترين بيضة فنسأل الكبار عن سبب ذلك فيقولون : هي بيضة يوم الجمعة (والله أعلم). وقد تدوم مرحلة البيض من ثلاثة أيام إلى عشرة، حيث تبيض من 2 إلى خمسة بيضات، وربما تشترك قويعان، (أو قويعتان إذا افترضنا التاء لصيغة المؤنث)، في عش واحد فيصل عدد بيضهما من 4 إلى عشر بيضات على الأكثر، تحضنها واحدة منهما مما يسبب فساد بعض البيضات التي لا تستطيع الحاضنة تغطيتها بالريش أثناء الحضن، وهذه الحالة نادرة جدا صادفتها في صباي مرتين، وفي مرحلة البيض تكون بعض القويعات عزيزة النفس تحب كتمان أمرها فإذا فُضِحَت ولمس أحد الصبيان بيضها تَنْفر من العشْ وتغيب عنه ولم تعد إليه أبدا، وفي ذلك مثل سائر بين العامة حيث يقول : "القويع إذا عرفها الصبيان تنفر" وهو بمعنى ترك الأمور المهمة بين الكبار دون أن يتدخل فيها الصبيان.

وتدوم مرحلة الحضن من عشر أيام إلى 12 يوما، وهي مرحلة صعبة بالنسبة للذكر والأنثى معا، لأنهما يتعاقبان على حضن البيض، فإذا كان دور الذكر تذهب الأنثى لتبحث عن القوت بسرعة ثم تعود فيخرج الذكر ليحط في مكان مرتفع كالحجر وغيره، و يستمر في التغريد والغناء، ومن حين لآخر يغيب بحثا عن الغذاء، وكلما اقترب موعد تفقيص البيض عن الفراخ وإلا واشتد مكث الأنثى في العش حتى إذا أثارها شخص من الأشخاص فهي تخرج من العش على صدرها وتعمل حركات توهم الناظر أنها مصابة في أحد جناحيها، وهي تفعل ذلك إما حنانا وشفقة على بيضها الذي قد يكون قريبا من التفقيص، وإما حيلة تريد بها إبعاد الشخص عن العش خاصة إذا كان هذا الشخص طفلا صغيراً فيتبعها، وهي تحك صدرها على الأرض، ظنا منه أنه سيلحق بها ويأخذها، فإذا يئس منها ورجع لا يستطيع تمييز المكان الذي أثارها منه. وإذا فقص البيض عن الفراخ خرجوا حمر الحواصل وشمرت الأم عن ساعد الجد لإطعامهم نهارا وتغطيتهم ليلا إلى أن يشتد عودهم ويصبحوا قادرين على الطيران فتأخذهم معها لتدربهم على مواجهة الحياة وتعلمهم كيف يبحثون عن المأكل والمشرب، وغالبا ما تجد مأكلها وسط الحقول وعلى الطرق.

ابن منظور، *اللسان* ؛ الدميري، *حياة الحيوان الكبرى* ؛ *المنجد في اللغة والأعلام* ؛ بحث شخصي.

*Petit Larousse en couleurs*, p. 56.

عبد القادر سعود

**الـ قورجة** (باب -) أحد أبواب مدينة مكناس قبل أن تنالها التغييرات المعمارية التي طرأت على مباني شرق المدينة وجنوبها الشرقي في العهد الاسماعيلي.

ذكره ابن غازي في الروض الهتون عندما أشار إلى أن مكناس في العهد الموحدي كانت تنفتح على الخارج بواسطة ستة أبواب من بينها باب "أقورج" هكذا كان يسميه. ويذكر محمد المنوني أنه كان يقع شرق المدينة وعلى وجه التقريب غرب مسجد شافية من حي الروامزيل، وأخذ اسمه من حي القورجة، فمن هذا الباب كان ينفذ سكان الحي المذكور إلى خارج المدينة.

والقورجة (بتشديد الجيم) حسب ما جاء عند محمد المنوني كلمة إسبانية تعني طريقا بين سورين تنفذ إلى نهر أو بحر حتى يتمكن المحصور من الوصول إلى الماء، وهو وصف ينطبق فعلا على باب القورجة الذي يُخرج منه إلى السبيل المؤدي إلى وادي بوعماير. إلا أنه لا يعرف وجه العلاقة بين أقورج التي وردت عند ابن غازي والتي يبدو أنها أمازيغية والقورجة حسب التفسير الذي قدمه المنوني.

وقد هدم باب القورجة، وزيد موضعه في القصبة الإسماعيلية، وبني إلى الشمال منه باب سمي باب عبد الرزاق أسفل عقبة الزيادي حيث كان ينفذ منه لحديقة الحبول قبل هدمه هو الآخر أوائل عهد المولى يوسف ولم يبق له على حد تعبير ابن زيدان "رسم ولا طلل وصار محله براحا ...".

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 225 ـ 228 ؛ ابن غازي، *الروض الهتون*، ص. 31 ؛ م. المنوني، *التخطيط المعماري لمدينة مكناس*، *مجلة الثقافة المغربية*، ع. 7، ص. 26 ـ 28.

**القورجة** (حي -)، من الأحياء التي تعرضت للهدم في عهد مولاي إسماعيل، ويمتد شرق المدينة وفي جنوبها الشرقي.

ويرجع محمد المنوني أن يكون هذا الحي أو جزء منه قد تم بناؤه فعلاً من قبل الوافدين إلى مكناس من بلاد الأندلس، ففي ترجمته للشيخ سيدي علي منون أشار إلى أن هذا الأخير كان يسكن بحي القورجة داخل مكناس ـ وإلى هذا الحي يضاف باب القورجة كما سبق الذكر ـ وقد كان معروفاً بسكنى الأندلسيين الذين وفدوا على المدينة واستوطنوها. ومن الأدلة على ذلك :

1 ) ما جاء في تعليق بنسخة خاصة من ابتهاج القلوب لأبي زيد عبد الرحمن الفاسي، في معرض الحديث عن فتحون البزازية أنها من أهل الأندلس الذين كانوا يسكنون في حومة القورجة.

2 ) وجود دروب تحمل أسماء لأشخاص يعلم أنهم قد وفدوا من الأندلس كدرب سعدون، ودرب البيجري.

3 ) وجود درب يسمى زقاق القرموني، والزقاق لفظ حضري غريب عن المدينة، كما أن هذا الزقاق نسب غالبا للعالم أبي زيد عبد الرحمن القرموني الذي قدم من قرمونة بالأندلس واستوطن مكناس.

4) كون اسم القورجة من أصل إسباني.

5 ) وأخيراً فإن جامع الزيتونة الموجود بهذا الحي، كانت توجد به شجرة زيتون، وهذه عادة لم تكن توجد في المساجد المغربية بل نجدها ضمن تقاليد الأندلسيين.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 225 ـ 228 ؛ م. المنوني، *التخطيط المعماري*، ص. 26 ـ 28 ؛ *وثائق ونصوص*، الرباط، 48 ـ 49.

**القورجة** (زاوية -) شيدت هاته الزاوية من قبل أبي الحسن المريني أثناء إقامته بمدينة مكناس أيام ولايته للعهد، وكانت تقع برأس عقبة الزيادي قريبا من باب القورجة الذي نسبت إليه. وتمتد بموازاة سقاية سدراتة ثم تنتهي عند الدرب الذي يعرف بدرب المدرسة. وقد شيدت هاته الزاوية ـ كغيرها من الزوايا المرينية ـ لغرض إطعام الواردين من التجار وغيرهم من الغرباء والمنقطعين وإيوائهم.

ولم تكن من حيث الهندسة المعمارية وجمال الصنعة تختلف عن باقي الزوايا التي بناها المرينيون في عدد من مدن المغرب. ولذا أطرى على جمالها ورونقها ابن الخطيب في نفاضة الجراب ـ وكان يسميها بالزاوية القدْمَى ـ ومما قاله : "... ومثلت بإزائها الزاوية القدمى المعدة للوارد، وهي التي بالقرجة ذات البركة النامية، والمأذنة السامية، والمرافق المتيسرة ...".

وقد تعرضت للإهمال في العهود التالية فأصابها التخريب مما جعل ابن زيدان يتأسى عليها بقوله : "وأما زاوية القورجة فقد عفى منذ أزمنة طوال اسمها وإن بقي إلى الحين رسمها في الجملة ...". ثم تطاول على طرف منها الباشا عبد الله بن أحمد وصيرها من جملة روض له، وبقي الطرف الذي به المحراب على حاله. ولما احتل الفرنسيون مدينة مكناس (1911) جعلوها مركزاً للبلدية والمراقبة المدنية والشرطة. ثم بني بها بعد ذلك قصر أنيق.

ابن غازي، *الروض الهتون*، ص. 36 ـ 37 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 120 ؛ م. المنوني، *التخطيط المعماري*، مجلة الثقافة المغربية، ع 7، ص. 39 ؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس*، ج 1، ص. 154.

رقية بلمقدم

**القوري، محمد** بن **قاسم** بن **محمد** اللخمي شيخ الجماعة، الحافظ الكبير، مفتي فاس، وآخر حفاظ المدونة بها. كان آية في التبحر في العلم والتصرف فيه واستحضار النوازل الفقهية وقضايا التواريخ. مجلسه كثير الفوائد. لازمه الإمام ابن غازي عدة أعوام.

أدرك عدة شيوخ بفاس ومكناس، وأخذ عنهم، منهم أبو محمد العبدوسي الذي أجلسه للتدريس بفاس، وأبو محمد حمد الذي أجلسه للتدريس بمكناس.

ابن القاضي، *درة الحجال / جذوة الاقتباس* ؛ أ. بابا، *نيل الإبتهاج / كفاية المحتاج* ؛ بدر الدين القرافي، *توشيح الديباج* ؛ *السخاوي، الضوء اللامع*.

المصطفى البوعناني

**القُوطي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Cotot وGodo ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677 .

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القوقجي، محمد** أبلا "الفقيه القوقجي" أحد الوجوه المعروفة في تاريخ الحزب الشيوعي المغربي وحزب التحرر والاشتراكية.

ولد بمدينة مراكش سنة 1930 في أسرة فقيرة، فأبوه اضطر إبان الحرب العالمية الكبرى إلى الهجرة لفرنسا للعمل، قبل أن يعود بعد ذلك ليشتغل "طالب معاشو" على عربة. ولج المدرسة الحرة التي أنشأها الفقيه محمد المختار السوسي بالمدينة، ثم تابع الدراسة في جامعة ابن يوسف. لكن هذا التكوين، إضافة إلى كونه مغربيا، لم يسمح له بالعمل في الإدارة. فاشتغل في قطاع البناء عاملا ثم رئيس ورشة، قبل أن يصير فيما بعد مدرسا.

دخل إلى الحزب الشيوعي للمغرب سنة 1945، وناضل في صفوف الاتحاد المحلي التابع لمركزية الكونفدرالية العام للشغل (س. ج. ت) بمراكش، قبل أن يتولى أمانة نقابة البناء وأمانة الاتحاد المحلي نفسه. وفي هذا الصدد، مثل هذا الاتحاد في اللجنة العمومية للاتحاد العام للنقابات المغربية بالدار البيضاء يوم 28 سبتمبر 1948، وساهم فيها بخطاب، ركز فيه على المشاكل التنظيمية ولا سيما ضرورة تمتين المناضلين تواصلهم مع المأجورين من أجل التعرف على حاجاتهم وتحديد مطالبهم حتى يسهل عليهم صياغتها في خطط عملهم. ولنشاطه، فقد تعرض للاعتقال بمراكش يوم 10 دجنبر 1948، ووجهت إليه تهمة "المس بالنظام" و"تهديد الأمن العام"، فسجن قبل أن يتعرض للإبعاد.

انتخب في المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي المغربي المنعقد في أبريل 1949، في اللجنة المركزية، وصار أحد أمنائه الأربعة، في سياق تميز بالسعي إلى تأكيد مغربية الحزب. وقد ألقى خطاب الافتتاح في هذا المؤتمر، أكد فيه على حاجة الحزب المزدوجة : دعم مطالب العمال وحلفائهم الطبيعيين من عمال زراعيين ومياومين وفلاحين وحرفيين والتضامن مع الطبقة العاملة في فرنسا والبلدان الاشتراكية.

وقد منع من إلقاء كلمة الحزب الشيوعي المغربي في المهرجان الضخم الذي نظمه الاتحاد العام للنقابات المغربية في ملعب فليب بالدار البيضاء في فاتح ماي 1950، كما منع أندري لوروا من ذلك، في الوقت الذي دعي فيه عبد الرحيم بوعبيد ممثل حزب الاستقلال لإلقاء الكلمة. شارك في مظاهرات 1952، واعتقل في إطار الحملة الواسعة التي شنتها السلطات الفرنسية على إثر حوادث فرحات حشاد في دجنبر 1952، وتعرض للتعذيب في دهاليز مركز الشرطة.

صار بعد الاستقلال عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المغربي وأحد أعضاء مكتبه السياسي، قبل أن يتولى هذه المسؤولية فيَ إطار حزب التحرر والاشتر اكية وهو الاسم الذي صار يحمله الحزب الأصلي بعد الترخيص له بالنشاط العلني.

Albert Ayache, *Dictionnaire biographique du mouvement ouvrier Maghreb*, EDDIF, Casablanca, 1998, p. 149 ; Fouad Benseddik, *Syndicalisme et politique au Maroc*, L'Harmattan, Paris, t. 1, 1930-1956, 1990, p. 352.

نجيب تقي

**القوات المسلحة الملكية** بمجرد توقيع الحماية بفاس يوم 30 مارس 1912 عملت سلطات الحماية الفرنسية على حل المؤسسة العسكرية المغربية التي تشكل ركنا من أركان سيادة البلاد. وعندما تم الإعلان عن استقلال المغرب، انبعثت هذه المؤسسة من جديد ؛ حيث جاء في التصريح المشترك المغربي الفرنسي بباريس يوم 2 مارس 1956، "أن حكومة الجمهورية الفرنسية تؤكد رسميا اعترافها باستقلال المغرب مع ما يقتضيه من وجود جيش وتمثيل خارجي"، نفس الشيء أكد عليه التصريح المشترك المغربي الإسباني بمدريد بتاريخ 7 مارس 1956. وقد التزمت الدولتان المذكورتان بمساعدة ملك المغرب في تأسيس جيش وطني، مع بقاء جيوشهما بالمغرب خلال الفترة الانتقالية. ولما كان تشكيل جيش وطني من الأمور المستعجلة التي واجهت الدولة المغربية الفتية، فقد بادر الملك محمد الخامس إلى تكوين لجنة عسكرية للقيام بهذه المهمة، وأسند رآستها إلى ولي عهده الأمير مولاي الحسن. وصدر ظهير هذه التولية مبينا المنصب الذي تبوأه سموه، وهو رئيس مجلس الأركان العامة للقوات المسلحة الملكية ابتداء من يوم 22 مارس 1956. ثم جرت محادثات مغربية فرنسية، أسفرت عن اتفاق حول إحداث أول تشكيلة - نواة - للجيش المغربي حددت في 12 ألف جندي من المغاربة الضباط وضباط الصف والجنود الذين كانوا سابقا في الجيش الفرنسي.

وقد أقسم هذا الجيش اليمين القانونية، وتسلمت فيالقه ألويتها من يد قائدها الأعلى الملك محمد الخامس مساء يوم ثاني عيد الفطر، وذلك في حفل رسمي في ساحة القصر الملكي. وصباح يوم 3 شوال 1375 الموافق 14 ماي 1956 جرى استعراض القائد الأعلى ملك المغرب، لفيالق المشاة والمدفعية والرماة والمصفحات والطيران. وتصدر استعراض الجيش ولي العهد قائد أركان القوات المسلحة ؛ فكان يوما مشهودا يعادل في روعته يوم عودة محمد الخامس من منفاه. ومنذ ذلك اليوم أصبح يوم 14 ماي، عيدا وطنيا، عيد تأسيس الجيش الوطني المغربي ؛ حيث تجسم في هذا اليوم ركن من أركان الاستقلال، وشيد صرح من صروح السيادة الوطنية.

ثم جرت مفاوضات مغربية إسبانية كللت باتفاق الطرفين على إدماج 10 آلاف جندي مغربي كانوا في الجيش الإسباني في حظيرة الجيش الملكي. وقد عاد الوفد المغربي المفاوض من مدريد يوم 14 يونيو 1956 وبرفقته الجنرال محمد أمزيان - الحاكم السابق لجزر الخالدات - الذي انضم للقيادة العليا للجيش الملكي كمستشار في المسائل الفنية التي قد تترتب على إدماج جند الشمال المغربي في الجيش الملكي. ويومين بعد هذا الاحتفال صدر ظهير بشأن إحداث وزارة الدفاع

الوطني. أما المفاوضات الثالثة فقد جرت في صيف نفس السنة بفاس مع قيادة جيش التحرير المغربي ؛ حيث اندمج يوم 3 يوليوز خمسة آلاف وخمسمائة من أفراد هذا الجيش في القوات المسلحة الملكية.

وقد تأخر صدور الظهير الذي يحدد اسم ومهام وشروط الجيش المغربي العصري إلى 25 يونيو. وقد حدد الفصل الأول منه اسم هذا الجيش "القوات الملكية المسلحة" وجعلها تحت إمرة الملك. أما الفصل الثاني فجعل من مهامها الدفاع عن المملكة المغربية مع إمكانية مساهمتها في المحافظة على النظام العمومي. وأشار الفصل الثالث إلى الظهائر التي ستصدر فيما بعد بشأن وضع القانون الخاص بالضباط، وبتحديد شروط انخراطهم فيها، وبتنظيم تلك القوات ومسطرة تأديبها. واتخذت اللغة الفرنسية منذ البداية لغة رسمية لهذه القوات. وإذا كان في البداية قد تم التغلب على مشاكل كبيرة وكثيرة تتعلق بالإيواء والتموين المنعدمين للقوات المسلحة الملكية عند تأسيسها، مع اختيار الزي والشارات وغيرها ؛ فإن مصاعب أخرى تطلبت مواجهتها عدة شهور، بل سنوات عدة. منها ما هو ناجم عن اختلاف عناصر هذه القوات غير المنسجمة، ومنها ما يتعلق بندرة المعدات، وانعدام الأطر، وضعف التكوين التقني، وما إلى ذلك. وكانت عملية إدماج الآلاف من الجنود والإطارات المنخرطة في القوات المسلحة الملكية من المهمات التي تمت مواجهتها ؛ إذ تم توحيدها والتنسيق فيها بينها، سواء في القيادة أو التنظيم وأساليب التدريب أو نظام إدارتها العسكرية. فتحقق الانصهار والتجانس والوحدة بين تلك العناصر التي كان تكوينها الأساسي مختلفا اختلافا كبيراً. بحيث لم يبق بينها أي فرق. كما تكون مذهب، وخلق مبدأ وتفكير عسكري وطني، مع الحرص على بقاء هذا الجيش بمنأى عن الميدان السياسي، وإقباله موحدا على خدمة المصلحة العليا للوطن، شعاره : الله - الوطن - الملك. إلا أنه في سنة 1986 أثناء إناطة مهام التكليف بتنسيق أشغال الأركان العامة لولي العهد الأمير سيدي محمد (الملك محمد السادس حاليا) خاطبه والده الملك الحسن الثاني القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية أمام الضباط بما يلي : "... واعلم - رعاك الله - زيادة على هذا أن الأيام التي كان يعتبر فيها الجيش كطرف من الأمة بمعزل عن المشاكل الأخرى قد ولت. فمن قبل كان يمنع على الجيش أي تسييس، وكان يمنع عليه أن يفكر في مآل بلاده، وكان ممنوعا تقريبا على الجيش في الدنيا كلها أن توجد بين يديه صحف. واليوم فإن الظروف قد تغيرت، ذلك أن اليوم يجب على كل ضابط وضابط صف وجندي أن يكون على اطلاع تام أكثر ما يمكن بما يجري في بلاده، وأن يكون فكره فكراً سياسياً، لا تلك السياسة المحترفة أو المتحرفة، لا، السياسة العليا العظمى التي تكوّن الأهداف والمطامح إما العاجلة أو الآجلة أو المستمرة لسير بلده وتخطيط سياسته...". وقد صدقت هذه الرؤيا، بعد أن أصبحت وسائل الاتصال المتطورة وتداول المعلومات في متناول الجميع، خاصة بعد انتشار الأنتيرنيت ؛ لأن زمن العولمة يحتم الانخراط في مسلسل التحديث لمواكبة التحديات الجديدة في الداخل والخارج. وبعد وفاة الحسن الثاني ساهم الضباط السامون للقوات المسلحة الملكية يوم 30 يوليوز سنة 1999 في بيعة خلفه محمد السادس ؛ لكي يكتمل بذلك الإجماع المدني والعسكري حول الملك الجديد. لقد سمحت السنوات العديدة التي قضاها محمد السادس منسقا لأركان الحرب العامة بالاطلاع عن كثب على الأوضاع المختلفة للقوات المسلحة الملكية ؛ ورغم التغييرات الكثيرة التي عرفتها البلاد في العهد الجديد، إلا أن المؤسسة العسكرية لم يطرأ عليها أي تغيير، ولازالت على حالها كما كان عليه الأمر قبل خمس سنوات.

وتتكون القوات المسلحة الملكية من ثلاث طبقات كما هو الحال لدي كل جيوش الدول. فالطبقة الأولى تتكون من الضباط، وهم أطر عليا لا غنى عنها. يليهم ضباط الصف، كأطر متوسطة، تتم بفضلهم المحافظة على النظام والطاعة والانضباط في صفوف الجنود. وأخيراً الجنود، ويشكلون القاعدة الكبرى من الجيش. ولكل مستوى رتبه التسلسلية الخاصة به، تفضي إلي المستوى الذي يليه. وكل عسكري مستفيد من رتبة ما "يحق له ويجب عليه إلزام جميع العسكريين الموضوعين تحت إمرته في النظام التسلسلي باحترام قواعد الانضباط". ويتم الإعلان عن ترقية أفراد هذه القوات كل سنة بمناسبة احتفالات عيد العرش، وذلك طبقا لشروط الترقية التي تحددها القيادة العليا كل مرة حسب تطور الظروف والأحوال. وتحدد الفصول 5، 6 و7 من الباب الأول للملحق الثاني من مدونة العدل العسكري رتب الضباط علي اختلاف درجاتهم التي هي نفس الدرجات في القوات البرية والجوية وتحمل أسماء متميزة في القوات البحرية.

وكان مقرراً في البداية أن يبلغ عدد أفراد القوات المسلحة الملكية عند تأسيسها 30 ألف جندي ؛ وفي أول استعراض لها يوم 14 ماي 1956، كانت تتشكل أساسا من القوات البرية. كما أنها لم تكن تتوفر على شخص واحد اختصاصي، ولا على عدد كافي من ضباط الصف ؛ في حين كانت تتوفر على 90 ضابطا فقط ؛ الأمر الذي استلزم تهييء الأطر اللازمة لقيادتها. ولتكوين هذه الأطر في أقرب وقت، لبى النداء بحماس من أجل الانخراط في الجيش عدد كبير من شباب المغرب. فأرسل الفوج الأول من الطلبة الضباط للتكوين في فرنسا وإسبانيا، وأطلق عليه اسم "فوج محمد الخامس" ؛ ثم تلته أفواج أخري بعد إنشاء الأكاديمية الملكية العسكرية للضباط في مكناس التي فتحت أبوابها في وجه الشباب المغربي حاملي الباكالوريا ابتداء من صيف 1956. وكانت مدة الدراسة والتكوين بها سنتين. وابتداء من 1961 أصبحت الدراسة بها ثلاث سنوات، ثم منحت لتلامذتها

تسهيلات تسمح لهم بتهييء إحدى الإجازات الجامعية. وابتداء من الموسم الدراسي 1996 - 1997 ، أصبحت فترة الدراسة بها أربع سنوات، مع إلزامية التعليم الجامعي بها، موازاة مع التكوين والتدريب العسكري، لكي يتخرج منها الضابط - برتبة ملازم ثاني - حاملا الإجازة في إحدى التخصصات العلمية المقررة. وتتوفر هذه الأكاديمية أيضا على أقسام للتعليم الثانوي، إذ تستقبل كل سنة - عن طريق المباراة كذلك - التلاميذ الحاصلين على مستوى نهاية الإعدادي ليتابعوا تعليمهم الثانوي بها خلال ثلاث سنوات طبقا لمقررات وزارة التربية الوطنية، فيوجهون توجيها عسكريا. وبعد حصولهم على الباكالوريا، فغالبا ما يتابعون تعليمهم هناك كتلاميذ ضباط.

وبالنسبة لضباط الصف، فقد أنشئت من أجلهم سنة 1956 مدرسة عسكرية بقرية أهرمومو (رباط الخير حاليا)، لتكون النواة الأولى لتخريج ضباط صف مقتدرين، كأطر عسكرية متوسطة لتتميم هيكل وصرح الجيش الحديث، فأصبح جيشا مكتفيا بذاته. وكان الملتحقون بهذه المدارس من الحاصلين على مستوى نهاية التعليم الإعدادي، ومدة الدراسة بها كانت ثلاث سنوات، فيتخرج منها ضباط الصف برتبة رقيب، ليلتحقوا بوحدات القوات المسلحة الملكية.

أما الجنود، فقد تأسست من أجلهم عدة مراكز للتداريب العسكرية ؛ إذ تستقبل هذه المراكز المنخرطين الجدد في الجندية، كمتطوعين من الشباب المغربي السليم القوي البينة؛ وبعد ستة أشهر على الأقل من التدريب العسكري المكثف، والتكوين النظري والتطبيقي في الأسلحة والرماية وفنون الحرب بالإضافة إلى التمرن والتعود على الانضباط والطاعة يتخرج هؤلاء الجنود، فيتم إلحاقهم بالخدمة في الوحدات العسكرية المختلفة.

وتتكفل الدولة بإيواء هؤلاء الجنود في الثكنات، وبتغذيتهم وتطبيبهم وأداء رواتبهم الشهرية، ولباسهم. ولباس القوات المسلحة الملكية لا يختلف عن لباس جيوش العالم ما عدا في خصوصيته المغربية من شارات وغيرها. وهو نوعان حسب مناخ المغرب ؛ فالنوع الأول خاص بالشهور الباردة من السنة والثاني خاص بالشهور الحارة، ويتم تغيير هذا بذاك في يوم معلوم تحدده كل سنة القيادة العليا. ولكل من هذه القوات الثلاث لون خاص تتميز به من حيث المعدات واللباس ؛ فالقوات البرية لباسها أخضر داكن ورمادي شتاء، وأصحر صيفا. بينما لباس القوات الجوية أزرق داكن. أما القوات البحرية فتتميز بلباسها الأبيض والأسود الفاتح.

وتتاح الفرص للضباط وضباط الصف والجنود لمتابعة دورات اختصاصية، وتكميلية سواء في المغرب أو في الخارج. ففي ظرف سنتين من تأسيس القوات المسلحة الملكية أصبح ما يقارب الثلثين من مجموع أفراد هذه القوات شبانا، التحقوا بالجيش بعد الاستقلال، منهم أكثر من ألف ضابط. ومع نهاية الستينيات من القرن العشرين بدأ الجنود وضباط الصف الأوائل يحالون على المعاش، بعد بلوغهم السن القانونية للتقاعد وهي الخامسة والأربعون من العمر، باستثناء الرقيب ماجور فما فوق فيستمرون في الخدمة إلى سن الخمسين، في حين يحال الضباط الصغار على التقاعد قبل سن الستين. أما الضباط الكبار فيبقون في الخدمة إلى ما بعد سن الستين ؛ إذ في غياب نص قانوني كما هو الحال بالنسبة لضباط الصف والجنود، تقوم القيادة العليا بتحديد لائحة الضباط الذين سيحالون على التقاعد كلما ارتأت ذلك. ويعوض المتقاعدون بالشباب، وقد تضاعف عدد المنخرطين في الجيش، خاصة في القوات البرية التي تأتي في المرتبة الأولى من حيث العدد بنسبة 89٪ من مجموع القوات المسلحة الملكية. إذ بلغ عدد القوات البرية 52.000 جندي سنة 1971 . وبعد المسيرة الخضراء، واسترجاع الصحراء إلى حظيرة الوطن، ارتفع عدد هذه القوات من 90.000 سنة 1979 إلى 150.000 سنة 1986 ، ثم استقر عددها في 175.000 ابتداء من سنة 1989 ، وبقي هذا العدد ثابتا حتى نهاية الألفية الثانية.

ولحاجة التكوين المهني والتأهيل العسكري اللازم للجندي المغربي الحديث، أقيمت منذ ستينيات القرن العشرين عدة مؤسسات عسكرية تعليمية وتدريبية وتكميلية، ساهمت في تكوين وتخريج عدد كبير من الضباط وضباط الصف والجنود المتخصصين في كل الفنون العسكرية ؛ سواء النظرية منها أو الإدارية أو التطبيقية. لذلك تأسست سنة 1962 الثانوية العسكرية للبنين في القنيطرة، كمنبت للأطر العسكرية ؛ وأخرى للبنات بإفران في أكتوبر من سنة 1966، لتثقيف وتعليم أبناء وأقارب العسكريين، ليكونوا مؤهلين فيما بعد لشغل وظائف في الأطر المدنية أو العسكرية، مع إعطاء الأولوية في توجيههم نحو الحياة العسكرية. أما الدراسة بهاتين الثانويتين العسكريتين فتتم حسب برامج وزارة التربية الوطنية في جميع الأقسام الإعدادية والثانوية إلى غاية الباكالوريا. كما تأسست مدرسة أركان الحرب بالقنيطرة سنة 1964، وفتحت أبوابها منذ ذلك الحين في وجه الضباط من أجل استكمال تكوينهم العسكري العالي، وجعلهم ضباط متخصصين في الفنون العسكرية البحتة ؛ كالقيادة والتسيير وتخطيط العمليات إلى غير ذلك. وأنشئت في يوليوز 1966 بالرباط المدرسة الملكية للصحة العسكرية، التي التحق بها أول فوج من التلاميذ الأطباء لمتابعة الدراسة بها سنة 1967 . وبذلك تم الاستغناء عن الخارج في هذا المجال. وتكمن أهمية هذه المدرسة في تزويد الجيش بأطباء عسكريين من ذوي الاختصاص في مختلف فروع الطب والصيدلة. وقبل ذلك أنشئت مدرسة للممرضين، ومدرسة للمواصلات السلكية واللاسلكية التي دشنت يوم 15 أكتوبر 1965 لتكوين الضباط وضباط الصف والجنود في مختلف فنون تسيير وإصلاح أجهزة المواصلات كالراديو والتيليكس والرادار وغيرها. وتأسست مدرسة الهندسة

العسكرية، ومدرسة إصلاح العتاد، ومدرسة المدفعية، ومدرسة المشاة، ومدرسة الإدارة، ومدرسة المحاسبة، ومدرسة المدرعات، وغيرها من المدارس ومراكز التكوين، لجعل الضابط وضابط الصف والجنود في المستوى اللائق من التعليم والتدريب العسكري المتطور، وذلك في إطار المغربة والاستغناء عن الخارج، وكذلك مسايرة لروح العصر. وقد تقلصت سنوات الدراسة والتدريب بها بالنسبة لضباط الصف إلى سنتين عوض ثلاث سنوات.

وإذا كانت الفتاة المغربية قد ولجت المؤسسة العسكرية منذ أوائل الستينيات من القرن العشرين، كممرضة عسكرية ومرشدة اجتماعية وكاتبة، فإنها منذ نهاية سبعينيات القرن الماضي تم إشراكها في التداريب العسكرية بمختلف المدارس والمراكز العسكرية ؛ فأصبح لها نفس الحقوق، وعليها نفس الواجبات في صفوف القوات المسلحة الملكية. وهو ما اعتبر آنذاك ثورة على التقاليد، وحدثا تاريخيا هاما. حيث مكنت المؤسسة العسكرية المرأة المغربية من المشاركة في الدفاع عن الوطن. وكان تعيين الأميرة للا مريم على رأس المصالح الاجتماعية للقوات المسلحة الملكية يوم 8 مارس 1982 تتويجا لهذا التوجه الهام.

وقد فتح المجال لكل أفراد الجيش، كل حسب قدراته وميوله، لاستكمال تكوينه، وتقوية معلوماته، وتوسيع أفق ثقافته العامة، إلى جانب تكوين عسكري موازي حسب اختياره، وذلك من أجل الرفع من المستوى الثقافي العام بين صفوف القوات المسلحة الملكية. ومسايرة للواقع التعليمي بالمغرب، فإنه منذ منتصف تسعينيات القرن الماضي أصبح يشترط في الشباب الذين يريدون الالتحاق بالمدارس العسكرية أن يكونوا حاصلين على الباكالوريا عوض مستوى نهاية الإعدادي الذي كان معمولا به من قبل. أما الجنود فيشترط أن يكونوا حاصلين على الأقل على مستوى السنة التاسعة من التعليم الأساسي لكي يستوعبوا العلوم العسكرية النظرية والتطبيقية الحديثة، وذلك تبعا للتخصصات التي سينتسبون إليها، كالمشاة، والمظليين، والهندسة، والاتصالات، والعتاد، والمدفعية وغيرها. هذا بالنسبة للقوات البرية، ونفس الشيء بالنسبة للقوات الجوية، أما بالنسبة للقوات البحرية فقد طبقت هذا الشرط منذ بداية تأسيسها.

وكان تنظيم القوات البرية وتجهيزها، في البداية جد متواضع، إلا أنه بعد جلاء القوات لأجنبية عن البلاد بصفة نهائية، خاصة بعد اعتلاء الحسن الثاني عرش المغرب يوم 3 مارس 1961 . وانسحاب آخر جندي أجنبي من المغرب سنة 1963 ، فإن العلم المغربي أصبح يرفرف في أجواء القواعد والثكنات والمنشآت العسكرية التي كانت بيد قوات الاحتلال. وبذلك أصبحت القوات المسلحة الملكية تتوفر على عقارات عسكرية مهمة من ثكنات ومخازن، وعمارات ودور سكنية ومستشفيات ومستوصفات وبنايات مختلفة، وقواعد ومراسي عسكرية وغيرها. وبجلاء القوات الأجنبية عن البلاد، كان لا بد من إعادة انتشار وتنظيم القوات المسلحة الملكية بكيفية عميقة، استجابة لداعي الاستراتيجية العسكرية الوطنية الجديدة. لذلك كانت بداية ستينيات القرن الماضي مرحلة مهمة في تاريخ القوات المسلحة الملكية ؛ حيث تم تقسيمها على المملكة تقسيما استراتيجيا، حرصا على ضمان الدفاع عن التراب الوطني بكيفية مجدية وفعالة، وكذلك تحقيقا للامركزية، خاصة بعد اتساع مهام هذه القوات وتشعبها، بالإضافة إلى الاقتصاد في الإمكانيات، واستعمال أجدى للوسائل والاختصاصات. وهكذا عرفت القوات البرية إحداث وحدات عسكرية كبرى تتلاءم وجغرافية البلاد ؛ حيث تم إنشاء وحدات خفيفة متنقلة، وهي الفرق الخفيفة للأمن، القادرة على التدخل بكيفية فعالة في أي مكان من المملكة يكون في حاجة لعملها، بالإضافة إلى تكوين وحدات جديدة من المظليين، وإنشاء تشكيلات مصفحة متميزة بشخصية خاصة في المناورة والعراك معا، وإحداث مجموعات من القوات المختلطة مزودة بالوسائل القوية السريعة، قادرة وحدها على العمل منفردة عن المجموعات الأخرى. وقد استغرقت عملية إعادة تنظيم القوات المسلحة الملكية عدة سنوات، وكان الهدف من ذلك بالإضافة إلى ما سبق هو تطوير فعالياتها، خاصة في عنصرين أساسيين وهما عامل سرعة التدخل، وعامل الاتصالات. كما أنشئت مفتشية عامة، مهمتها مساعدة رئيس القيادة العليا العامة، على إنجاز مهمة مراقبة التدريب وسير العمليات أيضا.

وقد تزايدت حاجيات الدفاع، فكان لا بد من توفير قوات مجهزة بوسائل متطورة ؛ لذلك فإن إعادة تنظيم وتجهيز وتسليح الجيش الملكي مع بداية ستينيات القرن العشرين، كان استجابة لتلك اللوازم الملحة. وهكذا أصبحت القوات البرية تتوفر على كتائب عديدة من العربات المصفحة الثقيلة، ومن مجموعات متعددة مضادة للطائرات، ومزودة بوسائل الحراسة بواسطة الرادار في المستوى المتوسط والمدى البعيد أيضا، كما أصبحت تتوفر على كتيبة من الرشاشات الآلية، وهو نموذج يستجيب لحاجيات الاستعمال بفضل سرعة حركته وقوة فعاليته، تتوفر أيضا على مجموعة مدفعية مضادة للدبابات، وعلى مجموعة مختصة في إطلاق الصواريخ الموجهة، ذات الفعالية الكبيرة. وبهذه الوسائل وغيرها للقوات البرية، أصبحت القوات المسلحة الملكية في نهاية الستينيات من القرن الماضي تشكل قوة دفاعية مهمة.

إلا أن هذه القوات سيعاد تنظيمها من جديد مع بداية سبعينيات القرن نفسه، لتخليصها من اللوثة أو اللعنة التي أصابتها - حسب تعبير الملك الحسن الثاني - ألا وهي لعنة المؤامرات والانقلابات ضد الملك ؛ إذ عرف المغرب في ظرف وجيز، انقلابين عسكريين متتاليين. الأول قامت به عناصر تعد على رؤوس الأصابع من القوات البرية، يوم 10 يوليوز

سنة 1971 . تم جرت المحاولة الانقلابية الثانية على يد عناصر معدودة أيضا من القوات الجوية وذلك يوم 16 غشت 1972.

وسعيا في التأكد من سلامة السواد الأعظم من القوات المسلحة الملكية فإن القيادة العليا أقدمت على تغييرات عميقة من القمة إلى القاعدة، حيث تم إغلاق المدرسة العسكرية بأهرمومو بصفة نهائية، بينما شمل العفو الملكي تلامذتها المغرر بهم. ثم بادر الملك إلى إلغاء منصب وزير الدفاع، والماجور العام فأصبحت إدارة شؤون الجيش بيد صاحب الجلالة يشرف عليها بنفسه سواء منها البشرية والمادية والمعنوية، وأحيل عدد من الضباط على التقاعد، وأفسح المجال للضباط الشباب لتحمل المسؤوليات الكبرى، وأدخلت تعديلات على القوانين العسكرية. كما تمت إعادة تنظيم الوحدات، أي الأفواج، والمراكز، والقواعد العسكرية. ثم تأسست عدة مراكز ومدارس للجنود وضباط الصف في التخصصات العسكرية المختلفة. إلا أن هذه المرحلة العصيبة كانت قصيرة. ورغم سلبياتها وإيجابياتها التي شكلت منعطفا مهما في مسار تاريخ القوات المسلحة الملكية، فإنها سرعان ما تلتها مرحلة أخرى بعد المسيرة الخضراء، واسترجاع المغرب لصحرائه ؛ مما استوجب ترتيبا جديداً للجيش المغربي على خريطة الوطن، تبعا للاستراتيجية الجديدة. وهكذا أصبحت الأقاليم المسترجعة تشكل مع مدينة أگادير وجنوبها ما أصبح يعرف في اللغة العسكرية المغربية "بالمنطقة الجنوبية". وتتضمن هذه المنطقة مجموعات كثيرة من الوحدات العسكرية المختلفة، من جميع الأسلحة : برية وجوية وبحرية. وكلها تحت قيادة واحدة، تابعة رأسا للقيادة العليا المتقدمة بأگادير. كما تمت مضاعفة رواتب عسكرييها تشجيعا لهم على مواجهتم الدائمة لهجومات ميليشيات انفصاليي البوليساريو، وخشونة الحياة وشظف العيش بالصحراء، والبعد عن العائلة. وقد تضاعف عدد القوات المسلحة الملكية أكثر من ثلاث مرات، مقارنة مع بداية سبعينيات القرن المنصرم، نظرا لظروف الحرب التي فرضت على المغرب في صحرائه. فمثلا في ظرف الستة أشهر الأولى من سنة 1980 تمكن المغرب من إعداد وتجهيز وتدريب أكثر من 12.000 جندي، على شكل وحدات برية كبرى، "كمجموعة أحد" التي رابطت في الداخلة، و"مجموعة الزلاقة" التي رابطت في طرفاية، و"مجموعة الأرك" التي رابطت في السمارة. لقد استوعبت المنطقة الجنوبية أكبر نسبة من القوات المسلحة الملكية، خاصة البرية منها. حيث كان عدد هذه القوات بالمغرب 57.500 جندي سنة 1971، ليرتفع إلى 166.500 سنة 1980 ، ثم إلى 205.000 سنة 1986، ليعرف بعدها انخفاضا طفيفا ؛ إذ تراجع عدد هذه القوات ليستقر في 195.000 بين سنتي 1991 و1995. ومن البديهي أن هذا الارتفاع في عدد الجيش المغربي واكب تطورات قضية الصحراء والحرب التي دارت رحاها في بيدائها، وما رافق ذلك من تزايد النفقات العسكرية لتجنيد هذا العدد من الجنود، والتزود بالمعدات والتجهيزات الضرورية لمواجهة هجومات البوليساريو المباغتة التي مارست حرب العصابات بإيعاز من الجزائر ولمواجهة هذا العدو أصبحت ميزانية الجيش المغربي تعتبر ثاني أهم ميزانية في الدولة، لكون المغرب أضحى من بين أهم الدول المستوردة للأسلحة في إفريقيا. هذا بالإضافة إلى المساعدات العسكرية الخارجية ـ خاصة من الولايات المتحدة الأمريكية ـ التي انتقل حجمها من 0.9 مليار دولار سنة 1998 إلى 2,9 مليار دولار سنة 1999. وهكذا انتقلت ميزانية القوات المسلحة الملكية من 491 مليون درهم سنة 1971 إلى عشرة ملايير سنة 1995، ثم 17,3 مليار سنة 1999 . وقد نالت القوات البرية من هذه الميزانية نصيبا يوافق حجمها، الذي أصبح يتكون من 175.000 جندي وجندية في السنة المذكورة، وهو ما يشكل نسبة 89.7٪ من مجموع القوات المسلحة الملكية ؛ موزعة على التراب الوطني توزيعا يطابق الاستراتيجية العسكرية للبلاد، حيث تستأثر المنطقة الجنوبية بأعداد مهمة.

لقد عرفت القوات البرية طيلة ربع قرن الأخير عدة تعديلات في وحداتها، تبعا للظروف التي مر منها المغرب، وكذلك تبعا لاختصاصاتها في كل وقت وحين. ففي منتصف التسعينيات من القرن الماضي اتخذ الترتيب والتنظيم التالي: "3 ألوية للمشاة الميكانيكية، لواء خفيف للأمن، لواءان للمظليين، وحدات مستقلة، 10 أفواج للمدفعية، 8 أفواج للمشاة الميكانيكية، تجمع للدفاع الجوي، 10 كتائب مدرعة، 37 فوجا للمشاة، 3 أفواج آلية، 3 كتائب للخيالة، فوج للجبال، 7 أفواج للهندسة، 6 وحدات للكمندو، بالإضافة إلى الحرس الملكي ويتكون من 1500 رجل موزعين على فوج وسرية للخيالة". أما تجهيزات هذه القوات فهي من صنع جنسيات مختلفة كفرنسا وأمريكا وروسيا وألمانيا وإسبانيا وبريطانيا ورومانيا ومصر وغيرها، لأن حرب الصحراء التي فرضت على المغرب منذ نهاية سنة 1975، حتمت عليه تزويد جيشه بالمعدات الضرورية والمتطورة لمواجهة حرب العصابات مع البوليزاريو ؛ فقد "انتقلت التجهيزات العسكرية الأساسية من حوالي 1250 وحدة تضم 90.000 رجل إلى أكثر من 4000 وحدة ابتداء من سنة 1986 تضم 150.000 رجل". وإذا كانت القوات البرية المغربية سنة 1975 مزودة "بـ 145 دبابة حربية و120 من الدبابات الخفيفة و86 عربة مدرعة جوية و135 عربة للنقل و50 من مدافع الدفاع الجوي"، فإنها أصبحت مزودة سنة 1984 "بـ 160 دبابة حربية و667 عربة مدرعة جوية و774 عربة مدرعة للنقل و260 مدفعا و1290 من الهاون و141 من المدافع المضادة للدبابات و140 من مدافع الدفاع الجوي" وغيرها.

ثم ارتفعت هذه الجهيزات سنة 1995 إلى : "524 دبابة حربية، 100 دبابة خفيفة، 479 عربة مدرعة جوية، 785 من العربات المدرعة للنقل، 370 مدفعا، 1700 من الهاون، 1256

من المدافع المضادة"، بالإضافة إلى عدد من مدافع الدفاع الجوي والصواريخ أرض جو وغيرها.

وإلى جانب القوات البرية، هناك القوات الجوية تسندها وتقدم الدعم الناري لها وللقوات البحرية، بالإضافة إلى مهمتها الأساسية المتمثلة في حماية الأجواء المغربية، ومراقبتها المستمرة، وذلك بالقيام بطلعات استطلاعية تعزيزاً لأبراج مراقبتها. ومن مهامها أيضا النقل والاتصال ونقل الجرحى. وقد أنشئت الكوكبة الجوية الأولى خلال العام الأول الذي أعقب تأسيس القوات المسلحة ثم تلاها إنشاء وحدات حديثة أخرى وإقامة قواعد جوية. ثم أصبحت للقوات الجوية قيادة خاصة ضمن رئاسة أركان الحرب. واستطاعت سنة 1957 أن تكون 25 من ضباط الجو، و30 من الربابين، و150 من الميكانيكيين الجويين، حيث شاركت القوات الجوية سنة 1958 بأول سرب جوي مغربي في استعراض 14 ماي. وفي سنة 1963 تم تكوين 20 ضابطا و107 من ضباط الصف و170 من الجنود. ويبلغ مجموع القوات الجوية 4000 جندي سنة 1971، لينتقل إلى 7000 جندي وجندية سنة 1980، ثم إلى 16.000 سنة 1989 . إلا أن تعداد هذه القوات سيعرف بعض الانخفاض سنة 1991، حيث تراجع إلى 13.000. وبقي على هذا العدد منذ سنة 1995 ، حيث سجل سنة 2000 زيادة طفيفة بلغت 13500 جندي وجندية. ويتضح أن القوات الجوية لا تشكل إلا 7٪ فقط من مجموع القوات المسلحة الملكية. ومع ذلك فقد بذلت جهود جبارة من أجل تكوين هذه القوات؛ إذ كان المغرب في البداية يعتمد على الخارج في تكوين الفنيين والاختصاصيين الجويين. ولكن بجلاء القوات الفرنسية والإسبانية والأمريكية من المطارات والقواعد بالمغرب، فإن كل ذلك حوّل لمدارس تعليم الطيران، بالإضافة إلى مهامها العادية. فتضاعف عدد القوات الجوية المغربية. وتعتبر المدرسة الملكية للطيران بمراكش الأولى من نوعها في المغرب. تأسست في أعقاب إنشاء القوات الجوية، وقامت بدور حاسم في تكوين الطلبة الميكانيكيين، وإعدادهم لمرحلة التخصص العليا .ولتحقيق الاستقلال الداخلي والاكتفاء الذاتي للقوات الجوية تم إنشاء مستودع ومعمل في الدار البيضاء، يضمنان تزويد كافة القواعد الجوية بقطع الغيار والمستلزمات، والقيام بمراجعة وإصلاح أنواع الطائرات التي تستعملها القوات الجوية المغربية، وكذا إصلاح وتجديد المعدات الحربية والعسكرية الأخرى. ويندرج هذا الإنجاز في إطار الاقتصاد في النفقات وتحقيق نوع من الاستقلال التقني، والعمل على إتمام كفاءة الطيارين وجعلهم متدربين عسكريا وتقنيا. كما انصرفت العناية أيضا منذ البداية إلى تطبيق برنامج للعمل يدخل في إطار التعاون بين مختلف جيوش القوات المسلحة الملكية. هذا بالإضافة إلى إحداث قسم خاص بالطيران في مدرسة الأركان يتلقى فيها الضباط السامون بالقوات الجوية الدروس التقنية العليا.

أما تجهيزات القوات الجوية فهي من صنع فرنسي وأمريكي. وتتوزع حسب التخصصات، فهي تتوفر على طائرات للتكوين والتدريب، وأخرى للنقل والاتصال، وطائرات للاستطلاع، وأخرى حربية محضة. كما لديها أيضا المطاردات والطائرات المروحية الهجومية، ومروحيات للنقل. هذا بالإضافة إلى طائرات أخرى ومعدات حربية مختلفة وأخرى للمراقبة. وإذا كان سلاح الجو المغربي إلى حدود سنة 1971 ذا تجهيز وتسليح جد متواضع، إذ كان يتشكل من 38 طائرة حربية فقط، و73 للتدريب و21 للنقل، و42 مروحية ما بين هجومية والمخصصة للنقل، فإن القوات الجوية الملكية ستعرف في ثمانينيات القرن العشرين قفزة نوعية من حيث التجهيزات المتطورة. فأصبحت قوة دفاعية يحسب لها حسابها في المنطقة. إذ أصبحت تتألف من عشرات القطع المختلفة التخصصات والاستعمالات المتطورة الصنع. فمثلا سنة 1986 ، كانت للقوات الجوية الملكية 119 طائرة حربية و92 طائرة مطاردة، و43 من مطاردات الدعم التقني، و6 ضد الاستنهاض، و25 مروحية هجومية، و110 هيليكوبتير للنقل، وعشرات القطع الحربية المختلفة الاستعمالات، كالتدريب والنقل والاتصال وغيرها. هذا فضلا عن صواريخ ـ جو ـ جو، وأخرى جو ـ أرض. أما في تسعينيات القرن السالف فقد ازدادت تجهيزات القوات الجوية الملكية تنوعا وتطوراً، وإن كانت بعض قطعها عرفت انخفاضا طفيفا. ففي سنة 1995 مثلا تقلص عدد الطائرات الحربية إلى 99، والمطاردات إلى 15، ومطاردات الدعم التقني إلى 34، والاستطلاعية إلى 2 وكذلك الأمر بالنسبة للطائرات المروحية الهجومية التي انخفض عددها إلى 24 ، ومروحيات النقل إلى 88. وعرفت طائرات التدريب بدورها تقلصا ملحوظا ؛ حيث تراجع عددها إلى 28 طائرة بينما عرفت طائرات النقل العسكري ارتفاعاً بلغ 25 طائرة، و4 للاتصال. ويعزى هذا الانخفاض البسيط في بعض الأنواع من التجهيزات الجوية والبرية إلى الانفراج الذي عرفته قضية الصحراء في السنوات الأخيرة بسبب وقف إطلاق النار، بإشراف القوات الأممية (المينورسو). إلا أنه لم يهمل تجديد أسطولها الحربي، ففي سنة 2000 وصل عدد طائراتها الحربية إلى 89 من نوع ميراج -Mirage F-1 & F) (5، إضافة إلى أكثر من 100 طائرة مروحية.

أما القوات البحرية (البحرية الملكية) وهي العنصر الثالث الذي تتشكل منه القوات المسلحة الملكية، فلم تر النور إلا مع الشروع في بناء القاعدة البحرية العسكرية الأولى بالدار البيضاء في أبريل من عام 1960 وإرسال أول بعثة دراسية من الضباط إلى الخارج للتعليم والتدريب على مختلف العلوم والفنون البحرية. إذ كان من البديهي لبلد مثل المغرب ـ المتوفر آنذاك على أزيد من 2000 كلم من السواحل المطلة على المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط، ومضيق جبل طارق، بعد حصوله على الاستقلال من انبعاث بحريته، وتكوين أسطول قوي، للسهر على حرمة مياهه الإقليمية، ومصايده البحرية. ويعتبر الملك الحسن

الثاني أول ضابط بحري في الأسطول المغربي ؛ إذ تخرج ضمن دفعة ضباط البارجة - المدرسة - جان دارك الفرنسية سنة 1948 . وعندما تم إنشاء وتأسيس البحرية الملكية، ليعزز أسطولها القوات البرية والجوية المغربية، لبس جلالته - ولي العهد آنذاك - لباس أمير البحرية الملكية "أميرال" كقائد أعلى للقوات البحرية، وتقلد سيفها الرمزي، وحضر أول استعراض تقوم به هذه القوات في رحاب المشور السعيد، فقدم لوالده الملك محمد الخامس القائد الأعلى للقوات المسلحة الملكية أول فوج من ضباط البحرية الملكية ؛ وكان ذلك في صباح 14 ماي 1960، يوم الذكرى الرابعة لتأسيس القوات المسلحة الملكية، حيث أدى البحارة الأولون يمين الولاء. وينتمي الأمير مولاي رشيد صنو صاحب الجلالة الملك محمد السادس إلى القوات البحرية الملكية، برتبة أميرال.

ولم تكن البحرية الملكية تتوفر في البداية إلا على زروق سريع وفرقاطة عتيقة وبعض الرجال. ثم تزودت في السنة الموالية من بارجة حربية أطلق عليها اسم "اللاحق"، وتلتها بعد ذلك وحدات أخرى عصرية شكلت الأسطول الحربي المغربي الفتي كالبارجة الحربية "عقبة"، والباخرة "الجائل"، و"داوود ابن عائشة"، وغيرها. وازدادت أهمية القوات البحرية الملكية نظراً لامتداد السواحل المغربية. فتم تزويدها بمدافع بعيدة المدى، قادرة على ضمان حماية وتأمين هذه السواحل ؛ إذ ابتداء من 1963 كثفت البحرية الملكية تداريبها في البحر على البواخر الحربية، وشرعت في إعداد الوحدات المختصة من رجال الطلائع البريين والبحريين ومستكشفي الأغوار البحرية. وكانت تلك السنة مرحلة حاسمة في التطور السريع للبحرية الملكية الفتية، حيث ارتقت من مرحلة الدراسة النظرية إلى مرحلة تداول الأسلحة في الأغراض الحربية، لتصبح أداة فعالة في العمليات العسكرية. ومع نهاية سنة 1964 أصبحت تشكل جيشا بحريا مزودا بوحدات بحرية حديثة، كما تزايد عدد وحداتها الطلائعية المستعملة في البر والبحر معا. وبذلك أضحى لاسم القوات المسلحة الملكية مدلوله الحقيقي.

وإن أهم حدث عرفته القوات البحرية الملكية سنة 1965 هو تدشين قاعدتها الرئيسية بالدار البيضاء يوم 19 أكتوبر، وقد أصبحت هذه القاعدة السند والمأوى لوحداتها العامة. ثم تطورت لتضم فيما بعد جميع المرافق التابعة للبحرية الملكية. وهذا المركز عبارة عن مجموعة من المدارس للتدريب العسكري الأساسي للجنود الجدد، حيث تختبرهم وتعدهم إعدادا مختصا يناسب مواهبهم ومؤهلاتهم. ويتخرج من هذا المركز المئات من البحارة الشبان، كأطر عسكرية مختصة في الإرسال السلكي واللاسلكي، والإرسال الضوئي، والرماية، والكهرباء، والرادار، والرماية بالمدافع التي يتوفر عليها الأسطول الملكي، وغيرها. وإلى جانب هذا التكوين تمارس البحرية الملكية أيضا، تكوين قوة منتخبة لا تضم إلا المتخصصين القادرين أنفارا أو جماعات على القيام بالتدخلات السريعة أو النهوض بالأعمال الانفرادية. وبفضل هذه المجموعة الدراسية للبحرية الملكية بدأت عملية المغربة، خاصة بعد أن توفرت لديها القطع الحربية المختلفة التي تتطلب عدداً كبيراً من الاختصاصيين لتسيير أجهزتها الكثيرة المعقدة كالراديو، واللاسلكي، وأجهزة الكهرباء وغير ذلك ؛ محققة بذلك الاستغناء عن الخارج، مع الاستقلال الذاتي في التكوين والإعداد والتسيير. وقد اكتمل ذلك على الخصوص بعد تأسيس الأكاديمية البحرية الملكية بميناء الدار البيضاء أيضا، حيث ضمنت إعداد الضباط والمهندسين كأطر عليا متخصصة. وقد تخرج الفوج الأول من هذه الأكاديمية في يوليوز 1970 ، ويعتبر أول فوج من ضباط البحرية الملكية المغربية الذي جرى تكوينه بالمغرب، على يد ضباط مغاربة. وتعد مدرسة البحرية الملكية مؤسسة للتعليم العالي العسكري والجامعي ؛ وهدفها تكوين ضباط البحرية الملكية، حيث يعدّ فيها التلاميذ الحاصلون على الباكالوريا العلمية - الناجحون في مباراة الدخول - لكي يصبحوا بحارة مهندسين، وعلى المدى البعيد أطراً عليا للبحرية الملكية. ويرتكز التدريس على الثقافة العامة وفن القيادة، والتعليم العلمي الضروري للكفاءة المهنية، ويتم ذلك على أيدي أساتذة عسكريين ونظريين مبرزين. وتقوم المدرسة البحرية الملكية كذلك بتكوين الأطر الأجنبية القادمة من الدول الصديقة كالغابون والسينغال وغيرها. وهكذا أصبحت هذه الأكاديمية، والمدارس العسكرية للبحرية الملكية تعمل على تكوين الأفواج المتخرجة منها تكوينا تقنيا متنوعا. وبفضلها تزايد عدد أفراد القوات البحرية الملكية ؛ إذ انتقل عددها من 1500 سنة 1971 إلى 4500 سنة 1980، ثم 6000 سنة 1984، ليستقر منذ 1986 في 7000 ثم ارتفع مع نهاية القرن العشرين إلى 7800 بحار وبحارة. وهو ما يشكل 4٪ فقط من مجموع القوات المسلحة الملكية. كما أصبحت للقوات البحرية الملكية قيادة خاصة ضمن رئاسة أركان الحرب. هذا وقد عرف أسطول البحرية الملكية تطوراً مهما بفضل تزوده المستمر بما يشد أزره من معدات متطورة، وتعزيزه بوحدات حربية جديدة، مما يساعده على القيام بمهمته سواء في المياه الإقليمية أو خارجها، خاصة بعد استرجاع الأقاليم الصحراوية، وامتداد الشواطئ المغربية التي أصبح طولها 3500 كيلومتر ؛ وهو ما يترجم تزايد عدد قواعد البحرية الملكية منذ 1979 طبقا للاستراتيجية العسكرية المغربية وإمكانيات البلاد ؛ حيث تأسست قواعد عسكرية بحرية في كل من أكادير والحسيمة والداخلة.

أما تجهيزات القوات البحرية الملكية فهي من صنع إسباني وفرنسي وإيطالي ودنماركي وغيرها. ويتكون الأسطول المغربي من عدة وحدات حربية مجهزة بأحدث الوسائل، كالجوابات، وخافرات السواحل التي كان عددها 9 سنة 1979، ثم 23 سنة 1989 ، لتصل إلى 29 سنة 1995. وهناك أيضا فركاطة مجهزة بنسيفات ومدافع الهاون المضادة

للغـواصـات، وصـواريـخ سطح ـ سطح ؛ هذا بالإضـافـة إلى حـراقـتين، و4 مطاردات قـاذفـات للصـواريخ. وتعـززت إمكانيـات هذا الأسطول أيضـا بـ 4 برمائيـات للنقل و4 قطع لدعم العـمليـات وغـيـرها. وبـفـضل هذا الأسطول الحـربي أصبحت البحرية الملكية قوة دفاعية مهمة تمكن المغرب من بسط سيـادته ونفـوذه على مـيـاهه الإقليـمـيـة الشـاسـعـة، ومصايده البحرية، ومراقبة ملاحته التجارية، ومواصلاته البحرية، وصيده البحري. وتضع البحرية الملكية وحداتها ورجالها رهن تصرف المعهد البحري لمباشرة الأبحاث العلمية الدقيقة في أعماق البحار. ومن أجل تطوير قدراتها الحربية تشارك البحرية الملكية مشاركة ناجعة في مناورات بحرية، وتمارين إنقاذ بحرية، متعاونة في ذلك مع القوات الملكية الجوية، وقوات بحرية وجوية لبعض البلدان الصديقة. وتقوم البحرية الملكية بزيارة بعض المراسي الحربية الأجنبية زيارة ود ومجاملة، وتستقبل بدورها في الدار البيضاء وطنجة وغيرهما، في نطاق الود وحسن الجوار قطعا من الأساطيل تنتسب إلى عدد كبير من البلدان الصديقة.

لقد عمد المغرب الذي تتكون قواته المسلحة الملكية أساسا من المحترفين المتطوعين إلى التجنيد الإجباري أيضا، وذلك بعد مرور عشر سنوات على انبعاث جيشه. وقد ظهر مشروع التجنيد الإجباري عندما تم الإفصاح عن ذلك في خطاب ولي العهد رئيس أكان الحرب بمناسبة الذكرى الأولى لتأسيس هذه القوات يوم 14 ماي 1957. إلا أن هذا المشروع تأخر تنفيذه لعدة سنوات، حيث تم الإعلان عنه مرة أخرى بمناسبة عيد الأضحى في خطاب ملكي يوم 2 أبريل 1966 ؛ ومما جاء فيه "أن القوات المسلحة الملكية مدعوة هذه السنة بالخصوص إلى نشاط كبير وإلى عمل مهم جدا في الميدان التربوي والاجتماعي والاقتصادي، وذلك بسهرها على تطبيق الخدمة العسكرية الإجبارية ...".

وهكذا تكون المملكة المغربية أول دولة عربية وإفريقية تسن هذا المشروع، الذي يعتبر قفزة نوعية في مسار التنظيم العسكري المغربي. وقد استدعي الفوج الأول من المجندين في صيف تلك السنة، وكان يضم 2200 شاب تتراوح أعمارهم بين 18 و30 سنة. أما مدة التجنيد الإجباري فحددت في 18 شهراً، مع إمكانية تمديدها بقانون خاص إذا دعت الضرورة إلى ذلك. وتعاقبت منذ ذلك الحين عدة أفواج ؛ إذ كلما سرح فوج عوضه آخر مع اختلاف عدده حسب ظروف البلد. ويخضع المجندون طوال مدة تجنيدهم الإجباري للنظام العسكري من حقوق وواجبات. فيتلقون تدريبا عسكريا، وتكوينا تقنيا ومهنيا. وبعد تسريحهم من الخدمة العسكرية، يدمجون في القوات المسلحة الملكية، ويصبحون بمثابة جيش رديف. وفي سنة 1999 أدخلت تعديلات على قانون الخدمة العسكرية الإجبارية فحدد سن ولوجها في سن 20 سنة وتكون واجبة إلى سن 40 سنة، وأصبحت مدتها الفعلية 12 شهراً. ويسمح للمواطنات المغربيات المتطوعات بالترشح لقضائها، والبالغات من العمر ما بين 20 و27 سنة، شريطة ألا يكنّ متزوجات أو تحت كفالتهن أطفال.

ولا يقتصر دور القوات المسلحة الملكية على الميدان العسكري فحسب، بل يشمل أيضا، ومنذ السنوات الأولى لتأسيسها، أعمال مهمة في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والدينية. ففي سنة 1957 قام الجيش بإعادة تنمية إقليم تافيلالت حيث شاركت بعض الأفواج والوحدات العسكرية ـ ومنها فوج الهندسة ـ بكل وسائلها وأجهزتها الميكانيكية في تنمية تلك الناحية. فشيّد القرى، ورمم المداشر. وعبد الطرق، وحفر الآبار، وجر السواقي، وفتحت عياداته في وجوه المرضى، ووضعت أدواته الثقيلة والخفيفة في خدمة السكان. وحصل مثل ذلك عندما تم استرجاع إقليم طرفاية إلى الوطن من يد الإسبان سنة 1958. حيث عمل الجيش على إقامة التنظيمات الإدارية الأساسية لكي يلتحق بباقي أقاليم المملكة اقتصاديا واجتماعيا. ونفس الشيء حصل في بناء طريق الوحدة صيف 1957 ؛ إذ شارك الجيش بكل إمكانياته في هذا المشروع الوطني. أما في إطار محاربة الأمية فلم يبخل الجيش كذلك بمشاركته في بناء المدارس بالحواضر والبوادي ودور السكنى بها، وخصوصا في القرى والمداشر النائية من المملكة ؛ كما تم إلحاق عدد من أفراد الجيش بوزارة التربية الوطنية لقضاء تجنيدهم الإجباري كمعلمين، بعد استكمال تكوينهم العسكري. وكانت مساهمته أيضا في عملية تشييد الدور الجماعية لا يقل عن مشاركته في إنجاح عملية بناء المدارس ؛ إذ أبدى تضامنه الوطني، بالإضافة إلى تنازله التام لمختلف الوزارات عن أكثر من عشرين ثكنة وعمارة. وأثناء الفيضانات الخطيرة يتدخل الجيش بفرقه وإمكانياته، خاصة فرق الهندسة والطيران العسكري، للقيام بعمليات الإنقاذ وتموين المنكوبين، وعلاج المرضى، وإصلاح الطرقات، كما حدث مع ضحايا فيضانات الغرب سنة 1958 وما بعدها، أو مع سكان جبال الأطلس الكبير عندما تحاصرهم الثلوج، حيث تتم مساعدتهم على النزوح مع القيام بتموينهم وإيوائهم. وبادرت القوات المسلحة الملكية أيضا إلى مساعدة گوليمين وطنطان، وإسعافهما وإنقاذ عدد من الأشخاص بمجرد وقوع كارثة الفيضان خلال شهر مارس 1967. كما برهن الجيش على وجوده في كل مكان وجب فيه تكتيل الجهود لمقاومة المرض والبؤس والأمية والكوارث الطبيعية والعوادي. وقد برز دوره الإنساني أثناء المأساة التي تعرض لها المغرب في فاجعة زلزال أگادير، في ليلة 29 من فبراير / فاتح مارس 1960، فقام الجيش بعمليات الإنقاذ وانتشال الأحياء من بين الأنقاض، وإسعاف الجرحى، وإغاثة المحتاجين وتأمينهم، ودفن الموتى، وإجلاء باقي السكان عن المدينة المنكوبة لتلافي انتشار الأوبئة، مع المحافظة على الأمن، وصيانة أملاك المنكوبين، وإنشاء معسكرات لإيوائهم، ونفس الدور قامت به القوات المسلحة الملكية عندما ضرب الزلزال مدينة

الحسيمة ونواحيها يوم 24 فبراير 2004. ولم ينقطع كذلك دوره الفعال في مقاومة حرائق الغابات كلما شبت خلال اشتداد حرارة الصيف. أما إسهامه الكبير فتجلى في نجاح المسيرة الخضراء سنة 1975 ، وتنمية الأقاليم الصحراوية المسترجعة. وهذا غيض من فيض عن دور القوات المسلحة الملكية في أداء واجبها الوطني على جميع المستويات، لأنها من الشعب وفي خدمة الشعب.

وفي الميدان الديني، فإن القوات المسلحة الملكية تتوفر على قسم خاص بالوعظ والإرشاد الذي استطاع في بداية الاستقلال أن يلقن مبادئ القراءة والكتابة لأزيد من 17000 جندي في غمرة محاربة الأمية التي عرفها المغرب آنذاك، كما يعمل على تلقين مبادئ الدين الصحيحة لكافة الجنود ؛ إذ لا تخلو مدرسة عسكرية أو ثكنة أو قاعدة وغيرها من مسجد يذكر فيه اسم الله. لأن التكوين العسكري المغربي يشتمل على تكوين فكري وتقني وجسمي، بالإضافة إلى تعزيزه بالتعليم الديني والتهذيب الخلقي الإسلامي. وذلك حتى يزداد إيمان الجنود بفضل هذا التعليم الديني قوة إلى قوة، ويتضاعف تشبثهم بمثل الدين العليا، وقيمه السامية، وتقوم المصلحة الاجتماعية التابعة للقوات المسلحة الملكية بتحمل جزء كبير من مصاريف الحجاج العسكريين كل عام للتوجه إلى الديار المقدسة، تشجيعا لهم على أداء فريضة الحج.

أما عن الواجب الأساسي للقوات المسلحة الملكية، والمتجسد في الدفاع عن حوزة الوطن، فقد خاضت ما يسمى "بحرب الرمال" في أكتوبر 1963 ، حيث جرت معارك مع القوات الجزائرية، فأظهرت تلك الحوادث المؤسفة مدى قدرة وقوة الجيش المغربي على حماية التراب لوطني. كما أن الآمال التي علقت عليه لم تخب، بعد استرجاع المغرب لصحرائه، وهو ما أغضب سلطات الجزائر التي رأت في ذلك إخلالا بالتوازن الذي كان لصالحها - حسب اعتقادها - فحركت قواتها على الحدود مع المغرب في بداية سنة 1976. وساهمت مع ليبيا في خلق التوتر بالمنطقة بتبنيها جبهة البوليساريو الانفصالية، فدعمتها وجعلت لها من "أراضيها" - بتندوف - قاعدة لانطلاق عملياتها العسكرية ضد المغرب. وبذلك فرضت حربا غير مباشرة معها، من خلال حرب العصابات لانفصاليي البوليساريو ؛ بل إن القوات الجزائرية لم تتورع عن المعركة المباشرة مع القوات المسلحة الملكية في أمكالا بإقليم الساقية الحمراء، لكنها كُبِّدت خسائر مهمة في العتاد والأرواح. وبذلك انكشفت الجزائر أمام الرأي العام العالمي، إذ كان الجيش المغربي في المستوى اللائق، خاصة بعد تخلي موريطانيا عن إقليم وادي الذهب في غشت 1979 . مما جعل سكان هذا الإقليم يقدمون البيعة للملك الحسن الثاني. وبذلك تضاعف دور القوات المسلحة الملكية في مواجهة هجمات الانفصاليين ؛ إذ واجهت في بداية الأمر بالصحراء صعوبة الأحوال الجوية، وانعدام نقاط التموين بالماء، وطبيعة الأرض، وانعدام التجهيزات الأساسية. بيد أنه تم التكيف والتغلب على ذلك مع الوقت. واستطاعت صد الهجمات المتكررة، وخوض معارك طاحنة مع عصابات البوليزاريو، كما حدث في هجوماتهم على مدينة طنطان في يناير 1979 ، والسمارة يوم 6 أكتوبر، وبوكراع في 6 نونبر من تلك السنة، وبوجدور يوم 28 فبراير، والزاگ في ماي وجنوب رأس الخنفرة طيلة شهر أكتوبر من سنة 1980. بالإضافة إلى معارك أخرى كبئر أنزران وغيرها. وللتلخص من الهجومات المباغتة لمرتزقة البوليزاريو، وإبعاد خطرهم عن التراب المغربي، قامت القوات المسلحة الملكية بإنجاز خطوط دفاعية ابتداء من سنة 1982، موازاة مع قيام "وحدات متنقلة بعمليات تمشيط واسعة لتطهير كل الصحراء المسترجعة من الانفصاليين. وتطلب ذلك عدة سنوات من العمل المضني، ليل نهار، وعلى مدار الساعة ؛ وإمكانيات مادية وبشرية هامة. وقد تم هذا العمل الضخم على ستة مراحل، كل مرحلة ينجز فيها خط دفاعي، وهو عبارة عن حزام واقي على شكل جدار من الرمال والأحجار وحقول الألغام، مع تحصينات دفاعية مجهزة بأجهزة الإنذار المبكر، بالإضافة إلى القوة البشرية العسكرية المترقبة والمتحفزة على الدوام. وأول خط دفاعي تم إنجازه، شمل منطقتي بوكراع وبوجدور، وتم الانتهاء منه يوم 12 يونيو 1982 ، ثم تلته الخطوط والجدران الدفاعية الأخرى التي اكتملت في أواسط الثمانينيات من القرن العشرين، لتصبح جداراً واحداً ممتداًعلى طول حدود الصحراء المغربية مع الجزائر وموريطانيا، من الشمال إلى الجنوب ثم غربا إلى مياه المحيط الأطلسي بمدينة الگويرة. وبذلك تم تطهير الأقاليم الصحراوية المسترجعة من عناصر انفصاليي البوليزاريو، وتم حصرهم في الأراضي الجزائرية، لأن هذا الجدار الأمني في الواقع عبارة عن جسور متحركة، تسمح بالتحرك في أسرع وقت ممكن نحو أية نقطة مهددة من قبل العدو. وبذلك استطاعت القوات المسلحة الملكية مواجهة الأعداء من جهة، والعمل على استتباب الأمن والطمأنينة في الصحراء المسترجعة من جهة أخرى. وأصبح السكان بفضل ذلك يعيشون هناك في أمان وطمأنينة، ويتنقلون بأمن وراحة بال. كما ساهمت القوات المسلحة الملكية كذلك في المجال الاقتصادي والاجتماعي بهذه الربوع، حيث قامت بعملية التشييد والبناء، وحفر عدد من الآبار، وإنعاش التجارة بفضل سلامة الطرق، وتأمين وسائل الاتصال.

أما عن دور القوات المسلحة الملكية في الخارج، فإن المغرب مرتبط باتفاقيات عسكرية دفاعية جهوية كالجامعة العربية والمغرب العربي. وأخرى دولية مع الأمم المتحدة، وكذلك باتفاقية ثانية مع دول صديقة وشقيقة كغينيا والإمارات العربية المتحدة، اللتين توجد بها وحدات عسكرية مغربية من عدة آلاف عسكري. وتلبية للنداء الذي وجهته الحكومة الكونگولية للمغرب، واستجابة لطلب منظمة هيئة الأمم المتحدة، شارك المغرب سنة 1960 بكتيبة، بقيادة

الجنرال الكتاني، مع بقية الدول الإفريقية في تكوين قوة إفريقية توجهت إلى الكونغو لمساعدة حكومتها في المحافظة على استقلالها، ووحدة ترابها. فأدت هذه الكتيبة واجبها، مما أهل المغرب لتولي مهمة تنظيم الجيش الوطني الكونغولي والقيادة العامة للأمم المتحدة بالنيابة هناك. وتدخلت القوات المسلحة الملكية سنة 1963 لفائدة ضحايا الزلزال بليبيا، إذ لم تقع الواقعة حتى أقيم جسر جوي في الحال بين الرباط وبنغازي. وبذلك تمكنت في وقت قصير للغاية من إيصال النجدة المغربية إلى الأمكنة المصابة بليبيا. وساهم فريق من الهيليكوبتير من القوات الجوية الملكية في عمليات الإنقاذ خلال الفيضانات التي أصابت تونس في شتاء 1969، فأبلى البلاء الحسن، مما جعل الحكومة التونسية في شخص سفيرها بالرباط يوشح عمل القوات المسلحة الجوية بوسام "تونس". أما في الحرب العربية الإسرائيلية سنة 1967 فقد سافرت تجريدة مغربية بقيادة الجنرال البشير البوهالي لنجدة مصر بعد عدوان 5 يونيو، وبقيت بمدينة بنغازي في ليبيا، ولم يؤذن لها بدخول مصر، حتى وقعت الهزيمة وأوقف إطلاق النار. لذلك كان المغرب سباقا مرة أخرى عندما خيم شبح الحرب على منطقة الشرق الأوسط سنة 1973، إلى إرسال تجريدة مغربية بقيادة الجنرال عبد السلام الصفريوي للدفاع عن الوطن العربي في الجبهة السورية بهضبة الجولان ؛ تلتها تجريدة مغربية أخرى بقيادة الكلونيل ماجور حسن الحاتمي، ذهبت للقتال في صحراء سيناء بالجبهة المصرية، فقام الجنود المغاربة إلى جانب إخوانهم العرب بأعمال بطولية في حربهم هذه ضد الصهانية، واستشهد منهم العشرات. وبعد نهاية الحرب عادت التجريدة الثانية من أرض الكنانة يوم 30 أبريل 1974 بعد أن أدت مهمتها بكفاءة. بينما بقيت الأولى بسوريا عدة شهور أخرى إلى حين انتهاء واجبها هناك، ثم عادت إلى أرض الوطن يوم 5 يوليوز 1974. واستجاب المغرب لنداء الزايير (الكونغو)، ومنظمة الوحدة الإفريقية للدفاع عن هذا البلد الإفريقي الصديق ؛ حيث قامت وحدات من القوات المسلحة الملكية بالمساهمة في المحافظة على وحدته الترابية سنة 1977.

وعندما استرجع المغرب صحراءه، فقد عمل الجيش المغربي إلى جانب إخوانه من القوات الموريطانية عدة سنوات في مواجهة هجمات البوليزاريو، وذلك إلى حين انسحاب موريطانيا من قضية الصحراء في صيف 1979. فعادت الوحدات العسكرية المغربية من موريطانيا، حيث أقيم حفل عسكري بالمناسبة في القاعدة الجوية الأولى بمدينة سلا يوم 23 أكتوبر 1979 ترأسه الملك الحسن الثاني، فاستعرض تلك القوات العائدة من هذا البلد الشقيق. وفي إطار عمليات حفظ الأمن والسلم للأمم المتحدة، شارك المغرب أيضا بكتيبة إلى جانب الحلفاء بالسعودية في حرب الخليج الثانية أوائل سنة 1991. كما شارك بعد ذلك إلى جانب القوات الأممية في عملية إعادة الأمل للشعب الصومالي الذي كانت مزقته الحرب الأهلية والمجاعة. هذا بالإضافة إلى مشاركة المغرب بملاحظين عسكريين في أنكولا، وبتجريدة عسكرية ضمن القوات المتعددة الجنسيات "إيفور" (Eufor) في البوسنة والهرسك، وبتجريدة أخرى توجهت إلى الكوت ديفوار في أبريل 2004 في إطار الأمم المتحدة.

*مجموعة الخطب الملكية والرسائل المولوية والرسائل اليومية الموجهة إلى وحدات القوات المسلحة الملكية*، 1956 ـ 1978، المطبعة الملكية، الرباط ؛ *خطب وندوات صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني*، نشر وزارة الإعلام، ط 1، مطبعة الأنباء، 1989 ؛ الحسن الثاني ملك المغرب، *التحدي*، ط 2، المطبعة الملكية، 1983 ؛ الحسن الثاني، *ذاكرة ملك*، كتاب الشرق الأوسط، ط 2، 1993 ؛ عبد الحق المريني، *الجيش المغربي عبر التاريخ*، ط 5، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1997 ؛ المهدي بنونة، *المغرب .. السنوات الحرجة*، كتاب الشرق الأوسط، جدة، 1989 ؛ عبد الحميد العوني، *الأمن العسكري في المغرب دراسة سياسية*، مطابع التكتل الوطني، تمارة، 1998 ؛ روم لاندو، *تاريخ المغرب في القرن العشرين*، ط 2، تر. نقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت، 1963 ؛ جون واتربوري، *الملكية والنخبة السياسية في المغرب*، تر. ماجد نعمة وعبود عطية، بيروت، 1982 ؛ وزارة العدل، المعهد الوطني للدراسات القضائية، *مدونة العدل العسكري*، د. ت ؛ مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية، *التقرير الاستراتيجي للمغرب*، أبحاث ؛ *مجلة القوات المسلحة الملكية*.

محمد الناصري

**القْويطي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Cueto ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1076 / 1666. منهم : محمد القويطي الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان وتوفي سنة 1076 (1666).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**القياس** أو القياص، مصطلح عروضي خاص بالشعر الملحون، جمعه قياسات ويقابله "القد" عند أهل سلا.

والقياسات عبارة عن ميازين عدة داخل كل بحر من بحور الملحون الأربعة (امبيت ـ قاسور الجناح ـ السوسي ـ لمشبت).

ويطلق لفظ القياس على القصيدة إذا اشتهرت وأصبح الأشياخ ينظمون على منوالها العروضي. ومن أمثلة ذلك "قياس الباكي" وهي قصيدة للشيخ التهامي المدغري وحربتها :

شهدوا بين ايْلاَ افنيتْ وامضيت مَن الوجْنا وخالها واخدود الجلاب
والشـاما والخالا والشفـر لهـوا خدوج ولقرال السعديا

فكل القصائد التي تنظم على هذا النسق يقال عنها أنها من قياس الباكي وللقياسات دور في تركيب الجمل اللحنية. ويظهر ذلك في قياسات المشرگي التي تتنوع ألحانها بفعل إدراج العروبيات والنواعرين الأقسام حتى أصبح من الشائع إنشادها على فقرات لحنية معينة. وهكذا أصبح "القياس"

يحمل مفهوماً مزدوجاً يعين في ذات الوقت قياسا عروضيا ولحنا موسيقيا معينين، فكلما جاءت القصيدة على قياس ما لزم أن تغنى على ألحان القصيدة التي تحمل اسم ذلك القياس.

وليس من السهل حصر القياسات في الملحون، غير أن الدراسات التي عنيت بهذا الفن توصلت بفضل تقصي القصائد وطرق نظمها - إلى الوقوف على كثير من هذه القياسات. وأكثرها شهرة هي :

1 - قياسات لجر "المشبت" : وهي تتنوع بتنوع امرمات هذا البحر الأربعة : المثنية، والثلاثية، والرباعية، والخماسية. وبذلك فلكل امرمة قياساتها تختص بها دون غيرها. ومن هذه القياسات في المرمة المشتيه:

قياس "لمشركي". وقد كثر المنظم فيه حتى سمي "لحويط لقصير" وفي هذه التنمية ما يذكر بحر الرجز الذي أطلق عليه العروضيون "حمار الشعراء". ومن القياسات قصيدة "الحجة" للحاج اعمارة من شعراء القرن العاشر. ومنها أيضاً : الوردة، والمزيان لعبد القادر العلمي، والساقي للجيلالي امتيرد وهنية للأموري، والحب والوردة لابن سليمان، ويامنة للمصمودي ومن قياسات المرمة الثلاثية :

قياس الباكي للشيخ التهامي المدغري وعليه نظمت "النخلة" والدالية، للمدغري أيضاً، والذهبية، والكأس وفضيلة للحاج إدريس الحنش.

ومن قياسات المرمة الرباطية : "طامو" لسيدي قدور العلمي، وحجوبة لابن علي ولد ارزين، والشهدة لابن سليمان، وفارحة للمدغري.

ومن قياسات المرمة الخماسية : "أساداتي أولاد طه للحاج إدريس بن علي، وعليه نظمت زهرة للغرابلي، وخدوج لابن علي، والرقاس للكندوز.

2 - قياسات بحر مكسور الجناح، وهي تحدد اعتماداً على حرباتها وسوارحها ورواحات قصائدها. ويراد بالرواحات المقاطع الأخيرة من أقسام القصيدة، وهي كلها لا تأتي إلا موزونة من بحر المشبت. ومن هذه القياسات :

قياس "عيشة" لابن علي، ومثله غيثة للحاج إدريس الحنش، وقياس مليكة للغرابلي، وقياس "خناثة" للحبابي.

3 - قياسات بحر السوسي، وهي تحدد اعتماداً على حربات القصائد ومطالع أقسامها ورواحاتها. ومنها :

قياس "المراز" للجيلالي امثيرد، وقياس الزظمة له أيضاً.

4 - قياسات بحر المشبت : منها قياس التوبة لمحمد بن سليمان.

ع. الجراري، *القصيدة*، ص. 136 ؛ م. الفاسي، *معلمة الملحون*، القسم الأول من الجزء الثاني، ص. 120 - 124 ؛ أ. سموم، *الملحون المغربي*، ص. 17 - 51.

**قيبّو، محمد** (الماريشال) أحد أبرز شيوخ الأغنية الشعبية في مغرب الخمسينيات والستينيات. دخل ميدان الموسيقى الشعبية، وتعلم العزف على الكمنجة على يد الفنان الشعبي حماد النشار. وقد اسعفته الموهبة ليصبح أحد أجود العازفين على هذه الآلة حتى لقبه الناس "ماريشال الكمنجة"، فاشتهر بلقبه هذا ولم يعد يذكر إلا به.

تعرف الماريشال قيبو قبيل الاستقلال على الفنان الشعبي المرحوم بوشعيب البيضاوي، وشكل بمعيته وإلى جانبهما رفيقهما الفنان بوشعيب اولدازنيكا ثلاثيا فنيا سرعان ما غطت شهرته الآفاق لفترة غير قصيرة من الزمن.

وقد كان لهذا الثلاثي دور رائد في تطوير العيطة المرساوية والنهوض بها ونشرها على أوسع نطاق، وذلك من خلال البرامج الفنية التي كان يقدمها في السهرات العمومية والتي ستتحول بعد حصول البلاد على الاستقلال إلى ممارسة شبه منتظمة، ثم بفضل الحلقات الإذاعية والتسجيلات الصوتية التي انجزتها شركة بوسيفون لأعمالها الفنية.

بحراوي حسن، بوشعيب البيضاوي، الدنو من رائد المسرح الفطري بالمغرب، *جريد الاتحاد الاشتراكي*، 12 مارس، 2000 ؛ أحمد سهوم، *الملحون المغربي*، ص. 64.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ال**قيسي، محمد** بن **محمد** الكاتب الأندلسي، أول ناظر عام للأحباس بالمغرب، لا نعرف الكثير عن مولده ومراحل نشأته وتعليمه عدا ما يمكن استخلاصه من حوالتي الأحباس الكبرى والصغرى لمدينة مكناس، ومن ما ورد عند ابن زيدان في *الإتحاف والمنزع اللطيف* نقلاً عن الحوالتين المذكورتين، وهو قليل اعتبارا لما ناله المترجم له من حظوة لدى المخزن الاسماعيلي وما أسند إليه من مهام.

فهو من ذرية سيدي عبد الله القيسي الأندلسي، أبوه محمد الكاتب "الثقة الخير خديم أهل كتاب الله، المحب لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم" ولد ونشأ بمدينة فاس في بيت "تأسست على النباهة أركانه واشتهر في النصائح الدينية والدنيوية لديه مكانه". ولاشك أن الناظر القيسي قد نال حظاً وافراً من العلم شأنه في ذلك شأن جل رجال المخزن الإسماعيلي من وزراء وكتاب وقضاة ونظار وغيرهم ... بدليل ما تحليه به الوثائق الحبسية وما أسند إليه من وظائف وما تمتع به لدى السلطان من حظوة.

فالوثائق تنعته مرة بـ "الفقيه النبيه الأمين" وأخرى بـ "الناظر الأفلح الأشهر الأنجح الفقيه النزيه، الأريب النبيه" وثالثة "من ذوي الامانة ... الكيس اللبيب محمد بن محمد الكاتب الأندلسي أصلا الفاسي نشأة ودارا المكناسي موطناً وقراراً ...".

كما نال المترجم له حظوة هامة لدى السلطان المولى إسماعيل (1672 - 1727) الذي أسند إليه وظائف النظر العام والأمانة الكاملة في البناءات السلطانية كلها على اختلاف أنواعها إلى جانب الأمانة العامة على داره المصونة. وعندما

أعاد السلطان المذكور تنظيم الأحباس أحدث وظائف جديدة أهمها نظارة أحباس الإيالة الشريفة وأسندها أواسط شعبان عام (1110 / 1699) لمحمد القيسي إضافة إلى نظارة أحباس حضرته العلية ونظارة أحباس مساجدها، هذا زيادة على ما كان يقوم به من مهام الأمانة العامة على قصوره وبناءاته "... فوقف أمله السلطاني على من هو عنصر من ذوي الأمانة... السيد محمد بن محمد الكاتب الأندلسي ... فقلده النظر العام المطلق الشامل التام فيه وفي ساير أوقافه على اختلاف أنواعها وفي جميع أوقاف مساجدها ... فوض له في ذلك وفي نوازل أحباس جميع الأيالة السعيدة ...".

لقد كانت وظيفة ناظر الإيالة الشريفة من الوظائف السامية التي لا يرقى إليها إلا العالم المحنك، الثقة المخلص للمخزن، وكان لها من النفوذ والاختصاص كل ما يتوفر حالياً لوزارة الأحباس، فقد كان المترجم يتمتع بسلطة مطلقة على الأحباس في كل البلاد المغربية بتفويض كامل من السلطان مولاي إسماعيل الذي "قلده أمورها على الشمول والاستغراق وأطلق له محاسبة أحباسها على العموم والإطلاق" فكان يولي ويعزل ويحتبس ما شاء على ما شاء من المساجد من غير توقف ولا احتياج".

وقد أبان الناظر محمد القيسي على كفاءة ومهارة عاليتين في تسييره لشؤون الأحباس وضبطها، فكان يتنقل بين الحواضر والبوادي، ويقف بنفسه على تنظيم أحباسها ومحاسبة نظارها وإحصاء أملاكها وحيازة رباعها وتعيين حدودها حسب ما جاء في إحدى الحوالات الحبسية "... فقام بحق ذلك بهذه الأيالة السعيدة أي قيام واشتهر في اتقانه وضبطه اشتهاراً لم يسبق به فيما تقدم من الأيام ..."، وفي حوالة أخرى : "... قام في ذلك على ساق الجد أتم قيام ... مراقباً لله تعالى في سره وجهره ... سالكاً في ذلك مسلك النظار العدول الثقات العاملين لله تعالى المجازي على السرائر والطويات ..."

ومن جليل أعماله :

1 ) بناؤه عام (1122 / 1709 ) لمسجد بحومة سوق السباط أطلق عليه المولى إسماعيل اسم "مسجد الأنوار" وهو نفس اسم الجامع الكبير الذي بناه السلطان بمدخل قصبته يمين الداخل إليها من باب منصور العلج مما يدل على الحظوة التي كانت للمترجم لدى السلطان. والمسجد يعرف اليوم بمسجد سوق السباط.

2 ) إنشاؤه لعدة كراسي علمية منها الكرسي الذي خصصه لقراءة الكتاب الذي حبسه على المسجد وهو كتاب "*الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء*" للفقيه سليمان بن سالم الكلاعي (ت. 634 / 1260 ). ولا يُعلم شيء عن نهاية الناظر العام محمد القيسي، مما يدعو إلى التساؤل، عن سكوت المصادر عن مآل شخصية نالت رضا السلطان، وتولت مناصب عالية، وتمتعت بمكانة ونفوذ كبيرين. والثابت أن مهامه وزعت بين شخصيات متعددة، منها منصب نظارة الأيالة الشريفة فنجد في رسم حبسي مؤرخ بشهر محرم 1135 / 1722 أن النظارة العامة أسندت للطالب مسعود المنقوشي وبعده للفقيه بلقاسم المسطاسي.

*حوالة الأحباس الكبرى لمكناس*،قم 5، ص. 28 ـ 31 ؛ *حوالة الأحباس الصغرى لمكناس*، رقم 4، ص. 208 ـ 209 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 4، ص. 60 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 310 ـ 311 ؛ رقية بلمقدم، *أوقاف مكناس*، ج 1، ص. 181 ـ 184.

رقية بلمقدم

**الـ قيرواني، عبد الـ رحمان** من العلماء الذين استقطبتهم إمارة إيليغ بجنوب المغرب وباعتباره فقيها ومجودا وعارفا بالأسانيد وقع الاختيار عليه ليكون مؤدبا لأبناء الأمراء هناك إلى حين وفاته سنة 1047.

محمد المختار السوسي، *رجالات العلم العربي بسوس*، ص. 33.

محمد ماگامان

**قيصر** Caesar، هو يوليوس قيصر القائد الروماني الذي لمع في الحروب الأهلية الرومانية، ضد منافسه بومبيوس الأكبر Pompeus Magnus بين سنتي 49 و44 قبل الميلاد. وكانت له علاقة وطيدة مع الملكين اللذين حكما المغرب القديم همال بگود Bogud وبكوس الثاني Bocchus، إذ قدما له دعما عسكريا في مواجهة خصومه بأفريقيا وإسبانيا.

لقد تمكن قيصر بدهائه من جعل الملكين الموريين ينفصلان عن بومبيوس الأكبر. وهذا ما جسده دبلوماسيا لما انتصر على أعدائه في إسبانيا سنة 49 قبل الميلاد، حيث قرر مجلس الشيوخ التابع له في رومة اعتبار الملك النوميدي يوبا Yuba الأول عدوا لكونه ظل وفيا لبومبيوس. وعلى العكس من ذلك أعلن اعترافه بشرعية حكم الملكين الموريين مكافأة لهما على انفصالهما عن بومبيوس. ويعد هذا الاعتراف أمانة في عنقيهما لمواصلة المشوار مع صاحبهما هذا إلى النهاية. وهنا سنتطرق لدور كل ملك على حدة في مساندة قيصر.

إن دور بگود تمثل في مناصرة القائد المذكور بإسبانيا سنة 49 قبل الميلاد. وما يؤكد التزام بگود بمواصلة المشوار مع قيصر هو ما جاء في كتاب ينسب له تحت عنوان حرب الإسكندرية. يتعلق الأمر بتنفيذ خطة تقتضي الهجوم على أفريكا Africa (يعني تونس) انطلاقا من إسبانيا عبر موريتانية، التي يحكمها بگود ومرورا بنوميدية التي يحكم بكوس الثاني قسما منها. والغالب أن قيصر سوى هذه الخطة مع بگود نفسه ومع أبناء بكوس الثاني قبل رحيله عن إسبانيا سنة 49 قبل الميلاد. فلما انتقل قيصر إلى الشرق وهو يتتبع ما كان يجري في الساحة الإفريقية، أصدر أمره إلى كاسيوس Cassius حاكم إسبانيا البعيدة في ربيع سنة 48 قبل الميلاد، أي قبل معركة فارسال، فنقرأ في رسالة ما يلي : "توصل كاسيوس بأمر مكتوب من قيصر يدعوه

للعبور مع جيوشه إلى أفريكا والهجوم على نوميدية عبر موريطانية، لأن يوبا كان قد بعث إمدادات هائلة إلى بومبيوس، ومازال ينوي أن يبعث أكثر من ذلك. ولما توصل كاسيوس بهذه الرسالة غمره فرح شديد لكونه سيستفيد من مملكة ثرية جدا... وأخبر كاسيوس مجلسه العسكري بما ينبغي القيام به لتطبيق تعليمات قيصر، ووعدهم بمائة سسترسة Sesterces لكل واحد عند الوصول إلى موريطانية... فتدبر كاسيوس أموره وبعث قواته لعبور المضيق بعدما جاءته رسالة بعثها قيصر من الإسكندرية يأمره فيها بتنفيذ الخطة. لكن مشروع العبور فشل في مهده بسبب تمرد الجند عليه وقتله، ولم ينقذه لا تدخل الملك الموري بگود في إسبانيا ولا مساعدة لبيدوس Lepidus حاكم ولاية إسبانيا القريبة. وفي سنة 45 قبل الميلاد تدخل بگود مرة أخرى في إسبانيا ليلتحق بقيصر نفسه، ولعب الملك دوراً هاماً في إنهاء قيصر لهذه الحرب لصالحه في معركة موندا Munda.

أما دور بكوس الثاني فيتجلى في قدرته على تنفيذ خطة قيصر التي فشل فيها كاسيوس. فقد شن الملك هجوما مظفراً على مملكة يوبا الأول الذي كان خير معين لأعداء قيصر. فاستولى على مدينة كيرتة Cirta، التي عجز يوبا عن استرجاعها. وبعدما انتصر قيصر على خصومه في معركة تابسوس Thapsus سنة 46 قبل الميلاد، فإنه كافأ بكوس الثاني بإقطاعه قسما إضافيا من نوميدية، فامتدت بذلك حدود مجال نفوذ الملك الموري إلى نهر أمساگا Ampsaga.


م. مجدوب، *أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة*، المحمدية، 1990 ؛ *مملكة المورين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق.م*، فاس، مرقونة.

*Bellum Africum*, 25 et 36 et 48 et 93 et 95 ; César, *Guerre Civile*, 1, 60 ; *Guerre d'Alexandrie*, 59-63 ; Appien, *Guerre Civile*, 4, 54 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, t. 8, Paris, 1928 ; M. Majdoub, Pompeus Magnus et les rois maures, dans *Africa Romana*, 12, p. 1321-8, 1928.


محمد مجدوب

**القيقب** نباتات من جنس آصير Acer وفصيلة القيقبيات Aceraceae الممثلة بنوعين طبيعيين بالمغرب.

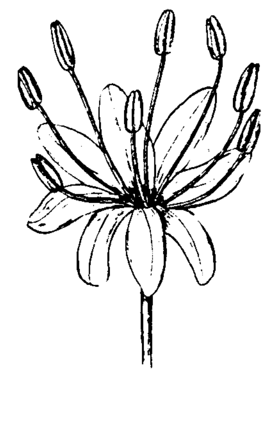

والقيقب أشجار متوسطة القامة وذات تاج مستدير وأوراق نفضية. الأوراق بسيطة الشكل أو مفصصة إلى ثلاثة أو خمسة فصص. ثمارها مجنحة.

يستعمل خشب القيقب في صناعة الأواني المنزلية وبعض الأثاث الخفيف، وترعى الماشية أوراقها.

ونوعا القيقب المتواجدان طبيعياً بالمغرب هما :

- القيقب الغرناطي أو أصير گْرَانَاتِينْسي Acer granatense الذي يتيمز بأوراقه المفصصة إلى خمسة فصص ذات اللون الفضي، وبثماره ذات الأجنحة التي يتراوح عرضها ما بين 6 و8 مم.

إنه نوع نادر بالمغرب إذ يقتصر على جبال الريف الغربي حيث يصادف ممثلا بأفراد تعيش في غابات الشوح والبلوط الأخضر وبلوط الزان، في بيومناخ رطب وجد رطب، وفي الطابقين فوق المتوسطي والجبلي المتوسطي.

- قيقب مُونْبُولْيِيه أو أصيرمُونْسْبِيسُولاَنُوم Acer monspessulanum الذي يتميز بأوراقه المفصصة إلى ثلاثة فصص متساوية وكاملة غير مجزأة.

إنه نوع يصادف في غابات الأرز والبلوط بالأطلس المتوسط في بيومناخ شبه رطب ورطب، وفي الطابقين فوق المتوسطي والجبلي المتوسطي.


A. Benabid, *Flore et écosystmes du Maroc. Evaluation et préservation de la biodiversité*. Ibis Press, Paris et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.


عبد المالك بنعبيد

**القيقلان** أو سنط العنبر شجيرة من نوع السنط الذي يشمل زهاء 400 نوع، من فصيلة القرنيات. موطنه الأصلي: المناطق الحارة بأمريكا. تم إدخالها لأوربا وشمال أفريقيا وزرعت لجمالية زهورها وخاصة لاستغلالها في صناعة العطور وتأقلمت بالجنوب الغربي المغربي بتارودانت.

الجذع ملتو ذو أغصان شائكة ويبلغ ارتفاعها 2.4 إلى 6 أمتار.

الأوراق ذات خضرة مزرقة مركبة ثنائية الريش.

الأزهار إبطية عبارة عن باقات تتكون من زهور كروية الشكل لا يتعدى قطرها 1.5 سنم (تشمل مجموعة من الأسدية تنتهي بمآبر صفراء ذهبية وتتوسطها مدقة التي تتحول إلى سنفة بها بذور). وتفرز عطرا شذيا مستحسنا من طرف صانعي العطور. يزهر القيقلان منذ أواخر غشت إلى حدود شهر دجنبر.

يوجد نوع قريب الشبه من القيقلان : سنط روماني الذي يتميز بكونه أكثر تكيفا مع الظروف الطبيعية وأكثر ازهرارا غير أن عطره أقل شذا.

تتطلب شجيرة القيقلان تربة خصبة غير كلسية ولا تتحمل الصقيع أقل من 5 مئوية. تتوالد بواسطة البذور بين أبريل وماي وكذا خلال فصل الصيف ثم تشتل ويتم غرسها

نهاية فصل الشتاء الموالي. ومنذ سنتها الخامسة أو السادسة تأخذ في الازهرار.

وكانت بعض العائلات الفاسية تقوم بتقطير زهور القيقلان (كما كانت تقطر رؤوس الورد) للاحتفاظ به في قارورات صغيرة داخل صناديق وخزانات الملابس لتعطيرها وكان يطلق عليه مسك الصناديق. وقد اندثرت هذه العادة مع انتشار العطور الصناعية.

أما في الدول الصناعية فإن الزهور تحمل مباشرة بعد جنيها إلى مصانع تحضير العطور وتدخل ضمن تحضير مواد التزيين والمستحضرات الطبية.

فؤاد افرام البستاني، *الموسوعة في علوم الطبيعة*، المجلد 1، 1965، بيروت.

عائشة الخميري

# ك

**كابريلي، ليون** Léon Gabrielli أحد رجال الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالمغرب، اشتهر اسمه إبان حرب الريف وخاصة بدوره في عملية استسلام محمد بن عبد الكريم الخطابي سنة 1926.

ولد في مدينة البليدة بمقاطعة الجزائر يوم 9 غشت 1877. تابع الدراسة في مدينة قسنطينة، قبل أن يتطوع للعمل في الجندية سنة 1895 ، وهو في السنة الثامنة عشر من عمره. واشتغل ضابطا في مصلحة الاستعلامات بالبعثة العسكرية الفرنسية في المغرب، وترقى إلى رتبة ملازم بعد انخراطه في الجندية بسبعة عشر سنة (1912). وعين في السنة التالية بإدارة الحماية، قبل أن يقلد منصب مراقب مدني بالقنيطرة التي لم تكن آنذاك سوى قرية صغيرة قبل أن تنمو ويغير اسمها إلى بور - ليوطي. ولم ينقل إلى جبهة القتال في فرنسا إلا سنة 1917، وتحت إلحاحه حسب الصحيفة المذكورة. وقد قاد في هذه السنة سرية من الفيلق الأول التابع للقناصين المغاربة في مواجهة القوات الألمانية. أصيب ثلاث مرات إبان الحرب الكبرى، فكان موضع تقدير من قبل الدولة الفرنسية التي نوهت به أربع مرات، ورقته إلى مرتبة ضابط في وسام الشرف.

عاد إلى المغرب سنة 1919، فأحدث أجهزة المراقبة المدنية في كامب مارشان (الرماني حاليا) وزعير التي أسندت إليه إدارتها مباشرة. ثم نقل إلى جهة وجدة، حيث أحدث مراقبة مدنية في تاوريرت، وتكلف أيضا بإدارتها. وفي يوم 21 يونيو 1925 ، عينته الحكومة الفرنسية، باقتراح من المقيم العام ليوطي، "وسيطا شبه رسمي" في الريف، وندبته للقيام بمهمة خطيرة الشأن إلى هناك، وهي التمهيد للمفاوضات مع محمد بن عبد الكريم مع الضغط عليه لقبول الاستسلام سنة 1926. وقد وقع الاختيار عليه لمعرفته الكبيرة ببلاد الريف وللعلاقات التي نسجها تحت إشراف ليوطي مع حاشية محمد بن عبد الكريم، بل وحتى مع الزعيم نفسه. وتتفق كثير من المراجع الفرنسية على أنه "تدخل في هذه العملية بشجاعة ومهارة، مما جعل نهاية الحرب ناجحة ضد عبد الكريم". وكان له دور أساسي في استسلام قبيلتي كزناية وبني توزين. وفي ماي 1926 ، عاد إلى منطقة وجدة قبل أن يعين بمدينة سلا سنة 1934 ويحدث بها الحي الأروبي. أحيل على التقاعد في غشت 1935 ، وبدا أن حياته المهنية قد انتهت، لكن اندلاع الحرب الثانية دفعت الإدارة إلى استدعائه من جديد يوم 2 شتنبر 1939، فعينته مساعدا للمراقب المدني على فاس، قبل أن تنقله إلى جهة الرباط ثم ملحقة العيون في شرق المغرب. وفي الفاتح من غشت 1940 ، كلفه الديوان المدني بالإقامة العامة في الرباط بمهمة إيواء المعتقلين السياسيين والرعايا الأجانب. انتهت مهامه الرسمية في الفاتح من فبراير 1947، فتوارى عن الأنظار في بيته بمدينة الرباط، دون أن تنقطع صلته بكثير من أصدقائه القدامى الذين داوموا على الاتصال به، ومنهم روجر كواندرو Roger Coindreau صديقه الحميم الذي ظل ملازما له. وكانت هذه اللقاءات فرصا، يسترجع فيها كابريلي ذكرياته عن حرب الريف ويروي لصديقه عدة حكايا ظلت عالقة بذهنه. فاقترح عليه كواندرو بإلحاح، وفي عدة مناسبات، أن ينشر الوثائق التي ما زال يحتفظ بها عن تلك الحرب والتي لم تفقد أهميتها على الرغم من السنين التي مرت عليها. وقد اقتنع كابريلي في الأخير بفكرة صديقه، وانطلقت مرحلة جديدة في علاقتهما، وهي التعاون على نفض الغبار عن الأرشيف المحفوظ ببيت المراقب المدني السابق، مع ما صاحب ذلك من تصنيف للوثائق واسترجاع للذكريات ونقاش طويل في التفاصيل. ومع تقدم العمل وسيره نحو الاكتمال والانتهاء، ازداد تحمس كابريلي للمشروع، فكان يقرأ بعناية شديدة دقائق ما يكتبه صديقه، ويرفق القراءة بالتصحيح والشرح والتعليق بالاعتماد على ذكرياته التي تنعشها قراءة الحوادث التي انغمس فيها بالريف. إلا أن أعراض المرض أخذت تظهر عليه حوالي نهاية سنة 1949 ، فساءت حالته الصحية وتيقن معارفه من دنو أجله. ولم يمهله المرض طويلا، حيث كانت

وفاته يوم 22 فبراير 1950 ، دون أن يتمكن من معاينة ثمرة تعاونه مع كواندرو. وقد واصل هذا الأخير إنجاز ما تبقى، قبل أن ينشره سنة 1953 تحت عنوان "*عبد الكريم وأحداث الريف 1924 . 1926*".

Léon Gabrielli, *Abd-el-Krim et les événements du Rif 1924-1926,* Notes recueillies et présentées par Roger Coindreau, éd. Atlantides, Casablanca, 1953 ; Georges Oved, *La gauche française et le nationalisme marocain 1905-1955*, L'Harmattan, Paris, t. 1, 1984, p. 224, 431 et 434 ; *Livre d'or du Maroc : dictionnaire des personnalités passées et contemporaines du Maroc 1934-1935*, éd. A. Brochier, p. 71 ; *Maroc-Presse*, 24-2-1950 et 25-2-1950 ; *La Vigie Marocaine*, 25-2-1950 ; *Le Maroc Socialiste*, 4-3-1950.

نجيب تقي

**كاترو جورج** Georges Catroux 1969 . 1877، ولد في يناير 1877 بليموج من أسرة عسكرية، بعد انتهاء دراسته الثانوية دخل المدرسة العسكرية "سانسير" سنة 1896 وتخرج منها بعد سنتين حاصلا على الرتبة 55 من بين 522 طالبا. رقي إلى رتبة ملازم سنة 1900 في "كتيبة الأجانب". أصبح سنة 1906 مستشاراً لليوطي بالجزائر وهو في رتبة قبطان. وشارك في العمليات التي عرفت حسب ليوطي "ببقعة الزيت". ما بين 1919 و1920 عمل مع اللجنة العسكرية الفرنسية في جزيرة العرب، مما جعله يتصل عدة مرات بالكولونيل الشهير "لورانس". وعين ما بين 1923 و1925 ملحقا عسكريا في قسنطينة بالجزائر. وشارك بطلب من الماريشال "ليوطي" في حرب الريف ضد المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي. ومن سنة 1931 إلى 1934 أصبح قائداً لناحية مراكش فقاد العمليات التي اصطلح عليها باسم "باسفيكاسيون". ثم كان قائداً عاماً في الهند الصينية ثم في لبنان وسوريا. وفي الحرب العالمية الثانية عمل مع الجنرال دوگول في لندن وكان سنة 1942 صلة الوصل بينه وبين الجنرال "جيرو" بالجزائر. وفي سنة 1943 كان وزيراً للدولة وواليا للجزائر، وعين عضوا في اللجنة الوطنية للتحرير الوطني. وفي سنة 1944 كان أول سفير لفرنسا بموسكو. وكان يدعو دائما للمشاورة والحوار فيما يخص مشاكل إفريقيا، وتطبيقا لتوصيات مباحثات "إيكس ليبان" التي جرت بين الحكومة الفرنسية وممثلي التيارات الوطنية المغربية في غشت 1955 ، اختاره الرئيس الفرنسي" كي مولي" ورئيس الحكومة "إدگارفور" للتفاوض مع محمد بن يوسف في أنتسيرابي بمدغشقر وبفضل دبلوماسيته وحسن إقناعه، حصل على توقيع السلطان لوثيقة أنتسيرابي التي كان من بين ما نصت عليه عودة محمد بن يوسف إلى فرنسا والحفاظ على المصالح الفرنسية ومصالح الجالية الفرنسية المقيمة بالمغرب. فكانت فاتحة عهد التحرر من الاستعمار.

توفي الجنرال كاترو في 21 دجنبر 1969.

G. Catroux, *Dans la bataille de la Méditerranée ; J'ai vu tomber le rideau de fer* (1950) ; *Lyautey, Le Marocain* (1951) ; *Deux missions au Moyen-Orient,* 1919-1922 (1958) ; *Deux actes du drame indochinois* (1959).

حفيظة بلمقدم

**الكاديما** CADIMA (إلى الأمام) منظمة يهودية ظهرت بالمغرب في أواسط القرن العشرين، كان غرض إنشائها ترحيل اليهود المغاربة إلى "أرض الميعاد". وهي نموذج لعدد من التنظيمات التي ظهرت بالمغرب من قبل المتنفذين داخل اليهود المغاربة، وآخرها "مجلس الطوائف اليهودية" الذي عقد مؤتمرة الأول بالرباط في ماي 1984، و"التجمع العالمي لليهودية المغربية" الذي أسس في مونريال بكندا في 18 أكتوبر 1985 والذي التأم داخله اليهود المغاربة ويهود ينحدرون من أصل مغربي ويقيمون بعشر دول هي كندا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا وإسبانيا وسويسرا وجبل طارق وڤنزويلا وإسرائيل إضافة إلى المغرب.

لقد ظل المغرب منذ زمن غير يسير محط تتبع من قبل الرابطة الإسرائيلية العالمية التي تأسست عام 1860، ومدّت نفوذها إلى المغرب، فنجحت بعد مرور سنتين على إنشائها، وبتعاون مع نخبة من اليهود المغاربة، في تأسيس مدارس الرابطة اليهودية التي سهرت على تعليم أبناء اليهود المغاربة تعليما عصرياً.

وعملت هذه الرابطة على دعم مكانة اليهود في المغرب بالرغم من أن اليهود المغاربة ظلوا يتمتعون بكامل الحقوق التي هي للمسلمين المغاربة، علاوة عن الامتيازات التي كان ـ منحهم إياها سلاطين المغرب ومنها امتياز وسق بعض المواد كالشمع والصوف، وضرب السكة المغربية، بل إن وقوع الملاح إلى جانب القصر السلطاني ببعض عواصم المغرب التقليدية لينهضُ دليلاً على العطف الذي كانوا يحظون به من أعلى السلطات في المغرب، وإثر استسلام فرنسا بعد أقل من سنة على اندلاع الحرب العالمية الثانية حاولت حكومة ڤيشي أن تُملي على الإقامة العامة بالمغرب توجهات ألمانيا النازية التي أضحت السلطات في باريس تأتمر بأوامرها، وهكذا طلب من السلطان محمد بن يوسف العمل على طرد اليهود المغاربة، فكان أن أطلق قولته الشهيرة : "لا تتدخلوا بيني وبين أبنائي". كل هذا يجعل اليهود المغاربة في غنى عن أي دعم من الرابطة الإسرائيلية العالمية.

ومنذ 1956 إلى 1993 تولى يهود مغاربة مناصب رفيعة في المغرب منهم الدكتور "بنزاكين" الذي عيّن وزيراً للبريد والتلغراف في حكومة مبارك البكاي الثانية بين 28 أكتوبر 1956 و16 أبريل 1958، وكان جو أوحنا (Jo Ohanna) عضواً ببرلمان 1984 عن مدينة الصويرة. وفي حكومة محمد كريم العمراني بين 11 نونبر 1993 و25 ماي 1994 عين "سيرج بيردوگو" وزيراً للسياحة، وظل يشغل هذا المنصب حتى بعد إعفاء محمد كريم العمراني وتعيين عبد اللطيف الفيلالي خلفاً له وإنشاء حكومة جديدة في 7 يونيو 1994، فظل بيردوكو بهذا المنصب إلى غاية 31 ماي 1995، كما أن الملك الراحل الحسن الثاني اتخذ من يهودي مغربي هو "أندري أزولاي" مستشاراً له في القضايا الاقتصادية، وما يزال يشغل هذا المنصب إلى الآن.

لقد لعب اليهود المغاربة دوراً هاماً في المجتمع المغربي بفضل عدة عوامل منها الأمان الذي كانوا يشعرون به في مجتمع متسامح، واستفادتهم من التعليم العصري خلال فترة الحماية الفرنسية بالمغرب، ففي عام 1952 كان 67٪ من الأطفال اليهود يدرسون مقابل 10 فقط من أطفال المسلمين المغاربة. لكن بالرغم من هذا الوضع ظل عدد اليهود المغاربة يتراجع، فإلى غاية 1948 كان عددهم بالمغرب يصل إلى 225.000، ثم انخفض سنة 1966 إلى 55000 ؛ وهم الآن أقل من 4000 !، ويمكن اعتبار الإعلان عن قيام "إسرائيل" في 15 ماي 1948 وأحداث جرادة في نفس السنة بداية هذا النزيف الحاد الذي تواصل مع انتفاضة وادي زم في غشت 1955 والإعلان عن انتهاء العمل بمعاهدة الحماية في خريف 1955.

في 11 يونيو 1956 قررت السلطات المغربية التصدي بقوة لعملية ترحيل اليهود المغاربة، وهكذا حلّت منظمة "الكديما" المكلفة بترحيل اليهود المغاربة وطردت عشرين مبعوثاً إسرائيلياً، فدخلت الهجرة اليهودية من المغرب في اتجاه "أرض الميعاد" مرحلة السرية. وهكذا غرقت إحدى السفن وكانت تقل حوالي 43 مهاجراً سرياً بشواطئ الحسيمة في يناير 1961 فهلك من كان على متنها، وحاولت السلطات المغربية دفنهم في كشمان شديد خوفاً من أن تتحول المقبرة التي سيوارون بها إلى مزار لليهود. وكان هدف نقل رفاتهم إلى "إسرائيل" موضوع زيارة سرية قام بها مسؤول حكومي" إسرائيلي كبير إلى المغرب حيث التقى بوزير الداخلية المغربي الأسبق إدريس البصري.

أحمد المدغري، *الكتل المجتمعية بالمغرب*، تمارة، مطابع التكتل الوطني، ط 1، 1995 ؛ أبو بكر الصديق الشريف، *اليهود المغاربة، أسئلة التطبيع وجدلية أهل الذمة* ، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، ماي، 2004 ؛ جون واتربوري، *أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية* ، تر. عبد الغني أبو العزم وعبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، الرباط، مؤسسة الغني للنشر، ط 1، 2004.

محمد وحيد

**الـگـارة** ، معركة وقعت سنة 1646 بين العلويين والدلائيين. وورد في *البذور الضاوية* بأن هذه الواقعة كانت "بين سيدي محمد الحاج الدلائي وبين صاحب سجلماسة، مولاي محمد بن الشريف. فوقعت الهزيمة على مولاي محمد [...] تم أبرم الصلح بينهما، على أن ما حازه جبل بني عياش [الأطلس الكبير الشرقي) إلى الصحراء، فهو لمولاي محمد بن الشريف. ومادونه [...] فهو لأهل الدلاء".

صالح شكاگ

**الـگـارة** (مدينة -) تستمد تسميتها من موضع دفاعي يدعى گارة المداكرة الذي كانت تتجمع به قبائل المداكرة استعداداً لمواجهة أي خطر أجنبي.

وهذا الموضع الدفاعي من حيث طابعه قلعة طبيعية يشرف على الجزء الشمالي من سهل الشاوية السفلى ويشكل جزءا من الحافة التي تفصل بينه وبين هضبة الفوسفاط، ويوجد على الضفة اليمنى لواد بوعسيلة وعند التقائه بواد ذيل العودة.

ونظراً للأهمية الاستراتيجية لموقع الگارة الذي استغلته قبائل المداكرة في مواجهة الاحتلال الفرنسي، اتخذت منه القوات الفرنسية معسكرا أطلقت عليه اسم معسكر بوشرون Camp Boucheron تخليدا لاسم ضابط فرنسي قتل في معركة دارت في هذا الموضع سنة 1908 أثناء غزو منطقة الشاوية.

وجاءت إقامة هذا المعسكر لتثبيت الوجود الفرنسي بالمنطقة ولدعم استقرار المعمرين بها. وهذا ما ساهم في تشكل سريع لقرية أوروبية بهذا الموضع. واسترجع المركز الذي نشأ وتطور خلال عهد الاستعمار تسمية الگارة عند استرجاع المغرب لاستقلاله.

هكذا فمدينة الگارة التي نشأت كمركز عسكري وتطورت كقرية للاستعمار الفلاحي داخل نطاق زراعي خصب ارتقت عند نهاية عهد الاستعمار إلى مستوى تجمع حضري يقوم على التجارة والخدمات المرتبطين بالفلاحة، ثم انتصبت خلال النصف الثاني من القرن العشرين كمدينة صغيرة لها حضور أكيد داخل محيطها المباشر وذات بنية اقتصادية شديدة الارتباط بهذا المحيط.

لقد كان للتكامل بين الوظيفة العسكرية ووظيفة مركز للاستعمار الفلاحي دور أكيد في الدينامية الديموغرافية التي شهدتها الگارة خلال عهد الاستعمار. ويتجلى ذلك من خلال سرعة تطور عدد سكانها خلال هذه الفترة.

جدول 1 : تطور عدد سكان الگارة

| السنة | عدد السكان | معدل النمو السنوي |
|---|---|---|
| 1926 | 299 | |
| 1936 | 1288 | 15,7% |
| 1952 | 3113 | 9,2% |
| 1960 | 5368 | 5,6% |
| 1971 | 8362 | 4,5% |
| 1982 | 11448 | 3,2% |
| 1994 | 15822 | 3,3% |

يبرز هذا الجدول أن الگارة التي لم تكتسب حجما ومظهرا حضريين بارزين إلا خلال عهد الاستقلال لم تسجل مع ذلك معدلات نمو ديموغرافي من مستوى عهد الاستعمار. كما تبرز هذه الإحصائيات أن الگارة قد أصبحت خلال عهد الاستقلال تنمو على إيقاع باقي المدن المغربية وفي ذلك تأكيد لاندماجها ضمن المنظومة الحضرية الجهوية التي تحوم في فلك مدينة الدار البيضاء.

لقد واكب هذا النمو الديموغرافي توسع مجالي وعمراني جعل النسيج الحضري للگارة يخرج عن نطاق ما خلفه عهد الاستعمار في هذا الميدان. فقد تعددت الأحياء وازداد النسيج الحضري تفككا تبعا لتوسع رقعة المدينة. فإلى جانب النواة الأوروبية التي أصبحت تشكل مركز المدينة عند ملتقى طريقي الدار البيضاء وابن أحمد تشكلت أحياء أخرى وخاصة في اتجاه الشمال والجنوب نظرا لاصطدام توسع المدينة من الناحية الجنوبية بمجرى واد بوعسيلة ومن الناحية الشرقية بالحدود الفاصلة بين إقليم سطات الذي تنتمي إليه الگارة وإقليم بن سليمان المجاور له. وجاءت العديد من الأحياء الجديدة منفصلة عن المركز كما تباينت واتخذت أشكالا مختلفة مع حفاظ بعضها على الطابع القروي السائد بالمحيط المباشر للمدينة. ويرجع ذلك إلى استقطاب الگارة لفئات اجتماعية متباينة من سكان الأرياف المجاورة. فحسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1994 تغطي الهجرة القروية حوالي نصف الزيادة الديموغرافية للمدينة.

ونظراً لموقعها داخل نطاق فلاحي خصب يشتهر بأهمية وجودة إنتاجه من الحبوب (القمح على الخصوص) و القطاني فإن المدينة تعرف تراجعا ملحوظا لمكانة الفلاحة داخل سوق الشغل بها. ويرجع ذلك لتنامي حجمها السكاني ولتنوع أنشطتها، إذ تتوسع مكانة الحرف الإنتاجية والخدمات وخاصة منها الإدارية، هذا فضلا عن الأهمية التي تحظى بها التجارة بهذه المدينة التي تشكل بالفعل التجمع التجاري الوحيد داخل قبائل المذاكرة وسوقها الأسبوعي الرئيسي.

| الأنشطة | (%) | |
|---|---|---|
| | 1960 | 1994 |
| الفلاحة | 13,3 | 7 |
| الحرف الإنتاجية | 18,3 | 26 |
| النقل | 7,6 | 7 |
| التجارة | 33,3 | 26 |
| الوظائف العمومية | 25,7 | 33,2 |
| أنشطة غير محددة | 1,7 | 0,8 |

يتجلى من خلال هذا الجدول الطابع الوظيفي الذي اكتسبته مدينة الگارة داخل محيطها. فهي تنتصب أولاً كقطب إداري داخل قبائل المذاكرة وثانيا كقطب تجاري. ولا ترتبط المكانة التي تحتلها الگارة داخل محيطها بطبيعة هذا الوسط كنطاق فلاحي فحسب بل أيضا بدور الهيكلة الإدارية لإقليم سطات الذي تنتمي إليه. فمدينة الگارة التي تم فصلها كمعظم جهات الشاوية عن الدار البيضاء لتشكل إقليم سطات سنة 1967 ، تم أيضا فصلها عن دائرة ابن سليمان وربطها بدائرة برشيد عند إحداث إقليم بن سليمان سنة 1977 . وبذلك أصبحت تشكل التجمع الحضري الوحيد بهذا الجزء من إقليم سطات. ومع مرور الحدود بين الإقليمين بمحاذاة هذه المدينة من الناحية الشمالية أصبحت الگارة شبه منعزلة عن جزء مهم من الإقليم الإداري الذي تنتمي إليه، الشيء الذي جعلها تنتصب كقطب في ميدان الخدمات الإدارية. وبذلك فالگارة التي ترتكز بنيتها الاقتصادية وسوق الشغل بها على التجارة والخدمات أصبحت تدير ظهرها لجزء مهم من المجال الجهوي الذي ساهم في نشأتها وتطورها. وهنا تكمن بعض العوامل التي تحد من ديناميتها.

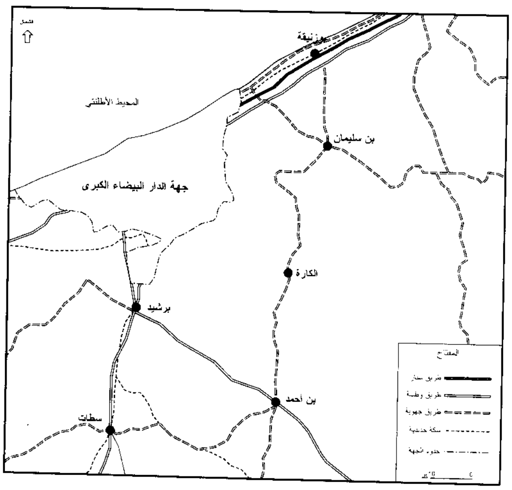


إن موقع مدينة الگارة بين برشيد عاصمة الدائرة التي تنتمي إليها والدار البيضاء كقطب جهوي مهيمن وبن سليمان كعاصمة لإقليم مجاور يحد من إمكانيات تطورها كمدينة يمكنها أن توسع من نطاق إشعاعها. وهذا ما جعل مكانتها كأكبر الأسواق الأسبوعية بالجزء الشمالي للشاوية السفلى تطغى على مكانتها كمدينة ذات حضور بارز داخل محيطها الجهوي.

S. Arraki, *Trois petites villes de la Chaouia intérieure : Settat, Ben Ahmed, El-Gara*, mémoire D.E.S. Faculté des Lettres et Sciences Humaines, Rabat, 1966, 85 p. ; M. Chouiki, *Settat et son rôle régional*, Doctorat de Troisième Cycle, Université de Tours, 1985, 471 p.

المصطفى شويكي

**گارگانو** (ايمانويل -) Emmanuel Gargano طبيب ايطالي (50 سنة) زاول مهنة الطب بالدار البيضاء. كانت عيادته تقع بزنقة أبيسيني في المدينة الجديدة بالدار البيضاء، وقد تأكدت منظمة الهلال الأسود للمقاومة من علاقته بإحدى منظمات الإرهاب الأوربي فترصد له المقاوم عبد الله الحداوي ورماه بعيارين ناريين أصابه في الرأس ففارق الحياة في الحال، وذلك في نهاية صباح الجمعة 7 يناير 1955 ، وقد سُئل عبد الله الحداوي بعد اعتقاله في يناير 1956 عن دواعي الإقدام على ارتكاب هذه العملية ضد طبيب يقوم "بمهمة إنسانية" فكان ردُّه : "أية مهمة إنسانية هذه التي كانت تتطلب منه أن يكون دائماً مسلحاً برشاش وأن يتحرك معه باستمرار حراس مسلَّحون ؟".

لاڤيجي ماروكين، ع 15591، 7 يناير، 1955 ؛ شهادة حسن نائب الحداوي شقيق المقاوم الشهيد عبد الله الحداوي.

محمد وحيد

**كاروف ليونار** (Karow Leonard)، بحار ألماني عمل في البحرية المغربية في عهد مولاي عبد العزيز من سنة 1899 إلى سنة 1908، ولد سنة 1872 واشتغل في سن مبكرة في البحرية التجارية وصار قائدا ثانيا في شركة ڤرمان Woermann الألمانية إحدى الشركات البحرية الكبرى في القرن التاسع عشر.

في سنة 1899 التقى في طنجة التي كانت بواخر شركة ڤرمان تتوقّف في مينائها منذ سنة 1891، ببحار ألماني ميبنير Miebner يشتغل في المغرب "رايس لبابور" سيدي التركي. وكان بصدد البحث عن بحارة ألمان للعمل داخل البحرية المغربية وقد أرسل ميبنير على ظهر الباخرة التي كان يعمل بها كاروف تقنيا إلى ميناء همبورغ للقيام بهذه المهمة. وأثناء السفر استطاع هذا الأخير أن يقنع كاروف بمزايا العمل في المغرب. فقدم كاروف استقالته من الشركة الألمانية ورجع إلى طنجة للعمل لحساب المخزن. وبعد مفاوضات بين القنصلية الألمانية في طنجة والنائب السلطاني محمّد الطريس المكلّف بالاتصال مع الهيئة الدبلوماسية في المغرب وبـ"البابورات" عهدت إليه قيادة سيدي التركي عوض ميبنير الذي أوكلت إليه قيادة الباخرة البشير.

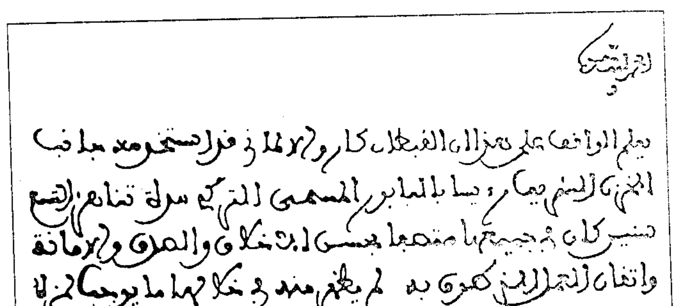

*Copie du certificat établi par Torres pour Karow*

وسيدي تركي باخرة صنعت في معامل Weser في مدينة Brême الألمانية لحساب شركة كروب Krup في Essen. طولها 48 متر وعرضها 8 أمتار وحمولتها 460 طن.

وكانت في الأصل باخرة نقل تجارية تكلّفت بنقل مدافع كروب للمغرب، وقام المخزن باشترائها من هذه الشركة سنة 1894، وأدخلت عليها تعديلات لتحويلها إلى باخرة حربية وهو ما يفسّر أن المدفعين من صنع كروب اللذين سلحت بهما لم يركبا بطريقة تسمح بتغيير اتجاههما حسب الهدف على غرار مدافع السفن الحربية العادية بل بكيفية ثابتة وهذا كان يضطرّ قائدها إلى تغيير اتجاه الباخرة كلها أثناء عمليات القذف. وكان يعمل على متنها عشرون بحاراً مغربياً وسبعة رماة مدفعيين وستة ألمان مكلفين بالجانب التقني. وهذه الباخرة من بين البواخر الثلاثة التي اقتناها المخزن في أواخر القرن التاسع عشر في إطار سياسة تحديث وتقوية أجهزة البلاد التي نهجها السلطان مولاي الحسن، والتي كان الجانب العسكري أحد محاورها الأساسية.

وهذه السفن هي حسب تاريخ اقتنائها : "الحسني" الذي كلف السلطان مولاي الحسن أحد أبناء بركاش بشرائها من شركة في ليفربول. ووصل "الحسني" إلى المغرب سنة 1882 وهي باخرة طولها 87 متر وعرضها 11 متر وحمولتها 1164 طن وقوتها 100 حصان، وقد استعملت لنقل الجنود والزاد والعتاد في حركة مولاي الحسن إلي الجنوب وفي مقاومة التهريب، وحراسة السواحل، والتصدي للتجار الأجانب الذين كانوا يصلون إلى طرفاية عن طريق البحر لإقامة مراكز تجارية باتفاق مباشر مع رؤساء القبائل وبدون إذن المخزن، بدعوى أن هذه المنطقة خارجة عن نفوذ السلطان.

"التركي الصغير" أو "التريكي" وهي مقنبلة صغيرة اشتراها المخزن من شركة ڤرمان سنة 1892 حمولتها 18 طن وقوة محركها 150 حصان ولا تتسع إلا لقائد وثمانية بحارة.

"بشير الإسلام بخوارق الإعلام" اختصر اسمها في "البشير" : اشتراها السلطان مولاي الحسن من ورش ليفورنة بإيطاليا وأدى ثمنها مسبقا سنة 1876 ولكنها لم تصل للمغرب إلا بعد وفاته سنة 1899 . وهي مقنبلة من الطبقة الثالثة وحمولتها 1100 طن مجهزة بأربعة مدافع. وقد دشن وصول "البابور" إلى طنجة في حفل كبير وصدر في شأنه ظهير عزيزي إلى الحاج محمد بن العربي الطريس يطلب فيه السلطان من بحارته أن يقرؤوا حزب البحر صباح مساء.

وأضيف لهذه البواخر "السعيدي" الذي عرف كذلك بـ"الجبل الكبير" حمولته 550 طن. وهي باخرة صنعت سنة 1887 واشترتها شركة Bland line في جبل طارق سنة 1901 ثم باعتها للمغرب سنة 1906.

وقد عاش كاروف على متن "البابور" "التركي" الديناميكية السريعة التي طبعت الأحداث في المغرب في هذه الفترة والمحاولات اليائسة التي كان المخزن يقوم بها لإعادة هيبة الدولة وتحديث دواليبها ومواجهة الأزمة لاقتصادية والأطماع الخارجية. فقد تنقل بين السواحل المغربية من شمالها إلى جنوبها. لحمل الحبوب والبهائم والعسكر وهدايا من المخزن لماء العنين من أكادير إلى طرفاية والمساجين من طنجة إلى الجديدة ومن الرباط إلى طنجة، والمعدات العسكرية كمدافع كروب والتجهيزات الثقنية كقطع السكة الحديدية والعربات وحاملات الأثقال من الصويرة إلى الرباط والعرائش، والقمح من العرائش إلى الجديدة والدار

البيضاء والرباط والصويرة وتطوان. وطارد السفن التي كانت تمارس التهريب في السواحل الريفية. وأهم العمليات التي قام بها كانت إبان ثورة الجيلالي الملقب ببوحمارة. حينما قويت حركته وكثر أتباعه واستقر في سلوان وأصبح يهدد فاس ويقطع الطريق البرية أمام عسكر المخزن المتجهة للشمال. فكان ينقل الزاد والعتاد والعسكر لتزويد قصبة السعيدية بقرب وجدة وفرخانة بقرب مليلية كما أشرف على عمليات عسكرية كقنبلة المواقع الساحلية لبوحمارة من عرض البحر. وتعرف على خبايا الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بحكم نقله على متن "التركي" شرائح مختلفة من المجتمع المغربي كالعسكر بقواده وجنوده ومساجين ضلعوا في الأحداث التي زعزعت المغرب كالريسوني وأحد أبناء بوحمارة، وقاتل القنصل الدانماركي في الصويرة. واكتشف كذلك المؤمرات الأجنبية لاتصاله بمختلف العناصر الأوربية كالإسبانيين لتوقف "سيدي التركي" بكيفية منتظمة في مدينة مليلية بإذن من حاكمها لكراء زوارق لإفراغ الباخرة لأن ميناء طنجة لم يكن يتوفر على هذه الزوارق، ولإرسائه كذلك في الجزر الجعفرية بسبب صعوبة تضاريس الساحل الريفي وكالإنجليز لتوقفه في جبل طارق لإصلاح الباخرة وكالمغامرين الذين تهافتوا على المغرب محاولين سبق الأحداث ووضع أرجلهم في الركاب المغربي كساي Say الذي شرع في فتح ميناء قرب ريستنكا وديلبريل الذي عمل في جيش بوحمارة. ولتعرفه على بعض المقاولين كالسيدة Gast التي كانت تقوم بعمليات تهريب الأسلحة لصالح بوحمارة طمعا في الحصول على امتيازات منجمية، في نفس الوقت الذي كانت تتهيأ فيه للاتجاه إلى فاس لمقابلة السلطان حاملة رسالة توصية من الحكومة الفرنسية. وتعرف على رجل الأعمال الألماني : مانسمان Mannessman وزوجته الذين قضيا مدة من شهر العسل على متن "التركي" اتصلا خلالها بشخصيات عسكرية ومدنية مغربية. وقد ترك كاروف معلومات ثمينة عن هذه الفترة التي قضاها في البحرية المغربية، والتي تعتبر من الفترات المصيرية في تاريخ المغرب. فقد كتب عدة مقالات في جرائد ألمانية ك Hambourg correspondant وVossische Zeitung منها مقال حول البحرية المغربية وحول أحداث الدار البيضاء والشاوية وحول الحالة في الجنوب المغربي. وألف كتابا نشرته دار الطبع W. Weischer سنة 1909 في برلين يروى فيه بتفصيل ذكرياته في البحرية المغربية.

وكثير من الطرائف التي حكاها كاروف بأسلوب بسيط وهزلي في بعض الأحيان ولكن خالٍ من الأحكام المسبقة، تحمل في طياتها أكثر من معنى، وتلقي الضوء أكثر من التحاليل التاريخية الكلاسيكية على مواقع الخلل والأسباب الذاتية التي إلى جانب الضغط الأجنبي، أفقدت كل العمليات التي قام بها المخزن الفعالية والمصداقية وجعلته يسقط كفاكهة ناضجة في 1912. من بين هذه "الطرائف" وصف عملية نقل آلات استوردها مولاي عبد العزيز من أوربا.

فقد كلف كاروف بشحن هذه الآلات التي وصلت إلى الصويرة وظلت ملقاة عدة شهور في الميناء، وحملها إلى العرائش لتوجه منها إلى فاس. وبعد عناء شحن الصندوقين اللذين كان أحدهما يحتوي على آلة للحصاد تزن 5000 كيلو والآخر يحتوي على آلة بخارية متنقلة "Locomobile" لتحريكها تزن 4000 كيلو، ووصلوهما إلى العرائش وبعد مشقة إنزالهما، ترك الصندوق الذي يحمل آلة الحصاد في الميناء لتعذر حمله على البهائم، في حين جرت الآلة البخارية على عجلات، ووجهت نحو فاس. ولكن الثيران التي جرتها كانت تسقط من الإعياء أثناء الطريق، فتؤكل وتباع لحومها.

وفي الأخير ترك المحرك على بعد عدة مترات فقط من العرائش، حيث بقي عرضة لنهب القبائل المجاورة التي لم تترك فيه إلا ما لم تستطع فكه وحمله من آلاته.

وكذلك وصفه لرحلة قام فيها بنقل دقيق من العرائش إلى المحلات في الريف ولما أصابه هو وركاب الباخرة من غثيان بسبب رائحة الدقيق الكريهة. وحينما أوصل الدقيق إلى القصبة لاحظ أن عدة مساكن كانت تفوح منها نفس الرائحة الكريهة ليكتشف أن الدقيق الذي استورد من فرنسا لمواجهة نقص الغذاء التي عمت في تلك الفترة، كان ينسى في مخازن الميناء المتآكلة وتحت المطر والشمس قبل أن يوجه للقصبات حيث يصل فاسدا. فيقوم الجنود بعجنه واستعماله في البناء.

ووصف كذلك القواد الذين كان المخزن يعينهم لقيادة الحركات ضد الريسوني وفي فتنة بوحمارة التي أنهكت ما بقي من قوة المغرب. فقد كانوا من أعضاء المخزن، ويختارون حسب مقاييس لا علاقة لها بالكفاءة العسكرية كقرابتهم للسلطان، أو ولائهم لوزير الحرب. فمثلا مولاي عرفة عم مولاي عبد العزيز الذي نقله كاروف هو وعسكره من طنجة إلى مليلية لينتقل منها إلى قصبة فرخانة، كان متقدما في السن ومريضا. ولم يستطع تحمل السفر بحراً فأمر كاروف بإرساء الباخرة في مرسى البرق على بعد عدة ميلات من طنجة ليذهب عن طريق البر إلى فرخانة. وحينما وصل إلى هناك وحاول الاتجاه نحو وجدة، لم يستطع الصمود أمام جيش بوحمارة فالتجأ إلى الجزائر، ومنها حملته سفينة فرنسية إلى طنجة ليعود إلى فاس. ومولاي عبد السلام المراني الذي كان كذلك من أقرباء السلطان صحب معه حريمه أثناء نقله هو وجنوده على متن البابور "التركي" من طنجة إلى مليلية. ولكنه لم يحاول إنقاذ قصبة فرخانة التي سقطت في يد بوحمارة. بل فضّل الإقامة في هذه المدينة إلى أن طالبته السلطات الإسبانية بالرحيل رضوخا لتهديدات بوحمارة. أما القائد ابن الطاهر الذي أسندت له قيادة مدفعية "التركي" أثناء عملية عسكرية بحرية ضد المواقع الساحلية لبوحمارة وضد سفن التهريب، . لأن كاروف بصفته

"كافراً" لم يكن من حقه قتل المسلمين - فلم تكن له أي خبرة بالمدافع. وكثيراً ما كان قذفه أخطر على طاقم السفينة والجنود الذين على متنها منه على بوحمارة أو سفن التهريب. ولعجزه عن إصابة مواقع الثوار وسفن التهريب الأجنبية السريعة، كان يأمر بقذف كل القرى التي كانت عند متناول قذائف الباخرة دون التمييز بين التي كانت تؤيد السلطان أو الفتان، ويحتجز الزوارق التي لسكان الريف. ويقضي ما بقي من الوقت مع حريمه الذي صحبه على ظهر السفينة أو في إعطاء فلقة للجنود أو في استعراضهم على متن الباخرة. ومع أن كاروف والطريس أرسلا إلى فاس عدة شكاوي به فإنه بقي يسير العملية عدة شهور لأنه كان ينعم برعاية وزير الحرب الجباص الذي خلف المنبهي سنة 1903. وزيادة على انعدام الكفاءة كان الفساد ساريا بين أغلبية القواد الذين تعاقبوا على ترأس العمليات الحربية ضد بوحمارة فقد وجدوا في هذه الحرب وسيلة إضافية للاغتناء عن طريق التلاعب بأجور الجنود والزاد والعتاد. مما يفسر طول مدة هذه الفتنة. إذ لم يحاول أي أحد ممن ترأسوا العمليات العسكرية ضد بوحمارة أن يجهز عليه، رغم ما أصابه من انهزامات في عدة معارك ورغم جرحه، وانفضاض أتباعه من حوله بعد اكتشاف القبائل انتحاله لاسم مولاي محمد أخ السلطان وشعوذته واستعانته بـ "الكفار" فالمنبهي وزير الحرب مثلا اكتفى بعمليات خاطفة ضد بوحمارة، ورجع لفاس لإعلان النصر وإقامة الأفراح في مختلف جهات المغرب، تاركا بوحمارة يستعيد قواه. والركينة وابن الطاهر كانا "ينفخان" من عدد الأسرى، ليوهما بمقدرتهما العسكرية. كما كانا يتقاضيان من الجنود وعائلاتهم مقابلا ليسمحا لهم بمغادرة المحلة وأحيانا يرسلانهم على ظهر الباخرة إلى طنجة كمساجين ومن هناك يقومون بالفرار. مما كان يسمح لهما زيادة على ما تقاضياه منهم مباشرة بالاحتفاظ بأجورهم. واتضح هذا التلاعب أثناء تفتيش قام به المخزن لعدد الجنود الذين كانوا في محلة الركينة إذ اكتشف أن عددهم لم يكن يتعدى 200 بينما كان يرسل أجور 6000. ومع معرفة المخزن لهذه التلاعبات وللثروات الهائلة التي جمعها كثير من قواد الجيش ووزير الحرب المنبهي فإنه أصبح عاجزاً عن تطبيق السياسة المخزنية التقليدية التي زاولها السلطان مولاي الحسن الذي كان يتغاضى عن اختلاسات وزرائه وعماله ليجردهم فيما بعد من الثروات التي جمعوها. وتكتمل صورة الجيش المخزني في هذه الفترة، حينما يصف كاروف الجنود الذين كان يحملهم على متن الباخرة لمواقع العمليات العسكرية. فقد كانوا خليطا من أطفال لا يتعدى سنهم الرابعة عشر وشيوخ يفوقون الستين، يرتدون ملابس ممزقة ووسخة لا تنتمي في أي شيء للزي العسكري الذي كان القائد ماكلين قد وضعه للعسكر في عهد مولاي الحسن، ولا ينبئ عن انتمائهم للجيش إلا طربوش أحمر أكل عليه الدهر وشرب، وينتظرون عدة شهور أجورهم الهزيلة التي ينفقون منها على غدائهم لتصلهم ناقصة بسبب ما يختلسه منها قوادهم. زيادة على كل أنواع الإهانات التي يتعرضون لها من فلقة وقيد واستغلال. أما سلاحهم، فكان في أغلبية الأحيان من الطراز القديم. وحتى البارود الذي كانوا يزودون به كان بارداً مبللا لبقائه في المخازن سنين. وهذه الوضعية تفسر ارتفاع حركة الفرار من الجيش المخزني نحو الجزائر ومليلية، والحيل التي أصبح المخزن يستعملها لجعل الجنود يصعدون على متن الباخرة في طنجة للتوجه إلى مكان العمليات ضد بوحمارة. فقد كان القواد يوهمونهم بأن أجورهم ستؤدي لهم في الديوانة وحينما يدخلون الميناء تغلق أبوابه ويرغمون بالقوة على الصعود للباخرة.

إن ذكريات كاروف في البحرية المغربية، تعطي صورة حية عن فشل سياسة تحديث الجيش المغربي التي ظهرت ضرورتها منذ معركة إسلي وحرب تطوان. وهي سياسة دشنها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بمحاولة تعويض النظام العسكري القبلي التقليدي بـ "عسكر النظام". وتأكدت في عهد مولاي الحسن من خلال إرساله طلبة مغاربة لتعلم فنون الحرب لإيطاليا وألمانيا وفرنسا وبلجيكا وإنجلترا وحتى الولايات المتحدة الأمريكية، وبإحضاره بعثات عسكرية أوربية لتدريب الجيش المغربي، وتأسيس صناعة محلية لإنتاج السلاح، وبناء القلع وترميم الموانئ، واستيراد أسلحة حديثة. ولا يوجد في ذكريات كاروف أثر للطلبة الذين درسوا في الخارج سنوات عدة لا بين قواد الجيش ولا في تأطيره بل نجدهم يعملون كمترجمين على متن البواخر وللمخزن وللبعثات العسكرية الأجنبية. أما المدربون الأجانب فقد أطلق لهم الحبل على الغارب فاشتغلوا بالتجسس داخل القصر وخارجه، وباستغلال هواية مولاي عبد العزيز لكل ما هو حديث لتنمية ثرواتهم من خلال استيراد ما يصلح من الاختراعات الأوربية. كما أننا لا نجد ذكراً لمصانع السلاح لأن سوء التسيير وانعدام الكفاءة التقنية جعلت منتوجها غاليا ودون فعالية. فدار السلاح بفاس أو "الماكينة" مثلا التي شرع مولاي الحسن في بناءها سنة 1887 توقفت عن الإنتاج وانحصر نشاطها في صنع أدوات الطهي لإعضاء المخزن. أو لضرب السكة النحاسية الصولدي قبل أن تغلق أبوابها نهائيا سنة 1903. والتجهيزات العسكرية الساحلية أصبحت دون مفعول أمام السفن الحربية الأوربية التي صارت تتوقف باستمرار أمام السواحل المغربية للضغط على قرارات المخزن. كما أصبحت الأسلحة المستوردة دون فعالية إما لفسادها أو لحصول القبائل على أسلحة أكثر تطوراً عن طريق حركة التهريب التي مارسها الأوربيون وحتى بعض أعضاء المخزن. أما البواخر التي اقتناها المغرب بأثمان باهضة لتأسيس بحرية تجارية وحربية فإنها صارت بسبب سوء التسيير والإهمال وارتفاع مصارفها من جراء الاختلاسات في ثمن الاصلاحات والفحم، عبئا على المخزن. وقد تخلص منها مولاي عبد العزيز ببيعها بأثمان زهيدة.

"فالحسني" الذي كان في أغلبية الأحيان راسيا في ميناء طنجة بسبب الأعطاب المتتابعة سنة 1900، بيع لصانع سفن إنجليزي. و"البشير" بيع للحكومة الكولمبية بعد ثلاث سنوات من اقتنائه لم يستعمل فيها إلا نادرا. وتمت الصفقة في مدينة باريس ليلا في مقهى بقرب الأوبرا في نفس الفترة التي كان فيها مولاي عبد العزيز يبيع مجوهراته. كما بيع "السعيدي" الذي تعرض لانفجار تسبب في نشوب حريق داخله سنة 1908 بثمن زهيد لنفس الشركة التي اشترى منها سنة 1906. وبيع التريكي والتركي كذلك سنة 1908.

وقد قام كاروف طوال عمله في البحرية المغربية كغيره من الأوربيين الذين عملوا داخل المغرب سواء في عهد مولاي الحسن، أو في عهد مولاي عبد العزيز كالقبطان إيركمان والدكتور ليناريس والقائد ماكلين ليس فقط بتزويد بلاده بالمعلومات عن الحالة في المغرب ولكن كذلك بالتجسس على الدول الأجنبية الأخرى.

واتضح دوره هذا خصوصا حينما فارق البحرية سنة 1908 على إثر بيع مولاي عبد العزيز آخر القطع البحرية إذ عمل لحساب مصلحة الاستخبارات الألمانية في المنطقة الشمالية التي ظل يحتفظ فيها بشعبية داخل الأوساط المغربية التي كانت تناديه بـ "الرايس" فاستقر أولا في مدينة طنجة حيث كانت ألمانيا تسعى لتوسيع نفوذها عن طريق مدرسة ألمانية كانت زوجته تدرس فيها ومكتبة ألمانية مغربية فتحها معهد برلين للغات الشرقية أوكلت له إدارتها سنة 1910. وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى رحل إلى العرائش واستقر فيها إلى حدود 1918 وعمل هناك كنائب لمدير البريد الألماني وكانت العرائش إلى جانب مليلية من بين المواقع المهمة لتجسس بلدان المحور على جيوش الحلفاء. فكان كاروف على اتصال دائم مع الأمير Ratibor والملحق الألماني في إسبانيا Kalle اللذين كانا يسيران خلية التجسس الرئيسية انطلاقا من مدريد. وكان يزودهما بمعلومات ثمينة يستقيها من الأوساط المغربية وخصوصا من المغاربة الحاملين للحماية الألمانية، إلى جانب المعلومات التي كان يحصل عليها من وظيفته في البريد. ومنذ 1918 اختفى كاروف من الساحة المغربية وكذلك من سجلات المخابرات الفرنسية التي تتبعت خطواته باستمرار طوال مدة مكوثه في العرائش، باعتباره من أخطر الجواسيس.

ث. برادة، *الجيش المغربي في القرن التاسع عشر مساهمة في دراسة "الإصلاحات العسكرية"*، أطروحة دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، الرباط، 1984؛ *الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر*، الرباط، 1997.

J.L. Miège, La marine marocaine au 19 siècle, in *Bulletin marocain; de documentation marine*. n° 2, mai 1956 ; Leonard Karow, *Neuf années au service du Maroc*, traduction et notes Monique Miège et J.L. Miège, éd. Laporte, 1998 ; *A.M.G.V., C8*, Cauchemez au Ministre de la Guerre, novembre 1894.

ثريا برادة

**گاروم** Garum، يتعلق الأمر بصناعة غذائية، أشادت النصوص وأفادت المعطيات الأثرية بالمغرب في معرفة بعض مقوماتها. إنها في الغالب الأعم صناعة تعتمد مادتين أوليتين هما الملح وأنواع مختلفة من السمك، تستخلص منها مشتقات غذائية متنوعة. تعرف هذه المواد المصنعة بالمملحات Salaisons، نسبة لاستعمال الملح في هذه الصناعة. أما مشتقاتها، فأكثرها شهرة تدعى گارون بالإغريقية وگاروم باللاتينية. وهذا جرد لأصناف مختلفة من مشتقات صناعة المملحات :

كردولا Cordula

يصنع من تون صغير يقل عمره عن السنة. وردت حوله إشارات في المصادر، وكتب على الأمفورات Dr 7-11. من بينها كتابة تذكر إنتاج مدينة طنجة ولكسوس.

هاليكس Halex

هو فضلة الگاروم. قال عنه بلنيوس الأكبر : "إن النوع الجيد منه كان لونه كالخمر المعسل. وهو سائل لذيذ لدرجة أن الناس كانوا يشربونه". وقد كتب على الأمفورات Dr 18.

ليكوامن Liquamen

بدأ تداول هذا الاسم في القرن الميلادي الأول، وهو مرادف لاسم الگاروم. كتب على الأمفورات Dr 7-11.

موريا Muria

سمك مصبر كامل أو مقطع إلى أجزاء. كتب على الأمفورات BHB.

ومن جهة أخرى وردت كتابات لاتينية على أمفورات تتضمن الصفات التي يتميز بها الگاروم وهي كالتالي :

G (arum.). SC (ombri). F. (los). EX (ellens). VET (us) ومعناه حرفيا : (الگاروم. الإسقمري. العصارة الأولى. الممتاز. العتيق)

MUR (iae). AR (gutae). EX (ellens). VET (us) ومعناه حرفيا : (موريا. الحاد في الذوق. الممتاز. العتيق)

أشار بلنيوس الأكبر إلى الإقبال على استهلاك الگاروم والتلذذ بمذاق ملوحته، وهو يثير الشهية، موضحا أنه لهذا الغرض يخلط مع الخمر المعسل. وأفاد الكاتب أن الگاروم يستعمل وحده أو مع مواد أخرى لشفاء بعض الأمراض. وهذا قوله : "إن الهلكس يشفي من الأمراض الجلدية التي تصيب المواشي بحقنه تحت الجلد. كما يشفي من عض الكلاب المسعورة... والگاروم يشفي من الاحتراق ومن عض الكلاب والتماسيح، ومن الإسهال وأمراض الأمعاء والالتهابات المتعفنة. وله دور كبير في معالجة آلام الفم والأذنين، كما يستعمل كسماد للأرض".

وردت أقدم الأخبار في المصادر حول الگاروم عند شعراء إغريقيين عاشوا في القرن الخامس قبل الميلاد. وهو إشيل وصفو كليس وأبوليس وأرسطوفان. وقد تداولت هذه النصوص إنتاج گاديس خاصة، مع مقارنة جودته بإنتاج المدن الإيونية كفريجية وبيزنطة. والمثير أن سترابون أحصى مراكز

صناعة الأسماك في إسبانيا ولاحظ أن إنتاجها لا يقل جودة عن إنتاج بلاد البونتوس وهو مسقط رأسه. وعلى العكس من ذلك أغفل ذكر هذه الصناعة في موريطانية، برغم أن هذه الصناعة كانت مزدهرة في عهده.

أما بلنيوس الأكبر فإنه أورد إشارة وحيدة تفيد أن موريطانية كانت تعرف صناعة السمك واستخلاص الگاروم الجيد من الإسقمري. غير أن المعطيات الأثرية هي السند الرئيسي في تأكيد صناعة الگاروم في المغرب القديم. وتتمثل هذه المواد الأثرية في صنانير من مختلف الأحجام، وقطع نقدية لمدينة لكسوس تحمل رسما لسمك التون ثم آثاراً لمصانع الگاروم في لكسوس والأقواس وتاهدارت وكوطة. ولقد ساهمت دراسة الأمفورات في إثارة مسألة بداية صناعة الگاروم في موريطانية، نظرا للعثور على أمفورات الأقواس التي كانت تنقل هذه المادة في وسط أثري بالمدن اليونانية، يقدر تاريخها بالنصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد.

وهذا تعريف بالأمفورات المورية التي استعملت في نقل الگاروم بأرجاء البلاد في تسويقه إلى الخارج.

النوع Kouass 2-3 :

دأب المنقبون على تسميتها بالأمفورات البونية. خضعت لثلاث تصنيفات، بدءا بالباحث مانيا الذي أدرجها في الأمفورات البونية وخصص لها الرتبة A 4. وأرخ للأمفورات المكتشفة في المغرب بالقرنين الرابع والثالث قبل الميلاد. ثم رتبها بونسيك ضمن الأمفورات التي صُنعت في أفران الأقواس، وصارت عنده تدعى Kouass 2-3 . لقد تم العثور عليها لأول مرة في مدفن قديم بسيدي سليمان. ثم في موقعي أمسة وسيدي عبد السلام دلبحر. كما وجدت في جزيرة مگدور بالطبقة الثالثة، التي اتخذ منها جودان فترة فراغ في الموقع. وفي بناسة وجدت في المستويات المورية. كما اكتشفت في غيغة ضمن الطبقة السفلى. وتم العثور عليها في لكسوس دون تحديد وسطها الأثري. ووجد بونسيك نموذجا كاملا منها في مدفن قديم بمكان قرب لكسوس يدعى بلاد غيات الخميس. كما عثر عليها نفس الباحث في مواقع قروية بمنطقة طنجة. وأشار إلى اكتشافها بوليلي في المعبد B . غير أنني لم أجد لها أثرا في المواد التي قمت بدراستها ضمن محفوظات الموقع. بينما تحققت من وجودها في تمودة ضمن المواد المحفوظة في متحف تطوان. وقد عثر الباحث عزيز الخياري على نموذج كامل منها في استبار قام به مؤخرا في الموقع. كما تم إحصاء عدد منها في سبتة ضمن المواد التي اكتشفت في أعماق البحر. وأخيرا تم اكتشافها في زليل، ضمن مواد المستوى الموري الأول، الذي يرجع تاريخه إلى ما قبل القرن الأخير قبل الميلاد.

وخارج المغرب أمكن التعرف عليها في غرب الجزائر بناحية وهران. وفي عدة مواقع بإسبانيا، خاصة في موقع Las Redes ، حيث تم اكتشاف آثار محلات لصناعة الگاروم، يرجع تاريخها الأقصى للقرن الخامس قبل الميلاد.

كما اكتشفت هذه الأمفورات في إبيزا وسردانيا وصقلية وإترورية بإيطاليا. ثم عُثر عليها في اليونان بأولمبة وكورنثا. واتضح من التحاليل المختبرية التي أجريت على الأمفورات المكتشفة في اليونان أنها صُنعت في أفران الأقواس. وتأكد أن وسطها الأثري في اليونان يرجع للنصف الأول من القرن الأخير قبل الميلاد. وهو أقدم مؤشر زمني يفيد أن هذا النوع بدأ في التداول منذ القرن الخامس قبل الميلاد. كما أن هذا الاكتشاف يؤكد أن صناعة الگاروم في موريطانية تعود على الأقل إلى التاريخ المذكور. لكن المنقبين في المغرب لم يعثروا بعد على آثار لمحلات صناعة الگاروم تتعدى القرن الأخير قبل الميلاد.

النوع Dr 18 :

هي الأمفورات الأكثر تداولا بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد. أدرج الباحث الألماني درسيل Dressel منذ 1899 النوع ضمن تصنيفه للأمفورات التي راجت في العالم الروماني. ففي اللوحة المخصصة لأنواعه منحها الرتبة 18، فصارت تدعى Dr 18 . كما صنفها سنتاس ضمن المواد الخزفية البونية وخصها بالرتبة التالية : Cintas 312, 3. ثم صنفها الباحث الإسباني مانيا ضمن الأمفورات البونية وأدمجها في المجموعة Maña C ، مع تمييزه بين النوعين Maña C1 وMaña C2 . والنوع الأخير هو المطابق للنوع Dr 18. ولما تأكد بونسيك من صناعتها في أفران الأقواس خصها في تصنيفه بالرتبة الرابعة Kouass 4 . غير أن الدارسين غالبا ما ينعتون هذا النوع بالتسمية المنسوبة لدرسيل أو مانيا.

ووجدها طراديل لأول مرة في مقبرة قديمة قرب مليلية، ثم كشف عليها في تمودة وسيدي عبد السلام دلبحر. كما اكتشفت بعد ذلك في بناسة. وأشار أوزينا إلى أنها صُنعت في أفران هذه المدينة. ثم تعرف عليها مريل في تموسيدة. وعثر عليها بونسيك في جرف الحمراء بناحية طنجة. ووجدها نفس الباحث في تحرياته بمنطقة لكسوس في مكان يسمى رأس الرمل.

وعند اكتشاف الباحث المذكور لأفران الأقواس، اتضح أنها كانت تنتج هذا النوع من الأمفورات، نظرا لتوفر الموقع على قطع ملغاة من شفاهها. ثم اكتشفت في زليل، ولاحظ المنقبون بالموقع من خصائص النماذج التي عثروا عليها، أنها ليست مصنوعة في أفران الأقواس. ولما اكتُشف فرن في الحي الجنوبي بوليلي وبه قطع ملغاة منها، تأكد إنتاجها في هذا الموقع. وقد تعرفت في محفوظات الموقع على قطع ملغاة تحمل أرقام التسجيل التالية : ; Vol. 10618 ; 12115. 15 14515 ; 12534. 3 ; 12187. ثم عثر بوب على قطع ملغاة من هذا النوع في سلا، مما يؤكد أنها صُنعت في المدينة. ومن جهة أخرى نعلم باستخراج هذا النوع من الأمفورات من عمق البحر قرب سبتة. غير أن هذه الأمفورات لا توجد في جزيرة مگدور كما أكد جودان ذلك بنفسه. وقد تيقنت من الأمر في

دراستي لمواد الموقع. لكن بونسيك زعم أنها توجد في الجزيرة، محيلا في ذلك على جودان، حيث تحدث عن النوع Dr 7-11.

راجت هذه الأمفورات في بلدان الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. فبالنسبة لشمال أفريقيا، وُجدت في ليبيا الحالية وفي مواقع تونسية أهمها قرطاجة وفي بعض المواقع الجزائرية. وتم اكتشافها في مالطا وصقلية وسردانية وجزر البليار. كما ثبت تداولها بالضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط في اليونان وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال. وبالنسبة لإنتاج هذه الأمفورات خارج المغرب، فإنه لم يثبت حسب علمي إلا في قرطاجة وإسبانيا.

أما الفترة التي راجت فيها هذه الأمفورات، فإن المؤشر الزمني حولها هو وجودها في مستوى الهدم بقرطاجة. وهذا يعني أنها راجت قبل تحطيم المدينة سنة 146 ق. م. مما يجعل تاريخها الأقصى يرجع إلى النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد. لكنها لا توجد في وسط أثري سابق عن القرن الثاني، في محلات صناعة المعادن بموقع بيرسة Byrsa في قرطاجة. كما تم اكتشافها في موقع بإيطاليا يدعى Albintimilium ضمن طبقات مختلفة، يتراوح تاريخ وسطها الأثري ما بين سنتي 170 و30 ق. م. وعلى العموم فإن الدارسين يحصرون زمنها في القرن الثاني قبل الميلاد أو في النصف الثاني منه أو ما بين القرنين الثاني والأول قبل الميلاد.

وفي المغرب قام مريل بأول دراسة حول ضبط الفترة الزمنية لتداول هذه الأمفورات. فأكد أنها توجد في المستوى الموري الثالث بتموسيدة، مع الخزف الكمباني والأمفورات Dr 1. وتاريخ هذا المستوى هو القرن الأخير قبل الميلاد حسب الباحث المذكور. وأفاد بونسيك أنها صُنعت في الفرن الخامس بالأقواس، موضحا أن إنتاجها شمل القرنين الثاني والأول قبل الميلاد. وقد وافقه رامون في ذلك. وأعادت الباحثة سلفي جيرار النظر في استبارات لوكي في بناسة، فاستخلصت أن هذه الأمفورات توجد ضمن مواد الوسط الأثري الثالث، وأرخت له بفترة تمتد من النصف الثاني من القرن الثاني إلى النصف الأول من القرن الأخير قبل الميلاد. وفي سلا تم التأريخ لوسطها الأثري بالنصف الأخير من القرن الأخير قبل الميلاد.

وخلاصة القول أن المواد المصاحبة لهذه الأمفورات في نفس الوسط الأثري بالمغرب، هي الخزف الدقيق والخزف الكمباني والأمفورات الإيطالية خاصة النوع Dr 1. وتاريخ هذا الوسط لا يتعدى القرن الأخير قبل الميلاد، حسب ما أسفرت عليه التنقيبات في تموسيدة وزليل واستبارات أنجزتها شخصيا في وليلي. بينما اتضح من التنقيب في قرطاجة أن الأمفورات Dr 18 كانت متداولة قبل تحطيمها. أما توقف هذه الأمفورات، فالغالب على الظن أنه تم في أواخر القرن الأول قبل الميلاد. وبالنسبة لبونسيك، فإن أفران الأقواس التي أنتجت هذه الأمفورات، قد توقفت عن الإنتاج قبل عهد يوبا الثاني. ودليله على ذلك هو غياب الخزف الأرتزي في الطبقات الأثرية بالموقع.

وبالنسبة لمحتوى هذه الأمفورات، هناك إجماع حول استعمالها لنقل مشتقات صناعة السمك، نظرا لأن بعضها يحمل كتابة لاتينية تفيد احتواءها لإحدى مشتقات صناعة السمك وهو الهالكس : HAL (ex) COC (tive) وHAL (ex) SOC (iorum) . كما استعملت لأغراض أخرى مثل نقل الزيتون، وفق ما هو معروف عن أمفورة عُثر عليها في حطام سفينة غرقت في مكان يدعى Cap Dramon. وقد رجح گارسيا أنها نقلت الزيت أيضا. والغالب أن هذه الفكرة هي التي جعلت بوب يقر بأن هذا النوع من الأمفورات التي صنعت في وليلي كانت تنقل الزيتون من المدينة. أما جودان فاعتقد أنها نقلت الخمر من نفس المدينة.

مسألة أخرى تحظى بالعناية في دراسة الأمفورات، ألا وهي الكتابة التي توضع عليها للدلالة على محتواها، أو تعرّف بأشخاص يتولون إنتاجها وتسويقها. واللافت للانتباه أن معظم الأمفورات الرائجة بموريطانية في الفترة المورية، سواء منها المحلية أو المستوردة، تفتقر إلى هذه الكتابة، كما لاحظ ذلك مريل بالنسبة لأمفورات تموسيدة. غير أن طراديل عثر في مقبرة بناحية مليلية على أمفورتين تحمل إحداهما حرفين لاتينيين هما : B.A والثانية عليها كتابة بونية. كما أن بوب عثر على بضع أمفورات من هذا النوع في سلا تحمل كتابة لاتينية هي : BISU وGUL وFIGUL.

النوع Dr 7-11 :

دأب الدارسون على تصنيف هذا النوع ضمن الأمفورات الإيبرية. غير أنني أدرجه ضمن الأمفورات المحلية، انطلاقا من إشكال سبق لي أن طرحته سنة 1994. وأذكر هنا باعتبارين أساسيين : الأول هو عثور بوب في سلا على قطع ملغاة من شفاهها. والثاني هو كون هذا النوع حل محل الأمفورات Dr 18 في نقل الگاروم بأرجاء العالم الروماني، منذ النصف الثاني من القرن الأخير قبل الميلاد. وقد تزامن تداول الأمفورات Dr 7-11 في موريطانية مع عهد يوبا الثاني، الذي يعتبره الدارسون عهد ازدهار في عدة ميادين، منها صناعة الأسماك، التي لم تتوقف في فترة الانتقال من النوع Dr 18 إلى النوع Dr 7-11 . وهناك دليل قاطع على كون هذه الأمفورات صنعت في موريطانية، لم أكن على علم به حين تقديم المداخلة التي تناولت فيها هذه المسألة سنة 1994. فقد كنت أجهل آنذاك اكتشاف أمفورات تحمل كتابة تفيد استعمالها في نقل الگاروم من طنجة ولكسوس. ولقد أوضح ليو أن هذه الأمفورات اكتشفت في Vindonissa بمدينة بومبية Pompéi التي غطاها بركان الفيزوف سنة 79 م.

فالأمفورات التي تحمل اسم طنجة كتب عليها ما يلي : CO (r) D (ula) TING وCORD (ula) TING VET (us) VET (us). ويتعلق الأمر بنوع من الگاروم، يستخلص من

تون صغير لا يتعدى عمره سنة يدعى Cordula. كما نعت هذا الإنتاج بصفة Vetus ومعناه العتيق أو "الحايل". وهذا يفيد أن الگاروم يصير أكثر جودة كلما مرت مدة أطول على وقت إنتاجه. وهناك كتابة أخرى ورد فيها ما يلي : CORD (ula) T (ingitana) ARG (uta) VET (us). إن صفة Arguta الواردة هنا تدل أيضا على الجودة العالية، ومعناها : الحاد في الذوق Piquant.

أما الأمفورات التي تحمل اسم لكسوس فكتب عليها ما يلي : CORD (ula) L (ixitana) ARG (uta) VET (us).

وهناك كتابة أخرى عُثر عليها في حطام سفينة غرقت بسواحل المرية بإسبانيا، ورد فيها ما يلي : CO (r) D (ula) PORT (ensis) LIX VET (us).

والغالب على الظن أن وجود أمفورات تحمل گاروم لكسوس بضواحي إسبانيا، يدخل ضمن مساهمة التجار الموريين في شركة الگاروم المعروفة في هذه البلاد. والجدير بالذكر أن مهمة البحث الأثري في المغرب، مازال ينتظرها الكشف عن أفران صناعة هذه الأمفورات وغيرها. وهي مسألة محسومة في إسبانيا وفرنسا. وهذا دليل على أن إنتاج الأمفورت Dr 7-11 لم يقتصر على إسبانيا.

توجد الأمفورات Dr 7-11 في جل المواقع الأثرية بالمغرب. وأقدم مؤشر عن زمن تداولها بموريطانية، هو وجودها في أعلى المستوى الموري الثاني بزليل، الذي تحطم حوالي سنة 30 ق. م. واستمر فراغ الموقع إلى غاية القرن الميلادي الثالث. ثم كشفت عنها التنقيبات الجارية حاليا في بناسة، ضمن وسط أثري يمتد زمنه من تاريخ إنشاء المستوطنة الرومانية في هذه المدينة بين سنة 33 و25 ق. م. وإلى بداية القرن الميلادي الأول. وهي الفترة التي استعملت فيها بجزيرة مگدور، كمواد تمثل مرحلة استئناف الحياة في الموقع في عهد الملك يوبا الثاني. وقيل إنها توجد في سلا صحبة الأمفورات Dr 18 وDr 1 مع الخزف الدقيق والخزف الكمباني ونقود المدن المورية، في مستوى أثري يرجع إلى النصف الثاني من القرن الأخير قبل الميلاد. ثم إن وجودها في موقع الأقواس ينسجم مع المعطيات السالفة الذكر، حول تاريخ ظهورها في النصف الثاني من القرن الأخير قبل الميلاد. علما أن إخلاء الموقع تم قبل رواج الخزف الأرتزي حوالي سنة 30 ق. م. بيد أن بونسيك أغفل التطرق لها. لكنني أحصيت عددا منها ضمن مواد الموقع. ولهذا أتساءل هل صنعت في أفران الأقواس قبل إخلائها. إن عثور طراديل عليها في مقبرة قرب مليلية مع الخزف الكمباني وأمفورات من النوع Dr 18 يفيد أن استعمالها قريب من نهاية رواج الخزف الكمباني والأمفورات Dr 18، أي في النصف الثاني من القرن الأخير قبل الميلاد.

أما وجودها في تمودة، فربما يرجع تاريخه لنفس الفترة مثل المواقع السابقة. علما أن المدينة تحطمت في البداية قبل توصلها بالخزف الأرتزي. لكن طراديل أشار إلى استئناف الحياة فيها، حتى تحطمت للمرة الثانية خلال ثورة أيدمون Aedemon. وهذا يقتضي توسيع المدى الزمني لرواج هذه الأمفورات في الموقع، قبل أن يحسم في ذلك باستبارات جديدة. أما في موقع سيدي عبد السلام دلبحر، الذي تحطم وأخلي قبل تداول الخزف الأرتزي، فليس فيه شيء منها، فهل أغفل طراديل الاحتفاظ بها ؟ وإذا صح هذا الظن، فإن عددها كان قليلا، مادامت لم تسترع انتباه المنقب المذكور. وقد تم العثور عليها أيضا في لكسوس، ضمن مواد امتلأ بها صهريج أسفل المعبد Temple H، أقدمها مواد فنيقية، وآخرها الخزف ذو البرنيق الأحمر الغالي الروماني. وهذا يعني أن استعمال الأمفورات Dr 7-11 بالموقع، هو سابق لظهور الخزف ذي البيرنيق البرتقالي حوالي سنة 80 ق. م. الذي لا يوجد ضمن المواد المذكورة. وفي الختام أرى أن إنتاج الأمفورات Dr 7-11 بموريطانية يمثل مرحلة هامة في علاقاتها التجارية مع العالم الروماني. فعثور بونسيك عليها في حطام سفينة غرقت قرب رأس سبارطيل في تاريخ غير مضبوط، يدل على أنها اتخذت طريقها نحو وجهة ما في البحر الأبيض المتوسط. مثل أمفورات من نفس النوع، سبق أن تعرفنا على نقلها لگاروم طنجة ولكسوس إلى أرجاء العالم الروماني.


محمد مجدوب، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م.* رسالة د. د. ع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1990، مرقونة ؛ الصناعة الغذائية في المغرب القديم، بحوث، *مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العدد 4، ص. 23، 34*، 1991 ؛ *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، *أطروحة* د. د، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1998، مرقونة.

P. Grimal, TH. Monod, Sur la véritable nature de garum, *R.E.A., 54, p. 27-38, 1952* ; A. Jodin, Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, dans *B.A.M., 2, p. 9-40, 1957* ; Mogador comptoir phénicien du Maroc atlantique, dans *E.T.A.M., 2, 1966* ; *Volubilis Regia Iubae, contribution à l'étude des civilisations du Maroc préclaudien*, Paris, 1987 ; F. Benoit, L'économie du littoral de la Narbonnaise : le commerce du sel et des pêcherirs, dans *R.E.L., 25, 1-2, p. 87-110, 159* ; A. Luquet, La céramique peinte de Banasa, dans *B.A.M., 4, p. 117-44, 1960* ; M. Ponsich, Alfarerias de epoca punico-mauretania en Kouass, (Arcila Marruecos), dans *Papeles del laboratorio de Arqueologica de Valencia, 4, 1968* ; M. Ponsich, M. Tarradell, *Garum et industries antiques de salaison dans la Méditerranée occidentale*, Paris, 1965 ; C. Jardin, Garum et sauce de poissons dans l'antiquité, *R.E.L., 27, 70-96, 1961* ; R. Etienne, A propos du garum sociorum, *Latomus, 29, 2, p. 297-313, 1970* ; C.K. William II, Corinth 1975 forum south west, dans *Hesperia, 45, 2, p. 99-126, 1976* ; A. Akerraz, N. El Khatib-Boujibar, A. [et al.], Fouilles de Dchar Jdid 1977-80, dans *B.A.M., 14, p. 169-225, 1981-2* ; S. Girard, Banasa préromaine, un état de la question, dans *Antiquités Africaines, 20, p. 11-93, 1984* ; J. Boube, Les amphores de Sala à l'époque préromaine, dans *B.A.M., 17, p. 183-207, 1987-8* ; B. Liou, Inscriptions peintes sur amphores : Fos (suite), dans *Archaeo-Nautica, 7, p. 55-139, 1987* ; Inscriptions peintes sur amphores de Narbonnaise (Port-la-Nautique), dans *Archaeo-Nautica, 11, p. 131-48* ; J.Y. Empereru et A. Hesnad, Les amphores hellénistiques du bassin occidental de la Méditerranée, dans *Céramique Hellénistique et Romaine, 2, p. 9-71, 1987* ; P. Rouillard, *Le commerce grec du 5ème et du 4ème siècle av. J.-C. dand la région de Lixus et de Gades*, dans Collection de l'Ecole Française de Rome, 166, p. 207-15, 1992 ; M.

Majdoub, Les luttes du début du 1er s. av. J.-C. au Nord de la Maurétanie, dans Collection de l'Ecole Française de Rome, 166,, p. 235-8, 1992 ; La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain jusqu'au 1er s. av. J.-C., dans *Africa Romana, 11, p. 287-302, 1996* ; Pompeus Magnus les rois maures, dans *Africa Romana, 12, 1231-8, 1998.*

محمد مجدوب

**كاريكون طيخوس** (Karikon Teichos) تعد الرحلة الحانونية أقدم مصدر أورد معلومات حول هذا الموقع. فهو حسب الرحلة أول مستعمرة (مستوطنة) عمرها الرحالة القرطاجي حانون (Hannon) القرن 7 ق. م) بعناصر "ليبية - فنيقية". وتقع هذه المستعمرة وفق تقرير الرحلة وراء أعمدة هرقل، ورأس سلوييس (Cap Soloeis). وتبعد عن هذا الأخير بيوم إبحار ونصف.

وعلى عكس معظم المستوطنات الحانونية التي اعتبرت مدنا أشباحا - بما أن أسماءها لم ترد بأي مصدر لاحق - فكاريكون طيخوس ورد ذكرها مجدداً عند المؤلف إيتيان البيزنطي الذي استقى معلوماته عن إفور (Ephore) (الرابع قبل الميلاد) من كتابه الخامس. واعتبر إيتيان البيزنطي كاريكون طيخوس مدينة ليبية (محلية) توجد يسار الأعمدة.

ويفضي تحليل المعلومات الواردة ضمن المصدرين السالفي الذكر المتعلقة بموقع كاريكون طيخوس وساكنته إلى الإدلاء بالملاحظات التالية :

- فإذا كان الرحالة القرطاجي حانون قد حدد الموقع على بعد يوم ونصف من رأس سلوييس، فهذا التحديد ليس دقيقا. فقد يعتقد القارئ بأنه من السهل القيام بعمليات حسابية وذلك بتحويل أيام الإبحار إلى كلمترات لمعرفة مدى بعد الموقع عن الرأس السالف الذكر وحتى إذا فعلنا ذلك وأخذنا بعين الاعتبار كل حيثيات الإبحار قديما وتوصلنا برقم معين، وأدركنا كم يعادل يوم إبحار عند حانون، فالمشكلة التي ستواجهنا هي تعريف رأس سلوييس. فهذا الرأس هو بدوره مثار خلاف بين الباحثين المعاصرين إذ يعرف عند مجموعة على أنه رأس سبارطيل (Cap Spartel) ويوافق عند الأغلبية رأس كانتان (Cap Cantin) (أو رأس بدوزة حسب التسمية المحلية). وليس هنا مجال لتغليب رأي الأغلبية على الأقلية. لأن كل مجموعة تدلي بحججها وبراهينها وهي عند الطرفين مقنعة.

وكما رأينا فإيتيان البيزنطي لا يحل الإشكال بل يعمقه مادام بدوره لم يضبط المسافة الفاصلة بين رأس سلوييس والموقع ضبطا تاما بل اكتفى بقول أن كاريكون طيخوس تقع وراء الأعمدة وهي ليبية. وقوله هذا ايدفعنا إلى طرح التساؤل التالي : هل يتعلق الأمر بمدينة واحدة أو بمدينتين مختلفتين حملتا نفس التسمية ؟

- نوعية ساكنتها تشجع على اعتماد الإجابة التي يتضمنها الشطر الثاني من التساؤل فكاريكون طيخوس من خلال حانون مستعمرة قرطاجية بل هي أولى هذه المستعمرات التي تم تعميرها بعناصر "ليبية - فنيقية" أي بعناصر دخيلة. أما إيتيان البيزنطي فاعتبرها مدينة ليبية. وقوله هذا يدرجها ضمن المدن الأصلية المعمرة بالسكان المحليين، أي بالعناصر الليبية (الأمازيغ).

وإذا كان التمييز بين المدن الأجنبية والمحلية أي الأصلية والمستحدثة واضحاً من خلال رحلة الإغريقي سيلاكس المزعوم (Le pseudo Scylax) (القرن الرابع قبل الميلاد) فهل احتفظت عملية تصنيف المدن بنفس وضوحها وسهولتها من خلال مصادر ما بعد القرن الرابع قبل الميلاد ؟

فالرجوع إلى المصادر المجمّعة ضمن كتاب رايموند روجي (R. Roget) يبين بأن الأمر ليس سهلا فإذا توقفنا على سبيل المثال عند بعض كتابات الموسوعي اللاتيني بلين القديم (Pline l'Ancien) (القرن الأول الميلادي) فهو يؤكد عملية إنشاء العديد من المدن بموريطانيا (المغرب القديم) من طرف حانون ولكنه لم يذكر أي إسم.

وإذا أخذنا كاريكون طيخوس كمصطلح وبحثنا في دلالاتها اللغوية وتقصينا معانيها فهي تترجم عادة "بحائط كاريان" أو "الحائط الكاري" نسبة إلى أحد شعوب بلاد الإغريق في أسيا الصغرى.

ولا شيء يؤكد بشكل قاطع وصول الإغريق المباشر إلى أرض المغرب القديم. فالفخار الإغريقي المكتشف ببعض المواقع وعلى رأسها موقع موكادور (الصويرة) يشرح وجوده بما قام به البحارة الفينيقيون من وساطة بين ضفاف المتوسط كما وضح ذلك الرحالة الإغريقي السالف الذكر سيلاكس المزعوم.

فهل بنيت كاريكون طيخوس على أنقاض مركز سابق محلي ؟

على كل فكاريكون طيخوس الحانونية وافقت عند العديد من الباحثين مدينة الصويرة. قال توڤنو (Thouvenot) في هذا الصدد : "... الفيور (Vior) سيوافق واد القصوب بموگادور والأطلال القريبة هي لكاريكون طيخوس المستعمرة التي أنشأها حانون ...".

واعتقد جورج مارسي (G. Marcy) بأن الترجمة الإغريقية للمصطلح الليبي گاديركوراكون (Gadirkorakon) تعني قلعة أو معقلا (La grande forteresse). وينطبق هذا المعنى حسب نفس المؤلف على موقع موگادور الذي لم يحمل من يومها إسما آخر غير هذا الاسم "قلعة".

ويفيد أو يدل المصطلح أيضاً على معنى "تحصينات متينة" أو "تسوير ضخم" إذ أن (Gadir) كمصطلح أمازيغي يعني حسب باحثين "جدار" و(Korakon) معناه كبير، أي "الجدار الكبير". بل إن برار (Berard) يضيف لسلسلة المعاني معنى آخر فيعطي لمصطلح "سور" معنى "صخرة".

ومن هذا المصطلح السامي الأصل انبثقت مصطلحات أخرى من ذلك اسم "Syros" ومنه اسم سوريا، و(Tyros) وهو اسم

المدينة القديمة (Tyr) وبالعربية صور وهي المدينة الفنيقية المشهورة بلبنان.

ويدل مصطلح صخرة حسب جودان (Jodin) أيضا على التحصينات والتسوير (Roches ou murailles).

فرضيات مجموع الكتاب الذين تقدم ذكرهم مغربية كما شرحنا ذلك بالمقال الذي عنوناه "الصويرة في عصورها القديمة من خلال الكتابات التاريخية". فالمدينة لم تحمل طيلة عصورها التاريخية مصطلحا آخر غير مصطلح سور. كيف ذلك ؟

فهو في اللهجة الأمازيغية في صيغة مفخمة : أمگدول أو السور الكبير. وظهر من خلال معظم المصادر الإسلامية للدلالة على موگادور. وفي صيغته العربية ورد بصيغة التصغير "الصويرة" أو السور الصغير ولا داعي لذكر أن تحويل "السين" "للصاد" هو من الأمور المعهودة. لقد كان محمد بن سعيد الصديقي على بينة بهذا الأمر حين تأليفه لكتابه *"إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة"*. قال : "ويسمي هذا الثغر بالصويرة. وهذه اللفظة يكتبها عامة الناس وخاصتهم بالصاد والعلماء والموثقون القدماء من أهلها وغيرهم من العلماء وأرباب الأقلام الأفاقيين الأقدمين كانوا يكتبونها بالسين والأمر في ذلك واسع. وهذه التسمية قديمة، وهو الصحيح أو نقلت لها من قصبة ببلاد حاحا تسمى الصويرة القديمة ... ومن اسم الصويرة التي على واد تانسيفت وساحل أغمات بجنوب مدينة أسفي وتبعد منها بثمانية وثلاثين كلم وهي قديمة أيضا من تأسيس البرتغال ..."

وفي اعتقاد تُوڤنو الصويرة ليست هي الوحيدة التي دل اسمها على معنى تحصين متين بل إن أگادير وقادس حملتا بدورهما هذا المعنى، ولكن روجي لا يشاطره الرأي بالنسبة لدلالة اسم أگادير فهو يرى أنه لاصلة بين الاسم القديم واسم ميناء أگادير الحالي. فأگادير عند روجي مصطلح أمازيغي يعني منزلا محصنا" ويصلح "كمخزن". وينطبق هذا المعنى على مجموعة من الأماكن بالمغرب..."

ومهما تعددت أسماء المواقع التي حملت اسم الصويرة ومهما اختلفت دلالات المصطلح فعمق تاريخ المنطقة لاغبار عليه تؤكده الأدبيات والآثار معاً.

البضاوية بلكامل، *الصويرة في عصورها القديمة من خلال الكتابات التاريخية*، الصويرة، 1990 ؛ م. بن سعيد الصديقي، *إيقاظ السريرة في معرفة الصويرة*، الدار البيضاء، ج 1، ص. 7 و19.

A. Jodin, *Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique*, Etude et Travaux d'Archéologie Marocaine (E.T.A.M.), II, 1962, p. 4 ; G. Marcy, Notes linguistiques autour du périple d'Hannon, *Hespéris XX, 1935, p. 41 - 45* ; Id., Le périple d'Hanon dans le Maroc Antique de Carcopino", *Journal Astiatique XXXIV, 1943-45, p. 30* ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, éd. Les Belles Lettres, Paris, 1924 ; Id., Index de topographie antique du Maroc, *P.S.A.M.*, IV, 1938, p. 67-68 ; R. Thouvenot, La connaissance de la montagne marocaine chez Pline l'Ancien, *Hespéris* XXVI, 1939, p.118 ; Id., Recherches archéologiques à Mogador, *Hespéris* XLI, 1954, p. 463.

البضاوية بلكامل

**كاريير سنترال**، حي من تلك الأحياء الصفيحية التي ظهرت بالمغرب خلال ثلاثينيات القرن العشرين خاصة في الدار البيضاء والقنيطرة والرباط. ولم تعمل طبيعة النظام الرأسمالي وتكرار الجفاف في الثلاثينيات والأربعينيات واقتلاع الفلاحين من جذورهم بمصادرة أراضيهم إلا على الرفع من ساكنة هذه الأحياء. ففي عام 1932 كانت هذه الساكنة تصل في الدار البيضاء وحدها إلى 85 ألف نسمة ثم إلى 165 ألف سنة 1952.

وعبارة كاريرسنترال مشتقة من المحطة الحرارية "سنترال تيرميك" (Centrale Thermique) بالروش نوار التابعة للمكتب الوطني للكهرباء (O.N.E) التي كان هذا الحي يقع بالقرب منها، قبل أن يتم ترحيله إلى القرب من معمل الزيوت المغربية، ثم إلى القرب من معمل فوسفاط ألزاس ولوسيور إفريقيا وأخيراً إلى الحي الصناعي شرق الدار البيضاء على أراضي في ملك بلدية الدار البيضاء وذلك عام 1939.

كانت سلطات الحماية قد حرصت على إقامة هذه الأحياء في الهامش في إطار سياسة التعمير التي وضع أسسها المقيم العام "ليوطي"، والتي كان من مبادئها عزل المدينة القديمة عن المدينة الأوربية وإنشاء تمدين عصري للأوربيين الذين كانت أفواج جديدة منهم قد تدفقت على المغرب خلال وبعد الحرب العالمية الثانية وبينما بادرت السلطات سنة 1942 إلى إنشاء "المكتب الشريف للسكنى الأوربية" (O.C.H.E) لضمان سكن مُريح لفائدة الأوربيين فإنها تركت "الأهالي" يواجهون مشاكل الإيواء في براريك شبيهة بأقفاص الأرانب. فهذه المدن الصفيحية تفتقر إلى الماء الشروب والكهرباء والصرف الصحي، ومن كل ثلاثة أفراد من سكان الكاريرسنترال، يوجد أثنان في حالة بطالة، مع قلة المبادرات الكفيلة بخلق مناصب شغل لاستيعاب السكان النازعين من الأرياف إما بسبب الاستيلاء على أراضيهم أو لعجزهم عن منافسة المزارعين الأوربيين أو بسبب ممارسة فلاحة بورية خاضعة للتقلبات المناخية. وقد بلغ عدد السكان المغاربة القاطنين بمدن الصفيح بالمغرب سنة 1950 : 300.000 منهم بالدار البيضاء وحدها 70.000. ويرتبط اسم الكاريرسنترال بالأحداث الدامية التي جرت أيام 7و8 و9 دجنبر 1952 إثر دعوة القوى الوطنية إلى شن إضراب عام يوم الاثنين 8 دجنبر تضامناً مع تونس التي فجعت بفقدان زعيمها النقابي فرحات حشاد الذي اغتالته إحدى منظمات الإرهاب الأوربي يوم الجمعة 5 دجنبر 1952.

وبمجرد وصول الخبر إلى المغرب يوم 6 دجنبر تجندت منابر إعلامية لإطلاق هذه الدعوة. وهذا ما جاء في صحيفة *العلم* لسان حزب الاستقلال، وفي منشور لاتحاد النقابات، وفي كتابات على الجدران. واستجابة للنداء جرى نهاية صباح الأحد 7 دجنبر اجتماع بدار النقابات بزنقة "لاصال" (زنقة فرحات حشاد حالياً). وبالرغم من أن الوصول إلى المدينة

الأوربية ـ حيث مقر الاجتماع ـ يتطلب المرور عبر أحياء سكن الأوربيين إلا أنه لم يسجل أي اعتداء ضدهم أو ضد ممتلكاتهم.

وقد جنَّدت السلطات وسائلها لإجهاض هذا الإضراب فأمرت البرَّاحة بتحذير الناس من عواقب الانخراط في الإضراب المقرر، وهذا ما حصل عشية الأحد. لكن السكان ـ اندفعوا ـ ضد البراحة والمخازنية الذين كانوا يجوبون مختلف أزقة كاريبرسنترال، وقاموا باعتقال عدد منهم وأودعوهم في مخفر للشرطة، فسار المتظاهرون في أثر المخازنية ثم تجمعوا أماما مخفر الشرطة، فكان ذلك بداية إراقة الدماء باستعمال القوات الفرنسية البنادق والرشاشات، وبعد نصف ساعة وصلت قوات الگوم. وكانت حصيلة هذا التدخل العنيف إلى غاية منتصف ليلة الأحد أزيد من مائة قتيل في صفوف السكان مقابل قتيل واحد في صفوف قوات حفظ النظام (مخزني)، ولم يسقط أي قتيل من الأوربيين. بينما تحدثت صحيفة *"لومانيتي ديمانش"* (L'Humanité - Dimanche) الصادرة في باريس في عدد 14 دجنبر 1952 عن سقوط 133 قتيلاً في صفوف السكان وقتيلين من قوات حفظ النظام.

وعلى مستوى آخر تم اعتقال 300 شخص من العمال المجتمعين بدار النقابات بزنقة لاصال وتمت فيما بعد محاكمة 167 منهم بتهمة حيازة أسلحة، ولم تكن هذه الأسلحة سوى مائة مطواة وخناجر ولباسات أحذية (قَرْنيات Chausse-pieds) ومنفاخ إطار دراجة!

ولم تكتف القوات الفرنسية بما قامت به مساء الأحد 7 دجنبر، بل أقدمت في الغد على إطلاق الرصاص على المُشَيِّعين للضحايا، وعلى جمهور من المتظاهرين الذين كانوا حسب رواية *لاڤيجي ماروكين* ليوم 9 دجنبر يتأهبون للالتحاق بالمدينة الأوربية، فتفرق المتظاهرون في الأزقة المجاورة لطريق مديونة، وهناك سقط ثلاثة أوربيين قتلى بفعل ضربات الحجارة التي استعملها أفراد من المتظاهرين لما كان أحد الأوربيين الثلاثة قد حاول استعمال سلاحه الناري.

وقد أسفرت حوادث الكاريبرسنترال عن سقوط أزيد من ألف قتيل من السكان، وأثارت جدلاً حاداً بين اليسار الفرنسي الذي اتهم المسؤولين في جهاز الحماية بتدبيرها للقضاء على الأحزاب الوطنية، وبين سلطات الحماية التي ادَّعت أن ما قام به البوليس ومختلف القوات التي تدخلت، يدخل في إطار الدفاع عن السلم والأمن بالمغرب، وإنقاذ الدار البيضاء من "مذبحة فظيعة"، وأرجعت مسؤولية ما حصل للأحزاب الوطنية التي أرادت استدرار عطف هيئة الأمم المتحدة لأن الأحداث اندلعت ليلة التصويت في الدورة السابعة للجمعية العامة على قرار يهم القضية المغربية، وحدَّدت عدد الضحايا في 38 شخصاً من الجانب المغربي و5 من الجانب الأوربي. أما حزب الاستقلال فتحدث عن سقوط 280 قتيلاً، وحسب "روبير مونطاني" فإن مراجعة اللائحة أظهرت أن الكثير من الأسماء لم تكن موجودة، وحسب جان وسيمون لاكوتير فإن عدد القتلى تراوح بين 300 و400، في حين تحدثت *"لوموند"* عن 52 قتيلاً و86 جريحاً.

وما كانت حوادث الكاريبرسنترال إلا لتزيد من تعميق الهوة بين المغاربة وبين الأوربيين خاصة الغلاة من المعمرين وممالئيهم من المغاربة، كما أثارت غضب المتعاطفين مع القضية المغربية من أحرار الأوربيين، وفي مقدمتهم أساتذة ليسي ليوطي بالدار البيضاء الذين بعثوا برسالة استنكار لما أقدمت عليه السلطات التي لم تتورع عن نفي وطنيين مغاربة وفصل آخرين عن وظائفهم مثل محمد الفاسي الذي كان يشغل منصب رئيس جامعة القرويين بفاس منذ عام 1942، بل أقدمت على نفي أوربيين أبدوا تفهمهم للقضية المغربية مثل "بيير باران" (Pierre Parent) وهو من قدماء المستوطنين بالمغرب إذ حل به عام 1916.

وعند انطلاق العمل المسلح المنظم بالدار البيضاء وخارجها بين 1953 و1956 قام مقاومو الكاريبرسنترال بمجموعة من العمليات منها مثلاً واحدة نفذها أعضاء من "المنظمة السرية" يوم 4 نونبر 1954، إذ تم بالمركز الصحي تفجير قنبلة قرب سرير الفرنسي "جوليان ديمولان" الذي كان يخيف بكلبه السكان الذين يقصدون المستوصف للتداوي، وقد أسفرت العملية عن إلحاق أضرار مادية بالمستوصف، وقد نفذَّها العياشي بن عبد القادر وصالح سيماوي وناصر هشابي، والحسيني محتاج الذي هيَّأ القنبلة.

André Adam, *Casablanca, essai de transformation de la société marocaine au contact de l'Occident,* Paris, Ed. du CNRS, 1969, 2 vol., 895 p. ; Robert Barrat, *Justice pour le Maroc*, Paris, Ed. du Seuil, 1953, 248 p. ; François Broche, *L'assassinat de Lemaigre-Dubreuil,* Paris, Ed. Ballard, 1977, 218 p. ; Charles-André Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, Ed. Jeune Afrique, 1978 ; Robert Montagne, *Révolution au Maroc,* Paris, Ed. France Empire, 1953, 415 p. ; Jean et Simone Lacouture, *Le Maroc à l'épreuve*, Paris, Le Seuil, 1958, 383 p. ; Guy Delanoë, *Lyautey , Juin, Mohammed V : Fin d'un protectorat*, t. 1, Paris, L'Harmattan 1986, 223 p. ; *Le Monde*, 09-12-1952.

محمد وحيد

**كاريير الـكارلوطي** (معركة –)، يشكل كاريير الكارلوطي أحد أحياء المدينة الجديدة بالدار البيضاء، وقد جرى فيه جزءٌ من عمليات المقاومة المسلحة خلال خمسينيات القرن العشرين (1953 ـ 1956)، منها المعركة المشهورة أحياناً بمعركة كاريير الكارلوطي، وأحياناً أخرى بمعركة زنقة القوس الواقعة ضمن هذا الحي المحاذي لطريق مديونة (شارع محمد السادس).

جرت هذه المعركة صباح الإثنين 14 نونبر 1955 بين ثلاثة مقاومين من منظمة الهلال الأسود وهم أحمد متفكر (نْحيلة) ومحماد بن علي موسطاش ومحمد ابن إدريس الصَّاحب، وبين أفراد دورية فرنسية، وقد تمكن المقاومون الثلاثة من إصابة عدد من أفراد الدورية قبل أن يستشهد محماد بن علي، ويُصاب محمد بن إدريس بجروح حالت دون فراره فألقي عليه القبض، بينما تمكن أحمد متفكر من

الفرار. وقد أتت هذه العملية يومين قبل عودة السلطان محمد بن يوسف إلى عرشه يوم الأربعاء 16 نونبر 1955.

أحمد متفكر، *شهادة المقاوم* ؛ *لاڤيجي ماروكين، رواية*، ع 15 . 11 . 55، ص. 4.

**كازانوڤا** (جان لويس -) Jean Louis Cazanova من المعمرين الذي جنَّدتهم سلطات الحماية خلال فترة العمل المسلح في خمسينيات القرن العشرين، لبيع التبغ، بعد أن امتثل عدد من أصحاب الصاكات من المغاربة لأوامر المقاومة الوطنية بالامتناع عن بيع هذه المادة التي نادى الوطنيون بمقاطعتها، لذا هاجمه المقاوم عبد الله الحداوي - أحد أبرز قادة منظمة الهلال الأسود - يوم الخميس 3 فبراير 1955 بالقرب من سوق بيع الخضر بالجملة في الدار البيضاء، فتوفي بعد لحظات من إصابته بعيارين ناريين في رأسه، وقد اعترف عبد الله الحداوي بإتيانه هذه العملية، خلال استنطاقه من قبل أعضاء المحكمة العسكرية.

*مروك بريس (Maroc Presse)*، ع 14 فبراير، 1956 ؛ *لاڤيجي ماروكين*، ع 11706، 4 فبراير، 1956.

**كازانوڤا** (لوران -) Laurent Casanova من الأطباء الأجانب الذين مارسوا مهنتهم بالمغرب خلال جزء من فترة الحماية. تخرج من كلية الطب بمرسيليا في 26 مارس 1942، وبدأ في مزاولة مهنته بالمغرب ابتداءً من 14 نونبر 1945، وكان ضمن الطاقم الطبي الذي حاول - دون جدوى - إنقاذ حياة التاجر المغربي الطاهر السبتي الذي تعرض في 2 يناير 1955 لاعتداء غلاة المعمرين أعضاء منظمات الإرهاب الأوربي. وبسبب دوره في نشاطات منظمات الإرهاب الأوربي فقد هاجمه أفراد من المقاومة المغربية محاولين إنهاء حياته منهم اعمامو الزاياني وهم جميعاً من منظمة الهلال الأسود.

*مارك بريس*، ع 14 / 2 / 1956، ص. 4.

محمد وحيد

**الـكـازوارينا** Casuarina جنس لأنواع نباتية من مستورات البذور. لكنها من جانب التصنيف قريبة من

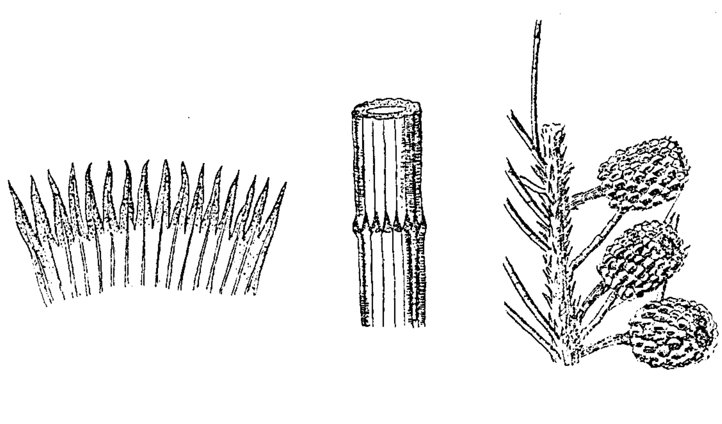

المخروطيات التي هي من عاريات البذور. الموطن الأصلي للكزوارينا هو استراليا.

الكزوارينا المتواجدة بالمغرب أشجار ذات قامة يتراوح علوها ما بين 15 و20 م، ذات جذع مستقيم. أغصانها خضراء عديمة الأوراق ومفصلية. كل فصل ينتهي بأسنان. أزهارها المؤنثة عديمة البتلات ومجتمعة في إزهار هري الشكل، بينما إزهار الأزهار الذكرية سنبلي الشكل. ثمارها مخروطية وشبيهة بثمار المخروطيات لكنها في حجم صغير.

تستخدم أنواع الكزوارينا في تزيين جوانب الطرق كما يستعمل خشبها في النجارة. لكن أهم استعمال للكزوارينا هو إنشاء مصدات الرياح للحفاظ على مزروعات وأشجار البساتين. تفضل أنواع الكزوارينا عن أنواع السرو لأن تيجان الأولى ذات نفاذية للهواء، فهي تكسر سرعة الرياح دون أن تمنعه من المرور لتهوية البساتين.

*استطلاعات ميدانية شخصية.*

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, et Kalima wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**الـگـاعـة** (تضاريس) تعني في اللسان المغربي الدارج المكان المعد لدراسة الحبوب بشكل عام، وتطلق أيضا على نوع من المنخفضات المغلقة بالمناطق الجافة المغربية لها خاصيات لا تختلف تماما عن المعنى الأول على الأقل من حيث الشكل. يتميز قعر المنخفض المعروف بالگاعة باستواء يكاد يكون تاما، كما أن المرور من القعر إلى التضاريس المحيطة بالمنخفض يتم بشكل غير محسوس. ويعتبر العامل المسؤول عن ظهور الگاعة واستواء قعرها هو التراكمات الطينية الغنية بالأملاح التي تتحول تحت تأثير التبخر إلى قشرة مقاومة للتذرية الريحية، تقطعها شبكة من الشقوق على شكل مضلعات تعرف بمضلعات التجفيف. وحينما تسمح الأملاح بتكوين تعقدات طينية قابلة للتحرير والتحريك تحت تأثير الرياح فإننا نتحول من شكل الكاعة إلى شكل السبخة التي تعتبر من الأشكال المشهورة بالمناطق الجافة.

على العكس من المنخفضات الطينية الأخرى مثل الكرارة، فإن الگاعة لا تصلح للزراعة نظرا لملوحة وثقل تربتها، ولا يقصدها الرعاة في الغالب إلا للاستفادة من نباتاتها التي تتميز في الغالب بخاصيات علاجية. وللإشارة فإن ما يعرف بالگاعة بالمناطق الجافة المغربية هو نفسه الشكل المعروف اصطلاحا لدى الجيمرفلوجيين بالكرعة وهو اسم يطلق على هذه المنخفضات ببعض بلاد المغرب العربي، أو بالتاكير وهو الاسم الذي يطلق على نفس الشكل التضاريسي بالبلاد الإيرانية.

الحسن المحداد

**كاف المومن** أو كهف اليهود يوجد في سافلة جبل بنًّا الفاصل بين مدينتي صفرو والبهاليل. نسب هذا الكهف إلى المومن، أي الإنسان المؤمن وهو شخص زاهد متدين اتخذ من الكهف مكانا للتعبد، وتقول *الرواية الشفوية* أن هذا الشخص يهودي الأصل يسمى عند العامة بدانيال نبي الله. وكانت الجالية اليهودية لصفرو تقيم له موسما سنويا، ولا تزال المنطقة المحيطة به في ملكية اليهود. ويذكر الباحث الأنتروبولوجي برونو (L. Brunot) أن العالم عبد الحي الكتاني زار المنطقة وصرح أن هذا الكهف يضم أحد الأولياء أو الأنبياء، والعبادة به مشتركة بين اليهود والمسلمين دون تمييز. ويضيف الباحث الفرنسي أساطير كثيرة تتعلق بالكهف وبالطقوس الوثنية. وفي سنة 1965 كشف أحد الباحثين الأجانب في الأركيولوجيا ويدعي ريفوليي (Rivollier) عن وجود صناعة حجرية قديمة بمغارة أو كهف المومن وكهف البقرة القريب من هذا الكهف، تتمثل هذه الصناعة في أدوات من البازالت والسيليكس وبقايا عظام لأجناس من الحيوانات كالدب ووحيد القرن والثور البري وأجناس أخرى منقرضة، وكذا صباغة صخرية متلاشية لا يمكن مشاهدتها حالياً إلا عبر الصور الفوتوغرافية (التي التقطت لها سابقا، إلا أن هذه الاكتشافات لم تتلها أبحاث أخرى لتثبت صحتها.

وعموماً، فإن كهف المومن حالياً مغارة خالية تسكنها الخفافيش والوطاوط، وهي طويلة الشكل تتفرع في داخلها إلى مغارات صغيرة لا يستطيع حتى الطفل الصغير النفاذ إليها. ومازالت بعض الأسر اليهودية تقصدها للزيارة كلما حلت بمدينة صفرو.

مجلة *الجواهر*، فاس، ماي - يونيو، 2002 ؛ *صفرو بين غنى الماضي واهتمامات المستقبل*، فاس، 1988.

L. Brunot, Cultes naturistes à Sefrou, *Archives Berbères, t. III*, Fasc. 2, 1918.

الحسين البعاوي

**گاگو** ويكتب أيضا الگعْگُوع أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Gago ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1151 / 1739.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**گاليلي** Galilée اسم مُدَمِّرة فرنسية أخذت يوم 5 غشت 1907 تقصف الدار البيضاء بالقنابل بعد أيام من حادث قتل تسعة عمال أوربيين، كانوا يقومون بأشغال في الميناء لفائدة إحدى الشركات، إذ اتخذ الحادث ذريعة من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية للانتقال من مرحلة التوسع الخفي إلى مرحلة التوسع العلني.

بعد يومين على شروع گاليلي في قصف الدار البيضاء نزل الجنيرال "درود" (Drude) من الباخرة "دو شيلا" (Du Chayla) يوم 7 غشت ليدوس تراب الدار البيضاء، ويفك الحصار الذي ضربه سكان المدينة على بحارة گاليلي.

محمد وحيد

**كامبوس**، الرايس **علي** من الرياس الأندلسيين الرباطيين النشيطين خلال العهد الدلائي، ومن بين القباطنة العاملين في أعالي البحار. كان في سنة 1654 يقود سفينة صغيرة مجهزة بأربعة مدافع، وتميز بنشاطه في اقتفاء مراكب الصيد الإنجليزية في شرق كندا.

Coindreau, *Les corsaires de Salé*, p. 90.

حسن أميلي

**الكاميرون والمغرب**، بعد انسحابه من منظمة الوحدة الإفريقية حاول المغرب إعطاء دفعة جديدة لعلاقاته مع الكاميرون. وقد مكنت الزيارة التي قام بها الرئيس الكاميروني بول بيا للمغرب في سنة 1987 من تجاوز البرود الذي كان يسود العلاقات بين الطرفين. ويرتبط المغرب بالكامرون باتفاقية اقتصادية تم إبرامها في أبريل 1987. وتتمثل واردات المغرب من الكامرون في زيوت البترول والقطن والفلين والخشب. أما صادرات المغرب فتشمل الأسماك المصبرة وبعض المشتقات المعدنية. وتجري العلاقات بين الجانبين في إطار لجنة مختلطة كبرى. وقد مثلت الزيارة الرسمية التي قام بها العاهل المغربي محمد السادس إلى الكامرون سنة 2004 مؤشرا على جودة العلاقات بين البلدين، وإن كان التعاون الإقتصادي والثنائي إجمالا يظل متواضعا.

الحسان بوقنطار

**الكانون**، يطلق في التداول الشعبي المغربي على موقد النار الذي تطبخ عليه النسوة وربات البيوت صنوف الأطعمة لأبنائهن وذويهن في البوادي والحواضر على السواء. وقد تطورت دلالته الوظيفية مع الوقت فأخذت منحى اجتماعيا أكثر خصوصية في التنظيم الداخلي العضوي للجماعات القبلية، فصار يفيد وحدة عائلية مؤلفة من عدة أشخاص مستقرين في محل واحد يتفاوت عددهم بين الارتفاع والانخفاض بحسب تباين البنى الديمغرافية للسكان من منطقة إلى أخرى. وتتخذ وحدة الكانون بمفاهيم رديفة على امتداد خريطة توزيع المجموعات والتكتلات القبلية، حيث يطلق عليها أحيانا اسم الخيمة وأحيانا أخرى اسم الدار أو البيت. وفي كل الأحوال تبقى وحدة الكانون أو الكانونة النواة الأساسية التي يرجع إليها حتما نمو وتوسع كل الوحدات الاجتماعية الأخرى الملازمة للنسق القبلي بدءا من أصغر وحدة وهي العائلة الكبيرة أو العظم (إيخص) أو

الفرضة كما تسمى في بعض المناطق الأمازيغية وصولا إلى أكبر وحدة وهي القبيلة برمتها.

ولما كانت وحدة الكانون تختزل عدديا نسبة معلومة من الأفراد - مع ما يمكن ملاحظته من تفاوت بين في هذه النسبة حسب الجهات - فإن المؤرخين والجغرافيين القدامى وكتاب الدواوين والموثقين وغيرهم قد درجوا على استعمالها كوعاء إحصائي لتقدير وتعداد السكان المستقرين في منطقة من المناطق وكذا لرصد التفاوتات الحاصلة في توزيع المجموعات وحجم كثافاتها وتقويم حصيلة الزيادة أو التراجع من معدلات نموها بصورة مجملة. وهي طريقة لم تكن في الأصل آلية من نسج صياغة هؤلاء ولا من صميم إبداعهم الذاتي، وإنما كانت متداولة على نطاق واسع في أوساط المنظومات القبلية المغربية منذ أزمنة قديمة حيث كان يتم الاستناد إلى وحدة الكانون إما لتوزيع بعض المهام والتكاليف الجماعية المتصلة بالحياة اليومية للقبيلة وإما لتقسيم بعض المنافع أو الأعباء المخزنية الدورية منها أو الطارئة. والملاحظ في هذا السياق، أن كيانات القبائل كانت تستغل إلى جانب صيغة الكوانين هاته، انقساماتها الذاتية في مستويات أعلى إلى أرباع وأخماس للاستجابة لذات الأغراض والمطالب الجماعية. وإذا كان من الصعوبة بمكان، نفي أو تأكيد فرضية أن هذه التقسيمات ليست سوى تقسيمات جبائية ابتدعها المخزن المغربي منذ عدة قرون خلت لاستفاء مطالبه الجبائية وتقدير عدد العساكر والحراك الواجب تجنيدهم أو جمعهم من داخل كل قبيلة على حدة، فإن الأمر المؤكد من دون أي شك، هو أن هذه التقسيمات قد وظفها المخزن مع الوقت توظيفا إداريا واسعا ومكثفا لتحصيل مستحقات الجباية وتوزيع الكلف والوظائف والتسخيرات المختلفة المفروضة على مكونات المجتمع القبلي.

وبحكم طابعه الكمي العددي اعتمد الباحثون مكون الكانون كأساس إحصائي لتقدير عدد السكان في مغرب ما قبل الحماية قبل انطلاق العمليات الاحصائية المنظمة الحديثة. بيد أنهم اختلفوا اختلافا واضحا في إيجاد معامل موحد يتم بمقتضاه تحويل عدد الكوانين إلى أعداد موازية للأفراد الحقيقيين، ويعزى ذلك في واقع الأمر إلى تمايز بنيات الكوانين من موضع إلى آخر وإلى خضوعها المستمر إلى تعديلات نوعية في تركيبتها العددية. ولهذا السبب تحديدا لم يتفق هؤلاء الباحثون، بكيفية إجماعية أو تكاد تكون كذلك، على وضع سقف مشترك للحد الأدنى والحد الأقصى بالنسبة للأشخاص المكونين لوحدة الكانون وإن كانوا قد جعلوا في الأغلب الأعم خمسة أشخاص كحد أدنى ومن عشرة إلى خمسة عشر شخصا كحد أقصى.

م. الحسن الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ إبراهيم بن علي الحساني، *ديوان قبائل سوس*، ع 1، أكادير، 1987 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر* ؛ ع. المحمدي، *السلطة والمجتمع في المغرب نموذج آيت باعمران*.

J. Duparquier, Des rôles de taille à la démographie historique (l'exemple de Crulai), dans "*Population*", 1969, n° 1, p. 95 ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVI° siècle*, Alger, 1906, p. 116-157 ; R. Montagne, *Les berbères et le Makhzen*, Afrique - Orient, Casablanca, p. 167 - 204 ; G. Salmon, Une tribu marocaine, les Fahcya, *Archives Marocaines*, n° 2, maï 1904, p. 165 - 182.

الفقيه الإدريسي

**كانون** بن **جرمان** ، كان شيخ قبيلة سفيان، وكبير مجلس الخليفة الموحدي السعيد (640 ـ 646)، وصاحب شوراه. وعندما مات أصبح ابنه مسعود بن كانون السفياني هو شيخ القبيلة، وأقره على ذلك الخليفة المريني يعقوب بن عبد الحق (657 ـ 685) عندما فتح مراكش. وزادت مكانته بعد أن أصبح ركنا من أركان دولته، ويساعد ولدي الخليفة : أبي مالك ويوسف في المحلة السلطانية.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، ص. 8، ج 7، ص. 169 ؛ ابن العياشي، *زهر البستان*، ص. 66.

المصطفى البوعناني

**الكانوني، العبدي** الفقيه **محمد** بن **محمد** بن أحمد الزيدي الجحشي الكانوني العبدي الملقب بابن عائشة أو الفقيه بولحية كما يدعوه أهل فاس، والده هو محمد بن أحمد المقدم البحتري القزدالي الجحوش العبدي كان فقيها وكذا جد والده قدور بن امبارك بن بوزيد. أما جده فقد كان قد ثار ضد القائد عيسى بن عمر العبدي ومات بالسجن. يعود نسب الكانوني كما جاء على لسانه في مخطوط *جواهر الكمال* الصفحة 55 إلى رباط يحيى أبي زكرياء. ولد في أولاد زيد ناحية آسفي فخدة الجحوش سنة 1893 / 1311، وقد كانت منطقة عبدة ودكالة يومئذ تعج بالمدارس القرآنية والعلمية حيث كثر شيوخ القراءات السبع والعشر من تلاميذة سيدي الزوين صاحب الزاوية المشهورة كما نبغ في هذه المنطقة مجموعة من العلماء مثل أبي شعيب الدكالي. ففي هذه البيئة إذن ترعرع الكانوني وأخذ أولى دروسه على يد

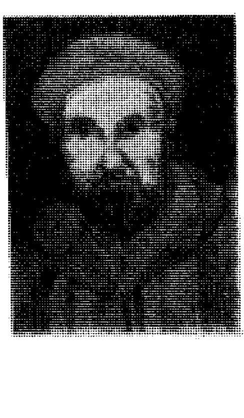

هؤلاء الفقهاء واكتسب منهم أصول العلم والسلفية والوطنية، وانتقل بعد ذلك إلى مدينة سلا صحبة أمه حيث أنهى حفظ القرآن سنة 1330 ، وبعد وفاة والدته أرسله عمه إلى مدينة فاس للدراسة في القرويين ابتداء من سنة 1331، وهناك لازم شيوخا وعلماء كبار أخذ عنهم أصول وأسرار العلم والمعرفة أمثال الشيخ القاضي محمد بن رشيد العراقي والشيخ أحمد البلغيتي وأجازه الشيخ عبد الحي الكتاني بأنه نبغ في العلوم والفنون.

بعد مرحلة التكوين والتحصيل عاد الكانوني إلى منطقة عبدة حيث تبدأ مرحلة التدريس والتكوين والتأليف، ومن هنا شرع في التدريس بضريح سيدي كانون وفي هذا الضريح تعرف عليه بعض الأعيان من آسفي الذين كان لهم أبناء يدرسون هناك وعرضوا عليه المجيء والإقامة بآسفي، وبهذه الطريقة دخل إلى آسفي وسكن في زنقة الشيخ قرب ضريح الشيخ أبي محمد صالح والي المدينة، حيث شرع في عملية التدريس وتولى وظيفة العدالة والإمامة والوعظ والإرشاد. كما انخرط في الحزب الوطني فطرد من الوظيفة ونفي إلى مراكش على إثر تزعمه لحركة قراءة اللطيف خلال صدور الظهير البربري الشيء الذي جعل سلطات الحماية بتواطئ مع بعض رجال المدينة تتهمه بالاخلال بالنظام وتقديمه للمحكمة التي أمرت بنفيه إلى مراكش حيث شرع في إعطاء دروس في جامع المواسين.

وهناك التقى بالعلامة المختار السوسي وفتح دكانا لبيع الكتب فشكل محج جموع العلماء والمهتمين والفقهاء وبقي بمراكش إلى أن التقى مع رجل من فقهاء الدار البيضاء الذي صحبه معه إليها وهناك شرع في إلقاء الدروس بمسجد محمد الخامس بدرب السلطان واستمر في التأليف.

تمكن الفقيه من الكتابة والخلق والإبداع بفضل مجهوداته العلمية وسعة إطلاعه الذي يظهر من كمية المصادر والمراجع التي يحيل عليها ويعتمد مرجعياتها، ولهذا جاءت مؤلفاته متنوعة الاتجاهات متعددة الاختصاصات تدل على شمولية ثقافية تستند في أصولها وركائزها على علوم الدين واللغة والأدب والتاريخ.

ولعل سعة اطلاع الكانوني ووقوفه على مصادر علوم مختلفة تظهر بجلاء في كتاباته التاريخية، أسهمت كثيراً حيث جعلت من هذا الفقيه يبرز كمؤرخ متمكن ممتلك لأدوات الأشغال ومتميز بكثير عن زملائه من المؤرخين الذي عاصروه أو جاءوا قبله، فهو لا يعد من الذين يقومون بنقل المعلومات فقط بل نجده دائما يضيف وينافش وأحيانا يؤكد مبدئياً رأيه بكل جرأة علمية وصراحة موضوعية، مما يجعله لا ينتمي لصنف المؤرخين الذين ليس لهم من التأليف إلا الجمع والأخبار والنسخ، ولكنه يكتب الأحداث والفاعلين فيها، ويستنتج مما كتبه الأحكام ويرجح ما يبدو له منسجما مع الحقيقة ترجيحا عقليا أو اعتمادا على الوثائق أو التحري الميداني. فوصول الفقيه إلى هاته الدرجة العلمية لم يأت عبثا بل شمل كذلك بعض المؤهلات الذاتية كسرعة الحفظ والذكاء والفطنة إضافة إلى إلمامه بكتاب الله الذي دفع به إلى درجة أسمى في الورع والتواضع، وليس امتهانه لحرفة بائع الكتب والمصادر إلا حبا في الاطلاع عليها والتقرب منها وهذا ما ظهر في مؤلفاته الناهلة من أمهات الكتب والتي ساهمت في بعض الأحيان في إحيائها والتعريف بها. وهذه الدرجة التي وصل إليها الفقيه الكانوني جعلت زملاءه المؤرخين من معاصريه يكنون له الاحترام والتقدير بل تراهم يستفتونه في أمورهم العلمية ويستشيرونه في تآليفهم إلى غير ذلك، وهذا ما يتضح من خلال شهادات أعلام المؤرخين المغاربة مثل العالم عبد الله الجراري ..." فها نحن نرى تلكم الثروة الفائضة في شتى العلوم والفنون التي بلغت من الإنتاج أبعد حدوده والتي لو قدر لمحررها أن يعيش أكثر لأدهش بإنتاجها عالم الثقافة ولسد بالتالي من ثغرات في المعلمة الإسلامية ما هي في أشد الحاجة إليه..." والعلامة عبد السلام بن عبد القادر بنسودة الذي أشار في مقدمة كتابه *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* "... كنت في أول الأمر رتبت على حروف المعجم حسب المتداول المشهور ثم بعد ذلك أطلعت عليه الأستاذ المشارك أبا عبد الله محمد بن أحمد الكانوني رحمه الله فاقترح علي أن أرتبه ترتيباً يلائم العصر ويجاريه لتظهر قيمة ما حبر المغاربة وما قاموا به من جهود جبارة وعمل دائم في كل أنواع التاريخ المغربي وأنهم ما أهملوا ناحية من نواحيه المتعددة ورتبه ..." هذا إضافة إلى شهادة صديقه المختار السوسي وغيرهم.

تعددت مؤلفات الفقيه الكانوني وتنوعت أبعادها واتجاهاتها حيث شملت علوما مختلفة وحقولا معرفية متنوعة ولهذا التعدد والتنوع ما يبرره، أولاها استناده على بيبليوغرافيا غنية ومتنوعة تعتبر من أمهات المصادر والمراجع مثل "*الترجمانة الكبرى*" و"*التشوف إلى رجال التصوف*" و" *تقويم البلدان والمساليك والمماليك والمعجب ومعيار الاختيار في ذكر المعاهد والآثار وأنس الفقير وعز الحقير*". وكلها تعتبر ركيزة ومدخلا أساسيا لأي عمل علمي جاد. وثانيها منهج الفقيه وفطنته وذكاؤه في الكتابة والتأليف وقدرة الرجل ونباهته واستدلاله المنطقي على استنباط الأحكام واستنتاج محركات الأحداث. وبهذا يمكن تصنيف مؤلفات الكانوني إلى علوم مختلفة حسب ما هو موجود منها. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المؤلفات لم تكن موجودة كلها رهن إشارة القارئ وحتى أسماؤها جاءت ضمن بعض المصادر منها ما ورد في آخر كتاب *جواهر الكمال في تراجم الرجال* الجزء الأول المطبوع، ثم ما أورده العلامة ابن سودة في مؤلفه المذكور. أما الجزء الأكبر والأهم فهو الذي بحوزة الأستاذ محمد السعيدي الرجراجي والذي أخرجه ضمن كتابه الجديد حول مؤلفات وحياة وفكر الفقيه العبدي سنة 2000.

وتجدر الإشارة إلى أن ما أتينا على ذكره ما هو إلا نزر

يسير من مؤلفاته وتقاييد وكنانيش التي تعتبر منجما وينبوعا لمن أراد الاطلاع على ما يهمه في هذه الثروة التي كان مصيرها سيكون الضياع، لولا بعض الغيورين الذين يحافظون على هذه الأمانة العلمية إلى حين التمكن من وضعها بين أيدي القراء.

أ. الكانوني، *آسفي وما إليه*، 1435 ؛ *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج 1، مطبوع ؛ *الرياضة في الإسلام*، 1936 ؛ م. بنشريفة، الفقيه الكانوني وفكره ضمن *آسفي دراسات حضارية وتاريخية*، 1986.

علال ركوك

**الكاهنة** إسم أم لقب ؟ فهل هو الكاهنة داهية أو دامية أو ديهيه كما ذكره الكتاب العرب ؟

يبدو أن كلمة الكاهنة عبارة عن لقب، وهي كلمة مرتبطة باللغتين الساميتين العربية والعبرية فبالنسبة للعربية فهي مرتبطة بالكهانة أي خدمة الأرباب وهياكلها. وهناك من يرى أنها تعني الساحرة أو المتنبئة، وهذا يوحي بأن ديانتها وثنية. أما إذا افترضنا أن ديانتها يهودية كما يشير إلى ذلك ابن خلدون، فإن كلمة الكاهنة تأخذ معنى آخر مرتبطاً بممارسة الطقوس الدينية اليهودية، لأنه في العبرية نجد كلمة كهان أو كاهن هو الاسم الذي يطلق على رجل الدين، والكاهن هو الوحيد الذي يسمح له بالدخول لقدس الأقداس دون أن تصيبه الصاعقة عكس الحبر الذي هو عبارة عن رجل قانون أكثر منه رجل دين.

ومع ذلك فالشيء المثير للاستغراب والصعوبة، في كل هذا، هو الذي يتعلق بالاسم : الكاهنة، إذ كيف يعقل أن الأمازيغ اختاروا إسماً عربياً أو عبرياً لإطلاقه على زعيمتهم أثناء الفتح الإسلامي لبلدهم بدلاً من استعمال لقب أو اسم أمازيغي يعكس بيئتهم ؟

وحتى الاسم الثاني داهية فليس أمازيغياً، إذ يبدو أنه اسم عربي مرتبط بالدهاء أي المكر والخديعة، وهذا كاف للدلالة على أنه ليس اسمها، وأن الكاهنة داهية عبارة عن لقبين أطلقهما عليها العرب والمؤرخون الذين كتبوا عنها. وأن هذه الألقاب والأسماء التي أطلقها العرب الفاتحون عليها تغطي على الاسم الحقيقي أو عبارة عن محاولة لترجمة اسمها الأمازيغي إلى العربية. وقد يكون الاسم ديهية الذي يعني جميلة بالأمازيغية، كما قد يكون داميا وهو اسم مرتبط بالربة سيبيل (Cybèle) ربة الخصوبة لدى اليونان. وقد يكون كما تذكر الأستاذة حليمة غازي لقباً دينياً اختزالا لكلمة داميا تريكس التي كانت تحمله كاهنات هذه الربة.

كما أن هناك تساؤلا يفرض نفسه يتعلق بديانتها، ولماذا اختار الفاتحون العرب، ومؤرخو الفتح بعد ذلك هذا الاسم لزعيمة أمازيغية، فهل هذا الاختيار يخدم مصالح وأهدافاً معينة هذا إذا افترضنا أن الكاهنة يهودية ؟

ولماذا فضلوا أن تكون هزيمتهم على يد امرأة يهودية بدلاً من مسيحية أو وثنية ؟ وهل بالفعل كانت الكاهنة داهية يهودية ؟ أم أن هذا مجرد إسقاط لتفسير الاسم الذي أطلقوه عليها والذي لقبت به أميرة الأوراس ؟

ألا يمكن لهذا الطرح أن تكون له علاقة بالفكرة القائلة بالأصل الشرقي للأمازيغ وخاصة من فلسطين أو الشام فيهودية زعيمة الأوراس تسير في هذا الاتجاه وتؤيد هذا الإفتراض الذي دافع عنه كل المؤرخين العرب. وقبول هذه الفكرة يمهد الطريق للتقارب العربي الأمازيغي.

لذلك، فافتراض يهوديتها لا يبدو مقبولا، لأن الباحث التونسي الأستاذ الطالبي ينفي يهوديتها ويميل إلى القول بأنها مسيحية الديانة، لأنها كانت عند خروجها مسبوقة بتمثال خشبي محمول على جمل. ويشير الأستاذ الطالبي إلى أن هذا التمثال في حد ذاته يلغي كل علاقة للزعيمة الأمازيغية بالديانة اليهودية وأنه قد يربطها بالديانة المسيحية، لأن التمثال قد يكون عبارة عن شكل من أشكال المسيح أو العذراء. وهذا يعني أن الكاهنة ليست يهودية وقد تكون مسيحية. إلا أننا نرى أن التمثال قد يرمز لأحد الأرباب الأمازيغية، تانيت أو آمون مثلاً، أو الربة سيبيل بدلا من المسيح ؛ وهذا يعني أنها وثنية. ومما يؤيد هذا الرأي الأخيراللقب الذي يعني رجل الدين أو الساحرة أو المتنبئة. وأن الكاهنة داهية أطلقه عليها العرب لأنها مرتبطة بدين وثني وأنها كانت كاهنة الأرباب الأمازيغية التي تخدمها ؛ أما الشق الثاني وهو داهية فقد أطلق عليها نظراً لدهائها وقدرتها الفكرية والسياسية والحربية.

وعلى كل، فسواء كانت الأميرة الأمازيغية كاهنة أو ساحرة أو ملكة أو خادمة الأرباب الأمازيغية فإن كل هذه الأسماء توحي بوجود سلطة روحية أكثر منها سلطة مادية. وهذا يعني أنها كانت امرأة ذات دهاء سياسي خارق، تعرف كيف تستعمل إمكانيات بلاغتها الكلامية لفرض رأيها وسلطتها على قبيلتها أولاً ثم على الأمازيغ بعد ذلك. ولكن هل يمكن الحديث عن وجود مشروع سياسي لديها ؟

من الصعب جداً الخوض في هذا الموضوع إلا أنه، ومع ذلك، يمكن أن نفترض أنها كانت تحاول تأسيس مشروع مملكة مهيكلة، وخاصة بعد مقتل كسيلة وانتصارها على حسان بن النعمان سنة 688 والتفاف الأمازيغ حولها. فهل بالفعل كانت تفكر في ذلك ؟ فإذا كان الأمر كذلك، فقد كان عليها أن توسع إمارتها التي على ما يبدو لم يتجاوز تأثيرها كثيراً قبيلتها وحلفاءها في أغلب الأحوال، وهذا ما يؤكد هشاشة إمارتها أو مملكتها. وانطلاقاً من هذا، فإن الملكة أو الأميرة وعت هذه الوضعية وأحست باقتراب حملة إسلامية جديدة مما جعلها تطبق سياسة الأرض المحروقة، وتدفع بابنَيْها إلى الالتجاء للمسلمين، وذلك بعد أن أرضعتهما مع خالد بن يزيد الذي تبنته، بعد أن أسرته في معركتها التي انتصرت فيها على حسان ابن النعمان.

وعندما أحست الكاهنة داهية بدنو أجلها، شاركت في آخر معركة لها سنة 700 م بجبال الحضنة، قتلت خلالها وتم قطع رأسها الذي تم حمله إلى القيروان. أما بقية جسدها فقد ألقي به في بئر - حسب الحكاية - لا يزال يحمل اسم بئر الكاهنة. وفي الطوبونيميا بشمال إفريقيا هناك العشرات من الآبار التي تحمل اسم الكاهنة.

يمثل موت الكاهنة نهاية المقاومة المنظمة، فبعد مرور عشر سنوات على وفاتها نجد الأمازيغي المسلم طارق بن زياد يقود جيشاً مكوناً أصلاً من قبائل زناتة، يعبر المضيق الذي ظل يحمل اسمه ويفتح الأندلس.

وبصورة عامة، فإن الكاهنة داهية أو ديهية أو داميا الأميرة أو الملكة الأمازيغية رغم ما ذكر وقيل عنها فإن اسمها الحقيقي غير مؤكد، كما أن ديانتها لا يبدو أنها كانت يهودية أو مسيحية بل ربما وثنية، ومن جهة أخرى هل يمكن اعتبارها بطلة وطنية، مثل يوگرتن وتاكفاريناس، انطلاقاً من الإطار الزماني والمكاني الذي عاشت فيه ؟

ولذلك فمجال الدراسة والبحث والتقصي في هذا الموضوع وفي أمثاله يجب أن يفتح على مصراعيه على أن تكون الموضوعية والنزاهة الفكرية هي المنطلق الأساسي.

ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، بيروت، 1978 ؛ ع. ع. ابن خلدون، *ديوان المبتدأ والخبر* ؛ البكري، *كتاب المسالك*، 1992 ؛ ح. الوزان الفاسي، *وصف إفريقيا*، بيروت، 1983 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1980.

Halima Ghazi Ben Maissa, Image ou mirage de la Tingitane à travers les sources arabes médièvales dans *Africa Romana* XIV sous presse, Mohamed Talbi, Un nouveau fragment de l'histoire de l'occident musulman : l'épopée d'Alkahina, dans *Etudes d'Histoire Ifriqiyenne et de la civilisation médièvale*, XXVI, p. 125-167.

مصطفى أعشي

**الـكاوني** ، يتحدث عنهم بطليموس مع السالينسي جنوب الفيريبكاي. ويبدو أن الكاوني من القبائل التي تقع مواطنها في الداخل بعيداً عن الساحل. كما أنه ليس من المستبعد أن تكون هناك علاقة ما بين الكاوني واليانگاوكاني، إن لم يكن الاسمان يدلان على نفس القبيلة خاصة وأننا نعرف التحريف الذي تتعرض له الأسماء المحلية عند نقلها إلى لغات أجنبية ويشير ديزانج إلى قبيلة تحمل اسم كاونيس ولا ندري هل هناك علاقة بين الكاونيس والكاوني ؟ كما تتحدث نقيشة عن قس من كاونوس حضر المجمع المسكُوني لقرطاج عام 348.

ومن المحتمل أن تكون الكلمتان، كاوني وكاونيس، المتقاربتين تدلان على قبيلتين متباعدتين في المكان، مثل كلمتي المور والأمازيغ اللتين تطلقان على عدد كبير من القبائل الأمازيغية.

وفيما يتعلق بمجال الكاوني فمن المرجح أنه كان يضم منابع نهر سلا (أبو رقراق) الواقعة خارج النفوذ الروماني،

مصطفى أعشي

**الكَوَّانِّي، عبد الرحمن**، نشأ بمدينة فاس، وأخذ العلم عن كبار شيوخها، أمثال السناني والعكرمي، والحاج أبي يعقوب الاغصاوي، وأبا حفص الرجراجي (ت. 810 / 1407) وممن جلس إليهم وسمع عنهم كثيراً أبا وكيل ميمون (ت. 816 / 1413) سمع عنه الألفية بمدرسة الصهريج، وعن عيسى بن علال المصمودي (ت. 823 / 1420) المدونة، كما أخذ أيضاً عن أبي زيد المكودي (ت. 807 / 1404) وأبي القاسم التزغردي، على يد هؤلاء وغيرهم تفقه عبد الرحمن الكاواني، وتخرج عالماً مشاركاً واسع المعرفة، متقدما ونابغاً على الخصوص في أصول الدين والفقه، وفي الفرائض والحساب، ولذلك وصفه تلميذه محمد ابن غازي بالفقيه المتفنن، وابن زيدان بـ "... إمام في أصول الدين والفقه، فرضي حيسوبي، حسن المشاركة متضلع مطلع نقاد فهامة ..."

رحل المترجم له إلى مدينة مكناس واستوطنها، ولم نجد عن دواعي مجيئه إليها أي جواب، وهناك تصدى للتدريس، وأكب على نشر العلم، فكان يدرس الرسالة وفرائض التلقين علماً وعملاً والمدونة وابن الجلاب تدريس تحقيق وإتقان. ومن أشهر من أخذ عنه محمد ابن غازي الذي حدثنا عنه قائلاً : "قدم علينا مكناسة فأوطنها ودرس بها، فقرأت عليه الرسالة وختمت عليه فرائض التلقين علماً وعملاً وسمعت عليه بعض المدونة وابن الجلاب، وكان إماما في أصول الدين والفقه، فتح بصائرنا فيها وفي أصول الفقه ..."

توفي الكاواني في حدود (860 / 1455) ودفن خارج باب عيسى أحد أبواب مكناس.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1988، 67 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ط 2، الرباط، 1990، 5 : 274 - 275 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، 2 : 404.

رقية بلمقدم

**گايار، هانري** Henri Gaillard ولد في 5 فبراير 1869 في منطقة صافوا Savoie الفرنسية، واشتغل بوزارة الخارجية ابتداء من شتنبر 1895. وأصبح سنة 1898 ترجمانا ملحقا بالمفوضية الفرنسية بطنجة، وانتقل إلى الدار البيضاء، سنة 1899، للإشراف على شؤون القنصلية بها. وفي سنة 1900، كلفه بول ريفوال Paul Revoil بمهام نائب قنصل في فاس. وارتقى في نفس السنة إلى مرتبة قنصل. وكان گايار، الذي اشتهر بميله لنظام الإدارة غير المباشرة، من العناصر الأساسية التي شاركت في صنع الأحداث المؤدية إلى الحماية. وقد استفاد في ذلك، من موقعه في القنصلية، ونفوذه وسط النخب المغربية. ونتيجة لهذه الاعتبارات، أصبح، من العناصر الأساسية التي اعتمد عليها الجنرال ليوطي، بعد فرض الحماية على المغرب. فقد كلفه بالكتابة العامة، التي كانت من الهيئات الأساسية في النظام الاستعماري الناشئ. وأصبح بذلك، المسؤول المباشر عن السياسة الأهلية والوسيط الضروري بين الإقامة العامة والمخزن.

ساهم هنري گايار، بتسلمه لمهامه الجديدة، في وضع اللبنات الأولى "للنظام الجديد". إذ كانت الكتابة العامة، التي أصبحت تحمل اسم الكتابة العامة للحكومة الشريفة، بعد تأسيس الكتابة العامة للحماية (15 . 01 . 1913) مختبرا هاما لإنتاج وتهييئ المشاريع والتقارير، المتعلقة بالنسق المخزني، ونظام الأجور والرواتب، ومؤسسة الأحباس، ونظام المياه، وغيرها من القضايا والقطاعات الهامة في الحياة المغربية، وكانت التقارير والدراسات التي أنتجتها الكتابة العامة، والكتابة العامة للحكومة الشريفة، الأساس الذي ارتكزت عليه السلطة الاستعمارية لتنظيم العلاقة مع السلطان والمخزن وإدخال التعديلات الضرورية على النظام السياسي والإداري التقليدي وتحديد ملامح السياسة الأهلية.

لكن اندلاع الحرب العالمية الأولى، أثر بشكل قوي على مسار الحماية ودور مؤسساتها، وعلى دور الشخصيات المحيطة بالمقيم العام. وكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى تقلص إشعاع ونفوذ بعض رجال الإقامة العامة المدنيين، الذين ضعف بريقهم وانتهى أمرهم بانسحابهم المبكر من الساحة السياسية المغربية. وكان من بين أبرز هؤلاء، الكونت دي سانتولير Comte de Saint-Aulaire ، الوزير المعتمد بالإقامة العامة، الذي غادر المغرب في ماي 1916، ليلتحق بالمفوضية الفرنسية ببوخاريست (رومانيا)، وهانري گايار الذي استغنى عنه المقيم العام، بعد حذف منصبه وتفكيك إدارته. وغادر هذا الديبلوماسي بذلك، المغرب، بعد أن قضى به حوالي عشرين سنة. والتحق بعد ذلك، بوزارة الخارجية (قرار 2 يونيو 1917)، التي كلفته بتنظيم الحج والإشراف على المسائل الإسلامية المتعلقة بالمغرب.

*Bulletin officiel* ; F. Weisgerber, Henri Gaillard, *Afrique Française, fév. 1937*, n° 2, p. 63-64 ; H. Labadi-Lagrave, *Le mensonge marocain : contribution à l'histoire "vraie" du Maroc* ; Desmazières Bertrand, *P. de Sorbier de Pougnadoresse. Le Colbert de Lyautey, 1912-1925*, Rabat ; H. Gaillard, *L'histoire et l'organisation du Protectorat,* (Conférences franco-marocaines, Paris, Plon, 1916, volume 1.) conférence faite le 22/09/1915, Rabat, Imprimerie du Bulletin officiel, s.d. (1915).

عبد الحميد احساين

**كايو** Caillaut (الجنرال -)، ولد في 21 أكتوبر 1880 بـ Chateauroux بفرنسا، والتحق بالمدرسة العسكرية الخاصة بتاريخ 31 أكتوبر 1900، وتخرج منها برتبة ملازم أول سنة 1902 حيث التحق بفرقة المناوشين المغاربة، وفي سنة 1914 خلال الحرب العالمية الأولى التحق بالمكتب الثالث لـ : C A 5e A العامل بالجبهة الحربية مع الفوج التاسع للمشاة الزواويين. وفي سنة 1917 عين كايو قائداً بالكتيبة الثالثة عشرة بـ R. T. A 132 إلى غاية 1925.

وفي سنة 1930 أصبح قائداً للمكتب الأول، ورقي لرتبة جنرال بتاريخ 6 يناير 1933. ونظراً لخدماته وتجاربه، والقدرة والكفاءة التي أبان عنها خلال سنوات عمله وضع في 27 أبريل من نفس السنة رهن إشارة المقيم العام بالمغرب لوسيا سان Lucien Saint . حيث عين مساعداً لقائد الحامية العسكرية الفرنسية بفاس، وفي 2 يونيو 1936 عين حاكما عاماً لإقليم مكناس وقائداً عسكريا لحاميتها.

وقد لعب الجنرال كايو دوراً بارزاً في أحداث بوفكران 1 و2 شتنبر سنة 1937 فهو الذي أمر باعتقال الزعماء الخمسة ووضع الخطة العسكرية لمواجهة المظاهرات الشعبية صباح يوم 2 شتنبر.

وقد عرف هذا الجنرال بصلابته وتصلب مواقفه التي لم يكن يتراجع عنها تجاه القضايا التي تهم أمن المدينة أو بالأحرى أمن مواطني ومصالح المعمرين منهم. من ذلك كما يقول بوشتى بوعسرية : "أنه لم يتراجع عن المشاريع التي وضعها التقنيون الرامية إلى توزيع مياه بوفكران، كما أنه لم يلغ أمر اعتقال الزعماء الخمسة رغم تدخل بعض الأعيان ومبادرة نقيب الشرفاء العلويين بمكناس عبد الرحمان ابن زيدان، والطلبات المتعددة التي قدمها الوطنيون ...".

وفي سنة 24 مارس 1938 عين كايو رئيسا للقيادة العليا للقوات الفرنسية بالشرق الأدنى، حيث قضى هناك أزيد من سنتين، عين بعدها رئيساً للقيادة العليا للجيش الفرنسي بتاريخ 18 يونيو 1940، وفي 21 أكتوبر من نفس السنة رتب بالفصيلة الثانية ضمن الضباط العاملين.

وتوفي الجنرال كايو في 1 مارس 1952 بأورانج Orange بفرنسا.

بوشتى بوعسرية، *أحداث بفكران*، الرباط، 1990، ص. 202 . 203 ؛ أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بنانت، المصالح الإقليمية الحزمات Liasses، 264 . 269.

رقية بلمقدم

**الكَبَّار** ، بالعربية أو "تَايْلُولُوتْ" بالأمازيغية أو Le caprier بالفرنسية أسماء لنوع نباتي ينتمي لجنس كَابَّارِيسْ Capparis ولفصيلة الكباريات Capparidaceae.

يشمل الجنس نوعين طبيعيين بالمغرب :

- النوع المعروف بالكبار وهو كَابَّارِيسْ سْبِينُوزَا

Capparis spinosa وهو جنيبة لا يتعدى ارتفاعها 1,5م، جد متفرعة. أغصانها متدلية. أوراقها بيضية، ذات طول يتراوح ما بين 1 و4 سم، وأشواك مستقيمة أو مقوسة. أزهارها مكونة من 4 سبلات و4 بتلات بيضاء أو وردية، وأكثر من 20 أسدية. ثمارها عنبية.

يصادف النوع طبيعيا بالمنطقة المتوسطة والصحراوية السندية. ويزرع فيها. ويعتبر المغرب من أكبر مصدري الكبار على شكل أزرار زهرية مخللة أو مصبرة، منتوجة من المساحات المزروعة أو مجنية من التشكيلات الطبيعية.

إضافة إلى استعمال أزراره المخللة كتوابل في عدة وصفات مطبخية، يستخدم الكبار في التطبيب التقليدي لعدة أغراض، وخاصة ضد الروماتيزم، وضد الإسهال والعقم وغيرها.

- النوع الشجري الصحراوي أو الكبار النفضي عربيا أو إكْنينْ محليا بالصحراء الغربية التي تشمل الصحراء المغربية والموريطانية والجزء الغربي من الصحراء الجزائرية، هو كَابَّارِيسْ دِيسِيدُوا Capparis decidua . نبات شجري لكن قامته لا تتعدى 10 م. أغصانه خضراء مشوكة. أوراقه جد صغيرة، نفضية مبكرا. أزهاره صغيرة حمراء.

يصادف النوع ممثلا بأفراد أو بباقات في المناطق الصحراوية من المحيط الأطلسي إلى شبه جزيرة العرب. وهو يقطن أتربة رملية في المنخفضات أو الوديان الجافة. ففي المغرب يوجد النوع جنوب شرق بوجدور إلى جبال أدرار سْطُوف شرق الداخلة حتى موريطانيا.

يعتبر الكبار النفضي من أجمل الأشجار الصحراوية بأزهاره الحمراء من الممكن أن يستعمل في الزينة في المدن الصحراوية وغيرها. التي تستعمل استخدامه في التطبيب التقليدي وكحطب.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p. ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**كبدانة** (حجرة) Tres Insulas كما يسميها أهل الريف، وتعرف كذلك بأسماء أخرى وهي : جزر كبدانة، والجزر الجعفرية، وجزر ملوية. وهي ثلاث جزر مغربية حافظت على استقلالها إلى حدود 5 يناير 1848 حين احتلتها إسبانيا، أياما قليلة فقط قبل الموعد الذي حددته فرنسا لغزوها.

يقع أرخبيل جزر كبدانة في عرض مياه البحر الأبيض المتوسط على بعد أربعة كيلومترات من رأس كبدانة المعروف حاليا كذلك باسم رأس سيدي البشير، وباسم رأس الماء Cabo del Agua. ويبعد الأرخبيل عن مصب نهر ملوية بعشر كيلومترات ونصف غربا وعن مدينة الناظور بحوالي سبعة وخمسين كيلومترا شرقا.

الأرخبيل عبارة عن ثلاث جزر تحمل اليوم أسماء إسبانية، أكبرها هي جزيرة Congrés "المجلس"، التي كان الأهالي يسمونها جزيرة تاننفا، التي تقع في الغرب. طولها 900 م وعرضها 500 م وأعلى نقطة بها لا تتعدى 135 م.

تليها إلى الشرق جزيرة الملكة إيزابيلا الثانية Isabel II على بعد 600 م، وهي جزيرة دائرية الشكل تقريبا قطرها 1.500 م وارتفاع أعلى نقطة بها هو 52 م. ويعرفها أهالي المنطقة باسم حجرة كبدانة.

أما ثالثة الجزر فتعرف بجزيرة الملك El Rey، وهي أصغر الجزر الثلاث، خصصها الإسبان المحتلون للأرخبيل لدفن موتاهم. وتقع في الشرق، طولها 300 م وعرضها 200 م وارتفاعها لا يتجاوز 34 م.

أهمل الأقدمون من المؤرخين والجغرافيين والرحالة هذه الجزر الثلاث "تريس إنسولاس". ونكتفي بالإشارة في هذا الصدد إلى خلو رحلة حانون من أي فكرة عنها، وإلى جهل أو تجاهل بلينيوس الشيخ وبطليموس لها. وقد كان صاحب مسالك أنطونينوس أول من اهتم بجزر هذا الأرخبيل وذكرها باسم Tres Insulas أي الجزر الثلاث، وجعلها على بعد اثني عشر ميلا إلى الغرب من مصب نهر Malva (ملوية) وخمسة وستين ميلا إلى الشرق من مدينة Russadir روسادير (مليلية). وقد صحح أكثر من باحث هذه المسافات الواردة في هذا المصدر لتصبح مطابقة للواقع الجغرافي للمنطقة : سبعة أميال من مصب نهر ملوية وخمسة وأربعون ميلا من مليلية براً. وقد أشار البكري في القرن الحادي عشر إلى هذه الجزر وذكرها باسمين إثنين : أولهما "جزر جعفرين"، وثانيهما "جزر ملوية". وبذلك يتضح أن لا علاقة لاسمها بالقائد جعفر أحد المجاهدين الأتراك الذي كان قد اتخذ منها منطلقا لعملياته الجهادية البحرية ضد الأوربيين خلال القرن السادس عشر.

والراجح أن مسخا قد أصاب إسمها الأول في مؤلف البكري، أثناء نسخه، حيث كان الصواب أن تذكر باسم "جزر جعفرية" أي "جزر نهرية" نسبة إلى أقرب نهر إليها، وهو نهر ملوية، كما يفهم ذلك صريحا من اسمها الثاني الوارد عند البكري نفسه "جزر ملوية". لأن الجعفر لغة هو النهر كما هو معروف ومشهور في المعاجم والموسوعات العربية.

ظهرت الجزر الجعفرية لأول مرة في التاريخ الحديث للخرائط سنة 1318 في خريطة إيطالية جنوية تحت اسم جافاريم Jafarim. وظهرت بعد ذلك بقليل بنفس الاسم تقريبا جافّاريم Jaffarim في خريطة كاتالونية. وذكرها الجغرافي الفرنسي جان دوزانو Jean d'Uzzano في إحدى خرائطه سنة 1442 باسم جفارين Jafarin.

وبعد هذا التاريخ استعمل الأوربيون، مؤرخون وجغرافيون، لفظة "الجعفرية" برسوم جد مختلفة Zafarinos, Zaffarines, Chafarinas, Chefelines, Zapharines, Zaphran... . ونقل العديد من الباحثين والصحفيين العرب

والمغاربة مع كامل الأسف هذه الرسوم المختلفة لاسم الأرخبيل بالأحرف اللاتينية إلى اللغة العربية، فسموها خطأ "جزر الشفارين" أي جزر اللصوص، وهي براء من هذه التسمية.

يشكل أرخبيل الجزر الجعفرية ـ رغم قلة مائه ونباته ـ أحسن مرفإ طبيعي على طول امتداد الساحل الشمالي للمغرب المطل على البحر الأبيض المتوسط، كما يشكل اليوم نقطة إسبانية عسكرية استراتيجية أمام شواطئ المغرب الشرقي بالخصوص.

محمد اللبار

**الكبريت** فلز صلب لونه أصفر كثافته 1.96 يذوب في درجة 119 ويتبخر في درجة 444.6°، لا يذوب في الماء لكن حامضه يذيب الفوسفاط والكلس والعظام وجل الصخور، موصل رديء للحرارة والكهرباء، واسع الانتشار في الطبيعة، يوجد على شكل مركبات كيماوية، أهمها : السولفور والسولفات، وأحيانا على شكل معدن نقي مولد قرب فوهة براكين قديمة، ترتبط معادنه بتدفقات بركانية قديمة باليابسة وبأعماق البحر، يستخرج من مركباته الصخرية، وأحيانا يستخرج من البترول والغاز حيث يكون بها شوائب، وهو أرخصها تكلفة. يستعمل في صناعة عود الثقاب والحامض الكبريتي كما يستعمل بكثرة في الطب والمطهرات. عرفه المغاربة منذ قرون كمادة مستوردة في أعواد الثقاب ومطهرات بالمدن خاصة.

يوجد الكبريت بالمغرب في معادن كثيرة أهمها مركبات الفضة والرصاص والزنك التي استغلها المغاربة منذ القديم مما كان يسهل صهرها، لكنهم لم يستخرجوا منها كبريتا نقيا. اكتشفت له مكامن جديدة في عهد الحماية أهمها صخور بيروتين قطارة، واكتشفت له مكامن غنية في گماسة جنوب مراكش وشرع في استغلالها في بداية عقد الثمانينيات كما اكتشفت له مكامن جديدة بغرب الحوز : الدراع الأصفر وكدية عائشة. كان يستخرج الكبريت من بيروتين قطارة لتموين المركب الكيماوي بآسفي في بداية الستينيات لكنه توقف بعد عقدين لارتفاع تكلفته وتعقيد بنية مركبه. ويحتوي بيروتين گماسة على نسبة مهمة من الكبريت لكنه لا يستخرج منه نقيا إذ تصدر عناصر هذا المعدن في حالة مركبات معدنية كبريتية مركزة وهي : كبريتور الزنك المعروف بالبليند، وكبريتور الرصاص المعروف بالگالين. وتتطلب صناعة الفوسفاط كميات كبيرة منه لصناعة الحامض الكبريتي الذي يكسر جزئيات الفوسفاط ويجعلها قابلة للذوبان في الماء، يشتريها المغرب من السوق العالمي من دول عديدة تختلف حسب السنوات : بولونيا كندا شركات انجليزية باعتبار ملكيتها لجزء مهم من أسهم المركبات الكيماوية المغربية. وقد اشترى منه المغرب 2.621000 طن سنة 1999 قيمتها 988 مليون درهم.

أ. هوزلي، *الموارد المعدنية والتنمية بالمغرب*، كلية الآداب مراكش .

A. André, et J. Lecoz, *Economie minière : notices explicatives de l'Atlas du Maroc*, Rabat, 1961.

أحمد هوزلي

**الكبش في المغرب القديم**، إذا انطلقنا من حاضرنا نلاحظ أن الإنسان القروي خاصة الذي يربي الغنم لا يزال يقدس ويحترم قرون كبش الأضحية والنذور ويحتفظ بها في بيته اعتقادا منه أنها تدفع عنه وتقيه شر النظرة أو العين. ويبدو أن هذا المعتقد من بقايا رواسب العقيدة الخاصة بتقديس وتبجيل الكبش، والتي تعتبر النقوش والرسوم الصخرية من أقدم الوثائق التي تشير إليها. ولكن لماذا الكبش بالذات ؟ لأن الكبش يعتبر من أكثر الحيوانات شبقاً وشهوانية وقد اختير للدلالة على القدرة التناسلية المخصبة، مثل الثور ويتعلق به رمز الخصوبة ويوصف بأنه روح القمح. وقد جسّد عند المصريين الألوهية وروحها الخلاقة المتصلة بالإنسان، فصوروا إلاههم "خنومو" إله الخصب برأس كبش، وعبد الإغريق إلاه الخصوبة على هيئة كبش، وفي التراث اليهودي المسيحي يتخذ الكبش طابعاً مزدوجاً، فهو من جهة مقدس يدل على الذكورة الطبيعية، ومن جهة أخرى ملعون يتلبس الشيطان صورته، ويجسد الأرواح الشريرة، ويضحي به تكفيرا عن آثام الشعب. ومن اللازم التذكير هنا بقصة إبراهيم الخليل عليه السلام وإقدامه على التضحية بابنه إسماعيل عليه السلام، والفداء الذي افتداه الله سبحانه وتعالى، والمتمثل في الكبش، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الصافات آيات 102 ـ 106 "فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، قال يا أبت افعل ما تومر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم". وعليه فيمكن اعتبار الكبش أضحية شعائرية في كل مناطق العالم قديما، بل وحديثا، لأن إنبات الأرض واستنزال المطر واستمرار فصل الخصب وعودته، مرهون بإراقة الدماء وتقديم الأضاحي، وربما هذا ما يفسر لجوء الملك داود إلى ذبح أبناء سلفه شاؤول السبعة لدفع القحط وإنزال المطر.

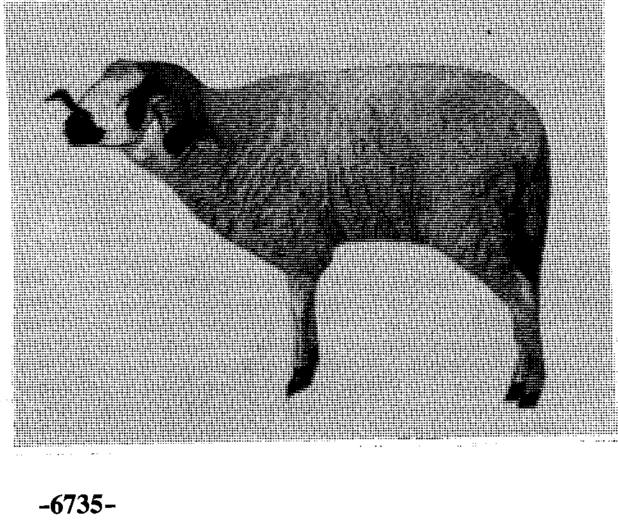

ويبدو أن الرب أمون الذي يرمز له بالكبش كان يعتبر الرب الرئيسي الأمازيغي، وقد أكدت النصوص وجوده منذ القرن السادس قبل الميلاد وإلى العهد البيزنطي، ولذلك فلدينا الحق في أن نعتقد بأن وجود الرب أمون أقدم بكثير من القرن السادس قبل الميلاد بل وأن وجوده استمر إلى ما بعد الفتح الإسلامي للمغرب بوقت كثير. وهو رب كبش بطبيعته الحيوانية، ويقابل أرباب الشعوب الأخرى : فهو يقابل بعل حمون البوني وزيوس اليوناني وربما غيرها، أما أصله وطبيعته فسنحاول تقديم بعض الأفكار حولها.

لقد كان من المسلمات لغاية بداية القرن العشرين أن مصر هي التي كانت وراء انتشار معبوداتها عبر شمال إفريقيا، كما أن الأكباش المتوجة أو المحاطة رؤوسها بهالة، والمنحوتة على النقوش الصخرية في جبال الأطلس، كانت رغم البعد الجغرافي، قد ربطت بكل بساطة بالرب أمون بطيبة الذي يعتقد أنه مصري والذي كان هنري باصي قد عثر على اسمه تحت شكل "أمان"، الذي تعني السيد لدى الكوانش بالكناري. وقد تحول أمون الإله الكبش إلى إله شمسي بعد امتزاجه مع "رع" وهيمنت عبادته على شمال إفريقيا ولن يكون أمون الليبي في سيوه إله الوحي إلا نسخة من إله طيبة حسب رأي الباحثين المؤيدين لفكرة الأصل المصري لأمون.

كان هذا الافتراض جد بسيط وكان مقبولا إلى غاية منتصف القرن العشرين لأنه اتضح اليوم أن الكبش المتوج لا يمكن أن يكون هو كبش أمون "رع" لأنه يبدو وبكل بساطة أن الكبش المتوج المنحوت في النقوش الصخرية أقدم بكثير من أمون رع، ويعود إلى مرحلة من العصر الحجري الحديث "وقد تم أخيراً في مصر في مقبرة الكرمة بالنوبة العثور على بقايا كباش قدمت قرابين وكانت تحمل على رؤوسها رموزاً تذكرنا برموز كباش جبال الأطلس، إلا أن كباش مقبرة الكرمة أحدث من كباش الأطلس لأنها معاصرة للامبراطورية المصرية الوسطى، وهذا الاكتشاف الأثري يؤكد، حتى في بلاد النيل، بأن الكبش الحيوان والقربان لا يكون دائما مرتبطا بالضرورة بعبادة أمون - رع. ويذكر كامبس "بأن تحليل النقوش الصخرية بجبال الأطلس الحاملة للكباش تسمح بالتفكير في أن هذا الحيوان لم يكن موضوع عبادة ولكن عبارة عن أضحية مزينة تقدم كقربان".

أما بالنسبة لگسيل فقد كان في البداية يدافع عن الفرضية القائلة بالأصل المصري لعبادة الكبش الأمازيغي في الجزء الأول من كتابه *"التاريخ القديم لشمال إفريقيا"* لكنه تخلى عنها في الجزء السادس. وهذا يعني أن قيدوم مؤرخي شمال إفريقيا الذي يعود الكثير من الباحثين إلى افتراضاته وفرضياته، قبل لأول مرة بأن يعترف بأن عبادة الكبش الأمازيغي لا علاقة له بعبادة أمون المصرية.

أما في مصر فيذكر الرب الكبش أمون في نصوص الأهرام باعتباره ربا أصليا عتيقا، إلا أنه سيصبح خاصا بمدينة طيبة بعد الأسرة الحادية عشرة (2133 ـ 1991 قبل الميلاد) وقد فسر المصريون اسمه على أساس أنه يعني "الخفي" إذ كان القوة المؤثرة في الريح غير المرئية.

وهناك عدة آراء في أصل أمون :

1 ـ ففي اللغة المصرية القديمة اللفظ مشتق من معنى الاختفاء وعدم الظهور.

2 ـ وفي اللغة الأمازيغية اللفظ "أمن" أو "أمان" تعني الماء أو المياه لأن كلمة أمان الأمازيغية جمع ليس لها مفرد، والهمزة في بداية الكلمة سابقة معروفة في الأمازيغية وفي المصرية القديمة، وهذا يعني أن اللغتين الأمازيغية والمصرية القديمتين تنتميان إلى عائله لغوية واحدة تفرعت عن اللغات الأفرواسية ذات الأصل الإفريقي.

وفي مصر كان اسم الرب الكبش أمون يدخل في تركيب أسماء عدد كبير من الفراعنة وفي أسماء الكهنة المصريين على السواء.

وعند مراجعة بعض الكلمات الأمازيغية، نلاحظ أن كلمة أمن أو أمون تدخل في تركيب بعض الألفاظ منها مثلا ثامنت التي تعني العسل، فليس من المستبعد أنها تتكون من مقطعين "ثا" و"أمن" وأن الأمازيغ لما خبروا أهمية العسل كغذاء وكدواء، ربطوه بأهم معبوداتهم وهو أمون تقربا منه وتكريما له اعترافا بقوته وبفضله.

كما أنه يبدو أن هناك مجموعات بشرية تنسب إلى أمون أو أن اسمها يدخل في تركيبة اسم الرب أمون منها الأمونيون والكرامانت والناسامون. فالأمونيون يظهر أنهم تسموا بذلك نسبة إلى الرب أمون، فهم على حد قول هيرودوت : "أول جماعة يلقاها القادم من طيبة بعد رحلة تستغرق عشرة أيام الذين يعبدون زيوس طيبة والمقصود هنا آمون طيبة إذ أن لتمثال زيوس في طيبة، كما قلت من قبل، رأس كبش". ويبدو أن الأمونيين ليبيون لأنهم يسكنون بعيدين عن طيبة المصرية مسافة تقدر بعشرة أيام في نظر هيرودوت وربما أكثر، لأنه من خلال كلامه عن مواطنيهم يبدو أنهم يسكنون في منطقة بها مياه معدنية تقع في الصحراء التي يبدو أنها ليبية، وعليه فمن المرجح أن الأمونيين أمازيغ ليبيون. ونظراً لأنهم كذلك، فإنهم انتسبوا إلى رب قريب من بيئتهم ومن منطقتهم، يعني أنه رب صحراوي انتسبوا إليه.

أما الگرامانت وهم سكان فزان الأقدمون، فقد كانت لهم على ما يبدو دولة يسيطرون بها على الطرق التجارية الصحراوية وكانت عاصمتهم تسمى جرمة. وهيرودت هو أول من أشار إليهم في الكتاب الرابع فقرة 183 : "ويعيش هنا قوم كثيرو العدد يدعون الگرامانت... وعند الگرامانت توجد الثيران... ويمضي هؤلاء الگرامات في عرباتهم ذات الخيول الأربعة". وقد كان الگرامنت الشعب الوحيد الذي يستطيع اختراق الصحراء جنوباً في مطاردة الحيوانات مثل الفيلة والنعام ونحوها. ويرجح البعض أن الطوارق الموجودين حاليا بالصحراء هم نسل أولئك الگرامانت الأقدمين. وليس من

المستبعد أن يكونوا من عباد أمون لأن التركيب اللغوي للاسم "گرأمن" يدل على أن جزءا من الإسم يحوي اسم الرب أمان وأمون. وأگرأمون، تتكون من كلمتين "اگر" تعني حقل و"أمون" هو الرب، والكلمات تعطينا ما يلي : حقل أمون، إذن فالگرامانت هم أبناء حقل أمون.

الناسامون : يقول هيرودوت في كتابه الرابع فقرات 172 . 182 : "ويلي إقليم الأوسخيساي غربا إقليم زاخر بسكانه من جماعة الناسامون... أما طريقتهم في استطلاع الغيب فهي أنهم يذهبون إلى أضرحة أسلافهم حيث يقيمون الصلوات ثم ينامون ويعتبرون كل ما يأتيهم من الأحلام وحيا...". والذي يهمنا في هذا النص اسم المجموعة البشرية الناسامون وممارستهم استطلاع الغيب، وهي الظاهرة الأساسية التي كان يتميز بها الرب الكبش أمون في سيوه. إذ أن الناس ورجال الدولة كانوا يتوجهون إليه للتنبؤ واستطلاع الغيب ومعرفة أحداث المستقبل. وقد أصبح معبد أمون في سيوه مركزا مرموقا بعد استيلاء الفرس بقيادة قمبيز على معبد أمون بالأقصر. واكتسب هذا المعبد مكانة خاصة في القرن الخامس ق. م. في مدن الإغريق بما قدمه لهم من النبوءات عن انتصارهم على أعدائهم الفرس. فاستطلاع الغيب موجود لدى الناسامون ولكن دون الالتجاء إلى هيكل أمون، إذ يكتفون بالصلاة والنوم في أضرحتهم. فلربما هذا راجع إلى أن أصحاب هؤلاء الأضرحة كانوا من عباد وأتباع الرب الكبش أمون أو من كهنته.

أما اسم الناسامون الذي تطلقه هذه المجموعة البشرية على نفسها، فهو بدوره يبدو مركبا من كلمتين أمازيغيتين إناس وأمون، إناس من "إنّ" الأمازيغية التي تعني : قال يقول أو أوحى يوحي، وهذا في حد ذاته يوحي بوجود علاقة ما بين هذه المجموعة البشرية والرب أمون المعروف بالوحي والتنبؤ. ويمكن أن نترجم كلمة إنّاس أمون بـ"يوحي" آمون أو يقول أمون أو أمون الموحي، أمون القائل، بمعنى أنهم أبناء أمون الذي يقول ويوحي، وأن حملهم لاسم أمون دليل على عبادتهم له وارتباطهم به.

ومن خلال هذه الأمثلة، يبدو أن الرب أمون الرب الكبش، يعبده كثير من الأمازيغ لدرجة أنهم انتسبوا إليه وأدخلوا اسمه المقدس في الأسماء المركبة لمجموعاتهم البشرية، هذه المجموعات التي كانت تقطن الصحراء بالدرجة الأولى وهي الصحراء الليبية وتقدس وتعبد بدون شك ربا صحراويا قريبا من وسطهم ويساير عقليتهم ومستواهم.

وهناك مجموعات بشرية أمازيغية ومناطق وأماكن تحمل اسم الكبش رمز الرب أمون، ولكن بدون ذكر اسم الإله أمون، ومنها :

الجيتول أو الگيتولي وهي مجموعات بشرية كانت تقطن المناطق المتاخمة للصحراء وكانت لها تنقلات موسمية بحثا عن الماء لماشيتها. ويبدو أن الإسم مركب من كلمتين أمازيغيتين : گايت التي تعني آيت، وولى التي تعني الغنم أي آل الأغنام وهم بدون شك كانوا يربون الأغنام، وتربيتهم لها تجعلهم بدون شك مرتبطين بعبادة رب يرمز إلى الغنم وهو الإله الكبش أمون.

ومنها كذلك قبائل إيدا أويزمار، ويعني بالأمازيغية أبناء الكبش. وكانت تقطن خلال القرن الثاني عشر الميلادي في الأطلس الكبير الغربي. وفي مكان قريب من هذه المنطقة يسمى أغبار، نجد قرية تحمل اسم ويزمار، التي تعني الأكباش بالجمع كما أن هناك فجا يحمل اسم ايمگاردايزمار لدى قبائل گندافة والتي تعني فج الأكباش، وفي جنوب دمنات تقطن قبيلة تحمل اسم آيت بُووولى التي تعني أصحاب الأكباش أو المنتمين إلى الأكباش. وكل هذه الأسماء نجدها تحتل منطقة قريبة من تلك التي تتحدث عنها الحكايات، والمجاورة لمواقع النقوش الصخرية التي تتضمن رسوم الأكباش المتوجة، ومن المحتمل أنها تغطي منطقة عبدة الكبش الذين أشار إليهم البكري. وهذا الوجود المكثف للكبش يوحي بأن عبادته كانت منتشرة في هذه المناطق المذكورة وفي غيرها، وخاصة في المناطق الجنوبية المتاخمة للصحراء وفي الصحراء. وهذا ما جعل البعض يعتبره ربا صحراويا على أساس أنه كان في الأصل معبودا صحراويا قبل انتقاله مع النازحين الهاربين من الجفاف إلى المناطق المستوطنة الجديدة.

وصحراوية الرب الكبش أمون دفعت العديد من الباحثين إلى طرح موضوع يتعلق بمسألة الأصل الليبي الأمازيغي ليس فقط لأمون، ولكن للعديد من المعبودات المصرية. ودار الحديث حولها كثيرا ما بين قائل بها ورافض لها، بل وذهب العديد من المؤرخين إلى القول بأن هذا الأصل الليبي - الأمازيغي للمعبودات المصرية، مرتبط أساسا بالتكوين السكاني لوادي النيل العائد في أغلبه إلى المهاجرين الليبيين الأمازيغ أو الصحراويين، بعد جفاف الصحراء، إلى الوادي ؛ وإلى دلائل وعلامات وإشارات في النقوش المصرية ذاتها تشير إلى هذا الأمر كما هو عائد إلى طبيعة العلاقة المستمرة بين أهل الوادي وأهل الصحراء، أو بتعبير آخر بين المصريين والليبيين الأمازيغ، حتى إن أوريك باتس يقول : "يبدو من المؤكد أن ثمة علاقة بين ديانة المصريين القدماء وديانة الليبيين والأمازيغ أقرب من العلاقة التي بين ديانة الأخيرين والساميين مثلا. وتماما كما نسج عنصر ليبي محدد في اللغة المصرية فإنه توجد، من كل وجه، عناصر منوعة في الديانة المصرية ذات أصل ليبي".

وانطلاقا مما سبق يظل السؤال المطروح حول أصل الرب الكبش أمون مطروحاً، فهل هو أمازيغي أم مصري ؟

يبدو أنه ذو أصل صحراوي أمازيغي بالدرجة الأولى، وأن تقديسه وتبجيله قديم جدا يعود ربما إلى ما قبل وجوده بمصر وبواحة سيوه، أي إلى الأيام التي كانت فيه الصحراء لم تصل بعد إلى مرحلة الجفاف الحالي، إذ كانت لاتزال تتمتع بنوع من الرطوبة، وكانت تعج بالحياة النباتية والحيوانية

والبشرية. وعندما بدأت مرحلة الجفاف اضطر سكانها إلى النزوح بحثاً عن أماكن الماء والصيد والرعي والكلأ. فمنهم من اتجه إلى الشمال، أي إلى شمال إفريقيا ومنهم من اتجه إلى الشمال الشرقي، ومنهم من اتجه إلى الجنوب، ومنهم من تكيف مع الظروف المناخية الجديدة وظل مقيماً بها، والذي يهمنا في هذا كله الجماعات التي اتجهت إلى الشمال والشمال الشرقي، والتي انتقلت بثقافتها ومعتقداتها ومعبوداتها. ومن هذه الجماعات البشرية المجموعات التي اتجهت إلى ليبيا ومنها اتجهت إلى وادي النيل. وهذا ما جعل العديد من المؤرخين والباحثين يربطون العديد من المظاهر الثقافية والليبية الأمازيغية على أساس أن الجماعات البشرية التي وصلت إلى مصر ووادي النيل، مرت بليبيا أولا واحتكت بسكانها وأثرت فيهم وتأثرت بهم، هذا إذا لم يكونوا ينتمون إلى أصول بشرية واحدة، اعتبارا من التقارب الموجود بين اللغتين المصرية والأمازيغية. وهذا الاحتكاك والتقارب اللغوي والثقافي هو الذي جعل الباحثين يعيدون النظر في العديد من المظاهر الثقافية المصرية للأصل الأمازيغي الصحراوي.

وعليه، فيمكن أن نعتبر أن الرب الكبش أمون رب أمازيغي صحراوي قبل أن يكون مصريا، أولا، اعتمادا على اسمه الذي يدخل في تركيب عدد من أسماء المجموعات البشرية الأمازيغية، وثانيا، على رسوم النقوش الصخرية التي تمثل الكبش المزين بالقرص والقلائد والعقود، والمنتشرة في كل نقوش ورسوم النقوش الصخرية التي تغطي جنوب شمال إفريقيا والصحراء، وعلى اسمه الأمازيغي المرتبط بعنصر حيوي للحياة وهو الماء.

وعلى ذكر النقوش الصخرية، فإن الأكباش المرسومة فيها والتشابه بينها وبين صورة كبش أمون المصري، هو الذي دفع الباحثين في البداية إلى الاعتقاد بأن كبش النقوش الصخرية متأثر بكبش أمون المصري، وأن هذا الأخير هو الأصل والآخر هو الفرع. وبالتالي فإن كل الأكباش والنقوش الصخرية في شمال إفريقيا والصحراء هي أكباش مقتبسة من كبش أمون المصري إلا أن هذا الرأي أصبح اليوم متجاوزا، لأنه اتضح من خلال النقوش الصخرية ومقارنتها فنيا وتاريخيا بكبش أمون المصري أن كبش النقوش الصخرية أقدم بكثير من كبش أمون المصري وهذا يعني أن الذي كان الأصل فيما سبق أصبح على ما يبدو - هو الفرع.

فكيف ذلك ؟ من خلال دراسة النقوش الصخرية تظهر الأكباش في الغالب مزينة بعلامات وإشارات تشريفية لا تناقش، إلا أن تفاصيلها من الصعب تحديدها بدقة. من هذه الإشارات والعلامات : القلائد والعقود والهالة أو التاج على شكل قرص أو دائرة فوق الرأس. ومن أشهر هذه الأكباش المنقوشة والمتوجة كبش فج زناگة بالمغرب وبوعلام بالجزائر التي قورنت بكبش أمون - رع المنحوت في الحجر والذي يحمل فوق رأسه قرصا، ربما مثل الشمس ويحيط بعنقه عدة عقود. أما كبش زناگة وبوعلام فإن الأول يحمل فوق رأسه زينة على شكل تاج ثلاثي الرؤوس بينما الثاني يحمل فوق رأسه وبين قرنيه قرصا دائريا. ويحيط بعنقهما معا عقد كأن يدا واحدة صنعتهما. وقد قورن نحت كبش أمون - رع المصري، بكبش زناگة ولوحظ أن عقد كبش زناگة أوسع وغير مزخرف، مثل عقد كبش أمون - رع المصري، وفوق الرؤوس تحمل الأكباش أشكالا تعلو الرأس أو تحيط به عبارة عن قرص أو تاج أو الشعر المزين. وهذه العناصر لا نجدها إلا لدى الحيوانات الأليفة المذكورة على الخصوص، كالكبش والثور والتيس، وهي حيوانات تتسم أحيانا ببعض التقديس سواء في النقوش الصخرية أو في مصر. أما القرص فيمكن أن يعني رمزا شمسيا كما أنه يمكن أن يعني أيضا القمر في ليلة تمامه، أي البدر لأن القمر في اعتقاد القدماء، يقدم الرطوبة بينما الشمس تقدم الحرارة والجفاف. ونعتقد أن القرص الموجود في النقوش ليس من الضروري أن نعتبره رمزا شمسيا، بل رمزا قمريا، نظرا لارتباطه المحتمل بالمطر. وقد ظل هذا الارتباط بين القمر والمطر، مستمرا إلى يومنا هذا في بعض المناطق الأمازيغية. ولا نعتقد أن أمازيغيا يمكن أن يفكر إطلاقا في الالتجاء إلى الشمس لطلب المطر، لأن الشمس تتحكم في فصل الصيف يعني فصل الجفاف وانعدام الماء. ولكن هذا لا يمنع الالتجاء للشمس لتخفيف حرارتها وتلطيفها. ولذلك فمن المرجح أن يكون القرص، أو الدائرة أو الهالة، المرسومين فوق رأس الكبش عبارة عن رمز للقمر بالنسبة لأكباش النقوش، وليس للشمس. لأن الهدف من تقديس وعبادة هذه الأكباش هو الزيادة في تكاثر الأكباش وتوفير المراعي الكافية لها.

هذا والجدير بالذكر أن عددا من الكتاب الكلاسيكيين كهوميروس وبيندار أثاروا الانتباه إلى ثروة شمال إفريقيا الممثلة في الأكباش والمراعي، وأن سكان شمال إفريقيا هم الوحيدون في الأزمنة القديمة، الذين كانوا يقدرون الكبش ويقدسونه، إذ لا نجد خارج هذه المنطقة سواء حول البحر الأبيض المتوسط أو في الشرق آثارا مؤكدة لعبادة من هذا النوع. وكانت ترتبط بعبادة الكبش مجموعة من المهرجانات والحفلات نجد لها صدى فيما يعرف بـ"بوجلود"، وهو شخص يلبس جلد الكبش ويتجول به خلال الحفلات الشعبية وخاصة في عيد الأضحى. ولقد حاول دوتي تفسير هذه المهرجانات من وجهة نظر العالم فرايزر الذي اعتبر أن الممثل الرئيسي بوجلود كان يتقمص شخصية السنة المنقضية، وكان الناس فيما سبق يقومون بقتله من أجل تجديد روح الحياة في النبات والحيوان - على ما يبدو - وكان يمثل معبودا قديما يستخدم الكبش فداء له.

ووصول هذه الأصداء العتيقة إلينا، دليل على المكانة التي كانت لعبادة الكبش بين الأمازيغ خلال العصور القديمة والتي استمرت إلى ما بعد. إذ يؤكد القديس أثناس الذي كان يعيش في الإسكندرية في القرن الرابع الميلادي أنه في

زمنه، بجوار الدلتا بل وفي العاصمة كان يلتقي بالأمازيغ المتمصرين أو المتهيلنين منذ قرون ومع ذلك فهم يعتبرون الكبش إلا ما يسمونه أمون.

ومن خلال ما تقدم، يمكن أن نعتبر أن عبادة الكبش كانت قديمة في بلدان شمال إفريقيا، وأن هذه العبادة انتقلت من شمال إفريقيا والصحراء إلى ليبيا ومنها إلى مصر ثم عادت من مصر وانتشرت من جديد تحت إسم جديد. وأن الكبش المنقوش في الصخور مهما كان شكل زينة شعره وقرونه لا يمت بأي صلة للرب المصري أمون - رع الذي لم يولد بعد. وأن تبادل التأثيرات والتلازم بين الشعوب المجاورة تواصلت دائما فيما بينها، وتوضح أن هناك مجموعة من المدارك مشتركة فيما بينها.

*القرآن الكريم* ؛ *التوراة* ؛ مصطفى أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، د. د، كلية الآداب، فاس، ص. 156 - 170 ؛ أيوب محمد سليمان، جرمة، من تاريخ الحضارة الليبية، الطبعة الأولى، 1969، دار المصراتي للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا ؛ علي فهمي خشيم، *آلهة مصر العربية*، مجلدان، دار الآفاق الجديدة، ط. 1، 1990، المجلد الأول، ص. 1 - 447 ؛ أحمد زين الدين، دلالات ميثولوجية برسم الانثروبولوجيا، *مجلة كتابات معاصرة، العدد 12، مجلد 11*، غشت - شتنبر *1991* ؛ محمد شفيق، من أجل مغارب مغاربية بالأولوية، *مركز طارق بن زياد، ط. 1، 2000، ص. 163 - 179* ؛ محمد أحمد أبوصوة، *مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي*، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1992.

H. Basset, Quelques notes sur l'Ammon libyque, *Mélanges René Basset*, Paris, 1923 t. 1 ; R. Basset, Recherches sur la religion des berbères, *Revue de l'Histoire des Religions, LXI, mai-juin 1910, p. 291-342* ; O. Bates, *The Eastern Libyans*, Frank Cass and Co, London, 1914 ; G. Camps, Ammon, *Encyclopédie berbère, IV, 1987, p. 596-599* ; Id., Le bélier à sphéroïde, *Encyclopédie berbère*, IX, 1991, Edisud, p. 1417-1439 ; F. Decret et M. H. Fantar, *L'Afrique du nord dans l'antiquité*, Paris, Payot, 1966, p. 62-68 ; Germain, Le culte du bélier en Afrique du Nord, *Hespéris, t. XXV, 1° et 2ème trim.*, p. 93-124 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 volumes, 1913-1929, vol. IV, p.126-128 ; Jean-François Modot, Kerma les chemins de la puissance, in *Les Cahiers de Science et Vie n° 79, février 2004*, p. 48-51 ; H. Rachik, *Sacré et sacrifice dans le Haut Atlas marocain,* Afrique Orient, 1990.

مصطفى أعشي

**الكتابات**، يقصد بالكتابات النصوص المنقوشة على مختلف المواد الصلبة من حجر و رخام وخشب الخ.. ولقد اجتهد الفنان المسلم في تجويد الكتابة والخط مستفيداً من ليون الحرف العربي الذي استخدمه في إبراز عظمة الخالق وقدسية القرآن الكريم فضلاً عن تسجيل أفكار وخطابات ذات معاني مختلفة ومضامين متنوعة. ونظراً للهالة الدينية التي أحاطت بالحرف العربي فإنه وظف في الفن الإسلامي بكثافة تفوق بكثير غيره من الفنون العالمية. فلا عجب إذن أن تشكل الكتابة والخط أحد المظاهر الأساسية للإبداع في الفن الإسلامي.

لقد اعتنى الباحثون بدراسة الكتابات رغبة في معرفة أبعادها الجمالية وقيمتها الثقافية والفكرية. فخلال القرن (19 م) تزايدت وتيرة الرحلات الاستكشافية والبعثات العلمية الأوربية إلى البلاد الإسلامية. ونالت الكتابات جزءا من اهتمامها إذ قام عدد من العلماء بجمعها وتوثيقها وتحليلها. ويرجع الفضل إلى العالم السويسري ماكس ڤان برشم (ت. 1921) في وضع اللبنات الأولى لعلم الكتابات العربية والتي فصلها في كتابه المعروف "*جامع الكتابات العربية*" وخاصة القسم الأول المتعلق بمصر والذي نشره عام 1903، ثم قام ثلة من أصحابه وتلامذته بنشر كتاب آخر في عدة مجلدات يعد معلمة في حقل الكتابات العربية وذلك تحت اسم "*السجل التاريخي للكتابات العربية*" (بالفرنسية) وأسهمت جهود العالم صمويل فلوري خلال العقود الأولى من القرن الماضي في تقدم الأبحاث حول الكتابات وبالتحديد الجوانب الشكلية والفنية للطراز الكوفي. فقد انطلق من أن لكل عصر أسلوبه الزخرفي ومنه الأسلوب الكتابي فسعى إلى إبراز الخصائص الشكلية لكتابات كل عصر. ثم حاول تأريخ الأثر غير المؤرخ استناداً إلى ما يحويه من كتابات وزخارف. وهكذا يعتبر فلوري أول من وقف عند أهمية الحرف العربي في التأريخ للتحف والمعالم التي يوجد عليها.

وبدأ الاهتمام باستكشاف كتابات المغرب الأقصى ودراستها متأخراً مقارنة بالمشرق الإسلامي. ويعتبر كتاب ألفريد بيل عن كتابات فاس أهم بحث علمي في هذا المجال. ويتضمن مقال هنري باسي وليڤي بروڤنصال عن شالة إفادات عن كتابات شاهدية ومعمارية بالموقع المذكور. كما نشر دڤردان عملا مهما عن كتابات مراكش جمع نماذج تعود إلى فترات مختلفة. ونشرت أيضا حول الموضوع مقالات في دوريات ومجلات عديدة وقد كشفت الأبحاث المذكورة على تنوع الكتابات المغربية سواء على مستوى المادة التي كتبت عليها أو مضامينها أو أشكال حروفها، وتجدر الإشارة إلى أن المصادر الأدبية لا تخلو من إشارات مفيدة عن الكتابات المغربية عبر العصور.

ويرجح أن أقدم نقيشة بالمغرب عثر عليها بجامع القرويين بفاس، وهي تعود إلى سنة 263 وتحمل اسم الإمام الإدريسي داوود بن إدريس. إنها النموذج الوحيد، إلى جانب بعض النقود الإدريسية التي تُعطينا فكرة عن الملامح الأولى للكوفي بالمغرب، فهي ذات حروف بسيطة كتبت على خلفية

خالية من الزخارف وتتمحور الحروف حول سطر قاعدي منتظم مستقيم. وعلى الرغم من بساطة الحروف فإنها تنتهي أحيانا بورقة ذات ثلاثة فصوص. ويتبين من هيئة الحروف الكوفية الإدريسية أنها متأثرة كثيراً بالطراز الكوفي الإفريقي والمشرقي.

ولم يصلنا فيما يبدو من كتابات القرن الرابع الهجري إلا النماذج التي تزين منبر جامع الأندلس بفاس. وهي تنتمي إلى الطراز الكوفي حيث اهتم الفنان بتقويس بعض الحروف مثل الحاء وماشابهها، وجعل نهاية الحروف الصاعدة على شكل حافة مائلة أو طورها أحيانا إلى ورقة ذات ثلاثة فصوص، كما وزع بين الحروف بعض الأوراق النباتية المنفردة. ومع أن الحروف الكوفية لم تشهد إلا تحسينات محدودة فإنها تؤرخ للمحطات الأولى للتلاقح الفني بين المغرب والأندلس.

وبوصول المرابطين إلى الحكم (القرن 5 هـ)، عرفت الحركة الفنية نشاطا كبيراً كما تدل على ذلك المشاريع العمرانية والمعمارية الضخمة المنجزة آنذاك.

وتشهد الكتابات المكتشفة في أغلب الحواضر المرابطية على استخدام طراز جديد في مجال الكتابات وهو الطراز ذو الحروف اللينة والذي ينعت بأسماء مختلفة (النسخ) و"الثلث المغربي" و"المشرقي المتمغرب).

ويمتاز هذا الطراز خلال العهد المرابطي بليونة حروفه مع تباين ملحوظ في سمك كل حرف على حدة (بين الدقة والبدانة)، وتتسم الحروف المنتصبة بعدم استقامتها، أما الحروف ذات الذيل فيغلب عليها الإرسال والانبساط.

كما تتوزع الحروف على أكثر من مستوى حيث تتشابك وتتداخل فيما بينها ومع الزخارف المرافقة لها.

وفي المقابل خضع الطراز الكوفي المرابطي لتحسينات على مستوى نسقه العام أو هيئة حروفه. فقد سجلت الكتابات على خلفية ذات زخارف نباتية وتم تشبيك الحروف المتجاورة (الالف واللام) مشكلة ضفيرة ويتم تمديدها أحيانا لترسم أشكالا هندسية مستلهمة من الأقواس المعمارية، فضلاً عن تصاعد ذيل حرف النون. ومع ذلك لم تبلغ الحروف الكوفية المرابطية الثراء والغنى الذي وصلته مثيلاتها في إفريقية والمشرق الإسلامي. فهذه الأخيرة تميزت بتشكيلاتها المعقدة والتواءاتها البديعة وضفائرها الجذابة. وهكذا ظل الكوفي المرابطي قريبا من مقومات الكوفي الأندلسي.

وخلال العهد الموحدي تراجع عدد الكتابات. ومال الطراز الكوفي الموحدي إلى التقليل من الزخارف المرافقة للحروف والمتولدة عنها في حين حافظ الحرف على نصاعته ووضوحه وشموخه. كما زادت وتيرة تداول الطراز النسخي.

واستمر فنانو بني مرين في استخدام الأنماط السابقة لكن أدخلوا عليها تعديلات وأبدعوا أصنافا جديدة لتتماشى مع الوظيفة الزخرفية للحرف العربي. ففضلا عن "الكوفي ذي الحروف المورقة" و"الكوفي المضفر" وغيرهما أبدع المرينيون "الكوفي المعماري" الذي يقتبس تكويناته من الأشكال المعمارية (أقواس - أعمدة...) و"الكوفي المرآتي أو المتعاكس" الذي تكتب حروفه من اليمين إلى الشمال ومن الشمال إلى اليمين، بشكل متقابل مع الدقة والضبط في التشكيل.

أما الطراز النسخي فقد شهد أزهى عصوره خلال هذه المرحلة، ويتجلى ذلك في تناسب الحروف وتنوع أشكالها. واعتمد الفنان المريني على مدونة للحروف النسخية تتسم بالغنى والتنوع وهي تدل على مدى التلاقح بين المدرسة المغربية وأختها الأندلسية والتفاعل بينهما في هذا الحقل الفني.

M. Van Berchem, *Materiaux pour un corpus inscriptionum arabicarum*, 1ère partie, Égypte, éd. Ernest Leroux, Paris, 1903 ; *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe*, 17 tomes, Pub. de l'IFA%, Le Caire ; S. Flury, *Le* décor épigraphique des monuments fatimides du Caire, in *Syria, Fasc. 4*, 1936, p. 363 - 376 ; A. Bel, *Inscriptions arabes de Fès,* extrait du Journal asiatique 1917-1919, Imp. Nationale, Paris ; G. Deverdun, *Inscriptions arabes de Marrakech*, Pub. de l'IHEM, t. LX, Rabat, 1956 ; *U*ne nouvelle inscription idrisite 265 H. J. C., in *Mélanges Georges Marçais*, t. 2, Alger, 1957, p. 67-73 ; L.M. Aouni, *Étude des inscriptions mérinides de Fès*, 3 t. Thèse de doctorat (N.R) inédite Aix-Marseille I, 1991.

الحاج موسى عوني

## الكتابة العامة للحكومة ← الحكومة

## الكتابة العامة للحكومة الشريفة Secrétariat Général du Gouvernement Chérifien

شكلت الكتابة العامة للحكومة الشريفة امتدادا للكتابة العامة Secrétariat Générale التي أنشئت في بداية الحماية (مرسوم 28 أبريل 1912، لتكون، على غرار ما كان عليه الأمر في المستعمرات الفرنسية، العمود الأساس في البناء الاستعماري وقطب الرحى في النسق الإداري الناشئ. وتمثل دور رئيسها، الكاتب العام، في تتبع سير وتنظيم المخزن - بالتعاون مع الصدر الأعظم، نظريا على الأقل - ومراقبة الدوائر المخزنية والإشراف على أمور الإدارة المدنية والشرطة والعدل والقضاء والتعليم ومجال الشعائر الدينية.

وقد حملت الكتابة العامة اسم الكتابة العامة للحكومة الشريفة Secrétariat Général du Gouvernement Chérifien، بعد تأسيس الكتابة العامة للحماية (15 - 1 - 1913)، التي تحدد دورها في الإشراف على الأمور الإدارية والمدنية وتنسيق أعمال الدوائر (*Bulletin Officiel*, 2ème année, n° 13, 24-7-1913, p. 65-66). ونتج عن هذا التطور، توزيع العمل الإداري بين الكتابة العامة للحماية التي أشرفت على سير الإدارات المدنية المستحدثة، والكتابة العامة للحكومة الشريفة، التي حافظت، رغم تقلص دائرة اختصاصاتها، على أهميتها ومكانتها في النسق الإداري - على غرار ما كان عليه الأمر بالنسبة للكتابة العامة للحكومة التونسية - إذ كانت مكلفة بالإشراف على المخزن وعلى العلاقات مع الدوائر المخزنية والأمور المتعلقة بالعدل والتعليم الإسلاميين.

وأصبح نظام الحماية، نتيجة هذا التطور، مرتكزا على وجود كاتبين عامين، إذ كان النظام الإداري، القائم على مبدأ الازدواجية، منقسما إلى قسم "أهلي أصيل" (المخزن وقضايا المجتمع المغربي)، يدخل ضمن اختصاصات الكاتب العام للحكومة الشريفة، المعيّن بظهير سلطاني، باعتباره ممثلا للإدارة المخزنية، وقسم أجنبي دخيل أشرف عليه الكاتب العام للحماية ـ الكاتب العام للدولة الحامية حسب الجريدة الرسمية (النسخة العربية) ـ الذي عين بموجب مرسوم موقع من رئيس الجمهورية الفرنسية.

وكانت الكتابة العامة للحكومة الشريفة، أو الكتابة العامة للدولة الشريفة، تتكون من الهيئات التالية : مكتب الإدارة الأهلية (قسم الدولة) المكلف بالعلاقة مع المخزن ومراقبة الصدارة العظمى والإشراف على أمور الإدارة الأهلية؛ ومكتب الإدارة المدنية (إدارة الداخلية)، الذي تكلف بتأسيس البلديات والشرطة والمراقبة المدنية ؛ ومصلحة الترجمة العامة والتشريفات والبروتوكول ؛ وهيئات خاصة بالتعليم والعدل والأحباس.

لم تصمد الكتابة العامة للحكومة الشريفة طويلا، أمام التطورات التي عرفتها الحماية، في فترة الحرب العالمية الأولى ؛ إذ أن العوامل السياسية والاستراتيجية فرضت على الإقامة العامة توحيد مصدر القرار السياسي والحرص على عدم تشتيت الجهد الإداري. وقامت لذلك، بدعوى تقليص النفقات وعقلنة التسيير الإداري، بحذف منصب الكاتب العام للحكومة الشريفة (مرسوم 19 ماي 1917)، وتفكيك إدارته، التي كانت تُعد في الأصل هيئة مخزنية. وانبنى على ذلك، أولا، استحداث منصب "مستشار الحكومة الشريفة" (مستشار المخزن) Conseiller du Gouvernement Chérifien، الذي احتل المرتبة الرابعة في التراتبية الإدارية. وقد ترأس هذا المستشار إدارة الشؤون الشريفة Direction des Affaires Chérifiennes التي كانت اختصاصاتها، امتدادا لاختصاصات للكتابة العامة للحكومة الشريفة، إذ تكلفت بالإشراف على الإدارة المخزنية والمؤسسات العدلية والتعليمية "الإسلامية" (*Bulletin Officiel*, 4 juin 1917, n° 241, p. 610-611) ؛ وثانيا ؛ إنشاء إدارة الشؤون الأهلية ومصلحة الاستعلامات Direction des Affaires Indigènes et Service de Renseignements، المسؤولة عن مجال السياسة الأهلية والمسائل المتعلقة بالاستخبارات والسياسة العامة بالبلاد، وإدارة الأشغال المدنية Direction des Affaires Civiles (ظهير 10 يونيو 1917) التي كلفت ببعض المهام الإدارية والأمنية والاجتماعية.

*تقارير مختلفة خاصة بالكتابة العامة للحكومة الشريفة* بالخزانة العامة بالرباط، قسم الوثائق ؛ *الجريدة الرسمية*، النسخة العربية.

*Bulletin Officiel* ; J. Goulven, *La France au Maroc*, 25 ans de Protectorat 1912-1937, Paris, 1937 ; André de Laubadère, *Les réformes des pouvoirs publics au Maroc. Le gouvernement, l'administration, la justice*, Paris, Librairie Générale de Droit et de Jurisprudence, 1949 ; Desmazières Bertrand, *P. de sorbier de Pougnadoresse. Le Colbert de Lyautey, 1912-1925*, Rabat ; H. Gaillard, *Rapport sur l'organisation du Makhzen et sa collaboration avec les services du Protectorat*, 15-02-1916, (54 p.), (Bibliothèque Générale, Rabat : Fonds Weisgerber "W").

**الكتابة العامة للحماية** Secrétariat Général du Protectorat

عمل المستعمر، بعد فرض الحماية على المغرب، على إنشاء إدارات عصرية، و "وضع الوسائل الإدارية التي مكنته من مراقبة شؤون المغرب العليا والإحاطة بها إحاطة السوار بالمعصم" (د. إبراهيم بوطالب، "الإدارة"، *معلمة المغرب*، ج 1، ص. 213). ومن الإدارات التي اعتمد عليها، في بداية الحماية، الإدارة العامة للأشغال العمومية وإدارة المصالح المالية والكتابة العامة. وكانت هذه الأخيرة هيئة أساسية في البنيان الاستعماري الناشئ، إذ اضطلعت بمهمة الإشراف على المخزن والإدارة والشرطة والعدل والقضاء والتعليم ومجال الممارسات الدينية. لكن تزايد الأعباء والمهام، والرغبة في التحكم في سير الأمور الإدارية والمدنية، أدى إلى تأسيس الكتابة العامة للحماية (مرسوم 15 يناير 1913)، من أجل الإمساك بزمام الإدارة المدنية "وتنسيق أعمال الإدارات المتخصصة التي أطلق عليها عبارة "الإدارات الشريفة الجديدة" (د. إبراهيم بوطالب، "الإدارة"، ص. 214). وأدى استحداث هذه الهيئة، التي تولى أمورها بول تيرار Paul Tirard ، إلى تقلص أهمية الكتابة العامة، التي اقتصر نشاطها، بعد أن أصبح اسمها "الكتابة العامة للحكومة الشريفة"، على القيام بدور الوسيط بين الإقامة والمخزن، ومراقبة سير الدوائر المخزنية والإشراف على القضايا المخزنية والأمور المتعلقة بالعدلية والتعليم "الإسلاميين".

أما الكتابة العامة للحماية، فقد تزايد دورها بعد قيام الحرب العالمية الأولى وفرض قانون الأحكام العرفية بالبلاد، إذ دعم الجنرال ليوطي اختصاصاتها وأسند أمر تسييرها سنة 1915، إلى الضابط العسكري لالييه دو كودري Lallier du Coudray، الذي أصبح يتحكم، تحت إشراف المقيم العام، في الجهاز الإداري برمته. وقد شملت اختصاصات هذا الضابط الكاتب العام، الأمور المرتبطة بالاستعمار الفلاحي ومصالح المعمرين، والقضايا التي تدخل في اختصاص إدارة الفلاحة والتجارة والاستعمار، ومصلحة الدراسات والمعلومات الاقتصادية، والقطاعات المتخصصة في مجال المياه والغابات، والأملاك المخزنية، ومصلحة المحافظة على الملكية العقارية. كما انضوت تحت لوائه مصلحة الآثار والفنون الجميلة والمعالم التاريخية، ومصلحة التعليم، ومصلحة الشرطة العامة ومكتب الإدارة المدنية (قضايا البلديات، والإعانات العمومية، ومصلحة السجون).

وتعزز موقع الكاتب العام للحماية في الجهاز الإداري، بعد أن أضاف إلى اختصاصاته، بشكل مؤقت، مهام الوزير المنتدب لدى الإقامة العامة. وقد تكرس هذا الأمر بصدور

مرسوم، وقعه رئيس الجمهورية الفرنسية ريمون بوانكريه Raymond Poincaré، في 19 ماي 1917 ، يقضي بإلغاء مرسومي 28 أبريل 1912 و15 يناير 1913 اللذين انبنى عليهما التنظيم الإداري المؤسس ابتداء من سنة 1915، والجمع بين اختصاصات "نيابة الإقامة العامة" و"الكتابة العامة للحكامية". ولمساعدة لاليه دو كودري على تحمل مسؤولية تسيير هذه الهيئة القوية النفوذ والواسعة الاختصاصات، تم تعيين بيير دي صوربيي دي دونيادوريس P. de Sorbier de Pougnadoresse ، الذي تدعم دوره في الديوان الديبلوماسي، نائبا للكاتب العام للحماية (2 يونيو 1917 ). وقد كان هذا الموظف، الذي اتسعت اختصاصاته ومسؤولياته لتشمل الأمور المرتبطة باقتصاد الحرب، من المساعدين المقربين للجنرال ليوطي والمخاطب المفضل لدى وزارة الخارجية.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وجدت الإقامة العامة نفسها مرغمة، نتيجة للظروف الاقتصادية والسياسية الصعبة التي مرت بها لتزايد أهمية القضايا الاقتصادية والمدنية، على اتخاذ الإجراءات التي تمكنها من تقوية الإدارة المدنية والعمل الإداري. وحرصت في هذا الشأن، على استبدال العسكري لاليه دو كودري، الذي تميز تسييره للأمور بالشدة والحزم، بمساعد مدني يخفف عن المقيم العام عبء المشاكل الإدارية والمدنية. وتم في هذا الإطار، استقدام أوربان بلان، القوي بالتجربة الاستعمارية التي اكتسبها في تونس، من أجل مساعدة المقيم العام عل تحمل أعباء المهام الإدارية والاقتصادية. ولكن كثرة المهام، وتعقد المشاكل التي واجهت الإقامة العامة، دفعت الجنرال ليوطي إلى إعادة تنظيم الإدارة العليا للحماية (20. 7. 1920)، وفصل نيابة الإقامة العامة، التي احتفظ أوربان بلان باختصاصاتها، عن الكتابة العامة للحماية التي أسندت، في 27 يوليوز 1920، إلى الديبلوماسي صوربيي.

لقد كانت الكتابة العامة هيئة أساسية في البنيان الاستعماري ؛ إذ أشرفت على المسائل الإدارية، وتحكمت في دواليب "الآلة الإدارية" التي ازدادت أهميتها يوما بعد يوم. وشمل نشاطها مختلف مظاهر الحياة المغربية، بما فيها المسائل المالية والاقتصادية المتعلقة بالفوسفاط وشبكة المواصلات والسياحة والقروض والميزانية، والعلاقة مع المؤسسات الرأسمالية الكبرى. واتسعت اختصاصاتها، بعد إلغاء إدارة الأشغال المدنية، سنة 1922، إذ أصبحت تخضع لمراقبتها ونفوذها القطاعات المتعلقة بالشرطة العمومية والبلديات، و"مصلحة المراقبة المدنية"، التي كانت من الدواليب الإدارية الأساسية في الإدارة المقيمية. ولم تكن الأمور المرتبطة بإدارة الشؤون الأهلية وإدارة الشؤون الشريفة، رغم أنهما كانتا ذات اختصاصات سياسية، تخرج عن دائرة مراقبة الكاتب العام للحماية، "عين المقيم" على الإدارة بكل مرافقها.

ورغم التطور الكبير الذي عرفته الكتابة العامة، والجهاز الإداري بشكل عام، منذ سنة 1912، فإن الإقامة العامة، في مرحلة مارسيل بيروطون، أدخلت بعض الإصلاحات الإدارية التي كان لها تأثير قوي على الكتابة العامة للحكاية. فقد استحدثت المفتشية العامة للإدارات العمومية" (يوليوز 1936 ) التي كلفت بمراقبة عمل الإدارة والتفتيش العام في كل المرافق السياسية والإدارية، وأعادت تنظيم الإدارة العليا، بإصدار مرسوم 6 غشت 1936، الذي نص على الجمع ما بين مهام نائب المقيم العام والكاتب العام للحماية، ودمج المؤسستين في بعضهما، على غرار ما كان عليه الأمر أثناء الحرب العالمية الأولى. وتولى عبء تسيير هذه الهيئة الكبرى، التي أنيطت بها مسؤولية تحريك الجهاز الإداري ومراقبته، روني تييري René Thierry ، بين شهري يونيو ودجنبر 1936، وجان موريز Jean Morize، الذي حافظ على منصبه إلى غاية سنة 1940، التي عرفت انهزام فرنسا أمام الألمان، وانعقاد الهدنة في يونيو 1940.

وقد كان من نتائج هذه التطورات المرتبطة بالحرب، استغناء الجنرال نوگيس عن الهيئات التمثيلية المنتخبة، وحرصه على تجميع كل السلطات الإدارية بين يديه والإشراف المباشر على المصالح السياسية (الأمور الشريفة، والشؤون السياسية ومصالح الأمن)، ودعم اختصاصات الكتابة العامة للحماية، التي أشرف عليها منذ تلك الفترة (شتنبر 1940)، مفتش المالية إمانويل مونيك Emmanuel Mönick. أما نيابة الإقامة العامة، التي فصلت عن الكتابة العامة للحماية، فقد أسندت إلى جاك ميريه Jacques Meyrier . وبعد الحرب العالمية الثانية، اهتم إيريك لابون بمراجعة تنظيم الإدارة العليا وإعادة النظر في توزيع المهام والمسؤوليات الإدارية والسياسية (قرار 23 يونيو 1946)، فعمل على تقليص اختصاصات إدارة الشؤون السياسية التي أصبح اسمها هو إدارة الداخلية، وعلى إنشاء السكريتاريا (الكاتبة) السياسية التي استحوذت على الاختصاصات السياسية التي كانت في حوزة إدارة الشؤون السياسية، وتجميع المصالح ذات الطابع السياسي (إدارة الشؤون الشريفة والكتابة السياسية، ومصالح الأمن العمومي)، تحت إشرافه. أما الأمور ذات الطابع الإداري، فقد تركت للكتابة العامة للحماية التي أدخلت في دائرة سلطتها ونفوذها، إدارة الداخلية، ومصلحة التشريع والقسم الاقتصادي ومصلحة الموظفين.

ولكن هذا التنظيم الإداري الجديد، أدى إلى حدوث مشاكل على مستوى التسيير، وإلى صعوبات في التنسيق والتواصل بين المصالح المركزية والسلطات الجهوية والمحلية. ونتج عن ذلك، إلغاء الكتابة السياسية، التي لم يمر على تأسيسها إلا ثمانية عشر شهرا، ونقل اختصاصاتها إلى إدارة الداخلية، التي استرجعت استقلالها ونفوذها. ويرمز هذا المعطى، إلى ما عرفه الوضع السياسي العام في المغرب،

من تطورات، ارتبطت باشتداد حدة التوترات وميل الكيان الاستعماري، الذي هيمن عليه الطابع العسكري، إلى تقوية دور المؤسسات المكلفة بالأمن والنظام. وكانت من أبرز هذه المؤسسات، التي فرضت سلطتها ونفوذها، في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية بشكل ملفت للانتباه، إدارة الداخلية، التي سيطرت على "الإدارة العامة للبلاد" وتحكمت في "نشاط جميع السلطات المحلية"، ومديرية مصالح الأمن، المكلفة "بالأمن العام والحفاظ على النظام... وقمع الحركات العمالية والوطنية".

*الجريدة الرسمية*، عبد الحميد بنشنهو، *النظام الإداري بالمغرب*، مطبعة الأمنية، الرباط، ط 4، 1963 ؛ ألبير عياش، *المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية على المغرب*، دار الخطابي، 1985 ؛ إبراهيم بوطالب، "الإدارة"، *معلمة المغرب*، مطابع سلا، ج 1، ص. 212 ـ 216 ؛ وليام هويسنطن، *الحماية الفرنسية بالمغرب بين الأوج والإفول تحت قيادة الجنرال نوگيس، 1936 ـ 1943*، تعريب إبراهيم بوطالب، الرباط، منشورات كلية الآداب، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة رقم 10، 2001 ـ 2002.

André de Laubadère, *Les réformes des pouvoirs publics au Maroc. Le Gouvernement, l'administration, la justice*, Paris, Librairie Générale de Droit et Jurisprudence, 1949 ; Robert Montagne, *Révolution au Maroc*, Paris, France-Empire, 1953 ; Bidwell Robin, *Morocco under colonial rule : French administration of tribal, 1912-1956*, London, Franck Cass, 1973 ; Desmazières Bertrand, *P. de Sorbier de Pougnadoresse. Le Colbert de Lyautey, Rabat, 1912-1925* ; Abdallah Ben Mlih, *Structures politiques du Maroc colonial*, L'Harmattan, 1990.

عبد الحميد احساين

**كتامة،** تقع كتامة عند سفح جبل تيدغين الذي يبلغ ارتفاعه 2452 م ويشرف على مناظر أخاذة لجبال الريف وجبال الأطلس والبحر المتوسط ويمتد حولها سهل فسيح يعرف بالسهل الأصفر لغلبة هذا اللون عليه خلال فصل الربيع.

ويفصلها عن مدينة تطوان 176 كلم في الطريق الذاهبة إلى الحسيمة وبينها وبين تارگيست 39 كلم.

تعتبر كتامة من القرى الحديثة بمنطقة جبال الريف شيدت في موقع جميل يمتاز بمناظره الخلابة المتنوعة كما اشتهرت بجودة مناخها ووفرة وعذوبة مياهها وغابات الأرز المنتشرة حولها والتي تغمرها الثلوج إبان فصل الشتاء الشيء الذي خول لها أن تكون محطة سياحية يقصدها الناس لمزاولة رياضة الانزلاق على الثلج شتاءا كما يؤمها عدد كبير من المصطافين شتاء نظراً لاعتدال مناخها في هذا الفصل.

**الـكتبيين** (مسجد -) أول من تحدث عن مسجد الكتبيين هو الشريف الإدريسي، لما ذكر أن عبد المومن بن علي الكومي أمر ببناء مسجد بمراكش، فور دخولها من قبل الموحدين، الذين كان مهديهم قد وصاهم بتطهيرها، أي بناء مساجد خاصة بهم، وترك مساجد المرابطين. ويشير، بعد ذلك، صاحب *الاستبصار* إلى "أن الخليفة الإمام بنى فيها جامعا عظيما، ثم زاد فيه مثله أو أكثر في قبلته ... ورفع بينهما المنار العظيم الذي لم يشيد في الإسلام مثله، وأكمله ابنه وخليفته أبو يعقوب".

ولا يطالعنا اسم الكتبيين، لأول مرة، إلا في غضون النصف الثاني من القرن الهجري السابع / 13، حين ذكر ابن عبد الملك" جامع بني عبد المومن الأقدم، جامع الكتبيين". ثم يتوالى ذكره بعد ذلك ؛ فنجد مثلا عند ابن أبي زرع في بداية القرن الثامن" منار جامع الكتبيين" ؛ وعند ابن فضل الله" ومنارة جامعها المعروف بالكتبيين طولها مائة وعشرة أذرع، من الحجر" ؛ وعند ابن بطوطة الذي قال : "وبها المساجد الضخمة، كمسجدها الأعظم المعروف بمسجد الكتبيين، وبها الصومعة الهائلة العجيبة، صعدتها وظهر لي جميع البلد منها".

لكن إذا كنا قد توصلنا إلى اسم المسجد، بعد زمان من تأسيسه ؛ فإننا لم نتعرف بعد على السبب الذي دعا أولئك الكتاب إلى إطلاق صفة الكتبيين عليه. فهل ينبغي، هنا أيضا، أن ننتظر مضي حين من الدهر لنعرف سبب إطلاق تلك الصفة ؛ صفة الكتبيين، على مسجد عبد المومن ؟

يوشك هذا الأمر أن يصبح قاعدة. ذلك أننا لم نعثر، في المصادر المعروفة، على ذلك السبب إلا في القرن العاشر / 16 ؛ حين حدثنا الحسن الوزان قائلا : "كان تحت رواقه قديما نحو مائة دكان للكتبيين، لم يبق منها اليوم ولو دكان واحد". لا شك في أن الوزان قد رجع إلى مصادر معلومة ؛ لا سيما وأن الإشارة إلى دكاكين الكتبيين تكررت عند المقري بعد ذلك. فهل اهتمت المصادر السابقة فقط بما غبر وعفى عليه الزمان، أم أن للتغاضي صلة ما بهاجس سياسي ؛ خاصة وأن المصادر التي تم الإلماع إليها ألفت كلها في عهد المرينيين ؟ كان ذلك التغاضي مقصودا لأن ذكر الكتبيين يعد ثناء على الدولة المنقرضة.

وأيا ما كان الأمر فإن الأبحاث الأثرية أكدت ذلك، حيث تم اكتشاف دكاكين تقابل واجهة المسجد الشرقية، وتقع على رصيفي الزقاق المفضي إلى المسجد (J. Meunié, *Recherches Archéologiques*, p. 57 - 58 ; G. Deverdun, *Marrakech*, p. 178).

ويذهب مارمول إلى أن هذا المسجد إنما سمي بالكتبيين لأنه لما كان في طور البناء، شيدت حوله "دكاكين صغيرة يقيم فيها الذين كانوا يسجلون الأعمال التي تنجز فيه".

وعلى أي حال، فإن صناعة الكتب، وما يتصل بها من تأليف ووراقة وتداول وجمع، قد كانت تجارة نافقة في العهد الموحدي. من أجل ذلك، فلا شك في أن حي الكتبيين، الواقع شرقي المسجد، كان صورة ساطعة انعكس عليها جانب من حضارة الدولة الموحدية. وقد أولاه الخلفاء عناية فائقة، حيث حرصوا على تزيين زقاقه المفضي إلى المسجد. ومن ثم ظل اسم الكتبيين علما لذلك الأثر الشامخ.

لكن من أسس مسجد الكتبيين ؟ سبقت الإشارة إلى أن

الشريف الإدريسي قد عزا بناءه، ولو لم يصرح بذلك، إلى عبد المومن بن علي ؛ وكان هذا الكاتب أكمل مؤلفه سنة 548 / أي أن المسجد بني، حسب الإشارة أعلاه، فيما بين 541 و548 / 1147 و1154 . ومعلوم أن التاريخ الأول يؤرخ لسيطرة الموحدين، بزعامة عبد المومن، على مراكش ؛ أما التاريخ الثاني فقد وضحناه.

لكن يثار لدينا بعض الإشكال حين نطلع على نص كتبه صاحب الاستبصار، يقول فيه". فإن الخليفة الإمام بنى فيها جامعا عظيما، ثم زاد فيه مثله أو أكثر في قبلته ؛ كان قصرا، ورفع بينهما المنار العظيم الذي لم يشيد في الإسلام مثله". نتبين من هذا النص أن عبد المومن بن علي بني مسجدين متصلين، يتوسطهما منار عظيم. وكان الباحثون الفرنسيون، هنري باصي وهنري طيراس وگاسطون دوفردان قد قرروا النتيجة ذاتها، فسموا المسجدين : مسجد الكتبيين الأول، الذي تقوضت أركانه، ومسجد الكتبيين الثاني، الذي لا يزال قائما حتى الآن (H. Terrasse et H. Basset, *Sanctuaires et forteresses almohades* (2) les deux Koutoubiya..., 199, 202 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines...*).

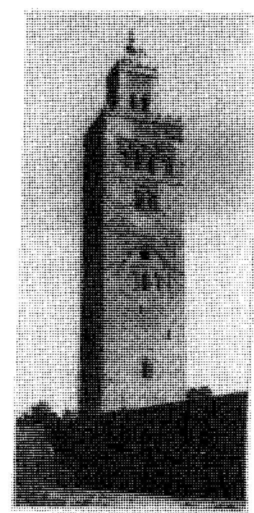

وبناء على ما سبق وتأسيسا عليه، نستطيع أن نجزم بأن مسجد الكتبيين من بناء الخليفة عبد المومن، على عكس ما شاع عند عامة المتعلمين، من أن ذلك البناء يعزى إلى يعقوب المنصور الموحدي. ولعل أصل الخطأ قد أتى من ترجمة القنصل الفرنسي أو گيست بوميي (Baumier) لكتاب *الأنيس المطرب بروض القرطاس* ؛ حيث ارتكب هفوة في الترجمة، حين كتب" وأمر يعقوب المنصور ببناء جامع للكتبيين"، بدل أن يكتب "وأمر .. ببناء منار الكتبيين". فشاع منذئذ أن الخليفة المذكور هو المؤسس للمسجد والصومعة. وحتى الصومعة، فإن إشارة *الاستبصار* لا تدع مجالا للشك في نسبتها إلى عبد المومن. فقد قال في ذات السياق : "ورفع بينهما المنار العظيم الذي لم يشيد في الإسلام مثله. وأكمله ابنه وخليفته أبو يعقوب رضي الله عنه". إذن لا نحتاج إلى تأكيد أن عبد المومن هو مؤسس مسجد الكتبيين وصومعته، لا سيما وأن هذا المصدر كان قريبا من الأحداث (587 / 1191)، وأنه أزجى الثناء للمنصور ونوه بما شاده من مآثر عمرانية. فهل يجوز أن ينسب ذلك البناء العظيم لغيره، ويغمطه حقه ؟ لا نستسيغ ذلك على أي حال ...

نستنتج إذن أن عبد المومن بنى مسجدا فور دخوله مراكش سنة 541 / 1147. ولعل الطابع الاستعجالي قد جعل الذين وقفوا على التصميم يحيدون عن الصواب عند توجيه محرابه. أي أن انحرافا عن القبلة قد شابه. وهذا ما رجحه أكثر من باحث ؛ الأمر الذي دفع الخليفة ذاته إلى أن يأمر ببناء مسجد آخر ملاصقا للمسجد الأول، مع انحراف بسيط لمحرابه نحو الشرق. أي أن الدافع هو تصحيح القبلة. وكان ذلك سنة 553 / 1158 ؛ حيث ابتدأ البناء خلال العشرة الأولى من ربيع الثاني، وكمل في منتصف شعبان من السنة المذكورة. وبالرغم عن محاولة التصحيح والتي لسنا مقتنعين بها، لأن قبلة مجسد الكتبيين الثاني - الحالي - لا تزال منحرفة، فإن ما دعا عبد المومن إلى بناء هذا المسجد ينبغي مواصلة البحث عنه. أليس لذلك صلة بالمكان، مكان المسجد المرابطي الأول ؟ أليس لترك المسجد الأول علاقة بصهاريج الماء التي كان يحتويها ؟ فقد تدعو الحاجة إلى الماء، في أثناء حصار مرتقب، إلى إثارة الفوضى داخل المسجد ؛ وهو أمر ينبغي اجتنابه.

نثير هذين التساؤلين ونحن غير واثقين حتى في النص الذي أثار هذا الإشكال ؛ لأن هذه الواقعة لم تتكرر في تاريخ بناء أي مسجد، حسبما رجعنا إليه من مصادر. فكيف يبنى مسجد، ثم يضاف إليه في امتداده مسجد آخر، ليترك الأول عطلا ؟

على أن هناك بعض الجزئيات التي ينبغي توضيحها لإتمام الحديث عن مسجد الكتبيين. ذلك أن بعض الإشارات الواردة في *الذيل والتكملة*، والتي نقلها كل من *القرطاس والسعادة الأبدية* تجلي أمراً آخر. وهو أن يوسف بن عبد المومن أكمل المنار، وأن هذا الأخير ظل بدون فحل (وفي عرف البعض، العزري ؛ وعند آخرين، صومعة الصومعة ؛ أي البناء الذي يحمل الجامور بتفاحاته)، حتى عهد يعقوب المنصور الذي "أكمل فحل المنار". كما أمر هذا الخليفة بإتمام الأعمال التي تطلبتها الزخرفة.

إذن فالأبحاث الأثرية والمصادر المكتوبة، ومختلف القرائن تكاد تجزم بأن عبد المومن هو الذي بنى المسجد ؛ وشرع في تشييد المنار العظيم الذي أكمله ابنه يوسف ؛ في حين بنى يعقوب المنصور الفحل (العزري) ؛ وأضاف الزخارف المطلوبة. والملحظ الأساس أنه على الرغم من مشاركة الخلفاء الثلاثة في البناء، كل على حدة ؛ فإن ذلك لم يكن له أثر على الانسجام والتناسق، لأن التصورات طبعتها رؤية التوحيد والوحدة. وكأني بالخلفاء الموحدين الأوائل قد دأبوا على نهج مخصوص في بعض البناءات. فقد

بدأ يوسف بناء جامع القصبة، وأتمه ابنه يعقوب. كما أشار ابن عذاري إلى أن يوسف أمر ببناء صومعة إشبيلية عام 580/ 1185، وكان تمامها على يد ابنه المنصور.

بعد رفع اللبس عما اكتنف بناء مسجد الكتبيين أصبح واضحا أن ذلك البناء قد تم على مراحل، يمكن أن نؤرخها كما يأتي :

أ - على إثر دخول الموحدين إلى مراكش في 18 شوال سنة 541 / 24 مارس 1147 ، شرع عبد المومن في بناء مسجد الكتبيين ؛ لأن هذا الأمر اكتسى طابعا استعجاليا، نتيجة ترك أتباع المهدي للمساجد المرابطية. لذلك سبق أن أشرنا إلى أن المسجد قد بني قبل سنة 548 / 1154. وهذا يخالف ما ذهب إليه كل من هنري طيراس و ج. مونيي. ومما يبين طابع الاستعجال في البناء، ما ذكره أحمد الناصري، متحدثا عن بناء مسجد "الكتبيين الثاني" ؛ حيث لم يخف استغرابه. فبعد أن أثبت أن الشروع في الأعمال كان خلال العشرة الأولى من شهر ربيع الثاني سنة 553 / 1158، وأن صلاة الجمعة أقيمت فيه في منتصف شعبان، وبعد أن عدد بعض وجوه اكتمال البناء، قال منبهرا : "ما لو عمل السنين العديدة لا ستغرب تمامه، فكيف في هذا الأمد اليسير الذي لم يتخيل أحد من الصناع أن يتم فيه تقديره وتخطيطه، فضلا عن بنائه". ونحن بدورنا لا يمكن أن نخفي استغرابنا، على الرغم من أننا نسلم بأن المشرفين على البناء قد دعوا أكبر عدد ممكن من العملة، وأن الحماس قد طبع العملية كلها، وأن التطوع جعل أنصار الموحدين ينسلون من كل حدب وصوب للمشاركة في البناء، طمعا في نيل الأجر. وقد يصح في الذهن ما افترضه دوفردان حين قرر أن ما اكتمل كان هو الأشغال الكبرى ؛ أما كل ما اتصل بالتبليط والتجصيص والزخرفة فقد ظل متواصلا طوال العهود المتوالية.

ب - وفيما يتصل ببناء الصومعة، فإن صاحب الاستبصار قد أكد أن تاريخ البدء كان في سنة 553 / 1158 أو بعدها بقليل ؛ وليس قبل بدء بناء مسجد الكتبيين الثاني، كما اعتقد دوفردان. وقد بنينا ما ذهبنا إليه على قرينتين :

1 - أن صومعة بقيت منتصبة بجانب الصومعة الحالية حتى بداية القرن الثالث عشر / التاسع عشر على الأقل. ولن تكون تلك الصومعة إلا أحد مرافق المسجد الأول.

2 - أن العادة جرت أن يبنى المسجد أولا، ثم بعد ذلك تضاف الصومعة. وقد يجري بناؤهما في الوقت نفسه.

ج - إذا استندنا إلى الاستبصار، فإننا نسلم بأن أبا يعقوب يوسف هو الذي أتم بناء الصومعة. أي أنها صارت قائمة بدون فحل، على شاكلة صومعة حسان. وكان ذلك خلال سني حكمه الأولى.

د - وكان حظ يعقوب المنصور من ذلك البناء الشامخ فحل المنار ؛ أي العزري، مع إتمام التبليط، وأعمال الزخرفة والتزيين.

وإذا كان الأستاذ بنشريفة قد فسر عزو بناء مسجد الكتبيين إلى المنصور الموحدي بقوة شخصية ذلك الخليفة وشهرته، فإن هذا التفسير لا يصمد إذا علمنا أن مصدر الخطأ قد ثوى في الوهم الذي وقع فيه من أقدم على تعجيم كتاب ابن أبي زرع قبل حوالي قرن ونصف.

ومهما كان الأمر، فإن الخلفاء الثلاثة قد شاركوا في بناء الكتبيين، المسجد والصومعة. هذه المعلمة التي جاءت فريدة في شكلها وموقعها. وقد حلى ابن الخطيب الصومعة فقال : "ومنارها العلم في الفلاة، ومنزلته في المآذن منزلة والي الولاة". ودعاها شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم "سبابة مراكش".

بقي أن نشير إلى بعض ما يتصل بجوانب عمرانها وأبعادها.

تبلغ مساحة المسجد، وهو قريب من المستطيل، 5300 متر مربع ويتضمن 17 صفا، وتزينه إحدى عشر قبة، مصنوعة من خشب العرعار.

وتقع الصومعة في الركن الشمالي الغربي ؛ وترتفع، حسب أغلب الروايات، بمائة وعشرة أقدام. أي تسعة وستين مترا وخمسين سنتمترا. ويبلغ عرضها، عند القاعدة، إثنا عشر مترا وثمانين سنتمترا. ويصل طول الجامور الذي يحمل التفاحات الثلاث إلى سبعة أمتار وثمانين سنتمترا، في حين أن قطر التفاحة الكبرى يبلغ مترين.

ويبقى مسجد الكتبيين وصومعته من أرقى المآثر الإسلامية وأعظمها في بلدان المغرب الكبير.


الإدريسي، *نزهة المشتاق*، مجهول، *الاستبصار* ؛ ابن عذاري، *البيان*، 1983 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، *الذخيرة السنية* ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار* ؛ ابن بطوطة، *تحفة النظار*، 1992 ؛ ح. الوزان، *وصف أفريقيا* ؛ ك. مارمول، *أفريقيا*، مجهول، *الحلل الموشية* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. الموقت، *السعادة الأبدية* ؛ خ. الزركلي، *الأعلام* ؛ م. المنوني، *حضارة الموحدين*، الوراقة في العهد المريني ؛ م. بنشريفة، *حول الكتبية وأختيه* ؛ م. بوشعرا بومبي، *معلمة المغرب* ؛ أ. عمالك، *مسجد الكتبيين ؛ تأملات في الاسم*.

H. Basset et H. Terrasse, *Sanctuaires et forteresses*, 1924 ; J. Meunié, *Recherches archéologiques* ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*.


أحمد عمالك

**الكتّان** بالعربية أو Le lin بالفرنسية أو علميا لِينُومْ أُوزِيتَاتِيسِمُومْ Usitatissimum أسماء لنبات تستعمل بذوره لعدة أغراض وأليافه في صناعة القماش كما هو الشأن بالنسبة للقنب (انظر القنب). وهو من جنس لِينُومْ Linum الذي يشمل بالمغرب 19 نوعا طبيعيا من بينها 4 قبسية خاصة بهذا البلد، وهو من فصيلة الكتانيات Linaceae.

والكتان نبات عشبي وحولي يتراوح ارتفاع سيقانه ما بين 30 و120 سم. أوراقه صغيرة، بسيطة رمحية شريطية. أزهاره زرقاء أو بيضاء. بذوره صغيرة لامعة.

يصادف النوع طبيعيا بالمغرب، ويزرع في سهول الغرب على مساحات تقدر بحوالي 12 ألف هكتار سنويا لإنتاج البذور التي تصدر نسبة كبيرة منها إلى أوروبا، وذلك لاستعمالها في صناعة الدهانات والمشمعات، والصابون، وحبر الطباعة. أما استعمال البذور في المغرب فإنه يدخل في التطبيب التقليدي المتعلق بمعالجة بعض الأمراض كالسعال وأمراض الحلق، وضد الإمساك وغيرها.

لكن استعمال الكتان كمصدر لصناعة المنسوجات تقلص كثيراً في المغرب وفي العالم كله باستثناء بعض الأسر الريفية من قبائل جبالة التي مازالت تغرس النبات لتستخلص منه الألياف وتصنع بعض المنسوجات التقليدية. ولم تعد أي وحدة صناعية مغربية تستخدم النبات لهذا الغرض.

والمعلوم أن لألياف الكتان قيمة كبيرة وصفات أفضل بكثير من ألياف القطن، ومنسوجاته أنعم.

*أبحاث واستطلاعات ميدانية شخصية.*

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p. ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**الكتّاني** (أسرة -)، ينحدر الشرفاء الكتانيون من أمير الناس يحيى الثالث المدعو بالكتاني ابن عمران بن عبد الجليل بن يحيى الثاني بن يحيى الأول ابن محمد بن إدريس الأزهر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وسيدة النساء فاطمة البتول بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله. وقد عدهم النسابة عبد السلام بن الطيب القادري في الطبقة الأولى من الأشراف.

وسبب تسميتهم بالكتاني، أن جدهم أمير الناس يحيى الثالث المذكور خيم لجيشه بخيام الكتان، حينما كان أميراً بزواوة، وكانت العادة أنه لا يخيم إلا بخيام الصوف أو الشعر، فأطلق عليه ذلك اللقب وعلى بنيه من بعده. وكانوا يسمون في الماضي بأمراء الناس نسبة لجدهم المذكور آنفا، وبالزواويين ؛ نسبة لزواوة التي استوطنوها فترة من الزمان، وبشرفاء عقبة ابن صوال ؛ نسبة للمحل الذي استوطنوه أولا عند رجوعهم لفاس في القرن العاشر الهجري.

وأول من انتقل من سلفهم لتلمسان هو العارف عبد الجليل بن يحيى الثاني (ت. 303)، وأول منتقل إلى زواوة أمير الناس يحيى الثالث الكتاني (ت 393)، وأول منتقل إلى منطقة شالة قرب الرباط محمد بن عبد الله بن هادي (ت. 542) على الأرجح، وأول منتقل إلى مكناس موسى بن أبي بكر بن محمد (ت. 646)، وكانت لهم بها حظوة عند ملوك بني مرين، وتعظيم كبير من لدن أهلها. وفي هذه الفترة انتقل مجموعة من الكتانيين إلى بلاد جاوا بإندونيسيا، ونشروا الإسلام بها، ولهم قبور وضرائح معروفة بمنطقة "سورابايا" بها، بحيث الصغير والكبير "بجاوا" يعلم أن فضل انتشار الإسلام في تلك الناحية من العالم بفضل الرحالين الكتانيين إليها، كما ذكره الأستاذ الرحالة الهاشمي التونسي في مجلة "المقطم" الصادرة بتاريخ 13 سبتمبر 1929. وأول عائد إلى فاس هو محمد بن قاسم الكتاني (ت. 949).

وينحدر جميع الشرفاء الكتانيين المعروفين الآن من والد الحي مولاي علي بن القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن قاسم بن عبد الواحد بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن هادي بن يحيى الثالث الكتاني (ت. 1054)، من نجليه مَحمد وأحمد. وقد قسمت فروعهم الشجرة الكتانية الأخيرة التي أنشأها سنة (1415 . 1995) الدكتور حمزة بن الطيب الكتاني إلى ثمانية عشر فرعا ؛ عشرة منها ينتمون إلى الفرع الأحمدي، والمسمى بالطيبي ؛ نسبة للقطب مولاي الطيب بن محمد الكتاني، وثمانية منها للفرع المُحَمدي، ويسمي الحلبي نسبة للشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي الذي زوج بنته السيدة فاطمة من الشيخ مَحمد الفضيل بن العربي بن مَحمد بن علي الكتاني.

ويستقر غالب الشرفاء الكتانيين الذين يقدر عددهم الآن بين ذكور وإناث بحوالي ألف وخمسمائة فرد بالمغرب، منهم فرقة تقطن بسوريا، وينحدرون من الشيخ محمد المكي بن محمد بن جعفر الكتاني (ت. 1393 / 1973)، وفرقة تقطن تونس ينحدرون من الزعيم مولاي الطاهر بن أحمد الكتاني (ت. 1258)، وقد تخلى عقبه عن لقب الكتاني، واشتهروا بلقب "إدريس"، ومنهم الوزير والسفير السابق، الوطني المكافح الأستاذ رشيد بن محمد بن أحمد بن مولاي الطاهر الكتاني.

كما تواتر في البيت الكتاني منذ القدم الصلاح والبعد عن الظهور وتولي المناصب الرسمية. غير أنه في القرنين، الثالث عشر والرابع عشر الهجريين اشتهر منهم مصلحون مجددون، كان لهم دور هام في المساهمة في إدارة عجلة التاريخ المغربي دعويا وعلميا وسياسيا.

وتجدر الإشارة، إلى أن هناك جمعا من أعلام المغرب والأندلس والمشرق، اشتهروا من قديم الزمان باسم "الكتاني"، حصر جملة من أسمائهم صاحب "*النبذة اليسيرة*"، و"*تحفة الأكياس*". كما تسمى جمع من المحبين في العائلة الكتانية باسم "الكتاني"، وهم موزعون في أطراف المغرب، محصورة أسماء جلهم في سجلات المؤسسة العلمية الكتانية بالرباط.

الشجرة الكتانية :

عرف الشرفاء الكتانيون بالحرص الشديد على نسبهم، وقد حازوا أكثر من ثلاثين رسما تثبت نسبهم منذ الزمن المريني إلى الآن، ضمن جلها الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني (1323 / 1904) في كتابه المخطوط "*الرياض الربانية في الشعبة الكتانية*". وقد حافظوا عليها جيلا بعد جيل، فمن

الشيخ جعفر الكتاني انتقلت لنجله الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، ومنه لأخيه الشيخ أحمد بن جعفر الكتاني، ومنه للشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني.

ومن أهم الشجرات التي حفظها لنا التاريخ.

- شجرة الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني (1323 / 1904) وقد ضمنها في كتابه " *الرياض الربانية في الشعبة الكتانية*"، ويرجع تاريخها إلى أواسط شوال من عام 930.

- شجرة الشيخ محمد بن جعفر الكتاني (1345 - 1926) وقد ضمنها في كتابه "النبذة اليسيرة في أحوال الشعبة الكتانية، ويرجع تاريخها إلى أواخر ربيع الثاني عام 994.

- شجرة الشيخ عبد الكبير بن هاشم الكتاني (1350 / 1930 ) وقد ضمنها الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه "*المظاهر السامية* " وتعد بذلك أول شجرة منمطة للعائلة الكتانية، حيث يرجع تاريخها إلى 14 جمادى الأولى عام 1303. وقد حيّنها بتاريخ 6 ربيع الثاني عام 1334.

- شجرة الباحث "ميشوبيلير" حيث استند في إصدارها بالفرنسية إلى كتاب "*الدر السني* " للشيخ عبد السلام القادري والي "*سلوة الأنفاس* " للشيخ محمد بن جعفر الكتاني. وقد نشرها في مجلة العالم الإسلام (R. M. M) سنة (1327 / 1908).

- شجرة الشيخ محمد المنتصر الكتاني (1419 / 1994) ذيل فيها على شجرة الشيخ عبد الكبير بن هاشم الكتاني، ويرجع تاريخها إلى سنة 1984.

- شجرة الشيخ محمد الطيب بن محمد المهدي الكتاني ذيل فيها على شجرة الشيخ عبد الكبير بن هاشم الكتاني بتاريخ 15 ذو الحجة 1354 ، وقد حيّنها بتاريخ 17 ذو القعدة 1391.

شجرة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني (1424 / 2001) وهي محفوظة لدى ورثته، وقد أضاف إليها النساء والرجال، سنة 1984، تم حيّنها رحمه الله قبل وفاته.

- شجرة الدكتور حمزة بن الطيب الكتاني : ويرجع تاريخها إلى 29 ذو الحجة 1400 / 1981 ، وقد تم طبعها عام 1415 / 1995، ثم حينت عام 1425 / 2004 وتشمل الذكور والإناث، وهي أول شجرة للعائلة الكتانية مطبوعة بذكورها وإناثها.

الزاوية الكتانية :

أول زاوية كتانية بنيت بفاس هي : "الزاوية الكتانية الكبرى" بحومة القطانين من عدوة فاس القرويين، حيث أسسها أبو المفاخر الشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني (ت. 1289 / 1872)، شيخ الطريقة المحمدية الكتانية.

وفي عهد الشيخ أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني (ت. 1327 / 1909 )، شيخ الطريقة الأحمدية الكتانية ازدهرت الزاوية الكتانية، وأصبحت مأوى لعلماء المشرق الواردين على فاس، وزعمائه الفارين إليها ؛ كعلي بن ظاهر الوتري، ومحمد بن علي الحبشي، وعبد الكريم مراد، وخير الدين التونسي ... إلخ. وقد أضيف إلى تدريس مختلف العلوم الشرعية بها تدريس العلوم العصرية من جغرافيا وتاريخ .. وغيرهما، وأصبح لها دور مهم في الحياة العلمية والدعوية والسياسية.

وفي عهد الطريقة الأحمدية الكتانية المذكورة ؛ امتدت للزاوية الكتانية عدة فروع بالمغرب والمشرق، أهمها : الزاوية الكتانية بمراكش، ومكناس، وسلا، وتطوان، والرباط. وكان للزاوية الكتانية بأزمور وزعير والرحامنة دور كبير في إلهاب الثورة المغربية المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي.

الطريقة الكتانية :

عرف البيت الكتاني عدة شيوخ تربية كان لهم أتباع ومريدون على مدى تاريخه ؛ ومن الشيوخ المربين الذين ازدهر بهم البيت الكتاني : عمران بن عبد الجليل بن يحيى الثاني (ت. 340 )، وعبد الله بن هادي بن يحيى الثالث الكتاني (ت. 490 ) صاحب المدرسة الكتانية بقسنطينة بالجزائر، ومحمد بن قاسم الكتاني (949 )، وعبد العزيز بن محمد الكتاني (997)، ومحمد الطاهر بن محمد الكتاني (أواسط القرن العاشر)، وعبد الله بن أبي طالب الكتاني (1163) ومحمد بن محمد الكتاني الملقب بالحمدوشي(1214)، والطيب بن محمد الكتاني (ت. 1253)، والوليد بن هاشم الكتاني (ت. 1259)، والطائع بن هاشم الكتاني (ت. 1264)، وسليمان بن عبد الحفيظ الكتاني (ت. 1274)، ومحمد الزمزمي بن إبراهيم الكتاني (ت. 1295).. وغيرهم.

غير أن الطريقة الكتانية بالمعنى المصطلح عليه تنقسم إلى الطريقة الكتانية المحمدية، والطريقة الكتانية الأحمدية.

أ - الطريقة الكتانية المحمدية :

أسسها الشيخ أبو المفاخر محمد بن عبد الواحد الكتاني (ت. 1289 / 1872 ) بفاس، وهي طريقة مستقلة، مبنية على الكتاب والسنة، مستغرقة في الذات المحمدية من حيث التخلق بشمائله صلى الله عليه وسلم، والتعرف على سيرته الزكية، والتبحر في معرفة السنة النبوية وكتب الحديث، ومن استغراق أتباع هذه الطريقة في السنة النبوية أن كتب الحديث كانت تسرد وتشرح بها على طول السنة.

ولهذه الطريقة أوراد يومية ؛ متمثلة في الورد اللزومي، وورد السحر وورد للنساء، ولها أكثر من أربعين حزبا يواظب عليها أتباعها. وهي طريقة مستقلة، لا قادرية ولا شاذلية، انتشرت في فاس وضواحيها. وأهم شيوخها : أبو المفاخر محمد بن عبد الواحد الكتاني، وأبو المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني، وأبو المواهب جعفر بن إدريس الكتاني.

ب - الطريقة الكتانية الأحمدية :

نسبة لمقام : "الأحمدية" ؛ عرفها مؤسسها الشيخ أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني الشهيد بأنها : طريقة أحمدية محمدية صديقية، إبراهيمية أويسية اجتبائية.

أما الأحمدية : فمن حيث استمدادها من باطنيته صلى الله عليه وسلم الأحمدية : أما المحمدية فمن حيث الوقوف

مع ظاهر الشرع في العبادات والمعاملات، والاعتناء باتباع السنن المحمدية. وأما الصديقية : فنسبة لمقام سيدنا أبي بكر الصديق في التصديق والمحبة للنبي صلى الله عليه وسلم، وأما الإبراهيمية فنسبة لسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام الذي كان أمة قانتا لله حنيفا. وأما الأويسية فنسبة للتابعي الجليل سيدنا أويس القرني في استغراقه في الشمائل الباطنية للنبي والاجتبائية فنسبة لمقام الاجتباء، وهو سرعة العروج في مقامات السلوك.

وهي طريقة اجتبائية، جذبية، مبنية على أركان أربعة :

- التوبة مما جنته يداك من حين التكليف إلى وقتك.
- التزام مقام التقوى.
- التماس الأعذار للناس.
- النظر بنظرة التعظيم لسائر المخلوقات.

وهي تؤمن بأن الإسلام شريعة وعقيدة وأخلاق بمعنى أنه منهج حياة وليس طقوسا وحروفا تتلى. وبذلك كان للطريقة الكتانية - إضافة إلى دورها الروحي - دور في الإصلاح في المغرب في القرن الرابع عشر الهجري. فهي أول مطالب بالدستور، وصاحبة مشروع أول دستور مغربي عام 1324 / 1906 )، وداعية لحرب الاستعمار الفرنسي، ومحارب له في شتى مناطق المغرب، بل استشهد مؤسسها وبعض كبار زعمائها من أجل الدفاع عن البلاد.

كما أنه للطريقة الكتانية فضل كبير في نشر علوم الحديث والإسناد، في المغرب، وربط المغرب بالمشرق عن طريق الرحلات المتعددة التي قام بها روادها خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر، والتي اعتنوا فيها بلقاء زعماء السياسة والعلم بالمشرق، وربط صلات معهم، والتنسيق معهم في الإصلاح السياسي والاجتماعي.

وكان للطريقة الكتانية ممثلة بمقدميها ومريديها دور كبير في إذكاء روح الجهاد بين الشرائح المغربية ضد الاستعماريين الفرنسي والإسباني، كالشريف عبد السلام بن الفاضل العلوي، والمجاهدين ابن مومن بن العود الزموري، ودحد العلمي الزموري وغيرهم. وكذلك عن طريق الرسائل والمحاضرات التي كان يلقيها شيوخها.

ولا تخفى الصلة الوثيقة بين شيوخها وبين الزعيمين موحا وحمو الزياني، ومحمد بن عبد الكريم الخطابي.

أما أثناء نفي الملك محمد الخامس فيما يصطلح عليه بـ : "الأزمة المغربية الكبرى" ؛ فقد ألقى زعماء الطريقة الكتانية : محمد المهدي بن محمد الكتاني، ومحمد الباقر بن محمد الكتاني، ومحمد إبراهيم بن محمد الكتاني عدة بيانات، وأرسلوا عدة رسائل إلى رئيس الجمهورية الفرنسية وهيئة الأمم المتحدة تستنكر نفي الملك محمد الخامس، وتدعو إلى إرجاعه ملكا على المغرب وإعلان استقلال البلاد.

المدرسة والكلية الكتانية بقسنطينة :

بمدينة قسنطينة وعمالتها شرق الجزائر عدة ضرائح ومدارس عليها أوقاف وتوابع، مشهور نسبتها للشرفاء الكتانيين. منها ضريح القطب الصالح مولاي عبد الله بن هادي بن يحيى الثالث الكتاني (ت. 490 )، وعليه مزارة حافلة، وله شهرة عظيمة، ولهذا الضريح خدام يخدمونه وبجواره مسجد للخطبة، تصلى فيه الجمعة، وتعقد به الدروس، جدد بناءه "صالح باي" نحو سنة 1197.

وبجوار هذا الضريح والمسجد مدرسة تنسب إليه ؛ تسمى "المدرسة الكتانية"، لها أوقاف وناظر، وبها مقابر لبعض أهل العلم وغيره. ومن أهم من درس بهذه المدرسة وجامعها : أبو مدين شعيب التلمساني (ت. 589 )، والعلامة المفتي المولود بن الموهوب، والشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي أخذ بها ودرس بجامعها الأعظم.

وفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري تحولت هذه المدرسة إلى كلية شرعية باسم "الكلية الكتانية" على يد العلامة المصلح الشيخ عمر بن الحملاوي.

المدرسة الكتانية بالرباط :

تعد المدرسة الكتانية بالرباط أول مدرسة وطنية حرة بعد دخول الاستعمار الفرنسي، كان تأسيسها سنة (1331 / 1914 ) وكان المقصود منها : تدريس العلوم العصرية الحديثة مع الاعتناء بالدروس الدينية واللغوية، وتزكية المواطنين بالروح الوطنية الخالصة، والأخلاق الإسلامية النبيلة، ومقاومة الاستعمار.

مؤسس المدرسة الكتانية بالرباط هو العلامة الصديق بن محمد الشدادي (ت. 1379 )، مقدم الطريقة الكتانية بالرباط، ومقرها كان أولا بالزاوية الكتانية بالرباط، ثم بالزاوية المعطاوية. وقد تخرج منها جملة من العلماء والمثقفين في حقبة الحماية، وكان لهم دور مهم في محاربة المد الثقافي الاستعماري بالمغرب.

وممن درس بهذه المدرسة : محمد بن التهامي الرغاي، وقاسم الحاجي، ومحمد المكي الناصري، ومحمد بن محمد ملين. وكان مديرها المذكور معتنيا باستدعاء كبار العلماء لحضور امتحاناتها وأفواج الخريجين ؛ أمثال : العلامة محمد المدني ابن الحسني، والفقيه محمد بن عبد السلام السائح، والفقيه محمد بن الحسن الحجوي.

درب الكتاني :

بفاس العتيقة بحومة السبيطريين، من جهة جامع القرويين، درب مسمى بدرب الكتاني، قرب سوق الكتب.

وبحومة قبة السوق من مكناس يوجد درب عتيق يسمى بدرب الكتاني يرجع إلى القرن الثامن الهجري.

قرية الكتاني :

توجد بدمشق بضاحية الغوطة ؛ قرية تسمي بقرية الكتاني ؛ نسبة إلى الإمام محمد بن جعفر الكتاني (ت. 1345 / 1927 )، وهي بالقرب من ضريح السيدة زينب، ويطلق عليها كذلك : قرية بيت سحم.

**الكتّاني، أحمد** بن **إبراهيم** قاض بالمجلس الأعلى، خبير دولي في حقوق الإنسان. ولد بفاس يوم عرفة من عام

1346 / 1928، فكان يسمى من أجل ذلك بأحمد عرفة. أخذ عن مختلف أعلام فاس؛ خاصة الفقيه الرجراجي. تابع دراسته الثانوية بثانوية مولاي إدريس بفاس، وحصل على الإجازة في الحقوق، ودبلوم المدرسة الوطنية للإدارة العمومية بالرباط.

تدرج في الوظيف الرسمي بعدة محاكم منها في مدينة "بوذنيب" شرق البلاد، ثم ولج سلك القضاء ليصبح وكيلا عاما بمحكمة الاستئناف بالرباط (وكانت وقتئذ ثلاث محاكم استئناف بالمغرب فقط: مراكش، والرباط، والدار البيضاء)، ثم عين وكيلا عاما لمحكمة الاستئناف بالدار البيضاء.

عين ممثلا للمغرب لدى هيئة الأمم المتحدة بلجنة حقوق الإنسان بنيويورك وجنيف بين السنتين: 1389 / 1969 - 1392 / 1972.

ترك الأستاذ أحمد الكتاني عدة مؤلفات وأبحاث في مجال القضاء وحقوق الإنسان، كما ترك عدة مقالات نشرت بمجلة "رابطة القضاة" الصادرة بالرباط.

توفي في العاشر من أكتوبر عام 1972 بالدار البيضاء، وشيع في جنازة حافلة لمرقده الأخير.

**الكتّاني، أحمد** بن **جعفر** من رجال الطبقة الأولى من علماء القرويين، مدرس مشارك في كل العلوم.

ولد بفاس في شهر ذي القعدة الحرام عام 1291، وأخذ عن أعلام بيته وغيرهم. وسافر للحج عام 1323، والتقى بكبار أعلام المشرق، فاهتبلوا به، وأخذوا عنه وأخذ عنهم، واستجازهم واستجازوه.

ارتقى مولاي أحمد بن جعفر إلى علماء الدرجة الأولى من رجال القرويين عام 1337، ولازم التدريس والإفادة من صغره، وكان له كرسي للتدريس بجامع القرويين الأعظم، كما كان له تلامذة وأشياع يلازمونه ويتبعونه، أصبح بعضهم من رواد الحركة الوطنية فيما بعد.

كما تميز الشيخ أحمد الكتاني بعدائه للاستعمار؛ بحيث تجهز للجهاد بالسلاح والتدريب، ورفض تعليق علم فرنسا على منزله رغم ما يمكن أن يؤدي إليه ذلك الرفض من مخاطر لا تحمد عقباها حينه. ولازم منزله مدة طويلة، بحيث لم يتعامل مع الوضع الجديد، ولم يقابل وجهه وجه فرنسي قط.

ومن أهم ما يميز سيرته: أن الحركة الوطنية المغربية تأسست في مكتبه بمنزله، ومنه خرجت، حين اجتمع نجله العلامة محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني رفقة أصدقائه؛ ومنهم: المجاهد الزعيم علال بن عبد الواحد الفاسي، والفقيه محمد غازي، وأقسموا على المصحف الشريف على تحرير البلاد من نير الاستعمار، والدفاع عن الشريعة الإسلامية والأسس الوطنية به.

ترك مايدنو من مائة مؤلف في مختلف مجالات المعرفة، منها: شرح صحيح الإمام البخاري؛ المسمى: "المنهج المليح في شرح مقفل الصحيح"، و"الفتح المبين في الكلام على آية: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)"، وأعظم المناهل عل الشمائل"، و"المنهل الفسيح على بردة المديح"، وشرح لهمزية البوصيري، و"الوتريات في الأمداح النبويات"، و"الفتح الرباني على توحيد رسالة ابن أبي زيد القيرواني"، و"كشف الأغلاق عن حكم العارف الحراق"، و"الأئتنسا في فضل النسا"، و"المدد الفائض على خمرية ابن الفارض"، و"عنوان الشرف الأسمى في الإمامة العظمى"... وغير ذلك. كما شارك في التوقيع على عدة نوازل وفتاوى مصيرية لكبار علماء المغرب، كان لها الدور في الحركة الإصلاحية قبيل الاستعمار.

توفي دون الخمسين من عمره، في السادسة صباحا من يوم الأحد 23 جمادى الأولى عام 1340، حيث ووري جثمانه داخل قبة سيدي الدراس بن إسماعيل بمقبرة القباب بفاس.

**الكتّاني، إدريس** بن **الطايع** عالم، فقيه، مشارك، عدل موثق ضابط، مجاهد في سبيل الله تعالى شهيد، من أهل الخير والصلاح. أخذ العلم بجامعة القرويين عن العلامة عبد السلام الأزمي، والفقيه محمد بن عبد الرحمن الفيلالي الحجرتي وغيرهما، وأخذ التفسير والطريقة عن الشيخ محمد الحراق.

شارك في حرب الإسبان غزاة تطوان عام 1276، وقاتل قتالا شديدا، واعتقل من طرف الإسبان، ثم فكه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن بن هشام منهم بمال عال، وعاد إلى أهله بفاس مصابا بجراجات قيل أنها كانت السبب في وفاته.

وكان خروجه لجهاد الأعداء رفقة أخيه المنتصر على رأس مجموعة من أهل فاس، استثناء في ذلك الوقت الذي لم يكن يلزم فيه العلماء والأشراف بالانخراط في سلك الجيش.

توفي بفاس في 17 ربيع الثاني عام 1281، ودفن بروضة الشرفاء الكتانيين المحاذية لروض الشرفاء الدباغيين بالقباب، قبالة بابا الفتوح.

حمزة بن الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني

**الكتّاني، إدريس**، المخرج السينمائي ولد في الرابع من يناير 1947 بمدينة سلا. وفي سنة 1968 حصل على شهادة الباكالوريا (شعبة الفلسفة) من ثانوية ديكارت بالرباط. هاجر بعدها مباشرة إلى أوربا (فرنسا - أنجلترا) حيث قضى هناك عشر سنوات (1969 / 1978) اشتغل وتلقى خلالها عدة تداريب في مجالات المسرح والسينما والإذاعة. ففور وصوله إلى باريس التحق بمحترف البحث والتعبير المسرحي ضمن فرقة المسرح الوطني الشعبي Théâtre National Populaire فاخرج في هذا النطاق مسرحيتي: (الخادمات) و (راسين كلوديل) لجان جوني Jean Jenet كما اشتغل لحساب الإذاعة والتلفزة الفرنسية (O.R.T.F) من 1973 إلى 1975 قبل أن

يلتحق بهيأة الإذاعة البريطانية (.BB.C) لقضاء تدريب مدته سنتان (1976 ـ 1977).

استهل مولاي إدريس حياته السينمائية كممثل حيث شخص دور "طارغي" في فيلم تلفزيوني بعنوان : (أطلانطا) لجان كيرك شابرون Jean Kirke Chabron سنة 1971 ثم انتقل بعده إلى المساعدة في الإخراج ليساعد كلا من المخرج الفرنسي جان دولانوا Jean Delannoy في إخراج فيلم : (طوربيدو) ـ ثم فرانك لورد Frank Lord في إخراج فيلم : (أبناء الملك لير). كما شارك طلبة زنقة فوجيرار في إخراج شريط قصير بعنوان : (زوجة الموسيقي).

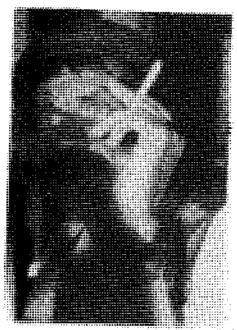

"فور عودته إلى المغرب سنة 1978 شرع في كتابة سيناريو فيلمه الروائي الطويل الأول : (مولاي يعقوب) وبالموازاة مع ذلك أخرج مسرحية بعنوان : "اندروماك" وعرضها بالمركز الثقافي الفرنسي بالدار البيضاء. وبعد ذلك تعاطى لمسرح الطفل بمدرسة عمر الخيام. حصل سنة 1980 على منحة لإنتاج فيلم سينمائي انطلاقا من السيناريو الذي كتبه ولهذا الغرض وقع اختياره على مدير التصوير محمد عبد الكريم الدرقاوي ليعمل إلى جانبه في إخراج وإنتاج هذا الفيلم إلا أنه وقع اضطراب وحصل سوء تفاهم أثناء التصوير وأصبحت ظروف العمل غير ملائمة، الشيء الذي أدى إلى الفوضى وتبدير جزء من الميزانية دون أن يستفيد الفيلم من ذلك، ونتيجة لهذا كله، فقد تغير عنوانه من "مولاي يعقوب" إلى "الناعورة". الذي حصل فيه المرحوم العربي باطما على جائزة أحسن ممثل ـ مناصفة ـ في المهرجان الوطني الثاني للفيلم المنعقد بالدار البيضاء سنة 1984".

كما كتب سيناريو فيلم (الوردة) الذي أخرجه مصطفى الخياط في نفس العام، وساهم قبله في إنتاج فيلم (عنوان مؤقت) لمصطفى الدرقاوي وبعد (مولاي يعقوب). شرع في كتابة سيناريو فيلمه الروائي الطويل الثاني (خياط الشرف) ـ ليخرج قبل تصويره فيلما قصيرا بعنوان : (ترانستيرابيا) سنة 1985 حول مزاولة التأثير العصبي بزاوية (سيدي رحال) وأثرها العلاجي في الطب التقليدي، وشارك به في المهرجان الوطني الثالث المنعقد بمكناس سنة 1991 مثيرا به نقاشات وسجالات حادة بينه وبين مريدي الزاوية المذكورة. وكانت له آراء صريحة وجريئة في المناظرة الوطنية الأولى حول السينما التي نظمت على هامش نفس المهرجان.

كما قام بتدريس مادة السينما لمدة سنتين : 1987 / 1988 بالمعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي بالرباط. ولم يشرع في تصوير فيلم (خياط الشرف) إلا في مستهل سنة 1991 ليتوقف العمل فيه في نفس العام لأسباب وعراقيل إنتاجية مرة أخرى.

توفي مولاي إدريس الكتاني بمدينة الرباط يوم 29 غشت 1994 تاركا وراءه أرملة وابنة من زواج سابق وفيلما على وشك الانتهاء.

*تحريات شخصية.*

خالد الخضري

**الكتّاني،** أبو **بكر** بن **عبد الحي** ولد بفاس عام 1330 / 1912، وأخذ بها عن أعلامها. أجازه والده واستجاز له كبار علماء المشرق والمغرب.

عرف بنبوغه المبكر، وسعة اطلاعه، وعلاقاته مع مختلف علماء المشرق والمغرب، خاصة محدث مصر العلامة أحمد بن محمد شاكر الذي أثنى عليه في بعض كتبه.

استوطن القاضي أبو بكر الكتاني فاسا، ثم الرباط، وسلا ومكناس، وتولى عدة مناصب علمية وإدارية ؛ منها القضاء في عدة مدن مغربية، وعين رئيسا للمحكمة الاقليمية بمكناس، وعضوا بالمجلس الأعلى بالرباط.

كتب الشعر وألف وحاضر، من مؤلفاته : "النوازل"، ورحلة للحج، وديوان شعر.

توفي بمدينة الرباط في 27 ربيع الأول عام 1397، ودفن بروضة الشهداء بالعلو.

**الكتاني، تاجة** بنت **الطائع** بن **هاشم** ولية صالحة عارفة، مربية، ناسكة، من أهل القرن الرابع عشر. كانت عابدة قانتة، صاحبة أذكار، محافظة على أداء صلواتها، ملازمة للشريعة والسنة بالرغم من كبر سنها، وصفها مترجموها بأنها : "نفيسة زمانها، ورابعة أوانها". أخذت عن والدها العارف مولاي الطائع بن هاشم الكتاني، وغيره نساء ورجالا. وهي تعد من النساء المغربيات القلائل اللواتي كان لهن دور في الوعظ والإرشاد، والإلمام بالمسائل العلمية، فكانت النساء ترجع إليها.

توفيت بفاس في الساعة العاشرة ليلا من يوم الأربعاء 17 ذي القعدة الحرام عام 1318، وأقبرت داخل حوش مولاي الطيب الكتاني، بالقباب، عند مصلى باب الفتوح.

**الكتّاني، جعفر** بن **إدريس** شيخ الإسلام، ومفتي المغرب، الفقيه المشاور، أحد رواد النهضة العلمية والفكرية زمن السلطان الحسن الأول.

ولد بفاس حدود عام 1245، وأخذ بها عن كبار

مشيختها، وعرف بنبوغه المبكر، وتصدر للتدريس في ريعان شبابه بجامع القرويين والزاوية الكتانية الكبرى وغيرهما من مساجد وزوايا فاس، كما اشتغل بالعدالة في سماط العدول، والخطابة والإمامة بجامع الرصيف وجامع أبي الجنود ومسجد الحوت.

ونظراً لنبوغه فقد قربه ملوك المغرب خاصة المولى محمد بن عبد الرحمن والمولى الحسن الأول، والمولى عبد العزيز، تصدر في مجالس إقراء الحديث بالضريح الإدريسي، والمجالس العلمية بالقصر الملكي بفاس، وتدريس أمراء البيت العلوي.

وبالرغم من رفضه تولي خطة القضاء فقد ظل المرجع في جميع الأحكام التي تستأنف عند السلطان الحسن الأول وعند ولده السلطان عبد العزيز دهرا طويلا، فلا يوقعانها ما لم يمحصها هو ويحكم فيها.

وكان أحد رجال مجلس الشورى الذي أسسه المولى الحسن الأول، وأعضاؤه هم : أحمد بن الطالب ابن سودة، وأحمد بن محمد ابن الحاج، والطيب ابن كيران، وعبد الله بن إدريس البدراوي.

وكان محدثا حافظا، له اعتناء كبير بعلم الحديث سندا ومتنا، حفظا وضبطا ونقدا، درس وسرد صحيح البخاري وصحيح مسلم وحدهما بالزاوية الكتانية بفاس أكثر من عشرين مرة، بل يعد شيخ هذا الفن في القرن الرابع عشر.

وكان المترجم سيفا مصلتا على رقاب المتجنسين بجنسيات الأعداء من الأجانب (أهل الحمايات)، فقد ملأ المنابر فتاوى بردتهم ووجوب قتلهم ما لم يتوبوا، ومصادرة أموالهم، ودفنهم في غير مقابر المسلمين، كتب في ذلك كتابه الشهير : *"الدواهي المدهية في الفرق المحمية"*.

وحين حاولت فرنسا احتلال شنجيط (موريطانيا) كتب في ذلك رسالة شهيرة، يوجب فيها قتال السلطان للفرنسيين، واستنفاره الرجال لحماية البلاد.

كما ترك مؤلفات كثيرة تقرب من المائة ؛ وصفها صاحب *"المدهش المطرب"* بأنها "متقنة نفيسة" ؛ منها : "النوازل"، وحواشي على صحيح البخاري ملأها فقها محررا، و"أحكام أهل الذمة"، وترجمة الشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني في مجلد نفيس، وتأليف في حكم التدخين، ووفيات علماء القرن الثالث عشر المسمى : "الشرب المحتضر"، و"التحذير من خطة القضاء"، وحاشية على جامع الترمذي، وحاشية على شرح التاودي ابن سودة على الزقاقية، و"الرياض الربانية في الشعبة الكتانية:، ومواهب الأرب في السماع وآلات الطرب"... وغيرها.

توفي بفاس يوم الجمعة 21 شعبان عام 1323، وشيع في جنازة مهيبة خرج جل أهل فاس فيها، ودفن داخل قبة الإمام الدراس بن إسماعيل بالقباب قبالة باب الفتوح.

حمزة بن الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني

**الكتَّاني** (الجنرال -) **حمو** من مواليد 1907 ببرشيد، كان والده شيخا على قبيلة أولاد حريز. تلقى تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه، وتابع دراسته بثانوية مولاي يوسف بالرباط، ودخل المدرسة العسكرية لتكوين الضباط وعمره خمس عشرة سنة. وبعد تخرجه التحق بفرنسا حيث حصل على شهادة الباكالوريا، وتابع دراساته القانونية. التحق بعد ذلك بديوان المقيم العام الجنرال نوگيس إلى حين اندلاع الحرب العالمية الثانية التي شارك فيها كقائد طابور. وقد نال خلال هذه الحرب عدة أوسمة. وبعد نهايتها، عمل في ديوان وزير الدفاع، ثم عين مديرا للديوان سنة 1946. وفي سنة 1948 عينه وزير الدفاع الوطني الفرنسي نائب رئيس القيادة العليا. وفي سنة 1949 التحق بالمدرسة العليا للحرب حيث قضى سنتين، وكانت هذه أول مرة تعطى فيها الفرصة لضابط من إفريقيا ليحصل على تكوين متكامل. وكان هذا الاستثناء تعبيرا للمغرب على ما تكنه له فرنسا من مشاعر الصداقة. وبذلك حصل الجنرال الكتاني على شهادة من القيادة العليا والتعليم العالي العسكري كباقي زملائه الفرنسيين دون أن يعتبر أجنبيا لكونه عنصرا في الجيش الفرنسي.

ثم إنه عين بالقيادة العليا بصفته رئيسا للفرق الفرنسية بألمانيا، حيث تلقى تدريبا تطبيقيا بالمكاتب الخمسة المكونة لهذه القيادة وذلك خلال سنتين ونصف. وكانت هذه أيضا حالة خاصة، لأن المتخرجين من أمثاله كانوا لا يتخصصون في قضايا تهم مكتبا واحدا. وبعد نهاية التدريب، أصبح مفتشا عاما للقوات العسكرية الفرنسية فكان هذا التعيين قد تطلب منه بذل مجهودات كبيرة. كما سمح له بربط الاتصال المباشر مع القيادات العليا لدول الحلفاء.

وقد حصل على رتبة جنرال سنة 1945. وأسندت له مهمة نائب الفريق الثالث بألمانيا ليصبح بعد ذلك قائدا عليها. ونظرا لتكوينه تم اختياره للدخول إلى مركز الدراسات العليا العسكرية، وهي أعلى مؤسسة عسكرية فرنسية. وكان قد سبق له أن تابع دراساته العليا التي سمحت له بالاطلاع على مكونات الجيوش البرية والبحرية والجوية.

وبعد حصول المغرب على استقلاله سنة 1956، عينه صاحب الجلالة الملك محمد الخامس مستشارا عسكريا لصاحب السمو الملكي، ولي العهد الأمير مولاي الحسن، رئيس الأركان العامة لمساعدته على تأسيس وتنظيم القوات المسلحة الملكية.

وفي سنة 1960، بعثه صاحب الجلالة على رأس التجريدة المغربية إلى الكونغو حيث قضى تسعة أشهر (من يوليوز 1960 إلى مارس 1961). وفي سنة 1964 عين كاتبا عاما بمندوبية الدفاع الوطني، وهي المهمة التي ظل بها بأمر من صاحب الجلالة الحسن الثاني إلى جانب مهام أخرى بالقصر الملكي.

وقد جرح الجنرال حمو الكتاني في المعارك خمس مرات،

وهو حاصل على أربع عشرة شهادة عسكرية وعدة أوسمة ملكية وعسكرية، منها وسام الشرف.

توفي يوم 13 أبريل 1965.

بهيجة سيمو

**الكتّاني، خديجة** بنت **محمد** بن **جعفر** عالمة مطلعة، مؤلفة ناسخة لعدة كتب، حفظت القرآن الكريم وضبطته على والدها، وكذلك حفظت مهمات المتون، وحصلت على الإجازة من والدها وجدها، وبعض كبار علماء المشرق، وأخذ عنها جملة من أعلام بيتها ؛ وكانت النساء ترجع إليها في مختلف المسائل الفقيهة، وبينها وبين مختلف أهل بيتها مراسلات محفوظة.

وقد اضطرتها الحرب العالمية الأولى إلى الابتعاد عن زوجها العلامة مولاي الفاطمي العراقي الذي عاد للمغرب من الحجاز عام 1332، وذلك بين عامي1332 ـ 1345، فكانت بينهما مراسلات طويلة رائعة، تعكس بلاغتها ورقتها. وهي محفوظة بمكتبة ورثة شقيقها الشيخ محمد الزمزمي الكتاني.

كما كانت أديبة، حافظة للشعر وقصص الأدباء، مفيدة المجالسة، إضافة إلى معرفتها لأخبار الوقت وتاريخ رجالات أسرتها، تركت عدة كنانيش بخط يدها لا تخلو من فوائد وإجازات وكتب منتسخة.

توفيت بفاس في 29 ربي الأول عام 1351، ودفنت بضريح والدها الإمام محمد بن جعفر الكتاني بحومة الصفاح من عدوة فاس الأندلس.

**الكتّاني، الطيب** بن **مَحمد** بن **أحمد** من أشهر شيوخ التربية بفاس القرن الثالث عشر الهجري، اشتهرت كراماته عند الخاص والعام، ووصفه مترجموه بالإمام العارف.

أخذ تبركا عن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وغيره، وأخذ عنه : الشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني، والشيخ محمد بن عبد الحفيظ الكتاني، والوزير محمد بن إدريس العمراوي، والعلامة محمد الزكي العلوي، وقاضي الجماعة العلامة الطالب بن حمدون ابن الحاج السلمي... وغيرهم.

وكانت له حظوة عند أهل زمانه، وكان للسلطان المولى عبد الرحمن بن هشام مزيد اعتناء به، واعتقاد وتقريب، وله معه حكايات عجيبة، وكان لذرية المولى محمد بن عبد الرحمن، والمولى الحسن الأول اعتناء بزيارة روضته، خاصة عند الخروج من فاس أو الدخول إليها.

وممن أفرده بالترجمة : الوزير محمد بن إدريس العمراوي، والعلامة المأمون بعد عمر الكتاني، والعلامة محمد الطاهر بن الحسن الكتاني.

توفي بفاس ثالث جمادى الثانية سنة 1253، وحضر جنازته العام والخاص، ودفن بإزاء أخيه القطب سيدي محمد الحمدوشي الكتاني بروضة الشرفاء الكتانيين جهة مصلى باب الفتوح.

حمزة بن الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني

**الكتّاني، عبد الأحد** بن الشيخ **عبد الحي**، ظل السلطان سيدي محمد بن يوسف (محمد الخامس) يرفض إسناد منصب القضاء إليه بصفة كونه رئيس "كونفدرالية طرق المغرب الشرقي" بسبب ما كان يصدر عنه من مواقف تصب كلها في العداء للأسرة العلوية الحاكمة في المغرب.

لكن بمجرد ما أقدمت سلطات الحماية والمالئين لها من المغاربة على عزل ونفي السلطان محمد بن يوسف جرى تعيين عبد الأحد الكتاني قاضياً بعين الشق أحد أحياء الدار البيضاء، لكن المقاومة المغربية تصدت له رميا بالرصاص صباح يوم الاثنين 14 فبراير 1955 لدى مغادرته لمقر عمله، ونجح منفذا المحلية في الإفلات، بينما حُمل الجريح إلى المستشفى حيث خضع لعملية جراحية.

وكان قد دعي قبل مهاجمته إلى اجتماع حضره المقيم العام "فرانسيس لاكوست" لدراسة سبل القضاء على العمل المسلح، فادَّعى أن سبب امتداد الأزمة المغربية وأصلها "هو الخروج عن الدين" !

وقد اهتمت مختلف الصحف الموالية للإدارة بالعملية ووصتها كعادتها بـ "العمل الإرهابي" ونظراً لنفوذ والده ومكانته لدى الإدارة فقد زاره باشا مراكش التهامي الأگلاوي ووفد يمثل "السلطان" محمد بن عرفة وعدد "كبير من الباشوات والقواد.


محمد العلمي، *محمد بن يوسف أو تاريخ استقلال المغرب*، الدار البيضاء، دار الكتاب، ط 1، 1973.

*Le Monde*, n° 3129, 15-02-1955, p. 1.


محمد وحيد

**الكتّاني، عبد الجليل** بن **يحيي** الثاني بن يحيى الأول الأمير الإدريسي، دفين البليدة من أحواز تلمسان، وصفه مؤرخوه "بالإمام الولي الصالح، العارف بالله، المتبرك به حيا وميتا". انتقل من فاس إلى تلمسان بسبب مطاردة ابن عمه يحيى الجوطي.

توفي عام 303، ودفن بأحوازها، وله بها مزارة شهيرة.

**الكتّاني، عبد الحي** بن **عبد الكبير** محدث حافظ، وأحد رواد النهضة الحديثية والفكرية في مغرب القرن العشرين، ورجل من رجال التصوف البارزين، يعرف "بالمكتبة المتنقلة".

ولد بفاس في جمادى الثانية عام 1302 / 1883، وأخذ عن كبار علمائها ومن كان يفد على الزاوية الكتانية الكبرى من أعلام المشرق وإفريقيا ورجالاتها السياسيين. وحصل له اغتباط وإقبال على العلوم الحديثية وأدواتها، من اصطلاح

وأصول، وفقه وتصوف، وتاريخ بأنواعه، وجرح وتعديل وأنساب، فجعلها عش الغرام، حتى بها عرف واشتهر. واستكتب الكتب الغريبة النادرة من الخزائن المغربية وغيرها، وقيد وضبط، وحبب الله إليه لقاء الشيوخ والمعمرين ؛ فكان لهم عليه إقبال، واستكثر من الرواية واستجازة الرحالين والمسندين، وكاتب أهل الآفاق البعيدة ؛ فحصل على أمر عظيم في هذا الباب بحيث استجاز أكثر من خمسمائة شيخ في المشرق والمغرب، وانفرد بعلو الإسناد وعلومه في وقته، وكتب في سبيل ذلك كتابه *"فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات"*.

وعين بظهير ملكي عام 1320 مع ثلة علماء الطبقة الأولى الذين يقرؤون الحديث بالضريح الإدريسي صبيحة كل يوم، وهو لما يتجاوز عشرين عاما من عمره.

وترقى إلي الرتبة العلمية الأولى من رتب علماء القروين عام 1325 / 1907، وهي أعلى الرتب العلمية بالقروين.

كما أسس مكتبة علمية كبرى، فتحها لعموم الباحثين والدارسين، اهتبل بها علماء المغرب والمشرق، وكتبت عنها مقالات، حوت نفائس الكتب والآثار والنقود، والدوريات والمجلات والوثائق، منها نهل جل من بحث في التاريخ المغربي، والفقه الإسلامي والتصوف في عصره.

حج مرتين ؛ أولهما ؛ عام 1323، وزار مصر والحجاز والشام، ولقي إقبالا منقطع النظير من حكام وعلماء ووجهاء تلك البلاد التي زارها، جعلهم يصفونه بأعلى الأوصاف، وعاد إلى المغرب محملا بعلم المشرق مادة وكتبا وإجازات.

ثم حج مرة ثانية في حدود عام 1351، وزار أثناء هذه الرحلة مختلف دول أوروبا التي اجتمع فيها بأمير البيان شكيب أرسلان، وأعجب كل منهما بالآخر، ثم زار مصر والحجاز وفلسطين، ولبنان وسوريا، وزار مختلف المرافق والمعاهد العلمية والتاريخية، وافتخروا باللقاء به، والاستفادة من علومه.

وما ترك التدريس قط، لا في الزاوية الكتانية بفاس، ولا في جامع القرويين الأعظم، ولا في جميع خرجاته الإرشادية التي كان يقوم بها إلى مختلف مدن المغرب، والجزائر، وتونس والمشرق، ومختلف البلاد التي زارها بأوربا.

وفي سبيل نشاطه العلمي شارك في عشرات الندوات والمنتديات والمؤتمرات العلمية في المشرق والمغرب وأوروبا، وكان عضوا فعالا في مجمع اللغة العربية بدمشق، وقدم إلى مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في معهد الدراسات العليا بالرباط عام 1346 رسالة في "إثبات التدوين لأهل القرن الأول الهجري من الصحابة والتابعين".

عرف الشيخ عبد الحي الكتاني بنشاطه السياسي الدؤوب بجانب نشاطه العلمي والمعرفي والصوفي، بحيث سخر معارفه للسياسة، وسياسته للمعارف. غير أن السابر للخط السياسي للشيخ عبد الحي الكتاني يجده دائرا على نفس مبادئه المحافظة التي نشأ وترعرع فيها.

فقد شارك شقيقه الشيخ أبا الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني في جميع نشاطاته الإصلاحية كالدعوة إلى الإصلاح الإداري بالمغرب، وإحداث الدستور والمجالس النيابية، واستقبال رواد الفكر الحر الذين فروا من جور الدولة العثمانية إلى المغرب، والدعاية لهم، والكتابة في مجلاتهم، وفتح الزوايا الكتانية لدروسهم.

وأثناء البيعة الحفيظية عام (1325 / 1907) كان أحد أهم العوامل لإنجاحها ؛ فقد جمع العلماء بأمر من أخيه، من أجل بيعة السلطان المولى عبد الحفيظ بن الحسن، ووجه الرسائل إلى مختلف القبائل المغربية من أجل ضمان البيعة، بل ذهب بنفسه إلى مراكش من أجل تأمين الطريق للسلطان المولى عبد الحفيظ إلى فاس، والتقى بمحلته بمشرع الشعير، وكان أكبر رفقائه.

وألف في سبيل ذلك كتابه : *"مفاكهة ذي النبل والإجادة حضرة مدير جريدة السعادة"* في إطار الحملة الإعلامية والفكرية التي كانت تقوم بها الطريقة الكتانية وروادها ضد الحملة الإعلامية الاستعمارية ممثلة في جريدة *"السعادة"*، وشرح في هذه الرسالة - التي طبعت مرارا وترجمت لعدة لغات - أفكاره وأسباب القيام بالدعوة الحفيظية، وفلسف فيها مفهوم البيعة وإمارة المؤمنين.

غير أنه ابتلي فيمن ابتلي في محنة شقيقه الشيخ أبي الفيض واعتقل بسجن أبي الخصيصات بفاس عدة أشهر، لقي أثناءها عكس ما كان يفترض أن يلقاه نتيجة نشاطه الوطني والإسلامي المخلص، سواء من طرف المخزن، أو من طرف وجهاء المغرب ؛ فأيقن أن البلاد تحتاج إلى إصلاح ديني واجتماعي وأخلاقي وحضاري، لا إلى إصلاح عسكري.

وأثناء الحماية الفرنسية (1912 / 1956) حافظ الشيخ عبد الحي الكتاني على علاقات وطيدة مع سلطات الحماية، فحصل بسبب ذلك على نفوذ كبير استخدمه في كافة نشاطاته.

وأسس في هذا المضمار مؤتمر الطرق الصوفية، الذي كان يروم عن طريقه إحداث كتلة من الطرق الصوفية على غرار مجمع الطرق الصوفية بمصر، تقوم بالمحافظة على الإسلام واللغة العربية والمبادئ الدينية في مختلف مناطق المغرب والجزائر وتونس.

كما كانت له حملات ضد ما يعرف بإصلاح جامعة القرويين وتغيير نظامها. وعند فرض الإصلاح على الجامعة عام (1350 / 1930) كان أول المنسحبين من التدريس، واكتفى بدروسه غير النظامية.

كما قاد عام 1345 / 1927 وما بعدها الحملة التي قام بها علماء المغرب ضد البدع والمنكرات التي تفشت في المجتمع، وأقام دروسا ومنتديات في هذا الإطار، وألف كتابه *"تبليغ الأمانة في مضار الإسراف والتبرج والكهانة"*.

وعندما انحلت دولة الخلافة في المشرق عام 1925، واعتلت أصوات العلمانيين مدعية بأن الإسلام لا يصلح نظام حكم في كل زمان ومكان؛ ألف كتابه *"التراتيب الإدارية في الحكومة النبوية"* الذي أثبت من خلاله أن كل صغيرة وكبيرة في النظام الإداري كان لها أصل من حكومة النبي صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الأربعة من بعده. وعد هذا الكتاب صيحة في وقته.

وكان الشيخ عبد الحي الكتاني يحظى باحترام وتقدير كبيرين من ملوك المغرب، المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ والمولى يوسف، والملك محمد الخامس، حيث أنعموا عليه بظهائر التوقير والاحترام، وكان يحضر في كافة المناسبات الوطنية والخاصة.

غير أنه نظرا لخطه المحافظ، وتشبثه بالطرقية والتصوف في زمن طغت فيه الأفكار السلفية والتقدمية، فقد كثر أعداؤه - خاصة من طرف الحركة الوطنية التي عارضت مواقفه في كافة المحافل -.

وعند تنحية الاستعمار الفرنسي الملك محمد الخامس عن عرش أسلافه عام (1372 / 1953)، وتنصيبهم ابن عمه محمد بن عرفة ملكا على المغرب، كان الشيخ عبد الحي الكتاني واحدا ممن تزعموا مبايعة ابن عرفة - كعدة علماء آخرين فكانت بيعته القميص الذي علق به أعداؤه شتى التهم والعظائم.

ثم ما إن عاد الملك محمد الخامس إلى المغرب منتصرا مظفرا عام (1375 / 1955)، حتى اضطر الشيخ عبد الحي الكتاني إلى الهجرة لفرنسا مستوطنا مدينة نيس التي توفي فيها يوم الجمعة 12 رجب الفرد عام 1382.

ترك الشيخ عبد الحي الكتاني ما يربو على خمسمائة مولفا أهمها: *مفاكهة ذي النبل والإجادة حضرة مدير السعادة، منية السائل، اختصار الشمائل، وسيلة الملهوف إلى جده الرحيم العطوف، ما علق بالبال أيام الاعتقال، المعجم الأكبر، تخريج ثلاثية البخاري، الرحلة الحجازية، نقد فهرس الشيخ فالح المدني، أسانيد صحيح مسلم، أسانيد حصر الشارد، نصيحة كتبها للسلطان المولى عبد الحفيظ، النور الساري على صحيح البخاري، الرحمة المرسلة في شأن حديث البسملة، مرقاة التخصيص في الكمالات المحمدية، تاريخ جامع القرويين، التراتيب الإدارية، التنويه والإشادة بنسخة ورواية ابن سعادة من صحيح البخاري، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، رسالة في علاقة ملوك المغرب بشيوخ الزوايا*، وما كانوا يندبونهم إليه من خدمة الصالح العام.

**الكتّاني، عبد الرحمن** بن **جعفر** بن إدريس أحد نبغاء جيله، علامة مدرس، مشارك في مختلف علوم الشريعة، متضلع في الفقه والحديث والأدب، مؤرخ نسابة مسند، من نبغاء شعراء فاس، وأحد خدمة التراث المغربي.

ولد بفاس عام 1297، وتربى في كنف والده الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني، وأخيه الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، وكان القارئ بين يديه في جميع ما يقرئه من الكتب، وهو عمدته في العلم. كما استجاز كبار علماء فاس والمشرق فأجازوه.

كان متضلعا في سائر العلوم الشرعية، ذا معرفة بالفقه والحديث والآثار، والنحو واللغة والأدب. سريع الفهم، واسع الاطلاع، عميق الإدراك، ممن يرجع إليهم في وقته.

وكان أحد أعيان أدباء المغرب وشعرائهم، وكانت بينه وبين الشيخ جمال الدين القاسمي - عالم الشام - مساجلات شعرية، ورسائل مبدعة.

ترك الشيخ عبد الرحمن بن جعفر الكتاني عدة مؤلفات منها: "الحسام المنتضى المسنون على من قال: إن القبض غير مسنون". منظومة نصر فيها سنة القبض في الصلاة. و"الجوهر النفيس، في النسب الكتاني النفيس"، منظومة أرخ فيها وترجم لأفراد البيت الكتاني، وتأليف فيمن أردفه النبي صلى الله عليه وسلم خلفه، وحاشية على شرح الأزهري على "الآجرومية"، و"كشف النقاب عن موافقة سيدنا عمر بن الخطاب"، وتأليف فيمن بدل النبي صلى الله عليه وسلم أسماءهم من الصحابة، و"إظهار ما بطن من حب الوطن"، وتشطير قصيدة ابن جابر الأندلسي في التشوق إلى المدينة المنورة، في 722 بيتا، وفهرس شيوخ العلامة حميد بن محمد بناني، وكناشة مليئة بالفوائد.

كما عني العلامة عبد الرحمن الكتاني بتحقيق وإصدار عدة كتب تراثية مهمة؛ منها: كتاب والده: *"إعلام أئمة الأعلام وأسانيدها، بما لنا من المرويات وأسانيدها"*، وكتاب أخيه الشيخ محمد بن جعفر الكتاني: *"نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام"*، وكتاب الإمام الحسن بن مسعود اليوسي: *"مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص"*، و*"مفتاح الأقفال ومزيل الإشكال"* لأبي عبد الله السجلماسي، و*"شرح الشيخ الطيب ابن كيران على خريدة*

*الشيخ حمدون ابن الحاج* في المنطق، و"*نشر البنود على مراقي السعود*"، و"*هدى الأنوار على طلعة الأسرار*" كلاهما للشيخ عبد الله العلوي الشنكيطي، ومجموعة من مؤلفات الشيخ ماء العينين الشنكيطي ... وغير ذلك.

توفي بفاس عن سبعة وثلاثين عاما، إثر سقوطه عن فرس في التاسع من صفر عام 1334، ودفن داخل قبة الإمام الدراس بن إسماعيل بالقباب قبالة باب الفتوح.

**الكتّاني، عبد الرحمن** بن **محمد** الباقر علامة مشارك، خطيب مصلح. ولد بمدينة فاس عام 1336 / 1917، ثم استوطن مدينة الرباط ثم سلا، وأخذ عن أعلامهما والوافدين عليهما ؛ وعرف منذ نعومة أظافره بإقباله على العلم والتعليم، وميله إلى حرية الفكر والإصلاح، وشدة تمسكه بالدين وغيرته عليه.

شارك والده الشيخ محمد الباقر الكتاني في جميع نشاطاته الطرقية والسياسية والوطنية، وأشرف على تحرير عدة عرائض ورسائل مطالبة باستقلال المغرب، وبإرجاع الملك محمد الخامس من منفاه إلى المغرب، وبالدعوة إلى تطبيق النظام الإسلامي بدل القانون الوضعي، والدعوة إلى تعريب التعليم في المغرب.

عرف الشيخ عبد الرحمن الكتاني بنشاطه الدؤوب، بحيث أسس عدة جمعيات وشارك في أخري كجمعية علماء الإصلاح والإرشاد التي كان يرأسها شرفيا الملك محمد الخامس ورابطة علماء المغرب، وجمعية الدفاع عن حفظة القرآن، واللجنة المركزية لمساندة الكفاح الفلسطيني .. وغيرها.

كما عرف بجرأته في الحق وعدم خوفه في الله لومة لائم، إضافة إلى خدمته للناس بحيث يعد فريد نوعه في هذا الجانب. وعرف كذلك بقلمه السيال، ومقالاته الكثيرة التي كان ينشرها في مختلف مجلات وجرائد المغرب ؛ خاصة : "*الميثاق*"، و"*الإيمان*"، و"*الإرشاد*"، و"*دعوة الحق*"، وكان له فهم كبير في العلم والتعلم، بحيث كان يدرس في مختلف مساجد سلا كالجامع الأعظم، ومسجد سيدي أحمد حجي، والزاوية الكتانية، إضافة إلي دروسه بالمؤسسة الكتانية.

رحل إلى الحج مرتين : عام 1392 / 1972، و1397 / 1977، وزار ولايات الاتحاد السوفياتي الإسلامية، والجزائر وسوريا ومصر عام 1397.

والشيخ عبد الرحمن الكتاني من الرعيل الأول المدافعين عن القضايا الإسلامية، والوحدة الوطنية المغربية، خاصة مسألة الوحدة الترابية، والتي دافع من أجلها في عدة مقالات ومحاضرات عن مغربية الصحراء. بل شارك بنفسه - بالرغم من مرضه وإعيائه - في المسيرة الخضراء، ودعا عبر موجات الأثير إلى الانسحاب الإسباني من كافة التراب المغربي. وقد حصل على عدة أوسمة ملكية تقديرا لجهوده العلمية والإصلاحية ؛ منها : وسام العرش من درجة فارس، ووسام المسيرة الخضراء.

ترك مؤلفات عديدة ؛ منها : "*من أعلام المغرب العربي في القرن الرابع عشر وجهودهم من أجل الصحوة الإسلامية*"، و"بحوث تحليلية نقدية في الفكر الإسلامي"، وتحقيق لكتابي والده : "*روضات الجنات في مولد خاتم الرسلات*"، و"*يواقيت التاج الوهاج في قصة الإسراء والمعراج*" بالتعاون مع شقيقه الناسك امحمد بن محمد الباقر الكتاني، ورحلة للحجاز، وأخرى للاتحاد السوفياتي، و"*تحديد النسل في الإسلام*"، و "*مجموع الفتاوى الفقهية والحديثية*"، و"*الأسرة في الإسلام*"، و "*محمد الكتاني شهيد الاستقلال*"، وسلسلة عظماء الإسلام"، و "*جهاد الطريقة الكتانية وأعمالها الإصلاحية*"...

توفي بسلا في 23 محرم الحرام، عام 1401 / 1980، ودفن بالزاوية المباركية بباب احساين.

**الكتّاني، عبد الرحيم** بن **الحسن** علامة مشارك مؤرخ، أديب شاعر، رحالة متجول، داعية إلى الله تعالى. ولد بفاس عام 1304، وأخذ بها عن أعلامها.

عين عدلا بسماط عدول فاس، ثم بالنظارة بتازا، ثم مدرسا بالجامع الكبير بنفس المدينة. ورحل إلى بلاد السنغال، وبقي بها تاجرا وداعية مدة اجتمع فيها بعدة شخصيات علمية وصوفية وجهادية كبرى ؛ أبرزها الشيخ أحمد بنبا الذي زاره بمعتقلة بها. كما تجول داعية وناشرا للعلم في مختلف مدن المغرب وقراه.

كان له إلمام بالتاريخ والوفيات، واعتقاد في الصالحين، وكتب عدة مقالات في عدة جرائد، مترجما لعدة أعلام ممن توفوا في حياته، يترجم لهم ترجمة وافية يصف جنائزهم، ومحال دفنهم والصلاة عليهم، ويعدد شيوخهم ؛ بحيث يستفاد من مقالاته عدة تراجم علمية عالية.

كما كان أحد شعراء المغرب المبرزين ؛ رثى ومدح ووصف، وزاول مختلف ضروب الشعر.

ترك الشيخ عبد الرحيم الكتاني عدة مؤلفات ؛ منها : ديوان شعر، وكناش علمي، ورحلة إلى بلاد السودان، و"مقصورة المفاخر في عد أشياخي ذوي لمفاخر" ؛ منظومة في 380 بيتا، ومجموعة تراجم لأعلام القرن الرابع عشر الهجري، وغير ذلك.

ثم لازم في آخر عمره مدينة فاس، وتوفي بها يوم الأحد عشري قعدة عام 1374 ، ودفن بروضة الشرفاء الكتانيين بالقباب، خارج باب الفتوح.

**الكتّاني، عبد العزيز** بن **محمد** بن **قاسم** من صلحاء فاس في القرن العاشر الهجري، عارف، مرشد إلى الله تعالى. وصفه مترجموه "بالولي الكبير، الصدر الشهير، السيد الفاضل، الماجد الكامل المعظم، العارف بالله، الدال عليه في سره ونجواه، ذو الكرامات الظاهرة، والخوارق الباهرة، والجذب والأحوال، والوصول إلى درجات الكمال...".

كان يعتريه الحال في جل أموره، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وله كرامات نقلها الناس بالتواتر. وعليه وعلى ذريته أوقفت الدار التي بعقبة ابن صوال بفاس. وسموا من أجلها بشرفاء "عقبة ابن صوال".

توفي في زيارة لمكناس عام 997، وينسب إليه بأحوازها ضريح شهير، يعرف بضريح : سيدي عبد العزيز.

**الكتّاني، عبد الكبير** بن **محمد** أبو **المكارم**، من دعاة الاجتهاد، ورواد الإصلاح الديني والاجتماعي بالمغرب في القرن الرابع عشر، عالم مشارك، وشيخ طريقة مربي، ومناضل سياسي، يلقب بجبل السنة.

ولد بفاس عام 1268 ، وأخذ عن والده الشيخ أبي المفاخر محمد بن عبد الواحد الكتاني، وكثير من علماء عصره. رحل إلى الحج والزيارة مرتين ؛ عام 1286 و1295 ، وأخذ بالمشرق والمغرب، وأخذ عنه المئات، من طلبة العلم والمريدين. وكان بيته وزاويته مأوى الوافدين إلى فاس من كبار العلماء والمفكرين من المشرق والمغرب.

كان له اعتناء عظيم بالسنة والحديث، ختم صحيح الإمام البخاري ما بين دراسة وتدريس أكثر من خمسين مرة، وأتم سماع وإسماع الكتب الستة في الحديث الشريف كلها، ويستحضر أحاديثها كأصابع يديه، بحيث يعرف الناس به منة إحياء السنة وكتبها بفاس، والقيام عليها قيام النقاد المهرة. وجل كتبه تدور على هذا الجانب.

كما كان شيخا مربيا لحوالي أربعين طريقة من الطرق الصوفية التي كان يلقن أورادها للناس، ومن بينها طريقة أبيه المحمدية وطريقة ولده الأحمدية أبي الفيض، معتنيا بتربية الاتباع والمريدين وتوجيههم إلى الله تعالى.

وكان منهجه في التربية الاعتناء بالأحكام الشرعية، وتتبع السنن النبوية المعروفة والمضمرة، والتعريف بها، والحض عليها وعلى اتباعها، ومراقبة النفس في الحركات والسكنات، ومحاسبتها ...

وحينما هوجمت البلاد من طرف الجيوش الفرنسية ودقت ساعة التحرير الكبرى، قام بأدوار هامة في إذكاء روح المقاومة الوطنية بدروسه القيمة ورسائله العديدة إلى مختلف المدن والقري والمداشر، وإخباره عن سير الحركات التحريرية القائمة بالبلاد، تلك الأخبار التي كانت تنعش الآمال وتعيد الاطمئنان إلى النفوس المستضعفة، وتثير بعد نشرها دهشة كبرى في الأوساط الرسمية بفرنسا، وتعرقل المساعي الاستعمارية، وتقلل الثقة التي كان يضعها الدبلوماسيون الفرنسيون في وزراء السوء في الحكومة المغربية. وقد أبدت جريدة *"السعادة"* رغبتها الملحة في تخلي الشيخ عبد الكبير الكتاني عن ترويج تلك الإشاعات التي كانت تعدها خطيرة جدا على مصالح فرنسا بالمغرب، كما هو منشور في عددها المؤرخ بيوم الجمعة 8 جمادى الأولى 1307 موافق 28 مايو 1909.

وآخر عمل قام به هو : الرحلة الإرشادية التي كانت نهايتها مدينة الصويرة، وتسمى عند أتباع الطريقة الكتانية بـ : "رحلة الوداع" ؛ لأنه كان يودعهم فيها، وكان لها فضل كبير على الحركة الإسلامية بالمغرب، لأنه حارب فيها اليأس الذي أصاب الناس من الاحتلال الأجنبي، وأوقد فيهم جذوة النشاط، ودعا إلى مواصلة الكفاح والعض بالنواجذ على تعاليم الإسلام.

وقد ترك حوالي خمسين مؤلفا، وأكثر من ألف رسالة كان يبعثها داعيا إلى الله تعالى وناشرا للعلم، وحاضا على الجهاد ضد المستعمر. منها : "المشرب النفيس في ترجمة قطب المغرب مولانا إدريس"، و"الانتصار لآل النبي المختار، والرد على بحث الشيخ القصار"، ومؤلف في المبشرين بالجنة، وآخر في أسباب رضى الله عن العبد، ورضى العبد عن الله تعالى، ورسالة في تحريم التدخين، وأخرى في شيبه صلى الله عليه وسلم، ومؤلف حافل في نصرة السنة سماه : *"تجديد الأسنة في الذب عن السنة"* ، وكتاب *"نجوم المهتدين في دلائل الاجتماع للذكر على طريقة المشايخ المتأخرين، برفع الأرجل من الأرض والاهتزاز شوقا لرب العالمين"* .

توفي صبيحة يوم الخميس 26 ربيع الأول عام 1333، ودفن بالزاوية الكتانية الكبرى بالقطانين بفاس.

**الكتّاني، عبد الكبير** بن **هاشم** نسابة المغرب في وقته، مؤرخ موثق، فقيه أديب مشارك.

ولد بفاس صباح يوم عرفة عام 1266 ، وأخذ عن والده المولى هاشم بن المكي الكتاني، ووالدته الشريفة العارفة تاجة بنت مولاي الطائع بن هاشم الكتانية، وغيرهما من علماء عصره.

شغل الشيخ عبد الكبير بن هاشم الكتاني عدة وظائف ؛

كالتدريس، والعدالة بسماط عدول فاس، ثم الكتابة بدار المخزن مع السلطان المولى الحسن الأول، وسافر معه مرتين، ووجهه لقضاء أغراض مخزنية بقبيلتي الشياظمة وحاحا، ثم لمراكش وقبيلة سكساوة والشاوية، ثم أنزله المخزن على سائر عمال قبيلة دكالة، ثم إلى تادلة وغيرها من جهات المغرب.

ثم عاد إلى فاس ولازم الشهادة بها، إلى أن كلفه قاضي مقصورة الرصيف بالنظر في شأن تفويت أهل المحاجر وأعمال المخارجة والانتقال. ثم زهد في جميع ذلك، ولزم بيته متفرغا للبحث العلمي والتأليف ؛ فألف مؤلفات نفيسة تعد وحدها موسوعة لتاريخ وأنساب فاس خاصة، والمغرب عامة.

وانتهت إليه في زمانه معرفة أشكال (توقيعات) عدول فاس وقضاتها الأقدمين، كما كان نابغة في علم الأنساب والتاريخ، وصفه مترجموه "بإمام نسابي المغرب"، ممن يشار لهم باليد الطولى، مع مزيد التحقيق والتدقيق، ويسأل عن تاريخ من تواريخ الإسلام، أو ملك من ملوكه، وعن دولته إلا ويجيب فوراً من غير مراجعة، زيادة على ما اشتهر به من معرفة قبائل المغرب المستوطنين مدينة فاس قديما.

ترك الشيخ عبد الكبير بن هاشم الكتاني عدة مؤلفات منها : "*زهر الآس في بيوتات فاس*"، طبع في مجلدين بتحقيق د. علي بن المنتصر الكتاني، و"*الشكل البديع في النسب الرفيع*" في عدة أجزاء، و"*رفع الحجاب الأقصى عن بعض عرب المغرب الأقصى*"، في مجلد ضخم اختصره العلامة محمد بن الحسن الحجوي، و"*نبذة التشوق للذة التعنق*" في آداب الجماع والدخول بالزوجة، و"*الإنسان المعجب في اللسان المطرب*" في فن الموسيقى، و"*الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية*"، وكناشة كبري في عمود الشرفاء، مع شجرة كل قبيلة، وجواب للعلامة محمد بن الحسن الحجوي في شأن عرب معقل، و"*لواقح الأزهار، ونفائس الأنهار، وكشف الأستار، المتفضل بها على أهل الاستبصار*" في التصوف والفلسفة، و"*إيصال القبائل لعمود الأوائل*"، وشجرة الشرفاء الكتانيين، وشجرة الشرفاء العراقيين، و"خطباء القرويين"، و"تاريخ خلفاء الإسلام"...

توفي بفاس بعد زوال يوم الأحد 8 رمضان عام 1350 عن سن تناهز 84 سنة، ودفن بزاوية سيدي امحمد ابن الفقيه الزجني بحومة رشم العيون من فاس.

**الكتّاني، عبد الله** بن أبي **طالب** من مشايخ الطريقة الشاذلية وصلحائهم بفاس في القرن الثاني عشر، شيخ مربي.

سافر للمشرق وحج، ولقي جملة من الأخيار، كالشيخ العارف سيدي علي عزوز بزغوان قرب تونس، بقصد زيارته والأخذ عنه. فلما دخل عليه ؛ قال له : "لست بصاحبي، وشيخك هو : سيدي محمد ابن الفقيه بفاس !". فلازم الشيخ محمد ابن الفقيه الزجني الحسني بفاس، وأخذ عنه، وصار من أخص تلامذته، وأعزهم عليه، وأكبرهم لديه.

وأقامه في الزاوية برشم العيون من فاس مقامه من نفسه، فكان خليفته فيها في حياته، ثم صار خليفة له بعد وفاته إلى أن صار إلى عفو الله.

وبزاوية سيدي محمد ابن الفقيه برشم العيون تصدر للتوجيه والدعوة إلى الله تعالى بالتي هي أحسن، والتربية الاجتماعية، وأخذ عنه الطريقة الزجنية الوزانية الشاذلية زمرة من أهل فاس وغيرها.

وكان فاضلا زكيا، نزيها خيرا، دينا وجيها، عفيفيا ماجدا، ممجدا لطيفا، ذا رأي وعقل وفهم، يربي ويؤدب ويهذب.

توفي بفاس عام 1163، ودفن بزاوية شيخه ابن الفقيه بحومة رشم العيون من فاس.

**الكتّاني، عبد الله** بن **هادي** بن **يحيى** الثالث شيخ مربي، وعارف مصلح، وصفه مترجموه بالولي الصالح، الإمام القطب، ذو السر الظاهر، والنور الباهر، والبركات والآيات، والكشف وخوارق العادات... الخ.

توفي عام 490، ودفن بقسنطينة بالجزائر، وبني عليه ضريح ومسجد جامع، ومدرسة تدرس فيها العلوم الشرعية إلى الآن. وقد جدد بناءه الأمير "صالح باي" (ت. 1197)، ودفن به. وله ولذريته بقسنطينة وعمالتها عدة ضرائح وزوايا ومدارس عليها أوقاف وتوابع.

**الكتّاني، علي** بن **الغالي** رجل أعمال من الدرجة الأولى، وطني مجاهد، سياسي مقتدر، محسن شهير. ولد بفاس عام 1337، وتربى في كنف والديه، حيث حفظ القرآن الكريم على يد ثلة من علماء القراءات، ثم دخل مدرسة عربية حرة بفاس، وتتلمذ على كثير من العلماء الشباب المؤسسين للحركة الوطنية ؛ كابن عمه محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني وأضرابه، ثم انخرط في سلك طلبة جامعة القرويين.

وإثر وفاة والده اضطر للانقطاع عن الدراسة والاشتغال بالتجارة، ففتح متجرا لبيع الثياب وهو ما يزال في أول شبابه، وجعله ناديا للطلبة والمثقفين، ورجال الحركة الوطنية.

وفي عام (1367 . 1947) انتقل للسكنى بالدار البيضاء، حيث فتح عليه في ميدان التجارة بجانب نشاطه السياسي والوطني كان عضوا في حزب الشورى والاستقلال، بحيث يعد من الرعيل الأول للحركة الوطنية بالمغرب.

وبعد الاستقلال عين عضوا في المجلس الاستشاري، ونجح في الانتخابات النيابية ليصبح عضوا في البرلمان، وكان أول رئيس لغرفة الصناعة والتجارة بالدار البيضاء، ورئيسا مؤسسا للغرفة الاقتصادية الفتية، كما عين عضوا في مجلس إدارة جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء.

توفي بالدار البيضاء في 18 شوال عام 1414، ودفن يوم الجمعة بروضة الشرفاء الكتانيين التي أسسها ملحقة بمسجد

جامع بناه حذاء مقبرة الشهداء بها، وصلي عليه بمسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، وحضر جنازته ولي العهد حينئذ الأمير سيدي محمد والعلماء، وأعضاء الحكومة، وممثوا الأحزاب السياسية والهيئات النقابية بالمغرب، ووفود العائلة الكتانية، ورجال الأعمال وجموع محبيه.

**الكتّاني، علي** (الجد الجامع) بن **قاسم** هو الجد الجامع لجميع الشرفاء الكتانيين المعروفين الآن، يتصلون به من ولديه : أحمد وامحمد ، يكنى بأبي الحسن، ويلقب بأبي الحي. وهناك عقد شرف له ولولديه المذكورين مؤرخ بـ : 2 / 11 / 1102. شهد عليه ثمانية عشر من شهود فاس وأصحاب الأنساب العالية أن : "علي بن أبي القاسم : لم يزل شريفا معظما، موقرا محترما، جليل القدر، كبير الخطر، ممن حاز نسبة الشرف حوزا صحيحا، وامتاز به امتيازا صريحا، وسلم شرفه الأكابر التسليم التام. وهو كذلك على تلك الحالة إلى أن توفي، وخلف ولديه : سيدي امحمد وسيدي أحمد على الحالة الموصوفة، من غير طاعن ولا معارض، ولا مدافع ولا منازع ولا مناقض....".

كانت وفاته بفاس عام 1054.

**الكتّاني، علي** بن **محمد** العلامة التقني المؤرخ، رائد في علم الطاقة وعلم الأقليات الإسلامية.

ولد في مدينة فاس فجر يوم السبت 6 رمضان عام 1360 الموافق 27 / 9 / 1941، تربى التربية الدينية على والده وفي الكتاب، ونال شهادتي البكالوريا من مدارس دمشق عام 1379 ، وحصل على دبلوم الهندسة الكهربائية من معهد البولي تكنيك بجامعة لوزان - سويسرا أوائل عام 1383 وحصل على شهادة الدكتوراه متخصصا في الطاقة من جامعة كارنيجي بمدينة بيتسبرغ - ولاية بنسلفانيا - بالولايات المتحدة الأميركية عام 1385 / 1976.

ثم التحق مدرسا في عدة جامعات أمريكية وعربية ؛ كجامعة بنسلفانيا، ومعهد ماساشيوستس للتكنولوجيا، بالولايات المتحدة الأميركية، وجامعة الملك عبد العزيز بالرياض، وجامعة الملك فهد للعلوم والتقنية بالظهران، كلاهما بالمملكة العربية السعودية، وحصل على رتبة أستاذ ذي كرسي عام 1972.

تميز الدكتور علي بأبحاثه الغزيرة في مجال الطاقة والعلوم والتكنولوجيا ، فألف في هندسة "البلازما" والطاقات المتجددة (وبالخصوص الطاقة الشمسية وطاقة المياه وطاقة الرياح). ومن إنجازاته في هذه الميادين مساهمته بمقدرة ناذرة في مشروع "دوحة سلوى" الذي سوف يوفر الطاقة الكهربائية لكل دول الخليج العربي بتكلفة زهيدة.

وقد أهلته ريادته في هته الميادين ليكون عضوا ورئيسا لعدة منظمات علمية عالمية متخصصة في مختلف فروع الطاقات المتجددة.

نتج عن جهوده في المؤسسة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا والتنمية التي كان مديرها العام ؛ مساهمته في إنشاء المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الاسيسكو) ، وفي تأسيس الأكاديمية الإسلامية للعلوم والتي مقرها بعمان - الأردن، وذلك عام 1407/1987، والتي تضم كبار علماء المسلمين في العلوم والتكنولوجيا ، حيث تولى منصب أمينها العام ونائب رئيسها.

قام عام 1393 - 1973 بجرد عام للمسلمين في أوروبا وأمريكا باسم رابطة العالم الإسلامي، وفلسف لعلم الأقليات الإسلامية في عدة من كتبه ؛ أهمها : *المسلمون في أوروبا وأمريكا* في مجلدين، و*الأقليات الإسلامية في العالم اليوم*، باللغة الإنجليزية، وآخر مختصر باللغة العربية، كما أنجز بالتعاون مع الأستاذ أحمد مختار امبو موسوعة الأقليات الإسلامية في العالم في عدة مجلدات باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية.

وإذا ذكر الإسلام في إسبانيا فلا يمكن أن يغفل عنه الدكتور علي الكتاني، الذي كان أحد أول من ساهم في إحياء الإسلام في تلك الربوع، وقد ابتدأ نشاطه الإسلامي بها منذ عام 1393 /1973، وتكثف منذ عام 1400/ 1980.

كان الدكتور الكتاني واسع الثقافة، لا تتحدث في فن إلا ويدلو بدلوه فيه، يتقن اللغات : العربية والانجليزية والفرنسية والإسبانية، تأليفا ومحاضرة وخطابة ومطالعة، وله معرفة وإلمام بخمس لغات أخري هي : الأمازيغية، والألمانية، والبرتغالية، والإيطالية والسويدية. لا يكاد يترك المطالعة والكتابة، قوي الهمة شديد الغيرة على الإسلام وقضاياه. ترك ما يزيد عن مائتي مؤلف وتحقيق ؛ منها سوى ما ذكرنا : مجموعة من الكتاب والأبحاث المتعلقة بعلوم الطاقة باللغات الانجليزية والفرنسية والعربية تدرس في مختلف الجامعات والمعاهد العلمية، موسوعة التراجم الكتانية، تحقيق رحلة ابن بطوطة في مجلدين، تحقيق كتابي *"زهر الآس في بيوتات أهل فاس"* و*"تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس"* لكل من نسابة المغرب الشريف عبد الكبير بن هاشم

الكتاني ونجله الشريف محمد بن عبد الكبير الكتاني، جمع وتحقيق ديوان العلامة عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، موسوعة الشعر الأندلسي المتضمن للكلمات العامية. في جزأين، وأصدر عدة كتب باللغة الإنجليزية يذكرها : "*هندسة البلازما*"، "*التحويل المباشر للطاقة*"، "*الطاقة الشمسية*"، "*انبعاث الإسلام في الأندلس*".

توفي بقرطبة ـ إسبانيا ـ فجأة وفي ظروف غامضة وهو مستعد للرجوع لبلاده المغرب، سحر ليلة الثلاثاء 15 محرم الحرام عام 1422 الموافق 10 أبريل عام 2001، ونقل جثمانه من الغد للرباط ـ المغرب، حيث شيع جثمانه في جنازة مهيبة ظهر يوم الخميس الموالي، ليدفن في مقبرة الشهداء.

**الكتّاني، علي** بن **موسى** من أجداد البيت الكتاني، علامة متبحر، فقيه متضلع. كان من أهل مكناسة الزيتون، ومن أعلام القرن السابع الهجري بها. وكان للسلاطين المرينيين مزيد اعتناء به واهتبال.

وصفه مترجموه بأنه : "كان من أهل الفقه والنباهة، والظهور والوجاهة، علامة ماهرا، وطودا شامخا باهرا".. وهو الذي رفع نسبه النسابة عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المكناسي في كتابه "اللآلي المستضيئة النورانية لنفي ظلام التلبيس في نسب إدريس بن إدريس"، وأثنى عليه وعلى قدره.

توفي بمدينة مكناس وأقبر بها عام 698.

**الكتّاني، عمر** بن **الحسن** عالم فقيه مؤرخ، أديب كاتب مشارك. ولد بفاس عام 1301، وأخذ بها عن أعلامها، كما حصل على إجازات من طائفة من أعلام العصر. وكان من العلماء المشاركين، والأدباء الأفذاذ، مؤرخا كاتبا شاعرا، كثير المذاكرة والحكايات اللطيفة، والنوادر الأدبية.

استوطن مدينة الرباط، وتقلب في بعض الوظائف كالعدالة بها، كاتبا بدار النيابة بطنجة، ثم عين عام 1332 بالمكتب السياسي بإدارة الشؤون الشريفة بالرباط، ثم كاتبا بالقسم الحُبُسي بالإدارة المذكورة. وفي عام 1334 عين كاتبا بمجلس الاستئناف الشرعي بالأعتاب الشريفة، ثم كاتبا بالمراقبة الحُبُسية بمدينة الجديدة، وفي عام 1339 عين كاتبا بالمحكمة العليا، ثم عضوا بمجلس الجنايات بالأعتاب الشريفة ...

زار عدة دول أوروبية، كما زار السنغال وغيرها، وحصل على وسام من الملك محمد الخامس وآخر من باي تونس.

ترك عدة مؤلفات ؛ منها : "*السراج المنير، في الصلاة على البشير النذير*". و"*مطالع الأفراح والتهاني، وبلوغ الآمال والأماني، في ترجمة الشيخ عبد الحي الكتاني*" في مجلدين كبيرين.

توفي بمدينة الرباط آخر جمادى الأولى عام 1370، ودفن بمقبرة العلو.

**الكتّاني، عمران** بن **عبد الجليل** من أجداد البيت الكتاني، الأمير الجليل. وصفه مترجموه بالعارف بالله، الصالح، وأنه كان من أهل الولاية والصلاح، والخير والفضل والنجاح، والمعرفة بالله، والنصح لعباد الله.

توفي عام 340، ودفن بالسوق الفوقاني من تلمسان، وكان قبره هناك معروفا إلى أن محاه الفرنسيون يوم دخولهم إليها.

**الكتّاني، فضيلة** بنت **إدريس** العالمة العارفة بالله تعالى، الشيخة المدرسة، مربية المريدات والمقدمات، ووالدة الشيخين محمد وعبد الحي ابني عبد الكبير الكتاني.

ولدت بفاس حدود عام 1270، وتربت في حضانة والدها الفقيه المجاهد أبي العلاء إدريس بن الطائع المسلطن الكتاني، وأخيها شيخ الإسلام جعفر بن إدريس الكتاني، ثم تزوجت بالشيخ عبد الكبير بن محمد الكتاني، وأخذت عنه.

تعد هذه المرأة من فريدات النساء المغربيات عبر التاريخ، لما تميزت به من واسع المعرفة، إضافة إلى الشهرة بالولاية والصلاح، والتصدر لتربية المريدات وتعليمهن، وتلقينهن الأوراد، عدا الشهرة التي عرفت بها في زمانها، خاصة بعد ازدهار طريقة ابنها الشيخ أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني.

وقد أفردها بالترجمة نجلها الشيخ عبد الحي الكتاني بكتاب : "*ترقية المريدين بما تضمنته سيرة السيدة الوالدة من أحوال العارفين*"، تطرق فيه إلى ذكر بيتها وبيئتها، ونشأتها ومعارفها، وأخلاقها وسلوكها، وأعمالها الإصلاحية في المجالين الاجتماعي والديني، بحيث تعد من رواد النهضة في القرن الرابع عشر الهجري.

توفيت بفاس بتاريخ 6 رجب الفرد عام 1334، وحضر جنازتها خلق كثير، ودفنت بالزاوية الكتانية الكبرى.

**الكتّاني، المأمون** بن **عمر** علامة مشارك، مدرس لغوي، أديب شاعر مؤرخ، مؤلف مفكر، من أهل القرن الرابع عشر.

أخذ عن جملة من أعلام فاس ؛ كمحمد بن عبد الرحمن الفيلالي، وجعفر بن إدريس الكتاني، وغيرهما. وعنه أخذ جملة من العلماء ؛ منهم : أحمد بن المهدي البوعزاوي.

كان مدرسا في جامع القرويين الأعظم، وظهر نبوغه مبكرا، بحيث كان صاحب فكر إصلاحي، وينتقد صوفية زمانه وشطحاتهم، وركونهم للكسل وترك العمل والاستعداد لحماية البلاد ضد الغزو الأجنبي، ويدعو إلى تصوف السلوك والعلم والتربية.

وكان يعد من نبغاء جيله، وهو صاحب كتاب "*هداية الضال المشتغل بالقيل والقال*"، في شرح بيتي ابن فارس اللغوي :

إذا كنت في حاج مرسلا رسولا وأنت بها مغرم
فدع عنك كل رسول سوي رسول يقال له الدرهم

تحدث فيه عن صناعات أهل فاس، وأنواعها، ثم عن أرباب الحمايات الأجنبية، وتوسع في التشنيع عليهم ؛ كما توسع في الحديث عن التجارة بين المغرب وأوروبا، إضافة إلى إشباعه الحديث في الجوانب الأدبية واللغوية والفقهية التي غطاها الكتاب، ولم يغفل ومضات تاريخية مهمة تعكس المجتمع الفاسي الذي كان يعيش فيه.

من تآليفه كذلك : "الغمام الصيب في مناقب القطب مولاي الطيب" ؛ أي : الكتاني، لم يتمه، وأرجوزة في 135 بيتا، ذكر فيها معاصريه من الشرفاء الكتانيين وأنسابهم، سماها : "نظم الدرر والجواهر، في سلك نثر جمع المفاخر"، ومؤلف فيمن أسلم من أهل فاس، وقصيدة رائية في حوالي ثلاثمائة بيت في المدح النبوي، ومجموع أشعار.

تصدر للتدريس بجامع القرويين، وانخرط في خطة العدالة مدة من الزمان، ولازم العبادة والزهد.

توفي عن تسعة وخمسين عاما ليلة الجمعة 18 محرم فاتح عام 1310، ودفن بروضة الشرفاء الكتانيين قرب قبة مولاي عبد العزيز الدباغ بالقباب.

**الكتَّاني، محمد إبراهيم** أستاذ الجيل، علامة بحاثة مشارك، أحد مؤسسي الحركة الوطنية بالمغرب والمجاهدين ضد الاستعمار الفرنسي ورواد إحياء التراث المغربي وعضو أكاديمية المملكة المغربية.

ولد بفاس يوم الجمعة 10 رمضان عام 1325، وأخذ بها عن والده الإمام أبي العباس أحمد بن جعفر الكتاني وغيره من أعلامها، كما حصل في الزواية على إجازات من عدة أعلام من المشرق والمغرب.

وبعد انتهائه من الدراسة بجامعة القرويين رفضت السلطات الفرنسية منحه درجة العالمية نظرا لمواقفه الجهادية ضد الاستعمار، ولم يحصل على تلك الشهادة إلا بعد الاستقلال، وذلك عام 1376 / 1957.

رحل مرات متعددة إلى الجزائر وتونس ومختلف دول أوروبا - خاصة إسبانيا - منقبا عن ذخائر الكتب المغربية والأندلسية والإسلامية، ناسخا لها، وواصفا لمضمونها.

ومن أهم الأعمال الوطنية التي أسهم فيها : السعي في إنشاء صحافة عربية حرة، لمواجهة سموم الصحافة الرسمية ؛ والصحافة المحلية المشايعة لها.

كما قام بربط الاتصال بين الحركتين الوطنيتين بالمغرب والجزائر، اللتين كانت تمثلهما كتلة العمل الوطني المغربي وجمعية علماء المسلمين الجزائريين. وفي هذا الإطار قام المترجم برحلة أولى إلى تلمسان لحضور المؤتمر الخامس لطلبة شمال إفريقيا المسلمين، المنعقد بها عام 1935 / 1355 ممثلا لطلبة جامعة القرويين، ثم دعته الجمعية إلى حضور مؤتمرها السنوي بمدينة الجزائر. كما قام برحلة ثانية إليها سنة 1950 / 1370 وحضر أثناء تلك الزيارة كثيراً من المهرجانات، واجتمع بالعديد من قادة الرأي والسياسة بالجزائر، وعرفهم بمواقف المغاربة من أجل تحرير البلاد، وبإشارته رحل الشيخ البشير الإبراهيمي إلى فرنسا واجتمع بالملك محمد الخامس بها.

كان العلامة إبراهيم الكتاني داعية للاجتهاد ونبذ التقليد الأعمى، مع التقدير الكبير للمذاهب الأربعة وأتباعها الأولين، وتعمق في فكر ابن حزم والظاهرية وفقههم بحيث يعد رائدا في هذا المجال، وكتب عنه ونشر، وجمع طبقات المجتهدين وأعداء التقليد فضمن منهم خمسة آلاف ترجمة في خمسة مجلدات.

تقلد العلامة إبراهيم الكتاني عدة مناصب - إضافة إلى إدارته لعدة مدارس وطنية - منها : إماما وواعظا بمسجد بوعقدة بفاس، وواعظا بجامع القرويين قبل صلاة الظهر بكتاب *"الترغيب والترهيب"*. ثم محافظا بقسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط بعد الاستقلال، ومدرسا بكليتي الآداب والحقوق بجامعة محمد الخامس بالرباط، مع متابعته لنشاطه السياسي بحزب الاستقلال الذي كان عضوا في لجنته المركزية ومجلسه الوطني، ومنذ ذلك الحين أسدى لوطنه المحرر خدمات جلى في ميادين السياسة والعلم.

وللمترجم مقالات وبحوث عديدة منشورة في كثير من الصحف والمجلات المغربية والمشرقية، ولا تمر مناسبة أو تحل ذكرى دون أن يدعى للكتابة عنها أو الخطابة فيها، كما أن له عشرات المؤلفات أكثرها مخطوط. "وتمتاز آثاره بدقة البحث، ووفرة المعلومات، ونصاعة الأسلوب".

من أهم مؤلفاته : *"طبقات المجتهدين وأعداء التقليد في الإسلام"*، في خمسة أجزاء، ألفه في خمسين عاما، و*"الدعوة إلى استقلال الفكر في الإسلام"* في مجلدين، و*"فضل جامعة القرويين في الدفاع عن السيادة الوطنية خلال العصور"* في مجلدين، و*"النظرية العامة للشريعة الإسلامية"* في جزأين، و*"كيف استطاع المسلمون المحافظة على النص القرآني"* في مجلد، و*"مولفات ابن حزم بين أنصاره وخصومه"*، و*"الكتاب المغربي وقيمته"*، و*"سلفية الإمام مالك"*، و*"والدي كما*

عرفته" في مجلد، و "*أبو شعيب الدكالي وطلائع الحركة السلفية بالمغرب*" مجلد، و"*اختصار البدور الضاوية في أعلام الزاوية الدلائية*" للحوات، و"*اختصار المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا*" للناصري، و"*اختصار الدواهي المدهية للفرق المحمية*" لجده الشيخ جعفر الكتاني، وحاشية على شرح الشيخ محمد بن عبد القادر بناني على استمارة الشيخ الطيب ابن كيران، وكتابه عن *ذكريات سجين مكافح في عهد الحماية الفرنسية البغيض*.

توفي الشيخ إبراهيم الكتاني فجأة بمنزله بالرباط، يوم الأحد 29 جمادى الأولى عام 1411 / 1990، وشيع في جنازة مهيبة إلى مثواه الأخير بروضة الشهداء بمقبرة العلو بالرباط.

**الكتّاني، محمد** بن **أحمد** بن **علي** من أفاضل البيت الكتاني وأعلامهم في القرن الثاني عشر الهجري. علامة مؤرخ نسابة، عابد صالح ناسك. أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي وولديه محمد وعبد الرحمن ومن عاصرهم، واحترف مهنة الأذان تبركا على عادة ذويه وأسلافه.

ترك عدة مؤلفات اعتمدها المؤرخون فيما بعد ؛ منها : "*نصرة العترة الطاهرة من أبناء علي وفاطمة الزاهرة*"، فرغ منه عام 1104، و"*التنبيه من الغلط والتلبيس في بيان أولاد سيدي محمد بن إدريس*" في ثلاثة كراريس من القالب الرباعي، فرغ منه عام 1114.

توفي في تاسع جمادى الأولى سنة خمس وعشرين ومائة وألف 1125.

**الكتّاني، محمد الباقر** بن **محمد** من نبغاء المغرب وعلمائه، ومناضليه ضد الاستعمار الفرنسي، محدث فقيه أثري، مشارك في جل العلوم الشرعية، مؤرخ أديب شاعر.

ولد بفاس عام 1319 ، وأخذ العلم بها، وبالرباط وسلا عن أعلامها.

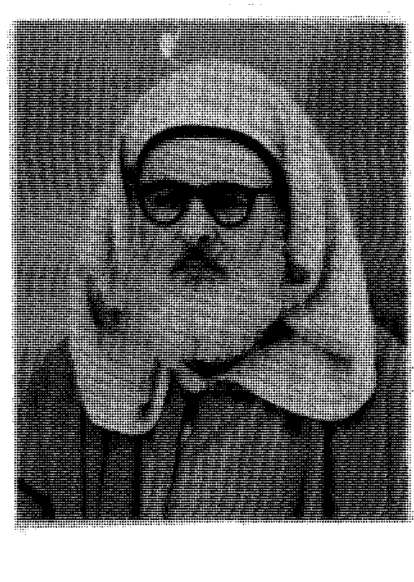

وحج عامي 1337 و1357، وأخذ عن أعلام الحجاز ومصر كالشيوخ عمر بن حمدان المحرسي، وعبد القادر بن توفيق الشلبي، وبدر البيباني، وبخيت المطيعي، ومحمد بن إبراهيم السمالوطي.

تصدر لتربية المريدين بالزاوية الكتانية بسلا، ولتدريس العلم بالجامع الأعظم منها، ومسجد الشراطين، ومسجد سيدي أحمد حجي.

وكان طول فترة الاستعمار الفرنسي ممنوعا من الرحلة إلى الأرياف والقبائل من أجل الدعوة إلى الله تعالى، وبالرغم من ذلك ؛ فقد كان له - عن طريق مريديه ورسائله - دور مهم في مقاومة الاستعمار الفرنسي، سواء عن طريق مقاطعة بضائعه، أو عن طريق المقاومة السلمية والمسلحة.

كما رفع عرائض ضد الاستعمار الفرنسي منادية بالاستقلال وإرجاع محمد الخامس إلى ملكه حين نفيه عام 1373 / 1953 ، وشارك بمحاضراته ودروسه ومؤلفاته في هذا الاتجاه.

وشارك في عدة جمعيات علمية ودعوية ؛ منها : جمعية علماء الإصلاح والإرشاد، ورابطة علماء المغرب التي كان أحد مؤسسيها الأوائل، بل كان جمعها التحضيري الأول بمنزله بسلا، ودعا من خلال مؤتمرها التأسيسي بنزل "باليما" بالرباط عام 1382 / 1962 إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد.

ربط الشيخ علاقات وطيدة مع زعماء الإصلاح بالمشرق، وبعض ملوكه ؛ كالملك إدريس السنوسي، والشيخ محمد زكي إبراهيم، والأستاذ سعيد رمضان، وغيرهم. فكان له دور مهم في تنسيق العمل الإسلامي بين المشرق والمغرب. كما كان منزله مضافة يأوي إليها خيرة العلماء وأعلام الدعاة إلى الله.

كان الشيخ الباقر فقيها أثريا، يدعو إلى العمل بالحديث، ونبذ التعصب المذهبي، وكان يميل إلى الاجتهاد ويعمل به بروح إسلامية ووطنية جياشة، وجرأة في إبداء آرائه والانتصار لها، لا يخاف في الله لومة لائم.

ترك أكثر من مائة مؤلف في التفسير والفقه والحديث، والتصوف والتاريخ والأنساب والسياسة ؛ منها : "*اختصار الموطأ*" ، و"*اختصار جامع الترمذي*" ، و"*طبقات الكتانيين طريقة*" ، في ثماني مجلدات، و"*دائرة العلوم والمعارف الكتانية*" في ثماني مجلدات، ترجم فيها لوالده وذكر علومه، و "*التاج المرصع بالجوهر الفريد، في ترجمة الشيخ الإمام محمد الكتاني الشهيد*" في ثلاثة مجلدات، و"*ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد*" طبعت في مجلد، و"*الكواكب الزاهية في أعلام الشعبة الكتانية الوافرة*" ، و"*شرح الورد الكتاني*" ، و "*إيقاف النبلاء بتراجم جماعة من عالمات النساء*" ، و"*بدائع النفائس، في اتصالنا بالفهارس*" ، و"*التبيان لفضائل القرآن*" ، و"*الأجوبة الفقهية والحديثية والصوفية*"... وغيرها.

توفي فجأة جراء أزمة قلبية بسلا في 29 شعبان عام 1384 / 1964 ، وشيع في جنازة مهيبة حضرها العلماء والقضاة والسياسيون، إلى مرقده الأخير بالزاوية الكتانية بسلا.

**الكتّاني، محمد** بن **جعفر** بن **إدريس** شيخ الإسلام، وحافظ عصره، السياسي المجاهد، والصوفي الكبير، مؤرخ فاس. ولد بفاس حدود عام 1274 ، وبها نشأ وتربى، وأخذ عن علية أعلامها. كما التقى بأئمة من شيوخ التربية في المغرب والمشرق، ورحل إلى مختلف البلاد العربية واستجاز أعلامها.

وتصدر للتدريس وهو ابن ثمان عشرة سنة، وتصدر بجامع القرويين الأعظم وغيره من مساجد وزوايا فاس لتدريس العلوم الاثني عشر من علوم الشريعة خاصة الفقه والحديث، ثم ارتقى إلى الرتبة الأولى من رتب علماء القرويين، وصار أستاذ كرسي بها.

كان الشيخ محمد بن جعفر الكتاني مشاركا في الحركة الإصلاحية في زمن المولى الحسن الأول، عن طريق تحريره لعدة فتاوى مهمة حول التجارة مع الدول الأجنبية.

وفي عهد المولى عبد العزيز ألف كتابه : "*نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام*"، وهو نصيحة قدمها للمولى المذكور واصفا بها أوضاع البلاد وأسباب انتكاس الأحوال، وكيفية الخروج من الأزمة المغربية، حين زار السلطان وشرح له أحوال البلاد وقدم الكتاب له.

هاجر للمدينة المنورة عام 1328 ، واستوطنها إلى عام 1336 ، وفي تلك الفترة قام بالحرمين الشريفين بتدريس مختلف الكتب الشرعية، وتعمق في دراسة المذاهب الأربعة وغيرها دراسة تحقيق وتوسع، فأخذ عنه جل أعلام الحجاز والواردين عليها في تلك الفترة، واعتقدوه ولازموه، وكانت له علاقات متميزة بحكام الحجاز والدولة العثمانية.

تم إثر فتنة الحجاز، غادر تلك الديار ليستوطن دمشق الشام سنة 1336 ، فاستقبل من رجالاتها استقبال الأكابر، وأقبل عليه الخاص والعام، حيث قام بها بنهضة دينية إصلاحية وأخذ عنه رواد الإصلاح بالشام أمثال السادة العلماء علي الدقر، وهاشم الخطيب وعبد القادر المغربي، وكانت له نضالات متميزة إبان ابتلاء الشام بالاستعمار الفرنسي يشهد له بها الجميع.

وفي الفترة الممتدة بين سنوات 1340 . 1344 كانت ثورة الريف بالمغرب عل يد الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي، وثورة ليبيا ضد الاستعمار الإيطالي على يد الشريف أحمد السنوسي وقائده عمر المختار ؛ فكان يمد الزعيمين المذكورين بالأموال والسلاح، فيرسلها عن طريق قنوات خاصة إليهما.

عاد المترجم إلى فاس عام 1345، وما أن استقر بها حتى استأنف نشاطه الديني بجامع القرويين عن طريق شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل، وكان شرحه على طريقة الاجتهاد المطلق، يذكر نصوص وفتاوى أعلام المذاهب الأربعة، ثم يذكر الراجح عنده، ويتكلم على الأحاديث كلام حافظ ناقد. ولم يكن يغفل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان يحضر دروسه بالقرويين مختلف طبقات المجتمع، بحيث كانت تشد الرحلة إليه.

وكان فقيها حافظا مجتهدا، تخرج به جمهرة من فقهاء المغرب والمشرق المفتون، وكان متبحرا في المذاهب الأربعة، متضلعا في علم الحديث، حافظا للمتون والأسانيد، نقادة عارفا بالعلل.

ويعد المترجم من رواد علم التاريخ بالمغرب، برز بكتابه : "*سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بذكر من أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*" ؛ الذي أرخ فيه لأعلام فاس ومعالمها، ورجالاتها، وألفه على طريقة التحليل العلمي الحديث بأسلوبه الفقهي التاريخي الدقيق.

كما كان سياسيا ماهرا، بالرغم من ولوجه في العظائم، ومقاومته للاستعمار الفرنسي والبريطاني والإيطالي بالمغرب والمشرق، ومجاهرته في نصح ملوك الإسلام، فقد حافظ على علاقاته الطيبة مع الجميع، وكان موجها ماديا وروحيا لزعيمي التحرير بليبيا والمغرب : أحمد الشريف السنوسي، ومحمد بن عبد الكريم الخطابي بكل سرية وثبات، الأمر الذي دفع جريدة الزمان الباريزية الفرنسية أن تكتب عن وفاته بتاريخ 19 / 3 / 1927 : "لقد مات أكبر عدو لفرنسا بالمغرب".

خلف تآليف عديدة تربو عن الثمانين، اعتمدت في مجالاتها، منها عدا ما ذكر : "*الرسالة المستطرفة في مشهور كتب السنة المشرفة*"، و"*نظم المتناثر من الحديث المتواتر*"، و"*الأزهار العاطرة الأنفاس بترجمة قطب المغرب وتاج مدينة فاس إدريس بن إدريس باني فاس*"، و"*إعلان الحجة وإقامة البرهان على منع ما عم وفشا من استعمال عشبة الدخان*"، و" *النبذة اليسيرة النافعة التي هي لجملة من أستار مزايا الشعبة الكتانية رافعة*" ... وغيرها.

توفي بفاس في 16 رمضان الأبرك عام 1345، وشيع في محفل لم تشهد فاس مثله، ودفن بروضة الشرفاء الكتانيين بالقباب، قبالة باب الفتوح. ثم اضطر أهله إلى نقل رفاته داخل فاس، فأدخل إليها في يوم الاثنين متم ربيع الثاني عام 1347 في محفل رهيب، ودفن بزاوية خصصت له بحومة الصفاح بفاس الأندلس.

**الكتّاني، محمد الزمزمي** بن **محمد** عالم بالمذاهب الأربعة، مشارك في جل العلوم الشرعية، رحالة داعية إلى الله تعالى، مفكر مجاهد. ولد بفاس عام 1305، وأخذ بها عن علية علمائها، وحج عام 1321 ، وأخذ عن كبار علماء المشرق، ثم هاجر مع والده للمدينة المنورة المرة الأولى عام 1325، ثم المرة الثانية عام 1328، فلازم دروسه بالحرم النبوي كلها، وعدة من أعلام الحجاز والوافدين عليها، ثم انتقل مع

والده لدمشق الشام عام 1336 ، وأخذ عن أعلامها ، كبدر الدين البيباني، ومحمد أمين سويد وغيرهما ، وأخذ عنه بها جملة من أعلام بلاد الشام، وزار الهند والعراق مرتين عام 1343 و1353.

كان الشيخ محمد الزمزمي الكتاني من رجال الطبقة الأولى من علماء المغرب، بل متميزا عنهم بحكم رحلته الواسعة، وطول فترة طلبه العلم، وعظم مقدار من لازم وتتلمذ عليه في مختلف المذاهب والفنون الإسلامية. وبالرغم من ذلك لم يكن يبخل بعلمه ومعارفه في أي محل زاره أو رحل إليه، أو حل به فأخذ عنه أعلام من الحجاز والشام والعراق، والهند والمغرب، واستفادوا منه، واستجازوه في العلم والتصوف.

كما كان له نشاط سياسي كبير، خاصة في الفترة قبل رجوعه إلى المغرب عام 1345 ، فقد كان ذراع والده الأيمن في جميع نشاطاته السياسية، والواسطة بينه وبين جميع الملوك والرؤساء، والزعماء الذين تعرف إليهم.

وكان المترجم صوفيا صالحا، عابدا ذاكرا، سالكا مسلكا، مأذونا في تسليك أكثر من أربعين طريقة صوفية.

ومن أهم ما يميز المترجم : تأريخه للعالم الإسلامي في القرن العشرين، بحيث كتب مذكرات وكتابات حوت تاريخ العالم الإسلامي من الهند للمغرب، وأهم ما في تلك الفترة من أحداث دامية وثورات، وأحوال المجتمعات التي زارها، وعلاقاته بالحكام والزعماء والعلماء والصوفية الذين تعرف إليهم. وقد جمع تلك الكتابات حفيده الدكتور علي بن المنتصر الكتاني في ثلاثة مجلدات سماها : "*حياتي*"، أو "*عقد الزمرد والزبرجد في سيرة الابن والوالد والجد*"، وكان أحد الأفراد من مسندي المغرب، أخذ رواية ودراية على المراسلة، بل زاد بالزيارة وشد الرحلة، فانتفع بهم كما انتفعوا به.

كما ترك عدة مولفات، منها رحلتان للهند، ومذكرات شخصية، ومجموعة المراسلات مع أعلام المشرق والمغرب وملوكهما ، وديوان جمع فيه عيون القصائد في الأمداح النبوية، ورسالة في محنة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الشهيد، وكناشة حافلة ملأها بمختلف الفوائد في جل الفنون، علاوة على كتاب "عقد الزمرد الزبرجد" السابق الذكر، وغير ذلك.

توفي بدمشق فجأة، أثناء زيارته لها ، يوم الاثنين 26 صفر الخير عام 1371، ودفن بروضة الشرفاء الكتانيين بمقبرة الباب الصغير بها.

**الكتّاني، محمد الطائع** بن **محمد** علامة قاض عدل وطني مجاهد، كاتب شاعر أديب. ولد بالمدينة المنورة عام 1333، وانتقل مع والده عام 1336 إلى دمشق، فترعرع بها آخذا عن والده الإمام محمد بن جعفر الكتاني، وأخويه محمد الزمزمي ومحمد المكي، ثم مع أهله إلى مدينة فاس عام 1345 ، فاستقر بها ونشأ، وانخرط في سلك طلاب جامعة القرويين، حيث درس بها وبغيرها من معاهد فاس على كبار علمائها.

ومنذ صغره وهو منخرط في خلايا الحركة الوطنية عن طريق حزب الشورى والاستقلال، فقد شارك في التدريس بالمدارس الوطنية والتوعية بقضايا الأمة الكبرى، والمشاركة في مختلف الخلايا الجهادية المقاومة للاستعمار الفرنسي، بحيث اعتقل عام 1357 / 1937 ، ضمن سبعين وطنيا وحكم عليه بالسجن سنتين مع الأشغال الشاقة، قضى طرفا منها بجحيم سجن گلميمة الشهير.

كان المترجم عالما نوازليا ، فقيها مشاركا متضلعا ، مثالا للاستقامة والعفة، والغيرة على الإسلام والوطن. وكان أديبا شاعرا متميزا، وكاتبا بليغا ، عرف بدقة أسلوبه، وعذوبة كلماته، وسعة خياله، إضافة إلى حدة في الطبع ما تلبث أن تظهر من بين الخفاء. كتب عدة مقالات في الجرائد والمجلات المغربية، كما حاول كتابة القصة والرواية.

ومن مؤلفاته : ديوان شعر مطبوع على آلة الستانستيل، قسمه على خمسة أغراض : المدح والإسلاميات، والوطنية، والمقاومة، والفكاهة، ومتنوعات. ترك عدة أبحاث وفي ميدان القضاء والنوازل الشرعية، خاصة في ميدان الإرث والمعاملات، كما ترك دراسات وأبحاثا مهمة في الأدب والشعر، منها : دراسة حول شعر جميل صديق الزهاوي، وأسهم في القصة والرواية الشعرية.

التحق بالرفيق الأعلى بالدار البيضاء يوم الأربعاء 23 جمادى الأولى عام 1405 ، ودفن بروضة الشرفاء الكتانيين بمقبرة الشهداء بها.

**الكتّاني، محمد الطاهر** من كبار علماء فاس، مشارك في جميع العلوم الشرعية وخطيب داعية إلى الله تعالى، من رجال التصوف والولاية والصلاح.

ولد بفاس عام 1299، وأخذ بالقرويين عن أعلامها، كان من كبار علماء وقته، فقيها مفتيا، مدرسا بجامع القرويين وغيره من مساجد فاس وزواياها، وكان متضلعا في علوم الحديث واللغة والأدب، والسيرة النبوية، مؤرخا، شاعرا مبدعا.

وكان مبرزاً في علمي التوثيق والفرائض، وكان الناس يحضرون من بعيد لسماع خطبه المنبرية التي كان يلقيها بمسجد المنية بفاس كل جمعة ؛ لما اشتملت عليه من الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، ولما تضمنته من حملات شعواء على أهل البدع والضلالة. كما كان أحد المدرسين الوطنيين الذين درسوا بالمدارس الحرة التي كانت تنافس مدارس الاستعمار، من خلال تدريسه بالمدرسة الناصرية التي كانت من أوائل المدارس الحرة بفاس.

تولى عدة وظائف غير رسمية ؛ كالتدريس بجامعة القرويين، والزاوية الغازية، والعدالة بسماط عدول فاس، والإفتاء. ترك مؤلفات تبلغ المائة في مختلف فنون المعرفة ؛ منها : "الأجوبة المرضية عن الأسئلة الحديثية والفقهية"، و"الأزهار الندية في الأحاديث القدسية"، و"شرح الحكم الكتانية" للشيخ أبي الفيض، "وبلوغ المرام، في التعريف ببعض العلماء الكرام"، و"بهجة البصر بذكر بعض أعيان القرن الرابع عشر"، و"البدور المتبعة في مناقب الخلفاء الأربعة"، و"الجواهر الثمينة في فضائل المدينة"، و"الجواهر الملمة لما اتفق عليه من أحاديث الأئمة"، و"الدرر المنتشرة، في النهي عن تعظيم يوم العنصرة"، وكتاب في سيرة الطريقة الأحمدية الكتانية، و"شرح المرشد المعين"، و"مطالع السعادة، في اقتران كلمتي الشهادة"، و"نيل الابتهاج، بتخريج أحاديث مدخل ابن الحاج"...

توفي بمدينة فاس يوم الجمعة 2 صفر عام 1347، ودفن بروضة أولاد بناني خارج باب الفتوح.

**الكتَّاني، محمد** بن **عبد الكبير** بن **محمد** مؤسس الطريقة الأحمدية الكتانية، يعرف عند مترجميه بمجدد الإسلام بالمغرب، وحجة الإسلام، والشيخ الأكبر، والختم الأكبر. أبو الفيض الشهيد.

ولد بفاس في ربيع الأول عام 1290، وأخذ عن أعلامها. أسس طريقته الأحمدية الكتانية عام 1308، وأصبح يظهر من العلوم ما أبهر شيوخه فمن دونهم، سواء من علوم الظاهر ومن علوم الباطن، وانتسب إلى مقام الختمية الأحمدية الكبرى. ثم تصدر للتدريس والدعوة إلى الله تعالى بالزاوية الكتانية بفاس، وأصبح يخرج إلى القبائل المجاورة لفاس والنائية، داعيا إلى الله تعالى مرشدا ومسلكا. ثم نزل إلى الصحراء ؛ فاستغل حساده بفاس خروجه إليها، وأشاعوا عنه الانحراف في العقيدة، ومحاولة الانقلاب على السلطة.

فاضطر إلى الرحلة إلى مراكش عام 1314 لتوضيح موقفه للسلطان المولى عبد العزيز، فبرأه من مسألة الانقلاب، وأحال قضية الانحراف العقدي إلى العلماء، فكان الاتفاق على أن تكون بينه وبينهم مناظرة، استمرت عدة أشهر انتهت بتبرئته مما نسب إليه. ثم عاد إلى فاس في السنة الموالية 1315، منتصرا.

وكان منهجه في الفقه : الاجتهاد المطلق، بحيث كان له دور مهم في إدخال كتب الاجتهاد إلى المغرب. كما كان محدثا حافظا ؛ يعد نادرة وقته في علوم الحديث، وكان له إلمام كبير واعتناء بفلسفة التشريع، وإبراز الحكمة من الأوامر الإلهية، والأحكام الفقهية، ويعدها روح الشريعة الإسلامية التي لا قوام لها بدونها.

أما التصوف ؛ فكان مستغرقا في مقام الأحمدية، يكتب في المعارف اللدنية على طريقة الحاتمي والجيلي وابن سبعين، يستدل لغوامض علوم الباطن بالكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح.

وفي عام 1319 قربه المولى عبد العزيز مستشارا له نظراً لسعة نفوذه في أوساط القبائل والمدن المغربية. وفي عام 1321 سافر للمشرق بنية الحج، والتقى فيه بزعماء الدول التي زارها، وزعماء الإصلاح والعلم، واطلع عن كثب على مؤامرات ومخططات الاستعمار ضد العالم الإسلامي، وربط علاقات بمملكة أفغانستان، والخلافة العثمانية، وخديوي مصر عباس باشا.

ثم عاد إلى المغرب السنة الموالية مرسخا الفكر الإصلاحي لتحصين البلاد ضد الاستعمار المحدق بها. وجعل زاويته الكتانية محطا للرجال المفكرين والمتفتحين المغاربة، والمشارقة الفارين من المشرق ؛ كعبد الكريم مراد، وخير الدين التونسي وغيرهما.

وفي هذه الفترة برز الدور الإصلاحي للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، خاصة بعد مواقفه من احتلال فرنسا شرق المغرب (توات، والقنادسة)، ورسمه للخارطة المغربية الجزائرية، وموقفه من احتلال فرنسا لمدينتي وجدة والدار البيضاء، ودعائه من أجل ذلك إلى الجهاد ضد المستعمر الفرنسي، وكذا دعوته إلى ترسيخ نظام الملكية الدستورية، عن طريق إحداث البرلمان، وتدوين دستور للبلاد يكون للشعب الحق من خلاله في المشاركة في إدارة البلاد وفقا لتعاليم الشريعة الإسلامية.

وفي هذا المضمار أنشأ جملة من المفكرين والعلماء مشاريع لدستور مغربي، كما قدم المترجم الدعم المادي والمعنوي لجريدة "*لسان المغرب*" الصادرة بطنجة، وهي تعد أول جريدة وطنية مغربية. ثم أصدر جريدة "*الطاعون*" التي كانت مخصصة لمواجهة الهجوم الفكري الغربي.

وكان ملكا المغرب المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ يعتمدان عليه في إيقاف ثورات القبائل المغربية وتمردها ضد السلطة، لما كان له من النفوذ القوي بينهم.

ونظرا لانشغال وزراء العهد العزيزي بمصالحهم الخاصة، وانقطاع كل سبل التفاهم بينه وبينهم، مع ظهور بوادر ضياع

المغرب عن طريق احتلال أطرافه دون مقاومة، وانهيار ميزانيته الاقتصادية، ولم تجد في ذلك نصيحة الناصحين ولا جهود المترجم الإصلاحية ؛ فقد شارك الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني في بيعة السلطان عبد الحفيظ بن الحسن الأول ملكا على المغرب، وخلع المولى عبد العزيز. غير أن الشيخ الكتاني أصر على تقييد بيعة المولى عبد الحفيظ بشروط الشورى، وجهاد المستعمر، ورفض قرارات الجزيرة الخضراء ... فتمت البيعة عام 1325 تحت تلك الشروط.

وفي هذه الفترة نشط الشيخ الكتاني في دعوة أتباعه إلى جهاد فرنسا، وحرر مئات الرسائل التي تعد مرجعا هاما في أدب المقاومة المسلحة المغربية ضد الاستعمار الفرنسي، تدعو لمقاومة الغزو، وأخذ الأسباب، والاعتماد على الله تعالى. كما حرض جملة من زعماء القبائل على الاستعداد للحرب ضد فرنسا ؛ من أبرزهم : القائد والمجاهد الكبير محمد بن حمو الزياني (موحا وحمو الزاياني).

ونظراً لرفض المولى عبد الحفيظ شروط بيعته، واعتباره إياها تحجيرا لسلطاته، وتطاولا عليه ؛ فقد ساءت العلاقة بينه وبين الشيخ الكتاني، مما هيأ لدهاقنة الاستعمار الفرنسي وأذنابه الولوغ في الماء العكر، والإيقاع بين الشيخ والسلطان، حتى تمت الفاجعة الكبري باعتقال الشيخ الكتاني في إحدى خرجاته بضواحي فاس، واتهامه بمحاولة الثورة على النظام وإعلان الجهاد. ثم ألقي إلى السياط إلى أن سقط شهيدا في 14 من ربيع الثاني عام 1327 / 1909. قال الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي : "اقترن استشهاد هذا العالم الجليل باستشهاد أمة كاملة ؛ وهي : أمة المغرب".

أجمع مترجموه أنه كان آية في الصلاح والعبادة، شديد الخشية من الله تعالى، لا يترك قيام الليل ولا صيام الأيام الفاضلات، ولا يكاد يجالسه المرء إلا ويكن له المحبة من أعماق قلبه. وكان يري الزهد في خروج الدنيا من القلب لا من اليد، فكان يتجمل في الثياب بما لا طاقة لأحد به أحيانا، وأحيانا يلبس المرقعات. وكان شديد جمال الوجه واعتدال البدن، بحيث كان يرتدي اللثام أحيانا، فسمي من أجل ذلك بصاحب اللثام.

ترك مؤلفات تزيد على ثلاثمائة مؤلف والمآت من الرسائل الإرشادية. ومن مؤلفاته : "*روح الفصوص*" ؛ ويقع في مجلد ضخم، و"*حياة الأنبياء*" ؛ في مجلدين، و"*ختمة البخاري*"، و"*هداية أهل الخصيصة بشرح حديث الخميصة*" في مجلد ضخم ناقش فيه الإمام البخاري وغيره، و"*المواقف الإلهية في التصورات المحمدية*"، و"*الأمالي في علم الأمهات*" تحدث فيه عن بضع وتسعين علما، و"*الرسالة الستينية في علوم شيخ التربية*"، و"*البحر الخضم في شروط الاجتماع بالنبي الأعظم*"، و"*رسالة المؤاخاة*"، و"*سفينة المحبة*" ... وغير ذلك.

وترك أيضا شعراً يغلب عليه الطابع الصوفي الفلسفي والعشقي، جمعه الدكتور إسماعيل المساوي في ديوان ضمنه حوالي 3400 بيتا في أطروحة للدكتوراه نوقشت بجامعة مراكش عام 2001.

**الكتَّاني، محمد** بن **عبد الكبير** بن **هاشم** من أبرز المؤرخين والنسابة في مغرب القرن الرابع عشر الهجري، فقيه عدل موثق، حيسوبي فرائضي، واسع الاطلاع، كثير التأليف.

ولد بفاس عام 1295 / 1881، أخذ العلم وتربى على يد جده المولى هاشم بن المكي الكتاني، وجدته العارفة تاجة بنت الطائع بن هاشم الكتانية، ووالده النسابة عبد الكبير بن هاشم الكتاني - وهو عمدته وإليه ينتسب ... وغيرهم من كبار علماء فاس.

أتقن على والده علوم الأنساب والتوثيق، والتاريخ والعدالة، الأمر الذي هيأ له الاطلاع على مئات الوثائق ؛ فتكونت لديه قاعدة صلبة في معرفة أنساب وتاريخ فاس وأهلها خاصة، والمغرب عامة. ولم يكن له اعتناء بالوظائف الرسمية، فزهد عنها وعن أسباب الشهرة.

كانت له مشاركة في مختلف العلوم الشرعية، واطلاع واسع، ودين صلب، ومحافظة على المبادئ والمثل الإسلامية العليا.

ومن أهم المؤلفات التي تركها : "*تحفة الأكياس، ومفاكهة الجلاس، فيما غفل عنه صاحب زهر الآس في بيوتات أهل فاس*"، ذيل به على كتاب والده المذكور، و"*الدر الفريد، في سبيل الخير مفيد*" في تاريخ أحباس وأوقاف فاس، و"*تحفة الانشراح والانبساط فيمن تولى خطتي القضاء والعدالة بفاس العليا والسماط*"، وتأليف في ترجمة الشيخين محمد بن عبد الكبير بن محمد الكتاني ووالده، و"*لواقح الأزهار الندية، فيمن تولى وأقبر من القضاة والعدول بهذه الحضرة الفاسية*" في ثلاثة أسفار، و"*المواهب الفتحية في ذكر الإخوة الأربعة أبناء السيدة فاطمة الحلبية*" في سفر ضخم ... وغير ذلك.

توفي بفاس يوم السبت 27 جمادى الأولى عام 1362 عن سبعة وستين عاما، ودفن بروضة الشرفاء الكتانيين بالقباب قرب روضة الشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي رضي الله عنهم.

**الكتّاني، محمد** بن **عبد الواحد** مؤسس الزاوية الكتانية الكبرى بحومة القطانين من فاس، شيخ مربي، عارف بالله تعالى، رحالة مؤلف مسند.

ولد بفاس عام 1234، وأخذ بها عن جملة من شيوخ التربية العارفين كالقطب مولاي الطيب الكتاني، والعارف مولاي الطائع بن هاشم الكتاني، وسيدي محمد بن عبد الحفيظ الدباغ، ثم التزم الشيخ محمد بن قاسم القندوسي.

وسافر للحج ثلاث مرات، أولها عام 1268 وأخذ عن جملة من صلحاء ورموز العرفان بالمشرق كمحمد بن علي السنوسي، ومحمد صالح السباعي، وعبد الباقي بن قيوم الزمان النقشبندي، وغيرهم، وتلقى عنهم ما عندهم من الأوراد والأسرار، وانقلب إلى وطنه مملوء الجراب بما تحمله من الأسرار والمعارف.

ثم تصدر للمشيخة بفاس، وأخذ عنه بها نخبة من أهلها، وتربع لإرشاد المريدين أولا بمسجد أبي عمران بعقبة ابن صوال، ثم بضريح سيدي القفصي وغيرهما، متفرغا لإيصال السالكين، وإرشاد المريدين.

ثم أسس الزاوية الكتانية الكبرى عام 1272، والتي جعلها معهدا علميا وتربويا تدرس به علوم الحديث والآثار، إلى جانب علوم التربية والتصوف.

حج ثانيا عام 1279، وثالثا عام 1286، وحصل على إجازات روحية وإسنادية كثيرة من أعلام المشرق.

وكان مشربه : الاستغراق والتعظيم في الجناب النبوي ؛ بحيث كان له اعتناء بتوجيه تلامذته لشرح كتب الحديث والأثر وسردها في الزاوية الكتانية، والاعتناء بالاعتماد عليهما في الاستنباطات الفقهية والعلمية والصوفية ؛ وعدم التقليد الأعمى في الفقه وغيره.

قال عنه العلامة محمد بن المختار التاشفيني في *"اللؤلؤ المكنون"* : "وهو أعجوبة زمانه ؛ قد ألف تآليف عديدة، وصنف تصانيف مفيدة نظما ونثرا، من المواهب الإلهية التي ترد عليه، ولا ينقل كلام أحد ؛ إلا آية من القرآن، أو حديثا نبويا ...".

ألف تآليف تزيد عن الأربعين ؛ منها : 42 حزبا صوفيا، و"العلوم المحمدية"، و"رحلة الفتح المبين في وقائع الحج وزيارة النبي الأمين"، ومؤلف في إشارات حروف الهيللة، و"الحكم"، و"نصرة الفيض الأصلي في الرد على من أنكر التحليق بالمسجد النبوي في محل التجلي"، و"المقامات في الإشارات على حروف الهيللة"... وله أشعار ومطولات وموشحات باللهجة العامية والفصحى شرحها نخبة من أعلام تلامذته "كالتائية" في السلوك، و"الهمزية" في المدح النبوي، وميمية في المدح النبوي ... وغير ذلك.

توفي ليلة الأحد 26 ذو القعدة الحرام عام 1289، ودفن في الزاوية الكتانية الكبرى بحومة القطانين من فاس، وحضر جنازته خلق كبير.

**الكتّاني، محمد** بن **عبد الوهاب** عالم فاضل، فقيه مشارك، مدرس زاوية الشيخ بن الفقيه الزجني، من أهل القرن الثاني عشر الهجري.

أخذ عن أعلام فاس وقته. وتربى أولا بالشيخ المربي سيدي أحمد الصحراوي، ثم بالشيخ العارف سيدي محمد ابن الفقيه الزجني، ولازمه، وتصدر لتلقين العلم لتلامذته وغيرهم.

توفي أواسط القرن الثاني عشر الهجري.

**الكتّاني، محمد** بن **علي** فقيه علامة صالح من أهل مكناس، وصفه مترجموه بأنه : "كان من أهل الفقه والذكاء والصلاح، والعفة والنزاهة والفلاح. ذا فضل ودين، وميل إلى طريقة السلف المهتدين"..

وكانت له حظوة عند معاصريه من ملوك بني مرين.

توفي بمكناس - على الأرجح - عام 777.

**الكتّاني، مَحمد الفضيل** السيد النقيب، من كبار الأشراف وفضلائهم، ممن يشار بالصلاح والخير إليهم، ذو حسب ومروءة، وصيانة وحياء، وعفاف وديانة.

وهو الذي تزوج من السيدة الصالحة فاطمة بنت الإمام مداح النبي صلى الله عليه وسلم الشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي، وهو جد الفرع الحلبي من البيت الكتاني الذي تناسل منه علماء وصلحاء ومصلحون ؛ كصاحبي *"السلوة"*، و"*زهر الآس*" وغيرهما.

توفي بفاس أواسط القرن الثاني عشر ودفن بروضة الشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي بالقباب جهة ضريح الشيخ الدراس بن إسماعيل.

**الكتّاني، محمد المكي** رئيس رابطة علماء سوريا، المصلح الكبير، والصوفي العارف بالله تعالى، ولد بمدينة فاس عام 1312، وأخذ عن أعلامها.

هاجر مع والده إلى الحجاز، ثم عاد إلى فاس معه عام 1345 / 1927 حيث مكث بها أقل من سنة رجع بعدها إلى دمشق ليستقر بها بقية عمره ناشرا للعلم، وباثا للتوجهات الإسلامية، فظل يقرئ فيها شتى العلوم من حديث وفقه وتوحيد وتصوف، ويلقن الأوراد والطرق الصوفية، ويربي الأجيال في منزله بحي الميدان وحي العمارة، وبالجامع الأموي، وبجامع مازي، والتكية السليمانية وغيرها من

المحال والمدن التي واظب على زيارتها في جميع بلاد الشام. ثم تولى منصب مفتي المذهب المالكي بسوريا.

وكان ذا اهتمام كبير بالقضايا الإسلامية، ومحاربة الاستعمار بشتى وجوهه، فأسس في دمشق "جمعية الكف الأسود"، واختار لها أربعين رجلا من كبار رجالات السوريين العقلاء، والناهضين بالقضايا الإسلامية عامة، ولدعم المجاهدين ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر والمغرب، والإنكليزي في فلسطين، والإيطالي في ليبيا.

كما أسس "جمعية تحرير المغرب العربي" لدعم المجاهدين الجزائريين، التي سميت فيما بعد : "جمعية أنصار المغرب وتحريره".

وأسس أيضا "رابطة علماء سوريا" عام 1365، ووجه أعمال الرابطة بتوحيد الصف في سوريا ضد الاستعمار وأعوانه. وكان ممن نادي بتأسيس "رابطة العالم الإسلامي" والدعاية لها، وعند تأسيسها كان عضوا بارزا فيها.

ومثل المغرب وسوريا في الندوات والمؤتمرات الإسلامية والعربية ؛ منها : أول مؤتمر إسلامي اشترك به في القدس الشريف.

وفي عام 1383 أشرف على ميثاق وطني يضم جميع الأحزاب السياسية والحركات والجمعيات الإسلامية بسوريا، ووضع مناهج جديدة في ميدان التعليم من شأنها الحفاظ على الوجود الإسلامي بالبلاد.

وكان يعد من كبار علماء الرواية والإسناد في عصره، بفضل أئمة العلم والحديث الذين استجازهم فأجازوه بالمغرب والحرمين الشريفين، وسورية والعراق، ومصر وتركيا والهند. ترك الشيخ المكي الكتاني عدة مؤلفات ؛ منها : تعليق على كتاب "العلم المحمدي" لوالده، ونصيحة عامة، ومجموعة كبري من المقالات والاستجوابات التي نشرتها صحف المشرق والمغرب.

توفي بدمشق إثر عملية جراحية في 26 ذي القعدة الحرام عام 1393، وشيع في محفل رهيب إلى روضة الشرفاء الكتانيين بمقبرة الباب الصغير بها.

**الكتّاني، محمد المنتصر بالله** محدث الحرمين الشريفين، عالم موسوعي، مصلح سياسي، وداعية إلى الله. ولد في الثاني عشر من ربيع الأول عام 1332 / 1914 بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. ثم انتقل مع أسرته من المدينة المنورة إلى دمشق الشام عام 1336، حيث حفظ القرآن الكريم وتلقى أساسات العلم، وحضر الكثير من دروس جده.

ثم في عام 1345 انتقل مع أسرته إلى فاس ؛ وحضر بها دروس كبار علمائها، وفي هذه الفترة - وهو ابن 17 عاما - خرج في مظاهرات ضد الاستعمار الفرنسي، فاعتقل وضرب بالسياط، كما كان يشارك في خلايا الحركة الوطنية الأولى، وينشر الوعي في أوساط المجتمع ضد الاستعمار وأطماعه.

وبعد تمكنه من فقه المالكية ؛ اتجه إلى فقه الظاهرية مطالعة وبحثا ونقدا، ودرس محلى ابن حزم في مدة من اثنتي عشر عاما.

واستمر في حياته العلمية والثقافية ؛ فأسس عدة مدارس بفاس وسلا وطنجة، وشغل مديرا لبعضها، كذلك، ودرس العلوم الشرعية والفكر الإسلامي في مختلف مساجد المغرب الكبيرة، وعمل فقيها ضابطا بمحكمة الاستئناف الشرعي العليا بالرباط، وأستاذا للفقه المالكي والحضارة الإسلامية بمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط. وكانت داره مقصدا للمثقفين والمستشرقين.

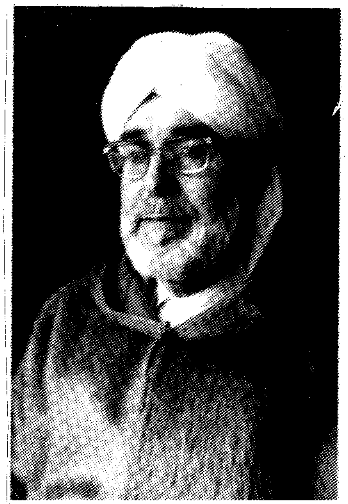

ثم رحل إلى دمشق الشام عام 1375 / 1955 ودرس في جامعة دمشق التفسير والحديث والفقه بكلية الشريعة، وعين رئيسا لقسم علوم القرآن والسنة في عموم كليات سوريا، ودرس بجامع دمشق وبمنزله بحي الميدان، وكان مفتيا للمالكية بدمشق.

واستمر في الشام داعية إلى الله تعالى، والتقى بزعماء القيادات الإسلامية في العالم، كأبي الأعلى المودودي، ومفتي باكستان محمد شفيع الديوبندي العثماني، ومحمد الطاهر ابن عاشور التونسي، ومحمد البشير الإبراهيمي، وكانت بينهما صحبة ومودة خالصة وتعاون، وكان له دور كبير في الإصلاح الديني والسياسي بها.

ثم اضطرته الظروف إلى الهجرة من الشام إلى مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية حيث اصطفاه الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود مستشارا له، لما وجد فيه من الروح الإسلامية الجياشة، والعلم العميق المتمكن. وعمل في الحجاز في سلك التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التي كان أحد مؤسسيها، أستاذا للتفسير والحديث والفقه، والمذاهب الإسلامية والاجتماعية المعاصرة في كلية الشريعة وكلية الدعوة، ودرس الحديث في كلية الشريعة وكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، ثم بجامعة أم القري بمكة المكرمة، وعضوا ومستشارا برابطة العالم الإسلامي. وكان مواظبا على التدريس بالحرمين

الشريفين. فقد عرف بعلمه الموسوعي واطلاعه النادر، إذ كان من أبرز المفكرين المعرفين بالتراث الأندلسي والفقه الظاهري، والمنظرين لنظام الدولة الإسلامية، والاقتصاد الإسلامي.

وهو صاحب فكرة "*موسوعة الفقه الإسلامي*" في مصر، بل يعد من أول من دندن حولها في العالم الإسلامي، وكان المقصود منها : تيسير الوصول إلى مظان الفقه الإسلامي، خاصة المذاهب الفقهية غير المتبوعة والمنقرضة، وذلك لتيسير إحياء الحكم بالشريعة الإسلامية كما كان الحال في أيام الخلافة الإسلامية المزدهرة.

ترك مؤلفات كثيرة في مختلف الفنون منها : "*معجم فقه الظاهرية* " في مجلدين باسم موسوعة الفقه الإسلامي، ثم ألف : " *معجم فقه السلف : صحابة وتابعين وعترة*" في تسعة أجزاء طبعتها جامعة أم القرى عام 1406، تقديم وتحقيق لكتاب جده : "*الرسالة المستطرفة*". و"*فاس عاصمة الأدارسة*". و"*ترجمة الإمام مالك*". وترجمة الحافظ ابن حزم الأندلسي. و" *تخريج أحاديث كتاب "تحفة الفقهاء في فقه الأحناف* " لأبي الليث السمرقندي، بالتعاون مع العلامة الدكتور وهبة الزحيلي. طبع في مجلدين. و"*شرح وتخريج مسند الإمام أحمد*". أتم منه ستة عشر جزءا. و"*المعذبون في الله في القرون الفاضلة*". و"*المعقب في رجال الحديث*". عقب فيه على الحافظ ابن حجر وغيره من أئمة علم الرجال. ومؤلف في إثبات التدوين في القرن الأول الهجري، والرد على المستشرقين الذين ادعوا أن التدوين لم يكن إلا في القرن الثاني. طبع في مقدمة تخريجه لأحاديث "تحفة الفقهاء". و"مسند الإمام بقي بن مخلد الأندلسي". جمع و"مسند الإمام ابن حزم الأندلسي". جمع. و"مراحل تبع". في الأدب والتاريخ والعبر. في عدة مجلدات، و"كتاب الأموال في الإسلام"، و"نظام الخلافة الإسلامية" ... وغير ذلك.

توفي بالرباط يوم الثلاثاء الثامن من صفر الخير لعام 1419 الموافق 2.6.1999 ، ودفن اليوم الموالي في مقبرة الشهداء بالعلو، بمدينة الرباط.

**الكتّاني، محمد المهدي** علامة مشارك، محدث مسند، مجاهد وطني غيور، من أعلام الفكر والإصلاح المعاصرين بالمغرب.

ولد بفاس عام 1307، وبها نشأ، وأخذ عن والده الشيخ أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني، وجده الشيخ عبد الكبير بن محمد الكتاني وغيرهما من أعلام المغرب. كما تحصل على إجازات علمية من مختلف أعلام المشرق والمغرب.

حج مع والده عام 1321 ، فزار في طريقه مرسيليا ونابولي، ووقف على مدي تقدم أوروبا الصناعي والاقتصادي والاجتماعي، ودخل القاهرة، والتقى بكبار زعمائها وعلمائها ؛ خاصة الخديوي عباس باشا، والتقى بشريف مكة المكرمة، الشريف عون. ثم حج ثانيا عام 1350، وزار الحجاز ومصر والشام، والتقى بكبار علمائها وزعمائها.

ويعد من العلماء الأفذاذ في المغرب، والفقهاء الميالين إلى الاجتهاد والأثر، والصوفية الذابين عن المشرب السني والسلفي للتصوف. أملى أفكاره في مولفاته المتعددة، والتي قرظها له كبار العلماء.

شارك الشيخ محمد المهدي والده الشيخ أبا الفيض في الحركة الجهادية والإصلاحية التي قام بها، وحضر معه مؤتمر القبائل المغربية بمكناس عام 1326، الذي ألف فيه الشيخ أبو الفيض بين قبائل المغرب، فاتفقوا على جهاد المستعمر الفرنسي والإسباني، كما سافر داعية ومصلحا إلى مختلف قبائل ومدن المغرب، ولقي أثناء ذلك ترحيبا وإقبالا من أهلها.

وكان من ضمن من اصطلوا بمحنة والده الشيخ أبي الفيض عام 1327، فاعتقل وأوذي في سبيل الله.

وفي عام 1350 / 1930 أظهر سخطه على الظهير البربري، باعتراف لجنة العمل الوطني بأوروبا في جريدة الجامعة العربية الصادرة بفلسطين، وفي سنة 1364 / 1944 أيد كتابة وثيقة الاستقلال التي قدمها قادة الحركة الوطنية.

كانت له مواقف وطنية مهمة في مختلف القضايا والأزمات التي مر بها المغرب، ووقع على عرائض بذلك الخصوص، خاصة عند نفي الملك محمد الخامس الذي كان على اتصال وثيق به منذ بيعته بفاس، وأنعم عليه الملك المذكور وعلى إخوته بظهير التوقير والاحترام، كما أنعم عليهم بذلك المولى يوسف من قبل، والمولى عبد الحفيظ، والمولى عبد العزيز رحمهم الله.

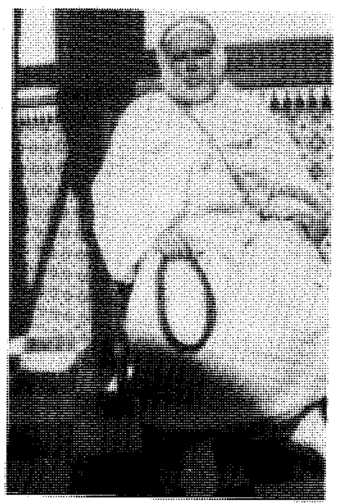

كان منزله مجمعا للعلماء والزعماء، ومنتدى علميا زاهرا يأوي إليه طلاب العلم والمعارف، إضافة إلى المريدين وأهل الزاوية. وكان دمث الأخلاق، كثير الفكاهة، واسع المعرفة والعلوم، مرجعا من مراجع المغرب علما ودعوة وتاريخا.

ألف تآليف كثيرة في مختلف مجالات المعرفة، خاصة الحديث والتصوف والتاريخ، منها : "*الجوهر الثمين في تراجم أمهات المؤمنين*"، وفهرست تضمنت نصوص إجازات العلماء له، وتأليف في تفضيل مذهب السلف على مذهب الخلف في الآيات المتشابهة، ونصيحة عامة للمسلمين، وتقييد في أصل مواسم الصالحين، و"*وفيات القرن الرابع عشر الهجري*"، و"*بيني وبين الرافعي*" ؛ يعني : فيلسوف المغرب مَحمد بن أحمد الرافعي الجديدي. ومؤلف في أن الطريقة الكتانية لا تعترف إلا بأتباعها الناهجين نهج الكتاب والسنة، وبراءتها من المتبعين لأهوائهم وشهواتهم. والمتكلين على الفضائل ... وغيرها.

توفي بمدينة سلا زوال يوم الخميس 21 صفر عام 1379 ودفن بالزاوية الكتانية بها.

**الكتّاني، محمد الناصر لدين الله** علامة محدث مطلع، وطني مجاهد، خطيب مفوه، شاعر مبدع، داعية إلى الله تعالى. ولد بالمدينة المنورة عام 1334، وانتقل مع أهله إلى دمشق عام 1336، فتلقى بها تعليمه الابتدائي، ثم منها لفاس عام 1345 حيث تربى بها وترعرع في كنف والده أبي الفداء محمد الزمزمي الكتاني، وجده الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، وانخرط في سلك طلبة علماء القرويين إلى أن حصل على شهادة العالمية. كما حصل على إجازات في الرواية والإسناد من جمهرة من أعلام المشرق والمغرب.

عاش في فاس عالما مدرسا في جامع الرصيف الذي كان يمتلئ في دروسه ـ على صغر سنه ـ امتلاءه يوم الجمعة، ولازم الكتابة في الصحافة الوطنية كأديب وطني مرموق.

أقام المترجم بالقاهرة نحو خمسة عشر عاما خدم فيها من خلال الجامعة العربية قضايا استقلال المغرب والجزائر وتونس خدمة كبرى، بالتنسيق والتعاون مع مختلف الزعماء والمجاهدين، وعلى رأسهم الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي كانت تربطه به علاقة متميزة، امتدت جذورها، وكان مكتبه ومنزله مقصدا لزعماء المغرب العربي ورواد حركته الوطنية، ومقصداً لدعاة الإسلام الذين يزورونه كخبير بالجامعة العربية.

ولما أسس الزعيم الخطابي لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة، كان عضوا فيها ممثلا لحزب الشورى والاستقلال.

وقد نشر المترجم مجموعة من المقالات في كبريات الصحف المصرية والمشرقية، في تمجيد قضايا التحرير، وكان يذيع بهذا الصدد حديثا أسبوعيا من إذاعة "صوت العرب".

وفي مصر حصل الأستاذ الناصر الكتاني ـ إضافة إلى شهادة العالمية من جامعة القرويين ـ شهادة الماجستير في العلوم الشرعية من دار العلوم بالقاهرة.

ثم أصبح أستاذا بدار الحديث الحسنية بالرباط، من أول إنشائها عام 1384 / 1964، وبكلية الآداب بجامعة محمد الخامس، إضافة إلى دروسه العلمية بمسجد مولاي سليمان بالرباط وغيرها من المساجد الكبرى التي كان يتطوع لإلقاء الدروس بها ابتغاء مرضاة الله، ودروسه أيضا بدار الإذاعة والتلفزيون في شهر رمضان والمناسبات الدينية الأخرى، وكان داعية إلى تعريب التعليم. عدة مؤلفات قيمة ؛ منها : "*عيون الآثار فيما تواتر من الأحاديث والأخبار*"، و"*قيد الأوابد في فنون العلم والفوائد*"، وديوانين شعريين، وفهرس كتاب "*سلوة الأنفاس*" لجده الإمام محمد بن جعفر الكتاني، و"*الأحاديث المختارة من مسند الإمام أحمد*"، ومحاضرات في التفسير، وأخرى في شرح مسند الإمام أحمد، ومحاضرات عن الكامل للمبرد، ومحاضرات في علم البيان، ومحاضرات في شرح "الموطأ"، إضافة إلى سلسلة مهمة من المقالات العلمية والأدبية نشرت في مختلف مجلات وجرائد مصر وسوريا والمغرب.

عاجلت المنية وهو في الطريق بين مدينتي سلا والقنيطرة، إثر حادث مروع، وذلك في فاتح ذي الحجة عام 1394 / 1974، وشيع في جنازة مهيبة إلى ضريح الإمام عبد الله بن ياسين في طريق زعير خارج الرباط، حيث أوصى أن يدفن فيه.

**الكتّاني، مليكة** بنت **عبد الرحمن** متخصصة في الاقتصاد والبنوك الإسلامية. ولدت بمدينة سلا عام 1952 / 1372 ودرست بها الابتدائي والثانوي، ثم تحصلت على الإجازة من كلية الحقوق بجامعة محمد الخامس بالرباط بامتياز. ثم نالت شهادة الدراسات العليا (الماجستير) من نفس الجامعة باللغة الفرنسية في موضوع : "بنك أصلي : البنك الإسلامي"، تحدثت فيه عن نظام البنوك الإسلامية الحديثة، بدراسة نقدية مسهبة، ثم اقترحت أخيراً مشروعا لبنك إسلامي عصري، موافق لحكام الشريعة الإسلامية ومنزه عن التجاوزات التي تعرفها البنوك الإسلامية المعاصرة. وقد طبعت تلك الأطروحة بمطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء عام 2002.

توفيت بسلا في 14 محرم الحرام عام 1423 / 2002، ودفنت بروضة سيدي مول القمري قرب الجامع الأعظم بها.

**الكتّاني، يحيى** الثالث بن **عمران** أمير زواوة، آخر ملوك الدولة الإدريسية بالمغرب. فر مع من فر من بني عمه في وقعة "حجر النسر" التي أراد فيها موسى بن أبي العافية المكناسي اقتلاع شأفة آل البيت من المغرب، وانتقل إلى بني حسن، ثم منها إلى زواوة التي ولاه أهلها الإمارة عليهم.

قال صاحب "*النبذة اليسيرة*" الشيخ محمد بن جعفر الكتاني : "وكانت له بزواوة بعد وصوله إليها المنزلة الفاخرة، والمكانة الباهرة، واشتهر فيها بصراحة النسب، وسمو الحسب، وكان لأولاده بها الصيت العظيم، والجاه العميم، ولقبوا هناك بأمراء الناس ؛ لما كان لهم من النفوذ التام، والتصرف العام، والإعزاز والإكرام، والتعظيم والاحترام...".

توفي بزواوة بعدما عمر طويلا، ودفن بها عام 393.

ع. الرحمن بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *سل النصال للنضال* ؛ البكري، *كتاب المسالك والممالك* ؛ ابن الحاج السلمي، *إسعاف الطلبة* ؛ منير أباظة، *أعلام دمشق* ؛ الازورقاني، خبر *بعض الأعيان* ؛ أبوبكر السيوطي، *عقد اللآلئ* ؛ المقري، *كنوز الأسرار* ؛ ع. القادري، *الدر السني* ؛ عبد الحفيظ بن طاهر الفاسي، *معجم الشيوخ* ؛ جعفربن إدريس الكتاني، *الرياض الربانية* ؛ ع. الكبير بن هاشم الكتاني، *زهر الآس في بيوتات فاس* ؛ محمد بن جعفر الكتاني، *النبذة اليسيرة النافعة* ؛ *سلوة الأنفاس* ؛ عبد الحي الكتاني، *المظاهر السامية* ؛ *فهرس الفهارس* ؛ الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ عباس بن إبراهيم، *الإعلام*، م. المنوني، *مظاهر يقظة* ؛ ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر* ؛ حمزة بن الطيب الكتاني، *التكملة* ؛ دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الرابع، عام 1978.

*Encyclopedie de l'Islam.*

حمزة بن الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني

**الكتفي** (سيدي -) لون من ألوان المسرح الشعبي في المغرب، تولد عن اللون المعروف بالبساط. ويعتقد بعض الباحثين في التراث الشعبي أنه فن طارئ أحدثه بعض الصناع التقليديين بالرباط في عهد السلطان الحسن الأول ممن كانوا يحترفون صناعة الخرازة خاصة، وقد اتخذوا لأنفسهم اسم طائفة "سيدي الكتفي" اقتداء بالطوائف الصوفية كعيساوة وحمادشة ودرقاوة.

تتشكل الطائفة من إثني عشر فرداً على رأسهم "مقدم" يساعده عند الحاجة "خليفة".

وتكتسي عروض هذه الطائفة طابعا كوميديا، فإذا اكتملت الحلقة تصدر المقدم المجلس، ثم توافد عليه الممثلون تباعا، فإذا دخل أحدهم الحلقة سلم على المقدم، وطبع هذا على رأسه بكفي يديه ثم دعا له صائحا على سبيل الفكاهة بمثل قوله : الله يزيدك فيها رطلين. فإذا خلص المقدم من توجيهاته ونصائحه للممثلين بالتزام الجد وعدم الضحك أخذ يقرأ الفاتحة، ثم انطلق في ارتجال أدعية لصاحب البيت بمثل قوله : الله يشتت شمل اللي جمعنا في هذا الدار، والممثلون يردون بكلمة "آمين". وبعد ذلك يشرع المقدم في أداء أرجوزته الهزلية، وهي في مجملها قدحية تُشهر بشخص أو أشخاص ممن عرفوا بانحراف الخلق أو الخيانة، فيلقيها فقرة بعد فقرة، تتخللها إعادات الممثلين، وهم جميعا في حالة أشبه بالحضرة، تبدأ متمهلة، ثم تتحول إلى "جذبة" يتطاير فيها لعابهم وتهتز أكتافهم وتأخذهم شبه غيبوبة، فإذا بلغوا النهاية توجهوا إلى وليهم "سيدي الكتفي" متوسلين إليه أن يحقق مبتغاهم.

حمدان محمد بن العلمي، *نشأة المسرح المغربي*، مج. دعوة الحق، ع 9، أكتوبر، 1977 ؛ عبد الله شقرون، *فجر المسرح العربي بالمغرب*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الكتلة الديمقراطية**، في 14 ذي القعدة 1412 الموافق لـ 17 ماي 1992 . وقد جرى بأحد فنادق الرباط الإعلان عن تأسيس "الكتلة الديمقراطية" من قبل حزب الاستقلال وأربعة أحزاب أخرى تعتبر امتداداً تاريخياً له باستثناء حزب التقدم والاشتراكية وهي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية ومنظمة العمل الديمقراطية الشعبي، وذلك لتوحيد النضال السياسي بُغية الوصول إلى أهداف مشتركة في مقدمتها استكمال وحدة المغرب الترابية، وتحقيق إصلاح دستوري عميق يُفضي في النهاية إلى ترسيخ "دولة الحق والقانون"، وقيام حكومة نابعة من صناديق الاقتراع، ومسؤولة أمام مجلس النواب، واستقلال القضاء وحماية الحريات العامة والخاصة، وإرساء مؤسسات ديمقراطية على المستويين المحلي والإقليمي وتحقيق تنمية اقتصادية وتلبية حاجات المواطنين. ولم يفُت الكتلة الديمقراطية أن تجعل بناء مغرب عربي كبير ضمن أهدافها، وعياً منها باستحالة مواجهة التكتلات الجهوية الكبرى في ظل التشرذم الذي تعرفه بلدان المغرب العربي الكبير.

لكن عوائق كثيرة انتصبت في طريق الكتلة فحالت دون تحقيق التطلعات المشروعة التي أعلن عنها عند التأسيس، وكان الموقف من الدستور في طليعتها، إضافة إلى الموقف من باقي الاقتراعات.

فعندما كان الاستعداد جارياً لتنظيم انتخابات في صيف 1992 أعلن علي يعته في مدينة خريبكة عن ضرورة انخراط كل مكونات الكتلة في الانتخابات، إذ قال : "لم يعد أمام كل أنصار الديمقراطية إلا خوض معركة الانتخابات". فردَّت منظمة العمل الديمقراطي الشعبي من خلال جريدتها بضرورة عدم التسرع ووجوب الالتزام بالتنسيق بين مكونات الكتلة.

ثم أتى الاستفتاء على الدستور سنة 1996 الذي اتخذت منه منظمة العمل الديمقراطي الشعبي موقفاً مخالفاً لباقي أحزاب الكتلة، إذ انطلقت في هذا الموقف من التراجعات التي حفل بها دستور 1996 مقارنة مع دستور 1992 الذي كانت أحزاب الكتلة الأخرى قد عارضته ! وكان لهذه المعارضة ثمنها إذ تعرضت لانشقاق أدى في خريف 1996 إلى بروز الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي اصطف فيه أعضاء كانوا تواقين إلى الموافقة على هذا الدستور والمشاركة في الحكومة، ثم أتى انسحاب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ليُضعف الكتلة.

وكان انسحاب رفاق عبد الرحيم الورديغي وتكوينهم لهيئة سياسية مستقلة عن منظمة العمل والمطالبة بالانضمام للكتلة قد خلق إحراجاً شديداً للأحزاب الأخرى، إذ كان ذلك يتطلب الموافقة بالاجماع من قبل مكونات الكتلة الديمقراطية.

وبينما كان حزب الاستقلال والاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وحزب التقدم والاشتراكية ينخرطون تدريجياً في اللّعبة السياسية، إلى جانب أحزاب أخرى كانت تُنعت بالأحزاب الإدارية، كانت منظمة العمل الديمقراطي الشعبي

تسعى في تحقيق تقارب بين مختلف مكونات اليسار المغربي : ولما اقترب موعد انتخابات صيف 2003 كان اليسار الاشتراكي الموحد قد رأى النور، وفي رأي بعض الملاحظين كان الإعلان عن ميلاد اليسار الموحد قبل الانتخابات ضربة قوية لمنظمة العمل التي لم تحصل على نتائج في مستوى تطلعات قواعدها.

ويمكن القول أنه منذ الإعلان عن نتائج اقتراع يونيو 1993 ظهر - بالنظر للنتائج التي حصلت عليها أحزاب الاستقلال والاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وحزب التقدم والاشتراكية - أن هناك تهييئاً لتنتقل هذه الأحزاب من موقف المعارضة إلى موقف المشاركة في تدبير الشأن السياسي في البلاد عبر الموافقة على تشكيل حكومة.

وقد حصل حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية في اقتراع يونيو 1993 على 48 مقعداً، وحزب الاستقلال على 43 مقعداً وحزب التقدم والاشتراكية عى 6 مقاعد بينما لم تحصل منظمة العمل الديمقراطي الشعبي إلا على مقعدين.

أحمد الدغرني، *الكتلة المجتمعية بالمغرب الكتلة الديمقراطية كنموذج*، تمارة، مطابع التكتل الوطني، ط 1، 1995 ؛ *معلومات شخصية*.

**كتلة العمل الوطني**، أول تنظيم وطني سياسي في المغرب يعدّ انعطافاً أسياسياً في تاريخ ردّ فعل المغاربة ضد سلطات الحماية، إذ عبّر ظهورها عن الانتقال من المقاومة المسلحة التي ظلت القبائل المغربية تخوضها منذ مطلع القرن العشرين إلى غاية أواسط الثلاثينيات إلى المقاومة السياسية لمواجهة مستجدات الحماية الفرنسية، وكان من أهم هذه المستجدات - التي تتنافى تماماً مع روح معاهدة الحماية التي نصت علي المساعدة على إدخال اصلاحات على بُنى المغرب التقليدية - ظهير 11 شتنبر 1914 الذي دعا إلى احترام الأنظمة العُرفية المعمول بها من قبل السكان الأمازيغ، وظهير 15 يونيو 1922 الذي سمح للمعمرين بالاستحواذ علي الأراضي العائدة للقبائل الأمازيغية التي لا توجد بها محاكم مكلفة بتطبيق القواعد الشرعية، وظهير 16 ماي 1930 المعروف تجاوزاً بـ "الظهير البربري" الذي رام خلق انشقاق بين سكان المغرب العرب وإخوانهم الأمازيغ، وقد تصدى السكان لهذه المحاولة عبر قراءة اللطيف في مساجد أهم المدن مثل فاس والرباط وسلا، وتنظيم مظاهرات وتكوين وفود الاحتجاج لدى المسؤولين.

لم تكن ردود الفعل هذه كافية لإجبار سلطات الحماية على التخلي عن مخططها للانتقال من المراقبة إلى الحكم المباشر لفائدة لوبي السلطة والمعمرين وممالئيهم من المغاربة، وهكذا أصدرت في فبراير 1934 قانون إلحاق المغرب بوزارة المستعمرات.

وقد انبرت الحركة الوطنية لمواجهة هذا التمادي الذي يبغي نقل المغرب من وضع دولة محمية إلى وضع دولة مستعمرة وذلك عبر إصدار صحف أو مجلات في داخل المغرب وخارجه مثل "لا كسيون دي پوپل" *(L'action du Peuple)* التي صدرت في فاس وكان يشرف على تحريرها محمد حسن الوزاني، و"*المغرب*" *(Maghreb)* التي كان يشرف على تحريرها أحمد بلا فريج وكانت تصدر في الخارج.

وقد تشكلت كتلة العمل الوطني في ماي 1934 بتوجيه من علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني وأحمد بلافريج، ثم تقدمت بـ "برنامج الاصلاحات" أو "مطالب الشعب المغربي" للقصر والإقامة العامة ووزير فرنسا في الشؤون الخارجية في أواخر نونبر 1934 وقد حمل توقيع محمد غازي وأحمد الشرقاوي وعبد العزيز بن إدريس وأبو بكر القادري.

وتضمّ المطالب المتقدم بها الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمالية، ولم تُبال السلطات الفرنسية بهذه المطالب بالرغم من أنها لم تناقش قضية الحماية. وهذا الاهمال قوبل به أيضاً الوفد الذي توجه إلى باريس سنة 1936 وكان من أعضائه محمد حسن الوزاني وعمر بن عبد الجليل، والذي تقدم بما عُرف بـ "المطالب المستعجلة"، وكانت الآمال كبيرة في تفهُم الجهة الشعبية للقضية المغربية.

وكان من عواقب هذا الفشل السياسي تَبَرُّم محمد حسن الوزاني من نتائج المؤتمر الأول لكتلة العمل الوطني الذي انعقد يوم 25 أكتوبر 1936 بالرباط وأسندت فيه قيادة الحزب إلى علال الفاسي، فانقسمت الكتلة بعد انسحاب محمد حسن الوزاني إثر اجتماع يناير 1937 لاختيار لجنة تنفيذية، كرّس الاقتراع السري ما حصل في المؤتمر الأول، إذ أصبح علال الفاسي رئيساً ومحمد حسن الوزاني أميناً عاماً. وتكونت في فبراير 1937 جماعتان : الأولى بزعامة علال الفاسي المرتبط بالتقاليد العربية، والثانية بزعامة محمد حسن الوزاني المتأثر بالأفكار الليبرالية الغربية. ووجد المقيم العام "نوگيس" (Noguès) الفرصة سانحة للمناورة مستفيداً من انقسام كتلة العمل الوطني فأعلن في 18 مارس 1937 عن حلّها.

Jean Brignon, Brahim Boutaleb [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris, Hatier, Casablanca, Librairie Nationale, 1967, 416 p. ; Charles-André Julien, *Le Maroc face aux impérialismes, 1415-1956*, Paris, Ed. Jeune Afrique, 1978.

**الكتلة الوطنية**، تحالف أعلن عنه في 27 يوليوز 1970 بمدينة سلا بين حزبين رئيسيين من أحزاب الحركة الوطنية هما حزب الاستقلال والاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وذلك بهدف تحقيق مجموعة من التطلعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية عبر التنسيق والعمل المشترك.

ومما جاء في الميثاق المؤسس للكتلة الوطنية :

"... وأمام هذه الحالة المزرية التي يوجد فيها الوطن بعد أربعة عشر عاماً من الاستقلال والتي تتجلى في فقدان كل مظاهر الديمقراطية، وأمام سيطرة المحظوظين والفيوداليين وبؤس جماهير الفلاحين والعمال، واعتباراً لهيمنة الرأسماليين والأمبرياليين على اقتصاد البلاد، لكل ذلك قرّر

حزب الاستقلال والاتحاد الوطني للقوات الشعبية أن يؤسسا بينهما كتلة وطنية...".

وأتى هذا الإعلان في وقت كانت الخلافات قد تقوّت أكثر من أي وقت مضى بين الحكم والمعارضة منذ عام 1963 عندما تمت محاكمة العديد من أعضاء الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بتهمة التخطيط لمؤامرة ضد النظام، والتدخل العنيف لقوات الأمن في حق المتظاهرين من تلاميذ المدارس وغيرهم أثناء اضرابات مارس 1965 واختطاف المهدي بن بركة في 29 أكتوبر 1965 في قلب العاصمة الفرنسية باريس، مما أجج المعارضة خاصة بعد إعلان حالة الاستثناء في 7 يونيو 1965 وانطلاق محاكمة مراكش سنة 1969.

وقد تُوِّج التنسيق بين طرفي الكتلة الوطنية بالدعوة إلى التصويت على دستور 24 يوليوز 1972 بـ "لا" باعتباره خطوة إلى الوراء مقارنة مع دستور 1962. ومن نتائج ظهور الكتلة أن التجربة البرلمانية الثانية سرعان ما فشلت.

ولم تُعمِّر الكتلة الوطنية طويلاً إذ عجَّلت عوامل عدة في انتهائها، من ذلك قضية الصحراء المغربية، التي كانت مبرِّراً للانخراط في العملية أو اللعبة السياسية من قبل حزب الاستقلال وحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية الذي خرج من صلب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية سنة 1975 وظل يُشارك في الانتخابات ومختلف الاستشارات منذ 1976 ـ 1977 ، إلى أن أسندت الوزارة الأولى إلى كاتبه عبد اليوسفي في مارس 1198.

محمد وحيد

**الكثبان الرملية** ، عبارة عن تراكمات رملية تظهر بشكل عام مع نشاط التعرية الريحية عند السواحل والمناطق الجافة، وأصبحت تبرز أكثر فأكثر حالياً بالمجالات المعرضة للتصحر تحت تأثير عوامل تفكيك البنيات الترابية. وتتخذ الكثبان الرملية أشكالا وأبعادا مختلفة، كما أنها تعرف تطورات سريعة في الزمن وفي المكان.

فيما يخص الأشكال المنعزلة، يمكن التميز على الأقل بين شكلين معروفين : النبكة والبرخان. الشكل الأول عبارة عن تراكم رملي عابر محدود الحجم وسريع التكوين والاختفاء، يرتبط تكوينه بعائق نباتي أو صخري عند سطح أفقي، ويتخذ شكل لسان ممتد عند ظل الحاجز المسؤول عن تكوينه، وحينما يصبح حجم التراكم الرملي مهما فإن النبكة تتحول إلى شكل أكبر يدعى الربدو.

أما البرخان، فإنه يطور عند السطوح التي تغيب عندها الحواجز، ويتخذ شكل هلال بجسم عريض ومرتفع يتقلص علوه تدريجيا في اتجاه القرنين. ويتميز البرخان بقطاع غير متماثل يتكون من ظهر الانحدار مواجه للرياح، وجبهة قوية الانحدار تستقر عند ظل الرياح لتشكل مجالا لتساقط الرمال. وتتخذ البرخانات أبعادا وأشكالا مختلفة ويحدث أن تلتحم مع كثبان رملية أخرى لتشكل حقلا رمليا أو ما يعرف بالعرق.

والعرق هو حقل رملي واسع يمثل شكلا شائعا بالمناطق الجافة، ظهوره لا يشكل حدثا طارئا وإنما يرتبط بتطور طويل داخل إطار جيمرفلوجي يوفر الرمال قبل تدخل الرياح من أجل إعادة تشكيلها.

والتراب المغربي بحكم امتداده داخل العروض المدارية وبحكم طول مسافة واجهته الساحلية، فإنه يتوفر على مناطق متعددة تظهر عندها الكثبان الرملية بأبعادها وأشكالها المختلفة. فبالإضافة إلى الشواطئ المعروفة، تغطي التراب الوطني مجموعة من العروق كما هو الحال بالنسبة لمناطق الوسط الشرقي الممتدة داخل جزء من العرق الغربي الكبير المنتمي للصحراء الإفريقية الكبرى (أقاليم زاگورة والراشيدية وفگيگ)، كما أن أقاليم الساقية الحمراء وواد

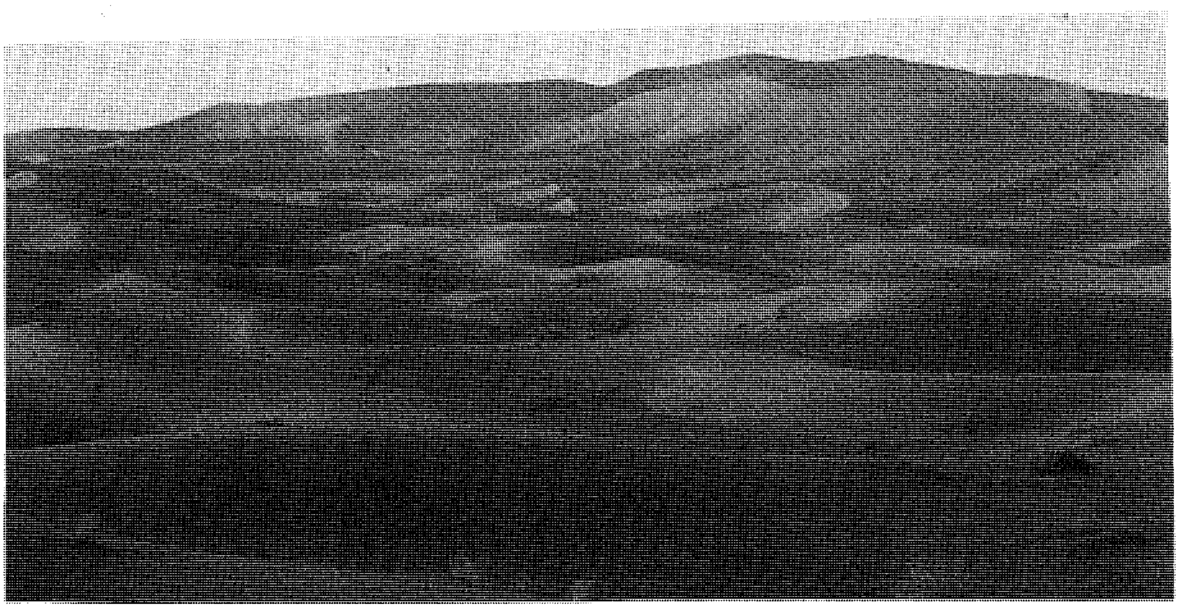

الذهب تعرف تطور مجموعة من العروق الساحلية والداخلية، ولعل أشهرها هو عرق الدراع الممتد بين شواطئ طرفاية وبوجدور.

زيادة على الكثبان الرملية الحية، فإن السواحل المغربية الأطلنتية على الخصوص تتوفر على شريط رملي متصلب، وهو شريط موروث عن فترات الزمن الرابع السابقة يتفاوت سمكه وعرضه من منطقة إلى أخرى.

مع مرور الوقت، ومع تزايد الضغط على الموارد الطبيعية من مياه وغطاء نباتي وأتربة وما يصاحب ذلك من إثارة لمسلسل التصحر، فإن الكثبان الرملية أصبحت تشكل خطرا زاحفا يقلص المساحات الزراعية ويطمر التجهيزات الأساسية من طرق وموانئ وشبكات توزيع مياه السقي ومجالات مبنية متنوعة. وقد أصبح هذا أمرا واقعا عند مناطق مغربية متعددة منها تافلالت وزاكورة وسوس والساقية الحمراء حيث يتم العمل من خلال مشاريع متعددة على مكافحة الظاهرة وانعكاساتها مع التركيز على أسبابها.

الحسن المحداد

**الكثيري** ، أسرة سوسية، الكثيريون من الشرفاء الأدراسة المنتسبين إلى الأمير أحمد المكنى بكثير بن المولى إدريس الأزهر وقيل إن أحد أحفاد أحمد هو المكنى بكثير وشأنهم شأن غالبية الأدارسة الذين تفرقوا منذ منتصف القرن الرابع في مختلف الأقاليم المغربية طلبا للأمن والعيش في كرامة. ووجد الكثيرون مستقرهم في عدة أماكن منها فاس والجديدة وهشتوكة وتيبوت وتمانارت وحاحا. وحاطتهم قبائل سوس بالترحيب والإكرام. وحظوا بالتوقير من طرف ملوك المغرب. وتوارث بعضهم الخطط المخزنية منذ العهد السعدي واستمرت في عقبهم إلى عهد الحماية. ولعل إخوانهم أهل أكَرض بتامانارت كان لهم التطلع إلى الرئاسة. ومع مرور الزمن استطاعت كبرى مجموعاتهم السكنية أن تكون قبيلة تحمل اسمهم وتعرف بإدا وكثير، وتقع في طرف جبل الكوست بتمانارت شمال الأطلس الصغير الغربي وقد أورد العلامة محمد المختار السوسي مشجرين لشرفاء إذا وكثير وتفرعهم إلى عشرة أفخاذ، كل فخذ باسمه وعدد دوره إلى سنة 1378. وترجم للعديد من أعلامهم وركز على المشهورين من علمائهم ورؤسائهم وما تميزوا به من إشعاع علمي ونفوذ تربوي وروحي في المجتمع السوسي.

ولم يفته أن يذكر القارئ بالظروف التي عاشها الشرفاء الأدارسة قبل أن يجدوا الطمأنينة والتقدير بسوس، فقال بصدد الفتنة التي وقعت بتامانارت في بداية القرن (19 م) "... وتولى سكانهم أسلاف القائد الحالي البشير بن عمر بن الحاج أحمد الشريف الكثيري أصلا من ذوي كثير بجبل الكوست المنتقلين من فاس بسبب فتنة موسى بن أبي العافية المشهورة. وهم من الأدارسة. فولتهم جزولة أمر هذا البلد أيام المولى الرشيد ثم عزز رئاستهم بظهائر سلطانية إلى الآن ..."

وبالجملة فإن بيوتات الكثيريين بسوس تواترت فيها الظاهرة العلمية والرئاسية. ونماذج العلماء من أسرهم متنوعة ومتعددة من فقهاء وأدباء ومفتين ومدرسين.

م. م. السوسي، *المعسول*، 3 : 303 - 305 ؛ 8 : 221 و9 : 245 ؛ 17 : 300 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس*، 151 ؛ ع. السلام بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 351 ؛ *إتحاف المطالع*، 1 : 254 ؛ عمر رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، 10 : 30.

محمد ماگامان

**الكثيري، سعيد** (سيدي -) الشريف، أحد أفراد الأسرة الكثيرية الشريفة المنتشرة في سوس وخارجه. وقد حظي هؤلاء الشرفاء بكثير من تقدير العامة واحترامهم.

ولد سيدي سعيد عام 1230، ودخل الكتاب جريا على العادة، ولما حفظ القرآن جلس إلى الفقيه إبراهيم بن محمد الولياضي فأخذ عنه ما كان يدرسه من علوم ومعارف إضافة إلى طريقته الصوفية. ولما توفي أستاذه سنة 1249 جلس إلى ابنه فترة من الزمان، ثم انتقل إلى مدرسة تمگلجت فجلس فيها إلى الفقيه أحمد بن محمد التمگلجتي، وعلى يديه استكمل تعليمه. كما أجازه العربي بن إبراهيم الأدوزي ومحمد بن إبراهيم الأسغاركيسي.

بعدما أخذ من العلوم ما كفاه، دخل ميدان الشرط، فتقلب في مدارس عدة منها مسجد تيزنيت، ومدرسة بونعمان، ثم استقر به المطاف بإداومحند بشتوكة، وهناك أسس مدرسته التي ذاع صيتها، وطارت شهرتها فتوافد عليها الطلبة من كل فج عميق ليصل عددهم المائة.

طريقته في التدريس : إن أشهر ما عرف به سيدي سعيد هو طريقته التي استحدثها في التدريس، فقد كانت المتون التي تدرس بها العلوم في سوس غير خاضعة لتقسيم مضبوط، وترتيب محكم ملزم، وهكذا يمكن أن يمكث الأستاذ في تدريس متن معين زمنا يطول ويقصر نظرا لعدم ضبط الدروس، ولتوقفها لعوارض مختلفة. ولما جاء سيدي سعيد نظم الدراسة بقسمة كل متن إلى أجزاء معينة يسمى كل جزء نصابا، وهذا النصاب هو مقدار الدرس اليومي، وهكذا جعل لكل متن عددا محددا من الأيام على عدد الأنصبة، ولا يمكن تجاوز عدد الأيام لدراسة متن من المتون مهما كانت الظروف والأحوال. وإذا طرأ طارئ منع من تدريس نصاب يوم ما، فإن هذا النصاب يدرس مع نصاب اليوم الذي يليه، وذلك انضباطا للمدة الزمنية التي يجب فيها إنهاء المتن. وهكذا ينتهي مختصر خليل في عامين، والألفية في عام واحد.

وشاعت طريقة الدراسة بالأنصبة في سوس، ولزمها غير واحد من فقهاء المدارس العتيقة.

وقد كان اهتمام سيدي سعيد منصبا على الفقه دراسة وتدريسا، فبلغ فيه مكانة عليا، أما بقية العلوم كالعربية، فلم يبلغ فيها مكانة مهمة، فأسلوبه الإنشائي بسيط وساذج للغاية يدل على ذلك رسائله التي كان يبعث بها إلى معاصريه.

وقد حج سنة 1292 ، ونظم وقائع سفره هذا في رحلته المنظومة، وهي مثل رسائله في الأسلوب، بل إنها لا تنضبط للوزن، وبها كثير مما يمجه الذوق العربي السليم. يقول في أولها :

فحمدا وشكرا لله الذي هدى ... وشوق تشويقا إلى نحو كعبة
وسير تسييرا لحوز فريضة ... من الحج والعمرة لتحصيل سنة
وسهل تسهيلا لجهة طيبة ... مطيبة بطيب خير البرية

ويقول في خاتمتها التي يشير فيها إلى عدد أبيات هذه الرحلة التي بلغت 99 بيتا بعدد أسماء الله الحسنى، وبعدد نعاج داود عليه السلام :

فتعداد أبياتي من النظم في رقم ... بِعَدِّ نعاج داود في التلاوة
وقد وافقت أيضا لأسمائه الحسنى ... بعد تسعين بُعَيِّدا لتسعة
جمعتها لنفسي ولمن أحبني ... لتذكير كعبة وتذكير طيبة
فياربي ياربي ويارب ياربي ... ويارب وياربي فأحسن عاقبة
عبيدك ربي سعيد بن أحمد ... ببلدة هشتوكة أغثه برحمة

وإضافة إلى اهتمام المترجم بالتدريس، كان يهتم أيضا بالصلح والإصلاح بين المتخاصمين أفرادا كانوا أم قبائل، فكان رأيه مطاعا لما عرف به من تقوى وصلاح وأخلاق حسنة.

توفي سنة 1296 أو 1299 بعدما خرَّج العديد من الطلبة، وبعدما ذاعت أخبار صلاحه مما جعل الناس يعتقدون فيه الولاية، وهذا ما جعلهم يبنون عليه، بعد موته، قبة تقصد للزيارة والتبرك، ويقيمون عليه موسما سنويا.

محمد الحاتمي

**الكثيري، الشريف بوتكلا** ، هو محمد بن علي، الملقب بالشريف الكثيري بوتكلا، من قبائل إيداولتيث بجبل جزولة. تحدثت المصادر عن الثورة التي قام بهاخلال فترة السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل.

ويقول الضعيف عن هذه الثورة ما يلي : "في هذه السنة (1167 / 1753 . 1754) ثار بسوس السيد محمد وعلي بتقل (بوتكلا) الشريف الكثيري السوسي وذلك لما سمع بطبول ذي القرنين مدفونين (بماسة) وهم من النحاس ولا يخرجهم إلا مول الساعة. ومن حيله أن صنع الطبول من النحاس في بلاد تعدانت ودفنهم بماسة وكتب لقبائل سوس أنه مول الساعة أن يأتوا إليه ليخرج القرنين واجتمعت عليه (أقوام كثيرة وأخرج الطبول التي صنع ودفن وادعى أنه مول الساعة واجتمعت عليه) الألوف من الطلبة وبايعه الحاج علي بن العروسي والجل من أهل سوس وادعى أنه لا يحتاج إلى البارود ولا للرصاص ثم اتفقت على قتله هوارة وهشتوكة فنهضوا له وقتلوه وبعثوا رأسه لصاحب مراكش وتوفيت خلائق لا تحصى من الطلبة وبقيت في المعركة الألوف من الهيادير للطلبة (وتسفارت) والذي أعزي على قتله هو صاحب مراكش لأن هوارة أصهاره".

ومن خلال هذا النص نستنتج أن الشريف الكثيري كان متأثرا بفكرة المهدوية، شأن الكرسيفي. ونجده قد اتخذ ماسة مركز انطلاق حركته المهدوية مستغلا المكانة التقديسية والأسطورية التي كانت لماسة في أذهان السوسيين. وكتب رسائل إلى الفقهاء وطلبة المدارس في سوس للالتحاق به في ماسة للمشاركة في حركته. ونظرا للثقة التي يضعها السكان في الفقهاء والطلبة، فقد تمكن الشريف الكثيري من جمع عدد كبير من المؤيدين والمساندين الذي بايعوه وآمنوا بمهدويته. ويبدو من خلال النص أن جيشه يتكون بالخصوص من طلبة المدارس العتيقة، كما يبدو أنه يستمد قوته من قبائل جزولة.

وإذا ما قمنا بإلقاء نظرة على القبائل المعارضة لهذه الحركة والمحاربة لها، فإننا نجد أنها تتكون من قبائل شتوكة وهوارة، وهي قبائل تنتمي لحلف تحكات، والتي عارضت ثورة الكرسيفي قبل خمسة عشرة سنة خلت. ويدل هذا على أن حركة الشريف بوتكلا تنتمي بدورها إلى حلف "تاكوزولت". ولم تكن هذه الحركة إلا تعبيرا عن رغبة القبائل الجزولية في مد نفوذها على حساب قبائل سهل سوس. ولما كان النفوذ المخزني في المنطقة باهتا وضعيفا، اكتست هذه الحركة صبغة سياسية مهدوية تشرئب إلى السلطة، معبرة بذلك عن الطموح المستمر الذي كان يسكن هذا الحلف، والذي يطفو على السطح كلما تراجع النفوذ المخزني في سوس.إن المخزن المنهك بالحروب الأهلية، والذي لم يكن في وضع يسمح له بالوقوف أمام تقدم هذا الثائر في سوس، قد أشار إلى بعض قبائل حلف "تحكات" لتنوب عنه في مقاومته. وهذا ما أورده الضعيف، إذ أشار إلى أن سيدي محمد بن عبد الله هو "الذي أعزي على قتله [...] لأن هوارة أصهاره".

غير أن واقع الأمر لا يتعلق بقبائل هوارة وحدها، بل إن الأمر يدخل ضمن الصراع التقليدي بين حلف "تاكوزولت" الذي ينتمي إليها الشريف الكثيري، وحلف "تاحوكات" المعروف بتأييده لجانب المخزن. إن سيدي محمد الذي بدأ يمسك بميكانيزمات الوضع القبلي في سوس قد وظف الصراع بين هذين الحلفين ليشير إلى حلف "تاحوكات" للوقوف أمام هذا الثائر نيابة عن المخزن. وقد توافقت رغبة المخزن مع رغبة قبائل هذا الحلف في معارضة كل مظاهر تفوق حلف "تاكوزولت" في سوس.

وهكذا انهزم الشريف الكثيري أمام تحالف كل من قبائل شتوكة وهوارة التي قتلته وبعثت رأسه للسلطان. وقد جاء انهزام الكثيري بدون عناء كبير، لعدم تسليح أصحابه إلا بالأوهام، إذ أقنعهم بأنه لا يحتاج في حروبه للبارود ولا للرصاص. وهو سلوك نجده عند أغلب زعماء الحركات المهدوية في سوس والمغرب.

ومرت بذلك هذه الثورة في تاريخ سوس دون أن تثير انتباه أغلب المؤرخين. ولم نعثر إلا على نصوص قصيرة، أجملها الضعيف في النص الذي سبقت الإشارة إليه، ودون إثارة انتباه الأوساط الأوربية التجارية والدبلوماسية.

م. الرباطي الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. أحمد العماري، نشر دار المأثورات، الطبعة الأولى، 1986.

محمد حنداين

**الكحاك، المهدي** من أولاد الكحاك الفاسيين المستقرين بمدينة مكناس، نعته القادري في *نشر المثاني* بـ"الفقيه الأديب اللبيب الكاتب العاقل" أما ابن زيدان في *الإتحاف* فحلاه بـ"رأس المترسلين، وصدر الكتاب المعتبرين" تولى الكتابة في عهد كل من السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل ومولاي المستضئ ثم السلطان سيدي محمد بن عبد الله. تميز المترجم بالفطنة وجودة الأسلوب وحسن الإدراك والبراعة في صناعة الترسيل مما جعل القادري يقول في حقه : "... فكان هو صدرهم بحسن الانشاء في الترسيل، ويجتنب الفضول والتوغل في التصريف، ولا يتكلم إلا فيما يومر به ..." كما عرف أيضا بعلو همته وتعففه وقناعته لا يطلب من الرزق إلا ما يكفيه. هذا دأبه.

توفي بمدينة مكناس عام 1180.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، الرباط، 1990، 4، 357 ـ 358 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، الرباط، 1968، 4، 233 ـ 234 ؛ ع. الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002، 2، 122.

رقية بلمقدم

**الكحك**، من أصناف الحلوى التقليدية المشهورة بمدينتي الرباط وسلا، ومن المرجح أنها من حلويات أهل الأندلس. تدخل في تركيبتها مادتا الدقيق واللوز، وهي على شكل دائرة فارغة من الداخل حيث توضع طبقة رقيقة من العجين وبداخلها قضيب من اللوز المفروم جيداً، وتشكل علي هيئة دمليج. ويعتبر الكحك من الحلويات الأساسية في أفراح وأعياد سكان العدوتين.

لطيفة الكندوز

**الكحول**، عبارة عن معدن يستخرج من باطن الأرض ويتميز بلمعانه وهو في الشكل يشبه الفحم الحجري يدهن بقليل من الزيت ويوضع على النار لتتم تصفيته من جميع الشوائب ثم يدق في وعاء نحاسي دقا جيدا حتى يصبح مسحوقا ناعما وتضاف إليه التوابل والأعشاب التالية بعد دقها هي الأخرى : الزنينة ـ مصلح النظر ـ عود العوسج ـ الورد ـ لبزار الأبيض ـ عظم الزيتون الأسود ـ عظم الشمر ـ النيلة الحرة والقرنفل، يخلط الجميع فيصبح كحولا صالحا لتصفية العين. وهذا هو الكحول المستعمل في المغرب.

أما الطريقة التي تستعملها القبائل العربية المقيمة في الجزيرة (شمال شرقي سورية) فتؤخذ خرقة قطنية زرقاء بطول شبرين وعرض شبر، وتبل جيدا بزيت الزيتون، فتحرق تحت صاج مقلوب فيتراكم السخام على الصاج وبعد انتهاء الاحتراق يجمع ذلك السخام المتراكم، ثم تؤخذ ليمونة فتقسم ويوضع بين شطريها نواة زيتونة مع حنطة وشعير وعدس وحمص وحب الهال والجوز الطيب ثم تضمد بعجينة وتوضع في وعاء معدني ثم يدخل هذا الوعاء بما فيه بين جمر متقد حتى يتم احتراق ما في الوعاء دون أن يتصاعد الدخان منه، وبعد أن يبرد تزال العجينة المحترقة ويطحن فحم الليمونة بما فيها وأخيرا يضاف المسحوق الناتج إلى السخام المذكور ويمزجان جيدا وهذا هو كحول عرب الجزيرة.

أما الطريقة الثالثة : الإثمد من أشباه المعادن يستخرج من آسيا من جبال فارس وأفضله الأصفهاني. ويوجد في الطبيعة بحالة حرة، ولكن الأغلب أنه يوجد بحالة سولفيد أو أوكسيد أو أوكسي سولفيد وشكله بحالة سولفيد ويدعى (أنتيمونيت) وهو المصدر الرئيسي للمعدن وأن شبه مع الحديد وسولفيد الصوديوم فتلك هي العملية يلجأ إليها عادة للحصول عليه وهو معدن هش (سريع التفتت) لامع ذو تركيب رقائقي بلون أبيض فضي عندما يكون نقيا، وبلون أبيض مزرق عندما يكون مرتبطا وعندما يفرك بين الأصابع ينشر رائحة واضحة. *طريقة تركيب كحول الإثمد* : يؤخذ 100 غرام من الإثمد ويدق دقا جيدا حتى يصبح مسحوقا ناعما ثم يضاف إليه 25 غرام من تفحيم الأخشاب غير الراتنجية في وعاء مسدود.

المصطفى نهيلي، *كتاب الأعشاب الشافية*، ص. 383.

الحسين البعاوي

**الكَحيلي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعضَ أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Coheyle.

ومن بين أفراد هذه الأسرة الذين تذكرهم الوثائق يوجد : أحمد بن محمد الكحيلي الذي كان من الأعيان الذين شهدوا بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم في شهر شوال 1078 (مارس 1668) ثم محمد وعلي الكحيلي اللذان شهدا بأن الباشا السابق عبد الكريم ابن زاكور قد تصرف في أموال بيت المال لصالحه وكان ذلك في شهر صفر 1180 (يوليوز 1766).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الگدالي، عبد الكريم ← الزيدي الگدالي**

**كدانة**، قبيلة صغيرة من قبائل الشاوية الجنوبية، أصولهم من السراغنة، نقلهم مولاي إسماعيل إلى أولاد سعيد عقابا لهم، ولهذا ظلت كدانة متميزة عن جوارها من أولاد سعيد وغالبا ما كانت تحكم من طرف قواد سطات مضافة إلى قبيلة المزامزة. وتتكون كدانة من الفخذات الآتية :

البرانية ـ أولاد العربي ـ درقاوة ـ أولاد حريز ـ أولاد كرانية ـ أولاد سيدي رحال ـ البوعزاويين ـ الحرش.

أحصى الفرنسيون عدد خيامهم حوالي عام 1913، فوجدوا 1027 خيمة. تشتهر كدانة بتربية الأغنام فهي تحتل الصف الثاني ضمن فرق أولاد سعيد في عدد الأغنام المشهورة بنوع الصردي بعد فرقة الهدامي.

*Ville et tribus*, t. 2.

علال الخديمي

**الـگـدرة** (رقصة)، إحدى أهم الرقصات الشائعة في الأقاليم الصحراوية بجنوب المغرب. وهي منتشرة بين سكان منطقة شاسعة تمتد من حمادة شرقا عبر أقاليم درعة وزمور حتى الساقية الحمراء، غير أنها اليوم تكاد أن تكون من خصوصيات مدينة گوليمين.

تنتظم رقصة الگدرة في مشهد احتفالي سامر يقام بعد غروب الشمس في فضاء معد لها يطلق عليه "الگارة".

وقد وقف الرحالة الإنجليزي جاكسون على مشهد من مشاهدها عندما زار المغرب في نهاية القرن الثامن عشر، فوصفها قائلا : "تقوم الفتيات العربيات بالرقص بطريقة بارعة جدا، وخصوصا نساء قبيلتي "مغافرة" و"أولاد بوسبع" العربيتين، وأذكر أنني أمضيت ليلة في ديارهم على أطراف الصحراء... عندما أرسل الشيخ في طلب ست فتيات مشوقات شغلن إعجابنا حتى الصباح، وهن يقمن بحركات تبدو ماجنة، غير أن تقاليد وعادات أهل البلد تستسيغ هذه الحركات".

تعتمد رقصة الگدرة على ثلاثة مقومات أساسية هي : الرقص والعزف والغناء.

أما الرقص فتضطلع به "الرگاصة"، ومن حولها المعجبون والمشجعون من الرجال والنساء الذين يشكلون حلقة "الگارة" على هيئة دائرية، وهم جاثمون على ركبهم. وخلال العرض تقدم الرگاصة مشاهد فنية تستأثر بالإعجاب فهي تجثو على ركبتيها مرتدية غلالة سوداء تغطي سائر جسمها، ثم تشرع في تحريك ذراعيها وأصابع يديها وتقليب كفيها وهز رأسها متنقلة باستمرار بين جنبات الگارة، متمايلة ذات اليمين وذات الشمال آنا، ثم إلى الأعلى وإلى الأسفل آنا آخر. وسائر حركات الرگاصة إشارات تنطوي على إيحاءات لها في نفوس المشاهدين العارفين مدلولات محددة.

وأما العزف فهو ملازم للرقصة من البداية حتى النهاية، أداته آلة إيقاعية هي عبارة عن قلة من الفخار، وضعت في جوفها حصى صغيرة (سبع حجار) ثم شدت فوهتها بقطعة من الجلد المثبت بحبال.

يضطلع بنقر هذه الآلة الرگاصة أحيانا، وأكثر ما يسند نقرها إلى شخص يدعى "النگار"، ووظيفته ضبط حركات الراقصة، ومساندة الإنشاد وذلك باستخدام الراحتين أو بواسطة قضيبين من أغصان الشجر، فيحدث إيقاعات ثلاثية آنا رباعية آنا آخر، تنطلق في البدء وئيدة تحكي خفوت الغناء، ثم تتدفق شيئا فشيئا، فيتحول مشهد الرقصة إلى جذبة متشنجة، وتتحول الكلمات المغناة إلى ما يشبه الصراخ الموقع لتضيع في لجة ضربات الگدرة وصخب تصفيقات الأيدي إيذانا بنهاية الرقصة.

ويأتي الغناء ليشكل ثالث مقومات رقصة الگدرة، فيجري إنشاد مقطعات شعرية عامية تعرف بالحمَّايات، تتناول موضوعات متعددة، أولها - في العادة - أدعية وتوسلات وذكر للرسول صلى الله عليه وسلم وتشفع بمقامه، يلي ذلك شيء من الغزل ووصف الطبيعة، ثم يعود إلى ما ابتدأت به من الدعاء والتوسل.

ولآلة الگدرة دور أساسي في الرقصة، يدل على ذلك أنها سميت باسمها، حتى بات عالقا بأذهان الناس أن تسمية "الگدرة" مرادف للطبل.

وفي اعتقادي أن هذه الرقصة اقتبست تسميتها من طبيعة المرددات التي ترافقها، وهي - في الأصل - أدعية وأذكار وتوسلات وتصليات مستمدة مما كان رواد الزوايا - ولا سيما منهم أتباع سيدي عبد القادر الجيلالي - يرددونه في محافلهم، ومن هنا يقوى لدي احتمال أن تكون "الگدرة" في الصحراء المغربية رقصة صوفية، وأن تكون تسميتها محرفة عن لفظ القادرية بعد تحويل حرف القاف فيه إلى كاف معقودة (گ) جريا على التداول الصحراوي، ثم تناست الرواقص المتأخرات أصولها، فانحرفت عن طبيعتها وتحولت إلى رقصة وصفتها تقارير بعض الرحالة الأوربيين بالمجون والخلاعة، ودأبت دلائل السياحة الأجنبية خاصة على نعتها بأوصاف هي أقرب إلى طبيعة الممارسات الوثنية.

محمد أحمد باهي، مج. *الفنون*، س 1، ع 9 و10 رجب - شعبان 1394 / يوليوز - غشت 1974، ص. 71 ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، مج. *المناهل*، ع 58، مارس 1998، ص. 419 - 422.

Jackson, *An account of the empire of Morocco*, London 1809, p. 159.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**كدورت** (قرية -) في عداد قبيلة آيت إيسي الواقعة في الجنوب الغربي من مركز تافراوت، تطل على وادي إيسي في شكل تراص متدرج للمنازل والدور في مجال ترابي

ضيق. ويبدو من الأوصاف التي أعطاها المانوزي للقرية ومحيطها، أن شكل الدور يوحي بقدم التعمير، خاصة وأن عدد كوانينها في نهاية القرن التاسع عشر كان يبلغ 500 كانونا، وكانت ساقيتها تعج بجميع أنواع الأشجار المثمرة، بفضلِ عينها الدافقة. ومازلنا نلاحظ آثار السواقي المبنية بشكل بارع في الكثير من المواقع داخل الوادي. كما أفاض في تعداد مكارم وشيم أهلها، بحيث كانوا يتصفون بالكرم والجود والتدين والوقار ...

وتدل أعمدة نسبهم على تنوع في الأصول، وإن كان الغالب عليها الانتساب إلى أبي أيوب الأنصاري الخزرجي.

ويبدو من آثار الخراب داخل القرية، أن علاقتها مع جيرانها لم تكن دائماً سلمية، فمما تسجله الروايات انخراط آل كدورت في نزاعات ترابية مع قبيلة أمانوز، أو صراعات حول الماء مع قرية أكَرض إيملاش.

ومن أعلام كدورت المشهورين : إبراهيم الكدورتي، وأحمد بن إبراهيم الكدورتي وبلقاسم بن أحمد وعبد الرحمان الگدورتي وعبد الله بن منصور الگدورتي وعلي بن إبراهيم بن إدريس الگدورتي.

مذكرات المانوزي، *المعسول*، ج 3، 347 ـ 355 ؛ *تحريات ميدانية*.

أحمد بومزگو

**كدية** (مولاي -) **عبد الرحمان** موقع يبعد عن مدينة وجدة بحوالي 9 كلم وهو المكان ذاته الذي جرت فيه المعركة التاريخية الفاصلة بين الجيش المغربي الذاهب لنصرة الأمير عبد القادر الجزائري وبين القوات الفرنسية بالحدود الجزائرية سنة 1844 وهي المعركة التي تُعرف بمعركة إيسلي والتي انهزم فيها الجيش المغربي.

**گديرة** ، أسرة رباطية أصلها من الأندلس من منطقة ألكالادي گديرة گودايرة، الواقعة على إحدى روافد الوادي الكبير، بالضواحي الجنوبية لمدينة إشبيلية. هاجر أفراد هذه الأسرة إلى المغرب ضمن وفود موريسكيي هورنا تشوس خلال القرن السابع عشر، واستقروا بمدينة رباط الفتح.

اشتهر أفراد عائلة گديرة بمزاولة مهنة الدباغة والعدالة والقضاء والتوثيق، حيث تتوفر العديد من عقود الزواج والتركات محررة بأقلامهم سيما أثناء القرنين التاسع عشر والعشرين.

وثائق ورسوم عدلية ؛ م. بوجندار، *الإغتباط*، مصور بالأوفسيط، 1987، ص. 179 ؛ م. رزوق، *الأندلسيون وهجراتهم*.

**گديرة، أحمد رضا** ، إزداد بمدينة الرباط يوم 22 يناير 1922، في بيت عريق بدرب الزاكي بالمدينة العتيقة، من أبيه التهامي صاحب متجر صغير لبيع السكر والشاي والشمع، وأمه فاطمة بنعلي التي ترجع بأصولها البربرية إلى قبيلة حاحا بإقليم الصويرة. نشأ أحمد رضا گديرة داخل عائلة متواضعة تضم إلى جانب الوالدين أربعة أطفال : ولدان وبنتان.

إسمه الشخصي أحمد وقد أضاف إليه اسم رضا لإعجابه الشديد بالمفكر العربي الإصلاحي الشامي رشيد رضا (1865 ـ 1935) صاحب جريدة *المنار* التي كانت تصدر بالقاهرة سنة 1898 (وهو نفس الإسم الذي سيطلقه گديرة على صحيفته فيما بعد). لقد تبنى أحمد گديرة مع صديقه الوفي محمد ملين اسم هذا المفكر التحرري، فأضاف اسم رضا إلى اسمه ليصبح أحمد رضا، في حين أضاف ملين الشطر الثاني من الاسم ليصبح اسمه محمد رشيد.

التحق أحمد رضا گديرة في صغره بالمدرسة القرآنية عند الفقيه ابن قصابة، ثم بالزاوية المباركية، فتعلم إلى جانب حفظ القرآن مبادئ الشريعة الإسلامية وعلوم الرياضيات والأدب العربي على يد أساتذة أكفاء منهم محمد الباشا والمهدي متجينوش. تابع دراسته الثانوية بمدرسة مولاي يوسف ثم بليسي گورو (ثانوية الحسن الثاني حاليا) إلى حين حصوله على شهادة البكالوريا الفرنسية فالتحق بمعهد الدراسات العليا المغربية حيث حصل على شهادتين في الحقوق، انتقل بعدها إلى باريس لمتابعة دراسته العليا في الحقوق بمساعدة مادية من عمه التاجر الكبير الحاج العربي گديرة، لأن أسرته كانت عاجزة على سد نفقات دراسته بالعاصمة الفرنسية. في سنة 1947 حصل على الإجازة في القانون فرجع إلى بلده المغرب، ليتعاطى مهنة المحاماة فالتحق للتدريس متدربا بالمحامي الفرنسي المشهور بأفكاره الليبرالية وهو الأستاذ برنار نييجل Niégel. ثم إنه فتح مكتبا للمحاماة باشتراك مع فرنسي تقدمي آخر الأستاذ بيسيير Yves Baissière بشارع گاليني (الحسن الثاني حاليا)، لينتقل بعدها إلى مكتب مستقل بزنقة السلام (غزة حاليا) والذي أصبح يعرف باسم "مكتب الأحرار".

في سنة 1952 أصبح أحمد رضا گديرة محاميا رسميا بعدما قدم أطروحة حول "توحيد المحاكم المغربية" خصوصا في تلك الفترة التي كانت تتكاثر فيها المحاكم (محكمة

الباشا، المحكمة الشرعية، المحكمة العرفية، المحكمة الابتدائية...). كان گديرة يدافع بشدة عن فكرة توحيد المحاكم في محكمة ابتدائية موحدة تحكم بدون تمييز بين المغاربة والأجانب على اختلاف طبقاتهم وتنوع دعاويهم، ولهذا عارض فيما بعد فكرة إنشاء "محكمة العدل الخاصة".

كان لأحمد رضا گديرة منذ صغره اهتمام كبير بمجال الرياضة والسياسة معا، حيث كان ينشط المجال الرياضي لدى شبيبة الرباط بصفته لاعبا ماهرا في فرقة كرة السلة التي أسسها مع رفيقه الأمين بلگناوي، بالإضافة لتسييره لفرق كرة القدم وكرة اليد وكرة المضرب التي عرفت باسم "المغرب الرياضي الرباطي".

وأول علاقة كانت لگديرة بميدان السياسة بدأت مع "حزب الأحرار المستقلين" الذي أسسه صديق طفولته ورفيق دربه محمد الرشيد ملين وذلك سنة 1937. حيث تولى فيه منصب نائب رئيس الحزب ومستشاره، وهناك تكون وأتقن الدرس السياسي على يد صديقه المذكور، وتأثر بأفكاره الليبرالية التي كانت تهدف إلى تحقيق مغرب ملكي مستقل يتطور سلميا مع نبذ العنف وإدانة المظاهرات الصاخبة العنيفة والدموية. لذا كانت له أثناء دراسته بباريس عدة اتصالات مع رجال السياسة الأحرار الذين كانوا يهتمون بقضايا الاستعمار بصفة عامة، وبالقضية المغربية على وجه الخصوص، بالإضافة إلى نشاطه داخل نواة الطلبة الأحرار التي تكونت بباريس.

كانت بداية تعرفه على ولي العهد الأمير مولاي الحسن سنة 1940، في حفل زفاف صديقه محمد الرشيد ملين، ومن حينها ربطت بين الاثنين صداقة قوية استمرت لأزيد من خمسين سنة، وإن مرت أحيانا بلحظات من الفتور.

وفي المجال العملي زاول گديرة عدة مهن، استهلها بمنصب مدير المطبعة الملكية سنة 1947 بتعيين من السلطان محمد الخامس وبإيعاز من صديقه ملين، وقد ظل في هذا المنصب إلى أواخر سنة 1951 حين طلب من السلطان إعفاءه ليتفرغ لمهنة المحاماة التي استهلها بالدفاع عن خلية المقاومين بالرباط المتكونة من ثمانية عشر عضوا، جابه خلالها السلطات الاستعمارية الفرنسية، فكانت بداية انطلاق شهرته في ميدان المحاماة.

في سنة 1955 وبعد عودة محمد الخامس من المنفى، عين گديرة عن حزب الأحرار المستقلين، وزير دولة في حكومة التفاوض برآسة مبارك البكاي، وكذا الناطق الرسمي بلسان وفد التفاوض مع الحكومة الفرنسية في شأن استقلال المغرب، وبصفته رجل قانون فقد كلف بدراسة فصول مشروع معاهدة الاستقلال، فدافع بحماس عن النقطة المتعلقة بالسلطة الشرعية للسلطان بكونه أمير المؤمنين وحامي جميع المغاربة كيفما كان دينهم أو عرقهم، معارضا بشدة تحديد سلطات الملكية. كما ساهم بنفس الصفة ضمن الوفد المتفاوض مع الحكومة الإسبانية برآسة الملك محمد الخامس.

وبعد فترة وجيزة من استقلال المغرب، عيّن أحمد رضا گديرة وزيرا للدفاع الوطني، وذلك يوم 22 مارس 1956، فضاعف مع ولي العهد بصفته الرئيس الأعلى لأركان حرب القوات المسلحة الملكية، المجهودات والاتصالات لإنشاء الجيش الوطني وإخراجه إلى الوجود، فأشرف گديرة حينها على المفاوضات مع أعضاء جيش التحرير ليضعوا السلاح وينضموا إلى صفوف الجيش الملكي الوطني.

وفي يوم 27 أكتوبر 1956، غادر گديرة وزارة الدفاع إلى وزارة الأنباء والسياحة ضمن تشكيلة حكومة البكاي الثانية، فبادر إلى إدماج محطتي إذاعتي طنجة وتطوان وجعلهما تحت مراقبة الدولة المغربية.

وبتاريخ 5 أكتوبر 1959، قدم گديرة إلى الملك محمد الخامس أول عدد من جريدته الأسبوعية *"المنارات Les Phares"*، التي كانت موجهة بالذات لمعارضة وانتقاد أعمال وسياسة حكومة عبد الله إبراهيم إلى حين سقوطها في ماي 1960، ليصبح بعدها گديرة مديرا لديوان ولي العهد الذي أصبح نائبا لوالده في رئاسة الحكومة، وقد ظل گديرة في هذا المنصب إلى أن عين وزيرا للفلاحة من قبل المغفور له محمد الخامس قبيل وفاته في 26 فبراير 1961.

وباعتلاء الحسن الثاني عرش المغرب، ازداد نجم گديرة علوا، حيث أصبح حينها مديرا عاما للديوان الملكي بالإضافة إلى مهمتي وزير الفلاحة ووزير الداخلية. وخلال ثلاث سنوات من عمله بهذه الصفة، أصبح گديرة من أقرب المساعدين للملك الحسن الثاني، والرجل القوي في معظم الحكومات المغربية المتتالية، إذ فوض له الحسن الثاني صلاحية التوقيع على الظهائر والنصوص القانونية. وقد أشرف بمساعدة رجال قانون فرنسيين على ديباجة أول دستور مغربي لسنة 1962، لدرجة أن هناك بندا في الدستور يطلق عليه "بند گديرة" لأنه هو الذي أشار بمنع نظام الحزب الوحيد.

وفي 20 مارس 1963 أعلن گديرة عن تأسيس حزبه "الفديك F.D.I.C" أو جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية، والتي تمكنت من الحصول على أغلبية مقاعد مجلس النواب بعد اقتراع 17 ماي 1963 (69 مقعدا نيابيا من أصل 144)، حصل خلالها گديرة على مقعد نيابي في الحي المحمدي الشعبي بالدار البيضاء.

وخلال شهر نوفمبر من سنة 1963 عيّن گديرة على رأس وزارة الخارجية، وظل في هذا المنصب مدة ثمانية أشهر إلى ما بعد مؤتمر عدم الإنحياز الذي انعقد بالقاهرة صيف سنة 1964، ابتعد بعدها عن دائرة الضوء ليتفرغ لمهنة المحاماة، فكانت أشهر مرافعاته في دفاعه عن بعض العسكريين المتهمين في قضية الهجوم على الطائرة الملكية صيف سنة 1972، وفي نفس الفترة كلف بالعديد من المهام والاتصالات الخارجية من طرف الملك الحسن الثاني، ليعود إلى الأضواء بتعيينه في أكتوبر 1977 مستشارا للملك، وهو المنصب الذي ظل يشغله إلى حين وفاته يوم 14 دجنبر 1995 بباريس حيث

كان يتلقى العلاج، ونقل جثمانه إلى المغرب ليدفن في مسقط رأسه بمدينة الرباط.

ع. الورديغي، *أحمد رضا اجديرة زعيم الحركة الليبرالية المغربية*، الرباط، 1998 ؛ منجزات وأهداف، وزارة الأنباء والسياحة، الرباط، 1957 ؛ *انبعاث أمة*، أعداد 1 / 1956، 5 / 1960، 6 / 1961، 8 / 1963، 22 / 1977 ؛ *الجريدة الرسمية* من مارس 1961 إلى نوفمبر 1963 ؛ الأحداث المغربية، 12 و13 غشت 2004.

*Jeune Afrique*, n° 1053, mars 1981, p. 87 et n° 1826, janvier 1996, p. 52 ; *Les phares* du 5 oct. et 7 nov. 1959, 30 juin et 16 sept. et 15 déc. 1962, 13 juillet et 18 avril et 5 mai 1964 ; M. Sehimi, *Guedira fidélité et engagement*, Okad, Rabat 1996 ; A. Ouardighi, *Le Maroc de la mort de Mohammed V. à la guerre des sables 1961 - 1963*, Rabat, 1981.

لطيفة الكندوز

**كديرة، عبد السلام** الرباطي. ولد في منتصف القرن الرابع عشر (20 م) بمدينة الرباط وهو أحد مشهوري رجال الآلة والسماع بها. التحق بالزاوية الحراقية بهذه المدينة، وأخذ بها مستعملات فني المديح والسماع عن الشيخ أحمد بن عاشر الحداد المتوفى عام 1326 / 1908، وذلك وفق الطريقة التي حددها شيخ هذا الأخير ومؤسس الزاوية في الرباط المتصوف محمد بن العربي الدلائي المتوفى عام 1285 / 1869.

وقد برع اگديرة في مستعملات الزاوية، فكان من أحسن من أنجبتهم في إنشاد البيتينات والمواويل، مثلما برع في مستعملات الموسيقى الأندلسية، فأتقنهما على مستوى الحفظ والنفقة، وتفوق في العزف على الكمنجة.

وتصدى گديرة بدوره للتعليم، وعنه أخذ كثير من رواد الزاوية من بينهم الشيخ عبد القادر حفيد محمد بن العربي الدلائي المتوفى عام 1380 / 1960، والشريف سيدي محمد بن محمد بن عمر الريش المتوفى عام 1392 / 1972، وصهره محمد بن أحمد بنمصور الرباطي المتوفى عام 1938، كما أخذ عنه من المتأخرين حفيده بواسطة ابنته الأستاذ عبد اللطيف بنمنصور الذي يعتبر اليوم وارث سر المدرسة الرباطية في فني المديح والسماع.

وقد نوه الأستاذ بنمنصور بجده المترجم في ذيل تحقيقه لكناش الحايك، فأشاد بأخلاقه ومروءته وصدقه وذكائه ورزانته وحذقه، ونعته بالفقيه المربي والعلامة الصوفي، واعتبره امتدادا للمدرسة الرباطية في إنشاد البردة وملحقاتها.

ومما ذكره أيضا بصدد المترجم أنه ما كان للشريف سيدي محمد الريش أن يبلغ ما بلغه في جودة الإنشاد وحسن الانتقال بين طبوع الموسيقى الأندلسية لو لم يتهيأ له أن يتتلمذ على يد السيد عبد السلام گديرة "إذ أن المواهب والميزات لا تأتي عفواً فلا بد من مرشد وهاد ومعلم ومؤدب ينير الطريق ويضيء الفؤاد. وقد كان هذا المرشد الهادي إلى طريق الخير والرشاد هو سيدي عبد السلام گديرة".

توفي عام 1944.

ع. اللطيف بمنصور، *مجموع ازجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحايك*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**گديرة، عبد السلام** بن **محمد** بن عبد الله، العدل، العلامة، شيخ المقدمين. ازداد سنة 1283 / 1866 بالرباط، وبها أخذ عن شيوخها، فحفظ القرآن على يد كل من الدغيمر والقصري وبوشعيب بن يعقوب، كما أخذ القراءات وفن التجويد عن الشيخ الفلكي المهدي متجينوش، وعلم الفقه والحديث عن أخيه محمد وعن الفقيه المكي البيطاوري، وإبراهيم التادلي وغيرهم. ثم رحل إلى فاس مع والده وهناك تلقى العلم على يد كل من ابن الخياط، ومحمد القادري، وابن القرشي. في بداية حياته العملية تعاطى لتدريس علمي الفقه والعربية فتتلمذ عليه جماعة من علماء الرباط كالمؤرخ محمد بوجندار، والشاعر محمد بن اليمني الناصري، ومحمد الأوراوي، والإخوة الحسين وبناصر ومحمد ملين. بعدها انخرط في سلك العدول بالرباط، ثم أصبح خليفة للقاضي، وكاتباً بدار المخزن أيام السلطان المولى عبد الحفيظ.

جمع صاحب الترجمة بين علمي الظاهر والباطن، حيث تلقى الطريقة الصوفية الحراقية على يد الشيخ الإمام سيدي الحاج أحمد بن عاشر الحداد، الذي شيد الزاوية الحراقية بدرب والزهراء بالرباط، كما أخذ الطريقة الوزانية على العارف محمد بن علال الوزاني، وهو الذي لقبه "بسلطان المقدمين" حينما خلف شيخه ابن عاشر في تولية شؤون الزاوية الحراقية بالرباط. وقد كان لهذا الشيخ ولع كبير بالموسيقى الأندلسية وفن المديح والسماع، له عدة مساهمات في هذا الميدان حيث هذب مستعملات حلقة الرقص الصوفي، وأغنى أناشيد الذكر، وصان العديد من الهيللات والألحان من الضياع. كما عرف عن صاحب الترجمة حبه للنكتة، والمداعبة بها.

توفي يوم 8 ذي القعدة سنة 1362 / 6 نوفمبر 1943. ودفن بالزاوية الحراقية بالرباط.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر* ؛ م. الحراق، *كلمة في ذكرى الشيخ عبد السلام گديرة* ؛ روايات شفوية لابنه الطيب گديرة.

**گديرة، محمد** (الكبير)، أحد فقهاء الرباط ومشايخه المدرسين وعدوله الموثقين، قال عنه بوجندار "من أكبر أولاد جديرة المعروفين بالنسك والقيام بمراسم الدين" من أشهر تلامذته مفتي الرباط الفقيه المكي البناني. رحل إلى المشرق للحج والزيارة، واستخدم عدلا بمرسى طنجة ثم بدار عديل بفاس.

توفي سنة 1307 / 1889.

**گديرة، محمد** بن **عبد الله** المدرس الفقيه الناسخ الخطيب. ازداد سنة 1327 / 1907 بمدينة الرباط، وبها نشأ وأخذ عن جملة من شيوخها منهم : الوزير محمد ملين، والقاضي أبو العباس البدراوي، والعلامة المدني بن الحسني.

تعاطى في بداية حياته تعليم مبادئ العربية وتعاليم الدين في الكتاتيب القرآنية التي أنشأها السلطان محمد الخامس، كما اشتغل في نفس الوقت بالنساخة. فخط بيده العديد من المصنفات القيمة لعلماء الرباط. بعد ذلك انخرط في سلك العدول بالرباط، فأصبح يهيئ الأحكام ويحررها حتى رشح للنيابة. إلى جانب ذلك كان يتعاطى سرد صحيح البخاري والموطأ خلال شهر رمضان بضريح سيدي العربي بن السائح، وخطة الخطابة بجامع السنة بالرباط.

عرف عن صاحب الترجمة ولعه الشديد بجمع الكتب والبحث عن غرائبها وشرائها مهما بلغ سعرها حتى كوّن خزانة قيمة حوت نفائس الدخائر والمؤلفات في مختلف العلوم والفنون سيما علمي الفقه والحديث، كما ضمت العديد من منسوخاته، بيعت بعد وفاته بما يقرب المليون فرنك.

توفي فجأة ولم يتعد عمره السابعة والأربعين سنة وذلك يوم الإثنين 14 محرم 1374 / 13 شتنبر 1954. ودفن بمقبرة العلو بالرباط.

ع. الجراري، من *أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 164 ؛ ابن سودة، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 2395.

**گديرة، محمد** بن **عبد الله** الملقب بـ (الصغير)، أخذ العلم بمسقط رأسه بالرباط عن عدة مشايخ منهم أبو إسحاق التادلي وأبو الحسن دينية. كانت له مشاركة في علوم شتى وإن كان له ولوع بالفقه أكثر. وتصدى للتدريس عدة سنوات وممن كان يحضر دروسه أخوه الفقيه المقدم عبد السلام، والشيخ القاضي محمد الروندة.

توفي أواسط شعبان عام 1315 / 1896.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط، 1986 ؛ ع. الجراري، من أعلام الفكر المعاصر.

**گديرة، مصطفى** بن **عبد السلام**، القاضي الحيسوبي. ازداد سنة 1330 / 1912 بالرباط، وبها تلقى تعليمه على يد مجموعة من شيوخها منهم : الفقيه الشدادي والجراري والعوينة ومحمد الرغاي، فختم الألفية وبرع في علم الفرائض.

استهل حياته العملية ناسخاً بدار العدالة بالرباط، وفي أواخر الثلاثينيات انخرط في سلك العدول إلى حدود سنة 1958 حيث عين قاضياً شرعياً لمدينة الرباط، وهي المهنة التي ظل يزاولها إلى سنة 1994 ، إلى جانب ذلك شغل منصب قاضي القصور الملكية من سنة 1973 إلى حدود سنة 1995.

بالإضافة إلى القضاء كان لمصطفى گديرة اهتمامات عديدة، حيث خلف والده في الإشراف على الزاوية الحراقية بالرباط، إلى جانب اهتمامه الشديد بالموسيقى الأندلسية، وكان مرجعاً لعائلة گديرة يقصدونه في جميع شؤونهم.

توفي بالرباط يوم 26 ذي الحجة عام 1417 / 5 ماي 1997.

**گديرة، نور الدين**، ازداد بالرباط يوم 15 غشت من سنة 1944 . وبعد دراسته الثانوية بمدارس محمد الخامس بمسقط رأسه وابتداء من سنة 1970 التحق للعمل بالإذاعة المغربية بالضبط في قسم الصحافة الرياضية حيث اعتبر من روادها وظل بها إلى سنة 1990.

وإلى جانب الصحافة الرياضية تقلد عدة مسؤوليات فكان رئيس لجنة الإعلام بالجامعة الملكية لكرة القدم ؛ عضو الكونفدرالية الإفريقية لكرة القدم ؛ عضو الإتحاد العربي لكرة القدم ؛ الكاتب العام للجمعية المغربية للصحافة الرياضية ومدرب البريد الرياضي لكرة السلة كما أشرف على تحرير العديد من المجلات الرياضية، وساهم بمقالاته في العديد من النشرات الرياضية. ألف كتابا في لعبة القدم نشر بعد وفاته تحت عنوان " *كرة القدم المغربية، وثائق وأرقام 1956 - 1990*" بإشراف دار النشر بالدار البيضاء سنة 1997.

توفي يوم الخميس 27 دجنبر 1990 بباريس، ودفن بمسقط رأسه بمدينة الرباط.

*روايات شفوية*، يونس گديرة ؛ غلاف كتاب "*كرة القدم المغربية*".
لطيفة الگندوز

ابن **كُراره** (سيدي -) **علي** بن **أحمد** بن حسين، أحد الأولياء الصالحين بعبدة، يوجد ضريحه على شاطئ البحر شمال مدينة أسفي. يقول عنه الكانوني : "...في بعض التقاييد أنه حضر حصار البرتغال لأسفي في القرن العاشر الهجري".

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج. 2 (مخطوط).
عبد الرحيم العطاوي

**الكراري** الكولاني، أسرة شرفاء هم آل الرفاعي المذكورين في مكان آخر، وتوجد أسرة الكراريين الرفاعيين الذين موطنهم الصحراء الغربية ولا علاقة بين الفريقين، برز من الكراريين الكولانيين الذين قطنوا الرباط منذ زمان أعلام علماء وصلحاء ذكرنا بعض من اشتهر منهم باسم الرفاعي أما من اشتهر منهم باسم الكراري فهم الآتي ذكرهم :

**الكراري، أحمد** بن **محمد** الرفاعي الكولاني الغرناطي ثم الفاسي ثم الرباطي توجد ترجمات له في *الإتحاف الوجيز* وفي فهرسة الحفيد العكاري وفي طبقات الشيخ بناني الذي أورد سلسلة نسله، ومنها نعلم أن جد أبيه وسميه (أحمد) خرج من الأندلس في وقت لم يذكره وتوجه إلى تازة فإلى فاس فإلى تامسنا إلى قبيلة أولاد علي إلى الشيخ منصور عند أمكون ثم إلى جماعة أولاد طرفاي، وهذا المهاجر ينحدر من جده الخامس المدعو كولان المشهور بالشرف والولاية في الشجرات بالقرب من واد زا والذي يتصل نسبه بالشرفاء الأدارسة عن طريق سلسلة من الأجداد تتكون من اثنى عشر جدا.

تتلمذ أحمد الكراري على يد شيخه أبي الحسن العكاري في علمي الظاهر والباطن والفقه والأصول والكلام، وعن ابن ناصر الدرعي الذي قدمه لتلقين الأوراد والقيام بوظائف الطريقة الناصرية.

رحل إلى الشرق فحج وزار وأخد عن مشايخ الحرمين.

توفي بالبادية يوم الإثنين آخر ذي الحجة 1138 وحمل إلى الرباط حيث دفن قرب داره وبنيت عليه قبة.

**الكراري، الجيلاني العدلاني** ليس من الكولانيين الرفاعيين، ولم يذكر أصحاب التراجم نسبه البعيد. وهو صاحب الدار قرب الزاوية العيساوية بسيدي فاتح الموجودة في درب يسمى باسم صاحبها العدلاني، عين أمينا لمستفاد الرباط ثم تقلد خطة الحسبة بها سنة 1292 / 1875 بعد محمد الزكي وكان يحكى عنه وقائع غريبة، ومن جملة إجراءاته عندما كان يزاول مهنته أنه كان يتجول على الحوانيت وأصحاب الحرف والصنائع لمراقبة السلع والأغدية وجودة المنتجات فإذا ألفى غشا أو تدليسا أمر أعوانه بطرح الغشاش أرضا وكان من بينهم حامل السوط الذي يشبع المدلس أو الغشاش ضربا بسوطه أمام الملأ تأديبا له وقمعا لمعاودة الغش أو التدليس. بقي متوليا الحسبة.

توفي في 2 ربيع الثاني 1298 / 1881 ودفن في داره المذكورة.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 18 ؛ دينية، *مجالس*، ص. 92 و93 - 203 ؛ الفاسي، *مدينة الرباط وأعيانها*، ص. 182.

عبد الإله الفاسي

**كرازُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Carazo وCarraso وAlcarrazo ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1161 / 1748.

وقد هاجرت هذه الأسرة من الأندلس إلى قبيلة بني سعيد الغمارية ومنها انتقلت إلى تطوان حيث ظلت إلى أن انقرضت بها سنة 1161 (1748) . ومن أفرادها : أحمد بن محمد كرازو فقيه زاول خطة العدالة من سنة 1243 إلى سنة 1249 (1827 - 1833) . ومحمد بن محمد كرازو، من علماء تطوان وفقهائها المتفوقين، رافق السلطان مولاي سليمان في دارسته وزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1230 إلى سنة 1235 (1815 - 1820)، ترجم له الفقيه السكيرج الذي قال عنه أنه كانت له اليد الطولى في علوم الفقه والنوازل والنحو. تولى القضاء سنة 1236 (1821) وكان ممن بايعوا الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 (11 مارس 1821 ) كما أنه ترأس الوفد التطاوني الذي توجه إلى فاس يوم 2 جمادى الثانية 1238 (14 فبراير 1823 ) لتهنئة السلطان مولاي عبد الرحمن بولايته.

وفي 19 ربيع الأول 1247 كتب السلطان المذكور بشأنه *لباشا تطوان* ويبدو أن الباشا أجاب السلطان بأن الخبر الذي وصل إلى علمه ما هو إلا مجرد إشاعة روجها اعداء القاضي، الأمر الذي جعل السلطان يقول للباشا يوم 2 ربيع الثاني ما يلي : "والقاضي كرازو حيث هو على الحالة التي ذكرت من العفاف والقيام بأمور المسلمين ومفاوضة الفقهاء فيما أشكل عليه، فقد أبقيناه على عمله".

و قد استمر القاضي كرازو في منصبه إلى أن وافته المنية سنة 1253 (1837).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الكراسي العلمية**، من أجل تأمين الظروف المناسبة لتأدية العلماء والفقهاء لمهامهم العلمية، قام المرينيون بإحداث نظام "الكراسي العلمية" الذي يقوم على تخصيص الأوقاف لتدريس العلوم الدينية والشرعية وغيرها من خلال قراءة أمهات الكتب في مختلف فروع المعرفة وشرحها من قبل كبار الشيوخ والعلماء والأساتذة الذين كانوا يباشرون مهمة تدريس الكتاب أو المادة المعينين في نص الوصية الحبسية المخصصة للكرسي الموقوف من قبل صاحب الوقف، الذي كان يعين أيضا المسجد أو المدرسة التي يكون فيها، وأحيانا يعين مكان الكرسي والوقت الذي يلقى فيه الدرس، فيحترم المدرسون رغبات المحبسين ويلتزمون بها التزاما تاما.

وكانت هذه الكراسي تضاف للعلم أو الكتاب المعني بالتدريس، كأن يقال : كرسي التهذيب أو كرسي الرسالة القيروانية أو كرسي الحديث أو كرسي الفقه... كما كان بعضها ينسب لمشاهير العلماء الذين كانوا يدرسون عليها ككرسي ابن غازي وكرسي الونشريسي وكرسي المنجور... وغيرهم. وأحيانا تضاف الكراسي لمواضعها القارة بالمدارس أو المساجد التي تنسب إليها كما هو الحال بالنسبة لكرسي الخصة شرقي صحن القرويين وكرسي مستودع باب الحفاة، وكرسي ظهر خصة العين... الخ.

كما كانت بعض الكراسي تلقب بكرسي التدريس وهي التي يرجع محمد المنوني أنها لم تخصص لتدريس علم أو كتاب معين.

كانت الكراسي تسند إلى البارزين من العلماء بحسب تخصصهم ولا يتولاها أحد منهم إلا بظهير من السلطان أو نائبه، أما الكراسي التي من إنشاء الأفراد فإنهم كانوا يعينون من يتولون التدريس عليها. كما كان الكرسي يوقف على العالم مدى الحياة ويمكن أن يعود إلى عقبه إذا كان في مرتبته العلمية، وهذا حال عبد الواحد الونشريسي (ت. 955/ 1549 ) الذي أسندت إليه الكراسي العلمية التي كانت لوالده، وأحيانا يتنازل العالم عن كرسيه لأحد من أقرانه أو تلاميذه لسبب سفر طويل أو مرض أو عجز عن التدريس أو إشفاق على عالم معسر، كما فعل الشيخ عبد الرحمن سقين

الذي تنازل عن كرسي الفقه بالمدرسة البوعنانية بفاس عام 924 / 1518 لمحمد المدغري والأمثلة كثيرة.

وقد ضمنت الكراسي العلمية لأصحابها موردا معاشيا لا ينكر، لاسيما إذا تعددت، وكانت المورد الوحيد لبعض علماء العصر كأحمد المنجور. ولم تكن عائدات الكراسي موحدة ولا متقاربة، بل كان بعضها يزيد ضعفا أو أضعافا.

ظهرت الكراسي العلمية - كما سبقت الإشارة - في عهد المرينيين ومع ذلك لا تمدنا المصادر إلا بمعلومات قليلة عن بعضها منها ثلاثة بمدينة فاس هي :

- كرسي الونشريسي (ت. 705 / 1306) بجامع الأندلس.
- كرسي أبي الحسن الصغير (ت. 719 / 1319) بجامع أزدغ.
- كرسي التهذيب بالمدرسة العنانية.

وفي عهد السعديين ازداد عدد الكراسي العلمية وتضاعفت أهميتها، ولم يعد تأسيسها وتخصيص الأوقاف لها قاصرا على رجال الدولة بل أصبح يشارك في ذلك خاصة الناس وعامتهم، وشملت مدنا أخرى غير فاس كمراكش وتطوان ومكناس والقصر الكبير وتارودانت (كانت تسمى آنذاك بالمحمدية). ويقدم لنا محمد المنوني إحصاء للكراسي العلمية بجامعة القرويين بمدينة فاس فوجدها 22 كرسيا. إلى جانب ذلك أحدث في مراكش كرسي البخاري وكرسي مختصر خليل بجامع الشرفاء بالمواسين. وكرسي التفسير بمسجد أبي العباس السبتي من إنشاء أبي فارس بن أحمد المنصور، كما أحدثت كراسي متعددة لعلوم متنوعة بجامع باب دكالة من أوقاف مسعودة الوزكيتية. وفي المحمدية أنشئ كرسي البخاري وكرسي الرسالة وكرسي خليل بالجامع الكبير ويظن أنها من إنشاء محمد الشيخ المهدي، وفي القصر الكبير أنشأ أبو المحاسن الفاسي في حدود (1000 / 1592) كرسي تفسير ابن عطية بشرقي الجامع. وامتلأت مساجد مدينة تطوان وزواياها بالكراسي العلمية خاصة بعد أن قصدها كبار العلماء. وفي مكناس أنشئ كرسي لقراءة القشيري والبردة والجوزي بالجامع الكبير، ورشح له الفقيه أحمد زغبوش.

وفي العصر العلوي يلاحظ محمد المنوني أن الوثائق المتوفرة لا تكفي لوضع لائحة وافية عن الكراسي العلمية بجامعة القرويين إلا أن المؤكد أن كراسي علمية جديدة قد أنشئت، بلغ عددها 35 كرسيا منها على سبيل المثال لا الحصر : كرسي الحديث بظهر خصة العين، كرسي النحو بالبلاط الثاني يمين الداخل للجامع المذكور من باب الكتبيين، وكرسي التفسير قبالة صومعة القرويين، ووقف السلطان مولاي رشيد أربعة كراسي للتدريس بجامع الأشراف. وفي مدينة مكناس قام المولى إسماعيل بإحياء عدد من الكراسي العلمية بالجوامع والمساجد خاصة المرتبطة بقراءة الحديث ومن بينها بالجامع الكبير كرسي التوريق بظهر العنزة وكرسي التفسير المعد للتوريق وكرسي التوريق بإزاء قيسارية البز وكرسي القشيري، كما أحدث بجامع الأنوار كرسيا لقراءة كتاب الاكتفاء للكلاعي، وكرسي التفسير بمسجد ساباط ابن زغبوش. وقد تعاقبت على التدريس في تلك الكراسي زمرة من الأعلام الشهيرة بتضلعها ومشاركتها في مختلف العلوم.

لقد تم الاكتفاء بتقديم بعض الأمثلة فقط لأن المجال هنا يقتضي الاختصار. ونشير في الأخير إلى أن بعض هاته الكراسي - وهو قليل - استمرت في تأدية مهمتها التعليمية بشكل من الأشكال رغم الصعوبات التي ارتبطت بإدارة وتسيير الأوقاف من جهة وبالأوضاع والتحولات السياسية التي عاشتها البلاد من جهة ثانية.

م. حجي، *الحركة الفكرية*، الرباط، 1 : 119 - 121؛ 2 : 210 ؛ *حوالة الأحباس الكبرى بمكناس*، 5 : 210، 277 ؛ *حوالة الأحباس الصغرى بمكناس*، 4 : 116 ؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس*، 1993، 1 : 51، 71، 238 - 240 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*، ص. 13 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1930، 2 : 177 ؛ م. المنوني، *كراسي الأساتذة بجامعة القرويين*، *دعوة الحق*، ع. 4، 5، 6، 7، 1966.

رقية بلمقدم

**الكرافس** أو الكرفس هو أبيوم كرافيولينس Apium graveolens المنتمي لفصيلة الخيميات Apiaceae.

نبات عشبي حولي أو ثنائي الحول ذو أوراق مركبة، وذات عطر قوي.

الموطن الأصلي للكرفس يمتد على المنطقة المعتدلة من أوربا والبحر المتوسط وآسيا الصغرى.

يزرع الكرفس في المغرب لاستعماله في تتبيل بعض المأكولات وخاصة الحساء والحريرة وكذلك لعدة أغراض في بلد التطبيب التقليدي.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Ibis Press, 1997, 779 p.

عبد المالك بنعبيد

**الكرافيل** (Caravelle) وتدعى أيضا الكارافيلا والقربيلة. وهي سفينة من النوع اللاتيني المتطور الذي ابتكرته الأوراش البرتغالية حوالي سنة 1430 على هيئة

مركب شراعي متوازن بين الطول والعرض، وجيد المواصفات التقنية والملاحية. وقد تميزت الكرافيل باعتماد بنائها على تبطينات متراكبة من الألواح، وبطولها الذي يتراوح بين اثني وعشرين مترا وخمسة وعشرين، بمقابل عرض لا يتعدى ثمانية أمتار، وحمولة متوسطة بين مائة وخمسين ومائتي طنة.

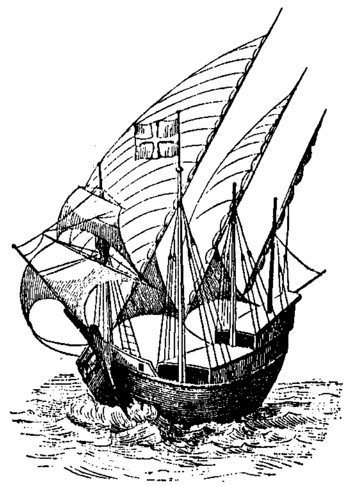

وبناء على هذه المواصفات اعتبرت الكرافيل من السفن الدائرية الأولى المؤهلة لاكتساح مياه المحيط الأطلنتيكي بفضل سطحها المرتفع عن الماء وكوثلها المربع، فضلا عما امتازت به من صلابة وقدرة على حمل الرجال والأقوات، وعلى الإبحار في الأعماق الضحلة وعند المصبات بسبب تمتعها بضعف الغاطس.

وقد دانت الكرافيل بأفضليتها في الملاحة الثبجية إلى تصريتها المتميزة التي تتراوح بين ثلاثة وخمسة صواري، وقدرتها على تيسير الانقياد في مختلف حالات الرياح، وتمتعها بالسرعة الفائقة وبالمرونة في تغيير الاتجاه. وتم اعتمادالنوع الإسباني منها في الملاحة المغربية خلال القرن (17 م) على يد رياس مصب أبي رقراق استغلالا للواحدات التي تم الاستيلاء عليها، بيد أن تكاليف تجهيزاتها المرتفعة، وصعوبة صيانتها واستصلاحها في الأورا ش المحلية قلص من فرص استعمالها، ومن ثم لم تبرز ضمن الوحدات العاملة في الأسطول المغربي إلا في مناسبات قليلة، إلى حين غيابها تماما في القرن الموالي.


النخيلي، *السفن الإسلامية*، ص. 120.

Les *S.I.H.M.*, 1° série, Pays-Bas, t. V, p. 442 ; Coindreau, *Les corsaires de Salé*, p. 101 ; Braudel, *Civilisation, économie et capitalisme*, éd. Colin, Paris, 1979, p. 356-363.


حسن أميلي

**گرانفال** (جيلبير) Gilbert Grandval ولد في باريس يوم 12 فبراير 1904 من أسرة منحدرة من منطقة الألزاس. وبعد أن تلقى معظم تكوينه في العاصمة الفرنسية، شغل منصب مدير تجاري في شركة تقوم بتسويق المواد الكيماوية. وإبان الحرب العالمية الثانية، التحق بصفوف المقاومة التي كان يتزعمها الجنرال دوگول. ولذا، فبمجرد أن وضعت الحرب أوزارها، تمت ترقيته إلي رتبة عقيد ووشح بوسام رفيق التحرير وبأوسمة أخرى (جوقة الشرف). وعند متم غشت 1945 ، أسندت إليه مهمة حاكم منطقة الصار (Sarre) ذات الحساسية الكبرى في العلاقات الفرنسية الألمانية. ولم تحل سنة 1948 حتى عين مفوضا ساميا للمنطقة ذاتها ورقي إلى رتبة سفير على رأس البعثة الفرنسية في تلك الجهة.

وفي يونيو 1955 ، عين جيلبير گرانفال مقيما عاما في الرباط خلفا لفرانسيس لاكوسط. وقد حل گرانفال بالمغرب في ظرف عصيب وصلت فيه الأزمة التي أعقبت نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى درجة كبيرة من الخطورة. ولعل اغتيال الليبرالي الفرنسي لوميگر دوبروي من الأحداث التي عجلت بهذا التعيين. وكانت السيرة الذاتية للرجل تفتقر لأية تجربة سابقة في المغرب، غير أن ذلك لم يشكل عقبة أمام المهمة المنوطة به بقدر ما أهله لمقاربة الأزمة بكل موضوعية. ولما نهج گرانفال سياسة حازمة تمثلت في محاولة تصفية المناخ العام بإبعاد بعض رؤوس الفتنة من ذوي النفوذ في أوساط الموظفين الفرنسيين الكبار من أمثال الدكتور كوص Dr. Causse ، فإن هؤلاء قد تكتلوا لعرقلة سياسته والحيلولة دون مد الجسور مع الحركة الوطنية المغربية. ولم يتردد أولئك الغلاة في استعمال أخس الوسائل لتحقيق غاياتهم، فتعرض گرانفال لشتائمهم العنصرية لمجرد كونه ينحدر من أصول يهودية. وعلى العكس من ذلك، شعر الرأي العام المغربي بأن گرانفال يحمل معه مشروعا إصلاحيا، فآزره بقوة وخصص له الترحاب أينما حل وارتحل. ولما وجد جيلبير گرانفال نفسه في وضعية غير مريحة، وضعية ازدادت تعقيدا بسبب انعدام الوضوح في التعليمات الصادرة من حكومة إدگار فور، فإنه اضطر إلى تقديم استقالته يوم 22 غشت 1955.

بعد نهاية مأموريته بالمغرب، تقلد گرانفال منصب كاتب الدولة في التجارة الخارجية الفرنسية سنة 1962، ثم بعد ذلك أسندت إليه وزارة الشغل فيما بين 1962 و1966. وخلال المدة الفاصلة بين 1966 و1972 عمل رئيسا لشركة السفريات البحرية وعضوا في مجلس إدارة ميناء مرسيليا.

توفي جيلبير گرانفال في نونبر 1981.


*وثائق وزارة الخارجية الفرنسية*، باريس.

Gilbert Grandval, *Ma mission au Maroc,* Lib. Plon, Paris, 1956, 273 p.


جامع بيضا

**كُرت** (موقع أثري)، تعد مدينة كرت أو قُرت، بالضم ثم السكون، من أقدم المراكز الحضرية بمنطقة الغرب. ففي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وصف ابن حوقل الموقع بأنه "مدينة لطيفة في سفح جبل، منيعة أيضا بغير

سور ولها مياه كثيرة"، ووطنها بالمناطق الداخلية المتواجدة شرق الساحل الأطلسي من عمل طنجة، وجعلها من الحواضر الخاضعة لبني إدريس، مباشرة بعد مدينتي الأقلام والبصرة.

ويظهر من خلال بعض النصوص التاريخية أن المدينة قد ضعفت وفقدت بعضا من بريقها خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، إذ أورد البكري أن كرت تحتل أعلى الجبل، وأنها "اليوم خربة"، وهو ما أكده، في القرن الموالي، صاحب كتاب *الاستبصار* الذي وصف الموقع بـ"القرية العامرة" ووطنه على مرحلة بين بلد جنيارة ووادي ردات "وهو نهر كبير في أصل جبل وفي أعلاه مدينة كُرْت وكانت مدينة كبيرة حصينة كثيرة الخير على نظر كبير، يعمرها قبائل من البربر يقال لهم بياتة، وهي اليوم قرية عامرة. ثم منها إلى مدينة البصرة".

ونظرا للموقع الاستراتيجي لجبل كرت وعلوه الذي يسمح بمراقبة فعالة لمجال شاسع يمتد حتى جبل بوهلال قرب وزان وسهل إساول قرب زومي وهضبة ورغة، حاول بعض الباحثين أن يوطنوا بالجبل موضعا رومانيا، من أبرزهم شارل تيسو ومونيس اللذين رأوا في البقايا التي وقفا عليها قرب قرية حد كرت الحالية وبالواجهة الجنوبية للجبل آثارتعود إلى موقع فوبيسيانايي الذي ورد عند أنطونان على الطريق الرابط بين طنجة وطوكولوزيدا قرب وليلي. ورغم قلة المعطيات الأثرية وتعدد الإشارات النصية التي تحدثت عن التأسيس الحديث للمدينة، نحا أحمد سراج نحو سابقيه، ورجع انتماء الموقع إلى العهود القديمة دون تقديم دلائل كافية. ولتجاوز هذا الغموض وتوطين مدينة كرت الوسيطية، يبقى من الضروري القيام بمسح أثري للمنطقة، مع الأخذ بعين الاعتبار موضعين أساسين لاحتفاظهما بتسمية المدينة، وهما حد كرت وجبل كرت، دون إغفال المناطق المحيطة بهما، ودراسة البنيات المعمارية المتواجدة بجبل كرت والتي تعرف عند ساكنة المنطقة بـ"عريسات مولاي عبد القادر الجيلاني".


البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، باريز، 1965 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق*، تح. محمد حاج صادق، 1983 ؛ مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب*، نشر وتعليق سعد زغلول، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

A. Siraj, *L'image de la Tingitane dans l'historiographie arabe médiévale de l'antiquité nord-africaine*, collection de l'école française de Rome, 209, 1995 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane*, Paqris, 1878 ; J. Mounès, Notes sur quelques villes disparues du Maroc septentrional, *B.E.P.M., 1957, p. 10-29.*


أحمد صالح الطاهري

**الكردان**، يطلق هذا الاسم على إحدى فخذات قبائل هوارة المستقرة عند الوسط الجنوبي لسهل سوس بين أولاد تايمة وتارودانت عند قدم الأطلس الصغير. وظل يطلق اسم سبت الكردان على جماعة قروية تابعة لدائرة أولاد تايمة بإقليم تارودانت إلى حدود 1994، تاريخ التقسيم الإداري الجديد الذي رقي على إثره مركز الجماعة القروية إلى جماعة حضرية هي بلدية الكردان الحالية.

ويشكل مركز الكردان بالإضافة إلى وظيفته الإدارية، سوقا تجاريا لتبادل الموارد الفلاحية بالدرجة الأولى بين الريف السوسي ومناطق الأطلس الصغير الجبلية، كما أنه يعرف نشاطا صناعيا واعدا مبنياً على تحويل المنتوجات الفلاحية وخاصة منها الحمضيات.

بلغ عدد سكان بلدية الكردان حسب نتائج إحصاء سنة 1994 حوالي 6.500 نسمة، وحوالي 1.100 أسرة، وبحكم النمو السريع المميز للمراكز الحضرية بمنطقة سوس عامة، فإنه من المتوقع أن لا يقل عدد سكان الكردان اليوم عن 10.000 ساكن. ذلك أن تحسين جودة الخدمات العمومية من بنيات تحتية وتجهيزات جماعية من جهة، وأيضا الازدهار المرتقب للنشاط الزراعي المسقي وما يرتبط به من أنشطة من جهة أخرى، كلها عوامل ستجعل من مركز الكردان قبلة للمهاجرين من المحيط الريفي المجاور ومن باقي المناطق المغربية.

وتشتهر منطقة الكردان بازدهار فلاحة الحمضيات بها على الصعيدين المحلي والوطني. لقد عمل المعمرون وبعدهم المستثمرون المغاربة على توسيع مساحة زراعة الحمضيات وذلك بقصد الاستفادة من المؤهلات الطبيعية التي تقدمها المنطقة في هذا المضمار من طقس وتربة ومياه وقرب جغرافي. غير أنه مع توسع هذا النشاط وبسبب تواتر السنوات الجافة المتلاحقة دخلت هذه الزراعة في فترة صعبة منذ نهاية السبعينيات بسبب نزول مستوى الفرشة المائية الجوفية المحلية، نزولا لم تسطع التدخلات المختلفة للدولة من الحد منه على الرغم من بناء مركب محمد المختار السوسي المائي (سد أولوز) الذي وجهت مياهه كاملة لحقن فرشة سهل سوس الباطنية. وهناك حاليا مشروع جديد يهدف إلى تحويل مياه واد تفنوت انطلاقا من سد إشكوكن وعبر سد المختار السوسي (سد أولوز سابقا) عند حوض سوس الأعلى.

إن وصول مياه هذا السد، زيادة على الطريق السريع الذي انتهت أشغاله ليربط بلدية الكردان بتارودانت شرقا وأكادير غربا، كلها عوامل ستعطي لمركز الكردان نشاطا قويا ليجعل منه أحد المراكز المهيكلة للشبكة الحضرية بسوس بشكل عام.


ح. المحداد، *الماء والإنسان بحوض سوس*، إسهام في دراسة نظام مائي مغربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير.


الحسن المحداد

**الكردودي**، أسرة عائلة عربية عريقة وأفرادها متمسكون بظهائر علوية منيفة وأخرى للملوك السعديين لا زالت تتداول بين أفراد الأسرة يفخرون بها، ووثائق شرعية من كبار العلماء والمفتين والقضاة والعدول يشهدون بذلك لأنه

جـار على السنن الشـرعي والنهج المرعي، وبشـفـوف بيـتـهم وسمـو مكانتـهم. وقد درج منهم رجال ذوو قدر سام "طبقـوا المغرب ذكرا، وشدوا في خدمة المخزن الشريف أزرا".

وكان جدهم الأكبر الولي الصالح سيدي محمد بن أحمد أصله من كرداد الذي بقبيلة سفيـان بالغرب، وأولاده أربعة وهم : أحمد وعبد الرحمان وعلي وعبد القادر. وكان الجد المذكور مستقراً بجبل بني مداس مع أبناء عمه بني كلال، وانتقل من بني مداس إلى الغرب عام عشرة وتسعمائة، واستقر بقبيلة سفيان، وتزوج عندهم امرأة تسمى حليمة ابنة عبد القادر الدكالي العمري، وخلف معها أربعة أولاد، استنادا إلى وثائق عدلية ورسوم في ملك الأسرة.

وهذه القبيلة لها مصاهرة مع بعض أهل فاس، شرفاء وغيرهم، كالشرفاء العراقيين والطاهريين والعلميين، وأولاد البواب المصموديين، وأولاد كسيكس، وأولاد الخلفاوي، وأولاد المرنيسي، وأولاد ابن الحاج السلميين، وأولاد ابن سودة، والقادريين، وأولاد ابن عبد الرحمان الدويري الفلاليين، وغيرهم.

وقد ذهب الكتاني، اعتمادا على بعض الرسائل والرسوم والوثائق العدلية، إلى أن هذه القبيلة من العوام وأن البعض منهم انتحل النسبة الشريفة، وأن المدعي لهذه النسبة هو السيد علال وولده الذي جعل الحسني في شكله. وأن استقرارهم في المدينة الفاسية لا يجيز لهم إدعاء هذه النسبة، "ولم يدع هذه النسبة جدهم العالم المدرس، ولا أحد أولاد الفقيه السيد أحمد ... فكيف يصدع بذلك باقي أبناء أخيه وأولادهم الآن ؟". ولعل الإشارة إلى أحد حفدة الفقيه محمد بن عبد القادر الكردودي،،، الذي خصه بترجمة وافية وفيها يثبت نسبتهم الشريفة، ويورد وثائق ورسوما مختلفة للدلالة على صفاء هذه النسبة، ويشير إلى امتلاك العائلة للحجج والبراهين الدالة على صفاء عنصرهم.

م. الكتاني، *تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهر الآس في بيوتات أهل فاس*، تح. علي بن المنصر الكتاني، الدار البيضاء، ط 1، 2000، تر. الفقيه الكردودي، مخطوط.

**الكردودي، أحمد** بن **محمد** بن **عبد القادر** الحسيني الشهير بالكردودي، من الكتاب الفقهاء المتضلعين في الكتابة وأساليبها الرفيعة، على قواعدها المعروفة عند أهل الفن.

ولد بفاس عام 1240 ، وتربى في حجر والده الفقيه العلامة المعقولي سيدي محمد بن عبد القادر، ورعاه بالديانة والتقوى والمروءة، توجه كما هي العادة للإرتواء من المكاتب الابتدائية، وتهيأ لولوج القرويين حيث منار العلم والعرفان، فانخرط في حلقات أساتذتها وقد هئ لذلك على الطريقة المعتبرة عند أهل العلم، فانطلق للتحصيل بهمة عالية وإصرار على نيل المعالي العلمية السامية. غير أن ملازمته الكثيرة كانت لدروس والده وللفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمان الحجرتي الفلالي شيخ الجماعة بفاس ومفتيها والمتصدر في الفقه بها، وعليهما كان أكثر أخذه.

وقد كانت له عناية بالتاريخ والأدب والطب معتكفا عليه "حتى إنه من كثرة انكبابه على التذكرة للشيخ داوود الأنطاكي قيد عليها حواشي كثيرة، وله خط رائق نسخ به عدة كتب، ومروءة تامة وجد واقتصاد وسمت حسن ونباهة واقتدار". وهي مزايا وخصال أهلته، فضلا عن غيرها، لشغل مناصب سامية.

كان في أول أمره عدلا من عدول سماط فاس العليا. وكان يسرد كتاب الحلية بكرسي ظهر منار المسجد الأعظم، ثم انتقل كاتبا مع عامل فاس الباشا الفقيه عبد الله بن أحمد. ثم انتقل كاتبا ببنيقة وزير البحرية الفقيه السيد فضول غريط الأندلسي أيام السلطان المولى الحسن.

ولعل المرحلة الأكثر إثارة في حياة المترجم هي التي قضاها في خدمة المخزن إذ كانت من أهم المراحل التي أثرت بشكل كبير على مسار حياته، فهي مليئة بالأحداث كثيرة الاضطراب، فخلالها قام بعدة مهام سواء في المغرب أو خارجه، ولعل ما أهله لأن يحظى بهذه المنزلة ما كان يتمتع به من حنكة سياسية اكتسبها بلا شك، في وسطه الذي كان يموج بالأحداث ويشهد النقاشات المستفيضة في شؤون السياسة والاقتصاد والثقافة الأمر الذي جعل منه شخصية بالغة التعقيد. وإن مختلف المهام التي كلف بها تظهر شأوه في مختلف شؤون الحياة، لقد كلف في عدة مناسبات بمهام ذات خطر، وقد كان هذا الوضع الذي يحتله في النسيج المخزني يجعله دائم الاتصال به ويلزمه سلوك سنن خاص كان يخضع له كل منخرط في السلك المخزني، ويحتم عليه أن يكون على قدر كبير من الحنكة والدهاء بحيث يتعامل مع كل موقف بما يستلزمه. استخدم الكردودي كاتبا في الشكايات مع الوزير الصفار، ثم كاتبا مع الحاجب السلطاني موسى بن أحمد، ثم كلف في سفارة لفرنسا بصفته مراقبا للسفير القائد المعطي بن عبد الكبير الشاوي المزامزي لما حظي به من ثقة السلطان الحسن الأول، ثم مندوبا لسفارة البابا ليون الثالث عشر بإيطاليا مع النائب الطريس، ثم في سفارة إسبانيا مع القائد عبد الصادق الريفي، وفي هذه الرحلة ألف رحلته *التحفة السنية*.

لما رجع إلى فاس بعد مساعدته على التقاعد، مكث بها نحو ثلاثة أشهر فاخترمته المنية عشية يوم الثلاثاء منتصف شهر محرم الحرام عام 1318 / 1900 ، ودفن بالضريح الإدريسي بزاوية سيدي محمد بن الفقيه بإزاء العلامة سيدي عبد الله بن يخلف الأندلسي.

الكردودي، *التحفة السنية* ؛ م. الكتاني، *تحفة الأكياس*، الدار البيضاء، 2002 ؛ *إتحاف المطالع* ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2822 ؛ *الأعلام*، 2 : 251 ؛ *فهرس المخطوطات العربية*، 2 : 239 ؛ *معجم المؤلفين*، 3 : 369 ؛ *معجم المطبوعات الغربية*، 305 ـ 306، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*.

Laroui, *Les origines sociales et culturelles du*

*nationalisme marocain, 1830-1912*, Paris, 1977, p. 276-278.

**الكردودي، محمد** بن **أحمد** بن الشيخ محمد بن عبد القادر الكردودي الكلالي، قال عنه ابن سودة "الفقيه المشارك المطلع الكاتب المقتدر الأخلاقي المتواضع". أخذ عن والده، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ القادري، والشيخ محمد ـ فتحا ـ كنون، والشيخ أحمد بن الخياط، والشيخ عبد السلام الهواري، وغيرهم من شيوخ العلم المنقول والمعقول بفاس.

ومعلوماتنا عن المترجم قليلة جدا وأغلب مصادر ترجمته تكاد تتفق في المعلومات، وتظل كثير من محطات حياته غامضة مما يجعل المرء يتساءل عن السر في هذا الندرة في المعلومات المتعلقة به، غير أن الثابت عندنا أن المترجم أقيم مقام والده في القيام بعدة مأموريات مهمة في مصلحة المخزن، غير أنه لم يكن له الصيت الواسع كما كان لبعض أفراد عائلته ومنهم والده. ولا ندري السنة التي التحق فيها بالخدمة، غير أنه يمكن اعتمادا على بعض المؤشرات، أن نعينها في حدود عام 1315.

توفي المترجم يوم الإثنين 29 صفر الخير عام 1335، ودفن بروضة الشامين بالقباب خارج باب الفتوح قرب قبة الشيخ الغياثي.

ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ موسوعة *أعلام المغرب*، 8 : 2895 ؛ *سل النصال*.

**الكردودي، محمد** بن **عبد القادر** بن **أحمد** الكلالي الحسيني الشهير بالكردودي، من عائلة حسنية عريقة في المجد والسؤدد.

أخذ العلم بفاس عن عدة شيوخ لهم قدم راسخ في العلم والتحقيق جمعهم في فهرسته، منهم العلامة الكبير المحقق سيدي عبد القادر بن أحمد الكوهن المتوفى في المدينة المنورة، والشيخ أبو الفتح سيدي محمد التهامي بن حمادي الحمادي المكناسي، والشيخ أبو المحامد سيدي العربي الدمناتي. وقد أجازه سيدي عبد القادر المذكور مع الفقيه العلامة سيدي محمد الطالب ابن الحاج المرداسي بفهرسته المشهورة مضيفا إليهما أبا القاسم بن عبد الله بن إدريس العراقي بجميع ما أجازه به أشياخه.

ودرس المترجم بالقرويين العامرة مدة طويلة، وانتفع به خلق كثير من الطلبة، وكان عمدة المجالس العلمية، حيث كانت تسند إليه الرئاسة في فض المشكلات العلمية العويصة، ويجيب عنها بما يشفي ويكفي "وكان مهاب الطلعة، محترم الجانب، مقدس المقام، محبوبا ملحوظا لدى الخاص والعام، حتى إنه إذا حضر مجلس علم أو غيره لم يتقدم أحد للكلام فيه سواه".

وقد يبرهن على علو منزلته في العلم، ومهارته في المنقول والمعقول والفهم بتآلفه المفيدة المهمة الغريبة الفريدة، منها : شرحه لخطبة الألفية لابن مالك، ومنها شرحه لاصطلاح القاموس للهلالي نظما، سماه حلية العروس لإضاءة الأدموس ورياضة الشموس من اصطلاح صاحب القاموس، يشتمل على ثلاثمائة وثمانية وستين بيتا، وهي منظومة في الاصطلاح اللغوي، في أقسام الكلمة الأفعال / الأوزان / التصريف. (طبع على الحجر بهامش إضاءة الأدموس للهلالي). ومنها تأليف في الدولة العلوية الشريفة سماه، الدر المنضد الفاخر بما لأبناء مولاي الشريف من المحاسن والمفاخر، من أول نشأة هذه الدولة إلى آخر العهد الإسماعيلي مع تراجم من كان في عهد ملوكها من العلماء والصلحاء وأهل الحل والعقد والفضل والمقام العالي والأدباء والبلغاء، مع ذكر بعض المناقب والوقائع التي تناسب المقام، وعاقه الموت عن إتمام هذا التاريخ. ومنها تأليف في وجوب الجهاد وتنظيمه سماه : "*كشف الغمة ببيان أن حرب النظام حق على هذه الأمة*"، ألفه ونشره بمناسبة احتلال القطر الجزائري.

وللمترجم في ميدان الشعر صولة، وفي الأدب جولة حسبما يعلم من ديوان يحتوي على قصائد هامة تبرز غيرته ووطنيته الصميمة، منها قصيدة هجا بها يهوديا محميا بدولة أجنبية انتهك حرمة الإسلام جهارا بالمحكمة الشرعية بطنجة لما كان المترجم قاضيا بها أيام المولى عبد الرحمان بن هشام، فأمر بصفعه علانية وسعى في نقله لبلاده.

توفي قرب العصر من يوم الثلاثاء 11 رمضان عام 1268/ 1852، ودفن قرب الولي سيدي يوسف الفاسي بالقبب خارج باب الفتح بفاس، تحت الكرمة التي فوقه.

عبد السلام ابن سودة، *زبدة الأثر* ؛ عبد الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ محمد جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 333 ؛ محمد المشرفي، *الدر المكنون*، ص. 67 ؛ عبد الهادي التازي، *جامع القرويين*، 3 : 811 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج. 1، ص. 23 ؛ ع. الجراري، *تطور الشعر العربي الحديث والمعاصر في المغرب*، 272 ـ 273.

**الكردودي، محمد** بن **محمد** انخرط في خدمة المخزن مدة طويلة حتى ضعفت قوته لتقدمه في السن إذ خدم ثلاثة سلاطين : السلطان سيدي محمد ونجله المولى الحسن والمولى عبد العزيز. وطلب الإعفاء من الخدمة الشريفة إذ لم يعد يسعفه حاله للاستمرار.

وكان المترجم مولعا بنسخ الكتب، وسرد أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، وله خط حسن، جيد للغاية. يلازم الضريح الإدريسي، ولا تفوته صلاة الزوال، صيفا وشتاء". وقد قام على إمامة المسجد، المسمى الآن بجامع الزليج، كما عهد إليه قبض تخريج أحباس فاس العليا.

توفي صباح يوم الاثنين 17 صفر عام 1317 ودفن بفدان الغرباء خارج باب الفتح، قرب ضريح الولي سيدي الغسال.

م. الكتاني، *تحفة الأكياس*، الدار البيضاء، 2000 ؛ ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ موسوعة *أعلام المغرب*، 8 : 2819.

عبد المجيد بوكاري

**كردوس** (موضع -) بقبيلة إيداوبعقيل، في مجال طبغرافي يتميز بمناعة وصعوبة في التضاريس، على يمين الطريق الذاهبة من تيزنيت نحو تافراوت، بعد تسلق منحدر "أفود" الاستراتيجي. ترتبط شهرة المكان، بلحظة استقرار الشيخ أحمد الهيبة بن ماء العينين به، في أوج الصدام التاريخي بين قبائل سوس ورموز الاحتلال الفرنسي.

أصبح كردوس منذ 1919، تاريخ تولية الشيخ مربيه ربه أمور الجهاد، مركزاً حربياً لقادة الجهاد آنذاك، حيث كانت تنظم الاجتماعات التنسيقية،، وترتب الخطط التنظيمية والحربية لمجموع القبائل المحصنة بجبال الأطلس الصغير، خاصة خلال انعقاد المواسم المشهورة أو بمناسبة الأعياد الدينية. ومن الفعاليات التي كانت تفد باستمرار على كردوس نجد : المدني الاخصاصي، سعيد البعقيلي، مبارك البنيراني، سعيد الأكماري، الطاهر الإفراني، المحفوظ الأدوزي، الحسن الأزاريفي، الحاج الحبيب الصوابي وأمغار سعيد الباعمراني وغيرهم. كما اضطلع المركز بأهمية دينية - علمية من خلال الحلقات العلمية التي يؤطرها آل ماء العينين بحضور علماء وفقهاء سوسيين بمعية إخوانهم من الصحراء. وكانت مناسبة للتواصل والتلاقح الثقافي بين سوس وجنوب المغرب.

ومن المؤشرات الدالة على أهمية المكان، كون الاستعلامات الفرنسية، قد كثفت من نشاطها لاستقصاء أخبار الشيخ مربيه ربه. لهذا عمدت سلطات الحماية انطلاقا من تيزنيت والهوامش الجنوبية للأطلس الصغير إلى زرع المخبرين والجواسيس في محيط كردوس لجمع المعلومات عن تحركات رموز الجهاد، وتقدير طبيعة القدرة الحربية التي تتوفرعليها. وهذا ما يفسر تردد الحديث عن كردوس وطبيعة التحركات التي عرفها منذ 1921، وحيثيات الأشخاص بجميع أصنافهم الذين كانوا يترددون على المكان، في تقارير الاستعلامات الفرنسية. وفي هذا السياق تمكن أتباع الشيخ مربيه ربه من اعتقال جاسوسين فرنسيين من الوحدة الأجنبية الرابعة للمشاة، وثم إحضارهما إلى كردوس. وقد ابدى أحدهما ويدعى Gfalmer الرغبة في اعتناق الإسلام.

ولتمكين المجاهدين من الآليات الضرورية لمدافعة الاحتلال، كان الشيخ يحث القبائل على بدل المزيد من الجهود والتعبئة بكافة الوسائل، لهذا كانت المعونات بما في ذلك الأعشار والزكوات والأموال تشحن بشكل منظم نحو كردوس.

وبتاريخ 9 يونيو 1932، استقبل كردوس وفداً عن قبيلة آيت حمو القاسم من تافيلالت، وقد أبدى الزعيم محمد بن بلقاسم النكادي الرغبة في البقاء بالمنطقة. وكثف الفرنسيون اهتمامهم بموضع كردوس، واستهدفته طائراتهم وذلك بغية التأثير على معنويات المجاهدين، وقطع الطريق أمام الشيخ حتى لا يتمكن من جمع شمل القبائل، وبالتالي تضييق الخناق على مصدر القرار بالمنطقة. وهكذا، بدأت المعارك بهجوم جوي عنيف يوم 22 فبراير 1934، استهدف عاصمة الجهاد كردوس، وخلف دماراً في المنازل مع سقوط عدد من الضحايا. وأمام شدة وكثافة القصف أجبر الشيخ مربيه ربه على مغادرة كردوس صحبة اثنين من أبنائه حسن وأبي بكر ونفر قليل من أصحابه، يقول واصفاً خروجه "... أما بعد فقد خرجنا من كردوس بعد تلثين مضيا من ليلة الأحد السابعة عشر من ذي القعدة عام 1352. وما نهضنا حتى أحاطت بنا الجنود الفرنسوية من كل مكان بالمدافع والطيارات، واحتلوا القبائل".

*رسائل الشيخ مربيه ربه* إلى القبائل السوسية، نسخ خاصة ؛ يوميات خروج الشيخ مربيه ربه من كردوس، خزانة الأستاذ ماء العينين محمد فاضل ؛ أحمد بومزكو والنعمة ماء العينين، جهاد الشيخ مربيه ربه ومقاومة التدخل الفرنسي بالجنوب المغربي، 1912 - 1934 ؛ *في جوانب وحدوية من ثقافة الصحراء المغربية، الرباط، 1997، ص. 89 - 106.*

أحمد بومزكو

**الكَرّاب** في الدارجة المغربية من القربة في العربية الفصحى ويقابله في المشرق السقاء والقربة هي الوعاء الذي كان يتخذ لحمل السوائل وخزنها على أن أكثر السوائل ارتباطاً بالقربة هي الماء، ولذلك عرف حامل القربة لبيع الماء في المغرب بالكراب (وتأدبا يدعى أحياناً : (لامين) ؛ ويمكن التمييز في الكراب بين صنفين :

- الكراب الذي يبيع الماء للمنازل والدور والمحلات التجارية والمقاهي وغيرها ممن ليس له معين ماء، ويحمل هذا الكراب على كتفه قربة كبيرة مصنوعة من جلود الأبقار وأحيانا وفي أماكن مختلفة في المغرب والمشرق وبحسب الطلب كان يحمل عدة قرب على الدواب ؛ وكانت لهذا الصنف من السقائين أهمية كبيرة منذ عهود موغلة في التاريخ فعليه كان الاعتماد في جلب الماء إلى سكان الأحياء في المدن الكبيرة العتيقة.

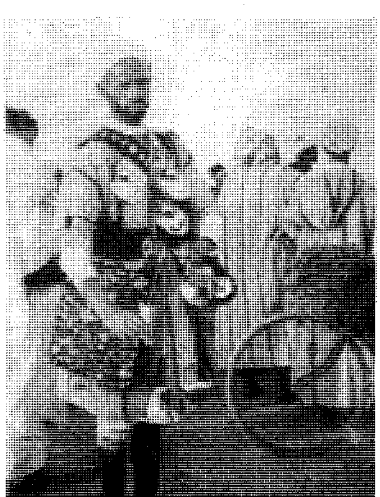

- الصنف الثاني هو الذي يحمل على كشفه قربة الماء المصنوعة من جلد الماعز دون نزع شعره - وغالبا ما كانت باللون الأسود - يطوف بها في الأسواق والمواسم وأماكن التجمعات البشرية ليسقي العطشى من المارة أو المتفرجين، ولم يكن دوره يقل عن الأول إن لم يكن أكثر أهمية خاصة في فصل الحر الشديد، ولا يشترط في مقابل خدمته هذه مبالغ أو ثمن معين فهو قنوع يبتغي بعمله ثواب الدنيا والآخرة.

ونميز في الصنف الثاني بين نموذجين مازالت بقاياهما موجودة إلى اليوم في البوادي والمدن : الگراب البدائي رث الثياب وليس له عناية بالشكل وأدوات العمل ويوجد غالباً في أسواق البوادي وفي بعض التجمعات البشرية ؛ والگراب المحترف الأنيق الذي يعتني كثيراً بهندامه ووسائل عمله المتميزة : كسوة حمراء في الغالب وقربة سوداء وأواني نحاسية صفراء لا معة معلقة على صدره بعناية وجرس أصفر يجلجل في يده ليعلن عن نفسه و"شكارة" مرصعة بالنقود القديمة الخ ...، هذا النموذج يدخل اليوم ضمن التراث الوطني ويحظى باهتمام السياح ليس طلبا للماء ولكن طلبا لصورة تلتقط إلى جانبه ؛ وكان هذا الگراب في ما مضى يكترى في الأعراس ومازال (في بعض المناطق) لتلبية حاجة الضيوف من الماء كما كان شخصاً مطلوباً.

أما اليوم فقد تراجعت هذه الحرفة بسبب المنافسة : (توسع شبكه الماء الصالح للشرب، وازدهار تجارة المياه المعدنية ...).

بقي أن نشير إلى أن الگراب رغم دوره الحيوي وخطورة مهمته فقد كان شخصاً مهمشاً في المجتمع، كانت للگرابة أحياء خاصة خارج أسوار المدن لا يسكنون إلا في الأرباض، ويستعمل اللفظ گراب (في المغرب) وسقاء (في المشرق) للهجاء ويعير به في المخاصمات رغم أن الگرابة أو السقائين خلفوا شخصيات ذات شأن في مختلف الميادين، مثل الشاعر والفارس المتنبي الذي كان ينعت بابن السقاء.

الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ أحمد الونشريسي، *المعيار المغرب*، بيروت، 1981 ؛ أبو محمد السقطي، *في أدب الحسبة*، بيروت، 1987 ؛ محمد بنشريفة، *أمثال أبي يحي الزجال*، القاهرة، 1968 ؛ محمد اشماعو، *مائة وألف مثل من الأمثال المغربية*، الرباط، 1985 - 1986 ؛ الميداني، مجمع الأمثال، تح. أبو الفضل 4 أجزاء، بيروت، 1987 ؛ محمد الطويل، *النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط*، أطروحة ؛ *الرواية الشفوية* ؛ *مذكرات خاصة*.

محمد حجاج الطويل

**الكَرّاسي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alcaraçi ؛ ومازال بإسبانية أسر تحمل اسم Alcaraz وAlcarraz، مع الإشارة إلى أن هناك بإسبانيا مدينة اسمها Alcaraz.

عندما هاجرت هذه الأسرة الأندلس استقرت بقبيلة بقيوة بالريف ومنها انتقلت إلى تطوان ومن أفرادها : محمد بن عبد الرحمن الكراسي، وقاسم بن عبد الرحمن الكراسي، فقيه تولى الفتوة بتطوان وتوفي سنة 1082 (1865).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الكرّاسي، محمد الأندلسي**، اختلف في كنيته، ولكن المرجّح أنه كان يكنى بأبي عبد الله، حيث أثبت تليمذه محمد ابن عسكر هذه الكنية في كتابه *"دوحة الناشر"*، وسجلها الكراسي نفسه في آخر أرجوزته "عروسة المسائل". ولد حوالي سنة 874 / 1469، طلب العلم بغرناطة، ثم بمدينة فاس، وقد تتلمذ على مجموعة من كبار العلماء والأدباء، يقول ابن عسكر "... ولقي مشايخ غرناطة في صغره، منهم المواق وابن الجقوالة وغيرهما، وأخذ عن أبي الحسن البياضي وأجازه في كتابي السنن والتاج والأكليل لأبي عبد الله المواق، وكان المواق أجاز البياضي فيهما، ولقي أيضا مشايخ فاس الونشريسي وابن غازي وابن الزقاق وابن هارون وغيرهم، ولقي الشيخ العارف بالله أبا العباس أحمد زروق". وقد تولى منصب القضاء بتطوان وبقي فيه إلى أن أدركته الوفاة، وكان أديبا وشاعرا. ومن تلامذته محمد ابن عسكر سالف الذكر. ومن إنتاجه الأدبي أرجوزة في تاريخ الوطاسيين الذين عاش في فترة حكمهم، تعرف باسم "عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل". وقد أتم نظمها في سنة 950 / 1544 ، وقدمها كهدية إلى السلطان أحمد الوطاسي.

توفي الكراسي في عام 964 / 1556 أو 1557، ودفن بمدينة تطوان، وقبره لازال معروفا بها إلى الآن.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1397 / 1977، ص. 21 ؛ م. الكراسي، *عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل*، الرباط، 1383 / 1963، ص. 6 - 7 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، تنسيق وتحقيق محمد حجي، 1417 / 1996، ج 2، ص. 897 - 898 ؛ ابن سودة، دليل *مؤرخ المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1965، ج 2، ص. 423 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، تطوان، د. ت، ص. 144 - 155.

عبد العزيز الضعيفي

**كَرّاكْشُكو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Carrasso وCarrazco، ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Carrasco ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1173 / 1760. وهذه الأسرة هي نفس الأسرة التي تعرف بـ كَرّاكْشُو بالرباط.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**كَرَّاشكو، محمد** فقيه عالم وعدل وقاضي وهو ولد أبي يعزى المذكور بعدُ، تولى القضاء بالرباط أيام حصار مولاي المستضيئ للمدينة سنة 1156 كما ذكر الضعيف، ورأى الفقيه محمد بن علي دينية بعض الرسوم التي يستدل منها أنه أخر عن القضاء وأنه وليه بعد ذلك، ومن بين هذه الرسوم التي ترجع إلى القاضي كراشكو نفسه واحد مؤرخ في ربيع الأول من عام 1161 وذكر في كتاب *البذور الضاوية* أنه من تلاميذ الشيخ العكاري أخذ عنه من بين علومه علم الميزان. لا يعرف تاريخ وفاته وكان مازال حيا سنة 1163.

دينية، *مجالس*، ص. 100 ؛ بوجندار، *الاغتباط*، ص. 111.

**كَرَّاشكو،** أبو **يعزى** أحد رجال الصلاح والخير وأهل الكرامات، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، عاصر الشيخ العكاري وكان من خواص أصحابه وكراشكو (بتقديم الشين على الكاف) من الأسر الأندلسية ومن البيوتات الرباطية المعروفة، كان له صيت كبير فقصده الكثير من أهل البلد وكان الشيخ علي العكاري يعتقده كثيراً. لم يعرف له تاريخ وفاة.

دينية، *مجالس*، ص. 91.

عبد الإله الفاسي

**الكَرَّامي، سعيد** بن **سليمان** فقيه صوفي، من الأسرة الكرامية العالمة التي ترفع نسبها إلى أبي بكر المعافري، يقال إنه آخر علماء سوس ممن قرأ بغرناطة بالأندلس. وتتفق المصادر التي تناولت شخصيته على إبراز مدى الاحترام والتقدير اللذين تمتع بهما، كما يوصف بأنه كان يحيا حياة تقشف وزهد سواء في ملبسه أو مأكله. علاوة على ذلك فقد شارط مدة في قرية "أحد وين" قرب "ثلاثاء إيداوگگمار"، وخلف عدة تآليف تشكل عصارة حياته العلمية، وهي في مجملها عبارة عن شروحات خاصة على الرسالة والألفية والبردة والجرومية وابن الحاجب ...

توفي سنة 882 / 77 ـ 1478، ودفن قرب مسجد تازموت بقبيلة إيداوسمال.

الكرامي، *بشارة الزائرين*، مخطوط خاص، ص. 15 ؛ الحضيگي، *طبقات الحضيگي*، الترجمة رقم 74 ؛ السوسي، *المعسول*، ج 7 ؛ *رجالات العالم العربي بسوس*، ص. 16.

أحمد بومزگو

**الكَرَّاوي الأسفي، أحمد** المدعو حيدة بن عبد الله بن عبد السلام هو أحد الطلبة الأسفيين الأربعة الذين أرسلهم السلطان محمد بن عبد الرحمان بن هشام إلى أوروبا قصد تعلم الهندسة. يقول عنه الكانوني : "... كان فقيها مدرساً مفتياً، ذا معرفة بالفقه والفتوى والحساب والهندسة ..."

توفي بأسفي عام 1293.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*.

عبد الرحيم العطاوي

**الكَرَّاوي، عبد الله** (الحاج -)، ولد بمدينة أسفي في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وظهر ولعه بالموسيقى في سن مبكرة، فأقبل على حفظ ميازين الآلة الأندلسية ومستعملات فني المديح والسماع، وتجمع لديه من ذلك رصيد زاخر، إضافة إلى براعته في العزف على عدة آلات موسيقية، وخاصة منها آلة البيانو، ثم إلى تفوقه في إنشاد البيتينات والمواويل بفضل رخامة صوته وجودة أدائه.

كان الحاج الگراوي من السباقين إلى إحداث ظاهرة المجالس الفنية في أسفي عندما جعل من بيته نادياً يلتقي فيه خيرة العازفين والمنشدين أمثال السيد البريسل، والحافظ البارع في ضرب العود الشريف محمد البوعناني، وعازف الكمان الحاج أحمد الوزاني، وعازف الرباب التهامي الحمار، ومحمد افداوش الذي كان ـ إلى اضطلاعه بنقر الطار ـ يلقن فن الإنشاد ويجيد العزف على البيانو والكمان.

وقد شكل الحاج عبد الله الگراوي من هؤلاء الفنانين جوقا للموسيقى الأندلسية، ظل يملأ الساحة الفنية بأسفي طيلة العقود الأولى من القرن العشرين. وقد رأسه بنفسه إلى أن وافته المنية عام 1945، فقام مقامه جوق المرحوم الحاج عبد الرحمن بلهواري.

وتجدر الإشارة إلى أن ولع الگراوي بآلة البيانو دفع به إلى إدخالها ضمن مجموعته الفنية، وبذلك شاع استخدام هذه الآلة وغدت من آكد ما تعزف عليه ألحان الموسيقى الأندلسية في مدينة أسفي.

ع. بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط. الثانية، 2000، ص. 257 ـ 259.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الكَرَّاوي، محمد** بن الحاج **محمد**، مجاهد معروف بأولاد سعيد، كان من زعماء انتفاضة الشاوية التي بدأت من أولاد سعيد منذ سنة 1903، وقاد إخوانه في عمليات الجهاد ضد جيش الاحتلال الفرنسي في معارك الدار البيضاء سنة 1907 وفي معارك الشاوية سنة 1908. كان محمد الگراوي الملقب كذلك بالكرش من أعيان أولاد سعيد وهو ينتمي لفرقة أولاد عبو، ونظرا لصلابته وصرامته فقد ولاه الفرنسيون القيادة على إخوانه بعد سيطرتهم على الشاوية.

*Villes et tribus*, t. 2.

علال الخديمي

**گرسيف**، مدينة تقع في المغرب الشرقي على الضفة اليسرى لوادي ملوية حيث يقترن به وادي ملولو بإقليم تازة، على بعد مسافة 160 كلم جنوب غرب مدينة وجدة و65 كلم شرق مدينة تازة. وأصل الكلمة أمازيغي(كانت تكتب أيضا : أجرسيف وجرسيف وأكرسيف وكرسيف) لا يكتنفه غموض كبير رغم الأساطير التي نسجت حوله، وهي مركبة من كلمة "جار" (بين) أو "اگر" (حقل ـ مزرعة ـ بستان ـ جنان...) وكلمة "أسيف" (وادي ـ نهر). ومهما يكن من أمر فموقعها

في ملتقى واديين أو بينهما، وكونها "جنة" منعزلة في ضفة وادٍ وسط سهل قاحل يرجحان هذا التأويل.

يتميز موقع گرسيف تاريخيا بوجوده في تقاطع محورين طريقيين أساسيين يربط أحدهما فاس بتلمسان، فيما يربط الأخر مليلية بسجلماسة. ولعل هذا ما جعلها مدينة قديمة على الطرق التجارية، بل أيضا على طرق الصراعات والحروب بين الممالك والقبائل، مما حرمها من النمو والازدهار طيلة قرون، لاسيما وأن موضعها وسط سهل لم يضمن لها أمنا ولا استقرارا إذ تعرضت للتخريب والتدمير عدة مرات عبر تاريخها بسبب موقعها الاستراتيجي في ممر إجباري. وهكذا امتلكها بنو أبي العافية بعد تأسيسها (أواسط القرن 3 هـ / 9 م) إلى أن فتحها يوسف بن تاشفين سنة 473، ووصفها البكري في القرن العاشر بأنها "قرية عامرة على نهر ملوية"، ثم اعترض فيها أبو بكر المريني الموحدين عام 646 لدى تراجعهم من تلمسان نحو فاس، ودارت حولها معركة بين يعقوب بن عبد الحق المريني وبين يغموراسن بن زيان سنة 666، لتصبح ثغرا مرينيا في مواجهة بني زيان أصحاب مملكة تلمسان.

كانت گرسيف تضم قصبة تعتبر من القلاع التي كان يختزن بها بنو مرين حبوبهم وهم ينتجعون بينها وبين فگيگ، قبل أن يغير عليها وينهبها أبو عنان إثر تمرد سكانها. وتوالت الغارات والنهب على گرسيف كما حدث مع أبي حمو بن يوسف الزياني الذي خربها سنة 761 (1360)، إلى أن فقدت أهميتها العسكرية بسيطرة الأتراك على المغرب الأوسط واقتصار نفوذهم على المنطقة الواقعة شرق مدينة وجدة، فتأزمت وضعيتها إذ وصفها الوزان بأنها "قصر قديم جدا في قلب الصحراء تحيط به بعض البساتين الصغيرة المغروسة بالكروم وأشجار الخوخ والتين ... منظره بشع من الخارج كأنه خربة محروقة، جدرانه متهدمة سوداء..." بعد أن كان مقر إمارة على يد أبي عنان المريني.

استسلمت گرسيف لركود طويل، إذ لم يهتم بها لا السعديون ولا العلويون، ولم تنتعش إلا مع احتلالها من قبل الفرنسيين (1912) حيث أصبحت محطة للقطار القادم من وجدة، لكن سرعان ما تم تمديد السكة الحديدإلى تازة وفاس فانكمشت المدينة على نفسها في وسط رعوي قاحل تتنقل فيه قبيلة هوارة بأغنامها الكثيرة. ولم تعرف مدينة گرسيف نموا حقيقيا إلا خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، حيث استفادت من التحولات الاجتماعية والمجالية الحديثة.

لم يتغير موقع گرسيف بقدر ما تطور حاله إذ ضمت المدينة ثكنة كبيرة وأصبحت دائرة تحكم عدة قيادات وإن بقيت في هامش إقليم بل في أقصى شرق جهة "تازة - الحسيمة - تاونات" كما بقيت على محور المرور التجاري شرق - غرب (الطريق الوطنية رقم 6 الرابطة بين وجدة والرباط)، بينما تحول المحور التجاري شمال - جنوب (الطريق الوطنية رقم 15 الرابطة بين مليلية وميدلت) فاضمحل في اتجاه جنوب المدينة الذي أصبح معظمه منتميا لإقليمي بولمان وخنيفرة ذوي الارتباط المباشر بفاس ومكناس، بينما تقوى محور مليلية بالتهريب الذي جعل من گرسيف حلقة وصل هامة بمدن الداخل. وقد ارتبط بهذا الاضمحلال اختفاء السكة الحديد التي ربطت ميدلت بگرسيف عبر أوطاط أولاد الحاج وميسور والتي لم تعمر طويلا إذ لم يبق لها أثر منذ عقود، وخاصة مع توقف استغلال عدد من المناجم.

وبموازاة هذه التطورات توسعت الرقعة الزراعية حول

المدينة رغم الخصائص المناخية والحيوية الصحراوية، إذ تكتسحها الرياح الجافة عادة بحرارة تتجاوز 40 درجة صيفا، بينما لا تحصل سوى على كمية قليلة من الأمطار لا يتجاوز معدلها السنوي 190 ملم. وقد قام هذا التوسع على تنمية الري بتجهيز دائرة مسقية سنة 1980 على مساحة 3000 هكتار اعتمادا على مياه وادي ملولو أساسا، تنتج البقول والفواكه والمحاصيل العلفية إلى جانب الزيتون الذي يعتبر المنتوج الرئيسي. وقد ساعدت خصائص الموضع في تطوير هذه الزراعات، وهي انبساط السطح في سافلة مقرن وادي ملوية ووادي ملولو غير المتعمقين والدائمي الجريان إلى جانب كون هذا السطح عبارة عن سهل متهدل يبلغ ارتفاعه 360 م، تكسوه تربة فيضية دقيقة وسميكة. وقد تجاوزت الاستثمارات الزراعية حاليا المحيط المباشر لگرسيف باعتماد ضخ مياه الآبار الكثيرة.

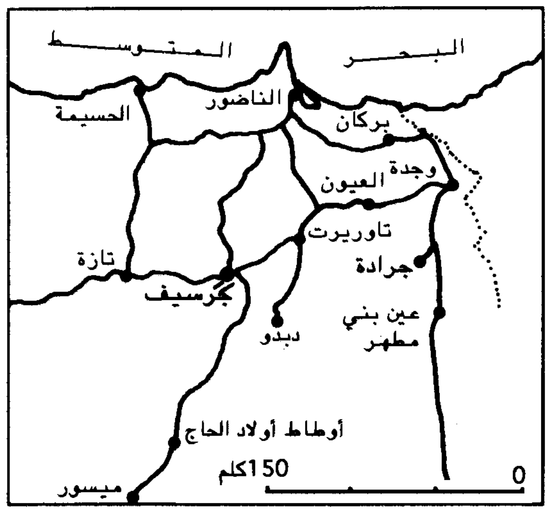


لقد كانت لهذه التحولات آثار عميقة في التعمير وفي نمو عدد السكان، فأصبحت الرقعة المبنية والزراعية على السواء ضحية المضاربات العقارية والنمو العشوائي الذي أفضى إلى وضعية يحتل فيها التعمير الذاتي ثلثي المساحة، فيما يحتل السكن الاقتصادي الثلث الآخر. فحتى الأحياء أصبحت تحمل أسماء أصولها غير الحضرية مثل "دوار ... وحرشة..." حول مركز تشكلت نواته من الحي الإداري الذي صممته سلطات فترة الحماية الفرنسية بشكل هندسي حول محطة القطار والثكنة العسكرية، إذ لم يُنجز للمدينة تصميم شمولي للتهيئة إلا في نهاية القرن العشرين. أما عدد السكان فقد نما من 5579 نسمة سنة 1960 إلى 8109 نسمة سنة 1971 ثم إلى 11340 نسمة سنة 1982 ليقفز إلى 41997 نسمة سنة 1994، حيث شمل الإحصاء بعض الأحياء الهامشية بعد إدماجها في النسيج الحضري إثر ترقية المدينة من مركز مستقل إلى جماعة حضرية باعتماد تقسيم إداري جديد عام 1992، غير أن هذا النمو ساهمت فيه أيضا الهجرة القروية واستقرار الرحل.

وبالرغم من حصول هذه التطورات، احتفظت المدينة بوظائف تقليدية تشمل أساسا الأنشطة الزراعية وما يرتبط بها من خدمات، وكذلك الأنشطة التجارية التي تدعمها السوق الأسبوعية الهامة التي تنعقد أيام الثلاثاء كما يدعمها التهريب، إلى جانب بعض الوظائف العسكرية ووجود بعض الوحدات الصناعية الغذائية والنسيجية وإن كانت محدودة، إضافة إلى كون المدينة مستقر عدد كبير من أسر المهاجرين إلى الخارج.


أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج 1.2.3.4؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، 1965؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 6؛ ليون الإفريقي الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، ط 2، 1982.

El Harradji, Guercif, analyse du milieu, Rap. 11 p. in *Schém. Dir. Assain. Guercif, Group Ingenord,* Maroc Développement, Rabat, 2002 ; G.S. Colin, Garsif, in *Encyclopédie de l'Islam*, Maisonneuve &Larose, Paris, t. 2, p. 1001, 1977.


عبد الرحمان الحرادجي

**الگرسيفي، خالد** بن **يحي** عالم صوفي، من أهل القرن الثامن الهجري، ينتمي إلى الأسرة الگرسيفية العثمانية النازحة من الأندلس. تعلم مبادئ القراءة والكتابة بمسجد مسقط رأسه أگرسيف قرب تافراوت، بعد ذلك جال في مدارس بلاد جزولة. بيد أن ما استحضرته المصادر بالأساس هو أنه لازم الشيخ الصوفي عبد المنعم الحاحي مدة من الزمن. يوصف بأوصاف تدل على علو مقامه في العلم والتصوف، وكانت له حرمة كبيرة في نفوس الناس، في إطار علاقة مشحونة بالقداسة. وكان كثير الجولات بين القبائل مع طائفته للإرشاد والوعظ، وتبقى قصائده التوحيدية والمديحية آثارا دالة على هذا المنحى من نشاطه. ولا أدل على ذلك مما ينسب للگرسيفي من كرامات تحمل نوعاً من الفعل الخارق، فمما يشاع أنه خلد جملة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" بأصبعه على الحجر بعدة مواضع: أگرسيف، وادي سموگن، امكن، أيمور، وبسبب ذلك كان له طنين في كتب التاريخ. ومن الإشارات الدالة على مكانته، هو إقدام السلطان محمد الشيخ السعدي في قصة مشهورة على إعفاء أسرته من جميع الكلف والوظائف المخزنية، بما في ذلك ضريبة النائبة.

توفي الگرسيفي عام 910.4.1505، ودفن بقرية أگرسيف.


الكرامسي، *بشارة الزائري*، مخطوط، ص. 62؛ الرسموكي، *وفيات الرسموكي*، تح. محمد المختار السوسي، 198، ص. 39.40؛ ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1976، ص. 135؛ البعقيلي، *مناقب البعقيلي*، تح. محمد المختار السوسي، 1987، ص. 13؛ الحضيگي، *طبقات الحضيگي*، تح. أحمد بومزگو، د. د. ع. 1994، الرباط، الترجمة، رقم 263؛ السوسي، *المعسول*، ج 17. 68.19.75؛ خلال جزولة، 3: 6.


أحمد بومزگو

**الگرسيفي، محمد** بن **عبد الله**. الفقيه المشهور في عهد السلطان المولى عبد الله. ولد ونشأ في اسكاور

بالأطلس الصغير. وبعد تخرجه من المدارس المحلية تزعم ثورة مهدوية ضد السلطان المولى عبد الله واستقل بسوس سنة 1147 / 1734. وقد تمكن من السيطرة على أگادير.

ويقول عنه المختار السوسي : "إن هذا الثائر هو المشهور بين الگرسيفيين في سنة 1148 في عهد أولاد مولاي إسماعيل وهو فقيه حسن المعلومات، بنى أولا مدرسة في المحل المسمى (أبوزليت) إزاء مسقط رأسه (أسكاور) [...] قال فيه مؤرخ الأسرة سيدي عبد الله بن محمد بن أحمد في كناشه : "مات السلطان بابا وسيدي عبد الله بن محمد قتل مظلوما ودفن في (تاينزرت) بسوس عام 1150" كما رأيت ذلك في بعض المؤلفات، وقد انتصر (بأكرسيف) وبايعه فيه أهل الحل والعقد فذهب مع محلته إلى الغرب. فقتل هناك بسوس، ودفن فيه وبنيت عليه قبة كبيرة".

ونستفيد من هذه المعلومات أن الكرسيفي قد استغل الفراغ السياسي الذي أحدثه ضعف المخزن المركزي، فأعلن عن ثورته في جبل جزولة، معتمدا على قوة قبائل إيداولتيث التي كانت تقف باستمرار ضد امتداد النفوذ المخزني إلى بلادهم. وقد سيطر الگرسيفي على جبل جزولة، وعلى ما يحتويه من ثروات طبيعية معدنية وبشرية. ثم بعد ذلك مد نفوذه إلى أزغار بانتصاره على قبائله (أكرسيف وتزنيت وآيت جرار...) وهي في أغلبها تنتمي إلى حلف تحكات. واتجه إلى قبائل ماسة وأشتوكن التي غالبا ما تشايع السلطة المخزنية بتارودانت. ونظرا لضعفها استطاع الگرسيفي استمالتها إلى جانبه، مخترقا بذلك وادي سوس، متوجها إلى أگادير الذي كان يهدف من وراء السيطرة عليها التحكم في مينائها والتعامل مع الأوربيين تجاريا وسياسيا.

ويسود الغموض بعض جوانب هذه الثورة، حيث تشير النصوص إلى وصول المولى عبد الله إلى تارودانت، في نفس السنة التي وقعت فيها هذه الثورة، كما أن الگرسيفي انتقل من أگادير إلى رأس الواد مارا بقبائل هوارة، الشيء الذي أدى إلى وقوع صراع بينه وبين هذه القبائل. ويشير الضعيف إلى أن المولى عبد الله كان مستقرا بتارودانت في هذه الفترة، دون أن يخبرنا عن رد فعله تجاه الگرسيفي، ولا إلى طبيعة العلاقة بينة وبين الگرسيفي.

أما المصادر الأوربية فهي، على العكس من ذلك، تفيدنا بمعلومات دقيقة حول هذه الفترة وعن هذه العلاقة، حيث وردت رسالة من عند مونطانيي (Montanié) من جبل طارق مؤرخة في 12 يوليو 1737 تقول : "في سان كروا ببلاد البربر، علمنا أن أحد الصلحاء الذي يوجد على بعد ميلين من هذا المكان، قد دخل بالقوة إلى سان كروا مع جيش قوي، وقام أولا باعتقال 9 من أعيان المدينة [...] وربطهم بالسلاسل، ووجههم إلى تارودانت في إشارة منه إلى المولى عبد الله [الذي يحكم تارودانت] معرفة سبب مقتلهم قائده. وقد نشر هذا الصالح في سان كروا أن مولاي عبد الله هو السلطان الحقيقي، وأنه رخص له في التجارة وخاصة معالجة نحاس تانكولت والصمغ".

فمن المؤكد أن الگرسيفي احتل مرسى أگادير، في الوقت الذي كان فيه مولاي عبد الله بتارودانت. ويبدو أن العلاقة بينهما كانت في البداية طبيعية، حيث كان الثائر يعترف بسلطة السلطان ـ كما جاء في التقرير ـ طالما أنه رخص له بالتبادل التجاري مع الأوربيين في مرسى أگادير. غير أنه لم يمر سوى أقل من شهر حتى أعلن الگرسيفي نفسه سلطانا على المنطقة. وانتقل إلى تارودانت التي غادرها مولاي عبد الله، كما تشير إلى ذلك رسالة أخرى من مونطانيي (Montanié) مؤرخة في 25 غشت 1737 تقول : "إنه حسب رسالة من سان كروا علمنا أن الصالح والمسمى المرابط، والذي دخل إلى هذا المكان نصب نفسه ملكا على مملكة سوس، التي تتبع له سان كروا. كما أنه أطلق سراح الأعيان التسعة الذين كان قد اعتقلهم، وأنه خفض الرسوم الجمركية إلى 3٪ مما شجع كثيرا التجارة هنا. وأن عاصمته هي تارودانت والتي كانت مقر المولى عبد الله الذي تحصن بها منذ هروبه من مكناس. ولم يعد يسمع عنه أي شيء، ولا نعرف أين ذهب".

ويبدو أن مولاي عبد الله لا يتوفر على قوة ضاربة لقهر الگرسيفي، ولذلك فضل الانسحاب من تارودانت على مواجهة عسكرية. وحسب صاحب *تذكرة النسيم* فإن مولاي عبد الله انتقل إلى السودان حوالي سنوات 1734 ـ 1736 وحصل فيها على بعض المساعدات.

وبعد يومين من المراسلة الأولى تخبرنا مراسلة أخرى مؤرخة في 27 غشت 1737 بأن : "الصالح الذي ثار في السواحل الجنوبية، بدأ يتسع نفوذه، ولقد اعترف به في مراكش".

وفي مراسلة ثالثة من نفس الشخص، بعد شهر من المراسلة الثانية، مؤرخة في 27 سبتمبر 1737 جاء : "أنه وصلت من سان كروا سفينة إنجليزية The Betty وحملت لنا أخبارا جديدة من ذلك المكان بواسطة قائدها Mordacay Wharton تفيد أن التجارة قد انتعشت بها، وأن الصالح أو المرابط الذي نصب نفسه ملكا على مملكة سوس والمقيم في تارودانت يسمى محمد بن عبد الله، وأنه شجع كثيرا التجارة، ونتمنى أن يستمر في الحكم".

وقد استمر حكم هذا الثائر لسوس حوالي ثلاث سنوات، عرفت خلالها الحركة التجارية ازدهارا كبيرا بشهادة التجار الأجانب أنفسهم. بل إن التقارير الأجنبية تفضله كحاكم لسوس، بحكم الامتيازات التي قدمها للأوربيين. ومنها تزويدهم بالمواد السوسية كالنحاس واللوز والجلود، والمواد السودانية كالصمغ وريش النعام والذهب، مع تخفيض الرسوم الجمركية.

ومع ذلك فإن حكمه لسوس لم يدم طويلا، إذ من الصعب التحكم في سوس بمعزل عن التمكن في كل الخيوط المتشابكة لحلفي "تحكات" و"تاكوزولت". فقد استطاعت قبائل هوارة المتحالفة عادة مع حلف "تحكات" من وضع حد

لهذا الثائر - حسب ما جاء عند الضعيف -. غير أن النص الذي أورده، يكتنفه بعض الغموض والأخطاء. فالضعيف يشير إلى أن الكرسيفي قتل في نفس السنة التي ظهر فيها، في حين أن مؤرخ الأسرة الكرسيفية يشير إلى أن والده "مات السلطان بابا وسيدي عبد الله بن محمد. قتل مظلوما ودفن في (تاينزرت) بسوس عام 1150 " أي بعد حوالي ثلاث سنوات من ظهوره.

وكيفما كانت طبيعة مقتله، فإنه كان مظهرا من مظاهر الصراع بين الحلفين المتصارعين. فالكرسيفي كان يعبر بالأساس عن تطلعات حلف تاكوزولت، على اعتبار أن جذور ثورته ترجع إلى قبائل إيداولتيت، وبالتالي فإن الحلف الآخر المعارض، يحاول قدر الإمكان النيل من زعيمهم، كلما كانت الظروف مناسبة... وكان الكرسيفي يتصرف على عادة السلاطين والمخزن، كما أنه عين في المناطق التابعة له عمالا ينفذون أوامره، لكننا لم نعثر على ما يفيدنا عن نظريته في السلطة، هل كان يعتبرنفسه أميرا للمؤمنين، وبالتالي فإن تطلعاته ستتجاوز منطقة سوس.

وقد أرسل بدوره ظهيرا حرر به أهله وذويه من الكرسيفيين جاء فيه : "كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره وأشرف في سماء العالي شمسه المنيرة وبدره، بيد حملته المتمسكين بالله تم به السادات الأجلة والدور الآهلة سادتنا المعظمون القدر المرابطون ءال "أكرسيف" وأهل "تادارت" وأهل "أمرخيس" وأهل "أكرضان" وأهل "إيليك" وأهل "إكيوز" وأهل "تيمكيدشت" وسيدي عبد المنعم وإخوانه من "إيرغ" وغيرهم من كافة أولاد سيدي أبي يحيا. ومن انضاف إليهم من سكانه وحيازتهم على يد عمنا البر سيدي علي بن عبد الرحمن بن بلقاسم بن عبد الله الكرسيفي. يتعرف من يقف عليه بحول الله وقوته وشامل يمنه وبركته. أننا وقرناهم واحترمناهم وأسقطنا عنهم جميع التكاليف المخزنية والوظائف السلطانية والحركة ولوازمها وغير ذلك، فلا يقرب أحد ساحتهم بوجه ولا بحال رعيا لوجه الله الكريم وضعفهم ومسكنتهم ونسبتهم لجانب الله وتدريس العلم، ووقوفهم على حدود الله وتمسكهم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، واتباعهم لطريق أسلافهم. رحمهم الله وقدس أرواحهم وأسكنهم في أعلى عليين (...) وعلى الواقف عليه من أحبتنا ومن عمالنا أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه ولا بد ومن قرب ساحتهم أو حام حماهم فلا يلومن ولا يضرن إلا رأسه والسلام. وكتب في الثاني والعشرين في شعبان عام 1150 (مع الطابع عليه بأعلاه) والأصل في تيمكديشت".

ونفهم من هذا الظهير أن الكرسيفي، رغم تبنيه فكرة المهدوية كمطية للوصول إلى السلطة، فإنه لم يخرج عن دائرة إعادة إنتاج كل مظاهر المخزن. وحتى المصطلحات المستعملة لا تخرج عن القاموس المتداول في ممارسة السلطة.

ويبدو أن مقتله لم يكن ناتجا عن معركة بين جيوشه وبين قبائل هوارة، ولكنه ناتج عن ترصد واغتيال. ولربما يكون ذلك بإيعاز من مولاي عبد الله، أو بمبادرة من قبائل هوارة نفسها بغية التصالح مع السلطان، بعد وقوفها أمام المخزن وانهزامها أمام ابن ريسون قائد مولاي عبد الله سنة 1147 / 1734.

وكيفما كان الأمر فقد نقل أهل تارودانت بشرى مقتل الكرسيفي إلى مولاي عبد الله وهوفي تدلا في شوال من سنة 1150 (يناير / فبراير 1738).

وهكذا انتهت ثورة الكرسيفي في سوس، بعد سيطرته على الإقليم لمدة ثلاث سنوات. وتدخل حركته ضمن الحركات المهدوية وثورات الفقهاء السوسيين الذين يعتمدون على مقولتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد طبقها الكرسيفي عند دخوله أگادير زاعما أنه المهدي صاحب الأمر. ولعل ظهور هذه الحركات المهدوية ترجع، كما ذهب إلى ذلك محمد الأمين البزاز إلى الظروف الاجتماعية القاسية الناتجة عن انتشار الأوبئة والمجاعات في قوله : "إذا كان الجوع أو الطاعون علامة على الغضب الإلهي لانتشار الظلم وتفشي الفساد فهو أيضا حنين إلى المهدي المنتظر الذي سيخلص الناس من الشرور والآثام. ولم يكن من قبيل الصدفة بالفعل أن تتزامن المجاعة مع ظهور حركة مهدوية بسوس عام 1738".

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 17، مطبعة النجاح، 1963 ؛ م. الرباطي الضعيف، *تاريخ الضعيف* ، تح. محمد العماري، دار المأثورات، 1986 ؛ م. الأمين البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات في المغرب*، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1992.

Chantal de la Véronne, *S.I.H.M*, t. IV.

محمد حنداين

**كرضيلو، الفقيه** (سيدي -) **مَحمد** بن عبد العزيز البلنسي الأندلسي المعروف كذلك بابن عزوز، هو قاضي مدينة أسفي وأحد مشاهير علمائها وأدبائها خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري. ينحدر من أسرة أندلسية بلنسية استقرت بأسفي منذ زمن قديم. ورغم مهامه المتعددة في ميدان القضاء وانشغاله بالتأليف والإبداع فإن العالم كرضيلو كان يحرص على تدريس وتربية الأطفال شخصيا. ولقد ترك عددا من القصائد الشعرية والمؤلفات في الحساب والفلك والفقه والأدب، أذكر منها على الخصوص :

- إرشاد السائل إلى معرفة جهة القبلة بالدلائل (1142). ألف الفقيه هذا الكتاب استجابة لطلب تلاميذه وخاصة منهم العالم الميقاتي السيد الطيب بن عبد الله ابن ساسي الأسفي موقت السلطان سيدي محمد بن عبد الله وصاحب التآليف في علم الفلك، منها على الخصوص "رسالة في تفسير جداول توقيتية" وهي دراسة في التوقيت على عرض مراكش، وله كذلك "رياض الأزهار في معرفة الليل والنهار" (1195). وقد ذكر القاضي كرضيلو في "إرشاد السائل..." من بين أشياخه العالم سيدي مَحمد بن علي الهشتوكي وكذلك العالم سيدي عبد الله بن ساسي والد السيد الطيب ابن

ساسي المذكور. ومعلوم أن سيدي عبد الله ابن ساسي كان عالما ومربيا ومدرسا وأن له عدة مؤلفات في علم الفلك نذكر منها على الخصوص "الكوكب اللامع في العمل بدوائر المطالع" (1112). وكان قبر هذا العالم حتى العقد الثامن من القرن العشرين مزارة مشهورة في أسفي يقصدها الزوار وخاصة من كان يشكو من كثرة النوم أو قلته، فيقف الزائر بحذاء قبر العالم الميقاتي ويقول :

"يا سيدي ابن ساسي اعطيني نعاسي على قياسي !"

- العمل بربع الدائرة" (1145)
- "شرح رجز في منازل القمر"
- "منظومة في آداب معلمي الأطفال" التي شرحها الفقيه سيدي محمد التريكي الأسفي قبل عام 1336 (1918) بقليل.

ويغلب الظن أن ذرية الفقيه كرضيلو هي التي تعرف حاليا في أسفي باسم ابن عزوز، وهي دون عائلة ابن عزوز الأخرى التي أصلها من غياث بعبدة والتي أنجبت هي كذلك العديد من الأعيان والعلماء.

توفي القاضي سيدي مَحمد بن عبد العزيز كرضيلو بأسفي ودفن - حسب الفقيه التريكي المذكور - تحت كوة ضريح سيدي عبد الرحمن مولى البيبان في تل الفخارة، غير أن تاريخ وفاته غير معروف.

م. الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ أحمد بن محمد الصبيحي السلاوي، *باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة* ، تقديم وتعليق ع. الرحيم العطاوي ومحمد الظريف، مطبعة الأنباء، 1994.

D. Lamrabet, *Introduction à l'histoire des mathématiques maghrébines*, Dar Najah El Jadida, Casablanca, 1994.

**كرضيلو، الهاشمي** بن **مَحمد** بن عبد العزيز البلنسي الأندلسي المدعو ابن عزّوز. هو ابن القاضي سيدي مَحمد بن عبد العزيز كرضيلو، تولى قضاء مدينة أسفي ونواحيها أواخر القرن الثاني عشر الهجري. يقول عنه الكانوني : "الفقيه الأجل العلامة المفتي الخطيب الوجيه القاضي العدل ..." وكان الفقيه الهاشمي كرضيلو أديباً كذلك وشاعراً رقيقاً. ولقد أتى الكانوني ببعض أبيات من شعره في الجزء الثاني (المخطوط) من *جواهر الكمال*.

توفي بأسفي عام 1203.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج 2، مخطوط.

عبد الرحيم العطاوي

**الگرفطي، أحمد** بن **إبراهيم** أصله من قبيلة بني گرفط من أعلام القرن العاشر الهجري وعلمائه. عاصر الحكم الوطاسي وأمراء بني عبد الحميد العروسيين، الذين كانوا قد حولوا القصر الكبير إلى إمارة شبه مستقلة لاتدين للوطاسيين إلا بالسيَّادة "الاسمية"، كما أنه عايش وعاصر مجموعة من علماء القصر الكبير، أمثال محمد الخباز وعلي اللخمي ومحمد بن علي الخطيب العكبري القصري وغيرهم.

كان ابن عسكر الشفشاوني قد عاصر وجوده بالقصر الكبير وأورد ترجمة موجزة لهذه الشخصية العالمة في *دوحة الناشر* يديلها بقوله : "ومنهم الفقيه الصدر الوحيد المدرس المفتي الشيخ أبي العباس أحمد بن إبراهيم الكرفطي، كان رحمه الله وقوراً نزيها ذا هيبة.

حظي الگرفطي بمكانة ممتازة عند أمراء بني عبد الحميد فاقت منصب القضاء أهمية، إذ تولى منصبا أرفع وهو خطة الفتوى، مما يدل على نباهة وقدرة الرجل في مجال الفقه وفروعه، وقد نقل عنه الأستاذ حجي وصفاً جيداً، إذ وصفه بقوله : "متضلعا في الفقه عارفا بالنوازل منتصبا للفتيا. ويؤكد ذلك ما قاله ابن عسكر : "كان أمراء بني عروس يعظمونه غاية التعظيم ويضاهون به في الفتوى فاس".

التزم الفقيه والمفتي الگرفطي بالتدريس، وكان يحضر مجلسه أنبه الطلبة والعلماء لما كان عليه من علم غزير، فهو يدرس الفقه والحديث والتفسير وكتب الفروع، ولم تثن مهمة التدريس الموسوعي الگرفطي عن المشاركة في حركة الجهاد ضد المحتل البرتغالي كبقية علماء القصر في تلك الفترة، وهذا يؤكده الأستاذ حجي إذ يقول : "كان كثير من علماء هذه المدينة (القصر الكبير) يوزعون أيامهم بين التدريس في المساجد والمدارس وبين الخروج للجهاد والإقامة بالرباط، من هؤلاء أحمد بن إبراهيم الگرفطي.

ويورد محمد بوخلفة القصري مجموعة من المؤلفات خلفها الفقيه الگرفطي وهي موجودة بالخزانة الحسنية بالرباط، ومنها فتاويه في الأوقات وغيرها (وهي تحت رقم 483)، كما يرى أن الگرفطي خلف أسرة علمية بمدينة القصر الكبير، حيث ذكر حفيده العدل عبد السلام بن محمد بن أحمد الگرفطي، الذي اشتغل بالعدالة والتدريس، إذ هو كاتب وثيقة استرجاع العرائش وغنيمتها، والذي أشهد على القواد المجاهدين زمن السلطان المولى إسماعيل عام 1101، مشيراً إلى أن نص الوثيقة يوجد بكتاب "*الطريق لمعرفة القصر الكبير*".

توفي الفقيه المفتي أحمد بن إبراهيم الگرفطي في حدود 953، ودفن برباطة شيخه أبي الحسن علي بن خلف بن غالب القرشي بخارج باب سبتة.

عبد الوهاب بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، ج 5، الرباط، 1990؛ م. بن عبد الرحمان بن خليفة، *أعلام القصر الكبير*، طنجة، 1994 ؛ م. بن عسكر الحسني الشفشاوني، *دوحة الناشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1977 ؛ محمد عبد السلام بوخلفة، *المدارس والتعليم بمدينة القصر الكبير من بداية القرن 6 هـ ومابعده*، مارس، 1989 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية في عهد السعديين*، الرباط، 1977؛ *الطريق لمعرفة القصر الكبير*، تطوان، 1972.

الحسين البعاوي

**الكرم** ، إذا كان العرب قد اشتهروا بالكرم منذ العصر الجاهلي وبرز من بينهم حاتم الطائي كأكرم العرب على

الإطلاق حتى سار مثلا وحكمة تذكر كلما ذكر الكرم، فإن أهل المغرب الأقصى ومنذ العصور الغابرة كانوا لا يقلون كرماً عن العرب ؛ وترجع أولى الشهادات عن كرم المغاربة إلى زائريه الأوائل القادمين من المشرق سواء في إطار الفتح الإسلامي أو في إطار التجارة والرحلة ومنهم على سبيل المثال التاجر البغدادي ابن حوقل فقد ذكر في كتاب صورة *الأرض* : "... وأكثر بربر المغرب الذين من سجلماسة إلى سوس إلى أغمات وفاس ... يضيفون المارة ويطعمون الطعام..."

ولم يكن الكرم مقتصراً على البوادي بل كان متأصلا في المدن على اختلاف مواقعها الجغرافية بشهادة رحالة آخر معاصر لابن حوقل نقل عنه البكري في كتابه *المغرب* عن مدينة مليلية : "... مدينة مليلة وهي مدينة مسورة ... ويسكنها بنو ورتدى وهم يقترعون على من يدخل عندهم من التجار فمن أصابته قرعة الرجل منهم كان تجره على يده ولم يصنع شيئاً إلا تحت نظره وإشرافه فيحميه عمن يريد ظلمه...".

استمرت خصال الكرم في المغاربة إلى اليوم ويمكن تتبع ذلك موثقاً عبر مختلف العصور فإذا كانت الإشارات الأولى ترجع إلى الفتح الإسلامي وما قبله فإن الاستمرارية مسجلة خاصة بعد مجئ القبائل العربية الهلالية والمعقلية واستقرارها بالمغرب فانضافت إلى خصال الكرم المغربي الأصيل خصال العرب في الكرم وأصبحت أعرافاً وأخلاقاً مترسخة في المجتمع المغربي. ولابد من ذكر نموذجين بالمناسبة أحدهما لا يختلف عن حاتم الطائي : "... يحي ابن بكار الغمدي هو في جبل ويلان بمكان سمي الغمد على مرحلة من فاس ينسب إل بكار أيام الشيخ أبي مدين الذي أشار على بكار أن يترك حوز تازة إلى جبل ويلان وذلك بعد أن أكرم بكار الشيخ وذبح له بقرته الوحيدة رغم أنه كان فقيراً..."، أما النمودج الثاني فجاء في *وصف إفريقيا*، وليس الوحيد في الكتاب : "بولعوان مدينة صغيرة مبنية على ضفة نهر أم الربيع بها نحو 500 كانون كان يسكنها عدد من النبلاء الكرماء تقع في منتصف الطريق بين فاس ومراكش وقد شيد هؤلاء السكان بناية من عدة غرف ... يستضاف فيها المارون بالمدينة بإكرام على نفقه السكان...."

هذا ما تردد في المصادر على اختلاف أنواعها وهو القليل. أما ما تتناقله الرواية الشفوية ويُحكي في الأداب الشعبية فلا حصر له من النوادر والقصص والخوارق المتعلقة بالكرم عند المغاربة وتحتاج إلى معالجة مستقلة قد تصنف في مجلدات ؛ والكرم أنواع. ما عرضنا له هو الكرم الخالص لا يراد به جزاء، ولا شكور، ومن الكرم ما تعلق بالمباهاة وبالتقرب من ذوي الحيثيات ومنه ما تعلق بإظهار العظمة والسلطة وفيه استفزاز لمشاعر الفقراء والمحتاجين ووسيلة من وسائل القمع والإكراه ونحصى هنا نوعين بصفة خاصة كرم الزوايا (الطرق الدينية) وكرم المخزن ورجالاته.

فعن الصنف الأول نورد مثالاً ذكره صاحب *"دوحة الناشر"* وقال إن صاحبه وهو : "أحمد بن عبد الله بن حسين الأمغاري ... كان ذا كرم وسخاء وعلو همة... بلغ الكرم بأحمد الأمغاري هذا حداً جعله بذبح 700 شاة و200 بقرة و20 جملا بين يوم وليلة في زاويته للقوم الذين أتوا لزيارته وهم 12500 شخص مات في 925 ...".

وعن الصنف الثاني نورد نموذجاً مخزنياً مما كان يعرف بالقياد وهم سلطة جهوية ترتكز على المخزن وقد اشتهر منها في الجنوب المغربي عدد كبير نذكر منهم هنا عيسى بن عمر العبدي "... كان أسطورة في الكرم والجود والسخاء ... ويذكر أحد الأجانب ممن استضافهم القائد أن داره كانت تذبح يومياً ثوراً واحداً و20 خروفاً ومئات من الدجاج يهيء بلحومها ألواناً شهية من الأطعمة... تقدم في أوان زاهية من "الطاووس" الثمين وتستتبع بشاي رفيع يوزع في كؤوس من البلور النادر ...".

الكرم "الرسمي" كان مجال تنافس ما بين المخزن المركزي والجهوي والمحلي وما بين الزوايا والطرق الدينية أي ما بين السلطتين الدنيوية السياسية والدينية الطرقية منذ أن تعارض التصوف والسلطة خلال العصر الوسيط وما بعده ويمكن أن نلمس بقايا الظاهرة إلى يومنا هذا ؛ ولا بد من ايراد نموذج عن هذه المنافسة إبان أوجها :

"عبد الله الكوش المراكشي من أصحاب الشيخ عبد الكريم الفلاح ووكيله على إطعام الطعام وروي عنه أنه لما آلت إليه المشيخة حسب ما روى بعض من شهدوا ذلك للمؤلف أن قدور مطبخته الكبرى يطبخ فيها ثوران مرة واحدة ويذبح في كل يوم البقر والغنم والإبل وعنده بلاط مجصص يبرد فيه الكسكس بالألواح كما يفعل بصابة الزرع عند التدرية والتصفية .. وبعد ذيوع صيته تخوف منه السلطان محمد الشيخ (الوطاسي) وأمر بإخلاء زاويته ...".


ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن، 1938 ؛ البكري، *المغرب*، باريز، 1965 ؛ ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط، 1976 ؛ إعداد الأسعد، *تاريخ إقليم آسفي* ، الدار البيضاء، 2000 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ، الرباط، 1980 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، دار الكتاب العربي، القاهرة، بدون تاريخ ؛ ابن خلدون، *العبر*، دار البيان، بيروت، بدون تاريخ ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية*، الرباط، 1979 ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل*، كلية الآداب، الرباط.


محمد حجاج الطويل

**گرناوي، المختار** بن **محمد** مقاوم ولد سنة 1935 بابن أحمد إقليم سطات، أُجبرت أسرته على الرحيل إلى الدار البيضاء خلال الأربعينيات، بفعل أوضاع البادية المغربية. انضم بعد انطلاق العمل المسلح المنظم إلى منظمة الهلال الأسود للمقاومة، وقد استشهد برصاص جنود سود من أولئك الذين كان يطلق عليهم لقب "ساليگان" اعتقاداً في انتمائهم للسنغال وحدها، وذلك لما كان يحاول إطلاق

رصاص مسدسه على ضابط فرنسي بدرب الكبير في المدينة الجديدة بالدار البيضاء، فتعطل سلاحه، وسقط شهيداً في الحال يوم 11 يوليوز 1955.

العربي رشدي، شهادة خال الشهيد ؛ *لوبوتي ماروكان ولافيجي ماروكان*، صحف الأسبوع الثاني من يوليوز، 1955.

محمد وحيد

**الكرنب** أو علميا بْرَاسِيكَا أولِيرَسِيَا Brassica Oleracea هو أحد الخضروات العشبية ذات الأهمية البالغة. وقد عرفت ضروبه العديدة منذ أقدم العصور، وتزرع حالياً في جميع أنحاء العالم.

يتميز الضرب المعروف والشائع من الكرنب بسيقانه القصيرة بدرجة تجعل المجموعة الكبيرة من الأوراق الغليظة تتجمع على شكل رأس.

يزرع الكرنب في جميع أنحاء المغرب وخاصة في السواني بضواحي المدن.

إضافة إلى استعماله كخضر طازجا أو مطبوخا يستخدم الكرنب في بعض حالات التطبيب التقليدي.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, 1997, 779 p.

عبد المالك بنعبيد

**كرني** (Kernè) هي الجزيرة الإشكال التي تحدث عنها العديد من الكتاب القدماء ولازالت إلى اليوم تسيل الكثير من المداد حول موضعتها وتسميتها. فهي مشكله من الحروف التالية : K.R.N عند باحثين وبذلك فمعناها (Cap) قرن ورأس. وهي عند آخرين آخر محطة، ودار أخيرة، وهي البعيدة والنائية.

ومهما كانت حدة الخلاف حول التسمية وسواء كتبنا حرفها الأول "سينا" كما فعلنا مراراً أو "كافا" إذا اعتمدنا النطق اللاتيني فإن الحدة لن تصل إلى مستوى التأجج الذي ارتبط بالموضع كما أسلفنا قوله. ترى ما هي نوعية المعلومات التي تقدمها المصادر القديمة حول هذا الموقع وهل يمكن تقريب الهوة بين آراء الباحثين المعاصرين ؟

تعد رحلة القرطاجي حانون (القرن 7 ق. م) أقدم مصدر وردت ضمنه المعلومات المتعلقة بكرني، فهي إحدى المحطات التي وصل إليها القرطاجيون بعد إنشائهم لسلسلة مستوطنات وراء الأعمدة. وقد أثار حانون بمعلوماته هاته اهتمام الكتاب قدمائهم ومحدثيهم.

وإذا كان الجغرافي سطرابون (القرن الأول قبل الميلاد) اعتمد موقفا محايدا بل موقف النفي إذ بعد لأي انتهى إلى القول بأنه لا توجد كرني بأي مكان، فهذا لم يمنع المؤلفين القدماء من البحث عنها. فالموسوعي اللاتيني بلين القديم ومن ساروا على دربه جعلوها بالطرف الشرقي للقارة الافريقية في حين هي عند أغلبية الكتاب بالطرف الغربي للقارة الافريقية. فالرحالة الإغريقي سيلاكس المزعوم (القرن 4 ق. م) وضح أهميتها في التبادل التجاري بين الفنيقيين وساكنتها من العناصر الأثيوبية وتحدث عن أبعادها وحددها تارة وراء واد كسيون وجعلها تارة أخرى على بعد إثني عشر يوماً من البحار وراء الأعمدة بل هي آخر نقطة يمكن الأبحار إليها وراء الأعمدة. واعتبر بلايفطوس (Palaephatos) تلميذ الفيلسوف أرسطو بدوره العناصر الكرنية أثيوبية وقال بوفرة الذهب عندهم وحدد مجالهم وراء الأعمدة في مقابل قرطاج (كتابه حكايات لا تصدق (Histoires incroyables). ومادة التبر هي أبرز بضاعة تقايض القرطاجيون بها مع الأهالي وراء الأعمدة كما ذكر هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) ولكن لم يذكر اسمهم.

ولكن أوسطاط (Eustathe) نقلا عن هيرودوت قال : "يحكي لنا هيرودوت بأن الاثيوبيين هم أكبر وأجمل البشر وبأنهم يأكلون اللحم المطبوخ ويشربون اللبن وبأن الذهب وفير عندهم".

كرني هي موطن الأطلسيين وليس الأثيوبيين حسب المؤرخ والرحالة الأغريقي بوليب (Polybe) ومجالهم عند نفس المؤلف مقابل أطلس بطرف موريطانيا (تسمية المغرب قديما).

تتأكد نفس المعلومات عند المؤرخ ديودور الصقلي عندما يعتبر الأطلسيين أكثر أقوام ليبيا (قارة إفريقيا) حضارة وبأن بلادهم أكثر ازدهاراً، وبيّن امتلاكهم لمدن كبيرة عَرَّفنا باسم إحداها وهي كيرني. وانفرد بقول أن النساء الأمازونات استولين عليها في هجومهن على بلاد الأطلسيين (حول الأمازونات أنظر مجلة *أمل*، عدد 13 / 14، 1998، ص. 19 - 25). وأشار نفس الكاتب إلى كون اسم الأطلسيين مشتق من اسم ملكهم أطلس. فموقع كرني وفق المصادر المذكورة يتأرجح بين وسط المغرب وجنوبه.

ترى أين وضع الباحثون المعاصرون هذه الجزيرة ؟

لقد أضحت كل نقط الساحل الأطلسي قابلة لاحتوائها بدءا من جزيرة سيدي يوسف عند مصب نهر سبو ووصولا إلى الساقية الحمراء، بل هناك من تجاوز بها المجال المغربي ليوطنها بالخليج الغيني. ولكن إذا استعرضنا أسماء الكتاب

المعاصرين الذين طابقوا بين كرني وجزيرة موگادور سنفاجاً بكثرتهم، ولا غرابة في ذلك مادامت هذه الجزيرة هي آخر موقع قرطاجي كشفت الحفريات الأثرية عن قدم تعميره إذ لا يضاهيه على الساحل الأطلسي إلا موقع ليكسوس الشهير الذي لا يطرح مشاكل التوطين ولا مشكلة التسمية فمهما حورت فهي لام وكاف وسين.

ب. بلكامل، *الصويرة في عصورها القديمة من خلال الكتابات التاريخية*، الصويرة، 1990 ، منشورات جامعة ابن زهر، أگادير، 1994 ؛ مفارقات المصادر الأدبية والأثرية حول مواقع ما قبل الإسلام بالمغرب، *البحوث*، ع 6، 1995، ص. 175 . 181.

البضاوية بلكامل

**گروان** (قبيلة -) أو جروان إسم جمع بالبربرية، مفرده أگراو. وهو اسم لقبيلة گروان التي يوجد موطنها حاليا غرب مدينة مكناس. وقد ورد ذكر هذه القبيلة لأول مرة في كتب التاريخ، في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي على لسان صاحب المقتبس من كتاب الأنساب. وكانت تشكل في هذه الحقبة فرقة من بني صطاط، أحد أفخاذ صنهاجة القبلة وكانت هذه القبائل تنتشر في هذا التاريخ في مناطق الجنوب خلف جبال الأطلس. ولا نستطيع بالضبط تحديد المجال الجغرافي الذي كانت تحتله گروان في هذه الفترة. إلا أنه من المؤكد أنها استقرت في أعالي زيز لمدة غير يسيرة من الزمن، حيث يوجد قصر يحمل إسمها إلى الآن. ويظهر أن قدومها إلى تلك المنطقة، قد تم في مرحلة متأخرة، وواكب هجرة قبائل آيت إدراسن التي خرجت من الصحراء الغربية في اتجاه الشمال الشرقي، مع قيام الحركة المرابطية، ومع أوائل القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، اضطر الگروانيون، كغيرهم من قبائل واحات الجنوب الشرقي، تحت ضغوط اقتصادية وبشرية، إلى استئناف الهجرة نحو الشمال. فعندما تحدث صاحب الإحيا والانتعاش عن مجاعة 1071 / 1660 ذكر أن قبيلة گروان قد فرت مع كثير من القبائل من بلاد أزغار إلى واحات الصحراء. ولم تعد منها إلا في السنة الموالية عندما سمعت بخصب بلاد الغرب وأزغار وتادلا. ويرجع تاريخ استيطان گروان في أزغار وبالضبط في مدينة الديلاء، إلى عهد محمد الحاج الديلائي (1046 / 1637 1071 / 1660). فقد أصبحت هذه القبيلة، تشكل مع آيت إيدراسن، ومجاط، وآيت يمور، وبني مطير، عصبية الإمارة الديلائية وحميتها. إذ تمكن هذا الأمير بواسطة تلك القبائل من امتلاك أهم مناطق المغرب لمدة تنيف عن ربع قرن. إلا أنه في سنة 1094/ 1683 على إثر الحملة العسكرية التي جردها مولاي إسماعيل على صنهاجة فازاز (الأطلس المتوسط)، اضطر الگروانيون إلى الفرار بأنفسهم من جديد، نحو الجنوب الشرقي. فقد ورد في مخطوط نشره أحد الضباط الفرنسيين، أن گروان أيام هذا السلطان، كانوا يعيشون في منطقة الجنوب الشرقي. وإلى ما يقرب من هذا أشار مارتان (Martin)، استناداً إلى وثائق محلية، أن هؤلاء القوم كانوا، إلى عهد السلطان مولاي عبد الله، ما يزالون يعيثون فساداً في واحات تافلالت، ويسطون على القوافل التجارية المتنقلة صوب توات. ومع أوائل عهد ابنه سدي محمد، اتجه الگروانيون من جديد نحو الشمال، ودخلوا في منافسة شديدة مع آيت إدراسن الذين أنزلهم السلطان بأحواز مكناس ونفذ لهم الأرض هناك. ويظهر أنهم قد استغلوا الفراغ الذي نجم عن نزول الإيدراسنيين إلى السهول، وصاروا يغيرون عليهم من الخلف، ويتطلعون بدورهم إلى التسلل إلى المراعي الدافئة، واقتطاع نصيب من أرض سايس الخصبة. وللوصول إلى هذه الغاية، استعانوا في سنة 1172 / 1761 بالأوداية وأنزلوا بجيرانهم هزيمة كبيرة وأخرجو هم من بلادهم. ولصد گروان وغيرهم عن المنطقة، طلب السلطان سيدي محمد بن عبد الله من والي مكناس عقد حلف بين آيت إدراسن وآيت يمور، وأمر العبيد بنصرتهم. وقد نشبت بين الفريقين في سنة 1173 / 1760 ، حرب فظيعة انتهت بانتصار حلف آيت إدارسن وآيت يمور والعبيد، وانكسار شوكة گروان والأوداية. إلا أنه عندما تجبر آيت إدراسن على السلطان، وخرجوا عن طاعته في سنة 1179 / 1766 ، شارك الگروانيون والودايا إلى جانب العبيد في حرب أعدائهم بالأمس واقتصوا منهم، وهزموهم شر هزيمة وقد وردت في الحوليات التاريخية في الفترة السليمانية، أخبار كثيرة عن انتفاض گروان وحروبها مع جيرانها آيت إيدراسن. ويتضح من تلك الإشارات أن هذه القبيلة قد وقعت في هذه العهد بين كماشتين. فكان عليها أن تواجه ضغط قبائل آيت أومالو التي كانت تسعى إلى النزول إلى السهول من جهة، ومن جهة ثانية، كان عليها أن تصمد في وجه الحركات السلطانية ومضايقة آيت يمور وآيت إدراسن ولم تستقر گروان في موطنها الحالي، على ما يبدو إلا في عهد مولاي عبد الرحمان. فبعد أحداث معركة ضيان (زيان) (1234 / 1819)، واستمرار هيجان القبائل، أقدم هذا الأخير على نقل ملوان وآيت يمور عن بلدهم إلى الحوز، وبذلك وهنت عصبية آيت إدراسن وخضعوا من جديد لسلطان الدولة وبهذا الإجراء، خف الضغط على المنطقة، وتمكنت قبيلة گروان من اقتطاع مجالها الحيوي وانحاشت لجانب المخزن. ولا نعرف بالضبط حدود هذا المجال الذي كان يتقلص أو يتوسع حسب قوة القبيلة أو ضعفها. إلا أن إشارات وردت في مصدر متأخر، تفيد أن هذه القبيلة كانت قبل سنة 1912، تنتشر على مساحة 600 كلم2 بين جبل قفص شمالا وأگوراي جنوبا، وبين خط مكناس عين عرمة. وكانت هذه القبيلة، حسب نفس المصدر، تنقسم إلى خمس قيادات : آيت يعزم، على رأسها القائد علي بن محمد، وعدد خيامها 415، آيت الحسن (أ) : على رأسها القائد الحسين بن عكي، وعدد خيامها 220 ؛ آيت الحسن (ب) : على رأسها القائد عق بن علي، وعدد خيامها 580، آيت حمو : على رأسها القائد إدريس أبردان، وعدد خيامها 600 ؛ آيت وخليفن : على رأسها القائد مصطفى الهردي، وعدد خيامها 520.

أ. البيدق، *المقتبس*، الرباط، 1971 ؛ ع. العياشي، *الإحياء والانتعاش* ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف الرباطي* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ ع. اكنينح، *آثار التدخل الأجنبي في المغرب على علاقات المخزن بقبيلة بني مطير*، 1873 - 1912، د. د. ع. الرباط، 1984.

Dustry, Notes sur le Haut Ziz, in *Bull. de la Soc. de Géog et d'Archéol, d'Oran*, 1910 ; Cap. Arnaud, *Monographie de la région de Meknès*, Meknès, 1914.

العربي اكنينح

**الكروم**، تطلق لفظة الكروم تاريخيا في المغرب على أشجار التين، وتعرف ثمارها بالكرموس. لكن زراعة الكروم حاليا تعتبر نشاطا اقتصاديا حديثا، يقصد بها زراعة واستغلال أشجار العنب بأنواعها. وتعتبر الكروم التين والزيتون ثلاثية زراعة حوض البحر الأبيض المتوسط، توسعت زراعتها بالمغرب منذ عصوره التاريخية الأولى ويرجح دخولها على أيد التجار الفينيقيين. ولقد عرفت زراعة الكروم توسعا كبيرا أيام الرومان حيث كان يوجه قسم مهم من إنتاجها لصنع الخمور، وقد اكتشف له بالمغرب أكواب رومانية وقدور لخزنه ونقله. ومما لا شك فيه أن انتشار الإسلام حد من هذا النشاط، فاقتصر صنع الخمر على الأقلية اليهودية.

وفي بداية القرن العشرين اشتهرت زراعة أشجار العنب بمناطق عديدة أهمها :

- تلال مقدمة الريف وبعض أوديته وبساتين سهل سايس خاصة بضواحي فاس، وقد اشتهرت بأنواع محلية تستهلك طازجة كما يجفف بعضها لصنع الزبيب وآخر يعصر لصناعة الخل أو الخمر.

- الحوز : تنتشر زراعة أشجار العنب ببساتين كثيرة خاصة بضفاف واد نفيس حيث يحول قسم من إنتاجها إلى عصير مركز يعرف بالروب. وقد أطلق هذا الاسم على أحد أبواب مراكش التاريخية : باب الروب، وكان يستعمل كالسكر لتحلية الحلويات والمشروبات، كما يحول اليهود بعضه إلى نوع من الخمر. وكانت تنتشر أشجار العنب بكثرة بمنازل مراكش وببساتين ضواحيه على شكل أشجار منفردة وسط بساتين الزيتون والرمان والمشمش وغيرها ويعرف أفضلها بالعداري.

- دكالة : اشتهرت بزراعة واسعة لعنب بوري بني لازال يعرف بالدكالي. وكان المحتلون البرتغاليون المقيمون بالجديدة وأزمور وآسفي في القرنين 16 و17 م يشترون كميات مهمة منه لتصديره إلى بلدهم أو تحويله إلى خمور. وقد اكتشفت بقايا حصن برتغالي فوق أكمة بتلال دير الأطلس الكبير، يشرف على واد نفيس عند مخرجه من الجبل واتصاله بروافد صغيرة، يكوّن حوض للاتاكركوست لازال يشتهر بإنتاج أجواد أنواع العنب (ويرجح أن مدينة النفيس الغنية الأسطورية تنطبق على موقع المركز القروي القديم للاتاكركوست الذي غمرته مياه السد).

والجدير بالذكر أن جل أشجار العنب المحلية، تتطلب السقي خاصة في الصيف، وهي كبيرة تنتشر فروعها فوق دعامة من القصب المشبك ترتفع عن سطح الأرض بعلو مترين فوق أخشاب عمودية تعرف بالدالية. وهناك أنواع قليلة الانتشار لا تحتاج إلى دالية وتعرف بالزحاف، تنتشر خاصة بدكالة.

إن زراعة الكروم الحديثة لم تعرف توسعها الكبير بالسهول وببعض النطاقات السقوية إلا في فترة الاستعمار الأوربي، حيث انتشرت خاصة بنطاقات الفلاحة العصرية التي أقامها المعمرون الذين خصصوا لها مزارع جلبوا لها عينات جديدة من الكروم لصناعة الخمور من الجزائر وأوربا، وطبقوا في زراعتها أساليب حديثة، وجلها زراعة بورية، انتشرت خاصة بشمال غرب المغرب وبالضبط شمال خط يمتد من الصويرة إلى سيدي بنور والرماني إلى وجدة. وهي مناطق تتلقى معدلا مطريا 400 ملم / سنة لأن الري لا يهم إلا حوالي 10٪، وتنتشر هنا شجيرات صغيرة لا تحتاج إلى دالية تتكون من جذوع قصيرة، تقلم في كل خريف بحيث لا يبقى لها إلا 3 . 4 فروع، تغرس في صفوف مستقيمة، وتدعم غالبا بصف من الأخشاب يصل بينها سلكين تتكئ عليها الفروع وتتسلقها كما تتعلق بها العناقيد. ويتناول هذا الشكل 95٪ من كروم العصر و87٪ من كروم عنب المائدة. وتعرف الشجرة فترة كمون شتوية لا يظهر عليها أثر للحياة، تتطلب في هذا الفصل درجة برودة منخفضة نسبيا، لكن إن نزلت عن الصفر بفعل الجمد الليلي خاصة في بداية الربيع عندما تظهر أولى براعم عناقيدها، فإن ذلك يقضي على إنتاجها، وهي تتحمل جفاف الصيف ولا تتطلب سقيا، لكنها تتضرر من هبوب الرياح الساخنة خاصة الشرگي. وهذه الشروط حدت من توسعها بأماكن عديدة من شمال غرب المغرب، خاصة وأنها تفضل تربات خفيفة رملية كتربة الحمري بسايس أو التيرس بالشاوية والغرب. وجل الإنتاج يوجه لصناعة الخمور خاصة فصائل : سينيولت، أليكانتي، كارينيان ولكن هناك أنواع أخرى جيدة تستهلك طازجة أهمها العنب الأبيض المعروف بالموسكا.

لقد دام توسع زراعة الكروم الحديثة طيلة فترة الحماية وإلى غاية عقد السبعينات. وبناء على معطيات أطلس المغرب المطبوع سنة 1968 ، بلغت زراعة الكروم التقليدية التي تنتشر في بساتين صغيرة غير منتظمة وأحيانا على شكل شجيرات منعزلة 13.778.426 شجرة مثمرة، بكثافة ضعيفة 1.000 شجرة في الهكتار وهو ما يمثل مساحة 13.700 هـ وهي تتميز بانتشارها فوق مساحة واسعة بكثافة ضعيفة أو تتشتت بين منتوجات أخرى، ولذا كانت تفرض عليها ضريبة الترتيب بناء على عدد الأشجار المثمرة.

أما زراعة الكروم العصرية فقد بلغت 46.950 هـ كثافتها حوالي 2.000 شجرة، تفرض عليها الضريبة بناء على إنتاجها السنوي بالهكتار.

وللأهمية الاقتصادية لزراعة الكروم خصصت لها الخرائط الطبوغرافية المغربية رموزا تميزها عن بقية الزراعات. وكانت أهم مناطق زراعة الكروم بالمغرب في عقد الستينات هي :

- الريف : يعتبر ثاني منطقة كروم تقليدية بالمغرب : حوالي 6 ملايين شجرة تنتشر خاصة بتلال مقدمة الريف الأوسط حول غفساي حيث توجد له زراعة كثيفة، تنتشر به عينات تقليدية قديمة لا تلقى رعاية مهمة فيكون إنتاجها ضعيفا. بذلت جهود بعد 1960 لتحسينها واستبدالها في بعض الجماعات بفصائل حديثة.

- شرق المغرب : تنتشر بين شرق طريفة إلى سهل الأنجاد شمال وجدة، وقد كانت سباقة إلى زراعة الكروم الحديثة لاتصالها بالجزائر حيث تجد طلبا واسعا. يكون إنتاجها 17٪ من كروم المغرب.

- سهل سايس : كانت تنتشر به زراعة واسعة للحبوب وتربية المواشي، فضل المعمرون الاستقرار به لغناه وجودة مناخه وقربه من مدن كبيرة، فحولوه إلى سهل زراعي متخصص في زراعة الكروم التي انتشرت خاصة فوق أراضي الحمري والتيرس جنوب واد بهت بين دار الحمري وسيدي يحيى الغرب. وبين واد الردم وودا سبو. وانتشرت زراعته بشكل كثيف بغرب السهل خاصة بضواحي جنوب مكناس حيث تكونت زراعة وحيدة متخصصة للكروم، واعتبر سايس أول منطقة لزراعة كروم العصر بالمغرب بمساحة 18.000 هـ أي 34٪ من كروم المغرب. كما تنتشر بعض مزارعه بنواحي تازة لكن إنتاجها يوجه إلى معاصر سايس.

- الغرب : تنتشر مساحات واسعة للكروم بهوامش ضيعات البرتقال مع تركز مهم بنواحي سيدي سليمان حيث أنشئت له مزارع كبيرة جعلت منها زراعة متخصصة يدعمها تواجد أحد أقدم وأكبر معامل الخمر بالمغرب Chaud Soleil بلغت مساحة الكروم بـه 4.700 هـ.

- السهول الساحلية : منطقة واسعة تمتد بشكل متقطع من بلاد زمور وزعير إلى الشاوية ودكالة وعبدة والشياظمة. وهي منطقة معتدلة شبه جافة تتناقص أمطارها من 500 بضواحي الرباط إلى 287 ملم / سنة بالصويرة. تتميز بتنوع تربتها ما بين تيرس وحمري ورملية وكلسية، تسودها زراعة بورية للكروم على مساحات متقطعة منتشرة بين حقول الحبوب، تستفيد جزئيا من الندى الليلي لخضوعها لتأثيرات المحيط الأطلنتيكي. وباستثناء دكالة تعتبر كلها زراعة حديثة للكروم تبلغ مساحتها الإجمالية 14.000 هـ. تنتشر بمنطقة زعير وزمور تجمعات متقطعة لزراعة كروم تكوّن رابطة لكروم سايس وكروم السهول الأطلنتيكية، تنتشر خاصة حول تيفلت والخميسات وسيدي علال البحراوي.

يليها بالجنوب الغربي منطقة السهول الساحلية الأطلنتيكية، حيث تنتشر مزارع متقطعة بالشاوية غير بعيد عن الساحل بين ضواحي الرباط والدار البيضاء، يتنوع عنبها ما بين عينات الخمور وأخرى مخصصة للاستهلاك، يبرز بينها خاصة عنب الموسكا.

ومن جنوب الدار البيضاء إلى ضواحي الجديدة تنتشر زراعة وحيدة للكروم بين حقول الحبوب، عرفت توسعا كبيرا في فترة الحماية خاصة بدكالة لتزايد الطلب على إنتاجها، فتوسعت بشكل متقطع نحو الشرق والجنوب خاصة إلى عبدة بضواحي آسفي والشياظمة شمال الصويرة. وهي زراعة بورية في معظم هذا المجال لكنها تسقى بضفاف أم الربيع خاصة في بولعوان. وكانت زراعة الكروم بدكالة تكون زراعة شجرية وحيدة إلى جانب أشجار التين في وسط خاص بالزراعة الحولية للحبوب، لكن توسع النطاقات المسقية الحديثة التي تهتم بالزراعات الصناعية والعلفية والخضر غير هذا الوضع. ولازالت دكالة يغلب عليها التخصص في إنتاج عنب المائدة الذي يوزع بكل أسواق المغرب، كما تنتج عنبا دخيلا للعصر يعالج جزئيا في معاصر بولعوان. ونظراً لتشتت الأشجار فإنها تحصى بوحداتها البالغة 8 ملايين شجرة.

ويكون الحوز منطقة أصيلة لزراعة الكروم التقليدية خاصة بضفاف واد نفيس حيث يكون زراعة دالية كثيفة في الأودية خاصة. وبضواحي مراكش، تتميز بأصالتها إذ تعتمد على السقي ودعامة الدالية القصبية، وينضج عنبها في آخر الصيف رغم وفرة الحرارة بالإقليم.

وتعطي زراعة الكروم إنتاجاً وفيراً كان يحصى على مستوى إنتاج الخمور في الستينات بـ 500 ألف إلى 1 مليون هيكتولتر سنويا يوجه معظمها للتصدير.

لكن هذه الزراعة تراجعت كثيرا في العقدين الأخيرين من القرن العشرين بسبب شيخوخة الأشجار خاصة كروم العصر، ورحيل المعمرين الأوربيين الذين كانوا يعتنون باستغلالها. لكن عنب المائدة الذي يستهلك طازجا عرف توسعا مهما. ولوضع برامج لإعادة إنعاش هذه الزراعة قامت مصالح وزارة الفلاحة بإحصاء شمولي لها في نهاية 1993 اهتم بتحديد مساحات الكروم بكل إقليم ونوعيتها وعمرها ووضعيتها العقارية وطرق استغلالها وأساليب تسويقها وتصنيعها. ومن أهم ما ورد في هذه الدراسة :

تشغل الكروم مساحة 47.926 هـ مقسمة إلى 35.519 هـ عنب المائدة و10.407 هـ عنب العصر. أما عدد أشجارها فقد بلغ 66 مليون منها 46 مليون عنب المائدة و20 مليون عنب العصر. يبلغ معدل كثافتها 1.222 غرسة / هـ، تتباين حسب الأقاليم ما بين 2.500 بالغرب و553 دكالة. لكن يلاحظ أنها تتزايد بتجديد الأشجار حيث صارت تبلغ في بعض البساتين الحديثة المغروسة بضواحي الرباط 3.000 غرسة / هـ.

- عنب المائدة : يشغل 76٪ من المساحة الكلية للكروم، ينتشر خاصة في دكالة 42٪ وبن سليمان 10٪ ومكناس 8٪ والصويرة 8٪ والحوز 7٪ والخميسات 6٪ والرباط 5٪. وهو يتميز بتنوعه الكبير لكن 80٪ منها يتكون من الأنواع التالية : الدكالي 52٪ موسكا الإسكندرية 11٪ فلانسي 9٪ عبو 5٪ وموسكا الإيطالي 3٪. ويتركز 80٪ من العنب

الدكالي بدكالة و60٪ من موسكا الإسكندرية بابن سليمان.

أما صنف عبو فيتركز في الحوز بنسبة 98٪ والموسكا الإيطالي في ملوية بنسبة 60٪. أما من حيث عمرها، يلاحظ أن حوالي نصف أشجارها يقل عن 20 سنة وتشغل الأشجار التي يتجاوز عمرها 35 سنة 32٪ من المساحة يوجد 65٪ منها بدكالة. أما الأشجار الفتية ـ 15 سنة فتنتشر خاصة بإقليمي الخميسات والرباط. ينتشر عنب المائدة في 126.382 استغلالية بمعدل مساحة 1,4 هـ لكن 60٪ منها تقل مساحتها عن 1هـ وتشغل 17٪ من المساحة الكلية. وتكون استغلاليات 1 ـ 4 هـ 33٪، واستغلاليات + 4 هـ 7٪. ويلاحظ أن أكبر الاستغلاليات تنتشر بالغرب والسايس الغربي + 20 هـ.

ـ عنب عصر : يشغل 22٪ من المساحة الكلية للكروم يتركز خاصة بأقاليم مكناس 59٪ والخميسات 17٪ وابن سليمان 15٪. وتبلغ معدل كثافته 1937 غرسة / هـ. ويتضمن عنب العصر حوالي 20 صنفا، لكن 85٪ منها يتكون من الأصناف التالية : سيسنولت 42٪ كارنيان 25٪ أليكانتي بوشي 10٪ گروتاس 9٪ ويلاحظ تقدمها في السن فحوالي نصف مساحتها يتكون من أشجار + 35 سنة، وتتجدد بوثيرة بطيئة : 165 هـ / سنة مقابل 1.000 هـ / سنة بالنسبة لعنب المائدة، كما تتميز باتساع مساحة استغلالياتها ف 98٪ منها تتجاوز 20 هـ مما يقلص عددها الإجمالي إلى 138 وحدة.

ومن الناحية العقارية يلاحظ أن 70٪ ملك خاص و25٪ ملك الدولة (صوديا وصوجيتا) تنتشر خاصة بأقاليم مكناس والغرب 71٪ وبن سليمان والخميسات، بينما ينتشر الملك في دكالة بنسبة 99٪. أما الحوز فيتميز بانتشار ملكية الگيش خاصة بالأودية 69٪ وكذلك الأحباس.

ومن الناحية التقنية يلاحظ أن 95٪ من كروم العصر و87٪ من كروم عنب المائدة تتكون من جدع قصير تتدعم فروعه أحيانا بسلك معدني ممدد بين أخشاب. أما الدالية فتنتشر أساسا في الحوز بنسبة 100٪ وملوية 87٪، كما نجدها بنسب ضعيفة بالغرب ومكناس حيث تخصص أساسا لأصناف من عنب المائدة، وقلما تتناول عنب العصر إذ لا نجد ذلك سوى في جهات محدودة بالغرب. وتطبق في زراعة الكروم أساليب الزراعة الحديثة إذ تحولت في معظمها إلى زراعة تسويقية ذلك أن القيمة النقدية لإنتاج هكتار بالقطاع العصري يعادل 5 أضعاف بالقطاع التقليدي. يستعمل المزارعين أنواعا كثيرة من الأدوية والأسمدة الكيماوية وكذلك الطبيعية. أما عملية الجني فتتم دائما بالأيدي.

الإنتاج : قدر المختصون إنتاج العنب بـ 1.366.818 قنطارا سنة 1993 تتكون 80٪ منها من عنب المائدة. تنتج أقاليم دكالة ومكناس والحوز والخميسات وبن سليمان 75٪ منها. يبلغ معدل المردودية 31 ق / هـ تتباين حسب الأقاليم 104 قنطار بملوية و94 بالحوز وذلك بسبب استعمال السقي بينما تتراوح 22 ـ 44 ق / هـ في أقاليم الخميسات والغرب وبن سليمان ومكناس والرباط والصويرة حيث نجد أدناها، وتتناقص في دكالة إلى مادون 20 ق / هـ. وعلى مستوى الأسعار يلاحظ تذبذب سعر عنب المائدة من سنة لأخرى 1,5 ـ 3,5 د هـ / كلغم أما سعر عنب العصر فإنه قار نسبيا.

وتبذل الأطر المتخصصة لوزارة الفلاحة جهودا لتجديد أشجاره وإدخال أصناف جديدة تنضج مبكرا. ونظرا لمحدودية سوق العنب والخمور. فإن المختصين يبدلون مجهودات لزراعة كروم لإنتاج السكر كفصيلة Kings Rubis وهو قوي الحلاوة وغير مستساغ للأكل، أنشئت له مشاريع تجريبية في الحوز بمساعدة خبرة إيطالية، لكنها فشلت لعدم إنشاء معمل لمعالجتها، كما يعمل المسؤولون على نشر عينات جديدة من العنب قابلة للتصدير مثل : سوبريور ولابيرليت وسولتانين في مزارع تجريبية بالحوز وسوس الأوسط. أما توسيع زراعة كروم العصر وصنع الخمور للتصدير وغيره فإن الأطراف المعنية لم تستطع تحديد خطة زراعية لذلك بسبب مناهضة الفكر الإسلامي.

*Atlas du Maroc Notice, Les arbres fruitiers*, Rabat, 1968 ; P. Burg, Le vignoble européen dans la région de Meknés, *RGM, n° 34*, Rabat, 1963 ; P. Liger, Le vignoble rifain, *R.G.M., n° 34, Rabat, 1963* ; Ministère de l'agriculture "Royaume du Maroc" : *Recensement du vignoble national*, 1994.

أحمد هوزلي

**الـگريحة** (الملحون) لگريحة بكاف معقودة كلمة محرفة عن "القريحة". أطلقها الأشياخ على الشعر الملحون، وهي تعني اهتمام الأشياخ بالإنشاد وفق الطريقة التقليدية التي يعتمد فيها على مصاحبة المنشد بضرب "التعريجة" والأكف.

يقول الشيخ الوليد التنسيطي الدرعي في حربة إحدى قصائده :

| | |
|---|---|
| ناديت بگريحتي أصوتي | وارفعت اكفوفي لرب الملكوت وادعيت |
| اقلت في ادعوتي | يا من نجيت يونس افبطن الحوت |

أما قبل الموت وما بعد الموت ياربي كن لي افموتي

وقد نسب إلى الشيخ عبد الجليل المصمودي (ق 11 هـ) أنه هو الذي أحدث عادة التغني بالشعر الملحون، ومنذئذ استعمل لفظ "الگريحة"، ثم اشتق منه لفظ "گرّح" في صيغة الماضي، ولفظ "يگرح" في صيغة المضارع بمعنى غني ويغني، أما المغني فقد سموه "لگرايحي" كما أطلق عليه "شيخ لگريحة" في مقابل "شيخ السجية" الذي يعني الشاعر الناظم. وقد أثر عن السلطان العلوي المولى اليزيد (ت. 1206) أنه سمى شاعر الملحون الرباطي محمد بن بوعزة الزعري "بولگريحة".

ع. الجراري، *القصيدة*، ص. 61 ؛ الفاسي، *معلمة الملحون*، ج 1، ص. 125 ؛ عبد الرحمان الملحوني، *الشعر الوطني في الأدب الشعبي المغربي*، الدار البيضاء، 1990، ص. 29 ـ 30.

Engène Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, 9° édition, Libr. arnaud Colin, Paris, 1992.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**كريستياني ليون** (Cristiani Léon) من الأطباء الأوائل الذين قدموا إلى المغرب مع قوات الاحتلال، إذ جاء ضمن فرق الگوم بقصبة ابن أحمد سنة 1907، وشارك في أحداث فاس سنة 1912، وأسس هناك أول مجموعة صحية متنقلة ساهمت مع مانجان في القضاء على حركة أحمد الهيبة.

فقد كريستياني في أحداث فاس أحد ممرضيه المقربين كوكار Cocard، وأصر على بناء مستشفى بقصبة الشراردة سماه باسمه.

عمل كريستياني منذ سنة 1913 كطبيب لمحلات السلطان مولاي يوسف بمراكش، وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى توجه إلى جبهات القتال في فرنسا ومنها إلى روسيا، ثم عاد إلى فاس بعد أن وضعت الحرب أوزارها، في صيف 1918، ليعمل في مستشفى كوكار بتفان ونكران ذات، حسب من عرفوه ومن كتبوا عنه مما حببه لسكان فاس وضمن له احترامهم. وظل على ذلك الحال إلى أن تقاعد في بداية 1937 واستقر بعد ذلك في إقامته بدار الدبيبغ، التي ظلت محجا لكثير من المرضى طلبا للعلاج، لمدة عشرين عاما بعد ذلك.

*Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc* ; R. Cruchet, *La conquête pacifique du Maroc*, Ed. Berger Levrault, 2è édition, 1934 ; M. Ghoti, *Histoire de la médecine au Maroc : le XXè siècle 1896 - 1994*, Casa, 1995 ; *Maroc médical*.

بوجمعة رويان

**كريش**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Carres وAlcariz وCarrizo ؛ ومازالت هذه الأسرة بتطوان حيث لها بزنقة الصفصافة مسجد يعرف بجامع كريش. ومن أشهر أفرادها : أحمد بن محمد كريش كان يزاول مهمة "شيخ النظر" لدى محكمة القاضي سنة 1283 (1876). ومحمد بن أحمد كريش فقيه عين أميناً بديوانة مليلية يوم 13 ربيع الثاني 1302 (30 يناير 1885). ومحمد بن محمد كريش كان يزاول مهمة "شيخ النظر" لدى محكمة القاضي سنة 1269 ( 1853 ) وكان ضمن الوفد التطواني الذي بلغ وثيقة البيعة إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن في شهر ربيع الأول 1276 (1859). وعبد السلام بن محمد كريش الذي كان من بين أعيان تطوان الذين أمر الأمير مولاي العباس بسجنهم يوم 19 يناير 1860 لأنهم أخرجوا أهلهم من تطوان قبل احتلال المدينة من طرف الجيش الإسباني. والعربي بن أحمد كريش كان يزاول مهمة "شيخ النظر" لدى محكمة القاضي سنة 1327 (1909).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**كريش، عبد القادر** ولد الفنان عبد القادر كريش بمدينة تطوان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبها تلقى أولى محفوظاته، حتى اشتهر بحفظه لبعض الصنعات النادرة مما تفرق من الميازين.

انتقل كريش إلى فاس، وبها استقر ممتهنا حرفة الخرازة ؛ ثم ما فتئ أن أصبح مقصد الراغبين في تعلم الآلة، فكانوا يلتفون حوله بقصر البطحاء يأخذون عنه أصول العزف على الرباب والعود الرباعي، ويتلقون منه الميازين وخاصة منها الصنعات النادرة كتصدرة بطايحي العشاق والصغة الموسعة التي تليها.

وكان عدد الآخذين عنه كثيراً، ومنهم : عازفو الكمنجة مولاي إسماعيل العلوي، والحاج اريكا، والمكي الأخصاصي، وعازف الرباب سيدي عبد الرحمن الطاهري، وضارب العود مولاي الشريف الإدريسي ومنهم أيضا : مولاي أحمد الوكيلي، والتازي لبزور، والحاج عبد الكريم الرايس، ومحمد السقاط الملقب "عزيزي" والحاج محمد مصانو التازي، والمعلم الرباطي محمد الدكالي الفرجي الملقب "حبيبي مبيركو".

وقد استمر عبد القادر كريش مقيماً بفاس حتى وفاته حوالي سنة 1944.

رواية الحاج محمد بلمليح رئيس جمعية هواة الموسيقى الأندلسية سابقا بالدار البيضاء ؛ من رواية الفنان الفاسي الحاج محمد مصانو التازي ؛ ع. بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2، سنة 2000، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص. 229-230 و254.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**كريفلة** أو كريفلت - وهي الصحيحة بالنظر إلى المقولة : "أن جل أسماء الأماكن في المغرب أمازيغية الأصل" ؛ وبالنظر إلى أن الفترة المتحدث عنها لم تعرف وصول القبائل العربية إلى المغرب.

كريفلة اسم لنهر في بلاد زعير من أحواز مدينة الرباط، وهو من روافد نهر أبي رقراق الذي يصب في المحيط الأطلسي ما بين مدينتي الرباط وسلا ؛ وكريفلة اسم لمعركة حاسمة جرت بين المرابطين بقيادة عبد الله بن ياسين والبرغواطيين بزعامة ملكهم أبو حفص عبد الله : "... فلما سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطة وماهم عليه من الكفر رأي أن الواجب تقديم جهادهم على جهاد غيرهم فسار إليهم في جيوش المرابطين والأمير يومئذ على برغواطة هو أبو حفص عبد الله ... فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين ملاحم عظام مات فيها من الفريقين خلق كثير وأصيب فيها عبد الله بن ياسين ... فكان فيها شهادته. جرت هذه المعركة حسب بعض المصادر بتاريخ جمادى الأولى 1059/451 اصطدم فيها جيشان وعصبيتان، الجيش المرابطي صنهاجي العصبية قادم من الصحراء الكبرى انطلق من الضفة الشمالية لنهر السنغال مكتسحاً الجنوب المغربي في ظرف وجيز : "... وكانوا يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف وكان قتالهم على النجب أكثر من الخيل وأكثرهم مترجلون على أقدامهم صفوفاً صفاً بعد صف،

يكون بأيدي رجال الصف الأول القنا الطوال، وكانت لهم راية يقدمونها أمام الصفوف فهم يقفون ما وقفت منتصبة وإن أمالها إلى الأرض جلسوا فكانوا في ذلك أثبت من الهضاب ..." ؛ وبين جيش برغواطي بزعامة المصامدة : "... وكان عسكر أمراء برغواطة أكثر من ثلاثة آلاف وانضاف إليهم من سائر القبائل ما بين فارس وراجل أزيد من عشرين ألفاً من جراوة وزغاوة ومطغرة والبرانس وركونة وغيرها".

المرابطون وأعدادهم ضعف أضعاف البرغواطيين وكانوا مغترين بالإنتصارات التي أحرزوها منذ خروجهم من رباطهم. فلم يكترثوا بالبرغواطيين ولم يقدروا خطرهم حق التقدير فسقطوا في شراكهم وتكتيكهم الحربي، إذا استدرجوهم إلى الهضاب الوعرة التي يجري فيها واد كريفلة ورافده واد المشرع، وواد عكراش وغيره ... أي أنهم اختاروا أرض المعركة وتوقيتها وفرضوه على عدوهم فلم تنفعهم كثرتهم ولا انتصاراتهم في الجنوب فقد اصطدموا بعدد متمرس بالحروب ومتمكن من المجال ومنضبط التنظيم يحسن الكر والفر ويوفق ما بين الحياة العسكرية والحربية والحياة المدنية، فانتهت المعركة بهزيمة المرابطين ووفاة زعيمهم وقائدهم عبد الله بن ياسين الذي دفن بعين المكان ومازال ضريحه قائم الذات معروفاً في المنطقة.

البكري، *المغرب*، باريز، 1965 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن، 1938 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1983 ؛ ابن خلدون، *العبر*، دار البيان، بدون تاريخ ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ مراكشي مجهول، *الاستبصار*، الأسكندرية، 1958 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 . 1955 ؛ م. الطويل، *مصامدة السهل ومصامدة الجبل ضمن الجبل في تاريخ المغرب*، كلية الآداب، فاس ـ سايس.

Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris, 1967 ; Martin [et al.], *Géographie du Maroc*, Paris, 1967 ; A. Ben Chenhou, Sidi Abdellah Moul Al Gara, *Hespéris.*, *3e-4e trimestre, 1946* .

محمد حجاج الطويل

**كريم، محمد** بن **إبراهيم** إجوي الباعمراني (مقاوم)
من قبيلة آيت إخلْف، من رجال المقاومة الوطنية، ومن قادة جيش التحرير، رقمه في المقاومة : 516156، ولد سنة 1920 بآيت باعمران بإقليم تيزنيت.

نشأ في عائلة دينية وعلمية، ومن أشهر القراء من عائلته، صاحب الزاوية هناك سيدي مبارك إجوي، وكذلك الحمزاوي سيدي الحسين إجوي = بوشْبُوكْ = الخلفي.

في هذا الجو نشأ مترجمنا هذا الذي ساهم بشكل فعّال في المقاومة الوطنية، سواء في الدار البيضاء، أو في جيش التحرير أو في الجيش الملكي، كان شجاعا ومغامرا جريئاً في نفس الوقت. أشادت معظم الجرائد الوطنية بأعماله بعد وفاته، وتنعته كلها بوطنية صادقة وبالأسبقية في تأسيس أعمال المقاومة مع رجال المقاومة الوطنية.

ويكفي أن نستشهد بالجرائد المغربية الآتية :

جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، نعتته "بالمقاوم الوطني ومن قدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، وقد كان إلى جانب الشهيد محمد الزرقطوني في العديد من العمليات الفدائية بالدار البيضاء، كما التحق بجيش التحرير بالجنوب، حيث قاد الانتفاضة الشهيرة لآيت باعمران".

أما جريدة *رسالة الأمة*، فقد خصصت له عنوانا بارزا، وبلون مغاير ومما جاء فيه : "إلى ذمة الله كريم محمد بن إبراهيم الباعمراني، عضو المجلس الوطني ... وأن الراحل، نشأ منذ صغره متشبثاً بالروح الوطنية والدفاع عن المقدسات حيث عرف داخل الحركة الوطنية بجرأته وتفانيه من أجل القضية الوطنية.

وكان من أوائل المؤسسين للمنظمة السرية بالدار البيضاء إلى جانب محمد الزرقطوني حيث شارك في العديد من العمليات الفدائية... ثم التحق بجيش التحرير بالجنوب، ثم بصفوف الجيش الملكي برتبة ضابط، وحظي سنة 1973 بشرف تعيينه من لدن صاحب الجلالة المغفور له الحسن الثاني بالمجلس الوطني لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.

وأبرزت جريدة Le Matin مكانته إلى جانب محمد الزرقطوني ودوره في جيش التحرير وفي الجيش الملكي، وتعيينه في المجلس الوطني لقدماء المقاومين مع نشر صورة له بتاريخ 19 غشت 2000.

ذكره محمد الوديع الأسفي في كتيِّبه "ملحمة البطولة، منطقة آيت باعمران، ص.67 استجوبته في سنة 1990 فقال : إن سبب هروبي من البيضاء هو أنني اتفقت مع خالي لبيب أحمد بن الشيخ محمد من آل الشيخ همُّو على إحراق مخزن الكتان حيث هو حارس فيه، فاكتشف أمره وأنا معه، فذهبنا إلى آيت باعمران".

توفي يوم الخميس 17 غشت سنة 2000.

جهادي الحسين الباعمراني

**كريميش، العروصي** بن **محمد** ولد سنة 1923 بدوار أهل بو الشاين آيت ياسين اصبوية إقليم تزنيت.

انخرط في صفوف جيش التحري المغربي بالمنطقة الجنوبية المقاطعة العاشرة تحت مسؤولية علي المسيوي وذلك سنة 1957 برتبة قائد المائة.

وبقي يعمل فيها بكل نزاهة وإخلاص حيث كان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله نشيطا في عمله متحمسا في إيمانه معروفا بغيرته الوطنية لاسترجاع ما تبقى من أرض وطنه حيث شارك في العديد من المعارك بآيت باعمران إلى أن استشهد في معركة الثلاثاء دفاعا عن تحرير بلاده وإسترجاع سيادتها بتاريخ 23 دجنبر 1957.

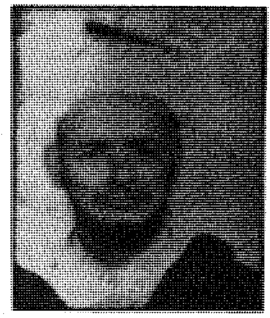

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 502456.

**الكزيكي أودكس** Eudoxe de Cyzique، قدم إلى موريطانية في سنة 111 قبل الميلاد ليطلب من ملكها بكوس الأول الإشراف على رحلته لاكتشاف الطريق الذي يوصل إلى الهند عبر المحيط الأطلسي. إن الرواية الكاملة عن الرحلة وردت عند سترابون نقلا عن كاتب يدعى بوسيدونيوس Poseidonius عاش في أوائل القرن الأخير قبل الميلاد. وهناك إشارات حول الرحلة عند بومبونيوس ميلا : Pomponius Mela, 2, 96 وبلنيوس الأكبر ,Pline.

وصاحب الرحلة ينتمي إلى أسرة ثرية من مدينة كزيكا الواقعة في آسيا الصغرى والخاضعة في هذه الظروف للسيطرة الرومانية. والشخص المذكور كان من رجال الأعمال الذين كانت لهم أنشطة تجارية في العالم الإغريقي الروماني، خاصة بعدما فسحت لهم الإمبراطورية الرومانية آفاق التوسع التجاري في أرجاء البحر الأبيض المتوسط.

كان الكزيكي يمتلك أسطولا تجاريا، وقام برحلتين تجاريتين من مصر إلى الهند، وبرحلة أخرى بين بلاده وإسبانيا، مرورا بميناء بزول جنوب روما وماساليا وهي مارسيليا في فرنسا. وانتهى به المطاف إلى مدينة گاديرة في إسبانيا. ومن هذه المدينة كان منطلق رحلته التي تهم الملك الموري بكوس الأول.

تحدث سترابون عن الرحلة التي جعلته يدخل في علاقة مع ملك الموريين قائلا : "أبحر على متن سفينة كبيرة ومركبين صغيرين من النوع الذي يستعمله القراصنة. اصطحب معه عددا من الراقصات الشابات وبعض الأطباء ومختلف الصناع، ثم أبحر في اتجاه الهند تدفعه الرياح الغربية الاعتيادية. وبعدما تمكن التعب من مساعديه، وأرغموه على الاقتراب من الساحل نظرا لهدوء الرياح، بينما كان هو يخاف من حركات المد والجزر، حدث ما توقعه إذ غرقت السفينة لكن بهدوء ودون تصدعها الشامل، مما أتاح لكل الركاب فرصة النجاة وإخراج جل الألواح إلى البر. وقد تم استعمالها في صناعة مركب ثالث من الحجم الذي يحركه خمسون جدافا. وهكذا واصل إبحاره وقطع مسافة طويلة حتى التقى بأناس ينطقون نفس اللغة التي سبق له أن سجلها (في رحلته إلى الهند انطلاقا من مصر). وعلم أن سكان هذه البلاد كانوا من جنس الإثيوبيين المجاورين لمملكة بگوس Bogos. وحينئذ تخلى عن رحلته وقفل راجعا بمحاذاة الساحل. وتعرف على جزيرة مهجورة تخترقها مجاري مائية وتكسوها أشجار. ثم وصل سالما إلى موروسية Maurusia حيث باع مراكبه، ثم قصد بگوس ماشيا، وطلب منه أن يتولى الإشراف على الرحلة البحرية التي ينوي القيام بها. لكن أصدقاء بگوس تشبثوا بالرفض، فحذروه من مغبة جعل البلاد عرضة للخطر إذا تعرف الغزاة الأجانب على الطريق إليها... فقرروا نفي أودكس إلى جزيرة مهجورة".

يتضح أن رحلة الكزيكي هي أقدم التجارب الملاحية التي وصلتنا أخبارها في استكشاف الطريق المؤدية إلى الهند عبر المحيط الأطلسي. وهدف الرحلة هو القيام بمشروع تجاري، لجلب المواد المتوفرة في مجال الإثيوبيين الغربيين. والمشروع يعتبر استثمارا يستجيب لتوسع آفاق التجارة الرومانية، التي أصبحت تسيطر على العالم المتوسطي بعد سقوط قرطاجة. ويبدو أن لموريطانية دورا أساسيا في مشروع هذه الملاحة التجارية، باعتبارها محطة هامة في الاتصال بالإثيوبيين الغربيين عبر المحيط أو عبرالمسالك الصحراوية.

أما زمن الرحلة فقد صادف ظرفا دقيقا بالنسبة لواقع المملكة المورية تحت حكم بكوس الأول، حيث انطلق العدوان الروماني على يوغرطة، الذي كان من رعايا الملك الموري يساندونه. بينما كان الملك يميل إلى التعامل مع روما، كطرف أقوى في الصراع، وأما موقف رعاياه المعادي للرومان، فهو ينسجم مع سياسة الحيطة والحذر من التعامل مع الرومان، التي سنها الملك الموري باگا Baga. وفي ضوء هذه الظرفية الدقيقة، نجد تفسيرا للمعارضة الشديدة التي واجه بها مجلس بكوس مشروع الكزيكي. لأنه في نظرهم يعد من الغزاة الأجانب، الذين يهددون استقلال بلادهم الاقتصادي والسياسي. واختلاف موقف هذا المجلس مع الملك يعبر عن التناقضات الداخلية التي كانت تطبع واقع الموريين إبان اندلاع حرب يوغرطة، التي صادفت قيام الرحلة المذكورة.

هكذا يتضح أن لبكوس مجلسا له دور أساسي في تسيير شؤون البلاد. وبالنسبة لقضية الكزيكي، فإن معارضة الموريين تدل على تشبثهم بمراقبة شؤون الملاحة والبحر، لصيانة مصالحهم الاقتصادية. ولدينا في حصيلة البحث الأثري بالمغرب صورة واضحة عن السياسة الاقتصادية التي

نهجها الموريون، لتجنب الخضوع للهيمنة التجارية الرومانية،وذلك بالاستغناء عن السلع الرومانية قبل عهد الملك بكوس الأول. وهذا هو الدافع القوي الذي جعلهم يتصدون للكزيكي.

وهنا نود أن ندعم هذه الصورة المشرقة من تاريخ المملكة المورية، اعتمادا على نص الرحلة، بإثارة دور الموريين في الملاحة التجارية. إن وقائع الرحلة تدعو إلى الاعتقاد بأن المملكة المورية كانت تتحكم في الملاحة بسواحل المحيط، الذي يحف بمجال نفوذها. والنص صريح في القول أن أصدقاء الملك اعترضوا بشدة على السماح للأجانب بمعرفة طريق الملاحة إلى بلادهم. ومعنى ذلك أن الموريين كانوا يراقبون مسالك المحيط، الذي اشتهر بأهواله منذ القديم، ولذلك لم يسلم صاحبنا من مخاطره. والراجح أن الكزيكي سقط في قبضة حراس البحر الموريين، وهم الذين اقتادوه إلى ملكهم وهو يمشي على رجليه عقابا له على اختراقه لمجال نفوذهم. وأمام الملك حاول الرجل أن يجد ذريعة للإفلات من العقاب باقتراح الإشراف عن رحلته.

نستخلص إذن أن المملكة المورية استطاعت أن تستفيد من وضعها المتميز بانفتاحها على واجهتين بحريتين منذ القديم، لتصبح وسيطا تجاريا بين الإثيوبيين والعالم المتوسطي. ومن مظاهر استثمار الموريين للبحر، ما شهدته موريطانية من تقدم في صناعة الگاروم Garum اعتمادا على الثروة السمكية التي يزخر بها المحيط. وترجع أقدم الأدلة على تسويق هذه الصناعة إلى النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد، حيث وصلت الأمفورات المورية المصنوعة في الأقواس إلى المدن اليونانية.

يستفاد مما سبق أن الوساطة المورية كانت عقبة في وجه رجال الأعمال الرومان إلى مطلع القرن الأخير قبل الميلاد. ويعتبر الكزيكي واحدا منهم تسلط عليه العقاب الموري بسبب اقتحام المحيط والاقتراب من السواحل والاتصال بالإثيوبيين. أما بعد انفتاح موريطانية على الرومان، بعد حرب يوغرطة، فإن الوضع أصبح مناسبا للروماني ستيوس Sitius ، الذي اشترك مع الملك الموري ماستانيسوس Mastanesosus في صفقة مالية وتجارية سنة 64 قبل الميلاد.

م. مجدوب، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، مرقونة، 1990 ؛ الصناعة الغذائية في المغرب القديم، بحوث، *مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العدد 4*، ص. 23 ـ 34، 1991 ؛ العملة الملكية في المغرب القديم، بحوث، *مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العدد 5*، ص. 47 ـ 60، 1992 ؛ أوضاع موريطانية من خلال رحلة أودكس الكوزكي في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، *منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، سلسلة الندوات 5*، ص. 31 ـ 53، 1993 ؛ *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد* ، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة، 1998.

J. Desanges, *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique*, dans Collection de l'Ecole française de Rome, 38, 1978 ; M. Majdoub, Les luttes du début du 1er s. av.J.-C au Nord de la Maurétanie, dans *Collection de l'Ecole Française de Rome, 166, p. 235-8, 1992* ; La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain jusqu'au 1er s av. J-C, dans *Africa Romana, 11*, p. 287-302, 1996 ; Pompeus Magnus et les rois maures, dans *Africa Romana, 12*, 1231-8, 1998.

محمد مجدوب

**الكست**، اسم يطلق حالياً على الكتلة الجبلية الممتدة من حوض أملن مروراً بآيت صواب وانتهاء بآيت حمد في الجزء الغربي من الأطلس الصغير.

يبدو أن أول إشارة إلى آيت الكست، كانت على عهد الموحدين في سياق احتواء قبائل الأطلس الصغير التي التفت آنذاك حول يحي الصحراوي. وتفيد الروايات أن فرقتين من الجيش الموحدي يأتي على قيادتهما كل من أبي حفص واسنار، أنيطت بهما مهمة إخضاع الكست حاضرة بلاد جزولة. ويظهر أن المقاومة قد اكتست طابعا أكثر حدة، تعبيراً عن رفضها لكل من يروم التطاول على مجالها، قبل أن يعمد قائدا الحملة الموحدية إلى تخريب الكست، كما أقدما على ترحيل سكانها وسبي نسائهم ونقل قطعانهم من الماشية. وقد خفت حدة النزاع عندما تمكن عبد المومن بن علي الگومي من استقطاب زعماء جزولة وقبائل الكست، وأقنعهم بزيارته بمراكش.

وبحكم شدة الخراب الذي لحق بالكست، فإن المصادر اللاحقة لم تعد تذكرها إلا في سياقات مجالية أوسع تشمل جبال الأطلس الصغير من حدود واد نون غرباً حتى درعة شرقاً، بصيغ من قبيل : هنكيسة ونگيسة. وقد أفاض كل من الوزان ومارمول خلال ق 16 م، في وصف طباع وعادات سكان الكست، مبرزين بالأساس ركونهم إلى الحرية واتصافهم بالشجاعة، وأن طبيعة مجالهم تتميز بالشح والندرة من حيث ظروف العيش.

وترد تلميحات تكشف عن أهمية الكست كمركز علمي خلال القرن 7 / 13، وكعمق استراتيجي يحتمي به المعارضون أو الخارجون عن السلطة المركزية، كما أضحى ملاذاً مفضلاً لدى الزهاد والصلحاء قصد التعبد والعزلة.

ويقر البقدوري بأن قرية "إيرغ" الحالية بنيت على أنقاض الكست القديمة.

البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت*، الرباط، 1971، ص. 45 ـ 70 ـ 98 ؛ المراكشي، *المعجب* ، تح. محمد الفاسي، 1938، ص. 581 ـ 656 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1959 ؛ حسن الوزان، *وصف إفريقيا* ، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، 1983، ص. 120 ـ 121 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، ج 2 : 39 ؛ البعمراني مرادي عبد الحميد، *لمحات من تاريخ سوس*، نسخة خاصة، 40 ـ 41 البقدوري محمد بن أحمد، *إتحاف أهل المدن والقرى*، سلالة زينب الكبرى، نسخة خاصة، مواضع متفرقة ؛ المنوني، *المؤسسات التعليمية الأولى*، سوس، مجلة *المناهل*، عدد 34 / 1986.

J.-D. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982, t. 359-372 ; B. Rosenberger, Tamdult, cité minière et caravanière présaharienne, IX - XIV siècle, *Hespéris-Tamuda*, 1967, p. 133.

أحمد بومزگو

**الكُسْكُسُ** ، أكلة المغرب الوطنية بدون منازع، وقد عرفت منذ التاريخ الوسيط الأعلى، وترجع جذورها إلى ما قبل ذلك، فهي أكلة بربرية أصيلة حسب الروايات المتداولة ومنها رواية العلامة ابن خلدون ومضمنها أن البربر لما سئلوا عن هويتهم بعد الفتح الإسلامي للمغرب أجابوا :"نحن قوم نحلق الرووس ونلبس البرنوس ونأكل الكسكوس"، وهذه العناصر الثلاثة المحددة للهوية وردت في أوصاف الرحالة الذين زاروا المغرب خلال مختلف العصور.

أصل الأكلة كما أشرت بربري وأصل الكلمة تابع له، إلا أن الأمازيغ اليوم يختلفون في تسمية الأكلة فمنهم من يسميها (إبرين) ومنهم من يخص نوعاً منها بهذا الاسم وهي (البلبولة) أي الكسكس المعد من سميدة الشعير، ومنهم من ينطقها هكذا : "سكسو" ؛ وبعودتنا إلى العربية الفصحى لأيام العرب وعاداتهم في الأكل لا نجد للكسكس أثرا مما يجعلنا نعتقد أن "سكسو" هي الأصل الأمازيغي. فحرفي (ك و س) مجتمعين شائع في كثير من الأفعال والأسماء الأمازيغية، ولعل الدارجة المغربية طوعت الكلمة إلى كسكسو وكسكس واشتقت منها أفعال وأسماء مثل فعل كسكس واسم كسكاس ...

وحتى في بعض الجهات في المغرب لا نجد كلمة كسكس بل ما يقابلها : "كالطعام" و"لفّار" و"فور" أي إعداد الكسكس ومنها المثل الشائع عندهم : (إلا ما قفلتي مافورتي).

الكسكس أنواع تختلف باختلاف الجهات والفئات الإجتماعية سواء من حيث المحتوى أو التحضير والطبخ والتقديم : فمن الكسكس البسيط الذي يقتصر تحضيره على الماء وقليل من الزيت أو الشحم والبصل والملح ومادته الأساسية خشنة مكونة من خليط من الدقيق والنخالة الرقيقة المعروفة عند النساء في البادية بـ "الحَمْرة" وهذا النوع كان أكثر انتشاراً في الأوساط الفقيرة وتختلف اسماؤه باختلاف الجهات و منها (الحلحول) في جهة الشاوية ـ ورديغة ؛ إلى الكسكس اللذيذ الغني بمواده وتوابله : من سميد القمح الصلب واللحم والخضر والسمن ؛ أو من السميد والبصل والزبيب المعسل والحمص ولحم الغنم ويسمون النوع الثاني"التفاية" والأول "كسكس سبع خضاري" إلى البلبولة وهو كسكس من سميدة الشعير وغالباً ما يستعمل في تحضيره لحم الرأس (البقري) أو رؤوس الأغنام، إلى الكسكس المعد من سميدة الذرى ويعرف بالاسم الأمازيغي "باداز".

ومن الأنواع الأخرى التي تعتمد في تحضيرها مثل الكسكس على سميدة القمح الصلب أو الشعير أو الذرى وتطبخ بنفس الطريقة "سيكوك" إلا أنه لا يؤكل ساخناً، بل ينقع في اللبن الحامض حتى يغمره. وقد كان هذا النوع شائعاً في البوادي في فصل الصيف وكان التغدية الرئيسية "للحصادة" ؛ ومنه نوع آخر حباته أكبر من حبات الكسكس العادي ويحضر بالحليب ويؤكل ساخنا وتغمره الزبدة الطرية المذابة، يسمونه بركوكش ؛ ومن الأنواع التي تحضر بالطريقة نفسها "السفة" ويعتمد فيها على سميد القمح الصلب وتقدم السفة مزينة بمسحوق السكر والقرفة.

والطريقة التي يحضر بها الكسكس بأنواعه بسيطة تعتمد أساساً على بخار الماء الذي يأخذ في الدارجة المغربية اسم "لَفّار" واجود الكسكس ما فور ثلاث إلى أربع مرات.


ابن خلدون، *تاريخ ابن خلدون* ، بيروت، بدون تاريخ ؛ ابن رزين، *فضالة الخوان*، الرباط، 1981 ؛ ابن الزيات، *التشوف إلى رجال التصوف*، الرباط، 1984 ؛ ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط، 1976 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ ابن قنفد، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ م. المهدي، *ممتع الأسماع*، فاس، 1305.

Latifa Bennani-Smires, *La cuisine marocaine*, Nancy, France, 1978.


محمد حجاج الطويل

**كشاتة** قبيلة كبيرة ضمن آيت يوسي المعروفة بضواحي مدينة صفرو، إذ مشيخاتها الثلاث تدعي انتسابها إلى هذا البطن اليوسي، وأنهم اخوة مغيلة ومعدودون منها. ومنهم فرقة مندرجة في قبيلة البهاليل القريبة من صفرو. وهم مجاورون لقبيلة لواتة من جهة الشرق.

وحسب مونوغرافية صفرو (1916) منهم فرق كثيرة كآيت حسي وأحمد وآيت بلال وآيت حدو وموسى وآيت بقي وآيت واحي وهم جميعا ضمن فريق آيت الربع وقد احتفظوا على لسانهم الأمازيغي حتى وقت قريب، لكن القرب من مدينة صفرو (حوالي 20 كيلو متراً) جعلهم يتحدثون حالياً اللسانين معا.


العمري أحمد وفتحي عبد الرحمان، د. ت. *لأسماء الأعلام والأماكن لمنطقة صفرو*، بحث إجازة في التاريخ، فاس، 1990.

Cap. Reisser, *Monographie de Sefrou*, 1916, dactylographie, C.E.A.A.


الحسين البعاوي

**الكشتيمي**، أسرة من أكشتيم (بفتح الهمزة والكاف المعقودة، وسكون الشين، وكسر التاء) بتيوت برأس الواد قرب رودانة بسوس. وهي فرقة من وادي أملن أعطت اسمها لقرية عُرفت بالعلم منذ القديم.

**الكشتيمي، أحمد** بن **عبد الرحمان** من أهل العلم والفضل وأصحاب المدارس بسوس التي يجتمع فيها الطلبة عليهم للقراءة. تخرج به عدد كثير من الطلبة هناك، ثم قدم مراكش، فكان إماما بالسلطان المولى الحسن يلازمه حضرا وسفرا. وأقام بها مدة يعلمه صنعة الإكسير.

**الكشتيمي، عبد الرحمان** بن **عبد الله** أكبر أديب في سوس أواسط القرن (13 هـ)، حيث كان مجدد الأدب العربي بسوس. له تضلع عظيم في العلوم، وخصال حميدة في الورع والترفع عن السفاسف، شديد التضلع في النوازل الفقهية.

من تآليفه : الصواعق، وهي رسالة كتبها جوابا عن رسالة الشيخ أحمد التكمدشي. والكتاب المشهور بطبقات الحضيكي في مناقب شيخ شيوخه محمد الحضيكي وتلامذته ومن عاصرهم من الشيوخ من أهل المشرق والمغرب.

ع. بن إبراهيم، الإعلام.

المصطفى البوعناني

**الكشفية المغربية**، منظمة تربوية شبابية انبثقت من الحركة الوطنية وارتبط تأسيسها بقيام الأحزاب السياسية في فترة الكفاح الوطني ضد الاستعمار.

وقد برزت على الساحة هيئتان وطنيتان هما الكشفية الحسنية (في الثلاثينيات) ومنظمة الكشافة المغربية الإسلامية (في الأربعينيات). وعندما حصل المغرب على الاستقلال عملت المنظمتان معا على خلق مؤسسة وطنية جامعة أطلق عليها اسم "الجامعة الوطنية للكشفية المغربية"، وكان من وراء هذا الإنجاز المرحوم عبد الكريم الفلوس والمرحوم محمود العلمي.

وقد تم تأسيس الجامعة عام 1958 بمقتضى ظهير الحريات العامة كتنظيم وطني ودولي، وتم الاعتراف بها واعتمادها كهيئة أهلية وطنية من طرف المجلس الوطني للشباب.

وفي عام 1960 أصبحت الجامعة عضواً رسمياً في المنظمة الكشفية العربية بعد مصادقة المؤتمر الكشفي العربي الثالث المنعقد بتونس. وفي عام 1961 تم الاعتراف رسميا بعضويتها في المنظمة الكشفية العالمية بعد مصادقة المؤتمر الكشفي العالمي الملتئم في لشبونة.

وبمقتضى الميثاق الوطني للكشفية المغربية الصادر في 5 يوليوز 1974 أعيدت هيكلة الجامعة لتصبح مكونة من ثلاث جمعيات هي :

- منظمة الكشافة المغربية الإسلامية
- جمعية الكشفية الحسنية المغربية
- منظمة الكشاف المغربي

وقد شاركت الجامعة في تأسيس الاتحاد الكشفي للمغرب العربي، وكان لها فضل تنظيم جمعه التأسيسي بالمعمورة في دجنبر 1958 برعاية من جلالة المغفور له محمد الخامس وولي عهده آنئذ جلالة المغفور له الحسن الثاني. وفي ماي 1990 احتضن المغرب المؤتمر الثاني للاتحاد وابتداء من سنة 1996 حظيت الجامعة بصفة "الجمعية ذات النفع العام"، وأسندت رئاستها لصاحب السمو الملكي الأمير الجليل المولى رشيد بمقتضى كتاب صادر عن وزارة القصور الملكية والتشريفات والأوسمة تحت رقم 167 / 96، كما أسندت إدارة شؤونها إلى مكتب وطني يتجدد أعضاؤه كل سنتين بقيادة رئيس مفوض ينتمي بالتداول إلى إحدى المنظمات الثلاث المؤسسة للجامعة.

وقد تعاقب على إدارة المكتب الوطني للجامعة منذ تأسيسها : الأستاذ عبد الكريم الفلوس القائد العام للكشفية الحسنية المتوفى بالرباط في 31 - 3 - 1980، والأستاذ محمود العلمي القائد العام لمنظمة الكشافة المغربية الإسلامية المتوفى عام 1983 ، والأستاذ محمد أفيلال القائد العام لمنظمة الكشاف المغربي، والأستاذ عبد الرحمن حسون الفيلالي، والأستاذ عبد العزيز الإدريسي القاسمي من الكشفية الحسنية، والأستاذ عبد العزيز بن عبد الجليل، والأستاذ محمد غازي بناني من منظمة الكشافة المغربية الإسلامية.

يوجد مقر الجامعة بالرباط، وتتمركز أنشطتها في "المركز الكشفي الوطني عبد الكريم الفلوس" الكائن بغابة المعمورة.

ولها أزيد من ثمانين فرعا تغطي سائر أقاليم وجهات المملكة، كما ينتظم في صفوفها ما يفوق عشرين ألف كشاف ومرشدة.

والجامعة تنظيم تربوي تطوعي مستقل. وتتمحور أهدافها حول :

- رعاية وخدمة الناشئة والشبيبة وفق المناهج والطرق الكشفية، وفي إطار الالتزام بقرارات وتوصيات المؤتمرات الكشفية المغاربية والعربية والعالمية.
- تنمية الحركة الكشفية بالمغرب عن طريق تطوير البرامج والمناهج الكشفية بما يواكب متغيرات المجتمع ويساير الأساليب الجديدة التي تفرزها المحافل الكشفية الدولية.
- تكوين الأطر والقيادات المتخصصة في مجالات النشاط الكشفي، وتأهيلها للمساهمة في خدمة الوطن وتنمية المجتمع.
- تمثيل المغرب في المحافل الكشفية العربية والدولية على مستوى حضور اللقاءات والتجمعات والمشاركة في المؤتمرات والمناظرات.

ومن أدبيات الجامعة والمنظمات المنضوية تحتها نذكر :
ـ مجلة "مستعد". وقد أنجزت جمعية الكشفية الحسنية مجموعة منها ثم توقفت عن إصدارها.
ـ دورية الكشاف"، ثم "الكشافة" من إصدار قيادة منظمة الكشافة المغربية الإسلامية.
ـ كتاب " الاتحاد الكشفي للمغرب العربي ـ المؤتمر الثاني بالمغرب 1990.
ـ كتاب : الكشفية : شباب بلا حدود خاص بأشغال المناظرة الدولية التي انعقدت بمراكش ما بين 9 و13 نونبر 1994. مطبعة فيدبرانت الرباط.
ـ رسالة لنيل دبلوم المدرسة العليا للأساتذة من إعداد بلغازي فاطمة وإشراف الأستاذين معنينو عز العرب وعمر أفا، تحت عنوان : و *ثائق الخزانة الصبيحية بسلا. ملف منظمة الكشافة المغربية الإسلامية* ـ محلية سلا ـ من سنة 1945 إلى سنة 1964. تصنيف وتقديم 1994 ـ 1995.
ـ رسالة تخرج من المعهد الملكي لتكوين الأطر ـ سلك المفتشين بعنوان : *الكشفية حركة اجتماعية وتنموية لرعاية الشباب*. إعداد عبد الهادي الحبابي، واشراف الأستاذ علي شعباني. 1989 ـ 1990.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الـكشينة** في الدارجة المغربية لكن برجوعنا إلى القواميس الأجنبية ونحن نبحث عن أصل الكلمة استوقفنا كلمة "Cocina" في اللاتينية وKitchen في اللغة الإنجليزية، فهل أصل الكلمة من المصدرين المذكورين ؟ أعتقد أن المصدر الأول مطابق للنطق الدارجي، وتعني في اللغة العربية والفرنسية المطبخ Cuisine.

الكلمة الدارجة كشينة لا تعني بالضبط المطبخ كما هو معروف اليوم بل يقصد بها المكان المخصص لتحضير الطعام سواء كان في الخيمة المغربية التقليدية حيث تقسم إلى قسمين يفصل بينهما سياج "الخالفة" لوجوده دائماً خلف القسم الأول المخصص للإقامة واستقبال الضيوف ؛ وعند الموسرين من الناس تفرد للكشينة خيمة خاصة تنصب خلف الخيمة الكبيرة ؛ وإذا كان المسكن من قش (نوالة) أو كوخ فالكشينة تحتل ركنا منه "وتكون ملتصقة به أو بعيدة قليلاً، وإذا كان المسكن بناية صلبة فالكشينة غالباً ما تحتل غرفة عند المدخل الرئيسي للدار بحيث تكون قريبة من تلقي الحاجيات من حطب وفحم وخضر وتموين وما إلى ذلك، وتبقى بعيدة عن غرق الإقامة والنوم وقاعة استقبال الأضياف.

أهم مكونات الكشينة الكانون أو الكوانين في منازل الأغنياء والفرن ومواعين الطبخ وهي في الغالب من فخار إلى جانب قلل وخوابي الماء ومخزن للمؤونة أو العولة السنوية من دقيق وسمن وزيت وزيتون "وخليع" (قديد مصبر) وما إلى ذلك من المواد الأساسية ؛ ومصطلح كشينة مازال متداولاً إلى اليوم وخاصة في البادية المغربية مثل جهة الشاوية ورديغة وجهة الغرب. وهي تعني ما ذكرنا مع التغييرات التي لحقت نظام التغدية والتموين وأدوات الطبخ، في حين أن بعض العائلات والأسر حديثة التمدين ما تزال تطلق المصطلح حتى على المطبخ العصري الذي يلتقي من حيث الوظيفة مع الكشينة لكنه ليس هي.

المرتضى الزبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ *أبحاث وزيارات ميدانية خاصة*.

محمد حجاج الطويل

**الـگطاطي**، بالكاف المعقودة، اسم عائلة تطوانية كانت بتطوان عام 1040 قال الفقيه الرهوني : انقرضت يومئذ، ولكن الفقيه عبد السلام السكيرج يذكر أن الفقيه السيد عبد الرحمن ابن طريقة قاضي تطوان عزل الفقيه الموقت الگطاطي عن التوقيت والأذان بالجامع الأعظم بتطوان لأنه سكر ذات يوم وأذّن في غير الوقت، وولاه (أي السكيرج) بدله.

الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، ج 3، مخطوط خاص ؛ السكيرج، *نزهة الإخوان في تاريخ تطوان*، ص. 41، نسخة خاصة مخطوطة.

محمد بوخبزة

**الـكعاب، محمد بن محمد** الشرگي **السجعي** الحمراني ولد في مدينة فاس عام 1274 / 1857. وككثير من الأطفال في زمانه دخل الكتاب القرآني، وبعد ذلك درس مبادئ العلوم الإسلامية على يد عدة علماء. والحاصل، أنه لا يمكن فصل ترجمته عن إطارها العام، وهو البعثات التعليمية خلال عهد السلطان الحسن الأول وخاصة تلك التي تم إرسالها إلى فرنسا وبلجيكا. ففي عام 1291 / 1874 وعمره آنذاك لا يتعدى ثمانية عشر سنة وقع عليه الاختيار مع طلبة آخرين للدراسة بالخارج.

استقر أفراد البعثة أولا في مدينة طنجة وتحديدا بالمدرسة الحسنية ابتداء من آخر رجب 1291 / 1874 لدراسة مبادئ العلوم التكوينية التي تؤهل الطلبة للدراسة في خارج أرض الوطن. وقد دامت مدة دراسة ابن الكعاب في مدرسة طنجة ست سنوات ونصف.

وفي 18 ذي الحجة 1297 / 1879 توجه ابن الكعاب إلى باريس لدراسة الهندسة الصناعية والعسكرية. ودامت مدة دراسته في باريس أربعة أعوام ونصف حتى أتى الأمر السلطاني بشأن الانتقال إلى بلجيكا.

انتقل ابن الكعاب إلى بلجيكا، وأقام في (N° 7, rue Saint Martin, Sering)، وكلف بمهمة الإشراف على أفراد البعثة.

كان الهدف من مرحلة بلجيكا أخذ علوم الصناعات المفقودة في المغرب والمطلوبة أيضا وتحديداً صناعة الأسلحة (فبركة القرطاس والمدافع)، لهذا تم تكوين أفراد البعثة في مصانع (Cokereil de Seraing).

والظاهر أن مرحلة التكوين في بلجيكا لم تمر كلها على

أحسن ما يرام، فقد عبر ابن الكعاب في إحدى رسائله إلى الوزير الحاجب السيد احماد بن موسى والمؤرخة في 12 جمادى الثانية 1304 / 1886 عن المشاكل التي كان يعيشها أفراد البعثة المغربية، ولعل أهمها المشاكل المادية، والتي خلفت آثار نفسية سيئة لدى الطلبة، مما جعلهم يطالبون بالرجوع إلى أرض الوطن. لكن لم يتحقق لهم ذلك ومنهم ابن الكعاب إلا بعدما قضوا قرابة سبع سنوات ونصف في الديار الأوربية.

ارتبط ابن الكعاب خلال مدة إقامته في أوربا بصداقات عديدة مع فرنسيين وبلجيكين. كما اغتنم مدة دراسته في فرنسا وبلجيكا، فزار عدة عواصم أوربية ومنها "موسكو". وإن كنا لا نعرف تفاصيل زيارته لروسيا وباقي الدول الأوربية التي زارها، ما دامت رحلته التي ألفها لم يكشف عنها النقاب بعد.

وبعد عودة ابن الكعاب إلى المغرب، وأغلبية أفراد بعثته، وظف في قطاع الجيش كموظف مخزني في فن الهندسة بدار السلاح في فاس التي أسسها السلطان الحسن الأول. وتحديداً في بعض الوظائف التقنية. كما اختير من بين أربعة آخرين كلفهم المخزن بمهمة الترجمة مقابل أجر هزيل بل بدون مقابل أحيانا.

وارتباطا بدراسته من جهة وبعمله في دار السلاح من جهة أخرى، واعتباراً لتمكنه وتضلعه فيما تلقاه، استطاع إنجاز عدة تصاميم هندسية خاصة بالآلات الصناعية المرتبطة بالسلاح الثقيل (المدافع) والخفيف (بما في ذلك القرطاس).

وفي عام 1315 / 1897 استدعي ابن الكعاب إلى مراكش حيث عينه المخزن لشغل منصب آخر. وتجدر الإشارة إلى أن ابن الكعاب لم يقتصر عمله على المجال العسكري بل شمل أيضا المجال الدبلوماسي. فقد شارك في السفارة التي توجهت إلى باريس سنة 1319 / 1901 بصفته ترجمانا. غير أنه لم يستطع أن يكمل مشواره الوظيفي بعد أن أصيب بمرض الشلل.

ظل ابن الكعاب يعاني من مرض الشلل الذي لازمه نحو سنتين إلى أن وافاه الأجل في مسقط رأسه بتاريخ 17 رجب 1324 / 1907، ودفن بمقبرة زاوية سيدي عبد الدايم بحي عين أسليتن، دائرة اللمطيين في فاس القديم.

*مذكرات محمد بن الكعاب الشرگي*، مخطوطة خاصة باللغتين العربية والفرنسية ؛ *كناشة* محمد بن الكعاب الشرگي، مخطوط خاص.

P. Edmond, *El Moghreb al Aksa*, une mission belge au Maroc, Bruxelles, 1889 ; Bahija Simou, Les *réformes militaires au Maroc de 1844 à 1912*, Université Mohammed V, Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat, 1995.

محمد ياسر الهلالي

**الكغاط، محمد** يعتبر محمد الكغاط فنانا متعدد المواهب، فإلى جانب كونه أستاذاً محاضراً ومشرفا بكلية الآداب بفاس، فقد كان مؤلفا ومخرجا، و ناقدا، ومنظرا في المجال المسرحي، فممثلا فوق الخشبة كما في السينما والتلفزيون.

ولد محمد الكغاط سنة 1942 بفاس، وبها تابع دراسته الابتدائية والثانوية ثم الجامعية إلى أن حصل سنة 1965 على دبلوم اللغة العربية في الترجمة. ثم الإجازة في الأدب العربي سنة 1968. فشهادة الدروس المعمقة في الأدب العربي الحديث. وفي سنة 1984 حصل على دبلوم الدراسات العليا في المسرح في موضوع : "بنية التأليف المسرحي بالمغرب من البداية إلى الثمانينات" أصدره في كتاب بنفس العنوان سنة 1986. أما آخر شهادة أحرزها فكانت دكتوراه الدولة في نفس التخصص في موضوع : "القالب المسرحي العربي بين النص والعرض، محاولة البحث عن منهج تجريبي لمقاربة النص المسرحي".

إلى جانب دراساته الجامعية تلقى الدكتور محمد الكغاط دروسا وتداريب مسرحية داخل وخارج المغرب، أولها تكوين مسرحي نظمته وزارة الشبيبة والرياضة بمركز الشباب بالمعمورة سنة 1958. وانطلاقا من 1960 شرع في أداء أدوار البطولة في معظم المسرحيات التي ألفها وأخرجها بنفسه : (النواعير) - (بغال الطاحونة) - (الحقارة) - (زهرة) - (بشار الخير) - (مثل دورك) - (ميت العاصر) - (فلاش باك) - (منزلة بين الهزيمتين) - (أبو الهول الجديد) - (فلان وفلتان) - (ذكريات المستقبل) - (مرتجلة شميشا للا) - (بغداديات) - (مرتجلة فاس) - (أساطير معاصرة) - (مدينة بلا مسرح)...

وقد حصل كثير من مسرحياته على جوائز كما حظي بتكريمات مهرجانية داخل وخارج الوطن منها تكريم خاص بالمهرجان الدولي بالمسرح التجريبي بالقاهرة سنة 1996 وفي نفس السنة حصل على الجائزة الكبرى لكتاب المغرب. ومن أشهر أعماله المترجمة، (النبي المقنع) لعبد الكبير الخطيبي التي نشرت في العدد 262 بسلسلة : "من المسرح العالمي" الكويتية في فبراير 1993.

وقد نشر عدداً وفيراً من نصوصه المسرحية في كتب كما

في مجلات وطنية وعربية إلى جانب عدد لا يحصى من المقالات والبحوث النظرية في الملاحق الثقافية لبعض الجرائد الوطنية كالعلم، والاتحاد الاشتراكي وبيان اليوم ... إلى جانب تدريسه لمادة المسرح بكلية الآداب بفاس، أشرف محمد الكغاط على الكثير من البحوث والأطروحات الجامعية. كما أعد وأنتج منذ أواخر الستينيات برامج إذاعية بإذاعة فاس : (روائع المسرح العالمي) - (آفاق فنية) - (الحل الصائب) - ثم (دنيا المسرح) كما أعد للإذاعة المركزية رواية :دفنا الماضي" لعبد الكريم غلاب في عشرين حلقة وكان ذلك سنة 1979.

بنفس الجودة والتحكم ظهر كممثل في أعمال مسرحية أخرجها غيره منها : (امتى نبداو) لفوزي بن السعيدي و(عباس تيمورلانك) لعبد الواحد عوزري، متقاسما البطولة في كلا المسرحيتين مع الفنانة ثريا جبران. كما جسدا أدواراً تواصل معها المشاهدون المغاربة بشكل جيد في أعمال تلفزيونية : (الواد) لحميد بناني - و(الطلقة الأخيرة) لعبد الرحمان ملين سنة 1995. وكان آخر أدواره التلفزيونية الأثيرة والتي سيموت في متمها ليحيي في ذاكرة المشاهدين أداؤه لشخصية الحاج البشير في مسلسل (دواير الزمان) لفريدة بورقية سنة 2000.

أما على مستوى السينما فرغم عدم تجاوز الأفلام التي مثل فيها العشرة، فإن بعض هذه الأفلام يعتبر محطات بارزة في تاريخ السينما المغربية ويعتبر أداؤه لدور البطولة في بعضها درسا نموذجيا في التمثيل على رأسها فيلم (وشمة) لحميد بناني. وهكذا توالت مشاركاته السينمائية على النحو التالي :

1962 : (شهر العسل) شريط من إنتاج فرنسي ألماني.
1969 : (شمس الربيع) للطيف لحلو.
1970 : (وشمة) لحميد بناني.
1991 : (صلاة الغائب) لنفس المخرج، كما صاغ الكغاط حواره وعمل فيه مساعدا للمخرج وساعد قبله مومن السميحي في إخراج فيلمه (44 أو أسطورة الليل) سنة 1980 - (ليلة القتل) لنبيل لحلو 1992 - (اللاحبي) لمحمد عبد الرحمن التازي 1996 - (ياقوت) لجمال بلمجدوب) 1999 - وأخيراً (همسات) لمحمد العبداوي سنة 2001، وهو شريط روائي قصير تقاسم فيه البطولة مع شقيقه عز العرب الكغاط الذي ظل إلى جانب فراشه إلى أن وافته المنية بأحد المستشفيات البارزية بفرنسا يوم 26 يونيوه 2001.

خالد الخضري

**الـ كفيف، الزرهوني** أحد أعلام شعر الملحون في مرحلة نشأته الأولى. ظهر بزرهون في منتصف القرن الثامن، واشتهر بنسبته إليها.

وقد أشاد ابن خلدون بتفوقه في نظم الشعر على طريقة "عروض البلد" الذي استحدثه أهل الأمصار بالمغرب، فقال : "كان لهذه العصور القريبة من فحولهم بزرهون من ضواحي مكناسة رجل يعرف بالكفيف أبدع في مذاهب هذا الفن".

كما ساق له جملة من "ملعبة" أنشأها في وصف هزيمة السلطان أبي الحسن المريني بالقيروان في محرم عام 749 على يد عرب بني سليم ومن حالفهم من فلول بني عبد المومن، ونوه خاصة بمطلعها الذي هو "من أبدع مذاهب البلاغة في الإشعار بالمقصد في مطلع الكلام وافتتاحه" إذ يقول :

سبحان مالك خواطر الأمـرا ونواصيها في كل حين وزمان
ان طغاه عطفهم لنـا قسـرا وان عصيناه عقب بكل هــوان

والقصيدة مطولة قوامها سبعة وتسعون وأربعمائة بيت، وهي بآخر مجموع مخطوط بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم 184. ولا تعرف للكفيف الزرهوني غيرها.

وقد تناولها الدكتور محمد بن شريفة بالتحقيق والتصحيح والشرح والتحليل، إضافة إلى توثيق ما حوته من إشارات تاريخية وكذا معارضتها بالأصول التاريخية المعاصرة.

ع. الجراري، *القصيدة*، 1970، ص. 545 ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، ص. 530 - 531 ؛ محمد بن شريفة، *ملعبة الكفيف الزرهوني* ؛ أحمد بن خالد الناصري، *الاستقصا*، ج 3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص. 154 - 162.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**كلاس**، نوع من الأعلاف الخضراء التي تُقدم للماشية في أوقات الخصاص أساساً، أي في نهاية فصل الصيف وبداية الخريف، حيث تكون المراعي قد قلت بقايا الحصيد فيها أو يبست الأعشاب وأتلفت في الوقت الذي لم ينبت العشب المرتبط بتساقط الأمطار الخريفية بعد.

لذا يزرع "كلاس" في شهر أكتوبر بكيفية مبكرة خاصة بالمشارات المسقية سواء بقعور الأودية الجبلية كما هو الحال بوديان الأطلس الكبير الغربي، أو بالولجات على ضفاف الوديان بالمناطق المنخفضة، أو بالجنانات والزرائب المحادية للسواقي التقليدية والتي تسقى بكيفية دائمة. كما تكثر زراعة "كلاس" بضواحي المدن العتيقة كمراكش وفاس اللتين توجد بها دواب كالخيول والبغال المستعملة للنقل أو لجر العربات السياحية "كوتشي".

و"كلاس" هو زراعة الشعير بكيفية مبكرة وبكثافة، أي "زريعة قوية" كما يُقال عند الفلاحين، لأن الهدف منها هو توفير الكلأ للماشية التي تبقى في الحظيرة بسبب البرودة (الجبال) أو لضيق المراعي نتيجة توسع المساحات المزروعة، حيث يُحصد كلاس بالمنجل ويحمل للماشية وغالباً ما تقوم النسوة بهذا العمل خاصة بجبال الأطلس لقرب المشارات من السكن أو مجاورتها له كما هو الحال بالجنانات المحادية للسواقي أو الموجودة بالولجات بسهل الحوز وولجة وادي تساوت.

كما يُوجه المنتوج "كلاس" للبيع على شكل حُزمات

بأسواق "الربيع" المنتشرة ببعض ساحات المدن العتيقة كمراكش، حيث يقتنيها أصحاب الدواب الجارة للعربات، أو المربون للماشية بدون أرض. وأحياناً توجه الماشية إلى المشارات مباشرة لترعى "كلاس". وعندما لا تبقى سوى السيقان السفلى والجذور تحبس الماشية وتروى المشارات من جديد لإحياء "كلاس". ومن المحتمل أن مصطلح كلاس مشتق من فعل كَلَّسَ وتَكَلَّسَ من الماء، أي رويَ (المنجد في اللغة والاعلام).

أحمد زروال

**الكلالي، إبراهيم** بن **عبد الرحمان** الفقيه العالم النوازلي المفتي. حفظ القرآن الكريم وهو دون البلوغ، ثم حفظ الأمهات. دخل مدينة فاس عام 994، وأخذ عن شيوخها آنذاك كالمنجور وأعراب والسراج وأبي القاسم بن سودة والحميدي واليدري والقصار وغيرهم.

كان كثير التقييد للحوادث. وله كلام في النوازل والأقضية والفتاوى، ومؤلفات، منها : المسألة الأمليسية في الأنكحة الاغريسية، وتنبيه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهارب مع الهاربة من الهذيان لزاعم الفتوى آجليان.

م. القادري، *نشر المثاني / التقاط الدرر*، م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

**الكلب المغربي، العايدي** كما في اللغة وكما ينطق به العرب، حيوان أهلي من الثدييات من رتبة اللواحم Carnivora ومن فصيلة الكلاب Canidae التي تشمل الذئاب والثعالب وابن أوى. والكلب سلالة تعد بالمئات وتنحدر من أصل الذئب الأوروبي وابن آوى الإفريقي. يرجع تاريخ تدجينه إلى حوالي 13000 سنة ويعد من الحيوانات الأولى التي ألفها الإنسان. تنتهي القوائم ببراثن ولا تجمع المخالب في أكمام كما تفعل أنواع السنانير النشالة ولا يقبض على فريسته بالمخالب بل يطاردها ويقبض عليها بأنيابة.

تدعى سلالة الكلب المغربي بالعايدي ويسمى أيضا كلب الأطلس وبالإنجليزية Kabyle dog وبالفرنسية Berger de l'Atlas وهي سلالة نادرة في العالم. موطنه الأصلي جبال الأطلس كما أثبتت ذلك أبحاث الفيدرالية العالمية لمحبي الكلاب وتكثر كثافته في مختلف المناطق الجبلية المغربية وتعمل الفيدرالية المغربية لمحبي الكلاب جاهدة في المحافظة على هذه السلالة في المغرب. يمتاز بالشجاعة واليقظة، قوي العضلات يكسوه شعر كثيف وغزير يقيه من الحرارة المفرطة ومن شدة البرودة في المناطق الجبلية ويقيه أيضا من الجروح الذي يتعرض لها خلال المعارك مع الكلاب وابن آوى وغيرهم. يستعمل لحراسة المنازل في البادية وخيام الرحل في شمال أفريقيا وقطعان المواشي وخاصة منها الغنم والماعز. يحب الحرية ولا يتحمل العيش بالمدن كما تحب السلالات الأوروبية. يرافق السلوقي العربي في الصيد ويمتاز بقوة حاسة الشم تساعده على معرفة أماكن الفريسة فيعطي الإشارة للسلوقي لينطلق كالسهم لمطاردتها.

السلوقي العربي، *معلمة المغرب*، ج 15، ص. 5093.

E. Dechambre, *Les chiens : origine, histoire, évolution*, Paris, 1971 ; J.L. De Waziers, *Chiens d'aujourd'hui, de chasse, de défense et autres, Elevage et dressage*, Paris, 1967.

محمد رمضاني

**گلتة الفيلة**، مكان تاريخي معروف بفخذة الفرجان من قبيلة النجدة، والتسمية تطلق على موضع عميق من مجرى نهر كرو بجوار مشرع واسع صالح لمرور القوافل. ويظهر أن كثرة من كان يغرق في تلك الگلتة العميقة والتي كانت تتميز بقوة تياراتها الدائرة أثناء فيضان النهر هو أصل تسميتها. وعلى أية حال فقد أصبح مكان گلتة الفيلة مكانا تاريخيا معروفا بملاءمته لمرور محلات السلطان به، وتخييمها قربه. وتقع گلتة الفيلة على الطريق الرئيسية الرابطة بين الخميسات والرماني.

**گلتة الفيلة** (معركة -)، جرت بگلتة الفيلة عدة معارك بين مجاهدي قبيلة النجدة وقوات الاحتلال. وأقوى هذه الاشتباكات جرت يوم 18 غشت 1911، عندما تصدى المجاهدون للقوات الفرنسية الآتية من مكناس والمتوجهة إلى معسكر مارشان (الرماني) ؛ حيث قتل أربعة جنود في صفوف الفرنسيين وجرح 11. ثم عادت قوات الاحتلال إلى گلتة الفيلة يومي 21 و22 غشت، فعملت على حرق حقول الزرع ونهب المطامير بعد رفض السكان الخضوع للاحتلال. كما جرت معركة شديدة يومي 25 و26 أكتوبر 1911، وأخرى بتاريخ 19 يوليوز 1912. أضف إلى ذلك أن سكان منطقة گلتة الفيلة الذين انسحبوا إلى زايان صعدوا مع وادي كرو، قد شاركوا في معارك مرزاگة وتيسلي وهما مكانان مجاوران.

*تحريات ميدانية*.

علال الخديمي

**كلعية** (مركيز) Marques de Guelaya لقب منحه ملك إسبانيا ألفونصو الثالث عشر Alfonso XIII إلى الجنرال خوسي كارثيا ألدافي José Garcia Aldavé جزاء له على تمكنه من القضاء على المقاومة المسلحة التي قادها الشريف سيدي امحمد أمزيان، وذلك بمقتضى المرسوم الصادر يوم 26 ديسمبر 1912.

وهكذا كان الاستعمار الإسباني يخلد انتصاراته على المغاربة بمنح ألقاب شرفيه لجنود تحمل أسماء مغربية.

*أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي،* (1909 ـ 1912)، تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

**كلميم** ، كلمة أمازيغية تفية وجود الماء وهي بوابة الصحراء ومن أهم المراكز التي كانت قديما معدة لنزول القوافل القادمة من السودان.

يقع هذا المركز وسط قبائل تكنة وحربيل على بعد 100 كلم جنوب تيزنيت وتفصله عن واد نون مسافة 55 كلم. كما يبعد عن وادي درعة بـ102 كلم وعن طان طان بـ125 كلم وعن طرفاية بـ 350 كلم وعن العيون 440 كلم.

أصبح هذا المركز حاليا من أهم المناطق السياحية بالجنوب المغربي يقصده السياح من جميع الأنحاء للتمتع بمناظر الصحراء وتقام به أسواق يقصدها الناس من طرفاية وشنقيط وتساهم في تنشيط الحركة التجارية بين قبائل الجنوب وتركزت به العديد من المرافق الاقتصادية ونشطت به حركة العمران والبناء وطرق المواصلات بين سائر الأنحاء وتنوعت به البضائع المختلفة الواردة من داخل المغرب وموريتانيا وإسبانيا حيث أصبح معرضاً لجميع أنواع المواد الاستهلاكية.

**كلميم** ـ اسمارة (جهة ـ)، بناء على التقسيم الإداري الأخير الذي عرفته المملكة سنة 1997، أحدثت جهة كلميم ـ اسمارة لتشكل إحدى أهم الجهات التي تغطي المناطق الصحراوية المغربية. تحدها من الشمال جهة سوس ـ ماسة ـ درعة، ومن الجنوب والشرق الحدود الموريطانية والجزائرية، ومن الغرب المحيط الأطلنتي وجهة كلميم ـ اسمارة. فهي تمتد على مساحة تتجاوز 134 ألف كلم$^2$، أي حوالي 9,18٪ من مجموع مساحة التراب المغربي. وتتشكل هذه الجهة من الأقاليم التالية : طاطا (3,19٪ من مساحة الجهة) وكلميم (0,8٪) وأسا ـ الزاك (7,13٪) وطانطان (9,12 ٪) واسمارة (0,46٪ ). مجموع هذه الأقاليم الخمسة تتشكل من 10 دوائر، و49 جماعة قروية، و11 جماعة حضرية

يخضع تنظيم تضاريس جهة كلميم ـ اسمارة لطبيعة ميدان الأطلس الصغير الأولي، الذي تطور عند الهامش الشمالي لكتلة الركيبات على شكل طية كبيرة منفتحة في اتجاه الشرق ويتوافق محورها مع حوض تندوف الرسوبي. وقد تعرضت هذه الطية لتطور طويل جعلها تتخذ مظهر تضاريس أبلاشية جيدة التشخيص، واستقبلت عند هامشيها الشرقي والغربي سلسلات رسوبية ثنائية ـ ثلاثية تطورت على شكل حمادات.

فيما يخص المناخ، فإنه نظرا لانتمائها للمجال الصحراوي المغربي وبسبب موقعها عند عروض مدارية، فإن جهة كلميم ـ اسمارة تنتمي لوحدة المجال القاحل الذي تمثله الصحراء الإفريقية الكبرى المعروفة بجفافها المفرط، غير أن استقرارها عند الهامش الشمالي لهذا المجال يجعل مناخها يتميز بنوع من الاعتدال خاصة عند الشريط المحاذي لمرتفعات الأطلس الصغير، والمنتمي لإقليمي طاطا وكلميم. فموقع الجهة وتنوع مظهرها التضاريسي، يجعل الحرارة عندها تعرف تدرجا ملحوظا في اتجاه الشمال الغربي، أي في اتجاه مرتفعات الأطلس الصغير والساحل الأطلنتي. وهكذا فإن متوسط الحرارات القصوى عند هذه المناطق يتراوح بين 24° و32° ، وذلك في الوقت الذي يتعدى فيه 40° عند المناطق الواقعة عند الجنوب الشرقي تحت تأثير القارية. ونفس التلطيف يعرفه متوسط الحرارات الدنيا. ونفس التدرج يتم تسجيله على مستوى التساقطات المطرية، فالهامش الشمالي من جهة كلميم ـ اسمارة يتلقى واردا مائيا مطريا يدور معدله حول 200 مم، لكنه سرعان ما يتلاشى إلى ما دون 100 مم في اتجاه الجنوب الشرقي. ونفس الأمر ينطبق على عدد الأيام الممطرة التي تنتقل من معدل يتراوح بين 30 و40 يوما إلى ما دون 20 يوما. وتتخذ هذه التساقطات المطرية التي تنزل بشكل أساسي خلال دجنبر ويناير طابعا إعصاريا مركزا في المجال وفي الزمن تترتب عنه فيضانات عنيفة ومدمرة أحيانا.

وهكذا، وعلى الرغم من ضعفها فإن هذه التساقطات المطرية وكذلك ارتفاع معدلات الرطوبة النسبية يوفران موردا مهما للرطوبة الضرورية للحياة بشكل عام، وعلى الخصوص بالنسبة للغطاء النباتي الذي يعرف كثافة ونسبة تغطية غير معهودة عند المجالات الجافة القريبة. إن الغطاء النباتي الطبيعي المتوفر بالمنطقة له دور حيوي على صعيد تثبيت التربة وصيانتها من عوامل التعرية المائية والريحية، ويشكل مجالات رعوية غنية هي قبلة مفضلة للرحل الذين يقصدونها

من كل المناطق الصحراوية المجاورة، إضافة إلى كونه يجعل من هذه الجهة إحدى أشهر المناطق المغربية المتوفرة على رصيد مهم من الأعشاب الطبية. ولعل هذه الظروف الطبيعية هي التي جعلت هذا المجال يلعب دورا أساسيا في الربط بين جنوب المغرب وشماله، وبين المغرب وإفريقيا السوداء عبر مراحل تاريخه الطويل.

إن جهة گلميم ـ اسمارة تسجل، على عكس باقي الجهات المغربية الصحراوية، وثيرة نمو ديموغرافي محدودة لم تتجاوز 2,16٪ في السنة خلال الفترة الفاصلة بين إحصائي 1982 و1994، وهي بذلك تبقى قريبة جدا من المعدل الوطني الذي لم يتعد خلال نفس الفترة 2,06٪. وهكذا فإن هذا النمو جعل حجم السكان ينتقل من حوالي 300 ألف إلى حوالي 386 ألف نسمة، وإذا تم اعتماد نفس نسبة النمو السنوي فمن المرجح أن تكون ساكنة الجهة حاليا قد أصبحت تدنو من 440 ألف نسمة.

مقارنة مع جهتي واد الذهب ـ الگويرة والعيون ـ بوجدور، تعرف جهة گلميم ـ اسمارة أعلى كثافة سكانية بالمناطق الصحراوية إذ تبلغ 3 نسمة / كلم$^2$، لكنها تبقى بعيدة جدا عن المعدل الوطني الذي يتجاوز 36 نسمة / كلم$^2$. ويتم التزايد السكاني الحاصل بالجهة بشكل غير متجانس بين الوسطين الحضري والريفي، ففي الوقت الذي تسجل فيه مدن الجهة نموا سكانيا تقترب نسبته السنوية من 3٪، فإن الأرياف تعرف عملية نزوح متواصلة جعلت نسبة نمو ساكنتها لا تتجاوز 1,25٪ في السنة خلال نفس الفترة المذكورة. وباستثناء إقليم اسمارة فإن أرياف كل الأقاليم المتبقية سجلت نسبة نمو جد متدنية، بل سلبية كما هو الوضع عند أرياف إقليم طنطان التي سجلت نسبة نمو سلبية تعادل 1,64-٪. ومعنى ذلك أن ظاهرة اختلال توزيع السكان بين الوسطين الحضري والريفي، وتزايد عدد السكان المستقرين تعزز أكثر خلال العقدين الأخيرين وجعل نسبة التمدين تتجاوز المعدل الوطني وتسجل 56,5٪. وتتجاوز هذه النسبة هذا المعدل بكثير حيث تتعدى 72٪ بإقليم طنطان و92٪ بإقليم اسمارة، لكنها تنزل إلى حدود 30٪ بإقليم طاطا.

تتجاوز حاليا ساكنة أرياف الجهة 170 ألف نسمة، وهو ما يمثل حوالي 90٪ من مجموع السكان الريفيين بالجهات الصحراوية المغربية الثلاث. وأكثر من 84٪ من هؤلاء السكان الريفيين يعيشون بإقليمي طاطا وگلميم، وذلك بالارتباط مع التحسن الذي تعرفه ظروف الوسط الطبيعي التي تسمح بازدهار نظام زراعي ينبني على الفلاحة المسقية والبورية وعلى الرعي.

وكذلك بسبب هذا الحضور البشري الريفي، فإن الجهة لاتزال تسجل أضعف نسبة تمدين داخل المناطق الجنوبية الصحراوية، أي فقط 56,5٪، مقابل 91,6٪ بالنسبة لجهة العيون بوجدور، و84,8٪ بالنسبة لجهة واد الذهب ـ الگويرة.

وتعتبر مدينة گلميم التي تناهز ساكنتها حاليا 90 ألف نسمة أكبر المراكز الحضرية بالجهة، بعدما لم يكن يتجاوز هذا العدد 41 ألف سنة 1982. وقد جعلها هذا النمو تحتل مركز الريادة محليا وجهويا، فهي تمثل 82٪ من مجموع السكان الحضريين داخل إقليم گلميم وتمثل ثلث السكان الحضريين داخل جهتها، وحوالي خمس هؤلاء داخل مجموع الجهات الصحراوية المغربية.

لقد نشأت مدينة گلميم، التي تشكل اليوم القطب الحضري الرئيسي داخل جهتها، وتطورت عند منخفض واد نون كمركز له دور أساسي في إدارة وتموين المناطق الصحراوية الجنوبية. وقد عرف هذا المركز، على غرار باقي المناطق الصحراوية التي ظلت تعاني لفترة طويلة من التهميش بسبب بعدها وموقعها الجغرافي، نموا متواصلا خلال العقود الأخيرة جعل منه القطب الإداري والتجاري الأول بهذه المنطقة.

إن گلميم تشكل حاليا عاصمة لجهة گلميم ـ اسمارة ولإقليم گلميم، وفي نفس الوقت مقر جماعة حضرية، الأمر الذي جعلها تعزز مكانتها كمركز حضري مغربي يحتل المركز الثاني داخل الجهات الصحراوية. وإذا كان هذا المركز الحضري الصحراوي قد عرف توسعا واضحا لنسيجه الحضري وتطورا ملموسا في بنياته التحتية، فإن وظائفه الأساسية بقيت منحصرة في القطاعين التجاري والإداري، ولايزال لم يجد السبيل نحو الاستثمار والاستغلال الجيد لموارده الطبيعية والبشرية والثقافية. ولعل مصدر هذا الركود هو المنافسة القوية التي يتلقاها من مراكز حضرية نشيطة متعددة الوظائف مثل أگادير وطنطان والعيون.

مدينة طنطان بساكنة تتعدى حاليا 46 ألف نسمة، تحتضن خمس السكان الحضريين داخل الجهة، وتمثل من حيث حجمها الديموغرافي المركز الثاني داخل هذه الجهة. وقد ظلت هي الأخرى تشكل مدينة حدودية هامشية إلى غاية عودة الأقاليم الجنوبية إلى وطنها الأم، فاسترجعت بذلك دور العبور والربط بين شمال وجنوب البلاد، وأصبحت في نفس الوقت مؤهلة لاستثمار ما تزخر به من مؤهلات، فتوسع مجالها الحضري وتعززت بنياتها التحتية، واستقبلت ميناء كبيرا عند ساحلها أصبح يشكل محركا اقتصاديا حقيقيا على الصعيدين المحلي والجهوي. وإن كان هذا الميناء قد أخذ يتطور كمركز حضري ساحلي تمت ترقيته مؤخرا إلى بلدية هي بلدية الوطية.

أما مدينة اسمارة فتحتل المركز الثالث داخل جهتها، وعلى الرغم من موقعها الجغرافي البعيد، وموضعها الصعب المتميز بالجفاف المفرط، فإن وظيفتها الإدارية كعاصمة لإقليم اسمارة جعلتها تعرف نموا متواصلا لساكنتها بمعدل 1,4٪ في السنة. وهكذا أصبحت تحتضن أكثر من 30 ألف نسمة بعدما لم يكن هذا العدد يتجاوز 18 ألف نسمة عند مطلع عقد الثمانينات. ومن الممكن أن تتعزز دينامية اسمارة الديموغرافية أكثر إذا ما تمكنت من استعادة وظيفتها الروحية

والتعليمية، ووظيفتها التجارية المبنية على انفتاحها على دول الصحراء الإفريقية الواقعة على الحدود الشرقية للمغرب.

تتميز جهة كلميم ـ اسمارة عن باقي الجهات الصحراوية المغربية بتعداد المراكز الحضرية الصغرى تتراوح ساكنتها بين 2.700 و13 ألف نسمة، ومجموع ساكنة هذه المراكز الصغرى يتجاوز حاليا 71 ألف نسمة، وهي بذلك تأوي حوالي ثلث السكان الحضريين داخل الجهة.

يتميز بعض هذه المراكيز بنسبة نمو مهمة ترتبط إما بنشاط إداري مهم مثل مدينة طاطا التي تشكل عاصمة إقليم، أو بكونه يشكل مدينة ـ مرحلة على طرق وطنية نشيطة مثل مركز بوزكارن، أو بسبب ظهور مرفق اقتصادي مهم مثل ميناء الصيد البحري الذي جعل من مدينة الوطية مركزا اقتصاديا صناعيا واعدا.

أما المراكز الأخرى فإنها تعرف نموا بطيئا، بل سلبيا في بعض الحالات، وذلك بسبب عدم ربطها بشبكة الطرق الوطنية مثل مركز فم زگيد، أو بسبب موقعها الداخلي والهامشي كمركز أسا والزاگ وأقا. وفي الواقع فإن هذه المراكز تبقى مرتبطة فقط بوظيفتها الإدارية بحكم أنها مقر دائرة أو جماعة وأحيانا عاصمة إقليم.

وعلى غرار باقي الجهات الصحراوية، يرتكز اقتصاد جهة گلميم ـ اسمارة على قطاع الصيد البحري الذي فتحت أمامه آفاق تطور واعدة بعد إنشاء ميناء الوطية العصري، وعلى القطاع الزراعي الذي يتميز بالإضافة إلى اعتماده على النشاط الرعوي بأهمية النشاط الفلاحي المسقي في إطار سلسلة الواحات المنتشرة عند قدم السفح الجنوبي للأطلس الصغير. كما أن النشاط التجاري أصبح منذ استرجاع الأقاليم الجنوبية للوطن الأم، يشكل دعامة اقتصادية أساسية داخل الجهة بعدما أصبحت بعض أقاليمها مثل گلميم وطنطان تلعب دور الربط بين شمال وجنوب البلاد بعدما كانت تشكل مناطق هامشية.

غداة استكمال الوحدة الترابية الوطنية عبر استرجاع المناطق الصحراوية المغربية التي ظلت تعيش تحت نير الاستعمار الأجنبي إلى حدود سنة 1975، تمكنت جهة گلميم ـ اسمارة من استرجاع دورها كصلة وصل بين المناطق الجنوبية والشمالية من التراب الوطني. وقد جعلها هذا التطور تجذب بعض الاستثمارات، لكن ذلك لم يمكنها من تجاوز مظاهر التهميش التي ظلت تعاني منها خلال فترة زمنية طويلة. وحتى التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تعرفها حاليا أصبحت تؤدي إلى اختلال مجالي صارخ بين المناطق الغربية وباقي تراب الجهة، اختلال لا يمكن تجاوز معضلاته إلا عن طريق سن سياسة مجالية تنبني على نبذ التركز وعلى وضع بنيات تحتية تجمع بين كافة أطراف هذه الجهة الواسعة.

الحسن المحداد

**گليز** (جبل -) يقع خارج سور مراكش من الجهة الشمالية الغربية، وهو يمثل النهاية الجنوبية لمجموعة مرتفعات تظهر بدايتها بعد الضفة الجنوبية لوادي تانسيفت. تزداد ارتفاعاتها من الشمال إلى الجنوب حيث تصل أعلى نقطة فيها إلى 525 م، وتوجد في جبل گليز. وهذا الاسم عندما يطلق فإنه ينسحب فقط على الجزء الجنوبي من هذه المرتفعات وإلى المرتفعات المجاورة له.

وكما يلاحظ بالنسبة لمراكش التي يبدوا أن اسمها ودلالته ظهرا مع تأسيس المدينة، فمن غير المستبعد أن جبل گليز قد عرف بهذا الإسم بداية من سنة 541 / 1146، وهي السنة التي حاصر فيها الموحدون مراكش.

وتجمع المصادر المتعلقة بتاريخ بداية الموحدين على أن موقع گليز نزلت به جيوش الموحدين سنة 541 / 1146، وذلك كآخر محطة في مرحلة الإياب من الحركة الطويلة التي قادها عبد المومن، حيث استخدم الموقع كمركز لتنظيم عمليات حصار مراكش قبل افتتاحها، ومعلوم أن الحصار دام مدة تزيد عن تسعة أشهر، وبه تمكن الموحدون ومن وضع حد لحكم المرابطين، لتنقل مقاليد الحكم والسلطة إليهم.

البيدق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ *المقتبس*، الرباط، 1971 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1994 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بنشريفة، سفر 8، قسم 1، الرباط، 1984.

محمد رابطة الدين

**كَليطُو** ويكتب أيضاً الكَلِّيطُو أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Carlet وQaliti ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**كليوباطرا سليني** Kleopatra Séléné زوجة الملك يوبا الثاني. وهي تحمل اسم والدتها التي تنتمي لأسرة البطالمة الذين سادوا في مصر ما بين 323 و30 قبل الميلاد. والملكة المذكورة سادت ما بين 51 و30 قبل الميلاد. وقد أنجبت ابنتها هذه بعد قرانها في مصر مع القائد الروماني أنطونيوس. ولدت كليوباطرا سليني حوالي سنة 40 قبل الميلاد مع أخيها التوأم المدعو الإسكندر والملقب بهليوس أي الشمس. أما لقب سليني فيعني القمر.

بعدما انتصر أوكتافيوس Octavius على أونطونيوس Antonius أخذ الفتاة أسيرة إلى رومة في سن الثانية عشر، وبرزت في الموكب الاحتفالي للقائد في رومة في يوم 15 غشت 29 قبل الميلاد. وقد تولت أوكتافيا Octavia أخت

أوكتافيوس وأرملة أنطونيوس تربية الأميرة الصغيرة في روما، وهي التي طلبت من أخيها أن يزوجها بالأمير النوميدي يوبا الثاني لما صار ملكا على المجال الذي كان يحكمه الموريون.

أما تاريخ زواجها فغير معروف. ويرجح گسيل أنه تم ما بين سنتي 20 و19 قبل الميلاد. وذلك اعتمادا على أول صدور لعملة أصدرها الملك في السنة السادسة من حكمه، تحمل القطعة صورتي الملك وزوجته كليوباطرا، ويرى الكاتب المذكور أن هذا يخلد ذكرى زواجهما. ويبدو من خلال العملة أيضا أن كليوباطرا سليني اشتركت مع زوجها في الملك، من خلال صدور اسمها وصورتها على العملة مع زوجها وفي كل الحالات يرد اسمها بالإغريقية مع لقب باسيليا Basilia أي الملكة.

أنجبت كليوباطرا سليني ولداً اسمه بطليموس Ptolemaeus ، نسبة إلى أجداده البطالمة. وهو الذي ورث حكم والده. إن تاريخ وفاة كليوباطرا سليني غير معروف. ويقول گسيل أنها ماتت قبل أن يتزوج يوبا امرأة أخرى في بداية القرن الميلادي الأول.

S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, t. 8, Paris, 1928 ; J. Mazard, *Corpus Nummorum Numidiae Mauretanaeque*, Paris, 1955 ; M. Coltelloni-Trannoy, *Le royaume de Maurétanie sous Juba et Ptolémée* (25 av. J.-C - 40 ap. J.-C), Paris, 1997.

محمد مجدوب

**گم گم**، يطلق هذا اللفظ على الهضاب الصخرية الجرداء الممتدة على جانبي وادي الداورة بالجنوب الشرقي المغربي (شكل 1 ) التي تتميز بتخدد كثيف بفضل أودية جافة. وتنحدر هذه الأشكال الهضبية المعروفة كذلك بحمادة كم كم من الشمال (1200 م) في اتجاه الجنوب بمنطقة عرق مغيتي (500 م). وقد عمل واد الداورة على تقطيعها إلى جزأين غير متماثلين، جزء كم كم آيت تاغلة الذي يمتد في الغرب على نطاق واسع وجزء كم كم إرجدلن في الشرق وهو أقل امتدادا، وكلاهما ينتمي إلى مجال نفوذ قبيلة آيت خباش بالجنوب الشرقي المغربي.

يتكون سطح حمادة كم كم من تعاقب طبقات صخرية كلسية راشحة تعلو طبقات صلصالية غير نافذة، تتخللها صفوف وعروق ملحية (جبص) ترجع إلى بداية العهد الكريطاسي وبالضبط إلى السينومانو التيروني، الذي يعرف امتداداً واسعاً في المجال الجنوبي الأطلسي وداخل المجال الصحراوي بصفة عامة. هذه الصخور تغطي مباشرة وبشكل متنافر تضاريس الزمن الأول المنتمية إلى مجال الأطلس الصغير. وتندرج حمادة كم كم ضمن الحمادات السفلى حسب طبوغرافيتها واستراتغرافيتها.

ونظراً لطبيعة الصخور الكلسية المكونة لهذه الهضاب، فإنها لا تسمح بتجمع المياه أثناء فترات المطر، النادرة على العموم، هي التي لا يتعدى متوسطها (50 مم / سنويا)، أو حتى خلال تلك التي تسقط على شكل زخات مركزة في حالات استثنائية، إذ سرعان ما تنحدر في اتجاه واد الداورة. بالمقابل لذلك، تتسرب نسبة مهمة من هذه المياه لتمول على أعماق متفاوتة بعض الفرشات القريبة من السطح، هي التي عمل الإنسان منذ زمن بعيد على استغلالها من خلال حفر بعض الآبار، خاصة في جزء كم كم آيت تاغلة لإنشاء فلاحة معيشية وغراسة بعض أشجار النخيل في حدود واحة ضيقة. غير أن الجفاف المميز لهذه المنطقة قيد النشاط الاقتصادي الذي أصبح يتمثل في الرعي على الخصوص، إذ يتنقل القطيع المكون غالبا من الماعز والإبل في الاتجاهات الأربعة للحمادة بحثا عن الكلأ.

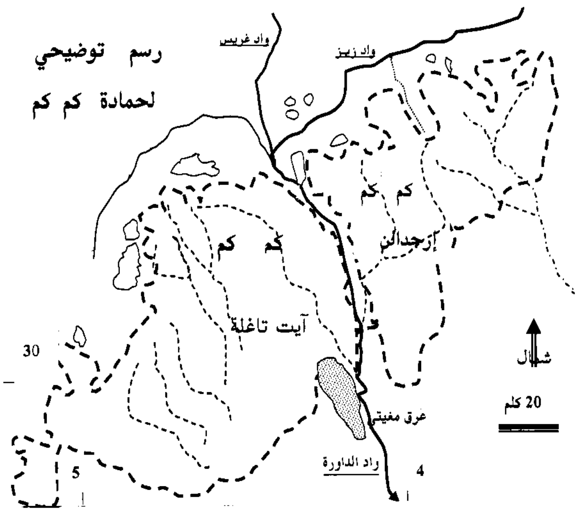


تشرف هضاب كم كم، كباقي الحمادات في الجنوب الشرقي المغربي، على منخفض تافيلالت في الشمال بفضل حافة يصل ارتفاعها أحيانا 300 م وتمتد من فتحة واد الداورة في الشمال الشرقي إلى فتحة (خو الطريق) في الجنوب الغربي، المعروفة تاريخيا بالحد الفاصل بين نطاق درعة ونطاق تافيلالت جنوبا. وفي اتجاه الجنوب، حيث اتجاه انحدارها العام، تفصلها حافات حمادات كل من كير والداورة ودرعة، اللواتي تفصلها عنها منخفضات طولية هي عبارة عن سبخات، كسبخة زكدو والجربوعة أو تراكمات رملية أهمها عرق مغيتي بمخرج واد الداورة.

وما يميز حمادة كم كم عن باقي حمادات الجنوب المغربي، هو تقطيعها الكثيف والكبير بفضل أودية جافة تعبر عن نشاطها خلال الفترات المطيرة التي سادت في الزمن الجيولوجي الرابع، إضافة إلى تموج سطحها وتفتيت كبير لصخوره العلوية التي أفرزت رقوقا ذات إمداد كبير في غياب غطاء نباتي. وقد عمل التقطيع الشديد لحافة الحمادة على عزل متون ناتئة، متدرجة ومتتالية على طول امتدادها يطلق عليها محليا اسم منقار، وأشكال تلية وأكمات تعرف بالكارات (جمع كارة).

وأصل لفظ كم كم تعتريه كثير من الصعوبات في تحديده

نظراً لتضارب الآراء وقلة المراجع الموثقة. فإذا كانت المراجع الفرنسية، خصوصا منها الجيولوجية، ترجح الأصل الأمازيغي للكلمة فإن النطق بها أو كتابتها توحي إلى أصل عربي نظراً لبدايتها بكاف وليس بألف أو تاء كما هو شائع في الأمازيغية. والراجح هنا أن تكون الكلمة من أصل عربي، وتوافق حسب لسان العرب كلمة أكم وهي جمع لأكمة. "والأكمة هي تل من القف وهو حجر واحد. وقيل هو الموضع الذي هو أشد ارتفاعا مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجرا". كما أن كلمة كم تفيد التكثير وهي سؤال عن عدد، وعليه قد نجد في كلمة كم كم ما يفيد كثرة الأكمات بعد تحريف يكون قد لحق بأصل الكلمة. ويطلق اللفظ أيضا على الوادي الذي لا يؤدي إلى مخرج.

محمد بنبراهيم

**الكمشة** (نبات -) تعني هذه الكلمة في اللسان المغربي الدارج قبضة اليد عن طريق ضم الأصابع إلى الكف في اتجاه الأعلى، وتطلق في المناطق الجافة المغربية الجنوبية على نبتة حولية عشبية مشهورة باسم "زهرة أريحا" (Fleur de Jéricho ). في حالة الترطيب تخضر الكمشة وتتفتح أزهارها، بينما تذبل وتنكمش وتنغلق على بذورها في حالة التجفيف. وتنمو الكمشة على الخصوص عند المنخفضات الرطبة الأقل ملوحة بالمناطق الجافة، وتعتبر من النباتات الرعوية المطلوبة كما أن لها استعمالات متعددة في الطب التقليدي المحلي. من بين المناطق التي تظهر بها الكمشة نذكر المنخفضات المنتشرة حول مجرى واد درا الأسفل بإقليمي أسا - الزاك وطنطان.

الحسن المحداد

**الكمنجة** أو الكمان آلة موسيقية من ذوات الأوتار، يوقع عليها بالقوس. وهي تنتمي إلى آلة الڤيول Viole التي يعود ظهورها إلى بداية القرن السادس عشر، وقد حلت محلها منذ القرن السابع عشر، وأصبحت منذئذ الآلة الأكثر استعمالا في الموسيقى الغربية.

ويُرجع بعض الباحثين أصلها الأول إلى آلة الرباب ذات القوس التي ابتدعها العرب ونشروا استعمالها في سائر أنحاء العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، والتي تسربت إلى البلاد الأوربية في القرن الحادي عشر عن طريق الأندلس المسلمة، وعلى منوالها صنعت الروبيلا Rubella في فرنسا، والريبيك Rebec في إيطاليا، ثم تطورت هاتان الآلتان ومثيلات لها في أواخر القرن الخامس عشر إلى ما سيعرف بالڤيولا Violla التي ستتفرع - بدورها - إلى أنواع أبرزها : ڤيولا الذراع Violla da braccio و ڤيولا الركبة Violla da gamba.

وتعتبر الكمجنة، في هيئتها المتطورة، دخيلة على الموسيقى المغربية بأنواعها، يؤكد هذا شواهد متعددة منها :

- خلو كتاب *"الأنيس المطرب"* لمحمد بن الطيب العلمي من ذكر هذه الآلة، علما بأن العلمي أخذ معلوماته في الموسيقى الأندلسية عن محمد البوعصامي أحد أعلام المدرسة الفاسية في القرن الثاني عشر (18 م). ويسرد ذكر الكمنجة لأول مرة في كتاب *"السقا ومغاني الموسيقى"* للعلامة الرباطي إبراهيم التادلي (ت. عام 1311 / 1894) الذي أحلها المرتبة الثانية بعد العود من بين أحسن آلات الطرب، وذكر أن الغالي الجمل الفاسي كان من أمهر العازفين عليها.

- إشارة وردت في قصيدة لشيخ الملحون محمد بن علي المسفيوي المتوفى بسلا عام 1350 / 1930 ؛ وهي تنم عن إحساسه بأن الكمنجة آلة "رومية" (أي غربية) دخيلة على فن الملحون، يقول المسفيوي :

كَمَنْجا شَغلَ الـروم     اتفقد الذي مغـرُومْ

ومن المرجّح أن هذه الآلة شقت طريقها إلى أجواق "الملحون" و"الآلة" عن طريق ممارسي الطرب الغرناطي منذ أن حلت بالمغرب فلول الموريسكيين في الفترات التي أعقبت سقوط غرناطة واستمرت حتى مطالع القرن السابع عشر.

وباستثناء أجواق الموسيقى المغربية "العصرية"، تتميز المجموعات الموسيقية - سواء منها التراثية كأجواق "الآلة" و"الملحون"، أو الشعبية كأحيدوس وفرق العيطة الجبلية والحوزية - بطريقة خاصة في العزف على الكمنجة، تقضي بوضعها على شكل عمودي على الركبة. وهذه طريقة تذكر بكمان الركبة Violla da gamba التي كانت حتى الثلاثينيات من القرن العشرين سائدة بين فرق الفلامينكو بجنوب إسبانيا.

وقد عرفت الساحة الفنية في العقود الأخيرة مجموعة من النابغين في العزف على الكمنجة، كان من بينهم في مجال الموسيقى الأندلسية : المعلم سعيدو، والمعلم منصور، وأحمد بن المحجوب زنيبر، ومحمد البارودي، ومحمد بلخضير، ومحمد الشلح، وفي مجال الطرب الشعبي : الفنان محمد قيبو الشهير بالماريشال.

إ. التادلي، *أغاني السقا ومغاني الموسيقى*، الخزانة العامة بالرباط رقم 109 د، ص. 76 و77 ؛ ع. بن عبد الجليل، *الموسيقا الأندلسية المغربية* ، فنون الأداء، سلسلة عالم المعرفة، ع. 129، الكويت، 1988، ص. 241 - 244 ؛ محمد بن الطيب العلمي، *الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب*، خزانة الجامع الكبير، مكناس.
Roland de Candé, *Dictionnaire de musique*, Ed. du Seuil, Imp. Tardy à Bourges, 1963, p. 253-257.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الكمُّون** أو الكَامُون أو كُومينُومْ سِيمِينُوم Caminun cyminum نبات من فصيلة الخيميات Apiaceae.

إنه نبات عشبي وحولي صغير القامة، وجذاب أوراقه رفيعة أزهاره قرمزية صغيرة. ثماره بيضية طويلة، وذات لون ناصع، وعطرية.

الموطن الأصلي للكامون هو المنطقة المتوسطية، لكن استعماله وزراعته عرفا منذ أقدم العصور، مما جعله ينتشر

في جميع أرجاء العالم نظراً لاستخدام ثماره كمادة معطرة في عدة وصفات الطبخ وفي تحضير الخبز والحلويات والجبن والمخللات والمشروبات، إضافة إلى تداولها في التطبيب التقليدي كما هو الشأن في حالات أمراض المعدة والأمعاء.

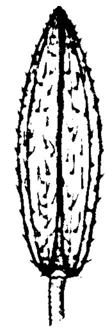

J. Bellakhdar, *La pharmcopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p.

عبد المالك بنعبيد

**الكُمُّون** ، هو الجزء الصغير بكل شريطة أو فدان زراعي، ويعد أساس العمليات الزراعية خاصة في إنتاج الخضروات والمواد العلفية كالفصة مثلاً، فكل شريطة مقسمة إلى مجموعة من "الكْمَامِينْ".

*التحري الميداني بواحة ميسور.*

محمد ازهار

**كمين حديقة الحيوانات**، عبارة أصبحت متداولة منذ نهاية يوليوز 1956 من قبل رجال المقاومة المغربية وذوي الاختصاص في تاريخ المغرب خلال السنوات المتأخرة من الحماية. والمقصود بها اعتراض سبيل أربعة مقاومين من منظمة الهلال الأسود للمقاومة واغتيالهم عند حاجز أقامه محسوبون على جهاز الأمن بالمغرب، وذلك ليلة السبت 28 يوليوز 1956، وقد اهتمت صحافة الفترة كثيراً بهذه العملية لأن الضحايا كانوا يشكلون قادة المنظمة المذكورة التي رفضت إلقاء السلاح، وربطت ذلك بجلاء آخر المحتلين وعدم ترك الجزائر تواجه لوحدها سلطات الاحتلال الفرنسي.

أما ضحايا هذا الكمين فهم عبد الله الحداوي وخاله العربي السامي - أحد الوطنيين البارزين بالدار البيضاء - والأستاذ محمد الطيب البقالي الذي كان يدرس اللغة الفرنسية بمدرسة المعلم بوشعيب الأزموري بالمدينة الجديدة في الدار البيضاء ومصطفى بن موسى.

كان القادة الأربعة أثناء اغتيالهم عائدين لتوهم من الرباط حيث حظوا بشرف استقبال السلطان محمد بن يوسف لهم، وكان موضوع اللقاء طلب التدخل لإيقاف الاضطهاد الذي كان يلاقيه رجال الهلال الأسود من رجال "المنظمة السرية" التي أصبحت خاضعة لتوجيه راديكاليين في حزب الاستقلال كانوا يسعون في احتواء المقاومة المغربية للضغط بها على القصر، وكان من أبرز المتورطين في هذا الاضطهاد الحسين الصغير وأحمد الطويل، نزولاً عند أوامر كانت تصدر إليها من إدريس السلاوي مدير الأمن بالدار البيضاء وإدريس المحمدي وزير الداخلية وهو من رجال حزب الاستقلال، وقد راح ضحية هذا الاضطهاد مقاومون من حزب الشورى والاستقلال ومن الحزب الشيوعي المغربي وآخرون بدون انتماء، كما راح ضحيته أشخاص لم يكن لهم أي ارتباط بالمقاومة وبالصراع الذي أجّجه محمد الفقيه البصري الراديكالي الذي قام بدور كبير في الانشقاق الذي عرفه حزب الاستقلال في عام 1959 وأدى إلى ميلاد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في 6 شتنبر 1959، وإضعاف حزب الاستقلال.

*شهادة عبد الله العياشي*، مقابلة بتاريخ 21 مارس 1990 ؛ *الكواليس*، ع 437، 19 يوليوز، 1985 ؛ ع 438، 26 يوليوز، 1985 ؛ *العلم*، ع 2247، 30 يوليوز، 1956.

*La Vigie Marocaine*, 29 juillet 1956.

محمد وحيد

**كناشة**، جمعها كناشات، وهي دفتر يسجل فيه صاحبه مختارات مما يقرأ أو يسمع، وقد يضيف لذلك إنتاجه، فهي شبه مذكرات يدون فيها المعنى بالأمر ما يهمه حسبما اتفق له دون انتظام أو تبويب. وكثيراً ما يتداول كتابتها أكثر من شخص واحد، لذا توجد بها خطوط متنوعة. وهي تعكس - في الغالب - اتجاه صاحبها وتخصصه، فيغلب الأدب على مدونات الأديب، والتاريخ على مقيدات المؤرخ، والفقه على سجلات الفقيه وهكذا ... وهي لا تحمل - في الأكثر - اسم صاحبها أو أصحابها بطريقة واضحة، وإنما يعرف ذلك - عرضا - من ثنايا المقيدات أو بواسطة مقارنة الخطوط.

والكناشة تسمية مغربية صميمة كما ورد في "تاج العروس" : "... ومنه الكناشة : لأوراق تجعل كالدفتر، تقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط، هكذا استعمله المغاربة ..."

ونفس الواقع يؤكده المستشرق دوزي في ملحق المعاجم العربية : "والكناشة عند المغاربة مجموعة تدرج فيها قواعد وفوائد".

وحسب ما جاء عند محمد المنوني فإن هذا النوع من التقاييد انتشر لدى المشارقة الذين كانوا يطلقون عليه اسم : التذكرة، مثل "تذكرة ابن حمدون" و"تذكرة ابن مكتوم" و"تذكرة الصفدي" و"تذكرة ابن مبارك شاه" وسواها إلى "التذكرة التيمورية" المنشورة حديثا. ويبدو أن الكناشة بهذا العنوان لم تعرف في الأندلس وإنما يذكر ابن الخطيب في *"نفاضة الجراب"* اسم الكناش للدلالة على موضوعين من مؤلفاته هما : أرجوزته الألفية في أصول الفقه، ورسالته المعنونة بـ *"مثلى الطريقة في ذم الوثيقة"*.

وقد كان هذا اللون من التسجيلات شائعا في المغرب،

ولم تختص به ناحية دون أخرى، ولا يعرف ـ بالضبط ـ تاريخ ظهورها، وأقدم كناشة جاء ذكرها هي كناشة عبد الرحمن محمد الجادري (777 ـ 818 / 1376 ـ 1415) التي نقل عنها الونشريسي (ت. 914 / 1508) في مؤلفه "*المعيار*" كما أفاد منها محمد العربي الفاسي (ت 1052/ 1642) في بعض مؤلفاته.

ومن المؤكد ـ حسب محمد المنوني ـ أن هذا النوع من المقيدات ينتشر في العهد الوطاسي، وهكذا استعمل اسم "الكناش" عنوانا للترجمة الذاتية التي كتبها لنفسه أحمد زروق (846 ـ 899 / 1442 ـ 1493)، وبعده يأتي عبد الواحد الونشريسي الذي خلف عدة كناشات. ثم عبد الرحمن بن علي سقين (ت. 956 / 1549) الذي كان ولوعا بالتقييد وقيد بخط يده مالم يقيده أحد من معاصريه.

ويعتبر العصر السعدي فترة انتظام للكناشات التي انتشرت بالمغرب في أوساط العلماء والأدباء واستعملها الشهود والطلاب، بل صار من مكملات ظرف الطالب أن يتوفر على كناشة لتسجيل الفوائد. مما ترتب عنه ظهور ـ حسب محد المنوني ـ نخبة من المقيدين للفوائد والفرائد في بطاقات متفرقة، أو بكناشات منتظمة، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر محمد بن قاسم القصار (ت. 1012 / 1604) وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي (ت. 1036 / 1626) ... وعرف المغرب في العصر العلوي انتشاراً واسعاً لهذا النوع من المقيدات تخلفت عنه ثروة ضخمة ورصيد مهم من الكناشات. ففي تطوان مثلا يفيدنا عبد الله بن شطير التطواني في كناشته "*نضار الأصيل*" بالإشارة إلى نخبة من أصحاب الكناشات الذين أخذ منهم وهم : علي بن عبد السلام بن ريسون والمامون أفيلال وأحمد غيلان وأحمد بن أحمد حجاج. كما خلف عدد من الأعلام في مدن فاس ومكناس ومراكش والرباط وسلا وفي بلاد سوس من الكناشات ما يضيق هذا المجال عن حصره. ويعرض محمد المنوني لنماذج مما بقي من هذه الكناشات محفوظا بالخزانة العامة والخزانة الملكية وعددها 77 كناشة نذكر منها :

ـ الكناشة الزجالية وهي أقدم كناشة مغربية باقية دونها محمد بن قاسم الزجالي الفاسي (ت. 1072 / 1662).

ـ الكناشة الفاسية أكثرها بخط أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي (ت. 1118 / 1704).

ـ الكناشة السودية لمحمد بن محمد ابن سودة.

ـ الكناشة اليحمدية لأحمد بن الحسن اليحمدي (ت. 1132 / 1720).

ـ كناشة الهزروم عبد القادر (ت. 1204 / 1786) كاتب السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

ـ كناشتان لمحمد الطيب بوعشرين (ت. 1286 / 1869) وزير السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام.

وعرض محمد المنوني لبعض من هاته الكناشات في كتابه المصادر العربية لتاريخ المغرب، الجزءين الأول والثاني بدءا من كناشة أحمد زروق (ت. 899 / 1594) وانتهاء بكناشة أحمد النميشي (1258 / 1840) وكناشتي محمد بن عبد الله المراكشي. ومن الأعلام المعاصرين الذين دونوا كناشاتهم نشير إلى محمد الكانوني ومحمد بن علي الدكالي والعباس بن إبراهيم التعارجي والمدني بن الحسني ومحمد النميشي وأبي الاسعاد الكتاني وعبد السلام ابن سودة وعبد الله الجيراري ومحمد داود ومحمد عابد الفاسي ومحمد بن إبراهيم الكتاني ...

وتعتبر الكناشات مصادر تاريخية دفينة هامة لأنها ـ كما جاء عند المنوني ـ قد تنفرد بإفادات منوعة ربما تكون غير معروفة بالمرة، فتكشف هذه الإفادات عن معلومات جديدة : في موضوع التراجم أو أحداث مجهولة يجليها شاهد عيان، واقتباسات من مؤلفات صارت ضائعة، وأحيانا يقع العثور على معلومات لم تكن إذاعتها ميسورة في حياة مدونها، هذا إلى أن عديدا من هذه المقيدات تستفاد منها الترجمة الذاتية لصاحبها كلا أو بعضا، زيادة على أن بعض الكناشات تحتفظ بمؤلفات نادرة. وقد اعتمد عدد من المؤرخين المعاصرين على الكناشات الموثوق بصحتها، فالمؤرخ ابن زيدان اعتمد عدداً منها ككناشة اليحمدي وابن عاشر الحافي، وأبي الربيع الحوات، وأبي بكر المنجرة، ومحمد بن التهامي ابن عمرو الرباطي وأحمد بن الطاهر الازدي المراكشي، والطالب ابن الحاج، والمهدي ابن سودة، والأمير العباس العلوي، والمدني بن الحسني ...

كذلك استفاد الكتاني من كناشات ابن عاشر الحافي ومحمد بن الخياط القادري، وابن عبد السلام الناصري في كتابته للتراتيب الإدارية. وهكذا الحال بالنسبة لمحمد الكانوني ومحمد بن علي الدكالي والعباس بن إبراهيم ومحمد المختار السوسي ومحمد داود. كما أن جرمان عياش اعتمد كناشة الوزير الطيب بوعشرين في دراسته عن الأزمة المالية بالمغرب بعد الغزو الإسباني 1860. وإن عدداً من الباحثين في مختلف الجامعات استفادوا من هاته الكناشات في دراساتهم.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أحمد مختار العبادي، القاهرة، ص. 187 ـ 188 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج 6، ص. 208 ؛ ر. دوزي، *ملحق المعاجم العربية*، ط 3، باريس، 1967، 2 : 294 ؛ م. م. السوسي، *سوس العالمة*، ص. 205 ؛ *المعسول*، 5 : 72 ـ 88 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 118 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1979، ص. 277 ؛ الكناشات المغربية، مجلة *المناهل*، ع 2 : 196 ـ 232.

رقية بلمقدم

**الكنافدة** ، هم سكان دوار أصله رباط كان يحرس الطريق أمام مشرع الحضر والمرجة الزرقاء في منطقة الغرب لمنع المسيحيين من التسرب إلى داخل البلاد في حالة ما إذا نزلوا على ساحل البحر قرب ضريح مولاي بوسلهام.

Michaux-Bellaire et G. Salmon, *Les tribus arabes...*, p.104.

المصطفى البوعناني

**كناوة** ، حسب ما تنطوي عليه المصادر. تعود جذور كناوة إلى إفريقيا جنوب الصحراء أو السودان الغربي حيث كانت هناك إمبراطوريات عريقة كمالي وسنغاي وغيرهم وحيث ازدهرت التجارة وبرزت أسماء لمدن لها وزن تجاري وحضاري وإشعاع علمي وثقافي مثل مدينة تمبكتو وكاو وغيرهما ، نقف على هذا من خلال مازالت تحمله لغتهم من معجم بامبارا مثل بولاندي، لاندو، ساندي، جوجو ناما ، ماجازي، بولاي فولاني، كومي، بالا الدايمة، سيدي لاي، وغيرها.

كما نجد مجموعة من الإشارات في مصارد مثل رحلة ابن بطوطة حيث يذكر في هذا الإطار الاحتفالات التي يقيمها السلطان السوداني المعاصر للسلطان المريني يعقوب المنصور بالمغرب بمناسبة العيد بعد الصلاة مباشرة والتي يتخللها ألعاب المسايفة والاستماع لأغاني يؤديها جوق من غلمان يضربون الطبول وفي نفس الوقت يقومون بألعاب بهلوانية وعلى رؤوسهم شواشي أي قبعات.

ولعل المتتبع لهذه الظاهرة من خلال ما جاء به ابن بطوطة وفرجة كناوة حاليا يلمس التشابه والتقارب إلا أنه كان لا بد من انتظار فترة السعديين الذين سيطروا على منطقة السودان الغربي حيث كانوا يجلبون الذهب والملح العبيد الذين استغلوا في العمل بمزارع السكر في مناطق سوس والصويرة ليشهد المغرب دخول الأفواج من العبيد بشكل رسمي.

وهناك مرحلة ثانية شهدت استقدام مجموعة أخرى من العبيد على عهد السلطان المولى إسماعيل في منتصف القرن (17) إذ فرقهم على القصبات وأحدث منهم جيش البخاري. وفي عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله تم إسكانهم بمنطقة الصويرة الناشئة لتعميرها حيث نجد حيا لازال قائما يحمل اسم الباخر كما نجد كذلك درب كناوة في مجموعة من المدن التقليدية مثل مراكش والدار البيضاء وأسفي ومكناس وفاس وغيرها ، ولا ننسى كذلك التبادل التجاري والثقافي الذي كان قائما بين المغرب والسودان والذي ساهم في دخول مجموعات من العبيد واستقرارها بمدن مختلفة من المغرب. والملاحظ أن هذه المجموعات رغم دخولها إلى المغرب بقيت منغلقة على نفسها ومحافظة على نمط عيشا وطقوسها وغنائها الذي يذكر بمعاناتهم وظروف مغادرتهم لأوطانهم وحنينهم وتوسلاتهم. وعن طريق هذه المجموعات العبيدية بدأ هذا الفن ينتشر ويعم مختلف مناطق المغرب ويتجذر عند مختلف العناصر السكانية المغربية بفضل التساكن والتعايش حتى أصبح فن كناوة فرجة شعبية تشد إليها الجميع.

أما بخصوص التسمية فهناك من يرى أن التسمية تعود إلى قبيلتهم الأصلية الكانكا والتي توجد بين تمبكتو وتالاندي بمالي الحالية ومنها جاءت كلمة كناوة وهناك من يرى أن هؤلاء العبيد لما استقروا في منطقة وادي نون تأثر فنهم بخصوصيات العرب الرحل من جهة وخصوصيات القبائل الأمازيغية من جهة ثانية وبالتالي حصل ذلك التداخل والتمازج بين التأثيرات وممارسات العبيد اليومية ليخلق فنا كناويا له خصوصيات معينة في هذه المناطق الجنوبية (واد نون سوس) ، مثل استعمال الحسانية في الكلام وكذا استعمال بعض الأدوات غير التي نجدها عند كناوة في منطقة أخري كشمانكلا التي تعني بالأمازيغية الطبل وقد تطورت هذه الكلمة لتشمل هذه المجموعات التي تستعمل الطبل في طقوسها واحتفالاتها والذين يعتبرون مريدي للا ميمونة. وقد يرجع كذلك أصل التسمية إلى إكناون الذي يعني بالأمازيغية الكلام غير المفهوم، وقد يعني كذلك السود وهذا قريب من الواقع نظرا لأن لغة كناوة بامبارا هي غير مفهومة بالنسبة للبيئة الأمازيغية التي احتضنت هذه الأقليات المنغلقة على نفسها وإلى حد قريب كانت لا تزال أسر تعود إلى هذه الأصول ذات الجذور الإفريقية مثل أسرة كانيا بمدينة الصويرة التي أعطت معملين كبار للفن الكناري بالمغرب.

من خلال مجموع هذه الآراء التي قدمتها مختلف الدراسات حول تسمية كناوة يظهر أن تركيبة التسمية من مفردات متقاربة فيما بينها مثل كانكا كانيا أكناو ... تدل على أن أصل التسمية له علاقة بالمحيط والمجال والطقوس الإفريقية على أن اسم كناوي هذا موجود في المغرب يقابله في كل من الجزائر وتونس كلمة السوداني.

وإذا ألقينا نظرة على آلات كناوة نلاحظ أنها تنفرد ببعض الأدوات الخاصة والتي من دونها لا يمكن غناء القطع أو (الملوك الكناوية). وضمنها نجد الآلات الوترية والإيقاعية باستثناء الآلات النفخية ومن بين هذه الآلات الهجهوج أو الكنبري أو السنتير أو الدندنة : وهي آلة وترية عبارة عن جذع شجرة أجوف يدعى الجبح يتم تجليده بجلد رقبة الجمل وتمتد وسطه عصى تشد إليها الأوتار الثلاثة والتي تدعي بدورها بالفوقية الوسطية والفوقية التحتية وهي تصنع من مصارين الماعز. ويعد "السنتير" عماد العزف في ليلة كناوة

وله اعتبار خاص لدى اگناوة حيث يتم تبخيره من طرف المعلم والاعتناء به.

محمد جنبوبي، *گناوة*، جريدة *بيان اليوم*، يوليوز، 1999، ص. 12.
Chlyha, *L'univers des Gnaoua*, éd. Le Fennec 1999, Casablanca.

علال ركوك

**الگنبور، الحسن** بن **محمد** بن **أحمد** بن عبد العزيز المعروف بكنبور بكاف معقودة، الوريجلي الأصل اللجائي المولد والقرار. كان "عالما بالنحو مستحضرا لقواعده، له المعرفة التامة بالحديث، حافظا لمسائله قل من يعرفه ... عارفا برجاله ولوعا به يتكلم على الوقائع والغزوات وأسماء الصحابة والأزواج ... وبالجملة فله مشاركة حسنة ولكن غلب عليه علم القراءات والحديث فهو القدوة فيها وإليه المفزع في ذلك".

وأما طلبه للعلم ورحلته وأشياخه فذكر في كناش له أنه بعد أن حفظ القرآن وقرأه بقراءة أهل الزمان، ارتحل إلى الشيخ الناسك سيدي محمد بن إبراهيم الزروالي العصفوري وقرأ عليه ختمتين بزاوية الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن الحسن الحمومي. وأخذ القراءات على الشيخ أحمد بن عبد الرحمان في مدشر بوقرة، ثم ارتحل إلى الشيخ المرابط محمد الخمسي (قبيلة بني زروال). ثم قفل بعد ذلك إلى شيخه العصفوري فأخذ عنه قراءة السبع رواية ودراية بسندها، وأخذ أيضا عن الفقيه الأجل سيدي الهاشمي بن عبد المجيد الگناوي اللجائي، وأخذ عن التهامي الرهوني (وكان له باع في قراءة العشرين). وحفظ جملة من المتون. وعقد الرحلة بعد ذلك إلى فاس وهي يومئذ زاهرة بمجالس العلم من كل فن والعلماء الكبار متوافرون، والخليفة مولاي سليمان معتن بالعلم وأهله، باذل فيه نفائس الأموال في نشره. فأدرك من الأشياخ الكبار سيدي يحيى الشفشاوني، والشيخ الأصولي المفسر اللغوي أبي محمد الطيب بن كيران، وكان يقرئ التفسير بين العشاءين، وقرأ عليه *مختصر السعد*. وعلى الفقيه عبد السلام الشريف قرأ دالية ابن المبارك بشرح عبد الرحمان المنجرة، وأخذ عن أبي الربيع سليمان الحوات، وقرأ على العلامة شيخ الطلبة الكبار، سيبويه عصره في العربية، أبي العلاء سيدي إدريس العراقي الألفية بتصريح الشيخ خالد الأزهري والسنوسية وشيئا من صحيح البخاري، وقرأ عل الشيخ محمد بن عمر الزروالي المختصر والألفية وضبط الخراز بالتنسي وبعض الشاطبية بالجعفري وصدرا من البخاري، وقرأ على أبي بكر بن إدريس بن عبد الرحمان المنجرة كثيراً من الفنون (قرأ عليه *مورد الظمآن بفتح المنان*، وفنونا أخرى)، وقرأ على الشريف الفلالي سيدي محمد بن طاهر شيئا من التفسير، وقرأ على حمدون بن الحاج وأبي عبد الله محمد بناني أبوابامن الألفية. والتقى مع الشيخ محمد بن عبد القادر الزرهوني قدم عليه بالزاوية الإدريسية بزرهون مرارا وأخذ عنه الورد الناصري. وفي حجته التقى ببعض الأشياخ كالشيخ المالكي الحاج مومن، أخذ عنه الورد الناصري، والشيخ الأمير والشيخ الميلي التازي الأصل، أخذ عنه الورد الناصري.

وممن أخذ عنه خلق كثير لا سيما في علم القراءات منهم ولده سيدي الحاج عبد السلام، ومنهم الحاج الصنهاجي، ومنهم محمد بن طاهر الهواري،والد صاحب تنوير الصدور، وكان بينه وبين الهواري المذكور مراسلات ومكاتبات ذكر صاحب التنوير "أنها لازالت محفوظة عندهم"، لعظيم الصلة التي كانت تجمع الرجلين.

أما تآليفه فذكر الهواري أنه لم يكن ولوعا بالتأليف ولا متفرغا له، وإنما كان ولوعا بعبادة ربه وصفاء باطنه، فاستغرق أوقاته في ذلك، "ومع ذلك لم يخل منها ولا حرم ثوابها". فله شرح على المرشد المعين، وشرح على دالية ابن المبارك، وشرح على أسماء الله الحسنى، وشرح مستقل على الإدغام الكبير من حرز الأماني، وطرر على فتح المنان (ذكر في فهرسته أنه كانت في حوزته نسخة منه فكان يضع عليها الطرر). ويذكر الهواري نقلا عن ولد المترجم، أنه كان يريد أن يخرجها حاشية، وكتاب في المواعظ لم يكمل دون ما له من الأجوبة على المسائل الواردة عليه من جميع الفنون.

ذكر في التنوير أنه كان "عالما خاشعا، زاهدا متقشفا متواضعا، ورعا صلبا في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، عالي الهمة، معرضا عن أهل الدنيا والملوك... متخشعا في ملبسه، صواما قواما، قويا في الطاعة مع ضعفه، كثيرالصمت دائم المراقبة عليه أثر الخشوع ..".

بعثه المولى سليمان مع ولده الذي كان يقرأ عليه للحج وبعث معهم ابن أخيهم مولاي عبد الرحمان فوقعت له معه حكايات.

توفي المترجم عام 1283 ، وقبره قرب داره بأعلى قرية أولاد سيدي عبدالرحمان الشريف من قبيلة الجاية بمحل كان حبسه لدفنه ودفن آله، وحضر لجنازته خلق عظيم من عامة النواحي من الجاية وسلاس وبني زروال والحياينة. وبعث أمير الوقت السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بن هشام بكتاب تعزية. ورثاه عدد من أعيان الزمان مثل محمد بن عبد الرحمان بن يعيش الصنهاجي، وتلميذه الشريف محمد بن عبد المالك.

ع. السلام الهواري، *تنوير الصدور بالتعريف بسيدي الحسن كنبور*، مخطوط، خ. ع. الرباط، 1813.

عبد المجيد بوكاري

**الـگنبري**، تندرج تحت تسمية "الگنبري" ثلاثة أنواع متفاوتة الأحجام من الآلات ذوات الأوتار، وهي :

- السويسدي. وهو أصغر الثلاثة حجما، ويستخدم في أجواق طرب الملحون.
- الفرخ. وهو أوسط الگنابر حجما، ويتراوح طوله بين 40 و50 سم.

ـ الهجهوج. أكبر الثلاثة حجما، وأقدرها على إحداث النغمات الغليظة. ويمتد طوله بنحو 60 سم. وأكثر ما تستخدمه طوائف كناوة التي تطلق عليه اسم "گانگا".

ويرجح أن يكون الهجهوج ـ خاصة ـ مما جلبه الزنوج إلى المغرب في العهود القديمة، فقد أورد ابن بطوطة ذكره عند وصفه لمجلس سلطان مالي منسى سليمان بالمشور فقال : "ويخرج بين يديه المغنون وبأيديهم القنابو". ويرتبط بذلك اعتقاد العازف المالي المعاصر بنزومانا سيسوكو أن آلة الهجهوج الذي تستخدمه طوائف گناوة بالمغرب هي أخت آلة "انگوني" السودانية، فكلتاهما تحمل نفس الخصائص.

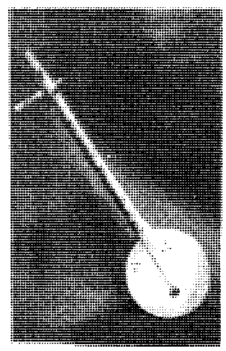

تتخذ الگنابر ـ بمختلف أحجامها ـ شكل صندوق مصنوع من شجر الگرگاع أو الصفصاف، وطريقة ذلك أن تجتزأ من جذع الشجرة قطعة فيحفر جوفها بمنقاش حديدي الرأس يدعى "الغنجاب" ويستمر الحفر لغاية أن تصبح القطعة على هيئة نصف إجاصة مفرغة لا يتجاوز سمك غلافها سنتمتر واحدا، ثم تغطى الحفرة بقطعة من جلد الجمل بعد أن تشد إليها عصا طويلة مخروطة تشكل عنق الآلة.

تمد على الگنبري في صورته الوسطى والكبرى ثلاثة أوتار من مصران المعز، فتشد أطرافها بخيوط مفتولة من المصران في مواقع متفاوتة من العنق بحسب درجة تسويتها.


ابن بطوطة، *الرحلة*، تح. وتقديم، علي المنتصر الكتاني، بيروت، ج 2، ص. 784 ؛ ع. بن عبد الجليل، *مجلة المناهل*، ع 27 شوال، 1403، يوليوز، 1983، ص. 52 ، إصدار وزارة الشؤون الثقافية، الرباط.

A. Chottin, *Tableau de la musique marocaine*, Libr. Orient 1938, Paul Geuthner, Paris (VI), p. 47-48 ; *Jeune Afrique, n° 809, Nov. 1973.*


عبد العزيز بن عبد الجليل

**كنتة** ، تعتبر هذه الاتحادية القبلية من أكبر المكونات البشرية بالصحراء الأطلسية. فوحداتها السلالية تنتشر على امتداد مجمل دول الغرب الإفريقي. كما أن ما يميز تاريخها هو ارتباطه بأمهات الاتحاديات القبلية الصنهاجية الكبرى. هذا الارتباط ينضاف إلى تماسك وحداتها السلالية على الرغم من تناثرها على امتداد آلاف الكلمترات، ويزيد من دورها الهيكلي في تحديد التلاقح الفكري والحضاري بالغرب الإفريقي.

تتوفر عند هذه الإتحادية نصوص مخطوطة وفيرة تصعب الإحاطة بها. ولعل من أهمها تاريخ كنتة الذي أنجز في بداية القرن التاسع عشر بأمر من سيدي المختار الكبير. وهو يتميز عن الكراس الذي ألفه باي ولد الشيخ سيدي عمر نظراً لما يتوفر عليه من معلومات عن الفترة اللاحقة لتكون الاتحادية خلال القرن السادس عشر الميلادي. من بين أهم المصادر نجد المخطوط الغني المسمى الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد الذي أنجزه سيدي محمد بن المختار الكنتي قبل وفاته سنة 1826. ومعلوم أن لنفس الشيخ مخطوطا يعرف *بالرسالة الغلاوية* الذي يضيف إلى هذا الموضوع. نذكر أيضا من بين أمهات المصارد كتاب *المنة في اعتقاد أهل السنة* للشيخ المختار الكنتي وكذا السجل الذي يسرد الكثير عن تاريخ كنتة من خلال عنوانه *تاريخ ولاتة*. على أن من بين المصادر أيضا *الحسوة البيسانية* لصاحبها عبد الوهاب الناصري.

نخلص عموما من هذه المصادر إلى ما يضعنا أمام اتحادية ظهرت خلال القرن السادس عشر الذي عرف بلورة مجموعة الاتحاديات القبلية الكبرى بالغرب الإفريقي. وانتماء هذه الاتحاديات إلى مشجرات تربطها بعقبة بن نافع يعد بمثابة تجسيد لموازين القوة التي فرضها الحضور المعقلي. من هنا فإن هذه الادعاءات لا تنفي انتماء الغور الكنتي الأول إلى إيدو كال (إيدوكالن أو دكالة) من اتحادية إيبليميضن (لمتونة) أو إمسوفن (مسوفة). على كل حال فأبعد جد تقف عنده الرواية الشفوية هو علي الذي يعد أكثر من جد اسمي لفصائل كنتة. ولسنا ندري تاريخه الفعلي ولا الفترة التي عاش بها رغم الاعتقاد الغالب بأنه عاش خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين. ويعتبر هذا الجد بمثابة الأب الفعلي لسيدي امحمد الكنتي الذي عاش خلال القرن الخامس عشر. وهذا الأخير هو والد سيدي أحمد البكاي المتوفى حوالي 1504 ميلادية بجوار ولاته.

على أن أهم ما يجب الوقوف عنده هنا هو كون سيدي اعلي الجد الأكبر لكنتة يعد مجهول الانتماء السلالي وأن انتماء أبنائه إلى مشجر كنتة لم يتأت إلا انطلاقا من نسب أمهم المسماة أهوا بنت محمد العالم بن كنتة بن زم كبير أيدوكال. فنرى أنه من اليسير ربط هذه العادة بنظام القرابة الأميسي الذي كان يميز المجتمع الصنهاجي عبر مجمل الصحراء الأطلسية. كان نظام الإقامة مع الأخوال يجسد قانون الحماية التي تشرع الانتماء السلالي إلى فصيلة الأم. وهذا ما تؤكده الرواية الشفوية بشأن إقامة سيدي مَحمد الكنتي مع أخواله بتوات حيث أتم تعليمه الديني وتلقى أسانده الصوفية من مريدي الطريقة القادرية.

لم يفارق الإبن أفراك أخواله المنتجعين بين تيرس والساقية الحمراء حيث استقر به المقام بزمور حيث أخذت تتجلى بوضوح طموحاته الدينية والسياسية في الهيمنة على الغورين السكانيين اللمتوني والمعقلي. وكانت هذه المرحلة

توافق تركيز الهيمنة المعقلية على الغور الصنهاجي مما فرض على سيدي مَحمد الكنتي الانحياز إلى المهيمنين على حساب المندحرين عسكريا. وهو ما لا يعني تغييراً في التحالف مع ذويه بقدر ما يعني الاعتراف بتغيير موازين القوى الذي أصبح يفرض على الغور السكاني الأقدم ضرورة دفع الأتاوات للأسياد الجدد للصحراء الأطلسية. اتضحت هذه الحقيقة في البداية بشكل خاص بمنطقة شمال آدرار وفي سبخة الجل وزمور. ثم انتقلت بعد ذلك تدريجيا لتشمل باقي أدرار وسبخة إيجيل وزمور خلال القرن السادس عشر مكتسحة تدريجيا الجنوب الذي تم إخضاعه مع شر ببه التباري أثناء القرن السابع عشر.

من بين أهم المكونات الصنهاجية خلال القرن الخامس عشر نجد بأدرار تجكانت المسوفية بتنيكي بين شنقيطي وأنولان المدعاة لاحقا وادان ونجد إيدا أوإيعيش وإيدا أولحاج اللمتونيين بتيشيت وأحوازها. ولم يكن من المفاجئ أن يختار سيدي مَحمد الكنتي قبيلة تجكانت للمصاهرة. فالقرابة المسوفية تبدو من بين أهم الدعامات المهيمنة كما أن الارتباط العضوي لتجكانت بعلمي الظاهر والباطن تزيد من حتمية اللقاء. تزوج الشيخ آلة محمد بن الحسن بن إيشف التي رزق منها بسيدي أحمد البكاي. وبالرغم من أهمية هذا الجد على مستوى تاريخ الاتحادية، فإنها لن تحمل إلا اسم كنتة المأخوذة عن سيدي مَحمد الكنتي.

كان سيدي أحمد البكاي يعيش سنة 1460 في كنف زاوية أبيه محاطا بالأتباع والأسرة المقربة. تجلى دوره في قدرته على بلورة وتطوير النواة الكنتية المكونة من الحفدة والأتباع إلى دعاة ومرابطين وزوايا، فقهاء وأئمة محليين موزعين عبر الغرب الإفريقي من أجل نشر الإسلام ودعم الطريقة القادرية. ولم تلبث النواة أن تحولت إلى شبكة من التحالفات القرابية الكنتية الموحدة تحت لواء الشيخ الداعية الكبير. وبعد وفاته حل محله ابنه سيدي عمر الشيخ ليتمم الرسالة ويعزز من شأن كنتة الذين لم يلبثوا أن أصبحوا يمثلون الاتحادية الأهم شأنا على المستوى الديني والأكثر انتشاراً عبر مسالك الصحراء الأطلسية. وعرف القرنان السابع عشر والثامن عشر تغلغل الاتحادية وتنوع تخصصاتها في مختلف الميادين التجارية والمهنية والزراعية. كما اتضحت قدراتها في المزاوجة بين حمل الكتاب والسلاح عند اقتضاء الضرورة. ففي بداية القرن التاسع عشر وتحديدا سنة 1811 توفي الشيخ المختار الكنتي بعد أن تزعم اتحاديته بشكل دعم كيانها من جنوب الأطلس الصغير إلى جنوب تيمبكتو مروراً بنهر السنغال ونهر النيجر والجنوب الجزائري.

ويمكن اعتبار سيدي مَحمد الكنتي الإبن الأكبر لسيدي أحمد البكاي الملقب بالصغير بمثابة الجد الفعلي لكنتة الشرقيين بينما يعتبر أخوه الأصغر سيدي اعمر الشيخ بن سيدي أحمد البكاي الجد الإسمي لكنتة المتبقين. في هذه الفترة تكون بلاد كنتة قد اتسعت بشكل كبير جعلها تتمتع بنوع من السيادة المعنوية من المحيط إلى شرق تيمبكتو كما نص على ذلك كتاب تاريخ السودان. لقد ورث سيدي مَحمد الكنتي سلطة والده السياسية إذ استقر في نهاية تجواله بتكانت. أما أخوه الأصغر سيدي اعمر الشيخ بن سيدي أحمد البكاي، فقد تمكن بفضل حنكته من الزعامة الدينية الفعلية. لقد ولد سنة 1460 ليبدأ دراسته كما اقتضت العادة تحت رعاية والده. وانطلقت بعد ذلك مرحلة الأسفار التي شملت علاوة على الشمال الإفريقي بما فيها مصر والشام ثم الحج حيث عاد من نفس الطريق ليلتقي بتلمسان بالمغيلي الذي أثر فيه وزاد من عزيمته. لم يكتف سيدي اعمر الشيخ بن سيدي أحمد البكاي بهذا اللقاء متبعا شيخه المغيلي في قسط كبير من جولاته. انتقل بعد ذلك إلى بلاد السودان حيث تجول في مختلف أرجاء التكرور والساحل السوداني ونهري السنغال والنيجر. وقد كان في ذلك بمثابة أفضل داعية لنشر الطريقة القادرية تبعا لتعليمات المغيلي. وأصبح بذلك طبيعيا أن تغلب شهرة كنتة على شهرة المغيلي نفسه ليصبح بذلك الفرع البكائي المتفرع عن سيدي اعمر الشيخ بن سيدي أحمد البكاي هو أكبر الطوائف القادرية. وهو ما سيتأكد مع وفاة المغيلي وانتقال رئاسة الزاوية القادرية بتوات إلى سيدي اعمر.

هنا تروي لنا الرسالة الغلاوية لصالح ولد عبد الحي صيغة محددة للصراعات التي أدت إلى انقسام كنتة إلى شرقيين وغربيين. وهي حكاية مفادها أن الظرفية التنافسية التي واكبت عودة سيدي اعمر الشيخ بن سيدي أحمد البكاي إلى أهله بتراب البيضان قد انتهت بتفجير الصراعات السياسية بينه وبين ابن عمه ويس بن سيدي مَحمد الكنتي الصغير. واستقل كنتة التابعون لسيدي مَحمد الكنتي بمناطق الحوض وأدرار وتكانت ونهر السنغال. في حين اتجه سيدي اعمر الشيخ مصحوبا بتلاميذه واتباعه إلى حمادة الساقية الحمراء بكل من زيان وأركشاش ووادي الشب.

وتكون بذلك كنته قد دخلت مرحلة الانفصال والتجزء السلالي الذي تفسره قاعدة الانشطار القرابي في علاقتها بتطور أنظمة التحالفات القبلية. وأصبحنا بذلك أمام اتحادية تجمع بين حمل الكتاب والتجارة والحنكة السياسية والاستعداد لدخول المعتركات الكبرى بما فيها حمل السلاح ضد المد المسيحي. وأصبح كنتة الشرق خلال ما بعد القرن السادس عشر يتوزعون على شكل تجزئات منفصلة بعضها عن بعض بين الحوض وبحيرات الساحل بين خط طول تينبكتو إلى أن ظهر بهم الشيخ المختار الكبير بن أحمد بن أبي بكر الملقب الوافي.

امتدت حياة الشيخ المختار الكبير من النصف الأول من القرن الثامن عشر 1730 أو 1760 إلى 1811 حيث أجمعت النصوص على أهميته في صياغة أكبر دور تاريخي لكنتة على تراب وزوايا البيضان. تربى عند أخوال أبيه الذين اشتهروا بكراماتهم ثم انتقل وهو طفل صغير إلى أحد أفراك

الطوارق يدعى كل نلبوش المنتمين إلى كل السوك الذين يعدون بمثابة زوايا المجتمع الطارقي. ولم يتمكن من الإقامة هناك طويلا وانتقل إلى تينبكتو حيث ظل بدون ملجأ ولا سند إلى أن "من الله بصرف ناصية الكوينهيني" فأسكنه ببيت وحده ومكنه من مكتبته الخاصة. وبقي مع ذلك في غير مأمن إلى أن التقى الشيخ علي بن النجيب كبير الزاوية القادرية بالبرابيش. وأخذ التلميذ عن أستاذه أهم ما ميز شخصيته الصوفية فيما بعد. وانتقل بعد ذلك إلى أزواد ولكنه لم يلبث أن علم بنبأ هجوم أولاد بلة على أستاذه فاقتفى آثارهم إلى أن أدركهم عند نهر السنغال فرد إلى أستاذه ما نهب منه. يضيف كتاب *الطرائف والتلائد* أن زواجه قد تم سنة 1757 من إحدى بنات عمه التي ينتمي أبواها إلى الشيخ سيدي أحمد البكاي.

أصبح كنتة يومها أكثر قوة وكثافة بشرية وحجما اقتصاديا ومناعة سياسية وعسكرية بفضل بعض فصائلهم التي تمزج بين حمل السلاح والكتاب كدر مشاكة وياداس وأولاد ملوك. وهو ما أثار غضب الطوارق الهجار الذين كانوا يعتبرون كنتة بمثابة "قوم من السفهاء أنصحهم بالكف عن المجيئ إلى بلادنا". غير أن تطلعات كنتة إلى مزاحمة الطوارق في مراقبة المال دفعهم إلى الدخول معهم في مواجهة عسكرية انتهت بانتصار الطوارق وموت أكثر من 70 كنتيا من بينهم أحد رؤساء قبيلة ياداس علاوة على مجموعة من الأسرى. وانتهى الأمر بكنتة إلى دفع الأتاوة إلى هازميهم إلى ما بعد سنة 1908 حيث نجد فصيلة حمادي تسوق إلى كل موسى آف أمستن قطيعا من الإبل. وظلت علاقات الشيخ مع جيرانه أيلمضن وكل تادمكت جد محدودة. غير أنه استطاع تهدئة النزاعات معهم ومع البرابيش خلال النصف الثاني من الثامن عشر.

نستمد هذه المعلومات وغيرها من كتاب *الطرائف والتلائد* الذي يفيض في سرد الأحداث وأهمية الدور الذي قام به الشيخ في تأطير الأحلاف على أكبر مستوى بين مختلف المناطق والاتحاديات الكبرى. وهو يلخص في النهاية مجال نفوذ الشيخ عبر منطقة الأير ونيجيريا حتى باري شرقا حيث يزدهر الورد القادري.

نصل بعد ذلك إلى أهمية كنتة الغربيين بين تينبكتو وأدرار إيفوقاس حتى دنك وفورمة والحوض وتكانت وغيرها. ونتأكد من خلال المصادر أن دورهم لا يقل أهمية عن كنتة الشرقيين. كما نسجل اهتمام الشيخ سيدي محمد الكنتي خليفة أبيه سيدي المختار بالإسهام بدور لا يقل أهمية عن دور والده. وهنا نسجل أن الدور الغالب على الممارسات الكنتية قد انتقل من حمل الكتاب إلى مزاوجته بحمل السلاح في غالب الأحيان. بل إن الثلث الأول من القرن العشرين قد تميز من بين ما تميز به باندراج عابدين ولد سيدي محمد الكنتي المزداد سنة 1848 في المجابهة الحربية للحضور الفرنسي. فقد انطلقت مسيرته الجهادية منذ ملازمته للطوارق كل أهجار الذين كانوا يحاولون مجابهة المد الفرنسي انطلاقا من الجنوب الجزائري ابتداء من 1894. وتدريجيا تحول إلى زعيم روحي للجهاد استطاع من خلالها الجمع بين تطلعات كنتة التابعين له وكلْ أهجار. وقد ظلت العلاقة بين الطرفين تكتسي طابع الهيمنة الدينية لكنتة والحربية للطوارق.

Claudot-Hawad Hélène, Honneur et politique : les choix stratégiques des Touaregs pendant la colonisation française, *REMMM, 57, Edisud, 11-47, 1990* ; Abitbol Michel, *Tombouctou et les armas, de la conquête marocaine du Soudan nigérien en 1591 à l'hégémonie de l'empire peul du Macina en 1833*, Maisonneuve et Larose, Paris, 1979 ; Ba Ahmadoy Hampâté et Daget Serge, *L'empire peul du Macina (1818-1853)*, Les nouvelles éditions africaines, édition de l'EHESS, 1984.

مصطفى ناعمي

**الكنتي**، الشيخ **محمد** بن الشيخ سيدي المختار الكنتي يعرف بسيديّ محمد الخليفة عالم صوفي متميز وأديب بارع، تولى شؤون الزاوية الكنتية البكائية بعد وفاة والده الشيخ سيدي المختار، فتخرج على يده مجموعة من الصوفية والعلماء، منهم الشيخ سيديّ الذي أخذ على والده قبله وغيره.

من أبرز مؤلفاته :

- *جنة المريد*، وهو كتاب في التصوف مخطوط.
- *الطرائف التالدة من كرامات الشيخين الوالد والوالدة*، وهو كتاب في الكرامات، حقق الأستاذ أرفاگ شفيق بابين منه في رسالة تقدم بها لنيل دبلوم الدراسات العليا، قسم التاريخ. مرقونة كلية الآداب الرباط، والكتاب في مجموعه لا يزال مخطوطاً.

توفي عام (1241 / 1826).

الخليل النحوي، *بلاد شنقيط المنارة والرباط*، ص. 516، تونس، 1987 ؛ م. الظريف، *الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية*، ص 109، المحمدية، 2002 ؛ م. المنوني، *المدرسة الكنتية نموذج للدعوة والإرشاد بإفريقيا والمغرب في العصر الحديث*، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، ع 4، 1982 ؛ أ. الأمين الشنگيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنگيط*، ص. 361، ط 4، مطبعة المدني، 1989.

**الكنتي**، الشيخ الـ **مختار** بن **أحمد** بن أبي بكر الكنتي. ولد سنة 1142 / 1730 ساهم بدور فعال في إحياء القادرية ونشرها في كثير من المناطق الواقعة جنوب الصحراء، تتلمذ عليه كثير من شيوخ وعلماء زمانه منهم الشيخ سيديّ، كما كانت له صلات ومراسلات مع آل عثمان دان فوديو مؤسس دولة سوكوتو الإسلامية بنيجيريا والمرتضى الزبيدي. تتميز مؤلفاته بغناها وتنوعها واختلاف مجالاتها وتعدد حقولها المعرفية، ويقدرها البعض بأربعة عشر وثلاثمائة مؤلف. وقد أشاد به معظم الذين تناولوا سيرته، فأطرى عليه الولاتي البرتلي صاحب *فتح الشكور* واعتبره أبو إسحاق التادلي من العلماء الذين جددوا العلم

والدين بالمغرب، بينما اعتبره رفاعة الطهطاوي من رواد الفكر العالمي الذين قالوا بكروية الأرض ودورانها.

من أبرز مؤلفاته :

- *الأجوبة المهمة لمن له بأمر دينه همة*، مخطوط.
- *البرد الموشى في قطع المطامع والرشى*، مخطوطا في جزئين.
- *تفسير الفاتحة*، مخطوط.
- *جذوة الأنوار في الذب عن أولياء الله الأخيار*، مخطوط.
- *الجرعة الصافية والنصيحة الكافية*، مخطوط.
- *الروض الخصيب في شرح نفح الصليب*، مخطوط.
- *فتح الودود في شرح المقصور والممدود*، مطبوع.
- *كتاب المنة في اعتقاد أهل السنة*، مخطوط.
- *نزعة الراوي وبغية الحاوي*، مخطوط.
- *نضار الذهب في كل فن منتخب في ثلاثة أجزاء*، مخطوط، وغيرها.

توفي سنة 1226 / 1811.

م. الظريف، *الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية*، ص. 88 ـ 115، المحمدية، 2002 ؛ الخليل النحوي، *بلاد شنقيط المنارة والرباط*، ص. 517، تونس، 1987 ؛ *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 18، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه، 2003 ؛ عبد الله بن محمد سالم، *المعارضة في الشعر الموريتاني*، ص. 218، منشورات المطبعة المدرسية بالمعهد التربوي الوطني، 1990 ؛ م. المنوني، *المدرسة الكنتية نموذج للدعوة والإرشاد بإفريقيا والمغرب في العصر الحديث*، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، ع 4، 1982.

محمد الظريف

**كندا والمغرب**، خلال السنوات الأولى للاستقلال، سعت الحكومة الوطنية المغربية للتأسيس لسياسة خارجية واقعية ورصينة وبراغماتية، استهدفت في مرحلة أولى تحقيق الحظوة عند قوى العالم الحر الأكثر تأثيرا، وفي مرحلة لاحقة تطبيع العلاقات مع الدول العربية ودول العالم الشيوعي، ثم في مرحلة ثالثة الرفع من مستوى العلاقات مع الدول الغنية. وتندرج علاقات المملكة مع كندا ضمن أولويات المرحلة الثالثة. ومن جهتها، وعلى الرغم من اعترافها المبكر باستقلال المغرب، لم تسارع الحكومة الكندية إلى ربط علاقات دبلوماسية مع دول إفريقيا الشمالية ؛ ويكمن أحد أهم الأسباب في حرصها على عدم التورط من منطقة متوترة (حرب التحرير في الجزائر) لها علاقات متميزة مع فرنسا. ولم يقم البلدان علاقات دبلوماسية بينهما إلا سنة 1962 (سنة بعد وفاة محمد الخامس).

وتجدر الإشارة إلى أن كندا مثلت منذ بداية عقد الخمسينيات من القرن العشرين، وجهة للهجرة للعديد من الأطر اليهودية المغربية. وقد تكلفت بترحيلهم منظمة صهيونية تدعى الهياس HIAS، سهلت هجرتهم وعملت على توفير الحد الأدنى لشروط الاستقرار. وتكونت خلال فترة قصيرة جالية مغربية لها مصالح مهمة في ميادين الخدمات والتجارة والمقاولات الصغيرة والمتوسطة. ولعب هؤلاء دوراً رياديا في تنمية المبادلات التجارية بين البلدين. وانطلاقا من سنة 1968، أضحى المغرب البلد العربي الثاني من حيث حجم المبادلات مع كندا (أول بلد هو الجزائر). وتطورت العلاقات التجارية تدريجيا حيث بلغت قيمتها سنة 1985 ـ 169,345 دولار أمريكي وارتفعت خمس سنوات بعد ذلك إلى 277,915 دولار أمريكي، وفي سنة 2002، بلغت قيمة صادرات المغرب نحو كندا 32 مليون دولار أمريكي، مقابل 164 مليون دولار كواردات.

وأهم صادرات المغرب إلى كندا : البواكر والأنسجة والمعادن، وأهم وارداته الحبوب والورق والتجهيزات وبعض المعدات العسكرية. ويؤكد جميع الفاعلين السياسيين والاقتصاديين على أن حجم المبادلات بين البلدين ـ على الرغم من تصاعد وتيرته لايزال دون المستوى ؛ فالعديد من الطاقات في حاجة لحسن الاستغلال والتنمية. ويراهنون على الأفاق الواسعة التي فتحها اتفاق التبادل الحر بين المغرب والولايات المتحدة الأمريكية، للدفع بالمقاولين الكنديين للاستثمار في المملكة وتنويع المبادلات.

ويعتبر مجال التعاون التقني من أهم الميادين التي عرفت فيها العلاقات بين البلدين تطويراً ملحوظاً. فانطلاقا من بداية عقد السبعينيات من القرن العشرين، اعتمدت الحكومة الكندية برامج عمومية للتنمية لصالح الدول السائرة في طريق النمو، استفاد المغرب منها بشكل كبير (400 مليون دولار بين 1963 و1998 ). وحظيت المملكة كذلك باهتمام متميز في إطار البرامج الموسعة التي وضعتها حكومة أوطاوا انطلاقا من سنة 1988، وهي برامج لصالح مشاريع تنموية كبرى ومتوسطة من دول تنتمي لمجال الفرنكوفونية (ما سمي بدبلوماسية القمم). فحكومة إقليم كيبيك على الخصوص، وقعت مع نظيرتها المغربية على مجموعة من الاتفاقيات الثنائية من مجالات متنوعة، ساهمت إلى حد كبير من الرفع من حجم المبادلات (من سنة 2001، صدر إقليم كيبيك 11 مليون دولار واستورد 22 مليون دولار)، كما شكلت قاعدة قانونية وعمليات لاتفاقيات واعدة بين الحكومة الفيدرالية الكندية والحكومة المغربية، من أهمها اتفاق التعاون من أجل عصرنة الإدارات (25 أكتوبر 1999)، وإعلان الشراكة الذي العقد أول مجلس له من أكتوبر 2000، فضلاً عن اتفاقيات أخرى خصت مجالات التعاون العلمي والبيئي وتبادل الجنرات.

ووقع البلدان كذلك على مجموعة من الاتفاقيات من مجالات التعليم العالي والتكوين التقني والتخصصات الدقيقة، استفاد منها من عقد الثمانينيات من القرن العشرين مالا يقل عن 6000 طالب مغربي، قرر جلهم الاستقرار بكندا بشكل نهائي. ومنذ بداية العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، فتحت مجموعة من المعاهد والمدارس

الكبرى الكندية فروعا لها من المغرب بسند مهم من لحكومة من لحكومة الكندية.

وعلى المستوى السياسي، تميزت العلاقات بين البلدين بالتوافق في جل المواضيع الدولية ذات الاهتمام المشترك. ووفاء منها لمبدأ معارضة تجزئة الوحدات السياسية، التزمت الحكومة الكندية سيرة الحياد الإيجابي اتجاه مشكلة الصحراء المغربية، بشكل جعل جميع أطراف النزاع تشيد بمساعيها الإيجابية للحد من التوتر الإقليمي.

ومن دون شك، تمثل الجالية المغربية المقيمة بكندا أهم آليات روح التعاون والتنسيق بين البلدين. فهي تعتبر أول جالية عربية من حيث العدد، إذ يتجاوز عدد المغاربة 80 ألف نسمة، 30 ألف منهم يهود. وأغلب مغاربة كندا مستقرون بإقليم كيبيك، وبالضبط في مدينة مونريال.

وتشير إحصائيات غير رسمية إلى أن مصالح الهجرة بالسفارة الكندية بالرباط، تلقت خلال السنوات الأخيرة أكثر من 19 ألف طلب للهجرة، تقدم بها بالدرجة الأولى أطر متوسطة وعليا ومتخصصون من الخدمات. وينجح فعلا من الهجرة رسميا إلى كندا 3000 شخص سنوياً، يتم دمجهم من المجتمع الجديد بسهولة. ومهما يكن من أمر، يدل تفضيل الراغبين للهجرة لكندا على اعتبارهم البلد المرغوب فيه لتوفير فرص الارتقاء الاجماعي أكثر من توفرها في أروبا الغربية.

G. Gosselin [et al.], *Les politiques étrangères régionales du Canada : Eléments et matériaux*, Quebec, Centre québécois de relations internationales, 1983 ; Tareq Y. Ismael, *Canada and The Arab World*, Edmonton, The University of Alberta Press, 1985.

محمد حاتمي

**الگندافي، إبراهيم** بن **محمد** الگنتافي، واحد من سبعة أبناء خلف محمد نايت الحسن ثالث شيوخ أو إيمغارن هذه الأسرة وأشدهم قوة. ولد بتاگنتافت حوالي 1840 وبها ترعرع وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن كلا أو بعضا.

عاش إبراهيم بن محمد الگنتافي في الفترة الزمنية التي اتسعت فيها منطقة نفوذ أسرته، في عهدي أبيه محمد بن الحاج أحمد (1855 ـ 1883)، وأخيه القائد الطيب الگنتافي (1883 ـ 1928)، مع العلم أن وفاته تمت بعد 1906 وقبل 1911 ؛ وقد رجح P. Pascon موته سنة 1907.

لعب إبراهيم بن محمد طوال حياته دورا هاما في الحفاظ على تماسك "إيالة" آل الگنتافي. فإذا كنا لا نعرف شيئا عن مهامه في عهد أبيه القائد محمد، فإننا على علم بأنه كان خليفة أخيه القائد الحاج الطيب منذ البداية. وتكفل له وهو خليفة في ءاگرگور ـ يساعده في ذلك الخليفة الحسن بن الحاج الطيب بتلات ن ـ يعقوب والخليفة محمد بن محمد (أخ إبراهيم بن محمد) بآيت سمّگْ بسوس الأعلى ـ بمراقبة المنطقة الواسعة التي كانت خاضعة لحكمهم، والتي تمتد من ضواحي مراكش شمالا إلى راس الواد (إيمي ـ ن ـ واسيف) بسوس عبر وادي نفيس.

أما المهام التي كان يقوم بها أو يشرف على إنجازها فكثيرة ومتنوعة. من أهمها تلك التي تشير إليها بعض رسائله الموجودة أو التي وجهت إليه من أخيه القائد الطيب أو من مساعديه من شيوخ ومقدمين. يمكن تلخيص تلك المهام كما يلي :

1 ـ الحرص الكبير على الحفاظ على الأمن في كل أرجاء المنطقة الخاضعة ؛ وحتى يتم ذلك، لابد من اليقظة التامة لمعرفة كل ما يجري سواء داخل "الإيالة" أو خارجها، وإخبار القائد بالشاذة والفاذة سواء كان مقيما أو في حركة.

2 ـ جمع الأداءات والمغارم المختلفة من شيوخ المجموعات الخاضعة، من هدايا المناسبات وفروض متجددة وترتيب ـ بعد إحداثه ـ وواجبات النزالة ومؤن الحركات أو الواردين على المنطقة من أصحاب المخزن... بالإضافة إلى الإشراف على استغلال وتسيير الأملاك الواسعة الخاصة بعائلة القائد.

3 ـ العمل على حل مشاكل الناس اليومية باستعمال وسائل مختلفة من عرف وشرع وضغوط... مع مراعاة الحفاظ على هيبة "الدار" بإبراز قوتها وغناها، وتمتين روابط التحالفات العائلية واللفية والمصلحية... التي ينبني عليها الصرح الگنتافي بأكمله على المستوى الداخلي على الأقل.

إن إبراهيم بن محمد الگنتافي، رغم أنه لم يكتسب شهرة أخيه القائد الطيب كان من أبرز شخصيات أسرة آيت الحسن بوادي نفيس. بل يمكن اعتباره أقوى سند لأخيه القائد الذي كان مضطرا إلى التغيب شبه المستمر عن الجبل. فحياته كلها قضاها في الجبل، وممارسته للسلطة جعلت منه ـ لا محالة ـ واحدا من أكبر العارفين بأسرار السلوك السياسي والعلاقات المجتمعية لدى سكان أطلس مراكش ؛ وهذا هو ما يفسر ـ على ما يبدو ـ كون أبنائه وخاصة منهم الحاج الحسين ومحمد ءو ـ براهيم، هم الذين تولوا القيادة من بعد الحاج الطيب. وكانوا آخر من حاول ـ في ظروف صعبة حقا ـ الحفاظ على بناء بدأت مرحلة تجاوزه...

أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1952، 9 : 146 ـ 149.

R. Montagne, Le développement du pouvoir des caïds de Tagountaft, Grand-Atlas, in *Mémorial Henri Basset*, Paul Geuthner, Paris, 1928, p. 169 sqq ; Colonel Justinard, *Un grand chef berbère, Le caïd Goundafi*, Ed. Atlantides, Casablanca, 1951, p. 45 sqq ;Paul Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1977, Tome second, p. 125 ; Dr. Paul Chatinières, *Dans le Grand-Atlas marocain, Extrait du Carnet de route d'un médecin d'assistance médicale indigène, 1912-1916*, Paris, Plon, p. 71, 73 ; Marquis de Segonzac, *Au cœur de l'Atlas, Mission au Maroc 1904-1905*, Paris, Emile Larose, 1910, p. 514-516 ; R. Montagne, *Les berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1930, p. 335.

علي صدقي ءازايكو

**الگندرية** (زاوية –) تقع زاوية أهل كندر شرق الطريق الرئيسية الرابطة بين فاس وإيموزار كندر بجبل كندر التابع إداريا لعمالة إقليم صفرو. وبعلو شاهق بهذا الجبل يوجد

ضريح كل من سيدي محمد بن ملوك وسيدي عبد المالك، وموقع هذه الأضرحة تسمى بروضة الشرفاء وحسب سلالة الشريف عبد الحي الكندري فإن نسب الشرفاء النازلين بكندر قرب إيموزار، قيادة صفرو أبناء العارف بالله الشريف سيدي عبد الحي بن أحمد بن الولي الصالح سيدي عبد المالك بن محمد الطاهر العزوزي الحسين الإدريسي بن بالقاسم بن يوسف بن عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن عبد الكريم بن محمد بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن حرمة بن عيسى بن سليمان بن مزوارين علاله (الملقب حيضر بن محمد) بن إدريس - بن إدريس - بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي ومن فاطمة الزهراء رضي الله عنها. وكان عبد المالك في أواخر القرن العاشر الهجري. وذريته الآن بكندر قرب إيموزار أهل آداب وأخلاق وديانه وأذكار وأسرار، وفيهم ديار انتقلوا إلى بعض المدن وهم يتعارفون بينهم بشرفهم. (وثيقة الشريف عبد الحي الكندري) ويضيف صاحب الوثيقة أنه رأى لأبناء عمهم النازلين بقصر تدراكلوت بدائرة الريش عمالة الراشدية ثلاثة ظهائر شريفة علوية، الأول للمولى سليمان بتاريخ 1218، وظهير للمولى الحسن الأول بتاريخ 1294 وظهير لسيدي محمد الخامس بتاريخ 1372. نفس النسب تشير إليه المجالس العلمية لكل من فاس بتوقيع الحاج أحمد بن شقرون وبتاريخ 1983 / 1983 وكذا مجلس طنجة سنة 1404 بتوقيع العلامة عبد الله كنون. ومازالت حتى اليوم هذه الزاوية تحظى بتقدير كبير، إذ تُقام مواسيم سنوية لاحتفال يؤمه سكان كل من أهل فاس وصفرو وإيموزار والبهاليل. وغير بعيد من روضة الزاوية الكندرية تنتصب خيمة من وبر المعز تسمى "الجامع الكحلا"، نظراً للون الخيمة، التي أعدت خصيصاً لأداء اليمين أو القسم لمن أنكر التزاماً، ويحكي سكان المنطقة، أن من أدى قسما كاذبا بها، ظهرت عليه فوراً نتائج فعلته، كأن يصاب بالعَمى أو الشلل أو الإفلاس، وما إلى ذلك من المصاب والكوارث.

وحسب صاحب (Notices sur le cercle) فإن زاوية كندر التي تشمل ثلاث تجمعات سكانية بمنحدرات الشمال الشرقي لجبل كندر، يقول سكانها أنهم مرابطون وجدهم هو سيدي يعقوب الذي دفن بالروضة مضيفا أن سكان الزاوية الكندرية كانوا ضمن آيت فرينكو اليوسيين.

سلالة الشريف عبد الحي الكندري (ورقة واحدة)، أمدنا بها أبناء الزاوية، لا تحمل اسم محررها وبدون تاريخ، *رسالة المجلس العلمي الإقليمي* لكل من فاس وطنجة، 1983 و1404؛ *الرواية الشفوية*؛ *بحث شخصي*.

Cpts Reïsser & Bahcelot, Notices sur le cercle de Séfrou, *B.S.G.M.*, n° 4, Février, 1918.

الحسين البعاوي

**الگندوز** بالجيم المعقودة، ومعناه في اللغة البربرية - حسب قول الرهوني - الفسحة الفارعة بين شيئين. واسم عائلة بربرية استوطنت تطوان قديماً، وقد انقرضت الآن. ورد اسمها في وثائق عام 1192.

الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاون*، ج 3، مخطوط خاص.

محمد بوخبزة

**الگندوز**، أسرة تكتب في الأصل بحرف الجيم نسبة إلى جدهم الأعلى جندوز بن عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن حسان بن إسماعيل بن جعفر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، وعند جدهم "جندوز" هذا يلتقون مع القطب سليمان الجزولي صاحب *دلائل الخيرات*. في حين يرفع قدور الورطاسي نسبهم إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، مشيراً إلى أن فرع هذه الأسرة الذي كان بمدينة "معسكر" بالجزائر كان يعرف بالشرفاء الحسينيين. ويضيف قائلاً "كان يطلق على هذه الأسرة "الشراگة" بالكاف المثلثة، وتعني الشرقيين"، هاجر أفراد من هذه الأسرة من الشرق في اتجاه الغرب في حقب زمنية مختلفة، فاستقر بعضهم بمدينتي معسكر ومستغانم بالجزائر، ودخل البعض إلى المغرب، فمنهم من استقر بفاس، وفرع استقر بالرباط، وآخر بمنطقة مصمودة، ربما انتقل البعض منهم إلى أقصى الصحراء المغربية في المنطقة المعروفة الآن ببئر گندوز. وفي سنة 1813 نزح بعض من هذه الأسرة من مدينة مستغانم بالجزائر، واستقروا بمدينة وجدة وعرفوا بآل ابن الگندوز، حيث اشتهروا هناك بمزاولة الخطط العلمية.

ق. الوطاسي، *معالم من تاريخ وجدة، الشرفاء الحسينيون*؛ ع. الكتاني، *زهر الآس من بيوتات أهل فاس*، 1 : 136؛ ع. ابن منصور، *كشاف أسماء الأسر المغربية*، ص. 95.

لطيفة الكندوز

**الگندوز، أحمد** (الحاج -) أحد كبار شعراء الملحون. ولد بالرباط، واحترف بها الخرازة. اتصل بالشيخ أحمد السردوك وأخذ عنه.

انتقل إلى فاس عقب هجمة الفرنسيين على ثغر سلا عام 1268 / 1851 فيما يعرف بقضية القمح. وكان قد هجا أهل هذه المدينة، فخاف على نفسه منهم.

احترف الگندوز الخرازة بفاس، وأصبح أمينا للحرفة بها، وكان دكانه ملتقى لأشياخ الملحون.

نظم في أكثر أغراض الملحون، وقد أحصى له المرحوم محمد الفاسي ما لا يقل عن ثلاثين قصيدة في موضوع المرأة، منها : طامو - غاسق الانجال - الجافي - المرسم - لا لا فضيلة. وحربة هذه الأخيرة :

كويت كية واسبابي يا هلي انجالي    عن اشفار العذرا لا لا فضيلة

كما عد له الفاسي في الذكرات سبعَ قصائد من أشهرها "لوصاية"، وفي التسول والتصلية والمديح النبوي زهاء ثلاث عشرة قصيدة منها : صلى الله على التهامي - يا رسول الله يا طه النبي المرسال - صليوا على البدر الواسم.

وقد نظم الگندوز في الطبيعة، والهجاء والرثاء. كما نسب له بعض الرواة ثلاث سرابات.

وإلى ذلك فقد عرف بإقباله على نظم قصائد خاصة بأتباع الطائفة الحمدوشية يتناشدونها في حلقات الذكر، وهي المشهورة باسم "الدراع". ويعزى سبب نظمه لهذه القصائد إلى أنه أصيب بمرض في يده أدى إلى تورمها وتقيحها حتى أصبحت مصدر رائحة كريهة اضطر معها إلى الاعتزال في غرفة عالية، فحدث أن زاره ذات ليلة مؤذن جامع الحي، وكان حمدوشيا فلما رآه على هذه الحالة ضربه على يده، فكان ذلك مبدأ شفائه.

وقد كانت بعض قصائده موضع معارضة معاصريه من الأشياخ بفاس خاصة، ومن هؤلاء الشيخ أحمد الأقرع (ت. أوائل أيام المولى عبد العزيز) الذي عارضه في قصيدته "الواوية"، والشيخ بريسول (عاصر الحسن الأول) الذي عارضه في قصيدة "طامو" بقصيدة "التصلية"، وتلميذه الشيخ محمد القندوسي الذي عارضه في قصيدة "جُدْ اعْلِيًّا بَوْصَال" بقصيدة "انتقل من حال لحال".

نهج الگندوز في نظمه أسلوبا بلاغيا متميزا، فجاءت قصائده محلاة بكثير من التضمين والتجنيس حتى قيل عنه "رايس التضمين والتجنيس".

ع. الجراري، *القصيدة*، 1970، ص. 650 . 652 ؛ م. الفاسي، *معلمة الملحون*، منشورات أكادمية المملكة المغربية، ج 1، ص. 116 . 124 . 136 . 219 . 221 . 340 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج 9، ص. 64.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الگندوز، أحمد** بن الـ**حبيب** بن **مصطفى**. من بيت علم وفضل وتقوى، اشتهر بعض جدوده بطائفة من الكرامات، وفي هذا الوسط ولد صاحب الترجمة بمدينة وجدة سنة 1280 / 1863 ، وهناك تلقى العلم على العديد من علمائها، منهم والده الحبيب بن مصطفى عمدة دراسته وتربيته الدينية، كما أخذ عن العالمين الجليلين الفقيه الجاني اليزناسي، والفقيه القاضي محمد بن الحسين اليزناسي، اللذين كانت لهما شهرة علمية واسعة في شرق المغرب. بعدها انتقل صاحب الترجمة إلى فاس للدراسة في القرويين، فأجيز من فطاحل علمائها، ثم رجع إلى مسقط رأسه مدينة وجدة حيث زاول هناك التدريس بالعديد من مساجدها، خصوصاً علم النحو بمتن الآجرومية، وشرح الكفراوي في المقدمة، أو بشرح الأزهري.

توفي المترجم له حوالي سنة 1353 / 1934.

ق. الوطاسي، *بين ظلال الأصالة* ؛ بن بكار، *مجموعة الحسب والنسب*.

**الگندوز، محمد** بن الـ**حسن**، العالم النحوي، ولد بمدينة فاس حوالي سنة 1080 / 1670 ، وبها تلقى العلم عن كبار علمائها كالشيخ المسناوي والشدادي والقضاعي. وكان صاحب الترجمة من العلماء العاملين، والصلحاء الفاضلين، محققاً للعلوم العربية، حافظاً لغريب اللغة وجماهر النسب، ذاكراً للتاريخ وأيام العرب، برع في النحو حتى لقب "بسيبويه" زمانه، حيث كان يقوم على ألفية ابن مالك بشروحها وحواشيها، ويستحضر الكثير من تحقيقات الدماميني في شرح التسهيل، ومثل ذلك على شرح الرضى على كافية ابن الحاجب، وغيرها من كتب العربية، وقد وصفه أحد تلامذته الشيخ عبد المجيد الزبادي بقوله : "الفقيه النبيه، الناقد النزيه، الحافظ الدراكة الفهامة الذي قطع في العلم والتعلم لياليه وأيامه، نحوي عصره، وشيخ أرباب العربية في قطره ومصره ...".

وقد أخذ عنه جماعة من العلماء منهم عبد المجيد المنالي، والتاودي بن سودة المرّي، ومحمد بن الطيب القادري صاحب *"نشر المثاني"*.

توفي الفقيه الگندوز عشية يوم الخميس 16 ذي الحجة 1148 / 1736 ، وكان في جنازته موقف عظيم لم يتخلف عنها أحد من عامة فاس وخاصتها، ودفن في عرصة حومة الشرشور من فاس القرويين. من جملة مقابر الشرفاء أولاد الولي عبد الله بن إبراهيم العلمي الحسني اليملاحي، صاحب وزان.

م. القادري، *نشر المثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، 3 : 374 . 378 ؛ *التقاط الدرر*، ص. 365 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 235 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 5 : 2060 ؛ ع. الجبرتي، *عجائب الآثار في التراجم والأخبار*، 2 : 244.

**الگندوز، الـهاشمي الـمصمودي**، أحد علماء مدينة فاس، كان خيراً ديّناً، ثقة متعففاً. أخذ العلم عن عمه محمد الگندوز السابق الذكر، خصوصاً علم النحو الذي كان يدرسه للمبتدئين. يدرس فيه الآجرومية والألفية والجمل ولامية الأفعال.

توفي أواخر سنة 1176 / 1764 ، ودفن مع عمه في مقبرة الشرفاء الوزانيين بالشرشور من فاس القرويين.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 236 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 3378.

لطيفة الگندوز

**الـگندول**، يطلق لفظ "الـگنْدُول" على عدة أنواع نباتية جنبية أو جنيبيَّة ومشوكة، معظمها ينتمي لفصيلة الفوليات Fabaceae.

ومن أشهرها تلك التي تنتمي لجنس كاليكوتوم Calycotome الجامع لنوعين طبيعيين بالمغرب وهما كاليكوتوم فيلُّوزا Calycotome villosa وكاليكوتوم إنترميديا Calycotome intermedia اللذان يتميزان بأوراق ثلاثية التجزؤ ؛ وبأزهار ذات كأس غير مسنن، وتاج أصفر اللون ؛ وثمار قرنية مسطحة، وبريَّة بالنسبة للنوع الأول وغير مزغبة بالنسبة للنوع الثاني.

يصادف النوعان في التشكيلات شبه الغابوية التي تعيش في البيومناخات شبه الرطبة والرطبة، ولاتخرج عن نطاق الطابق المتوسطي الدافيء.

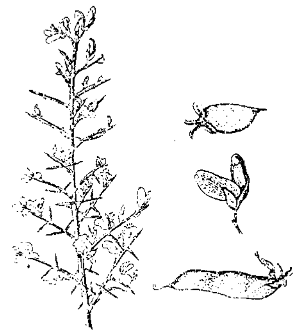

يستعمل نوعا الگندول في بعض الحالات من التطبيب التقليدي.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**الكنز في التراث الشعبي**، لا يذكر لفظ الكنز في التراث الشعبي إلا مقرونا بالامتناع أو الاستحالة، ومحاطا بخرافات تحكي عن حراس من الجان والشياطين، وتروي عن إصابات الباحثين عن الكنوز المطمورة بشتى أنواع اللعنات أو الإصابات العاجلة التي تتراوح بين الهوس والقلق، مرورا بالصرع أو العته أو المس وبالآفات الجسدية الظاهرة، وانتهاء بالموت أو بالنفي المباغث إلى عوالم باطنية غير مدركة (الثلث الخالي !)

والحال أن هذا الخيال الواسع في الموروث الثقافي الشعبي مرده إلى الفهم السائد لدى المسلمين خصوصا حول لعنة اكتناز الأموال وطمرها ومنعها بذلك من أن تفيد وتستفيد (تفيد بما يحققه استغلالها من الرخاء ومن الخيرات التي للمساكين والفقراء فيها نصيب معين، وتستفيد بما يلحقها من التزكية والتكاثر ومن التجدد). ولعل ما يقال عن امتناع الكنوز المطمورة عن الانفتاح، خصوصا عندما يكون عمرها طويلا، إنما هو - في حالة وقوعه وتحققه على أرض الواقع الملموس - من قبيل الأثر الناجم عن الإيحاء الجماعي، أو الإيحاء الذاتي الجماعي، الذي يجعل العقول والنفوس وبالتالي الأجسام مستعدة لتقبل الآفات خصوصا عندما يكون إيمان المقبل على فتح الكنز المعني مهزوزا وثقته ضعيفة بخصوص قدرته وأهليته للقيام بتلك العملية. ولا يعزب عن الذهن مدى ما يفعله الإيحاء الذاتي أو الخارجي، والجماعي منه على الخصوص، من فعل ويتركه من أثر قوي على العقل والنفس متى استحكم من الفكر وصار في حكم المسلمات.

ويبقى القول، إن عدم إحاطة هذه الظواهر بالفعل العلمي الجاد، من دراسة وبحث ومساءلة وتمحيص وإضاءة ومن إخراج إلى دائرة النور، من شأنه أن يبقيها مجالا صالحا وأرضية خصبة تفرخ فيها مختلف أشكال النصب والشعوذة والضحك على الذقون والتغرير بالنفوس الضعيفة والعقول العليلة.

الكنز لغة واصطلاحا : اشتق الاسم من فعل كَنَزَ يَكْنِزُ، بمعنى لَمّ وجمع وراكم على سبيل الإخفاء والحجب عن الأغيار. واستعمل اللفظ للدلالة، على الخصوص، على المال والمتاع النفيس المختلف عندما يكون موضوع اقتناء وجمع ومراكمة وحرص خارج نطاق الاستغلال والاستهلاك والاستعمال. ويشتق من الفعل نفسه فعل خماسي لازم هو : اكتنز بمعنى : راكم اللحم والشحم في بدنه فصار بدينا سمينا، وهذا يدل أيضا على تراكم غير مفيد لمواد دهنية وألياف وعضلات لا يتم تصريفها واستغلالها فيما ينفع صاحبها، كما في المعنى الأول.

أما اصطلاحا، فيشار بالكنز إلى الأموال النقدية وقطع الذهب والفضة من حلي وأوان وتحف، يضاف إليها حديثا أصناف القيم القابلة للتداول والتي يكمن فيها مقدار من المال كالأسهم وأوراق البنكنوت والشيكات القابلة للصرف والسحب وغيرها من الوثائق والعقود التي تشكل رأسمالا مضموناً وقائماً، شريطة أن يكون ذلك كله راكدا وغير معروض للمداولة والاستعمال والاستغلال.

استعمل هذا الاصطلاح للدلالة على أموال وأمتعة وتحف نوادر من أوان ورسومات وأجواخ راكمها الملوك والأباطرة والأغنياء قديما وحديثا فأبعدوها عن الأغيار وعن الحركة والتداول والتعامل.

الكنز في الإسلام : وردت كلمة كنز واشتقاقات لها مختلفة في تسعة مواقع من آيات الذكر الحكيم هي كالآتي :

1 - "هذا ما كنزتم لأنفسكم..." (35 - التوبة) ؛

2 - "فذوقوا ما كنتم تكنزون..." (35 - التوبة) ؛

3 - "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم..." (34 - التوبة) ؛

4 - "لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك..." (12 - هود) ؛

5 - "وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما..." (82 - الكهف) ؛

6 - "أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها..." (8 - الفرقان) ؛

7 - "فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما..." (82 - الكهف) ؛

8 - "فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم..." (58 - الشعراء) ؛

9 - "وأتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة..." (78 - القصص).

وقد ورد في التفاسير ما يفيد بأن هذه الكلمة دلت في

جميع المواقع الواردة أعلاه على نفس المعنى المنوه عنه لغة واصطلاحا، أي المال والمتاع أوالثراء المتراكم.

وقد ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم فجعل صفائح فتكوى بها جنباه وجبهته حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار" (أورده الشيخان).

وينظر الدين إذن، كتابا وسنة وأخبارا للصحابة وآثارا للسلف الصالح، إلى الأموال والقيم التي لا يزكي أصحابها عنها، أي التي تحولت إلى "كنوز" متراكمة وخامدة، بوصفها عملا غير صالح ونتاجا فاقد النفع، بل شديد الضرر لكونه يخالف سنة الله التي لا تبديل لها، والتي تقضي بأن المال والمتاع كلهما لله عز وجل، وبأن الكون برمته وساكنته ملك يمينه سبحانه، ومن ثم فعلى هذه الكائنات والأسباب أن تتحرك في دورتها الحياتية بدون توقف. وهذه الدورة ما هي إلا شكل من أشكال العبادة التي من أجلها خلق الحق سبحانه الثقلين (الجن والإنس) مصداقا لقوله عز وجل "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"، ومن باب العبادة أن تتحرك الأموال وتدور بين الأيدي والبيوت والمصانع والأسواق فتزكى بذلك وتربى وتزيد وتجدد وتتطور فينتفع منها الخلق أغنياء وفقراء على السواء. ولأجل هذا بالذات شرّع الإسلام الزكاة كحق للفقراء في أموال الأغنياء، وحض على أعمال البر والإحسان التي تزيد عن الزكاة لتكون الدورة المذكورة للأموال ولأسباب العيش ووسائله ملامسة لكل ذوي الحاجات. ومن هنا، اعتبر الإسلام كنز الأموال والأمتعة والقيم عملا مستوجبا لغضب الخالق جل وعلا، ومستحقا للعنة للعذاب الأليم كما تقدم في القرآن الكريم والسنة الشريفة. ومن هذا المنطلق، أيضا، اعتبرت الزكاة عنصرا مطهرا للأموال على اختلاف أنواعها وأشكالها، واعتبر كل مال أو متاع لا يزكى عنه مبعثا للعنة ولسوء العاقبة.

يمكن، لتقريب هذه الفكرة الأخيرة من الأذهان، أن نستحضر قصة نبي الله موسى مع الخضر، عليهما أزكى السلام، حين عثرا على جدار متداع وقد ظهر بين انقاضه كنز مطمور، فأعاد الخضر عليه السلام بناءه حتى لا يتعرض الكنز للنهب والسطو لعلمه بأنه مرصود لطفلين يتيمين أراد الله عز وجل أن ينتفعا به عند بلوغهما أشدهما، كما أخبرت عن ذلك الآيات المستخرجة أعلاه من سورة الكهف. فلو افترضنا، على سبيل المثال، أن أحدا فطن بعد ما وقع إلى موضع ذلك الكنز (أي المال المرصود لأهله بمشيئة ربانية) فحاول استخراجه والسطو عليه، حتى لو صادف ذلك جهله بقصة الطفلين اليتيمين وقصة النبيين المنوه عنهما عليهما السلام، لكان في ذلك مهلكة للفاعل ولكان فيه ضرر محيق به يصيبه عقليا أو بدنيا أو يصيب تجارته ومعاملاته، أو يصيب أهله وولده... وقد يتضرر من جراء ذلك محيطه المباشر برمته. وفي هذا المجال بالذات، نشطت الثقافة الشعبية وصنعت مخيلتها قصصا وحكايات يعج بها أدب الأساطير والخرافات على مر الأزمنة.

محمد عزيز الوكيلي

**الكنسوسي، أحمد** بن **يوسف** بن **العربي** بن محمد بن أحمد الكنسوسي المراكشي. ينحدر من سوس من قبيلة إداوكنسوس، وأول من استوطن مدينة مراكش هو أبو عبد الله محمد أكنسوس العالم الوزير الصوفي، الذي حل بمراكش سنة 1248 / 1832.

ولد أحمد الكنسوسي بمراكش بحي القصور سنة 1328 / 1910. قرأ القرآن على الفقيه الشريف مولاي أحمد الفيلالي الطاهري إلى أن حفظ القرآن الكريم، فالتحق بجامعة ابن يوسف سنة 1345 / 1926، فدرس على شيوخها الأجلاّء نذكر منهم :

- العلامة مولاي أحمد اليزيد المراكشي، درس عليه مقدمة ابن آجروم بشرح الأزهري، والألفية بالمكودي، والموطا وغيرها.
- العلامة محمد بن عمر المراكشي الملقب [بالكتبية]، درس عليه صحيح البخاري وورقات الحرمين، والمرشد المعين.
- العلامة مولاي إبراهيم بن محمد سليطن المراكشي، درس عليه المختصر وصحيحي البخاري ومسلم.
- العلامة المحقق علي بن عبد الرحمان السباعي [رابع]، درس عليه الألفية والتحفة وجمع الجوامع.
- الحافظ الشيخ أبي شعيب الدكالي،
- العلامة أحمد أكرام، درس عليه الشفا للقاضي عياض، والسلم للأخضري، وصحيح البخاري.
- العلامة محمد بن لحسن الدباغ المراكشي، وغيرهم.

وأجازه كثير من علماء مراكش أمثال محمد بن لحسن الدباغ، ومحمد بن الحاج عمر المراكشي وغيرهما. ومن خارج مراكش نذكر السادة : محمد الرافعي الجديدي، ومحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي وغيرهما.. ومع حلول سنة 1357 / 1938 شرع في إعطاء دروس تطوعية بجامعة ابن يوسف وغيرها من جوامع مراكش، إلى أن عين أستاذا بجامعة ابن يوسف يوم 19 محرم عام 1360 موافق 16 فبراير 1941 باقتراح من رئيسها العلامة محمد بن عثمان، فدرس في الابتدائي من عام 1942 إلى سنة 1945 حيث عين بالثانوي، ومع حلول سنة 1946 عين بالنهائي بقسميه الشرعي والأدبي. ثم عين في يوم 6 شعبان 1371 موافق فاتح مايو 1952 عضوا في المجلس العلمي للمدينة. وبقي في التدريس إلى أن أحيل على المعاش سنة 1492 / 1972.

كانت له رحمه الله اهتمامات علمية أخرى نذكر منها :

قرضه للشعر في المناسبات الوطنية، والدينية، والإخوانيات وغيرها. كما تعاطى علم التوقيت والفلك مع جماعة من علماء هذا العلم منهم السادة : محمد بن عبد الرزاق، أحمد الحوزي الجديدي، وأحمد بلحسن العاصمي وغيرهم.

توفي يوم الأحد 11 ربيع الثاني 1423 موافق 23 يونيه 2002. ودفن بمقبرة الإمام السهيلي.

مؤلفاته :

- تحقيق كتاب الجيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي الشريف السجلماسي : لجده محمد أكنسوس في جزأين.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام* ؛ م. الفاطمي السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، ص. 55.

أحمد متفكر

**الكَنْكْسي، أحمد** بن **محمد** بن **أحمد** الشهير بالجبلي الغزاوي، اسمه يعبر عن نسبته إلى قبيلة "اغزاوة" الواقعة شمال مدينة وزان، استوطن مدينة مكناس ولا يعرف متى قدم إليها كما لا يعرف تاريخ مولده. حلاه ابن زيدان في الإتحاف بقوله : "فقيه وجيه ميقاتي ماهر، له معرفة بالفقه والنحو والتوقيت والتعديل وما يرجع إلى ذلك" أخذ عن بعض علماء مدينة مكناس منهم محمد بن حلام والشيخ حمدون ابن الحاج السلمي وغيرهما.

أسندت إليه خطة التوقيت بمنارة مسجد سيدي سعيد بن أبي بكر المشترائي دفين خارج باب الخميس. ثم تولى نفس المهمة في مسجد مولاي إدريس بمدينة زرهون. خلف عدة مؤلفات منها :

- النفحات الوردية، والمطيبات الطبيعية في تاريخ مكناسة الزيتون المولوية. وهو في كناشة حصل على جزء منها مؤرخ مكناس ابن زيدان.
- روض الورد والزهر، في مولد المصطفى خير البشر.

لا يعرف لوفاته تاريخ إلا أنه كان حيا سنة 1248 / .

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، الرباط، 1990، 1، 364.

رقية بلمقدم

**كَنُّون**، أسرتان يقول عنهم محمد البشير الفاسي : "الشرفاء الجنونيون من الأسر الشهيرة بقبيلة بني زروال، وهم معرفون بالنسب الشريف وحائزون له ويتمتعون عند السكان بكل تجلة واحترام، تعدد فيهم العلماء والعدول الموثقون قديماً وحديثاً ... ومنهم العلامة محمد بن الحاج الشهير بالحويلي الجنوني".

مساكن هذه الأسرة بفرقة بني ملول فخذة أولاد عاصم، وهو ينتسبون إلى جدهم القاسم بن محمد بن القاسم بن إدريس الأول بن إدريس الثاني الملقب بكنون وأما ابن خلدون فيسميه قنون بالقاف عوض الكاف فيقول : "ثم عاد ملك المغرب بعده (أي بعد إبراهيم بن محمد الذي أخذه عن أخيه الحسن الحجام) لقنُّون بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس".

حالف القاسم كنون العبيديين ووقف في صفهم ضد نفوذ الأمويين بالأندلس وذلك ليساعدوهُ على استعادة ملك الأدارسة ومطاردة ابن أبي العافية. وقد استمر في الحكم إلى أن توفي سنة 337 متخذاً من مدينة حجر النَّسر عاصمة له، فخلفه ابنه أبو العيش أحمد المعروف بأحمد الفضائل والذي حالف الأمويين بل وخضع لهم زمن عبد الرحمان الناصر، ولما استشهد في حروبه مع الافرنج بالأندلس سنة 348 خلفه أخوه الحسن بن كنون وهو آخرهم.

ومن أولاد جنون أو كنون فرقة يقال لهم الحمّاض لازلوا يعرفون بهذا اللقب إلى الآن.

عبد الرحمان بن خلدون، *العبر*، 4 : 20 ؛ يحي بن خلدون، *بغية الرواد*، 1 : 168 ؛ الفاسي، قبيلة *بني زروال*، 84 ـ 85.

محمد مرزاق

**كَنُون، (ابن -) الحسن**، هكذا يدعى اختصارا، وهو الحسن بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن إدريس الأزهر، أمير إدريسي شجاع، يمثل حكمه نهاية الدولة الإدريسية الثانية في البصرة وقلعة حجر النسر قرب سبتة، مثلما يمثل الحسن الحجام سابق الترجمة نهاية دولتهم الأولى في فاس.

ولي الحسن الحكم بعد انصراف أخيه أبي العيش إلى الغزو في الأندلس، وظل تابعا للأمويين خلفاء قرطبة، إلى أن اكتسح العبيديون أصحاب إفريقية بلاد المغرب سنة 347 / 958 على يد قائدهم جوهر الرومي، فقلب الحسن الحجام ظهر المجن للأمويين وانحاش للعبيديين وأقره جوهر على إمارته بالبصرة. لكن ما كاد جوهر يرجع إلى إفريقية في آخر سنة سبع وأربعين وثلاثمائة / 960 حتى نبذ الحسن ابن كنون دعوة العبيديين وعاد إلى دعوة الناصر الأموي ثم ابنه الحكم المستنصر.

ولما قدم بلكين بن زيري الصنهاجي من إفريقية وملك المغرب وقطع منه دعوة المروانيين وقتل أولياءهم، انحاز الحسن ابن كنون مرة أخرى إلى العبيديين وأظهر حماسة في نصرتهم والقضاء على خصومهم. لذلك ما كاد بلكين بن زيري يرحل إلى إفريقية حتى وجه الحكم المستنصر جيشا كثيفا لقتال الحسن ابن كنون في شهر ربيع الأول عام 362 / دجنبر 972 ـ يناير 973 ولقيه ابن كنون في جموع البربر بفحص بني مصرخ في ضواحي طنجة، فجرت معركة حامية انتصر فيها الحسن ابن كنون، ثم بعث الحكم المستنصر بجيش ثان في آخر شوال من نفس السنة بقيادة غالب الأموي، وجرت معركة ثانية متكافئة بالقرب من قصر مصمودة (القصر الصغير) لكن غالبا وزع الأموال على أنصار الحسن ابن كنون ووعدهم ومناهم فتخلوا عنه حتى لم يبق معه إلا خاصته ورجاله، فتحصن "بحجر النسر" وسار إليه غالب وحاصره فيه وقطع عنه المواد إلى أن اضطر الحسن إلى طلب الأمان على أن يسير معه إلى قرطبة، فأمنه وعاهده، وسار معه إلى الأندلس فتلقاهم الحكم المستنصر في جمع عظيم من أهل دولته، وكان دخولهم إلى قرطبة يوم فاتح محرم عام 364 / 21 شتنبر 974 ووفى له بالعهد، وأوسع له ولرجاله في العطاء، وكانوا سبعمائة رجل، وأسكنهم قرطبة

مدة سنتين. وكان لابن گنون قطعة عنبر غريبة طلبها منه الحكم فأبى، فنكبه واستصفى أمواله وأجلاه ومن معه إلى الشرق سنة 365 / 976 فنزلوا بمصر ومكثوا فيها إلى سنة 373 / 983 حيث رجع الحسن ابن گنون إلى المغرب وبايعه البربر، وكان أمر الأندلس قد صار إلى الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي جيش الجيوش لمحاربة ابن گنون حتى اضطر إلى طلب الأمان على أن يصير إلى الأندلس كحاله الأول، لكن ابن أبي عامر لم يلتزم بعهد قائده وبعث من قتل الحسن ابن گنون عند دخوله إلى الأندلس، وحز رأسه وذلك في جمادى الأول عام 375 / شتنبر - أكتوبر 985 وبذلك انتهت الدولة الإدريسية الثانية.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، 89 - 94 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 176 - 177 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 180 - 187 ؛ إسماعيل العربي، *دولة الأدارسة*، 181 - 196.

محمد حجي

**گنون، سعيد** (القبطان، الكمندار) ضابط فرنسي من أصل جزائري وأحد الكتاب العسكريين المرموقين، له عدة "إنجازات" عسكرية في الأطلس المتوسط والأطلس الكبير الشرقي، وأصدر كتابين في حين بقي ثالث في شكله المرقون نشرت منه شذرات. ولد سنة 1887 في قبيلة آيت عيسى، جهة دراع لميزان بمنطقة القبائل الجزائرية، التحق بالجيش الفرنسي كضابط صف في "التيرايور" (الرماة)، وكان ضمن الفيالق الفرنسية التي دخلت فاس في 1911 (حركة موانيي) وخنيفرة في يونيو 1914. وخلال معركة لهري الشهيرة التي انتصرت فيها القبائل بزعامة موحا وحمو الزياني على الجيش الفرنسي بقيادة الكولونيل لافيردور، كان گنون ضمن القوات الفرنسية التي لم تخرج إلى لهري وبقيت مرابطة في خنيفرة، وحكى عن الحصار الذي ضربته القبائل على المدينة، بعد هزمها لقائد الحامية في لهري، إلى أن وصلت قوات الإغاثة الاستعمارية. في كتابه الأول تناول گنون العديد من التفاصيل حول الواقعة وعن مختلف معارك الغزو التي عرفتها منطقة زيان. شارك بعد ذلك في الحرب العالمية الأولى إلي غاية 1917 ، جرح فيها وحصل فيها على رتب ونياشين ليعود إلى المغرب ويعين كضابط للشؤون الأهلية في زاوية آيت إسحاق سنة 1920 . من هناك سيقوم گنون بعمليات الإعداد للغزو العسكري لقبيلتي آيت إسحاق وإيشقيرن، اللتين كانتا تحاربان تحت زعامة أگرام أمهاوش صاحب زاوية لاندة، إلى غاية احتلال القباب في 1922 وتعيينه على رأس الشؤون الأهلية بها حتى 1925. وفي كتابه الثاني، وهو عبارة عن رواية واقعية، يحكي گنون أعماله العسكرية وسياسته في الحرب النفسية التي مارسها ضد القبائل ليضمن نجاح الحملات العسكرية التي تقوم بها الفيالق المتحركة ما بين مايو وأكتوبر من كل سنة في المناطق الجبلية. وفي 1925 انتقل للعمل في جبالة خلال فترة الحرب الفرنسية الاسبانية ضد محمد بن عبد الكريم الخطابي، وفي 1928 عمل كضابط للشؤون الأهلية في صفرو في قبيلة آيت يوسي، وابتداء من 1931 إلى غاية 1939 عمل في إيتزر، قبيلة آيت يحي التي حصل فيها على رتبة كمندار وأنهى بها مشواره العسكري لينتقل إلى مكناس. وخلال عمله في إيتزر شارك في معارك تازيزاوت صيف 1932 ضد أمهاوش سيدي المكي الذي احتمى هناك مع القبائل بعد دخول القوات الاستعمارية إلى القباب (1922) وأغبالة نايت سخمان (1926) ، وشارك في معارك جبال بادو حمدون صيف 1933 ضد أوسكونتي، زعيم المقاومات الأخيرة التي التف حوله فيها كل الناجين من مختلف الحروب منذ 1914 : زيان، إيشقيرن، آيت مرغاد، آيت حديدو، آيت سخمان، آيت يحي... وفي كتابه غير المنشور، يحكي گنون عن هذه المعارك، ولم يخف فيه إعجابه واحترامه "لإخوانه الأمازيغ" الذين قاوموا من أجل حريتهم وأرضهم، رغم محدودية إمكانياتهم، بالمقارنة مع الآلة الحربية الفرنسية التي حاصرت المنطقة من الجوانب الأربع بالإضافة للطائرات والمدفعية الثقيلة، والتي شاركت فيها الطوابير المتحركة من حاميات تادلة ومكناس ومراكش والحدود المغربية الجزائرية.

مؤلفاته :

1 - *الجبل البربيري. تمهيد آيت أومالو* *La montagne berbère. La pacification des Aït Oumalou*

يتناول فيه منطقة الأطلس المتوسط من جهة السفح الغربي (أمالو) من آزرو إلى بني ملال. وهو عبارة عن مونوغرافيا عن المنطقة من الناحية الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، ويحتوي على معلومات مهمة عن الشخصيات والعائلات والقبائل التي حاربت ضد فرنسا أو إلى جانبها. كما يتناول فيه أهم المعارك العسكرية خلال الغزو العسكري الفرنسي للمنطقة، كشاهد عيان حضر وهيأ للعمليات العسكرية التي تحدث عنها. صدر في طبعتين، الأولى سنة 1929 في باريس، وحصل به على جائزة من الأكاديمية الفرنسية ومن جمعية الجغرافية التجارية بباريز. أما الطبعة الثانية فقد صدرت بالرباط عن منشورات الأمنية في 1933.

2 - *صوت الجبال* *La voix des monts*

عبارة عن رواية واقعية، يمكن تصنيفها اليوم في الرواية التاريخية، صدرت عن منشورات الأمنية في 1934. أرخ فيها گنون لعمل أولئك الضباط الذين اعتمد عليهم ليوطي وخلفاؤه في غزو القبائل، ووثق فيها مناهج العمل التي اعتمدوها لتكسير شوكة المقاومة بالطرق العسكرية والسياسية. فالرواية هي قصة حياة يومية للضابط گنون في آيت إسحاق قبل غزوه للقباب، اعتمد فيها شخوصا واقعية مثل الشاوش لحسن الذي عمل تحت إمرته وكان له خير دليل في السياسة المحلية.

3 - *ملوية العليا* *La Haute Moulouya*

ثالث كتب گنون الذي لم يكتب له النشر كاملا، والذي

انتهى من رقنه في إيتزر في 1 نونبر 1938. نشرت منه بعض المقاطع سنة 1939 . 1940 وسنة 1991 . وأهمية هذا المؤلف تكمن في كونه تكملة لكتابه الأول حول الأطلس المتوسط، تناول فيه امتداده الجغرافي جهة الأطلس الكبير الشرقي عند قبائل حلف آيت يافلمان. اعتمد فيه نفس الطريقة المنوغرافية، بالإضافة إلى كرنولوجيا المعارك التي شارك فيها بتازيزاوت وبادو. وبذلك يعتبر وثيقة شديدة الأهمية حول المنطقة وحول ويلات آخر حروب التمهيد التي خاضتها الجيوش الفرنسية في المغرب وما عانته القبائل من محن الحصار والجوع والعطش والدمار.

توفي سعيد گنون ودفن بمكناس في 25 فبراير 1940.

Capitaine Saïd Guennoun, *La montagne berbère. La pacification des Aït Oumalou*, Ed. du comité de l'Afrique Française, Paris, 1929, réédité en 1933, Ed. Oumnia, Rabat; *La voix des monts*, Ed. Oumnia, Rabat, 1934 ; *La Haute Moulouya*, Texte dactylographié, 1939, Itzer, Inédit.; Michel Lafon, *Regards croisés sur le capitaine Saïd Guennoun*, Etudes et Documents Berbères, n° 9, 1992, Paris.

مصطفى القادري

**گنّون، عبد الكريم** (الحاج -) ولد بفاس حوالي عام 1920. واحترف في بداية حياته صناعة الجلد التقليدية، ثم لم يفتأ أن اتصل بأشياخ الملحون، وخاصة منهم الشاعر المبدع شيخ الحاضرة الفاسية يومئذ الغالي الدمناتي، فلازمه ملازمة التلميذ لشيخه، وعنه أخذ أصول الفن وقواعد الإنشاد حتى غدا المنشد المفضل لديه، يحفظ قصائده وينشرها في المحافل.

انخرط گنون في سلك الذكارة، وعايش فحولهم أمثال الحاج مَحمد بوزبع، والحاج محمد بن قابو اللذين أخذ عنهما مستعملات الطائفة العيساوية، فاجتمع لديه من واسع المعرفة بأصول الملحون، وسعة الحفظ لأمهات القصائد، وحلاوة الصوت، وإيفاء الأداء بحسن المخارج وإبراز المعاني ما أهله ليصبح مقصد عشاق طرب الملحون في حلقات الذكر والموالد والسمر.

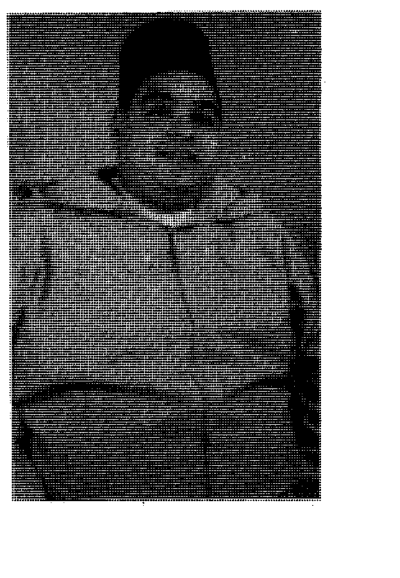

التحق الشيخ گنون بجوق إذاعة فاس الجهوية لطرب الملحون، ثم رأسه بعد وفاة رئيسه الأسبق التهامي الهروشي. وسجل للإذاعة الوطنية بصوته زهاء ثمانين قصيدة من روائع شعر الملحون، منها للغالي الدمناتي : قصيدة المعراج التي غناها بصوته منفرداً ودون مصاحبة آلية ـ الصلاة والسلام على النبي وآله ـ بالقاصد بالشوق طيبة ـ الموعظة ـ شريف ـ الشافي ـ فضايل الرسول ـ زهور. ومنها للتهامي المدغري : العرصة ـ زهرة ـ الباكي ـ الخمارة ـ الجفن ـ وللحاج إدريس بن علي : الكاس ـ غيثة ـ فاطمة ـ شوف لَرْماق ـ مينة ـ الياسمين ـ فضيلة ـ النزاهة. ومنها للحاج أحمد الغرابلي : الجافي ـ الساقي ـ أهل البيت ـ مليكة ـ الحراز ـ الغزال ـ هدب لشفار. ولسيدي قدور العلمي : المحبوب ـ الغيبة ـ طامو ـ وصف الزين ـ دابل لعيان ـ من ذاق طعام الحب وشرابو ـ ظل نهاري سعيد ـ المزيان وغير ذلك كثير.

وقد رأس گنون على امتداد حياته الفنية أكثر من مجموعة شارك بها في عدة لقاءات وتظاهرات فنية داخل الوطن.

وللشيخ گنون مساهمة محدودة في مجال النظم. من ذلك نظمُه لقصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، حربتها :

الصلاة والسلام على الشفيع مصباح أعياني
سيدنا محمد نور الهدى ومفتاح الجنة

توفي عبد الكريم گنون بعد مرض ألزمه الفراش طويلاً عن سن يناهز الثمانين، وكان ذلك يوم الاثنين 6 رجب 1416 / 27 نوفمبر 1995.

*بطاقة خاصة* ؛ إبراهيم الدمناتي، جريدة *العلم*، ع 17404، ص. 12 ـ 21، 1997.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**گنون، عبد الله** من ألمع وأشهر أعلام المغرب وأدبائه، ينحدر من أسرة فاسية انتقلت إلى طنجة بعد أن فرضت الحماية على المغرب، وبها تلقى دروسه الأولى على والده الفقيه عبد الصمد گنون وعلى غيره من العلماء.

ظهر نبوغه باكرا، فاشتغل بالكتابة وقول الشعر، وعمل في سلك التدريس، وفي سنة 1936 أنشأ مدرسة إسلامية حرة للبنين والبنات، وأسس المعهد الإسلامي بطنجة سنة 1945، وتولى إدارته سنة 1953 ، وبنفي محمد الخامس في نفس السنة هاجر إلى تطوان احتجاجا على ذلك.

في هذه الفترة أسندت إليه وزارة العدل في تطوان، وفي سنة 1956 بعد استقلال المغرب عاد إلى طنجة ليتولى منصب الوالي أو الحاكم العام، وكلف بتصفية النظام الدولي الذي كان مفروضا على طنجة، لتنضم إلى الوطن الأم.

حظي عبد الله گنون بعضوية مجامع علمية كثيرة منها : المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1955 ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1961 وأمينا عاما لرابطة علماء المغرب

سنة 1961، وفي سنة 1974 انتخب عضوا مؤسسا في رابطة العالم الإسلامي وفي مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف وفي مجمع اللغة العربية بالأردن، والمجمع العلمي العراقي، وفي اللجنة الاستشارية لإحياء التراث الإسلامي سنة 1968 وعضوا عاملا بهيئة القدس العلمية وعضوا في أكاديمية المملكة المغربية أول تأسيسها سنة 1980 وعضوا في مجلس الوصاية على العرش سنة 1980 أيضا.

وقد نال أوسمة عديدة منها وسام العرش من درجة ضابط سنة 1963 ووسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الممتازة سنة 1969 ، ووسام الحمالة الكبرى للجمهورية التونسية سنة 1969 ، ووسام حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية للعلوم والفنون والآداب من الدرجة الأولى، ووسام الكفاءة الفكرية الذي أنعم به عليه جلالة الملك الحسن الثاني سنة 1989.

توفرت لعبد الله كنون مؤهلات علمية وأدبية، جعلته يجمع بين التأليف الأدبي والميدان الصحفي، فأصدر مقالات وأبحاثا بمجلة لسان الدين التي كانت تصدر بتطوان سنة 1946 ، ورأس تحرير مجلة الأنوار وصحيفة الميثاق "لسان رابطة علماء المغرب" ومجلة الإحياء.

اشتهر عبد الله كنون بمؤلفاته الغزيرة المادة، في الأدب المغربي وفي التراجم والإسلاميات وغيرها، ولعل أهم عمل أنجزه في عهد الحماية هو كتابه *"النبوغ المغربي في الأدب العربي"* وقد صدرت طبعته الأولى بالمطبعة المهدية بتطوان سنة 1936 في جزأين، هذا الكتاب الذي أحدث ضجة عند صدوره، ونال عليه درجة دكتوراة فخرية من جامعة مدريد التي احتفت به، ويعتبر هذا الكتاب رائدا في مجال التعريف بالأدب العربي في المغرب، وفي البحث في الهوية الثقافية المغربية، وأثنى عليه العديد من المفكرين والباحثين، وفي سنة 1960 صدرت طبعته الثانية عن دار الكتاب اللبناني ببيروت في ثلاثة أجزاء، ثم الطبعة الثالثة والرابعة.

ويمكن تصنيف مؤلفاته إلى :

1 ـ الأدب المغربي وتاريخه : وكما سبق، *النبوغ المغربي في الأدب العربي*، *ذكريات مشاهير رجال المغرب* (وتقع في أربعين حلقة إلى حين وفاته، وصدرت عشر حلقات بعد وفاته)، *أمراؤنا الشعراء*، *أدب الفقهاء*، *أحاديث عن الأدب المغربي الحديث*، *القاضي عياض بين العلم والأدب*، *مدخل إلى تاريخ المغرب*، الشيخ *أحمد زروق دفين مصراتة*، *لقمان الحكيم*.

2 ـ دراسات أدبية ولغوية ونقدية، منه : واحة الفكر، التعاشيب، خل وبقل، العصف والريحان، أزهار برية، أشذاء وأنداء.

3 ـ شروح ودراسات : شرح قصيدة الشمقمقية لابن الونان، شرح مقصورة المكودي، أنجم السياسة وقصائد أخرى نظرة في منجد الآداب والعلوم، ثم ديوان لوحات شعرية، وإيقاعات الهموم، وصنوان وغير صنوان.

4 ـ دراسات إسلامية، منها : *مفاهيم إسلامية*، *إسلام رائد*، *تحركات إسلامية*، على درب الإسلام، شؤون إسلامية، جولات في الفكر الإسلامي، *منطلقات إسلامية*، *الإسلام أهدى*، *معارك*، *معسكر الإيمان يتحدى*.

5 ـ التحقيقات : *رسائل سعدية*، شرح *الأربعين الطبية* المستخرجة من سنن ابن ماجة، *قواعد الإسلام* للقاضي عياض، *شرح الشيخ ميارة على لامية الجمل للإمام* ابن المجراد، *مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا* للفشتالي، *المنتخب من شعر ابن زاكور*، *ديوان ملك غرناطة* يوسف الثالث، *عجالة المبتدى ونفاضة المنتهى في النسب* لأبي بكر الحازمي، *التيسير في صناعة التفسير* لأبي بكر الإشبيلي، إلى غير ذلك، وكل هذه الأعمال مطبوعة وبعضها طبع أكثر من مرة.

كما ترك مؤلفات أخرى مخطوطة اعتنى بترتيبها وتصنيفها والإشراف على طبع بعضها الأستاذ عبد الصمد العشاب، محافظ المكتبة الكنونية بطنجة.

ولعل أهم مآثره اليوم، الشاهدة على نبله وعطائه في حياته وبعد مماته، المعلمة العلمية التي تضم نفائس مكتبته ومؤلفاته "مكتبة عبد الله كنون" بطنجة والتي حبسها على الباحثين والدارسين وغيرهم من طلاب العلم.

كتب ترجمته كثيرون في المغرب والمشرق، من بينهم أنور الجندي في مؤلفاته : *الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا* ، *مفكرون وأدباء من خلال آثارهم*، *أعلام القرن الرابع عشر الهجري*.

وقد تناول الحديث عنه وعن مؤلفاته :

محمد بن العباس القباج في *الأدب العربي في المغرب الأقصى* 1 / 36 ، يقول عنه : "من خيرة شباب الأمة العربية ومن دعاة الفضيلة وأنصار الهداية الإسلامية".

عباس محمود العقاد في مؤلفه : *بين الكتب والناس*، يقول : "فيكتب الأستاذ كنون أكثر من علامة واحدة من علامات الطمأنينة والأمل، ففيها أدلة كثيرة على اتصال النهضة المغربية حيث ينبغي أن تتصل بالماضي وبالحاضر، فيها عناية بإحياء الذكريات الماضية".

عبد السلام بنسودة في *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*.

إديس بن الماحي الإدريسي في *معجم المطبوعات المغربية*.

إبراهيم البعثي في *شخصيات إسلامية معاصرة*.

أحمد قبش في *تاريخ الشعر العربي الحديث*.

عبد الله الجراري في *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين*.

عبد الحميد يونس وفتحي حسن في *الأدب المغربي الحديث*.

إبراهيم السولامي في *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية*.

عبد السلام التازي في *الأدباء المغاربة المعاصرون*.

عبد الرحمن طنكول في *الأدب المغربي الحديث*.

عبد الكريم غلاب في *الماهدون الخالدون*.

إلى غيرها من الكتابات التي تناولت أدبه وشعره في رسائل جامعية في كليات الآداب بالجامعات المغربية.

ويمكن اعتماد بعض الكتب للحديث عنه مثل : عبد الله كنون : شخصه وفكره، عبد الله كنون وموقعه في الفكر الإسلامي السياسي الحديث، عبد الله كنون : حياته وآثاره، عبد الله كنون : التكريم والتأبين، إلى غيرها من الكتابات التي اهتمت بفكره ودراساته الأدبية والإسلامية وبتحقيقاته وغيرها.

توفي يوم 8 يوليوز 1989 بطنجة.

نجاة المريني

**كنون، محمد** بن **الطيب** شيخ الجماعة بقبيلة بني مسارة كان يرأس مجاهدي قبيلته في حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وعين عضوا في المجلس الاستشاري للمقاومة في المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 ؛ وتقول عنه الوثائق الإسبانية انه لم يشارك إلا في ثلاثة معارك كانت آخرها التي استشهد فيها معركة الرفايف بقبيلة الساحل التي جرت يوم 14 أكتوبر 1919.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**كنون، محمد** بن **محمد** بن **عبد السلام** الفقيه العلامة المشارك، أحد الأعلام الفضلاء والفقهاء النبلاء، له مشاركة في سائر المعقول والمنقول، وعارضة قوية في التدريس.

ألف تآليف عديدة، منها : تأليفه في شرح الجوهرة، وله تقاييد أخرى وقصائد.

**كنون، محمد** بن **المدني** عالم فاس وشيخ الجماعة بها. أخذ عن عدد كبير من شيوخ وعلماء فاس في وقته.

كانت له قوة في الصبر على المطالعة والتدريس والإطالة فيهما بما لم يعهد لأهل عصره. ويصدع بما يظهر له أنه الحق، ولا يبالي بعال أو سافل، ويشير للولاة وظلمهم بالتلويح والتصريح. وامتحن بذلك وسجن وأسيئ في حقه.

قُلد خطة القضاء بمراكش عام 1274 بعد إباية شديدة، ثم طلب الإعفاء من السلطان بعد توليته ثمانية أشهر، فرجع إلى فاس واشتغل بالدرس، فكانت له مجالس بالقرويين وغيرها، يقرأ فيها الحديث والفقه في الغالب، والأصول والنحو مرات.

له مؤلفات عديدة، منها حواشي وشروح وتآليف وتكميلات ورسائل صغار وفتاوى وشعر جله في نظم قواعد فقهية. بينهما كتاب *الزجر والإقماع بزواجر الشرع المطاع لمن كان يومن بالله ورسوله ويوم الاجتماع عن آلات اللهو والسماع*". يأتي هذا الكتاب في سياق مشروع الفقيه كنون الرامي إلى مواجهة مظاهر المنكر التي تفشت في بعض حواضر المغرب على عهده، وذلك من قبيل اتخاذ بعض المتصوفة الغناء والرقص أداة للعبادة في غير المحل المناسب أو من قبيل اتخاذ بعض الناس الغناء والآلات كالعود والطنبور عند عمل المولد النبوي، أو تأجير المطربين والمغنين.

ومن بين الظواهر التي سجلها الفقيه كنون في كتابه ظاهرة تأثر الناس - في زمانه - بألوان الموسيقى الأجنبية، بسبب مخالطة النصارى، وهو تأثر زاد من حدته - حسب رأي المؤلف - ما كان العامة عليه من قلة العلم والتعلم.

وانسجاما مع موقفه الرافض لهذه الظواهر فقد أنكر على أصحاب الطرق ما ابتدعوه من أصناف الرقص والغناء واستخدام الآلات، وأفتى بوجوب الكشف عن المأجورين للغناء والقبض على من وجد منهم.

ولم تكن صرامة الفقيه كنون في ذويه وأهله أقل منها في غيرهم، فلقد كان مهيبا في بيته، يقاطع حفلات أسرته ويعلن عن غضبه إن حضرها منشد أو مطرب، ومع تشدده هذا فقد كان أميل إلى التساهل بالنسبة لحلقات المنشدين المزمزمين بالمديح النبوي، وهو هنا يزودنا بما يفيد أن الشيخ أبا المحاسن الفاسي كان يحيى في بيته ليلة المولد النبوي، فيحضر المنشدون يتناشدون أشعار الشيخ الششتري، ويحكمون صنعة تلحينها دون آلة، ويحكمون طرق تلحين الميلاديات المعَرّبة الموزونة والملحونة على عادة أهل فاس.

الحسين العراقي، *صوارم المنون* ؛ إ. افضيلي، *الدرر البهية* ؛ م. المشرفي، *الدر المكنون* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام*.

**كنون، التهامي** بن **المدني** الفقيه العلامة، الخطيب، الناظم الناثر. أخذ عن خلق كثير من علماء وقته. له تآليف عديدة، منها تعاليق على الشفا، والموطأ، والبخاري، ومسلم، وعدة شروح وتقاييد وغيرها.

سكن مدينة مراكش، حيث كان عدلاً بها أيام كان أخوه محمد قاضياً بها.

ع. بن إبراهيم، *الإعلام* ؛ عبد العزيز بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2، الدار البيضاء، 2000، ص. 375 - 361 ؛ كنون محمد المدني بن علي، *الزجر والاقماع*، مكناس، رقم 774.

المصطفى البوعناني وعبد العزيز بن عبد الجليل

**الكنيسة البرتغالية بأسفي** توجد بالمدينة القديمة بأسفي كنيستان برتغاليتان شيّدتا في نفس الفترة تقريباً خلال العقدين الثاني والثالث من القرن السادس عشر. وقد بناهما البرتغاليون إبان احتلالهم للمدينة. إن الكنيسة الأولى - وهي موضوع هذه السطور والمعروفة حالياً باسم الكنيسة البرتغالية - شُيّدت على أنقاض مسجد قديم يرجع عهده إلى

العصر الموحدي. ومعلوم أن البرتغاليين هدموا هذا المسجد ومعالم إسلامية أخرى للمدينة. ولم يسلم من هذه المعلمة الدينية إلاّ الصومعة التي لازالت قائمة حتى الآن، وهي حالياً صومعة الجامع الكبير الذي أعيد بناؤه في فترة لاحقة. وإن ما فعله البرتغاليون بالمآثر الإسلامية بأسفي لم يكن عملاً عابراً ومنفرداً، ذلك بأنه كانت من عادتهم كلما استولوا على مدينة إسلامية إلاّ وحوّلوا مساجدها إلى كنائس أو هدموها. وهذا ما حصل من قبل في كل من سبتة والقصر الصغير وأصيلة وطنجة وأزمور ...

وبعد طرد البرتغاليين من أسفي تحولت كنيستهم إلى دور للسكن ثم إلى حمام. وحوالي عام 1926 تم ترميمها، وأدرجت منذ ذلك الحين في لائحة الآثار التاريخية للمدينة، وهي الآن مفتوحة في وجه العموم وتُعدّ متحفاً من متاحف أسفي. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المعلمة العمرانية التي صُمِّمت على نمط الفن المعماري "المانويلي" البرتغالي لازلت تحتفظ بجل روائعها الهندسية والزخرفية. يقول عنها الكانوني : "(إنها) عجيبة الصنع محكمة الوضع ..." وقد خصّها الباحث الفرنسي "دوسينيفال" (P. de Cénival) بمقال واف في مجلة "هيسبيريس" وتناولها فيه بالدرس تاريخيا وهندسياً، كما أنه أعطى العديد من الصور والرسوم الهندسية والزخرفية.

أما الكنيسة البرتغالية الثانية والتي تُعرف باسم "القديسة كاتيرين" (Sainte Catherine) فهي توجد بجوار باب الشعبة، لكنها لم تنل من العناية ما نالته شقيقتها، فلقد هدم جزء منها بينما لازال الجزء الآخر منها يستعمل كَسَكَن لكثير من الأسر. ورغم سقوط بعض جدرانها والإهمال الذي طالها فإن ما تبقى منها لازال يوحي بجمال هندستها وزخرفتها.

م. الكانوني، *أسفي وما إليه قديماً وحديثاً*.

P. de Cénival, La cathédrale portugaire de Safi, *Hespéris, 1929, t. IX,* p. 1 - 27.

عبد الرحيم العطاوي

**الكهف في المغرب القديم،** يمثل الكهف رمز التخفي، ويتعلق برموز متشابهة مثل البيضة والقبة والقبر، وهو بؤرة سرية وباب إلى العالم الآخر الأرضي، وقد مورست فيه منذ القدم، شعائر التلقين خصوصاً في ديانات الأسرار، حيث كان المريد يلجه بوصفه قبرا، أو رمزاً للارتداد، أو نكوصاً إلى الرحم الكوني، إلى الأصول ؛ والخروج منه بمثابة البعث والعودة إلى الحياة المتجددة المجردة من أدران الخطيئة والشر. وكرست الكهوف التلقينية في مصر لإيزيس، وفي اليونان لهيرا وبالاس، وفي آسيا الصغرى لأتيس، وفي فارس لميثراس. وعند المسيحيين الأوائل اتخذ الكهف صورة الرحم الأمومي الأولي، وخصص لعبادة العذراء مريم "وابنها" يسوع. ولم يكن الدفن في قبور الكنيسة إلا تمثيلاً لهذا النكوص إلى الرحم وإلى البداية. والالتجاء إلى الكهف عبارة عن انفصال المرء عن عائلته وبيته، عندما يقرر المسارة واعتزاله في مكان مقدس يخضع فيه لفترة من الصيام والتطهر بالماء أو النار.

وإن الخلو بالنفس والنوم في بعض الكهوف الشهيرة، تمكن من تلقي بعض النبوءات والأحلام، التي لا يبقى على المرء سوى تفسيرها. وثمة عرافون وكهنة يقومون بهذا الغرض لكي يعرف الطريق السوي والسلوك المناسب.

ويجب التذكير أن النبي محمد (ص) كان يلتجئ إلى غار حيراء يتحنث فيه بمكة. كما لا ننسى أصحاب الكهف المذكورين في القرآن والذين التجأوا إلى الكهف خوفاً على إيمانهم بالله. ومن المعروف تاريخياً أن إنسان عصور ما قبل التاريخ، استعمل الكهوف والمغارات كمساكن في الأصل، ثم تحول بعضها إلى أماكن للعبادة، ويبدو أن سبب تحويلها هذا راجع إلى وجود قبور الأجداد والأسلاف، وهذا قد يوحي بارتباط تحويل الكهوف لمعابد خاصة لأجداد، وقد يؤيد هذا الرأي أن العديد من الكهوف تتضمن رسوماً ونقوشاً صخرية.

وربما هذا ما صبغ بعض الكهوف بطابع القدسية في شمال إفريقيا والعائدة على ما يبدو، إلى نهاية عصور ما قبل التاريخ، على أساس كونها مدخلاً للعالم التحتي للكائنات الأخرى. فالكائنات تخلق الحياة التحتية في علاقاتها بعالم الموتى.

وهناك رأي آخر يقول "إن أهمية الأساطير الكهفية تذكر بأن الأمازيغ كانوا يقطنون الكهوف، ولا شك أن هذه حجة لا ينبغي إقصاؤها ولكنها لا تفسر أبداً بل بالعكس - المخاوف التطيرية التي ترتبط بهذه الأماكن. فهل يجعل منها ورثة سكان الكهوف أي ورثة التروگلوديت، أولئك الذين تعودوا على المغارات موقعاً لكل هذا العدد من المعجزات والآثار الغامضة" ؟

يبدو، أن المغارات هي منافذ الخروج والتجلي لأعماق الأرض وللجن القاطنين تحتها. إن الكهوف تمثل فم القوى الجوفية وبطنها، وداخل هذه الأعماق، يسكن الجن الذين يهربون منها في ساعات أو ليالي معينة، ويحرسون الكنوز المطمورة فيها.

"ولقد مورست في الكهوف التي تشكلت فيها رواسب كلسية هابطة وصاعدة (الستلاكتيت والستلاكميت) عبادات خاصة تشير إلى هذه الرواسب على أنها شموع، أو على أنها ضروع أبقار، تنظر بحليب صوفي (مغارة مولاي بوسلهام)، أو أنها حاشية من الجن أو من الحيوانات الخارقة المتحجرة (مغارة تاغرداشت في قبائل البرانس بتازة)".

وهناك من يعتقد أن الكهوف تتكلم، لأن الهواء الذي يسري في جنباتها يوصل إلى آذانهم تنهيدات وصرخات وأصوات صغيرة ويأتي الزوار لسماع أجوبة عن أمور غيبية تتعلق بالاضطراب الذي يعاني منه كل واحد منهم، مثلما هو الحال في أيامنا هذه في دمنات (سيدي بوايندار)، وفي

الأطلس الصغير قرب إغرم، حيث تقوم النساء برجم مغارة مغلقة على خاطب نكث عهده، ثم ينصتن إلى صرخاته ويؤولن نبوءاته عن الغيب. يضاف إلى ذلك أن المغارات هي الأمكنة المفضلة لطرد الشر، وفضائلها العلاجية معروفة لمسافات بعيدة، ويقيم الناس لحل جميع أنواع الصعوبات الذهنية أو الجسدية. وبما أن الأمراض والاضطرابات المتنوعة يتسبب فيها الجن والأرواح، فيتم الإلتجاء إلى أماكن إقامتهم بالكهوف قصد الاستعانة بآخرين لطردهم. وتتم زيارات الكهوف من أجل علاج مشكلة الخصوبة والعقم والإجهاض المتكرر وعدم ولادة طفل ذكر. "كما أن الكهوف كانت المكان الذي تستحضر فيه طقوس اختفت اليوم مثلما كان يحصل في بعض المغارات الشهيرة (زگرة بتازة وايلالن بالأطلس الصغير) وهي طقوس "ليلة الغلط" حيث يدخل الأفراد من الجنسين إلى المغارة قصد الاحتفال بمدار فصل الربيع ويتعاطون لعلاقات جنسية حرة".

ومن التجارب العادية بالنسبة للأمازيغ أنهم يشعرون بصورة عامة تجاه الكهوف بالخوف والهلع، ولذلك يفضلون الابتعاد عنها وعدم الاقتراب منها. والكهف مهما كان عمقه يثير لديهم عاطفة الخوف الديني الذي لا يستطيعون السيطرة عليه. ونعتقد أن كهوف المغرب لا يخشاها الناس في حد ذاتها، ولكنهم يخشون بعض القوات الخفية التي تقوم بنشر الخوف والرعب في كل كهوف المنطقة أو بعضها فقط.

ومن أسباب الخوف كذلك، أن الكهوف تسكنها الحيوانات المفترسة كالأسود والحيوانات الخرافية كالغول كما تذكر الحكايات الشعبية.

ومن الكهوف المشهورة في المغرب هناك كهف قرب دمنات اسمه ايمي ن ايفري التي تعني فم الكهف، عندما زاره ايدمون دوتي في بداية القرن العشرين سمع الناس يتحدثون عن وحش (التنين)، ذي سبعة رؤوس، يسكن هذا الكهف ويمنع الناس من استغلال مياهه، إلا مقابل تقديم فتاة له كل سنة. وحينما جاء دور بنت السلطان ظهر بطل اسمه ملك السيف يرغب في القضاء على الوحش. وبالفعل قطع أحد رؤوس التنين ودخل المغارة خلف التنين الهارب. ووجد باباً وعندما فتحه عثر على سبع فتيات أخبرت إحداهن البطل بطريقة القضاء على الوحش (التنين) والمتمثلة في استعمال سيف التنين وإلا فإذا قتله البطل بسيفه، فإن التنين سيبعث من جديد. واعتمادا على هذه النصيحة تمكن البطل "ملك السيف" من القضاء على التنين وتخليص الكهف والمنطقة من شره. وخرج من جسده آلاف الديدان، ومن هذه تولدت طيور عديدة خاصة بمنطقة دمنات.

ومن هذه الكهوف كهف "العباب" و"السبعة النائمون" (السبعة الراگدين) بصفرو، وكهف زاوية سيدنا نوح بغمارة قرب زاوية سيدي الورداني، وفي مولاي بوسلهام، غير بعيد عن الضريح، كهف يحكى أنه دفن به شخص يسمى يوسف ابن ارسطوط. وزائر الضريح من المفروض عليه أن يزور الكهف، وهذا ما يرجح أن الكهف أسبق على الضريح وأن زيارة الكهف عادة قديمة سابقة على الضريح. وأنه لما أنشئ الضريح أدخل في مجال الزيارة التي اعتاد الناس على القيام بها للكهف.

ومن أشهر الكهوف في شمال المغرب كهف أو مغارة هرقل بطنجة هذه المغارة التي يعتقد أنه نزل بها أو مرَّ بها البطل أو الإله هرقل أو ملقارط، تحت اسم محلي ضاع مع الزمن. ومنها تحرك للقيام بأحد أعماله الأسطورية الشهيرة، وهي فتح البرزخ أو المضيق، الذي كان معروفاً بأعمدة هرقل، والذي يسمى منذ الفتح الإسلامي للأندلس بمضيق جبل طارق. فتح هرقل المضيق بين المغرب وإسبانيا خلال العهود الأسطورية. ولا ندري هل كانت هذه المغارة بالفعل مكاناً مقدساً وهيكلا للعبادة منذ ذلك الوقت أم لا ؟ أم أن الأمر لا يتجاوز تأثر السكان بالأساطير الإغريقية، فحولوا المغارة إلى مزار.

ونظراً لأهمية الكهف في حياة الأمازيغ الأقدمين فلم يستعمل فقط في عصور ما قبل التاريخ، بل ظل يستعمل طيلة العصور التاريخية وإلى يومنا هذا "لدرجة أنه يعتقد أن كلمة إيفرى الأمازيغية التي تعني الكهف، هي التي اشتقت منها كلمة أفري أو أفريكا وهذا ليس مستعبداً" خاصة وأن بلاد الجمهورية التونسية الحالية كانت في بداية العصور القديمة تسكنها مجموعات بشرية تحمل اسم الأفري. "وعليه فإن إفريقيا (تونس الحالية) كانت بلد سكان الكهوف (التروگلوديت). ومن المنطقي الاعتقاد أن اسم بني يفرن، إحدى أكبر القبائل الزناتية قد تعني سكان الكهوف، هذا الاسم الذي التصق بهم نتيجة استعمالهم للكهوف كسكنى في بداية حياتهم. ونجد اليوم أنه لا يزال يطلق اسم آيت ايفري على جماعات بشرية من داداس تسكن الكهوف". إذن كل شيء يوحي بأن الكهوف كسكنى كان يمثل فيما سبق شيئاً متداولاً بين الأمازيغ".

وقد تم اكتشاف رب مغارة إيفرو أو إيفري، ويعتقد أنه الإله المشهور باكاكس بمنطقة الطايع بالجزائر. كما أنه من المعروف أن إيفرو قد صور على شكل خطاطة لإله بدون رأس في مخبأ تحت صخرة جنوب قسنطينة بالجزائر. ومن المعتقد أنه قد أعطيت للإله ايفرو صورة بشرية فوق صخرة شرق قسنطينة، ويحيط بالرأس علامات شبيهة بأشعة الشمس مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأنه كان رباً شمسياً، إلا أن هذا الاحتمال لم يعد مقبولاً الآن. ترافق صورة إيفرو كتابة لاتينية تقدم بها افريقي متروْمن يحمل اسم يوليوس كريسونس. وهل يمكن اعتبار الرب إيفرو ملك الأرواح التي تسكن الكهوف ؟ من الممكن ذلك خاصة إذا انتقلنا من اسم أمازيغي أصيل له علاقة بالكهف وبساكنيه وبالمنطقة، مما يجعلنا نعتقد أن إيفري أو إيفرو هو بالفعل حامي الناس من الأرواح الموجودة بالكهوف، وبصفته هذه فيمكن اعتباره ملك أرواح الكهوف.

وبصورة عامة، فإن الاعتقاد في قداسة الكهوف اعتقاد قديم جدا انطلاقا من عصور ما قبل التاريخ، وظل الاعتقاد سائداً خلال العصور القديمة، وبعد دخول الإسلام. ويمكن أن نفسر استمرار هذا الاعتقاد "بأن المقدس إذا ارتبط بمكان ما (كهف أو جبل أو عين أو مدفن أو شجر الخ ...) فإنه يظل لاصقاً به عبر الأزمنة، ويندمج بطريقة أو بأخرى في الديانة المهيمنة".

وإلى جانب مظهر تقديس الكهف، فإنه يعتبر مخبأ للكنز، ونعتقد أن هذه الفكرة مرتبطة أساساً بكون الكهف مزاراً ومكان عبادة وتقديس، وبصفته هذه تقدم الهدايا والهبات والقرابين للأرواح التي تسكنه. وهذه الهدايا تخزن - بدون شك - من طرف القيّم على الكهف في أرضيته. وضمنيا فإن الأرواح والجن التي تسكن الكهف والتي قدمت إليها الهدايا هي التي تحرس الكنوز المطمورة فيه.

ومن اللافت للنظر "أن أسطورة جودر الصياد وهي من حكايات "ألف ليلة وليلة" تجعل المغرب مسرحاً للفصل الذي يتحدث عن المغارة المكدسة بالذهب والأحجار الكريمة".

ويرتبط الكهف بجانب ما سبق، بممارسات غريبة تحدث عنها بعض الكتاب القدامى والباحثين الفرنسيين في بداية القرن الحالي، ويتعلق الأمر بما يسمى بـ "ليلة الغبطة أو ليلة الغلط" التي تحدث داخل الكهف. وقد ذكرها ترينگا ودوتي ولاوست. وسنختصر على ما جاء به ترينگا في بلاد البرانس في كهف بني محاسن. ذكر أنه "تقام حفلة ليلة العام" في فصل الربيع من كل سنة أو ليلة الغبطة، ودائماً يوم الأربعاء. ففي صباح ذلك اليوم تبدأ النساء في تهييء طعام الكسكس الذي يأكل منه كل من له رغبة يريد أن يحققها.

وعند المساء يختلط الجميع رجالا ونساء في الكهف. وبمجرد أن يقوم شيخ العشيرة بإطفاء الشموع يأخذ كل رجل المرأة التي بجانبه ويضاجعها. وأثناء ذلك يتحرك الشيخ بواسطة عصا من القصب على بعد بسيط من الأرض لكي لا يظل أحد جالساً. كما أن أي أجنبي عن العشيرة يحاول التسلل إلى الكهف يقتل. ولكل امرأة الحق في أن تأخذ معها كمية من الحناء تطبع بها الرجل الذي يضاجعها، وذلك حتى تتمكن من التعرف عليه في الغد.

البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، *كتاب الأنساب*، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1971 ؛ أحمد عز الدين، دلالات ميثولوجية برسم الانثروبولوجيا 2، *كتابات معاصرة، عدد 9، كانون الثاني*، شباط، 1991 ؛ باسكون، بول، المعتقدات والأساطير المغربية، *مجلة بيت الحكمة*، العدد 3، السنة الأولى، 1986 ؛ م. أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، دكتوراه الدولة، فاس، ص. 99 - 107 ؛ السراج محمد، *الحلل السندسية في الأخبار التونسية*، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب الهيلة، المجلد الأول، دار الغرب الإسلامي، 1984، ص. 829 - 830.

Nicolas de Damas, *Fragmenta Graecorun*, III, p. 462, n° 133 ; Herodote, *Histoire*, IV, 182 ; M. Benabou, *La résistance africaine à la romanisation*, Maspero, 1976 ; R. Basset, Recherches sur la religion des berbères, *Revue de l'Histoire des Religions*, LXI, 1940, p. 291 - 342 ; *Les cultes des grottes au Maroc*, Carbonet, Alger, 1912 ; Léon l'Africain, *Description de Afrique*, Nouvelle édition traduite de l'Italien par A. Epaulard, Librairie d'Amérique et d'Orient, Paris, Maisonneuve, 1981, t. 1, p. 311 - 312 ; J. Herber, Mythes et légendes du Zerhoun, *Archives Berbères*, t. I, 1915-1916, p. 250-258 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 volumes, 1913 - 1928, V, p. 33 et notes 4 et 5 ; Trenga, Les Branes, suite et fin, *Archives Berbères*, Fasc. 4, 1915-1916, deuxième édition, Rabat, 1987, p. 399-736.

**الكهنة في المغرب القديم**، من المعروف أن الممارسات الدينية بما تتضمنه من طقوس وحركات وإيماءات ورموز هي التي تثبت العقيدة. وتتم هذه الممارسات في أماكن العبادة (معابد وهياكل وصروح ومذابح ومصليات وأضرحة إلخ) بما تتضمنه من رموز وظلال وأضواء وعتمة، تنظم بواسطتها الممارسات.

وللقيام بطقوس العبادات والشعائر من اللازم وجود أناس يتدربون عليها ويتفهمون أهدافها وشعائرها ويرشدون الناس إليها وهذا يعني أنهم يتوفرون على قسط من الثقافة الكهنوتية تؤهلهم لأن ينتموا لفئة الكهان أو رجال الدين.

والكاهن أو رجل الدين، أو الوسيط بين الإنسان والأرباب، كان يسهر على احترام التقليد والطقوس ويبدو أنه كان للأمازيغ القدامى نظام كهنوتي ينظم العلاقة بين العباد والأرباب، وذلك على الرغم من أن هيرودوت الذي تعرض لمجموعة من الطقوس الدينية الأمازيغية، لم يتحدث إطلاقا عن رجال الدين الأمازيغ.

وللسهر على قواعد السلوك والطقوس والتقاليد التي تعين للمرء كيف يجب أن يتصرف حيال المقدسات وخاصة الأرباب، كان من اللازم التوفر على هيئة دينية مكونة من أجل ذلك. إلا أنه مع كامل الأسف فإن النصوص الكلاسيكية لم تتحدث بصراحة عن هذه الهيئة. فهيرودوت مثلا تحدث عن الأضحيات والقرابين التي كان يتقرب بها الليبيون (الأمازيغ) من الأرباب، ولكنه لم يتعرض لرجال الدين الساهرين على هذه الطقوس والممارسات. وهناك كاتب أشار إلى وجود رجل الدين أو كاهن هو كوريبوس وذلك عند حديثه عن الأمير إيرنا (Ierna) أمير قبيلة لگواتان (Laguatan) خلال القرن السادس الميلادي بأنه كان في نفس الوقت كاهنا للرب گورزيل.

كما يجب التذكير بأن بروكوب (Procope) (توفي حوالي 552 م) وصل به الأمر إلى القول بأنه : "كان ممنوعا لدى المور، أن يقوم الرجال بمحاولة استقراء المستقبل ؛ ولكن بعض النساء، بعد قيامهن بالطقوس المقدسة مع الأرواح كن يتنبأن بالمستقبل ليس أكثر أو أقل من القدماء الذين يستطلعون وحي الأرباب. ويؤكد مكانة النساء الأمازيغيات في الهيئة الدينية وتشير نقيشة لاتينية اكتشفت في ضواحي الكاف بتونس إلى وجود كاهنة خاصة بالرب الأمازيغي ماثاموس (Mathamos) . ويتعلق الأمر بشاهد قبري للكاهنة ذاتها التي كانت تسمى سيسوا (Sisoi) بنت ميسونيا (Missunia).

نعتقد أن هذين النصين والنقيشة تمكننا من التعرف في الديانة الأمازيغية على وجود هيئة كهنوتية منظمة لا نعرف بالطبع تراتبيتها، إلا أنه يبدو أن المرأة الكاهنة كانت تلعب في هذه الهيئة دورا متميزا. وفي هذا الصدد تشير أعمال كل من دوتي (Doutté) ولوگلاي (Le Glay) وغيرهم إلى "الجانب الإيجابي الذي كانت تقوم به المرأة الأمازيغية في القيام بالطقوس وإتمام الشعائر المرتبطة بأعمال الأرض والخصوبة". ويفسر توفيق فهد، استئثار المرأة الأمازيغية بالهيئة الدينية انطلاقا من "تنظيم النساء العصبي والنفساني وكونهم سريعات الإنفعال، إذ أن النساء يبلغن مرحلة النشوة والإشراق والذهول بسرعة، وهن بهذا الفعل كن يلعبن دورا كبيرا في العبادة..." والذي سهل على المرأة تبوأ مكانة خاصة في مجال الهيئة الدينية، هو أنها تعتبر العنصر المحافظ، في الأسرة، على العادات والتقاليد والأعراف، وتعمل على تلقينها في الغالب لبناتها أكثر من أبنائها. كما أن عددا من الطقوس والممارسات الخاصة لإفشاء السحر ومواجهة العين الشريرة واستطلاع الغيب وإبعاد الأرواح الشريرة، وجلب الأرواح الخيرة تقوم بها المرأة، لحد الآن، وذلك بزيارة الأولياء والصالحين والأضرحة وأهل الله، ومزارات من كهوف وعيون وكتاب الأحجبة، والسحرة، والعرافين، والدجالين، والمشعوذين إلخ...

من خلال ما تقدم من إشارات يبدو أن الأمازيغ كان لهم نظام كهنوتي تلعب فيه المرأة الكاهنة دورا متميزا، بحكم طبيعة تكوينها، وأن الرجال أيضا كانوا كهنة، لكن لا نعرف عن دورهم ومكانتهم أي شيء. وحتى إذا حاولنا أن نقارن بين الهيئة الكهنوتية لدى الأمازيغ والبونيين فإننا لا نجد الشيء الكثير في هذا المجال، لأنه إذا كانت الهيئة الكهنوتية البونية منظمة وفق تراتبية دقيقة من أمير أو رئيس الكهنة، إلى الكاهن إلى مساعده إلى المستخدمين، مع وجود نصوص تحدد واجبات وحقوق الكهنة والمومنين، فإنه من الممكن أن تكون معابدهم تتضمن تراتبية معينة ؛ ولكن ليس هناك أية إشارة تؤكد ذلك أو تنفيه لحد الآن ؛ وحتى إذا لم يكن هناك أي دليل يؤكد وجود نصوص منظمة للعلاقات بين رجال الدين ومقدمي الهبات والأضحيات، فليس من المستبعد أن تكون هناك أعراف وتقاليد متفق عليها، تحدد واجبات الطقوس ومختلف الممارسات والشعائر التي تتم في المعابد الأمازيغية.

ميخائيل مسعود، *الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام*، دار العلم للملايين، ط. 1، 1994 ؛ مصطفى أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، دكتوراه الدولة، كلية الآداب، فاس، ظهر المهراز.

Hérodote, *Histoire*, IV, 187 ; Corripus, *Johannide*, II, 109 ; Procope, *De Bello Valadio*, II, 8 ; T. Fahd, *La divination arabe*, Sindbad, Paris, 1987 ; Decret et Fantar, *L'Afrique du nord dans l'antiquité*, Payot, Paris, 1981 ; Doutté, *Magie et religion dans l'Afrique du Nord*, Jourdan, Alger, 1908 ; Le Glay, *Saturne africain, Histoire* 1960 ; J. Mazel, *Enigmes du Maroc*, Robert Laffont, 1971.

مصطفى أعشي

**گو، موريس** (Gaud Maurice) من أشهر الأطباء الذين عملوا خلال فترة الحماية بالمغرب، ومن كبار العارفين بأحوال الصحة هناك. قدم إلى المغرب كطبيب عسكري سنة 1917، بعد أن أبلى بلاء حسنا في الجبهات الفرنسية خلال الحرب العالمية الأولى وعين طبيبا للمجموعة الصحية المتنقلة بآسفي، ثم مديرا للمكتب الصحي لمدينة مكناس الذي جعل منه مكتبا نشيطا في البحث عن أسباب الأوبئة والأمراض، وما ينجع في القضاء عليها وحصر انتشارها.

وفي سنة 1924 نودي عليه للعمل مع اوبرلي Oberlé، مدير الصحة يومئذ، كمفتش لإدارة الصحة العمومية، وأدى ما أنيط به من مهام في هذا الباب على الوجه الأحسن، فوقع عليه اختيار ليوطي ليوفده في بعثة طبية إلى منطقة الريف التي لعب فيها دوره كاملا في محاولة تثقيف تلك الربوع وتمهيدها، مما جعل كولمباني، الذي خلف أوبرلي في إدارة الصحة يقربه منه إذ مكث إلى جانبه إلى أن عين مكانه رئيسا لتلك الإدارة سنة 1934.

قضى گو على رأس إدارة الصحة زهاء عشر سنوات (1934 - 1944 )، واجه فيها امتحانات عسيرة، إذ عاث التيفوس في سنتي 1937 - 1938، بعد الذي عم جنوب البلاد من أسباب الجفاف والمسغبة، وما ترتب على ذلك من نزوح نحو المراكز الحضرية. كما شكلت الحرب العالمية الثانية وما رافقها من خصاص تفاحشت على إثره الأوبئة والأمراض، مرحلة عصيبة أمام إدارة گو انكشفت خلالها هشاشة وسائله وعدم كفايتها.

أنهى موريس گو حياته المهنية متقلبا في عدة مناصب دولية تهم ميدان الصحة كرئاسة اللجنة المختلطة لخبراء منظمة الصحة العالمية، والصندوق الدولي لإنقاذ الطفولة.

*Maroc médical*, janvier 1950 ; *Bulletin* de l'institut d'hygiène du Maroc de 1937 à 1944.

بوجمعة رويان

**كوب**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Cobo ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1188 / 1774.

م. ابنم. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الكوبالت**، إسم ألماني لعنصر فلزي أبيض يميل إلى السمرة صلب، لكنه سهل الانكسار يذوب في درجة 1490، يستخدم في سبائك الحديد والفولاذ والنحاس وفي تحضير الأصباغ خاصة اللون الأزرق، ويوجد منه الكوبالت المشع الذي يستخدم في الصناعات النووية العلمية والحربية. وهو معدن نادر استعملت أكاسيده منذ العصور القديمة لتلوين الخزف والزجاج باللون القرمزي ويدخل اليوم في صناعات حديدية وكيماوية بنسب قليلة خاصة في صناعة سبيكة

حديدية شديدة الصلابة تقاوم التآكل كالآلات القاطعة للصخور والمعادن النفيسة. وهو يقاوم المغناطيسية لذا تتعدد استعمالاته العلمية وفي صناعة الفضاء وبطاريات الليتيوم. مكامنه بالعالم قليلة لا يتجاوز احتياطه العالمي المؤكد 6 مليون طن. وإنتاجه العالمي ضعيف لا يتجاوز 30 ألف طن متري من المعدن النقي.

إذا كانت جل مكامن المعادن المغربية واسعة الانتشار بأرجاء البلد فإن الكوبالت يشد عن ذلك إذ لا يوجد سوى في مكمن واحد بإقليم ورزازات. يقع بالهوامش الشرقية بجبال الأطلس الصغير بمكان خال ظهر به مركز معدني سمي "بوازار" على بعد 140 كلم جنوب شرق ورزازات على علو 1400 متر. وهو عبارة عن بهرة "فرجة" في غطاء للزمن ج 1، يظهر منها سلسلة من طبقات صخور ما قبل الكمبري. والصخور المعدنة عبارة عن عروق وركامات تكونت نتيجة تفاعل مياه حارة مع مركبات معدنية وكيماوية. تتكون عروق المكمن الرئيسي من مادة كيماوية Skulendite مندسة في غطاء من الشوائب المعدنية للكالسيت والكوارتز، وهو مركب كيماوي متعدد العناصر يحتوي على الحديد والنيكل والمولبدين والذهب والزرنيخ، وهذا الأخير مادة سامة تستعمل لقتل الفئران كانت تباع بجامع الفناء في عقد العشرينات، فعثر عليها أحد الفرنسيين وتابع البحث عن مصدرها إلى أن تم اكتشاف معدنها في بوازار. تبلغ نسبة الكوبالت في هذا المعدن 1٪ وقدر احتياطه بالمعدن الخام بنصف مليون طن وبمعالجة خامة بالتركيز كان يعطي معدنا تجاريا مركزا بنسبة 10٪. ومكنت هذه الميزات من استغلال دام إلى سنة 1940 بطرق تقليدية تم خلالها استغلال عروق بحفر سطحية تمتد بشكل متقطع على طول 50 كلم ولم يشد عن ذلك سوى المنجم الرئيسي بمركز بوازار حيث نزل العمال عبر بئر وأنفاق إلى عمق 150 متر. وانخفض الإنتاج خلال الحرب الثانية إلى درجة التوقف سنة 1942. لكنه استعاد نشاطه سنة 1943 عند إكمال بناء معمل للمعالجة بالطفو. بلغ الإنتاج الكلي من الكوبالت المركز بنسبة 12 ٪ : 12712 طن سنة 1960. وجعل هذا الإنتاج المغرب يحتل الدرجة الرابعة عالميا في إنتاج الكوبالت طيلة عقود. وفي سنة 1958 أكملت شركة "أونا" (متعددة الجنسية) المالكة للمنجم إنشاء معمل المعالجة بالغسل للفلز المنتشر في الشوائب واستغلال صخور ممعدنة ضعيفة التركيز ـ 1٪ كما جهز المعمل بقناة طولها 18 كلم تجلب الماء من بئر محفور بسرير واد بعيد عنه، صبيبها 20 لترا في الثانية كما زود بمحطة كهربائية. وكان يشتغل بالمنجم حوالي 800 عامل سنة 1960 كونوا مركزا معدنيا ضمّ 2000 نسمة. وتطلب إقامة هذه المنشآت الجديدة استثمارات مهمة. لكن محتوى العروق القابلة للاستغلال تجاريا كان ضعيفا لا يستجيب إلا لبضع سنوات. لهذا سرعان ما نفد احتياطه المعروف في نهاية السبعينيات ولم يزد إنتاجه عن 117 طن سنة 1980. وتوقف المنجم بعد تقادم تجهيزاته، لكن شركة أونا عملت بعد مغربتها على بذل مجهودات لاكتشاف عروق أخرى قابلة للاستغلال منذ بداية الثمانينات مجندة شركات لها خبرة عالمية روسية يابانية أوربية... وأخيرا ثم اكتشاف عروق جديدة غنية واستأنف العمل والإنتاج في التسعينات وصار المنجم ينتج كميات متزايدة سنة بعد سنة. بلغ إنتاجه 14341 طن سنة 1999 وتحقق هذا التقدم الكبير بفضل تشغيل معمل جديد بعين المكان لمعالجة خام الكوبالت بالحرارة والمياه، مما جعل الكثير من الخامات الضعيفة تعطي إنتاجا جيدا، كما ينقل المعدن المعالج إلى مركب صناعي جديد بگماسة قرب مراكش حيث تتم معالجته، ويستخرج منه قوالب من الكوبالت النقي بنسبة 99٪ بالإضافة إلى بضع كيلوجرامات من الذهب النقي وعناصر أخرى. في سنة 1999 تناولت المبيعات المحلية 5756 طن بقيمة 62,3 مليون درهم، كما صدر 2556 طن إلى الصين بقيمة 32 مليون درهم يضاف إليها تصدير 142 طن من النيكل و272 طن من الزرنيخ.

أ. هوزلي، *الموارد المعدنية والتنمية بالمغرب*، كلية الآداب مراكش ؛ استطلاع ميداني لمنجم بوازار سنة 1988 ؛ أبحاث واستطلاعات وتقارير من الصحف المغربية عن الإنتاج المعدني بالمغرب ؛ *وزارة الصناعة والتجارة والطاقة والمعادن*، نشرات صحفية ودراسات قطاعية وتقارير حول المناجم والاقتصاد المعدني بالمغرب.
A.André et J. Lecoz, *Economie minière : notices explicatives de l'Atlas du Maroc*, Rabat, 1961.
أحمد هوزلي

**كوت ديفوار والمغرب**، تعود البدايات المؤسسة لعلاقات المغرب مع ساحل العاج إلي الزيارة التي قام بها الرئيس العاجي هو فويت بواني إلى المغرب في غشت 1963. وقد تعززت الزيارات وتمتنت الروابط بين البلدين حتى اندلاع قضية الصحراء. وبالرغم من قبول المغرب لرئيس المحكمة العليا لكوت ديفوار كقاض خاص في محكمة العدل الدولية بصدد الرأي الاستشاري حول الصحراء، فإن موقف كوت ديفوار لم يكن حاسما في مساندة المغرب على خلاف دول أخرى.

لقد كانت كوت ديفوار من أهم مزودي المغرب بالبن وكذلك الخشب. وهي من أهم الدول المستقبلة للصادرات المغربية في إفريقيا، ولاشك في أن الاضطرابات التي عرفتها الكوت ديفوار مؤخرا قد أثرت على علاقاتها الدولية. ومما يعزز العلاقات بين الدولتين قيام جالية مغربية ذات بال في الكوت ديفوار تشتغل بالتجارة.

الحسان بوقنطار

**گوتي** Guté من المدن التي أنشأها حنون بموريطانية، في مجال يمتد بين أعمدة هرقل (جبل طارق) ونهر لكسوس. ومن حيث ترتيب ورودها في النص فهي الثالثة، حسب الاتجاه من الشمال إلى الجنوب.

غير أن آثار كل مستوطنات حنون مجهولة حاليا، مثلما كانت مجهولة في بداية السيطرة الرومانية على موريطانية.

قال بلنيوس الأكبر وهو يتحدث عن مدينة لكسوس: "إن معظم الكتاب الإغريق وكتابنا أيضا يتحدثون عن أساطير من بينها أن حنون أنشأ عدة مدن في هذه الناحية. لكن ليس هناك أي أثر لها ولا أحد يتذكرها".

عبد اللطيف لبرينسي، *رحلة حنون*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1990، مرقونة؛ م. مجدوب، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، المحمدية، 1998، مرقونة.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.

محمد مجدوب

**الـگـور** (ضريح)، هو من نوع المدافن المعروفة بالبازينا وهي قبور ضخمة دائرية الشكل مغطاة بقبة مبنية من الأحجار المصقولة المهذبة، رص بعضها فوق بعض بعناية. ويبدو أن أصل هذا النوع من المدافن شمال إفريقية صرفة نظرا لأن وجودها يقتصر فقط على المغرب الأقصى والجزائر أي المنطقة التي تكوّن مملكة موريطانيا قبل يوبا الثاني وخلال عهده. بل ويبدو أنها تطور طبيعي للقبر التلي (التومولوس Tumulus ). ومن أشهر هذه البازينات الميدغاسن وقبر الرومية بالجزائر وبازينا سوق جمعة الگور بالمغرب. وقد أجريت فيه تحريات وتنقيبات متعددة منها تنقيبات كامبس وتنقيبات جودان.

يقع ضريح الگور بين فاس ومكناس جنوب شرق سبع عيون في مكان يسمى سوق الجمعة.

أثار هذا الضريح بشكلة المخروطي انتباه الرحالة الأجانب منذ بداية القرن العشرين ففي كتابه "*رحلات إلى المغرب*" وصف الماركيز دي سيگونزاك ضريح الگور، وفي سنة 1921 أنجز القبطان بيزون بحثا حوله يحمل عنوان Note sur les ruines romaines du Gour لاعتقاده آنذاك آن الگور والمخلفات الأثرية المحيطة بسيدي المخفي تعود إلى فترة الاحتلال الروماني.وهذا ما جعل شاتلان يبحث عن بقايا الليمس الروماني بجوار الگور لإيمانه بأن بقايا الگور رومانية.

ونظرا للاختلاف الحاصل في تحقيب ضريح الگور فقد أثير جدل علمي بين كامبس وجودان، فالأول أجرى تنقيبات في الموقع سنة 1959 نشرت نتائجها في النشرة الأثرية المغربية العدد الرابع الصادر سنة 1960 يحمل عنوان ضريح مغربي: البازينا الكبرى في سوق الگور Un mausolée marocain : la grande bazina de souk el Gour، ورد عليه جودان بمقال صدر في النشرة الأثرية المغربية العدد السابع سنة 1967 يحمل عنوان: "تأريخ ضريح سوق الگور La datation du mausolée de souk el Gour. ثم عقب عليه كامبس بمقال نشره في مجله (Antiquités Africaines) عدد 8 سنة 1974 بمقال يحمل عنوان: "الگور ضريح بربري من القرن السابع الميلادي Le Gour : un mausolée berbère du VII siècle.

وتتبني فرضية كامبس على تنقيبات أجراها في الموقع سنة 1959 ووصل إلى الكشف عن البنية الداخلية للضريح الذي أطلق عليه اسم بازينا (Bazina) وقدم النتائج التالية:

أن الضريح يتكون من جدارين متحدي المركز، فالجدار الخارجي عمودي والجدار الخارجي متدرج، وبين الجدارين وداخل الجدار المتدرج أتربة وأحجار كلسية وبازالطية تملأ الفراغ. وبداخل الضريح تم العثور على حفرة جنائزية كبيرة بها بقايا عظام بشرية متناثرة بدون جمجمة. والملاحظ غياب أروقة داخل الضريح وكذا غياب أي زخرفة خارجية كالأعمدة والتيجان، في الوقت الذي يوجد فيه مذبح مربع الشكل شمال شرق الضريح.

وبالإضافة إلى هذا فقد استخرج كامبس عددا من اللقى الأثرية وصرح حولها بأنها لم تمكنه من تحديد تاريخ بناء الگور. لذلك فهو بالنسبة إليه بناية ما قبل إسلامية وتعود وبالضبط إلى أواخر الاحتلال الروماني. ولم يحاول الاستفادة من تقنيات البناء كشكل الحجر الكلسي الذي بنيت به الجدران، ووجود ملاط يشد الحجر بعضه بعضا وترتيب الحجارة بالكلاب (Appareil à crochet). هذا علاوة على أنه لم يستغل بقايا عظام الثيران والأغنام الممزوجة بالرماد ولم يربطها بطقوس تقديم القرابين سواء في الضريح ذاته أو في المذبح الذي يوجد في الشمال الشرقي منه. وموقع الضريح هذا يشير وجود ارتباط وثيق بطقوس عبادة الشمس خاصة وأن الحفرة الجنائزية متجهة نحو الشرق والمذبح متجه نحو الشمال الشرقي.

وبصورة عامة فإن كامبس يفترض أن بناء ضريح الگور أنجزه أمير من قبائل الباكوات المستقلة عن الحكم الروماني لأن هذه القبائل كانت تربطها بروما العديد من المعاهدات.

أما جودان فإنه يذكر بأن تحديد عمر الضريح يشترط العودة إلى دراسة تقنيات البناء المرتبطة بالحجر الضخم المنحوت بعناية. وبملاط الحجر الذي كان يربط بين قطع الأحجار التي نجدها في بنايات ليكسوس وموگادور المورطانيتين، وكذا تقنية ترتيب الأحجار باستعمال الكلاب التي يؤكد أن هذه التقنية موجودة بكثرة في العهد الموريطاني السابق على الاحتلال الروماني للمغرب في مواقع وليلي وليكسوس وموگادور. كما اعتمد جودان على أجراء دراسات مقارنات بين ضريح الگور وأضرحة شبيهة في شمال إفريقيا كضريح الميد غاسن في شرق الجزائر وقبر الرومية في غربها. وهذا ما جعل جودان يعيد ضريح الگور إلى العهد الموريطاني لا إلى القرن السابع الميلادي كما يدعي كامبس.

ورغم رد كامبس على افتراضات جودان ومحاولاته هدمها فإن موقع ضريح الگور محاط من جوانبه الأربع بمجموعة من الأضرحة الموريطانية وماقبلها وما بعدها كسيدي المخفي والضريح القريب من سيدي بوكي وآخر قرب نهر بوگناو، بالإضافة إلى شواهد أخرى تعود إلى العصر

النيوليتي دون إغفال ما اعتبره القبطان بيرون سنة 1921 آثارا رومانية بموقع سيدي المخفي مما يدعو إلى الاهتمام بمنطقة الگور التي يبدو أنها تخفي الكثير من المفاجآت الأثرية.

ويتبين أن طروحات جودان أقرب إلى الصواب والمنطق من آراء كامبس التي حاولت ربط الضريح بنهاية الحكم الروماني بالمغرب القديم.

وكان من الممكن أيضا الاعتقاد في أن ضريح الگور عبارة عن ضريح مسيحي لكن وجود أرضية المذبح شرق الضريح يجعلنا متأكدين من أننا أمام ضريح لشخصية وثنية وليست مسيحية مثل ما هو موجود في ضريح الميدغاسن بالجزائر.

وباختصار يمكن القول بأن الگور لا يمكن أن يكون إلا عبارة عن بناية تعود للعهد الموريطاني كما يظهر ذلك من التشابه الموجود بين مواد بنائه ومواد البناء العائدة للطبقة الموريطانية في المواقع المغربية كليكسوس، وتمودا وسلا (شالة) ، وبناصا، ووليلي وموگادور.

م. أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، دكتوراة الدولة كلية الآداب فاس، ظهر المهراز، ص. 68 ـ 70.

G. Camps, Un mausolée marocain : la grande bazina de souk el Gour, *Bulletin d'Archéologie marocaine*, IV, 1960, p. 47 - 90 ; Le Gour : Mausolée berbère du VIIe siècle, *Antiquités Africaines,* 8, 10, 74 ; A. Jodin, La datation du mausolée du souk el Gour, *B.A.M.*, p. 221 - 261.

مصطفى أعشي

**گورايزم**، مرفأ بحري عند مصب واد ألْمتَانُو الذي يعد سابقاً بين قبيلتي السيحل وآيت باعمران في الجنوب الغربي من مدينة تيزنيت، على بعد عشر كيلو مترات من مركز ميراللفت. وهو محطة رئيسية للصيد التقليدي.

اقترن موقع گورايزم على ما يبدو بالنشاط التجاري الذي كان قوام علاقة بودميعة السملالي بالأوربيين خلال القرن 17 م، قبيل فتح مرسى أگادير. وتبقى تفاصيل هذه العلاقات وغيرها مجهولة، نظرا لندرة المصادر في شأنها.

ويبدو من خلال الرواية المحلية أن لفظة گورايزم تتكون من شقين : "إيگر: الحقل و"إيزم" : الأسد وبذلك تعنى : مرتع الأسد.

تشهد المقبرة الواقعة على الضفة اليمنى للوادي على قدر التعمير، وكثافة السكان الذين عمروا المنطقة، خاصة بقريتي إد حموش وإگرار المشرفتين على المرفأ.

*تحريات ميدانية.*

أحمد بومزگو

**گورزيل** (رب) من الأرباب الأمازيغية التي نجد إشارات لها في منطقة الطرابلسية بليبيا الحالية وفي موريطانيا (المغرب الحالي). وتباعد مناطق تواجد الرب گورزيل يدفعنا إلى الاعتقاد بأنه كان يبجل في كل شمال إفريقيا القديمة وأن ظروف البحث الأثري لم تساعد لحد الآن في العثور على مخلفاته في كل المنطقة.

وأقدم نص كلاسيكي يشير إليه هو نص كوريبوس الذي يتحدث عن وجود رب اسمه گورزيل في القرن السادس الميلادي يقول كوريبوس : "كان إيرنا الكاهن المندفع للرب گورزيل مرشدهم، وبه تستنجد الشعوب التي كان أبوها آمون حامل القرون، وأمها عجلة حافلة".

ويذكر في مكان آخر : "يستنجدون باسم گورزيل، والصخور تردد الصدى باسم گورزيل".

ويقول أيضاً : "هؤلاء يقربنون للرب گورزيل وآخرون إليك يا آمون، حامل القرون".

وفي الجزء الثامن من جامع النقائش اللاتينية (CILUM ) إشارة إلى مكان يتضمن اسم گورزيل هو : كويتاص گورزينسيس رقم 68 ورقم 69. وقد حدد اسم هذا المكان في گيرزة بليبيا.

كما يذكر البكري بأن إحدى قبائل الطرابلسية وهي هوارة، كانت ترفع صلوات إلى نصب حجري يسمى كرزه مقام فوق قمة تل، من أجل ضمان حماية قطعانها. يعود هذا النص إلى القرن الحادي عشر الميلادي.

يقول أبو عبيد الله البكري : "إلى صنم من حجارة مبني على ربوة يسمى گرزة، ومن حواليه من قبائل البربر يقربون إليه القرابين ويستشفون به من أدوائهم، ويتبركون به في أموالهم إلى اليوم".

وبالإضافة إلى هذه الإشارات، هناك نص نيوبوني استخرجه ج. فريستيل من موقع ليبتيس ماكنا (Leptis Magna) سنة 1846 ونسخه. وهذه النسخة هي التي لا تزال موجودة بينما ضاعت النقيشة. وقد تمكن بعد ذلك ألمَاير من فك رموز هذه النقيشة والعثور على اسم الرب گورزيل في الكلمات الأربع الأخيرة من السطر الأول. وإذا تأكد ما ذهب إليه ألمَاير فسيكون لأول مرة إشارة لرب محلي في موقع بوني ساحلي.

أبو عبيد الله البكري، *المسالك والممالك*، جزءان، حققه ادريان فان سوفن واخدري فيري، ببيت الحكمة والدار العربية للنشر، تونس، 1992 ؛ م. أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، كلية الآداب، فاس ؛ أحمد زين الدين، دلالات ميثولوجية رسم الانثروجولوجيا، 4، *مجلة كتابات معاصرة*، ع *11*، غشت ـ سبتمبر، 1991، ص. 130 ـ 131 ؛ إسهام النقوش الصخرية بالجنوب المغربي في التعريف ببداية استئناس الحيوانات، مجلة *المناهل*، ع 58، مارس 1998، ص. 28 ـ 45 ؛ *العلاقات السياسية والعسكرية بين المور والرومان في موريطانيا الطنجية، من 144 إلى 285*، د. د. ع. الرباط، 1980.

Corrippe, *Johannide VIII*, 2, 109 ; 5, 3 ; 8, 304 ; M. Leglay, *Saturne africain, Histoire*, Ed. de Boccard, Paris, 1960 ; Brouquier Redde, *Temples et cultes de Tripolitaine*, CNRS, 1992 ; A.F. Almayer, The Libyan God Gurzil, *Libyans Studies*, 13, 1982, p. 49-50 ; Malhome, *Corpus des gravures rupestres du Grand Atlas,* Publications du service des antiquités du Maroc, n° 16 et 17 ; *Catalogue des sites rupestres du sud marocain,* Ministère d'Etat chargé des Affaires Culturelles, Rabat, 1977 ; M. Ouachi, La vie préhistorique au Maroc, in *Civilisation Marocaine*,

Casablanca, 1996, p. 16-21 ; H. Morestin, Le dieu au chef cornu de Banasa, *Hespéris Tamuda, vol. II, fasc. 2, 1961*, p. 337-344 ; Id., *Le temple B de Volubilis*, CNRS, paris, 1980.

مصطفى أعشي

**كورنو تيودور** Cornut Théodor أصله من أفينيون Avignon بفرنسا قدم أول مرة إلى المغرب في نهاية القرن الثامن عشر. وهو مهندس اشتغل بإنجلترا وجبل طارق، ثم انتقل إلى المغرب حين عزم السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1790 ـ 1757) على بناء الصويرة فانتدبه كمنهدس لتخطيط هذه المدينة.

إن المصادر التاريخية المعاصرة قد أغفلت الحديث عن كورنو، وجل معلوماتنا حوله مستقاة من المصادر الأوربية. فقد قال في حقه لوي شنيي Louis Chénier قنصل فرنسا بالرباط : "إنه مهندس فرنسي ... كان يجري وراء الثروة... وضع تصميم مدينة الصويرة، وقد استقبل استقبالا حسنا من طرف السلطان سيدي محمد بن عبد الله، لكنه عاد بعد عشر سنوات إلى فرنسا فقيرا، كما كان في البداية". وتشير هذه المصادر كذلك إلى أن كورنو كان في خدمة فرنسا على عهد لويس الخامس عشر، إذ كان هو صاحب تحصينات روسيون Roussillon بفرنسا.

والظاهر أن كورنو لم يكن لا من الأسرى ولا من العبيد ولكنه اختير لمهمة تصميم المدينة ومنائها من طرف السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1760.

وبفضل تصميم كورنو جاءت الصويرة مخالفة للمدن المغربية العتيقة، بناؤها منظم وشوارعها متسعة وتصميمها متناسق.

أما حياته الخاصة، فإننا نجهل تاريخ ولادته وكذا تاريخ وفاته. كل ما نعرفه أنه عاد إلى فرنسا سنة 1770.

Louis Chénier, *Recherches historiques sur les Maures et histoire de l'empire du Maroc*, Paris, 1787, p. 4 ; C. Hôst, *Den Markanske kaiser, Mohamed ben Abdellah historie*, Kopenhagen, 1791, p. 35 ; Bidé (de Maurville), *Relation de l'affaire de Larache,* Amsterdam, 1778, p. 78.

نعيمة الحضري

**الكوزة** ، جاء في المعجم الطبي النباتي للعماد طلاس، أن الكوزة الطبية تسهل الهضم وتسكن الآلام اللثية وآلام الأسنان والروماتيزم وتدخل في مستحضرات التجميل، وهي منشط وطارد للغازات وتابل ومطيب ولقد احتكر العرب تجارة الكوز الطبي مدة طويلة ولم تنفلت تجارتها من أيديهم إلا بعد اكتشاف طريق الرجاء الصالح من طرف الإيبيريين ويرجع الفضل في اكتشاف موطن الكوزة الطيبة إلى البحار الإسباني أنطونيوبيكافيتا في القرن الخامس عشر الميلادي. ولما استولى الايبيريون على جزر التوابل الهندية، فإنهم طاردوا العرب وتمكنوا من احتكار تجارة التوابل إلى أن تم كسر هذا الاحتكار على يد الفرنسيين الذين قاموا بنقل زراعة شجرة الكوزة الطيبة إلى مستعمراتهم في الأصقاع الحارة على يد عالم النبات بيير بوافر.

وفي بعض المناطق الهندية يصنع الأهالي أكلة تسمى با آن من الكوزة والفستق والتانبول. أما سكان الريف الأندونيسي فيضيفون الكوزة إلى التنفيحة جلبا للمتعة.

والكوزة الصحراوية عشبة إفريقية تجلب بذورها الرقيقة وجل استعمالها يكون في الطبخ وفي تركيبة رأس الحانوت، واستعمالها شائع ورائج اسمه التراثي كوز الشوك وفيه قال الانطاكي : كوز الشوك هوتين الفيل، شجر ينبت ببراري السودان وأطراف الحبشة ويعظّم حتى يقارب الكوز الشامي، ويثمر ثمرا كالكوز لكنه دقيق القشرة أحمر يبلغ في السنبلة فتسقط عنه هذه القشرة ويبقى أغبر إسفنجياً لطيفاً محشواً ببزر كالفلفل لكن إلى استطالة. وأهل مصر يسمونه فلافل السودان وهو حار يابس في الثالثة أشد حدة من الفلفل. والكوزة الصحراوية تذهب المغص الشديد وتنفع في أوجاع الورك وعرق النسا والسدد.

المصطفى زهويلي، *كتاب التداوي بالأعشاب المغربية*، ص. 190.

الحسين البعاوي

**الكوش، أحمد** قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان المتوكل ثم فر إلى أصيلا (التي كانت آنذاك بيد البرتغال) ومنها التحق بلشبونة حيث انضم إلى حاشية الأمير مولاي الشيخ ابن المتوكل وظل بجانبه إلى أن اعتنق هذا الأخير دين المسيح.

*Archivo General de Simancas* (España), Guerra antiqua.

محمد ابن عزوز حكيم

**الكوش، عبد الله** المراكشي ولي صالح من أكابر أصحاب الشيخ عبد الكريم الفلاح خليفة الشيخ التباع. كان مشرفا على مطبخته ووكيلا على إطعام الطعام. ولما آلت المشيخة للفلاح، كان ذلك أفضل القرب عنده.

أسره النصارى، مع شيوخ آخرين، في أزمور، فافتكهم المسلمون. ولما عزم على الخروج من أزمور، وكان أسيراً عند امرأة من النصارى، ناولته كتبا، كان من جملتها *كتاب تنبيه الأنام المعروف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم*. فكان ذلك أول دخوله هذه البلاد على يد عبد الله الكوش.

ولما ذاع صيته، وقع في نفس السلطان محمد الشيخ المهدي السعدي منه شيء حذرا على الملك، فأمره بإخلاء زاويته والرحيل من مراكش إلى فاس، فانتقل إليها وسكن في دار ملاصقة لمسجد القرويين، وكان لا يرى الصلاة فيه لانحراف محرابه عن أدلة القبلة.

مات مقتولا في أول صفر من عام 960.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ محمد المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع* ؛ الحضيكي، *طبقات* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام*.

المصطفى البوعناني

**كوصْ** (فرديناند -) Ferdinand Causse من أشد غلاة

الاستعمار خلال فترة الحماية الفرنسية بالمغرب. زاول مهنة الطب بالدار البيضاء، وأصبح وجهاً معروفاً وسط ساكنة حي المعاريف المؤلفة أساساً من المستوطنين الإسبان والإيطاليين، وهو نموذج كبار المعمرين الذين حاولوا التشبث بنظام الحماية بعد أن لم يعد يسمح لهم ماضيهم بالعودة إلى فرنسا، بسبب ما صدر عنهم من سلوكات مماثلة لحكومة فيشي المتعاملة مع ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية. وقد كانت للدكتور كوص علاقات قوية مع رئس الحكومة "پيير لافال" (P. Laval)، الذي تم إعدامه في إطار المحاكمات التي تلت الحرب.

حاولت المقاومة المغربية تصفيته، فتمت مهاجمته بالدار البيضاء لكنه نجا من الموت، وقد أقدمت المقاومة على ذلك لدوره في نشاطات منظمات الإرهاب الأوربي التي كان أحد أبرز موجِّهيها، إلى جانب رجل الأعمال المعروف غوستاف أوكوتوريي (Gustave Aucouturier) والدكتور "إميل إيرو" (Emile Eyraud). ومعلوم أن هذه المنظمات اغتالت تجاراً مغاربة ووطنيين آخرين، أمثال الطاهر السبتي الذي اغتيل بالدار البيضاء صباح الأحد 2 يناير 1955.

وقد تم يوم الأربعاء 22 يونيو 1955 استدعاء كوص وفيليب بونيفاس من قبل قاضي التحقيق لورود اسميهما ضمن لائحة المتورطين في أفعال منظمات الإرهاب الأوربي، لكن صحيفة *ماروك بريس* في عددها 13666 ليوم الجمعة 24 يونيو 1955 نشرت بلاغاً رسمياً جاء فيه أن الوكيل العام أخبر الإقامة العامة أن وكيل الجمهورية بالدار البيضاء استقبل فيليب بونيفاس بناء على طلب تقدم به بونيفاس نفسه لأمر بعيد تماماً عن قضية أفعال منظمات الإرهاب الأوربي.

محمد وحيد

**كوطة** Cotta مدينة في المغرب القديم. انفرد بلنيوس الأكبر بذكرها في مستهل حديثه عن موريطانية، حيث أكد أن بهذا البلد مدنا مندرسة هي كوطة وليسة. كما ذكر نفس الكاتب اسم هذا الموقع قائلاً : "إن أسماكا ضخمة كانت تشكل خطرا على السفن في ناحية كوطة". والملاحظ أن اسم هذه المدينة متضمن في اسم رأس كوطيس. وهو رأس سبارطيل حاليا. وقد أوضح بومبونيوس ميلا ما يطابق معنى هذا الاسم في اللغة الإغريقية قائلا : "بداية موريطانية هي رأس يدعى في الإغريقية أمبلوسيا Ampelusia (الدالية) بينما يدعوه الأفارقة باسم مختلف لكنه يفيد نفس المعنى". ومعنى ذلك أن الأمر يتعلق برأس الدوالي.

ومهما يكن من أمر هذا الاسم باقترانه مع معلمة جغرافية أو إطلاقه على اسم مدينة مورية، فإن الباحث بونسيك اكتشف بالقرب من رأس سبارطيل موقعا أثريا أطلق عليه اسم كوطة بدون حجة على ذلك. وقد عثر في الموقع على مصنع للگاروم، أرخ لبداية اشتغاله بالقرن الأخير قبل الميلاد، وذلك رغم تأكيده على أن بنايات المصنع لم تسمح له بإجراء أي استبار داخلها. ثم أوضح أن الاستبار خارج المصنع يدل على قيام الحياة بالموقع منذ الفترة البونية في القرن الثالث قبل الميلاد. بينما لم نعثر في المواد الأثرية التي اكتشفها بونسيك بالموقع على ما يؤكد هذا الافتراض. نظراً لأن الأمر يتعلق بالخزف الكمباني المتأخر، الذي راج بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد.

أما عن إشارة النص إلى كونها مندرسة، فالراجح أن مصيرها يشبه مصير عدة مواقع في شمال موريطانية، قد تعرضت للتحطيم خلال ثورة الموريين ضد سياسة الامبراطور الروماني أوغسطس، لما عزم على ضم موريطانية إلى مجال نفوذ الإمبراطورية الرومانية، بعد وفاة الملك الموري بكوس الثاني Bocchus. والجدير بالذكر أن مدينة تمودة التي وصفها بلنيوس الأكبر بنفس الوصف، أي قال عنها إنها كانت في وقته مدينة مندرسة، فقد اتضح من التنقيب في موقعها أنها فعلا تعرضت للتحطيم نتيجة حملة أوغسطس على الثوار الموريين.

محمد مجدوب، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1998، مرقونة.

M. Ponsich, M. Tarradell, *Garum et industries antiques de salaison dans la Méditerranée occidentale*, Paris, 1965 ; M. Ponsich, *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région*, Paris, 1970 ; J. Desanges, *Commentaire de Pline l'Ancien, L'Histoire Naturelle*, Livre 5, 1 - 46, Les Belles Lettres, Paris, 1980.

محمد مجدوب

**كولان، جورج سيرافان** (Georges-Seraphin Colin)، عالم فرنسي من أكبر الاختصاصيين في كل ما له صلة بحضارة المغرب وثقافته وتاريخه، وربما كان آخر ممثل للمدرسة الفيلولوجية القديمة التي كان أفرادها، بحكم اهتماماتهم المتعددة، يبحثون وينتجون في شتى مجالات المعرفة : التاريخ واللغات واللهجات والأركيولوجيا والإثنوغرافيا وعلم النقوش وعلم المخطوطات وعلم الاجتماع والأدب نثره وشعره...

ولد جور كولان بمنطقة الجورا (Le Jura) بفرنسا يوم 4 يناير 1893. تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدينة تور (Tours) التي كانت أسرته قد انتقلت إليها. حصل عام 1911 على الباكالوريا. تابع بعد ذلك دراسته العليا بمدرسة اللغات الشرقية الحية بباريز التي تخرج منها سنة 1914 حاملا شهادات علمية في تخصصات اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية المشرقية واللغات التركية والفارسية

والحبشية والماليزية. مع بداية الحرب العالمية الأولى التحق بالجيش وشارك في عدة معارك، وفي عام 1917 أرسل إلى المغرب واشتغل مترجما في مصلحة الاستخبارات بمنطقة تازة. رحل بعد الحرب إلى القاهرة حيث قضى سنتين بالمعهد الفرنسي للأركيولوجيا الشرقية (I.F.A.O.). وفي تلك الفترة انخرط في سلك موظفي وزارة الخارجية الفرنسية التي وضعته رهن إشارة سلطات الحماية بالمغرب عام 1921 فعمل بقسم الدراسات السوسيولوجية بطنجة أولا ثم بتطوان وسلا فيما بعد كمساعد للعالم "ميشو بيلير" (Michaux-Bellaire). وفي عام 1926 قرر كولان التفرغ كلية للتعليم والبحث العلمي واحتفظ إداريا بمنصبه في وزارة الخارجية. وهكذا درس اللغة العربية العصرية ثم شغل منصب مدير للدراسات بمعهد الدراسات العليا المغربية (Institut des Hautes Etudes Marocaines) ، وهو المنصب الذي احتفظ به إلى غاية 1958. وبإزاء هذه المهمة كان جورج كولان يدرس مادة اللغة العربية المغاربية L'Arabe) (Maghrébin بمدرسة اللغات الشرقية الحية بباريز. وهكذا ظل لمدة تزيد عن ثلاثين سنة يتردد على كل من الرباط وباريز لإلقاء دروسه. وبعد استقلال المغرب استقر في باريز، لكن الصلات بينه وبين بعض الأوساط العلمية المغربية لم تنقطع قط، إذ كانت تربطه بالأستاذ محمد الفاسي والأستاذ أحمد الأخضر غزال مراسلات وتجمعه بهما لقاءات في العاصمة الفرنسية. وكان الأستاذ محمد الفاسي، وهو يشغل آنذاك منصب رئيس لجامعة محمد الخامس، قد اقترح عليه العودة إلى المغرب لاستئناف أعماله العلمية والرجوع إلى كراساته وجذاذاته التي تعد بالآلاف والمعدة لإنجاز قاموس للهجة العربية المغربية والتي كان قد تركها في معهد الدراسات العليا المغربية الذي تحول إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية. ورغم الدعوات التي كان يتلقاها من رئاسة الجامعة المغربية من جهة ورغبته الملحة في الرجوع إلى المغرب من جهة أخرى فإن هذه الأمنية المتبادلة لم تتحقق إلا في بداية السبعينيات، وذلك بسبب كثرة العراقل الإدارية.

وهكذا عاد الأستاذ كولان ليستأنف عمله المعجمي في الرباط بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب. غير أنه استقر نهائيا في فرنسا عام 1976 بعدما تدهورت حالته الصحية. وقد توفي يوم 25 يناير 1977. وبحكم اهتماماته المتعددة فإن إنتاجه العلمي كان متنوعا وغزيرا، إذ بلغ عدده ما يفوق 120 دراسة تتوزع بين كتب ومقالات وتقارير دراسية حول عدد من المؤلفات وعروض بيبليوغرافية. ولقد نُشر معظم هذه الأعمال ضمن منشورات معهد الدراسات العليا المغربية وعلى صفحات مجلة "هيسبريس" (Héspéris)، كما أن عددا آخرا من أبحاثه صدر في مجلات Les Archives Marocaines وEncyclopédie de l'Islam وArabica ومجلات علمية عالمية أخرى. ورغم غزارة هذا الإنتاج العلمي وتنوعه فإنه بالإمكان تصنيفه في عدد من المحاور الأساسية هي :

1 ـ البحث في كل ما له صلة مباشرة أو غير مباشرة بجميع أشكال اللهجة العربية المغربية. فكان يأخذ الكلمة أو العبارة ويطوعها ليستخرج منها معانيها القديمة والحديثة ويدقق كتابتها بالحرف اللاتيني انطلاقا من التلفظ الصحيح بها من قبل مستعمليها في مختلف المناطق المغربية. وكان يغوص كذلك في أصل جذور الكلمات التي تكون عربية أو أمازيغية في غالب الأحيان، كما أنها قد تكون إسبانية أو برتغالية أو تركية أو إفريقية أو لاتينية أو إغريقية... ولقد كان كولان في هذا المجال أحد العلماء اللغويين الأوائل الذين تحدثوا عن وجود "جذور متوسطية مشتركة" في لغات شعوب ضفتي البحر الأبيض المتوسط. وللأستاذ جورج كولان في هذا الميدان عشرات وعشرات الدراسات الجادة والمتنوعة التي يمكن الرجوع إلى جلها في مجلة Hespéris. وكان موضوع أول دراسة أنجزها يدور حول اللهجة العربية شمال منطقة تازة، وقد صدر هذا المقال بالقاهرة عام 1920 على صفحات " *مجلة المعهد الفرنسي للأركيولوجيا الشرقية*" (B.I.F.A.O.) . وبحكم اهتماماته المتنوعة فإن العمل المعجمي كان يجتذبه أكثر من غيره، لذا خصص له أكبر قسط من حياته. ومعلوم أنه توفي قبل طبع أحد أهم أعماله، إن لم يكن الأهم، ويتعلق الأمر بقاموس اللهجة العربية المغربية الذي سبقت الإشارة إليه والذي بدأ الاشتغال فيه منذ عام 1925، غير أنه تركه شبه مكمول في عشرات الآلاف من الجذاذات وعشرات الكراسات في معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط حيث عملت، بعد وفاته، مجموعة من الباحثين المغاربة والفرنسيين طيلة عدة سنوات على إخراجه وإعداده للطبع. ولقد صدر بالفعل هذا القاموس في ثمانية أجزاء تحت إشراف الأستاذة زكية العراقي عام 1993، وهو يحمل عنوان "قاموس كولان للعربية الدارجة المغربية" (Dictionnaire Colin d'Arabe Dialectal Marocain).

2 ـ البحث في كل ما له صلة بحياة المغاربة وعاداتهم، ونذكر من بين كتاباته في هذا المجال على الخصوص : "نصوص مختارة من الواقع المغربي باللهجة العربية المغربية" (Chrestomatie marocaine) و"الحياة المغربية" وهي دراسة إثنوغرافية و"اللهجات المغربية" و"سكان المغرب" و"أسماء الحرفيين والتجار في مراكش"، ودراسات حول الآلات المائية في المغرب والعالم العربي ودراسات عديدة أخرى.

3 ـ التعريف بعدد من الأعلام المغاربة والمدن والجهات المغربية، ونذكر من بين كتاباته في هذا المجال المقالات التالية التي صدر معظمها في "*معلمة الإسلام*" (Encyclopédie de

l'Islam) : "المغرب" و"شفشاون" و"الشاوية" وسجلماسة" و"صفرو" و"مولاي سليمان" (السلطان) و"لمتونة" "تادلة" و"تيط وتيطاوين" و"ماسة" و"مازاغان" (الجديدة) و"سيدي أحمد زروق" (صدرت في *المجلة الإيطالية* Revista della Tripolitania) ودراسات أخرى.

4 - البحث في بعض قضايا اللهجات الأمازيغية، نذكر من بين أعماله في هذا الميدان : "لهجة غمارة البربرية" و"حول مخطوط بربري" و"محطة في تاريخ اللغة البربرية" و"مفردات بربرية في اللهجة العربية المالطية"...

5 - البحث في اللغة والأدب الأندلسيين، نقدم من بين دراساته العناوين التالية : "الحركات الصوتية في اللهجة العربية لغرناطة" و"ملاحظات حول عربية أراگون" و"وثيقة جديدة للهجة العربية في الغرب الإسلامي في القرن الثاني عشر (م)" و"شعراء عرب من الغرب الإسلامي في القرن الرابع عشر (م)" و"قزمانيات"...

6 - دراسات حول بعض اليهود المغاربة، نذكر من بينها : "يهودي مغربي صانع الأسطرلاب في القرن الرابع عشر (م)" و"يهود رحل في الصحراء المغربية في القرن السادس عشر"...

7 - البحث في النقوش في بعض الأماكن وخاصة في المساجد ونذكر من بين كتاباته في هذا المجال على الخصوص : "جامع الأندلس بفاس" و"المسجد الأعظم بتازة"...

8 - تحقيق أو ترجمة إلى الفرنسية أو كلاهما معا لعدد من المخطوطات، ونذكر هنا على الخصوص :

- (ترجمة) قسم الدولة المرابطية من كتاب "*الاستقصا*" لأحمد الناصري،

- مجموعة تشتمل على أربعة تآليف مغربية في الحب الإفرنجي،

- كتاب "*تحفة الأحباب في ماهية النبات والأعشاب*" (وهو مؤلف غُفْل)،

- كتاب أبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي في "*أدب الحسبة*"،

- كتاب "*مفيد العلوم ومبيد الهموم*" لابن الخشاء،

- كتاب "*المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف*" لأبي محمد عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد بن محمد بن الخضير...

تلك باختصار شديد أهم محطات حياة الشيخ العالم والمعلم جورج كولان وكذا أهم الموضوعات العلمية التي شغلت باله مدة فاقت الخمسين عاما. ولا بد من الإشارة في الختام إلى أنه كان يكن حبا كبيرا للمغرب ويعشق حضارته الأصيلة. وإن بلادنا لمدينة له على كل ما قدمه لها من خدمات جليلة تجعلنا نضعه ضمن قائمة الأعلام الذين نعتز بهم.

معرفة شخصية للعالم بعد رجوعه من فرنسا واستئنافه لعمله المعجمي بالرباط.

Ph. Marçais, G.S. Colin, *Arabica, t. XXIV, 1977, fasc. 3*, p. 227 - 232 ; A. Faure, Hommage à Georges S. Colin, *Hespéris-Tamuda, vol. XVII, 1976 - 77*, fascicule unique, p. 5 - 12 ; Ahmed Lakhdar Ghazal, En guise de mise au point, p. 15 -16 ; Zakia Iraqui, Le retour, p. 17-21 ; *Le Dictionnaire arabe-français de G.S. Colin*, p. 22 - 38 ; Christine Cananmas, *Bibliographie G.S. Colin*, p. 39 - 45.

عبد الرحيم العطاوي

**گوليمة** Goulmima مدينة تقع على الضفة اليمنى لوادي غريس على بعد 60 كلم جنوب غرب مدينة الرشيدية (قصر السوق سابقا) و80 كلم شرق مدينة تنغير.

وكوليمية مدينة تحيط بها مجموعة من بساتين النخيل والفدادين الفلاحية. وتسقى واحتها بوادي غريس الذي يمر قريبا منها بعد خروجه من السفوح الشرقية لجبال الأطلس الكبير المطلة على واحة تافيلالت.

اشتق اسم كوليمة من كلمة "إكُولْميمَنْ" التي تعني في دلالتها الأمازيغية المحلية "مجموعَة الضايات"، والتي أطلقت على قصر قريب من هذه المدينة.

ويبتدئ تاريخ هذا القصر وكذا نمط السكن بواحة غريس كلها، حسب الوثائق المحلية، مع النصف الثاني من القرن 9 هـ / 15 م، فقد أورد الفقيه سيدي عبد الله بن عبد الله بن عمر المدغري في كتابه : "*تحفة المحبوب في مناقب أبي يعقوب*" (مخطوط) : "أن يوسف الشيخ عبد الله أمغار المعروف بأبي يعقوب مؤسس زاوية أسول قد حل بقصر گوليمة أو إگوليمن في هذه الفترة، ثم انتقل إلى قصر تاديغوست (قرب كوليمة علي الضفة اليسرى لنهر غريس بعد خروجه من جبال الأطلس الكبير) ثم تاغيا (تاغيا اغريس) قبل أن يستقر بأسول" (قرب جبل بادو بالأطلس الكبير حيث منابع نهر غريس).

وفي النصف الأول من القرن 11 هـ / 17 م، كان قصر گوليمة، إلى جانب قصور أسرير بفركلة، هدفا لنزاع دلائي سملالي نظرا لأهميتها التجارية والمعبرية بين شمالي المغرب وجنوبه الغربي بالإضافة إلى أهميتها الزراعية أيضا على السفوح الجنوبية الشرقية لجبال الأطلس الكبير.

ويظهر أن التجمع القبلي المرغادي وهو أقدم العناصر البشرية المستقرة بهذه الواحة. وفي إطار الصراع القبلي بين اتحاديتي آيت عطا وآيت يفلمان خلال النصف الثاني من القرن 12 هـ / 17 م، كانت واحة غريس وقصر گوليمة هدفا لحملات قبلية تصارعت من أجل الاستقرار فيها والسيطرة عليها. وفي حوالي 1267 / 1853 تم استيلاء العطاويين على قصر گوليمة إثر تغلبهم على المجموعة المرغادية. وأصبح لازما انتظار حوالي 30 سنة أي إلى 1298 / 1883، حيث كانت المعركة الحاسمة بين آيت عطا وآيت مرغاد لحسم الصراع لصالح آيت مرغاد الذين استعادوا السيطرة على قصر گوليمة والواحة بأكملها.

واستمر مركز گوليمة في تطوره على يد المرغاديين ومن حالفهم من القبائل العطاوية، فكان خلال القرن 19 م وبداية القرن 20 مجالا للتجمع البشري المتنوع رغم التنافس الذي

كان بين قصور تاديغوست وتلوين وأسرير بفركلة. ونتج عن هذا التطور أن أصبح قصر گولميمة ينمو بتبعية بعض القصور إليه مثل قصر تالوين فاشتهرت الواحة باسم گولميمة.

وفي النصف الأول من القرن 20 ، وبعد سيطرة الجيوش الفرنسية على الجنوب المغربي حوالي 1930 - 1934، صارت كولميمة مركزا عسكريا وبعد ذلك سجنا لرجالات الحركة الوطنية المناهضين للاستعمار الفرنسي للمغرب.

وفي القرن 11 هـ / 17 م ازدهرت الحركة الفكرية بالبادية في مرحلة الأوج السعدي، خصوصا في واحتي غريس وفركلة وكان قصر گولميمة يضم جملة من العلماء في المجال الفقهي وتجويد القرآن الكريم والإفتاء.

وفي فترة الحماية الفرنسية تصدى مجاهدو قصر گولميمة، وتاديغوست وتاردا للجيش الفرنسي في معركة "دين أو اليون" على وادي بولكوا في 31 غشت 1930 ودخلت غريس تحت السيطرة الفرنسية في 10 شتنبر 1930 بالاستيلاء على مدينة كولميمة. وخاض المقاومون ضد جيوش الاحتلال معارك سنة 1932 لإخضاع تاديغوست وتنجداد، وإحكام السيطرة على مدينة گولميمة مما أدى إلى لجوء المجاهدين إلى الجبال القريبة خصوصا آيت مرغاد الذين نزحوا في اتجاه ألنيف.

وبانتهاء عمل المقاومة المسلحة في بداية الثلاثينيات بصورة عامة في المغرب وفي واحة غريس خاصة، انطلق العمل السياسي الوطني، وأصبحت المنطقة مركز اعتقال ومنفى للوطنيين في گولميمة وتنجداد، وأغبالو نكردوس. نذكر على سبيل المثال أن الوطني محمد القري دفن في گولميمة.

وتعتبر مدينة گولميمة - التي لقبت "بتزي نيمنانين" أي ممر الفرسان - أهم مركز إداري بواحة غريس، أنشأ فيه الفرنسيون مكتبا للشؤون الأهلية كانت مهمته مراقبة السكان والتجسس عليهم، وضبط تحركاتهم للحيولة دون تجدد أعمال المقاومة.

وتضم دائرة گولميمة بلديتين : بلدية گولميمة، وبلدية تنجداد، إضافة إلى سبع جماعات قروية. ونميز في ذلك بين غريس العلوي وغريس السفلي، حيث تنضوي تحت الأول قصور مگمان، آيت يحيى أو عثمان، آيت كطو، إغرغر، زاوية سيدي الغازي، زرارة، حرت. ويضم غريس السفلي قصور كاوز، بوتنفيت، وقة، مونحيي، إمي نتخبوت، تلوين، أغبالو نكردوس، تدغوست، فركلة العليا، فركلة السفلى، وملاعب.

وتشتمل دائرة گولميمة على 97 قصرا، توجد أربعة منها في بلدية گولميمة هي إگولميمن، آيت موش، تكاثرت، آيت سيدي مَحمد أولحسن.

ومن الناحية الجغرافية، فإن مدينة گولميمة ترتفع على سطح البحر بحوالي 950 متر ويبلغ معدل التساقطات السنوية بها 118,6 ملم، وتتسم بمناخ شبه صحراوي. كما يتكون غطاؤها النباتي من الجفافيات التي تحتل المسيلات المائية والمنخفضات.

وتمارس في واحة مدينة كولميمة زراعة من ثلاثة مستويات :

1 - النخيل، 2 - الزيتون والورديات، 3 - الزراعات التحتية (الفصة، الحبوب ...) وتبلغ المساحة الزراعية 1916 هكتار، تعتمد في سقيها على مياه منابع تيفوناسين الواقعة بين گولميمة وتديغوست.

وتعتبر المدينة من أهم المراكز التجارية، وملتقى للمواصلات إذ تتوفر على سوق محلي يقام مرتين في الأسبوع : الإثنين والخميس.

فيما يتعلق بالتنشيط السياحي، تتميز واحة كولميمة بتراثها الشعبي، ويمكن استجلاء ذلك من خلال تنوع الفرق الفلكلورية ذات الشهرة الكبيرة التي تعكس عادات وتقاليد المجموعات البشرية المشكلة للبنية السكانية والتي تم الحفاظ عليها لحقب تاريخية متتالية، ومن أهمها فرقة آيت مرغاد بگولميمة.

وتتوفر واحة هذه المدينة على مؤهلات سياحية من أهمها : مجموعة القصور المبثوثة وسط غابات النخيل، أو على ضفاف وادي غريس، ومضاييق امسد بجماعة تديغوست.

عبد الله بن عبد الله بن عمر المدغري، *تحفة المحبوب في مناقب أبي يعقوب*، الخزانة الحمزاوية، رقم 291 ؛ المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير *والمقاومة المغربية في الجنوب الشرقي*، 1998 ؛ سلسلة *ندوات السياحة في الميزان*، جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1999 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، ج 2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 78 ؛ محمد المهدي الناصري، *نعت الغطريس الفسيس هيان بن بيان*، مخطوط ؛ مَحمد بن هاشم العلوي المدغري، *من وراء السدود*، مطبوع.

Alexandre Nomededou, *Annexe d'Assoul*, Affaires indigènes, Maroc, 1953 ; Lieutenant F. Rista, *Note sur l'irrigation des districts de l'Amsed, le Tadighoust et l'Idelsen*, Bureau de Goulmima, 1949.

الحسن أخروش وهاشم العلوي القاسمي

**كولومباني، جول** Colombani، ولد في وهران يوم 24 أبريل 1875. ولج مدرسة الطب بمرسيليا ليخرج منها بشهادة أهلته للعمل بضع سنوات بمستشفيات فرنسا. وفي سنة 1902 حصل على دكتوراه في الطب جعلت القائمين بشؤون الصحة بالجزائر يستقدمونه للعمل في وهران التي مكث بها إلى سنة 1914 ، وهناك تعرف على ليوطي، ثم أرسل من ضمن من وجهوا إلى جبهات القتال في الحرب العالمية الأولى، وشارك أثناء ذلك في عدة بعثات مكلفة بمكافحة الأوبئة كالتيفوس وحمى المستنقعات على وجه الخصوص، فاكتسب من ذلك خبرات واسعة وتجارب كثيرة في ميدان الصحة والتطبيب.

عمل كولومباني في سنة 1919 طبيبا رئيسيا للمستشفى العسكري بالرباط، وعين بعد ذلك بسنة مندوبا للمغرب لدى

المكتب الدولي للصحة العمومية. وقد أبان أثناء مهمته هاته، عن كفاءة عالية في التعامل مع ما كان يطرح من مشاكل حفظ الصحة ومكافحة الأمراض، مما فتح الباب أمامه لولوج أسلاك عليا في إدارة الصحة، إذ عين بها كنائب للمدير، ثم تولى إدارتها في سنة 1926 بعد أن تم فصلها عن الإدارة العسكرية، فأصبح بذلك أول مدير مدني لإدارة الصحة.

عمل كولومباني في منصبه هذا زهاء ثمانية أعوام من يناير 1926 إلى أبريل 1934 ، حاول خلالها أن يضع إدارة الصحة على قرار مكين، إذ صدر في بداية عهده ظهير 15 مارس 1926 ، الذي حدد مجالات هذه الإدارة وتخصصاتها، وعمل من خلال ذلك على تمتين بنية المرافق الطبية وأرسى قواعد العمل الطبي بالمغرب، كما اكتملت في عهده الصيدلية المركزية وظهر المعهد الصحي الذي كان يتولى دراسة الأوبئة والأمراض وما ينجع في التوقي منها.

اشتهر كولومباني بمداخلاته في الأيام الدراسية التي عقدها الطب الاستعماري بباريز سنة 1931، وبقي وفيا لنظرة ليوطي للصحة ونهج سياسة صحية قوامها توفير اليد العاملة لمشاريع الفرنسيين مما عبر عنه في قولته، وهو يتحدث عن برنامج الوقاية الصحية : "كما هو الحال بالنسبة لجيش يريد الوصول إلى هدفه بسرعة في بعض الأوقات العصيبة، ويكون لزاما عليه أن يتخلص من كل ما من شأنه أن يعرقل مسيرته، فكذلك الأمر بالنسبة للإسعاف الصحي، الذي عوض أن يصرف عنايته إلى المعتوهين والبؤساء والمرضى ... وحماية العجزة والأطفال، انصبت جهوده على العناصر النشيطة من السكان"

توفي كولومباني عن عمر يناهز الثمانين سنة.

*La pharmacie moderne du 10/08/1932* ; D. Emile Speder, *L'œuvre d'hygiène publique et d'assistance médicale du Dr. Jules Colombani* ; J. Colombani, *La protection sanitaire de l'indigène au Maroc*, Rabat, 1932.

بوجمعة رويان

**الگوم** Les Goums في غياب أية مقاومة عسكرية من السلطات الرسمية، هبت القبائل المغربية لمقاومة الاستعمار الذي بدأ زحفه انطلاقا من الدار البيضاء ووجدة نحو الداخل، وشكلت مقاومة قبائل الشاوية عقبة كأداء أمام تقدم الجيوش الفرنسية ودفعت الخسائر التي ألحقتها القبائل بالجيوش الاستعمارية إلى البحث عن وسيلة للحد منها، ولهذا تم التفكير في تجنيد المغاربة في صفوفها لأن ذلك من شأنه أن يحقق للقوات الاستعمارية مجموعة من النتائج نذكر منها :

أولاً : الحد من الخسائر البشرية في صفوفها، وجعل المغاربة يقاتلون مغاربة آخرين.

ثانياً : المساس بمعنوية المقاومين إذ أصبح أمامهم في المواجهة مغاربة آخرون مما قد يخل بفكرة الجهاد في سبيل الله حسب الطرح الاستعماري.

ثالثاً : إبعاد فرنسا من تحمل النتائج السياسية لهذه الحرب وإلى هذا يشير ليوطي لاحقا بقوله : أن عمل الحركات يعتمد على تدخل سكان البلاد وحدهم حتى لا يتعلل بذلك المتمردون من جديد للجهاد ضد المسيحيين، فالأولى بنا أن لا نظهر حتى لا نعرف انتصارهم إن نجحوا ونشارك في انهزامهم إن فشلوا، وفي هذا السياق والإطار التاريخي تم إنشاء فرق الگوم المغاربة في فاتح نونبر 1908 من طرف الجنرال داماد D'Amade، وهي عبارة عن 6 فرق مكونة من 150 فرداً من المشاة و50 من الفرسان (الصبايحية) وتم توزيع هؤلاء على ستة مناطق أساسية واستراتيجية قصد التحكم في الشاوية ومواجهة مقاومتها وهي كما يلي :

1 ـ وحدة الگوم الأولى : بسيدي بوبكر بقيادة النقيب هنري Henry.

2 ـ وحدة الگوم الثانية : بأولاد سعيد بقيادة النقيب بول Boulle.

3 ـ وحدة الگوم الثالثة : بسطات بقيادة النقيب تربالي Triballet.

4 ـ وحدة الگوم الرابعة : بقصبة بني احمد بقيادة النقيب دوتوركوا Detorquat.

5 ـ وحدة الگوم الخامسة : بدوار بوعزة بقيادة النقيب نانصي Nancy.

6 ـ وحدة الگوم السادسة : ببنسليمان بقيادة النقيب بلوندون Blondont.

كما كان على رأس كل وحدة من وحدات الگوم ضابط برتبة نقيب بمساعدة ملازمان و5 ضباط الصف من رتب مختلفة وذلك لتأطير الگوم المغاربة عسكريا وتدريبهم على مختلف المهام من البناء إلى شق الطرقات والتجسس على القبائل المقاومة إلى تعلم مختلف فنون الحرب واستعمال الأسلحة النارية، ولهذا ربطت الگوم بمصلحة الاستعلامات.

ومع مرور السنوات تزايد عددها بتزايد حاجيات فرنسا إلى قوات ضخمة من أجل التوسع العسكري في البلاد وكذلك المشاركة في الحروب التي تخوضها خارج المغرب كالحرب العالمية الأولى والثانية، وهكذا انتقل عدد الفرق من 6 سنة 1908 إلى 12 سنة 1912 ثم إلى 51 سنة 1934 وقوامها 10.000 گومي أو جندي مغربي.

وقد تم القذف بفرق الگوم إلى ميدان المعركة يوم 28 فبراير 1910 عندما انطلقت فرق الگوم الرابعة والخامسة والسادسة من بنسليمان والگارة وبن أحمد لمواجهة قبائل الشاوية وزعير بمنطقة مرشوش، وكبدت هذه الأخيرة خسائر فادحة للگوم وجنود الاستعمار.

وأصبحت فرق الگوم أداة ناجعة في عمليات الغزو العسكري والتوسع بسبب معرفتها للبلاد وتعددت وأصبحت تسمى فرق الگوم المختلط Les Goums Mixtes وتكونت من المشاة والخيالة. كما زودت بأسلحة المدفعية التابعة للگوم وكذلك بفرق التزحلق على الثلج. وفي الجنوب تم تكوين فرق

الگوم التي تستعمل الإبل Méharistes، وتم تكوين فرق التي تستعمل الدراجات النارية Les Goums Motorisés ولم يبق إلا ميدان الطيران والبحرية الذي استثنى منه الگوم لكونهما يتطلبان تكوينا علميا عاليا.

وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية وجه السلطان محمد بن يوسف نداء إلى الشعب المغربي لمساندة فرنسا ضد الأنظمة الدكتاتورية، وبذلك تزايد عدد المغاربة المجندين وتكونت الطوابير المغربية، ففي 25 يونيو 1940 بلغ عدد وحدات الگوم المغربية 120 وحدة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن هزيمة فرنسا جعلها تعتمد على المغرب لإعادة بناء جيوشها واستعملت التمويه أمام لجن التفتيش الألمانية وذلك لتكوين فرق مغربية، وخلال الفترة الممتدة ما بين 1942 و1943 تم تدريب آلاف المغاربة وتم تكوين وحدات للطوابير المغربية أهمها طوابير النقيب لوبلان Le Blanc وطوابير النقيب بوايبي دولاتور Boyer de Latour، وكل وحدة تضم ثلاث طوابير وكل طابور يضم 4 فرق للگوم، كما تم تكوين طوابير لكليرك Le Clerc الذي أطلق عليه بفضل الانتصارات التي حققها على يد الگوم المغاربة في ميدان الحرب بأوروبا ماريشال فرنسا. وبسبب مساهمة الگوم المغاربة في انتصار الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية، فإن وحداتهم شاركت في الاستعراض العسكري الكبير بباريس الذي أقيم يوم 18 يونيو 1945، وخلال نفس المناسبة وشح الجنرال دگول صدر السلطان محمد بن يوسف بوسام "رفيق التحرير" اعترافا بدور المغاربة في الحرب.

وبعد الحرب جندت فرنسا آلافا من الگوم المغاربة للمشاركة في الحرب بالهند الصينية.

وقد كان شعار فرق الگوم هو : "زيدو لگدام"، وتحتفظ الذاكرة الشعبية للگوم المغاربة بكثير من الأعمال البطولية أثناء الحرب العالمية الثانية وحرصت فرنسا على وضع تماثيل تذكارية تخليدا للگوم المغاربة الذين عملوا ضمن جيوشها كما أسس قدماء الضباط الذين أشرفوا على الگوم جمعية أطلق عليها الگومية La Koumia، تصدر نشرة دورية لتخليد أعمال هذه الوحدات.


*أعمال ندوة، المغرب وفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية*، من تنظيم مجموعة البحث والتوثيق في التاريخ العسكري المغربي بكلية الآداب القنيطرة ومركز الدراسات التابع للمصالح الاجتماعية للقوات المسلحة الملكية، الرباط، نونبر، 1996.

Jean Saulay, *Histoire des Goums Marocains*, t. I, Public réalisation, Paris, 1981 ; J. Moirineau et Yves Salkin, *Histoire des Goums Marocains*, La Koumia, Public Réalisation 1987 ; *La Koumia* : Bulletin de l'association des Goums marocains et des AI en France, les numéros de 1981 à 2001.


عبد القادر بوراس

**گوميز، مارسيل** (Marcel Gomez) من مجموعة فرانسوا أڤيتال أحد غلاة الوجود الفرنسي بالمغرب، كان أحد أعضاء منظمة اليد الحمراء الإرهابية المرتبطة بمنظمة "لابريزانس فرانسيز" (La Présence Française)، واتي اغتالت عدداً من التجار والوطنيين المغاربة منهم الميلودي السامي الدراجي، وشقيق الوطني العربي السامي والمختار السامي من المدينة القديمة. تورط مارسيل گوميز في عملية اغتيال الميلودي السامي أواخر أكتوبر 1955 لدوره في المقاومة المسلحة خاصة منظمة الهلال الأسود، لذلك ترصد له أفراد من هذه المنظمة فهاجموه لما كان يجتاز شارع لاكورنيش في أحد أيام يوليوز 1956، وقد استعملوا سيارة من نوع پوجو 203 سوداء اللون في اسم بوشعيب عكراش هو المقاوم عبد الله الحداوي، والذي كان عاملا بالبلدية، ومباشرة بعد اعتقال عكراش غادر عبد الله الحداوي - بعد أن بلغ الخبر - عن طريق شقيقه حسن الحداوي، بيت خاله العربي السامي تفادياً للاعتقال.

*شهادة حسن نائب الحداوي شقيق الشهيد عبد الله الحداوي.*

محمد وحيد

**الكونفدرالية الديموقراطية للشغل**، عرف المغرب في الفترة ما بين 20 مارس 1955 و15 ماي 1997 ميلاد 21 نقابة. لكن النقابات التي استطاعت فرض نفسها في الساحة النقابية والسياسية بالمغرب ثلاثة وهي : الاتحاد المغربي للشغل الذي تأسس في 20 مارس 1955، والاتحاد العام للشغالين بالمغرب الذي تأسس في 4 أبريل 1960 ثم الكونفدرالية الديموقراطية للشغل التي كان ميلادها في خريف 1978 وبالضبط في 25 و26 نونبر 1978.

استطاعت الكونفدرالية الديموقراطية للشغل خلال ربع قرن من وجودها أن تُصبح من أقوى المخاطبين لدى الجهاز الحكومي وأرباب العمل في كل القضايا التي تأخذ بانشغال الشغيلة المغربية مثل تحسين الأجور والحماية الاجتماعية والتغطية الصحية وإحداث لجنة دائمة للحوار الاجتماعي والسكن الاجتماعي وإنعاش الشغل وإيجاد آليات لمراقبة تطبيق قوانينه ومدونة الشغل. بل إن قضايا سياسية أصبحت في صلب اهتمام الكونفدرالية الديموقراطية للشغل

مثل نزاهة الانتخابات ودعم الشعب الفلسطيني (إضرابات بمناسبة يوم الارض 30 مارس) والشعب العراقي.

وقد ترتب الإعلان عن ميلاد الكونفدرالية الديموقراطية للشغل على ظهور تيارين داخل الاتحاد المغربي للشغل، تيار اعتبر ميلاد تنظيم نقابي جديد إضعافا للوحدة النقابية التي هي في حاجة إلى رصٍّ صفوفها في مواجهة تردِّي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بسبب الاختيارات التي ظلت الحكومات المتعاقبة على المغرب منذ أوائل الستينيات متمسكة بها.

وتيار آخر اعتبر تأسيس الكونفدرالية الديموقراطية للشغل الردَّ الوحيد على بيروقراطية الاتحاد المغربي للشغل وانحيازه للإدارة، وصمته عن التزوير. ويحاول المدافعون عن تأسيس الكونفدرالية الديموقراطية للشغل إيجاد مرجعية تاريخية تزكّي القناعة التي يدافعون عنها، فيعتبرون أن قيادة الاتحاد المغربي للشغل أرادت أن تجعل الحزب والمقصود الاتحاد الوطني للقوات الشعبية تابعاً للنقابة.

ويُعد تأسيس الكونفدرالية الديموقراطية للشغل تتويجاً لسنوات من التوتر في العلاقة بين التيار النقابي والتيار السياسي داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. ففي يناير 1963 وأثناء انعقاد المؤتمر الثالث للاتحاد المغربي للشغل مُنع المرحوم عمر بنجلون من دخول قاعة المؤتمر، بل جرى الإعلان في نهاية أشغال المؤتمر عن عدم خضوع الاتحاد لأي توجه سياسي.

ولم تكد تمر إلا بضعة أشهر حتى جرى تأسيس الجامعة المستقلة للبريد، وقد تحولت لاحقاً إلى النقابة الوطنية للبريد في عام 1977. وبعد مرور سنة واحدة وبالضبط في 15 و16 و17 يوليوز 1978 تم تأسيس الجامعة الديمقراطية من ثماني نقابات أهمها التعليم والصحة والفوسفاط والبريد، وهي التي قادت إلى تشكيل الكونفدرالية الديموقراطية للشغل في 25 و26 نونبر 1976.

ويتشبث المنتقدون للمحجوب بن الصديق الأمين العام للاتحاد المغربي للشغل في الدفاع عن وجهة نظرهم بمحطة تاريخية كانت بمثابة الفرصة الأخيرة لخلق تضامن سياسي نقابي، والمقصود بها التضامن الذي أبداه قادة الحزب بعد اعتقال المحجوب بن الصديق في 7 يوليوز 1967 مباشرة بعد نكسة 5 يونيو 1967. إذ بعث عبد الرحمان بن الصديق شقيق المحجوب - برقية إلى الملك كتبت بلهجة حادَّة، وتضمنت مطلب إقصاء اليهود المغاربة من بعض المناصب التي يشغلونها، وسار المحجوب في ركب أخيه فتبنّى دون أي تحفظ ما جاء في البرقية. وحاول عبد الرحيم بوعبيد رأب الصَّدع لإعطاء الحزب قوة جديدة لكن عدداً من مناضلي الحزب عارضوا هذا التوجه لاعتقادهم أن القيادة النقابية كانت تعرقل العمل السياسي وتحرم القواعد الحزبية من الانخراط في العمل النقابي. وعندما عقدت اللجنة الإدارية اجتماعاً لها بتاريخ 11 غشت 1967 بدعوة من عبد الله إبراهيم وعبد الرحيم بوعبيد وأصدرت قرارات منها تشكيل قيادة مكونة من عبد الله إبراهيم وعبد الرحيم بوعبيد والمحجوب بن الصديق لتسيير الحزب في انتظار عقد المؤتمر الوطني الثالث ألحَّ المحجوب بن الصديق على إضافة فقرة إلى قرار اللجنة الإدارية تؤكد أن مبدأ الوحدة النقابية والاستقلال النقَّابي مقدسان لا يجوز المساس بهما.

وظلت شقة الخلاف تتسع باستمرار ففي أعقاب الاعتقالات التي تعرض لها الكثيرون من مناضلي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وصفت القيادة النقابية المعتقلين بـ "المغامرين". وهكذا سيدعو محمد اليازغي عمر بنجلون أثناء اجتماع اللجنة الإدارية في 30 يوليوز 1972 إلى قطع جميع الصلات مع التيار النقابي الذي كان لا يتردَّد في القول بأن المناضلين النقابيين هم الذين يخلقون الحزب الثوري. وقد اعترف عبد الرحيم بوعبيد خلال هذا الاجتماع باستحالة أي عمل وحدوي مع القيادة النقابية التي لم تأخذ العبرة مما وقع.

وتقرر قبل الإعلان عن تأسيس الكونفدرالية الديموقراطية للشغل خوض إضراب وطني في قطاع التعليم من قبل النقابة الوطنية للتعليم، التي رأت النور في 20 فبراير 1966. ونفذ الإضراب في 14 و15 فبراير 1978، وبعد مرور سنة بالضبط تم خوض إضراب ثانٍ، ولكن هذه المرة في قطاع الصحة في فبراير 1979. وفي 7 مارس 1979 تم خوض إضرابٍ ثانٍ في قطاع التعليم. وبموازاة هذه الإضرابات أعلنت النقابة الوطنية للتعليم العالي في ختام مؤتمرها الأول بفاس يومي 17 و18 مارس 1979 استقلالها نهائياً عن الاتحاد المغربي للشغل.

وأدَّى نجاح هذه الاضرابات إلى تفكير الحكومة في ضرورة التصدِّي بقوة للإضراب المعلن عن خوضه يومي 10 و11 أبريل 1979 في قطاعي التعليم والصحة.

نُفِّذ الإضراب الذي واجهته الحكومة - وقد أصبح يرأسها المعطي بوعبيد - بعنفٍ شديد فتم اعتقال آلاف المضربين وجرى تشريد معظمهم، فنظمت الكونفدرالية الديموقراطية للشغل اكتتابات لفائدتهم. وقد ظلت ملفاتهم دون تسوية بالرغم من توصيات جهات عليا. وبالرغم من ذلك لم تجد السلطات بُداً من فتح حوار مع المركزيات النقابية 20 أكتوبر 1979.

وبعد مرور سنتين على إضراب 5 أبريل 1979 وجدت الكونفدرالية الديموقراطية للشغل نفسها في مواجهة تحدٍ جديد استدعى الدعوة إلى شنِّ إضراب وطني في 20 يونيو 1981. ففي 22 ماي 1981 أعلن وزير الفلاحة خلال ندوة صحفية عن الزيادة في أسعار الحبوب، وفي 28 من نفس الشهر أعلن عن زيادة في أسعار السكر والزيت والحليب والدقيق والزبدة أي ما يشكل المواد الاستهلاكية الأساسية فانطلقت في الفترة ما بين 31 ماي و20 يونيو حملة اجتماعات وتظاهرات وندوات صحفية من قبل الفاعلين النقابيين وغيرهم، وكلها تنديد بالإجراءات الحكومية المعلن

عنها. وكان المتظاهرون يُواجهون بتدخل عنيف لقوات الأمن مما أدى إلى سقوط الكثير من الجرحى مثلما حصل في بركان يوم 3 يونيو وفي زايو يوم 6 يونيو إضافة إلى مئات الاعتقالات.

وفي 7 يونيو فوَّض المجلس الوطني للكونفدرالية الديموقراطية للشغل المكتب التنفيذي صلاحيات اتخاذ القرار المناسب. وقد أمهلت الكونفدرالية الحكومة أسبوعاً للتراجع عن الزيادة المعلن عنها. كما ندَّد المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية يوم 10 يونيو بهذه الزيادة، بينما دعا الاتحاد المغربي للشغل بالرباط إلى اجتماع بمقر الحكومة للنظر في الأمر. وفي يوم 11 يونيو وجَّه محمد نوبير الأموي رئيس الكونفدرالية إلى الوزير الأول رسالة للتراجع عن الزيادة، وفتح حوار مع الكونفدرالية الديموقراطية للشغل. كما دعت الكونفدرالية قواعدها إلى مساندة الإضراب الذي دعا إليه الاتحاد المغربي للشغل يوم 18 يونيو في الدار البيضاء والمحمدية.

ولم تَقْوَ قواعد الكونفدرالية الديموقراطية للشغل وعموم السكان على فهم هذه الازدواجية في تعامل السلطات مع الدعوة إلى الإضراب. فبينما جرى التغاضي عن الإضراب الذي نفذته قواعد الاتحاد المغربي للشغل، ثم التصدي بعنف للإضراب الذي دعت إليه الكونفدرالية الديموقراطية للشغل. وقد أسفر التدخل العنيف لمختلف أنواع القوات عن سقوط مئات الضحايا، واعتقال الكثيرين، وقد هلك عدد منهم اختناقاً بزنزانة بالمقاطعة 46 في حي سيدي البرنوصي بالدار البيضاء.

وجرى اعتقال عدد من مناضلي الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية والكونفدرالية الديموقراطية للشغل (نوبير الأموي وعبد الرحمان شناف والبزاوي ولمراني...) ومنعت جريدة "*المحرر*" وجريدة "*ليبراسيون*"، وبعد أربعة أشهر ثم اعتقال أعضاء من المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية منهم الكاتب الأول عبد الرحيم بوعبيد.

وإمعاناً في المواجهة منعت السلطات في 27 أبريل 1982 الكونفدرالية من المشاركة في احتفالات فاتح ماي، مما دفع القيادة المتبقية لعقد ندوة صحفية يوم 6 ماي 1982 فتم اعتقال عبد المجيد بوزوبع من داخل المقر الذي جرت فيه الندوة وقدم للمحاكمة.

واستطاعت الكونفدرالية تجاوز هذه المحنة التي كان من عواملها اعتقال الكاتب العام لمدة سنتين وخمسة أشهر (أطلق الأموي يوم 19 / 11 / 1983). ثم دخلت الكونفدرالية الديموقراطية للشغل ابتداءً من فبراير 1988 مرحلة جديدة من نضالها، وذلك عبر التنسيق مع مركزية أخرى وهي الاتحاد العام للشغالين المغاربة، إذ دعا المكتبان التنفيذيان الحكومة إلى فتح حوار حول الملف الاجتماعي، وكانت الدعوة إلى إضراب وطني مشترك بين المركزيتين أول ثمار هذا التنسيق.

ونُفِّذ الإضراب يوم 14 دجنبر 1990، وكما حصل في إضراب يونيو 1981 تدخلت السلطات بعنف شديد خاصة في فاس ومكناس مما أدى إلى سقوط عدد من الضحايا.

وقد انضمت النقابة الوطنية للتعليم العالي إلى عملية التنسيق بين المركزيتين، فتمت يوم 28 يناير 1991 الدعوة إلى تضامن عمالي مع الشعب العراقي (وجَّهت الكونفدرالية في 2 مارس 1998 طائرة محملة بإعانات إلى بغداد، وتكررت هذه المبادرة يوم 14 أبريل 1998).

وفي 24 مارس 1992 احتفل محمد نوبير الأموي إثر تصريح مقدم للجريدة الاسبانية "*الباييس*" (EL Pais) وصف فيه الحكومة التي كان يرأسها محمد كريم العمراني بكلام غير لائق، وقد أطلق ليعاد اعتقاله بعد يومين، وانطلقت محاكمته في أبريل 1992، وقد آزره أزيد من 1000 محامٍ، وبالرغم من ذلك تمت إدانته بسنتين سجناً نافذاً.

وظلت عملية شد الحبل متواصلة بين الكونفدرالية والاتحاد العام للشغالين والنقابة الوطنية للتعليم العالي من جهة وبين الحكومة من جهة أخرى. فمن جانب الحكومة تم منع المركزيات الثلاث من إحياء تظاهرات فاتح ماي 1992، ومن جانب المركزيات تمت الدعوة في 14 شتنبر 1992 إلى مقاطعة الاستفتاء على دستور 1992، ولم يفرج عن الأموي إلا في 12 يوليوز 1993 أي بعد انتهاء كل الاستحقاقات.

ولما كانت الاتصالات جارية بتأسيس حكومة التناوب التوافُقي، كانت الكونفدرالية تدعو التي خوض مسيرات سلمية يوم 6 فبراير 1994. لكن الضغوط التي مارسها محمد بوستة أقنعت نوبير الأموي بالتخلي عن هذه الدعوة.

واستمر التنسيق بين المركزيات الثلاث قائماً، وهكذا تم في 5 يونيو 1996 تنفيذ إضراب عام فاضطرت الحكومة إلى فتح حوار انتهى بالإعلان عن التصريح المشترك في 1 غشت 1996، وقد وقعه محمد نوبير الأموي وعبد الرزاق أفيلال وعبد الرحيم الحجوجي وإدريس البصري.

وفي 25 يونيو 1997 أطلق الأموي دعوته الشهيرة لإلغاء نتائج انتخابات 13 يونيو 1997 نظراً لما شابها من تزوير.

وظلت دعوات خوض إضرابات متأصلة في آليات تعامل الكونفدرالية الديموقراطية للشغل مع قضايا الشغيلة المغربية، وتوجت في عام 1999 بإعلان فاتح محرم، واتفاقات 30 أبريل 2003 بين النقابات العمالية ونقابات العمال برعاية الدولة. لكن قراءة بسيطة للأرقام المتعلقة بعدد الإضرابات المنظمة في السنوات القليلة الأولى من الألفية الثالثة ستكشف تراجعاً كبيراً في عدد الإضرابات:

- 439 إضراباً سنة 2000.
- 149 إضراباً سنة 2003.

فهل يعود هذا التراجع إلى استجابة الحكومة وأرباب العمل لمعظم مطالب النقابات أم إلى تعدد المخاطبين النقابيين، إذ شهدت الساحة النقابية تكاثراً للنقابات. وعلى مستوى آخر تراجع الاتحاد العام للشغالين بالمغرب عن

التنسيق مع الكونفدرالية التي شهدت في السنوات الأخيرة تصدعات أفضت إلى ظهور الفيدرالية الديموقراطية للشغل كمنافس في طور النشوء. وحصل صراع داخل النقابة الوطنية للتعليم ركزّت عليه كثيراً مختلف وسائل الإعلام مثلما ركّزت على حضور وزير الداخلية الأسبق إدريس البصري الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الثاني أيام 14 و15 و16 مارس 1997.

محمد وحيد

**الكوهن**، أسرة من أقدم الأسر المعروفة بفاس. كان فيها التجار. والأخيار، ورجال التصوف والتصنيف، وهي فرق كثيرة، منها على سبيل المثال : الفرقة المهاجرة إلى أرض الحجاز، والمترجم لثلة منها أسفله، وفرقة حومة السياج، وفرقة حومة الصاغة حسب ما ذكره النسابة عبد الكبير بن هاشم الكتاني في "*زهر الآس في بيوتات أهل فاس*" (ج 2، ص. 125 ـ 126).

وتوجد هذه الأسرة ـ الآن ـ في عدة مدن مغربية ؛ وقد برزت فيها شخصيات مرموقة، سواء في ميدان الاقتصاد أو السياسة، أو الطب والصيدلة، وغير ذلك من الميادين الأخرى.

**الكوهن، الحسن** بن **محمد** بن **قاسم** بن أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن الجيلاني الفاسي محتداً وسنداً، الشاذلي طريقة ومشرباً، فقيه مالكي، ونسابة مغربي، كان يتاجر في بيع الكتب واقتنائها وقد جمع لنفسه مكتبة خاصة، حافلة بالنفائس، وقفها على الزاوية الفتحية بخوخة السويقة في الرباط.

له عدة تصانيف، منها : "*إعلام السائلين بمن أقبر بمصر من صحابة سيد المرسلين*" و"*تحفة الصلوات المسمي مفارج الوصول إلى نفحات الرسول*" ثم طبقات الشاذلية الكبرى المسمى "*الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية*"، وقد طبع هذا المصنف الأخير لأول مرة بمصر سنة 1347 / 1928، وهو في جزء متوسط، ترجم فيه لبعض رجال الصوفية بالمغرب.

جاور بالحجاز حيث وافاه الأجل المحتوم في العشرة من سنة 1360 / 1940 أو قريبا منها، كما هو وارد في "*إتحاف المطالع*" لعبد السلام ابن سوردة.

**الكوهن، الريس سليمان العيساوي**، من ذرية محمد بن عبد القادر أول قادم من أولاد الكوهن إلى المدينة المنورة.

توفي في رجب الفرد عام 1340 / 1922، ودفن بالبقيع ؛ وقد كان له عقب بالمدينة.

**الكوهن، عبد القادر** بن **أحمد** بن أبي جيدة، محدث، مشارك، فقيه، صوفي، ولد بفاس سنة 1177 / 1764 ، وتلقى دراسته عن الشيخ الطيب ابن كيران وأبي الفيض حمدون ابن الحاج، وأبي عبد الله محمد القادري، ومن في طبقتهم.

له شرح على مدخل ابن الحاج والنجم الساري في ختم البخاري إلى غير ذلك من التصانيف وخاصة في علم التصوف. أما فهرسته المشهورة تحت عنوان : "*إمداد ذوي الاستعداد إلى عالم الرواية والإسناد*" وهي في كراستين، فقد ألفها باسم القاضي أبي عبد الله محمد الطالب ابن الحاج وأبي عبد الله محمد بن عبد القادر الكردودي، وأبي القاسم بن عبد الله بن الحافظ أبي العلاء العراقي.

ومن تلامذته : أحمد بن أحمد بناني، والمهدي بن الطالب ابن سودة، وعمر بن الطالب ابن سودة، ومولاي حفيد الشريف العلوي الأمراني، وغيرهم.

حج بيت الله الحرام، وزار قبر نبيه عليه الصلاة والسلام؛ وإثر انتهائه من مناسك الحج التقى بالشيخ عبد الله بن عبد الرحمن سراج مفتي مكة المكرمة، فأجازه ؛ كما لقي الشيخ الحافظ أبا عبد الله السنوسي، فأخذ عنه الطريقة الإدريسية، وأجازه بها.

وفي المدينة المنورة أدركته الوفاة في شهر صفر من سنة 1254 / 1838، ودفن بروضة البقيع، وعمره 74 سنة.

عبد الكبير بن هاشم الكتاني، *زهر الآس في بيوتات أهل فاس*، ج 2 ؛ الحسن بن محمد الكوهن، *طبقات الشاذلية الكبرى* ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، ج 7 ـ 8، تح. محمد حجي ؛ عبد السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب* ؛ خير الدين الزركلي، مج 2، *الأعلام* ؛ محمد مخلوف، *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية* ؛ محمد بن قاسم القادري، *إتحاف أهل الدراية بمالي من الأسانيد والرواية*.

**الكوهن، محمد** بن **عبد القادر** بن أحمد بن الجيلاني، عالم جليل، وفقيه فاضل حالاً ومقالاً. أبصر النور في فاس، وقضى شطراً من حياته بها. ثم غادرها، فكان أول مهاجر من أولاد الكوهن قصد المدينة المنورة من أجل طلب العلم، والإقامة بها، فاجتمع بشيوخ الحرمين مكة والمدينة، وصحب الاتقياء، وأهل الخير، وأنجب ذرية صالحة.

توفي في أواسط القرن الثالث عشر للهجرة ودفن بالبقيع.

**الكوهن، محمد** بن **قاسم** بن **أحمد** بن عبد القادر بن أحمد بن الجيلاني، ازداد بفاس ونشأ بها حتى بلغ مبلغ الرجال واتجه نحو التصوف وصحب رجاله وحفظ أحزابه وأوراده ثم شد الرحال إلى مصر فاستوطنها وتولى مشيخة الطريقة الشاذلية بها، وأدار حلقات الذكر، وأحيا الليالي، وأقام الموالد إلى أن وافته المنية هناك. حج أربع عشر مرة، وكان الغالب عليه المشي في طريق الحج مع كبر سنه، ويقول في هذا الصدد : "المشي من شرط الحج أفضل لمن يقدر عليه، وتتوفر فيه شروطه".

توفي يوم الخميس 2 شعبان 1333 / 1915، ودفن صباح اليوم الموالي؛ وقد حضر جنازته جم غفير من المريدين والأتباع، وصار قبره مقصد الزوار للتبرك والدعاء.

عبد الكبير الكتاني، *زهر الآس في بيوتات أهل فاس*؛ الحسن بن محمد الكوهن، *طبقات الشاذلية*؛ محمد حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، ج 7 و8؛ عبد السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب*؛ خير الدين الزركلي، *الأعلام*، مج 2.

عبد الرحمن القباج

**الكوار، الرايس أحمد** من الرياس المنتسبين إلى الأصول المشرقية، وربما الجزائرية بالتحديد، الذين التحقوا بصفوف الأسطول المغربي على عهد سيدي محمد بن عبد الله. كان من أوائل الرياس الذين أصدر السلطان أمراً بإنشاء سفينة خاصة بهم سنة تتويجه 1757؛ وسرعان ما برز ضمن كبار الرياس الذين يعتمد عليهم الأسطول المحمدي، مستقرا بالرباط، حيث ورد في لوائح شينيه للفترة الممتدة ما بين سنتي 1967 و1769، قائداً لسفينة شراعية مجهزة ببطارية من اثني وعشرين مدفعا، مكلفا بحماية المياه الإقليمية بين الرباط والصويرة. وفي السنتين المواليتين أصبح رايسا لسفينة مجهزة بطاقم من مائة رجل وبثماني عشرة قطعة مدفعية.

*الضعيف*، تاريخ؛ ابن زيدان، الإتحاف، ج 3.
Chenier, *Journal*..., p. 96-97, 103-104, 111-112 et 117-118 ; Coindreau, *Les corsaires de Salé*, p. 92.

حسن أميلي

**الكُوَّاش**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان حيث لم يبق من ذكرها سوى الدرب الذي يحمل إسمها.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**الكويت والمغرب**، تُحَد دولة الكويت بالعراق والسعودية، وتبلغ مساحتها 17818 كلم$^2$، وعدد سكانها مليون نسمة، تحكمهم أسرة الصباح تحت إمارة سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح (منذ 1978).

كانت الكويت سباقة إلى تأييد إقامة مجلس التعاون لدول الخليج عام 1981 باعتباره الإطار الطبيعي لضمان أمن واستقرار المنطقة، كما أنها نهجت سياسة اتسمت بالانفتاح على محيطها الدولي والاقليمي والعربي.

وبعد اجتياح العراق للكويت في 2 غشت 1990. أعادت دولة الكويت النظر في معاملتها مع بعض الدول العربية التي اتخذت موقفاً معاديا لها خلال الأزمة وهي: الأردن واليمن والسودان ومنظمة التحرير الفلسطينية. وفي المقابل تعاملت بأسلوب خاص مع بقية دول مجلس التعاون الخليجي، ودول "إعلان دمشق" الذي وقعته في مارس عام 1991 كل من سورية ومصر والدول العربية الخليجية بهدف إقامة ترتيبات أمنية واقتصادية في الخليج.

أما علاقاتها مع المغرب فقد تميزت بالود والتفاهم وتواصل التنسيق والتشاور السياسي حول مختلف القضايا العربية والاقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك. وفي ضوء ذلك سنعمد فيما يلي إلى استعراض العلاقات بين البلدين على المستوى السياسي ثم الاقتصادي.

ففي المجال السياسي ساندت الكويت المغرب في استرجاع أقاليمه الجنوبية، وقد أيدت مشروع اللجنة الرابعة للجمعية العام للأمم المتحدة بشأن إجراء استفتاء لتقرير المصير في الصحراء.

ومن جهته بادر جلالة الملك الحسن الثاني منذ اللحظة الأولى للتعبير عن رفضه لاجتياح العراق للكويت، وأعلن المغرب موقفهُ هذا في بلاغ رسمي، ثم أرسل أفراداً من قواته المسلحة الملكية إلى السعودية "للوقوف بجانب الأشقاء" في حرب الخليج الثانية لعام 1991. ولهذا فإن المسؤولين الكوتيين مافتئوا يعربون في غيرما مناسبة عن عرفانهم وتقديرهم لملك المغرب الراحل جلالة الحسن الثاني رحمه الله على الشجاعة الفائقة التي دافع بها عن حق الكويت في إطار الشرعية الدولية. وكيف أن جلالته اتخذ موقفه ضد التيار المتعاطف مع العراق حتى داخل بلاده.

ويعترف الكويتيون أيضا بما كان للمغرب من مواقف مساندة للكويت بالنسبة لقضية الأسرى والمفقودين الكويتيين في العراق، وتجلت في مبادرات العاهل المغربي الراحل، وكذا في الخطوات العملية التي كان جلالة الملك محمد السادس قد ضمنها في الرسالة التي وجهها في الموضوع إلى الرئيس العراقي.

وقد جاءت زيارة جلالته إلى الكويت عام 2002 معززة لعلاقات التعاون الأخوي بين البلدين الشقيقين.

أما في المجال الاقتصادي فلقد تجلت مظاهر التعاون الاقتصادي بين المغرب والكويت على الخصوص من خلال إسهام المستثمرين الكويتيين في رأسمال بعض الشركات المغربية الخاصة مثل مجموعة أو منيون شمال إفريقيا (ONA)، وكذا في مساهماتهم غير المباشرة في رؤوس أموال مؤسسات مالية ذات شهرة عالمية لها أنشطة بالمغرب مثل مجموعة (بارىباس Parisbas).

ومن جهته كان الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية قد باشر أنشطته في المغرب منذ عام 1966، حيث شارك حينئذ في تمويل العديد من مشاريع الإنماء المغربية بما فيها تمويل بناء السدود والطرق السيارة. ويبلغ مجموع القروض التي قدمها بهذا الصدد حتى الآن ما قدره 90,3 مليار درهم.

أما الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي، فقد مول بدوره خمسة وثلاثين مشروعاً إنمائيا كبيراً شملت ميادين الموانئ والطرق والري وكهربة البوادي وقد ناهزت الاعتمادات التي أقرضها خلال الأربع سنوات الأخيرة فقط حوالي 1,120 مليار

دولار بمعدل 280 مليون دولار في السنة، تضاف إلى القروض الضخمة التي اعتمدها لتنمية الاقتصاد المغربي قبل ذلك.

بقى أن نشير إلى أن المبادلات التجارية بين المغرب والكويت ظلت متدنية بحيث إنها لا تُرضي طموحات حكومة البلدين، ولا ترقى إلى المستوى الممكن والمطلوب ؛ ذلك أنه إذا أخذنا عام 2002 نموذجاً، فسنجد أن صادرات الكويت إلى المغرب تتكون من النفط والكبريت، بينما نلاحظ أن صادرات المغرب إلى الكويت هي عبارة عن مصبرات للسمك، والألياف الصناعية والألبسة بما لا تزيد قيمته عن 21 مليون درهم مقابل 146 مليون درهم كقيمة لواردات المغرب من الكويت، وبما يعني أن تغطية الصادرات المغربية للواردات الكويتية ضعيفة جداً، بحيث لم تكن نسبتها تتعدى عام 2002 نحو 17٪.

هذا وعملا على تصحيح المسيرة وإعطاء دفعة للعلاقات بين البلدين في مختلف المجالات بادر الطرفان إلى إنشاء اللجنة العليا المشتركة المغربية ـ الكويتية بمقتضى اتفاق بينهما، أبرم بالرباط في 28 يونيه 2001.

ويهدف هذا الاتفاق إلى تفعيل المقتضيات المنصوص عليها ضمن الإطار القانوني المنظم للعلاقات المغربية ـ الكويتية منذ مطلع السبعينيات، بما في ذلك اتفاق التعاون في الميادين الاقتصادية، والتجارية، والتقنية، والثقافية، والسياحية لعام 1972 ، واتفاقية النقل الجوي لعام 1975، والاتفاق حول الاستثمار والتنمية لعام 1980، والاتفاق الإعلامي لعام 1981 ، واتفاقية التعاون القانوني والقضائي في الشؤون المدنية والتجارية والأحوال الشخصية لعام 1996.

وقد وقع تحيين هذه الاتفاقات غير مامرة، كان آخرها بمناسبة انعقاد الدورة الأولى للجنة العليا المشتركة بين البلدين بالكويت برئاسة وزيري خارجية البلدين بتاريخ 16 يونيه 2002. وقد أسفرت أشغال هذه الدورة على اتفاقيات تتعلق بتفادي الازدواج الضريبي، تم تحيين الاتفاقيات المبرمة بينهما في ميادين التعاون السياحي والإعلامي بالإضافة إلى توقيع مذكرة التفاهم للتعاون والتنسيق بين وزارتي الخارجية، فضلاً عن توقيع البرامج التنفيذية لسنوات 2002 إلى 2004 ، والتي تهم مجالات الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والتجارية والثقافية والإعلامية والسياحية.

ومجمل القول أن التعاون بين المملكة المغربية ودولة الكويت لازال يعرف تطوراً مستمراً ومتزايداً منذ انطلاقته في بداية السبعينيات إلى الآن وإلى ما بعد الآن.

عباس برادة

**گويرات الحجّاج** ، منطقة فسيحة في الصحراء تمتد داخل المجال الخاص بمدشر أسرير، على الضفة الشمالية لنهر وارگنون، وهو المكان الذي كانت تجتمع فيه وفود الحجاج القادمة من الصحراء (الساحل) والمنطلقة أيضا من وادي نون في اتجاه مكة، وإذا كان ركب الحاج المغربي على العموم قد باشر انطلاقته مع الفترة المؤرخة بأواسط حكم الدولة الموحدية تحت تأثير ومبادرات بعض الصلحاء قبل أن ينقلب إلى تنظيم رسمي، فإننا نجهل الكثير عن ركب الحاج الواد نوني الذي لم ترد حوله أية معلومات تذكر باستثناء الركب السجلماسي الذي كان ينضم إليه وفد حجيج وادي نون أحياناً، وحسب المعلومات التي تزودنا بها الرواية الشفوية يظهر أن العادة كانت تجري أولا بوصول حجاج الصحراء (الساحل خاصة) فتقيم بمنطقة گويرات الحجاج لمدة تزيد على الشهر حتى يتكامل ويتمكن المسافرون إذ ذاك من التزود بأهم الحاجيات الضرورية لرحلتهم الطويلة خاصة وأن وادي نون يعتبر من أحسن المناطق الفلاحية ذات الشهرة التجارية بالجنوب، ونظراً للتناوب الذي يحصل بين موكبين تدوم مدة غيابهما سنة على الأقل ولتقاطعهما ذهاباً وإياباً، نتصور إذن أهمية الملتقى التجاري والديني الذي كانت تعرفه گويرات الحجاج الذي يجري بذلك مرتين في السنة : بيع المواد الفلاحية والدواب أثناء الانطلاقة ثم اقتناء مواد أجنبية مادامت الرحلة تضمن للركب المرور بمحطات تجارية مختلفة ومتنوعة نصادف أهميتها وكثافتها في أغلب كتب الرحلة وسينعكس ذلك طبيعياً على المنطقة التي تحظى مبدئيا بنشاط تبادلي متميز كمحطة تجارية استراتيجية تأخذ جدورها من مدينة نول لمطة عاصمة المنطقة في القرن الحادي عشر، غير أننا لا ندري كيفية تنظيم إقامة الحجاج بأسرير، إلا أن الرواية تجعل من الحاج علي ولد عْبَلاً أيحي أشهر شخصيات فصيلة إديوب من أمازيغ أكبر منظمي الركب، ولعل تسميته بالحاج تجد تفسيرها في هذه الوظيفة أكثر من مجرد زيارة الأماكن المقدسة حتى أن عائلته تتوارث إلى الآن هذا الموقع ضمن رسوم ملكياتها، ويأتي التعيين الواضح للمكان بالگويرات ليعزز وضوح التموقع وشساعته لتسع إقامة الركب وليثبت أصالة التعيين خارج المدشر في إطار سلم التوطينات التي تعطي للمناطق المرتفعة بعداً ملموساً في هذا الصدد (Monteil) . وليس غريباً أن نصادف نفس التسميات بالمغرب إذ تسمى أماكن تجمع الركب الفاسي ب "موطن الحجاج" في إطار ما نصطلح عليه بالتردد الطبوبونيمي. على أن التزويد الوثائقي من شأنه أن يضاعف معلوماتنا لأن ركب الحجاج يشير عدة مظاهر من التاريخ الاجتماعي يزيد من إلحاحها ضعف البحوث وقلة المادة المصدرية، فأصل هاته الممارسة كما هو معلوم رغبة في زيارة مكان مقدس بمعنى أنه يدخل ضمنيا في حقل التاريخ الديني والذهني للمنطقة، فلكي يحصل الهدف الرئيسي المتوخى من هذا العمل يكون ضبط تاريخ معين سبيلا من سبل تمتين هالته القدسية، كما أن الشهرة الشفوية التي يتناقلها الحجاج تزيد بالمقابل من إشعاع المحطات حيث أنها تختار تلك الواقعة في وسط الطرق التجارية، ولا ندري من جهة أخرى هل من دور للقوة الرمزية للولي محمد بن عمرو الأسريري في

ذلك، وعلى العموم فتجمع الركب بگويرات الحجاج يعد آلية من آليات التغلب على ظروف انعدام الأمن بالطريق وقساوة الظروف الطبيعية الشيء الذي يستدعى سفراً جماعيا. ومن خلال ترويج المعتقد الشعبي للبركة التي يجلبها هذا السفر الزيارة، علاوة على وعورته واستحالته على البعض، تحدثنا الرواية الشفوية عن إعادة إنتاج هذا السفر داخل گويرات الحجاج نفسها أثناء إقامة الركب ؛ إذ ينبغي على كل شخص عاجز عن الحج أن يقدم مساعدة مادية للمسافرين يحملهم على إثرها مسؤولية الدعاء له بالأماكن المقدسة، ومن هنا نفهم أيضا اعتبار زيارة أضرحة سيدي محمد بن عمرو وسيدي خفو حماد بأسرير معادلة لرحلة إلى مكة فإننا هنا تماما أمام ظاهرة الحج بالنيابة التي تشيع بافريقيا الغربية والصحراء، تتمتع على إثرها الجماعة ببركة هذا الحاج أو هذا الولي.

الناصري، *الاستقصا*، ج 3، الدار البيضاء، 1956 ؛ عبد الرحمن المودن، *البوادي المغربية قبل الاستعمار، قبائل ايناون والمخزن بين ق 16 و19*، الرباط، 1995.

V. Monteil, Notes sur la toponymie et l'orientation chez les Maures, *Hespéris, t. XXXVI*, 1949 ; R. Roussel, *Les pélérinages*, éd. Que sais-je ? PUF, Paris, 1965.

أحمد جوماني

**الكُويرَة** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Alcora ؛ وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**الكويرَة، محمد** بن **المدني** قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني گرفط انظم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد استشهد في إحدى المعارك التي شارك فيها بكدية الروضة يوم 12 يوليوز 1919.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**كويش** ، (ضامياو دي) Damiao de Gois صاحب حوليات ناسخة لفترة ألفونصو الخامس البرتغالي خصها صاحبها لفترة ضون مانويل الذي استمر حكمه ما بين 1495 و1521 . وعنوان الكتاب :Cronica do Filissimo Rei D. Manuel شرع في تحريره سنة 1558 اعتمادا على وثائق أرشيف طوري دي طومبو الذي أشرف هو على إدارته. وقد تم طبعه بمدينة كويمبرا سنة 1949، وأخرج في أربعة أقسام. يتيح هذا المصدر الهام استغلال ثلاثة وثلاثين فصلا تهم الغارات البرتغالية على مختلف القبائل الهبطية ومقاومة المغاربة لها، كما يسمح بتصور الأضرار التي تعرض لها إقليم الهبط من جراء تلك الغارات. ويساعد من جهة أخرى على تحقيق العديد من المواقع والأماكن.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، أطروحة، مرقونة، الرباط، 1991.

Damiao de Gois, *Cronica do Filissimo Rei D. Manuel.*

حسن الفگيگي

**كيتان** : تم الكشف عن هذا الموقع خلال أشغال بناء طريق في منطقة تطوان سنة 1930. يتعلق الأمر بموقع أثري قديم على الضفة الغربية لواد مارتيل عند التقاء النهر مع وادي صغير ينزل من كيتان حسب طاراديل (Tarradell) فإن البقايا التي تم الكشف عنها في هذا الموقع والمتمثلة في بقايا جدران ولقى فخارية، تشبه تلك التي وجدت في موقع تمودة، وتعود من دون شك للفترة البونية الموريطانية خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد. لقد كشفت الحفريات عن قدح من فخار رقيق يوجد مثيل له في نقط أخرى كترايمار (Traymar) والمؤرخ بفترة متقدمة عن القرن الثالث ق. م، كما أن حفريات موقع تمودة كشفت عن أنواع مماثلة وبذلك فإن وجود مثل هذه الأقداح في تمودة وكيتان قد يكون شاهدا على العلاقات التجارية التي كانت بين هاتين النقطتين وشبه الجزيرة الايبيرية خلال القرنين الرابع والثالث ق. م.

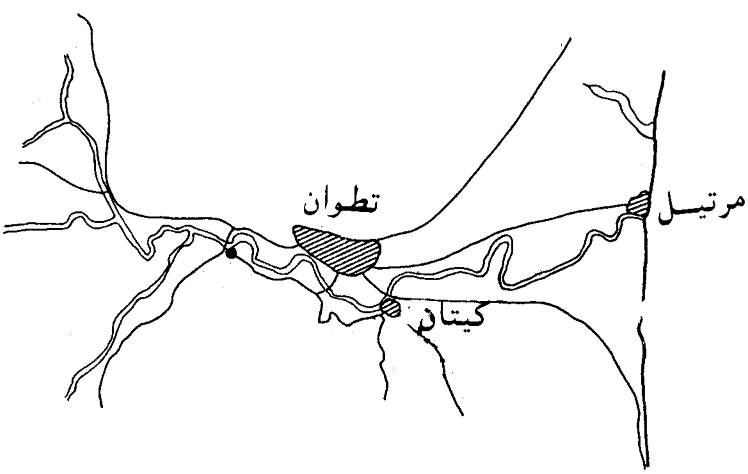


M. Tarradel, Marruecos antiguo : nuevas perspectivas, *Zephyrus, t. 5, 1954*, p. 105-139 ; Id., *Marruecos punico*, Tetuan, 1960 ; Id., Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, région de Tétouan, dans *B.A.M. 6, 1966*, p. 425 - 443 ; E. Goz Al Bes, Nuevos restos cartagineses en el valle del rio Martin, *Cuadernos biblioteca esp. Tetuan, n° 7, 1973*, p. 27-35 ; Id., Kitzan, poblado punico - mauretano en las inmediaciones Tetuan (Marruecos), dans *Ant. afr., t. 12*, 1978, p. 15 - 19.

سيدي محمد العيوض

**گير** ، لا نعرف كثيراً عن لفظ گير سواء في المتحدث الأمازيغي أو في اللهجات واللغة العربية والأمازيغية بالمجال الأطلسي المغربي، كل ما يمكن تسجيله هو ورود كلمة گير في كتابات المؤرخ الروماني Pline الذي يتحدث عن بعثة القائد الروماني Paulinus في سنة 42 قبل الميلاد، ووصوله

إلى نهر يدعى Ger بالجنوب الشرقي المغربي ؛ قد يكون هو وادي گير الحالي. على أن أبا عبيد البكري في كتاب المسالك والممالك يتحدث عن موضع "قير"، حيث يقول : "وعلى مدينة وجدة طريق المارة والصادرة من بلاد المشرق إلى سجلماسة وغيرها من بلدان المغرب. والطريق منها إلى سجلماسة تخرج من وجدة إلى صاع وهي قرية ذات نهر وثمار ومزارع ومنها إلى تاملت ومنها إلى جبل بني يرنيان ومنه إلى قير ومنه إلى الأحساء ومنها إلى الأحسلي ومنه إلى دار الأمير ومن دار الأمير إلى سجلماسة".

ويطلق عموما اسم گير على الوادي المنحدر من مرتفعات الأطلس الكبير شرق وادي زيز في اتجاه المجال الصحراوي جنوبا، والذي يغطي حوضه ما يقارب من 50.000 كلمتر مربع. غير أن الدارسين يميزون بين قسمين داخل هذا الحوض : قسم ممتد داخل المجال الجبلي للأطلس الكبير الشرقي، وهو المعروف بحوض گير ويتكون من وادي آيت عيسى في الجهة الشرقية ووادي گير في الجهة الغربية (شكل 1) اللذين يلتقيان جنوب مركز بوعنان بالسفح الجنوبي الأطلسي قبل الانتقال إلى القسم الثاني المعروف بحوض الساورة، المؤلف من تجمع حوضي گير وحوض زوسفانه، هذا الأخير الذي يأخذ منابعه من أقصى شرق الأطلس الكبير والجبال المحادية له في الجنوب. ويغطي هذا القسم الثاني ما يقارب من 40.000 كلمتر مربع حيث يمتد بعيداً في المجال الصحراوي للجنوب الغربي الجزائري.

غير أن لفظ گير يبقى هو الأكثر استعمالا عند الأهالي بالحوضين، إذ يتحدثون عموما، مع تصنيف معين، عن گير الأعلى وگير الأوسط وگير الأسفل. ويحدد گير الأعلى بالنطاق الجبلي لمنابع الواد أي جبال مسروح (2714) والبور (2642) وأمسيد (2519) إلى حدود مخرجه جنوبا عبر خانق أو فم تازوكارت (1092) على طول 100 كيلومتر ؛ وگير الأوسط الذي يتوافق ومنخفض بوذنيب حيث ينحرف واد گير في اتجاه الشرق على طول يصل 78 كلمترا قبل التقائه بواد آيت عيسى جنوب مركز بوعنان لينحرف مرة أخرى في اتجاه الجنوب مكونا گير الأسفل الذي يستمر في التراب الجزائري.

وعلى عكس أودية المجال الجبلي الأطلسي في الغرب حيث الأشكال الضيقة وامتداد الخوانق على طولها، فإن وادي گير يتميز باتساع في مجراه الجبلي ولا يضيق إلا في حالات خاصة تتوافق ومناطق انطباعه في البنية التضاريسية أو قرب خروجه من السلسلة الجبلية. ويظهر ذلك في الأشكال المفروغة للتضاريس بهذا الجزء من الأطلس الكبير الشرقي حيث المنخفضات الجبلية الواسعة التي تعبر عن تطور وقدم نشاط التعرية والإفراغ الكبير للطبقات الصخرية ونقل نواتجها بفضل واد گير وواد آيت عيسى، وبناء أقدام الجبال كما تدلنا عن ذلك التوضعات القارية المكونة لحمادتي بوذنيب وگير في السفح الجنوبي، المنتميتين إلى الزمن الجيولوجي الثالث، وحوادر ومصاطب الزمن الرابع على طول السفوح والأودية.

ويتميز جريان وادي گير بعدم انتظامه على طول قطاعه وكذا حسب الفصول والسنوات. فالجزء الأعلى من الحوض هو الذي يعرف جريانا سطحيا دائما في حين يظهر ويختفي هذا الجريان بالجزأين الأوسط والأسفل تبعا لمتغيرات مرتبطة بالوادي، مثل وجود عتبات صخرية بالوادي وشكل هذا الأخير إلى جانب درجة التبخر المتزايدة في اتجاه الجنوب الصحراوي.

وتزداد سرعة جريان وادي گير في اتجاه السافلة بازدياد السرعات المحلية المرتبطة بالروافد المنحدرة في اتجاهه غير أنها مرتفعة في الجزء العلوي من الحوض نظراً لانحدارات التضاريس ولكميات الأمطار الساقطة فوقه. كل هذا يساهم في قوة امتطاح وادي گير التي تتركز عموماً بفصلي الخريف والربيع حيث نشوء الاضطرابات المناخية فوق جبال الأطلس الكبير الشرقي التي تسقط على إثرها كميات هائلة من الأمطار التي تعمل على ارتفاع صبيب وادي گير إلى حدود قصوى تمكنه من نقل حمولته السائلة والصلبة على مسافات طويلة في اتجاه الجنوب. وقد عرف واد گير خلال القرن الماضي امتطاحات مهمة توالت بمعدل عشر سنوات نذكر أهمها : أكتوبر 1915 ومارس 1926 وشتنبر 1938 ونونبر 1942 وأكتوبر 1950 ومارس 1959 ، ويعتبر الامتطاح الأخير من أعنفها حيث وصل الصبيب خلال يوم واحد بمحطة بوعنان ما يقارب 3000 متر مكعب في الثانية و5000 في محطة عبادلة إلى الجنوب نظراً لازدياد صبيب واد زوسفانة. وقد تعدى طول المسافة التي بلغها هذا الامتطاح ما يعادل 800 كلمتر.

وإذا كان الأهالي يستقبلون بالبشرى هذه الامتطاحات حيث يجدون فيها مورداً أساسياً بدوام عيشهم، يتجلى في ارتفاع مخزون المياه السطحية والباطنية إلى جانب تجديد التربة بفضل الرواسب الغرينية المنقولة وذات الجودة العالية، فإنها بالمقابل تحدث خسائر بشرية وكوارث طبيعية معتبرة على طول المجرى. وتبرهن التوضعات الدقيقة للمصاطب

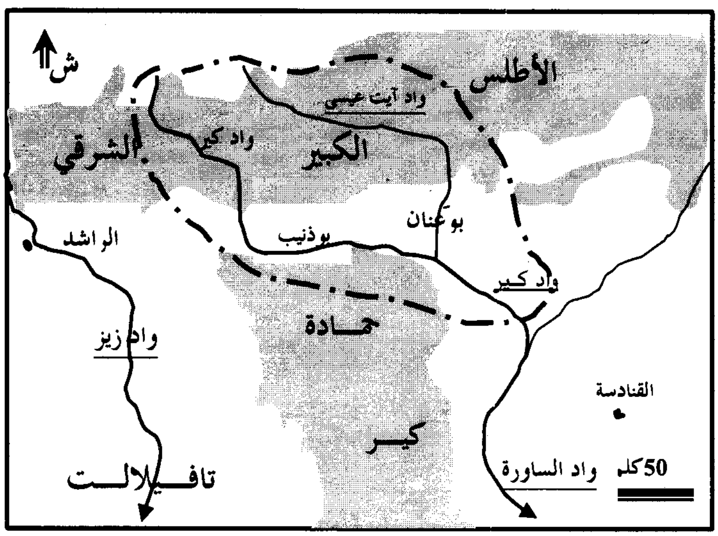

السفلى لوادي گير عن أهمية الامتطاحات ودورها في الحياة الزراعية بواحاته. ولا غرو في أن ينسب المستوى الأسفل من التوضعات الرباعية بهذا النطاق إلى واد گير حيث يعرف بالمستوى الگيري (guirien) Niveau حسب Chavaillon et Alimen, 1965.

وللتخفيف من حدة امتطاحات وادي گير في جزئه الأسفل، أقيم سد جرف التربة بمنطقة عبادلة بالتراب الجزائري سنة 1957 الذي يصل حجم مخزونه 980 مليون متر مكعب، يستغل كذلك في توفير المياه لأغراض صناعية وفلاحية بالخصوص.

محمد بنبراهيم

**الـكير** من الأدوات التي لعبت دوراً كبيراً في تسهيل العيش وأعمال الطبخ ويعرف في المغرب كذلك باسم (الرابوز)، وهو المنفاخ الذي يستعمل في إيقاد الجمر وتسريع عملية الاشتعال سواء باستعمال الفحم في (المجمر) أو في الكانون أو عند استعمال الحطب ؛ ولذلك كنت لا تجد أي مطبخ يخلو منه سواء في البادية أو في المدينة، ولأهميته في المطبخ كنت تجده معلقاً مثله مثل باقي الأدوات والمواعين حفاظاً عليه.

لم تشر مصادر العصر الوسيط والحديث إلى وجوده ؛ فالحسن الوزان مثلاً وهو يعد الصناعات ومحلات بيع المصنوعات في مدينة فاس، وحتى الدقيق منها، مثل الإبر والأمشاط، لم ترد في كتابه *وصف إفريقيا* إشارة إلى الكير، مما يجعلنا نعتقد أن الكير من المصنوعات والأدوات التي عرفها المغرب في التاريخ المعاصر وخاصة في (القرنين 19 و20) ولاشك أنه من الصناعات التي احترفها اليهود. فكان منهم من يطوف في الأزقة والدروب إلى حدود سنوات الستين من القرن الماضي، وهو ينادي على من يشتري الرابوز أو من يصلحه "صاوب رابوز !" ؛ واليوم، وبعد التطور الذي عرفه المطبخ سواء في البادية أو في المدينة اعتماداً أساساً على الغاز فإن الكير فقد دوره ووظيفته إلا في النادر من البيوتات وأصبح له دور جديد كتحفة تظهر فيها مهارة الصانع التقليدي ويقبل على شرائه السياح من الداخل والخارج.

- نميز في لهجتنا الدارجة ما بين الرابوز وهو المنفاخ أو الكير الصغير الحجم أو متوسطه، والذي يستعمل في المطابخ، وما بين الكير الذي هو "رابوز" أو منفاخ ضخم يستعمله الحرفيون خاصة الحدادون وصانعوا نضوات الدواب (والصفيحة). ويتم تحريك دواسته باليد الواحدة أما الرابوز فتستعمل اليدين معاً في تشغيله ويكلف شخص بتشغيل الذي يستعمله الحدادون ؛ وهناك أحجام صغيرة جداً تشغل باليد الواحدة وتستعمل لرش بعض الأدوية المسحوقة مثل (دوا البرغوث).

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ أبي يحيى الزجال، *أمثال العوام*، تح. بن شريفة، القاهرة، 1968 ؛ *معارض الصناعة التقليدية بالمدن المغربية العتيقة* ؛ م. الطويل، *النقل والتنقل في المغرب*، مرقون، كلية الآداب، الرباط.

محمد حجاج الطويل

**كيران** (ابن –) أسرة مشهورة بفاس، وكانت موجودة في عدوتي الأندلس والقرويين، وما جاورهما من الأحياء العتيقة، وفيها التجار. والنظار، والعلماء، والقضاة، والأخيار، وهي فرق عديدة، كأهل الجوطية، وأولاد سيدهم، وعم عزوز، والحماض والفاتحي وغيرهم كثير.

وقد انتقل - منذ القديم - كثير من أفراد هذه الأسرة إلى السودان، ومليلية، وطنجة، والعرائش ومكناس والدار البيضاء والجديدة، ومراكش وعين سيدي ملوك (ناحية وجدة) قصد التجارة. والقيام بمهام القضاء، فكانوا مثال الجدية، والاستقامة، والسمعة الطيبة.

**كيران** (ابن –) **أحمد** من أوائل الشبان الفاسيين الذين انجذبوا نحو النضال السياسي، وتحمسوا لمظاهرة الاحتجاج على صدور الظهير البربري سنة 1930، وشاركوا فيها بقراءة اللطيف في رحاب القرويين، ودعوة الناس إلى لبس العمامة المغربية كشعار وطني موحد، فألقي عليه القبض أثناءها بسبب مقاومته لأحد رجال الشرطة، وضربه بمفتاح دفاعاً عن النفس، مما أدى إلى موت الشرطي، وتعرض المعني بالأمر إلى أنواع مختلفة من الاضطهاد من قبل زبانية الاستعمار، إذ كانوا يخصونه من بين رفاقه بكثير من المضايقة والتعذيب، ولازال التاريخ يذكر رده المسكت للباشا ابن البغدادي في إحدى محاكماته لما سأله بقوله : "لقد أكثرتم من اللطيف "فأجابه على الفور" ما ذا تريد أن نقول بدله في المسجد أنقول يا ويلنا بدل يالطيف "، فأفحمه، وأطلقها كلمة مدوية تتردد على أفواه سجناء تلك المظاهرة، وبقي صابراً ثابتا، وفياً لمبادئه الوطنية إلى أن لقي ربه راضيا مرضيا.

**كيران** (ابن –) **أحمد** المدعو **الـفويطي** بن عبد المجيد بن التهامي، كان من الأخيار، يحب الأشراف والعلماء ويتواضع معهم، وبقي على هذه الحالة إلى أن اعتراه مرض الكبر.

توفي في 16 ربيع الثاني 1344 / 1925، ودفن بروضة أولاد بنونة، قرب جامع الأندلس.

**كيران** (ابن –) أبو **بكر** بن **محمد** الطيب بن عبد المجيد، علامة مشارك نحوي مطلع، أخذ عن والده بفاس، ثم تصدى للتدريس ونشر العلم، وتتلمذ عليه محمد بن المدني كنون ؛ هذا بالإضافة إلى أنه كان يؤم المصلين بمسجد زقاق الماء المنسوب لأبي عبد الله التاودي.

توفي وله عقب يوم الخميس 14 جمادى الثانية 1267 / 1850 ، وشيعت جنازته في محفل رهيب ؛ وقد دفن إلى جانب أبيه بروضة العلماء بالقباب خارج باب الفتوح.

**كيران** (ابن -) **الحبيب** بن **التهامي** بن حمدون الفاسي أصلا، المراكشي موطنا، علامة مشارك، فقيه موثق خطيب مصقع.

توفي بمراكش في ليلة الجمعة 15 رجب الفرد 1318 / 1900، وبها دفن.

**كيران** (ابن -) **حمادي** المدعو الزبطة بن الحسن، ساقط التكليف.

توفي سنة 1308 / 1890 ، ودفن بداره برأس الجنان من مدينة فاس.

**كيران** (ابن -) **العباس** بن **محمد** بن عبد الكريم، ولد بفاس وأخذ عن الشيخ حمدون ابن الحاج، ومن في طبقته ؛ ثم رحل إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، وزيارة قبر الرسول عليه السلام، فاجتمع هناك بطائفة من الشيوخ الأعلام، والأئمة العظام.

علامة مشارك في الفقه وعلوم البلاغة، ماهر في الحديث والتفسير والتصوف، محقق في النحو والتصريف، عارف بصناعة المنطق والأصلين ؛ كان معتدل القامة، نحيل الجسم، أبيض اللون، منور الشيبة، ذا وقار وهيبة، سهل الجانب، في الحق، يملأ فراغه بالأذكار، والصلوات، ونشر العلم.

تولى قضاء مكناس فكان ينتصر للمظلوم من الظالم، ولا يخاف في الله لومة لائم، لم يلاحظ عليه ما يثير، ولا ما يعاب، وما سمع أن أحداً رشاه، مما أهله لحظوة السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام الذي عينه على رأسه المجلس العلمي لشرح أحاديث صحيح الإمام البخاري بحضرته طيلة الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان.

له حاشية على خطبة الشيخ ميارة الصغير على المرشد، وحاشية على صحيح الإمام البخاري في سفرين وشرح خطبة الألفية إلى غير ذلك من الحواشي والشروح المفيدة.

توفي بمكناس إثر إصابته بمرض الطاعون في 11 من ذي القعدة 1271 / 1854، وبها دفن. وقد خلف عدداً من الأبناء في كل من مدينتي فاس مسقط رأسه، ومكناس مقر عمله.

**كيران** (ابن -) **عزوز** ، كان من التجار ذوي الثروة والجاه ومن أعيان الأمناء في وقته، يحب الأشراف، وأهل العلم والخير، ويكرمهم ويودهم ؛ وكانت له القبضة الحسنى على دينه، وبقي على حالته المرضية إلى أن توفاه الله بفاس.

**كيران** (ابن -) **محمد الطيب** بن **أبي بكر**، فقيه نوازلي، علامة مشارك، أخذ عن أبيه، وعن محمد بن حمدون ابن الحاج ومحمد بن عبد الرحمن الفيلالي وأحمد المرنيسي وغيرهم.

له تآليف عديدة، منها : رحلة في الحج سماها "*الرحلة الفاسية الممزوجة بالمناسك المالكية*" ضمنها مناسك الحج بترتيب حسن على مذهب الإمام مالك طبعت بفاس على الحجر دون تاريخ.

توفي يوم السبت 12 شعبان 1314 / 1896. ودفن بروضة العلماء بالقباب خارج باب الفتوح.

موسوعة *أعلام المغرب*، ج 7ـ8ـ9، تح. محمد حجي ؛ عبد الكبير بن هاشم الكتاني، *زهر الآس في بيوتات أهل فاس*، ج 2 ؛ عبد السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب* ؛ محمد مخلوف، *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*.

عبد الرحمن القباج

**كيران،** (ابن -) **محمد الطيب** بن **عبد المجيد** ابن كيران هو شيخ الجماعة بفاس وأحد العلماء البارزين خلال عهد المولى سليمان (1792ـ1822). يُجمع الذين ترجموا له أنه كان يعرف أكثر الفنون بالاجتهاد لا بالتقليد، وتشهد له على ذلك مؤلفاته التي أصبح البعض منها متداولا بين طلبة القرويين والمدارس.

تتلمذ محمد الطيب بن كيران على محمد التاودي بن سودة وعمر الفاسي ومحمد بن الحسن بناني ومن عاصرهم من علماء فاس، وقد اشتغل بالتدريس فكان من جملة تلامذته السلطان المولى سليمان الذي أصبحت تجمعه بشيخه علاقة حميمة ومن الفنون التي درسها ابن كيران بفاس التفسير والمنطق والتصوف والنحو والبلاغة. وقد ألَّف في كل هذه الفنون وغيرها. ومن أهم مؤلفاته : *شرح توحيد المرشد المعين*، و*شرح الخريدة في المنطق*، وحاشية على *توضيح ابن هشام*، و*شرح على الحكم العطائية*، وآخر على *الصلاة المشيشية*. ونظمه في المجاز والاستعارة مشهور بين الطلبة وقد شرحه أكثر من عالم.

وكان محمد الطيب بن كيران يتمتع باحترام كبير من طرف السلطان المولى سليمان الذي كان يستشيره في الكثير من المشكلات. ومما يدل على العلاقة الخاصة التي كانت تجمع بينهما تطابق مواقفهما المذهبية وهو ما يتجلى من خلال مؤلف اشتركا فيه، ويدور حول مسألة الكسب، كما يتجلى ذلك التطابق في ردهما على الدعوة الوهابية التي وصل صداها إلى المغرب عند بداية القرن التاسع عشر. ويظهر جلياً من الرسالة التي حررها ابن كيران حول مسألة الكسب، وذلك بناء على توجيهات من المولى سليمان، أن كلاهما كان متشبثاً بموقف أهل السنة فيما يتعلق بخلق الأفعال ومسؤولية العبد عنها، وقد اختارا موقفاً وسطاً بين مذهب الجبرية ومذهب القدرية، وهو موقف أوجزه أحد العلماء في أن "أفعال العباد خلق للرب كسب للعبد". وتتضمن هذه الرسالة كذلك موقفهما من مسألة التكفير، حيث عارضا

فكرة تكفير مرتكب الكبائر، وهذا بالضبط ما جعلهما ينتقدان الوهابيين و يُعارضان تكفيرهم للمتعلق بالأولياء.

وكان محمد الطيب بن كيران من أوائل العلماء المغاربة الذين اطلعوا على آراء الوهابيين وتصدوا للرد عليها. ويخبرنا أحد تلامذته ومعاصرية، أحمد بن عبد السلام بناني (انظر ترجمته) في كتابه *الفيوضات الوهبية في الرد على الطائفة الوهابية* أنه عندما رجع من الحج في سنة 1803 سلم إلى شيخه ابن كيران رسالتين منسوبتين إلى الوهابيين وقد انتقلت الرسالتان بعد ذلك إلى يد السلطان فكلف ابن كيران بالنظر في محتواهما وتحرير رد في الموضوع. وقد كتب ابن كيران في ذلك رسالة تقع في حوالي خمسين صفحة فند فيها آراء الوهابيين وخاصة ما يتعلق بتكفير المتوسل بالأنبياء والأولياء. وفي سنة 1811 عندما قرر المولى سليمان إرسال ولده إبراهيم إلى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج كلف ابن كيران بتحرير جواب رسمي على المذهب الوهابي، وقد حرره وفقاً لتعليمات السلطان فجاء أقل عُنفاً وتشدداً من مؤلفه السابق، لكنه يعكس نفس الموقف الرافض لتطرف الوهابيين ومغالاتهم في مسألة التكفير على الخصوص. وقد حمل المولى إبراهيم هذا الجواب معه، وكان بصحبته وفد من العلماء المغاربة كلفهم المولى سليمان باستطلاع آراء الوهابيين والتأكد من ممارساتهم.

توفي محمد الطيب بن كيران في السنة نفسها التي حج فيها ولد السلطان (1812)، وتركت وفاته فراغاً كبيراً على مستوى النخبة العالمة بفاس. وبموته في سنة 1227 / 1812 فقد المولى سليمان أهم سند كان يتوفر عليه في صفوف العلماء، وقد ظهر أثر ذلك في تلاشي الصلات التي كانت تجمعه بالعلماء، خاصة بعد هزيمة زيان في سنة 1819 وخروج أهل فاس عن طاعة السلطان مباشرة بعد ذلك.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 3، ص. 2ـ4 ؛ م. الطيب بن كيران، *رسالة حول الدعوة الوهابية*، مخطوط الخزانة العامة، رقم د 2594 ؛ ابن كيران والمولى سليمان، *جواب في مسألة الكسب*، مخطوط، رقم د 1838.

محمد المنصور

**كيران** (ابن -) **مَحمد** بن **العباس** بن **محمد** بن عبد الكريم، فقيه عدل، وثاني أبناء أبيه بفاس.

توفي في يوم 16 من في الحجة 1271 / 1852، ودفن بزاوية الشيخ ابن إبراهيم بدرب الحرة.

**كيران** (ابن -) **مَحمد** بن **عبد المجيد** بن عبد السلام، فقيه علامة، أديب شاعر، وأخ شقيق لمحمد الطيب المشهور بالتأليف والتصنيف ؛ وقد حذا حذوه، فكان له نظم في الجمل حادى به لامية ابن المجراد السلوي، وتقييد في أنواع البديع، وبسط المقبوض في مبادئ علم العروض، إلى غير ذلك من التقاييد والأنظام.

توفي يوم ثاني محرم الحرام 1214 / 1799 ودفن بروضة العلماء بالقباب خارج باب الفتوح.

**كيران** (ابن -) **محمد** بن **محمد**، فقيه علامة، ولد بفاس سنة 1317 / 1899، وكان مدرسا بالقرويين، وفي فجر الاستقلال أسندت إليه خطة القضاء، وسمي مستشارا بمحكمة الاستئناف، ثم تولى رياسة محكمة وجدة ؛ وكان في ذلك كله مثال الصدق والعفة والنزاهة.

وافته المنية يوم الاثنين 26 ذي الحجة 1398 / 1979 إثر حادثة سير في الطريق الرابطة بين وجدة وفاس، ودفن بروضة أولاد ابن كيران بالقباب، خارج الفتوح.

**كيران** (ابن -) **محمد** بن **محمد الطيب** فقيه تولى القضاء بمدينة الجديدة، ثم رجع إلى فاس مسقط رأسه، وبها أدركه الأجل المحتوم.

**كيران** (ابن -) **محمد** المدعو الـ**مشوه**، كان من كبار التجار ذا الكلمة المسموعة لدى المخزن يستشيره في كل صغيرة وكبيرة لها علاقة بالميدان الاقتصادي ؛ وقد تولى نظارة أحباس القرويين مدة، ثم تخلى عنها.

محمد حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، ج 7ـ8ـ9 ؛ عبد الكبير بن هاشم الكتاني، *وفيات الصقلي*، تح. أحمد العراقي ؛ عبد السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ*، الحسن بوعياد، *الحركة الوطنية والظهير البربري*.

عبد الرحمن القباج

**كيران** (ابن -) **المكي** بن **عبد السلام** من خيرة أعلام المغرب ممن اقترن اسمهم بالقرآن الكريم وقراءاته وتجويده، وُلد بفاس سنة 1911. وكان أول اتصال له مع القرآن الكريم عند دخول الكُتاب، فحفظه برواية ورش عن نافع على الفقيه سيدي أحمد البرنوصي بفاس ؛ ثم دخل جامع القرويين لطلب العلم ولكنه لم يلبث أن خَرج منه ليمارس التجارة بغرض إعالة أسرته ولم يكن عمله هذا ليمنعه من الارتباط بالعلم ودوام الصلة بأهله، فكان لذلك حريصاً على الاتصال بالعلماء يزورهم ويجالسهم ويُحضِرهم إلى بيته.

وفي أواخر الستينات صرف همته بالكلية إلى علم القراءات وبدأ في تحصيله من علماء المشرق الذين كان يلتقي بهم أثناء سفره إلى الحرمين الشريفين، وهو سفر كان يقوم به بشكل منتظم وقار كل سنة، من شعبان إلى المحرم. وقد تلقى في هذا الصدد عن شيوخ أجلاء في القراءات السبع والعشر من أمثال الشيخ عبد العزيز عيون السود شيخ قراء الشام والسيد محمد فتح شيخ القراء بالهند، والسيد عباس قاري أحد شيوخ القراءات ببخارى والسيد عبد الغفور الداروبي أحد كبار علماء الشام.

وفي هذه المدة رغب إلى العلامة السيد مولاي الشريف العلوي الذي كان يُتقن هذا العلم وكان مقيما بمكناس في أن يخصص لأهل فاس يوما يدرسهم فيه، فاستجاب لطلبه وذلك في سنة 1971 ؛ وبدأ يأتي يوم الأحد من كل أسبوع إلى القرويين فيدرس بها من العصر إلى العشاء. فلما تمكن الشيخ المكي من هذا العلم أخذ مشعل التدريس له فانطلق ينشره ويعلمه وكان أول ما بدأ به هو علم التجويد وذلك في الزاوية الصديقية بفاس كل يوم جمعة من العصر إلى العشاء، ثم انتقل بعدها إلى القرويين وهو مع كل ذلك يمارس عمله وتجارته، ولكنه في أوائل الثمانينيات اختار أن يتفرغ بشكل نهائي للقرآن الكريم بعد أن اعتزل التجارة، فكان يعقد مجالس متعددة في اليوم الواحد مع مجموعات متعددة وفي أماكن مختلفة منها في القرويين، ومنها في مسجد عرصة الطاهرين الذي بناه على نفقته في الحي الذي يسكن فيه. ومنها في منزله، وكان الطلبة يتوافدون إليه من كل جهة كل يقرأ عليه القراءة التي يريدها. وقد طلب منه مجموعة من علماء القرويين، أن يعلمهم التجويد فخصص لهم عشية الأحد واستفاد منه الكثير منهم. وبقي على هذه الحال حتى مرض سنة 1995. حيث لم يعد يقوى على الخروج، وبقي مع ذلك يدرس في بيته.

وتجدر الإشارة إلى أنه عندما كان يسافر إلى الديار المقدسة، كان يقوم بنفس ما كان يقوم به في المغرب حيث كان يدرس عليه الطلبة هنالك. وكانت له مجالس متعددة في اليوم الواحد، وهكذا تأتّى لطلبة كثيرين من سائر البلاد الإسلامية أن يأخذوا عنه ويتتلمذوا عليه، واعْتُبِرَ عُمدة في مجال التجويد والقراءات.

وقد اتصف إلى جانب ذلك بخصال رفيعة وأخلاق عالية كريمة حمل عليها نفسه وتزكى بها من طرف شيوخه في التصوف الذين كان أولهم الشيخ سيدي محمد بن الصديق الغماري (ت. 1354 )، ثم الشيخ سيدي عبد الكبير الصقلي الذي حظى بالدفن بجانبه خارج باب الفتوح بفاس، ثم سيدي محمد بن علال الوزاني والشيخ محمد بن الحبيب دفين مكناس.

وقد عرف بالتقوى والتواضع والأدب ولين الجانب والكرم وصلة الرحم وتفقد كل واحد من الأصحاب والإحسان إلى المساكين والأرامل واليتامى في صور نادرة وممارسات مثالية. وكان الشيخ الجليل سيدي عبد الله بن الصديق الغماري يسميه حاتم المغرب. ولأجل ذلك اجتمعت عليه القلوب وأقر له بالفضل القاصي والداني ووضع له القبول لدى كل الناس بجميع اتجاهاتهم ومشاربهم.

توفي يوم الخميس 19 ذي الحجة 1421 الموافق لـ 15 مارس 2001، وآخر ما سُمع منه "وبالحق أنزلناه وبالحق نزل" سورة الإسراء.

عبد السلام ابن كيران

**كيران** (ابن -) الـ**مرتضى** بن **بوبكر**، فقيه ولي الكتابة مع باشا فاس بوشتى ابن البغدادي الجامعي.

توفي في أوائل القرن الرابع عشر للهجرة وكان له عقب.

عبد الرحمن القباج

**كيرشبوم** (پيير -) Pierre Kirschbaum محامي فرنسي، كان من جملة المحامين الذين استقروا بالمغرب مثل "پول بوتان" "وجان شارل لوگران" الذي تفهم القضية المغربية ورافع لصالح مقاومين مغاربة دون مقابل، مما أثار حنق الغلاة من المعمرين الذين كادوا أن يفتكوا به في مناسبتين .. أما پيير كيرشبوم - وهو من هيئة محامي الرباط - فقد اختار أن يربط مصيره بكبار رجال المخزن المغربي الذين اتخذوا موقفاً مناهضاً لإجماع المغاربة حول ضرورة إعادة السلطان محمد بن يوسف إلى عرشه، كخطوة أولى لإنهاء الأزمة المغربية التي تفجرت مباشرة بعد 20 غشت 1953.

وهكذا فقد كانت لهذا المحامي علاقات مع عبد الرحمان الحجوي مدير البروتوكول قبل رحيل محمد بن عرفة، وقد كلِّف برعاية مصالح الحجوي، لذلك تم طرده من المغرب في 18 أكتوبر 1956.

*La Vigie Marocaine* (لافيجي كاروكين)، ع. 16248، الجمعة 19 أكتوبر 1956.

محمد وحيد

**گيسر** أو قيصر (مركز -) ترجع تسمية هذا المركز حسب باروكير كلاري (M. Barrouquère - Claret) إلى احتلاله لموضع مدينة قديمة كانت تدعى المدينة القيصرية. ويتم ربط ذلك بوجود آثار أسوار وبنايات قديمة لا زالت معالمها تظهر بوضوح على أرضية السوق الأسبوعي الحالي لهذا المركز.

ويتميز مركز گيسر باحتلاله لموضع وموقع لهما أهمية استراتيجية أكيدة، بحيث يقع على قمة سفح مجرى مائي موسمي يتعمق داخل هضبة الشاوية العليا ويتغذى من عين متفجرة بجوار هذا الموضع. ونظراً لتوفر الماء والتربة بمخروط الإرساب النهري الذي تكون عند قدم السفح، شكل هذا الموقع مجال استقرار قديم للسكان وللزراعة الموسمية والشجرية، الشيء الذي جعله يتخذ صبغة واحة وسط الجزء الجنوبي من الشاوية العليا التي تسود بها تربية الأغنام وزراعة الحبوب الخفيفة.

وترجع نشأة المركز الحالي لگيسر إلى عهد الاستعمار باتخاذ سلطات الحماية من موقعه مركزاً عسكرياً وإدارياً داخل تراب قبائل أولاد سي بن داوود. وبحكم قربه من سطات (25 كم) ظل هذا المركز يخضع لنفوذ هذه المدينة التي شكلت منذ ذلك العهد المركز الإداري الرئيسي للشاوية العليا برمتها.

ولم يعرف مركز گيسر انتعاشة عمرانية ملحوظة إلا بعد

إحداث إقليم سطات سنة 1967. وعلى إثر ترقية سطات إلى رتبة عاصمة إدارية لإقليم الشاوية تمت ترقية مركز گيسر إلى مستوى مقر لقيادة أولاد سي بن داوود. وقد شكل استقباله لبعض المرافق الإدارية تدريجيا انطلاقا من نهاية عقد السبعينيات عاملا أساسيا في هذه الانتعاشة التي تجلت في تنوع بنياته التجارية وفي إقبال السكان على الاستقرار به. فانتقل عدد سكانه من 216 نسمة سنة 1971 إلى 1361 نسمة سنة 1994. ويقدر عددهم في بداية القرن الواحد والعشرين بحوالي 3000 نسمة. ويؤكد ذلك التوسع العمراني الملحوظ الذي شهده المركز منذ بداية العقد الأخير من القرن العشرين.

يشكل القرب من سطات أحد العوامل التي تحد من دينامية مركز گيسر الذي يعد قطبا لا يستهان به داخل قبائل أولاد سي بن داوود ومحطة طرقية مهمة على الطريق الرابط بين سطات والبروج. ويتجلى تأثير هذا القرب من خلال استقرار حوالي نصف الموظفين العاملين بمختلف المرافق الإدارية لگيسر (حوالي 60 موظفا سنة 2003) بمدينة سطات. كما أن أغلبية أعضاء المجلس القروي المنتخب في نهاية سنة 2003 يقطنون أيضا بسطات. ونتيجة لذلك تظل نسبة مهمة من الدور المشيدة بالمركز غير مسكونة وخاصة بالتجزئات الثلاث المحدثة خلال العقدين الأخيرين. وكان إحداث هذه التجزئات بداية تشكل أحياء على النمط الحضري، على خلاف حي السكن الاقتصادي المشيد في إطار مساعدة للأمم المتحدة (P.A.M.) وحي السكن غير اللائق المحتل لما تبقى من الثكنة العسكرية الذين يغلب عليهما الطابع القروي.

وفي مقابل بطء وثيرة تطور الوظيفة السكنية تعرف أنشطة گيسر دينامية ملموسة. ويتجلى ذلك من خلال توفره على جهاز تجاري كثيف ومتنوع. فعدد محلات التجارة والخدمات بلغ في بداية سنة 2004 : 173 وحدة موزعة بين 35 صنفا، هذا فضلا عما يزيد عن 20 محلا تجاريا للخردة والخشب داخل الحيز المخصص للسوق الأسبوعي. وتعزى هذه الوفرة إلى كون كيسر قد أصبح يشكل مركزا تزود بالنسبة لأعداد كبيرة من التجمعات السكنية القروية المحيطة به، والتي يقيم بها أيضا عدد لايستهان به من التجار ومزاولي الحرف والخدمات. ويشكل ذلك عاملا آخر من عوامل محدودية دينامية التعمير بهذا المركز.

هكذا فمركز كيسر الذي اكتسب خلال نهاية القرن العشرين طابعا حضريا جليا ظل قرويا من حيث الاعتماد الكلي لأنشطته على الأرياف المحيطة به. ويتأكد هذا الطابع أيضا من خلال الدور الذي يضطلع به كيسر كأول سوق أسبوعي لقبائل أولاد سي بن داوود وأحد الأسواق الكبرى للشاوية على الإطلاق وخاصة في ميدان تجارة الأغنام والحبوب والقطاني وفيما يتعلق بتزويد سكان الأرياف بمختلف البضائع والخدمات.

ويتمثل أهم تحول شهده مركز گيسر وأبرز مميزاته في انتقاله من تجمع صغير يقوم على الوظائف التي تحولها له طبيعته كنقطة ماء وكموقع دفاعي استراتيجي إلى مركز يتنامى حجمه ويفرض يوما بعد يوم وجوده كتجمع تجاري وكقطب إداري وكمحطة طرقية، الشيء الذي من شأنه أن يساهم في تطور حجمه الديموغرافي.

M. Barrouquère - Claret, *Settat, centre historique de la Chaouia*, Ed. Larose, Paris, 1919, 200 p. ; M. Chouiki, *Settat et son rôle régional,* Doctorat de Troisième Cycle, Université de Tours, 1985, 471 p.

المصطفى شويكي

**الـگيش**، لعل اللجوء إلى قبائل معينة وإعفاءها من أداء الضرائب الشرعية، وما شابهها من الكلف والمغارم، ومنح رجالها أراضي فلاحية يستغلونها مقابل الخدمة في الجندية مدى الحياة، لظاهرة متميزة وعريقة في تاريخ المغرب، ترجع على الأقل إلى عهد الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580 . 599 / 1174 . 1199 )، حين أقدم على ترحيل قبائل بني هلال العربية، وأسكنهم في منطقة الغرب، متخذاً منهم جيشا في خدمة الدولة. بيد أن هذه المجموعات القبلية لم تندمج نهائيا في مؤسسة الجيش ولم تحتل مكانة مرموقة في دواليبها إلا مع السعديين، بالرغم من كون هؤلاء لم يعتمدوا عليها وحدها، حيث عملوا على تأسيس جيش نظامي تطعم صفوفه بعناصر محلية وأجنبية.

وقبل التعرض إلى هذا الجانب، تجدر الإشارة إلى أن مؤسسة الجيش كانت تعد من الدعائم الأساسية في نشأة ومصير الدول بصفة عامة، وضمنها الدول العربية الإسلامية طبعا، والمغرب بصفة خاصة. ونقصد بهذا الدور الحاسم الذي كانت تضطلع به هذه القوات العسكرية، سواءٌ كانت نظامية ومنقادة للدولة، أو عبارة عن حشود قبلية أو من المتطوعة، في نشأة الدول التي تعاقبت على الحكم في المغرب، وضمان وجودها وتوسيع رقعة نفوذها أو ضمورها واندراس معالمها على أن طبيعة تكوين هذه القوات وأصولها ومشاربها الاجتماعية والثقافية، وكذا مستوى تكوين وتدريب رجالها، ونظام ضبطهم والتحكم فيهم، سواء وقت السلم، أو في ميادين القتال، كلها عناصر ومؤشرات كانت تختلف طبعا من قطر إلى آخر، وتعكس المستوى الحربي والتقني والمادي والثقافي للمجتمع والكيان السياسي اللذين تنتمي إليهما وتُؤتمر بأوامرهما.

ولا بأس أن نستدل هنا بما ورد في رسالتين مخزنيتين حول المكانة الخاصة والمتميزة لفرق الگيش ورؤسائه في الدوائر المخزنية العليا. الأولى وهي بتاريخ 20 رجب 1290، الموافق 13 شتنبر 1873، وجهها الحاجب موسى بن أحمد إلى السلطان الجديد مولاي الحسن، يومين فقط بعد عقد البيعة له بمدينة مراكش، يلتمس منه فيها الاعتناء بأحد قواد گيش المغافرة بالحوز يدعى محمد بن الطيب بودلاحة، والمتوجه صحبة جماعة من إخوانه إلى ناحية بوريقي بحاحة، حيث كان

مولاي الحسن هناك على رأس جيوشه، وذلك : "بقصد التعزية وأداء البيعة ... فكتبنا صحبته هذا ننبّه سيدي على خدامه ليباشرهم بما ينبغي أن يباشروا به من طيب الكلام والوعد الجميل والمبالغة في الدعاء لهم، فإنهم خاصة جيشه السعيد كما لا يخفى وينقلونه لإخوانهم وأولادهم ويقع منهم موقعه ..."

وأما الرسالة الثانية، فهي لشخص يدعى عمر بن سعيد، وجهها إلى الوزير الصدر أحمد بن موسى، يقترح فيها ما يراه مناسبا لإنهاء النزاع المشتعل بين قبيلتي الشراردة وبني أحسن، حيث كتب يقول : "... وعليه، فنحب من سيادتك أن تنهي أمرهم لمولانا المؤيد بالله، يجبر حالهم بعزل العمال عنهم هذه الساعة، وبتوجيه من يصلح بهم على كل فريق، تسكينا لروعتهم، لأنهم جناح من أجنحته لا مندوحة له عنهم..."

وترد في كتابات الإخباريين المغاربة وكذا بعض الوافدين على المغرب من الأوربيين، ارتسامات وملاحظات أصحابها، حول أنواع فرق قبائل الگيش، ومواطنها، ومكانتها في الجهاز العسكري، في تواريخ مختلفة من القرن التاسع عشر، لا بأس أن نستأنس بما جاء في بعضها.

ففي سنة 1810 ، وفد على المغرب الضابط الفرنسي النقيب بورل (Cap. Burel) ، في محاولة استمالة السلطان مولاي سليمان لتأييد سياسة الأمبراطور نابليون بونابارت (Napoléon Bonaparte) في حوض البحر المتوسط الغربي. وبالمناسبة، أعد مذكرة حول الجيش المغربي، نقتبس منها ما يلي : "... يتكون جيش الأمبراطور من جند تؤدى لهم رواتب، ومن فرق القبائل، ثم من العناصر التي كانت تعسكر دوما في جهات مختلفة من الأمبراطورية، وبالخصوص في تطوان، وطنجة، وأصيلة، ورباط الفتح، والصويرة ...".

وأما صاحب *"اختصار الابتسام"*، فيقول بدوره :

"... وأصناف جيشه (السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام) من خمس قبائل، وأكثرهم الجيش البخاري الذين بمكناس، ثم يليهم في الكثرة الجيش الفاسي أولاد جامع وشراگة ؛ ويليهم أهل الأوداية الذين بمراكش، ويليهم الشراردة وهم الذين في ءازغار، ويليهم الأوداية الذين تفرقوا في رباط الفتح، والعرائش، ووادي نفيس بسبب ما وقع منهم في الفتنة عليه كما سبق ...".

ويقول العربي المشرفي هو الآخر، في سياق حديثه عن مؤسسات الدولة المغربية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، ما يلي : "... فجيوشه الملازمون لخدمته حضراً وسفراً خمسة قبائل بل ستة،بخاري، وشرگي وجامعي، وشرادي، وأودي، وأهل سوس المنشية، وجيوش الثغور الريفية، وكلهم أهل خيل ؛ وعساكره الرجليه ليس لهم قبيلة مخصوصة، بل هم من سائر القبائل...".

من جهة أخرى، أكّد عدة مرات النقيب إركمان (Erckmann)، رئيس البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب، في تقاريره التي يرفعها إلى الحاكم العام بالجزائر، أو وزير الحرب بباريز، على الأهمية والمكانة المتميزتين لفرق الگيش، معتبراً إياها العمود الفقري لقطاع الجيش بصفة عامة. وهذا يعني أنه حتى أواسط العقد الثامن من القرن التاسع عشر على الأقل، ظلت هذه الفرق تهيمن على المؤسسة العسكرية، وتمثل أهم قوة عسكرية منظمة ورادعة بيد المخزن، إلى جانب فرقة عبيد البخاري، بالرغم من تناقص أعداد رجالها هي الأخرى، على امتداد الفترة، موضوع بحثنا هذا.

وكانت هذه القبائل تتكون أساسا من الأوداية، والشراردة، واشراگة وأولاد جامع، وأهل سوس. ويذكر هذا الضابط الفرنسي كذلك بأن فرقة اشراگة وبطونها الرئيسية، أولاد جامع، وحميان، وبني سنوس، وبني عامر، والشجع كانت تهيمن في وقته على باقي الفرق الأخرى.

على أن نفس الملاحظة تنطبق على فرقة الأوداية هي الأخرى، في الفترة السابقة، باستثناء الفترة ما بين 1830 و1847 ، حيث أبعدت عن تنظيم الگيش، بسبب تمردها على السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام. ومهما يكن من أمر، فإن حظوة قبيلة أشراگة ترجع إلى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (1276 ـ 1290 / 1859 ـ 1873)، ويرجع السبب في ذلك إلى مجموعة من العوامل، من أهمها تدخل الوزير العربي بن المختار الجامعي الحاسم، بصفته وقتئذ قائداً لقبيلة اشراگة وأولاد جامع لنصرة السلطان الجديد، وإفشال مساعي الأمير مولاي عبد الرحمن بن سليمان الذي، ما أن علم بوفاة المولى عبد الرحمن بن هشام، حتى غادر منطقة تافيلالت قاصداً مدينة فاس، ينشد حكم والده.

هذا، وقد تعززت صلات ءال الجامعي بالسلطان سيدي محمد فيما بعد، حين صاهره الوزير العربي الجامعي المذكور، بأخته السيدة فاطمة بنت المختار، الأمر الذي انعكس طبعا إيجاباً على كافة قبيل اشراگة وأولاد جامع. ثم علينا ألا ننسى كذلك أن مجموعة من القادة المرموقين المنتسبين إلى نفس الفريق، قد استطاعوا البروز والتفوق على أقرانهم، سواء في ميادين القتال، أو في تدبير شؤون بعض الحواضر والقبائل، كآل بوشتى بن البغدادي، وآل أبَّ محمد الشرگي الذين تعاقبوا على باشوية فاس الجديد وقيادة قبيلة اشراگة وأولاد جامع، طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول بأكمله من القرن العشرين.

وأما الأوداية، وهم من أعراب بني معقل، فقد سبق أن نقلهم من مواطن استقرارهم بالصحراء جنوبي المغرب، السلطان أحمد المنصور الذهبي (986 ـ 1012 / 1578 ـ 1603 )، وأقرهم في منطقة أزغار، متخذا منهم جيشا في خدمة الدولة السعدية، "... مراغمة لعرب جشم من الخلط، وسفيان وغيرهم ...".

وتنقسم القبيلة إلى ثلاثة فروع رئيسية، وهي أهل سوس، والمغافرة، والأوداية. ثم إن الإخباريين المغاربة يسهبون في الحديث عن ملابسات وظروف تجنيدهم العجيبة

من قبل السلطان مولاي إسماعيل (1140 ـ 1083 / 1672 ـ 1727). غير أن الأكيد والثابت في هذا كله، هو أن زواج هذا الأخير بإحدى سيدات القبيلة، وتحديداً من فصيل المغافرة، قد عزز ووطد نفوذ ومكانة القبيلة بأجمعها، في الجهازين المخزني والعسكري على السواء.

وأما الفريق الثالث المهم في تشكيلة قبائل الگيش هاته، فهي قبيلة الشراردة الذين ينتمون بدورهم إلى مجموعة بني معقل الصحراويين، ويتوزعون على الفصائل البارزة الآتية : زرارة، والشبانات، وأولاد دليم، وتكنة، وعامر، بالإضافة إلى فصائل أخرى أقل عدداً وأهمية، كأولاد إدريس وإداوبلال.

وكان هؤلاء الشراردة مستقرين بالزاوية التي تحمل اسمهم في حوز مراكش، فتمردوا على السلطان مولاي سليمان (1206 ـ 1238 / 1792 ـ 1822) أولا، ثم على خلفه ابن أخيه مولاي عبد الرحمن بن هشان (1238 ـ 1276 / 1822 ـ 1859) الذي تغلب عليهم ونقلهم، أواسط العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجري، إلى ناحية أزغار، معززاً بهم صفوف قبائل الگيش بمنطقة الغرب. وفيما بعد، أدمجت عناصر أولاد دليم وتكنة في صفوف گيش حوز مراكش، في بداية عهد مولاي الحسن (1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1894). فأصبح هؤلاء الشراردة يتوزعون على ثلاثة مواقع، منطقة أزغار على ضفاف وادي الرضم، وغزوان بناحية فاس، وشمالي مدينة مراكش. على أن أهم تجمع بشري لهم هو الذي كان بأزغار، حيث انتشروا في هذا المجال الفسيح والغني فلاحيا على النحو الآتي :

- في جنوبي المنطقة، ما بين سيدي قاسم ومولاي يعقوب، استقر أولاد دليم.
- في الوسط، زرارة.
- في الشمال، قرب سيدي گدّار، الشبانات.

ومن جهة أخرى، كانت مجموعات من قبائل الگيش الثانوي وغيرها تتخذ مقراً لها بعض كبريات المدن والمراسي كفاس ومراكش ومكناس والعرائش والصويرة مثلا، مثلما أقر عبيد البخاري في مكناس.

وهكذا، استقرت مجموعات من هذه الوحدات بفاس "العليا"، أو "البيضا". أي فاس الجديد، مكونة ما تسميه الوثائق المخزنية "الجيش الفاسي" وهي :

- إداوبلال وأولاد إدريس.
- ءال تافيلالت وما انضاف إليهم من العناصر من توات، وجبالة، وأهل الريف على الخصوص.

وأما گيش "أهل سوس المنشية"، أو "الجيش السوسي السعيد"، والمستقر بقصبة مدينة مراكش، فقد ورد ذكر عناصره في هامش رسالة الباشا إبراهيم بن سعيد الأجراوي إلى الحاجب موسى بن أحمد على النحو الآتي :

المنابهة وعددهم 100 (12 منهم فروا من الخدمة).
أولاد يحيى " 111 (7 " " " ).
الرحالة " 106
أندوزال " 106
هوارة " 112 (14 " " " ).
اشتوكة " 75 (2 فرا من الخدمة).
آيت سمگت وعددهم 100
إداوزداغ " 100
منتاگة وآيت اگاس " 050
مسكينة " 125
گطيوة " 030
سندالة " 030، أي ما مجموعه 1045 جندي.

وورد ترتيب آخر لهذه الفرق في وثيقتين أخريين، الأولى بتاريخ ربيع 2 سنة 1287، الموافق يوليو 1870، والثانية بتاريخ 8 محرم 1289، الموافق 18 مارس 1872، على النحو الآتي :

البخاري، دمنات، الشبانات، هوارة، المنابهة، الرحالة، سمگت، الوصفان، القبلة، الحرار، أگدير، زمران، المحاميد، أولاد يحيى، اشتوكة، أهل أسرير. وبلغ عدد الفرسان والرماة والصبيان في الأولى : 407، و1614، و1110 ؛ وفي الثانية : 405، 1696، و1112.

وإلى جانب هذه الفرق الرئيسية، دأب السلاطين، بين الفينة والأخرى، على تجنيد عناصر من قبائل أخرى، وتوطينها في أماكن استراتيجية وحساسة، جاعلين منها نوعا من "الگيش الثانوي". وكانت هذه العناصر تنتمي على الخصوص إلى قبائل گسيمة، ومسگينة، والمنابهة (سوس)، وآيت يمور، والمنابهة، وأولاد مطاع، وحربيل (حوز مراكش)، وقطاية، وسمگت، وبني معدان، وبني ملال (گيش آيت الربع بتادلة)، والجيش الريفي من عناصر مختلفة (فحص طنجة)، والعرائش، وآيت خباش (تافيلالت)، ومجاط (ناحية مكناس)، وآيت إسحاق، وآيت عياش (الأطلس المتوسط)، وآيت يمور (تخوم الأطلسين المتوسط والكبير)، ثم رحلوا إلى تادلة، ومنها إلى منحدر جبل سلفات وسهل سبو بالغرب، وأخيراً استقروا بأحواز مدينة مراكش، والرحامنة، وعبدة...

هذه إذن، نظرة موجزة عن قبائل الگيش التي كان المخزن يعول عليها في كل وقت وحين، في تدبير شؤون البلاد، في المجالين المدني والعسكري، مانحا إياها عدداً من الامتيازات، الأمر الذي بوّأها مكانة متميزة، ليس في قطاع الجيش فحسب، بل في الجهاز المخزني كذلك. ومن ثمة تشبث عناصرها، قواداً وجنداً، بمكتسباتهم ومعارضتهم كل تغيير وتحول في هياكل وبنى الجيش، مساهمين بذلك في إفشال كل الجهود والترتيبات التي كانت تهدف إلى تطوير المؤسسة العسكرية وتحسين وضاعها المتردية.

أما عن أعداد جند الگيش، ورواتبهم، ومؤنهم. فمن

شأن الجدول الآتي أن يعطينا نظرة عن العدد الإجمالي لقبائل الگيش، أو على الأقل لبعضها، في تواريخ مختلفة من القرن التاسع عشر، علما بأن هذه الأرقام تمثل أعداد جميع أنواع الفرق، أي الرماة، والخيالة، والمدفعيين، والعسكر، و"المسخرين"، و"المشاورية" :

| الوحدات | الأعداد | التاريخ | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| الگيش كله | من 15إلى 18000 | 1810 | |
| " " | 19360 | 1836 | عدد العبيد السود، في نفس السنة، بلغ 10000 رجل. |
| " " | 5170 | 1899 | يتضمن هذا العدد عناصر من المنابهة، وآيت الربع، بينما كانت أعداد القبائل الرئيسية على النحو التالي : الشراردة : 2540 شراگة ـ أولاد جامع : 1325 الأوداية : 1110 |
| الأوداية | من 7 إلى 8000 | 1810 | |
| " " | 5000 | 1825 | |
| " " | 693 | 187 | أهل سوس ـ الرباط |
| " " | 301 | 1876 | عسكرهم بكل من رباط الفتح وحوز مدينة مراكش |
| شراگة | 3235 | 1861 | |
| " " | 3517 | 1874 | |
| الشراردة | 429 | 1876 | يمثل هذا الرقم مجموع عدد عسكر الگيش الشرادي بأزغار، موزع على أربع مآت وهي : ـ مائة الشبانات : 102 ـ مائة زرارة : 101 ـ مائة أولاد دليم : 172 ـ مائة تكنة : 54، مع الإشارة إلى أن كل مائة بها إطارا، بالإضافة إلى قائد رحى هذا العسكر وقتئذ، وهو مبارك بن الشاوية الدليمي |

وتسمح لنا المصادر بالتأكيد على العناية الخاصة والمتواصلة التي كان يوليها كل من مولاي عبد الرحمن بن هشام ومولاي الحسن لقطاع الجيش والعسكر عموما، ولتنظيم فرق الگيش على الخصوص، وكلا العاهلين طبعا كانت له دوافعه ومبرراته، لا شك أن ظروف البلاد وأوضاعها قد اقتضتها، في فترة حكم كل واحد منهما، وعلى ضوء ما طرأ من تحولات على علاقات المغرب مع بعض الدول الاستعمارية الكبرى.

ونذكر، في هذا الصدد، ما جاء في ديباجة سجل من سجلات الخزانة الحسنية في موضوع الجيش، حول امتثال مولاي الحسن لما ورد في الكتاب والسنة "... في الاستعداد للإرهاب بتكثير العساكر والآلات، وتوفير الأجناد، إذ بذلك يمكن عن دين الله الدفاع، وتقام الشرائع، ويكثر الانتفاع والتعاون على هذا الأمر المحمود من مهمات الدين، وإقامة سنة الحق بين المسلمين ..." ولهذا، أمر وزير الحرب الفقيه عبد الله بن أحمد، صنو الحاجب موسى بن أحمد، بإحصاء أفراد الگيش والعسكر، وذلك بوضع قوائم دقيقة تتضمن أسماءهم، وأنسابهم، وأوصافهم، ومحل استقرارهم، لينضبط أمرهم وتستقيم أحوالهم.

وأما مضمون هذا السجل، فيتعلق بطبجية وعسكر گيش شراردة منطقة أزغار وما كان بحوزتهم من السلاح. وقد ذكرت أسماؤهم وأنسابهم، وأوصافهم ومكان سكناهم ونوع النشاط الذي كانوا يتعاطونه، خارج أوقات الخدمة في الجندية. فكان عدد الأولين 197 طبجيا، وعدد الآخرين 384 عسكريا.

وأما "الگيش الفاسي"، ومقره فاس العليا، فكان يتكون من الوحدات الآتية : إداويلال وأولاد إدريس، ءال تافيلالت، عبيد البخاري، ءال سوس المنشية : وكان منهم، طبعا، الخيالة، والرماة والمدفعيون كانوا يشتغلون في القصور السلطانية، "كالشويردات" (وهم أطفال صغار يتخذون أعوانا)، و"الصبيان"، و"البوابة"، و"الجناينية".

إن ما أوردناه من أرقام، قد لا يساعد بما فيه الكفاية على استبيان اتجاه تطورها، أهو تصاعدي، أم تراجعي ؟ إلا أن الأرقام التي تمكنا من الظفر بها حول أعداد مختلف فرق الگيش وعبيد البخاري، تساعد على تلمس الاتجاه التراجعي لهذه الأعداد، وذلك على امتداد القرن التاسع عشر بأكمله، ولا سيما في النصف الثاني منه.

وقد أشار المؤرخ جان لوي مييج إلى هذه الظاهرة، على مستوى تنظيم الگيش. فبعد أن كان عدد رجاله يقدر بحوالي 20.000 فرد في بداية القرن التاسع عشر، تراجع إلى حوالي 9000 فرد سنة 1883، ليصبح في مطلع القرن العشرين، لا يُناهز 4000 عنصر.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار مرامي وتوجهات الدولة في قطاع الجيش، وكذا ظروف البلاد الداخلية من جهة، والمستجدات على الساحة الأوربية من جهة أخرى، ناهيك عن الهزائم والنكسات التي منيت بها قوات المغرب الحربية، في وقعة إيسلي سنة 1844، ثم في حرب تطوان سنة 1859 ـ 1860 من جهة ثالثة، ربما أدركنا الخلفيات والأسباب التي ساهمت في التعجيل بتحييد دور قبائل الگيش، ومكانتها المتميزة في الجهاز المخزني، مع توالي الأيام والسنين في القرن التاسع عشر. وبدا هذا الاتجاه واضحا، بل غدا واقعا ملموساً، ابتداءً من سنة 1845، عندما شرع في تأسيس نواة عسكرية جديدة، نظمت على الطريقة الحديثة في فنون الحرب، وانضوى أفرادها كلية في سلك الجندية، دون الاشتغال في حرفة غيرها. وقد أريد لجل رجال العسكر الجديد الذي دعي بـ "جيش النظام"، أن يكونوا رماة وطبجية، أي أنهم يعملون في سلاح المدفعية، علما بأنه إلى حدود هذا التاريخ، ظلت نسبة المشاة إلى الخيالة جد ضئيلة.

وأما الأجور والرواتب التي كان المخزن يؤديها للجند،

فضلا عما كان يخصهم به من امتيازات وإنعامات، فإنها كانت أكثر انتظاما وأكبر قيمة نسبيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، مما صارت عليه في النصف الثاني من نفس القرن، وذلك طبعا لأسباب اجتماعية، واقتصادية، ومالية على الخصوص، علاوة على الأسباب التي أفرزها تطور علاقات المغرب بالدول الأوربية. ولا شك أن هذه الملاحظة تنطبق تماماً على فترة حكم المولى عبد الرحمن بن هشام، حيث اهتم دوما بقطاع الجيش بصفة عامة، وبقبائل الگيش بصفة خاصة، بعد أن عانى الأمرين، في بداية عهده، من الاضطرابات والفتن التي تسبب في إضرامها كل من الأوداية والشراردة.

وبالرغم من هذا وذاك، فإن المخزن كان يعول على أفراد تنظيمات الگيش [وعبيد البخاري، في ضمان الأمن في الطرق والمسالك الكبرى] وبالخصوص فيما كان منها ينطلق من الحواضر الكبرى كفاس، ومكناس، ومراكش، والعدوتين رباط الفتح وسلا أو يؤدي إليها، فضلا عن تكليفهم بحراسة المرافق والمؤسسات الحساسة في المدن المذكورة وغيرها، كالقصور السلطانية، وبيوت المال، ومخازن ومستودعات العتاد الحربي والذخيرة، وأماكن سكنى كبار أعوان المخزن، والسجون ...". أضف إلى هذا أن باشوات الگيش وعبيد البخاري، وقوادهم بمختلف رتبهم العسكرية، بدءاً من المقدم وانتهاء بقائد الرحى، كانوا يتمتعون بحظوة ومكانة رفيعتين لدى السلاطين. ومن ثمة تعيينهم مثلا في المناطق النائية من البلاد، وبالخصوص في مناطق الحدود أو في التخوم الشرقية والجنوب الشرقية كما في الشمال، كوجدة وناحيتها، وفگيگ، وتوات وباقي الواحات في المناطق الصحراوية المغربية، ومنطقة الريف وگلعية، في قصبة جَنَّادة مثلا، أوعلى رأس مدن تقع في مجال جغرافي وطبيعي وعرو متمنع، وسط سديم من القبائل المناوئة لكل وجود أو سلطة مخزنية، كمدينة تازة مثلا، أو تارودانت أو تيزنيت. وبقي أن نشير هنا إلى نقطة وردت معطيات حولها في مصادرنا، وهي تكليف قواد قبائل الگيش وعبيد البخاري بمهام محددة في الزمان والمكان، إما تسخيرية أو تحكيمية، كاستخراج مستحقات المخزن مثلا من الضرائب وغيرها من الفروض والواجبات، ممن ظلت ذمته عامرة بها، أو كتبليغ أوامر المخزن ونواهيه، أو كالوقوف في عين المكان على فض وحل النزاعات والمشاجرات التي كانت تحدث، بين الفينة والأخرى، بين هذه الأطراف حول امتلاك حقوق الانتفاع من مصادر المياه. أو حول كيفية وطرق توزيعها واقتسامها بين ذوي الحقوق من القبائل المجاورة، أو حول المراعي وأراضي النجعة، أو حول أعمال الاغتصاب المختلفة للأرواح والممتلكات.

ونختم بذكر أسماء مجموعة من الأسر من تنظيم عبيد البخاري وتنظيمات الگيش الأخرى التي برز واشتهر عدد من أبنائها في الخدمة المخزنية، إما كقواد عسكريين أو خدام من خدام المخزن المرموقين، على النحو الآتي :

- عبيد البخاري :
  - ءال أحمد بن مبارك (جد أبّ أحماد)
  - ءال الخضر السلوي
  - ءال بريك الحَبْشي
  - ءال فرجي
  - ءال الجيلاني بن حم
  - ءال خنيشيش
  - ءال بن يعيش
  - ءال بن العلام
  - ءال الفشار
- أشراگة وأولاد جامع.
  - ءال المختار بن عبد المالك الجامعي
  - ءال بوشتى بن البغدادي
  - ءال علي بن الجيلالي الراشدي الطُّرَيْمي
  - ءال ولد أبّ محمد الشرگي
  - ءال بوشنافة
- الأوداية.
  - ءال الطاهر بن مسعود المغفري الحسَّاني
  - ءال إدريس بن حمان الجراري
  - ءال العربي بن بوعزة الأودي
  - ءال الطيب بن محمد بودلاحة
- الشراردة وأهل سوس.
  - ءال مبارك بن الشَّلَيح الدليمي
  - ءال عبد الله الزراري
  - ءال إبراهيم بن سعيد الأجراوي
  - ءال المنبهي
  - ءال محمد بن ويدة السوسي (هو بخاري أصلا)
  - ءال أحمد أمالك السوسي


محفظات وكنانيش الخزانة الحسنية بالرباط (1792 ـ 1912) ؛ كنانيش الخزانة العامة بالرباط ؛ محفظات مديرية الوثائق الملكية بالرباط ؛ محفظات وسجلات الخزانة الصبيحية بسلا ؛ عبد الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، المطبعة الوطنية، الرباط، 1929 ـ 1933، 5 أجزاء ؛ *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، الرباط، 1961 ، جزءان ؛ محمد بن الحسن الحجوي، *اختصار الابتسام عن دولة ابن هشام*، مخ. خ. ع. ر، رقم ح 113 ؛ العربي بن عبد القادر المشرفي، *الحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجرفي، الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس*، مخ. خ. ع. ر، رقم ك 2276 ؛ أحمد بن خالد الناصري، *كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، ج 9 ؛ وثائق خزانة الحرب بفانسن (A.G.V.) ؛ سلسلة 3H (1792 ـ 1912).

Delmas (Cap. Fort.), Etudes sur les guiches

marocains, Paris, *B.G.R., n° 1409, 1948* ; Le Coz (Jean), Les tribus ghichs au Maroc, Essai de géographie agraire, *R.G.M., n° 7, 1965* ; Michaux-Bellaire (Ed.), Les tribus arabes de la vallée du Lekkous, *Arch. Mar., vol. 4, 1905* ; Le Gharb, *Arch. Mar., vol. 20, 1913* ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1830-1894*, Edit. PUF, Paris, 1963, 5 tomes.

مصطفى الشابي

**الكيف** ، تنتمي نبتة الكيف إلى فصيلة كنابيس ساتيفة من النوع الهندي، وتنمو مع مطلع فصل الربيع في المناطق الرطبة والمعتدلة. يستمر نموها فصلين كاملين إذ يتم جمع المحصول في نهاية الصيف وبداية الخريف. وتتكون نبتة الكيف من جذور غير عميقة يكفي أن تكون مغطاة تحت التراب ومنها يخرج البرعم الذي يُكون النواة الأولى للجذع الذي يصل طوله إلى أزيد من مترين ونصف، يحيط بالجزء الصلب منه نسيج من الخيوط، وعلى طوله تتفرع أغصان صغيرة. ويُغطي الجزء الأعلى من كل الأغصان أوراق مسطحة الشكل، وتنمو بجانبها رؤوس مكدسة مزهرية يطلق عليها الفلاحون اسم "العيون" وهي التي تُستعمل في التدخين واستخراج المواد المنشطة. ونبتة الكيف هي في الأصل مؤنث غير أنها تحتاج إلى مذكر ينمو بجانبها إلى حدود مرحلة متقدمة ليبدأ في إفراز حيوانات منوية تنتقل إلى الأنثى لتلقيحها. ومع استنزاف الذكر لقواه تصفر أوراقه ويجف عوده فيتم انتزاعه ليترك المجال للأنثى لنموها إلى أن تصل إلى مرحلة النضج. وتعتبر نبتة الكيف من أقدم النباتات التي اهتم بها الإنسان إذ أن الصينيين كانوا أول من تنبه إلى الدور الغذائي لحبة الكيف منذ آلاف السنين قبل الميلاد، ثم تطور استعمالها إلى استخراج مادة الخيط من أغصانها. إلى جانب هذه الاستعمالات عمد الصينيون إلى استغلالها في صناعة الأسلحة إذ أنهم اكتشفوا أن قوس الرماية المصنوع من أغصان الكيف أكثر ليونة وصلابة من القصب، الشيء الذي دفع بالأباطرة الصينيين إلى تخصيص بعض أراضي الدولة لإنتاج الكيف قصد صناعة الأدوات الحربية. كما أن الصينيين أول من استخرج الورق من نبتة الكيف وكانت البداية تقتصر على إحراقها في المعابد وأثناء المآتم الجنائزية. وحرص الصينيون على الحفاظ على سر استخراج الورق من نبتة الكيف إلى حدود القرن الخامس قبل الميلادي لتنتقل، بعد ذلك، إلى اليابان ومنها إلى الشرق الأوسط. إلى جانب هذه الاستعمالات عمد الصينيون إلى استغلال نبات الكيف في صناعة الأدوية، حيث كانت توضع أوراق الكيف الخضراء على الجراح من أجل تلحمها. كما كانت حبات الكيف تدخل بدورها في تحضير مجموعة من الأدوية الطبية وكذا في مجموعة من الوجبات الغذائية. ثم انتقلت نبتة الكيف من الصين إلى المناطق المجاورة في اتجاه شبه الجزيرة الهندية وآسيا الوسطى. ومع هجرات الشعوب الهندوأوربية في اتجاه أوربا الغربية انتقلت معهم هذه النبتة، إذ يُشير هوميروس، خلال القرن الخامس ق. م.، في الإلياذة إلى أن "هيلينا" عمدت إلى تحضير مشروب منشط من النبات لزوجها ساعده على الخروج من الكآبة والحزن الذي كان منغمسا فيه. وانتشرت زراعة الكيف في حوض البحر الأبيض المتوسط خلال توسعات الرومان حتى أن الإمبراطور "غاليوس" خلال القرن الثالث الميلادي نصح باستعمال الكيف لضمان السعادة والحيوية. وكان الرومان يمتلكون حقولا شاسعة من الكيف في جبال الألب الإيطالية وبلاد غاليا. وتعددت استعمالاته لتشمل ميادين صناعة الألبسة وسقوف البنايات وكذا بعض المواد الغذائية واستخراج بعض الأدوية وبذلك أصبحت هذه المادة مثل باقي المواد الحيوية التي كانت روما تستوردها من باقي ولاياتها في حوض البحر الأبيض المتوسط. بيد أنه مع انتشار المسيحية في أوربا الغربية عمدت الكنيسة الكاثوليكية إلى تحريم المواد المستخرجة من نبتة الكيف سواء في الطقوس الدينية أو لتحضير الموائد الغذائية، الأمر الذي دفع بأباطرة العهد الروماني إلى فرض نوع من الرقابة على زراعة واستعمال الكيف في مجموع الولايات الرومانية إلا بالحصول على ترخيص من طرف الإمبراطور. واسترجعت زراعة الكيف مكانتها مع بداية القرون الوسطى ومرحلة توحيد أوربا الغربية في عهد "شارلمان" قصد النهوض بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعيش عليها أوربا خلال هذه الفترة، وساهمت الكنيسة في استرجاع هذه المكانة بإصدارها لمراسيم تبيح استعمال الكيف من أجل إنتاج الورق والزيوت وكذا في تحضير الأدوية. وفي سنة 1455 طبع كوتنبرغ Guttenberg أول إنجيل على الورق المستخرج من الكيف، الشيء الذي شجع على إعادة انتشار هذه النبتة في أوربا الغربية مما سمح بخلق مجموعة من المانيفاكتورات الصناعية لإنتاج القنب والورق والأقمشة ما بين القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي. ونتج عن هذه التطورات الصناعية بأوربا الغربية أن دخلت هذه الأخيرة في مغامرة الكشوفات الجغرافية الكبرى، إذ انطلق كريستوف كولومبوس في اتجاه أمريكا سنة 1492 وشراع سفنه وحبالها مصنوعة من مادة الكيف. وأحدثت هذه المغامرة ثورة في الأسطول البحري لباقي بلدان أوربا الغربية إذ أنها أكدت أن الأشرعة والحبال المصنوعة من خيوط الكيف، تمتاز بليونتها ومقاومتها للرطوبة والملوحة. وأصبحت معظم دول أوربا الغربية تعرف انتشار زراعة الكيف لسد حاجياتها التي تزايدت مع الثورة الصناعية. ومع بداية القرن العشرين تزايدت حاجيات أوربا إلى مادة الكيف خاصة مع الحروب العالمية الأولى والثانية، حيث أصبحت أوربا في حاجة إلى المزيد من المواد الصناعية التي تعتمد على الكيف لصناعة الأسلحة والأقمشة واستخراج المواد الطبية. ومع نهاية الحرب العالمية الثانية إلى بداية الستينيات أصبح الاهتمام بالكيف ذا طابع اجتماعي حيث اتخذته المجموعات المناهضة للحروب

وسيلة لإثارة الانتباه إلى احتجاجاتها. فمع بداية الستينات من القرن العشرين رفع جيل الهيبيين Hippies شعار إباحة استهلاك الكيف وكان في مقدمتهم نجوم الروك الأمريكيين والإنجليز وخاصة فرقة البيتلز Beatles إلى جانب فرقة "رولينغ استون". ساهمت هذا الموجات في إثارة الانتباه إلى المغرب وخاصة منطقة كتامة في الريف الأوسط التي أصبحت قبلة الراغبين في استهلاك الكيف حيث تنفرد المنطقة بطبيعتها الجبلية وجودة منتوجها من نبات الكيف. وتتميز نبتة كيف المغرب عن مثيلاتها في العالم بكونها من النوع المنشط الهادئ نظرا للخصوصيات البيومناخية التي تمتاز بها منطقة كتامة. وإذا كانت المصادر التاريخية لا تذكر انتشار الكيف بالمغرب إلا مع بداية القرن الثامن عشر، فإن بعض الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع تذهب إلى أن إدخاله إلى المغرب يعود إلى القرن الحادي عشر الميلادي. ويبدو أنه مع التوسعات الميركانتيلية أصبحت الموانئ المغربية تلعب دور الوساطة بين بلدان جنوب الصحراء والدول الأوربية مما ساعد على انتشار زراعة الكيف في الجنوب المغربي. وتزايد انتشاره إبان العهد السعدي وساهم في ذلك استعماله من طرف بعض الطرق الصوفية مثل "هداوة"، الأمر الذي دفع بالسعديين إلى تنظيم إحراقه خلال القرن السادس عشر الميلادي. وعلى الرغم من ذلك استمرت زراعة الكيف مع بداية العهد العلوي وتذكر المصادر التاريخية أن السلطان مولاي علي، سنة 1734 ، كان "مخبولا خبلا تاما" من شدة تناوله للكيف، كما أن أحد مستشاري سيدي محمد بن عبد الله مات سنة 1772 نتيجة لمجونه ومبالغته في استهلاك الكيف. وحاول السلطان مولاي الحسن القضاء على الكيف بالمغرب فأصدر أمره بإحراق المزارع، وحسب المؤرخ الضعيف فإن السلطان مولاي سليمان أصدر في 1814 الميلادي مرسوما يأمر فيه بقطع طابا والكيف وإحراقهما في كل بلد. وخلال أواسط القرن التاسع عشر احتكر المخزن المغربي إنتاج وتصدير الطابا والكيف، الأمر الذي جعل زراعته تعرف تقنينا قصد الاستفادة من مداخله. ويُشير الدكتور ل. رينو أنه "كان يوجد بالمغرب عدد كبير من مزارع القنب الهندي لاسيما بمنطقة سوس ومراكش، وأنه في سنة 1899 استهلكت مدينة الجديدة 2700 كلغ من الكيف. ومع مطلع القرن العشرين، ودخول المغرب عهد الحماية، ازدادت الأراضي المزروعة بالكيف في كل من الحوز وسوس، ويشير بول باسكون إلى أن تصديره من المغرب في اتجاه أوربا ارتفع من 100 طن سنة 1913 إلى 500 طن سنة 1920. ومن أجل السيطرة على زراعة الكيف شرعت سلطات الحماية في إصدار قوانين، وهكذا صدر في 9 صفر الخير 1388 الموافق 3 / 11 / 1919 ظهير شريف يمنع أيا كان من زراعة الكيف في المنطقة الفرنسوية قبل نيله الرخصة بذلك من إدارة صاكة الدخان (ج. ر. عدد 342 بتاريخ 17 / 11 / 1919، ص. 736) كما صدر سنة 1922 ظهير شريف لضبط استجلاب المواد السامة والاتجار فيها واستعمالها ومن بينها مادة الكيف (ج. ر. عدد 507، بتاريخ 16 يناير1923 ص. 30) وفي 20 شعبان 1373 الموافق 24 أبريل 1954 صدر ظهير شريف "يمنع بمنطقة الحماية الفرنسية من الأيالة الشريفة حرث القنب الهندي أو قنب الكيف وكذا حصده وصناعته وتغيير حالته واستخراج خلاصته وتهيئه ومسكه وعرضه وتوزيعه وسمسرته واشترائه وبيعه ونقله واستيراده وإصداره

واستهلاكه على أي وجه كان" (ج. ر. عدد 2167، بتاريخ 7 / 5 / 1954، ص. 1363. بيد أنه على الرغم من هذه القوانين فإن زراعة واستعمال الكيف ظلا في تزايد مستمر الأمر الذي دفع بالسلطات إلى إصدار مرسوم رقم 038-56-2 بتاريخ 27 ذو القعدة 1375 الموافق لـ 30 يونيو 1956 يقضي بإعطاء جوائز مالية للأعوان المكلفين بجزر ترويج مادة الكيف (ج. ر. عند 2284 بتاريخ 3/ 8 / 1956، ص. 1300 ). وبعد حصول المغرب على الاستقلال صدر ظهير شريف بمثابة قانون رقم 132-73-1 صادر في 23 ربيع الأول 1394 الموافق 21 مايو 1974 يتعلق بجزر الإدمان على المخدرات السامة ووقاية المدمنين على المخدرات (ج. ر. عدد 3214 بتاريخ 5 / 6 / 1974 ص. 1525). وفي سنة 1977 تم إحداث لجنة وطنية للمخدرات بموجب مرسوم رقم 626-77-2 بتاريخ 19 شوال 1397 الموافق 3 أكتوبر 1977، انكبت على التفكير في التدابير الرامية إلى تطبيق الاتفاقيات والبروتوكولات الدولية في ميدان المخدرات السامة والبحث عن الوسائل الكفيلة لتنظيم مكافحة المخدرات بالمغرب (ج. ر. عدد 3390 بتاريخ 19 / 10 / 1977 ص. 3036).
بالرغم من هذه القوانين استمرت زراعة الكيف في المنطقة الشمالية وساعد على ذلك تشجيع الإسبان أيام الحماية وكذا الخصوصيات الجغرافية الصعبة للمنطقة. وتشير كتب الرحلات الجغرافية في الريف الأوسط مع نهاية القرن التاسع عشر إلى وجود الكيف في المناطق التي كان يصعب الوصول إليها مثل بني عيسى بكتامة وبني خالد في غمارة. وفي سنة 1945 فرضت السلطات الإسبانية على الفلاحين ضريبة الكيف، كان يطلق عليها ضريبة "خورو". ومع حصول المغرب على الاستقلال عمدت السلطات المغربية إلى القيام بمحاولة القضاء على زراعة الكيف في الريف الأوسط فشرعت في 1958 في تنظيم شراء عشبة الكيف من الفلاحين بواسطة شركة التبغ وإحراقه في سوق ثلاثاء كتامة، غير أن هذه المحاولات باءت بالفشل. كما كانت هناك محاولة تعويض زراعة الكيف بإنشاء تعاونيات فلاحية تقوم بنشاطات رعوية وزراعية أخرى مع مطلع الثمانينيات من القرن العشرين غير أنها هي الأخرى كان مآلها الفشل. وفي سنة 1995 تم إنشاء وكالة تنمية الأقاليم الشمالية بمساعدة الاتحاد الأوربي قصد الحد من انتشار زراعة الكيف، بيد أنه على الرغم من هذه المحاولات فإن المساحات المزروعة بالكيف في تزايد مستمر في اتجاه المناطق المجاورة للشاون وتطوان وتاونات والحسيمة وتازة.


عبد الأحد السبتي، عبد الرحمان لخصاصي، *من الشاي إلى الأتاي العادة والتاريخ*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1999 ؛ *قانون المخدرات والمؤثرات العقلية*، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، الدار البيضاء، 2002.

A. Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, t. I, 1899, p. 94 - 113 ; L. Raynaud, *Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc*, Alger, 1902, p. 105-11 ; B. J. Bouquet, *Contribution à l'étude du chanvre indien*, Fac. de la Médecine et de la Pharmacie, thèse de doctorat, n° 65, 1912, p. 10 - 15 ; C. Vanacker, Culture spécialisée, *Annales E.S.C., 3 mai-juin, 1973*, p. 659-680 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Pub. CNRC et INAV, t. II, Rabat, 1977, p. 412 et 460 ; *Atlas mondial des drogues observation géopolitique des drogues*, Press Universitaire de France, 1996.


سعيد البوزيدي

**كيفسياس** Kephesias اسم مرجة ذكرها سكولاكس في رحلته، بعد اجتياز مضيق أعمدة هرقل (جبل طارق) وبداية الإبحار حول الساحل الأطلسي من المغرب. وذكر الكاتب أيضا اسم مدينة تقع بجوارها تدعى بونتيون Pontion.

ظن تيسو أن واد لمهرهر كان يخترق المرجة المذكورة Tissot, p. 197 . بينما رجح گراس أن هذه المرجة تتكون من مصب نهر تاهدارت Gras, p. 39.


م. مجدوب، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد* ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1998، مرقونة.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; M. Gras, *La mémoire de Lixus*, dans Collection de l'Ecole Française de Rome, 166, p. 27 - 44, 1992.


محمد مجدوب

**كيك** ، منطقة موجودة جنوب غربي مدينة مراكش بالحاشية الشمالية لجبال أطلس مراكش. وبذلك فهي جزء من الدير العلوي للأطلس الكبير الغربي الواقع شرق مدينة أميزميز. يحد كيك من الغرب وادي نفيس، غيغاية، ومن الشمال كتلة سكتانة ومنخفض سهل الحوز.

وكيك مشهورة في المراجع بهضبة كيك. وهي في الواقع عبارة عن هضيبة تبدو كقلعة للمراقبة لسهل الحوز من جهة ولمخرجي وادي نفيس وغيغاية من جهة ثانية. ونظرا لهذا الموقع ولخصائصها المورفلوجية لعبت كيك دورين وئيسين : دور تاريخي سياسي وآخر اقتصادي ديني.

من الناحية المورفلوجية هضبة كيك عبارة عن قعر معلق يتخذ شكل حوض بيضاوي شاسع مطل شمالا على سهل الحوز المنخفض بأجراف وعرة هي بمثابة أسوار محصنة صخرية شبه عمودية ومسترسلة مجاليا تقريبا، تحيط به من جميع الجوانب. وتوافق هذه الأجراف إفريزا ضخما لحاشية منضدة كلسية ترجع إلى النظام الكريطاسي الأوسط من الزمن الجيولوجي الثاني. وليس لهذه الأسوار التي يبلغ سمكها أحيانا أكثر من 20 م سوى بابين هما : باب من الغرب نحو وادي نفيس وآخر من الشرق في اتجاه وادي غيغاية، يصعب الدخول منهما إلى حوض كيك. كما تدور الارتفاعات المطلقة لهذه الأسوار حول 1500 م جنوبا، وحول 1400 م شمالا. ويتكون وسط الهضبة من تعاقب صخور كلسية وصلصالية ترجع للايوسين. وتشرف كيك على المناطق المجاورة بسفوح مقعرة وعرة يتعدى انحدارها 25٪، وارتفاعها السني 200 م. كما تخددها شعاب ضيقة كالثغرة التي تُشكلها شعبة

تگاديرت داخل كيك من جهة الغرب وكل هذه الخصائص تجعل هذه السفوح صعبة التسلق.

وهكذا تبدو هضبة كيك كحصن متقدم لجبل دَرَن أو جبل هنتاتة، أي كمرصد وكحاجز مخيف ومقلق دوماً لسكان السهل ومُهَدِّدٍ لهم خاصة وأنهم تعودوا المداهمة من الجبل (المرابطون والموحدون).

ومما زاد هذا الحصن مناعة كونه مغلقا يصعب الوصول، إليه بحيث لا يمكن تسلقه والنفوذ إليه إلا عبر مسلكين هما :

- مسلك مركز أگرگور الذي كان مقراً لعدد من صغار القواد الذين كانوا مُكلفين بقبائل نفيس تحت سلطة قائد أهل سوس والقصبة. ومن المحتمل أن مركز أگرگور كان قلعة قديمة (مدينة نفيس الغابرة ؟). وأگرگور مَمَرٌ ضروري لكل من أراد دخول جبال الأطلس. ومن أگرگور بقدم كيك ينطلق هذا المسلك المتدرج وسط بساتين الزيتون التي تتدرج بدورها توضعات الرصاصة الكلسية التي تشهد على تدفق مياه العيون من هضبة كيك.

- مسلك ثاني من الجهة الشرقية. وهو مسلك وعر كذلك يسلكه زوار زاوية مولاي إبراهيم انطلاقاً من وادي غيغاية. ذلك أنه تطورت بهذا الباب مدينة صغيرة مقر الشريف مولاي إبراهيم سليل الشريف مولاي عبد الله بن حسين دفين زاوية تامصلوحت. وبذلك لعبت ولاتزال كيك دوراً دينيا.

ونظراً لعلوها تتلقى هضبة كيك تساقطات مطرية لا بأس بها، إذ تسقط على سطحها كميات تتراوح بين 400 و500 ملم، وبسفوحها ينزل ما بين 300 و400 ملم. كما أنها عبارة عن مقعر يقوم بالتقاط هذه الكميات المائية وسجنها نظراً لأهمية السبخات الكلسية القابلة لحمل الماء. ويتم انبجاس وتدفق هذه المياه المتسربة على شكل عيون دائمة عند قدم كيك وذات صبيب مهم كما هو الحال بمنخفضي إماريغا وأسني الطيجبليين وبمنطقة أگرگور بالشمال الغربي. وأدى ذلك إلى تطور الغراسة حول هذه الينابيع كما تكسو السفوح الجنوبية لكيك من الأسفل نحو الأعلى أشجار العفصية (Tetraclinis articula)، نباتات الصَّرْو Pistacia lentiscus. صنوبر حلب Pinus halepensus ثم بعض العناصر من البلوط الأخضر Quercus lentiscus وبالسفوح الغربية والشمالية نجد نبات العناب أو السدرة Ziziphus lotus والطلح أو السنط Accacia gummifera. هذا بالإضافة إلى نباتات عشبية متنوعة كالخزامي والزعتر. كل هذه المعطيات تجعل من هضبة كيك مجالاً بيومناخيا شبه جاف ومستوى انتقالياً بين سهل الحوز الذي يطبعه الجفاف وجبل الأطلس الرطب. كما تجعل منها خزاناً منظماً للمياه.

وهكذا تبدو هضبة كيك كحصن لمراقبة سهل الحوز والمنخفضات الطيجبلية المحادية، وكمرصد متحكم في حراسة ومراقبة ممري نفيس وغيغاية المنفذين الرئيسيين من الجبل إلى السهل أو العكس، أي مراقبة الطريق المؤدية إلى سوس عبر تيزي نتست، مما أدى إلى وجود محطات مهمة بقدم كيك مثل محطة تاگموت. وهي قرية قديمة اندثرت وحلّ محلها أجنة قرية إمازيغن على الطريق الرابطة بين مراكش وسوس. ثم هناك محطة أگرگور السابقة الذكر. وفي بداية العهد الموحدي كانت كيك مستوطنة من طرف قبيلة هنتاتة. ثم أتت قبيلة أوُزگيطة المصمودية لتستوطن كيك وتقوم بمهمة المراقبة والتحكم في ممري الأطلس.

ونظراً لهذا الدور كان يقال بسهل الحوز بأن أهله "يتمنون موت أهل كيك" حتى يمكن للسهل أن يحصل سكانه على محصولات زراعية. ويفسر ذلك في الغالب بمظاهر السلب والنهب التي يتعرض لها مكان السهل من حين لآخر بفعل المداهمات. ونحس من هذه القولة الخطر الذي كانت تمثله القوى الخفية المتراكمة والكامنة فوق أو فيما وراء كيك بالنسبة لسكان سهل الحوز، تلك الشرفة من أدرار المصمودية المطلة على الأزغار. ثم نحس ذلك من خلال هذه القولة الواردة عند Lévi-Provençal للبيدق "ينادي الإمام بأعلى صوته ويصرخ قائلاً كم هناك من كيك فوق كيك، لو كان كيك على كيك حتى يبلغ سبعة أكياك، لابد من يوم الخميس، وليس هناك ما يمنع من وصوله. وكذلك كان".حيث كان يوم الخميس يُخصص قديماً للتسويق والتجارة، في حين كان يوم الجمعة يُخصص للمسائل الدينية. ولم تتوقف كيك عن كونها حصناً بارزاً وقلعة للسكان الجبليين بهذا المجال.

J. Dresch, *Recherches sur l'évolution du relief dans le massif central du Grand-Atlas, le Haouz et le Sous*, imp. Arrault, éd. Tours, 1941 ; H. Gaussen, J. Debach et F. Joly, Préipitations annuelles. *Atlas du Maroc, planche n° 4 a*, Comité nat. géogr, Maroc, Rabat, 1958 ; P. Pascon, *Le Haouz du Marrakech*, t. 1, Rabat, 1983 ; F. Guerraoui, *Le bassin néogène au Sud de Marrakech (Région de l'Oued N'Fis), Dynamique des dépôts, Relation tectonique - Sédimentation*, Thèse 3ème cycle, Marrakech, 1992 ; A. Nahid, *Les remplissages sédimentaires superficiels des bassins intramontagneux inscrits dans le permo - trias de la bordure nord du Haut Atlas de Marrakech*, Thèse de 3ème cycle, Marrakech, 1990.

أحمد زروال

**گيگو** اسم واد، ووحدة تضاريسية، وجماعة قروية، ومركز حضري بالأطلس الشمالي.

**گيگو** (الواد -) يمثل الرافد الرئيسي القادم من يسار واد سبو بعالية عين سبو. ينطلق من جوار ضاية أگلمام سيدي علي جنوب تِمَحْضيت ثم يعبر ما يسمى بـ "سهل گيگو" وبعده خوانقَ في منَطقة متضرسة قبل أن يصل إلى منخفض سكورة حيث يقترن بواد مداز. وواد بني علاهم. وهناك من يوقف واد گيگو عند التقائه بواد مداز وهناك من يجعله يمتد إلى مكان التقائه بواد زلول - الرافد الرئيسي الثاني لسبو الأعلى -.

ينطلق واد گيگو من الأطلس المتوسط الملتوي ببعض المجاري الموسمية مثل واد بُوعنگر ليصرف مياه عين أَبَرْشَان جنوب تِمحْضيت ثم مياه واد الدّرْدُورَة (الضرضورة ؟) على

الضفة اليمنى سافلة تمحْضيت ومياه طيطْ زَل النابعة وسط السهل ومياه عين السَخونة وعين تَادُوت ووديان مداز وبني علاهم والبشنة.

يمكن تقدير طول واد گيگو بعالية اقترانه بواد زلول بـ 120 كلم. ويغطي حَوضه السفحي (BV) بعالية محطة قنطرة مداز الهدرلوجية التي أقيمت منذ 1955 على مساحة 3430 كلم$^2$ . قدر متوسط واردات الواد المائية بالمحطة المذكورة بـ 230 مليون متر مكعب وهو ما يمثل صبيب 7,92 م3 / ث. يتدبدب صبيب الواد حسب السنوات وحسب الفصول والشهور داخل السنة الواحدة تماشيا مع اختلاف أهمية التساقطات. فإذا كان متوسط هذا الصبيب قد سجل 15,2 م3 / ث في 1962 ـ 1963 فهو لم يسجل في 1965 ـ 1966 سوى 3 م3 / ث حسب الفصول، يتضح أن أهم الواردات تتم في الربيع (13,33 م3 / ث)متبوع بالشتاء (9,55 م3 / ث). أما في الخريف والصيف، فينزل متوسط صبيب الواد إلى 3,8 م3 / ث 3,2 م3 / ث.

على مستوى الشهور يبقى الفرق كبيراً كما يظهر من معطيات الجدول :

نظام الجريان الشهري لواد گيگو ( بالم3 / ث)

| الشهور | 9 | 10 | 11 | 12 | 1 | 2 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الصبيب | 2,87 | 4,50 | 4,39 | 6,18 | 10,26 | 13,31 |
| الشهور | 3 | 4 | 5 | 6 | 7 | 8 |
| الصبيب | 15,09 | 15,81 | 10,60 | 5,61 | 2,65 | 1,72 |

والملاحظ أن الموارد المائية المقاسة بمحطة قنطرة مداز قد عرفت انخفاضا كبيراً بسبب الجفاف وارتفاع الطلب يقدر بحوالي 45٪ خلال العقدين الأخيرين بالمقارنة مع واردات الفترة 1956 ـ 1957 ـ 1976 ـ 1977.

ـ (گيگو) السهل، وحدة تضاريسية ممتدة على مسافة 30 كلم بين تيمحضيت في العالية والطريق الرئيسي رقم 20 في السافلة ويعرض يتراوح بين بعض مئات الأمتار و6 كلم. تقدر مساحته الإجمالية بـ 15000 هكتار.

يفصل السهل بين الجزء المنضدي من الأطلس المتوسط الشمالي المعروف بالأكواص Causses في الشمال والشمال الغربي والجزء الملتوي في الجنوب والجنوب الشرقي. ويوافق تمدده خط الحادث التكتوني الشمالي للأطلس المتوسط (Accident nord-moyen-altasique). وهو عبارة عن امتداد لمقعر قريب في الغرب، ردمته الإرسابات المحمولة إليه من طرف المياه القادمة من الهوامش وخاصة من الأطلس الملتوي والمواد البركانية المتدفقة من الكوص في الشمال الغربي وهي التي تفسر سواد السطح والانتشار الكبير لصخور البزالط وخصوبة التربة.

يستفيد السهل من موارد مائية لا بأس بها تتمثل في كمية التساقطات (500م) وفي واردات واد گيگو بعالية. تمحضيت وروافده واد الضرضورة وعين طيط زل بسافلتها.

بقي السهل الذي يتقاسمه آيتَ يوسي گيگو بسافلة طيطْ زَل وآيت عرفة گيگو (بني مگليد) بعاليتها مستغلا في إطار نظام رعي زراعي واسع متميز بضيق مساحة الأراضي المحروثة وبالسيادة المطلقة لزراعة الشعير والذرة واستعمال الأراضي المستريحة والحصيدة كمراعي جماعية. وقد شكل إلى اليوم إحدى المحطات الثلاثة (الجبل، السهل والحرُوشْ) التي تعتمد عليها حياة نصف الترحال تمشيا مع فصول السنة.

كان لتدخل سلطات الحماية ـ وخاصة خلق مركز عصرنة القطاع الفلاحي S.M.P بگيگو وإدخال زراعة البطاطيس، والسلطات المغربية منذ الاستقلال، وللتزايد الديموغرافي وارتفاع طلب السوق الوطنية على البطاطس دور كبير في التلاشي التدريجي لحياة نصف الترحال. وهو ما يفسر توسيع الأراضي الزراعية بالسهل وتوسيع الحصة المخصصة منها لزراعة البطاطس الصيفية المسقية. فالمساحة المخصصة لهذا المزروع تقدر في المتوسط بـ 1100 هكتار سنويا. ومع هذا التطور برز مشكل تدبير المياه التي لم يعد نظام استعمالها الموروث يساير الحاجيات الراهنة. ويشكل السباق نحو ضخ مياه الفرشة، كحل انفرادي لندرة المياه، تهديداً للتوازنات البيئية والاجتماعية. ولتفادي هذه الانعكاسات السلبية تعمل الجهات المسؤولة ومنها مصالح وزارة الفلاحة على تنظيم الفلاحين في جمعيات لمستعملي مياه الري وعلى إنجاز خطة لإعداد السهل في إطار برنامج الري الصغير والمتوسط.

ـ گيگو (المركز)، منذ ترقي بولمان إلى مستوى بلدية سنة 1992. أصبح گيگو مركزاً في إحصاء 1982 ولم يكن آنذاك سوى أحد الدواوير المكونة لفخذة آيت قَيسْ.

والواقع أن مركز گيگو ناتج عن تجميع بعض الدواوير المجاورة وخاصة ما كان يعرف بألْمِيسْ گيگو وآيت فْريگُو.

يقع المركز على ارتفاع 1501م بوسط سهل گيگو. ويحتل الضفة اليسري لواد گيگو. وهو مربوط بالطريقين الرئيسيين رقم 20 عند سافلة السهل ورقم 21 عند عاليته بالطريق الثلاثي رقم 3391. وصلت ساكنته إلى 5448 نسمة في 1994 بعدما كانت 3405 نسمة في 1982. فخلال 12 سنة ازدادت بنسبة 60٪. وبمعدل نمو سنوي 3,99٪. وعلى أساس هذا المعدل يمكن تقديرها في مطلع 2004 بـ 7500 نسمة.

وبالرغم من أهمية هذه الساكنة وسرعة تطورها نتيجة التوافد على المركز ومن توفر بعض الخدمات كالكهرباء والماء الشروب والبريد والإعدادية ....، فالمركز يبقي ذا طابع قروي فيما يخص تعميره ونشاط سكانه المبني دائما على الفلاحة وتربية الماشية. ومما يميز نشاط المركز سوقُه الأسبوعي المنعقد يوم الأحد. وهو سوق ظهر أيام الحماية ويعرف رَواجا كبيراً للأغنام والصوف.

يحتم التوسع السريع لمركز گيگو وما يترتب عنه من التهام للأراضي الزراعية ومن تدهور للبيئة وزيادة احتمال التعرض لفيضان واد گيگو ـ كما حدث سنة 2004 ـ العمل على تنظيم ومراقبة التعمير وحل مشكل التطهير السائل والصلب والتفكير جديا في إبعاد شبح فيضان الواد.

مركز الأشغال ببولمان، 02 ـ 35، "منوغرافية جماعة گيگو القروية، 1997 " ؛ المودني عبد الوهاب، "منوغرافية دائرة بولمان، إقليم بولمان"، دائرة بولمان، 1982 ؛ *نتائج الإحصاءات العامة للسكان والسكنى*، 1960 ـ 1971 ـ 1982 و 1994 ، مديرية الإحصاء، الرباط.

Chauvent Chantal, *Etude géographique d'une tribu du Moyen Atlas : Les Aï Youssi*, Etude de doctorat de 3ème cycle géographie, Université Clermont Ferrand, Clermond Ferrand, 1982 ; *C.T.35-02 de Boulemane*, Projet de valorisation du périmètre irrigué de Guigou, (s.d.) ; Direction de l'Equipement Rural / S.E.G., *Projet de rénovation de l'irrigation traditionnelle, (annexe 3b, P.M.H. II)* : Le périmètre de Guigou, Province de Boulemane, 13 p. + tab. + annexes (s.d.) ; Lahcen Jeman, Mutations récentes des campagnes du Moyen Atlas et de ses bordures, *Méditerranée, n° 4, 1986, p. 49-62* ; Mohammed Kerbout, *Communautés rurales et gestion des ressources agropastorales dans le Moyen-Atlas septentrional et ses bordures* (Maroc), Thèse de doctorat d'Etat en Sciences géographiques, U.L.B., Faculté des Sciences, Bruxelles, 2003 ; J. Le Prevost, Les secteurs de Guigou, Skoura et Almis (S.M.P., n° 12 et 26), Société d'Etudes Economiques, Sociales et Statistiques, *Cahiers de Modernisation Rurale, n° 4, Rabat, 1947* (62 p.) ; Ministère de l'Agriculture, du Développement Rural et des Pêches Maritimes, *Recensement Général de l'Agriculture* (1996). Résultats par commune. Régions : Fès - Boulemane, Meknès - Tafilalet, Oriental, Taza - Al Hoceïma - Taounate, D.P.A.E., Rabat 2000 ; Ministère des Travaux Publics et des Communications, *Ressources en eau du Maroc, t. 3. Domaines atlasique et sud-atlasique*, Editions du Service Géographique du Maroc, Rabat 1977.

محمد كربوط

**الكيكي، عمر** ربما من قبيلة كيك منطقة بحوز مراكش أقدم من نعرف من أسرى الحرب بأصيلا المحتلة سنة 1471. ونعلم عنه أنه أسر بساحة أصيلا سنة 1495 وهو صغير السن، ثم نقل إلى لشبونة، حيث عاش برهة من الزمن إلى أن جاء به حاكم أصيلا جواو كوتينو سنة 1514 خلال مدة حكمه الأول. وما نعرف عن ماضيه بالبرتغال أنه لأمر ما أدى به إلى المثول أمام المحكمة، وهو الذي طلب من القاضي نقله إلى أصيلا لإثبات براءته من التهمة الموجهة إليه.

كلف عمر بخدمة حاكم أصيلا، وقد امتاز عن باقي الخدم بلباقة حديثه وإتقانه اللغة البرتغالية وخدمته المحكمة وتلطفه مع أسرى المدينة، وبلغت شهرته إلى أحمد العروسي، قائد القصر الكبير والسلطان محمد البرتغالي، فبذلا كل الجهود لافتدائه. غير أن تعلق الحاكم به أبطل جميع المحاولات، إمعانا منه لما كان يظهره عمر من تمسكه بإسلامه ولرغبته الشديدة في التحرر من مهانة الأسر. ومن أجل إخفاق تلك المحاولات شرع عمر الكيكي في إعداد محاولة الفرار الأولى في فبراير 1524 في وقت حدده مع أحمد طلحة العروسي، قائد القصر الكبير. ومن الذين شاركوه في تدبير المحاولة مقدم مجاهدي إزاجن المدعو عبد الملك. غير أن المحاولة فشلت بعد تنفيذ القسم الأول منها بسبب ملاحقة رجال أصيلا للفارين.

لم ينل هذا الفشل من عزيمة عمر الذي سجن في المطمورة، وعلى العكس من ذلك سيبدأ في إعداد محاولته الثانية سنة 1530. وممن انضاف إلى قائمة السجناء خلال تلك المدة أبو حسون بن محمد الشيخ الوطاسي المخلوع منذ شتمبر 1526 . كان قد وقع في الأسر بعد أن انضم إلى إحدى المحاولات التي قادها حاكم القصر الكبير ضد أصيلا. ومن السجناء أيضا أحد رجال الناصر بن أحمد العروسي يدعى علي برغوط، وهو شيخ الخلط وخلف والده الشيخ برغوط المستشهد قبل ذلك الوقت. ومع الجميع أحد رجال أحمد الوطاسي ومن أقربائه.

تمكن عمر الكيكي من ربط الصلة بحارس باب المطمورة المسمى ضييغو فيرناندس واستغلال ميوله الدينية، مما ترتب عنه قبوله اعتناق الإسلام واستعداده للفرار. وواتت فرصة تنفيذ الخطة حينما علم عمر وحارس المطمورة باحتجاب حاكم المدينة في منزله متأثرا بوفاة إحدى أخواته فتمكن من تحقيق أمل جماعة السجناء المذكورين. وممن التحق بالجماعة الأولى تركيان، سبق أن تم أسرهما سنة 1525 وخمسة أفراد آخرين لم يصرح لنا بأسمائهم. نجا الجميع إلى جبل حبيب ومنه توجهوا إلى القصر الكبير.

حسن الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، أطروحة، مرقونة، الرباط، 1991.

Bernanado Rodrigues, *Annais de Arzila*, Lisboa, 1991.

حسن الفگيگي

**الـگيلولي**، هم قواد مخزنيون بحاحة الجنوبية استغرق حكمهم بتمنار نصف قرن، من 1881 / 1299 إلى 1932 / 1351 وهم ينتسبون إلى قبيلة اذا گيلول (*المعلمة*، ج 1) حيث ظهرت في حاحة الجنوبية عدة أسر كبرى كان أربابها شيوخا في عهد القائد الحاج عبد الله اوبيهي إلى أن توفي وانقرضت أسرته، فأسند إليهم السلطان الجديد المولى الحسن الأول مهمة القيادة على قبائلهم وأشهرهم : قيادة آل المحجوب الگيلوليين بمركز تمنار : وقد تعاقب على الحكم من هذه الأسرة خمسة قواد امتد نفوذهم أحيانا ليشمل قبائل حاحة الجنوبية وسوس وهم :

**الـگيلولي** (القائد) الحاج **الحسن** بن **محمد** أوفقير، تولى هذا القائد بعد الاضطرابات السياسية التي عرفتها المنطقة بسبب المقاومة الشعبية لقوات الاحتلال الفرنسي بقيادة القائد عبد الرحمان من الجنوب والقائد محمد أنفلوس من الشمال، والتي انتهت بنفي الأول إلى مكناسة ونفي الثاني إلى مراكش، فاختارت الإدارة الفرنسية قوادا من العائلات الرئيسية لتتستر وراءهم وتركب على ظهورهم

لبسط نفوذها على قبائل حاحة التي ترفض رفضا باتا ان يحكمها حاكم أجنبي بطريقة مباشرة، فتولى القائد الحاج الحسن تسيير بعض الشؤون الأهلية لقبائل حاحة الجنوبية وهي : قبيلة ايداكيلول - إيمكراد - ايداوتغما - ايداوكازو بينما تولى الفقيه الحسن بن إبراهيم قيادة قبيلة آيت امر كقائد ثم صار فيما بعد باشا على مدينة أگادير، وبقي القائد الحاج الحسن الكيلولي في مقامه بتمنار إلى أن توفي في ظروف غامضة عام 1351 فانقضت بموته قيادة آل المحجوب الكيلوليين بتمنار.

وقد عرفت حاحة في عهدهم أحداثا وتقلبات سياسية أنهكت قواها وأضعفت اقتصادها بسبب الحروب التي خاضتها في سوس لبسط نفوذ السلطة المخزنية هناك، وبسبب الصراعات المحلية بين العائلات المتنافسة على الحكم في حاحة من اينفلاس وايدعدى والكيلوليين والتكزيريين وغيرهم.

وقد ترتب عن ذلك كله إثقال كاهل عامة الناس بالضرائب والكلف المخزنية التي تصرفهم عن الاهتمام بتعليم أولادهم تعليما يساعد على تنشيط الحركة الثقافية والأدبية في مراكز حاحة، إذ لم تخلف تلك الحروب إلا كثرة الأرامل واليتامى والمعوزين، فساد الجهل وعم التخلف جميع الطبقات باستثناء فئة قليلة من رجال الدين الذين أحاطوا أنفسهم بسور من الزهد والتقشف فعاشوا على هامش الأحداث، وهذه الفئة كان اهتمامها منصبا على علوم الدين وتشجيع حفظ كتاب الله بالقراءات السبع، دون غيرها من العلوم العقلية والاجتماعية التي تساعد على فهم الواقع بجميع تناقضاته، لذلك قلما نجد من المثقفين المعاصرين لهذه الأحداث، من يهتم بتدوينها واستقصاء أسبابها ونتائجها، فاكتفينا بجمع ما تيسر منها اعتمادا على كتابات المختار السوسي مع ما تفيده الروايات الشفوية المحلية.

**الـگيلولي** (القائد) **سعيد** بن **أحمد الحاحي** هو أخ القائد المحجوب الكيلولي السابق، أرسل إليه السلطان الحسن الأول ظهير تعيينه مع رسالة إخبار وتعزية على وفاة أخيه القائد المحجوب الذي كان مع السلطان في حركته إلى قصبة تادلا، فعلت بذلك مرتبة الكيلوليين وذاع صيتهم في الدوائر المخزنية، وبعد ثلاث سنوات من توليته توفي الحسن الأول، فثارت غالبية القبائل على قوادها المستبدين الطغاة، إلا القليل منهم، أمثال القائد سعيد هذا الذي استطاع بكياسته وحسن سياسته أن يستميل قبيلته إليه، وذلك بأن استدعى أعيان إيالته وقدم إليهم مفاتيح خزائنه قائلا : هذه مفاتيح خزائنكم، وأنا أخوكم، وأهلي منكم، لكم الخيار أن تأخذوا ما في الخزائن وتتركونني أعيش بينكم كواحد منكم. وبعد تشاور الأعيان والعامة اتفقوا على تأييد سلطته وتقوية مركزه، فكتب بذلك إلى الوزير أحمد بن موسى الوصي على السلطان المولى عبد العزيز يخبره بأن حاحة على عهدها القديم لا تزال على السمع والطاعة للأوامر المخزنية، فتوثقت صلته بهذا الوزير، في وقت اشتدت فيه الاضطرابات بين قبائل سوس الثائرة على قوادها، فأرسل إليه ظهائر تعيينه على قبائل حاحة الجنوبية وقبائل سوس كعامل مكلف بإخضاعها وتعيين قواد مساعدين له على تسييرها، فزحف القائد سعيد الكيلولي بجيوشه على سوس في جمادى الأولى عام 1314 وخاض معارك ضارية (2) - لا مجال لذكرها - تمكن بعدها من الاستقرار بعاصمة سوس يومئذ (تزنيت) هو وعدد من كبراء حاحة بمن فيهم العلماء والقواد وعامة الناس المجندين فكانت لذلك آثار سلبية على قبائل حاحة من الناحية الثقافية والاجتماعية في عهده، لأنها جندت كل طاقاتها البشرية والمادية للدخول في حرب تأديبية للقبائل السوسية السائبة والتي دامت إلى يوم رابع ربيع النبوي عام 1318 الذي انسحب فيه من سوس، كما كان لهذه الحملة آثار إيجابية تتجلى فيما حصل عليه الحاحيون من أموال ونفائس في سوس إلى جانب ما ترتب عن طول إقامتهم بين علماء وأدباء سوس من احتكاك ثقافي لمدة خمس سنوات حيث كانت مجالس القائد سعيد الكيلولي بتزنيت تضم نخبة من علماء وأدباء سوس إلى جانب من معه من علماء حاحة أمثال القاضي الحاج محمد الگيلولي الحاحي والفقيه الصوفي سيدي محمد بن عبد الرحمان الدرقاوي الحاحي (ت. 1339).

ومن السوسيين الفقيه والأديب الصوفي الحاج الحسين الإفراني (ت. 1328 ) والشاعر الطاهر الإفراني والأديب السوسي البارع الحبيب بن محمد السكراتي وعلي بن عبد الله الإلغي وغيرهم كثير.

وبهؤلاء وأمثالهم من العلماء الذين اصطحبهم القائد سعيد إلى تزنيت يمكن أن يتأثر طلبة حاحة ومع ذلك لم نجد واحدا منهم ينظم شعرا في مدح هذا القائد على غرار ما قام به السوسيون ويبدو أن سبب ذلك هو اهتمام الحاحيين بتدريس القراءات والعلوم الشرعية في مدارسهم أكثر من اهتمامهم بدراسة الآداب وفنون الشعر، وقد كانت للقائد سعيد الكيلولي أعمال ومواقف جليلة في حاحة وسوس رغم الانتقادات التي وجهها إليه بعض السوسيين وعلى رأسهم المؤرخ محمد المختار السوسي الذي نعت حكمه بالدكتاتورية متناسينا الدوافع والأسباب التي دفعته كممثل للحكومة المخزنية في تلك الأقطار السوسية التي اختارت السيبة على الطاعة وفضلت الفوضى على النظام واستبدلت الشريعة الإسلامية بقانون الغاب المعتمد على القوة والغلبة، فقابلهم بالمثل حتى أخضعهم للنظام المخزني وأعادهم عن غيهم. وقد عاشت حاحة في عهده في هناء ونعمت بعيش رغيد بفضل الغنائم والأمور التي اكتسبوها من حروب سوس، كما أعطى عنايته لتشجيع القبائل على تعليم أولادهم فاعاد تعمير المدارس الكبرى بالأساتذة الأكفاء وزود الطلبة بكل ما يحتاجونه من مؤن وملابس وتشييد بيوت السكن كما هو الشأن في مدرسة سيدي حسا اوحسين إزاء تمنار. وبعد

انسحاب الگيلولي من سوس عام 1318 توجه إلى الحج بإشارة من الشيخ الإلغي ثم توفي بعد عودته يوم 27 شعبان عام 1319 / 1901 فخلفه ولده القائد مبارك الگيلولي.

**الـگيلولي**، (القائد -) **عبد الرحمان** بن **سعيد** الذي تولى من 1329 / 1911 إلى أن نفي إلى مكناس عام 1331 / 1913 فهو ثاني أولاد القائد سعيد الگيلولي، وقد كان خليفة لأخيه القائد مبارك السابق ثم تولى بعده قيادة حاحة في تمنار عام 1330 / 1912 سنة الانقلابات والحوادث الجلى في المملكة، فقد أعلنت الحماية، واشتد تخاصم ألمانية وفرنسا على السياسة المغربية، وكانت لألمانيا سياسة خاصة نحو سوس، فقد اشترت فيه بواسطة أعوانها السريين معادن كثيرة وأراضي، فتدعي أنها الأولى باحتلاله.

وقد كان التاجر بوشعيب الصويري المشهور من عملاء التجارة الألمانية، فاتصل الحبل به بأهل تمنار فكانت دار أهل تمنار - الگيلوليين - ممرا لهـؤلاء الأعوان السريين، بل هناك أجانب من ألمانيا يتسترون فيمرون على أيديهم إلى سوس ... ولهذا الاتصال بين أهل تمنار - الگيلوليين - وبين ألمانيا تفتحت كوة سياسية لإثارة سوس ضد الفرنسيين، وقد كان الشيخ ماء العينين يلم بأهل تمنار هؤلاء ويعتقدونه ويتعارفون مع أولاده. وبسبب هذا التعارف انبثق ما انبثق من أولاد الشيخ ماء العينين فقد هاجروا من الصحراء فرارا بدينهم من الفرنسيين، فتمكنت العداوة بين الجانبين فوجدت ألمانيا بابا مفتوحا لما تريد، ما أبرمت مع أهل تمنار فقام هؤلاء بلباقة فحسنوا للشيخ أحمد الهيبة أن يتدارك المغرب قبل أن يطفح عليه ما غمر كل أرجاء الصحراء ولا ريب أن نية الهيبة وآله حسنة. لأنهم لم يدركوا ما وراء الاكمة، وقد وجدوا سرا من أهل تمنار من المساندة بالمال والجاه والتشجيع ما وافق حرارة إيمانهم.فمن هذا يتضح الدور الذي قام به القائد عبد الرحمان الگيلولي في نسج خيوط ثورة أحمد الهيبة ضد التدخل الفرنسي بإيعاز من حليفته ألمانيا. وحتى بعد فشل حركة أحمد الهيبة في الدخول إلى مراكش وتبخر السياسة الألمانية السرية، فان القائد عبد الرحمان وقف صامدا أمام الجيوش الفرنسية التي خرجت من ميناء الصويرة متجهة نحو أگادير عبر الطريق الرئيسية المارة بتمنار، فتصدى لها معلنا الجهاد ضد النصارى ثم استمال إليه القائد محمد أنفلوس الذي كان أول الأمر مع الحملة الفرنسية بشروط لم يف الفرنسيون له بها، فتحققت ثورة الگيلوليين بقيادة القائد عبد الرحمان على فرنسا ومن معها من قواد الحوز أمثال المتوگي وخبان والجيوش المخزنية، ودارت بحاحة معارك ضارية بين الطرفين سقط فيها العشرات من الفرنسيين في واقعة تيكمي لودا - دار الحاج علي القاضي - قرب سميمو كما سقط عشرات من شهداء الدفاع عن الدين والوطن في كل من وقائع : تيكمي لودا نفسها - زاوية أوحسان - وأكاموض - وبيسناس - وإيمي نتقاندوت - وأخيراً واقعة سقوط دار أنفلوس بتمسورين كمعقل للمجاهدين ومصدر مهم لمدهم بالمال والسلاح ففر المقاومون إلى سوس وجبال إيداوتنان ووقع القائد عبد الرحمان الگيلولي أسيرا في يد جيوش الاحتلال الفرنسي، مما أدى إلى نفيه بعيداً عن حاحة إلى مدينة مكناس وتولية ابن عمه الحاج الحسن بن محمد الكيلولي في نفس السنة 1331 / 1913 على يد إدارة الحماية الفرنسية - في إطار سياسة التهدئة مع القيادات الكبري التي نهجتها إدارة الحماية - وبعد سنوات من النفي عاد القائد عبد الرحمن الگيلولي إلى داره بتمنار ثم توفي عام 1344 / 1925.

**الـگيلولي** (القائد) **مبارك** بن **سعيد** الولد الأكبر للقائد سعيد الگيلولي، برز في الميدان في عهد والده، ثم خلفه في إيالته (حاحة) بعد وفاته، وكان شجاعا طموحا إلى حد المغامرة بحياته مثل والده وقد شارك في حروب تازة ضد أبي حمارة على رأس كتيبة من فرسان حاحة.

وفي سنة 1321 / 1903 أسندت إليه القيادة على سوس إثر انسحاب أحمد أنفلوس منه بعد وفاة ابن عمه محمد بن الحاج إبراهيم في تيزنيت، فأعد القائد مبارك الگيلولي خطته للزحف على سوس - كما سبق لأبيه أن فعل - لكن ضعف قوته وانهيار قوات السلطة المركزية أمام كثرة الانقسامات والنزاعات القبلية حالت دون بسط سلطة المخزن على قبائل سوس فتوقف نفوذه عند حاحة الجنوبية وأگادير وبعض القبائل السوسية الواقعة بضواحيه كمسكينة وهشتوكة، وقد قضى في الحكم حوالي عشر سنوات، كلها حروب واضطرابات دائمة، فمن حرب تازة إلى الزحف على سوس جنوبا ومواجهة أنفلوس الزاحف من الشمال، وفي عهده اجتاز المغرب مرحلة عصيبة توقف عليها تقرير مصيره، فكانت لذلك انعكاسات سلبية على الأوضاع المالية والإدارية في إيالته، فعلى الصعيد الوطني أصبح الفرنسيون يتدخلون في أمور البلاد، وظهرت ألمانيا على مسرح الأحداث كمنافسة لها.

وقد حاول القائد مبارك الگيلولي أن يترك إيالته تعيش في هناء وطمأنية إلا أن الظرفية المحلية والعالمية التي يعيش عليها المغرب، كانت تدفعه كل مرة إلى أن يطلب المزيد من الضرائب والجنود لتسديد نفقات الحروب وإعداد العدة لملاقاة الأعداء، وهكذا بقي إلى أن توفي سنة 1329 / 1911، فخلفه أخوه القائد عبد الرحمان بن سعيد الگيلولي الذي يحسب له حسابه لدى الدولة المغربية بل وحتى لدى بعض الدول الأجنبية كألمانيا وفرنسا.

**الـگيلولي** (القائد -) الـ**محجوب** بن **أحمد**، كان شيخا على قبيلة تحت يد النفلوسي مبارك ثم عينه السلطان الحسن الأول أثناء رحلته إلى سوس عام 1299 / 1881، فكان ممن قال عنهم هذا السلطان في كتابه المبعوث إلى ولاة

المغرب: (... فبوأنا من توسمنا فيه الأهلية للتولية على إخوانه مهادا. وقلدناه أمرهم جمعا وفرادى، وضربنا للكل فيها على مقتضى السياسة بمعونة الله بسهم مصيب، وأرعيناه من مربع خدمتنا الشريفة المرعى الخصيب، حتى وقع التمكن من أزمَّتهم، وأجلسنا خاصتهم وعامتهم على أسرَّتهم فاتصلت بهم المخزنية اتصال الأرواح بالأجساد).

وفي سنة 1301 أسس القائد الگيلولي المحجوب بن أحمد مركز تمنار كمقر لقيادته كما تزوج بنت القائد الحاج الحسن التيكريريني ليعزز بذلك سيادة أسرته، فظل يوطد الأمن في قبائل حاحة الجنوبية وهي: ايداكيلول - آيت أمر - ايداوتغما - ايداوكزو ايمكراد ويستخلص منها الضرائب المخزنية بمساعدة أمين المال في إيالته الحاج علي بن محمد الزراري. ومما اشتهر به القائد المحجوب اهتمامه برجال العلم والدين وتشجيعه لطلبة العلم المقمين بمدرسة سيدي حسا أوحسين تشجيعا ماديا ومعنويا، كما أن مجلسه يضم العشرات من الطلبة وخيرة علماء عصره.

الناصري أحمد بن خالد، *الاستقصا* ؛ المختار السوسي، *المعسول* ؛ *تحريات ميدانية وروايات شفوية*.

آيت الحاج محند

**كينيا والمغرب**، لا يرتبط المغرب بعلاقات قوية ومتينة مع كينيا التي تعتبر من المراكز التجارية المهمة في إفريقيا الشرقية. فليست هناك أية اتفاقية تجارية تربط الطرفين. ولا يتجاوز حجم التجارة بين البلدين 0.12٪ من مجموع مبادلات المغرب. وقد تعزى هذه الوضعية إلى عدم انتظام تبادل بعض المواد بين الدولتين بسبب وجود موردين آخرين. فالمغرب يتزود من مادة البن المادة الرئيسية لكينيا من دولة أخرى، ونفس الشيء بالنسبة لكينيا التي لا تنتظم في تزودها بالصادرات المغربية من الأسماك والألبسة الجاهزة ومشتقات الفوسفات.

الحسان بوقنطار

**گيوم أوكستان** (Guillaume Augustin) ضابط من كبار ضباط الجيش الفرنسي، تسلق سلم الترقية إلى أعلى الرتب، كان له فعل ملموس في تاريخ المغرب المعاصر بما مارس من المسؤوليات العسكرية والمدنية في إدارة الحماية، كان آخرها وأخطرها شأنا تربعه على كرسي الإقامة العامة وقت تأزم العلاقات بين المغرب وفرنسا في النصف الأول من خمسينات القرن العشرين.

ازداد أوگستان گيوم يوم 30 يوليوز 1895 بقرية من قرى جبال الآلب الفرنسية. وقد اعتنق باكرا المهنة العسكرية إذ انخرط منذ سنة 1913 في فوج خاص من الأفواج التي أعدت ولما تبلغ النضج العسكري الكامل تأهبا للحرب الكبرى الوشيكة. ولم يلبث أن دخل ساحة الوغى ونال فيها تنويها بشجاعته وجلده. إلا أنه وقع في الأسر فأنهى الحرب في معسكر ألماني تعلم فيه اللغة الألمانية والروسية. ولما وضعت الحرب أوزارها، فإنه كلف بمهمة لدى الجنرال دينكين أحد قادة الجيوش المناوئة للثورة البولشيفية في روسيا. ثم عاد منها ليتم دراسته العسكرية في سانسير (Saint-Cyr). وفور تخرجه التحق بمصلحة الشؤون الأهلية في المغرب حيث كانت الجيوش الفرنسية لا تزال تقاتل لفتح الأقاليم الممتنعة على سلطتها ضمن ما كان يسمى بالباسفيكاسيون Pacification، فكانت تقيم على جبهات القتال مع القبائل المقاومة مراكز عسكرية تمكن من مراقبة المنطقة والتجسس عليها ومحاولة شق صفوفها بالترهيب أو بالترغيب. وقد عيّن الملازم أو كستان گيوم في مركز وادي أمسين في الأطلس المتوسط تحت قيادة الجنرال بوميرو حاكم مكناس. وبذلك ابتدأ المشوار الذي سيعود عليه فيما بعد بالأمجاد، ذلك بأنه تمرس على قيادة فرق الگوم فأعجب بما كان عليه جنودها من الإقدام والاستبسال في القتال. وإنه ألزم نفسه بتعلم اللغة الأمازيغية على اختلاف لهجاتها ليزداد استئناسا وعلما بعوائد رجالها وبعقليتهم سواء منهم الذين كانوا قد استسلموا أو الذين ظلوا يقاومون. ثم إنه انتقل بعد وادي أمسين إلى قيادة أغبالو في جنوب الأطلس المتوسط.

وغادر گيوم المغرب سنة 1924 ليلتحق بالمدرسة العليا للحرب. وتخرج منها سنة 1928 ليعود إلى المغرب للمشاركة في العمليات العسكرية الأخيرة من الباسفيكاسيون التي أتت سنة 1934 على آخر معاقل المقاومة في الأطلسين الكبير والصغير وفي وادي درعة وما إليه من التخوم الصحراوية في عملية مداهمة انطلقت من مراكش ومكناس وبني ملال ومن جهة الحدود الجزائرية المغربية. وكان گيوم ضمن الجيوش المنطلقة من بني ملال بقيادة الجنرال دي لوسطال De Loustal فكان هو قائد أركان حربه. وهذه الفرقة هي التي استولت على آخر معاقل المقاومة في جبال كردوس في الأطلس الكبير الشرقي. ولقد ذكر گيوم تفاصيل تلك العمليات مع ما سبقها من معارك لفتح المغرب في أحد كتبه عنوانه *البرابرة المغاربة وباسفيكاسيون الأطلس المركزي 1912 - 1933* الذي شهد فيه بأن المغاربة لم يستسلموا قط للجيوش الفرنسية المتفوقة عليهم في العدة والعتاد إلا بعد استنفاد كل ما كان لديهم من وسائل المقاومة على قلتها وتواضعها، متغافلا عن التذكير بما كان لسلاح الطيران من الفصل في المعارك، وغير مبال بما في التنويه بخطة الباسفيكاسيون على أنها حرب مسالمة وليست بحرب عدوان وفي الاحتجاج على زملائه من باقي الضباط الذين كانو يضحكون من تلك الحرب غير المتكافئة من التناقض الصارخ. وعلى إثر تلك العمليات عيّن گيوم وهو يومئذ في رتبة كومندار حاكما على دائرة أزلال التي أقام فيها إلى سنة 1936 فازداد قناعة بضرورة اللعب على التفريق بين الأمازيغ والعرب بناء على خطة الظهير المعروف بالظهير البربري ليوم 16 ماي 1930. وفي شتنبر 1936 ألحق بأركان قيادة المجلس الأعلى لشؤون

الحرب تحت قيادة الجنرال نوكيس الذي أسند إليه منصب المقيم العام في المغرب في ذلك التاريخ فعمل تحت إمرته لعدة سنوات. وليلة اندلاع الحرب العالمية الثانية بلغ گيوم رتبة عقيد. وقد تجرع مرارة ما ألحق بالجيوش الفرنسية من الهزيمة أمام الألمان في ربيع 1940. ولذلك انكب بصفة كونه مكلفا بالشؤون السياسية في إدارة الحماية على تجنيد أكثر ما استطاع تجنيده من فرق الگوم في تمام التستر حتى لا يبدو ذلك مخالفا لمقتضيات الهدنة المبرمة مع الألمان، فكان يقال لهم بأن تلك الفرق إنما هي حرس مخزني لا غاية منه سوى حفظ النظام في المغرب، حتى إذا نزلت الجيوش الأميريكية على الشواطئ الأطلسية من البلاد، فيومئذ تحولت تلك الطوابير من الشجعان إلى سن الرمح من الهجوم على الألمان من جهة إفريقيا الشمالية ومن إيطاليا. وذاعت بفضل ذلك شهرة گيوم ورئيسه في الميدان الجنرال جوان. ونال گيوم رتبه الجنرالية. وخرج من الحرب وهو من كبار ضباط الجيش الفرنسي فعين ملحقا عسكريا في السفارة الفرنسية في موسكو حيث أقام من 1945 إلى 1947. ثم إنه صار خليفة للجنرال دي لاتر دي طاسنيي De Lattre de Tassigny قائد جيوش البر الفرنسية. وبعد ذلك بسنة عيّن قائدا عاما للجيوش الفرنسية المحتلة بألمانيا.

ومن هنالك نودي عليه في شتنبر 1951 ليخلف الجنرال جوان في منصب المقيم العام بالرباط، فحل بالمغرب لآخر مرة ليكتب آخر صفحة سوداء من تاريخ الحماية، ذلك بأن الحركة الوطنية المغربية كانت قد بلغت من النضج ووحدة الصف بعد أن أصبح زعيمها وقائدها هو ملك البلاد سيدي محمد بن يوسف (محمد الخامس) ما أزعج الأوساط الاستعمارية وحمل أقطابها على ركوب الأهواء والأغراض وتصميم العزم على القمع ولو أدى الأمر إلى عزل الملك الشرعي عن عرشه. قام گيوم بتنفيذ المؤامرة التي كان سلفه في الإقامة العامة ورئيسه العسكري المارشال جوان قد وضع خطوطها الكبرى منذ مطلع سنة 1951 بقصد عزل محمد الخامس، فأوعز لبعض أذناب الاستعمار المتعاملين معه من أمثال باشا مراكش التهامي الگلاوي وشيخ الطريقة الكتانية عبد الحي الكتاني بأن يجمعوا الجموع ويؤلبوا ضعاف العقول على الملك على اعتبار أن التهامي الگلاوي يتكلم باسم القبائل الأمازغية الرافضة زعما لحكم الأعراب وأن عبد الحي الكتاني يتكلم بلسان العلماء المحافظين على تقاليد البلاد والناقمين على وقوف محمد الخامس إلى جانب مشاغبي الحركة الوطنية وحلفائها من أنصار الشيوعية. ولم يتردد گيوم في تنفيذ مؤامرة كان مقتنعا بأنها هي الحل الوحيد للحفاظ على مصالح الاستعمار الفرنسي في المغرب، فإنه كان ممن يرى أن المغرب الجديد هو صنيعة فرنسية فلا يمكن لفرنسا أن تسلمه هدية سائغة لحفنة من الوطنيين من ذوي اللسان الطويل والذراع القصير. وإن ينس كاتب هذه السطور من أمر الجنرال گيوم شيئا فلن ينس إحدى خطبه المذاعة وهو يتهدد الوطنيين ومناضلي حزب الاستقلال بإلقامهم التبن ويتوعدهم بالعربية الزنقاوية بصوت العسكري الفظ الغليظ. وسرعان ما أتبع القول بالفعل، فلم يمض عل تعيينه إلا أشهر معدودة حتى دبر مجزرة في الدار البيضاء انتهت بإطلاق يد غلاة الاستعمار في سكان المدينة ظلما وعدوانا، ويحمل مسؤولية ذلك للوطنيين الذين كانوا قد أمروا بإضراب عام تضامنا مع الإخوة التونسيين بعد اغتيال زعيمهم النقابي فرحات حشاد، فألقي القبض على وجوه حزب الاستقلال في دجنبر 1952، ليلتفت بعد ذلك ناحية الملك مرخيا العنان لحركة الكلاوي والكتاني، التي صارت تعقد التجمعات وتلقى الخطب المنادية بعزله. وأذاعت أبواق الحماية تلك الدعاية الماكرة ووجد گيوم في شخص وزير الشؤون الخارجية في فرنسا جورج بيدو Georges Bidault أقوى نصير. وأشيع أن سلطات الحماية كانت إنما تريد الإصلاح وأن الملك كان يعارض ذلك. وكان الإصلاح المزعوم يرمي إلى تجريد الملك مما تركت له الحماية أصلا من السلطات لإسنادها إلى الصدر الأعظم، على مستوى المخزن المركزي، كما كان يرمي على المستوى المحلي إلى منح الجاليات الأوربية المقيمة في المغرب حق المشاركة في انتخاب المجالس البلدية والقروية، وذلك ليس بناء على الصوت الواحد للمرء الواحد ولكن على أساس أن تعادل الأقلية الأوربية الدخلية مجموع الأغلبية المغربية صاحبة البلاد. ولما امتنع محمد الخامس عن إمضاء ذلك، فإن گيوم عزله عن العرش يوم 20 غشت 1953، ظنا منه أن المغاربة لا يفهمون إلا لغة القوة. ولكن العكس هو الذي حصل، ذلك بأن المسّ برمز البلاد وقائد حركة الانعتاق والتجديد كان تحديا واستفزازاً واجهته الجماهير الشعبية بانتفاضة من تلك الانتفاضات العميقة التي تشبه المدّ البحري بما يكون من تلاحق أمواجه الواحدة تلو الأخرى.

فظهر على التوّ جيل من القادة ومن الأبطال الذين نظموا مقاومة مسلحة في المدن في شكل عمليات فدائية تصدت للمتعاملين مع الاستعمار ولجواسيسهم وأيضا لبعض

رُموزهم، ومنهم الجنرال گيوم نفسه الذي نجى بأعجوبة من محاولة اغتيال في مراكش في ماي 1954. وكان في زيارة وداع بعد أن تقرر عزله عن كرسي الإقامة إذ أن تبيّن أنه أوقع الحكومة الفرنسية في ورطة لن يتأتّ الخروج منها إلا بإرجاع الملك الشرعي إلى عرشه وهو ما تمّ يوم 16 نونبر 1955، وبذلك ألغي عقد الحماية واسترجع المغرب كامل سيادته.

ولما غادر گيوم المغرب فإنه التحق بالهيئة العليا لإدارة الحرب في فرنسا. ولكنه سرعان ما استقال منها بسبب معارضته لتوجهات دولته في تدبير الحرب بالجزائر، فإنه كان ممن يرى أن لا سبيل لفرنسا للمحافظة على مصالحها في إفريقيا الشمالية إلا بالاعتماد على تفوقها العسكري. وقضى گيوم السنوات الأخيرة من حياته في قرية كيّيستر (Guillestre) مسقط رأسه حيث انتخب عمدة لها لبضع سنوات، فأفادها بما تعلم في المغرب من إصلاح البنيات التحتية ودعمها. وقد وافته منيته هنالك 1983.

Guillaume Augustin, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas marocain (1912-1933)*, Paris, Julliard, 1946 ; *Homme de guerre*, Ed. France-Empire, 1977.

إبراهيم بوطالب

# ل

**لابون إيريك**، ثامن مقيم عام في عهد الحماية الفرنسية على المغرب، عيّن يوم 2 مارس 1946 وعزل يوم 14 ماي 1947 فلم تتجاوز مدة حكمه أربعة عشر شهرا. وسبب ذلك أنه أراد غداة ما جرى من التقلبات أثناء الحرب العالمية الثانية أن يحول الحماية من نظام استعماري تستغل فيه أقلية المعمرين خيرات المغرب بمفردها إلى نظام يشترك فيه المغاربة والفرنسيون على حد سواء في النهوض بتلك الخيرات، مما أثار ضدا عليه في آن واحد نقمة المعمرين الذين لم يكونوا معودين على ما أسمعهم من الكلام، وتحفظ المغاربة وعلى رأسهم السلطان سيدي محمد بن يوسف الذين لم يعد يقنعهم من الخطب إلا ما يشير إلى قرب التخلص من نظام الحماية.

وكان تعيين إيريك لابون في الأصل يستجيب لرغبة السلطان في إبعاد سلفه في الإقامة العامة كابرييل بووه Gabriel Puaux الذي قمع بدون أن يرف له جفن مظاهرات يناير 1944 المساندة لبيان المطالبة بالاستقلال. ولذلك استبشر المغاربة خيرا من حلول إيريك لابون محله، لأنه كان معروفا لديهم إذ كان كاتبا عاما للحماية في نهاية العشرينات مذكورا باللباقة في التعامل مع الأطر المخزنية وبالعناية بالمنجزات الاقتصادية والاجتماعية. ومن ذلك مثلا إحداثه لمكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية لاستثمار خيرات البلاد الباطنية وسعيه في إنجاز منتجع في إيفران سرعان ما صار مقصودا للاصطياف في فصل الحرّ وللرياضات الثلجية في فصل القرّ. ولما كان إيريك لابون منتميا للسلك الديبلوماسي الفرنسي، فإنه تنقل على عدد من السفارات، ومنها سفارة فرنسا في موسكو في سنوات ما قبل الحرب الكبرى الثانية. ولا غرو أنه تأثر هنالك بما وقف عليه من المنجزات الهائلة بفضل التخطيط والسلطة المركزة. وجاء تعيينه مقيما عاما في الرباط لما كان مطبوعا عليه من الإقدام بدون تهور ومن الثبات دون وهن في فترة كانت فيها فرنسا تسعى في قطع الطريق على الحركات التحررية في مستعمراتها بإقامة "اتحاد فرنسي" يجمع بينها وبين تلك المستعمرات بروابط شبه فديرالية على غرار الكومنويلث الابريطاني. ولذلك ظن إيريك لابون أنه يستطيع التوفيق بين مصالح المعمرين وبين تشوّف المغاربة إلى الاستقلال.

وكان من قراراته الأولى إطلاق سراح زعيمي الحركة الوطنية علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني المعتقلين منذ 1937، فبعث بطائرة خاصة إلى الأول عادت به من منفاه السحيق في الكونكو - برازافيل، واستقبله في الإقامة العامة في الرباط، كما رفع عن الثاني قرار الإقامة القسرية في قرية إيتزر وسط الأطلس المتوسط فعاد إلى فاس حيث أقيمت للزعيمين حفلات استقبال كانت كلها مناسبة للتعبئة الوطنية. ثم إن إيريك لابون تصرف ببعض أجهزة الحماية وببعض رجالها ممن كان مسؤولا عن قمع حركة المطالبة بالاستقلال سنة 1944، فأبعاد فيليب بونفاس Philippe Boniface عن إدارة الشؤون السياسية وعينه رئيسا لناحية الدار البيضاء. وألغى الإدارة المذكورة وجعلها إدارة للشؤون الداخلية وأسند رئاستها للكلونيل جورج ليكونت Georges Lecomte، ظنا منه أن التبصر وشيئا من العزم يكفيان للتغلب على ما أصبح نظام الحماية يتخبط فيه من التناقضات. ولم تمض ثلاثة أشهر على حلوله بالرباط حتى قام يوم 22 يوليوز 1946 في مجلس شورى الحكومة بعرض تفاصيل خطته الإصلاحية شكلا ومضمونا.

فمن حيث الشكل تكلم إيريك لابون بلغة من لا ينسى أن أصحاب المغرب هم المغاربة قبل كل شيء. فجاء خطابه موجها بالدرجة الأولى إلى صاحب السيادة في البلاد الذي هو السلطان، وإلى "الأمـة" (Nation)، وإلى "الشـعب" (Peuple) الذي صارت أعداد إفراده تتزايد بوتيرة هندسية،

منبها إلى أن الأخذ بيد الجماهير وبخاطرها أمر تفرضه أبسط قواعد الحكمة السياسية، قائلا : "فإذا ما تعارضت الآراء واصطدمت، وإذا ما ظلت التطلعات المشروعة مكبوتة مقموعة، وإذا ما أرجىء السير السليم للتطور الاجتماعي أو سار على غير هدى، فإن المناخ يضطرب وتنبعث من جديد أسباب التشبيط، وإذا ترتب على ذلك قلاقل وانتفاضات فسلام على أسباب الأمل والاعتزاز والبناء والازدهار". وفي مقابل هذا الكلام الذي لم يسبق لأي مقيم عام أن خاطب به الشعب المغربي، فإنه تجنب أن يخاطب الجالية الاستعمارية بما كانت معودة عليه من أنها هي التي صنعت المغرب العصري وبأنها هي قطب الرحى من حاضر البلاد ومستقبلها، وتستحق التنويه والشكر وما يرافق ذلك من الامتيازات المادية والسياسية، مكتفيا بالإشارة إلى "فرنسيي المغرب" بصفة كونهم أقلية من المستثمرين لا يمكن أن تفلح ما لم تعمل يدا في يد مع أصحاب البلاد، مذكرا بني جلدته بأن المغرب ليس موقوفا عليهم "دستوريا" بما هو دولة قائمة الذات ومرتبطة بمجموعة من الالتزامات الوطنية والدولية، تضطرها إلى الوقوف موقف الحكم بين مختلف المصالح الكبرى وإلى ركوب تيار النمو والرقي في تمام الاستقرار والنظام. فلابد من التفكير في العمل "بالتخطيط" (Plan) وإن كانت مقوماته لا زالت لم تكتمل بعد في المغرب.

أما من حيث المضمون، فقد جاء إيريك لابون باقتراحات إصلاحية في الاقتصاد وفي الشؤون الاجتماعية وفي السياسة. فعلى الصعيد الاقتصادي أعرب عن ضرورة النهوض بحركة التصنيع في المغرب قائلا : "يثبت الحاضر والتاريخ أن الدول غير المصنعة تبقى دولا شبه متأخرة. لكن المغرب لا يريد أن يبقى متأخرا. ففوق الأرض وتحتها، وعلى البحر وفي الأجواء لا بد للصناعة المغربية من الانبعاث ومن السير بقوة نحو الازدهار". وقوام ذلك في نظره الماء والفحم والكهرباء والسماد. فلا مناص من تعزيز شبكة السدود بفتح أوراش جديدة بشأنها، ولا بد من الاستعانة بالفحم الحجري للزيادة في إنتاج الكهرباء والزيادة في إنتاج السماد مما تزخر به الأرض المغربية من الفوسفاط، ولا محيد عن العناية بالفلاحة العصرية التي هي الوجه الآخر من التصنيع، المفضي لزوما إلى التصدير، الذي هو مصدر كسب العملة الصعبة التي تمكن من اقتناء ما تحتاجه البلاد من أدوات التصنيع واستثمار الخيرات الباطنية مثل النفط الذي قال عنه إيريك لابون إنه لغز من الألغاز في المغرب يتطلب فكه أموالا لن تتوفر إلا من فائض الإنتاج. ولابد للنهوض بحركة التصدير من وسائل عصرية للنقل ومن إنشاء شركة مغربية للنقل الجوي بعد ما أصبح للطيران ما أصبح من الوزن في المعاملات الدولية. كما اقترح عددا ملموسا من المؤسسات الاقتصادية تساهم فيها الدولة والخواص من المغاربة والفرنسيين.

واحتلت قضية مشاركة المغاربة في استثمار خيرات المغرب مركز الصدارة في خطاب إيريك لابون فقال مثلا : "إن ما نحن بصدده هو أن نشعر الشعب المغربي بكل فصائله ونشعر الشبان والشابات بهذا الأمر وبهذه الحقيقة التي مفادها أن الحياة بكل مظاهرها مفتوحة أمام أعمالهم وأمام ما يبذلون من الذكاء وما يمارسون من مواهبهم". ولن يتم ذلك إلا بالنهوض بالتعليم وبالمبادرة إلى محو الأمية المتفشية في الجماهير. وقد أمر من توه بفتح مدارس قروية يقوم بأمرها متطوعون من الرجال والنساء مغاربة وفرنسيين ليلقنوا الأطفال اللغتين العربية والفرنسية ومبادئ الكتابة بهما والحساب، حتى إذا ما تعلم الشباب ذلك : "وجد نفسه مضطرا إلى التوجه في أعداد كبيرة بل وفي أعداد متزايدة إلى مختلف المدارس القانونية والتقنية والإدارية والمهنية". كما اقترح العناية بالطبقة العاملة وبسكناها، معربا عن عزمه تخويلها كامل الحقوق النقابية التي كانت موقوفة إلى ذلك الحين في المغرب على العمال الأوربيين. والتزم كذلك بمزيد من العناية بشؤون العدل والقضاء" لأن ذلك من أكثر ما ينتظر المغاربة المسلمون من وجوه الإصلاح".

واقترح في الأخير تتويجا لكل ذلك الشروع في الإصلاحات السياسية قائلا : "لابد أن تقترن التحولات الاقتصادية بما يناسب من التطور السياسي". فجاء بمشروع لإصلاح نظام البلديات على أساس تمثيل المغاربة والفرنسيين على قدم المساواة في مجلس موحد. واقترح إقامة مجالس جهوية وجعلها عشرة تتداول في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالجهة وبمميزاتها. وقال عن مجلس شورى الحكومة الذي كان مقسما إلى قسمين واحد للفرنسيين والثاني للمغاربة بأنه سيتحول إلى مجلس يجلس فيه المغاربة والفرنسيون جنبا إلى جنب للتشاور في شأن الميزانية والسير العام للحكومة.

وما كان هذا الكلام إلا ليثير استغراب واستهجان الجالية الاستعمارية التي لم تتقبل بصدر رحب أن يزاحمها المغاربة في استغلال خيرات البلاد وفي تسيير الشأن العام. وأول ما بدا من سخطها انسحاب ممثليها من مجلس شورى الحكومة. لكنهم لم يلبثوا أن عادوا إلى الجلسات حتى لا يفرغوا المجال لمغامرات المقيم العام، الذي لم يلق من جهة الحركة والوطنية ولا من جانب السلطان ما كان يتطلع إليه من المساندة. فإن حزب الاستقلال سرعان ما رد على خطابه بأن باب الإصلاح الوحيد هو الاستقلال. وقد رفض أحمد بالافريج الأمين العام للحزب ما اقترحه المقيم العام عليه من الانخراط في مجلس

إدارة كبرى المقاولات المستثمرة للفحم الحجري في المغرب. وأما السلطان فإنه وعد بالتوقيع على بعض الظهائر الإصلاحية شريطة أن يسمح له بزيارة المنطقة الخليفية ومدينة طنجة الدولية التي لم يزرها أي سلطان منذ خمسين سنة. وتقرر أن تتم الزيارة في مطلع شهر أبريل من سنة 1947. ولكن الأوساط الاستعمارية التي صارت تتربص الدوائر بإيريك لابون وتعمل في السر والعلن وفي المغرب وفي فرنسا لعرقلة مشاريعه الخطيرة على مصالحها دبرت بمؤامرة من الكلونيل ليكونت مدير الشؤون الداخلية وفيليب بونفاس رئيس ناحية الدار البيضاء لمجزرة ذهب ضحيتها مئات من المغاربة العزّل في الدرب الكبير في الدار البيضاء، وذلك يوم 7 أبريل، ليلة الرحلة الملكية سعيا في ثني السلطان عنها. لكن السلطان لم يلغ رحلته التي كانت تظاهرة وطنية رائعة ذكرت بأن المغرب أرض موحدة تحت إمرته وأنه ينتمي للعالم العربي الإسلامي وللقارة الإفريقية دون سواهما، ممتنعا بتلك الإشارة عن الانخراط في مشروع الاتحاد الفرنسي، ومغفلا كلمات الشكر المعهودة لفرنسا في الخطاب الرسمي عما قامت به في المغرب منذ 1912. فكان ذلك سبب عزل إيريك لابون عن الإقامة العامة وتعويضه بالجنرال ألفونس جوان. ففتحت أبواب الصراع بين المغرب وفرنسا الذي انتهى سنة 1955 بالاستقلال. فكانت فترة حكم إيريك لابون على قصرها بمثابة الموضح لما كان قد تفاقم من تناقضات النظام الاستعماري في المغرب. والخطأ الذي ارتكبه هذا المقيم العام ليس في تعيينه للكولونيل ليكونت على رأس إدارة الداخلية ولفليب بونفاس على رأس ناحية الدار البيضاء ولكن في تمسكه بنظام الحماية وظنه أنه يستطيع فك تناقضاته الصارخة بإقرار المساواة النيابية بين الأقلية الاستعمارية اعتبارا لنجاعتها الإنتاجية وبين الأغلبية المغربية اعتبارا لعددها، مما كان مرفوضا عند أطراف النزاع على اختلاف في الأسباب.

وعاد إيريك لابون إلى فرنسا ليشتغل في مناصب اقتصادية كبرى إلى أن أحيل على المعاش ثم توفي في السبعينيات من القرن العشرين.

Stéphane Bernard, *Le conflit franco-marocain 1943-1956*, Université Libre de Bruxelles, 1963 ; Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956*, Ed. Jeune-Afrique, 1978 ; Georges Oved, *La gauche française et le nationalisme marocain 1905-1955*, L'Harmattan, 1984.

إبراهيم بوطالب

**لاجيروند** (عملية -)، لاجيروند حانة بالدار البيضاء، كانت بمثابة مقر لعقد لقاءات واجتماعات أعضاء المنظمات اليمينية المتطرفة المعادية لإيجاد حل منصف للقضية المغربية، والتي لم يتورع أعضاؤها عن استعمال أسلحة نارية لحصد أرواح مغاربة. ومن أبرز هؤلاء الأعضاء "فرانسوا أفيفال" (F. Avival) الذي كان مدير الحانة.

وقد ارتبط اسم الحانة بواحدة من عمليات المقاومة المسلحة خلال الخمسينيات من القرن الماضي. ففي الساعة السابعة والربع من عشية الأحد 13 نونبر 1955، أقدم أفراد من منظمة جيش الأطلس على مهاجمة الحانة التي كان جل زبنائها من غلاة المعمرين. وقد خلّف الهجوم إصابات خطيرة في صفوفهم، وحاول المنفذون الفرار، لكن أفرادا من البوليس الفرنسي الذين كانوا غير بعيد عن مكان الهجوم تمكنوا من إلقاء القبض على أحد المهاجمين، بينما أصيب آخر برصاصات أطلقها عليه أحد زبائن الحانة، ويدل وجود مسلحين ضمن رواد الحانة على انتمائهم لمنظمات الإرهاب الأوربي.

وقد افتضح أمر المنظمة، فتم اعتقال عدد من أعضائها، كما تمت مصادرة أسلحة منها عبوة مهيأة للاستعمال.

*La Vigie Marocaine*, 14 novembre 1955, p. 4.

**لافارج ماروك** (Lafarge Maroc) مؤسسة مغربية رائدة في مجال إنتاج مواد البناء: الإسمنت والبيطون (Béton) والجبس والجير والگرانيلا (Granulats).

يعود ظهور هذه المؤسسة بالمغرب إلى سنة 1913، وأخذت مع مرور السنوات ترسخ وجودها إلى أن غدت رائدة على الصعيد الوطني في مجال مواد البناء.

في 8 دجنبر 1928 تأسست "لاصوسيتي ماروكين دي سيمون لافارج" (La Société Marocaine des Ciments Lafarge) والتي وقعت عام 1929 اتفاقاً للانضمام إلى التجمع مع شو إي سيمون دي ماروك" (Chaux et Ciments du Maroc) المستقرة بالمغرب منذ 1913. وبعد مفاوضات عسيرة وطويلة قادها شارل دهير (Ch. Daher) تمكنت الشركة المغربية للإسمنت لافارج من الحصول على 27٪ من رأس المال.

في 1930 انطلق أول فرن رحوي في المغرب بطاقة إنتاجية بلغت 120 ألف طن، وفي سنة 1934 أنشئ فرن ثانٍ بمصنع الروش نوار بالدار البيضاء، وفي عام 1948 شرع فرن ثالث في العمل، وبعد مرور عامين ظهرت "لاصوسيتي دي سيمون أرتيفيسييل دي مكناس" (La Société des Ciments Artificiels de Meknès). وشرعت في الإنتاج سنة 1953 بينما شهدت سنة 1954 انطلاق العمل بفرن رابع في مصنع الروش نوار.

في 1968 ظهرت "لافارج ماروك" برأسمال مائة ألف درهم، وأصبحت مؤسسة "شو إي سيمون دي ماروك" المساهم الرئيسي في رأسمالها. وقد ارتفع رأس المال إلى 44,2 مليون درهم سنة 1971 وبلغت حصة "شو إي سيمون دي ماروك" 22 مليون درهم. وبموازاة الارتفاع في رأس المال كانت وحدات الإنتاج تتعزز باستمرار، إذ انطلق فرن خامس في الإنتاج، فارتفعت الطاقة الإنتاجية إلى 950 ألف طن.

وفي عام 1981 أسست لافارج ماروك شركة جديدة تحت اسم: "سيمونتري نوفيل دي كازا بلانكا" (Cimenterie

Nouvelle de Casablanca : "CINOUCA". وبعد مرور عام واحد فقط انطلق إنتاج مصنع بوسكورة بضواحي الدار البيضاء، وهو الذي سيعوض مصنع لافارج ماروك بالروش نوار الذي توقف عن الإنتاج سنة 1986، وكان قد ألحق ضرراً كبيراً بساكنة الروش نوار والمناطق المحاذية لها، ويعد مصنع بوسكورة أهم وحدة للإنتاج على الصعيد الوطني، وهو أيضا الوحيد الذي يتوفر على ورش للسحق والتكييس (Broyage et ensachage).

يبلغ الإنتاج الحالي لمصنع بوسكورة 2 مليوني (2) طن سنوياً سيرتفع عام 2006 بـ : 900 ألف طن ليصل إلى حوالي 3 ملايين طن.

ويأتي بعده من حيث الأهمية مصنع مكناس الذي يحتل موقعاً جغرافياً مهماً، ويبلغ إنتاجه 1 مليون طن، وقد بلغ سنة 2003 : 1250.000 طن.

في المرتبة الثالثة يأتي مصنع تطوان بإنتاج يبلغ سنوياً 1 مليون طن. وأخيراً مصنع طنجة ويبلغ إنتاجه 500 ألف طن سنوياً، ويقوم بدور أساسي في تزويد شمال المغرب بحاجاته من الإسمنت.

عموماً تنتج لافارج المغرب 4,5 مليون طن، وتستحوذ على 41,75٪ من السوق الوطنية.

عن موقع المؤسسة في شبكة *الأنترنيت*.

محمد وحيد

**لاكوسط** (فرانسيس) Francis Lacoste من مواليد 27 نونبر 1905. شغل منصب مندوب فرنسا في الإقامة العامة بالرباط (1947 ـ 1948) إلى جانب الجنرال جوان، ثم عين مندوبا لبلاده في لجنة الأمم المتحدة المكلفة بالطاقة الذرية (1948 ـ 1952). وفي فاتح يونيو 1954 عينته الحكومة الفرنسية مقيما عاما بالمغرب خلفا للجنرال گيوم. وكان الغرض من تعيين دبلوماسي مدني هو تهدئة الأزمة المتصاعدة في العلاقات المغربية الفرنسية منذ نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف. غير أن الأمور لم تسر على هدى إذ تفاقمت الأوضاع وكثرت ضحايا العنف في مختلف جهات المغرب. ولم يجد لاكوسط في جعبته ما يواجه به ذلك غير تجربته القديمة مع جوان والمتمثلة في موالاة أطماع كبار المعمرين ذوي النزعة الإستعمارية المتطرفة. ولما سقط رجل الأعمال الفرنسي لوميگر دوبروي في الدار البيضاء برصاص بعض الغلاة الأوربيين (11 يونيو 1955)، ارتأت الحكومة الفرنسية وضع حد لمأمورية لاكوسط في المغرب وتعيين جيلبير گرانفال خلفا له.

جامع بيضا

**لُبْ**، ويكتب أيضا اللُّبْ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Lope - Lopo - Lupe ؛ وتوجد بإسبانيا أسر تحمل اسم Lobo وLopo وLupo، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان حيث أن آخر أفرادها واسمه أحمد كان بقيد الحياة سنة 1246 (1830).

م. ابن عزوز، حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1990). تطاون 1999.

محمد بن عزوز حكيم

**اللُّب**، (أسرة بمكناس وفاس) من الأسر المكناسية التي ورد ذكرها في ديوان تحقيق أنساب ساكني مدينة مكناس، الذي أمر المولى إسماعيل قائده أحمد بن يعزى العرائشي بكتابته ومما جاء في : "أولاد اللب أندلس من غرناطة".

وكانت لأحدهم وهو مسعود اللب دار على مقربة من الجامع الأعظم بمدينة مكناس حسب ما هو مذكور في إحدى الحوالات الحبسية الاسماعيلية الخاصة بمدينة مكناس : "... وماء عين تاگمة المنجر من حبس المسجد الأعظم ... مبدؤه من السور القريب من سيدي أبي زكريا الصبان إلى المعدة التي بين باب المسجد المذكور وباب دار السيد مسعود اللب". وقد انتقل بعضهم من مكناس إلى مدينة فاس، إذ ذكرهم عبد الكبير الكتاني في كتابه "*زهر الآس في بيوتات أهل فاس*" مؤكداً أصلهم الأندلسي فيقول : "أولاد اللب أندلسيون وهم من قدماء فاس كانت لهم ثروة ولازال جنان بالمرج خارج باب سيدي أبي جيدة يسمى بجنان اللب إلى الآن" ويضيف : "كان بفاس منهم التاجر الأوجه الخير الأنزه الحاج الأبر السيد محمد (فتحا) بن إبراهيم اللب الأندلسي المكناسي. كانت له الدار الكائنة بزنقة حجامة، في مجاورة دار الأديب ابن زاكور ودار أقصبي ودار العكري ودار ابن جلون وهي اليوم معروفة لجانب حبس أولاد البوري وخرجت عن ملكه بالبيع بتاريخ أواخر رجب عام اثنين وثلاثين ومائة وألف".

وقد انقرضت هاته الأسرة في مكناس على حد قول ابن زيدان : "لم يبق منها الآن اسم ولا وسم" كما انقرضت في فاس حسب ما ورد عند الكتاني : "واليوم انقرض هذا القبيل في فاس والبقاء الله".

حوالة *الأحباس الكبرى بمكناس*، رقم 5، ص. 148 ؛ ع. ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، تح. عبد الهادي التازي، الدار البيضاء، 1993، ص. 216 ؛ عبد الكبير الكتاني، *زهر الآس*، تح. علي المنتصر الكتاني، ج 2، الدار البيضاء، ص. 102 ؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس*، ج 1، ص. 244.

رقية بلمقدم

**اللَّبَّاطْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Labata ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1191 (1777).

م. ابن عزوز، حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1990). تطاون 1999.

**اللَّبُّوع**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس واشتهر جل أفرادها بالفلاحة تذكر منهم الوثائق : العربي بن المامون اللبوع الذي كان يساعد القضاة في الخبرة في شؤون الفلاحة سنة 1214 (1799).

م. ابن عزوز، حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1990). تطاون 1999.

محمد بن عزوز حكيم

**لبتاستا** Leptasta، ملك ينتمي لموريطانية انفرد سالوست بذكره في واحد من المقتطفات التي سلمت من ضياع كتابه التاريخ. قال الكاتب في هذا الصدد : "تم الإتيان بالملك لبتاستا من موريطانية تحت الحراسة وهو متهم بالخيانة". ومن خلال ورود الملك في كتاب التاريخ لسالوست، فإن فترة حكمه ترجع إلى النصف الثاني من القرن الأخير قبل الميلاد.

والراجح أن ظروف حكمه ترتبط بأوضاع مملكة الموريين بعد الملك مستانيسوس Mastanesosus، حيث تم تقسيم مجال نفوذ الموريين إلى مملكتين يفصل بينهما نهر ملوية. وفي تقديرنا أن للقائد الروماني بومبيوس Pompeus دوراً هاماً في تسوية تناقضات الموريين التي أفضت إلى تقسيم الملك بينهم. والراجح أن لبتاستا تولى الملك لمدة وجيزة، قبل أن يستقر الوضع للملكين بگود Bogud وبكوس الثاني Bocchus. ومما يدل عن قصر فترة حكمه كونه لم يصدر عملة تمثل فترة سيادته على موريطانية. أما الإشارة في النص إلى إلقاء القبض عليه واتهامه بالخيانة، فقد تكون ناجمة عن تشبثه بالحكم، ورفضه للتسوية التي نرجح أن بومبيوس قد قام بها. ومهما يكن من أمر فإن النص المتعلق بلبتاستا والإتيان به إلى رومة على ما يبدو، يؤكد ما نعرفه عن أن القادة الرومان كانوا يتدخلون في أوضاع الموريين في هذه الفترة، وعلى رأسهم القائد بومبيوس. وبناء على ذلك نرجح أن لبتاستا كان طرفا في صراعات قامت حول الحكم بعد ماستانيسوس، مثلما حدث بعد وفاة بكوس الأول، حيث قام الموريون بثورة مظفرة ضد الملك أسكاليس Askalis. وكما أن هذه الثورة باءت بالفشل، نقدر أن ثورة أخرى كانت مؤقتا لصالح لبتاستا. لكنه اتهم بالخيانة، ونقل إلى رومة حيث سيكون مصيره هو العقاب. والله أعلم.

م. مجدوب، *أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة؛ مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م ؛ دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*.

S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord,* t. 7, Paris, 1928 ; M. Majdoub, Pompeus Magnus et les rois maures, dans *Africa Romana, 12, 1998,* 1231-8.

محمد مجدوب

**لبريس**، أسرة رباطية عريقة أصلها من الأندلس اشتهر منها قديما أيام السلطان محمد بن عبد الله 1757 ـ 1790، إبراهيم لبريس، ورد اسمه في لائحة رؤساء البحر الذين أثبتهم الضعيف.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدو*، تح. أحمد العماري، الرباط، 19686، ص. 196.

عبد الإله الفاسي

**لبريس**، الرايس **إدريس** من الرياس الأندلسيين. كان من بين رجال بحرية أسطول سيدي محمد بن عبد الله، مشرفا في موسم 1766 على غليوطة كبيرة مجهزة ببطارية من اثني وثلاثين مدفعا، وبطاقم مؤلف من مائة وخمسين رجلا، عدت ثاني سفينة من حيث القوة بعد سفينة الرايس سالم الطرابلسي.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص. 60 ـ 259.

حسن أميلي

**لبريس، الطاهر** أبوه الفقيه أحمد بن الطاهر وهو من كتاب الرباط وأدبائه وعدوله في عهد القاضيين البريبري وابن إبراهيم، استخدم عدلا في مرسى الدار البيضاء وانتدبه السلطان مولاي الحسن كاتبا مع أمين الأمناء محمد موخا التازي.

توفي بفاس عام 1293.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 317.

**لبريس، عبد الرحمان** فقيه عالم، أخذ العلم عن القاضي أحمد ملين وغيره ولما ظهر نبوغه أخد يدرّس، ولم يثنه العلم عن تعاطي النشاط التجاري. وممن كان يحضر مجالسه العلمية الخليفة مولاي الرشيد العلوي والعالم المهدي متجنوش والمكي البطاوري الذي كان قرأ عليه الأجرومية وغيرها بمسجد دينية والقبة. وكان البطاوري هو الذي يسرد عليه شرح الخرشي على المختصر، وكان سنة 1289 يمارس العدالة كما هو موجود في أحد الرسوم. ألف تآليف منها حاشية على شرح الزموري على الخزرجية. ذكر فيها تحقيقات، ومنها عدة تقاييد في علم التوقيت. ولي قضاء الدار البيضاء نائبا عن قاضي الرباط الفقيه أحمد ملين من

سنة 1297 / 1897 إلى 1307 / 1890. توجه للحج. وتوفي قرب المدينة المنورة بمرحلتين ودفن بمحل وفاته، وورد خبر موته إلى الرباط في أواخر صفر 1308 / 1891.

دينية، *مجالس*، ص. 220 ؛ الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 227.

**لبريس، عبد القادر** أديب شاعر على نمط أدباء الأندلس، له عدة مساجلات ومراسلات مع أدباء الرباط وسلا. تعلم على يد أخيه عبد الرحمان المتقدم الذكر وعلى شيخه في الطريقة التجانية سيدي العربي بن السايح. له ديوانان إثنان اشتمل أحدهما على قصائد نبوية.

توفي يوم السبت 5 قعدة 1332 / 1914 ودفن في الزاوية الناصرية.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 403.

عبد الإله الفاسي

**لبريس، عبد القادر** جنرال مغربي، ولد بالرباط عام 1932 من أسرة شهيرة تنتمي إلى أصل أندلسي، تولى مناصب عسكرية كبيرة وقام بمهمات عسكرية داخل المغرب وخارجه، شارك بالتجريدة المغربية التي ذهبت إلى الكونغو سنة 1960 وقام بتدريب وحدات الجيش لا سيما فرق المظليين، وتولى إدارة مدرسة الأركان العامة للقوات المسلحة الملكية، وعينه جلالة الملك الحسن الثاني سنة 1977 على رأس التجريدة المغربية التي ذهبت إلى دولة الزايير (دولة الكونغو الديمقراطية حاليا) وعين عام 1979 مفتشا لقوات التدخل المنتشرة في أكادير والمناطق العسكرية في الجنوب المغربي.

عين جنرال لواء (دوبركاد) سنة 1985 ثم جنرال فريق (دوديفزيون) سنة 1994 ثم مفتشا عاما للقوات المسلحة الملكية في نفس السنة.

توفي بالرباط يوم الخميس 5 رمضان 1419 الموافق 24 دجنبر 1998، ودفن ظهر يوم الجمعة بمقبرة الشهداء.

بهيجة سيمو

**لبيب، عبد الكريم** بن الشيخ **الحسن** بن القاضي علي ابن الشيخ همّو الخلفي، أو الخلفاوي، ولد سنة 1905 وتولى مشيخة قبيلة آيت إخلف بعد وفاة خاله الشيخ محمد، وعمره 17 سنة. وكانت حياته حافلة بالأحداث، خرج منها بسلام، مما جعله يحظى باحترام معاصريه، وقد شارك في الدفاع ضد الحملة الفرنسية ما بين (1920 - 1934) وفي سنة 1934 ناب عن قبيلته بصفته أمْغارْ ضمن ستة من شيوخ قبائل آيت باعمران، حيث وقّعوا مع الفرنسيين، وبحضور ضابط إسباني، اتفاقية ثلاثاء الأخصاص 1934 بأن آيت باعمران يشملهم الحكم الإسباني، وسلمت ثلاث نسخ من تلك الاتفاقية لمن كان لعائلتهم ظهائر سلاطين المغرب، لكل من القائد أحمد أصبايو، ونائب الشيخ سعيد محمد أ فقير الخمسي، ولبيب عبد الكريم الخلفي.

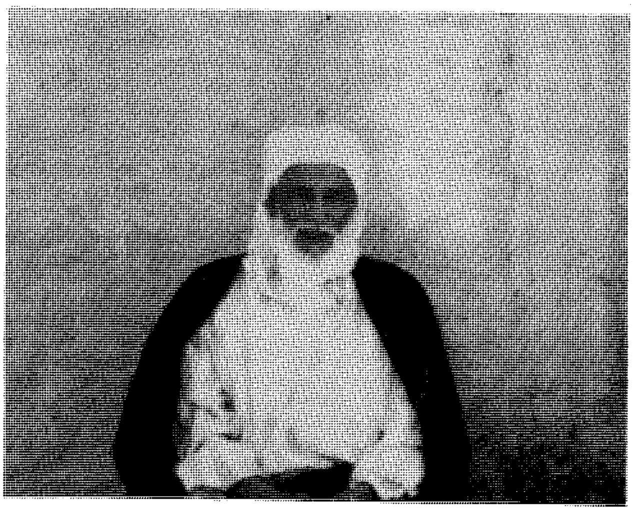

وقد انسحب الشيخ سعيد، لأنه رفض طلب فرنسا، وهو إخراج برابرة الأطلس مثل آيت خبّاش، من آيت باعمران. وقد رفض ذلك، بل خصص لهم حي يسمي باسم حي لبرابر في مدينة سيدي إفني حتى الآن.

كما كان المترجم أول من أعلن نصر السلطان في أمْوگار (موسم) الصالح سيدي محمد بن عبد الله، المشترك بين الحمايتين الإسبانية والفرنسية، ثم تتابع نصر السلطان في باقي أسواق آيت عمران من طرف شيوخ القبائل، وذلك سنة 1947 وفي تلك الأحداث طلب لبيب استقالته من الحكم، فأمرته إسبانيا بأن يلازم داره، لذلك لم يقبض عليه بينما قبض على شيوخ القبائل، وفرّ البعض إلى منطقة الحماية الفرنسية، وباعت إسبانيا ماشيتهم وذلك ما يعرف بثورة آيت باعمران ضد التجنيس. وفي سنة 1953 عندما نفي ملك المغرب سيدي محمد بن يوسف، لعب لبيب دوراً هاماً لدى الإسبان من أجل قبول الفدائيين من الدار البيضاء خاصة وإيوائهم في داره بمدينة سيدي إفني لمدة طويلة، وفي ثورة آيت باعمران سنة 1957 ساهم لبيب بالمشاركة في الحرب وبدفع السلاح ووضع داره كمركز لجيش التحرير، ومع ذلك تعرض لبعض المضايقات وكان يحسن التحدث بالإسبانية وهو متدين وكان يسمع أكثر مما يتكلم.

*تحريات خاصة.*

الحسين جهادي

**لحبيب، محمد** ولد سنة 1933 بالساقية الحمراء.

شارك في العمل الثوري الذي خاضته الأمة المغربية وعلى رأسها ملكها المغفور له محمد الخامس في فترة المخاض التحرري الذي عاشه المغرب في سبيل الدفاع عن المطالب المشروعة التي كان واقا إليها.

يعد محمد لحبيب من بين أولئك الشهداء الذين وهبوا حياتهم في الدفاع عن حرية الوطن وكرامته، ولقد التحق بصفوف جيش التحرير في الوحدة المرابطة بالساقية الحمراء بالمقاطعة السابعة تحت قيادة امبارك منار وذلك سنة 1956.

جاهد بالغالي والنفيس من أجل تحرير ما تبقى من الأقاليم بيد المستعمر حيث شارك في عدة معارك أظهر فيها شجاعة صادقة كمعركة أم العشار ومعركة مرگالة التي استشهد فيها سنة 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503407.

**لحسوك، (الحاج -) المعطي** بن **بريك** من كبار أشياخ الملحون والحفاظ المتفوقين. ولد بمراكش سنة 1282 / 1866 على عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان.

اتصل بأشياخ الملحون وأخذ عنهم، كالشيخ عبد القادر بن محمد السويسي، إلى أن اشتهر كمنشد فصيح النطق، جميل الصوت، فخيم النغمة، بارع في ضبط الميزان.

وقد أصبح من خاصة المولى عبد الحفيظ في فترة خلافته بمراكش (1311 ـ 1325)، وكان من مجالسيه أيضا الفقيه الدفلي، ومولاي أبيه البيطار.

وفي سنة 1321 استقدمه إلى فاس المولى عبد العزيز بعد توليه الملك فقربه إليه واتخذه من جلسائه. ثم لما تولى المولى عبد الحفيظ الملك جرى على سنة أخيه، فألحقه بجلسائه وكان فيهم بلديه الشيخ محمد الحمري (ت. 1372).

وقد هجاه شيخ الجماعة بمراكش أحمد امريفق (ت. في حدود 1325) وعرض به بسبب تخلفه عن حضور نزهة دعي إليها عامة الأشياخ في مراكش، وكان قد قاضاهُ لدى باشا المدينة الذي أدخله السجن حيث لبث أياما التحق بعدها بالنزهة ليقف أمام امريفق وهو يهجوه أمام الملأ بقصيدة : "زالت الاحلاك" تقول حربتها :

ما شاهدناك

في مْـقَامْ مْشرَّف عَالِي لاَ هُوَ مَدْرُوكْ    راكْ غِير ذَنْبَة فِيه حَسْكَة

توفي لحسوك بمراكش سنة 1355 / 1936 بعد عودته إليها من الديار المقدسة حيث أدى مناسك الحج رفقة القايد العيادي.

م. الفاسي، *معلمة الملحون*، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، ج 1 ـ 2، ص. 33 ـ 245 ؛ *بطاقة خاصة*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**لحلو، عبد الكريم**، أحد وطنيي الدار البيضاء، قام ببناء الثانوية أو المؤسسة التي لاتزال تحمل اسمه إلى يومنا هذا، وذلك لاستيعاب تلاميذ المدارس الحرة المغربية الحاصلين على الشهادة الابتدائية.

وقد تم بناء المؤسسة على مساحة 4503 م$^2$ وشرعت في استقبال التلاميذ سنة 1949. وسنة بعد ذلك توفي عبد الكريم لحلو، فتم التنازل عنها في فاتح شتنبر 1961 من قبل الورثة، إذ تسلمها المجلس البلدي عن طريق اتفاقية، ثم تنازل عنها المجلس بدوره لفائدة وزارة التعليم، فأصبحت المؤسسة تحمل اسم "المعهد البلدي للبنين"، وظلت إلى ما بعد 1965 تحمل هذا الإسم لأن هناك مذكرة تحمل رقم 1474 وردت على المؤسسة يوم 13 نونبر 1965 وسجلت تحت رقم 86 حول بعض المتأخرات التي بذمة المؤسسة، وما يهم من هذه المذكرة أن المؤسسة كانت ماتزال تحمل اسم المعهد البلدي للبنين.

عادت المؤسسة لتحمل الإسم الذي عُرفت به سابقاً، أي ثانوية عبد الكريم لحلو، وتعد إلى جانب ثانوية محمد الخامس وثانوية مولاي عبد الله من بين ثانويات الدار البيضاء الكبرى بالنظر للمكانة التي أضحت الآن لعدد كبير من قدماء تلامذتها، وبالنظر كذلك إلى حضورها في الكثير من أحداث الدار البيضاء مثل مظاهرات مارس 1965 وإضرابات 1973 على الخصوص.

*من شهادة مدير الثانوية الخبير محمد بن الحسن.*

محمد وحيد

**اللحوم البيضاء**، يقصد بها عادة لحوم الدجاج (Poule) والديك الرومي (Dinde) اعتباراً لميل لونها إلى الأبيض. وتجدر الإشارة إلى أن اللون الأبيض في اللحوم تنقص حدته في بعض أجزاء الذبيحة Carcasse، حيث نجد أن الصدر والجناح أكثر صفاء من الفخذين لضعف تركيز صبغة الميوغلوبين بهما.

ورغم تعميم صفة اللحوم البيضاء على عموم لحوم الطيور الأخرى إلا أن بعضها تبدو مائلة إلى الحمرة كالبط والإوز والسماني والتدرج والحجل.

وعند الحديث عن اللحوم البيضاء، تتبادر إلى الذهن تربية الدواجن Aviculture التي عرفت خلال العقود الأخيرة تطوراً مذهلا فاق كل التوقعات. فمن تربية محدودة ببضع عشرات من الدجاج في زرائب متواضعة إلى بيوت عصرية مجهزة أحسن تجهيز قد يحوي الواحد منها أربعين ألف طائر (40000)، تضمها مزارع قد تتجاوز طاقتها الإنتاجية مئات الآلاف.

إن تربية الدواجن تشمل إضافة إلى إنتاج اللحوم المختلفة التي يتم تقطيعها وتحضيرها حسب ذوق المستهلك،

إنتاج البيض، والجلد والريش. ويبقى الاعتبار لمادتين أساسيتين هما اللحوم والبيض.

إن الإنتاج العالمي الحالي من اللحوم البيضاء تجاوز 60 مليون طن سنويا بينما البيض 820 مليار وحدة، ويتمركز هذا الإنتاج بالأساس في القارة الأمريكية وأوروبا وآسيا.

لقد تم تدجين الطيور من طرف الإنسان منذ عدة قرون، حوالي 2000 سنة (ف.م) وقد دأب الإنسان على تربية الدجاج والديك الرومي وطائر الحبشي وبعض الطيور الأخرى في زرائب متواضعة ملحقة بالمزرعة أو البيت. وهدفت هذه التربية إلى الاستفادة من الإناث في إنتاج البيض بينما يوجه الذكور والإناث التي لا تبيض إلى إنتاج اللحوم والريش أو إلى التسويق.

وانطلاقا من الثلاثينيات من القرن الماضي عرفت تربية الدواجن تطوراً مذهلا خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، ويرجع السبب الرئيسي في هذا التطور إلى التحسين الوراثي الذي استثمرت فيه أموال طائلة واستفيد فيه من الدورة السريعة لعمر الطيور. وأسطع دليل على هذا التطور القفزة الهائلة التي عرفتها "معامل التحويل الغذائي" عند الدجاج اللاحم، والمعامل الذي يشير إلى مقدار العلف الذي يمكن من إنتاج كلغ واحد من اللحم انتقل من حوالي 2.75 سنة 1960 إلى أقل من 1,8 سنة 1995 ولازال مرشحا لمزيد من الانخفاض.

ويعزو الكثير من الأخصائيين إقبال الناس على اللحوم البيضاء وتطورها السريع إلى خصائص هذه اللحوم التي تجعل منها لحوما ذات جودة غذائية عالية، سهلة الهضم، صحية وسهلة التحضير.

أما عن خصائص اللحوم البيضاء والبيض :

فالخاصية الأولى : اللحوم البيضاء بصفة عامة تختزن نسبة من الشحوم تتراوح بين 1,5 و2٪. وهذه النسبة ضعيفة جدا بالمقارنة مع مثيلاتها في اللحوم الحمراء حيث تتراوح بين 15 و20٪ لدى لحوم البقر وهي شحوم تختزن في مناطق من الجسم يسهل التخلص منها كالجلد والبطن.

الخاصية الثانية : شحوم اللحوم البيضاء تتوفر على نسبة مرتفعة من الأحماض الدهنية الغير مشبعة Acides gras poly - insaturés حوالي 22,6٪.

الخاصية الثالثة : نسبة البروتين في المادة الجافة في لحم الصدر 90٪ و70 إلى 78٪ في لحم الفخذ. وهذه النسب المرتفعة للبروتين تجعل لحوم الدجاج ذات جودة عالية.

ويعتبر البيض المادة البيولوجية الوحيدة التي توفر كل المتطلبات الغذائية اليومية للإنسان عدا الكالسيوم وفيتامين س. وتوجد هذه المادة الغذائية محفوظة بالقشرة المحيطة بالبيضة التي تقيها من الميكروبات الخارجية في حين تيسر لها مرور الغازات من وإلى المحيط الخارجي.

ويشكل البروتين نسبة مهمة من محّ البيض (حوالي 30٪) بينما الدهنيات حوالي 63٪ بالإضافة إلى نسب معتبرة من الأملاح المعدنية والفيتامينات.

وإن المواطن المغربي حين يتوجه لشراء حاجياته الغذائية يجد في الأسواق التقليدية المنتوجات التالية أو بعضا منها

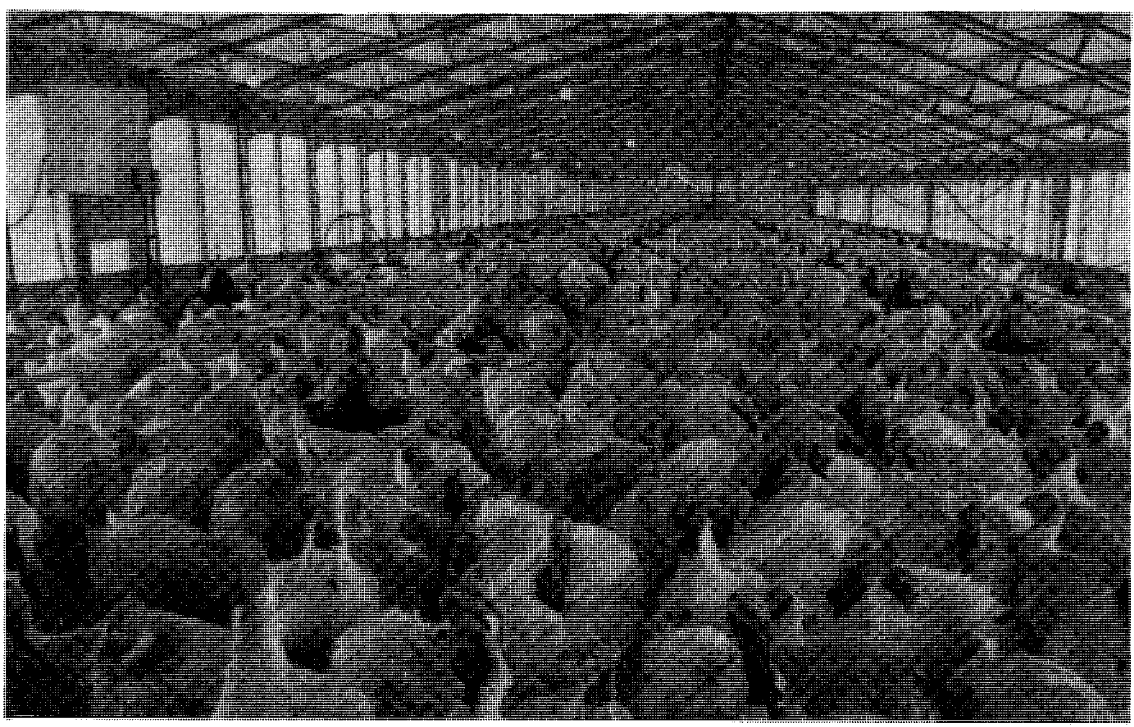

حسب أهمية السوق : الدجاج "الرومي"، الدجاج "الكروازي"، الدجاج "البلدي"، الديك الرومي (بيبي) : البيض "الرومي" أو البيض "البلدي". والمتوجه إلى الأسواق الممتازة يجد هذه المنتوجات (عدا الدجاج "الكروازي") بالإضافة إلى لحوم أخرى كالسماني والحجل والتدرج والبط والحبشي إلخ. والسؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن هو كيف يتم إنتاج هذه المواد المختلفة من البيض واللحوم ؟

إن إنتاج هذه المواد يتم من خلال قطاع اقتصادي عرف تطورا هائلا خلال الثلاثين سنة الأخيرة شبيه بالتطور الذي عرفه قطاع تربية الدواجن عالميا. وللتدليل على أهمية هذا القطاع هناك عدد من الأرقام تظهر ذلك. فمتوسط ما يستهلكه المغربي من بروتين يوميا هو 14 غ تمثل اللحوم البيضاء منها نسبة 35٪ (حوالي 5 غ). وقد انتقل الاستهلاك السنوي للمواطن المغربي من 2,3 كغ من اللحوم البيضاء و21 بيضة سنة 1970 إلى 8,1 كلغ من اللحوم البيضاء و110 بيضة سنة 1998 وقد بلغ الإنتاج الحالي للمغرب من اللحوم البيضاء حوالي 250.000 طن و3,2 مليار بيضة.

ويرجع المهتمون بالقطاع هذا التطور الكبير لقطاع الدواجن بالمغرب إلى إقبال المواطن على منتاجتها نظرا لجودتها الغذائية العالية وانخفاض أسعارها حيث أن ثمن 1 كلغ من اللحوم الحمراء يتيح شراء حوالي 3 كلغ من لحم الدجاج وحوالي 50 بيضة.

ولقد بدأت أولى مؤشرات تنمية القطاع في الستينيات ولكنها لم تأخذ شكلها العصري إلا في أواسط السبعينيات، حيث بدأت تظهر إلى الوجود وحدات عصرية في مختلف حلقات الإنتاج. وتتوزع هذه الوحدات على الشكل الآتي :

معامل التفريخ / مزارع الأمهات : حوالي 40

معامل العلف : حوالي 30

مزارع الدجاج اللاحم : حوالي 5.000

مزارع الديك الرومي اللاحم : حوالي 4

مزارع الدجاج البياض : حوالي 500

مختبرات الأدوية واللقاحات : حوالي 10

مجازر حديثة : حوالي 4

مختبر التحاليل البيطرية العمومية : 6

الأطباء البياطرة العاملين بالقطاع : أكثر من 100.

ويقدر الرأسمال المستثمر في هذه الوحدات بحوالي 5 ملايير درهم ويتم تشغيل 50 ألف عامل بشكل مباشر و150 ألف بشكل غير مباشر. وينتج عن هذه الحركية الاقتصادية حجم معاملات يتجاوز 9 ملايير درهم.

كيف تنتظم هذه الوحدات فيما بينها ؟

إن معامل التفريخ تستورد "المنسلات" Reproducteurs وهي كتاكيت من عمر يوم واحد من الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا وبعض دول أوربا الغربية. وبعد حوالي ستة أشهر من التربية تدخل هذه القطعان في مرحلة إنتاج بيض مخصب يتم تخصيبه في حاضنات كبيرة تتسع لحوالي 100 ألف بيضة ثم يتم بعد ذلك تفقيسيه في "فاقسات" وتعبئة الكتاكيت في صناديق من ورق مقوى أو بلاستيكية.

تنقل هذه الكتاكيت في اليوم الأول من عمرها إلى مزارع الإنتاج وهي صنفان :

- صنف لاحم تدوم تربيته في المتوسط 45 يوما حيث يبلغ وزنا متوسطا يقدر بـ 2 كلغ.

- صنف بياض تدوم تربيته 18 أسبوعا يدخل بعدها في مرحلة إنتاج البيض تدوم 54 أسبوعا حيث يصل متوسط الإنتاج 300 بيضة لكل دجاجة.

وتصنع الأعلاف الموجهة لمختلف مزارع الإنتاج في معامل حديثة تعتمد عديد منها على المعلوميات في تسييرها. وتخضع مختلف قطعان الدجاج إلى برامج تلقيح تهدف إلى وقايتها من الأمراض. وتصنع هذه اللقاحات بالإضافة إلى الأدوية في مختبرات خاصة. أما عن متابعة هذه القطعان صحيا فيتم عبر تحاليل بيطرية في مختبرات تحليل عمومية بتوجيه من الأطباء البياطرة.

عند نهاية مرحلة التربية ينقل جزء قليل من الدجاج اللاحم إلى مجازر حديثة حيث يذبح ويسلخ ويهيأ بعد الكشف البيطري ليرسل إلى أماكن البيع وهي على الخصوص الأسواق الممتازة المنتشرة في المدن الكبرى. أما الجزء الأكبر من الدجاج اللاحم فيتم نقله إلى "مجازر" تقليدية تعرف بـ"الرياشات" حيث يتم تسويقه حيا ويذبح عند الطلب. وهذه المجازر التقليدية منتشرة بكثرة في الأسواق والأحياء.

وعبر هذه "الرياشات" أيضا يتم تسويق الدجاج البياض بعد انتهاء مرحلته الإنتاجية أي بعد حوالي 76 أسبوعا من عمره. ويتم بيع هذا النوع من الدجاج على أساس أنه هجين أي "كراوزي Croisé" وهو وصف غير صحيح من الناحية العلمية.

أما بالنسبة لبيض الاستهلاك فيباع أغلبه بشكل تقليدي حيث تعرض 3 أصناف :الكبير، المتوسط والصغير دون إشارة لتاريخ الإنتاج حسب ما هو معمول به في الدولة المتقدمة. ويتم تسويق جزء بسيط من بيض الاستهلاك في الأسواق الممتازة بعد تغليفه وتصنيفه والإشارة إلى تاريخ الإنتاج.

أما باقي الطيور الأخرى فلازال إنتاجها محدودا وهي السماني والبط والإوز والحبشي والحجل والتدرج والنعام باستثناء الديك الرومي الذي أخذت تربيته تعرف توسعا

معتبرا بانطلاق وحدة مندمجة تضم مختلف مراحل الإنتاج من مزارع للتربية ومصنع للعلف ومجزرة حديثة ومعمل لتصنيع اللحوم (الكاشير والمورتديلا).

وتجدر الإشارة إلى أنه رغم هذا التطور الهائل الذي عرفه قطاع تربية الدواجن فإنه لازال يعاني من مشاكل إذا لم تتدارك ستعوق قدرته التنافسية في أفق العولمة الاقتصادية. وأهم هذه المشاكل افتقار القطاع إلى إطار قانوني تنظيمي يضبط العلاقات بين مختلف وحدات الإنتاج ويضمن حقوق مختلف الفاعلين الاقتصاديين و كذا غياب التصنيف.

عبد القادر اعمارة

**اللحياني، العربي** بن **إدريس** الشريف العلمي الشهير بالموساوي نسبة إلى مدشر موساوة. كانت له مشاركة تامة في فنون شتى منها الفقه والحديث والتفسير والأصول والنحو والبيان والمنطق. لا نعرف بالضبط تاريخ ومكان مولده ولعله كان بمدشر موساوة أحد مداشر جبل زرهون.

تلقى العلم بمدينة فاس على كبار مشايخها وفقهائها المشهود لهم بالتفوق، وعلى رأسهم : الشيخ بدر الدين الحمومي (ت. 1622 / 1849) وعلي التسولي (ت. 1258 / 1842) وبعد أن أنهى تعليمه اشتغل بالتدريس ومن أشهر من أخذ عنه : الكامل الأمراني ومحمد بن الطاهر الفاسي. ولم يشتهر العربي اللحياني بالمشاركة العلمية والمعرفة الواسعة بل عرف أيضا بصلاحه وورعه وإقباله الشديد على العبادة وإذا كانت المصادر تتحدث عن ورعه فإنها لا تسعف في معرفة طبقته وما إذا كان قد أدرك مستوى المشيخة طبقا للقواعد والشروط الخمس التي وضعها الصوفية. إلا أن ابن زيدان يقول بأن سيدي العربي بن السايح (ت. 1309 / 191) دفين الرباط كان ينوه بقدر المترجم ويثني عليه ويحض الناس على زيارته والتبرك به، وقد قام ابن زيدان بزيارته بداره بمدشر موساوة والتمس بركته حيث قال : "ودعا لي بخير ولقنني الورد التيجاني وسائر أذكار الطريق وأسرارها وأجازني عامة في ذلك برد الله ثراه ..." فهل يعني ذلك أن النهج الصوفي للعربي اللحياني كان على طريقة الشيخ أحمد التجاني ؟

ويُحكى أنه قد شوهدت منه مكاشفات عجيبة.

وترك عدة مؤلفات من بينها : "القول النافع، والجواب القامع، في بيان مخرج الضاد المعجمة والتاء الفوقية المثناة". و"منحة الاخوان"، و"رسالة الترغيب والترهيب في الطريق والتصوف وآداب المريد"، و"نصائح سنيه نافع".

توفي في سن عالية ليلة 16 جمادى الثانية عام (ت. 1320 / 1902) ودفن بمدشر موساوة حيث أصبح قبره مقصد الزوار الراغبين في الانتفاع بنفحاته الروحانية.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1990 ؛ أ. ابن عطية، مخ. خ. ع. 1809 د. 9.

رقية بلمقدم

**لخضر** (واد -) من أهم المجاري المائية ينتمي إلى حوض أم الربيع، وهو أحد روافد تساوت، ينبع من قدم الأجراف التي تحد في الغرب بحيرة إيزورار عند منخفضات آيت بوكماز.

يحمل اسم لخضر ابتداء من خروجه من خوانق إيمي نتورزا بعد أن يتلقى على الضفة اليسرى رافدا مهما هو أسيف آيت بوعلي وهو عبارة عن سيل ذي فيض عميق نظرا لتسرب المياه بسبب بروز الصخور الشستية البرمية، من ثمّ يأخذ اتجاها جنوبيا شماليا تقريبا، وذلك على امتداد مسافة 6 كلم بوادي ضيق ومنحبس،15م كمعدل اتساع. في نفس هذا الاتجاه يتلقى واد لخضر مياه أسيف سرمت يروي جزءاً من الهضبة الكلسية لآيت مَحمد.

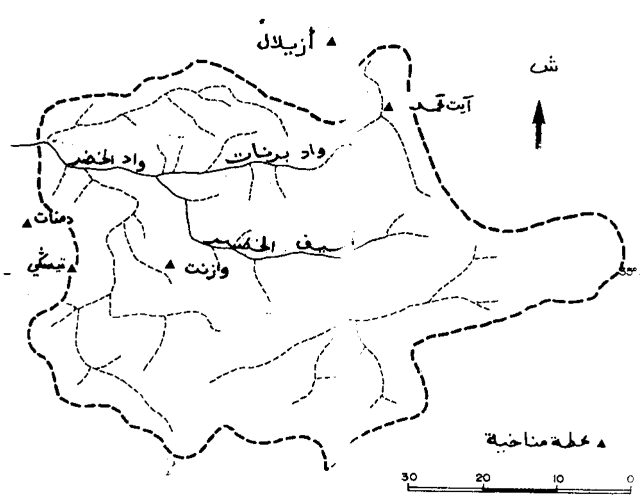


عند اقترابه من منطقة آيت شواريت، يتلقى مياه أسيف برنات حيث ينعرج ويغير اتجاهه من الشرق نحو الغرب في اتجاه معاكس للتضاريس، فيخترق منخفض تنانت، بخوانق عميقة راسما منعطفات جد جبيسة.

عند اقترابه من سهل الحوز يبدأ القطاع المستعرض للمجرى في الاتساع خاصة بعد التقائه برافد أسيف تاينبت وتظهر عند ضفافه درجات نهرية من 12 إلى 13م بل أحيانا بين 25 إلى 30م 45. 50م وهنا يبدأ واد لخضر باتجاه جنوبي شرقي - شمالي - غربي وبالتالي يتعامد مع اتجاه التضاريس. يبدأ برسم أهم منعطفاته مباشرة عند منطقة صور العز بعد قنطرة الطريق الثانوية رقم 508 الرابطة بين مراكش وأزيلال.

لكنه ينحبس من جديد في منطقة سيدي إدريس بفعل صعوبة اختراقة للتجاعيد الميوبليوسينية للصهريج، وهنا نجد موقع سد سيدي إدريس، عند هذه النقطة ينتمي اختراقه للمجال الأطلسي بواسطة افجيج سيدي إدريس. وتظهر بوضوح عند جوانبه مستويات نهرية متراكبة يمكن تمييزها عن المستوى الأوسط للحوز الشرقي. هنا نجد أن المجرى نسبيا متعمق لكنه يتسع بقرب من مقرنه مع واد تساوت. ويرسم منعطفات متعددة مع مجاري متشابكة تبرز محليا جزراً صغيرة تتكون من توضعات الواد.

خلاصة القول أن واد لخضر وعلى مسافة 117 كلم من المنبع إلى إلتقائه بواد تساوت، يمتاز بقطاع طولي متفاوت الإنحدار تبعا للمجالات التي يخترقها فهو قد يصل إلى 19٪ عند عيون آيت وارحمان آيت أوشي و6.1٪ في سافلة أوريان حتى أكوتي داخل الجبل ولا يتعدى هذا الإنحدار 3٪ عند سافلة سيدي إدريس.

أما قطاعه المستعرض فهو ضيق ولا تظهر به مستويات إلا عند خروجه إلى سهل الحوز الشرقي والتقائه بتساوت في منطقة الفرايطة.

محمد الأكلع

**لخضر** (بن -) **علي علا** محمد ولد سنة 1923 بأولاد حمامة إقليم بوعرفة، نشأ وترعرع في وسط فقير مكون من أربعة أفراد، كان أكبر إخوته، اشتغل إلى جانب والديه بالكسب والرعي. إلا أن كرهه للاستعمار ولأساليبه القمعية قد كون لديه نزعة قوية لمواجهته والكيد له أينما وجد.

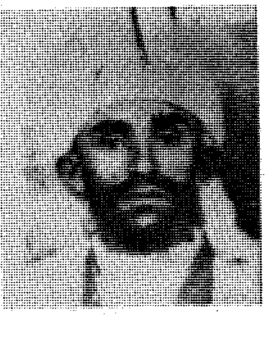

فعمل إلى جانب المناضلين الجزائريين ضد الاستعمار الفرنسي بالجزائر وبعد تكوين جيش التحرير المغربي سنة 1957 انخرط ضمن صفوفه تحت قيادة مصطفى البيضاوي ولعور أحمد، فشارك في عدة عمليات وهجومات من بينها معركة بني ونيف والبراكة الكحلة.

وفي سنة 1958 كلف ضمن دورية عسكرية من جيش التحرير بعملية تفقد المنطقة بجبل كروز وغلس غير أن طائرة فرنسية كشفت أمرهم بجبل غلس حيث كان الموقع مكشوفا، الشيء الذي سهل على الجنود الفرنسيين قصفهم بالمتفجرات، فاستشهد المترجم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 511091.

**اللخمي، علي القصري**، نسبة إلى مدينة القصر الكبير ثم الصفاقسي، وهو من جهابدة الفقه وعلماء المذهب المالكي تلقى علومه بفاس على مجموعة من علماء العصر وكان من طبقة علي بن يوسف الفاسي وأخيه أحمد. يذكر صاحب دوحة الناشر أنه فقيه عارف قرأ علم الكلام على أبي العباس أحمد بن جيدة، ونفس الشيء فيما يخص علم الكلام وأستاذه بن أبي جيدة الوهراني يذكره الأستاذ محمد حجي (*الحركة الفكرية*، 28)، ويذكر الأستاذ بن خليفة أن الفقيه اللخمي كان موسوعيا مبرزا في الفقه واللغة العربية وغيرهما من العلوم كما يشير إلى العلاقة التي كانت تجمع ابن عسكر بالمترجم له، فقد عاصر اللخمي بالقصر الكبير بني عبد الحميد العروسيين الذين كانت لهم الرياسة في هذه المدينة التي كانت وقتها ثغرا جهاديا ومركزا سياسيا وعسكريا. زهد اللخمي في الحياة ولم يكن يتعدى دوره التدريسي والفتوى بعد وفاة أبي العباس أحمد الجرفطي القصري، فقضى زهاء ربع قرن يعلم العقيدة السنوسية التي كانت في تلك الفترة تمثل العمدة في تدريس العقائد، ويذكر صاحب الطريق لمعرفة القصر الكبير أن اللخمي من علماء المالكية وحجة في الفقه وخص بمادة الاختيار عند الشيخ خليل عن باقي الأئمة الثلاثة، كما أنه ألف عدة كتب أشهرها "البصيرة" أو التبصير.

توفي عام 961 / 1554 ودفن بروضة سيدي يحيى الملاح وقبره الآن غير معروف.

ابن عسكر، دوحة *الناشر* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية* ؛ م. بن عبد الرحمان بن خليفة، *أعلام القصر الكبير*، 1993 ؛ م. بوخلفة، *الطريق لمعرفة القصر الكبير*، ط. 1، 1972.

الحسين البعاوي

**لـخويدمي، الـمحجوب** بن **عبد الـرحمان** ولد سنة 1916 بالمداحـة ـ الدار البيـضـاء. عـمل في صفوف المقاومة السرية المغربية ضمن قيادة حركة الهلال الأسود، وله أعمال فدائية جليلة لا تحصى في سبيل استقلال الوطن.

استشهد على اثر انفجار قنبلة بدرب الكبير، بتاريخ 24 دجنبر 1954.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524783.

**اللّـزّاز** أو ألـزّاز أو مـثنان أو دفنة أو دافني گنيـديوم Daphne gnidium، نوع نبـاتي ينتـمي لفـصيلة المثنانيـات Thymeleaceae.

إنه نبـات جنيبي يتـراوح ارتفاعـه ما بين 60 و100 سم. أوراقه بيضية شريطيـة الشكل وحادة القمـة. أزهاره مجتمعة في عثكول ذي فروع مزغبة.

يصـادف النوع ممثلا بـأفـراد مـتناثرة ونادرة في الغـابات والأحـراش فـي جـمـيع المناطق البـيـومناخـيـة المغـربيـة إلا الصحراوية منها والقارسة جدا.

تستـعـمل أوراق اللّـزّاز لتسـويد وتقـوية الشعـر، ولهذا الغرض تخلط مع الحناء، وكذلك لإعطاء الصـوف لونا أصفر، كما تستخدم الثمار للإجهاض عند الحوامل.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p. ; A. Benabid, *Flore et ecosystème du Maroc. Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**لعزيزي، محمد** بن **محمد** أحد شهداء حوادث واد زم التي جرت يوم 20 غشت 1955، وهو معـروف في هذه المدينة بلقب "بن الطاهر".

ولد حـوالي سنة 1930 بواد زم. تلقى حظا يسـيـرا من الدراسـة في الراجح، وربما لم يتـمكن من ولوج المدرسـة. واشـتـغل في سن مـبكرة بالجـزارة مع والده في "البـوطوار" مـجزرة المدينة، ثم انتـمى إلي الأشـغـال العـموميـة، قـبل أن ينتقل إلى عين حرودة للعـمل بضيعـة معـمر فـرنسي، وبعد سنتين أو ثلاث، اضطر إلى العودة إلى مسقط رأسه.

وفي غـضون التـحـضـير للإضـراب عن العـمل وإغـلاق المحلات التجارية الذي انطلق قبل حلول الذكرى الثانية لنفي السلطـان ببضـعـة أيام، قـام "بن الطاهر" يحـرك الناس قـبل المظاهرة (مظاهرة 20 غـشت 1955) بأسـبـوع، وكـان حـامـلا سيفـه. وساهم في حملة النداء إلى الإضـراب، بدعـوة التجار إلى إغلاق مـحلاتهم التجارية في واد زم. وفي هذا السـياق، دخل إلى أحد مـحلات "المارشي" في قلب المدينة يوم الجمعة 12 غشت 1955، في ملك جزائري اسمـه "التونسـي"، فدعـاه إلى إغلاق متجره استجابة لنداء الوطنيين. وإثر ذلك، شرعت الشـرطة الفرنسـيـة في البـحث عنه، بعـدما أبلغـهـا التـاجر بالأمر، وكـانت مـستـعـينة في ذلك بأعوانها من المغـاربة. لم يطل البحث عنه، فقد ضبطه رجال الشرطة عند السوق القديم بالقرب من دار القـائد مـحـمد بن نبـيكة، فـاعـتـرضـوا سبيله وحـاولوا إلقـاء القبض عليه قبل اقـتـيـاده إلى مركـز الشـرطة على متن سـيـارة "جـيـب". لم تسـتـطع الشـرطة تقـيـيده لقـوة بنيـتـه، فـتـمكن من إسـقـاط "حـمـودة" مـفـتش الشـرطة على الأرض، بعـدمـا انهـال عليـه بضـربة من سـلاحـه الأبيض. وعندئذ، أطلقت عليـه عـدة رصـاصـات، أصـابتـه في أجـزاء مختلفـة من جسده، فهوى على الأرض مضـرجا بالدماء. وإثر ذلك، نقل إلى المسـتـشفى المدني لإخراج الرصـاص من جسـده وعلاج جروحه.

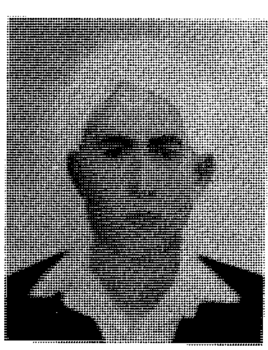

ظل "بن الطـاهر" تحت الحراسـة بالمسـتـشـفى إلى أن حلت ذكـرى نفي السـلطان يـوم السـبت 20 غـشت 1955 ومـا وقع فـيهـا من حوادث دامـية في عدة جهـات من المغرب، وبالأخص في واد زم والمدن المجـاورة لهـا. فـقد تدفق على واد زم عـدد

كبير من السماعلة وبني خيران وبني سمير من مختلف الدواوير، وانضموا إلى سكان المدينة، في "مظاهرة كبيرة" (يتردد ذكرها هكذا على ألسنة سكان واد زم حتى الآن لتمييزها عن غيرها). وقد صاحب ذلك ما صاحبه من عمليات قتل الفرنسيين وإحراقهم، مثلما حصل للمعمر هنري زاميط Henri Zammut صاحب تعاونية القمح بواد زم. كما تعرضت أملاكهم للإتلاف والإحراق، مثلما حصل للمطحنة التي كانت في ملك شركة ليندا Lunda "طاحونة ليندا"، وهي إحدى أكبر مطاحن الحبوب بالمغرب آنذاك. وهاجم المتظاهرون أيضا كل ما يرمز إلى الوجود الاستعماري في المدينة، وخاصة المؤسسات الرسمية الفرنسية بمن فيها وما فيها، كما جرى في المستشفى المدني الذي أتت عليه النيران وقتل مرضاه وطبيبه الرئيسي. في هذه الأثناء، جرى "تهريب" "بن الطاهر" إلى بيته.

وصلت التعزيزات الأمنية إلى واد زم متأخرة في مساء ذلك اليوم، في الوقت الذي تمكن فيه السكان المنتفضون من الاختفاء. وقام الجيش الفرنسي بمجزرة رهيبة ذهب ضحيتها عدد كبير من السكان. وبدأ رجاله المسمون "باللفيف الأجنبي" ("لا ليجيون") بقيادة بوط Bout (نائب المراقب المدني في تسيير مدينة واد زم وقبيلة بني سمير) في تمشيط المدينة والبحث عن "الجناة". وأثناء وجودهم في المستشفى المحترق، لاحظوا أن النار لم تأت على سرير "بن الطاهر"، فاستنتجوا أنه مازال على قيد الحياة وأنه "مهرب". فقصدوا بيته مباشرة، وفتحوه عنوة بعد إطلاق عدة رصاصات في قفل بابه، قبل أن يقتادوه إلى "البيرو" أو مكتب السلطات المحلية قرب دوار المخازنية. ثم جرى إعدامه بإطلاق رصاصتين في رأسه، دون إن يضبط تاريخ ذلك، هل تم ذلك مباشرة بعد اعتقاله يوم السبت 20 غشت 1955 حوالي الساعة الخامسة مساء أم يوم الأحد الموالي ؟ فهناك شهادة إدارية رسمية تتحدث عن وفاته يوم السبت، وهناك تصريح في ملفه يشير إلى قتله في اليوم الموالي. والمؤكد أن دفنه قد جرى صبيحة يوم الاثنين 22 غشت 1955 بدون علم أهله وأصدقائه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524365 ؛ *الرواية الشفوية*.
Gilbert Grandval, *Ma mission au Maroc*, Plon, Paris, 1956 ; Pierre July, *Une république pour un roi*, Fayard, Paris, 1974, p. 163 - 182.

نجيب تقي

**لعلاوي**، رقصة شعبية تنتشر في القبائل القاطنة بالمغرب الشرقي والمحاذية للجزائر كقبيلة بني يَعْلاَ. وتعرف في غرب الجزائر باليعْلاوي نسبة إلى هذه القبيلة، وبذلك فهي من التراث المشترك بين البلدين.

والرقصة في المغرب خاصة بالرجال الذين يحملون البنادق أو العصيّ كرمز للاستعداد للقتال، وينتظم هؤلاء في مجموعات مرتدين زيّاً متميزاً يُعتبر عنصراً أساسياً في تشكيل المجموعة، وهو عبارة عن جلباب شبيه بالفرجية، ورزة بيضاء يُلف وسطُها على الرأس ويُرسل طرفاها على صدر الراقص.

تحاكي رقصةُ لعلاوي رقصة "أحيدوس"، غير أن دائرتها تبقى مغلقة بحيث يتواجه الراقصون فيها، وهم يرقصون على إيقاع ثنائي يحكي ضربات الأرجل العنيفة على الأرض، وخلال ذلك تتحرك سائر أعضاء الجسم من القدمين والساقين إلى الكتفين والدراعين والرأس في رشاقة متناهية دون أن يبرح الراقصون مكانهم.

يحتوي العرض الفني على سلسلة من الحركات الخفيفة التي تشكل فصولا متتالية ينتهي كل فصل منها بوثبة عالية تصحبها صيحة قوية وضربة عنيفة بالأكف والأقدام.

ويذكر أحد الباحثين أن رقصة "اليعلاوي" في غرب الجزائر تندرج ضمن رقصات "العرفاء"، وهؤلاء في المغرب الشرقي هم حاملو البنادير فيما يعرف بمجموعة "العَرْفة".

رضوان عبد المالك، *مجلة التراث الشعبي*، ع 8، ص. 17 ـ 26.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**اللُّغْمِيشْ، محمد** بن **بدر الدين** قائد كان على رأس جماعة من المجاهدين من قبيلة أنجرة انظم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد شارك في عدة معارك واستشهد عندما كان يحاول إنزال العلم الإسباني بإحدى مخافر الغزاة بالقرب من القصر الكبير يوم 20 غشت 1913.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**اللفت**، عدة أنواع وضروب نباتية من أهمها ما يسمى علميا براسيكا رابا "Brassica rapa" التي تنتمي لفصيلة اللفتيات "Brassicaceae" وهي نبات حولية أو ثنائية الحول تتميز على غرار الفجل والجزر بجذر وتدي لحمي. وتختلف أصناف اللفت وضروبه من حيث شكل ولون الجذر وكذلك مذاقه، منها ما هو أبيض، وأخرى صفراء أو بيضاء أو بنفسجية.

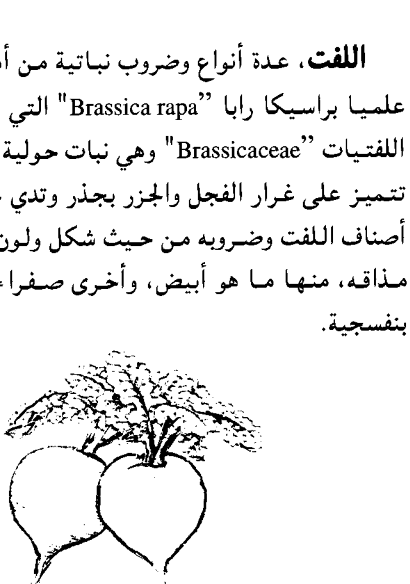

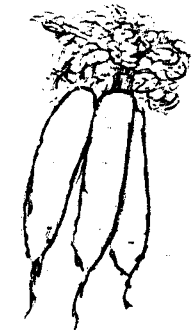

تعتبر المناطق المعتدلة من أوربا والحوض المتوسطي الموطن الأصلي للفت حيث زرع منذ ما يقرب 4000 سنة، ومن هناك انتشرت في جميع أنحاء العالم.

تنمو أصناف اللفت في المناخ الرطب المعتدل. ويستهلك الجذر عادة مطهيا في تحضير وجبات مع اللحم وأنواع من الحساء. أما الأوراق فتستعمل كخضرأو علف للماشية أو سماد. وتزرع أصناف من اللفت لإنتاج علف حيواني.

ولا تتلاءم زراعة اللفت مع الحرارة المفرطة والجفاف، فهو يتلاءم مع التربة الغنية والرطبة ويحتاج إلى السقي خصوصا عند نمو الجذور. وهناك أصناف من اللفت تزرع في الربيع وأخرى في الخريف.

ألبيرت هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرون، القاهرة، نيويورك، 1962 ؛ *معلومات شخصية*.

J.M. Clement, *Larousse agricole*, édition Larousse, Paris, 1981.

عبد النبي زين العابدين

**اللفيف**، شهادة أحدثت بالأندلس منذ القرن الخامس الهجري حيث عرضت على قاضي قرطبة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مجاهد المعروف بابن الحاج شهادة الخمسين رجلا من عامة الناس، ولم يحكم بمقتضاها، وكذلك أبو الحسن الصُّغَيِّر في خصوص رسم شهد فيه واحد وثلاثون رجلا، لأن هذا النوع من الشهادة لا يصح إلا إذا توفرت له الشروط المنصوص عليها في كتب الفقه المالكي، وهي : المروءة ـ عدم الجرح ـ عدم وجود عدول في البلد ـ عدم القرابة والعداوة. وقد تم قبول هذه الشهادة بالمغرب في القرن التاسع للهجرة إثر سقوط غرناطة ؛ ولمحمد العربي بن أبي المحاسن الفاسي رسالة في الموضوع سماها" شهادة اللفيف".

ومن الأحكام القضائية النادرة التي استندت على اللفيف، وأثارت الانتباه في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي حكم أصدره الشيخ أبو شعيب الدكالي، وطرحت حوله عدة تساؤلات، وملخص وقائع هذا الحكم كالتالي، "يوم كان الشيخ أبو شعيب الدكالي وزير العدل طرحت دعوى على العدالة، تتعلق بأرض ذات منفعة كبرى بضواحي مراكش، مساحتها 5.000 هكتار، أو تزيد، والنزاع فيها قائم بين الباشا على مدينة مراكش الحاج التهامي الكلاوي، ومالك الأرض الذي لم يكن فردا، بل كان جماعة، والگلاوي في الدفاع عن ملكيته للأرض قدم الرسم العدلي الذي يثبت له الملكية، ومالك الأرض جاء باللفيف الذي يثبت الملكية.

والشيخ الدكالي بصفته وزير العدل، هو الذي ترأس جلسة الأحكام في هذه القضية لأهمية الموضوع، واستعمل فراسته، وباجتهاده الخاص، وبعد ما ألقى الإضاءة على الساحة حتى تراءت له الأشياء على حقيقتها، أخذ مسؤوليته في الحكم، ونحى الرسم العدلي كحجة، واستند على اللفيف وحكم لمالك الأرض بأرضه، وصدر الحكم ضد الباشا وهكذا انتصرت العدالة، وبقيت الأرض لأصحابها الشرعيين".

عبد العزيز بنعبد الله، *معلمة الفقه المالكي* ؛ *فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية*، ج 2 ؛ عبد الحكيم برگاش، الشيخ أبو شعيب الدكالي.

عبد الرحمن القباح

**اللّقنْتي**، ويكتب اللّكَانْتِي أسرة تطوانية أصلها من الأندلس ظلّ بعض أفرادها بالأندلس بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Aliqantit ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Alicante نسبة إلى مدينة لقنت ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 (1677).

ومن بين أفرادها تذكر الوثائق : محمد بن علي اللقنتي الذي كان من بين أعيان تطوان الذين شهدوا بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم في شوال 1078 (مارس 1668). وأيضا أحمد بن محمد الذي كان أمهر معلم بناء في عصره وكان بقيد الحياة سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز، حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1990). تطاون 1999.

محمد بن عزوز حكيم

**لكسوس** Lixus، مدينة مورية، يوجد موقعها الأثري قبالة مدينة العرائش. ذكرت لأول مرة في رحلة سكولكس بصيغة Lixos على أنها مدينة فنيقية، تقع على النهر الذي يحمل نفس الاسم : وكتبها ألكساندر بولسطور بصيغة Lixa في كتابه الأول الذي يحمل عنوان Libyka . ثم كتبها سترابون بصيغة Lixos، موضحا أنها مدينة صغيرة تشرف على البحر. وظن أنها متقابلة مع مدينة گاديرة Gadera الإسبانية، وقدر أنهما معا بعيدتين بنفس المسافة عن أعمدة هرقل بحوالي ثلاثمائة ستادات Stades. كما نبه إلى اختلاف الكتاب حول اسمها قائلا : "هي Lynx عند Artémidore وLixos عند Ehetosthène وTrinx عند البارباريين أي الموريين".

والملاحظ أن سترابون لم يشر إلى ما يفيد أن لكسوس فنيقية الأصل، كما جاء ذلك في رحلة سكولكس. والجدير بالذكر أن الوجود الفنيقي في موريطانية استأثر بانتباهه. فلما انتهى من التعريف بالمدينة قال : "في جنوب لكسوس ورأس كوطيس Kotes يوجد خليج يدعى الأمبوري Emporikos لأنه يحتوي على مراكز للتجارة Emporia". وفي سياق آخر أورد خبرا يعتبره من قبيل المعلومات المغلوطة مفاده : "أن الخلجان التي تقع وراء الخليج الأمبوري تتوفر على أزيد من ثلاثمائة مدينة يمثلها أهل صور، لكن لم يبق لها اليوم أي أثر، وقد حطمها الفاروسيون Pharaoussi والنگريتيون Nigritae الذين تبعد مواطنهم عن لونكس بثلاثين يوما من المشي" ثم عاد الكاتب لنفس الفكرة قائلا : "إن أرتميدور ينتقد إراتوسطين الذي يزعم أن لكسوس مدينة تقع في أقصى غرب البلاد. والواقع أن هذه المدينة هي لونكس. وينتقده لأنه يقول بوجود كثير من المدن الفنيقية تحطمت ولم يبق لها أثر". ثم أورد بومبنيوس ميلا إشارة عابرة إلى المدينة، واحتفظ بصيغتها في النصوص الإغريقية وهي Lixos وأوضح أنها تقع على نهر يحمل نفس الاسم والملاحظ أن الكاتب لم يذكر أي شيء عن ماضيها كما فعل بالنسبة لمدينة طنجة.

احتفظ بلنيوس الأكبر أيضا بالصيغة الإغريقية لاسمها. وأوضح أنها تبعد عن مدينة زليل بمسافة ثلاثين ميلا. وأفاد أن الإمبراطور كلاوديوس جعل منها مستوطنة رومانية. ثم أشار إلى ماضيها الغابر قائلا : "إن القدماء جعلوا منها موضوعا لقصص عجيبة. فجعلوا فيها حدائق الهسبريات Hesperides وقصر أنتايوس Anthaeus، وفيها تمت مبارزته لهرقل. وقالوا إن البحر يتقدم إليها في منحدر يتكون من عدة منعرجات. وبهذه الملاحظة الجغرافية يمكننا أن نفسر مسألة التنين الذي يقال إنه كان يحرس تلك الحدائق. إن هذا المنخفض يحتضن جزيرة. وبرغم أنها غير عالية بالمقارنة مع المناطق المجاورة، فإن المد لا يغمرها. ومايزال بها مذبح لهرقل. لكن أشجار التفاح الذهبي الشهيرة التي تناولتها الأساطير، لم تخلف بها أي أثر باستثناء الزيتون البري. ولا داعي للاستغراب كثيرا من تخيلات الإغريقيين حول موضوع حدائق الهسبريات ونهر لكسوس، إذا علمنا أن كتابنا ألفوا مؤخرا حول المدينة روايات خارقة للعادة. وإذا صدقنا كلامهم فإن لكسوس كانت أكثر قوة وأعظم من قرطاجة الكبرى، وأنها تبعد عن تنگي Tingi بمسافة غير معروفة"، وفي سياق آخر أوضح ما يلي : "تقع مدينة لكسوس على بحيرة تبعد عن المحيط بحوالي مائتي قدم. إنها قرب معبد لهرقل هو أقدم من نظيره في گاديس Gades حسب ما يقال".

وذكرت المدينة في مصادر أخرى بصيغة Lix، وهي مرتبة عند بطليموس ما بين زيلية Zilia وآسبينون Ospinon،. وأشار أنطوننوس إلى أنها كانت مستوطنة رومانية ومرتبة ما بين فريگديس Frigidis وتابرنيس Tabernis.

بالنسبة لنتائج التنقيبات في لكسوس، نتعرف على استراتگرافية الموقع اعتمادا على نتائج الأبحاث التي قام بها الإسباني طراديل بين سنتي 1949 و1957. فقد أنجز المنقب أكثر من عشرين استبارا في مختلف أرجاء المدينة. ثم قدم نتائج استبار الخروب نسبة لشجرة من هذا النوع في المكان الذي نقب فيه. وهو استبار يلخص في نظر الباحث مراحل إعمار المدينة. قدم نتائج استباره في كتيب خصصه لتاريخ المدينة عنوانه Historia de la ciudad. ثم في كتاب يتضمن نتائج حفرياته بمنطقة الشمال المغربي، معتبراً أنه يعرف فيه بالمرحلة البونية بالمغرب وعنوانه Marruecos Punico. وهنا نستعرض ما جاء به المنقب حول استبار الخروب.

- المستوى الخامس وهو الأسفل يتضمن ما يلي : الخزف الأحمر الفنيقي والخزف المصبوغ وقناديل بمنقارين وقطعة إبريق يدعى Onochoé à bobèche. أرَّخَ للمستوى تارة ما بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، وتارة أخرى بالقرن السادس قبل الميلاد. وقد اهتدى المنقب برأي سنتاس الذي شارك معه في إنجاز عدة استبارات بمختلف أرجاء الموقع، وعبر عن يأسه من إيجاد أية آثار تتعدى القرن السادس قبل الميلاد. وهذا رأي ردده أوزينا في تقاريره. غير أن بونسيك خالف هذا الرأي، مهتديا بالتأريخ للمواد الفنيقية بموگدور، فأرَّخ للمستوى الأسفل بلكسوس ما بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد. وأحيانا بالقرن الثامن قبل الميلاد بدون سند أثري واضح.

والملاحظ أن طراديل لم يشر إلى احتواء المستوى على الأمفورات الفنيقية من النوع المكتشف بموگدور، برغم إشارته في سياق آخر إلى وجود أمفورات بالمستوى الأسفل. بينما تعرف بونسيك على هذه الأمفورات بالموقع، وقدر تاريخها ما بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد. وهو التاريخ الذي يرجحه لإنشاء المعبد H. ولقد أسفرت أبحاث جديدة عن إعادة النظر في تاريخ هذه البناية، واتضح أنها ترجع إلى عهد الملك يوبا الثاني. كما أسفرت أبحاث أخرى على التأريخ لأقدم آثار المواد الفنيقية بالقرن الثامن قبل الميلاد. وقد تعرفت شخصيا على كثير من أفواه الأمفورات الفنيقية من النوع الموجود بموگدور، ضمن مواد موقع لكسوس في متحف طنجة وتطوان.

- المستوى الرابع يحتوي على ما يلي : قليل من الخزف الأحمر الفنيقي والخزف المصبوغ والخزف الآتيكي والخزف الكمباني A. أرِّخ للمستوى بنهاية القرن الثالث وبداية القرن

الثاني قبل الميلاد.

- المستوى الثالث يضمن ما يلي : كثير من الخزف الكمباني A وقليل من الكمباني B ونقود نوميدية. أرّخ للمستوى ما بين نهاية القرن الثاني وبداية القرن الأخير قبل الميلاد.

- المستوى الثاني يضمن ما يلي : كثير من الخزف الكمباني B ونقود مدينة لكسوس وقطع أمفورات لم يحدد أنواعها. أفاد أن المستوى انتهى بالتحطيم قبل رواج الخزف الأرتزي. بينما أغفل إثارة التحطيم الثاني بالموقع في استعراض مستويات الاستبار المذكور. لكنه أوضح في سياق آخر أن المدينة تعرضت للتحطيم الثاني مثل تمودة Tamuda في ثورة أيدمون Aedmon. وأوضح أن طبقة التحطيم تحتوي على الخزف الأرتزي ونقود الملك يوبا الثاني وابنه بطليموس Ptolemaeus. وقد سلم الدارسون بتحطيم لكسوس في الثورة المذكورة.

ومن أهم المخلفات الأثرية المتعلقة بالمدينة آثار هامة لصانعة الگاروم في المنبسط الذي يحيط بالمدينة من الجهة الجنوبية الشرقية، والذي تخترقه الطريق الرابطة بين العرائش وطنجة، بدأ الباحث الإسباني مونطالبان Montalban الكشف عن آثار هذه البنايات بين سنتي 1927 و1931، ثم استأنف طراديل وبونسيك العملية انطلاقا من سنة 1958. لكن تعذر عليهما متابعة التنقيب جنوب شرق الطريق المذكورة. مما حال دون معرفة المساحة الكاملة التي تغطيها البنايات المتعلقة بصانعة الگاروم. وتم تقدير القسم المكتشف حاليا بالنصف. وهناك اتفاق على أن البنايات المكتشفة تتكون من مصنعين يحتويان معا على مائة وخمسين حوضا، تقدر سعتها بما يفوق ألف متر مكعب، وهو ما يعادل مليون لتر من الگاروم. تتوزع هذه الأحواض على عشر مركبات تقدر مساحتها بحوالي خمسة آلاف متر مربع. وبذلك تكون محلات صناعة السمك في لكسوس هي الأكبر من نوعها في حوض البحر الأبيض المتوسط، حسب ما توصل إليه البحث لحد الآن.

اعتمد طراديل وبونسيك على استباراتهما في أسفل بعض الأحواض، فأرّخا لأقدم آثار هذه الصناعة في الموقع المذكور، بفترة ترجع إلى بداية القرن الأخير قبل الميلاد. وأكدا أن ازدهار هذه الصناعة يرجع إلى عهد الملك يوبا الثاني.

وكشف البحث الأثري أيضا عن عملة للمدينة تحمل اسمها بالكتابة البونية أو اللاتينية على صيغة لكس Lix. والجدير بالذكر أن رسوما ماثلة على نقود لكسوس سلطت الضوء على قضايا تهم تاريخ ونشاط المدينة.

فمثلا إن بعض هذه العينات النقدية تحمل رسوما لسمك التون، مما يؤكد قيام صناعة الگاروم بأرجاء المدينة، وهذا نشاط سكتت عنه النصوص. ويلاحظ نفس الأمر بالنسبة لمثول عنقودين مكتنزين من العنب على عملة المدينة. وهي صور تصدح بنشاط فلاحي وصناعي، من خلال ما دأبت عليه الشعوب القديمة من تناول مادة الخمر، وشحنها في أمفورات معروفة. بينما نجد الباحثين لا يولون أي اعتبار لصناعة الخمر في موريطانية، التي تحيل عليها صور عملة لكسوس خاصة، وعملات مورية أخرى للملوك والمدن. والباحثون لا يتساءلون عن الأمفورات التي كانت تنقل هذه المادة. والرأي السائد أن أمفورات الخمر المتداولة في موريطانية هي أجنبية.

وهنا ندلي بشهادة لسترابون تخص اشتهار البلاد بإنتاج وافر من العنب، وعناقيد مكتنزة كالتي تمثل على عملة لكسوس. قال الكاتب في هذا الصدد : "يوجد في موروسية صنف ضخم من الدوالي، لدرجة أن رجلين معا لا يستطيعان الإحاطة بجذوعها، وهي تنتج عناقيد من العنب يقدر طولها بدراع". ولقد خلد هذا النشاط معلمة جغرافية اشتق اسمها من الدوالي التي تزخر بها البلاد، الأمر يخص رأس كوطيس وهو رأس سبارطيل الحالي. ورد في النص ما يلي : "بداية موريطانية هي رأس يدعى في الإغريقية أمبلوسيا Ampelusia (الدالية) بينما يدعوه الأفارقة باسم مختلف لكنه يفيد نفس المعنى".

وأخيراً نلفت النظر إلى صورة مذبح يظهر على عملة المدينة. وهذا يرتبط بإشارات في النصوص حول مذبح لهرقل كان موجودا في ضواحي لكسوس. وحسب الدارسين فهرقل هو الإله الفنيقي ملقارط ويستنبطون الإشارة إلى هذا الأخير من نص آخر لبلنيوس يتحدث فيه عن معبد لهرقل بلكسوس، وهو يقارن بين تاريخ إنشاء هذا المعبد ومعبد آخر أنشأه الفنيقيون في مستوطنتهم بگاديس.

وعلى هامش الحديث عن المعبد أو المذبح بالمغرب القديم، نورد ما علق بذاكرة الكتاب القدماء من آثار ترتبط بأشهر آلهتهم وهو بوسدونيوس Poseidonius والد أنتايوس. وهو كذلك والد أطلس Atlas حسب رواية أفلاطون، في حديثه عن جزيرة الأطلنتيد Atlantide المندرسة، حيث كان يوجد معبد للإله بوسدونيوس، وفيه تمثال ضخم من الذهب يصور الإله وهو يمتطي عربة تجرها ستة خيول مجنحة. كما ذكر معبد بوسدِيوس في عهد أنتايوس، حيث كان الملك يعلق رؤوس خصومه على المعبد. وذكر المذبح في رحلة سكولكس على الساحل الأطلسي، وتحيط به تماثيل بشرية وأخرى للأسود والدنافيل وهي من صنع ديدال Dédale حسب سكولكس. وقد أقام حنون القرطاجي مذبحا للإله بوسدونيوس قرب رأس صوليس Soleis (رأس سبارطل).

ثم نعرض للشخص الماثل على عملة المدينة، وهو شاب يغطي رأسه بما يشبه الطربوش. إن مصنف العملة المورية يعتبر الشخص هو الإله المصري سوشر بتاح. لكن بعض الباحثين بدأوا يشكون في هذه المطابقة بين الشخص الماثل على عملة المدينة والإله المصري. وهنا نتساءل هل يتعلق الأمر بالشاب الموري الذي ذكره الشاعر الروماني سيليوس إيطالكوس، موضحا أنه كان بطلا في ريعان الشباب، لقي مصرعه في الحرب البونية الثانية. والشاب ينتمي إلى محاربين انطلقوا من نهر لكسوس ومروا بمدينة تنكي Tingi والتحقوا بصفوف القائد القرطاجي حنبعل في مواجهته للرومان.


م. مجدوب، *مملكة المورين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*، د. د. ع، فاس، مرقونة، 1990 ؛ الصناعة الغذائية في المغرب القديم، بحوث، *مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية*، المحمدية، 1998 ؛ *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب، المحمدية، مرقونة.

S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, t. 8, Paris, 1928 ; M. Tarradell, La necropolis punico-mauritania de Cerro de San-Lorenzo en Mellila, dans *Congreco Arqueologigo del Marruecos Español*, (Tetuan 1953), Tetuan, 1954, p. 253-66, Idem, Nuevos datos sobre la guerra de los Romanos contra Aedemon, dans *Congreco Arqueologigo del Marruecos Español* (Tetuan 1953), Tetuan, 1954, p. 337-44 ; Idem, Marruecos antiguo, nuevas perspectivas, dans *Zephyrus, 5, p. 105-39, 1954* ; Idem, Las excavaciones de Tamuda de 1949 a 1955, dans *Tamuda, 4, 1956*, p. 71-85 ; Idem, Notas acerca de la primera epoca de los fenicios en Marruecos, dans *Tamuda, 6, 1958*, p. 71-88 ; Idem, *Lixus, Historia de la ciudad*, Tetuan, 1959 ; Idem, *Historia de Marruecos, Marruecos punico*, Tetuan, 1960.


محمد مجدوب

**لكليرك** Leclerc، أو "الملازم هوت كلوك" Hauteclauque، التحق بعد تخرجه من المدرسة العسكرية "سان سير" بالمغرب سنة 1926 وعين بالفوج الثامن للخيالة بتازة ـ إلا أن تعيينه هذا تزامن مع نهاية حرب الريف. وبالتالي فإنه لم يشارك في معاركها ضد محمد بن عبد الكريم الخطابي.

وعين كمؤطر بالمدرسة العسكرية بمكناس ما بين 1926 و1929 فتعلم اللغة العربية ـ كما عكف على دراسة المجتمع المغربي، وفي نفس الوقت أشرف على تأطير الطلبة الضباط من أبناء أعيان المغاربة أمثال "سي البكاي".

في سنة 1929 التحق بمركز مزيزل قرب الريش لمساعدة رفيق فوج تخرجه "لوكونت". فشارك الاثنان في المعارك ضد آيت حديدو ـ الذين ذاع صيتهم بسبب الانتصار الذي حققوه قرب قصر "آيت يعقوب". إذ تمكن فريق من آيت حديدو من إبادة طابور فرنسي يقوده المقدم "إيمانويل" وأثار الانتصار الذي حققه هؤلاء المقاومون معارضة شديدة داخل البرلمان الفرنسي. فقد أدانت تشكيلات اليسار حرب الإبادة التي تقودها فرنسا في المغرب ضد الرعاة العزل باسم "الباسيفكاسيون". وهكذا فإن مشاركة الملازم "هوت كلوك" في هذه المعارك لم يتح له إمكانية الترقي بسبب بطولات المقاومين.

وانتدب من جديد ما بين 1930 و1933 للمشاركة في الحرب ضد المقاومين بزعامة "أوسكونتي" الذي انتصر على القوات الفرنسية المغيرة. كما شارك في معارك "أغبالو نكردوس" ضد المقاومين الذين يقودهم "علي عرجي" و"اوطرمون" وسيدي "الطيبي" وأخيراً خاض المعارك ضد آيت مرغاد في جبل بادو والتي انتهت باستسلام بطل المقاومة "زايو اوسكونتي" في غشت 1933. وبدأت ملامح الشخصية العسكرية "لهوت كلوت" تتضح، إذ نال مجموعة من الترقيات بشكل سريع ليصبح إبان الحرب العالمية الثانية "الجنيرال لكليرك" كما أصبح من كبار الاستراتجيين للجيش الفرنسي خلال هذه الحرب ـ وعلى اثر انهزام فرنسا واستسلام حكومة فيشي إلتحق بالمغرب واستقر "بتمارة" مكلفاً بمهمة إعادة بناء القوات الفرنسية انطلاقاً من المغرب. وبعيداً عن أنظار لجن التفتيش الألمانية. ويسجل التاريخ على هذا الضابط رفضه الانصياع لأوامر المقيم العام "گابريل بيو" Gabriel Puaux الذي طلب منه أن يتدخل بجيوشه لقمع انتفاضة الجماهير المغربية بالرباط يوم 29 يناير 1944 معللا هذا الرفض بقوله : "إنني هنا من أجل تدريب مغاربة، سيلتحقون قريبا، بصفوفنا للقتال إلى جانبنا، أو الموت معنا، لذا فإنني أرفض تماما أن يقتل جنود مغاربة، مغاربة آخرين".

وقبل نهاية الحرب كلفته الحكومة الفرنسية بمهمة في الهند الصينية تتلخص في إعادة النفود الفرنسي إلى منطقة طونكان، بعد هزيمة اليابان، كما أصبح مفتشاً للقوات

الفرنسية بشمال إفريقيا ـ وخلال إحدى مهامه ـ تحطمت الطائرة التي تقله شمال كلومبشار يوم 26 نونبر 1947 فقتل، وتمجيداً لأعماله رقته الحكومة الفرنسية إلى رتبة مارشال فرنسا.

*أعمال ندوة فرنسا والمغرب خلال الحرب العالمية الثانية*، 1939 ـ 1945 من تنظيم جمعية البحث والتوثيق في التاريخ العسكرية بجامعة ابن طفيل بالقنيطرة وجمعية الأعمال الاجتماعية للقوات المسلحة الملكية، الرباط، 1996.

Charles - André Julien, *Le Maroc face aux impérialismes,* Ed. Jeune Afrique, Paris, 1978 ; Cl. Jean Saulay, *Les Goums marocains*, t. I, Public Réalisation, Paris, 1981 ; La *Koumia : Bulletin de l'association des Goums marocains et des A. I. en France*, n° 122 sept. 1991, n° 126 / 1992, n° 135 / 1994, n° 149 / 1998.

عبد القادر بوراس

**اللمتوني**، أبو **بكر**، ولد بمدينة طنجة عام 1928 من أسرة علم وفقه تلقى التعليم الأولي بمدرسة عبد الله گنون الإسلامية الحرة، وبعد ذلك أخذ نصيبه من التعليم الديني، ثم انتقل إلى مدينة تطوان ليكمل تعليمه الثانوي بالمعهد الرسمي في سنة 1949، سافر إلى القاهرة، حيث التحق بالتعليم الجامعي، مسجّلا إسمه ضمن طلاب كلية دار العلوم، قسم الآداب والدراسات الإسلامية.

تخرج من كلية دارالعلوم، سنة 1953، حاصلاً على شهادة ليسانس في الآداب والدراسات الإسلامية.

بعد عودته إلى وطنه، اشتغل بالتدريس في التعليم الثانوي بمدينة الرباط لمدارس محمد الخامس، ثم بمدينة طنجة بثانوية ابن الخطيب.. إلى أن انتدب مديراً بالمعهد الديني بطنجة وبقي في هذا المنصب إلى سن التقاعد، وبعد مرحلة التقاعد عمل مديراً بالمدارس الحرة ... إلى جانب إلحاقه بخطة العدلية بدار القاضي.

يعتبر أبو بكر الحسن اللمتوني، من شعراء المدرسة الكلاسيكية سار على نهج البارودي وحافظ وشوقي ... من الوجهة الفنية والأدبية.

وإن نشأته في احضان الحركة الوطنية ـ بمدينة طنجة ساعد على تشكيل الخلفية المضمونية لشعره، خاصة بعد نداء القاهرة، ومطالبة المغاربة بالاستقلال واندلاع ثورة الملك والشعب.

وفي هذا السياق صاغ اللمتوني ـ بالنسيج المسرحي ـ أحداث مسرحية الوطنية، الموسومة بـ "بقيتُ وحدي" عام 1962. وهي مسرحية غلب عليها الجانب الوطني دون أن تحقق التوازن بين الفن والقضية.

ـ "بقيت وحدي" هو العمل الأدبي المطبوع، إلى جانب مشاركة الشاعر أبو بكر اللمتوني، في التأليف المدرسي بالاشتراك، مع المرحوم محمد عبد الواحد بناني، طلع الكتاب المدرسي الفريد ـ يومئذ ـ بعنوان "*المطالعة الثانوية للمدارس المغربية*".

لكن الشاعر اللمتوني، وبعد أربعة عقود ، من تاريخ طبع المسرحية، يقدم على مغامرة موقفية، بطبع قصائد ذوات العدد، مستوحاة من قبح الاسمنت المسلح، ضداً على جمالية طنجة ... فهي أضواء على المدينة والشاعر اللمتوني، ومن خلال تلك القصائد، يثبت الشهادة / الموقف، في ملف المطالبة بجمالية المدن المغربية.

لم يقم اللمتوني بجمع شعره الكامل والموزع في المجلات المغاربية (البصائر ـ الثريا ـ المناهل ـ دعوة الحق ـ جريدة العلم) وفيه الوطني، والوجداني، والاجتماعي والاخلاقي ... ولعلّ ما يميز تجربته الشعرية، الكلاسيكية، النزوع إلى التعبير عن قضايا اجتماعية ضمن أسلوب السخرية والفكاهة كما تسجله بعض قصائده التي تفيض بالمرح والسخرية (التّاكسي ـ ماذا بيع ـ الخ) وغيرها...

واللمتوني، يستبطن من خلالها الظواهر والمظاهر، التي لا تعالج إلاّ بمراهم السّخرية وأقراص الفكاهة ...

ولعلّ مشربَ السخرية والفكاهة..نابع من وادي النيل .. يوم كان الشاعر يتردد على أحياء القاهرة القديمة وأناسيها وأماسيها.

ـ والشاعر اللمتوني، كتكملة لهذا المنحى في التعبير (السخرية والفكاهة) جَرّب كتابة القصة القصيرة، ليس بالشكل المتوالي المتواتر، وإنما بطريقة منقطعة توحي أحياناً بما يشبه القطعة. وقد نشر بعضها في مجلة "دعوة *الحق*، دون أن تجمع ضمن غلاف. وهو سؤال سيظل مفتوحاً عن إنتاجه جمعيه ككل.

ع. الله گنون، *أحاديث عن الأدب المغربي الحديث* ؛ ع. الجراري، *تطورات الشعر المغربي الحديث*.

أحمد الطريبق

**اللمتوني**، أبو **بكر** بن **عمر**، مباشرة بعد انهزام جيوش الحركة المرابطية أمام ثورة جدالة الأولى عام 448 / 1056، أخذت شخصية أبو بكر بن عمر اللمتوني تبرز كإحدى القيادات العسكرية الوازنة ضمن رجالات الحركة، ثم سرعان ما تقلد إمارة الجيش المرابطي تحت إمامة الشيخ عبد الله بن ياسين. وعلى إثر مقتل الإمام والزعيم الروحي للحركة، أثناء الاصطدام القوي الذي جمعه مع برغواطة بتامسنا عام 451 / 1059، تولى الإمامة سليمان بن عدو لفترة قصيرة، فيما احتفظ أبو بكر بن عمر اللمتوني بإمارة الجند.

ويبدو أن الصراع العسكري ضد برغواطة قد أنهك القوات المرابطية، فعادت أدراجها إلى أغمات، لاستجماع

قوتها والتقاط أنفاسها. وفي ظل هذه الظروف العصيبة أصبح أبو بكر بن عمر اللمتوني على رأس الحركة المرابطية، حيث وجد نفسه يجمع بين إمارة الجند وإمامة الحركة.

وفيما كان الزعيم الجديد منشغلا بترتيب أوضاع البيت المرابطي بأغمات، إذا به يجد نفسه أمام امتحان جديد، حيث وصلته أخبار تفيد باختلال أمر الصحراء وقيام جدالة مرة ثانية ضد لمتونة. وحينئذ اضطر أبو بكر بن عمر إلى التوجه للصحراء لتهدئتها وإصلاح ذات البين بين القبائل الصنهاجية، فترك أمر المغرب لابن عمه يوسف بن تاشفين سنة 453 / 1061، واقتسم معه الجيوش المرابطية، ثم توجه مسرعا للصحراء عند قومه لمتونة في محاولة لرأب الصدع بين قبائل صنهاجة الصحراء.

على أن الإقامة الطويلة للأمير أبي بكر بالصحراء (453 ـ 465)، وما آل إليه مصيره فيما بعد، يحملنا على الاعتقاد بفشل مهمته بالصحراء. وفي ظل هذه الظروف قرر الأمير العودة للمغرب لاسترجاع ملكه من ابن عمه يوسف بن تاشفين حوالي عام 465 / 1072.

على أن أمر المغرب كان قد استوثق لابن عمه، وكان من الطبيعي أن يصعب على يوسف بن تاشفين "مفارقة الملك بعد أن ذاق حلاوته ورتب فيه ما رتب من الأجناد والضخامة". وفي المقابل، كان الأمير أبو بكر على حد تعبير زينب النفزاوية لا يقاتل على الدنيا، فاضطر للتخلي عن عرش المغرب لصالح يوسف.

صحيح أن مسألة تنازل الأمير عن ملك المغرب حكمتها اعتبارات موضوعية، قد تصبغ على موقف أبي بكر صبغة انهزامية، غير أن الاعتبارات الذاتية لم تكن غائبة وكان لها أثر حاسم على مستقبل المغرب المرابطي والمسلمين بالأندلس. ذلك أن اجتهاد الأمير أبي بكر في تجنب كل ما من شأنه أن يخلق الفتنة بين الزعامات المرابطية ويفتت وحدتها، وتورعه عن سفك دماء المسلمين، وفر ليوسف بن تاشفين الكثير من الوقت ومن الجنود، اللذين كانت معركة الزلاقة (سنة 479 / 1086) أحوج إليهما من مثل تلك المواقف الظرفية العابرة.

بعد أن تخلى أبو بكر عن ملك المغرب لصالح ابن عمه يوسف بن تاشفين، توجه مرة أخرى للصحراء في موكب حرص ابن تاشفين أن يحيطه بكامل الإجلال والتقدير المادي والمعنوي. وفي هذا الإطار، يذكر ابن الزيات في *التشوف* أن الفقيه الأصولي أبا بكر محمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالمرادي، كان من الشخصيات العلمية التي رافقت الأمير في موكبه إلى الصحراء. وتؤكد هذه الإشارة الدالة أن الأمير أبا بكر عند عودته الأخيرة للصحراء، كان مقتنعا بضرورة التخلي عن أمور السياسة لابن عمه صاحب معركة الزلاقة، في المقابل يظهر أنه كان مصمما على متابعة المشروع الديني الذي بدأه شيخه عبد الله بن ياسين، خاصة وأنه أصبح محاطا بالعديد من الفقهاء من طينة المرادي، فضلا عن الطلبة المتحلقين حوله.

ويظهر أن اختيار الأمير أبا بكر كان موفقا، بحيث وجد صدى طيبا ليس فقط لدى القبائل الصنهاجية الراغبة في تعميق معرفتها الدينية، وإنما كذلك لدى القبائل السودانية المجاورة. من ثمة نفهم، الزحف السلمي للإسلام في بلاد السودان على امتداد القرون اللاحقة. وليس هناك شك في أن الإمام أبا بكر مدعوما بمجموعة من الفقهاء والطلبة، قد واصل رسالته التعليمية والإصلاحية بموازاة مع رسالته الدعوية بين السودان المجاورين، وذلك إلى حين وفاته عام 480 / 1087.

وفي ظل هذه المعطيات، يصعب علينا أن نعتقد فيما تروجه بعض المراجع من أن أبا بكر اللمتوني عند عودته الأخيرة للصحراء قام بغزو بلاد السودان مسافة تسعين يوما، وبالتالي قضى على مملكة غانة السودانية قضاء مبرما. ومن جهتنا فإننا لا نعتقد في هذا الغزو المزعوم، لأننا لا نملك أي أساس مصدري، يمكن أن يدعم مثل هذا الادعاء.

وفضلا عما تقدم، وعلى فرض أن أمر الغزو كان صحيحا، فكيف يعقل أن لا نجد له صدى في الكتابات الشنقيطية اللاحقة ؟ وبهذا الصدد، فإن الباحث يقف شاردا كيف أن المؤرخ اليدالي (1685 ـ 1753) في كلامه عن الحركة الدينية والإصلاحية التي قادها الإمام ناصر الدين في الجنوب الغربي من بلاد شنقيط (بلاد القبلة) منذ منتصف القرن 17 م، لم يشر بتاتا إلى الأمير أبى بكر بن عمر اللمتوني أو فتوحاته في بلاد السودان.

ونستخلص من مجمل التطورات التي عرفتها الحركة المرابطية إلى نهاية القرن الخامس الهجري (11 م) أن أمور السياسة وما له علاقة بتقعيد أمور الدولة كان يشد الزعامات الصنهاجية نحو الشمال، بينما كانت حوافزهم نحو الجنوب ـ سواء في مجال صحراء صنهاجة أو على خطوط التماس مع السودان ـ تلهبها وتؤججها المشاعر الدينية.

ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، الرباط، 1984 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1985 ؛ اليدالي، *نصوص من التاريخ الموريتاني*، تونس، 1990 ؛ أ. الشكري، *مملكة غانا وعلاقتها بالحركة المرابطية*، الرباط، 1997.

أحمد الشكري

**اللمتوني، الزبير بن عمر**، يكنى أبا محمد، من أعظم قواد المرابطين. تاريخ ولادته غير معروف. كان نصيبه من ثقافة عصره كبيرا، حيث كان يتقن، علوم اللغة والأدب. فنضج عقله، واشتد بذلك عضده، وعلت كلمته. فوصفه ابن

الصيرفي بقوله "ندرة الزمان، كرما وبسالة وحزما وأصالة" فأصبح من المقربين لعلي بن يوسف بن تاشفين ؛ يحظى بثقته. فعينه وزيراً له. وبذلك انغمس في الحياة السياسية والعسكرية، وهو مايزال شابا. فصار من رجالات الدولة، الذين كان لهم أعمق الأثر في خدمتها. ثم أسندت إليه قيادة الجيش المرابطي بالأندلس الذي أوقع الهزيمة بابن ردمير المعروف بألفونسو الأول والشهير بالمحارب، ملك أرغون (سنة 528 / 1133 ـ 1134) فأبان عن علو كعبه في محاربة أعداء الدولة، فصادف القبول والإقبال، من لدن علي بن يوسف. فعينه عاملا على إشبيلية سنة 533 / 38 ـ 1139 عندما استدعى ابنه تاشفين من الأندلس، ليوليه عهده. وفي سنة 536 / 1141 ـ 1142 أضيفت إليه ولاية قرطبة فأبان عن مقدرة وحنكة في الإشراف على تسيير شؤون أهلها. فوسع أمير المسلمين مناطق نفوذ الزبير بن عمر. فكلفه بولاية غرناطة كذلك. "واستخلف على غرناطة عند انفصالك، أبا محمد الزبير بن عمر أعزه الله بتقواه".

ويبدو أنه قام بأعمال إصلاحية.. في المناطق التي كانت خاضعة لتسييره بالأندلس. تشهد عليها بعض المظاهر العمرانية كمنتزه كان مشهودا في قرطبة ومنسوبا إليه يعرف بالمُنَية.

ومع ما قدمه الزبير من خدمات وأعمال، لأهل الأندلس، فإنه لم يسلم، من انتقاد بعض خصومه ؛ كالذي نجده عند الشاعر أبي بكر محمد الأنصاري الشهير بالأبيض قال :

عكف الزبير على الضلالة جاهدا ... ووزيره المشهور كلب النـار
مازال يأخذ سجدة في سجـدة ... بين الكئوس ونغمة الأوتـار

ويبدو أن الزبير بن عمر، لم يتحمل هذا الهجاء فقام بقتل الأبيض، ليقتل هو الآخر بعد ذلك. لكن في ساحة الجهاد، أثناء المعركة التي دارت بينه وبين مونيو ألنسو Muño Alonso قائد طليطلة المسيحي سنة 538 / 1143 ـ 1144.

ح. ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. علي مكي، 1990 ؛ ع. ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 1979، بيروت، المجلد الحادي عشر ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان*، تح. إحسان عباس، بيروت ؛ ابن سعيد المغربي، *المعرب في حلى المغرب*، تح. شوقي ضيف، ج. 2، 1980.

عبد السلام السعيدي

**لمسيت**، عبارة عن مسجد متواضع من حيث العمران، لكن شهرته أسست على ما تعتقده القبيلة بكاملها في قبر الولي أحمد أو حمد تقع غرب مدينة تيزنيت، قرب أربعاء السّحل، وعلى الحدود الشمالية لآيْت باعمران.

اشتهرت لمسيت بما نص عليه عرف القبيلة، فيما يخص عقد ـ أجموع (ما يشبه المؤتمر)، وذلك في أمور الحرب غالبا قبل أن تبدأ، خسائر المعركة، فتدفع القبيلة ثمن الخيل المصابة في الحرب، وكذلك يتَفَقَّد السلاح من حيث الصلاحية. أما دية الرجال في الحرب، فلا تدفع في آيت باعمران، لكن إذا كان المقتول ممن يتحمل جزءاً من المسؤولية، فلا بد أن يعوض بمن هو في المستوى.

وعندما تريد القبيلة إحداث تغيير في العرف، فيتم ذلك في لمسيتّ كما حدث بعد معركة المسيد الأحمر سنة 1207 حيث قتل معظم الخيل، وجرح حوالي 140، ولذلك، ولأول مرة، فرض على الشرفاء أن يؤدّوا نصيبهم من المال لشراء الخيل.

وتغيير العرف في مقام ـ لمسيت ـ له دلالته السياسية، كما أن القبيلة تُحلّف من تتهمه في ـ لمسيت ـ بينما تترك حرية الاختيار حسب رغبة الأفراد في القضايا الخاصة.

ومن أهم الفقهاء الذين شارطوا في مسجد بلمسيت ـ رغم تواضعه الفقيه إبراهيم بويْرامان، ولاشك أن ذلك من رغبة القبيلة ليكون الفقيه في مستوى أسئلة ـ أجموع ـ قال عنه الإگراري : كان آية في علم الحساب، يقصده الطلبة من كل ناحية، وقال عنه صاحب المعسول : العلامة الكبير... وأنه حسن الخط نساخ.

توفي بعيد 1320. وقد اعتني حاليا بـ لمسيت حيث مسجد مهم وصومعة لائقة بتاريخ المكان.

*روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، تح. حمدي أنوش، ص. 218 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 13، ص. 43 ؛ *أعراف القبيلة* + وقصيدة مبارك ؤ موسى.

الحسين جهادي

**اللمطي، مَحمد بن عمرو** أحد أعلام العلم والصلاح بأسرير بمنطقة وادنون في تراب قبيلة لمطة، خلال القرن 6 هـ. تصفه المصادر بالإمام العالم ومن القراء المشهورين ... نكاد نجهل الكثير عن نشأته ومراحل تعليمه ومشايخه باستثناء ماورد في بعض المصادر من أنه أجيز من أشياخه بإجازات.

إن ما يشاع أن الأسرة ترفع نسبها إلى الفرع البكري الذي يمت بصلة إلى أسرة آل يعزى ويهدى، وإن كان هناك من يحاول التأكيد على نسبها إلى الشرفاء. وحتى الظهائر السعدية والعلوية المنعم بها على أحفاد الشيخ تؤكد هذه النسبة.

وعنه تفرعت أسرة آل عمرو المشهورة بالصلاح والعلم، وهي تتوزع في عدة مناطق (ماسة، مجاط إيداوگارسموكت، ايداوتنان ...). تعتبر زاويته بأسرير من أقدم الزوايا ببلاد لمطة، وفيها تصدر ابن عمرو للإمامة والوعظ والتدريس، ويبدو أن الشيخ وأحفاده من بعده قد ساهموا بقسط وافر في إنشاء تقاليد علمية، كانت أساس الإشعاع العلمي والصوفي الذي عرفته المنطقة. استطاع اللمطي بفضل ما عرف عنه من

صلاح، أن يفرض نفوذه على القبائل السوسية المتناحرة، وأضحت زاويته تقوم بدور الوساطة والتحكيم، وكملجأ آمن للوافدين عليها، ونقطة مركزية لتجمع القبائل. وقد جسد عبر ممارساته وسلوكاته الملاذ الوحيد لحفظ الجماعة من القهر والظلم واللا استقرار في مجالات انتقالية كمنطقة نول لمطة التي عرفت خلال فترته حركية قبيلة وبشرية غير عادية. ويبقى انخراطه في حماية الجماعة خلال زحف القوات الموحدية على المنطقة، العنصر الأكثر حضوراً في التراث المنقبي حوله. لهذا يمثل نموذجاً لذلك الولي الصالح الملتحم بالجماعة عملياً ووجدانياً، على الرغم من ركونه إلى الاعتكاف في عدة مناسبات.

التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، ط 2 تح. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984، ص. 344 ؛ م. الحضيكي، *طبقات الحضيكي*، تح. أحمد بومزگو، بحث لنيل د. د. ع 1994، الرباط، ص. 279 ـ 484 ؛ السوسي، *المعسول*، ج 12 : 169 ـ 190 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس*، ص. 11 ؛ *خلال جزولة*، 4 : 89 / 2 : 13 ـ 14؛ محمد البعقيلي، تح. محمد المختار السوسي، الرباط، 1987، ص. 28 ؛ وثيقة حول مناقب سيدي مَحمد بن عمرو اللمطي، خزانة گوغرابو تيزنيت ؛ الرسموكي، *وفيات الرسموكي*، تح. محمد المختار السوسي، 1988، ص. 49 ؛ الكراسي، *بشارة الزائرين*، مخطوط خاص، ص. 51 ؛ *معلمة المغرب*، ص. 409 ـ 411.

أحمد بومزگو

**اللمطيون**، يتفق الباحثون والدارسون على تقسيم المدينة العتيقة بفاس أو فاس الإدريسية إلى قسمين أساسيين هما : عدوة القرويين وعدوة الأندلس. لكن منذ أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر الميلادي، بدأت المصادر تتحدث عن تقسيم ثلاثي للمدينة الإدريسية، وهذا التقسيم الجديد لم يكن واضح الحدود والامتدادات المجالية، ويمكن تلخيصه كما يلي :

ـ العدوة : ويقصد بها عدوة الأندلس.

ـ جهة الأندلسيين : وهي القسم الشرقي من عدوة القرويين، وتسمَّت بهذا الإسم نسبة إلى الأندلسيين الذين هاجروا من الأندلس بعد سقوط غرناطة عام 1492.

ـ قسم اللمطيين : وهو يمتد من باب المحروق إلى باب الجيسة إلى الواد المسمى بواد اللمطيين الذي يخترق صحن المدرسة العنانية والذي يفصل بين جهة الأندلسيين وجهة اللمطيين.

ويتكون قسم اللمطيين ـ على غرار قسم الأندلسيين ـ من ستة أحياء رئيسية، هي : زقاق الرمان وفندق اليهودي والصاغة والبليدة والشرابليين والطالعة. لكن يبدو أن هذا التقسيم لم يحظ باتفاق الباحثين لأن بعض الأحياء تحسب أحيانا على جهة اللمطيين وأحيانا للأندلسيين مثل حي الطالعة وسويقة بن صافي.

وشكلت جهة اللمطيين منذ القرن السابع عشر (م) مكونا رئيسيا وجزءا فاعلا في تاريخ المدينة. فعلى سبيل المثال خصِّص للمطيين نصيب مهم من ماء وادي فاس، فقد أشارت وثيقة ابن إبراهيم المؤرخة بعام 1715 إلى المجاري والمشارب التي تتوجه إلى قسم اللمطيين وكيف أنها تنتهي وتصب في وادي النحول، كما كان اللمطيون يساهمون بحظ وافر في فرقة الفرسان المكلفة بالدفاع عن المدينة.

وارتبط اسم اللمطيين في المصادر التاريخية بالصراعات الدموية التي عرفتها فاس بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي. فقد دخلت العدوتان في نزاعات وفتن شبه مسترسلة، حيث حارب اللمطيون عبد الله بن الشيخ السعدي خلال العشرينات من القرن السابع عشر، وفرض عليهم غرامة كبيرة مما أدى بهم إلى الفرار.

كما أورد الناصري مقالة للشيخ أبي زيد عبد الرحمن الفاسي مفادها أن أحدا لا يغلب اللمطيين ماداموا مواظبين على قراءة الحزب الكبير للشاذلي.

وتعاقب على اللمطيين عدد من الرؤساء والقادة مثل المربوع اللمطي الذي قتل عام 1618، وابن الصغير الذي لجأ إلى بستيون باب الجيسة بعد اقتحام المولى الرشيد لمدينة فاس عام 1665.

وبرزت بعض الشخصيات اللمطية في المجال التربوي والعلمي مثل عثمان بن عبد الواحد اللمطي (ت. 1547) وإبراهيم اللمطي الفاسي (ت. 1580).

وفيما يتعلق باسم اللمطيين فهو في الغالب مقتبس من لمطة. ولمطة هي اسم يطلق في آن واحد على مجال جغرافي وعلى اسم قبيلة. فبلاد لمطة تقع في ضاحية فاس إلى الشمال من بابا الجيسة، وبالتحديد وراء جبل زلاغ، وهي من المناطق التي فرض عليها الأمير المريني عثمان بن عبد الحق قدرا من المال والزرع في كل سنة. وقد اشتهرت بلاد لمطة بعرصاتها الكثيرة والتي كان أغلبها في ملكية أهل فاس. أما قبيلة لمطة فهي من القبائل العشر المكونة للبرانس، ويدخلها ابن أبي زرع ضمن القبائل المكونة لصنهاجة.

إن نعت قسم هام من عدوة القروين باسم اللمطيين يدل على العلاقات الوثيقة بل الانصهار الطوعي أو المفروض بين فاس وناحيتها.

ابن أبي زرع، *المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، دار المنصور، الرباط، 1972 ؛ اليفرني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998 ؛ الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، ج 6، الدار البيضاء، 1955.

I. H. Allouche, Un plan de canalisation de Fès au temps de Moulay Ismail d'après un texte inédit avec une étude succinte sur la corporation des "qoadsia", *Hespéris, 1934, t. XVIII, p. 49-63* ; R. Le Tourneau, *Fès avant le*

*Protectorat, étude économique et sociale d'une ville de l'Occident musulman*, Publication de l'I.H.E.M., vol. XLV, Casablanca, 1949 ; Michaux-Bellaire, Description de la ville de Fès, *Archives Marocaines, XI, 1907, p. 252-330.*

الحاج موسى عوني

**لمكزرت**، كلمة عربية في الأصل تمزغت وتعني مكان الذبح أو المجزرة فهو عبارة عن مذبح لتقديم الأضحيات والقرابين الدموية حيوانية بالدرجة الأولى. وتقع على سفوح أعلى "أدرار" في الأطلس الصغير قرب قرية أمزو على بعد ثلاثة كيلومترات من تاوريرت. وعلى الجزء العلوي لفضاء مائل ميلانا طفيفا. وعند قدم "مقورن" نجد على طاولة صخرية مرتفعة عدداً من النقوش الصخرية تمثل ست بقريات منقوشة وظبيتين وأيلا واحد. هذه النقوش الصخرية توجد في المكان المعروف بـ "لمكزرت" والذي توجد به مائدة كبيرة تسمى بدورها "لمكزرت" محاطة من طرف سكان المنطقة بالعديد من الأساطير والخرافات العتيقة. تظهر المائدة مستوية مع وجود ميلان بسيط وقنوات صغيرة تحيط بها من صنع الإنسان ربما من أجل سيلان دم الأضحيات التي كانت تذبح.

ليس هناك أي شك في أننا أمام مذبح كانت تقدم عليه الأضحيات الحيوانية أو البشرية أو هما معا خاصة البقريات نظراً لوجود نقوش البقريات في اللوحة القريبة من نفس المكان. وقد استطلع مازيل المنطقة كلها فوجد بناية عبارة عن هيكل أو مكان للتعبد وبناية أخرى عبارة عن أطلال تتضمن بقايا مذبح من النوع الفينيقي أو اليهودي المسيحي. وهذا ما يوحي بأن لمكزرت عبارة عن مذبح يعود للعصور القديمة وأن بقايا الهيكل أو مكان التعبد وبقايا المذبح الفينيقي عبارة عن مؤشرات ترجح قدم بقايا هذه المنطقة.

مصطفى أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، كلية الآداب، فاس، ص. 545 ـ 546.

L. Mazel, *Enigmes du Maroc*, Robert Laffont, 1971.

مصطفى أعشي

**لهبوب**، (سيدي –) **أحمد** ولي صالح حسب ما تتناوله الألسن تواترا كان بقبيلة بني يازغة قبل أن ينتقل إلى عزابة القريبة من مدينة صفرو، وهو من درية سيدي لحسن بن علي. ويقام له موسم في كل سنة حتى اليوم تحييه قبائل آيت يوسي والبهاليل وأهل صفرو ولواته وبني يازغة وغيرهم. ولم نتوصل إلى وثائق تثبت هويته وشرفه وأسباب هجرته إلى المنطقة.

أ. الحمري، *الاعلام والأماكن لمنطقة صفرو*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1990.

الحسين البعاوي

**اللواء**، مجلة جامعة أصدرتها جمعية اللواء الثقافي بمكناس عام 1957. "بدافع من الرغبة في خلق مجال رحب للتعبير عن الرأي وإبداء ما يختلج في الخاطر من أفكار جديرة بأن يطلع عليها هواة الأدب على اختلاف مشاربهم وأذواقهم، ثم بدافع من الأمل في أن تكون المجلة منبرا حرا تتجاوب في جنباته أصوات الشباب داعية إلى الانعتاق والتحرر مما لايزال المجتمع المغربي يتخبط فيه من رواسب العهد البائد، ومبشرة بالقيم الخالدة التي كافح الشعب من أجلها حتى يشعر بنعمة الاستقلال".

وعن الخطة التي رسمتها المجلة لنفسها، فهي "ستطرق جميع المباحث سواء منها الأدبية والعلمية والفنية والاقتصادية والسياسية، غير أنها ستظل بعيدة عن الخوض في المهاترات الحزبية والهذيان الطائفي، حرصا على أن يبقى شبابنا واعيا يناضل من أجل الخير، ويشرع قلمه للذب عن الحق، ويجند فكره للدفاع عن المبادئ السامية والمثل الإنسانية العليا".

تعاقب على إدارة المجلة بعض أعضاء جمعية اللواء الثقافي بالتناوب، وهم على التوالي : محمد الأزمي مديرا، وعبد الرحمن الزياني رئيسا للتحرير، ثم عبد الهادي معتصم مديرا، وكل من التهامي البوعزاوي وعزيز بن عبد الجليل في هيئة التحرير.

صدر من المجلة أربعة أعداد في طبعات مرقونة مستنسخة أولها في يناير 1957. وكان القصد أن تتعاقب أعدادها بوتيرة ثلاثة أعداد في السنة، غير أنه ما أن صدر العددان الأولان حتى تبين أن تكاليف الإنجاز تتعدى بكثير مما تتسع له إمكانيات الجمعية المحدودة، وهكذا وبعد صدور العدد الثاني في مارس 1957، تأخر العدد الثالث إلى ما بعد عامين كاملين (ماي 1959)، وتلاه العدد الرابع بعد ثلاث سنوات (يونيو 1962).

استقطبت المجلة أقلام ثلة من المثقفين الشباب جلهم من مدينة مكناس، والبعض من مدينة فاس، وبلغ عدد ما نشرته من المواد خمسا وخمسين، تنوعت موضوعاتها ما بين البحث التاريخي، والدراسة الأدبية، وترجمة أعلام الفكر، والقصة، والشعر، والمذكرات الشخصية إضافة إلى ركن تربوي، وآخر خاص بالمرأة، وثالث للمنوعات والأخبار الثقافية وجديد المكتبة العربية والمغربية.

ومن أبرز من نشرت لهم المجلة : محمد عبد الهادي المنوني، ومَحمد (فتحا) بن عبد القادر العرائشي، وعبد الرحمن الزياني، وعبد الهادي المراكشي معتصم، ومحمد بن أحمد الاجراوي، وبنسالم الدمناتي ومحمد أحمد الهواري، والهاشمي الراجي، وعبد السلام الزيتوني، وعبد العزيز بن عبد الجليل.

وقد فسحت المجلة صدرها لكتاب وشعراء مشارقة كان

من بينهم الشاعرة العراقية نازك الملائكة ومواطنها حسن البياتي.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**لواتة**، يذكر صاحب بيوتات فاس الكبرى أن لواتة من العرب الداخلين مع البربر إلى المغرب، ومن أشهر قبائلها سدراتة ومزيتة، وجدانة، ومغاغة، وعزوزة. وإلى هذه القبْيلة ينتسب الرحالة المغربي الشهير محمد بن بطوطة اللواتي الطنجي. وبشرق مدينة صفرو تقع لواتة التي تتكون من فخذتي آيت عقا، وآيت أوفقير المنتسبين لآيت علي ويوسف السغروشنيين، وكذا زاوية سيدي بنعيسى الإدريسي.

ولهذه القبيلة زقاق بفاس يقال له حارة لواتة.

برز من هذه القبيلة عدد من الأشخاص :

- منهم الفقيه الحسن اللواتي، كان في عهد مغراوة وولده الفقيه علي بن الحسين، ويقول صاحب بيوتات فاس الكبرى أن الحسن هي الأصح، كان على عهد لمتونة.
- الولي الصالح علي اللواتي وكان على عهد الموحدين.
- أبو محمد قاسم بن عبد العزيز اللواتي، وقد تصدر للتدريس بفاس، وممن أخذ عنه بها سليمان بن يحيى المعافري السرقسطي المتوفى بعد 540.
- علي بن الحسين اللواتي، وكان عالماً فرضياً، وتصدر للتدريس بفاس أيضا فروى عنه جماعة منهم علي بن موسى ابن البقرات السالمي الجياني الأندلسي بعد نزوله مدينة فاس، وهو من رجال القرن السادس الهجري.
- الولي الصالح سيدي محمد بن عيسى من رجال القرن هـ، دفين لواتة، وقد أخذ عن الولي الشهير سيدي محمد الوالي من بني وال، صاحب الضريح المزار بقلعة زيد بحوز فاس، تلميذ أبي الطيب الميسوري نسبة إلى ميسور.

توفي سنة 573.

إسماعيل بن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972 ؛ علي الغزيوي، مجلة *الجواهر*، ع 3، فاس، 2002.

Cap. Reisser & Cap. Bachelot, Notices sur le cercle de Sefrou, *B.S.G.M.*, n° 4, Février 1918.

الحسين البعاوي

**لوبيا** اللوبيا أو الفاصوليا أو علميا فاسكولوس فولكاريس "Phascolus vulgaris" نباتات من فصيلة الفوليات "Fabaceae"، وهي نباتات تشمل عدة ضروب حولية قصيرة قائمة أو متسلقة، ذات أزهار بيضاء أو ملونة، وأوراق مجزأة إلى ثلاث وريقات، وقرون طويلة رفيعة أو عريضة ذات ألوان مختلفة حسب الضروب، ويزرع منها أكثر من ألف ضرب في العالم.

تستخدم القرون الصغيرة والبذور غير الناضجة والبذور الناضجة الجافة للإستهلاك البشري، بينما يستعمل النبات المجفف أو حتى أخضر كعلف. كما تدخل في صناعة الأغذية المصبرة.

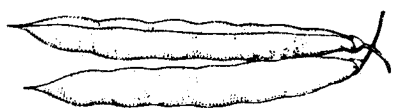

تعتبر أمريكا هي الموطن الأصلي للفاصوليا، ولم تكن تعرف في أوروبا قبل اكتشاف أميركا، ولكنها تزرع الآن في جميع أنحاء العالم.

تنمو الفاصوليا في مناخ حيث الحرارة والضوء وتحتاج إلى السقي باستمرار. يتوقف نموها عندما تنزل الحرارة إلى أقل من 10 درجات، وتخشى البرودة والصقيع. يتم التكاثر عن طريق البذور، تزرع 10 إلى 20 كلغ في الهكتار بنسبة 20 إلى 30 حبة في المتر المربع.

ألبيرت هيل، 1962، *النبات الإقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرون، القاهرة، نيويورك ؛ *معلومات شخصية*.

J.M. Clement, *Larousse Agricole*, éd. Larousse, Paris, 1981.

عبد النبي زين العابدين

**اللُّورقي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Lorca وLorquino نسبة إلى مدينة لورقة Lorca ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز، حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1990). تطاون 1999.

**اللُّوزي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Iznalloz وAznalloz نسبة إلى حصن كان بغرناطة المسلمة يعرف بحصن اللَّوز.

ويؤكد المؤرخ كاخيگاس أن أفرادا من هذه الأسرة هم الذين أسسوا مدشر اللوزيين الواقع بقبيلة حوز تطوان.

م. ابن عزوز، حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1990). تطاون 1999.

**لُوشَة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Loja نسبة إلى مدينة لوشة

Loja ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1163 (1750).

م. ابن عزوز، حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1990). تطاون 1999.

**اللّوشي**، ويكتب أيضاً اللُّوشي أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Loja وLojeño نسبة إلى مدينة لوشة Loja ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1040 / 1631 ومع ذلك كانت إلى غاية سنة 1257 بحومة الطرانكات دار تعرف بدار اللوشي.

م. ابن عزوز، حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1990). تطاون 1999.

**لُوك**، وتكتب لُك أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Luque وLugo ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1195 / 1781.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك بإسبانيا مدينة اسمها Luque وأخرى اسمها Lugo.

م. ابن عزوز، حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1990). تطاون 1999.

محمد بن عزوز حكيم

**لوگران** (جان شارل -) Jean-Charles Legrand، محامي فرنسي، نال حب وتقدير الوطنيين المغاربة للتفهم الكبير الذي أبداه للقضية المغربية، وللدوافع التي حذت بموكليه إلى حمل السلاح في مواجهة رموز الوجود الاستعماري من معمرين ومغاربة ممالئين. وقد ظهر هذا التفهم في مرافعاته، وفي مؤلفه : "Justice, patrie de l'homme" (العدالة، موطن الإنسان)، وهو مرجع لا غنى عنه للباحثين في السنوات المتأخرة من الحماية الفرنسية بالمغرب (1952 ـ 1956)، لذلك اقترن اسمه بسنوات احتضار الحماية هذه.

رافع جان شارل لوگران عن عدد هام من رجال المقاومة المغربية من الدار البيضاء وأگادير ومراكش وفاس وغيرها، وكانت أول قضية سجلت حضوره المتعلقة باغتيال الأوربي "ميرا" (Mira) إبان أحداث الكاريير سنترال يوم 8 دجنبر 1952. جرت المرافعة يوم 29 يونيو 1953 وتخللها الاحتجاج ضد اعتماد المحكمة العسكرية أسلوب الشك لإصدار أحكام قاسية : ثلاثة بالسجن لمدة عشرين سنة على الرغم من اعتراف ممثل الحكومة الفرنسية بعدم التوفر على الحجج التي تُدين المتهمين !

ولما كان المالؤون للسلطات مثل باشا مراكش التهامي الأگلاوي، وعبد الحي الكتاني يجوبون أنحاء المغرب لجمع توقيعات "المطالبين" بإبعاد السلطان سيدي محمد بن يوسف كان لوگران يهيئ مرافعاته للدفاع عن مغاربة اتهموا بقتل ثلاثة أوربيين في ذات الأحداث التي جرت في 8 دجنبر 1952، وقد طالب كعادته أن تقدم فرنسا الدليل على أنها "الأمة العادلة"، وألا تذهب الأحكام في اتجاه الثأر لمن سقط من الأوربيين ـ الذين كان بعضهم يُشهر سلاحه في وجه المتظاهرين من المغاربة ـ بإصدار أحكام الإعدام، بيد أن المرافعات لم تحل دون إصدار الحكم بالإعدام في حق عبد اللطيف بن قدور والحسين إيدر المعروف بـ"كينكو" وحميد ابن إسماعيل، وحكمين بعشرين سنة مع الأشغال الشاقة وحكم بعشر سنوات مع تبرئة متهمين اثنين.

وكان الغلاة من المعمرين الفرنسيين قد هدّدوا بقتل لوگران إذا نجح في استصدار عفو لصالح عبد اللطيف بن قدور، وانتقلوا من التهديد إلى التنفيذ، فاعتدوا بالقنابل على بيت المحامي عبد القادر بن جلون.

وكان يتخلل مرافعات لوگران تساؤل ملح عن ماهية الدولة التي يتهم المغاربة بالمساس بأمنها، إذ كيف يمكن المساس بأمن فرنسا فوق التراب المغربي ؟، أما إذا كان الأمر يتعلق بأمن المغرب فإن القضاء المغربي هو المؤهل وحده للنظر في هذه الملفات.

وطالب لوگران برد الاعتبار لمن تصفهم السلطات الفرنسية بـ"الأشرار"، الذين دفع بهم حب بلادهم والسعي في استعادة استقلالها إلى حمل السلاح، ومن هؤلاء "الأشرار" المدعو بوحليم الذي كان مجنّدا في صفوف القوات الفرنسية، ومع ذلك صدر في حقه حكم "بخمس سنوات سجنا موقوفة التنفيذ".

وانعقدت بمراكش في نونبر 1954 جلسات المحكمة العسكرية للنظر في قضايا تصفية المراقب المدني "تيفان" وممثل الحكومة "موانيي" وإصابة رئيس ناحية مراكش الجنيرال "دوطفيل"، وقد انسحب لوگران بسبب انتفاء الشروط الضرورية لإجراء محاكمة عادلة، وأناب عنه الأستاذ العمراني، وعلى الرغم من توصله بتهديد بالقتل إذا عاود الدفاع عن "القتلة" و"الأشرار" فإنه أصرّ على مواصلة مؤازرة موكليه الذين مُنعوا من تقديم دوافع أعمالهم، وانتهت الجلسات بإصدار أربعة أحكام بالإعدام، ويحكم بخمس سنوات سجنا مع الأشغال الشاقة.

استمرت المحكمة العسكرية تعقد جلساتها في مراكش خلال شهر نونبر 1954، ففي الخامس عشر منه قتل خمسة مغاربة اتهموا بتصفية فردين من قوات الأمن داخل المشور بمراكش يوم 15 غشت 1953 لما كانت الاستعدادات جارية لتنصيب محمد ولد عرفة "سلطانا" بديلا لمحمد بن يوسف، وقد استنكر لوگران تجاهل هيئة المحكمة للعدد الكبير من الضحايا المغاربة الذين سقطوا صرعى رصاص القوات

الفرنسية ومنهم فاطمة الزهراء بنت مولاي هشام المقيمة بالقصبة درب رحال رقم 68.

رافع لوگران قبل ذلك لفائدة معتقلين في وجدة بلغ عددهم 96 اتهموا بإثارة أعمال العنف والتخريب التي شهدتها مدينة وجدة في 16 غشت 1953.

ولم يتجاوز عدد الضحايا الأوربيين اثنى عشر شخصا بينما أطلقت القوات الفرنسية حوالي 6000 رصاصة، فكم كان عدد الضحايا من المغاربة ؟

كما أثار الأستاذ لوگران قضية اختناق أربعة عشر مغربيا داخل زنزانة ضيقة بمركز الشرطة، فأضيفت هذه القضية لأخرى تمثلت في طمر جُثث المغاربة في حفرة خارج المدينة، وكان قد جرى حملها بواسطة شاحنات جمع النفايات! ومع ذلك أصدرت المحكمة العسكرية يوم 10 دجنبر الأحكام القاسية التالية :

- الإعدام حضوريا في حق 8 متهمين.
- الإعدام غيابيا في حق 11 متهما.
- الأشغال الشاقة المؤبدة في حق 11 متهما.
- الأشغال الشاقة المؤقتة في حق 19 متهما.
- تبرئة 18 متهما.

وقد عفا الرئيس الفرنسي "روني كوتي" (R. Coty) عن الأشخاص الذين صدر في حقهم حكم بالإعدام. فهل لهذا العفو علاقة بالفضائح التي أثارها الدفاع واهتزت جراءها صورة فرنسا "النبيلة الداعمة لحقوق الإنسان" ؟

وكاد الغلاة من المعمرين أن يقتحموا فندق "Terminus" الذي كان ينزل به لوگران بعد أن تجمهروا أمام الباب مرددين عبارات التهديد بالقتل أمام المحاكم العسكرية. وكان يوجد ضمن المحاصرين قاضي التحقيق وكاتبه الخاص، ومحرضون أتوا من الدار البيضاء على متن سيارة مسجلة هناك، وهي التي طاردت لوگران ومرافقيه عبر سهول وجدة.

ومن المرجح أن تكون هذه التهديدات ومضايقات النيابة العامة وبعض القضاة وهشاشة الإجراءات الأمنية وراء قرار لوگران بالامتناع عن المرافعة مستقبلا، لكن لقاءه مع رئيس الجمهورية دفعه إلى التراجع عن قراره، وهكذا آزر المتهمين بتصفية أحد باعة التبغ بمدينة فاس المدعو عبد السلام لحلو في ماي 1954 وشقيق قائد تاونات، وهو الآخر من التجار بمدينة فاس، ومحاولة تصفية الخليفة البغدادي.

وكان ضمن المتهمين الذين انطلقت محاكمتهم يوم 23 مارس 1955 علال الأوديي وعبد الله الشفشاوني وأساتذة منهم من اتهم بالتحريض ومنهم من اتهم بحيازة أسلحة.

وأوردت صحيفة *"ماروك بريس"* في أبريل 1955 تفاصيل الجلسة الأخيرة لمحاكمة فاس، ومما جاء فيها على الخصوص عبارات التقدير التي أطلقها محامي مغربي من هيئة فاس في حق لوگران عندما التقاه في أحد ممرات نيابة المحكمة :

"إن عملكم يرجع بالفائدة على الفرنسيين أكثر مما يُفيد المغاربة لأنكم تمنعوننا من معاداتكم، لو كان لجميع الفرنسيين نفس مواقفكم لما حدث أي مشكل بالمغرب".

وأصدرت المحكمة حكم الإعدام في حق عبد الله الشفشاوني وعلال الأوديي، والأشغال الشاقة المؤبدة في حق حميد الجاي، وتراوحت الأحكام الأخرى بين عشرين سنة وسنتين، وقد نُفذ حكم الإعدام يوم 2 غشت 1955 بسجن العاذر على بعد سته كيلومترات من أزمور.

وظل جان شارل لوگران مطلوبا من قبل الغلاة من المعمرين، ونجحوا إثر عملية مرس السلطان الفدائية بالدار البيضاء، يوم احتفال الفرنسيين بعيد بلادهم الوطني الذي يصادف كل سنة 14 يوليوز، في تحطيم باب الشقة التي يقيم بها بزنقة "بليز باسكال" (زنقة الأمير مولاي عبد الله)، لكنهم عجزوا عن إيذائه بعد أن أسقط معمرا إسبانيا يُدعى "جوزيف رويز" (Joseph Ruiz) (21 سنة)، وأصاب آخريث بجروح كانت إصابة أحدهما، ويدعى "بيير تيون" (Pierre Thion) بليغة، وقد حضر إلى مكان الاعتداء الوكيل العام للجمهورية والمسؤولون عن حفظ النظام لتلقي أقوال لوگران. وكان الأوربيون قد أتوا أعمال عنف خطيرة للغاية انتقاما لسبعة قتلى واثنين وثلاثين جريحا سقطوا في عملية مرس السلطان لما تم تفجير قنبلة أمام مقهى غاص بالأوربيين.

وفي أعقاب هذه الأحداث تم ترحيل جان شارل لوگران إلى فرنسا، ولم يسمح له بالعودة إلى المغرب إلا بعد صدور ظهير بالعفو على المعتقلين السياسيين في 21 دجنبر 1955، وقد استفاد منه "الدكتور فرديناند كوص" الذي كان قد طُرد من المغرب.

وكانت آخر مرة رافع فيها لوگران قد جرت أمام المحكمة العسكرية بالدار البيضاء يوم 3 ماي 1955، وكانت لفائدة خمسة عشر متهما أتوا عمليات مسلحة في فضالة على الخصوص، وكان منهم عبد القادر بن بوشعيب المعروف بـ "التورنور" وهو من وجوه المقاومة الشورية المعروفين جدا.

وعند رجوع لوگران إلى المغرب بعد استرجاع سيادة المخزن نظم له استقبال حار من قبل ثلة من الوطنيين المغاربة اعترافا بما قام به لفائدة رجال من المقاومة المغربية.

من شهادة *عبد الله العياشي*، عضو الحزب الشيوعي المغربي (حزب التقدم والاشتراكية حاليا)، مقابلة بتاريخ الثلاثاء 30 يناير 1990.

Jean-Charles Legrand, *Le procès de la main noire*, Sté. Franco-Marocaine d'Impression et d'Edition ; *Justice, patrie de l'homme. Défense devant les tribunaux militaires du protectorat*, 1952-1955, Casablanca, 1960, 422 p. ; *La Vigie Marocaine*, mercredi 21 décembre 1955, p. 1.

محمد رحيد

**لوكلاي موريس** Le Glay Maurice، حل بالمغرب ضمن البعثة العسكرية المكلفة بتدريب الطوابير المخزنية ـ وكان من أبرز الحرابين المرافقين لهذه الطوابير. كما كانت له دراية بشؤون المغرب منذ أن عمل بتونس ثم الجزائر.

شارك في احتلال العاصمة فاس ـ وحضر مراسيم توقيع معاهدة الحماية. وقد كافأه ليوطي إذ عينه في مناصب إدارية وعسكرية سامية ـ ومن أبرزها المراقب المدني بأسفي.

وتخلي "لوكلاي" عن الجيش والعمل في الجندية منذ 1918، فتفرغ للكتابة. إذ أقام تارة في الرباط وأخرى في الدار البيضاء. وألف ما بين 1920 و1936 حوالي عشرين مؤلفا اتخذت المغرب موضوعها. ودافع في هذه المؤلفات عن سياسة الحماية في المغرب ـ كما مجد "ليوطي" الذي أرسى دعائم نظام الحماية. ودافع عن العمل الاستخباري لمعرفة شؤون القبائل ـ واهتم بالأطلس المتوسط. إذ درس علاقات موحاو حمو الزياني بالمخزن ـ وكذلك كيف تألق حتى أصبح من أسياد الأطلس على حساب بقية أعيان المنطقة. وقد أسهب في دراسة أنماط عيش قبائل الأطلس المتوسط، لدرجة أن مؤلفاته احتضنتها إدارة الحماية وحولت إحداها إلى أضخم فيلم على الأطلاق في عهد الحماية وهو فيلم "إيطو" الذي يسطر سياسة الحماية بتمجيده لضباط الشؤون الأهلية وحاول تلميع صورة فرنسا في المغرب بواسطة إبراز دور الأطباء في معالجة السكان، وفي المقابل حوَّل مقاومة أهالي الأطلس المتوسط إلى عمل من أعمال الانشقاق واللصوصية. وقد أثرت مؤلفاته في السياسة البربرية التي انتهجتها الحماية والتي انتهت بوضع الظهير الاستعماري يوم 30 ماي 1930. وقد نال سنة 1920 "الجائزة الكبرى للأدب الاستعماري" وقال عنه هونري بوردو : "إن لوكلاي يعتبر من الرجال الذين يعرفون المغرب أحسن من غيرهم".

توفي سنة 1936.

Maurice Le Glay, *La mort du Rogui*, Berger Levrault, Paris, 1926 ; *Les pasteurs*, Berger Levrault, Paris, 1929 ; *Les sentiers de la guerre et de l'amour*, Berger Levrault, Paris, 1930 ; *Chronique Marocaine*, année 1911 jusqu'à l'arrivée des français à Fès, Berger Levrault, Paris, 1933 ; *Récits marocains de la plaine et des monts*, Berger Levrault, Paris, 1948 ; Daniel Rondeau, *L'appel du Maroc*, Flammarion, Paris, 1999 ; Pierre Boulanger, *Le cinéma colonial*, Ed. Seghers, Paris, 1975

عبد القادر بوراس

**لوكوس** (نهر ـ)، هو أحد الأنهار الرئيسية الأربعة التي تصرف مياه سلسلة جبال الريف الغربية والتي تتكون من واد مرتيل وواد لاو اللذين يصبان في البحر الأبيض المتوسط، ثم واد لوكوس وواد تهدارت اللذين يصرفان مياه الضفة الجنوبية الغربية نحو المحيط الأطلسي.

تقع منابع واد لوكوس على ارتفاع حوالي 1200 متر من الجهة الوسطى لغرب جبال الريف. يتكون في الأصل من واد تزارين الذي ينطلق من جبل خزانة من الناحية الشرقية وواد منصورة ورافده واد قروش من ناحية الشمال. يأخذ تسمية واد لوكوس عند ملتقى الوادين المذكورين، أي بعد حوالي 40 كلم من المنابع الأصلية. ولنهر لوكوس عدة روافد، لكنها تكاد تكون كلها موسمية وعلى شكل سيول قوية الانحدار، مصدر أغلبها من السفوح الجنوبية الغربية لجبال الريف. أهم هذه الروافد وأطولها واد المخازن. فجلها إذن يأتي من الضفة اليمنى، إذا استثنينا بعضها مثل واد زاز وواد سميد الماء. أما خط مجرى النهر فهو على شكل قوس منفتح نحو الشمال، بدايته عند جبل خزانة شرقا وآخره عند المصب شمال مدينة العرائش غربا. أخفض نقطة في مقعر القوس توجد جنوب جبل الدرو، شرق مدينة القصر الكبير. وعموما، يمكن أن نعتبر أنه يجري من الشرق نحو الغرب، بطول حوالي 180 كلم.

يظهر من خلال الصبيب الأقصى المسجل أن الفيضانات تكون قوية وسريعة وفجائية على طول مجرى النهر. وتقع بالخصوص في فصل الشتاء وفصل الربيع، حيث تم تسجيل الأرقام القصوى في محطة قنطرة واد لوكوس ومحطة أمدور في شهر يناير وفي محطة أتفر ومحطة مريسة خلال شهر أبريل.

الصبيب المميز لكل جزء من أجزاء نهر لوكوس
سنة 1970 ـ 1971

| المحطة | الارتفاع بالمتر | المتوسط السنوي للصبيب (م/ث) | الصبيب الأقصى المسجل |
|---|---|---|---|
| قنطرة لوكوس | 140 | 7.3 | 457 |
| امدور | 84 | 22,5 | 1350 |
| اتفر | 46 | 34,10 | 1680 |
| مريسة | 2,50 | 41,40 | 1070 |

أما جريان لوكوس الصيفي فإنه نموذج لجريان وديان المناخ المتوسطي حيث غالبا ما تكون جافة إذا استثنينا الأودية التي لها مصادر من العيون، وهكذا فإن صبيب نهر لوكوس لا يخرج عن القاعدة حيث أنه نادرا ما يتجاوز مترا مكعبا واحدا في الثانية في فصل الصيف. فمثلا خلال سنة 1971 بلغ الصبيب في شهر أبريل 30,6 م$^3$ في الثانية مقابل 0,48 خلال شهر غشت من نفس السنة في مستوى محطة قنطرة واد لوكوس في أعلى النهر، و83,2 م$^3$ /ث مقابل 1,3 في محطة مدور و155 م$^3$/ث مقابل 0,4 وفي محطة اتفر

220 م$^3$ /ث مقابل 1,1 م$^3$ /ث في محطة مريسة. الخلاصة أن العجز المائي يمتد على مدى 6 إلى 7 أشهر في السنة.

**لوكوس** (حوض -) يقع حوض لوكوس في الشمال الغربي للبلاد، بين 45 '34° و30 ' 35° شمالا و5 إلى 6 درجات غربا، أي في الحدود الجنوبية الغربية لجبال الريف، المنطقة الأكثر رطوبة في المغرب. يشمل كذلك ثلاثة قمم من سلسلة جبال الريف بارتفاع يبلغ حوالي 1690 م (جبل خزانة جبل سوكنة وجبل علام). تحيط هذه الجبال بالحوض من جهته الشمالية الشرقية وتكون أول حاجز أمام الاضطرابات الجوية الغربية المتجهة نحو الشرق، وبالتالي تكون من بين أسباب غزارة الأمطار النسبية التي يعرفها الحوض. لكن رغم كونه محاطا بهذه القمم فمتوسط ارتفاعه لا يتعدى 280 متر تقريبا.

تبلغ مساحة الحوض الإجمالية حوالي 3750 كلم$^2$ عند المصب، فإنه مع واد كرت يعتبر من أهم الأودية التي تصرف مياه جبال الريف. ويتكون من ثلاثة أحواض ثانوية وهي :

- حوض لوكوس وهو الحوض الأهم ويقع في عالية واد وعرور، ويغطي الجزء الشرقي والجنوبي من مجمل مساحة الحوض، أي حوالي 2100 كلم$^2$ أو 57٪ من مساحته.
- حوض واد وعرور الذي يصرف مياه الجزء الأوسط من حوض لوكوس، مساحته حوالي 200 كلم$^2$ أو 5,4٪ من مساحة الحوض الإجمالية. فرغم صغر هذا الحوض، فإنه يعتبر مهما نظرا لحملاته الهامة والمتكررة سنويا. ينتهي مجراه في مرجة قد تمتد آلاف الهكتارات لتصب بعد ذلك جزئيا في واد المخازن قبل أن يصب بدوره في واد لوكوس.
- حوض واد المخازن الذي يشمل الجزء الأعلى، مساحته 880 كلم$^2$ أو 24٪ من الحوض بكامله.

أما بنية الحوض الجيومورفولوجية فهي منسجمة عموما، تتكون من الطمي الرمادي المنتمي إلى الكريطاسي الأعلى ومن الطمي الكلسي الأبيض المنتمي إلى الأيوسين، ثم من الطمي الرمادي ذي مسطبات من الحجر الرملي المنتمي إلى الأوليكوسين. كما نجد أيضا محليا شذرات من الرمل النوميدي المختلط بالطين القاعدي.

أما في الجنوب فتلال أولاد عقبان تتكون من حصى من الفيلافرانشي تحدها جنوبا نتوءات من فرشات مقدمة الريف التي تشبه تشكيلتها الأراضي الوسطى، مع بنية أكثر تعقيدا، حيث نجد من حين لآخر بروزات من الترياس الجبصي.

وعن التكوينات التي تهم مباشرة تصريف مياه حوض لوكوس الأسفل فهي من التوضعات التي جاءت بعد الزحف الريفي. وتتكون من الطمي الأزرق الرملي نسبيا في الأعلى ذات نفاذية ضعيفة أو منعدمة، الأمر الذي يساهم في كون طبيعة الجريان موسمي وعلى شكل سيول.

فوقها نجد توضعات بحرية تلية من البليو - فيلافرنشي تحتوي على حجر رملي صدفي، ورمل وطمي رملي مصفر اللون. سمك هذه التوضعات ما بين 20 و50 م في غالبيتها. أما في الناحية الشرقية من الحوض فإنها لا تتجاوز مستوى النهر الذي ينحت فيها مجراه.

أما تكوينات الحوض القارية فهي من الفيلافرنشي، تحتوي في أعلاها على حصى ذات إسمنت طيني أحمر، لكن وجودها يقتصر على الجنوب الشرقي من الحوض ويسمك يتجاوز 50 م في بعض المواقع.

ويعتبر مناخ الحوض من المناخات المعتدلة في المغرب نظرا لموقعه في الشمال، ونظرا لقربه من المحيط. فالحرارة في مدينة العرائش تتراوح ما بين 11,8 درجة كمعدل سنوي للحرارة الدنيا و23,9 كمعدل سنوي للحرارة العليا.

ومعدل الأمطار في الحوض عامة هو 725 ملم أدنى قيمة تسجل في مدينة العرائش أي 683 ملم كمعدل سنوي، وأعلاها في القصر الكبير وهي 775 ملم و723 ملم في محطة العوامرة في وسط الحوض. فالتزايد يكون في اتجاه الداخل نظرا لعامل الارتفاع ومواجهة السفوح التضاريسية للتيارات الغربية البحرية الرطبة.

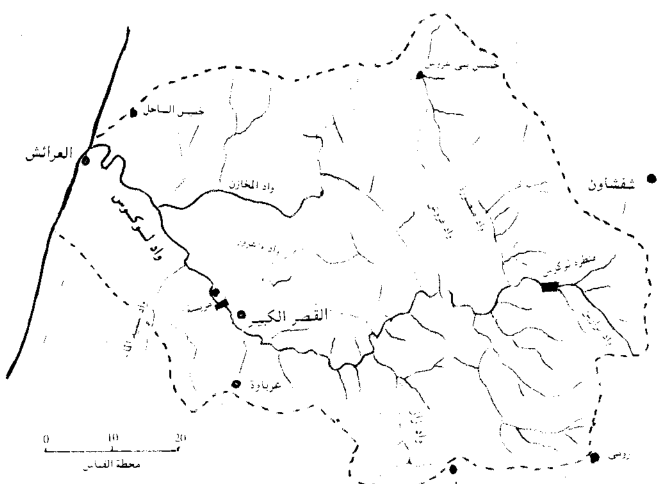


نظرا لأهمية هذا النهر من حيث كمية المياه التي يصرفها، ومن حيث أخطار الفيضانات التي يكون سببا رئيسيا فيها، فإنه تم بناء سد هام عليه شرق مدينة القصر الكبير، أطلق عليه اسم واد المخازن، وشرع في العمل به سنة 1979. يبلغ علوه 67 مترا وحقينته 773 مليون متر مكعب، يستعمل مخزونه من الماء لإنتاج الطاقة الكهربائية وتوفير 25 مليون متر مكعب سنويا من الماء الشروب والصناعي، ولسقي أكثر من 40.000 من الأراضي الخصبة في المحيط السقوي "لوكوس".

بالإضافة إلى السد الرئيسي تم تشييد عدة سدود ثانوية أخرى على النهر أو على روافده إما لدرء خطر الفيضانات أو لمنع مياه البحر من التوغل داخل الأراضي الفلاحية عبر مجرى النهر المنخفض.

*Ressources en eau du Maroc*, t. 1 ; A. El Gharbaoui, *La terre et l'homme dans la péninsule tingitane*, Rabat, 1981, *Direction Générale de l'Hydraulique*, Rabat, Agence du bassin versant Loukkos, Tétouan.

أحمد لقمهري

**لوكي أرمان** (Luquet Armand)، من مواليد 1899 بمدينة سيرفيير بفرنسا ـ كانت دراسته في البداية في مجال الهندسة المعمارية حيث برع في مجال الرسم لكن سرعان مادعاه الواجب الوطني لولوج المدرسة الاستعمارية بلوهاڤر وهكذا قضى الخدمة العسكرية في المغرب ضمن فرقة الصبيحية (Spahi) وبقي به دون أن يغادره.

لقد كانت مدة الخدمة العسكرية في المراكز الجنوبية ثم انتقل بعد ذلك للعمل في الإدارة بالرباط وبطلب من المراقب المدني Marcy الذي كان يقدره، عمل على إعادة تشكيل وتنظيم قسم الآثار الذي أنشأه لويس شاتلان سنة 1915 بوليلي ونقل إلى الرباط سنة 1926 بصفة نهائية.

كان لوكي رساماً بارعاً كما أن معرفته بمجال الهندسة مكنته من القيام برفوعات لعدد من المنازل والأحياء والمباني والفيسفساء وكل التحف الفنية. وقد ساعد شاتلان في ترتيب وتنظيم المتحف الأثري بالرباط. واستفاد منه قسم الفنون الجميلة إذ تدخل في كثير من المناسبات لترميم العديد من القصبات البرتغالية.

كان حبه للمغرب كبيراً لدرجة أنه كان محط تقدير من المغاربة لكونه يتحدث لغتهم، وقد بقي ربما الفرنسي الوحيد ضمن تشكيلة الباحثين في قسم الآثار ابتداء من سنة 1963. وقد قدر المغرب حسن استقامته وإخلاصه للبلاد إذ عينته الحكومة المغربية محافظا لموقع وليلي الأثري.

ورغم الإمكانيات الضئيلة المتاحة له من أجل التسيير والترميم، فقد قام بترميمات جزئية على الخصوص في مبنى الكابتول والبازليك والباب الشمالي الشرقي. ويشهد الباحث توڤنو بكونه استفاد كثيراً من رسومات لوكي والتي كان يذيل بها مقالاته في مجلة الاثريات المغربية (PSAM).

وقد قام بتحريات كثيرة من أجل النبش عن المواقع المغربية القديمة مكنت من وضع اللبنات الأولى للقيام بأطلس للاستغلال القديم للمجال المغربي، وكانت وفاته إثر تسرب غاز من قنينة كانت توجد بمنزله، حيث وجد مختنقا، وذلك يوم 3 دجنبر 1976.

R. Thouvenot, A Luquet (1899 - 1976), *BCTHS, n. s, F. 12* - 14 (1976-78), (1980), p. 7 - 8.

عبد العزيز بل الفايدة

**لوميگر دوبروي، جاك** (Jacques Lemaigre-Dubreuil) رجل أعمال فرنسي اشتهر في عالم تسويق الزيوت بعد أن تزوج سنة 1926 ببنت جورج لوسيور (الذي عرفت بعض زيوت المائدة باسمه)، كما كان يملك أسهما مهمة في المتاجر الفرنسية الفاخرة المعروفة تحت اسم Le Printemps. أما من الناحية السياسية، فقد عرف الرجل بتعاطفه مع اليمين وبتقربه من أوساط حركة "العمل الفرنسي" (L'Action Française) خلال عقد الثلاثينيات، وكان يقدم الدعم المادي لصحف يمينية فرنسية مثل L'Insurgé وLe Jour. وفي خضم أحداث الحرب العالمية الثانية، نقل جاك لوميگر دوبروي مقر أعماله إلى الجزائر العاصمة حيث ربط علاقات بالجنرال الفرنسي Weygand وبالمبعوث الأمريكي إلى شمال إفريقيا روبيرت مرفي Robert Murphy. وقد أتاحت له هذه العلاقات فرصة توسيع آفاق أعماله التجارية (شركة لوسيور ـ إفريقيا) تغطي الشمال الإفريقي والسنغال.

ظل الرجل لردح من الزمن قريبا من أوساط فيشي ومن بعض الدوائر التجارية الألمانية. ولكن عندما اقتربت ساعة النزول الأمريكي في شمال إفريقيا، بادر إلى مناصرة الحلفاء وتقرب من الجنرال جيرو Giraud في الجزائر وساهم في نجاح عملية نزول الأمريكيين بالمنطقة. وقد كلفته علاقاته بجيرو بضعة شهور من السجن بعد انتصار دوگول وأتباعه.

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ظل لوميگر دوبروي يترقب تطور الأوضاع في المغرب. وفي بداية الخمسينات، عندما احتدت الأزمة بين المغرب وفرنسا، أبدى لوميگر دوبروي تعاطفا مع التيار الليبرالي الفرنسي الذي كان يدعو إلى الحوار مع الحركة الوطنية المغربية بغرض الخروج من المأزق. وكان آنئذ (1954 ـ 1955) يعبر عن وجهات نظره على صفحات اليومية الباريسية الذائعة الصيت "لوموند". ولما شعر بأن حكومة إدگار فور Edgar Faure تسانده، عمل على امتلاك الصحيفة البيضاوية "ماروك بريس" (أبريل 1955) التي كانت قبل ذلك بين يدي رجل أعمال آخر وهو جاك فالطير Jacques Walter. وتمكن لوميگر دوبروي في وقت وجيز من إعطاء جريدته توجها ليبراليا جريئا جلب عليه وعلى الصحفيين العاملين معه متاعب شتى.

وجد الليبراليون في "ماروك بريس" منبرا نفيسا للتعبير عن آرائهم ولا قتراح حلول بغرض تسوية الأزمة المغربية الفرنسية. كما أن الجريدة فتحت أعمدتها لمقالات وتصريحات نخبة من الشخصيات المغربية (مولاي العربي العلوي ـ حماد العراقي ـ التهامي الوزاني ـ إدريس محمدي...). وفضلا عن ذلك نشرت رسالة من تحرير جماعة من الطلبة اليهود المغاربة في باريس الذين كانوا يطالبون

فيها بالإستجابة لطموحات الشعب المغربي في الانعتاق والتحرر. وبموازاة كل هذا، كان لوميگر دوبروي يعبئ كل طاقاته للاتصال بالوطنيين المغاربة في باريس (عبد الرحيم بوعبيد - عمر بن عبد الجليل...) ولإسماع صوت الليبراليين الفرنسيين في الأوساط السياسية في العاصمة الفرنسية.

وقد أقلق هذا النشاط المكثف راحة المعمرين الغلاة ومن والاهم. وبلغ بهم الاحتناق درجة جعلتهم يدبرون عملية اغتياله في الدار البيضاء يوم 11 يونيو 1955. وتشير بعض الكتابات إلى أن من أسباب تصفيته، علاوة على انخراطه في العمل السياسي الليبرالي، كونه يهدد بنشر وثائق مثيرة تتعلق بصفحات غير مجيدة من تاريخ علاقات المارشال جوان بالألمان إبان الحرب العالمية. وكان الجنرال جوان من الزعماء الفرنسيين الذين أسدلوا حمايتهم على المعمرين الغلاة ودافعوا عن أطروحاتهم.

François Broche, *L'assassinat de Lemaigre-Dubreuil*, Ed. Balland, 1977 ; Jamaâ Baïda, *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*, Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat, 1996.

**لونكي، روبير - جان** (Robert-Jean Longuet) من الشخصيات الفرنسية التي لعبت دوراً بارزاً في مؤازرة الحركة الوطنية المغربية خلال الثلاثينيات من القرن العشرين. إنه من مواليد باريس سنة 1901، ترعرع في عائلة معروفة بنضالها السياسي إذ كان أبوه جان لونكي من نواب الحزب الاشتراكي الفرنسي في الجمعية الوطنية.

سار روبير جان لونكي على درب والده، فامتهن المحاماة والصحافة والنضال تحت لواء الاشتراكية. وفي إطار اهتمامه بمصير الشعوب المستعمرة، قام بزيارة دراسية إلى كل من الجزائر والمغرب خلال سنتي 1926 - 1927. وقد توطدت شيئا فشيئا علاقاته بالحركة الوطنية المغربية، وهو ما جعله سنة 1930 يدافع أمام المحاكم عن أحمد الجبلي العيدوني حتى تحققت براءته. وفي العام 1932 أصدر في باريس مع ثلة من الوطنيين المغاربة، وتحت رعاية لجنة فرنسية - إسبانية مكونة من شخصيات اشتراكية، مجلة *"المغرب" Maghreb* التي أصبحت منبرا للحركة الوطنية في وقت يضيق عليها الخناق في المغرب. وقد حبر روبير جان لونكي في هذه المجلة العدد الكبير من المقالات التي تنم كلها عن تعاطفه الكبير مع تطلع المغاربة إلى التحرر من أغلال الاستعمار. وفضلا عن ذلك، لعب دوراً مهماً في إخراج دفتر مطالب الشعب المغربي إلى الوجود وتقديمه إلى المسؤولين الفرنسيين في دجنبر 1934. ولما اضطرت مجلة "المغرب" إلى التوقف في فبراير 1936 بسبب الضربات المتتالية التي كانت تتلقاها من مصالح الرقابة في الإقامة العامة بالرباط، أصدر لونكي جريدة L'informateur Marocain (المخبر المغربي) ليسمع بها صوت المغاربة في الأوساط الصحفية والسياسية الفرنسية (يونيو 1936 - نونبر 1937).

ولما اندلعت الحرب العالمية ودخل الألمان إلى فرنسا، تزامن ذلك مع وجود لونكي في مهمة في الولايات المتحدة الأمريكية. وكان طبيعيا، نظرا لنضاله الطويل ضد الفاشستية والنازية، أن يفضل البقاء خارج وطنه حتى نهاية الحرب. ولما عاد إلى فرنسا سنة 1946، كان له مجددا موعد مع القضية المغربية حيث أسس "جامعة الدفاع عن المغرب الحر" بتعاون مع شخصيات فرنسية ومع بعض الطلبة المغاربة. ولما اندلعت ثورة الجزائر أولاها اهتماما خاصا تجلى في دفاعه عن مناضلي جبهة التحرير الوطني أمام المحاكم الفرنسية.

ولم يشكل استقلال المغرب سنة 1956 نهاية لاهتمام روبير جان لونكي بشؤون هذا البلد. فقد استمر يناضل من أجل مصلحة شعبه على أصعدة مختلفة. فعلى الصعيد الاقتصادي، تقدم بمشروع إلى المنظمة العالمية للتغذية بغرض إنجاز معمل لإنتاج دقيق السمك في المغرب حتى يستفيد منه المستضعفون من الناس. وعلى الصعيد السياسي، كان له موعد جديد مع الملفات المغربية أمام المحاكم الفرنسية غداة اختطاف المهدي بنبركة في باريس (1965).

توفي روبير جان لونكي في باريس يوم 19 مارس 1987.

Georges Oved, *La gauche française et la nationalisme marocain, 1905-1955*, 2 tomes, Ed. L'Harmattan, Paris, 1984 ; Mohammed Hassan Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain,* Fondation Mohammed Hassan Ouazzani, Fès, t. I, p. 375-381.

جامع بيضا

**اللّوّاح**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس. لم تذكر الوثائق من بين أفرادها سوى اللواح محمد بن محمد بن علي الذي كانت مهنته البيطرة وكان بقيد الحياة سنة 1229 (1814).

م. ابن عزوز، حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1990). تطاون 1999.

محمد بن عزوز حكيم

**اللّوّايَة**، لفظ يطلق على عدة أنواع نباتية عارشة ومعترشة تنتمي لفصائل مختلفة. فكل نبات طويل القامة وذي ساق غير قوي يحتاج إلى ما يتعمد ويرتكز عليه في تسلقه إلى الأعلى. وهي إما معمرة أو حولية، جَنْبَة أو جُنيْبة أو عشبية، برية أو مزروعة، توجد طبيعيا في المغرب أو دخيلة. وعموماً تستعمل هذه الأنواع للزينة في الحدائق أو في تشكيل أسيجة حية.

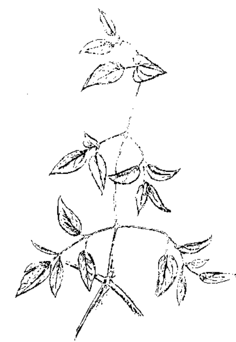

ومن أهم هذه الأنواع نذكر :

ـ اللواية المسماة علميا هيديرا إليكْس Hedera helix أو Le lierre بالفرنسية، التي تصادف طبيعيا في الغابات الرطبة و شديدة الرطوبة كتلك التي ينظمها الأرز أو الشوح أو بلوط الزان أو البلوط الزغبي أو غيرها، وكذلك على ضفاف الينابيع ومجاري المياه. تستخدم بصفة شائعة في إنشاء الأسيجة الحية وتزيين الحدائق في كافة المدن المغربية.

ـ أنواع الخمان أو لُونِيصِيرًا Lonicera أو بالفرنسية Les chèvrefeuilles التي تعيش في غابات وبيومناخات مختلفة حسب الأنواع.

ـ عدة أنواع من فصيلة اللبلابيات Convolvulaceae منها البرية والطبيعية بالمغرب ومنها الدخيلة. وأغلبها تستعمل في الزينة وإنشاء الأسيجة الحية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360p.

عبد المالك بنعبيد

**ليبيا والمغرب**، خلال السنوات الأولى من للاستقلال، سعت الحكومات الوطنية المغربية إلى تطبيع علاقات المملكة تدريجيا مع مجموع الدول العربية. وقد جعلت من احترام الخصوصيات مبدأها الرئيسي لإقامة علاقات أخوية ووادعة. وفي هذا الإطار، أبرمت مجموعة من الاتفاقيات وبروطوكولات التعاون مع حكومة المملكة الليبية، شدد الطرفان في ديباجاتها على أواصر الأخوة بين الشعبين والروابط التاريخية والدينية والحضارية التي تجمع بين البلدين، وسعيهما إلى تحقيق وحدة المغرب العربي والسلم العالمي. ولكن العلاقات لم تتطور بين البلدين بشكل ملموس خلال النصف الأول من عقد الستينيات من القرن العشرين، أساسا بسبب اتباع المملكة الليبية انعزالية جعلت من الصعب إقامة علاقات ثقة وتعاون حقيقي مع جيرانها المباشرين (سواء من جهة الشرق أو الغرب)، فسيرة المملكة السنوسية قامت على مقايضة المساعدات الأمريكية والبريطانية مقابل الانخراط كلية في منظومة دفاع العالم الحر (القبول بمبدأ إيزنهاور الذي اتخذ إزاءه المغرب موقفا متحفظا)، والاستمرار في تقديم التسهيلات الاستراتيجية للحلفاء الغربيين (وجود قواعد عسكرية). ثم إن الجانب المغربي انتقد بشدة تعامل الملك إدريس مع نظام ابن عرفة، وإحجام ليبيا على تقديم الدعم للقضية المغربية خلال فترة الكفاح، واعتراف دبلوماسيتها في وقت لاحق بالجمهورية الموريطانية. وعليه، لم يوقع البلدان على اتفاقية للصداقة والتعاون إلا في وقت متأخر (27 ديسمبر 1962)، تم بموجبها الرفع من مستوى تمثيلياتهما، وتبادل الطرفان زيارات عمل موسيمة تم خلالها التوقيع على مجموعة من اتفاقيات التعاون الاقتصادي والتجاري، كللت بزيارة رسمية للملك الحسن الثاني سنة 1965. وقد أعطت الزيارة دفعة للتعاون الاقتصادي، فالعديد من المقاولات المغربية ساهمت في برامج التنمية التي دشن لها النظام الملكي السنوسي للرفع من المستوى الاجتماعي للشعب الليبي (مشروع السكن الشعبي).

وكرس ضعف العلاقات بين الطرفين تشبث المملكة السنوسية بمواقف متذبذبة وغير واضحة في العديد من القضايا المبدئية، من أهمها الموقف من وحدة المغرب العربي، وهي مسألة أولتها القوى الوطنية في المغرب والجزائر وتونس أهمية متميزة. فليبيا شاركت بوفد "مراقب" في مؤتمر وحدة المغرب العربي المنعقد بطنجة (27 ـ 30 أبريل 1958)، وتميزت مواقفها بالضبابية بدعوى حرص المملكة على التوازن بين مشرق ومغرب العالم العربي، وهو مبدأ اعتمد بشكل رسمي انطلاقا من سنة 1964. ولم تشارك في مؤتمر وزراء خارجية الدول المغاربية المنعقد بالرباط (11 ـ 14 فبراير 1963)، الذي أعلن عن عزم المشاركين في تأسيس المغرب العربي الكبير. ثم إن الديبلوماسية الليبية التزمت بموافق سلبية مماثلة في قضايا أخرى اعتبرها الجانب المغربي مصيرية، فحضور البعثة الليبية خلال مؤتمر الدار البيضاء (1961) كان باهتا بشكل مشهود، مما جعل من الصعب التعامل معه. وإجمالا، غلب

الفتور على العلاقات المغربية الليبية خلال الفترة الممتدة ما بين استقلال المغرب وسقوط النظام الملكي في ليبيا، فلم يتمكن الطرفان من تنمية مبادلاتهما الاقتصادية.

وانطلاقا من تاريخ الفاتح من شتنبر 1969، حصلت نقلة راديكالية في العلاقات بين البلدين. إذ سعى النظام الجديد من البداية إلى خلق القطيعة مع إرث الماضي (اتخاذ مجموعة من القرارات "الثورية" من أهمها جلاء وإنهاء الوجود العسكري الأجنبي وتنويع مصادر التسلح وتأميم مصادر الثروة الوطنية)، والتأسيس لسياسة متميزة تطمح إلى تأكيد الحضور الإقليمي والانخراط في المشاريع الوحدوية الكبرى. ومن دون شك، حدد معمر القدافي، مواقفه من النظام المغربي خلال أول خروج دولي له في مؤتمر القمة العربي المنعقد في الدار البيضاء سنة 1969. فاعتمادا على شهادة الصحافي ـ السياسي المصري، محمد حسنين هيكل في مؤلفه *"الطريق إلى رمضان"*، اعتبر قائد الثورة النظام المغربي فاسدا وعميلا للإمبرايالية والصهيونية والرجعية، ومن ثمة عقد العزم على معاداته ومحاربته. وتأكدت هذه الرغبة بعد وفاة الرئيس المصري جمال عبد الناصر، فالقذافي اعتبر نفسه وريثه القومي وراعيا لمشروع تحقيق الوحدة العربية، وهو مشروع لا يمكن أن يتأتى من دون الإطاحة بالأنظمة التقليدية. وقد اعتبر النظام المغربي من جهته النهج الثوري الليبي تهديدا إيديولوجيا (الاستعمال الشعبوي للقومية العربية) وعنصرا مخلا بالتوازنات الإقليمية والعربية، خاصة بعد أن أبدى النظام الليبي عن استعداد مندفع لتقديم العون بالمال والسلاح للقوى المغربية المعارضة داخل المملكة وخارجها. وقد ساءت العلاقات بين البلدين في النصف الأول من سبعينيات القرن العشرين، وأخذت مظاهر علنية في شكل حرب إعلامية جسدها برنامج "صوت الحق" الذي دأبت التلفزة المغربية على بثه لمدة للتنديد بالنظام الليبي.

ومهما يكن من أمر، فتحمس النظام الثوري الليبي للاندماج المغاربي الذي أعلن عنه في برنامج الثورة الأول ما لبث أن تم التراجع عنه لصالح مشاريع وحدة مع مصر والسودان وسوريا (اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة). ثم إن النظام الليبي أخذ توجها إفريقيا لاعتبارات عديدة (التهميش خلال الإعداد لحرب رمضان والرغبة في إيقاف التسرب الإسرائيلي في القارة السمراء والتصدي للهيمنة الشيوعية والإمبريالية ومساندة حركات التحرر الوطنية)، وهو ما أدى به إلى الاهتمام بالصحراء الكبرى، ومن ثمة بالوضع في "الصحراء الغربية" في وقت جعل النظام الملكي المغربي من مسألة استكمال وحدته الترابية واسترجاع أقاليمه المستعمرة وسيلة وقاعدة لإعادة بناء الوحدة الوطنية وتحقيق التصالح بين القوى السياسية المغربية. وقد كانت ليبيا من أهم مدعمي جبهة البوليساريو في وقت أول وفاء لروح مساندة حركات التحرير، ثم في وقت لاحق لتحقيق هدفين، الأول هو إضعاف المغرب ومن ثمة تقليص هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية في حوض البحر الأبيض المتوسط، والثاني هو الدفع بالجزائر إلى التورط أكثر في مشكل الصحراء وجعلها تغدق الدعم للبوليساريو. وقد تدهورت العلاقات بين ليبيا والمغرب بشكل كبير بعد اعتراف الجماهيرية بالجمهورية العربية الصحراوية الديموقراطية (أبريل 1980) وسعيها إلى الرفع من حدة التوتر على الحدود المغربية الجزائرية. فالمغرب بادر إلى قطع علاقاته بليبيا، ثم سن حملة ديبلوماسية وإعلامية للتنديد بالسياسة "المتهورة" التي ينهجها العقيد القدافي. وحقق المغرب نجاحا ملموسا في خلق جبهة مكونة من مجموعة من الدول العربية والإفريقية، مدعمة بسند قوى غربية (فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية).

ولم تلبث الجماهيرية أن انتبهت إلى أن المغرب يشكل بحق عنصرا مهما في الطوق الإقليمي المحاصر لها، والذي كرس تهميشها عربيا وإفريقيا (بدا ذلك واضحا خلال مؤتمر فاس في شتنبر 1982)، ومن ثمة سعت تدريجيا إلى إعادة تطبيع علاقاتها بالمملكة، وخلق ظروف جديدة للتعاون والتفاهم والتنسيق (زيارة مسعود عبد الحفيظ في يونيو 1981). ومن جهته، خاصة بعد استكمال بناء الجدار العسكري على طول الحدود الجنوبية، أدرك الملك الحسن الثاني أن خير وسيلة للحد من اندفاع الرئيس القدافي، هي إدماج الجماهيرية في النظام الإقليمي المغاربي، وتمكينها من لعب أدوار إيجابية في برامج التنمية متعددة الأطراف. وقد وجه العاهل المغربي دعوة رسمية للرئيس الليبي لزيارة المغرب، حيث حل القدافي ضيفا على المغرب (30 يونيو ـ 3 يوليوز 1983) واتفق الطرفان على تبديد مصادر الشقاق بينهما، ودعم مسلسل تقرير المصير في الصحراء، وخلق هيئات مشتركة للرفع من مستويات التعاون. وكرد فعل على توقيع الجزائر وتونس وموريطانيا على معاهدة "الأخوة والوفاق" (19 مارس 1983)، وقع المغرب وليبيا اتفاقية معاهدة "الاتحاد العربي الإفريقي" المعروفة بمعاهدة وجدة (13 غشت 1984). وقد صمد الاتحاد لسنتين على الرغم من معارضة العديد من القوى الصديقة للمغرب (خاصة الولايات المتحدة الأمريكية)، حيث تم تفعيل العديد من بنود الاتفاقية، واستفاد المغرب إلى حد كبير من التعاون الثنائي. وعلى إثر إصدار بيان مشترك ليبي سوري أدان لقاء الملك الحسن الثاني ورئيس الوزراء الإسرائيلي شمعون بيريس (لقاء إيفران ـ غشت 1986) الذي اعتبر "خيانة" للقضايا العربية، أعلن العاهل المغربي عن إلغاء العمل بمعاهدة وجدة.

وقد دشن البلدان لعلاقات ثنائية على أسس جديدة خاصة بعد تشديد الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا حصارهما على ليبيا، واستصدارهما لمجموعة من القرارات الأممية حدت من حركية النظام الليبي، وأثرت سلبا على وثيرة التقدم والتنمية بالجماهيرية. فالمغرب سعى جاهدا إلى تجاوز الشلل على مستوى التعاون الجهوي عبر خلق آليات جديدة للتعاون الشامل، أدت سنة 1989 (مؤتمر مراكش) إلى خلق اتحاد المغرب العربي، وهو اتحاد يلعب داخله المغرب وليبيا دورا رياديا. وعبر الجانب المغربي باستمرار عن دعمه "للشقيقة" ليبيا، وسعى الملك الحسن الثاني إلى استثمار رصيده الشخصي للحد من آثار المحاصرة وخلق قنوات للتفاوض لحل المشاكل العالقة بين ليبيا وخصومها.

ومهما يكن من أمر، فالعلاقات الشخصية بين الملك الحسن الثاني والزعيم الليبي تطورت بشكل ملحوظ، فالرجلين كانا يكنان لبعضهما التقدير والاحترام، وهو ما أثر إيجابيا على تطور العلاقات بين البلدين. فقد عرفت المبادلات التجارية والتعاون التقني بينهما في العقد الأخير من القرن العشرين تطورا تصاعديا، جعل المغرب أحد أهم زبناء ومزودي الجماهيرية. وتجدر الإشارة إلى أن حجم الاستثمارات الليبية في المغرب مرتفع، خاصة ما يتعلق بالرساميل الخاصة. ثم إن الجالية المغربية بليبيا مهمة من حيث العدد (في بداية الثمانينيات لم يكن العدد يتعدى 6000 نسمة، وارتفع تدريجيا خاصة بعد طرد العمال التونسيين والمصريين)، وتحصل عندها تدريجيا وضع قانوني جعلها في مأمن من التقلبات السياسية. وعلى مستوى الفكري والثقافي، تنوعت مجالات الاتصال بين الشعبين، فكليهما أضحى يعرف الآخر أكثر بدليل اتساع مجالات التعاون العلمي وارتفاع عدد السياح. والحاصل، يمكن التمييز بين مرحلتين في تاريخ العلاقات بين المغرب وليبيا، الأولى في العهد الملكي طبعها الفتور وندرة مناسبات التفاهم والتنسيق. والثانية دشن لها وصول الرئيس معمر القدافي لسدة الحكم، مرت خلالها العلاقات بفترات صعبة، أفضت في نهاية الأمر إلى التأسيس لعلاقات رصينة يدرك فيها كل طرف جدوى الحفاظ على درجة عالية من التعقل والواقعية بغرض تطوير آليات التعاون وأسس التنسيق والتكامل.


الحسن الثاني، *انبعاث أمة*، الرباط، المطبعة الملكية.

*Annuaire de l'Afrique du Nord* (annuel), Paris, CNRS; *Maghreb-Machrek* (Revue trimestrielle), Paris, *La Documentation Française*.


محمد حاتمي

**الليثي، بوشعيب** بن **الجيلالي** ولد حوالي 1939 بمدينة سطات. كان من الشباب المغاربة الذين أبانوا عن وطنية مبكرة وعن روح المسؤولية والتضحية. فأنضم إلى الخلايا السرية التي كانت تعمل بمدينة الدار البيضاء : ونفذ عدة عمليات فدائية ضد المستعمرين ورموزهم. وخلال انتفاضة 20 غشت 1955، كان الليثي بوشعيب يقوم بقطع أسلاك الهاتف بشوارع المدينة. فأصيب برصاص قوات الاحتلال حيث استشهد.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، الرباط، غشت، 1988.


صالح شكاگ

**اللّيريني**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Llerena وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1148 (1736).


م. ابن عزوز، حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1990). تطاون 1999.


محمد بن عزوز حكيم

**ليسة** Lissa، مدينة اقترن ذكرها بمدينة كوطة في المصدر الوحيد الذي ذكرها. على أن المدينتين معا لم يبق لهما وجود في القرن الأول قبل الميلاد، حيث عاش صاحب النص وهو بلنيوس الأكبر.

والراجح أن مصير المدينة كان كمصير عدة مواقع في شمال موريطانية، التي تعرضت للتحطيم خلال ثورة المورين ضد سياسة القائد الروماني أكتافيوس Octavius، لما عزم على ضم موريطانية إلى مجال نفوذ الإمبراطورية الرومانية، بعد وفاة الملك الموري بكوس الثاني Bocchus. والجدير بالذكر أن مدينة تمودة التي وصفها بلنيوس الأكبر بنفس الوصف، أي قال عنها إنها كانت في وقته مدينة مندرسة، فقد اتضح من التنقيب في موقعها أنها فعلا تعرضت للتحطيم نتيجة حملة أكتافيوس على الثوار المورين.

م. مجدوب، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1998، مرقونة.

J. Desanges, *Commentaire de Pline l'Ancien, L'Histoire Naturelle*, livre 5, 1 - 46, Les Belles Lettres, Paris, 1980 ; M. Majdoub, Octavius et la Maurétanie, dans *Africa Romana*, 13, 1725-37, 2000.

محمد مجدوب

**ليطورنو، روجي** (Roger Le Tourneau)، مؤرخ باحث اجتماعي فرنسي، استقر بمدينة فاس مدة طويلة، فشغف بالمدينة وبتاريخها وبحضارتها.

ولد روجي ليطورنو في شتنبر سنة 1907 بباريس، وبها تابع دراسته الابتدائية ثم الثانوية بثانوية شرلماني (Charlemagne). ولنجابته العلمية التحق بالمدرسة العليا للأساتذة سنة 1927، حيث حصل على الإجازة في الآداب ثم على شهادة التبريز سنة 1930. وخلال إحدى الزيارات التي نظمتها مدرسته إلى المغرب، أعجب به وبحضارته. وبعد إنهاء دراسته تم توظيفه بثانوية مولاي إدريس بفاس، وقد تزامن ذلك مع حاجة الثانويات "الفرنسية ـ المغربية"، التي أسسها المقيم العام ليوطي في بعض المدن المغربية، إلى أطر للتدريس فيها. وقد صادف وصوله إلى فاس صدور الظهير البربري الذي أجج الوضع بالمغرب وخصوصا بفاس. فعايش ليطورنو المظاهرات الوطنية الأولى التي أطرتها الحركة الوطنية انطلاقا من المساجد. وبثانوية مولاي إدريس تعرف على أساتذة لهم إلمام كبير بالمجتمع الفاسي أمثال فرانسوا بونجون (François Bonjean) وشارل سالفرانك (Charles Sallefranque). وفي السنة الموالية التحق به صديقاه في الدراسة : فرنان ميسونيي (Fernand Missonnier) ولوسيان باي (Lucien Paye). وكان لهذه العوامل أن ساهمت في تفجير اهتماماته الفكرية حول فاس.

بدأ ليطورنو حياته بفاس أستاذا بثانوية مولاي إدريس، ولم يقف عند تدريسه للغة الفرنسية واللاتينية، إذ سرعان ما سحرته مناحي الحياة الفاسية، وساعده في ذلك إلمامه الواسع باللغة العربية، التي مكنته رفقة أصدقائه وزملائه مارسيل فيكر (Marcel Vicaire) ولوسيان باي والنقيب گويو (Guyot) من الاهتمام بدراسة "حنطات" الحرفيين بالمدينة التي كانت تشهد تغييرات عميقة نتيجة المنافسة القوية للصناعة الحديثة الأوربية. فاندمج بذلك في زخم المجتمع الفاسي، وهذا ما يفسر سرعة تحديده لموضوع مشروع بحثه لنيل الدكتوراة : "فاس قبل الحماية". وقد زاد هذ العمل من اهتمام ليطورنو بتاريخ المجتمع الفاسي والحضارة المغربية والتعمق فيهما. وكان لانفتاحه على محيطه وعلى الوسط الفاسي أن متن علاقاته مع عائلات فاسية كثيرة ومع قدماء تلاميذ ثانوية مولاي إدريس. فاكتسب خبرة وتجربة واسعة أهلته ليعين من طرف جان كوطلان (Jean Gotteland) مدير التعليم العمومي مديرا بهذه الثانوية سنة 1935 ولم يكن يتجاوز عمره 28 سنة.

تدرج ليطورنو في وظائف عديدة، وواجه أزمات حادة في حياته أثرت في توجهاته ومبادئه الفكرية، ومن أبرز هذه الأزمات هزيمة فرنسا أمام ألمانيا في يونيو 1940 خلال الحرب العالمية الثانية. وبعد أن شغل منصب أستاذ ثم مدير ثانوية المولى إدريس، عين في مارس 1941 مديرا للتعليم العمومي بتونس، غير أنه لم يمكث فيه طويلا. وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية خصه أستاذه وصديقه روبير مونطاني (Robert Montagne) بمنصب مساعده ثم بمنصب مدير الدراسات في مركز الدراسات العليا للشؤون الإدارية الإسلامية (CHEAM) في باريس. وفي هذا المركز توفرت له ظروف إتمام رسالته الجامعية، إلى جانب إنجازه لبحوث أخرى حول مدينة دمشق ما بين 1075 و1154 مثلا.

وفي سنة 1947 عين أستاذا في كلية الآداب بالجزائر، وبذلك تمكن من استكمال واكتساب معرفة شاملة بكل بلدان شمال إفريقيا. ثم بعد ذلك التحق بكلية الآداب بإيكس إنبروفانس (Aix-En-Provence) بفرنسا سنة 1957، فأحدث فيها مركزا للدراسات الإسلامية مساهما بذلك في التعريف بالحضارة الإسلامية.

وساهم أيضا في إصدار العديد من الدوريات والمجلات سواء من خلال إشرافه الإداري عليها أو إسهاماته المختلفة فيها، ومن أهمها :

*L'Annuaire de l'Afrique du Nord* التي صدرت منذ سنة 1962، *Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée (R.O.M.M.)* التي صدر العدد الأول منها سنة 1966.

هذا بالإضافة إلى إسهاماته الأخرى في العديد من المؤسسات والمراكز العلمية المهتمة بدراسة مجتمعات شمال إفريقيا مثلا :

Le Centre d'Etudes Nord-Africaine, Le Centre de Recherches et d'Etudes sur les Sociétés Méditerranéennes وهذا المركز يعتبر حاليا من أغنى المراكز توفرا على الأبحاث والدراسات التاريخية حول بلدان شمال إفريقيا.

ولقد جمع ليطورنو بين التدريس والبحث العلمي، فخلف كمّاً مهما من المؤلفات والدراسات المتنوعة التي تعد مرجعية أساسية حول تاريخ المغرب المعاصر وتاريخ فاس بالخصوص.

ومن خلال تتبع هذه الكتابات نلاحظ تمحورها حول مدينة فاس التي فتنته وسحرته.

ولقد تميز ليطورنو عن باقي المؤرخين الأجانب بقضائه

فترة طويلة بمدينة فاس تجاوزت عشر سنوات مكنته من معرفة دقيقة للمجال والمجتمع، والاطلاع ميدانيا على مختلف مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها بالمدينة، مما جعل كتاباته تنفرد بخصوصيات متميزة منهجا وشمولية. ويعتبر المؤلف من خلال إنتاجه الفكري أقرب المفكرين والباحثين الأجانب إلى فهم قضايا المجتمع المغربي ؛ فقد قضى ردحا كبيرا من حياته في "دار الإسلام" (المغرب، تونس والجزائر)، وكان من بين المفكرين الأجانب الذين دافعوا عن القضايا العربية العادلة.

وخلال سنة 1970، بعث روجي ليطورنو رسالة إلى الرئيس الفرنسي جوج بومبيدو (G. Pompidou) يطلب منه فيها تخصيص حيز أوفر للغة العربية وللقضايا الإسلامية في المقررات التعليمية بفرنسا.

كما يرجع له الفضل أيضا في تكوين العديد من الأطر من الباحثين المغاربة الذين اضطلعوا بمسؤوليات عليا بعد استقلال المغرب.

توفي روجي لوتورنو يوم 17 أبريل 1971 بإيكس أنبروفانس.

*فاس قبل الحماية*، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، 1992 ؛ م. البكراوي، فاس من خلال كتابات روجي لوتورنو، *هيسبريس تمودا*، العدد 39، ج. 1، 2001، ص. 63 ـ 73.

André Adam, Roger le Tourneau 1907-1971, dans *Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, n° 13-14*, Aix-En-Provence, 1973, p. 9 et s. ; Robert Mantran, Roger le Tourneau (1907 - 1971), dans *Annuaire de l'Afrique du Nord, t. IX, 1972* ; Roger le Tourneau, *Fès avant le protectorat, étude économique et sociale d'une ville de l'Occident musulman*, Casablanca, 1949 ; *La vie quotidienne à Fès en 1990.*

محمد البكراوي

## ليـڤي ـ پروڤنسال إيفارست Evariste

مؤرخ فرنسي، كرس حياته الفكرية للبحث Levi-Provençal في تاريخ المسلمين وحضارتهم بالغرب الإسلامي خاصة في الأندلس.

ولد بمدينة الجزائر العاصمة سنة 1894 من أسرة يهودية، ودرس في ليسي قسنطينة حيث حصل على شهادة البكلوريا سنة 1910 والتحق بجامعة الجزائر لمتابعة دراسته العليا حيث نال الإجازة سنة 1913، تتلمذ على كل من جيروم كركوپينو Jerôme Carcopino (1881 ـ 1970) المعروف بأبحاثه في تاريخ الرومان خاصة في القرن الأخير للجمهورية الرومانية، وروني باسي René Basset (1855 ـ 1924) أحد أقطاب البحث التاريخي في مظاهر الحضارة والثقافة العربية الإسلامية لبلدان المغرب والمشرق والأستاذ الذائع الصيت في كلية الآداب بجامعة الجزائر. تردد ليڤي بروڤنسال بين اتجاهي هذين الأستاذين، ولما قامت الحرب العالمية الأولى التحق بالجيش الفرنسي في الشرق، وجرح في معركة الدردنيل 1915 فنقل إلى مدينة الإسكندرية بمصر للعلاج ثم أرسل بعد شفائه إلى المغرب حيث كلف بقيادة موقع على وادي ورغة، فكان لهذا التعيين أثره الحاسم في تحديد مساره العلمي إذ اختار نهائيا التخصص في الدراسات العربية الإسلامية، وحفزه ذلك على الإنغماس في البحث في البيبليوغرافيا العربية مركزاً بالأساس على المخطوطات. وفي عام 1920 عين من قبل المقيم العام ليوطي أستاذا في "معهد الدراسات العليا المغربية" بالرباط (ثم مديرا له في الفترة ما بين 1925 ـ 1930) وأخذ يعد أطروحتين لنيل درجة دكتورة الدولة باقتراح وإشراف من أستاذه روني باسي في موضوعين هما : "مؤرخو الشرفاء" و"نصوص عربية من ورغة" وناقشهما سنة 1922 بجامعة الجزائر.

اكتسب ليڤي بروڤنسال من خلال الأبحاث التي انكب عليها لإنجاز هذا العمل حنكة التقصي في النقد والتحليل والدربة على نقد ما تحويه المخطوطات العربية مما جعل وزارة التعليم الفرنسية تبعثه سنة 1923 إلى خزانة الأسكوريال بإسبانيا ليضع قائمة لما بها من مخطوطات جلها من خزانة السلطان زيدان ابن المنصور الذهبي (1603 ـ 1627) التي استولى عليها القراصنة الإسبان، فأتاح له هذا العمل الاتصال بعدد من كبار المستشرقين الإسبان والاطلاع على ما نشروه من أبحاث ودراسات والوقوف على ما كان مودعا من الوثائق الغميسة ومن المراسلات والرحلات والتقارير الرسمية وغير الرسمية في ربائد الخزانة المذكورة، وكذا من العثور على مظان قيمة تتعلق بتاريخ المغرب والأندلس الأدبي والثقافي، ومن مشاهدة ما تزخر به الأندلس من آثار الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها العمرانية ومما يزال حيا في مختلف بيئاتها من تقاليد اجتماعية واقتصادية وفلاحية ذات طابع مغربي أو مشرقي، وأدرك من خلال ذلك أنه لا يمكن الفصل بين تاريخ المغرب وتاريخ إسبانيا المسلمة، فانكب على سبر أغوار تاريخ العدوتين وصار من ثم فصاعدا يتردد على الأندلس ويتجول في مختلف مناطقها ويواصل النبش والتنقيب في ربائدها عن المخطوطات وعن كتب التاريخ فاكتشف من الكنوز والوثائق مالم يكن أحد يلتفت إليه من قبل. وفي سنة 1925 عين مديرا لمعهد الدراسات العليا المغربية بالرباط. وفي سنة 1927 عين أستاذاً لتاريخ العرب والحضارة الإسلامية بكلية الآداب بالجزائر العاصمة، فقسم وقته بين الرباط والجزائر، ثم بينهما وبين التدريس في معهد الدراسات الإسلامية في جامعة السربون بباريس حيث كان يدرس تاريخ العرب وكتاباتهم. وفي سنة 1930 استقال من إدارة معهد الدراسات العليا بالرباط ليتفرغ للتدريس والتأليف فأعفي وعين مديرا شرفيا له.

وفي سنة 1938 دعي من قبل جامعة القاهرة وعين أستاذاً زائراً بها كما عين في اللجنة المكلفة بتحقيق كتاب *الذخيرة* لابن بسام.

وبعد قيام الحرب العالمية الثانية وهزيمة فرنسا (يونيو 1940) صدرت في فرنسا قوانين ضد اليهود، لكنها لم تطبق عليه بفضل تدخل بعض أصدقائه، وعين ـ إسميا ـ أستاذا بكلية الآداب جامعة تولوز، فأخذ في تحرير المجلد الأول من كتابه : *"تاريخ إسبانيا المسلمة"*.

وجاء إلى باريس في خريف 1944 حيث عين أستاذاً للدراسات العربية والحضارة الإسلامية في كلية الآداب في جامعة السربون ووكيلا لمعهد الدراسات السامية في نفس الجامعة واستمر في هذا المنصب حتى وفاته في مارس 1956.

كما أشرف عدة سنوات على الطبعة الفرنسية لدائرة المعارف الإسلامية، وأنشأ سنة 1954 مجلة *أرابيكا* للدراسات العربية التي أصبحت مجلة فرنسية متخصصة في الآداب والعلوم الإسلامية وتولى إدارتها.

كان ليڤي ـ پروڤنسال يتمتع بحيوية متميزة، وطاقات علمية نضاخة مما أتاح له إنجاز عدة أبحاث ودراسات وتحقيقات كما كان له ولع بالتدوين وجلد على الكتابة والتقييد فخلف العديد من المؤلفات بين كتب مطولة وأخرى محققة إلى جانب فهارس ومقالات ودراسات أثرية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

1 ـ المؤلفات :

ـ *"تاريخ إسبانيا المسلمة"*، ويعد أهم أعمال ليڤي ـ بروڤنسال وقد صدر باللغة الفرنسية بالقاهرة سنة 1964 في ثلاثة مجلدات وترجمه اميليو كوميز إلى الإسبانية.

ـ *"إسبانيا المسلمة في القرن العاشر الميلادي : النظم والحياة الاجتماعية"*. باريس 1932.

ـ *"إشبيلية المسلمة في بداية القرن الثاني عشر الميلادي"* : باريس 1947.

ـ *"الحضارة العربية في أسبانيا : نظرة عامة"* القاهرة 1938.

ـ *مؤرخو الشرفاء* 1922.

2 ـ أبحاث وتحقيقات :

ـ *"وثائق غير منشورة عن تاريخ الموحدين"* النص مع ترجمة فرنسية وتعليقات، باريس 1928.

ـ "سبع وثلاثون رسالة رسمية للموحدين" الرباط 1941.

ـ *"الجامع الصحيح"* لأبي عبد الله البخاري" ج 1، 1927.

ـ*كتاب صلة الصلة* لابن الزبير : *"تراجم أندلسية من القرن الثالث عشر الميلادي"* الرباط 1938.

ـ *"كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام"* لابن الخطيب" القسم الأول، النص العربي (الرباط 1934 أعيد طبعة بيروت 1945).

ـ *"البيان المغرب لابن عذاري المراكشي"* الجزء الثالث، باريس 1930.

ـ *"رسالة في الحسبة"* وآداب الحسبة لأبي عبد الله محمد السقطي المالقي، (النص العربي مع مقدمة وتعليقات لغوية ومعجم بالتعاون مع جورج كولان باريس 1931.

ـ *"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"* لابن بسام في ثلاثة أجزاء بمعاونة لجنة من الجامعة المصرية.

ـ *"مذكرات عبد الله آخر ملوك بني زيري في غرناطة*، مدريد 1935 و1940 وقد أعيد طبعة في القاهرة 1956.

ـ *"تاريخ قضاة الأندلس"* المسمى كتاب *المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا* للنباهي، نشرة نقدية القاهرة 1948.

ـ *"شبه جزيرة إيبيريا في العصر الوسيط"* عن كتاب *"الروض المعطار* لابن عبد المنعم الحميري، ليدن، أبريل 1938.

ـ *"جمهرة أنساب العرب"* لابن حزم الأندلسي القاهرة 1953.

ـ كتاب *"نسب قريش"*، لمصعب بن عبد الله بن الزبير، القاهرة، 1953.

ـ *"تاريخ المسلمين في أسبانيا"* تأليف رينهرت دوزي أعاد طبعهُ طبعة جديدة منقحه في ليدن، أبريل، 1932.

3 ـ *فهارس المخطوطات*

ـ *فهرس "المخطوطات العربية في مكتبة الاسكوريال"*. قام بتنقيحها وتجديدها وترتيبها.

ـ *"فهرس المخطوطات العربية"* المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط (القسم الأول، باريس 1921).

ـ *"التقويم التاريخي لمطبوعات فاس"* بمعاونة مع محمد بن شنب، الجزائر 1922.

4 ـ *دراسات أثرية*

ـ *"شالة مقبرة مرينية"* بمعاونة مع هنري باسي باريس 1922.

وبالإضافة إلى ما ذكر حرر المترجم له العديد من المقالات الهامة المرتبطة بالتاريخ السياسي أو الأدبي أو الاجتماعي أو الآثار والنصوص والكتابات المنقوشة الخاصة بالمغرب والأندلس نجدها في عدد كثير من المجلات والنشرات ذات الاهتمام بالأبحاث العربية والإسلامية وعلى رأسها : *دائرة المعارف الإسلامية* التي تنشر بأربع لغات هي الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإسبانية كما ظهرت في مصر باللغة العربية.

ويبدو من أعماله المنجزة في التاريخ أنها انصبت في فضاءين هما المغرب والأندلس ـ خاصة الأندلس ـ ولكن هذين الفضاءين كانا وسيلة لإبراز تاريخ النظم والحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية أكثر من الاهتمام بالأحداث السياسية.

لقد كانت حياة ليڤي ـ بروڤنسال كلها عبارة عن حركة دائبة منتجة ورحلات متواصلة للتنقيب والتحقيق أو للنشر

والتأليف والمؤتمرات العلمية.

وأصبح المرجع الأول في الغرب لتاريخ الأندلس خاصة. وقد كوفئ على جهوده بأوسمة رفيعة وعضوية جمعيات متعددة منها على سبيل المثال لا الحصر، المجمع الإسباني والجمعية الملكية الآسيوسة البريطانية.

أما بالنسبة للمغرب فبالرغم مما يؤاخذ عليه من قبل البعض فلا ننكر بأنه قدم للمغرب خدمات علمية نفيسة بمساهمته في دراسة مصادر تاريخ المغرب والأندلس التوثيقية والأثرية وإحياء قسط لا يستهان به من تراثه الأدبي والتاريخي والحضاري، وكشفه عن معلومات ونصوص استقاها من مصادر مغربية وتقديمه تراجم لأعلام مغاربة انتجوا طوال أربعة قرون العديد من كتب التاريخ والتراجم والمناقب والرحلات وغيرها وذلك بمنهج وطريقة نقدية جديدة غير مسبوقة كما يسجل له موقفه من الأزمة المغربية الفرنسية إذ لم يتردد ـ رغم انعزاله عن الاهتمام بالسياسة ـ في مساندة الأساتذة الفرنسيين الذين تصدوا للدفاع عن العرش المغربي وكتب مفندا ما أشيع عن حق تدخل القبائل وباشوات المدن ورؤساء الزوايا في اختيار من يجلس على العرش المغربي.

عبد الرحمن بدوي، *موسوعة المستشرقين*، بيروت، 1984، ص. 354 ـ 357 ؛ ليفي ـ بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. عبد القادر الخلادي، الرباط، 1977 ؛ نجيب العقيق، *المستشرقون*، دار المعارف، القاهرة، 1964، ج 1، ص. 285.

Regis Blachère, *Arabica*, t. III, Fasc. 2, p. 133-146.

رقية بلمقدم

**اللّيم** أو "الحامض" أو "القارص" أو "اللّيمون" أو "ليمون أبو سَرَّة" أو "ليم الدَّق بالعربية أو "Le citron" و"Le citronnier" و"Le limon" و"La limonette" بالفرنسية أسماء لفاكهة وضروب وأنواع سيتْرُوس ليمونْ Citrus limon وسيتروس أورَانتفُولْيا Citrus aurantiifolia وسيتروس ليميتا Citrus limetta وسيتروس ليمونْيُومْ Citrus limonium. والمعروف أن هذه الأنواع تنتمي لفصيلة السذابيات Rutoceae (انظر "حوامض" و"رتَّج" و"ترنج" و"ليمون").

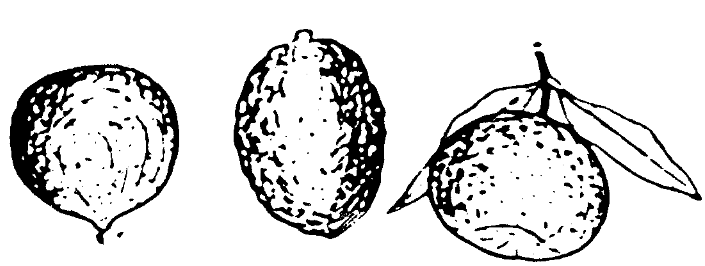

وهي أشجار صغيرة القامة ذات ارتفاع يتراوح ما بين 3 و6 م، مسلحة بأشواك عديدة وحادة يختلف طولها حسب الأنواع والضروب. أزهارها صغيرة بيضاء بالنسبة لبعضها، وكبيرة بيضاء وأرجوانية للبعض الآخر. ثمارها بيضية الشكل صغيرة أو صغيرة جدا حسب الأنواع والضروب، وذات لون أصفر مخضر أو أصفر ناصل، وذات قمة مبططة بالنسبة لبعض ضروبها مثل "ليمون أبو سرَّة".

استوردت أصناف وضروب الليم من جنوب شرق آسيا، موطنها الأصلي، لكي تزرع في جميع المناطق الحارة والدافئة من العالم. ولقد زرعت في المنطقة المتوسطية منذ عهد الإغريق والرومان.

تغرس أنواع وضروب الليم في جميع المناطق الحارة والمعتدلة من المغرب لأنها لا تتحمل الصقيع لكن زراعتها لا تقام على مساحات شاسعة نسبيا إلا استثنائيا. نظرا لكونها لا تستهلك فواكهها بكميات كبيرة ولا تصنّع مثل البرتقال أو الكليمونتين. ولهذا تغرس منها أشجار منفردة أو في شكل باقات في حدائق المنازل والقصور وفي البساتين.

تستخدم فواكه الليم الغنية بفيتامين ج في صناعة الليمونادة وغيرها من المشروبات. وكذلك كمادة مكسبة للطعم في بعض المأكولات كأطباق الأسماك، ومصبرات الزيتون وغيرها.

من جهة أخرى، يضاف خشب الليم الأصفر اللون إلى أخشاب أخرى مثل العرعار وغيره في صناعة الأثاث الرفيع كما هو الشأن في مدينة الصويرة.

*أبحاث واستطلاعات شخصية.*

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, 1997, 779 p.

عبد المالك بنعبيد

**الليمس**، عبارة عن شريط من الأرض غير مزروعة يحد حقلا ويفصل بين حقلين مزروعين كان هذا هو معناه في الأصل، وقد انتقل استعماله إلى المهندسين العسكريين ابتداء من الوقت الذي توقفت فيه الفتوحات الرومانية لأنه مادامت عمليات الفتح مستمرة فإن الإمبراطورية كانت بدون حدود يعني بدون ليمس. واعتبر في البداية كقاعدة لانطلاق الهجومات بعد بناء الطرق. ومنذ عهد هادريانوس (117 ـ 138)، أصبح الليمس جهازا دفاعيا، وكان يفصل بين العالم الروماني المتحضر والعالم البربري المتوحش، وبذلك أصبح له مفهوم فكري أكثر منه مادي، وعلى هذا فالليمس عبارة عن

منطقة التخوم التي يتراوح عمقها أحيانا بين 2 و4 كلم، وتتضمن تجهيزات دفاعية من القلاع والحصون والطرق التي تسهل عملية الإنتقال لإغاثة المناطق المهددة. وبما أن العالم البرباري (الجرمان مثلا) ليس دائماً عدواً بل سوقاً مهماً فإن الليمس عبارة عن منطقة مرور مراقبة من طرف الجيش الروماني حيث يقوم التجار الرومان بالتبادل مع البربار تحت حماية الجيش. وعليه فالليمس يتضمن بعد تطوره ثلاثة مفاهيم : عسكرية واقتصادية وفكرية.

لقد كانت الأفكار السائدة لدى الباحثين في مطلع القرن العشرين أن الليمس عبارة عن خط من التحصينات، يتحرك مع تقدم النفوذ الروماني، إلا أن أبحاث براديز (Baradez) حول ليمس إفريقيا (تونس الحالية) وجزء من الجزائر أثبتت أن الأمر أكثر تعقيداً من ذلك وأن الليمس يتكون من ثلاثة عناصر أساسية :

1 ـ الخندق أو الفوصاطوم (Fossatum) الذي تتخلله أبراج وحصون وأسوار مبنية إما بالحجارة وهذا هو الغالب، وإما بالطوب حسب الجهات والبيئات التي يوجد بها.

2 ـ استحكامات وتحصينات منعزلة يتقدم بعضها الخندق وبعضها يقع خلفه.

3 ـ شبكة من الطرق ممتدة اعتمادا على الضرورات الإستراتيجية، ولذلك فإن الليمس لا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا تضمن الطرق التي تيسر الاتصال بين مختلف عناصره. وعليه فقد كان مفهوم الطرق العسكرية والليمس مرتبطين ارتباطا مباشرا مع التخوم الرومانية. كما أن الليمس لم يكن يشترط، مثل الحدود العصرية، خطا خياليا يشار إليه هنا وهناك ببعض الأعمدة أو العلامات، وإنما كان تنظيما ماديا يشمل مجموعة من العوائق الطبيعية، كالتلال والأودية، وفي حالة انعدامها تقام عوائق صناعية كالخندق الذي تتخلله الأبراج والحصون المتفاوتة الأهمية والتي تربط بينها الطرق. ولذلك فالطرق عنصر أساسي في الليمس، ومتى غابت الطريق غاب معها الليمس أيضاً وهذا يعني تراجع الحدود.

ولهذا فالليمس ليس جهازا دفاعيا فقط ولكنه جهاز للتوسع والاستقرار الاستعماريين ولذلك فهو جهاز مركب ومعقد، الغرض منه إقامة وحدة دفاعية متكاملة قائمة بذاتها. والليمس لم يكن يمثل حدا من حدود الحضارة بقدر ما هو حد متحرك بين موريطانيين نزعت منهم أراضيهم وتم دفعهم خارج حدود النفوذ الروماني، وموريطانيين أصبحوا عبارة عن يد عاملة تسخر لإنتاج ما يحتاجه الرومان، وموريطانيين آخرين يرهقون بالضرائب، وبين الرومان الذين يستفيدون من استغلال الأراضي التي استولوا عليها. وبسبب هذا فقد قامت ثورات عديدة تمكن الموريطانيون خلالها من اجتياز الليمس في أوقات متعددة، إلا أن الليمس استمر وجوده ولم ينته دوره إلا بتراجع النفوذ الروماني في عهد دقلديانوس (284 ـ 305) حيث انتقل إلى الشمال.

وقد اهتم بليمس موريطانيا الطنجية عدد من الباحثين منهم رولان ماريشال، وجان براديز، ورايمون توڤنو، ولوي شاتلان، وأوزينا، وغيرهم الذين بنوا دراساتهم انطلاقا من الخندق الذي وجد على بعد 6 كلم جنوب سلا (شالة)، والذي أمكن تتبعه انطلاقا من الشاطئ على مسافة 20 كلم. ويذكر براديز أن الخندق لا يتوقف عند الضفة اليسرى لنهر بورقراق عند الثنية التي يلتقي فيها بفرع وادي عكراش، إذ يتفرع إلى عدد من الخنادق تحمي الوادي. كما وجدت حوالي الخندق، وخاصة عند نهايته بين البحر والنهر، عدد من الأبراج والقلاع، مما يؤكد أنه كان محاطاً بعدد من التحصينات. وعند الحدود الجنوبية لغابة المعمورة وفي موضع طبوغرافي رفيع وعلى ارتفاع 170 م من سطح البحر عثر على قلعة مربعة الشكل طول ضلعها 500 م تسمى في الوقت الحاضر قلعة الرحمة، تتحكم في أيسر طريق يمكن أن يسلكه قادم من الجنوب يرغب في تطويق سلا من ناحية الشرق والاتجاه نحو سبو عن طريق التسرب عبر غابة المعمورة. وتزداد أهمية قلعة الرحمة بعدم وجود أي حاجز طبيعي يفصل بينها وبين سلا. كما أنه رغم أن المسافة بينهما لا تتجاوز 11 كلم فإنه يوجد برج في وسط تلك المسافة الصغيرة، إلا أن التحريات التي أجريت بعد ذلك أكدت أن ما يسمى بقلعة الرحمة عبارة عن قاعدة لجهاز رادار أقيم خلال الحرب العالمية الثانية. وبالإضافة إلى هذا فقد عثر على برج يقع على الليمس مباشرة من الداخل يبعد عن الشاطئ بحوالي 3 كلم. مستطيل الشكل وكان مبنياً من أحجار كبيرة الحجم صلبة وليس من أحجار سلا أو من أحجار محجر وادي عكراش. وتبلغ أبعاد أكبر هذه الأحجار 92 سنتم x 62 سنتم x 35 سنتم يطلق سكان المنطقة حالياً على هذا البرج دار دقيوس ودقيوس هذا ربما تحريف لاسم الإمبراطور ديكيوس الذي حكم بين سنة 249 ـ 251.

ويتجه الليمس شرقا مارا بجنوب غابة المعمورة ويمر شمال مدينة الخميسات على مسافة تبلغ حوالي 10 كلم عند منطقة بقبيلة آيت عبو وجدت بها بقايا طريق قديمة مبلطة يعتقد أنها بقايا طريق تعود لعهد الاحتلال الروماني. وانطلاقاً من هنا يصعب تتبع وتحديد خط سيره إلى منطقة وليلي، حيث نجد أن طوكولوسيدا تعتبر نقطة الارتكاز الأساسية في الليمس، تدعمها قلعة ثانوية تشرف على وادي ردم من علوّ 200 م، وتتحكم في نفس الوقت في ملتقى طريقين : أحدهما كان يتجه إلى الشمال الغربي نحو أكوادا

كيكاي، مروراً بفج ردم ثم يرتقي السفح الآخر ليصل إلى قلعة أولبيوم التي تتحكم في مقرن وادي ردم ووادي بهت. ويساعدها موقعها على الإشراف على مناطق متعددة، فمنها يمكن مشاهدة القلعة الثانوية التابعة لطوكولوسيدا الواقعة على بعد 11 كلم وكل الهضبة المثلثة الشكل الواقعة عند قدم كتلة زرهون. كما تشرف أيضا على كل من وليلي وطوكولوسيدا.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الطريق الذي كان يربط بين أولبيوم وتموسيدا عبر دار بلعامري كان يلعب نفس الدور الذي كان يقوم به خط الليمس الرئيسي الممتد بين سلا وطوكولوسيدا، وربما بين سلا وألبيوم. ويتمثل هذا الدور في تطويق ومراقبة غابة المعمورة من ناحيتين بل ومن ثلاث جهات، من الجنوب والشرق والشمال. وإذا أضفنا إلى هذا، الطريق الرئيسية الممتدة بين سلا وطنجة عبر تموسيدا فإن المعمورة تصبح مطوقة من جميع الجهات الأربع.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن جان براديز يؤكد أنه لم يعثر على أية بناية محصنة أو أي جهاز دفاعي بين وادي بهت وغابة المعمورة، سواء على طول خط الليمس أو داخل الغابة، وهذا رغم أبحاثه الدقيقة.

ورغماً عن أن البحث عن الليمس قد اقتصر على المنطقة التي كانت تحت الحماية الفرنسية فإنه يظن بأن المنطقة الشمالية أيضا - التي كانت تحت الحماية الإسبانية - كان بها خط الليمس، إلا أنها لم تدرس بعدُ. ومن المحتمل وجود ليمس داخلي ينطلق من وليلي ويتجه إلى الشمال عند جيلدا ومنها إلى فوسبتشيانيس ثم يتجه إلى الشمال الشرقي مرورا بمستعمرة بابا ومنها إلى تمودا. وكان الهدف من إنشاء هذا الليمس تطويق الأقوام التي كانت تسكن جبال الريف من الجنوب الغربي والغرب.

وأما الاتصال بين موريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية عبر جبال الريف، فلم يهتم بدراسته إلا قلة من الباحثين لأنهم شعروا أن لا جدوى من بذل الجهود في هذا الموضوع ما دامت كل القرائن تشير إلى أن كتلة جبال الريف ظلت خارجة عن النفوذ الروماني. وفي هذا الصدد يقول ستيفان كسيل : "ظلت جبال الريف مستقلة وكان الاتصال يتم عن طريق البحر".

ولكن إذا انعدم الاتصال عن طريق جبال الريف فهل كان هناك اتصال بين موريطانيا القيصرية وموريطانيا الطنجية عبر ممر تازة ووادي ملوية ؟ وهل كان لليمس موريطانيا الطنجية ارتباط واتصال بليمس موريطانيا القيصرية ؟

هذا شيء لم يتأكد لحد الآن، لأن الآثار التي تعود إلى عهد الاحتلال الروماني مفقودة تماماً بين بوحلو، آخر موقع مبني على الطريقة الرومانية في شرق موريطانيا الطنجية - وبين للامغنية (نوميروس سيروروم) في غرب موريطانيا القيصرية، وهي منطقة يبلغ اتساعها 200 كلم تقريبا. وانعدام الآثار في هذه المنطقة يدفعنا إلى التشكيك في وجود الاتصال الروماني بين الموريطانيتين سواء كان ذلك بواسطة الليمس أم على الأقل بواسطة طريق منظمة.

وتشير الأبحاث الأثرية التي قام بها براديز في هذا المجال إلى انعدام أثر الليمس في شرق المغرب إذ يقول "لم أعثر على أي أثر ولم أر أي أثر بين تازة ووجدة، وذلك على الرغم من تركيزي على بحث عن كل الممرات الممكنة على نهر ملوية. وعليه يمكن أن نخرج بالنتيجة التالية : وهي أنه لا وجود لأي أثر روماني". ولكن كاركوبينو حاول أن يثبت في كتابه *"المغرب القديم"* وجود اتصال مستمر بين الموريطانيتين معتمداً في ذلك على خضوعها لحاكم واحد في بعض الفترات وخاصة في عهود كمودوس وآل السيفر وفاليريانوس. إلا أن الخضوع لحاكم واحد ليس دليلا قاطعا على الاتصال البري، كما أنه ليس معناه السيطرة على كل المنطقة الفاصلة بين الموريطانيتين، وربما الأرجح أن الاتصال بينهما كان يتم عن طريق البحر وليس عن طريق البر، لأن الطريق البري تعترضه عوائق طبيعية وبشرية، وحتى إذا كان هناك اتصال بري، فإنه كان مهدداً باستمرار من طرف الأقوام الموريطانية التي حرمت من استغلال مجالاتها الرعوية التقليدية. ويلاحظ لاشابيل أيضاً بأن الاتصال كان باستمرار صعباً وموقتاً. وقد فهم الرومان أخيراً أنه من الصعب الإبقاء على الاتصال بين الموبطانيتين - إذا افترضنا أنه وجد في وقت ما - ليس بسبب أقوام البافار والباكوات، ولكن بسبب المرور الموسمي للرحّل الكبار الصحراويين الذين يصعدون من نهر غير نحو ملوية السفلى. هذه الحركة القديمة التي كانت موجودة منذ عهد الممالك الموريطانية، والتي جعلت من ملوية نقطة عبور واتصال أكثر من كونه حداً فاصلاً بين منطقتين.

ويبدو أنه مما كون حدوداً تاريخية بين المور والماسيسيليين، ليس النهر ولكن النزوح الموسمي للرحل الذين يصعدون إلى الشمال مع الوادي عبر الهضاب التي تحاذيه، مما يؤدي إلى منع كل حركة. ومن المرجح أن الحملة التي قام بها سويتونيوس بولينوس سنة 42 م، والتي تحدث عنها بلينوس الشيخ، لم تكن تستهدف ايدمون بل كانت موجهة ضد هؤلاء الرحل.

ومن المحتمل أيضاً، أن هذه الحملة رغم نجاحها المؤقت فإنها لم تمكن روما من استمرار سيطرتها هناك، مما جعلها تتأكد من أنها لا تستطيع إيقاف تحركات الرحل بصفة نهائية، ودفعها بالتالي إلى تقسيم مملكة يوبا الثاني وبطليموس إلى ولايتين منفصلتين : موريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية. وهذا التقسيم في حد ذاته اعتراف

باستحالة سيطرة الرومان على الممر الفاصل بين الموريطانيتين، كما أنه دليل آخر على أن الاتصال البري بين الولايتين لم يكن موجودا أو على الأقل - لم يكن متسرسلاً - وهذا يرجح - استقلال المنطقة المحصورة بين ممر تازة، إن لم نقل بين كتلة زرهون وللا مغنية، وبقاءها خارج النفوذ الروماني.

وبعد هذا يحق لنا أن نتساءل متى انشئ ليمس موريطانيا الطنجية " أو على الأقل الجزء المدروس منه لحد الآن ؟

إن الجزء المكتشف من الليمس لحد الآن، الواقع جنوب سلا (شالة) ربما يكون قد انتهي من إقامته في عهد الإمبراطور ديكيوس (249 - 251) الذي ظلت ذكراه موجودة في الإسم الذي يطلقه السكان المحليون على أحد أبراج هذا الليمس (دار دقيوس).

ويبدو أن أعمال إنشاء هذا الليمس لم تبدأ قبل منتصف القرن الثاني الميلادي، لأن محضر الاجتماع الذي عقده أعضاء المجلس البلدي لمدينة سلا يوم 28 / 10 / 144 م والذي نوهوا فيه بقائد حامية سلا، ماركوس سوليكيوس فيليكس، على عمله المتعلق بالدفاع عن سلا وبناء أسوار قوية في جهاتها المهددة، لا يشير مطلقاً إلى الخندق الذي أقيم فيما بعد جنوب مدينتهم. بل يتحدث فقط عن الهجومات التي تتعرض لها باستمرار من طرف السكان الأصليين. لأنه لو كان هذا الخندق موجوداً في هذا العهد لأوقف أو لساعدهم في إيقاف هذه الهجومات، ولأشاروا إليه في محضر اجتماعهم.

وفضلا عما جاء في هذه النقيشة فإن رولان ماريشال خلال أبحاثه الميدانية عن الليمس عثر على ثلاث قطع نقدية برونزية : الأولى تعود لتراجان (98 - 117 م) والثانية لكمودوس (180 - 192 م) والثالثة لفيليب (244 / 249 م) يعني أن عملتين من ثلاث تعود لأواخر القرن الثاني ومنتصف القرن الثالث الميلاديين، مما يجعلنا نرجح بأن ليمس موريطانيا الطنجية لا يمكن أن يكون قد بدأ العمل فيه قبل نهاية القرن الثاني الميلادي، وذلك لأن المجهود العسكري الروماني وجه باستمرار طول القرن الأول الميلادي إلى ولاية البروقنصلية ونوميديا قصد تأمين الوضعية فيهما، ثم انتقل اهتمام الرومان بعد ذلك إلى الموريطانيين. ولذلك فإن الإهتمام بالدفاع عن موريطانيا بقسميها يكون قد بدأ في مستهل القرن الثاني بالنسبة للقيصرية ونهاية القرن الثاني الميلادي في الطنجية واستكملت جميع أجزائه عند منتصف القرن الثالث الميلادي في عهدي فيليب وديكيوس.

مصطفى أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية بين المورو والرومان بين 144 و285 ميلادية*، د. د. ع. نوقشت بالرباط يوم 20 / 6 / 1980 ؛ حدود موريطانيا الطنجية في عهد الاحتلال الروماني، *مجلة تاريخ المغرب*، العدد 3، 1983، ص. 69 - 80 ؛ نهاية الوجود الروماني، مجلة *أمل*، عدد 24، سنة 2001، ص. 115 - 140 ؛ عبد الله العروي، *تاريخ المغرب*، تر. ذوقان قرقوط، بيروت، 1978.
Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 14-15 ; M. Euzennat, Les voies romaines dans l'initinéraire d'Antonin, Hommages à A. Grenier, *Latomus*, Bruxelles, 1962 ; Id., L'archéologie marocaine de 1955 à 1957, *Bulletin d'Archéologie Marocaine*, t. 2, 1957, p. 222-229 ; R. Marechal, Le Limes de Tingitane, *CRAI, 1924* ; J. Baradez, Deux missions de recherches sur le Limes Tingitane, *CRAI, 1955*, p. 228-288 ; L. Chatelain, *Inscriptions latines du Maroc*, Paris, 1942 ; R. Cagnat, *L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs*, Paris, 1893 ; M. Rachet, *Rome et les berbères*, collection Lalomus, X, Bruxelles, 1970 ; R. Thouvenot, *Une colonie romaine de Mauritanie Tingitane, Valentia Banasa*, P.U.F., Paris, 1941.

مصطفى أعشي

**اللَّيْمُون** أو "البرتقال" أو البرتقال الحلو" أو "اللتْشين" بالعربية أو L'orange وL'oranger بالفرنسية، أسماء لفاكهة وضروب أحد أنواع الحوامض المسمى علميا سيتْروسْ سِينَانْزيسْ Citrus sinensis والمنتمي لفصيلة السذابيات Rutaceae. يشمل عدة ضروب تختلف بينها بحجم وشكل ولب وعصارة ثمارها. فعلى سبيل المثال نذكر البرتقال الإسباني ذا الثمار الخشنة، وبرتقال المتوسط ذا الثمار الناعمة، والبرتقال الدموي ذا اللب الأحمر، والبرتقال أبو سرة.

شجرة البرتقال صغيرة القامة. فهي لا تتعدى 8 م في علوها، ذات أشواك رفيعة غير حادة. أوراقها مستديمة الخضرة ومجنحة الأعناق. أزهارها بيضاء عطرية للغاية. ثمارها كروية الشكل، وذات لب متماسك حلو وغزير بفضل وجود أكياس عصارية مغزلية، ومنعدم البذور في الضروب المزروعة حاليا.

الموطن الأصلي لا ليمون هو شرق آسيا أو الصين بالتحديد. حيث دُجِّن وبدئَ في زراعته منذ الألفية الثانية قبل الميلاد. ثم انتشر في جميع أنحاء العالم الحار والمعتدل نظرا لكونه لا يتحمل الحرارة المنخفضة. واسم البرتقال يدل على أن تجار البرتغال هم الذين نقلوه في القرن الخامس عشر ميلادي إلى جنوب أوروبا والمنطقة المتوسطية، ومنها أدخله الإسبان إلى أميريكا.

يغرس في المغرب على مساحات شاسعة في سهول الغرب، وتريفة بالجهة الشرقية، وسوس، وتادلة، وبصفة محدودة نسبيا في مناطق أخرى مروية مثل سايس واللوكس السفلي، ودكالة ... مما جعل المغرب من أكبر مصدري الحوامض في العالم. وتعتبر دول أوروبا وروسيا من أكبر مستوردي البرتقال المغربي أو مشتقاته من عصير ومربيات.

يستهلك البرتقال في الغالب كفاكهة طازجة أو على شكل عصير يشرب، أو كمربلي.

من جهة أخرى تعتبر بساتين البرتقال من أهم مصادر إنتاج العسل، وذلك بفضل وجود كمية غزيرة ووافرة من الرحيق لأن أزهار هذا النوع كبيرة الحجم نسبيا وبأعداد هائلة. ويتميز عسل البرتقال بعطره الطيب.

*استطلاعات ميدانية شخصية.*

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, 1997, 779 p.

عبد المالك بنعبيد

**لِينَّاريس،** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم هكذا Linares ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل نفس الاسم نسبة إلى مدينة ليناريس ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز، حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1990). تطاون 1999.

محمد بن عزوز حكيم

**ليناريس** Linarès ولد فرديناند جان ليناريس في ليموي، إحدى قرى حوض الأكيتان، في يوليوز 1850 من أسرة تهتم بالطب.

أنهى دراسته الطبية سنة 1874، وبعد ثلاث سنوات نودي عليه للعمل في مستشفى وهران، ومنه عين طبيبا في البعثة العسكرية الفرنسية في المغرب.

قضى بالمغرب مدة تناهز ربع قرن كان خلالها يزاوج بين العمل الطبي والعمل الديبلوماسي. ويمكن تقسيم مدة إقامته إلى ثلاث مراحل :

مرحلة أولى امتدت ما بين سنتي 1878 و1884، وهي سنوات التأقلم مع حياة المغاربة وخلالها قضى سنتين في البعثة العسكرية، ثم انتقل معها إلى الرباط، وبها مكث إلى شتنبر 1883، إذ كان يقدم العلاج للسكان خصوصا في سنة 1882، عندما عاث الجدري هناك بشكل وبائي، ثم التحق بمحلة السلطان مولاي الحسن ورافقه في سفره إلى مراكش ثم إلى مكناس.

المرحلة الثانية امتدت عشر سنوات أي ما بين 1884 و1894، وفيها أصبح من المقربين من السلطان، يرافقه في حله وترحاله ويواكب حركاته في ربوع البلاد، كما كان يقدم له ولمقربيه ما كانوا يطلبونه من علاج. وقد "عرف كيف يأخذ بألباب المسؤولين المغاربة آنذاك"، وتمكن من التعرف على تفاصيل الحياة داخل القصر السلطاني، إذ كان يراقب سياسة السلطان ويساهم فيها في وقت كان فيه التنافس على أشده بين الأجناس لكسب ثقة السلطان والتقرب منه. فأصبح "الأداة الأكثر فعالية لسياسة فرنسا في أوقاتها الأكثر حرجا" كما قال هنري دي لامارتينيير.

ترقى ليناريس خلال هذه المرحلة إلى عدة درجات، ووصلت به سلاليم الترقية في أواخر سنة 1893 إلى ضابط جوقة الشرف.

ولما توفي مولاي الحسن في يونيو 1894، عاد ليناريس مسرعا إلى المغرب، بعد أن كان في عطلته بفرنسا، حاملا معه رسائل من رئاسة الجمهورية إلى السلطان الجديد، فكان بذلك أول موظف أوروبي يستقبل رسميا من طرف السلطان مولاي عبد العزيز.

المرحلة الأخيرة واستمرت إلى سنة 1902، وكانت مرحلة العمل الديبلوماسي الصرف، إذ طلب منه ديلكاسي، وزير خارجية فرنسا يومئذ، الاستمرار في عمله الديبلوماسي، ورتب له إيرادا قدره 3000 فرنك مدى الحياة اعترافا بما قدمه من خدمات لوزارة الخارجية الفرنسية.

شارك ليناريس، على كبر سنه، في الحرب العالمية الأولى، ومنها عاد إلى العمل في المستشفيات الفرنسية، ثم تقاعد من سلك الوظائف ليعود إلى بلدته ليموي.

توفي في مارس 1938.

إبراهيم بوطالب، *البحث الكولونيالي حول المجتمع المغاربي في الفترة الاستعمارية*، حصيلة وتقويم، ضمن كتاب، *البحث في تاريخ المغرب*، حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1989.

*Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc*, III (juillet-sept), 1932 ; Maxime Rousselle, *Médecins, chirurgiens et apothicaires français au Maroc (1577-1907).*

بوجمعة رويان

**ليوطي، هوبير** (Lyautey Hubert)، ضابط من كبار ضباط الجيش الفرنسي طار صيته وثبت في التاريخ ذكره بما وكل به من أمر تنفيذ الحماية الفرنسية على المغرب غداة انعقادها يوم 30 مارس 1912، فهو الذي وضع أسس الحكم الاستعماري الفرنسي في المغرب بصفة كونه أول مقيم عام للدولة الحامية وكونه قام بتلك الوظيفة أزيد من ثلاث عشرة سنة فطبع ذلك الحكم ببصمات سرعان ما اختلط فيها التاريخ بالأسطورة والأسطورة بأصداء الأغراض الدعائية، ذلك بأن تأثير ليوطي في تاريخ المغرب المعاصر، كما أنه لم يبتدئ سنة 1912 ولكن سنة 1903، فإنه لم ينته سنة 1925 عند عزله عن الإقامة العامة ولا حتى عند وفاته سنة 1934، ولكنه امتد إلى نهاية الحماية سنة 1956، بل وإلى ما بعد ذلك إذ صارت سياسة ليوطي مضرب الأمثال ومنظومة فكرية ينهل منها على حد سواء أنصار الحماية وخصومها فيحتجون بها بالحرف أو بالتأويل في كل اتجاه. وإذا كان

يعنينا من سيرة ليوطي ما ارتبط منها بالمغرب في الثلث الأول من القرن العشرين، فإن الوقوف على نشأته في القرن التاسع عشر لا مناص منه لاستحضار طفولته واختياره للمهنة العسكرية وانضمامه للنظام الجمهوري وإدراكه لميوله الأدبية والفنية وشغفه بالعمل الاستعماري، فلقد كان لكل ذلك بالغ الأثر على تكوين شخصيته وعلى طريقة تصرفه بالبلاد المغربية لأزيد من عقد من الزمن.

وولد هوبير ليوطي يوم 18 نونبر 1854 بمدينة نانسي في إقليم اللورين شرقي فرنسا من أسرة امتزجت فيها التقاليد العسكرية بالتقاليد الأرسطقراطية. فإن أجداده كانوا من كبار الضباط، وكانت والدته من أسرة تعتز بانتمائها إلى طبقة النبلاء، فنشأ في جو شديد التمسك بالأصول متعصب للتقاليد الموروثة دينا ودنيا، يرى أن أفضل عقيدة هي العقيدة الكاثوليكية وأن أحسن نظام هو نظام الملكية المطلقة. ولكن الذي يسترعي الانتباه من طفولته هو أنه قضى عقده الأول معطوبا من تبعات ما لحقه من الكسر بسبب وقوعه وهو ابن ثمانية عشر شهرا من أعلى شرفة منزلهم على الشارع، فتطلب الشفاء من ذلك والنجاة من عواقبه عمليات جراحية والتزاما بالسكون لم يتخلص منه إلا في العاشرة من عمره. ولقد تولد في نفسه من ذلك السكون الاضطراري أمران متناقضان تميزت بهما شخصيته مدى الحياة، أولهما لهفة على الحركة وتوقان إلى كل ما هو مخالف للسكون، وثانيهما شغف بالمطالعة وفضول فكري لا يعرف الكلل. ومن ذلك جاء اختياره للوظيفة العسكرية. فقد التحق بمدرسة سانسير وتخرج منها سنة 1875. وفيها تعرف على شخص كان له كبير التأثير فيه، وهو ألبير دي مان Albert De Mun الذي كان يتزعم حركة فكرية سياسية تعرف بالمسيحية الاجتماعية، غايتها مقاومة التيارات الاشتراكية العلمانية بالعودة إلى تعاليم المسيح فهي ضرب من السلفية المسيحية ما كان الشاب ليوطي الناشئ على احترام التقاليد إلا لينبهر بها. ثم إنه ألحق سنة 1880 بكتيبة للخيالة في مدينة أورليانفيل (الأصنام حاليا) في الجزائر. وهنالك تلقى دفعة واحدة مبادئه الأولى عن المجتمع الإسلامي وعن اللغة العربية وعن الاستعمار. وتوجت تلك التجربة بترقيته إلى رتبة قبطان في شتنبر 1882.

وفي السنة التالية صدر الأمر له بالقيام بجولة استطلاعية عن سلاح الخيالة في إيطاليا فاستفاد من تلك الرحلة فوائد كانت حاسمة في مساره. وأول ذلك أنه مر بالنامسا بقصد التبرك بملاقاة الكونت دي شامبور Chambord ولي عهد العرش الفرنسي من آل بوربون الذي كان يفضل الهجرة على العودة إلى عرش أجداده ما لم يمح من فرنسا كل ما ابتدعته الثورة من البدع منذ مائة سنة.

ويذكر ليوطي تلك المقابلة في بعض مراسلاته بصيغة العابد يقف أمام معبوده. أما في إيطاليا فقد حظي بمقابلة البابا ليون الثالث عشر، ففوجئ بما وجده عليه من التفتح والامتناع عن التزمت ومن الارتياح للنظام الجمهوري القائم في فرنسا. فتأثر ليوطي بذلك وصار من يومئذ يتخلص من أوهام البيئة العائلية التي نشأ عليها ومن الجمود الفكري والسياسي الذي كان يطبعها، لاسيما وأنه وسع من مطالعاته فدرس كتب الفرنسي أوكست كونط Auguste Comte والأنجليزي هربرت سبينسر Herbert Spencer فاشتدت عنايته بالقضايا الاجتماعية وانضم بصدق إلى النظام الجمهوري.

ونجده في شتنبر 1887 يعين قائدا لكوكبة من الخيالة في سان جرمان في ضواحي باريس. وهنالك صار يحاول تطبيق بعض أرائه عن لزوم العناية بالجنود والنظر إليهم نظرة الأب الرؤوف وليس نظرة من يقود قطيعا إلى المجزرة. كما أن مقامه بالقرب من العاصمة الفرنسية جعله يدخل بعض الصالونات السياسية والأدبية فتعمقت ميوله الفنية والأدبية التي كانت الرحلة إلى إيطاليا أول مبلور لها. واتسعت شبكة اتصالاته وتأكد حبه لجلسات الأنس التي يستفيد منها المرء ويفيد. وممن تعرف عليهم على وجه التخصيص أوجين ملكيور دي فوكوي Eugène-Melchior de Vogüé الذي ارتبط به بعرى الصداقة. وهو الذي حثه على كتابة ما كان يتباحث فيه وإياه من ضرورة إصلاح شؤون الجند. فأصدر بناء على ذلك مقالا في مجلة La Revue des Deux-mondes في شهر مارس 1891 تحت عنوان "الدور الاجتماعي للضباط في إطار الخدمة العسكرية الإجبارية". مما أثار الانتباه إليه رغم صدور المقال مغفلا، فكثر الكلام حول ما دعا إليه من

لزوم العناية بالجنود لأنهم يشكلون السواد الأعظم من شباب فرنسا، ولأن الخدمة العسكرية الإجبارية تحول الجيش إلى مصهر وطني ينصهرفيه الشباب فيتعلمون فيه المساواة والتعاون وحب الوطن ويتخلصون من التشنجات الطبقية ومن الميز الاجتماعي. ورقي ليوطي على إثر ذلك إلى رتبة كومندار (مارس 1893) لقيادة فيلق الخيالة السابع المرابط في مدينة مو Meaux. ولكن العيش الرتيب في الثكنات لم يكن ليشبع تطلعاته إلى العمل المحموم. ولذلك عندما تقرر إبعاده إلى الهند الصينية، فإنه ركب البحر سنة 1894 متوجها إلى تلك الأراضي النائية في حماس من نجا مرة أخرى من السكون والروتينيات.

وكانت التجربة الاستعمارية في الهند الصينية حاسمة إذ وجد فيه ليوطي ما كان يتشوف إليه منذ البداية من العمل بالسيف وبالقلم في آن واحد. وتعرف هنالك على رجلين من كبار رجالات الاستعمار الفرنسي، أولهما دي لانسان De Lanessan الذي يعتبر مؤسس الاستعمار الفرنسي في الهند الصينية. وقد استقى ليوطي منه مبدأ الحماية القائم على ضرورة اعتماد الدولة الحامية على النخبة الحاكمة في الدولة المحمية، فلا بد من احترامها ولا مفر من الالتزام بتقاليدها واستعمال كل ذلك لصالح الاستعمار الأوربي الذي لا يأتي إلى المستعمرة إلا بأعداد محصورة من الأوربيين. أما الرجل الثاني فهو الجنرال كالييني Galliéni الذي عمل ليوطي تحت قيادته في الهند الصينية إلى سنة 1895، ثم لما أسندت إليه مهمة وضع أسس الاستعمار الفرنسي في مدغشقر، انضم ليوطي إلى طاقمه واشتغل هنالك فيما بين 1897 إلى 1901، فتمرس على أساليب "الباسفيكاسيون"، تلك الحرب الاستعمارية التي تعلم ليوطي أن يقول عنها إنها حرب للتعمير وليست حربا للإبادة. وقد تدرب على شق الطرق وعلى تشييد القرى والمدن، وشفى شيئا مما كان يغلي في صدره من الحاجة إلى القيادة المجدية. وقد نقش بالمناسبة خاتما كتب عليه بيتا للشاعر الإنجليزي شيلي Shelley يقول إن : "لذة الروح في العمل". وعاد ليوطي إلى فرنسا سنة 1901 ليقود فرقة من الخيالة بمدينة ألانسون Alençon.

ثم حلت سنة 1903 التي عطفت به إلى جهة المغرب، ذلك بأنه تعرف على جونار Jonnart الوالي الفرنسي العام على الجزائر الذي كان منشغلا بكيفية التسرب إلى المغرب وإرساء النفوذ الفرنسي فيه، فعرض عليه أن ينضم إلى مساعديه من الضباط وكلفه بمراقبة الحدود المغربية الجزائرية من جهة عين الصفراء. وبذلك انفتحت النافذة التي ستقود ليوطي إلى الإمساك بزمام المغرب سنة 1912، وذلك عبر بعض المراحل كان أولها تغلغله في التراب المغربي صعودا مع مجرى وادي كير ضمن ما وسمه بخطة "بقعة الزيت" أو الزحف الاستعماري المستتر الذي يخفي التطاول على التراب المغربي وعلى سيادة البلاد وراء الذرائع الواهية والأغاليط الكلامية مثل أن تضغم مدينة بشار المغربية في التراب الجزائري ويغطى على ذلك بإطلاق اسم جديد عليها وهواسم كولومب Colomb ضابط فرنسي كان قد ارتادها قبل بضعة عقود. وتكررت العملية في عين بني مطهر المغربية التي احتلها ليوطي مدعيا أنه إنما دخل بركنت وهو حي من أحياء تلك المدينة. ونظرا لما أبان عنه من المهارة في اللعب بالقبائل والزوايا بأدوات الترغيب والترهيب، فإنه رقي إلى رتبة جنرال، وأسندت إليه القيادة العامة للجيوش الفرنسية المرابطة على الحدود مع المغرب، ومقر قيادتها في وهران (1906). ومن هنالك تعززت خطته التوسعية التي كان يصفها أيضا بأنها خطة "النظام الزاحف". وصار من يومئذ من كبار الخبراء بشؤون المغرب، فانتدب سنة 1907 ليلتقي هو وممثل فرنسا في المغرب أوجين رينيو Eugène Regnault بالسلطان المولى عبد العزيز بعد قيام أخيه المولى عبد الحفيظ عليه. وفي نهاية تلك السنة وبداية 1908 قام بغزو جبال بني يسناسن التي تجلت فيها في ظرف وجيز من الزمان والمكان أساليبه في الباسفيكاسيون المبنية على اعتماد التفوق العسكري لإجبار السكان على الاستسلام. ثم جاء إلى الشاوية المحتلة منذ السنة الفارطة بمهمة تفتيش ما كان يجري على يد الجنرال داماد D'Amade، وعاد منوّها بأعمال زميله ورافضا للحلول محله. وفي دجنبر 1910 تزوج ليوطي من أرملة، وكان سنه ستة وخمسين سنة. وعاد إلى فرنسا لقيادة الفيلق العاشر في مدينة رين Rennes (1911). وهنالك وافاه نبأ تعيينه أول مقيم عام لفرنسا في المغرب في أبريل 1912.

ويمكن تقسيم حكم ليوطي في المغرب إلى أربع مراحل، امتدت الأولى من تاريخ تعيينه إلى تاريخ اندلاع الحرب العالمية الأولى، وتغطي المرحلة الثانية سنوات الحرب من 1914 إلى سنة 1918، وتشكل المرحلة الثالثة من 1918 إلى 1923 أوج نفوذه وسطوته، بينما كانت السنتان الأخيرتان من حكمه مرحلة تبخر فيها الكثير من دعايته بعد أن تبين فشله في حرب الريف.

وتعتبر المرحلة الأولى من أبريل 1912 إلى غشت 1914 مرحلة وضع الأسس الكبرى لنظام الحماية الفرنسية في المغرب. فمن الناحية السياسية أشرف ليوطي على إبعاد السلطان المولى عبد الحفيظ عن العرش وعلى مبايعة أخيه المولى يوسف الذي وجد فيه ضالته المنشودة، إذ يقضي نظام الحماية بإقامة أدوات الاستغلال الاستعماري تحت ستار الجهاز المخزني التقليدي. وقد حصل بين المولى يوسف وبين ليوطي نوع من الوئام المترتب على رضى السلطان بما كان

يبديه المقيم العام من الاحترام للتقاليد المغربية وعلى رضى المقيم العام بما كان يبديه المخزن اليوسفي من الانبهار "بالإصلاحات"، طالما أنها كانت تنسب للجالس على العرش. وكان ليوطي لا يفتأ يردد بأنه ليس سوى "خادم سيدنا الأول". ولكنه كتب ذات مرة إلى بعض أصدقائه قائلا عن المولى يوسف بأنه "أجمل ما ابتكر" في المغرب. ومن مبتكراته أيضا جعل الرباط عاصمة للملكة عوضا من فاس أو مراكش، وفي ذلك ما يميز المخزن اليوسفي عمن سبقه من الملوك، ولكن أيضا لتبقي الحكومة الاستعمارية في حماية الأسطول الفرنسي، وكانت الأساطيل يومئذ هي السلاح النافذ والدرع الواقي.

هذا من الناحية السياسية، وأما من الناحية العسكرية فقد سهر ليوطي على السيطرة على ما يحيط بالطريق الرابطة بين العواصم المغربية من تارودانت ومراكش في الجنوب إلى تازة ووجدة في الشرق، وهذا الطريق هو العمود الفقري للدولة المغربية. وعندما حل ليوطي بفاس مطلع شهر ماي 1912، فإنه وجد المدينة وأحوازها في انتفاضة عارمة تهدد الوجود الفرنسي الفتي، فبادر إلى تسكين الأوضاع داخل الأسوار وإلى مطاردة القبائل التي كانت تحيط بها من كل ناحية. ولما استقر بالرباط هو والسلطان الجديد، فإنه أمر الكولنيل مانجان Mangin بإيقاف مجاهدي أحمد الهيبة بن ماء العينين الذين انطلقوا من مراكش لمهاجمة الفرنسيين المحتلين بالشاوية. وتم لمانجان ما أراد من الفتك في معركة سيدي بوعثمان يوم 12 شتنبر 1912، ثم دخل الفرنسيون مراكش وانطلقوا يفتحون ما وراءها من البلاد شرقا وغربا. واستطاعت الجيوش الفرنسية زحفا من فاس إتمام الربط بينها وبين الجيوش الآتية من ناحية وجدة. جرى ذلك في مدينة تازة في ربيع 1914. ثم انصرف اهتمام ليوطي إلى حماية هذا المحور السياسي بإرغام القبائل إما على الاستسلام وإما على اللواذ بالأوعار الجبلية. وكلما رامت القوات الفرنسية التوغل في تلك الأوعار إلا ولحقها من ذلك هزائم منكرة، مثلما جرى للكولونيل مانجان في القصيبة، فإن المقاومة المغربية بددت بعض فرقه هنالك في يونيو 1913. وازداد ليوطي حيطة وحذرا.

وأما من الناحية الإدارية فإنه تصرف بالجهاز الحكومي المغربي تصرف الحاكم المطلق الساهر مع ذلك على تلبيس تصرفاته بلباس الحماية. فإنه احتفظ على الصعيد المركزي بهيكل الجهاز المخزني يترأسه بعد السلطان الصدر الأعظم ويتكون من ثلة من الوزراء (وزير الشكايات ووزير الأحباس ووزير الأملاك المخزنية) وجماعة من الكتاب ظلوا قابعين في "بنائقهم" على الطريقة الموروثة، وأحدث بجانبه جهازا إداريا متكاملا يقوم تحت رئاسة المقيم العام أونائبه بمهام الوزارات العصرية، إلا أن الوزراء فيه يحملون لقب مدير فكلهم فرنسيون، واحد للشؤون الداخلية وآخر للمالية وثالث للأشغال العمومية ومدير للشؤون الاقتصادية ومدير للتعليم ومدير للصحة العمومية الذين انكبوا على تجهيز البلاد من البنيات الضرورية للاستغلال الرسمالي العصري. أما على الصعيد المحلي فإنه اعتمد في الجنوب على سابق القواد المخزنيين من أمثال الگلاوي والكوندافي والمتوگي، وهم الذين دخلوا مدينة تارودانت ونادوا بمبايعة المولى يوسف فيها سنة 1913. بيد أن أهم مبادرة بادر إليها ليوطي هي شروعه في إقامة نظام البلديات في الحواضر الكبرى كفاس والرباط والدار البيضاء ليكون للساكنة الأوربية قولها في تدبير الشؤون المحلية.

وقد تجلى ذلك في هذه المرحلة في الشروع في بناء مرسى الدار البيضاء الذي تقرر أن يكون بوابة المغرب المنفتحة على الأسواق العالمية. وتسهيلا للمعاملات استصدر ليوطي من المولى يوسف ظهائر أحدث بمقتضاها قانون المحافظة العقارية لم تكن فرنسا تحظى بمثله من حيث الضبط والمرونة، وأيضا نظاما قضائيا متكاملا في الجنائي والمدني مقتبسا من القوانين الوضعية الأوربية بعيدا عن الفقه الإسلامي الذي صار من يومئذ ينحصر في معالجة قضايا الأحوال الشخصية. وكذلك وضع ليوطي اللبنات الأولى لسياسة الحماية في التعليم والصحة والسكن بأن ترك ما وجد في ذلك في المغرب على ما وجده عليه، وأقام أجهزة خاصة بتعليم أولاد الأوربيين وحمايتهم من الأوبئة التي كانت تنهك الإنسان المغربي، فأنشأ معهد باستور وبعض المستشفيات الكبرى، وصار في كل مدينة يتكاثر فيها الأوربيون يقيم لهم أحياء بل مدنا جديدة مخصصة لسكناهم فيما كان يشبه سياسة "الأبرتايد"، وإن سهر على تلبيس ذلك بوجوب احترام المغاربة في تقاليدهم وعدم التسرع في استقطابهم لأشكال العمران الأوربي.

وانطلقت المرحلة الثانية مع اندلاع الحرب العالمية. وكان من قرارات ليوطي الحاسمة أن امتنع عن العمل بما صدر من أوامر الحكومة الفرنسية بالتراجع بجيوش الاحتلال نحو الشواطئ الأطلسية والتخلي عن كل ما كان قد تم غزوه داخل التراب المغربي اعتقادا منه بأنه لو فعل ذلك لما استطاعت تلك الجيوش غزو البلاد مرة ثانية. فالتمس من الحكومة أن تترك له حرية التصرف فيبقى على ما كان بيده من المواقع، ويبعث إلى جبهة القتال في فرنسا بكل ما لديه من المقاتلين معززين بالمتطوعة من المغاربة الذين لم يترددوا عن تلبية دعوة السلطان العلنية إلى مؤازرة الدولة الحامية في محنتها. وهكذا استطاع ليوطي أن يحتفظ بما كان يسيطر عليه من الأقاليم بسلسلة من المراوغات والشعارات

التمويهية التي صاغها بالمناسبة مثل قوله بأن إظهار القوة خير من العمل بها فلم يفتأ ينقل القليل مما احتفظ به من الجيوش من ناحية إلى أخرى في حركة دؤوب توهم القبائل المستسلمة وغير المستسلمة بأن الحرب مع ألمانيا لم تنل من قوة فرنسا ومن عزمها على استعمار المغرب. ومما يثبت نجاح هذه الخطة أنه استطاع الحد من عواقب الهزيمة النكراء التي ألحقت بأحد ضباطه بالهري قرب خنيفرة في مطلع نونبر 1914 على يد مجاهدي زايان. ولم يكتف بستر ذلك عن أنظار الحكومة والرأي العام في فرنسا بل سرعان ما غطى عليه بأن اخترقت جيوش الاحتلال سلسلة الأطلس المتوسط فارتبطت فرق منها زاحفة من جهة وادي گير والجنوب الشرقي بأخرى زاحفة من جهة مكناس والشمال الغربي، وذلك في شتنبر 1917 في قرية ميدلت التي ستصبح من ثم فصاعدا عاصمة تلك الأصقاع.

ومما يذكر من منجزاته الإدارية في هذه المرحلة أنه سهر على وضع اللبنات الأساسية لنظام البلديات، وذلك باستصدار ظهير أبريل 1917 الذي وضع لأول مرة في المغرب ضوابطها وكيفية انتقاء أعضائها إذ لم يخطر بباله أن يتم ذلك بالاقتراع بالنسبة للمغاربة، وإنما كانت الغاية الأساسية إشراك الأوربيين في إدارة الشؤون المحلية. وظهرت من يومئذ ملامح الهيكل العام للإدارة الاستعمارية على الصعيد المحلي، وقسمت البلاد إلى أقاليم كبرى، ثلاثة منها مدنية وهي الدار البيضاء والرباط ووجدة بحكم قدم احتلالهما، والباقي من أقاليم فاس ومكناس ومراكش تحت الإدارة العسكرية لأن جل أراضيها كانت لاتزال مستعصية، ويقود هذا الأقاليم ضباط برتبة جنرال في يدهم السلطات العسكرية والمدنية وتحت إمرتهم مجموعة مما كان يسمى ضباط الاستعلامات والمراقبين المدنيين الذين يشرفون على الأجهزة المخزنية المحلية ويراقبون الباشوات والقواد والأشياخ والمقدمين ويستعينون بهم في التجسس على محكوميهم. وفي هذا الصدد سهر ليوطي على تنظيم القضاء الشرعي المغربي وبخاصة منه محاكم الباشوات والقياد (ظهائر 1918).

ومن جهة الاقتصاد فمن حسن حظ ليوطي أن سنوات الحرب العالمية الأولى كانت سنوات سمان في المغرب لدرجة أنه استطاع أن يموّن فرنسا الغارقة في القتال بكميات معتبرة من الحبوب والقطاني جعلت البعض يحلم بأن يكون المغرب خزانا لا ينضب من ذلك إلى الأبد. ومقابل ما كان يصدر من الحبوب سهر ليوطي على استيراد أكثر ما استطاع من السكر المصفى فشغل الجماهير المغربية باحتساء الشاي المنعنع المحلّى مثلما شغلهم بإقامة معارض تجارية مدوية في الرباط وفاس والدار البيضاء، وفتح أوراش عمومية في كل مكان رافعا بالمناسبة شعارا آخر من شعاراته التمويهية القائل بأن ورشا للعمل خير من عدة بطاليونات. مما أذاع صيته وأطلق الألسن في فرنسا بالتنويه به. ونتج عن ذلك أن ظن بعض السياسيين أنه هو الرجل الصالح لتحمل مسؤوليات وزارة الدفاع في الحرب القائمة، فعين وزيرا في نهاية 1916 والتحق بباريس تاركا الجنرال كورو Gouraud في النيابة عنه في الإقامة العامة. لكن التجربة الوزارية سرعان ما باءت بالفشل إذ لم يكن ليوطي المتعود على التصرف بالأمور بدون رقيب ولا منازل ليصبر على أجواء الحكومة البرلمانية وإصرار النواب على التدخل في الشاذة والفاذة وإطلاق ألسنتهم بالنقد اللاذع، فقدم استقالته وعاد مقيما عاما في الرباط لمدة ثمان سنوات أخرى.

وانطلقت المرحلة الثالثة من حكمه بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها. وتميزت على الصعيد السياسي بإرساء نظام الحماية بسبب ما صار يتقاطر على المغرب من أفواج المعمرين المتعطشين إلى الثراء بأقرب سبيل والناظرين إلى المغرب على أنه لا يتميز عن الجزائر وأنه ملك امتلكته الجيوش الفرنسية يحق لهم استغلال خيراته ورجاله بمحض إرادتهم. ولكن ليوطي كان لا يريد الحيد عن مفهوم الحماية، ذلك بأنه كان يعلم أن المغرب دولة عريقة قائمة الذات، وأن عقد الحماية يلزم فرنسا بالأخذ بيد المغاربة وليس بالقيام مقامهم، مثلما كان يعلم أن الحماية ضرب من الاستعمار فلا مناص من تمكين المعمرين من الأراضي ومن أدوات الاستغلال، مفضلا أن يتم ذلك في ضيعات كبرى ومقاولات تقوم بها شركات متمكنة وليس جمهور من حثال المعمرين الفارين من التعاسة في أوربا ليرتقوا درجات السلم الاجتماعي في المستعمرات بأسرع سبيل. واحتدم الجدل بين ليوطي وبين هؤلاء سنة 1919 وكثر القيل والقال، وطالب جمهورالمعمرين بأن يكون لهم نصيب من الحكم حتى لا يبقى المقيم العام منفردا بالسلطة. واضطر ليوطي إلى منحهم تمثيلية استشارية في شكل ما سمي بمجلس شورى الحكومة يحضره أرباب المقاولات الصناعية والتجارية وكبار المزارعين ليتباحثوا مع المقيم العام في ميزانية الحماية.

وهل كان ذلك كافيا للوقوف عند روح الحماية بالقول والفعل ؟ فكل ما يسجله التاريخ هو أن ليوطي اجتهد ما استطاع أن يجتهد للالتزام بذلك في القول والشكل. فإنه طالب عبثا أن يمثل المغرب في مؤتمر السلام المنعقد في فرساي سنة 1919. وكتب تقريرا في دجنبر 1920 يستنكر فيه ما آلت إليه حكومة الحماية من الإدارة المباشرة، ممتعضا من تحولها من إدارة لمراقبة خدام المخزن وتمرينهم على الأساليب الإدارية العصرية إلى إدارة تتدخل في كل شيء فتهمش المسؤولين المغاربة وتجعلهم أدوات عاجزة عن التحرك من تلقاء نفسها. بيد أن المسؤول الأول عن كل ذلك كان هو

ليوطي نفسه منذ تعيينه سنة 1912.

ولا أدل على ذلك من كونه اتخذ قرارات خطيرة الشأن في مجال الاستعمار، إذ استصدر ظهائر (أبريل 1919) تحد من ملكية القبائل لأراضيها وتنزع منها أجودها لتوضع رهن إشارة المعمرين بأثمان رمزية. كما أنه جعل استغلال مناجم الفوسفاط من احتكار الحكومة فلا ينطبق عليها مبدأ المنافسة الدولية المقرر في مؤتمر الخزيرات. وتقرر في هذا السياق أيضا إلغاء العملة المغربية النقدية وإحداث الفرنك المغربي الذي ألحق بجرة قلم بمنطقة رواج الفرنك الفرنسي، بحيث توثقت الروابط بين المغرب وفرنسا بأشد الروابط.

أما من الناحية العسكرية فالذي تميزت به هذه المرحلة هو إتمام احتلال ما كان ليوطي يسميه بالمغرب النافع، مغرب السهول الغربية وأحواز الحواضر التاريخية وما يطل على ذلك من مرتفعات جبال الريف والأطلس المتوسط التي تنبع منها عيون أكبر الأنهار المغربية. ففي سنة 1920 تم احتلال وزان وما يحيط بها من المناطق الجبلية الرابطة بينها وبين منطقة الاحتلال الإسباني. وفي سنة 1922 تم احتلال هضبة واوزغت وأزلال المطلة على سهول تادلة.ولم يكلف ذلك جيوش الاحتلال كبير عناء. واستفاد ليوطي من ذلك مزيدا من الشهرة، ليس فقط لأنه كان ماهرا في الدعاية لنفسه ونسب كل ما كان ينجز في المغرب لحسن تدبيره، ولكن لأن تزويد المغرب من البنيات التحتية الصالحة للاقتصاد الرسمالي العصري وضمان المعاملات السلمية في المفتوح من مدنه وقراه في سنوات معدودات، منها سنوات الحرب الأربع، كل ذلك ما كان إلا ليحمل أنصاره وخصومه على الانبهار فصار يقال بأن ليوطي هو مبدع المغرب الجديد. وتوج ذلك بالزيارة الرسمية لرئيس الجمهورية الفرنسية ألكسندر ميران Alexandre Millerand الذي كان من أصدقائه إلى المغرب سنة 1922، وتلك أول زيارة لرئيس الدولة الفرنسية إلى بلادنا. وفي سنة 1921 منح ليوطي أعلى رتبة في الجيش الفرنسي وهي رتبة المارشالية التي لا يصلها إلا من أسدى لفرنسا خدمات جلى. واستقبل بتلك المناسبة في الأكاديمية الفرنسية علما بأنه كان قد انتخب لذلك منذ 1912، ولكن مهامه في المغرب وظروف الحرب العالمية أجلت جلسة الاستقبال إلى هذا التاريخ.

ودخلت المرحلة الرابعة والأخيرة من حكمه سنة 1923 وهو يناهز السبعين من عمره. ولشدة ما أضحى اسمه مقرونا بما يجري في المغرب خاصة وبشؤون الاستعمار بشكل أعم فإن الحكومة الفرنسية قررت منذ سنة 1920 عدم تطبيق قانون التقاعد عليه. ولقد رست من يومئذ الصورة التي احتفظ بها التاريخ عنه من ضابط محزوم في يافطته العسكرية مشتعل الرأس شيبا بشعر محلوق كالفرشاة وشارب كثيف مفتول وعينين رماديتين يشع منهما الحزم والعزم وسكينة الحاكم المتمكن. وكانت سنة 1923 سنة قاسية عليه إذ أصيب وهو في جولة تفتيشية بناحية تازة بالتهاب في الكبد أشرف منه على الهلاك. وبقي طريح الفراش عدة أسابيع في فاس إلى أن صار إلى الشفاء. وقيل بالمناسبة بأن بركة المولى إدريس كانت معه لأن القيمين على الضريح تفانوا في الابتهال بالدعاء له بإشارة من السلطات المحلية أو بغير إشارتها. ولما عوفي أبى إلا أن يتبرك بزيارة الضريح. وأراد منه الشرفاء أن يدخله. لكنه امتنع احتراما للتقاليد ولكونه نصرانيا، مكتفيا بإيداع هدية نقدية معتبرة في "الربيعة". وتلك إشارة أخرى عن سياسته في تأسيس الحماية الفرنسية على يديه، فإنها قابلة دائما لأشد التأويلات تناقضا. من ذلك مثلا عدم مسايرته في هذه المرحلة لجناح من مساعديه ممن كانوا يريدون إثبات سياسة التفرقة بين الأمازيغ والعرب في البلاد، وكانوا يودون فرض ذلك على المولى يوسف. لكن ليوطي امتنع، وإن كانت الأدلة على مباركته للعب بتلك الحبال أكثر من أن تحصى بالقول والفعل. وتتميز سنة 1923 بتدشين مشروعين من أكبر ما أنجز من المشاريع في عهده، أولهما تدشين ميناء الدار البيضاء، والثاني إتمام السكة الحديدية ذات السعة العادية بين الدار البيضاء وفاس وبين فاس وطنجة.

ولكن كل ما جنى ليوطي من ذلك من التمجيد سرعان ما تهشم على صخرة الثورة الريفية التي كانت قد اشتدت شوكتها غداة انتصار المجاهدين على الجيوش الإسبانية في معركة أنوال (يوليوز 1921). وظن ليوطي أول الأمر أنه يستطيع استقطاب محمد بن عبد الكريم الخطابي واستعماله مثلما كان يستعمل قواد الجنوب. فظن أن الفرصة سانحة لجعل حد للمزاحمة الاستعمارية الإسبانية في المغرب التي لم يكن يخفي امتعاضه منها. ولما تبين له أن الثورة الريفية تحمل مشروعا تحرريا متكاملا، فإنه بادر سنة 1924 إلى مهاجمة المجاهدين ومحاصرتهم من جهة قبيلة بني زروال، فاحتل بعض المراكز وأمر بتحصينها اعتقادا منه بأن ذلك يكفي لحصر الحرب في المنطقة الإسبانية. ولكن ما أن أطل فصل الربيع من سنة 1925 حتى كان المجاهدون الريفيون قاب قوسين أو أدنى من مدن تازة وفاس ومكناس يهددون بقطع خطوط المواصلات الفرنسية فأصاب ليوطي من الذعر ما جعله يفكر في استعمال الغازات السامة لإيقاف الحملات الريفية. وتبين للحكومة الفرنسية أن الأوضاع تفاقمت بما صار يتجاوز قدرات ليوطي المنهوكة وبهلوانياته المتآكلة، لا سيما وأن الأغلبية الحاكمة في باريس انتقلت منذ انتخابات 1924 للأحزاب اليسارية التي لم تكن لتتعاطف مع المارشال لا من قريب ولا من بعيد. ولذلك أسندت قيادة حرب الريف للمارشال بيتان Pétain، مما حمل ليوطي على

تقديم استقالته بعد حين، فغادر المغرب في أكتوبر 1925.
وطويت بذلك صفحة تاريخه في المغرب لتفتح صفحة الأسطورة، ذلك بأنه ظل من فرنسا يتتبع ما يجري في المغرب فيطلب رأيه في الموضوع ولا يمتنع عن الإفتاء نقدا أو تأييدا. ولما بويع للسلطان سيدي محمد بن يوسف، فإنه كان يزور ليوطي في مقر سكناه بطوري Thorey قرب مدينة نانسي هو وولي عهده المولى حسن كلما سافرا إلى فرنسا. وأسندت إليه سنة 1929 رئاسة المعرض الاستعماري الذي انتظم في باريس سنة 1930. ويوم توفي في 27 يوليوز 1934، تقرر نقل رفاته إلى الرباط ليدفن غير بعيد عن مقر الإقامة العامة في ما يشبه ضريحا مغربيا. وتمّ ذلك في حفل رسمي يوم 30 أكتوبر 1935. وكتب على القبر سطرا بالفرنسية فوق سطر بالعربية ما يلي : "هذا قبر / المارشا ل ليوطي / لوي هوبير كنزالف / أول مقيم عام لفرنسا بالمغرب 1912 ـ 1925 / مات على الديانة الكاثوليكية / متلقيا بإيمان صحيح أدعية الكنيسة / كان شديد الاحترام للتقاليد القديمة / وللديانة الإسلامية / التي يحاز (كذا) عليها أهل المغرب / والذين قريبا منهم (كذا) / رغب في دفنه بهذه الأرض / التي بالغ في حبها / متع الله روحه بالراحة الأبدية". وبغضّ الطرف عن ركاكة هذه الترجمة، فإن سلطات الحماية أبت إلا أن تتمسك بما صار لليوطي من الهالة لتزيد الاستعمار الفرنسي رسوخا في البلاد. وكان من ذلك مثلا أن المجلس البلدي لمدينة القنيطرة اتخذ قرارا في دجنبر 1934 بإطلاق اسمه على المدينة فأصبحت تعرف عندهم ببور ـ ليوطي، علما بأن ليوطي كان أثناء حكمه امتنع عن ذلك فلم يسع قط في فرنسة الطوبونيميا المغربية. وقررت بلدية الدار البيضاء إقامة تمثال برونزي له على صهوة جواده في أكبر ساحة في المدينة ظلت تحمل اسمه إلى نهاية الحماية. وهكذا نسجت الأسطورة العالقة باسمه على منوال ما يثبته التاريخ، وظلت مرجعا لغلاة الاستعمار مثلما كانت مرجعا للحركة الوطنية منذ نشأتها. فإن برنامج المطالب الوطنية التي تقدم به الوطنيون بعد وفاة ليوطي ببضعة أشهر يبتدئ بسرد عدد من أقواله وخطبه المثبتة لمفهوم الحماية والموحية بتمام سيادة المغرب و"أن التنظيمات السياسية الفرنسية ليس لها محل بالمغرب و"ليس في الإمكان أن يكون [للفرنسيين] تمثيل سياسي". ولكن بعض خلفاء ليوطي في الإقامة العامة ممن عملوا تحت قيادته من أمثال الجنرال ألفونص جوان وأوكستان كيوم لم يجدوا صعوبة في استخراج ما انتهوا إليه من تحويل الحماية إلى حكم استعماري محض من أقوال ليوطي وبعض قراراته. وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على دهاء الشخص. وهل الدهاء في السياسة إلا قدرة فائقة على اللعب على الحبال. وأصل ذلك عند ليوطي أنه كان رجل سيف ورجل قلم. ولعل مهارته بالقلم كانت أعلى من مهارته بالسيف، لا سيما وأنه كان يعتني بكل ما يكتب ويحتفظ به ويسهر على نشره في حياته. وسهر مساعدوه وابن أخيه بيير ليوطي بعد موته على إتمام النشر، فاجتمع من ذلك سيل من الرسائل والخطب والتقارير المرفوعة إلى رؤسائه فضلا عن بعض الأعمال التقنية مثل كتيب عن دور الجيش في الاستعمار وكتاب عن جنوب مدغشقر 1900 ـ 1902 يمكن من التعرف على الشخص وعلى سيرته منذ أيام الشباب إلى أوج الإقامة العامة في الرباط، وكل ذلك بلغة متينة سلسلة أثارت الانتباه إليه وفتحت أبواب الأكاديمية الفرنسية أمامه. ويقف القارئ على كل ذلك متسائلا عما إذا كان الفرد هو الذي يعمل في التاريخ أم أن التاريخ هو الذي ينتقي الأفراد ويسيرهم. وكان من آخر تقلبات التاريخ بليوطي أن طالب المغاربة بعد الاستقلال بإلغاء "ضريحه" وإرجاع رفاته إلى فرنسا. وقد تم ذلك في ماي 1961 فوري مثواه الأخير في الأنفاليد Invalides في باريس في جوار أبطال فرنسا، كما أن تمثاله نقل إلى مقر القنصلية الفرنسية في الدار البيضاء، وسميت الساحة التي كان منتصبا فيها ساحة محمد الخامس واستعادت مدينة القنيطرة اسمها الأصلي.

Lyautey Hubert, *Du rôle social de l'officier dans le service militaire universel, 1891* ; *Du rôle colonial de l'armée*, 1900 ; *Dans le Sud de Madagascar. Pénétration militaire. Situation politique et économique, 1900-1902* ; *Lettres du Tonkin et de Madagascar*, 1920 ; *Paroles d'action*, 1927 ; *Lettres de jeunesse*, 1931 ; *Lettres du Sud de Madagascar*, 1935 ; *Vers le Maroc. Lettres du Sud-Oranais*, 1937 ; *Lyautey l'Africain. 1912 - 1925*, (1952 - 1957) ; *Les plus belles lettres de Lyautey*, 1962 ; Maurois André, *Lyautey*, Plon, 1931 ; De Boisboissel, *Dans l'ombre de Lyautey*. Bonne éditeur, 1954 ; Le Révérend, André, *Lyautey*, Fayard, 1983 ; Rivet Daniel, *Lyautey et l'institution du Protectorat*, L'Harmattan, 1988, 3 vol.

إبراهيم بوطالب

**ليّون**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناكَ أسر إسبانية تحمل اسم Léon نسبة للمدينة التي تحمل نفس الاسم وتقع شمال إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1174 / 1761.

م. ابن عزوز، حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1990). تطاون 1999.

محمد بن عزوز حكيم

**ليون الإفريقي** ← **الوزان الحسن** بن **محمد**

م

**الـمـاء** (في القـديم)، الماء في العـربيـة يقـابله في الأمازيغية أمان، لا يكون إلا في صيغة الجمع، ومنتشر في كل المجال الأمـازيغي، وقديم جدا إذ يعود، على مـا يبدو، إلى البدايات الأولى لبروز اللغة الأمازيغية. ويرمز الماء لدى الأمازيغ للحيـاة، فهو لدى التوارگ يمثل الإنسـان ؛ ولدى القبائلية بالجزائر، تعتبر الحقيقة كالماء. ويرتبط الماء بقيم الإستقامة والحقيقة والشفافية.

وينطوي الماء على قيم دينية، ترتكز أولا، على أنه كان مـوجودا قـبل الأرض، وثانيـا أن من تحليل القـيم الدينيـة المتعلقة بالمياه، يفهم بنية الرمز الديني ووظيفته، الذي يلعب دورا كبيراً في الحيـاة الدينية للإنسان. فرمزية الماء تنطوي على الموت مثلما تنطوي على الولادة الجديدة.

وفي ظاهرة التـوالد والخصوبة، نجد أن الماء يلعب دورا أساسيا كعنصر للذكورة، فالأرض تحيط بها المياه من كل جانب، وكأن البحار والمحيطات تحتضن الأرض وتضاجعها، بل وأن أجـمل مـا في العـلاقـة بين الماء والأرض العـلاقـة الجنسية.

ومنذ بداية الخليقة، عبد الإنسان الماء، وقدسه باعتباره خالقا للحيـاة. كـما قـدس أشكال الحيـاة المائيـة وعـبدها، كـالبحـار والمحيطات، والأنهـار، والبحيـرات، والينابيع، والآبار. واستعمل الإنسان الماء في الطقوس والعبادة، كمطهر لدى الوثنيين ولدى المسيحيين في التعميد، وبالطبع لدى المسلمين عند الوضوء.

وهناك إشارات أثرية أكيدة تدل على وجود عبادة الماء لدى الأمازيغ خلال العصور القديمة، بل وإلى العصور الحديثة حسب بعض الدراسات، نظرا لأهميتـه وكونه المسؤول عن الخصب لدى الإنسان والحيوان والنبات.

وتبدو أهمية المياه في العصور القديمة بشمال إفريقيا من خلال تخصيص الكاتب الأمازيغي تيرتوليان (Tertullien) مؤلفا حول الماء سماه (DeBaptima)، أي التعميد، يتحدث فيه عن قداسة الماء وقوته الخلاقة والمخصبة والمطهرة حيث يقـول : "إن الميـاه الأولى هي التي توصلت بأمـر إحـداث المخلوقات الحية".

وهناك ممارسات أشير إليها منذ بداية العصور التاريخية، كانت تستهدف الخصوبة، ويتعلق الأمر باستحمامات مقدسة هاجمها القديس أوغسطينوس في القرن الخامس الميلادي، باعتبـارها من بقـايا الوثنيـة. وإن حديث أوغسطينوس عن الإستحمام المقدس ومهاجمته له دليل على أنه طقس أقدم عهداً منه، وأنه مرتبط بالمرحلة التي كان يعبد فيها الإنسان ويقدس مظاهر قوى الطبيعة، وبالضبط في الوقت الذي وعى فيـه الإنسـان بأهميـة الماء في الحيـاة ودوره في إخصـاب الأرض، وكعنصـر لحـماية الإنسـان من الأمـراض والأضـرار والأرواح الشريرة، وخاصة التي تسكن المياه.

ويبـدو أن هذا الطقس المتعلق بالإغتـسـال بماء أنهـار وعـيون وآبار معينة، بهدف الإخصـاب أو الزواج، أو طرد النحس والعين الشريرة، والسحر، لايزال يمارس إلى يومنا في المغرب في عدد من الأماكن منها : سيدي سليمان مـول الكيفان ومولاي عبد الرحمان بالبيضاء، وللاعيشة بسيدي أحمد الدغوغي، وسيدي موسى بسلا، وسيدي اليابوري بالرباط، وسيدي محمد ابن إدريس ببرشيد، وللاعيشة البحرية قرب أزمور.

ويشير فنطر إلى أن هذه الظاهرة تعرض لها أحد المراقبين المدنيين الفرنسيين بتونس وهو گابريال بيري Gabriel) (Pérée ، الذي وصف هذه الحلقة الطقوسيـة قـائلا : "عند الفجر تخرج النساء سواء كن متزوجات، أو شابات، أو عجائز، من أجل الإستحمام في الوادي بعد حل شعرهن. تبدأ الفتيـات في التصريح برغبـاتهن قـائلات : أطل شعري يا فرعون ووسع حوضي. فرعون أطل شعري مثل النخلة". ومن الجدير بالإشارة هنا أن هذا الاحتفال الطقوسي، يحدث يوم 13 مـايو، يعني يوم فـاتح مـايو الفلاحي. وبالتـالي فـإن الحركات والطقوس التي تقوم بها النساء لها علاقة مؤكدة بالخصوبة والإخصاب، ويتعلق الأمر في الواقع بزواج حقيقي،

وباحتضان الماء الكامل للمرأة ؛ إذ أن النهر يغطي المرأة ويخصبها.

ومن المحتمل، أن الإمبراطور الروماني، الأمازيغي الأصل، سيبتيموس سيفيروس والإمبراطور كراكالا، قد اعتبرا مسبح تيمگاد منبعا للخير والتفاؤل، ومنقذا، ومداويا، ومطهرا ؛ وذلك خلال زيارة لتيمگاد سنة 203. وقد اعتبرت عين هذا المسبح منبعا للكرامات والمعجزات القديمة التي اعتقد الأمازيغ بقدراته الفائقة، ووضعوا قبرا يحتوي على تماثيل لأرباب لها قدرة علاجية.

ويبدو أن الكائنات الخاصة بتقديس الماء، ليس لها شخصية محددة، وتعرف فقط بأصلها الجغرافي، كما هو الأمر في عبادة ليليو (Lilleo) ؛ وليليو تعني الماء. وقد استعمل نفس الإسم تقريبا لتركيب إسم تيليلوا (Tililwa)، وهي ربة من الأرباب الخمسة في مجيفا. كما توجد معبودات أمازيغية مرتبطة بالماء كماگور الذي يتشابه مع أرباب باجة، وخاصة ماكورطام وماكورگوم. ومن المحتمل أن تكون الرابطة التي تجمع هذه المعبودات هي العلاقة المشتركة بينها في عبادة الحيوانات المائية.

ومن الطقوس العتيقة التي تقام لاستجلاب المطر في المغرب والتي كانت، بل ولازالت ما يعرف باسم "تيسليت ن ونزار" (عروسة المطر). كانت هذه الطقوس السحرية على شكل مواكب لأجل الحصول على المطر. كان الموكب يتجول بـ "أغنجا"، وهي ملعقة كبيرة من الخشب، وتعني الأرض العطشى، كانت تغطى بثياب على شكل دمية يطلق عليها إسم "تيسليت ن ونزار". وتتم هذه الطقوس على شكل زواج أسطوري بين الأرض والمطر، من أجل الخصوبة وبعث النبات والزرع. وقد تصاحب هذه الطقوس ممارسات جنسية فعلية تعرف بـ "ءيظ ن تسليت"، أي ليلة العروس، على أساس العلاقة التي توجد دائما في كل مكان، بين الجنس والعمل في الأرض، والتأثير المعروف بسحر الحب على الفلاحة.

وقد كان الأمازيغ، على ما يبدو، يطهرون معبوداتهم كذلك، ونستشف هذا مما ذكره تيرتوليان في هذا النص : "بفضل حمام يستطيع الوثنيون الاشتراك في بعض الممارسات الخاصة بإيزيس وميثرا، بحيث يحملون آلهتهم من المنازل والمعابد والمدن إلى الحمام ويغسلونها بالماء الصافي قصد تطهيرها"، ويضيف كذلك "إذا ارتكب أحد الرجال خطيئة يجب عليه أن يسرع إلى ماء العفة والطهارة".

ويجب التذكير هنا، بالممارسات الطقوسية الخاصة بالماء، التي تجري وقائعها يوم عاشوراء، وتتمثل في رش الناس بالماء أثناء مرور موكب الاحتفال.

وبصورة عامة، فقد تعددت أماكن وجود الماء وتنوعت مظاهر تقديسه وطرق عبادته، إلا أن أهم طريقة تتمثل في عملية الإنغماس في الماء ؛ وبالانغماس في الماء يموت "الإنسان القديم" ويولد كائن جديد بحياة جديدة.

*القرآن الكريم* ؛ *التوراة* ؛ إبراهيم حمود، طقوسيات الروح، القبلة والنفحة تتكلمان، *مجلة كتابات معاصرة*، عدد 31، مجلد 8، تموز أب 1997 ؛ بول باسكون، المعتقدات والأساطير المغربية، *مجلة بيت الحكمة*، عدد 3، السنة الأولى، 1986 ؛ بيار كان فاحيو، *معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوربا*، تر. أحمد الطبال، ط. 1، 1413 . 1993 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ؛ جان صدقة، *رموز وطقوس، دراسات في الميثولوجيا القديمة*، رياض الريس للكتب والنشر، طبعة لندن، 1989 ؛ مرسيا إلياد، المقدس والدنيوي، الطقس والأسطورة، تر. نهاد خياطة، ط. 1، دمشق، 1987 ؛ مصطفى أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، دكتوراه الدولة، فاس.

F. Decret et M. H. Fantar, *L'Afrique du nord dans l'antiquité*, Paris, Payot, 1981 ; Driss Abdelaziz, Les religions des eaux, in *Revue Carthage, n° 7, octobre 1966, p. 62-68* ; G. Camps, Qui sont les dii mauri, *Antiquités africaines, t. 26*, 1990 ; Id., Anzar, *Encyclopédie berbère*, VI, Edisud France, 1989, p. 795-797 ; R. Basset, Recherches sur la religion des berbères, *R.H.R. LXI, mai-juin, 1910, p. 291-342* ; M. Leglay, Le temple sévérien de l'Aquae Septimane Felix, *B.A.C, 1967, III* ; G.-Ch. Picard, *Castillum Dimmidi*, Paris, Alger, 1947 ; Id., Les *religions de l'Afrique antique*, Paris, 1954 ; M. Benabou, *La résistance africaine à la romanisation*, Maspéro, Paris, 1975 ; E. Doutté, *Magie et religion dans l'Afrique du nord*, Jourdan, Alger, 1908 ; L. Joleaud, Gravures rupestres et rites de l'eau en Afrique du nord, *Journal de la Société des Africanistes, t. III, Fasc. I*, 1933, p. 197-282.

مصطفى أعشي

**الـماء**، يشكل قطاع الري أولى الأولويات نظرا لما يمثله من دور استراتيجي كبير في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وتلعب العوامل الطبيعية من مناخ وتضاريس وجيولوجيا وشبكة هيدروغرافية وتربة دورا أساسيا في تحديد أهمية الثروة المائية بكل إقليم.

ورغم كون المياه ثروة متجددة أي غير نافذة فإن تزايد الطلب عليها بسرعة كبيرة في العقود الأخيرة من جهة واستفحال مسلسل الجفاف من جهة أخرى يطرح مشاكل جديدة تتحدى النظام الاقتصادي والاجتماعي بالمغرب.

المياه السطحية :

هي أهم عناصر الثروة المائية المغربية، ولم يتمكن المعنيون من تحديد كمياتها إلا بعد دراسات متعددة استمرت عقودا، ولم تنشر أولى الأرقام عنها إلا بعد 1960. يعتمد المغرب أساسا على مياه الأمطار لكن مناخه المتوسطي وشبه الجاف يتميز بعدم انتظام تساقطاته من سنة لأخرى وشحها المتزايد في السنوات الأخيرة، مما يهدد حياته الفلاحية. ويلاحظ أن معدلات الأمطار تتناقص من الشمال إلى الجنوب الشرقي إذ تبلغ معدلاتها 800 ملم في شبه الجزيرة الطنجية، بل تتعدى 1000 ملم بجبال الريف الغربي وتصل أعلاها في جبل أوتكا 1700 ملم، وتتراجع بالشرق والجنوب إلى 300 ملم باستثناء بعض المناطق الجبلية. وتندر وراء سلاسل الأطلسين الكبير والصغير. وتسقط الأمطار متركزة في المكان والزمان : أربعة أشهر في المناطق الشمالية الغربية وشهران في المناطق الوسطى وبضعة أيام في الجنوب. وتفيد الدراسات أن المغرب يتلقى كمعدل سنوي

حوالي 150 مليار $م^3$ . من مياه الأمطار في السنة يمكن أن تصل في بعض السنوات الوفيرة الأمطار إلى 400 كما تتقلص في السنوات الجافة إلى حوالي 50. يضيع منها بالتبخر 80٪ لكن تستفيد منها المزروعات الحولية والأعشاب والأشجار خاصة الغابوية. ويمثل معدل الكمية التي تجري على السطح أو تتسرب إلى باطن الأرض 20٪ أي حوالي 30 مليار $م^3$ . وقدر معدل المياه الجارية بالسيول والوديان والأنهار بـ 22,5 مليار $م^3$ / سنة. لكن الكمية القابلة للتعبئة لا تتجاوز 16 مليار $م^3$. ويلاحظ أن 85٪ من المياه تتركز بالمنطقة الشمالية الغربية، وأن الواجهة الأطلنتيكية الشمالية والوسطى تستأثر بـ 73,70٪ من المياه الجارية. وأن مياه ثلاثة أحواض نهرية هي سبو وأم الربيع واللكوس تمثل 57٪ من إجمال معدل الجريان السنوي بالمغرب، مع أن مساحة أحواضها لا تمثل إلا 20٪ من الأحواض النهرية المغربية.

ويستبعد حاليا إحصاء مياه البحيرات والمستنقعات إما لموسميتها أو لقلة مخزوناتها إذ من الواضح أن مياه البحيرات الإصطناعية المتكونة وراء السدود تفوق كثيرا مياه البحيرات الطبيعية. وتساهم مياه السدود المقامة على مختلف الوديان والأنهار بري 70٪ من المساحة المزروعة.

لائحة أهم المجاري المائية

| المناطق | التصريف السنوي بمليار $م^3$ | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| **المنطقة المتوسطية :** | | |
| واد كرت | 0,900 | |
| واد النكور ـ غيس | 0,266 | |
| وادي مرتيل | 0,568 | |
| واد لاو | 0,593 | |
| أحواض نهرية أخرى | 0,915 | |
| المجموع | 3,242 | 14,5 |
| **المنطقة الأطلنتيكية :** | | |
| واد سبو | 6,610 | |
| واد أم الربيع | 4,500 | |
| واد اللكوس | 1,630 | |
| واد بورقراق | 0,662 | |
| واد تانسيفت | 1,200 | |
| أحواض نهرية أخرى | 1,880 | |
| المجموع | 16,482 | 73,5 |
| **المنطقة الشرقية :** | | |
| واد ملوية | 1,260 | |
| أحواض نهرية أخرى | 0,164 | |
| المجموع | 1,424 | 6,3 |
| **منطقة جنوب شرق الأطلس الكبير :** | | |
| واد زيز ـ غريس | 0,432 | |
| واد گير | 0,240 | |
| واد درعة | 0,020 | |
| أحواض نهرية أخرى | 0,020 | |
| المجموع | 0,712 | 3,2 |
| **منطقة جنوب غرب الأطلس الكبير :** | | |
| واد سوس | 0,315 | |
| واد ماسة | 0,155 | |
| أحواض نهرية أخرى | 0,088 | |
| المجموع | 0,558 | 2,5 |
| **المنطقة الصحراوية :** | | |
| الساقية الحمراء | | |
| وواد الذهب | 0,000 | 0,0 |
| المجموع العام | 22,418 | 100 |

المياه الباطنية :

تبقى إحصائياتها محدودة لأنها لا تتناول سوى المياه الدورية أي المتجددة بمياه الأمطار المتسربة، بينما تهمل احتياطات مائية أخرى عميقة كالمياه الأحفورية بمختلف الطبقات الجيولوجية التي تصل إلى عمق 3000 م فأكثر وتكون عادة مشبعة بمختلف الأملاح المعدنية مما يحد من صلاحيتها للاستهلاك. ولم تجر دراسة وتصنيف المياه الجوفية سوى على طبقات لا يزيد عمقها عن 200 م. وأثبتت الدراسات أن الثروة السنوية المتجددة القابلة للاستغلال تصل إلى 10 $م^3$ يتدفق منها إلى السطح على شكل عيون مستقلة أو مرتبطة بمنابع الأنهار2,5 مليار $م^3$، تستمد مياهها من خزانات مائية طبيعية بالأطلسين المتوسط والكبير المتميز بصخور مسامية وكلسية. كما يضيع من هذه الثروة حوالي 2,5 مليار $م^3$ بالتبخر والتسرب إلى البحر خاصة، ولا يبقى منها قابلا للتعبئة عن طريق الآبار والأثقاب سوى 5 مليار م3. ويستبعد حاليا من الإحصاء 2 مليار $م^3$ من المياه الملحية المرتبطة بخزانات صخور الترياس المشهورة بأملاحها في المغرب. وتفيد الدراسات أن أغنى الفرشاة الباطنية توجد بالواجهة الأطلنتيكية الشمالية والوسطى التي تستأثر بحوالي 58٪ منها، تليها الواجهة الأطلنتيكية الجنوبية (سوس) 19٪ . واحتياطات المجال الجبلي الأطلسي بأوديته وأحواضه الداخلية 4٪ . أما الجهة الصحراوية فلا تمثل احتياطاتها إلا حوالي 2٪. وتساهم المنشآت المستغلة للمياه الجوفية سواء منها التقليدية أو العصرية في ري حوالي 30٪ من المساحة المسقية. ويستغل من هذه الثروة حاليا 3,5 مليار $م^3$.

تتكون مخزونات الفرشة المائية من تسرب مياه الأمطار والجريان السطحي طيلة قرون بل آلاف السنين، وهي لا تتجدد بسرعة، فما يؤخذ منها حاليا في السنة يفوق كثيرا ما تستقبله خاصة في سنوات الجفاف. فنسبة التعويض سالبة، تتعدى مثلا 80 مليون م$^3$ سنويا في سهل سوس. وتختزن معظم المياه الجوفية في صخور مسامية بالجبال أهمها الكلس والحث، أما في السهول والهضاب فتتكون الخزانات من رواسب ترابية مرتبطة بإرسابات الزمن الرابع يختلف سمكها من 15 ملم بتافيلالت و20 بالشاوية السفلى حول برشيد و30 في غابة معمورة إلى 200 ملم في عين بني مطهر و300 ملم في سايس أما بالحوز الأوسط فإن الطبقة المسامية الخازنة للمياه تتكون من رواسب الزمن الرباعي والبليوسين الأعلى يتباين سمكها من جهة لأخرى ما بين 20م إلى 150 م في مجاري الوديان القديمة. ويلاحظ أن استعمال الضخ الآلي والتوسع الكبير في حفر الآبار : 7000 في الحوز الأوسط و6000 في قطاع بني موسى و2600 في قطاع بني عمير بسهل تادلة، أدى إلى استنزاف الفرشة المائية وانخفاض مستواها بعشرات الأمتار. وقد لوحظ منذ 1980 أن مستوى المياه الجوفية بسايس ينخفض بـ 15 - 60 سم سنويا، وحول مدينتي مكناس وفاس : 2 م في السنة مما جعل مستوى المياه ينخفض بحوالي 27 م. أما في وسط سهل سوس فإن معدل الانخفاض هو 1 م السنة، وبحوض ملوية السفلى 70 سم في السنة. ونقصت الفرشة المائية بتافيلالت والشاوية السفلى بالثلث... ولا يستثنى من ذلك سوى فرشة ثانوية ساحلية بالريف وبالمعمورة فهي التي بقيت مستقرة، لكنها تخفي جزئيا انخفاضا يعوض بتسرب مياه البحر.

تراث أصيل في أنظمة الري :

يتميز المغرب بتجربة تاريخية غنية في إعداد المجالات المسقية، فقد كان ضبط استغلال المياه من أولويات اهتمام الفلاحين بالمغرب، الذين أبدوا براعة في ابتكار تقنيات حاذقة للسيطرة على مياه العيون والسيول والأنهار والمياه الجوفية، فأقاموا الحواجز لتحويل قسم من المياه الجارية إلى سواقي لري حقولهم كما أقاموا سدودا لخزن مياه السيول وصهاريج لجمع مياه العيون وحفر الآبار أينما توفرت فرشة مائية غير عميقة وأنشأوا الخطارات على طول كيلمترات لإخراج المياه الجوفية إلى سطح الأرض وأقاموا على الآبار تجهيزات متنوعة، من دلو صغير أو كبير (أغرور) تجذب الدواب حباله وناعورات، وحفروا مئات الكيلمترات من السواقي بكل إقليم زراعي لجلب المياه إلى حقولهم وتزويد قراهم بالماء الشروب.

وكثيرا ما أنشأوا تنظيمات اجتماعية قبلية تستجيب خاصة لإدارة واستغلال ثرواتهم المائية، فسنوا قوانين وأعراف لتنظيم أعمال الصيانة والتوزيع وحل المشاكل الطارئة وإنجاز مشاريع مائية جديدة. كما أن الأسر الحاكمة التي توالت على حكم المغرب بذلت مجهودات كبيرة لإقامة منشآت مائية متنوعة تتمثل في صهاريج كبرى بضواحي المدن لخزن مياه فياضانات الربيع إلى الصيف وأقاموا حواجز كبرى صلبة لتغذية سواقي تاريخية بلغ طول بعضها عشرات الكيلمترات. وكان لكل منظومة مائية أمناؤها ومدبروها الذين تنتدبهم الجماعة المحلية للإشراف على كل ما يهم صيانتها وتوزيع مائها حسب حقوق كل مستفيد التي تخضع عادة لأعراف محلية أكثر من خضوعها لقوانين الشريعة. كما عملت الجماعات المحلية والأسر الحاكمة على توسيع المساحات المسقية خاصة حول المدن التاريخية التي كان لكل منها نطاق من البساتين يعرف بالحوز. وقد بلغت المساحات المسقية بشكل مستمر بأساليب الري التقليدي في مطلع القرن العشرين 200.000 هـ يضاف إليها حوالي 250.000 هـ تسقى موسميا أو عرضيا بمياه الفيض.

أحمد هوزالي

**ماء العينين** (الأسرة والزاوية)، أسرة مغربية أصيلة لمع نجمها ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي في أقاليم المغرب الصحراوية على يد مؤسسها الشيخ ماء العينين المتوفى بتزنيت سنة 1328 / 1910. وهي أسرة شريفة ينتهي نسبها إلى الرسول (ص) كما حققه كثير من النسابة والمؤرخين الذين اهتموا بتأصيل نسبها. اشتهرت هذه الأسرة بعطائها العلمي ومساهمة علمائها في إغناء الخزانة العربية الإسلامية، حيث استقطبت زاويتها الأم بالسمارة كثيراً من علماء شنقيط وغيرها، فكانت مركزاً علمياً متميزاً في الجنوب المغربي ومدرسة لها خصوصياتها ومميزاتها وامتداداتها. كما اشتهرت أيضاً بتمسكها بالوحدة ومقاومتها للمستعمر ومواقفها الوطنية الصلبة، فكانت في مقدمة الأسر المغربية التي وقفت في وجه الاحتلال الأجنبي للمغرب وقاومته بالقلم والسلاح في الداخلة سنة 1884 و والمينان ودامان في بداية القرن العشرين، وتادلة سنة 1910 وسيدي بوعثمان سنة 1912 وكردوس سنة 1933 وتافدارت سنة 1957 ، وغيرها من المعارك التي خاضها أبناؤها في مواجهة الاحتلال الأجنبي للمغرب. لم ينحصر حضور هذه الأسرة داخل مدينة اسمارة التي أسسها الشيخ ماء العينين بتعاون مع ملوك المغرب لأغراض علمية وجهادية، ولكنه امتد خارج الصحراء عن طريق أبناء الشيخ ماء العينين ومريديه وأحفاده الذين تفرقوا في بلاد سوس والمشرق وجنوب الصحراء، وخاصة بعد الهجوم الفرنسي على اسمارة وتخريبها سنة 1913. وإلى جانب العلم والجهاد اشتهرت هذه الأسرة بالتصوف، فكانت زواياها المنبثة على امتداد التراب المغربي في اسمارة والصويرة ومراكش وسلا ومكناس ووجدة وبني أنصار وغيرها مدارس تربوية أصيلة يجتمع فيها المريدون والسالكون لإصلاح أحوالهم الظاهرة والباطنة وتلقي العلوم المختلفة.

ويمكن أن نميز في تاريخ هذه الأسرة بين ثلاثة مراحل، هي :

أولاً : الطور الذهبي، ويمتد من سنة 1274 / 1857 إلى سنة 1934.

وينقسم إلى مرحلتين تاريخيتين :

أ - مرحلة البناء الاجتماعي والثقافي والسياسي، وتمتد من ظهور هذه الأسرة بالصحراء إلى سنة 1318 / 1900، وتتميز بمجموعة من المشاريع التي قام بها الشيخ ماء العينين في الجنوب المغربي منها، إصلاح المجتمع الصحراوي وإعادة بنائه الثقافي والاجتماعي والسياسي، ومنها تنظيم حركة الجهاد وتطهير بعض الثغور من الوجود الأجنبي مثل الداخلة وطرفاية وأدرار وتندوف وغيرها. وقد اعتمد الشيخ ماء العينين في تحقيق هذه المشاريع على الرصيد النضالي للفكر الإسلامي، وما يقوم عليه من اهتمام بوحدة الجماعة الإسلامية وحمايتها مما يهددها من أخطار داخلية وخارجية، فعاد إلى الأصول الإسلامية وأخذ يستلهم منها ما تفرضه المرحلة التاريخية من جهاد النصارى ومعاداتهم ومقاطعة كل ماله علاقة بهم، والتمسك بالقيم الإسلامية الأصيلة والتشبث بها لمواجهة التحديات الأجنبية، فحقق مجموعة من الانتصارات السياسية التي أفشلت المخططات الاستعمارية في الجنوب المغربي وأكدت فعالية الإسلام النضالية، غير أن انتقال الرأسمالية الأوربية إلى المرحلة الأمبريالية وما أعقبه من تحولات في العلاقات الدولية، واعتماد هذه الأسرة وغيرها من الأسر المجاهدة على وسائلها الدفاعية التقليدية وتآمر بعض الخونة عليها، لم يفسح لها المجال لإكمال مشاريعها الإصلاحية وتحقيق مقاصدها التحررية، فما كاد الشيخ ماء العينين يختفي من مسرح الحياة السياسية سنة 1910 حتى دخلت مرحلتها الثانية.

ب - مرحلة الجهاد المقدس. وتمتد من سنة 1910 إلى سنة 1934 ، وتتميز بمجموعة من الأحداث الكبرى التي غيرت مجرى تاريخ هذه الأسرة، منها :

1 - تغيير المواقع من الصحراء إلى سوس، وذلك بعد مغادرة الشيخ ماء العينين وأتباعه مدينة اسمارة. واستقراره بمدينة تزنيت بأمر من السلطان مولاي عبد الحفيظ.

2 - زحف الحشود الصحراوية بقيادة الشيخ ماء العينين نحو الشمال لاسترجاع المناطق المغربية التي احتلها الفرنسيون.

3 - وفاة الشيخ ماء العينين سنة 1910، ذلك بعد فشل حركته في تحقيق أهدافها العسكرية خلال حملتها نحو فاس.

4 - تنصيب الشيخ أحمد الهيبة أميراً للجهاد بتزنيت وتحريره لمراكش وعدم صمود قواته في الدفاع عنها بسبب تحالف الفرنسيين مع بعض القواد واضطراره للتراجع إلى تزنيت.

5 - وفاة الشيخ أحمد الهيبة سنة 1919، وتولي أخيه الشيخ مربيه ربه أمور الجهاد بالأقاليم الجنوبية في تزنيت ووجان وكردوس وغيرها.

6 - استكمال إسبانيا وفرنسا لمشروعهما الاستعماري في المغرب وذلك باستيلاء إسبانيا على مجموع الصحراء الغربية، وتصفية الحركة الجهادية المعينية سنة 1934 وتشتت جهودها.

ثانياً : دور الارتكاس. ويمتد من سنة 1934 إلى سنة 1956. وقد عرفت أسرة الشيخ ماء العينين خلاله تمزقاً كبيراً وذلك بعد ضرب الحركة الجهادية في الجنوب المغربي وتصفية آخر معاقلها في كردوس سنة 1934، حيث تفرق أبناؤها في سوس والصحراء وبلاد شنقيط وغيرها، وفرضت على بعضهم الإقامة الجبرية مثل الشيخ محمد اللحسن (حسنّ) وغيره، وظلوا يقاسون الأمرين من القهر الاستعماري إلى أن تم التحاقهم بإخوانهم في الأقاليم الشمالية المغربية.

ثالثاً : طور الانتعاش ويمتد من سنة 1956 إلى ما بعد المسيرة الخضراء. ويتيمز بانخراط أبناء هذه الأسرة في حركة المقاومة وبناء المغرب المستقل وعودة اندماجهم في الحياة العامة المغربية.

ويقدر أفراد هذه الأسرة التي أصبحت من قبائل الصحراء المغربية بحوالي 5.000 نسمة يتوزعون على مختلف المناطق المغربية ناهيك عما هو خارج المغرب. ظل ولاء هذه الأسرة لملوك المغرب منذ زمن الشيخ ماء العينين الذي عينه السلطان مولاي الحسن الأول نائبا عنه في الصحراء، واستمر هذا الولاء عن طريق نائب خليفة السلطان بالصحراء الشيخ محمد الأغظف الذي كان من أوائل شيوخ الصحراء الذين بايعوا محمد الخامس سنة 1956 على رأس القبائل الصحراوية بعد رجوعه من المنفى.

ولا تزال هذه الأسرة تحافظ على رأسمالها الرمزي الذي أسسه الشيخ ماء العينين، ولا يزال أبناؤها يحظون بنفس التقدير والاحترام الذي كانوا يتمتعون به زمان جدهم ويحافظون على القيم التي كان يؤمن بها ويخلص في نشرها والدفاع عنها :

من أبرز المصادر التي اهتمت بالتعريف بأعلام هذه الأسرة :

*مذكر الموارد بسيرة ماء العينين ذى الفوائد* ، لمحمد تقي الله ابن الشيخ ماء العينين المتوفى سنة 1320، وهو منظومة تتبع فيها مناقب والده الشيخ ماء العينين ، وقد طبعت على الحجر بفاس سنة 1316.

**ماء العينين**، أبو **بكر** حفيد الشيخ ماء العينين. ولد سنة 1335 / 1927 بكردوس. تلقى تعليمه على يد مجموعة من علماء الصحراء منهم والده الشيخ مربيه ربه وعمه الشيخ محمد الإمام وماء العينين بن العتيق وغيرهم. شارك في حركة التحرير الوطنية التي عرفتها أقاليم المغرب الجنوبية رفقة مجموعة من رفاقه في الكفاح مثل العبادلة بن الشيخ محمد الأغظف ومحمد سيداتي هيبة وغيرهم. بعد استقلال أقاليم المغرب الشمالية تقلب في عدة مناصب قضائية في

الصويرة وأسفي والعيون وغيرها. توفي سنة 1990. ودفن بجانب والده الشيخ مربيه ربه بتافدارت. خلف عدة أشعار معظمها في الدفاع عن وحدة المغرب نشر بعضها بجريدة *صحراء المغرب*.

**ماء العينين، أم الفضل** بن الشيخ سيداتي ولدت سنة 1940 بالعيون. قدر الله أن تهبه روحها الزكية وهي التي عاشت وتربت في بيت عرف عن مُعيله كامل البطولة والشهامة الشجاعة، إنها بنت ماء العينين الشيخ سيداتي بن الشيخ الولي الذي لا زالت مواقع الصحراء المغربية ورجالاتها يشهدون له بأعماله الفدائية والوطنية.

ولطالما اشتركت وساهمت بجانب والديها وإخوانها في جلساتهم مع مقاومي المنطقة وقواد جيش التحرير بالمنطقة الصحراوية وكذا في القيام بأعمالهم الجليلة في سبيل قضية الوطن الكبرى.

وطبيعي أن يكون مصيرها شبيها بمصير كافة أفراد عائلتها التي ضربت مثالا حيا في الشهامة والشجاعة فقد وافتها المنية في إحدى غارات الطيران الإسباني على المنطقة حيث سقطت شهيدة سنة 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاومة رقم 503892.

**ماء العينين** بن **الحضرام** بن **محمد** الأمين. ولد بگريزم بموضع يبعد عن اسمارة بخمسة عشر كيلمتر شمالا، وأخذ العلم على يد مجموعة من أساتذة مدرسة جده الشيخ ماء العينين منهم والده الشيخ الحضرام.

له مشاركة في كثير من العلوم والفنون، وخاصة في التاريخ والسير والأنساب والشعر من أبرزها مساجلاته مع أدباء سوس. تقلد خطة القضاء بمدينة العيون سنة 1937 وبقي بها حتى سنة 1944 حيث وافته منيته، فدفن بتافدارت.

له عدة مؤلفات من أبرزها كتابه : "*إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخ ماء العينين*" وهو مخطوط.

**ماء العينين، شبيهن محمد** الأمين، يلقب بشبيهن لشبهه بوالده الشيخ ماء العينين. ولد سنة 1280 / 1863 اعتنى والده بتربيته فنبغ في كثير من العلوم والفنون وخاصة في العقائد والفقه والأسرار والسيرة والشعر. توفي في 24 صفر سنة 1351 / 1932 في كدروس معقل الشيخ أحمد الهيبة في سوس. خلف أشعاراً كثيرة معظمها في مدح والده الشيخ ماء العينين، ويتميز شعره بطابعه البدوي ولغته الجزلة، وذلك لخبرته باللغة العربية وتمرسه بمعاجمها.

**ماء العينين** بن **الطالب إبراهيم** سبط الشيخ ماء العينين. كان له حظ وافر من العلوم والآداب، فقهاً ونحواً وطباً وتاريخاً وشعراً، آزر خاليه الشيخ أحمد الهيبة والشيخ مربيه ربه في مقاومتهما لفرنسا. كما شاركهما في الندوات والمساجلات الأدبية التي كانا يعقدانها للعلماء والأدباء في سوس استشهد إثر الهجوم الفرنسي على كردوس.

**ماء العينين، الطالب أخيار** ابن الشيخ ماء العينين ولد سنة 1291 / 1874 بالساقية الحمراء. اعتنى والده بتربيته عناية خاصة. ولما لمس فيه القدرة على تحمل المسؤولية لقبه بالشيخ وبعثه لبلاد القبلة لنشر الطريقة المعينية. استوطن في آخر حياته بلاد القبلة، وظل بها ينشر الطريقة المعينية إلى أن توفي في مدينة اندر من بلاد السنگال سنة 1362 / 1943.

له تآليف عديدة وأشعار متنوعة في مدح النبي (ص) ومدح والده الشيخ ماء العينين. مازالت في أغلبها رهينة الصناديق ورفوف الخزانات الخاصة كغيرها من باقي الإنتاج المعيني.

**ماء العينين، العبادلة** من رموز الحركة الوطنية الذين قاوموا المستعمر في أقاليم المغرب الجنوبية منذ أواخر سنوات الأربعين من القرن الماضي. ولد سنة 1338 / 1925 بتافودارت بوادي العبادلة قرب العيون. تلقى في بداية مسيرته الدراسية تكويناً أصيلا على يد كبار شيوخ مدرسة جده الشيخ ماء العينين، منهم والده الشيخ محمد الأغظف ومحمد أحمد ولد أحمد وماء العينين ابن الحضرام وغيرهم. بعد حفظه للمتون وإتقانه للعلوم الشرعية والأدبية بعثه والده الشيخ محمد الأغظف إلى تطوان لتحصيل العلوم العصرية، فاتصل بها بمجموعة من الوطنيين مثل عبد الخالق الطريس والمكي الناصري وأحمد معنينو والحاج محمد بن العربي بنونة ومحمد الطنجي ومحمد بن العربي الزگار وغيرهم، وتأثر بأفكارهم ومواقفهم الوطنية، بعد استكمال دراسته العليا عاد إلى الصحراء وسخر كل طاقته لخدمة القضية الوطنية، فأشرف على فتح عدة مكاتب لحزب الاستقلال في العيون والسمارة وطرفاية وطنطان وغيرها. شارك في مختلف المؤتمرات المحلية والدولية التي تناولت قضية الصحراء، كمؤتمر أم الشگالص سنة 1956 وبوخشيبية سنة 1958، والجمع العام لهيئة الأمم المتحدة سنة 1966، وغيرها. ومن أبرز أعماله إلى جانب نضاله داخل حزب الاستقلال وجيش تحرير الجنوب، جمعه الأطفال المنحدرين من الأقاليم الجنوبية البالغين سن التمدرس وإدماجهم بتنسيق مع رجال المقاومة وجيش التحرير في المدارس الوطنية في تارودانت ومراكش والدار البيضاء والرباط وتفراوت وغيرها من المدن المغربية. توفي في حادثة سير يوم الثلاثاء 27 ربيع الثاني عام 1396 أبريل 1976 وهو متجه من تارودانت إلى إغرم. ودفن بطنطان. خلف مجموعة من الأشعار الفصيحة والحسانية والمقالات والخطب. وقد نظمت المندوبية السامية للمقاومة

حوله ندوة علمية تكريمية يومي 20 ـ 21 مارس بالرباط قدمت فيها مجموعة من المساهمات العلمية حول شخصيته وعطاءاته الوطنية.

محمد الظريف، في ـ *تحقيق الرحلة المعينية*، ص. 92، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه، 1988 ؛ *الحياة الآدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 495 ، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه، 2003.

Gaudio Attilio, *Le Dossier du Sahata Occidental,* p. 89.

**ماء العينين، عبدات** بن **محمد** عبد الوهاب ابن الشيخ ماء العينين. ولد في رمضان سنة 1301 / 1883. أخذ العلم عن والده الشيخ ماء العينين وغيره من أساتذة السمارة وشيوخها. لما امتدت يد المستعمر لاقتطاع الساقية الحمراء ووادي الذهب من الخريطة المغربية هاجر إلى قرية طانطان، وظل بها ينشر طريقة والده.

خلف بعض الآثار الأدبية والعلمية منها :

ـ كتاب في الفقه وآخر في شرح نظم والده المسمى *كفاية النبيه في فرض العين*.

ـ مجموعة من القصائد في مدح والده الشيخ ماء العينين.

توفي في 23 من رمضان سنة 1368 / 1948.

**ماء العينين، عبد السلام** بن الشيخ **مفتاح**. سبط الشيخ ماء العينين وابن ولد أخيه : السيد محمد مفتاح الخير بن الشيخ الطالب أبي بكر. ولد في اسمارة سنة 1327 / 1909 قبيل انتقال آل الشيخ ماء العينين إلى تزنيت، حفظ القرآن ومبادئ العربية على يد أمه السيدة آمنة الشفا (ت. 1339 )، وهي من بنات الشيخ ماء العينين العابدات الصالحات. تلقى تكوينه العلمي والأدبي على يد شيوخ المدرسة المعينية ويعرف بالشام. له أشعار كثيرة تتناول مواضيع متنوعة من وصف ورثاء وغزل وإخوانيات ووطنيات نشرت بعضها في جريدة *"صحراء المغرب"* و *"صحراؤنا"* وبعضها لا يزال مخطوطا بخزانة ابنه المرحوم عمر الشام.

توفي سنة 1987.

**ماء العينين** بن **العتيق** سبط الشيخ ماء العينين من بنته السيدة العالية ولد سنة 1306 موافق سنة 1888 بالساقية الحمراء في بيت علم وورع وصلاح، فكان لذلك أثر كبير في تكوين شخصيته.

تلقى العلم على عدد كبير من أساتذة الزاوية المعينية وشيوخها منهم جده الشيخ ماء العينين الذي أجازه في القرآن، ومحمد العاقب بن مايابا الجكنى العالم الأصولي وغيرهما من علماء الصحراء.

لم تشغله اهتماماته العلمية عن المشاركة في الأحداث الكبرى التي عاشها المغرب خلال عهد الحماية، فكان دائم الاتصال برجال الحركة الوطنية في تطوان وسلا ومراكش وغيرها من المدن المغربية. وبمجرد الإعلان عن استقلال المغرب سنة 1956 قدم إلى الرباط ضمن الوفود الصحراوية التي توالت على القصر الملكي لتجديد الولاء والبيعة لجلالة الملك محمد الخامس فعين أستاذاً بالكلية اليوسفية بمراكش. وظل يدرس بها إلى أن توفي في 26 من رجب سنة 1376 موافق سنة 1957. خلف أعمالاً أدبية وعلمية متنوعة منها :

ـ *بحور البدائع المحتوية على درر الأشعار المصطفوية*، وهو ديوان يضم بعض منتخبات الشيخ مربيه ربه في بعض فنون الشعر العربي.

ـ *البغية من ملخص الأحكام الشرعية على المستمد من مذهب المالكية*، وهي منظومة فقهية تتألف من 980 بيت.

ـ *تحفة المكاتب بقراءة شيخنا الشيخ ماء العينين لحزبه الراتب* ، وهو كتاب استوعب منه أحوال الشيخ ماء العينين كلها، العادية والعبادية، وخاصة كيفية قراءته للحزب.

ـ *ديوان* ضخم يتجاوز ثلاثة الآف بيت، يتناول معظم موضوعات الشعر العربي.

ـ رحلة حجازية، وتعرف *"بالرحلة المعينية"*، وقد تم تحقيقها وإخراجها ضمن منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه.

ـ *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان* وهو كتاب ضخم في مناقب الشيخ ماء العينين.

ـ كتاب في محاضراته ومساجلاته مع بعض علماء وشعراء فاس ومكناس ومراكش وسلا والرباط والدار البيضاء.

ـ *مسرح الأفكار بسيره النبي المختار*، وهي منظومة في السيرة النبوية.

ـ *مطالع الأنوار في مديح المختار*، وهو ديوان في مدح الرسول (ص).

محمد الظريف

**ماء العينين، محمد الإمام** الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين : "العالم الألمعي، الأوحد الأريحي، صاحب الأسرار الربانية والفتوحات العرفانية، أنف عاطس الأدباء الأعلام، نخبة النخباء الهمام، البركة الشيخ محمد الإمام، قام من نشأته حلف المعالي، يأخذ منها، ويروي عنها، مترقيا درج المعالي ونظره إلى ما لم يصعد منها، حتى تسنم ذراعا وتمسك بأوثق عراها، فكان شاعراً ناظماً ناثراً، فصيح العبارة، بليغ الإشارة، لين العريكة، كثيرا ما يقابل السيئة بالحسنة قال تعالى : "إدفع بالتي هي أحسن" وله أشعار كثيرة، ومنظومات ومحاضرات تنبئ عن جودة قريحته في المعقول، وطول باعه في مطالعة المنقول".

ولد الشيخ محمد الإمام سنة 1310 الموافق لسنة 1893 في مدينة السمارة التي بناها والده الشيخ ماء العينين بالصحراء المغربية ودشنت أول مشروع حضري في المنطقة

ونشأ في بيئة علم ودين وصلاح ساهمت بدور فعال في تكوين شخصيته العلمية والدينية والسياسية والأدبية.

بدأ تعليمه الأولي على يد والده الشيخ ماء العينين الذي أولاه عناية خاصة وظل يرعاه ويكلأه وكان هو بدوره " لا يغادره ولا يفتر عن مجالسته صحبة العلماء والأولياء والعظماء الواردين على الشيخ من كل حدب وصوب".

في سنة 1327 الموافق لسنة 1909 غادر مدينة السمارة صحبة والده الشيخ ماء العينين إلى مدينة تيزنيت بسبب الحصار الشديد الذي فرضته القوات الاستعمارية عليه تقديرا لمواقفه الوطنية. وفي سنة 1328 الموافق لسنة 1910 توفي والده الشيخ ماء العينين، فانتقل إلى قرية وجان التي قضى بها خمس سنوات، ومنها انتقل إلى قرية آيت الرخا إلى سنة 1352 الموافق لسنة 1934 ، حيث غادرها إلى قرية تكنفل ثم قرية إكيسل التي مكث بها مدة طويلة ومنها انتقل إلى مدينة إفني وقام فيها بأدوار طلائعية على المستوى الأدبي والفكري والديني والسياسي. فقد تولى رئاسة الشؤون الدينية الإسلامية بقبائل آيت باعمران والصحراء المغربية بأمر من خليفة السلطان في تطوان مولاي الحسن بن المهدي. ثم تولى رئاسة رابطة علماء شنقيط وإماما في المسجد الكبير. "بالإضافة إلى مهامه السياسية المتجلية في تأطير السكان وبث الروح الوطنية" وانشغاله بالجانب العلمي الذي يتجلى في الاهتمام بمدرسته العلمية التي كانت تدرس لطلابها سائر العلوم من فقه وحديث وأصول وبلاغة وفرائض ونوازل ونحو وصرف وبيان وتاريخ وأدب وسيرة نبوية. وكان الطلاب يقصدونها من مختلف الجهات.

في سنة 1956 انتقل إلى مدينة تيزنيت ومنها توجه مع أول وفد يضم القبائل الصحراوية والباعمرانية إلى الرباط لتجديد البيعة والولاء لجلالة الملك محمد الخامس الذي عينه ضمن الوفد الرسمي المتوجه إلى الديار الحجازية بعد استقلال المغرب.

ولما تأسس المجلس الوطني الاستشاري بتاريخ 6 ربيع الثاني سنة 1376 الموافق لـ 15 . 11 . 1956 عينه جلالة الملك محمد الخامس عضوا فيه ممثلا للصحراء المغربية.

لقد انبثقت عن المجلس ثلاث لجان، اللجنة السياسية واللجنة الاجتماعية واللجنة الاقتصادية وكان الشيخ محمد الإمام عضوا في اللجنة الاجتماعية مع تدخلاته المستمرة في بقية اللجان الأخرى كلما كان الموضوع يتعلق بأقاليمنا الصحراوية المغتصبة".

توفي بمدينة تيزنيت يوم الجمعة 13 غشت سنة 1970 وشيعته جموع غفيرة من أبنائه وتلامذته وطلبته وعائلته وأصدقائه.

الشيخ مربيه ربه، *قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين*، ص. 175 ، مخطوط، خزانة ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ ماء العينين ماء العينين، *صاحب الجأش الربيط الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين*، ص. 49، الدار البيضاء، 1985 ؛ جعفر بن أحمد الناصري، *المحيط بالمهم من صحراء المغرب وشنقيط*، ص. 473، مخطوط، الخزانة الصبيحية، سلا ؛ *جريدة العلم*، السنة 11 ، العدد، 2176 بتاريخ 20 . 05 . 1956 ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، ص. 277.

ماء العينين النعمة علي

**ماء العينين، محمد الأمين** الولي ابن الشيخ. ولد يوم الثلاثاء 27 جمادى الثانية عام 1291 / 1873. تلقى العلم على يد أساتذة مدرسة والده بالصحراء كالشيخ الحضرام بن الشيخ محمد الأمين الذي أجازه في القرآن ووالده الشيخ ماء العينين الذي أقرأه جل العلوم. اشتهر بالورع والعبادة والجهاد، فكان من أوائل المجاهدين الذين شاركوا في مقاومة التدخل الأجنبي في بلاد شنقيط رفقه أخيه الشيخ محمد الحسن ومحمد عبد العزيز بن حامّنٍ ومولاي الحسن بن إدريس وغيرهم. اجتمع حوله مئات الأتباع في تيرس، فكانت مضاربه ملتقى للعلماء والأدباء والمريدين، مثلما كان والده الشيخ ماء العينين. خلف عدة تآليف ومنظومات وأشعار لا تزال مخطوطة، توفي يوم الخميس 5 ربيع الثاني عام 1374 بفديرك قرب الزويرات ودفن هناك.

**ماء العينين، محمد المصطفى** بن الشيخ محمد فاضل بن مامين الملقب بماء العينين، وهو لقب اشتهر به عند كافة أهل العلم والمعرفة في زمانه وبعد وفاته، ولا يعرف بغيره. ولد يوم الثلاثاء 27 شعبان سنة 1246 / 1830 في مدارة بقبيلة صنهيص بالحوض بمكان يعرف بالخط. اعتنى والده الشيخ محمد فاضل بن مامين بتربيته عناية كبيرة، ولما بلغ الثامنة والعشرين من عمره شد الرحال إلى الديار المقدسة لأداء مناسك الحج، فاتصل في طريقه بالسلطان مولاي عبد الرحمن في مكناس سنة 1274 . وظل هذا الاتصال مستمراً بينه وبين باقي ملوك المغرب ورجال المخزن طيلة زمن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ومولاي الحسن الأول

ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ، فكان يفد عليهم باستمرار ويتشاور معهم في شؤون الجنوب المغربي ويحظى بعناياتهم ورعايتهم، وقد عينه السلطان مولاي الحسن خليفة له فيما وراء سوس بظهير سلطاني. بعد أدائه لمناسك الحج اتصل مرة ثانية بالسلطان مولاي عبد الرحمان، كما قام بزيارة آل الأعمش بتندوف وأحمد ولد عايدة أمير أدرار ومحمد الكنتي. وفي سنة 1286 / 1869 ، وبعد مساكنته للعروسيين ومصاهرته لهم مدة غير يسيرة ارتحل إلى تيرس وسكن باديتها مدة طويلة. وفي سنة 1290 / 1873 أرسل إليه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان فلقيه في مدينة مراكش، وأكرمه ووعده بفتح زاوية له هناك. وفي سنة 1302 /1884 بدأ نشاطه الجهادي ضد الوجود الأجنبي في الصحراء المغربية، فبعث أتباعه لضرب المواقع الإسبانية في الداخلة وملاحقة المبشرين والرحالة الأجانب في الأقاليم الصحراوية. وبعد زيارته لأهله في الحوض سافر إلى مراكش لمقابلة السلطان مولاي الحسن، فأكرمه وأسند له النظر في شؤون الأقاليم الصحراوية. وفي سنة 1314 / 1896 استقدمه السلطان مولاي عبد العزيز إلى مراكش فأكرمه غاية الإكرام وفتح له زاوية بمراكش، وخلال هذه الزيارة شفع لكل من الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني والفقيه السباعي لدى لسلطان وأخرجهما من محنتهما. وابتداء من سنة 1316 / 1898 ، وبعد ارتفاع الضغط الأجنبي على الجنوب المغربي، توالت زياراته للسلطان مولاي عبد العزيز خلال سنوات 1317 /1318 ـ 1319 / 1320 ـ 1322 / 1324. للتنسيق معه في أمر الجهاد، وأقام خلال زياراته مجموعة من الزوايا في سلا وفاس ومكناس والصويرة وغيرها من الحواضر المغربية. وفي سنة 1321 / 1903 انتقل إلى مدينة اسمارة بعد الانتهاء من بنائها، فصارت مركزاً اقتصاديا وثقافيا وسياسيا مهما في مجموع الأقاليم الصحراوية. وبعد اشتداد الضغط الفرنسي على أدرار واستنفاد الحركة الجهادية في الأقاليم الصحراوية لإمكانياتها الدفاعية. توجه إلى مراكش على رأس وفد صحراوي يتكون من ممثلي وشيوخ مختلف القبائل الصحراوية، من الحوض وتگانت والرقيبات وأدرار وبلاد القبلة وسائر الشناقطة للإستعانة بالسلطان مولاي عبد العزيز، فلما بلغ الصويرة سمع بخلعه ومبايعة أخيه مولاي عبد الحفيظ، فأرسل إليه السلطان الجديد يدعوه إلى مبايعته. كما أتته رسل مولاي عبد العزيز من فاس تدعوه إلى مساندته، فاقتضى نظره مبايعة السلطان مولاي عبد الحفيظ، فكانت مبايعته له تأييداً كبيراً له. وقد أعطت مساعدات السلطان مولاي عبد الحفيظ للحركة الجهادية في الجنوب المغربي نفسا جديداً، لكن تحرك القوات الفرنسية المتمركزة في الجزائر والسنغال نحو الغرب والشمال واحتلالها لبودنيب ومراكش ووجدة، وتوقف الإمدادات المخزنية للمجاهدين الصحراويين غيّر من ميزان القوى لصالح القوات الأجنبية، فاضطر الشيخ ماء العينين إلى الانسحاب إلى تزنيت كخطوة تكتيكية، وحاول التصدي للقوات الفرنسية في الشمال، لكن طابور الجنرال موانيي بتادلة لم يمكنه من تحقيق أهدافه، فمات بتزنيت ليلة 21 من شوال سنة 1328 / 1910.

وهو إلى جانب مساهمته في حركة الجهاد، صوفي لا مع له أسلوب متميز في التربية والإصلاح، يقوم على الدعوة إلى التوحيد بين جميع الطرق الصوفية وعدم التفريق بينها والجمع بين الشريعة والحقيقة في إصلاح الفرد والجماعة. كما أنه عالم مشارك لا يقل شأوا عن كبار علماء الإسلام تحريراً وتحبيراً. وقد خلف أعمالا أدبية وعلمية كثيرة معظمها مطبوع على الحجر وبعضها لا يزال مخطوطاً، غيرأن ما أصاب خزانته من كوارث بعد ضرب الفرنسيين لمدينة اسمارة سنة 1913 أدى إلى ضياع الكثير من هذه الأعمال. قدر مؤلفاته حسب بعض الذين ترجموا له 350 كتابا.

محمد الغيث النعمة، *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*، ج 1، ورقة 177. نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط، د 1377 ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، ورقة 117. نسخة مخطوطة، خاصة ؛ ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين*، ورقة 11. نسخة مخطوطة، خاصة ؛ م. الظريف، *الحياة الأدبية في الزاوية المعينية*، ص. 129، الرباط، 1986 ؛ الشيخ مربيه ربه، *قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين*، ورقة، 142، مخطوطة خاصة ؛ م. الظريف، *ديوان العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنجيطي*، جمع وتحقيق، ص. 264 ، مطبعة بني يزناسن، سلا، 2000 ؛ ماء العينين مربيه ربه، *إثبات علماء الصحراء على ما للنسب من محاسن عزاء*، ورقة 154، مخطوط ؛ ماء العينين مربيه ربه، *نسب آل الشيخ ماء العينين*، ص. 124، مجلة *الدوحة*، ع 4، 1998 ؛ محمد سيدين بن مولود، *كتاب خصص السيرة*، مخطوط ؛ محمد العاقب بن ماياباي، *مجمع البحرين في كرامات الشيخ ماء العينين*، مخطوط ؛ الشيخ أحمد بن الشمس، *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، المطبعة الجمالية مصر.

محمد الظريف

**ماخفمان**، اسم أمازيغي مركب من : ما ـ بمعنى الشيء أو صاحب، وإخف ـ وهو الرأس، ومان ـ أي الماء. وهذا المصطلح يعني الشيء الذي هو عند منبع الماء أو صاحب منبع الماء.

وتوجد أماكن تحمل هذا الإسم بكل من الأطلس الكبير بدائرة أمزميز قرب أولاد مطاع، وكذلك بالأطلس الصغير بقبيلة سكتانة. فالأول يقع بالضفة اليسرى لوادي نفيس على بعد كلمتر واحد من بحيرة سد للاتكركوست على ارتفاع 690 م بدير الأطلس الكبير المراكشي بطرف حوض يقطعه مجرى ماء دائم باستثناء بعض الشهور في سنة الجفاف، وتزدهر به قديما وحديثا زراعة عنب جيد مدعم بالدوالي. ويوجد على الجانب الآخر من هذا الحوض خرائب حصن فوق تل علوه 840 م. ويدعي السكان أنه من آثار البرتغاليين الذين كانت لهم علاقات تجارية بالمنطقة. ويبدو أن وجود البرتغاليين هناك كان للإشراف على تجارة العنب

لفائدة مواطنيهم المحتلين لمدينتي آسفي والجديدة. ويرجح بعض الباحثين أن المجموعة السكنية لهذا الحوض هي المعروفة تاريخيا بمدينة نفيس. وأما ماخفمان الآن فهي قرية صغيرة بها 627 نسمة ضمن جماعة سيدي بدحاج.

وأما سميتها الثانية فتقع بجماعة أساكي بسكتانة سوس، وتبلغ ساكنتها 428 نسمة. وقد ورد ذكرها مرتين في رحلة الوافد لعبد الله الزرهوني ابن شيخ زاوية تاسافت. فالأولى تتعلق باكتشاف معدن بها وبلوغ خبره إلى السلطان المولى إسماعيل حسب قول صاحب الرحلة : "وكلف المعدن والبنيان عليه الباشا عبد الكريم مع ثلاثة رجال، منهم الوالد والقائد إبراهيم بوعبدلي المذكور والقائد إبراهيم السّكتاني السّوسي الشهير البلد بموضع يقال له ماخفمان قريب من وادي زكموزن المجاور لسكتانة بتاسريرت".

وأما حديثه للمرة الثانية عن هذا الموقع فيدل على اهتمامه بكتب التاريخ ومالكيها بسوس، حيث أخبر بوجود كتاب *القرطاس* عند القائد إبراهيم السّكتاني بماخفمان.

ع. الله الزرهوني، *رحلة الوافد*، تح. علي صدقي أزيكو ؛ *زيارة ميدانية لحوض للاتكركوست*.

Direction du recensement et de la planification. Population rurale par fraction et douar. 1994 : Emile Laoust. *Contribution à l'étude de la toponymie du Haut Atlas*, p. 57.

محمد ماكامان

**مارتيني، گي**، أستاذ في التاريخ، فرنسي من أولائك الفرنسيين الذين ازدادو بالمغرب إبان الحماية واستوطنوا هذه الأرض وأحبوا شعبها وتفانوا في خدمته. ولد في مطلع العشرينات من القرن العشرين ونشأ وترعرع في مدينة الدار البيضاء على يد والده الذي حل بها منذ 1907 قادما إليها من عنابة في الجزائر حيث كانت الأسرة قد استقرت منذ الثلاثينيات من القرن التاسع عشر. وقد كان مارتيني الأب مقاولا في البناء فهو الذي بني الدرب الذي ظل يحمل إسمه في المدينة الجديدة وهو درب مارتيني في جوار القصر السلطاني. وكان طليق اللسان بالعربية الدارجة يجالس المغاربة ويجالسونه ولا ينظر إليهم نظرة التعالي الاستعماري. وقد اكتسب مطبعة في الثلاثينيات من القرن الماضي أصدر بواسطتها جريدة كانت لا تساير التوجهات الاستعمارية المهيمنة. ولذلك سرعان ما تم توقيفها. ولكن في هذا الجو الفرنسي المتحرر نشأ الإبن گي مارتيني الذي بعد حصوله على شهادة تدريس الاجتماعيات التحق بثانوية ليوطي الذي قرأ عليه فيها عدد من المغاربة وفيها ذاع اسمه في السنوات الأخيرة من الحماية عندما أقدمت السلطات الاستعمارية على عزل السلطان سيدي محمد بن يوسف وصارت تقمع بشتى أدوات القمع ثورة الجماهير المغربية عليها فوقف گي مارتيني وعدد من زملائه وقفة الرجال الأحرار وأعلنوا عن سخطهم على ما صار يقترف من أعمال الجور والطغيان وأقاموا منظمة تدعى "الضمير الفرنسي" Conscience française تنديدا وتشهيرا بمنظمة غلاة الاستعمار الذين كانت لهم منظمة تدعى بريزانس فرانسين (Présence française) وشهد له عدد من رجال المقاومة بما أسداه لهم من العون والمساعدة أيام الفداء (1953 ـ 1955) ثم إن گي مارتيني الذي كان يعترف المغرب وطنه الحقيقي استمر يعمل في سلك التعليم بعد الاستقلال فالتحق بثانوية المولى عبد الله. وبها قام بجانب ثلة من الأساتذة من بينهم كاتب هذه السطور بإنشاء كتاب *"تاريخ المغرب"* أصدرته دار هاتيي سنة 1967. فهو الذي كتب منه الشوط الثاني من العصر الأول العلوي (القرن الثامن عشر. م.) ثم إنه التحق بعد ذلك بالمدرسة البحرية الملكية وله عدة أبحاث ومساهمات منها ما كتبه في *ميموريال المغرب* الذي أصدره المرحوم العربي الصقلي سنة 1988.

وقد وافاه الأجل المحتوم يوم 19 ماي 2003 في مدينة مونبيليي (Montpellier) ونقل جثمانه ليوارى في الدار البيضاء بوصية منه. وحضر جنازته جم غفير من المغاربة كان في طليعتهم السيد عبد الرحمان اليوسفي الوزير الأول السابق وعدد من رجال المقاومة ووجوه الأحزاب الوطنية معترفين بذلك للفقيد بما أسداه للمغرب من جليل الخدمات.

إبراهيم بوطالب

**مَارْصُو**، ويكتب مَارْصُو ومرْسُو أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Março ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Margo وهو ثالث شهر بالتقويم الميلادي.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999.

**مَارْسُو، أحمد** بن **عبد النبي** قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بداوة انظم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة :

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913.
- عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر حيث انتخب عضو بالمجلس الاستشاري للمقاومة.
- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913.
- قرية الزوة يوم 11 يناير 1915.

وشارك في 4 معارك، وكان من علماء قبيلته.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**مارسي، جورج**، مستشرق فرنسي، وهو أخو المستشرق

الآخر وليم مارسي (1874 - 1956). وإذا كان هذا الأخير قد اهتم أساسا باللهجة العربية المغربية وباللهجات الأمازيغية، فإن جورج مارسي ركز على دراسة فنون العمارة بشمال إفريقيا. مارس جورج مارسي البحث والتدريس في معهد الدراسات العليا المغربية Institut des Hautes Etudes Marocaines المؤسس عام 1920 من قبل المقيم العام الفرنسي ليوطي. وهو المعهد الذي اشتغل فيه عدد من المستشرقين الفرنسيين أمثال ليڤي - بروفنصال وليطورنو ومنطاني ووليم مارسي وغيرهم. وقد نشر جورج مارسي عددا من أبحاثه في الدورية التي أصدرها المعهد المذكور Hespéris، ومنها دراسته للفن الإسلامي في إسبانيا، وبحثه عن العلاقات الفنية في مصر وبلدان الغرب الإسلامي، كما نشر فيها كذلك أبحاثا عن المحارب ومنها محراب جامع الجزائر الذي بناه ابن تاشفين أواخر القرن الحادي عشر وإن كان المحراب أقدم من الجامع. ابتعد جورج مارسي أحيانا عن مجال الفن ليدرس قضايا أخرى ومنها الرباطات في بلاد البربر، وجاء عمله هذا ضمن أعمال مهداة لروني باصي René Basset. كما نشرت في دورية Hespéris عدد من العروض عن أعماله وخاصة من قبل هنري طيراس H. Terrasse، وقد تركزت هذه الأعمال في المجمل على الفنون والعمارة والأزياء. وقام جورج مارسي بدوره بعرض محتويات بعض الكتب والتعليق عليها من ذلك عرضه على أعمدة Hespéris لكتاب H. Terrasse عن فنون التزيين في المغرب Les arts décoratifs au Maroc. وقد أنجز كذلك، بمعية Ch. Bouali ترجمة لكتاب ابن الأحمر عن بني مرين، مقرونة بحواشي وملاحق، ويعد هذا الكتاب من بواكر أعماله العلمية.

واشتهر جورج مارسي على الخصوص بكتابه الجامع *"L'architecture musulmane"* الصادر في باريس سنة 1950، وقد أكد فيه على إحدى أبرز أفكاره وهي "أن الزخرفة الإسلامية هي إنشاء ذهني تام تقريبا". وقد تتلمذ عليه بعض أشهر دارسي العمارة الإسلامية لاحقا، أبرزهم لوسيان گولڤان L. Golvin الذي اشتهر بدراساته حول العمارة الدينية الإسلامية بالخصوص. وتجب الإشارة أخيرا إلى أنه هو الذي كتب مقدمة الكتاب الذي جمعت فيه عدد من محاضرات ودراسات أخيه وليم مارسي تحت عنوان Articles et conférences.


عبد الرحمان بدوي، *موسوعة المستشرقين*، دار العلم للملايين، ط. 1، بيروت، 1984 ؛ مجموعة مؤلفين، *مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية*، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985.

*Encyclopédie de l'Islam*, Leiden-Brell, 1982 ; M'hamed Jadda, *Bibliographie analytique des publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*


أحمد المكاوي

**ماريوس** Marius، هو القائد الروماني الذي ربط أهم علاقة بين رومة والملك الموري بكوس الأول Bocchus، وكان ذلك خلال قيادته للحرب ضد الملك النوميدي يوغرطة Iugurtha، ما بين سنة 107 و105 قبل الميلاد. فلقد سبق أن توصل الملكان المذكوران إلى التحالف ضد القائد الروماني ميتلوس Metellus، الذي تولى مسؤولية مواجهة يوغرطة قبل ماريوس. وبمجرد وصول ماريوس إلى نوميدية لأداء مهمته، قال سالوست "أما بكوس فكثيرا ما أشعر ماريوس بأنه يريد صداقة الشعب الروماني، فيجب أن لا يخشى من جانبه أي عمل عدائي، فهل هذه حيلة لينقض علينا فجأة عندما يواتيه الحظ ؟ أو ذلك من أثر طيشه الطبيعي الذي يميل به تارة إلى السلم وأخرى للحرب ؟ من الصعب معرفة ذلك". والواقع أن بكوس عزم على مؤازرة صهره يوغرطة، نظرا لكون القائد الروماني شن حملة على غرب نوميدية، ووصل إلى مشارف نهر ملوكة Mulucha وهو ملوية. والجدير بالذكر أن الملك بكوس سبق له قبل بداية الحرب أن هاجم يوغرطة وانتزع منه قسما من مجال نفوذه في غرب نوميدية.

لقد أفاد سالوست أن الملكين تعاونا في مواجهة ماريوس بعد شنه للهجوم على مدينة كابسا Capsa وعلى ناحية ملوكة، وهذا قوله عن بكوس : "فوافى يوغرطة بجموع كثيرة من الرجال، ولما اجتمع الجيشان قصدا ماريوس الذي كان متجها إلى معسكرات الشتاء، فانقضا عليه حين لم يبق من النهار سوى عشره، مؤملين أن الليل القريب سيحميهما إذا اندحرا، وأنه لن يضايقهما في شيء إذا غلبا نظرا لمعرفتهما للبلاد. أما الرومانيون فعلى النقيض من ذلك، يجعلهم الظلام في كلتا الحالتين في موقف أكثر صعوبة. وهكذا ففي الوقت الذي كانت فيه الأنباء ترد على ماريوس من مختلف الجهات تعلمه بوصول الأعداء، كان هؤلاء قد وقعوا عليه فعلا. وقبل أن يتمكن الجيش من أخذ صفوفه للمعركة، بل قبل أن يجمع الأمتعة، وباختصار قبل أن تصله أي إشارة أو أمر، أغار عليه الفرسان الموريون والجيتوليون بغير صفوف مسواة ولا طريقة محكمة. وإنما كان الهجوم بجماعات تكونت حسبما اتفق. ورغما عن الاضطراب الذي أحدثه هذا الخطر المفاجئ، فإن الرومانيين لم ينسوا شجاعتهم. فبعضهم حملوا أسلحتهم أو حموا رفقاءهم الذين

كانوا يتسلحون، وبعضهم امتطوا خيولهم وقصدوا العدو، حتى أن الحرب شبهت غارة قطاع الطريق لا معركة منظمة. فلا صفوف ولا أعلام، وإنما اختلط الفرسان بالمشاة. فبعضهم يتقهقر وآخرون يقتلون. وبينما عدد كبير يقاوم العدو من أمام مقاومة شديدة، إذا بهم يجدون أنفسهم وقد أحيط بهم من خلف. فلم تكف القيمة ولا الأسلحة لحماية أصحابها، لأن الأعداء كانوا أكثر عددا، وكانوا منتشرين بكل مكان. وأخيرا فإن قدماء الجنود الذين أكسبتهم سنهم خبرة الحرب، وكذلك الجنود الجدد، كونوا الرحى حيثما جمعهم الميدان أو الصدفة. وبفضل هذه المناورة التي تمكنهم في آن واحد من صيانة أنفسهم، ومن أن يكونوا في جميع الجهات، فإنهم واجهوا هجمات العدو من غير صف".

لقد واصل سالوست سرد وقائع هذه المعركة، منوها بالقائد ماريوس، الذي رسم خطة أنقذ بها جيشه بالتجائه إلى جبلين قرب ميدان المعركة، إلى أن يقول : "فإن الملكين أوقفا المعركة ولكن لم يسمحا لجيشهما بالابتعاد، بل أحاطا الجبلين بجموع رجالهما، وأقاموا على غير نظام. وبعد ذلك أوقد الباربار نيرانا عديدة، وقضوا أكبر جزء من الليل يعبرون حسب عادتهم عن سرورهم برقصاتهم وصراخهم، وحتى الملكان ملأهما الفخر، واعتبرا أنهما انتصرا لعدم فرارهما. أما الرومانيون فكانوا من فوق المرتفعات، حيث يخفيهم الظلام يتملون بهذه المشاهد التي روحت كثيرا عن أنفسهم".

ويفيد الكاتب أن ماريوس انقض على جنود الملكين لما تمكن منهم النعاس، موضحا ما يلي : "اطمأن ماريوس أشد ما يكون الإطمئنان لغفلة العدو، فأصدر أمره بالمحافظة على الصمت التام. ومنع حتى نافخي الأبواق من تقسيم الليل لتغيير الحراس كما هي العادة. وعند بزوغ ضوء الصباح، حين كان الأعداء قد حطمهم التعب واستأثر بهم النعاس، أمر فجأة الحراس وأبواق الفرق والكوكبات والفيالق أن يزعقوا بإشاراتهم جميعا دفعة واحدة. كما أمر الجنود أن يصرخوا صراخهم الحربي وأن يندفعوا إلى خارج الأبواب. فاستفاق الموريون والجيتوليون مذعورين من هذا الضجيج المجهول المرعب. ولم يقدروا على الفرار ولا على حمل أسلحتهم، ولا على أي شيء، لأن اللغط والصراخ وفقدان النجدة والهجوم العنيف من جانب رجالنا والهياج والخوف. كل ذلك أغرق الأعداء في ذعر قريب من الجنون. وأخيرا صدوا جميعا وأخذت أكثر أسلحتهم وشاراتهم. وقتل منهم في هذه المعركة أكثر مما قتل في جميع المعارك السابقة، لأن النوم ثم الفزع المباغث حال بينهم وبين الفرار".

ثم تحدث الكاتب عن المعركة الثانية التي خاضها الملكان معا ضد ماريوس وهو متجه إلى كيرتا Cirta، وذلك بعد مرور أربعة أيام على المعركة الأولى. وبعد سرد بعض وقائع هذه المعركة، أفاد بما يلي : "وقع صولا على جناح الموريين، أثناء عودته بعد القضاء على الخصوم، فتراجع بكوس بسرعة، وأراد يوغرطة أن يساند جنوده وأن يحافظ على انتصار كاد يكون محققا. ولكن لما أحاط به الفرسان ورأى جميع جنوده يسقطون على اليمين واليسار، حمل بمفرده ونجح في شق الطريق بين سهام العدو ورماحه. وفي تلك الأثناء كان ماريوس قد هزم خيالة العدو وتسارع لنجدة جنوده الذين علم أنهم على وشك الإندحار. فانتهى كل شيء بهزيمة النوميديين.

وبعد ذلك تطرق سالوست لأشواط المفاوضة بين الملك بكوس وماريوس. قال في هذا الصدد : "بعد هذه الأحداث التي ضمنت هذه المرة انتصارا غير مشكوك فيه، وصل إلى كيرتا التي كانت مقصده الأول من سيره. وهنا تقدم إليه سفراء بكوس، بعد مرور خمسة أيام على الإندحار الثاني للباربار ورجوه باسم الملك أن يبعث إلى هذا الأخير رجلين موثوقا بهما كامل الثقة ليفاوضهما في مصالحه ومصالح الشعب الروماني. فأسرع ماريوس وبعث إلى صولا Sulla ومنليوس Manlius".

ومنذ الوهلة الأولى في المفاوضات نجد الملك يتشبث بحقه في القسم الذي انتزعه من يوغرطة.

وبعد هذا اللقاء أرسل بكوس سفارة إلى ماريوس ليسمح لها بالتوجه إلى رومة قصد الاتصال بمجلس الشيوخ. وأفاد المؤرخ المذكور أن صولا رحب بهم وأحسن إليهم خلال مقامهم في معسكر ماريوس، الذي كان غائبا حين وصولهم.

وبالنسبة للمذاكرات التي جرت في رومة بين الوفد الموري ومجلس الشيوخ الروماني، فقد لخصها سالوست في نص مقتضب قائلا : "وفي رومة رجا السفراء من مجلس الشيوخ العفو عن الخطأ الذي وقع فيه ملكهم، ثم طلبوا بعد ذلك محالفتنا وصداقتنا بهذه العبارات إن مجلس الشيوخ والشعب الروماني لا ينسون الإحسان والإساءة، ولكن حيث أن بكوس يندم على ذنبه، فنحن نوافق على الصفح عنه وسينال حلف الشعب الروماني وصداقته عندما يستحقها".

وبعد رجوع الوفد الموري أوضح سالوست أن بكوس رغب في مواصلة المفاوضات. قال في هذا الصدد : "بعث بكوس برسالة إلى ماريوس يطلب منه أن يرسل إليه صولا ليسوي بتحكيمه مصالحهما المشتركة. فذهب صولا في حراسة بعض الرماة وفرقة من البليميين المزودين بالأسلحة الخفيفة التي تمكنهم من السير بسرعة". ولما وصل صولا إلى حيث يوجد الملك بكوس بعث إليه هذا الأخير شخصا يدعى دابار ليعلمه بما يلي : "إنه مستعد لتنفيذ إرادات الشعب الروماني وأن ليس على صولا إلا أن يختار بنفسه اليوم والمكان والساعة لمفاوضتهما، من غير اهتمام بممثل يوغرطة، وأنه تعمد ألا يغير شيئا من علاقته مع هذا الأخير، وذلك ليستطيع التفاوض بكل حرية في مصالحهما المشتركة إذ لم تكن هناك وسيلة أخرى لاتقاء عراقيل الملك".

ثم نجد الملك بكوس يتشبث بموقفه الأول من التصدي لتدخل ماريوس في المنطقة التي انتزعها من يوغرطة خلال الحرب. وهذا قوله في آخر لقاء مع ممثل ماريوس، بعدما تم

الاتفاق على نصب كمين لاعتقال يوغرطة : "إنني لم أحارب ولم أرد أبدا أن أحارب الشعب الروماني، وإنما حميت بحد السلاح حدودي التي هوجمت بحد السلاح. وإني لأتخلى عن هذه الحماية إذا كان ذلك يرضيكم. فحاربوا يوغرطة كما تشاؤون ولن أتخطى نهر ملوكا Mulucha الذي كان هو الحد بيني وبين مكيبسا Micipsa. كما لن أسمح ليوغرطة باجتيازه. وإذا كان لك ما تطلبه غير هذا مما يليق بي وبشعبك فلن تذهب إلا وقد نلته".

ثم أوجز المؤرخ في ذكر المكيدة التي خطط لها بكوس وصولا قائلا وهو يتحدث عن بكوس : "وأخيرا دعا صولا واتفق معه على نصب كمين للنوميدي. ولما حل اليوم ووصل الخبر لبكوس باقتراب يوغرطة، خرج بصحبة بعض أصدقائه وصولا، فتقدم للقائه وهو كأنما يمجده بذلك. ثم اعتلى ربوة ظاهرة لعيان أولئك الذين نصبهم في المراكز. فجاء النوميدي يصحبه عدد كبير من المقربين إليه وذهب للربوة من غير سلاح كما سبق أن قيل. وبمجرد ما أعطيت الإشارة هاجمه الكمين في آن واحد من جميع الجهات فقتل جميع أصحابه. أما هو فقد أثقل بالأغلال ثم سلم لصولا الذي اقتاده إلى ماريوس".

سالوست، *حرب يوغرطة*، تر. محمد التازي سعود، فاس، 1982 ؛ محمد مجدوب، أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة، بحوث، *مجلة كلية الآداب، المحمدية، العددان 2 ـ 3*، ص. 61 .82، 1990 ؛ *مملكة الموريين وعلاقاتها مع روما لغاية سنة 33 ق.* م.، رسالة لنيل الدراسات العليا، كلية الآداب، فاس، مرقونة، 1990.

S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, t. 7.

محمد مجدوب

**ماريون، شارل** (Charles Marion)، ضابط فرنسي من رتبة نقيب، قام بعدة وظائف بناحية الرباط ما بين 1911 و1917 حيث أشرف في البداية على مكتب الاستعلامات (Bureau des Renseignements) بقبيلة زعير (النخيلات) وعلى إثر مصرع النقيب ريكو (Capitaine Rigot) في جبهة القتال ضد الألمان عُين خلفا له على رأس المصالح البلدية لمدينة سلا من 1913 إلى 1915 ، ثم التحق في مهمة برتل منطقة الغرب (Colonne du Gharb)، فخلفه النقيب شاريي (Capitaine Charrier) على رأس بلدية سلا وبعد تعيينه رئيسا لناحية الرباط خلفا للنقيب دوماس لاتري (Capitaine De Mas Latrie)، تم استنفاره إلى فرنسا سنة 1917.

وقد لقي ماريون حتفه في جبهة القتال سنة 1918.

*Rapport d'Ensemble du Protectorat*, mois de mai 1915; *Bulletin Officiel n° 10 du 28 mars 1913 et n° 176 du 6 mars 1916 ; Procès-verbal de la Commission Municipale* Mixte de Salé, séance du 26 mars 1918.

محمد الفقير

**مازيكيون** Mazikes ، عنصر بشري من أهل المغرب القديم، الذي كان يدعى موريطانية يتعلق الأمر بأحد الأقوام أو القبائل التي أحصاها الجغرافي بطليموس بموريطانية في القرن الثاني الميلادي. وقد ذكر الكاتب هذا العنصر البشري حسب ترتيب ينطلق من الشمال إلى الجنوب على أن الميتاگونيين Metagonites هم أقرب إلى المضيق وفي جنوبهم ذكر المازيكيين وبعدهم يوجد الوربيكيون Ouerbikai.

والجدير بالذكر أن هذه التسمية التي تتضمن صيغة الأمازيغيين، كانت تمثل عنصراً بشرياً في بلاد الليبيين منذ تأسيس قرطاجة حوالي سنة 814 قبل الميلاد، على أنهم هم السكان المحليون الذين تعاملت معهم إليسة Elissa الفنيقية، وهم يدعون بالمازيكيين Mazikes. ثم نجد هيكاتي المليتي يذكرهم في القرن السادس قبل الميلاد، حيث أفاد "أن المازيين Mazues هم الرحل من أهل ليبة". ثم تحدث عنهم هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد وسماهم بالماكيين Makai أو الماكسيين Maxues ، وحدد مواطنهم في الناحية الفاصلة ما بين قورينة وقرطاجة على أنهم مزارعون ومن المثير أن الكاتب المذكور أشار إلى بعض تقاليدهم التي ظلت راسخة في المغرب الأقصى حتى وقتنا الراهن. قال في هذا الصدد : "إنهم يحلقون جانبي الرأس ويتركون بوسطه شريطا ينمو فيه الشعر". ثم ذكر ديودور الصقلي في القرن الأخير قبل الميلاد هذا العنصر البشري بنفس الصيغة التي وردت عند هيرودوت وبنفس المنطقة. وقد عرف أشخاص بهذا الإسم بشمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية.

كما أطلق هذا الإسم على أقوام في شمال إفريقيا ما بين القرنين الثاني والخامس الميلاديين في كل من نوميدية وموريطانية.

والواضح أن هذا الاسم الذي ينطوي على لفظ الأمازيغيين، كان يمثل في التاريخ القديم عنصراً بشرياً كبقية العناصر الأخرى. بينما صار مشهوراً في الفترة الإسلامية كأحد المقومات البشرية والثقافية لسكان المغرب. والغالب أن ذلك مرده إلى كون المازيكيين القدماء تمكنوا من السيادة والريادة على صعيد الشمال الإفريقي، في الفترة الفاصلة ما بين المرحلة الرومانية وبداية الفترة الإسلامية.

م. مجدوب، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع روما لغاية سنة 33 ق. م*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1990، مرقونة ؛ *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، المحمدية، 1998، مرقونة.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane,* Paris, 1878 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, t. 5, Paris, 1928 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines à l'ouest du Nil*, Dakar, 1966.

محمد مجدوب

**ماسة** (قبيلة ـ)، قبيلة سوسية، تستوطن الجزء الأوسط الغربي من سهل سوس على المحيط الأطلنتي. تحدها قبيلة اشتوكن شمالا، وقبيلة المعدر في الجنوب والشرق، بينما تنفتح على المحيط غربا. تتكون من ثلاثة وحدات كبرى من

الشرق إلى الغرب : تاسنولت، إيداوموت، أغبالو، وهي تحتل ضفتي واد والغاس (ماسة).

أما من حيث دلالة الإسم، فلا يستبعد أن يكون اشتقاق الكلمة من "إلماس"، وتعني الماء في الأمازيغية القديمة. وهناك من يشير إلى أن الإسم الحقيقي لماسة هو "أغبالو" أي العين. فكلا الاحتمالين لا يبعدان عن عنصر الماء، لكون موضع القبيلة، يعتبر مجالا لتناغم والتقاء مختلف العناصر التي تكون وسطا بيئيا متنوعا، ويفسر إلى حد ما قدر الاستقرار به.

وردت أقدم إشارة إلى ماسة عند Pline l'Ancien في صيغة Masatis على نهر Masatat، ولا ريب أن الفنيقيين قد تعرفوا على ماسة أثناء ترددهم على سواحل المحيط.

وإذا تأملنا محتوى الإشارات الجزئية التي قدمتها المصادر الإسلامية الوسيطية عن طبيعة علاقة ماسة بالمسلمين الأوائل، يمكن تسجيل الإشارة المهمة لصاحب "*مؤلف مجهول*" ق 6 / 12، مفادها أن الفاتحين الأوائل وصلوا المنطقة، وأنهم أقدموا على تخريب حاضرة ماسة القديمة المتكونة من ثلاثة قرى كبرى مسورة. ويقال إن عقبة بن نافع حضر بناء مسجد بسوس، وقد اختلف المؤرخون حول اسم المكان، هل يتعلق الأمر بماسة أو بإيكلي ؟ مهما يكن من أمر، فإن ماسة كانت في عداد المناطق الخاضعة لنفوذ محمد بن إدريس. وعادة ما يقترن الحديث عن سوس، بإشارة إلى أهمية ماسة كحاضرة من حواضرها، كما تجمع المصادر على أهمية وحيوية مرساها وأسواقها التي تجذب التجار من كل الآفاق، فكانت تشحن منها المواد كالشعير والسكر والعسل الأبيض والأثواب والثيران نحو عدة مناطق، وحتى حدود الصين (اليعقوبي). وتقترن شهرة ماسة بالرباط الذي اجتمعت المصادر على أهمية موقعه الجغرافي، وشهرته كمركز ديني، حيث يتجاوز تأثيره محيطه ليعانق مجالات جغرافية بعيدة، ولا أدل على ذلك من كثرة تردد المتصوفة والصلحاء والفقراء عليه، وأنه كان مقصودا على مدار السنة. ويبدو أن أفضلية وقداسة هذا المكان، قد تكون مرتبطة بمجموعة من المعطيات منها :

- المكانة والقيمة الرمزية للمسجد الذي بني بساحل ماسة، وكونه ينفرد عن باقي مساجد سوس لكون هيكله كله مصنوع من عظام سمك "البالين". وقد حظي بقدسية كبيرة عبر التاريخ قبل أن يردم بالرمل.
- ما يذكر من أن بعض صلحاء اليهود رمت بهم أمواج البحر برباط ماسة.
- اعتقاد العامة بخروج المهدي المنتظر من ذلك الرباط، ويعتبر ذلك من المظاهر الأكثر فاعلية وتأثيرا في الخيال الجماعي المحلي. وقد استمر هذا الاعتقاد إلى حدود القرن العشرين، ولا يستبعد أن يكون ذلك مرتبطا بالماضي الشيعي لمنطقة سوس.
- ما يشاع من روايات حول الحجر المسمى "بحجر يونس" على ساحل ماسة، من كونه المكان الذي لفظ فيه الحوت النبي يونس. وعلى هذا الأساس، فإن ذلك يتسبب في هلاك كل الحيتان التي تمر من هناك.
- ترسخ الاعتقاد لدى أهل سوس، من أن طبول ذي القرنين المصنوعة من النحاس، مدفونة بساحل ماسة، ولا يخرجها إلا "صاحب الوقت".
- ما يروى من أحاديث منحولة تنسب إلى الرسول وأقوال بعض الصحابة، حول ماسة وأهميتها الدينية (مخطوط خزانة المسعودي).

ومهما يكن من أمر، فإن أطلال رباط ماسة، تعتبر مجالا للمقدس بامتياز ومحجا للزائرين. والظاهر أن أهمية الموقع، جعله في غير مأمن من التحولات السياسية والعسكرية التي عرفها المغرب في بداية القرن الخامس الهجري. ويشهد "برج اللمتوني" على الحضور المرابطي المبكر بماسة أثناء اجتياح أبي بكر بن عمر اللمتوني بمعية عبد الله بن ياسين لمنطقة سوس سنة 448. وقد استأثرت بالاهتمام في بداية الحكم الموحدي، وبالخصوص عندما ثار بها محمد بن هود الماسي، الذي ادعى المهدوية، مستفيدا من قيمة المكان الروحية والرمزية ووزنه الاقتصادي. ويبدو أن محاولات الخنق التي استهدفت ماسة من قبل الجيوش الموحدية بزعامة أبي حفص عمر الهنتاتي، أفضى إلى تراجع أهميتها، وتوالي الخراب على الكثير من قراها، ويظهر أن الأمر استمر على هذا المنوال حتى بداية القرن الثامن (14 م)، وخلال حكم يوسف بن يعقوب المريني، ثار صوفي يدعى التويزري بماسة مدعيا المهدوية، ولم يتأت القضاء عليه إلا بعد تدخل عمر بن حدو أكليد السكسيوي سنة 818.

وبناء على ما سبق لم تعد المصادر تفردها بما ينم عن قوتها وازدهارها، باستثناء ما يرد بشأن رباطها المشهور الذي كان يتردد عليه الصلحاء. وخلال فترة تدهور الحكم المريني، حيث لم تعد السلطة المركزية تتحكم في الوضع الأمني بسهل سوس، نسجل سيادة نفوذ القبائل الأعرابية. يضاف إلى ذلك استحواذ البرتغاليين على المراكز الساحلية، وكان مرسى ماسة إحدى الثغور التي تسرب إليها الاحتلال ابتداء من 11 يناير 1497. ويبدو أن هذا الوضع الجديد أرغم أهل ماسة على نسج علاقة خاصة مع المحتل، من مظاهرها البارزة توجيه رسالة، باسم أعيان أهل ماسة، إلى الملك البرتغالي إيمانيول، يعربون له عن خضوعهم التام للبرتغاليين، مقابل التعاطي للتجارة البحرية. كما أبدوا الرغبة في الإستفادة من حماية الملك البرتغالي من القرصنة البحرية.

ويمكن رصد بعض مظاهر هذا التواجد البرتغالي، ضمن بعض الشواهد المعمارية التي ترجع إلى هذه الفترة، من قبيل "برج أورومي" أي النصراني الذي ينتصب في عالية مدشر "آيت السوق" والمشرف على واد ماسة. وقد تولدت عن هذا الوضع ردود فعل محلية تتباين حسب المناطق، توجت بتحرير

مجموعة من المراكز الساحلية. وهكذا، وبحلول سنة 1515 تم تحرير ماسة، واسترجعت مكانتها السابقة، حتى غدت مركزا دينيا وعلميا، وأحاط السعديون مرابطيها وعلماءها بالتعظيم والاحترام، واستعاد مرساها دوره التجاري السابق كنقطة رئيسية للقوافل التجارية، حيث تعود الأوربيون الوصول إليه للتزود بمنتوجات السودان الغربي وبعض المنتوجات المحلية خاصة المواد الزراعية وتبقى المعلومات التي أوردها الحسن الوزان ومن بعده كاربخال مفيدة إلى حد ما في معرفة الكثير عن أوضاع ومكانة ماسة في بداية الدولة السعدية (وصف طباع أهل ماسة، استحضار أهمية الموقع الجغرافي لساحل المنطقة، الحديث عن أهمية مسجد ماسة المشهور آنذاك، إضافة إلى كون السكان راكموا تجارب وحنكة في التعامل مع البحر...).

ويبدو أن حدة الصراع بين علي بودميعة ويحيى الحاحي على احتواء ومراقبة المراكز الساحلية المهمة، قد أفضى إلى تقاسم النفوذ بسهل سوس. فحسبما يستشف من الإشارات المتداولة في المصادر الأجنبية وخاصة التقارير الديبلوماسية، فإن علي بودميعة أوصل نفوذه في بداية الأمر إلى قبيلتي اشتوكن وماسة شمالا سنة 1631، وساهم بذلك في الحد من تسرب القوافل التجارية نحو أگادير. لهذا شكل "مرسى ماسة" خلال هذه الفترة قبلة للتجار الأوربيين، وكثر التردد عليه في إطار تنافس شديد بين الإنجليز والفرنسيين والهولنديين والبرتغاليين. ونجد أصداء هذا التنافس في تقارير قناصلة هذه الدول، وكلها تجمع على ضرورة تمتين العلاقات التجارية مع أبي حسون وعدم إضاعة الفرصة. ويبدو أن قسطا هاما من النشاط التجاري يتمحور حول مقايضة السلع المحلية المتكونة أساسا من مادة السكر، والمعادن والتمر والجلود والعسل... إضافة إلى ما تحمله القوافل من الجنوب : العنبر وريش النعام والصمغ والعبيد، بأخرى آتية من أوربا وتنحصر في المنسوجات، الزجاج والقطن والأسلحة.

وقد امتد هذا النشاط التجاري عبر مرسى ماسة ما بين 1613 . 1637، وهي مدة كافية لاستكمال تقوية الإيالة الفتية قبل قرار الزحف على أگادير سنة 1637. والأكيد أن مضاعفات هذا الانتقال كانت حاسمة في تغيير الخريطة السياسية لسوس، حيث أصبحت الريادة لأبي حسون، وانتقل الرواج التجاري بذلك من ماسة إلى أگادير. ويطغى الغموض على الكثير من أخبار ماسة في بداية الدولة العلوية، باستثناء ما يرد في سياق الانشقاقات المتتالية عن السلطة المركزية، التي تزعمها أمراء تربطهم صلة القرابة بالسلطان، وكانوا يعينون خلفاء على مدينة تارودانت. ويمكن ملامسة هذا المعطى من خلال استحضار مجموعة من ظهائر التوقير والاحترام التي منحت لبعض أعيان ماسة. وفي خضم انبثاق زعامات محلية متمردة في عهد مولاي عبد الله بن إسماعيل، والتي كانت توظف أساليب معينة لإثارة حماس العامة، نسجل تمرد كل من محمد بن عبد الله المكاوي (ت. 1169 . 1756 ) ومحمد بن علي الكثيري (1167 . 1754 ) بماسة، وكلاهما ادعى المهدوية، ووظفا بذلك القيمة الرمزية للمكان في الذاكرة المحلية.

وفي نهاية القرن 18 ، تمكن القائد محمد بن أحمد الدليمي من قبيلة اشتوكن من ضم قبيلة ماسة إلى مجال نفوذه على غرار القبائل السهلية المستقرة جنوب واد والغاس (ماسة)، وذلك بإيعاز من السلطان محمد بن عبد الله.

وفي سنة 1222 / 1807، بادر مولاي سليمان إلى التوقف بماسة في طريقه إلى أگلميم، وخلال ذلك عمد إلى زيارة قبر الفقيه الصوفي محمد بن أحمد التاسكاتي. ومن المؤكد أن هذه الالتفاتة تعتبر تكريما له على دوره في استنفار القبائل لمحاربة الثائر أبو حلايس والقضاء عليه نهائيا بمنطقة العوينة بأحواز تيزنيت.

ومما يستفاد من إشارة إبراهيم الماسي، أن أهل ماسة تعودوا تقديم ما يقارب 500 رطل من الفضة كل سنة، كواجبات جبائية للمخزن. ويبدو أن باعثا ما جعل أعيان ماسة يتراجعون عن ذلك، مما حدا بخليفة السلطان على تارودانت مولاي عبد الصادق، إلى الاستعانة بقبيلة اشتوكن لتأديب ماسة.

ورغم وساطة العلماء، فإن سياق الأحداث آل إلى انهزام وتراجع المحلة المخزنية. وكان وراء انتصار ماسة دعم قبائل أگلو وتيزنيت لها.

والغالب على الظن أن ديمومة هذا الصراع، هو ما حذا بأهل ماسة إلى تحصين الجزء الموالي لقبيلة اشتوكن، والتجمع على الضفة اليمنى لواد ماسة خاصة بإيداوموت.

وبسبب توالي الانشقاق والتطاحن بين وحدات قبيلة ماسة، فإن ذلك كان مدعاة لتورط القبائل المجاورة خاصة اشتوكن في الأمور الداخلية للقبيلة. وقد صادف ذلك أن أضحت إيليغ القوة المحلية المتزعمة لحلف تاگوزولت، وصارت تتطلع إلى مد نفوذها شمال واد والغاس. لهذا غالبا ما يتردد اسم إيليغ في مجمل الأحداث التي كانت قبيلة ماسة مسرحا لها، لا سيما لما أجمعت القبائل على تأديب ماسة، رغم تدخل العلماء أمثال محمد بن محمد الإلياسي وسعيد الشريف لرأب الصدع. بيد أن الحس العسكري للماسيين ألهمهم الركون إلى حيل لتمويه العدو. وبذلك تم تفادي الذعيرة والمهانة للماسيين.

وكانت رحلة مولاي الحسن إلى سوس سنة 1299 / 1888 ، مناسبة لإعادة الاستقرار نسبيا إلى القبيلة، حيث عمد إلى تزكية شيوخ وحداتها الكبرى قيادا وهم : محمد بن حميد التاسيلائي ومحمد الفنتوري ومَحمد الاغبالوي والحسن بن بوجمعة الولوبي.

ويفهم من خلال الوثائق التي ترجع إلى هذه الفترة، أن هذا البناء سرعان ما انهار، وتجدد الصراع بين القياد. وحتى بعد قدوم القائد سعيد الگيلولي نحو جنوب وادي والغاس سنة 1896 بإيعاز من الوزير باحماد، لم تسلم القبيلة من

مغارم القائد المخزني، عقابا لها على تقاعسها في محاربة قبيلتي رسموكة والمعدر بعد نكسة تبوحنايكت.

وكان لماسة إسهام متميز في التعبئة الجهادية التي تزعمها الشيخ أحمد الهيبة انطلاقا من تيزنيت. وبعد الإحتلال، انخرط بعض أعيانها خاصة القائد عبد الله بن بلقاسم، بعد تراجع مكانة غريمه الحاج مَحمد اغبالو بن همو، في سياق متطلبات المرحلة، فعلا شأنه، وقام بتسوير بلدة "تاسيلا" 1333 / 14 . 1915 . وعلى عهد ولده محمد، أصبحت ماسة كلها تحت إيالته. وكان لخلفه القائد مبارك إعتناء ملحوظ بالمصالح ذات النفع العام، كما ساهم في إحياء الدور العلمي والروحي لماسة، من خلال إقامة مدرسة علمية، تعهدتها القبيلة بالعناية.

البكري، *المغرب*، 27، ص. 160 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ص. 368 ؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص. 125 ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ *الحلل الموشية*، ص. 316 ؛ السفرة، م. خ. ح. رقم 5935 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ المراكشي، *المعجب* ؛ اليعقوبي، *كتاب البلدان*، 1891 ؛ المقدسي، *مختارات من أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، دمشق، 1980 ؛ الشعراوي، *مختصر التذكرة للإمام القرطبي*، بيروت، بدون تاريخ ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، ص. 126 ؛ مارمول كربخال،، *إفريقيا*، ج. 2، ص. 28 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 2 : 14 ؛ السوسي، *المعسول* ؛ *خلال جزولة*، 2 : 113 . 195 . 197 . 210 . 213 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، ص. 225.

La Boissiere, Monograghie de la tribu du Ahl Massa, *CH.E.A.M., n° 437, 1941* ; R. Montagne, *Une tribu berbère du sud marocain : Massa*, Institut d Hautes Etudes Marocaines, Paris, 1924, p. 75 - 369 - 317 ; R. Basset, *Relation de Sidi Brahim de Massat dans le Sous*, Trad. sur le texte chelha et annotée, Paris, 1882, p. 5 - 8 ; Ben Daoud, Recueil du droit coutumier de Massa, In *Hespéris t. IV, 1924, p. 406-439* ; R. Ricard, La côte atlantique du Maroc au début du XVI siècle, *Hesp., t. VII, 1927, p. 255-256* ; De Castries, *S.I.H.M., France, 1ère série*, 3 : 544-358 ; *Angleterre, 1ère série*, 1 : 141 ; J. Gatell, *Description du Sous*, B.S.G 1, 1871.

أحمد بومزكو

**ماسة** (واد –) هو أحد الأنظمة المائية المغربية الأطلنتية الواقعة جنوب الأطلس الكبير، والتي تقوم بتصريف قسم كبير من مجال الأطلس الصغير الغربي وجزء محدود من سهلي شتوكة وتزنيت، أي المجال المتوافق مع الدائرة الترابية لإقليمي تزنيت وشتوكة ـ آيت باها.

يغطي حوض ماسة حوالي 3.800 كلم$^2$، متوسط ارتفاعه هو 925 م، وحوالي نصف مساحة الحوض تتجاوز علو 1.000 متر، مع العلم أن أعلى قممه هي جبل لكست التي توجد على ارتفاع 2.359 م من سطح البحر.

يتخذ حوض ماسة شكلا دائريا على العموم، وتتهيكل شبكته الهيدروغرافية حول رافدين أساسين هما أسيف آيت باها وأسيف أسكا اللذان يلتحمان عند خانق تانكيست ليشكلا واد ماسة الذي يتمكن من الوصول إلى المحيط الأطلنتي عبر مصب يتخذ شكل خور واسع. وقد اشتهر هذا الخور عبر فترات مهمة من تاريخ المغرب كموقع ميناء كانت تتم عبره المعاملات التجارية مع الخارج خلال فترات طويلة من تاريخ المغرب.

تتوافق معظم مساحة الحوض مع بروزات صخرية بلورية ما قبل كمبرية، لذلك فإن حظوظ تسرب المياه جوفيا تبقى محدودة مما يجعل حوض ماسة يعرف نظام جريان سطحي منطبع على نظام التساقطات المطرية المحلي الذي يوفر واردا مائيا في حدود 300 ملم / سنة، ويتميز بتغيرات سنوية وبيسنوية مهمة. يبلغ متوسط جريان واد ماسة حوالي 5,3م$^3$ / ثانية، وقد عرف هذا المعيار تفاوتا بيسنويا مهما خلال المرحلة الممتدة بين 1950 و1968 حيث ارتفع إلى 13 م/ث خلال موسم 56 . 1955 ونزل إلى 0,5م $^3$ /ث خلال موسم 61 . 1960. ويبقى هذا الصبيب مهما نسبيا مقارنة مع ظروف الوسط الطبيعي ومقارنة مع الأنظمة الهيدروغرافية المجاورة.

ويتم الجريان عادة على شكل فيضانات تحدث في مجملها بين نونبر وأبريل، وعند الخروج من المجال الجبلي للأطلس الصغير فإن واد ماسة يعرف جريانا دائما يستمر حتى خلال الصيف يستند إلى صبيب بعض الينابيع المرتبطة بالركائز الصخرية الكاربوناتية بمنطقة آيت أحمد.

وقد عرف واد ماسة منذ سنة 1973 بناء سد كبير عند موقع تانكيست هو سد يوسف ابن تاشفين بحقينة يبلغ حجمها 310 مليون م $^3$ . وقد وضع هذا السد في البداية لتزويد محيط شتوكة السقوي العصري المحدث وكذلك محيط ماسة التقليدي، غير أنه أصبحت بعد حين تخصص حصة من مياهه لتزويد مدن تزنيت وإفني ولخصاص وكذلك مجموعة من التجمعات السكنية الريفية بالماء الشروب.

وقد مكن هذا السد من تنظيم جريان واد ماسة مما جعل المنطقة تتوفر على أحد أهم المحيطات السقوية العصرية بالمغرب والمخصصة بالدرجة الأولى لزراعة البواكير الموجهة للتصدير، كما مكن من ضمان تزويد نسبة عالية من سكان المنطقة بحاجياتهم اليومية من المياه.

ح. المحداد، *الماء والإنسان بحوض سوس، إسهام في دراسة نظام مائي مغربي*، منشورات مركز ابن تومرت، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگادير، 2003.

الحسن المحداد

**ماسي** (عيون –) توجد عيون ماسي بتراب فرقة أولاد عياد إحدى فرق قبيلة أولاد ميمون الزعرية، تشمل سبعة عيون وهي مشهورة ببلاد زعير، ماؤها عذب زلال، سميت بإسم ماسي لأنها تنسب إلى الوالي الصالح الحاج أحمد الماسي المنسوب إلى ماسة، المدفون بجوار ضريح أبي محمد صالح المدفون بأسفي، علماً أن القصيصات وهم سبعة فرق (أولاد عيادة، أولاد ليلى، أولاد مسعود، أولاد عزوز، أولاد إبرهيم وأولاد غيث) من قبيلة أولاد ميمون من أتباع ومريدي أبي محمد صالح السالف الذكر. وبجانب عيون

ماسي يعقد موسم الطلبة كل سنة، يتلى فيه القرآن الكريم وتجري فيه ألعاب الفروسية.

وتعرف كذلك عيون ماسي بعيون الملوك لأنها كانت إحدى المحطات الرئيسية لمحلات سلاطين الدولة العلوية أثناء تنقلاتهم بين شمال البلاد وجنوبها، ومقصدا للملوك للنزهة والصيد، فالسلطان مولاي يوسف كان يتوجه إلى دار القائد الحاج بن عبد الرحمان البرشوي الميموني في كل مناسبة، فتقام على شرفه حفلات الصيد بالغابات المجاورة لعيون ماسي، والسلطان محمد الخامس الذي كانت له صلة متينة بالقائد بوعزة بن القائد الحاج بن عبد الرحمان البرشوي، كان يتردد على بلاد زعير، فتنصب له "الخزانة" الرفيعة، وتحيط بها الخيام الزعرية قصد النزهة والصيد، وكانت عيون ماسي محط إعجاب هذين السلطانين.

بوعبيد التركي

**الماسي** (سيدي -) الحاج **أحمد** أحد الأولياء الصالحين بمدينة أسفي، والظاهر أنه قديم العهد وربما كان من أصحاب الشيخ أبي محمد صالح. يقول عنه الكانوني : "صاحب القبة بالرباط حذاء قبة الشيخ أبي مُحمد صالح، لا أعلم عنه إلا ما يقال أنه كان من أصحاب الشيخ ..."

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*.

عبد الرحيم العطاوي

**الماسي، عبد العزيز** بن **أحمد** بن **محمد** أحد وجوه المقاومة المغربية. ولد بدوار آيت ألياس بماسة سنة 1322 / 1904، وبها تربى، وكان والده من الفقهاء المعروفين بقبيلته. وسيراً على نهج أقرانه أدخل إلى كتاب القرية لتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ويبدو أنه لم يتعمق كثيراً في تحصيله، إذ سرعان ما اجتذبه السفر إلى فرنسا. وهكذا رحل، وهو شاب لا يتجاوز عمره ثمان عشرة سنة، إلى الديار الفرنسية سنة 1922 ، حيث اشتغل بإحدى المصانع الكهربائية لمدة خمس سنوات. وبعد أن راكم ثروة لا بأس بها، انصرف إلى مجال الاستثمار، وتمكن من اقتناء الحق التجاري لمقهى وفندق أرجانطي (Argenteuil) بضاحية باريس. وكان النجاح حليفه، حيث استطاع في ظرف ثلاثة سنوات شراء العمارة التي يستغلها الفندق والمقهى.

وبحكم عمله بالفندق وكسائق لسيارة الأجرة، صار أكثر اتصالاً بجميع شرائح المجتمع، وتوسعت معارفه. ويبدو أن ما كانت تعرفه فرنسا من أحداث، وما كان يغلي بها من تيارات واتجاهات، أثرت بشكل كبير عليه وصار بذلك أكثر اهتماماً بقضايا الشعوب المستعمرة، خاصة وأنه ارتبط بمهنة حرة تسمح له بمتابعة كل هذه التطورات عن كثب.

ومما لاريب فيه أن قضية قسنطينة سنة 1932 الجزائرية، تشكل أول دخول له في ميدان السياسة، حيث شارك في الاجتماعات التي يعقدها الوطنيون الجزائريون بفندقه، وكان يسخر سيارته في تنقلاتهم. كما ساهم في جمع التبرعات لفائدة القسنطينيين، وكانت مناسبة تعرف خلالها على بعض رموز المقاومة الجزائرية من أمثال : مصالي الحاج والاستاذ "بهلول". وثمة أحداث عالمية ووطنية رسمت معالم شخصيته السياسية نذكر منها :

- استقلال بعض الدول العربية : حيث كان مروره أمام سفارات بعض هذه الدول، يثير في نفسه نوعاً من الاعتزاز، وفي نفس الوقت نوعاً من الأسى بسبب غياب ما يرمز إلى بلده.
- الحرب العالمية الثانية : عاين خلالها أشكال المقاومة الفرنسية، وانخرط بها دفاعاً عن الحرية وخاصة "بالمنطقة المدنية والعسكرية الفرنسية" فرع أرجانطوي، كما سخر سيارته لفائدتها. وقد نفذ جميع العمليات التي أسندت إليه بنجاح.
- أحداث فلسطين : كان من المعجبين بنضال الفلسطينيين، فاتصل بالمكاتب التي فتحت بباريس لتجنيد المجاهدين المتطوعين، ولأمر ما عدل عن ذلك.
- مؤتمر أنفا 1942 : علق عليه آمالاً في التحرر والانعتاق، وكان تواقاً لرؤية استقلال البلاد بعد الحرب.
- خطاب طنجة 1947 : وفيه أعلن السلطان محمد بن يوسف أن المغرب لا محيد له عن الاستقلال، وصار ذلك شيئاً محققاً عند الماسي، وكان يمقت كل من يقول عكس ذلك.

ولتجاوز عواقب وآثار الحرب العالمية الثانية على الجالية المغربية بفرنسا، التي أصبحت أوضاعها أكثر تردياً، أقدم صحبة مجموعة من الوطنيين على تأسيس "جمعية خيرية، وتم اقتناء وتجهيز مقرلها. وقد زاره محمد بن يوسف أثناء سفره لفرنسا سنة 1945 ، وأصبح عندئذ يحمل إسم دار السلطان.

كان الماسي يتتبع عن كثب كل ما يجري ببلاده من أحداث، وهكذا وإيماناً منه بأن المساندة المادية تكون خير معين في استمرار الصمود والثبات من أجل الاستقلال، تبرع من ماله الخاص لفائدة حزب الاستقلال (50 ألف فرنك) وحزب الشورى (25 ألف فرنك)، بعد سلسلة من الاعتقالات التي طالت الوطنيين عقب تقديم وثيقة المطالبة بالإستقلال. وخلال زياراته للمغرب أدرك أن ما ترفعه فرنسا من شعارات لم يترجم إلى أرض الواقع، ولا حظ بنوع من الأسى أن بلاده مجردة من السيادة الكاملة، لهذا أحس بضرورة مقاسمة الشعب المغربي همومه عن قرب. وفي أوائل سنة 1948، قرر الإستقرار بصفة نهائية بالمغرب، بعد أن أوكل لأخيه الحسين مهمة تدبير ممتلكاته بفرنسا.

وهكذا ارتضى لنفسه الاستقرار بأگدير قريباً من بلدته ماسة، وبالضبط بحي إحشاش، حيث اقتنى شاحنة، وظل خلال هذه المدة يحرض الناس على تعليم أبنائهم، بل كان يبادر بحمل تلامذة بعض أحياء المدينة يومياً على متن الشاحنة، اقتناعاً منه بأهمية المعرفة في تنوير وتنقيح

العقول. كما اشتغل سائقاً لسيارة الأجرة، ووظف مهنته في زرع الوعي الوطني وفضح ممارسات الاستعمار. وكانت له مواقف مشرفة تجاه السيادة الوطنية خاصة خلال زيارة الجنرال جوان لأگادير سنة 1951 ، عندما أوعز إلى أرباب سيارات الأجرة بعدم تعليق الرايات الفرنسية. وقد اغتنم باشا المدينة هذه الفرصة للإيقاع به ووشابه إلى الحاكم العسكري. ونتيجة تماديه في تحركاته لفضح الممارسات الاستعمارية، لم تتردد السلطات العسكرية عن اعتقاله وصودرت جميع ممتلكاته بدعوى مخالفة القانون، وحكم عليه بثلاث سنوات سجناً بعد محاكمة صورية. وهكذا اقتيد إلى سجن ارگانة بأحواز أگدير، بعدها نفي إلى ماسة مسقط رأسه، وخلال إقامته الجبرية بدوار "أغبالو" لم يتوان في فضح سياسة فرنسا والتنديد بالخونة والدعوة إلى مقاومتهما. ثم نقل بعد ذلك إلى بويزاكارن ثم إيفران، وكعادته كان يرتاد مجامع الناس بالحقول والمساجد وخلال المناسبات، وذاعت شهرته بالمنطقة بما كان ينشره من مواعيظ وأفكار لتقوية وإذكاء الوعي الوطني في نفوس المواطنين. وبعمله هذا لفت أنظار المخبرين، مما حدا بالسلطات الفرنسية إلى نقله إلى تيغرت بقبيلة إيمجاض، وخلال مقامه بها اصطدم باستفزازات قائد المركز الشيخ أوموح المتمثلة في تحريض السكان على مقاطعته ومهاجرته. وبالرغم من مضايقات القائد المذكور، فإنه تمكن من كسب تعاطف السكان، حيث وجد فيهم الرغبة الجامحة لدعم أي عمل يروم تحقيق السيادة الوطنية.

وفي نهاية 1951 ، انتقل إلى الرباط في شأن استئناف الحكم الذي صدر في حقه بأگدير، وبحكم مهارته في الإقناع والحوار، ومعرفته الدقيقة بالعقلية الفرنسية، تمكن من الحصول على رفع النفي عنه والسماح له بالتجوال. وتحسبا لأية مفاجئة، وخوفاً من اعتقاله مرة أخرى، التجأ إلى الدار البيضاء، التي كانت آنذاك معقلاً رئيسياً لنشاط الوطنيين. وكان الماسي أحد الأعضاء النشيطين، حيث كان يشرف بمعية العربي الشتوكي على عمليات الاتصال وتقديم المساعدات للمساجين خاصة السوسيين بسجن عين مومن، وإغاثة ذويهم اقتناعاً منه بـ "أن الناس إذا رأوا أسر المسجونين مكفيين، فإنهم لا يخافون من السجن، بخلاف ما إذا خافوا ضياع أولادهم، فإنهم لا يقدمون على أي عمل وطني". وقد أولى للجانب الاجتماعي اهتماماً كبيراً، جعل منه الرجل المناسب والمتخصص في هذا الحقل. ولعل التجربة التي راكمها في مجال الأعمال ومعرفته للغة الفرنسية، وعلاقاته المتميزة مع بعض رموز المقاومة، تعتبر معطيات سهلت مأموريته في هذا الصدد. وقد نجح في تمرير المساعدات إلى عائلات المساجين بأگدير بعد أن تبرع من ماله الخاص، وما جمعه من تبرعات بعض المحسنين كالدكتور الخطيب وإدريس الحلو وسالم الحلو وإدريس القباج وآخرون. وخلال زيارة المغفور له محمد بن يوسف للدار البيضاء قبيل نفيه، كان الماسي ضمن الوفد الذي قابل السلطان حيث "أوصانا بالصبر والعمل المتواصل، والاتكال على الله".

وبعد تنفيذ مؤامرة 20 غشت 1953 ، وبداية العمل المسلح، كان صاحب الترجمة من العناصر النشيطة ضمن خلايا المقاومة بالدار البيضاء، وفي ذات الوقت كان يتعاون مع خلية الرباط بواسطة السيد محمد الخنبوبي الذي وضع منزلا تحت تصرف الماسي لعدة شهور، بعدما اكترى مزرعة وادي إكم، كما أقام بمعية آخرين مركزين آخرين بالدار البيضاء عند السيدين مولاي العربي وبلعيد السوسي بشارع السويس، إضافة إلى مراكز أخرى صغيرة بمكناس وغيرها.

وكان الماسي دائم التنقل بين هذه المراكز متنكراً رغم الإجراءات التشديدية لقوات الاحتلال، والنشاط المكثف للمخبرين المحليين. ولما أحس بخطورة التهديدات التي يمثلها هؤلاء، بعد إلقاء القبض على مجموعة من المناضلين، وحفاظاً على استمرارية مسيرته النضالية، وجد نفسه مجبراً على مغادرة المنطقة الفرنسية، وحط الرحال بتطوان، وفيها اتصل بالسيد أحمد زياد، وأطلعه على مهمته قائلاً :"إننا قدمنا إلى هذا البلد، فإننا مثل الكبش إذا أراد أن يضرب كبشاً آخر، فإنه يرجع إلى الوراء". بعدها تحرك صوب العرائش، حيث اكترى منزلاً، كان مقصداً للمجاهدين النازحين إلى الشمال. ويبدو أن نشاطه هذا أثار حفيظة السلطات الاسبانية التي اعتقلته لعدة أسابيع، قبل أن يطلق سراحه بعد أن أفهم الإسبان بأنه قدم للمنطقة الخليفية ليكون حراً في أقواله وأفعاله. لهذا كثف اتصالاته خاصة بعابد السوسي والحسن العرائشي القاطنين بالعرائش، والدكتور الخطيب والحسن الأعرج بتطوان. وبإيعاز من هؤلاء، أسندت إليه مهمة تدبير معسكر لجيش التحرير بالقصر الكبير، وكان ينفق عليه في بداية الأمر من ماله الخاص، قبل إحداث "صندوق الجهاد". وظل خلال هذه الفترة يجول في المراكز الرئيسية بالشمال لجمع التبرعات "حتى الأضاحي كنا نأمر الناس بأن يقدموا ثمنها لجيش التحرير لشراء السلاح".

وبعد رجوع محمد الخامس من المنفى، وحصول المغرب على الاستقلال، كان من أطر المقاومة الذين تقلدوا مناصب رسمية، وهكذا عين قائداً بدون اشتشارته على منطقة واسعة شملت كلا من : ماسة، المعدر، أگلو، السيحل، آيت برابيم، أولاد جرار، ويجان، إيداو بعقيل، السهل، رسموكة السهل، وكان الماسي يدرك ثقل وجسامة عمله، لذا تحمل مسؤوليته بكل جد وإخلاص ونكران الذات، غير أن وظيفه الرسمي كقائد لم يكن ليشغله عن الاهتمام بالمجالات الاجتماعية من قبيل : فرض التعليم الإجباري، وبناء دور الأيتام والتصدي لبعض الممارسات الاجتماعية الشاذة، دون إهمال مسألة تعبئة السكان لإصلاح السواقي وتعميق العيون وإصلاح الطرق وبناء الجسور. وفي هذا الصدد، جند سنة 1958، العديد من الرجال والآليات لبناء قنطرة جديدة على وادي ماسة بعد أن جرفت مياه الوادي القنيطرة القديمة، كما توسط بين الإسبان المتحصنين بحصن تابلكوكت على واد سالگماض، ورجالات جيش التحرير المحاصرين لهم، توج

بانسحاب الجند الإسبان نحو إفني. وإيماناً منه بأهمية المعرفة والعلم في تنوير العقول وإنقاذها من براثن الجهل والأمية، سعى بكل حماس بمعية مجموعة من الإخوان إلى جمع التبرعات من داخل الوطن وخارجه، قصد إحداث معهد إسلامي بتارودانت لإيواء الطلبة وإطعامهم وإقرائهم. وكان هذا العمل منطلقاً لبناء فروع له في ماسة وتيزنيت وغيرهما.

ورغم إقالته من منصبه سنة 1963، فإنه استمر كداعية للمشاريع الخيرية، وكان ينفق لأجل ذلك من ماله الخاص. وكانت له مواقف سياسية جريئة وصادقة تجاه أحداث عصره، رواها في مذكراته، بدءاً باعتقاله وانتهاء بتجربته الانتخابية 1977.

توفي عبد العزيز الماسي يوم الأربعاء 28 ربيع الثاني 1398 / 5 أبريل 1978، ودفن بمقبرة آيت الياس بماسة، وحضر جنازته عدد كبير من رجالات المقاومة وجيش التحرير، وإخوانه في النضال. وقد أثنى عليه معاصروه ورفاقه في المقاومة فيما حرروه من مذكرات وشهادات.

عبد الحميد البعمراني، *مذكرات عبد العزيز الماسي*، مرقونة، نسخة خاصة ؛ محمد الوديع الآسفي، عبد العزيز الماسي، *من معالم الطريق*، الدار البيضاء، 1982 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، ج 18 : 85 ؛ *رواية شفوية*.

أحمد بومزگو

**الماسي، عبد الله** ثائر مغمور ضد الموحدين سنة 541/ 1148. وبخصوص هذه الثورة فإن المصادر غير متفقة فيما بينها حول تاريخها في حين التزم البعض منها الصمت عن تاريخ قيامها كما هو الشأن بخصوص البيذق الذي اكتفى بذكر الخبر بعد حديثه عن فتح مراكش من طرف الموحدين 541 / 1145 ونفس الشيء عند صاحب *الحلل الموشية*، أما ابن أبي زرع فقد ذكر بأن الماسي ثار سنة 541 / 1148 وقد رجح أحد الباحثين أن تكون نهاية هذه الثورة في آخر سنة 541 / 1148.

وما يمكن قوله أن الماسي تزعم تمرداً كبيراً ضد المخزن الموحدي، حيث شمل نفوذه حوض سوس، وجبل جزولة، ودرعة، وسجلماسة. ولم يستطع الموحدون القضاء على ثورته إلا بعد تجهيز حملة عسكرية قوية بزعامة أبي حفص عمر الهنتاتي.

وتعتبر هذه الثورة أول ثورة هددت الدولة الموحدية الفتية. وهو ما أكده محمد زنيبر في قوله إن : "... الدولة القائمة [الموحدية] في خطر ورجعت أول حملة الموحدين منهزمة، فتوجه حينئذ أبو حفص على رأس جيش، فيه أشياخ الموحدين إلى رباط ماسة وهناك جرت المعركة مع الثائر بهزيمة أصحابه ومقتله في الميدان".

ويستنتج من هذه المعلومات أن هذه الثورة ما تزال مغمورة وتحتاج إلى مزيد من البحث والتنقيب لوضعها في إطارها التاريخي.

م. العمراني، *الفتن والتمردات بالمغرب الأقصى والأندلس خلال ق 6 هـ / ق 12 م*، د.د ع كليـة الآداب، الرباط، 1995 / 1996 ؛ محمد زنيبر، مادة أنتي، *معلمة المغرب*، ج 3، ص. 815.

محمد حنداين

**مَاشَان** ، ويكتب مَشَان أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Maxan وMarchan و Merchan. ومن أشهر أفرادها : أحمد بن عبد الكريم ماشان فقيه زاول خطة العدالة من سنة 1263 إلى 1269 (1847 ـ 1853) وفي يوم 26 ربيع الثاني 1275 عين محتسباً بتطوان وذلك إلى غاية جمادى الثانية من سنة 1276 ؛ وعندما احتلت الجيوش الإسبانية المدينة في رجب 1276 (فبراير 1860 ) ظل بها الفقيه حيث تولى منصب القضاء الشرعي خلال مدة الاحتلال.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**ماص** (مجموعة ـ)، عدد معقد ومتحرك من الشركات التي كانت حاضرة في قطاعات اقتصادية شتى في المغرب طيلة القرن العشرين، يبدو للوهلة الأولى أنها تتمتع بالاستقلال بعضها عن البعض الآخر. وتسمح العودة إلى وثائق هذه الشركات بالتوصل إلى أنها كانت خاضعة لنفوذ قطب مالي قوي، شكلت أسرة ماص Mas نواته الصلبة.

وهذه الأسرة مشهورة في منطقة ليون بجنوب فرنسا إبان القرن التاسع عشر، وازدادت شهرتها منذ استقرارها بالمغرب في بدايات القرن العشرين. وبرز فيها ثلاثة أفراد يمثلون تعاقب أجيالها، وهم أنطوان ماص (1865 ـ 1938) الذي أسس المجموعة بالمغرب، وبرز نشاطه على الخصوص في قطاع العقار والبنك، وابنه بيير (1891 ـ 1970) الذي واصل قيادتها بعد وفاة والده، ووظف قوتها على الخصوص في المجال الإعلامي والسياسي، ثم حفيده إيف (1923 ـ 1995)

الذي طفا اسمه على السطح بعد الحرب الثانية إلى جانب أختيه جاكلين موريل Jacqueline Morel وجوزيت گيشار Josette Guichard.

قام أنطوان ماص في البداية بدور كبير في وضع أسس المجموعة الأولى في المناطق الخاضعة قبل فرض الحماية (الشاوية وزعير) حيث أحدث فروعا بنكية لتمويل مختلف المشاريع العقارية، وحاز بعض الأراضي لحسابه الخاص في هذه الجهة، وأشرك أصدقاءه في أراض أخرى في تلك الجهة من خلال شركة الشاوية العقارية. وواصل ماص نشاطه العقاري بوتيرة أسرع بعد فرض الحماية، حيث حاز كثيرا من الأراضي في البوادي (الشاوية والغرب) وفي ضواحي المدن (الدا البيضاء والرباط)، وأسس شركات عقارية جديدة رفقة أصدقائه اهتمت بالاستثمار في مناطق معينة، مثل الشركة العقارية الليونية المغربية (الشاوية ومدينة الدار البيضاء) وشركة الرباط العقارية (مدن الرباط وسلا والجديدة ومكناس). وشارك ماص في شركات بنكية جديدة، دون أن يتمكن من فرض وجودها فاختفت بسرعة، باستثناء بنك أ. ماص الذي تكون رأس ماله أساسا مما تراكم في حوزته سنة 1938 من عقارات حضرية وفلاحية.

واهتمت المجموعة فيما بعد بقطاعات اقتصادية أخرى، مثل الصناعة (شركة أحذية تريموليد وشركة سترافور ـ ماروك وشركة فاماك والشركة الشريفة بيير مانيار وشركاؤه) والتجارة والنقل (شركة أحذية أو دربي وشركة أوطو هال وشركة الستيام وشركة المعرض الدولي للدار البيضاء). غير أنها اشتهرت على الخصوص بهيمنتها على قطاع الإعلام، فلا تذكر الصحافة في فترة الحماية إلا لصيقة بها، وتطلق المراجع على رؤوس هذه المؤسسة كثيرا من الصفات الدالة على السطوة في هذا المجال (مثل "بيير ماص إمبراطور الصحافة"). ولهذا، رأينا أن نتناول هذا الجانب، مع التركيز على أهم التطورات التي عرفتها مجموعة ماص من نشأتها في فترة الاستعمار إلى تفككها في فترة الاستقلال.

1 ـ مجموعة ماص في فترة الحماية : يمكن أن نتطرق إلى تطور المجموعة خلال هذه الفترة عبر أربع مراحل، وهي التأسيس والتوسع والتكيف مع مستجدات الحرب الثانية وترسيخ الهيمنة في أواخر الحماية.

أولا : مرحلة التأسيس (1919 ـ 1921) :

ولجت المجموعة ميدان الصحافة، في ظرفية تميزت بتضرر مصالح المعمرين من عواقب الحرب الكبرى (1914 ـ 1918)، وخاصة إبان ما اصطلح على تسميته "بأزمة الحسني". وانعكس الأمر على صفحات الجرائد، حيث ندد كثير من الصحافيين بسياسة السلطات العمومية. وردت الإقامة العامة على ذلك باتخاذ عدة قرارات، أدت إلى تدجين الصحف المعارضة، ومنها *ليكو دو ماروك L'Echo du Maroc* ولا *فيجي ماروكان La Vigie Marocaine*.

في هذا السياق، حازت المجموعة سنة 1919 جريدة ليكو دو ماروك بنسختيها الرباطية والبيضاوية ووفرت لها مجموعة من الوسائل المادية والبشرية. وأطلقت عنوانا جديدا على النسخة البيضاوية في بداية السنة الموالية، وهو *لوبوتي ماروكان* Le Petit Marocain، مع الاحتفاظ بالعنوان الأصلي في مدينة الرباط. وأسندت المجموعة مصالح الجريدتين الصباحيتين إلى شركة صحافية جديدة، سمتها شركة الصحف الجهوية الكبرى La Société des Grands Régionaux du Maroc.

ثم خطت مجموعة ماص خطوتها الثانية في هذا المضمار بالأندساس إلى جريدة لا *فيجي ماروكان* سنة 1921، قبل أن تلتهمها خلال عمليات رفع رأس مال الشركة التي أسستها للسهر عليها، وهي شركة لافيجي *ماروكان* La Société de la Vigie Marocaine. وقررت المجموعة أن تحول صدور هذه الجريدة إلى المساء، حتى لا تضايق ما تصدره في الصباح.

ثانيا : مرحلة التوسع (1922 ـ 1942) :

أخذت مشاكل مجموعة ماص تتراكم من استغلال شركتين صحافيتين، لهما حاجات مشتركة إلى الورق والإشهار. فازدادت حاجتها إلى إعادة النظر في هياكلها الداخلية، عن طريق إحداث مقاولات متخصصة جديدة في سنة 1923 في إطار تقسيم العمل.

وهكذا، أسست المجموعة شركة لتوفير حاجات صحفها الحيوية إلى الأخبار والإشهار وتخليصها من احتكار وكالة هافاس، سمتها الوكالة المغربية للإشهار والأخبار L'Agence Marocaine de Publicité et d'information. وكانت بدايتها بسيطة، قبل أن تصبح أقوى شركة إشهارية في المغرب إبان عهد الحماية. وفي الوقت نفسه، كلفت المجموعة مقاولة أخرى بتوفير حاجات صحفها من الورق، وهي الشركة المغربية لاستيراد الورق La Société Marocaine d'Importation des Papiers التي بدأت بداية بسيطة، قبل أن تهيمن على مجال نشاطها في سنوات الحماية اللاحقة. وعمدت المجموعة إلى تجميع مطابعها وآلاتها وتجهيزاتها الموزعة بين شركتيها الصحافيتين في إطار تكلف بالسهر على عمليات الطباعة، سواء ما تعلق منها بإخراج جرائد المؤسسة أو بتلبية حاجات غيرها من الزبائن. وسمت المجموعة هذا الإطار الجديد باسم المطابع المتحدة لـ "*لافيجي ماروكان*" و"*لو بوتي ماروكان*" Les Imprimeries Réunies de la Vigie Marocaine et du Petit Marocain.

واستفادت المجموعة من مواصلة عمليات "التهدئة" في جهات أخرى من المغرب في العشرينيات من القرن الماضي. فأحدثت شركة الصحف الجهوية التابعة لها في فاس سنة 1929 جريدة صباحية جديدة تحت عنوان *لو كوريي دو ماروك Le Courrier du Maroc*، توخت منها استقطاب المزيد من الزبائن من بين معمري سايس وشرق المغرب عن طريق الاهتمام بمشاكلهم الخاصة.

وابتلعت المجموعة في طريقها عددا من المقاولات

الإعلامية التي كانت تعاني من الصعوبات، مما جعلها لا تقوى على فرض وجودها. فقد تخبطت مجلة *لاطير ماروكان* *La Terre Marocaine* في كثير من الصعوبات منذ صدورها سنة 1928، جعلتها تتقلب بسرعة بين عدد من الأيادي قبل أن تؤول في السنة الموالية إلى المجموعة من خلال شركة جديدة حملت عنوان الدورية نفسه. ويظهر أن مقاولتين فرديتين أخريين كانتا تعانيان من الشلل في سوق النشر، مما استوجب تدخل المجموعة في سنة 1936 لدمجها في شركة جديدة تحت اسم شركة منشورات المغرب ومطبوعات المغرب. وقد واصلت هذه الشركة نشر دليلها الفصلي تحت عنوان L'Horaire Vert والسنوي تحت عنوان L'Annuaire des Fonctionnaires et de l'Armée (Maroc)، مع إضافة عدد من المنشورات الأخرى من دلائل وكتب وروايات، إلا أن نشاطها فتر بعد خمس سنوات من ميلادها. ثم جاء دور جريدة *لا ديبيش ماروكان* La Dépêche Marocaine التي أقلق وضعها السلطات الفرنسية، خاصة وأن جهات غير فرنسية أصبحت تشرئب إلى وضع يدها عليها. واهتدت تلك السلطات إلى حل يحفظ ذلك اللسان الفرنسي في طنجة، وهو تمكين المجموعة من ولوج الجريدة عن طريق ضخ شركتها بالأموال سنة 1940.

ثالثا : مرحلة التكيف مع مستجدات الحرب الثانية (1943 . 1945) :

لا شك أن توسع المجموعة كان مدعوما من قبل السلطات الاستعمارية بأشكال مختلفة، بعضها ظاهر وبعضها خفي. فعلى سبيل المثال لا الحصر، توصلت جريدة *ليكو دو ماروك* سنة 1922 بمساعدات مالية من الإدارة من أجل تغطية مصاريف بعض المسابقات الرياضية. وبالمقابل، عرفت المجموعة بسلوكها الموالي للسلطات الفرنسية، كما حصل في السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية عندما تعاونت بقوة مع نظام الماريشال بيتان المدعوم من قبل النازية. فقد تردد بيير ماص قطب المجموعة عدة مرات على عاصمة هذا النظام، والتقى ببعض قادته في عدة اجتماعات من أجل تلقي التعليمات وتنسيق الخطط، وفي الوقت نفسه عرض مشاكل جرائده الخمسة. وكان هذا القطب على اتصال بلجان الهدنة الألمانية، بل وكان يستقبلهم في ڤيلاته بحي أنفا (الدار البيضاء) أو بضيعاته في ضاحية كامبولو (ابن سليمان). وبرز ولاء المجموعة لذلك النظام على صفحات جرائدها من خلال الأخبار والافتتاحيات التي نشرتها بعد غزو القوات الألمانية للتراب الفرنسي..

واستمر الوضع على ما هو عليه، إلى أن نزلت القوات الأمريكية بالمغرب في نوفمبر 1942. ولم يشفع لها ما طرأ على مواقفها من الانتقال إلى معاداة النازية، حيث اتخذت عدة قرارات في حق المجموعة وقطبها. ووضعت السلطات الأمريكية والبريطانية في طنجة شركة لا ديبيش ماروكان في لائحة المؤسسات الخاضعة للعقوبات وسجلت جريدتها في اللائحة السوداء، مع ما ترتب على ذلك من حرمانها من اشتراكات الزبائن وإشهاراتهم وإعلاناتهم وتهديد المتعاملين معها بالعقاب. ولذلك عانت الجريدة من العجز المالي حتى أو شكت على السقوط في أياد غير فرنسية، مما أجبر السلطات الفرنسية على التدخل لدى بريطانيا من أجل التشطيب عليها من اللائحة السوداء. وقد تأتي هذا في متم أكتوبر 1943، بعد استجابة مجموعة ماص لعدد من الشروط وتدخل وزارة الخارجية الفرنسية لدى السلطات الأنجليزية والأمريكية. فعاودت المجموعة التصرف الكامل في جريدتها فيما تبقى من سنوات الحرب، قبل أن تنسحب منها في 1946.

واتخذت عدة إجراءات وقرارات في حق باقي مؤسسات المجموعة ومصالحها الموجودة في منطقة الاستعمار الفرنسي. فقد قررت الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية بالجزائر يوم 30 نوفمبر 1943 وضع الجرائد والدوريات الصادرة قبل النزول العسكري الأمريكي بالمغرب تحت الحجز. وتطبيقا لذلك، وضعت مؤسسات مجموعة ماص (بنك أ. ماص وشركة لا فيجي ماروكان وشركة الصحف الجهوية الكبرى) تحت الحجز بحكم قضائي صدر بمدينة الجزائر يوم 6 دجنبر 1943 وبقرار من رئيس ابتدائية الدار البيضاء يوم 28 دجنبر الموالي. وجرى تبادل عدد كبير من المراسلات السرية بين وزراء الحكومة المؤقتة بالجزائر وسلطات الحماية بالرباط طيلة سنة 1944 في شأن تحديد طبيعة العلاقة السابقة بين قطب المجموعة ونظام فيشي وما يترتب على تعاونه معه من قرارات. وما يهمنا هنا هو ما نتج عن ذلك من وضع بيير ماص تحت الإقامة المحروسة في ميدلت مدة قصيرة، قبل نقله إلى مدينة ابن أحمد في مارس 1945.

ولم تتوقف حملة عدد من التيارات والأحزاب السياسية الفرنسية في فرنسا والمغرب منذ سنة 1943 عن السعي إلى كشف تورط مجموعة ماص وغيرها من المؤسسات الرأسمالية في التعاون مع نظام بيتان والنازية، وعن الدعوة إلى تفكيك هذه التكتلات. ولأجل ذلك، استعمل

الدوگوليون والاشتراكيون والشيوعيون عددا من الوسائل، مثل رفع العرائض إلى وزارة الخارجية بباريس، كما حدث يوم 10 دجنبر 1944، ومثل توظيف الصحف التي كانت بأيديهم. وأثير الموضوع أيضا في المراسلات الرسمية والكواليس الحكومية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، بعث فانسان أوريول رئيس الجمعية الاستشارية المؤقتة في متم مارس 1945 رسالة إلى جورج بيدو وزير الخارجية، أثار انتباهه إلى استمرار رضوخ الصحافة في المغرب لقوة مجموعة ماص وإلى قرب عرضها للبيع على يد المكلف بحجزها، وعرض عليه السيناريوات المحتملة (إمكان تفويت الصحف إلى مجموعات أجنبية، وخاصة أمريكية أو إلى جماعات من المعمرين قد تكون مجموعة ماص حاضرة فيها بشكل من الأشكال)، وفي نهاية الرسالة، التمس أوريول الحيلولة دون تحقق ذلك مع طرح الاقتراح الذي تقدم به المقاومون الفرنسيون (توزيع جرائد المجموعة الأربع بالتساوي بين الديمقراطيين الشعبيين وجمعية فرنسا المكافحة والحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي).

وكان من الضروري أن تبذل المجموعة قصارى جهودها من أجل الدفاع عن نفسها والعمل على تغيير جلدها بطمس مظاهر ولائها لفيشي والتقرب من الحلفاء وحكومة دوكول، سواء من خلال تصريحات رؤوسها أو سلوكاتها أو تغيير إدارات تحرير جرائدها التي ارتبطت أسماؤها في أذهان القراء بالمرحلة السابقة. وفي هذا الإطار، استقدمت المجموعة أسماء جديدة ذات إشعاع قوي جدا، ومنها الدكتور إيرو صاحب التجربة الإدارية الغنية في أجهزة الإقامة العامة وبيير ليوطي ابن أخ أشهر المقيمين العامين بالمغرب وصاحب الصيت القوي في الكتابة. وإمعانا في طي صفحة الماضي أيضا، بعث بيير ماص في يونيو 1944 عددا من الرسائل إلى جهات مسؤولة مختلفة، تبرأ فيها من وجود أية علاقة خاصة أو متميزة بينه وبين نظام فيشي، مع دعوته إلى رفع قرارات الحجز عن مجموعته.

وبالفعل، استفادت المجموعة من ظروف التخفيف التي كانت مشروطة بعدم إدارة شخص معين، والمقصود به هو بيير ماص بالذات، لأكثر من شركة صحافية واحدة أو جمعه بين إدارة شركة صحافية وأخرى مرتبطة بالصحافة دون أن يكون هذا القطاع نشاطها الأساسي (ظهير 29 فبراير 1945). وهكذا، قضت ابتدائية الرباط يوم 4 يوليوز 1945 بإسقاط المتابعة عن الرجل، ورخص له مدير الأمن العمومي بالاستقرار في مدينة الرباط من 27 يوليوز 1945 إلى 10 غشت 1945. ثم قرر قاضي الأحكام المستعجلة بابتدائية الدار البيضاء يوم 12 أكتوبر الموالي رفع الحجز عن المؤسسات المعاقبة من المجموعة، بعدما تحقق من انضباطها للشروط المطلوبة.

وفعلا، اضطرت المجموعة إلى التكيف مع مستجدات الحرب الثانية بطرق مختلفة. فقد تخلت عن جريدة *لو بوتي ماروكان* لصالح الاتحاد العام للنقابات المغربية في سياق سياسي محلي ودولي اتصف بتصاعد وضع اليسار. ولم يمنع هذا التفويت دون استمرار ارتباط هذه الصحيفة بمالكها الأصلي، فقد رهنتها المجموعة بالتحكم في مؤونتها من مادة الإشهار المورد الحيوي لكل جريدة، وفي خروجها من المطابع المتحدة، بل وأكرتها جزءا من عمارتها في زنقة جورج مرسيي (زنقة محمد اسميحة حاليا) لتتخذه مكاتب خاصة بالإدارة والتحرير. وسنرى فيما بعد أبعاد هذا الرهان على مستقبل الجريدة النقابية.

وعملت المجموعة على حفظ علاقتها بباقي الصحف بدرجات تفاوتت حسب أهمية كل واحدة منها بالنسبة لتلك المؤسسة الإعلامية، مع الحرص على نقل ملكيتها إلى أياد أمينة.

ووزعت المجموعة سنة 1945 إرث إحدى شركاتها الصحافية الأساسية، وهي شركة لا فيجي ماروكان القديمة كما تسميها وثائقها أحيانا، بين شركتين : شركة لافيجي ماروكان الجديدة La Société Nouvelle de la Vigie Marocaine التي حازت الجريدة المسائية وواصلت الإشراف عليها والشركة العقارية والصناعية لزنقة جورج لويس La Société Immobilière et Industrielle de la Rue Georges Louis التي حازت العمارة لتي تأوي مكاتب الصحيفة ومختلف مصالحها إضافة إلى مطبعتها. ويلاحظ أن هذه الشركة استحوذت على أغلب أسهم الشركة الصحافية.

وحولت المجموعة جريدة *ليكو دو ماروك* وجريدة *لو كوريي دو ماروك* إلى خدامها وأتباعها وأصدقائها من خلال إحداث شركتين صحافيتين جديدتين : شركة ليكو دو ماروك La Société de l'Echo du Maroc وشركة لو كوريي دو ماروك La Société du Courrier du Maroc. ويلاحظ من لائحة الاكتتاب والدفع أن عدد المساهمين كان كبيرا، خاصة في الشركة الرباطية التي قد تكون المجموعة تعمدت تفتيت رأس مالها طمعا في استرجاع جريدتها لاحقا، وهو ما حصل فعلا في ظروف غير معروفة لدينا في فترة الاستقلال. ويلاحظ أيضا أن عملية الاكتتاب قد تحققت بسرعة فائقة ومذهلة استدعت الشكر، كما جاء في وثائق المجموعة.

وفي المقابل، حرصت المجموعة على التشبث بأخطر القطاعات الحيوية الضرورية لتلك الجرائد، وهما الإشهار والطباعة. فقد واصلت المجموعة حضورها القوي في الوكالة المغربية للإشهار التي ازداد احتكارها لسوق الإشهار في المغرب، خاصة بعد تخلصها من جمع الأخبار وتسويقها. كما واصلت سيطرتها على قطاع الطباعة، بعدما سلختها من أغراض شركاتها الصحافية لتحدث شركة المطابع المتحدة التي تمكنت من ابتلاع عدد كبير من الصفقات التجارية. ولا شك أن تمسك بيير ماص قطب المجموعة بالإشهار والطباعة راجع إلى ما خبره طيلة ربع قرن من الزمن من خطورة هذين النشاطين على الصحافة.

وبذلك، يمكن القول أن المجموعة قد تمكنت من تدبير الصعوبات الناجمة عن الحرب الثانية، فقد كيفت مواقفها السياسية حسب الأطراف المتحكمة في مجرياتها، ثم تصرفت في بناها حسب أهمية مصالحها.

رابعا : مرحلة ترسيخ الهيمنة الإعلامية (1946 ـ 1956) :

انتبهت المجموعة إلى مجال جديد ظلت غير مهتمة به، وهو نشر الإنتاج المكتوب باللغة العربية، فأشركت عددا من المغاربة في بداية سنة 1947 في شركة جديدة تحت اسم الشركة الشريفة لمنشورات أوريون ـ أو كسيدون La Société Chérifienne d'Editions Orient-Occident ، لكنها لم تعمر سوى ثلاث سنوات، بسبب ضعف نشاطها التجاري واستعداد المجموعة لاسترجاع جريدة *لو بوتي ماروكان*.

وأعادت المجموعة سنة 1948 ترتيب بيتها الداخلي في مدينة الرباط، بتجميع وسائل إنتاجها الموزعة بين شركة المطابع المتحدة وشركة ليكو دو ماروك في إطار شركة مطبعية جديدة، هي شركة المطابع الفرنسية والمغربية La Société des Imprimeries Françaises et Marocaines de Rabat . فقد ساهمت الشركة الأولى بعمارتها المطلة على زنقة بول دومير (زنقة جدة حاليا) وبالأصل التجاري التي ظلت تستغله تحت اسم مطبعة شالة، بينما اكتتبت الشركة الثانية ما توفر لها من معدات وتجهيزات مطبعية في عمارتها المطلة على زنقة الجمهورية (شارع علال بن عبد الله) مع ما تبقى من عقد كراء هذه البناية. وحصل الاتفاق داخل المجموعة على توزيع احتكار السوق الإعلامية، فقد التزمت شركة المطابع المتحدة وشركة المطابع الفرنسية والمغربية بعدم إصدار أية جريدة يومية صباحية في الرباط تزاحم جريدة *ليكو دو ماروك*، بينما تعهدت شركة ليكو دو ماروك بعدم إحداث أية مقاولة مطبعية تزاحم الشركتين المطبعتين. وقد أتت هذه العملية أكلها، بدليل هيمنة المجموعة على السوق الإعلامية الرباطية فيما تبقى من عهد الحماية على الأقل.

وواصلت المجموعة تراميها على المزيد من المقاولات والمشاريع الإعلامية في السنوات اللاحقة، مع وجوب الوقوف عند بعض المحطات الرئيسية في تطورها.

لعل من أهم هذه المحطات ولوج المجموعة إلى شركة صحافية عجز صاحبها جان فانيوس عن إنعاشها، على الرغم من انتهاء الحرب العالمية الثانية. ويتعلق الأمر بشركة منشورات فرانس ـ أفريك التي كانت تصدر أسبوعية *لو ماروك بوليتيك إيكونوميك إي فينانسيي* Le Maroc Politique, Economique et Financier المعروفة بعنوان *لو ماروك* . وظفت المجموعة جزءا من إمكاناتها المالية في الشركة سنة 1948، بينما ساهم المالك الأصلي بما راكمه من تجربة في عالم الفكر والأدب والسياسة. وقد مكن عقد التأسيس المجموعة من رسم الخط السياسي لأسبوعية الشركة الصادرة في باريس، وهو ما يتضح من استنساخها ما يرد في *لافيجي ماروكان* من افتتاحيات، كما جرى إبان صراع المجموعة مع مجموعة والتر Walter في شأن الأحقية بملكية جريدة *لو بوتي ماروكان* سنة 1950. وتأتى للمجموعة وضع يدها التام على هذه الشركة وإنتاجها بعد وفاة شريكها في نهاية سنة 1955.

وفي مستهل سنة 1949 ، انقضت المجموعة على شركة أخرى عمرت عقدين من الزمن دون أن يتمكن صاحبها موريس بوتيت من فرض نفسه في مجال الملصقات. وقد ضخت المجموعة في هذه الشركة جزءا من إمكاناتها المالية الضخمة، جعلها أكبر مقاولة للملصقات على الحيطان والألواح الإشهارية وعلى الطرق في المغرب، وسمح لها بتوفير أوراش الإنتاج ووسائل العمل التي جعلت ملصقاتها تغزو شوارع الدار البيضاء بسرعة وتنتشر إلى غيرها من المدن المغربية. فساهمت هذه الشركة في ترسيخ هيمنة المجموعة على السوق الإعلامية المغربية وفي الضغط على أذواق المستهلكين المغاربة والأجانب.

ولعل أهم خطوة خطتها المجموعة في سنوات الحماية الأخيرة هو استرجاع جريدة *لو بوتي ماروكان* التي عدها ألبير عياش "زهرة" المجموعة. وقد تأتي لها ذلك سنة 1950 بفضل الخطة التي رسمتها قبل خمس سنوات من أجل إغراق الجريدة إبان الإدارة النقابية بالديون، والتي توجت بالضغط عليها لأداء ما عليها من مستحقات. واضطر مسؤولان من الاتحاد العام للنقابات المغربية إلى إبرام عقد التخلي في 11 ماي 1950 مقابل مبلغ مالي قدره 20.000.000 فرنك. ثم تلقت المركزية النقابية عرضا سخيا جدا من مجموعة والتر بعد يومين، جعلها تتراجع عن العقد وتواصل الإشراف على يوميتها. وبذلك حصل وضع شاذ، وهو تعايش جريدتين في نفس المكان والزمان تحت عنوان واحد : إحداهما تحت مسؤولية مجموعة ماص والأخرى تحت إدارة الاتحاد العام ثم تحت إدارة مجموعة والتر. وترتب على هذا الوضع انسياق الأطراف كلها وراء حرب متعددة الأوجه، استعمل فيها كل طرف ما توفر عليه من أسلحة من نبش في ماضي خصمه وسبه في انتظار قرار المحكمة الابتدائية بالدار البيضاء في شأن قانونية العقدين المبرمين في ماي 1950. وقد جنحت مجموعة والتر إلى الصلح، بعد صدور القرار لصالح مجموعة ماص في نهاية السنة الموالية.

وبذلك، تمكنت المجموعة من استعادة الجريدة إلى حظيرتها، فاكتملت من جديد هيمنتها على المشهد الإعلامي في المغرب خلال الحماية، على الرغم من الجهود الجبارة التي بذلها خصومها مثل مجموعة والتر من نهاية الأربعينيات إلى منتصف الخمسينيات، ومثل المجموعات التي كانت من وراء مشروع تلفزة شركة تيلما في النصف الأول من الخمسينيات. وسلكت مجموعة ماص إبان "الأزمة الفرنسية ـ المغربية" سياسة حذرة تتسم بعدم الانغماس في الاستثمار، توجسا من التقلبات السياسية، مسايرة في ذلك

الاستراتيجية التي اعتمدتها الدوائر الرأسمالية الكولونيالية.

2) مجموعة ماص في فترة الاستقلال

يمكن أن نميز بين مرحلتين أساسيتين، مرت منهما المجموعة في فترة الاستقلال : مرحلة أولى امتدت من نهاية 1955 إلى نهاية 1971 ، ونصطلح على تسميتها بمرحلة التكيف مع مستجدات عهد الاستقلال، ومرحلة ثانية امتدت من نهاية 1971 إلى منتصف التسعينيات، ونصطلح على تسميتها بمرحلة التفكك والتلاشي.

أولا : مرحلة التكيف مع مستجدات عهد الاستقلال (من 1956 إلى 1971) :

رأينا أن المجموعة قد تمكنت من الحفاظ على إمبراطوريتها الإعلامية في المغرب، على الرغم من الظرفية السياسية الصعبة والمنافسة الصحافية الحادة في سنوات الحماية المتأخرة. وكان على المجموعة أن تواجه مع بداية عهد الاستقلال صعوبات جديدة، لعل من أهمها كيفية التكيف مع الوضع السياسي الجديد الذي عملت على الحيلولة دونه في السابق، خاصة منذ تورطها في عملية خلع السلطان سيدي محمد بن يوسف في غشت 1953 إلى عودته في نوفمبر 1955 ، إضافة إلى تدبير الصعوبات الناجمة عن التطورات العامة التي طرأت من منتصف الخمسينيات إلى أوائل السبعينيات.

لقد انتقلت المجموعة بسرعة فائقة من مساندة رموز السلطة في الماضي القريب (الجنرال گيوم وابن عرفة والگلاوي...) إلى مساندة السلطة الشرعية العائدة من المنفى، بدليل الانقلاب المفاجئ البادي للعيان على صفحات جرائدها في نوفمبر 1955. وكانت المجموعة أحرص على رسم الخطوط التحريرية لإدارات جرائدها، من حيث انتقاء الأخبار وتحديد عبارات المقالات، بشكل يساير ذلك التحول المفاجئ.

وقد أثار ذلك استغراب بعض الصحافيين الذين لم يستسيغوا الأمر، مما دفع بأحدهم وهو روبر هانتبرگ Robert Hantberg ، إلى تقديم استقالته إلى جاك كيشار Jacques Guichard مدير جريدة لا *فيجي ماروكان* يوم 27 أكتوبر 1956 ومطالبته بالتعويضات عما لحق به من ضرر. واضطر رئيس مصلحة الأخبار المستقيل، نتيجة رفض مديره، إلى رفع دعوى قضائية على شركة لافيجي ماروكان الجديدة صاحبة المسائية المعروفة، لكن دون جدوى.

وفي إطار تكيف المجموعة مع مستجدات الاستقلال، لم تتخلف قيادتها عن الاحتفالات الرسمية التي دعيت إليها في إطار السعي إلى مصالحتها مع العهد الجديد، فقد حضر إيف ماص حفل العشاء الذي أقامه السلطان بباريس في نوفمبر 1955 على شرف كريستيان بينو Christian Pineau وزير الخارجية الفرنسية بمناسبة استقلال المغرب. ثم حضر حفل الاستقبال الذي نظمه السفير الفرنسي أندري - لوي دوبوا André-Louis Dubois على شرف السلطان والوفد المرافق له أثناء زيارة العاصمة الفرنسية في فبراير 1956، مع الحرص على التقاط صورته إلى جانبه أثناء ذلك ونشرها في صحافته (*لو بوتي ماروكان* عدد 24 فبراير 1956). ثم لبى دعوة مبارك البكاي رئيس الحكومة لحفل الكوكتيل الذي نظمه يوم 2 مارس 1956 على شرف الصحافة وترأسه الأمير مولاي الحسن.

وقد طرأ هذا التحول في ظرف دولي خاص، تمكنت خلاله كثير من الشعوب في آسيا وإفريقيا من الاستقلال السياسي، واتجهت إلى تصفية الإرث الاستعماري بمختلف أشكاله الاقتصادية والثقافية. وفي هذا السياق، أقدمت مجموعة من الدول الحديثة العهد بالاستقلال على منع الصحف الأجنبية المتبقية من الفترة الاستعمارية. وفي المغرب، ظهرت كثير من الأصوات الداعية إلى ضرورة منع الصحف الأجنبية، وخاصة منها جرائد مجموعة ماص. وقد عكست صدى هذه الدعوات الجرائد الوطنية، وعلى وجه الخصوص جريدة *العلم* التي بادرت إلى نشر عدد من الافتتاحيات والمقالات، استرجعت فيها ماضي المجموعة إبان الحماية واستنكرت حضورها في المغرب المستقل.

وأثارت هذه المواقف ردود فعل صحف المجموعة وغيرها من الصحف الأجنبية الموروثة عن عهد الحماية، حيث تساءلت عن مصيرها في المغرب المستقل. وتردد صدى هذا التوتر في البلاغ الذي أصدرته النقابة الوطنية للصحافة اليومية الجهوية Syndicat National de la Presse Quotidienne Régionale (فرنسا) في ماي 1956، والذي ورد في مقال نشرته جريدة *لوموند* يوم 19 ماي 1956. فقد طرح صاحب المقال الأسباب الداعية إلى مخاوف تلك الصحف من تقلص عدد قرائها وزبائنها، بتناقص عدد المعمرين والموظفين الفرنسيين في المغرب ومغربة الإدارة وإقبال القراء المغاربة على الجرائد العربية. ثم طرح صاحب المقال ما عانته الصحف الأجنبية بعيد استقلال المغرب من تقلص عائداتها من الإشهار، مستدلا على ذلك بما آلت إليه الأزمة داخل جريدة *ماروك - بريس* التي اضطرت إلى التوقف عن الصدور ابتداء من فاتح ماي 1956. ونبه صاحب المقال إلى أن الصحف الخاضعة لمجموعة ماص بشكل مباشر أو غير مباشر ليست كلها على ما يرام. وخلص في النهاية إلى عجز الصحف الأجنبية في المغرب عن الصدور، خصوصا بعد الافتتاحية التي دعت فيها جريدة *العلم* إلى تصفية الحساب السياسي معها.

ولا شك في أن التوتر قد ساد مجموعة ماص أكثر من غيرها نظرا لحجم مصالحها، مما يفسر ما أجرته من اتصالات وسلكته من تصرفات. وفي هذا الصدد، تباحث إيف ماص مع جيرار جاكي Géard Jacquet كاتب الدولة الفرنسي في الإعلام في بداية أبريل 1956 حول "مشاكل الصحافة"، ثم مع أندري - لوي دوبوا يوم 17 أبريل 1956 حول "القضايا التي تهم الصحافة الفرنسية في المغرب". وفي الكواليس،

سعى بيير ماص قطب المجموعة المتواري في الخلف إلى التودد إلى السلطة باستعمال جميع الوسائل، وربما دفعه خوفه إلى تهريب بعض أمواله إلى دول أخرى، كما ورد في أحد مراجعنا. وفضلت المجموعة في بدايات عهد الاستقلال (1985 ) أن تتخلص من بعض المقاولات التي دب إليها الضعف منذ مدة غير قصيرة، مثل شركة لاطير ماروكان التي تناقص إشعاع مجلتها الفلاحية فتقرر حجبها، ومثل شركة المنشورات المغربية ومطابع المغارب التي حلت نفسها بعد احتضار طويل.

ولم تجهز الحكومات المتعاقبة على السلطة بعد الاستقلال على صحف المجموعة، بل وقفت منها منذ البداية موقفا ليبراليا متسامحا، حيث واصلت نشاطها بحرية تامة. وقد برر مولاي أحمد العلوي، في لقائه بمديري اليوميات الفرنسية الصادرة في المغرب بتاريخ 6 يونيو 1960 بعد تعيينه وزيرا للأنباء والسياحة، ذلك الموقف بعدة مبررات، منها إيمان السلطان والحكومة بمبدإ الحرية وضرورة وجود وسائل تعبيرية بمختلف اللغات ودور المقاولات الصحافية في خدمة الجاليات الأجنبية المهمة واقتصاد البلاد. ونعتقد أن الحكومات الأولى التي تولت شؤون البلاد كانت لها هموم أخرى غير منع صحف المجموعة أو سعت إلى عدم الخوض في الموضوع، لما تعهد به المغرب من التزامات (الحفاظ على مصالح الأجانب في المغرب) لخطورته وحساسيته فيما يتعلق بالعلاقات المغربية الفرنسية.

وما يهم هو أن جرائد المجموعة ظلت خاضعة للتشريعات الموروثة عن عهد الاستعمار، إلى أن صدر ظهير الصحافة يوم 15 نوفمبر 1958. ولم يمنع هذا الظهير وجود جرائد المجموعة، حيث صنفها الفصل السابع والعشرون ضمن الجرائد الأجنبية التي قال بأنها "... كل جريدة أو نشرة دورية كيفما كانت لغتها تحدث أو تصدر كلا أو بعضا بواسطة أموال أجنبية أو يديرها أجنبي". وشرط الفصل الثامن والعشرون على المجموعة وغيرها من الأجانب شروطا لإحداث الجرائد ونشرها، ومنها "... لا يجوز أن تحدث أو تنشر أية جريدة أو نشرة دورية إلا إذا صدر بشأنها سابق إذن بموجب مرسوم على إثر طلب كتابي يوجه إلى مصلحة الأنباء...". ويهمنا أيضا ما جاء في فصلين آخرين من ظهير 1958 ، وهما الفصل التاسع والعشرون الذي رخص للوزير الأول منع الصحف الأجنبية المطبوعة في المغرب بمقتضى مقرر، والفصل الواحد والثلاثون الذي منح الصحف والنشرات الأجنبية المطبوعة في المغرب والموجودة يوم نشر الظهير أجل ستة أشهر يبتدئ من نفس التاريخ لتطبيق المقتضيات المتعلقة بها.

وتطبيقا لمقتضيات الظهير، وضع مديرو الجرائد الأجنبية الموجودة في المغرب برئاسة الحكومة طلباتهم للحصول على رخص لمواصلة الصدور، ومنهم إيف ماص مدير *لو بوتي ماروكان* وجاك كيشار مدير *لا فيجي ماروكان* (تاريخ الإيداع وم 16 أبريل 1959 ). وعوض أن يتوصل المديران بإذنين سابقين بمثابة مرسومين، كما نص عليه ظهير الصحافة، توصلا يوم 23 ماي 1959 ، أي خمسة أيام قبل انقضاء الأجل المحدد، برسالتين من مولاي عبد الله إبراهيم رئيس الحكومة، يرخص فيهما بمواصلة إصدار الجريدتين اليوميتين بصفة مؤقتة ابتداء من يوم 28 ماي 1959، في انتظار البث النهائي في شأنهما. وكان قرب انقضاء الأجل مناسبة استغلتها الصحف الوطنية للدعوة إلى "مغربة الصحافة الأجنبية"، كما ورد في افتتاحية الأسبوعية الاستقلالية *Al Istiqlal* الصادرة يوم 16 ماي 1959.

وأذنت الحكومة لمجموعة ماص وغيرها من المقاولات الصحافية بمتابعة نشاطها، على أن تحترم، في خطوطها التحريرية، عددا من الشروط والتعليمات الرسمية التي أبلغها مولاي أحمد العلوي يوم 6 يونيو 1960 إلى مديري الصحف الأجنبية الصادرة في منطقة الاستعمار الفرنسي سابقا. وهذه التعليمات هي :

1 ) الامتناع عن جعل جرائدها جرائد رأي، فلا يجب عليها أن تتخذ مواقف سياسية من الدول الأجنبية العظمى، قد تكون ملزمة للدولة المغربية، لأنها تصدر بعناوين مغربية. ومبرر هذا هو أن المغرب عبر عن انتمائه إلى الدول غير المنحازة.

2) الامتناع عن نشر كل ما من شأنه أن يصدم المسليمن في مشاعرهم الدينية.

3) الامتناع عن مس القراء المغاربة في مواقفهم الوطنية ومشاعرهم في التضامن مع بلدان العالم الثالث.

4 ) تخصيص حيز كبير للأخبار الواردة من البلدان العربية.

وقد ندر أن تجاوزت المجموعة هذه التعليمات، كما حصل عندما نشرت *لو بوتي ماروكان وليكو دو ماروك* يوم 15 سبتمبر 1960 "نبأ يشعر بأن الجنرال الكتاني قائد كتائب القوات الملكية المسلحة والقائد الأعلى المساعد لقوات الأمم المتحدة في الكونغو قد يكون "لعب دوراً مختفيا ولكن رئيسيا بدون شك" في الحوادث السياسية التي وقعت أخيرا بهذا البلد. والواقع أن بنشرها هذا النبأ تكون ... قد ارتكبت غلطة مهنية خطيرة يكون من شأنها أن تتسبب في إلحاق ضرر كبير بالمغرب". فاستعمل وزير الأنباء سلطته في عدم السماح للجريدتين بالصدور مدة يومين. وتجاوزت المجموعة تلك التعليمات أيضا، عندما نشرت جريدتها الرباطية في شهر أكتوبر 1960 "... أخبارا تشتمل على عبارات ماسة بالمجاهدين الجزائرين وجارحة لعواطف الشعب المغربي الكبير"، فأجبرتها وزارة الأنباء على الاحتجاب ثمانية أيام. ونشرت مسائيتها البيضاوية في أكتوبر 1961 "... مقالين مغرضين يتعلقان بدولة (الاتحاد السوفياتي) يرتبط المغرب معها بعلائق..." و"... يكتسيان صبغة تقترب من القذف"، غير أن الوزارة اكتفت بلفت انتباه

الجريدة إلى "... الشروط التي يجب ... أن تحترمها في المغرب والتي على أساسها أذن لها بمتابعة نشاطها ومن بين هذه الشروط التعهد باحترام سياسة المغرب الخارجية وسلوك جانب اللياقة نحو الأقطار التي يرتبط المغرب معها بعلائق ودية". ودعيت الجريدة في الأخير إلى "... وجوب اتباع جانب اللياقة والمجاملة إلى أبعد حد حتى لا تضطر الوزارة إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة ضد كل من يسيء إلى علاقات المغرب مع الدول الصديقة".

وباستثناء تلك الحالات النادرة، حرصت المجموعة على تقييد هيئات تحرير جرائدها بالتعليمات الرسمية وسارت في ركاب الدولة تبارك القرارات الحكومية إلى درجة التملق، مما أثار حفيظة الصحف الوطنية مثل *العلم* و*التحرير* و*الرأي العام* و*الجماهير*...

وهكذا، واصلت المجموعة نشاطها وحافظت على مصالحها، بل وتمكنت من الحفاظ على قوتها الإعلامية، بالرغم من المشاريع الصحافية التي كان من ورائها أشخاص مغاربة ذاتيون ومعنويون يطمحون إلى كسر شوكتها والحلول محلها. غير أن مجموعة من الظروف التي رافقت تطور البلاد في الستينيات من القرن الماضي أدت إلى تراجع قوة المجموعة المرهونة بحيوية مختلف شركاتها المالية والعقارية والفلاحية والصناعية والتجارية والإعلامية. فقد تزايدت أعداد المعمرين المهاجرين إلى فرنسا وتناقص اعتماد الإدارات المغربية على الموظفين الفرنسيين، كما تراجع حجم الاستثمارات الموظفة في المغرب، مما أثر على صحف المجموعة من حيث عدد زبائنها من القراء وأصحاب الإعلانات والإشهار ...

وكان طبيعيا أن يتفاوت وقع هذا التطور العام على مقاولات المجموعة الصحافية، خاصة المقاولات التي كانت تراقبها بصفة غير مباشرة خارج مركزها في الدار البيضاء.

ولا بد من الإشارة إلى ما بذلته هذه المقاولات من جهود للتكيف مع الوضع الجديد الناجم عن الاستقلال. فقد رفعت شركة ليكو دو ماروك رأس مالها، بينما ضاعفته شركة لوكوريي دو ماروك في 1959، ومع ذلك لم تتمكنا من مواجهة عجزهما التجاري بسبب تراجع سحب جريدتيهما وحجم مبيعاتهما وما يصلهما من الإشهار، فاضطرتا إلى توقيفهما ابتداء من فاتح ماي 1962. إلا أن مآل الشركتين كان مختلفا، فقد تقرر حل شركة لوكوريي دو ماروك التي كان وضعها أسوأ من وضع زميلتها الرباطية وتصفية أملاكها وتسديد ما عليها من مستحقات قبل التشطيب عليها من السجل التجاري في النهاية. ولم يترتب على اختفاء جريدة *ليكو دو ماروك* حل الشركة الساهرة عليها، بسبب ما كان لها من مصالح موازية للصحافة، حيث كانت مساهمتها قوية في شركة المطابع الفرنسية والمغربية بالرباط مثلا، بل قررت شركة ليكو دو ماروك مواصلة نشاطها، دون أن تجدد عقد كراء عمارتها التي كانت تستأجرها من شركة المطابع المتحدة بزنقة علال بن عبد الله في الرباط (فسخت شركتا المجموعة عقد الكراء في 28 مارس 1966)، وقررت في 24 يونيو 1968 نقل مقرها إلى زنقة أنجو حيث قلب المجموعة النابض بالدار البيضاء.

وتأثرت باقي مقاولات المجموعة الإعلامية بما لحق بالشركتين الصحافيتين من ضرر. فلم تستطع شركة المطابع الفرنسية والمغربية أن تواجه عواقب اختفاء الصحيفة الرباطية سنة 1962، فاضطرت إلى إغلاق مصالحها التجارية. صحيح أن هذه الشركة تمكنت في بدايات الاستقلال من استقطاب زبائن جدد مثل أسبوعية *الاستقلال* باللغة الفرنسية وأسبوعية *أخبار الدنيا*، غير أنها لم تستطع أن تواجه عواقب التطورات الجديدة. ويمكن أن نعتمد على أحد المؤشرات الدالة على ذلك، وهو تناقص قيمة الربيحة عن كل سهم في حوزة المساهمين في هذه الشركة، حيث انتقلت من 300 فرنك سنة 1958 إلى 220 إلى 190 سنة 1960. غير أن وقع احتجاب الزبون الرباطي كان أخطر، حيث حرمت شركة المطابع من موارد مالية مهمة، أدت إلى تخبطها في كثير من الصعوبات وصارت مواصلة الاستغلال مسألة خطيرة بسبب ما تم تسجيله من عجز، مع توقع استمراره في المستقبل، كما جاء في تقرير مجلس إدارة أ. ماص وشركائه أمام جمعه العام العادي المنعقد في 26 يونيو 1973. ولمواجهة هذه الوضعية، قررت شركة المطابع تجديد تجهيزاتها سنة 1967، ورفع حجم رأس مالها سنة 1969، آملة في أن ينعكس ذلك إيجابيا على نشاطاتها، فتعود إلى سابق عهدها.

وتأثرت الوكالة المغربية للإشهار أيضا باختفاء "إثنين من دعاماتها"، وهما جريدة *ليكو دو ماروك* وجريدة *لو كوريي دو ماروك*. صحيح أن هذه الوكالة استقطبت زبائن جددا إليها، مثل وزارة الأنباء التي تعاقدت معها سنة 1965 على إدارة الإشهار في جريدة *الأنباء*، ومثل الدليل السنوي للمنخرطين في الهاتف، لكن لم يكن بإمكان مثل هاتين الركيزتين تحقيق الغرض، خاصة مع تقهقر رقم معاملات اليومية الرسمية في بداية السبعينيات. ومن الحلول التي لجأت إليها الوكالة لمواجهة أزمتها إغلاق فرعها الباريسي في فاتح بناير 1963 بصفة نهائية، بعدما صارت تكاليف استغلاله مرتفعة باستمرار، وتراجعت ميزانيات الإشهار لدى الزبائن الباريسيين بصفة ملحوظة، ووكلت المجموعة عملية البحث عن الإشهار الخارجي إلى شركة ريجي - بريس Régie-Presse، وهي وكالة كبرى تتوفر على إمكانات ضخمة في فرنسا والخارج. وبذلك، انتهى نشاط المجموعة في هذا المجال بصفة نهائية في الخارج، بل اضطرت إلى إغلاق عدد من مكاتب وكالتها في مختلف جهات المغرب.

ولم تتوقف أرقام معاملات شركة بوبلي - ماروك المتخصصة في الملصقات والصباغة والديكور عن التراجع في عقد الستينيات أيضا، مما جعل مجموعة ماص تقرر سنة

1966 توقيف نشاطاتها التجارية وقصرها على تدبير أملاكها العقارية.

وأصاب الضرر شركة منشورات فرانس ـ أفريك في العقد الأول من عهد الاستقلال، بسبب اختفاء جريدتها الأسبوعية، مما جعلها في سنة 1959 تغير اسمها التجاري إلى شركة توزيع فرانس ـ أفريك وتوسع نشاطها إلى توزيع الجرائد والمجلات على الخصوص، بل وقررت المجموعة سنة 1962 أن يشمل التوزيع البضائع بكل أنواعها، آملة أن تتمكن سياراتها من تحقيق شحن كبير الحجم ومحاربة ما يقوم به السائقون من نقل غير قانوني للأشخاص أثناء العودة.

وتضررت مقاولتا المجموعة الصحافيتان الأخريان أيضا من مستجدات الاستقلال. فقد عانت جريدة *لافيجي ماروكان* من عدة صعوبات طوال الستينيات، أجبرت إدارتها على تقليص عدد صفحاتها، وتراكمت خسائر شركة *لافيجي ماروكان* الجديدة إلى درجة فاقت مبلغ رأس المال. فتطلب الأمر استدعاء المساهمين إلى جمع استثنائي يوم 21 يونيو 1966، قرروا فيه استمرار مؤسستهم على الرغم من استمرار النزيف. ولم يزدد حال هذه الشركة وشركة لو بوتي ماروكان إلا سوءا في ما تبقى من عقد الستينيات، بدليل ما ورد في وثائق المجموعة الداخلية. فقد أشار تقرير لمجلس إدارة بنك أ. ماص عن حصيلة سنة 1969 إلى "أن استغلال الشركتين المشرفتين على اليوميتين صار مقلقا، بسبب ما يعترضهما من صعوبات كثيرة، لا تمتلكان حلهما" واستثناهما تقرير البنك في السنة المالية الموالية من الازدهار الذي تعرفه شركات إعلامية أخرى تابعة للمجموعة.

وكان هذا الوضع سببا في تخلي الشركة عما يربطها من التزامات نحو الشركة العقارية والصناعية لزنقة جورج لوي، وخاصة منها طباعة جريدتها المسائية وكراء مكاتب عمارتها المطلة على شارع لا گار (شارع محمد الخامس حاليا). فانعكست آثار الأزمة التي عانتها الجريدة في السنوات الأولى من الاستقلال على أرقام معاملات شركة زنقة جورج لوي وأرباحها، وتفاقمت مشاكل شركة الطباعة، حتى صارت على شفا الإفلاس، واضطر مجلس إدارتها في 2 فبراير 1965 إلى الاجتماع للتداول في شأنها والقيام بدراسة معمقة لعواقب قرار الشركة الصحافية وتدارس الحلول والإمكانات المتاحة في المستقبل. وعبر المتصرفون عن أسفهم لما توصلوا إليه من استنتاجات، حيث خلصوا إلى عدم وجود جريدة يومية إخبارية قحة قادرة على خلافة جريدة لافيجي وعلى الوفاء بالتزاماتها، في فترة الركود التي يجتازها المغرب آنذاك، وتوصلوا أيضا إلى أن بيع معدات المطابع وآلاتها في شروط عادية هو إشكال كبير، ولهذا اتصل المجلس بمجلس إدارة شركة المطابع المتحدة واقترح عليه الإسهام بإمكانات شركة زنقة جورج لوي في شركته عن طريق دمجهما، وحتى لا يلجأ إلى إغلاق أوراشه ومطبعته أو إلى تصفية معداته الثمينة ببيعها بأسعار بخسة. ثم درس مجلس إدارة شركة المطابع المتحدة العرض، حيث قدر حجم الأخطار المحدقة بشركة زنقة جورج لوي والأضرار التي يحتمل وقوعها في حالة سقوط معداتها بأياد منافسة، دون أن تغرب عن باله قيمة تلك المعدات الحديثة والمكملة لتجهيزاته وكذا تنظيم المقاومة الجيد والمحكم. وخلص المجلس إلى أنه لا يرغب في تفويت تلك الإمكانات إلى خصوم مجموعة ماص في المستقبل، فوافق على الاقتراح من الناحية المبدئية. ثم التأم مجلس إدارة شركة زنقة جورج لوي يوم 15 فبراير 1965 لمعاودة دراسة مشروع الاندماج بشكل أعمق، فأكد موافقته عليه. وبالفعل، تم الدمج بموجب العقد المبرم بين الشركتين يوم 27 فبراير الموالي.

والخلاصة أن مجموعة ماص قد أفلحت في التكيف مع مستجدات بدايات فترة الاستقلال، فعملت على التقرب من الدولة بجميع ما توفر لها من طاقات، ثم على تدبير المشاكل المترتبة على التطورات العامة التي عرفها المغرب منذ نهاية عهد الحماية إلى بداية فترة السبعينيات من القرن العشرين. واستطاعت أيضا أن تسلم من الحملة القوية التي تعرضت إليها خلال عقد و نصف عقد من الزمن. صحيح أنها لم تتمكن من استرجاع قوتها السابقة، لكنها ظلت أعظم قوة إعلامية في هذه المرحلة، فحتى سنة 1963، كانت تحتكر 71٪ من مجموع السحب اليومي بالمغرب، مقابل 87٪ سنة 1956، كما كانت تحتكر 95٪ من الإشهار، بينما تتقاسم الصحف الأخرى 5٪ المتبقية. ومما يثبت تلك الهيمنة تفوق صحافتها على غيرها من حيث السحب، بل لا قياس مع وجود فارق بين هاته وتلك (45.000 نسخة من *لو بوتي ماروكان* و30.000 من *لا فيجي ماروكان* مقابل 5.000 لجريدة *لاناسيون أفريكان* و3.500 لجريدة *ماروك ـ أنفورماسيون*).

ثانيا : مرحلة التفكك منذ سنة 1971 :

يمكن القول إن الحملة لم تؤت أكلها على المدى القريب، حيث واصلت المجموعة نشاطها الإعلامي واستمرت صحافتها في احتكار الزبائن، وإن لم تعد إلى سابق عهدها. وفي المقابل، وحسب ما ورد في صحافة الستينيات من القرن العشرين، دخلت بعض الجهات المقربة من الدولة في اتصالات سرية من أجل حيازة تلك الصحافة، دون أن تصل والمجموعة إلى اتفاق حول الثمن، مما أدى إلى فشلها. ثم بحثت الدولة في مطلع السبعينيات عن حل آخر اختارت له المهدي بنونة صاحب التجربة الصحافية الثرية، خاصة أثناء إدارة وكالة المغرب العربي للأنباء. فقد كلفته في يناير 1970 بصفة غير رسمية بإصدار جريدة باللغة الفرنسية، قادرة على تعويض صحافة المجموعة ومواجهة جريدة *لوبينيون* *L'Opinion* المعارضة يومئذ، وتعهدت بترشيحه لخلافة المجموعة في أجل قريب. فظهرت جريدة *لا ديبيش* *La Dépêche* في 3 مارس 1970.

إلا أن التطور اتخذ منحى آخر بسبب ما عرفه المغرب من توتر اجتماعي وسياسي، وفي هذا الصدد، يربط عدد من

الدارسين بين انقلاب الصخيرات الفاشل في يوليوز 1971 وبيْن سعي الدولة إلى الانفتاح على المعارضة السياسية المتمثلة آنذاك في حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وحزب الاستقلال على الخصوص، وترضيتها بمغربة صحافة المجموعة. وفي هذا الإطار، سعت الدولة إلى حيازة الجريدتين وما يتصل بهما من طباعة وإشهار ونشر وتوزيع، بواسطة تفاوضها مع مجموعة ماص في الكواليس.

وبالمقابل، استقطبت المجموعة شخصية سياسية نافذة إلى أجهزتها من أجل تقوية جانبها في الاتصالات السرية مع ممثلي الدولة، فقد ألحقت صاحب السمو الأمير مولاي علي يوم 28 يونيو 1971 و13 يونيو 1972 بمجلس إدارة وكالتها المتخصصة في الإشهار، ويوم 30 يونيو الموالي بمجلس إدارة شركة لو بوتي ماروكان.

ولم تنته الاتصالات إلى أي اتفاق، فانتقلت الدولة إلى الإعلان الرسمي عما سمي "مغربة" الصحافة الأجنبية. فقد صدر بلاغ لوزارة الأنباء يوم 6 أكتوبر 1971، أعلنت فيه قرار الحكومة بإنهاء صلاحية الرخصة المؤقتة الممنوحة للجرائد اليومية الأجنبية الصادرة في المغرب ابتداء من فاتح الشهر الموالي، ويتعلق الأمر بجريدتي المجموعة وجريدة *إسبانيا إي دياريو دي أفريكا* *España y Diario de Africa* بطنجة. ثم استدعى الوزير الأول محمد كريم العمراني يوم 7 أكتوبر 1971 مديري هذه الجرائد، ليخبرهم شفويا بمضمون القرار الحكومي وبتوصلهم برسائل في هذا الشأن في القريب العاجل، وهو ما تم بالفعل يوم 25 أكتوبر الموالي. وقبل هذا التاريخ بيومين، ترأس العمراني بمقر عمله اجتماعا، حضره عبد القادر الصحراوي وزير الأنباء وبناصر حركات أحد الأطر الاستقلالية المعروفة في مدينة الدار البيضاء وخلاله، أخبر العمراني حركات بالمشروع الحكومي، كما أخبره بأنه "يكلفه ابتداء من ساعتها بالإدارة العامة للجريدتين المزمع إصدارهما بعد أسبوع، ويشمل هذا التكليف التسيير المالي والإداري والتجاري للجريدتين بما في ذلك البحث عن مطبعة ومقر للجريدتين وتوفير للإعلانات وغير ذلك، أما من الناحية السياسية فإن صاحب الجلالة لم يكن قد حسم بعد فيمن ستسند له المسؤولية بالنسبة لكل جريدة..." وطلب منه "... أن يتدبر أمره من أجل إصدار الجريدتين في الأجل المحدد أي بعد أسبوع، دون أن تقدم الحكومة له أو للجريدتين أدنى مساعدة.

كان ذلك شرطا أساسيا من لدن الوزير الأول، مع الوعد بأنه إذا نجحت عملية إصدار الجريدتين وإذا استمرتا في الصدور لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر، يمكن آنذاك للحكومة أن تعزز بوسائلها الخاصة إمكانات الصحيفتين".

وردت المجموعة على قرار الحكومة بعزمها على عدم وضع إمكاناتها التقنية وتجهيزاتها الفنية وطاقاتها البشرية رهن إشارة ورثة صحافتها من المغاربة في المستقبل. فأصدر الوزير الأول يوم 29 أكتوبر 1971 بلاغا، يخبر فيه بأن شركة المطابع المتحدة وشركة التوزيع فرانس - أفريك التابعتين لمجموعة ماص رفضتا التعامل مع الصحف اليومية التي يعتزم المغاربة إصدارها في المستقبل. وعليه، أمر، بعد اطلاعه على الموضوع، بفرض الحجز على الشركتين ابتداء من 30 أكتوبر 1971 على الساعة الثامنة صباحا، على أن يشرع في تنفيذ القرار فورا، لتتسنى طباعة الجريدتين الجديدتين وتوزيعهما في اليومين اللاحقين. وسرى الحجز أيضا على أ. ماص وشركائه، وهي الشركة القابضة على مقاولات المجموعة.

وفي 31 أكتوبر 1971، أعلنت جريدتا *لو بوتي ماروكان* ولا *فيجي ماروكان* عن اضطرارهما إلى الاحتجاب النهائي في اليوم الموالي، فكانت مناسبة لتوديع قرائهما وتقييم عملهما "الإخباري الكامل والموضوعي" وحصيلة تجربتهما "الإيجابية"، مع الإشارة إلى الظروف القاسية التي حالت دون استمرارهما. وفي اليوم الموالي، حلت صباحية *لو ماتان* *Le Matin* محل *لو بوتي ماروكان*، ومسائية *ماروك - سوار* *Maroc-Soir* محل *لافيجي ماروكان*. وسارع مولاي أحمد العلوي في 12 يناير 1972 إلى تأسيس شركة *ماروك - سوار* للإشراف على الجريدتين الجديدتين، كانت باكورة مجموعة إعلامية جديدة حملت اسم مجموعة *ماروك - سوار*.

وكان وقع القرارات الحكومية سيئا على مصالح المجموعة. فقد توقف نشاط شركة *لو بوتي ماروكان* الأساسي مباشرة، وعانت ميزانيتها من العجز المتراكم، مما دفع مجلس إدارتها إلى استدعاء المساهمين إلى جمع استثنائي يوم 16 يونيو 1972 للتداول في مستقبل الشركة وعرض موضوع حلها أو استمرارها. وقد شرح مجلس الإدارة في تقريره الوضع المالي السيء للشركة وما ترتب عليه من خسارة، وأبدى في النهاية رأيه في الخيارين المطروحين، فرأى مناسبا "مواصلة الشركة في الظروف العصيبة التي تمر منها حتى تتمتع بإطار قانوني غير قابل للنزاع وتكون في أحسن الأوضاع الممكنة للدفاع عن حقوقها وتحصل على التعويضات اللازمة لإصلاح ما لحقها من الأضرار". وبالفعل، وافق المساهمون على مواصلة الشركة.

وتوقف النشاط الأساسي لشركة لا فيجي ماروكان الجديدة، وهو إصدار الجريدة المسائية واستغلالها، فلجأت إلى مزاولة نشاطات أخرى مسطرة في قانونها الأساسي، مثل توزيع جريدة ماروك - سوار في غضون السنتين الماليتين 1973 و1974. إلا أن الشركة لم تحقق إلا عائدات هزيلة مقابل ما قدمته من خدمات لمجموعة ماروك - سوار، فاضطرت إلى التشطيب في مصلحة السجل التجاري المركزي بالدار البيضاء يوم 19 سبتمبر 1974 على جزء من غرضها التجاري، وهو نقل الصحف وتوزيعها وبريدها، بل وقررت أن تنهي كل استغلال تجاري. وعليه، قررت الشركة أن تقلع عن توزيع جريدة *ماروك - سوار* يوم 30 سبتمبر الموالي. وظلت وثائق فترة السبعينيات من القرن العشرين لا

تثير إلا ما عانته الشركة من تراكم العجز والخسارة، دون أن يؤول وضعها إلى الزوال والاختفاء.

وكان من العواقب المباشرة للقرارات الحكومية ما أصاب باقي شركات المجموعة الإعلامية من ضرر وتلاش. فقد أصاب الفتور الشركة المغربية لا ستيراد الورق التي كان نشاطها مرهونا بالشركتين الصحافيتين، وذلك بعد فترة طويلة من احتكار السوق المغربية. فاضطرت إلى تعليق نشاطها وتطبيق سلوك مطبوع بالحذر، وصار غرض الشركة منحصرا في تدبير ما في حوزتها من عمارات، مما فرض عليها تغيير اسمها التجاري إلى Samip Promotion Immobilière، إضافة إلى انتهاء صلتها بالمجموعة.

وحلت شركة توزيع فرانس - أفريك، وهي شركة أخرى من شركات مجموعة ماص كانت متخصصة في نقل الجرائد والمجلات، محل شركة *لافيجي ماروكان* الجديدة في توزيع صحافة مجموعة ماروك سوار يوم 19 سبتمبر 1974. وقد ظلت الشركة تتولى هذه العملية، حتى أحدثت مجموعة ماروك - سوار في مارس 1975 شركتها الخاصة، وهي الشركة المغربية - الإفريقية للتوزيع والنشر La Société Mar-Africaine de Diffusion et d'Edition المعروفة باسم شركة صومادید.

وحرمت الوكالة المغربية للإشهار في نوفمبر 1971 من نشاطها الأساسي المتمثل في استعمال الدعامتين الصحافيتين، فسارع رئيس مجلس إدارتها إلى الاتصال بالمسؤولين عن الجريدتين الجديدتين ومفاوضتهما، وتمكن من إبرام عقد الإشهار معهما يوم 10 نوفمبر 1971، وقنعت فقط بالتوسط في الإشهار لصالح زبون جديد منذ هذا التاريخ، وهو جريدة *الأنباء* الصادرة عن وزارة الأنباء. إلا أن الوزارة قررت فسخ عقدها مع المجموعة في 20 مارس 1974، مما جعل مؤسستها الإشهارية تحرم من أي نشاط تجاري منذ هذا التاريخ. واضطرت الوكالة إلى الاستغناء عن المكاتب التي كانت تستأجرها من شركة المطابع المتحدة في عمارتها الكائنة في قلب المدينة الأوربية بفاس (قرار مجلس إدارة الوكالة يوم 16 يونيو 1972).

ولم يزدد وضع شركة المطابع المتحدة إلا سوءا من جراء فرض الحجز عليها وتوقيف زبونيها الرئيسيين. وصارت تجهيزاتها وآلاتها رهن إشارة مجموعة ماروك - سوار، مما وتر علاقتها مع مجموعة ماص التي مازالت تحتكر 84٪ من أسهم المطابع خاصة وأن الديون قد تراكمت عليها، مما أثار مخاوفها في المستقبل، يصعب قياس حدتها وتطورها، حسب ما جاء في تقرير مجلس إدارة أ. ماص وشركائه (بنك أ. ماص سابقا).

وكان هذا سببا في لجوء إيف ماص إلى القضاء أكثر من عشرين مرة في المجموع، رافعا دعاوى على مولاي أحمد العلوي تارة وعلى أحمد بنكيران تارة ثانية وعلى حركات مرة أخرى وعلى الجريدتين أو على الجميع مشتركين.

ولعل وضع الشركة تحت الحجز وإجبارها على طباعة صحافة مجموعة ماروك - سوار في أوراشها وما عانته ميزانيتها من ضغوط وإكراهات كان من وراء قبول مجلس إدارة أ. ماص وشركائه ما أفضت إليه المفاوضات مع الدولة المغربية من اتفاق يوم 17 دجنبر 1974. لم نتمكن من الاطلاع على فحواه. لكننا نستطيع أن نستخلص بعض مضامينه من خلال ما آل إليه الخلاف من تطور. فقد وافقت الدولة على رفع الحجز عن شركة المطابع المتحدة مقابل تنازل المجموعة عن دعاواها، على أن تحل شركة مطبعية جديدة تتقاسم الدولة ومجموعة ماص أسهمها محل شركة المطابع المتحدة. وبالفعل، تم حل هذه الشركة يوم 31 دجنبر 1975 بقرار من جمعها العام الاستثنائي المنعقد يوم 4 سبتمبر 1975. وتولت مؤسسة أ. ماص وشركائه إجراءات التصفية والتشطيب على الشركة من السجل التجاري. وتأسست على أنقاضها الشركة الجديدة للمطابع المتحدة La Société Nouvelle des Imprimeries Réunies، وهي المعروفة باسم صونير Sonir. احتكرت الدولة المغربية (الخزينة العامة للمملكة المغربية) 75٪ من أسهم هذه الشركة، بعد تفويت بنتي بيير ماص (جوزيت كيشار وجاكلين موريل) نصيبهما وظل إيف ماص متمكسا بنسبة 25٪ المتبقية من رأس مال الشركة حتى وفاته في الغالب، مما سمح له بولوج مجالس إدارتها في بعض السنوات. وقد عبر ماص، أثناء لقاءاتنا به في أواخر الثمانينيات، عن سخطه على خرق القوانين الداخلية التي تنص على وجوب استدعائه إلى اجتماعات الشركة.

واضطرت شركة طباعة ونشر الدوريات المصورة (سيبي) إلى توقيف نشاطها سنة 1973 بعد منع اليوميتين، وعانت شركة المطابع الفرنسية والمغربية في الرباط من استمرار العجز، فأغلقت مصالحها التجارية، وتراكمت خسائر شركة بوبلي - ماروك للملصقات طيلة السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي. وانعكست أوضاع الشركات الإعلامية الخاضعة للمجموعة على مؤسسة أ. ماص وشركائه التي

تراجعت عائداتها مما في حوزتها من مساهمات ضخمة، بدليل ما يرد في وثائقها من إشارات في الموضوع.

نجيب تقي، مجموعة *ماص الإعلامية بالمغرب في فترة الحماية*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ؛ محمد الأشعري، الصحافة الوطنية وأزمة النمو، *الاتحاد الاشتراكي*، 30 . 10 . 1987 ؛ أبو بكر حركات، حول مجموعة ماروك سوار، رسالة بعثها حركات إلى محمد البريني مديرة جريدة *الأحداث المغربية*، تعقيباً على ما نشره عبد اللطيف جبرو في عموده، كلام الصباح، باليومية نفسها يو 2 يناير، 2002 ؛ علال الفاسي، نظرات في تاريخ الصحافة، *العلم*، 11 . 9 . 1986.

André Adam, *Casablanca*, Centre de recherches et détudes sur les sociétés méditerraniéennes, Faculté de Droit, Ai-en-Provence, 1968, t. 2 ; Jamaâ Baïda, *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*, Publication de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat, série: Thèses et mémoires, n° 31, 1996 ; Lalla Aïcha Belqaid, *Le droit de la presse écrite au Maroc*, mémoire pour le diplôme d'études supérieures de droit, Faculté des sciences juridiques, économiques et sociales de Rabat, 1987 ; Michel Bourely, *Droit public marocain*, Editions La Porte, Rabat, t. 2, 1965 ; Mohamed Belghazi, *Les journalistes de la presse écrite au Maroc éléments sur la communication politique dans un pays en développement*, Thèse pour le doctorat de 3° cycle en sciences de l'information et de la communication, Université de droit, d'économie et des sciences sociales de Paris (Paris II), 1984 ; André Cabanis, "Le service public de l'information au Maroc de 1900 à 1970", *Histoire des grands services publics au Maroc de 1900 à 1970*, presses de l'Institut d'études publiques de Toulouse s.d., p. 49-63 ; Jean Cassaigne, *La situation des français au Maroc depuis l'indépendance* ; Roger Falcou, "Les grandes heures de la presse française au Maroc (1919-1927)", *Etudes de Presse, N. S., vol. X, numéros 18-19*, publications de l'Institut français de la presse, Paris, 1958, p. 45-54 ; Louis Gravier, "Les journaux de langue française au Maroc s'interrogent sur le sort qui leur sera réservé", *Le Monde, 19-5-1956* ; "Mort de Pierre Mas magnat de la presse française sous le protectorat", *Le Monde, 10-12-1970* ; "La presse française au Maroc. La disparition des quotidiens du groupe Mas répondait aux vœux de la population", *Le Monde Diplomatique, janvier 1972* ; Ahmed Hidass, *Le statut de la presse écrite au Maroc, La Presse Ecrite au Maroc : Réalités et Perspectives*, 1989 ; Labadie-Lagrave, *Le mensonge marocain*, 1925 ; Pierre-José Mollard, *Le régime juridique de la presse au Maroc*, série de langue française n° 17; Faculté des sciences juridiques, économiques et sociales, Rabat, Les Editions Marocaines et Internationales, Tanger, 1983 ; Christiane Souriau-Hoebrechts, *La presse maghrébine : Lybie - Tunisie - Maroc - Algérie,* Publications du C.R.E.S.M., Faculté de droit, Aix-en-Provence, 1975 ; "La presse au Maroc", *Maghreb, n° 17, sept.-oct., 1966, p. 30-4* ; *L'Annuaire de l'Afrique du Nord, vol. X, 1971* ; *Le Maroc politique économique et financier*, 14-4-1956 et 21-1956 ; *Kompass Maroc, les années 1986-1996* ; John Waterbury, *Le commandeur des croyants*, P.U.F., Paris, 1975.

نجيب تقي

**الماعونة**، مركب من المراكب التقليدية العادية شائعة الاستعمال في المراسي في عمليات شحن وتفريغ السفن التجارية، وللربط بين العرض وأرصفة المراسي. وهي في الأصل على هيئة صندل مسطحة متنوعة المجاذيف من حيث الأعداد، ومتميزة عموما بشكلها الواسع وبمعدل أبعاد يصل إلى تسعة أمتار ونصف طولا ومترين ونصف عرضا، وبغاطسها شبه المسطح، وبارتفاع الجؤجؤ نسبيا للمساعدة على مواجهة الموج، وتأهيلها بالتالي لحمل الركاب والبضائع من وإلى السفن التجارية. وقد كانت كثيرة الانتشار في مختلف المناطق، والأكثر إنجازا في الأوراش المحلية، ولا تعرف تنوعا على مستوى الهيكل إلا وفقا لما تتطلبه طبيعة البضائع المنقولة ؛ وتتسم على العموم بالرداءة في الإنجاز، وبالهشاشة في البناء، وبالمحدودية في الاستثمار الزمني.

وقد ارتبط ارتفاع الماعونة بدوره بنوع المراسي، حيث كانت ماعونات الدار البيضاء وأسفي تتسم بارتفاعها قياسا بماعونات الرباط تيسيرا لرسوها على الشاطئ، في حين اتسمت ماعونات العرائش بضخامتها وثقلها أكثر من غيرها. وكان غاطس الماعونة يتميز بالتنوع من جهته حسب طبيعة المراسي، إذ لا تحتاج الماعونة المخصصة للرسو على الشواطئ الرملية إلى التدعيم بصالبين مضادين (الدروبلات)، في حين تدعم نظيرتها العاملة بالسواحل الصخرية بذلك على يمين ويسار الصالب الرئيسي من أجل حفاظ المركب على استقراره وثباته. ويتوفر الغاطس العلوي على ركيزتين طويلتين (وردة - بوردو) تعززان المركب من الخارج عند مستوى خط الارتفاع تقريبا. وكان دور هاتين الركيزتين يتمثل في حماية الماعونة في حالات الرسو القسري العنيفة حيث كانتا تقومان مقام طوق الوقاية، إلى جانب شيوع تعزيزهما بأربع ملفافات للرسو، اثنتان خلفيتان (العرائس) وأخريان أماميتان (الكراعين)، تستغل كمرابط ومماسك للحبال.

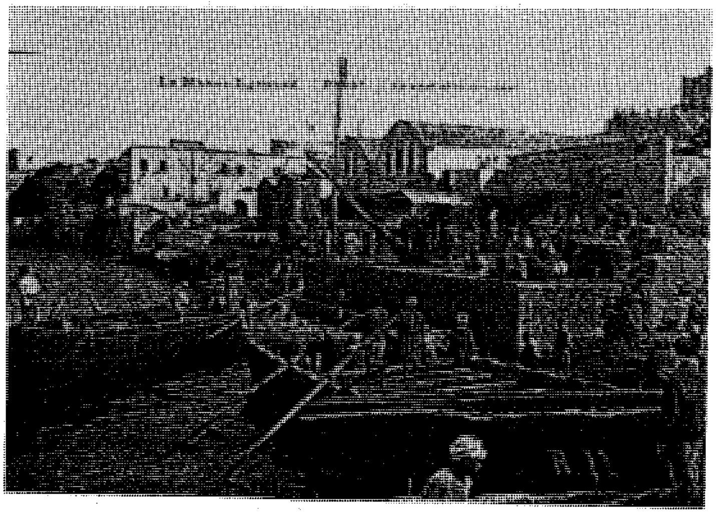

وكان هيكل الماعونة مشكلا من غاطس سفلي (القاع) وجزء علوي (التعلاق)، يفصل بينهما خط العوم (سيف الماء). ويبرز الصالب (القرينة أو السعيدة) في أسفلها ممثلا خط عمودها الفقري، ومشكلا مع تقوس الهيكل باتجاه رأس الجؤجؤ صدر المركب أو عنقه (تنگورة). وكانت الضلوع (الأطراف أو القرون) تثبت فوق الصالب بصورة متقاطعة معه من الداخل، متألفة من قطع ثنائية تدعى الذراع (القربوس)، ومن معلاقين أو جزأين جانبيين (نختيل) تثبت بهما دون دمج على القربوس ببعض المسامير الكبيرة.

ويتعزز الصالب داخليا بداعمة (كونطرا ـ قرينة)، ويسند مجمله إلى عنق المركب بمفصل أو بجؤجؤ مضاد (البطانة).

وتتلو الانتهاء من بناء الهيكل عملية تغليفه بالألواح المتنوعة حسب الأجزاء المعنية، حيث يشتمل الغلاف الخارجي للماعونة على ألواح سفلى (الحصيرة) وألواح عليا (التجلاد). وكان من المفروض أن تدعم ألواح خشب البلوط في الأجزاء السفلى بألواح من الصنوبر المتين أكثر من الأجزاء العليا لدواعي الصلابة في الماء، مع اختيار ألواح أكثر مرونة في الأجزاء الجانبية المحدبة عند الجؤجؤ والكوثل. ويعتمد في الغلاف الداخلي (التبطين) على أخشاب البلوط لستر الصالب والضلوع وأرضية المركب (الفريش). وكان هذا الغلاف يتألف من صفائح خشبية منفصلة (الطوابل)، تحل محلها (المرادة) في الأجزاء الجانبية وهي ألواح تبطين مسمرة على أحزمة. ولا يلتقي الغلافان الداخلي والخارجي إلا في الجزء العلوي (الباطو) عند حافة الماعونة

وكان سطح الماعونة يتسم بمواصفات تتلاءم وأدوارها الملاحية، من حيث عدم تجسيرها، وانقسامها إلى عدة أجزاء بواسطة المقاعد، وبشبه مصطبتين (الركيم) إحداهما في الأمام والثانية في الخلف، تبرزان على هيئة غرفتين صغيرتين (باطا ـ قورما)؛ وتتعزز الخلفية منهما ـ حيث يتمركز رايس الدفة ـ بحافة مرتفعة وبترس (السرج) تستغل زاويته (المجبورة) كدولاب خاص برايس المركب. وغالبا ما توفر أرضية الماعونة بين المقاعد والمصطبتين المذكورتين حوضين فارغين (السنطينة) يتجمع فيهما الماء الراشق لينساب عبر ثقب خاصة (العوينات) خارج المركب.

أما عدد المقاعد فقد كان يخضع للتنوع حسب طبيعة الماعونة ودورها الملاحي. وكانت تتوفر على العموم على مقعد أوسط ثابت (بنك الصاري) لا يتيح أية إمكانية لنصب صار، وعلى مقعدين في الأمام: أولهما مقعد الجؤجؤ (بنك البروة)، وثانيهما (بنك التكراط)، يفصل بينهما فراغ (بين الأبناك). كما يوجد فراغان (الأحواض) أمام المقعد الأوسط وخلفه، أولهما حوض الجؤجؤ (حوض البروة) وثانيما حوض الكوثل (حوض القش)، إضافة إلى مقعد الكوثل في الخلف (بنك البويّة). وتدعم أطراف هذه المقاعد الثابتة بقطع خشبية (القفل). وإلى جانب ذلك كانت توجد أحيانا مقاعد متحركة متنوعة العدد حسب الحاجة تقل أو تكثر وفقا لأعداد المجاذيف المعتمدة.


ح. أميلي، *المغاربة والمجال البحري في القرنين السابع عشر والثامن عشر*، أطروحة دكتوراة الدولة، كلية الآداب، المحمدية، 2001.

Louis Brunot, *La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et Salé*, éd. E. Leroux, Paris, 1920, p. 227 et 251-55.


حسن أميلي

**الماغوسي، سعيد** بن **مسعود**، هو أحد أعلام العصر السعدي، ينتمي إلى قرية تعرف بماغوس قريبا من مراكش، بها حفظ القرآن وجملة من العلوم، ثم حط الرحال بمراكش ليأخذ عن علمائها وشيوخها، ويستفيد من مجالسها العلمية والفكرية، وفي مراكش يلتقي بالأديب أبي العباس المقري الذي ترجم له في *روضة الآس* فقال: "لقيته بمراكش بحضرة الإمامة حاطها الله، فشاهدت إماما حاز قصب السبق في العلوم عقليها ونقليها، ألبست بنات أفكاره المحاسن حللها وقلدتها بحليها"، ويظهر أن ذلك تم سنة 1009 أثناء إقامة المقري بها، فشاهد ما كان يحظى به من تقدير وتكريم من طرف العلماء والأدباء، توّج ذلك كله تكريم السلطان أحمد المنصور له، وكان قد أهداه مؤلفه "*إيضاح المبهم من لامية العجم*"، أشار إلى ذلك ابن القاضي في *المنتقى المقصور*، في قوله: "له كتاب على لامية العجم باسم الخزانة العلية، عمرها الله تعالى بمنه".

اشتهر الماغوسي برحلتيه إلى المشرق، الأولى سنة 974 حيث أدى فريضة الحج واستجاز بعض علماء المشرق كالإمام بدر الدين القرافي وناصر الدين الطبلاوي ومحمد العطار وغيرهم، وعن هذه الرحلة قال ابن القاضي في *درة الحجال*، "له رحلة إلى المشرق أدى فيها فريضة الحج، وأخذ هنالك عمن لقيه من أهل المشرق، وعن أهل مصر والحجاز والشام وأهل قسنطينية"، وعند عودته إلى المغرب سنة 983 انتظم في سلك أعلام الحضرة المراكشية وحظي بمكانة متميزة في مجلس السلطان أحمد المنصور.

أما الرحلة الثانية إلى المشرق فكانت سنة 987، واستغرقت ثلاث سنوات حيث حصل على إجازات علماء منهم الشيخ محمد بن سالم الطبلاوي ويحيى بن محمد الحطاب والقرافي سجل بعضها في أول ورقة من مؤلفه *إيضاح المبهم من لامية العجم*، أثبتها المقري في كتابه *روضة الآس* وهو يترجم للماغوسي.

وبعودته إلى مراكش انضم إلى الحلقات العلمية التي كانت تعقد في المساجد أو في قصر السلطان أحمد المنصور، وكما سبقت الإشارة سيلتقي بالمقري الوافد من فاس وتلمسان، الذي سيترجم له في *روضة الآس* وسيخصه بتقريظ خاص أبدى فيه إعجابه بعلمه وكتاباته.

مؤلفاته كما يذكر المقري في *روضة الآس*، "كثيرة في غاية الجودة"، منها: *إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب*، وهو شرح للامية العرب للشنفرى الشاعر الجاهلي، وقد تحدث عن هذا العمل بقوله: "اخترت من بين قصائدهم لامية العرب، وتتبعت أبياتها بشرح يبلغ منها أقصى الأرب، لأن ألفاظها أصبحت من الهجران في غداة قرة، وأن عمر رضي الله عنه حض على تعليمها وتحصيلها، إضافة إلى ما قصد إليه من توضيحات لقواعد صرفية ونحوية يتوجب التأمل فيها للاحتذاء بها"، وقد قام بتحقيق هذه اللامية الباحث محمد أمين المؤدب لنيل دبلوم الدراسات العليا، ونشرت في جزأين سنة 1996.

ومنها *إيضاح المبهم من لامية العجم*، إذ عمد إلى شرح قصيدة الطغرائي اللامية لنفيس معانيها وجزالة ألفاظها،

مؤكدا أن شارحيها لم يشفوا الغليل، مما دعا السلطان السعدي إلى أن يدعوه إلى وضع شرح يكشف القناع عن وجوه محاسنها كما جاء في خطبتها أو في مقدمة الشرح.

ومن مؤلفاته *نظم الفرائد الغرر في سلك فصول الدرر*، شرح به درر السمط في مناقب السبط لابن الأبار ونال به جائزة السلطان التي بلغت ألف أوقية، ومن مؤلفاته *شرح مقصورة المكودي* و*شرح شذور الذهب*، وهي مفقودة فيما يبدو، كما أن له "*كنز المطالب على شافية ابن الحاجب*"، وهو مخطوط بخزانة الإوسكوريال كما ذكر الدكتور حجي في كتابه *الحركة الفكرية*.

قال عنه الأزهري في *اليواقيت الثمينة* : "كان بليغا مفوّها، فصيح القلم، آية في الاشتغال بالتفريع والتأصيل، بحرا يقذف بجواهر العلوم عقليها ونقليها".

وقد أشار الشيخ أحمد بن سودة أحد ناسخي تآليفه في آخر مخطوط *إتحاف ذوي الأرب* رقم 1632 ك، مخطوط الخزانة العامة : "أنه توفي ما بين السبعة عشر والعشرة بعد الألف".

المقري، *روضة الآس*، ص. 226 ؛ الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. كنون، ص. 220 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 304 ؛ الأزهري، *اليواقيت الثمينة*، ص. 161 ـ 162؛ رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، 4: 332 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، 10 : 147 ؛ الزركلي، *الأعلام*، 3 : 102، ط 7 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 149 ـ 150 ؛ ابن تاويت، *الوافي بالأدب العربي*، 3 : 668 ؛ الترغي، *فهارس علماء المغرب*، ص. 638.

نجاة المريني

**مافاماني** لقب لأسرة سملالية أنجبت علماء منذ فترات طويلة ولا يعرف منهم إلا المتأخرون من مفتين ومدرسين خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة، وهذا اللقب الذي يحملونه هو نسبة إلى مافامان أي البصير بالمياه حيث عرف به أحد أجدادهم. ومن بين علماء هذا البيت :

**مافاماني، محمد** بن **إبراهيم** الفقيه المفتي والمدرس والواعظ في عدة مدارس بقبيلته إلى أن توفي سنة 1250.

**مافاماني، محمد** بن **إبراهيم** بن **محمد** بن إبراهيم، تخرج بعلماء سوسيين ومارس التدريس بكل من مدرسة بومروان بسملالة ومدرسة تازموت ببعقيلة والمولود برسموكة، واشتغل بالإفتاء كذلك إلى حين.

توفي سنة 1326 عن سن يناهز 75 عاما.

**مافاماني، محمد** بن **محمد** بن **إبراهيم**، فقيه ماهر، عرف بحفظه *لرسالة* أبي زيد القيرواني و*مختصر خليل* ؛ فانتفع به طلبة مدرستي تانكرت بإفران وبومروان، وحالفه التوفيق في الإفتاء والقضاء. واعتبارا لمكانته العلمية فان علامة إليغ محمد بلقاسم كان يستشيره في النوازل. وهكذا قضى حياته في العلم وإفادة الطلاب والعبادة إلى أن وافاه أجله سنة 1272، ودفن بقريته ايمي نتالات.

محمد المختار السوسي، *المعسول*، 5 : 252 ـ 254 ؛ *رجالات العلم بسوس*، 119.

Emile Laoust, *Contribution à une étude de la toponymie du Haut Atlas*, p. 57.

محمد ماگامان

**ماگامان** (أسرة)، تنحدر هذه الأسرة من سكتانة سوس حيث كان أسلافها مكلفين بمشيخة المياه فترة طويلة إلى أن انتقل جل أفرادها إلى مراكش بعد زيارة السلطان المولى سليمان إلى سوس سنة 1222 فانخرطوا في جيش أهل سوس وتدرجوا في مراتبه فكان منهم محمد المتوفى سنة 1294 ثم ابنه عمر الذي تلقى بدوره تربية عسكرية تقليدية وما تقتضيه من المشاركة في المحلات السلطانية والحركات المخزنية إلى أواخر العهد الحفيظي حيث أقبل على خويصة نفسه ومجالسة أهل الصلاح والتصوف إلى حين وفاته سنة 1455.

مديرية الاحصاء 1994، *السكان القانونيون للمغرب* ؛ *المعسول*، 5 : 252 و16 / 304 ؛ *رواية شفوية*.

محمد ماگامان

**ماگامان** (الخبير بالمياه) نظرا لأهمية الماء بسوس فقد عمدت قبائله لتدبير شؤونه والتنقيب عنه وأطلقت على الممارس لهذه المهنة اسم ماگامان أي الخبير والعريف بالمياه في مختلف جوانبها من تحكيم وفض المنازعات حول حفر الآبار أو مجاري السواقي أو تنظيم السقي حسب استحقاقات الأفراد أو المجموعات البشرية وفق الإصطلاحات والمعايير الجاري بها العمل في المنطقة مع العلم أن الملكية الشخصية للماء لا تحدد إلا عندما ينساب الماء في الساقية الأم إلى قنوات الصرف الخاصة بالتوزيع. وتشمل خبرته الإلمام بعلم الأنواء ومواقع المياه الباطنية وأثر الجفاف والخصب في كميتها الجوفية، وهي معلومات تدخل في مكوناته المهنية.

وفي سكتانة سوس توارثت إحدى الأسر جيلا عن جيل هذه الخبرة المائية أو مشيخة المياه وظل هذا الاسم ملازما لها وصار لقبا لها. وأما قبيلة سملالة فيطلق أهلها على البصير بالمياه اسم مافامان ولعل هاجس تدبير الماء شغل بعض قبائل حوز مراكش فأطلقوا على العرفاء بشؤونه اسم أمزان.

**ماگامان** (قصر ـ) تضم واحات إقليم الراشدية عدة قصور (بكاف معقودة) أي الحصون ومن ضمنها قصر ماگامان الذي يبعد عن گوليمة ببضع كيلومترات ويقع بمشيخة الحرث بجماعة غريس العلوي وهو محصن تحصينا طبيعيا، فنهر غريس أمامه والأطلس الكبير بجنوبه الشرقي يحمي خلفه. ويحتفظ هذا القصر والإقليم كله بأحداث

تاريخية مطبوعة بالثورات والمعارك منها قيام كل من مبارك التوزنيني وخلفه محمد بلقاسم النگادي ضد الجيوش الفرنسية حيث لم تستسلم گوليمة إلا في سنة 1349 / 1930 . واعتباراً لتنقلات النگادي الاضطرارية فقد سبق له أن نزل بقصر ماگامان ورد ذكره في *المعسول* باسم ماخفمان : "فطلب من آيت مرغاد أن يخفروه بمال إلى أن يصل غريس فنزل في قصر ماخفمان".

وأما ساكنته فتبلغ 1357 نسمة حسب إحصاء 1994 ولعل مواصفات موقعه الجغرافي هي التي أعطته هذا الإسم المركب تركيبا أمازيغيا أي المكان المشرف على حوض المياه ويقصد به كذلك الخبير بالمياه.

محمد ماگامان

**ماگورا** ، مدينة مندثرة وهي إحدى مدن جيتوليا ، توجد على نهر درعة، وهي بمثابة مركز تجاري هام وقد أسسها الفنيقيون واحتلها القرطاجيون فيما بعد. وكانت توجد على بعد 70 كلم جنوب غرب رأس نون وعلى بعد 400 كلم من تارودانت.

Mac Carthy, *Revue Africaine*, 1887, g. 424.

عبد العزيز بل الفايدة

**ماكون الرايس، محمد** من العلوج الإيبيري الأصل، واسمه الحقيقي جان شينكيتا (J. Chinqueta). التحق بصفوف رياس الجهاد البحري العاملين خلال الربع الأخير من القرن (17 م) على عهد مولاي إسماعيل، واستمر في نشاطه حتى مطلع القرن الموالي دون أن يتميز بأية عملية موصوفة.

وقد تعرض للأسر على يد الأسطول الفرنسي، حيث تم إشراكه جذافا مسخرا على متن القوادس الملكية بمارسيليا ، وظل كذلك إلى حدود سنة 1711 م، حيث عبر في رسائل استعطاف إلى الملك لويس الرابع عشر عن رغبته في العودة إلى دينه الأصلي. وبأمر من هذا الأخير بادرت أسقفية مارسيليا إلى تمتيعه بالحرية نظرا لما أبداه من مظاهر حقيقية في التمسك بالعقيدة المسيحية.

E. M. Corrales, Les répercussions de la course espagnole sur l'économie maritime marocaine : 16° - 18° s, in *Maroc-Europe, n° 11*, La Porte, Rabat, 1997-98, p. 79 note.

حسن أميلي

**الـماكيلوم** (Macellum) ، كلمة تفيد معنى السوق في القديم، مشتق من اللغة السامية وبالضبط من العبرية، (من كلمة Mikla ) التي تعني مستودعا خاصا بالحيوانات، أما في اللغة اللاتينية فيبدو أنها كانت تدل على السوق سواء كان سوقا للحوم أو للخضر أو للأسماك.

وقد بينت الأبحاث الأثرية بأن السوق كان يتوفر على دكاكين وبيوتات صغيرة وأروقة وباب رئيسي وغالبا ما كان بناؤه بجوار الفوروم أو الساحة العمومية، فهو سوق يومي، هدفه سد حاجيات السكان المقيمين بالمدينة وهو بهذا المفهوم يختلف عن السوق الأسبوعي "Nundina" الذي كان الغرض من إنشائه هو تمكين سكان القرى المجاورة من الالتحاق بالمدينة القريبة منهم لقضاء حاجياتهم ولبيع منتوجاتهم الفلاحية، وهو سوق يقام مرة كل تسعة أيام. وقد كانت بعض المدن - البلديات (Municipes) تقوم باكترائه لمدة معينة (Jus Nundinae) وكان لبعض الخواص كذلك الحق في اكترائه مقابل موافقة الإمبراطور أو الحاكم.

ومكنت الحفريات من التعرف على أسواق مهمة في شمال إفريقيا ، أهمها سوق عنابة، وسوق دوگة الذي شيده "M. Licinius Rufus" خلال القرن I م، وسوق لبتس ماگنا الذي رمم خلال فترة حكم تبريوس، وسوق كوسينيوس Cosinius بمدينة كويكول Cuicul.

أما بالنسبة لأسواق المغرب القديم، فأثناء الحفريات التي جرت في مدينة وليلي، تم الكشف عن آثار سوق في الجهة الجنوبية من البازليك، وهو سوق كان يتوفر على أروقة وقد شيد ربما من طرف تجار الملابس (Vestiarii) ما بين أواخر القرن الثالث وبداية القرن الخامس الميلادي.

وشهدت مدينة بناصا ، تشييد بناية اعتبرها توثنو سوقا ، وهذه البناية تتميز بوجود ساحتين واسعتين يوجد مدخلها إلى الشمال بمحاذاة حمامات الغرب. وقد دفعه إلى هذا الاعتقاد كونها محاطة بمجموعة غرف، اعتبرها دكاكين بالإضافة إلى وجود أرحية بها غير أن الجزم في هذه المسألة يبقى أمرا صعبا ، إذ يحتمل أن هذه البناية كانت مخصصة للسكن أكثر منه لإقامة نشاط اقتصادي. أما السوق فيوجد حسب M. Euzennat في مكان آخر وقد اقترح مطابقته بالبناية المقابلة للفورم على الواجهة الغربية، وهي مطابقة منطقية نظرا للموقع الذي يحتله السوق عادة بالنسبة للفوروم.

محمد العيوض، *موقع بناصا الأثري* ، دراسة منوغرافية، أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا ، الرباط، 1998 . 1999، ص. 87.

M. Euzennat, Banasa, Princeton *Encyclopedia of Classical Sites*, p. 1323-1328 ; R. Thouvenot, A. Luquet, Le Macellum et les bâtiments voisins, *PSAM, IX, 1951, p. 81-99* ; J. Marion, Les dépôts monétaires du quartier du Macellum de Banasa, *BAM, V, 1964, p. 201-233* ; De Ruyt, *Macellum, marché alimentaire des romains*, Louvain, 1983 ; L. de Meyer, L'etymologie de Macellum, *A.C., 31*, 1962, p. 148-152 ; Daremberg-Saglio, D.A.G.R., *Nundinae*, p. 120-122 ; Marec, Marché d'Hippone, *Libyca, VI, p. 242-247* ; Poinsot, Marché de Mugga, *B.C.T.H., 1969, p. 222.*

عبد العزيز بل الفايدة

**الـ ماكينيت** أو الماسنيت، يذكرهم بطليموس على أساس أنهم يقعون جنوب الباكوات ويشير إليهم صاحب مسالك أنطونين دون تحديد مواطنهم، بينما يتحدث ديون كاسيوس عنهم جاعلا مواقعهم في الأطلس الذي ينبع منه نهر النيل. أما فيما يتعلق بالنقائش الإبيغرافية، فنجدهم يشاركون الباكوات في نقيشتين عثر عليهما في وليلي مما

يفرض تجاورهما، وهذا ما يؤكده بطليموس وصاحب Liber Generationis) . فإذن الماكينيت تقع مواطنهم جنوب الباكوات غير بعيدين عن منابع وادي سلا (بورگراگ). وربما كانوا جبليين يسكنون الأطلس حسب ديون كاسيوس، ولذلك فليس مستبعداً أن تقع مواطنهم في الأطلس المتوسط الجنوبي، التي قد تمتد حتى الشمال الشرقي للأطلس الكبير.

ونجد اسم الماكينيت أو الماسينيت في مكناسة الذين كانوا يستوطنون، حسب ڤيڤيان دوسان مارتان Vivien de Saint Martin) ، جزءاً من حوض ملوية والسفوح الجنوبية للأطلس المتوسط، بل وتشمل مواطنهم أيضا نواحي تازة ومليلية حسب ما يذكره ابن خلدون كما تجدر الإشارة هنا إلى أن البكري تحدث عن نهر يحمل اسم ماكينات يتجه من الجنوب إلى الشمال نحو البحر ويعبر أراضي بورغواطة في ستة أيام من المشي.

وفي الأخير، هناك مدينة مكناس الحالية التي - ربما - أخذت اسمها من قبائل الماكينيت والتي تحولت بفعل الزمن إلى مكناسة.


مصطفى أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، دكتوراه الدولة، فاس، ص. 58 - 87.

G. Ch. Picard, *Les religions de l'Afrique antique*, Payot, Paris, 1954 ; G. Camps, *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires, Arts et métiers graphiques*, 1961 ; M. Tarradel, El Tumulo de Mezora (Marruecos), *Archivo de l'Historia Levantina, t. III, 1956, p. 229 - 239* ; M. Ponsich, Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, Région de Lixus, *BAM, VI, 1966, p. 376 - 424* ; G. Souville, *Atlas préhistorique*, 1, *Le Maroc atlantique*, CNRS, Paris, 1973.


مصطفى أعشي

**مالك** (ابن -) **المرحل** السبتي هو مالك بن عبد الرحمان بن علي بن عبد الرحمان بن الفرج ابن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرج، يعرف بابن المرحل نسبة إلى جده علي بن عبد الرحمان الذي عرف بهذا اللقب لما رحل من شنتمرية حينما سلمها محمد بن سعد بن مردنيش أمير بلنسية للقشتاليين، ويكنى أبا الحكم وأبا المجد وبالأولى أشهر، ولد في مالقة مسقط رأسه في 17 من محرم سنة 604 / 1208 ورحل منها إلى سبتة التي اتخذها دارا ومستقرا.

تتلمذ على زمرة من شيوخ عصره، فأخذ بمالقة عن الأديب أبي عبد الله الاستجي، وأبي جعفر بن علي الفخار، وأبي بكر عبد الرحمان بن علي بن دحمان، وابن عسكر، وأبي عمرو بن سالم، وأبي النعيم رضوان بن خالد، وأبي العباس أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن الفحام الذي أخذ عنه القراءات السبع، وسمع بفاس إلى الفقيه أبي زيد اليزناسني، ولقي في إشبيلية أبا القاسم بن بقي، وأبا الحسن الدباغ، وأبا علي الشلوبين.

اشتغل في علوم اللغة والبيان والعربية والعروض، كما كانت له مشاركة في علوم الفقه والفرائض. وقد نعته من ترجموا له من طلبته أو ممن أخذوا عنه بالشاعر الرقيق المطبوع المتقدم السريع البديهة الرشيق الأغراض، واعتبر "شاعر المغرب وأديب صقعه". كما وصفه السيوطي بالنحوي الأديب، وذكر له خلافه مع النحوي الشهير ابن أبي الربيع حول مسألة "كان ماذا" التي أفرد ابن المرحل للرد عليه بشأنها مؤلفا اسماه "*الرمي بالحصا*". كما كانت له مراسلات نثرية بليغة مع كبار أدباء عصره مثل أبي بكر بن يوسف بن الفخار وأبي القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري.

اشتغل بالتوثيق في بلده مالقة، كما ولي مدة قضاء بعض جهات غرناطة، ويسجل ابن الخطيب نقلا عن ابن الزبير أن آخر انفصاله عنها كان في سنة 674 / 1276، وكتب عن الأمراء في العدوتين، كما قعد للتدريس في سبتة وغيرها، وبها اشتهر فقصده طلاب العلم والشعر، وكان من جملة الذين تتلمذوا عليه ابن عبد الملك المراكشي صاحب كتاب (*الذيل والتكملة لكتابين الموصول والصلة*) الذي لم ينقطع عن التلميح إليه في صفحات عديدة من الأجزاء التي وصلتنا من مؤلفه، وربما خصص ترجمة وافية ومستفيضة لشيخه في السفر السابع المفقود، ويبدو من كلامه أنه لازم أستاذه مدة طويلة من الوقت، ورافقه في البعض من أسفاره بين سبتة والجزيرة الخضراء وغرناطة، وربما صحبه في رحلة الأمير أبي مالك المريني إلى مراكش. وقد جاء في الذيل ما يفيد أنه كان خبيرا بأدب أستاذه ابن المرحل ودارسا مدققا في نظمه، ولم يمنعه تتلمذه عليه من انتقاد ما جاء في قصائده من عيوب القافية واللغة. كما تتلمذ عليه القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك المراكشي وأبو جعفر بن الزبير وآخرون.

خلف ابن المرحل إنتاجا أدبيا متنوعا، إلا أنه غلب عليه الشعر، فمن بديع نظمه "*التبيين والتبصير لكتاب التيسير*" في قصيدة لامية بها أزيد من ألف بيت عارض بها الشاطبي، ونظم غريب القرآن لابن عزيز في أرجوزة، وقصيدة في الفرائض، واختصار *إصلاح المنطق* لابن العربي، وكتاب "*الفصيح*" وشرحه، والثلث الأول من كتاب "*أدب الكاتب*" لابن قتيبة بعد ترتيبه، وكتاب :*العروض*"، ورتب الأمثال لأبي عبيد على حروف المعجم، والنبويات المسماة بـ "الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى" وعشرياته الزهدية، وأرجوزته المعنونة "*اللؤلؤ والمرجان*"، وكتابه في "كان ماذا" الذي سماه "*الرمي بالحصا* ". كما خلف أشعارا كثيرة في وصف سبتة، وقصائد أخرى في مدح ملوك المغرب من بني مرين والأندلس.

توفي بفاس ودفن خارج باب الجيسة منها، وذلك في 28 رجب سنة 699 / 1300 عن عمر يناهز 95 عاما.


ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة*، تح. محمد بن شريفة، 1984 ، السفر الثامن، القسم الأول والثامن، دار الثقافة، بيروت، لبنان (بدون تاريخ)، ص. 28 . 331 . 335 ؛ جلال الدين السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، تح. أبو الفضل إبراهيم، ج 2، ط 1 : 1384 / 1964، ص. 271 ؛ ابن الجزري، *غاية النهاية في طبقات القراء*، تح. برجيستراسير .G)

(Bergstrasser)، ج 2 ، مصر، 1352 / 1933، ص. 36 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة* ، تح. محمد عبد الله عنان، المجلد، 3، القاهرة، 1395 / 1975، ص. 303 ـ 324.

زليخة بنرمضان

**المالقي** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Malaguéno وMalaga نسبة إلى مدينة ملقة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1114 / 1702.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

**المَالكي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Malec ـ Malech ـ Malig ـ Pelique ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Maleque.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**المالكي، محمد** بن **زيان** الفقيه المحتسب العدل. لم يدر محمد بن الطيب القادري هل هو من بني زيان الذين هم دار فقه بفاس الإدريسية أم من بني زيان أحد شعوب بني مالك النازلين على ضفة نهر سبو من الغرب.

ولما صدر من الطيب الريحاني ما صدر من التفريط في البحث في الدرازين حتى أفسدوا الثياب، اتفق أهل فاس على عزل المحتسب الريحاني وولاية ابن زيان، فقلدوه أمر الحسبة، فبحث في جميع أسواق باعة فاس وغيرهم، ولم يترك حرفة قُلد النظر فيها إلا ورفع منها الغش، وعدل بين الداعي والمدعى عليه، فحمد المساكين وأهل الدين والمروءة سيرته، وصاروا يطلبون من الله ولايته القيادة على فاس، فتنكسوا منه.

ولما أن رأى أهل فاس استمرار المرض بالسلطان مولاي عبد الله، وخشوا إذا بويع ولده سيدي محمد يسمع بعدل ابن زيان في الرعية فيقلده أمر فاس ويعزل القواد، اتفق رأي بعض السفهاء على عزله وأرادوا البطش به، فوثبوا عليه داخل الدار، وهو لا يشعر، بالسيوف، وقتلوه، وحفروا له حفرة بالليل في أروى، ورموه بها، وردوا عليه التراب، وجعلوا فوق الحفرة مزبلة من الغبار ليلا تُشم الرائحة. ومن غده أشاعوا، في المدينة، أن ابن زيان فر ليلاً من زاوية المخفية إلى إخوانه الذين بالغرب. ثم من الغد قالوا إنه غرق في نهر ورغة.

م. القادري، *نشر المثاني*.

المصطفى البوعناني

**المالوف** ، لفظ يطلق على التراث الموسيقي الأندلسي المتداول في الجانب الشرقي من المغرب العربي انطلاقا من مدينة قسنطينة شرق الجزائر حتى ليبيا. وهو يقابل (الآلة) في المغرب، و(الغرناطي) في مدينتي وجدة والرباط وفي غرب الجزائر، و(الصنعة) في العاصمة الجزائرية.

عرّفه الباحث التونسي الصادق الرزقي فقال : "ضروب من التواشيح والأزجال. لكل قسم منها تلاحين خاصة تسمى النوبة، وكلها مناسبة لصيغ اللحون المعبر عنها بالطبوع أو الصنائع. وهو عبارة عن أشعار غنائية انتخبت من قصائد وموشحات وأزجال شتى من كلام الأندلسيين وأهل المغرب وبعض التونسيين".

تؤكد بعض الشهادات أن رجال الموسيقى الأندلسية بالرباط كانوا حتى مطلع القرن العشرين يحفظون المالوف وينشدون منه بعض النوبات، فقد كان الفنان الرباطي احبيبي امبيركو مولعا به يستظهر منه سبع نوبات، فلما اتصل بمحمد بنغبريط تولع بالغرناطي ومال إليه دون غيره.

ومما يؤكد ولع الرباطيين بهذا الفن ما نقله محمد الضعيف الرباطي في تاريخه عن السلطان محمد بن عبد الله وهو يستقبل بعض أهل الرباط في يوم من أيام رمضان 1187 إذ قال لهم : "رحم الله الأديب فلان الذي حكي لي أنه أتى للرباط وكان له مال فاجتمعتم عليه بالمالوف حتى أكلتم له المال ونفرتم منه...".

تتنسل مستعملات المالوف في مجموعة من النوبات حصر عددها اليوم في ثلاث عشرة نوبة هي : الذيل ـ العراق ـ السبكة ـ الحسين ـ الراست ـ رمل الماية ـ النوى ـ الأصبعين ـ راست الذيل ـ الرمل ـ الاصبهان ـ المزموم ـ الماية.

يلتقي المالوف مع (الآلة) في وحدة الأصول، وفي بنية الصنعة (القطعة الغنائية)، غير أنه تعرض لصنوف من التغيير نتيجة تأثره بالموسيقى التركية التي تسربت إلى القطر التونسي مع بسط النفوذ العثماني عليه في القرن السادس عشر. ويتعلق الأمر خاصة بدخول أرباع وثلاثة أرباع النغمة على طبوع المالوف، وكذا تسرب بعض الأوزان والأقصاف الشرقية إلى منظومة الإيقاعات من قبيل ميزان "بورجيلة"، وتبني القوالب التركية كاليشرف والتشنبر، إضافة إلى تقاليد موسيقى النوبة العسكرية وموسيقى البلاط العثماني.

وعلى غرار كناش الحايك الذي يضم المستعملات الشعرية للآلة المغربية، فقد جمعت مستعملات المالوف في سقائن (مجاميع الأشعار) خاصة يعود أقدمها إلى القرن السابع عشر، وأشهرها مجموع الحاج علي بن عبد ربه الموضوع عام 1885 ، وبفضل الجمعية الرشيدية التي أسست سنة 1935 تم وضع مجموع يضم ما تفرق عند شيوخ هذا الفن

وقد تواصلت عناية المهتمين في تونس بالمالوف، فقيدت

أشعار النوبات والبشارف ووصلات التواشيح والأزجال، ودونت ألحانها بالعلامات الموسيقية.

الصادق الرزقي، *الأغاني التونسية*، الدار التونسية للنشر، 1967 ؛ محمد الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط ؛ إدريس السرايري، *محاضرة بعنوان : الفن الغرناطي وحاضرة الرباط*، مهرجان الطرب الغرناطي، وجدة، 1987.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**مالي والمغرب**، شكلت مملكة غانة خلال القرنين الرابع والخامس من الهجرة (10 ـ 11م) أقوى وحدة سياسية ببلاد السودان. وبحكم أن مجال نفوذها لم يتجاوز كثيراً منطقة أوكار، فقد ظهرت ببلاد السودان وقتئذ عدد من الإمارات المسلمة عاصرت غانة، غير أن نجمها كان خافتا، نذكر منها تكرور وگاو ومَلَلْ.

وتوجد ملل أو مالي جنوب مملكة غانة عند أعالي نهري السنغال والنيجر، حيث مستقر قبائل الماندينغ، والمسافة الفاصلة بينهما تبلغ نحو 12 مرحلة. وحسب رواية البكري، يظهر أن أول ملك مالي اعتنق الإسلام، عُرف بالمُسلماني، وذلك في خلال النصف الأول من القرن (5 / 11م).

وبفضل قبيل الونجرا الذي يشكل أهم قبائل الماندينغ المؤسسة لإمبراطورية مالي، عرف الإسلام انتشاراً واسعاً بين السودانيين خلال القرن السادس الهجري (12م)، ومنذئذ أخذ ملوك مالي يقومون بأداء فريضة الحج. وما كاد القرن الموالي ينتصف حتى ظهر بالمنطقة أول إمبراطورية سودانية مسلمة تحت زعامة ماري جاطة (ت. 1255)، شمل نفوذها مجمل مناطق بلاد السودان بما فيها مجال مملكة غانة التي انهارت في مطلع القرن (7هـ / 13م).

ولا مشاحة في أن امبراطورية مالي عرفت أوج عظمتها وذروة مجدها خلال القرن (8هـ / 15م)، خاصة مع السلطان منسا موسى (1312 ـ 1337) وأخيه السلطان منسا سليمان (1341 ـ 1360). وإذا كان السودانيون قد تعرفوا على الإسلام بفضل أهل المغرب، واستمروا في الاستعانة بالفقهاء المغاربة خاصة في الخطط الدينية، فقد كان طبيعيا أن تعرف العلاقات بين البلدين نمواً مطرداً على جميع المستويات.

وفي نفس السياق، أخذ بعض الطلبة السودانيون يتطلعون لاستكمال دراستهم بفاس، حيث شكل هذا المركز الحضري أحد أهم مراكز الاستقطاب العلمي للسودانيين، فأصبح قبلة مشهورة وعتبة مزورة بالنسبة للسودانيين الراغبين في تعميق معارفهم الإسلامية. ووجدت هذه الدينامية الثقافية تشجيعا ورعاية سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي.

وجاءت حجّة السلطان منسا موسى المشهورة عام 1324، لتزيد من اهتمام النخب المثقفة والمتنورة في العالم العربي الإسلامي بهذا البلد السوداني الحديث العهد بالإسلام. فكثر الكلام عن مالي في جل الكتابات المغربية والمشرقية المعروفة لدينا خلال القرن (14م) (المقريزي والعمري وابن بطوطة وابن خلدون). وتجاوز هذا الاهتمام الضفة الشمالية للصحراء والكيان المائي للبحر الأبيض المتوسط لتتردد أصداؤه في دول وإمارات الضفة الجنوبية لأوروبا.

وتصادف أن كانت فاس وقتئذ العاصمة السياسية للمغرب المريني، فعرفت العلاقات بين الأسرتين الحاكمتين زخما قل نظيره في العلاقات بين ضفتي الصحراء، فسارت طيلة القرن (14م) سفارات عديدة بين نياني عاصمة مالي وفاس عاصمة بني مرين. وفي إطار هذه التطورات التي عرفتها العلاقات المالية المرينية، تندرج الرحلة السياحية والاستكشافية لابن بطوطة في بلاد السودان عام 1353، حيث تمّ استقباله من طرف السلطان منسا سليمان.

وقد واكب هذه التطورات تحولات هامة على المستوى الثقافي، ذلك أنه حينما استأنس السودانيون في أنفسهم قدرة أكبر على استيعاب قواعد الشريعة الإسلامية، أصبحوا يتشوفون إلى الانخراط في عوالم وفضاءات الثقافة العربية الإسلامية، فظهرت بمالي مراكز ثقافية أهمها جني، ونياني العاصمة، وولاته، فيما كانت تنبكت وقتها (القرن 14م) لا تزال في الظل ولم تكتسب بَعْدُ شهرتها التي طبقت الآفاق.

لقد كانت مجمل المؤشرات حول العلاقات المالية المرينية تبشر بآفاق رحبة، غير أنه سرعان ما بدأت تعرف انكماشا وتراجعا بينا بسبب بلوغ الدولتين معا ـ وبشكل متزامن تقريبا ـ مرحلة التدهور والإنهيار في نهاية القرن الثامن الهجري (14م).

وبمجرد ما بدأ الضعف يدب في جسم امبراطورية مالي، استغل السنغيون الفرصة، وأعلنوا استقلالهم في الحوض الأوسط لنهر النيجر انطلاقا من عاصمتهم كوكو المعروفة أيضا تحت اسم گاو (GAO)، ثم أخذوا يزحفون لإخضاع كل ما كان في ملك مالي بزعامة سُني علي (1464 ـ 1493)، الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لإمبراطورية سنغاي.

وحينما استقرت الأوضاع السياسية وأخذت الطبقة السّنغية الحاكمة تتطلع لترتيب أمور الدولة وتنظيم أحوال المجتمع، برزت شخصية الحاج أسكيا محمد كقائد عسكري مسلم (1493 ـ 1528)، استطاع بحنكته أن يهزم خلف سني علي ويستولي على الحكم عام 1493. وبذلك أسس لمرحلة جديدة من تاريخ إمبراطورية سنغاي في ظل أسرة جديدة عُرفت بأسرة أسكيا، ودام عهدها قرابة قرن من الزمن.

وقد عمل هذا الحاكم جهد مستطاعه لتوسيع قاعدة الإسلام بين السودانيين، كما اجتهد في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية من خلال تشجيع العلماء والفقهاء السودانيين وتيسير دروب المعرفة أمامهم. وبعد عودته من الحج عام 1497، عمل على جلب فقهاء مغاربة للإستنارة بأفكارهم مثل الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت. حوالي 1523) وغيره من الفقهاء المغاربة الذين كانت لهم رحلات علمية لبلاد السودان. وبفعل هذه الأجواء

المشجعة وتعطش السودانيين للمعرفة، أخذت تظهر بالمنطقة نخبة من العلماء والفقهاء السودانيين، الذين أصبحوا يجارون زملاءهم في باقي أقطار العالم الإسلامي. وكانت تنبكت وجني من أهم الحواضر التي استقرت بها النخب المتنورة، فظهرت إنتاجات سودانية انطبعت في مجملها بالطابع الديني كما الحال في العالم الإسلامي حينئذ، إضافة لإنتاجات ذات طابع تاريخي مثل التي تركها بابْ كور ومحمود كعت وعبد الرحمان السعدي. وتشهد المصادر السودانية على أن هذه النخبة العالمة كانت تتمتع بتقدير رفيع عند الناس والسلطة الحاكمة، مما حدى بالملوك الأسكيين إلى التقرب والتودد إليها للإستعانة بها في توجيه دفة الحكم. ويذكر مؤرخو تنبكت (محمود كعت وعبد الرحمان السعدي) بهذا الشأن، أن بطانة الحاج أسكيا محمد كانت تتشكل أساسا من الفقهاء والعلماء. ومن أشهر الأسر العلمية السودانية التي طبقت شهرتها الآفاق، نذكر أسرة أقيت التي برز منها أحمد بَابَ وأسرة بغيعُ.

وفي سياق العلاقات الحميمية التي جمعت الأسر الحاكمة في كل من بلاد السودان والمغرب، حاول الوطاسيون ملوك فاس إنعاش العلاقات التقليدية ـ التي رسخها أبو الحسن المريني ومنسا موسى ـ ، فبادر محمد الوطاسي البرتغالي بإرسال سفارة إلى الحاج أسكيا محمد حوالي عام 1511. وكان ممن سار في الوفد السّفاري المغربي الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، الذي دوّن وسجّل لنا الكثير من مشاهداته وملاحظاته حول بلاد السودان في مؤلفه المشهور : "*وصف إفريقيا*".

بعد وفاة الحاج أسكيا محمد، سار خلفاؤه على نفس النهج في التقرب من العلماء ومهاداتهم والتودّد إليهم، نخص بالذكر منهم أسكيا داوود (1549 ـ 1582)، الذي كان مولعا بالثقافة العربية الإسلامية ومهتما برجالاتها، حتى أنه اتخذ النساخ ينسخون له المؤلفات خاصة منها المتعلقة بالفقه المالكي. وبموازاة مع ذلك حافظ على علاقات بلاده مع المغرب.

لقد عرفت سنغاي في عهد أسكيا داوود فترة من الرخاء والازدهار قل نظيرها، غير أنه مباشرة بعد وفاته عام 1582، دخلت البلاد في مرحلة اتسمت بالضعف والوهن بسبب هجومات الفولانيين والبمبر والتوارق، مما ساعد بعض الأقاليم السودانية على الاستقلال عن الحكم المركزي في گاو. وفي ظل هذه الأوضاع المتدهورة وصلت طلائع الحملة العسكرية السعدية التي أرسلها أحمد المنصور الذهبي إلى بلاد السودان عام 1591. فانهارت على إثر ذلك إمبراطورية سنغاي، ونزح ما تبقى من أمراء الأسكيين إلى دندي في أقصى جنوب شرق الامبراطورية المتهاوية.

وقد شكلت حملة أحمد المنصور السعدي إلى بلاد السودان أول وآخر صدام عسكري ما بين ضفتي الصحراء على امتداد تاريخ علاقات المنطقتين الطويل وإلى حين دخول الاستعمار للمنطقة. وهذه الحقيقة التاريخية ذات الثقل الوازن في تقييم هذه العلاقة، غالبا وكثيراً ما يتم تجاهلها في الكتابات التاريخية على اختلاف اتجاهاتها وتوجهاتها الأكاديمية !

والظاهر أن السودانيين لم يأبهوا بهذا الحدث الطارئ، فاستمرت علاقات التواصل مع المغرب في عهد الأسرة العلوية كما كانت عليه في السابق، تشهد على ذلك الكثير من المراسلات الرسمية بين السلاطين العلويين وبين العديد من الزعماء السودانيين الذين قادوا حركات دينية إصلاحية ببلاد السودان خلال القرنين 18 و19 للميلاد. وبموازاة مع ذلك استمرت الاتصالات والمراسلات العلمية فيما بين علماء السودان وعلماء المغرب، حيث نجد عدداً غير قليل من النخب المتنورة السودانية قصدت المغرب بغاية الأخذ عن فقهائه أو بغرض الدخول على السلطان المغربي، أو بغرض الذهاب مع الركاب الحجّي المغربي للحجاز أو لغير ذلك من الأسبابُ التي كانت وما تزال تربط السودان بالمغرب. أكثر من ذلك فإن أهل تنبكت بمجرد ما استشعروا خطر التهديد الاستعماري الفرنسي في نهاية القرن (19م)، لم يتوجهوا للباب العالي العثماني، وإنما أرسلوا وفدا يحمل رسالة للسلطان العلوي مولاي الحسن عام 1893، يطلبون منه فيها النجدة والإعانة على صد العدوان الفرنسي. وغني عن البيان أن مثل هذه الشهادات ـ وغيرها كثير ـ تؤكد على عمق الوشائج والروابط التي جمعت ما بين السودانيين والمغاربة على امتداد العصور والأحقاب.

وأثناء التدافع الأوربي على الشواطئ الأطلنتية، بغاية تقوية واحتكار خطوط التجارة الملاحية ما بين إفريقيا والعالم الجديد (أمريكا) خلال القرنين 17 و18، كان طبيعيا أن تتأثر المسالك التجارية الصحراوية بالوضع الجديد، مما أفقدها الكثير من حيويتها المعهودة خلال العصر الوسيط. ونتيجة لذلك تأثرت المعطيات الاقتصادية والسياسية على ضفتي الصحراء، غير أن الظروف المستجدة لم يكن لها كبير أثر على الجانب الثقافي، حيث ظل المغرب القبلة المفضلة لطلبة العلم من السودانيين، حتى أن الكثير منه دفن بأحد مدنه العتيقة مثل مراكش وفاس وغيرهما. وفي نفس السياق، استمر نفوذ ورواج المصنفات المغربية في مختلف الفروع المعرفية الرائجة وقتئذ بالمحاضر الصحراوية والحلقات العلمية السودانية.

ولعل أبرز مثال يعبر عن استمرار التواصل العميق بين المغرب ومالي خلال العصر الحديث والمعاصر، يكمن في أخذ السودان بالطرق الصوفية المنتشرة بالمغرب، خاصة منها الطريقة القادرية ثم الطريقة التجانية التي وجدت انتشارا واسعا بين مختلف فئات المجتمع السوداني خلال القرن (19م).

وبعد استقلال المغرب ومالي استمر التعاون بين البلدين خلال العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين، وتم توقيع

العديد من الاتفاقيات في مجالات مختلفة ومتنوعة. ومع تراكم تجارب التعاون، برز أسلوب جديد في العمل الديبلوماسي، حيث أنشأت اللجنة المشتركة للتعاون المغربي المالي، وفي إطار العمل المستمر لهذه اللجنة، تمّ توقيع العديد من اتفاقيات التعاون بين البلدين، آخرها كان بباماكو في مارس من عام 1997 ، حيث شمل بروتوكول التعاون مجالات متعددة، شملت : الاقتصاد، والتجارة، والسياحة، والثقافة، والعدل، الشباب والرياضة، والشؤون الدينية.

ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، 1985 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1956 ؛ الإدريسي، *صفة المغرب وأرض السودان*، ليدن، 1968، البرتلي الولاتي، *فتح الشكور*، بيروت، 1981 ؛ البكري، *كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، باريس، 1965 ؛ محمود كعت *تاريخ الفتاش*، 1913 ؛ عبد الرحمان السعدي، *تاريخ السودان*، 1898 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، بيروت، 1983 ؛ محمد بلو، *إنفاق الميسور*، الرباط، 1996 ؛ أ. الأزمي، *الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن 19م*، الرباط، 2000 ؛ أ. الشكري، *الإسلام والمجتمع السوداني*، أبو ظبي، 1999؛ *ندوة فاس وإفريقيا*، 1995.

أحمد الشكري

**مامّاسْ عْلي**، معنى كلمة مامّاس : الصغيرة ولعلها من أصغر إخوتها، وتضاف إلى والدها عليّ وتعدّ هذه السيدة من أعلام الصالحين بسوس، وقد أدركت بتقوى الله ما أدركه أمثالها من عباد الله الصالحين، تعرف بلَلاّ مامّاس عْلي في المصادر والمراجع كما تعرف لدى العامة بتاگورّامت أي المرابطة الصالحة.

وهي ذات ضريح متواضع بقدر ما لها خبر ساطع، دفنت في قمّة الأطلس الصغير، بقبيلة أمانوز شرق مدينة تافراوْت.

عرّفها صاحب مناقب الحضيگي بقوله : ممّاس بنت عليّ ببلدة بْنّارة بسفح الجبل بسوس الأقصى، كانت رضي الله عنها رابعة العدوية زمانها في المعارف، والمجاهدات في العبادة، لا تفترّ ولا تغفل، وتطوي كل أرض وبلد من بلاد الله. وتغيث الملهوف في ظلمة الليل، وتطعم الجائع ... وتخبر بأن الله جعل الأرض كلها كراحة كفها، وكانت تخبر بأشياء يجدها السائلون حقيقة ... وشوهد من كرامات هذه السيدة ويؤثر عنها ما لا يحصى في حياتها وبعد وفاتها، ... وكانت ترعى الغنم ...وتوفيت أواخر العشرة الثانية من القرن الثاني عشر.

هذا وقد زرتُ موسم هذه الصالحة سنة 1954 ثم زرتها مؤخراً في إطار بحث ميداني فإذا بي أعثر على كناشة لطالب جيد العبارة والاطلاع، حاول أن يؤرخ لهذه المرابطة، وكناشته في 58 ص وبعد المقدمة قال : أما بعد، فإن البحث عن ذوي العلم والصلاح، وما يتعلق بتاريخهم لمن أفضل ما يهتم به المؤرخون. والمؤرخ لا يهمل شادة ولافادة، يكتب في هذا اليوم للغد المشرق الوضاء، يثبت الحقائق على ما هي عليه، إلى أن قال : السيدة العارفة بالله المرابطة لَلاّ مامّاس عْلي ... نشأت يتيمة بموضع يسكى تالات نـ إيبّنّارْن، وكانت ترعى الأغنام، وهي أخت خديجة بنت علي، ومحمد بن عليّ، وأحمد بن علي توفيت وهي بكر.

وأما ما يتعلق بكراماتها فقد تواتر عن الدهماء، أن الذئب كان يتولى رعي أغنامها، وكانت الرحى تطحن ما كلفت به من الزرع ... ثم ختم بالبيت المشهور في القصيدة الهمزية للبوصيري.

والكرامات منهم معجزات     حازها من نوالك الأولياء

ومازال هناك المركع المتواضع، الذي كانت تتعبّد فيه هذه المرابطة، هذا وقد قامت جماعة من المحسنين من تجار قبيلة تاسْريْت (الهضبة) بتجديد ضريح هذه الصالحة تحت إشراف جمعية النهضة الثقافية الاجتماعية بتاسريت.

كما جددت المدرسة العلمية العتيقة، وتحتوي على حوالي خمسين غرفة للطلبة، ومجلس للدراسة، وخزانة كتب مع أقلية المخطوطات فيها، وبالمدرسة حين ذلك، 35 طالباً، كلهم داخليون، وتمون المدرسة من ثلث أعشار القبيلة، بالإضافة إلى إعانة المحسنين من تجّار مدن المغرب ...

وقد شارط في هذه المدرسة علماء كبار، منهم عبد الله بن محمد من زاوية إلغ، وكذلك الحاج أحمد اليزيدي ... ومن المشاع أن مؤسس هذه المدرسة هو أبو زيد عبد الرحمان صاحب قبة الضريح في موضع إيمي وكْشْتيمْ بقبيلة أمّلْن.

هذا ويقام موسم تجاري رسمي وديني حول هذا الضريح باسم أنْموگار نـ تْگورّامْت، وفيه تتم مجموعة من التقاليد والأعراف الأمازيغية.

*تحريات خاصة.*

الحسين جهادي

**المامون، محمد** بن الشيخ **محمد فاضل** بن محمد بن اعبيد ولد بالجريف بشنجيط حوالي سنة 1305 / 1885، وقد تلقى تعليمه الأولي على يد والده حيث حفظ القرآن

الكريم وتلقى العلوم النحوية وحفظ المتون، ثم درس الفقه والأدب وعلوم اللغة. وقد هاجر الشيخ محمد المامون من مسقط رأسه مبكرا إذ نزح نحو الشمال المغربي في حدود سنة 1901 ، ووصل إلى مدينة فاس حوالي سنة 1907 حيث التحق بالقرويين وبمدرسة العطارين مستكملا تعليمه على يد ثلة من علماء المغرب الأجلاء قبل أن يستقبل من طرف المولى عبد العزيز الذي مكنه من القيام برحلته نحو المشرق العربي، حيث زار المدينة المنورة والقدس ودمشق، ولاشك أن هذه الرحلة شكلت مجالا للمترجم له لمزيد من الإطلاع والمعرفة والتعلم وفتح باب التأثير والتأثر. وبعد مرحلة التكوين والتعلم هذه، جاءت المحطة الثانية من حياة الشيخ محمد المامون، وهي محطة مشبعة بالكفاح والنضال ضد قوات الاستعمار بوجهيه الفرنسي والإسباني، وقد تميزت هذه المرحلة بمشاركة الشيخ محمد المامون وتدبيره وقيادته وتوجيهه لعدد من المعارك والحروب التي كانت أبرز جولاتها مشاركته في معركة أنوال على رأس جيش من قبيلة بني سعيد، وقد التقى في جبل العروي ببطل معركة الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي.

وقد اضطر الشيخ محمد المامون إلى مهادنة قوات الاستعمار الفرنسي التي فرضت عليه الإقامة بمدينة تازا التي قضى فيها أربعة أعوام ألقى خلالها دروسا بمسجدها الأعظم قبل أن يفر منها إلى الجنوب المغربي، فصدر ضده حكم غيابي بالإعدام.

ومنذ مطلع الثلاثينيات من القرن الماضي، عاد الشيخ محمد المامون أدراجه نحو الجنوب المغربي ليستأنف رحلة الجهاد المقدسة ضد قوات الاستعمار، حيث سجل التاريخ ليلة السادس / السابع من شتنبر سنة 1931 سقوط أزيد من سبعة وثلاثين قتيلا من قوات الاحتلال الفرنسي على يد فرقة من المجاهدين يقودهم الشيخ محمد المامون. وانطلاقا من وادي الذهب، مقر إقامته، لم يتوان الشيخ محمد المامون عن الدعوة إلى الجهاد، ولم يتأخر عن تأدية هذا القرض المقدس الذي كان من أبرز محطاته تلك المعارك التي دارت رحاها بين سنتي 1932 و1933.

وإذا كانت حركة المقاومة قد خمدت بعد هذا التاريخ، فقد شكلت فترة الهدنة استراحة المحارب بالنسبة للشيخ محمد المامون الذي بادر، بمجرد عودة المغفور له محمد الخامس من المنفى وإعلان الاستقلال، إلى العودة من مدينة العيون إلى مدينة الرباط لتجديد البيعة وصلة الرحم وذلك سنة 1958.

وقد خلف الشيخ محمد المامون عددا من الآثار العلمية التي توزعت بين الشعر والنثر، إلا أن إنتاجه الفكري قد بقي لحد اليوم، عدا بعض القصائد المنشورة في بعض الجرائد والمجلات التي يعز الوصول إليها أو الاطلاع عليها والإفادة منها، في عداد المخطوط أو الضائع، ومن مؤلفاته المطبوعة نذكر : "الأسئلة الناضرة عن الدابة المنتظرة" والكتاب مطبوع بفاس سنة 1348 ، وكتاب : "لحظات القلوب والمنبئ الخبير في الأدب وترجمان مسامرة الدول" وقد طبع الكتاب على نفقة المؤلف بالطالعة بفاس سنة 1348.

وقد ظل المترجم له ينتقل بين طانطان وطرفاية.

توفي بمدينة طرفاية سنة 1966.

*صحراء المغرب*، العدد 53، 6 رمضان 1377، 27 مارس، 1958.

Jacques Cagne, *Nation et nationalisme du Maroc, aux racines de la nation marocaine*, Rabat, Al Maarif al Jadida, 1988 ; *L'Afrique française*, novembre 1932.

سليمان القرشي

**الـمامون، محمد** بن **علي** بن الشيخ **محمد** تقي الله بن الشيخ محمد فاضل بن مامين، أخو محمد تقي الله الملقب بوجاهة لوجاهته. من رموز المقاومة المسلحة في أقاليم المغرب الصحراوية في بداية القرن العشرين. واجه الفرنسيين في عدة مواقع رفقه مجموعة من المجاهدين، مثل محمد تقي الله (وجَاهَة) وأحمد ولد حمادي وإسماعيل ولد الباردي وعلي ولد ميّارة وغيرهم. من أبرز المعارك التي شارك فيها، معركة الطريفية، في أبريل سنة 1925 التي قتل فيها الملازم الفرنسي جيرڤال (Girva) وغيرها. وكان ينسق بين المقاومة في الشمال بقيادة ابن عمه الشيخ مربيه ربه ومقاومة شيوخ القبائل الصحراوية في أدرار والترارزة. سجن من طرف الفرنسيين مرتين، تمكن فيهما من الفرار، وظل يقاوم إلى أن أصيب إصابة قاتلة عند بئر آكْليل، واستشهد معه في نفس المعركة الشيخ ابن الأجرب الرحالي سنة 1342 / 1924.

إسماعيل ولد الباردي، محمد دحمان، ص. 55، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه، 1999 ؛ *حوليات أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة أدرار*، ص. 65، تعليق سيدي أحمد بن أحمد سالم، مرقون خاص.

محمد الظريف

**مـامي، رايس** من الرياس العلوج الهولنديي الأصل. كان نشيطا خلال عهد الديوان في سلا الجديدة، وتميز في سنة 1635 بقيادته لسفينة ذات حمولة مائتي طنة ومجهزة بثلاثة عشر مدفعا وبطاقم مؤلف من مائة رجل، حينما سقط في يد أحد القراصنة الهولنديين، حيث بادرت سلطات الديوان إلى المطالبة بإطلاق سراحه، وبتعويضه عن الخسائر التي لحقت بسفينته وبرجاله.

وقد استمر في عمله المهني محققا في السنة التالية غنيمتين إحداهما إنجليزية أغرقها بعدما نهب محتوياتها، والثانية حمالة هولندية على متنها خمسون إنجليزيا وشحنة من الصوف والحديد والملح ؛ لكنه في نفس السنة تعرض مجدداً للأسر هو وطاقمه على يد الأسطول الفرنسي بقيادة الأميرال دي سوردي (De Sourdis) أثناء حصاره لمصب أبي رقراق، في وقت كانت فيه اتفاقية الصلح بين العاهلين الفرنسي والسعدي قد تم توقيعها. وقد أثار اعتقاله حفيظة أهالي الرباط الذين بادروا إلى التضييق على القنصل الفرنسي طلبا لاحترام بنود الاتفاقية.

*Les S.I.H.M.*, 1° série, France, t. III, p. 530, 537-38 et Pays-Bas, t. IV, p. 368-69 note.

حسن أميلي

**الـمامي، محمد** بن الـ**بخاري اليعقوبي** من أهل بارك الله. من علماء الصحراء المتميزين تأليفا ودراية، يقال إن مؤلفاته بلغت 400 كتاب تناول فيها مختلف المواضيع، بما في ذلك كروية الأرض. من أشهر مؤلفاته كتابه *البادية* الذي أبان فيه عن خبرته بواقع أهل زمانه وهمومهم ومشاغلهم الفكرية، إلى جانب قصائده التي اختار لها عناوين دالة ومتميزة، مثل الدلفينية والسلطانية والجرادة الصفراء والزعفرانية وغيرها.

تتميز رؤيته الفكرية بالاعتدال والتوفيق بين الاتجاهين الأصولي والفقهي التقليدي، وقد عبر عن ذلك في كتابه *البادية* بقوله : "لما رأيت علماء الوقت بين حيزين، حيز أصولي ينحو نحو الاجتهاد، ولم يدع له ويذم التقليد ولم يغن عنه غيره، بل لم يستغن هو عنه، وحيز ينحو نحو الفقه ويقول : نحن خليليون ... ولم يبلغوا مقاصده، ندبت من فيه أهلية الجمع بينهما امتثالا للآية الكريمة "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" والعدل الأمور المتوسطة بين طرفي الإفراط والتفريط"، كما عرف باجتهاده وانتقاده لمظاهر الانحراف التي كانت مستشرية داخل المجتمع البدوي. بعد وفاته سنة 1288 / 1871 واصل أبناؤه نشاط مدرسته، لكنهم سرعان ما اختلفوا لأسباب علمية.

**مامين، محمد** بن **فاضل** الشيخ والد الشيخ ماء العينين. ولد بولاتة سنة 1194 / 1780. كان الساعد الأيمن لأبيه في رئاسة آل الطالب المختار وأحد الأقطاب البارزين في تجديد الطريقة القادرية في الصحراء وتصديرها إلى كثير من المناطق المجاورة لها بعد أن كانت تنحصر في أزواد وولاته والنعمة وبلاد القبلة. توفي سنة 1286 / 1869. ودفن بالحوض. خلف عدة أعمال صوفية منها، *سيف المجادل*، و*سيف السكت* " وهما مطبوعان بالمطبعة الحجرية بفاس، و"*بدر التم*"، و"*مطية المُجد*" وغيرها.

محمد الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 35، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه، 2003 ؛ *الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية*، ص. 122، ملية الآداب، المحمدية، 2002 ؛ عبد العزيز بن عبد الله، *الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والجغرافية معلمة الصحراء*، ص. 164 ؛ الخليل النحوي، *بلاد شنقيط المنارة والرباط*، ص. 518 ؛ عبد الله بن محمد سالم بن السيد، *المعارضة في الشعر الموريتاني*، ص. 216، المطبعة المدرسية بالمعهد التربوي الوطني، 1990 ؛ عبد العزيز بن الطالب موسى، *ديوان الشيخ محمد المامي*، جمع وتحقيق، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، مرقونة.

محمد الظريف

**مَانْتَا**، يطلق لفظ "مَانْتَا" على عدة أنواع وأجناس من فصيلة الشفويات Lamiaceae (انظر فليُّو ونعناع).

ومن بينها أنواع جنس مَانْتَا Mentha الذي يشمل فْليُّو والنَّعْناع وتيميجًّا أو مَرْسيطا أو تيمَرْساطْ وغيرَها من الأنواع العشَرة الموجودة طبيعيا بالمغرب. وأيضا جنس نيبيطا Nepeta الذي يجمع 10 أنواع من بينها 4 قبسية مغربية نادرة جدا إذ أنها لا تصادف إلا في بعض المحطات من المناطق الجبلية للأطلس.

إنها أعشاب معمرة، جد عطرة، ذات أوراق بسيطة لا عنقية. وازهرارات سنبلية الشكل رأسية أو حلقية. أزهارها شفوية بيضاء وردية أو بنفسجية اللون.

تعتبر أنواع مانتا من أهم النباتات الطبية والعطرية. فكما أشير له في مادتي فليّو والنعناع تستعمل الأنواع في تحضير النقائع المسكنة للحمى وضد الزكام وفي تعطير عدة وصفات من المأكولات والمشروبات.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p. ; A. Benabid, *Flore et Ecosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**الـماواسي، أحمد** بن **عيسى** البطوي حسب التنبكتي، البطوبي أو البطوئي حسب ابن القاضي. يكنيه الونشريسي بالماواسي. من فقهاء مدينة فاس، وأحد عدولها، وقضاتها. وثمة إشارة إلى اشتغاله كمؤقت، بل إن الكتاني يشير إلى اشتغاله مؤقتا بمنار القرويين تحديداً. له شرح على روضة الأزهار للشيخ أبي زيد عبد الرحمان الجادري.

توفي في 26 ربيع الثاني 911 / 1505.

أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، 1398 / 1989.

**الـماواسي، عيسى** بن **أحمد** بن **محمد** الماواسي البطوئي أو البطويي حسب ابن القاضي، البطوي حسب التنبكتي. شهر بابن ماواس حسب الونشريسي وهو من بيت علم في مدينة فاس.

أخذ العلوم عن شيوخ فاس وتلمسان كالشيخ الإمام أبي محمد عبد الله العبدوسي، والإمام أبي عبد الله القوري وغيرهما. وأصبح أحد أبرز فقهاء مدينته ومفتيها بعد القوري، ورقي في أعلى درجات الفتوى، وقد نقلت عنه فتاوى في المعيار. وقد عد من الفقهاء الحفاظ المحققين. كان خطيبا بالقرويين، وبفاس الجديد أيضا، وحسب المنجور، فقد روي أنه خطب في هذا الأخير نحو ستين سنة. من تلامذته المحدث أبو زيد عبد الرحمان سقين، وأبو عمران موسى بن

سعيد بن عمر الحافظ العباسي الشهير بالزواوي (ت. 931 / 1524)، والشيخ أحمد زروق.

اشتهر في زمانه رجل يدعى بربير، ظهرت عدة مؤشرات على تزييفه للدراهم، فأفتى فيه أبو مهدي بمثل فتوى ابن عرفة بأنه يخلد في السجن حتى يموت، وبعد مرور مدة على حبسه شفع فيه محمد بن يحيى البوفرحي فلم يستجب له المفتي، "وبقي في السجن إلى أن خيف على أولاده الهلاك، فتقدم زعماء العامة فضمنوه فأجابهم على أن يسكنوه بين ثقاتهم ومتى صدر منه شيء فعليهم إحضاره وإلا فهم المؤاخذون بجريرته فالتزموا ذلك برسم مشهود بأكابر العدول وحينئذ أمر بتسريحه".

توفي فجأة عن سن عالية زوال يوم السبت 11 رجب سنة 896 / 1490 ، خلافا لما جاء في الدوحة من أنه توفي في العشر الثانية من القرن العاشر. وولي القضاء والفتيا بعده القاضي المكناسي اليفرني الفقيه أبو حفص.

أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، 1398 / 1989.

محمد ياسر الهلالي

**مايْرَمان** أو ماگْرَمان، أو ترهلة، أو أمرّيل أو سيرْشيل أسماء أمازيغية وعربية لبعض أنواع جنس إينولا Inula الذي يشمل أنواعا بالمغرب نذكر منها :

- إينولا فيسكوسا Inula viscosa وإينولا كريثمويديس Inula crithmoides ، وهما نوعان معمران يقطنان في الأراضي الميهة أو على ضفاف المناطق الرطبة.

- إينولا گرافيولين Inula graveolens وهو نوع حولي ينمو في الأراضي المحروثة وهو جد عطر.

تستعمل هذه الأنواع لعدة أغراض في ميدان التطبيب التقليدي مثل محاربة داء السل وأمراض صدرية أخرى، وكذلك لغاية زيادة في السمن بالنسبة للنساء.

من جهة أخرى تعتبر بعض هذه الأنواع من أهم النباتات المفضلة في صناعة العطور.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p. ; A. Benabid, *Flore et Ecosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**المبادلات التجارية المغربية**، مما لا شك فيه أن وضعية المبادلات التجارية تعتبر، في عالم اليوم، من إحدى المؤشرات الأساسية لتقييم الوضعية الاقتصادية للبلدان. وبصفة عامة يمكن القول أن الدول التي تحقق فائضا تجاريا في علاقاتها مع الخارج تكون في وضعية مالية مريحة مقارنة مع الدول التي تسجل عجزا تجاريا. إنها إحدى الحقائق الاقتصادية التي لم تغير منها العولمة أي شيء، بل على العكس من ذلك زادت من تأكيدها.

انطلاقا من هذا المدخل المقتضب، نتطرق في ما يلي إلى وضعية المبادلات التجارية المغربية، مستهدفين توضيح الرؤية فيما يتعلق بهذا الموضوع واستخلاص بعض الدروس حول تطور هذه المبادلات في العقد الأخير وكذلك حول بنيتها وتوزيعها الجغرافي.

1 ـ تطور المبادلات التجارية المغربية

يمكن للقارئ تكوين فكرة أولية عن تطور المبادلات التجارية المغربية مع الخارج عبر الأرقام التالية :

**المبادلات التجارية المغربية**

**1990 ـ 2001 بمليون درهم (المصدر : وزارة المالية)**

| | 1990 | 1994 | 1998 | 2001 |
|---|---|---|---|---|
| الواردات | 61340 | 76059 | 98676 | 124080 |
| الصادرات | 40838 | 50965 | 68608 | 80440 |
| القيمة الإجمالية | 102178 | 127024 | 167284 | 204520 |

انطلاقا من هذه الأرقام، يمكن استنتاج ما يلي :

خلال العشر سنوات الأخيرة، تمكن المغرب من مضاعفة مبادلاته التجارية مع الخارج. ويلاحظ نفس التطور بالنسبة للقيمة الإجمالية للتجارة وكذا بالنسبة لمكونات هذه القيمة من صادرات وواردات.

ومن الخلاصات الأساسية التي يمكن استنتاجها من هذه الأرقام أن الاقتصاد المغربي زاد انفتاحا على الخارج وأن عملية اندماجه في المنظومة الاقتصادية الدولية أصبحت أكثر وضوحا وأكثر تأكدا.

وخير دليل على هذا هو أن وتيرة تطور المبادلات مع الخارج تمثل في المتوسط ثلاثة أضعاف وتيرة تطور المنتوج الداخلي الخام، أي ما يعادل 10٪ سنويا بالنسبة للأولى و3٪ سنويا بالنسبة للثانية.

ومما يشير الانتباه كذلك، انطلاقا من ذات الأرقام، أن

قيمة الواردات تفوق بكثير وبصفة مستمرة قيمة الصادرات. وهذا يعني أن العجز التجاري أصبح يشكل إحدى الخاصيات البنيوية للاقتصاد المغربي. فنسبة تغطية الصادرات للواردات خلال عشر سنوات الأخيرة لم تتعد في أحسن الأحوال 74٪ . ويلاحظ كذلك أن هذه النسبة قد تراجعت بشكل ملموس في السنوات الأخيرة، بحيث أنها انخفضت من 73,9٪ في سنة 1977 إلى 64,8٪ في سنة 2001.

2 ـ بنية المبادلات التجارية المغربية مع الخارج في سنة 2001.

كانت القيمة الإجمالية للمبادلات التجارية المغربية مع الخارج تناهز 201353,50 مليون درهم، أي ما يعادل 57,6٪ من قيمة المنتوج الداخلي الخام. وتتكون هذه القيمة الإجمالية من واردات بمبلغ قدره 122526,70 مليون درهم ومن صادرات بقدر 78826,70 مليون درهم. وعلى هذا الأساس فإن العجز التجاري لنفس السنة ناهز مبلغ 43700,00 مليون درهم، أي ما يعادل أكثر من نصف الصادرات و12,5٪ من المنتوج الداخلي الخام.

وفي هذا الإطار، يمكن القول أن العجز التجاري الذي تم تسجيله على مدى العقدين الأخيرين يشكل بدون شك إحدى نقط ضعف الاقتصاد المغربي، الذي أبان عن عدم قدرته على إفراز قوة تصديرية لمواجهة الاحتياجات المترتبة عن نموه وعن سيرورة تطور نمط عيش الساكنة المغربية.

وللتمكن من تسليط الأضواء على هذه الوضعية وتقديم المعلومات التي تساعد على فهمها، نرى من الضروري عرض الخطوط العريضة لبنية التجارة الخارجية المغربية على مستوى الواردات والصادرات.

ـ الواردات

إن المعلومات المتوفرة عن الواردات المغربية لسنة 2000 تمكننا من تقديم الملخص البنيوي التالي :

**الواردات حسب مجموعات الاستعمالات**

| مجموعات الاستعمالات | القيمة بمليون الدرهم |
|---|---|
| مواد غذائية وتبغ | 14210,20 |
| المحروقات (الطاقة) | 21656,90 |
| المواد الخام | 8055,10 |
| المنتوجات نصف المصنعة | 24294,70 |
| التجهيزات | 25417,50 |
| المنتوجات الاستهلاكية | 28822,00 |
| ذهب صناعي | 70,30 |
| المجموع | 122526,70 |

إن الجدول يبين حاليا أن الواردات المغربية تحتوي على استعمالات متعددة. ولكن، بغض النظر على هذا التنوع الذي يمكن أن نعتبره شيئا طبيعيا بالنسبة لاقتصاد جعل من الانفتاح على العالم اختيارا استراتيجيا، فالشيء الذي يثير الانتباه هو أن المواد الغذائية الاستهلاكية تشكل ما يزيد على ثلث هذه الواردات. وهذا يؤدي بنا مباشرة إلى إعادة التذكير ببعض نقط ضعف الاقتصاد المغربي نظرا لأن المشكل في نظرنا لا يكمن في كثرة المواد المستوردة أو في أهمية قيمتها بل في بنيتها ومدى تأثيرها على تحسين شروط الإنتاج والمنافسة.

فإذا اعتبرنا أن استيراد المواد النفطية شيء لا مناص منه في الوضعية الحالية للمغرب وأن استيراد التجهيزات وآليات الإنتاج عملية إيجابية ستمكن مبدئيا من الدفع بعجلة النمو إلى الأمام، فإننا نعتبر كذلك أن استيراد كميات كبيرة من الحبوب ومن التجهيزات المنزلية تشكل نقط ضعف تؤثر سلبا على الرصيد المغربي من العملات الصعبة وعلى وتيرة تقليص الديون الخارجية.

ـ الصادرات

في سنة 2000 ، تمكن المغرب من تصدير ما قيمته 78826,7 مليون درهم.

وتشتمل هذه القيمة الإجمالية للصادرات على الاستعمالات التالية :

**الصادرات المغربية حسب مجموعة الاستعمالات**

| مجموعات الاستعمالات | القيمة بمليون الدرهم |
|---|---|
| المواد الغذائية | 16750,90 |
| المحروقات | 2881,70 |
| المواد الخام | 7569,00 |
| المنتوجات نصف المصنعة | 17029,50 |
| التجهيزات | 4809,10 |
| المنتوجات الاستهلاكية | 29753,30 |
| الذهب الصناعي | 33,40 |
| المجموع | 78826,70 |

انطلاقا من هذه الأرقام ومن الإحصائيات الفرعية المرتبطة بها يمكننا القول أنه خلافا لما تم تقديمه عن الواردات فإن المشكل الرئيسي للصادرات يكمن في قلتها واعتمادها بالأساس على المواد الأولية أو الاستهلاكية المتميزة بضعف قيمتها المضافة.

وبالفعل، فزيادة على كون القيمة الإجمالية للصادرات لا تسمح للمغرب إلا بتغطية ثلثي وارداته، فإن لائحة المواد المصدرة تتقدمها وبصفة جد مؤثرة المنتوجات النسيجية والجلدية والفوسفات. وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن الاقتصاد المغربي لازال اقتصادا ضعيف القاعدة الصناعية والخدماتية العليا.

ـ التوزيع الجغرافي

إن تنوع المبادلات التجارية المغربية مع الخارج لا يقتصر على البضائع بل يمتد إلى المصادر. فسواء تعلق الأمر بالواردات أو بالصادرات فإن عدد الدول التي يتعامل معها المغرب يناهز المائة والخمسين. ولكن رغم هذا التنوع فالبحث في الموضوع بدقة يؤكد من جديد إحدى الحقائق المعروفة والتي تتمثل في تمركز المبادلات التجارية المغربية بصفة كبيرة على المستوى الجغرافي.

إن الإحصائيات المتعلقة بالواردات لسنة 2000، تظهر أن 75٪ من القيمة الإجمالية ممركزة على مستوى عشر دول تشمل دول أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية والعراق. وتحتكرفرنسا لوحدها ما يقارب ربع جميع الوادرات المغربية كما أن إسبانيا تحتل المرتبة الثانية على لائحة الدول المصدرة للمغرب.

وما قيل بالنسبة للواردات يمكن تعميمه على الصادرات. فإحصائيات سنة 2000 المرتبطة بهذا الموضوع تبين أن فرنسا وإسبانيا وبريطانيا وإيطاليا وألمانيا والهند واليابان هي الدول الأكثر استيرادا للبضائع المغربية. وفي نفس السياق، تجدر الإشارة إلى أن فرنسا وإسبانيا تستقطبان ما يقرب من نصف الصادرات المغربية.

وخلاصة الأمر أن المبادلات التجارية للمغرب مع الخارج تمتاز بالخاصيات التالية :

ـ العجز المستمر للميزان التجاري وهو الشيء الذي يكشف عن ضعف الاقتصاد المغربي.

ـ ضعف الواردات من التجهيزات المنتجة والضغط الكبير للواردات الاستهلاكية.

ـ التمركز الجغرافي الكبير للواردات والصادرات المغربية.

حسن الباهي

**مبارك** (ابن –) **الـحسين** ولد سنة 1910 بآيت باعمران إقليم تزنيت. التحق بصفوف جيش التحرير في أوائل سنة 1957 بالصحراء المغربية بفرقة تزكى تحت مسؤولية السيد المرابطي الأنصاري محمد بلمختار كجندي وبقي يعمل في صفوفها بكل نزاهة وإخلاص إلى أن استشهد في معركة بيجريفن من نفس السنة.

وقد كان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله نشيطا في عمله متحمسا في إيمانه معروفا بغيرته الوطنية لاسترجاع ما تبقى من أرض وطنه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 502662.

**مبارك، الـسوسي** من شعراء فاس البارزين. ولد بفاس، ونشأ بها، وظهر نبوغه في نظم الشعر الملحون على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، وهو ما يزال فتى يافعا، يدل على ذلك أنه نظم إحدى قصائده وهو طالب.

ويتعلق الأمر بقصيدة "يوم الجمعة" التي أنشأها في وصف تفسح نساء فاس أيام الجمع بسيدي علي بوغالب. تقول حربتها :

يوم الجمعة خرجوا لريام من بهجة فاس البالي

بالسربات ايحيروا العقل نحكيهم غزلان

وقد عاصر من أشياخ الملحون بفاس التهامي المدغري، وأحمد الگندوز، والحاج أحمد الغرابلي، والمدني التركماني.

نظم مبارك السوسي في المرأة قصائد كثيرة منها : فطومة وطامو زهرة والعزيزة. ومن أروع ما نظمه في هذا الغرض قصيدة "طال تيهانك" وهي من أشهر قصائده وأكثرها تداولا بين أشياخ الگريحة وحربتها :

طال تيهانك يا محبوبي    خاف من الله    واش لحبيب ايدوز احبيب

يرجع ليه اطليب

ونظم في أغراض أخرى، على أنه كان أجود عبارة وأغزر معنى في وصف الطبيعة والنزه. ومن ذلك قصيدة العرصة، وحربتها :

يا نايم فق من المنام واغنم انزاهة    اعلى اجداول عرصة لزهارْ

سيدي محمد حازها اوزارْ ايهاها    أوصانها بمنازه وأســوار

وفي يوم الجمعة وله في هذا الموضوع قصيدتان أولاهما هي التي سبق ذكرها، والثانية هي التي تقول حربتها :

عيني شافت يوم الجمعة في ابنات فاس للزّهُو انشالو

أنا امّوافي أيام الربيع انزاهة

الفصادة : ويراد بها القصائد التي تختص بوصف الحفلات التي كانت تقام بمناسبة إخراج الدم. وأكثر ما كانت تقام في فصل الربيع، فتحضرها الحسناوات وهن في أبهى الحلل والزينة. تقول حربة هذه القصيدة :

جاو لبنات لرْياضي متفقين    عولوا على لفصادا بالزهو وسلوان

وإلى براعته في وصف الحفلات ومشاهدها فقد كان يملك خيالا خصبا وذوقا مرهفا وإحساسا قويا بالجمال. يقول في قصيدة زهرا معبرا عما أمده الاحتفاء يزيارتها :

يـوم اتــزور العــذرا    بالزهو يتباشر قلبي ايلوح يكدارو

وانقيم في ابساطي ليلا وانهار    بالآلا وافنا جل لخمر عل لريام اتدور

ع. الجراري، *القصيدة*، ص. 203 ـ 259 ؛ م. الفاسي، *معلمة الملحون*، ج 2، ق 2، أكاديمية المملكة المغربية، ص. 222 ـ 223.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**مبارك** (ابن –) **الـعربي** من مواليد 1917 بمدينة الدار البيضاء في حي يدعى الضيعة البيضاء (Ferme blanche) بالمدينة القديمة وسط عائلة محافظة ومتواضعة الحال. توفي والده وهو لا يزال صغيرا وكفله أخوه الأكبر الذي كان يعامله معاملة قاسية لتربيته على الوجه الصحيح.

في سن الرابعة عشرة من عمره اشتغل نجاراً في ورشة عصرية وارثا حرفة أبيه لكن ميوله للعبة الكرة شغلت باله فانساق مع هوايته فانخرط في البداية ضمن فريق الحي "نادي الوطن لكرة القدم".

وفي سنة 1934 التحق بفريق "الإديال" بمباركة صديقه "مارسيل سيردان" ولعب ضمنه لموسمين وكانت أول مقابلة رسمية هي المقابلة التي جمعت فريقه بفريق كان يحسب له ألف حساب وهو الاتحاد الرياضي المغربي (USM). وبدأ نجمه يسطع مع مرور الوقت حيث صار يحتل واجهة الصحف الرياضية آنذاك الشيء الذي دفع بالمسؤولين لاستدعائه للعب ضمن عصبة المغرب التي واجهت عصبة وهران.

وفي سنة 1937 لعب ضمن منتخب المغرب الذي يمثل إدارة الحماية والذي كان أغلب لاعبيه من الأجانب حيث نازل المنتخب الفرنسي وقد برز ابن مبارك بشكل ملفت خلال هذه المقابلة، وبدأت تنهال عليه عروض من أجل الاحتراف في فرق فرنسية مثل "مارسليا"، وريد سطار" و"ميتز". لكنه حط الرحال بمارسيليا حيث لعب أول مقابلة احترافية في البطولة الفرنسية في موسم (1938 ـ 1939) ضد راسينغ باريس. إلا أنه فشل في انتزاع البطولة مع فريقه مارسيليا وعاد إلى الدار البيضاء سنة 1939 حاملا معه ذكريات جميلة وتجربة ناجحة. وخلال فترة الحرب العالمية وقع رخصة للعب ضمن فريق USM فاز معه بكأس إفريقيا الشمالية سنة 1942.

بعد نهاية الحرب دخل فريق "سطاد فرانسي" في مفاوضات معه قصد جلبه وكان ضمن فرق القسم الثاني وذلك بتدخل من المدرب المقتدر "هيريرا" وقد تمكن هذا الفريق من العودة إلى قسم الصفوة في موسم (45 ـ 1946) لكنه انهزم في نصف نهاية كأس فرنسا أمام "ريد سطار".

وقد شارك العربي ابن مبارك ضمن النخبة الفرنسية سبع عشرة مرة من 1938 إلى 1954، كانت حصيلتها عشرة انتصارات وتعادل واحد وستة هزائم.

وكان لحدث وفاة زوجته سنة 1946 تأثير كبير عليه لكنه عاد لمشواره الرياضي حيث انتقل إلى فريق "اتليتكو مدريد" وبقي معه لمدة خمسة مواسم كان آخرها موسم (1952 ـ 1953). وعاد بعد ذلك إلى مارسيليا مرة أخرى ولعب نهاية كأس فرنسا سنة 1954 وخسرها أمام فريق راسينغ كلوب باريس. وخلال موسم 1954 ـ 1955 أصيب بكثير من الأعطاب وذلك نظرا لتقدمه في السن. وتفرغ بعد ذلك للتدريب حيث أشرف على تدريب فريق الاتحاد الإسلامي سيدي بلعباس (الجزائر) ولعب معه موسماواحدا فقط. ثم عاد إلى المغرب بعد حصوله على الاستقلال. وأسندت إليه مهمة تدريب فريق الفتح الذي كان يضم لاعبين لهم سمعة على الساحة أمثال لحسن شيشا وبنعيسى كروم وغيرهم ويرأسه عبد الله التونسي. وأشرف كذلك على تدريب أول نخبة وطنية شاركت خلال الألعاب العربية ببيروت سنة 1957 والتي احتلت المرتبة الثانية بعد أن خسرت اللقب بالقرعة، وعلى النخبة التي واجهت المنتخب الإسباني "حرف ب" بغرناطة سنة 1960.

وبعد تجربته كمدرب ولاعب ضمن الفتح الرباطي لموسمين، انتقل إلى سطاد المغربي الذي قضى معه موسما واحدا (1958 ـ 1959) ثم التحق بفريق الجيش كمدرب لكنه لم يقض معه إلا بضع شهور كما أشرف على تدريب العديد من الفرق الوطنية مثل نجم الشباب والمغرب الفاسي واتحاد طنجة وشباب المحمدية والراك ونهضة سطات التي حقق معها الفوز بالبطولة في موسم 1970 ـ 1971.

وقد قال اللاعب العالمي، بيلي Pelé في حقه ما يمكن الاعتزاز به : إن العربي ابن مبارك، ظاهرة سيظل ذكرها خالدا في عالم كرة القدم. وقد كان لقاء العباقرة "بيليه وابن مبارك" سنة 1975 بالبيضاء خلال مقابلة ودية جمعت المنتخب المغربي الذي لعب دورة كأس العالم بالمكسيك سنة 1970 ومنتخب من فرق الدار البيضاء.

توفي العربي ابن مبارك يوم 15 شتنبر سنة 1992 وحيداً في ظروف مزرية بشقته بزنقة "تانسي" قرب حي درب مولاي عمر.

الحسين الحياني، *العربي ابن مبارك لاعب القرن*، القنيطرة، 2000.
Arsalonne Kebin, *Le Foot-ball Marocain.*

محمد بلعربي وعبد العزيز بل الفايدة

**مبارك** (ابن -) **مسعود** بن **علي** ولد سنة 1929 بدوار أنامر آيت ياسين اصبوية أيت باعمران.

دفعته غيرته الوطنية إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير سنة 1957 وشارك في أول معركة بأنامر من نفس السنة وحسب بعض التصريحات الواردة بمحضر اللجنة الوطنية فإنه استشهد لذى رجوع رجال جيش التحرير من إحدى الاشتباكات بسيدي ايفني.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاومة رقم 513649.

**المباركي، أحمد الزعري**، من أشهر كتاب السلطان المولى الحسن، وكان والده من رجال التصوف المنقطعين عن الدنيا، ملازما للسلطان المولى سليمان يتعبد معه.

محمد ابن سودة، زعير.

**المباركي، أحمد** بن **العربي** بن **عبد السلام** بن عبد الرحمان الزعري، الشيخ الإمام، العالم العلامة الهمام، الأستاذ الفاضل، كان إماما وخطيبا بجامع القرويين، له اليد الطولى في التدريس والحديث والتفسير، أخذ عنه العلم جماعة من العلماء، منهم العلامة العارف أبو العباس سيدي أحمد بن عجيبة، وقد عده في فهرسته من شيوخه، قال فيها: "وجلست في حلقة التفسير للورع الزاهد سيدي أحمد الزعري أياما".

ولد عام 1155 وتوفي ليلة الخميس 25 ذي الحجة الحرام مستم عام 1222، ودفن بداره داخل الحرم الإدريسي بمدينة فاس.

**المباركي**، أبو **بكر** بن **العربي** الزعري، كان علامة مشاركا، له معرفة بعلم النوازل، وله اليد الطولى في الإفتاء، كان يتعاطى الإفتاء بفاس أزيد من عشرين سنة، وقد حصلت له شهرة عظيمة بعد موت مفتيها أبي عيسى الوزاني الحسني، وكان لا يخرج من داره، ولعله كانت به علة تمنعه من ذلك، وداره قبالة ضريح المولى إدريس، ولأبي بكر المباركي تقريظ على تقييد في بيان حكم سجود التلاوة بعد الشروع في الإقامة واسمه "*رفع الإيهام ودفع شبه المعاقب عن مسألة سجود التلاوة عند الإقامة على الراتب*"، صاحبه عثمان بن محمد الحبابي، مطبوع على الحجر في شعبان 1338.

توفي يوم الإثنين حادي عشر شعبان من عام 1345.

**المباركي**، (سيدي -) **زين الدين** بن العلامة البركة سيدي رضوان المباركي، كان فقيها علامة أديبا محاضرا مشاركا، من أعيان أدباء وقته، له باع طويل في الآداب والشعر والإنشاء والإفتاء والتقاييد المفيدة، كانت له صحبة مع القاضي أبي عبد الله محمد العربي بن منصور، تجري بينهما المخاطبات والمراسلات على نسق عجيب، وأسلوب غريب، يتسايغان نظما ونثرا، ويتناشدان قصائد وأشعارا، وينسجان من الآداب برودا، وينظمان من البلاغة عقودا، وكناشة القاضي المذكور جمعت من ذلك طريفه وتليده، وخالص جوهرهما وفريده.

توفي حوالي عام 1240، ودفن بباب معلقة بسلا، وهي المسماة بباب الرحمة، وقبره مشهور هناك.

**المباركي، العربي الزعري**، الفقيه العدل بسماط فاس، كان مبرزا موثقا، وله معرفة بعلم الحساب، وبقي في الخطة زمنا طويلا إلى أيام الفقيه العلامة القاضي أحمد بن عبد الرحمان الفيلالي السجلماسي الحجرتي، وكان من قدر الله القبض على صاحب الترجمة وعلى غيره، وسرح من وقع القبض عليهم معه، وبقي هو في السجن مدة طويلة، ثم سرح، وعزل عن الخطة، وقد عمر من السنين.

توفي أيام حكم السلطان المولى عبد الحفيظ.

محمد بن عبد الكبير الكتاني، *تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس*، ص. 390.

بوعبيد التركي

**مباركي، عقّى** ولد سنة 1923 بآيت بوحماد بإقليم خنيفرة. انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء الشرقية سنة 1958 ضمن المقاطعة السابعة عشرة بمركز بوعنان تحت مسؤولية بن حمود قيادة السيد فهمي بلعيد وقد شارك في عدة معارك بالمنطقة منها معركة وادي الحلوف ومعركة جبل معيز.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 511320.

**المباركي، محمد** بن **أحمد** الزعري، العلامة المشارك، المدرس قاضي فاس العليا مدة، وكان يؤدي عنده عدول فاس البالي وقت عدم وجود قاضيها، كان من العلماء العاملين، خيرا دينا، أخذ عنه الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمان الحجرتي، وسيدي بدر الدين الحمومي، وسيدي أحمد المرنيسي وغيرهم.

توفي في 20 ذي الحجة عام 1276، ودفن بالقباب.

بوعبيد التركي

**المباركي،** (سيدي -) **محمد** بن **بوعزة** الزعري، الفقيه العدل بسماط فاس بتاريخ ثامن شوال عام ثمانية وتسعين ومائة وألف.

**المباركي، محمد** بن **العربي** الزعري، المفتي بفاس، الأديب الشاعر، له عدة قصائد في مدح السلطان المولى عبد العزيز حسب ما تشير إليه عدة ملخصات لرسائل مخزنية، وله كذلك قصيدة طويلة في مدح محمد بن عبد القادر ابن سودة.

توفي بمدينة فاس عام 1346.

**المباركي، محمد** بن **القرشي** بن رضوان، علامة مشارك وأديب، تعرض لذكره محمد بن علي الدكالي بقوله :

محمد وهو ابن رضوان الزكي   أجل غطريف على ما قد حكي
وكان ذا القرم جليل وقته   منفردا في علمه ونعته
علامة مشاركا أديبا   محاضرا مؤرخا لبيبا

لقي محمد بن القرشي الشيخ الرياحي التونسي أثناء زيارته للمغرب، وجمعت بينهما مجالس شعرية بحضرة مولاي عبد السلام الضرير ابن السلطان محمد بن عبد الله، وقد أثنى عليه الرياحي في تقييد رحلته.

توفي بعد عام 1230.

محمد بن عبد الكبير الكتاني، *تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس* ؛ عبد السلام ابن سودة، *سل النصال* ؛ ابن عجيبة، *فهرسة* ؛ محمد الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ عبد الكبير الكتاني، *زهر الآس* ؛ عبد الهادي التازي، *جامع القرويين* ؛ محمد حجي، *موسوعة أعلام المغرب* ؛ أحمد بن عاشر الحافي، *تحفة الزائر* ؛ محمد بن علي الدكالي، *إتحاف أشرف الملأ* ؛ *الإتحاف الوجيز* ؛ محمد ابن سودة، زعير ؛ الصقلي، *وفيات* ؛ عبد السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*؛ وثائق الخزانة الحسنية، *كناش رقم 222*، ص. 47، *كناش رقم 439*، ص. 120.

**المباركيون**، أسرة تنتسب إلى شيخ زعير سيدي محمد بن مبارك الزعري، الشريف الحسني، الصوفي الشهير دفين تستاوت بأرض زيان، وقد اندمجت هذه الأسرة في المجتمع القبلي الزعري منذ القرن العاشر الهجري، حيث استقر الصوفي المذكور بزعير.

ينتشر المباركيون بكافة القبائل الزعرية. ولهم شفوف واحترام من طرف الزعريين، فمنهم : القادريون عقب سيدي أحمد بن عبد القادر المباركي التستاوتي ويتواجدون ضمن قبيلة أولاد علي الزعرية، والبواشريون المنحدرون من سيدي البشير بن البشير المباركي يتواجدون بقبيلة أولاد زيد الزعرية، وهذه الأسرة هي التي تزعمت حركة المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي بزعير المعروفة بحركة البواشرية، والشراشرة من عقب سيدي الغزواني المباركي، يتواجدون بقبيلة أولاد ميمون الزعرية، والفقراء أبناء سيدي بوعمرو بن حمو المباركي يتواجدون بقبيلة النغامشة الزعرية، إضافة إلى المباركين الذين يعرفون باسم جدهم الشيخ سيدي محمد بن مبارك الزعري ويتواجدون بكل من قبائل أولاد كثير، والرواشد، والنغامشة، والغوالم وأولاد موسى من زعير.

أما في باقي نواحي المغرب فيعرف المباركيون بـ : البراهميين وهم من عمود الولي الصالح المولى إبراهيم بن أحمد بن عبد القادر المباركي، وهؤلاء هم المترفون بزاوية الشيخ الأكبر بسلا، ويوجد البعض من المباركيين بالقرب من مدينة العرائش، على ضفة وادي لوكوس بنحو عشرة كلم، بمدشر يسمى مدشر دكالة، فهناك ضريح مبارك بن عمران، ويقتسمون فتوحاته مع المباركيين الموجودين بسلا، كما يوجد المباركيون التستاوتيون بكل من تستاوت وضاحية قلعة السراغنة وورزازات، أما بمدينة فاس فيعرف المباركيون بأولاد الزعري نسبة إلى قبيلة زعير. وهم من الأسر المعروفة بالحضرة الإدريسية.

وسواء تعلق الأمر بمباركيي زعير أو المتواجدين بأنحاء المغرب، فقد اشتهروا بالعلم والصلاح والولاية، وشارك بعضهم في التدريس والإفتاء والقضاء والعدل.

أبو محلي، *الإصليت* ؛ مجهول، *المحلى في مناقب محمد بن مبارك* ؛ أحمد التستاوتي، *نظم ممتع الاسماع* ؛ عبد الكبير الكتاني، *زهر الآس في بيوتات فاس* ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس عن قبائل سكان مدينة فاس* ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *إتحاف* ؛ محمد ابن سودة، زعير ؛ *تحريات خاصة*.

بوعبيد التركي

**المبخوت، إبراهيم** بن **مَحمد**، ولد بقبيلة أولاد فرج بدكالة حفظ القرآن ومختلف الأمهات بالمدرسة التي أسسها والده، ثم التحق بجامعة القرويين بفاس، فدرس على علمائها أمثال الفقيه الأزمي وحمدون بلحاج والطيب الكتاني وعبد القادر العلمي ومحمد الحراق وغيرهم. وكان من زملائه في الدراسة محمد بن إدريس العمراوي، الذي سيصبح فيما بعد شاعرا مشهورا ووزيرا والذي كان معروفا بكبريائه وسلاطة لسانه. وفي بعض الأيام، وقعت بينه وبين زميله الطالب إبراهيم المبخوت مشاحنة وخصام حول صحة نسب كل واحد منهما، فهجا ابن إدريس زميله المبخوت بهاذين البيتين :

ألا قل لنجل السبت بل نجل روحه   تناقضتم قولا تعديتم كفرا
فأبيح ذمكم وأسيغ سبيكم   وحلل نقلكم تجاوزتم شرا

فرد عليه إبراهيم المبخوت، وكان هو أيضا شاعرا :

ألا إننا آل الفرج عن أهلنـــا ... نذب وندفع العدو كما جــــرى
ولسنا بآل قبح يا جاهلا قــدرا ... ومرتديا قولا ومقررا نكـــــرا
ففي تاريخ خلدون نسبنا شاهر ... وقدرنا معلوم وقد ذكرنا ذكــرا
ولعامر نعزى وجدنا صعصعــه ... ونسبتنا العليا لعدنان بلا امترا
ففي الحرب قدمنا وللغزو غربنا ... ولعز دين الله جئنا له سيـــــرا

ولما أنهى دراسته، عاد إبراهيم المبخوت إلى قبيلته، فأصبح من أبرز علماء وفقهاء الأسرة المبخوتية وتعاطى قول الشعر ومهنة العدالة والتدريس والإفتاء. وكان لا يسأل عن مسألة فقهية إلا وأجاب عنها، فكانت فتاواه لا ترد. لم نعرف لا تاريخ ولادته ولا وفاته.

**المبخوت، البوعزاوي** بن **القاضي** أبي **شعيب**، كان من حفاظ القرآن الكريم ومن الفقهاء الذين وهبوا أنفسهم لنشر العلم ومكافحة الاستعمار. انخرط بعد الاستقلال في سلك التعليم فكان من أحسن من انخرطوا في هذه المهمة النبيلة إخلاصا وكفاءة.

توفي في 24 شعبان سنة 1407 موافق 20 أبريل عام 1987.

**المبخوت**، أبو **شعيب** بن **القاضي محمد** بن الحاج أحمد، من مواليد قبيلة أولاد فرج بدكالة. حفظ القرآن ومختلف المتون، وبدأ صغيرا في دراسة الفقه على يد والده ثم التحق بالقرويين بفاس، وكان من جملة أشياخه العلامة المهدي الوزاني الذي قال له عندما أنهى دراسته : "يا بني، اذهب إلى بلدك لينتفع بك، فقد فتح الله عليك". ولما رجع من فاس، اشتغل بالعدالة والتدريس والإفتاء إلى أن توفي القاضي والده في أوائل الحماية، فاستدعى وزير العدل الشيخ شعيب الدكالي عددا من فقهاء دكالة لاختيار قاض جديد من بينهم. وقبل وضع الأسئلة على المرشحين، وزعت عليهم بعض كتب الفقه ليطلعوا عليها ؛ غير أن الفقيه أبا شعيب المبخوت امتنع عن أخذ الكتاب المعروض عليه قائلا : "إن العِلم في الصدر، لا في القمطر !" وتدخل الوزير الذي كان حاضرا بقوله : "إن الفقيه المبخوت ليس في حاجة للمطالعة".

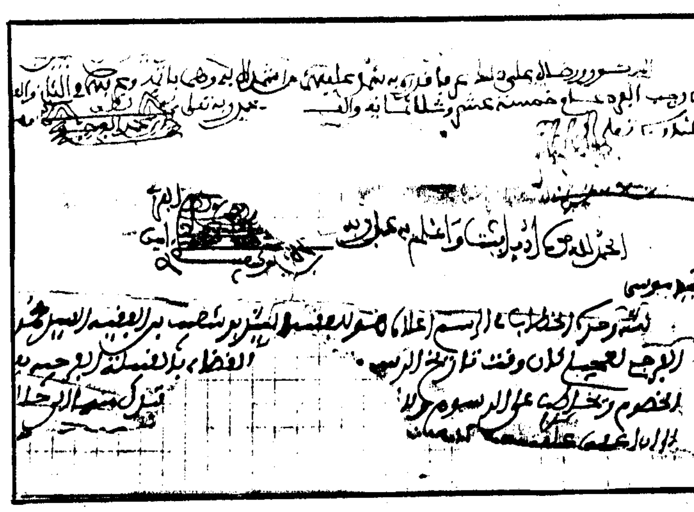

تولى الفقيه المبخوت القضاء بقبيلة أولاد فرج، وأمضى مدة قصيرة في هذا الوظيف ؛ غير أن ما كان يتحلى به من حسن سلوك واستقامة جعله يثور على ما كان يقوم به بعض العدول من أمور مختلفة لما أمر به الشرع، وما كان يقدمه لهم قائد القبيلة من تشجيع على كتابة الزور لغصب أموال الناس. فاعتزل عن القضاء وانتقل إلى الدار البيضاء، واعتكف بها على التدريس، إذ وجد فيه الجو العلمي الذي كان يناسبه خلافا للبادية التي كان جده الفقيه إبراهيم يقول عنها : "البادية جائحة العلم" وبقي مدة طويلة بهذه المدينة يشتغل بالعدالة والإفتاء والتدريس، واتصل بالشيخ محمد البوعزاوي وأصبح من مريدي الطريقة البوعزاوية، وتتلمذ عليه أبناء الشيخ المذكور، وهم : محمد الأحمر والحاج محمد والمهدي. ولقد بعث له مرة الشيخ البوعزاوي عدة نقود من الذهب ليستعين بها، لكنه لم يأخذ منها سوى نقد واحد ورد إليه الباقي، قائلا : "إني لا أريد منك سوى الدعاء !" وسألته زوجته قائلة : "لما لا توفر شيئا من متاع الدنيا، وقد أصبح لك أولاد، ولست على علم بما يفاجئك به الدهر ؟" فأجابها : "إني أريد أن أعيش، وما فضل علي أشتري به خبزا ولحما وأوزعه على الفقراء. أما أولادي، فسأكتفي بتعليمهم". وفعلا، فهو لم يترك لا أرضا ولا عرضا.

وفي نهاية الأمر، استقر بالجديدة في بيت متواضع بالكراء، وظل عاكفا على العدالة والإفتاء والتدريس بجامع إدريس البوكيلي وبجامع ابن الحمدونية، فتخرج على يده عدد من العلماء أمثال الفقيه محمد الحطاب ووالدي الفقيه إسماعيل الشياظمي والفقيه محمد العبادي والقاضي الحاج أحمد الأزموري وغيرهم. وفي الاثناء، ألف عدة كتب في النحو والصرف، وخصوصا كتابه الكبير في التصوف المسمى "*الكوكب الضاوي في شرح الورد البوعزاوي*". ومن فتاويه تلك الفتوى الشهيرة المتعلقة بقضيه "سقوط الشفعة" التي نلخصها فيما يلي : "باع أخ لأخيه واجبه في ملك، واحتفظ البائع في عقد البيع بحقه في الشفعة إذا باع المشتري الملك المذكور إلى شخص آخر، وبالفعل قام المشتري ببيع الملك. فأقام أخوه عليه دعوى، وحكم القاضي أن المدعي لم يبق له حق في الشفعة بعد أن كان قد باع واجبه. وأفتى الفقيه المبخوت أن حق الشفعة لازال ثابتا مادام منصوصا عليه في عقد البيع، وأن الناس على ما اتفقوا عليه إلا ما حلل حراما أو حرم حلالا. فاضطر القاضي إلى إلغاء الحكم الأول وتطبيق الفتوى.

توفي الفقيه أبو شعيب المبخوت في عاشر رجب 1347 موافق 22 دجنبر 1928.

**المبخوت، عبد الله المشيشي** الإدريسي، جد أسرة المباختة الذين استقروا بقبيلة أولاد فرج بدكالة ويلقب بسيدي عبد الله المظلوم. كان فقيها ووليا صالحا من علماء القصر الكبير. ورد ذكره في دوحة الناشر لابن عسكر، كما

ذكره ميشو - بلير وجورج سالمون عندما تعرضا لتاريخ مدينة القصر الكبير، فقالا : إنه كان من سكان القصر الكبير وأن مولاي إسماعيل العلوي حينما احتل هذه المدينة حوالي 1689 ، قطع رأس السيد عبد الله المبخوت لأسباب لم يذكراها. ومنذ ذلك الحين، أطلق عليه لقب "سيدي عبد الله المظلوم". ولايزال ضريحه موجودا بالقصر الكبير في حالة خراب بجانب ضريح الولي سيدي عجال الغزواني.

أما أبناؤه فقد اختفوا من ذلك الوقت في شبه تقية ولم يظهروا بقبيلة أولاد فرج بدكالة إلا بعد مرور أزيد من قرن على هذا الحدث.

**المبخوت، محمد** بن **أحمد**، ولد بالجديدة سنة 1932 وعرف اليتم في سنه الرابعة وبعد أن حفظ القرآن على يد الشيخ حميد طه الروداني ودرس النحو والفقه والتوحيد على يد الفقيه الحاج محمد الحطاب، التحق بكلية بن يوسف بمراكش سنة 1947 وظل يدرس بها إلى سنة 1952 حيث قام طلبة هذه الكلية بشن إضراب وبالتظاهر أمام وفود أميركا اللاتينية التي استدعتها فرنسا للاطلاع على منجزاتها بالمغرب، بعد أن عرضت مصر القضية لأول مرة على الأمم المتحدة أثناء انعقاد دورتها بفرنسا. فطرد الطلبة من الكلية

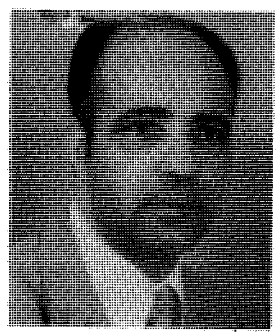

وقدموا للمحاكمة. وبعد ذلك تقدم بطلب الحصول على منصب معلم بالجديدة، فقبل طلبه أولا ثم بعد شهر توصل برسالة تعفيه من ذلك المنصب، نتيجة للإضراب الذي كان قد قام به، فبقي يعمل كعضو بفرع حزب الإستقلال بالجديدة وكمراسل لجريدة العلم التي كان ينشر فيها عددا من أشعاره، وبقي على هذه الحال إلى أن بزغ عصر الاستقلال، وانخرط بصفة رسمية في التعليم سنة 1957 ، ثم عندما أحرز على الإجازة في الحقوق سنة 1969 التحق بالقضاء الذي شغل فيه مناصب عليا عديدة إلى أن أحيل على المعاش سنة 1993. ومنذ ذلك وهو يشتغل بالمحاماة إلى أن وافته المنية في شهر ماي سنة 2002 ، ولقد خلف ديوانا شعريا متعدد المواضيع وسيرة ذاتية ومقالات سياسية كثيرة كان ينشرها في جريدة العلم لما كان مراسلا لها.

**المبخوت، محمد** بن **البوعزاوي** بن القاضي أبي شعيب. ولد بمدينة أزمور سنة 1952. وبعد حصوله على الباكلوريا ودبلوم المدرسة الوطنية للإدارة العمومية (1973) ودبلوم السلك العالي للمدرسة الإدارية بفرنسا (1980)، تم تعيينه بالإدارة العامة للحكومة ثم انتقل إلى وزارة الصيد البحري، وأخيرا عين رئيسا لقسم الدراسات بالوزارة المكلفة بالعلاقات مع البرلمان. وكان قد ألف دراسة مهمة حوالي سنة 1980 ، باللغة الفرنسية، عن الأوقاف المغربية تحت عنوان : "*Les Habous publics au Maroc*".

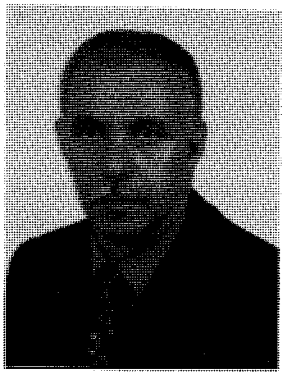

توفي يوم 24 مارس سنة 2002.

**المبخوت، مَحمد** بن **سعيد** بن **عبد الله** المظلوم، هو أول حفيد من حفدة سيدي عبد الله المظلوم الذي استقر بدكالة بعد أن أنهى دراسته بالقرويين، فامتهن العدالة والتدريس والإفتاء وأنشأ مدرسة علمية ومسجدا للصلاة.

ولازالت بيدي نسخة من الرسالة التي كان قد وجهها للسلطان سيدي محمد بن عبد الله في شأن ما كان يقوم به بعض القضاة بدكالة من أمور مخالفة للشرع. وهذه الرسالة تحمل تاريخ 1193. ولقد تمت إعادة بناء المسجد والمدرسة اللتين كان قد أنشأهما، من قبل أحفاده، فقال أحدهم في ذلك، وهو المرحوم القاضي الحاج محمد بن الحاج أحمد المبخوت :

أ محمد البخوت أنت إمامنا ... لكل مكرمة وفي الصنيع الزاهر
أقمت في هذي الربوع مبرة ... زخرت مرابعها بكل المآثر
حفظ البنون كتاب الله واستمتعوا به ... حكوا الجدود تزينوا بالمفاخر
وتقلدوا منصب القضاء بهمة ... وتصدروا مجلس الإفتا بعزم المنابر

توفي الفقيه مَحمد المبخوت سنة 1222 / 1807.

محمد الشياظمي

**مبسوط، عبد السلام** بن **الجيلالي** ولد سنة 1894 بسطات. انتسب للمقاومة المغربية بالدار البيضاء، فأتى جزءاً من عملياتها، لذلك أصبح مطلوباً من قبل أجهزة الأمن الفرنسية، وقد تمكنت منه في أحد أيام شهر نونبر 1954، إذ أطلقت عليه الشرطة الفرنسية الرصاص بدرب السبليون في المدينة الجديدة بالدار البيضاء، ونقل إلى مستشفى موريس

گو (ابن رشد حالياً)، لكنه لفظ أنفاسه الأخيرة يوم 18 نونبر 1954.

محمد وحيد

**متجنوش، محمد الـمهدي**، أندلسي الأصل، رباطي المولد والنشأة، أخذ القراءات على أخيه وعلى شيخ الرباط أبي إسحاق التادلي وتصوف على شيخ سلا محمد بن عبود وعلى كثير من علماء العدوتين.

رحل إلى مدن مغربية كفاس وطنجة ومراكش ومكناس، والتقى بعلمائها وشيوخها، "فاستفاد وأفاد وساح وتجرد، وجد واجتهد" كما يذكر عبد الله الجراري في مؤلفه : "العلامة الرياضي محمد المهدي متجنوش"، تعاطى للعدالة فترة من الزمن وكان كاتبا محررا لباشا مدينة سلا محمد الصبيحي، ثم تخلى عن ذلك لممارسة التدريس في كتّاب فتحه لتعليم القرآن بمدينة الرباط، وبعد أن ضاقت به سبل العيش وعضه الدهر بنابه، هاجر إلى طنجة، مما جعل الفقيه القاضي والوزير محمد بن عبد السلام الروندة يكاتبه مستعطفا وملتمسا الرجوع إلى مسقط رأسه، سنة 1331، فهو من العلماء ذوي الاطلاع الواسع في العلوم الإسلامية والرياضية والهندسية.

وقد أجاز بعض العلماء منهم عبد الحفيظ الفاسي والمكي بربيش الذي أجاز بدوره طالبه السيد عبد الله الجراري سنة 1364 وغيرهما. وهو من شيوخ الكاتب عبد الله الجراري، درس عليه القرآن دراسة تصفية مزيجة بقواعد التجويد وفنونه، وشتى المعارف فقها وأدبا وتاريخا، في مؤلفه "محمد المهدي متجنوش" ص. 12 : "كان عالما مشاركا في كثير من العلوم والفنون، متضلعا في علم القراءات، مطلعا على وجوهها وأحكامها، ذا باع جيد في الرياضيات والفلك، دل على هذا إنتاجه العلمي ومؤلفاته العديدة في الحساب والفلك والأدب والتصوف".

ومؤلفاته كما أحصاها الجراري : "شفاء الغليل على فرائض خليل، التبصرة والتذكرة في علم الحساب، ونتيجة الأطواد في الأبعاد، منظومة وشرحها"، و"تحفة السلوك في التوقيت والحساب" ورجز في "كيفية تربية الأطفال"، ونظم في "إمالة الراء وترقيقها وتفخيمها"، وأرجوزة حول أداء صلاة الجمعة في المسجد العتيق بالمدينة أو القرية، ونظم في أن الخير في الاتباع والشر كله في الابتداع، وله ألفية في المخارج سماها "*تحفة السراء لمن أراد القراء*"، وله نظم في التشكي من الزمان وأهله، علق عليه الجراري بقوله في "التأليف ونهضته : "وحق له ذلك، فقد عاش بائسا مضاعا بين ظهراني قومه، أضاعوه وأي فتى أضاعوا"، وقد استوفى الجراري في مؤلفه الحديث عن مؤلفات متجنوش وذكر أنها توجد بخزانته، وهي مخطوطة دون شك.

توفي سنة 1344 / 1922 ودفن بمقبرة سيدي الحسن أفران، بدار القصار المتصلة به.

عبد الله الجراري، *العلامة الرياضي محمد المهدي متجنوش*، سلسلة شخصيات مغربية، رقم 6 ؛ *أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 227 ؛ *التأليف ونهضته بالمغرب*، 1 : 267 ؛ الزركلي، *الأعلام*، 7 : 114.

نجاة المريني

**متحف الـفنون** والمصنوعات التقليدية بمراكش والجنوب المغربي، أو دار السي سعيد القديمة. يوجد بحي جنان بن شكرا أو رياض الزيتون القديم بمراكش غير بعيد عن القصور الملكية التارخية مثل قصر البديع والباهية. كانت في الأصل مركبا سكنيا يتكون من 6 رياضات متباينة الأهمية والسعة مساحتها الإجمالية 4400 م$^2$، بناها لسكناه وعمله الإداري سعيد بن موسى المتوفى سنة 1900 وهو القائد المشرف على شؤون الجيوش السلطانية (علاف) في عهد مولاي عبد العزيز ووصيه أحمد بن موسى "با احماد" وهو شقيقه. تتميز هذه الإقامة بطابع معماري مغربي صميم يزخر بالأسقف المنقوشة والملونة على الخشب أو الجبص والأرضيات والجدران المغطاة بالزليج وكثرة الجبص في باقي الجدران المبنية بالآجور والتراب والجير، تنتظم الدور حول حدائق داخلية أو باحات هندسية مرصفة وبها أحواض تربط بينها عدة ممرات مسقوفة، بها أبواب جميلة منقوشة من خشب الأرز.

في أوائل عهد الحماية، تحولت دار السي سعيد إلى مقر للحكام الفرنسيين بمنطقة مراكش، وبعد أن أدرك التقنيون الفرنسيون الأهمية الفنية الجمالية والتاريخية لهذه الإقامة، وبموازاة مع بداية النشاط السياحي بمراكش، قامت مصلحة الأملاك المخزنية سنة 1930 بتسليمها للإدارة العامة للتعليم والفنون الجميلة والآثار لتنشئ بها مصلحة الصناعة التقليدية ونواة متحف الفنون التقليدية. وفي سنة 1932 افتتح المتحف لجمهور أغلبه من السواح الأجانب، هيئت به بعض القاعات لعرض مصنوعات فنية وتقليدية من حلي وآلات موسيقية وأدوات فخارية وملابس، ومنحت قاعات أخرى لبعض الحرفيين يزاولون بها أعمالهم أمام أنظار الزوار تضم صناعة الزرابي والقنب والخرازة والصوف.

وبعد الاستقلال بقيت الدار محافظة على دورها الفني. لكن في سنة 1957 أعيد توزيع مبانيها بين مصالح الصناعة التقليدية ووزارة التربية والفنون الجميلة وإدارة المتحف حيث احتفظ هذا الأخير منذ هذا التاريخ بالرياضين الكبير والصغير والطابق العلوي بالإضافة إلى بعض الممرات ومرافق أخرى ثانوية بالطابق السفلي أي ما مساحته 2200 م$^2$.

وفي سنة 1957 أغلق المتحف مدة سنتين من أجل ترميم بعض الأجنحة وإعادة تنظيمه على أسس جديدة وذلك بتغيير طرق ووسائل العرض وفق تصور جديد يهدف إلى إحداث توازن بين الخصوصيات المعمارية للرياض وبين المجموعات الفنية المعروضة وإمتاع الزوار. وتكون دار السي سعيد حاليا متحفا إثنوغرافيا جهويا لمدينة مراكش وجهة تانسيفت والجنوب المغربي، مقسما إلى عدة أروقة مدمجة بالخضرة والطلال. وتتزايد ثروته من مختلف التحف، لجأت الإدارة

إلى استغلال كثيف للمجال باستعمال الممرات والإضافات والمرافق، لكن لا يزال قسم مكون من ثلاثة منازل مسكون "من طرف لاجئين مغاربة من الجزائر، كما أن هناك أقسام أخرى فارغة تنتظر الترميم لتدمج في المتحف.

وتتكون أهم أقسام المتحف حاليا من :

ـ قطاع إثنوغرافي : تعرض به نماذج من مصنوعات ذات قيمة تاريخية كأحد أبواب قصر البديع وصهريج من الرخام يعود إلى القرن (11 م) يزن 1400 كلغم.

ـ تحف خشبية : نماذج من صناديق نسوية وصناديق خزن عائلية ونماذج من أبواب منازل وقصبات.

ـ قطاع الملابس : نماذج من القفطان خاصة قفطان المرأة الحضرية خلال القرن (19) بداية القرن (20) وقفطان المرأة اليهودية المغربية وقفطان تركي، ويتصل بهذا الرواق قسم لعرض أدوات زينة المرأة خاصة القروية ترجع أدواته في معظمها إلى بداية القرن (20) تشمل أدوات استعمال الحناء وحلي فضية ومصنوعات جلدية منها ما هو مصبوغ بالحناء. كما يعرض بهذا القسم ملابس رجالية لسكان الجبال مثل "أخنيف" وهو برنوص صوفي به رسوم خاصة، و"إسكجاض" وهو حداء جبلي لمقاومة البرودة والثلوج والأوحال.

ـ قطاع الزرابي : نماذج نفيسة وتاريخية من زرابي مراكش والأطلس الكبير خاصة وآيت واوزكيت وورزازات وزرابي الحوز من شيشاوة وسيد المختار وأولاد بو السبع.

لازال المتحف يعمل على إغناء رصيده المتحفي والموسوعي المغربي وذلك بتكملة المجموعات الموجودة واقتناء مجموعات أخرى مع استمرار عملية الترميم لمباني سهلة العطب مبنية أساسا بالتراب والجير والخشب والجبس. وهو يتحول إلى مؤسسة ثقافية تربوية سياحية منفتحة على محيطها الخارجي تجتذب السواح والتلاميذ والطلبة والباحثين في مختلف الفنون والعلوم الإنسانية. يزوره سنويا حوالي مائتي ألف زائر برسم بسيط : عشرة د هـ يعفى منه التلاميذ.

معلومات من محافظة المتحف السيدة سعاد الرويجل ؛ *زيارة بحث ميداني*.

أحمد هوزلي

**الـ متشرفة** ، مصطلح متداول في مدونات الأنساب والمراسلات المخزنية، له صلة بتطور ظاهرة الشرف في المغرب، ويعني في عرف النسابين فئة العوام الذين انتحلوا النسب الشريف واختلطوا بالشرفاء. ويمثل المتشرفة في تاريخ الشرف حركة اجتماعية انتشرت على الخصوص في البادية، حركها طموح عامة الناس إلى الارتقاء الاجتماعي والاستفادة من الامتيازات المادية والمعنوية التي خولها النسب الشريف لأهله، أهمها الإعفاء من الضرائب الشرعية وغير الشرعية والتمتع بالحرمة والوقار.

ترتب عن هذه الظاهرة نزاع بين الشرفاء والمتشرفة، وخلق علاقة طبعها الحذر والاحتراز من جانب الشرفاء في الاختلاط بالعامة خوفا من التسرب إلى حصن الشرف، وبدا هؤلاء أعداء خارجيين، مما استوجب التحام الشرفاء لطرد الدخلاء، وبذلك كان المتشرفة من دوافع حماية النسب الشريف من الاختلاط عن طريق حفظ تسلسل الآباء في مشجر الأنساب والتحفظ في المصاهرة مع العامة، وخاصة فيما يتعلق بزواج الشريفات والتمسك بنظام النقابة والانخراط في خدمة الدولة.

ورغم الاحتراز الملحوظ لدى بعض الأسر كالعلميين في الشمال، لم يسلم الشرف من الاختلاط عن طريق الزواج وتزوير عقود الشرف. وعادة ما تزامن انتشار هذه الظاهرة في تاريخ المغرب الحديث مع ضعف السلطة المركزية وفساد خطة نقابة الأشراف، كما وقع في أواخر العهد الوطاسي والسعدي وبعد وفاة السلطان المولى إسماعيل. وقد انتشرت هذه الظاهرة أكثر على ما يبدو في قبائل جبال غمارة والهبط، وكادت أن تنحصر في دائرة الشرف العمراني حسب النوازل الفقهية، بحكم تشعب فروعهم وقوة انتشارهم في القبائل وكثرة عددهم.

وكانت إثارة هذا المشكل فيما نعلم لأول مرة على يد قاضي مدينة شفشاون قاسم بن خجو سنة 950 / 1543، ويتعلق بشرف العمرانيين القاطنين في بني بوشداد من قبيلة بني زجل. وطرحت النازلة على نفس القاضي حينما انتحلت جماعات من بني حزمر وبني حسان وبني مسار وبني جبارة وبني زيات الشرف العمراني سنة 956 / 1549، ولم تقتصر على الشرف من الآباء بل شملت الانتساب إلى الأمهات.

وإذا كنا على بينة من وقوع هذا المشكل على عهد الوطاسيين من خلال كتب النوازل، فإن ما يغيب عنا الموقف الرسمي للدولة الوطاسية، وربما نجد المبرر في ذلك بانشغالها بمقاومة زحف الشرفاء السعديين. أما بخصوص موقف السعديين من ظاهرة التشرف فإننا نلمس أول تدخل رسمي فيما تم على يد السلطان عبد الملك سنة 983 / 1575، حينما تطلبت معالجة مشكل اضطراب الأنساب بسبب تكاثر العقود والرسوم المزورة تدخلا رسميا لصيانة حقوق بيت المال بسبب ارتفاع عدد المتشرفة المتنعين عن أداء الضرائب، وبحثا عن الحل المناسب تم تنظيم حملة رسمية برئاسة النقيب أحمد بن عمر بن عبد الوهاب مدعما من طرف القائد أحمد بن رحو بن تودة، الذي قام بجمع المتشرفة من بني جبارة وبني جرفط ورهونة وسماتة وفاس في مدينة القصر الكبير للتأكد من صحة أنسابهم على يد القاضي عبد الرحمان التجاني، الذي استند على فتوى الفقيه ابن خجو في بطلان شرف بني جبارة، وعلى الرسوم والعقود العدلية، وعلى شهادات أهل القصر الكبير في إقرار أو نفي شرف باقي الجماعات.

ويظهر أن انتحال الشرف من طرف العامة في جبال غمارة والهبط قد تفشى بعد ذلك واستأثر باهتمام كبار فقهاء العصر بالمنطقة أمثال أحمد بن عرضون (ت. 992 /

1584 ) الذي تبرأ من الخاص، واقتصر على الشرف العام العربي القريشي، وقدم المثال لغيره بادئا بتصحيح النسب الشريف من نسب أسرته، فأصدر حكما نفى فيه نفيا قاطعا شرف بني زجل الخاص.

والملاحظ أن ظاهرة المتشرفة انتشرت بشكل كبير عقب وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي، خلال فترة أزمة السلطة المركزية بسبب غياب رقابة الدولة على الشرف واختلال نظام نقابة الأشراف، مما أدى إلى تزايد عدد المتشرفة بشكل لم يسبق له نظير.

ولهذا كان مشكل المتشرفة من ضمن المشاكل التي واجهت الدولة العلوية في طور تأسيسها. ولم يعد انتحال الشرف مقتصرا على الشرف العمراني بل مس الشرف العلمي المتميز إلى ذلك الحين حسب الخطاب النسبي بالحصانة. وحسما لانتشار هذه المعضلة الاجتماعية بادر السلطان المولى الرشيد إلى إصلاح خطة النقابة العامة كإجراء أول، فعزل نقيب الشرفاء الأدارسة إدريس بن محمد الطاهري الجوطي سنة 1080 / 1670 وعين بدله الشريف عبد القادر بن عبد الله الشبيهي، وزوده بتعليمات ترمي إلى زجر المتشرفة، بعد أن تبين له أن تساهل النقباء في ممارسة وظائفهم هو الذي شجع على ذلك.

وفي نفس السياق نسجل تدخل السلطان على مستوى جبال غمارة والهبط حينما أعطى أوامره إلى قاضي شفشاون بتطبيق أقصى العقوبات في حق دعاوى الشرف طبقا لأحكام الشريعة. وواصل خلفه مولاي إسماعيل معالجة مشكل اختلاط الأنساب، واتسم تدخله أحيانا بالمرونة وأخرى بالصرامة، واصطبغ بمظهر ديني يندرج في إطار القيام بواجب حماية النسب الشريف من الدخلاء، من موقعه كأمير للمؤمنين ونقيب أعلى. وفي هذا الصدد نظم حملة تنقيب أولى على يد الفقيه النسابة التهامي بن رحمون، أسفرت عن ظهور أول ديوان شامل في النسب الإدريسي بالشمال الغربي والنسب العلمي على وجه الخصوص بعنوان *شذور الذهب في خير نسب* سنة 1105 / 1693، نبه فيه على عدد من المتشرفة وأخرج مجموعة من الأسر ذات الصيت الذائع في المنطقة من دائرة الشرف كأولاد البقال وأولاد غيلان.

غير أننا حينما نتصفح نتيجة هذا العمل يتبين لنا أنه لم يكن حلا موفقا لمعضلة انتحال الشرف، ولذا نجد نفس السلطان ينظم في حدود عام 1121 / 1709 حملة أخرى واسعة النطاق في جبال غمارة والهبط والفحص، وفوض القيام بعملية التنقيب للشريفين العلميين إدريس بن عبد الوهاب وأحمد بن أحمد عبد الوهاب بمساعدة كاتب السلطان عبد السلام بن زاكور ودعم من حاكم الناحية القائد عمر بن حدو الريفي. وأسفرت العملية عن جمع ديوان عرف بالديوان الإسماعيلي اشتمل على العقود المزورة وعددها اثنتان وأربعون قطعة خمسة منها غير مقروءة.

ويتبين من الجرد الذي قامت به لجنة التحقيق أنه لم يكن في الواقع تاما ودقيقا، لأن العقود المزورة المسجلة في الديوان لا تدلي بأسماء المتشرفة في غالب الأحيان. وقد بلغ عدد المصرح بهم مائة وخمسة وسبعين. واستنادا إلى هذا الجرد قدرنا نسبة المتشرفة القاطنين في البادية بنحو 78 في المائة.

ورغبة في التأكد من مصداقية عملها لجأت اللجنة إلى إثبات بطلان الشرف عن طريق إشهاد المتشرفة على أنفسهم بمحضر عدلين على حسب انتسابهم إلى أهل البيت مدى الحياة. وحرصا على أداء المهمة بعث النقيبان إلى السلطان بسجلين يتضمن الأول قائمة الشرفاء والثاني قائمة أهل الدعاوى الباطلة. وتبعا لذلك أقدم السلطان على إحراق الرسوم المزورة وفرض الضرائب على المتشرفة. كما أعاد هيكلة خطة النقابة بتعيين نقيب على كل من حواضر فاس ومكناس ومراكش، وجدد لأحمد العلمي على النقابة العامة.

والواقع أن هذا الإجراء لم يكن حلا جذريا لمشكل المتشرفة، بدليل عودة انتشارهم بعد وفاة السلطان خلال أزمة الثلاثين سنة 1727 ـ 1757، واستمرت مظاهر الخلل في بداية عهد سيدي محمد بن عبد الله الذي تساهل في تجديد الظهائر الصادرة عن أبناء المولى إسماعيل. وحينما أدرك خطورة انعكاسات ارتفاع عدد المتشرفة المحررين من الضرائب على بيت المال وعلى النظام المخزني بشكل عام، واحتجاج العامة على تحمل العبء الضريبي عن أبناء عمهم المتشرفة، المعبر عنه على النحو التالي : "لم يبق معنا من يعطيها، كلها رجعت أشرافا، بنو عمنا يرثوننا ونرثهم تشرفوا عليها"، نظم بدوره حملة تنقيب رسمية لضبط الأنساب قصد الحد من خطورة الظاهرة وترميم مؤسسة الشرف لاستخدامها في مواجهة عواقب الأزمة الموروثة، بالنظر إلى وظيفة الشرف في المجتمع التي لا تقل أهمية عن الوسائل الدبلوماسية والعسكرية.

وبحثا عن الحل المناسب لمشكل المتشرفة في قبائل جبال الشمال الغربي جمع السلطان أهل الحل والعقد وأمر الشريف الريسوني محمد بن الصادق سنة 1191 /1777 بتحقيق النسب انطلاقا من الديوان الإسماعيلي، وحينما تعذر الحصول على الديوان اعتمد على شهادة السماع المتواترة، واستفاد من النزاع القائم بين المتشرفة والعامة في إبطال مفعول العقود المزورة. والنتيجة أن الفقيه توصل إلى جمع ديوان في الأنساب سماه *فتح العليم الخبير في تهذيب النسب بأمر الأمير*، وهو أوفى ما وصلنا من التصانيف عن نسب العلميين، قدم فيه جردا عاما لفروعهم ومواطن سكناهم، ونبه إلى الدخلاء، مما يدل على أن عملية التحقيق استهدفت بالدرجة الأولى إقصاء المتشرفة المنتحلين لصفة شريف علمي، وأنها تركزت في جبل العلم.

وقام السلطان بعد انتهاء العملية بتعميم الضرائب على القبائل وحرر الشرفاء من التكاليف المخزنية. غير أن الرقابة التي فرضتها الدولة على الشرف زالت بعد وفاة سيدي

محمد بن عبد الله سنة 1790 وعاد المتشرفة إلى الظهور عن طريق تجديد الظهائر وتزوير العقود، وتقاطر المتشرفة على الجبل من كل حدب وصوب واستغلوا في ذلك حاجة مولاي اليزيد إلى السند الشعبي وتساهله. ولم يتغير موقف السلطان مولاي سليمان من ظاهرة المتشرفة إلا بعد تقاطر الشكاوى عليه من الشرفاء والعامة على حد سواء. ويتبين من المراسلات المخزنية أن السلطان عبد الرحمن بن هشام اتخذ موقفا صارما من المتشرفة حينما أصدر أوامره إلى عمال الشمال بتعميم الضرائب الشرعية واستثنى من ذلك الشرفاء وأصحاب الظهائر.

وظل مشكل المتشرفة مطروحا خلال ما تبقى من القرن التاسع عشر لكن ليس بنفس الحدة بعد ظهور الحمايات الأجنبية التي قلصت من سلطة الشرف في المجتمع شبيهة بتلك التي كانت تخولها الظهائر السلطانية، ومع ذلك ظلت نزعة التشرف متجدرة في المجتمع المغربي، وجسدت ضربا من الطموح إلى الارتقاء الاجتماعي عن طريق انتحال النسب الشريف.

أحمد بن عرضون، *الكتاب اللائق في معلم الوثائق*، المطبعة المهدية بتطوان، 1936، ص. 97 ؛ التهامي بن رحمون، *الأنجم الزاهرة*، ضمن مجموع مخ. خ. ع. الرباط رقم د. 1484، ص. 151، 158، 159 ؛ علي بن عيسى العلمي، *كتاب النوازل*، الجزء الثاني، وزارة الأوقاف 1986، 383 وما بعدها (تحقيق المجلي العلمي بفاس) ؛ مؤلف مجهول، *كتاب علم التحقيق واليقين في ذكر شرفاء الأعلام*. مخ.، ص. 239، 240، 242، 244، 250 (نسخة محمد المنوني) ؛ محمد بن الصادق الريسوني، *فتح العليم الخبير في تهذيب النسب بأمر الأمير*، مخ. رقم 865، خ. ع. تطوان ؛ عبد الرحمان بن زيدان، *العز والصولة*، الجزء الثاني، المطبعة الملكية، 1962، ص. 89 ؛ *الديوان الإسماعيلي*، مخطوط خ. س. رقم 11426 ز ؛ عبد السلام القادري، *الدر السني*، طبعة حجرية، فاس، 1308، ص. 16 ؛ أبو القاسم الزياني، *تحفة الحادي*، مخ. خ. س. رقم 11323 ضمن مجموع ورقات 92 ـ 94.

محمد عمراني

**مَتُورزگان** : اسم جبل بمنطقة "أكلموس" ببلاد زيان، وفي هذا الجبل يقول الزعريون (أهالي زعير) أن إسمه مركب من فعل "ماتوا"، وإسم "الرزگان"، والرزگان هي إحدى قبائل زعير القديمة، وقد ورد ذكرها عند عبد الرحمان الفاسي في أقنومه، وهاته القبيلة أبيدت في حرب طاحنة دارت بين زيان وزعير، ولم يبق من القبيلة المذكورة (الرزگان) إلا فرقة صغيرة تسمى أولاد رزگ بقبيلة أولاد كثير من زعير، وبالتالي فإن جبل "متورزگان" هو تذكار لتلك الحرب التي على إثرها تم طرد زعير من تلك المناطق، علما أن بلاد زيان الحالية كانت في الماضي موطنا لقبائل زعير وهناك يوجد ضريح شيخهم سيدي محمد بن امبارك الزعري. كما تجدر الإشارة إلى أن سكان مناطق زيان كانوا ينادون الزعري بالرزگاني نسبة إلى القبيلة المذكورة البائدة.

ع. الرحمان الفاسي، *الأقنوم في مبادئ العلوم*، مخطوط.

Loubignac, *Textes arabes des Zaïr*, Paris, 1952.

بوعبيد التركي

**متوگة** (قبيلة -) أمازيغية مصمودية تقطن بالهضاب العليا من الأطلس الكبير الغربي، ويحد موطنها من الشمال بلاد شيشاوة وأولاد أبي السباع ومن الجنوب جبال سكساوة ودمسيرة كما يحدها من الغرب قبائل آيت زلطن واد اوزمزم واداوضوكا الحاحية وتحدها من جهة الشرق قبائل مجاط وفروكة.

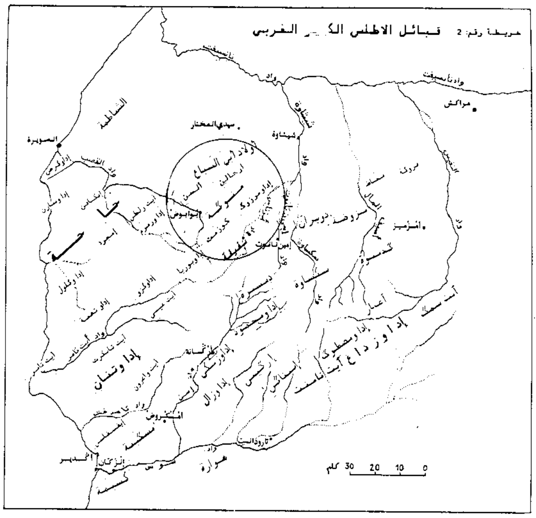

وهي قبيلة حديثة العهد في تشكلها، يظهر أن الاضطراب السكاني الذي تعرضت له المنطقة أوائل القرن السادس عشر مع زحزحة السيادة الحاحية هي التي أسهمت في بروز متوگة. التي أصبحت تشكل قوة في المنطقة منذ القرن الثامن عشر ثم أصبحت ندا منافسا لقبيلة حاحة في القرن التاسع عشر حتى أن النزاع بينهما كانت له نتائج سلبية على أسرة آل بيهي أو مولود الحاحية الحاكمة بحاحة إلى حين أفولها عام 1288 / 1871. اسمها عند الحسن الوزان الذي زار المنطقة أوائل القرن السادس عشر وتحدث عن مدن نسبها لإقليم حاحة، تقع اليوم أماكنها بأرض متوگة. ومنها عاصمة الإقليم آنذاك وهي مدينة (تَادَنْسْتْ) قبل تخريبها ومدينة (تاسكدلت) التي تطل مكانها على بوابوض.

ورغم أن البيدق أورد في كتابه أخبار المهدي لفظ (آتيكى) إلا أنه لم يذكر القبيلة. أما كتاب أعيان المغرب الأقصى فقد وردت فيه رواية تقول : بأنَّ متُوگة مركبة من تجمعين بشريين : تجمع أصلي يُسَمَّى (أنْگا، وتجمع صنهاجي وافد، جاء مع المرابطين، ويسمى الملثمين، واندمج التجمعان في قبيلة واحدة تسمى (لَمْتُوگة) ثم اختصرت إلى متوگة.

وورد نفس المعنى في مقالة صادرة عن القائد عبد المالك المتوگي تقول : أن المتوگيين يدَّعون أنهم ينحدرون من اللمتونيين كانوا مع يوسف بن تاشفين ففضلوا البقاء في

المنطقة بدل السير إلى مراكش، وهذا ما تؤكده الرواية الشفوية الشائعة في المنطقة.

وأهم قياد قبيلة متوگة هم القائد عمر بن سعيد والقائد عبد المالك المتوگي المعاصر للقائد انفلوس أحمد الحاحي الذي دخل معه في صراع حاد، ثم القائد إبراهيم الذي تولى في عهد الحماية وقد اتخذ هؤلاء القواد مركز بوابوض مقراً لقيادتهم لمدة قرن تقريباً. وهذا المركز خرابا في الوقت الراهن.

محمد زرهوني، *العلاقات بين السلطة والسكان بمنطقة طرفي الأطلس الكبير العربي في القرن التاسع عشر*، منشورات كلية الآداب، عين الشق، مطبعة فضالة، المحمدية، 1998، ص. 51 ؛ محمد بن الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، مطبعة وراقة البلاد، الرباط، 1980، ص. 77 ؛ البيدق، أخبار المهدي، ص. 69.

آيت الحاج محند

**متيوة** بالتاء المثناة أو بالتاء المثلثة، بطن من بطون غمارة، ورد ذكره عند صاحب كتاب مفاخر البربر عند قوله : "ومثوة قبيل من قبائل غمارة"، كما ورد ذكره أيضا عند ابن خلدون حين أشار إلى أن غمارة قبيل من بطون المصامدة من ولد غمار بن مصمود إلى أن قال : "أنهم شعوب وقبائل (يعني غمارة) أكثر من أن تحصر. والبطون المشهورة منهم بنو حميد ومتيوة..."

وتعرف لبطن متيوة عدة تجمعات متفرقة، أحدها في بلاد الريف شرق واد "ورينكا" على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وهذه الفرقة هي التي تعرف بمتيوة الريف أو متيوة الشمالية أو متيوة البحر، والتجمع الثاني هو متيوة الورغة أو متيوة الجنوبية، وربما كانت الحروب القبلية القديمة التي كانت بين صنهاجة وغمارة هي السبب في تمزيق شمل أبناء متيوة، حيث كان التراب المتيوي في وقت من الأوقات يمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى ورغة، فصنهاجة السراير وحليفتها كتامة هما اللتان تفصلان الآن فيما بين التجمعين المتيويين، وينقسم مجتمع الورغة أيضا إلى ثلاثة أقسام : متيوة المرتفعات أو متيوة الجبال ومتيوة الوسط ومتيوة الوطا أو متيوة السهل، ولمتيوة تجمع ثالث واقع ضمن تجمعات بني مسارة.

مجهول، *مفاخر البربر*، ص. 71 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 6 : 249 ؛ التقي العلوي، أصل الغماريين، *مجلة البحث العلمي*، ع. *31، السنة 16، ص. 33* ؛ أصول المغاربة، *مجلة البحث العلمي، السنة 14، العدد 27، 1977، ص. 222.*

**متيوة الريف**، إحدى القبائل الغمارية الموجودة بإقليم شفشاون والمطلة على البحر الأبيض المتوسط عند نهاية مرفأ الجبهة، وتعرف بمتيوة الريف أو متيوة البحر، تحد شمالا بالبحر الأبيض المتوسط وغربا بقبيلتي بني سميح وبني رزين، وجنوبا بقبيلتي بني سدات وكتامة، وشرقا بقبيلتي بني جميل ومسطاسة. تمتد على مساحة 309 كلم مربع.

تقع متيوة الريف بالريف الأوسط وأراضيها عبارة عن جبال منحدرة ومنعرجة ووعرة، ذات ارتفاع متوسط يناهز 1000 م، تعرف أوضاعا طبغرافية وبيئية متدهورة، كما يعرف الجريان المائي تصريفا آنيا يؤدي أحيانا إلى وقوع مخاطر طبيعية ذات مخلفات كارثية من جراء قوة انحدار السفوح، وعدم نفاذية الصخور وعنف التعرية. تخترق تراب هذه القبيلة عدة شعاب وأودية أهمها : واد أورينكة، واد تاكموت، وواد سيدي الفتوح.

يسود المنطقة مناخ متوسطي ساحلي، وتعرف تساقطات تتراوح ما بين 700 ملم و1000 ملم، باستثناء الجبهة التي تقل فيها التساقطات إلى 350 ملم كمعدل سنوي، مع غلبة الفصل الجاف لأسباب عدة منها : اعتراض الظهر الكلسي والسلسلة البتيقية لجل الاضطرابات المحيطية الغربية وانعدام العلو بحكم موقع المدينة على البحر، وكذلك التأثير الضعيف لضغوط غرب المتوسط المرتبطة بمنخفض البليار على السواحل الريفية.

أهم التساقطات بصفة عامة تحدث في شهر دجنبر وينابر وقد تتأخر لتهم شهر أبريل، كما تعرف المنطقة تساقطات ثلجية متوسطة خصوصا بالقمم المرتفعة. تشكل هذه التساقطات المطرية والثلجية في أغلب الأحيان خطرا على التربة، حيث أنها تحدث فيضانات وانجرافات في التربة.

تنتمي قبيلة متيوة الريف إداريا إلى قيادة الجبهة، دائرة باب برد، عمالة إقليم شفشاون، تضم جماعتين قرويتين، جماعة متيوة ويوجد مقرها بقرية الجبهة، يعقد بها سوق أسبوعي يوم الثلاثاء، وجماعة :ووزكان" المحدثة بموجب التقسيم الانتخابي لسنة 1992 ، ومركزها بوسط القبيلة ويعقد بها سوق أسبوعي يوم الإثنين. كما تنقسم القبيلة المتيوية إلى ثمان مشيخات أو أرباع وعلى رأس كل فرقة شيخ وعون سلطة (مقدم) أو اثنان حسب عدد المداشر المكونة للربع.

تبلغ ساكنة متيوة 23702 نسمة حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1994 ، وعموما فالخصائص الديموغرافية لهذه القبيلة لا تخرج عما هو معروف بشكل عام من خصائص سكنية تميز المغرب، يتشكل الهرم السكاني لهذه القبيلة من 49,92٪ إناث و50,08 ذكور، وتتميز هذه الساكنة بكونها شابة، إذ تبلغ فئة الشباب دون الخامسة عشر 49,41٪ في حين يشكل من هم في سن الشغل أي ما بين 15 و59 سنة 46,05٪، أما المسنون (ما فوق 60 سنة) فيمثلون 4,53٪.

ووصل معدل الأطفال لكل امرأة (الرقم التركيبي للخصوبة) بمتيوة إلى 6,69 طفل، وهو رقم يتعدى بكثير المعدل المسجل على الصعيد الوطني (3,3 طفل لكل امرأة)، ومن خلال دراسة فئة الأشخاص البالغين من العمر 15 سنة فأكثر حسب الحالة الزواجية، يتبين لنا هيمنة صفة المتزوج

بـ 55,96٪ ، أما متوسط السن عند الزواج الأول فيصل إلى 25,82 سنة، مع اختلاف بين الذكور والإناث، بحيث نجد أن الإناث يتزوجن في سن مبكرة (24,01) مقارنة مع الذكور.

فيما يخص المستوى التعليمي بمتيوة واعتمادا على الإحصاء العام المذكور فإن نسبة الأمية وسط الذكور تبلغ 67,12٪ ووسط الإناث تصل إلى 91,21٪ ، أما فيما يتعلق بنسبة التمدرس (تمدرس الأطفال البالغين ما بين 8 و13 سنة) عند الذكور فتبلغ 45,01٪ وعند الإناث 15,95٪. وهذه المعطيات الرقمية دليل على أن المجهودات في ميدان التعليم لا ترقى إلى المستوى المطلوب، حيث لا تكاد تغطي المدارس بالقبيلة نصف مداشرها وجل هذه المدارس فتحت أبوابها في أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات، وقد فرض الوضع الجغرافي بهذا الوسط المميز بتشتت المداشر وعدم الإقبال على المدرسة إلى اللجوء إلى الأقسام المشتركة أو "مدرسة المعلم الواحد"، حيث يقوم المعلم الواحد بالإشراف على التلاميذ من أعمار ومستويات تعليمية مختلفة، ومعلوم أن هذا النوع من التعليم يؤثر حتما على مردودية المدرس والتمدرس بصفة عامة. وإجمالا فإن الخدمات التعليمية بتراب متيوة تعترضها صعوبات كثيرة ومتشابكة يؤثر بعضها في الآخر، وخصوصا البنية التحتية التي تكون مسؤولة عن باقي الصعوبات، كانعدام التجهيز ووضع المدارس في مواقع جغرافية صعبة، وبنيات غير ملائمة مع الظروف الطبيعية، هذا ما يؤثر على كل من المعلم والمتعلم، فالمعلم يفترض فيه أن يتأقلم مع الوضع الجديد خصوصا وهو غريب عنه، أما المتعلم فيتحتم عليه التعرف على قانون المدرسة والالتزام به ولا سيما أنه منغلق على نفسه بسبب طبيعة الوسط الذي تربى فيه، ولهذا نتائج سيئة تتجلى في الإنقطاع عن الدراسة، والعزوف عنها بنسبة كبيرة خاصة عند الفتيات.

بالنسبة لقطاع الصحة، فإنه يعرف تدنيا كبيرا على مستوى القبيلة، فنجد مستوصفين ومركزا صحيا وبضعة أطر عاملة بها، وواضح أن التغطية الصحية وبعدها عن المداشر وصعوبة التنقل، يفسر تفشي بعض الأمراض التي انقرضت في مناطق أخر كالجدري وأمراض معدية أخرى وارتفاع معدل وفيات الأطفال، وحتى الخدمات الصحية التي تقدم من طرف المركز الصحي والمستوصفات، هي خدمات أولية تفتقر لوسائل الفحص الأولية اللازمة وللأدوية.

| قبيلة متيوة | مركز صحي | مستوصف | عدد الأطر العاملة |
|---|---|---|---|
| الجماعة القروية لمتيوة | مركز صحي بالجبهة | مستوصف بمدشر "تجليت" | طبيب واحد وخمسة ممرضين |
| الجماعة القروية لووزكان | لا يوجد | مستوصف واحد بمركز ووزكان | ممرض واحد |

فيما يخص القطاع الفلاحي بالمجتمع المتيوي فهو عبارة عن أنشطة زراعية معاشية أساسها الشعير والقمح الصلب والقمح الطري، وتستعمل أساليب تقليدية في عمليات الحرث والزرع والحصاد، كما تعتمد على أراض ذات مساحات محدودة جدا، ويولي المتيويون اهتماما خاصا بأشجار اللوز خصوصا في الواجهة الغربية للقبيلة. وتحت وطأة هشاشة البنية التحتية وضعف الموارد الاقتصادية وارتفاع الضغط الديمغرافي، ظهرت زراعة الكيف أو القنب الهندي ذي المردودية المادية المهمة.

أما النشاط الرعوي فإنه يتم في الغالب على حساب المجال الغابوي الذي يتعرض للاستنزاف. حسب الإحصاء العام لسنة 1994 تتوزع رؤوس الماشية بمتيوة على النحو التالي :

| نوع الماشية | عدد الرؤوس |
|---|---|
| المعز | 24000 |
| الأبقار | 6200 |
| الأغنام | 850 |
| البغال | 9500 |

وتعتبر منطقة متيوة من الناحية الطبيعية مجالا للغابة بمختلف طبقاتها، إلا أن غطاءها النباتي عرف ويعرف استنزافا خطيرا خاصة خلال القرن العشرين، حيث نهج المستعمر الإسباني سياسة الأرض المحروقة أثناء حرب الريف، وذلك بافتعال الحرائق لتفادي العمليات الفدائية، زد على ذلك تحايل السكان واجتثاثا مقصودا للغابة من أجل تملك الأرض، وتوسيع النشاط الفلاحي - منه غير المسموح به كزراعة الكيف - إضافة إلى الاستغلالات المباشرة لخشب التدفئة والرعي ومنتوجات ثانوية أخرى.

وتبلغ مساحة الغابات حاليا بمتيوة الريف حوالي 3000 هكتار، أما المساحة المحددة تحديدا نهائيا فتقدر بحوالي 7110 هكتار، وأنواع الأشجار المكونة لهذا الغطاء هي : الأرز والعرعار والبلوط الفليني، وأنواع أخرى من الأشجار الثانوية والنباتات البرية، كما تم تشجير مجالات محدودة بالصنوبر في إطار مشروع الشبي DERRO ، وذلك قصد تدعيم استقرار السفوح وخاصة المشرفة منها على كورنيش الجبهة.

ويتكتل سكان متيوة في إطار تجمعات سكنية يطلق عليها اسم "مداشر" تشكل حلقة وسطى في إطار تنظيم اجتماعي يبدأ بالدار وينتهي بالقبيلة، ويضم القسمة الكبرى وهي "الربع".

أما من حيث البنيات التحتية فباستثناء طريق ثانوية تمتد على طول 50 كلم تربط مركز قيادة الجبهة بحدود إقليم الحسيمة جنوبا وتخترق القبيلة، وتشهد إهمالا ملحوظا استمر لعشرات السنوات، فالطرق عبارة عن مسالك لا أكثر ولا أقل، مسالك جبلية تربط بين المداشر ومراكز الجماعتين

القرويتين بالقبيلة، هذه المسالك أنجزت من طرف السكان لفك العزلة عن أنفسهم والارتباط بالعالم الخارجي.

تحريات ميدانية خاصة، بعض المعطيات مأخوذة مباشرة من قيادة الجبهة، مونوغرافية إقليم شفشاون.

*Recensement générale de la population et de l'habitat de 1994*, série communale - rural, communes Mtioua et Ouaouzgane.

**المتيوي، أحمد** (الحاج -) **الجراج**، أصله من متيوة المسارية، تولى خطة القضاء ببني مسارة عام 1290.

توفي عام 1300.

عبد السلام البكاري، *الإشارة*، ص. 69.

**المتيوي، أحمد** من العلماء المدرسين بمدينة فاس في عهد السلطان مولاي سليمان.

عبد الرحمان بن زيدان، *العز والصولة*، 2 : 174.

**المتيوي، أحمد** بن **الحسن** أبو **العباس** فاضل من آثاره رحلة اسمها " *بيان السبيل من حضرة فاس إلى أرض تافيلالت* "، رحل إليها عام 1201 / 1786 بأمر من السلطان محمد بن عبد الله، فرغ منها عام 1203 / 1788، توجد نسخة منها بمدينة فيينا Vienne.

عمر رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، 13 : 358 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1 : 80 ؛ عبد العزيز بنعبد الله، *معلمة المدن والقبائل* (ملحق 2)، ص. 260.

**المتيوي، أملاق عبد القادر** بن **محمد** بن أحمد بن الحسن صاحب كتاب "*الخير عن ظهور الفقيه العياشي بهذه البلاد وذكر سبب قيامه بوظيفة الجهاد*"، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ر91، استهله بقوله : الحمد لله رب العالمين إلخ، عرف فيه بالشيخ المجاهد أبي عبد الله محمد بن أحمد العياشي المتوفى سنة 1051 / 1641، يقع هذا المخطوط في مجلد وسط، كان صاحب الترجمة حيا أواخر القرن الثالث عشر بقبيلة متيوة موافق آخر المائة الثامنة عشرة.

عبد السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ص. 242 ؛ عبد العزيز بن عبد الله، *معلمة المدن والقبائل* (ملحق 2)، ص. 260.

بوعبيد التركي

**المتيوي، علي** بن **عبد الله** من حوز سبتة، سكنها ودرس بها. كان من زهاد سبتة ومن حفاظ المغرب لمذهب مالك في وقته، وكان يستظهر المدونة، ويلقي مسائلها من حفظه في دروسه. وضع شرحا لرسالة ابن أبي زيد القيرواني "نقل فيه أقوال الأئمة الذين تدور عليهم الفتوى في المذهب ولم يتعرض لألفاظها".

توفي بسبتة سنة 669 / 1270.

الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سنى الآثار*، الرباط، 1983 ؛ أ. التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طرابلس، 1989.

محمد المغراوي

**المتيوي، علي** بن **عبد الله**، الفقيه العلامة، النحوي المشارك الفهامة، الأديب البارع أبو الحسن، كان فقيها نحويا عروضيا أديبا، أخذ عن الشيخ حمدون ابن الحاج والشيخ عبد القادر ابن شقرون وغيرهم، وأخذ عنه الطالب ابن الحاج ومحمد الكردودي وغيرهما، وكان خيرا دينا فاضلا هماما نبيلا كاملا، له قصائد شعرية وأنظام حسنة بهية، وله شرح عجيب على قصيدة الشيخ إبراهيم الرياحي التونسي في مدح مولاي إبراهيم ابن السلطان مولاي سليمان التزم فيه السجع من أوله إلى آخره.

توفي بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء رابع رمضان المعظم عام سبعة وأربعين ومائتين وألف، ودفن قريبا من سيدي محمد بن الحسن وراء روضته وبني عليه شاهد.

محمد الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج. 3، ص. 132 - 133 ؛ عبد السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1 : 149 ؛ محمد حجي، *موسوعة أعلام المغربة*، 7 : 2536.

**المتيوي**، (سيدي -) **عبد الله** بن **علي** الخيصي نسبة إلى مدشر الخيص بمتيوة المسارية حيث يوجد ضريحه، وهو من مجاذب القبيلة، توفي في 6 شوال عام 1263.

عبد السلام البكاري، *الإشارة*، ص. 33.

**المتيوي، محمد** بن **علال**، كان من عدول مدينة تطوان في القرن الثاني عشر الهجري.

توفي عام 1156.

محمد داود، *تاريخ تطوان*، القسم الثالث من المجلد الثاني، ص. 297.

**المتيوي، محمد** بن **علي** بن **عبد الله** الفقيه العالم النبيه المدرس النحوي الوجيه، أخذ عن والده العلامة أبي الحسن علي وعن الأستاذ إدريس البكراوي وعن شيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمان الحجرتي وغيرهم. كان يدرس النحو بعنزة القرويين من فاس ويؤم بجامع الحجاج من حومة زقاق الحجر، وكانت فيه حدة ودعابة.

توفي يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول عام أربعة وثلاثمائة وألف، دفن بضريح سيدي محمد الحاج خارج قبته بداخل الفناء المتصل بها.

محمد الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 267 - 268 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1 : 295 ؛ محمد حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2770.

**المتيوي، الهادي** كان صحبة عبد السلام بن الهادي من الزعماء والمجاهدين المتيويين الذين شاركوا في المقاومة

المسلحة التي صدت الغزو العسكري الإسباني ما بين 1909 و1927. اعتقلا إضافة إلى باقي الزعماء خلال فترة حكم الملكية الإسبانية، ولم يطلق سراحهما إلا حينما أصدرت الجمهورية الإسبانية مرسوم عفو عن جميع المعتقلين السياسيين وهو المرسوم الصادر والمؤرخ في 21 فبراير 1936، وفي يوم 6 أبريل نشر بالجريدة الرسمية بمنطقة الحماية ظهير الخليفة، يقضي بوضع المرسوم المذكور موضع التنفيذ في جميع أنحاء الحماية الإسبانية، ولما أفرج عن المجاهدين ومن ضمنهم مترجمنا وجدوا أنفسهم وقد أعيدوا إلى السجن مجددا عقب الأمر الصادر يوم 20 يوليوز 1936 من طرف العقيد "بيكبيدر" عندما تولى مقاليد الأمور في يوليوز 1936، وكان الأمر الصادر هو توجيه إخطار رسمي في شكل منشور (يوم 20 / 07 / 1936)، إلى جميع المراقبين يأمرهم فيه، من جهة بوضع جميع الوطنيين النشطاء في الإقامة الجبرية، ومن جهة أخرى يأمرهم بإرجاع الزعماء السابقين الذين شاركوا كـ"مجاهدين" في المقاومة المسلحة التي صدت الغزو العسكري ما بين 1909 و1936 إلى السجن، ومن ضمنهم المتيوي الهادي.

ابن عزوز حكيم، *الوثائق الوطنية*، العدد 5 ـ 6، ص. 32.

**المتيوي**، الشيخ أبو **يعلى** الفتوح بن أبي بكر المتيوي المرواني من سكان "أوزيغت"، كان أبوه أبو بكر حاجا، وليا من أولياء الله تعالى، وظهرت لأبي يعلى كرامات، دلت على صدق ولايته، وكان غني الظاهر، فقير الباطن، معتدل الأحوال، صادق الأقوال والأفعال، كثير الإنبساط، فسيح الرحل، قليل المحل، لايزال ضيفه في خفض، وحاله في رفض.

ذكر له البادسي عدة كرامات ولم يشر إلى تاريخ وفاته، أما ضريحه فلايزال ماثلا إلى اليوم بمدشر "أوزيغت" بمتيوة الريف ويعرف عند المتيويين بسيدي الفتوح.

عبد الحق البادسي، *المقصد الشريف*، ص. 104 ـ 105، تح. سعيد أعراب.

بوعبيد التركي

**مثيرد، الجيلالي** بن **عبد الله**. أبرز شعراء الملحون الذين دشنوا لمرحلة ازدهار الشعر الملحون في القرن الثالث عشر. فيلالي الأصل، ولد بمراكش، وبها نشأ، واشتغل تاجرا في سوق الخضارين.

اعترف الأشياخ بعلو كعبه في النظم حتى لقبه أهل فاس منهم بـ"عرصة لشياخ" وأهل مراكش بـ "الفاكية د لشياخ"؛ وأقر السي التهامي المدغري بعبقريته فلم يتردد في أن يقول: "لو كان احضرت لامثيرد كنت انكون لو عبد اشويرد".

وكان أشياخ لگريحة إذا أرادوا استمالة السامعين تغنوا بإحدى قصائده، فلا عجب أن يطلقوا على كلامه "الشعالة".

عاصر الجيلالي مثيرد من الملوك سيدي محمد بن عبد الله، والمولى سليمان، ومات عن سن متقدم في أواسط ملك المولى عبد الرحمن حوالي 1840.

نظم مثيرد في سائر أغراض الشعر عشرات القصائد والسرابات، فله في العشاق: البحر، والجار، والساقي، وخدوج، ومنانة، والضيف. وله في المدح: سبعة رجال، وحب احبيب الرحمن، وسيدي بلعباس، والورشان، وصلوا عن صاحب اللواء. ونظم في القصص، والغزل، والخمريات، والهزل.

كان سباقا إلى ابتداعات جديدة في حالات أغراض الملحون، وفي بنيته وأوزانه، وقد وقف الدكتور الجراري على جملة من هذه الأوليات:

ففي مجال الأغراض سبق إلى طرق الموضوعات التالية:

1) الخمريات. وله فيه "الساقي"، وحربتها:

آلساقي وگض لريام    رد بالك للنوبا
لا اتغيب عن مولاها    كب يا ساقي راح الليل

وله "الشمعة"، فهو أول من اتخذ الشمعة صورة لمعاناته في الحب. وحربتها:

لله يا الشمعا گري واعلاش ذا    النوح والناس فلفراح
وانت اجواهر ادموع ابكاك آللا اهطيلا

2) قصائد التراجم. وتندرج تحتها قصائد الحراز، والضيف، والقاضي، والخلخال، والقصادة.

ـ وفي مجال بنيات الملحون حقق الجيلالي السبق إلى ابتكار السرابة. ومن سراباته الشهيرة على السنة الگرايحية:

اعلاش أمحبوب خاطري تجفيني    آلجا فيني واعلاش د الجفا

ـ أما في مجال الأوزان فمن أولياته ابتكار وزن جديد للبحر المثنى صدره (الفراش) أطول من عجزه (الغطا).

ابتكار بحر "السوسي". وهو بحر يسير فيه الكلام على نحو أشبه بالنثر الذي لا يخضع لضوابط إيقاعية معينة ولا لقافية ثابتة؛ ومع ذلك فهو لا يخلو من السلاسة والانسياب والتناغم.

ع. الجراري، *القصيدة*، ص. 611 ـ 616؛ أ. سهوم، *الملحون المغربي*، الجماعات المحلية بالمغرب والبلديات العربية والدولية، ط. 1، نونبر، 1993، ص. 49 ـ 51؛ م. الفاسي، *معلمة الملحون*، ج. 2، ق. 2، الرباط، ص. 148 ـ 154.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**المجابري، إسحاق** بن **إبراهيم** بن **يغمور** السعيدي، من أهل غمارة وسكن مدينة فاس. أخذ بسبتة عن أبي محمد بن عبيد الله، وبمرسية عن أبي عبد الله بن عبد الرحيم. وكان من حفاظ المذهب المالكي، حافظا للرأي شديد الاهتمام بالمدونة فكان يستظهرها.

استقضي بفاس وبسبتة، ثم انتقل إلى قضاء بلنسية في آخر سنة 606 / 1209، ولم تطل مدة قضائه بها، ثم استقضي بجيان ثم بشلب بغرب الأندلس، وشارك في معركة العقاب

إلى جانب الموحدين في صفر سنة 609 / 1212 وفقد فيها فلم يعثر عليه.

ابن الأبار، *التكملة*، الدار البيضاء، دار المعرفة، ج 1، ص. 162 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، دار المنصور، 1973 ـ 1974، ج 1، ص. 165 ؛ أ. التنبكتي، *نيل الإبتهاج*، طرابلس، 1989.

محمد المغراوي

## المجبود بوسلهام بن علي ← أزطوط

**المجّاصي، محمد** بن **الحسن** يُنسب إلى مغراوة الجزائر. ولد بحوز فاس ببني ورثين، وولي القضاء بفاس لأول مرة من طرف السلطان مولاي رشيد في سنة 1668 عندما ارتأى أن يجعل قضاء فاس في يد عالم من خارج المدينة حتى لا تتأثر أحكامه بالخلافات والصراعات، أسند إليه المولى إسماعيل خطبة مسجد القرويين، ثم في أواخر سنة 1677 تمَّ عزله عن القضاء والخطبة والفتوى، فاشتغل بالتدريس بجامع القرويين إلى أن ولاه مولاي إسماعيل قضاء مدينة مكناس.

وعُرف محمد بن الحسن المجاصي بحسن سيرته واستقامته إلى درجة أن الفقيه اليوسي رشَّحه للمشورة والنصيحة في رسالته الشهيرة إلى السلطان، حتى وإن عاب عليه مُبالغته في مدح السلطان مولاي رشيد عندما وصفه بـ "ملك الحقيقة"، لا المجاز ! كان من جملة تلاميذ المجاصي عبد السلام القادري، جد محمد بن الطيب القادري صاحب *نشر المثاني*، وكان السلطان إسماعيل يُعظمه ويُقربه إليه ويخصه بمكانة متميزة في مجالسه العلمية. لمحمد بن الحسن المجاصي أجوبة فقهية ونوازل طبعت على الحجر بفاس، كما ذكر له صاحب *نشر المثاني* تقييداً في الأشراف الجوطيين.

توفي في 4 ربيع الأول من عام 1103 / 25 نونبر 1691.

محمد القادري، *نشر المثاني*، ج 3 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7، الدار البيضاء، 1956.

محمد المنصور

**مجّاط** (قبيلة -)، إحدى قبائل الأطلس الصغير الغربي، تحدها شمالا : قبائل إيداوسملال، آيت وافقا وإيداوبعقيل، جنوبا : إفران وآيت حربيل، شرقا : آيت عبد الله أوسعيد، غربا : آيت رخا وأولاد جرار. والكلمة تصحيف للاسم الأمازيغي إيمجاض، جمع أمجوض، وتعني الأقرع / الأصلع، ويضاف إليها تيزلمي من فعل "ءيزلم" أي تقشر، فيقال : "إيمجاض نتزلمي". ويبدو أن دلالة الإسم كما تتداوله الروايات له علاقة بما تتصف به طبغرافية المنطقة، حيث التضاريس الجبلية الوعرة، وتربة تميل إلى الحمرة مع أراضي عارية من الغطاء النباتي.

واسم مجاط تحمله عدد من المجموعات البشرية، كل واحدة تستقر بمجال، ومن جملتها : مجاط ناحية مكناس ومجاط ناحية مراكش ومجاط ساحل الساقية حمراء ومجاط الأطلس الصغير. لا نتوفر على معلومات كافية عن أصل وظروف استقرارها بالمجال الحالي، بيد أن ما يستفاد من المعلومات القليلة المتداولة حول أصل هذه الأخيرة أنها فرع من قبائل صنهاجة، ويرتبط استقرارها بحركية المجموعات البشرية القادمة من الجنوب،وقد تم على ما يبدو بعد الوباء الجارف لسنة 747 / 46 ـ 1347 ، الذي أدى حتما إلى انعكاسات ديموغرافية كبيرة. وقد أفضى هذا الاستقرار إلى إعادة تعمير المنطقة، وذوبان بعض العناصر القديمة الاستقرار في الموجة البشرية الجديدة. إلا أن أهم تحول يمكن تسجيله في هذا الصدد هو تراجع قبائل آيت حربيل، بعد سلسلة من المواجهات التي توجّت بموقعة "تيزلمي" المشهورة، التي تشكل بداية أفول قوة القبيلة، وبالتالي انحصارها في الجهات الجنوبية للأطلس الصغير، حتى حادثة تدمير تامدولت خلال عادة ما تنسب إلى القائد المجاطي مَحمد بن علي امتصاگ البنيراني !.

وعلى الرغم من سكوت المصادر المكتوبة عن علاقة الشيخ أحمد بن موسى (ت. 971 / 63 ـ 1564 ) بأصحاب الأرض التي استقر بها، فإن علاقته بقبيلة مجاط تتحدد في إطار هذه المنافسة الثنائية التقليدية التي عرفت امتدادات مجالية. وغالب على الظن، أن الشيخ رجح كفة مجاط على حساب آيت حربيل، واتخذ منها درعا بشريا لحماية تازروالت، مما يفسر مساهمتها في مشروع بناء زاويته وكذا الحرص على تموينها.

ومما يبين أهمية وشدة صولة المجاطيين على عهد أحمد المنصور السعدي، أن مساهمة القبيلة العسكرية آنذاك تقدر بـ 500 سرجة و1500 رجل. كما اتخذ مولاي مَحمد بن إسماعيل من رجالاتها جيشه الخاص "يأوي إليهم حراسه وأعوانه منهم" و"كان لا يبرم أمرا دونهم"ولعل هذا الدعم هو ما يفسر سهولة اختراق حركة مَحمد العالم لتراب قبيلة مجاط نحو تمنارت المجاورة. والواضح أن هذا التأييد قد شجع المجاطيين على تمديد مجال نفوذهم نحو أزغار (السهل)، بعد أن سمح لهم بذلك خليفة السلطان المذكور. ويمكن القول أن هذا الإجراء، كان بالأساس، محاولة من المخزن لفتح ثغرة داخل مجال حلف (لَفْ) اگوزولت عضد التمنارتيين.

وبعد وفاة مولاي إسماعيل، دخلت المنطقة في مرحلة فراغ سياسي، كما هو الحال بالنسبة لمجموع المغرب، ويبدو أن أخبار وأحداث الفترة مازالت مجهولة باستثناء ما تردد من انتقال بؤرة الصراع نحو الشرق والجنوب خاصة مجال قبيلة آيت عبد الله أوسعيد، الذي عرف بدوره تنافسا حادا بين آيت حربيل ومجاط. وقد استطاعت هذه الأخيرة أن توظف مسألة احتماء آيت عبد الله أوسعيد به، لكسب أراضي جديدة. إذ كان كل "أگرّامْ؛ أي كل مرابط من تلك القبيلة، يختار من مجاط "أمرغُوس" أي حامياً.

وبنفس الحدة، تبرز سلسلة من الأحقاد القديمة بين قبيلتي إيداوبعقيل ومجاط، حيث ثارت بينهما حروب ومصادمات وانتقامات، بدءا بنهب البعقيليين لأگادير من "تينْزْراوْ" مرورا بموقعة "تيغمي" و"تازْمّورْت" و"تامْدا إيرْغْمان" و"إيداوگاگمَار" وانتهاء بحادثة "تارْغْنَا" 1302. وكان من البديهي أن تنخرط إيليغ في مجمل هذه المحطات، ولعل أهم عناصرها، رغبة هذه الأخيرة في الاستزادة مما يتم جمعه من المجاطيين من إتاوات ومغارم وصدقات (ألْفطر نايت إيليغ)، وكان آل تجاجت من يتكلف بذلك. كما أن الحفاظ على علاقة متميزة مع القبيلة، يضمن إلى حد ما عمقا استراتيجيا يؤمن أمن وسلامة إيليغ. وعادة ما يتم استحضار هذه الأخيرة بشكل فعلي في صياغة بنود اتفاقيات الصلح المبرمة بين مكونات قبائل مجاط، من قبيل التنصيص على آليات تدخل إيليغ في حالات خرق الاتفاقية أو نصيبها من الغرامات المالية المنصوص عليها. ويبدو أن الحسين أوهاشم لم يتمكن من الاحتفاظ بهذا المكسب، بدليل أن هيمنة إيليغ أصبحت موضع تحفظ لدى بعض أعيان مجاط أمثال : الحسين بن الحاج علي أوشليحن وأمغار مَحمد بن علي باها، اللذين لم يتوانيا عن جر باقي وحدات القبيلة في التحالف مع غريمها إيداوبعقيل، وبالتالي تشديد الحصار على الحسين أوهاشم في عقر داره بإيليغ مدة من الزمن. بيد أن وساطة العالم الحاج المدني الناصري، أفضت إلى فك الحصار عنه. كما لم تسلم علاقتها بأولاد جرار بدورها من الصراع، بحيث كانت منطقة "إيغير ملولن" الاستراتيجية بؤرة التوتر الدائم بين القبيلتين، ولم يهدأ الأمر إلا بعد أن حسم السلطان مولاي عبد الحفيظ النزاع لصالح أولاد جرار.

وأثناء زحف القائد محمد أغناج نحو جبال الأطلس الصغير الغربي سنة 1810، حيث موطن قبائل جزولة المؤيدة لإيليغ، لم تسلم مجاط من مغارمه. وعلى عهد السلطان الحسن الأول تم تعيين قائدين على القبيلة : القايد سعيد المجاطي والقائد المبارك البنيراني. وعن مكونات قبيلة مجاط خلال القرن 19 ، فإنها حافظت على تقسيماتها الأصلية المتمثلة في :

جدول

ويحتوي تراب القبيلة على عدة مخازن جماعية (إيگودار) منها : أگادير اگرار (تگجگالت)، أگادير نترگانت (اضرضار)، أگادير نتوريرت (آيت همان)، أگادير إيزري.

أما الدور العلمي والديني للقبيلة، فينحصر في معلمتين بارزتين هما : مدرسة تاجاجت العلمية، ومشهد سيدي مَحمد بن يدير (ق. 10) بتاغللو.

ابن الحاج السلمي، *الدر المنتخب المستحسن*، م. خ. ح. ج. II، ص. 48 ؛ محمد حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الرباط، 1988، ص. 29 - 257 ؛ محمد المختار السوسي، *إيليغ قديما وحديثا*، الرباط، 1966 (عدة مواضيع متفرقة) ؛ *المعسول*، ج. 12 : 12 ؛ ج. 20 (عدة مواضيع) ؛ ج. 1 : 129 ؛ إبراهيم الحساني، *ديوان قبائل سوس في عهد السلطان المنصور الذهبي*، مخطوط خاص ؛ *تحريات ميدانية* ؛ *وثائق دار إيليغ* ؛ *وثائق عائلة أمزوغار*.

P. Pascon [et al.], *La maison d'Iligh et l'histoire sociale du Tazerwalt*, Rabat, 1984, p. 150 ; L. Justinard, Notes sur l'histoire du Sous au XVI siècle, *A.M.*, 1933, p. 138 ; A. Le Chatelier, *Tribus du sud marocain : Bassins côtiers entre Sous et Drâa*, Paris, E. Leroux, 1891, p. 68-69.

**المجَّاطي** (القائد سعيد) من أشهر قواد مجاط (إيمجاض) بسوس، وهو سعيد بن أمغار مَحمد بن علي باها من قرية "إدعلي أوبها" بوحدة "آيت علي". لا نعرف الشيء الكثير عن نشأته وتكوينه، باستثناء ما تردد في الروايات من أنه تربى في كنف والده، وحظي برعاية خاصة. ويبدو أنه تمرس على تحمل المسؤولية داخل القبيلة منذ صغره، وكان يتصف بالقوة والشجاعة.

عين قائداً على جزء من قبيلة مجاط (آيت علي وآيت موسى) بظهير حسني خلال زيارة السلطان مولاي الحسن لسوس 1299 / 1882. عرف عنه أنه كان متشددا في ضبط شؤون القبيلة، حيث كان يبادر إلى طرد المناوئين والسيطرة على أراضيهم ورمي معارضيه من أعلى جرف "تاگجگالت" المشهور. وهذا ما جر عليه مشاكل داخلية تتمثل في امتعاض بعض وحدات القبيلة من سياسته التعسفية، رغم وساطة إيليغ لرأب الصدع. وتوحي انتقالاته المتكررة من قريته الأصلية "إدعلي أوباها" إلى "أگماض أوساكا" ثم قرية "تگجگالت" إلى الرغبة في البحث عن مكان آمن ومناسب للاستقرار بعد خراب داره سنة 1315 / 97 - 1898 وخلال زيارته لمراكش عام 1884 عام 1884 ، بمعية الفقيه محمد بن عبد الله الإلغي، أنعم عليه السلطان بكسوة وفرس.

ويبدو أن ظهوره بمظهر القائد بموسم تازروالت في حضرة زعيم إيليغ آنذاك الحسين أو هاشم 1302 / 84 - 1885، يمثل تحدياً وتطاولاً على سيادته. لهذا بادر إلى إنزال القائد من فوق فرسه، واعتقله أمام الملأ. وتشكل هذه الإشارة بداية صراع أدت خلاله إيليغ الثمن أضعافاً مضاعفة. وفي هذا السياق تمكن أمغار مَحمد والد القائد المذكور من ربط علاقة سرية مع "إيداوبعقيل" لمناوأة إيليغ. واعتبر المجاطيون الانتصار على الحسين أو هاشم هو المنفذ الوحيد للتخلص من وصايته على مجاط واستغلاله لها، كما كان يفعل "بأهل تاغللو". لهذا بادروا إلى محاصرة إيليغ عدة أيام، استسلم على أثرها الحسين أو هاشم للأمر الواقع بعد تدخل العلماء في الصراع. كما اعترف بمجاط كقوة فاعلة بالمنطقة، إضافة إلى تخليه عن فرض الإتاوات والمغارم على بعض وحداتها. مهما يكن من أمر، فإن وفاة زعيم إيليغ 1343 / 1886، وتولي محمد بن الحسين زمام الأمور، كقائد معين من طرف السلطان، كانت بداية نهج جديد في علاقة إيليغ بمحيطها. والملاحظ أن وثائق دار إيليغ، تستحضر مظاهر هذه اللحظة من خلال زيارات القائد سعيد المتكررة لإيليغ، واستشارة زعيمها في قضايا متعددة. وبالمقابل كان محمد بن الحسين

يوظف هذا الدعم في مغامراته العسكرية خاصة ضد أولاد جرار. وأثناء زحف القائد المخزني سعيد الكليلولي الحاحي على سوس جنوب وادي والغاس (ماسة) سنة 1896 نسجل غياب وتخلف القائد سعيد المجاطي عن الالتحاق بصف التحالف القبلي المناوئ للكيلولي بزعامة محمد بن الحسين الإيليغي، رغم مشاركة قبيلة مجاط باستثناء الوحدات التي كانت تحت سيطرته، لكونه ممن "كان يرغب في مجيئ القائد الحاحي إلى السوس". وعلى الرغم من تجديد الثقة في القائد سعيد وتزكيته على إخوانه، فإن المساعدة المخزنية التي راهن عليها كانت ظرفية، بحيث سرعان مازال وانقشع سحاب الكيلولي وتراجع عن سوس سنة 1900. فكان ذلك بداية مسلسل الحصار الذي طال دار القائد المجاطي لمدة شهر بتگحگالت" من طرف قبيلته مدعمة بقبائل ايداو گارسموكت وآيت رضا وافران وايداوبعقيل، قبل أن يتم فك الحصارعنه بعد قدوم محمد أنفلوس الحاحي خليفة السلطان بتيزنيت، وقد أبدى تعاوناً مع القائد الجديد، ومده بالمساعدات اللازمة قصد تقييد وإحصاء جميع ممتلكات السكان. وبالمقابل التمس من السلطان مولاي عبد العزيز الإستفادة من دار بالصويرة. إلا أن وفاة أنفلوس سنة 1902 ، أعادت الصورة السابقة إلى الواجهة، حيث حوصر من جديد لمدة طويلة، في ظل الفراغ السياسي الذي شهدته منطقة سوس حتى حدود 1912.

ولتلميع صورته، بادر مع ثلة من زعماء القبائل إلى الانخراط في الحمية الجهادية التي عمت المنطقة بزعامة الشيخ أحمد الهيبة. وبعد نكسة سيدي بوعثمان، وتراجع المجاهدين نحو تارودانت ثم اشتوكن، اعتقل القائد المجاطي من طرف أنصار الهيبة، وسلم لأحمد بوالطعام الرخاوي الذي قتله انتقاماً لعمه ونكاية له على اتصالاته السرية بالفرنسيين أثناء تواجده بمراكش.

المختار السوسي، *المعسول*، ج 20، (عدة مواضع متفرقة) ؛ *وثائق دار إيليغ* ؛ مراسلات مع المخزن ؛ *تحريات ميدانية*.

أحمد بومزگو

**المجذبة** ، أي "المجاذبة" قبيلة تحتل حيزا هاما من الضفة اليمنى لسافلة وادي المالح والضاحية الجنوبية لمدينة المحمدية، تتضارب الآراء حول أصلها بسبب غياب مصادر موثوقة في هذا الشأن، وما يروى شفويا الآن من طرف بعض أفرادها الذين يتحدثون عن الأصل المرابطي لهذه القبيلة يظل عبارة عن احتمالات ظنية تستدعي المزيد من التقصي في شأنها، والأرجح أن يكون لها نفس الأصل مع إحدى القبائل التي استقرت ببلاد الشاوية خلال فترات تاريخية مختلفة ومنها القبائل العربية التي استقدمها يعقوب المنصور الموحدي من تونس وشرق المغرب، في أواخر القرن 12 م، لتوطينها بهذه المنطقة باعتبار هذه القبائل موالية للمخزن الموحدي أو القبائل البربرية التي جلبها المرينيون إلى هذه الناحية لكونها قبائل مؤيدة لهم كزناتة وهوارة... وقد تشكل قبيلة المجذبة، التي تتحدث اللسان العربي، خليطا من مجموع القبائل السالفة. ومعلوم أنه في بلاد الشاوية عموما وقع مع مرور الزمن صهر تدريجي للبربر في البوتقة العربية بالنظر لدور القبائل العربية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وكان من نتائج هذا الانصهار : الانتشار التدريجي للتعريب ونشاط حركة المتصوفة عبر هذه المنطقة.

ومن المؤكد في هذا السياق أن لبعض الأفراد من قبيلة المجذبة علاقة قرابة مع أحمد المجذوب وابنه سيدي موسى المجذوب اللذين عرفا بالزهد والتعبد وتلقين مبادئ وقيم الدين الإسلامي لأفراد المجتمع القبلي المستوطن للضفاف السفلى والوسطى لوادي المالح، وكان ذلك في أواسط القرن الرابع عشر أيام حكم السلطان أبو الحسن المريني الملقب بالسلطان الأكحل، الذي يروى محليا بأنه منح أحمد المجذوب وذريته قطعة أرض واسعة بالمجال الحالي الذي تقطنه قبيلة المجذبة وذلك على إثر تلقي هذا السلطان لعلاج على يد أحمد المجذوب، لكننا لم نعثر على أدلة مكتوبة تثبت ذلك ؛ ومعلوم أن لسيدي موسى المجذوب ضريحا بالضفة اليسرى لوادي المالح بتراب الجماعة القروية التي تحمل الآن نفس الإسم وهي جماعة سيدي موسى المجذوب في حين يوجد ضريح أحمد المجذوب الأب بتراب جماعة أولاد زيان المجاورة.

*تحريات ميدانية* ؛ إبراهيم حركات، بورغواطة، *معلمة المغرب*، ع. 4، ص. 1165 ـ 1170 ؛ محمد القبلي، *حول بعض مرتكزات الهوية في تاريخ المغرب الأقصى الوسيط*، كلية الآداب، المحمدية، سلسلة الدروس الافتتاحية، رقم 1 سنة 2000، ص. 12.

المختار الأكحل

**المجذوب الدبيز** المْطَلسَم، انفرد ابن زيدان في إتحافه بترجمته فقال عنه : "من أهل الفضل والصلاح، له كرامات ظاهرة ومتواترة أخبرني بها الكثير" ويضيف أن أصله من أولاد عيسى إحدى فرق القبائل التي توجد بمنطقة الغرب كان في بداية أمره يرعى البقر، وعندما بلغ عمره نحو اثنتي عشرة سنة دخل الزاوية الإدريسية فاستخدمه أحد الأشراف لسقي الماء لداره، وإذا جن الليل اشتغل بتنظيف الأزقة، فحدث له جذب وفشا فيه حتى أصبح لا يضبط أحواله. كما ظهرت عليه خوارق عادات ذكر ابن زيدان بعضها منها أنه "كان يضرب الحجرة العظيمة برجله وهو حاف فتطير كأنها رميت بمقلاع من غير أن يصيب رجليه أدني أذى وكان الرجل يذهب لفاس ويتركه بالزاوية الزرهونية فإذا وصل فاسا وجده أمامه ...".

وقد ظل على تلك الحال معتقدا منظورا إليه بعين الإجلال إلى أن قتل شهيدا في الفتنة البربرية التي كانت أواخر عهد المولى عبد الحفيظ على أبواب فاس.

عبد الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1990، ج 3، ص. 27.

**المجذوب** (سيدي -) **عبد الرحمان** بن الشيخ الولي عياد بن يعقوب بن سلامة بن خشان الصنهاجي الأصل، الفرجي الدكالي، من أشهر أولياء المغرب وشيوخه أهل الأحوال الربانية والجذب. وصفه صاحب *ممتع الأسماع* بقوله : "العظيم القدر المحقق الشهير ذكره في الخلق، العارف الكبير الكامل المحقق الخطير الواصل أعلي المقامات... قطب زمانه في الأحوال وممد فحول الرجال، شيخ وقته وأعجوبة دهره ونخبة عصره.." أما ابن زيدان فذكر نقلا عن *ابتهاج القلوب* أنه : "كان جامعا بين الجذب والسلوك، سمح الأخلاق، كريم الشمائل، كثير الإيثار. والبذل في حالتي الشدة والرخاء ..." ويضيف : "وبالجملة فهو شيخ إمام عارف كامل شأنه القيام على الوظائف الدينية والرسوم الشرعية وتأدية الحقوق وعدم الإخلال بشيء منها لا في جانب الحق ولا في جانب الحقيقة..."

ولد الشيخ المجذوب في شهر رمضان عام (909 / 03 / 1506) برباط تيط قريبا من بلدة أزمور - مأوى سلفه - ثم رحل وهو صبي مع والده سنة 914 / 1508 إلى نواحي مدينة مكناس ونزل بموضع يقال له "إرگان". ونشأ في بيئة خير وصلاح، واحتك برجال التصوف وهو صغير فوالده كان صوفيا أخذ عن الشيخ إبراهيم أفحام الزرهوني تلميذ الشيخ أحمد زروق. تلقى سيدي عبد الرحمان تعليمه أولا في مدينة مكناس ثم رحل إلى مدينة فاس، لكن المصادر التي اهتمت بترجمته لم تشر إلى الجانب العلمي والمعرفي في حياته ولا إلى مراحل تعليمه ولا الدرجة العلمية التي وصل إليها، ويبدو وأنه لم ينل حظا وافرا من العلوم فمعرفته بعلوم الظاهر لم تكن راسخة كما يبدو من رباعياته، فهو لم يكن فقيها ولا عالما بل شيخا صوفيا.

يمثل الشيخ المجذوب جانب تصوف الجذب الذي ميز متصوفة القرن العاشر الهجري. ولفهم شخصيته لا بد من النظر إليها ضمن عناصر الظرفية التي عاش فيها والمتميزة بشيوع متصوفة من نوع جديد أمثال علي بن أحمد الصنهاجي الدوار (ت. 947 / 1540 ) ومحمد بو الرواين السهيلي (ت. 963 / 1555 ) وغيرهم مما يتسوجب تحليلا لسنا بصدده في هذا التعريف الوجيز. أما عن شيوخه في التربية والسلوك فتذكر كتب التراجم أنه لقي عدداً من مشايخ طريق القوم وأخذ عنهم وسلك على أيديهم. ففي مدينة فاس أخذ عن سيدي علي بن أحمد الصنهاجي الدوار (ت. 941 / 1540 ) وكان زروقي الطريقة، لقيه عند باب مسجد القرويين وقد مضى على جذبه مدة وعن ذلك يقول صاحب *ممتع الأسماع* : "... فبقي عاما وهو موله يصيح : الله، الله، ولا يعرف أين صاحبه ولا أين يقصده، إلى أن دفع إلى فاس، فبينما هو بباب القرويين النافذ إلى الشماعين، إذا بصاحبه فعرفه فإذا هو سيدي علي بن أحمد الصنهاجي عرف بالدوار، وأقبل عليه، فأمسك به سيدي علي وحركه ثم دفعه فإذا به بالبرج الجديد بواد فاس، فمكنه من الحظوة وطي الأرض. قال : فرأى في تلك الحال أن الشيخ سيدي علي رفعه من سرته إلى أصبعه وأهل الله مجتمعون وهو يقول لهم : من أحبني فليعط هذا ...".

وفي مكناسة لقي المجذوب عددا من المشايخ فأخذ عنهم منهم الشيخ أبو الرواين السهيلي، والشيخ أحمد الشبيه (ت. 943 / 1537 ) من أصحاب سيدي محمد بن يجبش التازي (ت. 920 / 1514 ) والشيخ الشهير سعيد بن أبي بكر المشنزائي (ت. 956 / 1549 ) وحسب ما ذكر صاحب *الممتع* فإن المترجم حين لقي هذا الشيخ : "تماسك ورجع إلي وجوده وكان قبل مقتطعا عن حسه غائبا عن شاهده يريق على نفسه ما يكون من مانع الطعام...". كما لقي أيضا الشيخ عبد الحق الزليجي دفين جبل زرهون وسيدي محمد المعروف بجعران السفياني والشيخ القطب سيدي عمر الخطاب الزرهوني (ت. 943 / 1536 ) صاحب جبل زرهون وهو عمدته في التربية الروحية وسلوك الطريق وهو الذي أمره بالرحيل إلى بلاد الهبط والسكن بها. وقد وقعت له معه حكاية ظهر فيها على سائر أصحابه ممن كان ينتسب إلى الجذب فقال لهم الشيخ المذكور "لا يبقى مجذوب إلا المجذوب" وأمرهم بتغطية رؤوسهم، وغلبَت عليه منذئذ التسمية بالمجذوب وجرى ذلك على ألسنة الناس واختص به دون غيره من المجذوبين.

ويظهر من خلال تتبع سلسلة شيوخه أنه اتصل بالطريقة الزروقية الملامتية بواسطة الشيخ علي الصنهاجي الدوار، وبالجزولية عن طريق عمر الخطاب الزرهوني تلميذ عبد العزيز التباع (914 / 1509). خليفة الشيخ المؤسس للطريقة الجزولية محمد بن سليمان الجزولي. وإذا علمنا أن كلتا الحلقتين (الزروقية والجزولية) تتصلان بأبي الحسن الشاذلي (ت. 656/ 1259 ) فمن تحصيل الحاصل القول أن المجذوب كان شاذليا !

وككل الصوفية نسبت للمترجم كرامات ظهرت على يده يصفها صاحب *الممتع* يقوله : "وكان الشيخ صاحب الترجمة رضي الله عنه عظيم الحال، باهر الخوارق، كثير الكرامات، بحيث عزت عن الحصر. وملأت الوجود، غزير المكاشفات فكان كثيرا ما يخبر بالشيء قبل أن يكون ..."

ويظهر أن الشيخ المجذوب لم يكن منعزلا بل كانت له حسب ماورد عند ابن زيدان نقلا عن *ابتهاج القلوب* : "زوجات وأولاد وزاوية يطعم فيها الطعام للواردين عليها من الغرباء وأبناء السبيل وغيرهم، تقام فيها الصلوت الخمس، مواظبا عليها وربما باشر الآذان بنفسه إن لم يحضر من يؤذن، وإذا اجتمع أصحابه للذكر على عادة الفقراء ذكروا جلوسا فإذا انزعج أحدهم وقام أو رقص أسكتهم وفرق الجمع".

ومما اشتهر عنه سياحاته الصوفية في ربوع المغرب وتقديمه النصح للناس للتمسك بالدين ومكارم الأخلاق ودعوته إلى الجهاد ومقاومة المحتلين للثغور المغربية، ونظمه

للرباعيات التي عكست موقفه في الكثير من القضايا وضمنها تجاربه التي دلت على أنه لم يكن بمنأى عما تعيشه البلاد من متغيرات على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فقد سجل من خلالها : "غيرته الوطنية وميز بين المجاهدين والمتخاذلين كما تحدث فيها عن آثار المجاعات والجفاف والأوبئة ودعا إلى الصبر والتآزر. كما أن في رباعياته دعوة إلى محاربة المناكر والشعوذة والفساد".

| | |
|---|---|
| تخلطت ولا بغات تصفى | ولعب خزها فوق ماها |
| رّياس على غير مرتبة | هما سبب خلاها |
| فافعل الخير بنية | بالفرحة والشكر ديما |
| وفاعل الشر خليه | فَعْلو يَرْجَع له غرْيمة |

| | |
|---|---|
| نوصيك يا واكل الراس | في البير ارم عظامه |
| اضحك والعب مع الناس | فُمك مَتَّن له لجامه |

| | |
|---|---|
| القمح هو الريح | وذريه يصفى غبارو |
| إذا بغيت تنجى من الناس | من الْبَلا تنهي صغارو |

| | |
|---|---|
| يا الزمان يا الغدار | يا كاسرني من ذراعي |
| طيَّحتِ من كان سلطان | وركّبت من كان راعي |

| | |
|---|---|
| راح ذاك الزمان وناسو | وجاء ذا الزمان بفاسو |
| وكل من يتكلم بالحق | كسرو لو راسو |

وقد زادته الرباعيات شهرة وجعلته يتمتع بتقدير واحترام الخاصة والعامة. وكثر مريدوه وتلامذته وعلى رأسهم أبو المحاسن يوسف الفاسي، وأبو الحسن علي القنطري الأندلسي القصري، وعبد الرحمن بن رحو الجبلي من شرفاء جبل العلم وأبو علي النيار الأندلسي وغيرهم.

توفي الشيخ المجذوب بمدشر مرشاقه في بلاد الهبط ليلة الجمعة 9 ذي الحجة 976 / 26 ماي 1569 وحملت جنازته بوصية منه إلى مكناسة ودفن خارج باب عيسى في 12 ذي الحجة 976 / 29 ماي 1569 وضريحه اليوم يوجد داخل حرم ضريح السلطان مولاي إسماعيل وقد بنى قبته تليمذه أبو المحاسن يوسف الفاسي.

عبد الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، 5، ط 2، 1990، ص. 276 - 277 ؛ محمد المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، تح. عبد الحي العمراوي وعبد الكريم مراد، فاس، 1989، ص. 117 - 124 ؛ نفيسة الذهبي، *الزاوية الفاسية*، الدار البيضاء، 2001، ص. 80 - 93 ؛ *ديوان سيدي عبد الرحمن المجذوب*، مكتبة الوحدة، الدار البيضاء، 2000.

رقية بلمقدم

**المجراد** (ابن -) **محمد** السلوي (الأب) الشيخ الإمام محمد بن محمد بن عمران الفتراوي السلاوي، سمّاه بلديُّوه السلاويون "سيدي يمام السلاوي ويعرف خارج سلا بالإمام ابن المجراد السلاوي، ويذكر محمد حجي في "*جولات تاريخية*"، أن "ابن المجراد كنية لزمته دون أن يعرف أصلها إلا ما يمكن مقاربته بالتجرد الصوفي والزهد في الدنيا، وهذا شيء محقق في الإمام السلاوي الصالح الناسك".

من أهل سلا، وينسب إلى قبيلة فترارة التي كانت مواطنها بين وادي بهت وقبيلة زعير، وكانت مدينة الخميسات تدعى قديما خميس فترارة، كما جاء في هامش 41، ص. 39 من كتاب "*بلغة الأمنية ومقصد اللبيب*".

وجاء في ترجمته في هذا الكتاب ص. 39 : "محدث حافظ راوية، له معرفة بالرجال والمغازي والسير، وكان رجلا صالحا حسن السريرة صادق اللهجة".

عالم مشارك، اشتغل بالتدريس والتأليف، واشتهر بالتخصص في النحو والقراءات والفقه، وكان ملمّا بالطب والتاريخ والسير، من مؤلفاته "*لامية الجمل*" وهي قصيدة تعليمية تشتمل على اثنين وسبعين بيتا. و*شرح الدرر* وغيرهما.

وذكره الناصري في *الاستقصا* ج 4 : 83 في وفيات سنة 778، وقال : "وقبره مشهور بها - أي بسلا - إلى الآن، وعليه قبة صغيرة، وهو من مزارات سلا خارج باب المعلقة منها عن يمين الخارج، وأهل سلا يسمونه سيدي الإمام السلاوي.

يذكر محمد حجي أن أهل سلا كانوا "يأخذون أبناءهم في مراحل تعليمهم الأولى لزيارة ضريحه خارج باب معلقة لكتابة شيء ما في الجدار ليكون خط الزائر الصغير حسنا وتعليمه موفقا".

توفي سنة 778.

مؤلف مجهول، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب*، تح. عبد الوهاب بن منصور، ص. 39 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 4 : 83 ؛ محمد حجي، *جولات تاريخية*، 1 : 397.

**المجراد** (ابن -) **محمد** السلاوي (الابن) **محمد** بن محمد بن محمد بن عمران الفتراري السلاوي الشهير بابن المجراد.

تحدث عنه ابن علي الدكالي في '*الإتحاف الوجيز*' فقال : "له تآليف مفيدة في النحو والتصريف والقراءات، غالبها متداول بأيدي الناس معروف، وله القدم الراسخ في سائر العلوم، وأخذ عن مشايخ عدة كلهم أعلام من أهل سلا وفاس وسبتة".

أما عن وفاته فيقول الدكالي في *الإتحاف* : "توفي ببلده سلا على الصحيح يوم السبت رابع جمادى الأولى عام خمسة عشر وثمانمائة، ودفن خارج باب معلقة أحد أبواب سلا، قريبا من برج الدموع".

وبناء على ما ورد في *الإتحاف الوجيز* حول ترجمة ابن المجراد، فإن الابن هو الذي يدعى سيدي الإمام السلاوي المتوفى سنة 815 ، وجاء في الهامش الذي أنجزه مصطفى بوشعراء رقم 36 أن مؤلف "بلغة الأمنية" خلط بين الابن والأب.

أما عبد الوهاب بن منصور محقق كتاب "*بلغة الأمنية*" فقد أورد في، الهامش 41" أن الوالد ابن المجراد المتوفى سنة 778 هو صاحب لامية الجمل. وله ولد يسمي محمدا توفي

في المجاعة بسلا يوم 4 جمادى الأولى عام 815، ودفن بباب معلقة".

وفي ترجمة ابن المجراد التي أنجزها محمد حجي في "*جولات تاريخية* ج 1 : 397 ما يؤكد خلط بوشعراء في الهامش السابق المتحدث عنه، إذ ابن المجراد المدعو سيدي الإمام السلاوي هو الأب المتوفى سنة 778.

توفي ابن المجراد الابن سنة 815.

الإتحاف الوجيز ؛ محمد بن علي الدكالي، تاريخ العدوتين، تح. مصطفى بوشعراء، 1 : 113 ؛ مجهول، *بلغة الأمنية*، تح. عبد الوهاب بن منصور، ص. 39، هامش 41.

نجاة المريني

**مجكسة** ، قبيل من بطون غمارة، ويظهر أنه انحل وانقرض ولم يبق منه بقيه. وقد أشار البكري إلى موقع قبيلة مجكسة بجوار تطوان، وأضاف أن هناك جبلا قرب موقع المدينة المذكورة عرف بهم، وفيهم تنبأ المفتري حمو بن منو بن حريز بن عمرو بن رجفو بن أزروال بن مجكسة، وقد استجاب لدعوته خلق كثير منهم وأسس لهم نظما دينية وقانونية الغرض منها تعزيز سلطته ونفوذه في هذا الوسط الذي يسير وراء كل ناعق وأقام فيهم ردحا من الزمان إلى أن قتل في حروب مصمودة بأحواز طنجة سنة 315.

وقد شارك المجكسيون في حصار مدينة سبتة في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي تحت قيادة زعماء محليين، ويقول ابن خلدون أن قبيلة مجكسة استوحت اسمها من أحد زعمائها المرموقين يدعى ماجكس.

ومجكسة جغرافيا هي الكتلة الممتدة من جوف بنيونس وجبل موسى شمالا على ساحل المضيق إلى أن تشرف على مجرى واد مرتيل جنوبا، مما يجاور خرائب مدينة تامودا الأثرية، وتضم على التوالي جبل موسى وجبل بني كوفو وجبل الدرقة.

البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 6 ؛ حسن الفكيكي، *سبتة المغربية*.

**المجكسي، أحمد** بن **سلام** بن **مرزوق** المجكسي، من رؤساء المجاهدين لحصار وتحرير سبتة، بدأ نشاطه الجهادي قبل سنة 831 / 1428 ، إذ شارك في عدد من الغارات. اكتفى "أزورارا" بتسميته مرزوق (Marzoco) على خلاف أحمد الشراط الذي قدم لنا اسمه الكامل. وبنو مرزوق من الأسر المصمودية القديمة الاستقرار بحوز تطوان، حسبما أشار إليه البكري، إذ قال : "بني مرزوق بن عون من مصمودة"، وأشار إلى أن قاعدتهم هي جبل الدرقة.

قاد ابن مرزوق المجاهدين سنة 833 / 1430، وخاضت الجماعة المغربية الأولى التي ترأسها المعركة مع جنود "ضوارتي" بساحل المضربة، فأصيب بجروح عاد على إثرها إلى منزله.

توفي بعد أيام في شهر شعبان عام 833 / أبريل 1430.

حسن الفكيكي، *سبتة المغربية*.

**المجكسي، عبو** بن **محمد** أول رئيس للمجاهدين لتحرير سبتة بين 818 / 1415 و 822 / 1419 ، تشير الحوليات إلى أصله المريني وانحداره من أسرة مشهورة، كان سنة 1415 حاكم جبال مجكسة. ويوحي بمكانة عبو بجبال مجكسة وقدمه بها، ما كان موصوفا به من حسن الهيأة التي ظهر بها أثناء ركوبه للغارات على فرس أبيض معروف لدى جنود سبتة بالحلة الثمنية التي كان يحملها على متنه، يرافقه خادمان أسودان يرتديان لباسا أحمر اللون.

وصرح "أزورارا" Azurara بالقوة الحربية التي كانت تحت تصرف رئيس المجاهدين عبو المجكسي، حيث ذكر أنها بلغت ألفا من المجكسيين يطيعونه طاعة تامة. استشهد عب بن محمد في ميدان سبتة عام 822 / 1419.

حسن الفكيكي، *سبتة المغربية*.
Azurara, *C. do D. Pedro de Meneses.*

**المجكسي، يعقوب** القصري الغماري، شيخ صالح متقشف، عارف بالقراءات السبع، مخالط للعربية، قدم على سبتة وأقرأ بها بمسجد القفال منها، وكان فصيح اللسان حسن الإلقاء والتعليم، تجله العامة وتعظمه وتتبرك بصالح دعائه.

توفي ليلة الخميس 14 جمادى الثانية عام 912.

مجهول، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب*.

بوعبيد التركي

**المجلس**، (آل –) **محمد سالم** تلقب هذه القبيلة بـ "مدْلُشْ"، وهو لقب قديم عرفت به بين قبائل الصحراء المغربيَة لقب به أهلها لأن الناس كانت ترحل إليهم في طلب العلم، وهو محرف من المجالسة. اشتهرت هذه القبيلة بالعلم والأدب وظهر فيها شعراء وعلماء كبار ذكر أحمد بن الأمين الشنگيطي بعضهم مثل الشاعر الهجاء بوفمين الذي اشتهر بهجاء قبيلة إدا بلحسن، وهو معاصر لابن رازگة، والأحنف المجلسي، وهو شاعر هجاء أيضاً والمجدد البوحمدي وأحمد البدوي المجلسي صاحب المنظومة المشهورة في عمود النسب التي نظم فيها أنساب قبائل الصحراء، وحماد المجلسي اللغوي المشهور وغيرهم، لكن أبرز علماء هذه القبيلة وأشهرها في مجال التأليف هم آل محمد بن محمد سالم الذين كانت لهم محضرة متنقلة في الصحراء لها أساتذتها وشيوخها وتلامذتها. ومن أبرز علمائها :

1 ـ محمد بن محمد سالم المتوفى سنة 1302 / 1880 في دومس بأوسرد قرب الداخلة، صاحب كتاب : "*الريان في تفسير القرآن*" ، وهو كتاب في التفسير في سبعة أجزاء"، توجد نسخته الأصلية عند حفيده الشيخ أحمد حبيب الله

المجلسي بالداخلة، وله مثله في شرح البخاري وشرح مختصر خليل، وكلها لا تزال مخطوطة.

2 ـ عبد القادر المجلسي، وهو ابن محمد سالم السابق الذكر، توفي سنة 1337 / 1919.

اشتهر بمشاركته في علوم القرآن والحديث والتوحيد والفقه والأصول والسير والأنساب واللغة والنحو والبلاغة والمنطق والحساب. له عدة مولفات منها : 1 ـ "*ثمان الدرر في هتك أستار المختصر*"، وهو كتاب في الفقه في ستة أسفار تناول فيه قضايا وأحكاماً كثيرة من أبرزها حكم النصارى المسيطرين، وهي قضية خاض فيها عدد من علماء زمانه، منهم الشيخ سيديّ والشيخ سعد بُوهْ والشيخ محمد العاقب والشيخ ماء العينين وغيرهم، فأفتى فيها بمقاطعة الكفار وعدم الركون إليهم. وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً توجد منه نسخة بخط حفيدته السيدة هند بنت عبد الله حمد الله المجلسية في خزانة ابنها الشيخ بهيا المجلسي.

2 ـ كتاب "*الدُّجنة في عقائد أهل السنة*" لأحمد المقري،

3 ـ *نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار*.

4 ـ *قرّة العينين في غزوات سيد الكونين*، في شرح غزوات البدوي.

5 ـ منظومة الفائق، في البديع. وكلها لا تزال مخطوطة بخزانة الأسرة المجلسية بالداخلة.

3 ـ أحمد بن محمد بن محمد سالم المجلسي، وقد اشتهر بمديحياته الهاشميات، وهي أربع قصائد في كل واحدة منها 65 بيتا. وهي مخطوطة أيضاً.

4 ـ عبد الله حمد الله. وقد خلف والده محمد بن محمد سالم في الإشراف على محضرته.

5 ـ السيدة هند بنت عبد الله حمد الله، م سنة 1372، وهي حفيدة الشيخ محمد بن محمد سالم، اشتهرت كسائر المجلسين بالتدريس والتأليف. وقد تخرج على يديها مجموعة من العلماء والعالمات منهم ابنها الشيخ أحمد حبيب الله. ومن تآليفها :

ـ *الدر الأسنى في أسماء الله الحسنى*.

ـ *نظم فروع الشيخ خليل*.

ـ بعض الألغاز الفقهية. وجميع آثارها لا تزال مخطوطة ومن علماء هذه القبيلة أيضاً ممن اشتهر ببلاد شنقيط بالإضافة إلى آل محمد سالم :

ـ أحمد البدوي المجلسي المتوفي سنة 1209 / 1393، وهو عالم نظامة اشتهر بنظمه لأنساب العرب ومغازي الرسول (ص).

ـ حماد بن الأمين المجلسي، وهو من علماء القرن (13 هـ). اشتهر بالأنساب أيضاً ونظم غزوات الرسول (ص) وأخباره.

ـ عبد القادر بن عبد الله بن محمد سالم المتوفى سنة 1372 / 1952.

أحمد بن الأمين الشنكيطي، *الوسيط في تراجم شعراء شنكيط*، ص. 350 ؛ الخليل بن النحوي، *بلاد شنقيط المنارة والرباط*، ص. 503 ـ 549 ؛ المختار ولد الحامد، *حياة موريتانيا*، ص. 324 ؛ محمد حجي، مكتبات الصحراء المغربية، *مجلة المناهل*، عدد 28 ص. 7 : 1983 ؛ إبراهيم الوافي، من أعلام التفسير في العصر الحديث بأقاليمنا الجنوبية، *دعوة الحق*، ص. 129.

محمد الظريف

**المجّلاوي، محمد** بن **العباس** عالم من علماء قبيلة بني گرفط الهبطية كان يرأس جماعة من مجاهدي قبيلته انظم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد شارك في جميع المؤتمرات التي كانت تعقدها الثورة وشارك في ثلاثة معارك كانت آخرها المعركة التي جرت بقرية بوعودة يوم 17 يوليوز 1913 حيث فقد ذراعه الأيمن.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**المجمع العربي للموسيقى والمغرب** مؤسسة علمية تضم الأقطار العربية، مهمتها توحيد الجهود من أجل وعي موسيقي وثقافة موسيقية عربية ذات توجه حضاري يحفظ للأمة تراثها ويصونه من الضياع أو التشويه، ويسهم في رفد الموسيقى العربية بعناصر البقاء والتطور، ويعمل على تطوير التعليم الموسيقي وتعميمه ونشر الثقافة الموسيقية والعناية بالإنتاج الموسيقي والغنائي العربي وترقيته.

والمجمع تابع لجامعة الدول العربية وفق ما تنص عليه المادة رقم 13 من الباب الخامس. وهي كالآتي :

أ ـ يعتبر المجمع جهازاً فنياً متخصصاً ملحقاً بجامعة الدول العربية، وتسري عليه أحكام الأنظمة الإدارية والمالية للجامعة، واتفاقية مزايا وحصانة جامعة الدول العربية.

ب ـ يقدم المجمع تقارير عن نشاطه في مجلس جامعة الدول العربية.

ج ـ للامين العام لجامعة الدول العربية ومن ينيبه حضور الاجتماعات التي تعقد في نطاق المجمع.

وقد كان للمغرب دور فاعل في الخروج بالمجمع إلى الوجود منذ أن طرح مشروع تأسيسه في المؤتمر الثاني للموسيقى العربية الذي احتضنته مدينة فاس في أبريل من عام 1969 ، وبالفعل فقد وافق مجلس الجامعة العربية في دور انعقاده الثالث والخمسين سنة 1970 على تأسيس المجمع، وتم انعقاد المؤتمر الأول للمجمع في *طرابلس* بليبيا في يناير 1971 ، وفي هذا المؤتمر تمت الموافقة على مشروع لائحة المجمع وعلى القرارات التي تقدمت بها لجانه المتبثقة عنه. وفي دور انعقاده الخامس والخمسين من نفس السنة اتخذ مجلس الجامعة قراراً بالموافقة على مشروع اللائحة

المذكورة وإحالته على اللجنة القانونية للجامعة لوضعه في صيغته القانونية النهائية.

وقد توالى انعقاد اجتماعات المجمع على مستوى مؤتمر عام مرة كل سنتين، وعلى مستوى اجتماع للجنة التنفيذية مرة كل سنة.

ينبثق عن المجمع :

ـ أمانة مشكلة من أمين منتخب وعدد من الموظفين المساعدين.

ـ المجلس التنفيذي. وهو مشكل من مندوبي الدول العربية.

ـ هيئة علمية.

ـ اللجان الفنية الخمس، وهي :

* لجنة التربية والثقافة الموسيقية
* لجنة التراث الموسيقي التقليدي "الكلاسيكي"
* لجنة الفنون الشعبية
* لجنة الإنتاج الموسيقي
* لجنة الدراسات التاريخية

وقد توالى حضور المغرب في أجهزة المجمع منذ تأسيسه، كما واكب فعالياته المختلفة. وفي هذا الإطار احتضن المؤتمر الخامس للمجمع في أكتوبر 1977، وكذا اجتماع لجنة الدراسات التاريخية في يناير 1994، والمؤتمر السابع عشر في أبريل 2003.

يصدر المجمع مجلة دورية تحمل سم "الموسيقى العربية" كما يصدر مجلة باسم "البحث الموسيقي". وقد أقر إحداث شهادة تقديرية تمنح كل سنتين لشخصيات أو مؤسسات أثبتت حضورها في واحد أو أكثر من مجالات العمل الموسيقي، كما أقر إحداث "دليل الموسيقى العربي" مهمته التعريف برجالات الموسيقى في الوطن العربي.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**المجيلدي، أحمد** بن **سعيد**، فقيه علامة له مشاركة تامة في جل المعارف المتداولة في عصره، وباع طويل خاصة في علوم الحديث والفقه والنوازل والأحكام والإفتاء. حلاه شيخه أبو سالم العياشي (ت. 1090 / 1679) بقوله : "العالم العلامة، المحقق الفهامة، الذي تشرفت به خطة القضاء ..." ويتحدث عنه تلميذه أبو علي الحسن اليوسي فيشير : "كانت له ممارسة لمختصر خليل واستحضار للنوازل الفقهية ومخالطة تامة لعلم السير ومشاركة في فنون العلم، حميد العشرة محمود السيرة في ولاية القضاء". ويصفه القادري في *نشر المثاني* "بالعلامة الأمثل القاضي المبجل المحقق الأديب الأكمل ... من أكابر الأعلام وأعيان مشايخ الإسلام ..." أما ابن زيدان فقال في *إتحاف أعلام الناس* : "شيخ الجماعة في إقراء المختصر الخليلي، محصل لمنطوقه ومفهومه، كثير الممارسة له يختمه في كل سنه مستحضر للنوازل عارف بإدراج الجزئيات، ماهر في ذلك حسن الأخلاق، لين العريكة، منصف متواضع له إشراف تام على السير، ومشاركة وافرة في فنون عديدة .." تلقى العلم بمدينة فاس فأخذ عن علماء عصره المشهود لهم بالتفوق أمثال محمد بن عبد القادر الفاسي وأبي سالم العياشي الذي أجازه إجازة عامة. ولي قضاء فاس الجديد أكثر من أربعين سنة فحمدت سيرته ولم يحفظ عنه ما يشين عرضه ولا ما يغض من جلالة منصبه ـ علي حد تعبير ابن زيدان ـ ثم ولي قضاء مدينة مكناس بعد عزل القاضي أبي مدين السوسي (ت. 1110 / 1708) عنها وذلك أواسط شهر شوال عام 1088 / 1677. اشتغل بالتدريس إلى جانب القضاء فنفع الله بعلمه جما غفيرا إذ حضر دروسه محدثون وفقاء جهابذة كانوا منارا للمعرفة بالمغرب نذكر من بينهم الحسن بن مسعود اليوسي الذي يقول : "حضرت عنده مختصر خليل، وقرأت عليه رسالة الأسطرلاب وشيئا من الحباكية وشيئا من القلصادي ..."

ويشير محمد الفاسي إلى أنه كان من بين كبار العلماء الذين وافقوا على بيعة السلطان مولاي إسماعيل في 16 ذي الحجة عام 1082 / 16 أبريل 1672. ترك المجيلدي مؤلفات تدل على طول باعه في مختلف العلوم منها : *اختصار المعيار* في مجلد ضخم وشرح لمختصر خليل سماه "*الحواشي*" ومؤلف في الحسبة عنوانه "*التيسير في أحكام التسعير*".

توفي في 25 صفر عام 1094 / 1682 ودفن خارج باب محروق.

الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري، الرباط، 1986، ص. 62 ؛ محمد القادري، *نشر المثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، ج 2، الرباط، 1982، ص. 306 ؛ عبد الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج 1، ص. 324 ـ 325، ج 4، ص. 85، الرباط، 1990 ؛ *المنزع اللطيف*، تح. عبد الهادي التازي، الدار البيضاء، 1993، ص. 220، *الدرر الفاخرة*، الرباط، 1937، ص. 35 ؛ محمد الفاسي، *مجلة تطوان، عدد خاص*، ص. 6 ؛ رقية بلمقدم، *أوقاف مكناس*، ج 1، الرباط، 1993، ص. 191 ـ 192.

رقية بلمقدم

**محبوبة**، أسرة سلاوية عريقة، تدخل ـ اليوم ـ في عداد الأسر المنقرضة من سلا. يؤكد قدم استيطانها بهذه الحاضرة أنها كانت تملك دوراً بها خلال القرن الثاني عشر (18)، وأنها صاهرت ـ فيما يبدو ـ عدداً من الأسر السلاوية.

أنجبت أسرة محبوبة عدداً من الفقهاء والعدول والنظار خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 ـ 19 م) من أشهرهم :

أحمد فقيه كانت إحدى بناته تسكن بحومة باب حساين، قرب دار الحاج عبد العزيز عواد، المدعو القبطان (ت. 1299 / 81 ـ 1882) توفي أحمد محبوبة بعد 22 جمادى الثانية عام 1191 / 28 يوليوز 1777.

جلول، كان مؤذنا بالمسجد الأعظم بسلا توفي عام 1398 / 77 ـ 1978.

عبد العزيز بن الحاج عبد الوهاب، فقيه تولى عمالة سلا مرتين : الأولى قبل عام 1256 / 40 ـ 1841، ثم أعفي أو

استعفى وعين مكانه محمد بن عبد الهادي زنيبر، وبعد وفاة هذا الأخير بالكوليرا عام 1271 / 54 ـ 1855 رجع عبد العزيز محبوبة للولاية مرة ثانية. وفي سنة 1278 / 61 ـ 1862 أخر عنها لكي يتولاها الحاج محمد بنسعيد. وكان المترجم بين هاتين الفترتين عدلا بسلا. توفي بعد 1282 / 65 ـ 1866.

عبد الوهاب بن أحمد، فقيه كان سنة 1216 / 01 ـ 1802 من عدول سلا ثم ناظراً لأحباسها. حبس عبد الوهاب محبوبة بتاريخ 10 رجب عام 1234 / 5 ماي 1819 داراً وسانية بهذه المدينة على أولاده الذكور "فإن انقرضوا فعلى أولادهم، وعند انقراض الكل يرجع ذلك للمسجد الأعظم من سلا". عين المترجم عاملاً على سلا عام 1249 / 33 ـ 1834. توفي بعد عام 1279 / 62 ـ 1863.

محمد بن عبد العزيز، فقيه محدث أديب، كان نساخا للكتب يعتبر عمدة صاحب *الاستقصا* في علوم اللسان والبلاغة والأدب. توفي بمكة عام 1279 / 62 ـ 1863.

أ. الناصري، *الاستقصا*، مقدمة التحقيق، 1 : 12 ؛ ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، *ذيل*، ص. 230 ـ 231 ؛ كوستي، *بيوتات سلا*، تح. نجاة المريني، منشورات، خ. ص. 1989، ص. 127 ـ 128 ؛ *حوالة أحباس سلا*، 16.

محمد السعديين

**الـمحراث**، وسيلة من وسائل إنتاج الفلاحة التقليدية. يرتبط بعملية الحرث. ظهر منذ العهد الروماني ولم يطرأ عليه أي تغيير يذكر. وباستثناء السكة الحديدية المخصصة لتقليب التربة، يشكل الخشب المادة الرئيسية في المحراث، لذلك يعرف بالمحراث الخشبي بحيث يتكون من قطع خشبية مختلفة الأسماء والأشكال والأغراض. يتم تركيبها في انسجام ليقوم كل جزء بالدور المنوط به.

ويختلف حجم المحراث حسب نوع الدواب المستعملة في الجر. فتكون الزوجة كبيرة إذا كانت الدواب خيلا مثلا، وتكون صغيرة إذا كانت حميراً. ولا يتم تغيير موضع البهائم كيفما كان نوعها، بحيث إذا ربطت دابة منذ البداية على يمين المحراث تبقى كذلك حتى نهاية موسم الحرث. ويحتفى بالمحراث بطرق مختلفة من منطقة لأخرى. فبعد هطول أمطار الخريف ينادي المنادي في الأسواق بفتح موسم الحرث، ويتم اختيار دوار بعينه وعائلة بعينها لتكون البادية بذلك، ويتم اعتماد المكانة الاجتماعية والرمزية في هذا الاختيار (الكرم، البركة ...). وقبل الانطلاق في عملية الحرث، تكسر خبزة من الشعير على قاعدة المحراث كفأل حسن طلبا للوفرة. ويتم زرع الحبوب على وجه الأرض مباشرة أو بعد تقليبها، وفي هذه الحالة يعاد حرث الأرض بعد زرعها باعتماد خطوط معاكسة للخطوط الأولى. حيث يقسم الحقل إلى قطع متساوية تقريبا (المطيرة) يراعى فيها الشكل الطبوغرافي والمساحة الممكن حرثها خلال اليوم. ويعمل الحراث على أن تكون أخذة الحرث متراصة حتى تنقلب التربة على بعضها البعض، وعند نهاية كل خط يتم الرجوع في الاتجاه المعاكس (عايد)، ويتغير الاتجاه عند رأس كل مرجع تتغير اليد الماسكة بيد المحراث من اليمين إلى الشمال أو العكس. وبعد يومين أو ثلاثة من الحرث، يتم شحْذ السكة من جديد عند الحداد.

*تحريات ميدانية*.

Victorien Loubignac, *Textes arabes des Zaïrs*, Paris, 1952.

صالح شكاگ

**محرز** (ابن ـ) **أحمد** بن مولاي الشريف ابن أخ المولى إسماعيل، ذلك أن المولى الشريف ترك أولادا كثيرين" منهم السلطان مولاي محمد والسلطان مولاي الرشيد مجدد ملك المغرب ومولاي إسماعيل بن الشريف ومولاي الحران والأمير مولاي محرز وغيرهم. والمولى أحمد هذا ثار ضد عمه منذ سنة 1083 / 1672 أي منذ وفاة المولى رشيد وبيعة المولى إسماعيل وذلك في الحوز، وبعد هزيمته انتقل إلى الجبل، ليثور مرة أخرى في تازة سنة 1084 حيث انهزم بالقرب من سيدي سوهرية. ثم ثار مرة أخرى بتارودانت بسوس سنة 1090 وانتهى الأمر بالصلح، ثم وقعت بينه وبين السلطان معركة تانكيرت انهزم فيها وقتل صدفة بسوس سنة 1095. لكن حركته بقيت مستمرة لمدة ثلاث سنوات. ظهر أحمد بن محرز في نوفمبر 1672 كمتطلع إلى السلطة، حيث سيطر على فاس في السنة الموالية فانقسمت على إثره إلى قسمين: فاس القديمة التي بايعت المولى أحمد بن محرز، وفاس الجديدة التي بايعت المولى إسماعيل، مما حدا بهذا الأخير إلى التوجه نحو هذه المدينة، ليتصالح مع أهل فاس القديمة، عبر زعيمهم عبد القادر الفاسي. في هذا الوقت انتقل أحمد بن محرز إلى درعة في انتظار فرصة أخرى لحمل السلاح.

وتشير المصادر إلى دخوله مراكش، وحصوله على بيعة سكانها سنة 1085 / 1674. ويبدو أن أحمد بن محرز قد مر من تارودانت قبل الانتقال إلى مراكش. وحسب كودار (Godard) فإن "أهل تارودانت وسكان الأطلس، استدعوا المولى أحمد وساعدوه للدخول إلى مراكش 1086 / 1675". ومع ذلك يصعب القول بأن ابن محرز قد استقل بسوس في هذا الوقت.

وقد أشار أبيطبول (Abitbol) إلى "أن الشريف جاهد ضد ابن أخيه أحمد بن محرز، وبعد هزمه بمراكش سنة 1677 انتقل إلى سوس حيث حاول غزو السودان الذي لم يتحقق له إلا حوالي 1687 بعدما وضع حدا لهذه الثورة". ويدل هذا على أن المولى إسماعيل لم يتمكن من السيطرة على سوس، وهذا قبل أن يصل إليه ابن محرز في وقت لاحق. ويشير الريفي إلى وصول هذا الأمير إلى الإقليم في سنة 1090 (1679) واستيلائه على مدينة تارودانت وكثير من أعمالها،

وأشار أيضا إلى إذعان سوس لطاعته، وتواطئه مع الأتراك بالجزائر (الريفي، 168).

ويرى شينيي (Chénier) بدوره أن أحمد بن محرز قد أعلن ثورته في سوس سنة 1680، بعد انسحابه "من مراكش منذ ثلاث سنوات فأصبح سلطانا على درعة، ثم انتقل إلى مملكة سوس، وبعد تحالفه مع شيخ البلاد وتزوج ابنته، أعلن نفسه سلطان سوس [...] وفكر في استيراد الأسلحة من السودان ووعدته عرب الصحراء بالانضمام إليه. وبعد أن تمكن من جمع الجنود، اتجه بهم نحو الصحراء، لكنه فقد حوالي 1500 رجل بسبب انعدام الماء، ووصل مدينة تكارت (Tagaret) وحاصرها [...] وبعد دخولها وجد بها من الخيرات والتبر، ما يملأ به خمسين جملا [...] وبعد توقيع اتفاقية مع ابن سلطان السودان عاد إلى سوس".

وفي سنة 1680 / 1091 أرسل إليه 18 عالماً من علماء جزولة رسالة يطلبونه فيها إلحاق سيدي عبد الله بن سعيد التهالي من علماء المنطقة بالموقرين. ومما جاء فيها "... فنرغب من أمير المؤمنين المنصور بالله إمام وقته مولانا أبو العباس أحمد الشريف نصره الله تعالى وأيده، أن يلحقهم بأمثالهم في التحرير والخروج لهم عن المطالبة على عادته على أهل الخير والصلاح [...] أوائل رجب عام 1091".

ونفهم من هذه الرسالة أن سلطة أحمد بن محرز كانت قد انتشرت في كل منطقة سوس، وو صلت إلى مناطق جزولة. ونحن نعلم أن مناطق جزولة لا تدخل بسهولة تحت سلطة المخزن. وإذا ما حدث أن دخلت تحت طاعة أية سلطة، فإنها تكون آخر منطقة في سوس تفعل ذلك. كما أن هذه الرسالة قد أتت بعد أن وردت ظهائر أخرى على بعض أهل جزولة، اجتمع على إثرها هؤلاء العلماء لبعث هذه الرسالة المشهورة.

كل ذلك يبين أن بداية حكم أحمد بن محرز لسوس يرجع إلى سنة 1678. وكان المولى أحمد قد بويع قبل ذلك التاريخ في مراكش، حيث أشار الريفي إلى بيعته بمراكش سنة 1085/ 1674. وإذا كانت قبائل الحوز قد بايعت ابن محرز، فإن قبائل سوس أقرب إلى أن تبايع ابن محرز، من أن تبايع سلطان "الغرب".

ويعتقد أن أحمد بن محرز بعد انهزامه في مراكش سنة 1088 / 1677 قد اتجه إلى درعة، ثم عاد بعد ذلك إلى سوس ليباشر استقلال الإقليم، واتخذ مدينة تارودانت عاصمة لإمارته وذلك سنة 1678.

ورغم وجود بعض الاختلاف في تحديد تاريخ استقلال سوس، فإن ما يمكن قوله أن تاريخ إعلان هذه الثورة هي سنة 1678. وقد استمر حكمه لسوس مدة طويلة، وقد نظم إمارته، وبدأ في ممارسة سلطته كسلطان شرعي مستقل.

ومن بين مظاهر ممارسته للسلطة، إصداره لظهائر توقير واحترام وتعيين، لما يكتسبه الظهير من قوة رمزية لا يستهان بها، لارتباطها بالفئات الخاصة في المجتمع كالشرفاء وزعماء الزوايا، وذوي النفوذ الاجتماعي في الإقليم.

كل ذلك يبين أن الأمير كان يمارس سلطته، على أنه سلطان شرعي، وأن حكمه لإمارة سوس ما هو إلا مرحلة من مراحل توحيد المغرب تحت حكمه. ويدل على ذلك تطلعه للانتقال إلى مراكش، لاستكمال سيطرته على المغرب.

وهكذا نجد أن ابن محرز كان يمارس سلطته في سوس، عبر تعيين عمال وقواد، من أشهرهم حدو بنعلي الذي كان - على ما يبدو - قائداً على ماسة. وعبر تعيينه لقضاة، من بينهم القاضي إبراهيم السملالي في إفران. وأشار مونطاني (R. Montagne) إلى أن "... أحمد بن محرز حكم سوس لمدة خمس عشر سنة، وقسمه إلى إقليمين، لكل واحد مركزه. الأول بمركز تارودانت، والثاني بمركز إليغ. واتخذ تارودانت مقراً له، قبل أن يخربها السلطان المولى رشيد سنة 1689".

وتبدو علاقة ابن محرز مع أهل سوس علاقة مستقرة، ذلك أن الوثائق والروايات التاريخية التي رجعنا إليها، لم تسجل تمردات ضد المخزن المحلي، كما هو الشأن في فترة محمد العالم. وقد بنى المولى أحمد بن محرز سياسته على استغلال كل ما من شأنه أن يزيد من التفاف أهل سوس حوله. ورأينا مدى ارتكازه على استغلال نفوذ الزوايا والصالحين والعلماء، فقدم لهم ظهائر التوقير والاحترام. ومن بين العوامل التي ساعدته على ذلك، أيضا، حلول فترة الجفاف والوباء التي امتدت بشكل متقطع من 1677 إلى 1682، مما أضعف قوة القبائل التي يمكن أن تشكل قوة معارضة الإسماعيلي من جهة، وقللت من فرص تحرك المخزن نحو سوس في ظروف القلة والحاجة وانعدام الأمن.

غير أن ذلك لم يكن مطلقا، فقد أشارت بعض الوثائق إلى أن منطقة درعة الشرقية التي انضوت تحت لواء حركة ابن محرز، لم تكن تابعة، كلية، لسلطة ابن محرز. "... فقد فرض مراقبة شديدة على بعض الزعامات المحلية، ولا سيما تامكروت حيث أصدر أوامره لأحد قواده بنهب الزاوية وتغيير شيخها الذي لم يكن يدعو له على المنبر [...] وتبين مختلف القرائن المستنبطة من رسائل محمد ابن ناصر الموجهة إلى أحمد بن محرز وبعض أفراد بطانته أن الحضور المخزني قد اختفى في عهد المولى رشيد بمراقبة الزاوية الناصرية واستكناه مرامي شيخها".

وتركزت قوته أساسا في بأس جهازه العسكري، إذ كون جيشا قويا، ذلك أنه جمع من مختلف قبائل سوس حوالي أربعة وعشرين ألف من الحراطين. وحرص على توفره على ذخيرة مهمة من الأسلحة حصل عليها من السكان. وتمكن أيضا من الحصول على كميات كبيرة من الأموال، وامتلأت خزائنه بالحبوب ومصادر العيش. ولم نعثر على معلومات حول علاقته مع قوى خارجية، سوى ما أشار إليه الريفي من مكاتبة ابن محرز أهل الجزائر، والتواطؤ معهم، وما أشار إليه شينيي (Chénier) من تجهيز جيشه نحو السودان ومحاصرته لمدينة تكارت (Tagart) وتوقيعه لاتفاقية مع ابن سلطان السودان.

أما علاقته مع أوربا، فالمعلومات حولها قليلة. وما أشار إليه إستيل (Estelle, 1690) هو عبارة عن تقرير صغير جاء في بعضه ما يلي : "... أن أكبر منافسي المولى إسماعيل هو المولى أحمد ابن عم (كذا) السلطان، والذي كان يحتل مملكة سوس. وقد انهزم في معركة ضده قبل ثلاث سنوات".
ولم يبين هذا التقرير طبيعة علاقة ابن محرز مع محيطه الخارجي. غير أن هناك مؤشرات تدل على أن ابن محرز كانت له علاقة تجارية مباشرة مع الأوربيين، منها سيطرته على قسم من السودان ومنجم تيغازا، ومناجم سوس الغنية بالفضة والنحاس، إضافة إلى طول مدة حكمه على سوس والجنوب المغربي، كل ذلك يجعل من تأسيس علاقة تجارية مع الأوربيين أمراً محتملاً وطبيعياً.

لم يكن السلطان المولى إسماعيل ينظر بعين الرضى إلى حركة ابن محرز. فقد احتل ابن محرز مراكش، ويروي الريفي هذا الحدث قائلا : "... وفي سنة 1085 دخل مولاي أحمد مراكش وبايعوه بها أيضا [...] وصير مراكش دار قراره، واجتمعت عليه تلك القبائل من واد أم الربيع إلى حاحة [...] فاشتدت صولته، وقويت شوكته [...] وفي سنة 1086 المذكورة نظر أمير المؤمنين [المولى إسماعيل] في حرب مراكش وأحوازها [...] فضرب عليه من مراكش الأمير أحمد بن محرز". إن بيعة ابن محرز من طرف أهل الحوز تعني أن المخزن المركزي فقد المناطق الجنوبية كلها، حيث لا يمكن تصور الحضور المخزني في سوس بعد هذه البيعة. وهذا ما أشار إليه شينيي (Chénier) بقوله : "هناك جذور ثورة جديدة في القسم الجنوبي لهذه المملكة فقد قام سكان تارودانت والمناطق الجبلية المجاورة بدعم المولى أحمد بن محرز الذي كتب إلى زوجته بمراكش لتسهيل دخوله إلى المدينة وبيعته بها [...] والتي دخلها مع عدد كبير من الجنود والناس".

وأمام هذا الوضع قرر المولى إسماعيل - الذي أخبر بالحدث وهو في طريقه إلى سلا - إرسال قائده مسعود الجراري مع أربعة آلاف خيل، لكنه انهزم أمام المولى أحمد. وبعد ذلك قرر السلطان أن يتولى بنفسه قيادة الحرب ضد ابن أخيه. وعندما وصل إلى أسوار مراكش انشق جيشه المنهك بكثرة الثورات، وانهزم بدوره أمام ابن محرز، وجرح في ذارعه، واتجه نحو الجبال لكسب التأييد قبل العودة إلى الهجوم على مراكش، وانتقل إلى سان كروا (أكادير) لطلب التأييد، غير أن السكان لم يبدوا أي استعداد لتأييده. وقفل راجعا إلى مراكش لينهزم مرة أخرى. غير أن السلطان استطاع أن يقوي جيشه لمحاصرة مراكش مرة أخرى ليتمكن في النهاية من السيطرة عليها. وفيها فقد المولى إسماعيل أحد قياده الكبار محفوظ الجراري. واستمرت المواجهة بين الطرفين بين مد وجزر لمدة سنتين حيث "... كان دخوله حضرة مراكش سابع ربيع الثاني من سنة 1088 ".

وانتقل ابن محرز على ما يبدو إلى درعة، ثم بعد ذلك إلى سوس ليستمر في ثورته ضد المولى إسماعيل. وأطلق يده في سوس، لمدة ما يقارب من ثلاث سنوات قبل أن يقرر المخزن العودة إلى محاربته، بعدما بدأ يهدد المخزن بشكل جدي. وفي 1092 / 1681 جهز المولى إسماعيل حركة تجاه سوس. ويصف الزياني ذلك بقوله : "وفي عام اثنين وتسعين وألف ورد عليه [المولى إسماعيل] الخبر أن أحمد بن محرز الذي بالسوس استولى على بلاد آيت زنيب وقويت شوكته [...] فتلاقى مع ابن أخيه أحمد بن محرز ووقع القتال خمسة وعشرين يوما مات فيها من الفريقين ما لا يحصى ودخل أحمد بن محرز تارودانت فانحصر بها ثم وقع بينهما حرب أخرى مات فيه خلق كثير وجرح السلطان وجرح أحمد بن محرز واستمر الحال على ذلك ...".

استمر حصار تارودانت مدة طويلة، "وفي ذلك الحصار مات يحي أعراص مقتولا ثم وقع بينهما صلح، ورجع أمير المؤمنين إلى حضرته مكناسة". ولم يلتجئ الطرفان إلى سياسة الصلح إلا بعد أن أنهكت قواتهما. فقد انقسم الجيش المخزني، ونقصت موارده في الجنوب، إضافة إلى انشغال السلطان بثورات أخرى، حيث تزامنت ثورة ابن محرز مع ثورة أخرى في الجنوب المغربي تتمثل في ثورة حمادي بالصحراء ؛ وهو أحد إخوة السلطان المولى إسماعيل. ومن جهة أخرى انشغل السلطان بمحاصرة طنجة، وفشل القائد عامر حدو في ذلك، وشددت فرنسا الحصار على سلا، ودخل القائد المذكور في مفاوضات مع قائد البحرية الفرنسية، وكان ذلك في ربيع سنة 1680. وفي سنة 1681 انشغل المخزن بتحرير معمورة.

أما بالنسبة للمولى أحمد بن محرز، فقد سئم أهل تارودانت من الحصار، وأصبح جيشه في أمس الحاجة إلى هدنة لاسترجاع قواته وإعادة تنظيمه ؛ خاصة وأن البلاد تعرف قحطا مفرطا، وقد أتى الوباء على مدخرات السكان. ولخص الضعيف هذه الأحداث في قوله : "وفي عام 1094 تأخر المطر فبلغ القمح نحو الدرهم الشرعي للصاع النبوي [...] وفي منتصف رمضان ورد الخبر بصلح المولى إسماعيل مع المولى أحمد بن محرز". واستمرت هذه الهدنة قرابة أربع سنوات (من 1092 إلى 1096).

لم تتفق المصادر حول تاريخ نهوض المولى إسماعيل ضد المولى أحمد بن محرز. فقد كتب الضعيف عن الحدث ما يلي: "في تاسع عشر جمادى الأولى العام (1094) دخل السلطان المولى إسماعيل سوس". ونجد عند الريفي أن السلطان نهض إلى سوس. قال : "في أواخر سنة خمس وتسعين وألف نهض أمير المؤمنين لسوس الأقصى وزحف لابن أخيه الأمير مولاي أحمد بن محرز [...] فالتقى الجمعان في تانكرت فكانت الهزيمة العظيمة على ابن أخيه مولاي أحمد [...] وفر الأمير [...] إلى تارودانت، في خاصته وترك بلاد السوس كلها لعمه مولاي إسماعيل، ودخلوا في طاعته ولم يبق له منازع إلا ابن أخيه وخاصته مع طائفة الزواق في داخل المدينة، واستمر عليه الحصار سنين

حتى أيس من كل معين، وكان عمه مولاي الحران قد جاءه معينا بعد أن كان جعله السلطان في سجلماسة أمينا [..] والقدر أخرج ابن أخيه أبا العباس مولاي أحمد متوجها نحو المرسى، فأخذه خيل عمه وانتهزت منه الفرسان فتوفي الهزبر أواسط ذي القعدة سنة ست وتسعين وألف...".

أما الزياني فإنه يشير إلى تاريخ آخر في قوله : "وفي هذه السنة [1096] بلغه دخول أخيه الحران تارودانت مع ابن أخيه أحمد بن محرز وتوجه للحركة إليها ولما بلغها حاصرهما بتارودانت فخرج يوما أحمد بن محرز مع بعض عبيده لزيارة بعض الأولياء فلقيه جماعة من زرارة أصحاب السلطان لم يعرفوه وظنوا أنه بعض قواد أحمد بن محرز. فوقعوا عليه فتقاتل معهم فقتلوه فألفوه أحمد بن محرز. ولما بلغ خبره للسلطان توجه حتى توقف عليه وأمر بتجهيزه ودفنه مع الغرناطي كان مات يومئذ وبعد أيام خرج أهل تارودانت ليلا إلى قبره ونبشوه واستخرجوه حتى عرفوه لأنه كان اختلط عليهم خبره وفي جمادى الأولى عام ثمانية وتسعين وألف دخل السلطان رودانة عنوة بالسيف واستباحها وهرب الحران".

م. المختار السوس، *المعسول*، ج 1، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1963 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ*، تح. أحمد العماري، نشر دار المأثورات، 1986 ؛ ع. الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، د. ت. آسية بنعدادة، مطبعة الجديدة، 1992 ؛ أبو القاسم الزياني، *البستان الظريف في دولة مولانا الشريف* ، تح. رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، مطبعة المعارف، الرباط، 1992 ؛ أ. عمالك، الحضور المخزني بوادي درعة في العهد العلوي الأول، *أعمال الأيام الدراسية حول واد درعة*، كلية الآداب، أگادير، 1996 م. الحيمر، *جيش عبيد البخاري*، د. د. كلية الآداب، الرباط، 1995.

*Archives des Affaires Etrangères, Fr. Maroc M.D*, vol. 9 microfilm (Mémoire d'Estelle), Folio, 194 ; L. Chénier, *Recherches historiques sur les maures et histoire de l'empire de Maroc*, troisième tome, Paris, 1787 ; R. Montagne, Un magasin collectif, in *Hespéris, 1929* ; Léon Godard, *Description et histoire du Maroc*, 1° partie et 2° partie, Paris, Tanera éditeur, 1980 ; M. Abitbol, Le Maroc et le commerce transsaharien du début du XVII au XIX s, in *R.M.M.O., n° 30 2ème semestre, 1980*, p. 8.

محمد حنداين

**مَحْرَشْ**، أسرة تطوانية أصلها من غمارة وانتقلت إلى تطوان في القرن الحادي عشر الهجري. ومن أشهر أفرادها : محمد بن الهاشمي فقيه ترجم له السكيرج في *"نزهة الإخوان"* ووصفه بالفقيه الصفي الخير الدين الذي جمع بين الحسب والنسب والعلم والدين ؛ تولى خطة العدالة سنة 1214 (1799).

توفي يوم 28 رمضان 1220 (20 ديسمبر 1805).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**محروش، المكي الفاسي**، أحد أعلام الموسيقى الأندلسية بفاس في أواخر القرن الثالث عشر.

كان - إلى جانب معاصريه من أعلام هذا الفن بفاس أمثال الحاج حدو بن جلون، ورشيد الجمل، ومحمد الصبان - من بين من أخذ عنهم ميازينَ الموسيقى الأندلسية علامةُ الرباط سيدي إبراهيم التادلي خلال فترة إقامته للدراسة بفاس والتي امتدت حوالي خمس عشرة سنة.

وقد نوه التادلي بمهارته فقال : كان أعجوبة في حفظ أشعار الموسيقى وطبوعها ونغماتها، وخصوصا ميزانها، ولم يتقنه أحد - فيما رأيت - سواه. وهو آية في ضرب الطر وحده.

إ. التادلي، *التذكار لما في التذكرة من الطب مع الاختصار* ؛ ع. بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2، الدار البيضاء، 2000، ص. 158 ؛ محمد المنوني، *البحث العلمي*، ع 14، يبراير، 1969، ص. 160.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**المحفوظ** (بن -) **الحَضْرام** سبط الشيخ ماء العينين وابن الشيخ الحضرام، أحد أساتذة مدرسة السمارة. أخذ العلم على عدد كبير من أساتذة زاوية جده الشيخ ماء العينين، منهم محمد بن عبد العزيز وأخواله الشيخ النعمة والشيخ أحمد الهيبة وغيرهم من أدباء وعلماء الصحراء.

له مشاركة في كثير من العلوم والفنون وخاصة في الشعر حيث كانت له مسامرات ومساجلات مع كثير من أدباء سوس، وخاصة مع المختار السوسي وسيدي أحمد ابن الطاهر وسيدي علي بن الطاهر وغيرهم. تحدث المختار السوسي بإعجاب عما يتميز به من قدرة على حفظ الأشعار ورواياتها، فذكر أنه "كان مرة يعد ما حفظه مع بعض أهله من المتون والقصائد وما إلى ذلك، فوصل أربعين ألف بيت، وكثيراً ما كان يتردد على باشا سلا الحاج محمد الصبيحي، وله فيه أمداح كثيرة. تنقل بين عدد من الأماكن بعد قدومه من الساقية الحمراء صحبه والده ووالدته السيدة سعدان، فسكن تزنيت ومنها انتقل إلى وجان كردوس، ثم تارودانت ثم مراكش، ثم عاد إلي وجان التي ظل بها إلى أن توفي سنة 1393 / 1973.

مربيه بن محمد بن عبد العزيز، *الشعر الرقيق في حافظة المحفوظ العالم الافيق*، ورقة 6 - 7، نسخة مخطوطة بخزانة المؤلف بوجان ؛ المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 2، ص. 71، *المعسول*، ج 4، ص. 299 ؛ محمد الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 256، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه به، 2003.

محمد الظريف

**محكمة العدل الخاصة**، ظهرت في أكتوبر 1965 للنظر في اختلاس الأموال العامة، وقد قُدِّر الحد الأدنى للمال المختلس، والذي يجعل المحكمة صاحبة الاختصاص، في مبلغ 1000,00 درهم مثلما حصل لعون تابع لمحكمة سلا، فأصدرت في حقه محكمة العدل الخاصة سجناً نافذاً لمدة خمس سنوات، مع أن المبلغ المختلس لم يتعد 1000,00 درهم،

ثم رُفع القـــــدر إلى 2500,00 درهم و500,00 درهم ثم 25.000,00 درهم.

كانت محكمة العدل الخاصة تعقد جلساتها في القاعة التي يجتمع فيها البرلمان الآن لأنها كانت تابعة لوزارة العدل.

ظلت محكمة العدل الخاصة عرضة للكثير من الانتقادات التي كانت تطالب كلها بإلغائها. وكانت هذه الانتقادات تستند إلى عدة دفوعات منها التضارب في النِّصاب القانوني، ثم مفهوم الموظف العمومي، ومفهوم المال العمومي، والتناقض في مواقف المحكمة ذاتها، فقد حكمت في أحيان بأنها مختصة في النظر في ملفات مرتبطة باختلاس المال العمومي، وحكمت في أحيان أخرى بعدم الاختصاص !

من بين الانتقادات أيضاً اعتبار المحكمة تابعة لتعليمات وزير العدل، تأتمر بأوامره، وتقوم بحرمان الأفراد من التقدم أمامها بالمطالب المدنية، بينما يُمنح هذا الامتياز للدولة والإدارات العمومية. ويبدو أن محكمة العدل الخاصة لم تستطع الصمود في وجه هذه الانتقادات، لذا تقرر في مجلس الحكومة المنعقد يوم 6 يناير 2004، الموافقة على مشروع قانون يقضي بإلغائها، مع إسناد مهمة النظر في الملفات التي كانت معروضة عليها لمحكمة الاستئناف.

محمد وحيد

**محلي** (ابن أبي)، ينحدر **أحمد** بن **عبد الله** بن محمد بن القاضي المشهور بأبي محلي من أسرة موسرة عرفت الرياسة والقضاء بسجلماسة "وأما جدودي... فهم قضاة بلدنا سجلماسة، قبل انكسار جفنها في دولة بني مرين، وقبل ذلك فيما أرى". كانت لأسرة أولاد القاضي زاوية بسجلماسة. وقد أورد ابن محلي أن أسرته مزدوجة النسب فهو ينحدر من جهة الوالد من العباس بن عبد المطلب عم النبي وأما أمه فإنها من سلالة الأدارسة. ورغم إلحاحه على ازدواجية النسب فإن ابن أبي محلي كان يومن باختلاط الأنساب بالمغرب "وقد دخل بنو هاشم وغيرهم من قريش وسائر العرب المغرب وغيره من الأقاليم عند انبساط الإسلام في الأقطار... فاختلطت الأنساب العجمية بالعربية بالجوار والأصهار... وعند الله حقيقة المؤرخين".

كانت لأسرة أولاد القاضي ممتلكات كثيرة في غير موضع من سجلماسة وقد مرت حياة ابن أبي محلي من مراحل يمكن تصنيفها على النحو التالي :

مرحلة النشأة

نشأ أبو محلي في أسرة عالمة وكان يفتخر بذلك ويقول بأنه ترعرع في "حجر العلم ومن شجرته". كان والده يسهر بنفسه على تلقينه العلم ومراقبته، واعترف بأنه لولا صرامة الوالد لضاع فكتب يقول "فلولا تعنيفه لصعبت، فجازاه الله عنا في ضبطه وضغطه" فحفظ القرآن وتعرف على المبادئ العلمية الأولية. وعوده والده تحمل المسؤولية وكان يعتمد عليه دون إخوته "في مهمات أموره".

ويمكن اعتبار انتقاله إلى فاس منعطفا في حياته. كان لا يتوانى في إعطاء الأوصاف الرنانة لهذه المدينة لأنه انبهر بها وتأثر بجوها، فهي المدينة المنورة، والبهجة البيضاء والجنة البيضاء. فبعد دخوله إلى فاس أصبح مستقلا في قراراته، بعيدا عن ضغوط الوالد. فأخذ في فاس عن شيوخ بارزين في الأدب والنحو، وفي التصوف وفي الفقه والحديث إلا أن حياته ستعرف مسارا جديدا بسبب معركة المخازن أو "المخازى" كما كان يسميها.

مرحلة الانعزال إلى التصوف 1579 ـ 1594

عاش المغاربة قبيل معركة وادي المخازن جو الذعر والخوف والاستنفار بسبب الحدث. وبنصيحة من أحد الأصدقاء رحل أبو محلي عن فاس واتجه إلى بلاد زعير وكان يسميها "بلاد السمن والعسل" ليلتحق بزاوية محمد بن مبارك الزعري ويتفرغ للتصوف. لقد ألف عدة كتب في التصوف كالوضاح والقسطاس، والسلسبيل إضافة إلى الصفحات الكثيرة التي دونها عن الموضوع في كتابه *الاصليت الخريت بقطع بلعوم العفريت النفريت*. لقد أخذ المبادئ الأولى عن المديوني التلمساني حيث قرأ عليه بفاس كتب الساحلي وزروق. وكان أبو محلي يحضر تجمعات المتصوفة بفاس، ودام مقامه في زاوية مبارك الزعري ثلاثة عشر سنة إلى حدود خروجه للحجة الأولى ة 1001 ـ 1002. وعاش خلال هذه المرحلة تصوف الأحوال إلى درجة أنه كان يشعر بالحاجة إلى الخروج إلى الناس في السوق.

بعد رجوعه من الحجة الأولى تخلى عن تصوف الأحوال بل ندم على ما فعل وصار يهاجم هذا التصوف "أقوال أهل الأحوال تحفظ ولا يقاس عليها لأن أكثرها زائف وزائل"، وادعى أنه شفي من هذه الأحوال بسبب الحجة الأولى وشربه لماء زمزم ولماذا، تبرأ من هذه الأحوال ؟ ألم يكن يخطط لمشروع سياسي ؟

مرحلة العودة إلى الساورة وتوطيد النفوذ 1594 ـ 1610

حاول أبو محلي أن يقوي من نفوذه في الأقاليم ولدى الأعيان وشيوخ القبائل عن طريق المراسلات والاتصالات المكثفة. استعمل كل الطرق لإقناع الجميع بالاعتراف له بالقطبانية وبأنه "شمس زمانه" وتوجد عدة مراسلات تسير كلها في هذا الاتجاه. وكان على وعي تام بأهمية هذا العمل لأنه كان يرى في اعتراف الأعيان تزكية وتقوية لنفوذه وكان يقول "شهادة الفحول... الأقطاب والراسخين في العلم... من حضرة فاس ومراكش ودرعة وسوس وسجلماسة وفجيج وتلمسان وتونس بعد الجزائر وغيرها من سائر البلدان".

تميزت هذه المرحلة بالعنف والصراع حول الزعامة بين أبي محلي والشيخ عبد القادر بوسماحة. والظاهر أن صيحة أبي محلي كانت تهدف إلى إقصاء بوسماحة لأخذ مكانته لدى الأتباع والمريدين. وانتهى الصراع برحيل ابن أبي محلي

واستقراره في قرى بني عباس. وأثناء وجوده في هذه القرى وصله خبر تسليم المامون العرائش للإسبان فقرر ترك القلم من أجل أخذ السيف للجهاد.

مرحلة الثورة على المخزن السعدي 1610 ـ 1613

تعكس حركة ابن أبي محلي أوج ما وصلت إليه شخصيته المعقدة داخل المناخ المتأزم الذي عرفه المغرب في نهاية القرن السادس ومطلع القرن السابع عشر. لقد برر هذا الفقيه الثائر قيامه على السلطان بوجود التطاحن بين أبناء المنصور الذهبي حيث أصبحت البلاد تعيش الفوضى. ورفع شعار "لا يحل للأمة أن تبق بلا إمام، فإن تعددوا (يقصد الأمراء) وجب القيام عليهم". واعتبر تعامل المامون مع الإسبان من أكبر العصيان. لقد سلم هذا الأمير مدينة العرائش للكافر، لذلك وجب القيام عليه وأصبح من واجب كل المسلمين أن يساندوا من يثور ضد المامون واعتبر ابن أبي محلي من لم يسانده من العصاة.

وليتجاوز النص الشرعي في القيام على السلطان السعدي تبنى ابن أبي محلي المهدوية واتخذ مبدأ الخلافة الإسلامية مطية وكان يقول : "الخلافة معقودة له (والمهدي هو نفسه) ليتصرف في الملك والملكوت". وجاء بإشارات تظهر بأنه هو المهدي المنتظر. واستعمل الأتباع والأصدقاء فأوصل اسمه إلى الأقاليم وتمكن من لف القبائل من حوله فأعلن تمرده العسكري على السعديين.

الحملات العسكرية

انتصر في أول مواجهة له مع السعديين سنة 1611. وكان لهذا الفوز وقع كبير على سكان تافيلالت، لأنه شجع عددا كبيرا منهم على الانخراط في حركته والمساهمة إلى جانبه في الحملات العسكرية. وبفضل ذلك استطاع أن يستولي على سجلماسة مما يعني أنه أصبح يراقب الطريق التجاري الرابط بين فاس والممالك السودانية. وبعد دخوله المدينة حاول أن يطبق برنامجه فأظهر العدل وطالب بتغيير المنكر وحاول أن ينشر الأمن في المنطقة. فجاءته الوفود من الراشدية وتلمسان لتقدم له الولاء والتهنئة بالفتح، وبعد أن استتب له الأمر بتافيلالت انتقل بجيوشه إلى درعة فسيطر على لكتاوة وضرب بها النقود باسمه.

ومن المحتمل أنه تفاوض مع شيوخ قبائل الأطلس الكبير آيت زينب وگلاوة فالتحق به عدد من القواد الذين كانوا يخدمون الجيش السعدي كالقائد عزوز الذي مات في معركة جليز. وكان فيها لصالح ابن أبي محلي فدخل مراكش وحاول أن يطبق سياسته وأسلوبه إلا أن الأزمة كانت متجدرة. وقد لاحظ التجار الأجانب أن الوضعية غير مستقرة وأنها قد تنقلب إلى فوضى لأن القبائل تخلت عنه بما فيها تلك التي رافقته من الصحراء وأن زيدان السعدي قد استغاث في مواجهته مع ابن أبي محلي بيحيى الحاحي الذي كان يرى في حركة هذا الأخير خروجا عن الصواب والشرع لأنه قد أخل بتأويلاته البعيدة عن الصواب بما ليس من المذهب. وبالتالي فإن ابن أبي محلي في نظر الحاحي مجرد متسلط وخارج عن الأمة وموقد للفتنة. وقد نزل الحاحي إلى مراكش في جيش من قبائل هشتوكة وشبانة وبني جرار وبني كنسوس واستطاع أن يهزم ابن أبي محلي في معركة حاسمة في جليز حيث توفى هذا الأخير في 30 نونبر 1613. مات لكن أفكاره بقيت راسخة واستمر عدد كبير من الناس يعتقدون أنه لم يمت وأنه سيعود.

ابن أبي محلي، *الإصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت*، مخطوط ؛ عبد المجيد القدوري، ابن أبي محلي *الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت*، منشورات عكاظ، الرباط، 1991.

عبد المجيد القدوري

**محمد** (أولاد –) فرقة كبيرة وشهيرة من قبيلة الأعشاش بشاوية تامسنا (انظر مادة الأعشاش). وقد اشتهرت فرقة أولاد امحمد بعد حركة الأعشاش التي تزعمها الصدر الأعظم أحمد بن موسى سنة 1897، والتي نكل خلالها بأولاد مَحمد تنكيلا فظيعاً. كما اشتهر أولاد مَحمد خلال مقاومة الشاوية للاحتلال الفرنسي سنتي 1907/ 1908. ولهذا قسم الفرنسيون أولاد مَحمد سنة 1915 إلى قيادتين ؛ القيادة الأولى تتكون من 1050 خيمة وتضم : أولاد حمامة ـ وأولاد عبد الله وأولاد الزيرق. والقيادة الثانية وتتكون من أولاد عطو (عتو) وتضم 310 خيمة.

والملاحظ أن هذا التنظيم الإداري قد ضم دوارين من أولاد امحمد هما أولاد شعيب والخلط إلى أعشاش السهل.

علال الخديمي

**محمد** بن **الشريف** بن **علي** الحسني أبو عبد الله وأبو البشائر، السلطان المؤسس للدولة العلوية. ولد بواد إفلي من تافيلالت في تاريخ غير معروف ؛ وبها نشأ نشأة أبناء الأعيان، إذ كان والده وجيها عند أهل تلك البقاع، نظرا لما انحاش إليها من كثرة الأتباع، ولما توافر له من أسباب الثروة.

لا نعرف إلا النزر اليسير عن مستواه العلمي ؛ لكن لا نشك في أنه قد شدا من العلوم نصيبا. وكيف لا وهو بكر أبيه الذي عرف بالحرص على تربية أبنائه وتعليمهم. ويبدو من الرسائل المحبرة باسمه أنه كان يروي قدرا من الشعر، وأن له مشاركة في علم البيان الذي اشتهرت به الأسرة العلوية منذ عهد الحسن الداخل. وترشح تلك الرسائل، فضلا عن ذلك، بدراية فائقة بالتاريخ والأنساب والسير، كما يتضح من مساجلاته مع الدلائيين والسملاليين ؛ ولا سيما مجادلته للسعديين في النسب الشريف، ورده لشهادة "الفشاتلة" لأنهم خدموا البلاط السعدي ؛ مما يؤكد أن بضاعته العلمية غير مزجاة. ويستنتج ابن شريفة من قرائن متعددة أن المترجم كان مطلعا على كتاب *واسطة السلوك* لأبي حمو الزياني، وأن له إلماما بالجفريات.

عرف المترجم بالإقدام والشجاعة والكرم والقوة، حيث كان يمور حماسا، ويتقد جرأة، حتى أوشك أن يقع في التهور وعدم التأني.

تنازل له والده المولى الشريف عن الحكم سنة 1045 / 1636، ليتملص من التعهدات التي قدمها للدلاء، ويتخلص من الوجود العسكري السملالي بتافيلالت.

وكان أول عمل قام به المترجم له نقض الصلح مع الدلائيين، حيث عمد إلى مهاجمة قصر تابوعصامت الذي كان أهله قد رفضوا مبايعة والده واستصرخوا عليه بالدلاء. ولما ضرب الحصار على ذلك القصر واستولى على ذخائره، أثار حفيظة السملاليين الذين عمدوا إلى أسر المولى الشريف، ليضغطوا على ابنه. لكن هذا الأخير تزعم الثورة ضدهم، حيث عمل على تأليب سكان واحات تافيلالت عليهم، لأنهم أساءوا السيرة "وضيقوا على الناس فازدرتهم العيون وكرهتهم القلوب" ؛ بما ارتكبوا من خرق في مجال الجباية. وفي ذلك يقول الإفراني : "وضربوا الخراج على كل شيء حتى على من يجدونه في الشمس زمان الشتاء أو في الظل زمن المصيف".

فكانت تلك الأحداث مجتمعة كفيلة بمنح المشروعية للمولى مَحمد، فناهض عامل أبي حسون هنالك ؛ وجند السكان لخوض الحرب ضد السملاليين. فدارت معارك طاحنة بين الفريقين انجلت عن إجلاء هؤلاء عن تافيلالت سنة 1050/ 1640. وبإثرها عقد سكان تلك الجهة البيعة العامة للترجم، فاكتمل له أمر الملك، وشرع في توسيع نفوذه. فأقدم على ملاحقة السملاليين، فطردهم عن وادي درعة، بعد معارك طويلة ؛ مما اضطرهم إلى إخلاء سبيل والده. وترتب على ذلك علو صيته في معظم أرجاء بلاد المغرب، الشيء الذي انزعج له الدلائيون، فقاد سلطانهم مَحمد الحاج جيشا لخضد شوكة تلك القوة الصاعدة. فكانت موقعة الگارة التي تناجز فيها الفريقان في ربيع 1056 / 1646، والتي أسفرت عن هزيمة المولى مَحمد، وقيام جيش الدلاء بنهب تافيلالت والعيث في ممتلكات السكان وأعراضهم. وأمام توسلات أعيان الواحة أبرم الطرفان صلحا تم بموجبه تقسيم النفوذ بين المترجم ومَحمد الحاج، وضمان مصالح الدلاء التي تتلخص في تأمين الطريق الواصلة بين فاس وبلاد السودان.

لكن المترجم ما لبث أن خرق ذلك الاتفاق، فاستولى على القصور التي كانت قد آلت بموجبه إلى نفوذ الدلاء. بل عبر الجبل، وتوجه إلى فاس التي دخلها منسلخ جمادى الثانية سنة 1059 / 1650، مستغلا ثورة أهلها ضد عامل الدلاء. ويذهب ابن زيدان إلى أن أهل فاس هم الذين استقدموه" .. وواعدوه بالنصرة والإمداد بالعدة والعدد..". في حين يقصر القادري الاستغاثة على أهل فاس الجديد. وإذا كان الكاتبان يتفقان على مبايعة سكان فاس للمولى مَحمد، فإنهما يختلفان حول المدة التي مكثها بتلك المدينة. ففي الوقت الذي يؤكد فيه ابن زيدان أن المترجم أقام بفاس مدة أربعة عشر شهرا وأيام، يفيد القادري أن مكوثه بها لم يتجاوز عشرة أيام. كما اتفقا على أنه انهزم أمام الدلاء بموقعة ظهر الرمكة، بظاهر المدينة، يوم الثلاثاء عاشر شعبان 1059 / 1649. والمرجح عندنا أن فاس الجديد هي التي استغاثت بالمولى مَحمد، وذلك لعدة قرائن، أهمها :

- أن فاسا الجديد هي التي شقت عصا الطاعة على الدلاء.

- أن المولى مَحمد اعتقل أبا بكر التاملي، عامل الدلاء، الذي كان مقيما بفاس الجديد.

- أن ابن زيدان، حين ترجم للمولى مَحمد، ذكره في فاس الجديد، وفاس العليا (التي أتى به أهلها إليها)، والمدينة البيضاء. وهي مدلولات لعلم واحد، هو فاس المرينية.

- أن فاس الجديد هي الأسهل، بالمقارنة مع فاس البالي، لمن يريد أن يثب على العاصمة الإدريسية.

ومهما يكن من أمر، فإن المترجم عاد أدراجه، بعد ذلك، إلى تافيلالت ليوطد سلطته بها. ثم بدا له أن يتوجه إلى الصحراء، حيث استولى من جديد على توات وتغزة. فتقوى عضده بفضل السيطرة على التجارة الصحراوية، الأمر الذي مكن له مواصلة توسيع نفوذه لضم المناطق الجنوبية والشرقية. فاستولى على الأغواط وعين ماضي وتلمسان، معتمدا في ذلك على القبائل المتمردة على النفوذ التركي. لكنه اصطدم مع الأتراك، فانهزم جيشه أمامهم، مما اضطره إلى التفاوض مع حاكم ولاية الجزائر، عثمان باشا، حول رسم الحدود بين البلدين. فاتفق الطرفان على أن يكون واد تافنا حدا فاصلا بينهما. وذلك سنة 1064 / 1654. ومما جاء في جواب المولى مَحمد للحاكم التركي : "وإني أعاهد الله تعالى لا أعرض بعد هذا اليوم لبلادكم، ولا لرعيتكم بسوء، وإني أعطيكم ذمة الله وذمة رسوله لا قطعت واد تافنا إلى ناحيتهم إلا فيما يرضي الله ورسوله".

وعلى الرغم من تلك الانتكاسة المفاجئة، فقد انفسح أمامه المجال لإيجاد منفذ بحري لتصريف سلع بلاد السودان مقابل التزود بالأسلحة من أوربا. إلا أنه فوجيء بثورة أخيه المولى الرشيد ؛ فلم يتردد في النهوض لمحاربته. فكانت المناجزة بين الفريقين بمطنقة أنگاد، جنوبي وجدة، حول مدشر سيدي بوهدبة، تم بإثرها قتل المترجم في ثامن محرم 1075 فاتح غشت 1664، ودفن بقرية ابن مشعل. وقيل إن جثمانه حمل إلى تافيلالت ليقبر بها. وقد رمز الزياني لوفاته فقال :

وأن الشريف بن الشريف مَحمدا    لـ (شهم) الملوك الضاربين بأنصل

ع. العلوي، *الأنوار السنية* ؛ الإفراني، *نزهة*، *روضة التعريف*، ع. القادري، *الدر السني*، م. القادري، *نشر* ؛ *التقاط الدرر البهية* ؛ م. السوسي، *إيليغ* ؛ ابن شريفة، *ملامح من شخصية محمد الأول* ؛ أ. عمالك، مولاي الشريف، *معلمة المغرب*.

H. De Castries, *Les Sources Inédites...*

أحمد عمالك

**محمد** بن **الشيخ سيديّ**، هو ابن العلامة الصوفي الشيخ سيديّ الإيبيري الانتشائي، ولد سنة 1247 / 1832. رباه والده وعلمه، فصار عالما جليلا وأديبا متميزاً. بعد وفاة والده خلفه في تدبير أمور زاويته، فما تغير شيء مما كان يجريه أبوه على الناس ويقدمه للطلبة والمريدين والمظلومين من عناية.

ومن أبرز ما اشتهر به قصائده في التحريض على الجهاد والدعوة إلى الاتحاد، فقد كان يرى بوعي صوفي صادق أن المستعمر يبرر تدخله في الشؤون الداخلية للبلدان المقهورة بصيانة الأمن وحفظ السلام، ويستغل في ذلك كل ما تعيشه هذه البلدان من اضطرابات وفوضى. فدعا الناس إلى تجنب كل ما يهدد حريتهم من حروب ونزاعات، ونبههم إلى ما يترقبهم من أخطار أجنبية كقوله في قصيدته الرائية :

| | |
|---|---|
| حماة الدين إن الدين صارا | أسيرا للصوص وللنصارى |
| فإن بادرتموه تداركوه | وإلا يسبق السيف البدارا |
| بأن تستنصروا مولى نصيرا | لمن والى ومن طلب انتصارا |

لكن قصر أجله لم يمكنه من استكمال ما بدأه والده، فسقطت زاوية الشيخ سيديّ فيما كان يخافه ويحذر منه في قصائده، حيث فضل ابنه الشيخ سيديّ بابا مهادنة فرنسا ومسالمتها على مواجهتها ومقاومة جيوشها.

توفي سنة 1286 / 1869.

أحمد بن الأمين الشنجيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، ص. 243، مطبعة المدني، 1989، ط. 4 ؛ الخليل النحوي، *بلاد شنگيط المنارة والرباط*، ص. 516 ، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987 ؛ محمد الظريف، *الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية*، ص. 118 ، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2002.

محمد الظريف

**محمد الشيخ الأصغر** ابن **زيدان** بن أحمد المنصور السعدي، بويع بعد قتل أخيه السلطان الوليد بن زيدان سنة 1045 بمراكش، بعد أن اتفق الناس على مبايعته، فأخرجوه من السجن وكان الوليد قد سجنه خوفا أن ينتزع منه السلطة، "وسار في الناس سيرة حميدة وألان الجانب للكافة" كما يذكر اليفرني في نزهته، غير أن الجو السياسي لم يصف له، فكثرت الثورات في مناطق عديدة وكانت بينه وبين الدلائيين مراسلات لاستتباب الأمر له، لكنهم لم يذعنوا، ووقعت بينه وبينهم معركة في موضع يقال له بوعقبة، سنة 1050، انتهت بهزيمة السلطان محمد الشيخ، وكان المغرب في عهده موزعا بين الدلائيين والأمير محمد بن الشريف الحسني بفاس، وغيرهما من الثوار في مناطق نائية.

يذكر اليفرني في نزهته : "كان في أيام مولاي محمد الشيخ السعدي رخاء مفرط، وغلاء مفرط عام ستين وألف، وتوفي عام أربع وستين وألف، ودفن بقبور الأشراف قريبا من قبر أبيه". وذكر الناصري في *الاستقصا* نقلا عن *نشر المثاني*. للقادري : "أن السلطان محمد الشيخ بن زيدان مات قتيلا سنة 1063" ، غير أن الإشارة غير واردة في *نشر المثاني*، تحقيق الأستاذ حجي في أحداث 1063 أو 1064.

اليفرني، *نزهة الحادي*، تح. الشاذلي، ص. 355356 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 6 : 97 ـ 98 ـ 102 ـ 103 ـ 107 ـ 108 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 20 ـ 292 ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية الدرعية التكمادرتية*، تح. كولان، ص. 107 ؛ الزركلي، *الأعلام*، 6 : 132، ط 7 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 191 ـ 297.

نجاة المريني

**محمد الشيخ** بن **محمد المتوكل**، أمير سعدي كان أبوه السلطان محمد المتوكل يسند له الرآسة الشرفية للجيش منذ صغره، وقد شارك في عدة معارك نذكر منها معركة الركن ومعركة خندق الريحان ومعركة تينزرت.

وازداد الأمير مولاي الشيخ بمدينة مراكش سنة 973 (1566 ) وكانت أمه هي أخت القائد عبد الكريم ابن تودة وكانت أول معركة حضرها هي معركة الركن التي جرت بالقرب من فاس في شهر ذي الحجة 984 (مارس 1577). ومنذ ذلك اليوم وهو بجانب أبيه المتوكل ينتقل صحبته بناحية سوس إلى أن التجأ معه إلى قصبة اسنادة في شهر رمضان 985 (نوفمبر 1577).

وعندما لجأ المتوكل إلى قبيلة بني بوفرح واستقر بالقرب من جزيرة بادس المحتلة آنذاك من طرف الإسبان كان مولاي الشيخ من بين أفراد العائلة الذين سمح لهم الإسبان بالدخول إلى الجزيرة المذكورة.

وظل الأمير بالجزيرة إلى أن غادرها أبوه متوجها إلى سبتة عن طريق البحر فتوجه هو الآخر على رأس أنصار والده إلى نفس المدينة عن طريق البر في شهر محرم 986 (مارس 1576 ) وفي شهر ربيع الأول من نفس السنة (ماي 1578) غادر المتوكل، مدينة سبتة متوجها إلى طنجة عن طريق البحر، فتوجه ابنه مولاي الشيخ إلى نفس المدينة عن طريق البر.

وعندما وصل الملك البرتغالي إلى ميناء طنجة ليلة 3 جمادى الأولى 986 (8 يوليوز 1578) كان الأمير الصغير هو الذي قام بالسلام عليه على ظهر سفينته الحربية.

ومرة أخرى عندما توجه المتوكل من طنجة إلى أصيلا على ظهر سفينة الملك البرتغالي. توجه الأمير مولاي الشيخ إلى نفس المدينة عن طريق البر برفقة القواد والجنود المغاربة الذين ظلوا بجانب أبيه.

وظل الأمير بأصيلا إلى أن بعثه الملك سيباسطيان رهينة إلى مدينة الجديدة وهناك علم بوفاة أبيه في معركة وادي المخازن. ولم يمر سوى أسبوع واحد على المعركة حتى وجه مولاي أحمد المنصور مبعوثا إلى أصيلا يطلب من رئيس الأسطول البرتغالي أن يسلم له الأمير مولاي الشيخ وعمه مولاي الناصر غير أن رئيس الأسطول أجابه بالرفض.

وفي أواخر شوال 986 (أواخر شهر ديسمبر 1578) توجه الأمير صحبة عمه مولاي الناصر إلى لشبونة وعمره آنذاك اثنتا عشرة سنة.

ومنذ وصوله إلى لشبونة يوم 27 شوال 986 (27 ديسمبر) أخذه الملك البرتغالي دون انريكي تحت رعايته وفي شهر ذي الحجة 987 (فبراير 1580) انتقل الأمير وعمه مولاي الناصر من لشبونة إلى مدينة سانترين.

وعلى إثر وفاة الملك البرتغالي في يوم 13 ذي الحجة 987 (31 يناير 1580) أمر ملك إسبانيا فيليبي الثاني بمنح الأمير مولاي الشيخ إعانة مالية قدرها ألفين من المرابطين في اليوم.

وفي يوم 30 جمادى الأولى 989 (2 يوليوز 1581) حل العاهل الإسباني بعاصمة البرتغال وفي نفس اليوم استقبل الأمير الصغير في حفل رسمي صحبة عمه ومولاي الناصر.

وظل مولاي الشيخ بلشبونة إلى سنة 997 (1589) حيث أمر الملك الإسباني بنقله إلى مدينة قرمونة بالأندلس حيث كان وصوله إليها يوم 4 رجب 997 (19 ماي 1589) وكانت حاشيته آنذاك تتألف من نحو ستين شخصاً وحاشية إلى مدينة اندوخر حيث اعتنق الأمير المسيحية في شهر جمادى الثانية من نفس السنة (مارس) وكان لهذا الحدث أثره الكبير في الوسط الإسباني لدرجة أنه أوحى للكاتب الروائي الإسباني لوبي دي فيكا بتأليف روايته المشهورة تحت عنوان :

*(مأساة الملك دون سيباسطيان)*.

وفي شهر ذي الحجة من نفس السنة (ستمبر 1593) وجه الأمير إلى الاسكوريال حيث ترأس الملك الإسباني فيليبي الثاني حفلة معمودية الأمير بكنيسة القديس لورينثو يوم 8 صفر 1002 (3 نوفمبر 1593).

ويظهر أنه بعد اعتناقه المسيحية بقليل انقطعت عنه الإعانة المالية التي كانت تصرف له من الخزينة الإسبانية. الأمرالذي جعله يغادر التراب الإسباني متوجها نحو بلاد فلاندس في شهر ذي القعدة 1009 (ماي 1601).

وبعد سنة عاد إلى مدريد وظل بها إل سنة 1018 (1609) حيث توجه إلى مدينة ميلان الإيطالية. وفي سنة 1021 (1612) استقر ببلدة فيخفانو حيث مات يوم 19 ذي الحجة 1030 (4 نوفمبر 1621).

Vega (Lope de), *Tragedia del Rey Don Sebastian*, Madrid 1618 y 1898 ; Cruz (Fr. Bernardo da), *Chronica de el Rei don Sebastian*, Lisboa 1837 y 1903 ; Queiroz Velloso, I. M. de, *Don Sebastian* (Traduccion Española por Ramon de Garicia sol), Madrid, 1946 ; Oliver Asin, Jaime, *Vida de don Felipe de Africa*, Madrid - Granada 1955 ; *Collección de documentos inéditos para la historia de España* (CODOIN), Madrid 1842 - 1895.

محمد ابن عزوز حكيم

**محمد، عبد الرحمان** بن **عبد العزيز** ولد سنة 1345 / 1926 بإقليم وادي الذهب، تلقى تعليمه على يد والده الشيخ عبد العزيز. ساهم بدور فعال في مناهضة المستعمر بشعره ومواقفه الوطنية. تولى تدريس القرآن الكريم بمدينة العيون سنة 1956 وتخرج على يده مجموعة من التلاميذ من بينهم السيد الوزير خليهن ولد الرشيد. امتحن بالسجن من طرف المستعمر الإسباني سنة 1969، ثم أبعد عن الوطن بعد إطلاق سراحه سنة 1970. عاد إلى الصحراء بعد أن أعلن جلالة الملك الحسن الثاني نداءه التاريخي إن الوطن غفور رحيم. تولى القضا رفقه مجموعة من فقهاد الصحراء مثل الفقيه محمد بن عبد العزيز بن حامَّنٍ الغلاوي وسيدي عثمان الشريف وابن العتيق ومحمد العلاوي وغيرهم.

له مؤلفات كثيرة وأشعار وطنية غزيرة عربية وحسانية نشر بعضها في حياته في كراسات صغيرة منها : شفاء الغربة والحنين في نداء إن الوطن غفور رحيم وغيره.

توفي سنة 1998بسبب مرض ابتلي به في المغترب.

وفاء وولاء، *منتخبات شعرية من أقاليم المغرب الجنوبية*، ص. 114، تقديم د. عباس الجراري، جمع وتنسيق، محمد الظريف والطالب بوى لعتيك، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة المناهل، مارس، 1998.

محمد الظريف

الريف
(السلسلة الكلسية)

الريف
(غابة الصنوبر)

الأطلس المتوسط
(بني يازغة)

الأطلس المتوسط
(شجر السرو)

الأطلس الكبير
(تساقط الثلوج)

الأطلس الكبير
(تيزي ·ن·تاست)

الأطلس الصغير
(شجر الأركان والدغموس)

الأطلس الصغير
(تدهور التربة)

IMPRIMERIE DE SALÉ

**Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane**
**Zone Industrielle de Tabriquet**
**B.P. 596 SALÉ**

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

20

Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé**

"SALA"

**2004 - 1425**

مطابع سلا

قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
الحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا

---

19، زنقة الحافظ السلفي
المعاريف ـ الدار البيضاء


ISBN 9981 - 03 - 000 - 7 (Ensemble)
ISBN 9981 - 03 - 027 - 9 (Tome 20)

Encyclopédie
du
Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

21

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2005 - 1426

تـــم طبـــع الجـــزء 21 مـــن معـــلمـــة المغـــرب
بـمطابـع ســـلا وبـمـطبعـة النجـاح الجـديـدة
في ذي القعدة عـام 1426 / دجنبر 2005

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984 / 0629



ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 7 - 028 - 03 - 9981 (الجزء 21)

# معلمة المغرب

المغرب الأقصى

21

بسم الله الرحمن الرحيم

أعـد هـذا الجـزء من مـعـلـمـة المـغـرب بـدعم من وزارة الثـقـافـة ويسعد الهيـئـة العلميـة للمعلـمة أن تتـقـدم للسـيـد الوزير بأصـدق عبـارات الشكـر والامـتـنـان.

# اختصارات

| | |
|---|---|
| ت. | = توفي |
| تح. | = تحقيق |
| تر. | = ترجمة |
| خ. ت. | = خزانة تطوان |
| خ. ح. | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| خ. ص. | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| خ. ع. | = الخزانة العامة بالرباط |
| خ. ق. | = خزانة القرويين بفاس |
| خ. ي. | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| د. ت. | = دون تاريخ |
| د. د. ع. | = دبلوم الدراسات العليا |
| د. م. | = دون مكان |
| ط. | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في هذا الجزء

عبد المجيد **احساين**، باحث - الرباط
ميلود **أحمن**، كلية الآداب - مراكش
الفقيه **الإدريسي**، كلية الآداب - بني ملال
محمد **أزهار**، كلية الآداب - المحمدية
مصطفى **أعشي**، المعهد الملكي للدراسات الأمازيغية - الرباط
الحسين **أفـا**، كلية الآداب - أگادير
عمر **أفـا**، كلية الآداب - الرباط
المختار **الأكحل**، كلية الآداب - المحمدية
محمد **الاكلغ**، كلية الآداب - مراكش
العربي **اكنينح**، المدرسة العليا للأساتذة - فاس
حسن **أميلي**، كلية الآداب - المحمدية
محمد **أيت حمزة**، كلية الآداب - الرباط
حسن **الباهي**، باحث
ثريا **برادة**، كلية الآداب - القنيطرة
أمينة **بريدعة**، باحثة
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب - الرباط
الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية - البهاليل
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب - القنيطرة
محمد **بلعربي**، باحث - الرباط
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب - الرباط
البضاوية **بلكامل**، كلية الآداب - الرباط
رقية **بلمقدم**، كلية الآداب - القنيطرة
شوقي أحمد **بنبين**، المكتبة الحسنية - الرباط
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا
عثمان **بناني**، كلية الآداب - الرباط
عبد القادر **بوراس**، باحث - القنيطرة
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية - الرباط
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب - الرباط
المصطفى **البوعناني**، كلية الآداب - القنيطرة
محمد **بوكبوط**، باحث

أحمد **بومزگو**، باحث - أگادير
جامع **بيضا**، كلية الآداب - الرباط
بوعبيد **التركي**، باحث
نجيب **تقي**، باحث - الدار البيضاء
عبد العزيز **تيلاني**، باحث - مراكش
محمد **جادور**، باحث
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية - مراكش
الحسين **جهادي**، باحث - الدار البيضاء
محمد **حاتمي**، كلية الآداب - الدار البيضاء
محمد **الحاتمي**، باحث - أگادير
حسن **حافظي علوي**، كلية الآداب - الرباط
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب - الدار البيضاء
فاطمة **الحراق**، معهد الدراسات الافريقية - الرباط
نعيمة **الحضري**، باحثة
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب - فاس
محمد **حمام**، كلية الآداب - الرباط
محمد **حنداين**، وزارة التربية الوطنية - أگادير
جمال **حيمر**، كلية الآداب - مكناس
العربي **الخامر**، باحث
علال **الخديمي**، كلية الآداب - الرباط
محمد **خربوعة**، كلية الآداب - وجدة
خالد **الخضري**، وزارة الثقافة - الرباط
عبد العزيز **الخمليشي**، كلية الآداب - الرباط
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم - الدار البيضاء
مارية **دادي**، كلية الآداب - وجدة
عبد الإله **الدحاني**، كلية علوم التربية - الرباط
علال **ركوگ**، كلية الآداب - بني ملال
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي - الرباط
بوجمعة **رويان**، كلية الآداب - القنيطرة
أحمد **زروال**، كلية الآداب - مراكش

قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط

عبد النبي **زين العابدين**، باحث ـ الرباط

محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا

مولاي الحسن **السكراتي**، باحث ـ أگادير

رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش

مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد الله **شقرون**، باحث ـ الرباط

صالح **شكاگ**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

خالد **شگرواي**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط

الحسن **شوقي**، باحث ـ العطاوية

المصطفى **الشويكي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط

عبد العزيز **الضعيفي**، كلية الآداب ـ بني ملال

أحمد صالح **الطاهري**، المعهد الوطني للآثار ـ الرباط

محمد **الظريف**، كلية الآداب ـ المحمدية

عبد الله **عاصم**، كلية الحقوق ـ الرباط

عبد الرحمان **عافي**، باحث ـالرباط

عبد العزيز بن **عبد الجليل**، باحث ـ مكناس

محمد بن **عبد الجليل**، باحث

سعد الدين **العثماني**، باحث ـ الرباط

أحمد **عزاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان

عـدي **عـزى**، باحث ـ الرباط

عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش

محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة

الحاج موسى **عوني**، كلية الآداب ـ فاس

عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **عيدون**، وزارة الثقافة ـ الرباط

مصطفى **عيشان**، كلية الآداب ـ مراكش

إدريس **الفاسي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط

عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

علي **فالح**، باحث

أمينة أبو **الفتح**، باحثة

محمد **الفقير**، باحث ـ سلا

حسن **الفكيگي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

مصطفى **القادري**، باحث

علي **القاسمي**، باحث ـ الرباط

عبد الرحمن **القباج**، باحث ـ الدار البيضاء

أحمد **قدور**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **كربوط**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **اللبار**، كلية الآداب ـ وجدة

مصطفى **لغديري**، باحث

أحمد **لقمهري**، معهد البحث العلمي ـ الرباط

حسن **ليمان**، وزارة الثقافة ـ الرباط

محمد **ماگامان**، باحث ـ مراكش

أحمد **متفكر**، باحث ـ مراكش

الحسين **المجاهد**، المعهد الملكي للدراسات الأمازيغية ـ الرباط

محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمدية

محمد بن أحمد **المرير**، باحث

عبد الحق **المريني**، باحث ـ الرباط

نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد الكريم **المشرفي**، باحث ـ الرباط

محمد محيى الدين **المشرفي**، باحث ـ الرباط

عز المغرب **معنينو**، كلية علوم التربية ـ الرباط

محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **المكاوي**، كلية الآداب ـ الجديدة

محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **الناصري**، باحث ـ الرباط

رشيدة **نافع**، كلية الآداب ـ المحمدية

أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش

محمد **وحيد**، باحث ـ الدار البيضاء

محمد **ياسر الهلالي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

## Listes des principales abréviations des périodiques

A.A. : *L'Afrique et l'Asie.*
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales, Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignement Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus.*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.G.M : *Bulletin de Géologie du Maroc.*
B.I.D.M : *Bulletin de l'Informatique et de la Documentation Marocaine.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique* (Paris).
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographgie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Comptes-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Comptes-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.B : *Encyclopédie Berbère.*
E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam.* (1ère édition).
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam.* (2ème édition).
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerraniennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp. : *Hespéris.*

H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
M.E.F.R : *Mélange de l'Ecole Française de Rome.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scienfitiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
R.G.L : *Revue de Géologie de Lyon.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique* (Paris).
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.C.M : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.F.P.E : *Revue Marocaie des Finances Publiques et d'Economie.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
Rev. Int. Hist. Mil. : *Revue Internationale d'Histoire Militaire*
S.G.L : *Sodiedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*
Trav. Inst. Sc. : *Travaux de l'Institut Scientifique.*

**محمد** بن **عبد الرحمن** بن **هشام** بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن الشريف، السلطان العلوي ثاني عشر سلاطين الدولة العلوية.

يعد المترجم من أعلم السلاطين المغاربة ؛ حيث أخذ عن كبار علماء عصره أمثال مؤدبه محمد بن الطيب بن اليمني بوعشرين، والمدني بن الكبير الفيلالي، قاضي مراكش، والمقرئ محمد بن عبد الواحد الزجلي الفاسي، المعروف بابن تمو. وقد عرف هذا السلطان بالذكاء والنبل ومحبة العلماء، والولوع بجمع الكتب النفيسة ؛ وله قدم راسخ في العلوم العقلية، كالحساب والتوقيت والتنجيم والهندسة والهيئة. ومما يذكر له أنه ختم كتاب أقليدس في الهندسة عام 1271 / 1855. وكان له ولوع خاص بالأزجال والموسيقى، عقد لذلك سوقا نافقة في قصره. وله معرفة كبيرة في علم الحديث ورجاله، وحب في الأدب وأشعار العرب. وتشير بعض الدراسات إلى أنه تعلم اللغتين الإنجليزية والفرنسية. ومن خصاله، الحزم والتواضع والكرم. وكثرة الإغضاء والحياء، والتوقف في الدماء.

ظهرت عليه مخايل النجابة مبكرا، فأسند إليه والده مهاماً متعددة، حيث استخلفه على فاس عام 1255 / 1839. وكانت العادة بينه وبين والده أنه إذا كان السلطان بمراكش، نهض الخليفة للقيام بأعباء الخلافة بمكناس وفاس، والعكس. كما أمره على الجيش الذي واجه الفرنسيين في معركة إسلي عام 1260 / 1844.

ولما توفي والده يوم الإثنين 29 محرم عام 1276 / 1859، أجمع أهل العقد والحل، بمكناس، على بيعة المترجم في اليوم التالي، فاتح صفر من العام. فقفا أثرهم أهل فاس. وتلقى بيعة كل من الحضرتين وهو متوجه في طريقه من مراكش إلى فاس. ولما بلغ أهل مراكش الخبر اجتمعوا في جامع الكتبيين وكتبوا له بيعتهم ؛ وهي من تحرير أبي عبد الله أكنسوس.

وما كاد يستقر على أريكة الملك حتى أعلنت إسبانيا الحرب على المغرب في نهاية شهر أكتوبر / ربيع الأول، من السنة المذكورة. تلك الحرب التي انتهت بهزيمة الجيش المغربي، وإرغام المترجم على قبول نتائجها التي أججت

التكالب الأجنبي على البلاد. فقد فرضت إسبانيا على المخزن أداء غرامة حربية، أثقلت كاهل مالية البلاد طوال ربع قرن تقريبا، وانتزعت امتيازات ترابية، وأرغمت السلطان على التوقيع على معاهدة تجارية خولتها توسيع نفوذها، على الصعيدين التجاري والسياسي. وفي عهده أيضا تم التوقيع على عدد من الأوفاق والمعاهدات التي رفعت من وتيرة التغلغل الأجنبي، بما انتزع الأجانب من امتيازات، لا سيما في ميدان الحماية القنصلية التي استشرى شرها منذئذ، وفي ميادين التجارة وملكية الأراضي والعقارات. وهذا ما عبر عنه أحمد بن خالد الناصري بقوله : "وفتح أمامهم باب كان مغلقا من قبل".

وقد ترتب عن منح تلك الامتيازات، بما فيها التلبس بالحماية من لدن المغاربة (مسلمين ويهودا)، ظهور شروخ عميقة في "المجتمع المغربي" ؛ فبدأت طلائع الصراع بين مختلف الشرائح الاجتماعية ؛ لا سيما بين المحميين الذين أضحوا شريحة اجتماعية ممتازة، وبين غيرهم ممن ظلوا متمكسين بهويتهم.

كما أن حاجة المخزن المتزايدة إلى المال، نتيجة رغبته في تدعيم سلطته على رعاياه، سدا للذرائع، وردا على ضغوط الدول الأجنبية وادعاءاتها للنيل من سيادة البلاد، أرغمت السلطان على إثقال كاهل الرعايا ـ وخاصة سكان البوادي ـ بالضرائب المجحفة ؛ الأمر الذي حتم عليه إطلاق أيدي أعوانه فيهم. ومن ثم، يمكن التأريخ لبدء استفحال ظاهرة القواد الكبار الذين لم يعد لاستبدادهم حد.

لكل ذلك، كان عهد المترجم عهد صعوبات، إذ تعددت حركات الانتفاض ضد المخزن. ولعل تمرد أهل الغرب والحوز من أبرز ردود الفعل الأولى ضد الاستبداد الذي تعرضت إليه البادية المغربية في ذلك العهد. وفي هذا السياق أيضا تعددت الإشارات إلى أن قبائل بأسرها لاذت بالفرار أمام ثقل الجبايات التي تضاعفت أحيانا، عشر مرات (*سجل بليمني*...). كما تمرد الأمير مولاي عبد الرحمن بن سليمان بالجبال، وثار الجيلالي الروگي بجهة الهبط، وبوعزة الهبري ببلاد أنگاد. هذا فضلا عما نزل بالبلاد من جوائح، من أفدحها اجتياح أسراب من الجراد لمختلف أراضي المغرب، فقلت الأقوات وارتفعت أسعارها نتيجة لذلك. وتفاقم الأمر لما صادفت تلك الظروف جفافا قاسيا ووباء فتاكا. فارتفع عدد الوفيات في الإنسان والحيوان على حد سواء. وتدهورت الأعمال التجارية التي كانت أهم مورد لتسديد الغرامة المترتبة عن هزيمة حرب تطوان. وتجلى أبرز مظاهر الأزمة في تدهور العملة المغربية.

إلا أن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن لم يبق مكتوف الأيدي أمام ذلك الوضع. بل شمر عن ساعد الجد ؛ لا سيما وأنه كان شديد التعلق بأفكار التطور، الأمر الذي دفعه إلى التفكير في تحديث بعض مرافق البلاد من أبرزها :

أ ـ الميدان الاقتصادي : أبدى السلطان الرغبة في بناء خطوط للسكة الحديدية، من أجل الربط بين مختلف المراكز التجارية. ولتيسير التواصل بين الدار البيضاء والجديدة عزم على تشييد قنطرة على وادي أم الربيع. كما سعى إلى إصلاح بعض المراسي مثل أسفي والصويرة، فجلب مهندسين أجانب من الخارج، لإنجاز هذه المشاريع. وأمر بالشروع في بناء فنارين بكل من الصويرة وطنجة. وقد تم إنجاز فنار رأس اسبارطيل سنة 1865 وكان له دور بالغ الأهمية في هداية السيارة في البحر ليلا. وفكر هذا السلطان في تأسيس بعض الصناعات التي كانت سببا في استنزاف مالية البلاد، كالسكر والنسيج ؛ فأمر بإنشاء مزارع للقطن وقصب السكر في جهة الحوز. ولذات الغرض اقتنى محاريث عصرية، واستورد البذور، ووزعها على الفلاحين. وعمل على استيراد الآلات لتشييد مصنعين للسكر والقطن بمدينة مراكش، قصد تحويل الإنتاج في عين المكان ؛ واستقدم الصناع من أوربا ومصر. كما أمر ببناء مصنع للورق بمدينة الصويرة، يستخدم الدوم مادة أولية. وعرف المغرب، في عهده، بناء أول طاحونة بخارية بمدينة طنجة. ولعل أبرز حدث عرفه المغرب يومئذ تجلى في دخول المطبعة على يد قاضي تارودانت محمد الطيب بن محمد السوسي، الذي اشتراها من مصر، في أثناء قفوله من الحج سنة 1281 / 1865 ؛ وقدمها هدية للسلطان الذي أمر بنقلها إلى مدينة فاس. وفي سنة 1285 / 1869 حاول السلطان إصلاح العملة، فأمر برفع قيمة القطع النقدية إلى ما كانت عليه زمن سيدي محمد بن عبد الله. لكن مبادرته فشلت لأنها لم تراع الملابسات الجديدة، ولم تكن ملائمة لما كان مطلوبا يومئذ في ذلك الميدان. وفي الميدان المالي، كانت تراود المترجم فكرة إحداث مؤسسة بنكية.

ب ـ الميدان العسكري : تتفق المصادر على أن هذا السلطان قد اعتقد ـ ومعه أبرز متعلمي ذلك العصر ـ بأن إصلاح الجيش هو مصدر قوة البلاد. فواصل عملية الإصلاح التي كان قد شرع فيها زمن خلافته. وقد أولاها أهمية بالغة، إذ لم يقدم على الإصلاح إلا بعد أن استفتى العلماء، وأباحوا له ذلك. وسلك في هذه الخطة المراحل الآتية :

ـ إعداد جيش نظامي خاضع لتداريب حديثة، على أيدي مدربين من مصر وأوربا.

ـ إحداث وزارة خاصة لتدبير أمور ذلك الجيش ؛ عين على رأسها عبد الله بن أحمد البخاري.

ـ إمداد ذلك الجيش بكل ما يلزم من أسلحة وعتاد حربي، وتحصين الثغور البحرية.

ـ بناء مصنع لإنتاج البارود و"الحبة" بمدينة مراكش.

وللإشارة فقط، فإن هذا الجيش قد تكون من المشاة والفرسان. وكان ينقسم إلى طوابير. واختص بلباس متميز ؛ حيث تكون لباس الجنود من ملف عادي، ولباس الضباط من ملف مزركش، ومرصع أحيانا بخيوط من ذهب، ونعالهم جميعا من الجلد الأحمر.

ج ـ الميدان الإداري : من الإصلاحات التي فرضتها

الظرفية على المترجم، إعادة النظر في جهاز الأمانة، حيث أصدر ظهيرا في متم رمضان 1278 / 1861، تضمن إجراءات تنظيمية أهمها :

- منع عمال المراسي من التدخل في شؤون الأمناء.
- منح الأمناء مرتبات شهرية ؛ ومن ارتكب خيانة (رشوة) يقام عليه حد السارق.
- منع الأمناء من الاتجار بالمراسي التي يشتغلون بها.
- توظيف أمينين في كل مرسى، أحدهما من أهلها، والآخر من بلدة غيرها.
- خضوع جهاز الأمانة لمراقب أعلى، يدعى أمين الأمناء ؛ يشرف على كل المرافق، ويتفقد أحوال الأمناء، ويراجع أعمالهم. وهو ملزم كذلك بمراقبة السلع ليعلم هل خضعت للضريبة الجمركية أم لا. وأول من شغل هذا المنصب محمد بن المدني بنيس.

وفضلا عن هذه الإصلاحات، أحدث المترجم وزارة العدلية التي دعيت يومئذ وزارة الشكايات. وأول من تولاها هو محمد بن عبد الله الصفار التطواني. كما فكر في إدخال بعض الإصلاحات ذات الطابع الاجتماعي، كجلب الماء إلى المدن. وألح عليه الأوربيون في منح امتيازات للتنقيب عن المعادن واستغلال الغابة...

لكن تلك الإصلاحات فشلت كلها، باستثناء الإصلاح العسكري، ومرجع ذلك إلى أسباب أهمها :

1 - انعدام تقنيين مغاربة للإشراف عليها، ومتابعة مراحل إنجازها.

2 - موقف "الرأي العام" منها، لاسيما وأن معظمها كان يتم تحت إشراف الأجانب.

3 - تنافس الدول الأوربية لكسب أكبر حيز من الامتيازات، الأمر الذي كان يدفع كل دولة إلى حبك المؤامرات، لعرقلة الإصلاح الذي تشرف عليه الدولة الأخرى.

علاوة على ذلك، فإن تلك المبادرات لم تسبق بإصلاحات عميقة في الميادين الاقتصادية والاجتماعية. كما منيت بالفشل الذريع بسبب فشل الإصلاح المالي.

ومن آثاره أيضا، تكملة غرس آكدال، وإحياء بركه التي كان يختزن بها الماء، بعد أن أجرى إليها العيون الثرة، كعين بوعكاز، وبركة المنارة التي أمر بغرس ما حولها من الفضاء، حتى أضحت منتزها ضاهى أگدال.، كما أجرى ساقية تارگي، وساقية فيطوط العظيمة. ومن بناءاته، داره الكبرى، وإحياء جامع السنة، وجامع أهل فاس بالرباط ؛ ومسجد السوق الجامع، والحمام القديم بالدار البيضاء ؛ وإصلاح أسوار الجديدة وأبراجها ؛ ومصنع السكر بأگدال، ومعمل تزديج البارود بالسجينة من مراكش ؛ وبرج الفنار برأس سبارطيل.

وبالجملة فقد كان سيدي محمد بن عبد الرحمن طموحا عالي الهمة، إلا أن السياق التاريخي الذي ولي فيه الأمر لم يكن مساعدا له ؛ سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي.

وقد توفي يوم الخميس - بعد الزوال - ثامن عشر رجب عام 1290 / 1873 بمراكش، ودفن بضريح جده المولى علي الشريف

أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ م. الصفار، *رحلة* ؛ ع. الكردودي، *كشف الغمة*، مخ. خ. ع. الرباط ؛ *بليمني سجل* ؛ م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. المشرفي، *الحلل البهية* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ ع. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ ع. المراكشي، *الإعلام* ؛ م. داوود، *تاريخ تطوان* ؛ م. خ. گاتيل، *رحلة* ؛ ج. عياش، *الأزمة المالية* ؛ المنوني، *مظاهر يقظة المغرب* ؛ ن. التوزاني، *الأمناء* ؛ أ. التوفيق، *إينولتان* ؛ ع. أفا، *مسألة النقود* ؛ م. أ. البزاز، *المجاعات والأوبئة* ؛ ع. الصديقي، *الرحامنة* ؛ *مذكرات من التراث* ؛ *مجلة الوثائق* ؛ إسلي، حرب تطوان، الرحامنة عبد الرحمن بن هشام، مواد نشرت في *معلمة المغرب*.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe* ; L. Arnaud, *Au temps des Mehallas* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc* ; A. Laroui, *Histoire du Maghreb ; Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain.*

أحمد عمالك

**محمد** بن **عبد القادر** (الأمير السعدي) هو الأمير الوزير محمد بن عبد القادر بن محمد المهدي السعدي الحسني، أمه هي الزهراء بنت رحو بن شحموط العمراني أحد شيوخ دكالة.

وفي سنة 1561 عينه عمه عبد الله الغالب والياً على مكناسة الزيتون. ويؤكد دوكاستري بأنه كان خليفة بفاس في هذه السنة ويستدل على ذلك بمراسلة من محمد بن عبد القادر إلى شارل التاسع ملك فرنسا في مارس 1561. والراجح أن الأمير محمد بن عبد القادر كان ينوب أحيانا عن ابن عمه محمد المتوكل الذي وإن كان خليفة بفاس كان يقضي معظم أوقاته في مراكش منهمكاً في البناء والتشييد.

كان محمد بن عبد القادر حازماً شجاعاً مستيقظاً مباشراً للأمور لا يغفل طرفة عين. فصار أشياخ القبائل لا يعرفون سواه في أمر التصريف. كان حزمه هذا شراً عليه : إذ أقبل السلطان عبد الله الغالب إلى فاس وخرج محمد بن عبد القادر على عادته بهديته إلى السلطان من مكناسة، فلما رأى السلطان ذلك منه اغتاظ وتخوف منه، وأمر وصفاءه بخنقه فخنقوه يوم 20 جمادى الثانية 975 الموافق 22 دجنبر 1567، فتغير عليه المغرب بأسره.

الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، هوداس، 1888، ص. 53 - 55 ؛ مؤلف مجهول، *تاريخ الدولة السعدية التاگمادارتية*، طبعة كولان، 1934، ص. 33 - 34 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 6، الدار البيضاء، 1954، ص. 41.

H. De Castries, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1ère série, *France*, Tome III, Paris, 1911, p. 746-748 ; *France, Bibliographie et Index*, 1926 ; Deverdun Gaston, *Inscriptions arabes de Marrakech*, Rabat, 1956, p. 117.

محمد اللبار

**محمد** ابن **عبد الله** (السلطان) بن إسماعيل بن الشريف، السلطان العلوي، لا نعرف عن أطوار حياته الأولى

سوى أنه ولد سنة 1134 / 1722 بمدينة مكناس... من خلال القصة الواردة في *الدر المنتخب* نستنتج أن أمه حرة، وأنها من الصالحات. والراجح أنه قضى سنواته الخمس الأولى في أحد قصورتلك المدينة. وهي السنوات التي صادفت أواخر سني حكم جده المولى إسماعيل. وبعد وفاة هذا السلطان تذكر المصادر أن والده، مولاي عبد الله، انتقل إلى تارودانت حيث نزل عند أخيه عبد الملك، عامل سوس ؛ وأنه مكث بها حوالي سنتين، قبل أن يرجعا معا إلى مكناس سنة 1140 / 1728. وبعد مبايعة عبد الملك، انتقل عبد الله إلى تافيلالت فاستوطنها حتى نودي به سلطانا على البلاد، إثر وفاة أخويه عبد الملك وأحمد الذهبي سنة 1141 / 1729. رحل المترجم إلى المشرق صحبة جدته خناثة بنت بكار بقصد أداء فريضة الحج سنة 1143 / 1731 ، ربما إبعادا له بعض الوقت عن مناخ الاضطرابات التي عمت بلاد المغرب يومئذ.

وظل هذا الطفل ملازما لجدته، المرأة التي تنوه المصادر بعلمها وصلاحها. فكان لذلك أثره البالغ في تربيته وتنشئته، فقد كانت بمثابة معلمه الأول. ولعل ما شاهده أثناء رحلته من بلدان، وما حضره من مجالس العلم، وما لقي من أعلام في ميادين الحكم والسياسة، كان له نصيب في تكوينه وإخصاب شخصيته. وهو ما أثمر لديه نضجا سياسيا وحنكة كبيرة سواء أيام خلافته أو زمن سلطنته.

ولم يمض على رجوعه من رحلته، وهو مليء الوطاب، إلا ثلاث سنين حتى اضطر إلى الارتحال، صحبة والده، إلى تارودانت سنة 1147 / 1735. وبعد أن قضى بمعيته هنالك حوالي سنتين، رجع إلى مكناس، ليظل متنقلا بينها وبين فاس.

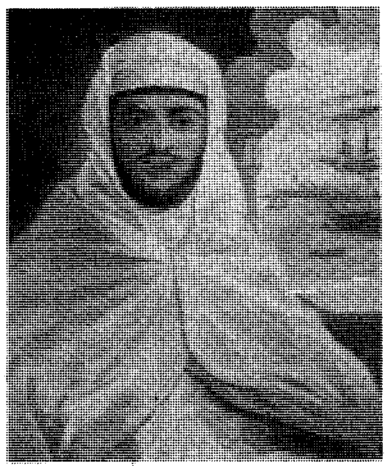

وإذا كانت المصادر لا تذكر شيئا عن مراحل طلب العلم للمترجم ؛ فإن ابن زيدان يعد من بين شيوخه عبد الله بن إدريس المنجرة، وإدريس بن عبد الله العراقي، وأحمد بن عبد العزيز الهلالي، في العلوم، وأبا العباس الشرادي في طريق القوم، حيث أخذ عنه ورد الناصريين بمراكش أوائل أيام خلافته بها.

وعن بعض صفاته، يقول الضعيف : "أسمر اللون، تام القد، أقنى الأنف للتمام، شعر لحيته عريض، واسع المنكبين، شثن الكفين، سميح الوجه، كريم اللقى، شديد الصفح، حسن العفو، فصيحا بليغا أديبا، حليما متواضعا، شفيقا كريما جوادا، عالما بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصل الأحكام".

وفي ميدان العلم يقول عنه نجله مولاي عبد السلام : "في العلم لا يقعقع له بسنان ولا يجارى في ذلك بعنان". وتكررت هذه الأوصاف، عند كل من ابن الطيب القادري وابن الخياط والزياني وأكنسوس والناصري والكتاني وابن زيدان. ولم يكن إعجاب الأوربيين بالمترجم أقل ؛ حيث أثنى عليه كل من گي وشيني ودمورفيل الفرنسيين، وهوشت الدنمركي، ولامبريير الإنجليزي. وصفه هؤلاء بحسن السياسة والذكاء، والجمع بين الشدة واللين، والعلم والتواضع. ومما أكده الزياني أن صاحب الترجمة كان معجبا بسياسة المنصور السعدي وتدبير شؤون دولته، فنقل عنه ما قاله حين نزل أغمات : "هذه منازل المنصور فهو أستاذنا ومقتدانا" ؛ وهو ما نقله أكنسوس، ببعض الزيادة والتنسيق. وبما أن المترجم جعل سيرة ذلك السلطان نصب عينيه، فقد أمر بسرد "*مناهل الصفا*"، في مجالسه، أيام خلافته بمراكش.

وحوالي عام 1156 / 1743، عينه والده على رأس ثلاث فرق عسكرية، وجهها لتأديب الباشا الريفي، أظهر على إثرها نجدة واستعدادا في تدبير الأمور. واتفقت المصادر على شجاعته، وإتقانه فنون الحرب وتسيير المعارك.

ولما آنس منه مخايل الرشد وحسن التدبير، استخلفه على مراكش وما إليها سنة 1159 / 1746. وفي ذلك يقول الناصري : "فكان هذا الاستخلاف أول انغراس لشجرة الملك العلوي بمراكش، واتخاذها كرسيا لهم". وفعلا فقد قام بما كلف به أحسن قيام، حتى إن الزياني يجزم بأن المولى عبد الله لم يعد إليها منذ أن دخلها المترجم.

ولما استقر به المقام، نزل بخيمة نصبوها له داخل القصبة المراكشية، لأنه لم يجد بها دارا تليق بمقامه، نتيجة ما لحقها من تدهور. وقد وصفها محمد المكي الناصري حين قدم إليها سنة 1149 / 1736 فقال : "ووقفت أمام قصبة المنصور أتعجب مما فعلت بها أيدي الحدثان، وما كستها من ثياب الأحزان، وكانت مقاصير جنة، فأضحت ملاعب جنة، وأضحى الوهن بمشيدها لاعب، وعلى كل جدار منها غراب ناعب، قد محت الحوادث ضياءها. وقلصت ظلالها وأفناءها...".

وما أن ألقى بها المترجم عصا التسيار حتى منعه بعض الرحامنة من البناء، وأخرجوه منها. فكان لذلك أثره على حياته حيث توجه إلى أسفي، ونزل قصبتها، ففرح به أهلها، وقدموا إليه الهدايا. فكانت تلك مناسبة اتصل فيها بالتجار الأوربيين، "وسرح [لهم] وسق السلع من المرسى، فوفدت إليه المراكب بأنواع سلعها من أوربا وقصدها التجار من كل جهة،

وطار صيت الخليفة في بلاد الحوز...". وقد مكث مدة بأسفي مشتغلا بالتجارة، مراقبا وضع مدينة مراكش من بعيد، حتى إذا توافرت له الأموال "استركب الرجال من عبدة، واستلحق الموالي من غيرهم، وجاء أهل حاحة والشياظمة بهداياهم ودخلوا في حكمه..." على حد تعبير الزياني. ولما تسامع الرحامنة بما آل إليه أمر الخليفة ندموا على ما فرط منهم، فوجهوا إليه وفد أعيانهم بالهدية إلى أسفي، معتذرين إليه. فرجع معهم إلى مراكش ؛ ولم يقر له قرار إلا بعد أن أمر بإعادة بناء القصبة وتعميرها، فأكمل سورها، وأصلح أبوابها. وفي ذات الوقت أمر بالشروع في بناء داره الكبرى بها. ولما أكلمها وسكنها، غرس البستان المتصل بها، المسمى بالنيل...

ومن ثم، اتخذ مراكش قاعدة لتمهيد الجنوب ؛ فوجه حركة إلى سوس حيث رتب حامية تارودانت. ومنها توجه إلى مرسى أگادير، فقبض على الثائر صالح بن محمد بن بيهي الذي استبد بذلك المرسى وتجاراته وكل فوائده ؛ ورتب بها كذلك حامية. وبذلك عادت المخزنية إلى تلك الجهة، ونالتها الأحكام. وبعد رجوعه من سوس، لم يمكث غير بعيد، فبدا له أن يخرج إلى الشاوية لمحاربة القبائل الخارجة عن الطاعة. ومنها ارتحل إلى الرباط، ثم إلى القصر الكبير، فتطوان، ومنها إلى سبتة التي أشرف عليها ؛ ثم توجه إلى طنجة والعرائش، متفقدا تلك المراسي. ومن الشمال، قفل راجعا إلى منطلقه، مدينة مراكش ؛ ليبعث بالأموال إلى مجاهدي العدوتين، الذين انتدبهم للنزول على حصن أگادير. وبهذه الأعمال استتب الأمن في الجنوب، وتمهدت البلاد، وقطع دابر أهل البغي والفساد.

ولما استقرت له الأمور، عاد إلى ما ولع به منذ حداثة سنه من طلب العلم. فعكف على مطالعة كتب الأدب والأنساب والتاريخ والسياسة وأيام العرب. فنوهت المصادر بولوعه بهذه الفنون. ومن بين الكتب التي كان مدمنا على قراءتها يومئذ، كتاب *الأغاني*، حتى كاد يحفظه.

لذلك لفت إليه الأنظار، فقصده العبيد حاملين إليه بيعتهم. وعلى الرغم من إلحاحهم، وتكرير طلبهم، فإن حكمته جعلته يتأنى، وبدل أن يقبل عرضهم توسط لهم عند والده ليعفو عنهم. وفي أواخر سني حكم والده، الذي صار منشغلا بنفسه بسبب مرضه ؛ نهض الأمير سيدي محمد بمختلف أعباء الدولة. وتذكر المصادر أنه استمر على تلك الحال حتى بويع له البيعة العامة بفاس، يوم الاثنين 25 صفر عام 1171 / نونبر 1757 باتفاق أهل العقد والحل ؛ وهو يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة. وحضر بيعته جماعة من كبار علماء تلك المدينة. وحملها وفد منهم قدم عليه بمدينة مراكش، حيث بويع بجامع الكتبيين "تحت نارنج بصحن المسجد"، على حد قول الضعيف. ويؤكد ابن زيدان على عدم تخلف أحد من أهل المغرب عن بيعته، ولا نازع فيها منازع. بعد ذلك غادر مراكش ليتفقد أحوال البلاد، ويرتب شؤونها.

وهو الذي سن عادة التنقل بين العواصم، حيث قرر لأهل فاس، حين طلبوا منه أن يتخذ مدينتهم عاصمة لدولته، "أنه لا يمكنه المقام بأرض واحدة، وأنه يلزمه التطواف على سائر إيالته، والمكث بكل عاصمة من عواصمه مدة لائقة بها ليتيسر لأهلها ملاقاته، ورفع كل ما يهمهم إليه بدون أدنى مشقة تلحقهم...". ومن دهائه أنه أقر معظم أهل الوظائف، الذين كانوا على عهد أبيه، على وظائفهم. ولم يتردد في معاقبة قواد الجور، فاعتقل بعضهم واستصفى أموال وممتلكات البعض الآخر ؛ واختار بدلهم أهل العدل والكفاءة.

وكان من جملة ما اضطلع به، أنه قدم إلى الرباط ليعطي انطلاقة صناعة السفن تشجيعا للملاحة البحرية. كما أمر، بعد ذلك، بإنشاء دار لنفس الغرض بالعرائش. وبتأسيس هذين المركزين، أنشأ المترجم أسطولا حربيامغربيا مجهزا بالمدافع، تحدث عنه ببعض التفصيل كل من الضعيف الرباطي، وهشت الدنمركي. ولما قام بتفقد سائر المراسي، أمر باستصلاح ما فسد من مرافقها، وبناء الأبراج للدفاع عنها. ولذات الغرض، أمر ببناء مرسى فضالة، وجدد آنفا، واختط مدينة الصويرة (1178 / 1765)، واسترجع البريجة (1182 / 1769). وطلب من الأوربيين المقيمين بأسفي أن يمدوه بكل ما تتوقف عليه "الترسانة البحرية". وهذا منسجم مع التوجه الذي اختاره منذ بدء أمره. وقد ظهرت آثار ذلك على التو، حيث شرع مجاهدو البحر، من العدوتين، في إعادة هيبة المخزن على السواحل المغربية. وفي هذا السياق، نشير إلى أنهم احتجزوا سفنا للسويد والبرتغال وفرنسا، وأسروا عددا من الأوربيين. وسعيا منه في إنشاء مالية مستقلة، أمر بتشجيع التجارة الخارجية. "فساعد على وسق الصوف من مرسى أسفي لأوربا"... وفتح المخابرة مع الدول "لتيسير أمور البيع والشراء. فاضطر الأوربيون إلى التفاوض معه بقصد عقد معاهدات لإقرار السلم، وتنظيم العلائق التجارية بين الطرفين. فكان من نتائج ذلك أن بعث المترجم سفارة إلى إسبانيا، برئاسة أحمد الغزال، ردا على الهدية التي بعثت بها هذه الأخيرة إليه ؛ وعلي مرسيل سفيرا إلى فرنسا (1179 / 1766). فأثمرت السفارتان توقيع معاهدتين مع كل من الدولتين المذكورتين (1180 / 1767). وبعد ذلك انثالت عليه الدول الأجنبية، كالدنمرك والسويد وبريطانيا والنمسا وهولاندا والبرتغال وبعض الإمارات الإيطالية والألمانية ومالطة، والولايات المتحدة الأمريكية لعقد المعاهدات والأوفاق... والتزم بعضها كالدنمرك والسويد والبرتغال بتقديم إتاوة سنوية للمغرب.

وعلى الرغم من الامتيازات التي منحت لتلك الدول، فإنها لم تنل من سيادة المخزن المغربي. إلا أن بعض بنود تلك المعاهدات أضحت بمثابة مراجع لجأت إليها الدول الأوربية، خلال القرن التالي، لانتزاع تنازلات مهدت للتغلغل الأوربي في البلاد.

وبالجملة، فباستثناء التوتر الذي طبع علائق المغرب مع

إسبانيا، لأن المترجم سعى لاسترجاع مليلية ؛ وفرنسا التي انفصمت بينه وبينها عرى الصداقة في مستهل عهده، بسبب القرصنة ؛ فإن الود هو الذي وصله مع مختلف الدول. هذا إلى جانب الروابط التي وصلت بين المغرب والدولة العثمانية وشرفاء مكة، حيث تبادل الطرفان البعوث والهدايا إلى جانب الإعانات والعتاد الحربي والمصاهرات.

وفضلا عن هذه المنجزات العسكرية والدبلوماسية، يعتبر المترجم من كبار المصلحين ؛ لا سيما وأنه انكب في أثناء سلطنته على مدارسة الحديث، ورتب أوقاتا لسرده وشرحه، ووضع فيه مؤلفا فريدا بعنوان *الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية*... وحمل العلماء على ترك الفروع والرجوع إلى الأمهات. ويبرر الدكتور إبراهيم حركات ذلك بأنه حاول أن يبعث الحياة في جيل الفقهاء الذين أغرقتهم الخلافات والوجوه الفرعية داخل مذهب مالك، وأن يحملهم على الرجوع إلى النصوص النبوية. وعلى صعيد العقيدة، كان سيدي محمد بن عبد الله معجبا بابن حنبل، حتى صنفه البعض وهابيا. كما عمل على نصرة السنة ومحاربة الانحرافات. وجلب إلى المغرب أحمالا من الكتب من إسطانبول، مثل *مسانيد* الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل.

وفي سياق علائقه مع الزوايا، لابد من الإشارة إلى أنه سلك سياسة حازمة إزاءها ؛ بل عمل كل ما في وسعه على تسخيرها لخدمة أغراضه. فبذل لبعضها الإنعامات ومنحها ظهائر التوقير والاحترام، كزاويتي الناصريين والوزانيين ؛ ولم يتردد في ضرب البعض الآخر، كما فعل بزاوية شرقاوة وزاوية بني توزين.

وفي ميدان القضاء، لاحظ السلطان أن حقوق الناس ضاعت بين الخلافات الفقهية، والاستعاضة بكتب الفروع وتقريرات المتأخرين، فقرر حمل الفقهاء والمفتين والقضاة على الرجوع إلى الأصول. ولإدراك هذه الغاية، لم يكتف بالتعليمات، بل أصدر مراسيم إصلاحية بالغة الأهمية، خاصة بالقضاة، وتحرير الأحكام، وما ينبغي مراعاته فيها، مثل المتفق عليه والمشهور والمرجح. علاوة على مراسيم خاصة بتنظيم التجارة في الدواب، وسائر البيوع والديون. كما أصدر مراسيم خاصة بتنظيم الشهادة ؛ وضبط قضايا الأحوال الشخصية، وتنظيم الفتوى، وتحديد شروط المفتي.

وعلى الصعيد الاقتصادي، وضع المترجم لبنات قوية للنهوض بالبلاد ؛ نذكر منها تشجيعه للتجارة البحرية، التي كونت مداخيلها حوالي ثلثي موارد بيت المال ؛ وتجديده لقنطرة سبو، لتيسير المواصلات بين شرق البلاد وغربها. ومنها انبعاث دار السكة بمراكش، حيث واصلت ضرب العملة، بعد مبايعته بسنة، وبعد توقف دام ثلاثين سنة. وتتفق المصادر على توسع سك النقود في تلك الدار واستمراره طوال عهده. ومعلوم أن العملة الفضية التي ضربها المترجم ظلت مرجعا للإصلاح النقدي في القرن 19.

وعلى الصعيد الاجتماعي، أعاد الحياة إلى بيمارستان مراكش، الذي كان قد تعطل منذ مدة طويلة. ووضع نظاما للسجون...

وفي الميدان التربوي، ما انفك سيدي محمد ينتقد نظام التعليم الذي تميز بالجمود والتكرار، واعتماد المختصرات. ولم يكتف بالانتقاد، بل كان له رأي في هذا المضمار ضمنه مؤلفه " *مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان* ". وللعمل على رفع مستوى التعليم زود السلطان سيدي محمد مكتبات المساجد والزوايا ببعض أمهات الكتب، نذكر منها *البيان والتحصيل*.

وعلى الصعيد العمراني، سبقت الإشارة إلى بعض منشآته في أثناء خلافته. وفي عهد سلطنته، أمر بتأسيس مدينة الصويرة وقصبات فضالة والمنصورية وآنفا، وإعادة بناء الجديدة. كما بني أو أمر بإعادة بناء عدد من المساجد والمدارس، والأبراج والقصبات والأسوار، والقصور والأضرحة، بمعظم المدن المغربية.

وعلى الصعيد السياسي، امتازت سياسة المترجم بالمزج بين الشدة واللين، وعدم اللجوء إلى القوة إلا عند الضرورة. فكما تدخل في سياق التحكيم للفصل في النزاعات بين القبائل وبين رؤسائها، لم يتوان في الضرب على أيدي القبائل التي حق عليها العقاب. وبهذا التدبير، استتب له الأمر، ودانت له أقاصي البلاد ودانيها، إلا ما كان من تمردات بعض القبائل مثل آيت ومالو وأولاد أبي السباع وآيت يمور ومسفيوة وكروان. ومنها تمرد بعض الأشخاص، كالمرابط محمد العربي الخمسي، المعروف بأبي الصخور بجبال غمارة، سنة 1171 / 1757 ؛ وعبد الحق فنيش، عامل سلا، سنة 1180 / 1767 ؛ والمدعو عمر كلخ بجهة الحوز، سنة 1181 / 1768. على أن تمرد الأمير اليزيد كان أشد على الدولة. فقد داخله بعض المتمردين في الأطلس المتوسط وجبالة بطلب الملك، فاستجاب لهم، وشاغب على والده مدة ليست يسيرة. هذا فضلا عما أثارته قضية فرض المكوس من جدل بين السلطان وبعض علماء عصره. كما عرقلت طموحه السنوات العجاف التي ضربت المغرب طوال سبعة أعوام، فيما بين 1190 و1197 / 1777 و1783 . وقد ترتب عنها تراجع ديموغرافي خطير في ساكنة المغرب. وتفاقم الأمر حين صادفت تلك الأزمة تمرد عبيد البخاري الذين لم ينته شغبهم إلا بمعاقبتهم وتشتيتهم في جهات متفرقة من البلاد، كالحوز والغرب وسايس... واستعاض عنهم السلطان بجيش الأودايا.

ومافتئ المترجم يعمل على رتق الفتق ولَمّ الشتات حتى عاجلته منيته ؛ بعد أن ألم به مرض خفيف عند خروجه من مراكش ؛ وهو في محفته متوجها إلى الرباط، بمكان يدعى عين الحمارة بين واد الشراط وواد يكم يوم الأحد 24 رجب سنة 1204 / 11 أبريل 1790. ودفن بإحدى قباب داره بالرباط.

لقد أبدى هذا السلطان المصلح إرادة قوية في سبيل بناء المغرب الحديث على أسس تستجيب لمتطلبات السياق. واعتبر المؤرخون عهده أوج القرن العلوي الأول، لأنه وطد أركان الدولة التي وضع جده المولى إسماعيل لبناتها. وإذا كان الجد قد اختط المحاور الرئيسية للسياسة الداخلية، فإن الحفيد استطاع أن يتحكم في السياق الذي انتظم علاقته الخارجية. علاوة على ذلك، لقد استوعب هذا السلطان بعض الأسس التي بنت عليها دول أوربا قوتها، ولاسيما في الميدان العسكري والسيطرة على البحار.

أ. الغزال، *نتيجة الاجتهاد* ؛ الإسحاقي، *رحلة* ؛ ابن الطيب القادري، *نشر المثاني* ؛ *التقاط الدرر* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ الزياني، *البستان* ؛ الترجم؛ *الترجمان الكبرى* ؛ أ. أكنسوس، *الجيش* ؛ الناصري، *الاستقصا* ؛ م. المشرفي، *الحلل البهية* ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب* ؛ ابن زيدان، *إتحاف* ؛ *العلائق السياسية* ؛ النهضة العلمية؛ *الدرر الفاخرة* ؛ دينية، *مجالس الانبساط* ؛ الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ العباس المراكشي، *الإعلام* ؛ ح. العبادي، الملك المصلح ؛ *معلمة المغرب*.

G. Höst, *Histoire de l'empereur du Maroc* ; L. Chénier, *Correspondance* ; B. Boutaleb [et al.], *Histoire du Maroc* ; A. Laroui, *Histoire du Maghreb* ; B. Boutaleb, Sidi Mohamed ben Abd Allah, in *Mémorial du Maroc* (4).

أحمد عمالك

**محمّد** بن **عرفة العلوي** ابن السلطان محمّد ابن السلطان مولاي عبد الرحمان. كان أبوه مولاي عرفة خليفة في فاس في عهد ابن أخيه مولاي عبد العزيز. وعاش سيدي محمّد في هذه المدينة عيشة شريف مغمور موقّر في بيته في عقيبة السبع إلى أن أقحم في المؤامرة التي دبّرتها السلطات الاستعمارية الفرنسية بقيادة المقيم العام جوان وخلفه گيوم Guillaume والباشا الگلاوي والشيخ عبد الحي الكتاني، لإبعاد الملك محمّد بن يوسف، الذي صاروا يعتبرونه "سلطان حزب الاستقلال" ويتهمونه بالميولات الشيوعية، وبالابتعاد عن الدين. وقد بدأت القطيعة بينه وبينهم منذ 1950، مما جعلهم يفكرون عدة مرات في تعويضه، مرة بأخيه مولاي إدريس ومرة بابن عم أبيه محمّد بن عرفة. وتبلورت الفكرة حينما رفض التوقيع على "الإصلاحات" التي تقدمت بها الإقامة العامة سنة 1951 وخصوصا منها إصلاحات المجالس البلدية التي كانت تنزع من السلطان كل الصلاحيات وتكرّس الحكم الاستعماري المباشر.

ورغم أن السلطان وقع كل الإصلاحات تحت الضغط في 13 غشت 1953 ، فإن المتآمرين قرروا بعد اجتماع في منزل الگلاوي تنحيته، وتعويضه بفرد من العائلة المالكة أكثر طواعية.

وهكذا وقع الاختيار على محمّد بن عرفة الذي كان قد بلغ سنّ الشيخوخة، والذي انتقل إلى مراكش في سرية تامة يوم 14 غشت 1953. وفي 15 غشت اجتمع المتآمرون ومن بينهم Boniface رئيس جهة الدار البيضاء والمقيم العام Guillaume في "دار مولاي علي" محل إقامة رئيس جهة مراكش هوبير دوتفيل Hubert d'Hauteville وأعلنوا بيعة "سيدي محمّد بن مولاي عرفة كإمام" لإضفاء صبغة دينية على مشروع تنحية محمّد الخامس. وفي 20 غشت بعد نفي هذا الأخير أعلن الصدر الأعظم المقري بأن المخزن الشريف "قرر الاعتراف بعد موافقة الحكومة الفرنسية بسيدي محمّد بن مولاي عرفة سلطانا وحيدا شرعيا على المملكة المغربية الشريفة لوقوع اختيار الأمة عليه". ثم أخذت له البيعة من رؤساء القبائل في مراكش في 21 غشت ومن العلماء والأعيان. واستطاعت فرنسا رغم اعتراض الدول العظمى والبلدان الإسلامية أن تفرض الأمر على الجميع. فإن الولايات المتحدة الأمريكية أرسلت وزيرها المفوض في طنجة لتقديم أوراق اعتماده للسلطان الجديد في 9 سبتمبر 1953. وفشلت المحاولات التي قامت بها الدول العربية والأسيوية لإدانة المؤامرة أمام مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة في 21 غشت و4 سبتمبر و19 أكتوبر من سنة 1953. وكذلك فشلت محاولات إسبانيا لتدويل القضية.

كانت فترة تولية محمّد بن عرفة القصيرة، فترة تسارعت فيها الأحداث واتضحت فيها التناقضات التي طبعت نظام الحماية واشتدّ فيها الصراع وتعقد بسبب ترددات الدوائر الحكومية الفرنسية وتصلب مواقف كل من الإقامة العامة والمعمرين من جهة والحركة الوطنية من جهة أخرى، إذ تحولت المقاومة منذ إبعاد محمّد الخامس من مقاومة سياسية إلى مقاومة مسلحة فردية وجماعية، عفوية ومنظمة، سواء في المدن أو البادية. كما تأكدت في هذه المدة التغيرات التي طرأت على الساحة السياسية المغربية وبقيت تتحكم فيها بعد الاستقلال. من ذلك ظهور مفهوم الشرعية الشعبية. فرغم أن بيعة محمّد بن عرفة كانت مطابقة للطريقة التي اتبعتها الإقامة العامة في البيْعة منذ عهد الحماية سواء فيما يخص مولاي يوسف أو ابنه سيدي محمد فإن ابن عرفة كما ظل المغاربة يسمونه - إذ لم يطلقوا عليه أبدا اسم سيدي محمّد ولا لقب ملك - لم يكتس أي شرعية. ولا يعتبره أحد من سلاطين المغرب ولم يدخل سجل الملوك العلويين لأن الشارع المغربي اعتبره "سلطان الفرنسيس".

وقد قاطع المصلون المساجد يوم الجمعة حتى لا يحضروا الخطبة باسم سيدي محمّد بن مولاي عرفة بينما بقيت الخطبة تقام باسم سيدي محمّد بن يوسف في المنطقة الشمالية. ووقعت عدة محاولات لاغتياله. ففي أول صلاة رسمية له في العاصمة في 11 سبتمبر 1953 حين خروجه من القصر لمسجد المشور في سيارة مكشوفة محفوفا بالموكب التقليدي، تعرض له علال بن عبد الله محاولا طعنه بخنجر. ولم ينج من القتل إلا بتدخل قائد الحرس الملكي الفرنسي. وأثناء الرحلة التي نظمها له الفرنسيون عبر أنحاء المغرب للرفع من شعبيته تعرض في 27 فبراير 1954 في مراكش لمحاولة قتل ثانية، رغم الاحتياطات الأمنية التي كانت تثير سخرية المغاربة كإمساكه بذراع الحاج إدر خليفة الباشا الگلاوي وإشهار هذا

الأخير بندقية من الطراز الأمريكي لحمايته. فأثناء إقامته الصلاة في مسجد بريمة داخل القصر رميت قنبلة داخل المقصورة التي كان يوجد فيها وأصيب بجروح خفيفة في رأسه وقام الگلاوي بنفسه بقتل منفذ العملية. ومنذ تلك الواقعة لم يخرج محمّد بن عرفة من القصر الملكي بالرباط إلى أن رحل إلى طنجة بعد عزله.

ويدل نوع النكت التي روجها الشارع المغربي من باب الاستخفاف على قلة الاعتبار الذي واجه به المغاربة سلطانا فرض عليهم ولم يمنحوه الشرعية كالنكتة التي تحكي البحث عن ابن عرفة في أسواق فاس حينما وقع الاختيار عليه لتعويض محمّد الخامس، وهروبه من قصر الرباط والالتحاق به في مكناس لإرجاعه بالقوة للعاصمة ووضعه الطابع الشريف على قائمة طعام قدمت له أثناء حفل عشاء، لتعوده توقيع كل ما كانت الإقامة العامة تقدمه له دون أن يعرف فحواه.

كما تدل الشعارات المسجوعة وما كانت تحمله من ألفاظ نابية على أن الشرعية الشعبية صارت ضمنيا تتفوق على مفهوم قداسة الأصل الشريف وقداسة السلطان فكان يقال : "عرفة ياوجه لحمار شوف سيدك في لقمر". والأغنية الطويلة" ألا لأهنيـة هذه تسلطنة بلا نويّة" ومن حوار وهمي بين ابن عرفة وزوجته في كثير من العبارات المبتذلة.

ومقابل هذه الظاهرة اكتسب محمّد الخامس على الساحة السياسية المغربية منذ أن التفّ حوله الشارع المغربي كرمز يجسّد آماله وكرامته، مشروعية وقداسة خاصة فقد أصبحت عودته إلى عرشه القضية الأولى للشعب المغربي، وصارت محور كل المظاهرات والإضرابات والمقاومة المسلحة وصار يوم 20 غشت تاريخ نفيه، تجري فيه الدماء سواء في البادية أو المدن.

وتجسدت هذه القدسية التي اكتسبها في انتشار إشاعة رؤيته في القمر، وانتشار صوره وحملها مع العلم الوطني. وفي تركيز الحركة الوطنية وخصوصا حزب الاستقلال كل جهودها ومطالبها حول عودته من المنفى للعرش مرجئة كل الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بما فيها مشروع الدستور لإقامة ملكية دستورية وتحديد الصلاحيات والسلط، ورفضها كل الحلول التي اقترحتها فرنسا للخروج من "أزمة العرش" دون أن تفقد ماء وجهها بإرجاع محمّد الخامس.

وداخل هذا الصراع حول عودة محمّد الخامس، والذي فشل في حله كل المقيمين العامين Lacoste, Grandval, Boyer De la Tour, Dubois الذين تعاقبوا بسرعة بعد الجنرال Guillaume ظهر ابن عرفة يوما عن يوم كدمية "لا شيء مما يقوله أو يكتبه أو يعلنه ينبع عنه. بل يطبخ في باريس أو الرباط، لا داخل الدوائر الرسمية بل من طرف عصابات على نمط العصابات الأمريكية الجنوبية" فمرة يطالب "بالحق في ممارسة سلطته الشريفة" ويرسل رسالة في هذا الشأن مباشرة لرئيس الجمهورية الفرنسية دون المرور من المقيم العام ويقوم بتشكيل حكومة بعد أن أسندت له فرنسا هذه المهمة لتظهر عجزه أمام أنصاره. ومرة يعلن نيته في التنازل على العرش. وأخرى بالتمسك به وهو الموقف الذي بقي وزير تشريفاته عبد الرحمان الحجوي والفرنسيون المنتمون للوجود الفرنسي يحرضونه عليه حتى بعد أن بدأ الصدر الأعظم المقري والگلاوي والكتاني والحكومة الفرنسية يتخلون عنه شريطة عدم رجوع محمّد الخامس للعرش. وحينما أصبح تنازله ملحا بسبب تصاعد المقاومة والعنف فإنه دخل في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية توسط فيها محمّد التازي باشا مدينة فاس لتحديد المقابل المالي لذلك. وقد بدأت المساومة بـ 500 مليون فرنك ومرتب شهري والحصول على جوازات سفر دبلوماسية له ولحاشيته وعائلته، والاحتفاظ بأملاكه وانتهى الاتفاق حول 185 مليون فرنك ـ قديم ـ واستغرقت اللمسات الأخيرة للصيغة السياسية لتنازله طيلة يوم الخميس والجمعة 29 و30 سبتمبر 1955 لتراجعه مدفوعا بالحجوي عن توقيع نصّ التنازل الذي كان متفقا عليه وتبديله بنص آخر لا يذكر التنازل بل الابتعاد الموقت ويشترط عدم تغيير معاهدة الحماية وتعيين حكومة من "التقليديين" واحتفاظ محبيه وخدام "العتبة الشريفة" بأملاكهم ووظائفهم. ومن بين من حضر المفاوضات سيناصر نائب رئيس التشريفات والأستاذ شريف محامي من أصل جزائري في طنجة، والقبطان محمد أوفقير المرافق العسكري للمقيم العام. ولإبعاد ابن عرفة عن كل تأثير خارجي بعد أن اختفى الحجوي، قطعت المكالمات التلفونية بين الرباط والدار البيضاء وبين الرباط ومراكش وفي محاولة أخيرة لإنقاذ ابن عرفة قام الفرنسيون المنتمون "لمنظمة الوجوه الفرنسي"، بمظاهرة احتجاج أمام الإقامة العامة. وانتهى الأمر بتوقيع الوثيقة التي تتكلم عن الابتعاد لمدة غير محدودة مع إمكانية جعل حد لذلك إذا اقتضت المصلحة، وإسناد الطابع الشريف لمولاي عبد الله بن مولاي حفيظ بعد أن رفض مولاي الحسن بن مولاي عبد العزيز هذا العرض. وفي يوم السبت 1 أكتوبر 1955 نقل ابن عرفة في سرية تامة على متن طائرة إلى طنجة حيث أقام بقصر مولاي عبد العزيز وبعد الاستقلال نقل إلى مدينة نيس، دون علم الحكومة المغربية التي احتجت على ذلك وظل في هذه المدينة إلى وفاته سنة 1976.

خلف محمّد بن عرفة عدة أبناء وبنات. منهما مولاي محمّد الملقب بالأمير الذي رافقه للمنفى ومولاي أحمد وكان يعمل كاتباً في إحدى المحاكم بفاس وقد لجأ للمنطقة الخليفية. وكانا معا متزوجين بأختي مولاي الحسن بن المهدي الخليفة السلطاني في الشمال. وللا حليمة وللا فاطمة الزهراء وللا مريم ولم ينجب من زوجته للا هنيّة بنت مولاي إسماعيل بن سيدي محمّد بن عبد الرحمان،التي كانت متزوجة قبله بالسلطان مولاي حفيظ، والتي كانت امرأة

مثقفة تركب الخيل وتتعاطى الموسيقى. ولقبت بلالاهنية الوطنية" لأنها عارضت على تولّيه العرش، وفارقته لتعيش مع ابن أخيها مولاي الحسن بن المهدي في المنطقة الخليفية.

مصادر شفوية ؛ عبد الكريم غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، الجزء الثاني، مطبعة الرسالة، 1980.

Charles-André Julien, *Le Maroc face aux impérialismes, 1415-1956*, éd. Jeune Afrique, 1978 ; Josef Luciani, Eloignement de Sidi Mohamed Ben Arafa du trône alaouite, *Revue de l'Occident Musulman et de la Méditérannée*, ° 8, 2° semestre 1970 ; *Le Monde*, 9 septembre 1953, 16 janvier 1954, 25 aout 1955 ; *Le Figaro*, 1° octobre 1955 ; *La Vigie Marocaine*, 20 avril 1955 ; *Le Petit Marocain*, 21 avril 1955.

ثريا برادة

**محمد، الناصر** بن **يعقوب المنصور** الموحدي ولد في آخر سنة 576 / 1180 ، وصفه ابن القاضي بأنه أبيض اللون، تام القد، نحيل الجسم، مليح العينين أدعج، وافر اللحية، كبير الهامة.

بويع في حياة أبيه، ثم جددت له البيعة بعد وفاته في سنة 595 / 1199. وكان خلال مدة حكمه معجبا برأيه، مستبدا في أموره، يعمل على تدبير شؤون مملكته بنفسه. وكان بينه وبين الناس حجاب غليظ لا تكاد تصله الأمور إلا بعد الجهد الجهيد. وصل إلى جزائر بني مزغنة بعد تغلب يحيى الميورقي على كثير من بلاد إفريقية، وأخذ ميورقة من يد المرابطين في ربيع الأول سنة 600 / 1203 ، ثم افتتح المهدية سنة 602 / 1205 ، وفيها ولى الشيخ عبد الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص جميع بلاد إفريقية وارتحل إلى المغرب. ولما وصل وادي شلف خرج عليه يحيى الميورقي في جيش عظيم، فهزمه الناصر شرّ هزيمة.

وعلى إثر ذلك، وفي شهر رجب من سنة 604 / 1208 أمر الناصر الموحدي بتجديد مدينة وجدة، وإعادة بناء أسوارها. وفي عهده كانت وقعة العقاب في صفر سنة 609 / يوليوز 1212.

توفي مسموما في كأس خمر بأمر وزيره، في يوم الأربعاء حادي عشر شعبان سنة 610 / 22 دجنبر 1211، في قصره بمدينة مراكش.

ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 205 ؛ ابن عذاري، *البيان*، قسم الموحدين، ص. 236 - 265 ؛ المراكشي، *المعجب*، ص. 438 - 439 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس*، ص. 231 - 241 - 272.

مارية دادي

**محمد ولد عربية**، محمد بن إسماعيل بن الشريف العلوي، المدعو كبير، أبو عبد الله، واحد من الأمراء الذين تولوا الحكم بعد وفاة المولى إسماعيل. ونظرا لتعدد المحمدين من الأمراء، أبناء السلطان المذكور، فقد دأب الكتاب المغاربة على أن يدعوهم لأمهاتهم. فدعوا المترجم محمدا ولد عربية. ومنهم من يدعوه ولد عريبة، أو ولد اعريب. والراجح عندي أن يكون ولد عربية، لأن المغاربة اعتادوا على اسم عربية علما لكثير من النساء، كما هو مشهور عند قبائل الشاوية. وهذا ما يؤكده ابن زيدان حين يقول : "أمه عربية من الشاوية، وإليها ينسب وبها يعرف"، سيرا على دعوة النساء لأصولهن القبلية، كالجامعية أو الدكالية أو الشلحة... من نساء المولى إسماعيل ؛ وإما أن يكون ولد اعريب، أو عريبة، نسبة إلى بعض القبائل المغربية التي تمتد مواطنها في الهوامش الصحراوية.

أول إشارة إلى المترجم، حسب مصادرنا، وردت حين شارك أخاه سليمان ولد الجامعية وبعض العبيد في قتل أخيهما السلطان عبد المالك ليلة الثلاثاء 30 رجب 1141 / أو 2 مارس 1729.

لا نعرف شيئا عن طفولته ولا عن مستواه العلمي. ومما يتصف به، أنه كان جوادا كريما، لكنه "عقيم التدبير، شديد البطش والانتقام، غير متوقف في قتل الأنفس، ولا متأن ولا متثبت في الأمور، ولا متأمل في العواقب".

وصل المترجم إلى سدة الحكم حين اتفق سالم الدكالي ولفيف من شيعته العبيد ومن انضم إليهم من أهل فاس ونواحيها، على خلع السلطان عبد الله للمرة الثانية بسبب قسوته، ومبايعة صنوه، صاحب الترجمة، في عاشر جمادى الأولى 1149 / 1737، وهو مقيم يومئذ بتافيلالت.

والظاهر أنه لم يلو على شيء لأن بيعة عبد الله كانت لاتزال في أعناق كثير من الناس. ثم بدا له الدخول إلى فاس مختفيا ؛ فقصد دار عبد الرحمن الشامي الذي كان يعده ويمنيه بالملك، عن طريق الكشف ؛ فمكث هنالك حتى أتاه أهل فاس يتقدمهم قاسم بن رحمون ؛ وأعلنوا بيعته، التي علق نصها في الضريح الإدريسي، يوم الأربعاء 29 من الشهر المذكور ؛ فأعلن نصره في الأسواق والأزقة. وبعد أن طاف على أضرحة فاس وضواحيها، نزل بدار بوعلي الكائنة بحومة المعادي من عدوة القرويين، حيث أقام لتلقي التهاني.

وبدل أن يتصدر لتسوية القضايا العالقة، ويدبر شأن الرعية، دشن عهده بالانتقام من خصومه والتضييق عليهم. فنكل بسائر من تخلف عن بيعته، ولاسيما بعض الخاصة، كالقاضي أبي الحسن بوعنان، وأبي عبد الله البكري الدلائي، وأبي عيسى المهدي وأبي مدين الفاسيين، وأبي العباس أحمد بوعنان. فصادر ممتلكات البعض، وسجن البعض الآخر، بعد أن عزل من كان متوليا لبعض الخطط. ولما تم له الأمر بفاس وما والاها، وبايعه عبيد مشرع الرمل، وعبيد مكناس، انتقل صحبة الودايا إلى فاس الجديد، حيث دار الملك، بعد أن غادرها أخوه عبد الله.

وفي يوم الخميس 20 جمادى الثانية من العام غادر المترجم مدينة فاس في جيوش جرارة قاصدا مكناس التي دخلها في اليوم الموالي، فعزل وولي بعض أهل الخطط.

في تلك الأثناء كر عليه أخوه المخلوع، فوقعت بين الفريقين حروب طاحنة لم تحسم الصراع بينهما. وفي مستهل عام 1150 / 1737 خرج العبيد والأودايا وأهل فاس، أنصار

المترجم، لملاحقة المولى عبد الله. وبعد هزيمتهم بناحية صفرو، واصلوا سيرهم طلبا لأعدائهم، حتى بلغوا زاوية أيت عياش ؛ حيث وقعت معركة بينهم وبين البربر، انتهت بهزيمة محمد ولد عربية وجرحه في أحد ذراعيه، في حين نجا المولى عبد الله بنفسه فارا إلى تافيلالت. ولما رجع المترجم إلى مكناس، بدل أن يفكر في لَمِّ شتات أنصاره، سلك سياسة الشدة فاعتقل عددا من الناس، وأمر قواده بتغريمهم، ونهب دورهم، حتى "لم يترك للكثير زرعا ولا ضرعا ولا درهما ولا دينارا"؛ والزمن زمن قحط شديد، وصفه ابن زيدان فقال : "وكانت سنة شهباء حصت كل شيء، مات فيها عدد عديد من الآدمي والدواب جوعا"، ومع ذلك لم يكف العبيد عن المطالبة برواتبهم، الأمر الذي جعل المترجم يقدم على النهب والسلب حتى ضاق الناس درعا. ولم يتوقف عند هذا الحد، بل بعث أخاه الوليد إلى فاس، وأمره بنهب أموال أعيان المدينة وأشرافها، ومصادرة أصولهم. فارتكب في سبيل ذلك تجاوزات كبيرة، حتى اتسعت الخروق على الراتقين، ظلت الحرب مشتعلة بين بقية أنصاره وأنصار المولى عبد الله، الشيء الذي ترتب عنه تفاقم الحال من اشتداد الفتن وعموم الغلاء وانتشار اللصوصية وانقطاع السبل. فضاقت على الناس الأرض بما رحبت، ولاسيما سكان فاس ومكناس الذين كابدوا مشاق الحصار والوباء في ذات الوقت. ولما توالت على جند المترجم الهزائم، اهتبل الثوار والمنتفضون الفرصة للانقضاض عليه. فثار كل من الباشا الحوات، وأحمد الريفي، والقائد الگلعي، واستولوا على مناطق سلطانهم. فضلا عن أن المولى عبد الله قد استولى على معظم الجهات الجنوبية.

وعلى الرغم من تفاقم الوضع فإن المترجم لم يرعو ؛ بل واصل ركوب رأسه، متماديا في ممارساته الرعناء، حتى لم يعد يسع الناس إلا الفرار من سطوة جنده. فاختلط الحابل بالنابل، وجارى الرعايا راعيهم فجاسوا خلال الديار بالنهب والسلب وقطع الطرق، كما أشار إلى ذلك إخباري معاصر حيث قال : "وكثر الفساد في الحاضر والباد، وعم جميع المغرب الغلاء.. وأكل القوي الضعيف.. وكثرت المنكرات، واشتد الخوف في الطرقات..". ولما كثر النهب والعيث، وانقطعت السبل، وساد الخوف ؛ ولم يكن بمستطاع المترجم أن يرتق الفتق، أقدم العبيد بزعامة الباشا الحوات على خلعه واعتقاله مع كبار رجال مخزنه ؛ ونادوا بالمستضيء سلطانا جديدا، صبيحة يوم الأربعاء 29 صفر 1151 / 1738. ولم يزل في عقاله إلى أن سرحه أخوه المستضيء في ثالث ربيع الأول من العام، وأمر بترحيله، منفيا، مع أسرته إلى تافيلالت. وبذلك انقطعت أخباره، حتى إن الإخباريين لم يسجلوا تاريخ وفاته.

وكانت أيام دولته، التي دامت عاما وسبعة أشهر وعشرين يوما، أيام نحس وبلاء، كما وصفها ابن زيدان فقال: "وكانت دولته.. كلها كسني يوسف، تجرعت الأمة المغربية فيها من الغصص والمحن والبلايا كئوسا دهاقا، وكان مضروبا على يده ليس له من السلطنة إلا الاسم..."

ابن موسى الريفي، *زهر الآكام* ؛ القادري، *نشر المثاني* ؛ *التقاط الدرر* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ الزياني، *الترجمان* ؛ الناصري، *الاستقصا* ؛ ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*.

T. Pellow, *Relation* ; B. Boutaleb [et al.], *Histoire du Maroc*.

أحمد عمالك

**محمد بن يوسف** (محمد الخامس)، هو السلطان المجدد والملك المفدى، بطل التحرير من الاستعمار ورائد النهضة المغربية في القرن العشرين، بويع له دون سابق وصاية له بولاية العهد يوم 18 نونبر 1927 وتوفي فجأة على إثر عملية جراحية على المسالك الأنفية يوم 26 فبراير 1961، فكان قائد الكفاح من أجل استرداد السيادة الوطنية إلى سنة 1955 ثم أشرف على وضع أسس المغرب المستقل إلى أن اختاره الله إلى جواره طيب الله ثراه.

ولد يوم 23 رجب 10 غشت 1909 من أمه السيدة الياقوت ولم يكن مقدما لخلافة والده السلطان المولى يوسف، فإنه كان أصغر أولاده الثلاثة، وكان المشار إليه بولاية العهد هو كبيرهم المولى إدريس. لكن سلطات الحماية، وفي طليعتها المقيم العام تيودور اسطيك Théodore Steeg ارتأت أن تؤخر المولى إدريس لسببين، أولهما ما كان يعرض لهذا الأمير من نوبات الصرع، والثاني رغبة الأوساط الاستعمارية وبعض الدوائر المخزنية، وفي مقدمتها الصدر الأعظم محمد المقري، في إبعاد الحاجب التهامي عبابو الذي كان من شأنه أن يحتفظ بوظيفته لو آل الأمر إلى المولى إدريس. فلما توفي المولى يوسف في فاس يوم 17 نونبر 1927 ، سافر التهامي عبابو على جناح السرعة إلى مراكش ليعود منها بولي العهد الذي كان خليفة والده في الأقاليم الجنوبية، وانقلب الأمير المذكور والحاجب راجعين إلى فاس. فلما حلا بمدينة الرباط صدر الأمر بتثقيف الحاجب عبابو وبإرجاع المولى إدريس إلى مراكش، ذلك لأن البيعة كانت قد انعقدت في تلك الأثناء في فاس لأصغر أبناء السلطان الراحل. وكان يدعى بسيدي حمادة ولا يتجاوز السنة الثامنة عشرة من العمر فنصر وبويع له باسم سيدي محمد بن يوسف، وهو في سن المراهقة، لا يعرف عن الدنيا إلا ما كان يلقنه من ذلك مربيه ومعلمه الأول الفقيه الجزائري محمد المعمري الذي أخذ عنه مبادئ التعليم الأولي بالعربية والفرنسية. وما كان الرأي العام المغربي إلا ليتوجس خيفة من مبايعة أمير لم يطرّ له شارب بعد، قدم على أخويه الأكبرين لغاية في نفس سلطات الحماية وليكون أداة طيعة في قبضتها، لاسيما وقد تمت تنحية الحاجب التهامي عبابو الذي كان شديد الحرص على ما تبقى من السيادة الوطنية. وبدا التخوف في محله في السنوات الأولى من العهد، إذ لم تمض إلا ثلاث سنوات على تربع سيدي محمد بن يوسف على العرش حتى خذلته السلطات الفرنسية بأن جعلته يوقع على ظهير 16 ماي 1930

المعروف بالظهير البربري، والذي كان يرمي إلى التفرقة بين القبائل الأمازيغية والقبائل العربية في البلاد بإخراج الأمازيغ من دائرة الشرع الإسلامي وحصرهم في القوانين العرفية في الابتداء وإحالتهم على المحاكم الفرنسية في الاستئناف. ولكن سرعان ما تبين أن تلك النقمة كانت تحمل في ثناياها كل النعم، ذلك بأن الظهير الجائر كان بمثابة الموقظ للضمير الوطني والحافز على توحيد الصفوف. فلقد عمت البلاد موجة من الاحتجاج واحتشد الناس في المساجد يقرؤون اللطيف. وهرع كبار العلماء والشباب الوطني الذي كان زعماؤه من سن السلطان يشتكون إليه من الظهير المشؤوم ويثيرون انتباهه إلى مخاطره. وكان ذلك من أول لقاءاته مع نخبة شعبه، فبكوا لديه وبكا معهم، وتعهد لهم بأن لا يضيع حق من حقوق الوطن من ثم فصاعدا. وحصل بينه وبين طليعة الحركة الوطنية من الوئام والتناغم والتحالف ما لم يكن في حسبان السلطات الاستعمارية التي كانت مصالحها تقضي بأن تبقى دائما هي الوسيط بين السلطان والرعية. وأصبح يوم 16 ماي من كل سنة يوم حداد واحتجاج وتمتين الروابط بين العرش والشعب. وأصدر السلطان ظهيرا في تلك السنة يأمر بإصلاح شؤون التعليم العالي في جامعة القرويين. كما أصدر الأوامر لمكافحة ما كان يشوه صورة الإسلام من تصرفات بعض الطوائف الغارقة في الشعوذة. هكذا كان الشعب المغربي قد جدد العهد مع عاهله وقرر الوقوف صفا واحدا وراءه مثلما أن العاهل كان قد لمس عن كثب مدى تمسك شعبه بشخصه وبأهداب العرش العلوي المجيد. وتبلورت هذه الوشائج المجددة في إقدام بعض الشباب الوطني يوم 18 نونبر من سنة 1933 على الاحتفال بالذكرى السادسة لتربع سيدي محمد على العرش، بل قررت الحركة الوطنية أن يصبح ذلك عيدا وطنيا تعبر فيه الجماهير عن ولائها وإخلاصها لعاهلها الذي صار من يومئذ ملكا على ألسنتها ويعبر العاهل في خطاب ذلك العيد عن حرصه على إنجاز ما يتطلع إليه الشعب. ووجدت سلطات الحماية نفسها مضطرة إلى مسايرة التيار الوطني حتى لا تحمل سيدي محمد على النفور منها إن هي عارضت في ترسيم العيد الوطني. وألزم سيدي محمد المقيم العام هانري بونصو Henri Ponsot بأن يصحح ظهير 16 ماي 1930 بظهير 24 أبريل 1934 الذي أماط ما كان يمسّ بوحدة العقيدة الإسلامية في البلاد وبوحدة الصف الوطني. وجاء سيدي محمد إلى فاس في ربيع 1934 وجرت بالمناسبة من المظاهرات الشعبية نصرا له وترحيبا بمقدمه ما أزعج السلطات الفرنسية واضطرها إلى إرغامه على العودة إلى الرباط على وجه الاستعجال بدعوى الخوف على سلامته من الهيجان الشعبي. وفي نهاية تلك السنة استقبل السلطان قادة الحركة الوطنية الناشئة الذين تقدموا لديه بدفتر المطالب الوطنية، حرر لفضح ما آل إليه نظام الحماية من تسخير خيرات المغرب للأقلية الاستعمارية الدخيلة وترك الجماهير المغربية تعاني من الحرمان في عقر ديارها. وكان ذلك تجديدا للاعتراف بسيدي محمد قائدا أسمى للحركة الوطنية، التي سرعان ما أدت بها معاركها وانتصاراتها وهزائمها الأولى في ثلاثينات القرن العشرين إلى الانشقاق إلى حزبين، الحزب الوطني والحزب القومي، مما مكن سلطات الحماية وعلى رأسها يومئذ الجنرال شارل نوكيس Charles Noguès من قمع الحزبين ونفي زعيميهما علال الفاسي في الگابون ومحمد بن الحسن الوزاني في الصحراء، والزج بكبار المناضلين في غيبات السجن (خريف 1937 ). وساعده على فعلته تلك أن كان الملك يمر بوعكة صحية عصيبة ألزمته الخضوع إلى عملية جراحية في الشهور الأخيرة من تلك السنة خيف منها على حياته. ولكنه خرج منها مشافى معافى لما أعدته القدرة الإلاهية له من قيادة الشعب المغربي إلى الانعتاق من الحجر الاستعماري. وهكذا كان ليلة اندلاع الحرب العالمية الثانية قد أنهى تكوينه السياسي وصار واعيا بكل ما عليه من الواجبات وما للدولة المغربية التي هو رمزها من حقوق بعد أن ألبسها لباس الرقي والحداثة دون التفريط في الأعراف والأصول. ومن أنصع العلامات على ذلك الكيفية التي سهر بها على تربية ما تنسل منه من البنين والبنات وعلى رأسهم بكره ووارث سره وولي عهده المولى الحسن (الحسن الثاني ملك المغرب بعده) تربية تراعي الأصالة والحداثة ولا فرق فيها بين الذكور والإناث، وأنشئت مدرسة خاصة بتعليم الأمراء والأميرات فضرب سيدي محمد بذلك المثل لشعبه الذي صار أفراده يتبارون في إنشاء المدارس الحرة وتدارك تلكؤ سلطات الحماية في نشر التعليم في صفوف المغاربة. قال سيدي محمد في بعض خطبه "فلا يهدأ لنا بال حتى يعم التعليم كل البقاع المغربية" وباكتمال صورة الملك المجدد في العشرية الأولى من عهده اكتمل أيضا أسلوبه في العمل، وهو أسلوب القائد البصير المتبصر الذي يعي ما يريد ويرى الغاية المنشودة ويدرك أن لا سبيل إليها إلا بالصبر والمصابرة، وأن المطالبة بالحقوق لا تلغي واجبات المحاباة والعرفان بالجميل. ولذلك لم يتردد في الإعلان عن وقوف المغرب برجاله وخيراته إلى جانب فرنسا عندما غزت الجيوش الألمانية ترابها وجرّعتها مرارة القهر والاحتلال. وكان لذلك أثر كبير في قدرة الدولة الحامية على الصمود في وجه العدوان النازي. وترتب عليه تغيير حتمي في ميزان التعامل بين الحامي والمحمي. وانطلقت إذن مرحلة ثانية من عهد هذا الملك.

ولئن كانت المرحلة الأولى مرحلة تعلم المسؤولية الوطنية فإن عقد الأربيعنات والسنوات الأولى من الخمسينات كانت مرحلة الانتقال إلى العمل كفاحا من أجل الانعتاق واسترجاع السيادة. ولقد وفق سيدي محمد في استغلال ما أتاحته تقلبات الحرب العالمية من الظروف. فإنه رحب بنزول الأساطيل الأمريكية على الشواطئ المغربية خلافا لما ذهب إليه المقيم العام الجنرال نوكيس الذي رام مقاومة القوات

النازلة عبثا. ثم إن الملك التقى بالرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت Franklin Roosevelt لدى اجتماع أقطاب التحالف الأطلسي في الدار البيضاء بفندق أنفا (يناير 1943). ولم يفته أن يفاتح الرئيس الأمريكي بشأن تطلعات المغرب إلى الحرية وإلى حقه في الاستفادة من مقتضيات الحلف بما قدم هو كذلك من التضحيات. وتحركت النخبة الوطنية مسايرة لملكها، وأنشئ حزب الاستقلال (الحزب الوطني سابقا) وحزب الشورى والاستقلال (الحزب القومي سابقا). وبادرا كلاهما بتحرير عريضتين تطالبان بالاستقلال، عريضة حزب الاستقلال بتاريخ 11 يناير 1944 وعريضة حزب الشورى والاستقلال بتاريخ 14 منه، قدمتا للملك الذي كان ينتظرهما فهو الذي أوحى بوضعهما، وللمقيم العام وهو يومئذ كابريل بووه Gabriel Puaux الذي فوجئ تمام المفاجأة واعتبر المبادرة مسا بسلامة فرنسا وطعنا لها من الخلف في لحظة المعركة الحاسمة مع الخصم الألماني. وبالرغم من إقدام الحزبين على تفنيد تلك المزاعم وعلى تجديد تضامن المغاربة مع الحلفاء ومع فرنسا إلى أن يتم النصر، فإن المقيم العام أراد أن يقمع الحركة الوطنية المغربية وهي لاتزال في طور النشأة الأولى، كما أراد أن يعيد إلى ذهن الملك سيدي محمد بأن الدولة الحامية في طور استرجاع كامل نفوذها والجبروت. فأمر بإلقاء القبض على كبار زعماء الحركة الوطنية في الرباط وفاس، فثارت ثائرة الجماهير المغربية التي لم تكن لتستسيغ الدفاع عن الحرية في فرنسا وإقبارها في المغرب. فخرجت متظاهرة في الشوارع محتجة فتعرضت للقمع والتقتيل. وكانت الغاية الكبرى من ذلك إرغام الملك على التنصل من الوطنيين وكبت كل التطلعات التحررية لديه. وقد ألزمه المقيم العام المذكور بالتخلي عن بعض وزرائه من أمثال محمد بن العربي العلوي وأحمد برگاش لكونهما من حملة الفكر الوطني. ولكن سيدي محمد كان كالقصبة الواعية التي تلين ثابتة وتميل صامدة. وقد أدرك ذلك منه رئيس الحكومة الفرنسية المؤقتة يومئذ الجنرال دي كول الذي أبى إلا أن يعتذر عما صدر من القمع في يناير 1944، فاستقبل سيدي محمد استقبالا حافلا في فرنسا في يونيه 1945 ووشحه بوسام رفيق التحرير وهو وسام لم ينعم به إلا على سيدي محمد وعلى الوزير الأول البريطاني ونسطن تشورشيل. وانتهز الملك الفرصة ليطالب بعزل المقيم العام كابريل بووه. وتمّ له ذلك في مارس 1946 إذ أسندت الإقامة العامة لإيرك لابون Eirik Labonne الذي حل بالرباط ببرنامج إصلاحي يتضمن النهوض بحركة التصنيع في المغرب على أساس إشراك المغاربة في كل المقاولات ومحاربة الأمية والعناية بالطبقة العاملة المغربية، وإشراك المغاربة والجالية الفرنسية الدخيلة على حد سواء في تسيير الشأن العام على كل المستويات، وذلك تمهيدا لإلحاق المغرب بالاتحاد الفرنسي الذي تصورته الدولة الفرنسية حلا كفيلا بردع الحركات التحررية في مستعمراتها. وأدرك سيدي محمد ومن ورائه الأحزاب الوطنية ما كان في تلك الإصلاحات من المخاطر. فرفضتها الأحزاب، وعبر الملك عن الموقف الوطني في خطاب ألقاه في طنجة يوم 9 أبريل 1947 ذكر فيه بأن المغرب دولة إسلامية عربية إفريقية موحدة الأطراف رغم الاستعمار، تواقة إلى استرجاع سيادتها ووحدتها الترابية، موحيا برفض الانخراط في الاتحاد الفرنسي، ومتناسيا تقديم عبارات الشكر المعهودة للدولة الحامية في الخطب الرسمية. وسبب إغفال ذلك أن الأوساط الاستعمارية كانت ناقمة على المقيم العام إيريك لابون لكونه سمح للملك سيدي محمد بزيارة طنجة التي كانت بمثابة استنفار للصفوف الوطنية قبل المعركة الأخيرة، فحاولت الحيلولة دونها ودبرت لمجزرة في الدار البيضاء ذهب ضحيتها ما لا يحصى من المغاربة العزل على يد فرقة من المرتزقة السودان من الجيش الفرنسي الذين خلى ضباطهم الفرنسيون بينهم وبين إشباع نهمهم من إراقة الدماء (7 أبريل). وكان المقصود من ذلك ثني الملك عن الرحلة إلى المنطقة الخليفية وإلى طنجة. لكنه مضى في أمره ورد بالخطاب المدوي المومأ إليه. ونجحت الدوائر الاستعمارية مع ذلك في إقالة المقيم العام إيرك لابون وعوضته بالجنرال ألفونص جوان Alphonse Juin الذي حل بالرباط بمهمة واحدة لا ثاني لها، فإما أن يطوّع الملك الوطني وإما أن يعزله عن العرش على اعتبار أنه مدين للدولة الحامية بالبيعة. فابتدأت معركة التحرير الحاسمة، يعوّل فيها أقطاب الحماية على تفوقهم الاقتصادي والعسكري، ويستند الملك والوطنيون فيها على عدالة قضيتهم وعلى تكاثر صفوفهم وقوة إيمانهم. وظل سيدي محمد يفضل العمل الديبلوماسي والتباحث مع المسؤولين الفرنسيين في باريس التي سافر إليها في خريف 1950 متقدما بمذكرة تثير انتباههم إلى ضرورة فتح مفاوضات بشأن مراجعة عقد الحماية، تفاديا لما لا تحمد عقباه من القلاقل وصونا للصداقة بين الشعبين. ولكن الأوساط الاستعمارية كانت قد صممت العزم على التخلص من ملك خيّب كل ما كانت تنتظر منه. وصارت تهاجمه من كل جهة وبكل وسيلة وإن كانت في تمام الدناءة مثل المناشير التي وضعت ووزعت بأمر الكلونيل ليكونط Lecomte مدير الشؤون الداخلية سنة 1948 للنيل من شرف الملك والأسرة المالكة. وأطلقت الألسن والأقلام للتنديد بامتناع الملك عن التوقيع على الإصلاحات المقترحة من قبل الجنرال جوان والتي تقضي بتجريده من بعض سلطاته لإسنادها لمجلس حكومي مختلط بين الفرنسيين والمغاربة يترأسه الصدر الأعظم الذي كان من الطيعين لأوامرهم، وتقضي من جهة أخرى بانتخاب مجالس بلدية يكون فيها للأقلية الاستعمارية من النواب مثلما يكون للأغلبية المغربية صاحبة البلاد. وما كان الملك الوطني ليقبل لشعبه أن يشاركه في السيادة شرذمة من المعمرين الدخلاء. ولما ظل يرفض التوقيع على الظهائر المعدة لهذه الغاية، فإنه رمي بأنه "سلطان فيودالي"ومستبد من الطراز القديم ولا يريد

لشعبه أن ينعم بالأنظمة الديموقراطية. وسفّه الملك تلك المزاعم في خطاب العرش سنة 1951 قائلا : "إن أفضل حكم ينبغي أن تعيش في ظله بلاد تتمتع بسيادتها وتمارس شؤونها بنفسها لهو الحكم الديمقراطي الذي يوافق ديننا الحر ويضمن للأفراد والجماعات حياة الطمأنينة والاستقرار. وإننا ما زلنا على مبدئنا ثابتين، وفي تحقيقه جادين، إيمانا منا بأن هذا النظام هو الذي يكفل لرعايانا أقصى ما يمكن من حرية وعدل وكرامة". وذهب الحال بالمقيم العام الجنرال جوان إلى تدبير محاولة أولى لعزله عن العرش في فبراير 1951، ذلك بأنه أمر بنقل مجموعة من القبائل الأمازيغية إلى الرباط مدعيا أنها جاءت من تلقاء نفسها تطالب بعزل سلطان أضحى سلطان حزب الاستقلال. ولكن الحكومة الفرنسية لم تساير المقيم العام في هذه المحاولة الأولى، لاسيما وأن الجنرال جوان اضطر إلى مغادرة منصبه في الرباط، وإن تمكن من فرض الجنرال أوكوستان كيوم Augustin Guillaume خلفا له. وما أن حل هذا المقيم العام بالرباط حتى صار يتوعد الوطنيين بإلقامهم التبن والملك سيدي محمد بالعزل إن هو ظل يمتنع عن إمضاء مشاريع الإصلاح المزعوم. ولم تمض سنة على تعيينه حتى جرت مجزرة أخرى في الدار البيضاء في حي الكاريير سانترال قتل فيها أيضا ما لا يحصى من المغاربة العزل وزجّ في السجن بجميع قادة حزب الاستقلال، وذلك لا لشيء سوى لإضراب شنته الجماهير المغربية يوم 8 دجنبر 1952 احتجاجا على مقتل الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد وتضامنا مع الإخوة التونسيين. وظن الجنرال كيوم أنه تخلص من الوطنيين، وأنه جعل الملك سيدي محمد بين خيارين لا ثالث لهما فإما أن يمتثل لأوامره وإما أن يعتزل أو يعزل عن العرش. وتجددت المؤامرة في مطلع سنة 1953 بمثل ما سارت عليه قبل سنتين. وقيل افتياتا وافتراء بأن البوادي المغربية المخلصة للدولة الحامية بقيادة التهامي الگلاوي باشا مراكش ثارت على الملك وتريد مبايعة سلطان جديد مثلما ثار عليه كبار العلماء بقيادة شيخ الزاوية الكتانية عبد الحي الكتاني الذي صار يترأس التجمعات هو والتهامي الگلاوي لنسج خيوط المسرحية التي انتهت يوم 20 غشت من تلك السنة، وكان يوم عيد الأضحى، بعزل سيدي محمد ظلما وعدوانا ونقله هو والأمراء والأميرات إلى المنفى في جزيرة كورسكا أول الأمر ثم إلى جزيرة مدغشقر بعد حين. ولكن ما أن فعلت سلطات الحماية فعلتها تلك حتى ثار عليها الشعب المغربي ثورة عارمة دامت سنتين وزيادة، أطلق عليها عن جدارة ثورة الملك والشعب بما ظهر من صمود الملك في منفاه واستماتته في المطالبة بالاستقلال وما ظهر من بطولة أبناء الشعب الذين انخرطوا أفرادا وزمرا في صفوف الفداء المسلح في المدن أول الأمر ثم في صفوف جيش التحرير في الجبال والأوعار شمالا وجنوبا. فاضطرت الحكومة الفرنسية إلى التفاوض مع الملك في منفاه ومع القادة الوطنيين بعد أن أطلق سراحهم. ونقل الملك سيدي محمد إلى فرنسا وأعلن عن فتح المفاوضات بين الدولتين إعدادا لإعلان استقلال الوطن. وعاد الملك معززا مكرما إلى وطنه وإلى عرشه يوم 16 نونبر 1955 ليلة الذكرى الثامنة والعشرين لتربعه على العرش فكان يوما مشهودا، وكان منطلق آخر شوط من أشواط هذا العهد الحافل في تاريخ المغرب المعاصر.

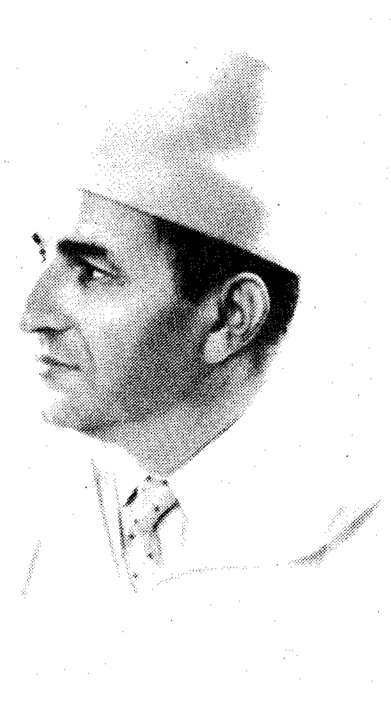

وإذا كانت هذه المرحلة الأخيرة من عهد سيدي محمد بن يوسف لاتتجاوز ست سنوات، فلعلها كانت أكثر كداً وعطاء من العقود السابقة، التي قال عنها الملك، الذي تقرر رسميا بعد الاستقلال أن يحمل اسم محمد الخامس، في أول خطاب لشعبه بعد عودته من المنفى بأنها كانت أيام الجهاد الأكبر جاءت بعد أيام الجهاد الأصغر، فلا مناص من مزيد من الاستنفار ولا بد من شحذ الهمم، إذ الإطاحة بنظام الحماية كان أمرا يسيرا على ما تطلب من جسيم التضحيات بالنظر إلى مهمة بناء دولة الاستقلال وتجديد صرح أدوات الحكم واستثمار الخيرات على قدم المساواة بين المغاربة مع إشراكهم في تدبير الشأن العام بعد ما أبلوا البلاء الحسن في تحريرها. وانكب محمد الخامس بنفس ما جبل عليه من اللباقة والصبر والأناة يضع اللبنات الأساسية لهذه الأوراش. فأقام الحكومات الأولى من الأحزاب الوطنية ومن الشخصيات المعروفة بتفانيها في حب الوطن وإن لم تكن متحزبة فكانت خير معين له على إنجاز مشاريع الجهاد الأكبر. وتعهد لشعبه بأن يحول نظام الحكم في المغرب إلى نظام ملكي دستوري وبادر في انتظار ذلك إلى إقامة مجلس وطني استشاري

موقت تختبر فيه أساليب الحكم اللائقة بشعب متحرر. قال في افتتاحه يوم 12 نونبر 1956 "إن تأسيس هذا المجلس لحدث عظيم بالنسبة لبلادنا بل إنه من أهم الأحداث التي تمت في عهد الاستقلال، ونحن لا ندعي له أكثر من كونه خطوة أولى نحو الهدف المنشود. أما الهدف الذي لن ندخر جهدا في العمل على إبلاغ شعبنا إليه فهو حياة نيابية بالمعنى الصحيح تمكن الشعب من تدبير الشؤون العامة في دائرة ملكية دستورية تضمن المساواة والحرية والعدل للأمة أفراداً وجماعات حتى يتم بذلك خلق ديموقراطية مغربية بناءة تتفق مع ديننا الحنيف الذي جعل الناس سواسية كأسنان المشط". ثم تعهد يوم 8 ماي 1958 بالسهر على بناء هذا النظام قائلا : "وقد آن لنا أن ندخل في طور جديد من حياتنا الوطنية، وذلك بإقامة مؤسسات سياسية ودستورية يستطيع شعبنا الوفي بفضلها أن يشارك مشاركة مباشرة في تسيير الشؤون العامة ليكون للاستقلال الذي كافحنا وضحّينا جميعا من أجله مدلوله الحق، ألا وهو تشيد نظام ديمقراطي طالما نشدناه وأشدنا به في عدة مناسبات...". كما صدر في نونبر 1958 ظهير يعلن الحريات الأساسية العامة مثل حرية التجمع والنشر والتنقل. وسهر الملك على إنشاء أدوات السيادة الوطنية المسترجعة، فأقيمت شبكة ديبلوماسية واسعة مع الإخوة العرب ومع الأصدقاء والشركاء. وبدا محمد الخامس من كبار زعماء العالم العربي والقارة الإفريقية التي كان له الفضل في إنشاء المنظمة الموحدة لصفوفها. وأحدثت القوات الملكية المسلحة وما إلى ذلك من درك ومن شرطة بصفة كونها أدوات السيادة بامتياز، وانخرطت فيها بحماس جل فرق الفداء وجيش التحرير، مما مكّن من محو الحدود المصطنعة التي ظلت طيلة فترة الحماية توزع المغرب إلى منطقتين، واحدة تابعة لفرنسا والأخرى تابعة لإسبانيا، وتجلى ذلك بأروع ما تجلى في بناء طريق الوحدة الرابطة بين تاونات جنوبا وكتامة شمالا. وأقيمت سكة نقدية وطنية مبنية على الدرهم ومنفصلة عن الفرنك الفرنسي، يتتبع رواجها بنك المغرب الذي أعيد تنظيمه وشرع في إقامة شبكة من الأبناك حذاءه، عمومية وخصوصية للنهوض بالاستثمار الوطني. وتقرر إيلاء منتهى العناية بشؤون التعليم التي رسم لها مخطط قام على أربعة مبادئ هي التعميم لمحو الأمية والتوحيد لتكون المدرسة الوطنية مدرسة واحدة، والتعريب لأن العربية هي لغة البلاد الرسمية والمغربة ليكن أمر إعداد النشء الصاعد بيد أبناء الوطن دون سواهم. وفتحت هذه الأوراش كلها وانكب الجميع يعمل لبناء الدولة المجددة بحماس وانتظام، إلا ما كان من ثورة عامل تافيلالت عدي أوبه سنة 1957، وثورة قبلية في جبال الريف سنة 1958، تصدت لها القوات الملكية المسلحة بمنتهى الحزم وأطفأت لهيبها مذكرة بأن عهد القلاقل القبلية قد ولى، وأن الحياة السياسية ينبغي أن تدور من ثم فصاعدا على الأحزاب والمجالس والتناوب على الحكم. وقد أنشئ حزب جديد تحت اسم الحركة الشعبية بقيادة السيد المحجوبي أحرضان والدكتور عبد الكريم الخطيب سنة 1957. وانقسم حزب الاستقلال على نفسه سنة 1959، وتولد عنه تيار يساري تحت اسم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية يضم مناضلين من باقي الأحزاب الوطنية وأعضاء من جيش التحرير والاتحاد المغربي للشغل المنظمة النقابية الوطنية. وكان ذلك إشارة باستحالة تنظيم الحياة السياسية في المغرب على أساس الحزب الواحد. وجرت أول انتخابات بلدية وقروية في ربيع 1960، تمهيدا لإعلان الدستور وإجراء الانتخابات الوطنية العامة. ولكن القدرة الإلاهية لم تمهل محمدا الخامس حتى يقف بنفسه على ذلك، ذلك بأنه ألزم بالخضوع لعملية جراحية على المسالك الأنفية يوم 26 فبراير 1961، فتوفي فجأة بين أيدي الأطباء. وتلقى الشعب المغربي ومعه الرأي العام الدولي موته مثلما تتلقى الرزايا الكبرى. ووُوري مثواه الأخير في ضريح يحمل اسمه بجوار صومعة حسان في الرباط مشيعا من قبل الجماهير المغربية التي لم تنس أنها كانت تراه في القمر يوم كان منفيا في مدغشقر. ولم يخفف من لوعة فقدانه سوى اليقين بأنه خلّف على رأس البلاد ولي عهده ورفيق نضالاته أيام الاستعمار وفي سنوات الاستقلال الأولى ووارث سره الملك الحسن الثاني رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته.

محمد الرشيد ملين، *نضال ملك*، المطبعة الملكية، 1956 ؛ قاسم الزهيري، *محمد الخامس الملك البطل*، الرباط، 1984 ؛ أبو بكر القادري، *محمد الخامس، ملامح من حياته وصور من جهاده*، الدار البيضاء، 1995 ؛ محمد الناصري، *رحلة محمد الخامس إلى طنجة 9 ـ 13 أبريل 1947*، رسالة دكتوراة مرقونة، كلية الآداب، 2005، الرباط.

Daniel Rivet, *Le Maroc de Lyautey à Mohammed V, le double visage du protectorat*, Denoel, 1999 ; Salma Lazraq, *La France et le retour de Mohammed V*, L'Harmattan, 2003 ; Dubois-Roquebert, *Mohammed V et Hassan II, tels que je les ai connus*, Casablanca, 1903.

إبراهيم بوطالب

**المحمدي، إدريس** رجل دولة من الطراز العالي معرفة وكفاءة وسياسة واستقامة. ولد بمكناس سنة 1912. وتلقى تعليماً تقليدياً من البداية ثم مارس التعليم العصري وكان متوقد الذكاء، نابغاً نبيهاً فحصل على شهادة عليا في القانون أهلته لمزاولة المحاماة فكان من أكبر المحامين في مدينة مكناس، وأصبح مكتبه مقصد المتقاضين خاصة المستضعفين والمظلومين يدافع عنهم بالمجان. انخرط في الحزب الوطني، فكان يتعاون مع مسيري فرع مكناس ويقوم وإياهم بالدعوة الوطنية في وسط سكان الأطلس المتوسط حيث كانت وفودهم ترد إلى مكناس. وكان رئيساً للكشفية الحسنية نظمها وسهر عليها وكانت له مواقف مشهودة ضد هيمنة الكشفية الفرنسية عليها.

أسهم في تحرير وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال وكان من الموقعين عليها وممن ألقي عليه القبض.

كما واصل أعماله الوطنية في مدينة مكناس إبان الأزمة المغربية ـ الفرنسية بتعاون مع اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال وتنسيق مع جلالة محمد الخامس. وأثناء قمع الحركة، في آخر سنة 1952 اعتقل وأبعد إلى بوذنيب ثم اغبالو نكردوس مع طائفة كبيرة من كبار قادة حزب الاستقلال أولوه رئاسة جماعتهم. وظلوا مدة سنتين إلى أن انفرجت الأزمة.

بعد إعلان الاستقلال عينه جلالة محمد الخامس وزيراً من جملة أربعة وزراء دولة اختارهم تكريماً لشخصيتهم المتميزة وتقديراً لمكانتهم. وقد أبان عن كفاءة نادرة وإدراك عميق للمسؤولية وحنكة إدارية أهلته لتبوإ وزارة الداخلية في ظروف صعبة مرت على البلاد خلال فترة انتقال من وضع الاستعمار إلى مجال الاستقلال. وأصبح من أكبر مساعدي الملك الحسن الثاني في تدبير شؤون الدولة وإرساء الأمن في ربوعها إبان قيام قلاقل أثارها خصوم الاستقلال. وتولى كذلك الشؤون الخارجية. قبل أن يعينه الملك رئيساً لديوانه. وكان من أكبر الساسة وأقدرهم على تصريف الشؤون بمنتهى الحزم والاستقامة، تعينه على ذلك قوة شخصيته وما جبل عليه من حس إنساني وسعي دائب لخدمة الصالح العام. وقد فرض نفسه على الجميع بهذه الخصال الفريدة، فكان من أوفى خدام المملكة في مستهل عودة استقلالها.

وافاه الأجل وهو في أعلى قمة المسؤولية مديراً لديوان الملك الحسن الثاني في فبراير 1969 بباريس حيث أجريت له عملية جراحية.

قاسم الزهيري

**المحمدي، عبد السلام** بن مولاي **الكبير** بن إدريس العلمي محمدي. ولد بقصبة سيدي سعيد بمكناس سنة 1950. ظهر نبوغه في بداية مسيرته الدراسية، فطوى مراحل التعليم طياً، وحصل على الإجازة في الأدب العربي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس سنة 1972.

انخرط في سلك التعليم، فعمل على التوالي أستاذاً للغة العربية بثانوية مولاي يوسف، وثانوية الإمام الغزالي والمركز التربوي الجهوي، ليلتحق ـ بعد ذلك بسلك تكوين المكونين بفاس حيث نال شهادة الدراسات الجامعية العليا. وفي عام 1986 ناقش دبلوم الدراسات الجامعية العليا في موضوع "مفهوم الأدب عند توفيق الحكيم"، ثم عاد ـ من جديد ـ إلى سلك التعليم، فعين أستاذاً بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس حيث عهد إليه تدريس مادة الأدب العباسي، وأشرف على بحوث طلبة الإجازة.

كان المترجم طوال حياته في سلك التعليم مثالا للأستاذ المخلص المتفاني في العمل. تألق نجمُه في فضاءات المؤسسات الثقافية أستاذاً ومحاضراً ومربياً وموجهاً. وكان أبيّ النفس، أنوفا، جمَّ التواضع. هادئ الطبع، كما كان حلو النكتة، ليّنَ المعشر.

له إسهامات في مجال الكتابة والإبداع نثراً وشعراً، وقد نشر بعضها في جرائد ومجلات وطنية ومحلية، من بينها مجلة "*البعث الثقافي*"، وجريدة "*العلم*" وجريدة "*الاتحاد الاشتراكي*"، وجريدة "*ابن البلد* ". كما نشرت دراسته حول" *مفهوم الأدب عند توفيق الحكيم*" ضمن منشورات جامعة المولى إسماعيل بمكناس.

توفي ـ مأسوفا عليه ـ بمنزله إثر تعرضه لحادث أفقده الوعي أياما، ثم لفظ نفسه الأخير يوم 19 مارس 1998.

*مجلة البعث الثقافي*، ع 2، أكتوبر، 1980، ص. 66، إصدار جمعية *البعث الثقافي* بمكناس ؛ *جامعة المولى إسماعيل*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، 2000.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**المحمدية**، من المدن المغربية العصرية التي نمت في فترة تاريخية وجيزة، إذ انتقلت من مجرد قصبة يقطنها عدد محدود من الأسر قدر بحوالي 250 أسرة في بداية القرن العشرين إلى مدينة صنفت بعد إحصاء سنة 1982 ضمن المدن الكبرى بالمغرب بحكم تجاوز عدد ساكنتها لعتبة 100.000 نسمة.

I ـ عوامل النمو السريع لمدينة المحمدية

1 ـ أهمية الموقع الجغرافي والبنيات التحتية

تكمن وراء النمو السريع لمدينة المحمدية عدة عوامل نذكر منها بصفة خاصة :

ـ موقع المدينة المتميز ضمن الواجهة الأطلنتيكية الوسطى التي أصبحت منذ الفترة الإستعمارية المنطقة الأكثر دينامية على الصعيد الوطني سواء من الناحية الاقتصادية أو الديمغرافية أو الاجتماعية أو العمرانية...

ـ استفادة المدينة من بنيات تحتية طرقية تعتبر الأكثر تطورا بالمغرب سواء فيما يتعلق بالطرق المعبدة (خاصة الطريق السيار والطريق الوطنية) أو السكة الحديدية التي تؤمن الربط السريع ولاسيما بين القنيطرة والدار والبيضاء وبمطار محمد الخامس (الذي يبعد عن المحمدية بحوالي 50 كلم) والذي يتيح إمكانيات الاتصال السريع بالعالم الخارجي، ثم بالإضافة إلى ذلك تتوفر المحمدية على ميناء

بترولي ظل يعرف تطورات مستمرة منذ الدخول الرسمي للاستعمار الفرنسي إلى المغرب سنة 1912 وإلى الفترة الراهنة.

- قرب المدينة من أكبر قطب اقتصادي بالبلاد ونعني به الدار البيضاء.

- ثم إن المحمدية تعتبر على الصعيد الوطني حالة نادرة بالنظر إلى كونها المدينة التي عرف فيها النشاط الصناعي حركية متنامية فاقت نظيراتها في ميدان العمران وذلك منذ أن كانت مدينة صغيرة قبل الاستقلال. وكان ذلك من العوامل الأساسية التي ساهمت بقدر كبير في جلب - عبر فترات متلاحقة - أفواج المهاجرين للاستقرار بها أملا في الحصول على عمل خاصة بالقطاع الصناعي، مما أدى إلى تسريع وتيرة النمو الديمغرافي في هذه المدينة ولا سيما بعد الاستقلال.

2 - نمو ديمغرافي بإيقاع سريع

تطور عدد سكان المحمدية بين سنة 1900 وسنة 2000

| السنوات | العدد الإجمالي للسكان |
|---|---|
| 1900 | 250 (تقدير) |
| 1921 | 923 |
| 1936 | 10.119 |
| 1952 | 25.247 |
| 1960 | 35.010 |
| 1971 | 70.392 |
| 1982 | 105.120 |
| 1994 | 170.063 |
| 2000 | 200.000 (تقدير) |

يظهر من خلال المعطيات الكمية السالفة بأن العدد الإجمالي لسكان مدينة المحمدية تطور من حوالي 250 نسمة في مطلع القرن العشرين إلى أزيد من 170.000 نسمة حسب نتائج إحصاء 1994، علما بأن تقديرات سنة 2000 تفيد بأن عدد سكان المدينة يناهز 200.000 نسمة، الأمر الذي يبين بوضوح بأن النمو الديمغرافي بالمحمدية تم وفق إيقاع متسارع، خاصة مع انطلاق عقد الستينيات من القرن العشرين، فقد بلغت نسبة الزيادة السنوية المتوسطية 6,6٪ بين 1960 و1971 ثم 4,1٪ بين 1982 و1994، ويعود القسط الأوفر من هذه الزيادة إلى عامل الهجرة، فخلال المدة الفاصلة بين إحصاء 1960 وإحصاء 1970 حدد معدل حصيلة الهجرة السنوية بمدينة المحمدية في 1880 فردا ليقفز إلى 3700 فرد ما بين 1982 و1994. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الهجرة نحو المحمدية كانت قبل عقد الثمانينيات تنطلق أساسا من الأرياف وخاصة المجاورة. لكن بعد ذلك أصبحت الجاذبية الديمغرافية للمدينة تتسع تدريجيا، فقد نما تيار هجري حديث نحو المحمدية ينطلق أساسا من المدن، فأثناء إحصاء سنة 1971 شكلت نسبة السكان المزدادين في البادية 66,2٪ من مجموع سكان المحمدية وفي إحصاء 1982 تراجعت نفس النسبة إلى 36٪ ثم إلى 31٪ سنة 1994 لصالح الوافدين من مختلف المدن المغربية. ويندرج هذا التحول النسبي في الأصل الجغرافي للمهاجرين إلى المحمدية في سياق مجموعة من المستجدات وعلى رأسها: تقوية الوظيفة الإدارية للمدينة بترقيتها إلى عمالة سنة 1981 وخلق نواة جامعية سنة 1984 وانتهاء أشغال توسيع الميناء سنة 1987. وموازاة مع التوسع التدريجي لتيار الوافدين على مدينة المحمدية ظهرت مشاكل على صعيد النسيج العمراني للمدينة ومن ثم كذلك مشاكل على مستوى تنظيم وتدبير مجالها الحضري.

II - المراحل الكبرى للتطور الصناعي والعمراني للمحمدية

1 - مرحلة 1900 - 1940

قبل سنة 1961 كانت المحمدية تدعى بفضالة، وفضالة في بداية القرن العشرين كانت عبارة عن قصبة على هيأة مربع بمساحة إجمالية تقدر بحوالي خمسة هكتارات، وكانت تضم مخازن كبرى للحبوب شيدها سنة 1773 السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي أمر كذلك ببناء مسجد القصبة. كما كانت فضالة تتميز بسوقها الأسبوعي الذي كان يقصده أساسا سكان قبيلة زناتة يوم الأحد.

ومع فرض نظام الحماية على المغرب سنة 1912 تمكنت أسرة فرنسية من أهل المال والأعمال تدعى أسرة "هرسنت" (Hersent) من اقتناء مساحة شاسعة من الأراضي على الشريط الساحلي والتي كانت بحوزة أسرة ألمانية معروفة بأسرة "مانسمان" (Mannesman) التي وجدت نفسها مضطرة لمغادرة المغرب بعد اتفاقية 4 نونبر 1911 بين ألمانيا وفرنسا بسبب الحرب بين ألمانيا وفرنسا، وهي الاتفاقية، المتعلقة باقتسام مناطق النفوذ بإفريقيا، فبعد اقتناء هذه الأراضي على الساحل قررت أسرة "هرسنت" منذ سنة 1913 الشروع في تجهيز ميناء فضالة ليصبح قابلا لاستقبال بعض السفن الصغرى للشحن والصيد وهذا الميناء سيلعب دورا أساسيا في تنشيط حركة التصنيع والعمران، إذ ظهرت حول هذا الميناء النواة الأولى للصناعة بالمدينة على هيئة نطاق صناعي ضم في البداية مصنعا للثلج وبعض الوحدات المتخصصة في الصناعات الغذائية وأخرى في صناعة مواد البناء، وبالموازاة مع هذا النطاق الصناعي الأول وبجواره ظهرت المدينة الأوربية على شكل عمارات ومساكن راقية "وفيلات" تتخللها مجالات خضراء واسعة وساحة مركزية حول الكنيسة و"الكازينو". وفي نفس الوقت ظهرت بعض الدور الصفيحية بجوار القصبة والتي ستتحول فيما بعد إلى ما يدعى اليوم: ديور القراعي وديورالكرم وديور دكالة... كما ظهرت بعض المنازل بزنقة سوس، وستستمر هذه الوضعية إلى بداية الحرب العالمية الثانية لتشهد فضالة مرحلة جديدة من التوسع الصناعي والعمراني.

2 - مرحلة 1940 - 1955

اتسمت هذه المرحلة بظهور نطاق صناعي جديد على طول شارع المحطة (شارع الحسن الثاني حاليا) نتيجة توافد مجموعة من الصناعيين الفرنسيين هروبا من الحرب ومن النازية. هذا الحي الصناعي الجديد سيضم حوالي عشرين

مؤسسة صناعية ذات اختصاصات متنوعة : حديدية وكهربائية ونسيجية،... والعديد منها عبارة عن فروع لشركات فرنسية، وقد صنف هذا الحي الصناعي الثاني آنذاك ضمن الأحياء الصناعية الكبرى بالمغرب. وبموازاة هذا النمو الصناعي ستعرف الأحياء الأوربية بالمدينة السفلى توسعا هاما في اتجاه القصبة، وفي نفس الوقت ظهرت الطلائع الأولى للتعمير بالنطاق الجنوبي الذي أصبح يدعى : العالية بحكم علوه النسبي، حيث كان السكن السائد بهذا النطاق هو ما يدعى حاليا بـ "النوايل" وأول تجمع صفيحي برز في هذه الفترة ـ حسب ما يروج حاليا ـ هو "شانطي" الجموع، وستليه في وقت وجيز تجمعات صفيحية أخرى على طول شارع المقاومة حاليا هي : "شانطي حمو وبوعزة" و"شانطي الجديد" الخ... كما شهدت العالية في هذه الفترة انتشار بناء متواضع وهزيل سيشكل النواة الأولى لعدة أحياء كحي مراكش وحي الرباط وحي مكناس وحي دوشمان... الخ.

ومع نهاية المرحلة الاستعمارية ستتضح المفارقة والتناقضات داخل النسيج الحضري لفضالة : مدينة سفلى بها أساسا أحياء الأوربيين إلى جانب القصبة، حيث صممت هذه الأحياء وفق النمط الأوربي العصري بما في ذلك الحدائق الخصوصية والعمومية الواسعة ثم مدينة العالية التي يفصلها عن المدينة السفلى خط منيع هو السكة الحديدية، حيث كانت أحياء العالية مخصصة للسكان المغاربة وتفتقر لكل مواصفات وشروط التمدين من طرق معبدة وإنارة وتطهير ومجالات خضراء... وهذه الوضعية جعلت من فضالة مدينة مفككة مجاليا وغير متناسقة ومتكاملة وظيفيا مما سيورث لمرحلة الاستقلال مشاكل كبرى على صعيد تدبير الشؤون الحضرية للمدينة.

3 ـ مرحلة الإستقلال

تعززت خلالها الوظيفة الصناعية للمحمدية باختيارها من طرف الدولة لاحتضان مؤسسات كبرى ذات إشعاع وطني، ومن ثم ظهور الحي الصناعي الثالث بالجزء الغربي من الشريط الساحلي في اتجاه الدار البيضاء، وهكذا تم إنشاء مصفاة النفط "سامير" سنة 1960 والشركة الوطنية للبتروكيماويات "سنيب" سنة 1974 والمحطة الحرارية سنة 1980 ، وبالارتباط مع هذه المركبات الصناعية من الحجم الكبير ظهرت مجموعة من الوحدات الصغرى والمتوسطة تنتج أساسا مواداً بلاستيكية وكيماوية إذ أصبح المجال الصناعي في بداية التسعينيات (من القرن العشرين) ينتشر على مساحة قدرها بـ 950 هـ (أي حوالي ٪30 من المساحة الكلية للمدار الحضري للمدينة : 3320 هـ). كما تم إحداث تجزئتين صناعيتين جديدتين في أواسط التسعينيات لازالتا في طريق التجهيز، الأولى بالمنطقة الجنوبية الغربية الواقعة بين السكة الحديدية والطريق السيار وتمتد على مساحة 104 هـ مخصصة للصناعات المصنفة من الدرجة الثانية أنجز منها شطر أولي على مساحة 40 هـ، والتجزئة الثانية بالشمال الشرقي للمدينة (في مجال يدعى رياض السلام) تمتد على مساحة قدرها بـ 30 هـ، وستخصص للصناعات المتوسطة والصغرى إلى جانب السكن. ومن جهة أخرى فإن هذا التمركز الصناعي القوي استدعى توسيع الميناء الذي أصبح بإمكانه منذ سنة 1987 استقبال السفن الكبرى من حجم 150.000 طن.

إن تقوية الوظيفة الصناعية للمحمدية منذ بداية الاستقلال خلق دينامية جديدة في إنتاج السكن بمختلف أصنافه : الراقي والاقتصادي والهزيل... لتلبية الحاجيات المتزايدة في هذا الميدان خاصة بعد سنة 1982 حيث أصبحت المحمدية عمالة أعقبها ظهور عدة مندوبيات لمختلف الوزارات ونواة جامعية ممثلة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية سنة 1984 لتعزز هذه النواة بكلية الحقوق سنة 1993 وكلية العلوم والتقنيات سنة 1994.

وقد أدى الطلب المتزايد على الأرض بمدينة المحمدية إلى توسيع المدار الحضري على مدى فترات زمنية قصيرة، حيث تم هذا التوسيع بطبيعة الحال على حساب الأراضي الفلاحية المجاورة. (الخريطة رقم 1).

وهكذا راح البناء الحضري، ولا سيما بعد السبعينيات من القرن العشرين، يكتسح بإيقاع سريع وبشكل عشوائي أحيانا مساحات مهمة خاصة بالعالية، فاحتدت نتيجة لذلك المضاربات العقارية، وارتفع ثمن البقع الأرضية بمختلف التجزئات السكنية داخل المدار الحضري، مما دفع بالعديد من الوافدين على المدينة، خاصة بعد منتصف الثمانينيات من القرن الماضي، إلى اللجوء إلى الجماعات القروية المجاورة التابعة لإقليم بنسليمان ولاسيما جماعات بني يخلف والمنصورية وسيدي موسى المجذوب... قصد الحصول على مسكن (للشراء أو للكراء) بثمن يناسب أوضاعهم المادية، وفي هذا السياق ظهرت ونمت في مدة وجيزة تجمعات صفيحية جديدة خاصة بتراب جماعة بني يخلف ولاسيما بجزئه المشرف على المحمدية بمحاذاة الطريق السيار، ومن أبرز هذه التجمعات : دوار سيدي عباد ودوار البراهمة ودوار مكري ودوار أولاد مومن...

إن القاعدة العقارية للمحمدية غير كافية لاستيعاب التطورات التي ستعرفها المدينة مستقبلا بفعل ما هو مقرر في التصميم المديري للدار البيضاء الكبرى الذي لا يحافظ على استقلالية وشخصية المدينة بل يربطها بالدار البيضاء، مما سيزيد من حدة مشاكل التمدين للمحمدية وكذلك للدار البيضاء، وبحكم التركز الصناعي القوي بمدينة المحمدية الذي خلق مشاكل بيئية في حجم هذا التركز، فإن أكبر تحد يطرح على صعيد التدبير الحضري راهنا ومستقبلا هو معالجة أو على الأقل التخفيف من وطأة التلوث الناتج عن هذا التركز الصناعي.

معطيات مندوبية *السكنى والتعمير* بالمحمدية، 1998 ؛ المختار

الأكحل، *دينامية المجال الفلاحي بهضبة بنسليمان*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، أبريل، 2001.

Mission scientifique du Maroc, *Villes et tribus du Maroc, Casablanca et la Chaouia*, Ed. Ernest Leroux, 1915, p. 31-36 ; J.F. Troin [et at.], *Pôles industriels et développement urbain, le cas de Gabés (Tunisie) et de Mohammedia (Maroc)*, pub. de l'Urbana, Fasc. 21, Tours 1990 ; R. Escalier, Citadins et espace urbain au Maroc, *E.R.A. n° 706*, fasc. n° 8, Tours 1981, p. 184 ; Cered, Dynamique urbaine et développement rural au Maroc, *Direction de la Statistique*, Rabat, 1999, p. 97 ; Mokhtar Lakhal, Mohammedia : une ville en extension rapide et contrastée, in *Mohammedia et son environnement*, coordination M. Lakhal et M. Zhar, pub. de la Fculté des Lettres et des Sciences Humaines, Mohammedia, série Colloques et Séminaires N° 5, 1997, p. 9 - 22.

المختار الأكحل

**المحميات الطبيعية**، يتميز المغرب بتنوع بيئي كبير وتباين بيولوجي جد غني. وهذه الثروة الفائقة للتباين البيولوجي التي تتجلى على جل المستويات (تنوع في التضاريس، في أصناف النباتات والحيوانات وسلالاتها، في الأنظمة البيئية، في المجالات الطبيعية والثقافية والسوسيواقتصادية) تجعل المغرب يحتل في هذا المجال الرتبة الأولى بجانب تركيا في المنطقة المتوسطية.

ولهذا كان من الواجب المحافظة على هذه الثروة الموروثة عن الماضي وتطويرها وتحسين استغلالها لكي تلعب الدور المنوط بها في التطور الاقتصادي والاجتماعي مع ضمان دوامها لأجيال المستقبل. وذلك لأنها تعتبر أحسن ضامن لاستقرار واستدامة الموارد الطبيعية إزاء احتمالات التقلبات الكلية في الأوساط البيئية. فالطبيعة المتنوعة تتميز بأقصى مقاومة للضغوط الخارجية، وأكبر تكيف مع التعديات الناتجة عن الأنشطة البشرية والرعوية.

وفي هذا الإطار قامت إدارة المياه والغابات المغربية طوال ثلاث سنوات (1993 ـ 1995 ) بإنجاز دراسة ووضع تصاميم لإدارة وصيانة شبكة المحميات الطبيعية. ويعتبر هذا الإنجاز خطوة جد هامة في تحضير استراتيجية وطنية متماسكة وفعالة في ميدان صيانة وإدارة الموارد الطبيعية وذلك قصد الوصول إلى الأهداف المتوخاة من الاتفاقية الدولية حول التنوع البيولوجي.

وتشمل الشبكة الوطنية للمحميات الطبيعية 163 وحدة من بينها 10 منتزهات وطنية ومحمية واحدة من نوع "الإنسان والمحيط الحيوي".

1 ـ المنتزهات الوطنية :

وعددها 10 منها منتزهان مازالا في طور الإنجاز، وكلها تزخر بمناظرها الخلابة، ووجود أنواع قبسية أو نادرة...

+ م. و. لتلمسطان المتميز بغابة الشوح المغربي وأنواع نباتية أخرى كثيرة العدد ومناظر جملية.

+ م. و. للحسيمة (بحري وبري) المتميز بوجود أفراد من طير السرنوف (عقاب ساحلي).

+ م. و. لتازكا المتميز بغابة الأرز الفريدة، وغابات أخرى لأنواع البلوط.

+ م. و. لإيفران المتميز بالإنتشار الواسع لغابات الأرز وأنواع غابويةأخرى من البلوط والصنوبر. وهو يعتبر أحسن نموذج لإدارة واستغلال الثروات الطبيعية بصفة معقلنة تؤمن بقاءها المستديم.

+ م. و. للجهة الشرقية من الأطلس الكبير المتميز هو أيضا بغابات الأرز المهددة بالانقراض إلى جانب وجود غابات البلوط الأخضر، وبوجود أنواع حيوانية نادرة أو فريدة وأهمها الأروية.

+ م. و. لتوبكال المتميز بمجالاته الطبيعية الخلابة المتواجدة على أعلى قمم شمال إفريقيا، مع وجود أنواع قبسية أو نادرة من النباتات والحيوانات كالأروية.

+ م. و. لسوس وماسا المتميز بوجود أفراد من أبي منجل وهو طير نادر جدا.

+ م. و. للداخلة لحماية الأنظمة البيئية الخاصة بالمناطق الصحراوية والتي تضم أنواعا نادرة من النباتات والحيوانات كالفقمة (في الطرف البحري) والغزالة والأروية، مع إعادة توطين أنواع أخرى كالنعامة والمهر والمها التي انقرضت ما بين الستينات والسبعينات.

+ م. و. لوادي درعة السفلى المتميز بأنظمة بيئية صحراوية من الطلح وغيرها تؤوي أفرادا من الفهد.

+ م. و. لإيريقي المتميز بعدة أنواع نادرة في هذا المجال الصحراوي.

2 ـ المحميات الطبيعية :

| نوع المحميات | الأولوية الأولى | الأولوية الثانية | الأولوية الثالثة | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| المحميات البرية | 25 | 21 | 33 | 79 |
| المحميات البرية الرطبة | 11 | 16 | 17 | 44 |
| المحميات الساحلية | 12 | 14 | 12 | 38 |
| المجموع | 48 | 51 | 62 | 161 |

ومن أهم المحميات الطبيعية ذات الأولوية نذكر ما يلي :

ـ محمية بني يزناسن (الشمال الشرقي) : غابات البلوط الأخضر والعرعر البربري والصنوبر الحلبي وأركان ونباتات قبسية عديدة، وبعض الحيوانات.

ـ محمية بوهاشم (الشمال الغربي) : غابات البلوط الزغبي وبلوط الزان والبلوط الفليني.

ـ محمية وادي شراط (جنوب الرباط) : غابات العرعر والزيتون البري، والبلوط الفليني وأنواع نباتية وحيوانية قبسية نادرة.

ـ محمية جبل كروز (أقصى الجنوب من المغرب الشرقي): مناظر جميلة وشبه غابة من العرعر الأحمر وسهوب من الحلفاء والشيح وحيوانات نادرة من غزال وحبار...

- محمية بويبلان (الوسط الشمالي) : غابات كثيفة من الأرز والبلوط الأخضر والعرعر الفواح.

- محمية عين أصماما (شمال أگادير) : غابات من البلوط الأخضر والعرعر البربري وأرگان وأنواع نباتية وحيوانية نادرة.

- محمية آيت أومريبط (وادي درعة) : غابات صحراوية من الطلح والزقوم وأنواع عديدة أخرى نادرة.

3 - محمية المحيط الحيوي لأرگان

مازال مشروع إنشاء محمية المحيط الحيوي لأرگان في بدايته. ولم تحدد بعد مساحتها ولا حدودها. وربما قد تفوق مساحتها الإجمالية المليوني هكتار، إذ ستغطي جل المناطق الموجودة ما بين مدن الصويرة وتاليوين وإغرم وبوئزكارن، شاملة بذلك عددا كبيرا من المحميات الطبيعية ومنتزه سوس - ماسا الذي يدخل في المشروع الذي أنجزت دراسته أخيرا لإنشاء شبكة المحميات الطبيعية بالمغرب.

ومن حيث المكونات الطبيعية والتوزيع البيوجغرافي للموارد الطبيعية والتباين البيولوجي يمكن أن تقسم محمية المحيط الحيوي لأرگان إلى ثلاثة مناطق :

- منطقة حاحا وإداوتانان أو مايسمى بهضاب الأطلس الكبير الغربي.
- منطقة سهل سوس.
- منطقة الأطلس الصغير.

أما من حيث أنواع ومكونات الأنظمة البيئية فإن المنطقة تتميز عن باقي المناطق المغربية باحتوائها لتشكيلات نباتية تنتمي إلى المجال الماكارونيزي الذي يشمل بالإضافة إلى هذه المنطقة الجنوبية الغربية من المغرب كلا من جزر الخالدات وماديرا وجزر الآسور. هذا بالإضافة إلى الأنواع النباتية ذات الأصل المتوسطي أو المداري أو الشمالي. وتتميز الأنواع النباتية الماكارونيزية بغزارة عصارة سيقانها وبأوراق منعدمة أو تكاد تنعدم. وإذا وجدت فإنها تكون صغيرة الحجم ونفضية إبان الفترات الجافة.

وفي الماضي القريب كانت المنطقة تزخر بالأنواع الحيوانية المميزة لهذه المنطقة التي توجد في الجنوب من المجال المتوسطي.

من أهم الأنواع النباتية نجد أرگان Argania spinosa والطلح المغربي Acacia gummifera ، والعرعر البربري Tetraclinis articulata ، والعرعر الأحمر Jumiperus turbinata ، والتنينية Draceana draco ssp. ajgal ، والزيتون البري الأوربي والمغربي، والفربيونيات الشجرية والصبارية الشكل.

ومن أهم الثدييات نجد نوعين من الغزال وهما غزال السهل وغزال الجبل، والشيهم، والرت والضبع المخطط وابن آوى، والثعلب، والأوس، والقط البري. وأهم الطيور تكثر بمصبات الوديان مثل وادي القصب وتامري وسوس وماسا. كما نجد طيورا أخرى مثل أبي منجل وأنواع جارحة أخرى.

- أهم الأنظمة البيئية :

* الأنظمة البيئية لأرگان (Argania spinosa) :

يكون أرگان أنظمة بيئية متنوعة تختلف فيما بينها حسب اختلاف المناطق البيومناخية. تعيش أساسا في الطابق النباتي تحت المتوسطي واستثنائيا في الطابق الدافئ. تغطي مساحات تقدر بـ 800.000 هكتار وهي أوسع مساحة غابوية بهذه المنطقة، إذ نجدها تكسو سهول حاحا وسوس واشتوكة ومنحدرات وسفوح الأطلس الكبير الغربي وهضابه والأطلس الصغير وذلك ما بين مستوى سطح البحر و1.300 م من الارتفاع.

للأنظمة البيئية المكونة من أرگان عدة فوائد. فعلاوة على دورها في المحافظة على التربة والتنوع البيولوجي يعطي أرگان الخشب المستعمل لعدة خدمات والحطب والفحم والأوراق للرعي، والزيت المستعمل في تغذية الإنسان وصناعة الأدوية ومواد التجميل.

* الأنظمة البيئية للتنينية (Dracaena draco subsp. ajgal) :

يعود اكتشاف هذا النوع لأول مرة في المغرب في صيف 1996 وقد صودفت أنظمته البيئية على أجراف جبال الأطلس الصغير الغربي بشرق تزنيت، على مساحة ضئيلة جدا. وتعيش مع أشجار التنينة أنواع نباتية وحيوانية قبسية أو نادرة بالنسبة للمنطقة أو المغرب أو شمال إفريقيا.

* الأنظمة البيئية للعرعر البربري (Tetraclinis articulata) :

يحل العرعر البربري محل أرگان عندما يصبح المناخ ملائما له وخاصة تزايد الأمطار السنوية. يتواجد العرعر البربري في البيومناخ شبه الجاف وشبه الرطب، ما بين مستوى سطح البحر و1400 م.أي في الطابقين النباتيين استثنائيا تحت المتوسطي، وعموما المتوسطي الدافئ. وفي كلتي الحالتين يعيش على أتربة حمراء سميكة. وهو يسود في منطقة حاحا وإداوتانان، ولا يصادف إلا قليلا بالأطلس الصغير وينعدم بسهول سوس واشتوكة.

يغطي العرعر البربري في هذه المنطقة مساحات شاسعة لكنها أقل اتساعا من مساحات أركان. ويعطي الحطب والفحم والخشب الذي يستعمل لعدة أغراض مثل البناء وصناعة الأثاث، كما يستخرج منه القطران وصمغ سندروس الذي يصنع منه زرنيخ أحمر.

* الأنظمة البيئية للعرعر الأحمر (Juniperus turbinata) :

يعطي العرعر الأحمر مساحات جد ضيقة نسبيا بالمقارنة مع أرگان والعرعر البربري. تصادف أنظمته حول مدينة الصويرة فوق الكثبان الرملية، وفي شمال أرگانا وفي المنطقة الشرقية من الأطلس الصغير، أي في الطابقين النباتيين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ.

* الأنظمة البيئية للبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) :

يحل البلوط الأحمر محل العرعر البربري عندما تصبح الظروف البيئية وخاصة درجات الحرارة الدنيا غير ملائمة لهذا الأخير. ولهذا نجد أنظمة البلوط تغطي الهضاب العليا والمنحدرات في الأطلس الكبير واستثناء في الأطلس الصغير.

ـ الحالة الراهنة للأنظمة البيئية بمنطقة المحمية :

*منطقة حاحا وإداوتانان :

ـ أنظمة العرعر الأحمر :

+ بيومناخ شبه جاف دافئ ومعتدل.

+ المتوسطي الدافئ وتحت المتوسطي.

+ أنظمة في حالة جيدة محليا، ومتدهورة أو جد متدهورة في المناطق الأخرى، ومحليا منقرضة.

ـ أنظمة أركان :

+ بيومناخ جاف وشبه جاف دافئة ومعتدلة

+ المتوسطي الدافئ وتحت المتوسطي.

+ مساحات جد شاسعة مغطاة بأنظمة متدهورة وجد متدهورة ومحليا منقرضة.

ـ أنظمة العرعر البربري :

+ بيومناخ شبه جاف وشبه رطب دافئة ومعتدلة.

+ المتوسطي الدافئ ومحليا تحت المتوسطي

+ مساحات شاسعة مغطاة في حالة جيدة أو لابأس بها، أو متدهورة محليا.

ـ أنظمة البلوط الأخضر :

+ شبه جاف وشبه رطب معتدلة وباردة.

+ سقف المتوسطي الدافئ والمتوسطي.

+ فوق هضاب الأطلس الكبير الغربي، في حالة جيدة أو لا بأس بها، محليا ضعيفة التدهور.

ـ أنظمة أخرى من الزيتون البري المغربي والخروب، والفربيونيات...

* منطقة سوس :

ـ أنظمة أركان :

+ بيومناخ جاف وشبه جاف دافئة ومعتدلة.

+ تحت المتوسطي.

+ في الماضي القريب كانت تغطي مساحات جد شاسعة، حاليا متدهورة ومنقرضة.

ـ أنظمة أخرى من الفربيونيات في حالة جيدة.

* ـ منطقة الأطلس الصغير الغربي :

ـ أنظمة أركان :

+ شبه جاف دافئ ومعتدل.

+ تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ.

+ قليلة التدهور أو في حالة جيدة نسبيا إلا في بعض الجهات.

ـ أنظمة التنينية :

+ شبه جاف وشبه رطب ومعتدلة.

+ تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ.

+ في حالة جيدة.

ـ أنظمة العرعر البربري :

+ شبه جاف معتدل.

+ المتوسطي الدافئ.

+ قليلة التدهور أو متدهورة أو شديدة التدهور.

ـ أنظمة البلوط الأخضر :

+ شبه جاف وشبه رطب معتدلة وباردة.

+ سقف المتوسطي الدافئ والمتوسطي.+ محلية، متدهورة أو شديدة التدهور.

ـ أنظمة العرعر الأحمر :

+ جاف وشبه جاف معتدل وبارد.

+ المتوسطي الدافئ والمتوسطي.

+ محلية، متدهورة أو شديدة التدهور.

ـ أنظمة أخرى مكونة من الخروب والفربيونيات في حالة جيدة.

4 ـ الخاتمة :

للشبكة الوطنية للمحميات الطبيعية بالمغرب عدة ميزات وخاصيات أهمها :

ـ أنها تشمل جميع أنماط الأنظمة البيئية المغربية.

ـ أنها تغطي جميع المناطق البيوجغرافية من بيومناخاتها وطوابقها النباتية.

ـ أنها تشمل جل جوانب مجالات المنفعة من الفلورة والفونة. والأنظمة البيئية، والمناظر الطبيعية، والمجال الثقافي.

ـ أنها تحدد الأولويات لإدارة وصيانة المحميات الطبيعية مع تقديم اقتراحات تتعلق بالتهييئ والأعمال التي يجب القيام بها.

ـ أنها تعطي حلولا واقتراحات لإدماج المحميات الطبيعية في الإطار التكاملي للمجالات الاقتصادية والاجتماعية كتطوير وتقويم صيانة واستغلال الموارد الطبيعية مع التركيز على مواصلة البحوث العلمية في هذه الميادين.

ـ أنها تسعى لتطوير السياحة البيئية والتربية والتكوين والتحسيس في المجالات الطبيعية.

*استطلاعات ميدانية و أبحاث شخصية.*

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis press, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**محميات المحيط الحيوي بالمغرب ← ميادين تصالح الإنسان** مع **بيئته الطبيعية** في محميات المحيط الحيوي بالمغرب

**الـ مخازن** (واد -) يقع في الشمال الغربي لمدينة العرائش. ويعتبر أحد أهم الروافد الرئيسية لواد لوكوس

(راجع لوكوس، نهر). منابعه في جبل بني عروس على ارتفاع 380 متر ويجري على طول 90 كلم ليصب في واد لوكوس على بعد حوالي 20 كلم قبل مصب هذا الأخير في المحيط على مستوى ـ 3 متر من سطح البحر وبانحدار متوسطه 4٪ . يبلغ متوسط ارتفاع حوض واد المخازن 290 متر ومساحة 880 كلم$^2$. يمثل 24٪ من المساحة الإجمالية للحوض الرئيسي للوكوس ويصرف مياه الجهة الشمالية الغربية منه. يلعب واد المخازن دوراً هاماً بالنسبة للجريان في المنطقة نظراً لطبيعته السيلية ولمستواه المنخفض خصوصاً عند التقائه بواد لوكوس حيث يزيد من حدة الفيضانات في المنطقة. يظهر ذلك جليا من خلال الجدول أسفله، إذ يلاحظ أن فترة الوفرة تناسب الفصل الممطر، في حين تمتد فترة الندرة امتداد الشهور شبه الجافة مع ملاحظة أنه لا يجف نهائيا على طول السنة (بالنسبة للموقع، راجع لوكوس، نهر).

متوسط الصبيب (م3/ث) الشهري والتساقطات (ملم)
بمحطة دار خرفة لفترة 1960 / 2003 على واد المخازن

| الشهور | 9 | 10 | 11 | 12 | 1 | 2 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| صبيب | 0,016 | 0,535 | 3,242 | 11,48 | 15,72 | 20,95 |
| تساقطات | 24,5 | 73,9 | 121,5 | 139,2 | 120,8 | 91,9 |
| الشهور | 3 | 4 | 5 | 6 | 7 | 8 |
| صبيب | 6,687 | 6,137 | 6,134 | 0,711 | 0,093 | 0,021 |
| تساقطات | 61,4 | 84,0 | 46,8 | 10,0 | 0,9 | 1,4 |

*Ressources en eau du Maroc,* t. 1 ; A. El Gharbaoui, *La terre et l'homme dans la péninsule tingitane,* Rabat, 1981 ; *Agence du bassin versant Loukkos*, Tétouan.

أحمد لقمهري

**المخازنية**، اسم قديم قدم المخزن، ومفرد الكلمة: "مخازني"، وتعني عوناً من أعوان السلطة التنفيذية للمخزن. والمخازنية هم قوات شبه عسكرية تابعة لوزارة الداخلية، يخضعون لتكوين وتنظيم شبه عسكري. وكانت هذه القوات تسمى إبان عهد الحماية ب: "القوات الاحتياطية" Forces Auxiliaires . بعد حصول المغرب على استقلاله، تسلمت السلطات المغربية خلال شهر ماي سنة 1956 تلك القوات من سلطات الحماية الفرنسية التي انتهى أمرها بالبلاد. وكان يقدر عددها بـ: 8000 مخازني بمعداتهم وسياراتهم، وتتكون من رجال المخزن الإداري، ورجال المخزن المتنقل؛ حيث وضعت تحت تصرف العمال والباشوات والقواد.

وقد تمت إعادة تنظيم مؤسسة المخازنية خلال شهر فبراير سنة 1973 . إذ أطلق على المخازنية، رسميا، اسم "القوات المساعدة"، إلا أن اسمهم القديم ـ المخازنية ـ بقي هو المتداول، وهو الذي يعرفون به لدى عامة المغاربة وخاصتهم. ويرجع أمر تسخير القوات المساعدة رأساً إلى ملك البلاد، ويجري عليها النظام العسكري، وهي تحت وصاية وزير الداخلية. ومن المهام الأساسية المسندة لهذه القوات المحافظة على النظام والأمن العموميين إلى جانب قوات الشرطة والدرك في الحواضر والبوادي. سلاح المخازنية بسيط، ولباسهم عسكري، مع تميزهم بشارتهم الخاصة وهي "شعار يتألف من صفيحة تتوسطها النجمة الشريفة مع حربتين متقاطعتين ينتصب في أعلاهما التاج الملكي"؛ ولهم مراكز خاصة للتدريب والتكوين.

تتكون القوات المساعدة من 30.000 رجل وامرأة، وتشتمل على أركان عامة، وفيلق للتدخل وفيلق متحرك؛ إذ يوجد المخازنية على شكل قيادات بالعمالات أو الأقاليم، في حين تكون الوحدات الترابية ووحدات التدخل العام بثكناتها ـ دائما ـ على أهبة الاستعداد للتدخل السريع كلما دعت الضرورة الأمنية إلى ذلك. وللقوات المساعدة مفتشية عامة بالعاصمة الرباط، يرأسها مفتش عام تحت سلطة وزير الداخلية، يقوم بقيادة وإدارة وتدبير شؤون هذه القوات والتنسيق بين جميع وحداتها. ينتشر المخازنية، حسب الاستراتيجية الأمنية الداخلية للبلاد في جميع مناطق البلاد من أجل أداء واجبهم المذكور، وشعارهم: الله ـ الوطن ـ الملك.

*الجريدة الرسمية*؛ *جريدة العلم*؛ مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية، *التقرير الاستراتيجي للمغرب، أبحاث.*

محمد الناصري

**المختار** (سيدي ـ) **بلمهدي** سيد فاضل من علماء مدينة وجدة. شريف إدريسي من أسرة أولاد يعقوب المستقرة بقبيلة بني خالد بجبال بني ازناسن. هاجر والده السيد المهدي قاصدا مدينة وجدة حيث استقر بها، وفيها ولد ابنه المختار، أواخر القرن الثاني عشر الهجري / 18.

بدأ السيد المختار دراسته بمساجد مدينة وجدة، حيث حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة. ثم هاجر إلى مدينة مازونة بالجزائر، لمتابعة دراسته، فمكث بها سبع سنوات، يحضر مجالس الفقهاء ويتتلمذ على يد علمائها، شأن كثير من شباب مدينة وجدة في ذلك العهد.

عاد إلى مدينة وجدة، ثم سافر منها إلى فاس لاستكمال تعليمه، فبدأ يواظب على حضور حلقات دروس علمائها، سواء تلك التي تُعقد بجامع القرويين أو بالمدارس الأخرى التابعة له. واستمر هناك مدة سبع سنوات، ينهل من معين علمائها. وبعد أن حصل على نصيب وافر من العلوم الدينية والفقهية، رجع إلى مدينة وجدة، فتزوج واستقر بها.

يعتبر سيدي المختار بلمهدي من العلماء البارزين، والرجال الصالحين بمدينة وجدة، اشتهر بورعه وزهده، وعمل طول حياته فقيها، ينير لسكان مدينة وجدة طريق دينهم ودنياهم.

توفي بوجدة حوالي سنة 1282 / 1865، وصادفت وفاته

إنشاء أول مقبرة إسلامية بالمدينة، فكان سيدي المختار أول من دفن بها، فشيدت قبة على ضريحه، وأصبحت المقبرة تحمل اسمه منذ ذلك التاريخ، وإلى يومنا هذا.

وقد خلف سيدي المختار ابنين صالحين، أحدهما أحمد، توفي بعده بقليل. وثانيهما محمد، كان لا يزال على قيد الحياة بمدينة وجدة في أوائل القرن 20. وهذا الأخير خلف ثلاثة أبناء، أكبرهم يدعى محمدا.

لايزال بعض حفدة سيدي المختار - إلى اليوم - يعيشون بمدينة وجدة، ويحملون لقب القرطبي.

عمالة وجدة، *النشاط الديني*، ص. 22، مارية دادي، *تاريخ مدينة وجدة من التأسيس إلى نهاية العصر الحديث*، أطروحة مرقونة بخزانة كلية الآداب بوجدة، 2002، ج 2 : 431 ؛ التحقيق الشخصي.

Voinot, *Oujda et l'Amalat*, *p.* 77-78.

مارية دادي

**المختار** (بن -) **المكي الحناش** من أعيان الحضرة المكناسية المبرزين، وقادتها الأخيار المعتبرين، تعاطى للشهادة بسماط العدول بالمدينة، كما تولى النيابة عن قاضيها عام 1255 / 1839. كان فقيها علامة، واسع المعرفة ضليعا في اللغة وقواعدها، وفي الأدب والإنشاء نظما ونثرا. وكان نساخا للكتب شديد المحافظة والضبط والإتقان، لذا انتقاه السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام (1238 - 1276 / 1822 - 1859) لنسخ أهم الكتب بحضرته السلطانية.

يقال إنه ينحدر من أسرة شريفة من ذرية مولاي عبد السلام بن مشيش، وعن تاريخ وسبب قدوم أسرته إلى مدينة مكناس والإقامة بها يقول ابن زيدان في *إتحاف أعلام الناس*: سبب ورودهم لمكناسة هو أن لصا سرق جدهم الأعلى وهو إذ ذاك صبي يقرأ بالمكتب وأتى به لحضرة فاس زاعما أنه ابن له، والصبي ينفر منه ويفند دعواه إلى أن علم بذلك أولو الأمر، وافتضح اللص فأبق ناحيا بنفسه. ولما فشا الأمر وبلغ سيدنا الجد الأكبر مولانا إسماعيل وجه إلى الصبي واستفسره عن حقيقة الأمر فأخبره بالواقع فأبقاه بشريف أعتابه وأدخله المكتب من جملة أبنائه..." وبعد أيام جاء أحد أقاربه باحثا عنه فدل عليه فأتى قصر السلطان فأخرج له الصبي فتعارفا، ولما تيقن السلطان صدق الواقع أمر الولد بالتوجه لذويه فأبى الذهاب لما رءاه من البرور به والإحسان إليه، فكبر في عين السلطان وأبقاه مع أبنائه، وأحسن لأهله وأكرمهم. وبعد مدة ورد والده بسائر أسرته واستوطن مدينة مكناس، فقوبلوا بكل اعتبار من لدن السلطان وقلدوا الوظائف العالية المناسبة لهم كالكتابة والنساخة والدا عن والد".

توفي المترجم في حدود سنة 1270 / 1853 وله نظم جميل نقل ابن زيدان بعضا منه نقلا عن كناشة أديب الرباط محمد بن عمرو.

عبد الرحمان ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 4، ص. 309 - 310.

رقية بلمقدم

**المخروطيات** أو Coniferospida أو عاريات البذور Gymnospermopsida قسم تصنيفي في مملكة النبات، يضم في المغرب أربع رتب وأربع فصائل :

- رتبة وفصيلة الصنوبريات Pinales وPinaceae أو Abietaceae ، وهي تجمع أنواع الأرْز (انظر أرز) والشوح (انظر الشوح) والصنوبر (انظر الصنوبر).
- رتبة وفصيلة السرويات Cupressales وCupressaceae تضم أنواع العرعر (انظر عَرْعَار وأوَّال وأيْفَس، وأزُوكَا) والسرو (انظر سرو) وكذلك بيوطا النوع الدخيل المستعمل للزينة.
- رتبة وفصيلة الأروكاريات Araucariales وAraucariaceae وهي دخيلة وأصلها من أستراليا ونيوزيلاندا (انظر أرُوكارْيا).
- رتبة وفصيلة الضغسيات Texales وTexaceae الممثلة بنوع واحد في المغرب وهو الضغس (انظر ضغس).

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. Evaluation et préservation de la biodiversité*. Ibis Press, Paris et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**المخزن**، عند المغاربة منذ أمد بعيد هو المصطلح الذي اصطلحوا عليه للتعبير عن السلطة وعن الدولة التي تمارسها والأجهزة المركزية والمحلية التي تستعملها لضبط الأمن الداخلي والخارجي للبلاد ولجباية الضرائب ومراقبة التوازنات القبلية التي كان يقوم عليها المجتمع. متى ذاع فيهم هذا المصطلح ؟ وما مصدر ذلك ؟ وكيف تطور الجهاز المخزني ؟ وإلى أين هو يصير اليوم ؟ تلك هي الأسئلة التي نحاول الرد عليها فيما يلي :

المخزن مصدر ميمي لفعل خزن بمعنى احترز ومسك المال مثلا في خزانة، وفي المجاز اطلب من خزائن رحمة الله تعالى، واخزن لسانك وسرك، قال امرؤ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شيء سواه بخزان

ويبدو أن أول من استعمل لفظ المخزن بالمعنى الحكومي هم الأغالبة، إشارة منهم إلى المكان الذي تكدس فيه الأموال المجباة بأمرهم في شمال إفريقيا قبل وسقها إلى بيت المال المركزي في بغداد عاصمة الخلافة. مما يفيد أن المخزن لم يكن في البداية سوى الخزين الذي كانت تحتفظ فيه مؤقتا الأموال المستفادة للخزين المركزي. ثم لما صارت عرى التبعية بين مركز الخلافة وإيالات شمال إفريقيا إلى الارتخاء وإلى الانفصام، فإن مصطلح المخزن ترسخ شيئا فشيئا في المغرب الأقصى وإن كنا نجهل كيف حصل ذلك بعد الأغالبة ومتى كان ذلك، هل بفضل الدولة الفاطمية أو على يد المرابطين. والثابت هو أن الكلمة صارت جارية في الكتابات الرسمية وعلى الألسن في عهد الدولة الموحدية التي لا مراء في أنها هي التي أقامت ركائز الدولة المغربية على الشكل الذي ظلت قائمة عليه إلى مطلع القرن العشرين. ولما كانت الدول التي

توالت على حكم المغرب قامت كلها بالاعتماد على مقتضيات الشريعة الإسلامية وعلى التركيبة الاجتماعية القبلية، فمن الواضح أن مفهوم المخزن نابع من مفهوم بيت مال المسلمين الذي يخزن فيه ما يجود به المؤمنون من الأموال وما يحق لأميرهم من أموال الفيء أو الغنيمة لمواجهة حاجيات الجماعة في السراء والضراء والمحتاجين من أفرادها، وذلك مصداقا لقوله تعالى : "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم" (التوبة، 60). كما أن مفهوم المخزن نابع أيضا من التراث القبلي الأمازيغي، فقد كان من أعراف القبائل ولا يزال إلى يومنا في المناطق الجبلية الوعرة أن تقيم لنفسها مخازن جماعية تسمى "أگادير" تارة، وتارة أخرى "إغرم"، فيها عدة بيوت أو غرف متفاوتة الحجم بتفاوت غنى أفراد القبلية تخزن فيه كل أسرة من الجماعة متاعها ليكون في مأمن من كل هجوم مباغت ويضمن تمسك الفرد بجماعته وعناية الجماعة بأفرادها. وغني عن البيان أن تلك المخازن الجماعية كثيرا ما كان يرتفق بها من كان يؤتمن على حراستها وإدارة شؤونها فيحولها وسيلة للتقدم على القبيلة وإطلاق العنان لطموحه السياسي كلما كان له طموح إلى ذلك. وكما أن القيّم على مخزن القبيلة كان يستطيع أن يتحول قائدا عليها، فكذلك كانت القبيلة الواحدة تستطيع أن تفرض سلطتها على مجموعة من القبائل ثم على قطر بأكمله كلما تمكنت عصبيتها وتوفرت لها الوسائل المادية أو وجدت مساندة من خارج بيئتها. وقد حدث ذلك في المغرب باستمرار سواء قبل انتشار الإسلام أو بعد ذلك على يد عصبيات أمازيغية ثم على يد العصبيات العربية المنتسبة إلى سلالة الرسول (ص). ولقد فصل ابن خلدون القول في كيفية قيام ذلك وأسبابه وعواقبه في الباب الثالث من مقدمته. ويشفع للأصول القبلية للجهاز المخزني أن المصطلح كثيرا ما ورد في أمهات النصوص بصيغة الجمع إشارة إلى مختلف مخازن الدولة التي منها بيوت المال الناض وبيوت المال العين ومخازن السلاح ومخازن الحبوب والضيعات التي تربى فيها البهائم والمواشي على اختلاف أجناسها والحاجة إليها في بيئة ظلت بعيدة عن الرواج النقدي المطلق وعن العربات والعجلات إلى مطلع القرن العشرين. والأمثلة أكثر من أن تحصى فنكتفي ببعضها. فقد ذكرت رسالة موحدية ما وسق من "ثياب المخزن". وورد الحديث في أخرى عن "مخزن اشبيلية". وجاء في ثالثة ما "تضمنته الأوامر المطاعة من الاحتياط على المخازن أنماها الله". وتتردد في تعيين الولاة وكبار المسؤولين الجهويين العبارة التالية : "عينا فلانا لتولّي أموركم المصلحية وأشغالكم المخزنية"، أو عبارة : "وأمرناه أن يستوفي منكم حقوق المخزن ثمّره الله"، مع الإيصاء في رسائل أخرى باجتناب الشطط والهتاف" بالأباطيل المخزنية"، ففي رسالة "إلى جميع الطلبة الذين في الأندلس"، نقف على توبيخهم على ما ذكر لأمير المؤمنين" في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعمارتها والطوائف المارة على البلاد لمعنى تجارتها يتسبب إليهم قوم من هؤلاء الظلمة الدخلاء الذين يضعون الغش طيّ ما يوهمون به من النصيحة[...] فيقولون للرجل منهم عندك من حقوق الله كيت وكيت وأن للمخزن كلَّ ما به أتيت. ويقرنون بهذا من الوعيد والإغلاظ الشديد ما يرضى له المذكور بالخروج عن جملة ماله". مما يعني أن الخط الفاصل بين حقوق المخزن المجباة عن طيب خاطر وعن إيمان بكونها من الواجبات الدينية والدنيوية مصداقا لقوله تعالى : "خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم وتزكيهم بها" (التوبة، 103)، وتلك التي تبتزّ ظلما وعدوانا كان منذ البداية غير واضح المعالم ومعرضا لتأرجح ميزان القوة بين الأمير والمكلفين بالجباية نيابة عنه وبين الدولة القائمة والقبائل والهيئات الجماعية التي يتركب منها المجتمع. فإذا كان الأمير من ذوي القدرة والصلاح والعناية بالرعية، فإن بيت المال أو المخزن المركزي يعمّر بالحلال وفي حدود المصلحة العامة. وإذا كان الملك بيد أمير مغلوب على أمره، فإن المخزن يتحول مخازن يختص بها خدام الدولة بعد أن صاروا خدام رؤوسهم كما تقول العامة. ويتصدى لفضح ذلك العلماء وكل من لا يستطيع السكوت على المنكر، مثلما فعل ابن عباد في القرن 8 / 14 مع بعض ملوك وقته من بني مرين، أو مثل تلك المرأة الدكالية التي جاءت أحمد المنصور الذهبي السعدي تشتكي من أحد عماله أخذ منها أموالها ضريبة : "فلم يشكها، على ما نقل المؤرخون، ولا كشف ظلامتها فخرجت إلى أولادها بالباب وقالت لهم انصرفوا فإني كنت أظن أن رأس العين صافية فإذا بها مكدرة فلذا تكدرت مصارفها". واعتذر المنصور الذهبي عما كان ينال الرعية من القساوة لوفد من العلماء رحلوا من فاس إلى مراكش تلبية لدعوته فرأوا في الطريق من فظاعة معاملة بعض الجناة المكبلين في السلاسل ما لم يستطيع أحدهم السكوت عليه عند الملاقاة معه فقال له الأمير : "لولا ما رأيت ما أمكنك أن تجيء مع أصحابك مسيرة عشرة أيام في أمن ودعة فإن أهل المغرب مجانين مارستانهم هي السلاسل والأغلال".

فهل المخزن نعمة في طيها نقمة أو أنه نقمة في طيها نعمة ؟ ذلك ما لا سبيل إلى الجزم بشأنه لو كان الأمر ينحصر في حدود الفضيلة والأخلاق. أما وأنه بنية اجتماعية وظاهرة تاريخية محكوم عليها بالتقلب والتغيير، فنقول بأن أمهات المصادر ظلت لأمد طويل تميز بين الدولة وبين مخزنها بصفة كون لفظة المخزن مفردا دالا على الجنس. ولكن لا ذكر عند ابن خلدون أو ابن الخطيب مثلا لهذا المصطلح مرادفا للدولة. ولم يحصل ذلك ولم ينطلق به لسان العامة إلا مع انتشار موجة التعريب واستيطان القبائل العربية للسهول الأطلسية. وكانت هي العمود الفقري من جيوش الدولة منذ الموحدين فكانت هي المستفيدة الأولى من بيت المال أو المخزن

المركزي فترتب على ذلك خلط بين مفهوم الدولة ومفهوم المخزن لاختلاط مفهوم الدولة القائمة مع مفهوم وظيفتها الكبرى التي هي جمع أموال الجماعة للحفاظ على أمنها في الداخل وعلى سلامتها من العدوان الخارجي وقيادة صفوف المجاهدين عند الاقتضاء. وهكذا سرت في الناس عبارة هي دعاء وابتهال تقول "اللهم اجعل البركة في المخزن"، يقولها من يتنازع مع جاره فيدعوه إلى دار المخزن للفصل في الدعوى، ويقولها كل مضطر وكل محتاج تنغلق في وجهه كل الأبواب، فدار المخزن أبدا مفتوحة سواء كان هذا المضطر أو المحتاج فردا منعزلا أو جماعة طغى عليها جيرانها، أو كانت الأمة جمعاء في خضم السنوات العجاف فتفتح مخازن الدولة وتوزع الأقوات على المحتاجين أو يوم صارت بالأحرى في حاجة إلى من يحميها من الغزو الأجنبي. ولعل ذلك ما حدث مع تربع الشرفاء العلويين على عرش البلاد، ففي عهدهم وبفضلهم بدأت عبارة "المخزن الشريف" تأتي في المراسلات وفي الظهائر وعند المؤرخين مرادفة لعبارة "الدولة الشريفة". وكان من وعي الأمة المغربية بما أضحى يحيط بها من المخاطر من جهة الإيبيريين أول الأمر ثم من جهة الإفرنج عامة ومن قبل فرنسا على وجه التخصيص لما نزلت جيوشها بالجزائر ابتداء من 1830، أن التفت حول "مخزنها" التفاف السوار بالمعصم، فاستحال من يومئذ أن تتبلور أية عصبية جديدة تنافس الدولة القائمة التي احتكرت لنفسها ما ظهر من سلاح المدفعية في الوقت الذي تحولت فيه خطوط التجارة المغربية من الصحراء إلى المحيط الأطلسي، مما جعل "الأعراب" بالمعنى الخلدوني يعني الرحل وأهل البادية في حالة من التهميش أخرجتهم مع مرّ السنين والعصور عن قلب اللعبة السياسية في المركز. وصار المخزن العلوي دولة قائمة بنفسها مستغنية عن كل عصبية بفضل ما أظهرت من القدرة على التحكم في تناقضات المجتمع القبلي من جهة وبفضل قدرتها على مواجهة التحديات الإمبريالية المتفاقمة. ولما استقر أمر هذا المخزن بيد هؤلاء الشرفاء منذ أزيد من ثلاثمائة وخمسين سنة، فلا عجب أن يكون ذلك قد انتهى بخلط مطلق بين مفاهيم الدولة والمخزن والحكم السياسي والجهاز المعتمد للقيام بالأعمال، وكثيرا ما وردت عبارة الأعمال والأشغال المخزنية في النصوص التاريخية. وظلت تلك الأعمال والأجهزة المكلفة بها على ما وضعها عليها الموحدون، مع ما دخل عليها من أسباب التغيير في القرن السادس عشر تقليدا لقوانين الدولة العثمانية، إلى أن وقع التراب الجزائري بأيدي فرنسا وصارت الدولة العلوية مضطرة إلى مسايرة المتغيرات المهيمنة فلحقها من التغيير ما لحق، مما لا مفر من إلقاء نظرة خاطفة على مظاهره وفصوله الكبرى لندرك كيف انتقلت الدولة المخزنية من ملكية سلطانية إلى ملكية دستورية برلمانية خلال القرن العشرين، لا سيما وأن المؤرخ الذي لا يتوفر عن أوصاف المخزن في سابق العصور إلا على مصادر قليلة ومتناثرة، يجد نفسه بعد منتصف القرن التاسع عشر أمام زخم من الوثائق والشهادات والتقارير الإخبارية والدراسات الأكاديمية المغربية وغير المغربية تشرح الجهاز المخزني شرحا وتفصح عن طبيعته ووظائفه. ولعل أحسن ما يقربنا من لب ذلك كتاب *العز والصولة* لعبد الرحمان ابن زيدان الذي يصف المخزن على شكل ما كان عليه قبل انعقاد الحماية على البلاد بدقة مثيرة. ومجمل القول أن الدولة المخزنية كانت نظاما إماميا قبل أن يكون نظاما حكوميا، وجهازا قياديا بالمعنى العسكري قبل أن يكون جهازا إداريا، وترتيبا جبائيا قبل أن يكون حكومة تتحكم في الإنتاج العام، قلبه النابض هو تماما قلب العاهل المتربع على العرش فهو مرتبط بشخصه، إذ عنه تصدر الأوامر وإليه ترفع كل الأمور، فالمخزن إذن بالدرجة الأولى نظام القصر السلطاني، وينقسم إلى مصالح داخلية وأخرى خارجية، وهو بعد ذلك ترتيبات قيادية تنقسم بدورها إلى ما هو مركزي يتابع ما يجري بعموم المملكة وما هو جهوي يعنى بما يجري على الصعيد الإقليمي فقط.

فدار المخزن تسير بسيرة العاهل في يقظته ومنامه وفي إقامته وظعنه. فهو السلطان بصفة كونه يجمع في قبضته السلطات الدينية والدنيوية فهو أمير المؤمنين حفيد الرسول المصطفى الأمين وخليفة الله في الأرض الذي تعقد له البيعة الشرعية امتثالا لقول الله عز وجل : "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله" (الفتح، 10)، شخصه مقدس وبركته مرجوة وأمره مطاع فهو كالنفس الذي منه تتنفس الجماعة فتستقيم أمورها بإذن الله. ولذلك فهو محاط بمنتهى العناية والرعاية داخل قصره وخارجه بجيش من الخدام ذكورا وإناثا مرتبين ترتيبا دقيقا، الخادمات مكلفات بشؤون الحريم الذي كان يحفل بالزوجات المتعددات وبالسراري وما يتنسل من ذلك فيكون له في كثير من الأحوال أدوار في الصراعات السياسية. أما الخدام من الرقيق أو من الأحرار فمنهم على ما ذكر ابن زيدان أصحاب الفراش وأصحاب الماء وأصحاب السجادة وأصحاب الوضوء وأصحاب المحفة وأصحاب السكين والميقاتيون والجزارون والحمارون وأصحاب الأروى وأصحاب الأفراك أو الخيام السلطانية و"عبيدة النار" الذين يقفون على تأديب من يستحق ذلك من هؤلاء الخدام المكلفين بخدمة العاهل الخصوصية في إقامته وظعنه. فإن المخزن كان يتنقل باستمرار بين جهات المملكة يتفقد قبائلها ويتحكم في نزاعاتها ويستخلص ما بذمتها من الجبايات. وما يقضيه السلطان في أفراكه أو على صهوة جواده يكاد يضاهي ما يقضيه في قصوره بكبرى الحواضر. ويخضع خدام دار المخزن إلى ترتيب بسيط وإن كان في تمام الدقة والنجاعة فكأنه جيش له قواد مدرجون في سلم الأمر والطاعة نساءً ورجالا، كبيرهم الحاجب الذي هو الوسيط بينهم وبين السلطان كما أنه هو الوسيط بين السلطان وبين خدام المصالح البرانية.

وخدام المصالح البرانية يشكلون جيشا آخر من المسخّرين والمشاورية نسبة إلى المشور الذي هو المجال الحكومي الفاصل

أو الواصل بين القصر الداخلي وعموم الأعوان والرعية. ففيه مجلس العاهل في أيام معلومة وساعات مضبوطة للنظر مع كبار رجال الدولة مدنيين وعسكريين في الشؤون العامة، وفيه يتلقى الوفود التي تفد للتهنئة بالأعياد أو السفارات الأجنبية، وفيه يسمع إلى التظلمات ويصدر الأحكام بمساعدة كتاب يجلسون في غرف تسمى بنائق، وصار المقربون منه يحملون لقب الوزير بعد منتصف القرن التاسع عشر، كبيرهم الوزير الصدر يجلس في بنيقته متوسطا مجموعة من الكتاب مرتبين عن يمينه وعن الشمال بحسب ما هو منوط بهم من الأشغال. ويحمل لقب الوزير أيضا المكلف بشؤون البحر كناية عن وزير الخارجية بصفة كونه صلة الوصل مع ممثلي الدول الأوربية التي اشتد يومئذ ضغطها، والعلاف الكبير أو وزير الحرب المكلف بإصلاح شؤون الجيش لحظة تفاقم الأخطار على البلاد، وأمين الأمناء أو وزير المالية المكلف هو كذلك بإصلاح شؤون الجباية وترشيد النفقات وتسديد الديون التي صارت تتراكم في تلك العقود. وهؤلاء الخدام هم كذلك مرتبطون بشخص السلطان لا يحركون ساكنا إلا بأمره، ويقيمون معه حيث يقيم من العواصم ويسيرون في "حركاته" (براء مجزومة) إذ كان محركا (بالشدة على الراء المكسورة).

أما على الصعيد الجهوي، فإن الجهاز المخزني ينطلق هنالك أيضا من دار القائد أو دار الباشا أو دار العامل على اختلاف غير رتيب في الألقاب. ومهما كان من أمر فالقائد الجهوي هو الوسيط بين قبيلته أو مجموعة من القبائل وبين السلطان يساعده خليفة أو عدة خلفان بحسب اتساع رقعة القيادة وصعوبة التنقل ومجموعة من الشيوخ والمقدمين في القبائل العربية أو الأمغارين والنفالس أو الإنفلاسن في القبائل الأمازيغية المكلفين بتأطير مختلف التقسيمات القبلية. يضاف إليهم القضاة والعدول والقيّمون على الفصل في النزاعات بين الناس، ومجموعة الحراس والعسس المكلّفين بالشرطة قد يتقدمهم في كبريات المدن محتسب يتتبّع آداب الأسواق والأزقة. ولم تكن تلك الترتيبات تغطي مجموع البلاد ولا كانت قائمة على شكل مماثل واحد، وذلك لأن في البلاد مناطق تنالها الأحكام السلطانية وأخرى لا تنالها تلك الأحكام. والفرق بينها أن الأولى منها تجبى جبايات المخزن فيكون تعيين قوادها بيده بصفة كونهم مكلفين بأعمالها بما في ذلك من سهر على أمنها وإيصال ما ينوبها من الكلف إلى بيت المال المركزي يعني المخزن. كما أن القواد مكلفون بقيادة مقاتلي قبيلتهم إلى حيث يأمر السلطان باستنفارهم إليه من الجبهات. وفي ماعدا ذلك، فأمر الناس شورى بينهم فلا دخل للمخزن مثلا في قضايا التعليم أو الاستشفاء أو بناء الطرق إلا في القليل النادر، وإذا فعل فمن باب فروض الكفاية ويحسب من الحسنات وليس من الواجبات.

أما المناطق التي لا تنالها الأحكام السلطانية فإنها مجال الأوعار في الجبال والخلاء الأجرد في الصحراء فيكتفي السلطان منها بالمبايعة ويخلي وبين أهلها وبين أن يتصرفوا في صدقاتهم فلا تنزل بهم "الحركة" المخزنية إلا في القليل النادر، وعند الاستنفار العام، فجهادهم عن تطوع وإيمان ملتزم. ولا يعني ذلك أن تلك المناطق كانت في الفوضى المطلقة فإن أمرها كان شورى بينها تقدم وتؤخر لقيادتها من يقع عليه الإجماع من وجوهها أو من تميل كفة الميزان السياسي المحلي لفائدته إمّا لحكمته وطول تجربته وإما لشجاعته أو علمه فيتعامل معه المخزن بدون غضاضة. وكان هذا الجهاز على بساطته متكاملا وكافيا لسد حاجيات مجتمع قبلي متمسك بتقاليده تمسُّكَ من لم يطرأ على بنياته التحتية أدنى تغيير طوال القرون.

بيد أن رياح التغيير صارت تهب على المغرب منذ ما قبل انعقاد الحماية، بدليل الدستور الذي حررته جماعة من الشباب المتفتح بمساعدة بعض الإخوة المشارقة في أكتوبر 1908 والذي نجد فيه عبارة "الدولة الشريفة" ترادف عبارة "المخزن"، ويفصح عن رغبة طلائعية لترتيب الشأن العام بناء على المقاييس العصرية، علما بأن هذا المشروع ظل حبرا على ورق. حتى إذا انعقدت الحماية الأجنبية على البلاد وصار كل شيء يتبدل، وجد المخزن نفسه على متن أرجوحة التغيير. ولقد اقتعدها بما كان مجبولا عليه من المرونة تاركا للدولتين الحاميتين فرنسا وإسبانيا - مضطراً - أمر إدخال ما أرادتا من الإصلاحات الحكومية والإدارية على الصعيد المركزي والمحلي، محتفظا بالمكانة المتميزة للقصر السلطاني بأنظمته وخدامه في الداخل بعيدا عن أنظار سلطات الحماية. ومن أبرز مظاهر التغيير انقطاع العمل "بالحركة" المخزنية المعهودة، وإن لم يتوقف السلطان سواء المولى يوسف أو خلفه محمد الخامس عن التنقل بين الأقاليم بواسطة أدوات التنقل العصرية، فأسقطت خدمات الفرايكية والحمارين ولم يبق منهم إلا الحرس الملكي وأفراسهم. ومن التغييرات الجوهرية أيضا تقليص الحريم. وفي ذلك ثورة مستترة على التقاليد التي كانت تجعل القصر السلطاني سابقا في قلب الصراع السياسي عند وفاة العاهل إذ يقوم بين أبنائه من زوجاته المتعددات أو من السراري سباق نحو العرش كثيرا ما كان يشل سير المخزن ويعصف بالاستقرار العام. وقد اتضحت قواعد ولاية العرش في الوقت الذي بدا أن الصراع السياسي سينتقل إلى صفوف الأحزاب التي تشكلت لأول مرة في البلاد في الثلاثينات من القرن العشرين. وكان من آيات التغيير في تلك السنوات أن أحدث عيد العرش وخرج الناس يحيون السلطان بعبارة "يحيى الملك".

يضاف إلى ذلك تقليص عدد الوزارات عند ثلاثة هي الصدارة العظمى والعدل والأحباس التي أنشأت الدولة الحامية إلى جانبها مجموعة تفاقمت مع مر سنوات من الإدارات العصرية كلفت بتدبير ما لم تكن الدولة المخزنية تتكلف به سابقا مثل شؤون الإنتاج والاقتصاد والقضايا الاجتماعية كالتعليم والصحة والسكن والشغل والرياضة،

وإن وضع كل ذلك في البداية لفائدة الجالية الأوربية الدخيلة، ولكن المخزن تعلم منه بالتدريج ما لا يسع الدولة العصرية أن تغض الطرف عنه، وقد تفرعت عنه الفروع في الأقاليم إلى أدنى المستويات إذ قسمت البلاد أثناء الحماية إلى سبعة نواحي، ثلاثة منها مدنيّة (الدار البيضاء والرباط ووجدة) وأربعة يحكمها ضباط جيش الاحتلال يتصرفون بما تحتهم من القواد والباشوات والخلفان والشيوخ والمقدمين. وتميزت الإصلاحات المدخلة في هذا المجال بإحداث نظام البلديات في المدن وإرساء الجماعات المحلية في الأرياف مع إلغاء ما كان يفصل بين من تناله ومن لا تناله الأحكام، فصار الجميع خاضعا للحكم المركزي تحت مراقبة شاملة. كما كان من نتائج فترة الاستعمار أن جردت القبائل من سلاحها فأضحى الجميع ملتزما بمظلة المخزن الذي كان الفرنسيون والإسبان لا يفوتهم أن يذكروا دائما بأنهم إنما يعملون باسمه وبأوامره. ومن علامات إحكام القبضة المركزية على البلاد أن الجماعات التقليدية التي كانت تختار قوادها وأمغاراتها بعيدا عن أنظار المخزن صارت تدار بواسطة قواد تعينهم الدولة. وزاد في نفوذ السلطة المركزية إدخال ترسانة من الضرائب، لم تعوض فقط عما كان معتمدا منها سابقا لدى المخزن، بل جاءت بموارد جبائية زادها درًا وتنوعا انفتاح البلاد على الرواج الرأسمالي العالمي وتراجع نصيب الفلاحة بالتدريج في الإنتاج الداخلي الخام. وصارت نفقات الدولة ومداخلها خاضعة لمسطرة الميزانية العصرية مما حول السلطان إلى سيد موظفي الدولة يتقاضى مثلهم راتبا معينا يسمى اللائحة المدنية وتتميز أملاكه عن أملاك الدولة. وهكذا كان من مفعول الحماية على النظام المخزني أن احتفظ له بسابق سلطاته الدينية والمعنوية وألبسه لباس الدولة العصرية المكلفة بالقيام بالحاجيات الجماعية في الشاذة والفاذة من عاصمة الملك التي استقرت في الرباط.

وهذه الدولة الموروثة عن المخزن التقليدي وعن الإدارات المحدثة إبان الاستعمار هي التي ستقوم غداة الاستقلال سنة 1956 بتجديد صرح نظام الحكم المغربي لتجعل منه ملكية دستورية برلمانية بمقتضى العهد الملكي الذي التزم به محمد الخامس سنة 1958 ومقتضى أول دستور أمضاه الشعب استفتاء في مطلع عهد الملك الحسن الثاني (دجنبر 1962). واللافت للنظر أن لا ذكر في هاتين الوثيقتين لمصطلح المخزن، وإن ورد فيهما التنصيص الصريح على أن الملك هو قلب الدولة إذ هو الحكم بين السلطات الدستورية الثلاث (التشريعية والتنفيدية والقضائية) فهو في الحقيقة سلطة رابعة تتابع عن كثب ما يمكن أن يتولد من النزاع والتناقض بين تلك السلطات. وهو بناء على الفصل 19 من الدستور الذي لم يدخل عليه أي تغيير في الدساتير المعدلة اللاحقة : "الملك أمير المؤمنين والممثل الأسمى للأمة ورمز وحدتها وضامن دوام الدولة واستمرارها، وهو حامي حمى الدين والساهر على احترام الدستور، وله صيانة حقوق وحريات المواطنين والجماعات والهيئات، وهو الضامن لاستقلال البلاد وحوزة المملكة في دائرة حدودها الحقة".

وبالرغم من عدم ذكر لفظة المخزن في الدستور، فإن المصطلح لا يزال متداولا على الألسن، إما مدحا وإما قدحا، في الصحافة المكتوبة بالخصوص كلما بدا لها أن تندد بما يأتي مطبوعا بالشين أو بالاستبداد من تصرفات الإدارة ولو كان المسؤول عنه مقدماً مبنياً للمجهول في أقصى الدواوير، فيعزى ذلك للثقافة السياسية المخزنية. وصار هذا اللفظ شأنه شأن تلك العملات النقدية التي لطول ما ظلت رائجة بين الناس لا يعرفون سواها، فإنهم لا يكفون عن الاحتساب بها في معاملاتهم حتى بعد أن تكون قد صارت متجاوزة بحكم التاريخ، وقام مقامها عملة مجددة يفصل بينها وبين العملة السابقة ما طرأ على المجتمع من عميق التغيير، الذي لا يمكن أن يطمسه ما لا يزال طافيا من بعض أشكال المخزن القديم وتشريفاته.

وسواء قلنا إن المخزن مازال هو نظام الدولة في المغرب، بالرغم من ارتدائه لأردية الحداثة أو قلنا إن الدولة المغربية ملكية دستورية تحت كساء المخزن فالذي لا مراء فيه هو أن النظام المخزني من مولدات التشكيلة الاجتماعية المغربية وأن ما يطرأ عليه من التغيير هو المقابل لما يطرأ على تلك التشكيلة من ذلك.

أحمد عزاوي، *رسائل موحدية*، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، 1995 ؛ ر. السلمي، *المراسلات المرينية* ، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، 1986، (مرقون) ؛ ابن الخطيب، *ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب*، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1980 ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، تح. عبد الواحد وافي، 1965 ؛ عبد العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الله گنون، تطوان، 1964 ؛ عبد الرحمان ابن زيدان، *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، المطبعة الملكية، الرباط، 1961 ؛ *الوثائق* ، مجلة مديرية الوثائق الملكية، 10 مجلدات، الرباط ؛ دستور، 1962 ؛ محمد الطوزي، *الملكية والإسلام السياسي في المغرب*، تعريب، م. حاتمي و خ. شكراوي، نشر الفنك، الدار البيضاء، 2001.

إبراهيم بوطالب

**مخطوط** ، لفظ حديث مرتبط أساسا بظهور المطبوع، لهذا كادت تخلو معاجم العربية القديمة من ذكره باستثناء بعض الإشارات في كل من "*أساس البلاغة*" للزمخشري (538) و"*تاج العروس*" للزبيدي (1205). جاء في الأول : خط الكتاب يخطه، وكتاب مخطوط. وجاء في الثاني : كتاب مخطوط أي مكتوب فيه. ولا تخرج هذه الإشارات عما جاء في القرآن الكريم حول هذه المادة. قال تعالى في سورة العنكبوت : "وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون"، وتبقى العربية خلوا من هذا اللفظ حتى اختراع الطباعة التي ستحدث تحولا في الحضارة العربية وتفرز مصطلح مخطوط ما كان ليظهر لولا ظهور ما يقابله وهو لفظ مطبوع. ولم يكن هذا الحدث خاصا باللغة العربية وحدها بل حدث كذلك في اللغات الأخرى

حينما عرفت بلادها الطباعة الحديثة. فلفظ مخطوط (Manuscrit) في الفرنسية مثلا لم يظهر بهذا المفهوم إلا في نهاية القرن السادس عشر الميلادي (1594). وإذا وجد في اللاتينية القديمة فبمعنى النسخة الأصلية التي خطها المؤلف بيمينه (Autographe) لا بالمعنى العام للفظ مخطوط. ولا يجيز الفيلولوجيون المحدثون استعمال لفظ مخطوط إلا إذا كان مقرونا بلفظ كتاب، فيقال الكتاب المخطوط لأنه ليس كل ما كتب باليد يعتبر بالضرورة مخطوطا. فشواهد القبور وما نقش على الأحجار وما نقر على الصخور لا يدخل ضمن المخطوطات. إن الكتابة باليد ضرورية في ذاتها بالمفهوم الفيلولوجي للمخطوط. وفي القديم أطلق على الكتاب المخطوط مجموعة من المصطلحات نذكر منها : الزبور، المصحف (بفتح الميم)، السفر، الكراسة، الجلد، الكناشة، الدفتر، التأليف، المصنف، التقييد، الفهرسة، الكشكول وغيرها. وإذا كان ظهور لفظ "مخطوط" مرتبطا بصناعة المطبوع في التراث العربي فإننا نشير إلى أن المغاربة استعملوا عبارة "نسخة قلمية" في مقابل كلمة مطبوع قبل أن يجاروا المشارقة في استعمال لفظ مخطوط.

ولم يخرج شكل الكتاب المخطوط في المغرب عن شكل الكوديكس اللاتيني الذي كان عليه الكتاب العربي المخطوط في المشرق. وقد عرف المخطوط المغربي كذلك شكلا مستطيلا، وهو شكل لجأ إليه المشارقة في صناعة المصحف في نهاية القرن الأول الهجري حتى لا يختلط كتاب الله بأنواع الكتب الأخرى وخصوصا منها الكتب السماوية السابقة. وكان المغاربة ينفردون عن المشارقة بصناعة مخطوطات قرآنية مربعة أو شبه مربعة في فترة معينة، ولم يلبثوا أن عادوا إلى الشكل العام الذي هو شكل الكوديكس (Codex) أو الكراس. ومع ذلك بقيت بعض الكتب مثل المصاحف القرآنية وكتب الأذكار مثل *دلائل الخيرات* تحتفظ بالشكل القريب من المربع إلى القرن التاسع عشر الميلادي.

أما فيما يخص الجانب الباليوغرافي، فإن المغاربة نسخوا مخطوطاتهم بالخط الكوفي المغربي الذي يتميز عن الخط الكوفي المشرقي ببعض الخصائص منها : القيمة العددية للحروف والترتيب الأبجدي ونقط الحروف. وبالإضافة إلى ذلك فإن المغاربة احتفظوا بأصول الخط الكوفي المشرقي حينما شاع استعمال خط النسخ السريع عند المشارقة الشيء الذي يجعل من السهولة بمكان التمييز بين المخطوط العربي في المغرب والمخطوط العربي في المشرق.

وقد كتب المغاربة اللغة الأمازيغية بالحرف العربي قبل تطبيق خط تيفيناغ، وإن معظم التراث الأمازيغي المحفوظ في خزائن المغرب مكتوب بالحرف العربي باستثناء بعض النصوص كتبها الغربيون بالحرف اللاتيني. أما الأفارقة المسلمون في السودان المغربي، فقد كتبوا مؤلفاتهم العربية بالكوفي الذي أطلق عليه الخط الإفريقي أو المغربي أو السوداني أو التنبكتي أو السوقي. وتحتفظ بعض المكتبات بمجموعة من هذه المخطوطات الإفريقية كما تحتفظ بمخطوطات عربية بالحرف العبري أو اللاتيني. وحسب بعض الوثائق فإن مكتبات المغرب خاصة أو عمومية كانت تحتفظ بمخطوطات يونانية ولاتينية بدليل توافد البعثات العلمية الأوربية على المغرب في القرن التاسع عشر للبحث عن بعض هذه المخطوطات مثل عشريات المؤرخ اللاتيني تيتوس ليفوس (Tite Live).

يعتبر المغرب اليوم من أغنى البلاد العربية الإسلامية بالمخطوطات من حيث العدد والندرة والنفاسة والقيمة. يقدر بعض المختصين عدد المخطوطات المغربية بمائة ألف مخطوط، وفي تقديري فإن ما هو محفوظ بالمغرب من مخطوطات يفوق هذا العدد لأن ما لم نقف عليه من مجموعات خاصة أكثر مما هو معروف أو مفهرس بالمكتبات العامة. وتتميز المكتبة المغربية بنوادرها وفرائدها المتعددة مثل النسخة الوحيدة في العالم من كتاب "*البرصان والعرجان والعميان والحولان*" للجاحظ والجزء الخامس من كتاب *المقتبس* لابن حيان وغيرها كثير. ومما لا شك فيه أن الجهود التي تقوم بها الدولة المغربية في سبيل الكشف عن المخطوطات من شأنها أن تبرز إلى العيان المكانة السامية التي كان يتميز بها المغرب قديما في هذا المجال.

أحمد شوقي بنبين

**المخنث، عبد الرحمن** بن **محمد** من مواليد القدادرة أولاد عروس إقليم سطات سنة 1928.

عرف منذ شبابه بالاستقامة ونقاوة الضمير والوطنية الصادقة، وحينما انتقل إلى الدار البيضاء انضم إلى الحركة الوطنية وشارك في الكفاح السياسي بروح حماسية ضمن منظمة اليد السوداء فكان عمله يتوزع بين سطات والدار البيضاء، حيث قام بعدة عمليات فدائية بسطات والدار البيضاء كما كان من أهم الموزعين للسلاح على الفدائيين وعندما افتضح أمره ألقي عليه القبض فسجن بالبيضاء ثم نقل إل سجن القنيطرة.

وفي سنة 1955 فر من السجن واختفى إلى أن ظهر بمدينة تطوان حيث بقي فيها وقتا من الزمن ليعود بعدها لمزاولة عمله الفدائي بالدار البيضاء.

وأثناء وجوده بمنزله هوجم من طرف مجهولين قتلوا زوجته واختطفوه وبعد مدة وجد مقتولا بضواحي مدينة الدار البيضاء. وهو من المؤسسين والمسؤولين عن خلايا المقاومة بالدار البيضاء، بوجه خاص.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاومة رقم 524773.

**المدارس العتيقية بالمغرب**، يعتبر التعليم من مقومات الحضارة المغربية مند التاريخ القديم، وقد ارتبط نشوء المدارس العتيقة بالمغرب بالفتح الإسلامي وما تلاه من

انتشار الحركة الفكرية والتسابق إلى بناء المساجد والمدارس والجوامع في مختلف أطراف البلاد من سوس الأقصى وسجلماسة ودرعة إلى الريف وجبالة والأطلس الكبير وفاس وسبتة وتادلة والعدوتين. وكانت سوس والجهات الجنوبية دائماً في مقدمة هذه الأطراف والمراكز، مما رسخ نظام هذه المؤسسات هناك حتى الآن.

فالمدرسة العتيقة مؤسسة شعبية تقليدية للتربية والتعليم، يلجها الطالب في أي عمر كان، من أجل أخذ العلوم العربية والشرعية بعد استظهار القرآن الكريم في الكتاب. وهي كما تقوم بتعليم الطالب، تقوم أيضا بتربيته وتنشئته تنشئة دينية بالالتزام بالشعائر الدينية والتخلق بالأخلاق الحميدة. وهذه المدارس نوعان :

1 - مدارس قرآنية يلجها الطالب الحافظ للقرآن برواية ورش من أجل أخذ القراءات الأخرى المشهورة بقواعدها ورموزها مع تصحيح الرسم القرآني وضبطه، وهذا النوع قليل.

2 - مدارس علمية يلجها الطالب الحافظ للقرآن من أجل تلقي العلوم العربية والشرعية مع ما قد ينضاف إليها من حساب ومنطق وتوقيت ومختلف العلوم.

وقد عرفت بادية سوس أول مدرسة علمية في القرن الهجري الخامس عندما أسس وگاگ ابن زلو (ت. 445 . 1054 ) بأگلو قرب تيزنيت داراً سماها : دار المرابطين لحفظ القرآن وتعلم العلوم.

وتتكون المدرسة العتيقة من مكونات بشرية، ومكونات مادية :

- المكونات البشرية هي الفقيه والطالب، فالفقيه هو عالم تخرج من هذه المدارس وأصبح مؤهلا للقيام بوظيفة التدريس مقابل أجرة سنوية تسمى "الشرط" تؤديها له القبيلة، وهو المسؤول عن إدارة المدرسة علميا وإداريا وتربويا، وله السلطة المطلقة فيها، باستقلالية تامة، أما الطالب فشرط قبوله أن يكون حافظا لكتاب الله، وأن يلتزم باحترام قانون المدرسة. وعدد الطلبة غير محدد، بل يخضع لشهرة الفقيه العلمية، ولما تقدمه المدرسة من إيواء وغذاء. والطالب قد يلتزم في الأخذ بمدرسة واحدة، وقد ينتقل بين عدة مدارس بلا قيود ولا شروط.

المكونات المادية :

تحتوي المدرسة على عدد من الغرف لسكنى الطلبة، وغرفة للصلاة (لْمَقْصُرْتْ)، وقاعة للدراسة (لْمَجْلسْ)، وأخرى لتحفيظ القرآن للصغار : باسم (أخربيش) أو (ليحضار) وقاعة لاستقبال الضيوف، وغرفة للفقيه، ومحل لتسخين الوضوء (تافضنا)، ومحل للوضوء (لْمْيَاضِي)، ومخزن للمؤن (لْهْرِي)، كما تكون بالمدرسة مكتبة يستفيد منها الطلبة. وللطلبة أدوات كالألواح الخشبية وأقلام القصب، و"السمخ" من الصوف المحترق "والصنصار" من الطين ومحلها مواد محلية.

العلوم المدرسة وطريقة التدريس : يعد الفقه والنحو أساس التدريس بكل المدارس العتيقة، وإلى جانبهما علوم أخرى مكملة كالفرائض والحساب والبلاغة والعروض والأدب والتفسير والحديث والمنطق والتوقيت، وهذه العلوم المكملة تخضع لميول الفقيه واهتماماته. ويعتمد الفقيه في تدريس هذه المواد على متون معينة معروفة يدرس بها كل علم، كالمرشد المعين والرسالة والمختصر وتحفة الحكام في الفقه، والآجرومية ولامية الأفعال والألفية في النحو، والجوهر المكنون واستعارات ابن كيران في البلاغة، والخزرجية في العروض وهلم جرا. وهذه المتون مقسمة إلى أنصبة يومية يحترمها الفقيه ويعرفها الطالب، والفقيه هو الذي يتولى شرح النصاب، اعتمادا على شرح من الشروح، ويقوم الطالب بحفظه بعد كتابته على لوحه الخشبي.

وتدرس هذه العلوم كلها باللغة المحلية "تاشْلْحيت"، حتى قواعد اللغة العربية ولا تستعمل الفصحى إلا في النادر جداً ومع الطبقة العليا من الطلبة. ولا تُهمل هذه المدرسة وسائل الترفيه والرياضة البدنية، مع المحافظة على النظافة والصلوات الخمس وقراءة الحزب الراتب والمطالعة وسرد الكتب.

تمويل المدرسة : المدرسة العتيقة مؤسسة شعبية مستقلة عن السلطة المخزنية إداريا وتربويا وماليا ، فالقبيلة هي التي تتولى بناءها وتمويلها، فتدفع للفقيه أجرته وتدفع للمدرسة ثلث أعشارها من الحبوب التي منها يقتات الطلبة. هكذا كان الحال قديما. أما اليوم فنجد جمعيات إحسانية ومحسنين يوفرون لهذه المدارس كل ما تحتاجه من خبز وإدام وسكر وزيت وخضر ولحم وغيره. كما أن وزارة الأوقاف قد التفتت مؤخرا لبعض هذه المدارس فاحتضنتها وخصصت منحا لطلبتها.

مميزات المدرسة العتيقة : تتميز المدرسة العتيقة بمميزات هي :

1 - الاستقلالية : تمتعت المدرسة العتيقة منذ تأسيسها إلى اليوم باستقلال تام عن الدولة وعن السلطات المحلية، فالفقيه هو المتصرف الوحيد في المدرسة يدرس فيها ما هو متعارف عليه من العلوم، ويديرها بما يراه مناسبا من القوانين اللازمة لصلاح الطلبة وسير المدرسة، وهو المسؤول ماليا عن تدبير الموارد بعد ما يتم تحصيلها من القبيلة أو من غيرها. وهذه الاستقلالية جعلت المدرسة بمنأى عن الصراعات السياسية والقبلية مما أكسبها احترام العامة والخاصة.

2 - ربط التعليم بالتربية الدينية : لم تكتف هذه المدارس بالتعليم بل ربطته بالتربية الدينية ومزجت القول بالعمل، وبهذا يكون الطالب ملزمابالتعاليم الإسلامية من أداء للصلاة جماعة في وقتها، وملازمة الحزب الراتب، والتخلق بالأخلاق الحميدة، والتزيي بالزي اللائق... ويعاقب كل طالب أخل بهذا الجانب كما يعاقب من أخل بالجانب العلمي.

3 - التفرغ لطلب العلم : يتفرغ الطالب في المدرسة

العتيقة لطلب العلم، ولا يشغله شاغل عن ذلك لأن المدرسة تتكفل بالإطعام والإيواء. وهذا التفرغ يساعد الطالب على الانصراف كلية لتلقي العلوم. كما ساعد على ذلك أيضا كون كثير من هذه المدارس تقع في مناطق نائية عن التجمعات السكنية مما يوفر الهدوء اللازم لنجاح العملية التعليمية التربوية.

محاولات تجديد المدارس العتيقة : خيم الضعف والجمود على المدارس العتيقة، ونالها التهميش من جراء مزاحمة المدارس العصرية التي سلبتها جل وظائفها، ولم تبق لها إلا تخريج الفقهاء والأئمة والخطباء، وهذا ما باعد بينها وبين محيطها الاجتماعي وواقع الناس الذي عرف تطورات وتحولات متسارعة. هذه الوضعية هي التي دفعت بعض خريجي هذه المدارس إلى المناداة بتجديد المقررات ومناهج التدريس. وقد بادرت جمعية علماء سوس إلى تكوين لجنة عهدت إليها بزيارة هذه المدارس وإعداد تقرير حولها. وبناء على هذا التقرير أصدرت الجمعية منشورا من عشر ملاحظات تدور حول ضرورة تنظيم الدراسة، وتنظيم الامتحانات، وتغيير أساليب التدريس واستعمال السبورة. بيد أن فقهاء هذه المدارس لم يلتفتوا إلى هذا المنشور، وحافظوا على ما هو قائم.

وفي سنة 1995 نظمت جمعية أدوز بتيزنيت ندوة حضرها جم غفير من الأساتذة والفقهاء المؤطرين لهذه المؤسسات بعنوان "المدارس العلمية العتيقة، آفاق إصلاحها وإدماجها في محيطها المعاصر" وكان من نتائج الندوة إصدار "بيان أدوز حول إصلاح المدارس العتيقة" وقد طبع هذا البيان مع أعمال الندوة في كتاب يحمل عنوان *الندوة* ورغم أهمية البيان فقد بقي مجرد توصيات لم يكتب لها التنفيذ.

وبعد ذلك بسنوات صدر القانون 13.01 المتعلق بالتعليم العتيق، الذي يتضمن ثمانية أبواب وخمسا وعشرين مادة تدعو إلى تنظيم التعليم العتيق على شكل التعليم العصري فقسمته إلى أطوار : أولي، وابتدائي، وإعدادي، وثانوي، ونهائي، وتستغرق مدة كل طور نفس المدة التي يستغرقها في التعليم العصري، ويحدد لكل طور مقرراته، وتجدد أساليب التعليم، وتنظم فيه امتحانات وتسلم فيه شهادات. وتخضع هذه المدارس لمراقبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

والذي يمكن ملاحظته من التأمل في هذا القانون هو أنه يتقاطع مع هذه المدارس في بعض المكونات، ويختلف معها في الجوهر والعمق، خاصة فيما يتعلق بروحها وخصائصها ومميزاتها، وقد اختلف فقهاء هذه المدارس بين مؤيد ومعارض، ولكل حجته.

ومؤخراً صدر الظهير الشريف رقم 1.02.09 بتاريخ 29 يناير 2002 ، المتعلق بتنفيذ قانون التعليم العتيق المذكور وأقامت وزارة الأوقاف مديرية خاصة بشؤونه لإعداد برامج دراسية وتعميمها على جميع المدارس العتيقة من أجل تطبيقها قدر الإمكان. وفي سنة 2004 كانت الوضعية الإحصائية للمدارس العتيقة في مجموع البلاد كما يلي : 494 مدرسة منها 156 تحتضنها الوزارة، ومجموع إطارها من الأساتذة والفقهاء 1531 يستفيد 467 منهم من مكافأة شهرية من الوزارة، ومجموع الطلبة 21651 منهم 6795 طالباً ممنوحاً.

م. المختار السوسي، *مدارس سوس العتيقة*، 1987 ؛ عمر المتوكل الساحلي، *المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العتيقة بسوس*، ج 4، 1985 ؛ أحمد يحيى التجاجتي، *مآثر السلف ومفاخر الخلف مدرسة آيت وافقا*، 1991 ؛ مَحمد بومهاوت الواسخيني، *منار السعود عن تافراوت المولود*، 1994 ؛ *المدارس العلمية العتيقة آفاق إصلاحها وإدماجها في محيطها المعاصر*، جمعية أدوز، 1996 ؛ الحسين وكاك، *المدارس العتيقة بسوس*، 2003 ؛ المهدي السعيدي، *الإشعاع الأدبي للمدرسة الإلغية*، بحث دبلوم الدراسات العليا، مرقون بخزانة كلية الآداب بالرباط.

محمد الحاتمي والحسين جهادي

**الـمُدَبَّرْ** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Almudevar وAlmudebar ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1180 / 1767 ) ؛ وتجدر الإشارة إلى أن هناك مدينة إسبانية اسمها Almudebar.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **المدرة، محمد** بن **عبد الله** بن عيسى من علماء قصر كتامة في العصر المرابطي، وبسبب قلة المعلومات عنه اعتبره المؤرخ ابن الزبير من الأندلسيين ونسبه إلى الجزيرة الخضراء، بينما شك ابن الأبار هل هو من الأندلسيين أو من المغاربة. ولا تذكر المصادر شيئا عن بدايته، سوى أنه كان بالأندلس وصحب شيخ الصوفية بها أبا العباس ابن العريف (ت. 536 ). وتأدب في النحو بأبي القاسم بن الأبرش. ثم تصدر للتدريس، فروى عنه أبو الربيع سليمان ابن عبد الله التجيبي الخشني، ومن أهل قصر كتامة أبو محمد ابن فليح. كان متحققا من علوم اللغة، بارعا في الأدب. سكن بمدينة قصر كتامة مدة. وتوفي بها سنة 530 / 1136.

ابن الأبار البلنسي، *التكملة لكتاب الصلة*، طبعة الدار البيضاء، 2: 18 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ج 8 : 103.

محمد المغراوي

**المدرسة المصباحية**، شيدت هذه المعلمة المعمارية من طرف السلطان أبي الحسن المريني سنة 747 / 1347، كما تشهد الكتابات الموجودة بها، حيث نقرأ : "الحمد لله رب العالمين... وبعد فهذا أمر بتخطيطه وإنشائه دفعا وردعا لأيدي المعتدين مولانا الخليفة الإمام المجاهد في سبيل الله المؤيد بحزب الله أبو الحسن علي ابن مولانا أمير المسلمين

في سبيل رب العالمين أبو سعيد". "وكان الفراغ من بناء المدرسة المذكورة وبناء القبة التي بها والبيوت المتصلة بالقبة المذكورة وفرشها بالرخام في عام سبعة وأربعين وسبعمائة".

ومن المؤرخين المعاصرين الذين أكدوا بناء المدرسة في تلك الفترة، الجزنائي الذي اكتفى بقوله هذا "أمر بناء مدرسة الرخام مولانا أمير المسلمين أبو الحسن جوفي جامع القرويين" ولم يشر إلى السنة التي بنيت فيها.

أما ابن مرزوق فقد ذكر أنها تقع في شمال جامع القرويين وأنها من بناء السلطان أبي الحسن المريني.

يدخل بناء هذه المنشأة التعليمية في إطار تنشيط الحركة التعليمية بفاس في عهد السلطان أبي الحسن المريني، أضف إلى ذلك تزايد عدد الطلبة الوافدين على المدينة. وقد شيد السلطان منشآت أخرى من هذا النوع كمدرسة الصهريج بفاس والمدرسة الجديدة بمكناس ومدرسة الطالعة بسلا.

أنجزت المدرسة نتيجة للظروف الاقتصادية السانحة، وقد أنفق السلطان بسخاء على بنائها، حتى إنه من أجل تجميل صحنها، استورد لها بلية رخامية من المرية بالأندلس، وقد سيقت منها إلى مرسى العرائش ثم إلى وادي سبو إلى أن وصلت إلى فاس.

حملت المدرسة المصباحية أسماء متعددة : فقد أطلق عليها منذ تأسيسها مدرسة الرخام، نسبة إلى بليتها الرخامية، وكذلك إلى استعمال الرخام في تبليط بعض عناصرها المعمارية كالصحن وقاعة الصلاة. كما عرفت بالمدرسة المصباحية نسبة إلى أول أساتذتها مصباح بن عبد الله أبو الضياء اليالصوتي الذي يعد من الفقهاء المالكيين في القرن الثامن الهجري.

أنشئت المدرسة بحي بوطويل من عدوة القرويين، على مساحة كبيرة، وندخلها من ثلاثة أبواب بابها الرئيسي مواجه لإحدى سواقي جامع القرويين. وزين المدخل الرئيسي بأفرز خشبي وينفتح بواسطة قوس كان يجمع أشكالا هندسية ونباتية ومصراعين خشبيين. يفضي الباب إلى الصحن المكشوف عبر ممشى ملتوي يشبه ممر مدرسة العطارين. زين هذا الممشى بزخارف منحوتة على الجبص كما زينت جدرانه بالزليج.

أول ما يجذب الانتباه بهذا الصحن، حوضه الرخامي الأبيض الذي يزن مائة قنطار وثلاثة وأربعين قنطارا، وتبلغ قياساته (20 م3 X 05م1 ) ويتوسط الفناء، وتشير بعض الكتابات أن هذا الحوض وضع أولا بمدرسة الصهريج، ثم نقل بعد ذلك بأعوام إلى المدرسة المصباحية. وبالصحن أروقة جانبية محمولة على أعمدة وأسقف خشبية ودرابزين منتظمة.

بيت الصلاة يتسم بالطابع المحلي الذي تعودناه في بيوت الصلاة، وهو التخطيط المتمثل في قاعة مربعة الشكل (7م x 7 م). وما يسترعي انتباه الزائر في هذه القاعة هو واجهتها المزخرفة التي تكون وحدة جمالية بارزة. وتأخذ شكل إطار مستطيل ينفتح على الصحن بعقدين متشابهين يفصل بينهما عمود دائري قليل الارتفاع، وهذه العقود كاملة متجاوزة حدودية، وقد ميزت العمارة المغربية بشكل ملحوظ.

تيجان الأعمدة على جانب رفيع من الدقة والأناقة في الشكل، مما زاد من الثراء الفني للواجهة. وعناصر مدخل بيت الصلاة تجمع كل ما هو معروف في الزخرفة الإسلامية من أشكال هندسية ونباتية وكتابات... ويحيط بهذه التنظيمية إطار مستطيل يحمل كتابات نقشت بخط أندلسي يحمل ما نصه : "العز القائم لله الملك الدائم لله" وقد انطمست بعض المعالم الزخرفية لهذا الإطار.

ومن خصوصيات المدرسة المصباحية، توفرها على 117 غرفة لإيواء الطلبة، 23 غرفة توجد في الطابق الأرضي والباقي موزع في الطبقات العليا، يتم الصعود إليها بواسطة درج ينطلق من الممر الذي سبق الحديث عنه.

على غرار المدارس، تتوفر المصباحية على ميضأة داخلية.

لقد استقبلت المصباحية عددا كبيرا من الأساتذة، أشهرهم مصباح بن عبد الله أبو الضياء اليالصوتي المتوفى سنة 750 ، والبقال علي الحاج مؤسس الزاوية البقالية وقد درس بها في القرن 16 ، ومن الذين سكنوا المصباحية : أبو المحاسن الفاسي ومبارك بن عبابو الكوش وسيدي محمد بن أحمد.

وكانت المدرسة كباقي المدارس المرينية تستفيد من الأحباس للإنفاق عليها، وقد ذكرت كلها في رخامة التحبيس كما جاء في الكتابات الغربية لألفريد بيل ما نصه : "فمن ذلك الحانوت الثانية عشر عن يمين المنعطف من زنقة الديوان إلى سماط العطارين، ومن ذلك جميع الثلاثة عشرة حانوتا المصطفة على قنطرة الفقاصين ومن ذلك جميع الدار الكبرى الكائنة بالقلعة أمام السجن ... ومن ذلك جميع الثلاثة ديار الكائنة برياض حجي مع قاعة متصلة بهم ... ومن ذلك جميع الثلاثة الأرباع في دار بالجرف، ومن ذلك خمسة أثمان بفندق الرضاع.. ومن ذلك أربعة أسباع بجنان بحمام الرياض... ومن ذلك جنان بخارج باب الفتوح... ومن ذلك الثلث في المدشر المعروف بقلعة كباب، ومن ذلك زوج دويران بالمدينة البيضاء، ومن ذلك جميع مدشر الحاجة وبعض من أرض ناجمة والولجة والسفى... ومن ذلك ما وجب بالمحاصة في منزل الحاجب ومدشر لبني وارين وذلك خمسمائة سهم وخمسة وأربعون سهما وسدس سهم من ثلاثة الألف سهم وثلاثة مائة سهم واثني عشر سهما وثمن سهم وخمسة أسداس الثمن وذلك كله المسمى باسم الخطيب أبي الفضل المزدغي، حبس ذلك كله وخلده تحسبا دائما وتخليدا مؤبدا.... (ص. 256 - 257).

خضعت المدرسة المصباحية للترميم والإصلاح عدة مرات عبر العصور، مما حرف بعض عناصرها الزخرفية. أما حاليا

فهي آيلة للسقوط، إن لم تتدخل الجهات المعنية من أجل إصلاحها باعتبارها معلمة تاريخية.

الجزنائي، جني زهرة الآس، ص. 37 ؛ الناصري، الاستقصاء، ج 3، ص. 176 ؛ ابن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس، تح. زهرة النظام، ص. 285 - 258.

Bel Alfred, Inscriptions arabes, de Fès, la Madresa Mesbahiya, *Journal Asiatique, septembre - octobre 1918, p. 250-276* ; Henri Terrasse, *Médersas du Maroc*, Paris, 1927, p. 7 ; Georges Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954 ; Ibn Marzuq, *Al-Musnad*, trad. Levi-Provençal.

نعيمة الحضري

**مدغرة**، هي إحدى واحات إقليم سجلماسة القديم الذي كان يضم عدة تجمعات واحية تمتد على طول وادي زيز من الخنك باتجاه الجنوب على مسافة عشرات الأميال. وتعود تسمية هذه المنطقة بهذا الاسم حسب ما تشير إلى ذلك روايات المؤرخين القدامى إلى قبيلة "مضغرة" البربرية التي كانت تشكل غداة الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا إحدى أهم البطون القبلية البترية الأربعة التي كانت لها الغلبة على ما سواها من القبائل الأخرى وهي إضافة إلى نفوسة، زناتة ونفزاوة وقد اختلف النسابة والمؤرخون في رسم اسم هذه القبيلة اختلافا بينا، غير أن ما صار شائعا بحكم التداول المتواتر في هذا الخصوص، هو أن هذا الاسم حينما يكتب بالدال المهملة يطلق على مدغرة سجلماسة والصحراء أما حينما يكتب بالطاء يعنى به مطغرة تلمسان بينما حينما يكتب بالضاد يقصد به مضغرة شمال المغرب.

ومما يستشف من مصادر تاريخ المغرب الوسيط التي راعت أخبار قبيلة مدغرة (مضغرة) وتطورها في الزمان والمكان، أن هذه القبيلة لم تحافظ على وحدة كيانها ومواطن استقرارها وتحركها التي عرفت بها منذ أول الفتح إلى غاية نهاية القرن 8 / 14، بل انقسمت جموعها وتوزعت مع مرور الوقت إلى شعب وفصائل متعددة يغطي مجال انتشارها نطاقات جغرافية واسعة تشمل تلسمان وتوات وفگيگ وتازة وطنجة وغيرها، حيث اندمجت مع عدة قبائل بربرية وعربية واكتسبت بحكم علاقات التفاعل والانصهار التي تبادلتها معها ملامح وخواصاً اجتماعية وسلوكية وثقافية بهذا القدر أو ذاك عما كان يميز القبيلة الأم من خصوصيات اجتماعية وتاريخية معلومة. وتفيد المظان التاريخية في هذا السياق، أنه إلى حدود نهاية القرن 7 / 13 كانت أقوام كثيرة من قبيلة مدغرة لاتزال تتخذ من قصور سجلماسة ومداشرها مسقرا لها في حين كانت مجموعات أخرى منها تجوب الصحراء بين توات وفگيگ وسجلماسة. ولم يختف وجود هذه القبيلة إن كلا أو جزءا من هذه الأصقاع إلا مع نهاية القرن 9 وبداية 10/ نهاية 15 وبداية 16، على الأرجح، خاصة بعد استئثار قبائل بني معقل بسكنى أغلب هذه المواطن والفيافي وتحكمها في جل الطرق والممرات المؤدية من وإلى سجلماسة. حيث لم يعد منذ ذلك الإبان، فيما يظهر، اسم هذه القبيلة سوى تعبير عن علم بشري يدل على اسم مقاطعة جغرافية تمتد من جنوب مضيق الخنگ إلى حدود شعبة اللحم جنوب العين الزرقاء لمسكي. وقد غدت هذه المقاطعة منذ ذلك الحين بحكم موقعها ضمن منطقة مرورية مجالا لتوافد واستقرار إثنيات وفصائل قبلية من أصول عربية وبربرية تبادلت فيما بينها علاقات التساكن والوفاق طورا وعلاقات الصراع والتواجه طورا آخر وذلك إما حول المحتطب والمرعى وإما حول مصادر المياه والمستغلات الزراعية المنتشرة حول حوافي وادي زيز، لأن الموارد الاقتصادية التي كانت تتوفر عليها هذه المنطقة بحكم خصائصها البيئية والطبيعية الصحراوية الجافة كانت من الشحة والندرة ما جعلها على مر التاريخ موضع تنافس دائم وتنازع مستمر بين مختلف القبائل والمجموعات بغرض الاستحواذ على منافعها واحتكار السيادة على مصادر إنتاجها.

وإذا كان من الصعوبة بمكان تحديد تاريخ استقرار قبيلة مدغرة بإقليم سجلماسة والإحاطة بمختلف الأحداث التاريخية التي ساهمت في صنعها إن محليا أو جهويا أو وطنيا، فإن أهم ما يمكن تسجيله في هذا السياق، هو أن هذه القبيلة كانت قد شايعت حركة الخوارج الصفرية بسجلماسة ونافحت عن نحلتهم في بداية الأمر، إلا أنها سرعان ما غيرت موقفها منها وناصبت قادتها العداء لا سيما بعد أن تراجع نفوذ هذه الحركة في هذه الربوع إثر اجتياح الفاطميين للمغرب ومطاردتهم لرموز الإمارات الخارجية في جهات مختلفة، فكان أبرز عمل أقدم عليه المداغرة يومئذ هو اعتقالهم لمحمد ابن الأمير الفتح الملقب بالشاكر لله الذي كان متحصنا يومها بحصن تاسجدالت وقدموه لجوهر الصقلي قائد أبي تميم الفاطمي فأجهز عليه بمعية من كان برفقته من مناصرين. على أن هذا الموقف لم يكن حالة استثنائية منعزلة، وإنما كان موقفا شبه عام درجت قبيلة مدغرة على تكراره في عدة سياقات تاريخية أخرى مماثلة. فقد وقفت هذه القبيلة بشدة في وجه الفتوح الإسلامية وساهمت مساهمة بالغة الأثر في حروب الردة التي أعقبت هذه الفتوح. كما أدارت ظهرها للأدارسة بعد تقلدهم مقاليد الحكم في المغرب وساندت خصومهم العباسيين. ولم تتورع هذه القبيلة، في نفس الاتجاه كذلك، عن مشايعة حركة بورغواطة والدفاع عن عقيدتها المذهبية والسياسية. وتؤكد هذه المواقف أن قبيلة مدغرة كانت خلال القرون الأولى للفتح الإسلامي على الأقل يتملكها نزوع جامح نحو معارضة أي كيان سياسي يستهدف استتباعها لدائرة نفوذه وإخضاعها لسلطته المذهبية، لأن ماضيها التاريخي والسياسي وإرثها الاجتماعي والثقافي المحكوم في عمومه بإرادة الاستقلال والنزعة الثورية كان يدفعها باستمرار إلى رفض كل شكل من أشكال الخضوع والتبعية.

وحيث إن قبيلة مدغرة (مضغرة) لم تحافظ مع توالي السنين على وحدة عصبتها وجغرافية انتشارها - كما أسلفنا -

إذ تفرقت عناصرها واندمجت مع قبائل متعددة في مواضع مختلفة كغياتة وبني وارين بالمغرب الأقصى وكَومية وولهاصة بنواحي تلمسان، فإن المجال الذي كانت تتخذه مستقرا لها في إقليم سجلماسة، عرف بالنتيجة تقاطر موجات بشرية من أصول إثنية متنوعة ساهمت مع تعاقب الزمن، بما نتج عنها من تمازجات وتلاقحات سلالية واجتماعية وحضارية، في تشكيل البنية البشرية والتاريخية لمجتمع مدغرة. وهي بنية تتركب في مجملها من عناصر بربرية تنحدر غالبا من أصول زناتية وصنهاجية، وأخرى عربية تنحدر من أصول معقلية وشريفة فضلا عن مجموعات السود والعبيد الوافدة من إفريقيا ومن اليهود. ونظرا لما تبادلته هذه العناصر في حياتها الاجتماعية المشتركة من علاقات إنتاج مادية ورمزية، فقد تشكل بحكم التطور التاريخي داخل منظومة القصور نمط خاص من التراتب الاجتماعي بين مختلف فئات المجتمع المدغري يقوم على أساس الانتماء السلالي لكل فئة اجتماعية على حدة والدور الوظيفي الذي كانت تنهض به على صعيد الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والديني لمؤسسة القصر. ولذلك جاء النسق الهرمي الداخلي لهذا المجتمع موزعا وفق التصنيف الفئوي التالي :

الشرفاء : تصدرت هذه الفئة قمة الهرم الاجتماعي بحكم ما حازته من قداسة روحية وسلطة اجتماعية ومكانة اعتبارية. وقد شكل معيار الانتساب إلى آل البيت النبوي المحدد الحاسم في تحديد هويتها الاجتماعية والسلالية أكثر من أي معيار آخر اجتماعيا كان أو اقتصاديا. لذلك فإن ما اكتسبته هذه الشريحة الاجتماعية من شفوف روحي وحرمة اجتماعية على الصعيد المحلي كما على الصعيد الخارجي، لم تستمده في المقام الأول مما كانت تملكه من أسباب الثروة والجاه ـ وهي التي كانت تعول في عيشها في الأغلب الأعم على ما يرد عليها من هدايا وصدقات وصلات ـ وإنما مما كانت تضطلع به من مهام ووظائف على أكثر من واجهة اجتماعية، فضلا عما كانت تحوزه من مؤهلات علمية وفكرية ودينية غاية في الأهمية والتفرد. فإلى هؤلاء الشرفاء كانت تعود رئاسة مشيخات القصور وإدارة شؤونها الجماعية، وإليهم كان يرجع اتخاذ القرارات الحاسمة في جل القضايا والنوازل الهامة والشائكة، وعليهم كان مدار المشورة والحكم والرأي. إضافة إلى هذا وذاك كان هؤلاء الشرفاء يتولون إصلاح ذات البين بين الجماعات المتخاصمة والتحكيم في النزاعات التي كانت تنفجر بين الفينة والأخرى حول المراعي الجماعية وآبار المياه والحيازات الزراعية...إلخ وذلك من خلال صياغة عقود الأخوة بين الأطراف المتنازعة أو من خلال تقرير أحكام فاصلة توافق مقتضى العدل الجماعي قدر موافقتها لمقتضى القضاء الشرعي. وبحكم ما تمتعت به هذه الفئة من تكوين علمي وديني مميز ـ قلما توفر نظيره لدى باقي الفئات الاجتماعية الأخرى ـ فقد تصدى أبناؤها ـ خلفا عن سلف ـ لمهام التعليم والتدريس داخل المجتمع المدغري، كما مارسوا أيضا وظيفة القضاء والإمامة والفتوى. وهي مهام ووظائف أضفت على هذه الفئة هالة قوية وكثيفة من التقدير والإجلال والاعتبار جعلتها تتصدر بدون منازع المكانة الأولى في السلم الاجتماعي المحلي.

الأحرار : تفاوت حضورهم توزيعا وعددا من قصر إلى آخر، إلا أن وضعهم الاجتماعي اتسم في كل الأحوال بخصائص اعتبارية مميزة. فقد كانوا يملكون الأرض وحصص الماء ويتولون بأنفسهم ممارسة الأنشطة الزراعية دون غيرها من الحرف والمهن التي كانت من اختصاص العبيد والحراطين واليهود. كما كانوا يمارسون التجارة والتدريس والإمامة. ونظرا لما كان يتمتع به هؤلاء الأحرار من حرية في اتخاذ القرار، فقد تولوا مسؤولية الإشراف على تسيير شؤون القصور التي كانت تتألف في غالبية سكانها من عناصر حرة.

الحراطين : احتلوا موقعا وسطا بين فئتي الأحرار والعبيد، وتميزت وضعيتهم الاجتماعية عموما بالدونية والوضاعة رغم تمتعهم نظريا بالحرية الكاملة. كانوا يملكون الأرض وحصص الماء بغابة مدغرة ويستقرون بمختلف قصورها أسوة بباقي العناصر الاجتماعية الأخرى. إلا أنهم ظلوا، مع ذلك، مرتبطين وتابعين في الأغلب لأسر الأشراف يفلحون أرضهم ويرعون ماشيتهم مقابل خمس الإنتاج. وبالرغم مما تمتعت به هذه الشريحة الاجتماعية من حقوق مدنية على صعد مختلفة، فقد ظلت تعيش في إطار اجتماعي مغلق، تتزاوج فيما بينها ولا يسمح لعناصرها بإقامة علاقات مصاهرة مع غيرهم حتى وإن ارتقوا في أحوالهم المادية والثقافية.

العبيد : ارتبط وجودهم في الغالب بأسر الأعيان والوجهاء من الشرفاء ورموز النخبة المخزنية وبأرباب الزوايا والمراكز الدينية. كانوا يتولون مهام الحراسة في القصبات والطرق غير الآمنة، فضلا عن الخدمة في بيوتات العائلات المعروفة بغناها وجاهها.

اليهود : اقتصر وجودهم على قصور بعينها دون غيرها، حيث كانوا يستقرون في ملاحات خاصة بهم. وقد سمحت لهم الأعراف المحلية بتملك الأراضي الفلاحية على غرار العناصر المحلية الأخرى. إلا أن نشاطهم الاقتصادي ارتبط أساسا بمزاولة مهن محددة تتعلق بالتجارة وصناعة الحلي.

ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، 6، 1981 ؛ إ. عذاري، *البيان المغرب*، 1، 1985 ؛ إ. أبي زرع، *الأنيس المطرب*، 1999 ؛ م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي*، 1888 ؛ ع. العزيز العلوي، *الأنوار السنية*، 1972 ؛ ح. الوزان الفاسي، *وصف إفريقيا*، 1982، 2 ؛ م. كاربخال، *إفريقيا*، 1984، 2 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، 7، 8، 9؛ محمد القادري، *نشر المثاني*، 1982، 1 ؛ ع. الوهاب بنمنصور، *قبائل المغرب*، 1968 ؛ أ. عبد اللوي علوي، *مدغرة وادي زيز*، 2، 1، 1996 ؛ م. إسماعيل، *الخوارج في بلاد المغرب*، 1976 ؛ م. العربي، *مذكرات من التراث المغربي*، 5، 4 ؛ ح. علوي حافظي، *سجلماسة وإقليمها*، 1988.

Larbi Mezzine, *Le Tafilalt, contribution à l'histoire du Maroc aux XVII et XVIII siècles* Najah el-Jadida, Casablanca, 1986 ; G. S. Colin, Un voyage de Fès à Tafilalt, *R.G.M., n° 1, 1934.*
الفقيه الإدريسي

**المدغري، أحمد** (مولاي -) **الحروشي** ولد بمكناس عام 1912، وبها شب منذ طفولته على حب الموسيقى، فكان يرتاد محافل الطرب بعيداً عن مراقبة أخيه الأكبر. وقد وجد في نفسه التواقة وموهبته المتوقدة ما حفزه على ركوب سبيل الجد فيما قصده، فما كاد يدرك العقد الثاني من عمره حتى انقادت لأنامله آلة السويسن، وانسابت إلى مسمعه ألحان الأغاني الشرقية فتعشق منها الأدوار والموشحات.

كان من أوائل الطلبة الذين التحقوا بمدرسة دار الجامعي للموسيقى الأندلسية التي أنشأتها مصلحة الفنون الأهلية بمكناس في شتنبر 1932، وبها تلقى ميازين "الآلة" على يد أساتذتها الفاسيين، القارين منهم كالسيد محمد دادي، والمعلم عزوز بناني، والعرضيين كالحاج عبد الكريم الرايس، والحاج أحمد التازي لبزور. وعن هؤلاء أخذ تقاليد المدرسة الفاسية الحديثة، ولما يكن قضى على انطلاقتها سوى خمسة عقود، فكان من أوائل الذين جنوا ثمرات التعليم الموسيقي بمكناس وفق مستعملات هذه المدرسة، فحذق الصنعة حفظا وإنشادا، وأتقن العزف على الكمان والعود والرباب والطر والدربوكة.

وفي سنة 1934 انخرط المترجم عازفا على الكمان في جوق الموسيقى الأندلسية الذي كان يرأسه - يومئذ - الفنان الحاج محمد ابن شقرون. ثم التحق بسلك المعلمين بالمدرسة، ثم آلت إليه رئاسة جوق الآلة في نهاية الخمسينيات، وما لبث أن عين في بداية السبعينيات مسؤولا عن إدارة المدرسة التي أصبحت تعرف باسم "المدرسة الوطنية للموسيقى" ؛ ومنذئذ استمر قائما بأعباء التدريس ورئاسة الجوق وإدارة المعهد إلى أن وافاه الأجل المحتوم يوم الخميس 27 محرم 1398 / 28 دجنبر 1978.

كان المرحوم المدغري على امتداد أكثر من ثلاثين سنة محط تقدير المهتمين بالموسيقى الأندلسية في مكناس، وعلى يده تخرجت نخبة من العازفين والمنشدين ممن تعززت بهم الساحة الفنية وما تزال من مدرسين وممارسين.

*دورية التواشي السبع* ، إصدار جمعية هواة الموسيقى الأندلسية المغربية بمكناس، ع 1، مايو، 1980، ص. 45-55 ؛ ع. بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2، الدار البيضاء، 2000، ص. 242.

**المدغري، التهامي** من أكبر شعراء الملحون. أصله من تافيلالت، نشأ وترعرع بين فاس ومراكش، ودرس بالقرويين. كان يجالس السلطان المولى عبد الرحمن، ثم أصبح من رفقاء ابنه الأمير سيدي محمد، وتوثقت بينهما عرى الصحبة لدرجة أصبحت مبعثا لقلق والده من أن تلهيهُ عن الدراسة فيكل عزمه عن الجد فيها. وقد حدث يوما أن واجه السلطان الشاعر بقوله : إنك ملذ المعاصي، فأجابه بلباقة : بل أنا ملذ المعاني يا مولاي. وقد استمرت الصحبة بين الأمير والشاعر حتى بعد تعيينه خليفة للسلطان في مراكش، فاستقدمه واتخذه جليسا وملازما.

كان المدغري ضليعا في نظم الشعر المعرب الموزون. ومما احتفظت به المصادر قصيدتان طويلتان قالهما في الأمير سيدي محمد، الأولى حين ختم جامع البخاري، والثانية حين ختم كتاب أقليدس في الهندسة ؛ غير أن وفرة ما أنشأه من قصائد في الشعر الملحون غطت على ما سواها، فذاع صيته في الآفاق، وعزّ على معاصريه وعلى كثير ممن جاء بعده أن يدرك ما أدركه من شهرة وقبول فصارت قصائده على كل لسان، وزاد من شيوع بعضها أنها أصبحت مما يتغنى به الأشياخ في المحافل. وقد أحصى المرحوم محمد الفاسي ما وقف عليه من قصائد السي التهامي فبلغت 105 قصيدة، دون الذي ضاع من إنتاجه، وهو كثير.

نظم المدغري في كثير من أغراض الشعرالملحون، غير أنه كان أكثر جودة وأغزر إنتاجا في الغزل والخمر حتى عُدّ الأول فيهما، وظن أنه لم ينظم في غيرهما.

فمن قصائده في الغزل : زينب والغزيل وعين الحرشة قتالة والديجور والزهو الباقي وزنوبة وخديجة والام مرشوق، فضلاً عن قصائد أخرى نظمها تحت أسماء مكررة منها : فارحات، وحليمات، وزهرات ...

وتحفل قصائده الغزلية بالصور البديعة واللوحات الرائعة، وهو من خلالها يحكي لوعة الحب وهيام الغرام، وشكوى لظى جمر صد الحبيب، وسهاد عينه في الليل الطويل، وهموم صدره النابض بالحب، ووهن جسمه المعنى بالأرق ... وهو إذا طرق باب التشبيه والمقاربة أتى بما يعجز عن مثله البلغاء، ناهيك بقصيدة "البتول" التي شبّه فيها نفسه بقمريّ ثمل من السكر فارقه خلانه من أجناس الطير فغدا وحيدا، أو بمحارب وقع أسيرا في شباك نصراني لا يمل من الجفاء والعنت، أو بصبي فطمته أمه وهو بعد لم ينل من حليبها ما يكفيه فطفق ينوح وفاق نواحه نواح جميع الأطفال.

وهو إذا ذكر الفراق استعظم وقعه على نفسه، وقد صد عنه الخلان وتركوه في حالة من الحزن الشديد. وإلى ذلك فإن غزلياته لا تخلو من نظرات تأملية يرى فيها أحيانا أن كل المحبين مغلوبون أمام قوة العشق والهوى، وأن صريع عيون الأحبّة لاَديَّةَ له.

أما خَمرياته فقد احتلت من ديوانه حيزاً كبيراً حتى عده الدكتور الجراري شاعر الخمر الأول. ومنها : الخمارة والساقي والماحي والفجر والدالية.

وتحفل خمرياته بأسماء الخمر حتى لكأنها معجم لهذه الأسماء. وقد استعرضها في قصيدة واحدة هي "الساقي" فأربت على الستين. وإمعانا منه في موضوع الخمر فهو يروي في ذات القصيدة قصة نشوئها منذ أن كانت نبتة غرسها

البستاني في روض مزهر، ثم رعاها بالسقي إلى أن اكتمل نموها، فأنجبت عناقيد تسطع بالضياء، جناها ولدُ الغرام وعصرها، ثم صفّاها وعتقها، ثم انتهت إلى مجالس الشراب وحفت بها كؤوس السقاة.

وتعرج خمريات السي التهامي على "الساقي" فيراه مغنيا ينشد المواويل ويحرك الأوتار بشائق الطبوع. أما أواني الشرب فهي عنده كالفناجيل والطاسة، وأما وقته الأمثل فهو الصبوحي، وأما مجلسه فهو في قصيدة "الساقي" يتصدره المغني وهو ينشد الأشعار وبجانبه عازف العود ينقر برفق فتزهى الريام ويقمن للرقص، بينما هو في قصيدة "الصبوحي" يلتئم فيه جوق موسيقي بأكمله قوامه عازفو العود والقانون والجنح والجنك والكمنجا والسينترا والرباب.

تميز السي التهامي بين شعراء الملحون بأمور، منها :

- ولعه الشديد بقافية الحاء حتى لقبه معاصروه حياح الحا"، فجاءت جل قصائده عليها، ومن أشهرها وأكثرها تداولا بين المنشدين "فارحا" التي تقول حربتها :

دَسِّيني تحت الأخلال بين ادروعك لملاح
واللّبّا والدّواح     وانهداتَك تفاحا
خفت ايشوفوني يجرْحوني يا فارحا

- ومما كاد يتفرد به إغفالهُ ذكر اسمه في أواخر قصائده، لا يستثنى منها غير قصيدة "الورشان" التي ذكر فيها اسمه قائلاً : الحاج التهامي، وقصيدة "العود" التي ذكر فيها نسبه "المدغري".

- ومما تميز به أيضاً براعته في نظم السرارب، وقد احصاها المرحوم محمد الفاسي فبلغت 14 سرابة منها التي أولها :

يقّظ جفنك     اسمع الأطيارْ آساقي من فُوقَ أشجارْ بلْغاهُمْ صاحُوا

توفي في محرم من عام 1273.

ع. الجراري، *القصيدة*، ص. 227 ـ 643 ـ 648 ؛ عبد الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص. 375 ؛ م. الفاسي، *معلمة الملحون*، أكاديمية المملكة الغربية، ج 2، ق 2، ص. 231 ـ 239.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**المدغري، محمد العربي** العلوي، من أشهر رجالات التصوف والصلاح في منطقة مدغرة وأكثرهم نفوذا وأبعدهم صيتا خلال نهاية القرن 13 / 19 ومطلع القرن 14 / 20، اتجه في أول خطوة خطاها خارج موطنه الأصلي لتحصيل العلم والمعرفة إلى مدينة فاس إلا أنه لم يلبث بها إلاّ مدة يسيرة، لأن نوازع التصوف التي كانت تملك عليه جماع تفكيره وتستحوذ على كامل كيانه، صرفته مبكرا إلى ملازمة أهل الولاية والصلاح للارتواء من نبع علومهم ومسالك طريقهم والتشرب من فيض بركتهم وينبوع فضلهم. فكان أن وجد في الشيخ القطب الصالح سيدي أحمد البدوي زويتن وطريقته في التصوف ما به يشفي غليله ويحقق بغيته. إذ صاحبه مدة ليست بالقصيرة "يخدمه خدمة العبيد"، في حب وتفان، رغم معارضة والده الذي كان يكاتبه مهددا ومتوعدا حتى يبتعد عن هذا الطريق ويقلع عن مسلكياته. ولم يغادر سيدي محمد العربي العلوي شيخه البدوي ولم يعد إلى بلاده حتى أذن له هذا الأخير بذلك بعد أن أنس منه القدرة على "التسليك والتلقين" والدربة على "الهداية والتوجيه".

وفي مدغرة تألقت شخصية سيدي محمد العربي العلوي وسرى ذكرها في الآفاق بما صار لها من شفوف روحي وتمكن اجتماعي وسط جموع أتباعه ومريديه وجمهور الزائرين والمترددين عليه من أنحاء مختلفة. فقد كانت زاويته موئلا للتلاميذ الراغبين في التربية والتعلم وأخذ قواعد التصوف، كما كانت ملجأ للفقراء والمحتاجين وقبلة للزوار والوافدين من كل صوب وحدب، ويطعم فيها من الطعام ألوفا من الخلائق ويدعو الناس إلى اتباع سبل الهداية والرشاد والالتزام بقواعد السنة والكتاب. وبالرغم من كونه لم يدع يوما مقاما ولا ولاية أمد حياته، كما كان دأب بعض الأولياء ومشايخ الزوايا من أهل زمانه، فإن طريقته في التصوف القائمة على مبادئ المحبة والتودد والاستغراق في الذكر والعبادة وخدمة الناس آناء الليل وأطراف النهار دونما كلل أو ملل، هو ما جعل ذكره وصيته يصل إلى أبعد مدى "فلا تجد قبيلة من قبائل المغرب حواضره وبواديه إلا وفيها من تلامذته العدد الكثير، والحجم الغفير، سرى سره في الأقطار المغربية من أطراف السودان إلى أقصى السوس...".

وبحكم ما تمتع به سيدي محمد العربي العلوي من نفوذ روحي وتقدير معنوي من لدن أتباعه وخدامه ومشايعيه، فقد اعتبره المخبر الفرنسي شارل دوفوكو الذي زار منطقة مدغرة أواخر القرن 13 / 19 واحدا من أكبر وأشهر الزعامات الصوفية التي كانت تتوزع مجال السلطة الدينية والروحية في المغرب آنذاك وهي على التوالي : سيدي محمد بوبكر أمهاوش وسيدي ابن داود الشرقي ومولاي عبد السلام الوزاني ومولاي عبد الله بن حساين. ولعل هذه المكانة الاعتبارية والرمزية الوازنة وما حققته له من التفاف قبلي واسع فضلا عن تعبئته للناس للانخراط في حركة الجهاد ضد المستعمر الفرنسي في الجزائر، كان من أهم الأسباب التي أوغرت عليه صدر السلطان الحسن الأول الذي كان يبعث له بصلات العشور كل سنة أسوة بما كان يجري مع كافة أرباب الزوايا المتصدرين للمشيخة آنذاك. حيث انتهت علاقة التوتر بينهما إلى مطاردة أتباعه وسجن الكثير منهم بل وملاحقته هو شخصيا بهدف القبض عليه ووضع حد نهائي لنشاطاته وتحركاته المريبة. وقد كانت وفاته سنة 1310 التي تلقفها السلطان الحسن الأول بأبلغ وأعظم ما قوبل به من المسرات على حد تعبير صاحب *الإعلام*، إيذانا بانتهاء عهد قوة الزاوية وتألقها ودخولها مرحلة جديدة من الانكماش والخفوت

لم تقم لها من بعدها قائمة قط خصوصا بعد أن لم يوجد من بين أبناء سيدي محمد العربي العلوي من يخلفه في مواصلة نشاط الزاوية والسير بها على نفس منوال سيرته.

وإذا كان سيدي محمد العربي العلوي لم يخلف تراثا علميا مكتوبا عدا بعض الرسائل التي كان يبعث بها إلى بعض أصحابه، فإنه وضع للمشيخة أشكالا وترميزات غاية في الأبهة أشبه ما تكون بأبهة الملوك وذلك بحكم ما بناه من بنايات فخمة لسكناه وما أحاط به نفسه من خدام وملازمين يفوق عددهم الألف. ذلك ما يصفه التعارجي في أبلغ صورة قائلا "وكانت له دنيا عريضة، وبنى قصرين ببلده على هيأة دور الملوك من كثرة المرافق لسكناه".

م. الفضيلي، *الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية*، 1، 1314 ـ 1896 ؛ ع. ابن إبراهيم التعارجي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام* ؛ أ. عبد اللوي علوي، *مدغرة وادي زيز*، 2، 1416 ـ 1996.

Charles de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc*, 1883-1884, Paris, 1888.

الفقيه الإدريسي

**المدني، محمد** بن **خليفة** المسعودي التونسي، أصله من تونس حيث يعرف هناك بالرقاع، وفي المغرب اشتهر بالمدني نسبة إلى المدينة المنورة، يدل على ذلك ما ورد في ظهير حسني موجه لأمناء مدينة الصويرة بتاريخ 7 شعبان عام 1308 / 18 مارس 1891 "... وبعد فنأمركم أن تركبوا الطالب محمد بن خليفة المدني مع صاحب له واصلين للإسكندرية من غير كراء يلزمهما والسلام". قضى المترجم جل حياته في طلب العلم شرقا وغربا، رحل وهو صغير إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة، وأقام بهما مدة في طلب العلم فأخذ في المدينة عن الشيخ أبي خضير الدمياطي المدني، وعمر بن إبراهيم بري والمفتي محمد بن عمر بالي الحنفي وجعفر البرزنجي ومحمد بن خليل الطرابلسي، وبمكة أخذ عن الشيخ الشهاب دحلان والشيخ محمد حقي النازلي والشيخ الهندي. ولما ملأ وطابه من لذة العلوم رحل إلى مصر وتتلمذ على الأشياخ : عبد الهادي الأبياري والشمس الأنبابي وإسماعيل الحامدي وغيرهم، ثم قصد القيروان فأخذ عن الشيخ الصدام والشيخ محمد بهاها الصغير، وبتونس أخذ عن الشيخ سالم بوحاجب والشيخ الطيب النيفر والشيخ الطاهر جعفر وتوجه بعد ذلك إلى مدينة الجزائر فأخذ عن المفتي الشيخ علي بن الحفاف والشيخ علي بن موسى، ثم حط الرحال بالمغرب فزار كلا من فاس ومراكش والصويرة وآسفي والرباط وأخيرا مكناس وبها كانت وفاته. ففي مدينة فاس أخذ عن الشيخ جعفر الكتاني (ت. 1323 / 1905) وابنه محمد (ت. 1345 / 1927) والقاضي حميد بناني وعبد الله بن خضرا السلاوي، (ت. 1324 / 1906) وعبد الهادي الصقلي (ت. 1311 / 1893) وعبد الله بن إدريس البدراوي (ت. 1316 / 1899) وغيرهم، وفي الرباط أخذ عن إسحاق بن إبراهيم بن محمد التادلي (ت. 1311 / 1894) وتدبج فيه مع قاضيه سيدي أحمد بناني (ت. 1340 / 1921) وأخذ بمراكش عن الحاج محمد أزنيط (ت. 1317 / 1899) والعربي بن السائح وأحمد الوعزوني التناني الصويري (ت. 1335 / 1917) وغيرهم. وجل هؤلاء الشيوخ أجازوه إجازة عامة ومنهم من تدبج معه.

لكل ذلك قال في حقه ابن زيدان في *إتحاف أعلام الناس* "فقيه علامة مشارك ناقد راوية مسند متقن رحال ناظم ناثر مجيد في الصناعتين ماهر مقيد جماع قل بلد إلا وله فيه أثر وعنه بها آخذ". كما تصدر للتدريس فتهافت الطلبة على دروسه للنهل من علمه، ومن الذين تتلمذوا عليه نذكر أحمد بن العباس البوعزاوي وفتح الله بناني الرباطي وأخوه زين العابدين وغيرهم.

وكان كثير التقاييد والأنظام، ذا همة عالية في اقتناء الكتب وجمعها، وبذل الأموال في استنساخ الغريب منها، فتجمع له من ذلك عدد وافر. ومن آثاره *رسالة في جدار المحراب*، وشعر كثير رائق أورد ابن زيدان بعضا منه.

وافاه الأجل المحتوم وهو في سن الخمسين بمدينة مكناس في الربع الأول من عام 1313 / 1895 ودفن بروضة الشيخ محمد بن عيسى الفهدي خارج باب السيبة.

إبراهيم بن محمد التادلي، *إجازة*، مخطوط، خ. ع. ك، 1427، آخر مجموع، ص. 407 ـ 416 ؛ عبد الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج 4، الرباط، 1990، ص. 271 ـ 275 ؛ محمد المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1989، ص. 111.

رقية بلمقدم

**المَدْهُون** ، نوع نباتي يصنف علميا أورزُوبْسِيس مِيلْيَاسِيَا Oryzopsis miliacea وهو من فصيلة النجيليات Poaceae . والجنس ممثل بأنواع أخرى متواجدة طبيعيا بالمغرب.

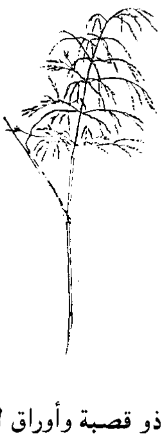

إنه عشب معمر ذو قصبة وأوراق لامعة كأن النبات دُهِن بالزيت. إزهراره عثكولي الشكل. تشبه بذوره حبوب الزوان التي تعتبر من مواد التغذية الأساسية للطيور الصغيرة كتلك التي تربى في الأقفاص.

يصادف المدهون في التشكيلات الغابوية ولا يخرج عن

نطاق الأتربة الخصبة الغنية بالدبال، وذلك في البيومناخات شبه الرطبة والرطبة والرطبة جداً.

يعتبر المدهون من الأنواع البرية ذات القيمة الرعوية الكبيرة.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. Evaluation et préservation de la biodiversité*.... Ibis Press, Paris et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**مدونة الأسرة**، صدرت مدونة الأحوال الشخصية لأول مرة بالمغرب مباشرة بعد الاستقلال، وقد سهرت آنذاك على إعدادها لجنة مكونة من رجال الفقه والقضاء والقانون، واعتمدت في ذلك على أحكام الشريعة الإسلامية في مجال العلاقات الأسرية وعلى مقتضيات المذهب المالكي مع الانفتاح على بعض المذاهب السنية الأخرى في بعض الأحكام. وتشتمل على 297 فصلا، تتوزعها ستة كتب تتعلق بالزواج والطلاق وأحكام الولادة والأهلية والنيابة الشرعية والوصية والميراث، صدرت متعاقبة في تواريخها، ابتداء من فاتح يناير 1958، وآخرها كان بتاريخ 4 / 4 / 1958. ومنذ ذلك التاريخ لم تعرف المدونة أي تغيير إلى غاية سنة 1993، أي بعد مضي ست وثلاثين سنة، حيث أدخلت عليها إصلاحات في عهد الملك الراحل الحسن الثاني، في وقت شهد فيه المغرب تطورات سياسية واجتماعية وثقافية عديدة، من بين مظاهرها بداية تقلد المرأة لمناصب إدارية وسياسية متعددة وإسهامها المتنامي في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فعلى إثر مذكرة صاغتها بعض الجمعيات النسائية ووجهتها سنة 1992 إلى الديوان الملكي، تم تشكيل لجنة ملكية لإعادة النظر في مدونة الأحوال الشخصية، تضم ثلة من العلماء والقانونين. وقد تم بالفعل إدخال تعديلات صدر بموجبها ظهير في سنة 1993. كان هذا أول تعديل في المدونة، أما التعديل الثاني فهو الذي أفضى سنة 2003 إلى صدور مدونة الأسرة.

ففي شهر مارس 1999 تقدمت كتابة الدولة في شؤون الأسرة في حكومة الأستاذ عبد الرحن اليوسفي بمشروع أطلق عليه "مشروع الخطة الوطنية لإدماج المرآة في التنمية"، وهو ما أدى إلى حدوث نقاش حاد في الأوساط السياسية والاجتماعية التي انقسمت ما بين مؤيد ومعارض، وهو انقسام وقع حتى داخل الحكومة، انتهى بتنظيم مسيرتين يوم 12 مارس 2000. الأولى نظمتها الجهات الرافضة للخطة بمدينة الدار البيضاء تحت شعار "النساء شقائق الرجال"، والثانية نظمت بالرباط العاصمة مساندة للخطة ورافعة لشعاراتها.

على إثر ذلك تدخل العاهل المغربي الملك محمد السادس وقام في 27 أبريل 2001 بتشكيل "اللجنة الاستشاريةالملكية لإصلاح المدونة" تضم شخصيات من ذوي الاختصاص، نساء ورجالا، من عالم الفقه والقضاء، ومن خارجهما كعلم الاجتماع والطب، وكلفت بإعادة النظر في مقتضيات مدونة الأحوال الشخصية وفق أحكام الإسلام مع اعتماد الاجتهاد من أجل الخروج بقانون يحترم الشريعة ويناسب في نفس الوقت الحاجيات التي يعيشها المجتمع المغربي. وقدمت اللجنة خلاصة أعمالها في 12 سبتمبر 2003 للملك، الذي أعلن عن المشروع الجديد للمدونة في خطاب افتتاح السنة التشريعية للبرلمان يوم 10 أكتوبر 2003. وقد أشار الخطاب الملكي إلى السياق الذي شكلت فيه اللجنة والذي جاء فيه تقديم المدونة الجديدة فقال: "فإننا لم نتردد في تجنيب المجتمع مغبة الفتنة حول هذه القضية، بتكوين لجنة استشارية متعددة المشارب والاختصاصات، لاقتراح مراجعة جوهرية، لمدونة الأحوال الشخصية".

وقد حرص الخطاب الملكي على التأكيد على المبادئ والمرجعيات التي اعتمدت منطلقات لإصلاح المدونة، وهي :

1 - سمو المرجعية الإسلامية، لذلك قال بالنص : "لا يمكنني بصفتي أميراً للمؤمنين أن أحل ما حرم الله وأحرم ما أحله".

2 - الأخذ بمقاصد الإسلام السمحة، من تكريم الإنسان والعدل والمساواة والمعاشرة بالمعروف، وبوحدة المذهب المالكي، والاجتهاد الذي يجعل الإسلام صالحا لكل زمان ومكان، لوضع مدونة عصرية للأسرة، منسجمة مع روح ديننا الحنيف.

3 - عدم اعتبار المدونة قانونا للمرأة وحدها، بل مدونة الأسرة، أبا وأما وأطفالا، والحرص على أن تجمع بين رفع الحيف عن النساء وحماية حقوق الأطفال، وصيانة كرامة الرجل. وهكذا انتقل المغرب من "قانون الأحوال الشخصية" إلى "مدونة الأسرة"، فلم يعد الاهتمام منصباً على حقوق الأشخاص وواجباتهم في معزل عن الآخرين، بل أصبحت الأسرة حاضرة بجميع مكوناتها في المدونة الجديدة.

وبسبب هذه المنطلقات الواضحة اعتبرت المدونة الجديدة إبداعا مغربيا صرفا، استقطب صدورها اهتمام الخاص والعام، واعتبر عمل اللجنة المكلفة اجتهاداً جماعياً داخل الحقل الفقهي الإسلامي الواسع دون أن تتقيد بأي مذهب من المذاهب. كما حازت الاستحسان من قبل القوى السياسية المغربية على اختلاف مشاربها.

وإذا كانت مدونة 1957 قد وضعت، قبل تأسيس البرلمان، وعدلت سنة 1993، خلال فترة دستورية انتقالية، بظهائر شريفة، فإن الملك قد أعلن أنه سيعرض - ولأول مرّة - مشروع مدونة الأسرة على البرلمان. وهو ما تم فعلا، إلى أن صادق البرلمان بغرفتيه على القانون رقم 03.70 بمثابة مدونة الأسرة (يوم 16 يناير 2004 بمجلس النواب و23 يناير 2004 بمجلس المستشارين)، ثم نشر *بالجريدة الرسمية* بظهير شريف رقم 22.04.1 صادر في 12 ذي الحجة 1424 الموافق 3 فبراير 2004.

ولأهمية المشروع، فقد أشار الخطاب الملكي أيضا إلى

الإصلاحات الجوهرية التي تم اعتمادها في المدونة الجديدة ولخصها في إحدى عشرة نقطة :

أولا : تبني صياغة حديثة بدل بعض المفاهيم التي تمس كرامة وإنسانية المرأة. وجعل مسؤولية الأسرة تحت رعاية الزوجين (المادة 4 ). كما تم التخلي عن التمييز بينهما في الحقوق والواجبات والتنصيص على الحقوق المتبادلة بينهما. وهكذا نصت المادة 51 على ستة حقوق وواجبات تتمثل في المساكنة الشرعية بما تستوجبه من معاشرة زوجية وعدل وتسوية عند التعدد وإحصان كل منهما وإخلاصه للآخر بلزوم العفة وصيانة العرض والنسل ؛ثم المعاشرة بالمعروف، وتبادل الاحترام والمودة والرحمة والحفاظ على مصلحة الأسرة ؛ ثم تحمل الزوجة مع الزوج مسؤولية تسيير ورعاية شؤون البيت والأطفال ؛ والتشاور في اتخاذ القرارات المتعلقة بتسيير شؤون الأسرة والأطفال وتنظيم النسل ؛ ثم حسن معاملة كل منهما لأبوي الآخر ومحارمه واحترامهم واستزارتهم بالمعروف؛ وأخيراً حق التوارث بين الزوجين.

ثانيا : جعل الولاية حقا للمرأة الرشيدة، تمارسه حسب اختيارها ومصلحتها (المادة 24).

ثالثا : مساواة المرأة بالرجل بالنسبة لسن الزواج، بتوحيده في ثمان عشرة سنة (المادة 19 ). وكانت مدونة الأحوال الشخصية تحدد سن الزواج بالنسبة للإناث في خمس عشرة سنة وبالنسبة للذكور ب 18 سنة. لكن المدونة الجديدة أجازت لقاضي الأسرة المكلف بالزواج، أن يأذن بزواج الفتى والفتاة دون سن 18 سنة بمقرر معلل يبين فيه المصلحة والأسباب المبررة لذلك، بعد الاستعماع لأبوي القاصر أو نائبه الشرعي والاستعانة بخبرة طبية أو إجراء بحث اجتماعي (المادة 20).

رابعا : فيما يخص التعدد، يؤكد الخطاب الملكي على "مراعاة الالتزام بمقاصد الإسلام السمحة في الحرص على العدل. ومراعاة حكمة الإسلام المتميزة بالترخيص بزواج الرجل بامرأة ثانية، بصفة شرعية لضرورات قاهرة وضوابط صارمة، وبإذن من القاضي، بدل اللجوء للتعدد الفعلي غير الشرعي، في حالة منع التعدد بصفة قطعية". كما أوجبت المدونة في حالة التعدد استدعاء الزوجة الأولى قصد إخبارها مع إعلام الثانية بوجود الزوجة الأولى (المواد من 40 إلى 46).

خامسا : العنايةبأحوال المهاجرين المقيمين بالخارج، لرفع أشكال المعاناة عنهم، عند إبرام عقد زواجهم. وذلك بتبسيط مسطرته.

سادسا : جعل الطلاق حلا لميثاق الزوجية يمارس من قبل الزوج والزوجة كل حسب شروطه الشرعية وبمراقبة القضاء (المادة 78 )، وذلك بتقييد الممارسة التعسفية للرجل في الطلاق باشتراط إذن مسبق من قبل المحكمة لتسجيله حتى يتسنى التأكد من دفع المبالغ المستحقّة للزوجة والأطفال. وبتعزيز آليات التوفيق والوساطة، بتدخل الأسرة والقاضي. وإذا كان الطلاق بيد الزوج، فإنه يكون بيد الزوجة بالتمليك (المواد 79 ـ 89).

سابعا : توسيع حق المرأة في طلب التطليق، لإخلال الزوج بشرط من شروط عقد الزواج، أو للإضرار بالزوجة مثل عدم الإنفاق أو الهجر أو العنف، وغيرها من مظاهر الضرر (المواد 98 ـ 113).

ثامنا : الحفاظ على حقوق الطفل مما يعتبر خطوة مهمة نحو الحفاظ على هذه الحقوق بشكل واضح ومقنن، وذلك مثل ضمان حقوقه في الحماية والنفقة والحضانة والنسب والرضاعة والتربية والتوجيه الديني والتعليم والرعاية (المادة 54). وفي هذا الإطار،أدخلت على مقتضيات النفقة تعديلات حاولت الحد من التجاوزات السابقة، إذ أصبح يتعين البت في دعاواها في أجل أقصاه شهر واحد مع تحديد وسائل التنفيذ أو الضمانات الكفيلة بالاستمرار في أدائها (المادة 202). كما أن توفير السكن للمحضون بعد الطلاق، أصبح واجبا مستقلا عن واجبات النفقة وأجرة الحضانة، ولا يفرغ المحضون من بيت الزوجية إلا بعد تنفيذ الأب للحكم الخاص بسكنى المحضون (المادة 168).

تاسعا : حماية حق الطفل في النسب، في حالة عدم توثيق عقد الزوجية لأسباب قاهرة، باعتماد المحكمة البينات المقدمة في شأن إثبات البنوة.

عاشرا : تخويل الحفيدة والحفيد من جهة الأم، على غرار أبناء الابن، حقهم في حصتهم من تركة جدهم (المادة 369).

حادي عشر : أما في ما يخص مسألة تدبير الأموال المكتسبة، من لدن الزوجين خلال فترة الزواج، فمع الاحتفاظ بقاعدة استقلال الذمة المالية لكل منهما، تم إقرار مبدأ جواز الاتفاق بين الزوجين، في وثيقة مستقلة عن عقد الزواج، لوضع إطار لتدبير واستثمار أموالهما المكتسبة، خلال فترة الزواج (المادة 49).

ومن الأمور المهمة في المدونة الجديدة كذلك توسيعها لصلاحيات القضاء وكونها أقرت التدخل التلقائي للنيابة العامة كطرف أصلي في دعاوى أحكام الأسرة (المادة 3).

الإصلاحات والمصاحبة :

على الرغم من أهمية المقتضيات الجديدة التي تضمنتها مدونة الأسرة، إلا أن الخطاب الملكي المذكور ركز أيضا على الشروط الضرورية لاكتمال الإصلاح ونجاعته. ومن تلك المقتضيات :

- "إيجاد قضاء أسري عادل، وعصري وفعال"، لا سيما وقد تبين من خلال تطبيق المدونة القديمة، أنه "مهما تضمنت من عناصر الإصلاح، فإن تفعيلها يظل رهينا" بذلك، وأن جوانب القصور والخلل لا ترجع فقط إلى بنودها، ولكن بالأحرى إلى انعدام قضاء أسري مؤهل، ماديا وبشريا ومسطريا.

- الإسراع بإيجاد مقرات لائقة لقضاء الأسرة، بمختلف محاكم المملكة، والعناية بتكوين أطر مؤهلة من كافة المستويات.

- الإسراع بإحداث صندوق التكافل العائلي.

- إعداد دليل عملي، يتضمن مختلف الأحكام والنصوص، والإجراءات المتعلقة بقضاء الأسرة، ليكون مرجعا موحدا للقضاء، وبمثابة مسطرة لمدونة الأسرة، مع العمل على تقليص الآجال، المتعلقة بالبت في تنفيذ قضاياها الواردة في قانون المسطرة المدنية، الجاري به العمل.

- القيام بحملة إعلامية موسعة، لتوعية كل الفئات الشعبية بأهمية هذا الإصلاح وبمضامينه.

لقد كان صدور مدونة الأسرة خطوة مهمة في تاريخ المغرب المعاصر، لكن بقي التحدي الأكبر هو توفير الشروط الواقعية والضرورية للنجاح في تطبيقها، ولقد أجريت بعض الدراسات الميدانية لتقييم ذلك، لكن الورش كله لا يزال في بدايته حتى يتسنى الحكم عليه.

*مدونة الأسرة*، يناير 2004، ذو الحجة 1424 ؛ أحمد الخمليشي، *التعليق على قانون الأحوال الشخصية*، مكتبة المعارف، الرباط، 1987 ؛ مجلس النواب المغربي، *مدونة الأسرة في مجلس النواب*، أكتوبر 2004.

سعد الدين العثماني

**الـمدوّر، محمد** من أسرة إشبيلية أندلسية استوطنت الرباط بعد هجرة المورسكيين إليها سنة 1609. كان حسب الزعيم علال الفاسي "... مناضلا متوفقا ومحاضراً بليغا تتعشق الجماهير سماع صوته وتدعن للآراء الحرة التي يناضل عنها بأسلوبه السهل الممتنع". ولد بالرباط سنة 1923، والتحق في سن مبكرة بكُتّاب عمه الفقيه المحجوب المدوّر، ثم استكمل تعليمه على يد مجموعة من الشيوخ العلماء بالرباط أمثال عبد الله بن محمد الرغاي والصديق الشدادي وعبد الله الجراري، ولازم بصفة خاصة أستاذه عبد الرحمن ابن أبي شعيب الدكالي. في منتصف الثلاثينيات التحق محمد المدوّر بالفرقة المسرحية التي كان قد أسسها الزعيم الوطني محمد اليزيدي (بوشعيب)، وقد كان ذلك مدخله للانخراط والمساهمة في الحركة الوطنية. ولنباهته وحبه للعلم والمعرفة، أرسله أستاذه عبد الرحمن الدكالي في نهاية سنة 1939 لمتابعة دراسته بالقرويين بفاس حيث ظل بها مدة سنة ونصف. التحق بعد عودته بالخزانة العامة بالرباط بتاريخ أول دجنبر 1941 حيث عمل في القسم العربي الذي كان يشرف عليه حينئذاك الوطني الكبير عبد الله الرجراجي، ثم أصبح يشرف على فرع الخزانة العامة الكائن بباب شالة قرب الجامع الكبير، واستمر يُديره لمدة سنتين إلى أن فُصل من عمله بسبب أحداث يناير 1944 بمدينة الرباط، وهي الأحداث التي لعب فيها دوراً مشهوراً. فبعد تقديم وثيقة المطالبة بالإستقلال في 11 يناير 1944، دبرت الإقامة العامة الفرنسية مؤامرة ضد الحركة الوطنية وألقت القبض على مجموعة من زعمائها وعلى رأسهم الحاج أحمد بلافريج ومحمد اليزيدي، وانفجرت المظاهرات في الرباط وفي مدن أخرى يوم 29 يناير 1944، واتجه المتظاهرون في الرباط إلى القصر الملكي ثم بعد ذلك إلى الجامع الكبير بالمدينة العتيقة، وكان المترجَم خلال ذلك خطيب المظاهرة، وقد نجح في التأثير على المتظاهرين مما كانت مغبته القبض عليه وإحالته إلى المحكمة العسكرية بتهمة المساس بأمن الدولة. وُضع المترجم بسجن لعلو أولاً ثم نقل لسجن اغبيلة بالدار البيضاء، وكان مُقدراً أن يحكم عليه كما حكم على زملائه بالإعدام، ولكن القدر رأف به فاطلق سراحه يوم 19 فبراير 1945 بعد انفراج الأزمة المغربية آنذاك. وبعد خروجه من السجن التحق بمعهد جسوس الذي أسسه الحاج أحمد بلا فريج، وعمل في نفس الوقت في جريدة *"العلم"* صحافياً وإدارياً، كما كان يراسل صحيفة *"البصائر"* الجزائرية ويمضي مراسلاته باسم "الخطيب". مستمراً في نشاطه السياسي ملحقا باللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، وكانت له فصائل وخلايا يشرف عليها، ولذلك كان ضمن المقبوض عليهم بعد نفي الملك محمد الخامس إلى مدغشقر في 20 غشت 1953، وقد ظل رهن الاعتقال بسجن لعلو بالرباط إلى نهاية دجنبر 1953. بعد الاستقلال عُين محمد المدوّر كاتبا للجنة الإدارية المركزية لحزب الاستقلال، وظل يعمل مداوما ضمن الهيئة المديرة لمركز الحزب بالرباط، وعندما تولى أحمد اليزيدي وزارة الدفاع في نهاية سنة 1956، خَصَّص المترجم للإذاعة الوطنية حلقة صباح كل يوم أحد لفائدة تكوين رجال القوات المسلحة الملكية. وعندما تأسست وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الإسلامية في 2 يونيو 1961 وعُين على رأسها علال الفاسي، التحق محمد المدور بإدارتها الثقافية مكلفا بإدارة جريدة *"الحسنى"*، وكانت أسبوعية وتنشر مقالات لنخبة من العلماء والكتاب أمثال علال الفاسي وأبو بكر القادري وعبد الله گنون وعبد العزيز بنعبد الله. وقد ارتبطت *"الحسنى"* بمؤسسها محمد المدوّر إلى درجة انقطاعها عن الصدور بسبب مرضه ثم وفاته، وقد بلغت أعدادها 59 عدداً.

شارك المترجم في العديد من الندوات والمهرجانات والمناسبات الوطنية، كما كانت له مشاركات دولية أبرزها ندوة المؤتمر الإسلامي بالقدس سنة 1962. وله كلمات في الأدب والتوجيه نُشرت في *"العلم"* و*"الحسنى"* و*"البصائر"* وغيرها، كما أن له كتاباً مطبوعاً في نوفمبر 1957، سَجَّل فيه حياة البطل علال بن عبد الله ونشره بمناسبة نقل جثمان هذا الشهيد إلى مقبرة سيدي الخطّاب بالرباط.

وكان محمد المدوّر يقرض الشعر، وشعره مرهف جميل، وله أبيات غزلية رقيقة منها :

| | |
|---|---|
| أهاديك لا بالدر طبق المظاهـــــر | لأنك فوق الدر فوق الجواهـــــر |
| وأنك أسمى تحفة تبتغينهـــــا | جواهر أفكار نتاج الضمائـــــر |
| فهذا سميري كم أجاب استغاثتـــي | وأنجدني في (غيثتي) بالبشائـر |
| خذيه كرمز صادق لولائنــــــا | وخير ضمان للوفا والتـــــآزر |
| خذيه كجام يجمع الزهر باسمـــا | سوى أنه زهر النهى والمشاعـــر |
| وهل عجب أن كان عونا (لغيثتي) | وأنجدها في الفعل حتى المصـادر |
| هو (المنجد) الأسمى خذيه هديـــة | ورمزاً وإخلاصا وتحفة شاعـــــر |

أصيب بمرض عضال استبد به قرابة سنة كاملة إلى أن وافاه الأجل يوم الأربعاء 29 يناير 1964، ودفن بمقبرة علال بن عبد الله بالرباط، وحضر جنازته جمهور غفير وألقى الزعيم علال الفاسي على قبره كلمة تأبينية أشاد فيها بالتاريخ النضالي للفقيد. وفي يوم 29 يناير 2000، أقامت جمعية رباط الفتح ندوة تكريمية لروحه تحدث فيها نخبة من الشخصيات الوطنية من بينها عباس الجراري وأبو بكر القادري وعبد الكريم بناني وعثمان جوريو وعبد الكريم غلاب وقاسم الزهيري وعبد الجبار السحيمي والعربي المسطاسي ومَحمد الخليفة، وقد تحدث جميعهم عن التاريخ الوطني لهذا الرجل وعن مساهمته الراسخة في توعية الشباب المغربي في مرحلة النضال ضد الاستعمار وفي مرحلة بناء المغرب المستقل.

قدور الورطاسي، *الراحل محمد المدور*، الرباط، 1971 ؛ أبو بكر القادري، *المجاهد محمد اليزيدي*، الدار البيضاء، 1999 ؛ عبد الله الجراري، *شذرات تاريخية*، الرباط، 1976 ؛ أبو بكر القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية*، 2، الدار البيضاء، 1997 ؛ عبد الله الجراري، *أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، الرباط وسلا، الرباط، 1969 ؛ للاغيثة العلمي المدور الفلوس أرملة محمد المدور، *رواية شفوية*.

عثمان بناني

**مدين** (ابن أبي -) **عبد الله العثماني** من كتاب الدولة المرينية المشهورين، حيث كتب لأربعة سلاطين، أصله من بني عثمان الذين قدموا من منطقة بجاية واستقرّوا بمنطقة وزان، وسكن بعضهم قصر عبد الكريم الكتامي (القصر الكبير)، ثم مكناسة. وصل عبد الله ابن أبي مدين إلى ديوان الكتابة في عهد السلطان يعقوب المريني فكتب عنه في أواخر عهده، واستمرّ في الكتابة لابنه السلطان يوسف، وأصبح مسؤولاً أيضاً عن مراقبة عمّال الجباية، وأمين سرّ السلطان. وصفه ابن أبي زرع "بالقائم بأمر المملكة، وعلى يديه تتصرف أحوالها"، وأضيفت إليه خطة "العلامة" بعد موت صاحبها الفقيه محمد المغيلي. والعلامة هي توقيع على الظهائر والمراسلات بخط السلطان أو بخط "صاحب العلامة"، تكتب عبارتها بخط سميك في أسفل الرسالة وهي (وكتب في التاريخ المؤرخ به) إن كانت بخط السلطان، أو (وكتب في التاريخ) إن كانت بخط صاحب العلامة.

بعد مقتل السلطان يوسف سنة 706 بقي ابن أبي مدين في منصبه كاتباً للسلطان أبي ثابت عامر (706 - 708) ؛ ثم في عهد أخيه أبي الربيع سليمان (708 - 710)، وارتفعت درجته لديه حتى قيل عنه إنه كان الضابط لأمره والقائم بأمر ملكه والمدبر لدولته ؛ مما هيأ له المكائد من الأعداء خاصة اليهودي ابن وقاصة الذي أغرى السلطان بقتله بتهمة باطلة، مما أدى إلى قتل اليهودي أيضا بعد اكتشاف خداعه. واختار السلطان بعده للكتابة أخاه الحاج الفقيه محمد ابن أبي مدين الذي استمر إلى وفاته في عهد أبي سعيد عثمان لتظهر بعد ذلك أهمية بني الحضرمي في الكتابة والوزارة. وسيظهر بعض بني أبي مدين في الكتابة لدى أبي الحسن ثم لدى بعض سلاطين أواخر القرن الثامن.

ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، 299 - 375 - 389 - 393 - 396 ؛ *بيوتات فاس*، ص. 56 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 495 - 498 ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، 3 : 154 - 156 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، 18 - 21 - 24 - 26 - 35 - 37 ؛ أحمد عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله*.

أحمد عزاوي

**مدينا سيدونيا** (الدوق) والمغرب Medina Sidonia، حاكم فيليب الثاني على الأندلس، لعب دورا مهما في العلاقات بين المغرب وإسبانيا، إذ كانت له يد في كل القرارات التي تتخذ ببلاط الملك الإسباني، وكل المراسلات من وإلى مراكش تتم عبره. وخلال إقامة الناصر بن الغالب بمدينة Utrera وجه عدة مراسلات لفيليب الثاني يلتمس منه فيها السماح له بالعودة إلى المغرب، لكنها لم تلق آذانا صاغية، فتدخل مدينا سيدونيا متوددا للملك الإسباني لكي يبعث الأمير المغربي إلى جبل طارق أو إلى مالقة، لكن فيليب الثاني استمر في سياسة التسويف في انتظار حصوله على رد بخصوص المقترحات التي قدمها لأحمد المنصور، والقاضية بحسن استقبال الناصر وتسهيل ظروف إقامته، بل وتوفير كل شروط الراحة والرفاهية له، وتقديم ضمانات بعدم المساس به مادام استجار بالملك الإسباني. كما ألح على وجوب الحكمة والتعقل من خلال اطلاع أحمد المنصور على تفاصيل التدابير المتخذة فيما يتعلق بعبور الناصر، وعبر تكثيف الاتصالات بين العم وابن أخيه للحصول على توافق معين، واعتبر أن أي تصرف آخر في غير محله. بل أكد في رسائل أخرى أن أحمد المنصور أرضى فيليب الثاني غير ما مرة، إذ سلّمه جثة دون سباستيان ورفض تقديم الدعم لدون أنطونيو، ولهذا لا يجب إثارة غضبه من خلال مساندة الأمير بأي شكل من الأشكال التي يمكن أن تربك حساباته، وأنه لابد من معرفة الجديد في رد أحمد المنصور قبل الإقدام على الترخيص بالسفر للناصر.

وفي هذا السياق بحث مدينا سيدونيا سبل تقليص نفقات عبور الناصر، وجعلها أقل كلفة، إذ راسل حاكم مالقة Don Francisco Verdugo لإعداد الترتيبات المزمع القيام بها لذلك. بل حدد خيارات الأماكن التي يحتمل أن يصل إليها الثائر ومرافقوه وهي وهران وسبتة ومليلية وطنجة، واشترط لبلوغ ذلك ضرورة توفير سفن سريعة وسهلة التجديف. كما عين Grégorio de Salas سكرتيرا شخصيا للناصر، وعبر لفيليب الثاني عن رغبة هذا الأخير في الاستغناء عن أية مساعدة منه، والإبحار إلى مليلية للتوقف بها لمدة شهرين، واقترح عليه توفير أربعة سفن لحمل الثائر ومرافقيه المائة والعشرين، وأربعة عشر فرسا لينطلقوا من مالقة باعتبارها المعبر الأقل طولا والأكثر أمانا، وليس عبر قادس أو إشبيلية

لكونهما طريق التجار. واعتبر أن زعيم زاوية بهذه المنطقة يمكنه استقطاب الكثير من الأتباع. وكاتب Baltazar Polo ليخبره بأن الناصر راسل عمه أحمد المنصور، حتى يرعاه ويقدم له العناية الكافية. وبعد مضي أسبوعين تم السماح للناصر وحاشيته بالرحيل على متن سفينتين انطلقتا من مالقة في اتجاه مليلية. وكتب مدينا سيدونيا إلى فيليب الثاني رسالة يلتمس منه فيها إبلاغ أحمد المنصور خطيا بأنه لم يقدم دعما ماليا أو بشريا للناصر، وذلك حفاظا على العلاقات الودية معه. واعتبر أن مبلغ مائتي دوقة الذي تم إنفاقه على الرحلة هزيل جدا، لأن عملية من هذا الحجم تتطلب في رأيه مبالغ باهضة وتشبث الملك الإسباني بإقناع أحمد المنصور بعدم وقوفه وراء عملية نزول الأمير بالأراضي المغربية، وهو ما تجسد في رسائله التي طالما أوضح فيها غياب أية مساعدة قدمت للناصر من طرف مدينا سيدونيا.

*رسالتان* من الناصر إلى فيليب الثاني بتاريخ 27 / 10 / 1593 و07 / 02 / 1594 ؛ رسالة من دوق دي مدينا سيدونيا إلى كاتب الملك Martin de Idiaquez بتاريخ 15 / 04 / 1595 ؛ *رسائل* من مدينا سيدونيا إلى فيليب الثاني بتاريخ 25 / 01 / 1594 أو 29 / 04 / 1594 و12 / 07 / 1595 و05 / 06 / 1595 و28 / 08 / 1595 ؛ *ملخص رسالتين* من بالتسار بولو إلى مدينا سيدونيا بتاريخ 27 غشت و23 شتنبر 1594 ؛ نسخة من رسالة مدينا سيدونيا إلى بالتسار بولو بتاريخ 20 / 04 / 1595 ؛ نسخة *رسالة* من Diégo Marin إلى مدينا سيدونيا بتاريخ 28 / 08 / 1595.

Saldanha (Antonio-de), *Chronique d'al-Mansour sultan du Maroc (1578-1603)*, traduit par Bourdon (Léon, Lisboa, 1997, p. 126-128-140 ; *Archivo General de Simancas* (Espagne).

محمد جادور

**مديونة،** (مدينة –) كان لموقع مدينة مديونة عند التقاء سهل الشاوية السفلى بالتلال الساحلية على أبواب الدار البيضاء دور كبير في نشأتها وتطورها. فقد أقام السلطان مولاي إسماعيل بهذا الموضع إحدى القصبات التي شيدها لحراسة الطريق الرابط بين مراكش والرباط. وظلت هذه القصبة تشكل منذ القرن الثامن عشر الميلادي وإلى غاية بداية القرن العشرين أحد مقرات قواد الشاوية الكبار وخاصة بالنسبة لقبائل مديونة. وجعلت منها السلطات الاستعمارية موقعا عسكريا لحماية الدار البيضاء من مقاومة قبائل الشاوية. واختيرت سنة 2003 لتكون إحدى عواصم الإقليمين المحدثين بضواحي الدار البيضاء. ولقد كان لهذه المحطات البارزة في تاريخ مدينة مديونة دور حاسم في تطور حجمها الديموغرافي ونسيجها الحضري ووظائفها الحضرية وعلاقاتها بمحيطها الجهوي.

إن مديونة التي ظلت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مجرد قصبة تقوم بوظيفة إدارية وعسكرية داخل تراب القبائل المرابطة على أبواب الدار البيضاء، قد شهدت خلال القرن العشرين تطورا عمرانيا متواصلا جعلها ترقى إلى مستوى أحد أبرز المراكز الحضرية بضواحي أكبر المدن المغربية. وواكب ذلك نمو مطرد لعدد سكانها :

تطور عدد سكان مدينة مديونة

| السنة | عدد السكان |
|---|---|
| 1936 | 697 |
| 1960 | 2333 |
| 1971 | 2888 |
| 1982 | 7755 |
| 1994 | 11669 |

يبرز هذا الجدول أن إيقاع الدينامية الديموغرافية لمدينة مديونة قد ازداد خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين. ويعزى ذلك إلى كون المسافة التي تفصلها عن الدار البيضاء (13 كم) جعلها تصبح أحد التجمعات الضاحوية التي تضطلع بالوظيفة السكنية للعديد من السكان الذين لم تعد العاصمة الاقتصادية في متناولهم. كما ساهم إحداث منطقة صناعية بها في إنعاش قدرتها الاستقطابية للعديد من الباحثين عن فرص للشغل.

ونتيجة لكل ذلك أصبحت ظاهرة السكن غير اللائق تشكل إحدى مميزات مدينة مديونة التي يكاد لا يخلو منها أي حي من أحيائها، كتجسيد لاستقطابها بالإضافة إلى المطرودين من الدار البيضاء لليد العاملة بالزراعة التسويقية (الخضر) التي توسعت داخل المجال الفلاحي المجاور لها.

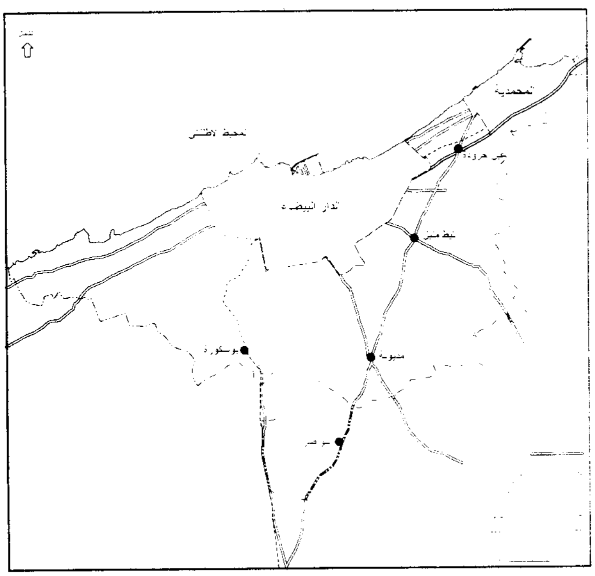

إن مدينة مديونة التي أصبحت من أهم نقط استقطاب المهاجرين من الدار البيضاء ومن الأرياف على السواء داخل الضواحي البيضاوية قد شهدت تبعا لذلك توسعا ملحوظا

لرقعة مجالها الحضري التي انتقلت من حوالي هكتارين في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين إلى ما يزيد عن 50 هك في بداية القرن الواحد والعشرين. وتتوقع مصالح التعمير أن تبلغ 200 هك في أفق عشرين سنة الأولى من القرن الحالي.

وبشكل مواز لهذا التوسع شهد المجال الحضري لمديونة تحولات عديدة تتجلى أبرزها في انتقاله من وضعية نسيج حضري مفكك إلى نسيج يزداد كثافة. وقد كان للتوسع العمودي للبنايات ولنقل السوق الأسبوعي نحو الهوامش الشرقية للمدينة دور كبير في كل ذلك. ومع فتح مجالات جديدة أمام التعمير عززت مديونة مظهرها الحضري من خلال الانتشار الواسع لأنماط البناء الحضري الحديث. وقد ساعد على ذلك استفادتها من توسع سوق السكن التي أفرزها الإنعاش العقاري الخاص بضواحي الدار البيضاء وخاصة في كل من الدروة وبرشيد اللذين تمتاز مديونة عنهما بقربها من الدار البيضاء. وسيكون لترقية مديونة إلى رتبة عاصمة لإقليم دور أكيد في تكريس هذه التحولات وفي تقوية قدرتها الاستقطابية في ميدان السكن وبالتالي في تعزيز طابعها الحضري.

لقد اضطلعت مديونة مبكرا بوظائف متعددة، فبالإضافة إلى دورها كمحطة على الطريق الرابط بين الرباط ومراكش وعلى أبواب الدار البيضاء كان لها دور عسكري وإداري حافظت عليه حتى عهد الاستعمار. وبذلك تعتبر أقدم وأهم مركز إداري بضواحي الدار البيضاء. وإذا كانت هذه المدينة ما فتئت تكرس موقعها كقطب إداري وخاصة كمقر لقيادة قبائل مديونة فإن دورها كمركز تجاري قد تعزز باستمرار. فبالإضافة إلى السوق الأسبوعي ليوم الخميس الذي يستقطب التجار والزوار من مختلف جهات الشاوية السفلى ومن الدار البيضاء، فإن تجارتها القارة ما فتئت تتقوى تبعا لنمو حجمها الديموغرافي ولامتداد إشعاعها داخل نطاق زراعة الخضر الذي يتوسع حولها. وفي هذا الصدد فقد اكتسبت مديونة مكانة سوق يومي لتجميع الخضر قصد توجيهها نحو سوق الجملة بالدار البيضاء.

كما شكل إحداث منطقة صناعية في بداية عقد الثمانينيات منعطفا بارزا في الدينامية الحضرية والاقتصادية لمدينة مديونة ولحضورها داخل المجالات المحيطة بالدار البيضاء. ورغم كون هذه المنطقة الصناعية لم تمكن لحد الآن مديونة من استقطاب أعداد مهمة من الوحدات الإنتاجية (10 وحدات)، فإنها مع ذلك ساهمت في تنويع وتوسيع سوق الشغل فيها ومحيطها المباشر. وإذا كانت التجارة تحافظ على مكانتها كأول مصدر للشغل بمديونة بحيث تشغل حسب إحصاء 1994 حوالي 30٪ من السكان النشيطين فإن الصناعة والحرف الإنتاجية تحتل الرتبة الثانية بتشغيل 24٪ مقابل 17٪ للفلاحة و11٪ للوظيفة العمومية. وبذلك تنتصب مديونة داخل ضواحي الدار البيضاء أولا كقطب اقتصادي بجهازها التجاري والإنتاجي وثانيا كسوق للشغل متعددة المشارب. وتلعب وظائف الخدمات التي تعرف تنوعا كبيرا بمديونة دورا ملموسا في إنعاش سوق الشغل وخاصة منها ما يتعلق بحرف الإصلاح المرتبطة بوسائل العمل في الميدان الفلاحي.

كما أن ترقية مديونة إلى رتبة عاصمة لواحد من الإقليمين المحدثين سنة 2003 بضواحي الدار البيضاء يمثل تكريسا للوظيفة الإدارية القديمة للمدينة وأداة لتقوية حضورها داخل هذه الضواحي على مختلف الأصعدة وفي مختلف الميادين. ومن شأن ذلك بالتالي أن يعزز مكانتها كأكبر وأقدم تجمع حضري بالمجالات المحيطة بالدار البيضاء.

لقد كان للعلاقات والدينامية التي خلقتها الدار البيضاء خلال القرن العشرين داخل النطاقات المحيطة بها دور كبير في تطور مدينة مديونة والأدوار التي تقوم بها داخل ضواحي العاصمة الاقتصادية للمغرب. فالوظائف التي اضطلعت بها والأنشطة التي استقطبتها لا تخرج بأي شكل من الأشكال عن علاقاتها بالدار البيضاء وبتوزيع الأدوار الذي تفرضه هذه الأخيرة داخل محيطها. غير أن التقطيع الإداري لسنة 2003 الذي انبنى على مبدأ فصل تدبير الضواحي عن تدبير مدينة الدار البيضاء جاء ليعزز مكانة مديونة. فإذا كانت مدن كل من لساسفة وسيدي معروف وأهل لغلام قد أدمجت ضمن مدينة الدار البيضاء فإن مديونة التي لم يتم إدماجها قد أسند إليها من جديد وكما كان عليه الحال قبل عهد الاستعمار وخلاله وظيفة تأطير جزء مهم من الضواحي. وبذلك فمديونة التي أصبحت على إثر هذه الهيكلة الإدارية الجديدة أكبر تجمع حضري بضواحي الدار البيضاء قد أصبحت في ذات الوقت أحد الأقطاب الإدارية ليس فقط داخل هذه الضواحي بل على صعيد الدار البيضاء الكبرى ككل. ومن شأن ذلك أن يعزز حضورها ونفوذها داخل الجهة برمتها. وقد يساعدها في ذلك مكانتها كملتقى طرق على أبواب العاصمة الاقتصادية وبين جهات مختلفة من ضواحي هذه الحاضرة.


المصطفى الشويكي، *الدار البيضاء، مقاربة سوسيومجالية*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، الدار البيضاء، 1996 ؛ الشاوية، *معلمة المغرب*، ج 16، ص. 5276-5279.

(Dir) M. Chouiki, *L'aménagement des marges urbaines de Casablanca*, Pub. POL. AM, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Aïn Chock, Casablanca, 2003.


المصطفى الشويكي

**المديوني، عبد الله**، أحد الوجوه الوطنية المعروفة بالدار البيضاء، وخاصة في المدينة الجديدة (عين الشق). ولد سنة 1916 بمديونة، وانتقل إلى الدار البيضاء ومارس البقالة في حي كريكوان بالقرب من القريعة. وانخرط في حزب

الاستقلال، وبعثه الحزب (عبد الرحمان اليوسفي وبناصر حركات) من أجل مساعدة بوشعيب ولد السطاتية في تنظيم فرعه في عين الشق. صار مسيرا لفرع كريان ابن مسيك في الأخير بعد منع بوشعيب ولد السطاتية من دخول هذا الحي الصفيحي، وتكلف بأمانة مال إحدى جماعات الحزب، تشهد بذلك إحدى الوثائق الأصيلة، وهي نسخة حكم صادر عن المحكمة السددية بمفوضية الشاوية الشمالية التابعة لوزارة العدلية بتاريخ 23 يونيو 1953. ومما جاء في نصها في شأن صاحب الترجمة وعناصر أخرى بلغ عددها أربعة وعشرين شخصا : "لما ثبت أن المشتكى بهم يشوشون النظام العام ويجمعون الأموال من الناس لغير إذن ويجتمعون (يؤلفون) الجمعيات السرية ضد المخزن والأمن العام ويكتبون على الحائط جملا تمس بالمخزن والأمن ويوزعون المناشر (المناشير) على الناس فيها سب للمخزن حيث وجد ذلك بين أيديهم وألحق بتقرير الشرطة المكلفة بقسم الاستعلامات المذكورة ذلك فيها تفصيلا والمؤرخ في 4 يونيه 1953 تحت عدد 208 وذلك تحت رئاسة أولهم أحمد بن ميلود...". وعليه، حكمت المحكمة على صاحب الترجمة بالسجن مدة تسعة أشهر، قضاها بالسجن المدني في الدار البيضاء، وهو المشهور بـ"حبس اغبيلة" ثم بالسجن الفلاحي العاذر الكائن بين مدينة أزمور والجديدة. وإضافة إلى أحكام السجن التي صدرت في حقه وباقي جماعته، قررت المحكمة حجز ما عثر عليه من أموال كذعائر، وقدرها 27.000 فرنك، دون أن تفصل ما كان في حوزة كل واحد منها.

اختفى بعد مدة من خروجه من السجن، حتى وجد مقتولا، ويؤرخ استشهاده بيوم 2 ماي 1954 على الساعة الثامنة، وهو دون الأربعين من عمره. لا نتوفر على ما يثبت تورط هذه الجهة أم تلك في عملية اختطافه، ولا ظروف قتله، فحسب أحد المراجع، فإن رجال الاستعمار هم الذين اختطفوه من منزله، وذهبوا به إلى المكان الذي وجد فيه مقتولا، بل وتنسب الجريمة إلى رجال الشرطة. وأشارت إحدى الشهادات إلى أن صاحب الترجمة كان مسجونا عندما بدأت المقاومة وأنه كان يتوفر على أموال ورفض تسليمها، وأن هناك مسطرة لتسليم الأموال، ثم أضافت أنه قتل بعد ذلك، واكتفت بالتساؤل وإقرار الجهل بالجهة التي كانت وراء العملية، فهل قتلته الجماعة أو قتل من طرف جهة أخرى. والحق أن عددا ممن جالسناهم كانوا يتحدثون عن معرفتهم بأسماء القتلة، لكنهم يحجمون عن الكشف عنها.

يعسر الجزم في هذا الأمر، على الخلاف من معلومات أخرى ثابتة، ومنها أن سبب الوفاة هو ما أصاب جمجمة صاحب الترجمة من كسور بعد ضربه برصاصات مسدس، وذلك حسب شهادة الطبيب الشرعي، ومنها أيضا أن "رجال مجهولين قتلوه قبل أن يرموا جثته بالقرب من واد المالح" في طريق الرباط.

ملف المقاوم عبد الله المديوني، رقم 526.091، *المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير*، الرباط ؛ عبد الله رشد، *كفاح المغاربة في سبيل الاستقلال والديمقراطية، 1953 - 1973*، المطابع المتحدة، الدار البيضاء، 2004، ص. 361 ؛ *شهادة الحاج بوشعيب مخلص* "ولد السطاتية" أحد مقاومي كريان ابن مسيك بالدار البيضاء.

نجيب تقي

**الـمذاكرة** وأولاد علي، يقطنون الهضاب الشمالية الشرقية للشاوية يجاورهم الزيايدة وأولاد زيان من الشمال، وزعير من الشرق، ويحدهم من الجنوب أمزاب والأعشاش، ومن الغرب أولاد حريز.

تتكون المذاكرة من أصول عربية وبربرية، فالأحلاف وأولاد صباح ينتمون لأصول عربية ومليلة تنتمي لأصول بربرية من هوارة.

الأحلاف محليون لا يعرف زمن استقرارهم بالشاوية.

أولاد صباح : يرجعهم الناصري إلى رياح من بني هلال ويعدهم ابن خلدون من بني معقل.

والغالب على الظن أن المذاكرة وأولاد علي ينتمون إلى بني معقل وهذا الأمر واضح في أولاد علي والأحلاف.

جاء بنو معقل إلى تامسنة بعد بني هلال، وقبلهم كانت برغواطة تستوطن المنطقة لذلك يمكن القول إجمالا : إن المذاكرة وأولاد علي من القبائل العربية المعقلية في الغالب، لكن هذا لا يمنع من وجود عناصر هلالية وأخرى بربرية وخاصة ضمن فرقة مليلة. أضف لذلك أن أرض المذاكرة وأولاد علي وهي منطقة مجاورة للغابة ولمجاري الأودية في شرق الشاوية كانت على الدوام منطقة حمى ولجوء لعناصر سكانية من قبائل عديدة من زعير ودكالة ووررديغة واسماعلة وغيرهم.

وتنقسم المذاكرة وأولاد علي إلى قسمين :

موالين الوطا : يتكونون من أولاد صباح وأولاد علي وينقسمون إلى الدواوير الآتية :

الزبيرات وأولاد فايدة وأولاد زيدان وأولاد قرة.

موالين الغابة : يتكونون من الأحلاف ومليلة.

الدور التاريخي للمذاكرة :

تنتمي قبيلة المذاكرة لنصف الشاوية من أولاد بوعطية ولذلك ظلت على الدوام قوة هامة ضمن هذا اللف القبلي الذي كثيرا ما تواجه مع اللف الآخر الذي يكونه أولاد بورزك (انظر *معلمة المغرب*).

ومنذ بداية القرن التاسع عشر أصبحت قبيلة المذاكرة وأولاد علي خاضعة لقيادة واحدة مع أولاد حريز منذ قيادة محمد بن عبد الخالق الملقب بكريران الحريزي صاحب قصبة مرجانة الشهير، ثم قيادة أولاد برشيد إلى عهد الاحتلال الفرنسي سنة 1907 - 1908.

والملاحظ أن غابة المذاكرة أصبحت منذ بداية القرن العشرين ملجأ للفارين من تعسفات الحكام أو المعارضين للتدخل الأجنبي، ثم سرعان ما أصبحت ملجأ المجاهدين

الذين حملوا السلاح ضد التدخل الفرنسي بعد احتلال الدار البيضاء في غشت 1907.

وقد أبانت قبيلة المذاكرة عن صمود كبير وتميزت بصلابة مقاومتها لجيوش الاحتلال الفرنسي حيث شارك مجاهدوها من فرسان ومشاة في معظم المعارك التي جرت بالشاوية سواء حول الدار البيضاء أو في سهول الشاوية وجبالها. وخلال هذا الجهاد أصبحت المذاكرة وأولاد علي وجيرانهم من الأعشاش وخاصة أولاد محمد يضرب بهم المثل في الصمود في وجه جيوش الاحتلال المدججة بالسلاح. ومن أشهر المعارك التي أفشل فيها المذاكرة مخططات الجنرال داماد معركة فخفاخة بالمذاكرة، ومعركة برابح بالزيايدة ومعارك أخرى عديدة. ومن أشهر زعماء المذاكرة وأولاد علي في الجهاد ضد الاحتلال : الأحمر بن منصور وعلي بالعربي وعلي بن الحاج والحاج بن الحاج والشيخ بن عامر والشيخ ولد إدريس.

ابن خلدون، *العبر* ؛ الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة* ، الدار البيضاء، 1991 ؛ *المذاكرة والتصدي الشعبي للاستعمار الفرنسي*، نشر مؤسسة تامسنا، 2000.

Capitaine Nancy, Tribus des Medakra et des oulad-Ali, *Société de Géographie Commerciale de Paris*, n° 5, t. XXXIII, Mai 1911 ; *Villes et tribus du Maroc*, Casablanca et les Chaouia, 2 t., Paris, 1915.

علال الخديمي

**الـمذاكرة**، قبيلة تنتمي إلى مجموعة اتحادية حي أولاد بوعطية التي تضم كذلك أولاد حريز ومزاب، والاتحادية جزء من اتحادية أوسع تعرف بالشاوية.

وتحد منطقة المذاكرة من الشمال بالزيايدة وأولاد زيان ومن الغرب بأولاد حريز ومن الشرق بزعير ومن الجنوب بمزاب والأعشاش. وكانت قبيلة المذاكرة تحت سلطة قائد الشاوية حتى فترة حكم المولى عبد الرحمان بن هشام، حيث أعيد تقسيم الشاوية وبذلك أصحبت قبيلة المذاكرة تحت قيادة أولاد حريز حتى الدخول الفرنسي للمنطقة. ويعتقد أن آخر قائد من أولاد حريز حكم المذاكرة هو عبد السلام برشيد في عهد المولى عبد العزيز، لكن سلطته امتدت فقط على أولاد علي وأولاد الصباح الذين كانوا يستقرون بالسهل (موالين الوطا) ولم يشمل نفوذه الأحلاف ومليلة.

ولمعرفة الإمكانيات الفلاحية للمنطقة، اهتمت المصالح الاستعمارية بدراسة الأرض من حيث التربة والمياه... وأنجزت لهذا الغرض عدة دراسات على يد ضباط الشؤون الأهلية، وفي هذا الإطار يفسر تأسيس مركز "بوشرون" في فاتح أبريل 1908 ، ففي الضفة اليسرى لواد بوعسيلة وجد المعسكر ومنازل الأوربيين، أما على الضفة اليمنى، المسماة بالكارة، فأقيمت المصالح الأوربية. وصنفت أراضي المنطقة ضمن مجال تربة التيرس والحمري والرمل. أما الإمكانيات المائية فتم تصنيفها على الشكل التالي :

| المجموعة البشرية | المجاري المائية | الآبار المهيأة | غير المهيأة |
|---|---|---|---|
| أولاد صباح | بوعسيلة | - | 100 |
| أحلاف | واد زمران - دالية | 7 | 20 |
| مليلة | المالح - دالية - العطش | 4 | 30 |
| أولاد علي | المالح | 6 | 21 |

وكانت الملكية الخاصة هي الأكثر انتشارا، موثقة بكتابات عدلية تحدد بالضبط الأصل والمساحة والموقع... وعمل الأوربيون في المراحل الأولى على الدخول في مخالطات مع الفلاحين حتى يسهل الاستحواذ على الأرض. فإلى غاية 1911، كانت جنسيات المخالطين موزعة كالتالي :

| ألمان | انجليز | إسبان | فرنسيين | إطاليين |
|---|---|---|---|---|
| 30 | 14 | 6 | 51 | 7 |

أما الاستغلاليات الزراعية فصنفت إلى عدة أنواع حسب المساحة

| 250 هـ | 100 هـ | 50 هـ | 25 - 50 هـ | 10 - 25 هـ | 5 - 10 هـ | 5 هـ |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 9 | 16 | 30 | 3 | 25 | 50 | 20 |

واهتم السكان بزراعة الحبوب وتربية الماشية. ففي سنة 1908 ، قدرت الملكية المصدرة خارج القبيلة بحوالي 40.000 قنطار، وجه معظمها نحو الدار البيضاء، سواء عن طريق الوسطاء أو بشكل مباشر، وتم ذلك عن طريق قوافل من المجال من مديونة وأولاد زيان ودكالة... وصدر قسم من الإنتاج نحو زعير وورديغة... وتوفرت قبيلة المذاكرة على قطعان مهمة من المواشي :

| | 1910 | 1913 | 1927 |
|---|---|---|---|
| خيول (رأس) | 1.200 | 1.627 | 2.396 |
| أبقار | 6.000 | 8.322 | 15.153 |
| أغنام | 35.000 | 31.408 | 32.760 |
| ماعز | 6.000 | 9.433 | 12.449 |
| إبل | 1.200 | 1.627 | 1.858 |

وانطلاقا من موقع القبيلة وتنوع إنتاجها الفلاحي، نشطت بها الحياة التجارية سواء في أسواقها الداخلية أو مع جيرانها. فكانت الأسواق موزعة على ترابها واستقطبت متعاملين مختلفين، وقدمت مواد مختلفة :

| القيادة | السوق | المتعاملون | المواد |
|---|---|---|---|
| أولاد صباح | الأحد ـ الثلاثاء ـ الأربعاء | محليون ـ أولاد حريز مديونة ـ البيضاء | الحبوب ـ المواشي |
| أولاد علي | الاثنين | الزيايدة ـ أولاد زيان | الحبوب |
| أحلاف | الخميس | زعير ـ الأعشاش ـ المذاكرة | الأخشاب ـ مواشي |
| مليلة | الخميس | محليون | الأخشاب ـ مواشي |

وفي سنة 1914، كان التوزيع الإداري والبشري للمذاكرة موزعا كالتالي :

| المجموعة البشرية | عدد الفخذات | عدد الخيام | القائد | الخليفة |
|---|---|---|---|---|
| أولاد صباح<br>أولاد علي | 9<br>10 | 1.074 | عبد القادر بلحاج المعطي | بوشعيب بلحاج الصالح |
| مليلة | 7 | 2.799 | المعطي بن الطاهر | محمد ولد بوعزة |
| أحلاف | 3 | 730 | محمد ولد العربي | علي بلحاج المكي |

وعرف التنظيم الإداري للمنطقة بعض التغييرات مع تقدم الحماية واستراتيجيتها في هذا المضمار. وعرف عدد السكان تزايدا ملحوظا. ففي سنة 1915، ومن مجموع ساكنة الشاوية البالغ عددهم 220.070 نسمة، بلغ عدد سكان المذاكرة حوالي 35.525 نسمة، بينما تجاوز عدد المعمرين 1413 معمرا. وصنفت القوى العاملة بالمنطقة إلى عدة أصناف حسب نوع العمل والأجرة، فالخماس يحصل على خمس الإنتاج أي بقيمة 350 فرنك، أما الرعاة فتحددت أجرتهم حسب الاتفاق مع صاحب القطيع. وفي الغالب تحدد القيمة ببسيطة واحدة للرأس في الشهر بالنسبة للأبقار، أما رعاة الأغنام، فتقاضوا ما بين 70 ف و80 في لرعي 200 رأس من الأغنام مع التغذية والكساء.

وشاركت قبيلة المذاكرة في جميع المعارك التي خاضتها قبائل الشاوية ضد الغزو الفرنسي، وكانت القبيلة الوحيدة التي استطاعت الصمود طويلا في وجه الحملات العسكرية الفرنسية، حيث تطلب إخضاعها تكوين فيلق خاص بعد معركة "فخفاخة" في 28 فبراير 1908. وكانت قبيلة المذاكرة مقسمة إلى أربعة ألوية :

1 ـ الأحلاف : يقودهم الأحمر بن منصور

2 ـ أولاد صباح : يقودهم عبد القادر بن الفرجية

3 ـ أولاد علي : يقودهم الحاج العربي ولد المذكورية

4 ـ مليلة : يقودهم الشيخ الحاج المكي بن البهلول

ولم يفت التراث الشعبي التغني ببطولات هؤلاء الزعماء وغيرهم، كما لم يفته التأريخ لأهم الأحداث التي عرفتها المنطقة خلال هذه الفترة، ومن ذلك :

أجيب التاريـخ الأول — لحمر منصـور قايـدي

لحمر بن منصـور — هيبة لبـني مذكـور

حس المدافع والرقيـق — محلـة لحـمر دايـزه

أسيد العربي قايـدي — جات اخبـاره للدشـر

مول الطربوش والحمالة — أسيدي لحـسن بوعمـر

كال ليه راه بن رضوان — ماتوجد وهش في مليلة كامله

أعبد الرحمان ارحـم — أولادو في الدنيا والآخـرة

المذاكرة والتصدي الشعبي للاستعمار الفرنسي، *دفاتر الشاوية*، مؤسسة تامسنا للدراسات والأبحاث حول الشاوية، الدار البيضاء، 2000.

Capitaine Nancy, Tribus des Medakra et des Oulad Ali, *Société de géographie commerciale de Paris*, n° 5, t. XXXIII, Mai 1911 ; *Villes et tribus du Maroc*, Casablanca et les Chaouia, 2 t., Paris, 1915.

صالح شكاگ

**المذبوح** (الجنرال -) **محمد** كان على رأس المحاولة الانقلابية الفاشلة بالصخيرات يوم 10 يوليوز 1971 ضد الملك الحسن الثاني، وهو من الضباط الذين كانوا في خدمة العلم الفرنسي إبان عهد الحماية الفرنسية، ثم التحقوا بالقوات المسلحة الملكية التي تأسست يوم 14 ماي 1956 مباشرة بعد حصول المغرب على استقلاله. ولد في أكنول بإقليم تازة في 17 يوليوز سنة 1927، وتابع دراسته على التوالي في ثانوية مولاي يوسف بالرباط إلى سنة 1941 وبثانوية مولاي إدريس بفاس من سنة 1941 إلى سنة 1943 ؛ ثم التحق بمدرسة الدار البيضاء العسكرية في مكناس التي تخرج منها صيف سنة 1947 برتبة ملازم أول (Sous - Lieutenant)، وبعد أن قضى دورة تدريبية في فرنسا تم نقله في نهاية تلك السنة إلى وحدة في القوات الفرنسية المرابطة بألمانيا.

وفي غضون شهر مارس من سنة 1949 تم إلحاقه بالقوات الفرنسية في الهند الصينية، ولدى عودته إلى المغرب في شهر ماي سنة 1952 وجِّه مرة أخرى إلى فرنسا للقيام بدورة تدريبية. وفي أعقاب هذه الدورة عاد إلى المغرب سنة 1954 حيث عيّن في إحدى فرق الجيش الاستعماري الفرنسي. ولدى عودة الملك محمد الخامس من المنفى يوم 16 نونبر 1955 وتشكيل الحكومة المغربية الأولى في دجنبر من نفس

السنة عيّن محمد المذبوح ملحقاً كضابط اتصال لدى وزير الداخلية. وفي 6 فبراير سنة 1956 عين عاملا بموجب ظهير شريف، فالتحق بمنصبه الجديد على التوالي في كل من ورزازات والرباط وتازة. وفي شتنبر من سنة 1958 تولى قيادة الدرك الملكي، إلا أنه سرعان ما تولى في شهر دجنبر من نفس السنة منصب وزير البريد والتلغراف والتليفون وذلك إلى غاية شهر غشت من سنة 1959 ؛ ثم أصبح الكولونيل محمد المذبوح بعد ذلك مرافقا للملك (محمد الخامس وخلفه الحسن الثاني). وفي 9 أكتوبر 1967 عين مديراً للبلاط الملكي، وتمت ترقيته يوم 9 مارس 1968 إلى جنرال قائد فيلق. وقد حمل وسام العرش من درجة ضابط والوسام العلوي ووسام الاستحقاق العسكري، هذا بالإضافة إلى عدة أوسمة فرنسية. وقد قتل بطلقات نارية من طرف المساعد عقا بأمر من الكولونيل اعبابو - منفذ الانقلاب - في قصر الصخيرات أثناء عمليات الانقلاب الفاشل الذي قاده.

*جريدة الأنباء* ؛ جريدة *العلم* ؛ الإنتيرنيت.

محمد الناصري

**المذكوري**، (الحاج -) **أحمد**، ولد سنة 1905 من أسرة محترمة في دوار كنانة التابع لفخذة أولاد صباح المذاكرة القريبة من مركز الكارة. التحق بجامعة القرويين أواخر عقد العشرينيات من القرن الماضي. وهناك تعرف على عدد من الوطنيين الشباب، وفي هذا الصدد تحدث الهاشمي الفيلالي أحد رجالات الوطنية الأوائل عن دور صاحب الترجمة في أوساط طلبة المدرسة المصباحية بجامعة القرويين التي كانت مأوى لطلبة المذاكرة وسائر الشاوية ودكالة، كما تحدث عن توطيد علاقة صاحب الترجمة معه ومع أبي الشتاء الجامعي أثناء درس الفقيه أقصبي بمسجد اللبارين، وعن اجتماع الثلاثة بمنزل عبد السلام الوزاني برئاسة علال الفاسي. وصنف الهاشمي الفيلالي أحمد المذكوري في "طليعة العاملين من أجل إصلاح وتنظيم جامعة القرويين واستقطاب الطلبة لهذا الغرض ولبث الوعي الوطني". ولما عاد إلى مسقط رأسه، اشتغل بخطة العدالة هو وأخوه الحاج محمد المعروف بالفقيه، دون أن يتوقف نشاطه الوطني. فقد عمل

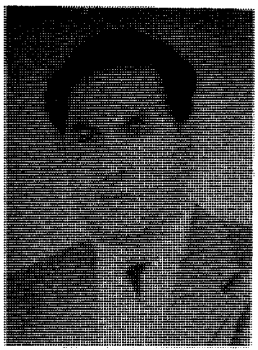

في صفوف كتلة العمل الوطني ثم الحزب الوطني لتحقيق الإصلاحات ثم في حزب الاستقلال. وظل يتردد بين الشاوية والدار البيضاء وفاس لإنجاز عدد من المهمات السرية. فترصدت له السلطات الاستعمارية وسجلته في لائحتها السوداء، إذ تعرض في كل التحركات الوطنية الكبرى للسجن والتعذيب والنفي. وفي إطار حركة المدارس الحرة التي سمحت بها سلطات الحماية بعد الحرب العالمية الثانية، أسس أحمد المذكوري مدرسة التهذيب في الكارة سنة 1946 مع السهر عليها، إضافة إلى بناء المسجد هناك. وتضايقت السلطات الاستعمارية من نشاطه وتأثيره في منطقة الشاوية عامة والمذاكرة خاصة، فدبرت له تهمة ملفقة وقدمته إلى المحكمة العسكرية الدائمة للقوات المسلحة بالدار البيضاء. وقد أثارت محاكمته ضجة كبرى في الدار البيضاء وفي سائر الأوساط الوطنية في المغرب. ثم إنه لجأ إلى المنطقة الخليفية سنة 1953 على إثر نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف، شأنه في هذا شأن عدد كبير من الوطنيين المطاردين من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية في مدينة الدار البيضاء، فاستقر في مدينة تطوان، وانخرط في جيش التحرير بصفته عضوا في المكتب الإداري الأعلى للمقاومة وجيش التحرير. ونظرا لعلمه أسندت إليه قيادة هذا التنظيم مهمة قاضي محكمة الثورة التابعة له. وأثناء مقامه في المنطقة الخليفية، نشر عددا من الأعمال الأدبية في *مجلة الأنوار*، وهي في غالبها ذات اتجاه وطني. وبعد الإعلان عن استقلال المغرب، عاد للاستقرار في الدار البيضاء والمذاكرة. ووقع اختيار الملك محمد الخامس عليه في بداية نوفمبر 1956، ليكون أحد المثلين الثماني عشرة لهيئة الفلاحين في المجلس الوطني الاستشاري، ممثلا لناحية الدار البيضاء. ثم انتخب مستشارا في مكتب رئاسة هذا المجلس. لكنه آثر التفرغ لأشغاله الفلاحية ونشاطه العلمي، خاصة بعد تأجج الخلافات داخل صفوف حزب الاستقلال، وما ترتب عليه من انقسام وتكوين الجامعات المتحدة لحزب الاستقلال التي تطورت إلى الاتحاد الوطني للقوات الشعبية سنة 1959. وكان من الشخصيات التي تم تعيينها في مجلس الدستور، كما جاء في الظهير الشريف رقم 1.60.318 الصادر في نهاية سنة 1960. له *أرجوزة* من مائة وخمسة وعشرين بيتا، خصص القسم الأول منها للحديث عن مقاومة الدار البيضاء والشاوية للاستعمار الفرنسي في بداية القرن العشرين، والقسم الثاني للحديث عن عهد الحماية وما جرت فيه من تطورات وما طرأت فيه من انحرافات في أخلاق العلماء وأفكارهم، والقسم الثالث للحركة الوطنية.

توفي سنة 1986.

*الجريدة الرسمية* رقم 2507، 21 جمادى الأولى 1380 / 11 نونبر 1960، ص. 3380 ؛ محمد زنيبر، "نصان عن مقاومة الدار البيضاء والشاوية في سنة 1907"، *ندوة المقاومة المسلحة المغربية 1900 - 1934* ، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ص. 53 - 73 ؛ *مجلة الأنوار*، ع. *47*، مارس - أبريل

1955، ص. 23 ـ 25، وع. 47 ، مـاي ـ يونيـو 1955، ص. 7 ـ 9 ؛ *أرجوزة أحمد المذكوري، المذاكرة والتصدي الشعبي للاستعمار الفرنسي*، مؤسسة تامسنا للدراسات والأبحاث حول الشاوية، الدار البيضاء، 2001، ص. 139 ـ 147 ؛ مناضل عبد الرحمن عبد الله الصنهاجي، *مذكرات في تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من 1947 إلى 1956* ، مطبعة فضالة المحمدية، 1407 هـ / 1986 ـ 1987 م. ص. 199 ـ 201 ؛ *لقــاءات مع بعض أفــراد أســرتـه وأصدقائه.*

**المذكوري، امَحمد** (الحاج ـ)، أحد الوجوه الوطنية المعروفة بالدار البيضاء وقبيلة المذاكرة، ولد في أواخر القرن التاسع عشر حوالي 1897 أو 1898 في أولاد زيدان المذاكرة التابعة لدائرة الكارة. وبعدما حفظ القرآن على يد الفقيه سي الماحي، انتقل إلى عدة مدارس تقليدية وزوايا في قبيلة أمزاب (مثل زاوية سيدي الحاج التاغي أو الحمداوية على يد الفقيه سي بطاح) ثم في زناتة. ومن أجل تعميق دراسته العلمية في الشؤون الدينية انتقل إلى فاس، حيث درس بجامع القرويين مدة ثلاث سنوات على أيدي فطاحل العلماء من أمثال المهدي الوزاني وبلقرشي. ثم عاد إلى مسقط رأسه حوالي سنة 1328 أو 1329 / 1927، حيث تخصص في خطة العدالة عملا ودرسا، فكان يلقي في شأنها دروسا في الأسبوع بالمسجد الجامع هناك. وظل كذلك حتى سنة 1947، حيث قرر مواصلة مهنة التدريس مباشرة بعد أدائه مناسك الحج، نظرا لما تثيره العدالة من شبهات. وانتقل إلى الدار البيضاء سنة 1953 ، حيث واصل تدريس الفقه والأصول والنوازل في عدد من المدارس والجوامع (مثل جامع عين الشق). إضافة إلى نشاطه في الحزب الوطني لتحقيق الإصلاحات، شارك في وفد المذاكرة الذي عبر للسلطان سيدي محمد بن يوسف عن مساندته لعريضة 11 يناير 1944. اعتقل إبان "حملة القياد" على الدار البيضاء على يد القائد المكي، فأودع في كوميسارية المعاريف 40 يوما، لينفى عن المدينة ويخضع للإقامة الإجبارية في سطات حتى سنة 1956 . اهتم صاحب الترجمة بخطة الإفتاء، فكانت تصله عدة أسئلة من أماكن مختلفة، نشرها في كتاب تحت عنوان *الفتاوي* الذي قدم له الأستاذ الراحل عبد الله كنون الأمين العام لرابطة علماء المغرب، وورد في ظهر الكتاب أن المؤلف سيصدر قريبا أربعة كتب أخرى دون أن ترى النور لحد الساعة حسب علمنا، وهي :

الاستماع، إلى أحكام الرضاع ؛ التحريف والتدجيل، في كتابي التوراة والإنجيل ؛ فتح الإله، في توحيد ووجوب وجود الله ؛ أقوم دليل وأوضح منهاج، في إرشاد المعتمر والحاج.

وكانت وفاته يوم 6 يناير 1978.

امحمد كنوني المذكوري، *الفتاوي*، دار الفرقان للنشر والحديث، الدار البيضاء، إيداع 1996 ؛ *شهادات بعض أفراد أسرته وأصدقائه.*

نجيب تقي

**المذكوري، محمد بن عبد الله**، ولد سنة 1935 بمدينة الدار البيضاء، التحق بصفوف المقاومة السرية المغربية ضمن منظمة أنصار محمد الخامس بمسقط رأسه، وكان يعمل تحت مسؤولية مصطفى خلخال وعبد الله الخباز (البولانجي) ثم أحمد الطيار من سنة 1954 إلى 2 أكتوبر 1955.

شارك في تنفيذ أعمال فدائية جليلة في سبيل استقلال المغرب ورجوع السلطان محمد الخامس من المنفى إلى عرش أسلافه.

كان لمحمد المذكوري مسدس من عيار 7 ملم وسبع قنابل وذات مساء، بينما هو مقدم على تنفيذ عملية اغتيال في منزل بائع للخمر، إذ بهذا الأخير يكتشف غرض الزائر من زيارته، فأطلق عليه رصاصة أردته قتيلا.

توفي يوم 2 أكتوبر سنة 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، الجزء الثاني، ص. 213.

**المذكوري، المكي** أحد أشهر رجال المخزن الذين تولوا القيادة على قبيلة المذاكرة خلال عهد الحماية، بل وأحد القواد الذين اشتهر ذكرهم في الدار البيضاء وأزمور لدى السكان الذين عاصروا أواخر الفترة الاستعمارية.

ولد بالكًارة سنة 1901 "في أسرة عريقة من أعيان المذاكرة" توارث أفرادها منصب القيادة، ومنهم أبوه الحاج محمد بن العربي. وقد سمح له موقعه الاجتماعي والسياسي بولوج مدرسة الدار البيضاء العسكرية في مكناس، وتخرج منها يوم 21 يونيو 1921 ، ضمن الفوج الأول المكون من أحد عشر ضابطا مغربيا برتبة ملازم أول (ليوتنان)، فعينه ليوطي بالحرس الملكي. وشارك ضمن القوات العسكرية المغربية المجندة في الجيش الفرنسي المحارب على مختلف الجبهات الأوربية إبان الحرب العالمية الثانية، وأقرت الدولة الفرنسية بدوره في الحرب، فمنحته وسام صليب الحرب مع أربعة تنويهات.

لا نعلم تاريخ توليه منصب القيادة على المذاكرة، إلا أننا نرجح أنه تم بعد وفاة أبيه، كما جرت بذلك العادة. لكننا نسمع الكثير عن طريقة معاملته ممن كانوا تحت سلطته، وما طبعها من عنف وقسوة وتجبر. ومما يذكره بعض شيوخ المذاكرة الذين عاصروه وعانوا من سلطته أو عاينوها أنه "كان قاطعها في المذاكرة" وأنه "كيضرب بالعصا وكترجع ليه" أي أنه كان يرمي بعكازه من بعيد لضرب شخص معين، وكان المضروب مجبراً على إعادة العكاز إلى صاحبه منقادا ملتمسا الصفح والعفو. وبالمقابل، كان القائد المكي، كغيره من القواد والباشاوات، أداة طيعة في أيادي رجال الإدارة الاستعمارية. وفي هذا الصدد، أنه ساهم، إلى جانب باقي القواد والباشاوات وتحت قيادة الباشا التهامي الگلاوي والشيخ عبد الحي الكتاني، في تنفيذ المخطط الاستعماري القاضي بعزل السلطان سيدي محمد بن يوسف، بواسطة

عريضة يوقع عليها "أصدقاء فرنسا". ولم تمض على تنفيذ المخطط (20 غشت 1953) سوى مدة قصيرة لم تتجاوز ثلاثة شهور، حتى كافأته السلطات الفرنسية بترقيته وتوشيحه. فقد عينته باشا على مدينة أزمور في نهاية سنة 1953، دون أن يتخلى عن قيادة المذاكرة. وبالفعل، ترأس فوكنو Fauquenot رئيس ناحية الدار البيضاء بأزمور يوم 12 نوفمبر 1953 حفلا رسميا لتنصيب المكي باشا جديدا على المدينة وتسليم ظهير تعيينه. وفي الوقت نفسه، وشحته الجمهورية الفرنسية بوسام الشرف من درجة ضابط. وبعد بضعة شهور، وبالضبط في شهر أبريل 1954، ومع نمو العمل الفدائي بالدار البيضاء وما حصده من ضحايا في أحيائها الفقيرة، استقدمت الإقامة الباشا المكي وخمسة قواد إلى هذه المدينة وكلفتهم بتجنيد البدو من الجهات التي يتولونها، وتجهيزهم بالعصي والهراوات، ليشكلوا "قوات إضافية" أو "مخازنية" مكلفين بتنظيم دوريات لضبط الأمن ومواجهة "الاضطرابات" في كريان سنطرال وكريان ابن مسيك ودرب بوشنتوف ودرب الكبير وغيرها من أحياء مدينة الدار البيضاء.

استقر الباشا المكي بالمدينة الجديدة، وبالضبط في البلدية الموجودة بدرب بوشنتوف بجوار سوق الجمعة "الجميعة" وقيسارية الحفاري، وأقر خيام رجاله في عدة مواقع وأمرهم بالقيام بالدوريات حول الأحياء السكنية. ولم يكتف بذلك، بل أمر زبانيته ورجاله باعتقال عدد من الوجوه الوطنية في الدار البيضاء، والتي لم تسقط بعد بيد الشرطة. وقد أوكلت إليه ورجاله وزبانيته مهمة تتبع الوطنيين البيضاويين الذين ينحدرون من أصول مذكورية على الخصوص، أمثال محمد "سيدي" (حيضرة) وأخيه الصغير والهاشمي المذكوري ومَحمد الزيداني المذكوري (كنوني)، دون أن يعني هذا أنه غير معني بغير هؤلاء من الوطنيين. ويمكن، أن نورد أسماء مجموعة من ضحايا المكي، أصول بعضهم معروفة لدينا (محمد العوني من دكالة والفقيه عبد الرحمان ولد غزالة وأخوه عمر من السراغنة ومورشيح حداوي من خريبگة وعبد السلام الريفي "بونيف" من الريف)، وأصول بعضهم الآخر مجهولة لدينا (مثل عبد الله المديوني وعبد الله السكوري وعبد الله الممرض بعيادة الدكتور عبد الكريم الخطيب والشافعي محمد بلحاج).

ساهم الباشا المكي بفعالية في خدمة مخزن ابن عرفة ومن ورائه الدوائر الاستعمارية الفرنسية، حتى صار ركنا من أركان العهد. فقد رشحه ابن عرفة في فبراير 1955 ليتولى الوزارة في الحكومة التي عرض لائحتها على السلطات الفرنسية، في إطار الخطة الرامية لإبراز "مقدرة" السلطان العميل على علاج "الأزمة المغربية". وكان المكي من الشخصيات التي استقبلها ابن عرفة يوم 20 غشت 1955، من أجل استشارتها في موضوع هذه "الأزمة". وكان من باشاوات المدن الكبرى الذين استدعتهم الحكومة الفرنسية إلى إيكس - لي - بان Aix-Les-Bains في نهاية غشت 1955، للاستماع إلى آرائهم في الموضوع

بدأت مرحلة جديدة في حياة المكي منذ أواخر سنة 1955، بسبب ما وقع في المغرب من تطورات سياسية. فقد أجبرت فرنسا على تنحية ابن عرفة واسترجاع ابن يوسف من مدغشقر، قبل أن تسمح له بالعودة إلى المغرب والإعلان عن نهاية عهد الحجر والحماية وبداية عهد الحرية والاستقلال. فاضطر العديد من "أصدقاء فرنسا الكبار" إلى الانسحاب من الحياة السياسية المغربية واللجوء إلى فرنسا، ومنهم المكي الذي ظل هاربا إلى هناك مدة خمس سنوات تقريبا. وأثناء ذلك، صدر ظهير شريف يوم 27 مارس 1958، أحدثت بموجبه لجنة بحث أو "لجنة تطهير" كلفت بالبث "في حق الأشخاص المغاربة المحالين عليها الذين قاموا عن قصد وطواعية بدور حاسم في إعداد وتنفيذ وتوطيد مؤامرة أغسطس 1953 أو ارتكبوا أعمال العنف ضد الشعب أو المقاومين في الفترة المتراوحة من 24 دجنبر 1950 إلى غاية 16 نوفمبر 1955" . وقد اجتمعت تلك اللجنة أسبوعين متواليين لدراسة ملفات الأشخاص الذين حضروا لديها وإجراء التحقيق مع فوج آخر من المحالين عليها. وبعد المداولة أربعة أيام متوالية من يوم 13 غشت 1958 إلى يوم 16 منه، أصدرت عقوباتها على 207 شخصا ضالعاً في التآمر على العرش والشعب والمقاومة. وقد صنفت اللجنة هؤلاء المعاقبين إلى تسع مجموعات حسب حجم التهمة والعقوبة. وما يهمنا، في هذا الصدد، هو أن اسم المكي أدرج في إحدى المجموعات التي أنزلت بها أقسى العقوبات، وهي مجموعة "الأفراد الذين أثبتت لجنة بحث في حقهم عدم الأهلية الوطنية وحكمت عليهم غيابيا من جراء هذا بالتجريد من كافة حقوق المواطنين لمدة خمسة عشر عاما ومصادرة جميع أملاكهم". وجاء أيضا في شأن المكي وغيره من المحكومين غيابيا "... أن على كل من صدر عليه حكم غيابيا أن يحضر بنفسه لدى اللجنة ليتعرض على الحكم في ظرف شهرين ابتداء من تاريخ نشره *بالجريدة الرسمية*، فإذا انصرم أجل شهرين ولم يحضر فسيصبح الحكم نهائيا". وبالفعل، صادرت الدولة المغربية أملاكه، ومنها أراضيه الفلاحية الشاسعة، وتدخل بعض وجوه حزب الاستقلال والمقاومة بالمذاكرة لدى السلطات المسؤولة واقترحت توزيعها على المقاومين. فعلى سبيل المثال، روى لنا السيد محمد بن الحاج امحمد المذكوري الزيداني الكنوني أن مقاومين اثنين هناك، وهما عبد القادر ولد السعدية والحاج عبد القادر القرقوري، استفادا من قطع أرضية كانت في حوزة المكي. وأخبرنا أيضا أن مساحة غير مضبوطة من أراضي المكي لا تزال تابعة للأملاك المخزنية، وتقوم الدولة المغربية بتأجيرها كل سنة عن طريق المزاد العلني.

ولما صدر ظهير 1 . 63 . 279 المؤرخ بيوم 20 جمادى الثانية 1383 الموافق ليوم 8 نوفمبر 1963 الذي ينص على

العفو الملكي عن الأشخاص الذين سبق الحكم عليهم من قبل لجنة البحث، لم يكن اسمه ضمن المستفيدين من هذا العفو، والراجح أنه استفاد منه في تاريخ لاحق، بدليل عودته إلى مسقط رأسه فيما بعد. وحسب الرواية الشفوية، فإنه لم يعمر بعد ذلك إلا مدة قصيرة لم تتجاوز سنتين أو ثلاثا، ظل يتعيش خلالها من المعاش الذي كان يتوصل به مقابل خدماته لفرنسا، كما ظل يتردد على مركز ابن أحمد للعلاج في المستشفى الموجود بها، قبل أن يوافيه الأجل المحتوم بها.

وثائق المندوبية السامية ؛ *المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير*، رقم البطاقة، 524473.

نجيب تقي

**المرابط، أحمد**، يعتبر من كبار رجالات الحركة الوطنية بالرباط والأقاليم الجنوبية، انتقل من سوس إلى الرباط ليشكل صلة الوصل بين الحركة الوطنية وصغار المستخدمين، وتولى بعد الاستقلال مسؤولية مديرية القوافل السينمائية التابعة لكتابة الدولة في الأنباء والسياحة في حكومة عبد الله إبراهيم والتي كان لها دور إعلامي وتحسيسي كبير قبل بداية البث التلفزي.

في سنة 1960، غادر أحمد المرابط المغرب رفقة أسرته ليعيش في فرنسا ثم الجزائر أزيد من 20 سنة قبل عودته إلى أرض الوطن في بداية الثمانينيات وعاش حياة بسيطة.

توفي في شهر قعدة 1425 / يناير 2005 عن سن يناهز 84 عاما.

جريدة *العلم*، عدد 19949 بتاريخ 4 يناير 2005.

**المرابط، محمد**، ازداد في طنجة سنة 1945، درس فيها حتى نال الباكالوريا (شعبة العلوم التجريبية)، التحق خلال الموسم الدراسي 1964 / 1965 أستاذا للرياضيات في شفشاون بإعدادية القطب مولاي عبد السلام بن مشيش.

انتقل المترجم إلى الرباط ليتخرج في سنة 1968 من معهد الإحصاء مهندس التطبيق ويشتغل في مديرية الإحصاء منذ يوليوز 1969، فقدم خدمات كبيرة في إحصاءي 1971 ـ 1982.

استطاع المرابط بنبله وعصاميته وذكائه أن يتخرج من معهد الديموغرافية في باريس بصفته مهندسا ديموغرافيا، ثم سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لفترة تدريبية.

نشر الباحث المرابط عدة بحوث في المجلات المتخصصة التي تعنى بقضايا الديموغرافية ونشرات مديرية الإحصاء، منها أعماله الجادة المنشورة باللغة الفرنسية البليغة في مجلة "*دار النيابة*" الطنجية، ومنها :

ـ تطور السكان في المغرب منذ بداية القرن العشرين، العدد 10، ربيع 1986.

ـ الطائفة اليهودية المغربية، تطورها وخاصياتها الاجتماعية والمهنية، العدد 13، شتاء 1987، الجزء الثاني.

ـ التطور السوسيولوجي والاقتصادي لمنطقة الريف، العدد 11، صيف 1986.

ـ التطور الديموغرافي في تطوان من خلال إحصاءي 1971 ـ 1982، العددان 15 ـ 16، صيف ـ خريف 1987.

توفي المهندس الديموغرافي محمد المرابط يوم الاثنين 5 ذي الحجة عام 1422 / 18 فبراير 2002 بمدينة الرباط.

جريدة *الشمال*، العدد 121، من 5 إلى 11 مارس 2002 ؛ *فصلية الطنجيون*، أعمال مهداة للمرابط محمد (1945 ـ 2002)، المهندس الديمغرافي، السنة الأولى، العدد الأول، شتاء 2002.

بوعبيد التركي

**المرابط، محمد**، أحد النقابيين الوطنيين الذين شملتهم الاعتقالات الواسعة إثر حوادث فرحات حشاد سنة 1952. ولد في قبيلة تمسمان في أسرة مشهورة بورعها وجهادها، حيث كان أبوه قائد فيلق في جيش ابن عبد الكريم الخطابي واستشهد في معركة ظهر أبرّاه إحدى معارك الحرب الريفية، وكان جده صاحب زاوية امرابطن. انتقلت أسرته إلى مدينة طنجة، فواصل الدراسة في الكتّاب على يد الفقيه الحاج علي بإحدى ضواحي حي المصلى. وبعد حفظ القرآن الكريم وبعض أصول الدين، تردد على الدروس التي كان يلقيها العلامة عبد الصمد كنون والد العلامة المشهور عبد الله كنون. ثم اضطر إلى العمل، فكانت بداية عمله في شركة التبغ Régie des Tabacs بطنجة. وهناك خالط بعض العمال الإسبان الذين كان يطلق عليهم "الحمر" (لوس روخوس)، والذين كانوا يتحدثون عن الحقوق والحريات والاستغلال الطبقي، كما تعرف إلى أفكار جديدة كانت تروج لها على الخصوص مجموعة من الشيوعيين الفارين من قمع فرانكو وسانخورخو Sanjurjo وغيرهما من كبار الضباط الإسبان في بداية الحرب الأهلية. ثم اضطر إلى الاستقرار في الدار البيضاء سنة 1933، بعدما نقلت شركة التبغ مقرها من طنجة. وكان له دور في تأسيس الخلايا الأولى للحركة الوطنية في درب السلطان بالدار البيضاء منذ عقد الثلاثينيات من القرن العشرين، وفي إنشاء النواة الأولى

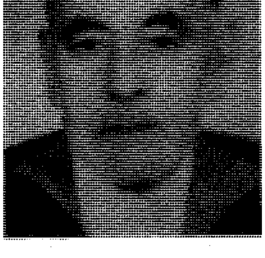

للعمل النقابي في شركة التبغ. ولذلك، قررت السلطات الاستعمارية نفيه إلى مسقط رأسه بطنجة، إلا أنها ألقت عليه القبض على إثر حوادث فرحات حشاد في 7 و8 دجنبر 1952 ، والاعتقالات الواسعة التي شملت عددا كبيرا من القادة الحزبيين والنقابيين. أودع، بعد قضائه فترة بكوميسارية المعاريف، في سجن اغبيلة يوم 22 يناير 1953، ووجه إليه قاضي التحقيق بالمحكمة العسكرية الدائمة للقوات المسلحة بالدار البيضاء تهمة المس بأمن الدولة، ثم نقل إلى السجن المركزي في القنيطرة يوم 15 مارس 1954. وظل هناك بضعة شهور إلى أن استفاد وعددا كبيرا من الزعماء السياسيين والنقابيين من إسقاط المتابعة في 28 سبتمبر 1954 . وبعد ذلك، اضطر إلى الاستقرار في طنجة ومواصلة نشاطه الوطني، بعدما قررت السلطات الفرنسية تمديد مفعول النفي الصادر سابقا، وبعد الاستقلال، عينه السلطان محمد الخامس قائدا على بعض قبائل الريف.

كانت وفاته يوم 20 ذي القعدة 1409 / 24 يونيو 1989.

عبد الصمد المرابط، *محمد المرابط مؤسس الجماعة الوطنية*، فيديرانت، الرباط، 2001 ؛ *منشورات الاتحاد المغربي للشغل، مثل دورية الاتحاد* ؛ *بعض أصدقاء صاحب الترجمة من النقابيين معتقلي حوادث 1952* ، مثل صدقي محمد بن إسماعيل والراحل مصطفى توفيق "العدو".

نجيب تقي

**المرابطون**، دولة حكمت المغرب والأندلس حوالي سبعا وثمانين عاما (454 ـ 541 ـ 1062 ـ 1147)، وتعد الدولة الثانية بعد الأدارسة. عرفت هذه الدولة بأسماء أخرى كدولة الملثمين نسبة إلى اللثام الذي اشتهروا بوضعه على وجوههم منذ أن كانوا مجرد قبائل رحل يتنقلون في الصحراء الكبرى جنوب المغرب الأقصى، كما عرفوا أيضا بالدولة اللمتونية نسبة إلى قبيلة لمتونة أكبر قبائل صنهاجة وأقواهم شوكة وهي التي أقامت الدولة وانتسب إليها جميع ملوكها.

يرجع أصل تسميتهم بالمرابطين إلى النصف الأول من القرن 5 / 11 وذلك على يد الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي. فقد ذكرت المصادر أن هذا الأخير وباقتراح من فقيه سوس واجاج بن زلُو اللمطي وبدعم من أمير صنهاجة يحيى بن إبراهيم الجدالي، تزعم حركة إصلاحية بين أهل عصبيته من صنهاجة الصحراء الذين وجدهم لا يصلون ولا يزكون وليس عندهم من الإسلام إلا الشهادتين وقد غلب عليهم الجهل، فدعاهم إلى إقامة السنة وتطبيق الشريعة، وترك ما هم عليه من بدع وتقاليد مخالفة. وقد كانت دعوته ترتكز أساسا على التزام أحكام الدين في جميع الأمور، وتتخذ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله سلوكا ومنهجا. ومن المذهب المالكي مرجعا ومذهبا.

لم يجد عبد الله بن ياسين الطريق سالكا أمامه، بل لقي معارضة شديدة خاصة من طرف بعض أمراء ووجهاء قبائل صنهاجة الذين رأوا في دعوته خطرا حقيقيا على مكانتهم الاجتماعية ومصالحهم التجارية، فكانوا يتحرشون به ويتآمرون لقتله مما دفع بالفقيه إلى الهجرة والانزواء مع ثلة من أصحابه وأتباعه بجزيرة معزولة عند مصب نهر السنغال حيث ابتنى رابطة للعبادة والتدبر والاستعداد للمرحلة القادمة.

بدأت المرابطة في هذه الجزيرة سنة 433 / 1040 بسبعة أشخاص أغلبهم من قبيلة جدالة ولمتونة، ومن أبرزهم الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي ويحيى بن عمر اللمتوني فسماهم ابن ياسين بالمرابطين للزومهم رابطته. وبعد تزايد أعداد المريدين الملتزمين بالدعوة الجديدة والمتشبعين بأفكار إمامهم، أمرهم بالخروج لجهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة.

تمكن عبد الله بن ياسين سنة 434 / 1042 من إخضاع جل قبائل صنهاجة لنفوذه وزعامته وأصبح إمام المرابطين في الصحراء. وبعد استشهاد أميرهم يحيى بن إبراهيم الجدالي ثم من بعده يحيى بن عمر اللمتوني، عين الإمام أميرا آخر هو أبو بكر بن عمر اللمتوني عام 448 / 1056 فقلده أمر الحرب ومتابعة الجهاد وفتح البلاد مما يلي الصحراء إلى الشمال. فغزا سجلماسة والسوس وبلاد المصامدة، وجعل على مقدمة جيوشه ابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتوني.

بزغ نجم يوسف خلال فتوحات المرابطين لبلاد المغرب الأقصى وتألق أكثر بعد مقتل إمامهم ومهذبهم عبد الله بن ياسين أثناء حروبه مع برغواطة بتامسنا سنة 451 / 1059 واضطرار خليفته أبي بكر إلى ترك أمور المغرب لقائده والعودة إلى الصحراء لإخماد ما اندلع في قبائلها من فتن وإصلاح ما اختل من أحوالها.

ساعدت هذه المعطيات الجديدة يوسف على الاستبداد بأمر المرابطين، فأبان عن مقدرات عسكرية وسياسية كبيرة أثناء فتحه لمناطق كثيرة من المغرب الأقصى حتى إذ ما عاد ابن عمه أبو بكر من الصحراء لم يجد بدا من الاعتراف ليوسف بقوته ودهائه واطمأن على نجاح مسار حركة المرابطين في ربوع المغرب ففضل الانسحاب نهائيا والتنازل له عن الإمارة ببلاد المغرب ليعود إلى الصحراء.

يعتبر هذا التنازل الذي حدثت وقائعه بأغمات سنة 454/ 1062 بداية حقيقية لدولة المرابطين وتدشينا لسياسة جديدة سينهجها يوسف من خلال تركيزه لدعائم حكم وراثي في أبنائه بعد أن كان الأمر فيما قبل شورى بين زعماء صنهاجة. ومن تجليات هذه السياسة زواجه من زينب النفزاوية بعد أن طلقها زوجها السابق أبو بكر بن عمر، ثم بناؤه مدينة مراكش واتخاذها عاصمة للمرابطين سنة 454 / 1062 (أو 462 / 1070 ) وتتويجه ذلك بأن حلى نفسه بلقب أمير المسلمين وناصر الدين سنة 466 / 1074 (أو 479 / 1086).

بعد أن تمكن يوسف من بسط نفوذه على كل المغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط سنة 477 / 1084 وصلته دعوات واستصراخات ملوك الطوائف ترغبه في الجواز إلى

الأندلس وجهاد النصارى المتكالبين عليها. لم يتأخر أمير المرابطين في الاستجابة لنداء الأندلس لحماية الإسلام والمسلمين بها وتنظيم حملات عسكرية إليها. وتعد معركة الزلاقة الشهيرة سنة 479 / 1086 من أبرز تلك الحملات التي وحدت الغرب الإسلامي لأول مرة تحت راية المرابطين، ولقيت صدا واسعا في كل بلاد المسلمين وباركها خلفاء بني العباس وأثنى عليها كبار علماء المشرق من أمثال حجة الإسلام أبي حامد الغزالي والإمام أبي بكر الطرطوشي.

قضى يوسف بن تاشفين أكثر من نصف قرن في الجهاد وتدعيم أركان دولة المرابطين، وعند ما توفي سنة 500 / 1106 ترك البلاد لولي عهده هادئة، والأموال وافدة، والملك قد توطأ، والأمور قد استقامت، ونفوذ الملثمين قد اتسع وامتد في جميع بلاد المغرب من مدينة بجاية إلى بلاد السوس الأقصى وفي جميع بلاد القبلة من سجلماسة إلى جبل الذهب من بلاد السودان، وفي بلاد الأندلس من مدينة أفراغه من قاصية الشرق إلى مدينة أشبونة على البحر المحيط.

سار علي بن يوسف سيرة أبيه في إقامة العدل وضبط الثغور وتدبير الجهاد، ورد أحكام البلاد إلى القضاة، واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين فكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورتهم حتى بلغوا في أيامه مبلغا عظيما. إلا أنه ابتداء من سنة 518 / 1124 أخذ أمر البلاد يختل وكثرت المشاكل في كل جهات الامبراطورية فاستبد الأمراء والفقهاء والقضاة بالأندلس، وانطلقت حركة الموحدين في المغرب التي أذكت نار الفتنة التي استمرت بقية فترة حكم علي ثم ولده تاشفين من بعده إلى أن خمدت بتقويض دولة المرابطين ودخول الموحدين مدينة مراكش سنة 541 / 1147 وقتل آخر ملوكها إسحاق بن علي وهو لا يزال صبيا.

وهذه قائمة ملوك المرابطين ومدة حكمهم :

- أبو يعقوب يوسف بن تاشفين (454 ـ 500 / 1062 ـ 1106).
- أبو الحسن علي بن يوسف (500 ـ 537 / 1106 ـ 1142).
- أبو المعز تاشفين بن علي (537 ـ 541 / 1142 ـ 1146).
- أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين (541 ـ 1146).
- إسحاق بن علي بن يوسف (541 ـ 1147).

البكري، *المغرب*، نشردي سلان، باريس، 1965 ؛ عبد الله بن بلقين، *التبيان*، القاهرة، 1955 ؛ ابن بسام، *الذخيرة*، بيروت، 1978 ؛ البيدق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب*، القاهرة، 1949 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، بيروت، 1990 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 4، بيروت، 1969 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء، 1978 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 1959 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 2، الدار البيضاء، 1956 ؛ ليفي بروفنسال، *الإسلام في المغرب والأندلس*، القاهرة، 1956 ؛ حسين مؤنس، *سبع وثائق جديدة*، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد 2، 1954 ؛ محمود مكي، *وثائق جديدة*، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، بيروت، 1959 ؛ عبد الله عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، ج 1، القاهرة، 1964 ؛ عصمت عبد اللطيف دندش، *الأندلس في نهاية المرابطين*، بيروت، 1988 ؛ نفسها، *دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا* ؛ بيروت، 1988، *أضواء جديدة على المرابطين*، بيروت، 1991 ؛ إبراهيم حركات، *النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين*، الدار البيضاء، بدون تاريخ، عبد الله العروي، *مجمل تاريخ المغرب*، ج 2، بيروت، 2000 ؛ محمد زنبير، *المغرب في العصور الوسيط*، الدار البيضاء، 1999.

Bosch Villa, *Historia de Marruecos Los Almoravides*, Tetuan, 1956 ; P.F. Faria, The Almoravids : Some questions concerning the character of the movement during its periods of closest contacts with the western sudan, *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire*, B. 1967, XXIX, p. 794-878 ; R.A. Messier, The Almoravids : West African gold and the gold currency of the mediterranean bassin, in *JESHO*, vol. XVII, part. I ; V. Lagardère, *Le vendredi de Zallaqa*, Paris, 1989 ; Ibid., *Les Almoravides jusqu'au régne de Yusuf b. Tasfin*, Paris, 1989.

رشيد السلامي

**المرأة المغربية**، تعتبر المرأة المغربية إحدى الركائز الأساسية في بناء صرح الحضارة المغربية إلى جانب قرينها الرجل، بإسهامها في مختلف المجالات والمواقف : الاجتماعية منها والسياسية والعلمية والصوفية ومجالات الجهاد ومقاومة التدخل الأجنبي على مر العصور والأزمان. واليوم وقد أصبحت فيه المرأة محط جميع الأنظار، ومعقد كل الآمال، فإن الذاكرة المغربية تحتفظ لها بنماذج عن تلك الأدوار التاريخية الرائدة التي يُستلهم منها المثال والأسوة الحسنة. وفعلا فإن مصنفات تاريخ المغرب. تفصح عن العديد من نماذج النساء الرائدات من الأميرات الزوجات، وكن بحق اللواتي ساهمن إلى جانب أزواجهن الملوك والأمراء ورجالات الدولة فكن لهم خير معين على تسطير كثير من الأمجاد والبطولات. ونسوق أمثلة من تلك النماذج المغمورة في مجاهل التاريخ : ففي مجال السياسة كانت أول امرأة حكمت المغرب ـ قبل الفتح الإسلامي ـ هي الملكة الداهية الملقبة بالكاهنة. قاومت الفاتح العربي حسان بن نعمان مرتين كان آخرها سنة 82 هـ. حيث غلبها بجبال الأوراس في موضع يعرف ببئر الكاهنة، وقد صدرت روايات تمجد بطولة هذه الأميرة الأمازيغية.

وأدت كنزة الأوربية ـ زوجة إدريس الأول ـ رسالتها في إرساء قواعد الدولة الإدريسية، وأظهرت تفوقا كبيرا في إعداد ولدها إدريس الثاني ليتحمَّل أمانة الدولة الإسلامية الأولى في المغرب.

ـ وأسست فاطمة أم البنين الفهرية جامع القرويين عام 245، وشقيقتها مريم جامع الأندلس بالضفة الأخرى لوادي فاس.

ـ واشتهرت زينب النفزاوية الهوارية ـ أرملة أمير أغمات وزوجة الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي والقائمة بملكه ـ بالجمال والرياسة والدهاء. وكانت وراء بناء شخصية الأمير المرابطي الذي من أجلها بنى حاضرة مراكش.

أمّا السيدة تميمة بنت يوسف بن تاشفين وأخت الملك علي ـ المكناة بأم طلحة ـ فكانت من الأديبات المشهورات بقول الشعر، وبالكرم والرقة.

ـ وتقلدت حفصة الركونية ـ الشاعرة الأندلسية ـ كرسي تدريس نساء المنصور الموحدي بدار المنصور بمراكش.

ـ وقامت بانو بنت عمر اللمتونية بدور هام في الدفاع عن اللمتونيين وحالت دون استسلام الأمير إسحاق بن علي المرابطي للموحدين ودخول مدينة مراكش ـ بغداد المغرب ـ، إلى أن غلبت على أمرها ودخل الموحدون إلى مراكش، واقتحموا قصرها بعد مقتلها سنة 545.

ـ وكانت زينب ابنة الخليفة يوسف بن عبد المومن بن علي الموحدي عالمة بعلم الكلام وأصول الدين، صائبة الرأي، فاضلة الصفات. وهي : "المرأة الموحدية النموذج فكرا وسيرة ومذهبا ونزوعا".

وفي مجال الطب كانت ابنة أخت الطبيب ابن زهر وبنته تقومان بمهنة التطبيب لحرم المنصور الموحدي داخل القصر.

وفي مجال الأدب شاركت كثير من الأديبات والفقيهات والعالمات في بناء صرح النهضة العلمية المرينية، كأم هاني بنت محمد العبدوسي الفقيهة الصالحة، وأم البنين جدة الشيخ زروق، والعالية بنت الشيخ محمد بن الطيب بنكيران (اللتين لهما حلقتان في جامع الأندلس بفاس)، والأديبة صفية العزفية، والطبيبة عائشة بنت الجيار.

وفي ميدان الجهاد والعلاقات الخارجية ظهرت الست الحرة حاكمة تطوان (زوج أبي الحسن المنظري حاكم تطوان، وقيل إنها تزوجت زواجا سياسيا السلطان أحمد الوطاسي ثالث ملوك الوطاسيين)، وقائدة الجهاد كأبرز شخصية من أسرة بني راشد بشمال المغرب في القرن السادس عشر الميلادي.وقد اعتنى بها المؤرخون وبأيام حكمها لتطوان ونواحيها (ثلاثون سنة)، ووصفوها بأنها كانت امرأة شديدة الاندفاع ميالة إلى الحروب. صدر عنها بمجلة هسبريس سنة 1956 بحث بعنوان "Saïda El Horra, La noble Dame".

ـ ويحتوي الأرشيف البرتغالي على محضر لمحاكمة امرأة مغربية ـ من دكالة ـ عاشت طويلا بالبرتغال. وكانت التهمة الموجهة إليها هي الرجوع إلى الديانة الإسلامية، والقيام بشعائرها. وكانت تدعى : (آنة دوميلو). ولم ترد الإفصاح عن اسمها الحقيقي المغربي، وكان ذلك سنة 1559.

ـ وكانت للا خناثة بنت بكار ـ زوج المولى إسماعيل العلوي ـ مستشارة لزوجها "ووزير صدق وبطانة خير" أزيد من ربع قرن. وكانت فقيهة، وعالمة، وأديبة، كتبت على هامش الإصابة لابن حجر، وأشرفت على تربية حفيدها "محمد بن عبد الله". كتب عنها الأستاذ عبد الهادي التازي في كتابه : "*جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي* 1967"، وضبط لها أزيد من عشرين مراسلة مع ملوك فرنسا وهولندا وإسبانيا. كما كتبت عنها Magali Morsy في الجزء الأول من سلسلة "Les Africains" (1977 ـ 1978).

ـ وكانت للسلطان المولى إسماعيل زوجة ثانية تدعى "عائشة المباركة" تراسلت عدة مرات مع زوجة فيليب الخامس ملك إسبانيا.

ـ وساهمت للا فاطمة زوج السلطان سيدي محمد بن عبد الله في تلطيف الجو بين المغرب وإسبانيا عن طريق المكاتبات والمخابرات.

ـ ولعبت للا الضاوية (Lalla Dawia)، ذات الأصل التركي، زوج السلطان سيدي محمد بن عبد الله بدور كبير في علاقات المغرب مع بعض الدول الأوربية. كتب عنها المؤرخ Euloge Boissonnade في مجلة "Historia" الفرنسية. وكانت لسيدي محمد بن عبد الله زوجة أخرى تسمى "للافاطمة" تبادلت المراسلات مع الأميرات الإسبانيات مساهمة منها في تلطيف الجو بين المغرب وإسبانيا.

وفي ميدان العلوم كانت "سكينة" بنت السلطان مولاي عبد الرحمان تحفظ من الشعر العربي الشيء الكثير.

ـ وكانت للا غيلانة بنت الفقيه محمد غيلان التطوانية عالمة بعلوم القرآن، والحديث، والفقه، واللغة ...

ـ وكانت العالية بنت الشيخ محمد بن الطيب بنكيران تدرس علم المنطق بجامع الأندلس بفاس، وفاقت الكنانية جارية أبي عبد الله الكناني أهل زمانها في الغناء والأدب.

ـ وكانت رحمة بنت الجنان المكناسية ـ زوجة ابن عبد الله بن عزوز الصنهاجي ـ حافظة للأحاديث الصحاح، عالمة بقصص القرآن وأخباره، بارعة في التفسير.

ـ وكانت الفقيهتان مباركة وزين الشرف من العالمات المحدثات اللائي أجزن الرجال كمحمد المرابط بن محمد بن أبي بكر الدلائي.

ـ وكانت أمينة القاضي ابنة ابن القاضي دفينة فاس من العالمات في ميدان القضاء.

ـ وكانت فحلة المراكشية من الوليات الصالحات يوجد قبرها قبالة ضريح القاضي عياض.

ويزخر المغرب بكثير من الأضرحة النسوية مثل : ضريح للاعائشة البحرية، وللايطو المجاورتين لمدينة أزمور يتوارد عليهما كثير من النساء "ليسهل الله عليهن" أمر زواجهن أو يبعد عنهم شبح الطلاق. وضريح للا عائشة العدوية (الملقبة بعريانة الراس)، وللا شافية بمكناس، وللا زينب العيدية (المدفونة بالرباط)، وللا فاطمة بنت الولي سيدي إبرهيم بن عجيبة (صاحبة الكرامات دفينة مدينة طنجة)، وللا فاطمة الطريدة المدفونة بمقبرة (العلو) بالرباط، وكان أبوها قاضيا، وكانت تفتي في القضايا التي تستعصي على والدها. وذكر Jacques Caillé في كتابه "La petite histoire de Rabat" أن قبة هذه الولية كانت موجودة بزنقة القناصل، وأنها كانت من العالمات انتقلت إلى الأندلس وتوفيت بها، ثم حمل الأندلسيون جثتها إلى مدينة الرباط".

وفي ميدان المقاومة والتحرير نجد : رقية بنت حديد حاكمة قبيلة آيت زدك الجبلية التي ساهمت في حركة المقاومة

ضد الغزو الفرنسي للمغرب، والمقاومة البربرية "دوهو نعيشة "شهيدة معركة تازيزوات التي وقعت سنة 1932، والمقاومة البربرية الشاعرة هرة حسين نايت بن هكّو التي شاركت في معركة بوكافر، وغيرها من المقاومات في معركة التحرير كفريدة حسن التي كانت تتجسس على المعسكرات الإسبانية في حرب الريف، وعدد من المقاومات والمناضلات في معارك التحرير والمقاومة التي مهدت لاستقلال البلاد.

- أما في العصر الحديث فقد كان محمد الخامس طيب الله ثراه، مناديا في كل مناسبة، بضرورة دخول الفتاة المغربية معركة الحصول على العلم، ومعركة البناء، ومشجعا الآباء على توجيه فتياتهم للمدارس والمعاهد لتنوير عقولهن، ونصب كريمته صاحبة السمو الملكي الأميرة للا عائشة قدوة للفتاة المغربية الناهضة. وقد عينها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني سفيرة لجلالته في أول عهده الزاهر بلندرة ثم بروما. واهتماما من جلالته بالمبرات الإنسانية، والمؤسسات الاجتماعية، أسند لصاحبة السمو الملكي الأميرة للا مريم رعاية المصالح الاجتماعية للقوات المسلحة الملكية، ولشقيقته صاحبة السمو الملكي الأميرة للا مليكة رئاسة الهلال الأحمر المغربي، وإلى صاحبتي السمو الملكي الأميرتين للا أسماء وللا حسناء رئاسة الجمعيات الإحسانية ذات الاهتمام بالأطفال المعوقين والأطفال المشردين.

- ومن اهتمام الدستور المغربي بتقنين مساواة المرأة المغربية بشقيقها الرجل، نصت فصوله على أن الرجل والمرأة متساويان في التمتع بالحقوق السياسية، وأن جميع المواطنين المغاربة ذكورا أو إناثا لهم الحق في حرية التجول، والاستقرار، والرأي والاجتماع، وتأسيس الجمعيات، والانخراط في الهيئات السياسية والثقافية، والحملات الانتخابية، وفي تقلد الوظائف والمناصب العمومية، وفي التمتع بحرية التربية والشغل على السواء، وبدون تمييز أو تفضيل. فأصبحت المساواة بين الجنسين مضمونة في سائر المجالات الاجتماعية والإدارية والسياسية بمقتضى نصوص الدستور المغربي. ويراعى ذلك في سائر تهييء التشريعات القانونية والتنظيمية. فنلمس مثلا في فصول مدونة الأسرة الحديثة الحرص على المسؤولية المشتركة للزوج والزوجة في الإشراف على الأسرة وأعضائها، ومراعاة حقوق الزوجة كاملة في حالات الزواج والقوامة والنفقة والطلاق، وحمايتها وأبناءها من مغبات تهور بعض الأزواج في بعض تصرفاتهم العشوائية واللامسؤولة، وإنصافها ورد الاعتبار إليها كلما هضمت حقوقها.

ولم تقتصر المرأة المغربية على ولوج الميادين المدنية، بل تعدتها إلى الميادين العسكرية، فأثبتت وجودها في كل الوحدات البرية والجوية والبحرية بجميع أصنافها، في القوات المسلحة الملكية، وفي القوات شبه العسكرية الأخرى كالشرطة والقوات الاحتياطية ومصلحة المطافئ.

وهكذا فتح المغرب الحديث أبوابه أمام المرأة المغربية داخل البلاد وخارجها، فبرهنت على نضجها وكفاءتها في كافة الميادين العلمية، والثقافية، والإنتاجية، والتقنية، والعلمية، والإبداعية، وعلى مقدرتها للنهوض بوطنها سياسيا، وأدبيا، وعلميا، وحضاريا، وثقافيا، واجتماعيا، وفنيا، وتمثيله في المؤتمرات والندوات الدولية خير تمثيل. فنبغت من بين صفوف المرأة المغربية المثقفة: الكاتبات والقصصيات، والمؤرخات والأديبات والشاعرات والباحثات الاجتماعيات والمربيات والمؤلفات باللغات الأجنبية.

- وفرضت المرأة المغربية وجودها فرضا في الميدان العلمي والتكنولوجي بإحرازها على الشهادات العليا من مختلف الجامعات الدولية في مختلف الميادين الفكرية والعلمية والقانونية، وبتدريسها لمختلف العلوم بالجامعات والمعاهد العليا. وأبانت عن كفاءتها ومقدرتها الفائقة في الميدان الطبي وعلم النفس. ودخلت عالم الأعمال التجارية والشركات ومختلف الوكالات البنكية والمقاولات من بابه الواسع. واحتلت المناصب العليا في ميدان تسيير المرافق الاجتماعية والتربوية والإدارية والقضائية والجامعية والصحفية والدبلوماسية. واقتحمت المنظمات الدولية، وتبوأت أعلى المناصب فيها، ومثلت بلادها أعظم تمثيل في التظاهرات والندوات والمداولات والمعلمات العلمية والثقافية. ودخلت الرسامة المغربية ميدان الفن التشكيلي بشكل يثير الانتباه والتقدير، مما يدل على رقة ذوقها، ورهف حسها، وصفاء فطرتها ... وطرقت الممثلة المغربية باب المسرح والسينما وقامت بتشخيص عدة أدوار في المسرحيات والأفلام الوطنية والأجنبية.

- وولجت الفنانة المغربية ميدان الموسيقى والغناء والكوريغرافية والعزف على مختلف الآلات الموسيقية وبرهنت على موهبة عظيمة في هذا الميدان الفني البديع. وأعطت الرياضية المغربية الدليل القاطع على كفاءتها الرياضية وقدرتها الجسمانية للخوض في مختلف المهرجات الرياضية والمنافسات الوطنية والقارية والدولية عن جدارة واستحقاق.

وقد أتينا في كتابنا "*دليل المرأة المغربية*" في جزأيه على جرد لأسماء المنتميات للتخصّصات المذكورة في هذا العرض، ولجميع إنجازاتهن الثقافية والعلمية والفنية، ولكل الدراسات المحررة حولهن، وحول أنشطتهن المختلفة، ولجميع عطاءاتهن الفعالة لبناء مجتمعهن سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وفنيا. هكذا ساهمت المرأة المغربية بجانب الرجل في خدمة وطنها وبنائه على أسس صحيحة، فإذا كان المغرب ينجب خيرة الرجال، فهو ينجب أيضا خيرة النساء مما أثمر حضارة تنعم فيها الإنسانية بالسلم والازدهار.

الكانوني، *شهيرات نساء المغرب*؛ عبد العزيز ابن عبد الله، معجم *أعلام النساء بالمغرب الأقصى*؛ *المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي*، ج 12، 1970؛ مصطفى عبد السلام المهماه، *المرأة المغربية والتصوف في القرن (11 هـ)*؛ زينب فواز، *الدر المنثور في طبقات ربات الخدور*؛ محمد المنوني، *المؤسسة التعليمية الأولى بسوس*؛ عبد الهادي التازي، *المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي*،

نشر الفنك، 1992 ؛ رشيدة علوي مدغري، *دعوة الحق*، مارس - أبريل، 2004 ؛ *معجم أعلام نساء مغربيات* ؛ عبد الحق المريني، *دليل المرأة المغربية* ، دار نشر المعرفة، الرباط، 1993 ؛ 2000 جزءان؛ محمد زنيبر، مسرحية *"عروس أغمات"* ؛ علي الصقلي، المسرحية الشعرية *"الأميرة زينب"*.

Magali Boisnard, *Le roman de la Kahena, d'après les anciens textes arabes*, 1925 ; Paul Serge Kahon, *Kahena la magnifique*, 1990.

عبد الحق المريني

**مرادي، عبد الـحميد** بن **عيسى** الباعمراني. من أساتذة المغرب اللامعين تمثلت إسهاماته العلمية في تنمية وعي جيل كامل من الشباب في فترة ما بعد الاستقلال. لقد عاش في فترة الحماية وفي فترة ما بعد الاستقلال وهي فترة التحولات التاريخية، فكانت ولادته بقرية (تادْرارْت) إحدى القرى بقبائل آيت باعمران، وصادفت ولادته السنة الأولى من توقيع عقد الحماية الفرنسية على المغرب 1330 / 1912، وفي ظروف من القلة المعاشية، وتبعا للأعراف التعليمية بسوس حفظ القرآن ثم انتقل إلى قبيلة مسگينة شرق مدينة أگادير لينخرط في إحدى المدارس العلمية المهمة في هذه الفترة هي "مدرسة (إيغيلالن) فتلقى على الأستاذ الكبير العلامة سيدي الحاج مسعود الوفقاوي وغيره من العلماء، العلوم الدينية وفنون الأدب واللغة، وكان عصاميا في ثقافته وعلى جانب من الرزانة والذكاء.

وفي وقت كان العلم يُكتسب باقتحام الأسفار رحل إلى الديار التونسية 1936، وكان مُقلاً ولاشك أن الرجل مع ذلك تحذوه في سفره رغبة ملحة في مزيد من المعرفة، شأنه شأن طلبة سوسيين من أقرانه أمثال الأساتذة : أحمد اليعقوبي الأدوزي أحمد الزيتوني شاعر أحمد البودراري الوجاني، ومع أن الرياح عاكسته حينا، فقد بلغ درجة الأستاذية بعد أن استكمل تكوينه وانخرط في التعليم بتونس فتخرج على يده بتونس أفواج من الطلبة التونسيين والجزائريين والليبيين، وبعد زهاء ربع قرن رجع إلى المغرب سنة 1957 بدعوة من جمعية علماء سوس لمزاولة التعليم في معهد محمد الخامس بتارودانت فأبدى نشاطه الكبير ووظف خبرته في التدريس وفي الوعظ والإرشاد، وكذلك في التسيير الإداري والتربوي

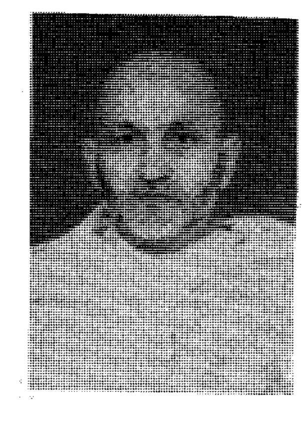

لأحد فروع المعهد ردحا من الزمن ما بين سنوات 1958 ـ 1963 وعاد إلى المعهد ليتولى التدريس به حتى إذا تأسست كلية الشريعة بأگادير انتقل إليها للمساهمة في تأسيسها وتدعيمها بما بذله من جهد. حتى وافاه الأجل في 2 دجنبر 1983.

ومن مؤلفاته :

1 ـ *مذكراته* : في مجلدات عديدة.

2 ـ كتاب *"أعلام الأماكن"*.

3 ـ كتاب *"لمحات من تاريخ سوس"*.

4 ـ *مذكرات المقاوم عبد العزيز الماسي*.

5 ـ *مذكرات خاصة*.

6 ـ مذكرة عن وضعية المعهد الإسلامي.

إن أغلى هذا الانتاج يوجد ضمن خزانته المهمة لدى ابنه بحي الدشيرة بمدينة إنزگان، وسيؤدي نشره إلى تعميم للفائدة.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 10، ص. 254 ؛ ع. الساحلي المتوكل، *المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العتيقة*، الدار البيضاء، ج 1، ص. 165 ؛ أ. الزيتوني، *يذهب الصالحون الأول فالأول*، *جريدة الميثاق لرابطة علماء المغرب*، ع 448، دجنبر، 1983، ص. 2 ؛ *مذكرات شخصية ومراسلات خاصة*.

عمر أفا

**مرامَر** أو صويرة مرامر أو زاوية صويرة مرامر، مدينة شاطئية قديمة تقع بين أسفي والصويرة. بهضبة الشياظمة ـ حاحا الأطلنتية شمال غرب زاوية سيدي المختار، وشمال الطريق الرئيسية رقم 10 الرابطة بين مراكش والصويرة (موگادور) عبر شيشاوة وسيدي المختار. وتبعد عنها الطريق بحوالي عشرة كلمترات، على خط مستقيم. وتوجد صويرة مرامر جنوب وادي تانسيفت، على الضفة اليمنى لواد مرامر عند مخرجه من هضبة النعيرات ـ مدراعت ـ الكُريمات ـ الگوايد الكلسية الصينومانوطورونية المتقطعة، موضعها عبارة عن سطيح طبغرافي (درجة بنيوية) يتوسط حافة الهضبة عند قدم جبل بودورا. وهو مكون من صخور صلصالية تتخللها دكات حثية أو كلسية أكثر مقاومة. تشرف زاوية صويرة ـ مرامر شمالاً على هضبة توبرس ـ الحريگة وعلى ارتفاع 331 م فوق سطح البحر.

تُعتبر صويرة ـ مرامر أهم تجمع بشري بمنطقة تضاريسها عبارة عن كويسطاكريطاسية تتوسط كويسطتين إيوسينية جنوباً وجوراسية شمالاً. وتشرف هذه الأخيرة مباشرة على وادي تانسيفت (نسيفة قديماً). مستوى قاعدة واد مرامر المحور المائي الرئيسي الذي يحمل مركز صويرة ـ مرامر اسمه. ويسمى هذا الواد بواد ميرام ـ الأحمر بالعالية المباشرة بين صويرة ـ مرامر سيدي المختار. الطابع المُميز لضواحي صويرة ـ مرامر هو الجفاف والقحولة وعراء السطح، باستثناء أحراش مدراعت حيث تتناثر عناصر مختلفة من شجر الأرگان Argana spinosa كما هو الحال بكدية أرگان عائشة

شمال غرب صويرة ـ مرامر. وقد كان مجال الأرگان قديماً أكثر امتداداً، حيث يصل حتى مدينة شيشاوة شرقاً.

تبدو صويرة ـ مرامر منعزلة وسط هذا المجال، ولا يربطها بالمناطق المجاورة سوى طريق ثلاثية تلتقي بطريق مراكش ـ الصويرة عند أولاد عيسى. وتحمل حالياً اسم زاوية صويرة ـ مرامر. يوجد بها جامع قديم مقدس ومحترم من طرف السكان الذين يبلغ عددهم حسب إحصاء 1994 الأخير 7623 نسمة. ويبلغ عدد الأسر حسب نفس التعداد 1194 أسرة. وهي كذلك مقر لسوق أحد مرامر الأسبوعي الذين وصل عدد زُوَّاره مائة ألف زائر في السنة. كما يُذبح فيها 3050 رأساً من الماشية سنويا.

من خلال المعطيات السابقة يظهر أن صويرة ـ مرامر تعتمد أساساً على النشاط الفلاحي، خاصة تربية الماشية. وكدليل على أهمية النشاط الرعوي نجد كثرة العزبان المنتشرة بضواحيها القريبة. وقد أشار الحسن الوزان إلى أنها كانت تُنتج الكثير من القمح والزيت وهي حالياً تابعة لإقليم الصويرة من الناحية الإدارية.

وقد كانت زاوية صويرة ـ مرامر تدعى قديماً مَرَامَرْ فقط، حيث أشار إليها الحسن الوزان بهذا الاسم (مْرَامَرْ) كإحدى المدن بناحية دكالة القديمة. وقد بُنيت على أنقاض مدينة صغيرة بناها القوط بهضبة الشياظمة حاحا جنوب واد تانسيفت على بعد حوالي سبعين كيلو متراً من مدينة آسفي وعلى بعد حوالي خمسين كيلو متراً من مدينة أمگدول (الصويرة). وحسب الحسن الوزان كان بها حوالي أربعمائة كانون (أسرة) وكانت تابعة لناحية دكالة الخاضعة لمملكة مراكش وتحت سلطة حاكم مدينة آسفي آنذاك. ولما احتل البرتغاليون آسفي غادر سكان مرامر مدينتهم هاربين وتاركينها خاوية على عروشها زهاء سنة كما جاء ذلك عند الحسن الوزان في كتابه *وصف إفريقيا*. لكن بعد اتفاقهم مع البرتغاليين رجعوا إليها مقابل أداء الجزية لملك البرتغال. والملاحظ أن المدينة والمحور المائي الموسمي الذي يمر بجانبها يحملان نفس الاسم (مرامر). ومن المحتمل أن أحدهما أعطى اسمه للآخر. وربُما يكون اسم "مْرَامَرْ" مشتقاً من المَرْمَر أو المَرْمَار أو المرامر. وكلها تعني الناعم المرتج. ويعني المَرْمَر الرمان الكثير الماء أو الرخام. ومَرْمَرَ الماءَ جعله يمر على وجه الأرض.

وقد كانت مدينة مْرَامَرْ هذه واحدة من شبكة من المدن التي تطورت على طول الجانب الأيسر لوادي نسيفة (تانسيفت القديمة) ما بين تلال سفرة وأسّنْفَا. وهذه المدن هي من الشرق نحو الغرب : أغمات، نفيس، أسيف المال، شيشاوة (أو شفشاون)، مْرَامَرْ ثم مرفأكوز أو أكوز بمصب واد تانسيفت بعيداً قليلاً عن المحيط. وكانت المنطقة الموجودة بين المحيط غرباً وشيشاوة شرقاً، حيث توجد مدينة مرامر، تحت سيطرة حاكم رگراگة الجراجي الرگراكي الذي كان في صراع مع إخوته. واستمر الصراع بالمنطقة خلال المدة الممتدة من القرن 2 م إلى القرن 7 م. وقد كان السكان بهذا المجال يعتنقون المسيحية، ثم اعتنقوا الإسلام عندما ظهر عقبة وكانوا أول من اعتنقه. وجاهدوا في سبيل نشره. وهكذا عند بداية الإسلام كان يعيش بمدينة مرامر عناصر من الروم والبربر المسيحيين، وبدون شك عناصر من اليهود الحرفيين، بل وحتى القرن 19 الميلادي، كانت مرامر مَمَراً لبعض الحاخامات الصيادين. خاصة أنه يوجد بتالمست القريبة مزار لهم حتى أيامنا هاته.

وقد ذكر البكري مدينة مرامر على الطريق الرابطة بين مدينة أغمات ومرفأ كوز مُعطيا المراحل والمسافات بين المدن التي تقع على طول هذا المحور التجاري. وبذلك تكون مرامر إحدى المدن الصغيرة التي كانت موجودة على الطريق التجاري سجلماسة (المدينة الحمراء) ـ أغمات ـ نفيس ـ شيشاوة ـ كوز. وقد أضيف لاسم مرامر مصطلح صويرة، فأصبحت تدعى صويرة ـ مرامر. وربما كان ذلك لتمييزها عن الصويرة (أمگدول، موگادور، الصويرة) من جهة وعن مدينة الصويرة القديمة (حصن) شمال مصب واد تانسيفت من جهة ثانية.

ولحماية الطريق المذكور تم خلق شبكة من الزوايا التي فاق عددها الأربعين زاوية بمنطقة تانسيفت. وهكذا أصبحت صويرة ـ مرامر مقراً لإحدى هذه الزوايا وهي الآن تُدعى زاوية صويرة ـ مرامر. وكانت هذه الزوايا كذلك عبارة عن رباطات أقيمت حول أضرحة أول المهتدين للإسلام، خاصة وأن سكان منطقة صويرة ـ مرامر الرگراكيين كانوا السبَّاقين إلى الدخول في الإسلام والجهاد في سبيله. وفي سنة 1149 سحق عبد المومن بن علي رگراگة ودكالة ونهب قطعان أغنامهم وحطم ممتلكاتهم، واختفت رگراگة من القرن 12 م إلى القرن 14 م، واختفت بذلك مدن تانسيفت القديمة كأسيف المال ونفيس وشيشاوة القديمة، في حين لم تعد كل من أغمات وصويرة ـ مرامر سوى قريتين.


ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1400 / 1980 ؛ أبو بكر البيدق، *المقتبس من الأنساب في معرفة الأصحاب*، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1971.

J. Pegurier, *Espaces urbains en formation dans le Tensift*, S.M.E.R., Rabat, 1981 ; L. Baritou, Les grandes lignes de l'histoire des populations de Chichaoua, Paris, *C.H.E.A.M., n° 1234* ; P. Berthier, Campagnes de fouilles à Chichaoua, avril-mai 1968, 2ème partie, *Bul. Soci. Hist., Maroc, n° 2, 1969, p. 7-26* ; B. Rosenberger, Note sur Kouz, un ancien port à l'embouchure du Tensift, *Hespéris, p.23-66, 1967* ; Al Bakri, *Description de l'Afrique septentrionale*, Paris, Maisonneuve, 1965.


أحمد زروال

**المربوح، محمد الإدريسي** المغراوي الملقب بالمربوح، هو أحد شيوخ الگريحة بمدينة مكناس. ولد عام 1928 بالغرفة في تافيلالت، ومنها انتقل رفقة والده إلى مكناس ولمّا يبلغ العاشرة من عمره. التحق بالمدرسة الصناعية بباب الرحى، وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية انقطع عن الدراسة ليشتغل بالتجارة.

ومنذ يفاعته أحس بالميل إلى الموسيقى، فكان يرتاد مجالس أشياخ الملحون، ولم يحل عام 1952 حتى أصبح وثيق الصلة ببعض هؤلاء يرافقهم في مسامراتهم، ويأخذ عنهم محفوظاتهم، ومنهم : شيخ السجية محمد بن إدريس القصباوي، وعازف الكمان محمد الناصري، والحاج المحجوب أحد أتباع الطائفة العيساوية، وكان خبيراً بالملحون والطبوع العيساوية وعنه تعلم العزف على العود. وقد ساعده انتماؤه إلى فرقة الفنان الشعبي محمد برگام على تعميق معرفته بتقنيات آلة العود، كما هيأ له أن يستخدمها في أداء الألحان الشرقية.

وإلى جانب هؤلاء فقد تعرف المربوح على كبار شيوخ الملحون بمكناس وجالسهم في مسامراتهم الخاصة وفي المناسبات العائلية. ومن هؤلاء الشيخ محمد برطال عازف الگنبير، والشيخ بنعيسى الدراز، والحاج العربي البرادعي الزهراوي. وهو يذكر أن أكثر سكان قصبة هدراش كانوا من حفظة الملحون، غير أن أغلبهم كانوا من الشدادة الگنابرية والعراجة، وقليل منهم من يتقن العزف على العود والكمنجة.

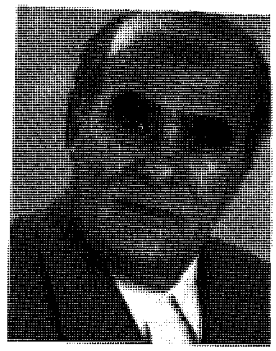

ومن أجل أن يعمق معرفته بالملحون حفظا وأداء التحق بالمدرسة الوطنية للموسيقى بمكناس في بداية السبعينيات، فتتلمذ على المرحوم الفنان الحسين التولالي، ومنذئذ أصبح رفيقه وأحد أعضاء جوقه، منشدا وعازفا على العود إلى جانب بقية الفنانين، وفيهم محمد الوالي وعلال السوسي على آلة الكمان، وأحمد أگومي على السويسن، وعبد الهادي بنونة ضاربا على الدربوكة، والمنشد محمد الخياطي.

وقد عاصر المربوح في شبابه فترة ازدهار الملحون بمكناس. وفي هذا الصدد فهو يذكر أن الناس كانوا يتهافتون على الأشياخ لإقامة حفلاتهم العائلية، وأن الطبقة الشعبية كانت تتجاوب مع الملحون وكلامه أكثر مما تتجاوب مع طرب الآلة.

توفي محمد المربوح بمكناس عصر يوم الجمعة 13 ذي الحجة 1421 / 9 مارس 2001.

*بطاقة خاصة.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**مَرْبِيل**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Marabel ؛ وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**مربيه ربه** الشيخ **محمد** المصطفى الملقب بمربيه ربه بن محمد المصطفى ماء العينين ابن محمد فاضل بن مامين. ولد يوم الأحد 14 ربيع النبوي سنة 1298 / 1880 بمكان يسمى أزمول الطيحة بمنطقة تيرس، تلقى تكويناً ثقافيا شاملا كغيره من أبناء مدرسة الشيخ ماء العينين. تولى إمارة الجهاد بعد وفاة أخيه الشيخ أحمد الهيبة، فأعاد تنظيم صفوف الحركة الجهادية في الجنوب المغربي بعد تطويقها من جميع الجهات، وظل يقاوم إلى سنة 1933، فغادر كردوس سنة 1352 / 1933، ومنها إلى آيت بعمران، ثم طرفاية التي استقربها إلى أن توفي سنة 1361 / 1942 بموضع في الساقية الحمراء يسمى تافدارت. حج مرتين عن طريق تطوان، الأولى سنة 1356 والثانية سنة 1357 / 1938، التقى خلالهما بعدد من العلماء والأدباء من بينهم الأمير شكيب أرسلان والمكي الناصري وعلي الألغي وإدريس الجاي وعبد الخالق الطريس وغيرهم. خلف أعمالا أدبية وعلمية غزيرة تربو على المائة والعشرين، منها :

- *قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين*، مخطوط.
- *لبانة المجاهدين وبغية الطالبين*، مخطوط.
- *صولة الكار وملجأ الفار في تحريم الإقامه مع الكفار*، مخطوط.
- *محمدة اللسان*، مخطوط
- *ربيع الأسرار*، مخطوط
- دواوين في مختلف الأغراض والفنون. وغيرها.

ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، ورقة 130، مخطوط ؛ الشيخ النعمة، *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*، ورقة 68، ج 1، مخطوط ؛ محمد الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 48 ؛ *جوانب وحدوية من ثقافة الصحراء المغربية*، ص. 31، المعارف الجديدة، الرباط، 1997.

محمد الظريف

**مَرْتيل**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Martil وMortil.، ومن أفرادها المرموقين أحمد مرتيل من الذين بايعوا الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا يوم 12 جمادى الأولى 1236 (17 مارس 1821) وفي سنة 1242 (1826) ألقى عليه القبض الباشا محمد أشعاش لأنه كان قد عارض في تعيين أشعاش حاكما بتطوان، وصادر أمواله وأرسله إلى سجن الصويرة وذلك إلى أن أصدر السلطان مولاي عبد الرحمن يوم 3 حجة 1246 (15 ماي 1831) الأمر باطلاق سراحه وإرجاع أملاكه المصادرة. ومنهم العربي بن أحمد مرتيل طالب تطواني أحرز بأمر من السلطان مولاي عبد الرحمن بتاريخ 13 ربيع الثاني 1259 (13 ماي 1843) على منحة قدرها 30 أوقية في الشهر من أحباس تطوان لمتابعة دراسته بفاس. ومحمد العربي بن أحمد مرتيل فقيه أديب زاول خطة العدالة سنة 1279 إلى 1298 (1863 ـ 1881) وكان من بين أعيان تطوان الذين وقعوا على بيعة السلطان مولاي الحسن يوم 3 شعبان 1290 (26 سبتمبر 1873) وتولى خطةالحسبة إلى أن وافته المنية سنة 1311 (1893).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**المرجات**، في منطقة الغرب تشغل هذه المرجات خمس مساحة المجرى الأسفل لنهر سبو، أي بمقدار 60.000 هكتار. ولا يكوِّن هذا المجال الشاسع وحدة متراصة. فإذا كانت ضفاف نهر سبو تفصل بين مرجات الغرب ومرجات بني احسن، فإنه، كذلك في الشمال أو الجنوب، كل مرجة تحتفظ بخصائصها. وحتى في بداية فصل الربيع، فصل الانتشار الكبير للمياه، توجد عتبات تفصل بين المرجات الرئيسية، وتسمح بالمرور. إلا أن عدد واتساع هذه العتبات يختلف من سنة إلى أخرى.

هناك عدد مهم من المرجات :

مرجات الضفة اليمنى لنهر سبو (مرجة مركتان 4500 هكتار ـ مرجة بوخرجة 8500 هكتار ـ مرجة راس الدورة 9500 هكتار، يبلغ طولها، 50 كلم، وعرضها ما بين 4 كلم و100 م).

مرجات الضفة اليسرى لنهر سبو : (المرجة الكبرى وتحتل وحدها ثلث أرض بني احسن، وتضم مرجة بهت 19000 هكتار ومرجة الردوم 9000 هكتار ومرجة تيفلت وسمنطو 2600 هكتار).

وهناك عدة مرجات أخرى متفاوتة المساحة في ضواحي مدن : القنيطرة والقصر الكبير والعرائش. كانت هذه المرجات، قبل تجفيفها في القرن العشرين تفرض على السكان ـ وأغلبهم بدو ـ شكلا معينا من أشكال الاستغلال لأنها كانت، في نفس الوقت، منطقة نفور بحيث كانت مهددة بالفيضانات وما يتلو ذلك من أمراض، ومنطقة جذب في فصل الصيف لأنها تتحول إلى سهول خضراء. وقد ظل تعميرها يكتسي صبغة مرحلية وظرفية، ولم يستقر السكان إلا على جوانب هذه المرجات، إذ استفادوا منها بوسائل لم تكلفهم أية مبادرة كجني المنتوجات التلقائية للمرجة (السمار، قصب الديس) التي تدخل غالبا في بعض الحرف التقليدية (صناعة الحصائر والحبال مثلا) أو بناء النوالات، والاحتطاب والرعي والصيد والقنص.

المصطفى البوعناني، *مساهمة في دراسة تاريخ منطقة الغرب*، مرقونة، كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، 1423 / 2002.

المصطفى البوعناني

**المرجان الأحمر** أو عرق اللؤلؤ كما هو شائع في مختلف الأقطار العربية، مجموعة من الكائنات الحيوانية اللافقرية تصنف إلى شعبة مجوفات المعى أو جوفمعويات Cnidaria cœlentérés وطائفة الزهريات أو الشعاعيات الثمانيات المجسات Anthozoa Octocorallia ورتبة المدائخ أو البوليبات Gorgonacea وفصيلة المرجان Coralliidae. يسمى علمياً (Corallium rubru (Linnaeus, 1758 وبالفرنسية Corail rouge de Méditerranée وCorail de Sardaigne وبالإنجليزية Red coral . الحيوانات عبارة عن أزهار هدرية

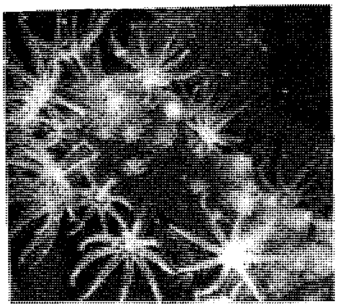

مفردة بيضاء شفافة لها ثمانية ملامس، تنمو في كتل كلسية صلبة حمراء ملتصقة بالصخور البحرية في أعماق تتراوح بين 10 و100 متر وأحيانا 400 مترا. تتوفر الأنسجة على تماثل شعاعي على شكل أعمدة صغيرة تزينها ثؤلولات متعددة. والمدائخ حيوانات جماعية متلامسة ومتداخلة مع بعضها بعضا موزعة على جميع جهات البراعم ولها شكل كؤوس زهرية تحتية ونصف كروية، لونها أبيض شفاف وتنتهي بثمانية مجسات محفوفة بأشواك دقيقة وبدون أنسجة ولها تجويف يحده غطاء متفاوت الكثافة. تفرز البوليبات الهياكل الصلبة من كربونات الكالسيوم بكيفية مستمرة فينمو المرجان تدريجيا ملتصقا بالصخور وفق أشكال كلسية حمراء متشعبة الأغصان.

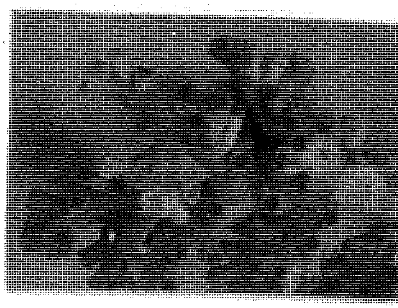

يألف المرجان الأماكن الصخرية القاعية الضعيفة الإنارة والغيران الشبه مظلمة وعلى حافة الصخور. تكون المرجان في البحر المتوسط في بداية العصر الطباشيري حوالي 80 مليون سنة ويقتصر توزيعه الجغرافي بالخصوص على السواحل المتوسطية الغربية من تونس إلى المغرب ومن إيطاليا إلى أسبانيا وفي بعض المناطق الصخرية الممتدة من البرتغال إلى الرأس الأخضر. وهو شائع في السواحل المتوسطية بضواحي الحسيمة وفي بعض الصخور الساحلية بين العرائش وأصيلا. تتغذى المدائخ من المخلوقات المجهرية العالقة تجلبها بواسطة الملامس التي تتوفر على خلايا مقرصة متخصصة وتمتص المواد العضوية الذائبة. المجموعات الموجودة على كل جذع مكونة من ذكور أو من إناث فقط وخلال الفترة الممتدة من يونيو إلى غشت تلقي الذكور بحييها المنوي في البحر ليسبح ويلتقي بالمدائخ الإناث ليتم التلقيح بداخلها وتنمو اليرقات في البوليبات الإناث مدة 20 30. يوما ثم تصير طليقة عائمة في البحر حوالي 15 يوما من يوليوز إلى أكتوبر لتبحث عن الصخر الملائم لعيشها فتلتصق به وتتحول إلى مديخة.

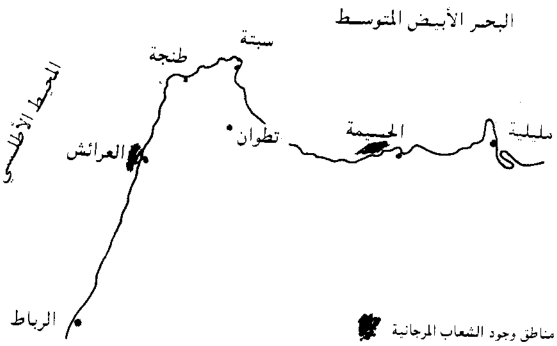


يأخذ المرجان مظهراً بداخل الماء وفي حالة انكساره أو اصطدامه بجسم آخر يصير أحمر أو ورديا لأن المدائخ البيضاء تختفي تماما بداخل الكؤوس الزهرية وهو المظهر الذي يتخذه بعد موته وعند خروجه من البحر. اللون الأحمر الداكن أو الوردي لمرجان ناتج عن وجود صباغ كاروتيني في جذع الهيكل وفي الشويكات المحاطة بالملامس. يبلغ قطر البراعم 4 ملمترات بالنسبة للنماذج الذي يبلغ طولها 10 سنتمترات وقد يبلغ الطول الكلي للجذع 20 سم في ظرف 15 سنة. وقد عرف المرجان صيدا مكثفا خلال العقود الأخيرة الشيء الذي لم يترك المجال للأفراد الكبيرة القامة.

يستعمل المرجان الأحمر المتشعب في صناعة المجوهرات وكذلك في الطب التقليدي لعلاج الزكام والسعال. عرفت صناعة مجوهرات المرجان منذ أزيد من ألفي سنة وقد أدى التقاطه المتواصل خلال العقود الأخيرة إلى تقليص توزيعه العمقي وندرته واندثاره في بعض السواحل المتوسطية وأصبح نادرا جدا في الأعماق القريبة من الشواطئ المغربية. صيده منظم في المغرب من طرف حرفيين يستعملون معدات الجر والصليب المرجاني وبذلة الغطس المستقلة. يعطي الجدول التالي كمية المرجان الأحمر الملتقطة خلال السنوات الأخيرة.

| السنة | 1993 | 1994 | 1995 | 1996 | 1997 |
|---|---|---|---|---|---|
| الكمة بالطن | 4 | 6 | 5 | 4 | 4 |
| السنة | 1998 | 1999 | 2000 | 1999 | 2000 |
| الكمة بالطن | 2 | – | – | – | – |

عينت اللجنة العامة للصيد في البحر المتوسط لجينة تقنية تتكلف بشؤون مصادر المرجان في البحر المتوسط الغربي واستغلاله المعقول وتقوم بفحص تقني للموارد المرجانية. قام باحثو المعهد الوطني للبحث في الصيد البحري بفحص تقني في شهر يونيو 2003 للموارد المرجانية في ضواحي الحسيمة وكانت النتائج مرضية لاستغلال مستديم وعقلاني لهذه الموارد النفيسة والنادرة في السواحل المغربية.

المرجان الأحمر غير مهدد بالانقراض على الصعيد الدولي ويحظى بالحماية حسب اتفاقية برلين وبرشلونة وواشنطن.

D. Allemand, Le corail rouge, cet inconnu : 1-7, in *Réserve sous-marine à Corail de Monaco*. Expérience de coralliculture en milieu naturel, *Association Monégasque pour la protection de la nature (ed), Monaco*, 16 p., 1992 ; The biology and skeletogenesis of the Mediterranean Red Coral. A review, *Precious Corals and Octocoral research 2, 19-39, 1993.*

محمد رمضاني ومحمد خربوعة

**مرجان الكبير** ، قائد عبيد الدار في قصر السلطان مولاي إسماعيل كبير وصفان شؤون الدولة في النفقات المالية. سمي بمرجان الكبير تميزا له عن الحاجب مرجان الصغير المعروف ببًّا مرجان، وكلاهما من موالي السلطان وعبيده المخصيين الذين يعملون داخل قصوره.

كان مرجان الكبير مناط ثقة مولاي إسماعيل الذي خصه بحظوة كبيرة فعينه حاجبا له، وعزز له الحجابة حسب ما جاء عند ابن زيدان بالأمانة العامة على الخزائن الملوكية وبيوت

الأموال لما عرف عنه من الحزم والضبط والتيقظ والنباهة والصدق والأمانة. وكان بيده دفتر الداخل والخارج، لا يطلع على ذلك غيره قريباً أو بعيداً، وكان عارفا بالعوائد الجارية في الصلات مسانهة ومشاهرة، وما يدفع للجيوش وغيرهم في الأعياد والمواسم وغيرها لا يعرف ضبط ذلك وتحقيقه غيره.

وبعد وفاة مولاي إسماعيل وقع مرجان الكبير ضحية دسائس عبيد البخاري الذين أوغروا صدر السلطان أحمد الذهبي عليه فقتله سنة 1139 / 1727 ، كما قتل أيضا الحاجب مرجان الصغير. وبمقتل مرجان الكبير. صاحب بيوت الأموال جهل الخارج من الأموال ولم يعرف قدر الداخل، وأحرقت الدفاتر الحافظة لذلك، فاختل النظام وبسبب ذلك نال العبيد مناهم وحصلوا على ضالتهم المنشودة.

أبو القاسم الزياني، *البستان الظريف*، تح. رشيد الزاوية، الرباط، 1992، ص. 213 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج 1، الرباط، 1990، ص. 269. 271 ؛ *المنزع اللطيف*، تح. عبد الهادي التازي، الدار البيضاء، 1993، ص. 261.

رقية بلمقدم

**مرجبو، أحمد** الأندلسي الأسفي أحد مشاهير الأطباء بأسفي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر الهجري. وهو ينحدر من أسرة أسفية عريقة أصلها من الأندلس، وقد أعطت هذه الأسرة على مرّ التاريخ الكثير من الأعلام. يقول الفقيه الكانوني عن السيد أحمد مرجبو : "كانت له معرفة بالطب ويدٌ عاملة فيه، جال في سبيله حتى أخذه، وكان يتجوّل في الحواضر والبوادي مدة تعاطيه".

توفي في العشرة الثانية من القرن الرابع عشر الهجري.

محمد الكانوني، *أسفي وما إليه قديماً وحديثاً*.

**مرجبو، التهامي** الأندلسي الأسفي ابن محمد بن الحاج قاسم ينحدر من نفس الأسرة التي ينتمي إليها الطبيب أحمد مرجبو الذي سبقت ترجمته. وهو عالم عاش خلال القرن الثاني عشر. يقول عنه الكانوني : "... الفقيه العدل الموثق المعتني، كان حيّاً سنة 1191 ..." وهو بالتالي عاش تلك الفترة الذهبية التي عرفتها مدينة أسفي والتي برزت فيها مجموعة من العلماء والأدباء أمثال القاضي سيدي مَحمد ابن عبد العزيز كَرْضيلو وابنه الهاشمي كرضيلو والفقيه سيدي عبد الله بن ساسي وابنه الطيب ابن ساسي وغيرهم من العلماء والأدباء. ويذكر أحمد بن محمد الصبيحي السلاوي الفقيه السيد التهامي مرجبو ويقول : "... رأيت في مجموع كتب السيد التهامي ابن محمد بن الحاج قاسم مرجبو الأندلسي ثم الأسفي نقلا عن خط الفقيه المحتسب السيد الطاهر ..." وهذا دليل على أنه كانت للمترجم خزانة كبيرة وربما بعض التآليف.

توفي بأسفي بعد عام 1191.

محمد الكانوني، *أسفي وما إليه قديماً وحديثاً* ؛ أحمد الصبيحي، *نظارة الصبيحي بأسفي*، مخطوط.

عبد الرحيم العطاوي

**المَرخ** أو علميا تيليني لينيفُولْيَا Teline linifolia نبات جُنَيْبي من فصيلة الفَوليات Fabaceae.

قد تصل قامة المرخ إلى 4 م أو أكثر، لكن ما يصادف عموما هو أن هذا الارتفاع يتراوح ما بين 1,5 و2 م. إنه نبات جد مرتفع. أوراقه مجزأة إلى 3 فصص شريطية الشكل. إزهاره عنقودي الشكل. أزهاره فراشية، صفراء اللون. ثماره قرنية، لكنها قصيرة الطول.

يتواجد المرخ طبيعيا في المنطقة المتوسطة الغربية على أراض حمضية وفي بيومناخات شبه رطبة ورطبة واستثنائيا شبه رطبة. وفي مستوى الطابق المتوسطي الدافيء. وإذا كان المرخ يصادف بصفة متناثرة في الشمال الغربي من المغرب، فإنه في غابة المعمورة يشكل تشكيلات كثيفة تسود الطبقة الجُنَيْبِيّة في المناطق التي مازالت تصادف بها بنيات شبه متوازنة قريبة من العشيرة الأوجية لهذه الغابة. ولهذا اعتمد على اسم المرخ لبناء اسم هذه العشيرة الذي هو Telino linifoliae - Quercetum suberis . والمعروف أن لتواجد المرخ دوراً حيويا لا محيد عنه لبقاء البلوط الفليني على هذه الأتربة الرملية الفقيرة للمعمورة. فبفضل تثبيت نيتْرُوجين الهواء من طرف المرخ بمساعدة البكتيريات التي تَعيش في تكافل مع جذور هذا النبات، يتم تخصيب التربة ليستفيد منه كل أنواع العشيرة النباتية بما فيها البلوط الفليني.

*أبحاث شخصية*.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Ibis Press, Paris, et Kalila xa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**مرّاكش** (جغرافيا –) من المدن العربية الإسلامية القليلة الأصيلة التأسيس : حيث إنها لم تبن كمثيلاتها على أنقاض مدن رومانية أو فينيقية أو بالقرب منها، بل إن اختيار موقع تأسيسها تناسب مع ثقافة المرابطين والظرفية السياسية لتأسيس دولتهم حسب لقي بروفانسال تباعا لمقولة ابن عذاري في كتاب *البيان* عند حديثه عن سكان مدينة أغمات الذين عينوا للأمير المرابطي عمر بن أبي بكر الموضع حيث ذكر : "وقد نظرنا لك موضع صحراء لا أنيس به إلا الغزلان والنعام ولا تنبت به إلا السدر والحنظل ... فنظروا له ذلك الموضع ليكون وادي نفيس جنانها ودكالة فدانها وزمام جبل درن بيد أميرها طول زمانها"...

وهذا ما يمثل إشكالية جغرافية هذه المدينة، التي ستصبح بفضل عمل قاطنيها وزائريها والمسؤولين عن تدبير شؤونها عبر التاريخ، واحدة من أهم المدن العالمية. تهافت المستعمرون لتغيير نمط عيش سكانها من بداية القرن العشرين إلى

منتصفه، ويتهافت المستثمرون في القرن الواحد والعشرين للاستفادة من مؤهلاتها الاقتصادية التي يساهم فيها إطارها الجغرافي.

فهي عاصمة جهة مراكش تانسيفت الحوز، ترصع وسط سهل الحوز عند التقاء خط طول 8 درجة و30 دقيقة ودائرةعرض 31 درجة و19 دقيقة، وهو سهل بنيوي يمتد على مسافة تقترب من 180 كلم من الشرق إلى الغرب ويتسع بحوالي 30 كلم، تساقطاته المطرية هزيلة متوسطها 250 ملم سنويا. تطل على المدينة من الواجهة الشمالية كتلة الجبيلات التلية القاحلة المتوسطة الارتفاع (800 م). وفي الواجهة الجنوبية تشرف عليها سلسلة الأطلس الكبير ذات السفوح الوعرة المكسوة بتشكيلات نباتيةمتنوعة، والمتعددة القمم الشاهقة الارتفاع (طوبقال 4165 م). تشكل خزان المياه بفضل ثلوجها وأمطارها التي يقدر حجمها بحوالي مليار ونصف متر مكعب. من هنا يمكن القول إذا كانت مصر هبة النيل فمراكش هبة جبال الأطلس الكبير. إن مجموع مخاريط الانصباب المكونة للحوز والمشكلة في فترات الزمن الرابع توفر تربة خصبة، استفاد منها الإنسان بفضل تقنيات جلب مياه أحواض تانسيفت كأوريكة ونفيس وغيغاية عبر الخطارات والسواقي السطحية التقليدية والحديثة وأهمها قناة الروكاد التي تنقل مياه واد الأخضر من مسافة تبلغ 120كلم، يخصص جزء من حمولتها لتزويد مراكش بالماء الصالح للشرب. وقد دخلت هذه المياه قديما إلى حاضرة مراكش عبر قواديس فخارية، ثم عرفت قنوات التزود تحديثا ابتداء من سنة 1916 فارتفع الاستهلاك، إذ انتقل إنتاج الماء من 5000000 م3 سنة 1950 إلى 50000000 م3 سنة 1995. وهذا الارتفاع انعكاس للتحولات الجغرافية التي عرفتها المدينة سواء على مستوى السكان أو على المستوى السكني والأنشطة الاقتصادية والاجتماعية.

حسب بعض التقديرات يناهز عدد سكان مراكش المليون نسمة. وقد عرفت نمواً سكانياً كبيراً بلغ 332741 نسمة سنة 1971 و672506 سنة 1994 . أي أن عدد السكان تضاعف خلال 23 سنة. هؤلاء السكان أنشئوا مرافق سوسيو - اقتصادية تنتشر على مساحة تقدر بحوالي 20000 هكتار منذ حوالي ألف سنة.

وأحياء مراكش متباينة اعتبرها جون فرانسوى تروان بمثابة سبع مدن داخل المدينة. فبفعل التوسع الحضري وتزايد الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية نميز مجالات مراكش كما يلي :

- المدينة العتيقة المحاطة بالسور، وهي روح حاضرة مراكش الكبرى، هجرها عدد من سكانها باتجاه الأحياء الحديثة، وعوضهم مهاجرون قرويون فقراء التحقوا بالمدينة على إثر ظروف الجفاف الذي ضرب بادية مراكش. كما عرفت المدينة العتيقة حديثا هجرة الأجانب الأغنياء إليها من مختلف الجنسيات والديانات، تنافسوا في اقتناء دورها لتحويلها للقطاع السياحي على هيئة رياضات يبلغ عددها حوالي 1000 رياض، تنتشر في حومات المدينة المتعددة نذكر منها القصور والقصبة ...

- يليها من حيث الأهمية المجالية والديموغرافية، حي سيدي يوسف بن علي الذي يضم حوالي 120000 نسمة. هو بمثابة مدينة للنوم (Ville dortoir) . يوجد بالواجهة الشرقية للمدينة العتيقة.

- الإطار الحضري الثالث هو المجال الممتد بالواجهة الغربية المعروف بمرافقه السياحية ويضم الحي الشتوي وحي جليز المبني في العهد الاستعماري.

- تلتصق به الوحدة الحضرية الرابعة وهي الحي الصناعي الذي أصبحت وظيفته سكنية، بعد انتقال المعامل إلى أقصى الواجهة الشمالية الغربية باتجاه أسفي.

- على إثر التوسع الحضري باتجاه الجنوب الغربي ظهر حي المحاميد كوحدة خامسة بدورها هي مدينة للنوم تتميز بكونها مجال المتاجرة العقارية.

- أما الوحدة السادسة فهي حي أمرشيش والداوديات والأحياء المجاورة تسكن بها الفئات المتوسطة في فيلات وعمارات، وتمثل جامعة القاضي عياض قطبها.

- بالواجهة الشمالية والشمالية الشرقية تجاورها الوحدة السابعة وهي النخيل حيث يسود نمط الفيلات الفخمة.

- يمكن إضافة ضاحية المدينة كقسم ثامن، مشهده الجغرافي يتلخص في وجود ضيعات عصرية تحتوي قصورا، تجاور عدة دواوير هامشية وسط أراضي فلاحية بورية على العموم يسكنها بعض من يزاولون أنشطتهم داخل المدينة. وقد عرفت هذه الدواوير نموا بسبب فترات الجفاف الشيء الذي فرض إعادة هيكلة عدد منها كدوار الظلام ودوار بوعكاز ...

إداريا توحدت هذه الأحياء ضمن الجماعة الحضرية لمراكش باستثناء حي القصبة والأحياء المجاورة التي تكون جماعة مشور القصبة. وتجمع مختلف ساكنة هذه الأحياء أنشطة مختلفة تسهل تحركاتهم في هذا المجال الحضري الواسع عدة وسائل للنقل. ويعتبر النقل العمود الفقري لكل الأنشطة حيث تتواصل مدن مدينة مراكش فيما بينها كما تتواصل مع عدة مجالات جهوية ووطنية ودولية.

كما تعتبر مراكش سوقا كبيرا لترويج المنتجات المحلية والمستوردة، بنية أماكن ترويجها مختلفة، حيث تتعايش دكاكين القساريات والأحياء ثم "الفنادق" مع الأسواق الممتازة الحديثة. فالوحدات التجارية جد متعددة بمراكش قدرت بـ 30000 وحدة ينشط بها حوالي 60000 ممارس. والتجارة بالمدينة توفر حاجيات السكان كما تروج حاجيات الزوار. مما يعني أن قطاع السياحة بالمدينة له دور وازن.

ومراكش من أهم الأقطاب السياحية بالمغرب، متوسط المبيتات (Les nuités) الذي يحققه بلغ 2000000 ليلة، أي

كل ليلة يبيت في هذه المدينة ما بين 5000 و6000 سائح. خصص لهم 21096 سرير في فنادق متفاوتة التصنيف. فهذا القطاع يوفر مناصب شغل متعددة مباشرة وغير مباشرة تقدر بحوالي 12000 منصب تعيل حوالي 60000 شخص. كما يلعب هذا القطاع دور منعش للصناعة التقليدية.

وهذه الصناعة تعرف التنوع في المنتوج، والتباين في جغرافية الإنتاج. فالمدينة العتيقة تعتبر المركز الأساسي للأنشطة الحرفية. وقد أحصت غرفة الصناعة التقليدية 350 حرفة سنة 1997 ، تشغل أكثر من 40000 شخص، بينما الأحياء الحديثة، وخصوصا الحي الصناعي، تعد مراكز للصناعات العصرية، منها الصناعات الغذائية والنسيج. وقد بلغت أرقام معاملاتها متوسطة سنة 1999 ما قدره 4210000000 درهما. والقطاع الصناعي بمراكش يشكل 267 وحدة إنتاج، تشغل 13675 شخص 38٪ منهم في الصناعة الغذائية.

بموازاة هذه الأنشطة الاقتصادية تعرف مراكش خدمات متنوعة، تشهد على نموها في قطاعات متعددة، عمومية وشبه عمومية وخاصة، منها قطاع المحاماة والطب والتعليم يتركز بعضها جغرافيا في أحياء دون أخرى : مثلا قطاع الطب الخاص يكاد يغيب في الحي الشعبي سيدي يوسف بن علي الذي يعرف كثافة سكانية كبيرة، في الوقت الذي يتكاثر الأطباء بحي جيليز. إن النمو الاقتصادي والاجتماعي الذي تعرفه المدينة يساهم فيه تراثها الثقافي.

ساهمت جغرافية مراكش في التراث الثقافي لهذه المدينة: فجبل جليز البالغ ارتفاعه 527 متراً، لوقوعه خارج الأسوار، وفي مكان هادئ، كان ملجأ للعباد والزهاد، من بينهم واحد من أكبر رجالات مراكش وهو أبو العباس السبتي الذي ترك هو وغيره بصماتهم في الحياة الثقافية بالمدينة بترسيخ تعاليم الدين. فالدين له انعكاس على حالة التمدين، يظهر ذلك من خلال كثافة صوامع المساجد والزوايا، بالمدينة العتيقة وقلتها في الأحياء الحديثة. أما ساحة جامع الفنا فتعتبر أكورة مراكش، لكونها تمثل مركز استقطاب عالمي للتعرف على بعض مظاهر الثقافة الشعبية، ونظراً لاستراتيجية هذه الساحة، عمل المستعمر الفرنسي على هيكلتها، فأنشأ حولها مرافق إدارية وتجارية، عرفت تحولات في مشهدها الجغرافي. لقد تعددت المؤسسات الثقافية بالمدينة تبعا لنمط عيش الفئات الاجتماعية لدرجة التناقض، كما أن الأنشطة الثقافية تأقلمت مع الواقع الاقتصادي الذي فرضه قطاع السياحة. يلخص ذلك حالة معمار المدينة وتعدد المهرجانات والملتقيات العلمية.

وتختزن طوبونيمية مدينة مراكش كمعطى ثقافي تطورات المدينة التاريخية وواقعها الجغرافي والاجتماعي : إذ حين يذكر درب طليطلة يسافر الذهن إلى الأندلس، وحين نسمع درب ضباشي نستحضر العلاقات المغربية التركية، وحين نسمع حارة السورة نتذكر الدولة المرابطية، وعندما نسمع درب أبو البناء نستحضر مساهمة رجالات مراكش في علوم الفلك ...

وأصبحت مراكش تعرف منافسة في الحقل الثقافي بين المؤسسات الإدارية والمجتمع المدني، نتيجتها بدأت تنعكس على مجالها الجغرافي. ويعد هذا المخزون الثقافي لمراكش موردا مهما للإشعاع الحضاري لهذه المدينة، اعترفت به المحافل الدولية أكثر من مرة. مما يجعلها حاضرة عالمية زادها الاهتمام بالمجالات الخضراء في السنوات الأخيرة رونقا وجمالا.

كذلك لا بد من الإشارة إلى دور مراكش في الحقل المغربي انطلاقا من احتضانها لأقدم الجامعات بالعالم خاصة جامعة ابن يوسف التي تخرج منها العديد من العلماء والمفكرين، وجامعة القاضي عياض التي تعد أكبر جامعة مغربية في الوقت الراهن من حيث عدد الطلبة المسجلين بها وكذا من حيث عدد مؤسساتها الجامعية.

ليفي- بروفنسال، *تأسيس مراكش*، تر. أشغال الملتقى الأول لندوة مراكش من التأسيس إلى العصر الموحدي، 1989، ص. 21-24 ؛ محمد الأكلع، *المظاهر الطبيعية للحوز*، 1989، ص. 27-37 ؛ المصطفى عيشان، *دراسة في الهيدرولوجية وتدبير الماء بدير الأطلس الكبير الشمالي ما بين دمنات وإمي ـ ن ـ تنوت*، مراكش، 2001، ص. 393 ؛ حسن جلاب، *الحركة الصوفية في مراكش الموحدية*، 1989، ص. 187.

Fethallah Debbi, Profil environnemental de Marrakech, *Agenda 21, Marrakech, p. 14, 2004* ; Jean François Troin, *Maroc régions, pays territoire*, éd. Maisonneuve, p. 237, 2002 ; My Brahim Lagdim Soussi, Les industries artisanales à Marrakech, *Rev. Fac. Lettres Marrakech, n° 15, p. 162, 2000.*

المصطفى عيشان ومحمد الأكلع

**مراكش، تانسيفت الحوز** (جهة -) بعد التقسيم الجهوي الجديد الذي صادق عليه مجلس الوزراء بتاريخ 18 / 01 / 1997 والذي حل محل التقسيم الجهوي السابق الذي طبق منذ 1971 والذي قسم المغرب إلى 7 جهات اقتصادية صار التراب المغربي مقسما إلى 16 جهة اقتصادية، مما يفيد أن عددا من الجهات انقسمت أو أنقص منها عمالة أو إقليم ضم إلى أخرى لتكوين جهة جديدة. وهكذا حلت جهة مراكش تانسيفت الحوز مكان الجهة السابقة جهة تانسيفت (انظر معطياتها الجغرافية والاقتصادية بمعلمة المغرب الجزء 7 صفحة 2215)، وبعد أن كانت مساحة جهة تانسيفت تبلغ 38.445 كلم2 أنقص منها إقليم أسفي البالغ مساحته 7285 كلم2 أضيفت إلى إقليم الجديدة لتكوين جهة اقتصادية جديدة هي الجهة الأطلنتيكية الوسطى وبقي للجهة: مراكش تانسيفت الحوز 31.160 كيلومتر مربع تضم نفس المعطيات الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية التي سبق تحليلها بجهة تانسيفت. وبلغ عدد سكانها 2.724.204 نسمة (1996) منهم 34,90٪ حضريون و65,10٪ ريفيون. تضم 7 عمالات وأقاليم : إقليم شيشاوة. إقليم قلعة السراغنة. وإقليم الصويرة. وولاية مراكش التي تضم عمالة مراكش

المدينة. وعمالة المنارة جليز. عمالة سيدي يوسف بن علي. وإقليم الحوز. وتضم هذه الجهة الوليدة 16 دائرة و18 بلدية و198 جماعة قروية. تمثل 4,52 ٪ من التراب الوطني و10,4٪ من سكان المملكة المغربية (1994).

مونغرافية الحوز - مونغرافية مراكش - دراسات قطاعية حول التقسيم الإداري وإعداد التراب الوطني من منشورات وزارية وجرائد وطنية.
أحمد هوزالي

**مرّاكش** (المدينة -)، هناك اختلاف في النطق بالكلمة إذ أن الشائع في الوثائق والمصادر القديمة. هو مراكش بفتح الميم وتشديد الراء المفتوحة وضم الكاف، فقد أشار ياقوت أن هناك من ينطق الكاف بالكسر.

وقد استعمل صاحب كتاب *التبيان* عبارة : مروكش بفتح الميم وضم الراء المشددة وضم الكاف، وحسب جورج كولان أنها أصل التسمية الإسبانية Marrueccos أو هو تعريب لها. ويعتقد "دوفردان" (Deverdun) أن عبارة "مراكش" بميم مضمومة وراء مفتوحة مشددة وكاف مكسورة من صنع المتأخرين الذين حاولوا إضفاء الصبغة العربية على التسمية كابن خلكان وحاجي خليفة.

وبهذا تبقى التسمية الأولى - أي مَراكش - هي الأصلية والجديرة بالاعتبار.

ولا يخلو مدلول الكلمة من تناقض وأخذ ورد. فعند صاحب *المعجب* أنها سميت باسم عبد أسود كان يستوطنها يخيف الطريق، اسمه "مراكش". إلا أن البعض يميل إلى القول بأن الموضع الذي بنيت فيه المدينة هو الذي يحمل هذا الإسم. ومعناه بلغة المصامدة (امش مسرعا) ذلك أنه كان مأوى اللصوص، وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة، فعرف الموضع بها. ومن الصعب تحقيق الكلمة للاختلاف الحاصل بين لهجة المصامدة الأصلية ولهجتهم اليوم. وأقرب مدلول وجدناه للكلمة هو (أمر) بمعنى أسرع. والذي يفيد معنى (مرمسرعا) و (أكرول).

وسواء دلت الكلمة على اسم شخص أو اسم موضع، فالرابط بين المدلولين واحد وهو أن المكان كان قفرا. وقد قال عنه صاحب *الحلل الموشية* "... وهو خلاء لا أنيس به إلا الغزلان والنعام، ولا ينبت إلا السدر والحنظل".

ويقع ابن خلكان في تناقض إذ بعد إشارته إلى أن المكان كان قفرا ومأوى للصوص يعود فيقول : "وكان في موضعها قرية صغيرة، في غابة من الشجر، وبها قوم من البربر".

ولا نعجب إذا وجدنا مدلولا ثالثا للكلمة عند بعض المتأخرين، فقد كانت تطلق على بئر يقع وسط البقعة التي شيدت عليها المدينة.

ويعتقد المؤرخ (ل. رين - L. Rinn) أن كلمة مراكش. مشتقة من "اركش" بمعنى "أوركش" ومدلولها "أولاد كوش" أي أرض أولاد كوش إلا أن هذا يبقى مجرد افتراض لا تدعمه قرائن.

ويذهب أحمد التوفيق إلى أن اسم مراكش مركب من كلمتين :

- مر أو أمر ومعناه عند الصنهاجيين الحماية أو الموضع المتمتع بها.
- واكش أو أكوش بمعنى الله.

طرأت عليها تغييرات أثبتها الباحث حتى أصبحت تنطق "مراكش" أي حمى الله أو المكان الذي ترعى فيه عهود الله (معنى اسم مراكش).

وتسمى مراكش كذلك "بالحمراء" لأنها حمراء التربة والأسوار، وقد وردت هذه التسمية المستعملة بدون شك منذ تأسيس المدينة، في الكتب التاريخية (حمراء لمتونة والموحدين) و(حمراء الحوز).

ومنذ تنظيم زيارة الرجال السبعة أطلق على المدينة اسم "بلدة سبعة رجال" واشتهرت به، كما اشتهرت باسم البهجة (وإنما لقبت بها لكونها ذات منظر حسن تنشرح بها الصدور، ولاشتمالها على حدائق ذات بهجة بالنظر إليها يكمل السرور) وقيل بل سميت بذلك لأن البرج الذي بنيت فيه هو برج الغبطة.

وهذه التسميات المختلفة كثيرة الورود في التراث التاريخي والصوفي والعلمي والأدبي، مما يستلزم الإشارة إليها.

الموقع :

لم يكن بناء مراكش بهذا الموضع عن طريق المصادفة، وإنما بعد معاينة وتدبر : ففي *البيان المغرب* أنه في سنة واحد وستين وأربعمائة للهجرة (ضاق المجمع بمدينة أغمات وريكة عن الخلق فيها، فشكا أشياخ وريكة وهيلانة بذلك إلى الأمير أبي بكر بن عمر مرة بعد أخرى، إلى أن قال لهم : عينوا لنا موضعا أبني فيه مدينة إن شاء الله تعالى). وبعد المشاورة اتفق أشياخ قبائل مصمودة على مكان محايد بين القبيلتين المتنافستين في المنطقة. قال "فوقع تدبيرهم أن يكون موضع تلك المدينة بين بلاد هيلانة، وبين بلاد هزميرة، فعرفوا بذلك أميرهم".

وسواء أكان المكان في الأصل مفازة يقطع فيها اللصوص على القوافل أم ملكا لعجوز من المصامدة أم مزرعة لنفيس، فالمتفق عليه أن أبا بكر بن عمر قد اشتراه بماله الذي خرج به من الصحراء. ويبدو أن اجتماع الكلمة حول الموضع الذي بنيت عليه المدينة جاء نتيجة تحقيقه لجملة أهداف :

1) - موقع محايد لا يتبع أيا من القبيلتين هيلانة أو هزميرة لما كان بينهما من الفتنة ومداولة الإمارة. فقد حاولت كل قبيلة أول الأمر أن تحظى بشرف بناء المدينة الجديدة فوق أرضها. ولكن أشياخ المصامدة رفضوا ذلك حتى لا تثار حفيظة إحدى القبيلتين. وهو ما لم يكن متوفرا لأغمات وريكة أو أغمات إيلان الموجودتين على أرض وريكة وهيلانة، أو نفيس التابعة لكيك.

2) - الطبيعة الصحراوية للموقع، فالمرابطون القادمون من

الصحراء لا يناسبهم مكان كثير الأغراس والمياه، لذلك ابتعدوا عن وادي تانسيفت وردوا على من اقترح من سكان أغمات النزول عنده قائلين : "نحن من أهل الصحراء، ومواشينا معنا لا يصلح لنا السكنى على الوادي".

وكان من جملة ما وصف به الأشياخ المكان المتفق عليه للأمير (قد نظرنا لك موضع صحراء لا أنيس به إلا الغزلان والنعام، ولا تنبت إلا السدر والحنظل). فالغزلان تناسبهم، والسدر يناسب مواشيهم.

وقد لاحظ "لامرتنيير" أن الدول التي اتخذت مدينة مراكش عاصمة لها ترجع أصولها إلى الصحراء، فهي شبيهة في طبيعتها ببلادهم وعبر عبد الواحد المراكشي عن نفس الرأي قبل ذلك بقرون، ورد اتخاذ لمتونة ومصمودة مدينة مراكش عاصمة لهم، لا لأنها خير من فاس، ولكن لقربها من جبال المصامدة وصحراء لمتونة.

3 ) - ولمراكش موقع استراتيجي مهم، يصلح لإقامة معسكر. وهو ما فكر فيه المرابطون أول الأمر. فليست من مدن الدير إذ تبعد عن السفوح بمسافة ثلاثين كيلومترا. منه تسهل مراقبة سكان الجبال وتأمين هجوم المصامدة "وزمام جبل درن بيد أميرها طول زمانها". وتشرف على سهول الحوز لوقوعها في جانبها الشرقي. وسهولة مراقبتها إلى حدود "الجبيلات".

وهي متوسطة بين المحيط والصحراء : أربعون ميلا إلى البحر ومثلها إلى الصحراء وموقعها بهذه المميزات يفرض نفسه على الفاتح المتجه من الجنوب إلى الشمال، فبعد تجاوز جبال الأطلس لابد من إقامة قاعدة للاستعداد للمرحلة اللاحقة.

4) - وبالإضافة إلى هذا يتوفر الموقع على مميزات طبيعية مناسبة :

- فأرض مراكش (صليبة التربة كأنها غطاء من حجر على حجر).

- وماؤها قريب تمكن ابن يونس من استغلاله عن طريق الخطارات.

- تؤمن غذاء سكانها بواسطة السهول المحيطة بها. قال ابن عذاري "فنظروا له ذلك الموضع لكي يكون واد نفيس جنانها، ودكالة فدانها".

ويمكن أن نضيف إلى هذا أن سهل الحوز مرعى لماشيتها.

- واستفادت من قربها من الأطلس، إذ جر منه الموحدون السواقي لإقامة الصهاريج والحدائق، ومنه تجلب المدينة ما تحتاجه من خشب للصناعة والبناء والاستعمال اليومي.

- كما أن قربها من جبل جليز وفر لها الحجر اللازم للبناء، فأكثر مساجدها وصوامعها مبنية به. أما الحجر الصناعي (حجر المعاصر...) فيجلب من الجبيلات بالحوز.

ولقد نظر أشياخ المصامدة إلى هذه الأهداف واختاروا البقعة المحققة لها وذلك بما لهم من تجارب عمرانية، فهم بناة أغمات إيلان وأغمات أوريكة ونفيس، وتمت موافقة المرابطين لما للبقعة المتفق عليها من شبه بالبيئة التي عاشوا فيها من قبل.

البناء والتعمير :

شرع في بناء مراكش بين سنتي 459 / 1066 و462 / 1069 وقد رجح (دوفردان) هذا التاريخ بالنسبة لبدء البناء، ذلك لأن المؤرخين اختلفوا في الأمر فجعلوه بين 452 / 1060

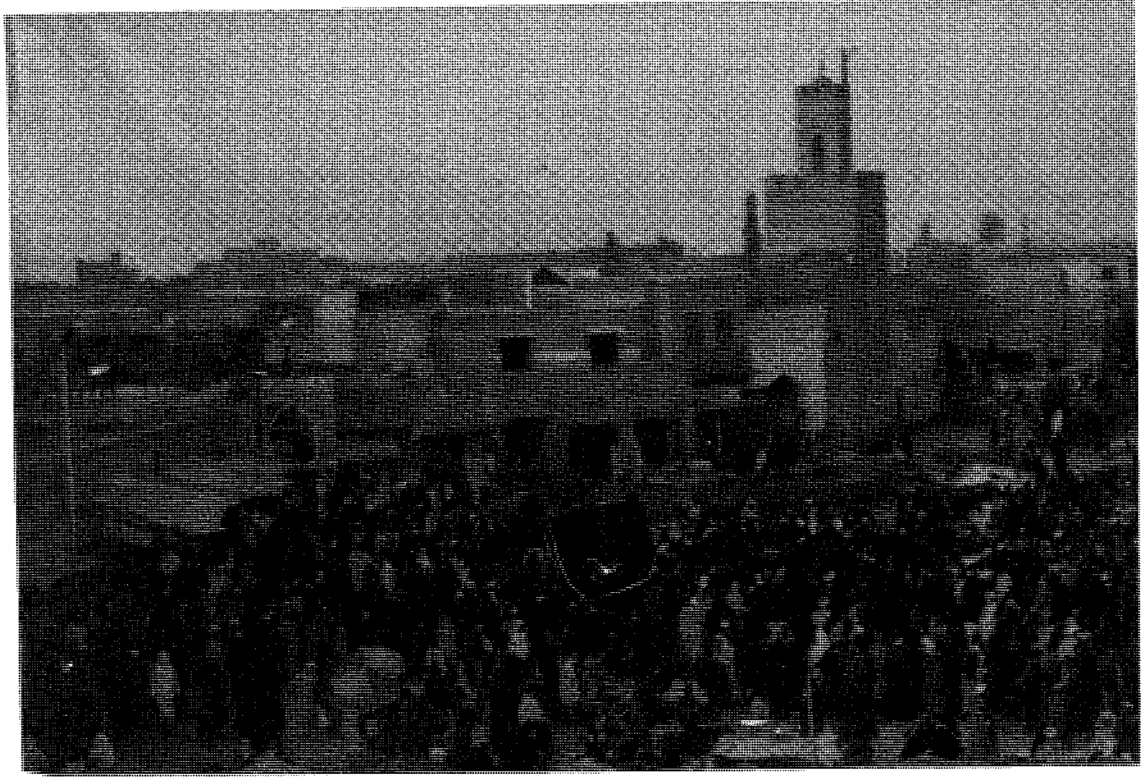

و490 / 1096 وهذا الاختلاف راجع بالأساس إلى اختلاف القصد : فمنهم من أشار بالتاريخ إلى وضع الحجر الأساس، ومنهم من قصد انتشار البناء وظهور المدينة ومنهم من قصد إقامة الأسوار فشيد قصر الحجر لإقامة الأمير المرابطي، وبدأ الناس في تشييد منازلهم وعند ابن عذاري المراكشي أن أول دار بنيت بمراكش هي دار تورزجين بن الحسن، الكائنة بموضع أسدال ولعله تحريف لحي (أسوال) أو "أسول" أول أحياء المدينة.

إلا أن عملية البناء لم تكن عامة وشاملة لأن المرابطين كانوا يفضلون سكنى الخيام، كما أنهم لم يفكروا في تسوير المدينة إلا مع ظهور ابن تومرت وحركة الموحدين، وشنهم الهجومات على العاصمة المرابطية. فطبيعتهم الصحراوية تميل إلى الآفاق الرحبة وتنفر من البناء والتسوير. واكتفوا بسور الحجر (أو قصر الحجر) الذي يحفظ سلاحهم وأموالهم. وكانوا طالبين غازين فلم يفكروا في الحاجة إلى الأسوار.

إلا أن تغير الأحوال دفعهم إلى تسوير المدينة.ومع اختلاف الآراء في تاريخ ذلك، يبدو أن الأنسب هو سنة 520 / 1126، الوارد عند الزركشي وعند صاحب *الحلل الموشية*، ذلك لأن ابن تومرت بدأ في تهديد الحكم المرابطي منذ سنة 518 / 1124.

وإن القاضي أبا الوليد بن رشد الذي استشاره علي بن يوسف (ت. 519 / 1125)، استغرق البناء ثمانية أشهر، وكان قائما خلال مواجهة المرابطين للموحدين في معركة البحيرة سنة 524 / 1129.

وفتحوا أبوابا استمدت أسماءها :

- إما من الجهة التي تؤدي إليها، باب أغمات، باب هيلانة (إيلان)، باب فاس، باب مسوفة، باب دكالة، باب نفيس.
- أو لسبب خاص، باب الدباغين (المؤدي إلى دار الدباغة بالمدينة). وباب المخزن القريب من قصر الحجر، وباب الشريعة الذي تنفذ أمامه الأحكام الشرعية، وباب الصالحة المؤدي إلى الحدائق المعروفة بهذا الاسم.

وفتحت أبواب أخرى فيما بعد، كباب أكناو، وباب الرب على عهد الموحدين وباب إيغلي، وباب احمر، وباب القصيبة على عهد العلويين وفتحت أبواب أخرى خلال العقود الأخيرة لتسهيل حركة المواصلات بين المدينتين القديمة والحديثة.

ومن الصعب التعرف على مراحل تعمير المدينة والانتماء القبلي لأحيائها، لأن الوثائق لا تعيننا على ذلك، إلا أن الثابت أن اشتراط بقعة محايدة ـ عند اختيار أرض مراكش ـ لا تدخل في نطاق نفوذ القبيلتين المتنافستين في المنطقة (هيلانة وهزميرة) ويرمز إلى تهييئ المدينة ليتعايش فيها الجميع، من صنهاجة ومصمودة، بفصائلها القريبة من المكان والبعيدة عنه. بعدما كانت العلاقة التي تربطها علاقة تنافس وصراع.

إلا أن هناك عوامل ساعدت على مواصلة عملية التعمير بعد فترة ركود طويلة منها :

- تجارب المصامدة وخبرتهم في البناء (مدن أغمات، نفيس...) ووفرة المواد في المنطقة.
- تحول الصنهاجيين من سكنى الخيمة إلى سكنى الدور بعد تفتحهم على الحضارة الأندلسية أثناء جوازاتهم إلى العدوة.
- أصبحت مراكش العاصمة المرابطية، مركزا تجاريا ـ بدل أغمات ـ تربط تجارة الجنوب بتجارة الشمال : من السودان وأوداغشت وسوس. إلى مراكش ثم فاس والأندلس.

وتجارة الشرق والغرب : من طرابلس وإفريقية والمغرب الأوسط عبر سجلماسة إلى مراكش، فرباطي گوز وماسة، حيث تصدر البضائع عن طريق البحر. فأدى ذلك إلى تعمير سكان أغمات وكانوا تجارا وأصحاب أموال للمدينة التجارية الجديدة.

ويبدو أن الأمور سارت في مراكش حسب المعتاد في بناء المدينة الإسلامية من تأسيس المسجد أولا، ثم دار الأمير، فالأسواق، وحولها الدور السكنية.

وبعد قصر الحجر ومسجد يوسف بن تاشفين، شيد على عهد علي بن يوسف مسجد آخر وبجانبه الأسواق، وحولهما الأحياء السكنية، وهي "أسول". وكانت به لمتونة و"حارة الصورة" (وقيل "الصورة" هو اسم بنت يوسف)، وكانت تسكن هذا الحي أسرة الأمير وأصهاره.

و"زاوية الحضر" و"ازبزط" و"اسبتيين". وفيه نزل بعض النازحين من سبتة إلى العاصمة، و"الموقف" وبه سوق العمل، وهو حي خاص بالطبقات الفقيرة العاملة. وحي "باب الدباغ" سكنه الأغماتيون الذين نقلوا خبرتهم في صناعة الجلود ودبغها إلى مراكش.

وراعى علي بن يوسف عند تسويره للمدينة أن يكون المسجد في وسطها مع ترك مساحات واسعة تستجيب للتطور المحتمل للمدينة، فكانت الأبواب الأكثر قربا من المنازل السكنية والأكثر نشاطا هي : باب فاس، وباب الدباغ، وباب أغمات (الجانب الشرقي من المدينة، حيث دفن العلماء، والأولياء خلال العصرين المرابطي والموحدي).

وكانت لهجومات ابن تومرت وأصحابه على المدينة أثر كبير في تطورها إذ شعر سكانها لأول مرة بضرورة التكتل والتجمع، وتنظيم وسائل الدفاع عن أنفسهم وأموالهم. وهو الشعور الذي تجسد أكثر خلال الشهور الطويلة التي حاصر فيها عبد المومن المدينة. فإلى هذه الفترة يعود التنظيم السكني الخاص بالمدينة : أي تكونها من مجموعة من الوحدات، والوحدة هي الحومة، بما تحمله من إيحاء بالدفاع عن الأهل والموت من أجلهم.

وتشتمل على دروب ومرافق عمومية من مسجد وفرن ومطحنة وحمام وسقايات يحميها سور داخلي ـ في الغالب ـ

ينتهي إلى باب، فوقه غرفة يتعلم فيها الصبيان مبادئ القراءة والكتابة نهارا، وتؤوي حراس الحي ليلا.

وكان دخول الموحدين إلى مراكش حدثا بارزا، كانت له مضاعفات قبلية واجتماعية. فانتصار الموحدين هو انتصار المصامدة أصحاب الأرض، فكيفما كان إخلاصهم وولاؤهم للصنهاجيين لم يترددوا في مناصرة ابن تومرت المصمودي.

وتحدث البيذق عن إسكان الخليفة للقبائل الموحدية بمراكش دون تعيين الأحياء التي نزلت بها قبيلته : "وحينئذ دخل الخليفة البلد وقسم أزقتها بالمروس للموحدين".

وقد استقطبت العاصمة الجديدة اهتمام القبائل فتوجهت إليها للزيارة أو الإقامة واتسع بذلك عمرانها ونشطت أسواقها. وبعد نجاة عبد المومن من المؤامرات التي دبرها له بعض قرابة ابن تومرت، استدعى أهل گومية فأقبلوا عليه في أعداد هائلة وقربهم منه وأسكن من بقي منهم في مراكش حوالي سنة 557 / 1161 وقد وصف ابن أبي زرع إقبال أهل كومية في أربعين ألف فارس على عبد المومن والاحتفالات العظيمة التي أقيمت بالمناسبة.

واستمر هذا التوسع على عهد يوسف بن عبد المومن، فقد تسابقت القبائل إلى الإقامة بالمدينة، وبعضها كان يستدعى لذلك من طرف الخليفة، كما هو حال بعض الهسكوريين والصنهاجيين الذين استقدموا إلى مراكش وشيد لهم حي "سيدي ميمون" سنة 579 / 1183.

ومع أن الموحدين بنوا مسجدا جامعا ضخما، هو مسجد الكتبية، فإنهم لم يفلحوا في تحويله إلى مركز جديد لمدينة موحدية بالرغم من وجود بعض المتاجر والفنادق حوله (كان أبو العباس السبتي يسكن في فندق في نفس المكان).

لقد ظل مسجد ابن يوسف مركزا للمدينة، والأسواق، والأحياء حوله قلبها النابض، بل إن الموحدين قاموا بتوسيع هذه الأسواق لتلائم التطور الاقتصادي والحضاري الذي عرفته عاصمة الإمبراطورية. وشيدوا بجانب السوق حيا خاصا بكبار العلماء والشخصيات الوافدة على المدينة، هو حي "قاعة بناهض".

وتبقى القصبة أهم إضافة موحدية إلى المدينة، فقد بني المنصور الموحدي القصر والمسجد والسوق، ودعا بطانته والمقربين إليه للنزول بها، إلا أنها مع ذلك لم تنافس المدينة المرابطية منافسة كبيرة، إذ لم تتخذ صورتها الحالية إلا مع إصلاحات السعديين.

وسكن العنصر العربي المدينة في هذا العصر كذلك، بعد دخول بعض القبائل العربية إلى المغرب لمساندة الدولة : منهم عرب الخلط الذين أدخلهم الرشيد الموحدي حوالي سنة 634 / 1236 ، وبنو جشم على عهد السعيد، حوالي سنة 640 / 1242 واختلطوا بالسكان ولم يعين لهم حي خاص.

ثم إن انتقال العاصمة إلى فاس أدى إلى مغادرة كثير من الأسر المؤيدة للدولة الجديدة المدينة، كما أن الأضواء أصبحت مسلطة على العاصمة الجديدة فاس، فلم تشيد بمراكش أحياء جديدة وإنما تناقص عدد سكانها خاصة بعد طاعون سنة 610 / 1213 و624 / 1226 و630 / 1232. وآل الأمر فيها إلى أمراء هنتاتة المصامدة الذين دافعوا عنها بمساعدة السكان وعلى رأسهم العالم الصوفي أبو محمد عبد الله الغزواني (مول القصور) ضد البرتغاليين.

وبسبب هذه الأحداث نقص سكان المدينة إلى حوالي الثلث، مما كان يعيش فيها قبل، تحصنوا داخل أسوار المدينة وأسوار الحومات. فزادت القطيعة بين المدينة والمجال الخارجي، بل أحيانا بين الوحدة والأخرى. فأمنت الحومات كل ضرورياتها ببناء المساجد الصغرى وإقامة المنشآت الاجتماعية والاقتصادية الضرورية داخل الحومة، حتى لا تضطر إلى مغادرتها أثناء الاضطرابات ولا تحتاج إلى غيرها في حالة تعرض المدينة للحصار.

ومع مجيء السعديين إلى الحكم تعود الأهمية إلى مراكش (العاصمة) فبذلت جهود كبيرة في تعميرها، وتم توسيعها من الشمال والغرب والجنوب، وشيدت أحياء :

- سيدي بنسليمان، أسس حول مسجد مريني صغير "روض الجنة" وبجانبه حي الولي أبي عمرو المراكشي وزاويته وضريحه.

- حي باب دكالة، بنت به مسعودة الوزكيتية والدة المنصور مسجدا وسقاية. وقد وكلت إليه مهمة الأحياء والأبواب، أي تهييئ الداخل الجديد إلى المدينة بأن يقدم له ما يحتاجه من إقامة وأكل ولوازم... فكان بمثابة الأحياء الهامشية التي ينزل بها سكان البادية، وخاصة الدروب والأزقة القريبة من الباب. ولعل من آثار هذه المهمة التسمية التي مازالت تحتفظ بها الدروب : درب زمران، درب الزموري، زريبة العرب، زريبة حاحا، زريبة سوس، زريبة الشياظمة.

- حي المواسين وحي القصور، شيدت بهما رياضات وقصور الأغنياء ورجال الدولة. وبنى عبد الله السعدي بالمواسين مسجد الأشراف الذي سيصبح مركزا مهما للتدريس والعلم ينافس مسجد ابن يوسف.

- وأعاد المنصور السعدي تجديد قصور القصبة وأحيائها، وبنى إلى جانبها قصره "البديع".

ويبدو أن المدينة أخذت صورتها الحالية واستكملت المزيج البشري الذي يتساكن فيها منذ العصر : فبالإضافة إلى الشعوب البربرية الثلاثة المذكورة (صنهاجة، مصمودة، زناتة)، والعناصر العربية الواردة على المدينة في آخر العصر الموحدي، دخلت عناصر بشرية أخرى إلى المدينة.

- الأندلسيون : خصص لهم حوالي سنة 770 / 1368 حيان هما : "روض الزيتون القديم" و"روض الزيتون الجديد" بنوا بهما القصور والدور واغترسوا خلف الأسوار جنات معروشات وغير معروشات في ساحة شاسعة أغلبهم من "Orgiba" و"Tavermas". والتحق بهم كثير من أندلسيي الرباط وسلا

هروبا من مضايقات العياشي وأصحابه الذين كانوا يتهمونهم بمد يد العون إلى الإسبان.

ـ عنصر المماليك : استجلبهم المنصور السعدي من السودان وأضاف إلى الجيش المغربي فرقة منهم. ولعل الكثيرين منهم كانوا ينزلون بالقصبة بالقرب من قصر البديع حيث أحياء العبيد والترك والذين تكاثر عددهم فيما بعد وامتزجوا بالسكان.

اليهود : تم تجميعهم في هذا العصر في حي واحد هو "حي الملاح". فبعدما كانوا يمنعون من المبيت في المدينة ويضطرون إلى مغادرتها كل ليلة من باب إيلان خلال العصر المرابطي سمح لهم فيما بعد بالسكن إلى جانب المسلمين. وكانوا "بأسول، والمواسين"، قبل أن يعين لهم عبد الله السعدي مكانا يشيدون به حيا خاصا، يقع إلى جانب القصبة وحي بريما، وقد أشرف على البناء ونقلهم ووطنهم به الحزان مردوشي بن العطار حوالي سنة 970 / 1562.

المسيحيون : عرفت المدينة عناصر مسيحية كذلك، فمنذ عصر يوسف بن تاشفين والجيش المغربي يتوفر على فرقة مسيحية تضاعف عددها مع ابنه علي، وكانوا يقيمون قرب قصبة المرابطين. إلا أن الوجود المسيحي بمراكش سيعرف أوجه وازدهاره في آخر العصر الموحدي بعدما سمح لهم بإقامة شعائرهم بالقصبة وإقامة الكنيسة على مقربة من المسجد المنصوري، وستقل أهميتهم بعد ذلك.

وآخر الزيادات التي عرفتها المدينة القديمة كانت خلال العصر العلوي : ففي أقصى الشمال شيدت أحياء : "قاع المشرع" و"الزاوية العباسية" (نسبة إلى أبي العباس السبتي) و"سيدي غانم" خارج باب تاغزوت، ثم أدير حولها السور ليصبح هذا الباب داخليا، ويأخذ السور شكله الحالي.

وفي الجنوب أعاد محمد بن عبد الله بناء قصر القصبة، وخطط ساحاتها وجدد أحياءها وأسكن بها القبائل. وشيد للخدم العبيد حي باب احمر.

وفي هذه الفترة كذلك أقيمت كثير من المنتزهات والعراصي داخل الأسوار فقد أعيد غرس حدائق أكدال والمنارة وبناء منتزهها وعراصي مولاي عبد السلام وابن إدريس ومولاي موسى، والسملالية، وجنان العافية، وشيد أحمد بن موسى قصر الباهية وحدائقه. فاتخذت المدينة شكلها الحالي.


أبو بكر البيذق الصنهاجي، *أخبار المهدي*، تح. عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، 1971 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ ابن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، المطبعة الملكية، 1974 ـ 1983 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، 1973 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968 ـ 1980 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، تح.سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط. الدار البيضاء، 1979 ؛ رسائل موحدية، نشرها ليفي ـ بروفنصال، المطبعة الوطنية، الرباط، 1941 ؛ محمد المؤقت، *السعادة الأبدية*، طبعة حجرية، 1335 ؛ *قطعة من مسالك الأبصار*، نشرها محمد المنوني، الرباط، 1979 ؛ حسن أحمد محمود، *قيام دولة المرابطين*، القاهرة، 1957 ؛ أحمد التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، إينولتان 1850 ـ 1912، الدار البيضاء، 1978 ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب*، تح. محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، 1949 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، طبعة السعادة، 1906 ؛ أحمد التوفيق، *معنى اسم مراكش*، ندوة مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، كلية الآداب، مراكش، 1988 ؛ أبو عبيد البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، نشر دوسلان 1857، مطبعة المثنى، بغداد ؛ عبد العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفاء*، وزارة الأوقاف، د. ت. ونشره عبد الله گنون، تطوان، 1964 ؛ محمد اليفرني، *نزهة الحادي*، باريس 1888، والطبعة المصورة عليها ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968.

Mandleur Croissance et urbanisme de Marrakech, *RGM, n° 22, 1972* ; P. de Cenival, L'église chrétienne de Marrakech, *Hespéris, t. VII, 1927 1er tri.* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1977 ; L. Rinn, *Les origines berbères : études linguistiques et éthnologiques*, Alger, 1889 ; H. Decastries, Les septs patrons de Marrakech, *Hespéris, t. IV, 1924, 3ème tri.* ; G. Deverdum, *Marrakech des origines à 1912*, Ed. Techniques Nord Africaines, Rabat, 1959 ; P. Lambert, Notice sur la ville du Maroc, *Bull. de la Soc. de Géogr. de Paris, n° 107* ; H. de La Martinière, *Souvenirs de Marrakech*, Librairie Plon, Paris.


حسن جلاب

**المراكشي، أحمد المريد** بن عبد الحميد بن الناصر الشهير بالمريد المراكشي، ترجم له المقري في *روضة الآس*، ونعته بقوله : "الفقيه الكاتب، القوي الإدراك، نابغة زمانه"، لقيه بمراكش لكنه لم "يتذاكر معه شيئا"، أخذ عن علماء عصره كالشيخ المفتي أبي مالك عبد الواحد الشريف، والحافظ الترغي وغيرهما، ووصفه اليفرني في *الصفوة* فقال: "كان إماما في جميع الفنون، حكيما ماهرا في الطب، دمث الأخلاق، متواضعا، ساقط الدعوى"، له مشاركة في العلوم العقلية من رياضيات ومنطق، روى اليفرني في صفوته "أنه كان يقرئ بالقبة التي تحت منار جامع علي بن يوسف من مراكش، وهي موضع دروسه دائما، فوقفت عليه يوما امرأة من البهاليل فقالت : يا معشر الحاضرين إن هذه القبة أرادت أن تسقط، فلم يفهم الناس مرادها وظنوا أن بناءها قديم، فأسرعوا فرارا منها لصحن المسجد، فلم يلبث الشيخ إلا أياما يسيرة فتوفي فكان هو القبة الساقطة".

عاش أحداث ثورة ابن أبي محلي فأشار إليها وإلى سنة وفاته قائلا : "قام طيشا ومات كبشا" أي قام بالثورة سنة 1020، وقتل سنة 1023 بحساب الجمّل، (طيشا = 1020، كبشا = 1023).

ومن شعره يفتخر بنفسه :

| | |
|---|---|
| ألم تر أن الشعر عبد ملكتـــه | وأن مقامي فيه أي مقـام |
| ألم تدر أني قد مسكت زمامـه | وأفراسه ملجومة بلجـام |
| ألم تدر أن الشعر عندي سليقة | وأن مقالي اليوم قول حزام |

من مؤلفاته " *شرح العقيدة الصغرى للسنوسي*" وهي مخطوطة الخزانة العامة بالرباط.

توفي سنة 1048.


المقري، *روضة الآس*، ص. 212 ؛ اليفرني، *صفوة من انتشر*، ص.

110 ، تح. الخيالي، ص. 203، ط 2004 ؛ *نزهة الحادي*، تح. الشاذلي، ص. 307 ؛ الحضيكي، *طبقات*، 1 : 69، عباس بن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، 2 : 316، محمد حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، 2 : 394.

نجاة المريني

**المرّاكشي**، أبو **الحسن** من الشخصيات المغربية اللامعة، ومن أكبر علماء الرياضيات في العالم الإسلامي، الذين ظهروا في القرن السابع الهجري.

عاش هذا العالم الفذ في مراكش في منتصف القرن السابع، أي خلال الحقبة الأخيرة من عصر الموحدين، ولا تسعفنا المصادرالتاريخية بالمعلومات الكافية عن نشأته ودراسته وشيوخه ورحلاته، كما أن المؤرخين وكتاب التراجم والفهارس لم يشيروا إليه بقليل ولا كثير، شأنه في ذلك شأن المراكشيين الأربعة الآخرين وهم :

عبد الواحد المراكشي *صاحب المعجب*، والطالب المراكشي *صاحب الاستبصار*، وابن عبد الملك المراكشي *صاحب الذيل والتكملة* ، وابن عذاري المراكشي *صاحب البيان المغرب*.

وهكذا فقد صاحب الإهمال تراجمهم وأحاط الغموض بحياتهم وجهودهم فلم يعرفوا إلا بتآليفهم القيمة التي سلمت من عوادي الزمان من حسن الحظ.

ويبدو أن أبا الحسن هذا كرس حياته لهذا الفن، فقام برحلات عديدة إلى عدد من بلدان الشمال الافريقي والأندلسي وإلى جنوب البلدان الأوربية، كما زار القاهرة وما حولها، واجتمع بعلماء الرياضيات واطلع على كتب الفن فدرس بعمق آثار أسلافه في هذا الميدان كتآليف الخوارزمي والبتاني والفرغاني والبيروني والزرقاني وغيرهم من أساطين الرياضيات في المشرق، فتعمق في دراستها وفهمها وتمحيصها وفحصها فحصا دقيقا، وبعد ذلك بسط غوامضها وانتقد بعض نظرياتها وصحح أخطاءها وأضاف إليها الشيء الكثير نتيجة دراسته واختياراته فجاء كتابه *(جامع المبادئ والغايات)* جامعا للنظريات الرياضية التي كانت سائدة في عصره، وخلاصة وافية لجهود العلماء في مجالات الجغرافية والحساب والهندسة والفلك والتوقيت وما يتصل بذلك.

وفي غياب ترجمة ضافية لهذا النابغة المغربي حاول كثير من الباحثين شرقا وغربا بناء ترجمة له اعتمادا على تآليفه المذكورة، فلم يتوفقوا في ذلك وكل ما توصلوا إليه هو إظهار بعض الجهود التي بذلها أبو الحسن في مختلف مجالات الرياضيات والتوقيت من أهمها :

- بحوث جديدة في حساب المثلثات
- حلول بطريق الرسم والتخطيط لبعض المسائل الفلكية
- تصحيح بعض الأخطاء الجغرافية التي وقع فيها القدماء
- تصحيح خريطة المغرب
- تفصيلات دقيقة عن 240 نجما وقع رصدها سنة 622
- وضع جداول للجيب لكل نصف درجة
- وضع الخطوط الدالة على الساعة الزمنية المتساوية
- وصف أقواس البروج الفلكية

وإنه لمن الغريب أن بعض علماء الرياضيات من معاصريه أو الذين جاءوا بعده لم يشيروا إليه ولا إلى كتابه، كابن بدر الأندلسي الذي كان يعيش في القرن السابع وابن البناء المراكشي الذي عاش بمراكش في نفس القرن، واللجائي والقلصادي وغيرهم.

أما تأليفه الذي خلد اسمه في عالم الرياضيات والمشار إليه أعلاه فهو كتاب *(جامع المبادئ والغايات في علم الميقات)*.

ولعل أول من أشار إليه من المفهرسين هو حاجي خليفة في *كشف الظنون* حيث وصف الكتاب بقوله : أعظم ما صنف في هذا الفن يشتمل على أكثر من مائة باب في الحساب والجبر والمقابلة ورصد الآلات وصنع الساعات والأسطرلابات.

أما في الغرب فقد اهتم به علماء الرياضيات والمستشرقون الذين درسوا الكتاب واطلعوا على الجهود التي بذلها هذا العالم في الرياضيات، واستفادوا من كتابه هذا استفادة كبرى، حيث اتضح لهم مدى فائدته في تاريخ العلوم عند العرب. ومن بين العلماء الأوربيين الذين كتبوا عنه دراسات عميقة : بروكلمان الألماني في كتابه *(تاريخ الأدب العربي)* وكاجوري في *(تاريخ الرياضيات)* وسارطون الأمريكي في *(تاريخ العلم)* وسوتر الألماني ونالينو وألد وميلي من إيطاليا، وكارادوجو الفرنسي، ، وأخيرا كراتشكوفسكي الروسي في كتابه *(الأدب الجغرافي عند العرب)*.

ومن حسن الحظ أن الأيام احتفظت لنا بعدة نسخ من هذا التأليف المبتكر الذي لا تعرف له نسخة بالمغرب، وتوزعت المكتبات الشرقية والغربية نسخه القليلة، فتوجد منه نسخ في كل من مكتبات هولندا وباريز ولندن وإسطنبول والقاهرة، كما يحتفظ معهد المخطوطات العربية بنسخه تامة منه نشر وصفها الدقيق في *فهرس المخطوطات المصورة* (الجزء الخاص بالرياضيات).

ومع كامل الأسف لم ينشر من هذا الكتاب شيء بالعربية وإنما نشرت ترجمته إلى الفرنسية التي شرع فيها العلامة الفرنسي سيديو وأتمها بعده ابنه فيما بين سنتي 1834 . 1842 بباريز، كما ترجم مستشرق آخر قسما خاصا بالإسطرلاب ونشره بالمجلة الأسيوية.

ولأبي الحسن المراكشي تآليف أخرى ذكرها المترجمون في المقدمات التي وضعوها للكتاب. وفي الختام نسوق شهادة لأحد علماء فرنسا تخصص في دراسة تاريخ العلوم عند العرب وهو الدكتور رونو الذي قال في بحث له : "من المستحيل إنكار أن أبا الحسن المراكشي كان تجريبيا أكثر منه عالما، وأنه يقف في مستوى علمي ممتاز، كما أن تأليفه يمثل

خطوة هامة في ميدان الجغرافية الرياضية ولا يزال وصفه لأجهزة الرصد فريدا في نوعه إلى اليوم".

ولابد من الإشارة إلى أن هذه الشخصية الفذة تناولها بالدرس وكتب عنها عدد من الباحثين بالمغرب مقالات نشرت بمختلف المجلات المغربية الصادرة قبل الاستقلال وبعده.

وفي المشرق اهتم المؤلفون بأبي الحسن وتأليفه فترجموا له في تآليفهم عن تاريخ العلوم عند العرب، وفي مقدمتهم الأستاذ قدري حافظ طوقان في كتابه *(تراث العرب العلمي)*.

أحمد بومزگو

**المراكشي، حمزة** بن **عبد الله** من العالمين بحق الله، الزاهدين الورعين الراكنين إليه تعالى، كان ملتزما بتعليم الصبيان كتاب الله تعالى، يأتيه الملوك للتبرك به فيكتفي برد السلام دون أن ينشغل عن التلاميذ بمن يكلمه، فإذا انصرف التلاميذ التفت إلى من جاءه وكلمه وسأله عن حاله. قال عنه ابن عسكر : "كان هذا الرجل في أغيا الغاية من مقام الزهد والورع ... وكان لا يقبل من أحد شيئاً، قائما على الجادة في مقام الزهد والورع والتعفف عن الدنيا حتى خرج منها ولم يلتصق به منها شيء".

سمع السلطان السعدي أبو عبد الله محمد الشيخ باحتضاره فأرسل أولاده ليشيعوا جنازته، ودخلوا داره فلم يجدوا بها "سوى حصير بال وهيدورة عليها نحو الصاع من شعير يشمس كان يقتات به، فقال السلطان أبو محمد عبد القادر : اليوم شاهدنا رجلا من الأولياء عاش في الدنيا وخرج منها ولم يتعلق به منها شيء".

توفي الشيخ ولي الله حمزة بن عبد الله في أواخر سنة 950 ودفن بازاء ضريح الشيخ أبي فارس عبد العزيز التباع، وقبره مزارة مشهورة.

ابن عسكر، دوحة *الناشر*، 123 ـ 124 تح. محمد حجي، ط 3.

عبد القادر سعود

**المراكشي، عبد الواحد** بن **علي** التميمي، محيى الدين المؤرخ والأديب المشهور. ولد بمراكش يوم سابع ربيع الثاني سنة 581 / 1186 ، في أوائل دولة يعقوب المنصور، وفي أسرة عربية عريقة ذات جاه ومال. ومما جاء في *المعجب* أن المترجم غادر مسقط رأسه وهو ابن تسعة أعوام إلى مدينة فاس. فلم يزل بها إلى أن قرأ القرآن، وتعلم فن القراءات والتجويد على أيدي جماعة من علماء المدينة المبرزين. والمؤكد أنه كان بمراكش سنة 595 / 1199 ، فلقي بها الطبيب أبا بكر بن زهر الذي "وفد عليها لتجديد بيعة أمير المومنين...". وفي هذا ما يدل على أنه نبغ مبكرا. وظل مترددا بين فاس ومراكش، فيما بين 595 و603. وفي مستهل سنة 603 / 1207 التقى بيحيى بن أبي بكر بن طفيل، قبل أن يعبر إلى الأندلس، فأدرك بها جماعة من العلماء، اعترف أنه لم يكتب له الأخذ إلا عن قلة منهم، من بينهم أحمد بن محمد بن يحيى الحميري الذي أخذ عنه كتاب الحماسة، ولزمه سنين. وهنالك سجل جل المعلومات المتصلة بتراجم أعلام الأندلس، مما أفاده في مادة كتابه *"المعجب في تلخيص أخبار المغرب"*. ويسجل محمد الفاسي، في الترجمة التي عقدها لعبد الواحد المراكشي،أن اعترافه ذلك لم يكن سوى تواضع منه.

ولعله مكث مدة بالجزيرة حيث نال حظوة لدى إبراهيم بن يعقوب المنصور، حاكم إشبيلية التي دخلها سنة 605 / 1209.

وقد تعرف المراكشي بذلك الوالي بواسطة صديق له من الكتاب، اسمه محمد بن الفضل. فتقرب منه وخدمه، ومدحه بقصائد أجازه عنها بجوائز سنية. وبعد سنة نزح إلى قرطبة، فلزم حلقة أبي جعفر الحميري طوال سنتين، وأخذ عنه وروى، قبل أن يرجع إلى مراكش سنة 610 / 1214 ، ليعقد صلة بالخليفة الموحدي، ويصبح من بين مقربيه، وكان قد حضر حفل مبايعته في شهر شعبان من السنة، حيث يقول : "جلست بين يديه خاليا به". كما كانت له صداقات وصلات ببعض رجال دولة الموحدين، منهم الوزير أبو عبد الله الحسني، والأمراء أبو زكرياء وأبو عبد الله وأبو إبراهيم أبناء يوسف بن عبد المومن. وقد وصف علاقته بأحدهم، وهو أبو زكرياء يحيى فقال : "اجتمعت عندي بخطه رقاع كثيرة خلع علي فيها من فضله وحلاني بما لم أكن أستحقه ..." وهذا مؤشر إلى أنه تبوأ حظوة لدى أولئك المتنفذين. وفي السنة الموالية غادر مراكش إلى حيث لا ندري. لكننا نجده في الأندلس في السنة التي تلتها، حيث ظل مقيما بها إلى متم ذي القعدة سنة 613 / 1217. ولعله زار تونس، وهو في طريقه إلى المغرب. كما زار بلاد سوس، فدخل تارودانت.

وارتحل مرة ثانية إلى بلاد الأندلس، ليقيم في كنف الأمير أبي إسحاق المشار إليه أعلاه. ولما أزمع الرحلة إلى المشرق أبحر من بلنسية متوجها إلى تونس التي لا نعرف كم أقام بها. لكننا نجده في صعيد مصر، بعد ذلك بثلاث سنين.

وفي أثناء رحلته إلى المشرق أدى المترجم فريضة الحج سنة 620 / 1223 . ويذكر محمد سعيد العريان في مقدمة كتاب *"المعجب في تلخيص أخبار المغرب"* أنه أقام سنين بمصر، ثم تجول في بعض بلدان المشرق. وفي أثناء ذلك أملى كتابه المذكور استجابة لطلب وزير من خاصة الناصر العباسي. وقد فرغ من إملائه يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة 621 / 1224. واستنتج محمد الفاسي، بناء على عدة قرائن، أن المترجم ألف كتابه ببلاد العراق. ويذهب محمد المنوني إلى أن المراكشي توفي سنة 625 / 1228 ، وهو ما يتفق مع ما أورده محمد الفاسي. ويجعل المنوني تلك الوفاة ببغداد. ويذكر صاحب *الإعلام* أنه عاش بعد ذلك، بعض العسر لأنه أشار إلى ما شاب حياته يومئذ من هم وغم. فهل يرجع ذلك إلى ما عرا الدولة الموحدية ككل ؟ أم أنه أكره على مغادرة المغرب لسبب لم تفصح عنه

مصادرنا ؟ لكنه جعل تاريخ وفاته سنة 665 / 1267 ؛ فهل يتعلق الأمر بسبق قلم، أم أنه مجرد خطأ في الطباعة ؟

وأيا ما كان الأمر، فإن صاحب الترجمة كان أديبا لغويا، ناظما ناثرا، لطيف المحاضرة، فكها حلو النادرة. حلاه العلماء بـ "الشيخ الفقيه الحافظ المفتي الواعظ"، مما يدل على أنه عد من العلماء المبرزين في زمانه.

ع. الواحد المراكشي، *المعجب*، *مقدمة*، م. سيعد العريان وم. ع. العلمي، عباس المراكشي، *الإعلام*، خ. الزركلي، *الأعلام*، م. الفاسي، المؤرخ ؛ ع. المراكشي، *رسالة المغرب*، ع *1*، وع 2 س. *6* ؛ ع. كنون، *النبوغ* ؛ م. المنوني، *المصادر العربية وحضارة الموحدين* ؛ زنيبر، *المغرب في العصر الوسيط* ؛ ع. أ. موسى، *النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي* ؛ محمد ظريف، *مؤرخو الدولة الموحدية*.

*Encyclopédie de l' Islam.*

أحمد عمالك

**المراكشي، علي بن محمد** صوفي رحال، انفرد البادسي بالترجمة له، رحل إلى المشرق بغرض السياحة على طريقة الصوفية، ثم رجع إلى المغرب، وتوجه إلى مدينة بادس بمنطقة الريف، التي كانت مركزا صوفيا نشيطا، فقضى بها حياته مقيما برباط تامدة قرب البحر. وكان على مذهب الملامتية. كان منظره يوحي بأنه من عمال الموحدين بسبب تأنقه واهتمامه بمظهره، وكان يشتغل بالخياطة بالأجرة لبعض البزازين، لذلك اتهمه البعض بتعاطي علم الكيمياء. ألف كتاباً سماه *مناقب الأولياء وصفة سلوك الأصفياء* أشار إليه البادسي عدة مرات ونقل منه معلومات مفيدة حول أقسام المتصوفة، وشيئا من كراماته وكرامات من لقي من شيوخ التصوف بمصر. وأشار البادسي إلى أنه نقل الكتاب كاملا في كتابه *طبقات الأولياء*، لكن الكتابين معا فقدا فيما بعد.

توفي علي المراكشي ببادس بعد 640 / 1242.

البادسي، *المقصد الشريف*، ص. 20 ـ 23 ـ 48، 75 ـ 76 ـ 81 ـ 146.

محمد المغراوي

**مَرِّيوَة** أو مَرِّيوْتْ أو ايفزي أسماء بالعربية أو بالأمازيغية لأنواع نباتية من فصيلة الشفويات Lamiaceae

وجنس مَرُوبْيُومْ Marrubium الذي يشمل في المغرب 14 نوعاً طبيعياً من بينها 9 قبسية خاصة بالمغرب.

إنها أعشاب تتميز بمرارة شديدة تجعلها غير مساغة من طرف الحيوانات ولا من طرف البشر. لجلها لون أخضر فضي.

والنوع الأكثر شيوعا في المنطقة المتوسطية هو مَرُّوبْيُومْ فُولْگاري Marrubium vulgare الذي يصادف بضواحي المدن على الأطلال وتراكمات النفايات لأنه يحبذ الأتربة الغنية بالنيترات.

تستعمل الأنواع عادة في تحضير وصفات طبية شعبية لمعالجة السكري والتيفويد، والإسهال والحمى وبوصفير وأمراض أخرى.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle. Médecine arabe ancienne et savoirs populaires.* Ibis Press, Paris, 1997, 779 p. ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité.* Ibis Press, Paris, et Kalila xa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**مرزاكة** (معركة -) عين مرزاكة مكان يقع على الطريق الرابطة بين الرماني والخميسات، بقبيلة النجدة، يبعد عن كلتة الفيلة بحوالي أربعة كلمترات. كان ميدانا لمعارك واشتباكات عديدة بين المجاهدين وقوات الاحتلال الفرنسية. ففي غشت 1911 وصلته قوات آتية من معسكر الرماني (مارشان)، لتلتقي مع القوات الآتية من الشرق عبر الخميسات في كلتة الفيلة. وقد واجهت هذه القوات مقاومة صلبة انسحبت على إثرها إلى معسكر مارشان. ثم أصبحت مرزاكة التي بنى بها الفرنسيون معسكرا لقواتهم، موقعا لاشتباكات وهجمات عديدة. وجرت أقوى هذه الاشتباكات أيام 15 ـ 16 ـ 17 نونبر، وكذلك يوم 6 دجنبر 1912، ويوم 18 فبراير 1913. وأسفرت هذه الاشتباكات عن خسائر بشرية للجانبين. وقد استولى الفرنسيون على الأراضي المجاورة للمكان، بعد أن انسحب السكان إلى الجنوب صعودا مع وادي گرو إلى أن وصلوا ضريح سيدي محمد مبارك وسط قبائل زايان .. ولما عاد السكان منعوا من أراضيهم التي أصبحت ضيعة استعمارية تتعدى مساحتها 200 هكتار ؛ من أجود أراضي فرقة الفرجان.

*Bulletin officiel 1912, Bul. Com. AF. FR*, 1912, 1913.

علال الخديمي

**مرزاية**، كانت تصل إلى المغرب من بلدان المشرق العربي في عهد ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، لما كان مرتبطا في علاقاته التجارية مع هذه البلدان ضمن مجموعة من البضائع والمواد والمنتجات ذات الصلة باللباس والتزين والتعطير، نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر الجاوي المكاوي وعود الأرك وعود الصندل والعديد من الأردية

والخمر وأغطية الرؤوس مثل السبنيات والشاشيات التي تنتسب في أصلها إلى مدينة سبن ومدينة شاش العراقيتين وغيرهما. هذا فضلا عما كان ينتجه الصناع والحرفيون المغاربة في الحواضر المغربية من ملابس وأردية وأغطية بلدية.

وقد استمرت علاقات المغرب التجارية هذه قائمة إلى منتصف القرن 19، وبعد توقيعه لاتفاقية 1856 مع الإنجليز انفتحت البلاد على التبادل التجاري مع العديد من البلدان الأوربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط وغيرها من مدن الشمال. وبعد أن تأكد تغيير محاور المبادلات التجارية في اتجاه المحيط وتراجع التجارة القافلية وازدهار الملاحة البحرية، أصبح المغرب يقتني حاجاته من المواد الغذائية واللباسية كالسكر والشاي ومنسوجات القطن والكتان من البلدان الغربية وخاصة من فرنسا وإنجلترا وإيطاليا وهولندا وبلجيكا وألمانيا. وبالتدريج حلت محل السبنيات والشاشيات المشرقية والمغربية وغيرها من الملابس والأردية ابتداء من الفترة المذكورة المنسوجات الرومية، فسادت في السوق المغربية "سبنيات ليون" و"الوندريز" (لندن) و"باب باريس" وكذا "ملف الطليان" و"حرير ليون" و"كتان مرسيليا" (الذي يسميه المغاربة مرزاية والتي هي مجرد تحريف وتكييف دارج للفظة مرسيليا الفرنسية) وأقمشة مانشستر الصوفية وأردية "الخنت" الكتانية البلجيكية وغيرها.

وأصبحت مختلف مراسي المغرب، وخاصة منها مرسى الرباط - سلا وتطوان والجديدة ثم أنفا تستقبل منذ سنة 1870 المنسوجات الكتانية الوافدة عليه من مرسيليا، الميناء الفرنسي الذي ازدهرت به منذ نهاية القرن 18 مصانع نسج الكتان في نفس الوقت الذي ازدهرت منسوجات الحرير في مدينة ليون. كما ذاع ابتداء من هذه الفترة أيضا صيت غيرهما من المنسوجات الفرنسية مثل الشيت والتوبيت أو البايتة، وهي في أصولها تحريف لاسم قماش كتاني كان يستورد من مدينة سيت (Sète) وتوفي (Touvet) الفرنسيتين.

هذا وكان تداول هذه البضائع اللباسية في بداية أمرها لا يتعدى أوساط المخزن والفئات المترفة، لكن انتشارها ساد فيما بعد في البلاد حتى عم جميع الفئات وأصبح منتشرا في جميع أسواق البوادي وقيساريات المدن وزاحم المنسوجات البلدية. وبسبب ذلك تراجع بشكل نهائي أو كاد إنتاج المنتوجات الكتانية والقطنية والحريرية في الرباط - سلا وتطوان وفاس وغيرها من المدن بالارتباط مع تراجع مغارس القطن والكتان وتربية دودة القز في ضواحي هذه المدن المذكورة، وانهارت إلى غير رجعة منتجات الحرف اللباسية التي توارثها الصناع أبا عن جد منذ عدة قرون وحلت محلها المنسوجات الرومية المستوردة من البلدان الأوربية المذكورة بسبب وفرتها وجودة صنعها وانخفاض أسعارها. في هذا السياق تشهد الوثائق المخزنية أن أمة من إماء "الدار السعيدة توصلت بواجبها من الكسوة المخزنية بثمانية مناصر (جمع منصورية) مرزاية وقفطانين من الملف وقفطانين من الشيت وكرزية (حزام) صغيرة من الملف".


أحمد الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، مخطوط، تطوان رقم 676 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، الرباط، 1986 ؛ ع. العزيز السعود، تطوان في أواخر القرن 19، *جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على ضوء محاولات التسرب الأوربي*، د.د.ع.، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1992 ؛ محمد داود، *تاريخ تطوان*، ج 6، تطوان 1978 ؛ ع. العزيز العلوي، *صناعة النسيج في المغرب الوسيط*، الإنتاج والمبادلات، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، ع 2، فاس، 1985 ؛ ع. بنعبد الله، معجم *الملابس*، الرباط، 1975.

Maurice Lombard, *Les textiles dans le monde musulman (VII°-XII° s)*, Paris, 1978 ; *L'Islam dans sa première grandeur*, Paris, 1971 ; V. Seignol, Quatre ans de sériciculture à Fès, in *France-Maroc*, *n° 2, 15 février 1919;* Roger Le Tourneau, *Fès avant le protectorat*, Casablanca, 1946 ; K. Benabdeljalil, *Le commerce des tissus à Fès avant le protectorat, mémoire de stage pédagogique, inédit* ; M. Bellakhdar, *Le commerce dans la médina de Fès, le vestimentaire et l'alimentaire*, Université de Toulouse, thèse de 3° cycle, 1983.


محمد بوسلام

**مرزوق** (ابن -) **محمد** هو أول من عُرف بالخطيب من بني مرزوق، كان سلفه من أهل رباط الشيخ أبي مدين بتلمسان والقائمين على خدمته، وبهذه المدينة سنة 711 / 1311، استكمل علمه بعد زيارته للمشرق الأولى حيث تتلمذ على شيوخ عديدين (مغاربة ومشارقة). دخل الأندلس سنة 725 ودرّس بغرناطة وبغيرها. استقر بتلمسان سنة 737 قبيل فتحها من طرف السلطان أبي الحسن بأيام، فالتحق بخدمته، وعينه خطيباً بجامع العباد ثم خطيباً بالمساجد التي يصلي بها، فاشتهر باسم الخطيب ؛ وكان ملازما لهذا السلطان في أسفاره ومعاركه، من ذلك معركة طريف سنة 741 ؛ ولم يغب عن معركة القيروان إلا لأنه كان في مهمة إلى قشتالة حيث نجح في عقد الهدنة مع ملكها وافتكاك الأمير أبي تاشفين ابن السلطان من الأسر. وبعد نكبة القيروان وظهور منافسة أبي عنان لأبيه على السلطنة استقر ابن مرزوق في تلمسان، غير أنه نفي منها إثر محاولته التوسط بين أميرها والسلطان أبي الحسن المستقر بالجزائر بعد غرق أسطوله آخر سنة 750 أو بداية السنة اللاحقة. وفي الأندلس رحب به أميرها وأسند إليه مهمة الخطابة في جامع الحمراء والتدريس بمدرسة القصر، وهناك اتصل به ابن الخطيب الذي تتلمذ عليه، وتعرف أيضاً على الأمير أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن الذي كان أخوه أبو عنان نفاه من المغرب. وفي سنة 754 استقدمه أبو عنان ورفع مكانته، ثم بعثه سنة 758 ليخطب له ابنة أمير تونس، لكنه فشل في المهمة، فسخط عليه واعتقله، ثم سرحه قبيل موته أواخر سنة 759. وخلال التنافس على السلطة بعد موت أبي عنان كان ابن مرزوق يهيئ الجو لفائدة صديقه الأمير أبي سالم خصوصاً بعد نزوله بجبال غمارة في النصف الثاني من سنة 760، وبعدما ولي هذا السلطنة (760 - 762) اختصه بولايته "وانصرفت إليه الوجوه، وخضعت له الرقاب ... وصار زمام الدولة بيده ... وكان يتجافى عن ذلك أكثر أوقاته ... ويزجر من يتعرض له في الشكاية ويردهم إلى أصحاب المراتب والخطط بباب السلطان ... فسخطوا الدولة

لأجله ... ونفَسَ عليه الوزراء". وعندما اغتيل أبو سالم وُضع ابن مرزوق في المعتقل إلى سنة 764.

وبتسريحه من السجن انتقل إلى تونس فجعله أميرها خطيباً لجامعه (جامع الموحدين)، وبنهاية هذا الأمير انتقل إلى مصر 773 فوضعه سلطانها الأشرف المملوكي على قضاء المالكية بالقاهرة وخطيباً ومدرساً ببعض المساجد الكبرى إلى أن توفي في ربيع الأول سنة 781 / 1379.

وصفه تلميذه ابن الخطيب بقوله "الشيخ الفقيه المتكلم... متبحر الذكر، عديم القرين، عظيم الاطلاع ... ينقل الحديث بأسانيده ومتونه ... يفيض من حديث إلى فقه، ومن أدب إلى حكاية، ويتعدى ذلك إلى غرائب المنظومات .." ؛ ونقل المقري (الحفيد) ترجمة ابن الخطيب له وأضاف إليها تراجم مختصرة في مصادر أخرى.

وممن تتلمذ عليه الشيخ المقري (الجد)، ولسان الدين ابن الخطيب، وابن قنفد القسنطيني، والإمام البرزلي، والكاتب الأندلسي ابن زمرك وغيرهم.

من مؤلفاته التي بقيت إلى يومنا كلاً أو بعضاً :

- *تيسير المرام في شرح الأحكام*.
- *برح الخفاء في شرح الشفاء* (شفاء القاضي عياض).
- *شرح الأحكام الكبرى* (لعبد الحق الإشبلي).
- *عجالة المستوفز المستجاز* ... (فهرسة).
- *المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن*، وهو ترجمة مفصلة لهذا السلطان وذكر فضائله وأخلاقه وجهاده وحاشيته وجلسائه من وزراء وكتاب وعلماء وصلحاء ... وقد تم تحقيقه من طرف الباحثة الإسبانية ماريا خيسوس بيغيرا، ونشر بالجزائر.

ابن خلدون *العبر*، 7 : 842 ـ 848 ؛ المقري، *نفح الطيب*، 5 : 390 ـ 418، ط. بيروت، 1968 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، 3 : 103 ـ 134 ؛ القاهرة، 1975 ؛ ابن قنفد القسنطيني : *كتاب الوفيات*، ص. 373 ـ 374، وقد ترجم له ضمن المتوفين سنة 780)، تح. عادل نويهض، بيروت، 1983 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، ط. الجزائر، 1981 ؛ ماريا خيسوس، مقدمة، *كتاب المسند*.

أحمد عزاوي

**المرس** ويجمع على صيغة أمراس ومروس وهو اسم يطلق وإلى اليوم على المكان الذي يضم عدداً من "المطامير" لخزن الحبوب، وقد تكون هذه المطامير أو الأمراس في ملكية عائلة أو عشيرة أو قبيلة أو "دوار" وقد تكون أمراساً رسمية تابعة للمخزن (الدولة) فيها يتم خزن ما جمع من مستحقاته وما يفرضه على القبائل من ضرائب عينية خاصة من القمح والشعير. وقد تكون في ملكية السلطان أو الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة والمصطلح "مروس" ورد في بعض المصادر التي تناولت العصر المريني ولا نجده قبل هذا العصر ؛ والمرس أو المروس قد لا تعني دائماً : المطامير" أي الحفر الكبيرة المخروطية الشكل المعدة لخزن الحبوب بل تعني كذلك الصوامع المبنية لنفس الغرض سواء كانت صغيرة "أگرور" بالأمازيغية "وگرور" في الدارجة المغربية الحالية والتي تتوسط المساكن أو تبنى في الفناء "المراح" ؛ أو الكبيرة الضخمة "Silos" التي يجمع المخزن وعماله وولاته الحبوب فيها ؛ وقد كانت نظرة الناس لها وللمكوس نظرة استنكار إذ يعتبرونها غير شرعية، لذلك وجد بعض السلاطين الذين دشنوا عهودهم بـ "... إزالة المكوس وهدم المروس" تعبيراً منهم عن حسن نواياهم ورغبتهم في رفع الحيف والظلم : عن السلطان المريني يوسف بن يعقوب جاء في *روض القرطاس*، 375 "... وتصدق بترك الفطرة على الناس ... وأزال المكوس وأمر بهدم المروس ..."

وفي قراءتنا للخرائط الطبوغرافية نجد عدة أماكن تحمل إلى اليوم اسم مرس وهي بمعنيين : مجموعة مطامير لخزن الحبوب، والأراضي المخصصة لحراثة الحبوب في مقابل "لعزيب" الأراضي المخصصة للرعي.

العمري، *مسالك الأبصار* ضمن ورقات لمحمد المنوني، الرباط، 1979 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ الجزنائي، جنى زهرة الآس، الرباط، 1967 ؛ الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، الرباط، 1986 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 و1955 ؛ محمد الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، مرقون، خزانة كلية الآداب بالرباط.

J. Martin [et al.], *Géographie du Maroc*, Paris, Casablanca, 1967.

محمد حجاج الطويل

**مرس السلطان** (عملية –)، مرس السلطان حي بالمدينة الأوربية في الدار البيضاء، يقع به مدار مشهور كان المغاربة البيضاويون على الخصوص يطلقون عليه تعبير "سَبْع شْوَانط" كناية عن عدد من الشوارع التي تتقاطع به جرت به واحدة من عمليات المقاومة المسلحة التي كانت لها تداعيات خطيرة. فبعد ظهر يوم الخميس 14 يوليوز 1955 أقدم مقاومون على تفجير قنبلة أمام مقهى هناك كان غاصا بالفرنسيين وغيرهم من المعمرين، وقد خلّف الانفجار ـ الذي أفسد على الفرنسيين احتفالهم بالعيد الوطني لفرنسا ـ خسائر بشرية ومادية جسيمة.

نفّذ العملية ثلاثة أفراد من منظمة "جيش الأطلس" تمكنوا لاحقا من الالتحاق بالمنطقة الخليفية. وكان من المقرر تنفيذ عمليات مشابهة منها واحدة خُطّط لتنفيذها بملعب "مارسيل سردان" (مركب محمد الخامس حاليا)، إذ كان سيقع استعمال سيارة "رونو" تنطلق من قاعدة النواصر لوضع قنبلة كبيرة الحجم في الملعب، وتم إخبار الفرق المغربية لثنيها عن اللعب هناك، لكن العملية لم تنفذ نظرا للاعتقالات التي جرت في صفوف المنظمة في أعقاب عملية فدائية جرت بمدينة خريبكة.

ونظرا للدقة المتناهية التي نُفّذت بها عملية مدار مرس السلطان فقد ساد الاعتقاد في البداية أنها من تدبير إحدى منظمات الإرهاب الأوربي لخلق متاعب للمقيم العام الذي كان يحاول إيقاف التدهور الذي شهدته الأوضاع بالدار البيضاء على الخصوص بعد اغتيال جاك لوميگر دوبروي من قبل إرهابيين أوربيين انتقاما منه نظرا لمواقفه المتحررة، وذلك

ليلة 11 يونيو 1955 بالساحة التي تحمل اسمه حاليا بمرس السلطان في الدار البيضاء.

روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، تر. نيقولا زيادة، مراجعة أنيس، الدار البيضاء، بيروت، 1963 ؛ لوموند Le Monde، 20 يونيو 1953.

François Broche, *L'assassinat de Lemaigre-Dubreuil* Paris, Ed. Ballard, 1977, 218 p. ; Ladislav Cerych, *Européens et marocains 1930-1956, Sociologie d'une décolonisation*, Bruges, DeTemple, 1964, 420 p.

محمد وحيد

**المرساوي**، وهو نوع من العيطة يكون نمطا مستقلا بذاته وتعني الكلمة غناء المرسى أو الغناء الموجود بمنطقة المرسى ونعني بذلك مرسى مدينة الدار البيضاء الذي أصبح له نشاط مهيمن على الصعيد الوطني منذ النصف الثاني من القرن (19).

وإذا رجعنا إلى إدريس الإدريسي لا نجده يعطي أي تعريف لكلمة مرساوي ولكنه يكتفي بالقول بأنه يوجد في منطقة تدعى قبَالْ بالشاوية.

ويحدد المجال المكاني للمرساوي بمنطقة الشاوية الكبرى إلى حدود منطقة الدير وإلى حدود منطقة عبدة وشمالاً إلى حدود أبي رقراق. وتعتبر بعض المراكز مقراً للمرساوي كسطات وأزمور والكارة وغيرها.

ويعرف المرساوي كذلك بالعيطة المرساوية أو البيضاوية نظراً لانتشار وتطور هذا النمط في مدينة الدار البيضاء. هذا القطب الحضري الذي احتضن هذا النمط وطبعه بمميزات جديدة وساهم في إعادة بنائه وتوسيعه على صعيد التراب الوطني والمرساوي نوعان :

المرساوي من أصل عبدي أي مستمد من منطقة عبدة. ومعلوم أن منطقة عبدة معروفة بنمط الحصباوي الذي يعد أصل مجموع أنماط العيطة في المغرب، ونظراً لذلك التجاور الجغرافي بين منطقة الحصباوي أي عبدة ومنطقة المرساوي دكالة والشاوية. فوقع التداخل والتلاقح والتأثير والتأثر. وفي هذا الإطار انتقلت مجموعة من عيوط الحصبة إلى المرسى مطبوعة بمجموعة من سمات هذا النمط أي المرساوي ونذكر في هذا الباب عيطة "رجنا فلعلي" التي هي أصلا من الحصبة والتي يكون مطلعها :

| | |
|---|---|
| رجنا فلعلـــــــي | أغريب اوبرانــــــي |
| الحصبة ولافـــــة | اسروتها عطابـــــة |
| راع للخاوة كلشي | يفوت تبقى العداوة |

ولما انتقلت هذه العيطة إلى المرسى أخذت سمات المرساوي وخصائصه من أهمها التغيير الذي طرأ على مستوى البناء العمودي للقصيدة. ذلك أن العيطة الأصلية في الحصبة كانت تتكون من سبعة فصول أصبحت بعد انتقالها إلى المرسى تتكون فقط من فصلين الأول بطيء يتكون من فسحة لحنية التي يليها غناء بيتين من الشعر قد يختلفان في الموضوع ثم يأتي دور الفسحة الموسيقية من جديد. وبعد الحطةيأتي الفصل الثاني والأخير في هذه العيطة والذي يكون سريعاً من حيث الإيقاع مع الاحتفاظ بنفس بنية الفصل الأول وخلال هذا الفصل تصبح الفسحات الموسيقية كثيرة شيئاً ما.

أما من حيث مضامين الأبيات فالأغلبية لازالت تذكرنا بمجال الحصبة ومنطقتها كالحصبة وجمعة آسحيم، ودارسي عيسى والمعاشات الخ وفي نفس الوقت نلمس حضور مكونات مجال المرسى كذكر الشاوية وسطات والدار البيضاء وبويا الغليمي الخ ...

| | |
|---|---|
| ارْجَنَا فَلْعَلي اغْرِيبْ أُوبْرَانِي | |
| اجْمْعَةْ اسْحَيْمِيَـةْ اقْبَالْتْ أَسْفِي | الفصل الأول |
| اشْرَاجَمْ شِيبِيَةَ | |
| اسْطَاتْ بْلَادِي بُويَا لَغْلِيمِي | |
| سِيدِي لِـبْلاَ يَعْـفُو حَبِيبِي | الحطة |
| لَبَاسْ لبَاس لَهْوَى مَادَّارْقْيَاسْ | |
| رَدَادْ مُولاَيْ بُوشْعَيْبْ الوَالِي | الفصل الثاني |
| سَبْعَةْ رِجَالْ مَايْدُوزْ عَارِي | |

وهناك عيطة أخرى مشهورة في نمط المرسى ويتعلق الأمر بعيطة "خربوشة" التي هي في الأصل كذلك من الحصبة ولازالت تغنى وتتكون كذلك من سبعة فصول ومطلعها :

الحَمْرَا خَرْبُوشَةْ زَرْوَالَةْ لَكْرِيدَةْ
بِرْبْعَةْ مَحْسُوبَاتْ مَايْدُومْ حَدْ
سِيدِي يَا سِيدِي حَبْسُو الَهْوَا مَزَالْ
زِيْن الصَيْدَةْ زِيْن لَسْلاَكْ عِيسَى يَا بَنْ عُمَرْ
دَارْ سِي عِيسَى گالُو ازْهَاتْ گْدَامْهَا شي عَلْفَاتْ
لَخْزَانَةْ گالُو ارْشَاتْ المَخْزَنْ إجْدَدْهَا.

حينما انطلقت هذه العيطة إلى المرسى أصبحت تدعى "خَرْبُوشَة مَنَانَة" وتتكون فقط من فصلين عبارة عن بيت شعري ويكون جوابه بفسحة لحنية :

| | |
|---|---|
| خَرْبُوشَة مَنَانَة لَكْلِيلَة | الفصل الأول |
| لَمْشِيتْ انْوَلِي مَايْكُونْ بَاسْ | |
| آرَاوْ الخَيْلْ اوِينْ | الحطة |
| زِينْ القُبَةْ زِينْ لَفْرَاشْ | |
| خُويَا لَمْزَهِينِي | |
| سِيدْ العَرْبِي أكْحَلْ لَعْيُونْ | الفصل الثاني |
| فِي رْيَاضُو مَدْفُونْ | |
| الدَارْ البَيْضَاء هِيَ بْلاَدْنَا | |
| دِيوَانْ الشَاوِيَة | |

أما من حيث المضامين نلاحظ أن ملامح الحصبة لازالت قائمة مع بروز مكونات المرسى بمختلف فضاءاته كالإنسان والمجال وغير ذلك.

**الرواد**

هذا النمط نظراً لشساعة مجاله وانتشاره في ربوع

المغرب ونظراً كذلك لاتساع قاعدة جمهوره، أصبح لرواده شهرة لدى الجمهور خلافا لرواد الحصبة، طبعا هذا راجع لقابلية الجمهور وتذوقه وانسجامه مع عيوط المرسى بألحانها العذبة وأشعارها الرقيقة ومجموعة خصوصيات في المقامات والمقاطع.

منذ بداية الحماية بالمغرب ظهرت مجموعة من الأشخاص طوروا هذا اللون وعملوا على نشره وترسيخه لدى فئات عريضة من المجتمع.

وهكذا حصلت لنا التحريات وبعض الوثائق التي هي عبارة عن شرائط قديمة من صنف 78 لفة مجموعة أسماء كالمَرينيَة والزَرْوقية وأسماء أخرى كالثنائي هَدي والعربي اعربيل الذين نحتفظ لهم بمقطع من عيطة ارجنا فلعلي بيضاوية سجل في بداية الستينيات :

حَلْفَتْ الْعَزْبَة مَادِيرْ ايدي
فِي ايدْهَا ابْغاتْ تَاخُذْ اكْرِينْهَا
سَمَرْتْ صَبَاطِي أضْلَعْتْ فِي
لَحْدِيدْ عْلَى اخْرِيبْگَة وَالْبِيرْ اجْدِيدْ
بْنَاتْ آسْفِي زَارْعَاتْ
الكِيسَانْ فِي جْنَانْ لْفَسْيَانْ

والملاحظ أن هذه الأبيات أصبحت غير متداولة حاليا رغم تداول العيطة الآن. إضافة إلى هؤلاء هناك طاقم طبع هذا النمط وساهم في نشره من جديد في قوالب حديثة وأعطته حلة قربته من الجمهور أكثر. يتعلق الأمر بالطاقم بوشعيب البيضاوي ولمعلم قيبو وبوشعيب زنيكة، الذين ساهموا في خدمة هذا النمط من العيطة ورسخوه في منطقة الدار البيضاء حتى أصبحت العيطة المرساوية تعرف بالعيطة البيضاوية. وقد عمل بوشعيب البيضاوي الذي كان فنانا موهوبا مارس المسرح والفرجة الارتجالية على ربط نمط المرسى بنمط الحصبة عن طريق إعادة بناء عيطة خربوشة منانة كما ذكرنا. كما عمل على إحياء بعض عيوط المرساوي الغابرة مثل عيطة مَاشَفْتُو لَغْزَالْ آصيَادَة، وعيطة لِبْغَا حَبِيبُو، والحَدَوِيَاتْ، والكَافْرَة آغْدَرْتِنِي إضافة إلى مجموعة من العيوط البسيطة الجميلة جداً مثل "مِيلُودَة"، "رْكَبْتْ عْلَى اسْطَاتْ" الخ. ولا تفوتنا فرصة الإشارة إلى كون بوشعيب البيضاوي قد سخر نمط المرساوي هذا لخدمة القضية الوطنية والتذكيربالقومية والشوق إلى الانعتاق.

ومن بينها. مَنْ لَقْنِيطْرَةْ لَمَكْنَاسْ
تَمْ تَحْفَرْ السَاسْ
المُعَمْرِينْ وَلَغْرَاسْ
شَبْعُوا عَافْيَا أو قَرَاطسْ
أيَا خُوتْنَا يَا لَسْلَامْ هَزُوا بِنَا لَعْلاَمْ
زِيدُو بِنَا لقدَامْ دَابْ مُولْ الحَقْ إيبَانْ

ورغم رحيل البيضاوي فقد ترك بصمات واضحة في نمط المرساوي يعمل حاليا على تطويره عدة مجموعات جديدة.

بعد البيضاوي ومعاصريه يمكن الحديث عن مجموعة من الرواد كالصحيب بلمعطي، وصالح السمعلي وخدوج العبدية وسي جلول وكذلك الثنائي قشبال وزروال وغيرهم كثير.

ونظراً لعذوبة هذا النمط ورقته وقربه من الإيقاع الراقص فقد أصبح له مجال واسع إلى درجة أن نمط المرسى أصبح يغنى في قالب الراي وحتى ضمن موسيقى الأطلس المتوسط كما عند الشاب ميمون وعند فيصل.

وتتكون مدرسة المرساوي من مجموعة من العيوط :

دَامِي
لِبْغَا حَبِيبُو
مَاشتو لَغْزَالْ
الحَدَوِيَاتْ
الكَافْرَة آغْدَرْتِنِي
رْكُوبْ الخَيْلْ
خَرْبُوشَة مَنَانَة
آرْجَنَا فَلْعَلِي بِيضَاوِيَة
جَالِينِي

هذه هي مجموعة العيوط المكونة لنمط المرساوي والملاحظ أن كل هذه العيوط لازالت متداولة ومروجة في الأسواق.

إ. الإدريسي، *كشف الغطاء عن الموسيقى وأسرار الغناء*، 1932 ؛ ع. بن عبد الجليل، *الموسيقى الشعبية المغربية*، مجلة التراث الشعبي، 1977 ؛ علال رگوگ، *الغناء الشعبي المغربي مظاهره وتجلياته*، مراكش، 2001 ؛ *موسيقى آسفي*، الرباط، 2005.
Allal Ragoug, *Aïta chant du Maroc profond*, horizon maghribin, Toulouse, 2001, n° 43.

علال رگوگ

**مرسى المرجة الزرقاء**، كشف التحري الميداني، سنة 1951 في منطقة المرجة الزرقاء عن ما يشبه الحصن، يبلغ في أكبر مداه 100 متر طولا، وحوالي 60 متر عرضا، ويوجد فوق نتوء صخري يرتفع عن الضفة الشمالية للمرجة ببعض الأمتار، ويوجد داخله بناء مستطيل الشكل طوله 11,60 متر وعرضه 3,60 متر. وفي الجانب الغربي منه تم تثبيت حلقات حديدية على السور الخارجي حيث ترسو المراكب، مما يعطي انطباعا بأن الأمر يتعلق بوجود مخزن محصن ومرفأ قديمين.

لا نستطيع أن نحدد بدقة الزمن الذي بني فيه هذا المركب، فمن الممكن أنه كان يوجد منذ القرن (6 / 12)، لأن ما تم العثور عليه أثناء عملية التنقيب، خاصة أجزاء من أواني فخارية ونقود فضية موحدية يؤكد هذا الافتراض. كما يمكن أن يعود إلى زمن قبل ذلك أي إلى القرن (4 / 10) أو

القرن (3 / 9 ). فلا شيء يسمح بتحديد تاريخ، ولو بالتقريب، لبناء هذا المخزن والمرفأ.

لقد تم اختيار هذا المخزن المحصن والمرفأ لعدة أسباب، منها :

1 - القرب من القناة النهرية التي تربط بين المرجة الزرقاء وساحل المحيط الأطلسي.

2 - الحماية من الرياح الغربية بفضل تلال مولاي بوسلهام.

3 - الارتفاع القليل للنتوء الصخري، مما يسمح للمراكب بالرسو على جانب الأسوار.

4 - انعدام وجود الرمل في هذا المكان.

إن الأهمية البحرية للمرجة الزرقاء تؤكد وجود مرسى مهم في هذا المكان في زمن قديم غير محدد. وقد سبق أن أشارت بعض الكتابات اللاتينية (Pline L'Ancien - Polybe - Agrippa) إلى وجود مرسى مالولاشة (Malelacha) وتكتب كذلك : موليلاشة (Mulelacha)، عند أحد الرؤوس ما بين ليكسوس وسبو، وربما عند مركز مولاي بوسلهام، استفاد منه الفنيقيون.

ويظهر أنه إلى حدود العصر الوسيط لم يرد الحديث على هذا المرسى نظراً لتحول اتجاه الطريق الرومانية ما بين ليكسوس وسلا نحو الداخل، ففقدت المنطقة الضيقة ما بين المحيط والمرجات، بالضرورة، جزءاً كبيراً من الأهمية التي حصلت عليها في العصر الفنيقي.

وخلال العصر الوسيط وإلى حدود القرن (16) تعددت الخرائط التي تشير، في هذا المكان، إلى وجود مرفأ إسلامي ورد اسمه بصيغ مختلفة ومتقاربة : المُزمار - مسمار - موسميرة - مُكسمار - مورمار. ويبدو أن اسم "مكسمار" أصله عربي، وهو "أم السمار"، أي المكان الذي يكثر فيه السمار. ومعلوم أن المرجة الزرقاء تكون مغطاة بالسمار.

وابتداء من القرن (16) نجد على الخرائط في المكان الذي يقع فيه ضريح مولاي بوسلهام عبارة : "المعمورة القديمة". ونعرف أن المعمورة المشهورة بهذا الاسم توجد عند مصب نهر سبو وكانت لها، ابتداء من القرن (6 /12)، أهمية كبيرة إلى درجة أن الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي أقام فيها ورشا لبناء السفن. ولهذا، من المحتمل أنها كانت تتزامن مع "أم السمار" منذ فترة سابقة. ولكن عند بداية القرن (16)، بدأنا نجد تسمية المعمورة القديمة، بينما معمورة سبو لازالت مزدهرة، وظلت تحمل نفس الاسم إلى سنة 1681 حيث أصبحت تسمى المهدية.

ويدفعنا كل هذا إلى أن نفترض أن اسم :موكسمار أو "أم السمار" بدأ يختفي من الذاكرة، وعوض باسم المعمورة، المدينة المجاورة التي كانت مزدهرة آنذاك. وبدأ التمييز، منذ وقت مبكر، بين المعمورة القديمة - مرفأ المرجة الزرقاء - والمعمورة الجديدة التي أصبحت تسمى المهدية. ومعنى هذا أن أسبقية المعمورة القديمة مؤكد. وهذا ما يدفعنا، مرة أخرى، إلى افتراض آخر أكثر إقناعا. مفاده أن المعمورة، التي أسسها بنو يفرن في القرن (4 / 10) كانت تقع على المرجة الزرقاء. وبعد قرنين من الزمن، لم يشر خلالها إلى هذا المرسى عندما أسس الموحدون مدينة جديدة على نهر سبو أعطوها نفس الاسم وهو المعمورة، ووقع التمييز بينهما بأن أضيفت إلى الأولى صفة القديمة.

وهكذا، يظهر أن وجود مرفأ المرجة الزرقاء مؤكد، ولكن لا شيء يسمح بالقول بأن هذا المرفأ كان يكون مدينة في حد ذاته. فلم يكتشف أي أثر يدل على تجمع سكني قديم. ولهذا نعتقد أن المدينة الكبيرة والنشيطة في النواحي القريبة، وهي مدينة البصرة، استطاعت، في وقت سابق عن القرن ( 12)، أن تهيىء المرجة الزرقاء لأهداف تجارية بحرية، يساعدها في ذلك نهر الدردار الذي يربط فيما بينهما. وقد ظلت المرجة الزرقاء وقناتها منفذا بحريا إلى حدود القرن (16 ). فقد ذكر عبد الرحمان الفاسي، في ترجمة الشيخ محمد سقين القصري، وهو من أهل هذا القرن، أنه خرج في إحدى المرات إلى ضريح مولاي بوسلهام "فبينما هو عند الروضة، إذا بالنصارى قد نزلوا من البحر في تلك المرساة".

المصطفى البوعناني، *مساهمة في دراسة تاريخ منطقة الغرب*، مرقونة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1423 / 2002.

المصطفى البوعناني

**المُرْسي** ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Morzi ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Murciano نسبة إلى مدينة مرسية Murcia ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**مرسي، بركات** موسيقى وملحن مصري وعازف بارع على آلة القانون. قدم إلى المغرب سنة 1906 على رأس جوق موسيقى بدعوة من السلطان العلوي المولى عبد العزيز.

وبعد إقامة قصيرة بالمغرب سافر إلى ليبيا، فمكث بها حتى سنة 1908 ، ثم يَمَّمَ شطر تونس، فمكث بها فترة قصيرة عاد بعدها إلى المغرب، واستقر بمراكش حيث أقام فندقا سياحيا كان يستقبل فيه زوار المدينة ؛ ومن بين من استضافهم بفندقه فرقة نجيب الريحاني المسرحية التي حلت بمراكش في ربيع 1932، وضمن أعضائها فنانون ومطربون من بينهم المطرب حسن بنان وعازف الكمان داوود.

في سنة 1938 دُعي مرسي بركات إلى القصر الملكي بالرباط وعهد إليه الإشراف على مجموعة من الفنانين المغاربة ممن كانوا يهوون الموسيقى الشرقية ويمارسونها.

وحول مرسي بركات التأمت ثلة من الشباب من بينهم

أحمد البيضاوي، ومحمد اسميرس، وعبد الحق الطالبي، وعباس الخياطي، والحسين بن المكي، ومحمد القري، والمكي افريفرا ؛ وكان هؤلاء يتلقون عن مرسي بركات أصول الموسيق الشرقية، ويتمرنون على عزف التقاسيم والمشارف والسماعيات، وحفظ الأدوار والطقاطيق والموشحات. وما فتئ أن كون منهم جوقا حديثا شكلت ممارساته الفنية المنطلق الأول لما سيطلق عليه "الموسيقى المغربية العصرية". وكان هذا الجوق في البداية أشبه بالتخت المصري، قوامُه آلات العود والكمان والقانون والدربوكة وصوت المغني.

لقد لعب مرسي بركات دوراً رائداً في إرساء أسس "الموسيقى العصرية" بالمغرب، فعلى امتداد تسعة أعوام قضاها برحاب القصر الملكي في تلقين قواعد الموسيقى الشرقية وتدريس قوالبها الآلية واللحنية ونشر تقاليد التخت المصري تأتّى له أن يخلق جيلا جديداً من الموسيقيين المغاربة، وأن يؤسس لنمط مبتكر في التأليف والغناء.

توفي المترجم عام 1947.

صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، فضالة، 1977، ص. 182 ؛ عبد الله شقرون، *فجر المسرح العربي بالمغرب*، منشورات اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 1988، ص. 107 ؛ ع. بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2، 2000، ص. 315_316.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**مرسيل، أحمد** من أهل التعديل والتنجيم بالرباط وكان موقت الجامع الأعظم بتاريخ 1230.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 37.

**مرسيل،** (الحاج -) **بناصر**، مرسيل أسرة أندلسية رباطية والحاج بناصر من أقدم من برز فيها إلى جانب الآتية أسماؤهم. كانت مهنته رئيساً بحرياً، وقد أورد ابن زيدان ظهيراً رحمانياً بخصوصه كان عبارة عن جواز يسمح له ارتياد بعض السواحل الأوربية والبلد المعني هو جنوة بإيطاليا وذلك في 5 يوليوز 1829.

ع. الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 5، ص. 152 _ 153.

**مرسيل، الطيب** ورد اسمه في عداد أمناء السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان 1859 _ 1873 في الوثائق المخزنية. عين أمينا لمرسى الرباط سنة 1277 / 1860 _ 61 ويرجح أنه المؤقت المشهور.

توفي سنة 1294 / 1877.

دينية، *مجالس*، ص. 288 ؛ *دورية الوثائق الملكية*، ج 2، ص. 387 ؛ الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 193.

**مرسيل، علي** موقت المسجد الأعظم مثل أبيه. أخذ شيئا من التوقيت عن الشيخ إبراهيم التادلي كما أخذ عنه الهيئة والتعديل. استخدم عدلاً بمرسى الرباط مرات عديدة ثم أميناً من أمنائها. تاريخ وفاته فيه خلاف فبينما يجعله بوجندار هو 15 رجب 1325 يرجئه دينية إلى 14 رجب 1326 أي بفارق سنة كاملة مما يحمل على الاعتقاد أن خطأ أحدهما يكمن في النقل فقط.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 446 ؛ دينية، *مجالس*، ص. 288.

**مرسيل، محمد** كان أمين مستفاد مكناس في عهد السلطان مولاي الحسن 1873 _ 1894.

توفي سنة 1306 / 1888.

وثائق بركاش، ظهير مؤرخ في 3 محرم 1306 ؛ الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 225.

عبد الإله الفاسي

**مَرْسِينَة** ويكتب مرصينة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Marcen ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Maracena ؛ وهو اسم قرية مرسانة التي كانت بأحواز غرناطة المسلمة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1183 / 1770.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**المرشيشي، قدور** بن **عبد الله** العليوي الزعري، مجاهد وزعيم من قبيلة أولاد علي من زعير، عينة السلطان مولاي عبد الحفيظ على بعض فرق قبيلة أولاد علي، كان أشد عداء للفرنسيين وما فتئ أن ثار في وجههم مع مجاهدي قبيلته بتاريخ 19 غشت 1911. فهاجروا ديارهم إلى بلدة خنيفرة للانضمام إلى المجاهدين هناك تحت قيادة موحى أوحمو الزياني، وأضيفت قيادة قدور المرشيشي إلى القائد بوعمرو بن رحو الحسوني المزابي.

وكان القائد قدور قد اتفق مع بوعمرو بن رحو المذكور على الفرار إلى أرض زيان، التي كانت لا تزال في حرب مع فرنسا، للانضمام إلى المجاهدين هناك، لكن القائد بوعمرو لم يف بوعده الذي قطعه على نفسه، فتخلف وفرقته الحساسنة، ونزلوا بموضع مدينة الرماني الحالية، وآنذاك عينت السلطات الفرنسية القائد بوعمرو على كافة قبيلة أولاد علي، أي مكان القائد قدور المرشيشي، هذا الأخير نفذ ماوقع الاتفاق عليه والتحق بمجاهدي زيان، ومكث هناك زهاء سنتين، أي إلى حدود سنة 1913، ثم عاد مجاهدو قبيلة أولاد علي إلى مواطنهم، فوجدوا الجيوش الفرنسية مترصدة عودتهم، فألقت القبض على القائد قدور وعدد كبير من مجاهدي القبيلة المذكورة وسجنتهم بمعسكر مرزاگة الموجود بقبيلة النجدة من زعير مدة، ثم أطلقت سراحهم بعد ما غرمتهم عشرين ريالاً للفرد الواحد.

كان القائد قدور المرشيشي يتمتع بنفوذ كبير وسط قبيلته، حاولت السلطات الفرنسية الحامية إضعاف نفوذه وإبعاده عن ذويه، فاقترحت عليه بعد إطلاق سراحه قيادة قبيلة السلامنة من زعير، لكنه أبى ولم يلب رغبتهم ولم يرض بالقيادة تحت ظلهم.

توفي عام 1939.

م. ابن سودة، *قبيلة زعير*، ج 1، الدار البيضاء، 1977 ؛ *رواية شفوية*.

*Rabat et sa région*, tome III, Paris, 1920.

بوعبيد التركي

**مرغاد** (آيت -) ينتمي آيت مرغاد إلى اتحادية آيت يافلمان - ويستقرون في عدد من الجماعات التابعة لإقليمي الراشيدية وورزازات، خاصة على طول وادي غريس وفركلة وأعالي أنهار زيز وتدغة ودادس.

ولا نعرف بالضبط متى استقر آيت مرغاد في هذه المناطق إلا أن المصادر التاريخية تشير إلى الحملات التأديبية التي قام بها السلطان المولى إسماعيل ضد قبائل گروان على يد قائده علي بن يشي القبلي الزموري والتي أدت إلى إجلاء گروان عن زيز فحل محلهم آيت يحي وآيت مرغاد. وجدير بالإشارة أن آيت مرغاد ينقسمون إلى أخماس وإلى ذلك يشير صاحب *نعت الغطريس* بقوله :

"... ذكر بني مرغاد، وربما تشوف النفس إلى بيان مافيهم من القبائل والأفخاذ، فأقول بنو مرغاد لهم الذكر الحسن. والثناء الجميل المستحسن وهم معروفون بالشجاعة ولا يخرجون عن خدمة الأمراء والطاعة، ويحكمون في جل أمورهم شرائع الأحكام ... ثم إن مرغاد شعب وتحته القبائل وتحت القبائل العمائر وتحت العمائر البطون، وتحت البطون الأفخاذ وتحت الأفخاذ الفصائل - وتحت الفصائل العشائر وكل واحدة تدخل فيما قبلها".

وينقسم آيت مرغاد إلى خمسة أقسام وهي على التوالي :

1 - آيت عمرو بن منصور 2 - آيت محمد 3 - آيت كراط إغسان 4 - آيت أيوب 5 - إربيبن.

وكل قسم يتفرع إلى قبائل والقبائل إلى عمائر إلى أن تصل إلى العشائر :

1 - آيت عمرو بن منصور : وهم أقسام منهم : آيت الطالب، آيت هرو - آيت بولمان - آيت حمي - آيت إبراهيم - وهؤلاء كلهم يقال لهم آيت عمرو بن منصور.

2 - آيت كراط إغسان : ومعناه الأعظم الثلاثة وهم أقسام أيضا وهم آيت عمرو گاحي - آيت ألغوم ومعناه أهل الجمل - وآيت عيسى إزم - ومعناه الأسد.

3 - آيت محمد (بفتح الميم) وهم أقسام أيضاً منهم آيت سليمان آيت عطوش، آيت أمرگول - آيت واشو - آيت بويزم - آيت حدو بن حسين - آيت يشوا بن حدو.

فهذه القبائل آيت عمرو بن منصور بأجمعهم وآيت محمد بأجمعهم - آيت كراط إغسان بأجمعهم كذلك يقال لهم من بين مرغاد آيت مسري، ولا يطلق هذا الاسم إلا عليهم فقط.

4 - آيت أيوب وهم أقسام منهم : آيت علي بن عيسى - آيت الخنسيس - آيت تفقرتوهم منسوبون إلى أمهم فقيرة صالحة بنوا عليها قبة وهي تزار في وادي إمطغاس في الجبل - آيت القاسم - آيت علي وعيسى نگناو.

5 - إربيبن : وهم أقسام : آيت عمر بن عيسى - آيت امحمد بن مرغاد - آيت سعيد بن يكو - آيت عبد السلام.

وكان آيت مرغاد عبارة عن رحل ونصف رحل - إذ استقروا في واحات زيز - وغريس وفركلة وفي امطغاس وسمرير . وقد نشبت بينهم وبين آيت عطا معارك حول المراعي مثل معركة تيلوين في فركلة سنة 1882 ومع ذلك فقد توحدت كلمة آيت عطا وآيت مرغاد لمواجهة الاستعمار الفرنسي، وقد انضم آيت مرغاد إلى مقاومة عسو وبسلام بصاغرو. كما ساند آيت عطا مقاومة "زايد اوحماد" وهو مرغادي وقتل على يد الاستعمار في قصر تادفالت وسط آيت عطا بتدغة السفلى.

المهدي الناصري، *نعت الغطريس القسيس هيان بن بيان المنتمي إلى سوس*، مخطوط.

David M. Hart, Les institutions des Aït Morhrad et Aït Haddidou, in *Actes du Durham, BESM, Rabat, 1978, p. 57*; Capitaine Henry, Aït Morghad *Assul et Amdghouss*, Fiche des tribus de la haute vallée du Gheris, 1933.

عبد القادر بوراس

**المرغيثي، محمد** بن **سعيد السوسي** المرغيثي نسبا، السوسي أصلا ومنشأ، المراكشي دارا ومدفنا. كنيته أبو عبد الله.

وقد اختلف المؤرخون في ضبط اسم القرية التي ينتسب إليها، فهو من مرغيثة مداشر في عدد الاخصاص بسوس، وبالميم المفتوحة، فراء مهملة ساكنة، فغين معجمة مكسورة. وهو نفس الشكل الذي جاء عند القادري بدون ياء، أي : المرغيثي، مؤكدا أنه رآها بالياء قبل الراء بخط المهدي الفاسي.

وقد وضع محمد المختار السوسي - المتخصص في ثقافة سوس وأعلامها - حدا للاختلاف بضبط اسم القرية كما ينطقه سكانها وهو (ميرغت) قرية من قرى الاخصاص تبعد عن تيزنيت بنحو 15 كلمترا، بكسر الميم وسكون الراء والغين معا.

اتفقت المصادر على أن المرغيثي ولد سنة 1007 / 1598 واختلفت في تحديد مكان مولده، فلم يشر إليه أصحاب : *الصفوة والنشر*، والزركلي في الأعلام وابن المؤقت في *السعادة الأبدية*.

وقال محمد المختار السوسي بأنه : من الكتاب السوسيين مولدا ونشأة وقال : وحين نشأ في سوس قبل أن

يذهب إلى الحواضر فلابد أن يأخذ عن بعض السوسيين. وأنه حين علا شأنه في مراكش جاء إليه أهله فاسترجعوه إلى بلدهم لأنهم أولى بعلومه.

والمؤكد أنه ولد ببلاده سوس، إذ المتفق عليه أنه دخل مدينة مراكش وهو على قدر معين من العلم واستكمل بها دراسته على شيوخها. قرأ ببلاده على كثيرين ذكر منهم صاحب (*المعسول*، 10 : 201) : عبد الرحمن التمنارتي وأبا مهدي عيسى السكتاني.

ثم رحل إلى مدينة مراكش وأخذ على كبار شيوخها وعلمائها، وهم : أبو عبد الله محمد بن علي بن طاهر : أخذ عنه الحديث رواية ودراسة وأبو عبد الله محمد بن يوسف التاملي (ت. 1048 / 1638) : أخذ عنه علوم القرآن واللغة والأدب وأبو بكر بن يوسف السكتاني (ت. 1063 / 1652) أخذ عنه بمسجد باب دكالة.

وعندما ظهر أمره بمراكش وذاع صيته جاء أهله من سوس لاسترجاعه إلى بلدهم للاستفادة من علمه، إلا أن معاملتهم له كانت تتسم بالجفاء، مما جعله يقرر العودة إلى مراكش من جديد قائلا جملته المشهورة (يا مراكش يا كبدي أما في مرغت فاين كاغدك يا ابن عدي) يعني أنهم كانو يلقبونه ابن عدي لا ابن سعيد.

وكانت له جولة كبيرة في المغرب زار فيها بعض المناطق وأخذ على علمائها، فقد أخذ بتافلالت على : الشريف أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر *مختصر الشيخ خليل* بواسطة سند معروف. وزار جبال غمارة وبها أخذ عن أبي إسحاق إبراهيم الكلالي المزياني.

وكان أول أمره يقرض الشعر، ويعاني صنعة الإنشاء، واستكتبه بعض أمراء الدولة السعدية مدة.

كان المرغيثي على قدر من الورع التام والدين المتين، محترما معظما عند الخاصة والعامة، لهم فيه اعتقاد عظيم، وكانت له محبة كاملة في أهل البيت شديد التعظيم لهم. وقال عنه تلميذه محمد المعطي بن عبد الخالق الشرقي في (ثبته) كان متبعا للسنة مجتنبا للبدعة ؛ منفرا عنها غاية التنفير. ولقد رأيته يغلبه الوجد في بعض الأحيان من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، فيتلذذ بذكره ويطرب عند سماع اسمه.

وقد انعكس ذلك على حياته اليومية بما عرف عنه من صيام وقيام ومجاهدات في بيت ضيق بمدرسة جامع الكتبيين الذي مكث فيه خمس عشرة سنة يعبد الله تعالى.

ونقل أحمد بن عبد الحي الحلبي الشافعي في *شرحه على مناجاة الشيخ* عبد الله البرناوي، صورة عن استغراق المرغيثي في الذكر كل صباح قائلا : (إنه كان يعبد الله بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس بالفكرة، فو الله لكنت أجلس أمامه وقبالة وجهه، ولم أر منه شعرة تتحرك أبدا ولا طرفه، وكنت أنظر إلى حذقته ساكنة حتى كأنه ميت، ولو فرض أن الأرض انقلبت بما فيها والسماء سقطت على الأرض لم تتحرك منه شعرة حتى تطلع الشمس، فيتحرك حينئذ، ويكلمني ويبدأ بالكلام فعرفت ذلك منه ولازمته) وقد لاحظ عنه ذلك خلال عام 1080 / 1669 بكامله.

ولعل هذا الاستغراق في الذكر هو الذي جعله يؤخر صلاة الصبح بالناس إلى الاصفرار، وإن كان فسر لمنتقديه تصرفه برفقه بالضعفاء الذين تفوتهم الجماعة في مسجد التغليس.

ولعل المكانة التي أدركها بمراكش بسبب تدينه وزهده وعبادته هي التي جعلت الناس يعتقدون أنه كانت له إخبارات ومكاشفات، وأنهم قصدوه بالزيارة والتبرك، كما ذهبوا إلى أنه كان يكتب حروفا في جبهته يدخل بها على أهل الوقت فيستجيبون لمطالبه.

وكان مكثرا من إقراء *الكتب الستة*، *والشفا* إضافة إلى شرح الكبرى، للسنوسي والفقه والطب والأدب، وكذا التصوف، وقد أخذ عنه بمراكش عدد لا يحصى من الطلبة، منهم :

محمد المعطي بن عبد الخالق الشرقي الذي ذكر ذلك في ثبته *الموائد السنية* . وأحمد بن عبد الحي الحلبي الشافعي قال : أخذت عنه عدة علوم وأجازني في أربعة عشر علما من العلوم الظاهرة الإسلامية.

كما أجاز الفقيه محمد بن الخطيب عبد الرحمن بن محمد التلمساني الروداني إجازة عامة في جميع كتب الحديث وعلومه المشتملة عليها فهرسة الإمام ابن غازي، وجميع العلوم الشرعية والمصافحة بأسانيدها، والخرقة الصوفية بأسانيدها، وذلك سنة 1074 / 1663 . وإبراهيم بن حسن الكوراني المدني، حدث عنه بحديث الأولية، كتب به اليه من مراكش سنة 1075 / 1664 عن الشريف أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني. وسعيد العميري : أخذ عنه شمائل الترمذي، كما أخبر بذلك ولده أبو القاسم في فهرسته. وإبرهيم االسوسي ومحمد البوفراني : كان يذكره ويحاضر باسمه في المجالس ويروى عنه وقائع غريبة (هو وإبراهيم السوسي السابق الذكر).

وقد اضطرته الفتنة التي عرفتها مدينة مراكش سنة 1051 / 1641 أن يسافر إلى درعة والزاوية الدلائية. قبل أن يعود من جديد إلى مراكش، وقد أخذ عنه بهذه المنطقة : أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1101 / 1689) لفقيه بالزاوية الدلائية وجالسه مرارا وصافحه عن شيخه أبي محمد عبد الله بن طاهر الحسني ... بسنده إلى أنس بن مالك. ومحمد بن ناصر الدرعي والحسن بن ناصر الدرعي، وكتب له ولأخيه السابق الذكر اجازة مفصلة (الاعلام، 3 : 203 ومابعدها) : سماها المختار السوسي (بفهرسته الصغرى)، وسماها غيره (الثبت الصغير).

اشتهر المرغيثي بتفوقه في التوقيت من خلال بعض منظوماته في هذا العلم وشروحها، كما اشتهر في مجالات علمية أخرى كالفقه واللغة والأدب وقد ذكر له مترجموه المؤلفات التالية :

المقنع في علم التوقيت وشهور العام، وأيام السنين العربية والعجمية : 99 بيتا توجد منه نسخ مخطوطة عديدة في الخزانة العامة بالرباط منها رقم 65 ك ضمن مجموع من الورقة 217 ب إلى 219 ب. المقنع في علم أبي مقرع لخص فيه منظومة أبي مقرع محمد بن علي البطوي المتوفى سنة 731 / 1331 توجد منه مخطوطات بالخزانة العامة بالرباط 1299 د 1411 د 1531 د 1532 د والخزانة الحسنية 8410 و9277 و6751 و8850 و9264 و4151. وطبع بالمطبعة الحجرية المصرية عام 1324 . الممتع في شرح المقنع : وهو الشرح المفصل له. مخطوطات الخزانة الحسنية : 12.472 و9023 و12.259 ... ومخطوطات الخزانة العامة بالرباط رقم 1074 د و1467 و1673 د. ومخطوطة مكتبة عبد الله گنون رقم : 10.535 ضمن مجموع. المطلع على مسالك المقنع : وهو الشرح المختصر للمقنع، توجد منه نسخ مخطوطة كثيرة بالخزانة الحسنية 5320 - 6514 - 6922 - 6258 ... وبالخزانة العامة بالرباط 1425 د - 1531. وبدار الكتب الظاهرية 7535 و5282. ونسخة مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء رقم 174 / 1 . اعتمد فيه على قواعد أخذها عن شيخه أحمد الولتي. منظومة الحيسوب في علم التوقيت بالجيوب : منظومة في الربع المجيب، تقع في 109 بيت، اختصر فيها ما ألفه الماريدني في الربع المجيب. مخطوطة الخزانة الحسنية رقم 127 ضمن مجموع، وخزانة عبد الله گنون رقم 10.413 ضمن مجموع. منظومة في بعض أحكام المخمس خالي الوسط : مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 1531 د.

وقد علق عليها تلميذه محمد بن أحمد الشاطبي في تأليفه : الدر الملتقط في المخمس خالي الوسط، مخطوط الخزانة العامة رقم 1374 د - 1554 د. شرح منظومة على الوقف المخمس الخالي الوسط : شرح فيه المنظومة السابقة الذكر. مخطوطة الخزانة الحسنية رقم 2394 ضمن مجموع. فهرس العوائد المزرية بالموائد : ذكر فيها أشياخه، مع كثير من الاستطرادات المتنوعة في الأدب والأخبار والحكم والفتاوى الفقهية، مخطوطة الخزانة الحسنية رقم : 1907 و10842 . الفهرسة الصغرى أو الثبت الصغير : أجاز به الشيخ محمد بن ناصر واخاه الحسين بن ناصر. ساقه بنصه صاحب (فتح الملك الناصر في مرويات بني ناصر) ونقله عنه صاحب (*الاعلام*، 3 : 203 - 210).

اجازته للإمام أبي علي الحسن اليوسي : وردت في (فهرسته) المخطوطة بالخزانة العامة رقم 1234 ك. شعر المرغيثي : كان في ابتداء أمره يقرض الشعر ويعاني صنعة الانشاء. وردت أشعاره في المصادر المترجمة له. وقد سجل أغلبها محمد المختار السوسي في (المعسول، 10 : 202) نقلا عن (كناشة) سلمه له محمد المنوني، وهي في المدح والاستعطاف والرثاء والشوق إلى الديار المقدسة والاعتذار. مجموع أبياتها حوالي 350 بيتا. مراسلات شعرية : مع الشيخ أبي زيد عبد الرحمن التمنارتي، وردت في صحبة رجال رجراجة المشاهير خلافا لما كتبه علماء فاس بزعامة محمد بن عبد القادر الفاسي لا بالصحبة لهم، وأنه لم يدخل أحد من الصحابة للمغرب. الإشارة الناصحة لمن طلب الولاية بالنية الصالحة : رسالة تتضمن نصائح ومواعظ لأصحاب الولايات تبرر فساد الزمان وأهله، مخطوط الخزانة الحسنية رقم 5708. جواب طويل عن تصريف أسماء الله في الأمور الدنيوية.

كتاب في المناسك، المستعان في أحكام الآذان، مختصر اليعمري في السير : نظمه ولده نظما حسنا ، منظومة في التصوف، قصيدة في علم الجدول، وثيقة في آل يهدى ويعزى: نسبها له محمد السوسي، المفيد في شرح أرجوزة ابن سعيد، حواش على الألفية، شرح أرجوزة في طريق الكيمياء: وهو نظم في 12 بيتا ، شرحها المرغيثي وتوجد مخطوطة بالخزانة الحسنية أرقام : 7568 - 10389 - 10846. وشرحت نفس الأرجوزة من طرف محمد بن يعقوب بن محمد السوسي التملي، مخطوطة الخزانة الحسنية رقم 565. منظومة في أكل الدجاج.

وخلف ولدين هما يحيى ومحمد، وهما مراكشيان مولدا ومنشأ وتعلما ، وقد نبغ ابنه محمد وسار على سنن أبيه في العلم والصلاح والفضل، وتوفي بمراكش في العشرة الأخيرة من المائة الأولى بعد الألف، ودفن بحومة رياض العروس.

توفي المرغيثي بالطاعون سنة 1089 / 1678 ودفن بالقرب من ضريح شيخه أبي بكر السجتاني بباب أغمات.

عباس المراكشي، *الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام*، تح. عبد الوهاب بنمنصور، 1974 - 1983 ؛ محمد أمين المحبي، *خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر*، القاهرة، 1284 / 1867 ؛ محمد بن محمد بن عبد الله المراكشي المعروف بابن المؤقت، *السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية*، 1335، مراكش، 2002 في جزءين ؛ محمد الإفراني، *صفوة ما انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر*، فاس ؛ محمد الحجوي، *الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي*، القاهرة، ط 2، 1396 ؛ عبد الحي الكتاني، *فهرس الفهارس والاثبات*، تح. إحسان عباس، لبنان، 1982 ؛ ع. الرحمن التمنارتي، *الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة*، تح. اليزيد الراضي، الدار البيضاء ؛ أحمد بن يعقوب الولالي، *مباحث الأنوار في أخبار الأخيار*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 2305 ك ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1961 ؛ محمد القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط، 1977.

حسن جلاب

**المركطاني** (سيدي -) **هاشم** كان يحضر مع الوزير محمد بن الحسن الحجوي المجلس العلمي للشيخ أبي العباس أحمد بن الخياط الزكاري في التفسير والحديث وغيره من مجالس المذاكرة والمناظرة، وهو حسن السمت، مشهور الفضل، خاشع الذكر، مقصود البركة، عارف ماهر بفن التصوف النظري على طريقة أهل الأذواق الإشراقية، يستحضر الفتوحات المكية لمحيي الدين بن العربي وغيرها ،

ويخوض بحارها خوض دارس باحث، بالإضافة إلى ذلك فهو مقبل على ما يعنيه، تارك ما لا يعنيه، جامع لشتى المناقب.
وقد ذكر الفقيه محمد الصبيحي باشا سلا سابقا أن المترجم قال له - ذات مرة - عن محمد بن عبد الكبير الكتان : "أنه فتحت له كوة صغيرة من نور المعرفة، فلم يصطبر عليها، وباح بالسر فقتل، وهذا على منهج القوم".
دفن في زاوية الصقليين بباب عجيسة دون الإشارة إلى تاريخ وفاته في المصدر الوحيد الذي ترجم له.

م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس*، ج. 1، ص. 214 ؛ فهرسة محمد الحجوي، *مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم التقى*، ص. 49 ؛ محمد بوخبزة، *معجم تفاسير القرآن الكريم*، ج. 2، ص. 343 ؛ محمد حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، ج. 7، ص. 2523.

عبد الرحمن القباج

**مركوس** Marcus من أهل وليلي، ورد ذكره في نقيشة لاتينية تم العثور عليها في هذه المدينة، وهي تشيد بدوره في قيادة سكان المدينة وهم يتصدون لأيدمون Aedemon الذي تزعم ثورة ضد التدخل الروماني، بعد اغتيال الملك الموري بطليموس Ptolemaeus ابن الملك يوبا الثاني Iuba.

وقد اتضح من خلال النقيشة أن مركوس هو من بين الموريين الذين حصلوا على المواطنة الرومانية، منذ بداية السيطرة الرومانية على موريطانية. واسمه الكامل هو Marcus Valerius Severus . بينما لا نعرف اسمه قبل أن يتمتع بالمواطنة الرومانية. لكننا نعرف أنه كان يشغل منصب الشوفيط بوليلي قبل ذلك. كما نعلم أن والده كان يدعى بوسطار Bostar وهو اسم مشهور في العالم البوني.
وقد سبق أن لفت نظرنا اسم مرگو، الذي يطلق على عين وواد في منطقة بني وراين بدوار تلاجدوت من جماعة مغراوة بإقليم تازة. فتساءلنا عما إذا كان اسم مرگو الحالي، يخلد ذكرى مركوس الذي ينتمي لمدينة وليلي. وناقشنا هذه المسألة في ضوء ما يحتفظ به بنو وراين حتى الآن من تأثيرات رومانية، نرجح أنهم ورثوها عن أجدادهم الذين كانوا يدعون باسم بنيور Baniurae. كما سبق أن وقفنا على علاقة هؤلاء القوم في المغرب القديم بالقائد الروماني أكتافيوس Octavius ، الذي تحالف معهم لضمان أمن المستوطنة الرومانية التي أنشأها في مدينة بناسة Banasa، حيث تم العثور على قطعة من الخزف نقش عليها اسم بنيور. وهكذا رجحنا أن مركوس ينتمي لهذا القوم، مما جعله يقف إلى جانب الرومان في مواجهة الثائر أيدمون Aedemon.

م. مقدون، *ثورة أيمون* ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، مرقونة، 1984 ؛ م. مجدوب، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1990، مرقونة.

M. Euzennat et J. Marion, *Inscriptions antiques du Maroc 2*, Inscriptions latines, Paris, 1982 ; M. Majdoub, Octavius et la Maurétanie, dans *Africa Romana, 13, 1725-37* ; Note sur les rapports entre les Baniurae et les Romains, dans *Africa Romana*, 15, sous presse.

محمد مجدوب

**المرگولة** ، إناء من طين مفلطح في الوسط ومضغوط في أسفل، يستعمل لحفظ الحليب واحتواء اللبن بعد مخضه، خاصة خلال تفريقه على آكلي العصيدة المسماة "دشيشة أو تشيشة" ؛ وتكون من طحين الذرة الغليظ أو الشعير أيضاً "بلبولة" ؛ وللمرگولة مقبض في خلف للتحكم فيها، ومخرج يسمى سيالة وهو في الأمام، ومنه يتم صب السوائل مما ذكر، وأشباهها كالعسل والزيت والسمن المذاب. ولأهميتها في الحياة فهذه الآنية لم يكن يخلو منها بيت مغربي غالباً، خاصة في البوادي ؛ وهي أيضاً تصلح لإيصال الغذاء للرعاة والحراثين، وصنعها كان يتم من طرف صناع الفخار المنبثين في كل مكان، وفيها أحجام بين الكبير والصغير.

الحسن شوقي

**المرنيسي، أحمد** بن **محمد** بن علي الفاسي ينحدر من قبيلة مرنيسة بحوض ورغة (شمال فاس)، نحوي وفقيه.
وأحد علماء مدينة فاس البارزين ومن الذين أجابوا عن استشارة السلطان محمد بن عبد الرحمان بشأن إسهام المغاربة في تكاليف الغرامة المترتبة عن حرب تطوان ضد إسبانيا (59 / 1860)، والتي بلغت عشرين مليون من الريال الإسباني. وقد جاءت جل الردود بالموافقة المشروطة، ومنها جواب المرنيسي الذي عالج كذلك مسألة نظام العسكر وكيفيته والأدلة على ذلك. وقد أثبت هذا التأليف محمد داود ضمن *تاريخ تطوان* إلى جانب الأجوبة الأخرى. وللمرنيسي "*تقييد في إنكار الرقص والطار والشبابة على مستعمليها* "، ألفه بإيعاز من الشيخ الحاج أحمد بن عبد المومن الغماري التجكاني، وهو من المؤلفات التي تدخل في باب مناهضة البدع، حيث تناول فيه الذكر وما يرتبط به، إذ حظر الرقص والطار والشبابة على المشتغلين بالذكر. وقد تتلمذ عليه عدد من شيوخ فاس لاحقا أبرزهم الداعية السلفي محمد بن الحاج المدني گنون.
توفي المرنيسي بمدينة فاس في 13 صفر 1277 الموافق لـ31 غشت 1860.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. ح. فاس، 1316 / 1898، ج 3، 259 ؛ ع. بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط 2، 1965، ج 2، ص. 447 ؛ ليڤي بروفنصال، *مؤرخو الشرفا* ، الرباط، 1977، ص. 266 ؛ محمد المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1985، ج ص. 335 ؛ *المصادر العربية لتاريخ المغرب* ، كلية الآداب، الرباط، 1989، ج 2، ص. 139 - 153.

أحمد المكاوي

**المرنيسيون البويلمانيون في الريف** : هم المنتمون إلى أبي يلمان بن محمد بن إسماعيل بن علي بن عبد العزيز

بن سلام بن خليفة بن هاشم بن مزوار بن محمد الشمس بن هلال بن عمران بن يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب. وهو جد البويلمانيين الذين أخرجوا من فاس زمن موسى بن أبي العافية كما يؤكد ذلك ناسخ النسب السيد أحمد بن إدريس الحسني العلامي الورياغلي، فاستقر بعضهم بقبائل رأس ورغة، وهم المنتمون إلى قبيلة مرنيسة الواقعة بين جزناية وفاس، منهم الولي الصالح سيدي علي بن داود الكائن ضريحه هناك، بينما اتجهت فرقة أخرى إلى الصحراء وثالثة إلى سوس.

نزح منهم الفقيه الحاج عبد السلام بن عمر حمامو المرنيسي من مسقط رأسه بمرنيسة إلى الريف مع شقيقه الفقيه محمد المرنيسي في مطلع القرن الماضي، حيث لازما مسجدي "إبرذاعاً" و"حنيف" الكائنين بميضار الأعلى ببني توزين، غرب مدينة الناضور بثمانين كيلومتراً. وبعد وفاة أخيه المذكور سنة 1915 ، تزوج السيد الحاج عبد السلام أرملته ليكفل أبناءهما الصغار. وهي شقيقة العلامة سيدي الحاج محمد التوزاني الواردة ترجمته بحرف التاء من هذه المعلمة.

كان الحاج عبد السلام وشقيقه محمد وابنه السيد بلحاج من أقطاب القرية الصوفية العالمة "كدية أومليل" في نشر المعرفة والأخلاق الحميدة. توفي الفقيه محمد المرنيسي سنة 1915 ، وتوفي شقيقه الفقيه الحاج عبد السلام المرنيسي سنة 1946 ، توفي نجل هذا الأخير السيد بلحاج المرنيسي سنة 1969.

عبد الله عاصم

**مريدة** (ابن -) **محمد المكي** فقيه وقاضي مراكش، كان إماماً بها بسيدي أبي العباس السبتي، يضرب به وبأسرته المثل في الفقه والعلم والدين والجلالة والوقار، حتى سارت بذكره الركبان، وأسكت به الأطفال وتحدثت المجالس بألمعيته ؛ وقد كان من أشياخ السلطان المولى سليمان ؛ وكان أخوه الفاضل ابن مريدة قاضياً بمراكش وقته، وهو والد الفقيه العالم علي بن مريدة ؛ ولمحمد هذا تأليف سماه *"الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة"* ، في مجلد واحد، ألفه إثر إصدار المولى سليمان، رسالته التي استنكر فيها بدع الوقت، فأراد بذلك هذا العالم أن يكتب بعض ما ظهر له، مما سطره علماء سابقون في هذا المجال، امتثالا لأمر السلطان، وسيرة في نهجه السلفي الإصلاحي ؛ ولو شاية أو غرت صدر السلطان عليه، فقد نقله إلى فاس منفياً، وبقى هناك بالحاضرة العلمية.

توفي عام 1234 / 1818.

الحسن شوقي، *قبيلة السراغنة خلال القرن التاسع عشر*، ج 2، مرقون، الرباط، 1990، ص. 589 ؛ م. ابن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس*، ج 3، ص. 234 ؛ العباس المراكشي، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام*، الرباط، 1977، ج 6، ص. 187.

الحسن شوقي

**المُرير، محمد** بن **أحمد** قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته مطالسة انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي امحمد أمزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور وقد شارك في عدة معارك إلى أن استشهد الشريف أمزيان في معركة عزيب علال وقدور التي جرت م 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912).

*أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي*، (1909 ـ 1912)، تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

**المُرير، محمد** بن **محمد** التطواني. ولد بتطوان عام 1304 / 1887. والموطن الأصلي لأجداده هو قرية أوشتام من قبيلة بني سعيد الغمارية القريبة من تطوان التي كانت بها أراض تنسب من قديم إلى هذه الأسرة التي انقرضت من هناك، ويطلق عليها اسم (إمُرِرْنْ). انتقلوا إلى تطوان في تاريخ غير محدد إلا أنه قديم نظراً لمصاهرتهم مع أسر أندلسية انقرضت.

ذكر المترجم في الجزء الأول من فهرسته *"النعيم المقيم"* أن النسابة مولاي الحسين ابن ريسون كثيراً ما كان يقول له في ملإ من الناس مالك أهملت نسبك وأنتم شرفاء. وكتب له مراراً بخط يده يحضه على التصريح بالنسبة، فكان المترجم يجيبه بأنه يكفيه أن يكون مسلماً والعلم عند الله بالحقيقة.

درس بتطوان على شيخ الجماعة محمد البقالي، والفقيه أحمد الزواقي ومحمد ابن الآبار، وأحمد الرهوني، وأحمد العمراني. ثم توجه إلى فاس بإشارة شيخه الرهوني، فأخذ عن الشيوخ أحمد ابن الخياط وأحمد ابن الجيلالي وعبد الرحمن ابن القرشي ومحمد بن جعفر الكتاني وغيرهم.

وبعد رجوعه إلى تطوان عمل كاتباً للصدر الأعظم ابن عزوز ثم قاضياً بالقصر الكبير فأصيلة فتطوان ثم عين رئيساً

للمحكمة العليا للاستيناف الشرعي، وفي نفس الوقت كان يقوم بالتدريس والتأليف.

ومن مؤلفاته :

كتاب *الأبحاث السامية في تاريخ المحاكم الإسلامية*، طبع سنة 1951. في جزأين، و*النعيم المقيم في ذكرى مدارس العلم ومجالس التعليم* (فهرس أشياخه) في 7 أجزاء.

توفي بتطوان عصر يوم الاثنين 15 محرم عام 1398 / 26 . 12 . 1977 ، ودفن بزاوية سيدي يوسف حنصل من حومة جامع القصبة.

*وثائق عائلية.*

أحمد بن محمد المرير

**مريقة، محمد** بن **العربي** من مشهوري المسمعين بمدينة مكناس. بدأ حياته الفنية كواحد من رواد الزاوية العلمية يأخذ عن شيوخها من أصحاب السماع، فأتقن الإنشاد وأجاد حفظ المدائح. ولما انطلقت دروس الموسيقى الأندلسية بدار الجامعي سنة 1932 كان من أوائل من التحق بها، فأخذ عن المعلم محمد دادي، وعزوز بناني، وبذلك اجتمع لديه الفنان معا : السماع والآلة.

ولتفانيه في خدمة الزاوية العلمية فقد أسندت إليه مهمة العناية بمستودع ممتلكاتها، كما عهدت إليه وظيفة "صاحب السلام" يؤديه في صومعة الزاوية قبل آذان الصبح من كل يوم.

توفي بمكناس.

ع. بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2، ص. 245، الدار البيضاء، 2000.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**مرينو، عبّاس** كان محتسبا بالرباط في حدود سنة 1792 أي إبان الفتنة التي عمت البلاد بعد وفاة مولاي يزيد. وكان أهل الرباط وأهل سلا قد انقسموا حول مناصرة الأمراء، فكان في الرباط فريق أراد بيعة مولاي سليمان بينما مال فريق آخر لبيعة مولاي هشام تزعمه المحتسب عباس مرينو الذي كان يتبعه حي الكزا مؤيداً بأحد أعيانه هو المكي فرج، وتلقى مرينو مساعدة عسكرية من طرف مولاي سلامة الذي مال إليه وقتا ما لكن رجحان كفة مولاي سليمان الذي بايعته فاس جعل حدا للفتنة بمقتل المحتسب والمكي فرج سنة 1822.

الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 32.

**مُرينو،** (الحاج -) **عبد القادر** كان قائد القصبة التي استقر فيها الأندلسيون المهاجرون من الأندلس بعد صدور قرار طردهم منها من طرف الملك الإسباني فيليب الثالث سنة 1609. وبعد مرور جيلين أصبح الحاج عبد القادر قائداً لها من سنة 1664 إلى 1666 ، ثم أصبح حاكما عاما ابتداء من 1671. وبعد 11 سنة عين قائداً للميناء في عهد مولاي إسماعيل. ويوجد اسمه في لائحة العائلات المغربية التي أوردها مويط، في كتابه الموسوم *أسر السيد مويط في مملكتي فاس ومراكش*. ولقب الحاج عبد القادر مرينو لدى الأوربيين بالأمين العام لبحرية ملك فاس.

الفاسي، *مدينة رباط وأعيانها*، ص. 28.

عبد الإله الفاسي

**مُرينو، عبد القادر** ابن **القاضي** المهدي مرينو الأندلسي الرباطي كان من أفاضل العلماء ومن أماثل الفضلاء وبيته بيت رئاسة وعلم وفضل ومن البيوتات الرباطية الأصل والفصل، وناهيك ببيت أسندت إليه الرئاسة في هذه الخطة الشريفة مرات عديدة وأزمانا مديدة، ومن الفنون التي برّز فيها صاحب الترجمة علم التنجيم والتوقيت والتعديل فقد كان له نزوع كبير وولوع تام بالتقييد في ذلك، وكانت له فيه خزانة كتب من أنفس الخزائن، وهي التي صارت بعد وفاته إلى الفقيه البريبري القاضي، كما ذكر ذلك القاضي الفاضل أبو حامد نقلا عن الفقيه الطاهر ضاكة الرباطي وهو من تلامذة المترجم.

تولى صاحب الترجمة قضاء الرباط واستمر في ولايته إلى أن أعفي يوم الأربعاء 9 شوال عام 1230، فكانت مدة ولايته نحو عشر سنوات، استقضي خلالها أيضاً على سلا، فكان قاضي العدوتين. كانت وفاته تقريباً بعد الأربعين من القرن الثالث بعد الألف.

م. بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

**مُرينو، مَحمد** ابن **القاضي** السابق الذكر مُحمد بن محمد بن أحمد مرينو الأندلسي الرباطي، كان من خاصة الفقهاء وأخص الوجهاء مقتفيا أثر والده في التحلي بحلية الفضلاء والنبلاء، أخذ عن ولي نعمته القاضي المذكور وعن عمّه عامل الرباط الأديب أحمد حجي مُرينو وذكره جامع *ديوان شعر* والده محلّى بأوصاف جليلة تسفر عن مكانة سامية في العلم والفضل، أما ترشيحه لمنصب القضاء فقد ألمَّ به مؤرخ الرباط أبو عبد الله الضعيف في *تاريخه للدولة العلوية* فأخبر أن ترشيحه للقضاء كان بأمر عامة الرباطيين وذلك في عشر ربيع الأول عام ستة وخمسين بعد المائة والألف. ولما تعرض الضعيف لذكر دولة مولاي المستضيء قال ما معناه إنه لما امتنع أهل الرباط من مبايعته عينوا المكي بن الشادلي الشرقاوي والياً عليهم وأسندوا إليه أمرهم، فكان من جملة ما فعله أن أخَّر القاضي مَحمداً مرينُو وولى عليهم القاضي مُحمد كراَشكُو الرباطي، وذلك ثالث رجب عام ستة وخمسين ومائة وألف : أما تاريخ وفاته فإن بوجندار يقول إنه لم يقف عليه.

محمد بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

**مُرينو**، (الحاج -) **مُحمد** بن مَحمد بن أحمد، أصله من قرطبة. كان من أكابر العلماء والخطبا، ومن مفاخر الأدباء والشعراء، أخذ عن الشيخ سيدي أحمد بن ناصر الدرعي، سليل الولي الصالح السيد المعطي بن الصالح وقرأ على مشايخ فاس كأبي عبد الله المسناوي وعلى شيخ الرباط في وقته سيدي علي العكاري كما في *فهرسة* حفيده أبي الحسن العكاري، وقد وصفه بالسماح والصدق والاعتناء بأهل العلم وبالفضل والتأدب في أضرحة الصالحين وبالخشوع والخضوع ولين الجانب، وذكر أن له قصائد ومدائح نبوية وعدة موشحات وتلاحين وأزجالا في أغراض شتى من الأغراض الأدبية الخ. يقول بوجندار : هذا ما وقفت عليه بخط قديم من جملته ديوان خاص جمعه بعض أولاده وذيّله بكثير من منثوره ورسائله مع مكاتبات ومحاورات نثرية وشعرية جرت بين المترجم ومعاصره الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوي دفين مكناسة الزيتون، وهي وحدها تدل على فضله لما تضمنته من الإشارات والمغامز الصوفية والحقائق العرفانية الجارية على أسلوب كلام القوم وطريقتهم الربانية.

كانت ولايته أوائل القرن الثاني بعد الألف. وكان لا يزال حياً عام أربعة وأربعين ومائة وألف (1730)، وهو عام رجوعه من الحرمين الشريفين.

م. بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

محمد الشياظمي

**مُرينُو، محمد** (الحاج -) **المسناوي** ابن محمد الأندلسي الرباطي. اشتهر بعلم التوقيت والتنجيم، وهو من تلامذة أحمد الغربي ومن جملة عدول الرباط. كان سنة 1161 موقت المسجد الأعظم بالرباط. كان مولعا بتقييد الحوادث التاريخية فجمع منها الكثير في كتاب رجع إليه الضعيف مراراً في تدوينه *تاريخ الدولة العلوية*، وله مؤلف آخر في *تقدير فرض النفقات* وتقاييد أخرى في الفلك وغيرها. عين عدلا بمرسى الرباط سنة 1174 / 1761.

توفي في ذي الحجة عام 1207 / 1793.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 125 ـ 126 ؛ دينية، *مجالس*، 127.

**مرينو، المعطي** بن **الطيب** كان موقتا أيام السلطان محمد بن عبد الله ومولاي سليمان. كتب في التوقيت كتابا سماه "*إرشاد الحائر*" وآخر في تعديل الكواكب السبعة سماه "*كنز الأسرار*" وثالث في *أبعاد النيرات ورصدها* ثم مطلبا في *المجيب* وتقاييد في *جداول الأطوال والأوفاق*. من أجل تلاميذه في علم الأوفاق وسر الحرف أحمد الرفاعي كما ينقل عنه في شرح نظمه الموضوع في علم رسم الخط.

توفي سنة 1223 / 1808.

عبد الإله الفاسي

**مرينو، المهدي** الأندلسي أصلا الرباطي داراً، كان من العلماء العاملين والفضلاء الكاملين رحل إلى أبي الجعد وبه قرأ العلم، ومن أجل من أخذَ عنهم هناك الولي الصالح السيد المعطي بن صالح وبعد رجوعه للرباط وقعت ثورة به، فكان من جملة الممتحنين الذين ألقي القبض عليهم. بأمر سلطان الوقت، ولما مثل بين يديه اعتذر بأنه رجل من أهل العلم لا ناقة له ولا جمل فيما قبض لأجله، فقبل عذره بعدما أجرى عليه اختباراً فيما يَدّعيه من العلم وامتحنه في مواضع كثيرة من المختصر الخليلي وغيره فأحسن الجواب، وكان ذلك سبب إطلاق سراحه.

أما عن ولايته، فيقول بوجندار إنه وقف على خطابه ببعض الرسوم بتاريخ تسعة وستين ومائة وألف وأن ولايته استمرت حتى عام خمسة وثمانين، ثم بعد مرور ثلاث سنوات على إعفائه من خطة القضاء.

توفي عام ثمانية وثمانين ومائة وألف.

م. بوجندار، *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

محمد الشياظمي

**المريني**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Mereni نسبة إلى قرية مرينية Marinia الواقعة بناحية فلينسيا الإسبانية ؛ وما تزال بإسبانيا أسر تحمل اسم Marinia وAl marini ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان وليس لها علاقة بعائلة بني مرين الملكية.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**المريني**، أسرة سلوية عريقة تنتسب إلى قبيلة زناتة، استقر الأجداد الأولون بمدينة سلا، وكانت سكناهم بباب احساين، في بيت الجد الأعلى السيد عبد الحق بن محمد المريني، ويشير تاريخ بنائها إلى تاريخ استقرارهم وهو سنة 1047/1637، ومازالت هذه الدار إلى يومنا هذا محتفظة بهذا التاريخ في رخامة مثبتة في وسط الغرفة الرئيسية بها في نقش أندلسي بديع، اشتهر أبناؤها بالعدالة والقضاء والتجارة والحسبة. تحدث عن بعض رجالها المؤرخ محمد بن علي الدكالي في كتابه *الإتحاف الوجيز*، وكوستي في مؤلفه *بيوتات مدينة سلا*، ومنهم الحاج الغالي بن المكي المريني أحد علماء سلا المشهورين ومحمد بن المكي المريني.

*الإتحاف الوجيز* ؛ *بيوتات مدينة سلا* ؛ *معلومات أسرية*.

نجاة المريني

**المريني**، أبو **بكر** من مواليد مدينة فاس يوم 25 من ربيع الأول 1332 / 7 شتنبر 1913.

بدأ تعليمه الأولى بالكتاب، فحفظ ما تيسر من كتاب الله وتلقى المبادئ الدينية، ثم أرسله أبوه إلى الرباط لمتابعة دراسته بثانوية المولى يوسف.

وبعدما أنهى تعليمه الثانوي انخرط في سلك التعليم العمومي، فاشتغل بمدينة سطات حيث استقرت أسرته بعد رحيلها من فاس.

وقد ترك المريني التعليم العمومي ليلتحق بالتعليم الحر بدافع من غيرته الوطنية، فاشتغل مدرسا بمدرسة سمو الأمير مولاي عبد الله متنازلا عن نصف مرتبه الشهري أريحية منه وتطوعا.

في أواسط الأربعينيات انتقل إلى الدار البيضاء حيث اشتغل موظفا بمندوبية إدارة الشبيبة والرياضة لفترة قصيرة التحق بعدها بمقر الإدارة بالعاصمة.

وقد تقلد مسؤوليات ومهاما كثيرة بقطاع الشباب منذ أن استقل المغرب، فكان على التوالي ملحقا بديوان الوزير، ثم مسؤولا بمكتب الشباب، ثم بمصلحة التخييم ثم مربيا ومؤطرا للتداريب التكوينية.

وعلى امتداد فترات عمله برهن المرحوم المريني على درجة عالية من الكفاءة والإخلاص، فكان بحق مربيا مثاليا ومناضلا غيوراً.

وقد لعب دوراً كبيراً في بناء الحركة الكشفية بالمغرب، فهو أحد مؤسسي "منظمة الكشافة المغربية الإسلامية" في أبريل 1947. وأبلى في هذا المجال البلاء الحسن إلى جانب رفيقيه الأستاذ محمود العلمي الرئيس المؤسس للمنظمة والأستاذ أحمد عواد.

وقد ظل وفيا لمبادئ الحركة الكشفية قائدا ومربيا وموجها إلى أن وافته المنية بمراكش بعد مرض ألزمه الفراش طويلا، وذلك في يوم الاثنين 9 أبريل 2001.

*معلومات خاصة.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**المريني، أبو بكر** بن **عبد الحق** السلوي من أسرة سلوية عريقة، ولد سنة 1939 ، تلقى تعليمه الابتدائي بالكتاب ثم بالمدرسة المحمدية الحرة بسلا فنال الشهادة الابتدائية سنة 1953 ، والثانوي بمدارس محمد الخامس بالرباط، لكنه انقطع عن الدراسة ليعمل معلما بالمدرسة الابتدائية بالرماني وبسلا، حصل على الكفاءة في الحقوق من كلية الحقوق بالرباط سنة 1969 ، وعلى الإجازة في الشريعة من كلية الشريعة بفاس سنة 1975، وعلى دبلوم الدراسات العليا في العلوم الإسلامية من دار الحديث الحسنية سنة 1980 في موضوع *"الأمثال في القرآن"*.

غلب عليه الحس الصحفي منذ شبابه المبكر، فكتب في صحف منها : *الفجر، العهد الجديد، الأنباء، العلم*، والتحق بمصلحة الجلسات بمجلس النواب في فترتين 1971 / 1977، وبوزارة الثقافة ترأس تحرير "*مجلة الفنون*" سنة 1974، ومجلة "*مناهل الأطفال*"، وكان رئيس تحرير جريدة *الأسبوع*، وسكرتير التحرير لجريدة *المساء والوطن*، مديرا لمجلة "*المغربي الصغير*" سنة 1978.

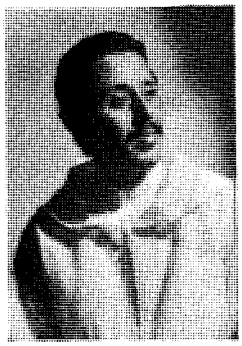

كتب أبو بكر المريني في بداية حياته الأدبية ثلاث روايات، "*المصير* سنة 1959، *امرأة وثلاثة رجال* سنة 1963، *ونداء الشهوة* سنة 1965" ، ومجموعة من القصص القصيرة أغلبها مخطوط، منها : *ورقة الحياة، والواعظ*، وواحدة منشورة عنوانها "*لست رجلا*" سنة 1973 ، كما أن له أحد عشر ديوانا شعريا، تسعة مخطوطة منها : *في ظلال الدوحة، من يقود الزحف، شعب الخلود، أكرم الأمهات، إشراق الهدى، عد يا حبيبي*، وديوانان مطبوعان هما : *قالت لي الحرية 1971، والزحف المقدس 1973*، ومن مؤلفاته المخطوطة: *الأمثال في القرآن الكريم، في الحضارة المغربية، مع الشعراء في رحاب الله* ، ومن المطبوعة *أم كلثوم معجزة القرن العشرين*.

عاش المترجم حياة مليئة بالأنشطة المختلفة، والمشاريع الناجحة ليرضي طموحه ويحقق ذاته، ساعده على ذلك إرادة قوية، وإصرار على النجاح، وإدمان على القراءة والكتابة، وعمل متواصل جاد، وذاكرة حية يقظة.

شارك في المسيرة الخضراء سنة 1975 ، ضمن وفد مدينة سلا، ملبيا النداء الملكي لتحرير الصحراء المغربية من الاستعمار الإسباني.

تهمم بقرض الشعر منذ شبابه المبكر، فتناول موضوعاته المختلفة من مدح وغزل ورثاء وإخوانيات وغيرها، معتمدا على النمطين العمودي وعلى قصيدة النثر، بلغة جميلة وصور رائقة، من شعره في رثاء والدته، وكانت ذات شخصية قوية وحضور متميز في الأسرة :

| | |
|---|---|
| شحذت همتي وغذت طموحي | بقويم الإرشاد في خطواتي |
| وأرادتني عالما وعزوفا عن | حطام يذوب في اللذات |
| غمرتني بما أنا عاجز عن | رده بالهبات والنفحات |
| علمتني أن الحياة جهاد | مستمر في سائر الواجهات |
| وأضاءت لي الدرب واحترقت من | أجل إسعادي في خضم الحياة |

ومن شعره وقد نخر الداء جسده، وعجز الطب عن الدواء، فقال :

| | |
|---|---|
| لا تسألوا عن فؤاد فاض من كمد | فإنه لم يعد يقوى على الجلد |
| يصارع الألم القاسي فيصرعه | في جولة تتحدى سائر الجسد |

وإن توالت على قلبي هزائمـــه فإنما "خلق الإنسان في كبـد"

توفي في عز عطائه الأدبي إثر مرض عضال في أكتوبر سنة 1980.

ع. الوهاب بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 289 ؛ *بطاقة شخصية* ؛ أبو بكر المريني، *شاعر الرقراق*، 2000 ؛ *معلومات أسرية*.

نجاة المريني

**المريني**، أبو **بكر** بن (الحاج -) **الغالي** من مواليد مدينة سلا سنة 1275 / 1859، ومن أعيانها وتجارها، انتقل إلى مراكش ليمارس مهنة الحسبة نيابة عن السيد محمد بن عبد الهادي زنيبر، وكان كما يروي معاصروه لا يتساهل في أداء واجبه مع أي كان في صرامة وحزم، وقد دامت مدة عمله بمراكش أربع عشرة سنة.

توفي عام 1353 / 1934.

*بيوتات مدينة سلا*، ص. 123 ؛ *كناشة خاصة* ؛ *معلومات أسرية*.

**المريني، الطيب** (مولاي -) الشاعر المراكشي لقبه العائلي [دنيا] ولد بمدينة مراكش عام 1345 / 1926. من أبوين شريفين. كان والده تاجر أثواب، وأمه هي السيدة خديجة بنت مولاي عبد السلام الشرعي.

قرأ القرآن بكتاب الحي على يد الفقيه المربي السيد محمد [فتحا] الجامعي، ولم تدم إقامته بهذا الكتاب إذ نقله والده إلى المدرسة الإسلامية الحرة التي أسسها العلامة السلفي السيد أحمد أكرام بحي سيدي بوحربة، وتعتبر هذه المدرسة النواة الأولى التي تلقى فيها مبادىء اللغة العربية، والثقافة الإسلامية. وبعد انفراط عقد هذه المؤسسة انتقل إلى كتاب الشريف الفقيه مولاي سعيد المصلوحي الأمغاري بحي أسول فأتم على يده حفظ القرآن الكريم وبعض المتون العلمية. كما درس عليه بمسجد الطيب بين العشاءين *السيرة النبوية*، و*المرشد المعين*. وقد وهبه الله ذاكرة حافظة مكنته من حفظ بعض أشعار الجاهليين والأمويين والعباسيين، والمحدثين، إلى جانب الشعر كان يستظهر مجموعة من الأحاديث النبوية. واستطاع أن يوظف عشقه للأدب في مهنته التعليمية.

ولما أسس النظام بالجامعة اليوسفية عام 1358 / 1939، كان ضمن الفوج الأول الذي التحق بها، ودرس على أجلة علمائها نذكر منهم : العلامة محمد بن عثمان المراكشي. والعلامة عبد القادر المسفيوي المراكشي. والعلامة محمد بن لحسن الدباغ. والعلامة محمد بن الهاشمي المسفيوي، وغيرهم.

استمر يكرع من حياض جامعة ابن يوسف إلى أن أحرز على شهادة العالمية - شعبة الآداب - عام 1372 / 1952. وفي نفس السنة اجتاز مباراة الالتحاق بالجامعة اليوسفية، فعين أستاذا لمادة الأدب، وتدرج في مختلف أسلاكها.

وفي سنة 1384 / 1964 نجح في المباراة التي تخول له الالتحاق بدار الحديث الحسنية، لكن لظروف خاصة لم يلتحق بها، واستمر في عمله التعليمي إلى سنة 1390 / 1970 فانتدب للتدريس في كلية اللغة العربية لمادة الأدب العربي وتاريخه، والنقد الأدبي، والأدب المغربي. وفي سنة 1397 / 1976 عين باقتراح من العميد العلامة الرحالي الفاروق كاتبا عاما للكلية. وفي سنة 1402 / 1981 عين عضواً بالمجلس العلمي لمدينة مراكش. ولم تشغله أعباء الإدارة عن إعطاء دروس وعظية بجامع باب دكالة العتيق.

بدأ يقرض الشعر وهو ابن ثمان عشرة سنة، وإن كنا لم نقف على محاولاته الأولى التي نظمها في هذا السن المبكر. وبعد وفاته سلمتني زوجته وبناته *ديوانه* الذي تركه مرقونا على الآلة الكاتبة لمراجعته والعمل على إخراجه، وقد استجبت لهذا الطلب وحققت رغبتهم وصدر *الديوان* عن المطبعة الوطنية سنة 2000 من 250 صفحة، ويتضمن الأغراض الشعرية الآتية : الدينية والعائلية والوطنية والمديح والإخوانيات والرثاء والغزل والشكوى والشؤون العربية والمتفرقات.

وكان للشاعر مساجلات ومراسلات مع مجموعة من أصدقائه الذين يقاسمونه هموم الأدب، ويساجلونه في عالم الشعر الذي تعشقه منذ ميعة شبابه، إلى جانب هذه الصفة كان رجلا اجتماعيا يسعى إلى ربط علاقات مع جل الشرائح الفكرية والعلمية ووجهاء البلد.

كما كان من ضمن مجموعة الطلبة الذين كانوا يجالسون شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم، وكانت هذه المجموعة الطلابية تضم السادة : علي بن المعلم التاورتي، مولاي الصديق العلوي، محمد بنبين، أحمد الشرقاوي إقبال، مولاي امبارك العدلوني، وغيرهم. وقد أصبح هؤلاء الطلبة رواة لشعر شاعر الحمراء ولأخباره، ومع مرور الأيام توطدت العلاقة بين الشاعرين المريني وشاعر الحمراء، وتبادلا القصائد وبعد وفاة شاعر الحمراء كان شاعرنا ضمن اللجنة الملكية المكلفة بجمع ديوان شاعر الحمراء، وهذه شهادة أسجلها للتاريخ وهي : أن شاعرنا المريني كان له دور كبير في تيسير عمل اللجنة الملكية، وتهييء جل مادة الديوان التي كانت تحت يديه، والتي تسلمها هو الآخر من عند خاله

الشرعي الكاتب الخاص للباشا. ولما أقام قدماء تلامذة ثانوية محمد الخامس - باب أغمات - أسبوعا تكريميا لشاعر الحمراء أيام 22 - 23 - 24 يونيه 1979، قام المريني والمرحوم الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال بوضع كتاب يضم مختارات من شعر شاعر الحمراء، وألقى في المهرجان كلمة في الموضوع مذيلة بقصيدة.

توفي بإحدى مستشفيات باريس بعد مرض عضال لم ينفع معه علاج، وذلك يوم الجمعة 17 ذو القعدة 1414 الموافق 29 أبريل 1994، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه مراكش ودفن بمقبرة الشيخ أبي العباس السبتي يوم الثلاثاء 21 ذو القعدة 1414 الموافق 3 مارس 1994.

*أحمد متفكر، مقدمة ديوان مولاي الطيب المريني؛ ذيل الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام.*

أحمد متفكر

**المريني، عمر** بن أبي **بكر** السلوي، من مواليد مدينة سلا سنة 1332 / 1914، نشأ في بيئة محافظة، وبوفاة أمه تربى في كنف أخواله من أسرة قنديل، التحق بالكتاب ثم بمدرسة سيدي الهاشمي الطالب في درب لعلو، وهي أول مدرسة حرة أنشئت في سلا، فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وحفظ المتون الأولية في العلوم الدينية واللغوية، منها مختصر خليل وألفية ابن مالك والمرشد المعين لابن عاشر والأجرومية في النحو وغيرها، وكان ذا ذاكرة قوية وذكاء وقاد، ولما تأسست مدرسة أبناء الأعيان بسلا، عمل أخواله على أن ينتسب إليها سنة 1926، لكنه لم يلبث بها غير يومين، إذ رفض أبوه أن ينتسب إلى مدرسة أسستها الحماية الفرنسية، وكان صارما في ذلك، مما جعل المترجم له يعزف عن الحياة في المدينة أو العودة إلى المدرسة الحرة أو إلى دروس المسجد الأعظم خاصة وأن أصدقاءه التحقوا بالمدرسة العصرية، ومنهم رفيق صباه الأستاذ أحمد بليمني، فقرر العمل إلى جانب أخواله وكانوا يمارسون التجارة في الأسواق المختلفة بانتظام ومنها سوق أربعاء الغرب.

ولما اشتد عوده، ونجح في تكوين رأس مال لا بأس به، اشتغل بالتجارة في مسقط رأسه سلا، وانتظمت حياته بين المتجر وبين بعض التنظيمات الشبابية التي كانت تعمل بتوجيهات الحركة الوطنية بكثير من الصمت ونكران الذات، لم يبخل بعمل ولا بجهد في الفترة العصيبة التي عرفها المغرب وعرفتها مدينته سلا إثر أحداث 1944، وسقوط الشهداء السلويين برصاص المستعمر بعد المظاهرات التي عرفتها المدينة ومنهم الشهيد أحمد بنعبود.

عرف المترجم له بالاستقامة والنزاهة والابتعاد عن التهافت على المناصب بعد الاستقلال، وبقي وفيا لمهنته وتجارته، عاملا - كما يذكر معاصروه - على خدمة الآخرين بتضحية ووفاء، لا يرد لأحد طلبا، ولا يتأخر في مد يد المساعدة لأي كان قصده، فنعت بالرجل الصالح في أوساط مدينته، وبالتاجر المستقيم الذي آلى على نفسه أن تكون تجارته رابحة بالصدق في التعامل والاكتفاء بالقليل من الربح، على الرغم مما كان يتعرض له من خسارة عند إخلال من كان يتعامل معهم بالتزاماتهم معه في تسديد واجبات مشترياتهم، مؤكدا بذلك سموا في الخلق وتسامحا في المعاملة باختلاق الأعذار لهم كيفما كانت الظروف.

توفي يوم الاثنين 16 ربيع الثاني 1419 / 10 غشت 1998.

*معلومات أسرية.*

نجاة المريني

**المريني، محمد** بن **أحمد** الشفشاوني ولد بشفشاون في بداية القرن العشرين، وبها أقدم على تعلم الموسيقى الأندلسية، فأخذ عن المرحوم العياشي الورياغلي مستعملاتها وفق المدرسة الشفشاونية، كما تعلم على يده العزف على الرباب.

وهو من بين الفنانين القلائل الذين ظلوا حتى العقود الوسطى من القرن السابق يحتفظون بنوادر الصنعات التي تفردت بها مدينة شفشاون، ومنها صفحات تنشد في نوبة الاستهلال كهذه : صنعة "أما أنا فمتيم" - صنعة "ياليلة البشرى" - صنعة "بالنفس من تاه واستكبر" - صنعة "نهاري سميع" - صنعة "نظرة من عيونك".

وقد تقلد المترجم وظيفة أستاذ للموسيقى الأندلسية بمعهد شفشاون، كما رأس جوق مولاي علي شقور التابع لهذا المعهد في مناسبات متعددة منها : المهرجان الوطني الثالث للموسيقى الأندلسية بشفشاون، وقدم فيه "درج وانصراف بطايحي الحجاز المشرقي" في ماي 1983. والملتقى الرابع للأندلسيات بشفشاون. وفيه قدم ميزان قدام الرصد، في شتنبر 1985. والملتقى الخامس للأندلسيات بشفشاون حيث قدم في شتنبر 1986 بطايحي رصد الذيل.

توفي عام 1988.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**المريني، محمد** بن أبي **بكر** بن الحاج الغالي السلوي

من أسرة عريقة بمدينة سلا، من مواليد سنة 1903، تلقى تعليمه الأولي بالكتاب القرآني، فحفظ القرآن تلاوة وتجويدا على يد أشهر المقرئين بالمدينة وهو الفقيه امحمد بوشعراء، وتلقى دروس العربية والفقه على بعض كبار علماء سلا ومنهم خاله المرحوم الطاهر زنيبر والمرحوم الفقيه أبو بكر التطواني.

تعاطى في أول شبابه للتجارة في الكتان والمنسوجات، ثم رحل إلى مدينة فاس حيث تابع لسنوات تكوينه العلمي والفقهي بجامعة القرويين التي حصل منها على شهادة العالمية وعلى إجازات علمية مختلفة من فقهاء المدينة وعلمائها.

بعد عودته من فاس أشرف على كتاب قرآني بزاوية الطريقة الحمدوشية بحي البليدة، وقد تتلمذ عليه عدد كبير من أبناء العائلات السلاوية ما يزالون إلى اليوم يذكرون في مجالسهم جديته وصرامته في الدرس والتكوين العلمي والديني.

وفي سنة 1930 صدر ظهير شريف بتعيينه إماما لضريح سيدي عبد الله بن حسون، فكان بداية لولوج عالم الإمامة والوعظ والإرشاد الذي سيتهمَّم به طوال حياته.

وبانتشار ظاهرة تأسيس المدارس الحرة بالمغرب في الثلاثينيات لمواجهة المد الاستعماري الثقافي والتعليمي لتلقين أبناء المغاربة تعليما عربيا إسلاميا، التحق بمدرسة صغيرة كانت تسمى بمدرسة ازنابرة (نسبة إلى أسرة زنيبر) لتدريس اللغة العربية وعلوم الدين، وعندما أسس آلأستاذ أبو بكر القادري مدرسة السوق بالصف (وهي نواة مدرسة النهضة بباب شعفة بسلا) دعاه للالتحاق بها مدرسا لنفس المواد فاستجاب لذلك مساهما بروح وطنية صادقة.

وفي سنة 1942 أصدر المغفور له الملك محمد الخامس ظهيرا شريفا بتعيينه مدرسا *لرسالة أبي زيد القيرواني ومقدمة ابن أجروم* لتلاميذ الكتاتيب القرآنية بمدينة سلا.

وفي إطار تلاحم العرش والحركة الوطنية في معركتهما الموحدة ضد الاستعمار أمر الملك الراحل وزارة الأحباس ببناء مدرسة عصرية للتعليم العربي الإسلامي بسلا أطلق عليها اسم المدرسة المحمدية الحرة، في مكان يقع بين معلمتين دينيتين شامختين هما المسجد الأعظم وضريح سيدي عبد الله بن حسون، وقد حظي الفقيه محمد المريني بالتشريف الملكي عندما اختاره الملك محمد الخامس مديراً لهذه المدرسة التي تم افتتاحها رسميا يوم 16 نونبر 1948، ولا تزال إلى اليوم تمارس مهمتها التعليمية.

وعند نفي محمد الخامس سنة 1953 تعرض الفقيه المريني لمضايقات المستعمر واستفزازاته، فسعى إلى عزله عن منصبه كمدير للمدرسة المحمدية بعد رفضه إلقاء خطبة الجمعة، غير أن المستعمر لم يوفق في مخططه لرعاية وزارة الأحباس للمؤسسة، وما لذلك من تداعيات دينية.

بعد استقلال المغرب ازداد نشاطه الديني وتعددت مظاهره وصوره، فكان يلقي دروس الوعظ والإرشاد بالمسجد الأعظم بعد صلاة الجمعة، وفي زاوية المباركيين بباب حساين وبجامع سيدي عبد الله بوشاقور وضريح سيدي عبد الله بن حسون.

وفي سنة 1957، صدر ظهير ملكي شريف بتعيينه إماما للمسجد الأعظم بسلا خلفا للمرحوم الفقيه البارودي. وفي بداية السبعينيات عين خطيبا للجمعة بالمسجد الأعظم خلفا لشيخ الجماعة الفقيه أحمد بن عبد النبي، وكانت خطبه تتميز بالبساطة في التعبير وبأسلوب يعتمد الترغيب واليسر في المواضيع التي تهم الناس في حياتهم الدينية والدنيوية.

وقد ظل الفقيه المريني مواظبا على القيام بهذه المهام الدينية والتعليمية بهمة ونشاط، وحب وتفان، إلى سنة 1983 حيث تم توشيحه بوسام العرش من درجة فارس من طرف جلالة الملك المغفور له الحسن الثاني، وكان هذا التشريف مسك الختام لحياته المهنية الوظيفية.

ولم يطل به المقام بعدها إلا سنوات قليلة، فقد انتقل إلى جوار ربه بعد مرض لم يمهله إلا أياما وذلك يوم الثلاثاء 18 يبراير 1986، ودفن بمقبرة سيدي عبد الله بن حسون بسلا، في موكب رهيب وقد شيعه فقهاء وعلماء المدينة وأبناؤها.

كانت أهم اهتماماته بعد إدارة المدرسة المحمدية ودروس الوعظ والإرشاد، شغفه الكبير بالعمل المباشر الميداني في تعليم الناس على اختلاف مستوياتهم أمور دينهم وتنبيههم إلى النهج القرآني السوي من خلال دروس الوعظ والإرشاد، فلم يكن يهتم بالكتابة أو التأليف، إلا ما كان من خطب الجمعة التي كان متميزا في اختيار موضوعاتها وفي تنسيق فقراتها بأسلوب بسيط وواضح، تسابق تلامذته في حياته على توظيفها بعد الاحتفاظ بها، وكان يشير إلى ذلك بقوله: "إنه العلم النافع، فلا يجب أن نبخل به".

ترك الفقيه المريني كلمة يؤبن فيها نفسه، ضمنها عصارة نضاله وعمله في مجال الوعظ والإرشاد، يقول فيها: "الدنيا أضغاث أحلام، والمغرور من اغتر بها، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، فتأهبوا - يا أولي الأبصار - للرحيل، كل نفس ذائقة الموت".

عبد الوهاب المريني، *كناشة خاصة* ؛ *معلومات أسرية*.

**المريني، محمد** بن **عبد الرحمن** السلوي ينتمي إلى أسرة عريقة بمدينة سلا، من مواليد سنة 1907، تلقى تعليمه الابتدائي بالكتاب القرآني الذي كان يديره الفقيه امحمد بوشعراء، والابتدائي بمدرسة أبناء الأعيان بسلا، وحصل على شهادة الباكالوريا من ثانوية مولاي يوسف بالرباط سنة 1929 ، وعلى دبلوم اللغة العربية من معهد الدراسات العليا "كلية الآداب اليوم".

كان محمد بن عبد الرحمن المريني من أوائل الشباب الذين اشتغلوا بالصحافة المكتوبة والمسموعة، فقد عمل محرراً بجريدة السعادة سنة 1929، ومذيعا لنشرات الأخبار بمديرية البريد أول إنشائها سنة 1932 (الإذاعة) وكذا بالإشراف على بعض برامج "راديو المغرب" (كما كان يسمى في تلك الفترة)، وشجع على التحاق زمرة من الشباب السلوي براديو المغرب للعمل في برامج متنوعة، فاستقدم الفقيه عبد الرحمن بن موسى لترتيل القرآن الكريم، والمسرحي عبد الله شقرون، والمحرر عبد اللطيف الغربي وشيخ الموسيقيين بسلا البارودي وغيرهم، وقد تيمز بنشاطه الإذاعي مما جعل المسؤولين يختارونه ليرافق موكب السلطان محمد الخامس الرسمي في رحلاته داخل المغرب وخارجه ويقوم بتغطية الأنشطة الملكية على اختلافها عن طريق جهاز الراديو.

والأستاذ المريني من الأعضاء المؤسسين للنادي الأدبي السلوي والعاملين فيه منذ تأسيسه سنة 1927.

تقلد بعد ذلك منصب رئيس تحرير عدد من الجرائد المغربية منها جريدة *السعادة* وجريدة *الفجر* و*العهد الجديد* و*المنارات* "لسان حال جبهة القوى السياسية" التي شكلها السيد أحمد رضا گديرة، وعند استقلال المغرب التحق بوزارة الداخلية ليعمل بمديرية أراضي الجماعات، ثم كلف بتأسيس قسم الصحافة بها لمتابعة الأنشطة المختلفة، وبقي في هذا المنصب إلى أن أحيل على المعاش سنة 1973.

وعلى الرغم من إحالته على التقاعد فإن نشاطه لم يخفت، إذ التحق بالمحكمة الشرعية بسلا ليمارس مهنة العدالة بعد ما اجتاز مباراة نظمتها وزارة العدل لاختيار عدول أكفاء، وكانت له سمعة طيبة في مختلف الأعمال التي مارسها إلى أن وافته المنية إثر حادثة سير مؤلمة بمدينة سلا سنة 1988.

وقد ترك مجموعة من المقالات الصحفية المختلفة الموضوعات، وقد أخبرني ابنه الأستاذ محسن المريني بأنه وإخوته يعملون على جمعها من ركام الجرائد المحفوظ في مكتبته لنشرها وتعميم الفائدة منها في وقت كانت ممارسة الصحافة لا تشغل إلا فكر القليل من الشباب وفي مقدمتهم رائد الصحافة السلوية سعيد حجي.

توفي عام 1988.

*معلومات أسرية ؛ بطاقة شخصية.*

**المريني، محمد** بن **عبد اللطيف** السلوي، ولد سنة 1341 / 1923 بسلا، تابع دراسته الابتدائية بالكتاب، ثم التحق بجامعة القرويين بفاس، وبعد حصوله على الشهادة الثانوية اشتغل بتجارة الحرير بقيسارية سلا فترة من الزمن، غير أنه سيلتحق بالإدارة المغربية سنة 1367 / 1948 ليعمل كاتبا بالمحكمة الشرعية المولوية بالدار البيضاء، ومن ثم سيتدرج في أسلاكها التابعة لوزارة العدل بالرباط والدار البيضاء، ففي سنة 1371 / 1952 عمل كاتب محكمة عامل مديونة أولاد زيان، أحواز الدار البيضاء، ثم كاتبا برئاسة الحكومة، ملحقا بوزارة العدل سنة 1959، ثم ملحقا بمحكمة الاستيناف بالرباط من 1961 إلى 1968 ، فرئيسا لكتابة الضبط بنفس المحكمة من 1968 إلى 1972، وفي نفس السنة تم تعيينه مكلفا بمهمة بديوان وزير العدل فعميدا قضائيا إلى أن طلب الحصول على التقاعد النسبي سنة 1974.

وبعد ذلك التحق بسلك العدول بقسم التوثيق بالمحكمة الشرعية بمدينة سلا.

عرف محمد بن عبد اللطيف المريني بأمانته ونزاهته في مختلف المهام التي أنيطت به، إذ كان يدعى بالأمين وسط أصدقائه ومعارفه، كما عرف باستقامته وحسن إدارته في فترات عصيبة عاشها المغرب قبل الاستقلال وبعده.

توفي سنة 1411 / يوليوز 1991.

نجاة المريني

**المرينيون (ملوك)** ، ينسبون إلى بني مرين إحدى أهم قبائل زناتة التي أسست دولة بني مرين بالمغرب الأقصى. وتعتبر الدولة المرينية واحدة من أهم دول الغرب الإسلامي في العصر الوسيط. وهي رابع دولة حكمت المغرب الأقصى بعد الأدارسة والمرابطين والموحدين، وأطولهم مدة إذ استمرت من منتصف القرن السابع الهجري إلى منتصف القرن التاسع (13 . 15).

عرفت هذه الدولة بأسماء أخرى كدولة بني مرين أو الدولة العبد الحقية أو دولة بني عبد الحق نسبة إلى جد الأسرة المالكة الأمير عبد الحق بن محيو الذي أدخل قبائل بني مرين المنتمية إلى العصبية الزناتية إلى المغرب الأقصى بعد هزيمة الموحدين في معركة العقاب بالأندلس سنة 609 / 1212 قادما إليه من موطن زناتة الأصلي ببلاد الزاب بإفريقية.

يجعل المؤرخون من سنة 610 / 1213 تاريخ أول ظهور رسمي لهذه القبائل في الجهات الشمالية الشرقية من بلاد المغرب الأقصى خاصة في المجالات التي تجمع بين فگيگ وسجلماسة وأراضي وادي ملوية. ومنذ هذا التاريخ عمل زعماء بني مرين على استغلال هذا المجال وتحويله من مجال رعوي / اقتصادي إلى مجال يشكل منطلقا لتوسيع نفوذهم السياسي ومضايقة السلطة الموحدية في نفوذها بباقي المجالات الأخرى من المغرب الأقصى. وقد شجع انكسار

الموحدين في العقاب أمراء بني مرين على أن يكون إشعاعهم ممتدا إلى أبعد ما يمكن وقد تمكنوا في النهاية من الوصول إلى عاصمة الموحدين واحتلالها سنة 668 / 1269 تحت قيادة يعقوب بن عبد الحق وتأسيس دولة بني مرين على أنقاض دولة الموحدين. ويعد هذا التاريخ عند البعض البداية الرسمية والفعلية لهذه الدولة، وأن يعقوب بن عبد الحق هو أول زعيم مريني اتخذ لنفسه ألقابا ملوكية مثل السلطان وكذلك لقب أمير المسلمين، وهي إشارة تعلن عن بداية دولة جديدة وأسرة حاكمة جديدة.

يمكن تقسيم تاريخ الدولة المرينية إلى ثلاث مراحل كبرى هي :

ـ المرحلة الأولى : تبدأ بقيام الحكم المريني مع السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة 668 / 1269 وتنتهي بنهاية عهد السلطان أبي الربيع سليمان سنة 710 / 1311.

من أهم ما يميز هذه المرحلة أنها كانت مرحلة تأسيس وتركيز قواعد دولتهم بعاصمة جديدة هي فاس بدل العاصمة الموحدية مراكش. وقد حاول ملوك هذه المرحلة متابعة سياسة الموحدين فيما يتعلق بمسألة الجهاد وتكريس دور المغرب في الحفاظ على التوازنات السياسية والعسكرية في منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط، وقد جسد السلطان يعقوب هذا الخط من خلال تعدد جوازاته إلى الأندلس وطول مدة حملاته العسكرية داخلها. في حين فضل ولده وخليفته السلطان يوسف نهج سياسة التوسع والامتداد نحو المغرب الأوسط وهي السياسة التي اصطدمت بشدة بمقاومة بني عبد الواد (بني زيان) في تلمسان وأخرت تنفيذ هذه السياسة إلى المرحلة الثانية.

أما على المستوى الحضاري فقد حاول ملوك بني مرين بذل جهود كبيرة للانفلات من قوة التأثيرات الموحدية وتجاوز الطابع الموحدي خاصة في المجال المعماري والفكري، فبدأ الفن المريني يبرز من خلال تنافس الأعيان في البناء واتخاذ القصور وتزيين الدور بالرخام والزليج والنقوش. كما عمل ملوك هذه المرحلة على تنقية الجو الفكري والعقائدي من مؤثرات العقيدة الموحدية وبذلوا جهودا كبرى لإعادة المذهب المالكي إلى مكانته ليصبح مرة أخرى المذهب الرسمي للمغرب وللمغاربة.

ـ المرحلة الثانية : تبدأ بعهد السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب سنة 710 / 1311 وتنتهي بنهاية عهد السلطان أبي عنان فارس بن أبي الحسن سنة 759 / 1358.

ركز ملوك هذه المرحلة على تقوية حضورهم سياسيا وعسكريا واقتصاديا، وجعل المغرب قطب ومحور كل التوازنات في مجال الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بين المسلمين والمسيحيين. ولذلك نشط المرينيون في تثبيت نفوذهم على الشمال الإفريقي خاصة في عهد كل من السلطانين أبي الحسن وأبي عنان والظهور بمظهر الزعامة في العدوة الجنوبية أمام المنافس القوي المسيحي في العدوة الشمالية. وما يترجم هذا التوجه كثرة المعاهدات والاتفاقيات السياسية والتجارية التي أبرمت بين ملوك هذه المرحلة من بني مرين وملوك النصارى في الشمال خاصة أراغون وقشتالة والبرتغال وجنوة وبيزة. ولم يقتصر الأمر على هذا البعد العمودي في العلاقات المغربية بل شهدت هذه المرحلة بامتياز اهتماما خاصا كذلك بالعلاقات مع المشرق في بعدها الأفقي وبالضبط مع مصر المماليك وشرفاء مكة وذلك من خلال إرسال الهدايا والتحف ونسخ المصاحف وتحبيسها على الأماكن المقدسة والاهتمام الزائد بركب الحج المغربي وتأمين طريقه.

وقد كان لهذا الحضور القوي في الخارج ما يقابله في الداخل، إذ في هذه المرحلة وصلت الحضارة المرينية إلى أوجها، وكانت لها انعكاسات واضحة على المجتمع المغربي وعلى علاقة مكوناته بالمخزن، فهذا العصر هو عصر الازدهار فيما يخص الاهتمام بقضايا التعليم وبناء المدارس والتفنن في زخرفتها ورونق عمارتها، وبناء الزوايا ودور الصناعة والقناطر... الخ. وهو أيضا عصر ازدهار العلوم على يد علماء كبار كابن الخطيب وابن مرزوق وابن خلدون وابن البناء وعبد المهيمن الحضرمي. وقد رافق ذلك سن سياسة اجتماعية منفتحة على مختلف القوى والفئات من خلال سياسة الاستقطاب والتقرب من الفقهاء والعلماء والأشراف ورجال التصوف والزهد وذلك إما بالاحتضان أو بالرعاية أو الزيارة أو بإقامة احتفالات عيد المولد النبوي أو بالتخفيف من الجبايات وإزالة بعضها.

ـ المرحلة الثالثة : تبدأ بعهد السلطان أبي زيان محمد بن أبي عنان سنة 759 / 1358 وتنتهي بنهاية دولة بني مرين سنة 869 / 1465.

ولعل أبرز ما يميز هذه المرحلة مجموعة ظواهر كانت بمثابة عناوين معبرة عن مسار خط الانحطاط الذي سارت فيه الدولة خاصة بعد أن توقف اهتمام ملوك هذه الفترة بالجهاد في الأندلس ورفعوا أيديهم نهائيا عن التدخل في شؤونها. ومن هذه الظواهر تعيين وتنصيب ملوك صغار وصل سن بعضهم كالسلطان أبي زيان محمد بن عبد العزيز والسلطان أبي زيان محمد بن أبي العباس إلى خمس سنوات، كما لم يتجاوز حكم البعض الآخر أكثر من ساعة كما حدث مثلا للسلطان أبي زيان محمد بن أبي عنان، مما سمح للوزراء والحجاب بالاستبداد وتسيير شؤون الدولة على هواهم وبحسب رغباتهم، فكانوا هم الحكام الفعليين حتى أن البعض منهم اعتبر نفسه بمثابة السلطان الشرعي، ومن أشهر هؤلاء الوزير الحسن بن عمر الفودودي والوزير عمر بن عبد الله الياباني والوزير أبو بكر بن غازي بن الكاس والوزير مسعود بن رحو بن ماساي والوزير أبو زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي والقائمة طويلة. وأغلب هؤلاء السلاطين كانوا لاجئين إما عند بني الأحمر بغرناطة أو عند ملوك قشتالة بإشبيلية الشيء الذي سهل على هؤلاء عملية استغلالهم

والاستمتاع باستخدامهم كأوراق ضغط ضد سلاطين فاس الرافضين لسياسة غرناطة أو إشبيلية، وكثيرا ما كان هؤلاء الوزراء هم الأداة الطيعة والمثلى لإنجاح هذه السياسة التي كانت تعتمد على الدسائس والمؤامرات والتي ذهب ضحيتها عدد كبير من سلاطين هذه المرحلة.

ومن هذه الظواهر أيضا تفتت وحدة المغرب الأقصى وانشطارها إلى مناطق نفوذ مختلفة ومتعددة تخضع لزعامات محلية خاصة في بلاد الريف وبلاد السوس ثم في جهة مراكش وسجلماسة، وهذا التفتت أضعف هيبة السلطة المركزية بفاس وجعلها عاجزة عن ممارسة واجبها في إعادة لمّ هذا الشتات رغم المحاولات العديدة التي قام بها بعض السلاطين في هذا الاتجاه كأبي سالم إبراهيم وأبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن وأبي العباس أحمد. ويرجع هذا الفشل في جانبه الأكبر إلى انشغال الملوك والوزراء بإخماد الثورات والتمردات هنا وهناك واستنزاف ما تبقى من إمكانيات في الصراعات حول الحكم مع بقية الأمراء والقرابة. وهذا الوضع اليائس مكن الإيبريين المتربصين من انتهاز الفرصة والانتقام من المغرب، وخططوا لحربه في عقر داره فهاجموا سواحله وموانئه ونجح البرتغال لأول مرة في احتلال سبتة سنة 818 / 1415 وطنجة سنة 869 / 1465 واتخذوهما مراكز انطلاق حملاتهم العسكرية الاستعمارية نحو بقية المدن المغربية. فكانت هذه المرحلة بحق مليئة بالفتن والنزاعات وخالية من عمليات البناء والتشييد.

وبصفة عامة فالعصر الذي شغلته دولة بني مرين بهذه التحولات والتغيرات يمثل فعلا عصر انتقال ممّا اصطلح على تسميته نهاية العصر الوسيط إلى بداية العصر الحديث في المغرب.

وهذه قائمة الملوك المرينيين ومدة حكمهم :

- أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق (656 ـ 685 / 1258 ـ 1286).
- أبو يعقوب يوسف بن يعقوب (685 ـ 706 / 1286 ـ 1307).
- أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف (706 ـ 708 / 1307 ـ 1309).
- أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن يوسف (708 ـ 710 / 1309 ـ 1311).
- أبو سعيد عثمان بن يعقوب (710 ـ 731 / 1311 ـ 1331).
- أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان (731 ـ 749 / 1331 ـ 1348).
- أبو عنان فارس بن أبي الحسن (749 ـ 759 / 1348 ـ 1358).
- أبو زيان محمد بن أبي عنان (759 / 1358).
- أبو يحيى أبو بكر بن أبي عنان (759 ـ 760 / 1358 ـ 1359).
- أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن (760 ـ 762 / 1359 ـ 1361).
- أبو عمر تاشفين بن أبي الحسن (762 ـ 763 / 1361).
- أبو زيان محمد بن أبي عبد الرحمان يعقوب بن أبي الحسن (763 ـ 767 / 1361 ـ 1366).
- أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن (767 ـ 774 / 1366 ـ 1372).
- أبو زيان محمد بن أبي فارس عبد العزيز (774 ـ 776 / 1372 ـ 1374).
- أبو العباس أحمد بن أبي سالم (776 ـ 786 / 1374 ـ 1384) ثم (789 ـ 796 / 1387 ـ 1393).
- أبو فارس موسى بن أبي عنان (786 ـ 788 / 1384 ـ 1386).
- أبو زيان محمد بن أبي العباس أحمد (788 / 1386).
- أبو زيان محمد بن أبي الفضل محمد بن أبي الحسن (788 ـ 789 / 1386 ـ 1387).
- أبو فارس عبد العزيز بن أبي العباس (796 ـ 799 / 1393 ـ 1396).
- أبو عامر عبد الله بن أبي العباس (799 ـ 800 / 1396 ـ 1398).
- أبو سعيد عثمان بن أبي العباس (800 ـ 823 / 1398 ـ 1420).
- أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد (823 ؟ ـ 869 / 1420 ؟ ـ 1465).


ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، بيروت، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، الرباط، 1972 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج. 7، بيروت، 1978 ؛ *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا*، القاهرة، 1951 ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، 2 ج، الجزائر، 1903 ـ 1910 ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، ج. 2، الدار البيضاء، 1985 ؛ ج. 3، 1989 ؛ ابن الحاج النميري، *فيض العباب*، الرباط، 1984 ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار*، الدار البيضاء، 1988 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر، 1985 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين في دولة بني مرين*، الرباط، 1962 ؛ *النفحة النسرينية واللمحة المرينية*، دمشق، 1992 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، 2 ج، بيروت، 1983 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 3 و4، الدار البيضاء، 1954 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1979 ؛ ع. العروي، *مجمل تاريخ المغرب*، ج. 2 و3، بيروت، 2000 ؛ م.القبلي، *مراجعات حول الثقافة والمجتمع بالمغرب الوسيط*، الدار البيضاء، 1987 ؛ *الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط*، المحمدية، 1997 ؛ ماياشاتز ميلر، *المؤرخون والسلطة في المغرب*، الرباط، 1993.

Mas-Latrie, *Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen Age*, Paris, 1866 ; (S. M.) Alarcon, *Los documentos árabes diplómaticos del archivo de la corona de Aragon*, Madrid - Grenade 1940 ; (Ch. E) Dufourcq, *L'espace catalan et le Maghrib aux 13 et 14 siècles*, Paris, 1966 ; (M) Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen âge*, Paris, 1986 ; (A) Khaneboubi, *Les premiers sultans mérinides*, Paris, 1987.


رشيد السلامي

**مزاب** (قبيلة -) من قبائل الشاوية، تنتمي لأولاد بوعطية كما هو الحال بالنسبة لأولاد حريز والمذاكرة والأعشاش ... تستوطن جنوب شرق الشاوية، مجاورة بذلك ورديغة وبني مسكين من تادلة. ومن الشاوية، الأعشاش والمذاكرة والمزامزة وأولاد سيدي بنداود.

وخلال أواخر القرن التاسع عشر كانت مزاب مقسمة إلى خمس فرق، ترأسها ستة قواد.

| الفرقة | عدد القواد | أسماؤهم |
|---|---|---|
| بني إبراهيم | 1 | العباسي الإبراهيمي |
| أولاد شبانة | 1 | الجيلالي الشباني |
| الأحلاف | 1 | عبد القادر الحلفي |
| حمداوة | 1 | بوزيان الحمداوي |
| أولاد مراح | 2 | بن خمليش المراحي<br>أحمد بن البهلول |

يتراوح ارتفاع الأراضي ما بين 400م و700م. وتتراوح درجات الحرارة ما بين 12° شتاء و47° درجة صيفا. ويقسم المزابيون أراضيهم إلى أربعة أنواع : التيرس، الدندون (الحرش أو بياض)، الحمري - الرمل. وبالإضافة إلى زراعة الحبوب، يتعاطى الفلاحون كذلك إلى تربية الماشية، وفيما يلي توزيع القطيع بمنطقة مزاب سنة 1917 :

| جمال | 5.116 | أبقار | 32.567 |
|---|---|---|---|
| خيول | 7.090 | ماعز | 52.156 |
| حمير | 17.133 | أغنام | 251.000 |

وعند مجيء الفرنسيين، كانت قيادة مزاب بيد القائد العربي بن الشرقي، ناب عنه عشرة خلفاء على فرق مختلفة كحمداوة وأولاد عمور وأولاد فارس وبني إبراهيم ... ومنذ 1917، كانت مزاب مقسمة إلى أربع قيادات :

- قيادة لحسن بالعربي : 3.091 خيمة
- قيادة محمد بن بوزيان : 1.646 خيمة
- قيادة بلعباس بن علي : 1.591 خيمة
- قيادة أحمد بن الحاج المعطي : 2.099 خيمة

وخلال العشرينيات، كانت مزاب ملحقة للمراقبة المدنية بابن أحمد، تابعة للمراقبة المدنية للشاوية الجنوبية. انقسمت إلى أربع قيادات. وظلت كذلك خلال فترة الثلاثينيات، ومن قوادها محمد بن العربي بن الشرقي ومحمد بن بوزيان والمدني بن القايد عبد السلام ... وظلت ابن أحمد مقرا لدائرة المراقبة المدنية، تراقب المجال الإدراي لمزاب ترأسها خلال سنة 1952 المراقب المدني (Scalabre Guy) بمساعدة المراقبين المدنيين : (Secreton Edouard) و(Homo Jacques).

وحسب إحصاء شتنبر 1994، بلغ عدد سكان جماعة الحلاف - مزاب 7.506 نسمة، مثل فيها الذكور 51.43٪، وحسب الأعمار، بلغت نسبة الصغار أقل من 10 سنوات، 40,66٪ بينما بلغت نسبة النشيطين 51,23٪. وحسب الوضعية العائلية، بلغت نسبة المتزوجين 54,54٪ في الفئة البالغة من العمر 15 سنة فما فوق. وتصل نسبة البطالة في صفوف الفئة النشيطة 17,32٪. ويتوزع السكان على 29,41٪ يقطنون منازل من غرفة إلى غرفتين 25,98٪ يسكنون منازل أربع غرف إلا أن توزيع الماء والكهرباء لا يشمل إلى أقل من 1٪ من الأسر.

Corps du contrôle civil, cadre des adjoints de contrôle, *Résidence générale, 1° juin 1952* ; Miége Emile, Notes sur les Mzab et les Achache, *Archives Berbères, V. III, 1918* ; *Villes et tribus du Maroc*, V. I - II, Paris, 1915.

صالح شكاگ

**الـ مـزاح** أو إرْيُوبُوتْرِيَا يَابُونِيكَا Eriobotrya japonica فاكهة ونوع شجري من فصيلة الورديات.

إنها شجرة ذات تاج مستدير جد متفرع. يتراوح ارتفاعها ما بين 5 و10 م. أوراقها دائمة الخضرة بسيطة وكبيرة الحجم، رمحية الشكل. أزهارها بيضاء تظهر في نهاية الخريف لتثمر وتنضج ثمارها قبل نهاية الشتاء. ثمارها ذات لون أصفر ليموني، وذات حجم يختلف حسب الضروب، وما يميزها أنها تحتوي على بذور كبيرة تأخذ جزءاً كبيراً من الفاكهة، ويقتصر اللب اللحمي على الجزء الصغير الباقي، مما جعل اسمها يستعمل أيضا في التعبير عن الكذب لغرض الضحك والفكاهة أو المزاح بالعربية وLes nèfles بالفرنسية.

الموطن الأصلي للمزاح هو شرق آسيا ولم يغرس في أوروبا والمنطقة المتوسطية إلا في القرون الأخيرة.

تغرس أشجارالمزاح عموما بصفة منفردة في جميع المناطق المغربية الحارة والمعتدلة. وهكذا تلاحظ شجرة واحدة أو شجرتين في بعض الحدائق والبساتين من هذه المناطق. ولا تصادف إلا نادرا بساتين من أشجار المزاح. وأشهر بساتين المزاح بالمغرب تلك التي تزين ضفاف وادي زگزل بضاحية مدينة بركان.

يغرس المزاح لإنتاج الفواكه المحببة لدى الإنسان، وخاصة في بداية الحمل عند النساء. وكذلك كشجرة زينة. وتستخدم أوراقه في التطبيب التقليدي وعلى الخصوص ضد الإسهال عند الأطفال.

*استطلاعات ميدانية.*

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle*. Médecine arabe ancienne et savoirs populaires, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p.

عبد المالك بنعبيد

**الـمزاري، يحيى** بن يدر (الحاج -) ولد بقرية المزار الواقعة بضواحي أكادير بآيت ملول سنة 1918 وهو من أصل باعمراني جنوب المغرب، وقد شب وترعرع في هذه القرية، في ظل أسرة محافظة، فالتحق بمسجد قرية المزار لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن. لأن قرية المزار من قبيلة كسيمة كانت بها مدرسة قرآنية مشهورة بالقراءات السبع والعشر، وهي مدرسة يوازي نشاطها وجهاد قرائها نشاط المدارس العلمية وجهاد علمائها الذين أدوا واجبهم لنشر العلوم العربية والإسلامية في هذا الجزء من الوطن. إذ كانت هذه المدرسة من مدارس القراءات العشر أواخر القرن الثالث عشر، وتضم جلة من العلماء الأفذاذ كسيدي عبد الله الرگراگي، والمقريء الشهير سيدي محمد الضحاك الباعمراني.

كان المزاري أثناء تعلمه القرآن في هذه المدرسة يتمتع بحيوية ونشاط وذكاء حاد تميز به عن أقرانه بالقرية، ومع ذلك لم ينل حظا كبيراً من التعليم غير القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، إلا أنه بفضل ذكائه المتميز أصبح - بعد مخالطته للأجانب أثناء الاشتغال بالتجارة بمدينة أگادير - يتحدث العربية والفرنسية وغيرهما من اللغات الأجنبية الأخرى بطلاقة كبيرة، مما يسر له الانخراط في سلك رجال الأعمال الكبار رغم حداثة سنه.

وفتح الله عليه في باب التجارة والإحسان إلى الناس، وتقلب في عدة أنواع من التجارة، فاستثمر مع الأوربيين أمواله في تجارة عرض الأفلام السينمائية حتى اقترنت معظم دور السينما بالجنوب في أكادير وتارودانت وتزنيت باسمه، كما استثمر أمواله في السياحة والفلاحة.

وهذه الأنواع من التجارة في وقته قل من يتعاطها من المغاربة، مما جعله يَحتكُّ كثيرا بالأوربيين الذين يمارسون هذا النوع من التجارة لما وجد فيهم من الوضوح في المعاملات، والعلم بفنون التجارة وألوانها وأشكالها، كما وجد فيه الأوربيون الذكاء الحاد والرغبة الأكيدة في الاستثمار المالي مما جعلهم يتشبثون به فشاركوه في الاستثمار طوال حياته.

ورغم تأثره بالأوربيين في معاملاته فقد اعتمد في إدارة شؤونه المالية والإدارية من أمنهم على ممتلكاته من أبناء قريته كالحاج الحسن بن المودن الذي عاشره مؤتمنا على معظم ممتلكاته منذ شبابه إلى أن وافاه الأجل المحتوم. كما أنه لا يقدم على عمل من الأعمال إلا إذا استشار فيه ذوي الاختصاص من بني جلدته وأقاربه، ويقرب إليه كل من استأنس منه الاستفادة من خبرته وتجربته من العلماء.

وقد هيأ الله لقرية المزار أن تشتهر بسببه على مستوى العلم والمعرفة بفضل تكرمه على جمعية علماء سوس، بوقف داره وضيعته بهذه القرية لتؤسس عليها كلية الشريعة سنة 1977 ، وهي أول نواة جامعية بالجنوب المغربي فحقق بذلك الطموح الذي كان يُراود أبناء منطقة سوس وهو إحداث تعليم جامعي بالمنطقة.

وكان هذا الهم من الهموم التي شغلته ، مع سعة ذات يده، وقيامه بفعل الخير المتمثل في بناء المساجد والإنفاق على طلبة مسجد المزار، والتبرع بأملاكه لإقامة مدارس ابتدائية بقريته، ولكن رغبته في إقامة نواة التعليم الجامعي، تتميما للرسالة التي يقوم بها المعهد الإسلامي بتارودانت آنذاك في نشر التعليم الديني العربي الإسلامي، كانت تراوده دائما، إلى أن جاءت فرصة انعقاد مؤتمر رابطه علماء المغرب بأگادير يومي 8-9 ماي 1977 ، فاستضاف المرحوم يحيى بن يدر أعضاء المؤتمر، ومن ضمنهم رئيس الرابطة آنذاك الأستاذ عبد الله گنون، فاستشارهم في كيفية تحقيق مثل هذا المشروع العلمي الجامعي الإسلامي، الذي شغل باله مدة طويلة، وبعد المذاكرة في الموضوع مع ذوي الرأي السديد، أعلن أمام الحضور أنه تبرع بداره وضيعته لإقامة مؤسسة جامعية عليها، وأكد هذا الكلام أمام جلالة الملك الحسن الثاني بفاس بعد أيام من هذا المؤتمر بصحبة وفد من جمعية علماء سوس، وبحضور السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية آنذاك الدكتور أحمد رمزي، وقال في حقه جلالة الملك، وهو يحدث العلامة عبد الله گنون رئيس رابطة علماء المغرب، وهو ضمن الوفد : "لقد سرني أيها الفقيه ما أقدم عليه هذا المواطن الصالح، وأريد أن أستشير العلماء في هذا الموضوع، وأتعرف على رأيهم نحو هذه المبادرة الكريمة من سوس.

وقد وعد المترجم بإعداد تصميم معماري للكلية وبنائها على نفقته، وأنه يوقف عليها ما يكفي ريعه نفقتها وتجهيزها، وقد وجه جلالة الملك الخطاب إلى وزير الأوقاف بعد هذا التصريح بقول فيه : "علينا أن نعمل جميعا مع هذا المواطن الصالح، حتى لا يبقى وحده، علينا أن نشجعه ونتعاون معه، وما عليك إلا أن تهيئ التصميم وتقدمه لي في أقرب وقت لأتبرع بدوري، وتتبرع وزارة الأوقاف بدورها لينجز المشروع في أحسن الظروف".

غير أن أجله وافاه قبل إنجاز ذلك الوعد، فتوفي أواخر عام 1978، ولكن المشروع تحقق كما تصوره، إذ انطلقت الدراسة الجامعية في مفتتح الموسم الجامعي 78 ـ 79 في داره بقرية المزار، التي كانت عبارة عن دار كبيرة فيها قبة مزخرفة وصالونات لاستقبال الضيوف، ومسبح وقاعة للسينما لعرض الأفلام، وغرف متعددة، فتحولت هذه الغرف إلى إدارة كلية الشريعة والسينما إلى مدرج لإلقاء الدروس، والقبة لقاعة الأساتذة. إلى أن شيدت الكلية وفق تصميم يستجيب وحاجيات المؤسسة الجامعية مع التجهيزات المطلوبة على نفس الضيعة بجانب المنزل الذي مازال محتفظا برونقه وجماله المعماري كما صممه المرحوم يحيى بن يدر، فأصبحت الآن كلية الشريعة التابعة لجامعة القرويين ضمن المؤسسات الجامعية التي ساهمت بتطوير البحث العلمي الجامعي، ونشر التعليم الديني الإسلامي العربي بمنطقة سوس والمغرب عامة، وأصبحت قرية المزار الآن مقرونة بهذه الكلية ومعروفة، وقد اختاره الله إلى جواره وهو في أوج عطاءاته الخيرية في مختلف الميادين.

م. المختار السوسي، *المعسول*، موضوع المدارس ؛ *خلال جزولة*، ج 4 و موضوع المدارس، كلمة عميد كلية الشريعة الحسين واگاگ في الذكرى العاشرة لتأسيس كلية الشريعة، دجنبر، 1988 ؛ *رواية شفوية* لمعتمده في شؤونه التجارية الحاج الحسن بن المودن المزاري.

الحسين أفا

**مزال** (آيت -) قبيلة سوسية، تقع مواطنها بالجزء الأوسط الغربي من جبال الأطلس الصغير غير بعيد عن منطقة الاتصال بين هذه السلسلة وسهل اشتوكن. يحدها شمالاً : آيت واسيم وتاسكدلت من قبيلة إيلالن وجنوباً : آيت والياض وآيت وادريم، غرباً قبيلة اشتوكن، وشرقاً ايداوكثير وآيت واسيم.

وحسب علمنا، فإن أقدم إشارة إلى القبيلة وردت عند صاحب "*ديوان قبائل سوس*" خلال القرن 16. وكان مجموع مساهمتها آنذاك في حملة أحمد المنصور يبلغ خمسين سرجة، وهو عدد متوسط بالمقارنة مع إسهامات القبائل الأخرى.

ويستشف من خلال وثائق محلية، أن إسم آيت مزال يتردد باستمرار في سياق الارتباط العضوي مع فصائل تدخل ضمن قبائل إيلالن، وهو مؤشر دال على أنها كانت في الأصل متحدة ومندمجة في إطار قبلي أوسع.

وترسم أعراف آيت مزال معالم قبيلة استطاعت أن تنظم مؤسساتها الجماعية، وأن تحمي زواياها ومزاراتها كمحطات آمنة وتسهر على حماية القوافل التجارية المارة بترابها، مقابل إتاوة تبلغ 2,5٪ من قيمة البضائع المحمولة.

ويبدو أن موقع القبيلة، جعلها مستهدفة من قبل الحركات المخزنية، ففي سنة 1896، توغل بترابها الحاج أحمد الگيلولي "فغلب عليها، واستصفى حصون مخازنهم، وهدم معاقلهم وصادر أغنياءهم". وكان لآيت مزال حضور متميز في كل المحطات الجهادية التي عرفتها منطقة سوس، ففي سنة 1921، استطاعت بمعية قبائل آيت وادريم وآيت صواب، إفشال مخطط الطيب الگندافي لفتح جبهة جديدة داخل جسم القبائل المحصنة بجبال الأطلس الصغير. وبنفس الحماس، كانت للمزاليين مشاركة متميزة في واقعة آيت باها سنة 1936 التي زعزعت كيان الاستعمار بسوس.

وتشكل مدارس سيدي عمرو وتمزگيدا وأسيف واسرير، مظهراً من مظاهر الحركة العلمية بالقبيلة، وقد درس بها فطاحل من العلماء المشهورين أمثال : الحسن بن أحمد التاسگدلتي وأحمد بن محمد أوجمل المزالي.

الحساني، *ديوان قبائل سوس*، مخطوط ؛ السوسي، *المعسول*، ج 3 : 261، 5 : 316، 6 : 14 ـ 166، 8 : 123، 14 : 8 ؛ *وثائق محلية*.

أحمد بومزكو

**المزامزة** (قبيلة -) كبيرة من قبائل الشاوية، تنتمي لقسم أولاد بورزك الذي يضم نصف الشاوية. تقطن المزامزة منطقة منبسطة تتخللها بعض المرتفعات التلية، وهي تحيط بمدينة سطات التي شيد مولاي إسماعيل قصبتها. وتخترق أرض المزامزة أودية ومجاري وتكثر فيها العيون ؛ مثل عين سطات، عين علي مومن ـ عين نزاغ ... الخ وتربتها تربة خصبة.

أما فيما يخص أصول المزامزة فهناك خلاف بين الروايات التاريخية ؛ فبعض هذه الروايات يرجع أصل المزامزة إلى قبيلة أمزميز الموجودة بدير الأطلس، جنوب مراكش. وهناك رواية أخرى محلية تدعي بأن أصل المزامزة من العرب، وتقول إن أولاد الحسن بن أبي سعيد الصبيحي كانوا أقدم من استقر بالمنطقة في عهد السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق. وتشير الرواية التي تؤيد الأصل العربي إلى استقرار فرق من زغبة وجشم الذين جاؤوا من تادلة.

ويجب التنبيه إلى أن بعض العادات والممارسات التي كانت منتشرة بالمزامزة إلى عهد قريب، زيادة على الآثار التاريخية الموجودة بالقبائل المجاورة، أي امزاب وأولاد بوزيري وأولاد سيدي بن داود ؛ تدفع الباحث إلى عدم استبعاد الأصول البرغواطية المصمودية المحلية.

وعليه يمكن التأكيد إجمالا : على أن قبيلة المزامزة قبيلة كبيرة من قبائل الشاوية، اندمجت وانصهرت فيها عناصر مصمودية وعربية، وكونت قبيلة شهيرة متماسكة، لعبت أدواراً تاريخية رئيسية في تاريخ تامسنا والشاوية بخاصة وفي تاريخ المغرب بعامة.

تنتمي إلى قبيلة المزامزة أسرة الغازي بن المدني، وهو أستاذ وحاكم شهير، إذ تولى قيادة تامسنا وتادلة وعرب الويدان وبني حسن، زيادة على مدينتي الرباط وسلا في عهد السلطان مولاي سليمان (1794 ـ 1822). ومنذ ذلك الحين، أصبح لقواد المزامزة من أسرة الغازي شأن كبير في أوساط المخزن انتهى إلى حد المصاهرة. فقد تزوج السلطان مولاي

الحسن العالية بنت صالح بن الغازي المزامزي، وهي التي ولدت السلطان مولاي عبد الحفيظ.

وقد تسلسل الحكم في أسرة الغازي بن المدني إلى عهد الاحتلال الفرنسي سنة 1909، بل وإلى ما بعد ذلك. فآخر قائد للمزامزة قبيل الاحتلال، كان هو الحاج المعطي بن عبد الكبير بن المدني المزامزي؛ الذي تولى الحكم سنة 1877 إلى سنة 1908.

اشتهرت قبيلة المزامزة بصلابتها وبقوتها الحربيةبين قبائل الشاوية، فقد شاركت في أغلب النزاعات المحلية. وكانت لها كلمتها في مصير الشاوية، كما ساهمت بدور فعال في مقاومة الاحتلال الفرنسي، حيث كانت أرضها ميدانا لمعارك عديدة وخاصة في مدينة سطات. ذلك أن جيش الاحتلال الفرنسي لم يحتل مدينة سطات إلا بعد خوضه لثلاث معارك، كانت أولاها في 15 يناير وآخرها في 9 أبريل سنة 1908. ومنذ ذلك الحين أصبحت المدينة والقبيلة تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي.

كانت قبيلة المزامزة في بداية القرن العشرين تتألف من حوالي 1250 خيمة. وتنقسم إلى الفرق التالية: أولاد العروصي - العراير - أولاد يدر - الدرابلة - موالين الواد - أولاد حميد - بني مجريش وأولاد العربي - باور.

العربي العزوزي المزامزي، *نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية المشاهير*، مخطوط خاص؛ ع. الخديمي، *عواقب التدخل الأوربي بالشاوية خلال القرن التاسع عشر*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1985، ع 11.

*Villes et tribus du Maroc*, Casablanca et les Chaouia, t. 2 ; Lt. Delhomme, Notice sur Settat la région de Settat, in *Bull. de la société géo., et d'archéologie., de la province d'Oran*, 1913.

**المزامزي، عبد السلام** بن **المعطي** عبد السلام ابن عبد الكبير، كان خليفة أبيه في حكم قبيلة المزامزة وما انضاف إليها من القبائل، وكان على جانب كبير من الشجاعة والتعقل، يميل إلى أعمال البر، من ذلك أنه بنى مدرسة للتعليم بمدينة سطات، وكان يرعاها ويصرف عليها من ماله، وبذلك ساهم في نشر المعرفة ببلاده وخلد اسمه في سجل أهل الفضل والخير، بعدما كان حاكما مسلطا قبضته على قبيلته.

العربي العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر*.

**المزامزي، الكبير** بن **المدني** اشتهر بالشجاعة والرأي السديد، كما اتصف بخصال النجابة والعقل والتمييز؛ ولعل هذه الخصال هي التي رشحته ليتولى قيادة قبائل أولاد بورزك في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان (1822 - 1859)، وقد استطاع بسلوكه سياسة اللين والحكمة أن ينشر نفوذه بين القبائل التي سادها الاستقرار في عهد ولايته. لكن إخوانه المزامزة ثاروا عليه وحاصروه في داره ثم أخرجوه منها ونهبوها، ونشروا الفتنة بالمنطقة حوالي سنة 1285 1868، فأمده السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بالجنود والسلاح، وأمر جيران المزامزة بمحاصرتهم والتضييق عليهم، وبذلك تمكن القائد الكبير بن المدني من العودة لداره بسطات بعد انهزام خصومه. ولما استقر في دار حكمه رغم أنف أعدائه، نكل بهم فقتل من قتل وسجن من سجن وفرض الذعائر والغرامات على من أراد. وشدد الخناق على قبيلة المزامزة بمساعدة ابنه المعطي بن عبد الكبير. وهكذا تمكن من فرض سطوته فأطاعته القبيلة بأجمعها، وصفا له الجو إلى وفاته عام 1291، حيث خلفه ابنه الحاج المعطي بن الكبير المزامزي في القيادة.

**المزامزي، محمد** بن **عبد الله** بن صالح ابن القائد الشهير الغازي المزامزي؛ فهو ابن خال السلطان مولاي عبد الحفيظ، لأن العالية هي أخت المترجم، وقد اعتمد مولاي عبد الحفيظ على خدمات ابن خاله في سطات، إذ كان عينه التي يرى بها وأذنه التي يسمع بها هناك. ولهذا كان محمد ابن عبد الله في صراع مع المحتلين ومساعديهم في مدينة سطات، مثل القائد علي بن المعطي. تولى لفترة محدودة قيادة المزامزة ثم وظيفة علاف. لكن مهنة الكتابة غلبت على نشاطه. فعيّن كاتبا للسفارة المغربية التي ترأسها محمد المقري إلى باريز سنة 1909 - 1911.

علال الخديمي

**المزامزي** (الحاج -)، **المعطي** بن عبد الكبير (1835 - 1908)، شخصية مخزنية شهيرة توفرت لها، بالرغم من أصلها البدوي، كل أسباب النجاح ليصبح صاحبها ركنا هاما من أركان المخزن المغربي في واحدة من أكثر المناطق استهدافا من طرف الأجانب في مغرب نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. فهو إلى جانب كونه سليل إحدى العائلات المخزنية الكبيرة في منطقة الشاوية، شغلت كقواد في الجيش أو كممثلين للمخزن في بعض القبائل والمدن، كانت لعائلته علاقات مصاهرة مع بعض السلاطين في القرن التاسع عشر، ومنهم السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن الذي تزوج - حسب گوفيون (Gouvion) - إحدى شقيقات المترجم، كما أن إحدى بنات عمه العربي كانت واحدة من زوجات ابنه السلطان المولى الحسن، بل إن إحدى بنات المترجم نفسه تزوجها هذا الأخير. كما أن المترجم كان من أكبر أثرياء منطقة الشاوية إلى درجة أنه كان يقوم بالإنفاق من ماله الخاص على المهام التي كان يتكلف بها من لدن السلاطين، بما فيها مهام السفارة إلى الخارج. كل هذا جعله يضطلع بأدوار هامة أثناء حكم السلطان المولى الحسن وكذلك ابنه المولى عبد العزيز، سواء على المستوى الداخلي كقائد لقبيلة المزامزة، أو كعامل لبعض الوقت على مدينة الدار البيضاء،

أو على المستوى الخارجي كسفير للمولى الحسن إلى كل من فرنسا في 1889 وإيطاليا في 1890.

ولد بمدينة سطات بمنطقة الشاوية في 1251 / 1835، وظهرت عليه سمات الإقدام والجسارة منذ طفولته فانضم وهو مازال شابا يافعا إلى محلة السلطان كقائد أرحى، حيث شارك في العديد من الحركات عين على إثرها خليفة على المزامزة إحدى قبائل الشاوية المشهورة. وعند وفاة والده عبد الكبير بن المدني في 1873، الذي ظل قائدا على قبائل الشاوية كلها منذ سنة 1854، ولاه السلطان المولى الحسن مكانه على المزامزة وعلى مركزها مدينة سطات وعلى غيرها من قبائل الشاوية، وفي نوفمبر 1886 أضاف إليه، بشكل مؤقت، حكم الدار البيضاء مكان الأمين الحاج العربي بن محمد بريشة، وذلك إلى أكتوبر 1888 حيث بعثه سفيرا إلى فرنسا. وكانت المرة الأولى التي تم فيها تكليفه بمهمة دبلوماسية على هذا القدر من الأهمية بالنظر لما كان يشوب العلاقات بين البلدين من فتور شديد خلال هذه المرحلة من جهة، ولكون المترجم كان يبدو الشخص المناسب للقيام بهذه المهمة من جهة أخرى، سواء بالنسبة للسلطان الذي قام باختياره لهذه السفارة - حسب ما كتب به إلى نائبه بطنجة الحاج محمد الطريس في 18 سبتمبر 1889: "لذكائه ونباهته وكونه من ذوي القدم الراسخ في خدمتنا الشريفة خلفا عن سلف مع ما لهم من الاتصال بجانبها العالي بالله من قديم..."، أو بالنسبة للجانب الفرنسي حيث وصفه تقرير صادر عن المفوضية الفرنسية بطنجة في 23 غشت 1889 بأنه: "رجل ذكي يتميز بأساليب اللياقة، متفتح الفكر، قابل لكل ما هو وارد عن أوربا، وهو في ذلك يختلف عن باقي المغاربة".

لقد اغتنم السلطان المولى الحسن زيارة الوزير الفرنسي باطنوطر (Patenôtre) له بفاس في أبريل 1889 لتقديم أوراق اعتماده كممثل لبلاده بطنجة لطرح فكرة إرسال سفارة عنه إلى باريس لوضع حد للشائعات الرائجة حول تدهور العلاقات بين البلدين، وذلك بمناسبة تنظيم معرض دولي بها في نفس السنة وانتخاب رئيس جمهورية جديد للبلاد، وكان من الطبيعي أن ينال ذلك استحسان الزائر الفرنسي شريطة مرورها بالجزائر للتأكيد على الروابط المتينة التي تجمع بين البلدين الجارين.

وكانت السفارة تتركب من طاقم كبير بلغ عدد أعضائه ثمانية وعشرين عضوا، حسب ما كتب به باطنوطر في رسالة طويلة إلى حاكم الجزائر ترمان (Tirman) في 23 غشت 1889 بشأن البرنامج الكامل للبعثة المغربية. إذ، بالإضافة إلى المترجم، ضمت الأمين الحاج محمد ابن المدني بنيس والكاتب الطالب أحمد الكردودي، وحاشية كبيرة تتكون من مؤذن وإمام وترجمان (مغربي) وكاتبين خاصين لبنيس سابق الذكر، وأربعة من قواد المائة وخمسة عشر من الخدم. وكان أحد هؤلاء مكلفا بالعناية بالخيول الإثنى عشر التي كانت البعثة تصطحبها معها، وكان عشرة منها موجهة إلى الحاكم العام بالجزائر واثنان موجهان إلى رئيس الجمهورية الفرنسية.

ركب أعضاء البعثة المغربية الجوالة ريدو طابل (Redoutable) بميناء طنجة يوم الخميس 5 سبتمبر 1889، رافقهم في سفرهم ترجمان المفوضية الفرنسية بياط (Piat). وكان مقررا أن تتوقف البعثة بوهران يوما واحدا قبل أن تستأنف سيرها في اليوم الموالي (الجمعة) نحو مدينة الجزائر عن طريق البر بواسطة قطار تم تجهيزه لهذه الغاية. وكان الغرض من ذلك، كما حدده باطنوطر نفسه في الرسالة السابقة، دعائيا يهدف إلى تمكين أعضاء البعثة من أخذ فكرة عن إنجازات الاستعمار الفرنسي في البلد المجاور للمغرب. وقد استقبلت البعثة بعد وصولها في مساء نفس يوم الجمعة بشكل رسمي من طرف الحاكم العام للجزائر ترمان بالقصر الشتوي بالعاصمة الجزائر، كما حظيت أيضا بترحيب حار من لدن الجزائريين نشرت أصداءه جريدة لاديبيش ألجيريان *(La Dépêche Algérienne)* ليوم 10 سبتمبر الجاري.

لقد كلف مرور البعثة المغربية بالأراضي الجزائرية، وهي في طريقها إلى باريس لتهنئة كارنو (Carnot) بمناسبة انتخابه رئيسا للجمهورية الفرنسية، مبلغا قدره 6539 فرنكا و10 سنتيمات، وكان ذلك مثار خلاف شديد بين حكومة الجزائر التي طالبت باسترداد هذا المبلغ لأنه لا يوجد له مكان في ميزانيتها، وبين وزارة الخارجية الفرنسية التي ظلت ترفض تأدية ذلك لأن مرور السفارة المغربية بالأراضي الجزائرية كان بطلب من حكومة الجزائر نفسها وكان أيضا في صالحها.

في 15 سبتمبر وصلت البعثة المغربية إلى مرسيليا مرورا بتولون (Toulon)، وفي 20 منه إلى باريس حيث: "قدم الحاج المعطي أوراق اعتماده إلى الرئيس كارنو أثناء حفلة استقبال تبودلت فيها الخطب للإشادة بحسن التفاهم الموجود بين فرنسا والمغرب كما اقتبل السفير من لدن وزير الشؤون الخارجية".

وقام أعضاء البعثة المغربية في أثناء وجودهم بباريس بزيار للمعرض الدولي المقام بها في 24 سبتمبر، كما أهدى المترجم لعمدتها مبلغ 300 ريال لتوزيعها على فقراء المدينة التي غادروها في 10 أكتوبر نحو مدريد ومنه إلى طنجة على متن سفينة إسبانية تدعى نڤارا (Navarra).

ولم يكد يمر وقت طويل على عودة المترجم إلى المغرب في نفس الشهر (أكتوبر) من رحلته السفارية التي قادته إلى كل من الجزائر وفرنسا وإسبانيا حتى أوفده المولى الحسن في 1890 على رأس سفارة جديدة هذه المرة إلى ملك إيطاليا أمبرتو الأول، وكان قد أرسله قبلها بوقت قصير في مهمة إلى ألمانيا حيث تفيد رسالة بعثها أمناء طنجة إلى السلطان المولى الحسن بتاريخ فاتح رمضان 1307 / 21 أبريل 1890 أن الحاج المعطي بن عبد الكبير المزامزي جلب من ألمانيا مدفعا

للمغرب وأنزل في مرسى العرائش. هذا ويدخل إرسال المترجم إلى ألمانيا ضمن سياسة عامة قرر المولى الحسن اتباعها تقول عنها بهيجة سيمو أنها : "تندرج [...] في سياق دبلوماسي اختاره السلطان مولاي الحسن لإعطاء دفعة للعلاقات الديبلوماسية، ومن ثم لمحو ما خلفته المرحلة السابقة التي عاشت نوعا من التوتر المتمثل في مناقشة بعض القضايا الساخنة، وتجاوز الفتور الذي انتاب علاقات المغرب ببعض الدول المجاورة".

جاء إرسال هذه السفارة، بعد مرور سنتين على سفارة الحاج محمد الطريس إلى الفاتيكان في 1888، كرد على سفارة كانطكالي إلى السلطان المولى الحسن واللقاء معه بتطوان في 1889، وكانت تتشكل من 26 عضوا أهمهم، بالإضافة إلى الحاج المعطي بن عبد الكبير المزامزي، الكاتب الحسين بن سعيد بن أحمد وأمين الصائر عبد المجيد بن علال التازي. غادر أفراد البعثة المغربية مدينة طنجة في 4 يونيو 1890 على متن السفينة الإيطالية ميساجيرو في اتجاه نابولي، ومنها نحو روما حيث تم استقبالهم بشكل رسمي من قبل الملك أمبرتو يوم الأحد 15 يونيو بقصر كويرنالي (Quirinale). وقد قام أفراد البعثة المغربية بزيارة عدة منشآت شملت بالخصوص مصانع الأسلحة بروما قبل أن يغادروها في 7 يوليو في اتجاه مدينة ليڤورنو ومنها توجهوا إلى فرنسي ثم البندقية فميلانو حيث قاموا بزيارة عدة مصانع بها. وكانت مدينة لاسبيزيا التي حلوا بها في 26 يوليو آخر محطات السفارة المغربية بإيطاليا قبل أن تغادرها في اتجاه المغرب في 30 منه على متن السفينتين إيطوري فييراموسكا وميساجيرو اللتين وصلتا إلى طنجة في الخامس من شهر غشت 1890، حيث وجد المترجم في استقباله النائب السلطاني الحاج محمد الطريس والوزير المفوض الإيطالي كانطكالي وأعضاء البعثة العسكرية الإيطالية، وقد انتقل المترجم بعد ذلك إلى الرباط حيث كان يوجد السلطان المولى الحسن آنذاك.

لقد خلفت هذه السفارة أصداء إيجابية كثيرة سواء بالنسبة للمخزن المغربي الذي أذهلته بالفعل حفاوة الاستقبال الذي حظيت به أثناء وجودها في إيطاليا، كما عبر عن ذلك الوزير محمد المفضل غريط بقوله : "أنه لم يسبق لسفير من السفراء المغاربة لدى ملوك أوربا أن حظي بهذا النوع من الاستقبال" وهو ما يعكس روح التعاون السائد بين البلدين، أو بالنسبة لإيطاليا حيث أعطت هذه السفارة دفعا قويا لاستعانة المغرب بها في مجال الإصلاح، وهو ما شكل انتصارا حقيقيا للدبلوماسية الإيطالية على غريماتها الأوربيات في المغرب.

هذا ولم يمر وقت طويل على عودة المترجم إلى منطقة حكمه بقبائل الشاوية حتى توفي المولى الحسن أثناء رجوعه من حركته الثانية إلى تافيلالت في 1894، وكان المترجم نفسه من المشاركين فيها. وقد تركت هذه الوفاة في نفسه أثرا عميقا تجسد في انحيازه إلى جانب خلفه المولى عبد العزيز وإغداقه عليه - حسب كوفيون - الكثير من المال والهدايا في مناسبات عدة. وكان أهم ظهور للمترجم على الساحة السياسية بعد استلام المولى عبد العزيز لدفة الحكم بشكل مباشر، بعد وفاة الوصي عليه الوزير أحمد بن موسى في 1900، هو مشاركته في التصدي لثورة بوحمارة عند اندلاعها في 1903، وقد ترتب عن ذلك خروج قبائل الشاوية عن سلطته وفشله في ردها إلى جادة الصواب بسبب كبر سنه، مما أرغمه على التخلي عن حكمها لفائدة خليفته وابنه علي الذي فشل بدوره في ذلك إلى أن استولى الفرنسيون على المنطقة سنة 1908. وهي السنة التي تم فيها خلع السلطان المولى عبد العزيز من الحكم وتولية أخيه المولى عبد الحفيظ مكانه، ووافت فيها المنية المترجم بعد حياة حافلة بالأحداث والتقلبات استطاع خلالها أن يتدرج من الخدمة في العسكر إلى حكم واحدة من أكبر وأهم القبائل في المغرب، إلى ممارسة العمل الدبلوماسي كسفير لبلاده في عدة دول أجنبية.

رسالة من السلطان المولى الحسن إلى الحاكم العام للجزائر "ترمان" بتاريخ 12 ذي الحجة 1306 / 9 غشت 1889 ؛ رسالة من الحاكم العام للجزائر "ترمان" إلى السلطان المولى الحسن بتاريخ 12 سبتمبر 1889 ؛ رسالة من السلطان المولى الحسن إلى الحاج محمد الطريس بتاريخ 10 ذي القعدة 1306 / 8 يوليو 1889، مح. 7 / 154 ؛ رسالة من السلطان المولى الحسن إلى الحاج محمد الطريس بتاريخ 17 ربيع الأول 1307 / 11 نوفمبر 1889، محفظة 8 / 19 ؛ رسالة من السلطان المولى الحسن إلى الحاج محمد الطريس بتاريخ 19 رمضان 1307 / 9 ماي 1890، مح 8 / 122 ؛ رسالة من المفوضية الفرنسية بطنجة إلى الحاج محمد الطريس بتاريخ 2 ربيع الأول 1307 / 27 أكتوبر 1889، مح. 38 / 115 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 351 - 354 ؛ أ. الكردودي، *التحفة السنية*، 97 - 100 ؛ ب. سيمو، *العلاقات المغربية الإيطالية 1869 - 1912*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003، ص. 452 - 485 ؛ م. بوشعراء، *الحماية والاستيطان*، ج. 1 و2 ؛ *مجلة تطوان*، ع. 6، ص. 186 - 187.

*Archives d'Aix-En-Provence*, série ; Lettre de Patenôtre au Gouverneur Général de l'Algérie du 23 août 1889 ; Lettre du Ministre des Affaires Etrangères au Gouverneur Général de l'Algérie du 12 oct. 1889 ; Lettre du Gouverneur Général de l'Algérie au Ministre des Affaires Etrangères à Paris du 16 oct. 1889 ; *La Dépêche Algérienne du oct. 1889* ; M. et E. Gouvion, *Kitab A'yane al-Maghrib 'l-Akça*, Paris 1939, p. 557 - 562 ; *Villes et Tribus du Maroc :* Casablanca et les Chaouia.

أحمن ميلود

**الـمزاوگي** أو لمزوگي، فن غنائي شعبي، منتشر في سهول الغرب بين وادي سبو ووادي درعة. وتختص به النساء في هذه المنطقة مثلما تختص نساء المدن بفن لَعْرُوبي.

ويبدو أن التسمية منحوتة من أزگا في اللهجة البدوية بمعنى صاح. ويرى الدكتور الجراري أن الشبهَ بين الفنين كبير لدرجة اختلاط كلماتهما حتى ليشق التمييز بينهما. غير أن الأمر على العكس من ذلك بالنسبة للجانب الموسيقي.

تتعدد المناسبات التي تعقد فيها حفلات لمزاوگي، ومنها حفلات الحناء والأعراس والختان واستقبال الحجاج وختم

القرآن، على أن موضوع المرأة يبقى الأكثر تناولا في هذه المناسبات، حيث تتسم الأغاني بطابع الحزن والأسى.

والعادة أن تتصدى القائلة للغناء بمفردها فتغني شطرا أو أكثر. ثم يُثني عليها النساء مرددات آنا ما غنته من كلمات، ومُوَلْوِلات بالزغاريد آنا آخر. وقد تصاحب الغيطةُ غناء القائلة.

وتختلف الزغاريد بحسب موقعها من لـمزُوگية، فهي عند الفصل بين أشطر المقطع قصيرة (يُوِيْ)، وعند الفصل بين مقطع وآخر طويلة، وفي نهاية العرض أكثر طولا.

عباس الجراري، *القصيدة*، ص. 69 ؛ إ. كرم، *أغاني النساء بسهول الغرب*، البحث العلمي، ع 31، أكتوبر، 1980، ص. 222 - 250.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**مزدغة** ، قبيلة من البربر قريبة من مدينة صفرو، وقد هبطت مزدغة اليوم إلى مرتبة العشائر، منها بقية بأولاد الطالب تدعى مزدغة الجرف لتواجدهم بجبيل حجري تنساب منه مياه على شكل شلال يسقى البساتين، وخصوصاً أشجار الزيتون، يذكر صاحب *(Notices sur le cercle de Sefrou)* أنهم ينتسبون لبني حسن، ومن مزدغة أيضا تجمع آخر يسمى مزدغة السوق بعزابة، وبها تقع زاوية سيدي أحمد بن لهبوب، ويذكر باشلو ورايسر أنهما شرفاء أدارسة.

وبيتهم بيت علم وصلاح، وأولهم يوسف بن عمران المزدغي له ترجمة قصيرة في *جذوة الاقتباس*، ص. 346، فقيه عالم، تولى الخطابة بجامع القرويين بفاس. وحفيظه أبو القاسم محمد بن محمد بن يوسف، وبعده ابنه يحيى بن أبي القاسم بن عبد الرحمان بن يوسف، ثم ابنه الفقيه الخطيب أبو الفضل محمد بن أبي الحسن وكذلك ولي بعضهم القضاء بمدينة فاس، وهم الفقيه الخطيب أحمد بن الخطيب محمد بن يوسف المزدغي، وقد كان إلى جانب ذلك شاعراً كبيراً وأطلق اسمه على بعض الأزقة بفاس. ولهم روضة قرب باب الفتوح.

توفي سنة 653.

*بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972 ؛ علي لغزيوي، *أعلام صفرو ومنطقتها*، مجلة *الجواهر*، ع 35، فاس،2002 .

Cap. Russer et Cap. Buchelot, Notices sur le cercle de Sefrou, *BSGM*, n° 4, 1918.

الحسين البعاوي

**الـمزدغي، محمد** بن **يوسف** بن عمران : من أهل مدينة فاس، ومن أسرة بربرية شهيرة في العلم. كان أبوه من علماء وصلحاء فاس، وكان أبناؤه وأحفاده من العلماء أيضا، توارثوا الخطابة بالقرويين لأجيال.

أخذ عن علماء بلده، ثم رحل إلى الأندلس طلبا للمزيد، وتلقى عن بعض علماء قرطبة وإشبيلية، فأخذ الحديث عن أبي ذر بن أبي ركب، وأبي محمد عبد العزيز بن علي بن زيدان وغيرهما.

كان واسع المعرفة في علم الكلام والأصول وعلوم اللغة وغيرها، حافظا للحديث. وقد أهله علمه الواسع للتصدر للفتوى. ثم ولي الخطابة بجامع القرويين في أواخر حياته سنة 653 / 1255 ، لكنه لم يلبث أن اقتصر على الصلاة وقدم للخطبة ابنه أبا القاسم.

اهتم بالتأليف فوضع عدة كتب منها *تفسير القرآن*، انتهى فيه إلى سورة الفتح وحالت وفاته دون إتمامه، وكتاب *أنوار الأفهام في شرح الأحكام* ، انتهى فيه إلى باب الأقضية، وتأليف في حديث "*إذا نزل الوباء بأرض قوم*"، وتأليف فيما *يجوز للفقراء المضطرين في أموال الأغنياء المغترين*، *وأرجوزة في العقائد*.

روى عنه مجموعة من العلماء منهم أبناه أبو جعفر وأبو القاسم، ومحمد بن عبد الرحمن بن راشد العمراني والمؤرخ محمد بن عبد الملك المراكشي.

توفي بفاس في ربيع الأول سنة 655 / 1257.

ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، دار المنصور، ص. 8 - 9، الرباط، 1972 ؛ ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، ص. 81 - 82 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 222، الرباط، 1973 ؛ أ. التنبكتي، *نيل الابتهاج* ، كلية الدعوة الإسلامية،ص. 229، الرباط، 1986 ؛ الجزنائي، *جنى زهوة الآس في بناء مدينة فاس*، المطبعة الملكية، ص. 60، الرباط، 1967 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، ج 2، ص. 38 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، بيروت، ص. 199.

محمد المغراوي

**الـمزطاري**، أسرة يكتب اسمهم تارة بالزاي (المزطاري) وأخرى بالسين (المسطاري) وأحيانا بالصاد (المصطاري). ذكرهم عبد الكبير الكتاني في كتابه "*زهر الآس*" فأخبر بأنهم من قدماء فاس، وبيتهم معروف بها، بيت حسب وفقه، وأصلهم من مكناس، ثم استقروا بفاس ومازالت بقية لهم هناك حتى سنة 1348. كما ذكرهم ابن زيدان في *المنزع اللطيف* حيث ورد اسمهم في سجل ديوان السلطان المولى إسماعيل حول أسر مدينة مكناس هكذا : "أولاد المزطاري أمويون".

عبد الكبير الكتاني، *زهر الآس*، ج 2، الدار البيضاء، 2002، ص. 188 و190 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، تح. عبد الهادي التازي، الدار البيضاء، 1993، ص. 214.

**الـمزطاري، محمد** بن **أحمد** المكناسي، الشيخ الإمام، العارف بالله، المرشد الصوفي الرباني، تولى القطبانية خمسة وعشرين سنة إلى أن توفي، ذكره المرادي في *سلك الدرر* فقال : "...المسلك المرشد الصوفي وقطب الواصلين وأستاذ الأساتذة وشيخ الطائفة... حكى تلميذ المترجم الشهاب أحمد بن إبراهيم الحبالي الإسكندري أنه ما غفل في وقت من الأوقات عن تسعين ألف لا إلاه إلا الله قط في مدة إقامته معه، وكانت المدة المذكورة ثمانية عشر عاما، وكان جبلا من جبال المعارف ومنار هدى وإرشاد" .

ولد عام 1044 / 34 - 1635 بمكناس، وأخذ الطريقة

الشاذلية عن شيخه القطب سيدي قاسم بن أحمد القرشي السفياني المدعو بابن بلوشة ؛ ورحل من مكناس إلى دمشق في غرة جمادى الثانية عام 1096 / 84 ـ 1685، وزار حلب وحماة والقدس والخليل ثم رحل إلى مكة واستوطنها وبها كانت وفاته.

اشتهر المزطاري بالسياحة الصوفية فقد قال لأحد تلامذته يوما : "جئت من المغرب لأعمر ديارك".فجاب بلاد الله عاملا على نشر الطريقة الشاذلية والإكثار من الأتباع، وتلقين الأذكار ؛ "وكل بلاد دخلها تهرع إليه الخلق ويأخذون عنه ويعطيهم الإذن في طريقته وسلوكه" فأصبح له في كل البلاد التي زارها زوايا عامرة وبفضله اشتهرت الطريقة الشاذلية بدمشق وكثر أتباعها. أخذ عنه الطريقة الشيخ محمد بن خليل العجلوني وكتب له بذلك إجازة مطولة، وأخذ عنه أيضا الشيخ عبد الرزاق بن عبد الرحمن السفرجلاني. وحُكيت عنه كرامات كثيرة ؛ وخوارق شهيرة ؛ "لا تسعها الأفهام ؛ ولا يطيقها نطاق الأقلام" على حد تعبير صاحب *سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر*.

توفي بمكة في شهر محرم عام 1107 / 95 ـ 1696 ودفن بباب المعلى قرب ضريح السيدة خديجة.

ع. الرحمان ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 4، 55 ـ 56، الرباط، 1990 ؛ محمد خليل المرادي، *سلك الدرر*، 4 : 33 ـ 34، القاهرة، 1883، ص. 33 ـ 34 ؛ حسن الصادقي، *الوجود المغربي في المشرق*، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، كلية الآداب ، مكناس، 1988، ص. 213 ـ 245.

**المزطاري، محمد بن المعطي** الأموي المكناسي، ويكتب أيضا (المسطاري) الفقيه العلامة المشارك، المطلع النحرير، الخطيب المصقع، الأديب الذواقة، صاحب الذهن الثاقب والعلم الصائب والضلاعة والبراعة في النحو والبلاغة والتخصص والتبريز في فن الخطابة، والمقدرة في حلية الأدب وقرض الشعر مما جعله يُحلى بشاعر الحضرة. قال عنه ابن زيدان في *إتحاف أعلام الناس* : " فقيه عدل مبرز موثق ماهر فرضي جليل أديب ... بارع القلم واللسان، له في الارتجال أكبر باع وشان، جامع لأشتات معاني الكلام في بديع خطاب، مجيد فصيح دون عي ولا إغراب..." وتحدث عنه صاحب *الإعلام* بما لفظه : "... بلغ من الفضائل أسناها، ومن الفصاحة والبلاغة والبراعة ثرياها ودخلت عليه عرائس المعاني من كل باب ..." ولد بمدينة مكناس وبها نشأ ودرس وأخذ عن كبار شيوخها أمثال الشيخ عبد الرحمن بصري ومن في طبقته علما غزيرا متنوعا شمل الفقه وأصوله والتفسير والحديث والعلوم العربية من نحو وصرف وعروض وبيان ولغة وهندسة وحساب وهيئة وتوقيت ومنطق وفلسفة...

كان المترجم من الرؤساء المهرة في الإنشاء والترسيل ما حظي بمكانة عالية عند السلطانين سيدي محمد بن عبد الرحمن (1276 ـ 1290 ـ 1859 / 1873) ومولاي الحسن 1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1894 ) وإلى ذلك يشير ابن زيدان، "يراعه يسيل أدبا ... له اقتدار تام على الإنشاء، صرفه الله تعالى فيه كيف شاء، من أجل ذلك كانت له المرتبة السامية، والمكانة العالية عند السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ونجله مولاي الحسن. أفنى جل عمره في خدمتهما، وملازمة عتبتهما، مواظبا على الكتابة في بساطهما الملوكي، من أعيان الشعراء والكتاب، محافظا على الآداب اللائق بذلك الجناب، مخصوصا بمزيد من الاحترام والاعتناء".

وكان محمد المزطاري يتصف بأخلاق فاضلة وشمائل شريفة وتواضع جم. وأسهم بحظ وافر في قرض الشعر، فجادت قريحته بقصائد شعرية رصف دررها ولآلئها في مناسبات مختلفة "ورفع عن مخدرات النظم والنثر كل حجاب، وصنع من البيان للعقول سحرا، وأفاض في البديع بحرا". فأعطي اسم شاعر الحضرة دون من عداه من الشعراء، من ذلك قصيدته عن حركة السلطان مولاي الحسن إلى سوس سنة 1299 / 1882 وهي محفوظة بالخزانة الحسنية تحت رقم 11059 : 11 ص.

توفي بمدينة مكناس أواسط جمادى الثانية عام 1305 / 1888 ودفن بروضة سيدي عبد الله بن حَمَد خارج باب البرادعيين.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج 4، الرباط، 1990، ص. 268 ـ 271 ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام* ، تح عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، 1977، ج 7، ص. 62 ؛ محمد المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1990، ص. 121.

رقية بلمقدم

**المزمة** : من المدن القديمة بساحل الريف الأوسط، تطل على خليج بحري واسع غرب مدينة نكور بخمسة عشر كلم، بنيت فوق أكمة صغيرة أسفل هضاب أجدير، مقابل جزيرة نكور الحالية، وجعلها هذا الموقع المنفتح شرقا على مصب وادي غيس وما جاوره من الأراضي السهلية، تجمع بين الأنشطة التجارية البحرية ومثيلتها الزراعية، وبذلك استمدت وجودها من تكامل هذين العاملين. ارتبط وجودها بمرسى جزيرة المزمة، ولما بنيت مدينة نكور في بداية القرن الثاني الهجري زادت أهميتها باعتبارها من الحواضر التجارية التابعة لها، ويعتبر كتاب *"المغرب"* لأبي عبيد الله البكري من المؤلفات الأولى التي أشارت إليها خلال إمارة صالح بن منصور الحميري وخلفه، من دون تحديد صفتها أو مستواها العمراني، ويعتقد أنها استقبلت في هذه الفترة مزيدا من السكان بسبب توفرها على أنشطة مختلفة.

وشكل بناء مدينة نكور مرحلة جديدة في تاريخ المزمة، بفضل الجهود المبذولة لتحسين ظروف العيش فيها وبالمراكز الأخرى القريبة منها وعلى رأسها المزمة، كما استفادت من الخدمات المتوفرة آنذاك، حينما أصبحت نكور قطبا تجاريا تلتقي فيها البضائع السودانية والمحلية والأندلسية. وفي هذا

الصدد، فإننا لا نتبين من الإفادات الواردة عند البكري ما يساعدنا على معرفة وضعية المزمة المعماري، ويبدو من السياق أنها ارتقت إلى مستوى المدينة طيلة فترة إمارة نكور، هذا ما يفهم من السياق مع الإشارة إلى وجود صعوبة في تأكيد ذلك أو نفيه. كما تأثرت المزمة سلبا بالأحداث العسكرية التي استهدفت الإمارة، نذكر في هذه المناسبة الحملة الفاطمية برآسة مصالة بن حبوس الذي خرب مدينة نكور وقتل أميرها سعيد سنة 304 / 916. وبالتالي لا نستبعد تعرض المزمة لضربات قوية أتلفت كثيراً من معالمها المعمارية.

وقد عانت مدينة المزمة من الآثار السلبية التي خلفتها هذه الحملة مدة تزيد على ثلاثين سنة، معتمدين على زيارة ابن حوقل لمدينة نكور في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، الذي لاحظ الخراب باديا على المدينة. ولكن المؤلف أغفل ذكر وضعية المزمة المعمارية، وذلك بسبب اهتمامه بالنشاط التجاري الذي كان يعرفه المرسى آنذاك. واستفادت المزمة من تدهور مدينة نكور ابتداء من مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، تبعا لما ورد عند البكري من معطيات إذ اهتمت بأوضاعها سنة 410 / 1019. ففي هذا التاريخ اتخذ أمراء بني جرثم المنحدرين من بني صالح الحميري مدينة المزمة قاعدة لهم، وهذا يدل على تطور آخر عرفته المدينة، عندما أصبحت بديلا عن مدينة نكور، ونعتبر تلك التطورات بمثابة الانطلاقة الأولى في تاريخها المعماري. كما شكل تخريب نكور على يد المرابطين سنة 473 / 1080 عاملا إيجابيا مهما في تطور المزمة، ساعدها على التألق في فترة قصيرة حينما أصبحت المنفذ التجاري الوحيد بالمنطقة، إضافة إلى عوامل كثيرة دعمت نموها بوتيرة سريعة. يستنتج ذلك من الشريف الإدريسي الذي صنفها ضمن القرى، ويعني ذلك عدم توفرها على الأسوار، غير أنها كانت عامرة بالسكان، وهذه إضافة مهمة تفسر ما عرفته من نهضة في الفترات السابقة. وعلى هذا الأساس أصبحت المعلمة البارزة الوحيدة في هذا الموقع، مما يدل على التراجع الحضري بالمنطقة عند بداية الدولة المرابطية. وانطلاقا من تلك المرحلة (المرابطين) تحولت هذه القرية إلى مدينة، نتيجة العوامل التي ساهمت في نموها، وحولتها إلى قطب تجاري وحيد بالمنطقة، وتطلبت هذه المهمة توفر المدينة على بنيات مناسبة تتلاءم مع الدور الجديد، لضمان سلامة المواد المصدرة والمستوردة، كما أصبحت منذ تلك الفترة مركزا إداريا للمرابطين في تلك الجهة.

لم يبذل البيذق الصنهاجي مجهودا كبيرا لوصف المزمة عندما فتحها الموحدون سنة 539، إذ لم نتبين مستوى التطور الذي حدث بالمدينة خلال العهد المرابطي، ولاشك أن كلمة "مدينة" التي ترددت في كتابات البيذق كلما تطرق إلى اسمها، كافية لترفع المزمة إلى صف المدن. وقد استقبلت المزمة دولة الموحدين، مستفيدة من سياسة تلك الدولة في الميدان الاقتصادي، الذي ساعدها على النهضة في جميع المستويات. ويبدو من خلال كتاب *صلحاء الريف*، أنها حظيت بعناية الخليفة يوسف بن عبد المومن، (559 - 580) فأصبحت مدينة رئيسية في منطقة الريف الأوسط تشرف على الأنشطة التجارية عبر جزيرة المزمة. وتبين مما أورده المؤلف أن هذه الجهة تمتعت برخاء وأمن واستقرار في هذه الفترة. وظلت متألقة خلال العهد الموحدي، تبعا للعناية التي حظيت بها في هذا العهد، وبعد بناء سورها سنة 601 / 1205 بتوجيه من الخليفة الناصر الموحدي من الالتفاتات المهمة التي عرفتها في تاريخها الطويل، إذ أصبحت انطلاقا من هذه الفترة مدينة ذات أسوار قوية. ورغم توفرها على الأسوار، فإننا لا نملك معطيات نستطيع بواسطتها تقديم صورة شاملة عن تحصيناتها المختلفة بما فيها الأبواب، والتي تعرف دورها في حماية المدينة، إضافة إلى انعدام الإشارت إلى مرافقها. ومع ذلك فإنه من المفروض احتواؤها على قدر مهم من السكان، ومرافق مناسبة لحاجياتهم الضرورية.

ثم انتقلت هذه المدينة إلى نفوذ بني مرين بعد فترة قصيرة من بناء أسوارها، حينما اكتسح المرينيون منطقة الريف في السنوات الأولى من ظهور حركتهم. فتغلبوا على الموحدين انطلاقا من سنة 613 / 1213، وثبتوا فيها نفوذهم. فأصبحت قاعدة مرينية، تشرف على النشاط التجاري، ونظراً لأهميتها انتقل إليها الثائر الفاطمي الحاج العباس بن صالح الصنهاجي من بين گميل غرب بادس فدخلها واتخذها قاعدة ثورته، ولاشك أن هذا الحدث ألحق ضرراً بأنشطتها التجارية ومرافقها المختلفة، نتيجة المواجهات العسكرية التي جرت بها ونواحيها بين بني مرين وأنصار العباس، انتهت بقتله وتعليق جثته على أحد أبواب مدينة المزمة سنة 686 / 1287 . ويبدو أن المدينة أعادت ترميم مرافقها، بعد فترة قصيرة من انتهاء ثورة هذا الفاطمي، بفضل اهتمام أبي يوسف يعقوب، فتأكد لدينا أهميتها الإدارية بوجود الأمير العامل أبي عامر بن يوسف بن يعقوب المريني، الذي انطلق منها للقضاء على أولاد الأمير أبي بكر بن عبد الحق القادمين من المغرب الأوسط سنة 691 / 1291.

أنجبت المزمة عدداً من العلماء أمثال الصوفي إبراهيم بن صالح المعروف بعلمه وكراماته بالإضافة إلى يسره الاقتصادي، فهو من هذه الناحية كان محسوبا على فئة الأعيان، بما ملك من أراض زراعية وعقارات وغيرها.

فقدت المدينة أهميتها في الفترة الأخيرة من دولة المرينيين، نتيجة تنامي دور مدينة بادس في المنطقة، حيث انتقلت إليها الإدارة واحتضنت الأنشطة التجارية. فكان ذلك من العوامل التي أدت إلى خرابها في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي (سنة 872 / 1467)، فتحولت المزمة حسب الوزان إلى مركز ثانوي تابع لبادس، تبعث نصيبها من المحصول الزراعي إلى حاكم تلك المدينة. استمر اسم المزمة حاضرا بالمنطقة بعد خرابها، وحسب ما يبدو من

المصادر أن مكان المدينة ظل يتخذ حصنا للمقاومة، وفي هذا السياق ورد اسمها في وثائق الدولة السعدية والعلوية والأجنبية، وذكرها مارمول أثناء حديثه عن الغارة القرصنية الإسبانية التي استهدفت سهل المزمة سنة 1563.

وظل اسم المزمة متداولا في عهد العلويين بسبب المشروع التجاري الذي عزمت فرنسا على إنشائه في هذا المكان سنة 1660، وبعث لويس الرابع عشر لهذه الغاية عددا من التجار الفرنسيين الذين التحقوا بالمزمة.

وقد أعجب الفرنسيون بالموقع وبالمنطقة، فأقاموا علاقات ودية مع القائد أحمد أعراص الذي وافق على التعاون مع فرنسا، وخاصة مع القنصل التاجر مازارين Mazarin الذي كان مقيما بجزيرة المزمة للمساهمة في نجاح المشروع التجاري، ولهذه الغاية تلقى القائد أحمد أعراص رسالة من الملك الفرنسي لويس الرابع عشر يشكره على حفاوة استقبال التجار الفرنسيين الذين نزلوا بالمزمة وبالجهات المجاورة لها، وطلب منه الترخيص لرولاند فريجوس Roland Fréjus ومن معه لتأسيس شركة تجارية بالمزمة. لكن توقف المشروع أثناء الحرب بين المولى الرشيد وبين أخيه المولى امحمد سنة (1076/ 1665)، لتبدأ بعد ذلك مرحلة أخرى بإشراف التاجر فريجُوس الذي حل بالمزمة ساعيا في مقابلة السلطان المولى الرشيد، وتم ذلك بمدينة تازة حيث أسفر عن استجابة السلطان للمشروع الفرنسي، وتعهد بحماية التجار الفرنسيين بالمزمة ونواحيها. ولأسباب كثيرة توقف المشروع التجاري الفرنسي بالمزمة، بعدما تبين طموح فرنسا إلى إقامة قاعدة عسكرية بجزيرتها سنة 1081 / 1670، لمواجهة نفوذ إسبانيا في الساحل المتوسطي، عندما حصلت شركة الشرق على إذن من السلطان لحمل السلاح إلى المزمة هدية من فرنسا إليه.

ولما فشل المشروع الفرنسي بادر السلطان المولى الرشيد ببناء حصن قوي بجزيرة نكور، وتزويده بالسلاح والأقوات والمجاهدين، تحت إشراف القائد يحيى أعراص ورفيقه القائد أبي حفص عمر بن حمامة، وذكر صاحب *زهر الأكم* هذا الإنجاز وقدم أخباراً مهمة عن المجهودات المبذولة لتحصين المزمة وحمايتها من الإسبان. وقد استغل الإسبان فترة انتقال الحكم إلى المولى إسماعيل، فتمكنوا من احتلال جزيرة نكور في 28 غشت 1673 ، فأحكمت إسبانيا سيطرتها على الساحل الريفي انطلاقا من مليلة إلى بادس.

ورغم كل هذه الكوارث التي كانت المزمةمسرحا لها، والخراب الذي ضرب أسوارها ومساكنها، فإن هذه المدينة ظلت حية، من خلال استمرار آثار أسوارها بارزة على الجانب الأيسر من مصب وادي غيس إلى الآن.

أبو عبد الله البكري، *المغرب في ذكر بلاد المغرب*، مكتبة المثنى، بغداد ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ علي بن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، 1972 ؛ الشريف الإديسي، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق* ؛ أبو بكر بن علي الصنهاجي البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت*، الرباط، 1971 ؛ عبد الحق البادسي، *المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف*، الرباط، 1982 ؛ أحمد البوعياشي، حرب *الريف التحريرية ومراحل النضال*، طنجة، 1974 ؛ جزآن ؛ الحسن بن محمد الوزان، *وصف إفريقيا*، تح. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، تح. محمد حجي وآخرون ؛ عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، د. ت، آسية بنعدادة، الرباط، 1992 ؛ حسن الفكيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1415 ـ 1574، أطروحة الدكتوراه في التاريخ، الرباط، 1990، مرقونة بالرباط، ص. 2 : 582 ؛ عبد الرحمن الطيبي، *المجتمع بمنطقة الريف قبل الحماية*، قبائل ساحل الريف الأوسط من 1860 ـ 1920، دبلوم الدراسات العليا، الرباط، 1993، 1 : 87 ـ 94.

*S.I.H.M., France, t. I.*

أحمد قدور

**المزوار، أحمد** بن **علي** حيدرة اشتهر أحمد بن علي حيدرة بن محمد بن إدريس الثاني بلقب المزوار، إما لكونه بكر أبيه أو نقيبا للأشراف الأدارسة من فرع بني محمد الخليفة. وتباينت الروايات في تاريخ هجرته من فاس إلى قلعة حجر النسر ووفاته ومكان دفنه، فالزياني ذكر في *تحفة الحادي* أنه هاجر خلال فترة ملك والده علي حيدرة 221 ـ 234 / 836 ـ 848 ، بعد سنة 220 / 835، وهذا خطأ، إذا علمنا أن بيعة أبيه تمت بعد سنة وسنه اثنتا عشرة سنة وأربعة أشهر، بينما اعتبر التهامي ابن رحمون أن الهجرة تمت في إطار النزوح الجماعي للأدارسة إلى قلعة حجر النسر إثر نكبتهم على يد موسى بن أبي العافية المكناسي سنة 313 / 926، وهذا مستبعد أيضا.

وبخصوص تاريخ الوفاة، تكاد المصادر تجمع على أنها كانت سنة 250 /864. أما بخصوص مكان دفنه، فذهب البعض إلى أنه توفي بفاس ودفن بمقبرة الأدارسة بإزاء مسجد مولاي إدريس بناحية دار القيطون، والشائع في المصادر أنه توفي بقلعة حجر النسر في قبيلة سماتة. ويتبين من أخبار المناقب أن الأمير الإدريسي اعتزل السياسة وزهد في الدنيا، وسلك طريق الولاية والصلاح في عهد والده. ولهذا السلوك ما يبرره إذا أخذنا بعين الاعتبار مسار المملكة الإدريسية، بانتقال السلطة إلى عمه يحيى الأول، ثم ضياعها من بني محمد الخليفة وانتقالها إلى فرع بني عمر سنة 245 / 859.

ومهما يكن من أمر، فإن ذكرى أحمد المزوار في سماتة مجسدة في سلالته وفي سلطة ضريحه، فهو في مشجر الشرفاء العلميين الجد الخامس للشيخ عبد السلام بن مشيش، وضريحه بقرية الحجر قرب القلعة في قبيلة سماتة مزارة مشهورة، وله حرم متصل، أقره السلطان أحمد المنصور الذهبي بعد معركة وادي المخازن بظهير، شمل كافة تراب سماتة وأطرافا من قبيلة بني يوسف وبني گرفط يعلو مشهد ضريح أحمد المزوار خمس قباب، القبة الوسطى بناها عامل العرائش بوسلهام بن علي أزطوط بتفويض من السلطان عبد الرحمان بن هشام.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، ص. 51، الرباط، 1973 ؛ ابن

رحمون، *شذور الذهب*، ص. 139، الرباط ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ص. 94، فاس، 1899 ؛ الطاهر اللهيوي، *حصن السلام بين يدي أولاد مولاي عبد السلام*، ص. 285، الدار البيضاء، 1978.

محمد عمراني

**المزوار، التهامي** بن **المهدي**، من شعراء الدولة الحسنية وأعيان كتابها، عالم أديب شاعر ناثر كاتب متمكن من اللغة وقواعدها، حلاه معاصره أحمد بن الحاج الفاسي حسب ما أورده ابن زيدان بما لفظه : "الفقيه الأديب الماهر، الحائز قصب السبق في الفصاحة والبلاغة، الناظم الناثر الهمام الذي لا يقاوم والماجد الذي لا يزاحم، من سما في سماء التوثيق بدرا، وارتفع في سلم العلوم سرا وجهرا". له شعر رقيق يفرغه في قالب رشيق كما يبدو من النماذج التي جاء بها ابن إبراهيم في كتابه *الإعلام*. وابن زيدان في *إتحاف أعلام الناس* الذي يقول "لو جمع شعره لجاء في مجلد ضخم، لكن مع الأسف ضاع جله إن لم نقل كله" نشأ بمدينة مكناس، وأخذ العلم عن خاتمة المحققين الفقيه القاضي الحاج المهدي ابن سودة والعباس ابن كيران، ووالده محمد المهدي وغيرهم.

تولى الوعظ بضريح سيدي قدور العلمي وبكرسي العنزة بالجامع الكبير، وخطة العدالة بمدينة مكناس وتصدر للشهادة، ثم عمل كاتبا بالديوان السلطاني مدة ثم أخر عنه ثم أعيد إليه فصار يظعن بظعن السلطان ويقيم بإقامته.

توفي في محرم الحرام عام 1310.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج 2، الرباط، 1990، ص. 94-106؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام*، ج 3، الرباط، 1975، ص. 94-95.

**مزوارة منانة**، سيدة مجذوبة ساقطة التكليف، قال ابن زيدان إنها كانت تخرج في أسواق مكناس بادية في قشابة خضراء منقبة بثوب أبيض أو أحمر، كثيرة الوقوف عند باب المسجد الأعظم، وربما جلست ببعض الدكاكين تكلم الناس بكلام لين غالبا. كما كانت لها مكاشفات كالشمس الضاحية - على حد قوله - تقول للناس أعطني كذا يكن لك كذا، هذه كانت حالها إلى أن لبت داعي ربها عام 1194. وينقل ابن زيدان عن معاصرها مَحمد بن علي الزبادي الفاسي (ت. 1209 / 1794) في كتابه "*سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية*" ما يلي : "كنت أزورها كلما دخلت مكناس تبركا بها وبدعائها ولما قرب أجلها لقيتها بقبة السوق فسلمت عليها فقالت لي : إني قد تزوجت جئت تحضر عرسي فقلت نعم، فقالت عاهدني على ذلك، فقلت لها إن شاء الله تعالى، ولما عدت إلى فاس مرضت وفي أثناء مرضي رأيت في المنام أني بمكناسة الزيتون، وجازت جنازة عظيمة مع خلائق عديدة، فسألت عنها فقالوا منانة مزوارة فقلت في ذلك المنام : "الحمد لله الذي أكرمني بحضور هذه الجنازة المباركة، وتبعتها حتى دفنت بروضة السيدة العلمية واستيقظت، ومن الغد وبعد الغد دخل بعض الفقراء وذكر لي أنه جاء من مكناسة وبلغني السلام عن الإخوان هناك، فسألته عن السيدة المذكورة فقال لي توفيت بالأمس".

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج 4، الرباط، 1990، ص. 311-312 ؛ محمد المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2، الرباط، 1989، ص. 24.

رقية بلمقدم

**المزوجي، أحمد** بن الحاج **عمرو** بن محمد، المكنى أعاس، شيخ بني أنصار من خمس مزوجة. من بني عيسى المستقرين بالتلال العليا من بني أنصار. ورث المشيخة عن جده محمد، وهو ممن احتفظوا بالولاء لمولاي عبد العزيز، وحارب قوات بوحمارة التي كان على رأسها منافسه محمد الشادلي المزوجي. وحسب الرسالة السلطانية الموجهة إلى القائد لحسن المزوجي في متم ربيع الأول 1301 / 29 يناير 1884 كان المدعو حم أعاس، أخو الشيخ أحمد على ما يظهر من المؤاخذين في قضية قتل أخي حاكم مليلة في ذلك التاريخ، وضم إلى الجماعة التي أودعت سجن العرائش.

كانت لأحمد أعاس مكانة اجتماعية بخمس مزوجة وفرقة بني أنصار معتمدة على نشاطه المزدوج المتراوح بين الفلاحة بقلعية وأولاد ستوت وكبدانة والتجارة مع فاس في الأثواب ونقل المواشي إلى الغرب الجزائري. ومن مشاريعه التجارية ما أحدثه من النزالة سنة 1897 بجوار نقطة الحدود رقم 1 عند منتهى سبخة بوعرك الشمالية، وهي المعروفة عند الإسبان باسم Posada del Cabo Moreno أي نزالة الشيخ الأسمر. وهو موقع يقف عند ملتقى الطريق السالك من كبدانة عبر الشريط الرملي لبحيرة بوعرك وبين الطريق الآتي من قرية الناظور عبر ممر تاليوين، على بعد قليل من مركز ديوانة بني أنصار. ولدينا صورة معاصرة للنزالة. وسيكون للنزالة شأن أثناء وجود بوحمارة بقلعية والتوسع الإسباني بتلك القبيلة، مما سيتضح خلال تسلسل الأحداث، أنها كانت موضع ديوانة مزوجة خلال وجود بوحمارة بقصبة سلوان.

وكانت هناك رغبة لدى الشيخ أحمد أعاس بتنمية العلاقات التجارية مع الفرنسيين بواسطة الضابط الفرنسي دلبريل، حسبما استخلصناه من مراسلتين بتاريخ 29 غشت 1903 يرغب فيهما هو والفقيه محمد بن علي بن زربوح الفرخاني والحاج عبد القادر القادري، بالتعامل معه. غير أن قرب الموقع من حدود مليلة حال دون ذلك، مما جعل دلبريل يفضل التعامل مع بوحمارة لإحداث مركز فتق سبخة بوعرك المعروف باسم "الريستينكا" (Restinga).

و في أبريل 1903 كان أحمد أعاس مواليا للقوات المخزنية إثر زحف مزوجة المناصرة لبوحمارة بزعامة محمد الشادلي، وأصبح من جملة اللاجئين إلى مليلة. وحينما تحركت محلة الدمناتي من تازة تحرك القلعيون العزيزيون بقيادة الشيخ أحمد أعاس، ورفيقه ميمون بن الحاج حدو، لكنهما هزما على يد محمد الشادلي، فلم يسعهما سوى

اجتياز حدود مليلة مرة أخرى يوم 4 شتمبر 1903. ولم يعد الشيخ أعاس إلى منزله إلا بعد أداء غرامة 1000 ريال لمحمد الشادلي، وذلك يوم 8 من نفس الشهر، بينما استمر المزوجيون الملتجئون معه وعددهم ثلاثمائة مقيمين بمخيم نصب لهم على ساحل البحر.

وفي نوفمبر 1903 عاد النزاع بين أحمد أعاس ومعه ميمون بن الحاج حدو ومحمد الشادلي، وكان الأول يعمل بأوامر الفقيه الفرخاني محمادي بن علي أزريوح سابق الترجمة. واستمرت المعركة عدة أيام. وجمع الشيخ أعاس رجاله من جديد، غير أن الشيخ المزوجي انهزم وجرح بطلقة نارية أصابته في رأسه.

توفي في اليوم الموالي 8 مارس 1904.

*وثائق عبد العزيز أعاس بالناظور ؛ أرشيف مديرية الوثائق الملكية.*

Gabriel Morales, *Datos para la historia de Melilla*, 1909 ; *Ministère des Affaires Etrangères, Légation de la République Française au Maroc*, Direction des Affaires Politiques et Economiques.

حسن الفكيكي

**مزورة** (كرومليك)، يعتبر كرومليك مزورة أهم كرومليك في المغرب بل وفي المغرب الكبير، مكون من قبر تلي ضخم قطره 55 م ويحاط بـ 160 منهيرا على شكل دائرة، أطول المنهيرات يبلغ 7 م، وكانت المنهيرات لغاية 1936 في حالة جيدة حينما أجريت تنقيبات من طرف مونطالبان في مركز القبر التلي سنة 1935 - 1936 ولم ينشر عنها أي شيء. يعود الفضل إلى طارديل في التعريف بهذا الموقع ووصفه. يقع الكرومليك في قلب قبيلة مزورة على بعد 5 كلم من سوق اثنين سيدي اليمني وبحوالي 23 كلم عن مدينة العرائش.

وأكد طارديل الطابع المحلي للكرومليك الذي يبدو أنه أنشئ قبل عهد الاحتلال الروماني بوقت طويل كمدفن لزعيم محلي أو ملك موري. أما إذا كان مدفن مزورة، هو قبر أنطي، كما تشير إلى ذلك الأساطير والنصوص الكلاسيكية فيجب أن نعيد تاريخ إنشائه إلى ما قبل ميلاد المسيح بعدة قرون إلى عهد البطل الأسطوري الأمازيغي أنطي الذي تصارع مع البطل الإغريقي هرقل في منطقة شمال غرب المغرب.

مصطفى أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، دكتوراه الدولة، فاس، ص. 58 - 87.

G. Ch. Picard, *Les religions de l'Afrique antique*, Payot, Paris, 1954 ; G. Camps, *Aux origines de la berberie, monuments et rites funéraires*, Arts et métiers graphiques, 1961 ; M. Tarradel, El Tumulo de Mezora (Marruecos), *Archivo de la historia Levantina*, t. III, 1956, p. 229 - 239; M. Ponsich, Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, Région de Lixus, *BAM, VI, 1966, p. 376 - 424* ; G. Souville, *Atlas préhistorique*, 1, *Le Maroc atlantique*, CNRS, Paris, 1973.

مصطفى أعشي

**مزوضة**، جماعة قروية بسهل الحوز الغربي أحدثت سنة 1992 على إثر التقسيم الجماعي والإداري الذي عرفته مختلف جهات المملكة المغربية. وقد كانت جزءا من جماعة سيدي شيگر التابعة لإقليم أسفي، وصارت الآن تابعة لإقليم شيشاوة وجهة مراكش تانسيفت الحوز، وصحح اسمها فصارت تعرف بـ "لمزوضية".

تقع بالشمال الشرقي لإقليم شيشاوة يحدها شمالا واد تانسيفت وجماعة سيدي الزوين (عمالة مراكش المنارة) وسيدي شيكر (إقليم آسفي) وجنوبا بلدية شيشاوة وشرقا جماعات گماسة وتكنة وآيت ايمور وغربا جماعة الهديل (إقليم شيشاوة).

تبلغ مساحتها 770 كلم2. 80 ٪ عبارة عن سهل مستوي و20 ٪ يتكون من المحدبات والتلال تنتشر خاصة بهوامشه الشمالية والشرقية، يعبرها واد بولخراس، لا تجري فيه المياه إلا عرضيا. كما تمس هوامشها الشمالية واد تانسيفت وهوامشها الغربية واد شيشاوة. وأغلب أراضيها مخزنية منها 1725 هـ أراضي جماعية.

بلغ سكانها 22.454 ن (2004) يتوزعون في 80 دوارا ويلاحظ أن معدل النمو السنوي خلال 10 سنوات (1994 - 2004) ضعيف : 0,9 ٪. ينتمي معظم السكان إلى مجموعة قبيلة أحمر ومجموعة صغيرة من قبيلة تكنة مع سكان أصليين قديمي الاستقرار بالحوز الغربي. وتنتمي احمر وتكنة إلى مجموعة القبائل العربية : بنو معقل الذين كانو يتنقلون للرعي جنوب المغرب في الصحراء ودخلوا إلى الحوز ضمن جيش لمزوضية، اسم دوار تاريخي يكون نزالة في طريق مراكش الصويرة لازالت به زاوية عتيقة للتعليم، منسوب إلى امرأة تعرف بالمزوضية كانت تشرف على مقهى ونزل يبيت به المسافرون مع القوافل. تشكل الفلاحة وتربية المواشي النشاط الرئيسي للسكان نظرا لتوفر أراضي شاسعة صالحة للزراعة. لكن التساقطات قليلة في مناخ شبه جاف لا يتعدى معدل أمطاره السنوي 200 ملم. لذلك حولت معظم الأراضي إلى مراعي هزيلة للمواشي الصغيرة. ويقدر قطيع الأغنام بحوالي 45 ألف رأس والماعز 4800 راس والأبقار 1900 راس بالإضافة إلى 1400 رأس من الدواب : حمير وخيل وإبل بغال. وتتوفر الجماعة على منطقة نموذجية لتحسن الرعي بدوار سي لعمارة، وهناك إراضي مسقية 2000 هـ. تنتشر خاصة بغرب الجماعة، حيث تستفيد من السقي من واد شيشاوة وفرشته المائية وبالشمال الشرقي حيث تعتبر جزءا من مخروط واد نفيس تستفيد من السقي من بعض سواقيه التاريخية : تيتكان والمخزنية البوگزولية والناصرية وتامزگلفت. أما الأراضي المغروسة فتقدر بـ 1600 هـ تغطي أشجار الزيتون نصفها والباقي من المشمش والعنب وأشجار أخرى مثل التين والتفاح واللوز. وتتوفر الجماعة على غابتين : الأحكاف 2000 هـ على ضفاف واد تانسيفت تحولت مؤخرا إلى محمية إقليمية للصيد وغابة بومعيد 1780 هـ توجد قرب مركز المزوضية وهي منطقة تشجير. وتتوفر الجماعة على تعاونيات فلاحية وتعاونية جمع الحليب : 1380 ل/يوم.

تتميز جماعة المزوضية بتوفرها على أكبر وحدة صناعية بالحوز وهي معمل الإسمنت : سيمار تم تدشينها سنة 1976، تلعب دورا مهما في التنمية الاقتصادية والعمرانية إذ نشأ بجانبها وتطور مركز سكني : سيمار 577 ن ومركز الجماعة القروية. يشغل المعمل حوالي 300 مستخدم ويساهم في ميزانية الجماعة المحلية بنصيب وافر : الضريبة المهنية والرسم المفروض على استخراج مواد المقالع، كما يعطي حركية لنقل وتسويق الإسمنت بجهة تانسيفت. وقد عرف مؤخراً عملية توسيع رفعت إنتاجه السنوي إلى 1,3 مليون طن. كما تتوفر الجماعة على وحدات صغيرة لمعالجة الزيتون وهي عبارة عن معاصر تقليدية.

يتوزع السكان في 80 دواراً، أكبرها غيلة 1123 ن، وأهمها مركز لمزوضية 937 ن (1994) الذي يوجد أمام معمل الاسمنت عند الكيلومتر 45 على الطريق الوطني رقم 8 مراكش الصويرة. يتوفر على الكهرباء والماء الشروب ويضم 41 دكانا وعددا من المنشآت الاجتماعية : مركز صحي ومدرسة إعدادية خيرية لايواء التلاميذ.. ينعقد به سوق أسبوعي يوم الثلاثاء لكنه يعرف إقبالا متوسطا لوجوده بين أسواق كثيرة. وتخطط الجماعة حاليا لإعادة تهيئة المركز وبناء مركز تجاري حديث يتضمن 22 محلا تجاريا و5 مقاهي عصرية ومحطة لتوزيع الوقود وموقف للسيارات وتجزئة سكنية.

بحث *ميداني* ؛ مونوغرافية جماعة المزوضية.

أحمد هوزالي

**المزوضي، (الحاج -) عمر** : ولد في قبيلة مزوضة ناحية مدينة مراكش في أسرة فقيرة. تابع دراسته في جامعة ابن يوسف بمراكش، وانخرط في صفوف حزب الاستقلال سنة 1947 . وبعد عامين، سافر إلى المشرق العربي، حيث أدى فريضة الحج، ثم استقر في القاهرة لمتابعة دراسته في جامع الأزهر، وكان مقامه في هذه المدينة مناسبة للقاء محمد بن عبد الكريم الخطابي وعلال الفاسي. وعاد إلى المغرب سنة 1952 ، فكثف اتصالاته بعدد كبير من الوطنيين في الدار البيضاء ومراكش. وبعد افتضاح أمر خلية اليد السوداء فيما عرف بقضية سينما ريو، اتصل في كريان سنطرال بالدار البيضاء في أكتوبر 1953 بأحد الناجين من الاعتقال، وهو مولاي إدريس بن محمد (الضميري)، فساهما في تأسيس منظمة جيش الأطلس. وواصل كفاحه حتى سقط مريضا بداء السل في منزله، ثم غادر الدار البيضاء إلى مسقط رأسه، حيث مكث ثلاثة أيام بين أهله قبل أن يتوفاه أجله سنة 1955.

*تراجم الشهداء بالحي المحمدي* ، ملف مرقون في نيابة المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير بعمالة عين السبع الحي المحمدي في الدار البيضاء.

نجيب تقي

**المزوكي، التراث الشعبي** احتفظت الدائرة الجماعية للبهاليل بتراث شفوي شعبي كبير، خلد بكل صدق وأمانة الأفراح والمسرات والأحزان والأقراح، لفترات المد والجزر والسمو والانحطاط. فصارت الأجيال تتناقله لربط الماضي بالحاضر وبالتالي لتأمين الاستمرارية، وللتراث الشعبي البهلولي روافد لا تعد ولا تحصى، وقد ارتأينا الاكتفاء بالقول (الغناء) الشفوي المأثور المدعو بالمزوكي لأنه اعتنى بكثير من الجوانب البهلولية، ولأنه في طريق الزوال إن لم تتداركه عناية الباحثين من أبناء البلدة.

يستعمل المزوكي اللهجة الدارجة لسهولة نفوذ الفهم إلى المستمع وبالتالي تيسير الحفظ، وهو تعبير مستمد من الكيان، يترجم أحاسيس ومشاعر الإنسان البهلولي بكل أمانة وصدق.

والمزوكي معروف في عدة مناطق من المغرب، لكن مدلوله وتداوله ومحتواه يختلف من منطقة إلى أخرى، وأصل الكلمة كما يراه الأستاذ كرم إدريس ربما المزاوكة (لفظ عامي دارج يعني طلب العون والمساندة أو العفو أو الموافقة على شيء ما). فهو من فعل زاوگ. وقد تطور هذا الضرب من الإستعطاف الذي كان شخصيا، والذي إعتمد اختيار الألفاظ الرقيقة الشفافة لكسب الرهان والقبول من طرف المعني بالأمر بعد أن أصبح معبراً عن مجموعة الآراء، مع سهولة في الأداء وليونة في التركيب، بحيث يمكن لأي رجل أو امرأة ذي صوت جميل وبداهة حاضرة أن يلبسه الثوب الذي يريده.

وإذا كان المزوكي حكرا على النساء في بعض المناطق الأخرى، ففي البهاليل يتداوله الجنسان في العديد من المناسبات كالزواج والختان.

والمزوكي لا بحور له لكنه يشترك مع الشعر الفصيح في القافية، إيقاعه بطيء ومردده أو مغنيه مطالب بالنفس الطويل حتى يشبع مده ويطيل حروفه والحاضرون أو المرافقون يضعون فاصلاً بين كل شطر وآخر في المقطع الواحد، يكون على شكل زغردة قطعت بمجرد الشروع فيها، وذلك كالتالي :

قلبـــي قمحـــة      وما طحناتو حتى رحى يو

حتى إذا أشرف المغني على إتمام أدائه، رفعت الأصوات الحاضرة بـ : ها. هاي ... مع مد "هاي" الأخيرة تعبيراً عن حسن الأداء ونفوذ المعاني الرقيقة إلى الأعماق.

هذا وقد تطرق المزوكي البهلولي لجل أغراض الشعر كالغزل والرثاء والشعر الوطني والحكم والوصايا والمحاورات وغيرها.

إدريس كرم، *أغاني النساء بالمغرب*، المزوگي، مجلة البحث العلمي، العدد 31 ؛ ح. البعاوي. *الشافي من التفاصيل عن ماضي وحاضر البهاليل*، منشورات المجلس البلدي للبهاليل، فاس، 1990.

الحسين البعاوي

**مزيان، محمد** ولد سنة 1945 بتازة وفي عام 1969 رحل إلى مدينة باريز لدراسة التصوير والمونطاج بمدرسة

فوجيرار إلى غاية 1974 ليلتحق سنة بعد ذلك بالتلفزة المغربية حيث وضب العديد من الأفلام التلفزيونية والربورتاجات ضمنها برنامج (تلفزة 3) لحميد بنشريف. وفي سنة 1977 انتقل إلى المركز السينمائي المغربي فركب هناك جل الأفلام المغربية قبل أن يستقيل ليتابع عمله في نفس التخصص بالقطاع الحر بدءا من سنة 1980.

عرف محمد مزيان أيضا في وسط الجامعة الوطنية للأندية السينمائية بالمغرب بفضل مساهماته الوفيرة والمتنوعة لما يقارب الثلاثين سنة حيث أطر العديد من محترفاتها عبر مختلف المدن المغربية التي تنشط أنديتها السينمائية : الرباط ـ تازة ـ فاس ـ سيدي قاسم ـ سيدي سليمان ـ القنيطرة ـ خريبكة ـ بنجرير ـ مرتيل ـ أزرو ... وقد توزعت هذه الورشات بين : كتابة السيناريو والمونطاج، والتصوير ... ولم يتوقف عمل محمد مزيان عند مهمة المونطاج (التوليف) بل سعى ومنذ أواسط التسعينيات لولوج عالم الإخراج بتوقيعه لثلاثة أفلام روائية قصيرة ملونة بحجم 35 / ملم هي : 1995 : "نوح" كتبه، وركبه ولعب فيه دور البطولة (20 دقيقة) ـ 1998 : "حورية" (18 دقيقة) ـ 1999 : "رؤى" فيلم تركيبي عن المهرجان الرابع للسينما المغربية المنعقد بطنجة عام 1995، مدته 30 دقيقة. وفي هذا المهرجان حصل مزيان على جائزة أحسن مونطاج للفيلم الروائي القصير "لعبة القدر" للمخرج عمر الشرايبي. كما فاز بنفس الجائزة عن تركيبه للفيلم الروائي الطويل "بحر الرمال" للمخرج المالي أبدولاي أسكوفاري بمهرجان جوها نيسبورغ السينمائي بإفريقيا الجنوبية سنة 1998.

كان يستعد لإخراج أول فيلم روائي تلفزيوني طويل بالنسبة إليه من إنتاج القناة الثانية 2 M، إلا أن الأجل وافاه ليلة عيد الأضحى عاشر ذو الحجة 1425 الموافق لـ 20 يناير 2005 في أحد الفنادق الشعبية المتواضعة بالدار البيضاء بعيدا عن الأهل والأصدقاء، بحيث لم يعلم بوفاته إلا ساعات من حدوثها...

شاءت الأقدار أن يتوفى السينمائي المغربي محمد مزيان، بنفس الظروف والأسلوب الذي عاش به وحيدا منعزلا كأنه مقطوع من شجرة المجتمع والفن بصفة عامة، لا سيما السينمائي منه وهو الذي قدم خدمات جليلة للسينما المغربية بما ركبه من العديد من أفلامها الروائية والوثائقية، الطويلة والقصيرة منذ الستينيات إلى متم حياته.

خالد الخضري

**مزيان** ، (المارشال -) : واسمه موح (أو محمد) الصغير، شأن مَحمد (بالفتح) أو محند أو محند، وهذه الأسماء كلها مشتقة من محمد، واشتهر المترجم له باسم مزيان، وخصوصا عند الإسبان، فنجد اسمه على الشكل التالي Mizian بينما الأصل "أمزيان" التي هي صفة، وتعني الصغير كما أسلفنا. واسم أبيه القاسم الزهراوي المزوجي القلعي نسبة إلى القرية أو المجمّع السكاني "آيت الزهراء"، كما نسب إلى قبيلة مزوجة القلعية.

وبحسب المراجع الإسبانية، ولد بقرية آيت أنصار، على الحدود المصطنعة لمدينة مليلة بتاريخ فاتح فبراير سنة 1887، ولربما كانت مكانة أبيه لدى الإسبان، منذ وقت مبكر، هي التي جعلت سلطات مدينة مليلية تقبله في الدراسة بالمدارس الإسبانية بمدينة مليلية سنة 1895، لأنه كان يحمل الجنسية الإسبانية، كما ساعده موقف أبيه السلبي من الحركة الجهادية ضد إسبانيا، وبخاصة عند ظهور البطل المقاوم الشريف محمد أمزيان، أن تكون له مكانة سامية لدى السطات الاستعمارية بمدينة مليلية، ليتابع دراسته الثانوية بنفس المدينة ؛ إذ كان أبوه بلقاسم الزهراوي من القواد الأوائل الذين عينتهم إسبانيا على قلعية التي صارت أخماسها قبائل عند استيلاء إسبانيا على كافة ترابها ابتداء من 6 نوفمبر 1909، فعينه الجنرال مارينا قائدا على قبيلة مزوجة القلعية واستمر في هذا المنصب مدة تزيد على ثلاثة عقود من الزمان.

حصل على شهادة الباكلوريا في آخر السنة الدراسية 1912 / 1913 ليلتحق بالأكاديمية العسكرية بمدينة طليطلة ـ قسم المشاة ـ حيث قضى ثلاث سنوات ليتخرج منها سنة 1916 ملازما ممتازا (Teniente) نظرا لتفوقه في الدراسة وفي نتائج الامتحانات. فكان بذلك أول ضابط من أصل مغربي يتخرج من الأكاديمية العسكرية الإسبانية.

ولدى تخرجه عيّن بقوات الريكولاريس بمنطقة مليلية والناظور والعرائش في وقت كانت القوات الإسبانية تعمل جاهدة على اكتساح مناطق الريف بعد الاتفاق الإسباني الفرنسي سنة 1912. وكان موح أمزيان من بين الضباط الذين كانوا على رأس الفرق العسكرية (Regulares) التي كانت تغزو مختلف مناطق الريف من مليلة شرقا إلى تطوان والعرائش غرباً، وتفيد الحوليات العسكرية الإسبانية بأنه

كان من الضباط البواسل الذين شاركوا في قمع الحركات الجهادية بمختلف نواحي الناظور من 1916 إلى غاية سنة 1921. كما شارك بفعالية في مناهضة الحركة الجهادية للبطل محمد بن عبد الكريم الخطابي من سنة 1920 إلى غاية استسلامه سنة 1926.

وما كاد الجنرال فرانكو يعلن الانقلاب ضد الجمهورية الاشتراكية الإسبانية حتى كان الليوتنان كلونيل موح أمزيان من الضباط الذين آزروا حركته وساهم فيها بفعالية نادرة ؛ وتتجلى هذه الفعالية بتوليه قيادة فيالق من المجندين من أبناء الريف في صفوف الحركة الفرنكوية، وساهم في معارك عدة منها معارك الاستيلاء على مدريد والدخول إليها على رأس فرق من المجندين الريفيين، كما ساهم في الاستيلاء على كثير من مدن مناطق أستورياس الشمالية التي كانت توصف بالمقاومة الشرسة لحركة الديكتاتور فرانكو ؛ منها مدينة أوفييدوا (Oviedo) عاصمة الإقليم. كما كان من أبطال محاصرة مدينة طليطلة التي كانت من الحصون المنيعة على الحركة العسكرية الفرنكوية. فتمكن من تجويعها وهدمها إلى أن استسلمت. ومساهمته الفعالة هذه هي التي أهلته ليرقّيه الجنرال فرانكو إلى درجة كلونيل في بحر سنة 1937. وفي شهر نوفمبر من نفس السنة عينه المقيم العام بتطوان الجنرال بيكبيدير ـ بايعاز من الجنرال فرانكو ـ مفتشا عاما للطوائف المغربية والجمعيات الإسبانية بمدينتي سبتة ومليلة، كما عيّنه بقرار آخر في نفس التاريخ رئيسا شرفيا للطوائف المسلمة بالمدينتين.

ونظرا للخدمات التي قدمها موح أمزيان للحركة الفرنكوية بإسبانيا وبمنطقة الريف أثناء حركة الجهاد لمحمد بن عبد الكريم الخطابي، وبعدها في الحرب الأهلية الإسبانية رقاه النظام الفرنكوي إلى درجة جنرال سنة 1941. وبذلك كان موح أمزيان الريفي الأصل هو وحده الذي ترقى إلى هذه الدرجة العسكرية من المغاربة على طول التاريخ العسكري الإسباني. كل ذلك أهله ليتولى الولاية العسكرية بمختلف مناطق إسبانيا، وقد كان الجنرال فرانكو يعينه على المناطق التي يشعر أن له أعداء فيها من القوات العسكرية ؛ فتولى ولاية الجزر الخالدات بالمحيط الأطلسي وبمقاطعة غاليسيا ومدينة مليلة الخ ...

وعند استقلال المغرب استدعاه الملك محمد الخامس ليساهم في تأسيس وبناء القوات المسلحة الملكية ـ بعد استئذان الجنرال فرانكو ـ ولبى الجنرال موح أمزيان نداء العاهل المغربي والتحق بصفوف القوات المسلحة الملكية ليعين مفتشا عاما للقوات المسلحة الملكية، ثم بعد ذلك خليفة لرئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة الملكية التي كان يتولاها ولي العهد مولاي الحسن. كما عين مرتين وزيرا للدفاع على عهد الملك الحسن الثاني وذلك في 1964. وعين سفيرا فوق العادة للمغرب لدى حكومة الجنرال فرانكو، وبعدها عين للمرة الثانية وزيرا للدفاع سنة 1968، وبقي في هذا المنصب إلى غاية إحالته على المعاش إثر الانقلاب العسكري الذي دبره مجموعة من الضباط، وفي مقدمتهم الجنرال المذبوح (الذي كان صهرا للجنرال موح أمزيان) والكلونيل أعبابو.

وقد تمت ترقيته على عهد الملك الحسن الثاني إلى درجة مارشال في ثاني أكتوبر من سنة 1970، وهو وزير للدفاع، وبذلك يكون المغربي الوحيد الذي نال هذه الرتبة العسكرية في تاريخ الجيش المغربي.

وتوفي في بحر السنة الميلادية 1975 عن عمر يناهز ثمانية وثمانين عاما.

محمد بن عزوز، *سبتة ومليلية في عهد الحماية ؛ وثائق تاريخية*، الناشر الهلال، الرباط، 1988، ص. 126 ـ 128 ماء العينين بن عتيق، *الرحلة المعينية*، تح. محمد الظريف، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1998، ص. 206 ؛ *مجلة الدرك الملكي الصادرة* بالرباط في شهر ديسمبر سن 1970، ص. 11.

Francisco Mir Berlanga, *Melilla en los pasados siglos y otras historias*, Mellila, 1980, p. 148 ; Ingreso de Mizian en la academia Toledana, *Blanco y Negro, Madrid, 1913, n° 1159.*

مصطفى لغديري

**مساجد مراكش**، سبق للمؤقت في كتابه *السعادة الأبدية* أن أحصى مساجد مراكش في وقته وكانت كما يلي :

ـ المساجد التي تقام فيها الخطبة : وعددها 22 مسجدا، ثم المساجد التي تقام فيها الصلوات الخمس : و عددها 101 مسجدا، أي ما مجموعه 123 مسجدا.

أما صاحب *الإعلام* فعدها في 136 مسجدا. منها 23 للجمعة، والباقي للصلوات الخمس. وفي وقتنا هذا، وحسب إحصاء نظارة أحباس مراكش لسنة 1425 / 2004 فعددها كالتالي : الجوامع التي تقام فيها الجمعة : 96 مسجدا والمساجد التي تقام فيها الصلوات الخمس عددها 141 مسجدا.

إلى جانب هذه الجوامع التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية نجد في كل جهات مراكش جوامع شيدت من طرف بعض المحسنين، أو من طرف سكان الحي. وعددها 341 مسجدا.

المساجد المرابطية :

جامع تورزجين : ورد ذكره في *التشوف* في ترجمة أبي عبد الملك مروان بن عبد الملك اللمتوني العابد حيث قال : [...حدثني الثقة أن مروان بعث إليه القاضي أبو يوسف حجاج بن يوسف أن يصل من فاس ليقدمه على خطة الحسبة بمراكش، فلما قدم سمع بعابد أجذم بمسجد تورزجين]. ومعنى تورزجين : المسعودات أو المبروكات. وقد اندثر هذا المسجد.

ـ مسجد الطوب : أول مسجد بني بمراكش قرب قصر الحجر، والذي شارك في بنائه يوسف بن تاشفين ونزل فيه المهدي بن تومرت لما دخل إلى مراكش أول مرة. وهدم بأمر من عبد المومن بن علي، ولعله هو مسجد صمعة الطوب. اندثر.

ـ مسجد عرفة : استقر فيه المهدي بن تومرت بعد المذاكرة التي جرت بينه وبين فقهاء المرابطين. اندثر.

ـ مسجد ابن يوسف : جامع وجامعة. لما كثر العلماء، وتوافر عدد الطلاب بمراكش، فكر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين في إنشاء جامع يؤدي وظيفتين : الوظيفة الدينية التعبدية والوظيفة التعليمية، فشرع في تشييد الجامع ـ الذي ظل يحمل اسمه عبر القرون والأجيال ـ سنة 514 / 1120.

وسمي الجامع أحيانا بجامع السقاية، نسبة إلى السقاية التي أحدثها علي بن يوسف إزاءه، كما سمي بجامع المرتضى في بعض المصادر، لأن هذا الخليفة أعاد بناءه من جديد سنة 654/ 1256 بعد أن خربه الخليفة عبد المومن الموحدي.

مسجد صغير بباب فاس : أو باب الخميس حاليا، مرابطي أو موحدي جاء في كتاب *التشوف* أثناء ترجمته لأبي عبد الملك مروان بن عبد الملك اللمتوني العابد المتوفى عام 571 حيث قال : [...ودفن أمام باب فاس من أبواب مراكش، في صحن المسجد الصغير الذي هناك]. اندثر.

المساجد الموحدية :

مسجد ابن الأبكم : يقع شمالي محلة الشرقيين أسفل مر باب أغمات الأعظم إلى جهة العوادين. درس فيه أبو موسى الجزولي بعد أن ضاق به المسجد الكائن في حي باب دكالة.

[وكان بجوار المسجد مكتب كان به المقرئ المجود المفسر النحوي المتكلم المفتي في المعارف أحمد بن محمد بن خلف البكري المتوفى في حدود 620 / 1223]. اندثر.

مسجد بئر الجنة : أو جامع سيدي أبي يعقوب الحكيم : ورد ذكره في *التشوف* في ترجمة أبي علي عمر بن كامل الفخار المتوفى عم 592 / 1195، حيث قال : [...وكان إمام الفريضة بمسجد بئر الجنة...].

مسجد باب دكالة : ورد ذكر هذا المسجد في *الذيل والتكملة* عند حديثه عن أبي موسى الجزولي حيث قال : [وحدثني غير واحد ممن لقيته أن الشيخ النحوي الحافل أبا علي بن الشلوبين قدم مراكش أول قدماته عليها، وصيته بعيد، وذكره عتيد، وهو معتد بما عنده للظهور على من اشتملت عليه الحضرة من المرتسمين بالعربية، فدخل إليها من باب دكالة أحد أبوابها الشمالية، وكان أبو موسى في ذلك الوقت يدرس في مسجد على الطرق بمقربة من ذلك الباب الذي اجتاز به الأستاذ أبو علي، وسمع أصوات طلبة العلم قد علت بالمذاكرة والمباحثة، فسأل عن ذلك فأخبر أنه مجلس بعض أساتيذ العربية، فدخل إليه متشوفا ومتطلعا على مراتب طلبة مراكش في النحو، فألفاهم يتفاوضون في مسائل من النحو، وبينما هو يستطرف مأخذهم في المناظرة دخل أبو موسى رجلا رقيق الأدمة تعلوه صفرة، ذا غديرتين، مبتذل الملبس، على رأسه قلنسوة عزف، على زي ذوي المهن من برابرة البوادي، وعندما أطل عليهم سكتوا وسكنوا هيبة له وإجلالا، ولما استقر بأبي موسى المجلس أخذ يتكلم في بعض أبواب العربية بضبط قوانينها، وتقييد مسائلها وأحكام أصولها بما لا عهد لأبي علي بمثله، فبهت عند ذلك وسقط في يده، وقال إذا كان مثل هذا الموضع الخامل الذي يكاد لا يؤبه له، ولا يعد من كبار مجالس العلم، لكونه في أخريات البلد، ينتصب للتدريس فيه مثل هذا البربري البعيد في بادي الرأي عن التكلم فضلا عن مثل هذا الاستبحار في النحو، فما الظن بالمجالس المحتفلة، والمساجد المشهورة التي يعتنى بها وبمدرسيها ولاة الأمر، ويعظم فيها الحفل، ويجتمع إليها أكابر طلبة العلم، هذا بلد لا أسود فيه بعلمي، فانكفأ للحين من ذلك الموضع، ولم يحلّ بمراكش، ولا حضر مجلسا من مجالس أساتيذها، وعاد إلى بلده إشبيلية مقضيا العجب مما شاهده]. اندثر.

مسجد بحيرة مروان : ورد ذكره في *التشوف* حيث قال : [حدثني محمد بن علي قال : قالت لي منية : زرت ولدي حسونا بحارة أبي يعبيدن في فصل المطر والطين، فخرجت من عنده إلى مسكني ببحيرة أبي مروان وأنا أسمع آذان المغرب فخرجت ولم أشعر إلا وأنا عند باب مسكني وآذان المغرب لم ينقطع]. ربما يقصد حي تابحيرت الآن. اندثر.

مسجد جبل جليز : جاء ذكره في كتاب *الحلل الموشية* : [...ولما كان في محرم سنة 541 توجه عبد المومن إلى حاضرة مراكش مقر خلافة المرابطين، ولما وصل بجيوشه إليها، نزل بجبل بقربها يعرف بجبل الجبلين، وهو جبل صغير بنى عليه مدينة استند إليها، وبنى فيها مسجدا وصومعة طويلة يشرف منها على مراكش]. اندثر.

مسجد الجزارين : جاء في *التشوف* في ترجمة أبي علي ويسنين بن عبد الله البردعي الأسود قال : [...جلست يوما بدكان أبي علي ويسنين مع موسى بن مسعود المعلم قبلي مسجد الجزارين]. ولعله مسجد القصابين الوارد ذكره في كتاب *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام* 1 / 96. وحي القصابين معروف إلى اليوم بمراكش. اندثر.

مسجد حارة أبي يعبيدن : ورد ذكره في *التشوف* في ترجمة منية بنت ميمون الدكالي، وقد سبقت الإشارة إليه عند الحديث عن مسجد بحيرة مروان، وقد اندثر.

مسجد سعدون : ورد ذكره في *الذيل والتكمة* مقرونا باسم العالم الأندلسي سعدون بن محمد بن فتوح بن محمد الأنصاري حيث قال : [كان عارفا بالقراءات، مجودا لحروف القرآن، محدثا عدلا، واسع الرواية... ومسجده أول دربه الشهير باسمه في حومة الأرجوانيين من مراكش]. اندثر.

مسجد الصحراوي : اثنان يحملان هذا الاسم : واحد بقاعة ابن ناهض. والثاني بحي القصور. جاء في كتاب *التشوف* : في ترجمة محمد ابن مفرج الأنصاري، كان رجلا زاهدا في الدنيا قدم من إشبيلية إلى مراكش، وبها مات عام 601، [...بنى خيمة بمسجد الصحراوي، فكان يأوي فيها إلى أن لحق بالله عزل وجل]. ولا ندري أي مسجد يقصد ؟ اندثر.

مسجد القشاشين : ذكره ابن عذاري ضمن أحداث سنة 632 / 1234 ، وفتنة الخلط بمراكش زمن المولى الرشيد. قال الفقيه الكاتب أبو عبد الله التلمساني : ولقد كنت في أحد المساجد بالقشاشين للقراءة هناك. اندثر.

جامع القصبة : تشير إليه المصادر بأسماء متعددة مثل : جامع المنصور، أو جامع القصر، أو الجامع الأعظم الأعلى، أو الجامع الكبير، والجامع الأعلى، ويعرف كذلك بجامع مولاي اليزيد. شيده يعقوب المنصور الموحدي ما بين سنتي [581 - 1185 / 586 - 1190 ] وهو متوجه إلى الأندلس في غزوته الشهيرة - غزوة الأراك -، ولما عاد مظفرا سنة 594 / 1197 وجد الجامع قد تم تشييده على أحسن صورة. يقول ابن أبي زرع : [إن يعقوب أنفق في بنائه أخماس غنائم الروم...].

وقد طرأت على الجامع عدة إصلاحات وترميمات في العهد السعدي والعلوي غيرت من تصميمه الأصلي. أما مساحته فهي : [77,50 م x 71 م].

مسجد القطة : أو الزكندري، بحي القصور، أسسه المعلم مسعود الدباغ تلميذ أبي العباس السبتي، أعطاه الشيخ المذكور هرة فكثر الفأر في الحضرة وظهر منه وثوب وفساد، وكان وزير الوقت يسكن بروض العروس بدرب الفران فهاج الجنس المذكور وتعاظم على الوزير، فاتخذ الوسائل لدفعه فلم تفلح، فاتفق أن قيل له إن صاحب الشيخ أبي العباس عنده قطة في غاية المراد، فأمر الوزير بإحضارها فألزمه حضورها فأبى، فانتزعها من يده فلم يزده الفأر إلا طغيانا، فشعر الوزير وأحضر التلميذ المذكور وأرضاه وبذل له دراهم عديدة، فأزال مولانا عنه تلك البلية، فمن حينه شرع في تأسيس ذلك المسجد وجدده وشيد مناره الوزير الوطاسي المعروف بالزكندري [ت. 768 / 1366 ) الذي كان يسكن بالقصور، وحبس داره على الشيخ الغزواني. يقول ابن الخطيب : [حضرت درسه بمراكش في التفسير والحديث، ولم يكن بها مثله في زمانه].

مسجد الكتبيين : سبقت الإشارة إليه في الجزء 20 صفحة 6743 من المعلمة.

طوله 3,46 م، وعرضه 0,87، وعلوه 3,86. وكان الذي تولى صنع هذا المنبر والمقصورة المهندس الحاج يعيش المالقي.

مسجد هرغة : ورد ذكره عند الحميري في سياق أحداث الفتنة الموحدية زمن أبي العلاء بمراكش، والتي انتهت بمقتل الوزير ابن بوجان وابنه حيث قال : [...ووقع ابنه في درب من دروب هرغة، فاختفى في مسجد هناك. وكان قتلهما في سنة 625].

مسجد الوصيف : حدد الموقت في كتابه *السعادة الأبدية* موقعه بحي الموقف، ونسبه لسيدي مسعود الحاج وصيف أبي العباس السبتي.

المساجد المرينية :

مسجد الجزولي : نسبة إلى الشيخ سيدي محمد [فتحا] ابن سليمان الجزولي صاحب *دلائل الخيرات*. كان هذا المسجد من المساجد الصغيرة بروض الجنة - المعروف الآن بروض العروس - في زمن أبي الحسن المريني عام 715 / 1315. ثم زيدت فيه زيادة هامة أيام السلطان الأعرج السعدي لما قام بتأسيس ضريح الشيخ الجزولي في حدود 930 / 1523. ثم رممه المولى إسماعيل وأمر بإقامة الخطبة فيه. وممن جدده السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وكذا السلطان المولى عبد الرحمان.

مسجد ابن صالح : أسسه السلطان أبو الحسن المريني المعروف بالسلطان الأكحل في سنة 718 / 1318، وأوقف عليه أوقافا كثيرة. وفي سنة 1080 / 1669، جدده السلطان مولاي الرشيد العلوي، وأمر بتأسيس المدرسة التي بإزائه. ثم رممه السلطان سيدي محمد بن عبد الله، كما جدد قبة الشيخ سيدي محمد [فتحا] بن صالح.

المساجد الوطاسية :

مسجد حارة الصورة : أو جامع أبي حسون : أسسه السلطان أبو حسون الوطاسي ترغيبا للناس في بقاء دولته لمزاحمة السعديين له، فشيده وحبس عليه أوقافا كثيرة. ثم جدده السلطان الغالب بالله السعدي وزخرفه. ثم أقيمت فيه صلاة الجمعة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

المساجد السعدية :

مسجد الحناء : يوجد قرب سوق السماطة أو سوق (البلاغي). لم أقف على أي مصدر يؤرخ له، أو يشير إلى مؤسسه، وإلى العصر الذي ينتمي إليه. وأمام غياب الوثائق فإنني ركنت إلى الرواية الشفهية التي تروي بأن الباني لهذا المسجد هو عبد الله الغالب بالله السعدي. شيده مكان مزبلة كانت هناك، وهو مسجد صغير خاص بإقامة الصلوات الخمس.

مسجد حي ياسر : أشار إليه المقري في كتابه *[روضة الآس العاطرة الأنفاس]* بقوله : [...وها أنا ذاكر طرفا مما رأيت من ذلك، فمن ذلك بناء المسجد العظيم بحارة ياسر من حضرتهم المراكشية، عهدي به قد قارب إتمامه، أخبرت أنه أراد أن يجعل به مدرسة وحمامات وغيرها محيطة بالمسجد المذكور، أعانه الله على إكماله، وبلغه غاية آماله]. لم يعد له أثر.

مسجد باب دكالة : نسبة إلى الحي الذي شيد فيه. ويسمى كذلك بجامع الحرة، نسبة إلى المشيدة له أم أحمد المنصور الذهبي السيدة مسعودة بنت أحمد بن عبد الله الوزكيتي. وتعرف باسم [عودة] مخففة من مسعودة على طريقة البربر. وتنعتها بعض المراجع بالحرة.

- مسجد أبي العباس السبتي : نسبة إلى الشيخ أبي العباس السبتي، أسسه السلطان أبو فارس عبد الله بن أحمد المنصور السعدي، الملقب بالواثق بالله يوم الجمعة آخر يوم من ربيع الأول عام 1012 / 7 شتنبر 1603، وسبب بنائه أنه كان أكولا، عظيم البطن، مصابا بالجن، فمن أجل ذلك شيد

الجامع ومناره، والمدرسة التي بإزائه، وحبس على ذلك كتبا نفيسة رجاء أن تعود عليه بركة الشيخ بالبرء من تلك العلة.

ـ مسجد الشرفاء : أو جامع المواسين نسبة إلى الحي الذي شيد فيه. بني الجامع من طرف السلطان الغالب بالله السعدي ما بين 970 و980 / 1562 و1572 على مساحة [68 x 38,50] وشيد معه مجمع ديني يحتوي على سقاية، وميضاة واسعة، وحمام، وكتاب، ومسكن للقائمين على شؤون هذا المسجد الجامع. يقع الجامع بقلب المدينة بحي المواسين قرب الأسواق. [ولقد كان أهل الورع يجتنبون الصلاة في جامع الأشراف بعد بنائه بمدة، ويقال : إن موضع ذلك الجامع كان مقبرة لليهود والله أعلم].

مسجد الهناء : جاء في كتاب *تاريخ السودان* : [...وقد أدركت أن الأمير السلطان أحمد أنشأ بناء الجامع، ووضعه وضعا عجيبا، فسمي بذلك جامع الهناء، ثم شغل عنه بترادف تلك المحن ولم يكمله حتى توفي فسمي جامع الفناء]. بدأ بناؤه في عهد أحمد المنصور الذهبي، ولما تسلط الوباء على بلاد المغرب وأهلك مئات السكان من مراكش، ومن بينهم أحمد المنصور، وأطلق على المسجد اسم جامع الفنا [الهلاك]. ثم سميت الرحبة المجاورة له أيضا بنفس الاسم. لم يعد له أثر.

مسجد الوسطى : بحي قاعة ابن ناهض، أسسه الوزير عليش في 17 ربيع الثاني 945 / 11 شتنبر 1538، في عهد السعديين، وشيد بناءه، وحبس عليه أوقافا كثيرة، ثم هدمه مولاي عبد الرحمان العلوي وأعاد بناءه على شكل بديع، وهيئة حسنة، على يد بوستة.

المساجد العلوية :

مسجد سيدي إسحاق : نسبة إلى الشيخ إبراهيم البلفيقي، الكائن بسوق الدقيق ـ الرحبة القديمة حاليا ـ أسسه السلطان محمد بن عبد الله ومات قبل إتمامه، وأكمله ولده السلطان مولاي سليمان. وتمت توسعته والزيادة فيه من طرف السلطان المولى عبد الرحمان. ثم رمم من طرف السلطان محمد الخامس.

مسجد درب اشتوكة : بحي القصبة قرب باب إغلي، شيده السلطان محمد بن عبد الله بجوار قصره، وقد خصصه لجنوده المقيمين في دار الكشايرية المشرفة على الجامع، وكانت له صومعة من الخشب على شكل شرفة تطل مباشرة على المشور الكبير، وعلى دار الكشايرية. وكانت تستعمل للآذان، وكذلك تستعمل من طرف السلطان لمراقبة تداريب جنوده في ساحة المشور الكبير. يقول دوفيردان : [...لا أثر له اليوم، وعندما زرت أطلاله ذات مرة لم يبق منها سليما إلا المحراب، ومساحة الصحن تعادل تقريبا مصلاه، ولعله كان مكونا من بلاطين متعارضين]. ومع الأسف الشديد فإن هذا المسجد حول إبان الاستعمار إلى سكن بعض الفرنسيين.

مسجد باب إيلان : في فاتح رجب سنة 1202 / 8 أبريل 1788، شرع السلطان محمد بن عبد الله في تأسيس الجامع الأعظم الذي بحومة باب إيلان، وموجبه أنه لما فرغ من بناء قبة مولاي علي الشريف، مست الحاجة إلى تشييد جامع يناسب القبة المذكورة، فجاء وفق المراد، وأذن في إقامة الجمعة فيه. وبجانبه حمام ومرحاض.

مسجد بريمة : سبقت الإشارة إليه في الجزء 4 صفحة 1163 من المعلمة.

مسجد دار البديع : أو مسجد البخاريين، أي حرس السلطان. كان هذا الجامع من المساجد الصغيرة بالقصبة، أقامه السلطان محمد بن عبد الله على بعد أمتار من قصره، ومايزال هذا الجامع إلى اليوم.

مسجد درب مولاي عبد القادر بدرب ضباشي : شيده السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

مسجد القنارية : كانت المنطقة عرصة في ملك ولد الشراطي، ولما بني الحي بني معه المسجد. يقول الموقت : [ولم تكن تقام فيه الجمعة إلا عام 1261 / 1845، حيث أقرض أهل حومة ذلك من بيت المال، وأقاموا فيه الجمعة من ذلك الحين، وما فضل من وفر ذلك الجامع يدفعونه تقاضيا حتى تم القرض المذكور. وفي أيام المولى عبد الرحمن زيد فيه زيادة. على يد القائد بوستة بمعاونة السكان. وافتتح للخطبة سنة 1848 ـ 1849.

مسجد سيدي ميمون الصحراوي : جدده السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وكذا الضريح.

أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت*، الرباط، 1971 ؛ مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، الدار البيضاء، 1985 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ـ 1956 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، 1974 ـ 1983 ؛ ع. بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، 1979؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، 1999 ؛ م. المختار السوسي، *إيليغ قديما وحديثا*، 1986 ؛ *البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف*، تح. رشيد الزاوية، 1992 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار المغرب*، 1985 ؛ عبد الرحمن السعدي، *تاريخ السودان*، 1898 / 1900 ؛ محمد الضعيف، *تاريخ الضعيف*، 1986 ؛ ابن الزيات، *التشوف إلى رجال التصوف*، 1984 ؛ علي الجزنائي، جنى *زهرة الآس في بناء مدينة فاس*، 1991 ؛ محمد أكنسوس، *الجيش العرمرم الخماسي*، 1994 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، 1976 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، تونس ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة، تونس ؛ ع. ابن زيدان، *الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس*، 1937 ؛ ع. علام، *الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المومن بن علي*، 1968 ؛ *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*، تح. أحمد عمالك، 1986 ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة*، 1984 ؛ ابن بطوطة الطنجي، *رحلة ابن بطوطة*، 1987 ؛ محمد الحميري، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، 1984 ؛ أحمد المقري، *روضة الآس العاطرة الأنفاس*، 1983 ؛ محمد الموقت، *السعادة الأبدية*، 2002 ؛ إ. حركات، *السياسة والمجتمع في العصر السعدي*، 1987 ؛ م. الإفراني، *صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر* ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، 1961 ؛ م. المنوني، *العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين*، 1977 ؛ ليوبولدوتوريس، *الفن المرابطي والموحدي*، تر. سيد غاوي، 1976 ؛ الصديق بلعربي، *فهرس*

مخطوطات خزانة ابن يوسف، 1994 ؛ صالح المصمودي، *كتاب القبلة*، 1998 ؛ دوفيردان، *مراكش* ؛ م. مرزوق، *المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن*، 1981 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، 1985 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، 1978 ـ 1979 ؛ عبد العزيز سالم، *المغرب الكبير*، 1981 ؛ أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور*، 1986 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، 1998 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، 1989 ؛ عبد الحميد بنشنهو، *النظام الإداري بالمغرب*، 1963؛ حسن القطان، *نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان*، 1990 ؛ أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، 1351 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، 1996؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1983.

أحمد متفكر

**الـ مسافر عائشة**، ولدت المقاومة سنة 1937 بدوار بيزريكم بإقليم تزنيت. انخرطت في صفوف جيش التحرير سنة 1957 بالمقاطعة 12 بآيت باعمران، وبقيت تعمل فيها بكل نزاهة وإخلاص، وكانت مثالا للمرأة المجاهدة في سبيل العزة والكرامة، نشيطة في عملها متحمسة في إيمانها، معروفة بغيرتها الوطنية لاسترجاع ما تبقى من أرض الوطن، وقد شاركت في عدة معارك حامية الوطيس وقعت بين جيش التحرير والجيش الإسباني والمعروفة باسم معركة بويزي بتاريخ 1 دجنبر سنة 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، الجزء الثاني، ص. 36.

بوعبيد التركي

**الـ مسايسليون**، يتحدث بلينوس الشيخ عنهم قائلاً : "... كان جارهم [المور] المباشر هو شعب الماسايسليين الذي تقلص دوره بنفس الطريقة [التي تقلص بها شعب المور]. ومن خلال حديث بلينوس الشيخ فإنهم كانوا يستوطنون شمال موريطانيا وقد عثر على نقيشة تحمل اسمهم قرب خميس انجرة بمنطقة القصر الصغير، تعود إلى القرنين الثاني والثالث الميلاديين. وحسب تيتوس ـ ليڤوس فإن هذه المجموعات البشرية أمدت سيفالس ملك المسايسليين بجيوش كثيرة لمحاربة الرومان مما يدل على وجودها داخل مملكة المغرب القديم التي كانت تمتد ما بين المحيط الأطلسي غرباً إلى الوادي الكبير قرب قسنطينة شرقاً بالجزائر، ويؤكد هذا قول تيتوس ـ ليڤوس بأن سيفاكس ملك المسايسليين كان يحارب بجيش مستقر قرب مضيق أعمدة هرقل.

Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 17 ; Tite - Live, *Histoire romaine*, XXIV, 49 ; L. Galand, Inscriptions libyques, dans *Inscriptions antiques du Maroc*, Paris, 1966, texte n° 1 ; Gascou avec le concours de Y. Dekisch, Inscriptions antiques du Maroc, 2, Inscriptions latines recueillies et présentées par M. Euzennat et J. Marion dans *Etudes d'Antiquités Africaines*, Paris, 1982, n° 52.

مصطفى أعشي

**الـ مستاري**، الفقيه **عبد السلام** بن الحاج علال بن محمد بن الحاج علال. ينحدر من أسرة أصلها من بني مستارة بجبل العلم، كان بعض أفرادها قد انتقلوا إلى أسفي صحبة الشريف مولاي إدريس بن التهامي الوزاني في منتصف القرن الثاني عشر الهجري.

ولد الفقيه عبد السلام المستاري عام 1900 بمدينة أسفي حيث أخذ العلم في الزوايا والمساجد على يد نخبة من العلماء الذين كانت المدينة تزخر بهم، ثم رحل إلى فاس وأخذ العلم عن علمائها كذلك. بدأ نشاطه السياسي منذ العشرينيات صحبة مجموعة من الوطنيين الأسفيين نذكر منهم الفقيه محمد الكانوني ومحمد البوعمراني وصالح العبدي (مطيشة) والفقيه إبراهيم العويني والفقيه البوعناني وغيرهم من المجاهدين. وقد تجلى هذا النشاط خصوصاً في مؤازرة حركة محمد عبد الكريم الخطابي والدعاية إليها وكذلك في مناهضة الظهير البربري. بعد ذلك منعت السلطات الاستعمارية الفقيه المستاري من ممارسة مهنة العدلية التي كان يتعاطاها ـ وفي تلك الفترة ـ أي في مطلع الثلاثينيات ـ فقام رفقة العالم الفلكي السيد محمد بلكاهية بمؤازرة الفقيه الكانوني ومساعدته على تأسيس أول مدرسة حرة بأسفي، لكن هذه المدرسة لم تكمل عامها الأول حتى قامت السلطات الاستعمارية بإغلاقها. وفي عام 1944 وقع الفقيه المستاري على وثيقة المطالبة بالاستقلال، فكان بذلك أحد الأسفيين الثلاثة الذين وقعوا عليها والذين خلدوا ذكر مدينتهم وكتبوا بمداد الشرف والفخر أمجادهاوبطولاتها. أما الموقعان الأسفيان الآخران فهما محمد البوعمراني المتوفى عام 1994 بالدار البيضاء ومَحمد بن دحان بن الخضير المتوفى بأسفي عام 2000.

ومنذ ذلك العهد (1944) وإلى غاية حصول المغرب على استقلاله دخل الفقيه المستاري السجن عدة مرات وتعرض لكثير من المضايقات. وبعد الاستقلال عمل بسلك القضاء بأسفي ثم بمراكش.

توفي بمراكش عام 1991.

محمد الكانوني، *أسفي وما إليه قديماً وحديثاً* ؛ تراجم الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، نشر *المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير*، 1996.

عبد الرحيم العطاوي

**مستانيسوسوس** Mastanesosus، ملك موري انفرد كيكرو Cicero بالإشارة إليه وهو يتحدث عن شخص روماني يدعى واتنيوس Vatenius في زيارته لمملكة الملك موريطانية سنة 62 قبل الميلاد : "ألا تذكر أنك مررت بسردينية وأفريكا Africa... وبمملكة هيمبسال ومملكة مستانيوسوس ثم اجتزت المضيق عبر موريطانية". وقبل ذلك بسنتين قيل إن شخصا رومانيا يدعى ستيوس Sittius عقد مع ملك موريطانية علاقة اقتصادية، وهو مستانيسوسوس. كما قيل إن القائد الروماني كاتلينا Catilina كان يعلق آماله على مساعدة عسكرية سيوفرها له سيتيوس وهو بموريطانية.

تولى مستانيسوسوس الحكم بعد بكوس الأول Bocchus في المجال الذي كان خاضعا للموريين، وهو يضم موريطانية (المغرب القديم) وغرب نوميدية (الجزائر قديما). والغالب أن بومبيوس Pompeus الذي تدخل عسكريا في موريطانية سنة 81 قبل الميلاد، قد سوى أوضاع المملكة المورية لصالح هذا الملك، الذي ظل وفيا له مثل غيره من الملوك الأفارقة.

والراجح أن ستيوس قد قام بخدمة في جيش مستانيسوسوس، وهي المهمة التي أداها في جيش الملك بكوس الثاني ابن مستانيسوسوس.

وبالإضافة إلى هذه الأخبار المقتضبة حول شؤون الملك مستانيسوسوس، فإن البحث الأثري كشف على عناصر تسلط بصيصا من الضوء على عهده. والأمر يتعلق بالعملة التي تحمل اسمه MSTNSN بالكتابة البونية، وهي الصيغة الأصلية لاسمه أو لقبه. والمثير في عملته هو كونها تحمل رسما لغصن الزيتون الذي يرمز في نظرنا إلى ما حققه الملك من استقرار في عهده، خلافا لما كانت عليه أوضاع المملكة المورية في أواخر حكم بكوس الأول، وخلال المدة القصيرة التي تولى فيها الملك أسكاليس Askalis. ومن جهة أخرى تم العثور في وليلي على قذائف من الرصاص كانت تستخدم في الضرب بالمقاليع، وقد ورد فيها اسم الملك مختصرا كالتالي : "REX SOS"، ومعناه الملك سوس. وهي صيغة مطابقة لورود اسمه على عملة ابنه بكوس الثاني كما يلي : REX SPSI F، ومعناه الملك بكوس بن سوس.

هكذا يستفاد من خبر كيكرو أن الملك الموري كان معاصرا لهيمبسال سنة 62 ق. م.، والغالب أن مملكتيهما كانتا متجاورتين، في انتظار أن يتم الحسم في ملوكية مسنيسا الثاني الذي أصبح الآن بدون عملة. إن اكتشاف رصاصات هذا الملك الموري في وليلي يوحي بحكمه في غرب المملكة. وما يعزز حكمه شرقها هو تولي ابنه بكوس الثاني الحكم في هذه الجهة بعد انقسام المملكة المورية.

هذا كل ما نعرفه عن مستانيسوسوس بواسطة الخبر الوحيد الذي أكد سيادته على المملكة المورية. غير أنه من الواجب أن نقف عند مجموعة من التصورات تكونت لدى الدارسين المحدثين، تعود إلى عهد هذا الملك الذي انطلى عليهم أمر حكمه بموريطانية. يتعلق الأمر بما روجوه من تكهنات حول اضطراب أحوال المملكة المورية، أو الممالك الأفريقية عموما بعد اتصال ستيوس بموريطانية منذ سنة 64 ق. م.، حيث كانت له علاقة اقتصادية مع ملكها، وهو الملك مستانيسوسوس الذي كان يحكم بعد ذلك بسنتين.

الغالب أن ستيوس كان قد تعاطى للنشاط العسكري في جيوش الملك الموري نفسه، بعد فشل مشروعه التجاري. ولا يحق القول أن ستيوس قد كون جيشا لحسابه الخاص، أو كانت له إمارة بإفريقيا قبل الصراع بين قيصر وبومبيوس. نلتمس الحجة على ذلك من قول ديون كاسيوس إن ستيوس كان قائدا في جيش بكوس الثاني، مؤكدا أن قوات ستيوس في حرب أفريكا كانت قليلة. ولعله يقصد بذلك المرتزقة الإيطاليين الذين عبروا معه من إسبانيا إلى موريطانة.

أغلب الظن أن ستيوس مارس نشاطه العسكري في قوات مستانيسوسوس، ثم واصل نفس المهمة في عهد ولده بكوس الثاني. وليس هناك ما يعزز قول أبيانوس الذي زعم أن ستيوس شارك في حروب ملوك ليبيا ضد بعضهم البعض، وكان النصر يحالف الجهة التي يحارب معها. يبدو أن هذا المؤرخ يشير إلى دور ستيوس في حملة بكوس الثاني ضد الملك النوميدي يوبا الأول سنة 47 ق. م. لصالح قيصر. في حين يرى گسيل أن هذا النشاط العسكري لستيوس يمتد من 64 إلى 47 ق. م.

لا يجوز أن نصدق بما ترتب عن هذه التصورات من وهم جعل المحدثين يظنون أن الملكين الموريين كانا عدوين ليوبا الأول، انطلاقا من وجود ستيوس عند بكوس، أو عند والده مستانيسوسوس، أو اعتمادا على إشارات خاطئة أوردها القدماء أنفسهم، مثل قول ديون كاسيوس إن اعتراف قيصر بالملكين الموريين يرجع إلى عدائهما لبومبيوس. لكن المحدثين اتخذوا ذلك ذريعة للقول بعداء الملكين الموريين ليوبا. وظن بعضهم أن يوبا كان يرمي إلى فتح إفريقيا من المحيط إلى خليج سرت Syrtes ، بدون حجة على ذلك. وظن بلوك وكاركوبينو أن بكوس الثاني كان يستعين بستيوس ضد القبائل غير الخاضعة، وفي سياق آخر صرحا أن الملكين الموريين كانا يحترمان الملكين النوميديين، أي يوبا الأول ومسنيسا الثاني.

كما أن هناك وهما آخر انطلى على بعض القدماء مثل گسيل، الذي انطلق من إشارة لأبيانوس حول المشاكل التي أثارها جيران يوبا، لما كان الملك النوميدي بولاية أفريكا يستعد لمحاربة كوريو. وظن گسيل أن هؤلاء الجيران هم الموريون. نتساءل كيف غض الكاتب عن كل التفاصيل التي وردت في الكتب المنسوبة لقيصر المعاصر للأحداث، خصوصا ما ورد فيها حول الحيلة التي خطط لها يوبا الأول وقائده صابورا Saburra ، بإشاعة خبر يوهم كوريو أن لهذا الملك مشاكل مع جيرانه جعلته يعود لقتالهم. مما جعل الملك يترك في الميدان قليلا من الجنود مع سابورا. وذلك ما جعل كاريو يضع كامل ثقله في المعركة، كما خطط لها النوميديون، فدارت الدائرة على القائد الروماني.

أشار الشاعر الرورماني لوكانوس إلى تفاصيل هذه المكيدة أيضا، كما أشار ديون كاسيوس إلى الخدعة دون تفاصيل. ولم تنطل إلا على كوريو والمؤرخ أبيانوس، وبعده على گسيل، بقصد أو بغير قصد. والغالب أن المحدثين ضخموا هذه المسألة أكثر من حجمها الحقيقي، وفق اعتقادهم بعدم استقرار أوضاع الممالك، التي يطبعها الاضطراب والفوضى والتنافر حسب رأيهم، وهي خلفية استعمارية معروفة.

هناك دوافع قد تجعل النوميديين يتطلعون إلى استرجاع

جزء من بلادهم شملته سيادة المورين منذ حرب يوغرطة.

لكنها فكرة مستبعدة نظرا للظروف التي تحيط بهذه السيادة، وبسيادة ملوك نوميدية أنفسهم في القرن الأخير قبل الميلاد، وهي تتسم بالتدخل الروماني في شؤون الملوك. وهذا لا يسمح بالقول إن الملوك النوميديين كانوا يتعلقون بهذه الوطنية، بسبب نجاح رومة في ترويض هؤلاء منذ الحرب البونية الثانية، وترويض المورين منذ حرب يوغرطة. والواقع أن ما أثار هموم الكتاب القدماء والمحدثين هو تظاهر يوبا بالعظمة، وتجاوزه لممثلي السلطة الرومانية في ولاية أفريكا، بعد قضائه على كوريو حيث أصبح هو الآمر الناهي.

الواقع أن الفترة التي تفصل بين الحرب الأهلية التي قامت بين سولا ومريوس، والحرب الأهلية التي قامت في منتصف القرن الأخير قبل الميلاد بين بومبيوس وقيصر، كانت الممالك الإفريقية خلالها هادئة، بعد تسوية شؤونها إثر النصر الذي أحرزه بومبيوس لصالح قائده سولا سنة 81 ق. م. والواقع أن ملوك شمال إفريقيا كانوا على ولاء تام لبومبيوس في عهد الملوك المورين مستانيسوسوس وبكوس الثاني وبگود والملكين النوميديين هيمبسال ويوبا الأول.

نعتقد أنه لو حدث ما يعكر هذا الهدوء، وهذه التسوية، لكان من الواجب على قادة رومة أن يهرعوا إلى إفريقيا، كما فعلوا في نفس الظروف مع مثريداتيس Mithridates في الشرق، وفق سياسة رومة التي كانت عيونها تراقب كل شيء، إلى أن نجحت في ترويض الممالك. ولا يجوز الاعتقاد أن بومبيوس الذي يهمه أمر ممالك إفريقيا كان منشغلا عنها، حيث كان له الوقت الكافي لترويض المملكة النبطية العربية، عندما كان يحارب مثريداتيس.

وأيا ما كان الأمر، فإن المملكة المورية ظلت على ما يبدو متماسكة في عهد مستانيسوسوس. ولعل الملك يرمز إلى ذلك بغصن الزيتون الذي انفرد برسمه على عملته. وأخيرا نشير إلى رأي أوزينا الذي يرجح أن مملكة مستانيسوسوس استمرت في الوجود إلى فترة انقسام المملكة. وقبل إشعار آخر، لا نجد بدا من قبول هذا الرأي، مع طرح سؤال ملح عن ظروف انقسام هذه المملكة.

محمد مجدوب، *مملكة المورين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م.*، كلية الآداب، فاس، مرقونة، 1990 ؛ *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب، المحمدية، مرقونة، 1998.

S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, t. 7, Paris, 1928 ; Bloch, H. Bloch et J. Carcopino, *La république romaine de 133 av. J.C. à la mort de César*, Paris, 1940 ; J. Mazard, *Corpus nummorum numidiae mauretanaeque*, Paris, 1955 ; J.G. Fevrier, Bocchus le jeune et les sosii, dans *Sémitica, 11, p. 9-15, 1961* ; M. Euzennat, Le roi Sosus et la dynastie maurétanienne, dans *Mélanges Carcopino, p. 333-9, 1966* ; G. Camps, Sosus ou Mastanesosus roi de Maurétanie 80 ? à 49 ? av. J.-C., dans *Encyclopédie Berbère*, édition provisoire, 5, p. 1-6, 1970 ; Les derniers rois numides Massinissa II et Arabion, dans *B.C.T.H., 1984*, N.S., 17 B, 1981, Paris, p. 303-10 ; M. Sartre, Rome et les nabatiens à la fin de la république, dans *Revue des Etudes Anciennes, 81, p. 37-53, 1979* ; F. Decret et M. Fantar, *L'Afrique du nord dans l'antiquité des origines au 5ème siècle*, 1981, Paris ; A. Jodin, *Volubilis Regia Iubae, contribution à l'étude des civilisations du Maroc préclaudien*, Paris, 1987 ; F. Bertrandy, *L'Etat de Publius Sittius et la Numidie Cirtéenne* (1er s. av. 1er s. ap. J.-C.), Thèse de Doctorat d'Etat, Université Paris IV Sorbonne, Dactylographié ; M. Majdoub, Les luttes du début du 1er s. av. J.-C. au Nord de la Maurétanie, dans *Collection de l'Ecole Française de Rome, I, p. 235-8, 1992* ; Pompeus Magnus et les rois maures, dans *Africa Romana*, 12, 1231-8, 1998 ; M. Makdoun, La maison de Dionysos et des quatre saisons et la maison des bains des Nymphes : problème de mitoyenneté et de chronologie, dans *Africa Romana, 13, p. 1703-23, 2000*.

محمد مجدوب

**المستضيء بالله**، أو **بنور الله**، بن إسماعيل بن الشريف الحسني، القائم على أخيه المولى عبد الله. "أمه عودة الدكالية"، وهو غير المستضيء الذي أمه مالكية. وصفه الريفي فقال : "أبيض اللون، حسن القد، مليح الوجه". وقال ابن زيدان عن خلقه : "كان المترجم منكوس الراية مسيكا، ذا خفة وقساوة وطيش، غير متأن ولا ناظر في العواقب، ولا متوقف في سفك الدماء". وهي أوصاف يتفق عليها كل من ترجمه. بايعه العبيد بزعامة القائد الحوات، بعد خلع أخيه محمد ولد عربية، في اليوم الأول من ربيع الأول عام 1151 / 1738، وهو يومئذ مقيم بتافيلالت. ويرى ابن زيدان أن تلك البيعة كانت يوم السبت ثالث الشهر المذكور. وبينما هو متوجه في شرذمة من أولئك العبيد إلى فاس، توقف بصفرو حيث لقي بها علماء الحضرة الإدريسية وأعيانها الذين جاؤوا ليؤدوا له البيعة، ويحملوه إلى دار الملك. ولما دخل المدينة ولى عليها واستخلف، وأصلح ما كان بين الشرفاء الأدارسة وعامة أهلها، قبل أن ينهض إلى مكناس، التي دخلها يوم 14 من الشهر المذكور، وبويع بها البيعة العامة من قبل العبيد. فاضطر أهل العقد والحل للإذعان وقبول تلك البيعة، فقدمت عليه الوفود بهداياهم وبيعاتهم. وكان أول ما قام به تصفية أعضاء المخزن السابق، وبعث أخيه ابن عربية المخلوع (والذي كان مقيما بالقصابي)، مصفدا في الأغلال إلى المنفى بتافيلالت وإيداع معاونيه سجن فاس الجديد، بعد أن نكل بهم، ونهب ممتلكاتهم.

بعد ذلك، جد المترجم في ترضية أنصاره من عبيد البخاري، فطفق يبحث في بعض خزائن والده التي لم يلق إليها أحد من إخوته بالا، حتى عثر على مخزون من ملح البارود والكبريت والشب وغيرها ؛ باعها كلها. و"انتزع النوافذ والشبابيك، وأنزل المدافع النحاسية ليذوبها ويضربها فلوسا". فعمل ذلك ليقطع لسان العبيد، على حد تعبير ابن زيدان ؛ لكن لم يغن عنه شيئا، لأن جشعهم لم يعد له حد. ولما لم يجده كل ذلك شيئا، عمد إلى توظيف المغارم الثقيلة على أهل فاس، حتى أعجزهم عن الوفاء بها ؛ فأمر بإلقاء القبض على جماعة منهم وإيداعهم السجون. ثم أمر ببيع ممتلكاتهم "لاستيفاء ما بقي بذممهم مما وظف عليهم". كما امتحن بعض الأشراف، واستصفى الأموال، وقتل النفوس بغير حق ؛ "ولم يترك بابا من أبواب القساوة إلا وطرقه".

ولم يرقب في الناس إلا ولا ذمة، متبعا في ذلك إغراء أحد أكبر أعوانه، وهو عمر الأمراني الذي دفعه حنقه على أهل فاس إلى الانتقام منهم. وفي سياق ذلك، حرض المترجم على قطع الطرق وشن الغارات على جميع من عدهم أعداءه، حتى جاسوا خلال الديار. فانقطعت السبل، وتعذرت وسائل الكسب والمعاش. وامتد بطشه إلى الجهات التابعة له، فأمر الباشا أحمد الريفي، الذي كان ييسر له المدد الذي كانت بعض دول أوربا تقدمه له، وكان يعادي المولى عبد الله الذي فتك بمبعوثيه، بالإيقاع بأهل تطوان، بسبب تخلفهم عن بيعته. وقد كان الريفي ينتظر تلك الفرصة، بسبب ما كان بينه وبينهم من مستحكم العداء، فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها، لينهب الممتلكات ويسلب الأموال، ويسفك دماء الوجهاء والأعيان ؛ ثم أثقل كاهل الجميع بالوظائف والمغارم حتى فل قرنهم.

وبالموازاة مع ذلك، عدا المترجم على كل من اعتبرهم أعداء له، بالقتل ومصادرة الأموال والممتلكات، حتى أسرف. وقد وقعت بينه وبين الريفي نفرة، تكدر بها جو الصفاء بين الرجلين، سرعان ما عمل على تجاوزها حين بعث إليه بأبي عيسى المهدي الفاسي وسيطا ؛ وحمله برسالة يتودد إليه فيها ؛ لأنه أدرك أن الباشا أحمد، قد يكون رداءً له في حال ما أحيط به. وكذلك كان الأمر. فلما قام الباشا بوعزة مول الشربيل وعبيد الديوان بعزله ؛ وجد ملاذه عند أحمد الريفي الذي قام على ساق الجد لنصرته وشد عضده ؛ حيث أمده بكل ما يلزم من مئونة ومال ودواب ورجال لخفارته في طريقه إلى الجنوب.. فانتهى به المطاف إلى مراكش حيث ألقى عصا التسيار، ووفدت عليه قبائل الحوز بالهدايا والبيعات. لكن شيعته انهزمت لما عزمت على ضرب جيش أخيه الذي كان إدالة بأگادير، الأمر الذي أجبره على مغادرة مراكش، واللجوء "إلى القصبة التي كان بناها بمسفيوة"، ليسترجع أنفاسه ويجمع قواته. فمكث غير بعيد، إذ خلع العبيد طاعة المولى عبد الله وبايعوا المترجم في آخر سنة 1154 / 1741. وكان الباشا أحمد قد كتب لعبيد مكناس يحرضهم على نبذ طاعة عبد الله، ويدعوهم لمساندة المستضيء، الذي توجه إلى تلك المدينة في أوائل محرم عام 1155 / 1742، فدخلها تحت راية العبيد. وهنالك قدمت عليه الوفود لتجديد البيعة، وتقديم الطاعة. ولم يتوان أحمد الريفي في دعم ختنه، حيث تزوج المترجم ابنته، فوجه البعوث إلى أهل فاس طالبا منهم تجديد البيعة له. ولما رفض هؤلاء طلب المترجم، شن عليهم الحرب. لكنه لم يلو على طائل، ولاسيما لما زحف إليه عبد الله في جيش جرار ؛ فما وسعه إلا الفرار، إذ لم يتوقف إلا عند مدينة تازا، قبل أن يرجع إلى مكناس التي منعه الطاعون من اقتحامها.

وفي يوم الثلاثاء 22 محرم 1156 / 1743 نزل المترجم وصهره الريفي بموقع يدعى العسال، على مشارف فاس، استعدادا لشن الحرب على تلك المدينة. لكن الهزيمة وقعت على المستضيء وحليفه اللذين فرا معا، كل منهما يجر أذيال الخيبة، تاركين أمتعتهما غنيمة لأهل فاس. وفي الوقت الذي فر فيه الريفي إلى الشمال، لجأ المترجم عند بني حسن الذين آووه ونصروه. فرجع بهم مع شرذمة من العبيد والبربر، في ثاني جمادى الثانية، فدخلوا مكناس على حين غفلة من أهلها، لينهبوا ويعيثوا فسادا ؛ غير أنهم انهزموا مرة أخرى، ولاذوا بالفرار.

وبذلك قطع المستضيء نظره عن تلك الجهة، إذ كانت تلك آخر التماعة في طلبه الملك، بحيث لم يعد يقر له قرار في أي جهة من جهات المغرب، لأن صهره قد قتل، وتشتت أنصاره، فتصدى له أخوه عبد الله بالمطاردة أينما حل وارتحل.

وهكذا توجه إلى سلا، حيث وجد ترحيبا عند عبد الحق فنيش الذي كان ناقما على السلطان عبد الله، فبويع له هنالك. واتخذها مرتكزا لضم الرباط، لكن جهوده باءت بالفشل. ولما أوقع أخوه عبد الله بأنصاره بني حسن، اضطر إلى اللجوء من جديد إلى مسفيوة التي ظلت على ولائها له ؛ غير أنه سرعان ما غادرها طريدا من قبل أخيه. فدخل مراكش حيث وجد خليفته، أخاه بناصر، قد فتك به هادم اللذات. ومن ثم، فقد سنده في الجنوب كذلك.

وعلى الرغم من ذلك فقد ثار من جديد بجبال مسفيوة ؛ لكن أمره أصبح في إدبار. فلم يزل شريدا يتنقل، من مراكش إلى دكالة فتامسنا فبني حسن، حتى انتهى به المطاف إلى ناحية طنجة ؛ حيث ألقى عصا التسيار. لكن شوكته لم تخضد إلا بعد أن اعتقله أهل الريف، "وسلبوه من كل مال ومتمول، وامتحنوه وأوثقوه، وهموا بتوجيهه لصنوه... ثم بدا لهم فسرحوه". فلم يبق أمامه إلا طلب العفو من أخيه. وحتى لما استجاب هذا لطلبه، حيث قبل عذره، وأذن له في الإقامة بأصيلا (سنة 1164 / 1751 )، فإنه لم يتب. بل اشتغل بتهريب الحبوب إلى الخارج. فلم يسع السلطان إلا توجيه حملة عسكرية، بزعامة القائد عبد الله السفياني والأمير إدريس بن المنتصر، اللذين زحفا على أصيلا، وأرغما المترجم على مغادرتها. فتوجه إلى ضريح أبي بكر بن العربي بفاس معتصما به. ولما رفض السلطان عذره، ارتحل إلى صفرو حيث مكث مدة بدار الإمارة، مستعطفا أخاه، ومحاولا في ذات الوقت، استمالة آيت يوسي. ولما التحق به عياله، واستلم ما بعث له به أخوه من أثاث وأمتعة، ولم يحصل على طائل عند تلك القبائل، اضطر إلى التوجه إلى تافيلالت للاستيطان بها وكان ذلك سنة 1166 / 1753.

وكانت وفاته عام 1173 / 1760، بعد أن دامت دولته - حسب عبد الكريم الريفي - عاما وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما. والظاهر أنه يقصد دولته الأولى ؛ لأنه لم يتخل عن طلب الملك، بعد خلعه، حيث ظل حاملا راية العصيان على أخيه السلطان عبد الله طوال اثنتي عشرة سنة.

وباختصار، فقد بويع في أوائل ربيع الأول من عام

1151 ، وتم عزله في ذي القعدة من عام 1152. لكنه بويع للمرة الثانية عام 1155 بمساعدة الباشا أحمد الريفي، بعد خلع زين العابدين الذي قام المستضيء باعتقاله وضربه. لكن مقتل صهره وسنده الباشا المذكور سنة 1156 / 1743، من قبل المولى عبد الله قد فت في عضده، فلم يستقم له بعدها أمر الملك أبدا.

ومن بين أبرز رجال دولته، أخوه مولاي بناصر، وعلي بن سعيد العميري، والباشا سالم الدكالي. ويتفق جل من ترجموه على أن أيامه "كانت كلها غلاء ووباء ونحس مستمر..." وظلم وعسف على الرعايا.

ابن موسى، *زهر الأكم* ؛ القادري، *نشر* ؛ *التقاط الدرر* ؛ ابن حمدوش، *الرحلة* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ الزياني، *البستان* ؛ الترجمان ؛ أكنسوس، *الجيش* ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا* ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب* ؛ ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ المراكشي، *الإعلام* ؛ داوود، *تاريخ تطوان* ؛ ج. وندوس، *رحلة*.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc* ; B. Boutaleb, J. Brignon, *Histoire du Maroc*.

أحمد عمالك

**مستي** (قبيلة -) باعمرانية، كانت من صميم القبيلة الكبرى آيت بوبكر ويحيى حتى سنة 1302 حيث ظهرت تحولات كبيرة في إقليم آيت باعمران، ولكي تتضح الرؤيا نورد باختصار هذه التحولات، فالقبيلة الكبرى في عهد المرابطين هي - لمْطة - وكزولة، من صنهاجة لكن أعراف آيت باعمران تنسبهم إلى جد أعلى يسمى يحيى.

وإلى يحيى هذا تنتسب قبيلتان هما آيت باها أيحيى، وآيت بوبكر أيحيي ثم انفصلت قبيلة مْسْتي سنة 1302 عن آيت إخلف، مع العلم أنها كانت تمثل بأنفلُوسها ضمن 24 من أمناء القبيلة ما بين (1218 - 1302) ولما كانت أرض مستي تتوفر على مجموعة من العوامل المغرية، فقد ترامت عليها القبائل المجاورة.

ومن ذلك امتداد ساحلها على المحيط مسافة 8 كلم. وهو صالح لاستعمال زوارق الصيد، كما تصلح أرض مستي لتربية الماشية والنحل، والماء قريب في آبارها، بل هناك ترشيح الماء في أوديتها، والكلمة جاءت من وسْتين بالأمازيغية، ومعناه الترشيح. ويذكر البعض أنها اشتقت من كلمة - أسْتايْ - ومعناه العزل من قبيلتها الأصلية، كما سميت آيت النصّ، عندما طلبوا من آيت إخلف نصف قبيلة آيت بوبكر. ويمر طريق القوافل في أرض مستي، لذلك تعرضت للترامي من جيرانها في الجنوب الشرقي حتى تدخل فيها المخزن المركزي بواسطة شريف تازرْوالت الحسين أهاشم بعد حروب طويلة، فوضعت الحدود بين الطرفين، لكن أمْغار مستي أوْراغ وقبيلته رفضوا ذلك.

وفي معظم أراضي مستي أسست مدينة سيدي إفني، وكذلك المطار والمرسى، وفي أرضها دارت معظم معارك التحرير من (1957 - 1969).

الإكراري، *روضة الأفنان*، تح. أنوش ؛ علي المحمدي، *السلطة والمجتمع في المغرب* ؛ جهادي الحسين، *جانب من تاريخ آيت باعمران*.

الحسين جهادي

**المستيري**، الرايس **محمد العربي** مغربي من قبيلة بني مستارة. كان من كبار رياس عهد سيدي محمد بن عبد الله الذي توسم فيه خيراً قبيل تنصيبه على العرش، حيث يشير الضعيف إلى أنه لدى قدوم سيدي محمد إلى الرباط، وهو لا يزال أميرا حاكما لمراكش في عهد والده، أقدم على تعيين العربي المستيري قائدا على المدينة، خصوصا وأن هذا الأخير كان يبعث إليه بأخبار المدينة من قبل وهو لا يعرفه. وقد اشتهر العربي المستيري بأسبقيته في العمل الملاحي هو وثلة من رياس الرباط وسلا، وبشجاعته وبسالته.

ومع بداية استقرار الوضع في مصب أبي رقراق منذ سنة 1757 كان المستيري يقود سفينة حديثة النشأة في أوراش سلا، متميزاً بفعاليته ودرايته البحرية، مشاركاً في سنة 1759 في السيطرة على سفينة سويدية لحظة ورود سيدي محمد وهو سلطان إلى الرباط، الشيء الذي دفعه إلى توشيحه بوسام الياتاغان، وحفز الرايس المذكور على القيام في نفس الموسم بعمليتين ناجحتين، تمثلتا في غنمه لسفينتين، برتغالية وسويدية. وواصل بعد ذلك مواسمه الناجحة كأحد أبرز رياس الأسطول المحمدي.

وقد اشتهر بسفارته إلى إنجلترة لدى جورج الثالث مبعوثا من طرف سيدي محمد بن عبد الله سنة 1764 بمهمة تأكيد حسن العلاقات وللإشراف على إصلاح السفن المغربية وتجديدها وتجهيزها، وقد تمت السفارة على متن سفينته المسماة" النمر"، وعاد من سفارته حاملا معه معدات السفانة ومدافع من البرونز وغير ذلك من التجهيزات الهامة. وقد كان رايسا في سنة 1766 لسفينة سنبك مجهزة ببطارية من عشرين مدفعا وبطاقم مؤلف من مائة وثلاثين رجلا، ثم رايسا بعد ذلك بأربع سنوات لفرقاطة أخرى تفوقها قوة (مائة وخمسون رجلا وثماني عشرة قطعة مدفعية)، وهي السنة التي حصل فيها من القنصل الفرنسي شونييه على جواز المرور وعلى الهدية المألوفة. واعتباراً لنجاحه وسمعته عين في السنة الموالية حاكما للرباط، حيث كان سيدي محمد يريد التعبير بذلك عن رغبته في الإعلان عن تقديره لكبار الرياس.

وفي سنتي 1771 و1772 أصبح العربي المستيري "رايس الرياس" ويشير برينو إلى أن تعيينه بهذه الصفة كان قبل ذلك التاريخ (1758) ويقود أحسن سفينة في الأسطول، وهي سنبك مجهزة بعشرين مدفعا وبطاقم مؤلف من مائة رجل.

ويبدو أن شيخوخته قد أعجزته عن الاستمرار في قيادته على مدينة الرباط في السنة المذكورة، حيث استبدل بالحاج عبد الوهاب اشكلانط الأندلسي، وظل يحظى باهتمام أهل الرباط والسلطان.

توفي في سنة 1778.

*تاريخ الضعيف*، ص. 157 ـ 166 ـ 169 ـ 70 ـ 176 ـ 179 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، ج 8، ص. 19 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص. 157 ـ 158. 159 ـ 259 ـ 260 ـ 264 ـ 348 ؛ التازي، *التاريخ الدبلوماسي*، ج 9، ص. 174 ـ 256.

Chénier, *Journal*, p. 111-112, note 117-18, 125-27 ; Brunot, *La mer*, p. 166-67 et 169 ; Coindreau, *Les corsaires de Salé*, p. 91.

**الـمستيري**، الرايس (الحاج -) الـ**هاشمي** من نفس قبيلة وأسرة الرايس السابق ذكره. كان في سنة 1770 يقود سنبكا مجهزة ببطارية قوية من أربعة وعشرين مدفعا وبطاقم مؤلف من مائة وعشرة رجال، وفيها حصل على جواز المرور من القنصل شونييه وعلى الهدية المألوفة. وفي سنتي 1771 و1772 كان يقود سفينة "النمر"، وهي فرقاطة مجهزة تقريبا بنفس التجهيز المذكور.

لكنه بعد ذلك بسنتين سقط في أسر الفارس التوسكاني أكطون (Acton) ، حيث بعد مواجهات عنيفة أبدى خلالها الرايس الهاشمي شجاعته وقدرته النادرة في القتال كان لها صدى كبير في عموم أوربا، وسيق سجينا إلى مدينة لفورن ؛ في حين ذكر الضعيف أنه سقط آنذاك في يد الإنجليز، وظلت سفينته مصادرة لديهم إلى سنة 1778.

ومهما يكن، فإن الرايس الهاشمي قد استمر في نشاطه الملاحي بعد ذلك، حيث كان في سنة 1790 على متن سفينة سلطانية عاملا انطلاقا من مرسى العرائش، وتعرض خلال هذه السنة لعقاب من طرف سيدي محمد، نظراً لجنوح سفينته على أقاصير تلك المرسى، حيث نتفت لحيته ولحية قائد المرسى، محمد بن سعيد البخاري، جزاء لهما على ذلك.

*تاريخ الضعيف*، ص. 177 ـ 227.

Chenier, *Journal*, p. 111-112 et note 117-18, 125-27 ; *Coindreau*, op. cit., p. 91-92

حسن أميلي

**الـمسرح بالمغرب** عَرَفَ المغرب "المسرح"، ثقافةً وفنّاً، في شكل تقليديّ أصيل، من جهة، وفي شكل عصريّ متطوّر، من جهة أخرى ؛ وإذا كان شكلُهُ التقليديّ الأصيل متجذّراً في التاريخ، فإنّ شكله العصريّ المتطوّر لم ينطلق إلاّ منذ العشرينات من القرن العشرين، وطفق يتدرّج ويتقلب مداً، تارةً، وجزراً تارةً أخرى منذ ذلك الحين من حيث الإبداع والرواج والانتشار عبر المملكة المغربية حتى بلغ المرحلة التي أصبح عليها في السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين الميلادي تطلعاً إلى المستقبل واستمراراً في تجديده.

يتمثّل هذا الوضع العام للمسرح فيما يلي :

أولاً : وجود عدد ملحوظ من الفرق المؤهّلة تأهيلاً جيّداً في إعداد العروض المسرحية وتقديمها للعموم خلال جولات متوالية عبر الحواضر والقرى من أقصى المغرب إلى أقصاه ؛ وطائفة من هذه الفرق متفرغة تفرغا يكاد يكون تاماً للقيام بالنشاط المسرحي بحيث تبدو محترفة أو شبه محترفة، وهي تتكون من نساء ورجال للأداء التمثيلي وممارسة التخصصات التقنية والإدارية.

ثانياً : وجود مسرح وطني كبير في العاصمة، الرباط، يمتلك فرقة مسرحية مركزية محترفة تقوم بإعداد عروض وتقديمها بمختلف الجهات وكذا بالخارج، ويمتد اهتمامه الفعلي إلى مساعدة الفرق المسرحية الجهوية في مختلف أقاليم المملكة، وهو في جوهره القانوني مؤسسة عمومية تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، وموضوعة تحت السلطة الحكومية المكلفة بالشؤون الثقافية، بمقتضى الظهير الشريف الصادر بمثابة قانون في مطلع سنة 1973 والمحدث لها تحت اسم : "المسرح الوطني محمد الخامس". وترصد الدولة سنوياً لأجل تسيير هذه المؤسسة مبالغ مالية في شكل منحة مضافة إلى ميزانية وزارة الثقافة، ويخضع صرف هذه الميزانية للمقاييس والقواعد المطبقة على المؤسسات العمومية.

وللمسرح الوطني محمد الخامس مجلس إداري يتوفر بحسب القانون على جميع السلطات اللازمة لحسن تسييره، كما أن على رأسه مديراً يعيّن باقتراح من سلطة الوصايةطبق الشروط المقررة في التشريع الجاري به العمل في المغرب.

ثالثاً : وجود "المعهد العالي للفنّ المسرحيّ والتنشيط الثقافي"، بالرباط، كمؤسسة للتكوين والدراسة والبحث في مجالات المسرح والدراما والتنشيط الثقافي بوجه عام ؛ وقد أحدث في سنة 1985 ، تحت وصاية وزارة الثقافة، بمقتضى مرسوم صدر بشأنه (18 يناير 1985). ويقدم هذا المعهد إلى طلبته تكويناً نظرياً وتطبيقياً، وتمتد الدراسة فيه أربع سنوات للحصول على دبلوم التخرج، ويعمل في دائرته أساتذة قارون تابعون لإطاره، وأساتذة غير متفرغين، من خارج إطاره. والدراسة فيه تتفرع إلى سلك أول، في سنتين، للتحضير واستكمال التكوين العام، وسلك ثان في تخصصات التمثيل المسرحي وتقنيات الخشبة، وإدارة المؤسسات الثقافية، والدراماتورجيا، والمحافظة العامة، والأداء السينمائي والتلفزيوني والإذاعي، والمناظر والملابس والماكياج، وما إلى هذه التخصصات ومشمولاتها. وينظم هذا المعهد، من جهة أخرى، دورات نوعية في الإلقاء، والتعبير الجسدي، وضبط الصوت، والإرتجال، والموسيقى والغناء والكوريغرافيا، وجماليات المسرح، وجماليات الفيلم.

ويعتبر المعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي رافدا أساسياً لتوفير الكفاءات الجديدة والمتجددة للإذاعة والتلفزة والسينما، وإضافة إلى الفرق المسرحية الحرة والفرق المسرحية الجهوية، والإقبال متوال على المتخرجات والمتخرجين منه حتى في بعض الإدارات والجامعات والجماعات الحضرية.

ويوجد على رأس هذا المعهد مدير مُتخصص يساعده كاتب عام، وتستقدم إدارة المعهد أساتذة زائرين، من الكفاءات الخارجية الكبيرة، للإسهام في دورات دراسيّة.

رابعاً : تخصيص السلطة الحكومية المكلفة بالثقافة اعتمادات مالية تمنحها سنوياً للفرق والمؤسسات المسرحية المغربية قصد دعمها إنتاجاً وترويجاً، اعتماداً على مقومات الجدة والجودة والمهنية بحيث يكون المسؤول عن الفرقة أو المؤسسة المعنية قد قضى خمس سنوات على الأقل من الممارسة الفعلية للعمل المسرحي أو الأعمال المرتبطة بهذا العمل، أو يكون قد قضى، بعد تخرجه من المعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي أو من أحد المعاهد العليا المتخصصة المماثلة، سنةً واحدةً من الممارسة الفعلية للمسرح أو للأعمال المرتبطة بالمسرح.

ويلتزم المسؤول المترشّح للدعم المالي بتقديم عشرة عروض كحدّ أدنى، طبقاً للبرنامج المفصل للإنتاج والترويج، على أن يكون النص المسرحي مؤلفاً أو مترجما أو مقتبساً باللغة العربية الفصحى أو بإحدى اللهجات المغربية. وهناك لجنة لدراسة الأعمال المسرحية المرشحة للدعم المالي، وقد فصّل القرار المؤسس لها تشكيلها وعدد أعضائها ؛ وهي تجتمع على الأقل مرتين في السنة خلال شهري يوليو وسبتمبر، وكلما دعت الضرورة إلى اجتماعها ؛ وتتخذ قراراتها بالأغلبيّة. وقد أقر القرار المؤسس لها كيفية صرف الإعانات المالية. والجدير بالذكر أن القرار التشريعي المتعلق بهذا الدعم المالي للمسرح المغربي قد وقعه وزيران في الحكومة المغربية - وزير الثقافة ووزير المالية - في تاريخ 31 يوليوز 2002 ، وتمَّ نشره في الجريدة الرسمية للمملكة في تاريخ 20 سبتمبر 2002.

وليس هناك تحديد لعدد الفرق المسرحية التي تستفيد من الدعم المالي سنوياً. إنّ هذا العدد قد تأرجح عبر السنين بين أزيد من ثلاثين فرقة، وأقل من عشرين فرقة، وتبيّن، مهما يكن من أمر، أن هذه العملية كانت ذات أهمية ومفعول إيجابي لرواج الحركة المسرحية، علماً من جهة أخرى، أن الغالبية الغالبة من الفرق المدعومة تقدم أعمالها بالدارجة المغربية، وفرق قليلة منها تقدم عروضها باللهجات الأمازيغية، وأقل القليل منها تقدم أعمالها باللغة العربية الفصحى. وهناك دعم مالي مماثل لمسرح الطفل. والدعم المالي للمسرح المغربي بقدر ما هو قائمٌ من أجل الإنتاج يشمل في صيغة أخرى ترويج المسرح.

خامساً : انتشار الحركة المسرحية تركيزاً في جهات شتى من المملكة المغربيةبعدما كانت، فيما بين العشرينات والثمانينات، محدودة الرقعة من حيث "تواجدها". إن الفرق المسرحية المغربية - المحترفة، وشبه المحترفة، والناشئة - منتشرة اليوم في وجدة، ومكناس، والخميسات، وأكادير، وتازة، وبني ملال، وشفشاون، وتطوان، وإنزكان ... بالإضافة إلى عواصم المسرح التقليدية : فاس، والرباط، وسلا، ومراكش، فضلاً عن طنجة التي كانت في فترة من التاريخ إحدى عواصم المسرح.

وإذا كان من الصعب، وربّما من المستحيل، الإتيان على إحصاء الفرق المسرحية المغربية العاملة والنشيطة خلال الفترة الطليعية من الألفية الميلادية الثالثة فلا أقل من الإشارة إلى بعضها تركيزاً ومثالاً فقط، ومن بينها : فرقة "المسرح الوطني" و نجمها محمد الجم، وفرقة "مسرح الناس" ونجمها الطيب الصديقي، وفرقة "مسرح اليوم" ونجمتها ثريا جبران، وفرقة "مسرح البدوي" ونجمها عبد القادر البدوي، وفرقة "شركة سيتي" ونجمها عبد الحق الزروالي، وفرقة "فنون" ورئيسها أنور الجندي، وفرقة"مسرح المبادرة" ونجمها عبد المجيد فنّيش، وفرقة "مسرح التأسيس" ومسيّرها محمد البلهيسي، وفرقة "مسرح الحي" وكان على رأسها فلان وعاجل، وفرقة "مسرح البدوي 65" ومديرها عبد الرزاق البدوي، وفرقة "نبيل لحلو"...

وهذا أوْ ذاك لا يُنْسينا في هذا الصدد ذكر الفرق المسرحية راسخة القدم ومن وبينها "فرقة العلج" لأحمد الطيب العلج، وفرقة "الوفاء المراكشي" وكان نجماً فيها عبد الجبار لوزير، وفرقة "مسرح الحال" لمجموعة خرّيجي المعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي ... وجميع هذه الفرق نالت دعماً من وزارة الثقافة في دورة على الأقل من دورات الدعم المالي.

ومادام الشيء بالشيء يذكر يجدر في هذا المقام ذكر الفرق المسرحية الكبرى التي ازدهى بوجودها المسرح المغربي قبل أن يكون هناك دعم مالي، ومن جملتها فرقة التمثيل العربي للإذاعة والتلفزة المغربية مع كبار الممثلين والممثلات : حمَّادي عمور، وحميدو بنمسعود، وعبد الرزاق حكم، وأمينة رشيد، والعربي الدغمي، وحبيبة المذكوري، ومحمد حسن الجندي، ووفاء الهراوي، ومحمد أحمد البصري، ومحمد حماد الأزرق، ومحمد الغربي ... وهذا بالإضافة إلى تلك الفرق المسرحية المغربية العتيدة الأخرى، ومنها فرقة "مسرح المعمورة".

سادساً : النقابة. في خطوة مهنية حضارية مرموقة أقدم رجال المسرح ونساؤه في المغرب على إنشاء نقابة وطنية لتنظيم شأنهم بوجه عام، وترقية حرفتهم، والدفاع عن القضايا التي تعنيهم. وقد تطورت نقابتهم هذه تطوراً جيداً، وأمكنها أن تحقق لهم الكثير من إيجابيات مهنتهم، كما أمكنها أن تنشئ فروعاً لها عبر المملكة، وبذلك أصبح للمسرح المغربي وجود فعلي وفعّال في الساحة الثقافية، ويحسبُ لرجاله ونسائه أفضل حساب.

هذه كانت لمحة شاملة عن الوضع العام للمسرح وحركة المسرح بالمغرب. أما فيما يرجع إلى تاريخ المسرح المغربي وتطوره فقد تمَّ تأليف شتى الكتب والبحوث، ونشير إلى بعضها إجمالاً في البيبليوغرافيا أسفله.

مصطفى بغداد، *المسرح المغربي قبل الاستقلال*، الدار البيضاء، 2000 ؛ م. أديب السلاوي، *المسرح المغربي*، البداية والامتداد، مراكش، 1996 ؛ محمد عزام، *المسرح المغربي*، دمشق، 1987 ؛ حسن بحراوي، *المسرح المغربي*، الدار البيضاء، 1994 ؛ عبد الله شقرون، *حياة في المسرح*، الدار البيضاء، 1997 ؛ *فجر المسرح*

العربي بالمغرب، تونس، 1988 ؛ محمد أديب السلاوي، *المسرح المغربي*، من أين إلى أين، دمشق، 1975 ؛ *في لقاء المسرح بالمغرب*، الدار البيضاء، 1998 ؛ حسن المنيعي، *أبحاث في المسرح المغربي*، مكناس، 1974 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *أسئلة المسرح المغربي*، الدار البيضاء، 1993 ؛ عبد الواحد عوزري، *المسرح في المغرب*، الدار البيضاء، 1997 ؛ محمد الكغاط، *بنية التأليف المسرحي بالمغرب من البداية إلى الثمانينيات*، الدار البيضاء، 1986.

عبد الله شقرون

**المسرح بالمغرب القديم**، إذا كان تنظيم الفرجات المتنوعة (Les spectacles) عربونا على أريحية القدماء وسخائهم. فإنه مقياس هام لرصد ثرائهم، بمعنى آخر أن عقد الألعاب كان شرط وجوب لتكريم الأباطرة والحصول على المناصب الشرفية والبراقة بالنسبة للأثرياء قديما، وهو فسحة للفقراء ووسيلة للاستفادة من تهافت الأثرياء. وكما قيل ضريبة كانت تؤديها الأرستقراطية لفائدة البروليتاريا، وبذلك فالألعاب (Les jeux) بارومتز آخر لرصد المستوى الاقتصادي لإقليم من الأقاليم الرومانية القديمة.

صحيح، أن الألعاب ظهرت قبل العصر الروماني، ولكن بعض أشكالها تطورت على يد الرومان، إذ أنهم أبدعوا أنواعا أخرى. ومنها ما كان في غاية القسوة مثل قنص الحيوانات بداخل الحلبات (Venationes)، والمصارعة (La gladiature) كما أنه تباينت أماكن تنظيمها، فأضحى بعضها مبنيا بمواد صلبة (Durable) عوض الأخشاب كالمسارح (Les théâtres)، والمسارح ـ المدرجة (Les amphi-théâtres) والسيرك (Cirques) لسباق الخيول وما إلى ذلك.

جميعنا يؤمن بأن البناء بالحجر يدوم أطول، وبذلك فأماكن الفرجة التي بنيت بالحجارة كتب لها أن تعمر إلى زمننا، وقد انتشرت بمعظم، إن لم نقل بجميع ربوع العالم الروماني.

وبما أن هذه المباني المخصصة للألعاب هي الدليل القاطع على وجودها، وكثرتها علامة أكيدة على مدى انتشارها، كما أن تنوعها واختلافها يساعد على ضبط أدوارها وأصنافها، فالسؤال الفوري الذي يفرض نفسه. هل توفر المغرب القديم على جميع البنايات المخصصة للفرجة أم كان له على الأقل بعضها ؟

يُفترض أن تتوفر كل مدينة هامة تابعة لروما أو مقلدة لها على سلسلة مباني عمومية كالفوروم (Forum) (الساحة العمومية)، والبازليك (Basilique) (قصر العدالة)، والكابطول (Capitol)، (معبد مخصص للآلهة الثلاثية : جوبتير، جينون ومنيرفا، وأقواس النصر (Arcs de triomphe) ؛ والمسارح، و المسارح المدرجة...

وإذا كان وجود المؤسسات الإدارية الأولى أساسي، ونعني بذلك الفوروم والبازليكا والكابطول، فأماكن الفرجة لا تقوى على إنشائه كل المدن، وبذلك يمكنها أن تعقد ألعابها بالفوروم (الساحة العمومية) أو بأراض فسيحة غير مبنية. كما حدث تماما بالنسبة لأحد أثرياء الشمال الإفريقي قديما (من مدينة دوگة) الذي وهب حقله لتدور به مسابقة الخيول.

هكذا، من الصعب ضبط أهمية الألعاب في غياب كل المعطيات الدالة على أماكن عقدها، وتبقى المباني المخصصة للفرجة والمبنية بالحجارة الصلبة العربون على المستوى الهام للثراء لا على نسبة وأهمية الألعاب.

على كل، إذا كانت معلوماتنا حول أماكن عقد الألعاب بالمغرب القديم تتفاوت وتتباين بالنسبة لكل مدينة بداخل مثلث موريطانيا الطنجية وفق ما تجمع لدينا من إشارات مصدرية فما هو مؤكد أن أقدم مدن المغرب ونعني بها ليكسوس (Lixus) توفرت على نوعية معينة من هذه المباني، هي مجال أكيد خصص خلال ردح من الزمن لتنظيم الألعاب، ولكن بالنظر لحجمه وشكله اختلف في تعريفه.

اكتشف هذا المبنى في خريف 1963 بمدينة ليكسوس الأثرية كما سبقت الإشارة، واحتل موقعا مميزا، فكان من جهة قريبا من حي المعابد ومن جهة ثانية من الحي الصناعي حيث معامل تمليح السمك وصناعة نقيعه المعروف باسم الگاروم (Garum).

يتكون هذا المبنى من حلبة (Arène) ترسم حلقة كاملة يصل قطرها إلى 32,50 م. وتحيط به جزئيا مدرجات تتكون من سبعة صفوف، وللإشارة فمسرح ـ مدرج قطره 100 م يستوعب 785 متفرجا. فهل ضم مبنى ليكسوس 300 متفرج على اعتبار أن قطره أقل ثلاث مرات من المبنى وذا قطر يصل إلى 100 متر ؟ وقد أولى المعماريون بالعالم الروماني أهمية قصوى للصفوف الثلاثة من المدرجات التي خصصت لعلية القوم. وكانت تدل عليها النقائش فتؤكد على خصوصياتها، وبالتالي توضح بأن التمييز بين الخاصة والعامة هو قاعدة عمت جهات كثيرة من العالم الروماني بما فيها ليكسوس، وبما أن الصفوف الثلاثة الأولى لمدرجاته تضمنت على حد قول المكتشف للمبنى (الباحث الفرنسي بونسيك) نقائش (حاولنا ضبطها من جديد في ربيع سنة 2001 والبحث عن ما بقي من رسوم فلم نجد أي أثر).

تربط دكة الحلبة (Podium) مبنى ليكسوس بالمسارح ـ المدرجة ويربطه مكان العرض (أي الخشبة) شرق المدرجات بشكل المسارح. من ثمة تباينت آراء الباحثين في تعريفه هل هو مسرح (Théâtre) أو مسرح مسرح ـ مدرج (Théâtre - Amphi théâtre). فالباحث الفرنسي أوزينا (Euzennat) شبهه من حيث شكله بالمسرح الإغريقي. ويرى الباحث الفرنسي بونسيك بأنه مسرح ـ ومسرح ـ مدرج مخصص من خلال شكل حلبته التي تشبه الحفرة العميقة لصراع الحيوانات (Venations) ؛ وتفضل هلين جوفروي (H. Houffroy) تسميته بالمسرح المدرج أو نصف مسرح ـ مدرج.

يظهر وصفه ثنائية وظيفته كمسرح ومسرح ـ مدرج، وقد عرفت الظاهرة بجهات أخرى من العالم الروماني، ولذا أطلق بعض الباحثين على هذه النوعية اسم المسارح المعدلة (Les théâtres remaniés) . فهي تصلح لشتى أنواع الألعاب. وبالتالي، تقلل من التحملات والمصاريف، ولم لا العبء الناجم عن إنشاء مسارح ومسارح ـ مدرجة.

من البديهي، أن توافق المباني ذات الحلبات الصغيرة نوعية من الألعاب كعرض (Exhibition) وترويض الحيوانات الضارية وتقويم ألعاب بهلوانية أو مشاهد من صراع الديكة. ولاحاجة للقول بغنى مروج وغابات العرائش بأنواع الوحيش ومنها الأسود كما أكدت ذلك المصادر القرسطوية : كما أن موقع ليكسوس نفسه احتفظ بأحد المنازل بمشهد صراع الديكة وبجدران حلبته بمشهد سباق العربات، وصنف الألعاب الممارس بها ، بل اهتم كذلك بتاريخ إنشائه وإخلائه.

يظهر من خلال تتبع مختلف الآراء بأنه اشتغل على الأقل زهاء قرن. هذا إذا حصرنا تاريخ إنشائه خلال بداية القرن II الميلادي ونهايته خلال بداية القرن III الميلادي.

هذا الطرح سيجعل المغرب القديم قد تأخر في إنشائه لأماكن الفرجة بالقياس مع أقاليم أخرى رومانية. وجميعنا يعلم شغف ملوكه وعلى رأسهم ملك الموريطانيتين يوبا الثاني (Juba II) وابنه بطليموس (Ptolemée) بالألعاب، بل قدرة سكانه المورين (الأمازيغ) على صيد مختلف أنواع الوحيش حية وتصدير بعضها لروما كما تدل على ذلك نقيشة بناصة المعروفة والمشهورة عند الأثريين. ويسمح هذا الأمر بالقول بأنه جرت العادة أن تحتفظ الأقاليم المصدرة للوحيش نحو روما ببعضه لإحاشته بداخل ملاعبها.

لا نستغرب أن يرجع بونسيك تاريخ إنشاء ليكسوس لمسرحها ـ المدرج خلال عهد يوبا الثاني، ولا عجب أن تحتفظ هيلين جوفروي بنفس التاريخ خصوصا إذا علمنا أن مكان الخشبة شُغل خلال القرن الأول الميلادي بمرافق الحمامات (Les thermes)، هذا يفترض أن المبنى اشتغل قبل ذلك.

وللإشارة، فالمسرح ـ المدرج بشرشل عاصمة يوبا II يعود إنشاؤه لنفس العاهل خلال القرن الأول قبل الميلاد. فهل ثقافته الموسوعية وولعه بالكلاسيكيات أهلته ليأخذ قصب السبق في هذا الباب فيزين أبرز مدنه بالمسارح ـ المدرجية ؟

ما نعرفه أيضا موت ابنه بمدينة ليون بغاليا (فرنسا) بداخل حلبة المسرح ـ المدرج. فهل هذا الحدث كاف لتدعيم فكرة شغف الأگليديين يوبا الثاني وابنه بطليموس بالفرجة وإمتاع المورين بها ؟

ولا تفوتني المناسبة من خلال هذه القضايا دون استغلالها بالغوص في أمر آخر شائك لا يقل أهمية عن موضوع تاريخ إنشاء ليكسوس لمسرحها. المدرج أو المعدل يتعلق الأمر بحمولته (Capacité) ومتفرجيه (Spectateurs).

نفتقد بالنسبة للتاريخ القديم لعنصر الإحصائيات أو لمؤشرات دقيقة تساعد على تقديم أرقام مضبوطة. وبذلك افترضنا باعتماد المقارنة بأن عدد المتفرجين وفق مدرجات مبنى ليكسوس بلغ 300 متفرج ؛ فهل حمولته تسمح بتقدير عدد سكان المدينة ؟

اختلف الباحثون اختلافا بينا حول مدى دلالة حمولة أماكن الفرجة على عدد سكان مدينة ما. وما يظهره موقع مبنى ليكسوس أنه لم يكن حكرا على ساكنة المدينة، بل كان أيضا محجّا لمتفرجين وافدين أو عابرين. فالألعاب قديما كانت صنوا للخبز تعلق بها كافة القدماء بمن فيهم سكان المغرب القديم.

هكذا، ينم موقع المسرح ـ المدرج والمعدل لليكسوس على حسن الاختيار فهو مفتوح من جهة على طرفي المدينة العلوي والسفلي، بل على مجال أوسع قد يشمل المواقع والمعسكرات المجاورة، ولم لا المواقع الموجودة ضمن مسكل أنطونان (Itinéraire d'Antonin) مادامت مدينة ليكسوس شكلت واسطة العقد منذ انبثاقها. ما اكتشف من مبانٍ خاصة (أي منازل) بليكسوس محدود جدا. وبذلك فثلاثمائة (300) متفرج رقم كبير. فهل بالفعل استوعب مسرح ليكسوس المدرج أو المعدل عند اشتغاله زمن يوبا الثاني أو بعد ذلك المقيم والوافد ؟.

البضاوية بلكامل، *الألعاب بالمغرب القديم : قراءة أولية للمصادر*، ضمن أعمال الأيام الوطنية الأولى للأركيولوجيا والتراث، الرباط من 1 إلى 4 يوليوز 1998، 2001، ج 2، ص. 138 ـ 146 ؛ نفسها، *مظاهر اقتصادية من خلال فسفساء الشمال الإفريقي*، الرباط، 14 يونيو 2000، ج 1، الفصل 5 الخاص بالألعاب.

E. Bouley, *Peut-on parler de théâtres* - amphéâtres, Dossiers d'Histoire et d'Archéologie, discours du prince d'après une inscription de Banassa, *Ktéma II, 1977, p. 211 - 232* ; M. Euzenat, L'archéologie marocaine de 1958 à 1960, Bulletin d'Archéologie Marocaine *(B.A.M.), IV, 1960, p. 543 et 556* ; Jerzy Kolendo, Les lieux de spectacles en Afrique romaine et les études démographiques, *115e congrès national des sociétés savantes*, Avignon, 1990, Ve colloque sur l'Histoire et l'Archéologie de l'Afrique du Nord, p. 29 - 35 ; M. Ponsich, Lixus : informations archéologiques, *A.N.R.W., 1982, p. 818 - 849* ; Id., Fouilles puniques et romaines à Lixus, *Hespéris-Tamuda, 1966, p. 20* : R. Thouvenot, Les lions de Caracalla, *R.E.A., n° 3 - 4, p. 277-287.*

البضاوية بلكامل

**المسّاري، محمد بن مجبر** من شيوخ النحو والقراءات، نعته ابن القاضي في *درة الحجال* : بـ "الأستاذ النحوي، سيبويه زمانه، وواحد وقته وأوانه"، أخذ عن ابن غازي والزواوي والونشريسي وابن هارون والزقاق وغيرهم، ترجم له المنجور في *فهرسته* وكان أحد تلامذته فقال : "الفقيه النحوي العروضي الفرضي المتفنن، كان يحفظ القرآن بالسبع حفظا بالغا يفوق فيه أقرانه، يستحضر نصوص *حرز الأماني* ، ختمت عليه القرآن العزيز بالقراءات السبع، وحضرت عليه *الألفية* بمسجد الصوافين"، ومن تلامذته أبو العباس القدومي والحميدي والزموري وغيرهم.

قال عنه ابن عسكر في *دوحة الناشر* : "حاز قصب السبق في طريق النحو والقراءات"، وهو أحد علماء الحساب والفرائض في عصره، له حواش وشروح على *ألفية ابن مالك*

والمرادي والمكودي، وقرأ خزرجية *العروض* على النحوي أبي عمرو عثمان بن عبد الواحد اللمطي وصحح عليه شرح الشريف الغرناطي لها.

مؤلفاته كثيرة، ضاع أغلبها، وبقي منها كما أشار إلى ذلك الأستاذ حجي في كتابه *"الحركة الفكرية"* : *"حاشية على ألفية ابن مالك، وحاشية على مورد الظمآن في علوم القرآن* وهما مخطوطتان بمكتبة تمكروت".

كان مولده سنة 898 كما في *سلوة الأنفاس*، ووفاته بمدينة فاس سنة 984 كما عند ابن القاضي، وسنة 983 كما عند المنجور، ودفن خارج باب الجيسة.

أحمد المنجور، *فهرس المنجور*، تح. حجي، ص. 13 ـ 63 ؛ ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. حجي، ص. 58 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 222 ؛ *جذوة الاقتباس*، 1 : 250 ؛ *لقط الفرائد ضمن ألف سنة من الوفيات*، تح. حجي، ص. 314 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 128 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 354 ؛ الترغي، *فهارس علماء المغرب*، ص. 632 ؛ ابن مخلوف، *شجرة النور الزكية*، 1 : 286.

نجاة المريني

**المسُّوفي**، أسرة صنهاجية من الأسر التي دخلت في خدمة الموحدين بعد زوال الدولة المرابطية، كان منها بعض الولاة بالأندلس مثل : أبي عبد الله محمد بن يحيى بن تلكعت، ولي مالقة، ثم إشبيلية. "كان قويا في تسييره، كثير النفع والضرر، مهتما بالبناء والتشييد، معتنيا بجمع الكتب، جمع منها ما لم يجمع غيره"، وعندما كان واليا بمالقة كانت صلته وطيدة بأبي محمد الرعيني المالقي (ت. 632 ) أحد كبار علمائها، وهو الذي كان ينبهه إلى أهمية الكتب، ويوجهه إلى المفيد منها، فيقتنيها. وبعد نقل أبي عبد الله إلى ولاية إشبيلية عين على مالقة ابنه أبو زكريا يحيى بن محمد بن يحيى بن تلكعت، لكنه سيقتل على يد الخليفة الموحدي محمد الناصر بن المنصور سنة 608 / 1211 عندما كان الخليفة متوجها لفتح شلبطيرة، بعد تشكي الرعية منه واتهامه ببعض التجاوزات في التسيير.

ابن عسكر، *أعلام مالقة*، ص. 117.

محمد المغراوي

**مسطاسة** : من القبائل الصنهاجية الواقعة على الساحل المتوسطي غرب مدينة بادس باثني عشر كيلومترا، تتاخم حدودها الشرقية قبيلة بني بوفراح الحالية، في حين تختلط حدودها الغربية مع بني گميل لتمتد إلى قبيلة متيوة الغمارية، وهي قبيلة صغيرة تندمج مجاليا واجتماعيا في قبيلة بني گميل الصنهاجية. وتجدر الإشارة إلى أن مسطاسة استوطنت التراب الغماري في فترة قديمة، بعدما تراجعت تلك القبيلة إلى الغرب، حدث ذلك عندما زحفت قبائل صنهاجة من المناطق الجنوبية في اتجاه الساحل المتوسطي، وقد نسب ابن خلدون مسطاسة إلى بطون البرانس، باعتبار مسطاس وازداج (ازداجة) أخوين. وتميزت هذه القبيلة بكيان مستقل منذ الفتح الإسلامي، بتوفرها على رقعة جغرافية محاذية للبحر المتوسط، وعلى الرغم من وجود نوع من الغموض في الحدود الجنوبية مع بني گميل، فإن مجال مسطاسة كان معلوما ابتداء من سوق السبت التابع لبني كميل حاليا، إضافة إلى وادي بني گميل الذي يتحول اسمه إلى وادي مسطاسة بمجرد دخول تراب هذا القبيلة.

وتبين من المصادر وجود التباس في تسمية هذه القبيلة، إذ كانت متميزة باسمها "مسطاسة" عن قبائل صنهاجة، رغم أن أصل الجميع صنهاجي برنسي، فما هو المشكل في تسمية هذه القبيلة ؟ أولا لم نتوصل إلى قراءة مدلول مصطلح "مسطاسة"، لفهم أبعاده الاجتماعية والاقتصادية، ثانيا، يتعلق الأمر باسم الجد الأول مسطاس الذي نسبت إليه القبيلة منذ ظهورها.

أبرز أبو عبد الله البكري الدور الذي كانت تتمتع به مسطاسة بين جيرانها قبائل صنهاجة وغمارة أثناء ظهور إمارة نكور في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، فأشار إلى مكانتها البارزة في هذه المرحلة، وقدرتها على قيادة حليفتها بني گميل المجاورة لها، دون أن يوضح دور قبيلة بني مروان الغمارية أو قبيلة متيوة. وأسدت مسطاسة خدمات لصالح إمارة نكور منذ ظهورها، فكانت من القبائل التي أيدت أميرها صالح بن منصور الحميري واعتنقت على يده الإسلام، وانضمت إلى مشروعه، وفي تطور آخر تمردت على صاحب الإمارة، وانفصلت عنه تضامنا مع قبائل صنهاجة المجاورة، وتخلت مع حلفائها عن الإسلام بسبب التكاليف المالية الكثيرة، وعينوا حاكما عليهم اسمه داود الرندي النفري. وبذل مؤسس الإمارة المذكور جهودا كبيرة لإرضاء تلك القبائل وإقناعها بالعدول عن الانفصال، متنازلا عن التشدد في فرض التكاليف المالية، ومظهرا قدرا مهما من اللين للحفاظ عليها ضمن إمارته. وظهر أيضا من خلال البكري نجاح جهود الأمير في إعادة قبيلة مسطاسة وغيرها إلى صفه، والتي ارتكزت على مبدأين أساسيين : أولا عودة القبائل إلى الإسلام، ثانيا تخلصها من الحاكم الجديد. وكانت القبيلة معروفة في هذه المرحلة بنشاطها التجاري انطلاقا من المرسى الذي تشكل عند مصب واديها في البحر، ولكن البكري لم يعالج هذا الموضوع، ومع ذلك فهذا لا يمنعنا من التساؤل عن بعض المعالم المعمارية التي تحدثت عنها المصادر بعد انهيار إمارة نكور، مثل البرج أو القلعة التي سنأتي على ذكرها.

توفرت قبيلة مسطاسة في عهد المرابطين على حصن عسكري، أورده الشريف الإدريسي ضمن شبكة من الحصون الساحلية، نذكر من بينها حصن تازكا (الجبهة) وحصن كركال (صنهاجة)، وهما معاصران لحصن مسطاسة. وبصفة عامة فإن بناء ذلك الحصن ارتبط بمبادرة رسمية من الدولة المركزية لحراسة تلك القبيلة من الغارات القادمة من البحر.

والواقع أننا لا نملك إشارات تحدد بوضوح تاريخ بناء ذلك الحصن، رغم أن الأبحاث ترده إلى الفترة المرابطية، وحسب كريسيي P. Cressier فقد تعرض هذا البرج للترميم من قبل الدولة المرينية، وينسبه المحليون إلى السلطان الأكحل، والذي غالبا ما يطلق على السلطان أبي الحسن. لا نستطيع تحديد نوع المرافق التي كانت بذلك الحصن، خاصة وأن البرج يمثل أهم معلمة فيه، تقوم بمراقبة البحر مثل أبراج كركال (صنهاجة) ببني بوفراح الحالية. وقد بني الحصن بخليج مسطاسة فوق أكمة شبه مستوية قليلة الارتفاع في الضفة الغربية من وادي مسطاسة، لحراسة الخليج وإرشاد السفن ليلا بواسطة منار مرتفع. فهو من هذه الناحية مركز دفاعي. ولا نعتقد أنه تحول إلى قلعة يحطيها سور، كما كان الحال بقلعة أمرگو المرابطية.

ولا نستبعد أن عناية محمد الناصر الموحدي بالمدن والمواقع المطلة على البحر الأبيض المتوسط سنة 601 شملت أيضا ساحل قبيلة مسطاسة، بترميم وإصلاح الأجزاء المتضررة من الحصن وتعزيز الحراسة، خوفا من التهديدات القشتالية.

وتزايد نشاط القرصنة على طول الساحل المتوسطي على عهد المرينيين، فتحملت القبيلة مسؤولية حماية السكان من تسرب الإسبان إلى ترابها. ورغم أن صاحب كتاب *صلحاء الريف* أغفل هذا الجانب، الذي كان منتشرا بالقبائل المجاورة لمدينة بادس. ويبدو أن المرينيين كان لهم اهتمام خاص بهذه القبيلة، ويدل بناء المسجد بترابها على حضور سلطتهم، ويعتقد أن بناءه كان بعد ثورة الفاطمي الحاج العباس بن صالح الصنهاجي من بني گميل في الربع الأخير من القرن السابع الهجري حينما هدد مصالحها للخطر، فكان بناؤه بمثابة تقديم الدعم لفقهاء المذهب المالكي بالقبيلة. ولم تهتم المصادر بتاريخ إحداثه، ومن جهتنا نرده إلى أبي الحسن المريني أو إلى ابنه أبي عنان، وقد شكل هذا المسجد منذ تلك الفترة معلمة علمية في الريف الأوسط كله، فإليه كان طلبة العلم يتوجهون للحصول على مزيد من العلوم الدينية واللغوية.

وكان المجتمع المسطاسي في عهد الوطاسيين والسعديين قد عرف تغييرا في بنيته السكانية، نتيجة استقبال وافدين أندلسيين بعد سقوط مدينة غرناطة سنة 1492، واستمر وصول الوافدين طيلة قرن من الزمن، وخاصة بعد طرد الموريسكيين من إسبانيا سنة 1609، وبدون شك فإن ذلك أدى إلى إثراء المجتمع المسطاسي الصنهاجي نتيجة استفادته من ثقافة وخبرات العنصر الأندلسي، مما أعطى دينامية جديدة شملت تنظيم المجال الزراعي، وخاصة الزراعة المسقية على ضفتي وادي الفتوح. كما تعرضت منطقة الريف في عهد السعديين وخاصة مدينة بادس القريبة من مسطاسة إلى الاحتلال الإسباني سنة 1564، حيث أصبحت قبيلة مسطاسة تثير أنظار قواد الإسبان بالجزيرة، لما تتوفر عليه من غابات الأرز التي تمثل ثروة خشبية ومادة تجارية عبر مرسى القبيلة، ويبدو من تقارير الإسبان أهمية تلك الغابات، ودور أخشابها في تنشيط صناعة السفن وتسقيف البيوت. وأشار التقرير أيضا إلى مدينة تطوان باعتبارها تتوفر على غابات في هذه المنطقة من الريف. ويعتقد أن مسطاسة كانت معروفة لدى إسبان بادس في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، يؤكد ذلك تقرير أحد قواد إسبان بادس سنة 1791 والذي قدم معلومات مختلفة عن القبيلة، وخاصة عن الجانب العسكري والاستراتيجي فيها. وتمكن أيضا من تقديم لمحة عن سكان القرية، من خلال عدد المنازل التي تضمها، وقدرها بثلاثمائة منزل، وأيضا حاول إحصاء عدد حاملي السلاح وكانوا مائتي محارب منهم اثنان وأربعون فارسا.

كما تطرق إلى غذاء السكان، وركز على خبز الشعير، بصفته المادة الأساسية في ذلك، مضيفا مادة الزبدة والخروب. واعتبر خشب الأرز أهم ما يصدره السكان من المرسى إلى أسواق تطوان وطنجة وجبل طارق وغيرها. كما كانت هذه القرية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي هادئة، فقد استقر فيها صاحب موليراس فوجدها محاطة بغابات من أشجار الفواكه على مد النظر، حاول أن يجعلها في صف المدن، لولا وجود كثير من المظاهر التي تبعدها عن ذلك، وشبه كبرها بمدينة مستغانم. كما عاين المؤلف منار المسجد المرتفع، وقدم وصفا للبرج القريب من الساحل الذي يعلوه مدفع قديم، يشرف على الخليج الساحلي حيث يوجد مرسى القبيلة، ويتصدره ضريح سيدي سعيدي.

ومن جانب آخر أعجب المؤلف بكثرة أشجار الفاكهة وبالمزروعات، ويبدو أن السكان كانوا يجهلون الفائدة الغذائية لمادة القمح، ولهذا تجنبوا زراعته، بينما كان الشعير يمثل المادة الأساسية في التغذية، فكان هو المزروع الأساسي.

استمر هذا المسجد يؤدي رسالته الدينية والعلمية إلى فترتنا الحالية، وتمثل شهادة موليراس أهمية خاصة، كما قدم الباحث كريسيي وصفا جميلا لهذا المسجد واعتبره من أفضل المساجد التي بنيت بالريف، ويمتاز بتصميم جيد وبناء متقن على شاكلة النمط المغربي الأندلسي.

أبو عبد الله البكري، *المغرب في ذكر بلاد المغرب*، مكتبة المثنى، بغداد ؛ الشريف الإدريسي، (ت. 564 / 1160)، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، ج 5 ؛ عبد الحق البادسي، *المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف*، الرباط، 1982 ؛ عبد الرحمن بن خلدون، *كتاب العبر* ، لبنان، 1968، ج 6 ؛ البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، *أخبار المهدي بن تومرت*، ص. 55 ؛ علي بن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ حسن الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1415 ـ 1574 ، أطروحة الدكتوراه في التاريخ، الرباط، 1990 ، مرقونة بالرباط، ج 2 ؛ عبد الرحمن الطيبي، *المجتمع بمنطقة الريف قبل الحماية، قبائل ساحل الريف الأوسط من 1860 ـ 1920*، دبلوم الدراسات العليا، الرباط، 1993، 1 : 177.

*S.I.H.M., Espagne, t. 3, p. 84* ; Dora Bacaicoa Arnaiz, El Penon de la gomera en 1791, *Tamuda Tetùan, 1955, p. 193* ; A. Moulièras, *Le Maroc inconnu*, 2 vol., t. 1, Paris,

1955, p. 74-76 ; Georges Marçais, Note sur les ribats en berberie, in *Mélanges René Basset*, Paris, 1925, t. 2, p. 395-430 ; Odinot, Beni-Teuda, *Bulletin archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques, 1918* ; Jimeniz Mendoza, Ciudades marroquises del pasado, Bades, *Africa, 12 Diciembre 1942, p. 30-32* ; P. Cressier, Structures fortifiees et defensives du Rif (2). La Tour de Vigie de Mastasa, *Bull. Arch. Maro., 1983-1984, p. 452-464*.

أحمد قدور

**المسطاسي**، (الحاج -) **أحمد المختار**. ولد بمكناس عام 1908 ، اشتغل بالتجارة وولع بفن السماع منذ شبابه، فكان يلازم أشياخ الفن بالزاوية العلمية ويشد الرحال إلى غيرها بفاس ووزان وغيرهما من المدن.

وقد بلغ في الحفظ مكانة راقية، وأتقن الإنشاد فبزَّ أقرانه في "البيتينات" التي كان يؤديها بصوته الرخيم وفق الطريقة المتوارثة، غير متأثر بما استحدثه بعض المنشدين الذين تبنوا المقامات الشرقية بدعوى التجديد والانفتاح.

شارك في عدة لقاءات وتظاهرات لفن السماع، وحظي أكثر من مرة بالجوائز التقديرية.

توفي في مكناس سنة 2000.

ع. العزيز بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2، الدار البيضاء، 2000، ص. 246.

**المسطاسي، حميدة** بن **عبد الوهاب** العيساوي المسطاسي. ولد بمكناس عام 1311 / 1893 من أسرة عريقة في الجاه ضليعة في الوظائف المخزنية منذ العهد الإسماعيلي، وخاصة منها النظارة.

انتسب إلى الزاوية العلمية، وأصبح من الرواد الملازمين لحلقات الذكر والإنشاد التي تنتظم في أبهائها. وقد بلغ في فن السماع مكانة مرموقة، فكان واسع الحفظ لمستعملاته من مقصدات ومدائح، واشتهر بقوة عارضته، وجهارة صوته، وحسن نبراته، حتى عده البعض خاتمة المنشدين المجيدين.

وكان ممن يشاركون بانتظام ضمن مجموعة المادحين المكناسيين في إحياء ليلة المولد النبوي برحاب القصر الملكي.

توفي بمكناس عام 1389 / 1969.

عبد اللطيف بنمنصور، تح. *كناش الحايك*، ص. 466 ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2، ص. 245، الدار البيضاء، 2000.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**المسطاسي، العربي**، من مواليد مدينة مكناس سنة 1920، نشأ في حجر أخيه من أمه الفقيه محمد غازي الوطني المناضل، فتشرب في صباه الروح الوطنية في الدفاع عن استقلال وطنه وفي الإيمان بحريته وكرامته.

هاجر إلى مدينة الرباط في السابعة عشرة من عمره إثر سجن أخيه سنة 1937 ، فالتحق بمدرسة غازية تلميذا وبالمدرسة المحمدية معلما وبمدارس محمد الخامس أستاذا، إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1978 ، فعمل عدلا موثقا بمحكمة التوثيق بالرباط إلى أن أقعده المرض عن ممارسة نشاطه العدلي في غشت 2004.

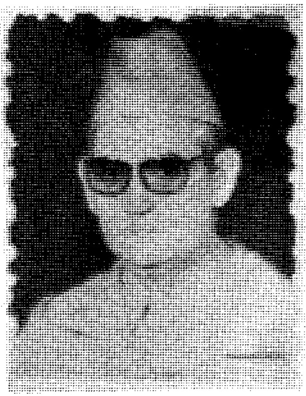

كان السيد العربي المسطاسي في طليعة شباب الحركة الوطنية التي آمنت بالوطن واستقلاله، فانتظم في صفوف حزب استقلال، ولم يبخل بجهد أو وقت من أجل توعية المواطنين في خلايا حزب الاستقلال وفي الأوساط الشعبية وغيرها وفي تكوين نخبة من الشباب المقاوم، ومن بينهم الشهيد علال بن عبد الله، منتظما في صفوف الوطنين المناضلين والمربين المعلمين في مدينة الرباط وفي مقدمتهم الحاج أحمد الشرقاوي.

لم تغفل عين المستعمر عن المترجم له، فتابعت أنشطته السياسية وهو يؤطر ويوجه ويعمل على توحيد صفوف المغاربة للدفاع عن وطنهم واستقلاله، فتم اعتقاله إثر اغتيال فرحات حشاد سنة 1952، ليذوق مرارة السجن والنفي كغيره من أبناء الوطن المؤمنين بعدالة قضيتهم، والمدافعين عنها بإيمان وإخلاص، ونفي إلى بويزكارين وكلمين، وعانى من تعسف المستعمر الشيء الكثير بصبر وجلد، مؤمنا بالمبادئ، مناضلا من أجلها.

لم تشغله قضية الوطن السياسية عن قضية الوطن التربوية والتعليمية، فكان من أبرز الأساتذة المربين في مدارس محمد الخامس قبل الاستقلال وبعده، وهي إحدى المدارس الوطنية الحرة التي ساهمت في إثبات الهوية المغربية في عهد الحماية، مساهما في تكوين الأجيال وفي تأطيرهم، وقد أسندت إليه مهمة إدارة التعليم الابتدائي في نفس المؤسسة، في الوقت الذي كان فيه الوطني الغيور الأستاذ الحاج عثمان جوريو يشرف على إدارة القسم الثانوي إثر إنشائه.

والسيد المسطاسي أحد رواد نادي الأربعاء الذي كان يضم نخبة من رجال الفكر والأدب والقضاء ومنهم الفقيه محمد حكم والسيد عبد السلام والزهراء ومصطفى بن عدادة وغيرهم، يعقدون مجلسهم أسبوعيا كل أبعاء يناقشون فيه القضايا المختلفة، ويتبادلون الآراء حول ما يشغلهم من موضوعات. فكانت آراؤه ومناقشاته ـ كما يذكر أحد أعضاء

النادي السيد عبد الرحيم بن عبد الله في كلمة تأبينية نشرتها جريدة العلم - "ذات أهمية ونفع كبيرين على الحاضرين، وحول ما يعترض خطة العدالة من مشاكل وكيف يمكن التغلب عليها".

توفي بعد مرض ألزمه الفراش مدة قصيرة يوم الخميس 14 رمضان 1425 / 28 أكتوبر 2004.

*جريدة العلم*، نونبر 2004 ؛ *جريدة الأحداث المغربية*، 2004.

نجاة المريني

**المَسْطَّسْ** أو **امْسطَّس** أسرة سلوية عريقة كانت سكناها بشالا قبل انتقالها إلى مدينة سلا في فترة تأسيسها أوائل القرن الخامس الهجري، تنتمي هذه الأسرة إلى مسطاسة بإقليم الحسيمة وهي بطون شعب أزداجة ويقال إنهم ولد مسطاس أخي أزداج، منهم أوزاع بالمغرب. ولعل المسطَّس من المُسْطَّاس ومعناه : النوام. ويذكر أولاد المسطس باعتزاز أن أحد أسلافهم كان موظفا ساميا بمملكة برغواطة وحكم منطقة سلا في القرن العاشر الميلادي. وقد أنجبت هذه الأسرة سفراء ومترجمين عن برغواطة.

ولئن أعلن جان كوسطي (Jean Cousté) في "العائلات الأهلية الشهيرة في سلا" *(Les grandes familles indigènes de Salé)* أن هذه الأسرة ستنقرض بعد موت محمد بن محمد المسطس الذي لم يخلف ذكرا، فلا يزال لأفرادها وجود بسلا وخارجها، ينتسبون إلى التهامي بن محمد لمسطس الحصيني دفين الزاوية التهامية والمتوفى في 7 جمادى الثانية سنة 1359 ولا ندري إن كانت لهذا الأخير صلة قرابة بامسطس السالف الذكر.

**المسطّس، خدوج** ابنة محمد بن محمد المسطس السالف الذكر وخالة الإخوة عبد الكريم وعبد المجيد والشاعر عبد الرحمان حجي. قال الأستاذ أبو بكر القادري في حقها إنها "كانت تعطي كل مالها في سبيل الله من أجل النهوض بالحركة الوطنية"، كما كانت من مناضلات حزب الاستقلال من فترة الحماية وفي فترة الاستقلال، فعملت مع رفيقاتها في توعية المرأة السلوية بوجوب الاشتراك في تحرير الوطن وبنائه، وشجعت على التحاق الفتاة السلوية بالتعليم، وانتظامها في سلك الحياة السياسية بانتسابها إلى منظمات الشباب في حزب الاستقلال.

توفيت خدوج المسطس سنة 1987.

**المسطّس، محمد** أحد علماء القرن التاسع عشر، أخذ العلم بفاس وكان مشاركا مطلعا، ودرّس الفقه وصحيح البخاري بمساجد سلا. كانت وفاته بهذه المدينة سنة 1267.

**المسطّس، محمد** بن **محمد** وهو ابن السابق، كانت ولادته بمدينة سلا حيث تلقى تعليمه ثم أصبح عدلا بها وبديوانة الدار البيضاء التي انتقل منها إلى موانئ آسفي والجديدة والعرائش حيث اشتغل أمينا. كان المترجم من أغنياء المدينة، ولعله هو الذي أمضى تحت رقم واحد وعشرين على الشكاية التي وجهها أهل سلا يوم سابع ربيع الثاني عام 1330 إلى المولى يوسف حول المهانة التي لحقت المدينة بعد حلول الجيش الفرنسي بها.

وبعد إحداث المجلس البلدي بمدينة سلا بظهير 19 أبريل 1913، عين محمد المسطس بقرار من الإقامة العامة بتاريخ 5 يوليوز من نفس السنة ليصبح في الخمسين من عمره عضواً داخل هذا المجلس المشكل من سبعة أعضاء هم : جُرد (Jourde) ومحمد حصار ومحمد المسطس وأحمد بلقاضي والطيب عواد ورفائيل النقاوى وشاويل بن إسوي.

تجددت ولاية محمد المسطس بالمجلس عدة مرات إلى أن اضطرته حالته الصحية إلى الانسحاب منه نهائيا سنة 1924 بعد أن تكرر غيابه عن الجلسات، فعيُن أحمد بن الحاج محمد الأحرش خلفا له في بداية سنة 1925.

توفي محمد بن محمد المسطس ببلدته في منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي تاركا بنتين فقط.

محمد بنشريفة، *أسرة بني عشرة تطورها التاريخي ودورها الحضاري*، مجلة البحث العلمي، ع 10، سنة 1967 ؛ أحمد الصبيحي، *أنموذج في تاريخ سلا*، م. خ. ع. ص، سلا ؛ محمد بوشعراء، *التعريف ببني سعيد السلاوين ونبذة عن وثائقهم*، ج 2، الرباط، 1991 ؛ ع. الوهاب بنمنصور، *قبائل المغرب*، ج 1 ؛ *الحركة الوطنية بمدينة سلا* (مائدة مستديرة، 7. 8 مارس 2003)، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 2004 ؛ محمد حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، ج 7، بيروت، 1996؛ أبو القاسم عشاش، *بيوتات مدينة سلا*، تحقيق وتعليق نجاة المريني، سلا، 1989 ؛ يوسف بن يحيى التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، تح. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ محمد بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. مصطفى بوشعراء، الرباط، 1986.

*Correspondance* adressée à la Résidence Générale le 28 mars 1913 par le Secrétaire Général du Gouvernement Chérifien ; Jean Couste, *Les grandes familles indigènes de Salé*, Rabat, 1931 ; *Bulletin Officiel n° 37 du 11 juillet 1913* ; Marthe et Edmond Gouvion, Kitab Aâyane al-Maghrib l-Akça, Paris, 1939 ; Kenneth L. Brown, *People of Salé*, Manchester, 1976 ; Mission scientifique du Maroc, *Villes et tribus du Maroc, t. 1 (Rabat et sa région)*, Paris, 1918-1920.

محمد الفقير

**مسفيوة** (قبيلة -) تستقر بالسفوح الشمالية للأطلس الكبير المراكشي، تتميز بتوغل قسم منها بالجبل على طول وادي الزات وإقيجي انطلاقا من قمم ملتسين 3593 م، وجبل الزات وتغرودادين وتهيمن على أغنى وأوسع مرعى جبلي : ياغور. كما تنفتح على السهل وتتوغل به بامتلاكها لمنطقة شاسعة منه ومن الدير والمجاري السفلى لوادي الزات وأوريكا، وتمتد أراضيها إلى أسوار مدينة مراكش الشرقية والجنوبية وعلى طول مجرى وادي الحجر الذي يتكون من ملتقى الزات وأوريكا، بل كانت أراضيها تمتد إلى الضفة

اليسرى لوادي تانسيفت شاملة معظم بساتين حوز مراكش التاريخية، قبل أن تنزعها منها قبيلة الرحامنة في القرن (18). وهذا الموقع أعطاها مكانة استراتيجية ميّزتها على القبائل الجبلية الأخرى بالأطلس الغربي والأوسط التي فقدت مجالاتها السهلية بالحوز. كما تتميز بقوتها السكانية لسعة مجالها وغناه ومجاورتها لأهم قبائل الجبل والحوز.

لقد كانت قبيلة منفتحة على العالم الخارجي تستقبل الوافدين وتهضمهم بسرعة عن طريق التزاوج والمشاركة أو بيع الأراضي ممّا أعطاها قوة بشرية وسياسية استغلتها في الاستيلاء على أراضي جيرانها حيث انتزعت من قبيلة أوريكا وادي أوريكا الأعلى : آيت بزگمي ورافدها الشرقي وواد أملوگي (آيت أوشك) ومجرى أوريكا السهلي الغني ببساتينه ومياهه ومدينة أغمات، وهي من القبائل التي أشار إلى وجودها بمكانها الكتاب والمؤرخون القدامى مثل البكري وابن خلدون، كما أشاروا إلى قبائل أخرى كانت تقيم بنفس الأراضي والأودية منها هزرجة وإيلانة ودوغاغة، لكنها أسماء اختفت اليوم ولم يبق لها أثر إلا على بعض الأضرحة والقرى وأحد أبواب مراكش : باب إيلان. لقد اشتهرت مسفيوة بقوتها واعتمادها على إمكانيتها الذاتية لتنظيم شؤونها وتمردها على السلطة المركزية مما جعل فقهاء المدينة يرمونها بأرض سيبة. وعرضها لنزاعات مع المخزن خاصة عندما تمتنع عن دفع الواجبات أو تمتد أيادي رجال السلطة إلى حقوقها المائية بوادي الزات وأوريكا خاصة الذي يغذي ساقية تاسلطنت التي تسقي بساتين أگدال والمنارة ومزارع تسلطانت لإنتاج الحبوب.

ويتميز مجالها بمعطيات مناخية جيدة، إذ يتلقى مقادير أمطار مناسبة : 500 - 700 ملم / سنة بالجبل و300 - 400 ملم بالسهل والدير، كما يعتبر وادي الزات وأوريكا من أغزر وديان الأطلس الكبير مياها، يستغلون مجراهما السهلي حيث تنتشر أغنى البساتين التاريخية للحوز وأغمات. وهناك وديان أخرى كواد إقيجي وأسيف المال وأسيف نايت بوسعيد، تغذي شبكة واسعة من السواقي التارخية، وتنتشر بحوض الزات غابات لازالت تحتفظ بأشجارها من البلوط الأخضر والصنوبريات مما يزيد المنطقة غنى ومناعة، وأنشئ بالضفة اليمنى بمخرج وادي الزات إحدى أجمل الغابات الاصطناعية للصنوبريات : محمية گروگة. تمارس جماعات مسفيوة أنشطة فلاحية تجمع بين الزراعة الشجرية والبستانية بقعور الأودية والمسطحات وبأراضي الدير والسهل وزراعة بورية ببعض المنحدرات والمسطحات بالجبال وأراضي السهل التي يتعذر سقيها. إلا أن جل الأراضي تعاني من آفة التقسيم المتوالي بين الورثة مما يجعل الملكية تتكون من رساطيق مشتتة في محاطات واسعة تستغل بالطرق التقليدية، لكن الزراعة بالسهل عرفت تطوراً وتحديثاً مهما على أيدي الأسر الإقطاعية وذوي النفوذ المخزني في مقدمتهم أسرة الگلاوي الذين استولوا على آلاف الهكتارات وحقوق الماء، أثارت نزاعات وحروبا طيلة عقود لينضاف إليها الأروبيون في عهد الحماية، والحضريون الذين اغتنوا بعد الاستقلال حيث يجدون في قرى مسفيوة أيد عاملة طيعة، كسر الزمان شموخها وعزتها. وهكذا فقد المسفيويون أراضي كثيرة بالسهل بسبب ذوي السلطة والقوة من رجال المخزن وقبائل الجيش والعرب، كما أن ثقل الضرائب دفع الكثير من الفلاحين إلى بيع أراضيهم والهجرة إلى المدينة أو تركها ليصادرها القياد والشيوخ لصالحهم.

ويمتهن المسفيويون مختلف الحرف التي تتطلبها الحياة القروية كالنسيج والنجارة والحدادة وصناعة الفخار والبناء والتجارة إلى جانب الحرف الحديثة التي تتطلبها الحياة الاستهلاكية العصرية مثل الميكانيك والنقل والبناء والنجارة والخياطة وصناعة الأفرشة. كما ارتبطت كثير من الحرف التقليدية بالأنشطة السياحية مثل المنسوجات الصوفية والزرابي والفخار والتجارة.

اختلف المؤرخون حول معنى التسمية وأصلها ونطقها، فالكتاب المؤرخون يكتبونها مسفيوة بإضافة فاء بينما ينطقها السكان مسيوة بدون فاء (صيغة معربة) أو إمسيون. وهناك من يقول إنها مشتقة من ايمسوان أي المهتمين بزراعة الأرض وآخرون يقولون إنها مشتقة من ايمسوفن أي الغاضبين والمتمردين. وهناك رواية حديثة تدعي أن التسمية تشير إلى العلو والجبروت، وما يدعم هذا أن الجذر مسي يدخل في أسماء أشخاص عظماء مثل ماسي نيسا (أحد ملوك الأمازيغ قبل الإسلام). وكان يتسمى بعض السكان المحليين بأسماء مثل ماسي ومسو وبن ماسي.

ويتفق المؤرخون على أن قبائل مسفيوة الحالية هي من المصامدة، لكن مجالهم استوطنته قبائل بأسماء أخرى أهمها أيلانة أو هيلانة (إلالن) ودوغاغة وهزرجة، وكذلك هنتاتة بالقسم الغربي من وادي أوريكا. كما ورد اسم أصادن ومصفأوة وهو أقدم اسم أطلق على بطن من بطون أصادن الذين يرجعون في موطنهم الأصلي إلى وادي أزادن الحالي، وهو رافد لوادي نفيس يعتبر أكثر الأودية برودة وغنى بالغابات الكثيفة المتنوعة والمياه. وقد ورد في كتاب *التشوف* أن هذا المجال تسكنه قبيلة إمسوان كما ورد اسم إمسفيوة في أخبار المهدي بن تومرت وذكرها ابن خلدون : مسفيوة. والمؤكد أن مسفيوة باسمها الحالي وفي موطنها يعود على الأقل إلى القرن (14) وقد تردد كثيراً في وثائق الموحدين وكتابات ابن خلدون، لكن الاسم يختفي من الوثائق المكتوبة خلال القرنين 15 و16، فلم يرد عند حسن الوزان ولا مارمول. ولم يعد إلى الظهور إلا خلال القرن (17) في عهد السعديين وخاصة بعد استقرار أحمد المنصور الذهبي في مراكش، حيث بدأ يتكرر اسم مسفيوة كقبيلة جبلية تسيطر على منابع مياه غزيرة يحتاجها السهل والمدينة. ويكون بلدهم بقوته وانفتاحه على مراكش ملجأ للمتمردين والزعماء الطامحين إلى الحكم يحتمون بأوديته المنيعة وسكانه الناقمين

على حكام مراكش، ذلك أن فيضان الوديان وانعدام القناطر وكثرة السواقي وبرودة الشتاء القاسية والثلوج التي تغطي الجبال يزيدها مناعة وصعوبة تهدد كل قوة غازية بسوء المصير لإتقان السكان استغلال المعطيات الطبيعية للتحصين والتخفي والهجومات المباغتة. كما كان مدخل وادي الزات محصنا بحصن منيع يقع على أكمة عالية مشرفة على مدخله: تاسغيموت، ويرجع بعض الباحثين أنها تكون المدينة الأسطورية أغمات إيلان. وكثر الكلام عن مسفيوة خلال القرنين 18 و19 ، وصنفها كتاب الدولة بأنها قبيلة تتمرد بسرعة على سلطات المخزن عندما يمس حقوقها. ولعل أهم الأحداث التاريخية المرتبطة بتاريخ مسفيوة هي التي وقعت تحت حكم العلويين خاصة بعد وفاة المولى إسماعيل حيث عرف المغرب فترة اضطراب دامت من 1727 إلى 1757، لتستأنف في عهد السلطانيين مولاي عبد الله وابنه محمد وكذلك بعد وفاة مولاي الحسن 1894 . وقد ظهرت مسفيوة على مسرح الأحداث السياسية واصطدمت بسلطات المخزن لمناصرتها بعض المتمردين على السلطة واحتضانها للخارجين عن الطاعة والمطالبين بالحكم خاصة من أسرة السلاطين. وفي هذا الإطار تسجل مساندة مسفيوة للمولى المستضيء 1738 - 1745 مما جرَّ عليهم غزوة من طرف المولى عبد الله تسببت في خراب بلادهم. وتكرر ذلك في عهد ابنه المولى محمد بن عبد الله الذي انتهز فرصة قدوم 150 فارسا من أعيانهم لاسترضائه وحل مشاكلهم المتعلقة بالمياه، فأمر بقتلهم وإرسال الخيول للغارة على بلدهم، فعاثت العساكر وقبائل الجيش في بلادهم فساداً وأوسعوها نهبا وتخريبا (إلى أن صار وادي الزات أخرب من جوف حمار، ثم انتقل السلطان إلى وادي قيتجي فعاثت فيه العساكر، وعجز أهله عن الدفاع عنه، فهدمت حصونهم وأحرقت قراهم وقطعت أشجارهم، وصار وادي قجي أوحش من وادي الزات : (فطلبوا الأمان وأعلنوا الطاعة). ولم ترتدع مسفيوة بما حل بها بل ناصرت متمردين آخرين بعد وفاة سيدي محمد بن عبد الله، مما كرر مآسيهم بضرب المتمردين وزعمائهم من الشرفاء أو القادة المحليين، كما حدث في عهد مولاي سليمان. ويلاحظ أن غنى بلدهم وانفتاحه للوافدين كان يساعدهم على استعادة قوتهم بسرعة وأحيانا حقوقهم، وتكررت نفس الفتن في عهد مولاي عبد الرحمان بن هشام 1822 - 1859 لما شرع في إعادة غرس وسقي بساتين الزيتون بأگدال وأراضي تسلطانت المنتجة للحبوب والقطاني، وحرمهم من مياههم مما جعلهم يسرقون الماء ليلا لسقي حقولهم، فناهضهم السلطان فتمردوا من جديد دفاعا على حقوقهم بزعامة أحد القادة الشعبيين : بوخبزة. وبعد وفاة الحسن الأول عادت القبيلة إلى التمرد والعصيان كردّ فعل لما تعرضت له من التعسف والنهب خاصة من طرف قواد أسرة "وانيشا" ثم الگلاوي في عهد الحسن الأول ومولاي عبد العزيز إذ عمد القواد إلى إرهاق القبيلة بالضرائب والمغانم وأعمال السخرة على كل أفرادها بل ومصادرة أجود أراضيها بالسهل والدير وحقوق مياهها مما يدفع أفراد القبيلة إلى عمليات انتقام تتجلى في تخريب السواقي وحرق منازل القياد وقصباتهم. ولحقهم أكبر الضرر من سياسة الترهيب والإذلال والمصادرة التي اتبعها الگلاوي وأبناؤه وأعوانه مما أدى إلى ظهور فئة من كبار الملاكين العقاريين استحوذوا على أراضي الأفراد والجماعات، ودعموا ذلك ببناء حصون وقلاع : تازارت آيت أورير، من طرف الباشا الگلاوي الذي امتلك آلاف الهكتارات من أجود أراضي مسفيوة وحقوق مياه، وفرض عليهم ضرائب كثيرة وأعمال السخرة بدون شفقة حتى قالوا في أغنية : إنه لا يكاد يمر يوم دون أن يفرض الگلاوي ضرائب جديدة. ولم يستطع الحكام والإداريون الأوروبيون المنفذون لسلطة الحماية حمايتهم من بطش قيادهم رغم تدخلاتهم المتعددة، فشجعوا أفرادها على التجنيد بجيشهم وكانوا يختارون منهم فرقة "السبايسية"، لكن سرعان ما تدخل ملاكون أوربيون لأخذ نصيبهم من أراضي مسفيوة القريبة من مدينة مراكش خاصة بتسلطانت وتيديلي وتابوهنيت وتارگة الزات ... مما تسبب في هجرتهم والتجائهم إلى أعمال المقاومة ضد الاستعمار وأعوانه من قياد وشيوخ. لكن مشاكل مسفيوة لم تنحصر في علاقاتهم بالمخزن وخدامه بل اشتبكوا مع جيرانهم من القبائل خاصة من كانت أقل قوة منهم، فانتزعوا أراضيهم وتوسعوا على حسابهم في أوريكا وتگانة. أما نزاعاتهم مع الرحامنة فقد كانت تنتهي بمصالحات في غير مصلحتهم، حيث يضطرون إلى التخلي عن أراضي شاسعة برأس العين والويدان وجنانات الحوز لقبائل الرحامنة المدعمين بسلطات المخزن باعتبارهم من جملة گيشه، كما تخلوا لهم عن مراعي الشتاء بالحوز والبحيرة. ومع ذلك مازال المسفيويون يتمتعون بحيوتهم وقدرتهم الدفاعية عن مصالحهم وتحمّل الكوارث الطبيعية كأزمات الجفاف والفيضانات والمجاعات والأوبئة بقوة ونجاح، ومن أسلحتهم المعنوية قوة التضامن العائلي والقبلي وعلاقات التكافل بين الأقارب والجيران المبنية على الصدقات والهبات والدعم المادي والمعنوي من طرف الأغنياء للفقراء والأيتام والأرامل وأسر المهاجرين والمصابين بسوء. ويلاحظ أنهم لم يعرفوا ظهور القياد الكبار في منتصف القرن (19 ) بل بقوا متشبثين بالأعراف القديمة التي توزع السلطة بين رؤساء الأسر لأنهم كانوا ينفرون من الخضوع للسلطة المركزية والزعماء والقياد المستبدين، ويميلون إلى حياة تسودها روح المساواة والتآزر الاجتماعي وإدارة شؤونهم المحلية عن طريق مجالس استشارية عارضة تبعا للأحداث الطارئة والأخطار التي تهددهم، ولعل هذه الظاهرة الاجتماعية المتأخرة عن زمانها هي التي جرت عليهم هذه الأحداث المؤلمة.

وتتكون مسفيوة اليوم من 14 بطنا موزعة بين الجبل والسهل بين وادي الزات وأوريكة السفلى هي آيت بوسعيد،

آيت بوزعافة، آيت عبد السلام، آيت الزات، آيت أنزال، آيت وادوز، آيت واسكتيت، آيت وانگة، آيت أوشگ، آيت سليم، ايت تاملي، آيت تغدوين، آيت زياد، آيت فاسكة. وأغنى البطون وأكثرها كثافة هي التي تعيش في حوض تيديلي، والقبائل التي استقبلت أكبر عدد من الوافدين، آيت انزال وآيت واسكتيت. تحول معظمها اليوم إلى مشيخات أو جماعات قروية تنطبق على وحدات تضاريسية، مكونة دائرة آيت أورير عمالة الحوز بولاية مراكش بقسميها الجبلي والسهلي. يبلغ سكانها 211448 نسمة (1994) يتوزعون ضمن 12 جماعة قروية أهمها تغدوين وتيديلي مسيوة وأغمات، ويتجاوز سكان كل منها 20 ألف نسمة.

أحمد الناصري، *الاستقصا* ؛ ابن خلدون، *كتاب العبر* ؛ ابن الزيات، *التشوف إلى رجال التصوف*، بحوث طلبة السنة الرابعة تاريخ، كلية الآداب بمراكش.

J.P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*.

أحمد هوزالي

**المسفيوي، الحسن بن أحمد**، يكنى أبا علي، كما في *مناهل الصفا*، وأبا محمد كما في *روضة الآس*، من أهل مراكش، ومن شعراء المنصور السعدي المتميزين، فهو كما نعته أحمد المقري : "الكاتب الناثر، الناظم البليغ المجيد"، لقيه المقري بمدينة مراكش، وقيد من ألفاظه وأقواله، واستفاد منه، "لا سيما في علم التاريخ، فإنه كان حافظا له جدا ضابطا له محققا فيه"، كما كانت له مشاركة في علم الطب والهندسة والحساب، "وهو متولي قراءة *كتاب أوقليدس* بين يدي أمير المؤمنين".

وقد أحسن المقري صنعا عندما أورد مجموعة من أشعاره في كتابه "*روضة الآس*"، كما روى الفشتالي بعض أشعاره في كتابه "*مناهل الصفا*"، وكان ينعته "بالفقيه الكاتب البارع النظم، المطواع القريحة، النبيل الأعراض، العذب الألفاظ، المطبوع الكلام، المالك لزمام النثر والنظام"، وقد عملت على جمع شعره من المصادر المختلفة في أطروحتي الجامعية "*الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي*"، ومجموع هذه الأشعار ثلاثمائة بيت، موزعة بين القصائد المولدية والقصائد التي أنشدها في مدح الخليفة المنصور السعدي في المناسبات المختلفة، إضافة إلى بعض النتف التي كان ينظمها في الغزل، ومن ذلك البيتان اللذان قدم لهما المقري بالآتي : "وله حفظه الله حسبما وجدته بخطه" :

أحمل أنفاس النسيم صبابتي      معطرة تهدي غرامي إليكم
وأولى رسول في الهوى نفس الصبا      وأولى تحياتي سلام عليكم

ويشير المقري في ترجمته للمسفيوي إلى "أن قصائد هذا الكاتب حفظه الله كثيرة جدا، وله موشحات كثيرة في أمير المؤمنين"، غير أنه لم يورد له ولو موشحة واحدة، كما أن له تأليفا جمع فيه كلام أبي الحسن علي الششتري في جزأين، "أمره بذلك أمير المؤمنين أيده الله"، إضافة إلى تعريبه لبعض الكتب الطبية، كما أن له تأليفا في التاريخ والأدب وهي مؤلفات تعتبر في حكم الضائعة، كما ضاع ديوانه الشعري أيضا.

ويلخص المقري رأيه في المسفيوي بقوله : "وبالجملة، فهذا الكاتب حفظه الله ممن يحصل الفخر بلقائه".

المقري، *روضة الآس*، ص. 163 ؛ *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، ج 6 : 49 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. الأحمدي أبو النور، ج 1 : 240 ؛ *المنتقى المقصور*، تح. محمد رزوق، الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الله گنون ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 5 : 152 ؛ ابن إبراهيم، الإعلام، ج 3 : 150 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، ج 2 : 401 ؛ محمد ابن تاويت، *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى*، ج 3 : 681 ؛ اليفراني، *نزهة الحادي*، ص. 173 ؛ نجاة المريني، *الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي*، ص. 355.

نجاة المريني

**المسفيوي، سعيد** ارتبط اسمه بأحد الطوابير التي قبل قواد رحاها الاستمرار في الخدمة وفق الشروط الجديدة في ما يخص الانضباط والتدريب والمواظبة، وذلك عندما قرر السلطان مولاي عبد الحفيظ سنة 1910 إخضاع كل الفرق الموجودة في فاس تحت إشراف القائد الفرنسي مانجان Mangin لإعادة هيكلتها.

م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، تح. العماري، الرباط، 1986 ؛ محمد الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. ع. الشادلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية*، ج 2 ؛ عباس ابن إبراهيم السملالي، *الإعلام*، ج 3، الرباط، 1975 ؛ عبد العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الكريم كريم، الرباط، 1972 ؛ أحمد المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968 ؛ *روضة الآس*، الرباط، 1964 ؛ محمد بن الفاطمي السلمي، *إسعاف الإخوان*، الدار البيضاء، 1992 ؛ عباس الجراري، *مع المعاصرين*، ج 1، الرباط، 1995 ؛ مصطفى بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج 2 ؛ إبراهيم حركات، *المغرب عبر التاريخ*، ج 3 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *إتحاف*، ج 1 . 2 . 5.

F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc Moderne*, Rabat, 1947 ; Louis Arnaud, *Au temps des Mhallahs*, Casablanca, 1952 ; Bahija Simou, *Les réformes militaires au Maroc de 1844 à 1912*, Casablanca, 1995.

محمد الفقير

**المسفيوي، عبد القادر** الفقيه العلامة الحافظ المشارك المطلع إبن الفقيه العلامة المفتي الحسين بن محمد المسفيوي الأصل، المراكشي الميلاد والنشأة والمدفن. ولد بمدينة مراكش عام 1310 / 1892 نشأ في بيت علم وعفاف، وتعهده والده بالرعاية والتربية الصحيحة. حفظ القرآن الكريم وهو ابن العاشرة من عمره، إلى جانب بعض المتون *كالألفية*، *والجوهر المكنون*، *ومختصر الشيخ خليل*، الذي يعد من أكبر حفاظه. كما حفظ قسطا كبيراً من *صحيح الإمام البخاري*. درس بالجامعة اليوسفية على شيوخ أجلاء نذكر منهم السادة : شيخ الجماعة الحاج العربي الرحماني البربوشي والشيخ أبي شعيب الدكالي والشيخ محمد بن لحسن الدباغ. العلامة سيدي المدني بلحسني. وغيرهم من الشيوخ الذين

ارتوى من علمهم، وتشبع بأخلاقهم، فأجازه بعضهم اعترافا بذكائه وكده واجتهاده. ولم يمنعه هذا التعليم التقليدي من تعلم اللغة الفرنسية بالمدرسة الفرنسية التي تابع دراسته بها إلى أن حصل على شهادة الدروس الابتدائية، ثم الثانوية، مع شهادة الترجمة.

اشتغل بالتدريس والإفتاء، وأسس مدرسة حرة لتعليم اللغة العربية، ونشر الوعي الوطني. كما كان يلقي دروسا ببعض مساجد مراكش. وفي سنة 1353 / 1934 انتخب كاتبا عاما لجمعية قدماء تلاميذ المدارس العربية الفرنسية بمراكش، ثم خليفة لرئيس جمعية طلبة شمال إفريقيا التي كان مقرها بتونس.

لقد كرس حياته لخدمة العلم والدين والوطن، وألقي عليه القبض مع ثلة من العلماء والوطنيين في الانتفاضة الشعبية التي قاموا بها سنة 1356 / 1937، أثناء الزيارة التي قام بها الوزير الفرنسي رمادي (Ramadie) موفدا من طرف حكومته للتقصي في وضعية البؤس والجوع والحرمان الذي اجتاح المغرب.

ونكل بوالده شيبة الحمد، أمام الملأ بساحة جامع الفناء. وهذا خلاف ما يزعمه عبد السلام بن سودة في كتابه : *إتحاف المطالع وسل النصال*، الجزء 9 ص. 3334، أنه تدخل في خلع السلطان محمد الخامس تبعا لباشا مراكش، وهذا افتراء وكذب، وليس من رأى كمن سمع.

وعلى إثر وفاة العالم الجليل محمد بن عثمان رئيس الجامعة اليوسفية، استدعاه المغفور له جلالة الملك محمد الخامس، وأسند إليه رئاسة المجلس العلمي للجامعة اليوسفية في فاتح ذي الحجة 1364 الموافق 7 نونبر 1945، جزاء له على إخلاصه، ووطنيته واعترافا بمكانته العلمية، وبقي في هذا المنصب إلى أن عزل في 3 محرم 1373 الموافق 2 أكتوبر 1953 ، نظرا لأفكاره الوطنية، وللمرض الذي أقعده عن العمل، فلزم بيته إلى أن التحق بالرفيق الأعلى في آخر ذي الحجة 1377 الموافق يونيو 1958.

ترك مجموعة من الأعمال لم يعرف مصيرها وإلى ما آلت إليه، وهي كالتالي :

- كتاب ضمنه *الفتاوى الشرعية* التي كان يفتي بها.
- كتاب *في التاريخ* : تناول فيه حياة جده أبي الحسن سيدي علي المسفيوي، وزير الشكايات، وشيخ المولى الحسن الأول.
- كتاب ترجم فيه *الجغرافية العالمية للغة العربية*، لسد حاجات طلبة جامعة ابن يوسف.
- رسالة *إلى الجنس اللطيف*.

إلى جانب مكانته العلمية كان يقرض الشعر في المناسبات الوطنية والاجتماعية والإخوانيات. من ذلك نشيده [العلم روح الحياة] الذي ألقاه في الحفلة التي أقامتها جمعية قدماء تلاميذ المدارس الفرنسية العربية بمراكش، يستنهض فيه همم الناشئين لتعاطي العلم الذي هو السبب في رقي الأمم الحية، جاء فيه :

| | |
|---|---|
| نهوضا بني وطني للعمـل | فقد كاد يقضي علينا الجمود |
| واحيوا من المجد ذكراً أفـل | به ترفعون لأوج السعـــود |

أحمد متفكر، *ذيل الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام* ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، تنسيق وتحقيق، محمد حجي، 9 : 3334.

**المسفيوي، علي بن محمد** المراكشي حلاّه غريط بقوله : [كنز معارف تفتحت أبوابه. ورائد علم مليء من التحقيق وطابه. فزكى من المجد نصابه. كاتب ألقى إليه السعد الرسن ...]. كما وصفه صاحب *الإعلام* بقوله : [الثبت المحقق، اللوذعي المدقق، شعلة الذكاء والفهم، متوقد القريحة وينبوع العلم، ذو الأخلاق الرفيعة والسمت الحسن، الكاتب الوزير الماهر اللغوي الموصوف بالمروءة والتؤدة وجميع الأوصاف ...].

درس بمراكش وفاس، ولما مليء وطابه علماً، وبزغ نجمه بين أقرانه من العلماء، ولاه السلطان مولاي عبد الرحمان مع ثلة من العلماء وهم السادة : محمد بن عزوز، ومولاي أحمد بوغربال وأحمد بن مبارك الجرني، تعليم أولاده بوعزة ومولاي رشيد ومولاي علي ومولاي العباس. كما أخذ عنه المولى الحسن الأول.

تولى في عهد السلطان المولى الحسن الأول وزارة العدل والشكايات كما كانت تسمى في ذلك الوقت، فلما توفي مولاي الحسن واستبد الحاجب أحماد بن موسى بأمور الدولة نبذ الوزير السيد علي المسفيوي، بل أذله وامتهنه حتى صار يحيي أحماد بتحية الملوك، ويقف بين يديه وقفة المملوك.

توفي في ليلة الجمعة 10 رجب عام 1316 موافق 21 نونبر1898 خلافا لما في *فواصل الجمان* أنه توفي عشية يوم الخميس 6 رجب.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، 9 : 262 ؛ م. غريط، *فواصل الجمان*، 91 ؛ *الكتابات العربية بمراكش (بالفرنسية)*، ص. 230.

أحمد متفكر

**المسفيوي، محمد بن عثمان** بن أبي بكر المسفيوي، ولد بمراكش ودرس بها ثم أخذ العلم بالرباط سنة 1925 عن المحدث محمد المدني بن الحسني ومحمد بن عبد السلام السايح والشيخ أبي شعيب الدكالي، وبعد مضي نحو ثلاث سنوات في التدريس بهذه المدينة التحق بمصر لإتمام دراسته التي استغرقت بضع سنوات.

وعند عودته إلى أرض الوطن درّس بمراكش بمسجد المواسين وبالجامعة اليوسفية، وعندما شمل هذه الأخيرة نظام القرويين عين رئيسا لها خلفا لمولاي مبارك العلوي الأمراني، ورئيسا للمجلس العلمي. استماث في الدفاع عن الجامعة اليوسفية وعانى من أجلها إلى أن أصبح النهائي بمراكش عوض فاس.

من مآثره "*الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة*"، يقع في ثلاثة أجزاء طبع منها الجزء الأول سنة 1937، حاول فيها إبراز مكانة الجامعة ودورها الريادي في نشر الثقافة العربية الإسلامية عبر العصور وكان فيه كمصارع لأختها كلية القرويين، ما جلب عليه خصومات كثيرة وحدا بالشاعر إلى القول :

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة
أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

أصابته سكتة قلبية توفي على إثرها وهو على مأدبة عشاء في منتصف ربيع الأول سنة 1365 / 1945 ودفن بضريح الإمام أبي القاسم السهيلي خارج باب الرب بمراكش.

**المسفيوي، المختار** بن **علي** نجل أبي الحسن علي بن محمد المسفيوي وزير الشكايات على عهد الحسن الأول، كان كاتبا أول للصدر فضول غريط في العهد العزيزي، وكانت بينه وبين السلطان مولاي يوسف روابط ود وإخاء.

توفي بالرباط في رمضان من سنة 1330، قادما إليها من مسقط رأسه مراكش.

**المسفيوي، مسعود** السرايري الشريف الحسني من أولياء الله الصالحين.

توفي يوم 15 محرم سنة 1308 وهو دفين السراير أمام داره بقبيلة مسفيوة.

محمد الفقير

**المسك**، يُوجد نوعان من المسك : المسك الطبيعي والمسك الاصطناعي :

- يشمل المسك الطبيعي عدة أشكال تجارية تدل على مصدرها. فمسك التّيبَت المسمى أيضا مسك الطونكان هو أفضلها. وهو يغطي أكثر من 80٪ من الكمية المروجة في السوق من هذه المادة. أما أصناف المسك الطبيعية الأخرى فهي مسك النيبال، ومسك عَصَّام، ومسك بِرْمِينيا ومسك سيبيريا وغيرها.

ينتج المسك الطبيعي من طرف ظبي صغير أو غزال يعيش في جبال مناطق المصادر المذكورة أعلاه لهذه المادة. يؤخذ المسك من الجيب الذي يتكون على غدة يحملها الذكر البالغ لهذا الحيوان ما بين سرته وحشفته. وللجيب حجم يعادل حجم البرتقالة، وله دور في تحديد المجال للمجموعة الحيوانية التي هي تحت سيادة هذا الذكر. كما للجيب دور في الاجتذاب الجنسي للإناث. يباع المسك في جيبه أو بعد إفراغه منه.

- لكن المسك الطبيعي انعدم وجوده منذ فترة طويلة، فعوضت السوق المغربية بثلاثة أشكال من المسك الاصطناعي التي تستخدم لانتاج النّدِّ ومواد البخور. وما يباع حاليا بالسوق المغربية تحت اسم المسك الحر ليس إلا أحد هذه الأشكال الثلاثة.

يستعمل المسك في صناعة العطور ولبعض الأغراض الأخرى كتقوية النشاط الجنسي وضد أمراض القلب.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, 1997, 779 p.

عبد المالك بنعبيد

**مَسگّينة**، قبيلة من قبائل سوس تحتل الرقعة الجغرافية الواقعة شرق مدينة أگادير، وتشكل حدود منطقة أهل أگادير التي تمتد إلى المحيط الأطلسي غربا، وتكتب مَسگينة في الوثائق المخزنية بالجيم المشدد "مسجّينة" وبالكاف المعطشة "مَسگينة" وهي تسمية للمكان، وتُنطق بالأمازيغية مبدوءةً بالألف "إمْسگّينْ" على صيغة الجمع ومفردة "أمْسگّينْ"، وتدل كلمة "إمْسگّينْ" في الأمازيغية على مدلولين : فهي تدل على اسم الموقع الجغرافي : البلد Toponymes كما تدل على اسم المجموعة البشرية : القبيلة Ethnonyme، ولا يفصل بين المدلولين إلا سياق الكلام، أما المعنى اللفظي فتحتفظ كلمة "أمْسگّينْ" بمعنى الرجل الشديد المراس، وكلمة "أمَاسْگانْ" بمعنى الرجل ذو البشرة السمراء وهذا موضوع اللسانيين.

وتمتد "مسگّينة" جغرافيا من حدود أهل أگادير غربا إلى مجرى أسيف نايت موسى (نهر آيت موسى) بمنطقة سيدي أبو السحاب وأمسكرود شرقاً، كما تحدها قبيلة اداوتانان شمالاً، أما جنوبا فهي تمتد من مجرى وادي سوس مجاورة لحفايا بهوارة وقبيلة كسيمة من تيكيوين إلى مصب النهر. وتنقسم قبيلة مَسگينة إلى فرقتين تفصل بينهما "تلات / ن ووشن" يوجد في القسم الشرقي فرقة آيت عبّاس. وفي القسم الغربي فرقة آيت تاگوت.

ومن الجانب التاريخي فقد استقرت قبائل مَسگينة وكسيمة وأهل أگادير في فترة سابقة للعهد السعدي، لأننا نجدها واردة في كتاب *وصف إفريقا* للحسن الوزان وفي *نزهة الحادي* للإفراني و*ديوان قبائل سوس* لإبراهيم الحسّاني، وقد استقرت مَسگينة بالخصوص مند القرن 12 للميلاد كما نجد ذلك عند البيدق في كتاب *الأنساب*، وقد بلغ عدد سكان مَسگينة في القرن السادس عشر حسب *ديوان قبائل سوس* 37.500 (سبعة وثلاثين ألف وخمسمائة نسمة) وكان لها دور ريادي في الدفاع عن حصن أگادير ضد البرتغال في صفوف الجيش السعدي. أما الاستقرار النهائي في القرن التاسع عشر، حيث انتقل إلى فرقة آيت عباس أسر من قبيلة اداوسملال الشرفاء. فاستقروا في "إيمي ن تغزوت" مشتغلة بأعمال الزراعة والرعي، وما تزال أسر هناك مثل أسرة "ميشّت" تحتفظ عقودها بالانتماء إلى إداوسملال، ومن إدا اوسملال انتقلت كلمة آيت عباس التي ينتمي إليها العبّاسي صاحب *النوازل* الفقهية المشهورة، كما انتقلت أسرة أودُّود من شرفاء حاحة إلى تاباطكوكت، وأمتضى حيث استقروا حتى

الآن في فرقة آيت تاگوت، وفي عقودهم هذه النسبة كما يذكر التامري صاحب كتاب *المتعة والراحة*. ومن بين الأسر المستقرة في مَسكينة تعتبر قرية "آيت علا" وقرية "إبن عيادن" وقرية "تاماعيت" من القرى المتخلفة عن الوحدات العسكرية التي اتخذها السلطان مولاي إسماعيل لحراسة السهول، وقد سرّحها فاستوطن هذه القرى ومارست قرية ابن عيادن صناعة الحصر إلى وقت قريب، كما أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله انتدب أهل تاماعيت للحراسة في ميناء أگادير "باب أگادير" بعد إغلاق مرسى أگادير إثر بناء مدينة الصويرة التي انتقل إليها في القرن الثامن عشر كثير من المسكنين والكسميين لممارسة التجارة هناك.

وفي القرن التاسع عشر وقع الاستقرار النهائي لهذه القبائل، وكانت الألواح العرفية المكتوبة التي تشكل قوانين هذه القبائل تذكر أسماء نواب هذه القبائل وحكامها، هذا على المستوى العرفي، أما على المستوى المخزني فقد عرفت أسر من قواد المخزن مثل أسرة القائد مومّاد، محمد بن اليزيد المسكيني العباسي الذي حكم لمدة سنتين ثم القايد البشير وهو من أسرة آل الشدّاخ التي استوطنت قريبا من أمسكرود وكانت في صراع مع القواد الكسيميين لم ينته إلا بعد بداية عهد الحماية 1912.

ومن أهم آثار هذه القبيلة حصن أگلاگال الذي شيده السعديون أثناء صراعهم مع البرتغال لاسترجاع حصن أگادير، وبناء مقبرة مسجد أكرض وبناء قبور "تيسعديين"، وموقع إيمي ن تاغزوت السياحي، ومراكز التعليم في المدارس العتيقة الثلاث في "سيدي يحيى باغلالن" وفي مسجد أكرض وفي "سيدي هارون بأمطضى" في تابا طكوكت، وقد تأتي للزائر أن يخترق قبيلة مَسگينة بفصل طريق يمتد من أگادير غرباً عبر مختلف القرى إلى امسكرون شرقاً.


ع. أفا، *تاريخ المغرب المعاصر*، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2002، ص. 161 ـ 169 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1988، ج 1 ـ 2، ص. 11 ـ 254 ؛ م. السوسي، خلال جزولة، ج 4، ص. 95 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، ص. 185 ؛ أ. البيدق، *كتاب الأنساب*، 1971، ص. 19 ؛ إ. الحساني، *ديوان قبائل سوس*، 1989، ص. 25؛ مؤلف مجهول، *تاريخ سانتاكروز*، أگادير، تر. أحمد صابر، منشورات كلية الآداب بأگادير، 1994.

Montagne et Ben Daoud, Document pour servir d'étude du droit coutumier du sud marocain, *Hespéris, 1927, p. 401-445.*


عمر أفا

**المسكيني، صالح** ولد سنة 1916 بدوار أولاد غالم في قلب البروج (بني مسكين). وولج الكتاب القرآني وتابع الدراسة في إحدى الابتدائيات هناك حيث أكمل مختلف مستوياتها. واضطر إلى العمل لمساعدة والده على تحمل مسؤولية أسرته الفقيرة، قبل أن يهاجر إلى الدار البيضاء. وربما لم يستقر بهذه المدينة إلا مدة قصيرة، إذ سرعان ما انخرط سنة 1939 في قوات القناصة المغاربة العاملين في الجيش الفرنسي إبان الحرب العالمية الثانية. وقد جرح في إحدى المعارك جرحا عميقا في أحد جنبيه خلف أثرا كبيرا على جسده، مما أدى إلى إعفائه وإعادته إلى المغرب مع توشيحه بوسام صليب الحرب والميدالية العسكرية.

سكن صالح حي كريان سنطرال الصفيحي واشتغل في شركة كوزيما حوالي سنة 1943. وفي هذه المؤسسة، تعرف على العمل النقابي عن كثب واحتك بأوساطه وخالط قادته من الأطر النقابية الفرنسية والإسبانية وغيرها، غير أنه فضل وجماعة من زملائه أن ينشئوا نقابة حرة ومستقلة خاصة بالمغاربة. ولا يُعلم هل كان للباترونات ضلع في تشجيع العمال المغاربة على إنشاء مثل هذه النقابة، حتى يبعدوهم عن نقابة س. ج. ت، أم أن الحركة الوطنية هي التي كانت وراء ذلك في البداية، كما تذهب إلى ذلك بعض الدراسات. والمهم، وكما كان متوقعا، لم تتمكن النقابة المستقلة من إنجاز أي شيء، مما أجبر صالح المسكيني في ماي 1947 على الانخراط في اتحاد النقابات المتفرع عن المركزية النقابية الفرنسية المذكورة. وقد قام صالح بدور كبير في استقطاب كثير من زملائه إلى اتحاد النقابات، ومنهم وجوه معروفة فيما بعد في المقاومة في كريان سنطرال (مثل رحال المسكيني ومحماد الجراري المعروف بـ "الفقيه الماكني").

وكان لصالح دور مهم في مختلف المعارك النقابية التي خاضها عمال كوزيما في العقد الأخير من عهد الحماية من أجل تحقيق عدد من المطالب، ومن أهمها حق المغاربة النقابي والمساواة في الأجور. ولعل أهم تلك المعارك الإضرابات التي دامت أكثر من عشرة أيام في نهاية سنة 1949 وبداية السنة الموالية. فقد بدأت بالإضراب الإنذاري الذي قرره عمال الشركة لمدة يوم واحد في 24 دجنبر 1949، وذلك بعد الجواب الذي تلقاه المكتب النقابي من إدارتها. وكان الإضراب ناجحا، حيث كانت نسبة المشاركة فيه مرتفعة جدا، مما أغضب إدارة الشركة فطردت في البداية النقابيين الحسين "لوبير" ومبارك بن البشير، قبل أن يشمل قرارها أيضا يوم 25 دجنبر 1949 نقابيين آخرين، وعلى الخصوص صالح المسكيني سكرتير نقابة مستخدمي كوزيما وإبراهيم ؤاليزيد ولحسن حبوب عضوي المكتب. فشن العمال سلسلة من

الإضرابات المتوالية دامت 11 يوما، أجبرت الإدارة على الموافقة على الزيادة في الأجور، دون أن يعود صالح إلى عمله.

انقطع صالح للمداومة بمقر الاتحاد العام للنقابات المغربية L'Union Générale des Syndicats Confédérés du Maroc في زنقة لاصال (زنقة فرحات حشاد)، إلى جانب عضويته في الاتحاد المحلي. وبهذه الصفة، شارك في نشاطات الاتحاد العام بالدار البيضاء، ومنها على سبيل المثال أنه ترأس مهرجان فاتح ماي 1951 بملعب فيليب (ملعب العربي بنمبارك)، وهو مهرجان ضخم حضره 30000 عامل، وفيه تناول الكلمة الطيب بن بوعزة وأندري لوروا André Leroy الأمينان العامان للاتحاد وعبد الرحيم بوعبيد عن حزب الاستقلال وممثل الحزب الشيوعي.

تعرض صالح المسكيني، بسبب نشاطه، لقمع السلطات الاستعمارية الفرنسية. وفي هذا الصدد، اعتقل وبلعيد بن عبد الله عضو الاتحاد المحلي للاتحاد العام خمس ساعات في أكتوبر 1951. واعتقل ثانية بكوميسارية المعاريف في الدار البيضاء يوم 28 مارس 1952، فتعرض للضرب والتعذيب والشتم والإهانة قبل أن تقرر السلطات الفرنسية يوم 5 غشت 1952 نفيه إلى الجنوب وفرض الإقامة الإجبارية عليه في تالسينت. وفي هذه القرية، تعرف على عدد من رجال الحركة الوطنية المغربية الذين شملهم نفس القرار، أمثال المهدي بن بركة والفقيه محمد الحمداوي.

ظل صالح في منفاه، حتى قررت سلطات الحماية إطلاق سراح كثير من القادة الحزبيين والنقابيين المعتقلين على إثر حوادث فرحات حشاد في دجنبر 1952. وفي هذا الإطار، استعاد صالح حريته يوم 18 دجنبر 1954، بعد صدور قرار المقيم العام يوم 13 دجنبر 1954.

وقد ساعد صالح، إلى جانب نقابيين آخرين، الطيب بن بوعزة في مساعيه الرامية إلى إعادة بناء المؤسسة النقابية التي تضررت بفعل القمع الذي جرى في دجنبر 1952. وقد جرى ذلك في كامل السرية بتنسيق تام مع المنظمات الفدائية التي كان فيها بعض النقابيين (إبراهيم الروداني ومحمد الناصري "عباس المسعدي" ومحمد بن المكي "هوشيمين" وأحمد الطويل). وأفضت تلك المساعي إلى عقد اجتماع بدار الطيب بن بوعزة في درب بوشنتوف (الدار البيضاء) يوم 20 مارس 1955، ترتب عليه تأسيس مركزية نقابية جديدة تحت اسم الاتحاد المغربي للشغل، انتخب صالح عضواً في مكتبه الأول إلى جانب ثمانية أعضاء آخرين.

توفي بالدار البيضاء يوم 17 دجنبر 1994.


ألبير عياش، *الحركة النقابية*، ج 2، *مغربة الحركة*، 43 : 48، تر. نور الدين سعودي، منشورات أمل ؛ الطيب بن بوعزة، *ميلاد الحركة النقابية العمالية الحرة بالمغرب*، تر. عبد الله رشد، الدار البيضاء، 1992.

Albert Ayache, *Le mouvement syndical au Maroc*, t. 3, p. 35, 64, 71, 147, 181 et 187-198 ; *Les militants marocains de l'union des syndicats confédérés du Maroc, Etudes d'histoire sociale marocaine*, édition Okad al Asas, Cahiers marocains de recherche en sciences sociales n° 5-6, janvier 1996, p. 135-136 ; *Dictionnaire biographique du mouvement ouvrier du Maghreb : Maroc des origines à 1956*, éd. Eddif, Casablanca, 1998, p. 172.


نجيب تقي

**مسلالة**، لا يمكن فهم العلاقة بين أكلة الزيتون التي تسبق الوجبة الرئيسية في المغرب عادة وبين الاسم "مسلالة"، إلا إذا عرفنا أن الزيتون المقدم في هذه الأكلة "كسلطة" Salade منزوع النوى بطريقة ماهرة دون أن يتغير شكل الزيتونة أو يتشوّه، وهذه العملية معروفة سواء في العربية الفصحى أو الدارجة (بسل) يسل مسلولا ومسلالا.

مسلالة إذن سلطة زيتون منزوع النوى مضاف إليه الكثير من المواد بحسب الذوق والحاجة يمكن إضافة عدد من التوابل كالكمون والفلفل الأحمر (تحميرة) الحلو والمر وعصير الحامض والثوم والزيت والمعدنوس المفروم، ويتم تحضير مسلالة بعناية وتخلط جيداً وتترك لمدة ثلاث ساعات أو أكثر حتى تختمر وتتداخل المواد المكونة لها قبل تقديمها للأكل.

ولا تحضر مسلالة من الزيتون الخام بل من الزيتون المرقد (المصبر) والمعد للأكل، وهناك من يعتبر مسلالة خاصة بالزيتون الأخضر لكن الغالب الآن في السوق حيث أصبحت مسلالة تباع عند المتخصصين من التجار تشمل الزيتون بجميع أصنافه الأخضر والوردي والأسود ؛ وتشتهر المناطق الشمالية في المغرب وخاصة (جبالة) بتحضير وتقديم مسلالة. ولعل ذلك راجع لكون مسلالة من التأثيرات القادمة من الأندلس منذ العهد المريني وما بعده.


ابن رزين، *فضالة الخوان*، الرباط، 1981 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980.

Latifa Smires Benani, *La cuisine marocaine*, Casa, 1978 ; F. Brandel, *La Méditerrannée*, Paris, 1949.


محمد حجاج الطويل

ابن **مسلم، الأنصاري القصري** من أهل مدينة القصر الكبير، نزل سبتة. فقيه مقرئ راوية مشارك، رحال كثير الاطلاع والاجتهاد في نشر العلم والتقييد لمسائله. وكان إلى جانب علمه من أهل الفضل والدين والسمت الحسن. اتسعت رواياته بأخذه عن خلق كثير من علماء المغرب وإفريقية ومصر. تفقه على الفقيه الحافظ المفتي المدرس مصباح، لازمه اثنتي عشرة سنة، وختم عليه *التهذيب* مرتين تفقها. والعالم عبد الرحمن بن عفان الجزولي، والفقيه الحافظ الرندي، والعالم النحوي ابن أجروم الصنهاجي، والفقيه الصالح عبد العزيز القيرواني، وعلى الأستاذ أبي العباس أحمد الحسني، وأبي الحسن بن سليمان وبواسطته روى عدداً من الكتب *كالحصرية* لعلي بن عبد الغني الفهري الحصري القيرواني (توفي بطنجة سنة 468) *وكتاب* موسى بن عبد الله بن مزاحم الخاقاني (ت. 325) في *القراءات*. وأخذ أيضا عن محمد بن عبد الرزاق، والفقيه الأصولي المتكلم محمد بن محمد البقال، والأستاذ أبي الحسن بن بري نزيل مصر، أخذ

عنه *نظمه في القراءات* المسمى *بالدرر اللوامع*، والفقيه المدرس المفتي الراوية أبي علي قداح الهواري، والفقيه الجليل الصالح الإمام بجامع الزيتونة أبي محمد عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن جابر القيسي، وابن سلامة، والفجر بن المنير وآخرين.

أثنى عليه مترجموه ووصفوه بسعة الرواية وكثرة الاطلاع. والمعرفة بالفقه والقراءات والمشاركة في غيرها من العلوم، مع الاجتهاد. استقضي بسبتة وكان مهيبا مغلظا على الظلمة. ودرس بمدرستها، وخطب بجامع القصبة بها. وتتلمذ له عدد من العلماء مثل أبي زكريا يحيى بن أحمد بن السراج (ت. 805) وذكره في فهرسته وأثنى عليه، أجازه عام 768 / 1366 كتابه *الوجيز*. وأخذ عنه القاضي رضا بن رضا المذكور، والعدل أبو عبد الله القمارشي السبتي. وألف عدة كتب منها *شرح على رجز ابن بري* سماه *الوجيز النافع في شرح الدرر اللوامع*. *وتقييد* على جمل أبي القاسم، *وبرنامج* جمع فيه مشيخته ومروياته.

توفي بمدينة سبتة في ذي الحجة عام 773 / 1371 ودفن بمقبرة التوتة من الميناء شرقي المدينة.

الأنصاري، *اختصار الأخبار*، ط 1983، ص. 18 ؛ أحمد بابا، *نيل الابتهاج*، طرابلس، 1989، ص. 223 ؛ *كفاية المحتاج*، طبعة الأوقاف، ج 2، ص. 203 ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج 1، ص. 333 ؛ ابن غازي، *فهرس ابن غازي*، ص. 92 ؛ مجهول، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب*، ط 1984، ص. 38 ؛ ابن تاويت، *تاريخ سبتة*، ص. 160.

محمد المغراوي

**مَسلمة** (بن -) **محمد بن عبد الله**، أو سَلَمَة ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله. عندما بويع أخوه اليزيد في سنة 1790 أسند إليه عمالة بلاد الهبط والجبل والثغور الشمالية. ولما وصله خبر وفاة اليزيد بمراكش في 17 فبراير 1792 دعا لنفسه فبايعه أهل المناطق الشمالية، والشرفاء العلميون، والوزانيون بصفة خاصة. وكان شيخ الزاوية الوزانية سيدي علي بن أحمد سنده الرئيسي، إذ وظف نفوذه لدى القبائل وبعض المدن كالرباط وسلا، ليعزز جانب مولاي مَسلمة في مواجهة مُنافسه وأخيه مولاي سليمان الذي بايعه أهل فاس، والجيش وقبائل الأطلس المتوسط.

وبالفعل فقد نزل شرفاء وزان بكل ثقلهم لمساندة المولى مَسلمة الذي أصبح يعتمد على مشورة ونصائح سيدي علي بن أحمد، والتهامي بن الحسني الوزاني الذي أصبح بمثابة وزير له حسب الضعيف. إلا أن سوء التدبير المالي الذي طبع سياسة مَسلمة الذي صرف نصيباً هاماً من أمواله لاستمالة الشرفاء وأعيان القبائل، وفشله في توسيع دائرة تحالفاته لتشمل قوى أساسية كالجيش والقبائل البربرية قلصا من حظوظه في النجاح أمام أخيه سليمان الذي تمكن من كسب تأييد أهم قوتين في البلاد آنذاك، وهما جيش العبيد واتحادية قبائل آيت إدراسن. وبميل هاتين القوتين إلى جانب مولاي سليمان تم حسم الصراع لصالح هذا الأخير، وفقد مَسلمة كل أمل في كسب رهان الخلافة.

ولما تيقن مولاي مَسلمة من تفوق أخيه سليمان بفضل دعم الجيش وآيت إدراسن وأهل فاس أقدم على خلع نفسه في 20 أبريل 1792، بعد أن دامت إمارته بوزان وبلاد الهبط حوالي شهرين. وعلى إثر ذلك توجه مولاي مَسلمة إلى شرق المغرب والجزائر. لينتقل إلى تافيلالت ومنها إلى جبال الأطلس حيث يظهر أنه حظي بمساندة أبي بكر أمهاوش في سنة 1793. وبعد مدة انتقل إلى تادلة ومنها إلى الشاوية التي كانت قبائلها تبحث عن غطاء سياسي تستعمله للتنصل من سلطة المولى سليمان والاستمرار في بيع الحبوب للأوربيين عبر مرسى الدار البيضاء.

وبعد غياب دام سنتين تقريباً ظهر مولاي مَسلمة من جديد ليتخذ من شمال المغرب منطلقا لحركته ضد مولاي سليمان. ومرة أخرى يُراهن مَسلمة على قبائل جبالة في محاولة لاقتحام مدينة تطاون. واستمر حصاره لهذه المدينة طوال صيف 1795 قبل أن تطرده جيوش مولاي سليمان في أكتوبر من نفس السنة.

وبعد هذه المحاولة الفاشلة في سنة 1795 انسحب مولاي مَسلمة إلى المشرق حيث التقى بنابليون عقب غزوه لمصر في سنة 1797. ولا يستبعد أن يكون الفرنسيون قد منوه بالرجوع إلى المغرب ليستعملوه ضد المولى سليمان الذي اتهمه نابليون بالانحياز إلى الإنجليز في الحروب التي دارت بين فرنسا وانجلترا عند نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. وانتهى الأمر بمولاي مَسلمة إلى الاستقرار بتونس.

توفي في جمادى الثانية من عام 1250 / 1834.

محمد الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الرباط، 1986 ؛ محمد أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مراكش، دون تاريخ، ج 2.

محمد المنصور

**مسمرير**، مقاطعة إدارية تنتمي إلى إقليم ورزازات وتكون حدوده الشمالية الشرقية مع إقليم الرشيدية. جغرافيا، تقع المقاطعة في مجال جبلي ينتمي إلى السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط وإلى عالية حوض وادي دادس (أسيف - ن - إمضغاس) على ارتفاع يصل ما بين 2100 و2200م، وتعرف المنطقة مناخا قاريا جبليا يتميز بقلة الأمطار وعدم انتظامها حيث لا يتجاوز معدلها السنوي 232مم بينما وصل أقصاها 469 مم وأدناها 44 مم. ويشتد البرد خلال فصل الشتاء وتسقط الثلوج، بينما تعتدل الحرارة أثناء الصيف رغم إمكانية ظهور عواصف رعدية قوية، مما يجعل اقتصاد المنطقة يميل أساسا نحو تربية الماشية الصغيرة تربية واسعة تعتمد على الانتجاع. أما المجالات الصالحة للزراعة فتتركز حول المجاري المائية لتستفيد من السقي. وقد أقيم سد تلي على وادي أوسكيس للتحكم في الفيضانات

وتنظيم السقي، لكنه لم يؤد إلى عصرنة القطاع أو تحديثه. ونظراً للحدود التي تفرضها قساوة البرد فالإنتاج الزراعي، باستثناء الخضر، يتوقف على محصول واحد من الحبوب سنويا، وقد أدخلت محاصيل جديدة إلى المنطقة أهمها القمح والبطاطس والتفاح، واستطاع المحصولان الأخيران غزو الأسواق المحلية والوطنية ليصلا إلى المدن الكبرى كالدار البيضاء وأكادير والرباط. أما الأشجار الأخرى، فباستثناء الجوز فإنها تخشى البرودة.

ويطلق اسم مسمرير أيضا على مركز المقاطعة ويعتبر مع ملحقته بتلمي من التجمعات القروية التي أنشئت أثناء التوغل الاستعماري بالمنطقة، لكنه لم يستطع أن يرقى إلى مستوى المراكز الحضرية الأخرى نظراً لموقعه الجبلي والهامشي بالنسبة للمحاور الطرقية الرئيسية. فسوق السبت بمسمرير وسوق الخميس بتلمي ظلا محليين ومحدودي الإشعاع وضعيفي التجهيزات. المركز، رغم أقدمية نشأته، ظل محدود التجهيزات حيث لم يتجاوز المكاتب الإدارية والتقنية الأساسية وبعض التجهيزات الضرورية (القيادة، دار الجماعة القروية، إدارة الدرك، المركز الفلاحي، المركز الصحي، مدرسة وإعدادية).

ظلت المقاطعة وإلى عهد قريب معزولة عن باقي مناطق المغرب ولا يربطها بالخارج إلا المحور الثلاثي رقم 6905 الرابط بين المركز ومقر الدائرة (بومالن دادس) عبر منعرجات وخوانق وادي دادس الضيقة. ورغم أن هذا الطريق عبد مؤخراً، ورغم ما تزخر به المنطقة من إمكانات سياحية هامة، فإن انعدام التجهيزات التحتية الضرورية كالإيصال بالشبكة الوطنية للكهرباء جعل حدا لنموها الطبيعي واندماجها في المنظومة الوطنية.

تشغل مجال المقاطعة عناصر من اتحادية آيت يافلمان أهمها قبائل آيت حديدو وتمثل حوالي 33,2% وقبائل آيت مرغاد وتمثل حوالي 26,6% وعناصر من كنفدرالية آيت عطا على طول وادي أوسكيس وحول المركز الإداري (آيت بو يكنيفن وآيت يعزّى وآيت أونير) وتمثل قرابة 40,2٪ من السكان.

إن محدودية الموارد وتزايد السكان بشكل مطرد وتهميش المنطقة على مستوى التدخلات التنموية (انعدام الأنشطة المنتجة، محدودية التجهيزات الاجتماعية والاقتصادية...)، أدى إلى نزوح قوي للسكان أساسا نحو المدن. إذ يتجه المنحدرون من العنصر العطاوي أساسا نحو أوراش البناء والتجارة (حوالي 50 مقاولة) بينما يتجه المنحدرون من آيت مرغاد وآيت حديدو نحو الوظائف الصغيرة والمتوسطة كالجندية وأعوان السلطة أو نحو أوراش البناء، مما نتج عنه إفراغ للمنطقة حيث لم يتجاوز معدل الزيادة السنوية للسكان 0,39٪ خلال الفترة الفاصلة بين إحصاءي 1960 و1994.

Mohamed Aït Hamza, *Mobilité socio-spatiale et développement local au sud de l'Atlas marocain* (Dadès-Todgha), Thèse de géographie sociale, Faculté de Lettres de Rabat,Heft 13, Maghreb Studien, Passau, 2002 ; Division de la cartographie, 1968, *Carte de Tinghir au 1/100 000, feuille NH-30-XIX-3* ; Direction de la Statistique Rabat : *Recensement général, 1960, 1971, 1982 et 1994.*

محمد أيت حمزة

**المسناوي، أحمد** ولد يوم 18 شتنبر 1926 بالرباط، وتابع دراسته الابتدائية بمدرسة أبناء الأعيان ثم الثانوية بثانوية مولاي يوسف من سنة 1939 إلى 1947.

درس السينما أولاً بالمراسلة ثم هاجر إلى فرنسا سنة 1948 لتلقي تدريب في التصوير السينمائي، فكان أول سينمائي مغربي يتلقى تكوينا ميدانيا خارج الوطن وأول مغربي يشتري من ماله الخاص عدسة زوم من فرنسا ليشتغل بها فور عودته إلى المغرب، وهكذا تتوالى أولياته على النحو التالي :

1951 : أول مغربي شارك في تدريب سينمائي نظمه المركز السينمائي المغربي في عهد الاستعمار (شعبة الإخراج والتصوير) بعين خرزوزة بإقليم إفران، وحصل هناك على جائزة خاصة من طرف اللجنة الفرنسية المنظمة للتدريب عن الشريط الذي أنجزه بخصوص هذا الأخير.

1952 : أسس أول جمعية سينمائية وطنية : "جمعية أصدقاء سينما الهواة" متخذا من بيته مقراً لها وكان من بين أعضائها : العربي بناني ـ عبد الكبير العلوي ـ عمر غنام ـ مصطفى الزعيمي ...

1955 : أول اقتباس مسرحي إلى السينما تم على يديه بتحويله لمسرحية "حلاق إشبيلية" لموليير إلى فيلم بعنوان : "الحلاق الثرثار".

1956 : أول عربي درس ببلد عربي هو مصر، حيث تلقى تكوينا في شعبة الإخراج بالمركز السمعي البصري الدولي "سيرس إليان" صحبة المخرج عمر غنام.

1968 : يعتبر أول فيلم طويل له "الحياة كفاح" الذي وقعه بالاشتراك مع محمد التازي ولعب بطولته الفنان عبد الوهاب الدكالي، أول فيلم غنائي مغربي استعراضي، كما أنه أول فيلم روائي طويل ينتجه المركز السينمائي المغربي.

1968 : أول مغربي ينجز فيلماً بالرسوم المتحركة رسما وإخراجاً تحت عنوان : "عاشور يذهب إلى الحرب" أو "عمر المختار الصغير" لفائدة مؤسسة الخيالة الليبية.

ـ أدار أول تدريب سينمائي بالمركز السينمائي المغربي لتكوين عدد من أطر القوات المسلحة الملكية ـ الفوج الأول ـ في شعب : الإخراج والتصوير والمونطاج والصوت.

ـ كما كان للرجل اهتمام بعلم التنجيم والفلك، وقد أصدر في هذا الشأن عدداً من البطاقات البريدية تحمل رموزاً للأبراج ودلالاتها قام برسمها وتخطيطها بنفسه (10 آلاف نسخة) لكنها بقيت حبيسة إحدى المطابع بالمحمدية لعدم تمكنه من سداد واجبات السحب كاملة.

- اهتم أيضاً بفن الرسم، وسبق أن عرضت عينة من لوحاته بملتقى السينما الإفريقية الثالث بخريبكة عام 1988،

إلا أن أهم أولية تحسب لأحمد المسناوي على المستوى النضالي إبان الفترة الاستعمارية إخراجه لأول فيلم وثائقي متوسط الطول (50 دقيقة) حول الملك الراحل محمد الخامس تحت عنوان "رسول الحرية سنة 1953، رغم المراقبة الفرنسية وحظرها لكل عمل فني يمجد العائلة الملكية وكفاح الشعب المغربي.

فيلمغرافية أحمد المسناوي :

1949 : *"منبع الفن المغاربي"*، وثائقي قصير

1953 : *"رسول الحرية"*، وثائقي متوسط الطول

1955 : *"الحلاق الثرثار"*، وثائقي متوسط الطول

1962 : *"منبع النور"*، وثائقي قصير عن الديار المقدسة

1964 : *"وردة الجنوب"* - *"زيارة جمال عبد الناصر"* - *"الفن التشكيلي المغربي"*، وثائقية قصيرة.

1956 : *"أگادير البيضاء"*، وثائقي قصير

1967 : *"رجال ونخيل"*، وثائقي قصير

1967 : *"أطياف من خيوط الذهب"*، وثائقي قصير بالألوان حول الزي المغربي، حيث اكتشف فيه لأول مرة الممثلة المغربية ليلى الشنة، التي سيسند لها دور البطولة أيضاً في فيلم *"الحياة كفاح"*، إلى جانب عبد الوهاب الدكالي. ومن هنا كانت انطلاقتها إلى عالم السينما كممثلة، حيث ستتقلد دور البطولة في فيلم *"وقائع سنوات الجمر"* لمحمد الأخضر حامينا الجزائري.

1968 : *"الحياة كفاح"*، روائي طويل بالاشتراك مع محمد التازي

1969 : *"فخارو أسفي"*، *"ركوض في الشمس"*، وثائقيان قصيران

1971 : *"الربيع الدائم"*، وثائقي قصير

1976 : *"مغربة الصحراء"*، وثائقي قصير

1982 : *"في الطريق"*، وثائقي قصير

1983 : *"عاشور يذهب إلى الحرب"* أو *"عمر المختار الصغير"*، رسوم متحركة

1984 : *"المركب الرياضي مولاي عبد الله"*، وثائقي قصير

شارك فيلم *"مغربة الصحراء"* في مهرجان إستنبول بتركيا وطشقند بالاتحاد السوفياتي سنة 1976 وترجم إلى الإسبانية والفرنسية والإنجليزية، كما شارك *"وردة الجنوب"* في مهرجان ليزيبك بألمانيا سنة إنتاجه.

وبهذا يكون أحمد المسناوي قد شهر كاميراته للنضال إبان العهد الاستعماري وبعده. ولم يتوقف نشاطه إلا فترة وجيزة قبيل إحالته على التقاعد التام سنة 1986 حيث كان موظفاً بالمركز السينمائي المغربي، وأنجز طيلة حياته الإدارية عدداً وفيراً من الربورطاجات والأنباء المصورة والأفلام الوثائقية، كما اشتغل لمدة 5 سنوات بوزارة الشبيبة والرياضة.

لم يحظ أحمد المسناوي بأي تكريم وطني، وكان من المفترض أن يتم تكريمه بملتقى خريبگة المذكور، لكنه مر باهتاً ولم ينتبه له أحد باستثناء اللوحات التي عرضت له هناك، كما استدعي إلى المهرجان الوطني الرابع للسينما بطنجة سنة 1995 لنفس الغرض ولأسباب مجهولة أيضاً ألغي التكريم ؟ وظل الرجل عاديا مثله مثل بقية المدعوين بل لم يتعرف عليه الكثيرون، ثم عاد ليجتر محنته وآلام مرضه.

توفي سنة بعد ذلك في 17 ماي 1996 بمدينة الرباط مسقط رأسه.

خالد الخضري

**مسواك**، أسرة شريفة، تنحدر من ذرية عبد الرحيم بن عبد الرحمان النازل بفجيج، والقادم إليها من غرناطة التي استوطنها، وكان له بها عقب كثير ؛ وقد انتقل بعض أفراد هذه الأسرة إلى تلمسان، ومنها إلى فاس وذلك منذ القرن الثامن الهجري حيث حظيت بظهائر التوقير والاحترام من طرف ملوك الدولة العلوية، وخاصة سيدي محمد بن عبد الله، والمولى الحسن.

وتوجد أسرة مسواك - اليوم - في مدن مغربية أخرى كوجدة والرباط وغيرهما، وهي تكاد تعد على رؤوس الأصابع، ولازال لها أبناء عمومة بتلمسان.

عبد الرحمن القباج

**مسواك، الهادي**، أحد القادة السابقين للحزب الشيوعي المغربي والطبيب الخاص للملك محمد الخامس. ولد بفاس يوم 15 أبريل 1930 في أسرة فقيرة مكونة من خمسة أطفال. درس بأحد الكتاتيب القرآنية، قبل أن يتابع دراسته الإبتدائية والثانوية باللغة الفرنسية في وجدة بعد انتقال أسرته إلى هذه المدينة. وغادر المغرب للالتحاق بكلية الطب في باريس في أكتوبر 1946. وهناك، خالط أوساط الطلبة المغاربة المنتمين إلى حزب الاستقلال الذي انخرط فيه بل وقاد عمله في أوساط المهاجرين المغاربة القاطنين في ضاحية

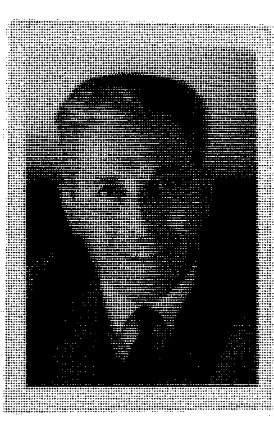

باريس الشمالية، وخاصة في بوبيني Bobigny وأوبيرفيليي Aubervilliers. لكن صلته بالحزب لم تطل، حيث انتقل إلى الحزب الشيوعي المغربي في صيف 1947، بعد اتصالاته بطلبة شيوعيين فرنسيين في باريس، ثم لقائه بمناضلين شيوعيين مغاربة أثناء العطل الأولى التي قضاها في المغرب. وبعد عودته إلى باريس، انفصل عن عبد الرحيم بوعبيد أحد الأطر الاستقلالية الشابة النشيطة هناك، وصار يتردد على مجموعة من الطلبة الشيوعيين المغاربة القاطنين هناك. وناضل من أجل الاستقلال من خلال جمعية طلبة المغرب L'Association des Etudiants du Maroc التي شارك في تأسيسها إلى جانب عبد الكريم بن عبد الله الطالب بالمدرسة المنجمية في باريس. وكان ضمن الوفد الذي استقبله السلطان سيدي محمد بن يوسف بقيادة علي يعته زعيم الحزب في سان ـ جرمان ـ أون ـ لي Saint-Germain-en-Laye يوم 8 نوفمبر 1955 من أجل تهنئته على "النصر الوطني الكبير" المتمثل في عودته إلى فرنسا كمحطة نحو عودته إلى المغرب. وصادف حصوله على الدكتوراه في الطب وانتهاؤه من التخصص في أمراض الأنف والحنجرة والأذن وعودته إلى الرباط عودة السلطان إلى عرشه ووطنه، فأصبح طبيبه الشخصي ورجل ثقته، في الوقت الذي واصل فيه نشاطه داخل الحزب الشيوعي المغربي الذي سرعان ما تعرض للمنع سنة 1958 . وكاد يروح ضحية لمحاولة اغتيال يوم 22أبريل 1956 ، كما حصل بالفعل لبعض رفاقه في الحزب مثل عبد الكريم بن عبد الله ومحمد السطي. واصل نشاطه داخل الحزب الشيوعي بصفته عضوا في مكتبه السياسي، بل وكان من أنشط عناصره القيادية النشيطة في مختلف هيئاته. فعلى سبيل المثال، تولى إدارة جريدة لا ناسيون *La Nation* نصف الشهرية التي صدر منها 29 عددا منها بين 25 أبريل 1958 و14 مارس 1959 ، إضافة إلى مساهمته الأساسية في رأس مال الشركة ذات المسؤولية المحدودة التي تأسست يوم 16 مارس 1964 تحت اسم Société Imprimerie et Editions Marocaines (SIMEDMA) ، وهي الشركة التي تكلفت بطباعة أدبيات الحزب وجرائده مثل المكافح والكفاح الوطني. وانكب على مزاولة مهنته كطبيب مختص في أمراض الأنف والحنجرة والأذن في كثير من المستشفيات، إضافة إلى التدريس في كلية الطب التي ساهم في إحداثها بالرباط، وفي غيرها من الكليات بالخارج. نشط في عدة هيئات وجمعيات مثل النقابة الوطنية للتعليم العالي والجمعية المغربية لمساندة الشعب الفلسطيني والجمعية المغربية للدفاع عن حقوق الإنسان، لكن ارتباطه بالحزب توقف في أواخر الستينيات من القرن العشرين، نظرا للاختلافات التي ظهرت في شأن المواقف الواجب اتخاذها في عدد من القضايا. ظل صاحب الترجمة يشغل منصب نائب عميد كلية الطب بالرباط، إلى أن توفاه الأجل المحتوم يوم 3 نوفمبر 1979 إثر أزمة قلبية.

*أمل*، عدد مزدوج 10 ـ 11، 1997، ص. 256 ؛ *الاتحاد الوطني*، 8 نوفمبر 1979 ؛ *الأحداث المغربية*، 29 دجنبر 1998 ؛ *العلم*، 11 سبتمبر 1986.

Albert Ayache, *Le mouvement syndical au Maroc*, t. II : *La marocanisation, 1943 - 1948*, Ed. Wallada Casablanca, 1990, p. 106 ; Albert Ayache (avec la collaboration de René Gallissot et de Georges Oved), *Dictionnaire biographique du monument ouvrier : Maghreb Maroc des origines à 1956*, coll. Jean Maitron, Ed. Eddif, Casablanca, 1998, p. 172-173 ; Latifa Akharbach, *La presse des partis politiques de gauche au Maroc (de l'indépendance à nos jours)*, Thèse pour le doctorat d'université en sciences de l'information et de la communication, Université de Droit d'Economie et des Sciences Sociales de Paris (Paris II), mai 1988, p. 103-111 ; Ali Yata, *Presse démocratique au Maroc : bilan et perspectives*, Ed. Al Bayane, Casablanca, s.d., p. 32 ; *Al Asas*, n° 25, nov. 1980, p. 48 ; *B.O.*, n° 2684, 8 avril 1964, p. 380 ; *Le Matin du Sahara*, 4, 5 et 7 nov. 1979 ; *La Nation*, n° 29, 14 mars 1959.

نجيب تقي

**المسيحية في المغرب**، يرجع وجود المسيحية في المغرب إلى الفترة الرومانية. وأقدم الشواهد الأثرية على ذلك في موريطانيا الطنجية تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد. وقد ازدهرت المسيحية بعد هذا التاريخ في معظم ربوع شمال إفريقيا بالرغم من كونها لم تهم إلا أقلية من السكان المحليين، في حين ظلت الأغلبية متمسكة بمعتقداتها القديمة المتأرجحة بين الوثنية واليهودية. ولقد كشفت الحفريات في موقع وليلي عن بعض البقايا الأثرية التي تؤرخ لهذه المرحلة. ولعل أوج المسيحية في المنطقة هو القرن الرابع الميلادي الذي برز فيه القديس أوغوسطين (354 ـ 430) كعلم من أعلام المسيحية في شمال إفريقيا.

غير أن هذا الازدهار لم يعمر طويلا، إذ دبت عناصر الضعف والتفرقة في أوساط المسيحيين نتيجة لغزو الوندال الآريين (القرن الخامس) ولتراجع الرومنة ولعوامل أخرى مختلفة، مما مهد السبيل لدخول الإسلام إلى هذه الديار ابتداء من القرن السابع الميلادي. وربما انقرضت بقايا المسيحية في المغرب الأقصى بسرعة في عهد الأدارسة ولم تصمد طويلا كما حصل في المغرب الأوسط وإفريقية حيث كانت أكثر تجذرا واستمر بعض السكان المحليين متشبثين بها، ولو بصفة سرية، عدة قرون أخرى.

ظهرت المسيحية من جديد في المغرب ابتداء في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ولكن هذه المرة في أوساط الجالية الأوربية من التجار والمرتزقة الذين استقر بهم المقام في المغرب. ولعل أهم حدث ميز هذه الفترة هو مقتل خمسة من الرهبان في مراكش كانوا قد وفدوا إلى المغرب بإيعاز من "القديس فرانسوا" بنية تنصير السكان المحليين (1220). كما وفرت بعد ذلك الحروب القائمة في شبه الجزيرة الإيبرية بين المسلمين والنصارى فرصا لاستقدام عدد كبير من الأسرى المسيحيين إلى المغرب حيث كانوا يحتجزون حتى تتم فديتهم من لدن بلدانهم أو تحريرهم مقابل إطلاق سراح الأسرى المسلمين الذين كانوا يسقطون في أيدي النصارى. وفيما بين

القرنين الخامس عشر والتاسع عشر، استجدت أمور كان لها انعكاس على الوجود المسيحي في المغرب، وفي مقدمتها الاحتلال البرتغالي والإسباني لبعض الشواطئ المغربية، وتوقيع المغرب على اتفاقيات مع بعض الدول المسيحية (الدنمارك وإسبانيا وفرنسا وبريطانيا والبلاد المنخفضة...) والتي وسعت في المغرب هامش الحرية بالنسبة لرجال الدين المسيحيين وللتجار الأوربيين. وقد استفاد الفرانسيسكان الإسبان من هذا الانفتاح وجعلوا المغرب في مقدمة مجالات نشاطهم التنصيري.

لم يكن التنصير حكرا على الفرانسيسكان الكاثوليك، فربما كان البروتستانت أكثر اندفاعا في مشاريعهم. ففي الثمانينات من القرن التاسع عشر، استهدف نشاطهم الطائفة اليهودية في السويرة وكاد الأمر يتحول إلى فتنة في المدينة. واستاء أحبار اليهود وأعيانهم لذلك، فاستغاثوا بالسلطان الذي عمل بتنسيق مع المفوضيات الأجنبية على طرد المبشرين البروتستانت من المغرب. لكن ذلك لم يحل دون وصول مبشرين جدد إلى مناطق أخرى من البلاد، يفرقون نسخا من الإنجيل باللغتين العربية والأمازيغية ويدعون إلى اعتناق المسيحية بإغراءات مادية.

لم يكن للحركة التنصيرية في المغرب أي أثر جلي على أرض الواقع. ولما نجحت فرنسا في فرض هيمنتها الاستعمارية على المخزن المغربي في سنة 1912، قام نزاع بينها وبين إسبانيا حول من يتولى شؤون المسيحية في المغرب المحتل. وقد استمر هذا النزاع حتى مستهل العشرينات لكون الفاتيكان لم يسارع إلى مساندة مطالب فرنسا التي اختارت فصل الدين عن الدولة منذ سنة 1905، مما أحدث منذ ذلك الحين قطيعة بينها وبين البابوية. ولم تبذل البابوية مساعيها لتقسيم النفوذ بين الفرنسيين والإسبان في الحقل الديني بالمغرب إلا بعد مفاوضات عسيرة وطويلة بين باريس وروما. وآنئذ فقط تم فتح أسقفية في الرباط وتعيين ممثل للبابا فيها. وبعدها بدأت مرحلة جديدة تميزت برجحان كفة الفرانسيكان الفرنسيين على حساب إخوانهم الإسبان. وقد ترجم ذلك على أرض الواقع بنهج الأسقفية لخطة تنصيرية مفرطة يمكن الوقوف على بعض تجلياتها في مقالات مجلة *"لوماروك كاثوليك"* (المغرب الكاثوليكي) ابتداء من عام 1921، وكذا في السياسة العامة التي سار عليها الأسقف هنري فييل منذ تاريخ تعيينه في الرباط سنة 1928 إلى وفاته سنة 1946. ولم تكن مصالح الأسقفية في تجانس تام مع سياسة الإقامة العامة الحريصة على عدم إثارة مشاعر المسلمين ضدها. أما الحركة الوطنية المغربية الناشئة، فقد ناصبت الأسقفية العداء، خاصة بعد أن نجح الفرانسيسكان في استمالة طالب مغربي كان يتابع دراسته الجامعية في باريس (محمد بن عبد الجليل) وجعله يعتنق الديانة المسيحية. وازداد هذا العداء حدة بعد أن تبين للعيان الدور الذي كان لبعض رجال الدين المسيحيين في استصدار ظهير 16 ماي 1930 الرامي إلى جعل الأمازيغ في منأى عن أحكام الشرع الإسلامي.

ولما تزامنت نهاية مأمورية الأسقف هنري فييل مع مستجدات خطيرة على الساحة المغربية والدولية، وفي مقدمتها انطلاق حركة تصفية الاستعمار ونشوب الحرب الباردة، اهتدت البابوية إلى نهج سياسة جديدة تجاه المجتمعات الإسلامية. وتجسد ذلك فيما يخص المغرب في النهج الذي سار عليه أميدي لوفيفر الذي خلف هنري فييل في أسقفية الرباط. ويمكن تلخيص هذا التوجه في التخلي عن المحاولات التنصيرية في أوساط السكان المحليين وفي التعاطف مع تطلع المغاربة إلى الاستقلال. وإذا كانت هذه السياسة قد أثارت استهجان وتذمر المعمرين الغلاة، فإنها على العكس من ذلك لقيت التقدير والإعجاب من لدن المغاربة المسلمين، وفي مقدمتهم السلطان سيدي محمد بن يوسف الذي أنعم على الأسقف أميدي لوفيفر بوسام علوي.

بعد استقلال المغرب، تقلصت شيئا فشيئا الأهمية العددية للجالية الأوربية المسيحية المقيمة في المغرب، وتقلصت معها أعداد الأديرة والكنائس والمدارس الدينية. فقد تم تحويل عدد منها إلى مرافق صحية وثقافية ورياضية. وفي إطار الاحترام المتبادل، تحول بعضها الآخر لمدة من الزمن إلى فضاء للحوار البناء بين النخبة المسلمة ومثيلتها المسيحية. فذلك كان شأن دير فرقة البينيديكتيين في توмليلين بالقرب من أزرو والتي تردد عليها من المغاربة والفرنسيين في أواخر الخمسينات شخصيات معروفة مثل الأميرة للاعائشة والمهدي بنبركة ولوي مسينيون. ولما كان لكل وضعية جديدة قانونها الخاص، فقد صدرت في *الجريدة الرسمية* بتاريخ 19 دجنبر 1985 مقتضيات تؤطر لنشاط الكنيسة بالغرب في ظل المغرب المستقل. وقد سبق ذلك بشهور الزيارة التي قام بها البابا يوحنا بولس الثاني للمغرب (غشت 1985)، وهي أولى زيارة من نوعها يقوم بها رئيس الكنيسة الكاثوليكية لدولة إسلامية لا تعيش في كنفها أقلية مسيحية محلية.

Pierre de Cenival, “L’église chrétienne de Marrakech au XIIIème siècle”, in *Hespéris*, t. VII. 1927, 1er trim., p. 69-83 ; François d’Angers, *L’histoire des Pères capucins de la province de Touraine au Maroc, 1624-1636,* Archives Générales de l’Ordre des capucins, Rome, 1888 ; Guilaume Matringe, “Eglise chrétienne en terre d’Islam (Essai sur la liberté du culte et la pratique religieuse au Maroc depuis le 12ème siècle), in *Etudes d’Histoire du Droit Canonique dédiées à Gabriel Le Bras*, Sirey, 1965, t. I ; Jamaâ Baïda et Vincent Feroldi, *Présence chrétienne au Maroc (XIXème-XXème siècles*, éd. Bouregreg, Rabat, 2005.

جامع بيضا

**المسيد** ، الكلمة تحريف لمسجد، ويكثر استعمالها بصفة خاصة في المدن العتيقة الكبرى خاصة في شمال المغرب، ابتداءً، من مدينتي الرباط وسلا وتطلق على المكان المخصص لتعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة وحفظ

القرآن الكريم، ولم يكن اللفظ "مسيد" معروفاً ولا شائعا في المغرب قبل القرن السادس عشر الميلادي، فقد ورد في النصوص التاريخية أسماء أخرى لمكان تعليم الأطفال.

تختلف تسمية المسيد من مكان إلى آخر في المغرب والأكثر شيوعاً مصطلح "الجَّامع" ويشتق المكان اسمه من المسجد لارتباطه الوثيق به في المدن والقرى حيث تلحق ببناية المسجد غرفة أو غرف لتعليم الأطفال ؛ تستعمل للصلاة وللتعليم وللاحتفال بالأعياد الدينية ؛ وفي المناطق الجافة وشبه الجافة يكون المسيد في الهواء الطلق تحت دوحة أو بجانب بناية أو جدار، ونفس الظاهرة تسود في البوادي والقرى إبان الفصول المعتدلة الربيع والخريف وأحياناً في فصل الصيف.

والمسيد كمؤسسة تقليدية للتربية كانت له الأهمية البارزة في المجتمع المغربي ولا نكاد نجد مثقفاً أو إطاراً أو مسؤولاً إلا وكانت بداية دراسته وتربيته في المسيد (الجامع) سواء في العصور الوسطى أو في التاريخ المعاصر وإلى الستينيات من القرن الماضي، وبحصول المغرب على الاستقلال عم التعليم العصري، ولم يبق للمسيد دور إلا في بعض الجهات العريقة في شمال المغرب (جبالة) وفي جنوبه (سوس).

مؤسسة "المسيد" (الجامع) كانت تحت إشراف القبائل والعشائر والعائلات في البوادي، وتحت إشراف الدرب أو الحومة في المدن والقرى ولا دخل للمخزن فيها وكانت تنتقي "الفقيه أو الشيخ" المعلم وتعقد معه اتفاقية مبنية على شروط وحقوق وواجبات، ولا يتم "اشتراط" (تشغيل) إلا الفقيه الجيد علماً وأخلاقاً.

يرتبط المسيد بالمرحلة التعليمية الأولية والابتدائية التي تنتهي بتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ينتقل بعدها "المحضار" أو الطالب حسب قدرته وطاقته وإمكانيات أسرته إلى المرحلة الموالية التي "توازي التعليم الثانوي" فيصبح فيها الطالب "مسافراً" يطوف بمختلف الزوايا والمدارس العلمية الدينية ويحصل على تكوينات (إجازات) في مختلف العلوم الدينية الإسلامية واللغة لينتهي به المطاف - ودائماً حسب القدرة والاستطاعة وإمكانيات الأسرة - إلى ما يوازي التعليم العالي مع القرويين أو في مدرسة ابن يوسف بمراكش أو ما يماثلها داخل البلاد وخارجها.

وبخصوص صاحب المسيد (الفقيه أو الشيخ أو المعلم) وكلها أسماء متداولة إلى اليوم كانت أجرته في البادية وفي القرى وفي الأحياء الشعبية في بعض المدن تنقسم إلى قسمين حسب "الشرط" مواد عينية ومواد نقدية بالإضافة إلى "العولة" وفي المدن كانت محددة في قيمة نقدية أسبوعية إضافة إلى الهدايا و"العولة" اليومية.

"يتقاضى المعلمون في مدارس الأطفال أجراً زهيداً (في الكتاب)، لكن عندما يصل الطفل إلى بعض السور القرآنية يكون على أبيه أن يقدم للمعلم هدية من الهدايا، وبعد ختام المرحلة وحفظ الطفل للقرآن تقام حفلة كبرى يتلقى خلالها المعلم الهدايا من أصدقاء والد الطفل كما يقدم له الطفل كسوة جديدة ؛ ومورد آخر للمعلم هو الشمع ؛ في ليلة عيد المولد يحضر كل تلميذ شمعة ويحمل بعضهم شمعة تزن (30 رطلاً) فيبيع المعلم من الشمع ما قيمته 100 مثقال أو أكثر بحسب عدد التلاميذ ..."

أما التعليم الذي يوازي التعليم الثانوي والعالي فالوزان يتحدث عنه في فترة تدهوره ومع ذلك لا مجال للمقارنة بين الأجور : "... ولم يبق إلا مدخول بسيط يمكن من الاحتفاظ بالأساتذة الذين يتعاطى بعضهم مائتي مثقال وبعضهم مائة وبعضهم أقل من ذلك ..." "وللإشارة فالمثقال المريني كان يساوي قرابة 4 جرامات من الذهب".

التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ ابن تومرت، *أعز ما يطلب* ؛ البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت* ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، 1980 ؛ *المقبس من الأنساب* ؛ الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ الضعيف، *تاريخ*.

محمد حجاج الطويل

**المسيرة الخضراء**، منذ حصول استقلال المناطق الخاضعة للحماية الفرنسية بعد مفاوضات دامت من أواخر 1955 إلى بداية 1956 والإسبانية أبريل 1956 ومدينة طنجة الخاضعة لنظام دولي أكتوبر 1956، ظل المغرب يطالب باستكمال استقلاله باسترجاع باقي أراضيه التي اقتطعت منه وخضعت للاستعمار أو ضمت إلى الدول المجاورة : أسبانيا والجزائر وموريطانيا في ظروف تاريخية وسياسية ملتبسة. ففي أكتوبر 1956 أثار مندوب المغرب لدى مجلس الوصاية في هيئة الأمم المتحدة قضية السيادة المغربية على المناطق الصحراوية، ولم يكفّ بعد ذلك عن مطالبة أسبانيا باسترجاع مدينتي سبتة ومليلية وتوابعهما من الجزر الصغيرة والصحراء الغربية وسيدي إفني وأراضيه بالصحاري الجنوبية الشرقية : توات، والساورة والدورة وتندوف التي ضمتها السلطات الاستعمارية إلى الجزائر باعتبار أنها ستبقى بها إلى الأبد كأقاليم فرنسا في ما وراء البحر. وقد ترتب : عن ذلك مشاكل ومناوشات مع الجزائر بعد استقلالها : حادثة حاسي بيضاء وحاسي الرمل في أكتوبر 1963.

وفي نونبر 1957 قامت مناوشات بين القوات الأسبانية المحتلة لسيدي إفني وبين مجموعة قبلية من آيت باعمران التي قامت بمبادرة للتعجيل باستقلالها وضمها إلى المغرب، أدت إلى مفاوضات بين المغرب وأسبانيا، ترتب عنها استرجاع إقليم طرفاية أبريل 1958. وفي يونيو 1966 طلب المغرب من لجنة تصفية الاستعمار التابعة لهيئة الأمم المتحدة تطبيق مبدأ تقرير المصير على الأراضي المغربية المحتلة من طرف أسبانيا أي سيدي إفني والصحراء الغربية وتوجت هذه الجهود في 30 مارس 1969 باسترجاع منطقة سيدي إفني.

وظل المغرب يطالب بالتعجيل باسترجاع صحرائه الغربية لكن أسبانيا أقدمت سنة 1967 على منحها استقلالا ذاتيا. رفض المغرب هذا الإجراء الهادف إلى فصل صحرائه عنه وظل مواظبا على المطالبة بحقه والقيام بحملات دبلوماسية. لكن أسبانيا أصرت على موقفها وفي يناير 1974 أقامت حكومة محلية بصحرائه الغربية وأحصت سكانها لأول مرة في التاريخ فكان عددهم آنذاك 74000 نسمة فقام المغرب بحملة دبلوماسية ساندتها الأحزاب والجماهير الشعبية فتصدرت هذه القضية الأحداث الدولية وتعبأ لها المغاربة واستقبل الحسن الثاني بأگادير 54 ممثلا للصحراء الغربية وقامت مظاهرات بها أعلن فيها الصحراويون مغربيتهم. وطلب المغرب تحكيما دوليا في الموضوع فأقرت محكمة العدل الدولية بلاهاي على طلب المغرب بتبعية الصحراء الغربية للمغرب وأكدت حقيقة الروابط القائمة منذ قرون بين سكان الصحراء وملوك الأسرة العلوية. وللفت أنظار العالم إلى مطالب المغرب الوطنية وتوجيه حماس المواطنين لخدمة القضية، أقدم الملك الحسن الثاني على مبادرة وطنية حكيمة لتأكيد حق المغرب وعزمه على استرجاع صحرائه ألا وهي تنظيم مسيرة خضراء سلمية شارك فيها 350.000 مواطن من بينهم 35.000 امرأة. واختير المتطوعون من كل أقاليم المغرب من مختلف الأوساط الاجتماعية وجميع الحرف، وسرعان ما تآلفوا وتفاهموا في جو من الوطنية والحماس وحب المشاركة والاكتشاف (وقد اختير هذا الرقم لأنه يعادل النمو السنوي لساكنة المغرب) ونودي لذلك خطاب رسمي موجه إلى الشعب في 6 أكتوبر 1975. وخلفت المبادرة صدا عالميا وأقبل على تغطيتها مئات الصحفيين الدوليين. وسبق الإعلان تهيئ سري دام عدة أشهر تم خلاله تكوين 700 إطار لتأطير المشاركين وتهيئ وسائل مادية مهمة إذ وضعت رهن المشاركين 8000 شاحنة و200 سيارة إسعاف و113 رحلة قطار و6000 سيارة متنوعة ومئات من رحلات طائرات س 130 ووضع عشرات الآلاف من أطنان المياه والأطعمة والوقود في متناول المشاركين سواء بطريقهم أو عند مخيم تجمعهم قرب حدود الصحراء الغربية، كما زودوا بعشرات آلاف الخيام والأغطية والرايات المغربية والمصاحف، وانضم إليهم عدد من الموظفين السامين والتقنيين وأطر إدارية وأطباء ومراقبي أمن... وتجمع المشاركون في مخيمات قرب الحدود وفي 5 نونبر 1975 أعطى الملك إشارة الانطلاق فتقدمت الجماهير واخترقت الحدود حاملة الراية والقرآن أمام القوات الإسبانية التي لم تحرك ساكنا. وبعد توغلهم بمسافة 19 كلم صدر الأمر بالوقوف. بعد أن سجل العالم إرادة المغاربة وإصرارهم على استرجاع حقوقهم الوطنية. وقبلت أسبانيا تحت ضغط الدول العظمى والصديقة مبدأ المفاوضات حول مصير الصحراء، فأمر الملك المتطوعين بالعودة إلى منطلقهم. وبعد أيام شرع الساسة المغاربة في المفاوضات مع إسبانيا وموريطانيا التي كانت لها هي الأخرى مطالب إقليمية بالصحراء الغربية. ورجع المتطوعون إلى ديارهم مفعمين بفرح النصر وإحساس

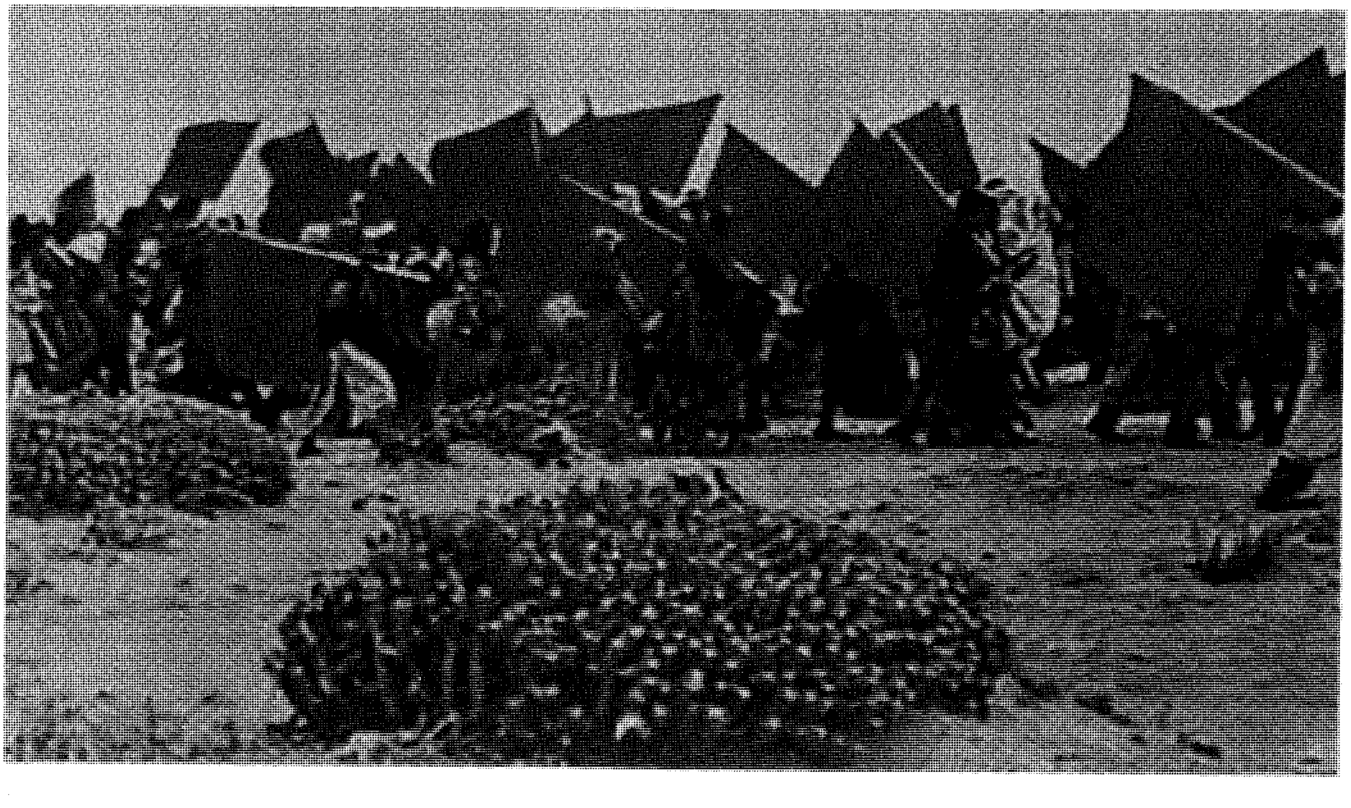

قوي بالوطنية المغربية. وأمضيت معاهدة مدريد يوم 14 نونبر 1975 وصادقت عليها الجمعية العامة للأمم المتحدة. ووضعت الصحراء الغربية تحت الإدارة المغربية فحل عامل مغربي هو السيد أحمد بن سودة بمدينة العيون، وصوت مجلس الجماعة هنالك بالإجماع على عودة الصحراء إلى الوطن الأصل. وأقيم حفل تسليم السلط من لدن إسبانيا إلى المغرب وبذلك انتهت الملحمة.

هكذا استعاد المغرب جزءاً مهما من صحرائه وهي الساقية الحمراء التي احتلها الإسبان منذ 1884. واضطلع الموظفون والجنود المغاربة بالمحافظة على الأمن وتسيير الأمور إلى جانب عدد من مراقبي الأمم المتحدة. وتسلمت موريتانيا إقليم وادي الذهب بناء على أوفاق محكمة العدل الدولية ومعاهدة مدريد. لكن الجزائر التي احتضنت حركة سياسية صحراوية لتحرير الصحراء هي حزب البولزاريو. قدمت له مساعدات سياسية وعسكرية مهمة لتنفيذ مخططاتها السياسية بالصحراء بهدف إقامة نظام سياسي موالٍ لها يمنحها واجهة على المحيط الأطلنتيكي استقبلت معارضين صحراويين وموريتانيين وأنشأت لهم قاعدة مقاومة مسلحة بمدينة تندوف قرب حدود الصحراء الغربية وأعلنت منظمة البوليزاريو بها قيام دولة وهمية تحت اسم الجمهورية العربية الصحراوية الديموقراطية في 27 فبراير 1976، وشنت هجومات مسلحة على الحدود المغربية. وانضم إليها عدد من المهاجرين من صحاري موريطانيا ومالي والجزائر الذين اقتلعت جذورهم من أرضهم بسبب استفحال الجفاف. وهناك دول أخرى تقدم الدعم والمساعدة الغذائية والأسلحة بالإضافة إلى الجزائر لمناهضة مطامح المغرب جراء انعكاسات الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي الذي انحازت إليه الجزائر والرأسمالي الليبيرالي الذي يجتذب المغرب. أدى إلى إشعال نار الفتنة وانعدام الأمن ببعض المناطق الصحراوية خاصة المجاورة لحدود الجزائر. وترتب عن هذه الاضطرابات انقلاب عسكري بموريطانيا أطاح برئيس الجمهورية أحمد ولد دادة مما دفع حكومتها الجديدة إلى التخلي عن إقليم وادي الذهب فاسترجعه المغرب فورا وحل ممثلو سكانه بالرباط يوم 14 غشت 1979 لتقديم الولاء إلى العرش المغربي، وبذلك استكمل المغرب وحدته الترابية بضم كل صحرائه الغربية البالغ مساحتها 252000 كلم2 تمثل 35٪ من مساحة المغرب البالغة حاليا 710.000 كلم2 . وقد عرفت المدن والأقاليم الساحلية نموا عمرانيا وازدهارا اقتصاديا كبيرا لانتعاش أنشطة الصيد البحري إقامة البنية التحتية والأحياء السكنية وتزويد المدن بالماء الشروب المعتمد أساسا على تحلية مياه البحر، مما انعكس على النمو العمراني والديموغرافي فارتفع سكان الأقاليم الصحراوية إلى 163.868 ن سنة 1982، وعددهم يفوق اليوم ربع مليون (2005).

ظلت كومة البوليزاريو تطالب باستقلال الصحراء بعد أن عقدت هدنة مع المغرب. وفي سنة 1981 اقترح الحسن الثاني في جمع دول منظمة الوحدة الإفريقية بنيروبي إجراء استفتاء تكلفت به هيئة الأمم المتحدة تاريخه ظل يؤجل لعدم اتفاق حكومة المغرب ومنظمة البوليزاريو على تحديد من لهم حق المشاركة في الاستفتاء لأن هذه الأخيرة ترفض دمج عدد من السكان الصحراويين الأصليين المقيمين بها أو بالمغرب ولم يشملهم الإحصاء الأسباني سنة 1974 ويقدمون بدلهم لاجئين تدفقوا على تندوف من مختلف أرجاء الصحراء الكبرى. وبعد اقتناع الكثير من الدول الإفريقية بعدالة قضية المغرب وتخليهم عن تأييد جمهورية الصحراء الوهمية وفشل الأمم المتحدة في الاستفتاء ظهرت في الأفق السياسي الوطني والعالمي صيغة أخرى لحل مشكل مطالب البوليزاريو بدولة مستقلة في الصحراء تدعو إلى مفاوضات مباشرة بين الطرفين ورجوع اللاجئين بتندوف الذين ينتسبون قانونا إلى أسر كانت تقطن بالصحراء، ومنح ممثلي سكان هذا الإقليم مزيدا من المسؤولية في إدارة الشؤون الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في إطار إدارة جهوية لامركزية تعطي للسكان صلاحيات واسعة لمعالجة شؤونهم بأنفسهم وإدارة إقليمهم عن طريق تمثيل ديموقراطي سليم. ولعل هذه الخطة هي التي ستحل المشكل لأنها تحافظ على وحدة أراضي المغرب وترضي مطامح جميع الأطراف خاصة وان انتهاء الحرب الباردة ونمو مسلسل العولمة غيّر كثيرا من المعطيات السياسية والاقتصادية والفكرية.

العربي الصقلي، *مذكرات التراث المغربي*، ج 7، الرباط، 1986 ؛
عبد اللطيف بلبشير، *أطلس الحسن الثاني*، الرباط، 1991 ؛
مقتطفات من الصحف الوطنية : العلم، الاتحاد الاشتراكي، الأحداث المغربية.

أحمد هوزالي

**مسينيون، لوي** (1883 ـ 1962) Louis Massignon :

مستشرق فرنسي مشهور برسوخ قدميه في الدراسات الإسلامية والتراث الصوفي. ولد في منطقة فال دو مارن Val-de-marne سنة 1883 من أسرة معروفة بعطاءاتها في العلوم والفنون والسياسة، إذ كان جده مديراً لمختبر صيدلي، بينما اشتغل أبوه نقاشا ورساما، ونشط في حقل الدفاع عن حقوق الإنسان.

وبعد حصول لوي مسينيون على الباكالوريا في الآداب سنة 1900 ، وعلى الشهادة نفسها في العلوم سنة 1901، وعلى الإجازة في السنة ذاتها، قام بزيارة الجزائر سنة 1901، ثم المغرب سنة 1904 ، وهي السنة التي حصل فيها على دبلوم الدراسات العليا. وبعد ذلك اهتم بتاريخ مصر القديمة وبدراسة الآثار في بلاد الرافدين (1906 ـ 1908)، كما شغف بتعلم اللغة العربية وآدابها كأدوات بحث في الفلسفة الإسلامية. وفي سنة 1922 ، توج مساره الجامعي بشهادة الدكتوراة في الآداب. وأثناء قيامه بمهمة أثرية في العراق، بالقرب من كربلاء، تعرض للاعتقال من لدن الشرطة التركية

ولم يطلق سراحه إلا بفضل بعض أصدقائه العرب (1908). وكان لهذه المغامرة أثر في التوجه العقائدي للرجل، فساورته أولا رغبة في الالتحاق بشارل دوفوكو في صحراء الجزائر إذ كان معجبا ببساطة حياته وبعمق إيمانه الديني، ثم بعد ذلك تخلى عن الفكرة واستقر رأيه على استثمار معتقداته في الحقل الجامعي. فالتحق ابتداء من 1919 بقسم السوسيولوجيا الإسلامية في كوليج دوفرانس إلى جانب أحد رواد هذه المادة العلمية آنئذ والذي هو الفريد لوشاتوليي Alfred Le Chatelier. وفي إطار هذه الاهتمامات كلفه المقيم العام المارشال ليوطي سنة 1923 بإنجاز تحقيق حول التنظيم الحرفي في المغرب. وعلاوة على ذلك،انصبت جل انشغالاته العلمية على دراسة الديانات السماوية، محاولا سبر أغوارها والتعريف بقيمها المشتركة. وقد خلف في هذا الميدان مؤلفات عديدة ربما كان أشهرها على الإطلاق تلك المخصصة للحلاج (1922).

لم يقتصر نشاطه في المغرب على الاستجابة لطلب ليوطي المشار إليه أعلاه، بل تعداه إلى الاهتمام بالمجال التربوي ظنا منه أن من شأن التعليم أن يجلب الناشئة المسلمة إلى الحضارة الفرنسية وإلى الديانة المسيحية. وقد رأى مسينيون إحدى ثمرات هذا المجهود في اعتناق الطالب الفاسي محمد بن عبد الجليل للديانة المسيحية سنة 1928، وهو الحدث الذي استهجنه الطلبة المغاربة المسلمون الذين كانوا يتابعون دراستهم في باريس رفقة صديقهم الذي استبدل اسمه الأصلي بجان محمد بن عبد الجليل. وكان رد فعلهم أن قاطعوا الدروس التي كان لوي مسينيون يلقيها في الجامعة.

لم يتمسك مسينيون بهذا التوجه التنصيري مدة طويلة. فكلما تعمقت معرفته بالتراث الإسلامي إلا وتطورت رؤيته إليها وأصبح من دعاة الحوار المسيحي - الإسلامي بكل ما أوتي من قوة. وفي هذا الصدد، قام بتأسيس جمعية "فرنسا - الإسلام" سنة 1947 للمساهمة في مد جسور الحوار بين الطرفين، وهو ما لم تكن تشاطره فيه الأوساط المسيحية التقليدية. فقد اقتنع مسينيون بأن الإسلام يمكن أن يشكل، إلى جانب المسيحية، سدا منيعا في وجه الإلحاد والشيوعية والوطنيات الشوفينية. وبناء على التوجه الجديد، نهل أيضا من المبادئ المسيحية والإسلامية البراهين اللازمة لمناوأة السياسة الاستعمارية الفرنسية التي آلت إلى عزل السلطان سيدي محمد بن يوسف ونفيه في غشت 1953. فأسس جمعية "فرنسا - المغرب الكبير" التي تضافرت في إطارها مجهودات نخبة من المفكرين المنتمين إلى أطياف سياسية ودينية مختلفة للتصدي للمخططات الاستعمارية في شمال إفريقيا. وكان لهذه الجمعية فضل كبير في التعريف بالقضية المغربية لدى الرأي العام الفرنسي.

وبعد استقلال المغرب، توطدت علاقات لوي مسينيون بالنخبة المغربية، السياسية منها والثقافية، خاصة تلك التي كانت تتردد سنويا على "الدروس الصيفية" التي تقام في دير الرهبان البينيدكتيين بتومليلين من أجل الحوار الإسلامي المسيحي ولمناقشة مختلف القضايا الأدبية والتاريخية والاجتماعية. وتوفي لوي مسينيون في فرنسا يوم 31 أكتوبر 1962 بعد حياة حافلة بالنشاط العلمي والديني والسياسي، يمكن للمرء أن يستشف أهم صفحاتها من خلال كتاباته الغزيرة وهي عشرات من المؤلفات والمقالات.

Jamaâ Baida et Vincent Feroldi, *Présence chrétienne au Maroc (XIX-XXèmes siècles)*, Ed. Bouregreg, Rabat, 2005 ; Jacques Berque [Propos recueillis par Habib Samrakandi], "Louis Massignon, le cheikh admirable", in *Horizons Maghrébins* (Toulouse), n° 14/15, 1989, p. 208-210 ; Christophe Charle et Eva Telkes, *Les professeurs du Collège de France. Dictionnaire biographique (1901-1939)*, Ed. CNRS, 1988, p. 160-164 ; Fonds Paret, *Institut d'Histoire du Temps Présent*, Cachan, France ; Jacques Jomier, "Le centenaire de la naissance du Professeur Louis Massignon", in *Islamochristiana* (Rome), n° 10, 1984, p. 39-47 ; Henri Laoust, "Louis Massignon (1883-1962)", in *Revue des Etudes Islamiques* (Paris), T. XXX, 1962, cahier I.

جامع بيضا

**المشارف** - المشرفيون -، أسرة مغربية استقرت أواسط القرن التاسع عشر ميلادي بمدينة فاس ؛ ذكر لها إدريس الفضيلي صاحب *الدرر البهية* خمس فرق كانت سكناها بالكدان والعقبة الزرقاء والشرابليين وحومة الجزيرة. ثم انتقل بعض أفرادها إلى مدن أخرى كوجدة ومكناس وطنجة والرباط. وتنتمي هذه الأسرة إلى قبيلة من أهم قبائل سهل غريس من وطن الراشدية بإقليم معسكربالمغرب الأوسط. وينتسب المشارف إلى محمد ابن مشرف الراشدي الآتي الترجمة، نزيل صحراء بوسمغون بقرب مدينة فجيج. وهو من ذرية الولي الصالح سيدي يوسف بن عيسى العربي الفجيجي الإدريسي الحسني، الذي انتقل أواخر القرن الثامن الهجري من مدينة فجيج ليؤسس زاوية له بقرية الكرط على بعد بعض أميال من مدينة معسكر، حيث عاش بها على أحسن سمت وأفضل حال إلى أن وافته المنية فدفن بجامعها العتيق، وقبره بها، إلى يومنا هذا، مشهور ومزور، ومتبرك به وموضع دعاء وحضور.

لقد أنجبت هذه القبيلة عددا من الأعلام، قال عنهم صاحب *"الإعلام"* في ترجمة العربي بن علي المشرفي، "من عائلة عظيمة، بيت علم ودين وطريقة ورواية ورحلة. فيهم من الأعيان نحو العشرة".

ابن أبي محلي، *المنجنيق*، مخطوط خ ع ؛ ابن الجوزي، *عقد الجمان*، مخطوط خ ح ؛ الحفناوي، *تلخيص في تعريف الخلف* ؛ ع. ابن منصور، *كشاف الأسماء المغربية*، ط. 2 ؛ العربي المشرفي، *ياقوتة النسب الوهاجة*، مخطوط خ. ع ؛ إدريس الفضيلي، *الدرر البهية*، مخطوط خ ع ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، تح. ع. ابن منصور، 1974.

محمد محيي الدين المشرفي

**المشاهب**، مجموعة غنائية تندرج ضمن ما عرف في مغرب السبعينيات بظاهرة الأجيال. وتعتبر ثالث مجموعة بادرت إلى الظهور بعد جيل جيلالة وناس الغيوان.

ويرجع التفكير في تأسيس هذه المجموعة إلى ما قبل ذلك، عندما أقدمت فئة من الشباب المولع بالأغاني الغربية الخفيفة على تشكيل فرقة اختاروا لها - في البدء - اسم To Day Voice (صوت اليوم) وكان قوامها آلات غربية كالگيتارة، والباص، والماندولين، والباتري إضافة إلى البيانو، فيما كانت كلمات الأغاني عربية فصيحة أو عامية غير أنها مركبة على ألحان غربية.

وفي فاتح ماي من عام 1973 أقامت المجموعة أول حفل لها أمام جمهور واسع بمعرض الدار البيضاء متوشحة باسمها الجديد (المشاهب) ثم حلت سنة 1974 لتدشن انطلاقتها الحقيقية بإصدار أول شريط غنائي ضم أربع أغنيات هي الخيالة - الواد - أمانة - الطالب.

كانت المجموعة في البدء تتكون من خمسة أفراد هم محمد البختي والشريف لمراني، ومحمد الباهيري، وأخوه أحمد، وسعيدة بيروك. ثم توالى عليها فنانون آخرون هم محمد باطما، ثم امبارك الشاذلي ومحمد السوسدي، وحمادي.

وكان لانضمام باطما - خاصة - إلى المجموعة أثر إيجابي لأنه استطاع أن يسد فراغا كانت تعاني منه في مجال الأصوات الجهيرة.

وعلى امتداد زهاء ثلاثة عقود استطاعت مجموعة لمشاهب أن تنتج عددا وافرا من الأشرطة ضمت عشرات الأغاني جلها من نظم محمد باطما، وامبارك الشاذلي، ومحمد السوسدي. وقد ارتبطت موضوعاتها بالإنسان، وقيم الحرية، ومناهضة مظاهر الظلم، والإشادة بالوطن، والغوص في قضايا المجتمع وقضايا العروبة، وفي مقدمتها المعضلة الفلسطينية وقد أحصيت من أغاني "لمشاهب" زهاء الستين، ومنها : اصغي يا إنسان - خويا صاحبي - الدمعة - حمام السلام - من حق المسكين - المضيوم - البارود - إلى الأمام - الصحراء - بغيت بلادي - الصمود - علاش تكذبوا عليا - الحوت - الحصار - المغرب العربي - مداح البحر - الگريحة...

كما استطاعت القيام بجولات في المدن المغربية، وإنجاز رحلات إلى البلاد العربية كالجزائر، وموريتانيا، وتونس وأخرى إلى الديار الأوربية وبخاصة فرنسا وهولاندا.

وقد حاولت "لمشاهب" أن ترسم لنفسها أسلوبا خاصا يختلف عن أسلوب جيل جيلالة وناس الغيوان. ولعل أبرز ما ميز أعمالها أنها لم تعتمد التراث في استلهام الألحان، فقد كانت جل الألحان من وضع أعضاء الفرقة، وأنها كانت سباقة إلى توظيف صوت المرأة، مثلما انفردت باستخدام الماندولين، ولم تستخدم من الآلات التقليدية غير آلة واحدة هي البندير.

غير أن عوامل التفكك سرعان ما دبت إلى المجموعة لتنعكس بالسلب على تماسك أفرادها. وكانت أولى مؤشرات هذا التفكك ما حصل بين محمد باطما والأخوين الباهيري من سوء تفاهم أدى إلى انفصالهما عن المجموعة، ثم تلا ذلك تخلي سعيدة بيروك عن العمل الفني بعد زواجها بمحمد باطما.

على أن أهم دواعي تعثر المجموعة تمثلت في الآتي :

- هاجس الهجرة إلى الخارج، إذ طالما أغرت فرنسا وهولاندا بعض أعضاء المجموعة بالمكوث بها بدافع من الطموح إلى استثمار مواهبهم وقدراتهم الفنية في ظروف أكثر توفرا على أسباب النجاح.

- تباين الرأي بخصوص التوجه الفني وأسلوب العمل في المجموعة : فقد كان الشريف لمراني - بحكم إقامته الطويلة في فرنسا وتكوينه الموسيقي فيها - يربط مواصلة بقائه ضمن المجموعة بضرورة تطويرها على مستوى توظيف الآلات الموسيقية الغربية وتعديل بعضها بما يجعلها أكثر تلاؤما مع تصوره واتجاهه في الغناء. ومن هنا فقد كان لا يستسيغ استعمال ربع النغمة في الألحان، ولا حدة صوت الأخوين الباهيري، ويدعو إلى إدخال عناصر نسوية، واستخدام جوق موسيقي لمرافقة المغنين. وفيما كان الشريف لمراني على هذا النحو من التفكير فقد كان محمد السوسدي كثيرا ما يبدي الحيطة والحذر من أي تسرع في هذا النهج الذي سيصدم - حسب رأيه - جمهور لمشاهب ويباغته بما لم يألف.

وقد زاد من تأزيم وضع المجموعة حدث هز معنوية المجموعة واختل بسببه توازنها، وهو وفاة محمد باطما الذي كان يشكل قطب رحى المجموعة، وكذا دأب الشريف لمراني على السفر إلى الخارج، وأن الشاذلي أصبح في السنوات الأخيرة عرضة لنوبات نفسية تعوقه عن العمل المنتظم.

ومع كل هذا فما يزال بعض أعضاء المجموعة يطمحون إلى لم شتات "لمشاهب" والعودة بها إلى الساحة الفنية لمواصلة العطاء بقوة وبإيقاع متطور، مستعينين بعناصر جديدة أمثال الإخوة الزواق، وطارق، والمختار، وهم من مدينة تطوان.

جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، حوار من إعداد العربي رياض، *الفنان محمد السوسدي يستعيد ذاكرة لمشاهب*، سلسلة من 17 حلقة، 6 - 22 نونبر 2002 ؛ محمد النحال، *الفنان الشريف لمراني يروي تاريخ "لمشاهب" في ثماني حلقات*، شتنبر 2001.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**المشاورين** (باب -) أحد أبواب مدينة مكناس التي ذكرها ابن غازي في كتابه : *الروض الهتون* عندما أشار إلى أن المدينة المذكورة في العهد الموحدي كانت تنفتح على الخارج بواسطة ستة أبواب من بينها باب المشاورين، ولا يُعرف سبب لهذه التسمية، فمن المعلوم أن المشاورين تعني أعوان قائد المشور وهم بمثابة أصحاب الشرطة على حد تعريف ابن زيدان في *العز والصولة*، بواسطتهم تبلغ الأوامر

المولوية. وقد ظل باب المشاورين قائما حتى العهد الإسماعيلي (1672 ـ 1727) عندما قام السلطان بتوسيع المدينة فهُدم وبُنيَ وراءه غربا الباب المسمى اليوم باب بريمة.

المشاورين (زاوية) : تميز عهد الدولة المرينية ببناء العديد من الزوايا بغرض إطعام الواردين من التجار وغيرهم من الغرباء والمنقطعين وإيوائهم. ولم تشذ مدينة مكناس عن هذه القاعدة، فزودت بعدد من الزوايا من بينها زاوية المشاورين التي شيدها السلطان أبو الحسن المريني (731 ـ 752 / 1331 ـ 1351)، ويحدد محمد المنوني موقعها في أعلى زنقة النوار، قرب ضريح سيدي سلامة من حومة الحمامصيين، ولا تعرف بهذا الاسم الآن فقد تغيرت معالمها ولم يبق من أطلالها غير القوس العالي لبابها الخارجي يسرة الداخل لدرب سيدي غريب مع أقواس داخل معمل للخشب بنفس الدرب، وقد كانت هذه الزاوية تتميز برونقها وانفساحها وجمالها، وعنها تحدث لسان الدين ابن الخطيب في كتابه : *نفاضة الجراب* وهو يحكي عن رحلته إلى المغرب وإقامته في مدينة مكناس : "ومثلث بإزائها الزاوية القدمى المعدة للوارد، ذات البركة النامية، والمأذنة السامية، والمرافق المتيسرة، يصاقبها الخان البديع المنصب الحصين الغلق، الغاص بالسابلة والجوابة... تقابلها غربا الزاوية الحديثة المربية برونق الشبيبة ومزية الجدة والانفساح وتفنن الاحتفال".

لسان الدين ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أحمد المختار العبادي، ص. 371 ـ 372 ؛ محمد ابن غازي، *الروض الهتون*، تح. عبد الوهاب ابن منصور، ص. 31 ـ 36 ـ 37 ـ 68 ؛ عبد الرحمان ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 1، ص. 224 ـ 237 ؛ *العز والصولة*، ج 1، ص. 133 ـ 134 ؛ محمد المنوني، *التخطيط المعماري*، مجلة الثقافة المغربية، ع 7، ص. 38 ـ 40 ؛ رقية بلمقدم، *أوقاف مكناس*، ج 1، ص. 154 ـ 155.

رقية بلمقدم

**مشرع بودرة** (معركة ـ)، في يوم 22 ماي 1911، فوجئت قوات عسكرية فرنسية تحت قيادة الكولونيل Gouraud وهي في طريقها إلى مدينة فاس مباشرة بعد مغادرتها لمحل تخييمها بهجوم من طرف مجموعات كبيرة مؤلفة من فرسان زمور وبني حسن، وذلك على الساعة 4 و45 دقيقة صباحا، وقد وقع الاشتباك بمشرع بودرة بوادي بهت. بلغت الخسائر البشرية الفرنسية في هذه الوقعة 5 قتلى و24 جريحا، واختلفت الأرقام الفرنسية فيما يخص الخسائر البشرية التي مني بها المجاهدون، فمنهم من قال إنها تزيد عن مائة قتيل، ومنهم من قال تزيد عن مائتي قتيل، وكان أكثرهم من حملة القرآن ومن أتباع الطريقة الكتانية.

وقد ترأست في هذه الوقعة تجريدات مجاهدي زمور، بقيادة المجاهد محمد بن علي بوبية، والمجاهد بوعبيد الزموري والطالب كبور الدكالي، كما كانت هذه الحملة الجهادية تحت الرئاسة الشرفية لشيخ الطريقة الدرقاوية بزمور سيدي محمد بن الحاج.

كانت قوات الكولونيل Gouraud مكونة من 3000 مقاتل، تخفر قافلة للتموين موجهة إلى فاس، فاعترض المجاهدون هذه القوات ونشب القتال، إلا أن الكولونيل المذكور أخذ في البداية موقفا دفاعيا حتى جمع الجنود شملهم وأحاطوا بالقافلة، وتعرضت طليعة القافلة لهجوم عنيف من طرف المجاهدين محاولين بذلك قطع السبيل عليها، إلا أن هذا الهجوم تم بشكل جماعي، فواجهته العساكر الفرنسية بإطلاق القنال المدفعية، لذا كانت الخسائر البشرية مرتفعة وسط المجاهدين.

جريدة *السعادة*، عدد 478 بتاريخ 26 ماي 1911 ؛ محمد الباقر، تر. محمد الكتاني، ص. 164 وما بعدها ؛ أحمد بوبية، *قبائل زمور والحركة الوطنية*، ص. 183 ـ 184.

Gouraud, *Au Maroc* (1911-1914), p. 26 ; *Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région*, tome III, p. 110 ; Jean Vial, *Le Maroc héroïque*, p. 55.

بوعبيد التركي

**مشرع الرملة** ، يقع المركز قرب سيدي يحيى الغرب على وادي تيفلت ضمن مجال قبيلة بني حسن شمالي مدينة سلا. ارتبط اسمه في الذاكرة التاريخية المغربية، بالمعسكر الذي أنشأه به السلطان المولى إسماعيل، لتجميع وإيواء العبيد والأرقاء الذين جمعهم بطرق شتى وعلى مراحل متدرجة منذ السنوات الأولى لحكمه من مختلف مناطق التراب الوطني تحت إشراف الباشا عليليش، وذلك لتكوين جيش احترافي منظم يكون بعيداً كل البعد عن انتماءات المجتمع القبلي وتكتلاته العصبية، ومرتبطا في ذات الآن، بشخص السلطان بعلاقات ولاء أشد وثاقا وإخلاصا. وصل تعداد جيش عبيد المحلة الذي كان يقيم باستمرار بمشرع الرملة حسبما تشير إلى ذلك الحوليات الإخبارية المعاصرة سبعين ألفا ما بين خيل ورماة، وهو رقم لم يكن يقل إلا قليلا عن أعداد فرق عساكر العبيد كلها التي كانت تنتشر في القصبات والحصون والقلاع التي كانت تمتد في كافة ربوع البلاد بهدف "... عمارته وحراسة الطريق، وحماية الثغور" حيث بلغ مجموع وحداتها ثمانين ألفا.

وبالنظر إلى حجم حشود العبيد التي كانت تتمركز بمعسكر مشرع الرملة وطرق التنشئة والتعليم والتدريب المدنية والعسكرية والتثقيفية التي كان يتلقاها أبناؤهم وبناتهم منذ سن مبكرة في العاصمة السلطانية مكناس، فضلا عن علاقات التزاوج التي كانت تجري داخليا بين الإناث والذكور بعد انقضاء فترة تكوينهم وإعدادهم، فإن ذلك كله، قد جعل من هذا المعسكر مدينة لمجتمع عسكري خالص، حيث كانت تحتوي على النوايل والدور والقصور التي كان يتنافس كبار القواد في التفنن في بنائها أشد تنافس، كما كانت تتوفر على مساجد عديدة كان يخصص أحدها لإقامة خطبة صلاة الجمعة، إضافة إلى الأراضي الزراعية التي كان يفلحها العبيد كل حسب رتبته الاجتماعية، والمراعي المخصصة لرعي الخيول والإبل والأبقار والأغنام.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الخصوص، هو أن عبيد مشرع الرملة قاموا بأدوار مشهودة في توطيد دعائم دولة السلطان المولى إسماعيل وفي الدفاع عن أهدافها وتطلعاتها الأمنية والسياسية، إلا أنهم وبحكم السلطة العسكرية والسياسية الواسعة التي باتوا يتمتعون بها طيلة فترة حكمه، تحولوا بعد وفاته إلى أداة هدم لرموز الدولة ومؤسساتها ومصدرا للاضطراب والفوضى الاجتماعية، وذلك من خلال التدخل في تولية الأمراء وعزلهم والسطو على ممتلكات الناس وأرزاقهم والعيث في الطرقات والحارات والأسواق التجارية. ويكفي للتدليل على أهمية الحضور الوازن لعبيد مشرع الرملة في تقرير مصير البلاد سواء في عهد المولى إسماعيل أو في عهد أزمة الثلاثين سنة التي أعقبت وفاته، أن نشير إلى أن كبار القواد والباشوات الذين تولوا مناصب غاية في الأهمية والخطورة على امتداد تلك الفترة كانوا في أغلبهم من عبيد هذا المعسكر. ونذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر : الباشا بوعزة مول الشربيل، الباشا بنسالم الدكالي، الباشا مساهل، الباشا فاتح الدكالي ... الخ.

ونتيجة لما أصبح عليه حال عبيد مشرع الرملة بعد وفاة راعيه وسيد أمره السلطان المولى إسماعيل من ضعف وتفكك بسبب انقطاع رواتبه وصلاته وتوالي غارات قبيلة بني حسن على دورهم وقصورهم وأنعامهم رحلوا في أوائل رمضان 1159 / 1746 من هذا المعسكر والتحقوا بإخوانهم بمكناس، فتفرقوا شذر مذر بين القصبة والمدينة والأروى وقصبتي بريمة وهدراش. وقد وصف أطلال هذا المعسكر المندرس الفقيه الشاعر أبو عسرية بن منصور في منظومة له في المراحل الحوزية نظمها بمناسبة رحلته مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله قائلا في مطلعها :

| | |
|---|---|
| وقصدنا محلـة العبيـد | بمشرع الرملـة يـا مفيـدي |
| حزنا على الولي نجل جدنا | سيدنا يحيى بن منصور دنا |
| بطرف المحلـة المذكـورة | قبتـه قائمـة مشهـورة |

أ. القاسم الزياني، *البستان الظريف*، 170 ؛ محمد أكنسوس، *الجيش العرمرم*، 125 - 127 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف الرباطي*، ج 1، 223 - 224 ؛ ع. الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 149 - 150 ؛ عبد الرحمان ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 4 : 441 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7 : 71 - 72 ؛ ع. ابن إبراهيم السملالي، *الإعلام*، ج 1 : 348 - 350 ؛ ج. وندوس، *رحلة إلى مكناس*، 93 - 97 ؛ م. الطيب القادري، *التقاط الدرر*، ج 1 : 31 - 43 ؛ المصطفى البوعناني، *مشرع الرملة*، ضمن *متنوعات محمد حجي*، 226 - 235.

الفقيه الإدريسي

**مشرع المسناوي**، موقع ببلاد زعير، يوجد على الضفة اليمنى لوادي المشرع. أحد روافد وادي كريفلة، يخترق تراب قبيلة أولاد خليفة، في يوم الأحد 28 محرم عام 1225 أمر الباشا الغازي الشاوي زعير ببناء قصبة بمشرع المسناوي، إلا أن هذه القصبة لا أثر لها حالياً، كما أمرهم أيضا بإقامة سوق يعقد يوم الأحد بالقرب من المشرع المذكور بالمكان المسمى "بنجاجا".

ومشرع المسناوي هذا، كان محطة لمحلات السلاطين وكذلك المسافرين، ففي رحلة قام بها السلطان محمد بن عبد الله وهي بدون تاريخ، من شمال البلاد إلى جنوبها مر على مشرع المسناوي، وقد أشار له أبو عسرية في منظومته بقوله :

| | |
|---|---|
| منه قصدنا مشرع المسنـاوي | وكل قاصد إليه يـاوي |
| حطت به قبل اصفرار الشمس | هازمة وزال كل لبـس |
| إحدى مشارع وادي زبيـدة | وكانت الجيوش مستعـده |

الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، الرباط، 1986، المراكشي؛ *الإعلام*، ج 1، الدار البيضاء، 1977.

بوعبيد التركي

**مشرف** (ابن -) **محمد**، هو الجد الأدنى الذي تنتسب إليه قبيلة المشارف بأفخاذها الأربعة : أولاد سيدي أحمد بوجلال، وأولاد سيدي علي، وأولاد سيدي عب، وأولاد سيدي منصور.

كان مقيما، في القرن العاشر الهجري، ببوسمغون وهو قصر من قصور الصحراء غير بعيد من واحات فجيج. وكان له ارتباط وثيق بالمراكز الثقافية التي كان لها إشعاع ملحوظ آنذاك، في شرق البلاد، وهي : سجلماسة وفجيج والراشدية وتلمسان، حيث كان مشاركا متصلا بعلمائها وفقهائها وأوليائها وصلحائها، مثل الفقيه الوجيه أبي القاسم بن عبد الجبار الفجيجي، والولي الصالح محمد بن علي أبهلول، والفقيه عاشور التلمساني، ومحمد بن عمرو، والأطرش الفجيجي وغيرهم. وكان قد درس في هذه المراكز فأخذ عن علمائها وأخذوا عنه.

نعته ابن أبي محلي السجلماسي في عدد من مؤلفاته بالإمام الفقيه الهمام الموازي لابن بهلول في مكانة علمه ودينه. وذكر أنه شيخ سيدي سعيد قدورة. كما قال عنه في *المنجنيق*، "ومن نظم الخطيب المفلق النحوي المحقق نزيل قرى بوسمغون بناحية شرق فجيج سماها رضي الله عنه من شعره" "*المناقب البيضاوية لجامع الأحوال الدينية*" إلى غير ذلك من الثناء عليه والتنويه به. ولقد اشتغل ابن مشرف بالتدريس وبث العلم كما تولى القضاء لبعض أمراء بني زيان.

توفي أواخر القرن العاشر الهجري بوطن غريس ولقب عقبه بالمشارف نسبة إليه.

**المشرفي، بنعبد الله سقاط**، المسمى كذلك عبد القادر زين العابدين، لكن اسمه الحقيقي هو بنعبد الله، اسم مركب على عادة أهل معسكر. ولقد عرف بسقاط لسقوطه من أعلى فرسه وجرحه في إحدى رجليه. وهو حفيد سيدي عبد القادر المدعو الشيخ المشرفي. ازداد بغريس من وطن الراشدية وأخذ العلم عن أشهر علمائه آنذاك، وفي طليعتهم

الشيخ الحافظ أبوراس الناصر والشيخ محمد الطاهر ابن الشيخ المشرفي. وارتحل مرارا إلى المشرق حاجا أو معتمرا فلقي هناك نخبة من العلماء أخذوا عنه وأخذ عنهم فأجازوه.

كان عالما مشاركا في جميع الفنون، درس ومارس علم الفروع، والنحويات، والعلوم البيانية والأصولية، انفرد في زمانه بعلم المعاني والبيان، وعلم المنطق والعروض، كما كان شاعرا مفلقا. وفي السيرة النبوية كان حافظا حجة، يحفظ البخاري متنا وإسنادا وكذلك صحيح مسلم. ودرس *التفسير* بالبيضاوي وله تقاييد عليه من أوله إلى آخره.

تقلد خطة القضاء لسنين عديدة إلى أن احتل الفرنسيون البلاد، فتجند رغم كبر سنه للجهاد مع الأمير عبد القادر الذي عينه في شتى المناسبات مبعوثا له. فكانت له عدة وفدات على السلطان المولى عبد الرحمن ابن هشام. فحصلت له بفضل ذلك شهرة كبيرة واكتسب مكانة مرموقة لدى السلطان كما أكد ذلك صاحب "*إتحاف أعلام الناس*" حيث قال عنه "كان يحضر معه ـ أي المولى عبد الرحمن ـ مجلس الصحيح، حدثني بذلك من كان يحضر معهم إذ ذاك وهو العالم المعمر أبوالعلاء المولى إدريس بن عبد الهادي العلوي دفين طيبة الطيبة المتوفى عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف".

وله ترجمة في "*فهرس الفهارس*" جاء فيها "هذا الرجل هو مسند المغرب الأوسط في وسط القرن المنصرم، له عدة إجازات من المشارقة والمغاربة لو جمعت لخرجت في مجلد، وعندي من إجازات مشايخه إجازة محمد بن محمد بن عربي البناني المكي المالكي، وعلي بن محمد الميلي، ومحمد بن محمد الشعاب الأنصاري المدني".

استقر بنعبد الله سقاط بمدينة فاس مهاجرا إليها بدينه سنة (1262 / 45ـ1846).

توفي وهو في طريقه إلى مدينة مكناس ملبيا دعوة السلطان المولى عبد الرحمن للمشاركة في أعياد المولد النبوي الشريف. وكان ذلك بعد (1270)، ودفن بروضة الشيخ أبي عبد الله مَحمد ـ فتحا ـ ابن عيسى خارج باب السيبة أحد أبواب مكناس.

**المشرفي، عبد الله** بن **البشير** الشهير بالسيد عب. من علماء القرن الثالث عشر الهجري المقيمين بمدينة وجدة. قال عنه "في *نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار*"، في ذكر علماء وجدة، "ومنهم الفقيه الوجيه الفتى الشاب، سيد من جاوز الكهولة وشاب، أبو محمد السيد عبد الله الشهير بالسيد عب، له اليد في علم العربية وفي حفظ المختصر، درس ومارس واعتكف على المطالعة ومناظرة أقرانه، وفاتهم بجده واجتهاده، وله ذهن وقاد وفهم ثاقب". أصله من معسكر، هاجر بدينه وأهله، رفقة والده الفقيه السيد البشير، في حدود الستينات، فاستقر بمدينة وجدة، وقد فتح الله به وعلى يديه.

توفي في بداية القرن الربع عشر الهجري بنفس المدينة، وله بها عقب.

**المشرفي، العربي** بن **عبو الغريسي**، عالم من علماء القرن الثالث عشر الهجري. قال عنه في "*إتحاف المطالع*" كان عالما مشاركا مدرسا". ونعته في "*الياقوتة الوهاجة*" "بالعلامة الحامل لواء المختصر، الحافظ لشروحه ومتونه، الفقيه، شيخ عبد القادر بن محيي الدين". ودرس في علم الفروع وتولى القضاء. هاجر بأهله إلى مدينة فاس وبقي بها.

توفي سنة 1260.

**المشرفي، العربي** بن **علي**، هو أبو حامد العربي بن علي أو كما في بعض التراجم، العربي بن عبد القادر بن علي بن مسعود بن أحمد المشرفي الحسني. عالم من علماء القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر الهجري. اشتهر باتساع معرفته وغزارة إنتاجه. قال في حقه في "*الإعلام*" "كان صاحب علم ومحاضرة ورواية وإقدام وشجاعة قلب، وكانت له جرأة على الولاة ولسان على من أصابه الله علقم. كان أسره العدو، وحج قديما في العشرة السابعة، وله مؤلفات من أعظمها جوابه على اللغز العجيب الذي نظمة سيدي علي ابن الطاهر وألقاه على علماء فاس فلم يقدر أحد على جوابه إلا هو، وأصله للسيوطي".

له ما يقرب من الثلاثين مؤلفا، ذكر هو جلها في آخر كتابه "*ذخيرة الأواخر*"، وكلها مخطوطات يوجد معظمها في الخزانة الحسنية والخزانة العامة بالرباط، وبعضها بالخزانات الخاصة كالخزانة الزيدانية. ألف في عدة فنون : في أدب الرحلة، في التصوف، في النحو والتاريخ والحديث والطب وبعض قضايا العصر. لكن جزءا كبيرا من تآليفه يمكن تصنيفه في باب الردود والتراجم. كان شاعرا موفقا، له دواوين معظمها في مدح الملوك الذين عاصرهم وخاصة المولى الحسن. وحصلت له حظوة كبيرة، إذ كان يرافق السلطان في جولاته عبر البلاد، مع فئة العلماء المقربين.

وأخيرا قال عنه في "*إتحاف المطالع*" ولد بتلمسان وطلب العلم به ودخل المغرب أواسط العشرة السادسة من القرن الماضي. استقر بمدينة فاس.

توفي عام 1313 هجرية، عن نحو تسعين سنة، ودفن قرب ضريح الشيخ علي ابن حرزهم.

**المشرفي، محمد**، عالم من علماء نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر الهجري. عرف بالحاج محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي الحسني الإدريسي الغريسي. أصله من غريس وانتقل منه مع والده إلى مدينة فاس في حدود 1260، وعمره لا يتعدى خمس سنوات. كان والده عالما فاضلا، توفي بمصر عند رجوعه مع ابنه من الحج سنة 1275.

وهم ينتسبون للشرف الحسني وذكرهم أبو العلاء الفضيلي في *درره*.

كان عالما ذا مشاركة حسنة في الفقه والعربية والتاريخ وعلوم أخرى، كما كان شاعرا موفقا كثير الهجاء. أخذ العلم بفاس على عدد من العلماء الأجلاء من بينهم عبد الله بن محمد بن الخضر الهاجي، والعلامة أبو حامد العربي المشرفي، وأبوعيسى محمد المهدي ابن سودة، وأبو عبد الله محمد بن المدني جنون. ولقد حصل على عدة إجازات من بينها إجازة أبي حامد العربي المشرفي وهو عن العلامة المحقق أبي محمد عبد القادر بن مصطفى المشرفي الشهير بينعبد الله سقاط. كما أجاز لبعض العلماء من بينهم العلامة عبد الحفيظ الفاسي صاحب معجم *الشيوخ* المسمى "*رياض الجنة*".

له عدة تآليف منها تأليف في الرد على ابن مهنا، وتأليف في التوسل بالأنبياء والرد على من أنكر ذلك، ورحلة ضمنها سفره من فاس إلى مشرع الرمل لتقديم البيعة إلى السلطان المولى عبد الحفيظ، وشرح على نظم الأديب الغالي بن سليمان في الدولة العلوية سماه "الحلل البهية في ذكر ملوك الدولة العلوية" ترجم بعضه إلى اللغة الفرنسية، وتأليف في الرد على قاضي غيلزان ومفتي الجزائر ابن الحفاف في مسألة ثبوت الهلال إذا لم ير بعد ثلاثين، سماه "*السهام الصائبة*" طبع على المطبعة الحجرية، وله كذلك ديوان شعر وشرح على همزية النبهاني. تولى القضاء بقبيلة الحياينة أحواز فاس،

توفي سنة 1334 ودفن بروضة العراقيين بالقباب.

**المشرفي، محمد الطاهر** بن عبد القادر المدعو "سيد الشيخ". ازداد في قرية الكرط قرب مدينة معسكر، فأخذ العلم عن جماعة من علمائها الأجلاء، من بينهم والده الشيخ عبد القادر وكذا العلامة الحافظ الشيخ بوراس الناصر المشهور. ثم التحق بمدينة فاس لطلب العلم فأقام فيها ما فيه الكفاية. وأجاز فيها من علمائها الشيخ عبد القادر بن شقرون وتلميذه الشيخ الطيب بن كيران إجازة عامة.

له ترجمة في "*فهرس الفهارس*". وصفه العلامة أبوراس المذكور في مؤلفه "*فتح الإله ومنته*" بقوله : العلامة الماهر ذي الملكة في الباطن والظاهر وللأمارة والهوى قاهر، تلميذنا السيد الطاهر ابن شيخنا السيد عبد القادر المشرفي". تولى وظيفة التدريس فكانت مجالسه العلمية لا تخلو من تهافت للطلاب. ثم عين بالإضافة إلى ذلك قاضيا على مدينة وهران فبقي بها إلى أن وافته المنية.

ولسيدي الطاهر من بين ما ألف، شرح على *خطبة سعد الدين* سماه "*إبراز المعاني في غوامض ألفاظ التفتزاني*"وشرح على منظومة والده في التصوف سماه "*الدرة الشريفة في أصول الطريقة*".

محمد محيي الدين المشرفي

**الـ مشرفي، محمد محي الدين**. ولد بوجدة سنة 1914. وعرف اليتم وهو مايزال طفلا، فالتحق بالكتاب لتعلم القرآن الكريم ثم دخل إحدى المدارس الأولى التي أنشأتها الحماية بوجدة، وبعد ذلك دخل شعبة تكوين المعلمين بثانوية مولاي يوسف بالرباط، فتخرج منها بتفوق سنة 1934، ثم مارس التعليم الابتدائي بمكناس وسلا والرباط وأسفي، وخلال هذه المدة عكف على تهيئ شهادة الباكلوريا ثم على الإجازة في الآداب وعلى دبلوم اللغة العربية من معهد الدراسات العليا الذي أحرز عليه سنة 1939 وتم تعيينه أستاذا بالتعليم الثانوي بوجدة. واعتبارا لكفاءته وحنكته التربوية لم يلبث أن أسندت إليه مهمة تفتيش أساتذة اللغة العربية سنة 1945، فكان أول مغربي يُعين في هذا المنصب بوجدة، وبعد ذلك أسند إليه نفس المنصب بمدينة فاس. وفي سنة 1947، أصدر المشرفي مع زميليه المفتشين عبد المالك السليماني ومولاي العربي المسعودي كتابا مهما يحمل عنوان "*نصائح وإرشادات في التربية والتعليم لمدرسي اللغة العربية*" فكان هذا الكتاب فتحا جديدا، كما قال الأستاذ محمد حجي لمدرسي اللغة العربية في المدارس العصرية، بما قدم لهم من مبادئ بيداغوجية حديثة نظرية وتطبيقية، إذ أن كتب التلاوة لم يكن لها وجود بين أيدي التلاميذ، والإدارة الاستعمارية كانت تحرم على التلاميذ المغاربة استعمال الكتب الواردة من الشرق حتى لا يطلعوا على الحركات الفكرية التي كانت تهز الشرق آنذاك.

وكان المفتش المشرفي يلقي محاضرات في التربية على المعلمين ويحثهم على الاطلاع على الكتب الواردة من الشرق للاستفادة منها، فتعرض بسبب ذلك إلى المضايقة من قبل المراقبة المدنية الاستعمارية، فمنعته من مزاولة عمله بفاس، حينما بدأت الحركة الوطنية تنتشر بهذه المدينة، وتم نقله إلى وجدة سنة 1952.

وبعد حصول المغرب على استقلاله، أسندت له مسؤولية التعليم الابتدائي، فكان عليه أن يرفع عدد التلاميذ الذي لم يكن يتجاوز بالمغرب كله 200.000 تلميذ، وأن يبني المدارس اللازمة لذلك، وأن يحسن مستوى التعليم، وأن يسد الفراغ الهائل الذي تركه المعلمون الأجانب الذين غادروا المغرب

والمعلمون المغاربة الأكفاء الذين انتقلوا إلى مناصب إدارية في مختلف الوزارات. فسهر بما عهد عنه من جد وكفاءة على تحديث برامج التعليم وتكوين المعلمين وإعداد الكتب المدرسية التي أعد الكثير منها بنفسه أو بالمساهمة مع غيره من المفتشين والأساتذة.

لقد برهن المترجم له عن كفاءته وإخلاصه في جميع الوظائف السامية التي أسندت إليه فيما بعد كمدير للشؤون الثقافية أو كمدير عام للتعليم والشؤون الإدارية أو كمكلف بالتفتيش العام للخزانة المركزية والخزانات التابعة لها أو كمدير للمركز الوطني للتعريب أو كمحافظ للخزانة العامة أو أخيرا ككاتب عام لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

توفي يوم فاتح محرم الحرام سنة 1424 موافق 5 مارس عام 2003.

محمد الشياظمي وعبد الكريم المشرفي

**المشرفي، مصطفى** بن **عبد الله**، من مواليد مدينة وجدة سنة 1912. توفي والده عبد الله بن مصطفى بن بنعبد الله سقاط، ضحية الاحتلال والتوغل الفرنسي في البلاد، وهو لايزال في السنة الأولى من عمره، فكفله خاله الذي حرص على تعليمه في الكتاتيب القرآنية بوجدة. وفي بداية الثلاثينيات ارتحل إلى مدينة فاس لطلب العلم بها والالتحاق بجامعة القرويين. فمكث هناك ما يقرب من أربع سنوات، إلا أن عمله السياسي ومطاردة الإدارة الاستعمارية له حالت دون حصوله على العالمية. فانفصل عن الدراسة وتفرغ لمحاربة الاستعمار بكل ما يملك من قوة ووقت.

اشتهر بين معاصريه بعمله الوطني الدائم ومقاومته المستمرة للاحتلال والوجود الفرنسي، وذلك بجميع الوسائل المتوفرة لديه، من تخطيط وتهيئ للعمل المسلح أو تجنيد مستمر في الميدان التربوي والتعليمي. كان أول من استورد السلاح أواخر الحرب العالمية الثانية إلى المقاومة لتتمكن الخلايا المناضلة من تنفيذ العمليات المسلحة. وذلك ما أدى به وأصدقاءه إلى المثول أمام المحكمة العسكرية بمكناس. ثم عرف بعد ذلك ولمرات عديدة، سجون الاستعمار بوجدة وعين العقرب وعين مومن واغبيلة واغبالو انكردوس. كما عرف الإبعاد والمنفى إلى مناطق متعددة من البلاد كالرباط ومراكش وميدلت وتيزنيت والبيضاء وغيرها. وكل هذه المحن لم تقلل من عزيمته ولم تمنعه من المضي في مسيرته الكفاحية، إلى أن استقل المغرب.

أما مساره التربوي والتعليمي، فكان يتميز باهتمامه بالتعليم الحر والإيمان به كوسيلة لتكوين جيل صاعد مؤهل لتحرير البلاد. ولهذه الغاية جند كل طاقاته رغم المضايقات والعراقل والإمكانات الضئيلة. فاستطاع، بداية من سنة 1945 أن يجعل من كتاب صغير للقرآن، مدرسة حرة عصرية سماها "مدرسة زيري بن عطية" جمعت في فجر الاستقلال خمس ملحقات، استطاعت أن تكون عددا مهما من التلاميذ والطلبة كانوا أول الأطر في بداية الاستقلال.

ولما حصل المغرب على استقلاله، عين مصطفى المشرفي - مرغما - بوزارة الداخلية، رئيسا لدائرة فجيج. فقام بمهمته كعادته أحسن قيام. فحرص على تنشيط الإقليم اقتصاديا بإحداث معامل جديدة منها معمل للزرابي، واجتماعيا بتأسيس جمعية المكفوفين، وسياسيا بحثّ عدد من الوفود الصحراوية على الذهاب إلى الرباط لتجديد البيعة بين يدي جلالة الملك محمد الخامس.

وفي سادس أبريل من سنة 1959 توفي مصطفى المشرفي في السابعة والأربعين من عمره. فكانت وفاته الفجائية سبب حزن وتحسر الجميع على فقدان هذا الوطني الغيور. ولقد ألف فيه محبه في الله وصديقه في الكفاح المرحوم الأستاذ قدور الورطاسي الحسني ضمن سلسلته *"في موكب الأبطال"* مؤلفا سماه *"حياة المجاهد مصطفى المشرفي"*. كما اعتاد أن ينظم قصيدة شعرية كل عام بمناسبة ذكرى وفاته وأن ينشرها بجريدة *العلم*.

م. الأعرج الغريسي، *بغية الطالب* ؛ م. السليماني، *اللسان المعرب* ؛ بلهاشمي بن بكار، *زبدة التاريخ* ؛ م. ابن خلدون، *مجموع الحسب والنسب*، تلمسان، 1961 ؛ م. الحفناوي، *تعريف الخلف*، مجلة الرسالة، بيروت، 1982 ؛ الأمير محمد، *تحفة الزائر*، مصر، 1904 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، 1962 ؛ ع. الفاسي، *رياض الجنة*، م. فاس، م. ج. 1350 ؛ ق. الورطاسي، *معالم من تاريخ وجدة*، *وحياة المجاهد مصطفى المشرفي*، جريدة *العلم*، 6 أبريل ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات*، 1988 ؛ أ. الشباني، *مصابح البشرية* ؛ ع. المشرفي، *نزهة الأبصار*، مخطوط خ. ع. 574 ك ؛ محمد حجي، *موسوعة أعلام المغرب* ؛ محمد المنوني، دعوة *الحق*، 2، 1966 ؛ أ. داود، *تاريخ تطوان*، ج. 4، ص. 277 ؛ د. عبد العزيز بنعبد الله، *المسار الحضاري الألفي لمدينة وجدة* ؛ ميشو بيلير، *الوثائق المغربية*، 1907 ؛ مارسيل بودان، *المجلة الإفريقية*، 1924.

محمد محيي الدين المشرفي

**المشّاط، عبد العزيز** بن **محمد** نشأ بفاس في عفة وصيانة ووقار وديانة، وحفظ القرآن، ثم خرج مع أبيه إلى تطوان في وقت الغلاء الذي كان في حدود سنة 1150، ثم خرج منها بعد وفاة والده بها إلى الجبال الغمارية للملازمة عندهم بالشرط في بعض المداشر لإقراء الصبيان والائتمام بالمسجد. وبقي هناك يتردد بين القبائل، ثم رجع إلى فاس، فكان يؤم بمسجد عقبة في عدوة فاس القرويين. ولما غلبته الأحوال، اتخذ بيتا في مدرسة العطارين لسكناه، فتجرد فيه للعبادة صياما وصلاة وتلاوة. وفي سنة 1180 مرضت عيناه وأصبح لا يبصر شيئاً وهو مع ذلك في غاية القيام على العبادة مع الزهد التام والورع العام.

كانت بينه وبين الولي الصالح محمد يزرور منافرة في الظاهر، يعيّر كل واحد منهما الآخر ويحط منه بأمر من أمور الدنيا. وكانا إذا تلاقيا لا ينفصلان بعد المخاصمة الشديدة إلا بكلفة، وربما أدى الأمر إلى المضاربة بينهما بالعصي.

كان له تلاميذ وأتباع ظهرت عليهم من صحبته آثار

الانتفاع، منهم سليمان الحوات الذي لازمه مدة تزيد على عشرين سنة.

توفي سنة 1203.

سليمان الحوات، *الروضة المقصودة* / *ثمرة أنسي* ؛ م. الزبادي، *سلوك الطريق الوارية* ؛ *فهرس* التاودي ابن سودة، محمد الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

**مشكيطة، يوسف** ذمي ساهم في صياغة بنود الهدنة المغربية مع "الأقاليم المتحدة" رفقة القنصل الهولندي "جوان سميط"، والذميين حاييم طوليدانو وأخيه يوسف طوليدانو. وقد تردد ذكره في مراسلات المولى إسماعيل إلى هولندا، والتي أكد في إحداها تسلمه رسالة تضمنت شروط الهدنة والمتمثلة في عدم التعرض للسفن الهولندية مقابل الحصول على البارود والمكاحل والقلوع والمقاذيف والصواري والگمز والمخاطيف وآلات البحر.

رسالة من المولى إسماعيل إلى هولندا بتاريخ 10 رمضان المعظم 1095 أرشيف لاهاي.

محمد جادور

**مشمش** ينتمي المشمش أو علميا برونوس أرمينياكا Prunus armeniaca إلى فصيلة الورديات Rosaceae، وهو من الأشجار المتوسطة الارتفاع. يتراوح ارتفاعها ما بين 5 إلى 15 م، أزهارها قرمزية أو بيضاء تظهر قبل الأوراق. وتشبه ثمرة المشمش ثمرة الخوخ في لونها وشكلها، وتكون مكسوة بوبر قطني في صغرها، وعند نضجها يصبح لحمها برتقاليا أصفر.

يرجع الموطن الأصلي للمشمش إلى آسيا، وقد زرع بالصين منذ 2000 سنة قبل الميلاد، وانتقل بعد ذلك إلى الهند ومصر وإيران وأرمينيا. أدخلت زراعته في أوروبا في القرن الأول الميلادي، ويزرع الآن خاصة في المناطق المعتدلة الدافئة من الصين واليابان وشمال إفريقيا وفي كاليفورنيا بالولايات المتحدة.

يتكيف المشمش مع المناطق الجافة والحارة حيث يقاوم البرودة إلا أن الأزهار تتأثر بالصقيع والجليد الربيعي. لا يقبل المشمش التربة الرطبة الثقيلة غير أنه يتحمل التربة الكلسية. يوجد المشمش في مختلف مناطق المغرب حيث يمكن زراعته وخصوصا في سهول الحوز وتادلة وكذلك سهول السايس وملوية.

تنتج الشتلات من مختلف الأصناف عن طريق التقليم.

تنضج الثمار ابتداء من شهر يونيو وذلك حسب الأصناف، فمنها المبكرة وأخرى متأخرة.

يستعمل المشمش فاكهة للمائدة، كما يجفف، ويصنع منه المربى وكذلك العصير، أما بذور النواة فيستخرج منها زيت يشبه زيت اللوز.

ألبيرت هيل، *النبات الإقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرون، القاهرة ؛ *معلومات شخصية*.

J. M. Clement, *Larousse agricole*, éd. Larousse, Paris.

عبد النبي زين العابدين

**مشنزاءة** (قبيلة –) من قبائل عرب دكالة، وهي إحدى القبائل الست التي اشتملت عليها دكالة المذكورة (صنهاجة، بني دغوغ، بني ماجر، هزمير، رجراجة، مشنزاءة). ودكالة بطن من هلال بن عامر بن صعصعة، دخلوا المغرب على عهد العبيديين. كان سكنى قبيلة مشنزاءة بالمدينة التي يقال لها مشنزائية، سميت باسمهم، ويقال إنها من بنائهم، بنوها في أول الإسلام، وتحصنوا بها حين تضايق البربر مع الإفرنج، ولم يبق منها الآن إلا آثار ورسوم الديار بمدينة الغربية بوسط بلاد دكالة، وقد اندرست عمارة مشنزائية في أوائل عهد بني مرين، وقيل إنها كانت على شكل المدينة المنورة. وبها مات الواثق المعروف بأبي دبوس آخر ملوك الموحدين سنة 666 / 1267.

وقد تقدم في قبيلة مشنزاءة جمع من الأولياء المشاهير والعلماء الكبار، ومن هذا القبيل بيت أولاد ابن إبراهيم الدكاليين المشنزائيين من البيوت العريقة بفاس، بيت شهير بالعلم والصلاح بين الناس، وهم من أعيان المدينة المذكورة قديما وحديثا. وسبب دخولهم لفاس أن جدهم الشيخ العلامة أبا إسحاق إبراهيم قدم فاسا من بلده مشنزاءة مريدا للحج في أواخر المائة التاسعة للهجرة، بيد أن السلطان أبا سعيد ابن أبي العباس أحمد المريني طلب منه الاستطان بفاس، فأجاب طلبه، ونشأ منه عقد صالح إلى الآن.

محمد الكتاني، *سلوة*، 3 : 255 ؛ ع. الكتاني، *زهر الآس*، 1 : 59 - 60 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 326 ؛ محمد بن الفاطمي، *إتحاف ذوي العلم والرسوخ*، ص. 116 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، ص. 345.

**المشنزائي، إبراهيم** بن **محمد** بوشامة الفقيه المدرس، الناسك الزاهد، الولي الصالح أبو إسحاق إبراهيم الدكالي، كان فقيها مشاركا في كافة العلوم، وكانت له بلاغة في النظم ومهارة في الأدب ومشاركة في ضروب العلوم والنحو

والبيان والفقه والحديث والعروض، أخذ عن أبيه وأجازه وعن عم أبيه القاسم وعن سيدي رضوان الجنوي وعن غيرهم.
ولد سنة 935 / 1528 وتوفي سنة 994 / 1585.
عبد الكبير الكتاني، *زهر الآس*، 1 : 63.

**المشنزائي، سعيد** بن أبي بكر الشيخ الولي صاحب البركة الظاهرة والخوارق الباهرة أبو عثمان سعيد نزيل مكناس، كان من عباد الله الصالحين وأوليائه المترفين. متواضعا زاهدا متقشفا، كثير الخشية لا يفتر من ذكر الله تعالى، يطعم الطعام ويكفل الضعفاء والأيتام، وله موضع بزاويته يلازم الجلوس فيه، فلا يرى قائما إلا إلى الصلاة، وترد الوفود على زاويته في كل يوم وليلة. أخذ عن الشيخ أبي عثمان سعيد الداغي الدغوغي.
توفي آخر العشرة السادسة من القرن العاشر الهجري، ودفن بزاويته خارج باب وجه العروس بمكناس.
ابن عسكر، *دوحة*، ص. 72 ـ 73 ؛ أبو حامد الفاسي، *مرآة*، ص. 82 ؛ محمد المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، ص. 124 ـ 127 ؛ ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، ص. 126.

**المشنزائي، عبد الرحمان** بن **محمد** بن محمد ابن إبراهيم الدكالي الشيخ الفقيه الإمام العلامة الهمام أبو زيد عبد الرحمان، إمام جامع القرويين وخطيبها، الجامع بين العلم والصلاح، كان عالما عاملا متفننا، وله يد في قراءة *رسالة أبي زيد القيرواني*، وكان أعرف أهل زمانه بغوامضها ويفسر بها *المدونة* وغيرها من كتب الفروع المذهبية.
ظل يقرئ في فاس نصف قرن ونيفا من السنين، له كرسيان بالقرويين، كرسي ما بين العشائين طوال أيام الأسبوع، وكرسي الغداة يومي الخميس والجمعة، إلى درس آخر يلقيه ظهرا بسارية معينة في القرويين، ودروس أخرى في أوقات مختلفة خارج هذا الجامع. وكان مجلسه رائقا منورا، وللفظه حلاوة.
لازم سماط العدول مدة طويلة، وكان يحسن صناعة التوثيق، أخذ عن أبيه وعن ابن غازي وعن أبي عبد الله الهبطي وعن غيرهم.
توفي بفاس سنة 962 / 1554 عن نحو سبعين سنة.
ابن عسكر، *دوحة*، ص. 55 ؛ ع. الكتاني، *زهر الآس*، 1 : 62 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 130 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، ص. 336 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 327 ؛ م. حجي، *الحياة الفكرية*، 2: 352.

**المشنزائي، عبد السلام** بن **الطاهر**، فضيلة القاضي الدكالي، ينتسب إلى مدينة الغربية من دكالة التي كانت تعرف قديما بمدينة مشنزائية واشتهرت بعلمائها ورجالها الأفذاذ، بها ازداد المترجم وبها حفظ القرآن الكريم كما تلقى بعض مبادئ العلوم الدينية التي كانت تدرس بمسقط رأسه.

شد المترجم الرحال إلى مدينة فاس والتحق بجامعة القرويين، ولما آنس من نفسه أنه تزود بما رجاه من العلوم الدينية التي كانت تدرس بتلك الجامعة رجع إلى مسقط رأسه.
لما عاد المترجم إلى بلاده، كان ينوي فتح مدرسة علمية على طراز ما كان يوجد بمدينة مشنزائية ليؤدي بدوره رسالته ويخدم أهل قبيلته بنشر العلوم والمعارف، إلا أنه وقف في وجه مشروعه هذا بعض الحساد، فعدل عن الفكرة مجبرا وانخرط في سلك العدول بقبيلته. لكن الظروف عاكسته أيضا في خطة العدالة بسبب سوء تفاهم وقع له مع القائد الجائر عيسى بن عمر العبدي الذي كان حاكما بأمر نفسه، فأدخله السجن بعد افتعال سبب ما. وقد مكث فيه سبعة عشر عاما، ولم يغادره إلا بعد اعتكافه على قراءة قصيدة الولي الصالح سيدي محمد بن ناصر الدرعي المشهورة في تفريج الكرب والتي مطلعها :

يا من إلى رحمته المفر ومن إليه يلجأ المضطر

عقب خروجه من السجن سمع به وبحاله قاضي عبدة آنذاك الفقيه سليمان العبدي، فأرسل إليه طالبا منه الالتحاق بعبدة محل ولايته، وأصبح يدرس بمدرسة له طلبة عبدة وأولاد القاضي المذكور. بقي بهذه المدرسة مدة طويلة إلى أن سمع به وزير العدلية آنذاك العلامة المحدث أبو شعيب الدكالي الصديقي، فاستقدمه إلى الرباط وأسند إليه خطة القضاء بقبائل زعير.
عين الفقيه عبد السلام بن الطاهر كأول قاض بمركز النخيلة الذي كان دائرة لعبض قبائل زعير آنذاك، والتحق بمنصبه بتاريخ 21 يناير 1916 (1334) ، وقد نصب قاضيا على قبائل بني عبيد الأحرار وأولاد الطيب والرمامحة وأولاد كثير وأولاد ميمون، وفي أيامه اتخذت كنانيش المحكمة من طرف وزارة العدلية التي عممت بسائر الإيالة الشريفة، وكان افتتاح الكناش الأول للأحكام بتاريخ 19 ربيع الأول عام 1334.
لم تطل ولاية القاضي عبد السلام إلا فترة قصيرة، ثم مرض ونقل إلى الرباط تحت إشراف الشيخ أبي شعيب الدكالي.
توفي يوم 3 نونبر سنة 1916.
*الجريدة الرسمية* سنتي 1917 و1922 ؛ محمد ابن سودة، *قبيلة زعير*، الجزء الثاني، ص. 137 وما بعدها.
*Rapport politique mensuel du Protectorat*, janvier 1916.
بوعبيد التركي

**المشنزائي، علي** بن أبي **القاسم** الدكالي، دفين سور الحجر على مقربة من جامع الكتبيين من مراكش، ويُعرف بأبي سجدة، لأنه كان يقطع الليل كله بسجدة واحدة. كان كبير الشأن، عظيم القدر. إذا دخل على ملوك وقته لا يزيد في تحيته شيئا على لفظ السلام، ويغلظ لهم في القول إذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر.

من حفدته الشيخ إسماعيل بن سعيد الدكالي من أصحاب المجاهد امحمد العياشي، وصاحب الزاوية الشهيرة في دكالة.

توفي سنة 946 أو سنة 951.

المصطفى البوعناني

**المشنزائي** ابن **محمد** بن **إبراهيم** الدكالي الإمام الحافظ، العلامة النقاد من الأساتيذ المعتزين، كان إماما في التفسير، سيتظهر *كشاف الزمحشري* وينقل *تفسير الفخر* ويحقق أقوال المفسرين بالرد والقبول، كما كان مشاركا في الأدب والتاريخ وكان يحسن كتب الوثائق ولازم السماط مدة، وهو عدل مبرز إلى أن توفي.

أخذ عن والده وعن شيخ الجماعة أبي عبد الله ابن غازي وهو عمدته وعن صهره أبي عبد الله الهبطي وعن غيرهم.

ولد عام 896 / 1490 وتوفي عام 978 / 1571 ودفن بباب الحمراء بفاس، حضر جنازته السلطان أبو عبد الله محمد المتوكل السعدي.

ابن القاضي، *درة الحجال*، ص. 426 ؛ ابن عسكر، *الدوحة*، ص. 56 ؛ محمد الكتاني، *سلوة*، 2 : 128 ؛ محمد الكتاني، *فاس عاصمة الأدارسة*، ص. 82 ؛ محمد حجي، *الحياة الفكرية*، 2 : 353.

**المشنزائي، محمد** بن **الخياط** بن قاسم بن محمد بن عبد الوهاب الفقيه العدل المبرز أبو عبد الله، كان حافظا ضابطا متقنا، ماهرا في علم العربية، وكان يدرس *رسالة أبي زيد القيرواني* بين العشائين بجامع القرويين. له *ذيل على تأليف أخيه* أبي العباس أحمد المسمى : *"سلسلة الذهب المنقود في ذكر الأسلاف والجدود"* ، أتم فيه ما بقي، يقع في نحو الكراسة، وله كذلك شعر متوسط الجودة.

توفي في 23 جمادى الأولى عام 1184، ودفن إلى جنب الإمام ابن غازي في روضته بالكغادين داخل باب الحمراء بفاس.

ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 1 : 117 ؛ *إتحاف المطالع*، 1 : 31 ؛ ع. الكتاني، *زهر الآس*، 1 : 61.

**المشنزائي، محمد** بن **عبد الرحمان** بن محمد بن إبراهيم الدكالي أبو عبد الله المعروف بأبي شامة، الأستاذ النحوي الأريب الفرضي المتفنن، الخطيب العلامة، كان زاهدا ورعا، يقوم الليل ويصوم النهار، لا يفتر لسانه عن الذكر.

كان قائما بالتدريس والخطبة والإمامة بجامع القرويين، أخذ عن أبيه وعمه أبي القاسم وعن أبي العباس الحباك وعن غيرهم. ولد بفاس سنة 910 / 1504.

توفي سنة 964 / 1557.

ابن عسكر، *دوحة*، ص. 55 ؛ المنجور، *فهرس*، ص. 39 ـ 40 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 128 ؛ ع. الكتاني، *زهرة الآس*، 1 : 63 ؛ م. حجي، *الحياة الفكرية*، 2 : 352.

**المشنزائي، محمد** بن **عبد الوهاب** بن محمد بن محمد الدكالي العالم المشارك المطلع، قاضي مدينة فاس ومفتيها.

توفي عام 1036 / 1627.

القادري، *نشر المثاني*، 1 : 286 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 286.

**المشنزائي، محمد العربي** بن عبد السلام بن عبد الرحمان الدكالي الفقيه الخطيب المشارك المؤقت بمنار جامع القرويين، أبو عبد الله محمد العربي، كان من أصحاب الشيخ العارف مولاي العربي الدرقاوي، وكان صوفيا متجردا، حافي الرأس عاري القدم.

توفي بالطاعون في 8 ربيع النبوي سنة 1271، ودفن بروضة أهله بكدية البراطيل بفاس.

ع. الكتاني، *زهر الآس*، 1 : 63.

**المشنزائي، محمد** بن **محمد** بن محمد ابن إبراهيم الدكالي الفقيه العالم الأستاذ الحافظ أبو عبد الله، كان رجلا صالحا شهير الولاية كثير الدراية. درّس الفقه بفاس وكان له كرسيان بجامع القرويين. كان أستاذا مجودا مع الضبط لأحكام القراءات والتحصيل.

ولد بفاس عام 911 / 1505 وتوفي يوم الأربعاء منتصف ذي القعدة سنة 992.

ابن القاضي، *درة الحجال*، ص. 245 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2: 327 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 352 ؛ الكتاني، *زهر الآس*، 1 : 61.

**المشنزائي، محمد** بن **محمد** بن **محمد** بن محمد بن محمد بن محمد الخياط الدكالي، ولد بفاس عام 1294 / 1877 ، وتخرج من القرويين، أخذ عن شيوخها البررة، منهم العلامة أحمد بن محمد الوالي العلمي والعلامة محمد بن جعفر الكتاني وغيرهما، ولما أسس النظام بجامعة القرويين عين في لفيف المدرسين، ثم اختير عضوا بالمجلس العلمي للجامعة عام 1373 ، وسمي في نفس السنة رئيسا للمجلس العلمي إلى أن أعفي عام 1375 ، ثم أصبح يتعاطى خطة العدالة والإفتاء إلى أن عين نائبا رسميا عن قاضي محكمة الرصيف، كما كان إماما بمسجد المصالي بالحضارين.

توفي ليلة السبت 14 رجب عام 1381، ودفن بروضة أولاد ابن إبراهيم في حي وادي الزيتون بفاس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 2 : 576 ـ 577 ؛ م. ابن الفاطمي، *إتحاف ذوي العلم والرسوخ*، 116 ـ 121.

بوعبيد التركي

**مشيش** (ابن –) **عبد السلام** بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن أحمد المزوار بن علي حيدرة بن محمد بن إدريس الثاني كما هو متداول في كتب الأنساب.

مثل هذا الشريف نقطة تحول في مسار الشرف الإدريسي في الشمال الغربي، حيث مهد لظهوره في حلة جديدة وعوض الأدارسة عن الملك بالخلافة القطبانية كما جاء على لسان عبد السلام القادري صاحب *الدر السني*، غير أن سيرة الشيخ التاريخية مازال يكتنفها الغموض في جوانب عديدة، ويرجع ذلك إلى أن صاحب السيرة لم يترك شيئا مكتوبا يناسب مقامه الصوفي، شأنه في ذلك شأن معظم الأولياء. ولا نعرف من مآثره غير الصلاة المشيشية التي تعكس رغم قصر حجمها تعمقا في حب النبي (ص) ومستوى رفيعا في الأداء اللغوي. كما أن معاصريه أو القريبين من عصره من كتاب المناقب والمؤرخين لم يذكروا عنه شيئا، فالبادسي مثلا لم يشر إليه ولو عرضا في تراجمه *لصلحاء الريف*.

واقتصر ابن خلدون في استقصاء أخبار غمارة، على ذكر خبر مصرعه على يد المتنبئ محمد بن أبي الطواجن الكتامي، مما يدل على أن الرجل كان مغمورا في عصره، وأن إشعاعه على ما يبدو لم يتجاوز جبل العلم. وكل ما بلغنا عن ابن مشيش، في مجمله مناقب من سرد تلميذه علي بن عبد الجبار الشهير بأبي الحسن الشاذلي، يفيدنا في مقاربة تجربة الولي الصوفية في فضاء محدد هو جبل العلم. وأما الجوانب التاريخية المنسوبة إليه، كمساهمته في الجهاد بالأندلس وعلاقته بالسلطة الموحدية وسبب مقتله على يد المتنبئ المذكور. فمازالت تشكل حلقات مفقودة، ينقصها السند الكافي. يمكن التمييز في سيرة الشيخ عبد السلام بن مشيش بين مرحلتين : مرحلة الحياة التي كان فيها مجرد ولي مغمور في جبل العلم، ومرحلة ما بعد الوفاة التي بلغ فيها درجة عالية من الإشعاع ومثل سلطة رمزية عظيمة، لم تزدها الأيام إلا رسوخا.

ازداد عبد السلام بن مشيش بقرية الحصن الواقعة أسفل جبل العلم، ولا نعلم شيئا عن أسرته سوى نسبها الشريف. حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه على يد الحسن الدوالي دفين وزان، وتلقى مبادئ الدين على يد أخيه الأكبر موسى، وتفقه في الدين على يد الفقيه أحمد قطران دفين الأبراج بالأخماس. ويعتبر الشيخ عبد الرحمان بن الحسن المدني الشهير بالزيات دفين ترغة عمدته في الفقه والتصوف على طريق الشيخ أبي مدين شعيب الأندلسي (ت. 594 / 1198) دفين رابطة العباد قرب تلمسان. كان الشيخ عبد السلام بن مشيش قبل انغماسه في حياة الزهد يقطن بقرية أدياز العليا يزاول نشاطا فلاحيا ويشرف بنفسه على استغلال عزيبين يملكهما في قرية أبي زهري وأربعاء عياشة، وهو بهذا لا يخرج عن نماذج صلحاء البادية في عصره الذين وفقوا بين العبادة واحتراف الفلاحة. والسبب في هذا التحول في حياة الشيخ حسب المناقب أزمة وقعت له في محيطه إثر اعتداء أحد الرعاة على زرعه.

لكن الشيخ لم يعتزل الخلق بصفة مطلقة في خلوته بجبل العلم، بل ساهم في تربية جمهور من السالكين لطريقه، من بينهم تلميذه أبو الحسن الشاذلي. وما من شك في أن الولي تأثر بأحداث عصره، فقد عاش في أواخر العهد الموحدي، الذي تميز بانحطاط شامل، انطلاقا من هزيمة العقاب سنة 608 / 1212 التي أحدثت هزة عنيفة في شعور المغاربة، وفقدت الدولة الموحدية على إثرها نفوذها في الأندلس وسيطرتها على البحر الأبيض المتوسط، بينما حقق الغرب المسيحي المنتصر تفوقا في الميدان العسكري وأصبح يهدد الثغور الشمالية المغربية بالغزو. عاصر الشيخ عبد السلام بن مشيش فترة التمزق السياسي بعد وفاة الناصر الموحدي سنة 612 / 1213 والصراع الدموي على السلطة بين الأمراء الموحدين، وانتشار الحروب القبيلية بين الخلط وسفيان، وظهور بني مرين الذين شردوا عرب رياح بعد حروب طاحنة، وواكب ذلك أزمة اقتصادية واجتماعية تجلت في انهيار الإنتاج الفلاحي وغلاء أسعار المواد الغذائية وخاصة الحبوب، واشتدت المسغبة سنتي 1220 و1227، وتعمقت آثارها الاجتماعية والديموغرافية بسبب انتشار الأوبئة، وعلى المستوى الفكري كان من مظاهر الأزمة التخلي عن المذهب الرسمي للدولة ونمو التيار السني خارج المذهب الموحدي بسرعة فائقة، واهتم الفاعلون في الحقل الصوفي أساسا بمسألة الوحدة السياسية والمرابطة على الثغور لحماية البلاد من الغزو المسيحي المرتقب كما هو حال النموذج الذي تأسس في الريف، وهذا ما يجعلنا لا نستبعد مشاركة الشيخ في الجهاد بأسلوب ما، كما يؤشر عداؤه للمتنبئ ابن أبي الطواجن أن تصوفه تم في إطار المذهب السني المالكي.

بيد أن الولي لم يؤسس لنفسه طريقة صوفية واضحة المعالم، ولم يكن صاحب زاوية، بل رسم لنفسه معالم طريق جوهره الصلاة على النبي، وجمع في ممارسته الصوفية الأدب بالمعنى الأخلاقي والطهارة والأخذ بظاهر السنة في الأقوال والأفعال، وهذا ينسجم مع تكوينه الثقافي، ومع الاتجاه الصوفي السني ذي البعد الأخلاقي الذي ترسخ في المغرب.

وتتجلى ذهنية الصوفي السني حسب المناقب في الحرص الشديد على الطهارة وأداء الفرائض، وفي وصاياه لتلميذه أبي الحسن الشاذلي التي نلمس فيها جانبا دينيا إصلاحيا في حياة الشيخ لا بد أن يؤخذ بعين الاعتبار، كموقفه من السماع واختلاط الرجال بالنساء. كان الشيخ على اطلاع بما يجري من أحداث في العالم الإسلامي كما نلمس من مناقبه واختياره لاتجاه رحلة تلميذه إلى مصر التي كانت تعاني من الخطر الصليبي.

كانت نهاية حياة الشيخ عبد السلام بن مشيش على يد محمد بن أبي الطواجن الكتامي الثائر على الموحدين فيما بين 622 ـ 625 / 1225 ـ 1229. والملاحظ أن المراجع التي تناولت سيرة الشيخ ركزت على وصف لحظة الشهادة دون أن تذكر أدنى إشارة إلى الدوافع الحقيقية للصراع بين الرجلين. ويكمن الدافع الأساسي في التناقض المذهبي والموقف من

السلطة الموحدية، والمؤكد أن الشيخ شكل حاجزا أمام تحقيق مشروع ابن أبي الطواجن السياسي في غمارة.

ساهم أبو الحسن الشاذلي في التعريف بشيخه في بلاد المشرق من خلال سرد مناقبه وترديد أقواله والتمسك بأفعاله، وضمن له الاستمرار في الفكر الصوفي المغربي باعتباره سندا للطريقة الشاذلية. بيد أن شهرة الشيخ عبد السلام بن مشيش كقطب من أقطاب التصوف لم تتحقق إلا بعد انتشار الطريقة الشاذلية الجزولية في الهبط على يد الشيخ عبد الله الغزواني خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري (15). فإليه يرجع الفضل في استكشاف قبره وتأسيس مراسيم طقوس زيارة ضريحه في جبل العلم.

ويظهر أن زيارة التبرك بالولي ظلت مقتصرة في البداية على شيوخ الطريقة الشاذلية الجزولية وأعيان العلماء. ولم تتجاوز النطاق المحلي ومدينة فاس قبل مطلع القرن العاشر الهجري (16). استنادا إلى شهادة الشيخ عبد الله اليصلوتي (ت. 971 / 1564)، أحد تلاميذ الشيخ عبد الله الغزواني، والواقع أن هذا الشيخ كان بمبادراته السابقة قد وضع أسس هيكل آخر متمثل في رسم تشكيل هالة المقدس العلمي بجبل العلم، مما كان له تأثير كبير خلال الفترات التالية. فقد أصبح جبل العلم بعد انبعاث شهرة الشيخ عبد السلام بن مشيش وتأسيس فكرة المقدس بالكشف عن قبره وإشهاره فضاء رحبا لزيارات المريدين والمحبين خلال موسم معلوم ينظم في منتصف شعبان من كل سنة، وذلك منذ العقد الأول من القرن العاشر الهجري. وتألفت مقدسات القطب من مختلف الأماكن والمآثر التي جسدت ذكرياته وهي أساسا الضريح ومغارة الخلوة وجامع الملائكة وعين البركة ومرقب الفجر والحجارة المباركة وسيتوسع مجال القداسة بعد صدور ظهير السلطان أحمد المنصور الذهبي الذي تم بموجبه ترسيم الحرم العلمي.

وتعززت رموز ابن مشيش باستثمار فتوى علماء المغرب حول جواز زيارة قبور الصالحين من الوجهة الفقهية السنية، مما أضفى على زيارة الضريح المشيشي المشروعية. وترسخ الاعتقاد لدى عامة الناس أن بركة الولي حلت بالرموز المذكورة حلولا أبديا، فكانوا يشدون الرحيل إلى جبل العلم قصد التزود بها وأصبحت الزيارة في الذاكرة الجماعية الشعبية تعرف بحج المسكين يبدو فيها التماثل بين العلم ومكة في توقيت الزيارة وبعض مشاهدها، وبذلك ساهمت الزيارة في معاودة إنتاج رموز ابن مشيش ونشرها على نطاق واسع.


علي بن أبي زرع، *روض القرطاس*، 273 ـ 274 ؛ عبد الله الوراق، *مناقب الشيخ الكامل والقطب الجامع سيدي عبد السلام*، ضمن مخ. مجموع رقم د 1484، خ. ع. الرباط 252 ؛ عبد الرحمان ابن خلدون، *العبر*، ج 6، لبنان، 1983، ص. 458 ـ 459 ؛ التهامي بن رحمون، *شذور الذهب*، مخ. مجموع رقم د 1484، خ. ع. الرباط ؛ سليمان الحوات، *الروضة المقصودة*، ج 2، مؤسسة ابن سودة للثقافة، 1994، ص. 580، 581، 586 ، تح. عبد العزيز التيلاني ؛ الطاهر الهيوي، *حصن السلام*، الدار البيضاء، 1978، ص. 421.


محمد عمراني

**مشيش** (ابن ـ) **عبد السلام العلمي**، ولد بفاس حوالي 1864 ، وبعد تخرجه من جامعة القرويين، اتجه نحو التجارة الكبرى، والقائمة على التصدير والاستيراد ، ـ فكانت له أعمال تجارية بميناء سلا ـ الرباط .. وكان يعتبر من المعشرين الرئيسيين بالنسبة للعديد من تجار الجملة الفاسيين.

كانت له أعمال تجارية بالقنيطرة وخاصة منذ 1896 عند إنشاء قصبة مخزنية بها سنة 1891. وقد ازداد اهتمامه بالقنيطرة بعد اختيار المقيم العام ليوطي ميناء القنيطرة على نهر سبو لإنزال العتاد العسكري وخاصة لما فتح في وجه التجارة منذ يناير 1913. وهكذا أصبح المترجم من أوائل المعشرين الذين استعملوا ميناء القنيطرة الذي أصبح ميناءً رئيسيا بالنسبة لسهلي سايس والغرب بعد سيطرة إسبانيا على ميناء العرائش. وأنشأ فندقا تجاريا ـ منذ 1916 ـ وأخذ يوزع السلع المستوردة مثل الشاي والسكر والصابون والشمع والقماش... على أسواق الغرب على يد مساعديه بينما كان يصدر الصوف، والجلود، ومواد الصناعة التقليدية، والفول والعدس والحمص إلخ... فعرفت تجارته ازدهاراً ونمواً سريعاً، فكان ذلك بمثابة مؤشر بالنسبة لكثير من التجار الفاسيين الذين حلوا بالقنيطرة، أمثال الجيلالي بناني وغيره...

واستقر هؤلاء بالمدينة أو ما يسميه الأوربيون "حي الأهالي" فشكلوا فئة متجانسة وملتحمة. لم يتمكن الاستعمار من استقطابها ـ وعلى العكس من ذلك فإن هذه الفئة سعت إلى تنظيم نفسها ـ وهكذا وهب سيدي مشيش فندقه لإقامة "كتاب قرآني" سرعان ما تحول إلى مدرسة أطلق عليها "مدرسة سيدي مشيش" أو مدرسة الوطنيين واحتوت على أول جيل للأطفال الذين ولدوا بالقنيطرة،

والتحق بوشتى الجامعي سنة 1934 بمدرسة سيدي مشيش وسرعان ما اكتظت بالتلاميذ وتقرر نقلها إلى مقر جديد. وكانت هذه المدرسة تمول من طرف مشيش العلمي، والجلالي بناني، ومحمد الديوري، ومحمد البوعزاوي، ومحمد ازدو وعبد الحق بلبشير، وآخرين مثل برادة وبنزاكور... وكان محمد الديوري هو المسؤول عن المالية وبوشتى الجامعي عن التنظيم وحسن التسيير. وقد ساهمت مدرسة الوطنيين في تكوين مناضلي المستقبل للكفاح ضد المحتل.

وقد تكتل مشيش العلمي مع الحركة الوطنية بمدينة القنيطرة التي نظمت أول مظاهرة احتجاجية ضد الاحتلال سنة 1933 بمناسبة الذكرى الثالثة للظهير الاستعماري (الظهير البربري)، كما كان ضمن النخبة أو الوفد الذي انتدبته الحركة الوطنية سنة 1934 لتقديم وثيقة احتجاج إلى المقيم العام وإلى السلطان بسبب رفض سلطات المدينة السماح للحركة الوطنية ببناء مسجد. وعلى إثر تحويل مياه وادي بوفكران لصالح المعمرين، وتضامنا مع ساكنة مكناس نظم الوطنيون مظاهرات احتجاجية صاخبة في أكتوبر 1937 أغرقتها سلطات الاستعمار في الدماء، إذ تم تطويق مدينة القنيطرة بجيش يكاد لا ينتهي مكون من اللفيف الأجنبي والرماة السينغاليين والخيالة الجزائريين والكوم المغاربة. وتم اعتقال قادة الحركة الوطنية بالمدينة وتم نفيهم إلى الريش. وكان من جملتهم مشيش العلمي الذي حكم عليه بسنتين سجنا رغم بلوغه 74 سنة، وقد اتهم بالتحريض، واتهم بتوزيع الأموال على الفقراء للدفع بهم للقيام بالثورة ضد الفرنسيين، وقام الجيش الفرنسي بتفتيش منازله ومكاتبه، وتم حجز جزء من ممتلكاته وممتلكات ابنه سيدي المأمون بصفة نهائية كما أن جزءاً آخر جمد من طرف السلطات الفرنسية، وعند الإفراج عنه أعاد انطلاق تجارته من جديد مع الجيلالي بناني وذلك بفضل خبرتهما ومصداقيتهما. بعد ذلك، اقتحم ميدان الصناعة الفلاحية للتصدير، خاصة الحوامض بإشراك أبنائه عبد السلام وأملاح.

مصطفى مشيش العلمي، القنيطرة : ميلاد المدينة والحركة الوطنية وزرع ثقافة المقاومة، 1913 ـ 1937، نشر مؤسسة سيدي مشيش العلمي، القنيطرة، 1998 ؛ أبو بكر القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية*، ع. 1 من 1930 إلى 1940، الدار البيضاء، 1992 ؛ جامعة ابن طفيل، المجموعة الحضرية، القنيطرة، *أعمال الندوة القنيطرة في أفق 2000*، القنيطرة، 1996.

**مشيش** (ابن -) **المامون** العلمي هو الابن الأكبر لسيدي مشيش العلمي الذي ولد بفاس سنة 1901 وتلقى تعليمه بالعربية والفرنسية بإعدادية فاس، لكنه استقر مع والده بالقنيطرة. وتكمن أهمية دراسة سيرته الذاتية، في مظهرين أساسين :

ـ المظهر الأول يتجلى في تعاطيه للميادين الرياضية والفنية التي كانت مقتصرة في ذلك الوقت على الأوربيين دون المغاربة.

ـ المظهر الثاني يكمن في استيعابه لنمط عيش الأوربيين في الأكل والملبس وتنظيم الأسفار ... دون الانسلاخ عن هويته العربية الإسلامية ودون الذوبان في نمط العيش الغربي.

كان سيدي المامون من المغاربة الأوائل الذين حصلوا على رخصة سياقة الطائرة بل امتلك طائرة خاصة. كما جلب دراجة نارية ضخمة كان يجوب بها شوارع القنيطرة وفاس ـ ومنذ ذلك الحين أطلق الفاسيون على الدراجة النارية "حصان النار" "عود النار" كما امتلك سيارات فخمة من نوع گرهام. وتعاطى لرياضة المسايفة ونال جوائز مثل "الدرع الذهبي" وتعاطى لرياضة التزحلق على الثلج. والرماية بالمسدس. وقد تعاطى للتجارة بطرق عصرية ـ إذ أدخل صوراً للإشهار على مادة الشاي التي قام بتسجيل نوعها التجاري منذ 1929، وحاولت الحركة الوطنية بفاس أن تقدمه كنموذج للشباب الذي نجح في استيعاب الحضارة الغربية دون الانسلاخ عن وطنيته وحضارة بلده. وتفطنت سلطات الحماية لما يمثله هذا النموذج من خطر على مصالحها، فاستغلت الأحداث والمظاهرات التي عرفتها مدينة القنيطرة سنة 1937 لمصادرة ممتلكاته من سيارات وطائرة وشاحنات. وتمكن من إعادة ترميم أعماله والانطلاق من جديد سنة 1944 إذ اقتنى من القاعدة الأمريكية بالقنيطرة سيارات وشاحنات.

م. مشيش العلمي، *ميلاد المدينة والحركة الوطنية وزرع ثقافة المقاومة*، 1913 ـ 1937، منشورات سيدي مشيش العلمي، القنيطرة، 2002 ؛ ع. العزيز بن عبد الله، *أعلام الغرب* ؛ عبد القادر بوراس، *رواد الحركة الوطنية بمدينة القنيطرة*، جريدة القنيطرة، ع 16، 1998.

عبد القادر بوراس

**المشيشية** (الصلاة) نسبة إلى صاحبها الشيخ عبد السلام بن مشيش، وهي النص المكتوب الفريد الذي خلفه هذا الولي عن ممارسته الدينية واعتكافة في قمة جبل العلم، موضوعها الصلاة على النبي (ص)، موجزة الألفاظ، بليغة الأسلوب، تدل على تعمق صاحبها في حب الرسول عليه السلام. تبتدئ بـ "اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وتنتهي بدعاء" ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا". أضاف الشرفاء العلميون من ذرية الشيخ ملحقا أثبته سليمان الحوات في *الروضة المقصودة* نقلا عن شيخه التاودي بن سودة.

كتبت حول الصلاة المشيشية شروح عديدة أحصى منها الطاهر اللهيوي خمسة وعشرين شرحا، أهمها في تصور فقهاء العلميين *شرح الشيخ محمد الخروبي* الجزائري (ت. 963 / 1556)، كتبه بطلب من الولي عمر بن عيسى بن عبد الوهاب (ت. 956 / 1549، وهي بعنوان *"مفاتيح المقام لفهم ما عبر عنه في تصليته الشيخ مولانا عبد السلام"*. والملاحظ أن معظم هذه الشروح، كتبت خلال فترة انتشار الطريقة الشاذلية الجزولية على يد الشيخ محمد بن سليمان الجزولي وتلاميذه، تقديراً لمكانة الشيخ عبد السلام بن مشيش

الصوفية باعتباره حلقة رئيسية في سلسلة السند الصوفي الشاذلي الجزولي.

انظر نص الصلاة المشيشية وشرح محمد الخروبي، في مؤلف حصن *السلام*، للطاهر اللهيوي، الدار البيضاء، 1978، ص. 393 ـ 409.

محمد عمراني

**المصامدة**، إحدى أهم المجموعات العرقية الأمازيغية التي تسكن المغرب وتكون فرع البرابر البرانس. وباستثناء المجموعة التي أشار إليها "البكري" باسم مصمودة بنواحي عنابة بشرق الجزائر، فإن المصامدة الذين عرفوا بعد العصور الإسلامية ظهروا خصيصا بأقاليم الشمال الغربي والجنوب الغربي للمغرب، وهم يكونون مع قبائل صنهاجة أعرق القبائل الأمازيغية بالمغرب. كانت القبائل المصمودية تستوطن كل غرب المغرب بسهوله وجباله من جبال الريف إلى الأطلس الصغير باستثناء مناطق محدودة تقطنها قبائل صنهاجية : صنهاجة طنجة ووادي ورغة وأزمور، بينما تقطن بقية القبائل الصنهاجية شمال شرق المغرب وجنوبه الشرقي من تازة إلى الأطلس المتوسط وشرق الأطلس الكبير إلى تخوم الصحراء. وقد دام ذلك من القرن السابع الميلادي أي منذ الفتح الإسلامي إلى زمن حكم يعقوب الموحدي الذي أدخل القبائل العربية إلى المغرب فتغيرت بنيته السكانية. وكانت المجموعة المصمودية تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

ـ غمارة : يمتد مجالها من سواحل البحر الأبيض المتوسط إلى حوض سبو.

ـ بورغواطة : من مصب سبو ومجاري بورگراگ إلى وادي أم الربيع.

ـ المصامدة : يمتد مجالهم من مصب أم الربيع إلى الأطلس الصغير، وهذه المجموعة لم تعرف في التاريخ الإسلامي المغربي إلا بهذا الاسم.

وتتميز المجموعات المصمودية باستقرارها وممارستها لأنشطة فلاحية ورعوية. ويؤكد ابن خلدون على استقرار المصامدة في جبال درن (الأطلس الكبير) حيث أنشأوا قرى كثيرة وحصونا وبعض المدن. وقد أبيدت القبائل المصمودية بالسهول الأطلنتيكية : تامسنا ودكالة وأزغار (الحوز) من جراء توالي حروب إبادة من طرف خصوم كثيرين طامعين في خيرات سهولهم الغنية يتمثلون في الإمارات الزناتية المقامة في شالة وتادلة وأغمات وغزوات المرابطين ثم الموحدين والمرينيين وأخيراً غزوات البرتغال انطلاقا من معاقلهم بالساحل الأطلنتيكي. وحاربتهم القبائل العربية الوافدة من تونس التي أدخلها الموحدون وجندوها في جيشهم فشنوا عليها حرب إبادة باعتبارهم كفاراً أو خوارج مرتدين عن الإسلام. ولعل هذه التهمة تخفي تشبثهم بمذاهب مسيحية أريوسية ممتزجة بنحلهم الإحيائية واليهودية. فانتزعت منهم أراضيهم وهي الأخصب بالمغرب وطرد الباقون إلى الهضاب الداخلية والجبال. كما أن الوطاسيين لم يقبلوا تعامل بقايا مصامدة بسهول "دكالة" مع البرتغاليين ومهادنتهم لهم. وانتهت الحروب التي دامت قرونا باستئصالهم من السهول لتحل محلهم قبائل بني هلال وبني سليم الرعوية بمعظم حوض سبو والخلط وبنو سفيان وبنو جابر وبرابر زناتة وهوارة بالوسط وقبائل بني معقل الوافدة من الصحراء الغربية بالجنوب : عبدة واحمر والرحامنة والبرابيش والأوداية وأولاد دليم وأولاد بو السبع الذين أتوا في ركاب السعديين كقبائل گيش لهم. وابتداء من القرن العاشر الهجري (16) اقتصر مجال المصامدة على مناطق جبلية أي الأطلس الكبير الغربي وقسم من الريف الأوسط اللذين كونا طرفا موطنهم الأصلي، فنجد بالريف غمارة وجيرانهم مصمودة : قصر مصمودة قصر المجاز : القصر الصغير حاليا. وقد أشار البكري في القرن الخامس الهجري (11) إلى بقايا مصمودية ببعض جهات الريف وأقاليم طنجة والعرائش. أما بالوسط والجنوب الأطلنتيكي فقد أبيدوا في معظمهم باستثناء بقايا مثل حاحا وورگراگة بمصب تانسفيت التي استعربت واختلطت بقبائل عربية. أما مصامدة الجنوب الجبلي فقد بقوا متشبثين بالأطلس الكبير والأطلس الصغير حيث تعايشت أخلاط من الأمازيغ من مصامدة وصنهاجيين وغيرهم كما نجدهم بجبل سيروا وبعض الهوامش الصحراوية.

لقد خضع المصموديون للمرابطين إلى أن ظهر المهدي بن تومرت وتأسست دولة الموحدين، فاسترجع المصموديون نفوذهم وذاع صيتهم، واتسعت ممتلكاتهم، لكن إدخال الموحدين لقبائل عربية للقضاء على بورغواطة فتح لهم المجال لإطلاق يدهم، لقد ظلت بورغواطة متمردة على السلطة المركزية محتمية بقواتها الذاتية المعتمدة على سهول خصبة وأنشطة فلاحية ورعوية وحرفية، فقد اهتموا بتربية الخيول وأتقنوا صناعة صهر المعادن وممارسة زراعة بورية وشجرية. حاربهم الموحدون بقبائل جيشهم العربية والزناتية والمصمودية حرب إبادة انتهت باستئصالهم وتحويل بلدهم الذي يعتبر من أفضل سهول المغرب موقعا ومناخا وفلاحة : تامسنا، إلى مراعي الشاوية لرعي الشاة من طرف قبائل بدوية متنقلة تسكن الخيام. وانتهى النهج الذي سارت عليه القبائل العربية أو المستعربة الوافدة من الشرق أو من الجنوب الصحراوي، إلى تعريب السهول وتحويل الحياة الاقتصادية إلى الاهتمام بالرعي أكثر من الفلاحة فانحصر مجال المصامدة بجبال الأطلس الكبير والصغير. ولعل هذه المرحلة التاريخية صادفت تطوراً اقتصاديا واجتماعيا بسبب الاستقرار. تزامن مع التوسع في الممارسات الإسلامية التي غيرت التقاليد والعقليات والعلاقات الاجتماعية والقبلية، فتفككت وحدة القبائل الرعوية الكبرى وتحولت إلى وحدات صغيرة مرتبطة بإقليم جغرافي منفتحة لاستقبال عناصر بشرية جديدة وتحولات اقتصادية واجتماعية.

ولما ضعف الموحدون بعد هزيمتهم الكبرى بإسبانيا وتقلص نفوذهم بفعل هجمات بني مرين، انصرفت صنهاجة الجبل عن

تأييدهم وتصدت هنتاتة وهسكورة للعمل السياسي والعسكري، فكون الهنتاتيون إمارة شبه مستقلة بمراكش 621 / 1224 ودام ذلك طيلة المرحلة الأولى من حكم بني مرين، كما ظهر عدد من الأمراء الصنهاجيين الذين هيمنوا على السلطة في قبائل الأطلس : سكساوة، قدميوة سوس ... بينما ضعف مصامدة السهول ودكالة وحاحا وفقدوا استقلالهم بل أراضيهم. وظل مصامدة الأطلس الكبير والصغير يعيشون شبه مستقلين عن الحكم المركزي خاصة في عهد الملوك الضعاف لكن ظلوا ممزقين لم يستطعوا جمع شملهم تحت إمرة حاكم قوي يوحد مجالهم وقبائلهم. بل كانوا ينصرفون حتى عن حكامهم المحليين ليمنحوا ولاءهم للزوايا والأولياء والصالحين فظهر بينهم عدد من الأولياء والمتصوفين (انظر *التشوف*).

حارب أحمد المنصور الذهبي السعدي قبائل مصمودة الحوز ثم الجبل لإخضاعها لكن دون جدوى، وبعد وفاته استقام الأمر لقبائل الگيش العربية فاستقرت بسهول الحوز والهضاب الأطلنتيكية على حساب قبائلها المصمودية. أما قبائل الأطلس وسوس المصمودية فقد خضعت لزعماء دينيين مثل عائلة سيدي حماد وموسى بتازروالت وبعض الشيوخ من آيت أومغار بالأطلس المراكشي. لكن مولاي رشيد أرجع المصامدة إلى الخضوع إلى السلطة المركزية بحروبه العديدة فتلاشت عصبيتهم وضعف ارتباطهم القبلي بفعل التطورات الحديثة في المغرب في بداية القرن (19). ومع ذلك عرفت قبائلهم انتفاضة كبرى استجابة للتحولات الحديثة التي انطلقت من التدخل الأوربي بالمغرب والتخطيط الاستعماري فظهر قياد الأطلس الكبير المنبثقين من عائلات محلية : عائلات گلاوة وگندافة ومتوگة واشتبكوا في حروب طاحنة لتمديد مناطق نفوذهم. لقد اختفت تسمية المصامدة في المكتوبات العربية بعد عهد السعديين وحل محلها الانتساب إلى لهجات أمازيغية بالتسمية : تاشلحيت في الجنوب وتامزيغت بالوسط وتاريفيت بالشمال... ولم تتشبَّث باللقب سوى ببقع صغيرة متفرقة أهمها مصمودة : وهي قبيلة صغيرة بالريف الغربي قرب القصر الكبير.

ويتساءل الباحثون اليوم هل كان اسم مصمودة الذي طالما ذكره مؤرخون وجغرافيون عرب أو مستعربون من المشرق والمغرب معروفا لدى السكان رغم وجوده في أسماء بعض العائلات الحضرية أو النخبوية. ويلاحظ أنه غير موجود في كتاب الأنساب الموحدي. ويرجحّ اليوم أن هذه التسمية التي عمت الكتابات العربية في عهد الموحدين وبعدهم انطلقت من الأطلس الكبير الغربي وبالضبط من وادي نفيس حيث أقاموا حصنهم الأول تنمل الذي جمع فقهاءهم ومحاربيهم، كان سكان الوادي الدافئ نسبيا يطلقون على سكان الأودية الروافد التي تجمع مياهها من ذوبان ثلوج الجبال العالية : إمصميدن أي المبردين أو ساكني بلاد البرد إذ كانوا يعانون شتاء من برودة قاسية، فأطلق كتاب الموحدين عل سكان كل الوديان والجبال المجاورة لهم إمصميدن التي تحولت بالتعريب إلى : مصامدة. وتطلق صيغ كلمة أصميد أي البرودة على جبال وعيون وأماكن كثيرة بالمغرب. وكانت تطلق على أهم مدينة تعد مخرج طريق وادي نفيس التاريخي العابر للأطلس : أمصميدي التي تحول اسمها إلى أمزميز.

ويجهل الشيء الكثير عن قبائل مصامدة السهول البائدة. لكن مصامدة جبال الأطلس الكبير والصغير خضعوا لدراسات جغرافية وسوسيولوجية حديثة. فهم يعيشون حياة فلاحين مستقرين يجمعون بين الزراعة البورية والشجرية المسقية وتربية المواشي والنحل ويتقنون حرفاً كثيرة تمدهم بضرورة الحياة، ويسكنون قرى مكونة من منازل مبنية من الطين والحجارة يتخللها حصون محمية للطوارئ ولخزن التموين : أگادير أو إغرم. لقد أشار البكري إلى مهارة المصمودين في حرف كثيرة أهمها النسيج الصوفي والبناء وصهر المعادن، ومازالت بقايا مناجم ومصاهر كثيرة بروافد وادي نفيس، كما اشتهروا بمهارتهم التجارية. ومن الناحية الفكرية أنتجت مصمودة زعماء سياسيين ودينيين منذ أيام البورغواطيين إلى الموحدين، كما اشتهرت بفقهاء ومفكرين قاموا بتأليف كتب بالعربية والأمازيغية، أشار البكري والإدريسي إلى بقاء نحل وثنية أو خارجية بقبيلة هرغة وإيغلي بسوس تقدس الكبش ولعلها من بقايا عبادة أمون الفرعونية. ويشير التادلي في كتاب *التشوف* إلى أن قبائل مصمودة كانت تميل إلى تقديس الخوارق والأساطير الدينية وتقديس الطبيعة : مغارات، عيون، أشجار...، لكن هذه المظاهر كلها تحولت تدريجيا في ظل الإسلام إلى الإيمان بالمعجزات والأولياء والصالحين وإقامة المواسم والتشيع للزوايا والشرفاء وأضرحة الأولياء والقائمين عليها : إگزامن. كما ازدهر في كتاتيبهم ومساجدهم وزواياهم تلقين العلوم الدينية الإسلامية. مما أنتج أجيالا من الفقهاء والعلماء الذين لعبوا أدواراً مهمة في الثقافة العربية الإسلامية بالمغرب.

أحمد الناصري، *الاستقصا*؛ عبد الرحمن ابن خلدون، *تاريخ العبر والمقدمة*؛ ابن الزيات، *التشوف إلى رجال التصوف*، *بحوث طلبة السنة الرابعة تاريخ بكلية الآداب*، مراكش.
*Encyclopédie de l'Islam.*

أحمد هوزالي

**مصانو**، (الحاج -) **عبد القادر** فقيه وأديب من مشهوري فن المديح والسماع بفاس في القرن العشرين. كان - إلى ضلوعه في هذا الفن - على دراية واسعة بالموسيقى الأندلسية، يحفظ نوباتها، ويجيد أداء صنعاتها.

وكانت له إسهامات في مجال النظم، فقد نظم جملة من الموشحات، ومنها :

1) توشيح في بسيط عراق العجم مطلعه :

شوقي عجيب وأنا هائم بحب الحبيب
هاني والله لاغنى عن وجه الحبيب

وقد عارض موشحا مشهوراً أوله :

انشرح وطب واغتنم غفلة الرقيب
هاني والله لاغنى عن وجه الحبيب

2 ) صنعة من بحر البسيط تتخللها توشية، وهي من انصراف قدام غريبة الحسين، أولها :

الله أكبر حيّنا قد ازدهـر المسك في ختمه يصافح العنبر

توفي عام 1970.

ع. العزيز بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2 ، الدار البيضاء، 2000، ص. 299 ؛ ع. اللطيف بنمنصور، *مجموع ازجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحايك*، 1397 / 1977، ص. 141 ـ 252 ـ 461 ـ 462.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**المصباحي** (أفراد وزاوية بمدينة القصر الكبير) عائلة كبيرة بالقصر الكبير عرفت بالزهد والورع والتقوى، وقد ظهرت ابتداء من القرن العاشر الهجري زاوية المصباحيين على يد الولي الصالح الزاهد الحسن بن عيسى المصباحي، اشتهرت بإطعام الطعام وإيواء الوافدين عليها، وكان مؤسسها من دعاة الجهاد في تلك الفترة العصيبة إلى أن توفي سنة 976 ودفن بالدعادعة، وله في القصر الكبير محل يسمى باسمه حتى الآن ؛ وقد اتخذه السكان مقبرة لهم تبركا به، إلى أن جاءت الحماية الإسبانية سنة 1914 فاتخذته معسكراً مما أدى بالسكان إلى نقل رفات ذويهم، وبعد الاستقلال أصبح هذا المكان يسمى بالحي المدرسي.

ومنهم، أبو مهدي يحيى بن أبي محمد المصباحي الذي حمل لواء الولاية والزهد بعد وفاة والده السالف الذكر، فتابع سبيله في جمع المجاهدين، ومات شهيداً بثغر طنجة التي قصدها مع أتباعه لتحريرها من براثين الاستعمار وكان ذلك بتاريخ 15 جمادى الأولى سنة 982 ، حمله المجاهدون إلى مقبرة أبيه، ودفن بسوق الأربعاء (سيدي بن فريحة) بجوار والده. ومن أصحابه أبو الحسن علي بن محمد بن فريحة الذي شارك معه المعارك.

ومنهم الزبير المصباحي، وهو من مشايخ الدعوة والزهد، كان مجاهداً عظيماً يتمتع بثقة وجاه، واشتهر اسمه لدى الخاص والعام، وقد حضر في معركة مشرع بوعقيبة بوادي العبيد حينما التقى سلطان فاس أحمد بن محمد الوطاسي وسلطان مراكش أحمد بن محمد الأعرج الذي كان معه أخوه محمد الشيخ، فانهزم الوطاسي وتفرقت جموعه، وأرادت الجيوش أن تقبضه فحضر هناك الشيخ سيدي الزبير المصباحي المذكور أعلاه على فرس فحال بينه وبين تلك الجموع وصار يناديه : لا تخف" إلى أن رجعت الجيوش فحال بينه وبينهم، ثم اختفى، فكان ذلك بتاريخ 948. وقد عرف السلطان الوطاسي أوصافه، وصار يسأل عنه ويصفه للناس. وحينما رجع السلطان من تطوان، وقد تزوج بالحرة بنت الأمير سيدي أبي الحسن علي بن موسى بن رشيد، اغتنم هذه الفرصة للبحث عن سيدي الزبير المصباحي، فلما رآه عرفه ودخل منزله بمدينة القصر الكبير، وكان ابنه أبو القاسم آنذاك صبيا سنة 948. فلم يطق هذه الشهرة، ومات في تلك السنة التي زاره فيها السلطان الوطاسي، وقد ذكر هذه القصة صاحب كتاب *ممتع الأسماع*.

ومنهم سيدي قاسم المصباحي الذي ولد سنة 948 وهو أبو القاسم بن الزبير بن محمد بن بوعسرية بن الحسن بن الزبير بن طلحة بن مصباح المصباحي، وهو الذي خلف أباه في الدعوة الروحية والتمسك بروح الشريعة.

توفي بمسقط رأسه القصر الكبير سنة 1018 ودفن بجوار والده بوسط المدينة وأقيم له ضريح بطريق القطانين، ولا يزال ضريحه قائماً حتى الآن.

م. بن عبد السلام بوخلفة، *الطريق لمعرفة القصر الكبير*، تطوان، 1972.

الحسين البعاوي

**المصباحي** (ابن -) **الزبير بوعسرية** الزناتي الشاوي من صوفية وأولياء وعلماء القصر الكبير في القرن العاشر الهجري، ولد حوالي سنة 943 / 1537. من أسرة تعدد فيها الصلحاء والعلماء. وهو ثالث الصلحاء المصباحيين المدفونين في القصر الكبير. أخذ عن الشيخ أبي محمد الحسن بن عيسى المصباحي من أكابر أصحاب الشيخ عبد الله الغزواني، وعن ولده أبي محمد عيسى بن الحسن المصباحي، وعن أبي الطالب وارث الشيخ الغزواني. ويعد من أخص أتباع الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي، صحبه بمدينة القصر الكبير قبل انتقاله إلى فاس. كان أبو القاسم المصباحي "شيخا جليل القدر محافظا على رسوم الشريعة مع تغفل في دنياه، لا ينكر من أحواله شيء، ومن أصحاب المكاشفات. وكان له مريدون كثر". أخذ عنه عالم المغرب الشيخ عبد القادر الفاسي، وكان كثيرا ما يتردد عليه بالقصر، قبل رحلته إلى فاس.

توفي في مستهل المحرم سنة 1018 / 1609، ودفن بالقصر الكبير بحومة تحمل اسمه إلى اليوم.

مخلوف، *شجر النور الزكية*، 1 : 296 ؛ القادري، *التقاط الدرر*، ص. 52 ؛ *نشر المثاني*، 1 : 105 ؛ محمد العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ص. 214 ؛ محمد المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، ص. 134.

محمد المغراوي

**المصباحي، عمر** (القائد الزمراني) أحد قواد زمران المشهورين، ينتمي إلى فرقة أولاد مصباح، هناك، شغل منصب كاتب لدى القائد الهاشمي الزمراني ولما توفي عام 1858 عينه السلطان المولى عبد الرحمان مكانه، فأسندت له أيضاً السلطة على القبائل الجبلية المجاورة كتكانة وغجدامة وگلاوة التي مالبثت أن أصبحت قيادة على رأسها محمد المزواري الملقب ليبيطي، فنشأ نزاع بين القائدين تم الاستحكام فيه إلى السلطان المولى عبد الرحمان ؛ وبعد ذلك أصبحت گلاوة خارجة عن حكم زمران.

لما استتب الأمر لعمر المصباحي هذا على إخوانه، نصب شيوخه ومقدميه على أطراف إيالته، مكونا لنفسه الأتباع والمؤازرين، وبعد تصفية مشاكله مع گلاوة شيد لنفسه داراً فسيحة وسط أولاد مصباح، جعلها مقراً لعياله ومجالسيه، كما بنى قصبة لحاميته بالزاوية الرحالية، فزادت بذلك أملاكه ومواشيه بكل من وادي غدات وتساوت، كما نال ثقة المخزن وثناءه وذلك طيلة عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان الذي أقره في منصبه، ومدة من حكم المولى الحسن، وقد ساهم بجانب هؤلاء السلاطين في الحركات المخزنية والإشراف على مزارع تملالت ورعاية مواشي المخزن، وإرسال عسكر الإيالة ثم هدايا الأعيان ووفودها، وهو ما جعل المخزن يشد عضده بعد أن قامت الإيالة عليه، مستغلة وفاة السلطان محمد بن عبد الرحمان، فطالت بذلك مدة حكمه إلى ما يناهز ثلاثين سنة، لم يتعرض خلالها لعزل أو توبيخ.

توفي بمدينة سيدي رحال عام 1304 / 1886، فخلفه القائد عبد السلام بن شكرا على زمران ؛ أما أمواله فبقيت بيد أبنائه الذين مالبثوا أن تنازعوا فتفرقوا في البلاد.

الناصري المهدي، *الرحلة الزاهرة في أخبار درعة المعاصرة*، تح. أحمد البوزيدي، الدار البيضاء، 1999، ص. 13.

Gouvion, *Kitab Aâyne al Maghrib al Akça*, Paris, 1938, p. 338.

الحسن شوقي

**المصحف الشريف بالمغرب**، سمي المصحف "مصحفا" حينما جمع القرآن كاملا أول مرة على عهد أبي بكر رضي الله عنه في صحف مكتوبة جامعة حفظا لقدسية معناه وصونا لوحدة مبناه استنادا إلى ما كان محفوظا في الصدور وما كان مكتوبا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما توافر يومئذ من صحف ولحاء شجر ورقاع وغيرها. ولذلك استقر الرأي منذ ذلك الحين على تسمية ما جمع "مصحفا"، يقول الأزهري موضحا هذا القصد : "وإنما سمي المصحف مصحفا لأنه أصحف أي جعل جامعا للصحف المكتوبة بين الدفتين. ولتمييز هذا المصحف المبارك الجليل عن غيره من الكتب السمارية الأخرى ككتاب اليهود مثلا فقد أجمع جمهور المسلمين على رفض تسميته "سفرا".

ومما لاشك فيه أن دخول المصحف الشريف إلى المغرب وانتشاره بين الناس أفرادا وجماعات لم يتم، كما كان الحال في سائر البلاد الإسلامية الأخرى، مباشرة بعد وصول الطلائع الأولى للجيوش الإسلامية الفاتحة، وإنما كان دخوله في مبتدإ الأمر محفوظا في صدور الفاتحين الأوائل يتلونه على مسمع من المغاربة للاهتداء بهديه والأخذ بأحكامه ونواهيه والعمل بشعائره وشرائعه، لأن مبتغى ما كانت تسعى إليه كتائب الفتح عند افتتاحها آفاق البلاد المغربية تباعا هو إعلاء صوت القرآن دعوة وبلاغا ومنهاجا من خلال جعل كل مسلم مؤمن به قارئ قرآن متمثل لآياته ومعانيه في خشوع وتبتل حين تلاوته أو سماعه. ولذلك لم يتم تداول المصحف الشريف مكتوبا في المغرب إلا في مرحلة تالية للفتح بعد أن صارت قدم الإسلام راسخة بين أمصاره وبواديه، وغدت كلمة القرآن نافذة بين قبائله وأقوامه، وإن كنا لا نعدم في هذا السياق في روايات المؤرخين القدامى بعض الإلماعات العرضية الدالة على وجود مصاحف حملها معهم قادة وجنود الفتح ممن كان لهم سبق افتتاح أرض المغرب والأندلس وفضل ترديد آيات الذكر الحكيم في أرجائهما نصرة لدين الله وشرعه وتمكينا لكلمة الحق والتوحيد.

ومما هو متواتر في المصادر التاريخية التي تناقلت أخبار المصحف الشريف عبر سيرورة تاريخ المغرب، نساخة وخطاطة وقراءة واستعمالا، هو أن أول مصحف جرى تداوله بين المغاربة هو "المصحف الكبير العقباني" المنسوب إلى الفاتح الأول لبلاد المغرب عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه الذي قام بنسخه من المصحف العثماني بالقيروان. وقد استمر هذا المصحف يتوارثه الملوك المغاربة خلفا عن سلف إلى أن وصل إلى الشرفاء السعديين الزيدانيين ثم انتقل من بعدهم إلى ملوك الدولة العلوية السجلماسية، إلى أن انتهى أمره إلى أيدي السلطان العلوي عبد الله بن إسماعيل الذي بعثه، في جملة ما بعث من مصاحف أخرى، هدية سنية مع ركب الحاج المغربي إلى الحرم النبوي بالمشرق. أما "المصحف العثماني" الذي حظي لدى المغاربة كافة، ملوكاً ورعايا، بأشكال وطقوس غاية في المبرة والإجلال والتعظيم، فلم يدخل إلى المغرب إلا في زمن متأخر عن دخول المصحف الكبير العقباني. ويزعم أغلب المؤرخين قدامى ومحدثين ممن كان لهم قول ونظر في كيفية انتقال هذا المصحف من المشرق والمحطات التي قطعها إلى أن انتهى به المستقر في المغرب، أنه يمثل واحدا من المصاحف الخمسة التي بعثها ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الأمصار حسما للخلاف بين المسلمين حينما بلغه اختلافهم في وجوه القراءة إلى الحد الذي جعل بعضهم يؤثم بعضهم الآخر. ومعلوم أن هذا المصحف كان في بداية الأمر بخزائن قرطبة بعدوة الأندلس تحت إمرة ابن عبد الرحمان الداخل - فيما يرويه ابن خلدون - ثم استجلبه الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي بعد ذلك إلى مدينة مراكش سنة 552 / 1158. ومنذ ذلك الحين وهو في عهدة الخلفاء الموحدين مشمولا برعايتهم يحملونه معهم حضرا وسفرا، إلى أن ظفر به يغمراسن بن زيان في حملة ما ظفر به من ذخائر ونفائس إثر الحملة العسكرية التي قادها ضده بتلمسان الأمير الموحدي السعيد علي بن المامون إدريس في صفر عام 646 / 1248 ولقي فيها مصرعه. ولم يمض على وجود هذا المصحف في كنف بني زيان زهاء قرن من الزمان حتى استرجعه السلطان أبو الحسن المريني بمناسبة غزوه لتلمسان عام 737 / 1336، واستمر منذ ذلك الوقت في خزائن بني مرين محاطا بتجلة وتقدير بالغين يقدمونه في مواكبهم، ويتنافسون في كتابة منتسخات منه وإرسال نماذج رائقة منها لوقفها على الحرمين الشريفين والحرم

القدسي. غير أن ما تجب الإشارة إليه في هذا الصدد هو أن المؤرخين الذين تحدثوا عن هذا المصحف بعد صيرورته إلى بني مرين، قد أوردوا روايات متضاربة حول مصيره ونهايته. ففي الوقت الذي استخلصه بنو زيان من الموحدين يقول، صاحب *الاستقصا* : "انتهى مصحف عثمان إلى ابن الأحمر الذي قدمه، بدوره هدية للسلطان المريني يوسف يعقوب بن عبد الحق سنة 692 ، واستمرَّ منذ ذلك العهد متداولا بين ملوك بني مرين إلى أن خلص للسلطان أبي الحسن المريني، فكان أن أضاعه في موقعة طريف، إلا أنه وبفضل ما بذل من جهد وحيلة، تمكن من استخلاصه من بلاد البرتغال وإعادته ثانية إلى خزانته بمراكش". ولما كانت سنة 750 / 1349 يؤكد الناصري، "انتهى مصير مصحف عثمان غرقا في البحر إثر النكبة التي حلت بأسطول أبي الحسن لدى قفوله من إفريقية إلى المغرب". وعلى خلاف هذه الرواية، يشير ابن مرزوق وابن خلدون "أن مصحف عثمان لم يختف وإلى الأبد على إثر واقعة نكسة أبي الحسن، وإنما استمر موجودا لدى أبنائه الأمراء وأعقابهم من بعد كذخيرة من أعز الذخائر في خزائنهم يتبعون، تيمنا وتبركا بها، نفس العوائد والمظاهر الاحتفالية والاستعراضية التي جرت بها عادة الملوك المرينيين والموحدين من قبلهم في مواكبهم سواء في حالة إقامتهم وسفرهم، أو في حالة غزوهم وحربهم".

على أن مظاهر عناية السلاطين المغاربة بالمصحف الشريف ورعايتهم له لم تنحصر في ميادين بعينها أو في أنشطة دون غيرها، وإنما شملت مجالات واسعة من الاهتمام تجاوزت أوجه حضورها وتجليات تحققها كل حصر أو تصنيف. فقد تنافسوا على مر العصور في صناعة أبهى الأغشية وأروع الأغطية لتكسية المحمل الذي يحمل فيه مصحف عثمان وتحليته بشتى أنواع اليواقيت ونفائس الأحجار الكريمة والمعادن الثمينة حتى يكون في مستوى سمو مكانة هذا المصحف وقدسيته. فالخليفة عبد المؤمن الموحدي على سبيل المثال بعد حصوله مباشرة على هذا المصحف من أهل قرطبة "... جمع الصناع والمتقنين من سائر بلاد المغرب والأندلس من المهندسين والصواغين والنظامين، والجلائين النقاشين والزواقين والمرصعين والنجارين والرسامين المجلدين وعرفاء البنائين، وصنع له أغشية بعضها من السندس وبعضها من الذهب والفضة، وحلاه بأنواع اليواقيت وأصناف الأحجار الغريبة النوع، وقد حمله معه لأول مرة لزيارة قبر المهدي سنة 553". وتيمنا ببركة هذا المصحف وقداسته الدينية والروحية فقد حرص السلاطين المغاربة على تقديمه على الدوام في مواكبهم العسكرية مع إحاطته بهالة كثيفة من التقدير والتعظيم والاحتفالية عز نظيرها. يقول صاحب *الذيل والتكملة* في هذا الخصوص واصفا هيئة محمل مصحف عثمان ضمن مواكب الأمراء الموحدين عند تحركهم لغزو أو سفر "ويليه (أي موضع السلطان في المعسكر) المصحف الكريم محمولا على أضخم بختي يوجد، وقد جعل في قبة حريرية ارتفاعها نحو عشرة أشبار، وعرض كل وجه من وجوهها الأربع نحو أربعة أشبار، وبأعلاها جامور محكم الصنعة على نحو جوامير الأخبية، من أتقن ما أنت راء جمالا، وفي أعلى كل ركن من أركان القبة عصية ركب فيها سنين مذهب، وقد ربطت بها راية من حرير حمراء، لا تزال تخفق عذباتها بأقل ريح، ولو لم يكن إلا بهز الجمل إياها في سيره..". وتبقى نساخة بعض الملوك للمصحف الشريف بخط أيديهم أو كتابته تحت إشرافهم من خلال تهيئ كل الظروف واللوازم الضرورية لإخراجه في أحسن حلة، وراقة وكتابة وزخرفة وتسفيرا، من أبرز العلامات وأقواها دلالة على عمق الوشائج الروحية التي ظلت تربط السلاطين المغاربة بالقرآن الكريم. ففي العصر الموحدي كتب محمد المهدي ابن تومرت مصحفا بخط يده، كما حذا حذوه في أواخر عهد الدولة الخليفة أبو حفص عمر المرتضي حيث خط بيمينه ربعة قرآنية. وقد اكتست هذه الممارسة بعدا أكثر اتساعا وتميزا في العصر المريني، حيث كتب السلطان أبو يعقوب يوسف تحت إشرافه ربعة قرآنية وأرسلها مع ركب الحاج المغربي هدية إلى المسجد الحرام بمكة المشرفة سنة 703 / 1304. كما قام في نفس الاتجاه السلطان أبو الحسن المريني، وفي مبادرة غير مسبوقة، بانتساخ أربع ربعات قرآنية بخط يده دون أن يحالفه الحظ في تكملة الربعة الخامسة التي أتمّها من بعده ولداه أبو عنان وأبو فارس الأول. وبموازاة هذه الثلة من الملوك ممن كان لهم إسهام في كتابة المصحف الشريف، برز بين فئات المجتمع المغربي في أزمنة تاريخية مختلفة خطاطون مصحفيون أبدعت أناملهم وأجادت في كتابة مصاحف غاية في الجودة والصنعة، نذكر من بينهم تمثيلا لا حصرا : الخطاط ابن تاخميست الفاسي (القرن 7 هـ)، النجللي ومحمد بن أحمد الجمحي المراكشي (القرن 8 هـ)، محمد بن العدي الأندلسي (القرن 10 هـ)، الجزيري عيسى بن الشريف الحسني التطواني وابن مومو محمد التهامي المكناسي (القرن 12 هـ)، القندوسي محمد بن القاسم الفاسي والفلالي الحاج محمد بن أحمد بن أبي القاسم (القرن 13 هـ). ومن النساء الخطاطات اللائي نبغن في هذا الميدان نذكر على سبيل التمثيل : الشريفة فاطمة بنت علي بن محمد المنالي الزبادي (القرن 12 هـ)، آمنة بنت الحاج عبد اللطيف بن أحمد حجاج وعائشة بنت الحاج مبارك الشلح (القرن 13 هـ).

هذا، ولم تقف اهتمامات المغاربة ملوكا ورعايا بالمصحف الشريف عند هذه المآثر الخالدة، وإنما اتسعت لتشمل أيضا العمل على "وقف المصاحف وإنشاء بعض الخزائن برسمها". ولعل هذا ما يظهر مثلا فيما قام به الخليفة الموحدي عمر المرتضي حينما أسس جامع السقاية بمراكش، حيث أنشأ به خزانة للمصاحف الموقوفة، كما يتجلى أيضا في خزانة المصاحف التي أنشأها أبو عنان المريني بجامع القرويين بفاس في شوال عام 750 . وهي سنة حميدة استمرت قائمة إلى يومنا هذا، وصار تحبيس المصاحف على الخزائن وبيوت الله

عملا مرسلا يقبل عليه كل من حمدت سيرته وصلح إيمانه من عموم الناس وخصوصهم.

ومع كل ما سبقت الإشارة إليه من مبرات وأعمال حسان، فإن عناية المغاربة بكتابة المصحف الشريف، رسما وزخرفة وألوانا، كانت من أهمَ ما استأثر باهتمامهم، حيث خصوا هذا الركن المفصلي بقواعد وضوابط غاية في الدقة والإحكام، أضفت على شكل الكتابة وزخارفها وألوانها طابعا مغربيا أصيلا، ولعل هذا ما تثبته بوضوح كتابة المصاحف والأجزاء المغربية المعروفة بالخط الأندلسي أو المغربي بعد أن كانت المصاحف الأولى مخطوطة بالخط الكوفي، وذلك في التزام تام بقواعد الرسم العثماني الذي حرص المغاربة أشد ما يكون الحرص على احترامها واستنكار ما عداها من قواعد الإملاء العامة.

إ. منظور، *لسان العرب*، ج 4 ؛ ر. الإصفهاني، *مفردات ألفاظ القرآن*، 1418 / 1997 ؛ إ. خلدون، *المقدمة*، 1981 ؛ *تاريخ ابن خلدون*، ج 7 : 1417 / 1996 ؛ م. عبد الله التنسي، *تاريخ بني زيان*، 1988 ؛ ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، 1972 ؛ الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، 1387 / 1967 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، 1406 / 1985 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن القطان المراكشي، *نظم الجمان*، 1990 ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب*، 1978 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 2 : 1418 / 1997 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، 1420 / 1999 ؛ عبد الرحمن السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، ج 1 و2. 1405 / 1985 ؛ محمد المنوني، *ورقات عن حضارة المرينيين*، 1996 ؛ *قبس من عطاء المخطوط المغربي*، م 1، 1999 ؛ *تاريخ الوراقة المغربية*، 1412 / 1991 ؛ عبد الهادي حميتو، *قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش*، ج 1 و2، 1424 / 2003 ؛ أحمد الكنوني، *المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح إلى ابن عطية*، ج 1، 1401 / 1981 ؛ هـ . سلبي، *القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري*، 1983 ؛ عبد الهادي التازي، *جامع القرويين في تاريخ المغرب*، ج 1 و2، 2000 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية*، ج 1 ؛ رقية بلمقدم، *أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل*، ج 1 و2، 1993 / 1413. ؛ إبراهيم حركات، *المغرب عبر التاريخ*، ج 1 و2، 1405 / 1984.

الفقيه الإدريسي

**مصر والمغرب**، اكتشفت أرض الكنانة بعدها العربي خلال ثلاثينيات القرن العشرين، حين بدا واضحا لساستها أن عزلتها عن محيطها التاريخي تجعلها باستمرار طرفا ضعيفا في صراع القوى العظمى للسيطرة على الشرق الأوسط. وخلال الحرب العالمية الثانية، تأكد للمصريين جدوى العمل السياسي على المستوى العربي، خاصة وأن المجال المجاور، من ناحيتي الشرق والغرب، بات يعرف فراغا سياسيا واضحا ظنوا أن في مقدرتهم ملء بعض أطرافه اعتمادا على رصيد مصر الروحي (الأزهر) والفكري (فكر النهضة) والثقافي - السبق في ميادين السينما والراديو والفن -. وقد عكس المجهود الكبير الذي بذلته الدبلوماسية المصرية لتفعيل مشروع جامعة الدول العربية ونجاحها النسبي في الهيمنة على أجهزتها، رغبة القاهرة في لعب أدوار ريادية إقليميا، واحتضان حركات التحرر العربية وتوجيهها نحو كل ما يخدم استراتيجيتها الرامية إلى تحقيق توازن بين مملكة الكنانة ومملكة الفرات. وقد وجد الوطنيون المغاربة في العاصمة المصرية ظروفا مواتية مساعدة للعمل السياسي لصالح القضية المغربية، خاصة بعد أن حل بها محمد بن عبد الكريم الخطابي. ففي القاهرة تأسس مكتب المغرب العربي الذي اشتغل كأداة للتأطير الداخلي والتنسيق في المواقف، وساعدت الحكومة المصرية الوطنيين المغاربة من جهة عبر تمكينهم من الاستفادة من وسائل الإعلام - الصحافة المكتوبة والمسموعة خاصة الراديو -، ومن جهة أخرى عبر سعيها لتمكينهم من ربط الصلات مع ممثلي العديد من الدول العربية والإسلامية. وقد ربط المغاربة منذ هذه الفترة المتقدمة شبكة من العلاقات والصداقات مع فاعلين سياسيين مصريين، ستكون قاعدة فيما بعد للتفاهم والتنسيق على مستويات متنوعة. وعند احتدام الأزمة المغربية، رفعت حكومة الثورة المصرية من حجم ودرجة سندها، فقد ضغط نظام الضباط الأحرار بكل ثقله من أجل تمكين الوطنيين المغاربة من التعبير عن آرائهم ومواقفهم عبر أمواج إذاعة - صوت العرب -.

وكانت مصر من أولى الدول العربية التي أقدم المغرب المستقل على ربط علاقات دبلوماسية كاملة معها، حيث استقبل محمد الخامس سفيرها بتاريخ 15 أكتوبر 1956. وقبيل ذلك، أعربت الحكومة المغربية عن حق مصر المشروع في تأميم الشركة العالمية لقناة السويس كخطوة إضافية لاستكمال سيادتها، كما أدانت الحكومة المغربية العدوان الثلاثي، إلا أنها قررت عدم قطع علاقاتها لا مع فرنسا ولا مع بريطانيا لاعتبارات عديدة.

في حقيقة الأمر، لم يكن الساسة المغاربة على اختلاف قناعاتهم الإيديولوجية وتوجهاتهم وولاءاتهم السياسية متفقين مع النهج القومي للنظام الناصري. فجلهم كانوا يعتبرونه تهديدا للاستقرار السياسي للبلاد، من جهة لوجود محمد بن عبد الكريم الخطابي في القاهرة، ومن جهة أخرى لأنهم كانوا يعتبرون أن السياسة الخارجية للرئيس جمال عبد الناصر الرامية لتحرير الوطن العربي باسم الحياد الإيجابي تحتمل مجموعة من المنزلقات. فباسم العروبة كانت مصر تتدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية، وتفرض عليها الانخراط في خطط لم تكن أصلا مستعدة لتحمل تبعاتها - إنهاء الوجود العسكري الأجنبي في القواعد، ورفض جميع مشاريع التحالف مع العالم الغربي وقد تحول عدم الاتفاق هذا بسرعة إلى حيطة وحذر في التعامل مع مصر، وهو ما أسفر عن تأخر المغرب في الالتحاق بجامعة الدول العربية لتفادي الدخول في صراعات مع الإخوة، كانت الرباط تعتبرها عقيمة. وعلى الرغم من بعض المحاولات على أعلى مستوى - زيارة محمد الخامس لمصر وزيارة عبد الناصر

للمغرب - فإن العلاقات السياسية ظلت فاترة بين البلدين، وهو ما لم يمنع تطورها في ميادين أخرى لها علاقة بالفنون والتعليم، ذلك أن وزارة التعليم المغربية استعانت بمعلمين وأساتذة مصريين في انتظار تكوين أطر مغربية.

وعرفت العلاقات الدبلوماسية تطورا خطيرا خلال حرب الرمال سنة 1963 ، فالمغرب اعتبر مصر متواطئة مع الجزائر خاصة بعد أسر طيارين مصريين. واستمرت حالة الجمود في العلاقات إلى حين انعقاد أول مؤتمر قمة عربي في القاهرة، حيث اتفق الملك الحسن الثاني والرئيس عبد الناصر على طي صفحة الماضي والعمل على تحسين العلاقات، وهو ما تحقق فعلا بعد هزيمة يونيو 1967 حيث جعل المغرب من مساندة مصر مسألة مبدئية. وقد لعب الحسن الثاني دورا مهما في إقناع مجموعة من الدول العربية - مؤتمر الدار البيضاء 1969 - بواجب الوقوف إلى جانب مصر لمحو آثار النكسة وقلب موازين القوى الإقليمية في اتجاه حرمان إسرائيل من التحكم في رسم خريطة الحدود مع جيرانها، وتقرير مصير القضية الفلسطينية بشكل أحادي. وظل المغرب وفيا لهذا الموقف إلى حدود حرب أكتوبر 1973، فقد وعد ملك المغرب الرئيس المصري محمد أنور السادات بتقديم العون والسند، وهو ما قام به بمآزرة الجبهة المصرية والجبهة السورية عسكريا وماديا. وشكلت هذه الحرب قاعدة لعلاقة متطورة بين النظامين إذ أضحى المغرب أحد أهم مساندي الخيارات الاستراتيجية لمصر، مما حدا بالملك الحسن الثاني للانخراط في مسلسل تهيئة الأجواء ليحصل لقاء مباشر بين مسؤولين مصريين ونظراء لهم إسرائيليين. وقد نجح الملك في إقناع الرئيس السادات بإرسال مبعوث عنه - حسن التهامي - للقاء الوزير الإسرائيلي - موشي ديان -، وهو اللقاء الذي شكل الخطوة الأولى في طريق السادات نحو القدس - 1977 -، وتوقيعه سنتين بعد ذلك على اتفاقية كامب دافيد. وكان المغرب من المساندين والمدافعين عن هذه المبادرة، وأعرب عن مواقفه في الاجتماعات العربية - مؤتمر بغداد على وجه الخصوص - حيث عمل على الحد من عنف ردود فعل بعض الأنظمة المعارضة جملة وتفصيلا لمخططات التسوية وفق منطق الأرض مقابل السلام. وعلى الرغم من انصياع المغرب لمقررات المؤتمرات العربية القاضية بمقاطعة مصر، فإنه احتفظ بالعديد من الجسور من أهمها التعاون في مجالات التربية والفنون والمخابرات والتنسيق في المواقف السياسية في مواضيع استراتيجية حساسة - التصدي للتسرب الشيوعي في إفريقيا ومحاصرة النظام الليبي... -.

وبعد تولي الرئيس محمد حسني مبارك رئاسة الجمهورية المصرية، عملت الدبلوماسية المغربية على تكثيق الاتصالات بالقاهرة، خاصة وأن الرئيس الجديد تربطه بملك المغرب أواصر صداقة متينة. وقد لعب المغرب دورا مهما في إعادة تطبيع الدول العربية لعلاقاتها مع مصر، واستعادتها لمكانتها داخل جامعة الدول العربية. وتطورت العلاقات بين البلدين بشكل ملموس مكن من الجزم بأنها شكلت في عقد التسعينيات نموذجا للتعاون العربي، وهو ما جعلها مرشحة للتطور عبر أشكال ذات مردودية كبرى. ومنذ تولي الملك محمد السادس مقاليد الحكم بدأ إطار عام يحكم العلاقات المغربية المصرية في شكل اللجنة المصرية المغربية العليا برئاسة زعيمي البلدين، تتفرع عنها لجان فنية مشتركة تنظم العلاقات في مختلف الميادين، وفق برامج تقتضي عقد اجتماعات بشكل دوري وتفعيل القرارات. وقد أدت مؤسسة آليات التعاون والتنسيق إلى خلق جبهة موحدة بين البلدين، تبدو مظاهرها واضحة في تشابه التوجهات داخل الجامعة العربية والمنظمات القارية والدولية والمواقف من الأزمات الإقليمية وتطور الوضع في فلسطين.

وتجدر الإشارة إلى أن حجم التبادل التجاري بين المغرب ومصر هو دون المستوى بكثير. فالبلدان يتبادلات بعض المنتوجات الاستهلاكية، والاستثمار المالي بينهما ضعيف جدا، وجهود السياسيين للدفع بالمقاولين لتطوير حجم المبادلات لم تعط ما هو مرجو منها. ويبقى المنتوج الفني المصري أحد أهم السلع المطلوبة في المغرب، وهو فضلا عن قيمته الفنية يمكن المغاربة من معرفة الشعب المصري والإلمام بمشاكله وقضاياه، وكذلك التعرف على أهم محطات التاريخ المصري.

ولا يتعدى عدد المصريين المستقرين بالمغرب أربعمائة مواطن، وهو تقريبا نفس عدد المغاربة المستقرين في بلاد الكنانة. ويعمل هؤلاء في ميادين متنوعة على رأسها الخدمات.

وعموما تتحكم في العلاقات المصرية المغربية مجموعة من المتغيرات من أهمها التحالفات الاستراتيجية مع دول العالم الغربي، خاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وانفراج أو توتر العلاقات بين العرب، وانخراط الطرفين في منطق التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي.

محمد حاتمي

**مصر والمغرب القديم**، لا نتوفر على أخبار شافية حول العلاقة بين البلدين في التاريخ القديم. لكن إشارة الكتاب الإغريقيين إلى أن اطلاعهم على بعض من شؤون المغرب القديم تم في مصر، تعكس نوعاً من التواصل والاحتكاك أو التنافس والصراع بين البلدين. لقد أفاد أفلاطون أنه نقل معلوماته حول جزيرة أطلنتيدة Atlantide عن المشرع الآثيني صلون Solon : ; Platon, Critias, 113 Timée, 24-6 . ثم أكمل سترابون هذا الخبر بإشارته إلى أن المشرع المذكور نقل ما رواه حول جزيرة أطلنتيدة من كهنة مصر . ونفس الخبر أكده بلوتارخوس في القرن الثاني

الميلادي Plutarque, Solon, 26, 1 ; 31,6. وهذا ينسجم مع خبر هيرودوت حول اطلاع صولون عن قوانين المصريين Hérodote, 2, 177.

وهنا نلفت الانتباه إلى أن عناصر أسطورة الجزيرة المذكورة، تجد جذورها وأسسها في واقع الأطلسيين بالمغرب القديم، الذي تصورته الرواية كجزيرة مندرسة. والواضح أن وحدة الجزيرة المذكورة وبلاد المغرب في المجال، تتجلى في كون الملك أطلس بن الإله بوسيدون حكم المغرب القديم والجزيرة المذكورة Platon, Critias, 114. وقد أشاد ديودور الصقلي بالأطلسيين قائلاً : "إن الأطلسيين رعايا أطلس هم أكثر الليبيين حضارة في هذه النواحي. فهم يمتلكون أرضا مزدهرة ومدنا كثيرة. ويُحكي أن الآلهة وُلدت في بلادهم بالمناطق القريبة من المحيط وهذا موافق لما ورد في الأساطير الإغريقية" Diodore de Sicile, 3, 54, 1.

وأما مسألة بحث المشرع الأثيني عن شؤون الأطلسيين في مصر، فيفيد من جهة أن الرجل استقصى في أخبار أهل الجزيرة المندرسة بالخصوص، مسألة القوانين التي سنها ملوكها، وتحدث عنها أفلاطون قائلا : "بالنسبة للسلطة والواجبات العمومية فكانت منظمة منذ البداية كما يلي : فالملوك العشرة يمارس كل واحد منهم سلطته في المجال الخاضع له، وفي مدينته كان يحكم على المواطنين، ويصدر معظم القوانين. ويعاقب حسب مشيئته أيا كان حتى بالقتل. لكن سلطة الملوك بعضهم على بعض وعلاقاتهم فيما بينهم كانت منظمة وفق مراسيم بوسيدنيوس Poseidon، المحفوظة في الذاكرة، والتي سطرها الملوك الأوائل على عمود يوجد في معبد بوسيدنيوس" Platon, Critias, 119.

وأما من جهة أخرى، فمسألة استقصاء الأخبار عن واقع الأطلسيين من كهنة مصر خاصة، تدل في تقديري على تفاعل الديانة الفرعونية والأطلسية. ومن مظاهر الجدال في هذه المسألة بين الأطلسيين والمصريين في شؤون المعتقدات، هو تبادل الرموز الروحية بين البلدين، من خلال تشبّث الأطلسيين بانتماء الإله المصري أوزريس إلى بلادهم، وهو الإله المعروف باسم ديونسوس عند الإغريقيين : Hérodote, 2, 42 . قال ديودور الصقلي في هذا الصدد :"إن الليبيين الذين يسكنون بناحية المحيط يتشبثون بميلاد ديونسوس في بلادهم. فهم يؤكدون أن أساطير الأولين التي تُحكى حوله معروفة عندهم، وعلى رأسها مدينة نوسة Nusa، ويزعمون أن آثارها مازالت موجودة في بلادهم" Diodore de Sicile, 3, 66, 4.

ثم هناك رواية لنفس الكاتب حول تدخل ديونسوس الليبي الأطلسي في شؤون مصر. قال في هذا الصدد : "بدأ بغزو مصر فولي عليها دزوس Zeus بن كرونوس Kronos وريا Réa (أخوان لأطلس) وهو لا يزال صبيا، وكلف ألامبوس Olympos بتربيته وتعليمه، ولذلك صار يلقب بالأولمبي، خاصة لما أظهر من قدرات خارقة، وقيل إن ديونسوس علم المصريين غراسة العنب وكيفية استخلاص الخمر والمحافظة عليه، وكذلك جني ثمار الأشجار ومزروعات الأرض. ثم ذاع فضله على الناس لدرجة لم يعد أحد يعتبره عدواً، بل صاروا جميعاً يطيعونه بإخلاص" Diodore de Sicile, 3, 73, 4-5 . ومن مؤشرات تداخل عناصر الديانة المصرية والأطلسية، اعتبار أمون الليبي هو ذو قرنين، وقد ورث عنه ابنه ديونسوس الليبي هذه الخاصية فهو ذو قرنين أيضا Diodore de Sicile, 7, 73, 1-2. وظلت ظاهرة القرنين تقليداً في بلاد الليبيين حتى القرن الأخير قبل الميلاد، حيث نجد الملك يوبا الأول يمثل على نقوده بقرنين Mazard, 1955, n° 90-91. والجدير بالذكرأن دزوس في منظور الإغريقيين هو أمون عند المصريين الذي تقترن به مسألة الظهور بقرنين ومسألة تقديس الأكباش Hérodote, 2, 42.

وفي مقابل ذلك نجد الملك الأطلسي أنتايوس مندمجا في واقع مصر من خلال النص التالي : "أن أوزريس كلف إزيس بالإدارة العامة لملكته بمساعدة هرميس Hermes كمستشار وهو الأكثر حنكة من بين أصدقائه. أما هرقل الذي يمت إليه بقرابة النسب ويتمتع بقوة جسمانية خارقة، فولاه على رأس الجيش. بينما ولى بوزريس حاكما على البلاد المتاخمة لفنيقية، ثم ولى أنتايوس حاكماً على إثيوبية وليبية". Diodore de Sicile, 1, 17 ، والجدير بالذكر أن نفس الكاتب يفيد أن هرميس ينتمي لإحدى بنات الملك أطلس قائلاً : "بزواجهن بالآلهة والأبطال تكون الجنس البشري. فمايا Maia تزوجت بدزوس وأنجبا هرميس Hermes صاحب اختراعات نافعة للناس. بينما أنجبت بقية الأطلسيات أبناء اشتهر بعضهم ببناء المدن وآخرون بتكوين عدة أمم" Diodore de Sicile, 3, 60, 1.

وأما انتماء أنتايوس لبلاد الأطلسيين فنتتبعه من خلال أخبار تجعله شخصية بارزة في المغرب القديم خلال المرحلة السابقة عن العهد الفنيقي. إنها مرحلة لا يهتم بها الدارسون Rebuffat, 2001, p. 25. بينما نعتبرها منطلقا أصليا لحضارة المغرب القديم بعد عهود ما قبل التاريخ، وقبل المرحلة الفنيقية. والواقع أن الكتاب القدماء أشاروا إلى بعض من أثار هذه المرحلة، على أنها كانت موجودة في وقتهم. أهمها آثار الملك أنتايوس Anthaeus الذي كان يحكم في موريطانية يقول سترابون : "إن گابنيوس Gabinius الذي ألف كتابا مشهوراً حول التاريخ الروماني، لم يتجنب إثارة الخوارق في حديثه عن موروسية. والمثال على ذلك حديثه عن ضريح أنتايوس الواقع قرب مدينة لكسوس، مدعيا أن هيكله كان يقدر بستين ذراعا. وزعم أن سرطوريوس Sertorius أخرجه من قبره ثم أعاد دفنه" Strabon, 17, 3, 8.

ويذكر بومبونيوس ميلا بدوره آثار الملك قائلاً : "كان أنتايوس ملكا على موريطانية، وما يؤكد ذلك وجود ربوة تحتوي على ضريح هذا العملاق. ويبدو شكلها على هيئة إنسان نائم على ظهره". وفي حديث الكاتب نفسه عن طنجة

قال : "إنها مدينة قديمة جداً أنشأها أنتايوس. والدليل على ذلك توفر المدينة على ذرع ضخم مصنوع من جلد فيل، وهو لا يناسب أي إنسان حالياً، بينما يؤكد السكان أن العملاق كان يستعمله" Pomponius Méla, 1, 25, 26 ; 3, 10, 106.
وبعده يفيد بلنيوس الأكبر أن القصر الملكي لأنتايوس كان بمدينة لكسوس، حيث حاربه هرقل. ثم أوضح بلوترخوس ما يلي "يحكي الليبيون أن أنتايوس مدفون في ناحية طنجة. ولم يصدق سرطوريوس ما كان يرويه البارباريون. وقد ساهم ذلك في شهرة هذا العملاق" Plutarque, Sertorius, 9, 6-7.

وبالإضافة إلى ذلك أشار القدماء إلى صراع أنتايوس Anthaeus وهرقل Herakles. قال باندروس : "قصد هرقل أنتايوس الذي كان يقيم في ليبية الزاخرة بالحبوب وذلك لمنعه من تزيين معبد بوسيدون بجماجم الأجانب" Pindare, Isthmiques, 4, 50-5 . وقال ديودور الصقلي : "اشتهر أنتايوس بقوته الجسمانية الخارقة وبنباهته في المصارعة، مما جعله يقتل كل الأجانب الذين تجرأوا على مواجهته. ولما وصل هرقل إلى ليبية دعا أنتايوس للمصارعة فغلبه" Diodore de Sicile, 4, 17.

ومن بوادر العلاقات المشوبة بالحذر أو المنافسة بين المصريين والليبيين أو الأطلسيين، كون المصريين لم يقدسوا الإله الليبي بوسيدون Poseidon والد الملكين أنتايوس وأطلس Hérodote, 2, 43. ويتجلى النزاع حول رموز العبادة في موقف الأطلسيين من خلال النص التالي : "إنهم يؤكدون أن الآلهة ولدت في بلادهم وهذا يوافق ما يعتقده أشهر شعراء الإغريقيين (هومروس)" ثم قوله : "وأعلم كذلك أن من بين الإغريقيين هناك كثير من الشعراء والكتاب القدماء المتخصصين في الميثلوجية يوافقون الليبيين في آرائهم. وينطبق ذلك أيضا على عدد كبير من الكتاب المتأخرين" Diodore de Sicile, 3, 66, 4.

هذه الشهادة تفيد أن الإغريقيين أشد اقتناعا بأن جذور عبادتهم مستمدة من بلاد الأطلسيين. ويأتي على رأسها ما يؤكده هيرودوت عن بوسيدون في قوله : "إن الليبيين هم الذين انفردوا بتقديس الإله بوسيدون منذ قديم الزمان، وإليهم يرجع الفضل في معرفة الإغريقيين لهذا الإله" Hérodote, 2, 50 . كما أفاد أن الإلهة أثينة ليبية الأصل، مشيراً إلى طقوس كان يقوم بها الليبيون على شرفها، ومؤكداً أنها ابنة الإله الليبي بوسيدون Hérodote, 4, 180. وأفاد أن بعض الطقوس الإغريقية التي ترتبط بتقديس الإلهة مستمدة من التقاليد الليبية Hérodote, 4, 189. وأكد بوسانياس عن الهوية الليبية للإله بوسيدون وابنته أثينة، التي يصف تمثالها كما يلي : "بمشاهدتي لعينيها الأزرقين، أدركت أن ذلك مستمد من أسطورة ليبية مفادها أن الإلهة ابنة بوسيدون، ولذلك فلون عينيها أزرق مثل والدها" Pausanias, 1, 14, 6.

ونرجح أن هذا التعارض بين رؤية المصريين والأطلسيين كانت وراء مقاربات كتاب إغريقيين لقضايا يشهدون فيها بأسبقية الليبيين أو تفوقهم. وهذا قول هيرودوت : "يحتل الليبيون الدرجة الأولى من حيث صحة الأبدان وبعدهم يأتي المصريون في الدرجة الثانية" Hérodote, 2, 77. وهذا ما أكده الكاتب نفسه في سياق آخر قائلاً : "الواقع أن الليبيين هم أكثر صحة من بين كل الناس الذين نعرفهم" Hérodote, 4, 189 . وأما ديودور الصقلي الذي يؤكد الأصل الأطلسي للمعتقدات الإغريقية، فنجده يعقد مقارنة أخرى يجعل الأطلسيين في الصدارة، وهذا قوله : "إن ديونسوس الأول هو ابن آمون Ammon وأمالتي Amalthée ، حسب روايات الليبيين، الذين يقولون إن ديونسوس الثاني هو ابن دزوس وايو Iô بنت إناخوس Inachos. وهو الذي تولى حكم مصر وسن طقوس العبادة. وأما الأخير فهو ابن دزوس وسيملي Sémélé ، وهو عند الإغريقيين منافس للسالف ذكرهما" Diodore de Sicile, 3, 74, 1 . وكأن المصريين هم الذين لا يتفقون مع الليبيين في آرائهم، من خلال النص التالي : "إن معظم العناصر المقدسة أتت لبلاد الإغريق من مصر... أحكي هنا ما يقوله المصريون أنفسهم" Hérodote, 2, 50.

ثم هناك خبر حول واقعة تعكس نوعا من العداوة أو المنافسة بين مصر وبلاد الأطلسيين من خلال النص التالي : "إن القراصنة الذين بعثهم بوزريس وجدوا بنات أطلس يمرحن في حديقة فخطفوهن ولاذوا بالفرار بواسطة مراكبهم. غير أن هرقل فاجأهم وهم يتناولون طعامهم على الساحل ولما سمع من الفتيات ما وقع لهن، قتل كل القراصنة وأرجعهن إلى والدهن أطلس. واعترافا بالجميل لم يكتف أطلس بتمكين هرقل مما أتى من أجله (التفاح الذهبي) بل لقنه دروسا في علم الفلك" Diodore de Sicile, 4, 27.

ومهما يكن من أمر فإن أعمال هرقل البطولية أسفرت عن قضاء البطل الإغريقي هرقل على كل من أنتايوس وبوزريس باعتبارهما من الطغاة Diodore de Sicile, 4, 18.

وأما الصراع العسكري المعلن بين المصريين والليبيين، فقد ورد الخبر عنه في نقيشة فرعونية، تتحدث عن ملك ليبي يدعى ميريي بن ديدي، على أنه غزا مصر في السنة الخامسة من حكم الفرعون منفتاح من الأسرة التاسعة عشر، وفترة حكمه تمتد ما بين 1232 ـ 1224 قبل الميلاد. وهنا نتساءل عن ديدي المذكور هنا هل هو ديودور أحد ملوك الأطلسيين الذي حكم بعد والده صوفاكوس ابن هرقل وطنجة أرملة أنتايوس. ونستبعد أن يكون هذا الملك الأطلسي يدعى باسم شائع لدى الإغريقيين، ونرجح أن صاحب النص بدل الاسم الأصلي من صيغته الأمازيغية وهي "أمديدي" ومعناه الباسل والشجاع. ومهما يكن من أمر، فالملك الأطلسي قيل عنه إنه أخضع كثيراً من الأقوام الليبية Plutarque, Sertorius; 9, 9 ؟

والغالب أن استطلاع المصريين لأحوال أهل المغرب ظل ملازما لهموم الفراعنة، مما جعل الفرعون نكاو الذي حكم في

القرن السابع قبل الميلاد، ينظم رحلة للطواف بالقارة الإفريقية، بمساعدة بحارة فنيقيين، وهم العارفون أكثر بشؤون المغرب القديم Hérodote, 4, 42.

محمد مجدوب، *مختصر حول تاريخ موريطانية قبل السيطرة الرومانية*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1995، العددان، 6، ص. 149 ـ 174 ؛ نفسه، *جبل الأطلس قبل التوسع الروماني*، ندوة الجبل في تاريخ المغرب، فاس، 1998 ؛ *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد* ؛ *أضواء حول تاريخ المغرب قبل الفنيقيين* ؛ *تنقيبات عن الكلمات الأمازيغية في مصادر التاريخ القديم* ؛ *أشواط من مقاومة أهل المغرب القديم في الفترة المورية*، الإسكندرية، 1990.

J. Schmidt, *Dictionnaire de mythologie grecque et latine*, Paris, 1989 ; R. Rebuffat, Pour une histoire événementielle du Maroc antique, dans *Actes des 1ères Journées Nationales d'Archéologie et du Patrimoine*, p. 25-48, 2001.

محمد مجدوب

**المصلوت** أو **المسلوت** واحدة من الأسر العلمية والصوفية بسوس. تنتمي إلى قبيلة هوارة بسوس حيث استقر جد الأسرة بدوار الكناوات على بعد حوالي اثني عشر كلمتر إلى الغرب من مدينة تارودانت. تسلسل العلم في هذه الأسرة من زمن طويل، غير أنه لا يعرف الشيء الكثير عن رجالاتها السابقين، بسبب ضياع كثير من أخبار البيوتات العلمية خلال القرون الماضية نتيجة غياب تقاليد راسخة في ميدان تدوين الأخبار لدى أهل سوس، بل لدى المغاربة قاطبة. وفي ذلك يقول المختار السوسي معلقا على هذه الظاهرة : "لأن الإهمال خصوصاً في هذه الناحية مما تمالأ عليه المغاربة".

الإشعاع العلمي للأسرة :

شارك أفراد عائلة آل المصلوت في الحياة العلمية لفترة زمنية طويلة، داخل سوس وخارجه، حيث انخرط أفرادها في سلك التدريس والإمامة والوعظ والإرشاد والإفتاء والعدالة.

كما عرف أفراد الأسرة بالتدريس بتارودانت وبعض مدارس قبيلة هوارة، بدءا بالمؤسس العلمي للأسرة وهو الحاج مبارك، ومروراً بابنيه سيدي أحمد وسيدي رشيد. كما تولى وظيفة القضاء عدد منهم حتى لقبت بأسرة القضاء. كما اشتهر علماء هذه الأسرة بالتعاطي للفتاوي جوابا على ما كان يعرضه عليهم الناس من قضايا ونوازل في باب المعاملات والعبادات والأحوال الشخصية، وبذلك عرفوا في تارودانت وهوارة. وهو ما يشهد على دور ومساهمة هذه الأسرة في الحركة العلمية في سوس، بل في المغرب.

**المصلوت، أحمد** بن الحاج **امبارك** أحد أشهر رجالات هذه الأسرة. عاش ما بين (1886 و1956). أخذ القرآن وعلوم العصر عن كبار فقهاء سوس وحاضرته تارودانت. ثم تولى التدريس بالمسجد الأعظم بالمدينة المذكورة. كما تولى رئاسة مجلس الشورى العلمي، ونيابة قاضي المدينة إلى أن عين قاضيا بأكادير ومركز تمانار بحاحا وأخيراً بتزنيت. خلف ولدين هما : محمد ومَحمد.

**المصلوت، رشيد** (القاضي -) بن الحاج مبارك، عالم الأسرة المصلوتية. ولد بتارودانت سنة 1328 / 1910 ونشأ بمدشر الكناوات حيث حفظ القرآن، ثم رحل إلى إغلالن عند الفقيه الوفقاوي ولازمه وقتا طويلا. وكانت حصيلة هذه الفترة ما عبر عنه بقوله : "هذا وقد مكثت عند المترجم [أي الأستاذ الوفقاوي] مدة طويلة تزيد على عشرة أعوام (...) وقد كانت مليئة بالأعمال ما بين قراءة وإقراء وحفظ للمتون ومدارسة ومراجعة في النحو واللغة والأدب بمعناه الواسع الشامل للمعاني والبيان والبديع والشعر بأنواعه والتوحيد والفقه والتصوف والميراث والحساب والمنطق". ثم تنقل في مدارس أخرى داخل سوس طلبا للعلم، ومنها مدرسة أدوز عند الفقيه المحفوظ الأدوزي. وبذلك أخذ عن نخبة من علماء سوس وفق ما يقتضيه البرنامج التعليمي لعصره، وما يرتبط به من مواد لغوية وأدبية وفقهية ودينية. لكنه أراد أن يوسع ثقافته، فرحل إلى حاضرة فاس التي كانت دوما منتهى الآمال العلمية للطالب السوسي.

لم يكتف المترجم بالأخذ عن شيوخ القرويين، بل سعى إلى الاستفادة من الحركة الثقافية والوطنية التي كانت تعيشها فاس خارج رحاب القرويين، لكون فاس كانت تقود خلال هذه الفترة التاريخية ـ إلى جانب كل من تطوان والرباط وسلا ـ قافلة حركة النهضة الفكرية المعاصرة بالمغرب، مما جعل منها مركزاً إشعاعياً ثقافياً على الصعيد الوطني. وفي هذه المدينة انخرط في النشاط الوطني مع الرعيل الأول من الوطنيين الذين كانوا في غالبيتهم من طلبة جامع القرويين، ونتيجة لذلك نال حظه من النفي والسجن، ثم أبعد إلى تارودانت حيث اشتغل بالعدالة وأنشطة أخرى قبل أن ينخرط في سلك القضاء الذي بقي فيه إلى أن أحيل على التقاعد، وقد لبى نداء ربه في شهر غشت عام 2001.

قال عنه المختار السوسي : "إن للمترجم نواحي شتى كدعائم لمجده الخالد وأرسخها وأعظمها نزاهته في القضاء،

وتباعده عن العسف. فلم تعرف له ساقطة ولو واحدة في ذلك. وتلك شنشنة مصلوتية موروثة عن والده وأخيه سيدي أحمد، وفيه من سعة المعارف ونباهة الذكاء وسرعة الإدراك والألمعية النادرة والمشاركة في الفنون ما يجعله في رأس قائمة علماء أسرته، بل يجعله في طليعة كل علماء الجنوب. وقد شهد له بذلك كل عارفيه المنصفين".

خلف إشعاعا علميا حيث اشتغل بالتدريس والعدالة والقضاء وترك وراءه أيضا تراثا شعريا ونثريا أهمه : *فهرست أحمد بن عبد العزيز الهلالي* المنشور سنة 1982 و*الفهرس العلمي* المنشور سنة 1985 و*ذيل الفهرس العلمي* المنشور سنة 1987، و*ملحقات ذيل الفهرس العلمي* المنشور سنة 1987.

**المصلوت** الفقيه الحاج **مبارك** بن سعيد بن علي بن حماد بن مبارك بن عبد الله السعيدي الكناوي الهواري، هو المؤسس العلمي لهذه الأسرة. عاش أكثر من نصف القرن الثالث عشر الهجري ومطلع القرن الرابع عشر الهجري إذ كانت وفاته سنة 1331 / 1913.

ولد بمدشر الكناوات بهوارة وتلقى تعليمه متنقلا بين المدارس العلمية بسوس، ثم رحل إلى فاس حيث أخذ عن أكابر شيوخ القرويين. وبعد رجوعه من فاس اشتغل بنشر العلم بمدرسة الجامع الكبير بمدينة تارودانت، ثم بمدرسة المهادي بقبيلة هوارة. وعند وفاته خلف ثلاثة أبناء اشتهروا بالعلم والاعتناء به وهم السادة : محمد وأحمد ورشيد. كما كان له أخوان من حفاظ القرآن ومن المشتغلين بالمشارطة في مساجد هوارة وهما : المصلوت محمد بن سعيد والمصلوت العربي بن سعيد وابنه إبراهيم.

م. المختار السوسي، *المعسول*، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1961، ج 3 و ج 18 ؛ *خلال جزولة*، تطوان، 1961 ـ 1963، ج 4 ؛ المصلوتي مصطفى بن عمر، *البيوتات العلمية في مدينة تارودانت خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، الأسر العلمية في سوس*، منشورات مجموعة البحث في الأدب العربي السوسي بكلية الآداب، أگادير، 2003 ؛ المصلوت رشيد، *الفهرس العلمي*، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1985.

مولاي الحسن السكراتي

**المصلوحي** (مولاي -) **سعيد** بن **عبد السلام** بن أحمد بن الشيخ المولى عبد الله بن حسين من ذرية الشيخ مولاي عبد الله بن حسين، وهو مؤسس الزاوية المصلوحية بأسفي بتاريخ فاتح جمادى الثانية عام 1132.

توفي بسايس في دكالة، وعلى قبره قبة.

محمد الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج 2، مخطوط.

عبد الرحيم العطاوي

**المصمودي**، أسرة تطوانية أصلها ليس من قبيلة مصمودة الحالية بل من قبيلة إنجرة الحالية التي كانت تعرف بقبيلة مصمودة حيث يوجد القصر الصغير على بوغاز جبل طارق الذي كان يعرف بقصر مصمودة. ومن أفرادها : فاطمة بنت عبد الله بن أحمد فقيهة كانت تعلم القرآن الكريم للبنات بدارها سنة 1249 (1833) وهي زوجة الحاج محمد القرطبي. عبد الله بن أحمد عالم وفقيه تولى خطة العدالة من سنة 1196 إلى 1205 (1782 ـ 1791) والقضاء بتطوان سنة 1220 (1805) وكان من بين الأعيان الذين بايعوا الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد يوم 12 جمادى الثانية 1236 (7 ـ 3 ـ 1821) وكان إماما بجامع السوق الفوقي إلى أن وافته المنية يوم 10 شعبان 1248 (2 يناير 1833). عبد الكريم بن محمد فقيه اشتغل بالتدريس والفتوى. وبالإضافة إلى الإمامة بجامع سوق الفوقي زاول خطة العدالة من سنة 1252 إلى 1270 (1836 ـ 1854) ومن سنة 1275 إلى 1292 (1859 ـ 1875)، وناب عن قاضي تطوان سنتي 1271 و1272 (1854 ـ 1855)، وفي فاتح ذي الحجة 1272 عين محتسبا إلى غاية يوم 25 ربيع الثاني 1275 (1859) وكانت وفاته يوم 24 رمضان 1314 (16 فبراير 1896).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**المصمودي، إبراهيم** بن **أحمد** بن إبراهيم، شيخ الفرائض والحساب بمدينة فاس، أخذ عنه عبد الحق المصمودي المتوفى سنة 955 وغيره من طلابه الذين تخرجوا على يده علماء مبرزين في تخصصه. قال عنه أحمد بن القاضي في كتابه *درة الحجال* : "كان أمير المؤمنين في الفرائض والحساب".

توفي بفاس حوالي 912 أو913.

أحمد بن القاضي، *درة الحجال*، 1 : 99و تح. محمد الأحمدي أبو النور ؛ *لقط الفوائد من لفاظة حقق الفوائد ضمن مجموع ألف سنة من الوفيات*، 280 و301، تح. محمد حجي.

محمد ماگامان

**المصمودي، إبراهيم** بن **موسى** التلمساني، لا يعرف وجه لتلقيبه بالتلمساني، عالم محقق، صالح زاهد، كان حسب ما ورد عند ابن زيدان في *إتحاف أعلام الناس* "ممن أوتي الولاية صبيا، وحل من رياسة العلم والزهد مكانا عاليا، جاهد في العلم والعبادة إلى الغاية القصوى ورعا وزهدا وإيثارا ... أعلم أهل وقته بالسير وأخبار السلف والعلماء كافة من متقدم ومتأخر". يحب مجالسة أهل العلم والفضل.

ولد بمدينة مكناسة، ودرس وتفقه بمدينة فاس عن شيوخها الكبار، فتتلمذ على الإمام موسى بن معطي العبدوسي (ت. 776 / 74 ـ 1375) والإمام محمد بن إبراهيم الآبلي (ت. 757/ 1356)، وشريف العلماء محمد التلمساني (ت. 764 / 1362) وغيرهم.

ولم يلبث أن زهد في الدنيا وانقطع للعبادة، وقيل إنه ظهرت عليه كرامات وخوارق العادات تحدث عنها أحمد بابا في *كفاية المحتاج*.

توفي عام 805 / 1402 وحضر جنازته السلطان أبو سعيد عثمان.

ابن زيدان، *إتحاف*، ج 1، 1990، الرباط، ص. 262 ـ 263 ؛ أحمد بابا، *كفاية المحتاج*، مخطوط، خ. ع. ك 390.

رقية بلمقدم

**المصمودي، حميد** بن **الحسن**، من المؤرخين المغاربة المتخصصين في تاريخ المغرب القديم والمساهمين في تعريب مادة التاريخ بكلية الآداب بالرباط. وله شغف كبير بالبحث عن الأصول القديمة لسكان المغرب، وولع بعلم الحفريات.

ولد يوم 22 يناير 1936 بقبيلة أمزميز بضواحي مدينة مراكش، وقد انتقل في ريعان شبابه إلى مدينة مراكش، فانكب على التعليم بجميع أسلاكه الابتدائية والثانوية ومدارس التكوين التربوي ونال جميع شواهدها بتفوق وامتياز حتى سنة 1958.

ومنذ هذه السنة انتقل إلى الرباط فانخرط في وظائف التعليم، فبدأ معلما بالتعليم الابتدائي ثم أستاذاً بثانوية مولاي يوسف بالرباط إلى سنة 1964. وتولى وظيفة مدير بثانويات : ابن رشد ثم معهد المغرب الكبير ثم ثانوية علال الفاسي بين سنوات 1965 و1980.

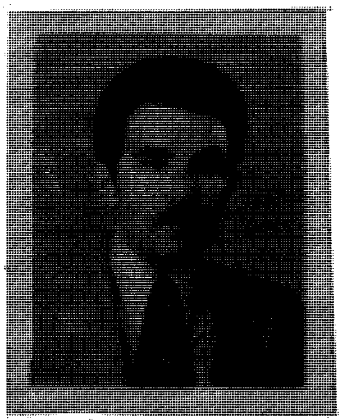

وأثناء تولي هذه الوظائف كان يتابع ، بجديَّة دراسته العليا بجامعة محمد الخامس بكلية الآداب بالرباط، درس خلالها تخصصات علم التاريخ بأقسامها : القديم والوسيط والمعاصر، وأحرز خلال ذلك على الشهادات المنصوص عليها يومئذ لاستكمال شهادة اللسانس سنة 1974، ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا سنة 1980 في التاريخ القديم في رسالة بعنوان *المغرب في عصر ما قبل التاريخ*. وقد التحق منذ سنة 1980 أستاذاً للتاريخ القديم بكلية الآداب والعلوم الانسانية، وساهم في تكوين الطلبة والإشراف على بحوثهم وتوجيههم في مجال البحث التاريخي.

وكان دائم البحث والدراسة، ومتابعة أعمال التّنقيب والاطلاع على نتائج الحفريات، وأثناء التحريات الميدانية لإنجاز دبلوم الدراسات العليا ، قادته طموحاته وحرصه إلى زيارة دراسية للولايات المتحدة الأمريكية على نفقته لمعاينة المآثر القديمة في متحف جامعة بنسلفانيا بمساعدة عميد كليتها البروفسور "ريني" في أكتوبر 1976 فرجع بنتائج باهرة.

وكان مساهما في الحفائر التاريخية القديمة خاصة بإنجازه أعمال الحفر الأركيولوجي في "القبر الميجاليتي" بناحية مَزُّورًا شرق مدينة أصيلا بدعم من وزارة الثقافة وكلية الآداب بالرباط، وهو في هذا الإنجاز يحاول الإجابة عن أسئلة كبرى في حجم : من هم سكان إفريقيا الأصليون ؟ ومن هم الذين جاؤوا من بعدهم ؟ أو كيف اختلطت الأجناس كما حاول الإجابة عن أصل الأمازيغ بالمغرب من خلال الحفائر مقارنة بما جاء في المراجع الرومانية والبيزنطية، وكذا البحث في المعجم الأمازيغي بهدف الكشف عن التفاعل بين الأمازيغية وغيرها من اللغات وخاصة منها اللغات الشرقية.

ورغم طموحه العلمي ومساهماته في المجال الثقافي والبحث العلمي، فلم يخلف من الإنتاج غير بحوث منشورة في بعض المجلات أو كتابه "*المغرب في عصر ما قبل التاريخ*" الذي وضع للطبع رهن إشارة المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية سنة 2005 بمراجعه الأستاذ مصطفى أوعشي، وكان الأستاذ المصمودي قد لازمه المرض خلال المدة الأخيرة من حياته.

توفي يوم 15 دجنبر 1997 وخلف ولدين : ثوريا ومحمد المهدي.

*ملفه الإداري والعلمي*، بإنجاز أرملته الأستاذة آمنة بالساين ؛ *مجلة تاريخ المغرب* ، لجمعية الامتداد الثقافي، الأربعة أعداد الأولى، 1981 ـ 1984.

عمر أفا

**المصمودي، عبد الملك** أبو **مروان**، فقيه ولي قضاء الجماعة بمراكش في أول الدولة اللمتونية، وكان مقربا من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وقد أرسله سفيراً عنه إلى أمير إشبيلية المعتمد بن عباد للتفاوض في أمر تسليم الجزيرة الخضراء للمرابطين لتأمين عبورهم إلى الأندلس للجهاد. ثم دخل الأندلس مرة أخرى للمشاركة في وقعة الزلاقة التي جرت بمقربة من بطليوس في رجب سنة 479 / 1086، واستشهد فيها.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة* ، الدار البيضاء، ج 3، ص. 86، ج 4، ص. 238 ؛ ابن بلقين، *التبيان* ، تح. أمين توفيق الطيبي، الرباط، 1995، ص. 122 ؛ ابن عبد المنعم الحميري، *الروض المعطار* ، تح. إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975، ص. 292 ؛ المقري، *نفح الطيب*، بيروت، 1968، ج 4، ص. 369.

محمد المغراوي

**المصمودي، محمد** من أشهر شعراء الملحون بفاس على عهد مولاي زيدان السعدي. وكان ممن يجالسه في مسامراته.

نظم المصمودي أكثر قصائده في المرأة والعشق. ومنها "يامنة". وهي قصيدة يجري إنشادها كثيراً بين الأشياخ على ألحان محفوظة. وحربتها :

قُولُو اليامنة تهْليل العثماني    مينا يامينَا امْعَكْ شَرْعِ اللهْ

ومن قصائده أيضا : فطومة، والَهيفاء، والقاضي، وطامُو، والزگودة. وله قصيدة الزّهو، وحربتها :

وانْقيمُوا ساعة الزّهُو عناقة    باش تبرد ليعة الفراق

ولَه : الساقي، والصيام، والمقياس، والمرسم.

يعتقد الدكتور الجراري أن المصمودي هو أول من سبق إلى ركوب أسلوب المراسلة في القصيدة الغزلية. ويبدو ذلك في قصيدته "يامنة" حيث يقول :

صفْطْت اللّغزَالْ ابْرَاتي    مَرْسُولي امْشى، طرْدَاتو

أما الحاج أحمد سهوم فهو يرى أن أقدم قصيدة عُثر فيها على "لَمْطيلْعات" - وهي أشطار خفيفة تتخلل أبيات القصيدة على غير وزنها - هي - أيضا - قصيدة يامنة المذكورة، وأن أكثر ما نظم من قصائد جاء على قياس "لمشرقي" ؛ غير أنه ينفرد بنسبة المصمودي إلى العهد الإسماعيلي.

ويعتبر جل الدارسين أن المصمودي يشكل امتداداً للشاعر عبد العزيز المغراوي الذي امتد به العمر حتى مطالع القرن الحادي عشر. ووجه هذا الامتداد يتمثل في أنه استبدل الدندنة التي ابتدعها المغراوي بنوع آخر من "الصروف" هو "مالي مالي". وكان يقول في هذا الصدد : "زولوا علينا داني داني، فات وقتها، واعملوا لينا مالي مالي".

وإمعانا منه في استخدام "مالي مالي" بدلاً عن الدندنة، فقد استغنى - بالمرة - عن "الحربة" في قصيدة "المرسم"، ولكأنما أراد أن تكون صروفه بديلة عنها، تؤديها الشدادة بين أقسام القصيدة كما تؤدي الحربة.

ولقد كان المغراوي بابتكاره للدندنة يريد أن يجعل منها مقياسا ووزنا لأبيات القصيدة، ومن هنا فهي أنسب للشعر المبيت، بل هي مقصورة عليه دون غيره من بحور الملحون. أما "مالي مالي" فهي قابلة للتعامل مع سائر البحور العروضية، ومن هنا أرادها المصمودي تجديداً ثوريا على أساليب الملحون ووسيلة لتوسيع طرق أدائه والتفنن في إنشاده. وهكذا تبدو هذه الطريقة مرتبطة بالغناء. ولأجل ذلك فقد سماها "الگباحي" أو مَاية أقباح". والواقع أن دندنة المغراوي أكثر قابلية لتقطيع تفعيلات الأبيات، وبذلك فهي - بكل امتياز - أداة لقياس ووزن الأبيات من الوجهة العروضية. ومثال ذلك ما يجري في إنشاد قصيدة الشمعة لابن علي :

إيلا باكيا بسقامك شوفي اسقام حالي
من قيس وارثو افناه اغرام ليلى

أدان دان داني داني يادان دان داني
أدان دان داني داني يادان دان داني

وبالمقابل فإن "مالي مالي" أكثر انسيابا مع اللحن الموسيقي، غير أنها لا تفي بمفردها - بتغطية اللحن الكامل للبيت أو الشطر، ومن ثم فإن المنشدين لا يجدون مناصا - عند استخدامها من الاستعانة على شد الميزان والإيفاء بلحن البيت بمقاطع كلامية أخرى من قبيل الراداً - العادا - سيدنا - لا لامُولاتي ...

لقد استمر اسم المصمودي مرتبطاً بالإنشاد حتى مطلع القرن العشرين، ويدل على ذلك أن أوجين اوبان Engène Aubin لدى زيارته لفاس عام 1903. نقل عن أشياخ "لگريحة" أن المصمودي هو أول من أحدث الترنم بالشعر الملحون، وأن نجاحه في ذلك كان بوحي من إلهام خارق للطبيعة تلقاه في دار يسكنها الجن.

وإذا صح ما أورده الأستاذ محمد الفاسي عن مقتل المصمودي خنقا بأمر من المولى زيدان السعدي وهو في حالة سكر، فسيكون قد ودع الحياة قرابة عام 1030.

عباس الجراري، *القصيدة*، ص. 589 - 592 - 595 ؛ أحمد سهوم، *الملحون المغربي*، *شؤون جماعية*، الدار البيضاء، 1993، ص. 55 - 56 - 60 ؛ ع. الله شقرون، *الفنون*، س 1، ع 1، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، غشت، 1973، ص. 36 - 39 ؛ محمد الفاسي، *معلمة الملحون*، ق 1، ج 1، ص. 86 ؛ ق 2، ج 2، ص. 256 - 257.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**المصوبر** (القائد -) **عمر** أحد قواد زمران المشهورين في مطلع القرن العشرين، ولد بقرية أولاد ناصر عام 1874، حفظ القرآن الكريم وصار فارساً شجاعاً. وقد كان والده الحاج مبارك شيخاً على القبيلة، متعاطياً للفلاحة والكسب، أماجده المكي فقتل بسطات عام 1908 وهو في مهمة مع الفرق العسكرية المخزنية إبان الاجتياح الفرنسي، وكذا وقع لأخيه الحاج علي بفاس بعده.

شغل عمر المصوبر منصب قائد للرحى في الجيش العزيزي منذ عام 1896، ثم استقال من ذلك عام 1901، ثم أعيد إلى عمله في مطلع العهد الحفيظي، وخلال كل خدماته برهن عن كفاءة كبرى، خاصة خلال مواجهة الفرنسيين بالشاوية عام 1907، وهو ما جعل المولى عبد الحفيظ يعينه عام 1908 قائداً على قبيلته زمران، وهناك واجه بعض المناوئين أمثال صالح الزمراني ؛ ومع ذلك ضبط المصوبر إيالته مستعيناً بأخويه محمد الذي جعله خليفة له، ثم أحمد وكلفه بالفلاحة والكسب، وكانت أكثر إقامة هذا القائد بداره بمراكش في باب دكالة، كما امتلك أخرى بالجديدة، أما خليفته فبالقصبة بأولاد ناصر من زمران، كما اتسعت أملاكه بالسراغنة وزمران وحتى مسيوة، عزله الفرنسيون من منصبه عام 1914، وبقي في مقابلة أراضيه.

توفي عام 1949 ودفن في روض العروس بمراكش.

الحسن شوقي، *قبيلة السراغنة خلال القرن التاسع عشر*، ج 2،

مرقـون، 2002، ج 1، ص. 3377 ؛ *جريدة العلم*، 10 . 1 . 1986، ص. 1 ؛ *محفظة الخزانة الحسنية*، 123 عام 1330.
Livre d'or du Maroc, Casablanca, 1934, p. 143.

الحسن شوقي

**مضأ** (ابن -) **أحمد** بن عبد الرحمان اللخمي القرطبي، عـالم كبيـر وقـاض شـهيـر ولد بقرطبة ليلة عـيد الفطر عـام 513/ 1119 ، انقطع في صـغـره إلى طلب العلم، وناله ظلم أحد حساده فهاجر إلى المغرب. واستقر بجبل تنمل، وأقبل على بث العلم بين سكان قبائله، ولما سمع عبد المومن بعلمه استقدمه إلى مراكش فعلا نجمه عنده وعند بنيه من بعده، ورافقهم في حلهم وترحالهم. له مؤلفات نذكر منها : تنزيه القرآن عما يليق من البيان، وكتاب المشرق في النحو في الرد على النحويين، وله برنامج ذكر فيه شيوخه ومقروءاته عليهم، ولي قضاء فاس ثم نقل إلى قضاء مراكش سنة 578/ 1182.

توفي بإشبيلية يوم الخميس 22 جمادى الثانية 592 / 1195.

ابن الأبار، *تكملة*، 1091 ، *التكملة لكتاب الصلة*، 1 : 89 ؛ *الجذوة*، 142 ؛ *المعجب*، 147 ؛ *بغية الوعاة*، 189 ؛ *بغية الملتمس*، 193 ؛ *غاية النهاية*، 1 : 66 ؛ *الديباج المذهب*، 47 ؛ *البيان المغرب*، 3 : 141 ؛ *الإعلام*، 1 : 233.

عبد العزيز تيلاني

**مضيق جبل طارق عبر التاريخ**، كان هذا المضيق ولا يزال إلى اليوم أحد أهم البوابات الطبيعية للمغرب وإفريقيا، المطلة على القارة الأوربية. كما يعتبر أهم نقط التقاء هذه القارة بنظيرتها الإفريقية، وذلك زيادة عن كونه أداة الوصل الوحيدة الرابطة بين المحيط الأطلسي من جهة والبحر الأبيض المتوسط من جهة ثانية.

اسم المضيق اليوم، مضيق جبل طارق، يذكر الجميع بالقائد المغربي طارق بن زياد الذي نزل بجبل الفتح، جبل طارق، سنة 711 فاتحا بذلك بلاد الأندلس القوطية، تحت رايته العربية الإسلامية.

عـرف الجغرافيـون والمؤرخون والرحالة الأقدمـون مضيق جبل طارق وذكروه في مؤلفاتهم بأسماء مختلفة، منها : أعمدة هرقل عند هيرودوت (ق. 5 ق. م.)، وحانون (ق. 5 ق. م.)، وسكيلاكس (ق. 5 ق. م.) وأفلاطون (ق. 5 ـ 4 ق. م.) وسترابون (ق. 1 م). ذكره بلينوس الشيخ (ق. 1 م) باسم مضيق قادس Gaditanum Fretum، واقتفى أثره في هذه التسمية أوروشيوس (ق. 5 م)، وبروكوبيوس (ق. 6 م). عرفه بطليموس (ق. 2 م) بمضيق هرقل، وذكره جغرافي رافنا (نهاية ق. 7 م) باسم مضيق سبتة قادس Fretum Septem Gaditanum . وانفرد فكتور دي فيتا (ق. 5 م) بذكره باسم "المضيق" دون أي نعت أو صفة.

تعرف المسلمون، جغرافيون ومؤرخون ورحالة كذلك على هذا المضيق وذكروه أيضا بعدة أسماء مختلفة ومتنوعة وهي:

1 ـ الزقاق أو بحر الزقاق، كما ورد ذلك عند البكري (ق. 11) والشريف الإدريسي (ق. 12)، وصاحب الاستبصار (ق. 12 )، وعبد الواحد المراكشي (ق. 13 )، وابن سعيد المغربي (ق. 13) وابن عذاري (ق. 13 )، والحميري (ق. 14).

2 ـ بحر المجاز عند الشريف الإدريسي، وعبد الواحد المراكشي، وابن عذاري.

3 ـ بحر القنطرة عند ابن فضل الله العمري (ق. 14).

4 ـ بحر المضيق عند ابن جبير (ق. 12 ـ 13)، والوزان (ق. 16).

5 ـ الزقاق وزقاق سبتة وبوغاز طنجة وسبتة عند الناصري (ق. 19).

اختلف الأوائل من الإغريق واللاتان في تحديد طول هذا المضيق، فجعله الأقدمون منهم مائة وعشرين مرحلة (22,224 كلم)، وجعله سترابون خمسة عشر ميلا (22,215 كلم)، في رواية، ومائة وعشرين مرحلة في رواية أخرى. ودقق بلينوس الشيخ طول المضيق في أربعة عشر ميلا لا غير (20,734 كلم). وقد اجتهد الباحث تيسو ليوضح أن هذا الطول يحدد من رأس فرايل شرقا إلى رأس طريفة غربا في الضفة الإسبانية، ومن رأس ليونا شرقا إلى رأس القصر الصغير غربا في العدوة المغربية.

هذا وحددت مسالك أنطونان طول المضيق ما بين مدينة Ad. Septem Fratres شرقا ومدينة Tingis غربا في ستين ميلا (88,860 كلم)، رغم أن هذه المسافة على خط مستقيم لا تتعدى الأربعين ميلا (59,240 م).

أما المسلمون فقد جعلوا طول هذا المضيق اثني عشر ميلا (17,772 كلم) تفصل ما بين مدينة سبتة وقصر مصمودة (القصر الصغير) في العدوة الإفريقية، وثمانية عشر ميلا (26,658 كلم) تفصل ما بين الجزيرة الخضراء ومدينة طريفة في العدوة الأوربية.

وجاءت الدراسات الحديثة لتبين أن المضيق في حقيقة أمره أطول مما تصوره الكثير من الأقدمين، إغريقا وروما ومسلمين، وحددت هذا الطول في الضفة الشمالية بحوالي 100 كلم ما بين رأس أوروبا شرقا ورأس الطرف الأغر غربا، وفي الضفة الجنوبية بحوالي 75 كلم ما بين رأس الميناء شرقا ورأس سبارطيل غربا.

وبخصوص عرض هذا المضيق تباينت تقديرات الأقدمين فجعله سكيلاكس في مطلع القرن الخامس قبل الميلاد ذا عرض مساو لعرض مضيق البوسفور، أي حوالي 3 كلم فقط. وقدر دمسطيس في نهاية نفس القرن هذا العرض بسبعة مراحل لا غير (1,296 كلم). أما سترابون فقد جعل هذا العرض ما بين ستين وسبعين مرحلة (ما بين 11,112 كلم و12,964 كلم). وجعل تيتوس ليفيوس وكورنيليوس نيبوس

أقصى عرضه عشرة أميال (14,810 كلم)، وأدناه سبعة أميال (10,367 كلم)، دون تحديد نقط القياس. ورأى دي فيتا وأوروشيوس أن عرضه إثنا عشر ميلا (17,772 كلم). وذكر جوردانيس سبعة أميال (10,367 كلم)، ولم يذكر قبل هؤلاء Turranius Gracilis إلا خمسة أميال (7,405 كلم)، نقلها عنه بلينوس الشيخ دون أدنى تحفظ، وجعلها ما بين ميلاريا شمالا وبرومونتوريوم ألبوم جنوبا، علما أن المسافة بين النقطتين المذكورتين في حقيقة الأمر لا تقل عن 25 كلم. كما حدد بلينوس الشيخ في ثلاثين ميلا (44,430 كلم) المسافة الفاصلة ما بين مدينة بايلو شمالا ومدينة طنجة جنوبا عبر أقصر خط بينهما. وحدد بروكوبيوس (ق. 6) عرض المضيق في حوالي أربع وثمانين مرحلة (14,918 كلم). وانفرد بومبونيوس ميلا (ق. 1) الذي ينتمي إلى أسرة كانت تعيش في جنوب إسبانيا بمدينة طريفة بذكر عشرة أميال للمضيق في أدنى عرضه (14,810 كلم)، فكانا بذلك أكثر دقة من غيرهما. أما مارمول فقد اقتفى أثر بلينوس الشيخ وتورانيوس كراكيليس حرفيا وجعل عرض المضيق خمسة أميال (7,405 كلم)، وحدده بالضبط ما بين مدينة طريفة شمالا والقصر الصغير جنوبا.

وجاء المسلمون وحددوا عرض المضيق انطلاقا من نقط جغرافية معينة، ولم يستثن منهم إلا الوزان، الذي جعل عرضه اثني عشر ميلا (17,772 كلم) دون تحديد نقط القياس. وهكذا حدد الإدريسي عرض المضيق بثمانية عشر ميلا (26,658 كلم) ما بين الجزيرة الخضراء وسبتة، وباثني عشر ميلا (17,772 كلم) ما بين طريفة وقصر مصمودة. وجعل ابن سعيد، وصاحب الاستبصار ما بين النّقطتين الأخيرتين مسافة ثمانية عشر ميلا.

أما الدراسات الحديثة، فقد حددت عرض المضيق ما بين عدة نقط جغرافية، منها : عرضه الأدنى ما بين رأس كوادالمسي ورأس كيريس 13,89 كلم، وما بين رأس فرايل ورأس كيريس 14 كلم، وما بين طريفة ورأس القصر 16,05 كلم ؛ وعرضه الأقصى ما بين رأس الطرف الأغر ورأس سبارطيل 43 كلم.

وقد علق تيسو على هذه الاختلافات في المقاييس مرجحا أن جغرافية المضيق عرفت تغييرات طفيفة منذ العصر القديم إلى اليوم. إلا أن بونسيك فند هذا الرأي ورد عليه موضحا أن المضيق اليوم هو المضيق كما كان منذ القديم وأن الأبحاث الأركيولوجية التي أجريت في ضفتيه قد أثبتت ذلك.

هذا والجدير بالملاحظة في هذا المقام أن كل هؤلاء الأقدمين من المسلمين وغيرهم على حد سواء لم يولوا الملاحة في هذا المضيق ما تستحقه من العناية والدراسة، فجاءت معلوماتهم خالية من أية إشارة إلى الطرق الملاحية العابرة لهذا المضيق طولا وعرضا، ودون أدنى تعليق عن رياح المنطقة وتياراتها البحرية.

والمطلع على بعض الدراسات التي أولت هذا المضيق اهتمامات علمية لا يجهل اليوم أخطار الإبحار عبر مختلف موانئ المنطقة ومسالكها الملاحية بسبب تعقد مورفولوجية المضيق وسواحله وكثرة رياحه وتياراته، تلك الرياح والتيارات التي تزداد خطورة على الملاحة هناك كلما ازداد عرض البوغاز ضيقا.

هذا وإذا كانت دراسات القرن التاسع عشر قد أولت اهتماما متميزا لعبور المضيق طولا من شرقه إلى غربه أو العكس ؛ فإن بونسيك أولى عنايته لإظهار خطورة جوازه عرضا من الشمال إلى الجنوب أو العكس، مؤكدا على أن هذا الخطورة كانت أكبر خلال حقب التاريخ القديم، مبينا أن سر خطورتها كامن في كون السفن العابرة للمضيق عرضا تكون مضطرة إلى الملاحة في اتجاه يتعامد مبدئيا مع رياح المنطقة وتياراتها البحرية، وموضحا بأن هذه الملاحة تكون أسهل كلما كان خط العبور في غرب البوغاز. كما شرح بونسيك تأثير هذه الخطورة على اختلاف المسافات التي قدرها الأقدمون لطول هذا المضيق وعرضه مادامت تقديراتهم جاءت على ضوء مدة جوازهم. والراجح أن تأثير هذه الظاهرة بالذات هو الذي جعل جغرافي الإسكندرية كلوديوس يرسم خريطة جد مشوهة للمضيق ويزودها بأبعاد ومسافات لا تمت إلى الواقع الجغرافي للبوغاز بأية صلة.


البكري، *المغرب* ؛ ابن جبير، *رحلة ابن جبير* ؛ ابن سعيد المغربي، *كتاب الجغرافيا*، بيروت، 1970 ؛ ابن عذاري، *البيان*، ج. 1، بيروت، ط. 3، 1983 ؛ محمد الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1975 ؛ الإدريسي، *وصف إفريقيا* ؛ *القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس* ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. محمد حجي وآخرون، الرباط، 1984 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار*، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985 ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب*، الدار البيضاء، 1978 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، ط. 2، 1983.

Atlas Général, Bordas, Autriche, 1972 ; Roget Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, éd. Les Belles Lettres, Paris, 1924 ; De Buen Rafael, Quelques observations sur le régime des courants dans le détroit de Gibraltar, *C.R.A.S., t. CLXXIX*, 1924 ; Détroit de Gibraltar, Jeres, Tarifa, Algéciras, Nord du Maroc, in *XIVe Congrés Géologique International*, Madrid, mai 1926, *Livret - Guide des excursions*, Excursion AI, 270 p., 32 planches ; Ahmed El Gharbaoui, *La terre et l'homme dans la péninsule tingitane*, Rabat, 1981.


محمد اللبار

**مطاع** (أولاد -) تقع الجماعة القروية لأولاد امطاع جنوب سهل الحوز، تنتشر أراضيها فوق متون الدير والجزء الشرقي من سهل أمزميز وتمتد شمالا فوق متون وتلال نجد كماسة ويحدها شرقا واد نفيس. مناخها شبه جاف، تتراوح درجات الحرارة ما بين 8° شتاء و40° صيفا. أما المعدل السنوي للأمطار - 220 مم وترتب عن توالي سنوات الجفاف نقص في المياه سواء الجارية أو الباطنية، وتتعرض المنطقة للصقيع في بعض ليالي الشتاء كما تهب عليها أحيانا رياح

قوية + 60 كلم / س. أحدثت الجماعة على إثر التقسيم الجماعي والإداري لسنة 1992 بعد انفصالها عن الجماعة الأم: إيكودار التي تأسست منذ 1950. تبلغ مساحتها 127 كلم2، وهي تابعة لدائرة أمزميز، قيادة أوزكيتة عمالة الحوز بجهة تانسيفت مراكش الحوز، يحدها جنوبا قبيلة گدميوة الأمازيغية وشرقا ساكنة مختلطة من قبيلة گدميوة وزگيتة وسگنانة وشمالا قبيلة العرب وغربا قبيلة فروگة، تبعد عن مراكش بحوالي 50 كلم. وفيما يخص البنية العقارية للأراضي يلاحظ أن 76٪ من المساحة هي أرض جماعية و23,49 ٪ ملك خاص. أما أراضي الدولة والأحباس فلا تتجاوز 0,75٪ لكل منهما.

يبلغ سكانها 5708 ن (2004) وكان 5660 ن (1994). يلاحظ استقرار النمو الديموغرافي، ويرجع ذلك لعامل الهجرة نحو المدن بسبب توالي سنوات الجفاف والركود الاقتصادي. تبلغ نسبة الأشخاص الذين تقل أعمارهم عن 40 سنة 55٪ والمسنون + 70 سنة 20٪. يتوزع السكان ضمن مشيختين : العساكرة (آيت شرقي) والمرجة ضمن 16 دوارا أكبرها تاسنة: 1042 ن والزكاكمة 454 ن.

أهم نشاط هو الفلاحة وتربية الموشي، تبلغ المساحة الصالحة للزراعة 4644 هـ منها 1875 هـ مسقية، وهناك حوالي 780 هـ تغطيها غابة تشجير : الأوكلبتوس والصنوبر. ويمارس السكان زراعة بورية للحبوب ورعاية الأشجار أهمها الزيتون 347 هـ واللوز 210 والعنب 50 هـ وبعض الخضر الموسمية خاصة البطاطس والفصة. وتستفيد الجماعة من حقوق السقي من عين إمين تالا النابعة من سفح خانق جنوب مدينة أمزميز مدة 3 أيام في الأسبوع. عرفت السنوات الأخيرة توسعا في حفر الآبار والزراعات التسويقية : دلاح، بطيخ، بطاطس، نعناع، لكن المياه قليلة والآبار عميقة، يتجاوز عمقها في مركز أولاد امطاع 160 م لكن عمقها في المرجة 30 م. كما يهتم السكان بتربية المواشي خاصة الأغنام: 104000 رأس والماعز 980 راس والأبقار 1190 راس بالإضافة إلى الدواب. كما يهتمون بتربية النحل وإنتاج العسل. ولتدعيم أنشطتهم أنشأ السكان عدة تعاونيات للخدمات والإنتاج وتسويق الحليب واللحوم والسقي. كما أنشأ سكان بعض القرى تعاونيات للتزود بالماء الشروب بالإضافة إلى مؤسسات المجتمع المدني التي تهتم بشؤون التنمية الاجتماعية والاقتصادية، تلعب دوراً اجتماعيا متزايدا أعداد الشباب الحاصلين على تعليم ثانوي وجامعي.

تضم الجماعة مركزا قرويا يتصل بطريق أمزميز مراكش بطريق رابط طوله 3 كلم يتميز بمنظر حضري : بناء بالاسمنت والصباغة الحمراء. لكنه قليل المنازل السكنية رغم توفره على بنية تحتية مهمة : دار الجماعة القروية مركز صحي، مدرسة إعدادية وكالة بريدية مركز خليفة قائد وزگيتة وسويقة بها دكاكين تبيع المواد الاستهلاكية الضرورية ومنشآت الخدمات : فران حمام ... ويتعاطى سكان الجماعة بعض الحرف التقليدية أهمها صناعة الزرابي والبلغة. كما يعقد بالمركز سوق أسبوعي يوم الإثنين لكنه توقف لضعف الإقبال عليه بسبب قرب سوق رئيسي كبير بمدينة أمزميز التي لا تبعد عنه إلا بحوالي 7 كلم، ووجود سويقة دائمة به تزداد دكاكينها ومنشآتها باستمرار.

*بحث ميداني* ؛ مونوغرافية جماعة أولاد امطاع.

أحمد هوزالي

**مطاع** (أولاد -) إحدى قبائل دير الأطلس الكبير، جنوبي مراكش. تحدها قبائل مجاط وگدميرة غربا، ووزگيطة وسكتانة جنوبا، والگيش شرقا، وتكنة شمالا.

وبالرغم من أن أولاد مطاع ينتمون إلى عرب معقل فهم خليط من العرب والبربر. وقد نزحوا من الجنوب ضمن گيش أهل سوس، الذي عمل في صفوف السعديين، والذي انتظمت فيه القبائل النازحة من ذلك الصقع كزرارة والشبانات. ومن ثم فالبرغم مما يوحي به اسمها من أنها قبيلة عربية، فإنها احتوت فخذات بربرية. وبالرغم من أنهم شاركوا ضمن جيش الحوز في معركة واد المخازن، فإنهم لم يبقوا على ولائهم التام للسعديين، كما يلوح إلى ذلك صاحب *النزهة* في سياق رؤيا سيدي گدار للنبي صلى الله عليه وسلم، حيث "شكا إليه أولاد مطاع، لما رأى ما هم عليه من الفساد في الأرض". ويتأكد هذا لما أقدم السلطان أحمد المنصور على أخذهم وفل جمعهم. فكان ذلك سببا في وهنهم، حيث ضعفوا عن مقاومة بعض فرق عرب الخلط الذين كان المنصور قد رحلهم إلى ناحية مراكش ؛ فـ "مدوا أيديهم لأولاد مطاع فنهبوهم...". لكنهم ما لبثوا أن استعادوا قوتهم العسكرية، حيث إنهم أصبحوا يملكون، في أواخر عهد المنصور (1011 / 1602)، حوالي ثلاثة آلاف من الخيل.

ومن ناحية أخرى، يعد أولاد مطاع من بين خدام زاوية تامصلوحت التي تقع منهم شرقا. وقد أضحوا منذ سنة 1903 من ضمن إيالة القائد الگندافي، في سياق توسيع قيادته التي ضمت كذلك گدميوة وسكتانة. وتتكون القبيلة من ست فرق وهي : القراقب والمرجة وأولاد أحمد وتايزلت وتاسنة وتزفريت.

الإفراني، *نزهة الحادي*، 149 ؛ ع ابن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، 8 : 445.

Pascon, *Le Haouz de Marrakech...*, p. 273, 363 ; *Répertoire Alphabétique...*, 206.

أحمد عمالك

**مطالسة** أو **البطالسة**، قبيلة كبرى من إقليم الناظور، تمتد أراضيها في الزاوية الجنوبية الغربية من نطاق الريف الشرقي، محتلة الكتلة التلية الواقعة على السفوح الشرقية من جبال كزناية المشرفة على سهوب منطقة كرط، بين كزناية غربا وبني بويحيى شرقا. عدت أراضي القبيلة منذ القديم

ممرا يربط بين منطقة تازة والريف الشرقي عبر حوض واد مسون الأعلى من جهة وحوض ملوية الأوسط في اتجاه كرسيف عبر فم صاكا من جهة ثانية، وقد شكلت تخومها الجنوبية في فترة الحماية خط الحدود بين المنطقتين الخليفية والسلطانية، عبر خط تيزي إسلي وعين زورة. ويصل مجموع مساحة أراضيها إلى 1.170 كلم2.

يعود تاريخ أقدم وثيقة ذكرت الاسم إلى سنة 939/ 1532 حين تعرضت لأنساب سكانها. وقد تعرف على القبيلة مخبر مولييراس في نفس السنة الذي عرفتها وثيقة مخزنية بالتقسيمات التي كانت عليها قبل أواسط شعبان 1309 / 15 مارس 1892 أو الأرباع. وقد سبق تقديم الكلام في هذه المعلمة عن قرية عين زورة، أقدم المواقع المعروفة لدينا بالمطالسة.

ابتليت قبيلة المطالسة بدورها، مثل جميع قبائل الريف، بمداهمة الاحتلال الإسباني خلال سنتي 1919 ـ 1920، بدءا من الإشراف على أراضيها من سوق خميس تيزطوتين وواد كرط. بدأت العمليات بالتوجه نحو سوق ثلاثاء أولاد بوبكر. وكانت النقطة الثانية المستهدفة هي دار ادريوش المحتلة يوم 22 نوفمبر 1919. وبدأ الجيش الزحف الأول نحو عين زورة يوم 24 أكتوبر 1919 لينتهي في بداية سنة 1920.

باستيلاء الإسبان على القبيلة أحدثوا سنة 1921 قرية دار الدريوش. والحدث الهام هو وصول الخط الحديدي العسكري إلى دار ادريوش المنطلق من مليلة عبر قرى الناظور وسلوان وعروات (أعروي) وتيزطوتين. كما أحدث الإسبان أيضا سوق أولاد بوبكر بموقع سوق الثلاثاء بعد سنة 1921 خلفا لسوق يوم الاثنين.

تتألف القبيلة في الفترة المعاصر من أربعة وسبعين دوارا، موزعة على ست فرق، كل واحدة منها تعتبر في حد ذاتها قبيلة. ويظهر الحجم الديمغرافي في التعداد السكاني البالغ خلال فترة الحماية وبداية عهد الاستقلال 22.594 نسمة.

مجهول، *تقييد نسب قبيلة البطالسة*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، كناش 192 ، الخزانة الحسنية ؛ حسن الفگيگي، *الحاج حمو الشكري*، القنيطرة، 2003 ؛ *استطلاع ميداني*، سنة 1975.

Mouliéras, *Le Maroc Inconnu*, 1 : 121 ; *Boletin Oficial de la Zona de Protectorado Español en Marruecos*, 1926 ; D. Berenguer, *Campanas en el Rif y Yebala*, Madrid, 1948 ; *Geografia de Marruecos*, Protectorados y posesiones de España en Africa.

حسن الفگيگي

**مطمورة**، عبارة عن حفيرة تحت الأرض طبيعية كانت أم اصطناعية، لكن هذا المصطلح يُطلق عادة على الحفيرة تحت الأرض التي يخبأ فيها الحبوب ونحوها. ويقال طمر المطمورة ملأها. وتتخذ المطمورة في الغالب شكلاً أسطوانيا ـ مخروطيا. قاعدتها دائرية ومُتسعة في حين تضيق نحو السطح لدرجة أن مخرجها "فمها" لا يتعدى قُطره في بعض الحالات السبعين سنتمتراً. لذا يدعى بـ "الرقبة".

ويتم حفر المطامير من طرف السكان أنفسهم أو يُستأجر لذلك أشخاص متخصصون يُدعون بـ "المعلمين" أو "البيَّارة" أو "المطامرية" أو الخطاطرية". وتستعمل في عملية الحفر أدوات بسيطة كالفؤوس والقفف والأوقاد والمطارق ... وكانت لهذه الحفيرة وظائف عدة.

يستعملها الفلاحون لخزن منتوجاتهم الزراعية. مثلاً بسهل الحوز بالخصوص بدير الأطلس الكبير تُخصص المطمورة لخزن حبوب الزيتون مباشرة بعد جنيها. وتكون المطامير مُلاصقة ومُجاورة لمعاصير الزيت التقليدية، حيث يتم استخراجُها من حين لآخر حسب الحاجة. وفي هذه الحالة تحتل المطامير مجالات تحت أرضية مُغلقة تظل فيها حبوب الزيتون مُكدسة ومُتراكمة لمدة شهر أو ثلاثة أشهر، وفي بعض الأحيان أكثر من ذلك، الشيء الذي يؤدي إلى ارتفاع حُمُوضتها، وبالتالي الإقلال من جودتها وجودة الزيت المستخرجة.

كما تُستعمل المطامير لخزن الحبوب كالقمح والشعير سواء من طرف الفلاحين أو من طرف القواد المخزنيين. وفي حالة المطامير المخزنية فإنها تكون متجمعة في مكان واحد يُطلق عليه اسم "المرس" كما هو الحال بالسهول الأطلنتية كالحوز والسراغنة ـ البحيرة. ونجد حالياً عدداً من الدواوير والأحياء تحمل هذا الاسم. وحتى لا تتعرض الحبوب للفساد والإتلاف، كانت جدْران المطامير تُلْبَس أحياناً أثناء ملْئها ببقايا سُوق القمح المحصود والتي تُسمى "البرومي" أو يُحْرق التبن بداخلها. وعندما لا يبقى سوى الرماد الخامد تُطمر بالحبوب ثم يُحكم سدها. ولتحاشي التبلل نتيجة تسرب مياه المطر أو الفيض أو نتيجة صعود مياه السديمة، كانت المطامير تُحفر بالتفضيل بمواضع مُرتفعة وسط السكنى أو بجوارها بالنسبة للفلاحين، أو بالتقببات الطبغرافية بالنسبة "للمرس". كما كانت تختار الركائز الصخرية الصلبة لتفادي انهدامها.

وتستعمل المطامير كذلك لخزن مياه الأمطار بالمناطق التي تُعاني من ندرة المياه لسبب مناخي أو جيولوجي كما هو الحال بالمجالات البيمخروطية بدير الأطلس الكبير الغربي الشمالي. ونجد ذلك مثلاً بالدواوير الموجودة شرق مخرج وادي سكساوة، وهنا تقوم المطامير مقام "النطفيات" حيث يتم إلباس جدرانها بالخرسنة وتجصيص قعورها.

وكانت المطامير بالمدن العتيقة تستعمل كوسيلة لتصريف مياه الدور والمراحيض، حيث تقوم بدور الخميجات. كما تُستعمل حاليا بالأرياف لتصريف مياه الحمامات والمراحيض. استعملت المطامير كحبس لسجن الأشخاص كما نجد آثار ذلك مثلاً بقصر البديع بمراكش.

*زيارة ميدانية، روايات شفوية ومقابلات ميدانية.*

J. Flouriot, L'oléiculture dans la région de Marrakech, *RGM, N° 9, Rabat, 1966.*

أحمد زروال

**المطيري، محمد** بن **إدريس** ولد عام 1294 / 1877 من أب كان يمارس التجارة والفلاحة. كان يحضر بعض حلقات العلم في القرويين، الأمر الذي هيأ له أن يحصل على نصيب من المعرفة، وأن يحلى بلقب "الفقيه".

شغف منذ فتوته بالموسيقى الأندلسية، فأقبل على ارتياد محافلها والأخذ عن أعلامها، فحفظ مستعملاتها عل يد المعلم عبد السلام البوسدراوي والتهامي الزموري والمعلم التطواني الأصل عبد القادر كريش، كما تعلم عزف الكمان على يد المعلم سعيدو والمعلم الساوري. وفي عام 1919 انتقل إلى مراكش بدعوة من الگلاوي بعد توليه الباشوية بها، فكان يعلم الإماء والخدم العاملين بقصره. وفي عام 1932 عين ليكون من بين أعضاء الوفد الذي مثل المغرب في المؤتمر الأول للموسيقى العربية المنعقد بالقاهرة.

وبعد عودته دعي للالتحاق بجوق الآلة للقصر الملكي العامر بالرباط. وخلال فترة إقامته بهذه المدينة أخذ عنه عدد وافر من الفنانين كان فيهم الفقيه السبيع ومحمد امبيركو ومصطفى المعروفي والطيب بلكاهية، كما أخذ عنه الفنان الطنجي العربي السيار.

وفي ربيع عام 1939 دعي إلى المؤتمر الأول للموسيقى المغربية الذي احتضنته مدينة فاس. وقد شارك فيه بمجموعة قدمت عرضا موسيقيا اشتمل على بطايحي الرصد، كما عزفت الجوقة النحاسية صنعات منتخبة من بسيط العشاق كان الباحث الموسيقي الفرنسي ألكسيس شوتان قد دونها بالنوتة من إملائه.

وكان الفقيه المطيري خلال إقامته بالرباط - على صلة مستمرة بشوتان الذي دون من إملائه - أيضا - "تصدرة" بسيط رمل الماية (صلوا يا عباد) وصنعة "ياراحة القلب" من بطايحي الاستهلال.

ويعتبر الفقيه المطيري من أبرز أعلام الموسيقى الأندلسية بالمغرب الحديث. كما يعتبر من رواد المدرسة الفاسية الحديثة، إليه يرجع الفضل في نقل أصولها إلى كثير من المدن المغربية، وبخاصة مراكش وآسفي والصويرة وطنجة. فهو يشكل - إلى جانب معاصريه سيدي محمد الجعايدي والفقيه محمد البريهي الثالوث الشهير الذي آل إليه جماع مستعملات الموسيقى الأندلسية في النصف الأول من القرن العشرين.

توفي بفاس يوم 19 محرم 1368 الموافق 21 نونبر 1948.

ع. ابن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2، الدار البيضاء، 2000، ص. 225 ـ 226 ـ 330 ؛ م. ابن المليح، *رواية شفوية* ؛ حاتم الوكيلي، الموسيقى الأندلسية من خلال مسيرة الفنان مولاي أحمد الوكيلي، سلسلة *المعرفة للجميع، مارس، 1999، ص. 60 ـ 61.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**المطيري، محمد التهامي** ابن الولي المرابط حمادي بن عبد الواحد الحمادي المكناسي، أصله من آيت حمادي، فخذ من قبيلة بني مطير الشهيرة وصفه ابن زيدان قائلا : "علامة مشارك مطلع نحرير أديب أريب نقاد محدث متقن متضلع". وبينما جاءت تحليته في بعض الرسوم العدلية "بالعالم الناسك البركة الخطيب البليغ القدوة المدرس المحقق الحجة"، نعته صاحب *الإعلام* بقوله : "آخر حفاظ المغرب الفقيه العلامة المشارك". تتلمذ على علماء فاس وشيوخها فأخذ عن إدريس بن زين العابدين العراقي والشيخ الطيب ابن كيران اللذين أجازاه إجازة عامة، كما أخذ عن العلامة أحمد بن التاودي ابن سودة. ومن في طبقتهم من العلماء.

تولى خطة القضاء أولا بمدينة مكناس، ثم مراكش كما تولى الخطابة وتدريس العلم بمسجدها الأعظم. وكان شيخ قراءة الحديث في مجلس السلطان عبد الرحمان بن هشام، ثم اصطفاه للقراءة معه في السفر والحضر، "يظعن بظعنه ويقيم بإقامته".

تتلمذ على يده علماء كبار منهم : عبد الكبير بن المجذوب الفاسي والقاضي عبد الرحمن البريبري الكبير الرباطي والمهدي ابن سودة المري والمحدث الشهير الوليد العراقي والعلامة عبد القادر الكردودي وغيرهم. وله شعر جميل أورد ابن زيدان نماذج منه، وأسلوبه النثري غاية في الإبداع كما يتبين من إجازاته لتلاميذه.

توفي فجأة برباط الفتح في 11 صفر عام 1249 ودفن بالزاوية الناصرية بحومة بوقرون.

عبد الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج 2، الرباط، 1990، ص. 81 ـ 94؛ العباس ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 6، تح. عبد الوهاب ابن منصور، الرباط، 1977، ص. 228 ـ 229.

**المطيري، محمد** بن **عبد الواحد** الشهير بسيدي حَمَّادْ أو سيدي حمّادي من آيت حمادي المطيريين، ولي شهير "فقيه ناسك، دين ورع سالك ... عارف كبير ممن يشار

إليـه بالخير والصلاح والبركـة ... موسومـا بالولاية ملحوظا بعين الرعايـة والعناية". كـان في بداية أمره مـجذوبا سائحا فاشتد عليـه الأمر يقول ابن زيـدان : "وطال به الفتح فأنشد مستغيثا بالنبي الطاهر :

بما بوجهك من حسن ومن بهـج ... ومابغرتك الغراء من بلـــج
وما بعينك من سر ومن دعـــج ... وما بثغرك من در ومن فلـج
أغثنا ياخير خلق الله عن زعـج ... فإننا يا رسول الله في حـرج

فـأتاه الفتـح والفلاح. ونـال مـا يرجو من مـولاه الفتـاح". وقد تحدث عنه النـاس بكرامـات وأمـورخارقـات. وكـان ورده الذي يلقنه لمريديه هـو الآية "لقد جـاءكم رسـول مـن أنفسـكم ... إلى آخر السـورة مـائة مرة في كـل يوم ويتبعـهـا في كل مـرة بالدعـاء : "اللهم اكـفني مـا أهمني ومـا لم يهـمني مما علمتـه ومـا لم أعلمـه من أمـور الدنيـا والآخرة، إنك على كل شيء قـدير". وكان الولي عبد القـادر العلمي (سيدي قـدور) والشيخ التاودي ابن سودة كثيري التردد عليه والجلوس معه.

توفي أواسط المائة الثـالثة بعد الألف بفاس، ودفن قـريبا من وادي الزيتون وقبره هنالك مشهور.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج 3، الرباط، 1990، ص. 9 ـ 10.
رقية بلمقدم

**الـمعابد في المغرب الـقديم**، يعتبر المعبد بالنسبة للإنسان البدائي مركز العالم الذي يناسب الزمن الذي يعيش فـيه والفضـاء الذي يحيط به. والمفروض في المعبـد أن يوحي لبانيـه، في أبعـاده وطبـيعتـه، تأكـيد الخلود النسبي وتأكـيد الحـمـاية. كـمـا أنه في منطق الزمن، يلخص خلق وتكـوين العالم، فهـو يقـترب، في حدود الإمكان، من القبـة السمـاوية التي يتناقض ثباتها وديمومتهـا مع الحياة الأرضيـة. وانطلاقا من كـون المعبـد مركزاً للأرض والعـالم، فإنه عـمـومـا مـرتبط بثلاثة مـستويـات كونيـة : جهنم، أو مكان إقـامـة الأمـوات، والأرض سكنى الأحيـاء، والسمـاء مكان إقامة الأرباب.

ويعـتبر المعبـد المكان المخصص للعبادة، عـبـادة رب أو أرباب، إلا أنه ليس مـن الضروري أن يكون عبـارة عن بناية معمـارية، إذ قـد يكفي أن يكون مـجال التعبـد محاطا بسور أو بسياج. ويتضمن العديد من العناصر منها :

ـ مكانا للطهارة والتطهير
ـ مذبحا لتقديم القرابين والأضحيات
ـ صورة أو تمثالا للرب يوضع أحيانا في مصليات صغيرة تخزن فيـها الهبات والهدايا وكنوز الرب، ولذلك فالهيكل أو الحـرم لا يمثل إلا عنصـرا واحـدا فـي المعـبـد وليس الجـزء الأساسي في المعبد.

أمـا الحـرم أو قـدس الأقـداس، أو الهـيكل فـهـو البنـاية المغلقة نفسها التي يوضع فـيـها تمثال الرب، وتقابل الكلمـة الفكرة المادية المختـبئـة في نفوسنا والتي نذكـرها تحت إسم المعبد ولكن ليست الفكرة الدينيـة. فـالحرم (أو الهيكل) لا يمثل البناية التي يجـتـمع فـيـهـا العـبـاد ولكنه المكان المظلم وأحيـانا السري الذي يوضع فيـه التـمـثـال. فالحرم لا تقام به الاحتـفـالات الدينيـة، بل تقام فـي الهـواء الطلق حـول المذبح المقـام أمـام المعبـد. وفـوق هذا وذاك، فإن المعبـد عـبارة عن انعكـاس لعـالم الألوهية، كـما أن المعـابد المسيـحيـة تمثل الحب والحكمـة في الوقت الذي تمثل فـيـه المعـابد الإسلاميةالعـلاقـة بين الأرض والسمـاء.

وقد كـان بناء المعبد يتـوسط دائما المدينة على تلة مرتفعة هي طبيعيـة في شمال إفريقيـا وأرض كنعان واصطناعيـة في أرض الرافدين.

وقـد برهنت التنقيـبات الأثرية على الميـول الطبيعيـة لدى الإنسان القديم لبذل أفضل ما يملك في سبيـل الأبنية العـامة وبيوتات العبادة بوجه خاص.

لقد كـانت التـقدمـة للرب عـمليـة تطهير نفسي يمارسـهـا الملوك كمـا يمارسهـا أبنـاء الشعب. وبنـاء المعابد الضخمـة كان يستوعب عملية التطهير النفسي للمجتمع ويتجاوزها ليصبح بمثـابة رسـالـة إلى الغـد أي إلى الامـتـداد نحـو الوجـود المستقبلي.

في الشرق القديم كـان المعبد في الأصل عـبارة عن كـهف يقصده النـاس ويعـبدون فـيه ربا يعـتـقدون أنـه ولد أو استـقر فيه. ثم تطور وأصبح يبنى إما بالطوب أو بالحجر. ومن أقدم المعابد والهياكل معبـد أريحا بفلسطين وهيكل شاطال هويوك بتركيا.

أمـا بالنسبـة للأمـازيغ فـهنـاك إشـارات في النصـوص الكلاسيـكيـة وفي الإيبيـغرافيـا والآثار تتـحدث عن معـابد أمـازيغيـة توجد في الغـالب في أمـاكن مـرتفعة في الجبال والتلال وفي المغارات الطبيعيـة أو المهيأة. فـالأماكن العـالية كـانت ـ على مـا يبدو ـ تسـهل عمليـة الاتصال مع المعبـودات السماوية، والمغارات من المعروف أن الرب الأمازيغي باكاكس كان يستـقبل عباده فـيها. ونفس الشيء بالنسبة للرب إيفري المستمد من معنى المغارة بالأمـازيغية. ويمكن أن نتسـاءل عما إذا كانت الكـهوف التي تحمل جدرانها رسوماسحرية ـ دينية لا تقوم بدور المعابد حيث كانت تتم عبادة القوات المجهولة أو مـعـبـودات طواهـا النسـيـان ؟ وهذه الأنواع من الكـهـوف والمغارات معروفة في الجزائر وليبيا والمغرب، ثم يجب أن لا ننسى الكـهف المشـهـور المعـروف بكـهف هرقل الواقـع في الضواحي المباشرة لطنجة في المغرب. مـهما كانت طبـيعة هذا الهرقل الطنجي، ومهما كانت الأساطير المتعلقة به، والروابط التي تشـده إلى هذا الكـهف، فـإنه لا شيء يمنعنـا من أن نرى فيه مكانا ذا طابع مقـدس، سابق بالطبع على نزول الفينيقيين بأرض موريطانيا وعبادة هرقل ملقارط.

وإذا عـدنا إلى هيـرودوت فـإنه أشار في القـرن الخـامس قبل الميلاد إلى عبادة أثينا وبوسيدون وتريتون وإلى معابدها دون أن يعـطي أي فـكرة عن شكل هذه المعـــابد ولا عـن حجـمهـا. فـهـل كانت عـبارة عن مـعابد مبنيـة أو عـبارة عن أمـاكن في الهـواء الطلق محاطة بحواجز من الأحجـار الجافـة

فقط ؟ فإذا كانت مبنية اعتمادا على تصميم طقوسي معتمد على المدخل والباحة والهيكل أو الحرم وملحقاته، وهذا ما يوحي به كلام هيرودوت، فهذا يعني أن الأمازيغ، ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد، بل وقبله، كان لهم تنظيم ديني متطور. لأننا بالفعل بعد المرحلة البونية التي امتزج فيها الأمازيغ والبونيون في كل شيء، حتى في الجانب الديني، سنجد أن الأمازيغ في العهد الروماني يقومون بإنشاء معابد مخصصة للأرباب الأمازيغية.

وهناك مثال آخر يتعلق بمعبد أقرب للمزار منه للمعبد عبارة عن مستطيل أو مربع الشكل أو أي إطار هندسي تظهر حدوده بأحجار جافة، وهذه المزارات لا يزال بالإمكان مشاهدتها إلى اليوم في قرى شمال إفريقيا منها مزار مكتر ومزار كيرزة.

فمزار مكتر، ساعد ارتفاعه وعزلته النسبية، أن يحمي ويحافظ على نفسه ضد التأثيرات الخارجية، نقب فيها بيكار ووصل إلى الأرض البكر والفرشة الأصلية والبدائية للسكان الأصليين، التي لم تستطع التأثيرات الأجنبية أن تمحيها إطلاقا. وقد كشف بيكار عن النموذج الخالد للمزارات التي تعتبر معابد بسيطة لايزال الأمازيغ يهيئونها إلى اليوم، مثل ما كان يفعله أجدادهم منذ أكثر من ألفي سنة. والمزار عبارة عن مجموعة من الأحجار المنظمة على شكل دائري يلحون في التركيز عليها من أجل التقرب من القوى الفوق طبيعية، ويعلقون على فروع الأشجار التي تظلل المزار خرق الثوب التي تذكر بزياراتهم وصلواتهم.

أما مزار گيرزة الواقع بالطرابلسية فهو يتكون من جدار صغير من الأحجار الجافة، والتي تحيط بتل مقدس، وضع في أعلاه معبود أو تمثال، أو أية إشارة أو رمز للمعبود، ثم لا ننسى المكانة الدينية للجبال في قلوب الأمازيغ، والتي أشار إليها الكتاب الكلاسيكيون، وقد اعتبر بعضهم الجبل أطلس إلها ومعبدا. فلذلك لا نستغرب إذا اعتبرت بعض الأماكن في الجبال أماكن مقدسة، إما كمعابد أو كمزارات وإلى يومنا هذا. وتحمل هذه الأماكن حاليا أسماء حديثة سواء في الأطلس الكبير أو الصغير أو المتوسط. لكن الممارسات والطقوس المتبعة تبدو عتيقة جدا.

وخلال مرحلة الاتصال بالفنيقيين الذين كانوا رجال تجارة وبحر فقد كانوا يهتمون بالسواحل والخلجان فقط وكانت محطاتهم على الأقل، في البداية، ساحلية، وسبق لسينتاس (P. Cintas) أن فسر كيف يتصرف البحارة الفينيقيون عند نزولهم بشاطيء لأول مرة. إذ كان عملهم الأول القيام بتقديم القرابين للأرباب، إما من أجل شكر أربابهم التي حمتهم طيلة الرحلة، أو من أجل التقرب والتصالح مع أرباب البلد الذي نزلوا به والذين يفكرون، بدون شك، في الاستقرار به. وكان هذا القربان يتم بدون شك، في نفس المكان الذي رست فيه سفنهم. وبذلك تصبح تلك الصخرة التي أوقدوا فيها النار ورفعوا بجوارها تقدماتهم وقرابينهم، منذ تلك اللحظة عبارة عن مذبح أولي مقدس لهذا المكان، وتتكرر نفس العملية ونفس الحركات خلال الأيام المقبلة.

ويبدو أن نفس الشيء حدث في ليكسوس، وقادس وأوتيكا وموگادور وحضرميت وقرطاج، وفق نفس الظروف.

ولذلك فإن جل المراكز التي نزل بها البحارة الفينيقيون أغلبها عبارة عن مراكز ساحلية، وبالتالي فإن كل المعابد والمذابح الأولية التي أقيمت خلال هذه المرحلة توجد أيضا على سواحل تلك المراكز. ومن المعابد الأولى التي يبدو أنها كانت في الهواء الطلق يمكن أن نتحدث عن معبد موگادور.

فخلال التنقيبات التي أجراها أندري جودان ما بين 1956 و1958 بجزيرة موگادور بالصويرة، استخرج من الطبقة الأركيولوجية الرابعة في المنطقة التي توجد في وسط التل الأثري، عام 1957، عمودا حجريا منحوتا مربع الزوايا، يبلغ طوله 1.47 م وعرضه حوالي نصف متر، به تجويف صغير في ثلثي علوه. يختلف هذا العمود في شكله عن الأنصاب الجنائزية التي عرفها البونيون، لكن ارتباطه بإحدى المعتقدات الدينية، أمر لا ينبغي تجاهله، ألا يمكن أن نرى فيه أحد الأنصاب الدينية المعروفة في فينيقيا باسم بيتيل ؟ فمن المعلوم أن من عادات البحارة الفينيقيين إقامة مثل هذه المنشآت المادية في المحطات التي يتوقفون بها لمباركة المعبودات التي يسرت لهم سلامة الوصول، كانت هذه البيتيلات تمثل على ما يبدو صورا مصغرة للعمودين الشهيرين اللذين يوجدان في معابد ملقارط بصور، وقادس، ومعبد أورشليم الذي بناه الملك سليمان.

ومما يؤكد على الطابع العقائدي لبيتل الصويرة هو العثور على أعداد كبيرة من القناديل الفينيقية بنفس الطبقة الأركيولوجيةالتي اكتشف فيها البيتيل، والتي كانت تستعمل لأغراض منزلية أو دينية. إلا أن آثار الفحم على قناديل موگادور كانت ضعيفة مما يرجح الاستعمال الديني.

فهل البيتيل عبارة عن منشأة دينية موجودة بمعبد في الهواء الطلق ؟ ليس من المستبعد أن يكون هذا مكانا لمعبد في الهواء الطلق يعود لمرحلة اتصال موگادور بالتجار الفينيقيين في القرن الثامن ق.م، وربما قبل هذا، وكانت الصلوات تقام في هذا المعبد أمام البيتيل، وتقدم له الذبائح والهبات. ومما يؤيد وجود معبد في الهواء الطلق، أن الطبقة الأركيولوجية العائدة لهذه المرحلة، لا تضم أية بناية. وهذا ما يجعلنا متيقنين أن الفينيقيين لم يشيدوا بنايات من مواد دائمة خلال مدة استقرارهم بموگادور. ولن توجد المساكن المبنية في موگادور إلا في الطبقات الأركيولوجية العليا العائدة للعهد الموريطاني وإلى عهد الاحتلال الروماني حيث شيدت البنايات من الحجر الجيري المتين.

وليس من المستبعد أن تكون إليسا أو ديدون قد فعلت نفس الشيء عند ما نزلت بأرض تونس في أواخر القرن التاسع ق. م، ورفعت التقدمات والقرابين لأربابها الحامية على الشاطيء، ولكن لا ندري أين ؟ هل في نفس المكان

الذي جرت العادة تسميته "بمعبد تانيت وبعل حمون" الذي يحاذي الساحل القديم أم لا ؟ يمكن، لأنه يستجيب لهذه الفكرة.

محمد فنطر، الفينيقيون وقرطاجة صلة بين أصقاع البحر الأبيض المتوسط، *الكراسات الفرنسية، مجلة 43*، ع *155 . 156*، سنة *1991*؛ مصطفى أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، فاس، ص. 461 . 523.

H. Morestin, *Le temple B de Volubilis*, éd. du CNRS, Paris, 1980 ; Cintas, *Manuel d'archéologique punique*, I, Picard, Paris, 1970 ; A. Jodin, Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, *ETAM, 1*, Tanger, 1966 ; Volubilis regia iubae, Publicationss du Centre Pierre, Paris, (UA991) 14, Boccard, Paris ; F. Decret et M.H. Fantar, *L'Afrique du Nord, dans l'Antiquité*, Payot, Paris, 1981 ; Vasseil, *Revue Africaine*, 1910 ; Azedine Beschaouch, *La légende de Carthage*, Gallimard, 1993 ; M. Ponsich, Lixus, le quartier des temples, *ETAM, IX*, Rabat, 1981 ;

مصطفى أعشي

**المعازيز**، مركز قروي يقع بإقليم الخمسيات على بعد 39 كلم من مدينة الخميسات و52 كلم من مركز والماس، تمتد هذه الجماعة على مساحة تقدر بـ 252 كلم$^2$، ويعرف سكان مركز المعازيز ارتفاعا مهماً من سنة إلى أخرى بسبب ارتفاع الهجرة القروية.

يتكون أغلب سكان المعازيز من قبائل زمور الشلح، منها آيت بوشلفين، آيت علا معاريف، آيت شعو، جناتن وآيت ازي، تكون في مجموعها 27 دواراً.

قاومت قبائل المعازيز التدخل الفرنسي في أراضيها مقاومة عنيفة، حتى إن سجلات الجيش الفرنسي حافلة بأسماء الضباط والجنود الفرنسيين الذين سقطوا في المعازيز سنة 1914 ، في هذه المنطقة وحدها وعلى مدى ثلاث سنوات فقد الفرنسيون خيرة ضباطهم الذين دفنوا في مقابر تيداس أمثال اليوتنان "كيدار" الذي دفن بجانب ثمانية عشر ضابطا وجنديا، وفي مقبرة أخرى دفن جيش كثير من الضباط والعساكر الفرنسيين والسنغاليين والجزائريين وعددهم عشرون، وفي مقبرة ثالثة في تيداس نفسها كتب الفرنسيون أسماء قتلاهم على لوحة من رخام.

ومن المعارك التي خاضتها قبائل المعازيز في مواجهة جيوش الاحتلال الفرنسي، نذكر : معركتا تيداس، الأولى وقعت بتاريخ 9 مارس 1912، والثانية في 6 دجنبر 1912، ومعركة الطويجن بتاريخ 2 ماي 1912.

*مونوغرافية إقليم الخميسات*، مصطفى العلوي، *المناورات الأجنبية ضد السيادة المغربية*، ج 4، الدار البيضاء، 1994 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *معلمة المغرب*، القنيطرة، 2000.

بوعبيد التركي

**معاشو** (سيدي -) **سعيد** مرابط من مرابطي الشاوية الذين وقفوا للبرتغاليين بالمرصاد على الضفة اليمنى لوادي أم الربيع أواخر القرن الخامس عشر وخلال القرن السادس عشر، ينتمي لفخذة المعاشات من فرقة الهدامي وهي إحدى الفرق المكونة لقبيلة أولاد سعيد الكبرى.

وقد تحول رباطه المقام على ربوة تطل على أم الربيع إلى ضريح مشهور يحظى باحترام وتقديس كبيرين من طرف القبائل المجاورة، بل إن كثيراً من الناس يؤمونه أملا في الاستشفاء من أمراض النقرس والشلل والروماتيزم. وقد كان سكان الشاوية ودكالة وعبدة وغيرهم يقيمون فيه موسما كبيراً كل سنة لكن هذه العادة اختفت منذ بداية القرن العشرين.

*Villes et tribus, Casablanca et les Chaouia, t. 2.*

علال الخديمي

**المعاشي، محمد** بن **محمد**، ولد سنة 1920 بقبيلة دكالة إقليم الجديدة، دفعته غيرته الوطنية وإخلاصه لوطنه وملكه إلى الانخراط في صفوف الحركة الوطنية المقاومة للاستعمار الفرنسي، حيث قام بأعمال جليلة إلى أن تم اعتقاله بصحراء المغرب سنة كاملة، وبعد إطلاق سراحه وإبان فترة ثورة الملك والشعب بينما كان المعاشي صحبة خمسة أفراد يقومون بإتلاف أعمدة وأسلاك الهاتف فاجأتهم دورية من الجيش الفرنسي فرمتهم بالرصاص وسقط شهيدا يوم 20 غشت 1955 بوادي زم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، الجزء الثاني، ص. 205.

بوعبيد التركي

**المعاضيد** (مجموعة قصور)، تقع المعاضيد جنوب مدينة الرشيدية على بعد حوالي 70 كلم، وعلى بعد 20 كلم إلى الشمال من الريصاني. وهي توجد على الطريق الرئيسية رقم 21 ، وكانت في القديم محطة في الطريق الرابط بين تافيلالت وفاس، وشكلت إحدى أهم المحطات السلطانية. ففي رسالة من السلطان الحسن الأول إلى ولاته حول حركته نحو تافيلالت سنة 1893 ذكر أنه بعد زيارة أهل مدغرة "نهضنا إلى بلاد عرب الصباح فتلقوا مواكبنا السعيدة في زيهم بفرح وانشراح وقاموا بالواجبات...". ومن المعلوم أن المعاضيد إحدى مراكز استيطان عرب الصباح (من عرب معقل) التي تعمر إلى يومنا هذا أيضا قصور تيزيمي والسيفة وفزنة.

لم تشر المصادر إلى المراحل الأولى لتكوين قصور المعاضيد. لكن هناك إشارات تدل على أن الاسم الذي كان يطلق عليهم هو "الصباح أهل التوميات" وذلك لتمييزهم عن الصباح أهل تيزيمي. ويقصد بالتوميات قصران صغيران أو بالأحرى بنايتان توأمتان شكلتا في البداية نقطة التقاء لأهل القبيلة الرحل إذ يضعون فيها بعض المؤن والمواد ويتركون فيها الشيوخ المسنّين غير القادرين على التنقل مع رأس المال

السارح. ولا نتوفر على معطيات تفسر الأسباب التي أدت بصباح التوميات إلى الاستقرار، وتحدد الفترة التي حدث فيها هذا التحول في نمط عيشهم.

أما اسم المعاضيد فهو مقتبس - فيما يظهر - من التعاضد والتآزر بين ثلاث قبائل : العبادلة والمكابر والتغيان، وذلك لمواجهة العصبيات القبلية التي كانت منتشرة بالمنطقة. ونعتقد أن بداية تعمير المعاضيد جاء بعد تخريب سجلماسة على يد بني مرين. ومما يدل على أقدمية القصور كثرة المقابر المحيطة بها، إذ فيها خمس مقبرات وقد بدأ الدفن في المقبرة الخامسة أي الأحدث مع بداية القرن العشرين.

إن أول قصر شيد في مجموعة المعاضيد هو المكابر الذي احتضن التوميات المشار إليهما، ثم تلاه قصر العبادلة الذي يتكون من القصبة الجديدة ثم أضيف إليه قسم ثانٍ يسمى بالزيادة وبني في مرحلة أخيرة القصير، وهو صغير الحجم كما يدل على ذلك اسمه. ومع أن لكل قصر من القصور الثلاثة باب مستقل، فإنها تشكل وحدة عمرانية يحيط بها سور واحد.

وإلى جانب القصور الثلاثة هناك قصر المحيريگية والبروج وهما قصران منفردان يبعدان عن القصر الأم بمسافة متباينة،

إن تخطيط قصور المعاضيد يستجيب للطابع العام للعمارة الصحراوية التي تحترم ضوابط العمارة العربية الإسلامية. ولا نغالي إذا قلنا إن قصور المعاضيد في تخطيطها صورة مصغرة لبعض الأحياء المسورة بالحواضر المغربية.

فالقصور محاطة بأسوار عالية مبنيةبالطابية (التراب المدكوك في ألواح خشبية)، ويفضي إلى كل واحد منها باب ضخم يدعمه على الجانبين برج شاهق تُتَوِّجه شرافات مسننة. يتشكل الباب من مدخل مقوس يغلق بواسطة باب خشبي. ويفضي المدخل المنعرج إلى فضاء مغطى يطلق عليه محليا اسم المصرية. تنتصب فيه عدة سوار سميكة تحمل سقفا مكونا من القناطر الخشبية وجريد النخل، وحول جنبات المصرية توجد دكانات يصطف فيها الناس أيام الحر والبرد.

ومن العناصر المميزة للقصر وجود المسجد أمام ساحة فسيحة نسبيا، وحولها تتوزع الدكاكين والمرافق الأخرى الضرورية. أما المجال السكني فهو عبارة عن زقاق رئيسي أو محج تتفرع عنه من الجهتين دروب تتباين في مساحتها واتساعها. وهي تحمل أسماء القبائل الثلاث وأفخاذها. والأكيد أن الهاجس الأمني كان له دور كبير في التخطيط العمراني للمعاضيد على غرار أهم القصور بناحية تافيلالت، ويظهر ذلك في ضخامة السور الخارجي وكثرة الأبراج التي تتخلله فضلا عن المدخل المنعرج للباب الرئيسي وتزويد مداخل الدروب بأبواب خشبية.

ومع أن قصور المعاضيد شكلت مركزا لاستقرار عرب الصباح، فإنها استقطبت تباعا عناصر بشرية أخرى كالشرفاء والحراطين والعبيد، فضلا عن اليهود. ومما يدل على وجود هذا العنصر الأخير أسماء بعض الأماكن والحقول بغابة البلد وبقايا المقبرة اليهودية التي توجد على مسافة بعيدة نسبيا عن القصر.

ونظرا للصراعات القبلية بالمنطقة واتساع المجال الحيوي لأهل المعاضيد وكثرة فرسانهم فإنهم دخلوا في حلف آيت يافلمان لمجابهة حلف آيت عطا الذي كان منافسهم القوي بجهة تافيلالت.

وتجدر الإشارة إلى أن أرض المعاضيد كانت مسرحا لأحداث جسيمة نذكر منها الخلاف الذي نشب بين أهلها ومولاي المامون ابن السلطان المولى إسماعيل، الذي كان قد شيد قصبة بالجهة الجنوبية من غابة المعاضيد. وانتهى الخلاف بتدمير القصبة بجرفها بالماء. ومازالت أطلالها بادية غير بعيد عن قصر اللحاين. وهذا الأخير شيد من طرف قبيلة الخفافرة مكافأة لها على مساندتها للمعاضيد في الصراع المذكور.

وعلى مستوى آخر تظل الظروف التي أحاطت بانتقال جزء من أهل المعاضيد إلى ناحية مدينة الرباط غير واضحة لغياب الوثائق المكتوبة ولتضارب الروايات الشفوية.

ومع بداية التغلغل الفرنسي بمنطقة الجنوب الشرقي، شكلت معركة المعاضيد جزءا من ملاحم المقاومة بالمنطقة. فبعد هزيمة المجاهدين في معركة الرجل بمسكي سنة 1914، أصبحت قصور المعاضيد الهدف القادم لجيوش الاحتلال في سياق خطتها لإخضاع تافيلالت. وحدثت موقعة المعاضيد يوم 16 نونبر 1916 قرب البروج، شارك فيها إلى جانب أهل المعاضيد المتطوعة من مختلف القبائل. وبعد هزيمة المجاهدين أصبحت طريق الفرنسيين معبدة أكثر نحو الريصاني خاصة بعد تشييدهم لمركز أرفود في الأراضي التابعة لصباح المعاضيد.

ويبلغ سكان قصور المعاضيد حوالي خمسة آلاف نسمة حسب إحصاء 1994 . وتعد القصور مثالا بارزا لطبيعة التعمير بالمنطقة حيث هناك تناسق كبير وتناغم بين المجال المبني ذي الطابع التحصيني والأراضي الفلاحية التي تحيط به، والموسومة بكثرة أشجار النخيل.

الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. محمد البوزيدي الشيخي، جزءان، الدار البيضاء، 1988 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 9، الدار البيضاء، 1955 ؛ الحبيب العناية، *ورقات مخطوطة حول المعاضيد مؤرخة بعام 1356 / 1937 ؛ الرواية الشفوية.*

الحاج موسى عوني

**معافة** (سيدي -) من صلحاء مدينة وجدة، أصله من الشرفاء الأدارسة أولاد أبي الوكيل، ينتمي إلى أسرة علم وصلاح، عاش في مدينة وجدة أواخر القرن 11 وأوائل القرن 12 / 17 - 18.

كان صاحب الترجمة رجلا عابدا ناسكا، التزم الخلوة في قمة جبل الحمراء المجاور لمدينة وجدة عدة شهور، ثم نزل إلى

سفحه - حيث ضريحه اليوم - وبدأ يرشد الناس ويعلّمهم شؤون دينهم، ويدعوهم إلى اتباع الطريق السوي. وبعد ذلك اعتكف بمسجد هناك حيث ظهرت بعض كراماته، أهمها معالجة المصابين بالصرع. ولما ذاع صيته بين الناس، هرع إليه سكان مدينة وجدة قاصدين الاستشفاء والتبرك بدعواته الصالحة. كان سيدي معافة رجلا كريما يعمل على مساعدة الفقراء والمحتاجين، واستمر على زهده ونسكه طيلة حياته.

توفي ودفن في محل سكناه في سفح جبل الحمراء، على بعد حوالي خمس كيلومترات جنوب شرق مدينة وجدة حيث لا يزال ضريحه إلى اليوم يحظى بزيارة وتقدير سكان مدينة وجدة وأحوازها.

*الرواية الشفوية والتحقيق الشخصي.*
Voinot, *Oujda et l'Amalat, p.* 83.

مارية دادي

**المعداني، الحسن** بن **رحال** بن أحمد بن علي التدلاوي، لقبه : المعداني، والتدلاوي نسبة إلى منطقة تادلا وسط المغرب. كنيته : أبو علي. لم تذكر المصادر تاريخ ميلاده، وإنما اكتفت بالإشارة إلى دراسته في بداية أمره في المدرسة المتوكلية العنانية بفاس. وأخذ العلوم بالقرويين على كبار شيوخ العصر وهم : العلامة المعروف أبو علي الحسن اليوسي المتوفى سنة 1101 / 1698 . صاحب المؤلفات العديدة، والذي اعتبر مجددا على رأس المائة الحادية عشرة للهجرة، وعبد السلام بن الطيب القادري الحسني المتوفى سنة 1110 / 1698 النسابة المحدث الأديب المشهور، فخر الأسرة القادرية العالمة. وسعيد بن أبي القاسم العميري التادلي الحافظ القاضي المدرس المتوفى سنة 1131 / 1718. وأبو عبد الله محمد المسناوي الدلائي المتوفى سنة 1136 / 1724 سليل الأسرة الدلائية وأحد أعلام الفقه بفاس، وغيرهم.

كان حافظا للمذهب المالكي، مرجوعا إليه في فتاويه، مستحضرا لفروعه، دؤوبا على تدريس *مختصر الشيخ خليل* . وكان متضلعا في كل العلوم وخاصة الفقه والنوازل والأحكام.

واعتبارا لعارضته الكبيرة في الفقه، واتساع مداركه في النوازل وتدبر الفتوي، ولصبره على التدريس والإلقاء والشرح، لقب بصاعقة العلوم والتدريس، إذ كان يفتتحه عند طلوع الشمس في المدرسة المتوكلية ويتمادى فيه إلى الزوال ولا يضجر ولا يمل مما يلقى عليه من المباحث ولا يعجز عن جواب. كان قليل النوم كثير المطالعة بالليل، يقضي الليل كله في المطالعة والتأليف. ولي قضاء مدينة فاس مدة، ثم تأخر عنه، وانكبّ على التدريس، وقد ولاه المولى إسماعيل قضاء مدينة مكناس، وهو الذي أمّ بالناس صلاة الجنازة التي أقيمت يوم وفاة السلطان المذكور سنة 1139 / 1727.

من مؤلفاته :

*البارع في أحكام النجوم في علم الفلك*، مخطوطة الخزانة العامة بالرباط 288 ك. *تأليف في ترجمة الشيخ محمد بن أحمد الدلائي* الشهير بالمسناوي، شيخه بالقرويين. *حاشية على شرح الخرشي* . في الفقه، في أربعة مجلدات، شرح متداول معروف. *حاشية على شرح ميارة على التحفة*، مطبوع متداول، توجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم 873 د. *شرح مختصر خليل*. يقع في 15 مجلدا، وهو أهم كتبه وأكثرها انتشارا وهو مصدر مهم من مصادر الفقه المالكي. توجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم 886 ك. *كشف الأوهام والتلبيس*. *كشف القناع عن مسائل الصناع* مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1079 د. مجموعة أشعار. ورد بعضها في *الإتحاف* وفي كتاب *الحياة الأدبية في المغرب*. ونسب له بعض المترجمين كتاب : *الروض اليانع الفائح في مناقب الشيخ أبي عبد الله محمد الصالح*. وهو ابن محمد المعطي الشرقي المشهور بالزاوية الشرقاوية بأبي الجعد ولعل الخطأ جاء من صاحب *سلوة الأنفاس* فتبعه الناصري في *طلعة المشتري* وبنسودة في *الدليل*، أما مؤلف هذا الكتاب فهو أبو علي الحسن بن محمد الهداجي المعداني، المتوفى سنة 1180 / 1766، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 2260 د و2371 ك.

توفي المعداني يوم 3 رجب 1140 / موافق 14 فبراير 1728 ، ودفن بضريح أبي عثمان سعيد المشنزائي خارج باب وجه العروس.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1990 ؛ الزركلي، *الإعلام*، ط. بيروت، 1989 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية*، ط. دار الرشاد الحديثة، 1977 ؛ ع. ابن سودة المرى، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* ، ط. دار الكتاب، الدار البيضاء، 1965؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، ط. على الحجر بفاس في 3 أجزاء، سنة 1356. ليڤي بروڤنصال، *مؤرخو الشرفاء* ، تعريب عبد القادر الخلادي، طبعة دار المغرب، الرباط، 1977 ؛ ع. گنون، *النبوغ المغربي*، الطبعة الثالثة، بيروت، سنة 1975.

حسن جلاب

**المعداني، الحسن** بن **محمد** الهداجي اشتهر بالدراوي وهو أديب وفقيه ومؤرخ، ينتسب إلى قبيلة بني معدان الواقعة بين مدينة بني ملال وقصبة تادلا. تلقى تعليمه في الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد وأدرك فيها مكانة متميزة علما وتكوينا ووظيفة لم يبلغها إلا القلائل ممن وفدوا على الزاوية من أبناء القطر التادلي بقصد التعلم والدراسة خلال القرن الثاني عشر (18) تتلمذ على يد الشيخ محمد الصالح وابنه محمد المعطي واستطاع بعد تكملة مسار تكوينه الدراسي أن يصير واحدا من بين أبرز الفقهاء النشيطين داخل الزاوية، حيث اشتغل بالتدريس بها فضلا عن ممارسة مهمة الكتابة الخاصة لدى شيخ الزاوية.

ألف الحسن بن محمد الهداجي كتاب "*الروض اليانع الفائح في مناقب الشيخ محمد صالح*" وتحدث فيه بتفصيل

ضاف عن حياة الشيخ محمد الصالح الصوفية وكراماته وفضائله ومسالكه في التعبد والصلاح وفعل الخيرات كما أورد فيه إفادات ومأثورات ومرويات غاية في الأهمية تتعلق بحياة شيوخ الزاوية الأوائل ورموزها الأواخر وعلاقاتهم بالمحيط الاجتماعي المحلي والوطني أشفعها بذكر بعض المراسلات والكتابات التي كتبوها في مواضيع شتى استجابة لأغراض ومقاصد محددة.

توفي الحسن بن الهداجي بعد حياة حافلة بالعطاء والنشاط تدريسا وتعليما وكتابة بعد عام 1179 / 1765.

محمد الهداجي، *الروض اليانع الفائح في مناقب الشيخ محمد الصالح*، مخ. خ. م، رقم 61 ؛ المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، تح وت ع. عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد، 1989 ؛ خ. الدين الزركلي، *قاموس الأعلام*، 2 : 1980 ؛ إبراهيم التعارجي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، تح. عبد الوهاب ابن منصور، ج 10، 1403 ـ 1983 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، 1346 ؛ أ. بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، ج 1، 1406 ـ 1985 ؛ ليفي بروڤنصال، *مؤرخو الشرفا* ، تعريب، عبد القار الخلادي، 1397 ـ 1977.

**المعداني، محمد** بن **عامر** التادلي من صفوة الفقهاء وخيرة الأدباء الذين تخرجوا من حلقات الدراسة بالزاوية الشرقاوية. لقب بالبدر وبالشمس وقد حلاه العباس بن إبراهيم بالعلامة الحافظ. تتلمذ للشيخ محمد بن أبي القاسم الفلالي الرباطي والشيخ التاودي، وتمكن بما حصله من معارف وعلوم شتى من أن يدرك مكانة فضلى بين رجالات العلم والأدب في عصره. درس وتتلمذ على يده تلامذة كثر ممن صار لبعضهم شهرة لا تضاهى وصولة لا تباري وتفرد لا يساوي، وهم تمثيلا لا حصرا : محمد السنوسي، والتهامي بن رحمون الفاسي، ومحمد بن أحمد أكنسوس، وأبو القاسم الزياني وغيرهم. وبحكم ما اتصف به محمد بن عامر التادلي من خلق دمث وعلم واسع فقد اختاره سيدي محمد بن عبد الله ليكون من خاصة جلسائه.

توفي سنة 1234.

إبراهيم التعارجي، *الإعلام*، تح. عبد الوهاب ابن منصور، ج 7، 1977 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، 1346 ؛ ليفي بروڤنصال، *مؤرخو الشرفا* ، تعريب، عبد القار الخلادي، 1397 ـ 1977 ؛ م. عربوش، *من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال*، الكتاب الثاني، 1991.

الفقيه الإدريسي

**المعدر** (قبيلة -)، تقطن في مجال سهلي يدعى أزغار جنوب وادي والغاس (ماسة) حتى مشارف تيزنيت، مع تمركز في دير الأطلس الصغير الغربي في نقطة العبور الرئيسية التي يمكن الوصول عبرها إلى ماسة ثم أگادير فالصويرة. يحدها شمالا قبيلتا ماسة واشتوكة وشرقا إيداوبعقيل وإداوگارسموكت وجنوبا أولاد جرار وغربا أولاد نومر والخنابيب.

تنقسم القبيلة إلى أربعة وحدات رئيسية وهي : إيغبا، إبزاتن، آيت أوشريف وإعبّاسن. إن ما نتوفر عليه من وثائق حول أصول القبيلة، ترجع إلى القرن الثاني عشر، وهي عبارة عن عقود شراء وحكم في نازلة بقلم القاضي محمد بن عبد الله آمزغر الوجاني، وإشهاد لمجموعة من الأعيان...

وكلها تحسم إلى حدما في نسبة المعدريين إلى قبيلة إيداوسملال، وأن أراضي المعدر تعتبر محوز السملاليين الذين "عمروا جميع ذلك بأنواع العمارة بالحرث والحصاد وغرس الأشجار وقلع الأحجار وحفر البير فيما يحرث، وعمروا أحوازه بالحريم وسرح البهائم ولقط الهرجان وحرث البحائر الخضر والدلاح وغير ذلك".

والشيء المؤكد أن هذه الحيازة تمت بعد شراء الأرض من علي بن مُحمد بن أحمد ابن موسى الملقب بأبي دميعة السملالي زعيم إيليغ. كما انضافت إليها منطقة الدشيرة بعد شرائها من بني عمر. والواضح أن هذا المنبسط كان منتجعا لقبيلة إيداوسملال خلال فصل الشتاء، وأن فروعا منها قررت، على ما يبدو لأسباب مجهولة، الاستقرار بشكل نهائي بمنطقة المعدر والانفصال عن القبيلة الأم، خاصة بعد تراجع القوى الأعرابية والشبانات وأولاد جرار المتحكمة في المجال السهلي، إثر اندحار البرتغاليين بالسواحل وقت تكتل القبائل الجزولية حول السلطة السعدية. وهذا يؤكد أن إيداوسملال لم تكن محاصرة بالموطن الأصلي لها أي المناطق الجبلية، وإنما كانت لها امتدادات مجالية في السهول المطلة على المحيط. بيد أن الوثائق وحتى الروايات تسكت عن ذكر نوعية وطبيعة العمارة التي يحتمل أن تكون بالمنطقة. كتأكيد على عدم وجود هذا الفصيل ككيان قبلي مستقل، إن الاسم الذي تعرف به القبيلة اليوم لم يرد في *"ديوان قبائل سوس"* على العهد السعدي. كما أنها لم تذكر ضمن القبائل المحيطة بمجال تراب الخنابيب المجاورة وفق عقد الحيازة المؤرخ بتاريخ 977 / 69 ـ 1570.

لهذا نعتبر أن آل المعدر ليسوا إلا قسما من قبيلة إيداوسملال، وماتزال بعض أسماء الأعلام والأماكن تمثل جذور الانتماء إلى هذا الأصل من قبيل : إمرزگان، إعباسن تگمي أوعروس، آيت همو... وقد انضافت إليهم بعض المجموعات التي لم تكن منهم في الأصل، كما هو الشأن بالنسبة لأولاد نومر والخنابيب وآيت أومريبط وأزويكا. كما فقدوا بعض فرقهم في فترات الضعف بالهوامش المحاذية لماسة. ومازال آل المعدر يحتفظون بحقهم من مياه السقي بوادي ماسة، وهو يومان من أصل ستة وأربعين يوما.

لم يسلم تراب قبيلة المعدر من الصراعات التي كانت تجمعها بجيرانها خاصة : أيت تيزنيت، إيداوبعقيل، وإيداوگارسموكت، ارتباطا بالصعوبات التي تعترض مرور القوافل بتراب المعدر، إضافة إلى عدم وضوح الحدود. وفي هذا السياق ظلت القبيلة وفية لانتمائها الأصلي، وأضحت معتمد إيليغ في أزغار في جل النزاعات التي تكون هذه

الأخيرة طرفا فيها، لذا طبعت بدورها جميع الأحداث التي شهدتها المنطقة.

كانت شؤون القبيلة تدبر وتسير من طرف شيوخ (إمغارن) أمثال : بريك ندهمو، عبد الرحمان سي عبلا، أحمد نيت عدي... وهم كانوا من ذوي النفوذ الكبير بين إخوانهم. وعندما قطع المولى الحسن وادي والغاس (ماسة) في اتجاه الجنوب خلال رحلته الأولى إلى سوس 1882، حط الرحال بمنطقة "بوميا" بتراب المعدر. وكانت مناسبة عين خلالها الشيخ محمد بن يحي بوارين قائداً على المعدر.

وفي سنة 1896 ، ساهمت القبيلة بقسط وافر في نهب محلة القبائل التي تعاضد القائد الحاجي سعيد الگيلولي، بإيعاز من محمد بن الحسين الإيليغي، الذي خلق جبهة رافضة لنزوح الگيلولي نحو جنوب وادي والغاس. ويبدو أن إخلاص القبيلة لإيليغ، جعلها أكثر من غيرها عرضة لسياسة انتقامية من لدن القائد المخزني والقبائل المعاضدة له خاصة آيت تيزنيت وايداوبعقيل. وهذا ما أرغم المعدريين على الرحيل والاحتماء بالجبال "فكل من له نسبة إلى أهل المعدر، فإنه نفض يديه من كل ما يملك وأقبل يبغي النجاة لنفسه" وهكذا تم اكتساح تراب المعدر بشكل عنيف" وانقض أهل تيزنيت وبعقيلة يأكلون من أهل المعدر ورسموكة في الطرق. ونزلوا وسط المعدر يخربون بيوتهم وينزعون دفوفهم ... ويقتلون من وجدوا منهم في الطرقات وغيرها ... فلا تسأل عمن هلك في الطرق بالسهوم من عجائز وصبيان ..." ولم تتم مهادنة المعدريين إلا بعد أدائهم غرامة مالية باهظة.

كانت المعدر في عداد القبائل التي عاضدت الشيخ أحمد الهيبة، وخضعت للاحتلال الفرنسي مبكراً منذ 1913. ويبدو أن الأمر يرتبط بدواعي أمنية حمائية، لكون ترابها يشكل ممرا رئيسيا نحو تيزنيت.

وقد اضطلعت المعدر بدور ديني ضمن الخريطة الدينية لسوس، بما يتضمنه ترابها من مزارات ومشاهد لصلحاء، منهم من نعرف أصوله ومنهم من هو مجهول أمثال : سيدي الحاج محمد، محمد أوفقير عبلا، سيدي مسعود، عبد الله أوسعيد، إبراهيم أوسعيد، سيدي بلخير... كما تحتضن القبيلة مقر الطريقة الدرقاوية، حيث مشهد الشيخ سعيد بن همو المعدري، وبفضله انتشرت وتسربت إلى باقي المناطق السوسية اعتماداً على فقراء ومريدي الطريقة.

*وثائق محلية ؛ وثيقة حيازة تراب الخنابيب، 977 / 69 . 1570 ؛ وثيقة تؤرخ لحركة سعيد الگيلولي خزانة آل بوطعام ؛ المعسول ؛ تحريات ميدانية.*

**المعدري، سعيد** بن **همو** ، نسبة إلى قبيلة المعدر قرب تيزنيت، من كبار شيوخ التصوف الدرقاوي بسوس. لا نعرف الشيء الكثير عن نشأته وتقلبات حياته خلال فترة الشباب، باستثناء ما أورده عن كونه ينتمي إلى أسرة شريفة بالمعدر، اشتهرت بالغنى والوجاهة، ويبدو أن نشأته تأثرت بهذا المنحى، حيث اشتهر بشغفه ونزوعه نحو اللهو والانغماس في ملاهيه مع رعي البهائم، بعد أن تعثر خلال تعلمه القرآن بكتاب بلدته. وقد كان لأحد صلحاء قريته ويدعى يوتوميت، الدور الحاسم في تغيير منحى حياته، يقول: "فلبثت بقية الليلة ساهرا، وأنا بحال خشوع وبكاء، وتوجه إلى الله، وألقى في قلبي كراهة من كنت أصاحبهم على الغفلة واللهو". لذا ترسخ لديه ميل لسلوك طريق القوم، وكانت الطريقة الناصرية هي السائدة آنذاك بمجموع سوس.

وبعد مدة انقطع فيها مع صاحب له للصلاة والتعبد بداره بالمعدر، ورد على الصالح المشهور الفقيه إبراهيم الولياضي (ت. 1248 / 32 . 1833 ) فلقنه الذكر الناصري. ويبدو أن نهمه الروحي جعله تواقا للبحث عن شيخ صوفي للأخذ عنه، لهذا شد الرحال إلى اشتوكن عند الشيخ الحاج محمد بوتگلاي الهشتوكي البلفاعي، الذي لقنه الذكر الدرقاوي. وقد نصحه أحد الزهاد بضرورة البحث عن منبع الطريقة عند شيخ مرب يرشده إلى طريق التصوف، فصحبه إلى مراكش عند الشيخ أحمد بن عبد الله المراكشي مريد الشيخ العربي الدرقاوي. ولاشك أنه وجد ضالته في هذا الشيخ، وأصبح من خاصة مريديه، حيث صحبه واختص به، ونال لديه حظوة كبرى. وبعد أن اكتمل حاله، أذن له شيخه في التربية وتلقين الذكر. وحسب المختار السوسي، فإن الدرقاوي عينه رغم كونه أميا، خلفا له ووارثا لسره. ويبدو أن هذا القرار أثار حفيظة بقية الفقراء والمريدين الذين سألوا شيخهم ما حاصله: ماذا يفعل أهل سوس بطريقة الصوفية ؟ فإنهم أهل شح وبخل لا كرم لهم، فقال لهم : والله والله والله إن الشمس ظهر ضوؤها في سوس بإذن الله ورسوله (ص) على رغم أنف من أبى".

وكان من عادة المعدري زيارة شيخه بمراكش بمعية الفقراء السوسيين الذين أخذوا عن المراكشي، وقد أوصاهم هذا الأخير بضرورة تأسيس زاوية في مكان يتوسط قبائل سوس، لهذا وقع اختيارهم على اشتوكن. وخلال هذه المدة انعزل مترجمنا بداره بالمعدر، ودخل في خلوة لمدة تنيف عن أربعين يوما، بعدها أصبح يجول في أسواق القبائل متسولا. ومن مظاهر زهده أنه كان يتقوت مما تزرعه يده، ولا يأبه بالعطايا والصدقات التي تفد على زاويته. وكان لباسه "لا يتجاوز قميصا يكون غالبها من الصوف الغليظ، ورداء عليه ويعتم" مع إقبال كلي على العبادة والذكر وخرق العادة خاصة في أماكن التجمعات (الأسواق، المواسم، أسايس...).

أحدثت طريقته الدرقاوية صدى قويا بسوس، لكون الناس لم يتعودوا إلا الطريقة الناصرية، وكعادة الفقراء الدرقاويين، قضى الشيخ أوهمو بقية حياته في السياحة الصوفية بين قبائل سوس صحبة طائفة من أتباعه من المتجردين، وغالب الظن أن ذلك ساهم إلى حد ما في توسيع قاعدة الطريقة. والملاحظ أنه رغم كونه أميا، فإنه كان يتمتع

بتقدير واحترام العلماء، واستطاع أن يستقطب ثلة منهم من أمثال : الحسن التاموديزتي، الحسن التملي، علي الإلغي ومحمد بن مسعود المعدري. عادة ما يصاحبهم في تجواله، ويقدمهم أثناء المذاكرات العلمية، أو للاستدلال من القرآن والسنة وأمهات الكتب. وكانت مواعظه وأذكاره تحدث لدى كل من يستمع إليها تأثيرا عميقا بفضل صوته الرقيق المؤثر.

كانت الوفود تؤم زاويته بالمعدر من كل حدب وصوب، حيث يقام موسم كبير، وتتوالى أثناءه همة المعدريين لإطعام الوافدين. وبهذه الطريقة تعززت مكانة الزاوية، وأصبحت حرمة "يأمن قاصدها ولا تمتد إليه يد".

كانت تربيته الصوفية تتميز بالازدواجية، حيث كان يلقن الورد للمتسببين أي الذين لم ينقطعوا إليه، ويأمرهم بملازمة الطريقة، بينما المتجردون الذين هم عصب الطريقة، يوظفون في كل الأشغال التي تمت بصلة بالزاوية، وكان الشيخ المعدري شديد الحرص على تقويم سلوكهم، ويأمرهم بذكر اسم الجلالة في كل وقت مع الركون إلى الخلوة التي هي أساس النقاء والصفاء الروحي، وكما يوحي ذوي الهيئات منهم بخرق العادة في الأسواق.

وأثناء قدوم السلطان مولاي الحسن إلى سوس في إطار حركته الأولى 1299 / 1882 ، سارع المعدري إلى ملاقاة زعيم إيليغ الحسين أوهاشم، بقصد تأنيه عن مغادرة بلدته للاحتماء بالجبال، وطمأنته إلى نوايا السلطان السلمية. إلا أن أبرز دور قام به هو نهوضه لشخص ادعى المهدوية بماسة، وطلب من أتباعه الرد عليه بحزم وصرامة. وعلى غرار ما كان يضطلع به متصوفة عصره، كان المترجم ممن نجح في التوسط بين عالمين مشهورين آنذاك وهما : الحسن التيمكديشتي والحسن التملي الإيرازاني.

بقي المعدري ملازما زيارة شيخه أحمد بن عبد الله المراكشي، كما قام بزيارة ضريح الشيخ مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي بجبالة، وكان له اتصال بابنه مولاي الطيب بمراكش. وبإيعاز منه قام هذا الأخير بزيارة زاويته بالمعدر سنة 1273 / 56 ـ 1857 كانت وفاة الشيخ المعدري سنة 1270 / 53 ـ 1854 بقبيلة إفران، ونقل جثمانه إلى المعدر بعد سنتين. والملاحظ أنه لم يحسم في مسألة من يقوم بأمر الفقراء بعده، بحيث أجاب أتباعه الذين سألوه عن خليفته قائلا : "إن طلعت الشمس، فكل أحد يراها حتى الأعمى يحس بحرهافي ظهره"، لهذا ترك الأمر لهم من بعده. ويبدو أن خلافا قد ظهر بين الحسن بن مبارك التاموديزتي وعلي الدرقاوي، وهما من كبار مريديه، وأفضى إلى تفرع الطريقة إلى قسمين، قبل أن تلتئم من جديد بعد وفاة التاموديزتي.

ما زالت زاويته تضطلع بأدوارها التقليدية، ويشرف عليها بعض حفدة الشيخ. كما يحرص الفقراء الدرقاويون على إقامة موسم سنوي بجوار ضريحه عند نهاية فصل الربيع قبل الحصاد أي في شهر أبريل الفلاحي، حيث يتوارد عليه الزوار والفقراء من جميع الآفاق.

ألفت حول شخصية المعدري عدة مؤلفات، لعل أبرزها ما كتبه العلامة محمد بن مسعود المعدري في كراسة جمع فيها "الأخبار المأثورة على ألسنة الفقراء عن الشيخ". كما كتب عنه الحاج علي الإلغي كراسا ضمن مناقب وكرامات الشيخ، إلا أنه مبتور.

السوسي، *المعسول*، ج. 4، ص. 306 ـ 340 ؛ محمد بن مسعود المسعودي، *كراسة حول أخبار وكرامات الشيخ سعيد أوهمو المعدري*، مخطوط الخزانة المسعودية.

أحمد بومزگو

**المعدنوس** كما ينطق به في المغرب أو البقدنوس والبقدونس والبقدوس كما في المعاجم، والكرفس الرومي في بعض مناطق الشرق العربي، نبتة عشبية دائمة الاخضرار لا يتعدى طول سيقانها 40 سم، تصنف إلى فصيلة Apiaceae ورتبة الخيميات Ombellifères نسبة إلى الشكل الذي يحاكي المظلة المميز لازهاراتها المكونة من عدة أزهار. نوع واحد يعيش ويزرع في المغرب يسمى علميا Petroselinum crispum (= P. Sativum) وبالفرنسية Persil وبالإنجليزية Parsley. يعد من التوابل، ويستعمل في معظم أطباق الطبخ المغربية وفي الصلطة، ويكثر الإقبال عليه في شهر رمضان لاستعماله في الحريرة. يستعمل أيضا كعشب للتداوي في الطب التقليدي فتغلى 40 كرام من هذا العشب المجفف في لتر من الماء لتهدىء اضطراب الجهاز الدموي عند المرأة التي تعاني ألماً شديداً خلال فترة الحيض ؛ يستعمل أيضا ضد الألم الناتج عن الأحجار بداخل المرارة، وضد القبض وبوصفير. تستعمل أوراقه الخضراء بعد دلكها وطحنها ضد لدغات الحشرات.

الجذور قوية تعيش سنتين، سيقانه مستقيمة قليلة التجاعيد لا يفوق ارتفاعها 40 سم. أوراقه قائمة ذات أعناق تحمل وريقات ريشية الشكل متميزة الرائحة، تظهر أزهاره في فصل الصيف، وهي شماريخ زهرية يتراوح عددها بين 8 ـ 20 على هيئة زهور خيمية صفراء محمولة على قنابة واحدة أو ثلاث قنابات مفصصة أحيانا. بذوره بيضوية الشكل ومتجعدة يبلغ قطرها 25 ـ 3 ملم. نبتة شائعة في حوض البحر المتوسط تألف المناطق الجبلية والسهول السقوية وموجودة بانتظام في كل أسواق الخضر المغربية.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، 1988.

M. Blamey et G. Ch. Wilson, *Flore d'Europe occidentale*, Arthaud édit., 544 p., 1991.

نجاة الخياطي

**معروف** (سيدي ـ) (معركة)، يقصد بها المواجهة المسلحة التي جرت ليلة 28 وصباح 29 شتنبر 1955 بأحد

أحياء الدار البيضاء غير بعيد عن ضريح الولي سيدي معروف، بين اثنين من مقاومي منظمة الهلال الأسود للمقاومة. وهما محمد الحداوي، وحجاج المزابي المعتصمان بإحدى الدور هناك، وكانت معهما فاطنة بنت بوشعيب زوجة حجاج، وبين عدد مهم من مختلف أنواع القوات الفرنسية التي هرعت إلى الحي لتحاصر البيت داعية المقاومين إلى الاستسلام بدون طائل، ولشدة المقاومة التي أبداها محمد الحداوي وحجاج المزابي وأفضت إلى إصابة عدد من أفراد القوة المحاصرة، تم اقتحام البيت عبر إطلاق وابل من الرصاص واستعمال غاز الكريموجين، فاستشهد المقاومان بينما ظلت زوجة حجاج على قيد الحياة بالرغم من إصابتها بعدد من العيارات النارية وهي حامل، فجرى نقلها إلى المستشفى لتلقي الإسعاف قبل نقلها إلى السجن العسكري (سجن عين البورجة)، كما تم اعتقال الحاج الجيلالي الحداوي والد الشهيد محمد الحداوي والعربي السامي خال الشهيد بهدف الحصول على معلومات قد تساعد في تفكيك التنظيم المسلح الذي ينتمي إليه الشهيدان.

وقد قامت السلطات بدفن الشهيدين بمقبرة سباتة في تكتم شديد، لكن أسرة محمد الحداوي تمكنت من معرفة مكان دفنهما بفضل المعلومات التي قدمها أحد أفراد أسرجة حجّار التي كان موكولا لها نقل ودفن الأموات بالمقبرة المذكورة.

*السعادة*، ع. 9489، الخميس 29 / 09 / 1955 ؛ شهادة حسن ثابت الحداوي، بتاريخ 27 / 03 / 1991 ؛ الاتحاد الاشتراكي، ع. 2246، 29 / 09 / 1989.

محمد وحيد

**المعروفي، التهامي** بن عمر، الرباطي أصلا، المكناسي إقبارا، اعتكف على مطالعة الكتب والمجلات والجرائد خصوصا مطالعة ما يتناول حياة زعماء الشرق والغرب، ودرس ما كان لهم من تأثير على الأفكار والشعوب الشيء الذي ركز في نفسه حب بلاده، والميل إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع عطف كبير على الفقراء والمساكين، لدرجة مشاطرة البعض أحيانا مأكله وملبسه. مدافعا عن الضعيف والمظلوم، باذلا جهده للوصول إلى حقهما المهضوم.

امتهن في بداية حياته حرفة الخرازة، شأنه شأن أحرار النفوس الذين يبتغون العيش، وكسب القوت بعرق الجبين، ثم وظف بمحافظة مراكش العقارية كمتصفح للرسوم العدلية ؛ وأثناء حوادث صدور الظهير البربري في 16 مايو 1930 ثار المغاربة، وقرئ اللطيف بالمساجد، وسجن من سجن، ونفي من نفي، وكان مصير المترجم له من جراء ذلك توقيفه عن الوظيف، ثم بعد مدة أرجع لوظيفته، ونقل إلى محافظة مكناس ليبقى صامدا في حياته الوطنية، وغيرته الدينية، يحذوه إيمان صادق، وروح وثابة إلى الإصلاح والتحرر.

توفي يوم الأربعاء 23 صفر الخير 1361 / 11 مارس 1942، ودفن في زاوية سيدي الشيخ بزنقة جناح الأمان.

**المعروفي، عباس** الرباطي دارا وقرارا، كان حميد الأخلاق، حسن السلوك، تلقى دراسة أولية. وانغمر في العمل بدافع الحاجة، كموظف بالمحافظة العقارية، يتصفح الرسوم العدلية، ثم عين بعد ذلك كاتبا ببنيقة الصدر الأعظم الحاج محمد المقري.

كان يحضر دروس الشيخ أبي شعيب الدكالي، ويتولى أحيانا سرد بعض كتب السنة النبوية بين يديه، كما كان يلقي بين الفينة والأخرى أحاديث على أمواج الإذاعة المغربية يتطرق فيها إلى تراجم الصحابة متتبعا كتاب *الإصابة* لابن حجر.

توفي بمسقط رأسه يوم الثلاثاء 6 رجب 1390 / 7 شتنبر 1970.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا*، ج. 2، ص. 437 و438 ـ 446 ؛ م. حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، ج. 9، ص. 3309.

**المعروفي، هاشم** بن **محمد** بن أحمد بن غازي، الشاوي أصلا، البيضاوي مولدا ونشأة، فقيه موثق، ازداد عام 1315 / 1897، والتحق في سن مبكرة بأشهر كتاتيب المدينة القديمة للمقرئ محمد أغربي التطواني الذي يعتبر شيخه وعمدته في استظهار القرآن الكريم، وترتيله بعناية وإتقان.

ولما اشتد عوده أخذ يتردد على حلقات الدروس التي كانت تلقى في الجوامع والزوايا من طرف علماء وفقهاء أجلاء قصد الإحاطة بالمتون الأولية، وفهم شروحها *كمقدمة ابن آجروم وألفية ابن مالك والمرشد المعين* لابن عاشر، *وتحفة الحكام* لابن عاصم، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني ..الخ ؛ ثم أقبل على توسيع مشاركة وتنويع معارفه في علوم الفقه والحديث والتفسير والأصول والبيان والمعاني والعروض والأدب والتاريخ، وغيرها من العلوم النقلية والعقلية.

وكان من أبرز شيوخه في هذه المرحلة مولاي أحمد بن المامون البلغيثي الذي تلقى عنه *تحفة ابن عاصم* وأبو بكر حركات السلوي الذي تلقى عنه بجامع السوق *المنيا* لابن غازي في الحساب وفرائض خليل بالعمل ومحمد زويتن الذي تلقى عنه بجامع الشلوح *مختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد القيرواني*، وعبد الرحمن النتيفي الذي تلقى عنه *مقدمة ابن السبكي* وكان من أنجب تلامذته. هذا بالإضافة إلى شيوخ آخرين حضر مترجمنا بعض دروسهم وذكرهم في ثنايا كتابه : "*العبير*" الآتي تعريفه وهو مرجع هام يحتوي على معلومات مفيدة ووثائق رسمية، لاغنى عنها للباحث في تاريخ الدار البيضاء وأحوازها. وما إن بلغ أعلى درجات الدراسات والتحصيل حتى انصرف نحو الخطابة والوعظ

والإفتاء في النوازل الفقهية، وتعاطى خطة العدالة إلى أن عين مستشارا قضائيا، ثم تولى القضاء بكل جدية ومسؤولية. وبعد تقاعده عكف على المطالعة والتدوين ومراجعة تصانيفه المخطوطة في شتى المواضيع من فقه ولغة وأدب ونحو ذلك منها *ديوانه الشعري* الذي أفرد قسطا وافرا منه لتسجيل نضال الملك والشعب ضد الاستعمار الفرنسي.

وكان إلى جانب هذا وذاك شغوفا بعلم التاريخ منكبا على اطلاع كل ما يهم المغرب منه، واستيعابه جملة وتفصيلا، ولا سيما ما يرتبط بالمدينة التي أبصر فيها النور وخصها بتأليف قيم في جزأين يحمل عنوان "*عبير الزهور في تاريخ الدار البيضاء وما أضيف إليها من أخبار آنفا والشاوية عبر العصور*" وقد طبع الجزء الأول منه سنة 1407 / 1987، وهو يتناول الفترة التاريخية لهذه المدينة وما إليها منذ العصر الحجري إلى عهد السلطان مولاي عبد العزيز العلوي، دون أن يغفل التطرق إلى ما عايشه المؤلف نفسه في مسقط رأسه من علاقات وعادات اجتماعية وحركات ثقافية واقتصادية وعمرانية، مع التصدي للرد بالحجة والبرهان على الحملات التضليلية الحاقدة التي شنها الأجانب الأوربيون على المغرب ورجالاته الأبرار آنذاك، تمهيدا منهم لغزو أراضيه والاستيلاء على خيراته، وكان في مقدمة هؤلاء المفترين المكرة - كما هو معلوم - الطبيب الفرنسي ف. سجيربير صاحب كتاب "*الدار البيضاء والشاوية عام 1900*".

والجدير بالملاحظة هنا أن المعروفي ختم كتابه هذا قائلا : "ويليه الجزء الثاني وفاتحته احتلال فرنسا للدار البيضاء". ولكن شاءت الأقدار أن يصاب بمرض ألزمه الفراش واستعصى علاجه، فحال بينه وبين إتمام الجزء المشار إليه في خاتمة الكتاب المطبوع.

توفي يوم الأربعاء 25 جمادى الثانية 1407 / 25 فبراير 1987، ودفن في مقبرة الشهداء.

الهاشم المعروفي، *عبير الزهور في تاريخ الدار البيضاء وما أضيف إليها من أخبار الشاوية عبر العصور* ؛ مختصر ترجمة الشيخ أبي زيد عبد الرحمن النتيفي الجعفري بقلم ابنه الحسن ؛ *مقتطفات صحفية، وتقييدات خاصة*.

عبد الرحمن القباج

**المعز**، مجموعة سلالات وضروب من جنس الوعل الوحشي كابرا Capra . وتشمل كلمة المعز في اللغة المعز والضأن وينعت الذكر المسن بالتيس والعتروس وتدعى الصغار في اللغة سخلة ذكرا كان أم أنثى بعد الولادة جمعها سخال ثم تصير جديا ثم معزة أو معزى للإناث وتيسا للذكور تجمع على تيوس وأتياس. يقال للأنثى أيضا عنز وعنزي تجمع على أعنز وعنوز وعناز. والمعز من الحيوانات الأهلية اللبونة العاشبة المجترة الصغيرة تصنف إلى فصيلة المعزيات Caprinae وتسمى علميا كابرا هيركوس Capra Hircus. يسندها بعض علماء الحيوان إلى فصيلة مستقلة وينسبها آخرون إلى العشيرة المعزية وإلى الفصيلة الغنمية وهي من الحافريات مزدوجات الأصابع. تتميز بقرون قوية وملولبة طويلة ومنحنية إلى الوراء عند الذكور وصغيرة مختلفة الأشكال عند الإناث. يختلف الوزن والطول للجسم بين الذكور والإناث وكذلك بين السلالات.

تتوفر معدة المعز على 4 جيوب : الكرش والجيب الثاني والجيب الثالث والمنفحة. الخطم طويل وضيق، الأذنان مستدقتا الرأس، الذيل قصير نسبيا. يتوفر الفم على شفتين متحركتين وعلى أسنان غير متكاملة تنقصها الأنياب والقواطع العلوية وعددها 36 سنا صيغتها كالتالي :

4/0 قواضم، 0/0 أنياب، 4/4 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 36 سنا.

يعود أصل المعز الأهلي إلى نوع العنز الفارسي الوحشي Capra aegagrus الذي يعيش في المناطق الجبلية في قارة آسيا الصغرى ومنها انتشر في مختلف بقاع اليابسة ساعده في ذلك تأقلمه على المناخ الحار والبارد على السواء ومقدرته على الرعي على مختلف النباتات الصحراوية الشوكية والأشجار والحشائش الجافة على عكس الغنم والأبقار. ويعتبر الماعز من أوائل الحيوانات ذات الظلف التي دجنها الإنسان، وقد أثبتت علوم الأثريات أن تاريخ استئناسه من قبل الإنسان يرجع إلى 7000-7500 سنة ق. م، كما أكدت الأبحاث أن أول علامات تدجين المعز الوحشي ظهر في الشام. وتعتبر سلالة العنز الفارسي من السلالات الأولى التي انتشرت في الشرق الأوسط في البداية ثم إلى إفريقيا وأوربا عن طريق التبادل التجاري وتربية المواشي التي مارستها القبائل الرحل منذ زمن بعيد.

يعيش الماعز في قطعان صغيرة أو كبيرة في السهول والصحارى والمرتفعات والمناطق الجبلية، ويوجد معظمه في قارتي إفريقيا وآسيا. وهو حيوان اقتصادي من الدرجة الأولى، إذ أن تربيته لا تتطلب تكاليف كثيرة سواء بالنسبة إلى التغذية أو المسكن، وقد كان المستكشفون الأوائل يحتفظون بالماعز في السفن خلال رحلاتهم الطويلة في البحر لكي تزودهم بالحليب واللحوم. تختلف ألوان شعر الماعز من الأبيض والأسود والبني، كما يوجد خليط من هذه الألوان

نتيجة للتهجين بين السلالات المختلفة. ويستطيع الماعز أن يتسلق الصخور والأشجار ويقفز ويسلك مسالك ضيقة بين الجبال والصخور، ويقف أحيانا على رجليه الخلفيتين ليرعى أوراق الأشجار. ويتميز الماعز بالذكاء ويعمر عادة من 10 ـ 12 سنة وأحيانا 15 سنة.

يعتبر الماعز من الحيوانات التي تمتلك قدرة كبيرة على التأقلم على العيش في معظم مناطق العالم، وتمتلك أيضا القدرة على مقاومة الكثير من الأمراض. تراوح درجة حرارة الماعز بداخل الجسم بين 39 ـ 39,5 درجة ومعدل دقات القلب 60 ـ 80 دقة في الدقيقة ومعدل التنفس 15 ـ 30 نفس في الدقيقة. وتتمثل علامات الصحة في الماعز والتي يجب أن تراعى من قبل المربين عند الشراء وهي : العيون البراقة، لأن العيون الغائرة قد تدل على الإصابة بمرض العين القرمزية ؛ والشعر الناعم واللامع لأن الشعر المجعد قد يدل على الإصابة بالطفيليات الخارجية مثل الجرب والقراع والداخلية مثل الديدان المعدية والمعوية أو الكبدية. ومن علامات الصحة أيضا الشهية المفتوحة لأن عدم الرغبة في الأكل قد تعنى إصابة الحيوان بالحمى الناتجة عن الإصابة بالمكروب.

تعد السلالات المعاصرة نتيجة انتقاءات وتصالبات بين مختلف الضروب قام الإنسان بتحقيقها عبر آلاف السنين. فقد تطورت طريقة تدجين المعز مع تطور الفلاحة في عهد الفراعنة والرومان، ونتج عن هذا التهجين فرز وعزل عدة سلالات لتلبية حاجيات الإنسان من اللحوم والحليب والجبن والصوف والجلد. تعرف حاليا للمعز 210 سلالة وضروب محلية في العالم، تأقلمت في مناطق معينة حسب معطيات المناخ. طور الإنسان تربيتها بطريقة علمية ليرفع من إنتاجها ويلبي مختلف الحاجيات البشرية. يبلغ مجموع أفراد الماعز في العالم حوالي 450 مليون حسب إحصائيات سنة 2001. ينحصر عدد رؤوس المعز في المغرب بين 4 و5 ملايين حسب إحصائيات العقدين الأخيرين، ويرتبط هذا العدد بكمية تساقطات الأمطار السنوية التي تتحكم في ظروف المرعى.

يحتل المعز الصف الثاني بعد الغنم في المغرب من حيث العدد في تربية المواشي ويتراوح المجموع بين 5 و6 ملايين على الصعيد الوطني وبهذا يحتل المغرب الصف الثالث في العالم والصف الأول على الصعيد المغاربي. تتمركز تربية المعز في المغرب بالمناطق الملقبة بالهامشية وهي الجبال وخصارها والنجود والهضاب المخصصة للرعي. وقد عرف عدد المعز انخفاضا ملحوظا خلال الأربعة عقود الأخيرة حيث انخفض من 8 ملايين المسجلة سنة 1960 إلى 6 ملايين في بداية سنوات الجفاف التي عرفها المغرب ابتداء من سنة 1984 . ويرجع سبب هذا الانخفاض إلى تأثير العوامل البيئة العدوانية، الطبيعية والبشرية على السواء، منها تتابع فترات الجفاف وسطو الجراد وتوسع النسيج الحضري العصري والأنشطة المرافقة ومختلف أنواع التصحر التي أدت إلى تقلص مناطق الرعي. كما أن استصلاح الأراضي والتشجير وميول مربي المواشي إلى تربية الغنم الأكثر ربحا كلها عوامل تسببت في تراجع العدد. كما أن الأبحاث المتعلقة بتحسين الوراثيات ؛ لانتقاء أجود السلالات المنتجة للحليب واللحوم في المغرب اقتصرت على البقر والغنم اعتبارا أن معظم كميات لحوم المعز تستهلك في البوادي.

تقتصر تربية الماعز حاليا على المناطق الجبلية والجنوبية الجافة وتحتاج إلى تأطير للرفع من منتوجاتها الصوفية والجلديةإلى جانب اللحوم والحليب. كما أن التعاونيات والنقابات لم تتكون في هذا المجال من تربية المواشي الشيء الذي جعل هذا القطاع في وضعية الاقتصاد المعيشي L'Economie de subsistance . الاستهلاك الذاتي لمنتوج حليب المعز هوالسائد في البلاد والكميات المنتوجة ضعيفة جدا. تقوم المرأة باستخراج الجبن وعرضه في الأسواق بشمال المغرب، إلا أن الدخل ضئيل لندرة الحليب ولكنه متواصل طول السنة ليسد بعض حاجيات الأسرة جدا في البادية يرعى قطيع المعز في أغلب الأحيان إلى جانب قطيع الغنم وفي المناطق الجبلية يربى المعز بطريقة تقليدية ولا يحظى بنفس العناية التي يتلقاها قطيع الغنم من عناية صحية ووقاية من الأمراض وتنظيف الإسطبلات.

ونذكر من بين السلالات التي تعيش في المغرب :

1 ـ سلالة الماعز الجبلي وتعتبر من أكثر الماعز انتشارا في المغرب إذ تفوق نسبتها 85٪ من مجموع الماعز وشائعة أيضا في المناطق الصحراوية بشمال إفريقيا ومنطقة الشرق الأوسط. تربى للحليب واللحم ويستعمل الشعر في نسيج خيام البدو الرحل وبعض أكياس الحبوب. يتميز هذا الماعز بأنف مستقيم وآذان طويلة متدلية واللون السائد هو الأسود، له قرون مائلة إلى الخلف في الإناث أما في الذكور فهي طويلة وغليظة مائلة إلى الخلف والأمام بشكل حلزوني. تزن الأنثى حوالي 22 ـ 35 كيلوكرام والذكور من 25 ـ 50 كيلوكرام ويبلغ إنتاج الحليب 150 ـ 250 لترا في الموسم بنسبة 4٪ وتلد الإناث مرة واحدة في السنة ويتراوح عدد الموالد في البطن الواحد من 1 ـ 3 ونسبة التوأم قليلة مقارنة بالماعز الإسباني والشامي. تدعى هذه السلالة المحلية ماعز الجبال وهضاب الرعي ومنها ضرب العطاوية وضرب اليحياوية كما هو شائع في المغرب، وهي سلالة مشهورة في المناطق الجبلية الأطلسية، مهدها على وجه الحصر خصور ومرتفعات جبال الأطلس. تتميز بقامة متوسطة يفوق ارتفاعها عند الغارب 50 سم.

2 ـ سلالة "ماعز درعة" تربى على وجه الحصر في الهضاب والسفوح الجنوبية للأطلس الكبير والصغير وخاصة منها مناطق الرعي على حوض وادي زيز ووادي درعة وواحات ورزازات وزاكورة وتافيلالت. قامتها صغيرة، وإنتاجها للشعر ضعيف نسبيا ؛ يختلف اللون من فرد لآخر: أسمر داكن، أسود موحد، أسود وأبيض، أسمر وأبيض. تتميز هذه السلالة بخصب مرتفع في التكاثر إذا توفرت

لديها الظروف المناسبة للعيش والاعتناء الكامل. تتوالد طول السنة وتربى لاستهلاك لحومها وتعتمد تربيتها أساسا على الرعي وأكل الفصة. تم أخيرا في سنة 2005 مشروع إحداث تعاونيتين نسويتين يهدف إلى تحسين دخل النساء القرويات بزاكورة عن طريق تعزيز سلالة "ماعز درعة" والمحافظة عليها وإكثارها. وتستفيد الجمعيتان اللتان سيتم تأسيسهما بواحتي تينزولين ومزكيطة من حظيرتين ملائمتين وعدد هام من رؤوس ماعز درعة. وتساهم مؤسسة محمد الخامس في هذا المشروع بمبلغ مليون درهم كما ستتولى المؤسسة دعم القدرات التنظيمية والمؤسساتية للتعاونيتين.

3. السلالة الأندلسية أو الشمالية الناتجة عن التهجين بين السلالة المغربية والسلالات الإسبانية التي أدخلت إلى المغرب خلال فترة الاستعمار الإسباني ومنها ضرب مرسية وغرناطة وضرب مالكاً. تعيش على سهول وهضاب الريف، تتميزبقامة كبيرة وشعر أسمر وأبيض. يتميز الماعز الإسباني بحجم متوسط وألوان متعددة وبضرع صغير وعضلات مكتنزة لها المقدرة على الحياة في المراعي الفقيرة، ولا تتأثر بتغير المناخ ولا تتطلب الكثير من الرعاية ويمكن أن تتوالد في أي وقت خلال السنة.

ومن بين السلالات النادرة في المغرب :

1. سلالة الماعز الشامي وتعتبر من أقدم العروق العالمية المنتجة للحليب وتربى في سوريا حيث تتوفر المراعي الخصبة والأعلاف الخضراء. تمتاز باللون الأصفر والشعر الطويل الناعم يغلب عليه اللون الأحمر أو البني. الجبهة والأنف محدبان والرأس خالي من القرون وعلى العنق زوائد لحمية قد يصل طولها 8 سم. الآذان طويلة وعريضة والضرع كبير. يبلغ الوزن للأنثى 30 ـ 40 كيلو وللذكر 40 ـ 60 كيلو. تلد الأنثى في عمر ما بين 12 و24 شهرا وتتراوح الفترة بين الولادتين 6 ـ 12 شهرا. تتميز هذه السلالة بنسبة توأم مرتفعة مقارنة بالماعز الجبلي المغربي ويتراوح عدد المواليد في البطن الواحدة 1 ـ 3. يقدر متوسط إنتاجها من الحليب بحوالي 400 لتر في الموسم وذلك حسب ظروف المرعى.

2. سلالة ماعز السانين (Saanen) وتتميز باللون الأبيض والحجم الكبير وتوجد بقرون أو بدون قرون، وله آذان منتصبة متجهة للإمام وشعر قصير. موطنها الأصلي سويسرا وانتشرت في مختلف بلدان العالم لشهرتها في إنتاج الحليب. يزن المولود 3 ـ 3,5 كيلو عند الولادة ويبلغ وزنه بعد سنة حوالي 35 ـ 45 كيلو وتبلغ نسبة إنتاج التوأم 180 ـ 250٪ ويبلغ إنتاج الحليب 800 لتر في الموسم مع نسبة دهون 3,5٪.

3. يعتبر الماعز الزرايبي من أقدم وأشهر سلالات الماعز وموطنه الأصلي مصر العليا وبلاد الحبشة ويتميز بأنف مقوسة مائلة إلى الجنب وباللون الأشقر الداكن أو البني المبقع بالأبيض كما يوجد منها اللون الأسود والأبيض. ويشتهر هذا الماعز بإنتاجيته العالية من الحليب بمتوسط إنتاج يومي يتراوح بين 3 ـ 4 لترا ويتراوح الإنتاج الموسمي بين 150 ـ 300 لترا، وتكثر تربية هذه السلالة في المدن والأرياف لإنتاج الحليب واللحوم.

4. ماعز البوير، وطنه الأصلي جنوب إفريقيا وقد انتشر في عدة أماكن من العالم. يمتاز بشعر قصير أبيض مع بقع حمراء في منطقة الرأس والرقبة، ويمتاز بالمقاومة العالية للأمراض والتأقلم على عدة مناخيات ومناطق في العالم. يتميز أيضا بسرعة النمو وضخامة الحجم وسرعة بلوغ سن النضج وارتفاع نسبة الخصوبة بالإضافة على المقدرة في استمرارية الإنجاب لفترة قد تمتد إلى عشر سنوات. يبلغ وزن الإناث 60 كجم بينما يبلغ وزن الذكور 90 كجم.ويحقق الجديان زيادة يومية عالية في الوزن عندما يغذى على العلف المركز.

5. يتميز الماعز القزمي (Pygmy) بضخامة العضلات والأرجل القصيرة، أصله غرب إفريقيا الوسطى. يربى في غرب إفريقيا أساسا لإنتاج اللحم وتأقلمه على المناخ الرطب. يتميز بالقدرة على التناسل طوال السنة وينتج التوأم في أغلب الأحيان.

6. الماعز الكشميري ويرجع تاريخ تهجينه وتربيته إلى عهد الرومان وموطنه الأصلي مرتفعات الهملايا في الصين. يتميز بالقرون الطويلة واللون الأبيض وينتج نوعين من الصوف : الصوف الخارجي الطويل والوبر الداخلي الناعم الذي ينمو في منتصف فصل الصيف حتى بداية فصل الشتاء، وذلك لحماية الماعز من شدة البرد القارس. يبدأ الوبر في التساقط في فصل الربيع ويتم الحصول على الوبر مرة واحدة في السنة بجز الشعر في القطعان الكبيرة وبتمشيط الشعر في القطعان الصغيرة للحصول على ألياف الكشمير. يشكل الوبر الناعم من المنتوج حوالي 60٪. يغسل الوبر بعد جمعه لتنقيته من الشوائب ثم ينظف ويلون ويغزل بواسطة الآلات وتقاس جودة الألياف حسب نعومة الملمس وطول الألياف وحجمها.

7. ماعز أنكورا (Angora) يتميز بلون أبيض وحجم متوسط، له قرون منحنية إلى الخلف وأنف مستقيم أو منحن وآذان متدلية وله لحية. يتميز بشعر حريري طويل ملتو جميل الشكل يسمى الموهير Mohair، يستعمل في صناعة الملابس الشتوية الفاخرة. يربى في تركيا ومنه أخذ اسمه وموطنه الأصل الشرق الأدنى في جبال الهملايا ومنها انتشر في كثير من دول العالم. يتميز بإنتاج الوبر الذي يشبه الحرير ويجز مرتين في السنة. تنتج الإناث من 3 ـ 4 كجم من الوبر سنويا تنتج الذكور 6 ـ 8 كجم ويبلغ إنتاج الحليب 180 لترا في الموسم بنسبة دسم 4 ٪. تصل نسبة التوأم 20٪.

يبلغ إنتاج العالم من لحوم المعز ما يقارب 3,5 مليون طن وتعتبر سلالة ماعز البوير الإفريقية الأصل والماعز الإسباني من أكثر الماعز شهرة في إنتاج اللحوم. يعد لحم المعز من أكثر اللحوم المستهلكة في العالم إذ يفوق عدد سكان العالم

الذين يستهلكون لحم المعز 70٪، أغلبهم من آسيا وإفريقيا ودول حوض البحر المتوسط. تتميز لحومه بنسبة أقل من الدسم والدهون والكولسترول مقارنة مع اللحوم الحمراء الأخرى، وبهذا فهي تصلح للأشخاص الذين يعانون من أمراض الشرايين وضغط الدم. يقترب في مكوناته الغذائية من لحم الدجاج كما يوضح الجدول ذلك :

| 85 كرام من لحم | السعر الحراري كيلوكالوري | مجموع الدهنيات | الدهنيات المشبعة | البروتينات |
|---|---|---|---|---|
| المعز | 122 | 2,58 | 0,79 | 23 |
| البقر | 245 | 16,00 | 6,80 | 23 |
| الخروف | 235 | 16,00 | 7,30 | 22 |
| الدجاج | 120 | 30,50 | 1,10 | 21 |

مقارنة المكونات الدهنية والبروتينية في اللحوم

تفضل لحوم الماعز الصغيرة في السن والتي غالبا ما يتم خصيها في الستة أسابيع الأولى بعد الولادة وذلك لتفادى ظهور الرائحة المميزة للماعز وغير المرغب فيها من قبل المستهلك. وتذبح في أعمار مختلفة فمنها ما يذبح في عمر 6.3 أشهر وهذا في حالة الماعز الكبيرة الوزن ومنها ما يذبح في عمر 6.‏12 شهر وفي كلا الفئتين تكون اللحوم جيدة ومفضلة من قبل المستهلك وتصلح للطبخ والشواء. أما الماعز التي تبلغ من العمر 3.‏4 سنوات فإن لحومها غير مرغوب فيها من قبل المستهلك.

تتميز معظم السلالات بالإنتاج الوفير من الحليب، وذلك لما تملكه من خصائص وراثية في إنتاج الحليب وما تملكه من كفاءة في تحويل ما تتناوله من غذاء إلى حليب. يبلغ إنتاج حليب الماعز سنويا في العالم ما يقارب 4,5 مليون طن. تعتبر الماعز السويسرية من أشهر السلالات في هذا المجال. وتتميز الماعز المنتجة للحليب على حسب معدل الإنتاج اليومي من الحليب وطول فترة الحلابة. ويعتبر حليب الماعز ومنتجاته من أهم المواد الغذائية استهلاكا في العالم بعد الغنم والبقر ويمتاز بقلة الدهون وسهولة الهضم مع ارتفاع القيمة الغذائية. كما يعتبر حليب الماعز من أجود أنواع الحليب للأطفال وكبار السن والمرضى فقد وجد أن تركيبته هي الأكثر قربا لحليب الأم بالإضافة لسهولة هضمه وذلك بفضل نوعية البروتينات الموجودة فيه وصغر حبيبات ما يحتويه من دهن متجانس خلافا لما يحتويه حليب الأبقار من دهون غير متجانسة صعبة الهضم. وقد أثبتت الأبحاث أن حليب الماعز هو الأسهل هضما والأفضل للذين يعانون من قرحة المعدة وذلك بفضل قدرته على معادلة الأحماض الزائدة بالمعدة. إنه الأنسب لبعض الأشخاص الذين يعانون من الحساسية تجاه حليب الأبقار والذي يسبب لهم اضطرابات في الجهاز الهضمي.

تستعمل جلود الماعز في الصناعات الجلدية الرقيقة التي تتطلب جلودا ملونة مثل الحقائب اليدوية وأغلفة الكتب وصناعة الأثاث والأحذية الرقيقة والملابس الشتوية. أما في المناطق الريفية فيستفاد من جلود الماعز لعمل أوعية لحمل الماء وتبريدها في الجو الحار أو لسحب المياه من الآبار وأوعية لخض الحليب لتصنيع اللبن الرائب والجبن.


الغنم، *معلمة المغرب*، ج. 18، ص. 6361 . 6362.

Eddbbarh, *La production animale au Maroc. Grande Encyclopédie du Maroc*, Agriculture - Pêche, 1987 ; Anoc, 1994, *Rapport d'activité du projet de développement de l'élevage caprin dans la région de Chefchaouene*, 1993 ; Boudiab, *Contribution à l'étude du système de production animale sur parcours dans la région de Ouarzazate*, Mémoire 3ème cycle, IAV Hassan II, Rabat, 1981 ; Fatich [et al.], *Etude de la place de l'élevage des ovins et des caprins dans les exploitations agricoles de la Basse Moulouya*, IAV Hassan II, 1994 ; Rifi, *Etude des performances de production et de croissance des troupeaux caprins sur le versant nord du Sahara (Ouarzazate)*, Mémoire ENA Meknès, 1983 ; Soulami - Benhaj, *La place de l'élevage caprin dans l'économie des exploitations agricoles dans la région de Chefchaouene*, Thèse 3ème cycle d'agronomie, IAV Hassan II, Rabat, 1993.


محمد رمضاني

**معزوز، أحمد** بن **إدريس** بن عمر بن أحمد بن محمد، يرجع نسبه إلى علي بن أحمد بن محمد بن معزوز الصفريوي مؤسس الحبس المعقب على أولاد معزوز بمدينة صفرو وواحتها الخضراء سنة 1061. وهو حبس كبير يبلغ حوالي 80 هكتارا.

ولد المقاوم أحمد معزوز بحي بني مدرك بصفرو سنة 1346 / 1928 من أمه عائشة بنت مولاي أحمد "لهبيل"، وهي قبيلة من الشرفاء بمنطقة بركان التي ينتسب إليها امبارك البكاي. درس ما تيسر من كتاب الله عز وجل بالكتاب، قبل أن يحترف الشراطة والنجارة وكذا خياطة السلاهيم والجلابيب، وعندما بلغ أشده تعاطى للفلاحة بأراضي الحبس الموقوف على ذكور أولاد معزوز.

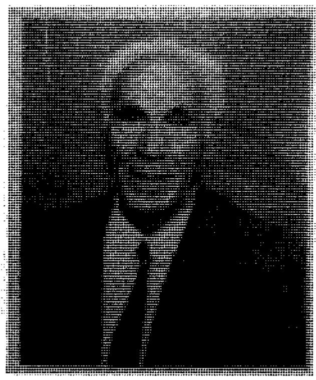

ومن خلال اتصاله برواد الحركة الوطنية وثلة من العلماء الأفذاذ أمثال الشيخ مولاي العربي العلوي، تشبع أحمد معزوز بعدالة قضية وطننا ضد الاستعمار، فانخرط في مسلسل المقاومة التي تزعمها الفلاحون والحرفيون، خصوصا بعد نفي المغفور له محمد بن يوسف.

كانت البداية بكسر جدار الصمت بمناسبة اغتيال الزعيم

النقابي التونسي فرحات حشاد، حيث قامت كوكبة من الشباب بتوزيع منشور محلي يندد بهذا العمل الشنيع الغاشم، بعدها حررت مجموعة معزوز برقيات إلى الإدارة الفرنسية تندد بالحملة التي يتزعمها الأعيان التابعون للباشا الگلاوي ضد الوطن وملك البلاد، لكن تلك الرسائل لم تثن المستعمر عن نفي السلطان وأسرته خارج الوطن. وفي ذلك اليوم من غشت 1953 (صادف عيد الأضحى) تحولت فرحة العيد إلى مظاهرات في ساحة باب المقام بمدينة صفرو ثم انتشرت الشرارة إلى كل أحياء المدينة، جراء ذلك اعتقل العديد من المقاومين، وعلى رأسهم أحمد معزوز، وحكم عليه بالسجن مدة سنة، فقضى ورفاقه عقوبتهم السجنية بكل من السجن المدني بفاس والسجن الفلاحي بالعذير قرب الجديدة والسجن المدني بالرباط.

وتوالت الأحداث وأحمد معزوز حاضر في زخمها، فكان يتعرض للمضايقات من القبطان "سفنلجر" وعملائه، لكن ذلك لم يثنه عن استئناف تنظيم المقاومة وتطوير أساليبها. وفعلا عرفت المنطقة انطلاقة جديدة قوامها المبادرة وضرب المحتل. فكانت عمليات إضرام النار في الضيعات الفلاحية التي يحتلها المعمر الفرنسي "فانطالو" التي اقتطع أجزاء مهمة منها من الأملاك الحبسية لأولاد معزوز وإحراق المتاجر : متجر جيل - متجر بيع الدخان لليهودي "روبين" وآخر لليهودي "فرياط" - أربعة دكاكين لمتعاون مع الاستعمار، اغتيال يهودي متعاون مع الاستعمار بقبة السور برحبة العواد - إطلاق الرصاص على خليفة الباشا عبد المغيث والجزائري سليمان، الذي تحدى المقاومين ببيعه للتبغ - هجوم على الثكنة العسكرية بحي مساي بطريق بولمان حيث غنمت أسلحة سلمها أحمد معزوز وباقي المقاومين إلى المقاوم المسمى الفگيگي، وكذا اقتحام دار المسمى محمد أعسو بدوار شربانة...

وبعد الاستقلال السياسي للبلاد، أغاظ أحمد معزوز ما يعيشه المغرب من أعمال يقوم بها عملاء الاستعمار، إذ أصبحوا غداة الاستقلال يستهدفون المقاومين ويطبخون لهم الملفات سعيا لإخماد جذوة المقاومة الوطنية. وفي صيف 1963، رحل أحمد معزوز إلى الجزائر بعيدا عن الوطن تجنبا للتضييق، حيث قضى تسع سنوات منفيا مغتربا. وفي 12 غشت 1972 اعتقل بعد عودته إلى وطنه رفقة أفراد من عائلته : ابنه إدريس الذي كان تلميذا وأخوه عمر، وثلة من قدماء المقاومين والمناضلين أمثال : محمد بن الهادي بوشامة - محمد الگيري - محمد يخلف - إدريس السيوطي...

بعد قضاء ثماني سنوات سجنا بالسجن المدني بالقنيطرة جاء العفو الملكي، فغادر أحمد معزوز السجن عليلا سقيما.

ولقد نوهت الصحافة الوطنية بهذا المقاوم وخصصت حيزا هاما للتعريف به. كما نوهت به المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير في التعزية التي بعثت بها إلى ذويه بتاريخ 04 / 09 / 2002.

وبمقر البلدية بمدينة صفرو تم تكريمه يوم 14 أكتوبر 2002 بحضور المندوب السامي لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، وعامل الإقليم والمجلس البلدي وشخصيات أخرى، حيث سلم لأرملته ولأبنائه السبعة شعار المندوبية السامية.

توفي يوم الأحد 16 جمادى الثانية 1423 / 25 . 08 . 2002.

إدريس معزوز، *وثائق عن المقاوم أحمد معزوز* ؛ *الاتحاد الاشتراكي*، عدد 6972 بتاريخ 11 . 09 . 2002 ؛ عدد 6985 بتاريخ 25 . 09 . 2002 ؛ *الأحداث المغربية*، عدد 1320 بتاريخ 02 . 09 . 2002 ؛ *الأحداث الجهوية*، عدد 01 بتاريخ شتنبر، 2002.

الحسين البعاوي

**معسكر** (جبل -) يطلق الاسم اليوم على جبل واحد، وقد كان يطلق من طرف الأهالي على "الأطلس الكبير" ككل.

يقع هذا الجبل بدائرة ميدلت بإقليم خنيفرة. تتقاسمه أربع جماعات قروية يشكل سكانها قبيلة آيت يحيى تونفيت هي: جماعتا تونفيت وسيدي يحيى ويوسف على واجهته الشمالية الغربية وجماعتا أگوديم وأنمْزي على واجهته الجنوبية الشرقية.

يشكل إحدى أهم قمم الأطلس الكبير الكلسي أو الأطلس الكبير الشرقي المشرفة على سهول ملوية العليا شمالا. يبلغ ارتفاعه 3277 م. وهو في الواقع جزء من خط أعراف منتصب جنوب غرب ميدلت حسب اتجاه شمالي - شرقي - جنوبي غربي - يتضمن جبل العياشي. وهو خط أعراف تفصله عن خطوط أعراف أخرى منخفضات طولية لها نفس الاتجاه وتجرى بها الوديان التي تصرف مياه المنطقة.

يندرج هذا الجبل إذا في تضاريس متميزة بتناوب محدبات ومقعرات حسب اتجاه واحد (من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي) وهي ظاهرة نسجلها بالأطلس المتوسط الشمالي الملتوي وتجد تفسيرها في طبيعة الصخور والبنية الجيولوجية.

أما الصخور السائدة بهذه الكتلة وبالكتل الأخرى المجاورة لها فتعود إلى اللياس الأسفل والدوميري (Domerien) وهي منفذة، وإلى تكوينات التوارسي - الآليياني (Toarcien - Aalénien) غير المنفذة. وأخيرا إلى الآليياني - والدوگو (Aalénien - Dogger) وهي منفذة.

هي إذا كلها تكوينات من الزمن الثاني ترسبت في بحار عميقة ومتشكلة أساسا من الصخور الكلسية الجوراسية المتضمنة لكثير من المتحجرات (Ammonites و Belemnites).

عرفت المنطقة حركة تكتونية رافعة في الزمن الثالث ساهمت في تشكيل الطيات والانكسارات التي تميز بنية هذا الجزء من الأطلس الكبير. وتصنف هذه الطيات في نوع الطيات المستلقية. وهذا ما يفسر عدم تماثل السفوح الشمالية

القوية الانحدار والسفوح الجنوبية الخفيفة الانحدار. ويبدو أن لعامل الجريان دوراً نشيطاً في خلق الفجوة (البوابة) (La Trouée) الفاصلة بين كتلة العياشي شرقا وكتلة معسكر غربا والتي يسلكها رافدا أنسگمير (وادي تاعرارت ووادي آيت موسى) حسب اتجاه متعامد مع اتجاه خط الأعراف.

يساهم جبل معسكر، كعرف من أعراف الأطلس الكبير الكلسي في دور هذه الجبال كحاجز بين المؤثرات المناخية الشمالية والشمالية الغربية الحاملة للرطوبة والمؤثرات الجنوبية والجنوبية الشرقية الحاملة للجفاف. يتميز مناخه بحرارة قارية جد منخفضة خلال الفترة الممتدة بين نهاية شتنبر ونهاية ماي بحيث يتموضع خط تساوي الحرارة (Isotherme) صفر على ارتفاع يتراوح بين 2000 و2500 م.

وتتزامن هذه الحرارة المنخفضة وسقوط كميات كبيرة من الثلوج تدوم من 6 إلى 7 أشهر.

ويبدو أن كمية التساقطات التي يتوصل بها معسكر تتراوح في المعدل بين 700 و900 مم في السنة، بعضها يتم على شكل عواصف رعدية خلال الصيف. إلا أن واجهته الشمالية الغربية أوفر حظا من هذه التساقطات وهو ما يفسر عافية غابة الأرز هناك.

من جهة ثانية، وبحكم خصائصه من حيث الارتفاع وطبيعة الصخور وكمية التساقطات، يساهم هذا الجبل في وظيفة الأطلس الكبير الكلسي كخزان للمياه. فعلاوة على أهمية العيون التي تستعمل مياهها محليا يجب الإشارة إلى كون جبل معسكر يشكل نقطة انطلاق مجموعة من المجاري المائية التي تشكل الروافد العالية بالنسبة لنهرين رئيسين : ملوية وأم الربيع. أهم هذه الروافد وادي آيت موسى الذي يصب في وادي أنشگمير ووادي أودغس وهما رافدان لملوية. ثم وادي وغّين أحد روافد وادي العبيد.

يعمل تناقص الحرارة من قدم هذا الجبل نحو قمته، وتزايد التساقطات ومدة استمرار الثلوج على إفراز طبقات بيومناخية متدرجة تعلم الإنسان اليحياوي كيف يستغلها حسب نظام يحكمه منطق تكامل الرساتيق وتعاقب الفصول. ففي الطبقة مادون 1900 م، ينتشر السكن - على شكل قرى - والأراضي الزراعية التي غالبا ما تسقى والمراعي العادية المتردد عليها يوميا. وفي الطبقة ما بين 1900 و2100 م، تنتشر غابة السنديان الأخضر (الكروش) التي تستعمل كمراعي تلجها القطعان طيلة السنة إلا في إبان العواصف الثلجية. أما في الطبقة 2100 - 2500 فتنتشر غابة الأرز التي تتخللها فجوات كبيرة تستعمل كمراعي جماعية تخضع للمنع المؤقت لدخول القطعان إليها وتسمى محليا بإگدلان (مفرد : أگدال) يتركز الرعي بهذه الغابة خلال شهر ماي في انتظار ذوبان الثلوج بالطبقة ما فوق 2500 م حيث تتغيب الغابة وتمكث القطعان طيلة الصيف قبل النزول إلى مراعي الأراضي المنخفضة وهو ما يعني وجود حياة الانتجاع.

ساهم جبل معسكر كحصن طبيعي منيع وخزان للمياه ومرعى متدرج ومتنوع، في استقرار واستقلال قبيلة آيت يحيى تونفيت وفي مقاومتها للاستعمار الفرنسي إلى سنة 1932. وبالنظر لمؤهلاته السياحية، يمكنه أن يقوي الاقتصاد المحلي وأن يساهم في خلق فرص للتشغيل. وأهمية هذا الجبل ليست محلية فقط، بل هي وطنية كذلك مادامت ثلوجه ومياهه الباطنية تساهم في تزويد حقينة سدود كبرى مثل سد بين الويدان على وادي العبيد وسد محمد الخامس على وادي ملوية. وللحفاظ على هذه المكانة المتميزة، يجب العمل على التوفيق بين حاجيات السكان وضرورة حماية البيئة والتوازنات الإيكولوجية.

Michael Peyron, *Tounfite et le pays Aït Yahia*, Thèse de doctorat de troisième cycle en géographie humaine, Institut de Géographie Alpine, Grenoble (s.d.) ; Autour du Jbel Masker. *La montagne, n° 2, 1973, p. 61-66* ; Michel Combe, Haut Atlas calcaire, in Ministère des Travaux Publics et des Communications, *Ressources en Eau du Maroc, Tome 3, Domaines atlasique et sud-atlasique*, Editions du Service Géologique du Maroc, Rabat 1977, p. 116-139 ; Mohammed Kerbout, Quelques aspects de l'évolution quantitative du peuplement dans le Moyen Atlas et le bassin de la Moulouya, *R.G.M.*, vol. 12, n° 1, 1988, p. 33-49 ; Saïd Guennoun, *La montagne berbère, Les Aït Oumalou et le pays Zaïan*, Editions du Comité de l'Afrique Française, Paris, 1929.

محمد كربوط

**المعطي، بلقاسم**، ازداد المطرب المعطي بلقاسم بسلا عام 1928 ، وتفتقت موهبته الفنية وهو دون الخامسة عشرة، فكان يجود القرآن الكريم، ويردد الأغاني الشرقية. وفي سنة 1947 انطلقت سيرته الفنية بالمشاركة في تأسيس جوق الاتحاد السلاوي الذي كان يمارس مستعملات الموسيقى الأندلسية وبعض الأغاني الشرقية برعاية عازف القانون الراحل المكي افريفرة، والملحن محمد بنعبد السلام.

كان المعطي من أوائل المنخرطين في الجوق الوطني للإذاعة الوطنية برئاسة أحمد البيضاوي. وقد بدأ نشاطه فيه عازفا على الكمان الجهير (الكونترباص)، ثم تحول إلى الغناء. وإلى جانب ذلك فقد كان من بين الفنانين الذين شكلوا فرقة المنوعات برئاسة محمد بنعبد السلام.

في بداية السبعينيات انتقل إلى فاس للعمل في جوق الإذاعة الجهوية ورئيسه يومئذ أحمد الشجعي، واستمر يشتغل في حظيرته إلى حين إحالته على التقاعد.

وخلال مسيرته الفنية التي امتدت مايربو على خمسة عقود سجل المعطي بلقاسم بصوته ما يزيد على ثلاثمائة أغنية كان أولاها : أغنية "اذكريني يوم لقانا".

غنى المعطي بلقاسم لشعراء وزجالين مغاربة كثيرين منهم أحمد الطيب العلج، وعبد الله شقرون، وعلي الحداني، والطاهر سباطة، كما غنى من ألحان ثلة من الفنانين من بينهم محمد بنعبد السلام، وعبد الرحيم السقاط، وأحمد البيضاوي، وعبد النبي الجراري، وعبد القادر الراشدي، وأحمد الغرباوي، وعباس الخياطي، وعابد ازويتن.

تتوزع أغانيه موضوعات متعددة تأتي في مقدمتها الأغاني العاطفية، ثم الأغاني الوطنية والدينية. ومن أكثر أغانيه تداولاً : يابنت المدينة ـ المسرارة ـ وهما من كلمات عبد الله شقرون وتلحين محمد بنعبد السلام ـ اعلاش ياغزالي ـ وهي من نظم أحمد الطيب العلج وتلحين عبد الرحيم السقاط.

ومن أغانيه العاطفية الناجحة : يالكاويني ـ هادي والتوبة ـ اللي مشالو غزالو ـ يام الربيع ـ عندي وحيدة ـ يانسيني ـ على قدر الهوى.

وقد دخل مجال التلحين بنفسه، فلحن قطعا غنائية منها : ليلة الحنة ومحبوبة.

وجملة القول فلقد كان المعطي بلقاسم من رواد الأغنية المغربية العصرية، كما كان من جيل الفنانين الأوائل الذين أسهموا في وضع أسسها الأولى. أغنى الخزانة الموسيقية بإنتاجه الغزير، وساهم في تأصيل الغناء المغربي بما أوتي من صوت جمع إلى الرخامة وحسن الأداء وجمال النبرة وسلامة المخارج مرجعيات فنية تستمد بعض خصوصياتها من الغناء المغربي الشعبي والتراثي.

توفي المعطي بلقاسم يوم الأربعاء 10 ماي 2001.

ع. السلام الطريبق، جريدة *العلم*، ع 1، 1862، 13 ماي، 2001 ؛ صالح الشرقي، *جل ترى المعاني*، ط 1، 1418 / 1977، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ص. 158 ـ 160 ؛ *وثيقة مسجلة بصوت الراحل محفوظة بأرشيف إذاعة فاس الجهوية.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**المعلّم، عبد الكريم** (ولد –) قائد كان يرأس مجاهدي قبيلة وادراس الذين انضّموا إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد عين القائد المذكور عضواً في القيادة المركزية للمقاومة في المؤتمر المنعقد بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 بالإضافة إلى عضويته في المجلس الأعلى للثورة الذي أحرز عليها في المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي من نفس السنة ؛ وقد شارك في جل معارك المقاومة إلى أن استسلم وقدم الطاعة إلى الخليفة السلطاني بتطوان وعين قائداً على قبيلته سنة 1926.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **المعلم، علي** بن **عبد الله** بن عبد الواحد بن الطاهر بن محمد، من (آل يحيا) فريق من أحفاد محمد بن الشيخ.

ولد بمراكش في صفر 1332 الموافق ديسمبر 1914. قرأ القرآن على يد الفقيه محمد الماسي الذي كان بمكتب درب عرصة أوزال بحي باب دكالة حتى ختم عنده القرآن، ثم انتقل عند الفقيه محمد بن علال المراكشي بنفس الكتاب خلفا للفقيه الأول، فختم عنده ختمة أخرى. ثم انتقل عند الفقيه محمد بن إيدار في مكتب قرب ضريح الشيخ عبد العزيز التباع، وبقي عنده نحو ثلاث سنوات وختم عنده ختمات من بينها ختمة بحرف قالون. ثم غادر الكتاب ليعمل في التجارة في معمل بجليز من سنة 1348 / 1929 إلى 1352 / 1933.

ثم عاوده الحنين إلى العلم فالتحق بزاوية محمد المختار السوسي بالرميلة بحي باب دكالة، ختم فيها ختمتين أخريين الثانية برواية قالون عند الفقيه محمد الطويل السوسي. وكان مع ذلك يأخذ الفنون العربية مدة ثلاث سنوات أبان فيها عن نبوغ كبير وإدراك سريع لضوابطها واستظهارا لنصوصها، وأصبح وحيدا بين أقرانه في التحصيل ومطالعة الكتب، حتى صار الطلبة يسمونه (الخانجي)، تشبيها بالعلامة المصري الشهير، وهو أكبر كتبي بالقاهرة. وفي سنة 1356 / 1937 صار يلقي دروسا بزاوية الرميلة على الطلبة الذين بقوا بها بعد نفي العلامة محمد المختار السوسي لمدة تزيد على العامين. ثم انقطع عن التدريس فصار يبيع ويشتري في الكتب، واتخذ ذلك حرفة له، وربط علاقات مع بعض الكتبيين داخل مراكش وخارجها، ثم مع بعض دور النشر في العالم العربي. ثم صار يتصل بأولاد القائد العيادي، وأولاد الباشا الحاج التهامي الجلاوي خصوصا محماد القائد بآيت أورير. وفي سنة 1370 / 1950 عين كاتبا في المجلس العلمي في الجامعة اليوسفية إلى سنة 1375 / 1955 حيث عين مديرا للخزانة اليوسفية، وهو أعرف الناس بالكتب والمكتبات، المخطوط منها والمطبوع.

آثاره : لم يترك أي عمل يذكر اللهم إلا ما كان من بعض الكلمات التي ألقاها في مناسبات قليلة، يظهر فيها تمكنه من ناصية القول، ومعرفته بأساليب البلاغة. كما له بعض النظم ضاع مع الأسف الشديد. وله معرفة باللغة الفرنسية. وكانت له مراسلات مع شيخه المختار السوسي.

توفي يوم الجمعة 20 ذو الحجة 1421 الموافق 16 مارس 2001. وأقبر بمقبرة باب دكالة يوم السبت بعد صلاة الظهر.

*المعسول*، 16 : 110 ؛ *روايات شفوية*.

أحمد متفكر

**المعمري، الزواوي محمد** ولد سنة 1885، بمنطقة القبايل الجزائرية، في أحضان إحدى الأسر البارزة بتاوريرت - ميمون الموجودة بمجال بني يني ناحية أربعاء نايت إراتن Fort National . تخرج من المدرسة العليا للأساتذة وكلية الآداب بالجزائر - العاصمة، ثم التحق بالإدارة بصفته مترجما، لكنه قدم سنة 1908، إلى المغرب، حيث أسس بمدينة الرباط مدرسة فرنسية - عربية، أشرف على تسييرها إلى غاية أكتوبر 1912 . وعين بعد شروع المقيم العام الجنرال ليوطي في وضع الأسس الإدارية لنظام الحماية، كاتبا مترجما بالكتابة العامة، التي أسندت إليه مهمة القيام بدور الكاتب الموثق في الصدارة العظمى. ووقع الاختيار عليه، أثناء الحرب العالمية الأولى للإشراف على تربية وتعليم الأمراء، خصوصا الأمير سيدي محمد، الذي لقي من أستاذه الكثير من العطف والعناية.

استطاع "الفقيه المعمري" الذي أصبح يتمتع ببعض الحظوة داخل القصر، من أن يوسع دائرة مهامه، إذ أصبح، سنة 1922 ، خليفة رئيس مصلحة الترجمة والتشريفات السلطانية (ابن غبريط)، ورئيس مكتب البروتوكول والتشريفات. وساعده موقعه بالقرب من مصادر القرار بدار المخزن من القيام ببعض الأدوار الهامة، ذات البعد السياسي والاستراتيجي. نذكر من ذلك، انحيازه بعد وفاة السلطان مولاي يوسف، في خريف سنة 1927 ، إلى صف المتحمسين من أعيان الدولة، لمبايعة الأمير سيدي محمد، بدلا من أخيه مولاي إدريس. وقد استفاد المعمري من الوضعية الناتجة عن اعتلاء سيدي محمد العرش، إذ اتسع مجال اختصاصاته وتعزز نفوذه داخل القصر، بعد أن أضاف إلى اختصاصاته كمساعد لابن غبريط على رأس هيئة البروتوكول، مهاماً أخرى تتعلق بالإشراف على الكتابة الخاصة للسلطان، وعلى مالية القصر.

تجدر الإشارة في هذا الصدد، إلى أن مسار المعمري يذكرنا بمسارات جزائريين آخرين تمكنوا من احتلال مواقع بارزة في النسق الاستعماري الفرنسي بالمغرب. نذكر من بين هؤلاء، ابن غبريط رئيس مصلحة الترجمة والبروتوكول، وإسماعيل بن أحمد الضابط المترجم المتقاعد، الذي أصبح نائب ابن غبريط ورئيس مكتب الترجمة، والقبطان محمد نهليل، الترجمان العسكري الذي تولى الإشراف، في بداية الحماية، على مدرسة اللغة العربية واللهجات... إن هؤلاء الأشخاص وغيرهم، كانوا رموز الجالية الجزائرية التي بلغ عدد أفرادها بالمغرب، خمسة عشرة ألف نسمة (15000 ن) سنة 1936 ، وما يقارب الأربعين ألف (40.000) في الخمسينيات من القرن العشرين، ولم يستطيعوا الوصول إلى مراتبهم البارزة، إلا نتيجة لما اكتسبوه من معرفة وخبرة عسكرية وإدارية...، ولحاجة السلطة الاستعمارية إليهم، بحكم انتمائهم لنفس المجال الجغرافي والحضاري الذي ينتمي إليه المغرب، ليقوموا بدور الوسيط بينها وبين المغاربة من الناحية الاجتماعية والسياسية. وتأسيسا على هذه العوامل، وغيرها، تمكن المعمري، من الارتقاء في سلك الإدارة المخزنية، واحتلال موقع هام ضمن الشخصيات المخزنية المرموقة. وارتباطا بهذا الأمر، ذكر محمد بن الحسن الحجوي، في سياق حديثه عن "التغلب العائلي" ونظام الوجاهة بالمغرب، أن عائلة المعمري، التي ربطتها علاقة متينة بعائلة محمد بن العربي العلوي، كانت من أشد العائلات نفوذا، خصوصا وأن الإدارة التي "عملت على استرضاء المعمري، وظفت عدداً كبيراً من أفراد عائلته ومن حزب ابن العربي العلوي.

لكن الفقيه المعمري فقد، مع ذلك، بعض نفوذه داخل المخزن سنة 1934 ، في ظروف ارتبطت بتأزم العلاقات بين القصر والإقامة العامة، التي كانت تعتبره من أخلص المتعاونين معها، والأداة المتفهمة لسياسة التعاون مع المخزن. غير أنه تمكن، بالرغم من ذلك، من تجاوز العقبات التي اعترضت مسيرته، بفضل فطنته ومرونته، وعلاقته الطيبة مع السلطان، الذي كان يستأمنه على بعض أسراره وأموره الشخصية. واستطاع المعمري، بفضل هذه العلاقة، ونتيجة الموقع الذي احتله في النسق الاستعماري، من الوصول إلى منصب وزير القصور. لكنه أرغم سنة 1953 ، التي شكلت بداية النهاية بالنسبة لمساره المهني بالمغرب، على ترك هذا المنصب، الذي ألغي بعد نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف، وصدور ظهير 9 شتنبر 1953، الذي كان من الوسائل الهادفة لدعم أسس السلطات الاستعمارية وإضعاف المؤسسة السلطانية.

لكن المعمري، الذي اشتهر بإخلاصه لفرنسا وللسلطان معاً، ظل بعد انسحابه إلى الجزائر، مهتما بالمغرب وقضاياه. برز ذلك، من خلال استنكاره لمسألة خلع ونفي السلطان سيدي محمد بن يوسف، الذي لم يتنكر أبدا، على حد قوله، للصداقة التي تربطه بفرنسا. كما استمر المعمري، في أداء بعض الأدوار ذات البعد السياسي أو الاستراتيجي. نذكر من ذلك، مساهمته، نتيجة معرفته الواسعة بأمور القصر وخباياه، في اللجنة المكلفة بعد نفي السلطان، بجرد ثرواته وتقديم بيانات مفصلة عنها ؛ والتقاءه في صيف 1955 - بصفة سرية - بالمقيم العام جيلبير گراندفال الذي رغب في استشارته في القضايا المرتبطة ببرنامجه وبالظروف السياسية في المغرب.

نلاحظ مع ذلك، بأن هذا الشخص الذي ارتبط مساره بمسيرة الحماية، قد فقد، بعد إلغاء منصب وزير القصور السلطانية، المكانة التي كان يتمتع بها في ظل الوضع الاستعماري. إذ تم الاستغناء عنه، رغم الخدمات التي قدمها للإقامة العامة. فهل كانت لذلك علاقة بما قيل عن إخلاصه للسلطان ؟ أم أن الأمر يرتبط بمخاض مرحلة انتهت بعزل السلطان سيدي محمد سنة 1953. لكن غياب هذا الشخص عن الساحة السياسية، استمر بعد عودة السلطان سيدي محمد بن يوسف من المنفى، ولذلك أسباب ترتبط، أولا، بالظروف الشخصية للفقيه المعمري، الذي أصبح، في منتصف الخمسينيات، شيخا مسنا، يعاني من تدهور وضعيته الصحية ؛ وثانيا، بانتهاء زمان الحماية الذي ترتب عليه انسحاب أشخاص ارتبط ذكرهم بالاستعمار، وظهور نخب وشخصيات جديدة فرضت نفسها من خلال الصراعات التي احتدمت، بعد الحرب العالمية الثانية، بين مختلف القوى السياسية والاجتماعية بالبلاد.

آسية بنعدادة، *الفكر الإصلاحي في عهد الحماية* (محمد بن الحسن الحجوي نموذجا)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2003 ؛ *الندوة الدولية حول محمد الخامس الملك الرائد* 16 - 20 نونبر 1987 ، نشر جمعية رباط الفتح، مطبعة فضالة، المحمدية، 1988.

*Archives diplomatiques de Nantes* ; *Bulletin officiel du protectorat* ; Gouvion, Marthe et Edmond, *Kitab Aàyane al maghrib el akça*, Maison-Carrée, Alger, 1939 ; G. Grandval, *Ma mission au Maroc*, Plon, 1956, 272 p. ; Nataf Félix, *L'indépendance du Maroc, Témoignage d'action 1950-1952* ; Rivet Daniel, *Lyautey et l'institution du protectorat*, (3 t.), L'Harmattan, Paris, 1988.

عبد الحميد احساين

**الـمعمورة** (غابة -) تقع المعمورة على الواجهة الأطلنتيكية للمغرب بين مدن القنيطرة وتيفلت والرباط، تعتبر هذه الغابة المتكونة أساسا من شجرالبلوط الفليني (Quercus suber) الأولى من هذا النوع في العالم من حيث مساحتها الكبيرة والمتصلة، والتي كانت تمتد على مساحة تقدر بحوالي 134.000 هكتار في بداية القرن، لكنها تقلصت بشكل كبير حيث أصبح شجر البلوط الفليني يغطي أقل من 60.000 هكتار فقط بينما يغطي جزء آخر شجر الأوكلبتوس والصنوبريات والميموزا إضافة إلى الأماكن الفارغة. ولقد عرفت هذه الغابة عدة مشاريع لترشيد الاستغلال منذ 1954.

إن الدراسة المناخية للمنطقة تبين أن المعدل السنوي من المطر يتراوح ما بين 450 و600 مم في السنة، تتساقط بالخصوص في شهري نونبر ودجنبر، أما أشهر الصيف فتكون جافة. ومعدل الحرارة في هذه الغابة يتأرجح بين 11 °C خلال شهر يناير 24 °C خلال شهر غشت. لقد أثبتت كل الدراسات بأن مناخ هذه الغابة متوسطي محض. ينتمي قطاعها الغربي إلى بيومناخ شبه رطب دافئ، أما المنطقة الشرقية منها فتتميز ببيومناخ شبه جاف معتدل الحرارة. تعيش غابة المعمورة على تربة تتميز بطبقة رملية يكسوها مستوى طيني ذو لون أحمر يعرف باسم الطين الأحمر للمعمورة.

أما من حيث الأنواع النباتية التي ترافق البلوط الفليني فإن ميزاتها تشمل على الخصوص الإجاص Pyrus mamorensis (انظر إجاص)، والزيتون البري Olea europaea (انظر أزمور وزيتون)، والمرخ Teline linifolia (انظر مرخ)، والقستوس Cistus salviifolius (انظر قستوس)، والحلحال Lavandula stoechas (انظر خزامى)، والحلالة أو البابونج Ormenis mixta، والدوم Chamaerops humilis (انظر الدوم)، والمتنان Thymelaea lythroïdes، ودور Pistacia lentiscus (انظر بطم)، واللزاز Daphne gnidium (انظر اللزاز) بالإضافة إلى النباتات العطرية والطبية التي تستغل لهذا الغرض من هذه الغابة.

يعيش في غابة المعمورة عدة أنواع من الحيوانات الفقرية، نذكر من بينها الرت أو الخنزير والأرنب والقنية والحجل المغربي وبعض الطيور القارة والمهاجرة.

يشكل النوع السائد الذي هو البلوط الفليني نظاما بيئيا يتميز بالعشيرة النباتية الأوجية المسماة - Telino linifoliae Quercetum suberis التي تكاد تنقرض بنياتها الطبيعية بسبب عوامل التدهور لتحل محلها تشكيلات نباتية شبه غابوية أو ماطورالية مكونة من أنواع جنيبية مثل القستوس. ومن أهم تداعيات هذا التدهور تقلص كثافة البلوط الفليني. وهكذا تتراجع هذه الكثافة المصادفة في بنيات العشيرة الأوجية لتحل محلها أفراد شجرية متناثرة في ماطورال القستوس، كما يلاحظ في أغلب حالات التدهور تشكيلات كثيفة من أشجار البلوط بدون طبقات جنيبية أو عشبية تعيش تحتها، مما يدل على أنها تتواجد في وضعية غير ملائمة لإنتاجيتها وتحديدها أو ضمان استمراريتها.

أما من حيث عوامل هذا التدهور، فإن الضغط البشري وماشيته يعتبران من أهم العوامل التي أثرت سلبا وأدت إلى تراجع الغطاء النباتي وتراجع الغابة، فضلا عن تأثير تقنيات وعمليات الاستغلال المبرمجة في إطار مشاريع الإعداد بالإضافة إلى جمع الحطب أو خشب التدفئة وبعض النباتات

كالدوم والمرخ وبعض النباتات العطرية والطبية والعسولية، وجني البلوط وقطع الأشجار بطرق غير مشروعة، وعملية الإجتثاث والحرائق والرعي الجائر التي تعد من العوامل الرئيسية في تدهور هذه الثروة. فاستغلالها بطرق غير عقلانية أدى وساهم بشكل كبير في تدهور وتراجع هذا النظام البيئي بصفة عامة. ويتمثل التقهقر في الإخلال الحاصل في التركيبة النباتية وتراجع في المساحة المغطاة بشجر البلوط الفليني وتقلص عدد الأنواع النباتية المكونة لحاشية هذه الغابة.

وتعد غابة المعمورة فضاء سوسيو إقتصادياً وبيئياً ذا أهمية قصوى على الصعيد المحلي والإقليمي والوطني والعالمي. فعلاوة على أنها تعتبر من المجالات المنتجة بالنسبة لخمسة عشر جماعة قروية وجماعة حضرية واحدة والتي تقدر ساكنتها الحالية المستفيدة من مداخلها الغابوية بحوالي 236.238 نسمة، تتجلى إنتاجية هذه الثروة حاليا في الجوانب التالية :

- تصدير 12.000 طن سنويا من الفلين بقيمة إجمالية تناهز 16.000.000 درهم.

- تصدير 350.000 متر مكعب من الخشب الصناعي على شكل عجين الورق مما يوفر ما مقداره 40.000.000 درهم سنويا.

- إنتاج سنوي لما مجموعه 700.000 متر مكعب من خشب التدفئة والفحم الخشبي والذي تقدر قيمته بحوالي 5.000.000 درهم.

- إنتاج علفي يقدر بحوالي 24 مليون وحدة علفية بقيمة إجمالية تناهز 20.000.000 درهم.

- مساهمة في التشغيل : توفير 300.000 يوم عمل في السنة يعني ما قدره 60.000.000 درهم.

- تشكيل فضاء بيئي وترفيهي لحماية المدن المجاورة ضد الترمل وزحف الرمال، وفضاء للاستراحة واللعب، ورئة مباشرة للمدن المجاورة لها، ووسط ذي أهمية كبيرة في ما يخص التنوع البيولوجي.

*أبحاث شخصية.*

A. Aafi, M. Fechtal & M.S. Taleb, *Espèces remarquables de la flore du Maroc,* MCEF, DREF, Rabat, Maroc, 2002, 146 p. ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité,* Ibis Press et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p. ; A. Metro & Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora,* La nature au Maroc, Soc. des Sc. Nat. du Maroc, 1955, 498 p.

عبد الرحمان عافي

**المعمورة** (جغرافيا -) التطورات القديمة والحالية : تمتد هضبة المعمورة على شكل مستطيل ما بين الساحل الأطلنتي غربا ووادي بهت شرقا، مشكلة مجالا انتقاليا على شكل حادور واسع يربط بين هضاب زعير وزمور جنوبا وسهل الغرب الفيضي شمالا. وتحمل هذه الهضبة أكبر غابات البلوط فوق الأراضي المنبسطة في العالم، الممتدة ما بين وادي بورقراق في الجنوب وسهل الغرب في الشمال، يتراوح ارتفاعها بين بضعة أمتار في الغرب والشمال الغربي بالقرب من الساحل، وتتعدى 400 م في الجزء الشرقي. تتعمق فيها مجموعة من الأودية التي تشكل روافد لوادي بهت ووادي سبو، تتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، تصبح في الغرب على شكل هضبة متموجة، مؤلفة من أشرطة كثبانية ساحلية قديمة، موازية لخط الساحل، مكونة من رمال حيفتاتية متصلبة، تفصلها منخفضات طولية، تسمح بتوفير ظروف انحباس وميهة، تتشكل فيها ضايات فصلية.

تبرز الجيولوجية العامة للمعمورة الطبقات التالية :

- الصلصال المسيني السميك الذي يتوضع بتنافر فوق ركيزة من صخور الزمن الأول.

- يعلوه مركب صخاري فتاتي مكون من الحث والرصيص البحري والحث الكثيبي ينتمي للبليوسين الأوسط والأعلى. بينما على الساحل تنتمي إلى الرباعي.

- التكونات الحمراء وهي عبارة عن مواد رملطينية تكونت عبر أجيال عديدة منذ البليوسين داخل الهضبة إلى الرباعي الحديث قرب الساحل.

- وتعتبر تربة المعمورة شاهداً على تاريخها البيئي. فكل مستوى منها شاهد على تغير بيومناخي إما نحو الاستقرار أو نحو التدهور.

فالقطاع النموذجي التفصيلي للمستويات يحمل دلالات التغير كما يلي :

1 - المسكة أ 1 : رملية رمادية، غنية بالمادة العضوية، تطورت فوق سطح الرمال البيج، هلوسينية، مؤشر على إرهاصات إستقرار وعودة الرطوبة بعد نهاية السلطاني.

2 - المسكة أ 2 : رمال بيج، فقيرة جدا من الطين حيث تتألف من أكثر من 70٪ من الرمال الصرفة. اتصالها الفجائي مع ما تحتها من مواد يشهد بأنها رمال معادة التحريك ومنقولة، أي أنها تشهد على فترة تدهور بيئي تحركت فيه هذه الرمال في غياب وجود نبات شجري بالمنطقة.

3 - المسكات ب. ن. 1 وب. ن. 2 وب. ن. 3 : عبارة عن مواد طينية رملية حمراء اللون، كتلية إلى موشورية البنية، تحمل آثار تطور قديم امتد خلال الرباعي القديم والأوسط تحت ظروف بيومناخية عدوانية أدت إلى تفسخ قوي للصخر الأم.

يرجع عمر الرمال البيج 22 إلى ما بين 22 و26 ألف سنة B.P. سيطرت خلالها على المنطقة ظروف جفاف أدى إلى تناقص التنوع الإحيائي بالمعمورة وربما اندثار الغابة تماما.

لكن مع نهاية البلايستوسين وبداية الهلوسين عرفت المعمورة عودة ظروف الرطوبة، التي نجد دلائل عليها من خلال التربات الحمراء المدفونة، والتربات الغابوية السيدبالية التي تطورت فوق الرمال البيج، وهي الفترة التي يرجح أنها

سمحت بانتشار غابة البلوط بالمعمورة، خصوصا وأن الدراسات اللقاحية (Palynologie) في ضاية سيدي بوغابة شمال غرب المعمورة (Reille 1979) بينت أنه عند 6500 سنة كان البلوط الفليني غالبا في الطيف اللقاحي الغابوي.

من الناحية البيومناخية، توجد المعمورة في منطقة انتقالية بين الطابق شبه الرطب الدافئ في الغرب والشمال الغربي، حيث التساقطات تتراوح بين 550 و600 ملم / السنة، والطابق شبه الجاف المعتدل في الشرق والجنوب الشرقي حيث التساقطات تنزل إلى حدود 400 ملم / السنة.

يحتل مجال المعمورة موقعا استراتيجيا على المستوى البيئي والاقتصادي والاجتماعي، ذلك لأنه غني بغابة أصيلة من البلوط الفليني، ويقع تحت تأثير مدينتي سلا والقنيطرة اللتين تعرفان تطورا عمرانيا متسارعا، إضافة إلى التحولات الفلاحية التي يعرفها المجال الساحلي وهوامش الهضبة.

ونظرا لهذه الأهمية البالغة، فقد حظيت منطقة المعمورة بالعديد من الدراسات، على الأقل منذ بداية القرن العشرين إلى الآن، حول مواضيع تهم الغابة ومشكل تجددها، والتربة، والجيولوجيا، والجيومرفلوجيا، ذلك لأن الوسط البيئي للمعمورة يتميز بهشاشة كبيرة لاسيما على المستوى الترابي والمناخي جعلته يعرف العديد من مظاهر التدهور مثل التراجع المجالي للغابة الذي يعرف اندثار حوالي 800 هكتار من البلوط الفليني سنويا، والتقدير المتوالي للتنوع الإحيائي الذي يهدد تواجد الغابة نفسها وتدهوراً للموارد الطبيعية الأخرى مثل استنزاف المياه الباطنية وانتشار أشكال ومظاهر تعرية التربة، وتغير المشاهد الجغرافية.

إن البيئة الهشة بالمعمورة موجودة الآن في إطار سوسيوقتصادي متأزم يتمثل في الضغط الديموغرافي، وتزايد الحاجة إلى الموارد الغابوية المجانية للساكنة المجاورة والتي تمثل أحزمة حقيقية للفقر ضمن الأحياء الهامشية لسلا والقنيطرة وتيفلت وسيدي علال البحراوي.

| الجماعة | المساحة بكم2 | الكثافة ن / كم2 في 1982 | الكثافة ن / كم2 في 1994 |
|---|---|---|---|
| القنيطرة - المعمورة | 63.20 | 1545 | 2250 |
| مهدية | 5.10 | 690 | 1157 |
| سيدي الطيبي | 103 | 32.2 | 76.4 |
| س. بوقنال | 224 | 55.3 | 142.6 |
| العيايدة | 24 | 830 | 3500 |
| احصين | 37 | 1097 | 2031 |

في غياب الغطاء النباتي الأصلي والمتأقلم جدا مع الظروف الترابية والمناخية للمنطقة، يتعرض الرأسمال الترابي إلى أنواع شتى من الخلل.

وقد بينت القياسات التي قام بها بعض الباحثين بوسط وهوامش المعمورة للتعرية المائية السطحية والتذرية الريحية (العوينة ونافع ووطفة 1993، 1996، 1997 ونافع 1997)، أن المجالات المجتثة قديما والمستعملة حاليا في الزراعة والرعي تعرض التربة لتراجع وبتر من الصعب تداركهما بفعل الجريان. كما أبانت الدور الفعال للغابة سواء كانت طبيعية أو اصطناعية في حماية السطح من التدهور.

فإذا أخذنا فئة الجريان التي تتعدى 1 ملم / 100م$^2$ وهي الفئة الفعالة لأنها تتيح اقتلاع التربة وجرفها، فإن دور الغابة الطبيعية في الحماية، يأتي في الدرجة الأولى كما نلاحظ في الجدول التالي :

| أنواع الغطاء النباتي أوالاستعمالات | التردد ٪ | وسيط الحمولة غ/لتر |
|---|---|---|
| أرض عارية | 11,2 | 11 |
| زراعة سنوية - حبوب - محروثة حسب خطوط التسوية | 6,1 | 8 |
| زراعة ربيعية - ذرة - مخدومة حسب الانحدار | 16 | 137 |
| أرض بائرة مستخدمة في الرعي - تربتها مكدسة | 14 | 9 |
| تشجير - أوكالبتوس | 5 | 2 |
| تشجير - صنوبر حلبي | 00 | 1 |
| بلوط فليني طبيعي | 00 | 00 |

فيما يخص ظاهرة الترميل بالمعمورة فإنها محدودة حاليا على صعيد الامتداد أو حجم الأشكال، لكن بحكم هشاشة البيئة وقابلية التكونات الرملية للتحريك الريحي، فإن هذا يشكل إنذارا بخطر التصحر على الرغم من ضعف الأهمية الزمنية لهبوب الرياح الفعالة فإن هذا النوع من (الديناميات) يشكل نموذجا للأخطار التي تنتظر مستقبل المنطقة. حيث يمكن القول إن هضبة المعمورة من الساحل حتى وادي بهت مؤلفة من رمال متجانسة تدخل ضمن كفاءة العامل الريحي، وذات قابلية مرتفعة للتحريك، وأن الحماية الوحيدة لها هي الغطاء النباتي. وبالتالي فإن استمرار تراجعه بنفس الوتيرة سيؤدي إلى انقراض الغابة خلال العشرات من السنين المقبلة، مما سيؤهل المنطقة لأن تصبح بؤرة تصحر في شمال المغرب شبيهة بالتصحر الذي عرفته خلال نهاية فترة الفورم أو السلطاني.

لفهم التحولات الحاصلة في هذا المجال، لا بد للمهتمين بتهيئته وإعادة الاستقرار إليه من طرح بعض التساؤلات الضرورية لتفسير ما يحدث حاليا : متى انطلق مسلسل التدهور في منطقة المعمورة ؟ وهل هناك مرحلة تاريخية يمكن من خلالها وضع مرجعية لانطلاق الخلل، أم أن الجغرافية

القديمة كانت تعرف من آن لآخر تغيرات وأزمات بيئية تركت بصماتها في التكونات السطحية والتربات وفي الأنواع النباتية ؟ وهل يمكن التعرف على أولى الآثار البشرية في التغيرات الحاصلة أم أنها كانت من فعل الطبيعة المحصنة ؟

الواقع أنه إلى حدود 2000 سنة كانت غابة المعمورة تعرف تنوعا إحيائيا مهما، يمكن تصنيفه ضمن خمس منظومات بيئية على الشكل التالي :

1 ـ منظومة الأهوار والمصبات النهرية : تشير الكتابات التاريخية لرحلة حانون في القرن الرابع قبل الميلاد إلى أن ولجة سلا ومصبات أبي رقراق وسبو كانت على شكل أهوار، تغطيها نباتات كثيفة إلفمائية، وتحيط بها الغابات، وتكثر فيها الحيوانات وخصوصا الفيلة وفرس النهر (Gsell, 1921).

2 ـ منظومة غابة البلوط : تنتشر أساسا على سطح الهضبة وخصوصا في المجالات الداخلية من الهضبة بعيدا عن الساحل، حيث توجد تربات قديمة سميكة حمضية، وذلك ابتداءً من الشريط الكثيبي الثالث باتجاه داخل الهضبة، ويرافق البلوط في هذه المنظومة مجموعات نباتية خاصة منها فصيلة الورديات مثل إجاص المعمورة، وما يعرف بنباتات الغابة ومن أهمها القستوسيات.

3 ـ المنظومة البيئية للمجال الساحلي : تتكون من كثبات حيفتاتية متصلبة ذات تربات كلسية، حمراء أو رمادية، لا تسمح باستقرار البلوط الفليني فوقها، وهناك عدة مؤشرات تدل على أن المجال الساحلي المجتث حاليا كان يشكل منظومة بيئية مستقلة عن غابة البلوط تضم تشكيلات نباتية من نوع السرويات والزيتونيات، ويستدل على ذلك من خلال انعدام بقايا أشجار البلوط في هذا المجال وعدم تطورتوالد أشجار البلوط في محمية ضاية سيدي بوغابة، بينما عرفت تطورا سريعا لأنواع نباتية أخرى كالعرعر الأحمر والزيتون البري وهذا الأخير كانت ثماره تعصر لإنتاج الزيت في القديم، حيث اكتشفت أدوات معصرة رومانية مصنوعة من الحجر الرملي المحلي قرب سلا (Thouvenot, 1954).

4 ـ منظومة الضايات والمنخفضات البيكثيبية : تسمح نوعية التكونات الرملية الطينية الحمراء التي توجد تحت الرمال البيج بتكوين ظروف ميهة مؤقتة، تنتشر فيها فرشات مائية محلية وموسمية، تستمر لفترة متقدمة من فصل الصيف الجاف، وبالتالي تشكل منظومات بيئية شبه رطبة فوق سطح الهضبة الجافة، تشغلها نباتات لاشجرية، إلفمائية من أهمها (Isoetes) كما توفر ظروف تنوع إحيائي متميز تنعكس على طبيعة الاستغلال في المنطقة.

5 ـ المنظومات البيئية الرطبة في أودية شمال المعمورة : تتعمق في الجزء الشمالي لهضبة المعمورة عدة أودية تتجه نحو سهل الغرب لترفد نهر سبو، من أهمها وادي تيفلت، وادي زيلي، وادي الفوارات. وروافد وادي بهت. وقد أثبتت الدراسات المورفولوجية والباليوأنطولوجية والأركيولوجية أن هذه الأودية كانت تشكل منظومات بيئية خاصة أكثر رطوبة من سطح الهضبة، انتشرت فيها نباتات الحور والصفصاف والقصب، وتطورت تحتها تربة خصبة رمادية سيدبالية، رافقتها قواقع قارية تعيش في الأوساط الرطبة مثل (Rumina decollata) ويرجح أن هذه الأوساط لم تكن تحتوي على أشجار البلوط.

يبدو أن هذا التنوع الإحيائي بالمعمورة قد عرف منذ حوالي 2000 سنة قبل الحالي، تراجعا تدريجيا يعزى بالأساس إلى طبيعة التدخلات البشرية واستغلال الإنسان لهذه المجالات الغابوية (Nafaa, 1997) ويمكن التمييز هنا بين ثلاث مراحل أساسية للتدخل البشري أدت إلى تراجع التنوع الإحيائي بالمنطقة :

أ ـ الاستغلال القديم في بداية الألف الميلادية الأولى :

يستدل على التدخل البشري الذي أدى إلى تناقص التنوع الإحيائي بالمنطقة في هذه الفترة، من خلال المعطيات التالية :

ـ أظهرت الدراسات اللقاحية في ضاية سيدي بوغابة (Reille, 1979) وجود تراجع مهم في اللقاحات الغابوية، في مقابل تزايد لقاحات الحبوب الزراعية مثل (Plantago Coronopus, Plantago Lanceolata). مما يشير إلى تراجع المجال الغابوي وانتشار الزراعة.

ـ كتابات Thimistius في القرن الرابع بعد الميلاد (عن Gsell, 1921) التي تشير إلى تدهور الغابة واندثار الحيوانات بسبب انتشار الصيد والزراعة مع قدوم الرومان للمنطقة.

ـ كتابات هيرودوت واسترابون وآخرون والتي تشير إلى أن موريزيا أي المغرب الأقصى (مثلث طنجة، وليلي، سلا) كانت تزود روما بالأخشاب والحبوب.

ـ وجود إرسابات غرينية وسفحيات، مرافقة أو لاحقة مباشرة لفترة التدخل الروماني ما بين 1600 و2000 سنة قبل الحالي، في كل من وادي أبي رقراق والفوارات وشاطئ الأمم، يدل على حدوث تدهور في المجال الإحيائي الغابوي الذي يغطي السفوح.

ب ـ المرحلة الثانية خلال العصور الوسطى :

استمر التدهور وتراجع التنوع الإحيائي بالمنطقة نتيجة الاستغلال المفرط للموارد الغابوية للمعمورة من جهة، ونتيجة تغير نمط عيش وطرق الاستغلال لدى قبائل بني هلال التي استقدمها يعقوب المنصور الموحدي وجعلها تستقر ما بين طنجة وسلا (Benmansour, 1986). وفي عهد السلطان المريني أبو يوسف، كانت المعمورة المزود الأساسي بالأخشاب لبناء الأسطول، كما كان يستغل البلوط خصوصا في فترات الجفاف (الطويل 1978، عن ابن أبي زرع).

انعكس هذا التدهور المجالي للبيئة الإحيائية على النشاط المورفولوجي للسفوح والأودية، فقد عرفت منطقة الولجة في مصب أبي رقراق تراكما مهما لإرسابات غرينية، وصل سمكها حوالي 3 أمتار، حدثت خلال الفترة ما بين

القرنين الثامن والخامس عشر الميلادي (Gigout, 1961)، مما يعني حدوث تغيرات بيئية وتدهوراً مجالياً على السفوح، وبالتالي تناقص التنوع الإحيائي بالمنطقة.

ج ـ المرحلة الثالثة في القرن العشرين :

عرفت غابة المعمورة خلال القرن العشرين أكبر عمليات تناقص للتنوع الإحيائي، حيث ازدادت وتيرته بشكل كبير فعلى صعيد المساحة والأنواع الغابوية، يبدو واضحا من خلال الرسم البياني المرافق التناقص الكبير للمساحة، حيث يتوقع اندثار البلوط عند حوالي سنة 2025 ، إذا استمر التدهر بنفس الوتيرة. كما عرفت المعمورة تقلصا مهما للكثافة الشجرية، ففي الكثير من المجالات يتم الحفاظ على الحدود الخارجية للغابة مع استغلال مفرط في داخل الغابة يؤدي إلى قطع الأشجار أو تدهورها أو موتها، مما يقلل من الكثافة الشجرية، وهذا بدوره ينعكس على التنوع الإحيائي للنباتات التحت غابوية. ويبدو أن عمليات التهيئة التي أدت إلى تعويض أشجار البلوط بالأوكاليبتوس لغرض تأمين الأخشاب اللازمة لمعمل عجين الورق في سيدي يحيى الغرب، كان لها أثر سلبيّ على البيئة الإحيائية والترابية المرافقة لغابة البلوط.

إذا كانت المعطيات التاريخية لا تسمح بتدقيق أسباب التدهور خلال المرحلتين الرومانية والعصور الوسطى، فإن الأبحاث الحديثة على غابة المعمورة مكنت من الوقوف على العديد من هذه الأسباب التي اعتبرت مسؤولة عن تدهور البيئة الإحيائية لغابة البلوط : كالرعي الجائر ـ القطع غير القانوني للأشجار لإنتاج الفحم والخشب اللازم للاستهلاك المنزلي واستهلاك مرافق الحمامات والأفران في المدن ـ توسع المدن والمراكز المجاورة للغابة مثل القنيطرة وسلا ـ إقامة المنشآت مثل الطريق السيار ـ عدم قدرة غابة البلوط على إعادة التجدد لأسباب متعددة.

*تحريات ميدانية.*

رشيدة نافع

**معن** (أسرة –) حسب المصادر أسرة كبيرة، أو قبيلة صغيرة تنحدر من جد أعلى هو سيدي محمد بن محمد بن عبد الله بن معن الأندلسي : ويطلق على أفراد هذه الجماعة السلالية اسم العبدلاويين أو أولاد بن عبد الله. وكانوا في الماضي القريب، يشكلون قبيلة شهيرة تقيم في حومة المخفية في عدوة الأندلس بفاس. وترجع هذه الأسرة في نسبها إلى ذرية يعقوب المنصور الموحدي. وقد ترجم كثير من النسابة لرجالات هذه العشيرة. فحسب صاحب *روضة الأنفاس العالية* فإن سيدي محمد بن محمد بن عبد الله قد ولد سنة ثمان وسبعين وتسعمائة، ثم قرأ القرآن وتضلع في العلوم. وفي مرحلة لاحقة تفرغ للتربية وأسس زاويته بأعلى المخفية على ضفة وادي الزيتون سنة ثمان وثلاثين وألف. وكان له أتباع وأصحاب وكان مواظبا على الأوراد والذكر وحلقة التلاوة. وعندما توفي سنة 1062 دفن خارج باب الفتوح، وبنيت عليه قبة وقبره مازال مقصوداً للزيارة إلى الآن. وقام بعد وفاته مقامه، ابنه سيدي أحمد. فكان من أعيان الطريقة، وجدد بناء زاوية والده المشار إليها آنفا فصارت، بسبب تجديده لها، تنسب إليه. وقد سخر الله له، على حسب تعبير صاحب *روضة الأنفاس العالية* أسباب المال، والزرع، والغرس، والنخل، بملك الأصول العدلية وغيرها. ومع ذلك كان شديد الاتباع للسنة في نفسه وأهله. وقطع عن أتباعه في ذلك جميع العوائد والتكلفات، والزوائد، في أفراحهم، ولباسهم في سائر أيامهم كما كان عليه الحال أيام والده. وعندما توفي سنة عشرين ومائة وألف هجرية (1120)، ترك جالية مهمة من عقبه بحومة المخفية.

عبد الكبير الكتاني، *روضة الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية*، ميكروفيلم الخزانة العامة بالرباط، رقم 63.

العربي اكنينح

**معن** (ابن –) **عبد الله** بن **العربي** الشيخ الصالح، السني الناسك، ذو المناقب والكرامات. أخذ من الشريعة بحظ وافر، وتبحر في الحقيقة حتى كان يتفجر بالمعارف. وكانت له ملكة في سرعة الجواب والاستشهاد في محله بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

توفي عام 1188.

سليمان الحوات، *الروضة المقصودة* ؛ مَحمد الزبادي، *سلوك الطريق الوارية* ؛ م. جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

**معن** (ابن –) **محمد** بن **عبد الله** الأندلسي كان رجلا زكيا خيرا من أماثل الأعيان كثير السخاء. كان له حانوت بسوق القيسارية يتجر فيها، وكان إذا دُفع راتب السلطان للجيش، أغلق باب حانوته وترك البيع والشراء مدة ما بقي الجيش بالسوق فراراً من معاملتهم وتطهيرا لماله إن اختلط بشيء مما يدفع من مالهم.

توفي عام 1010.

ع. السلام القادري، *المقصد الأحمد* ؛ م. جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

المصطفى البوعناني

**الـمعني، مصطفى** ولد بمدينة برشيد بإقليم سطات سنة 1926. كان يقطن بمدينة الدار البيضاء عندما اندلعت أحداث المقاومة المغربية. فانخرط في صفوف منظمة المقاومة السرية سنة 1953 حاملاً اسماً مستعاراً "بلعيد". وعمل تحت رئاسة محمد منصور ثم تحت رئاسة ابن حمو الشيباني. وبعد إنجاز عدة أعمال فدائية، تم اعتقاله من طرف البوليس الفرنسي حيث تعرض لشتى أنواع التعذيب، الشيء الذي دفعه لتناول السم للتخلص من التعذيب وحتى لا يعترف بما يضمره من معلومات وذلك سنة 1955.

*ملخصات عن حياة وكفاح شهداء الاستقلال*، الجزء الأول، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.

صالح شكاگ

**معنين** أو **معنينو**، أسرة سلوية انحصر أعضاؤها في مدينة سلا، لذلك كانت تلقب بالسلاوية، يرجع أصلها إلى القبائل الصنهاجية البربرية، حسب ما أورده ابن خلدون في مقدمته، وأضاف أن أحد أحفاد المعز سلطان إفريقيا من دولة العبيديين، اسمه معنين فر إلى المغرب سنة 350 هـ، ومعناها البربري الصغير، بينما يرجع أصلها إلى عرب الشاوية فرقة المعانين كل من جان كوستي وعشاش، أما الوثائق الإنجليزية التي جمعها دوكاستري فتؤكد أن معنينو إبراهيم كان واحدا من كبار أعيان قصبة الأوداية الموقعين على الرسالة التي وجهت إلى الملك شارل الأول في يوليوز 1628. وبالتالي ينتسبون إلى الأسر الأندلسية المهاجرة بموجب قرار الطرد من إسبانيا، وتجمع الوثائق على أنهم اشتغلوا بالجهاد البحري منذ وقت مبكر، وتوجهوا سفراء إلى أوربا في عهد الدلائيين ومولاي إسماعيل بصفتهم من كبار رؤساء الجهاد بمرسى العدوتين. كما تولوا الحجابة السلطانية وأمانة المراسي وتقلبوا في عدة مناصب منها : القضاء والعمالة والنظارة والحسبة بسلا عدة مرات، وكانوا من أمهر الصناع الحرفيين في النجارة والخرازة وتجارة المنسوجات. وتعتبر الظهائر السلطانية ورسوم التركات والصداق التي جمعها وصنفها الحاج أحمد معنينو مرجعا أساسيا في الدراسة التي أنجزها حول عائلة آل معنينو السلاوية، وأقدم تركة في حوزته تعود إلى عام 1067 هـ، طولها حوالي مترين.

ابن خلدون، ج 6، ص. 179 ؛ محمد حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ كوستي وعشاش، *بيوتات مدينة سلا*، تح. نجاة المريني ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 2 ؛ دوكاستري، *المصادر الأصيلة*، المجموع الإنجليزية I، ج 3، ص. 77 ؛ جعفر الناصري، *سلا ورباط الفتح وأسطولهما الجهادي*، مرقونة، بخ. ع. ص. سلا ؛ كواندرو، *قراصنة سلا* ؛ مصطفى بوشعراء، *الإتحاف الوجيز*، ص. 235 ـ 237 ؛ أحمد معنينو، *عائلة آل معنينو السلاوية*، ووثائق عائلية (تركة، صداق، ظهائر سلطانية...). وإشارات واردة في دراسة حسن أميلي من الرباط ومحمد مرزاق من وجدة ؛ عبد الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي* ؛ كناشة محمد بنعلي الدكالي السلوي، رقم 4257 خ. ع بالرباط ؛ العباس المراكشي، *الإعلام*، ج 9 ؛ شواهد من حفل تكريم المجاهد أحمد معنينو من تنظيم جمعية أبي رقراق يوم 12 ماي 1990.

**معنينو، إبراهيم** بن **عبد الله**، تولى عمالة سلا أيام مولاي سليمان ولما حل السلطان المذكور بسلا دخل دار محمد بن عبد الله معنينو.

**معنينو، إبراهيم** بن **محمد**، كان سنة 1734 عاملا على الرباط، وأخوه بوعزة خليفة له في سلا أيام مولاي أحمد الذهبي المضطربة.

**معنينو، إبراهيم** بن **محمد** بن محمد السلوي، أحد سفراء الأمير عبد الله الدلائي إلى هولاندا سنة 1026 / 1659، وذلك لحل المشاكل المتعلقة بالأسرى والعلاقات البحرية بين البلدين، وجلب طبيب مختص في أمراض العيون لمعالجة محمد الحاج الدلائي، وتحدث مؤلف ـ *مملكة فاس* ـ فاندير لاندش الهولاندي عن محاولة السفارة التعريف بالإسلام وأحكامه وأركانه، والاتصال بأساتذة المدرسة الاستشراقية العليا للغات في لاهاي، ويظهر من تركته أنه كان يملك أربعة عشر مركبا بحريا وعددا من الأسرى وخزائن السلع. وأنه أوصى ببيع بندقيته وسيفه لتجهيز كفنه بثمنهما.

كان إبراهيم معنينو من الرياس العاملين في عهد مولاي إسماعيل.

محمد حجي، *الزاوية الدلائية*، ص. 197 ـ 203 ؛ حسن أميلي، *الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن 17 م.*

**معنينو، أحمد** بن **محمد** بن **محمد** المجاهد بن محمد بن المكي بن عبد الهادي بن إدريس (الجد السادس). ولد بسلا سنة 1906. درس بمسقط رأسه وبالرباط وفاس، أجازه عدد من العلماء منهم أحمد الجريري وأحمد بن عبد النبي وعلال الثغراوي وأبو بكر زنيبر، كما أخذ عن أبي شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي والحاج علي الدرقاوي وغيرهم. شارك منذ شبابه في الأندية الأدبية وتشخيص الروايات وحضر ذكرى الشاعر شوقي بفاس، رحل سنة 1930 إلى المشرق العربي واحتك هناك ببوادر النهضة العربية الحديثة. ودرس على كبار علماء بيروت ودمشق منهم عمر المحمصاني ويوسف النبهاني والمكي الكتاني وبدر الدين الحسيني، وبالحجاز تعرف على شيخ المجاهدين بطرابلس الغرب الإمام السنوسي، وعلى دعاة الفكر الوهابي، وعند عودته إلى سلا وجد القضية البربرية بنت الساعة، فقام صحبة جماعة من شباب المدينة يتزعمهم عبد اللطيف الصبيحي، بالدعاية للقيام بذكر اسم الله اللطيف بالمسجد الأعظم يوم 10 يونيو 1930، فكانت صيحة مدوية في كل أنحاء المغرب، ثم قام بتأسيس عدة مدارس حرة. وفي سنة 1933 قام الحاج أحمد معنينو ومحمد حصار وآخرون بتهييئ أول احتفال بذكرى عيد العرش، وفي سنة 1934 قاما أيضا بإقفال نحو عشرين خمارة بمدينة سلا، وذلك يوم 10 محرم 1354، وفي سنة 1936 ترأس مظاهرة صاخبة بسلا تطالب بحرية الصحافة، وسجن على إثرها ستة أشهر، كما سجن في قضية الخمارات شهرين كاملين. وفي سنة 1937 شارك في تأسيس الحركة القومية، ولما امتدت يد المستعمر لنفي الوطنيين، غادر الحاج أحمد المغرب بأعجوبة باسم الحج، وبمصر قام بالدعوة للقضية المغربية، فصدر في حقه غيابيا قرار النفي، وبالحجاز أقنعه محمد اليمني الناصري بالعودة

معه إلى المنطقة الخليفية. وفي تطوان عين كاتبا في معهد مولاي المهدي مع الشيخ المكي الناصري ونائبا عنه في تحرير جريدة "الوحدة المغربية"، وساهم في إعداد وتأطير بعثة بيت المغرب إلى مصر سنة 1938، قوامها 45 طالبا. وكان خطيبا مصقعا بمدن وقبائل الشمال. وبعد احتلال الجيش الألماني لباريس، انطلقت مظاهرة الفرح بتطوان، خطب فيها الحاج أحمد لمدة تجاوزت ثمان ساعات، وبعد سنة 1941 انتقل إلى طنجة وأسس بها فرعا لمعهد مولاي المهدي. وتزوج هناك بابنة أخت العلامة عبد الله كنون وهي الشريفة للا السعدية القادري، وفي سنة 1946 رفع عنه المنع فعاد إلى سلا بعد نفي دام أزيد من تسع سنوات، حيث تولى إدارة مدرسة الفتاة السلوية صحبة صديقه محمد حجي، ثم سميت مدرسة الأميرة للاعائشة، ظل يديرها ما يزيد عن أربعين سنة، ثم حبسها على نظارة سلا شريطة أن تبقى دارا للعلم. وكان من مؤسسي حزب الشورى والاستقلال، مكلفا بتأسيس الخلايا والفروع وعقد التجمعات وتحرير المقالات بجريدة *"الرأي العام"*. وبعد نفي السلطان محمد بن يوسف قام بتنظيم المظاهرات وتوزيع المناشير وإنشاء خلايا المقاومة بقبائل زمور والخميسات وحكم عليه بالمحكمة العسكرية بالرباط بسنة ونصف سجنا وغرامة مالية... وساهم في مفاوضات إيكس ليبان بفرنسا، كما قام بتأطير خمسة آلاف من الشباب الشوري بزي موحد للحفاظ على النظام والأمن من مطار سلا إلى الرباط يوم عودة محمد الخامس من المنفى في 16 نونبر 1955.

وفي عهد الاستقلال تابع نضاله الوطني من أجل نشر مبادئ الشورى الديمقراطية، ومحاربة دعاة الحزب الوحيد. وتكفل بالدفاع عن الضحايا ورعاية أرامل شهداء الحرية، وعين عضوا في المجلس الوطني الاستشاري بحيث شكل فريقه أول معارضة سياسية ضد حكومات حزب الاستقلال إلى أن صدر قانون الحريات العامة الذي سمح بالتعددية الحزبية، وقبلها انسحب من مجلس الدستور لأنه لا يمثل إرادة الأمة. اشتغل الحاج أحمد بتأسيس عدد من الجمعيات الخيرية والمنظمات التعليمية والنقابية والكشفية وأصدر عدة جرائد منها *"عمل الشعب"*، وساهم في تحرير مئات المقالات والتراجم في الصحف والمجلات المغربية والعربية، وسياسيا انتخب عضوا بالمكتب السياسي لحزب الدستور الديمقراطي، ومثله في مؤتمر الشباب الإفريقي بالقاهرة الذي انعقد تحت رئاسة جمال عبد الناصر سنة 1961، وفي نفس السنة حضر تأسيس مؤتمر عدم الانحياز، وتشرف بلقاء المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، ومحمد سعيد رئيس الشباب المسلمين، وحسن البنا... وفي ميدان إصلاح التعليم حضر لقاءات إفران الشهيرة، وكان في غيرها من المدافعين على تعريب وتدريس التاريخ والجغرافيا والفلسفة بالمدارس. أنهك المجهود الجسدي والنفسي جسمه النحيف وأصيب بداء السل فنصحه الأطباء بالراحة والاستشفاء بمستشفى ابن صميم الجبلي القريب من إيفران لمدة قاربت السنتين. حضر أحداث الصخيرات الدامية ونجى من الموت بأعجوبة وعقب وفاة صديق عمره الزعيم محمد بلحسن الوزاني، تولى قيادة الحزب ورفض الزج به في مغامرة تنال من سمعته، حيث حافظ على قدسية المبادئ ونظافة السلوك، وفي السنين الأخيرة من عمره انعزل داخل بيته وتخلى عن العمل السياسي المباشر وفضل الصمت كتعبير على ما أصاب الساحة السياسية الوطنية من اختلالات وميوعة، وانكب على تحرير وتنظيم وطبع مذكراته وذكرياته، معرفا بأعمال وتضحيات رفاق دربه المجهولين، وبما تعرض له مناضلو الشورى والديمقراطية من قتل وتعذيب بعد الاستقلال، من أجل الحرية والكرامة والتغيير السلمي، وسلمه ولي العهد الأمير سيدي محمد جائزة الاستحقاق الكبرى سنة 1993 بالقنيطرة، وختم بحوثه التي دامت زهاء عشرين سنة في غرفته محاطا بأولاده وكتبه وهو في كامل وعيه بباقة شعرية كلها أمل وحب وذكرى سماها "*شعراء سلا في القرن 14*".

مؤلفاته : *مواقف الشرف*، الحسن الوزاني ؛ *أخوات الصفا الحركة النسوية الشورية* ؛ *الزعيم الوزاني الداعية الديمقراطي المجاهد*، والمجلس الاستشاري ؛ *معارضة حزب الشورى والاستقلال* ؛ *تسع سنوات من المنفى*، *عائلة آل معنينو السلاوية* ؛ *مذكرات وذكريات*، في عشرة أجزاء، *دار بريشة أو قصة مختطف* ؛ *مظاهر التعذيب الحزبي*، شعراء سلا في ق 14 / 19؛ *مجلة البحث العلمي* ؛ *المناهل* ؛ دعوة *الحق*، وأعمال أخرى مازالت مخطوطة.

توفي يوم الأحد 11 ماي 2003 وصلي عليه عصرا بالمسجد الأعظم، ووُوري جثمانه بجوار شهداء مظاهرات 1944، بمقبرة سيدي أحمد بن عاشر بسلا.

**معنينو، بناصر بن سعيد** بن بوعزة، تولى قضاء

الصويرة. ثم أصبح قاضيا على سلا في عهد سيدي محمد بن عبد الله، وذكر أبو القاسم الزياني في *الترجمانة الكبرى* أن السلطان المذكور كان يعقد مجلسه كل يوم جمعة في جامع الكتبية يحضره جلة من العلماء الذين قربهم إليه، منهم بناصر معنينو.

*الترجمانة الكبرى*، تح. عبد الكريم الفيلالي.

**معنينو، الطاهر**، عهد إليه مولاي إسماعيل بالإشراف على تعليم وتهذيب إماء القصر السلطاني، *ظهير إسماعيلي* بتاريخ 4 ربيع الأول عام 1273.

أحمد معنينو، *عائلة آل معنينو السلاوية*، ص. 106، وكذلك منشور في *المنزع اللطيف*.

**معنينو، (الحاج -) عبد القادر**، من رياس الجهاد البحري، ثم صار عاملا على سلا وأحوازها والغرب في عهد مولاي إسماعيل. وخلفه على رأس عمالتها ابنه محمد ناظر أوقاف المسجد الأعظم، وقد ذكر بعض فضائله الأسير مويط.

حسن أميلي، *الندوة العلمية حول الرباط وسلا*، سنة 1994، ج. 1، ص. 229 ـ 248 ؛ *رحلة الأسير مويط*، تر. م. حجي و م. الأخضر، وزارة الثقافة، 1990.

**معنينو، العربي** كان أمينا بمرسى العدوتين. وكلف بجلب الحبوب من الخارج لإغاثة السكان من المجاعة سنة 1825 "فالله يرضي عنه ويصلحه ودارهم دارنا حديثا وقديما" *ظهير رحماني* بتاريخ 13 ذي القعدة عام 1239. أما ابنه محمد فكان أمينا بمرسى الدار البيضاء ثم بأسفي. وهو دفين بضريح أبي محمد صالح بنفس المدينة.

**معنينو، العربي** الملقب بنزطيطو، كان خليفة عامل سلا عبد الله بن سعيد ما بين 1318 ـ 1322، وابنه محمد عين كاتبا بالصدارة الشريفة إلى جانب عبد المالك البلغيثي، واشتهر بيته بجلسات الأدب والثقافة والعلم.

توفي بعرفات عام 1371 / 1951.

أحمد معنينو، *عائلة آل معنينو*، ص. 63 ـ 65.

**معنينو، العربي بن الطالب**، الأديب الشاعر، ساهم بفعالية في تنشيط النادي الأدبي السلاوي في الثلاثينيات من القرن 20 ، ولعب أدوارا مسرحية، واشتغل بمحكمة سلا، وترك عدة قصائد شعرية مازالت مخطوطة.

محمد الفاسي، *مجلة المناهل*، عدد 13 سنة 12، ص. 24، دجنبر 1985.

**معنينو، (الحاج -) علي** أحد أبناء إبراهيم، ربما كان رايسا أيام مولاي زيدان السعدي. تولى عمالة سلا في بداية الدولة العلوية ثم عينه مولاي إسماعيل والحاج محمد تميم سفيرين لجلالته لدى الملك لويس الرابع عشر. لدراسة المشاكل المتعلقة بالمواجهات البحرية، توجت بالتوقيع على اتفاق مع الوزير كولبير يوم 29 يناير 1682، ينص على حرية الملاحة والتجارة بين الدولتين، مع إطلاق عدد من الأسرى المسلمين، من بينهم الأسير الرايس عبد الحق معنينو، الذي كان يراسل سرا أبناء عمه بسلا، يشرح حالة الأسرى البئيسة ونوايا فرنسا الحقيقية.

م. ابن عزوز حكيم، *جامعة مولاي علي الشريف، الدورة 2*، دجنبر، 1990، ص. 55 ـ 72 ؛ *تحريات خاصة*.

**معنينو، محمد** كان ضمن سفارة عبد الله بن عائشة الأندلسي، التي وجهها مولاي إسماعيل إلى ملك فرنسا لويس الرابع عشر. بعد أن تدهورت العلاقات المغربية الفرنسية وتفاصيل هذه السفارة تناولها الباحثون بما فيه الكفاية.

**معنينو، محمد بن إبراهيم**. تولى نظارة أوقاف سلا الكبرى في عهد مولاي عبد الرحمان.

**معنينو، مَحمد بن إبراهيم**. كان مقربا من السلطان مولاي إسماعيل حتى قيل إنه كان حاجبا له، وقد أسندت إليه أمانة مستفاد مرسى العدوتين ومرسى أسفي سنة 1716، وعمالة سلا بالنيابة لما كان الحاج علي بالسفارة "وجعلنا كلامه معنا من غير واسطة من أهل البساط والخدام كائنامن كان على الاستمرار والدوام..." *ظهير صادر* في 20 جمادى الأولى عام 1228.

**معنينو، محمد بن الطالب**، تولى قضاء سلا وأحوازها في عهد مولاي الحسن.

توفي في 16 ذي القعدة 1309.

**معنينو، مصطفى بن محمد** بن محمد المجاهد، لقب جده بالمجاهد لأنه استشهد يوم قصف الأسطول الفرنسي لمدينة سلا سنة 1851. مكث بالاسكندرية أوائل القرن 20 أثناء عودة أسرته من الديار المقدسة، وتزوج بمصرية وأنجب منها، أكبر أبنائه محمد، عمل في الجيش المصري برتبة لواء أركان حرب في الدفاع الجوي أيام حرب أكتوبر 1973.

توفي سنة 1977. وكنية أولاده وأحفاده اليوم السلاوي.

أحمد معنينو، *عائلة آل معنينو*، ص. 66.

عز المغرب معنينو

**معهد الدراسات الإفريقية**، مؤسسة جامعية تابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط. أحدث سنة 1987 بمقتضى

المرسوم رقم 734 ـ 86 ـ 2 الصادر في 20 محرم 1408 موافق 15 شتنبر 1978 (ج. ر. عدد 3907 بتاريخ 21 محرم 1408 موافق 16 شتنبر 1987) بتعليمات سامية من الملك الحسن الثاني وشرع في تنظيم أنشطته ابتداء من شهر أبريل 1990.

وتعنى هذه المؤسسة بالبحث في مختلف مظاهر الحضارات الإفريقية والتراث المشترك المغربي الإفريقي واللغات واللهجات الإفريقية. ويناط بها لهذه الغاية في الميادين التي تندرج في نطاق مهامها :

ـ القيام بالبحث العلمي والنهوض به،

ـ تنظيم حلقات دراسية وندوات ومحاضرات ومعارض تساهم فيها شخصيات إفريقية وأفريقانية،

ـ إقامة علاقات تعاون مع الهيئات الأجنبية والدولية التي تسعى فيها لتحقيق الأغراض التي تعنى بها،

ـ المساهمة في المهرجانات الثقافية والعلمية المنظمة داخل المغرب وخارجه،

ـ تتبع النشاط العلمي وجمع الوثائق والمراجع والكتب والنشرات والأبحاث غير المنشورة والدوريات والمجالات المتخصصة،

ـ والقيام بنشر وتوزيع دوريات المعهد وجميع الوثائق والدراسات التي لها صلة بمهامه.

ويكون معهد الدراسات الإفريقية بمقتضى هذه التوجهات مركزا للبحث وتنسيق البحث في العلوم الإنسانية التي لها صلة بإفريقيا، يقوم بالبحث فيه أساتذة مختصون ينتمون للمعهد وآخرون مشاركون من خارج المعهد يعملون في إطار فرق، أو مختبرات أو مراكز للبحث متعدد التخصصات.

وفي انتظار تطويره لسلك الدكتوراة ولبرنامج التكوين المستمر في ميادين اهتمامه، يساهم معهد الدراسات الإفريقية في التكوين عن طريق البحث بتعاون وتنسيق مع مؤسسات التكوين المختلفة وبإدماجه لطلبة السلك الثالث في كافة أنشطته.

وبفضل خزانته المتخصصة وما يعمل على توفيره من مستندات ومعطيات وبنك للمعلومات لفائدة الباحثين والطلبة، فإن المعهد يشكل مركزا للتوثيق. كما يعمل كمركز للتنشيط الثقافي والتربوي من خلال تنظيمه وتأطيره لندوات ومحاضرات ومعارض تستهدف إشاعة المعارف المتعلقة بإفريقيا.

وبواسطة إصداراته المتنوعة التي تشمل خمس سلاسل ودورية سنوية متعددة اللغات ونشرة نصف سنوية باللغات الأجنبية (وكذلك على الأنترنيت) يُعد معهد الدراسات الإفريقية مركزا للنشر في مجال اختصاصه يقصده الباحثون الإفريقانيون من داخل المغرب وخارجه. وقد أصدر المعهد لحد الآن أكثر من أربعين عنوانا موزعة على خمس سلاسل ودوريتين استوعبت مختلف التخصصات في العلوم الإنسانية بكل من اللغة العربية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية. وتنتظم هذه السلاسل كما يلي :

1 ـ سلسلة محاضرات (العدد : 26)

2 ـ سلسلة بحوث ودراسات (العدد : 16)

3 ـ سلسلة نصوص ووثائق (العدد : 12)

4 ـ سلسلة ندوات ومناظرات (العدد : 9)

5 ـ سلسلة معاجم وموسوعات (العدد : 3)

هذا بالإضافة إلى مجلة *"المغرب الإفريقي"* (الأعداد 1 ـ 6) و*"نشرة المغرب الإفريقي"* (منذ 1990).

ويرتكز البحث في معهد الدراسات الإفريقية حاليا حول أربعة محاور كبرى :

ـ مصادر تاريخ إفريقيا

ـ اللغات والآداب والثقافات الإفريقية

ـ قضايا التنمية والبيئة في إفريقيا

ـ منطقة الصحراء كمجال للتواصل والتفاعل بين مختلف الجهات الإفريقية، وتدخل ضمن هذه المحاور مجموعة إشكاليات بحث فرعية تهم المصادر المخطوطة العربية والأعجمية، لتاريخ إفريقيا، والرسوم والنحوت الصخرية، وقضايا الماء، والهجرة، والدينامية الدينية، والأدب الشفوي والنسائي، وذرء النزاعات في إفريقيا...

وحتى يتمكن المعهد من النهوض بكافة مهامه، سواء في مجال البحث أو التوثيق أو النشر، فإنه يعمل على ربط وتوطيد علاقات التعاون والتبادل العلمي مع كل المراكز والمعاهد الإفريقانية التي تعمل في نفس الحقل وتشاركه نفس الأهداف. وهكذا فإن المعهد يعد اليوم من بين شركائه مؤسسات جامعية وجمعيات ومنظمات وطنية وإفريقية ودولية، حكومية وغير حكومية، تشاطره نفس التطلعات.

هذا ويسير معهد الدراسات الإفريقية من طرف مدير معين لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة. وقد كلف بهذه المهمة لحد الآن الأساتذة أحمد التوفيق (1990 ـ 1994)، وحليمة فرحات (1994 ـ 2003) وفاطمة الحراق (منذ 2003).

العنوان الإلكتروني للمعهد :

http : / / www: iea. um 5s. ac.ma

**المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية**، مؤسسة أكاديمية أحدثت بأمر جلالة الملك محمد السادس، نصره الله، وفي ظل رعايته السامية، وذلك بمقتضى الظهير الشريف رقم 299 ـ 01 ـ 1 بتاريخ 29 رجب 1422 (17 أكتوبر 2001). وهو الظهير الذي يحدد مهام المعهد واختصاصاته ومجالات نشاطه. ويتمتع المعهد بكامل الأهلية القانونية والاستقلال المالي. وتتجلى مهمته في إبداء الرأي لصاحب الجلالة حول التدابير التي من شأنها الحفاظ على الثقافة الأمازيغية والنهوض بها في جميع تعابيرها. ويشارك المعهد، مع السلطات الحكومية والمؤسسات المعنية في تنفيذ السياسات التي يعتمدها جلالة الملك، من أجل إدراج الأمازيغية في المنظومة التربوية، وضمان إشعاعها في الفضاء الاجتماعي والثقافي والإعلامي الوطني والجهوي.

يتوفر المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية على بنية إدارية وأخرى علمية أكاديمية. فالهياكل الإدارية تتشكل من مجلس إدارة، معيّن من قبل صاحب الجلالة نصره الله، ويتولى الإشراف على أنشطة المعهد وتحديد النظام الأساسي للموظفين والملحقين والمتعاقدين. وتتفرع عنه مجموعات عمل ولجان دائمة أو مؤقتة.

وقد عين صاحب الجلالة أول عميد للمعهد في شخص الأستاذ محمد شفيق، بتاريخ 14 يناير 2002. كما عين جلالته الأستاذ أحمد بوكوس عميدا بعد سلفه، بتاريخ 25 نونبر 2003. وبمقتضى الظهير الشريف المحدث للمعهد، فإن للعميد جميع السلط اللازمة لتنفيذ القرارات التي يتخذها مجلس إدارة المعهد الذي يتولى رئاسته ورئاسة اللجان المتفرّعة عنه. وعلى مستوى المعهد، يتم تسيير الشؤون العلمية والأكاديمية من طرف اللجنة العلمية للمعهد، حيث تتولى فحص القضايا ذات الطابع العلمي المرتبطة بأنشطة المعهد. وتتكون من العميد رئيسا والأمين العام ومديري المراكز. أما الشؤون الإدارية والمالية فهي من اختصاص اللجنة الإدارية التي تقوم باقتراح كل التدابير التي تضمن حسن سير المعهد، كما تضع مشروع الميزانية، وتبدي الرأي في كل المسائل الإدارية. وتتكون من العميد رئيسا والأمين العام للمعهد ومن مديري المراكز ورؤساء الأقسام الإدارية والمالية. ويساعد العميد في مهامه الأمين العام، المعين بمقتضى ظهير الشريف، والذي يتولى تدبير الشؤون الإدارية.

وتتمثل الهياكل الإدارية والمالية في قسمين هما قسم الموارد البشرية والشؤون العامة والقانونية وقسم الميزانية والمعدات، والمصالح التابعة لهما.

أما البنية الأكاديمية للمعهد فتتمثل في مراكز دراسة وبحث يرأس كلا منها مدير يعينه العميد. وينقسم كل مركز إلى وحدات دراسة وبحث يسيرها منسق. كما يضم كل مركز مجموعة من الباحثين. وتقوم هذه المراكز بالبحث المعمق والبحث الميداني والتطبيقي في مجالات تخصصها : اللسانيات والتربية والعلوم الإنسانية والاجتماعية والآداب والفنون والترجمة والتواصل والمعلوميات.

ولتسيير المعهد وتمكينه من القيام بالمهام المنوطة به، تم وضع نصوصه التنظيمية. ويتعلق الأمر بالنظام الأساسي للموظفين والنظام الداخلي للمعهد اللذين صادق عليهما مجلس الإدارة ورفع مقترحيهما إلى النظر السامي لجلالة الملك نصره الله للموافقة عليهما ليصبحا ساريي المفعول.

وعلى المستوى التدبيري للشؤون العلمية والإدارية، تقوم اللجنة العلمية للمعهد بإعداد برنامج العمل السنوي استنادا إلى اقتراحات مراكز البحث، كل في دائرة اختصاصه، مع مراعاة تبويب الأنشطة والعمليات المقترحة وفقا لحجم وبنود الميزانية المرصودة لكل مركز. كما تتولى اللجنة الإدارية إعداد مشروع الميزانية للسنة الجارية. ويعرض كل من البرنامج العلمي ومشروع الميزانية على مجلس الإدارة للمصادقة عليهما، قبل أن يرفع العميد كل مقترحات المجلس إلى النظر السامي لجلالة الملك للمصادقة عليها. كما يتم إعداد التقرير السنوي عن أنشطة المعهد، ويقدم لمجلس الإدارة للمصادقة عليه ليرفعه العميد إلى أنظار صاحب الجلالة للمصادقة عليه.

الحسين المجاهد

**معهد مولاي رشيد للموسيقى** في سنة 1929 أقدمت إدارة الشؤون الأهلية بالرباط على افتتاح أول مركز لتدريس الموسيقى الأندلسية في فترة الحماية. وكان هذا المركز - في البدء - عبارة عن مختبر متواضع للموسيقى المغربية، أقيم بجناح تابع لمقر "مصلحة الفنون الأهلية". وفي عام 1930 حول إلى منزل واقع في درب مولاي رشيد بحي لَعْلُو حيث أصبح يُعرف بـ "دار الطرب".

تمثلت الانطلاقة الأولى لنشاط المعهد في التفاف ستة معلمين من أصحاب "الآلة" وانكبابهم على تلقي بعض مستعملاتها لفريق من الطلبة قوامه إثنا عشر فردا، وذلك وفق برنامج مكثف تدعمه حصص من التمرن المنتظمة.

وقد أصدرت جريدة السعادة في السنوات الأولى من تأسيس "دار الطرب" استطلاعا أشارت فيه إلى أن الغرض من تدريس الموسيقى هو "المحافظة على مختلف أنماط الموسيقى المغربية، ونشرها وإحياء ما اندثر من أطباعها، وتجديد البالي منها". كما حددت الجريدة المنهاج التربوي للمعهد في أن "يحفظ التلاميذ جميع الغناء بطريقة مباشرة. أما تعلم الأنغام والأطباع بطريقة النوطة فهو اختياري في بادئ الأمر، ولا يلتجئ إلى قراءة أسطر الموسيقى إلا لإعانة الذاكرة وإيضاح الأدوار الصعبة. ولهذا السبب أحدثت ثلاثة أقسام للتعليم : الأول تحضيري يلقن فيه التلاميذ معنى النقرة وأنواع الأنغام والأطباع الأساسية. والثاني - وهو المتوسط - يتعلم فيه التلاميذ كيف يوقعون على الآلات ويتمرنون على استعمالها. والقسم الثالث - وهو العالي - يخصص لحفظ الأدوار الموسيقية نفسها على حسب الأسس السابق تعلمها".

عينت المصلحة السيد ألكسيس شوتان Alescio Chottin مديراً لدار الطرب. وشكلت النواة الأولى للأسرة التعليمية من مجموعة من الفنانين كان جلهم من رواد مقهى الأوداية. وبالرجوع إلى الوثائق المودعة في إدارة المعهد يمكن الوقوف على أسماء المعلمين الذين اضطلعوا بالتدريس فيها، وجلهم من معلمي الموسيقى الأندلسية، وقليل منهم كانوا يلقنون الطرب الغرناطي أو الملحون. ومن هؤلاء الحاج عبد السلام بنيوسف (الإيقاع والصنعة والطر)، ومَحمد اگديرة (الكمان)، ومحمد امبيرك (الكمان والعود والرباب والطرب الغرناطية). وكل هؤلاء التحقوا بالمعهد في أكتوبر 1929، وفي أكتوبر 1930 التحق بالمعهد السيد عبد السلام بالافريج معلما للموال، وتلاه في يناير 1931 الشريف مولاي إدريس

بن عبد العالي الإدريسي معلما للبيتين، وفي أكتوبر من نفس السنة الحاج المختار الأودي معلما للعود.

وقد تعاقب بعد هؤلاء على التدريس بدار الطرب معلمون كثيرون كان فيهم عبد الرزاق الجبلي في يناير 1932 (العود) وعبد السلام ولد الرايس في أكتوبر 1932 (العود)، ومحمد بلخضير في ماي 1934 (الكمنجة والطر والصنعة)، ومحمد العوفير في دجنبر 1934 (الكمنجة والملحون)، والفقيه محمد السبيع (1942) معلما للصنعة، وعبد السلام ملين معلما للايقاع في 1953.

كما عرف المعهد في هذه الفترة معلمين فرنسيين كان في مقدمتهم السيد شوتان الذي تحتفظ المؤسسة ضمن وثائقها بكراسة خطية تضم الدروس التي كان يلقنها للطلبة حول قواعد الموسيقى الأندلسية، والسيدة Decoeh معلمة مادة علم الأصوات Phonétique.

وفي سنة 1952 عين على رأس المعهد أحد طلبته الأوائل، وهو السيد محمد بن الحاج عمر الوالي خلفا لشوتان الذي كلف بمهمة تفتيش التعليم الموسيقي بالمغرب.

وقد اشتهر المعهد بعد الاستقلال. باسم "معهد مولاي رشيد وتنوسى اسمه القديم. ومنذئذ تعاقب على التدريس به ثلة من رجال الموسيقى كان من بينهم : صالح الشرقي، والحاج عبد الكريم اگديرة، وعباس الخياطي، ومحمد الجعايدي، والغالي الشرايبي، وعبد الكريم ملين، ومحمد آيت أومتجار، ومحمد الطود، وأحمد سهوم، وآخرون.

*جريدة السعادة*، 5 شتنبر، 1936 ؛ عبد الله شقرون، *ألوان من الفنون المغربية*، ط 1، الدار البيضاء، 2003، ص. 12 - 16 ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2، الدار البيضاء، 2000، ص. 329 ؛ *بطاقة خاصة عن المعهد*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

## المعهد الوطني للبحث في الصيد البحري :

مؤسسة عمومية ذات هدف علمي تتمتع بالشخصية المعنوية وبالاستقلالية المالية. تم إحداثه في 29 يوليوز 1996 بظهير 1. 98 96 وتتضمن أهدافه إنجاز مختلف أنشطة البحث العلمي والدراسات والتجارب والخدمات، سواء في البحر أو في البر، قصد تقييم وإعداد وتثمين وصيانة الموارد السمكية البحرية والمرباة في أحواض تربية الأحياء المائية.

تأسس هذا المعهد بالدار البيضاء في بداية الخمسينات من القرن العشرين وسمي المعهد العلمي للصيد البحري، يقوم بأبحاث علمية تتعلق بعلوم الأحياء للمصايد تهدف إلى تقييم وفرة وتوزيع الأنواع السمكية المستغلة ودراسة العوامل التي تؤثر على تغيرات مخزونات الثروات السمكية ليتم استغلالها المستديم بكيفية عقلانية رشيدة. ومن أجل القيام بالمهام المنوطة به، تعزز المعهد الوطني للبحث في الصيد البحري ببنية ملائمة تتكون على المستوى المركزي من 3 شعب علمية وشعبة إدارية ومالية ومركز للتوثيق، متخصص في علوم المحيطات والموارد السمكية، وقسم اقتصاديات الصيد البحري وقسم المعلوميات والأنظمة المعلوماتية وأربع مراكز جهوية - الناظور، أگادير، العيون والداخلة - تنفذ البرامج ودراسات البحث في الصيد البحري على مستوى مؤهلات منطقتها، ومركزان متخصصان في كل من المضيق وأگادير.

تقوم شعبة الموارد السمكية بتشخيص وضعية المخزونات المستغلة واستمرارية تتبع تغيراتها الناتجة عن ضغط الصيد وديناميكية البيئة، وبتحديد مستمر لحجم الكتلة الحية السمكية المستغلة، وبتقييم وقع المعايير والقياسات التقنية على تدبير الموارد السمكية.

تقوم شعبة علوم المحيطات وتربية الأحياء المائية بدراسات الأنشطة الساحلية وبالأحياء المائية والأنظمة البحرية والساحلية ومواصلة تتبع تغيراتها قصد تحديد وقع البيئة البحرية على الكتلة الحية للموارد البحرية وتوزيعها الجغرافي. وتقوم أيضا بتقييم قدرات تربية الأحياء البحرية على الساحل قصد النهوض بتربية الأحياء المائية وتنميتها، وباستمرارية تتبع قدرات الطحالب والصدفيات في المناطق الساحلية.

تقوم شعبة جودة وصحة الوسط البحري عن طريق شبكة مكونة من ثمان محطات جهوية - الناظور، المضيق، طنجة، الدار البيضاء، الوالدية، أگادير، العيون والداخلة - بمراقبة مستمرة لجودة المياه البحرية وبتشخيص صحة الأنظمة البيئية البحرية والساحلية قصد المحافظة عليها وحماية المستهلك. وتقوم أيضا بتقييم الملوثات الكيميائية ودراسة وقعها البيولوجي على الموارد النباتية والحيوانية البحرية وبمراقبة مستمرة لمستويات التلوث الجرثومي وبمراقبة مستمرة للطحالب المجهرية العالقة المؤذية ولإفرازاتها السامة.

يتوفر المعهد على باخرتين علميتين : تقوم باخرة الشريف الإدريسي بتقييم مستمر للمخزونات السمكية القاعية بالهضبة القارية وذلك باستعمال شباك الجر، بينما تقوم باخرة الأمير مولاي عبد الله باكتشاف وتقييم المخزونات السمكية السطحية بواسطة التقنيات الصدائية. تستعمل الباخرتان أيضا لأخذ العينات المائية والإحيائية وعينات التربة بواسطة التجهيزات المخصصة على متن السفينتين قصد الدراسات الأوقيانوغرافية.

أنشئ المركز المتخصص في تربية الأحياء المائية بالمضيق بين 1993 - 1996 وذلك في إطار التعاون المغربي الياباني وبتمويل ودعم تقني من طرف الحكومة اليابانية بقصد تعميم وتنمية تربية الأحياء المائية، تقييم قدرات تربية الأحياء المائية على الساحل الوطني وإنجاز أبحاث علمية قصد المساهمة في تنمية تربية الأحياء المائية في المغرب. مهمته النهوض بتنمية وتطوير تربية الأحياء المائية بمختلف شعابها وعناصرها : توالد مراقب وتنوع الأصناف المرباة وتغذية وهندسة تربية الأحياء المائية ودراسة أمراض الأسماك والرخويات ...

يسهر المعهد حاليا بتعاون مع اليابان وبتمويل من الحكومة اليابانية على إنشاء مركز جهوي بأگادير مهمته تحسين تقنيات الإنتاج باختراع وخلق أصناف جديدة من المنتوجات البحرية المتصدرة إلى الأسواق الوطنية والأجنبية وتثمين المنتوجات المشتقة بواسطة اقتلاع الجزئيات ذات قيمة مضافة مرتفعة وتعزيز رفع مستوى تقنية وحدات المعالجة والتحويل لمنتوجات المصايد البحرية والسهر والسبق إلى الإبداعات والمستجدات التقنية.

تعتمد الوزارة الوصية لهذا المعهد، أي وزارة الصيد البحري، على المعطيات العلمية المنجزة من طرف الباحثين في كل المخططات الخماسية والتدابير لاستغلال الثروات السمكية الوطنية، وفي كل مفاوضات ترخيص الصيد للأجانب أو للحرفيين المغاربة.

السفن المغربية، *معلمة المغرب*، ج 15، ص. 5003 ـ 5009 ؛ الصيد البحري، *معلمة المغرب*، ج 17، ص. 5631 ـ 5633.

محمد رمضاني وعبد اللطيف برحو

ابن **معيشة** كان حيا عام 533 / 1138 عبد الحق بن عبد الله ابن معيشة هو الذي أكمل بناء وتوسيع مسجد جامع القرويين، ولي قضاء فاس عام ثمانية وعشرين وخمسمائة بعد وفاة قاضيها محمد ابن داود، فأراق الخمر وكسر الدنان وتشدد على أهلها، وعزل عن القضاء في عام ثلاثة وثلاثين وخمسمائة 1138 بأمر من الأمير علي بن يوسف وخلفه فيه عبد الملك ابن بيضاء القيسي.

وهناك إشارة عند البيذق تفيد أن القاضي على فاس عند مرور ابن تومرت بها كان اسمه ابن معيشة.

ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، 80 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، 1: 312 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، 248 ـ 252 ؛ البيذق، *أخبار المهدي*، 24.

عبد العزيز تيلاني

**معيوب** (ابن -) **أحمد** الفقيه الموقت الحيسوبي أحمد بن قاسم بن معيوب الأندلسي يعود نسبه إلى الإمام ابن الخطيب الرازي فخر الدين.

أخذ عن يوسف الجولاصي وغيره. وتتلمذ عليه المعدل سعيد بن محمد الورتاجني الشهير بالبردعي.

توفي بمراكش مسموما سنة 1022 / 1613، وفي *المنح البادية* توفي عام 1021 / 1612، وسببه أن السلطان زيدان بن المنصور السعدي سأله أن يخبره وقد كان سائرا في بعض حروبه، لمن تكون الغلبة ؟ فقال له : اعفني من هذا، فأكد عليه، فقال له لا أخبرك حتى تعطيني الأمان، فقال له : والله لا سالت منك قطرة دم، فأخبره أنه مغلوب غلبة شنيعة، فخاف زيدان أن يخبر الناس بذلك فسم له دجاجة فقدمها له فأكلها فمات من حينه. ورأى زيدان أنه لم يحنث في يمينه، لأنه لم يسل له دما. له كتاب : *اليسارة في تقويم السيارة*".

*صفوة من انتشر*، 104 ؛ *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، 2 : 285.

أحمد متفكر

**مَغَا** ، واسمه محمد أحد شيوخ آيت باعمران في بداية القرن الماضي من أهم عائلة المرابطين في مير لفت، بذلك عرفوا، وهم من أبناء الصالح سيدي محند بن يوسف صاحب القبة في موضع إيمي أوگني، ولما قام السلطان مولاي الحسن برحلته إلى سوس سنة 1303 / 1885 استفسر عن الشرفاء الموجودين في آيت باعمران، فتقدم إليه كل من يعلن ذلك أمام الأشهاد، فرفض البعض منهم وقبل البعض الآخر، ومنهم أهل ميرلفت بدعوى أنهم من الوزانيين فحلاهم بظهير التوقير والاحترام، وقبل منهم هديتهم المتواضعة.

ولما وصلت سلطة الحماية بجيوشها إلى ميرلفت، عينت مغا محمد هذا باشا رغم أن مير لفت لم تكن في ذلك الوقت إلا قرية بسيطة، لكنها في الحدود بين السلطتين الإسبانية في الجنوب والفرنسية في الشمال، لذلك جعلت سلطة الحماية من مغا هذا شيخا على مجموعة من إمغارن، منهم : أمغار محمد بن الطيفور، وأمغار بوهوش، وأمغار الحاج الحسين أود را، وأمغار أحمد بن جامع..

وكل واحد من هؤلاء عين على فخذة من القبيلة الكبيرة، التي هي من صميم آيت باعمران، ورغم محاباة سلطة الحماية للشيخ مغا هذا في البداية، فإنه كان يأخذ الحذر من كل أجنبي، كما يتساهل مع السكان، وخاصة الذين يقطعون الحدود بين الحمايتين بدون رخصة.

وكان الشيخ مغا لا يبلغ عنهم مما جعل سلطة الحماية الفرنسية تتربص به الدوائر إلى أن عزلته مرغما سنة 1946، وذلك في ظروف انهزام فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية، وكان آيت باعمران الذين تحت الحكم الإسباني يروجون انهزام فرنسا أمام ألمانيا..

إثر ذلك الانهزام تنقل السكان عبر الحدود، مما أدى إلى عزل كل من تشم منه رائحة شك في قدرة فرنسا، فكان من حظ السكان أن تولى أمور القبيلة الشيخ الجديد، محند بن علي من تاعنديت، فاستطاع بحنكته أن يساير ويسيّر أمور القبيلة بسلام، حتى الاستقلال، أما مغا فقد لزم داره.

توفي سنة 1958.

شجرة أنساب هؤلاء الشرفاء عند بولحنا محمد ؛ *ظهير التوقير والاحترام* للسلطان مولاي الحسن الأول عام 1303 ؛ *العقود العقارية* لميرلفت التي تنص على قسمة تارگا ؛ *العقود المتعلقة بغابة باحمان بتاگراگر* المنسوبة لهؤلاء الشرفاء ؛ عقد شراء موقع الضريح لجدهم من آل بوشني، *كوثيقة تاريخية قديمة* ؛ حكم القبيلة برئاسة الشيخ همّو الخلفي لفتوحات الصالح سيدي علي أو محند عند أحمد أروهال ؛ *استجواب كل من الفقيه* أبراهيم زاعبون، والمقدم أروهال أحمد سنة 1980 ؛ البحث الميداني ؛ الحسين جهادي، *جانب من تاريخ آيت باعمران*، مرقون.

الحسين جهادي

المغاربة ، هل يمكن أن نكتب بحثا متماسكا عن المغاربة عندما يكون أثبت ما نعلم عنهم أنهم كبني آدم قاطبة في كل زمان وفي كل مكان لا سبيل إلى أن يشبه أحدهم الآخر، وأنهم معرضون كالبشر أجمعين لتقلب الأمزجة والأهواء بحسب الظروف، وأنه يجري عليهم ما يجري على الناس منذ النشأة الأولى من الطوارئ والأحداث فمحال فيهم استرسال نفس الأحوال ؟ ولقائل أن يقول : يا أيها المؤرخ نحن لا نسألك عن الطباع والوجدانيات التي لا جدال في أنها مثل الرياح لا تستقر على قرار، ولكننا نسألك عن الشخصية المغربية التي هي لباب كل ذلك عندما يزال النخال، وعن تلك الثوابت التي تجعل المغربي يدرك عن وعي أو غير وعي بأنه يختلف عن باقي الأقوام فيترتب على ذلك قدرة الأجانب على تمييزه هم أيضا عن كل شبيه به. أليس دور المؤرخ استخراج الثوابت من المتغيرات مع العلم أن الثوابت في التاريخ ضرب من السراب، وأن التغيير هو السر الذي لا يتغير ؟ ولما كان التاريخ حكاية لم تنته بعد، فكيف السبيل إلى الحكم على شخصية البطل مهما كان ؟ وأقصى ما بوسع المؤرخ أن يحاول الإلمام بمعالم الشخصية المغربية وأن يستقصي الظروف الطبيعية التي نشأت فيها وما إلى ذلك من الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية التي تولد منها هذا الذي هو معروف في المعمور بأنه مغربي.

أول ما يثير الانتباه أن المغربي وليد أرض شاسعة رحبة تبلغ مساحتها اليوم أزيد من 700.000 كلم مربع. وقد أتى عليها حين من الدهر كانت أوسع من ذلك بكثير يوم امتد حكم ملوكه إلى باقي إفريقيا الشمالية وإلى إسبانيا وفي السودان. ولذلك لم يتردد الأوربيون في وصفها بالإمبراطورية مما لا نذكره من باب الفخر، ولكن من باب ما ينتج من التفاوت بين من نشأ في مجال محصور ضيق وبين من نشأ على العكس وهو يعلم أن الأرض الموكولة به واسعة، وأنه إن ضاق الأمر به في سوس فما عليه إلا أن ينتقل إلى الهبط، أو ضاقت به عيون سيدي ملوك في الشرق فما عليه إلا بعيون الساقية الحمراء في الصحراء الساحلية. ولعل هذه الظاهرة هي التي جعلت المغربي إنسانا متحركا بالسليقة في الآفاق، فلا بد لصاحب المنزل أن يلم بكل جوانبه ولا يمتد المنزل إلا ويمتد معه حب الاطلاع وروح المسؤولية.

ثم إن هذه الأرض متنوعة متفاوتة، فيها الجبل وفيها البسيط، فيها الوعر وفيها السهل، فيها النجد وفيها الوهد. ففيها أعلى ما يكون من قمم القارة الإفريقية، وكثير من جبالها لا يفصلها عن مستوى الصفر الذي هو سطح البحر سوى بضع مئات من الأمتار مثلما هو الحال في سلسلة الريف المشرفة على البحر الأبيض المتوسط إشراف الجدار الضارب في الشموخ. ولا جبل في هذه الأرض يشبه الجبل الآخر كما أن بسائطها وسهولها متميز بعضها عن البعض، فلا نسبة لجبل باني مثلا بجبل بويبلان، كما أن حوز مراكش مختلف كل الاختلاف عن سهل التريفة، ونجود ولماس متميزة عن نجود دبدو.

وغني عن البيان أن علة تنوع التضاريس ناجمة عن تنوع الأرض المغربية، فإنها مركبة من كل أنواع التربة من جيدها الذي لا يوجد أجود منه على وجه الدنيا إلى أسوئها الذي ليس دونه ما هو أسوأ. فإنك تجد "الترس" الذي هو عنوان الخصوبة إلى جانب "الحمري" الذي لا يصلح إلا لبعض الزراعات، وبحذائه الرملي الأحرش الصالح ببعض الجهد، وبعد ذلك لا وجود إلا للرمال المجدبة التي مثلها كمثل مياه البحر أحسن ما يرتجى منها أن تكون مسلوكة. مما يوحي بتنوع المنظر الزراعي في هذه الأرض، ففيها الحقول والجنان الخضراء الزاهية، وفيها الخلاء الأغبر الأجرد المطوي على المفاجأة، وفيها الواحة التي تحكي جنات عدن، وفيها أعتى ما يعرف من القفر والبيداء. وتمتد حقول الغرب وسايس ودكالة حتى يكاد البصر فيها لا ينحصر بحد، ويتخيل الغريب الذي يقف عليها لأول وهلة أن أصحابها يستحيل أن يصابوا بالفاقة، وتتقلص تلك السهول في بعض أودية الجبال أو في واحات الواجهة الصحراوية حتى يتساءل نفس الغريب كيف يمكن أن يعيش من تلك الشحة كل ذلك الجمهور. وأرض المغرب باختصار أرض ممتدة الأرجاء، لكنها واقعة بين الصحراء والبحار، فهي بين ذينك الخلاءين أقرب إلى الجزيرة منها إلى الأرض المتصلة بباقي المعمور.

وتوجد هذه الجزيرة في الزاوية الشمالية الغربية من القارة الإفريقية فيما بين الخط 21 والخط 36 من حيث العرض شمالا والخط 2 والخط 17 من حيث الطول غربا، فهي مطلة على بحرين من أخطر بحار الدنيا شأناً البحر الأبيض المتوسط من جهة الشمال والمحيط الأطلسي من جهة الغرب، فهي جزء لا يتجزأ من إفريقيا وآسيا أصلا بالرغم مما يفصلها عنهما من البراري والفيافي، وهي لا تتصل بجيرانها الأوربيين إلا على الاستثناء وإن لم يفصل بينهما وبينهم سوى بضع كيلومترات من البحر. وهي مطلة على البحر الأبيض المتوسط الغربي ولكن من أعلى جدران سلسلة الريف السميكة التي تمنع الطارئ من الدخول مثلما تمنع صاحب الدار من الخروج، كما أن سواحل المحيط الأطلسي تمتد إلى السودان ولكنها خالية من المرافئ الطبيعية، فلا بد فيها من الكد والمعاناة لإقامة المراسي شأنها في ذلك شأن الواجهة الصحراوية، إن نشطت التجارة عبر الصحراء نشط العمران هنالك وكانت سجلماسة، وإن تأزمت الأحوال وانقطع السبيل فلا حركة ولا وجود لما غبر من سجلماسة وما شاكلها إلا في الذاكرة. وكأن الأرض المغربية لا تتصل بغيرها سوى عن طريق الخلاء برا وبحرا فيزداد تمسك أهلها بها بقدر ما تشتد حاجة إطالة المقام بها لمن يهاجر إليها حتى إنها كانت لبعدها وانعزالها محسوبة في الأساطير اليونانية من جنات الفردوس ودارا للبقاء. وجاء العرب وجعلوها أقصى ما في الغرب، حتى إذا ما أزيح الستار نهائيا عن أسرار المعمور اتضح أنها مفترق طرق بين القارات وبين الحضارات، وبين

الملل وبين النحل. ومفترق الطرق مدخول من كل ناحية منفتح على كل النوافد وأول ما يبدو ذلك في المناخ.

لا يمكن وصف مناخ المغرب بالوصف الواحد، فهل هو معتدل أو هو حاد وهل هو على الحر أو هو على القر وهل هو جاف أو هو ندي ؟ فهو كل ذلك تارة والعكس تارة أخرى، وهو يحكي البرد القطبي في المناطق الجبلية حتى يخيل للمرء أنه في بلاد النرويج وليس في إفريقيا، وهو يبلغ من درجات الحرارة في غير مجالات الماء والخضرة ما لا يبلغ مثله إلا في قلب الصحراء. وكذلك الشأن من جهة الأمطار فإنها تتهاطل أحيانا بغزارة وتتلاحق بوتيرة لا نظير لها إلا في المناطق المعروفة بفرط الرطوبة، وهي تشح وتقل وتتباعد أحيانا حتى كأن المغرب كله نجد آخر أو تهامة أو حجاز. فالبلاد إما مهروقة وإما محروقة، ولا ارتباط لذلك بالفصول ولا معول على الموسمية، مع أن أبحاث علماء المناخ وما تسجل من تقلبات الطقس خلال القرن العشرين يثبت أن معدل التساقطات السنوي لا يتغير إلا بما لا عبرة به، فهو يتراوح بين أربعمائة إلى خمسمائة مليمتر كل سنة. إلا أن هذا المعدل يمكن أن ينزل دفعة واحدة في بداية الموسم الفلاحي أو في وسطه أو في نهايته فيكون ذلك وبالا على الفلاح. ويمكن أن ينزل منتظما في أكتوبر فيقلب الفلاح أرضه ويعود فينزل في دجنبر ويناير فيقوم الفلاح بالبذر وينزل المطر من جديد في مارس فتستفيد السنبلة وتنضج الثمار ويكون العام عام صابة. ولشدة ما للمطر من الوقع في مصير البلاد تقول الحكمة الشعبية مبتهجة من تلك الحالات الخاطفة التي يسقط فيها المطر وسط أشعة الشمس فيقال : "الشمس والشتاء والسلطان على خاطره". وجاء بعض ذلقاء المقيمين العامين الفرنسيين إبان الحماية فقال يوم أدرك مفعول المناخ المغربي "هاهنا كوفرني سي بلوفوار" بمعنى أن الحكم في المغرب حكم الشتاء. وعندي والله أعلم أن لا وجود في باقي الدنيا لمن جعل لفظ الشتاء كنية سوانا، فأبو الشتاء فينا كثير وهل يتغنى بالشيء إلا المفتقر إليه ؟

ولما كانت أمطارنا متواضعة غير منتظمة، كانت أنهارنا طالت أو قصرت ضعيفة الصبيب، متقلبة الأطوار غير مأمونة. فهي إما ممتدة مثل سبو وأم الربيع ودرعة ولكن مجراها هزيل في الغالب إن لم يكن متقطعا إلا في حالة الأمطار الطوفانية فإنها تتحول يومئذ إلى ضرب من الطوفان يأتي على الأخضر واليابس. وهي في الغالب قصيرة تنحدر من ثنايا الجبال في أودية ضيقة تكشف عن جلاميدها وأوحالها اليابسة حتى إذا كانت العاصفة الهوجاء تحولت إلى يوم حساب قبل الميعاد مثلما جرى في وادي أوريكة في بحبوحة صيف 1996. مما يثبت أن مشكلة الماء ليست مشكلة قلة بقدر ما هي مشكلة انتظام.

ولا أدل على ذلك من قدرة البلاد على إنتاج كل ما ينتج في الدنيا قديما وحديثا، ففي الأسواق المغربية من كل فاكهة ما تشتهيه الأنفس، ومن كل الخضر ما يحلو ويطيب، سواء كان مما لا يأتي أكله عادة إلا في المناخ المعتدل البارد أو كان لا ينبت إلا في الاستوائي والمداري الرطب الحار فذلك كله مع الماء. أما إذا انعدم الماء فالكل معرض للتهلكة والتلف والمجاعات التي كان يكاد لها أن يشيب الرضيع على حد قول السلف رحمهم الله.

وهل للمناخ فعل في الإنسان ؟ كان القدماء يعتقدون ذلك، فابن خلدون جعل الأقاليم سبعة من الجنوب إلى الشمال، الأول والثاني منها بلاد الحرارة المفرطة فهي بلاد السودان التي أحرقتهم الشمس في اعتباره، والسادس والسابع بلاد البرد القارص فهي موطن بني الأصفر من ذوي "الزعورة [...] وزرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعر"،

أما الإقليم المعتدل فهو الرابع مع ما يليه من قريب من الإقليمين الثالث والخامس : "فلهذا، يقول ابن خلدون، كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والأقوات والفواكه بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال، وسكانها من البشر أعدل أجساما وألوانا وأخلاقا وأديانا حتى النبوات فإنها توجد في الأكثر فيها، ولم نقف على خبر بعثة في الأقاليم الجنوبية ولا الشمالية [...] قال "تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس".

وجاء بعده مونطسكيو الفرنساوي فقال : "إن الجو البارد يوتر عروق جسدنا الخارجية فيزيدها حيوية ويساعد على عودة الدم من الأطراف إلى القلب بما يقلص من امتداد العروق فتزداد متانة وقوة. أما الجو الحار فإنه على العكس يرخي العروق من أطرافها ويزيدها امتدادا فتنحل متانتها ويقل نشاطها. ولذلك فأهل الأقاليم الباردة أشد قوة [...] وتلك القوة الكبرى لها مضاعفات شتى. فالمرء مثلا أكثر ثقة بنفسه فهو أكثر شجاعة، وهو أشد إدراكا لتفوقه فهو أقل رغبة في الأخذ بالثأر، وهو أكثر ثقة بسلامته فهو أكثر صراحة وأقل ميلا إلى الشبهات وأساليب السياسة والمخاتلة [...] وشعوب الأقاليم الحارة متقاعسون كما لا يتقاعس إلا الشيوخ. أما شعوب الأقاليم الباردة فإنهم على درجة من الشجاعة لا تكون إلا في الشباب".

وبود الباحث أن يسير في خطى أولئك العماليق احتراما لعبقريتهم لولا ما يتضح جليا من تطاول كليهما على المناخ لتبرير ما يستحيل أن يبرر من جهة دون سواها. فلو كان المناخ مسؤولا عن تفوق الحضارة الإسلامية في ما بين القرن السابع والقرن الرابع عشر من الميلاد فلماذا تقهقرت هذه الحضارة بعد ذلك دون أن يحصل أدنى تغيير في المناخ ؟ ولو كان الطقس البارد هو عنوان القوة والتعقل والإبداع في أوربا الشمالية الغربية فلماذا بقيت عالة على الشرق إلى حدود القرن السادس عشر منه تنقل وعنه تقتبس ؟ فلنترك المناخ إذن ولنستقصي صاحب هذه الأرض من هو ومن أين أتى وكيف ينظم صفوفه وما أسباب رزقه.

فما أصل الإنسان المغربي ؟ هل هو منبعث من هذه التربة متجذر فيها منذ العصور الغابرة ؟ أو جاء من جهات أخرى

على دفعات متباينة للاستقرار بهذا الذي يبدو جزيرة أو شبه جزيرة ؟ وكيف الاطمئنان إلى أي جواب مع قلة ما بيدنا من الأدلة المكتوبة وضرورة الاحتكام إلى مجرد المعاينة السطحية. فأما الفرضية الأولى فيدعمها قدم الأمازيغ في البلاد بناء على شهادة علماء اليونان والرومان. لكن النسابة العرب والمغاربة مثل ابن حوقل وابن خلدون يدعون جميعا أن الأمازيغ جاؤوا من الشرق وأنهم من بني حام بدليل ما في ملامحهم وفي لغتهم مما يذكر بأهل اليمن وببعض الأجناس الأسيوية، وهذا على اعتبار الأمازيغ جنسا واحدا. أما وهم على ما يبدو من الاختلاف اليوم بين أهل سوس وأهل الريف وأهل الأطلس المتوسط وسكان جبالة فكيف نحكم لا سيما إذا علمنا أن لفظ الأمازيغ يعني الأحرار مثلما يعني البيضان. ولذلك من أبسط دواعي الحكمة أن يتمسك الباحث بما أثبته العلامة الفرنسي سطيفان أكسيل عندما قال : "يمكن أن تتكلم جماعات بشرية متنوعة نفس اللغة وأن تعيش على نفس النمط وتدين بنفس المعتقدات مع كون أعضائها متباينين من حيث البنية الجسدية". ثم إنه عقد فصلا عن أنتروبولوجيا الإنسان المغربي بناء على ما بلغنا من الوثائق القديمة مفاده أن المغرب يسكنه منذ الأزل في الجنوب عناصر زنجية وفي الشمال عناصر من ذوي الشقرة وانفتاح لون العينين، وفيما بين هؤلاء وأولائك عناصر هي إلى السمرة وسبوطة الشعر أميل على ما يمكن أن يتخيل من درجات التفاوت في هذا التمييز بحسب الانصهار بين تلك العناصر. مما نستخلص منه أن لا وجود لعنصر مغربي موحد، وأن المغربي فيه من التباين والاختلاف ما نراه في الأمم الكبرى كالصين والهند وألمانيا والولايات المتحدة فلا وجود للعرق الخالص إلا في الأدمغة المهزوزة.

ولما كان في الألف قبل الميلاد يوجد في المغرب أمازيغ وبونيقيون شرقيون وسودان قطعوا الصحراء وأجناس الضفة الشمالية من البحر الأبيض المتوسط فكذلك نجد سكان المغرب في الألف الأولى بعد الميلاد فيهم الأمازيغ وفيهم العرب وفيهم اليهود وفيهم الأندلسيون، يشهد بذلك مؤرخونا ومن طرأ على البلاد من رحالة أوربا الغربية يوم صارت تهتم بمن هم جيرانها هؤلاء من جهة الجنوب مثل الإنجليزي ويندس الذي يعرّف منذ الصفحات الأولى من رحلته إلى مكناس بالشخصيات المغربية الأربعة التي يقوم عليها مجتمعنا في صور الباشا أحمد بن علي الريفي والسفير قرداناش الأندلسي واليهودي ابن عطار وسكان البادية من الأعراب. وغني عن البيان أن اختلاف الأمازيغ بينهم لا يضاهيه إلا اختلاف من ينتسب من المغاربة إلى العروبة، كما أن تباين اليهود المغاربة لا يعادله إلا تباين من هاجر منهم من الأندلس المسلمة يوم صارت إلى الضياع ليستوطن هذا الوطن. ولعل قصة الأندلسي بيننا من خير ما نستدل به على وجوب الإمساك عن الأحكام القطعية في هذا الصدد. فهل هو "بضاعتنا ردت إلينا" أو هو "إسباني" التزم بالإسلام، فلما سيطرت النصرانية على أرضه فرَّ بدينه إلى المغرب ؟ ولكن ما الفائدة من هذا السؤال طالما أن هذا الأندلسي مغربي من قدمه إلى قنّته منذ ما لا يقل عن أربعة قرون أو منذ ما لا يقل عن اثني عشر جيلا شأنهم في ذلك شأن بني سودة الفاسيين أو آل بركاش الرباطيين أو آل الطريس التطوانيين. وكذلك الأمر بالنسبة لليهود المغاربة، فهم ملة وليسوا سلالة منسجمة فشتان ما بين اليهودي المنتسب إلى بعض مدن الأندلس مثل طليطلة ومورسية كأبناء طوليدانو أو مارسيانو وغيرهم، وبين اليهودي المتأصل في البلاد ممن يحمل ألقابا واضحة الاشتقاق الأمازيغي مثل "أسولين" أو "الزاكوري" أو إلوز. فمن هم المغاربة يا ترى ؟ إنهم أمة من تلك الأمم العريقة التي ينطبق عليها قانون الاختلاف والائتلاف فهي واحدة على تعدد الأضراب، وهي ضرب واحد على تنوع الوحدات. أليس الواحد، سوى الله عز وجل، مجرد تركيب ؟ أليس التركيب كناية عن الانسجام ؟ مما ينطبق على النفس الواحدة فأحرى على أمة بكاملها وإن كانت تشكيلتها الاجتماعية الأساسية هي القبيلة.

لقد طرح جاك بيرك ذات يوم سؤالاً عريضا لمعرفة "ما القبيلة" في المغرب الكبير ؟ ولم يهتد لأي جواب مقنع ولا اهتدى أحد بعده إلى غير ما خلص إليه هو نفسه من أن لا جواب على هذا السؤال، وأن كل ما يمكن القيام به هو المسح الخرائطي لأسماء القبائل تتردد هنا وهناك عبر البلاد. فكم من صنهاجة وكم من مصمودة وكم من هوارة وكم من مغراوة وكم من زناتة وكم من وداية ومن زرارة وكم من الشبانات ومن الخلط تتكرر أسماؤها في مختلف الربوع. ولا يستفاد من ذلك إلا شدة التنقل وقوة الانصهار. ولو كان لا مفر من التعريف بالقبيلة لوجب القول "بأنها تلك التشكيلة الاجتماعية التي تمكّنت من التنقل الجماعي المنضبط". على أنه من العسير الرد على السؤال المترتب على ذلك لمعرفة أسباب الترحال. فهل الترحال طبيعي في الإنسان المغربي أو هو من مولدات المجال ؟ هل هو سابق لحركة التاريخ أو هو من مجرد تبعاتها ؟ وحيث لا سبيل إلى الرد بحتمية هاتة أو تلك من العلل فليس للمرء إلا أن يقول إن الترحال القبلي له جذور في البيئة وله أخرى في التاريخ. والإنسان المغربي نزيل مجال منحصر شبه جزيري بقدر ما هو شديد التفاوت. فلا بد له من البسيط مثلما لا بد له من الجبل، ولا بد له من الشمس مثلما لا بد له من الظل، فهو متنقل باستمرار وراء كل ذلك، محتاج إلى السيطرة عليه والدفاع عنه. فلا مناص له من ضبط الصفوف ولا مناص من الكون على بال من جهة الاستراتيجية والطاكتيك، فهو إنسان محارب بالضرورة، عسكري بالسليقة، يقضي وقته يعتبر ما له وما عليه، ملتزما بما تفرضه المصلحة الفردية من الانتساب إلى أكبر عصبة وأقواها فهو صاحب عصبية. ولا تسأله عن شخص لا يعرفه إلا بادر واستقصى بالأمازيغية "غواد إيكا ونيغ" أو بالعربية "هل هو منّا" ؟

ولا يتميز في هذا الصدد سكان البادية عن سكان المدن، وعصبية قبائل الحواضر لا تنقص مثقال ذرة عن عصبية القبائل خارج الأسوار مع ما يقترن بذلك من أسباب التراتب الطبقي، فكان من المستحيل أن تتصاهر بعض البيوتات الفاسية الكبرى مع أخرى تعتبرها دونها في الحرمة أو المال. ومعلوم أن مفهوم الأسرة حديث العهد بالرواج لدينا حتى إن الجمهور اتخذ كلمة "الفاملة" الأوربية للإشارة إلى هذا الذي نتعارف عليه اليوم من الأسرة الموحدة النواة القائمة من الزوجين وأولادهما، بينما كان المعروف قبل الحماية هو "البيت" أو "الخيمة" وإن تعددت ضمنهما "الكوانين" فيبقى الجميع تحت سلطة أكبر الأقارب سنا بلا انقطاع، في جدلية "نحن" و"أنا" يستحيل الحكم معهما على المغربي هل هو اجتماعي اشتراكي أو هو أناني فردي. وينسب إليه القول بأنه هو شخصيا ضد أخيه، وهو وأخوه ضد ابن عمهما وثلاثتهم ضد من هو أبعد منهم وهكذا. وإذا كان الأمر على هذا النسق فإن المغربي يشبه العرائس الروسية التي تستبطن الكبرى منها من هي دونها حجما وهذه الأخرى ما هو دونها فكلما أزلت الغطاء عن إحداها وجدت أخرى مثلها إلى أن تصل إلى الصغرى إطلاقا التي هي على نفس المنوال ونفس الزواق إلا أن حجمها لا يسمح بتضمينها عروسة دونها. وبناء عليه فليس في الدنيا إلا المغرب وليس في المغرب إلا القبيلة الفلانية، وفي تلك القبيلة ليس إلا البيت أو الخيمة الفلانية وفي البيت أو الخمية المذكورة ليس إلا فلان الفلاني "عمي فلان"، صورة الدنيا قاطبة وقطب الرحى الذي لا ندري هل هو الذي يقوم بالجماعة أو أن الجماعة هي التي تقوم به. ويفرط المغربي في الأنانية حتى يخيل للمرء أن لا وجود في المعمور لمن هو أشد منه أنانية. ويلتزم بالجماعة وبروح التعاضد حتى يجوز لك أن تقول بأنه لا وجود لمن هو أشد منه تمسكا بالأخوة الإنسانية. وفي النمط الاقتصادي المغربي ما يشير بذلك أيضا.

فلما كانت الهيمنة في التشكيلية الاجتماعية للقبيلة وجب أن تكون الهيمنة في الاقتصاد للرعي. ولما كان اشتقاق لفظة "المال" من مال يميل فهو مائل وجب على الراغب فيه أن يزحف خلفه منتقيا له أحسن المراعي ذائدا عنه أن يفترسه الوحش أو يختطفه بنوآدم. فإن المغربي من أكثر عباد الله التزاما برفقة الحيوان كل حسب مستواه وكل حسب ما يستطيع أن يتمول من "المال". فالعجوز القابعة في كهفها إلى يومنا على بضعة أمتار من وسط مدينة إمزار كندر لها ديكها القيم على دجاجتيها. والفلاح المتواضع المنعزل في بعض أودية الهضبة الوسطى له بقرته وبعض المعيزات وبغل أو حمار، والفلاح الموسر صاحب الهكتارات المتناثرة له قطعان متعددة من البقر والغنم وجواد كان يركبه للاقتتال، فلما امتنع الاقتتال صار يركبه للفخر والزينة في المحافل الجهوية أو الوطنية لعبا بالبارود الذي مكننا الأوربيون بأحسن ما يمكن أن ينعت به من الألفاظ وهو "الفنطازية"، فالفرس لم يعد يصلح سوى "للتفنطيز" وهي لعبة الكر والفر، مما لا يزال يشهد على ولوع المغربي بفرسه الذي وصفه استرابون الجغرافي اليوناني في القرن الأول من الميلاد بأنها "جياد صغيرة سريعة الحركة طيعة [...] منها ما يتبع سيده مثلما يفعل الكلب دونما حاجة إلى عنان".

على أن المغربي ليس صاحب خيل وحسب، وإنما هو صاحب أغنام أيضا. فمن القبائل الأمازيغية القديمة قبيلة اسمها عند الرومان "كايتولي" Gaetuli ويرى بعض علماء اللغة أن اللفظ مشتق من "آيت أولي" أو ذوو الأغنام. وكبار القبائل إلى يومنا تربي الأغنام كالرحامنة وبني گيل والشاوية ذوي الشياه إن صح الاشتقاق. والغنم هو أحسن ما يواتي من الإنتاج في مجتمع ملتزم بالحركة الدؤوب وفي مجال تطغى عليه القحولة والجفاف، علما بأن رعي الأغنام مناف للفلاحة وللاستقرار، وقد لا يدرك ذلك من لم ير الخرفان واقفة على رجليها تقضم أوراق الأشجار اليانعة والماعز متسلقا أعلى الفروع ينال من أطايبها بخفة ونهم. وللأغنام ولا شك مسؤولية في تقلص الغابة المغربية وفي ما ترتب على ذلك من هيمنة الخلاء.

وقلَّ من كتب من الأوربيين في القرن الماضي يصف المغرب ممن لم يتعجب من خلاء سهول الغرب وسايس وضحالة ما كان يقام عليها من الزراعة الخاطفة. ولكن الاستعمار غير كل ذلك مثبتا أن التاريخ أقوى من الطبيعة ومن المجتمع. وبات الرعي اليوم على شكله القديم لا يوقف عليه إلا في الواجهة الصحراوية من الأطلس فهنالك ما زلنا نرى بعض ذوي الخيام وهم في رحلة الشتاء والصيف. ولعل أوضح ما ينطق عن تقلص الرعي شبه اختفاء الجمل الذي كاد ينحصر عند حظيرة حديقة الحيوان أو زريبة استديوهات ورزازات للأفلام أو موسم طنطان السياحي. قال سيدي عبد الرحمان المجذوب :

| | |
|---|---|
| الخيل هبة من الريـــح | والإبل هي الشريفـة |
| البغال فرصة من الهنـد | والحمير هي العيفـة |

وكانت الإبل قوام ما يرتبط حتما بالرعي من أسباب الرزق ونعني التجارة. فكل راع حمال بضاعة بالضرورة سواء نقلهابنفسه ليتجر فيها أو مكّن غيره من التجار من الدواب على سبيل المكاراة. وكان الجمل هو شاحنة الأمس. ولكن التجارة مازالت من أسباب الرزق الكبرى في البلاد. ولم تكن موقوفة فيما مضى على بعض الفئات أو على بعض الشرائح، فإن النساء كانت لهن أسواقهن الخاصة بهن في جبال الريف والأطفال يتعاطونها بما يسمى "بالطبيلات" في المدن العتيقة، وقد قال البكري : "أهل سوس وأغمات أكثر الناس تكسبا وأطلبهم لرزق يكلفون نساءهم وصبيانهم التحرف والتكسب". وما نراه اليوم من ممارسة الجميع للتجارة لأمر له ما قبله وما بعده. وكيف لا وعددنا اليوم يناهز ثلاثين مليونا من المغاربة في مجال أضيق بكثير مما كنا عليه يوم كان عددنا لا يتجاوز خمسة ملايين في

السنوات السمان. وإن السوق المغربية اليوم تذهل بما هي عليه من الاكتظاظ والاختلاط وألوان التجارة. فكل شيء قابل للمبادلة ما عدا بني آدم بعد انغلاق أسواق الرقيق بيننا نهائيا. وكل مغربي مصمم العزم على مراودة الحظ في التجارة سواء في ذلك الذكور والإناث والشيوخ والولدان. ولو سأل سائل عن آخر ما جد في التجارة المغربية لوجب الرد بأنه جلوس المرأة في الحانوت ودخولها دخولا رسميا عالم البيع والشراء والمحاسبة. ومعلوم أن الحساب أول ما ينفتح من نوافد العقل فلم تعد المرأة واقفة عند "سوق رأسها" فهي اليوم شريك في سوق الجميع. وفيما عدا ذلك فلا جديد. فإن المغربي جوّاب الآفاق منذ القديم لا يوقفه لا بحر ولا صحراء سواء في ذلك المسلمون واليهود. والفول السوداني كان يأتي به هؤلاء وجوزة الهند كان لا بد ممن يحملها من تلك الديار. ومعلوم ما لمثل هذه المنتجات من المكانة في الطب وفي الطبخ لدينا.

ومن نافلة القول أن مثل هذه التجارة البعيدة الأرجاء لا يتم بدون إنتاج محلي يدعمها ويقيم أس السوق. ومزود السوق المغربية الأول هو الفلاح يليه مباشرة الصانع. ولولاهما لما كان المغربي على ما هو عليه من حب الوطن والاستماتة في التمسك بأرضه. ويكفي التجول في بعض الواحات أو بعض الوديان المحبوسة بين الجبال الشاهقة للوقوف على ما تحت خضرتها الزاهية من الأناقة والإتقان وطول المعاناة. ومثل ذلك مشهود به قديما وحديثا لأصحاب الحرف في المدن من دباغين ونجارين وحدادين وفخارين وصفارين ومسفرين وغرابليين وبردعيين ممّن صارت لهم تلك الصناعات أو أخرى غيرها لقبا ونسبة بشهادة سجلات الحالة المدنية.

ذلك بأنّ الفلاح والصانع يشتغلان من طلوع الشمس إلى غروبها، فهما عنوانا الكد والاجتهاد وما يشهد به للمغربي من روح المثابرة. وإذا كانت الوثائق المغربية لا تبرز ذلك بالقدر الكافي، إلا أن بقايا القصور والدور الفاخرة في الحاضرة وفي البوادي خير شاهد على كون الفلاح هو الذي يتوفر من كده ما جعل كبار القوم يشيدون مفاخرهم، وأن الصانع هو الذي كان يؤثثها بما أوتي من المواهب الفنية. لكن البيئة التاريخية والجغرافية كانت تنظر إلى الفلاح وإلى الصانع بعين الاحتقار. ألم يعقد ابن خلدون فصلا في مقدمته بالعنوان التالي : فصل في أن الفلاحة من معاش المستضعفين". ومعلوم ما يقترن بلفظ "أمزيل" وهو الحداد بالأمازيغية من معاني الوضاعة والاحتقار شأنه شأن كلمة "حرطاني" الذي كان يشتغل بساعديه إما في الفلاحة وإما في الصناعة أو فيهما معايوم كان تقسيم العمل لم يتمّ بعد، وذلك لأن الفلاح والصانع محكوم عليهما بالاستقرار، ومن يستقر في مجال الترحال معرض للخطر إلا أن يحتمي بمن يميط عنه الأذى فيكون تحت الذمة. ولذلك كان العديد من أشكال الفلاحة والصناعة من اختصاص اليهود مثل زراعة أشجار الفاكهة التي منها الكروم وتقطير أنواع الخمر. وكان هذا أيام الفلاحة والصناعة منحصرة في حدود الواحة. أما يوم حل المعمرون الأجانب وقلبوا الأرض المغربية طولا وعرضا مثبتين خصوبتها فإن معادلة البادية المهيمنة على الحاضرة تحولت إلى عكسها فصارت الحواضر صاحبة السبق والبادية البيداء هي التي تحت الذمة. وإن أزيد من نصف عدد المغاربة اليوم من سكان المدن وهو رقم لا سابق له في تاريخنا. وإذا كان زهاء 45٪ من المغاربة يقطنون في البادية فإن نصيبهم من الإنتاج الوطني الخام لا يتجاوز 15٪.

ولكن الإنسان بلغته، ولغة الإنسان خزين معقولاته. وإذا كان هذا الإنسان يعيش في مفترق الطرق فهو مؤهل للتكلم بلسان كل طارئ. كان هذا في القديم ومازال جاريا إلى يومنا مع ما تفرضه أدوات التواصل المعاصرة من تفاقم تلك الظاهرة وتنوع الألسن. ففي البداية كانت الأمازيغية وهي لغة واضحة البنية متينة التركيب موحدة الجذور. لكن انتشارها في خلاء إفريقيا الشمالية وفي ثنايا أوعارها على لسان القبائل المتناثرة المتنافرة جعلها منذ القديم لهجات متباينة وفروعا متباعدة يصعب على من يتكلم بإحداها تتبع حديث من يتكلم بغيرها. هذا مع العلم أن تلك اللهجات قد دخلها قديما ما دخلها من اللغات الغريبة عنها مما هو معروف، كالمفردات اللاتينية التي نقف عليها مثل "أورتي" من Hortus الحديقة أو "آكر" من Ager الحقل أو "أسنوس" من Asinus الجحش، فضلا عن أسماء شهور اليومية اليوليانية المنقولة بكاملها إلى اليوم على أنها يومية الفلاح.

أما غير المعروف فكل ما دخل الأمازيغية من جهة القرطاجيين البونيقيين فإنهم أقاموا مرافئهم على شواطئ البلاد زهاء ألف سنة، ولا بد أنهم أثروا وتأثروا. كما أن لغات السودان دخلت البلاد باكرا. وتلك صفحة لم يتهيأ السبيل إلى سبر أغوارها إلا منذ إحداث معهد الدراسات الإفريقية قريبا، فعسى أن يهتدي المتخصصون في هذا الميدان إلى تتبع الآثارالسودانية في شخصيتنا خطوة خطوة. فما من مغربي وإن استطاع إقناعنا بأنه لا يجري في عروقه ولو قطرة واحدة من دماء السودان ما أن يدوي في أذنيه صوت الطبل الكناوي والقرقبة حتى تراه مندفعا مهرولا يتلوى ويتواجد من قوة الإيقاع وطول الترنم. وإلى عهد حديث كان يوجد في مجتمعنا على اختلاط الشرائح من المواطنين السودانيين من لم ينسلخ بعد عن لغته الأصلية. ولو استقصيت بعض الألقاب والنسب العائلية لوجد الكثير منها من اشتقاق سوداني خالص.

ثم جاء العرب بلغة القرآن أو قل إنهم جاؤوا بلغاتهم إذ هم أيضا قبائل، والقبائل لهجات. ولكن لما نزل ثالث كتب التوحيد بلغة قريش فإن العربية حظيت من يومئذ بمعيار مقدس مضبوط، فانتقلت إلى المغرب بشكلها الفصيح، فبه كتب المقري وبه كتب اليوسي وهو اليوم اللغة الرسمية للبلاد. ولكنها دخلت أيضا بمختلف لهجاتها فشتان ما بين

عربية أهل الصحراء وعربية الجبليين في مرتفعات سلسلة الريف الغربية وإن كان الكل وجها من وجوه لغة الضاد له طلاوته وله جمالياته التي يشهد عليها ما يتداول من الأمثال الشعبية وكنوز الشعر الملحون الذي لو لم يكن من تراثنا الأدبي إلا هو لكفى دليلا على نبوغ الشخصية المغربية.

إن الشخصية المغربية موهوبة للكلام بسبعة ألسن. وهذه الأرض ملتقى الألسن، كأنها بنيت أصلا من ثلاث طبقات لسانية كانت في القديم هي الأمازيغية والبونيقية واللاتينية، وهي اليوم الأمازيغية والعربية والفرنسية أو الإسبانية وغدا الإنجليزية. وهل تزداد الشخصية المغربية بذلك عمقا وانسجاما أو تزداد انخراما وانفصاما فأمر قابل لما لا نهاية له من الجدل. على أن التعامل بثلاث لغات في آن واحد إن كان دليلا على خفة الروح وبداهة الخطاب إلا أنه يفضي حتما إلى لغة أخرى رابعة تكون لا هي من الثلاثة المذكورة ولا هي من جنس معروف مضبوط من اللغات. واللغة منطق فأين منطق المتنقل بين اللغات ؟

وتكاد قضية العقيدة أن لا تختلف عن قضية اللغة إلا بما هو لازم للرابطة الدينية من الإجلال. فلقد كان المغرب مجالا لكل الأديان قبل الإسلام سواء منها وثنيات الجاهلية الأولى على اختلاف الآلهة والأصنام أو اليهودية التي هي أول ما دخل البلاد من ديانات التوحيد وقد اعتنقها بعض كبار القبائل المغربية كما نقل ذلك المؤرخون، أو المسيحية على اختلاف مذاهبها في العصور الأولى من تاريخها. وإن لم يقم القديس أو غستينوس في هذه الزاوية من إفريقيا الشمالية فإنه قام من الزاوية الأخرى التي لا يفصلنا عنها أي فاصل. وكل من له أدنى مسكة من تاريخ المسيحية الأولى على بينة مما كان للكنيسة الإفريقية عامة وللقديس أوغستينوس خاصة من التأثير في ذلك.

ثم انتشرت فينا الحنيفية السمحة، وكان من المحتمل أن تكتفي بمحو الوثنية وأن تتعايش مع باقي ديانات التوحيد مثلما جرى في البلدان العربية الأخرى. لكن دولة الموحدين قامت لغير ذلك ورأت من أوجب الواجبات إلزام المغاربة كلهم بملة واحدة، فلم تأت فقط على بقايا الوثنية ولم تقاوم المسيحية التبشيرية وحسب وإنما رامت كذلك إلزام اليهود باعتناق الإسلام أو مهاجرة أراضيه. وتلك صفحة بعيدة المفعول من تاريخ الموحدين. على أنهم لم يبدوا من التشدد في هذا المضمار إلا بقدر ما بدا لهم من كثرة أسباب التفرقة في الرعية. ولولا ما بذلوه من الحرص في التوحيد لما صارت البلاد إلى ما صارت إليه من وحدة الملة والالتزام بمذهب مالك دون سواه فلا شيعة فينا ولا خوارج، والأرض كلها للسنة والجماعة. لكن الطبع غلاب أبدا للتطبع، فما أن طويت صفحة الموحدين حتى عاد معظم من ورّى بالإسلام من اليهود إلى ملته. أما جمهور المسلمين فإنه سلك سبيلا آخر ليعبر عن تمسكه بالذاتية والتعددية وعما هو مجبول عليه من الاختلاف، فإنه ابتكر الزوايا والطرقية ليتميز أتباعها بعضهم عن البعض الأخر في قلب التوحيد ولو بواسطة الأذكار والأوراد والأحزاب القرآنية، أو بالمرقّعة والإخلاص لولي من أولياء الله الذين لا يحصى لهم عدد عندنا، علما بأن تلك الطرق قابلة هي الأخرى للتشعب والتفرع، فالشاذلية شاذليات، والوزانية وزانيات، والعيساوية عيساويات، لأن كل ذلك كان خليطا من الدين والدنيا ومن التصوف والسياسة فيزداد الطين بلة.

إن المغاربة إذن مثقفون على التعددية شأنهم في ذلك مرة أخرى شأن الأمم الكبرى، فإنها كلها بمثابة مصهر تنصهر فيه عناصر التركيب أو "الميلتنك بوط" Melting-pot الذي نشأت منه وترعرت الولايات المتحدة أقوى دولة في عالمنا المعاصر. ومن يكن على هذه الشاكلة فهو منغلق منفتح أو هو منفتح منغلق، إذ لا بد له أن يتصرف بما يقع في حيّزه، فيلزمه بشروط الانصهار، ولا بد له أن يتمخض فيتولد من ذلك عناصر متميزة عما سبقها من طارئ أو مألوف فلا تركيب إلا بالمحافظة ولا محافظة إلا بالتركيب.

وانظر مثلا إلى إحدى قواعد الشخصية الثقافية التي هي عندي الطبخ. فللمرء أن يقول ما يشاء عن الطبخ المغربي، ولكنه لا يستطيع أن ينكر أنه مشخص مضبوط الأوصاف مميز، سواء البدوي منه القائم على الكسكسون والألبان والمشوي ومما لا يعد من أشكال الرغائف، أو الحضري الذي يضيف إلى كل ذلك فنون الطاجن والطنجية والحلويات والشربات وأصناف المصبرات سواء منها "المروزية" اللطيفة التوابل أو القديد "المخلع" فضلا عن "البسطيلة" التي تتجلى فيها ملكة تركيب الحلوّ والمالح والرطب واليابس وما يخضم وما يقضم. مما يصعد بحرارة الجسد فيعالج بماء الورد وماء الزهر من مرشة مفضضة يمتزج أريجها بما يتضوع من المبخرة من عود القماري، فتحصل النشوة بدون مسكرات ويخيل للمرء أن المغرب جنة على وجه الأرض، لا سيما إذا استوت الجلسة في "رياض" يتجاوب فيه الزليج والرخام الناعم والمضارب العالية الوثيرة والزرابي اللينة الناعمة مع أشجار الليمون والبرتقال والمشمش والخوخ والتين والزفزوف، ثم غنى لكل ذلك أو تغنى به جوق من أجواق طرب الآلة فذكر الحبيب وفاضت الأشواق واشرأبت الأعناق إلى الوصال فإن ذلك من أعلى ما ينال المغربي من سعادة هذه الحياة الدنيا. وفيها من تجانس الأسباب ما يثبت البناء الحضري. إن الغرفة المزلجة والسقف المنمق والمضارب كل ذلك ينطق بلسان واحد عن نسق الشخصية المغربية، مثلما ينطق مثلا عن الشخصية الفرنسية الجلوس على الكراسي المربعة في غرف أرضيتها من خشب وجدرانها مكسوة بالتصاوير في لباس قاتم مشدود إلى الجسد شدا حول مائدة مثقلة بلحم الخنزير وبشتى أنواع الجبن والخمور بينما يعزف الجوق موسيقى جان فليب رامو أو كلود دي بوسي.

ولا عبرة هنا بما قد يقال عن تلك النعم، بأنها ليست من نصيب الجميع لا عندنا ولا عندهم. فإننا لسنا بصدد التمييز

الطبقي، وإنما نريد رسم تلك المعالم التي هي بمثابة المرآة يرى فيها المرء بعض جوانب الشخصية المغربية بغض النظر عن الانتماء الطبقي. وهذا الذي وصفناه من أسباب التنعم لا يفوتنا ما يقابله مما يضرب به المثل في الزهد والتقشف، فذلك الذي يغوص في الطواجن غوصا ويلتهم من المشوي والمقلي ما يلتهم هو نفس الشخص الذي يمكن أن يصوم عن الطعام وعن الشراب شأنه شأن الجمل الذي يكتنز الكالوريات فيقطع الصحراء. قال الزعيم الأستاذ علال الفاسي.

شربت الشاي في البلور كأسا وفي الكوب القديم وفي الحديد
ونلت من الطعام ألذ نـــوع ولم أشبع ليالي بالقديــــد
ونمت على وثير الخز حينـــا وحينا في التراب وفي الصعيد

وكذلك المغربي فهو متنقل دائما بين طرفي نقيض كأن ذلك أوثق سبيل لبلوغ المعدل، فهو ممن رضي الله عنه فجلعه من الأمة الوسط. ولو أردنا تقصي كل تجليات ذلك التوسط لضاق المقام. لكن لا مناص من إشارة أخيرة إلى هذا التأرجح الثقافي فإننا أهل كتاب ولكننا نتجنب الكتابة ما أمكن. ولذلك لم يكتب بالأمازيغية إلا القليل، وأكثر ما كان يكتب بالعربية عقود ونوازل فسيطر على شخصيتنا ثقافة الفقيه، مما فيه حفاظ ولا شك على تماسك المجتمع، ولكن فيه أيضا تحجير وتجميد. وكل ما لا يستحق التوثيق في اعتبار الفقهاء فإنه يبقى معرضا لتقلبات الذاكرة فتحفظه طورا وتنساه طوراً آخر، إلا أن ينكب بعض ذوي الفضول من الفضلاء بيننا فيدوّن شيئا منه فيوقف نزيف النسيان. ويوم دخلت المطبعة ولو في شكلها الحجري سنة 1864 يمكن أن يعتبر يوما فاصلا بين هيمنة الثقافة الشفوية علينا وهيمنة الثقافة المكتوبة. فانسلخنا شيئا ما عن شعار أحرق ولا تمزق فإن العدو يلفق لنعمل بشعار نمق ولا تمزق فإن العقل موثق. والإنسان بذاكرته مثلما أن الشخصية الوطنية بتاريخها فلها ماض ولها حاضر ولها مستقبل.

ومن الحكم السارية أن علامة الكبر نسيان ما حضر واستحضار ما غبر. وكل من تقدم السن به قد جرب ما يكون من السهو في الأمور الآنية مع تمام عقل ما كان من ذكريات أيام الطفولة وسورة الشباب سواء المقرون منها بالفرح أو المقرون بالقرح. إن الذكريات كلها لذة وكلها بهجة وكلها ضرب من الانتعاش. ولذلك نزل الأمر المقدس بالتذكر والاعتبار بما مضى، فذلك من واجبات التفكر والرشاد. وللمغاربة تاريخ عريق لا نريد أن نقول عنه لا إنه مجيد ولا إنه سخيف، وإنما يكفينا أنه حافل بالأحداث جلي الصيرورة يشهد على ما قام به الإنسان المغربي في هذه الربوع من المعمور من الأدوار بما له وبما عليه، مما يعتبر صرحا على كل حال ومستندا تستند إليه الشخصية المغربية. فهذه الشخصية ليست وليدة الأمس ولا هي شخصية منحصرة التجربة مهزوزة الأصالة إذ من ورائها ثلاث آلاف سنة من المشاركة ولها باع طويل في معركة الإنسان مع نفسه ومع أرضه، وجذورها ضاربة في العراقة بما يثبت التاريخ أن أقوى العواصف عجزت عن الإتيان عليه. وإن دل تعاقب عصور الرخاء والازدهار والإشعاع السياسي والحضاري مع فترات التأزم والركرد والتفسخ على شيء، فإنما يدل على طول النفس وعلى الصبر والمصابرة في حالتي القيام والقعود. وبعبارة وجيزة فإن الشخصية المغربية وليدة خيمة كبيرة بغض النظر عما نزل بتلك الخيمة من النوازل وعلى مثلها ينطبق قول المتنبي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكـارم
وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

وأي دليل أوضح على ذلك من قيام الدولة المغربية منذ القرون الغابرة سواء في شكل "الأكليد" أو في شكل الإمام القائم بأمر الله بناء على الكتاب والسنة. وهذه الدولة التي تناوبت عليها القبائل قامت فينا بما هو منوط بها من مهام الإقدام والإحجام حسبما تقتضيه الظروف وبالذود عن الحمى وحفظ سلامة الناس في النفس والأهل والمال. والدولة هي المرجع، فلا تضيق الضائقة بالمغربي حتى تسمعه يقول : "اللهم اجعل البركة في المخزن". وكيف لا تكون دولة تدعى بالمخزن مرجعا وملاذا فإن شئت قلت إنها عبارة عن "الأكادير" أو "الإغرم" الكبير أو شئت فقل إنها بيت مال المسلمين، فهي المطعَّم (بالشدة المفتوحة على العين) في حالة الرخاء وهي المطعِّم (بالشدة المخفوضة على العين) في حالة الجوع والمسغبة. وهي المظل الذي يتقى به الحر، وهي القمة التي يشرف منها على ما لا يبدو إلا من برج المراقبة. وهي باختصار مقياس العمل، فصلاحها بصلاح الرعية كما أن صلاح الرعية بصلاحها، وكما تكونوا يولّى عليكم. فمنا عبد المومن بن علي الموحدي وأحمد المنصور الذهبي والمولى الحسن العلوي ومنا أبو دبوس الموحدي وعبد الحق المريني والمسلوخ السعدي. كما أن الجيش المنتصر في وادي المخازن من أحفاد الجيش الذي انهزم في العقاب. ومن في جعبته مثل هذه الذكريات فكيف لا يعتبر من فرسان التاريخ وممن يرمي عن قوس موترة ؟

وينقسم تاريخنا إلى ثلاث مراحل كبرى في نظري، تاريخ ما قبل الإسلام وتاريخ بناء المجتمع المغربي المسلم وتاريخ ما صار يطرأ علينا من أسباب التغيير جراء الاستعمار. أما المرحلة الأولى فهي مرحلة الانبعاث والنشأة والتفتح بما اكتشف المغربي من نفسه من خلال ما اكتشفت منه الحضارات القديمة. ويومئذ كنا موريطانيين من مصطلح لزمنا من الفنيقيين والقرطاجيين، ثم التزم به الرومان فأرسوه على البلاد مميزين بين موريطانيا الطنجوية غربي نهر ملوية وموريطانيا القيصرية شرقيها. واقتبس ملوك البلاد في تلك العصور ما وسعهم أن يقتبسوا من القبس الحضاري المهيمن ليقيموا صرح الدولة الأولى وسط ما علق بأقلام قدماء المؤرخين من أسماء القبائل كمكناسة وآيت ولال وبرغواطة وبين أخرى تغافلوا عنها فذهبت بها رياح النسيان.

حتى إذا عمت فينا تعاليم الكتاب المبين، فعندئذ تبينت الشخصية المغربية واتضحت المعالم بما تأتى لأبناء البلاد من الشهادة على أنفسهم بغير وسيط. وكان لا بد من أربعة قرون لإرساء الدولة الإسلامية في البلاد. وما أن رست على يد المرابطين حتى أصبح من مهام المغرب حماية دار الإسلام في هذه الربوع الغربية من البحر الأبيض المتوسط. وكان جديرا بها يومئذ أن تحمل اسم المغرب الأقصى إشارة بما أضحى للبلاد من الإشعاع والنفوذ والمسؤولية، فذاع دوي حواضرها الكبرى وبخاصة فاس ومراكش التي تناولتها الألسن العجمية فصاغت منها كلمة "ماروك" يوم كان الغرب الإسلامي من سراگوسة إلى نهر النيجر ومن سوس إلى سوسة تحت حكم تلك العاصمة في ظل الدولة الموحدية. أما بعد الموحدين وبعد بني مرين الذين راموا السير في نفس الخطى، وإن لم يحالفهم الحظ، فإن مسؤولية الدولة المغربية المسلمة باتت مهمة دفاعية غايتها ردّ هجمات النصارى والسعي في أن تبقى كلمة الله هي العليا في هذه الديار. ولو لا ما كان من استماتة الراعي والرعية ومن التمسك بأخلاق الإسلام ظاهرا وباطنا لفعل فينا البرتغال والإسبان ما فعلوه في القارة الأمريكية. وعندي أن الامتناع عن احتساء الخمر مما وقانا تلك الأضرار، وهيأ لنا سبل المحافظة على شخصيتنا الوطنية في أشكالها الموروثة إلى حدود مطلع القرن العشرين.

ثم نزلت بنا نازلة الاستعمار سنة 1912 ففتحت صفحة جديدة من تاريخنا حيث دخلنا مكرهين عالم المعاصرة والحداثة. وما الحداثة ؟ أليست هي الداء الذي منه الدواء والمصيبة المفضية إلى الصواب وجدلية المحافظة التي لا معنى لها إلا مع التجديد أو التجديد الذي لا بد لها من الاتكاء على المحفوظ ؟ ولذلك أخرجنا الاستعمار بنفس ما دخل علينا به من السلاح. ويوم تخلصنا منه أدركنا أن الجهاد الأكبر ينتظرنا وأنه فرض عين.

فلقد تغير منا كل شيء حتى صرنا نتعجب مما كان عليه أجدادنا. ولو كتب لهم أن يطلوا علينا لولّوا مستنكرين لهؤلاء الحفدة الذين يتزيون بزي النصارى ويأكلون "السوسيس" و"الكومير" ويشربون فانطا وكوكاكولا، ويسكنون العمارات الشاهقة أو أكواخ القزدير، ويطرفون البلاد طولا وعرضا في بضع ساعات ويتكلمون لغة كأنها ضرب مشوه من الفسيفساء البلدية والرومية. ومنهم من هو راض فيرى أن ذلك هو عنوان الرقي فيطلب هل من مزيد. ومنهم من هو غير راض ويريد إيقاف التاريخ والعودة إلى الصافي الخالص لو كان موجودا. وكلاهما في أرجوحة واحدة، حركتها ليست بيد أحد ويقتعدها كل من صار منتقلا من طور إلى طور آخر من التاريخ. قال ابن خلدون : "من الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام، وهو داء دوي شديد الخفاء إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة فلا يكاد يتفطن له إلا الأحاد من أهل الخليقة". ثم قال : "وإذا تبدلت الأحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم بأسره وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث".

إن الشخصية المغربية اليوم في معاناة من صدمة التبدل. فالمخاض عسير، والمجتمعات البشرية شأنها شأن الطبيعة لا تتغير إلا بالهزات العنيفة وبالرياح العاتية مما لا سبيل إلى تفاديه إلا بمزيج من مسايرة التيار الجارف تارة، والصمود والثبات تارة أخرى، والتفطن إلى ما يفضي إليه، والسعي في ركوب الموج المنجي قدر المستطاع. وأي عبارة أوضح في البلاغ في هذا الصدد من عبارة "ثورة الملك والشعب" ؟ فنحن الأمة التي قائد الثورة فيها هو الملك نفسه. وقد أطلقت العبارة أول الأمر على ما جرى من انتفاضة الأمة جمعاء بقيادة ملكها احتجاجا على إقدام الاستعمار على المس برمز السيادة في غشت 1953. لكن ثورة الملك والشعب مازالت سارية المفعول فينا مستمرة على اعتبار ما تسعى فيه الدولة من الإقدام الحذر ومن المحافظة المتحفزة وتتطلع إليه الجماهير المغربية من ركوب عربة الرقي دون الإخلال بالأصول والمقدسات. وفي ذلك نبذ للجمود ورفض للشلل واتقاء للعجلة خوفا من المسخ. ومعنى ثورة الملك والشعب باختصار أن الشخصية المغربية تأبى الطيش مثلما أنها تأبى الخمول. وإنها استخلصت من نازلة الاستعمار أن لا سبيل إلى النهضة إلا بالاعتماد على النفس، والاعتماد على النفس كناية عن رسم الغايات والاجتهاد في بلوغها بما يتوفر عليه المرء من إرادة ومن ممكنات. ولو لا أن الشخصية المغربية تسير في حاضرها بناء على هذه الحكمة لما أدركنا كيف تسير البلاد بمنتهى الاتزان مع انعدام كل أسباب التوازن، وذلك هو سر قدرتنا على مواجهة "التحدي" الذي يقود صفوفنا إليه عرش موهوب. وغني عن البيان أن تلك الحكمة مصدرها طول ما وراءنا من التجارب التاريخية و"الحاضر يشهد لذلك، فالماضي أشبه بالأتيّ من الماء بالماء "كما قال ابن خلدون.

مما نفهم منه أن الأمم التي لها مثل ما لنا من الماضي فإن لها مستقبلا. والمستقبل وجه من وجوه المسؤولية بما جبل عليه الإنسان فردا وجماعة من المحافظة على نفسه وعلى جنسه فهو مأمور بذلك شرعا. ولا جدال في أن المسؤولية من مقومات الشخصية. فما هي مسؤولياتنا بالنظر إلى المستقبل ؟ إنها كثيرة ولا نريد الإتيان على إحصائها بقدر ما نريد الإشارة إلى بعض خطوطها العريضة لإتمام ما ذهبنا إليه من رسم معالم الشخصية المغربية.

وأول ذلك مسؤولية محو الأمية من صفوفنا ذكورا وإناثا، وإماطة ذلك الرقم القبيح من إحصائياتنا القائل بأن أزيد من نصف مواطنينا ما زالوا غرباء عن أبسط عمليات القراءة والكتابة والحساب. ورحم الله محمد السليماني ابن الأعرج الذي كتب قائلا منذ ما قبل الحماية بأن "الجاهل الآن كالأعزل في القرون الماضية". ويمكن أن يقال أيضا إن من لا

يزال نصف ساكنته في غيبات الأمية كمن يملك أرضا خصبة لكنه لا يعتني بزراعتها. إن الأمية قحولة لا مسؤولية فيها للطبيعة وإنما المسؤولية كل المسؤولية على الإنسان. وأي شخصية لمن نصفه مجمد ؟ وكيف نكون من المنتجين الصالحين إذا ظلت الأغلبية منا مشلولة ؟ ومن يبالي بنا إذا ظلت غالبيتنا حبيسة الأحاسيس البدائية والأوهام والتوكل الأعمى ؟

ويزيد الأمر تعقيدا أننا تعلمنا من الاستعمار كيف نتغلب على المجاعة وعلى الوباء، فتكاثر عددنا بما لم يسبق له نظير في تاريخنا حيث تضاعف بما لا يقل عن ستة أضعاف في ثمانين سنة. وهل الأمة إلا برجالها ونسائها لو كانت هذه السواعد كلها مجندة من أجل النهوض بطاقاتنا الإنتاجية. فنحن في حاجة إلى أن نشتغل ولسنا في حاجة إلى المساعدة الخارجية إلا بعد أن ندلي بدلونا في سوق العمل. والأوراش أكثر من أن تحصى لو فتحت كلها، ويومئذ يتبيّن أن ثلاثين مليون نسمة لا تكفي لتنمية أراضي المغرب الشاسعة. ويومئذ أيضا نكف عن تصدير عمالنا وأدمغتنا للخارج. والعمل الوطني هو إعمال العقل في شؤون الوطن. والعقل هو الاتكال على النفس. والاتكال على النفس هو الابتكار والمبادرة. أما الظن بأن المن والسلوى سوف ينزل علينا بدون كد ولا مثابرة فذلك لم يقع أبدا حتى يقع اليوم أو غدا. إننا في سباق بين الديموغرافية والإنتاج، فإن ظلت الديموغرافية سابقة فإن المغاربة في خطر وإن سبق الإنتاج فالخير كل الخير أمام.

والمنتج المتكل على نفسه هو اللبنة العتيدة التي ينبني عليها صرح الديموغرافية. ولا ريب أننا أقمنا جميع أشكال الديموقراطية لدينا. ولا سبيل للاستهانة بما للشكل من التأثير في الجوهر. إلا أنه لا سبيل للاغترار بما لا يزال يفصلنا عن النظام الديموقراطي السليم من الفواصل. وذلك لا لشيء سوى لكون الأغلبية فينا مازالت لا تصوت عن قناعة ويقين فهي عالة على غيرها. بينما ينبغي للديموقراطية أن يكون المواطن فيها قادرا مقتدرا ماسكا بزمام أمره واعيا بما له وبما عليه وبما قطع من الأشواط وبما لا يزال أمامه من الطريق. فلا ينال الديموقراطية إلا من يستحقها. ولا يستحقها إلا من يعيش ماضيه وحاضره والمستقبل في آن واحد. أما "ولد اليوم" فإنه لا يعيش إلا العيشة البدائية وذلك حرام على مشارف الألف الثالثة بعد الميلاد وإن لم توافق إلا الربع الأول من القرن الخامس عشر في التاريخ الهجري.

أما بعد، فهل وفقنا إلى الإلمام ببعض جوانب الشخصية المغربية من خلال ما رمناه من رسم الإطار الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي والتاريخي الذي هو منبتها ؟ لا شك أننا ذكرنا شيئا من ذلك وتغافلنا عن أشياء أخرى لضيق المقام وضرورة الاختصار. وأصح ما يمكن استخلاصه أن الشخصية المغربية ككل ما يعني البشر شخصية مركبة معقدة. وعندي أن سر ذلك ليس في علوم النفس بقدر ما هو في طول التجربة التاريخية وامتيازها حتما عن أي تجربة أخرى. ولولا ما كان من امتداد تلك التجربة لما أفضى ذلك التركيب وذلك التعقيد إلى ما يحسه أهل البلاد ويشهد به الأجانب من تماسك شخصيتنا ومن انسجامها مع نفسها.

وعندي أن السر ليس في الاتفاق مع الغير فذلك من المستحيل، ولكن السر في الاتفاق مع النفس فذلك عنوان الفلاح. وعلى كل حال فقديما قال الشاعر :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ابن خلدون، *المقدمة*، تح. عبد الواحد وافي ؛ البكري، *المغرب في بلاد إفريقيا والمغرب*، Paris - Maisonneuve، 1965 ؛ يوسف التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، تح. أحمد التوفيق، الرباط، 1984 ؛ محمد السليماني، *اللسان المغرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب*، الرباط، 1971 ؛ علال الفاسي، *المختار من شعره*، نشر اللجنة الثقافية لحزب الاستقلال، الرباط، 1976 ؛ الحسن الثاني، *التحدي*، المطبعة الملكية، الرباط، 1983 ؛ ابن عبد الله الحسن بن علي، *قصص وأمثال من المغرب*، الدار البيضاء، ج 1، 1996 ؛ خالد ابن الصغير، *وثيقة غير منشورة عن ملاح مراكش في نهاية القرن التاسع عشر*، هسبريس ـ تامودا، العدد XXXV، ج 2، 1997، ص. 25 ـ 71 ؛ ويندوس جون، *الرحلة إلى مكناس*، تعريب زهراء إخوان، مكناس، 1994.

إبراهيم بوطالب

**المغافرة**، فرقة من الأوداية. وتنحدر الأوداية، ومن ضمنها المغافرة من قبيلة ودي إحدى فصائل عرب بني معقل الذين كانوا ينتشرون منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري، في قفار الصحراء، خلف جبال الأطلس، من ملوية إلي شواطئ المحيط الأطلسي. وكان الأوداية ومن ضمنهم المغافرة والشبانات، يشكلون في هذا التاريخ فرقة من ذوي حسان أحد فروع قبيلة معقل الرئيسية التي كانت تشمل ثلاثة بطون كبرى هي : ذوو عبد الله، وذوو منصور، وذوو حسان. وكانت مواقعهم في بداية استقرارهم بالمغرب في نواحي ملوية بجوار إخوانهم ذوي منصور. إلا أنه بعد انقراض الإمبراطورية الموحدية واضطراب الأحوال في البلاد، استنجد علي بن يدر الزكندري صاحب السوس، بهؤلاء القوم، وأنزلهم بهذا الإقليم، واستعان بهم على حرب قبائل كزولة الظواعن، وحصن نفسه بهم. وبعد تغلبهم على سكان المنطقة واستقرارهم فيها، صارت لهم دالة على قصور سوس ونول وتارودانت، ووضعوا الأتاوات عليها. وعندما وصل السعديون إلى الحكم، دخل الأوداية ومن ضمنهم المغافرة والشبانات وأهل سوس من معقل في طاعتهم، وصاروا يكونون نواة جند هذه الأسرة وحميتها العسكرية، وأصبحوا يندرجون في عداد قبائل الجيش التي انتخبها سلاطين هذه الدولة لتوطيد سلطتهم في البلاد، ودرء المخاطر التي كانت تحيط بها، وقد ظلت هذه القبائل متجمعة في إقليم سوس، تحظى برعاية الدولة، وتستفيد من الامتيازات التي أغدقها عليها سلاطينها طيلة القرن

السادس عشر. وعندما ذهبت ريحها، افترقت الأوداية إلى فصائل، وتشتت في القبائل، واتجهت فرق منها نحو الشمال. ففي نهاية القرن السابع عشر الميلادي، كانت بعض أفخاذ الأوداية تنتجع في أحواز مراكش، وتعيش في وئام تام مع عرب الشبانات. وعندما دخل مولاي إسماعيل مدينة مراكش سنة 1088، كانت الأوداية، ومن ضمنها المغافرة، تنتشر في بسيط البحيرة. وقد وردت في الحوليات التاريخية معلومات كثيرة عن أسباب تأليف وجمع جيش الأوداية في عهد هذا السلطان، وظروف انتقال هذه القبيلة إلى هضبة سايس وتذهب تلك الروايات إلى أنه، عندما طرد المولى إسماعيل أحمد بن محرز من مراكش ودخلها فاتحا في التاريخ المشار إليه أعلاه، خرج في يوم من الأيام إلى الصيد بالبسيط المعروف بالبحيرة. فرأى أعرابياً يقطع السدر بشفرة ويضعه أمام غنمه لتأكل منه. فأمر خدامه بإحضاره فأسرعوا إليه، وأتوا به. ولما مثل أمامه، سأله السلطان عن نسبه، فأجاب : إني أنتسب إلى قبيلة ودى فرقة من قبيلة عرب معقل بالصحراء، وأخبره بأنهم دخلوا من بلاد القبلة بسبب جذب أصابهم قال : "دخلنا السوس بنجع كبير فافترقنا، وذهبت كل طائفة منا إلى قبيلة فنزلت عليها، ونحن نزول مع الشبانات" قال له المولى إسماعيل "أنتم أخوالي وسمعتم بخبري ولم تأتوني". وفي هذا الصدد، تذهب الروايات التاريخية إلى أن المولى الشريف لما وقع في أسر أبي حسون السملالي صاحب السوس وماولاها، أعطاه هذا الأخير جارية مولدة من سبي المغافرة، من الأوداية، فأنجب منها المولى إسماعيل وأخاه المهدي وبذلك تكون الأوداية بصفة عامة تمتّ بصلة الرحم إلى السلطان مولاي إسماعيل الذي كان يعتبرهم أخوالاً له. أمر السلطان صاحبه بالرجوع بغنمه إلى خيمته والقدوم عليه بعد ذلك إلى مراكش وأوصى به من يوصله إليه. ثم بعد أيام قدم أبو شفرة المشار إليه أعلاه، على السلطان فكساه، وبعث معه خيلا يجمع بها إخوانه من قبائل الحوز. فجمع من وجد منهم. وجاء بهم إلى السلطان، فأثبتهم في الديوان، وكساهم، وحملهم ثم نقلهم إلى مكناسة الزيتون، دار الملك ومقر الخلافة. ومنذ ذلك العهد، استقر الأوداية ومن ضمنهم المغافرة في ناحية مكناس، ثم انتقلوا إلى أحواز فاس لحراسة المدينة ومراقبة الفاسيين. وقد اعتمد مولاي إسماعيل على هذه القبيلة لتطويع قبائل صنهاجة فازاز، وتمكن برجالها وخيلها من المحافظة على التوازن السياسي في المنطقة، بعد وصول الفلول الأولى من قبائل آيت إدراسن إلى مشارف سايس، وقيام قوة عسكرية جديدة ممثلة في عبيد البخاري الذين أصبحوا في عهد هذا السلطان، يشكلون قوة عسكرية لا يستهان بها، إلى جانب قبائل الجيش، وعسكر قبائل النائبة. وبعد وفاة مولاي إسماعيل بايع الأوداية، وعبيد البخاي وأعيان الدولة، ابنه أحمد الذهبي، ثم ناصروا بعد وفاته، أخاه عبد الله، وشدوا عضده، ووقفوا إلى جانبه ضد أعدائه. وفي دولة سيدي محمد بن عبد الله، ترددت في الحوليات التاريخية أخبار كثيرة عن حروب الأوداية ومن ضمنهم المغافرة، مع آيت إدراسن وآيت يمور والعبيد. ويبدو أن هذه القبيلة، قد أصبحت في هذا التاريخ ذات شوكة وقوة عسكرية وصارت تهدد الدولة نفسها. فعندما تجبر هؤلاء القوم وطغوا في المنطقة، عقد السلطان حلفاً بين آيت إدراسن وآيت يمور، وأمر العبيد بالوقوف إلى جانبهم في حروبهم ضد الودايا وجروان، لإضعافهم، والحد من خطرهم. وفي عهد مولاي عبد الرحمان تفاحش أمر الأوداية وخطرهم على المنطقة وفاس بصفة خاصة، وازداد عتوهم وتجبرهم على السلطان فخرجوا عن طاعته، وخلعوا بيعته من عنقهم، ثم حاولوا اغتياله. وكان المغافرة في طليعة الشرذمة المتزعمة لهذا التمرد. وبعد حروب طاحنة بينه وبينهم حول فاس الجديد وقصبة ظهر الخميس، استأصل مولاي عبد الرحمان شأفتهم، وشتت فلولهم، فغرّب المغافرة إلى قصبة الشرادي بنواحي مراكش، ونقل فرعاً من الأوداية إلى العرائش وأحوازها، وأعادهم فيما بعد إلى جبل تسلفت. وبعد مدة من الزمن رحل أهل سوس إلى رباط الفتح، فأنزل بعضهم بتمارة، والبعض الآخر بقصبة الأوداية، وأسقط عنهم مؤقتا صفة الجندية، وخلعهم من ديوان الجيش. وبذلك لم يتبق منهم في هضبة سايس سوى فرق صغيرة لا تقوى على صد قوات المخزن، والتفكير في الخروج عن طاعته.

ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 1959 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الأجزاء، 7، 8، 9، الدار البيضاء، 1956.

العربي اكنينح

**مغراوة**، إمارات تأسست بعدد من المدن المغربية، بين سنتي 368 / 978 و462 / 1070. وكانت تحكم تحت مظلة أموي الأندلس والحجابة العامرية ثم استقلت بعد ضعفها وزوالها. فإضافة إلى مدينة فاس التي انفرد بالحكم فيها أبناء زيري بن عطية تكونت إمارة أخرى بسجلماسة حكمها بنو خزرون بن فلفل المغراوي، ثم إمارة أغمات التي حكمها لقوط بن يوسف ابن علي المغراوي.

بدأت الطموحات السياسية للمغراويين تظهر عندها قام مصالة بن حبوس صاحب تاهرت بمحاربة القبائل الزناتية التي كانت مضاربها تمتد من وادي شلف إلى نواحي تلمسان، وذلك سنة 312 / 924، وقد اصطدم مصالة بقوات قبيلة مغراوة بقيادة محمد بن خزر المغراوي، فقتل مصالة وانهزم جيشه، مما سمح لمحمد بن خزر بمهاجمة تاهرت والانتصار على قوات الفاطميين بها، وتابع انتصاراته حتى تمكن من السيطرة على إقليم الزاب كله سنة 317 / 929. وكانت هذه الانتصارات حافزا للخلفية الأموي عبد الرحمن الناصر لمهاجمة مليلة وسبتة لتوطين دعائم التدخل الأموي بالمغرب ضدا على الفاطميين وحليفهم موسى بن أبي العافية

المكناسي الذي تمكن من السيطرة على مناطق شاسعة في شمال المغرب الأقصى تمتد من فاس إلى نكور، لكن أمام استشعار هذا الأخير للخطر الذي يهدده حول ولاءه للخليفة الأموي، فأصبح المغرب كله تابعا له وكذا الجزء الغربي من المغرب الأوسط بولاء محمد بن خزر المغراوي.

وأثناء مطاردة المنصور الفاطمي للثائر أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي اضطر محمد بن خزر لمهادنة الفاطميين الذين اقتربوا من مجاله سنة 335 / 946 لكن عبد الرحمان الناصر استرجع ولاء القبائل الزناتية. وبعد أن تمكن المعز بن باديس من دخول فاس عين عليها أحمد ابن بكر ابن أبي سهل الجذامي، لكن سكان المدينة خلعوا طاعته وبايعوا عبد الرحمن الناصر، فولى عليها من قبله محمد بن الخير المغراوي الذي حكمها عاما واحدا ثم انتقل إلى الأندلس برسم الجهاد، واستخلف على المدينة ابن عمه أحمد بن أبي بكر بن أحمد الزناتي. ثم عاود الفاطميون الهجوم على المغرب، فسيروا جيشا كبيرا بقيادة جوهر الصقلي رفقة أمراء صنهاجة بالمغرب الأوسط فتمكن من السيطرة على فاس وسجلماسة سنة 348 / 959 وفرَّ الزناتيون والأدارسة إلى الأندلس.

إمارة مغراوة بفاس : بعد فشل حملة بلكين بن زيري وموته سنة 373 / 983 في الطريق بين سجلماسة وتلمسان استغل الفرصة أحد زعماء مغراوة وهو زيري بن عطية فاستولى على فاس وأصبح أمير زناتة كلها، وكان مواليا لهشام المؤيد، فعزم أبو الفتوح المنصور بن بلكين بن زيري على استرجاع فاس وسجلماسة فسير إليهما جيشا كان مصيره الهزيمة عندما خرجت إليه جموع زناتة من فاس بقيادة زيري بن عطية المغراوي سنة 374 / 984، وعادت فلول الجيش المنهزم إلى تاهرت فكانت آخر حملة للمنصور بن بلكين إلى المغرب.

كان زيري أكبر أمراء مغراوة في إنجازاته العسكرية والسياسية، وإليه يعود بناء مدينة وجدة سنة 384 / 995. أما أداء أمراء مغراوة بعده فكان متواضعا. وبعد وفاة زيري بن عطية سنة 391 / 1001 حكم ابنه المعز الذي أقره على فاس وعلى المغرب عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر سنة 393 / 1003 ، واستمر في الحكم إلى أن عزل سنة 417 / 1026 ، فخلفه ابن عمه حمامة بن المعز بن عطية الذي حكم مرتين ؛ المرة الأولى بين 417 و424 / 1032 ثم انتزع السلطة من المغراويين تميم بن زيري بن يعلى اليفرني، وهو من بني يدو المتغلبين على نواحي سلا، والمرة الثانية بين 429 / 1038 و431 / 1040 ، وتداول السلطة بعد حمامة خمسة أمراء، عرفت المدينة ازدهارا ملحوظا في عهد أحدهم وهو دوناس بن حمامة (446 / 1054 ـ 452 / 1062). أما آخر أمرائهم فهو تميم بن حماد بن معنصر بن المعز بن زيري الذي تولى الحكم سنة 460 / 1068 . لكن المرابطين فاجأوه بالهجوم عليه سنة 462 / 1070 فتمكنوا من قتله والسيطرة على المدينة، وبذلك قضوا على آخر إمارة مغراوية بالمغرب.

إمارة مغراوة بسجلماسة : بعد أن تقوت قبيلة مغراوة بتحالفها مع أمويي الأندلس ومناوأة الفاطميين الشيعة، زحف أحد شيوخهم ويدعى خزرون بن فلفل بن خزر المغراوي إلى مدينة سجلماسة في جيش كثيف، فهزم الأمير أبا محمد المعتز بالله بن الشاكر لله المدراري سنة 363 / 973 ، منهيا بذلك إمارة بني مدرار، وتحولت سجلماسة إلى إمارة مغراوية موالية للأمويين بالأندلس تحت حكم هشام الثاني، الذي بادر بتعيين خزرون بن فلفل واليا على سجلماسة، وبذلك امتدت سلطة الأمويين على أغلب التراب المغربي في مرحلة عرفت مسلسل انهيار الإمارة الإدريسية واشتداد الصراع الفاطمي الأموي حول المغرب الأقصى.

وبعد موت خزرون سنة 369 / 979 مقتولا على أيدي أبي الفتوح بلكين الصنهاجي حليف الفاطميين بعد دخوله سجلماسة، تولى حكم المدينة ابنه وانودين، لكنه لم يصمد في وجه حملة بلكين بن زيري ففر منها، وفر أمراء زناتة ومنهم بنو يعلى بن محمد اليفرني وبنو عطية بن عبد الله بن خزر المغراوي وبنو فلفل بن خزر والتجأوا إلى سبتة مستنجدين بالمنصور بن أبي عامر. وقد هاجم بلكين بن زيري عدداً من المدن المغربية مثل فاس والبصرة وأصيلا وشالة وقتل العديد من أهلها ثم عاد إلى إفريقية لكنه توفي في الطريق سنة 373 / 983.

وبعد استرجاع المنصور بن أبي عامر لسجلماسة عين عليها واليا من قبله، فاستعان وانودين بن خزرون بواضح الوالي الأموي على فاس لاسترجاع ولايته فتمكن من ذلك سنة 390 / 999. لكنه لم يلبث أن أعلن استقلال الإمارة سنة 407 / 1016 عندما زال حكم الأمويين، ومد نفوذ إمارته إلى درعة، وحاول أن يمده أيضا إلى الشمال، فدارت بينه وبين المعتز بن زيري بن عطية المغراوي حاكم فاس منذ سنة 396 / 1005 حرب ضروس انتهت بتراجع المعتز، فوصل نفوذ وانودين إلى حدود مدينة صفرو وأصبح يهدد فاساً، وبذلك يكون أقوى أمراء مغراوة بسجلماسة.

وبعد وفاة وانودين خلفه ابنه مسعود، وكان مستبدا في حكمه، وهو الذي دخل عليه المرابطون المدينة سنة 445 / 1052 بقيادة أبي بكر بن عمر اللمتوني، ففر ثم نظم هجوما مضادا بعد ذهاب أبي بكر بن عمر إلى الصحراء واستعاد المدينة على إثره، وقتل من بها من اللمتونيين سنة 448 / 1055 ، ويبدو أن سكان المدينة كانوا مستائين من حكم مسعود فلم يترددوا من مراسلة عبد الله بن ياسين فنظم المرابطون حملة ثانية بزعامة أبي بكر بن عمر أيضا تمكن بها من استعادة المدينة سنة 449 / 1056 ووضع حدا لإمارة سجلماسة.

إمارة مغراوة بأغمات : لا تعرف ظروف تأسيس هذه الإمارة، سوى أنها في زحف المرابطين نحو الشمال كانت تحت حكم لقوط بن يوسف بن علي المغراوي، وعندما هاجمها المرابطون سنة 449 / لجأ إلى بني يفرن أمراء تادلا، الذين لم

يفتأوا أن تعرضوا بدورهم لهجوم المرابطين، فقتل لقوط بن يوسف في إحدى المعارك، وتزوج أبو بكر بن عمر من زوجته زينب النفزاوية.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 3 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 2، ص. 117 ـ 151.

محمد المغراوي

**مغراوة**، قبيلة تنتسب إلى زناتة (ازناتن، ازناسن، إجاناتن)، الاتحادية التي تنتمي حسب النسابين العرب والبربر في العصور الوسطى إلى جد أعلى يدعى زانا (أو جانا أو شانا حسب المصادر المختلفة)، وهو ابن ضاري بن زجيك (أو زحيك) بن مادغيس الأبتر بن بر بن قيس عيلان.

ولا يزال هذا التقسيم الثنائي للبربر إلى بتر وبرانس، أو التقسيم الثلاثي إلى زناتة وصنهاجة ومصمودة غامضا، ولم يصل فيه الباحثون إلى تفسير مقنع لحد الآن.

ويلاحظ في المصادر المختلفة أن زناتة تتفرع أحيانا إلى قبائل مختلفة، وتارة أخرى تقدم كقبيلة فقط. وتفسير ذلك أن تطور قبيلة زناتة قد أدى إلى خروج فروع وبطون كثيرة منها توزعت المجال الأصلي للاتحادية، وزحفت على مجالات مجاورة، وتفرعت بدورها إلى بطون وأفخاذ حتى صارت زناتة الأم عبارة عن قبيلة واحدة من هذه القبائل فقط. وكانت القبائل الزناتية تحتل مجالا واسعا في شريط شمالي يمتد من سهول طرابلس وإفريقية إلى منطقة تازة ؛ وشريط صحراوي يمتد من واحات غدامس إلى واحات سجلماسة.

ويبدو أن الدورة العصبية للزناتيين قد بدأت مع الفتح الإسلامي للمنطقة خاصة، عندما أسلمت قبيلة مغراوة في مرحلة مبكرة، وضمنت ولاء الزناتيين للمسلمين الفاتحين، فقد قال ابن خلدون : "نهضت زناتة وكانت خالصة للمسلمين منذ إسلام مغراوة". وانضاف إلى مغراوة في هذه الدورة العصبية بنو عمومتهم بنو يفرن، لكن هذه الدورة الزناتية لم تصل إلى أوجها إلا فيما بعد على يد المرينيين وبني زيان.

انطلق مغراوة، منذ عهد الأدارسة، للنهوض بأدوار سياسية بالمغرب متفوقين على بني يفرن. فقد كان بنو خزر رؤساء قبيلة مغراوة أقوى قبائل منطقة تلمسان، وليس مستبعدا أن يكون مغراوة قد قدموا بيعتهم إلى المولى إدريس الأكبر عند زيارته لتلمسان سنة 174. لكن المؤكد هو أن القبيلة قد استقبلت محمد بن سليمان، ابن عم المولى إدريس الأزهر الذي ولاه على المنطقة سنة 199 بعد أن بايع مغراوة المولى إدريس الأزهر بزعامة أميرهم محمد بن خزر. ومنذ ذلك التاريخ وهم يمارسون أدواراً سياسية في المنطقة الممتدة من تلمسان إلى نواحي فاس إلى أن أمكنتهم الفرصة في أواخر العصر الإدريسي من تأسيس عدة إمارات بفاس وأغمات وسجلماسة.

انتقلت بعض بطون مغراوة أيضا إلى الأندلس وكانوا من بني خزرون، لكن عددهم كان قليلا، وكانوا مناصرين لسليمان المستعين بالله الذي تمكن من عزل هشام المؤيد سنة 403 ، وعندما سيطر على قرطبة، قسم بلاد الأندلس على حلفائه من رؤساء البربر الذين كانوا يكونون جنده، فأعطى إلبيرة لصنهاجة، وأعطى الجوف لمغراوة وبني برزال، لكن مغراوة لم يستطيعوا تكوين كيَانٍ سياسي مماثل لبعض الكيانات الأمازيغية التي تحولت فيما بعد إلى إمارات الطوائف.

بدأ نجم قبيلة مغراوة يأفل منذ عهد المرابطين، فانحصرت في مجالها القبلي كقبيلة لا يحركها طموح في لعب أية أدوار سياسية.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، 3 : 113 ـ 262 ـ 268 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 7 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 1 ـ 2 ؛ دنييل أوسطاش، *الجامع في الدراهم الإدريسية*، بنك المغرب، 1971.

محمد المغراوي

**المغراوي**، تنتشر الأسر المغراوية بعدد من المناطق بالمغرب، وبدول المغرب العربي أيضا إلى ليبيا. وتختلف أنساب المغراويين بالمغرب بين الأمازيغيين الزناتيين المقيمين خاصة بقبيلة مغراوة شمال تازة وبشرق المغرب، أو نسبة إلى منطقة مغراوة الواقعة ضمن تراب زناتة قرب المحمدية ؛ أو شرفاء كما هو الشأن بالنسبة لعدد من الأسر بمناطق مختلفة، ومنهم فرع في قرية كتامة بقبيلة أهل سريف جنوب شرق مدينة القصر الكبير، وقد اكتسب هؤلاء الشرفاء النسبة المغراوية بالإقامة بين ظهراني قبائل مغراوة منذ عصر الأدارسة بعدة مناطق.

تتعدد فرق الشرفاء المغراويين، فهناك فرقة منهم تنتمي إلى السليمانيين أبناء محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل الذي ولاه حكم مدينة تلمسان ابن عمه الإمام إدريس الأزهر ؛ وتنتمي فرقة أخرى منهم إلى سيدي يعقوب المغراوي من أحفاد الإمام محمد بن إدريس الأزهر ؛ ومنهم فرقة ثالثة من أحفاد عيسى بن إدريس الأزهر حسبما تدل على ذلك الظهائر والوثائق التي بين أيديهم ؛ وفرقة رابعة يعرفون بالبويعقوبيين المغراويين.

*معلومات شفوية* ؛ العياشي المريني، *الفهرس في عمود نسب الأدارسة*، 1986، ص. 25 ـ 54 ـ 56 ـ 79.

محمد المغراوي

**المغراوي، عبد العزيز** من مشاهير شيوخ الملحون في العصر السعدي. أصله من تافيلالت، ونشأته في فاس عاش بها أيام المنصور الذهبي (986 ـ 1012). ويتطابق اسمه مع اسم عالم وفقيه، شغل في فاس منصب قاضي الجماعة، وتوفي بفاس عام 1014 / 1605. وهو تطابق حمل الأستاذ محمد الفاسي على اعتباره ـ هو نفسه ـ شاعر الملحون صاحب الترجمة.

وهناك روايات لعلها ترجح القول بمكانته العلمية، منها أن الإدريسي في كتابه *كشف الغطا* نعته بأنه "كان من أهل العلم وذوي الزهد والورع"، ومنها ما تناقله أغلب الأشياخ بفاس من "أنه كان يدرس بجامع القرويين" و"كان النظر إليه في جامعة القرويين".

نظم المغراوي في كثير من أغراض الملحون. وله في المرأة: نظرة في الريم، وله الجيلالية، وحربتها :

ياذكار اجنانـي ارعني ياحايز الفخـر
يا سيد الجيلانـي يا مغيث البر والبحر

وله في الوعظ "الوصاية" و"الوفاة".

وله في الرثاء "لعزو" وهي مرثية في المنصور الذهبي، وحربتها :

عام شايب مات الذهبي اختار لتراب ما بقى للسعدي باش ايرجعـو

ويعتبر من أمهر من نظم الغزوات والقصص الملحمية. وله في ذلك قصائد متعددة منها : التميمية، والشباب الغساني، والموؤودة، وجرير بن جرير، والشدادة، واليتيمة.

وقد أحصى الأستاذ محمد الفاسي من قصائده أربعا وستين قصيدة ؛ على أن شهرته من بين أشياخ الملحو ن تعود إلى جملة أمور منها :

- خلافة الناظم ابن عبود - بعد وفاته - في رعاية مسيد سيدي فرج بسوق الحناء بفاس. وقد أصبحت العادة منذ توليه هذه الرعاية أن تلقى في صباح عيد المولد النبوي قصائده : التفافح، والمعراج، واليتيم، وزواج مولاتنا فاطمة الزهراء، تتلوها بعض قصائد الحاج أحمد الغرابلي. فإذا حل صباح اليوم السابع عاد الأشياخ لإنشاد "الشباب الغساني"، و"هول القيامة". وقد فتح المجال - بعد وفاة المغراوي - أمام شعراء آخرين كان في مقدمتهم الغالي الدمناتي.

- السبق إلى نظم "العروبيات". وهي أبيات مثناة يمهد بها لبعض أقسام القصيدة. ومن نماذج ذلك ما يظهر في قصيدة "الغاوي".

- ابتكار الصروف : فقد كان من عادة الأشياخ إذا أرادوا نظم قصيدة أن يعمدوا إلى قصيدة مشهورة فينظموا على قياسها ؛ ولما أقبل المغراوي اتخذ "الدندنة" مقياسا لوزن الأبيات، مستعيضا بها عن محاكاة القصائد الجاهزة. والدندنة عبارة عن كلمة "دانْ" التي يسبقها أحيانا حرف نداء فتأتي على وزن "أدان" أو "يادان"، وتتصل بآخرها أحيانا أخرى ياء كياء النسب فتأتي على صيغة "داني" أو "ياداني"؛ وبذلك فهي تقوم من أشطار القصيدة مقام التفعيلة من الشعر العروضي الموزون، وكأنما وضعها المغراوي لترجيع اللحن الموسيقي للبيت المغنى، أو لتغطية الجملة اللحنية وإشباعها في حالة امتداد نفسها.

ومن خلال النموذج التالي يمكن أن نتبين كيف تقابل حركات و سكونات الدندنة الحروف المتحركة والساكنة من البيت الشعري. يقول الشيخ عبد القادر العلمي في "المزيان":

حَنْ واشفقْ واعطفْ برضاك يالمزيـانْ لا اسماح ميعاد الله يالهاجــرْ

وتقطيع البيت بالدندنة كالآتي :

حَنْ / واشفقْ / واعطفْ بَرْ / ضَاك يالـ / مزيـانْ
دانْ / داني / ياداني / دانْ / دانْ / يادانْ
لا اسْ / مَاح / ميعَادالْ / لَهْ / يَالْ / هَاجـرْ
دانْ / داني / ياداني / دانْ / دانْ / يادانْ

وقد انقطع العمل بدندنة المغراوي بعد أن اقترح المصمودي استبدالها بـ "مالي مالي"، وعاد الأشياخ إلى عادتهم الأولى، ينظمون على قياسات أمهات القصائد.

إ. الإدريسي، *كشف الغطا عن سر الموسيقى ونتائج الغناء*، ط 1، الرباط، 1935، ص. 102 ؛ محمد الإفراني، *صفوة من انتشر*، ط. فاسية ؛ عباس الجراري، *القصيدة*، ص. 587 - 591 ؛ محمد الفاسي، *معلمة الملحون*، ج 2، ق 2، ط. أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ص. 258 - 265، *البحث العلمي*، ع *1*، س *1*، 1964 ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، *التراث الشعبي*، ع 10، س 11، 1980، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ص. 118 - 120.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**المغرب** (جريدة -) جريدة وطنية أسسها بمدينة سلا سعيد حجي في شهر أبريل 1937 ، بمساعدة محمد اشماعو وأحمد بن غبريط، وذلك بعد رفض الحماية طلباته المتكررة واحتجاجات كتلة العمل الوطني ومطالبتها بحرية الصحافة، وكانت خطة هذه الصحيفة، كما جاءفي افتتاحية العدد الأول من سلسلتها الأولى، "ترمي أولا وأخيراً إلى أن تحيا هذه الأمة في مستوى لائق بها وبتاريخها واستعدادات أبنائها، وتتقدم كما تقدمت كل الأرض في ميدان المدنية والرقي الصحيح".

تزامن صدورها مع ظهور جرائد غير منتمية لأحزاب سياسية مثل *"الأطلس"* و*"العمل"* و*"الوداد"* و*"شمس الجنوب"* ، بعد الانفراج النسبي الذي حصل في مجال الحريات العامة في المغرب على إثر صعود الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا سنة 1936. إلا أن الإقامة العامة عملت بالوسائل الإدارية والتقنية على عرقلة صدور الصحف العربية.

طبعت *"المغرب"* في أول الأمر بمطبعة الثقافة بعمارة والد سعيد حجي التي تقع بفسحة سيدي التركي بسلا، حيث كان مقرها، قبل انتقاله إلى خارج باب فاس ثم إلى الرباط. وبالرغم من صغر هذه المطبعة وعتادها المتواضع، فإنها تعتبر من المطابع الحديثة الأولى بالمغرب، بعد المطبعة الحجرية الفاسية، وهي أيضا النواة الأولى لمطبعة الأمنية بالرباط، وقد نشرت ملحق *"الثقافة المغربية"* و*"مختصر العروة الوثقى"* لمحمد بن الحسن الحجوي و*"المعجب في تاريخ المغرب"* لعبد الواحد المراكشي و*"الأنيس المطرب"* لمحمد العلمي و*"البدائع"* لعبد الوهاب بن منصور.

كانت تصدر في بدايتها ثلاث مرات في الأسبوع في حجم صغير، ثم أصبحت يومية ابتداء من شتنبر 1937 في حجم الجرائد المعتاد، ومنذ 1940 صدر لها كل أسبوع عدد خاص من عشر صفحات. ونظراً للرقابة المفروضة على

الصحافة، لجأت إلى أسلوب الاعتدال والتعميم كما استطاعت أيضا أن تستمر في الصدور ما بين 1937 و1942 بسبب مناهضتها للفاشية، واكتفائها بنشر أخبار تطورات الحرب العالمية الثانية وخصوصا منها المتعلقة بالمكاسب الميدانية التي كان يحققها الحلفاء.

وبعد وفاة سعيد حجي تولى إدارتها قاسم الزهيري ابتداء من عدد 16 يونيو 1942، وتوقفت عن الصدور بعد عدد 29 يناير 1944 عندما اعتقل مديرها على إثر المطالبة بالإستقلال وختمت مكاتبها بالشمع. وحين أصبحت تحت مسؤولية عبد الكريم حجي، شقيق المرحوم، أعلنت في العدد الأول (7 أبريل 1952) من سلسلتها الجديدة أنها "لن تقدم لقرائها الكرام برنامجا يصعب عليها تطبيقه أو تبدي لهم وعودا لا تتمكن من الوفاء بها"، وغداة أحداث "الكاريان سنطرال" (دجنبر 1952) كان المدير الجديد من بين رجالات الصحافة الذين شملهم الاعتقال ومنعت صحفهم.

وممن كانت لهم مساهمة في إثراء مادة هذه الصحيفة، شكيب أرسلان وعبد الله كنون وسعيد حجي وأحمد زياد وأبو بكر القادري وأبو بكر زنيبر ومحمد بن علي الدكالي ومحمد باحنيني وأحمد با حنيني وعبد الكبير الفاسي وأحمد بن غبريط وإدريس الكتاني والهاشمي الفيلالي وأحمد الشرقاوي ومحمد العبدي الكانوني ومحمد الناصر الكتاني وعبد القادر حسن وعلال الجامعي ومحمد بن إبراهيم وعبد الله إبراهيم ومحمد الفاسي وعبد السلام العلوي ومحمد اليزيدي وعمر بن عبد الجليل وعبد الغني سكيرج وقاسم الزهيري.

أما مواضيع الجريدة فكانت تتمحور حول وضعية التعليم القومي والتعليم بصفة عامة ومساندة الطبقة العاملة، و أخبار الثقافة وحركة التأليف والنقد الأدبي، وقضايا وطنية، وقضية فلسطين وقضايا المرأة. ومن أبوابها القارة "الأخبار الخارجية" و"بريد الشرق العربي" و"أخبار وحوادث داخلية" و"اعرف وطنك" و"ما قل ودل" و"حديث الشباب" و"العالم اليوم" و"مقتضبات".


جريدة *المغرب* ؛ جريدة *العلم* ؛ حسن الوزاني، *حياة وجهاد*، ج 4، 1985 ؛ أبو بكر القادري، سعيد حجي، الدار البيضاء، 1979 ؛ مجلة أبي رقراق، ع 1، سلا، 1987 (*افتتاحية لمحمد حجي*) سعيد حجي، *فجر الصحافة الوطنية المغربية*، محمد بن عبد الكريم حجي، كندا، 2003.

Amina Aouchar, *La presse marocaine dans la lutte pour l'indépendance 1937-1956*, Mohammadia, 1990.


محمد الفقير

**المغرب القديم وروما**، يمكن اعتبار سنة 146 ق. م بداية مسار جديد في علاقات المغرب القديم مع روما لأنه إذا كانت الروابط قبل ذلك غير واضحة ولا مباشرة، فهزيمة قرطاج خلال الحروب البونية الثلاثة معناه امتلاك روما لأراضيها الدانية والقاصية. ولذا فمباشرة بعد التاريخ المذكور توكل الإدارة الرومانية للمؤرخ والمهندس العسكري الاغريقي پوليب (Polybe) مهمة استكشاف سواحل المغرب القديم وللإجراء أكثر من دلالة.

صحيح أن روما تأخرت في ضم التراب المغربي لنفوذها قرنين بعد التاريخ المذكور. ولكنها لم تكن مكتوفة الأيدي إلى حدود 40 ميلادية فقد مهدت لعملية الإلحاق بأعمال متسلسلة تختلف أشكالها وفق الظرفيات فهي أعمال تجارية، أو تشييدات أو امتيازات. وفي هذا الإطار يمكن فهم سر تحويل مدينتين هامتين وأزليتين كطنجيس وليكسوس لمصاف المستعمرات (Colonies). وأنشأت روما كذلك مستعمرات جديدة يتعلق الأمر بالمواقع التالية : زليس وبابا وبناصا. وجميع المستعمرات الآنفة الذكر القديمة والمستحدثة تقع بداخل المثلث المغربي الاستراتيجي المحصور اليوم بين مدن طنجة والرباط ومكناس.

بديهي أن لا يقتصر الأمر على هذا، فملوك المغرب القديم الذين انغمسوا في الحروب الأهلية التي دارت بين قادة روما ارتبط نجاحهم أو فشلهم بنتيجة تلك الحروب. بمعنى آخر تثبيت ملك على العرش أو انتزاعه منه وتوسيع أملاكه أو تقليصها كان مرهونا بالفريق الذي اختاره.

أما اختيار الرومان ليوبا الثاني كأگليد على الموريطانيتين فله معنى عميق يتمثل في نجاح روما في جعل ابن عدوّ الأمس حليفا بل صديقا للشعب الروماني.

ولكن الامبراطور كاليگولا لم يكن من نفس طينة أغسطس ولا صبره. وبذلك إذا كان قد أقدم على قتل بطليموس بن يوبا الثاني ابن خالته الذي كان في ضيافته ببلاد الغال، فإنه أنهى بهذا العمل مرحلة التربص وسجل بداية منعطف آخر في علاقات المغرب القديم بروما، إذ تحول إلى جزء لا يتجزأ من الممتلكات الرومانية وحمل اسم موريطانيا الطنجية. ولا حاجة إلى القول بأن التقطيع الإداري شيء والواقع أمر آخر. فإذا كانت موريطانيا الطنجية نظريا هي كل الحيز الموجود وراء نهر ملوشات (ملوية) فإن روما لم تملك فعليا من هذا المجال إلا مثلثا ضيقا تعد طنجيس رأسه. وسواء كانت هي عاصمة هذا الإقليم الروماني أم لا فإنها كانت بمثابة رأس حربة تنتهي إليها المسالك التجارية المنبثقة من الداخل والساحل المغربي، ويشرح هذا التوجه الجديد لروما مدى رغبتها في الاستفادة من خيرات البلاد التي وطن بها الكتاب الإغريق حدائق الهسپريس الغناء.

لا ننكر بأن معالم التأثر والتعاون بين المغرب القديم وروما بارزة في أكثر من مجال وقطاع، تنطق بذلك آثار المغرب القديم في المعمار بأشكاله المختلفة من أقواس ومعابد وحمامات وبازليكا وهي آثار ثابتة وآثار منقولة (نقود، نقائش، فسيفساء، فخار ...) لأن وجود معمار من صنف قوس النصر أو قصر العدالة (بازليكا) لن يتأتى تشييده إلا في ظل الأمن.

بالفعل، تشير سلسلة النقائش المغربية إلى مجموعة من

المعاهدات واتفاقيات السلم التي عقدها حكام موريطانيا الطنجية مع أمراء وملوك بعض القبائل ومنها قبيلة البكوات (Baquate)، وأقدم تلك التحالفات تعود لسنة 173 أو 175 ميلادية.

على كل، تكرار التحالفات وتجديد روما لمعاهداتها مع بعض القبائل خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين تدل على أن روما لم تنتزع الأمن بسهولة. وتبين بأن بعض القبائل تعاملت معها كتعامل الند مَعَ نده، بل شكل بعضها مصدر إزعاج. فهل ضغوطات هذه القبائل هي من ضمن الأسباب التي دفعت بالإدارة الرومانية لتنسحب من بعض المدن كما فعلت من وليلي سنة 280 ميلادية ؟ وهل نربط التراجع بقرار الامبراطور الروماني ديوكليتيان (284 ـ 305 م) الرامي لتقليص امتداد ربوع الإمبراطورية الرومانية لتتأتى له إمكانية مراقبتها ؟

مهما كانت الإجابات، ما لا يمكن الاختلاف حوله هو كون روما لم تعد تمتلك بموريطانيا الطنجية إلا الأراضي الواقعة شمال نهر اللوكوس التي اصطلح المختصون على تسميتها بموريطانيا الطنجية البحرية التي ستفصل من سلسلة الولايات الافريقية وتلحق بمقاطعة إسبانيا وستكون طنجيس بلا منازع عاصمة هذا الإقليم ومقر إقامة الولاة الرومان. وبقيت آثار الرومان بالمدينتين الجنوبيتين سلا (شالة) وتاموسيگة (الصويرة) فقط.

مامدى تغلغل فلول الرومان بحيز موريطانيا الطنجية البحرية ؟

مهما عددنا المآثر وباقي المعثورات فهي أقل عدداً وكثافة من آثار القرون الثلاثة الأولى الميلادية، واستقبال الشمال الإفريقي لجحافل الوندال سنة 429 ميلادية (ثمانون ألفا) تسمح لنا بقول إنه لم يكن بالمضيق أسطول روماني قوي يحول بين الوندال وبين العبور من إسبانيا في اتجاه الشمال الإفريقي. وبديهي أن ننتقي هذا التاريخ لتحديد نهاية مسار علاقات المغرب القديم بروما في عصورهما القديمة.

البضاوية بلكامل، پوليب والمغرب *بالمعلمة*.

G. Carcopino, *Le Maroc antique* ; L. Chatelain, *Le Maroc des Romains* ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*.

البضاوية بلكامل

**المغرب وخونطة القناصل،** كان هذا المجلس يتكون من أعضاء السلك الدبلوماسي المعتمدين سابقا في طنجة، وقد تأسس سنة 1840 إلا أن جذوره ترجع إلى عام 1792 عندما أسس قناصل الدول الأجنبية في المدينة المذكورة مجلسا يعرف بـ"خونطة" القناصل للنظر في المصالح المشتركة التي تهم بلدانهم، ومنها وقاية المغرب من الأوبئة الوافدة التي كانت تهدده من الواجهة البحرية، والتي يمكن، في حالة سريانها إليه، أن تسرى بعد ذلك إلى أوربا بحكم الجوار والعلاقات التجارية بين الموانئ المغربية والأوربية. في هذا الإطار أخذت "الخونطة"، ومنذ تأسيسها، تصدر قرارات تنص على طرد السفن الموبوءة القادمة إلى المغرب، أو وضعها تحت المراقبة الصحية قبل السماح لها بحرية الدخول. والثابت أن هذا التدخل لم يكن يستند في ذلك الحين إلى أي تفويض من طرف المخزن ؛ إلا أن الثابت أيضا أن هذا الأخير كان يقابله بكثير من التسامح لأنه لم يكن يرى فيه ما يهدد سيادته في وقت كان المغرب مايزال محافظا على هيبته أمام أوربا. ومع بداية القرن التاسع عشر، بدأت "الخونطة" تتدخل أيضا في الشؤون الصحية الداخلية، لكن تدخلها هذا كان يقتصر على مجرد تقديم ملتمسات إلى المخزن عند ظهور وباء من الأوبئة السارية لدعوته إلى شل المواصلات بين المدن الساحلية والمناطق الداخلية الموبوءة. وكانت هذه الملتمسات تقابل في أغلب الأحيان بآذان صاغية.

والحقيقة أن الأوبئة الوافدة التي اجتاحت المغرب في بداية القرن التاسع عشر، والتي أحدثت فيه هزات عنيفة، ساهمت بنصيب وافر في تبرير التدخل الأجنبي في ميدان ظل المخزن متغافلا عن الإشراف عليه بنفسه. لذلك فإن فكرة تأسيس مجلس صحي دولي، تلك الفكرة التي لاحت أولى معالمها في عام 1792، والتي نمت تدريجيا طيلة عهد المولى سليمان (1792 ـ 1822)، تبلورت بصورة أوضح في عهد خلفه المولى عبد الرحمن (1822 ـ 1859)، وهو العهد الذي بدأت فيه أوربا تتجه بأنظارها إلى غزو السوق المغربية في بداية التصنيع فيها. وهكذا فقد قدمت الهيئة القنصلية إلى هذا السلطان مشروع قانون تأسيسي لمجلسها الصحي في 28 أبريل 1840، نص الفصل الأول منه على ما يلي : "إن ممثلي الدول المسيحية، المنضوين داخل المجلس الصحي، مكلفون، بناء على تفويض من صاحب الجلالة السلطان، بالمهمة الجليلة المتعلقة بالسهر على سلامة الصحة العمومية في سواحل هذه المملكة، وإصدار جميع القوانين، واتخاذ كل التدابير، لتحقيق هذه الغاية".

وباختيار هذا القانون، تكون الهيئة القنصلية قد توجت تدخلها في جانب من الاختصاصات الوطنية، وانتظمت بصفة رسمية داخل مجلس يغطي نشاطه جميع المراسي المغربية التجارية. وهذا يعني أن المغرب أصبح يعيش، فيما يخص الجانب الصحي البحري، تحت نوع من الوصاية الدولية دون أن يكون ولو ممثلا فيها.

ولم تكد تمضي سوى مدة وجيزة على تأسيس المجلس الصحي، حتى تمخضت الأحوال في المغرب عن ظروف جديدة استغلها خير استغلال لمد نفوذه. فهزيمتا إسلي (1844) وتطوان (1859 ـ 1860)، اللتان أضعفتا قدرة البلاد على الصمود أمام الأطماع الأجنية، أعطتا دفعة قوية لنشاط المجلس الذي اتجه أساسا نحو ضرب حصار على السفن العائدة بالحجاج المغاربة إلى بلادهم. وهذا يقودنا إلى مفارقة غريبة، وهي أن الأوربيين، الذين ارتبط وجودهم في أذهان

السكان بجميع المصاعب التي ألمت بهم، أصبحت لهم كلمة مسموعة فيما يخص تحديد مسيرة الحجاج. والحقيقة أن هذا التدخل بدأ منذ 1831 . حيث أصبح لزاما على المغاربة العائدين من الديار المقدسة أن يقضوا حجرهم الصحي في مالطا أو ماعون، قبل العودة إلى المغرب، كما لم يعد يسمح لهم بالنزول إلا في طنجة. فكانت هذه التدابير بداية لتدخل المجلس الصحي في ميدان الحج، وكانت السنوات التالية تكريسا تراكميا لهذا التدخل ؛ وقد وجدناه قادرا في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن (1859 ـ 1873) على طرد سفينة محملة بالحجاج المغاربة وصلت إلى طنجة في غضون 1865، بل ورفض حتى السماح بتزويدها بالمؤن الضرورية، مما عرض ركابها لخطر موت محقق في عرض البحر. وتتبين من إحدى رسائل السلطان إلى نائبه بطنجة محمد بركاش أن سلطات جبل طارق سمحت للسفينة المطرودة بالتوقف في محطتها، كما سمحت للحجاج بالتزود بالمئونة التي هم في حاجة إليها بعد أن امتنع المجلس الصحي عن تقديم هذه المساعدة. تقول الرسالة : "فقد أخبر وصيفنا الحاج جسوس أن البابور الذي رجع بالحجاج من طنجة توجه لجبل طارق، وأرسي هناك، وأن الذين فيه في حيرة مما وقع لهم، لا يعلمون أين يذهبون، ويتوقعون الهلاك، ولولا أن أهل جبل طارق أذنوا لهم في الإرساء واشتراء ما يحتاجون إليه من المئونة لكانوا معرضين للتلف في البحر جوعا، وذكر أن جميع أهل جبل طارق أنكروا ما حكمت به جماعة السنيدة [المجلس الصحي]، وأنهم عدلوا عن الصواب، وحكموا بشهوة أنفسهم". في أعقاب هذه الحادثة، التي أثارت بالطبع سخط السلطان واستنكاره، تمكن المجلس من انتزاع ظهير سلطاني مؤرخ في 10 رجب 1283 / 18 نونبر 1866 ، اختيرت بموجبه جزيرة الصويرة محجرا صحيا للحجاج. وبذلك انفتح ميدان جديد أمام نشاطه. فعلى الرغم من أنه لم يحظ من المخزن بأي إذن أو تفويض يخوله حق الإشراف على تنظيم الحجر الصحي للحجاج في الجزيرة المذكورة، فإنه اغتصب هذه الوظيفة عن طريق الممارسة وسياسة الأمر الواقع.

بالإضافة إلى هذا الجانب من النشاط المرتبط بالحج المغربي، لم تكن نادرة الحالات التي تدخل فيها المجلس الصحي في الشؤون الصحية الداخلية. وهنا أيضا اتسم تدخله بالتطرف. فخلال وباء الكوليرا الذي ظهر في مكناس وفاس عام 1878 ، لم يتردد في إقامة نطاقات صحية حول طنجة وبعض الموانئ المغربية الأخرى، لمنع القادمين من الدخول إليها ؛ وقد طبق هذا الإجراء بصرامة متناهية في طنجة، إلى حد أن رسل السلطان المولى الحسن (1873 ـ 1894)، الذين أوفدهم إلى المدينة المذكورة حاملين أوامره إلى نائبه محمد بركاش بإلغاء التدابير الصحية المتخذة، منعوا من الدخول، بل وانتزعت منهم رسالة السلطان و"تصرف فيها النصارى [المجلس الصحي] بالشق والتبخير ورجعوا [رسل السلطان] من هناك من غير دخول" (رسالة المولى الحسن إلى نائبه بطنجة بتاريخ 42 شوال 1295 / 21 أكتوبر 1878).

وفي محاولة منه لوضع حد لمثل هذا التدخل، أصدر المولى الحسن ظهيرا خاصا مؤرخا في 7 ربيع الأول 1296 / فاتح مارس 1879 ، نص على حصر اختصاصات المجلس الصحي في الجانب البحري لا غير : "وهو النظر في قبول المراكب التي ترد على المراسي ودفعها وجعلها في الكرنطيلة [الحجر الصحي] وتسريحها على مقتضى قوانينها، وذلك في البحر فقط دون البر". غير أن المجلس لم يتقيد بحدود هذا الظهير، واستمرت تدخلاته في اتجاه تصاعدي، خاصة في طنجة، مقره الدائم، التي دأب على التصرف في شؤونها الحضرية، مستبدا برأيه وكأنه في مدينة مفتوحة. وقد توج هذا التدخل في العام 1892 عندما انتزع من المولى الحسن ثلاثة ظهائر جديدة كانت نقطة انعطاف في تنامي نفوذه، إذ خولته حق ممارسة أنشطة جديدة بالمدينة شبيهة بالتي تمارسها اليوم المجالس البلدية : الظهير الأول مؤرخ في 30 ربيع الأول 1310 / 22 أكتوبر 1892 ، فوض المجلس مهمة بناء مجزرة عمومية في طنجة ؛ والظهير الثاني صادر في التاريخ نفسه فوض المجلس مهمة تنظيف ثغر طنجة ؛ والظهير الثالث مؤرخ في 13 ربيع الثاني 1310 / 4 نونبر 1892 كلف المجلس بمهمة إدخال الماء الشروب للمدينة نفسها. وقد استغل المجلس هذه الامتيازات لتوسيع دائرة نشاطه، وإنجاز "إصلاحات" مختلفة كان المخزن يعارضها في البداية، ثم يضطر إلى الموافقة عليها، وتحمل نفقاتها. وكنتيجة مباشرة لذلك، فقد تمكن المجلس من عزل طنجة تدريجيا عن السيادة الوطنية وتهييئها للنظام الدولي الذي فرض عليها في عهد الحماية الفرنسية.

استمر المجلس الصحي يزاول نشاطه إلى السنوات الأولى من إعلان الحماية الفرنسية على المغرب. وفي 13 أبريل 1916 صدر في الجريدة الرسمية لمنطقة الحماية الفرنسية ظهير مؤرخ في 28 صفر 1334 / 5 يناير 1916 يتعلق بإعادة تنظيم الشرطة الصحية البحرية في هذه المنطقة. وبمقتضى الفصل 116 من هذا الظهير تم تجريد المجلس الصحي من وظيفته التي اضطلع بها رسميا منذ 1840 : "إن الظهير الحالي يلغى جميع الظهائر السابقة المتعلقة بالتنظيم الصحي البحري في المنطقة الفرنسية من الإمبراطورية الشريفة. وابتداء من يوم صدور هذا الظهير، فإن التدابير المتخذة من طرف المجلس الصحي الدولي في طنجة، لن تكون سارية المفعول في المنطقة الفرنسية من الإمبراطورية الشريفة". من جهة أخرى صدر ظهير آخر مؤرخ في 28 جمادى الأولى 1334 / 13 مارس 1916 جرد المجلس من الوظيفة نفسها في المنطقة الإسبانية. وبذلك انحصر وجوده في مدينة طنجة حيث استمر يزاول نشاطه إلى غاية 1925. وعندما دخل القانون الدولي لطنجة ومنطقتها في حيز التنفيذ في فاتح يونيو 1925، قرر ممثلو كل من فرنسا وإسبانيا وانجلترا حل المجلس الصحي، غير أن ممثل إيطاليا، الذي كان يشغل بالمصادفة منصب

رئيس المجلس، رفض رفضا قاطعا الاعتراف بمشروعية القرار ما لم تعترف به جميع الدول الموقعة على عقد الجزيرة الخضراء. وبما أن إيطاليا والولايات المتحدة لم تكونا قد صادقتا بعد على القانون الدولي لطنجة، فإن ممثليهما أصبحا العضوين الوحيدين في المجلس، وكانا يتعاقبان على رئاسته بعد كل ثلاث أشهر. وعندما انضمت إيطاليا إلى القانون الدولي المذكور في يناير 1929، انسحبت من المجلس مما أدى إلى تصفية هذه المؤسسة الدولية بصفة نهاية.

محمد الأمين البزاز، *المجلس الصحي الدولي في المغرب*، 1792 - 1929 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط. الأولى، 2000.

محمد الأمين البزاز

**مغشوش** (زاوية -) وتعرف كذلك بزاوية البواشرية، تقع إلى الجنوب من قرية مغشوش بحوالي 4 كلم، وهي فرع من الزاوية الزعرية التي أسسها الصوفي الشهير سيدي محمد بن مبارك الزعري دفين تستاوت، يعود تاريخ بنائها إلى حدود عام 1311، وقد تولى تشييدها المجاهد عبد القادر بن البشير المباركي على أرض اشتراها عام 1299، وكان الغرض من بناء هذه الزاوية العبادة والنسك والإرشاد والهداية، وكانت في نفس الوقت رباطا يأوي إليه المجاهدون من قبائل زعير، ومما لاشك فيه أنها لعبت دور تنظيم المقاومة العنيفة ضد جيوش الاحتلال الفرنسي، فلم يلبث هذا الأخير أن صوب إليها مدافعه، ففتك بأهلها وحولها إلى أطلال وذلك بتاريخ 11 يوليوز 1911.

علال الخديمي

**مغشوش** مركز قروي يوجد بتراب فخدة آيت الجيلالي من قبيلة أولاد خليفة من زعير، وهذا المركز يوجد في ملتقى الطرق الواصلة بين مدينة الرماني والدار البيضاء عبر ابن سليمان، والطريق الثلاثية الواصلة بين الرماني والرباط.

أسس الفرنسيون بمركز مغشوش مدرسة عصرية كان يؤمها أبناؤهم وذلك سنة 1950 ، ويوجد بالمركز مسجد يرجع تاريخ بنائه إلى سنة 1965 ، وقد تبرع بمصاريف ذلك المحسن الفلاح السيد الحاج عبد الله بن أبي شعيب الدكالي.

وتعتبر منطقة مغشوش من أحسن المناطق الفلاحية بزعير، تتكون تربتها من نوع التيرس، وتوجد بها عدة ضيعات نموذجية خصوصية، كما توجد بها ضيعات تابعة للمعهد الوطني للبحث الزراعي تم تأسيسها سنة 1965، وبهذه الضيعات تجرى تجارب فلاحية لانتقاء أحسن أنواع البذور التي تتأقلم مع شح الطبيعة وتكون مردوديتها عالية، وفعلا لقد توصل مركز الأبحاث الزراعي بمغشوش لعدة أنواع من الحبوب، ونذكر بالخصوص صنف "مرشوش" الذي يحمل اسم المنطقة، وهو من نوع القمح الطري.

وقد عُرفت مغشوش في الحوليات الفرنسية "في مطلع القرن العشرين، بما سمي آنذاك "بكمين مغشوش" L'attentat de Merchouch أو Guet-apens de Merchouch حيث فتك سكان المنطقة (قبيلتا أولاد زيد وأولاد دحو) بدورية استطلاع فرنسية كان يقودها القبطان "نانسي" Nancy بتاريخ 14 يناير 1911 ، حين دخلت أرض زعير في اتجاه قصبة مغشوش، وقد تكبدت السرية خسائر جسيمة في صفوف أفرادها، فقتل الضابط "مارشان" Marchand، والمارشال "هيفير" Hivert ، وعدد من المرتزقة، واستولى السكان المحليون على عدد من الخيول والأسلحة.

ابن سودة، *قبيلة زعير قديماً وحديثاً*، ج 1، الدار البيضاء، 1977 ؛ *مونوغرافية إقليم الخميسات*.

P. Azan, *L'expédition de Fez*, Paris, 1924 ; A.P.G. Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaine*, Paris, 1923.

بوعبيد التركي

**مغيلة** ، موقع روماني وإسلامي يوجد على الطريق الرابطة بين مدينة فاس ومكناس، شمال مركز المهاية حيث يبعد عنها بأربع كلم شمالا وبالضبط على ضفتي واد إجواو، لقد ورد اسم الموقع عند كثير من المؤرخين والجغرافيين العرب، نذكر من بينهم الإدريسي والبكري كما تمت الإشارة إليه عند *البيدق* وفي *وصف إفريقيا* للحسن الوزان الذي يتطابق وصفه مع ما تزخر به المنطقة إلى حد الآن من ظروف طبيعية ، قال :"مغيلة وهي مدينة صغيرة قديمة بنيت أيضاً من طرف الرومان، على مرتفعات هذا الجبل في الجهة التي تنظر اتجاه مدينة فاس. لها مجال في الجبل مغروس بأشجار الزيتون ومجال في السهل حيث توجد عيون كثيرة وكبيرة. في السهل ينتجون كثيراً من القنب والكتان".

في 1996 نتيجة لتحريات أثرية أقيمت في المنطقة تم التأكد من موضع الموقع والعثور على بقايا المدينة الإسلامية التي ينطبق عليها كما سبقت الإشارة إلى ذلك وصف الوزان. على الضفة اليمنى لوادي إجواو توجد بقايا بناء كبير من الطوب، يطلق عليه سكان المنطقة اسم الصومعة. هو برج في الواقع، يوجد في منطقة مرتفعة تطل على المنطقة تقريبا بأكملها. أما على الضفة اليسرى فيوجد جزء من السور الإسلامي الذي كان يحيط بالمدينة، يبلغ طول الجزء البارز منه 5م وعرضه 1 م، أما علوه فيصل إلى 1,5م وهناك أجزاء أخرى من هذا السور في الجهة الجنوبية للموقع. أثناء المسح الأثري تم العثور على كثير من قطع الخزف والقرميد الإسلامية، وكذلك على قطع لأنفورة رومانية تحمل اسم BIIB كما تمَّ العثور في نفس الموقع وبالضبط على الضفة اليمنى للوادي على مثقل مقنطر لمعصرة رومانية يبلغ طولها 100 سم وعرضها 70 سم وسمكها 54 سم. يتخلل جانبي هذه الحجرة الحثية ثقبان يبلغ عمق كل واحد منهما 13 سم وطولهما 34 سم وعرضهما يتراوح ما بين 20 إلى 30 سم، هاذان الثقبان يستعملان لتثبيت الدولب.

إن هذه اللقى الأثرية تشكل معطيات أركيولوجية جديدة أضيفت إلى نص الوزان الذي يصف مغيلة بأنها مدينة رومانية كما أنها ساعدتنا على إضافة موقع جديد إلى خريطة المواقع الرومانية التي تدخل في إطار مجال مدينة وليلي. وبهذا يكون هذا الموقع أقصى نقطة رومانية في الجهة الشرقية لوليلي.

الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، باريس، 1980، ص. 245.

H. Limane, Un site romain dans la région de Mhaya, dans *Nouvelles archéologiques et patrimoniales, n° 1, avril 1997.*

حسن ليمان

**المغيلي، محمد** بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، ولد في منتصف القرن التاسع الهجري (حوالي 1440)، وتوفي سنة 909 / 03 ـ 1504. وهو ينتسب إلى قبيلة مغيلة المستوطنة لنواحي تلمسان. كان من مشاهير الفقهاء في عصره، خاصة بعد أن ارتبط اسمه بنازلة يهود توات وتامانطيت والمناطق الصحراوية المجاورة. فبعد أن أفتى قاضي توات، أبو محمد عبد الله بن أبي بكر العصنوني، بجواز استمرار يهود المنطقة في أداء شعائرهم الدينية بكل حرية في بيعهم، ثارت ثائرة الفقيه المغيلي الذي أقام الدنيا وأقعدها، فكاتب عددا من الفقهاء مبينا أن وضعية الذميين في تلك الربوع الإسلامية يجب أن تكون مرادفة للصغار والحقار، لأنهم في اعتباره نقضوا العهد وتآمروا على المسلمين، وبالتالي وجب هدم كنائسهم. وإذا كان هذا التوجه المتطرف قد وجد السند والمؤازة بالحجج الفقهية لدى بعض الفقهاء من أمثال محمد بن عبد الجبار الفيگيگي وأبي مهدي عيسى الماواسي وأبي عبد الله محمد بن الغازي، فإنه بالحجج الفقهية أيضا رأى آخرون أمثال عبد الله بن أبي بكر العصنوني وأحمد بن محمد بن زكري التلمساني وعبد الرحمن بن سعيد وغيرهم أن ما ذهب إليه المغيلي لا يعكس الإسلام الصحيح في شيء وأن ما يحرك هذا الفقيه ليس هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بقدر ما هو سعي وراء الظهور وطمع في السلطة. وقد كاد الخلاف بين الطرفين أن يؤدي إلى فتنة. فوصل السجال إلى أعتاب السلطة الوطاسية عندما حل المغيلي بفاس ولقيه الفقهاء لمناظرته في نازلة يهود توات (1486). فمثل أمام السلطان الوطاسي محمد الشيخ بن أبي زكريا، غير أن اللقاء انتهى بمساجلة يظهر من خلالها تشوف المغيلي إلى السلطة السياسية. وبعد هذه الرحلة التي لم يحقق منها المغيلي مراده، أقام في بلاد السودان حيث عمل على نشر الإسلام لدى الحاكمين والمحكومين على السواء. وأثناء غيابه عن توات، تعرض ابنه عبد الجبار للاغتيال على يد بعض اليهود، وهو ما زاده نقمة عليهم.

إذا كان اسم المغيلي مرتبطا بنازلة يهود توات، فالنازلة ذاتها يصعب تقييمها دون استحضار مكانة اليهود في هرم السلطة المركزية ودورهم المتزايد في التجارة الصحراوية بعد أن حلوا بكثافة بالمغرب الأقصى على إثر ما أصابهم من اضطهاد وتهجير على أيدي النصارى في شبه الجزيرة الإيبرية. وحدث ذلك في وقت وهنت فيه السلطة المركزية بعد نهاية دولة بني مرين وتسلم الوطاسيين زمام الأمور (1472 ـ 1554). ومعلوم أن فترات الأزمة غالبا ما تكون حبلى بمظاهر الإقصاء والتطرف وانعدام التسامح.

كان محمد بن عبد الكريم المغيلي غزير التأليف. فضلا عن رسالته في يهود توات، التي ربما كانت أولى تآليفه، له كتب أخرى نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر : *منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب ـ أجوبة على أسئلة الأسقيا ـ رسالة في الإمارة*...إلخ.

المغيلي، مصباح الأرواح، تح. رابح بونار، الجزائر، 1968 ؛ رسالة في اليهود، تح. عمر بنميرة وعبد الرحيم بنحادة، الرباط، 2005.

"Tributaires : Rapport des musulmans avec les tributaires. Synagogues juives du Touat"; in *Archives Marocaines, vol. XII, 1908, p. 231-265* ; G. Vajda, "Un traité maghrébin *adversus judaecos : Ahkam Ahl Al-Dimma* du Shayh Muhammad B. Abd al-Karim al-Magili", in *Etudes d'Orientatisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal, p. 805-813.*

جامع بيضا

**مفرج**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Moferrig ـ Moferrix ـ Buferrich ؛ وما تزال بإسبانيا أسر تحمل اسم Almpfrey وEnfarach ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ومن أفرادها : عبد الرحمن مفرج فقيه عينه الباشا محمد ابن عثمان خليفة له بتطوان سنة 1207 (1792).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**مقام الطلبة**، مكان يوجد بتراب إقليم الخميسات، يقع بين تيفلت وجماعة سيدي يحيى.

في أواخر القرن 19 قدم إلى هذه المنطقة أخوان توأمان من الشرفاء السباعيين يتعاطيان للفقه والإرشاد، وبعد مغادرتهما القبيلة، أصبح السكان ينظمون ولحد الآن موسما سنوياً يكتسي طابعا دينيا، بالمكان الذي كان يقيم به الأخوان، ويلتقي فيه الفقهاء والمدرسون القادمون من المناطق المجاورة، وأصبح هذا المكان يحمل اسم "مقام الطلبة" الذي أطلق فيما بعد على الجماعة القروية، والتي كانت تعرف أصلا بـ "مزورفة" القبيلة التي انحدر سكانها من قبائل بني حسن عدا سكان دوار "المواريد".

كما يوجد هناك رباط تقليدي بين أفراد جماعة مقام الطلبة وآيت أوريبل، يسمى هذا الرباط بالبربرية "تكمات" بمعنى "الأخوة"، وبمقتضاه لا يمكن لأي شخص من القبيلتين المذكورتين أن يشهد ضد الآخر أو يعامله معاملة سيئة. ويقام

بجماعة مقام الطلبة موسم إدريسي آخر بضريح سيدي العربي البوهالي، وهو شريف إدريسي، ويؤمه عدد كبير من الزوار، من الخزازنة وبني حسن والقطبيين والقبليين ومصغرة آيت يدين.

ع. العزيز بنعبد الله، *معلمة المغرب*، القنيطرة، 2000 ؛ *مونوغرافية إقليم الخميسات*.

بوعبيد التركي

**المقاومة المغربية**، يُقصد بالمقاومة المغربية ردود فعل السكان إزاء تطاول الأجنبي على السيادة الوطنية، وقد اتخذت ردود الفعل هذه أشكالا مختلفة، في البداية كانت مقاومة القبائل التي هبّت للدفاع عن البلاد انطلاقا من عام 1907 بالانتفاضة المعروفة بانتفاضة الشاوية، واستمرت إلى منتصف الثلاثينيات، ثم تلتها المقاومة السلمية وجسدها نشاط زعامات وطنية في مدن فاس والرباط وسلا وغيرها عبر تأسيس أحزاب سياسية وإنشاء صحف في داخل المغرب وخارجه للتعريف بالقضية الوطنية، والتقدم بمطالب للسلطات الفرنسية، وعندما استنفذت المقاومة السياسية كل أوراقها انطلقت المقاومة المسلحة في المدن المغربية التي شهدت تحولات اقتصادية واجتماعية انطلاقا من نهاية الحرب العالمية الثانية. وكان كل شكل من أشكال المقاومة هذه يستفيد من التراكمات السابقة.

بعد المكاسب المحصل عليها في مؤتمر الخزيرات عام 1906 انطلقت فرنسا وإسبانيا في عملية غزو عسكري للمغرب، وقد حاول المستعمر اكتساح المغرب بأقل ما يمكن من الخسائر لذلك تم تجنيد فرق محلية عُرفت بالكوم (Les goumiers)، واعتمد على أبناء المستعمرات، وعلى بعض الأعيان المحليين الذين أطلقت فرنسا أيديهم في القبائل التي كان يرجع إليهم أمر تدبير شؤونها، وبهدف التضليل أطلق الفرنسيون على الغزو مصطلح "التهدئة" لتفادي أية معارضة في فرنسا وخارجها. وكان يراد باستعمال هذا المصطلح خلق مجموعة من التصورات منها أن هناك فوضى تهدد "جيران" المغرب الفرنسيين، ووجود سلطة موازية لسلطة المخزن وهي سلطة القبيلة التي تسعى إلى أن تحل محل المخزن، وأن ما تقوم به فرنسا أو تنوي القيام به هو عمل حضاري يروم توحيد القبائل والقضاء على الفوضى التي تتسبب فيها القبائل.

وفي الواقع ارتبط "نشر رسالة فرنسا الحضارية" في المغرب بقوة الحديد والنار، أما أبطال هذه "الرسالة" فمجموعة من الرجال الذين صقلتهم تجارب الغزو في الهند الصينية ومدغشقر والجزائر، ولا تزال بعض مدننا تحمل أسماءهم، مثل الكارة التي ظلت إلى وقت قريب تحمل اسم "بوشرون"، وهو ضابط فرنسي قتل في معركة سيدي عسيلة يوم 29 مارس 1908، ومن نماذج غلاة الغزو هؤلاء نذكر "هنري بورنازيل" (1898-1933) و"هنري أوجين گورو" (1867-1946) و"هنري جيرو" (19491879) و"طوماس روبير بوجو" (1784-1849) و"فيليب لوكليوك"...

كان عدد القوات الغازية للمغرب عام 1912 لا يتعدى 50 ألفا ثم ارتفع إلى 63 ألفا سنة 1914، ولمواجهة ثورة الريف جنّدت فرنسا سنة 1925 : 325.000 جندي نظامي و400.000 من القوات الإضافية بقيادة 60 جنرالا ومارشالا، وقد تألفت القوات الإضافية من أبناء البوادي على الخصوص، وتشكلت منهم فرق الكوم و"المخازنية"، وأسندت قيادتها إلى ضباط الشؤون الأهلية الفرنسيين.

وكانت تدعم القوات الاستعمارية أسراب من الطائرات بلغ عددها في عملية احتلال منطقة تافيلالت أربعا وأربعين طائرة، إضافة إلى الدبابات والرشاشات والمجانيق والطيران الذي استعمل لأخذ الصور والتعرف على المناطق قبل قصفها. وبالرغم من التفاوت الكبير في الإمكانات تمكنت المقاومة التي واجهت بها القبائل المغربية القوات الغازية بين 1907 و1935 من قتل أزيد من 630 ضابط بين ملازم وعقيد. ففي معارك جبل بادو في الأطلس الكبير التي تعد آخر المواجهات قبل القضاء النهائي على مقاومة القبائل المغربية عام 1934 قتل الملازم "فروصار" (Froissar) عندما أسقطت طائرة يوم 18 أبريل 1931، وفي معارك جبل صاغرو لقي "هنري بورنازيل" حتفه يوم 28 فبراير 1933، ولتخليد ذكراه أطلقت سلطات الحماية اسمه على حي شعبي مأهول في مدينة الدار البيضاء وعلى ثكنة هناك.

وفي شمال المغرب تمكن محمد الشريف أمزيان من إلحاق هزائم مرة بالجيش الإسباني، أبرزها تلك التي تلقتها فرقة إسبانية ممتازة استقدمت من مدريد بقيادة الجنرال الشهير بينتوس "Pintos" إذ اندحرت الفرقة بقائدها وضباطها وجنودها وعتادها في موقعة "إغزر" أو "وادي الذئب" (El Barranco del Lobo) في 27 يوليوز 1909. وعلى الرغم من وجود فراغ مخزني إلا أن الشريف أمزيان لم يكن غرضه إقامة سلطة بديلة للمخزن، ومن القرائن على ذلك محاربته للروگي بوحمارة ورفض العروض الإسبانية المغرية بجعله ممثلا لهم بالمنطقة. بل شنّ مجموعة من الهجمات محاولا شحذ همم أفراد القبائل الريفية إلى أن استشهد برصاص أحد رجال البوليس الأهلي يوم 15 ماي 1912.

وقد استؤنفت المقاومة الريفية مع محمد بن عبد الكريم الخطابي، وأثارت مقاومة الخطابي تخوفات الفرنسيين بعد النجاحات التي حققتها خاصة في معركة أنوال الشهيرة في 21 يوليوز 1921، فاضطروا إلى ترك تناقضاتهم الاستعمارية مع الإسبان جانبا وخاضوا مجتمعين حربا طويلة انتهت عام 1926 باستسلام محمد بن عبد الكريم الخطابي بعد أن تم اللجوء إلى أسلحة محظورة دوليا.

وإلى جانب المعارك الشهيرة التي كان فيها النصر حليف القبائل المغربية مثل أنوال والهري، هناك سلسلة من المعارك المغمورة التي أظهر فيها السكان صمودا كبيرا، مثل معركة

دار بوعزة في 28 غشت 1907 ، ومعركة سيدي مومن يوم 3 شتنبر 1907، في ضواحي الدار البيضاء، ومعركة سطات يوم 15 يناير 1908 ، وكان اليوم يوم عيد الأضحى لذلك ظل رجال الشاوية يرددون : "يومك أسطات ما ذبحنا ما عيّدنا". ومعركة عين مكون يوم 24 يناير 1908، ومعركة القصابي أو قصيبات، جنوب برشيد، يوم 2 فبراير 1908 ، ومعركة فخفاخة يوم 29 فبراير 1908.

وأجبرت صلابة السكان في الدفاع عن أراضيهم غلاة الغزو على تغيير خططهم الحربية مثلما جرى في فبراير 1933 ، فأثناء الهجوم الكبير على جبل بوگافر الذي انطلق في 28 فبراير استطاع المجاهدون تكبيد قوات الجنرال "هوري" خسائر جسيمة في الأرواح والعتاد، ولكي يحافظ على ما تبقى من قواته التي كانت مؤلفة في جلها من الگوم المغاربة أصدر أوامره بوقف القتال وانتقل إلى سياسة الحصار، بل لم يكتف بالحصار وأعطى الأوامر بقصف المحاصرين دون أي تمييز، مما أدى إلى ارتفاع حصيلة القتلى في صفوف النساء والأطفال والشيوخ (2300 من سكان آيت عطا)، فاضطرت أزيد من مائة قبيلة إلى الاستسلام بين 10 و12 مارس 1933، وتبع ذلك نزول المقاوم "عسو باسلام" من بوگافر يوم 27 مارس 1933 وقبول "شروط الأمان"، ومنها إبقاء منطقة نفوذ آيت عطا بعيدا عن سلطة الأگلاوي، وإعفاء المرأة العطاوية من المساهمة في الحفلات التي تنظمها الإدارة الاستعمارية، وإقرار عسو باسلام في منصبه شيخا على آيت عطا وإرجاع الممتلكات المصادرة إلى أصحابها.

في ربيع 1934 توقفت مقاومة القبائل ودخلت ردود فعل السكان طورا آخر وهو طور العمل السياسي بزعامة المدن، وقد تحكمت في هذه الانطلاقة مجموعة عوامل منها الآثار التي خلفتها الأزمة الاقتصادية العالمية لسنة 1929 أو "أزمة الثلاثينيات"، واتضاح بعض نوايا سلطات الحماية في خلق صدع داخل المجتمع المغربي بين سكانه العرب وسكانه الأمازيغ، عبر إصدار ظهير 16 ماي 1930، ونزول القوات الأمريكية بالشواطئ المغربية يوم 8 نونبر 1942 ولقاء السلطان محمد بن يوسف والرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت بأنفا دون انتظار موافقة سلطات الحماية، واستسلام فرنسا في ماي 1940 ، أي بعد أقل من سنة على اندلاع الحرب العالمية الثانية، ويمكن أن نضيف إلى هذه العوامل عدم وجود سياسة فرنسية قارة بالمغرب، ففي سنة 1936 وحدها تداول على منصب الإقامة العامة بالمغرب ثلاثة مقيمين وهم "بونصو" و"بيروتون" و"نوچيس". وفي سنة 1936 طالب الوطنيون بإدخال إصلاحات، فزج بهم في السجن في أكتوبر من نفس السنة ثم جرى تسريحهم في دجنبر، والسماح بصدور صحف وطنية ثلاث يوميات *(الأطلس والمغرب ولاكسيون بوبيلير)* ومجلة أسبوعية (الوداد) وتم في ذات الوقت الحد من حرية هذه الصحف بأن خوّل رؤساء المصالح الفرنسية حق الرقابة عليها.

من أساليب العمل السياسي التي ابتكرها الوطنيون توحيد الجهود في إطار تكتلات، أشهرها كتلة العمل الوطني في ماي 1934 بتوجيه من علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني وأحمد بلافريج، وقد تقدمت الكتلة في نونبر 1934 بـ"برنامج الإصلاحات" ثم "المطالب المستعجلة" في عام 1936 ، ولم تُول السلطات الفرنسية أي اهتمام للمبادرتين معا بالرغم من عدم طرح قضية إنهاء الحماية !

فشلت كتلة العمل الوطني في مواصلة مقاومتها السياسية بفعل الانقسام الذي تعرضت له وظهور جماعتين الأولى بزعامة علال الفاسي والأخرى بزعامة محمد حسن الوزاني، وتبع ذلك إقدام نوگيس على حلها في 18 مارس 1937.

لقد استغلت السلطات الفرنسية أحداث مكناس في خريف 1937 واندلاع الحرب العالمية الثانية لتُظهر سياستها المناوئة لأي تغيير لفائدة القضية الوطنية فأوقفت ظهير 27 غشت 1939 الذي نصّ على مراقبة الصحف، ومنعت الحزب الوطني من ممارسة نشاطه الذي جرى تأسيسه بعد فسخ كتلة العمل الوطني. وسيستعين الانتظار إلى مطلع 1944 لكي تؤكد الحركة الوطنية استمرارها، إذ جرى في 11 يناير التقدم بوثيقة المطالبة بالاستقلال، وكان وطنيو المنطقة الشمالية قد تقدموا سنة قبل ذلك بوثيقة تطالب السلطات الإسبانية مراجعة موقفها من القضية الوطنية.

لم يتأخر رد فعل السلطات الفرنسية إزاء تقدم الوطنيين بوثيقة المطالبة بالاستقلال، فبعد مرور حوالي أسبوعين لمعرفة الجهة الأجنبية التي تقف وراء هذه المبادرة، جرى التدخل بعنف شديد في حق سكان فاس والرباط وسلا أواخر يناير ومطلع فبراير، وسقط في فاس وحدها ستون شهيدا منهم عبد العزيز بوطالب وأصيب أزيد من مائة بجروح، وفي سلا ألقي القبض على الطالب أحمد بن الحاج محمد بن عبود بتهمة القتل فأعدم ليلة ذكرى ميلاد الرسول (ص) وتبعت ذلك اعتقالات جماعية وإعفاءات من الوظائف، ومنحت الشرطة "حق" القيام بمداهمات للبيوت دون إذن مسبق. وهكذا تم الإجهاز على هامش الحرية الذي حاول المقيم العام "إيريك لابون" تدشينه في المغرب. فبعد مرور أقل من عقد من الزمن تم التدخل بقسوة شديدة في حق ساكنة الدار البيضاء في مناسبتين : ليلة الزيارة التي قام بها محمد بن يوسف إلى مدينة طنجة في 9 أبريل 1947 ، وعشية تنفيذ الإضراب التضامني الذي دُعي إليه للتضامن مع تونس إثر اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد يوم الجمعة 5 دجنبر 1952.

أدى التدخل العنيف من جانب القوات الفرنسية في حق السكان في الرباط وفاس وسلا ومكناس والدار البيضاء... وتصاعد وتيرة الاستيطان خاصة إبان فترة المقيم العام نوگيس، والقهر الاجتماعي والتفاوت الطبقي وإهمال مصالح غالبية السكان، والإخلال بالتوازنات القائمة إلى نفور

القواعد من العمل السياسي الذي كان يروم التعريف بالقضية الوطنية في الخارج وعدم المساس "بالصداقة المغربية - الفرنسية"، وكان هذا النفور يخدم التوجه الذي كان يدعو إلى اعتماد العنف السياسي أو العنف المسلح قصد إرغام فرنسا على الاستجابة لمطلب إنهاء العمل بمعاهدة الحماية.

انطلق العمل المسلح بالمدن بعمليات فردية غير منظمة مثل عملية ساحة اتوارگة بالرباط يوم الجمعة 11 شتنبر 1953 ضد محمد ولد عرفة الذي هاجمه علال بن عبد الله بسيارته محاولا إسقاطه من على جواده لما كان يتأهب لأداء صلاة الجمعة، وبعمليات ضد صحف موالية للسلطات، لكنه سرعان ما تطور إلى عمل منظم باشرته تنظيمات بلغت في الدار البيضاء أزيد من عشرين تنظيما في مقدمتها اليد السوداء والمنظمة السرية والهلال الأسود وجيش الأطلس واليد الحسنية وأسود التحرير وصوت الحق / الله أكبر، واليد المتوكلة على الله وأنصار الفداء وشبان الفداء...

وقد جرت بالمغرب بين 20 غشت 1953 تاريخ عزل ونفي السلطان محمد بن يوسف و16 نونبر 1955 تاريخ عودته، حوالي ستة آلاف عملية (6000) خلال سبعة وعشرين شهرا بمعدل مائتين واثنتين وعشرين عملية في الشهر الواحد، لكن هذا العدد من العمليات لم يكن موزعا بانتظام طول هذه المدة، فطفرة العمل المسلح سجلت عام 1955، أما العمليات الكبرى فقد جرت خارج الدار البيضاء التي جرى بها أزيد من 1600 عملية خلال سنة 1955 وحدها. وبلغ مجموع ضحايا العمل المسلح بالمغرب أزيد من 700 معظمهم من المغاربة، إذ كانت المقاومة المغربية تحاول عزل الوجود الفرنسي عن أعوانه من السكان المحليين : رجال المخزن أو الإدارة الفرنسية وأئمة المساجد ورجال الزوايا والفقهاء ومراسلو الصحف الموالية للسلطات وأمناء الحرف وأعضاء الأحزاب الإدارية التي كونتها السلطات، وباعة التبغ وأصحاب الدكاكين...

وكانت المقاومة المغربية تُطلق على أعوان الحماية تعابير شتى مثل "أسلاك الهاتف" و"آذان الاستعمار". والملاحظ أن المقاومة المغربية نجحت في توجيه ضرباتها لمختلف أعضاء تراتبية الجهاز الإداري، فبعد العملية التي نفذها علال بن عبد الله ضد محمد ولد عرفة حاولت إسقاط الجنرال گيوم في مدينة مراكش ثم أتت عمليات ضد رجال الاستعلامات ورجال الأمن والباشوات (باشا أگادير مثلا) والشيوخ والمقدمين... وعندما كانت المقاومة آخذة في التطور سنة 1955 انبثق عنها جيش التحرير في مطلع أكتوبر 1955 سارعت فرنسا إلى التفاوض مع الأشخاص الذين كان تطور العمل المسلح يثير مخاوفهم.


*مقالات في صحف وطنية بمناسبة تخليد بعض الذكريات الوطنية* ؛ علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة، (د. ت.) ؛ ألبير عياش، *المغرب والاستعمار، السيطرة الفرنسية*، تر. عبد القادر الشاوي ونور الدين السعودي، مراجعة وتقديم إدريس بنسعيد وعبد الأحد السبتي، الدار البيضاء، الطبعة 1، 1985.

Jean Brignon, Brahim Boutaleb [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris, Hatier, Casablanca, Librairie Nationale, 1967, 416 p. ; René Galissot, *Le patronat européen au Maroc 1931-1942*, Rabat , Ed. Techniques nord africaines, 1964, 283 p. ; Charles-André Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, Ed. Jeune Afrique, 1978 ; Robert Montagne, *Révolution au Maroc*, Paris, Ed. France Empire, 1953 ; Stéphane Bernard, *Le conflit franco-marocain, 1943 - 1956*, Bruxelles, Ed. de l'Institut de Sociologie de l'Université Libre de Bruxelles, 1963, 3 vol., 369 p., 285 p., 400 .


محمد وحيد

**المقري** (العائلة) تنتسب عائلة المقري، وهي من العائلات الجزائرية ذات الأصول العربية، إلى محمد المقري الذي توفي، في العصر المريني، عام 750 / 1349. وكانت هذه العائلة المنتمية إلى مدينة تلمسان الجزائرية، ذات ارتباط وثيق بالمغرب، إذ استقر بعض أفرادها، في فترات تاريخية مختلفة، بمدنه، إما طلبا للعلم أو للاشتغال في الوظائف المخزنية، أو رغبة في ممارسة التجارة.... نذكر من بين هؤلاء الأشخاص الذين ارتبط مسارهم بالمغرب، العالم أحمد بن محمد المقري، صاحب كتاب *نفح الطيب*، الذي هاجر إلى فاس 1009 / 1600 ، لاستيائه من الحكم العثماني بالجزائر. وقد مارس هذا العالم التدريس بالمغرب، وحظي بمقابلة أحمد المنصور الذهبي، لكنه غادر البلاد، سنة 1617 ، قاصدا المشرق حيث "نال .. من حسن الذكر والإقبال ما لم ينله بالمغرب". وهناك أيضاً، أب الحاج عبد السلام المقري، الذي استقر، في القرن التاسع عشر، بمدينة فاس، حيث اشتغل في التجارة الصغرى. لكن الروايات التي تتحدث عن هذا الشخص، ليست منسجمة فيما بينها انسجاما تاما. فإذا كانت المعلومات التي تقدمها بعضها تفيد بأن اسمه هو "الخال"، وأنه استقر بفاس، في عهد مولاي سليمان، فإن رواية ثانية أشارت إليه تحت اسم محمد، ذكرت أنه قدم إلى المغرب في عهد مولاي عبد الرحمان. وتشير رواية ثالثة في اتجاه التأكيد على ارتباط تاريخ انتقاله إلى فاس، بالاحتلال الفرنسي للجزائر والاضطرابات التي عرفها الغرب الجزائري في تلك الآونة، لكنها تقدم إلى جانب ذلك، معلومات أخرى تفيد بأن الشخص المعني بالأمر، ولد بتلمسان حوالي سنة 1807 ، وأن اسمه الحقيقي هو الحاج المدني.

وتتفق هذه الروايات كلها على القول بأن هذا الشخص القادم من تلسمان إلى فاس، خلف ثلاثة أبناء : الحاج المكي، الابن الأكبر الذي كان يتعاطى للتجارة بين المغرب ومصر، وحصل، في عهد مولاي الحسن على منصب أمين بمدينة وجدة ؛ والابن الثاني، لقب بالزمخشري لسعة علمه ومعرفته، إذ كان عالما يمارس التدريس بالقرويين، بل إنه تولى القضاء في بعض فترات حياته، بمدينة طنجة. أما الابن الثالث، فهو الحاج عبد السلام، الذي ولد بفاس حوالي سنة 1830 ، والتحق بالمخزن في بداية عهد مولاي الحسن. وتذكر بعض الروايات في هذا الشأن، أنه عُين أمينا بفندق الجلد مع الحاج المدني بنيس. وتشير روايات أخرى، نقلتها التقارير الفرنسية، إلى أن وظيفته كانت في البداية، متواضعة، لكنه

ارتقى مع مرور الوقت، إذ أصبح نائب المكلف بالأملاك المخزنية بفاس، ثم أمين المستفاد بدار عديل، ومشرفا على الأملاك والبناءات المخزنية والسلطانية. وأرجعت بعض المصادر سبب ارتقائه في سلك المخزنية، إلى زوجته التي تمكنت، بسبب شهرتها في مجال صنع الحلويات، من التقرب من الأسر الكبرى بفاس، والدخول إلى القصر السلطاني. لكن مسيرة الحاج عبد السلام المقري، تعثرت بعض الشيء في فجر القرن العشرين، بعد صعود نجم الحاج عمر التازي، الذي خلفه في منصب أمين الأملاك المخزنية ومستفادات فاس.

واستطاع عبد السلام المقري - على غرار ما كان عليه الأمر بالنسبة للعديد من الشخصيات والعائلات الحضرية الجزائرية بالمغرب - أن يدعم موقعه، وموقع عائلته، في المجتمع المغربي. فقد استفاد من الخدمة المخزنية ومن ممارسة التجارة بين المغرب والمشرق، لجمع ثروة كبيرة. كما أن هويته المزدوجة، الناتجة عن أصوله الجزائرية واندماجه في المجتمع المغربي، كانت من الأسباب التي أهلته لتجاوز ميدان الأمانة والمالية، وفرض حضوره على الساحة السياسية. نذكر في هذا الإطار، على سبيل المثال، مساهمته في الجهود التي بذلها المخزن، من أجل مواجهة المحاولات الفرنسية الرامية إلى فرض حمايتها على جزائريي المغرب ودعم نفوذها بالبلاد. وقد ذكر ميشو - بيلير في هذا الشأن، أن "الموظف المغربي السامي"، الأمين عبد السلام المقري، "التلمساني الأصل"، كان وراء الاجتماع الذي عقدته بفاس، ثلاثمائة شخصية جزائرية مقيمة بالمدينة، من أجل الإعلان عن ولائها للسلطان مولاي عبد العزيز (Les Musulmans d'Algérie, p. 24).

إن هذه الأحداث والعوامل، ترمز للجهود التي بذلها الحاج عبد السلام المقري من أجل تعزيز موقعه، وموقع عائلته في المجتمع. وهي الجهود التي دعمها أبناؤه الثلاثة، خصوصا ابنه الحاج محمد الذي استطاع، بعد فترة قصيرة قضاها مساعدا لأبيه في الإشراف على بناءات السلطان، أن يتنقل في عهد مولاي عبد العزيز، بين العديد من المناصب، بصفته أمينا، وأن يتحمل عبء القيام بالعديد من المهام ذات الطابع السياسي والدبلوماسي. وتمكن بعد انتهاء العهد العزيزي، من الحصول على ثقة السلطان مولاي حفيظ، الذي كلفه بوزارة المالية، قبل أن يسلمه زمام الصدارة العظمى سنة 1911. ونجح الحاج محمد المقري بذلك، في تعزيز مكانته، وجعل أبنائه في مناصب حيوية بالجهاز المخزني ؛ إذ شغل ابنه الحاج حماد منصب باشا فاس بين سنتي 1910 - 1912، واستقل الطيب، المكلف بالإشراف على ماكنة السلاح بفاس، بأمر وزارة المالية، رغم صغر سنه وضعف تجربته ؛ وعين الحاج المختار باشا بمدنية طنجة، ثم أمينا على الديوانة بنفس المدينة، في حين شغل الحاج الطاهر منصب أمين ديوانة الدار البيضاء. أما التهامي المقري، الذي ولد سنة 1899، فقد سار في اتجاه آخر، إذ أصبح مهندسا زراعيا.

إن هذه المعطيات التي ترصد جوانب من مسار عائلة المقري، تساعدنا على فهم الأسباب التي مكنت هذه العائلة، وغيرها من العائلات التي مزجت بين التجارة وخدمة المخزن، من الارتقاء في السلم الاجتماعي، ومن التأثير في صيرورة المجتمع، نتيجة لما كانت تتمتع به من سلطة ونفوذ. وقد كان هذا التأثير سلبيا، في نظر بعض الباحثين والمؤلفين الذين ربطوا فشل الإصلاحات التي عرفها المغرب قبل الحماية باحتكار العائلات المغربية الكبرى، مثل عائلة المقري والتازي، للوظائف العليا بالمغرب قبل الحماية.

وتجدر الإشارة إلى أن نفوذ آل المقري، لم يتقلص بعد قيام نظام الحماية الذي تأسس على فكرة الإصلاحات، إذ أن هذا "النظام الجديد"، ارتكز أيضا، على "سياسة الأعيان"، التي فسحت المجال أمام الكثير من العائلات لتوطيد نفوذها وموقعها الاجتماعي، الشيء الذي أدى إلى "استمرار التغلب العائلي ونظام الوجاهة". وكانت عائلة المقري من العائلات التي استفادت من هذه الوضعية، خصوصا وأن الحاج محمد المقري احتكر منصب الصدر الأعظم، معظم سنوات عهد الحماية، ولم يتركه إلا لفترة محدودة، تنحصر بين نوفمبر 1913 وسبتمبر 1917. وقد احتلّ هذا الوزير، بفضل مرونته ودهائه واستعداده للتعاون مع الإقامة العامة، موقعا استراتيجيا في البنيان الاستعماري، الشيء الذي مكنه من تعزيز نفوذه وتنمية ثرواته. وينطبق هذا الأمر على الكثير من العائلات المغربية التي استغلت الوضع الاستعماري، للإثراء وبسط النفوذ، نذكر منها عائلة الگلاوي الذي كانت تجمعه بالحاج محمد المقري علاقة مصاهرة. لكن انتهاء عصر الحجر والحماية وطلوع فجر الحرية والاستقلال، تسبب في أفول نجم العديد من هذه العائلات التي ارتبط تاريخها بالاستعمار، ومنها عائلة المقري، التي تعرضت للنكبة نتيجة ما أصابها من زوال الحظوة وفقدان الممتلكات والثروات التي استحوذت عليها أيام السطوة والنفوذ.

آسية بنعدادة، *الفكر الإصلاحي في عهد الحماية* (محمد بن الحسن الحجوي نموذجا)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2003 ؛ نعيمة هراج التوزاني، *الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن*، 1290 - 1311 / 1873 - 1894، مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب، منشورات كلية الآداب، يناير، 1979 ؛ إبراهيم حركات، *السياسة والمجتمع في العصر السعدي*، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1987.

*Archives du Ministère des Affaires Etrangères*, Paris, Série M (Maroc), 1917-1940 ; Ben Ghabrit Kaddour, "S.E. el Hadj Mohammed el-Mokri", *France-Maroc, n° 5, 15 mai 1918, p. 141-143* ; Bulletin du Comité de l'Afrique Française, 1906-1912 ; Gouvion Marthe et Edmond, *Kitab Aàyane al maghrib el akça*, Alger, Maison-Carrée, 1939 ; Rivet Daniel, *Lyautey et l'institution du protectorat*, (3 t.), Paris, Ed. L'Harmattan, 1988.

عبد الحميد احساين

**المقري، أحمد** بن **محمد** شهاب الدين القرشي المقري التلمساني كنيته أبو العباس، تنتمي أسرته إلى مقرة، ومنها انتقلت إلى تلمسان، وكان جده أبو عبد الله محمد المقري قد

رحل إلى المغرب وولي قضاء الجماعة بفاس في عهد أبي عنان المريني.

وولد أحمد المقري بتلمسان سنة 986، وبها نشأ وتعلم على يد شيوخها وعلمائها، وقد تحدث عن ذلك في *نفح الطيب* : "بها ولدت أنا وأبي وجدي وجد جدي، وقرأت بها ونشأت إلى أن ارتحلت عنها في زمن الشبيبة إلى مدينة فاس"، رحل إلى المغرب مرتين، الأولى سنة 1009، ليرشف من ينابيع العلم في مدينة فاس وانتقل إلى مدينة مراكش ليحظى بمجالسة علمائها وشعرائها وليحضر مجالس السلطان أبي العباس المنصور السعدي، والثانية سنة 1013 حيث استقر بفاس ومارس بها خطة الإمامة والإفتاء والتدريس بجامع القرويين ردحا من الزمن.

وفي سنة 1027 قصد الديار الحجازية لأداء فريضة الحج، فزار مصر والشام وبيت المقدس، وتصدر للتدريس والإفتاء بمساجدها، حيث كان العلماء والطلاب يجتمعون حوله كلما حل بمدينة أو مسجد، وقد تهمموا بالعلم ومعرفة أخبار منطقة الغرب الإسلامي.

ثم استقر بمصر وبها تزوج، إلى أن وافته المنية بالقاهرة سنة 1041، وبها دفن.

اتصل المقري أثناء إقامته بالمغرب بأدبائه وعلمائه، وحضر مجالسهم، وترجم لكثير منهم في كتابه : "*روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس*"، وروى أشعارهم في المديح السلطاني والنبوي وفي غيرهما من الأغراض الشعرية مشافهة وكتابة.

كان المقري علماً بارزاً في المغرب والمشرق، فهو لا يني يكتب ويؤلف، زاده ذاكرته الخصبة وقراءاته المتعددة في المؤلفات التي كان يتوفر عليها وينظر فيها ويسجل منها الكثير من القطع الأدبية الرائقة شعراً ونثراً، ولعل هذا العمل يسجل له بمداد الفخر، إذ لم يبق من كثير من المؤلفات التي اطلع عليها "*كرسالة الشقندي في الدفاع عن الأندلس والمسهب في أخبار المغرب* للحجاري وغيرهما من المؤلفات، إلا النقول التي أوردها في مؤلفاته، وأخص بالذكر "*نفح الطيب وأزهار الرياض*".

وكما تذكر كتب الأدب والتراجم، كان المقري "أعجوبة زمانه في الحفظ"، فمروياته في مؤلفاته أكثر من أن تحصى، سواء تعلق الأمر بقراءاته أو مروياته عن الشيوخ والعلماء في جامع القرويين أو في المجالس العلمية والأدبية التي كان يحضرها ويشارك فيها، وقد نعته بعضهم بـ "حافظ المغرب"، قال عنه الخفاجي في *ريحانة الألبا* : "مامسَّ قضب الأقلام إلا سجدت له شكراً إذ رأته قبلة الآمال، وأقسمتْ إن من البيان لسحرا، لكنه السحر الحلال".

وإذا كان المقري قد اشتهر مؤرخا وأديبا وصاحب تراجم، فإنه كان شاعراً مكثراً، توزعت أشعاره في أغراض متعددة في مصادر كثيرة، منها مؤلفاته، إذ كان يروي لنفسه قصائد ومقطوعات مناسباتية وهو يروي لغيره أو يترجم له. للمقري مؤلفات كثيرة أحصاها إحسان عباس في التعريف به في *نفح الطيب*، في ثمانية وعشرين مؤلفا، بعضها مفقود، وبعضها لا يزال مخطوطا، وبعضها قد حقق أكثر من مرة *كنفح الطيب*.

المقري، *نفح الطيب*، 1 : 11 ـ 29 ؛ *روضة الآس* ؛ القادري، *نشر المثاني*، 1 : 291 ؛ الخفاجي، *ريحانة الألبا*، 2 : 174 ؛ محمد حجي، *الزاوية الدلائية*، 108 ؛ *الحركة الفكرية*، 2 : 367 ؛ الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ ابن معصوم، *سلافة العصر*، 589.

نجاة المريني

**المقري** (الحاج -) **محمد** بن عبد السلام : ينتمي لإحدى الأسر الجزائرية التي هاجرت من الجزائر (تلمسان) إلى المغرب في القرن 19، في عهد مولاي سليمان أو مولاي عبد الرحمن. ولد بفاس، حوالي سنة 1860، ودرس بالقرويين. والتحق بالمخزن، حيث كلف بمساعدة أبيه في الإشراف على البناءات السلطانية. وأسندت إليه، بعد وفاة الوالد، مهمة الإشراف على هذه البناءات. وتقلد المقري بعد ذلك، العديد من الوظائف، إذ أصبح أمين الداخل، ثم الخارج، قبل أن يتولى مسؤولية الإشراف على الأملاك المخزنية، سنة 1904. وتمكن بفضل التجربة الواسعة التي اكتسبها، خصوصاً في مجالي المالية والدبلوماسية، من أن يصبح عضواً في "مجلس وزراء" مولاي عبد العزيز، وأن يضطلع بالعديد من المهام ذات الطابع السياسي والدبلوماسي. ويدخل في هذا الإطار، سفره إلى مدريد وباريس وإستنبول، وتحمله مسؤولية التفاوض مع الدبلوماسيين الأوربيين بطنجة حول مشروع الإصلاحات الجمركية (أكتوبر 1905)، ومشاركته في الوفد الذي مثل المغرب في مؤتمر الجزيرة الخضراء. وأسندت إليه في نهاية سنة 1907، أي بعد انسحاب مولاي عبد العزيز إلى مدينة الرباط، مهمة الإشراف على الأشغال العمومية. وبعد انهزام هذا السلطان في الحرب الدائرة بينه وبين أخيه مولاي حفيظ، كلف المقري بالتفاوض، باسم السلطان المخلوع، مع ممثلي الحركة الحفيظية في طنجة. وبعد انتهاء

هذه المفاوضات، وتحكم مولاي حفيظ في سير الأمور، عين وزيراً للمالية (يوليوز 1908)، ثم وزيراً للخارجية (صيف 1910)، بدلاً من الوزير عيسى بن عمر العبدي، الذي كلف بالشكايات. ولم يقف دور الحاج محمد المقري عند حدود اختصاصات وزارته، إذ قربه السلطان منه وجعله مستشاره الخاص ومساعده الأيمن. ومكنه ذلك من الاستبداد بأمر ثلاث وزارات، هي الأشغال العمومية (الحديثة التأسيس)، والخارجية، والمالية - التي كلف بها ابنه الطيب - ومن الإشراف، بالإضافة إلى ذلك، على المسائل المتعلقة بالبريد والتلغراف. ولم يكن ينافسه داخل المخزن، إلا المدني الگلاوي الذي تحكم في الصدارة وأمور الجيش. لكن زوال حظوة گلاوة، بعد انتفاضة قبائل فاس ومكناس في ربيع 1911، دعم موقف المقري وقوى مركزه داخل المخزن، إذ قلده السلطان مهام الصدارة العظمى وكلفه بتدبير الأمور الداخلية بالبلاد، في الوقت الذي استمر فيه في متابعة الأمور الخارجية والدبلوماسية.

كان الحاج محمد المقري، بعد قيام نظام الحماية بالمغرب، سنة 1912، من الشخصيات التي اختارها المقيم العام الجنرال ليوطي، لتشكل دعامة المخزن المركزي. ارتبط ذلك، بما تميز به هذا الوزير من ذكاء ودهاء، ومهارة سياسية ودبلوماسية، ودراية واسعة بأمور الدولة والمالية، ولما عبّر عنه من استعداد للتعاون مع فرنسا من أجل تطبيق الإصلاحات الضرورية. لكن رجال الإقامة كانوا لا يثقون، مع ذلك، في المقري المعروف بجشعه واندفاعه وراء مصالحه، خصوصا وأنهم كانوا يتوفرون على تقارير تشير إلى أنه كان يميل لمبادئ الجامعة الإسلامية، ويخفي وراء "مظهره اللطيف، عداءً" قويا للفرنسيين (J. Cagne, Nation et nationalisme..., p. 401-402)، ينسجم هذا التصور نوعا ما، مع ما كتبه الباحث علال الخديمي، عن هذا الشخص الذي أظهرت تحركاته قبل الحماية، حسب الباحث، مرونته ومهارته الدبلوماسية وغيرته على بلاده.

لكن المغاربة الذين عايشوا فترة الحماية، كانوا يرون في الحاج محمد المقري رمزاً لتلك الفئة التي تتقن فن الخداع واللعب على الحبلين، وتجيد أسلوب التحدث مع المستعمر. وينسجم هذا الوصف مع الصورة التي التصقت في أذهان الأوربيين عن النخبة السياسية المغربية، التي كانت، في نظرهم، تعمل دائما على تجنب المآزق والمواقف الصعبة والحرجة، وتفضل "الصيغ غير الواضحة والتسويات غير التامة التي تمكنهم من المراوغة والتراجع بشكل لا يؤدي إلى التصادم والقطيعة" (*Bulletin du Comité de l'Afrique Française, nov. 1906, p. 335*).

لم تستطع السلطة الاستعمارية، مع ذلك، الاستغناء عن المقري الذي احتفظ، بعد انطلاق عهد الحماية، بمنصبه في الصدارة العظمى، وهو منصب استراتيجي يؤهله للإشراف، نظريا على الأقل، على مهام وزارة الداخلية والأشغال العمومية والتعليم. لكن الجنرال ليوطي قرر، قبل انتهاء سنة 1913، إعفاءه من مهامه في الصدارة، وإبعاده إلى طنجة، التي ترأس فيها لجنة الأشغال العمومية ولجنة المزاد العلني. غير أن هذه الوضعية لم تدم، إذ عاد المقري، من جديد، إلى الصدارة العظمى في شتنبر 1917. وهذه العودة، ترمز إلى أهمية المكانة التي احتلها في النسق الاستعماري بالمغرب.

لم يكن سلوك المقري، الذي استغل مركزه لتوسيع دائرة نفوذه وتنمية ثروته، يلقى الارتياح التام في الأوساط المخزنية، بل إن علاقته مع بعض العناصر الأساسية داخل المخزن، خصوصا مع الحاجب التهامي اعبابو، انبنت على التوتر والتنافر. واشتدت حدة هذه التوترات في الظروف المرتبطة بوفاة السلطان مولاي يوسف في خريف 1927، بعد أن اختلف رجال الإقامة العامة حول من يخلفه على العرش؛ إذ انقسم أعيان المخزن إلى فريقين: فريق مثله الصدر الأعظم الحاج محمد المقري ونائب مدير التشريفات السلطانية محمد المعمري، اللذان دافعا عن فكرة مبايعة سيدي محمد، وفريق ثان، تزعمه الحاجب التهامي اعبابو المؤيد لفكرة تنصيب الأمير مولاي إدريس. ومن المعروف، أن المقري خرج منتصرا من هذه الصراعات، إذ أن اعتلاء سيدي محمد سدة العرش، كان من الأسباب التي ساعدته على توسيع دائرة اختصاصاته التي امتدت، نظريا على الأقل، لتشمل الإدارة العامة ووزارة الداخلية والتعليم الأهلي والأملاك المخزنية. وازداد نفوذه قوة، بعد استغناء الفرنسيين عن أعيان المخزن الذين كانوا يثيرون استياءهم وانزعاجهم. وكان الحاج عمر التازي، وزير الأملاك المخزنية، والحاجب التهامي اعبابو من أبرز وأقوى هؤلاء المبعدين. وقد صفا الجو بذلك، لمحمد المقري، الذي تمكن بعد تخلصه من مضايقات هاتين الشخصيتين، من أن يدعّم نفوذه ويتقدم على غيره من الوزراء. ونجح، نتيجة علاقته الطيبة بالمقيم العام طيودور سطيكَ، ولصغر سنّ السلطان، في أن يصبح وصيا على العرش وصاحب الكلمة العليا في القصر. لكن نفوذه داخل المخزن، وقدرته على التأثير على السلطان، أخذا يتقلصان، على ما يبدو، بعد صدور ظهير 16 ماي 1930 المعروف بالظهير البربري، الذي كان من الأسباب المؤدية إلى تأزم العلاقات بين المخزن والإقامة العامة. وصارت تصرفاته تثير امتعاض السلطان، وتلقى معارضة شديدة من خصومه ومنافسيه، خصوصا من طرف الحاج عمر التازي، الذي رغب السلطان، منذ خريف سنة 1932، في أن يسند إليه منصب الصدارة العظمى. ولم يرتبط تقلص نفوذ الصدر الأعظم في تلك الظروف، بموقفه المؤيد للفرنسيين فقط، بل ارتبط أيضا، بما كان يحرك السلطان، منذ نهاية سنة 1932 على الأقل، من طموح لتوطيد سلطته على رجاله وفرض نفوذه داخل القصر.

استطاع المقري، مع ذلك، أن يسترجع مكانته ونفوذه، بعد أن تقلصت حدة الأزمة التي طبعت العلاقة بين القصر والإقامة العامة سنتي 1933 و1934، وأن يحافظ بالتالي،

على منصبه ودوره في النسق الاستعماري بالمغرب. وتدعم هذا الدور، في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، بعد أن اشتدت حدة الصراع بين الحركة الوطنية والاستعمار، وتأزمت العلاقة، من جديد، بين الإقامة العامة والقصر. برز ذلك، من خلال مشاركته في المؤامرة التي أدت إلى خلع ونفي السلطان سيدي محمد بن يوسف سنة 1953، وفي الترتيبات والأحداث المرتبطة بمحادثات إيكس ليبان وتأسيس مجلس العرش. وقد حرصت السلطة الاستعمارية على اختيار الحاج محمد المقري ليكون عضوا في هذا المجلس (أكتوبر 1955)، لأنه كان يعد أبرز ممثلي "المخزن التقليدي"، المناوئين للحركة الوطنية. لكن الظروف التي أدت إلى إبعاد ابن عرفة وتأسيس حكومة البكاي في نونبر 1955، كانت سببا في أفول نجم المقري، الذي ناهز سنه آنذاك المائة سنة، إذ أبعد عن القصر، وجرد من كل أملاكه وممتلكاته. ولم تمر إلا بضعة أشهر على هذه المأساة، حتى توفي (سنة 1957)، وكانت وفاته مؤشرا على نهاية عهد طبعه الاستعمار بطابعه الخاص، وبداية عهد جديد منفتح على المستقبل.

ابن منصور عبد الوهاب، محمد الخامس والظهير البربري، دعوة *الحق، العدد 282، شعبان 1411 / 2 مارس 1991، ص. 54 ـ 60* ؛ عبد الحميد احساين، الصدر الأعظم، *معلمة المغرب، ج 16، ص. 5526 ـ 5528* ؛ علال الخديمي، *الحركة الحفيظية*، بحث لنيل الدكتوراه في التاريخ، الرباط، 2002، ج 2، بحث مرقون ؛ محمد الصغير الخلوفي، *انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره، مذكرة الفقيه محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الجعفري* (1874 ـ 1956) *نموذج من الكتابات السياسية في مطلع القرن العشرين*، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1994 ؛ محمد العلمي، *محمد الخامس*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1975، ص. 39 ـ 40.

*Archives diplomatiques de Nantes* : D.A.Ch., n° 26 ; Ben Ghabrit Kaddour, "S.E. el Hadj Mohammed el-Mokri", *France-Maroc, n° 5, 15 mai 1918, p. 141-143* ; *Bulletin du Comité de l'Afrique Française, 1906-1912* ; Gouvion Marthe et Edmond, *Kitab Aàyane al maghrib el akça*, Alger, Maison-Carrée, 1939 ; Rivet Daniel, *Lyautey et l'institution du protectorat*, (3 t.), Paris, Ed. L'Harmattan, 1988.

عبد الحميد احساين

## مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية

(B. R. P. M) تأسس هذا المكتب بموجب ظهير 15 دجنبر 1928 (2 رجب 1347)، وعرف بعض التغييرات والتعديلات بالاعتماد على عدة ظهائر، منها : 11 غشت 1930، 21 دجنبر 1938، 2 دجنبر 1939، 24 يونيو 1945، 3 مارس 1948 ... وبمقتضى ظهير 23 نونبر 1956، أصبح هذا المكتب مؤسسة عمومية تتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي، وتخضع للوصاية الإدارية لوزارة الطاقة والمعادن.

ومن الأهداف التي سطرت لهذا المكتب، تنشيط الأبحاث المنجمية، وتمكين الدولة من بذل مجهود مواز لمجهود القطاع الخاص، أو بالاشتراك مع هذا القطاع، مع التمتع بنفس الحقوق، والخضوع لنفس الواجبات. وفي البداية اقتصر نشاط هذا المكتب على مادتي الفحم الحجري والبترول، ولم يمتد نشاطه للركازات الفلزية إلا سنة 1940. وبالاشتراك مع مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية تم إنشاء "الشركة الشريفة لفحم جرادة" قصد استغلال الفحم الحجري. كما تم إنشاء "الشركة الشريفة للبترول، لضم مختلف أنشطة الشركات البترولية الموجودة.

وعندما حصل المغرب على الاستقلال، تم تعديل قانونه الأساسي، وأصبحت هذه المؤسسة تقوم في مناطق متفرقة من البلاد بمختلف العمليات المرتبطة بالاستغلال المعدني فيما عدا الفوسفاط والمحروقات، من إنجاز الدراسات المعدنية، واستغلال المناجم وتسويقها وتصنيعها، والمساهمة في الشركات المعدنية، وتتم هذه العمليات عن طريق : ـ الدراسة الجيولوجية والطبوغرافية والجيوفيزيائية الميدانية. والقيام بالتنقيبات لضبط الاحتياطي وتقييم المدخرات. وتسويق المستخرجات المنجمية.

ويقوم المكتب بالاستغلال المعدني منفرداً أو مع شركات يمتلك فيها أسهما تتراوح ما بين 23٪ و98٪ من رأسمالها. ومن الشركات التي يساهم فيها "شركة استثمار مناجم الريف" و"شركة الملح" بالمحمدية، إضافة إلى الشركة المعدنية لبوگافر لا ستخراج النحاس (34٪).

وتتكون الهيكلة الإدارية للمكتب كما يلي : من مدير عام يساعده ثلاثة أقسام، قسم الاستغلال والمساهمات والتسويق وقسم التقييم والدراسات المعدنية وقسم الكشف المعدني.

*تحريات ميدانية.*

P. Mauchaussé, B.R.P.M, *Réalités marocaines, n° 4-5*, Casablanca, 1953.

صالح شگاگ

## مكتب تنسيق التعريب

، تأسس مكتب تنسيق التعريب بعد استقلال المغرب، من أجل الاستفادة من جهود التعريب في المشرق العربي وتنسيقها للمساعدة على إحلال اللغة العربية محل اللغة الفرنسية في التعليم والإدارة في البلاد. وعقد المكتب مؤتمر التعريب الأول في الرباط عام 1961 بمشاركة ممثلين من الدول العربية الأخرى، كما عقد مجلسه التنفيذي دورته الأولى عام 1962. ثم ألحق المكتب بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية في شهر مارس من عام 1969 وصار اسمه "المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي". وعندما أنشئت المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة (الألكسو) بوصفها وكالة متخصصة تابعة لجامعة الدول العربية، ألحق المكتب بها في شهر ماي من عام 1972 وصار اسمه "مكتب تنسيق التعريب".

مقر المكتب :

احتل المكتب عند تأسيسه بناية تابعة للأملاك المخزنية

في شارع المرابطين في الرباط، ثم انتقل منها إلى البناية رقم 10 في زنقة أنغولا، وبقيت البناية الأولى تضم المكتبة العلمية التابعة له. ثم انتقل المكتب عام 1981 إلى البناية رقم 6 في زنقة 16 نوفمبر في الرباط، ثم انتقل إلى البناية رقم 82، في زنقة وادي زيز في الرباط.

الهيكلة الإدارية للمكتب :

على رأس المكتب مدير يشرف على قسمي المكتب وهما :

أ) القسم العلمي والفني، ويتألف من 6 وحدات هي : الدراسات والأبحاث المصطلحية والمعجمية، التخطيط والمشروعات، التنسيق والمتابعة، الشبكة المعلوماتية، التوثيق والمكتبة، المجلة والإعلام.

ب) القسم الإداري والمالي، ويتألف من وحدتين : الشؤون الإدارية، والشؤون المالية.

وللمكتب مجلس علمي استشاري مؤلف من معجميين وشخصيات علمية يجتمع مرة على الأقل كل عام، للنظر في الموضوعات التي يعرضها المكتب أو لاقتراح مشروعات ذات علاقة بعمله.

إدارة المكتب وميزانيته :

يعين المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مدير المكتب ـ بناء على ترشيح من الجهة المغربية المختصة ـ لفترة محدودة بأربع سنوات. وقد تعاقب على إدارة المكتب السادة :

- عبد العزيز بنعبد الله، 1961 ـ 1981
- المهدي الدليرو 1982 ـ 1985
- مصطفى بنيخلف 1985 ـ 1986
- عبد الجليل بلحاج 1986 ـ 1990
- أحمد شحلان 1990 ـ 1995
- عباس الصوري 1997 ـ

ويستعين المكتب، لتنفيذ برامجه، بعدد من الخبراء المتفرغين وغير المتفرغين. ومن الخبراء الذين عملوا في المكتب : ممدوح حقي (سوريا)، وعبد الحق فاضل (العراق)، وعلي القاسمي (العراق)، وعز الدين العراقي (المغرب)، والحسن العلمي (المغرب).

وتبلغ ميزانية المكتب السنوية حوالي ربع مليون دولار أمريكي يتحمل المغرب معظمها، ولا يعمل في المكتب أكثر من 12 موظفاً، ويعتمد في تنفيذ برامجه على الخبراء المتعاقدين.

أهداف المكتب :

- التوسع في استعمال اللغة العربية في الإدارة والتعليم في جميع مراحله ومستوياته ومختلف تخصصاته.
- إغناء اللغة العربية بالمصطلحات العلمية والتقنية الحديثة.
- توحيد المصطلحات العلمية والتقنية في الوطن العربي.

وسائل الكتب :

- تنسيق الجهود التي تبذل في الأقطار العربية لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة، وذلك بتجميع المصطلحات المستعملة في علم من العلوم في كل قطر عربي مع مقابلاتها الإنجليزية والفرنسية، وعقد ندوة أو أكثر لدراستها واختيار المصطلح العربي الأفضل، من أجل تقديمها لمؤتمر تعريب لإقرارها.
- عقد المؤتمرات الدورية للتعريب بمشاركة الدول العربية لإقرار المصطلحات الموحدة التي أعدتها الندوات التمهيدية.
- نشر المعاجم الموحدة للمصطلحات التي تقرها مؤتمرات التعريب.
- نشر الدراسات والبحوث في الترجمة والتعريب والمعجم والمصطلح في مجلته *"اللسان العربي"*.

مؤتمرات التعريب :

عقد المكتب منذ تأسيسه عشرة مؤتمرات للتعريب. وتلقى في كل مؤتمر منها بعض الدراسات، وتقدم كل دولة تقريراً عن حالة التعريب فيها، كما تقوم لجان متخصصة بدراسة مشاريع المعاجم المُوحدة لإقرارها. وفيما يلي قائمة بهذه المؤتمرات ومكان انعقادها، وتاريخه :

- المؤتمر الأول، الرباط 3 ـ 4 ـ 7 / 1961 (تدارس التنسيق ووضع خطة العمل).
- المؤتمر الثاني، الجزائر 12 ـ 20 ـ 12 ـ 1973 (دراسة وإقرار معاجم موحدة في : الحيوان، الطبيعة (الفيزياء)، الكيمياء، النبات، الرياضيات، الجيولوجيا).
- المؤتمر الثالث، طرابلس ـ ليبيا 7 ـ 16 / 2 / 1977 (دراسة وإقرار معاجم موحدة في : الجغرافيا والفلك، التاريخ، الفلسفة والمنطق وعلم النفس، الصحة وجسم الإنسان، الرياضيات البحتة والتطبيقية (المجموعة الأولى)، الإحصاء).
- المؤتمر الرابع، طنجة 20 ـ 22 / 1981 (دراسة وإقرار معاجم موحدة في : الكهرباء، هندسة البناء، المحاسبة، التجارة، النفط، الجيولوجيا، الطباعة، الحاسبات الإلكترونية).
- المؤتمر الخامس، عَمّان 21 ـ 25 / 1985 (دراسة وإقرار معاجم موحدة في : الفيزياء النووية، التربية والاجتماع والإنثروبولوجيا، الفيزياء العامة، الكيمياء العامة، علم اللغة واللسانيات، الألعاب الرياضية (الجزء الأول)، المعجم العربي الزراعي، المعجم العربي للمصطلحات والتعاريف الإحصائية، القاموس العام لمصطلحات السكك الحديدية).
- المؤتمر السادس، الرباط 26 ـ 30 / 9 / 88 (دراسة وإقرار المعاجم الموحدة في : الاقتصاد، الجغرافيا، الموسيقى، الآثار، القانون).
- المؤتمر السابع، الخرطوم 23 / 1 ـ 1 / 2 / 1994 (دراسة وإقرار المعاجم الموحدة في : السياحة، الزلازل، الطاقات المتجددة، البيئة).
- المؤتمر الثامن والتاسع، مراكش 4 ـ 8 / 1998 (دراسة وإقرار المعاجم الموحدة في : التقنيات التربوية، الفنون

التشكيلية، الإعلام، الاستشعار عن بعد، الأرصاد الجوية، علوم البحار، علوم المياه، المعلوماتية، الهندسة الميكانيكية).

ـ المؤتمر العاشر، دمشق 20 ـ 25 / 7 / 2002 (دراسة وإقرار المعاجم الموحدة في : تقانات الأغذية، علم الوراثة، الحرب الإلكترونية، الطب البيطري، الصيدلة).

نشر المعاجم الموحدة :

نشر المكتب حوالي أربعين معجماً تمثل المعاجم الموحدة التي أقرتها مؤتمرات التعريب، أو معاجم مكونة من إدماج عدد من تلك المعاجم التي أقرتها مؤتمرات التعريب. وكل معجم يشتمل على المصطلحات مرتبة ألفبائياً بالإنجليزية مع مقابلاتها الفرنسية والعربية، مع فهرسين ألفبائيين بالمصطلحات العربية والفرنسية، وهذه المعاجم التي طبعت في مقر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس أو بالرباط بين 1989 و2005 ، يحمل كل منها عنوان "المعجم الموحد لمصطلحات"، وموضوعاتها كالتالي : اللسانيات، الفيزياء العامة والنووية، الرياضيات والفلك، الموسيقي، الكيمياء، الصحة وجسم الإنسان، الآثار والتاريخ، الأحياء، الجغرافية، التجارة والمحاسبة، الطاقات المتجددة، التعليم التقني (كهرباء ـ طباعة) ج 1، التعليم التقني (البناء ـ النجارة) ج 2، العلوم الإنسانية، القانون، السياحة، الزلازل، الجيولوجيا، الاقتصاد، النفط (البترول)، البيئة، الهندسة الميكانيكية، التقنيات التربوية، الإعلام، الفنون التشكيلية، الأرصاد الجوية، المياه، المعلوماتية، الاستشعار عن بعد، علوم البحار، ...

وإضافة إلى هذه المعاجم الموحدة فقد نشر المكتب بعض الكتب الأخرى أهمها :

ـ عبد العزيز بنعبد الله، *نحو تفصيح العامية في الوطن العربي* (الرباط، 1972) 206 صفحة.

ـ عبد العزيز بنعبد الله، *نظام التصنيف العشري من أجل العلوم الجراحية* (الرباط، 1978) 155 صفحة.

ـ *صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية* (الرباط، 1985) 278 صفحة ـ أشغال ندوة أعدها للنشر علي القاسمي وصالح جواد الطعمة.

ـ *الرموز العلمية وطريقة أدائها باللغة العربية* (الرباط، 1995) 190 صفحة، وهو طبعة ثانية للكتاب الذي أصدره اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية عام 1988.

مجلة المكتب *"اللسان العربي"* :

صدر العدد الأول من مجلة *"اللسان العربي"* عام 1964، وهي مجلة دورية تصدر ـ عادة ـ مرتين في العام، متخصصة في الدراسات اللغوية وقضايا الترجمة والتعريب، ومشروعات معاجم المصطلحات. صدر عددها السادس والخمسون عام 2003 . واشتمل عددها الحادي والخمسون (2001) على كشاف لمحتويات الأعداد الخمسين السابقة.

كما يُصدر المكتب نشرة إعلامية فصلية عنوانها "اللسان".

وللمكتب موقع على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) عنوانه www.arabization.org.ma يستطيع الباحث أن يطلع فيه على المعاجم الموحدة أو على المقابل الموحد لمصطلح من المصطلحات العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية. كما يمكن الاطلاع على كشاف مجلة اللسان العربي وأعدادها الأخيرة. ويستطيع الباحث مراسلة المكتب على عنوان بريده الإلكتروني :

magazine@arabization.org.ma

*دليل مكتب تنسيق التعريب*، 1998 ؛ أعداد مجلة *اللسان العربي*، ومطبوعات المكتب الأخرى.

علي القاسمي

**مكتب التنمية الصناعية**، ظهر هذا المكتب إلى الوجود بمقتضى ظهير 6 يونيو 1973 ، كمؤسسة عمومية تتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي. ويضم مجموعة من المصالح المرتبطة بالصناعات المتوسطة والصغيرة (الغذائية ـ الكيماوية ـ النسيج ـ الجلد ...).

ويتم وضع البرنامج العام السنوي للمكتب من طرف مجلس إداري، يتركب من أربعة عشر عضوا، ينتمون إلى قطاعات الصناعة والتجارة والفلاحة والتشغيل والمالية.

ويعتبر مدير المكتب المسؤول عن تنفيذ القرارات التي يتخذها المجلس الإداري.

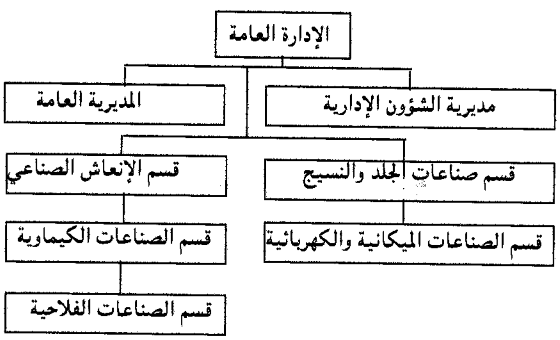


وتطبيقا لسياسة اللا تمركز الصناعي، يقوم المكتب عن طريق فروعه الجهوية بتقديم خدمات مختلفة للمستثمرين الصناعيين ، قصد إقامة وحدات صناعية محلية وجهوية. وتعمل نياباته في بعض الدول على جلب الاستثمارات الأجنبية، عن طريق المعارض والأيام المغربية وإطلاع المستثمرين على الإمكانيات الاقتصادية والتسهيلات التي تقدمها قوانين الاستثمار.

ومنذ 1979 ، أعدت مصالح المكتب الجهوية برنامجا

لإعداد مناطق صناعية في ستة وعشرين مدينة. وكان من نتائج سياسة الانعاش الصناعي أن تعددت مشاريع الاستثمار ما بين 1981 ـ 1985 :

| البلد | عدد المشاريع | فرص الشغل | أهم قطاعات الإنتاج |
|---|---|---|---|
| فرنسا | 11 | 890 | الملابس وقطع الغيار |
| ألمانيا | 5 | 2055 | الملابس |
| آنگلترا | 4 | 305 | الملابس وأدوات التجميل |
| بلجيكا | 4 | 313 | الملابس |
| و.م. آ | 3 | 296 | الدواجن |
| كندا | 2 | 124 | أدوات الري |

ويمكن لمكتب التنمية الصناعية أن يساهم في رأسمال الوحدات الصناعية التي ترى السلطات العمومية ضرورة المساهمة فيها. ويتدخل عندما تكون الحاجة ضرورية لانطلاق مشروع صناعي كأن يتطلب الأمر نفقات مالية كبيرة أو تقنيات عالية. ويكون من أهداف ذلك الإسراع بإخراج المشاريع الصناعية إلى الوجود. ويمكن للمكتب أن يتخلى عن مساهمته عندما يكون باستطاعة الخواص تعويض حصة المكتب.

*منشورات مكتب التنمية الصناعية.*

**المكتب الوطني للصيد البحري**، أنشئ هذا المكتب بمقتضى ظهير 2 فبراير 1969 كمؤسسة عمومية، والهدف من إنشائه النهوض بقطاع الصيد التقليدي ماديا وبشريا وتقنيا. وانطلاقا من مقره بالدار البيضاء قدم مساعدات لأرباب السفن قصد تجهيزها بالمحركات الميكانيكية والرافعات وشبكات الصيد.

ووصلت مساعدات صغار الصيادين إلى 1500 درهم عن كل سفينة لشراء المحركات، و3000 درهم لتزويدها بالشباك، وكان من انعكاسات ذلك أن ارتفع إنتاج هذا القطاع إلى 40٪ مما كان عليه قبل 1971 ، وانخفض عدد العاملين على ظهر السفن من 25 إلى 15 بحاراً. وانتقل عدد قطع الصيد من 5230 قطعة سنة 1977 إلى 8444 قطعة سنة 1982.

وبدعم من هذا المكتب بدأت حركة تعاونية في ميدان الصيد الساحلي بمينائي طانطان وسيدي إفني، وتوسعت الحركة التعاونية لتشتمل موانيء أخرى كالحسيمة والصويرة والعرائش والمحمدية ...

ومنذ 1980 ، عمل المكتب على اقتناء عدد من البواخر المجهزة، كما عمل على الدخول في تجربة الصيد في أعالي البحار عن طريق إنشاء شركات مختلطة :

| اسم الشركة | المساهم الأجنبي | سنة الانطلاق | مساهمة المكتب | المساهمة الأجنبية | مساهمة الخواص المغاربة |
|---|---|---|---|---|---|
| صوجيب (SOGEP) | اليابان | 1972 | ٪20 | ٪50 | ٪30 |
| ماركوب (MARCOP) | اليابان | 1972 | ٪12,5 | ٪50 | ٪37,5 |
| برومر (PROMER) | فرنسا | 1973 | ٪30 | ٪40 | ٪30 |
| ماربش (MAROPECH) | إسبانيا | 1973 | ٪0 | ٪50 | ٪50 |
| صوديب (SODIP) | إطاليا | 1975 | ٪15 | ٪30 | ٪55 |

وكان الهدف من إشراك الأجانب الاستفادة من خبراتهم والتكوين المهني للتجار المغاربة ... وأدى تردد الخواص المغاربة من استثمار أموالهم في قطاع الصيد في أعالي البحار بالمكتب الوطني للصيد إلى خلق ثلاث شركاء بمساهمة تامة من الدولة :

| اسم الشركة | رأس المال بملايين الدرهم |
|---|---|
| بروموبيش (PROMOPECHE) | 5 |
| صومامر (SOMAMER) | 7 |
| طونابيش (THONAZPECHE) | 4 |

وساهم ذلك في تزايد عدد وحدات الصيد في أعالي البحار من 60 وحدة سنة 1977 إلى 160 وحدة سنة 1982. وانصبت سياسة المكتب في ميدان البحث العلمي على ضبط أنواع الأسماك وأماكن تواجدها وتكاثرها والحياة البحرية عامة. كما اهتم بدراسة تقنيات الصيد ومدى صلاحيتها لاستغلال الثروة السمكية بشكل علمي. كما اهتم بدراسة عمليات التصبير والتجميد واستخراج الأسمدة والزيوت ... وتمت هذه الأبحاث المختبرية بدعم من برنامج الأمم المتحدة ومنظمة التغذية والزراعة. ولتشجيع استهلاك السمك في الأسواق الداخلية، عمل المكتب منذ 1973 على توزيع الأسماك الطرية بواسطة شركة أسماك.

*منشورات المكتب الوطني للصيد البحري.*

صالح شگاگ

**مكتبة** ، لم يعبر القدماء بلفظ مكتبة عن المكان الذي تجمع فيه الكتب رغم أصله السامي القديم، بل استعملوا ألفاظا أخرى مثل دار الكتب، وبيت الكتب وخزانة الكتب ودار الحكمة وبيت الحكمة وخزانة الحكمة ودار العلم. ومن يقرأ في كتب التاريخ والحضارة في المغرب يجد أن لفظ

خزانة هو الشائع الاستعمال، فاستمر إلى اليوم يطلق على المؤسسات التي تحفظ الكتب على اختلاف أصنافها وأنواعها أما لفظ مكتبة فيطلق على الدكاكين أو الأكشاك التجارية التي تمارس بيع وشراء الكتب.

ومن يبحث في تاريخ هذه المؤسسة العلمية في المغرب يجد أنها على العموم أصناف ثلاثة : الخزانة الملكية والخزائن الخاصة والخزائن العامة. وقد لعبت كلها دوراً أساسياً في تطوير الثقافة وفي الحفاظ على التراث المخطوط في هذا البلد.

ولنتساءل قبل الحديث عن تاريخ هذه المؤسسات، عن نشأة خزائن الكتب في المغرب. إن المصادر التي تتحدث عن الفترات التي أعقبت دخول الإسلام إلى هذا البلد قد لا تسعف الباحث في الإجابة عن هذا السؤال باستثناء ما جاء في كتاب *"القصد والأمم"* لابن عبد البر الذي ذكر أن "طارق بن زياد" عثر خلال فتح الأندلس على اثنين وعشرين مصحفا (كتابا)، وهي عبارة عن أناجيل وكتب في الأحجار الكريمة وفي علم النبات والتعاويذ والكيمياء، وقد أهداها إلى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. ولم تظهر ملامح وجود مكتبة في المغرب إلا في العصر الإدريسي الذي عرف حركة ثقافية متنوعة بالرغم من قلة المعلومات الخاصة بهذا المجال. فتوافد العلماء من الأندلس والقيروان والشرق إلى فاس، وتنظيم الحلقات الدراسية وتشجيع الأمراء الأدارسة للحركة الثقافية لمن شأنه أن يدعو إلى النسخ والتأليف واقتناء الكتب وجمعها وصيانتها في المساجد والبيوت.

في هذا المناخ الذي عرف استقرار سياسيا هاما ونشاطا علميا كبيرا ظهر الأمير الإدريسي يحيى الرابع الذي كان مثقفا عالما بالشريعة متضلعا في الحديث مشاركا في المناظرات العلمية التي كانت تقام في مجلسه. ومن البديهي أن يكون في حوزة هذا الأمير مجموعة خاصة من المؤلفات يرجع إليها للتحصيل والتوثيق أكد وجودها البكري في *"المسالك والممالك"* بقوله : "إن مجموعة من الوراقين كانوا يشتغلون في نسخ الكتب له". وتعود المصادر للحديث عن الخزانة الملكية في العصر المرابطي ولا سيما على عهد علي بن يوسف بن تاشفين الذي أخبر عنه المراكشي في *"المعجب"* "أنه أحاط نفسه بالعلماء والفقهاء وعمل على جلب الكتب من كل الجهات وذلك في سبيل تأسيس مكتبة لم يسبق إلى مثلها".

وستعرف المؤسسة الملكية تطورها على عهد الموحدين لا سيما في عهد يوسف بن عبد المومن الذي كان عالما شغوفا بالفلسفة متصفا بالذكاء وبعد النظر. جمع مكتبة في حكم مكتبة الحكم المستنصر في قرطبة بلغت كتبها حسب المقري أربعمائة مجلد نصفها كتب فلسفة. وليس هذا من المبالغة في شيء إذا ما علمنا أن هذا الخليفة هو الذي أمر الفيلسوف ابن رشد بشرح أعمال أرسطو ونقلها إلى اللغة العربية. وقد بلغت الخزانة الملكية أوج ازدهارها على عهد المرينيين والسعديين والعلويين. فلم يذخر ملوك هذه الأسر وسعا في إغنائها وتنميتها وذلك بإرسال البعثات خارج المغرب لاقتناء الكتب النادرة واستنساخ النفائس أو استعارتها من مختلف المؤسسات المكتبية المغربية كمكتبات الزوايا والمساجد أو المكتبات الخاصة. وبفضل هذه الجهود تعتبر الخزانة الملكية اليوم أغنى خزانة في الغرب الإسلامي من حيث عدد وثائقها ومن حيث قيمة وندرة ونفاسة محتوياتها. ودأب الملوك على أن يختاروا لها من علية القوم من يقوم عليها، فتحمل مسؤولية القيم عليها الوزراء والقضاة والحجاب والعلماء كابن الصقر الذي كان أمينا على خزانة يوسف الموحدي والوزير اليحمدي الذي سلمه المولى إسماعيل العلوي مفاتيح خزانة كتبه. ويعتبر هذا الاختيار دليلا على اهتمام هؤلاء الملوك بالكتاب وعنايتهم بالعلم. وقد كانت دائما مفتوحة في وجه الباحثين الذين استفادوا دوما من مذخراتها وألفوا الكتب برسمها. ولم يكن الملوك ليملكوا وحدهم خزائن خاصة بل تروي كتب التاريخ والحضارة أن الأمراء والوزراء والحجاب والقضاة والعلماء والنساء العالمات قد جمعوا الكتب وكونوا لهم مكتبات خاصة. يحدثنا الأنصاري في *"اختصار الأخبار"* أنه كان بسبتة اثنان وستون مكتبة يعود معظمها إلى القرن الرابع الهجري، كان أغلبها خزائن خاصة أكبرها خزانة ابن العجوز السبتي المتوفى في عام 413. ومن بين المكتبات الخاصة الشهيرة في العصر الموحدي خزانة ابن الصقر وخزانة أسرة ابن الملجوم وخزائن المسوفي والمومنائي وابن الطراوة وغيرها.

وقد تعددت خزائن الأمراء والوزراء والعلماء والأعيان على عهد الأسر الحاكمة الأخرى كمكتبة ابن الغرديس وابن القاضي والحضيكي وماء العينين وغيرها. ومن مميزات هذه الخزائن أنها كانت مفتوحة في وجه الباحثين على اختلاف مشاربهم. وقد لعبت دوراً هاماً في الحفاظ على الكثير من تراثنا المخطوط الذي تم اليوم اكتشاف بعضه بفضل الجهود التي تبذلها الدولة في البحث عن هذه الكنوز كجائزة الحسن الثاني للمخطوطات التي أنشأتها وزارة الثقافة في أواخر ستينيات القرن العشرين.

أما الخزانة العامة أو العمومية فإنها ظهرت في المغرب في القرن السادس الهجري حسب مصادر التراث. ويمكن اختصارها في الأصناف التالية : مكتبات المساجد ؛ مكتبات المساجد الجامعة، مكتبات المدارس العتيقة ومكتبات الزوايا.

لم يكن المسجد في المغرب خاصا بالعبادة فحسب، بل كان مدرسة للتعليم والتثقيف كذلك. ومن البديهي أن تضم إحدى زواياه مجموعة من الكتب يرجع إليها الطلبة والباحثون. وغالبا ما يتكون هذا الرصيد من أوقاف المحسنين وهدايا الملوك والأعيان ووصايا الشيوخ والعلماء. وقد كان التعليم العالي منحصرا في المساجد الكبرى التي اصطلح عليها بالمساجد الجامعة كالقرويين بفاس وابن يوسف

بمراكش اللذين تخرج منهما أكبر مفكري المغرب ومؤلفيه وعلمائه. وقد عرف الجامعان خزائن كتب مفتوحة في وجه القراء والطلبة قبل أن يؤسس المرينيون خزانة القرويين في القرن الثامن الهجري والسعديون مكتبة ابن يوسف في القرن العاشر الهجري. وكان كلاهما موضع عناية الملوك والمحسنين الذين أهدوا لهما النفائس وأوقفوا عليهما المصنفات وأصدروا الظهائر بإصلاحهما والعناية بشؤونهما. وما زالت خزانة القرويين تضم ضمن محتوياتها أجزاء من كتاب *"العبر"* لابن خلدون يحمل أحد أجزائه وقفية المؤلف ونسخة نادرة من كتاب *"البيان والتحصيل"* لابن رشد على رق الغزال ونسخة من مختصر أبي مصعب نسخت في القرن الرابع الميلادي برسم خزانة الحكم المستنصر الأموي بقرطبة. وقد استأثر الجامعان - القرويين وابن يوسف - بالتعليم العالي العتيق منذ بداية القرن العشرين فضمت خزانتهما أرصدة الكتب المحفوظة في غيرهما من المساجد. وقد خضعت المؤسستان للسرقة والنهب، فانتقل عدد منها إلى المكتبات الأجنبية أو دخل في حوزة الخواص.

وقد ظهر في المغرب منذ القرن السابع نوع آخر من المكتبات العمومية داخل المدارس العتيقة التي أسست لإيواء الطلبة ولتأمين الدروس لهم في آن واحد. وقد بني معظمها في الرباط وسلا وفاس ومراكش ومكناس وسوس في جنوب المغرب وزودت بخزائن كتب معظمها من إهداء مؤسسيها من الملوك والوزراء والمحسنين. وكانت تسند رعايتها لأحد العلماء أو لأحد المقيمين من طلبة العلم القاطنين بها. وقد تخصصت بعض هذه المدارس بتعليم الطب وسميت بالمارستان كما في المشرق، فقد أسس أبو عنان المريني بيمارستانا في سلا وزوده بخزانة كتب ضمت بلا شك مجموعة من كتب الطب.

وبعد تخلي هذه المؤسسات عن دورها التثقيفي في أواسط القرن التاسع عشر ضمت محتوياتها إلى أرصدة مكتبات المساجد الكبرى التي استمرت في القيام بعملية التدريس.

وبالإضافة إلى خزائن المدارس، عرف المغرب خزائن الزوايا التي ظهرت في المغرب منذ العصور الإسلامية الأولى يروي، صاحب *"المرقي في أخبار سيدي محمد الشرقي"* أن الزاوية وجدت في مدينة "تادلا" منذ القرن الرابع الهجري وكانت تسمى رباطا، ولم تسم بالزاوية إلا في القرن السابع الهجري كزاوية أبي محمد صالح بمدينة آسفي على الشاطئ الأطلسي. وقد كان دورها جهاديا وتثقيفيا في آن واحد، ولا تكاد تخلو منطقة من مناطق المغرب من زاوية بها خزانة كتب ملأى بالنوادر والنفائس من الكتب المخطوطة ؛ نذكر من بينها زاوية الدلاء وزاوية تامگروت وزاوية سيدي حمزة وزاوية أبي الجعد الشرقاوية. تخرج من هذه الزوايا الكثير من العلماء وتجمعت فيها المجموعات الخطية الهامة. وقد عرفت خزانة الدلائيين الضخمة التي شبهها بعضهم بخزانة الأمويين بالأندلس نهايتها على يد المولى الرشيد العلوي الذي احتفظ بقسم منها بالخزانة الملكية ووقف الأقسام الأخرى على مجموعة من الخزائن كخزانة مدينة أبزو التي عثر فيها على النسخة الفريدة من كتاب *"البرصان والعرجان والعميان والحولان"* للجاحظ. ولم تكن خزائن الزوايا الأخرى دون خزانة الدلائيين ضخامة ونفاسة، فمازالت كل من خزانة تامجروت وسيدي حمزة تضم الآلاف من المخطوطات النادرة رغم توقف الدراسة بها. ومن خصائص هذا النوع من المكتبات أنها كانت مفتوحة في وجه الباحثين على اختلاف أهوائهم ومشاربهم. وكانت على صلة بالخزائن الأخرى كالخزانة الملكية من حيث الإعارة والتبادل والاستنساخ. وما زالت أقسام الوثائق بالمكتبات المغربية تعج بالمراسلات المتبادلة بين الملوك وشيوخ الزوايا المتعلقة بهذا المجال. ولم تكن خزائن السوس بالجنوب المغربي دون هذه الخزائن أهمية، فما زال الكثير منها يقوم بوظيفة التدريس والتربية ويضم مكتبة مليئة بمصادر التراث المخطوطة والمطبوعة.

وقد تميز عهد الحماية بمحاولة إصلاح الخزائن القديمة، وتأسيس خزائن بالثانويات الخاصة بأبناء الأعيان وأخرى بالبلديات للعموم. وكان أهم هذه الخزائن المكتبة العامة الي أسسها الإسبان بتطوان في الثلاثينيات من نفس القرن.

وبعد الاستقلال عملت الدولة المغربية على تنمية المؤسسات الجديدة، وبناء مكتبات أخرى للقراءة العمومية في مختلف المدن المغربية. وظلت الخزانة العامة بالرباط تقوم بوظائف الخزانة الوطنية كوضع الببليوغرافيا الوطنية والإيداع القانوني وغيرها... وتوجت هذه الأعمال بتأسيس مركز لترميم المخطوطات وبتفعيل المشروع الخاص ببناء خزانة كتب وطنية مغربية حديثة.

أحمد شوقي بنبين

**المكس** ، أمكاس ومكوس، وأصل هذه اللفظة من كلمة ماكسو (Makso) وهي من الألفاظ الآرمية التي دخلت باكراً إلى قاموس اللغة العربية بدليل ما قاله أحد شعراء الجاهلية - وهو جابر بن حُنَيّ التغلبي. في أحد أبياته :

وفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكسُ درهم

ومما أورده اللغوي ابن منظور - في لسانه - أن المكس يعني أحد أمرين : أحدهما هو عبارة عن ضريبة أوجباية يأخذها الماكس مما يباع في الأسواق، مستدلاً على ذلك بالبيت الشعري أعلاه. والآخر هو "انتقاص الثمن من البياعة" مشيراً بذلك إلى التعسف والظلم الذي يلحق التاجر أو البائع من جراء تدخل الدولة في التجارة عن طريق اشترائها البضاعة من البائع بثمن زهيد لتتكفل هي ببيعها بثمن مرتفع، وهو ما يحيلنا إلى شكل من أشكال

الاحتكارات التي كانت تمارسها الدولة الإسلامية على بعض المواد سواء في الشرق الإسلامي أو غربه.

وعلى هذا الأساس أصبح المكس يعني لا حقا، في كتابات الفقهاء والمؤرخين، تارة الرسوم أو الضرائب التي كانت الدولة تفرضها على بضائع التجارة الداخلية، في الأبواب والأسواق والقاعات، وتارة أخرى الاحتكارات التي كانت تمارسها الدولة على بعض أنواع المواد والسلع، حيث تتكفل هي لوحدها ببيعها، سواء بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة.

ومن أمثلة ذلك ما أورده المؤرخ الناصري في سياق أحداث العام 1266 / 1850 : "وأحدث السلطان المكس بفاس وغيرها من الأمصار، أحدثه أولاً في الجلد على يد المصطفى الدكالي ابن الجيلاني الرباطي، والمكي القباج الفاسي، ثم أحدثه في البهائم، ثم تفاحش أمره في دولة ابنه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان".

وبخلاف ما ذهب إليه عدد من المؤرخين فالمكس الذي فرضه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام (1822 - 1859) على الجلد لا يتعلق بضريبة، وإنما - كما يتبين من الوثائق المغربية والأجنبية - كان عبارة عن احتكار محض، تمثل في مصادرة كافة الجلود من أيدي الذابحين، على يد العمال والأشياخ في الحواضر والبوادي، وتكليف الأمناء ببيعها، وذلك قبل تفويتها إلى يد التاجرين الدكالي والقباج. والواقع أن جل المكوس المفروضة في عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام كانت عبارة عن احتكارات، وكان من بين أهدافها، علاوة على الحصول على موارد مالية إضافية، إخضاع التبادل التجاري لمراقبة الدولة، والحد من أطماع الحكومات الأوربية التي كانت تسعى إلى غزو السوق المغربية.

بيد أن اتفاقية 9 دجنبر 1856، المفروضة على المغرب من قبل بريطانيا، وضعت حدا لهذه الاحتكارات، باستثناء مواد محدودة أشار إليها البند الثاني من نفس الاتفاقية، هي العلق والدبغ والكيف والكبريت والرصاص ومواد الحرب عموماً. ومعنى هذا أن المخزن وجد نفسه مضطراً لتغيير سياسته الجبائية وذلك بتحويل المكوس من احتكارات إلى ضرائب وكذابخلق ضرائب جديدة (مكوس الأبواب) مباشرة بعد حرب تطوان، وهذا ما يقصده الناصري بقوله "ثم تفاحش أمره في دولة ابنه ...".

غير أن الجديد في هذه المكوس هي أنها أصبحت تؤدى فقط من قبل المغاربة غير المحميين. أما الأجانب ومن تعلق بهم من المحميين فقد أعفوا أنفسهم من تحمل أعبائها، وتلك كانت إحدى علامات فقدان المغرب لسيادته.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن العامة كانت تطلق على هذه المكوس اسما آخر هو الصنك.

ع. العزيز الخمليشي، *المخزن والضرائب المفروضة على التجارة الداخلية - مكوس الحواضر* (1856 - 1896) ؛ صنك، *معلمة المغرب*، 16، ص. 5560 - 5563.

عبد العزيز الخمليشي

**المكّاوي** ، ظهرت ثورة المكاوي في أصقاع سوس، تستهدف الوصول إلى السلطة. وقد أشارت مختلف المصادر التاريخية إلى هذا الحدث، مما وفر لنا معلومات كافية عنها.

يقول عنها المختار السوسي : إنه "في سنة 1169 / 1755 طرأ المكاوي على سوس، فادعى المهدوية، وأظهر أمورا خارقة للعادة فأغزى البعمرانيين ولاخصاص ومجاط وءال أزغار فبايعوه فزحف بهم نحو هشتوكة ...".

وفي مصدر آخر يقول : "... إن القبائل التي اجتمعت عليه [المكاوي] أولاهم (البعمرانيون) واخصاص) و(مجاط) وبعض من في "وادنون" من الصحراويين [...] فاستتبع أيضا التازروالتيين. نزل إلى (أزغار) حول (تزنيت)، ويكون هذا كله في شهر ذي القعدة وذي الحجة [1168] ثم تخطى (واد والغاس) ليستولي على عاصمة (سوس) (تارودانت) إلا أن الهشتوكيين وجيش الحكومة تحت سلطة مولاي سرور خليفة السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل في تلك المدينة لاقوه في بسيط (هشتوكة) فأصيب الثائر في رأسه برصاص [...] فوصل المجروح إلى قرية (إيدغ) ب (آيت جرار) فمات هناك وقبره لا يزال معلوما هناك إلى الآن. وكان يوم موته السبت 5 - 1 - 1169".

إن اندلاع هذه الثورة يدل على أن منطقة سوس والجنوب المغربي، بشكل عام، كانت تعرف فراغا سياسيا وإداريا. ويضاف إلى كل هذا ما خلفته الكوارث الطبيعية كالجفاف والمجاعة، والزلزال (1169 / 1755 ) من آثار عميقة في نفوس السكان. وساهم في ترسيخها الإيمان بالخوارق والمعجزات، والاعتقاد بقرب نهاية العالم. وقد أورد عبد الهادي التازي تقريراً لأحد التجار الأوربيين يصف فيه أثر الزلزال على نفوس سكان أگادير، يقول : "لقد أتى الزلزال على المنازل وسحق عدداً كبيراً من البشر، ورأى الناس الذين بقوا على قيد الحياة، رأوا البحر ذلك اليوم على شكل منقطع النظير، فالمراكب الراسية يصطدم بعضها ببعض وقد اختلطت جثث الضحايا من البشر والسمك الطافي على وجه البحر. وحسب الناس أن اعتصامهم بالمرتفعات قد ينجيهم من الموت ولكنهم كانوا يرون أن الأرض تنفتح لتبتلع الصخور وتهد المرتفعات".

لقد هيأت كل تلك الأحداث الأرضية النفسية للسكان للالتفاف حول أي زعيم يبدي حدا أدنى من الخوارق والمعجزات. وقد وجد الثوار المغامرون في ذلك فرصة سانحة للظهور والبروز. ويعتبر المكاوي نموذجا لهؤلاء المغامرين الذين استغلوا وضعية سوس السياسية والاجتماعية والنفسية، وتمكنوا من الظهور على الساحة السياسية. لقد ظهر المكاوي في سوس بشكل مفاجئ، وأعلن عن الطبيعة المهدوية لحركته منذ البداية، مما جعل الناس يلتفون حوله بكثافة.

وتمكن من استقطاب عدد من الفقهاء والعلماء المرموقين في سوس، من بينهم الفقيه العلامة الحضيكي، إذ كانت

"لآراء المكاوي الوقع الكبير في نفس الحضيكي. وهو آنذاك شديد التأثر والاستجابة للأفكار والمواقف التي كان الثائر يروجها بين عامة الناس. ولما تفطن إلى بدعته وكذبه ورأى فيها وسيلة التجأ إليها للوصول إلى المال والتلصص والتدخل باسم الدين تبرأ منه ودعا أنصاره إلى مهاجرته ومقاطعته".

إن موقف التأييد الذي أبداه الحضيكي تجاه المكاوي ساعده كثيراً على نشر دعوته، واتساع نفوذه في مختلف أصقاع سوس، نظراً لما للحضيكي من أتباع وطلبة، وتأثير على العلماء، وعامة الناس في القطر السوسي. وإلى جانب القوة الرمزية التي يمثلها موقف العلماء، فإن حركته ارتبطت بقبائل آيت باعمران أقوى قبائل سوس. وشكلت قبائلها العمود الفقري لجيشه وأتباعه، ثم انضمت إليه قبائل لاخصاص، ومجاط، وبعض قبائل واد نون، ثم أهل تازروالت قبل أن يصل إلى أزغار.

وإذا ما تتبعنا مسار تحركه وسط القبائل، وجدناه يرسم خطا موافقا لقبائل حلف "تاكوزولت". فقد تعمد أن يمرّ وسط هذه القبائل لتعزيز قوته، قبل أن ينزل على قبائل أزغار المنضوية تحت حلف "تحكات". وبعدما تمكن من السيطرة على سوس الأقصى اجتاز وادي والغاس في اتجاه تارودانت التي سيطر عليها حسب ما ذكره السوسي. ولا يفصح السوسي عن الطريقة التي تمكن بها من السيطرة على هذه المدينة، ولاعن موقع المولى سرور خليفة مولاي عبد الله. وما يفيدنا به هو التقاء جيش المخزن والثوار في بسيط شتوكة. وهنالك من ذهب إلى القول بأن المكاوي لم يسيطر على تارودانت، لأن عاملها المولى سرور اعترض طريقه ووقف دون هدفه، فقتل الثائر يوم السبت 5 محرم من سنة 1169 في هشتوكة.

هكذا انتهت حركته بنفس السرعة التي ظهرت بها، دون أن يسجل التاريخ أن المكاوي قد حكم سوس، أو أنه كان على علاقة مع الأوربيين.

عبد الهادي التازي، أكادير إيغير من خلال التاريخ الدبلوماسي للمغرب، *أعمال ندوة أكادير الكبرى، المحور التاريخي*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، 1990 ؛ أ. الحضيكي، *طبقات الحضيكي*، تح وت. ق. أحمد بومزگو، د. د. ع. في التاريخ، كلية الآداب بالرباط، 1994 ؛ محمد كسرير، *أضواء على تاريخ تارودانت*، بحث غير منشور، خزانة الإمام علي بتارودانت، 1970.

محمد حنداين

**مكّس** (واد -) ينتمي واد مكس لحوض وادي سبو ويشكل رافدا من روافده الرئيسية على الضفة اليسرى، التي تتجمع بها مياه الأطلس المتوسط وهضبة سايس ومقدمة الريف على طول 150 كلم. وقد أتاح الامتداد الكبير لوادي مكس وروافده تكوين حوض تصريف مهم يصل إلى 176.000 هكتار. يمتد الحوض على مناطق تضاريسية وبنيوية متباينة، فمن العالية حتى مصبه بوادي سبو يعبر على التوالي الوحدات البنيوية التالية.

- الهضاب الكلسية للأطلس المتوسط، المتمثلة في كوصات إفران والحاجب وإيموزار، والتي تتشكل في تكوينات دولوميتية وكلسية تنتمي لللياس الأسفل المتموج، الذي تتخلله مجموعة من الانكسارات والصدوع التي تستغلها شبكة من الأودية الجافة.

- هضبة سايس فاس التي توافق ممر أخدود جنوب الريف والمشكلة من الكلس البحيري والرمال الصهباء التي تعلو التكوينات الصلصالية المنتمية للميوسين الأعلى.

- تلال مقدمة الريف المكونة من تراكب لمجموعة من الطيات الزاحفة كطية مقدمة الريف وطية وزان ؛ وهي عبارة عن تكوينات جيولوجية ذات بنية فوضوية تنتشر بشكل غير منتظم على شكل قدات رسوبية وطيات زاحفة مختلفة السحنات والأعمار، وتتكون حسب L. Asebry, 1984 من أوليستوستروم ذي لياط صلصالي.

يمثل وادي تزكيت في العالية أهم الأحواض الفرعية المغذية لوادي مكس، لكن عند وصوله إلى هضبة سايس تتسرب جل مياهه في الكلس البحيري لتظهر من جديد في السافلة على شكل عيون (عين بيطيط وعين أكَمم وعين سيدي المير ...).

عند وصول وادي تيزكيت إلى هضبة سايس يلتحق به وادي النجا وواد مهدومة. وعند السافلة بمقدمة الريف يأخذ اسم وادي مكس، وتسود سفوحه الصلصالية الشديدة الانحدار شبكة كثيفة من المسيلات القصيرة. ويلتحق به في هذا المجال رافد مهم هو وادي الملاح الذي يتميز بارتفاع ملوحة مياهه نظرا لاختراقه الأراضي الصلصالية للمركب الملحي نزالة لوداية.

يترجم التباين التضاريسي تنوعا مناخيا داخل الحوض إذ ينتمي جزؤه الأطلسي إلى النطاق البيومناخي شبه الرطب، حيث يبلغ معدل التساقطات المطرية 981 ملم بمحطة إفران. وينتمي جزؤه الأوسط (هضبة سايس) وسافلته (مقدمة الريف) إلى النطاق البيومناخي شبه الجاف ؛ وتتراوح كمية التساقطات بهذا النطاق بين 467 ملم بمحطة عين تاوجدات و430 ملم بمحطة مولاي يعقوب.

يغطي حوض تصريف وادي مكس أجزاء من تراب عمالات إفران والحاجب ومكناس ومولاي يعقوب وصفرو. وتتوزع مساحة الحوض حسب العمالات كالتالي :

| العمالة | ٪ من مساحة الحوض |
|---|---|
| الحاجب | 38 |
| إفران | 32 |
| مكناس | 16 |
| مولاي يعقوب | 8 |
| صفرو | 6 |

يضم مجال حوض وادي مكس 19 جماعة قروية يصل عدد سكانها (حسب إحصاء 1994) إلى 254.000 نسمة. يعيش سكان الحوض على الموارد الفلاحية والغابوية، بحيث تبلغ المساحة المزروعة 47٪، وتحتل الغابات 23٪، في حين تمثل المراعي والأراضي غير الصالحة للزراعة 23٪. كما تمثل الأشجار المثمرة 7٪ من مجموع مساحة الحوض (المديرية الجهوية للمياه والغابات لجهة فاس بولمان 2005).

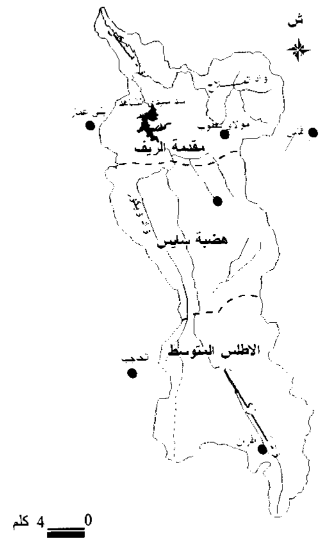


وفي سنة 1997 تم بناء سد سيدي الشاهد على وادي مكس بهدف تزويد مدينة مكناس بالماء الصالح للشرب وسقي الأراضي الفلاحية عند سافلة ثلاثاء مكس. وتصل سعة حقينة سد سيدي الشاهد إلى 170 مليون م$^3$، خصص 71 مليون م$^3$ منها لسقي 12.000 هكتار عند سافلة السد، و99 مليون م$^3$ للتزويد بالماء الصالح للشرب (الوكالة المائية لحوض سبو، 2005).

*المديرية الجهوية للمياه والغابات لجهة فاس بولمان*، 2005 ؛ *الوكالة المائية لحوض سبو*، 2005.

J. Martin, *Le Moyen Atlas Central : Etude géomorphologique*, Notes et mémoires du Service Géologique, Maroc, n° 258 bis, Rabat, 445 p., 1982 ; P. Taltasse, *Recherches géologiques et hydrologiques dans le bassin lacustre Fès-Meknès*, Notes et mémoires du Service Géographique, Maroc, n° 115, 1953 ; L. Asebry, *Etude géologique de la zone sud rifaine : nouvelle interprétation paléogéographique et structurale du Rif externe : exemple du moyen-Ouyerrrha*, thèse de troisième cycle, Faculté des Sciences, Rabat, 184 p., 1984.

علي فالح

**مگّون**، يطلق جبل امكون أو إغيل امكون على ثاني قمة بسلاسل الأطلس المغربي بعد قمة تبقال، وتقع هذه القمة بالأطلس الكبير الأوسط الكلسي (4071 م) عند مفترق المياه بين حوضي دادس على السفح الجنوبي وتاساوت على السفح الشمالي. المجموعة الجبلية المكونة لإغيل امكون تتكون من أعراف طولية ذات اتجاه عام شمالي شرقي / جنوبي غربي. نفس الاتجاه يتخذه مجرى واد امكون قبل أن يتعرج نحو الجنوب راسما خوانق عميقة وضيقة لا يتجاوز عرضها أحيانا بضعة أمتار (أقا أو مضايق أسيف امكون).

عملت الارتفاعات الشاهقة لهذه الأعراف وتوجيهها على خلق تباين مناخي واضح بين سفح شمالي يتلقى التأثيرات الشمالية الغربية الرطبة وسفح جنوبي منفتح على المؤثرات الصحراوية الجافة. حيث قدر معدل التساقطات المطرية عند القمم بحوالي 700 ملم سنويا، بينما لا يتجاوز معدلها عند قدم السفح الجنوبي، بمحطة قلعة امكونة، 165 ملم. وتتركز هذه التساقطات في فصلي الخريف والربيع مع احتمال حدوث عواصف رعدية قوية في نهاية شهر غشت. أما التساقطات الثلجية فقد تظهر ما بين شهري نونبر وماي عند القمم التي يزيد ارتفاعها على 1800 م.

إذا استثنينا بقايا أشجار البلوط وبعض أشجار العرعر الأحمر والعرعر الفواح ونباتات شوكية إضافة إلى الحلفاء والحرمل، فالغطاء النباتي شبه منعدم، ويرجع ذلك إلى انفتاح المنطقة على التأثيرات الصحراوية وإلى التأثيرات السلبية للأنشطة البشرية.

ونظراً للارتفاعات الشاهقة والتساقطات الثلجية التي تعرفها قمم إغيل امكون وإمكانيات التخزين التي توفرها الصخور الكلسية، فإن أسيف امكون الذي ينبع عند ارتفاع يزيد عن 2500 م، يتميز بجريان دائم وبصبيب معدله السنوي، عند محطة عفر، حوالي 6,16 متر مكعب في الثانية وذلك رغم الاختلاف الواضح بين النهر الرئيسي (أسيف نايت مراو) وروافده (أسيف نايت أحمد وأسيف تومرت). إن هذه الاختلافات في المؤهلات تظهر أيضاً جلية على مستوى الاستغلال البشري حيث يسود الرعي عند القمم الجبلية بينما تسود حياة الاستقرار والتعاطي للزراعة داخل الأودية وعند قدم السفوح.

تستغل حوض امكون في جزئه الكبير قبيلة امكونة بينما يقطن آيت زكري وهم فخذة من أفخاذ قبيلة إمغران، الجزء الغربي وتستقر فخذة من أفخاذ آيت سدرات (آيت سدرات السهل) عند سافلته. كونت منطقة جبل امكون إلى عهد قريب مجالا شبه منعزل رغم وجود فجاج تصله بالسفح الشمالي (تزي نايت إمي وتزي نايت أحمد). إلا أن العزلة بدأت تنفرج بعد انفتاح المنطقة على السياحة الجبلية واندماجها في منظومة الهجرة الدولية وإدخال مزروعات جديدة كالتفاح والبطاطس والورود.

André Fougerolles, *Le Haut Atlas Central : Guide alpin*, Ideale, Casablanca, 1981 ; Mohamed Aït Hamza, *Mobilité socio-spatiale et développement local au sud de l'Atlas marocain* (Dades-Todgha), Thèse d'Etat de géographie sociale, Faculté de Lettres de rabat, Heft 13, Maghreb Studien, Passau, 2002 ; Direction de la conservation foncière et des travaux topographiques, Division de la carte, Rabat. *Carte Zawyat Ahançàl 1/100 000, Feuil NH-29-XXIV-4, 1971.*

محمد أيت حمزة

**المكلاتيون**، أعلام مشهورون ينتسبون إلى مكلاتة القبيلة التي كانت تستوطن مناطق قريبة من مدينة صفرو، قريبا من المواقع التي تستوطنها قبيلة آيت يوسي نذكر منهم :

- أبو الحجاج يوسف بن محمد بن المعز المكلاتي، عاش في العصر الموحدي، وقد صحب المنصور الموحدي في أول سفرة له إلى الأندلس، ولد حوالي 550، واشتهر بالأحدب، وإن لم يكن أحدبا، أقام بفاس ودرس بها على يد عدد من أعلام عصره كأبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بابن الكتاني (ت. 547)، أخذ عنه علم الكلام وأصول الفقه، وتصدر المكلاتي للتدريس بفاس والأندلس، وكانت مكانته رفيعة القدر، وهو صاحب كتاب "*لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول*" الذي حققته الأستاذة فوقية حسين، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى، كما تولى قضاء بلدة نفيس مدة على عهد الموحدين. وقد توفي بمراكش سنة 626، ومنهم :

- أبو يحيى المكلاتي، كان فقيها فاضلاً تقياً صواماً قوّاماً، مُتَبَتِّلاً زاهداً متواضعاً، وكان يدرس الفقه، وكانت له أحوال سَنيّة ورتب في التواضع علية ؛ لايماشيه فيها إلا الآحاد. يقول صاحب *المستفاد في مناقب العباد*، "حدثني الفقيه الأستاذ أبو محمد، قاسم بن محمد - صديقنا - عن الشيخ الفقيه أبي القاسم - شيخنا. عرف بالأصولي (وهو أول من نظر عليه التميمي في الفقه)، أنه قال له : إن الفقيه أبا يحيى (المكلاتي)، له مدة من أربعين عاماً صائماً ما أفطر فيها إلا في الأيام المنهي عن صيامها. ومع هذا فكان قليل الكلام ؛ لا يتكلم إلا فيما يعنيه ليست له حرفة يشتغل بها غير عبادة مولاه وتعليم العلم ...

- يعقوب بن سعيد بن يعقوب المكلاتي عاش إلى أواخر القرن التاسع الهجري، وله شرح على *لامية الأفعال* لابن مالك، وغيره من التآليف.

- محمد بن أحمد المكلاتي الأكبر، المتوفى سنة 1041، وقد اشتهر بالفقه والأدب ؛ وله مشاركة في النظم، وذكر له مترجموه كتاب *تذييل نظم الوفيات* لمحمد الفشتالي.

- محمد المكلاتي الأصغر المتوفى سنة 1056.

- عبد الله محمد بن سعيد المكلاتي، أقام بمكناس فنسب إليها وتولى القضاء بها، وحصل علماً بوأه مكانة رفيعة بين أعلام عصره.

علي لغزيوي، *أعلام صفرو ومنطقتها*، *مجلة الجواهر*، عدد خاص عن مدينة صفرو، فاس، 2002.

الحسين البعاوي

**مكناس** (جغرافيا -)، تقع مدينة مكناس في هضبة سايس التي تعتبر ممرا طبيعيا بين تلال مقدمة جبال الريف شمالا والأطلس المتوسط جنوبا، إضافة إلى تحكم المدينة في الممر الذي ينفذ إلى سهل الغرب عبر وادي الردم في الشمال الغربي.

هذا الموقع الجغرافي جعل من المدينة نقطة تقاطع طرق وطنية رئيسية مما أهلها لتكون حلقة وصل ومرور نحو السايس الغربي والمغرب الشرقي. إضافة إلى هذا الموقع الجغرافي تتمتع المدينة بمكانة اقتصادية متميزة إذ تتوفر على إمكانيات فلاحية وسياحية مهمة ومتنوعة ومتكاملة بحكم انفتاحها على جبال الأطلس والمنطقة الجنوبية الشرقية شبه الصحراوية.

إذا كانت مكناس قد استفادت من هذا الموقع، فإن موضعها لا يقل أهمية من حيث غنى موارده الطبيعية خاصة الشبكة المائية : وادي بوإسحاق في الغرب ووادي وسلان في الشرق، ووادي بوفكران الذي يجزئ هضبة المدينة إلى جزءين ومعها نسيجها الحضري.

إن أي تقديم لمكناس لا يمكن أن يغفل أهمية مسارها التاريخي، فجذور هذه المدينة المخزنية ترجع إلى حوالي القرن العاشر الميلادي حيث خولها موقعها الجغرافي مكانة خاصة لدى الأسر التي حكمت المغرب، وازدادت أهميتها في القرن الثامن عشر الميلادي عندما اختارها المولى إسماعيل عاصمة لملكه، وقد احتفظت المدينة من ذلك بإرث حضاري هام ظل شاهدا على الدور الذي لعبته في تلك الحقبة التاريخية التي أعقبتها فترة تهميش وعزلة دامت حوالي قرنين من الزمن، قبل أن تعرف مرة أخرى تطورا خلال المرحلة الاستعمارية لكون مكناس أصبحت مركزا استعماريا وإداريا وعسكريا هاما بتحولها إلى ثكنة عسكرية كبرى في قلب المجال الفلاحي الاستعماري المتمركز في هضبة سايس، ففاق إشعاعها محيطها المباشر ليشمل جبال الأطلس المتوسط وحوض ملوية والجنوب الشرقي شبه الصحراوي فأصبحت كما لقبها الجنرال ليوطي "قطب الرحى في المغرب".

ونتيجة للأدوار التي أصبحت تلعبها مكناس من النواحي الاقتصادية والعسكرية والإدارية والتي جعلت منها قطبا جهويا خلال هذه الحقبة، عرفت المدينة تطورا ديموغرافيا سريعا حيث ارتفع عدد سكانتها من 36.598 نسمة سنة 1921 إلى 170.000 نسمة سنة 1956 من بينهم 25.000 أوربي. هذه الزيادة الديموغرافية أهلت المدينة من الناحية الاقتصادية على المستوى الإقليمي والجهوي والوطني.

ورغم المغادرة المكثفة للأوربيين واليهود بعد الاستقلال (بين 1956 و1967) فقد حافظت مكناس على وتيرة تزايدها الطبيعي مع استقطابها للهجرة القروية من محيطها الإقليمي، إذ تراوح هذا التزايد ما بين 3٪ سنة 1982 و2,3٪ سنة 1994، حيث بلغ عدد سكان المدينة 443.000 نسمة ليصل سنة 2002 إلى 538.000 نسمة. وقد انعكست هذه التحولات السكانية الكمية والكيفية على أنشطتها الاقتصادية ونسيجها العمراني.

وارتبط اقتصاد المدينة أساسا بالنشاط الفلاحي وخاصة منه المجال الزراعي مما جعلها تلقب بـ"مكناس الزيتون" وذلك بفضل موقعها وموضعها وتنوع تربتها ووفرة مياهها -

أودية، عيونا وآبارا ـ وملاءمة مناخها، هذا النشاط الذي عرف أوجه خلال الفترة الممتدة من 1912 إلى 1960 حيث ارتفعت مساحة الاستغلاليات الاستعمارية من 3.000 هكتار إلى 128.000 هكتار سنة 1956.

وبعد الاستقلال، وبالرغم مما عرفه النشاط الزراعي من تراجع نتيجة زحف العمران وتناقص مياه السقي، فقد ظلت منطقة مكناس تؤمن لساكنتها إنتاجا متنوعا من الخضر والفواكه يتم تسويقه عبر الأسواق الأسبوعية.

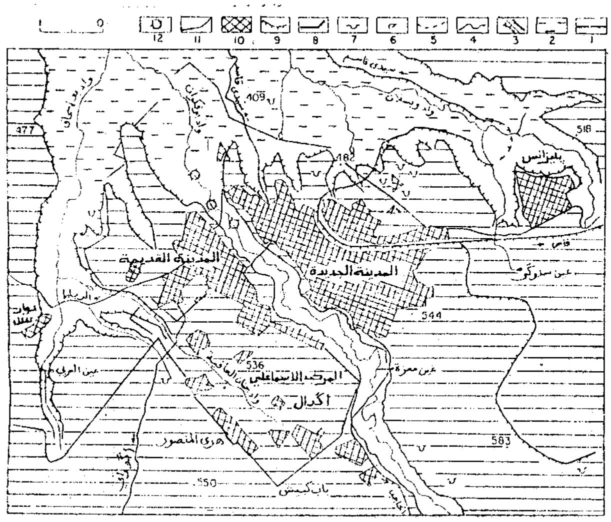


ولا ينحصر اقتصاد مكناس في قطاع واحد، فهي تتوفر على بنية اقتصادية متنوعة نسبيا، فإلى جانب القطاع الفلاحي توجد صناعات تحويل المواد الأولية الفلاحية والغابوية والمعدنية الموجودة بجهة مكناس ـ تافيلالت. كانت النواة الأولى لهذا النشاط الصناعي في المرحلة الاستعمارية حيث تم بناء حي صناعي في المدينة الجديدة شمل مجموعة من الصناعات الغذائية والميكانيكية المرتبطة بالفلاحة، إلا أن هذا النشاط بدأ في التراجع بعد 1956 نتيجة لهجرة الرأسمال والخبرة الأجنبيين، ولم تستطع المدينة استرجاع المكانة الصناعية التي كانت تتمتع بها قبل الاستقلال، إذ لا تتوفر حاليا إلا على 173 وحدة صناعية منها 72 غذائية و27 نسيجية وجلدية، وهذا العدد لا يمثل سوى 2,8٪ من النسيج الصناعي الوطني.

يعود ذلك إلى تفكك مجال نشاطها الصناعي، إذ تضم ست مناطق صناعية، إضافة إلى قدم التجهيزات وضعف الاستثمار، كما أن جلها من الصناعات الملوثة للبيئة : مصانع الزيوت، معمل الإسمنت، مصانع الآجر...

كما تحتضن المدينة صناعات تقليدية عريقة تشغل حوالي 24.538 صانع (سنة 2001) منهم 16.446 بالمدينة القديمة التي ارتبطت أحياؤها منذ نشأتها بالحرف التقليدية مثل "النجارين، الخياطين..." وتعاني هذه الحرف هي الأخرى من صعوبات عديدة ترتبط بالتحولات الاستهلاكية للمواطن، إضافة إلى منافسة المنتوجات الصناعية العصرية مما ترتب عنه اختفاء بعض الحرف وتراجع بعضها الآخر.

وتبقى الأنشطة التجارية والخدماتية من أهم أنشطة المدينة وأقدمها، وتتركز معظمها بالنواة القديمة للمدينة التي تعتبر القلب النابض لهذا النشاط كما هو الحال في أحياء السكاكين وساحة الهديم وحي روامزين إلى جانب محاور تجارية بالمدينة الجديدة خاصة شارع محمد الخامس وشارع الحسن الثاني.

إلا أن السمة الأساسية التي تطبع النشاط التجاري بمدينة مكناس هي أهمية التجارة غير المهيكلة والتي تمثل حوالي 40٪ من مجموع النشاط التجاري بالمدينة.

إضافة إلى الوظائف السابقة، تعرف مدينة مكناس نشاطا سياحيا بفضل موقعها الجغرافي : فجهويا، باعتبارها منطقة عبور نحو مدن فاس حيث المآثر التاريخية وإفران حيث المصايف الجبلية، والرشيدية التي يقصدها السياح لمشاهدة الكثبان الرملية وغروب الشمس بمنطقة مرزوكة، أما على المستوى المحلي فهي تتوفر على مآثر تنتمي لمختلف مراحل التاريخ المغربي وخاصة منه المرحلة الرومانية "وليلي" والمرحلة المرينية "المدرسة البوعنانية" والمرحلة العلوية "الأسوار والقصور الإسماعيلية".

وبالرغم من كل تلك المؤهلات فإن النشاط السياحي لم يستطع أن يصبح مكونا أساسيا في بنيتها الاقتصادية، إذ تكتفي مكناس بدور مركز سياحي للعبور، هذا الدور الذي لا يعكس مكانة مدينة مكناس التي تم الاعتراف بمؤهلاتها السياحية من خلال تسجيل المدينة في لائحة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو سنة 1996 ، إضافة إلى ضعف شبكتها الفندقية التي تقتصر على 28 وحدة سنة 1999 نصفها غير مصنف.

وتعكس مرفلوجية المدينة كل تلك التطورات التاريخية والديموغرافية والاقتصادية وذلك من حيث تباين أحيائها وأنشطتها وفئاتها الاجتماعية وتوسعها العمراني، مما يعطي للمدينة خصوصية تظهر في تفكك تصميمها كانعكاس لموضعها على هضبة سايس المتقطعة، فهي لا تشكل وحدة متصلة ومتجانسة من الناحية العمرانية بل تنقسم إلى قسمين :

ـ مكناس الإسماعيلية :

وتضم المدينة القديمة بأسوارها إلى جانب أحياء جديدة مثل السباتا، بني امحمد، الرياض، الزرهونية، المنصور ومرجان، وتعد الأحياء الأخيرة مجال امتداد المدينة الإسماعيلية في اتجاه الطريق الرابطة بين مكناس والرباط من جهة ومنطقتي تولال وأكوراي من جهة أخرى.

ـ مكناس المنزه :

أهم مكوناته العمرانية الجديدة التي شيدت فوق هضبة حمرية في الفترة الاستعمارية ما بين 1917 و1921 تلبية لحاجات المعمر الفرنسي، إذ كرست المدينة الجديدة التمييز بين

ساكنة مدينة مكناس من النواحي العمرانية والاقتصادية والاجتماعية، بين مدينة "الأهالي" والمدينة "الأوربية"، وتتميز هذه الأخيرة بخصوصياتها المعمارية إذ تضم الحي الإداري والحي الصناعي وتتميز باتساع شوارعها وتنوع أنشطتها التجارية والخدماتية، هذه النواة عرفت بعد 1956 تحولا هاما في بنيتها العمرانية وأنشطتها الاقتصادية وامتداد أحيائها على طول الطريق الرابطة بين مكناس وفاس حيث ظهرت بها أحياء جديدة مثل حي الهواء النقي، المسيرة والبساتين...

هذا التوسع العمراني في الوحدتين السابقتين ـ الإسماعيلية والمنزه ـ يواجه صعوبات عقارية تتمثل في قلة الأراضي نتيجة لامتداد المجال العسكري مما أدى إلى ارتفاع أسعارها، ويجعل التوسع العمراني يتم على حساب الأراضي الفلاحية، إضافة إلى صعوبة إعادة هيكلة الأحياء الصفيحية. فبالرغم من المجهودات المبذولة من طرف مؤسسات الدولة، فلازالت المدينة تضم حوالي 33 حيا صفيحيا (سنة 1999) مثل دوار بوكرعة، دوار جبالة، دوار ميكة... وحوالي 45 حي سكني غير مهيكل.

إن المدينة تواجه تحديا عمرانيا تراهن على كسبه مستقبلا لتحافظ على تنظيمها المرفلوجي وتوسعها العمراني وفق مقتضيات التصميم المديري المهيكل للتطور المستقبلي للمدينة. وإذا كانت مدينة مكناس قد عرفت إشعاعا فاق محيطها الجهوي في فترات تاريخية محدودة، فهي تواجه اليوم صعوبات متعددة تحول دون أدائها لدورها كقطب جهوي، وتزيد من حدة تلك الصعوبات منافسة مدينة فاس واستقطاب مدينة الدار البيضاء.

التوقعات الاقتصادية والتخطيط، *النشرة الإحصائية السنوية، جهة مكناس تافلالت*، 2002 ؛ مديرية جهة مكناس تافلالت، يونيو، 2003 ؛ محمد بريان، حسن بنحليمة، عبد الله العوينة، *قراءة وتحليل الخريطة الطبغرافية*، 1982، منشورات اللجنة الوطنية المغربية للجغرافيا.

*Documents du schéma directeur d'aménagement urbain de Meknès* (SDAU), Ministère de l'Intérieur, Direction de l'Urbanisme et de l'Architecture, 1992 ; Mohamed Abdouh, Abdellatif Al Atranz, Abdelssalem Mechkouri, *Profil environnemental de Meknès*, Agendas 21, avril 2004 ; Amina Aboulfeth, *L'évolution de la ville nouvelle de Meknès après 1956*, Thèse de Doctorat de 3ème cycle, Tours, 1989.

أمينة أبو الفتح

**مكناس** (تاريخ –) تجمع أغلب المصادر التي تعرضت للحديث عن أصل مدينة مكناس أن اسمها مستمد من اسم قبيلة مكناسة التي أنشأتها، وبتفحص المصنفات الوسيطية التي ورد فيها اسم مكناسة مرارا أولماما نلاحظ أن ثمة تمييزا بين مكناسة المجال ومكناسة القبيلة. ذلك أن هذه المصنفات تستعمل تارة مكناسة كإشارة إلى المجموعة البشرية وتارة أخرى للحديث عن المجال الجغرافي. غير أن الباحث لا يمكن أن يظفر بمعطيات كافية تسعفه في تحديد هذا المجال تحديدا دقيقا. ومرد ذلك إلى أن اهتمام مؤلفي هذه المصنفات من مؤرخين وجغرافيين قد انصب على المجموعة القبلية التي كانت توجد بهذا المجال أكثر من اهتمامهم بتسطير حدوده وضبط امتداداته.

وإذا كانت المصادر تتفق عموما من حيث الأصل اللغوي والمعنى الإيتيمولوجي للفظة مكناسة، فإنها تختلف في تقدير حجم المقصود بها، وتشخيص الهيئة المعمارية للنواة الأصلية للمنطقة، فلقد ورد اسم مكناسة بنعوت وصفات مختلفة، فذكرت بصفة مدائن وحوائر وقرى مكناسة. وكانت تطلق على مجموعة من التجمعات السكنية القروية متفرقة ومتفاوتة في حجمها، وغير محصنة تقع عند الشمال الغربي لمكناس الحالية، ثم جاء ذكرها باسم مدينة مكناسة، أو بلاد مكناس. بل تغير مدلول التسمية حتى بين ثنايا المصدر الواحد.

غير أننا هنا لسنا أمام نوعين من التفسير، علينا أن نختار أحدهما، ونترك الآخر، بقدر ما نحن أمام نمطين من التفسير يكمل أحدهما الآخر، ويستجيب كل منهما لمتطلبات فهم حقبة معينة من التاريخ. ونفسر هذا التباين بكون هذا الوجود مر بمراحل متفاوتة من حيث الحجم والرسوخ والامتداد الجغرافي.

أما وجه التسمية "مكناسة" بكسر أوله وسكون ثانيه ونون وبعد الألف سين مهملة، فإنه في غياب قرائن أخرى توعز بتأويل مغاير، نؤكد أن الرأي الأقرب لرسم كلمة مكناسة على حقيقته الأصلية هو ما يستفاد من إجماع المصادر على أنه مستمد من اسم مؤسسيها الأولين قبيل مكناسة إحدى أقدم بطون زناتة. وقد استقرت فخذة منهم بنواحي تازا بينما توغلت فخذتان أخريان غرب مدينة فاس، وأنشأت على ضفاف نهر بوفكران أو نهر فلفل ـ كما كان يسمى قديما ـ مجموعة من المداشر والقرى التي أطلق عليها لاحقا اسم "مكناسة الزيتون". وقوفنا عند هذه القراءة يفضي إلى قرن اسم الموقع باسم مجموعة بشرية أقامت فيه أو حوله أو قريبا منه. ولعل هذا التلازم هو ما يبرر التساؤل حول أحقية الجزم بأن تكون قبيلة المكنتيين (Macenites) التي تذكر النصوص الإغريقية واللاتينية أنها استوطنت مدينة وليلي والأطلس المتوسط قد استمر وجودها إلى ما بعد الفتح الإسلامي، وأنها نفس القبيلة مكناسة الزناتية التي ارتبط بها اسم مكناس في المرحلة الإسلامية.

أما عن معنى إضافة لقب الزيتون فقد كان بغرض تمييزها عن مكناسة تازا ومكناسة الأندلس. وقد علق ابن زيدان معللا التمييز الأول بقوله : "... وإنما أضيفت للزيتون للتحرز عن مكناسة القبيلة الحالية في أحواز تازا، وإنما جعلت الإضافة فارقا لأن الشيء يتميز عن غيره لخاصته التي اختص بها إما باعتبار الوجود، وإما باعتبار الكثرة، والثاني هو المراد هنا".

أما عن التمييز الثاني : فتشير كتب التراجم الأندلسية وغيرها من الأصول إلى موقع بشمال الأندلس باسم مكناسة

الجوف، ويوضح ياقوت الحموي - الذي نقل عن مصدر أندلسي ضائع من تأليف أبي سعد الخير الأندلسي - هذا التمييز بقوله : "وقيل مكناسة حصن بالأندلس من أعمال ماردة، وقيل بالمغرب بلاد أخرى مشهورة يقال لها مكناسة الزيتون، حصينة مكينة في طريق المار من فاس إلى سلا".

ويزيدنا ابن الأبار بيانا عن إمكان فهم مرد هذه الإضافة، فقد تعود إلى جهة كانت تحمل اسم "وادي الزيتون" قريبة من مكناسة، فسميت المدينة بمكناسة الزيتون.

وإذا ما عدنا إلى مسألة نشأة المدينة، فالبعض يؤرخ لتأسيسها بالقرن الرابع قبل الميلاد، فيما يرجع الزياني البدايات الأولى لهذا التأسيس إلى فترة ما قبل الإسلام دون أن يحسم في التدقيق الزمني، ويشاركه الرأي صاحب *الاستقصا* بتصنيفه مدينة مكناس ضمن "الأمصار القديمة بأرض المغرب بناها البربر قبل الإسلام". وفي نفس السياق يذهب ابن زيدان إلى "أن مكناسة تخطيطها كان قبل الإسلام اختطها البربر قبل الرومان والأول أقرب عندي"، مؤسسا لرأيه بالإشارة إلى الوضعية الدينية للمدينة قبل الفتح الإسلامي استنادا إلى ما ذكره ابن غازي "وكانت قبل فتحها ديار كفر مجوس ونصارى".

وثمة روايات متأخرة عن فترة التأسيس، تفيد فيما تنطوي عليه من إشارات، أقدمية مكناسة وبروزها كمدينة مع مشارف القرن 3 / 9 حيث تتحدث عنها المصادر بصفتها قاعدة من القواعد الحضرية التي كانت من نصيب الأمير أحمد بن إدريس الثاني إثر التقسيم الذي أقدم عليه الأمير محمد بن إدريس الثاني بوصية من جدته كنزة.

وبعد خضوعها للمرابطين سنة 455 / 1063 أنشأوا قلعة "تكرارت" نواة المدينة الحالية لنزول حاميتهم. ويستفاد من دراسة لمحمد المنوني حول التخطيط المعماري لمدينة مكناس أن الكثافة العمرانية بالقلعة كانت ضعيفة إذ لم تتجاوز قطاعا عسكريا يضم مقر الحاكم المرابطي وسكنى الجيش، وآخر مدني يتمثل في بعض الأحياء السكنية (ظهر السمن - التوتة - براكة).

وبعد أن دالت المدينة إلى الدولة الموحدية أخذت تعرف توسعا نسبياً استلزم تزويدها ببعض المنشآت الدينية والاجتماعية (مساجد - حمامات - أسواق) ؛ وبموازاة هذا التوسع العمراني تفيد مصادر المرحلة أن المدينة قد شهدت انتعاشا اقتصاديا خاصة على عهد الخليفة المهدي الناصر، واكتسبت طابعا حضريا حسبما يستفاد من قول ابن غازي : " كان بها حوالي سنة 600 بداوة ثم تمدنت واكتست حضارة". وينهض دليلا على ذلك توفرها على خطتي الحسبة والقضاء.

ولما تولى بنو مرين الحكم قاومت المدينة السلطان أبا يحيى، وبعد ذلك انقادت للمرينيين الذين جعلوا منها مقر كرسي للوزارة، وشهدت المدينة في عهدهم خاصة أيام أبي الحسن وابنه أبي عنان نهضة عمرانية تجلت في ميلاد كثير من المنشآت من مساجد وحصون ومدارس ومارستانات وغيرها. كما أن قدوم موجات بشرية عديدة كان له أثره في اتساع العمران وظهور مناطق سكينة جديدة. ومن أهم منجزات بني مرين اعتناؤهم بالطرق ومد الجسور وتشييد مارستان بحي الحمام الجديد ومدرسة الشهود التي صارت تعرف بالمدرسة الفيلالية. غير أنه إبان الفتن التي أنذرت بانقراض دولة بني مرين أصاب التخريب بعض أجزاء المدينة ومنشآتها. ولعل في قولة المقري خير معبر عن الوضعية التي آلت إليها المدينة عقب هذه الفترة وما تلاها. يقول : "... دخلت مكناس هذه مرارا عديدة وقد أبلى الدهر محاسنها التي كانت في زمان لسان الدين بن الخطيب جديدة واستولى عليها الخراب، وتكدر منها بالفتن الشراب، وعاث في ظاهرها الأعراب".

وتجدر الإشارة إلى أنه بالرغم من أن مدينة مكناس باتت مرتعا للفتن والحروب التي نشبت أواخر العصر المريني نجد الوزان يصفها بقوله : "والمدينة في داخلها حسنة الترتيب والتنسيق، فيها مساجد جميلة ...". وتفسير ذلك يرجع إلى الإصلاحات التي قام بها أبو زكريا الوطاسي الذي أعاد الحياة للمدينة وضواحيها حسبما سجله ابن غازي : "فتوالت عليها الفتن.. ثم تداركها الله سبحانه بدخول الأمير أبي زكريا الوطاسي فأحسن إلى أهلها ... وجدد بها بعض الرسوم الدارسة".

وفي عهد السعديين دخلت المدينة مرحلة التراجع بالنظر إلى الاستراتيجية التي نهجها السلاطين السعديون، حيث تضاءلت أهمية مدن الشمال وركزوا على جنوب المغرب وخصوه بجل منشآتهم. وعموما اتخذ السعديون مدينة مكناس كقاعدة استراتيجية دون العمل على تطويرها وتعميرها، ولم يخلفوا أثرا أو معلمة تخلد ذكرهم.

وقد طال هذا الإهمال إلى حدود النصف الأول من القرن 17 م حيث عرفت المدينة إثر بيعة المولى إسماعيل أهم مرحلة في التوسع العمراني، إذ اتخذها عاصمة لملكه وجعلها تتبوأ مركز الصدارة من بين الحواضر المغربية. وتفاديا لاستعادة معطيات تاريخية مفصلة، تكفي الإشارة إلى إجماع المصادر والدراسات المغربية والأجنبية على ما شهدته المدينة من نهضة معمارية مكثفة ومتنوعة خلال العهد الإسماعيلي، وهي نهضة شملت شتى أنماط العمارة وهمت مختلف المؤسسات الدينية والثقافية والعسكرية كبناء الأسوار والأبراج، وتشييد القصور والمساجد والأضرحة والمنارات، وإقامة القناطر والسقايات وإنشاء المكتبات والخزانات، وتجديد الحمامات والفنادق.

وبعد وفاة السلطان المولى إسماعيل تلاشى عز المدينة وطالت يد الخراب الكثير من أعمال البناء والترميم إثر الفتن والاضطرابات التي أعقبت وفاة السلطان، حيث أبيحت المدينة لعبث الجند عدة مرات. كما هدم السلطان المولى عبد الله سنة 1143 / 1730 حي الرياض الذي كان يشتمل على مباني كبار المسؤولين. وبلغت محن مدينة مكناس ذروتها

بفعل الزلزال سنة 1169 / 1755 الذي أتى على كثير من المؤسسات العمرانية.

وخلال عهد السلطان محمد بن عبد الله عرفت المدينة حركة تشييد وترميم عدد كبير من المباني المتنوعة خاصة المؤسسات الدينية (المسجد الأزهر المعروف بمسجد جامع الأروى ـ بناء قصر البهيج المعروف باسم الدار البيضاء. تجديد بناء عدد من المساجد : مسجد سيدي سعيد، مسجد بريمة...).

وحظيت مكناس بعناية خاصة من طرف السلطانين المولى عبد الرحمن بن هشام والمولى الحسن اللذين كانا كثيرا التردد على هذه المدينة، وتمدنا المصادر بإشارات عن بعض منجزاتهما كتشييد بعض المنشآت وترميم وإصلاح المباني المتلاشية، على أن اهتمامهما قد انصب أساسا على الجانب العسكري وإعادة النظر في تحصينات المدينة، وذلك لأهميتها كقاعدة استراتيجية في مراقبة وضبط تحركات قبائل الأطلس المتوسط.

ومع حلول عهد الحماية احتلت مدينة مكناس مكانة خاصة في الاستراتيجية الاستعمارية الفرنسية حيث وقع الاختيار عليها منذ احتلالها كقاعدة عسكرية وعاصمة للمعمرين الأجانب نظرا لمؤهلاتها الطبيعية المتنوعة ولموقعها الهام.

م. بن غازي، *الروض الهتون* ؛ أحمد المقري، *نفح الطيب* ؛ ياقوت، *معجم* ؛ الإدريسي، *نزهة* ؛ الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ ابن زيدان ؛ *إتحاف* ؛ *محاضرة الأكياس بملخص تاريخ مكناس*، م. خ. ح 3171 ؛ محمد المنوني، *التخطيط المعماري لمدينة مكناس*.

جمال حيمر

**المكناسي، عبد الرحمن** بن **أحمد** الإدريسي نزيل مكة المكرمة، شيخ فاضل، عالم عابد زاهد، صوفي عارف بالله، وصل إلى درجة علمية وروحية عالية جعلته من كبار أولياء عصره، تولى القطبانية لمدة اثنتين وأربعين سنة.

ولد بمكناسة الزيتون حسب رواية محمد أمين المحبي (1111 / 1699) في "*خلاصة الأثر*" بتاريخ (1023 / 14 ـ 1615) وبهذه المدينة نشأ، وأصله من تامسنا استوطن أسلافه زناتة لذلك كان يعرف أحيانا بالزناتي. أخذ بمدينة فاس عن سيدي يَدَّر وسيدي موسى دفين حومة كرنيز وأخذ بمدينة القصر الكبير عن سيدي محمد القجيري، كما أخذ عن كثير من علماء المشرق وأوليائه أثناء رحلاته وسياحاته. فزار مصر وبلاد الشام والقسطنطينية حيث اجتمع بالسلطان مراد الرابع (1609 ـ 1640) وحج سنة (1043 / 1634) وجاور بمكة المكرمة، ثم رحل إلى بلاد اليمن لزيارة من بها من العلماء والأولياء، وعاد إلى مكة واستوطنها عام (1050 / 1641) وأصبح مرجعا لأهلها والواردين عليها، مقبول الكلمة عند جميع الناس، وانتشر صيته وأقبل الناس على زيارته. وكانت النذور تأتي إليه من بلدان المغرب ومصر والشام واليمن والحجاز والهند والقسطنطينية وغيرها. كما كانت له وجاهة عظيمة عند الأمراء فخصوه بالهبات والهدايا. عرف عنه أنه كان يحب العلماء ويكرمهم، ويحسن للفقراء ويتفقدهم بالكسوة والنفقة، ويحث الوافدين عليه على ملازمة ما يناسب من صنوف الخير والتقوى من تلاوة للقرآن الكريم والصلاة على النبي (صلعم) وكثرة الاستغفار وتلاوة الأوراد، وحض من رأى فيه علامة خير على اعتقاد الصوفية وتصديق كلامهم وعلومهم وأحوالهم. وتتحدث المصادر عن عجيب كراماته نجملها في القولة التالية : "له الكشف الصريح والأحوال الباهرة والكرامات العظيمة" كما تشير بإسهاب إلى سياحاته الصوفية لنشر الطريقة وتأسيس الزوايا للتربية وتلقين الذكر.

توفي في 17 ذي القعدة عام 1085 / 23 يبراير 1674، ودفن بزاوية الشيخ سالم شيخان بمكة المكرمة.

المحبي محمد أمين الدمشقي، *خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر*، ج 2، ص. 346 ـ 349 ؛ أبو القاسم العياشي، *التعرف والإيجاز*، مخ، خ. ع، ص. 304 ـ 305 ؛ عبد الرحمان ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 5، ص. 279 ـ 281 ؛ حسن الصادقي، *الوجود المغربي في المشرق*، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، ص. 213 ـ 245.

**المكناسي، عبد الوهاب** بن **محمد** الشيخ، قاضي مكناس، العلامة المشارك، المطلع المدرس النفاعة النحرير، الخطيب المصقع، المفتي، الفاضل النبيل. ولد ونشأ بمدينة مكناس، وأخذ علوم الوقت من نحو ولغة وتفسير وحديث وفقه ومنطق وبلاغة وعروض عن جماعة من الأشياخ من أمثال الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102 / 1691) والحسن بن رحال المعداني (ت. 1140 / 1727) ومحمد بن عبد الرحمن بصري (ت. 1124 / 1712) وغيرهم من أعلام الوقت.

تولى عدة خطط منها خطة قضاء الجماعة بمدينة مكناس ولاه إياها السلطان سيدي محمد ولد عربية ابن السلطان مولاي إسماعيل. كما تولى خطبة جامع قصبتها الهاشمية الإمامية، وإمامة محراب جامعها الأعظم، وإليه على حد قول ابن زيدان في *إتحاف أعلام الناس* "صار مرجع الأنام في الإفتاء". ووقف ـ حسب ما يذكر ـ على رسم باسمه مسجل بتاريخ ثاني وعشرين شوال عام تسعة وأربعين ومائة وألف.

إلى جانب هذه الوظائف، تصدر المترجم للتدريس، وأفاد بعلمه الغزير الكثيرين، وتخرج على يده علماء مبرزون نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الولي عبد السلام البقالي والمجذوب ابن عزوز المكناسي والعربي بصري (ت. 1148 / 1735) صاحب *منحة الجبار*.

لا يُعرف لمولده ولا لوفاته تاريخ إلا أن المعروف أنه أقبر بمدينة مكناس.

م. العربي بصري، *منحة الجبار*، مخطوط، خ. ح.، مجموع، ص. 65 ـ 298 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 5، ص. 397 ـ 398، الرباط، 1990.

**المكناسي، محمد بن العياشي**، القاضي الوزير الذي أجمعت المصادر على وصفه بالفقيه المفتي النوازلي والعلامة المدرس الحافظ لفروع المذهب. درس بمدينة مراكش على شيوخها وحصل على حد تعبير صاحب *الإعلام* : "على الفقه وفروعه فكان لا يطار تحت جناحه فيه، يدرس مختصر *خليل*، وفروع الفقه *والتحفة واللامية*، ويبحث في الفتوى فيجيب بالعجب العجيب، يحكم القياس ويحفظ النصوص..." كما كان يتمتع برجاحة العقل وسرعة الحركة في الرأي والحسم، فأهله ذلك إلى الالتحاق بمشور السلطان مولاي إسماعيل (1082 - 1139 / 1672 - 1727) وهناك لمع اسمه، وعلم السلطان بذكائه وحسن إشارته فقربه إليه وأصبح من خلصائه يستشيره في المهمات، من ذلك أنه استشاره بشأن إعادة تنظيم الجيش وفي أية قبيلة يتخذها جندا، فأشار عليه بجمع أعقاب جيش السودان الذي كان في عهد الدولة السعدية. يشير ابن زيدان في *إتحاف أعلام الناس* أن السلطان رد عليه قائلا : "أنت النائب عني في جمعهم فقال له : فليعين سيدنا وكيلا يقوم في طلب حق بيت المال وأنا أقضي بينهم وبينه، فقلده القضاء والفصل في ذلك وتسمى بقاضي القضاة، وعين السلطان الباشا عليلش لجمع العبيد" ويروي أبو القاسم الزياني في *البستان الظريف* أن مولاي إسماعيل "كلف كاتبه محمد بن العياشي المكناسي أن يخرج لقبائل الغرب وبني حسن ويجمع العبيد، من كان لا ملك لأحد عليه أن يأخذه مجانا، ومن كان مملوكا يعُطي لصاحبه ثمنه، فخرج لذلك وطاف على القبائل فجمع كل أسود وجده..." وأصبح منذئذ ديوان جيش عبيد البخاري بين يديه.

وإلى جانب ما كان يتمتع به المترجم من باع طويل في اللغة العربية والفقه وعلم الكلام وملكة في التدريس وقوة العارضة في الفتوى، كان أيضا من الرؤساء المهرة في صناعة الإنشاء والترسيل كما يبدو في نماذج من نثره أوردها ابن زيدان في *إتحاف أعلام الناس*، وفي مؤلفه المعنون بـ "*زهر البستان في أخبار أخوال مولانا زيدان*" الذي يزخر بمعلومات هامة عن قبيلة سفيان النازلة في منطقة الغرب ومعها سائر القبائل العربية.

قتل محمد بن العياشي المكناسي عام (1139 / 26 - 1727) صلبه السلطان مولاي أحمد الذهبي بإيعاز من عبيد البخاري، وقد حاول هؤلاء حرق قبره فلم يعرفوا المقابر التي دفن فيها.

أبو القاسم الزياني، *البستان الظريف*، تح. رشيد الزاوية، ص. 156- 159 ؛ عبد الرحمان ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 4، ط 2، ص. 100 - 105 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 220 ؛ أحمد بن محمد ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخ. خ ح، ج 6، ص. 112، ج 7، ص. 184 ؛ ابن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، ج 6، تح. عبد الوهاب ابن منصور، ص. 35 - 37.

رقية بلمقدم

**مكوار، أحمد** ازداد بفاس سنة 1892 عمل منذ شبابه في الميادين الإحسانية والاجتماعية والسياسية فقد انتخب في أول جمعية خيرية بفاس، وبقي كاتبا لها وأمينا لصندوقها نحو اثنتي عشرة سنة.

وفي سنة 1919 أسس مدرسة سيدي بناني هي أول مدرسة حرة بالمغرب، وبعدها تبني مدرسة النجاح واستمر في تسييرها أكثر من خمس عشرة سنة وفي سنة 1929 انتخب أمينا لصندوق أول جمعية تأسست لتشجيع التعليم والدعاية له، والتي قضت عليها إدارة الحماية الفرنسية في مهدها. وبعد نشر الظهير البربري (16 ماي 1930 ) وانتقال حركة الكفاح من طور السرية إلى طور العلن اجتمعت بمنزله يوم 23 غشت 1930 نخبة من رجال الحركة وأدوا جميعا يمين الاخلاص لمواصلة الكفاح إلى أن يتحرر المغرب فقاموا بنشر الدعوة وبث الوعي الوطني، الشيء الذي أدى إلى حواديث اللطيف القاسية وانتخاب الوفد الذي قابل جلالة الملك محمد الخامس يوم 27 غشت 1930 فقدم له عريضة تحتوي على ثلاثة عشر مطلبا، وهي أول وثيقة تقدم لجلالته بمطالب الشعب وقد شارك في تحريرها كما قد انتخب بأغلبية ساحقة من بين أعضاء الوفد فرفضته إدارة الحماية الفرنسية وفي سنة 1934 شارك في تحرير دفتر المطالب المستعجلة وفي سنة 1936 شارك في المؤتمر الصحفي الذي انعقد في 20 نونبر بالدار البيضاء ومنعته إدارة الحماية، واعتقلت بعض زعماء الحركة فنتجت عن ذلك مظاهرات صاخبة بكل مدن المغرب أدت إلى اعتقال آلاف المواطنين. وفي أعقاب ذلك قابل المقيم العام الفرنسي بالمغرب الجنرال نوگيس بطلب من هذا الأخير فاستغرقت هذه المقابلة زهاء ساعة ونصف وبعد رجوعه لفاس وجد أن الأوامر قد سبقته لتكوين وفد يسافر لمقابلة جلالة الملك، وفي الغد اجتمع الوفد بمركز شركة النقل ستيام فأخذ معه في سيارته الشخصيات البارزة في الوفد، وأثناء الطريق أقنعهم بتحرير عريضة تقدم لجلالة الملك، وشرح لهم نقطها وقد حررت وقدمت لجلالته فتقبلها بعين الرضي والتقدير ووعدهم بالاعتناء بدرس نقطها، وبالعمل على إطلاق سراح المعتقلين فوقع الإفراج عن جميعهم بعد فترة وجيزة.

وعلى إثر الحوادث الدامية التي وقعت بفاس - ومكناس - وبني يازغة - والخميسات سنة 1937 اعتقلته السلطة العسكرية الفرنسية ونفته إلى الصحراء فقضي بها سبعة وعشرين شهراً ما بين ميدلت وقصر السوق - والريش - وآسول - وبوذنيب - واتزر. وفي شهر يناير 1944 كان في طليعة المبتكرين لتقديم وثيقة طلب الاستقلال، وشارك في تحريرها وأشرف بمنزله على كتابتها وهو أول من تشرف بإمضائها، وقدمها لإمضاء من وثق بأمانتهم، ثم حملها في نسختين للدار البيضاء ليمضيها مكافحو الجنوب المغربي، ثم سافر بها للرباط فأمضاها عدد من المكافحين إلى أن وصل عدد الإمضاءات إلى تسعة وخمسين. وقد كان من بين الوفود

الذين قدموها يوم 11 يناير لجلالة الملك والإقامة العامة وسفراء الدول، وعلى إثر ذلك طلبت السلطة الفرنسية من حزب الاستقلال أن يعين وفدا من رجاله ليجتمع بوفد تعينه السلطة. وقد كان من بين وفد حزب الاستقلال فاجتمع الوفدان بمنزل باشا مدينة الرباط الحاج عبد الرحمن برگاش يوم 12 من نفس الشهر، فناقشا عدة حلول لم تؤد لأية نتيجة فاتفق الوفدان على أن يستئنفا اجتماعهما يوم 19 يناير، وفي هذه الأثناء كانت الآف السيارات تتوافد على الرباط حاملة الوفود التي جاءت للتضامن مع حزب الاستقلال، وقد لوحظ أن رئيس المجلس العلمي هو وحده الذي تخلف فسافر لفاس واتصل به فصرح له أن الوزير الأول المقري هو الذي لم يسمح له بالسفر، فأقنعه بوجوب السفر ثم حمله في سيارته فاعترض سبيلهم رجال الدرك الفرنسي في طريق مكناس وأرغمهم على الرجوع لفاس. وبعد عدة محاولات سافرا في الغد وبمجييء رئيس المجلس العلمي للرباط تم الاجماع من طرف الأمة، وقد اتضح أن طلب السلطة الفرنسية اجتماع الوفدين لم يكن إلا مناورة لكسب الوقت واتخاذ الاستعدادات الحربية للقمع والفتك برجالات الحزب، إذ بينما هم مجتمعون مساء يوم 20 يناير إذا بأحد الضباط المغاربة المنخرطين في الجيش الفرنسي يبلغهم سريا أن السلطة العسكرية الفرنسية قد طوقت العاصمة ونصبت المدافع الثقيلة فحرروابلاغا برهنوا فيه عن حسن نيتهم وتمسكهم بالطرق السلمية. وصبيحة يوم 21 يناير جاءت أوامر من باشا المدينة يأمر جميع الوفود بمغادرة الرباط قبل الزوال ويوم 29 يناير اعتقلته السلطة العسكرية وأودعته برج الشمال عدة أسابيع ثم نقلته لسجن الرباط، وهناك سلم لرجال السلطة العسكرية الفرنسية فأوثقته بالحبال، وقام ثلاثة من الضباط الصغار بجلده، وذلك من الساعة الخامسة عشية إلى الواحدة والنصف صباحا وهو مجرد من جميع ثيابه، وبعد ذلك ألقته على الأرض في بيت مظلم وهو فاقد لوعيه وبعد أربعة أيام سمحت له بفراش وسخ من التبن وكانت تقدم له وجبة واحدة من الطعام كل يوم. وبعد عشرة أيام أرجعته للسجن وبقي نحو شهرين يمشي زاحفا وكان معاون طبيب السجن يأتي لزنزانته كل صباح ليزيل ما انفصل من جلود رجليه، ولما استراح بعض الشيء نقل لسجن مكناس وأحيل على المحكمة العسكرية الفرنسية بتهم خطيرة منها حمل السلاح والمفرقعات وترويجها وتزويد العدو بمواقع وتنقلات الجيوش الفرنسية والأمريكية، وقد استنطقه قاضي البحث بالمحكمة العسكرية مدة عدة أسابيع. وأدت تناقضات التقارير والشهود العملاء إلى إعلان قاضي التحقيق عن عدم توفر العناصر التي تثبت إدانته فأمر بالإفراج عنه مؤقتا ثم منعته السلطة الفرنسية من الرجوع لمسقط رأسه فاس وأرغمته على البقاء منفيا بمكناس مدة سنة. وعلى إثر تأزم الحالة بين جلالة الملك والشعب من جهة والحكومة الفرنسية من جهة أخرى، وبمناسبة حوادث فرحات حشاد الدامية اعتقلته السلطة العسكرية ونفته إلى الصحراء يوم 8 دجنبر 1952 فقضي بالريش سنة كاملة، في گولمين قرب إفني سنة أخرى ولم يقع الإفراج عنه إلا بسبب مرض خطير نقل على إثره لمستشفى أگادير ثم أفرج عنه. وبهذا يكون قد قضي في السجون والمنافي ثمانية وستين شهرا ولم يمر إلا زمن قصير حتى أرغمت فرنسا على إرجاع الملك الشرعي محمد الخامس إلى عرش أسلافه الكرام حاملا معه بشرى إعلان الاستقلال. وفي هذه الفترة الانتقالية وقعت أحداث متنوعة، وقد كان منزله يعج بجميع طبقات الشعب من مناضلين وفدائيين وغيرهم، وقد حدث أن طلب الحرس البلدي وعلى رأسه مقدمو الحارات التوجه للرباط للسلام على جلالة الملك فمنعتهم السلطة الفرنسية فتمردوا واعتصموا بالمجلس البلدي، فجاء لمنزله بعض كبار الضباط الفرنسيين يلتمسون منه إيجاد حل للمشكل. ففتح مخابرة تلفونية مع الحرس البلدي واستمرت المخابرة كامل الليل والضباط الفرنسيون جامدون أمامه، ولم تكد الشمس تشرق حتى جاء لمنزله الحرس البلدي برمته بسلاحه فغصت به البطحاء، وبعد أخذ ورد وقع الاتفاق على أن يسافر منهم وفد يمثلهم يتكون من أربعين رجلا للسلام على جلالة الملك. ولم يكد يغادروا فاس حتى سلكت مسلكهم فرقة الكوم التي كانت مخيمة بعين الشگاگ طالبة الذهاب للرباط للسلام على جلالة الملك، وأمام منعهم من طرف العسكريين الفرنسيين تمردوا هم الآخرون، وقصد ضباطهم منزله فحصل الاتفاق على أن يسافر وفد منهم إلى الرباط للسلام على جلالة الملك. وكانت وفود الشمال تمر بفاس وتقصد منزله فكان يأويها ويطعمها، وقد بلغ عددهم في ليلة واحدة أزيد من ثلاث مائة ما بين رجال ونساء حيث كان المغاربة عن بكرة أبيهم يتحرقون شوقا للسلام على ملكهم المحبوب.

وقد بقي قائما بواجبه إلى أن استقرت الأحوال. ولما تأسس المجلس الوطني الاستشاري بموجب ظهير 3 غشت 1956 كان من جملة أعضائه، وكان يرأس جلساته الافتتاحية وانتخب رئيسا للجنة الشؤون السياسية والشؤون العامة، وبقي كذلك إلى أن توقفت أعمال المجلس سنة 1959. وعندما تأسس الهلال الأحمر بفاس سنة 1957 انتخب رئيسا له وفي الانتخابات البرلمانية التي جرت بالمغرب يوم 17 ماي 1963 انتخب نائبا عن مدينة فاس بأغلبية ثلثي أصوات المصوتين وترأس جلسة افتتاح البرلمان سنة 1964 واستمر يشارك في مداولاته ويعمل في لجانه حتى توقفت أعمال ذلك المجلس باعلان حالة الاستثناء يوم 9 جوان 1965.

وهكذا فقد شارك في جميع الأعمال الوطنية التي سمحت بها ظروفه والجدير بالذكر أنه لم يشغل أية وظيفة رسمية ولا سعي إليها لتبقى أعماله كلها مجردة عن كل غرض شخصي.

*معلومات خاصة.*

محمد بنعبد الجليل

**المكودي** ، أسرة "بنو مكود إحدى قبائل هوارة المعروفين الآن ببني وراين، الذين مستقرهم فيما بين فاس وتازة" كما جاء في *سلوة الأنفاس*، وعرّف ببيت بني المكودي إسماعيل بن الأحمر في كتابه : "*بيوتات فاس الكبرى*" فقال : "من البربر من قبيلة بني مكود أو مكودة، وبيتهم بيت فقه وكتابة وعدالة وثروة، ولهم زقاق بفاس يقال له عقبة المكودي"، ونبّه الأستاذ ابن منصور في الهامش رقم 9 ص. 10 ، من الكتاب الذي عني بنشره إلى أن "بني مكود قبيلة شهيرة هبطت اليوم إلى مرتبة البطون، واندمجت في غيرها من القبائل، منهم بنو مكود بقبيلة الزرارة من إقليم تازة، وبنو مكود ببطن آيت الربع من قبيلة بني عسو بإقليم تازة، والمكاددة ببطن أهل الوادي من قبيلة غياثة بإقليم تازة أيضا.

ويظهر أن فرقة من قبيلة بني مكود هاجرت إلى سلا منذ قرون، واستقرت بها، وإلى اليوم تعرف منطقة سكناها بعقبة المكودي في المدينة العتيقة، وهو حيّ شهير بسلا.

كما ورد اسم المكودي كأسرة مغربية في "*كشاف أسماء الأسر المغربية*" للأستاذ عبد الوهاب بن منصور، في مسرد عام، ص. 104.

الكتاني، *سلوة الأنفاس*، تح. حمزة الكتاني وآخرون، 1 : 204 ؛ إبن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، منشورات المنصور، ص. 110 ؛ ع. الوهاب بن منصور، *كشاف أسماء الأسر المغربية*.

**المكودي، عبد الرحمن** بن **صالح** المكودي نسبا، الفاسي المالكي، الشيخ الصالح، والإمام النحوي الفاسي، ينتسب إلى قبيلة بني مكود قرب فاس، "فاسي الدار والمحتد والوفاة، بيته بفاس بيت فقه وكتابة وعدالة وثروة، ولهم زقاق بها يقال له قديما عقبة المكودي" كما جاء في الترجمة التي صدر بها الأستاذ عبد الله كنون شرح *مقصورة المكودي*، عمل عدلا وتصدر للإقراء بمدرسة العطارين، ومدرسة الصهريج بفاس فترة من الزمن، وانتفع بعلمه جم غفير خاصة في تدريسه *كتاب سيبويه*.

عرف به الكتاني في *سلوة الأنفاس* فقال : "العالم العلامة الهمام، الفقيه الأستاذ النحوي، الناظم الناثر"، وقال عنه مخلوف : "من بيت فضل وعلم وصلاح، الفقيه النحوي الفاضل، المتفنن، العالم العامل".

مؤلفاته كثيرة، أشهرها شرح على *ألفية ابن مالك* "أجاد فيه غاية الإجادة، وهو إمام النحاة في عصره" كما ذكر ابن القاضي في *الجذوة*، وله رجز *في التصريف* في أربعمائة بيت، كما أن له شرحا على *مقدمة ابن أجروم*، واشتهر بمقصورته في *السيرة النبوية* وفي *مدح النبي صلى الله عليه وسلم*، وتقع في ثلاثمائة بيت شعري، وعارض بها *مقصورتي ابن دريد وحازم*، وقد حظيت هذه المقصورة بعناية كبيرة، فشرحها كثير من الأدباء كما أشارت كتب التراجم، لكن شروحاتهم في حكم المفقودة، وخصها الأستاذ عبد الله كنون بشرح مفصل متميز، تم طبعه بمصر سنة 1356 / 1936.

توفي عام 807.

ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، دار المنصور، 2 : 403 ؛ *درة الحجال*، تح. الأحمدي أبو النور، 3 : 84 ، أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج؛ كفاية المحتاج*، تح. محمد مطيع، 1 : 269 ؛ السخاوي، *الضوء اللامع*، 4 : 97 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، تح. حمزة الكتاني وآخرون، 1 : 204 ؛ مخلوف، *شجرة النور الزكية*، تح. خيالي، 1 : 359 ؛ ع. كنون، *شرح مقصورة المكودي* ؛ *النبوغ المغربي*، 1 : 210؛ الزركلي، *الأعلام*، 3 : 318، ط 4 ؛ ع. كنون المكودي، *سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب*، رقم 20.

نجاة المريني

**مگون** Magon ، أقدم أسماء الأعلام التي أسفر عنها البحث الأثري في المغرب الذي كان يدعى موريطانية Mauretania. ولقد ورد اسم مگون منقوشا على قطعة خزفية تم العثور عليها بجزيرة مگدور في الطبقة الأركيولوجية الرابعة، حيث توجد المواد الفنيقية والإغريقية. والواضح أن الأمر يتعلق بأسماء أشخاص فنيقيين.

تم اكتشاف القطعة التي نقش عليها اسم مگون مع قطع أخرى تحمل أسماء أشخاص آخرين في نفس الوسط الأثري، الذي يرجع تاريخه إلى ما بين القرنين السابع والنصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد. وبعض هذه الأسماء غير تامة نظراً لانكسار القطع التي نقشت عليها. وهذه بعض الأسماء المرافقة لمگون في الجزيرة المذكورة : BLYTN وHM وYHWB وYTM وZMLK.

والمثير للانتباه أن اسم مگون اقترن بتاريخ قرطاجة، وهو من المؤسسين للمرحلة اللامعة من عهد الدولة القرطاجية، ولا سيما توسعها في أرجاء البحر الأبيض المتوسط منذ حوالي سنة 550 قبل الميلاد. وهنا نتساءل عن الصلة الرابطة بين مگون الأول الذي وصل إلى مگدور قادما من فنيقية ومگون الثاني وهو الرجل النشيط في بلورة قوة الدولة القرطاجية.

الراجح أن مگون المگدوري هو من أسلاف مگون القرطاجي، نظراً لاشتراكهما في الأصل الفنيقي، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الفاصل الزمني بينهما يصل على أكبر تقدير إلى حوالي قرن من الزمن. لكن وجود هذا الشخص بالجزيرة لا يعني بسط النفوذ القرطاجي عليها، علماً أن هذه الجزيرة عرفت فراغا في فترة المد القرطاجي بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

محمد مجدوب، *محاولة في رصد حصيلة الأبحاث الأثرية حول المغرب القديم قبل العهد الروماني*، 2002، *أمل*، 27، ص. 87-108.

A. Jodin, Note préliminaire sur l'établissement préromain de Mogador, dans *B.A.M., 2, p. 9-40, 1957* ; Idem, Mogador comptoir phénicien du Maroc atlantique, dans *E.T.A.M., 2, 1966* ; Idem, Les établissements du roi Juba II aux îles purpuraires (Mogador), Tanger, 1967 ; Ch. Picard, *Vie et mort de Carthage*, Paris, 1970 ; M.G. Amadasi Guzzo, Notes sur les graffitis phéniciens de Mogador, dans *Collection de l'Ecole Française de Rome, 166, p. 155-73, 1992* ; M. Majdoub, La Maurétanie et

Carthage, dans *"IV Congreso internacional di Studi Fenici y Punici"*, Cadiz, p. 1217-21, 2001.

محمد مجدوب

**مْگونْنْ**، قبيلة وقصبة ← **مگونة**

**مْگونْنْ** (قبيلة -) بالسفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط، تنسب إليها قلعة مگونة (آتية الذكر). وهي من القبائل المغربية التي ظل تاريخها مغموراً إلى وقتنا الحالي، بحيث نجهل عنها كل شيء تقريباً نظراً لا نعدام الوثائق من جهة، وتهميشها من طرف الكتابات التاريخية الرسمية عبر العصور، من جهة ثانية. وتشكل قبيلة إمْگونْنْ الممتدة على السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط إحدى هذه القبائل.

إن الباحث الذي يريد إعادة بناء تاريخ قبيلة كهذه تعترض سبيله صعوبة منهجية فيجد نفسه مرغما للركون إلى الرواية الشفوية التي نعلم مدى صعوبة استعمالها لتقصى الحقائق التاريخية لما قد يعلق بها من شوائب (نسيان، زيادة، تضخيم، بَتْر الخ ...) لأسباب مختلفة.

ومهما يكن من أمر فإمْگونْنْ - حسب الرواية الشفوية المتداولة حاليا - يعتقدون أن لهم أصولا عرقية (أو إثنية) متباينة. غير أن الرأى السائد والراجح لديهم هو أنهم كانوا يشكلون أحد العظام (إخْصانْ) أو الفروع الستة المكونة لاتحادية قبائل آيت عطا. وبمرور الوقت ولأسباب يصعب تحديدها شكل إمْگونْنْ نواة منفردة متميزة عن باقي فروع آيت عطا. وفي غياب معلومات كثيرة، يصعب تحديد الفترة التي تَمّ فيها انفصال إمْگونْنْ عن آيت عطا إذا كانوا فعلا متفرعين عنهم. أمّا تسميتهم بهذا الاسم فيُعتقدُ أنه في الأصل إسم طفل ظل في بطن أمه مدة طويلة ولم تضعه إلا بعد مرور أحد عشر عاماً. وحينما ولد سُمي أمْگُونْ بمعنى النائم. وهكذا سُمى أبناؤه وحفدته من بعده إمْگونْنْ (صيغةالجمع) أي النائمون.

ويبدو أن إمْگونْنْ قبل أن يستوطنوا بصفة نهائية مواقعهم الحالية بالسفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط، كانوا منتشرين على ضفتي وادي دادس الأسفل حتى مشارف منطقة أسْكُورنْ (هسكورة أو سكورة حاليا). وهذه المنطقة بالذات هي التي تستوطنها حاليا قبائل آيت إحيا السدراتية التي يظهر أنها قامت بغارات متكررة على قبائل إمْگونْنْ فأخذت مكانها وأرغمتها على الهجرة والتراجع شمالا على طول وادي جامُو الذي سُمي بعد ذلك باسم أسيفْ أمْگونْ أو وادي أمگون نسبة إلى قبائل امگونة المستقرة على ضفتيه. بيد أنه من الصعب جدا تحديد الفترة التاريخية التي وقع فيها هذا التحول البشري والسياسي في هذه المناطق. وتجدر الملاحظة أيضا أن لامگونة امتداداً على السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط يمثله كل من إمْگونْنْ آيت عياض ببني ملال وآيت امگون الموجودين شمال إيمغرانْ.

وينقسم إمْگونْنْ إلى ثلاثة مجموعات أساسية وهي : آيت مراوْ، آيت احمد وآيت واسيف.

ويمتد آيت مْرَاوْ على طول ضفتي وادي امگونْ ابتداء من منابعه بجبل أمگون إلى نقطة التقائه برافده أسيفْ نايت حَمْدْ وليمتدوا بعد ذلك إلى قصر تيمْسْتيگيتْ. إلا أن قَصْرَيْ لْحُوطْ وأزناگ يوجدان على ضفتي أسيفْ نايت حَمْدْ.

أما آيت حَمْدْ فينتشرون على ضفتي الوادي الذي يحمل اسمهم وهو أسيفْ نايت حَمْدْ. كما أنهم ينتشرون على أحد روافده القادم من آيت تومرت المغرانيين. أما آيت واسيفْ فينتشرون على ضفتي وادي أمگون إلى حين التقاء سكناهم بسكنى قبائل آيت إحيا السدراتية على نفس الوادي.

وبصفة عامة فان إمْگونْنْ (امگونة) يسكنون منطقة جبلية متدرجة في الارتفاع ويتحصّنون في قصور وقصبات (إغْرْمَانْ بالأمازيغية) أشهرها القلعة، تيغَرْمَتينْ، تَبَرْخاشْتْ، بُوتْغْرَارْ، إبَرغُوسْنْ الخ ... وإذا أخلدت هذه القبائل إلى الاستقرار في وقتنا الحالي وتعاطت للزراعة المسقية بجنبات الوادي، فإنها في سالف عهدها كانت تتعاطى لحياة الترحال والنجعة فتتنقل بين مسالك الأطلس الكبير الأوسط وجبل صاغرو. وقد كانت تنافسها في هذا الميدان القبائل المجاورة التي كانت تتحرك هي الأخرى بهذه المناطق مثل آيت عطا، إيمغران وآيت سدرات. ويشكل آيت سدرات بصفة خاصة القبيلة التي كانت لها نزاعات حادة مع إمْگونْنْ (امگونة) حول مراعي جبل صاغرو. وقد استمرت تلك الصراعات المريرة إلى ما بعد حصول المغرب على الاستقلال.

وتعتبر قبائل امگونة (إمْگونْنْ) من أهم القبائل المغربية التي حافظت على كثير من عاداتها وتقاليدها الأصلية بما في ذلك الأهازيج والرقصات البارعة. إذ تشكل "فرقة قلعة امگونة" المكونة من عناصر امگونية أبرز الفرق الفلكلورية المتميزة بالمغرب في الوقت الحالي ؟

*تحريات ميدانية.*

محمد حمام

**المكينسي، الصديق** ولد بسلا سنة 1918، وتزامن ميلاده مع نهاية الحرب العالمية الأولى. وتلقى تعليمه بهذه المدينة - ونظراً للاستقطاب الذي مارسته القنيطرة على التجار من مختلف المدن المجاورة لها، فقد انتقلت أسرته إلى هذه المدينة للقيام بأعمال تجارية منذ 1930. وتميزت الوضعية العامة بالقنيطرة ببداية الحركة الوطنية لنشاطها على يد هؤلاء التجار - وخاصة بمناسبة الذكرى الثالثة للظهير الاستعماري (الظهير البربري)، حيث عرفت مدينة القنيطرة خلال ماي 1933 مظاهرات صاخبة، وكان "الصديق المكينسي" من الشبان المؤطرين لهذه المظاهرة.

وقد استغلت الحركة الوطنية بمدينة االقنيطرة المهلة التي منحتها الحركة الوطنية المغربية لإدارة الحماية للرد على المطالب الإصلاحية، وذلك لرص صفوفها وتنظيم خلاياها، وشارك الصديق المكينسي في تنظيم الجماهير، وظهرت نتائج هذا العمل خلال المظاهرات التي عرفتها المدينة في أكتوبر 1937 . إذ قامت مظاهرات صاخبة يوم 27 أكتوبر 1937، وترأسها مندوب الحزب الوطني "محمد الديوري". ووقع اصطدام بين المتظاهرين والقوات الاستعمارية مما أدى إلى سقوط عدد كبير من الضحايا بين قتيل وجريح وتم اعتقال حوالي 72 من أطر الحزب، ومن بينهم الصديق المكينسي، وقد حكم على أغلبهم بالسجن سنتان، ونقلوا إلى مدينة الريش إذ ساهموا في شق "ممر زعبل" وسط الجبل - ونقلوا بعد ذلك إلى سجن علي مومن ثم إلى الدار البيضاء، حيث التقوا جميعا فيه إلى أن أطلق سراحهم قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية بقليل.

وخلال الحرب العالمية الثانية تكتل أطر الحركة الوطنية بالقنيطرة وانطلقوا في تأطير الجماهير، فكلف الصديق المكينسي بتأطير الشباب عن طريق الجمعيات الرياضية التي ترأسها حيث ساهم مع أخيه عبد الرحمان المكينسي في تكوين فريق لكرة القدم من الشباب، كما أسندت إليه رئاسة الجمعية الخيرية الإسلامية، التي ساهمت في إيواء أبناء المعوزين، وفي تأطير هذه الفئات وطنيا. وكانت هذه التنظيمات موازية لحزب الاستقلال وتستهدف الحصول على مصادر التمويل، وكذلك القيام بالأعمال الاجتماعية والتي تشكل تحدياً للاستعمار. وانتقلت مدينة القنيطرة إلى مقدمة الأحداث التاريخية مع حلول سنة 1952، إذ عرفت المدينة انتفاضة كبرى احتجاجاً على اغتيال الزعيم النقابي "التونسي فرحات حساد"، تميزت بالعصيان المدني والإضراب العام والمظاهرات، وكان رد فعل السلطات الاستعمارية عنيفا تجلى في استنفار قوات ضخمة بالقمع بالحديد والنار. كما تم الزج بقادة الحركة الوطنية في السجون وعلى رأسهم الشهيد "محمد الديوري". وقد كان هدف سلطات الحماية تجريد الحركة الوطنية من قيادتها وشل نشاطها. إلا أنها أصيبت بالذهول إذ أن هذا النشاط ازداد اتساعاً وتأججا، وذلك بفضل اللجنة الاحتياطية التي كونها قادة الحركة الوطنية تحسباً للطوارئ. وكان أعضاء هذه اللجنة التي خرجت إلى الميدان مكونة : من : أحمد الدمناتي بوفلوس والمهدي البوعزاوي والصديق المكينسي وعبد الرحمان المكينسي ومحمد بنمبارك وحسون وأحمد اللجائي ومحمد التسولي ومحمد بن إبراهيم آيت عمر. ولعبت هذه اللجنة دوراً هاماً في تأسيس عدة لجن فرعية. كما سهرت على التنسيق مع القيادة بالرباط. وكانت اجتماعاتها تتم بدار الصديق المكينسي.

وقد تفطن بفضل ثقافته المزدوجة واطلاعه على صحف الاستعمار إلى النوايا العدوانية لنظام الحماية إزاء القصر، خاصة في عهد المقيم العام "گيوم". فعمل على طبع مجموعة من أعداد النشرة الخاصة لاطلاع الجماهير على هذه النوايا وتهييئها للمعركة الحاسمة. كما كون وأخاه عبد الرحمان وأحمد الدمناتي بوفلوس وفداً توجه لملاقاة السلطان بالدار البيضاء خلال أبريل 1953. وذلك من أجل تجديد أفق العمل النضالي بالقنيطرة وإخبار السلطان بالتزام سكان القنيطرة بالكفاح. كما ساهم في تكوين وفد من 12 فرداً للاحتجاج لدى الصدر الأعظم والمقيم العام بالرباط ضد النوايا العدوانية للاستعمار إزاء القصر. وشارك في الإعداد للمظاهرة الاحتجاجية ضد نوايا الاستعمار التي نظمت أمام الباشوية يوم 15 / 8 / 1953 أي قبيل نفي المغفور له محمد الخامس وأسرته بخمسة أيام. وفي يوم 23 غشت 1953 قامت إحدى الخلايا بالقنيطرة بتدبير حادثة القطار الذي زاغ عن السكة. وكان لهذا الحادث صدى واسع أصاب المعمرين وغلاة الاستعمار بالذهول. وأمام عجز السلطات الاستعمارية عن معرفة المدبرين الحقيقيين للحادث، تَمَّ اعتقال الصديق المكينسي وجماعة من الوطنيين، وهم : الحسين بن اليزيد بن محمد - مبارك بن بوجمعة - محمد بن إبراهيم المدعو الكداري - المكي بن إبراهيم بن البشير - محمد بن عبد القادر - المهدي بن محمد البوعزاوي - بوجمعة بن محمد. ونظمت محاكمة الدار البيضاء، وذلك لتهدئة روع المعمرين - غير أن "فرقة الحرية" التي نظمت العملية - سارعت إلى تنظيم عملية وهمية مماثلة في نفس المكان. واضطرت المحكمة إلى تبرئة هؤلاء بعد اعتقال أفراد فرقة الحرية. وبعد الاستقلال عين الصديق المكينسي قائداً ممتازاً - في المنطقة التي عرفت شق طريق الوحدة - وفي هذا الصدد يقول المرحوم علال الفاسي أثناء زيارته للقنيطرة يوم 23 / 10 / 1957. "... أنوه بالجهود التي يبذلها السيد الصديق المكينسي، ويسعدني أن أخبركم بنجاح الأخ الصديق في البنايات التي قام بها في عهد الاستقلال في أكنول - وتزى وزلي - وبورد..."، وقد ظل الصديق المكينسي إلى وفاته خلال 2001 يؤطر الباحثين ويحاضر في تاريخ الحركة الوطنية بالقنيطرة.

جريدة *العلم* عدد 1380 - 9 فبراير 1951 ؛ جريدة *العلم*، 23 أكتوبر 1957 ؛ عبد القادر بوراس، *مقالات حول الحركة الوطنية بالقنيطرة*، جريدة *القنيطرة* المحلية، أعداد 3 - 7 - 9 - 12 ؛ مصطفى مشيش العلمي، *ميلاد المدينة والحركة الوطنية*، 1913 - 1937، منشورات سيدي مشيش العلمي، القنيطرة، 2002 ؛ *أعمال ندوة الحركة الوطنية والمقاومة في منطقة الغرب*، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 1998 ؛ المجاهد محمد إبراهيم الكتاني، *من ذكريات سجين مكافح*، جريدة العلم، رمضان، 1995 ؛ الصديق المكينسي، *روايات شفوية*، *مقال* لعبد القادر بوراس بجريدة *الغرب المحلية*، العدد 1، حول الصديق المكينسي.

عبد القادر بوراس

**الملجوم، عمير بن مصعب** بن خالد الأزدي، يرتفع نسبه إلى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة القائد العربي الشهير. هرب أبوه مصعب من بطش أبي العباس السفاح

العباسي فالتحق بالأندلس. وورد عمير بن مصعب من الأندلس على مدينة فاس في عهد الإمام إدريس الأزهر مع من ورد عليها من الأزد، فاستوزره في الحجابة لما لمس فيه من صواب الرأي، وزوجه ابنته عاتكة، وعندما بنى مدينة فاس أنزله بالعين المعروفة بعين عمير خارج باب فتوح فسكنها هو وقومه. وهو جد أسرة بني الملجوم التي اشتهرت بمدينة فاس في مجال العلم، فكان منها عدد من العلماء والقضاة المشهورين خاصة في العصرين المرابطي والموحدي مثل عيسى وعبد الرحيم وأبي القاسم عبد الرحمن.

الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 216 ؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1392 / 1972، ص. 10 ـ 15 ؛ الناصري، *الاستقصا*، طبعة وزارة الثقافة، 2 : 31.

محمد المغراوي

**الملجوم** (ابن)، **يوسف** بن **عيسى** بن علي بن يوسف ابن الملجوم الأزدي. كان رأسا في الحديث والأدب والشورى والفتوى، وهو الذي استفتاه الأمير يوسف بن تاشفين اللمتوني لما أراد الجواز إلى الأندلس برسم الجهاد، فأفتاه بذلك سنة 462 / 1069. ولي قضاء عدوة القرويين من فاس في أيام مغراوة، وكان بفاس قاضي العدوة يجلس بمحل قرب جامع الأندلس، لازال معروفا إلى الآن، وقاضي خاص بعدوة القرويين يجلس بمحل قرب جامع القرويين هو المعروف بها إلى أن نقل إلى قرب باب الحديد.

ولما تولى الأمير يوسف بن تاشفين، صرف صاحب الترجمة عن القضاء بفاس، وولاه قضاء مكناسة الزيتون، ثم قضاء الجماعة بمراكش وذلك سنة 474 / 1081.

توفي في 492 الموافق 1098.

ابن الآبار، *التكملة*، 2 : 740 ؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، 14 ، مخطوط ضمن مجموع خ، ع رقم 2152 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 2 : 549 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، بيروت، 1987 ـ 161 ؛ العباس بن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1983، 10 : 298.

عبد العزيز تيلاني

**الملحون**، لفظ أطلقه المغاربة على نوع من أنواع الزجل الشعبي المنظوم باللهجة المغربية العامية. ويتمثل من خلال منظومات يطلق عليها القصائد والسرابات، تقوم على أربعة بحور عروضية أساسية تعارف عليها أشياخ هذا الفن منذ أن بدأ في استكمال مقوماته العروضية والموضوعية في القرن العاشر، وهي : لمبيت، ومكسور الجناح، ولمشتب، والسوسي وما يتفرع من هذه البحور من مرمات وقياسات.

ويرجع الدارسون ظهور البواكير الأولى من الشعر الملحون بالمغرب إلى العهد الموحدي، وذلك من خلال بعض ما نظمه شعراء مغاربة كابن غرلة، وعبد المومن الموحدي، وأخته رميلة، وابن خبازة، وابن حسون، وكآخرين من العهد المريني كالكفيف الزرهوني، ومولاي الشاد، وعبد الله بن احساين.

وإذا كان الشيخ أحمد سهوم يعتبر ما نظمه ابن حساين خارجا عن قواعد العروض، وأنه مجرد كلام غير موزون وغير مقفى، وإن يكن بليغا وعليه مسحة من جمال الشعر، فإن الدكتور الجراري قد تلمس في أشعاره إبداعا وأسبقيات ستصبح فيما بعد من تقاليد نظم الملحون، ومنها : البحر المثنى، والبحر الثلاثي، والبدء بالبسملة، وإهداء السلام والصلاة والدعاء، وذكر تاريخ نظم القصيدة، وهذه ابتداعات أخذ بها تلامذته، وأهلته ليلقب بأبي الشعر.

لقد جاءت الابتداعات المستجدة في مجالات الأوزان والبحور والأغراض على العهد السعدي مع المغراوي والمصمودي، ثم بعد ذلك على العهد العلوي لتشهد على ما بلغه الملحون من نهضة سوف تدرك ذروتها وشيكا على عهد السلطان محمد الثالث مع فطاحل هذا الفن أمثال الجيلالي امثيرد، ثم فيما تلا ذلك من عهود مع محمد بن علي العمراني ولد أرزين، وتلميذه محمد بن سليمان، وسيدي عبد القادر العلمي، والتهامي المدغري وغير هؤلاء.

أما أغراض الشعر الملحون فهي متعددة، وقد حصرها أحمد سهوم في عشرة هي : التوسلات الإلهية والأمداح النبوية، والوصايا الدينية والاجتماعية، والربيعيات، والعشاقي، والترجمة، ولعراض، والهجاء والرثاء.

وقد اختلف الدارسون حول مفهوم كلمة "الملحون" يرى الأستاذ محمد الفاسي أن التسمية مشتقة من اللحن بمعنى الغناء، كما يرى أنها مشتقة من التلحين بمعنى التنغيم، ويستدل على ذلك بأن الأصل في الملحون أن ينظم ليتغنى به قبل كل شيء.

أما الدكتور عباس الجراري فيذهب إلى أن التسمية مشتقة من اللحن بمعنى الخطأ اللغوي، وهو يعلل رأيه بأمور منها أن اتخاذ الملحون للغناء تم في مرحلة تالية لفترة ظهوره الأولى. وبين هذين الرأيين حاول الشيخ أحمد سهوم أن يتخذ لنفسه موقعا متميزاً فذكر ـ في معارضته لرأي الدكتور الجراري ـ أن الخطأ اللغوي هو الناتج عن خطإ في القراءة ولو كان المقروء نصا فصيحا، فذلك هو اللحن. أما الشعر الملحون فلغة الخطاب فيه هي الدارجة المغربية، وتلك طبيعتها. وهذه الدارجة، وإن كانت ابنة الفصحى، فهي قد تحررت من سائر قيود النحو، وأصبحت لا يحكمها إلا "المنطق" ومن ثم لا يستساغ اعتبار آدابها مغلوطة.

وأما بخصوص رده على رأي المرحوم محمد الفاسي فهو يستشهد بأبيات وردت في قصيدة لابن احساين، وهي تشير إلى جانب البلاغة والبيان، ولا تشير أبدا إلى الألحان الموسيقية، ومن ثم فالملحون ـ عنده ـ هو القول البليغ الواصل المقنع.

والواقع أن جل أسماء الملحون الأخرى تعكس مفاهيم لغوية أو فكرية لا صلة لها بالجانب النغمي الموسيقي، وهي : العلم الموهوب، والسجية، والنظام، والكلام، والشعر، ولقريض، والأوزان، واللغا، والعلم الرقيق، ولگريحة.

وقد ارتبط الشعر الملحون بالموسيقى والغناء في فترة يعتقد الدكتور الجراري أنها تعود إلى قرابة بداية القرن العاشر مستدلا على ذلك بكون الزجل المغربي أصبح يخضع لنظام معين في الوزن والقافية ـ وهما حجرا الأساس لتلحين أي كلام ـ في هذه الفقرة.

وقد واكب التطور الحاصل في بنية القصيدة توجه نحو دعم أسباب تعامل الملحون مع الأنماط الموسيقية المغربية والاستفادة من معطياتها، وساعد ابتكار الحربة والسرابات والنواعير على تشكيل البنية اللحنية للقصيدة.

وهكذا استمد الملحون من الفنون الغنائية الشعبية بعض الآلات كالدف والتعريجة، والهندقة، والفرخ، إضافة إلى بعض أنساقها اللحنية وتركيباتها الإيقاعية مثلما استمد من الموسيقى الأندلسية بعض طبوعها النغمية.

عباس الجراري، *القصيدة*، ص. 36 ـ 56 ـ 562 ـ 567 ؛ أ. سهوم، الإذاعة والتلفزة المغربية، ع 12، س 2 يوليوز، غشت، 1966 ؛ الملحون المغربي، نش. *صحيفة الجماعات المحلية بالمغرب والبلديات العربية والدولية، ط 1، 1993*، ص. *67 ـ 230 ـ 231* ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، *طرب الملحون المغربي*، مج. *التراث الشعبي*، ع 10، ص 11، 1980، بغداد، ص. 106 ـ 107 ؛ م. الفاسي، الأدب الشعبي المغربي الملحون، *البحث العلمي، ع 1، س 1، يناير ـ أبريل، 1964*، ص. *43* ؛ نظرة عن الأدب الشعبي بالمغرب، مج. *البينة، س 1، ع 4، 1962* ؛ *معلمة الملحون*، ق 1، ج 1، المغربية، الرباط، أبريل، 1986، ص. 100 ـ 101.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الـملحية** (التربة –) تُغطي التربة الملحية مساحات متفرقة ومحددة من المجال المغربي. يدعوها السكان ببعض الأرياف "امْلاَلاَحَة" كما هو الحال ببلاد السراغنة ـ البحيرة. ويقصدون بهذا المصطلح التربة الملحية والأرض المالحة معاً. في حين يسميها البعض "امْلاَلاَحْ" بالحوز الغربي. ويطلق عليها سكان ضواحي ورزازات اسم "ماريغا" أو "الدَّرْبَاز". كما يدعوها السكان بالجنوب تربة "فَشْ ـ فَشْ" لأنه عندما يمشي فوقها يسمع لها صوت، وهو صوت القشرة الملحية التي تتكسر.

والتربة الملحية من الناحية الترابية هي نوع من التربة التي يسيطر على كميائها إيون الصوديوم الذي توفره ظروف بيئية تعتبر العوامل الأساسية المتحكمة في تكونها وتطورها، وهي ظروف من نوعين : ظروف محلية تعمل على توفير الأملاح (كلورور الصوديوم وسولفات الصوديوم)، وأخرى مناخية تعمل على المحافظة عليها داخل القطاع الترابي. وتتمثل العوامل المحطية المحلية في الطبغرافيا، الركيزة الجيولوجية وفي وجود سديمة مغذية مالحة، هي التي توفر الأملاح خاصة ملح الصوديوم.

فالمغرب يتوفر على قواعد جيولوجية غنية بالأملاح نجدها تغطي مجالات لابأس بها من البلاد، وتنتمي لأزمنة مختلفة من الزمن الأول حتى الرباعي. وتتمثل أساساً في البرموترياس، في المركب الطيني ـ البازلتي الإبخاري الترياس الذي نجده منتشراً في كل البلاد الأطلسية والغني بالأملاح (جبس، هاليت أو ملح الطعام)، وفي التكوينات الهورية قرب قارية بكل من الجوراسي والكريطاسي والثلاثي. وهكذا فإن المياه العابرة لهذه الركائز تذيب الأملاح ويحركها جانبيا نحو المناطق المنخفضة المجاورة سطحيا أو باطنيا.

وبذلك لعبت الطبغرافيا دوراً مهماً في تكوين هذه الأتربة. إذ نجدها بالمجالات المنخفضة من التضاريس السهلية كما هو الحال بسافلة سهل الحوز على طول وادي تانسيفت، أو نجدها بالسهول داخلية التصريف كسهلي تافيلالت والبحيرة (ضواحي سد المسجون) كما نجدها بالمنخفضات الطيجبلية المفرعة في الترياس كمنخفض مَاريغَا بوادي نفيس. نجدها كذلك فوق بعض الدرجات النهرية كما هو الحال على طول وادي غمات وسافلة وادي الزات بالحوز الأوسط. وتوجد التربة الملحية كذلك بالسهول الساحلية الغرينية كالعرب وملوية السفلى (سهل بوعرگ). كما تُوجد بالأخوار النهرية والأهوار. في هذه الظروف الطبغرافية يتم تراكم الأملاح المحركة وتكوين التربة المالحة.

كما يرتبط تكوين التربة الملحية بوجود سديمة مغذية مالحة وقليلة العمق نتيجة غسل الأملاح إثر تفسخ الصخور الملحية أو الصودية وتحريكها جانبيا، مما يؤدي إلى تمليح مياه السديمة بالمناطق المنخفضة الغرينية المكونة من مواد طينية ـ طميية قليلة النفاذية كما هو الحال بالمجالات السابقة الذكر.

وللمناخ دور في تكوين التربة الملحية بهذه المجالات حيث يسود بها مناخ جاف كسهلي الحوز والسراغنة ـ البحيرة، أو شبه جاف كحوض ملوية السفلى، أو شبه صحراوي كسهل تافيلالت، أو صحراوي بالصحراء المغربية. بهذه المناطق يتفوق التبخر على الأمطار، مما يؤدي إلى تراكم الأملاح بالتربة إثر تبخر المياه السطحية أو صعود الأملاح بفعل التبخر من السديمة المملحة، الشيء الذي يجدد مخزون التربة من الملح. وهكذا باستثناء المناطق الساحلية، فإن التربة الملحية هي تربة المناطق المناخية الجافة ونصف الجافة وشبه الصحراوية والصحراوية. وبذلك فهي تربة طينطاقية.

وتتميز التربة الملحية بوجود نباتات إلفملحية من نوع السَّرْمقيات. أهم النباتات نوع من النبات يدعى محليا "القطف" Aroplex halimus والطرفاء Tamarix galica. وفي الغالب لا يوجد نبات في حالة ضغط تناضحي مهم بالتربة أو نظراً لتأثير الأملاح.

لكن التربة المدعوة "املاَلاَحة" أو "املالاح" أو "ماريغا" أو "الدرباز" ليست سوى أسماء تطلق على كل أنواع التربة التي تظهر تراكمات ملحية ومياهاً مالحة. وفي الواقع فإن التربة الملحية من الناحية العلمية الترابية متنوعة حسب

الحالة التي يوجد عليها أيون الصوديوم في التربة التي لها علاقة وثيقة به. ويوجد أيون الصوديوم في التربة على حالتين : الحالة الملحية الذؤوبة والحالة الأيونية المستبدلة، وأحياناً يوجد على الحالتين معاً. ونظراً لاختلاف حالة إيون الصوديوم، فإن التربة المالحة تنقسم إلى مجموعتين رئيسيتين هما :

الأتربة الملحة، حيث يكون إيون الصوديوم على حالته الملحية الذؤوبة، أي على شكل أملاح صودية محايدة بمحلول التربة (NaCl وNa2 So4)، لكن نسبته (Na/CEC أو Na/T) لا تتعدى 15٪ من قدرة التبادل الكاتيوني الإجمالي .Ph) Duchaufour 84) ، أي من مجموع الكاتيونات المستبدلة. نسبة الهدروجين (ن هـ Ph) لا تتعدى 8,5. القطاع الترابي غير متمايز، وهو من نوع أج أوْ (A G) في حالة السلفتة - التحويلية (Sulfato-réductim) (Ph. Duchaufour 84) أو الأكسدة - التحويلية.

المسكة - أ - : دبالية بها كدسات ملحية، بنية جلطية، لكن بتصاعد أملاح الصوديوم التي بتبلورها وتراكمها على السطح عل شكل تزهرات خلال الفصل الجاف ارتباطاً بارتفاع نسبة التبخر تتحطم البنية جزئيا تتراكم الأملاح على السطح مكونة خفوفا ملحية بيضاء (سباخ أبيض Sol salim blanc). ويتحطم البنية يصبح الجزء العلوي من المسكة عبارة عن غبار مكون من حبيبات شبيهة بالرمل كما هو حال بالسبخات أو بسطوح هذه الأتربة بالسطوح السهلية كما نجد ذلك بضواحي مدينة قلعة السراغنة. ويقال بأن الصوديوم يحرث التربة.

المسكة ج : عادة تكون غنية بالمواد الطينية أو الطميية التي تتراكم في مجالات وجود هذه الأتربة. وحسب .Ph Duchaufour يمكن تقسيم هذه الأتربة إلى :

- أتربة ملحية ذات مركب كالسي : نجدها بالمناطق السهوبية شبه الجافة وشبه الصحراوية ارتباطاً بوجود سديمة مالحة غير عميقة تضم إلى جانب الصوديوم كمية مهمة من الكالسيوم والمغنيزيوم ونادراً البوطاسيوم. بنيتها مستقرة.

- أتربة ملحية ذات مركب صودي وملوحة مهمة : نجدها خاصة بالأهوار القريبة من الساحل. نسبة الصوديوم تتعدى 15٪ ويوجد في حالته المستبدلة، لكن لا يتعدى دائماً 8,5. ونظراً لسيطرة الصوديوم المستبدل، فإن هذا النوع يتطور إلى تربة قاعدية بفعل التقلية كما نجد ذلك بالحوز خاصة بسافلة الوديان المنحدرة من الأطلس المراكشي كوادي نفيس، وعلى طول وادي تانسيفت.

- الأتربة الملحة، رديئة التصريف والغنية بالسولفات، فإن السلفتة - التحويلية ترجع التربة قاعدية، بحيث يعطي اختزال السولفات قواعد (الصودا وهيدروكيسد الكالسيوم). كما أن تعرض الأتربة الملحية للميهة يجعلها رغابية أو شبه رغابية، حيث نجد العديد من البقع والتعقدات الحديدية نتيجة الأكسدة - التحويلية كما نجد ذلك بمقرن وادي الزات وأغمات بالحوز الأوسط.

- الأتربة القاعدية، حيث يكون الصوديوم بالتربة على حالته المستبدلة ويمثل أكثر من 15٪ من قدرة التبادل الكاتيوني الإجمالي، وبالتالي يكون المركب الدبقي (الطيني - الدبالي) مشبعاً به. وتسمى هذه الظاهرة بالتقلية، وترتبط بوجود كاربونات الصوديوم. ومن نتائج هذه التقلية إيجاد أتربة متنوعة :

- أتربة قاعدية غير مصولة : Sol salin noir (سباخ أسود) أو Sol à alcalis أو Solontchak - Solonetz قطاعها متمايز (أ ب ج).

- أتربة قاعدية مصولة : Solonetz يتعرض فيها الطين الصودي للتميؤ والتصويل (النزوح)، مما يؤدي إلى تكوين قطاع ترابي متمايز من نوع (أ1، أ2. ب ن ، ج ك) : أ 1 مسكة دبالية، أ2 : مسكة مصولة، ب ن : مسكة تراكم الملح، ج ك : مسكة كلسية.

- أتربة مالحة قاعدية مُرَمَّدة متدهورة : Soloth أو Solod ، وهي ناتجة عن تدهور الأتربة السابقة بفعل التصويل (الترميد) الذي يهم مجموع الطين والكاتيونات. قطاعها متمايز (أ0، أ1. أ2. ب ن. ج ك).

بكل هذه الأنواع تتعدى نسبة الهيدروجين (ن هـ) 8,5 إذ يمكن أن تصل حتى 10 ، ماعدا بالنوع الثالث حيث تنخفض بمسكات أ1 (5 )، وتكون محايدة بالجزء العلوي من مسكة ب ن (7 ) ، في حين ترتفع بالجزء السفلي (8) وبمسكة ج ك (9).

وهكذا نلاحظ أن وفرة الصوديوم تلعب دوراً أساسياً في إعطاء التربة مميزات خاصة تبعاً للحالة التي يوجد عليها. وتلعب الظروف البيئية دوراً حاسماً في تطور هذه الأتربة إذ تعمل على تمليح وتصويد وتقلية المركب الدبقي أو المركب الماص. والنتيجة هي تبعثر الطين وتحطيم المركب الدبقي وبالتالي بنية التربة.

وهكذا يعاني هذا النوع من التربة من مشكلين هما الملوحة والتقلية. الملوحة مرتفعة (ما بين 7 و22 cm/mmhos) كما هو الحال على طول وادي أغمات وبمقرن وادي الزات بأغمات بالحوز الأوسط. أما التقلية فهي جد متغيرة مثلاً بالحوز الأوسط. تعد منطقة المقرن بين وادي أغمات ووادي الزات أكثر تقلية من أي مكان آخر. كماتعرف سافلة نفيس وهوامش واد تانسيفت تقلية شبه معممة. وبصفة عامة تظهر الأتربة المالحة خصائص الأتربة المناخية التي تميز نطاقات تواجدها ، لكن تتميز عنها فقط بنسبة ملوحة مرتفعة وبتقلية كثيرة المصادفة، وأحيانا بميهة ملحوظة. لذا كل استعمال لهذه الأتربة يجب أن يأخذ بعين الاعتبار هذه الخاصيات.

وقد تمكن السكان بمنطقة تافيلالت، من إيجاد نوع من التوازن إذ كانوا يستعملون بالتناوب مياه السديمة المالحة ومياه امتطاحات وادي زيز قبل بناء السد والتي تعمل على التخفيف من الملوحة، لكن تستعمل مؤخراً مياه السديمة التي تتراوح ملوحتها ما بين 2 - 15 غ / ل، مما يؤدي إلى تراكم

الأملاح بالتربة والذي يمكن أن يتخذ أبعاداً خطيرة كما هو الحال بسافلة تافيلالت، حيث كمية الملح المتراكم بالتربة تقدر بـ 50.000 ط / السنة. أما بالحوز فالسبب الرئيسي للتقلية هو الري الطويل للتربة ورداءة التصريف، بحيث تنقل مياه الري الأملاح التي تتركز بالمسكات العليا من التربة بفعل الصعود الشعري ارتباطاً بالتبخر القوي في إطار المناخ الجاف الذي يميز السهل.

Ph. Duchaufour, *L'évolution des sols du monde*, Paris, 1979 ; *Pédologie et classification*, 2ème édition, Paris, 1983 ; *Pédologie*, Abregés, Masson, Paris, 1984 ; P. Pascon, Le Haouz de Marrakech, tome 1, Rabat, 1983 ; J. Lozet et Cl. Mathieu, *Dictionnaire des sciences du sol*, Paris, 1990 ; *A.N.AF.D., Hommes, terre et eaux, n° 6, 1er trimestre 1973* ; *ORMVAH*, Rapport sur la cartographie détaillée des sols au 1/5000, Hauz central, Casablanca, 1979.

أحمد زروال

**الملزوزي، عبد العزيز بن عبد الرحمن**، كنيته أبو فارس، ويعرف بعزوز الملزوزي نسبة إلى قبيلته الزناتية ملزوزة، وهو من أهل مكناس، لا نعرف شيئاً عن نشأته ودراسته وشيوخه، وإنما تحدثت عنه المصادر باعتباره "شاعراً فحلاً يساير ركاب مؤسسي الدولة المرينية، ويشاهد انهيار الدولة الموحدية وخمود أنفاسها"، خدم الملوك المرينيين، ومدحهم، ونال الحظوة عندهم، ترجم له ابن الخطيب في *الإحاطة*، فقال : "كان شاعراً مكثراً سيال القريحة، منحط الطبقة، متجنداً، عظيم الكفاية والجرأة، جسوراً على الأمراء، علق بخدمة الملوك من آل عبد الحق وأبنائهم، ووقف أشعاره عليهم، وأكثر النظم في وقائعهم وحروبهم، وخلط المعرب باللسان الزناتي في مخاطباتهم، فعرف بهم، ونال عريضا من دنياهم، وجما من تقريبهم"، لازم السلطان أبا يوسف يعقوب المنصور المريني وخصه بأمداحه ووصف حروب بني مرين للإسبان وجهادهم لنصرة الإسلام في بلاد الأندلس، كما وصف حروب أبي يوسف ليغمارسن بن زيان صاحب تلمسان، مشيداً بانتصار يعقوب المنصور وشجاعته ومكانته، ومن شعره في ذلك :

أرى كل جبار بسيفك يصغر وكل مليك عن فعالك يقصر
وكل عزيز خاضعا متواضعا وكل يمان عن يمينك يمطـر

ومن مطولاته في مدح بني مرين قصيدته البائية التي ذكر فيها سيرة السلطان وغزواته ومعاركه ضد الإسبان وامتدح فيها قبائل بني مرين وفضائلهم، وهي تقع في مائتين وخمسين بيتا كما أشار إلى ذلك عبد الله كنون، لكنه لم يورد غير مائة وأربعة وأربعين بيتا. وهي في مائتين وثلاثين بيتا كما ذكر صاحب الأنيس المطرب، مطلعها :

بحمد الله أفتتح الخطابا وأبدأ في النظام به الكتابا
لعل الله يبلغني الأماني ويفتح بالسرور علي بـابـا

وعنها نال الشاعر مكافأة قدرها ألف دينار وكسوة ومركوبا.

ومن أعماله الشعرية أرجوزته الشهيرة *"نظم السلوك في ذكر الأنبياء والخلفاء والملوك"*، أهداها إلى السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 684، وتقع في 1325 بيتا من بحر الرجز، موضوعها ذكر الأنبياء والخلفاء والملوك منذ آدم إلى الفتح الإسلامي للمغرب، ومن تعاقب عليه من الدول ليقف عند تاريخ المرينيين وسيرة يعقوب المنصور وأعماله وفتوحاته، وعنها يقول عبد الله كنون : "يظهر أنها أرجوزة نفيسة للغاية، وفضلاً عن دلالتها على قوة ملكة النظم عند صاحبها فإنها تدل على ثقافته التاريخية الواسعة مما يزيد في قدرنا للرجل واعتباره من رجال العلم والأدب معا". وقد اعتنى بنشر هذه الأرجوزة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور، وصدرت ضمن مطبوعات القصر الملكي سنة 1963.

يقول كنون عن شعر الملزوزي : "أما قصائده في مدح أمير المسلمين يعقوب المنصور فهي الطوال الجياد التي تنم عن تدفق خاطره وتوقد ذهنه، وتدل بالخصوص على تحمسه لبني عمه والإشادة بذكرهم ونظره إلى حركتهم بأنها حركة دينية صرف". ومع الأسف فما بين أيدينا من أشعاره قليل بالنظر إلى ما وصف به باعتباره : "شاعر العرش المريني"، وما استطعنا الحصول عليه مجموعه ثلاثمائة واثنا عشر بيتا، أغلبها في المديح، إضافة إلى أرجوزته *"نظم السلوك"*.

وتشير المصادر إلى أن الملزوزي لم يكن شاعراً فقط، وإنما كان "يتولى النظر في أمور الحسبة ببلاد المغرب أي أنه كان رئيس هذه الخطة الشرعية والمرجوع إليه فيها بجميع نواحي المملكة".

كانت وفاته خنقاً بسجن فاس لسعاية به سنة 697.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، ص. 300. 364. 365 ؛ *الذخيرة السنية*، ص. 50. 126. 147 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. محمد عبد الله عنان ج 4 : 20 ؛ عبد الله كنون، *النبوغ المغربي*، ج 1 : 226، ج 3 : 23. 56 ؛ عبد الحق المريني، *الأدب المغربي*، ج 1 : 363، ج 2 : 189 ، عبد السلام شقور، *الشعر المغربي في العصر المريني*، ص. 179. 182. 183 ؛ ابن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، ج 8 : 403 ؛ الزركلي، *الأعلام*، ط 7، ج 4، ص. 19 ؛ محمد ابن تاويت، *الوافي بالأدب العربي في المغرب*، ج 2 : 365.

نجاة المريني

**الملف** ، في الاصطلاح الدارج المغربي تحريف للفظة "أملفي" الإيطالية، وهو يدل على قماش رفيع منسوج من أحسن أنواع الصوف الملبد الرقيق المنتقى أو من قطن دقيق ينتسب في أصله وتسميته إلى مدينة أملفي الإيطالية (Amalfi).

ففي هذه المدينة الواقعة على الساحل الجنوبي الغربي لبحر الأدرياتيك ازدهرت تجارة منسوجات القطن والصوف والحرير الوافدة على الموانئ الإيطالية من بلدان الشرق والشرق الأقصى، في إطار التبادل التجاري الذي كان قائما بين هذه المناطق وبلدان الحوض الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط. وقد ساهمت هذه التجارة في إثراء العديد من العائلات الإيطالية التجارية التي أسست في عهد

المانفاكتورات ضمن ما أسسته طرازات يدوية للغزل والنسج لتحويل المواد الأولية الواردة عليها إلى منسوجات جاهزة قابلة للتداول في مختلف مجالات اللباس.

وابتداء من نهاية القرن 18 ، وخاصة مع ازدهار وتوسع صناعة النسيج بسبب الثورة الصناعية واستعمال الآلات الميكانيكية في بلدان أوربا لاسيما في إنجلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا، ترسخت صناعة النسيج في هذه المدينة التي تخصصت في إنتاج منسوجات رفيعة عرفت في سائر الأقطار باسمها. وكان إنتاج هذه المنسوجات يهيأ على طراز دقيق خاص به إلى حد أن غير المتخصص يكاد لا يفرق في نسجه بين خيوط سداه ولحمته من شدة تراص خيوطه والتحامها. كما يوجد طراز آخر تنسج عليه أقمشة من نفس النوع لكنها أقل منه جودة ودقة وكلفة وأقل إتقانا وحبكة في العمل يدعى "المليفة".

ولما فتحت المعاهدات الدولية المغرب للتبادل التجاري مع البلدان الأوربية ابتداء من 1856 أصحبت منسوجات البلدان الصناعية، ومنها منسوجات أملفي الإيطالية تزاحم منسوجات السوسدي والمحربل وبوحبة المغربية، بل وتنافس حتى خرقة البزيوي التي كانت رفيعة الجودة بدورها لكن ارتفاع كلفتها كان يعرقل قدرة السواد الأعظم من المغاربة على اقتنائها، فكان ومازال تداولها إلى اليوم لا يتعدى نطاق الفئات المترفة.

ويصنف "الملف" عند المهنيين وخبراء تجار الأقمشة ضمن المنسوجات والأثواب الدقيقة الجيدة التي كانت ومازالت تتخذ منها الملابس الدافئة الأنيقة الرفيعة. ويحتل الاختيار الأول من قماش الملف المرتبة الثانية بعد منسوج "الكمخة" الأصيل ذي الجذور الفارسية والمعروف بأنه قماش كله من منسوج الحرير أو الحرير الممزوج بالقطن، والذي يتميز بتخلل أرضيته لرسومات من أغصان الشجر والزهور والورود. ولم يكن يتفوق على الكمخة الأصيلة في الجودة غير الديباج، وهو قماش من الحرير الممزوج بخيوط الذهب أو الفضة (كان نوع منه ينسج لفائدة القصور السلطانية والأعيان والمرتبطين بدوائر المخزن في المغرب على يد آل ابن الشريف بمدينة فاس حيث كان يسمي باسمهم لكن نوعه الرفيع توقف، وإن استمر حفدة ابن الشريف ينتجون منه إلى يومنا هذا أنواعا متوسطة الجودة).

وقد كان ملف الطليان يستحوذ على أذواق السواد الأعظم من السكان الحضريين المغاربة. لذلك اكتسحت تجارته أرجاء البلاد وتربع الملف عن جدارة واستحقاق على رفوف متاجر قيساريات كبريات الحواضر، على الرغم من أن "ملف النجليز" و"ملف البروس" و"ملف الفرنسيس" و"ملف الكسكسو البلجيكي" كان ينافسه ويحاول اكتساب المزيد من الزبناء، حسبما تشهد بذلك وثائق الصادرات والواردات وكنانيش وسجلات المراسي المغربية (*كناش الخزانة الحسنية* رقم 664).

وكان المغاربة الحضريون يتخذون من الملف القفاطين الفارهة والسلاهيم الرفيعة التي لم يكن يرتديها منهم سوى علية القوم من رجال المخزن والأعيان والفقهاء والقضاة وكبار العلماء. وكانت الألوان المطلوبة منه متنوعة وخاصة الألوان البيضاء، لكن الأحمر والألوان الفاقعة كانت في جميع الألوان غير مرغوب فيها. ومن ألوانه السائدة التداول نذكر الأزرق الداكن المسمى "ملف البحر الكبير" والأبيض الناصع البياض المعروف عند العامة والخاصة بـ "الملف السكري" أو "ملف الثليجة"، ثم هناك "الملف السماوي" و"الخزي" و"الزيتي" و"الزبيبي".

ولما تسلم عامل سوس حميدة بن علي الشركي سنة 1866 نصيبه من الكسوة المخزنية التي أنعم بها عليه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، بادر إلى إخبار ابنه مولاي الحسن، الذي كان خليفة لوالده على الجنوب قبل أن يصبح سلطانا، بأن واجبه مما توصل به من الكسوة السعيدة كان عبارة عن "قفطان عجمي وسلهام ملف سكري وفرجية وتشامير وسروال وعمامة" (*مخطوط الخزانة الحسنية* رقم 44). كما جرت العادة أن توزع داخل القصور السلطانية على الخدم والجواري والعبيد كسوتان سنوياً واحدة في الصيف والثانية في الشتاء. وفي هذا السياق توصلت أمة من إماء "الدار السعيدة بثمانية مناصر (جمع منصورية) مرزاية وقفطانين من الملف وقفطانين من الشيت وكرزية (حزام) صغيرة من الملف".


مصطفى بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 1، الرباط، 1984 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، ج 1، الرباط، 1961 ؛ محمد الكتاني، *رفع الألباس وكشف الضر والباس*، مخطوط ؛ ع. العزيز العلوي، صناعة النسيج في المغرب الوسيط، مجلة كلية الآداب، فاس، ع 2، 1985 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، الرباط، 1974 ؛ أحمد الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، مخطوط، تطوان، رقم 676.

Albert Navarre, *Un voyage au Maroc*, Paris, 1913 ; Mohamed Fouad Ammour, *Les modalités d'insertion du Maroc dans la division internationale du travail*, D.E.S. en Sc. Eco., Fac des Sciences Juridiques, Economiques et Sociales, Rabat 1983-1984 ; *Ditionnaire Encyclopédique Alpha*, t. 1, p. 205 ; Maurice Lombard, *Les textiles dans le monde musulman (VII°-XII° s)*, Paris, 1978 ; Louis Massignon, Enquête sur les corporations d'artisans et de commerçants au Maroc, in *Revue du Monde Musulman, vol. 58, 1924* ; Jean Louis Miège, Coton et cotonnades au Maroc au XIX° s, in *B.E.P.M., n° 230, 1955* ; Prosper Ricard, Une lignée d'artisans, Les Ben Chérif de Fès, in *Hespéris, t. 37, 1950.*


محمد بوسلام

**ملقارن** أو ملقرت (مذبح ومعبد) يعني اسمه في الفينيقية ملك المدينة، وهو المعبود الرئيسي لمدينة صور. لقّب بسيد صور في نقيشتين عثر عليهما في جزيرة مالطة. وروى هيرودوت نقلا عن كهنة هذا المعبود أن معبده أسس زمن تأسيس مدينة صور. وكتب فلافيوس يوسف أن حيرام ملك صور أقام لأول مرة احتفال انبعاث هذا المعبود في القرن العاشر قبل الميلاد. كما أدخلت ابنة إتوبعل ملك صور

عبادته إلى إسرائيل بعد زواجها من أخاب ملك السامرة في القرن التاسع قبل الميلاد. وظهر هذا المعبود لأول مرة في القرن التاسع قبل الميلاد في نقيشه آرامية أهداها له برهدد ملك دمشق حيث لقب برب الخصب وحامي المدينة في معاهدة أسرحدون وبعل ملك صور. ولقد قدمت افتراضات كثيرة لمعرفة طبيعةهذا المعبود وصفاته فهو رب البحر كما يرى فنطر، ورب الشمس كما يرى ألبرايت، ورب النباتات كما يرى فون بوراسين.

وانتشرت عبادته في البحر الأبيض المتوسط نتيجة للتوسع التجاري الفينيقي فنجده في مواقع ليكسوس وقرطاج وقادس. ويقابل الرب ملقارت الرب الإغريقي هرقل، ولذلك نجده في معاهدة هنيبعل مع فيلب ملك مقدونيا المعروفة بقسم هنيبعل، يذكر تحت اسم هرقل. وكانت قرطاج ترسل في بداية عهدها، عشر مداخيلها إلى ملقارت صور، حسب روايات المؤرخين الإغريق والرومان.

أورد تيسو أنه عثر في أعلى ربوة رگادة على بقايا أسس لمبنى قديم مستطيل الشكل ضاعت إحدى جوانبه، وبلغ طول الجوانب الثلاثة المتبقية 19,80 م وسمكها متراً واحداً. وكانت أسس المبنى لا تتجاوز مستوى سطح الأرض إذ تم تشييدها بثلاثة صفوف من حجارة كبيرة غير [مهندمة] منحوتة (Moellons) مربعة بشكل خشن. وقد لاحظ تيسو أن الطريقة المعتمدة في البناء توجد في معظم البنايات القديمة التي عاينها بالمغرب، والتي لا ترتبط بالعصر الروماني ولا بالعهود اللاحقة، موحيا بذلك أن بقايا المبنى تعود إلى المذبح المفترض الذي تحدث عنه بلينوس الشيخ. وهو الرأي الذي أخذ به موريس بيسيني Besnier والذي يعتقد أن مذبح الرب ملقارن كان يقع خارج المدينة وهذا ما يدعم قول بلينوس أن المذبح كان يوجد خارج مدينة ليكسوس عكس ما يفترضه بونسيك الذي يرى أن هذا المذبح يوجد داخل ليكسوس نفسها.

ويشير بلينوس في الفقرة 630 من كتابه 19 أنه بالإضافة إلى المذبح يوجد معبدلهرقل، ويقصد به ملقارن، بالقرب من ليكسوس وأنه كان أقدم من معبد قادس. فهل هذا المعبد هو نفسه المذبح السابق الذكر أو أن الأمر يتعلق بشيئين مختلفين " ؟ والجدير بالذكر هنا أن الفينيقيين كانوا قبل تأسيس مراكزهم التجارية الثابتة يشيدون فقط مذابح لتأدية طقوسهم الدينية وتقديم قرابينهم للرب ملقارن كما يذكر سطرابون. وهذا قد يعني أن مكان تشييد المذبح في البداية هو الذي أصبح مكان بناء المعبد للرب القومي لصور فيما بعد.

ويمكن أن نستخلص من كل هذا أن تشييد المعبد أو المذبح يكون سابقا أو مصادفاً لبناء المركز التجاري الذي يرغب الفينيقيون في إنشائه. وأن ما أورده بلينوس يعتبر لاريب، إشارة واضحة لمسألة تأسيس ليكسوس كأقدم مستوطنة على الساحل الأطلسي للمغرب.


مصطفى أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، دكتوراه الدولة، كلية الآداب، فاس، يولي برگوفتش تسركين الحضارة الفينيقية، 1988 ؛ أحمد الفرجاوي، *بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة*، المعهد الوطني للتراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 1993.

Arrien, *Arab. II*, 25 - 5 ; Justin, XVIII, 7 - 7 ; Quinte - Curse, V, 2, 10 ; Hérodote, II, 43 - 44 ; Flavius Joseph, *Ant. Jud. VII, 53* ; *Cont. Apion, I, 18* ; E. Lipinski, La fête de l'ensevelissement et de la resurrection de Melquart, dans *Actes de la XVIIème rencontre assyrologique internationale, Ham-sur-heure, 1970, p. 30-58* ; R. de Vaux, Les prophètes de Balel sur le mont Carmel, dans *BMB, 5, (1941) p. 7 - 20* ; M.H. Fantar, Le dieu de la mer chez les phéniciens et les puniques, *Rome, 1977, p. 10 - 109* ; W.F. Albright, A votive stele erected by Ben Hadad I of Dumascus to the God Melcarth dans *BASOR, 87 (1949)* ; Von Baudassin W., *Adonis Und Esmun*, Leipzig, 1911 ; Fantar, *Carthage, Approche*, 2 volumes ; D. Herden, *The phoenicians*, Penguin Books, 1980.


مصطفى أعشي

**الملكية العقارية**، تعبر أشكال الملكية العقارية عن العلاقات (الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية) التي يتأسس عليها مجتمع ما. ومن ثم، فهي تختلف باختلاف هذه العلاقات، وتتغير تبعا للتطور التاريخي للمجتمع. وفي كثير من الأحيان، يكون هنالك تداخل بل خلط بين الملكية والحيازة، إذ تكون الأرض في ملك شخص مادي أو معنوي (قبيلة، مؤسسة ما) بينما الحيازة، أو حق الاستغلال، من حق أفراد ليسوا حتما هم المالكين للأرض.

مثل هذا الوضع هو الذي طبع، ومازال يطبع، الملكية العقارية بالمغرب، حيث يمكن التمييز بين الأراضي الجماعية وأراضي الأحباس وأراضي الإقطاع والأراضي المخزنية والملك الخاص.

1 - الأراضي الجماعية : يضرب هذا النمط من امتلاك الأرض بجذوره في تاريخ المغرب، إذ يعبر عن علاقات الإنسان بالمحيط الطبيعي وعن العلاقات القبلية التي كانت سائدة في المجتمع. وقد عرف، قبل الحماية وأثناءها، عدة تحولات أدت إلى انتقال بعض هذه الأراضي إلى ملكيات خاصة وإلى وضع الباقي تحت وصاية وزارة الداخلية (انظر بلاد الجماعة).

2 - أراضي الأحباس : الحبس فعل يهدف من ورائه صاحبه وقف ممتلكاته أو بعضها ابتغاء مرضاة الله. وينقسم إلى حبس خيري يوقف بموجبه الشيء المحبّس لفائدة مؤسسة دينية (مسجد، زاوية...) أو اجتماعية (مدرسة، مستشفى...) بصفة مطلقة، وحبس أهلي يوضع تحت تصرف ذرية الواهب إلى أن تنقطع فينقل بعد ذلك إلى المؤسسة المنصوص عليها في عقد الوقف.

تكرى هذه الأراضي من طرف النظار القائمين عليها للخواص قصد استغلالها لفترات قصيرة، وذلك اجتنابا لاحتكارها. إلا أن مدة الكراء كثيرا ما كانت تمتد إلى أقصى حد ممكن، خصوصا في حالة المغارسة، مما يحوّل الأرض المكتراة إلى شبه ملك خاص. بل إن المسؤولين أنفسهم

عن هذه الأراضي كانوا أحيانا يختلسون ريعها، أو يفوتونها لذويهم، أو يتملكونها هم أنفسهم، وذلك إما بإتلاف الرسوم والوثائق الأصلية أو وضع رسوم مزورة.

3 - أراضي الإقطاع : هي الأراضي التي كان ينعم بها السلاطين على قبائل الجيش مقابل الخدمات الجندية التي كانوا يقدمونها لهم، أو على الزوايا مكافأة لها على وقوفها بجانب المخزن (في فترات الجهاد مثلا)، أو اعترافا لها بالخدمات الدينية والعلمية التي تقدمها للسكان، أو اتقاء لشرها في بعض الأحيان.

في كل هذه الحالات، لم يكن المقطعون (بفتح الطاء) يستفيدون إلا من حق الاستغلال، إذ تبقى الأرض المقطعة تحت رقابة السلطان. إلا أنه، في حالة ضعف هذا الأخير، كثيرا ما كانت بعض القبائل، نظرا لشوكتها، تتملك إقطاعاتها بصفة نهائية، مكتفية بطلب تجديد الاعتراف بحقوقها كلما تغير السلطان.

أما الإقطاع لصالح الزوايا، فكان يُتوخى منه مكافأتها، فقد كان يهدف كذلك إلى الاستفادة من القدرات الدينية والعلمية التي تتوفر عليها، لتأطير القبائل ومراقبتها ومن ثم إلى مخزنة الزوايا نفسها بحيث يتحول القائمون عليها إلى مجرد "قياد" في خدمة المخزن.

كان بعض السلاطين كذلك يقطعون مناطق بأكملها لبعض أفراد عائلتهم، كما أثبت ذلك الناصري في *الاستقصا*.

4 - الأراضي المخزنية : هي الأراضي التي لا مالك لها، أو التي صادرها المخزن لأسباب إدارية أو سياسية، أو التي تسلمها كرها من أصحابها. وتوضع هذه الأراضي تحت رقابة السلطان بصفته مسؤولا عن أملاك الأمة. وقد كان من الصعب أحيانا التمييز بينها وبين ممتلكات السلطان الخاصة. وكثيرا ما كان يتم إقطاع أجزاء منها إلى بعض أفراد الأسرة الحاكمة أو بعض الموظفين السامين أو قبائل الجيش والزوايا، فيتحول من ثم قسط منها إلى ملك خاص.

نفس المصير عرفته العوازر (ج. عاذر) وهي مراعي مخزنية كانت تحت إدارة أمناء، كثيرا ما تحايل بعضهم فقام ببيع ماشية السلطان أو بتفويت المرعى نفسه وذلك، في غالب الأحيان، بتواطؤ مع قاضي أو باشا المدينة التي يوجد العاذر بقربها. وهذه ظاهرة تفشت في أوائل القرن الماضي لما بدأ الأجانب يتهافتون على الأراضي الفلاحية (كما تشهد بذلك بعض وثائق وزارة الخارجية الفرنسية).

5 - أراضي الملك : هي عبارة عن ملكية خاصة يمكن تفويتها بكل الطرق المشروعة بين الأحياء، وعن طريق الإرث في حالة وفاة صاحبها. كانت هذه الأراضي تمثل القاعدة في المناطق الجبلية وفي الواحات نظرا لقلة الأرض وللأشغال الضرورية لتهيئتها، إذ كانت كل قطعة تمثل ملك أسرة بعينها. كما كانت منتشرة بضواحي المدن، وكذا في مناطق المغرب الشرقي، والريف، والشاوية، وعبدة ودكالة.

وإذا كانت الملكية الخاصة غير منتشرة بكثرة في كل أنحاء المغرب، فمرد ذلك للترحال والانتجاع الذي كان يطبع حياة مجموعة من القبائل حيث كانت تسود - نظرا لهذه الخصوصيات - الملكية الجماعية، إلا أن اللجوء إلى بعض الآليات، كالتزوير والمصادرة، سمح بتمركز الأرض بين أيدي بعض الأعيان القبليين، بل بين أيدي بعض الأسر بالمدن خصوصا انطلاقا من أواخر القرن الماضي.

هذه، باختصار، هي الوضعية التي كانت تسود النظام العقاري بالمغرب في أوائل هذا القرن، والتي يستغلها الاستعمار لخلق مستوطنات لصالح المعمرين ولإنجاز سياسة التحديثية في المجال الفلاحي، الأمر الذي سينتج عنه الوضع الذي سيرثه المغرب عند حصوله على الاستقلال (انظر البيزانا، التحديث القروي، شركة سبو، مشروع سبو، مكتب الري لبني عمير وبني موسى).

Amar Emib, *L'organisation de la propriété foncière au Maroc*, éd. P. Geuthner, Paris, 1913 ; J. Berque, *Etudes d'histoire rurale maghrébine*, Tanger - Fès, 1938 ; A. Halim, *Le capitalisme agraire au Maroc*, Université Paris 7, 1986 ; A. Laroui, Les concessions foncières au Maroc, in *Annales Marocaines de Sociologie, 1968* ; J. Le Coz, *Le Rharb, fellahs et colons*, éd. CURS / CNRS, 1964 ; J. Luccioni, *Le habous ou waqf* (rite malékite et hanéfite), Casablanca, Imprimeries réunuies de la Vigie Marocaines et du Petit Marocain, 1942 ; E. Michaux-Bellaire, Les biens makhzen, in *Revue du Monde Musulman, t. XIII, 1911* ; L. Millot, *Démembrement du Habous*, éd. E.Leroux, 1918 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, éd. CURS / CNRS, 1977.

عبد الجليل حليم

**الـمـلاح**، يطلق اسم الملاح على الحي الذي يسكنه اليهود بالمغرب، وهو تجمع سكاني وتجاري وحرفي خاص بهم يوجد في مكان منعزل بعيدا عن منازل المسلمين وقريبا في الغالب من القصر السلطاني، له باب أو عدة أبواب تغلق ليلا ومنازله تشبه منازل المسلمين في بنائها وهندستها ومواد بنائها، وقد يكون حيا داخل المدينة العتيقة أو دوارا بين دواوير ريفية بالسهل والجبل خاصة. لم تظهر الملاحات بالمغرب إلا في عهد المرينيين، إذ بني أولها في فاس وذلك راجع لتزايد الهجرة اليهودية إلى المغرب بعد انهيار آخر الممالك الإسلامية بالأندلس على يد النصارى الذين فرضوا على اليهود والمسلمين اعتناق المسيحية، واستقر معظمهم بمدن الشمال والساحل الأطلنتيكي : فاس تطوان طنجة الرباط مستفيدين من تسامح سلاطين بني مرين الذين بنوا لهم أول ملاح بفاس الجديد في مكان كانت توجد فيه ملاحة، لذا سمي بالملاح .لكن يشاع في الأوساط الشعبية أن أصل التسمية يرجع لكون اليهود كانت تسند إليهم مهمة تمليح رؤوس المتمردين من أعداء المخزن والسلطان لتعليقها فوق أبواب المدن والأسواق الكبرى ردعا للثوار. والواقع أن القيام بهذا الدور استمر إلى مطلع القرن 20.

لقد عرفت حركة بناء الملاحات تباينا من جهة لأخرى. فقد بني أول ملاح بمراكش في عهد أحمد المنصور السعدي 1578 - 1603 بجوار قصره البديع. وبني ملاح الصويرة في

عهد سيدي محمد بن عبد الله سنة 1757 - 1799. وبني ملاح دمنات في عهد مولاي الحسن الأول في الثلث الأخير من القرن 19. وساعدت الملاحات على حماية الشخصية اليهودية ومنحتها استقلالا ذاتيا لتسيير شؤونها الدينية والاجتماعية. والجدير بالذكر أن اليهود كانوا موزعين سابقا بين المسلمين يسكنون بين دورهم سواء بالمدن أو الأرياف لتشابه عاداتهم وأنشطتهم ومقدساتهم فجلهم يجهلون أمور دينهم الجوهرية ويلتقون في عادات وتقاليد قديمة وكان من الصعب التمييز بينهما خاصة بالأطلسين الصغير والكبير إذ كان اليهودي لا يختلف عن المسلم سواء في شكله أو ملبسه أو بساطته، ولذا فرض عليهم بعض الملوك لاحقا وضع طاقية على رؤوسهم : الشاشية، للتمييز بينهم. ولم تقو ظاهرة تجمع اليهود في الملاحات سوى في عهد الأسر الشريفة : السعديين والعلويين التي شجعت التربية الإسلامية والتعليم الديني قصد إضعاف العصبية القبلية ونشر الإحساس بالمواطنة الإسلامية، الشيء الذي عمق تدريجيا الفوارق بين المسلمين واليهود. ويمكن تلخيص أسباب إنشاء الملاح في نقطتين مهمتين :

- رغبة المخزن في حماية اليهود حسب ما تنص عليه الشريعة الإسلامية، وخدمة لبعض المصالح الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بعد تزايد النزاعات بين المسلمين واليهود الذين ازدادوا قوة بعد استقبال اليهود المهاجرين من الأندلس، ولزيادة الوعي الإسلامي في ظل حكم الأشراف المراهنين على حماية الإسلام في الداخل والخارج.
- رغبة اليهود في السكن منعزلين عن المسلمين ليتمكنوا من ممارسة شعائرهم الدينية دون إزعاج جيرانهم المسلمين.

لقد عرفت الملاحات في تطورها تحولات اقتصادية وعمرانية حيث صارت تحاط بسور له أبواب تغلق ليلا تحتضن حرفا ودكاكين تجارية متخصصة يندس بينها عدد قليل من الحرفيين والتجار المسلمين، لكنهم يغلقونها قبل غروب الشمس ويتركون الملاح لأنهم لا يبيتون به. ولا توجد فوارق عمرانية مهمة بين المنازل وغالبا ما تتكدس عدة أسر داخل المنزل الواحد أو أسرة تتكون من عدة أجيال لقوة ارتباط أفرادها. ويبدو أن مستوى معيشة اليهود كان يفوق قليلا مستوى معيشة عامة المسلمين بالمدينة، فكثير من الأطعمة والمنتوجات، لا توجد سوى بالملاح مثل السمك والفواكه والأشياء المستوردة زيادة على الخمور. مما ينعكس على الملاح بكثرة الفضلات. وعند دراسة بعض الملاحات تبدو بعض الفوارق في التخطيط العمراني. فبالنسبة لملاح مراكش الذي قام بتخطيطه أحد المعماريين الأوربيين كان في خدمة قصر البديع، جاء تصميمه أحدث فأزقته تتميز باستقامتها وضيقها، وهناك ساحات صغيرة تتوسط مجموعة من الأزقة وتتوزع المهن حسب تخصصها، كل منها في زقاق أو حي أو سوق يضم مجزرة خاصة باليهود : الكرنة وحمامات وسجن صغير خاص بمرتكبي المخالفات الدينية الذين يصدر في حقهم الربيون عقوبة بعد موافقة السلطة المدنية على ذلك، يقوم على حراسته حارس مسلم مسلح. وتبلغ مساحة هذا الملاح 15 هـ يتضمن 30 زقاقا (درب) منها المفتوح ومنها المغلق، يمتد على جنبات الأزقة والدروب 1.100 منزل أو محل تجاري، سكن بها في بداية القرن حوالي 12.000 نسمة أو 2.400 أسرة تقريبا. ثم أن عددهم ارتفع إلى 20.000 نسمة في بداية عقد الخمسينات مما يعطي كثافة سكانية خطيرة دفعت اليهود إلى السكن بمنازل بالأحياء المجاورة خاصة حي بريمة والتوارگ. كما طالبوا بتوسيع الملاح بإضافة تجزئة سكنية، فأقامت لهم السلطات في عهد الحماية حيا سكنيا يتكون من عمارات صغيرة في بستان مجاور : جنان العافي، كما بدأ بعض اليهود يسكنون الأحياء العصرية مع الأوربيين. وأزقة هذا الملاح ضيقة لا تسمح بمرور العربات وإنما الراجلين وبعض الدواب لحمل الأثقال. وبعد هجرتهم الجماعية في عقد الستينات اشترى كثير من المضاربين العقاريين منازلهم ومتاجرهم ووجهوها للكراء للمهاجرين من البوادي وفقراء المدينة، فازدادت كثافة سكانها مع الزمن مما دفع إلى تقسيم بعض منازلها وغرفها أو إضافة طابق أو أكثر وغرف بالسطح وأحيانا بفناء الدار، فوصلت الكثافة السكانية درجة الخطورة بسبب الانفجار الديموغرافي. ويكون أبناؤهم لاحقا أول ضحايا البطالة ونقص التشغيل، مما جعل الملاح وكرا لأنشطة غيرمشروعة ومرتعا لاضطرابات اجتماعية وقانونية بسبب تعقد مشاكل الكراء برفض زيادة سومته أو الرحيل فترتب عن ذلك أن جل المنازل تعرف تدهورا عمرانيا خطيرا جعلها تفقد الطابع اليهودي. إلا أن بعض السلطات تقوم بترميم بعض الواجهات بعد أن ازداد إقبال السواح الأجانب على زيارة الحي خاصة السواح اليهود، بعضهم من أبناء وأحفاد اليهود الذين سكنوا به سابقا، ويلاحظ رغبة بعضهم في شراء منزل كان يعود لعائلته الشيء الذي يتحقق أحيانا خاصة بملاح مدينة الصويرة.

أحمد هوزالي، *دراسة جغرافية ميدانية لملاح مراكش* ؛ جميلة بعتير والمنصور محمد شوقي، *الملاح : دراسة حضارية*، بحث السنة الرابعة بالتاريخ بكلية الآداب، مراكش ؛ ملاح دمنات : بيير فلامان ترجمة شويا سعيد، بوسكتا عبد الجليل، بوكريم عمر، بحث السنة الرابعة تاريخ، كلية الآداب، مراكش ؛ حاييم زعفراني، *ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب*، تر. أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، مطبعة دار قرطبة، الدار البيضاء، 1987 ؛ محمد كنبيب، *يهود المغرب 1912 - 1948*، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1998 ؛ أبو بكر الصديق الشريف، *اليهود المغاربة*، دار النشر المغربي، 2004.

أحمد هوزالي

**الملوخية** في المغرب أو البامية في المشرق، تسمى علميا هيبيسكوس إسكولينتوس Hibiscus esculentus، نبات زراعي من فصيلة الخبازيات Malvaceae. إنه نبات حولي يصل ارتفاعه حوالي متر، يشبه القطن في كثير من صفاته. تتوطن البامية في المناطق الإفريقية الحارة، إلا أنها

تزرع في كثير من بقاع العالم حيث المناخ معتدل، وكذلك في الواحات الصحراوية. تطهى البامية بعدة طرق، وتستهلك في المغرب بالأخص في المدن العتيقة كفاس ومكناس والرباط وسلا ومراكش حيث تطهى مع اللحم، وهي عادة تجفف وتعلب. وتستعمل الألياف الموجودة في السيقان والثمار الناضجة في صناعة الورق والنسيج.

ألبيرت هيل، *النبات الإقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرون، القاهرة، 1962، نيويورك؛ *معلومات شخصية*.

عبد النبي زين العابدين

**ملوية**، نهر متوسطي يصرف شرق المغرب، جل حوضه ضمن المجالات القارية والجافة، فحوضه يشكو من الخصاص المائي، ويسجل في أغلبه نماء اقتصاديا متواضعا وكثافة محدودة في الاستيطان، إضافة إلى مظاهر تدهور بيئي في تزايد. وتمثل ملوية في جزئها السفلي حدوداً حقيقية تفصل بين ضفتيها بسبب اتساع النهر وديمومة جريانة وفيضاناته المهولة (مثال فيض 1963 الذي تسبب في تهديم أجزاء من السد الذي كان شرع في تشييده). ولهذا السبب الطبيعي،

فقد مثلت ملوية خلال مرحلة الحماية، حدوداً بين الاستعمارين الفرنسي والإسباني. ونفس الحدود تفرق اليوم بين إقليمي الناظور وبركان.

ويمثل حوض ملوية مثالا واضحا للأحواض حيث يتجلى التفاوت بين العالية المنتجة للماء والسافلة المستعملة له. ويتم الانتقال بين هذين الوسطين على مستوى سد محمد الخامس، وهو سد تخزين كبير وسد مشرع حمادي الموجود عند سافلته، وهو سد تحويل، يقود قنوات الماء إلى القطاعات السقوية الموجودة بعيدا عن المجرى في سهول شمال شرق المغرب.

ضمن المساحة الإجمالية للحوض، التي تغطي حوالي 60000 كم2 أي ما يقترب من عشر مساحة المغرب، والتي يسكنها حوالي مليوني نسمة، بكثافة وسطى تصل إلى 33 ن / كم2، تمثل الأراضي التي تشكو من الخصاص المائي أكثر من 90 ٪ من المجموع. كما يحدث في هذا المجال التنافس على الماء بين قطاعات اقتصادية مختلفة وبين مواقع جغرافية متفاوتة. فحوض ملوية بأكمله لا ينتج أكثر من 1650 مليون متر مكعب من الماء، منها 1100 فقط قابلة للتعبئة في الوضع الراهن، بينما حاجيات الجهة كانت تصل في نهاية القرن العشرين إلى أكثر من 1200 مليون م3. والخصاص الحالي مهدد بالتفاقم بسبب الجفاف الملاحظ في السنوات الأخيرة من جهة، وبسبب ما يصيب سد محمد الخامس، الخزان الأساسي في المنطقة، من امتلاء بالرواسب المنقولة إليه جراء السيول التي تصب في ملوية أوقات التهاطل العنيف. فالخزان المفروض فيه تنظيم قرابة 933 مليون م3 من المياه سنويا، لا يتمكن حاليا من تخزين أكثر من 500 مليون م3 في أوقات الفيض. وهذا المقدار سوف يزيد تناقصا مع استمرار توحل الحقينة.لذا فقد كان الاختيار منذ الستينيات، منح السافلة، أي ملوية السفلى، والتي تضم سهول تريفة وزيرة وبوعرق والكارت النصيب الأوفر من المياه، على حساب العالية. وسهول ملوية السفلى التي يسكنها أكثر من 600000 نسمة، والتي يغطي بها السقي حوالي 65000 هكتار على ضفتي النهر تتميز بكثافة الاستغلال وتنوع المنتوج وأهمية التنمية الحضرية. أما ملوية العليا والوسطى وحوض كرسيف (500000 نسمة و48000 هتار مسقية) فهي لا تستعمل الماء إلا في إطار قطاعات ري صغرى، جلها على طول ملوية وروافده، وبدون انتظام حقيقي في عملية الري.

إلا أن مستقبل النماء في ملوية السفلى رهين بما سيتم إنجازه من تجهيزات في ملوية العليا والوسطى. ذلك أن تشييد سدود وسطى في العالية (كان أولها سد الحسن الثاني على وادي زا عند عالية تاوريرت) هو الذي يمكنه ضمان وصول مياه منظمة ومحدودة الحمولة الصلبة إلى خزان محمد الخامس، وبالتالي الحفاظ على الحقينة من الامتلاء الكامل بالرواسب. بهذه الطريقة يمكن رفع مقدار المياه المنتظمة، رجاء تلبية متطلبات السافلة وفي نفس الوقت ضمان تعبئة المقدار الكافي لتنمية القطاعات السقوية الصغرى الموجودة في العالية.

المجلس الأعلى للماء (1991) : التصميم المديري لتنمية الموارد المائية بحوض ملوية، الرباط، 71 ص.

عبد الله العوينة

**مليح** (ابن -)، ا**لـقيسي محمد** بن أحمد بن عبد العزيز القيسي الملقب بابن مليح من فقهاء مراكش المغمورين في منتصف القرن الحادي عشر الهجري، ولعل أول مرجع لترجمته هو ما كتبه عن نفسه في مقدمة رحلته الحجازية لأداء فريضة الحج في صحبة ركب مراكش سنة 1040 ـ 1042 في عهد السلطان الوليد بن زيدان. وقد وقف العلامة العباس بن إبراهيم التعارجي على هذه الرحلة فنقل منها ترجمته، غير أن المعلومات عنه تظل ضعيفة، وهذا محمد الفاسي عندما حقق رحلته وطبعها في أكتوبر 1969 ورجح أن يكون المترجم من الأسر الأندلسية التي استوطنت مدينة مراكش منذ العهد الموحدي، واستدل بوجود ثلاث أسر من القيسيين بمدينة الحمراء، ولم يفض البحث إلى معرفة تاريخ ولادته ودراسته وشيوخه وأطوار نشأته، وكأن حياته تتلخص في زمن حجته هذه، وتنقطع أخباره بعد ثلاث سنوات من عودته وكتابة *رحلته* أي سنة 1045 ، ولعل هذه الرحلة تشهد على فترة زمنية متميزة من تاريخ المغرب، فقد ضم الركب نخبة من أعلام الدولة وشيوخ الصوفية والقادة المغاربة بالسودان الغربي، وكان للطريق الصحراوي الذي سلكه الحجاج ميزة سياسة وأمنية وإدارية تمتد من درعة وما والاها من الصحاري إلى حدود فزان بليبيا حيث ينتهي نفوذ وسلطة

المغرب بالصحاري. ولم يفته أن يحصي مراحلها ويبين أسماء منازلها ونوع تربَتها وذكر آبارها ومياهها. وبعد أن أدى فريضة الحج عاد إلى بلده ؛ وكتب رحلته المسماة "*أنس الساري والسارب*". ويبدو من كتابته أنه أديب صوفي مهتم بالمناسك ووصف المسالك، واستعراض محفوظاته من نثر ونظم للتذكير بالقيم الدينية الروحية مع الاعتماد على الزخرفة اللفظية، وتقدير شيوخ العلم والتربية، والإطراء على السلطان الوليد بمناسبة تقديم وفد الحجيج الهدية إلى المسجد النبوي، فمن ذلك قوله "دفع القائد جوهر الهدية العظيمة والتحفة السنية التي بعثها صحبته الإمام الأعظم والملاذ الأعصم ومالك رقاب العرب والعجم ..."

العباس ابن إبراهيم، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الإعلام*، 5 : 259، الطبعة الثانية ؛ ابن مليح، *أنس الساري والسارب*، تح. محمد الفاسي ؛ ع. السلام بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 334 ؛ محمد ماگامان، *الرحلات المغربية في القرنين*، 11 و12 للهجرة ؛ عبد العزيز بنعبد الله، *الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ* ؛ محمد المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، 1 : 151 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية في عهد السعديين*، 2 : 402.

محمد ماگامان

**مليلة**، المدينة المغربية المحتلة بالشمال الشرقي المغربي من طرف الإسبان منذ سنة 903 / 1497. وأول ما يشار إليه الانتباه أن النطق باسم المدينة المحتلة هو "مليلة" خلاف ما هو مسموع ومتداول اليوم حين ينطق به "مليلية"، فالأول هو الاسم المغربي المحول هو بدوره عن الأصل الأمازيغي "مليلت"، عرفت به منذ أواخر القرن الأول الهجري حينما تخلصت في أواخر القرن الأول الهجري من الوجود البيزنطي الموروث عن سابقه الروماني.

احتلت مدينة مليلة مكانتها بين المدن المتوسطية بجميع مرافقها، واشتهرت خلال الجزء الأول من العصر الوسيط بتجارتها الصحراوية بين المغرب الشرقي والساحل الأندلسي، وعرفت الحكم الإدريسي والتنافس الفاطمي المرواني على المغرب، كانت قلعة تازوطا حصنها وقاعدتها العسكرية، ولذلك احتلتها قوات عبد الرحمن الأموي سنة 314. غير أن الفاطميين خربوها سنة 347. كما استقر بها المرابطون والموحدون بعدهم. ونالها التهميش من طرف المرينيين الذين تحصنوا بقلعة تازوطا واختاروا مدينة غساسة القلعية للتعامل التجاري مع الأندلس، ولم يكن لها شأن على العهد الوطاسي، مما أتاح الفرصة للتسرب الإسباني سنة 903 / 1497.

ومنذ خمسة قرون خلت كانت علة الوجود الأجنبي بالمنطقة الشمالية الشرقية هي مدينة مليلة المحتلة، فيها تكونت الخلية الأجنبية الأولى بالمغرب الشرقي، وهي أيضا بؤرة التوسع الإسباني بالشمال المغربي على عهد الحماية. ودل الانكباب على دراسة هذا الموضوع على أن هناك محطات ومراحل ينبغي التوقف عندها خلال دراسة هذه الفترة الطويلة. وسنقسم تاريخ المقاومة المغربية إلى مرحلتين متمايزتين :

مرحلة مقاومة الوجود الأجنبي

فخلال المدة المتراوحة بين طرفي الفترة الطويلة 1497 و1859 الممتدة خلال 382 سنة بقيت حامية مليلة منحصرة في القلعة الصغيرة. وقد أطلقنا على هذه الفترة الطويلة فترة مقاومة الوجود الأجنبي، إذ أن الميزة الأساسية للمقاومة رسمية كانت أو شعبية، أو هما معا كانت تسعى إلى طرد الأجنبي من نقطة وجوده. ونقسم المرحلة إلى خمس فترات :

فترة تأسيس المقاومة : تبتدئ من سنة احتلال مليلة عام 1497 وتنتهي سنة 1533. فخلال هذه المدة (36 سنة) تم وضع هيكلة التنظيم الأساسية لمواجهة الوجود الأجنبي. فقد أحدث مغاربة جبل قلعية كخطوة أولى نظام الحراسة والتناوب الدائمين بمساعدة الأندلسيين الغرناطيين، وأنشئ لتلك الغاية رباط مليلة الذي ظل قائما بوظيفته إلى منتصف القرن التاسع عشر. وعلاوة على حماية الأراضي المجاورة من التسرب الأجنبي، تمكنت المقاومة من استرجاع مدينة غساسة التي كانت هي بدورها قد وقعت طعمة سائغة بيد الإسبان سنة 1508. وبذلك عادت المدينة إلى التراب الوطني عام 939 / 1533.

فترة الصمود : بدايتها سنة استرجاع غساسة ونهايتها سنة 1646. (113 سنة). والتوقف عند هذا التاريخ إيذان لبداية مرحلة جديدة، استمرت المقاومة خلالها ثابتة على مبدئها صامدة في مواقعها في وجه جنود مليلة ساهرة على الحيلولة بينهم وبين تحقيق مكسب ترابي جديد، وكذلك كان. ودراسة هذه الفترة يقدم المئات من الأمثلة الدالة على القيام بالواجب الوطني خير قيام.

فترة الصحوة : نسجل البداية من سنة 1646 وهي السنة التي كسب فيها أهل الشمال الشرقي أول انتصار حاسم على الإسبان بميدان مليلة، تلتها انتصارات أخرى استمرت إلى حدود منتصف القرن الثامن عشر الميلادي. ومن الأفضل أن نحدد نهاية المرحلة بسنة تولية السلطان محمد بن عبد الله العلوي، سنة 1757، أي خلال 111 سنة.

تميزت هذه المرحلة بما أسميناه أيضا بمرحلة جهاد الأبراج الخارجية التي بنتها حامية مليلة منذ أواخر القرن السادس عشر لحماية المدينة من الغارات المغربية أولا، وللمحافظة على المساحة الجديدة المحتلة شمال المدينة وغربها وجنوبها، تحت رعاية السلطانين المولى رشيد والمولى إسماعيل ونظر الأسرة القيطونية الإدريسية القلعية.

محاولة الاسترجاع : هي التي يخصصها التاريخ الوطني للخطوة الجريئة التي قام بها السلطان محمد بن عبد الله العلوي بتسخير جميع إمكاناته الحربية والدبلوماسية والمالية خلال ثمان عشرة سنة من دراسة المشروع وإعداد جميع

إمكانات النجاح العسكرية والدبلوماسية لمحاولة تحرير مليلة من ربقة الاستعمار الإسباني. تبتدئ هذه المرحلة من سنة تولية السلطان عام 1757 وتنتهي سنة 1775، سنة اليأس من تحقيق مشروع استرجاع مليلة بعد محاولة استمرت ثلاثة أشهر، ما بين 9 ديسمبر 1774 و16 مارس 1775. حاول أثناءها الجيش المغربي بقيادة السلطان نفسه إرغام الحامية على الاستسلام بما أعده لها من المدافع والمهاريس والخطط الحربية، المتمثلة في هدم الأبراج وتنظيم الهجوم العام.

فترة التفاوض : لا تتسم بسمة خاصة جديدة محيطها الزمني يشمل عهد السلطانين المولى سليمان والمولى عبد الرحمن بن هشام. أهم ما نسجله خلالها رغبة المولى سليمان استرجاع مليلة بطريقة التفاوض مع الإسبان الذين كانوا مترددين بين الاحتفاظ بها أوتسليمها للمغاربة، نتيجة الظروف التي كانوا يجتازونها بسبب محنة الغزو النابليوني لبلادهم. غير أن المحاولة ستختفي بعودة الهدوء إلى أسبانيا.

فترة احتلال الحدود : نعلم جميعا أن التدخل الأجنبي بلغ مداه باحتلال الفرنسيين للجزائر سنة 1830 وما كان لذلك من العواقب على المغرب الشرقي خاصة، وذلك إثر انهزام الجيش المغربي في معركة وادي إيسلي سنة 1844. ولاريب أن الفرصة قد لاحت للإسبان بالضغط على المخزن وتهديده بالتدخل العسكري في الريف لإملاء شروط أدت بهم إلى تحقيق ما كانوا يرجونه من توسيع حدود مليلة، ذلك الأمل الذي جروا وراءه منذ 1767 خاصة. هذا هو ما اكتسبوه من خلال المفاوضات الجارية مع المولى عبد الرحمن في الساعات الأخيرة من حياته ومن توقيع محمد بن عبد الرحمن في أيام حكمه الأولى اتفاق يوم 24 غشت 1859.

مرحلة مقاومة الحدود :

بانتهاء هذه المراحل الخمسة تبدأ الفترة التي أسميناها فترة مقاومة الحدود، إذ أن المغرب سواء كان باسم المخزن أو أهل الشمال الشرقي فقد ظلوا نصف قرن وهم يدافعون الإسبان عن تمكنهم من حيازة الحدود المغتصبة باسم الاتفاقيات العديدة المبرمة في هذا الشأن على وجه الاغتصاب، الأمر الذي لم يكن في وسع المخطط الحربي الإسباني التخلي عنه مهما طال الزمن. ويمكن إبراز الفترتين التاليتين :

حرب سيدي ورياش : ففي 1891 كان العسكريون الإسبان قد سيطروا بصورة فعلية على كامل الحدود التي نراها اليوم محاطة بمليلة، وتبعا لذلك نشأ ما سمي بحرب سيدي ورياش. ونحن نعلم أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد بل إن بداية القرن العشرين أسفرت عن حقيقة ما كان ينويه الإسبان إلى جانب حلفائهم الفرنسيين وغيرهم من فرض نظام الحماية على كافة التراب المغربي. وكانت مليلة نقطة التوسع الإسباني في الشمال الشرقي المغربي لخلق النطاق الجغرافي للحماية الإسبانية وما دعي بالمنطقة الخليفية.

احتلال الريف الشرقي : فابتداء من سنة 1909 شرعت إسبانيا في تطبيق برنامجها التوسعي الهادف إلى احتلال الريف الشرقي انطلاقا من مليلة، سيما بعد التغلب سنة 1912 على مقاومة الشريف سيدي محمد أمزيان القلعي. وسارت على نهج خطة التوسع إلى سنة 1921، موعد انهزامها في معركة أنوال على يد حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي. غير أن الجيش الإسباني عاد إلى الهجوم من مليلة وبسط السيطرة على المناطق الريفية.

وإبان عهد الحماية كانت مليلة هي عاصمة الشمال الشرقي الإدارية والعسكرية، وبلغت القمة في اتساع عمرانها. كما أنها زادت في توسيع الحدود إلى أن أصبحت المساحة اليوم نحو عشرين كيلومتر، بدل الإثني عشر كيلومتر المغتصبة قبل الحماية.

لم يتوان المغرب منذ استقلاله عن المطالبة باسترجاع المدينة، مناديا بالتمسك على الصعيدين الدبلوماسي والدولي بحقه الجغرافي والتاريخي اللذين يقضيان بحق استرجاع السيادة الوطنية إلى أهلها.

غير أن تعنت الجانب الإسباني سعى إلى أسبنة المدينة بكل الوسائل، منها البحث عن تنظيم سياسي يقضي بجعلها ذات حكم شبه مباشر مثل باقي المقاطعات الإسبانية، إذ أن المدينة كانت ما قبل 14 مارس 1995 تابعة لإقليم مالقة الأندلسي. وعلى الرغم من مطالبتها بالتسيير الذاتي إلا أنها بقيت تابعة لسبتة المحتلة بدورها. غير أنها تمكنت من وضع نظام دستوري خاص بها ضمن لها المشاركة في الكورطيس (البرلمان) ومجلس الشيوخ.

وتعد المدينة منذ احتلالها ثغرة خطرة على الاقتصاد المغربي، لكونها بؤرة التهريب، سيما بعد الإعلان عن إنشاء الميناء الحر. ويحاول المغرب من جهته تخفيف المعاناة بإحداث ميناء بني انصار الحر أيضا، إلى جانب التحكم في حركة التهريب.

وتحتضن مدينة مليلة في الوقت الحاضر ما يعادل 70.000 نسمة، مع وجود نسبة هامة من المغاربة تعيش في الأحياء الهامشية المجاورة للحدود المصطنعة. وتتوفر المدينة على مسجد أحدث خلال فترة الحماية، كما أحدثت مدرسة مغربية يؤمها أبناء المغاربة المقيمين بالمدينة.

والمغاربة المليليين كافحوا من أجل الحصول على حقوق الإقامة بمساندة ثلاث جمعيات أصْر النظام على تسميتها بالإسلامية، منها "الجمعية الإسلامية بمليلة"، وهي حاضرة بالضغوط التي تمارسها السلطات المحلية خاصة والإسبانية عامة، ولكن ذلك لم يمنع المغاربة من الحفاظ على الهوية المغربية.

*وثيقة نسب قبيلة قلعية بتاريخ 939* ؛ حسن الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة*، 1497 - 1859 ؛ مليلة حاضرة قلوع كرط، دار النيابة، طنجة، 1985 و1986 ؛ الشمال الشرقي المغربي

على عهد السلطان المولى عبد الرحمن. *جامعة مولاي علي الشريف الخريفية*، الريصاني، 1993 ؛ قضية الثغور المحتلة على عهد المولى محمد بن عبد الرحمان، الريصاني، 1995 ؛ *الشمال الشرقي المغربي على عهد المولى الحسن* ؛ *المولى عبد العزيز والشمال الشرقي المغربي* ؛ محاضرة محمد أبو الخبير أبو إبراهيم مولينا، حدود الحرية الدينية لمسلمي مليلة، قرطبة، 26 ـ 27، يوليوز، 1997.

حسن الفكيكي

**ملين، أحمد** بن **عبد السلام** قضى شطراً كبيراً من حياته في التدريس والتحبير. وتعاطى التجارة ليستعين بها على ضرورات الحياة. درس بفاس على جماعة من العلماء كالفقيه ابن عبد الرحمان السجلماسي. وتلقى العلم على بعض علماء الرباط كالفقيه ابن غازي والخطيب المكي بوجندار وعن أحمد جسوس والجيلاني بن إبراهيم والقاضي أبي حامد البطاوري. رحل إلى المشرق عام 1284 حيث حج وزار ودرس على علماء الحرمين. ولي قضاء الرباط بعد وفاة القاضي أبي عبد الله بن إبراهيم سنة 1297.

توفي في 5 محرم 1305.

الجراري، *من أعلام الفكر*، ص. 25 ـ 26.

**مُلينْ** (الحاج -) **العربي**، أسرة أندلسية كذلك من أقدم من برز فيها الحاج العربي الذي ولي نظارة الأحباس الكبرى بالرباط أوائل القرن التاسع عشر سنة 1226 / 1811.

*الضعيف*، ت. العماري، ص. 358.

**ملين، محمد الرشيد**، من أسرة رباطية عريقة، ولد سنة 1918، تلقى تعليمه الأولي على والده محمد (فتحا) الفقيه العدل وزير الأحباس في عهد الملك محمد الخامس، والابتدائي بالزاوية المباركية والثانوي بثانوية مولاي يوسف، حصل على شهادة الباكالوريا سنة 1935 وعلى الإجازة في الحقوق، عمل وهو طالب في صفوف الحركة الوطنية، ونفاه

الفرنسيون لنشاطه السياسي الوطني سنة 1952 إلى (أسول) قرب گلميمة، وهو مندوب للصدر الأعظم في الإنتاج الصناعي والمعادن، ولم يطلق سراحه إلا بعد استقلال المغرب.

عينه الملك محمد الخامس مديرا للمطبعة الملكية سنة 1946، ونائبا عن والده في وزارة الأوقاف ثم نائبا لمدير المعادن، وبعد الاستقلال عين وزير دولة مكلفا بالوظيفة العمومية، ثم وزير دولة ثم وزيراً للدفاع، فوزيراً للتربية الوطنية وإن لفترة قصيرة.

انتظم محمد الرشيد ملين وهو طالب في صفوف الحركة الوطنية، مدافعا عن كرامة الوطن، مدركا أبعاد نظام الحماية الهادف ليس فقط إلى استعمار البلاد، ولكن إلى تفتيت قوى الشعب وإلى تمزيق وحدته، داعيا إلى حربه بكل الوسائل لتحرير البلاد واستقلالها.

لفتت شخصيته الوطنية وعمله العلمي إعجاب الملك محمد الخامس، فقربه إليه، وائتمنه على كثير من شؤون البلاد، وقيل : "إنه كان يقوم بدور المستشار الشخصي لجلالته يحيطه علما بكل صغيرة وكبيرة، وبكل شاذة وفاذة".

تحدث عنه عبد الله الجراري في مؤلفه *"التأليف ونهضته بالمغرب"* فقال : "أبو عبد الله الرشيد من نبغاء المثقفين المغاربة الذين كونهم اجتهادهم التلقائي ومثابرتهم على المطالعة والبحث، ... وهو من الشخصيات الوطنية ورئيس حزب الأحرار، عذب ونفي من أجل أفكاره السياسية، ... كان من خدمة العلم والثقافة، ولا أدل على هذا من المقدمة القيمة التي قدم بها كتاب *"الفتوحات الإهية في حديث خير البرية"* للملك سيدي محمد بن عبد الله، فهي وحدها تلقي الأضواء على اطلاع السيد ملين وطول باعه في العلوم الإسلامية إزاء قلمه الرفيع، وإنشائه البديع".

لقد أبرز المترجم له في هذه المقدمة ما كان للحياة العلمية في عصر السلطان محمد بن عبد الله من دور في ارتقاء الفكر وتطوره، داعيا إلى الأخذ بكتب وآراء السلف الصالح، مؤكدا : "ازدهار الحركة العلمية في المغرب ونضجها وخروجها من طور التقليد والاتباع إلى طور التجديد والإبداع"، منوها بكتاب *الفتوحات الإلهية* : "وبالجملة، *فالفتوحات الإلهية* مصنف ديني يحق للمغرب والمغاربة أن يفاخروا به، وأن ينكب علماؤهم على تدريسه وشرحه، وأن تزدان خزائنهم باقتنائه و نشره"، وكان الكتاب قد طبع بأمر من الملك محمد الخامس بالمطبعة الملكية بالرباط سنة 1945.

للمترجم له مؤلفات منها :

ـ *عصر المنصور الموحدي أو الحياة السياسية والفكرية والدينية* في المغرب 580 ـ 595، وقد صدر في طبعتين، الأولى سنة 1946، بأمر من الملك محمد الخامس، والثانية سنة 1996 بأمر من الملك الحسن الثاني، والكتاب يحكي قصة حضارة المغرب وعمرانه وينابيع ثقافته في عصر المنصور الموحدي، وقد أبدى إعجابه بهذه الشخصية المغربية

فقال في مقدمة كتابه : "وهذا شاب من أبناء مدينتك، نشأ معجبا بك، فتجرأ ـ بالرغم من عجزه ـ على تخصيص أول مجهوداته في ميدان التأليف لإحياء ذكراك، وإذاعة مآثرك وإنهاض الهمم للقيام بالواجب نحوك"، وقد نال بهذا الكتاب جائزة مجلة المباحث التونسية، وحاضر عنه في العاصمة التونسية.

ـ *نضال ملك* : طبع بالطبعة الملكية بالرباط بدون تاريخ، وهو عبارة عن أحاديث ألقاها المؤلف في الإذاعة المغربية" راديو ماروك"، تناول فيه الفترة من 1947 إلى 1951، ثم صدر له ضمن منشورات نفس المطبعة جزء ثان دون تاريخ أيضا، يقول في مقدمته : "أردت في الجزء الأول أن يكون حديثي تسجيلا صادقا وصورة حية ناطقة بمآثر محمد الخامس ومشاريعه وجميع مظاهر نضاله، فاستعرضت مراحل المعركة من أجل الاستقلال، من فجر النهضة إلى سنة 1951، وها أنا اليوم أقدم الجزء الثاني وعنونته *بالتضحية بالعرش في سبيل الاستقلال*".

ـ *فصل الشتاء في أسول أو الكفاح السياسي لحزب الأحرار* : يتناول الكتاب معاناة صاحبه في المنفى، بعيدا عن الأهل ومسقط الرأس في "أسول"، وهي منطقة تقع شمال معتقل اغبالو نكردوس، كما أنه" يتحدث عن الحركة الوطنية منذ سنة 1930 ، وعن جهاد مدينة الرباط ووطنيتها ومظاهراتها، وعن حركة الأحرار المستقلين بصفة خاصة" كما أشار إلى ذلك الأستاذ محمد الهريم.

وللمترجم له *بحوث ومقالات منشورة في صحف ومجلات* مغربية، منها جريدة *النضال*، لسان حزب الأحرار المستقلين الذي أسسه سنة 1937، والتي عمل على أن تكون : "منبرا لقول الحق والجهر بالحقيقة للدفاع عن حقوق المظلومين والمقهورين"، مؤمنا بدور التعددية الحزبية في بناء نظام ديموقراطي وملكية دستورية.

قال عنه د. عباس الجراري : "بأنه في طليعة نبغاء المغرب وأعلامه البارزين"، مؤكدا" بأنه أصالة عريقة وفكر متجدد".

توفي بعد معاناة طويلة مع المرض يوم الخميس 11 جمادى الثانية 1422 / 2 غشت 2001.

عبد الله الجراري، *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين*، 1985، ندوة جمعية رباط الفتح، *المناضل : محمد الرشيد ملين*، 2002.

نجاة المريني

**ملين، مَحمد** بن **عبد الله** هو أبو محمد الرشيد، درس على الأستاذ الرغاي والمكي البطاوري والجيلاني بن إبراهيم وتصوّف على الشيخ فتح الله بناني. كان خطيباً للزاوية الناصرية، وشغل منصب العدالة بنظارة الأحباس بالرباط مدة طويلة ثم أصبح ناظر الأحباس الكبرى معوضا بنعيسى بن مسعود بعد وفاته وبقي فيها إلى أن أصيب بمرض مزمن، ولما كان له تقدير وحظوة لدى السلطان محمد بن يوسف، فقد رشح ابنه محمد الرشيد نائبا عن والده بعدما كان يدير المطبعة المحمدية جوار القصر الملكي، ولما شفي استأنف حضوره بالوزارة وابنه بجانبه.

كان الوزير ملين أيام وظيف الوزارة يتولى الخطابة بالزاوية الناصرية التي كانت تكتظ بالمقبلين والقصّاد نظراً لمكانتها ومكانة صاحبها المعنوية.

اشتغل أثناء أوقات فراغه بالتدريس، فدرس العربية والفقه والدين وخصوصا الحديث وإقراء السنة كالأربعين والشمائل وغيرهما.

ترك الوزير ملين مؤلفات منها :

ـ *حاشية على بهجة السيوطي على ألفية ابن مالك* لم تتم سماها *"المناهج السوية"*.

ـ *إرشاد الخواص والعوام لفعل الواجب وترك الحرام*، طبع سنة 1345، يعتمد فيه الكتاب والسنة.

ولهذين المؤلفين تقريظان، الأول للشيخ البطاوري، والثاني هو قصيدة للمحدث محمد المدني بن الحسني. وكان ملين إلى جانب ذلك أديبا ذا روح شاعرية. توجه للحج في 9 شعبان 1330 / 1912.

توفي في 23 يناير 1953 ، ودفن بمقبرة سيدي محمد الضاوي.

الجراري، *من أعلام الفكر*، ص. 173 ـ 196.

عبد الإله الفاسي

**مماس** أو **ماماس** (للا)، امرأة من الغرباء، وفدت إلى مدينة سلا في القرن التاسع الهجري، واستطاعت أن تكسب عطف سكان المدينة، الذين شهدوا لها بالولاية والصلاح بعد أن تجلت لهم بركاتها وكراماتها، فكانوا يجتمعون حولها، ويترددون إلى مجلسها، فاشتهر أمرها عند الكبير والصغير وقد تلمسوا أسباب الشفاء عندها من مرض الأرق، وتردد على الألسنة منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا القول الشائع : "ألالا مماس اعطينا النعاس بالقياس".

وفدت للا مماس الشابة الجميلة إلى مدينة سلا هربا من أهلها ومن مسقط رأسها بالجنوب قيل مدينة تارودانت وقيل غيرها، وخوفا من عقاب على جناية ارتكبتها في مجتمع يحافظ على شرف نسائه ويصون كرامتهن، وسعيا إلى الإقامة في مدينة لا تعرف عنها شيئا فتعيش حياتها في استقرار وأمان.

كانت إقامة للاماس في مدينة سلا، في مجتمع محافظ، وفي مدينة تعرف بمدينة الأولياء والصلحاء إقامة سعيدة، فقد انزوت للعبادة والتأمل ومساعدة الناس في قضاء حوائجهم مرة لكسب لقمة العيش ومرة للتكفير عما سببه لها الخروج من مسقط رأسها من شعور بالذنب والتوبة إلى الله تعالى، فأحبها أهل المدينة واحتفوا بها لما لمسوه عندها من

كرامات وبركات، فذاع صيتها وقصدها العامة والخاصة من مدينة سلا وغيرها طلبا لبركتها ودعائها.

وبعد وفاتها، أقيم لها ضريح بمقر سكناها تكريما لها، وخصص السكان يوما أسبوعيا لزيارتها وهو يوم الأربعاء، ولايزال هذا الضريح قائما إلى يومنا هذا يقصده العامة والخاصة من أحياء المدينة المختلفة ومن غيرها من المدن، وتيمنا بها فقد أصبحت المنطقة التي يوجد بها ضريحها آهلة بالسكان خاصة في القرن الثالث عشر الهجري بعد أن كانت منطقة خالية بعيدة عن وسط المدينة، تتوفر على مستوصف ومركز بريدي ومؤسسات تعليمة وغير ذلك من المرافق الاجتماعية، ويحمل الحي اليوم اسمها ويعرف بزنقة للاماس، وهو يتوسط باب شعفة وضريح سيدي عبد الله بن حسون وضريح سيدي ابن عاشر بمدينة سلا.

*روايات شفوية.*

نجاة المريني

**المملكة العربية السعودية والمغرب**، ساهمت جامعة الدول العربية بشكل كبير ومباشر في إخراج المملكة العربية السعودية من عزلتها التاريخية، والزج بها داخل دوامات صراعات الشرق الأوسط، ورهانات سباق القوى العظمى نحو الهيمنة على منابع المواد الاستراتيجية. وقد اهتمت الدبلوماسية السعودية بقضايا الشمال الإفريقي ضمن سعيها لتوسيع دائرة تأثيرها قصد تحقيق التوازن مع المملكتين الهاشميتين ـ الأردن والعراق ـ ثم في وقت لاحق للحد من النفوذ الناصري في المشرق العربي. وعليه، وجد الوطنيون المغاربة السند والدعم من جانب أعضاء الوفد السعودي في الأمم المتحدة حين مناقشة القضية المغربية، حيث استفاد بعضهم من جوازات دبلوماسية سعودية.

وكانت العربية السعودية من أولى الدول العربية التي ربط المغرب معها علاقات دبلوماسية متميزة. وقد تم تأسيس قواعد هذه العلاقة خلال الزيارة الرسمية التي قام بها الملك سعود إلى الرباط سنة 1957 . ففي لقائه المطول مع الملك محمد الخامس، اتفق العاملان على جملة من الضوابط وضحت مبادئ تحالف طبيعي بين نظامين ملكيين، يستمدان شرعيتهما من المتن الدينية، ولهما خيارات استراتيجية متشابهة : أهمها الحرص على الاستقلالية والامتناع عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول الشقيقة وتغليب كفة التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية والوقوف ضد تسرب الإيديولوجيات المادية. وقد عرفت العلاقات بينهما تطوراً إيجابيا خلال عقد الستينيات من القرن العشرين، أساسا، بفضل الصداقة التي ربطها الملك الحسن الثاني بالملك فيصل. فقد عبر المغرب، في مناسبات عديدة، عن دعمه للخيارات السعودية ـ حرب اليمن خاصة ـ. وفي سنة 1969 إثر حادثة إحراق المسجد الأقصى من لدن بعض المتطرفين اليهود، نسق المغرب والسعودية من أجل عقد أول مؤتمر إسلامي كانت أهم نتائجه جعل المملكة العربية السعودية قطبا رائدا داخل العالم الإسلامي وأحد أهم الفاعلين فيه.

ثم إن العلاقات بين البلدين أخذت أبعادا إضافية بعد حرب أكتوبر وما ترتب عليها من تغيرات جوهرية في النظام الاقتصادي العالمي. فارتقاء السعودية إلى مرتبة الدولة الغنية والمؤثرة في التوازنات العربية أضفى على العلاقات المتميزة مع المملكة المغربية صبغة جديدة، إذ أضحى البلدان يعملان بتنسيق كبير في ميادين الاستخبارات وصد الحركات الثورية اليسارية في إفريقيا. من ذلك رهان المغرب على مشروع الأمير فهد سنة 1982 ، وضغط الملك الحسن الثاني بكل ثقله خلال مؤتمر فاس ليتم اعتماده بالإجماع من قبل القادة العرب، وعمل الملك فهد من جهته على تقريب وجهات نظر المغرب والجزائر والحد من التوتر بينهما ـ لقاء الحسن الثاني بالشاذلي بن جديد بتاريخ 26 فبراير 1983 ـ. وفي سنة 1991 ، بعد اندلاع أزمة الخليج الأولى، أيد المغرب مبادرات السعودية وانضم فورا إلى التحالف العسكري ضد العراق، لإرغام نظام الرئيس صدام حسين على الانسحاب من الكويت. وعلى الرغم من أن الرباط لا تفصح عن مواقف محددة في موضوع الصراعات داخل مجلس التعاون الخليجي، فإن العديد من المؤشرات تدل على أنها تساند بشكل أو بآخر السعودية، على اعتبار أنها تعتبرها حامية للتوازنات داخل مجال حيوي ليس فقط بالنسبة للاستقرار في الخليج، وإنما بالنسبة للعالم العربي ككل.

وكان المغرب من أولى الدول التي استفادت من الثروة السعودية، فحجم الاستثمار ارتفع خلال الثمانينيات، وهمَّ ميادين متعددة ـ المحروقات والسياحة والبناء ومشاريع التجهيز الكبرى... ـ خاصة بعد تطبيق المغرب لنهج اقتصادي يقضي بتفويت أهم القطاعات المنتجة وخوصصتها. واستفاد المغرب كذلك من التحولات الكبرى في المجتمع السعودي، من جهة لتفضيل السياح السعوديين قضاء عطلهم في المغرب، وهم في الغالب مستهلكون من قيمة رفيعة، ومن جهة أخرى من خلال وجود يد عاملة مغربية في الديار السعودية تعمل في مجالات متنوعة وتقوم بتحويل أموال مهمة. ثم إن مجموعة من المؤسسات المالية وشركات الاستثمار السعودية كشفت من حجم رساميلها الموظفة في المغرب باعتبار أن البلد توفر ظروفا حسنة للعمل وأن السلطات تسهل مأمورياتهم.

والحاصل أن العلاقات السعودية المغربية تعتبر نموذجا لحسن تدبير الصلات بين بلدين شقيقين لهما نفس الاهتمامات الاستراتيجية والقومية والدينية، ومثالا عن قدرة الحلفاء الطبيعيين على الرفع من وتيرة وحجم التعاون الاقتصادي في اتجاهات تخدم الطرفين.

**المملكة الهاشمية الأردنية والمغرب**، في الفترة التي سبقت الاستقلال لم تكن للوطنيين المغاربة معرفة كبيرة

بشؤون المملكة الهاشمية الأردنية، وهو ما يفسر إلى حد كبير عدم تمكنهم من ربط علاقات صداقة متميزة مع ساسة وممثلي الأردن في الجامعة العربية والمنظمات الدولية. ولأن المغرب تأخر عن قصد في الالتحاق بالجامعة العربية بعد نيله للاستقلال، فإن علاقاته بالأردن ظلت متذبذبة، خاصة وأن هذه الأخيرة كانت تعرف تعاقب أزمات سياسية، بعضها خطير بسبب احتدام الصراع بين العراق ومصر، وسعي كل واحد منهما لاستقطاب الأردن إلى جانبه ـ خاصة بعد عقد العراق لحلف بغداد .. وعليه، لم تفتح الأردن سفارتها بالمغرب إلا في سنة 1956 بعد حصول ما يشبه التوافق داخل الجامعة العربية ـ سقوط النظام الملكي في العراق وانتهاء الأزمة اللبنانية بفضل جهود عربية مشتركة .. وقام الملك محمد الخامس بزيارة رسمية للأردن سنة 1960، زار خلالها مدينة القدس التي كانت حينئذ تحت إدارة أردنية.

وقد لعبت مجموعة من العوامل دوراً حاسما في التأسيس للعلاقات بين المغرب والأردن على أسس متينة جعلتها متميزة. ولعل أهم هذه العوامل كون النظامين الملكيين يستمدان مشروعيتهما في الحكم من الانتماء إلى النسب الشريف والانتماء إلى آل البيت. فقد كان الملك حسين ينادي الملك الحسن الثاني بلقب "يا ابن العم"، في حين كان الأخير ينادي ملك الأردن باسمه الأول. وقد شكلت سيرة البلدين في سياستهما العربية والدولية قاعدة إضافية للتنسيق بينهما والعمل على خلق ظروف استقرار إقليمية وتفادي التصعيد والمزايدات. فالمغرب أعرب دوما عن تقديره للإكراهات الداخلية التي تجعل الأردن باستمرار في وضع المواجهة (الحدود مع إسرائيل) والتوازن الصعب (الوجود الفلسطيني المكثف)، وهو ما جعله يحرص بشكل منهجي على احترام القرارات الصادرة من عمان بما فيها الأكثر إثارة ـ أيلول الأسود .. وخلال مؤتمر القمة العربي المنعقد بالرباط سنة 1974، لعب الملك الحسن الثاني دوراً مباشراً في إقناع الملك حسين بضرورة قبول مبدأ جعل منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ـ مما ترتب عنه بعض التوتر في العلاقة بين الرجلين .. وللبلدين نفس التقدير لجدوى الانخراط في مسلسل التفاوض مباشرة مع إسرائيل، وفق مبدأ الأرض مقابل السلام، وهو ما جعلهما من أوائل الدول العربية التي بادرت بتطبيع علاقاتها مع الدولة العبرية مباشرة بعد التوقيع على مواثيق أوسلو. وفي سنة 1996، تأسست اللجنة العليا المشتركة الأردنية المغربية على مستوى رؤساء الحكومات، وهي تعقد لقاءات دورية منتظمة وصدرت عنها مجموعة من الاتفاقيات وبروتوكولات التعاون على مستويات متنوعة. وقد تطورت العلاقات بين البلدين إثر وصول ملكين شابين لسدة الحكم في الرباط وعمان، فأول زيارة دولة قام بها العاهل الأردني عبد الله الثاني كانت للمغرب في يوليوز 1999.

وتجدر الإشارة إلى أن العلاقات التجارية بين المغرب والأردن هي دون المستوى بكثير، فالجهود المبذولة من الطرفين لتحسينها لم تعط ثمارها. ويقتصر التبادل على بعض المواد الاستهلاكية، فالطرفان لم يصلا بعد إلى مستوى التبادل في مواد استراتيجية أو ذات قيمة تقنية عالية. ويعزي المهتمون الوضع إلى مجموعة من العوامل : من أهمها جهل رجال أعمال كل دولة بمنتجات البلد الآخر، وعدم وجود خط بحري مباشر بين مينائي العقبة والدار البيضاء، وعدم وجود مجلس مشترك لرجال الأعمال الأردنيين والمغاربة. أما على مستوى العلاقات الثقافية والعليمة، فإن المغرب يرتبط بالأردن بمجموعة من الاتفاقيات الثقافية والعلمية.

وإجمالا، تتميز العلاقات الأردنية المغربية بالتفاهم والتنسيق على مستويات عديدة خاصة ما يتعلق بالقضايا العربية والوضع في الشرق الأوسط والعلاقات مع القوي العظمى. وقد ساهم التطابق في المواقف ووجهات النظر في تعزيز أواصر الأخوة بين الشعبين.

محمد حاتمي

**المنابهة** (قبيلة –) يذكر ابن خلدون، في "*العبر* ..."، أن عرب معقل، وقبيلة المنابهة بطنٌ من بطونهم، قد دخلوا المغرب في دفعتين كبيرتين، أولاهما على عهد عبد المومن بن علي (1130 ـ 1163)، مؤسس دولة الموحدين، وثانيهما أيام حفيده الخليفة يعقوب المنصور (1184 ـ 1199)، بعد أنّ تبين أن الأمن والاستقرار لن يَعُمَّا مواطن سكناهم ونجعتهم في المغرب الأدنى إلا بإجلاء قبائل حكيم، وبني هلال ومعقل، وترحيلها بعيداً عن هذه الديار. وهكذا، جيئ بالكل إلى المغرب الأقصى، فأنزلوا في سهوله الأطلسية، وبالخصوص في الغرب والشاوية ودكالة، حيث تسهل مراقبتهم ويتأتى ضبط شؤونهم والتحكم فيها. وسعيا في استمالتهم واستخدامهم في قضاء أغراض الدولة، فتح أمامهم باب الانخراط في الجيش الرديف، فأقطعوا أراضي هنا وهناك، وتمَّ إعفاؤهم من أداء الضرائب غير الشرعية، كما أعفوا من القيام بالوظائف والكلف والمغارم المفروضة على عموم القبائل. ويبدو آنَّ عدداً من هذه العشائر والجماعات القبلية، ومن بينها قبيلة المنابهة لم يطب لها المقام في هذه الأوطان، فتابعت رحلتها نحو الجنوب، لتنتشر فيما بعد في سوس وحوض درعة وتافيلالت والصحراء في اتجاه الساقية الحمراء". وقد جاء عند مارمول ما يلي : "... ويقيم أولاد المنبهي في نفس الصحراء (المقابلة لسجلماسة)، وهم سادة مطغرة، والرتب من أقاليم نوميديا (المغرب الأوسط)، وهم كذلك في غاية النباهة والشجاعة ...". وتفيد المصادر أن عدد الوافدين على منطقة سوس من قبائل بني معقل قد ازداد في العهود الموالية، حيث كانت تنتشر في ربوعها أفواجهم. وهكذا، طاب المقام لقبيلة المنابهة في حوز مدينة تارودانت، بل أدمجوا في "گيش السلطان"، بعد أن انتصروا

لدعوة الشرفاء السعديين الذين استطاعوا إذكاء الحماس في نفوس سكان هذه الربوع الجنوبية من البلاد، وحشد هممهم، وجعلهم ينخرطون في حركة جهاد عارمة ضد البرتغاليين، والعمل على تحري الثغور والمراسي التي تمكنوا من احتلالها لما لم يجدوا من يصدّ هجماتهم، ويُدافع عن حوزة البلاد. ولاشك أن استقرارهم في ناحية مراكش يرجع إلى هذه السنوات الأولى لتولي السعديين الأمر بالمغرب، إذ يذكر الإخباريون المغاربة أن المنابهة هم فريق من الفرق التي صارت تكون گيش "أهل سوس"، إلى جانب أولاد مطاع وزرارة وحمير وأولاد جرّار والشبانات ... وقد وطن الشرفاء السعديون الأوائل جميع هذه القبائل والعشائر في حوز مدينة مراكش، وأقطعوهم أراضي فلاحية يتولون حرثها واستغلالها، في مقابل الخدمة العسكرية.

وكما هو شأن القبائل الصغيرة أو المغلوب على أمرها، أي أنها واحدة من هذه القبائل العديدة التي لا تنتمي إلى مجموعة قبلية كبرى تستطيع التأثير في مجالها البشري والطبيعي، أو تنتمي إلى التي ليس لها من العصبية والقوة ما يمكنها من الصمود في وجه خصومها وأعدائها، أو من التي كان بوسعها تقديم العون والنصح لممثلي الحكم القائم، فإن قبيلة المنابهة كانت مضطرة، بين الفينة والأخرى، إلى تغيير ولائها والتنكر إليه، والانضمام إلى معسكر أو حلف آخر، كلما اقتضت الظروف ذلك، وإلا تعرضت إلى نقمة وانتقام الطرف المنتصر. وهذا ما نستشف جانبا منه عند محمد الضُّعيِّف الرباطي، في تاريخه، ثم صاحب "دوحة *الناشر* ..." ابن عسكر الشفشاوني، وهو يتحدث عن محمد الشيخ بن أبي عبد الله القائم بأمر الله المتوفى سنة 986 / 1578، حيث نقرأ ما يلي : "... أخبرني الوزير المعظم أبو عبد الله محمد ابن الأمير أبي محمد عبد القادر بن السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف، قال : لمّا غدرت قبيلة المنابهة بجَدّي السلطان المذكور، وأنجاه الله من غدرتهم، عرّف الشيخ أبا محمد بذلك ...".

وأما في بداية عهد الدولة العلوية وحتى فيما بعد، أي لما استقرت الأوضاع بالبلاد، وأذعنت معظم القبائل إلى حكمها، فإنه لم يحدث شيء يذكر بالنظر إلى قدرتها على التأثير في سير الأحداث والارتقاء إلى مَصَاف القبائل التي كان كل حكم جديد ينشد ولاءها دعماً لدعوته. فقد كتب نفس المؤلف السابق الذكر، في سياق الحديث عن حركة السلطان مولاي سليمان (1206 ـ 1238 / 1792 ـ 1822) من فاس إلى مراكش، في أواسط شهر جمادى الأولى 1212، الموافق لبداية نونبر 1797، حيث لا ذكر للمنابهة من بين القبائل التي هبّت لاستقبال موكب السلطان عند حلوله بمنطقة الحوز، ما يلي : "... ودخل السلطان مراكش، وذلك يوم الأربعاء 9 جمادى الثانية عامه بأحد عشر ألفا من الجيش، بعد أن تلقته قبائل الرحامنة، والسراغنة، ودكالة، وعبدة، واحمر وغيرهم...".

على أن هذا كان لا يمنعها ومثيلاتها من القبائل الأخرى، في مثل الظروف المضطربة والمتقلبة التي أضحت تميز الوضع السياسي والاجتماعي في منطقة الحوز بكاملها، غداة وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1171 ـ 1204 / 1757 ـ 1790)، حيث اضطر السلطان مولاي سليمان إلى مواجهة مناوئيه في الحكم، وبخاصة الأمير مولاي هشام، من التصدي إلى القوافل والمارة من ترابها. وهذا ما نفهمه من الفقرة الآتية للضعيف : "... ثم إن الغازي نهبته المنابهة، وردُّوا الرؤوس الذين وجههم السلطان (مولاي اليزيد) للغرب لمراكش، ودفنوا بجامع الفنا، وأخذوا للغازي نحو السبع عشرة بغلة حاملة من الذخائر والنفائس، وسبعة آلاف مثقال ذهب والمظل، وستة من الخيل گادة، وسلاح مولانا اليزيد، ومكاحل وسيوف ...".

وأيا كان الأمر، فقد عاد الهدوء والأمن نسبيا إلى منطقة الحوز وغيرها من مناطق المغرب، بعد أن آل الأمر إلى السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام (1238 ـ 1276 / 1822 ـ 1859)، ولا سيما بعد أن تمكن العاهل من القضاء على تمرد فرقة گيش الأودابة بفاس وضاحيتها سنة 1247 / 1831 ـ 1832 من جهة، وأتباع زاوية الولي عبد الله بن ساسي، بزعامة رئيسها المهدي الشرادي في غضون شهر ربيع الأول 1244، الموافق لشهر سبتمبر 1827. واغتنم العاهل فُرصة وجوده في المنطقة لإعادة النظر في تركيبة فرق الگيش بقصبة منشية مراكش، وضبط قوائم أسماء القبائل المساهمة في تزويدها بالرجال، وتحديد عدد مجندي كل واحدة منها. وهكذا، انفتح باب الانخراط في الخدمة العسكرية المنتظمة في وجه قبيلة المنابهة، وصار قوادها يكلّفون بمهام التسخير المختلفة، كخفر المواكب والقوافل المخزنية والوقوف على إنجاز عمليات حرث الأراضي المخزنية وجني ثمارها ومحاصيلها، وحراسة الأماكن الحساسة داخل مدينة مراكش وخارجها، وبالخصوص في إدالات وقصبات سوس والسواحل الصحراوية. وكان من شأن هذا كله أن ساهم في تأثل قدمها في الخدمة المخزنية، إلى أن أصبح عدد من زبنائها ملحوظين في الأوساط المخزنية، ويتبوأون مكانة رفيعة داخلها، ليس فحسب على المستوى المحلي، بل على مستوى المخزن المركزي. هذا ما نتبين جانبا منه في وثيقة يرجع تاريخ صدورها إلى صفر 1293، الموافق لشهر مارس 1876، حول عدد فرق گيش أهل سوس بقصبة منشية مراكش حيث بلغ 22 فرقة، فضلا عن التي كان أفرادها يعملون في مصالح القصر الداخلية والخارجية أي "الحناطي"، ومن بينها المنابهة، إلى جانب "الرحالة وزمران، والمحاميد وشتوكة أهل أسرير"، وجميعهم كانوا مجندين لقضاء أغراض المخزن والمساعدة على استتباب الأمن وتنفيذ الأوامر المخزنية، وتدعيم الوجود المخزني.

هذا، وقد تعاقب على قيادة قبيلة المنابهة، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على الخصوص، أفراد من أسرة

الوزير المهدي بن العربي المنبهي، حيث تولى كل من والده العربي بن محمد، وعمه حميدة بن محمد، وابن هذا الأخير عياد بن حميدة، والوزير نفسه قبل أن يصبح وزيراً للحربية المغربية في مطلع القرن العشرين، هذه المهام، علاوة على القيام، بين الفينة والأخرى، بقيادة حملات عسكرية، أو قوافل مخزنية إلى جهات مختلفة من منطقة الحوز، بل إلى سوس، وتادلة، وعلى تكليفهم بأمور سجن مصباح بمدينة مراكش، إلى جانب ممثل عن باشا قصبة منشية هذه المدينة، حيث كانوا يعهدون إلى نائب عنهم لمزاولة هذه المهام، الأمر الذي يعني أن گيش المنابهة وقواده، كانوا يحظون بثقة المخزن، ويعدون ممن يعوّل عليهم في حراسة الأماكن الحساسة بالمدينة.

الوثائق.

الخزانة الحسنية بالرباط، *محفظات حسنية*، رقم 135ـ296 ـ 436.

*الكنانيش* : رقم : 315 ـ 347 ـ 348 ـ 404 ـ 639.

المصادر عربية.


عبد الرحمان ابن خلدون، *كتاب العبر* ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ج 6، ص. 46 وما بعدها ؛ ابن عسكر محمد بن علي الشفشاوني، *دوحة الناشر* ، تح. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، 1976 ؛ محمد الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف* ، تح. أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، 1986 ؛ الناصري أحمد بن خالد السلاوي، *كتاب الاستقصا* ، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، ج 6 ـ 7 ؛ الوزان محمد بن الحسن الفاسي، *وصف إفريقيا* ، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج 1، ص. 48 وما بعدها.

A.G.V. 3h11, Rapp. n° 144 du 9 août 1900 ; Paul Pascon, Le *Haouz de Marrakech,* Edit. mas. et internat., Tanger, 1977, t. 1, p. 186 et suiv.


مصطفى الشابي

## مناجم المواد النافعة بالمغرب (بعضها) :

الفلدسبات : تكون الفلدسباتات سلسلة معدنية سليكاتية، يمكن تقسيمها إلى فصيلتين كبيرتين : الفلدسباتات الألقلية والبلاجيوكلاز. يشكل الأرطوز، الوردي اللون في الغالب، الممثل الرئيسي للفصيلة الأولى. في حين تتكون الثانية من سلسلة متصلة من السلكاتات الكلسيومية الصودية، الرابطة بين الألبيت، وهي القطب الصودي، والآنورتيت، القطب الكلسيومي، التي تبدو عموما بمظهر أبيض لبني، بها بلورات توأمية.

توجد الفلدسباتات من ضمن مكونات الصخور الگرانيتية، كما أن كيماءها تعتبر من قواعد تصنيفها الصخري.

تقترن مكامن الفلدسبات بالتحركات الصهيرية المتأخرة، خاصة في صخور البغماتيت، العملاقة البلورات.

بالمغرب مناجم معروفة في سلسلة الجبيلات، بناحية سيدي بوعثمان، شمال مراكش، وفي زناگة، بناحية تازناخت، وكذا في الأطلس الكبير الغربي، شمال تارودانت.

يستعمل الفلدسبات في الصناعات الخزفية وتحضير المواد المقاومة للحرارة.

أنتج المغرب من الفلدسبات، في سنة 2000 حوالي 19 ألف طن.

الفليورين : يعتبر الفليورين أو الفليوريت المعدن الرئيسي لعنصر الفليور. ويستعمل في إنتاج الحمض الفليورهدري، في الصناعات الخزفية وفي الأدوات البصرية. تختلف مظاهره بين المكعبات والرباعيات... وألوانه بين الأخضر والأزرق والأصفر وعديم اللون.

بالمغرب، تمت الإشارة إلى الفليوريت في جملة من المواقع، يوجد بها مستقلا أو مقرونا بالبرتين أو بتمعدنات الرصاص والزنگ.

جاء وصف الفليوريت في زراهينة، بناحية خنفيرة، في سيدي عياد وتمازرت، بناحية ميدلت، في وزان... لكنه لم يحصل استغلاله إلا في الحمّام، بناحية الخميسات، وفي جبل تيرمي بناحية تاوريرت.

يوجد على شكل عروق، متعمقة في أراضي الحقب الأول، على ارتباط بالإندساسات الصهيرية.

كان إنتاج المغرب من الفليوريت، سنة 2002، زهاء 95 ألف طن، دون احتساب الفليور المرتبط بالفوسفاط.

فنادنيت : لا ينتج المغرب الفناديوم، لكن الفنادنيت الموجودة به قد اكتسبت الشهرة لدى العدانيين ومجمعي التحف. وهي فنادات الرصاص الكلوروري للتمعدنات الحاملة للرصاص. استنبط المعدن اسمه، لغة، من فناديس، الآلهة الاسكندنافية للجمال والشباب.

اشتهرت بعض المواقع بنوعية ما بها من الفنادنيت، منها على الخصوص مناجم ميبلادن، حيث تمت الإشارة إلى بلورات مسدسة ذات مقاطع من عدة سنتمترات، لونها أحمر أرجواني شفاني، أسعدت الهواة في العديد من معارض العالم. توجد الفنادنيت في العروق الصخرية بتدوات، بناحية الطوس، جنوب الرشيدية، حيث تبدو مشكلة من بلورات صغيرة، حمراء قانية.

كما جاء وصف لضرب من الفنادنيت، بمنجم بديان، بناحية تويسيت، جنوب شرق وجدة، هي فنادنيت زرنيخية، رمادية اللون، تدعى اعتياديا أندلشيت.

يستعمل الفناديوم بالأساس في الأشابات الخاصة، كما يقوم بدور الحفاز في إنتاج حمض الكبريتيك ومن أجل أكسدة العديد من المواد العضوية.

الـكُحل : الكحل أو الخضاب عبارة عن خليط، يتمثل مقومه الأهم من الإثمد أو من الغلينة. أبسط صيغه هي مسحوق الإثمد.

الإثمد هو كبريتور الأنتيمون، ويظهر في هيئة إبر دقيقة مسودة، ذات لمعان فلزي. أما الغلينة فهي المعدن الأهم للرصاص، بصيغة كبريتور كذلك. قد توجد هذه المعادن مجتمعة ببعض المناجم كتلك التي توجد بالمغرب الأوسط، إذاك يصعب تصريف المعدن لأن الخليط يضر بالمنتوج.

هناك المئات من مناجم ومكامن ومناسيب الرصاص المعلومة أو حتى المستغلة بالمغرب، في حين تبدو مناجم الأنتيمون بأعداد أقل، ليس منها ما هي قيد الاستغلال بالمغرب منذ متم الثمانينيات. أما الإنتاج الوطني من الرصاص فهو مستمر، حيث بلغ، سنة 2002، حوالي 88.500 طن.

الگرافيت : الگرافيت هو الشكل السداسي للكربون، الذي يعطي، في شكله المكعب، معدن الماس.

ينحدر الگرافيت من تبلر الكربون، المعدني أو العضوي، في علاقته بزيادة الضغط والحرارة، الأمر الذي يفسر أكثر مناسبات العثور عليه من ضمن الأراضي التحولية. لكنه يوجد كذلك مقترنا بالصخور الرسوبية، معطيا سحنات فحمية.

يستعمل الگرافيت كرصاص للأقلام، وفي المفاعلات الذرية من أجل تبطئة إصدار الهتامات. تؤهله توصيليته الجيدة إلى الدخول في التقنيات الكهربية وإنتاج البطاريات الجافة المكونة من أنود الزنگ وكاتود الگرافيت محاط المنغنيز مع إلكتروليت كلورور الأمنيوم.

بالمغرب، ورد التعريف بالگرافيت في مواقع مختلفة، منها الشيست السيلوري بهضبة يَطّو، بين مكناس وآزرو، والشيست الأوردوفيسي لبوزنيقة، وبالجوار من گرانيت تيشكا... لكنه لا يستغل إلا عند بني بوزرع، بالريف الداخلي، وفي فرق الما، بناحية سيدي بوعثمان، شمال مراكش. وبالريف، جاءت الإشارة إلى گرافيت ثماني يدفع إلى التفكير بضرب من الماس المتراجع التحول.

الكلسيت : الكلسيت هي المعدن الاعتيادي والرئيسي للعديد من الأجسام العضوية البحرية المحارات والأجهزة المرجانية التي تعتمد كربوناط الكلسيوم كصيغة كيماوية. وهي بالأساس مكون الأكلاس في مختلف تجلياتها كالهوابط والصواعد. معدنها متبلر في الموشور السداسي، لونه أبيض، يمكن أن يختلط بمختلف الشوائب ومنها أكاسيد الحديد، فتلونه إلى الوردي ثم إلى كل مراتب الدكنة.

تستعمل الكلسيت في مواد البصريات، وصناعات التعدين، وفي الصباغة، وإنتاج الإسمنت والمطاط وغيرها.

بالمغرب، بالإضافة إلى المنكشفات الكلسية الاعتيادية، فإن هناك مواقع لتمركز الكلسيت كظاهرة سطحية قارية، مرتبطة بعمليات تفسخ الأكلاس وإعادة تبلرها، كما هو معلوم في أنواع القشرة والرصراصة. وقد سجل في موقع جبل مهدي، بناحية بولمان، احتياطي من الكلسيت من هذا القبيل يقدر بخمسة مليون طن.

الماروكيت : الماروكيت عبارة عن أوكسيد المنغنيز. اكتشف في بداية الستينيات بمنجم تاشگاگالت، بناحية ورزازات. وقد سمي بالماروكيت كناية على بلد المغرب (ماروك، باللغة الفرنسية) الذي اكتشف به، وولاء له.

يتمظهر الماروكيت بشكل بلورات موشورية مسطحة، لونها أسود لامع، لها بريق أخاذ. التكافؤ الثلاثي للمنغنيز به يجعل منه معدنا نادرا.

الملح : الملح، ويسمى كذلك الهاليت، معدن من طراز الإبخاريات، يتوضع بفعل التركز إلى حد الإشباع على إثر تبخر مياه البحر. يوجد عامة ضمن الطيات الخارقة، وكذلك في الملاحات والسبخات.

يتمظهر الملح عامة في هيئة كتل ناقصة التبلر، وكذلك في صورة بلورات كبيرة تامة التبلر. لما يكون طاهرا، يبدو شفافا، عديم اللون، تجعله الشوائب يتلون بصفات مختلفة.

مرت الأرصدة الملحية من فترات خصاص، حسب الزمان والمكان. فعلى الرغم عن توافرها في مياه البحر بمعدل نسبة 32 غ / ل، فإنها استعملت على عهد الرومان لتأدية أجور الجنود، من ذلك وحدة الجذر اللغوي اللاتيني في كلمتي ملح وأجرة (صال وصلاريوم). كما أنها استبدلت وزنا بوزن مقابل الذهب مع القوافل الآتية من إفريقيا جنوب الصحراء.

يعرف الملح استعماله الشامل بالطبخ كتابل أول في الطعام. وهو كذلك مادة أولية أساسية في الصناعات الكيماوية والكهركيماوية.

بالمغرب، يتم استغلال العديد من مناجم الملح الحجري عبر كل البلاد. ينتسب أهمها إلى فترات النظام الترياسي (المحمدية، مقدمة الريف، الأطلس الكبير، المغرب الشرقي).

يستخرج الملح من الملاحات الطبيعية (الوليدية، بحيرة زيما...) أو الاصطناعية (ملاحات أمسيتن بناحية الصويرة، ملاحات حلوة رشية بناحية گرسيف).

بلغ إنتاج المغرب من الملح سنة 2002، حوالي 267 آلف طن.

عدي عزى

**المنار** (صحيفة) **والمغرب**، تعتبر المنار أبرز العربية خلال الثلث الأول من القرن العشرين، وقد أسسها الداعية المصلح اللبناني محمد رشيد رضا (1865 - 1935) بعد هجرته إلى مصر بوقت قصير جدا، إذ صدر العدد الأول من هذه الصحيفة بتاريخ 22 شوال 1315 الموافق لـ15 مارس 1898، كجريدة أسبوعية، ثم تحولت في العام التالي

إلى مجلة شهرية. ولم تعالج المنار إلى سنة 1905 القضايا السياسية بشكل مباشر وإنما اقتصرت على "الإصلاح الديني"، لتبدأ خطا تحريريا مغايرا بعد التاريخ المذكور. تولى رشيد رضا تحرير جل مواد *المنار* من دون أن يوقعها، بينما حملت مواد غيره أسماء أصحابها، وقد صدر من هذه المجلة 34 مجلدا، كان آخرها عام 1935، حيث وزع الجزء الثاني من المجلد الأخير بعد وفاة المؤسس رشيد رضا الذي استلهم تجربة "العروة الوثقى؛، التي أصدرها في باريس كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده سنة 1884، وكتب رضا عن أثرها في توجيهه الفكري الإصلاحي "وأكبر أثرها عندي أنها هي التي وجهت نفسي للسعي في الإصلاح الإسلامي (...) هدتني العروة الوثقى إلى المناشيء والعلل". ومن أهم ما نشرته على أعمدتها تفسير محمد عبده للقرآن وكتاب *أم القرى* للكواكبي، كما خصصت بابا للنوازل والفتاوى وتناولت مختلف القضايا (الأزياء، التدخين، اليانصيب، التأمين، التغذية، رؤية الأهلة والعمل بخبر التلغراف والتلفون، المشروبات الروحية، التسليات والألعاب... إلخ). وخصصت *المنار* بابا لأخبار البلاد الإسلامية وآخر في مراجعة المؤلفات والتعريف بها، ونافحت بقوة عن موقف قاسم أمين في موضوع "*تحرير المرأة*" وعالجت القضايا الحساسة جدا التي شهدها العالم العربي في الثلث الأول من القرن العشرين، من أبرزها ثورة العرب على الأتراك العثمانيين (1916) والصراع الهاشمي السعودي في شبه الجزيرة العربية، وإلغاء الخلافة الإسلامية من قبل أتاتورك. وعملت على رصد أطوار النهضة اليابانية وناقشت إشكاليات مهمة مثل تعليم الفتاة، وقضيتي الحجاب والرق، واهتمت بالنشاطين الماسوني والتبشيري في العالم العربي الإسلامي.

أبدت *المنار* اهتمامها بالشأن المغربي اعتبارا من الأجزاء الأولى للمجلد الأول (15 مارس 1898) وخاصة الأجزاء 15. 31. 40 و49 . وقد تنوعت المواد المنشورة عن المغرب إذ تراوحت بين الأخبار والتعاليق القصيرة والمقالات التفصيلية. وتم التطرق للشأن المغربي، إجمالا، في سياق تناول *المنار* للضغط الاستعماري الأوربي على المغرب، وكثيرا ما نقلت مقتطفات أو ملخصات عن صحف عربية وغربية، وأحيانا مقالات طويلة، عن أحوال المغرب. ففي المجلد الأول (الجزء 15، ص. 272. 273 )، نشرت تحت عنوان "مراكش الاضطراب فيها"، نقلا عن جريدة *السلام*، تقريرا عن تدهور الأوضاع في المغرب، وتدخل القوى الأوربية في شؤونه والتنافس فيما بينها لتقسيمه، ورد فعل على الخصوص "ويظهر أن نصيب هذه المملكة التعيسة سيكون كنصيب الجزائر وتونس ومصر..."، ولم تكتف *المنار* بنقل محتويات هذا التقرير وإنما علقت على مضمونه، واضعة المغرب ضمن قائمة "الأمم الهمجية" التي لا يمكنها مناوأة الأمم المتمدنة إلا إذا اتخذت السبل الكفيلة بذلك، ولهذا وجهت النصيحة لأهل مراكش (المغرب) بنبذ التقليد وأخذ العلوم العصرية وألحت على السلطان مولاي عبد العزيز بضرورة الاستعانة بالدولة العثمانية واستقدام الأطر منها في المجالات الاقتصادية والعسكرية وغيرها. وفي المجلد ذاته (ج. 11، ص. 605) علقت *المنار* ضمن فقرة مقتضبة على عملية دفع الأموال لدولتي البرتغال وإيطاليا "تعويضا عن تعدي عصائب الريف على رعاياها فهكذا الجهل يدمر البلاد". وقد ورد هذا التعليق في سياق رد *المنار* على بعض الجرائد الإسلامية التي اتهمتها بالمبالغة في تغطيتها لأخبار المغرب: "وتقول بعض الجرائد الإسلامية إننا هولنا في شأن مراكش حين أنذرناها بالهلاك إذا لم تصلح شؤونها وهؤلاء غاشون للمسلمين وأولئك عار على الإسلام". ونشرت *المنار* في المجلد الأول كذلك (ج. 40، ص. 794. 797 ) مقالا تحت عنوان "*المغرب الأقصى* : هل يمكن استرجاع مجد الشرق بقوة الإسلام"، وهو من توقيع ن. الفويكي بعثه من طنجة بتاريخ 6 ديسمبر 1899. ولعله اسم مستعار لأحد رموز اليقظة المغربية وقتذاك. وقد كتب هذه المادة بأسلوب حماسي وانفعالي على غرار ما تحرر به الخطب، حيث تم التطرق لوضعية العالم الإسلامي عامة، مع الإشارة على وجه الخصوص لاستحكام الفوضى في بلاد المغرب والتضييق الذي تمارسه فرنسا عليها. وذيلت *المنار* هذه المادة بتعليق مفصل تضمن بين الحين والآخر إشارات إلى "مراكش" باعتبارها بلدا يفتقد النظام وخاضعا لسياسة الترضية النقدية لفائدة القوى الأوربية مما يبين هوانه وضعفه.

وتعكس المادة المنشورة في المجلد الأول كذلك (ج. 49، ص. 949) تحت عنوان "*الإصلاح الإسلامي والجرائد*"، طبيعة الجدل الدائر آنذاك بين الصحف العربية الإسلامية حول تغطية أوضاع المغرب، وخصوصا بين *المنار* نفسه وجريدة "*معلومات العربية*"، التي انتقدت مسلك *المنار* المتمثل في بيان ضعف المغرب واختلال شؤونه بما يخدش كرامته، وقد دافعت *المنار* عن توجهها الانتقادي الذي لم يتعلق بالمغرب فقط، وإنما شمل العالم الإسلامي برمته مستشهدة على ذلك بما نشرته جرائد أخرى مثل "*المؤيد*" المصرية و"*إقدام*" التركية، كما استندت إلى مقالة المراكشي (ن. الفويكي) السابق الذكر. ونشرت *المنار* (المجلد 2، الجزء 48، ص. 1899. 1900) مقالا مستقلا في انتقاد حكومة مراكش أيام السلطان مولاي عبد العزيز تحت عنوان معبر "*استنهاض همم*". وقد شكل موضوع الإصلاح والتدخل الأوربي في أوضاع المغرب الاهتمام الأساس *للمنار* بالشأن المغربي إلى حدود سنة 1911. ففي المجلد الثالث (ج. 8، ص. 192) تناولت تعدي فرنسا على واحة طوات (توات)، ونقلت ما أوردته وكالة Havas في

برقياتها عن هيجان القبائل المغربية الحدودية وتفاعلها مع هذا العدوان، ونشرت في المجلد الرابع 1901 / 1902 (ص. 715) تحت عنوان "*أمنية في إصلاح مراكش*" فقرة تمنت فيها مجددا، استعانة سلطان المغرب بالسلطان العثماني لإصلاح أوضاع البلاد ارتباطا بالأخبار التي راجت عن اضطراب أحوال المغرب وتشوف فرنسا للسيطرة عليه. وعادت *المنار* المجلد ذاته (ص. 916 - 917) للموضوع ذاته، فاستنادا إلى برقيات Havas عن ورود سفارات أوربية على البلاط المغربي، جددت المجلة إلحاحها على ضرورة استعانة السلطان مولاي عبد العزيز بالسلطان العثماني لترتيب أحوال البلاد وذلك في سياق تعليقها على استقدام مولاي عبد العزيز لضباط إنجليز معتبرة ذلك بمثابة تسليم معنوي للبلاد، آخذة على سلطان المغرب تنازعه مع السلطان العثماني على لقب "خليفة" الذي أهلك بلاد الإسلام. ومن الأمور اللافتة للانتباه، أن *المنار* (المجلد 6، الصادر بتاريخ 22 - 10 - 1903، ص. 609 - 610)، علق آمالا عريضة على تمرد بوحمارة وهو في أوج عنفوانه لإحداث إصلاحات وتغييرات في حال نجاحه "فإذا ظفر مولاي محمد [بوحمارة] فلا بد أن تجدد للبلاد حكومة فيها شيء من القوة والنظام وينتظر أن تكون أمثل من حكومة عبد العزيز على كل حال فإن هذا [السلطان مولاي عبد العزيز] مفتون بالزينة والترف". ونقم *المنار* على مولاي عبد العزيز بشدة لعدم استجابته للنصح بإدخال الإصلاحات اللازمة والاستعانة بالدولة العثمانية لإنجاز ذلك، وأفاد المقال بأن "المنار يرسل من أول نشأته إلى وزير خارجية المغرب الأقصى وغيره من كبراء البلاد ولكن من يقرأ ومن يسمع لنا ولأمثالنا"، وتم الاعتماد على ما كتبته صحيفة "*الحاضرة*" التونسية عن سوء أحوال المغرب، والجدل الذي دار بين كاتب تونسي وآخر جزائري حول مستقبل المغرب. وانتقد *المنار* في المجلد نفسه (ج. 17، 20 نوفمبر 1903، ص. 838 ) تحت عنوان "مسألة مراكش رأي المنار ومكاتب التيمس [Times]" الدور السلبي لمراسل الصحيفة المذكورة في البلاط العزيزي، وكتب بلهجة النقمة والسخرية معا "مستر هاريس مراسل التيمس في مراكش صاحب العلاقة الكبرى والزلفى العظمى لدى مولاي عبد العزيز". وفي المجلد ذاته، نشر المنار رسالة لبعض علماء فاس في تأييد فتوى الديار المصرية بشأن حلية طعام أهل الكتاب وخاصة ذبائحهم وهي المعروفة بـ"الفتوى الترنسفالية"، وجاء هذا التأييد تحديدا من المهدي الوزاني حيث تم الاستناد إلى فتواه لتدعيم فتوى محمد عبده. وفي إطار تجاوب علماء المغرب مع ما كان ينشره المنار. ورد في المجلد ذاته (ص. 938 ) تعليق من عالم مغربي بمدينة وجدة على فتوى محمد عبده في موضوع شركة التأمين على الحياة.

وأفرد *المنار* للاتفاق الودي الفرنسي الإنجليزي حول المغرب ومصر (1904) حيزا ضمن (المجلد السابع، ص. 119 - 120)، كما انفعل بالأحداث التي سبقت انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء، ومن ذلك التئام مجلس الأعيان كرد على "الإصلاحات" التي حملها المبعوث الفرنسي تاياندييي، وزيارة إمبراطور ألمانيا لمدينة *طنجة*. وقد استهل المقال على النحو التالي "أحوال المغرب الأقصى في غاية الارتباك والتشوش"، وهو مليء بالسخرية من أوضاع المغرب ومن ذلك قراءة الطلبة للطيف في محاولة لدرء الأطماع الفرنسية، واعتقاد المغاربة في الدعم الألماني (زيارة غليوم) واغترارهم بذلك : "ليت المغاربة يعلمون أن ألمانيا ليست خيرا من فرنسا في مستعمراتها بل هي شر منها"، وانتقد المقال اتكال المغاربة على الكرامات لدفع الخطر الخارجي، وعذل المهدي الوزاني بشدة وتمت السخرية منه بخصوص موقفه المناهض لموقف محمد عبده في موضوع الكرامات "ولا يخفى أن هذا الرجل [الوزاني] ومن ماثله يحصلون على قوتهم من وراء قبور الأولياء"، وقد كتب هذا المقال في فاس ولكن دون الإفصاح عن صاحبه، مثلما جرت العادة في شأن المراسلات الواردة على المجلة من المغرب (*المنار*، المجلد 8، ج. 4، 21 / 4 / 1905، ص. 158 - 160 ). وتناولت في المجلد التاسع (ج. 2، ص. 156 - 157 ) موضوع مؤتمر الخزيرات وما يمكن أن يترتب عليه بخصوص مستقبل المغرب.

وغطى *المنار* أحداث الدار البيضاء ضمن مادة مستقلة بعنوان "المسألة المراكشية وحرب الدار البيضاء" وقد رددت المجلة ما ورد في مواد سابقة لها في شأن إعراض المغاربة عن الإصلاح وجهلهم وجمودهم رغم أنها أشادت ببسالتهم في مقاومة الغزو الفرنسي، واعتبرت المجلة ما حصل في الدار البيضاء إشارة واضحة إلى "زوال استقلال المغاربة" (المجلد 10، ج. 12، ص. 554 - 557). وأورد *المنار* في المجلد 11 (ج. 11، 24 / 12 / 1908، ص. 831 ) ملخصا لمحاضرة ألقاها رينيه في مؤتمر إفريقيا الشمالية، ونشرت في المجلة الاستعمارية الفرنسية. وقد تضمنت نقدا لنظام جباية الضرائب في المغرب حيث يتم الاعتماد على تنقلات السلطان عوض الأساليب النظامية في عملية الجباية، وهذا بمثابة شهادة عن سوء أحوال المغرب وغياب التنظيمات العصرية فيه.

وخصص *المنار* حيزا مهما لأحداث المغرب قبيل فرض الحماية الأجنبية من ذلك ما ورد في المجلد 14 (ج. 5، ص. 352 ) حيث تم التطرق في فقرتين لموضوع حصار القبائل لمدينة فاس واستنجاد السلطان بالقوات الفرنسية. ومرد كل ذلك حسب المجلة، الجهل والفساد وعدم الإصغاء إلى ما نبه إليه *المنار* منذ سنوات. وفي المجلد عينه (ج. 5،ص 398 - 399) بين *المنار* وجود "الجامعة الإسلامية" بشكل صوري،

ارتباطا بعدم اهتمام الدولة العثمانية وفارس وغيرهما بأحداث المغرب : "كنا نعرف أخبار الثورة في البلاد المغربية من *المقطم والأهرام* . وقلما نرى حديثا عنها في جريدة من جرائد المسلمين وأما جرائد الآستانة والجرائد الفارسية فلا قيمة لمراكش عندهن". وأبرز *المنار* في المجلد 14 كذلك (ج. 6، 27 / 6 / 1911 ) ضمن باب "العالم الإسلامي والاستعمار الأوربي" ردود فعل الصحافة الفرنسية على نظيرتها المصرية التي استنكرت عملية الشروع في احتلال المغرب، وعاد *المنار* في المجلد 15 (ج. 4، 17 / 4 / 1912) لموضوع الاتفاقيات السرية الخاصة بالمغرب، وقد نقلت مواد هذا الموضوع عن جريدة الأفكار" الصادرة في ساوبولو بالبرازيل (ص. 299 ـ 304).

وبعد فرض الحمايتين الإسبانية والفرنسية على المغرب، استأثر موضوعان أساسيان من الشأن المغربي باهتمام *المنار* هما الثورة الريفية والظهير البربري. ففيما يخص الأمر الأول، نشر على أعمدة *المنار* خمس مواد أساسية هي كالتالي :

ـ مقال لشكيب أرسلان بعنوان "بطل العرب والإسلام القائد الكبير محمد عبد الكريم"، (المجلد 24، ج. 9، ص. 684 ـ 691).

ـ مقال أحمد رشيد رضا "بطل العرب والأسلام وأندلسهما الثانية" (المجلد 25، ج. 7، ص. 557 ـ 560).

ـ مقال مترجم للكاتب الإسباني أنريكو دي مناس عن محمد بن الكريم الخطابي وثورة الريف (المجلد 26، ج. 2، ص. 146 ـ 155).

ـ مقال ثان لمحمد رشيد رضا بعنوان "حرب الريف أو الأندلس الجديدة : مساعدة منكوبيها وضروب من العبر فيها"، مرفوق بنداء من جمعية الرابطة الشرقية لإعانة جرحى حرب الريف في المغرب الأقصى (المجلد 26، ج. 3، ص. 217 ـ 222).

ـ مقال آخر لمحمد رشيد رضا حمل عنوانا مثيرا هو "جهل زعماء المسلمين ومفاسد أهل الطرق والشرفاء وكونهما سببا لفشل زعيم الريف المغربي"، ومن عناصر هذه المادة حديث الخطابي لإحدى الصحف الغربية منقول إلى جريدة *الشورى*، وهو بمثابة تقييم ذاتي لإخفاق الثورة الريفية (المجلد 27، ج. 8، ص. 630 ـ 634).

وخصص المنار حيزا مهما لقضية الظهير البربري في المجلد 31 ، إذ فصل تفصيلا في السياسة الدينية التمييزية لفرنسا في المغرب ورصد مختلف المواقف وردود الفعل إزاء الظهير البربري والسياسة الفرنسية في المجال الديني ليس في المغرب وحسب وإنما في مجموع العالم الإسلامي كما تم التعبير عن ذلك من قبل العلماء والصحف والجمعيات والأندية وغيرها من الهيآت (ج. 2، ص. 150 ـ 151، ج. 2، ص. 205 ـ 235، ج. 3، ص. 300 ـ 317).

وإلى جانب هذين الموضوعين الأساسيين، نشر *المنار* "رسالة من مسلم عالم غيور من مراكش" (المجلد 28، ج. 9، 24ـ11 ـ 1927، ص. 701 ـ 702)، وقد تضمنت إشارات مهمة جدا إلى أوضاع المغرب في أواخر العشرينيات، دون أن تفصح المجلة، مرة أخرى، عن الاسم الحقيقي لصاحب الرسالة. كما نشر *المنار* قبل ذلك، في أربع حلقات مقالا عن الإصلاح الإسلامي في المغرب الأقصى من دون ذكر المصدر (المجلد 28، الأجزاء 1، 2، 3، 4، مارس ـ ماي 1927.

وكثيرا ما أشار *المنار* إلى المغرب في سياق تناوله لبعض القضايا العربية الإسلامية، من ذلك أنه لما تعرضت المجلة في أحد مجلداتها لاستخدام القوى الاستعمارية الأوربية للحكام المسلمين في القضاء على الثورات الداخلية أو لتسهيل عملية الغزو كتبت ما يلي "... وكما تسخر فرنسا سلطان مراكش اليوم في هدم قوة أبناء جلدته ووطنه ودينه الريفيين، وهي ما فتحت سلطنته إلا بمسلمي الجزائر، وما فتحت الجزائر من قبل إلا بمساعدة سلفه الطالحين من سلاطين مراكش" (المجلد 26، ج. 6، 18 أكتوبر 1925). وقدم *المنار* إفادات مهمة عن نشاط مغاربة في أصقاع أخرى، من ذلك وجود ضابط مغربي ضمن مدفعية الجيش الهاشمي بالمدينة المنورة خلال المواجهة العسكرية بين قوات الشريف حسين وقوات آل سعود، ووجود مغربيين كذلك في خدمة الشريف حسين، حيث قاما بالدعاية لفائدته في الهند "...ومنهم الوفد الذي أرسل إلى الهند فأحدث فيها فتنة لا يستهان بها، وزعيماه محمد طاهر الدباغ والطيب الساسي وهما من المغاربة المقيمين بالحجاز وثانيهما كان مستخدما في إدارة جريدة *القبلة الحسينية*" (المجلد 26، ج. 6، 18 / 10 / 1925، ص. 454 ـ 477 ). ومن الأمور المثيرة التي أشارت إليها المجلة رغبة السلطات الفرنسية في تعيين سليل من الأسرة الحاكمة في المغرب على رأس الحكم في سوريا، وقد علق المنار على هذه الفكرة بصيغة الاستهجان "... وقد نسينا في أول المقال أن نذكر ما نقلته الصحف من ترشيح فرنسي لرجل من أسرة سلطان المغرب الأقصى لما رأته من طاعتهم وكونهم لا علم لهم ولا إرادة غير ما تريده منهم فذكرناه هنا تتمة للفائدة، ولا يرضى بذلك من أهل البلاد [سوريا] أحد من الوطنيين المستقلي الفكر كما هو ظاهر بالبداهة" (المجلد 29، ج. 3، 18 يناير 1928).

ورغم الموقف السلبي *للمنار* من السلالة الحاكمة في المغرب قبل فرض الحماية وبعدها، واعتبار بعض سلاطينها مسؤولين عن عدم القيام بالإصلاح (مولاي عبد العزيز) أو التواطؤ مع الفرنسيين والإسبان ضد زعيم الريف (مولاي يوسف)، فإن *المنار* وصاحبها لقيا قبولا حسنا جدا في أوساط النخبة المغربية بفعل الأفكار التجديدية التي نشرتها هذه المجلة. وقد التقى محمد الزبدي الرباطي (ت. 1963) بالشيخ رشيد رضا فوجده مطلعا على أحوال المغرب اطلاعا كبيرا، وأن لديه نية صالحة لأجل إصلاح أوضاعه، ويبدو أن هذه الفكرة هي بمثابة رد من رشيد رضا على العتاب الموجه

له بشأن قسوته في انتقاد أحوال المغرب ومسؤوليه. وقد انضم بعض المغاربة إلى دار الدعوة والإرشاد التي أسسها محمد رشيد رضا، منهم محمد العربي الخطيب التطواني (ت. 1980) الذي أطرى على مؤسس *المنار* ومديره ضمن *أرجوزته القرآنية* في التوحيد والإرشاد (*معلمة المغرب*، المجلد 11، ص. 3780)، حيث شرح منهجه فيها قائلا :

بنهج شيخه الإمام المرتضى     محمد رشيد رضا من آل الرضا

وقد حصل *المنار* على تجاوب واسع في أوساط الحركة الوطنية الناهضة واعتبر أحد مصادر إلهامها. كما يذكر أن بعض الخطباء كانوا ينتقون خطبهم من بعض المجلات الإسلامية التجديدية وفي صدارتها "المنار" ومنهم الصديق الشدادي الرباطي (ت. 1959) (*معلمة المغرب*، المجلد 16، ص. 5310).

وخلفت وفاة محمد رشيد رضا حسرة كبيرة في أوساط النخبة المغربية وقد نعتته مجلة *المغرب الجديد* الصادرة في تطوان ضمن فقرة مليئة بالإطراء على دوره في الإحياء الإسلامي "أبلغتنا الصحافة المصرية الشقيقة، *والمغرب الجديد* تحت الطبع أن قائدا من قواد النهضة الإسلامية قد سقط في الميدان وهو يؤدي واجبا من واجباته المقدسة ذلكم القائد أيها القراء الكرام هو الشيخ رشيد رضا منشئ *المنار*، الذي واصل في سبيل خدمة الإسلام ليله بالنهار..." (العدد 4، 1935، ص. 18). وتكريما لروحه نشر *المغرب الجديد* في العدد الخامس 1935، ص. 45 ـ 48 نص الكلمة التي ألقاها عبد العزيز الثعالبي في حق الشيخ وكلها تنويه بالخدمات التي قام بها لفائدة التجديد والتنوير. وكان المغرب الجديد قد نشر عبر حلقات (من العدد الثاني إلى العدد 7، 1935) بحثا لهنري لاوست ومن تعريب محمد بن الحسن الوزاني عن "الحركة الإصلاحية السنية المعروفة بالسلفية والصفات العامة لوجهتها الحاضرة"، تضمن إشارات كثيرة إلى المنار ودوره الريادي في الإصلاح الإسلامي، من ذلك الجملة التالية "*فالمنار* لا يزال عديم النظير، وبقي حتى الآن مشروعا فريدا في بابه".

محمد بلحسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982 ؛ وجيه كوثراني، *مختارات سياسية من مجلة المنار*، ط 1، بيروت، 1980 ؛ محمد صالح المراكشي، تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار، 1898 / 1935، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985 ؛ عبد الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، ج. 1، ط. 1، الرباط، 1971 ؛ *معلمة المغرب*، مطابع سلا، ج. 11، 2000، ج. 16، 2002 ؛ أحمد المكاوي، *ثورة الريف بزعامة الخطابي من خلال مجلة المنار*، *أشغال الجامعة الخريفية* (الدورة الثانية عشرة)، *مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، 10 ـ 19 نوفمبر 2004*.

أحمد المكاوي

**المنازل الفلاحية**، جمع منزل ومنزلة، وهي في الأصل منازل القمر وعددها 28 منزلة يستغرق سير القمر فيها وقتاً محدداً، وهي معلومة عند الفلكيين والمنجمين ؛ أما المنازل الفلاحية فهي نفسها منازل القمر موزعة على شهور السنة الشمسية وقد ربط علماء الفلاحة وعرفاؤها بينها وبين المواسم الفلاحية وتقلبات أحوال الطقس وتبدل المناخ على الأرض فنسبوا لكل منزلة أشغالاً فلاحية معينة وأحوالا طبيعية محددة، وتواترت هذه الأحوال والربط بينها منذ التاريخ القديم ؛ ومن عرفاء الفلاحة وعامة البادية طويلة الأمد فنظموا شعراً وحكماً وأمثالا في ذلك نورد منها على سبيل المنازل بعض ما قيل في الجهات الوسطى من البلاد مع العلم أن الأمثال تختلف : منزلة "سعد السعود" "يجري الما في العود ويفرح كل مولود".

إشارة إلى كثرة الأمطار والعشب والحليب فيشبع كل مولود من البشر والحيوان "سعد الخبية تخرج كل من هي مخبية وتجي النحلة مهبية".

منزلة "سعد بلع سخرو ما يسمع وكلو ما يشبع" إشارة إلى شدة البرد والقر.

تجاوز عرفاء الفلاحة في البادية المنازل فتحدثوا عن الشهور بجميع منازلها فقالوا عن فبراير مثلا : "براير يشفيها من كل ضراير" أي أن الأمطار إذا تأخرت أو لم تكن كافية وأمطر فبراير فسيكون علاجاً شافياً. وعن مارس :

"إلا وجدها غبار يردها نوار

والاوجدها نوار يزيد نوار على نوار"

أصل أسماء المنازل من العربي الفصيح وتعود إلى تاريخ العرب في شبه الجزيرة العربية وقد أطلقوا هذه الأسماء على الكواكب التي يحل القمر في تنقله بجوارها، فهي قراءة للسماء وقد اشتقوا هذه الأسماء من تشبيههم للكواكب بالحيوانات في الغالب الأعم كالأسد والحوت والعقرب ... فمنزلة الجبهة مثلا يقصد بها جبهة الأسد وكذلك الذراع ففي السماء تصطف مجموعة من المواكب مكونة ما يشبه صورة الأسد، ومنزلة الشولة يقصد بها ذيل العقرب وهكذا ...

ويمكن فهم ذلك بسهولة بتتبع المنازل. وتوزيعها على شهور السنة الشمسية.

سليم أفندي، *كنز الناظم*، بيروت، 1878 ؛ ابن البنا، *رسالة في الأنواء*، الرباط، 1948 ؛ ابن بصال، *كتاب الفلاحة*، تطوان، 1955؛ أبو خير، *كتاب الفلاحة*، فاس، 1936 ؛ ابن الحاج، *فيض العباب*، نشر المحقق ابن شقرون، الرباط، بدون تاريخ ؛ ابن شريفة، *أمثال أبي يحيى الزجال القرطبي*، الرباط ؛ عبد القادر زمامة، الأمثال المغربية، البحث العلمي، يناير، 1966 ؛ محمد الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، د. د. ع، مرقون.

Dozy, *Le calendrier de Cordoue*, Leiden, t. 961.

محمد حجاج الطويل

**المنبهي، المهدي** بن **العربي**، قائد عسكري، وقائد قبيلة، وعون مخزني في السنوات الأخيرة من عهد السلطان مولاي الحسن (1290 ـ 1311 ـ 1873 ـ 1894)، ثم وزير للحربية المغربية ورجل المخزن النافذ الكلمة خلال السنتين الأوليين بعد وفاة الوزير الصدر أحمد بن موسى (أبّاً أحماد)

في 13 محرم 1318، الموافق لـ 14 مايو 1900. وهو كذلك من صنف أولائك الرجال الجدد، الطارئين على المشهد السياسي المغربي وقتئذٍ، والذي تضاربت الآراء والأحكام حولهم، ولاسيما من قبل من عاصره من الإخباريين والمثقفين ورجالات المخزن.

فمثلا، بقدر ما يرفع من شأنه، وينوه بشجاعته وكرمه الفقيه محمد بن الحسن الحجوي في مولفه : *"انتحار المغرب علي يد ثواره"*، حيث يقرّ بأن : "بيته بيت رياسة ومجد ... وهو من الرجال الشجعان إلى التهور في الشجاعة، ومن النبهاء الكرام المسرفين في الكرم ..."، يحط من قدره ويتحامل عليه، ويرميه بشتى أنواع القدح والتنقيص صاحب : *" التنبيه المغرب عما عليه الآن حال المغرب"*، الكاتب الأديب الحسن بن الطيب بن اليماني بوعشرين، حيث قال عنه، في سياق الحديث عن أعضاء الحكومة الجديدة الذين عينهم السلطان مولاي عبد العزيز (1311 ـ 1326 / 1894 ـ 1908 )، بعد وفاة الوزير الصدر أحمد بن موسى، ما يلي : "... وولى في محل السيد سعيد على العسكر خديمه القائد المهدي بن العربي المنبهي، من منابهة حوز مراكش، وهو رجل أمّي، لامسيس له بالسياسة ولا بأمور المملكة، وبسببه انحطت المملكة عن قدرها الرفيع، وانهار سدها المنيع...".

إن حكما صادراً عن شخصية مرموقة من رجالات القلم على عهد السلطان مولاي عبد العزيز على الخصوص، فضلا عن انتسابه إلى عائلة مخزنية عريقة في الخدمة يجسد أحسن تجسيد أنموذج العون المخزني الكبير المنحدر من أصول اجتماعية متواضعة ينمُّ، قبل كل شيء، عن شعور عميق بالإحباط والتذمر لدى فئة عريضة من أفراد النخبة المخزنية التقليدية، وهم يشاهدون ازدياد أهمية وتنامي نفوذ جماعات من الرجال الجدد في دواليب الدولة، لم يكن لهم لا نسب شريف أو عريق في الخدمة المخزنية، ولالهم نصيب يذكر من العلم، ولا هم من أصحاب الولاية والصلاح، بل نالوا الحظوة والجاه، عن طريق مؤهلاتهم العسكرية أو الزعامة السياسية، أو عن طريق الخبرة والتجربة المكتسبتين في ميدان التجارة والمخالطة مع الأوربيين. ولم ينفرد الحسن بن الطيب بن اليماني بوعشرين، بموقفه السلبي هذا من المنبهي وأضرابه، بل نجد أحكاماً مماثلة عند كل من الناصري في *الاستقصا ...*"، وبوجندارالرباطي في مؤلفه *"الاغتباط ..."*، وصاحب *"اللسان المغرب ..."* ابن الأعرج السليماني، ولكن انتقادهم كان موجها إلى فئة التجار وأصحاب المال.

وأياً كان الأمر، فلا مصادرنا العربية، بما فيها كتاب : *"الإعلام ..."* للقاضي العباس بن إبراهيم السملالي، ولا المصادر الأجنبية، ككتاب *"في صحبة السلطان"* لگابريل ثيو (Gabriel Veyre) ، أو كتاب گوستاف بابان (Gustave Babin) : *المغرب بدون قناع، صاحب السعادة"*. تمدنا بمعلومات ومعطيات كافية للإحاطة بشخصية الرجل وسيرته، منذ أن كان صغيراً يافعا إلى أن صار مسؤولا ساميا في المخزن، وهو الأمر الذي يتعذر معه مثلا ضبط تاريخ ومكان ولادته، أو الحديث عن ظروف نشأته وتربيته وتعلمه. ومع ذلك، فإننا سنحاول إعطاء فكرة عنه والوقوف عند بعض المحطات الهامة من مشواره المخزني.

إن أسرة مترجمنا، في مفهومها الواسع، لم تكن غريبة تماماً عن الخدمة المخزنية، قبل أن تتبوأ مكانة مرموقة، بل متميزة على يده. فوالده العربي قد شغل مهام المشيخة في قبيلة المنابهة وربما القيادة، إلا أنه، والأسباب لم تفصح عنها مصادرنا، تم عزله وتتريكه. وجريا على تقليد متأصل في العرف المخزني، كان على أسرة وأهل القائد أو الشيخ المعزول تسليم أحد أبنائها الصغار إلى المخزن، للانخراط في تنظيم "الشويردات". فكان صاحبنا هو ذلك الطفل الصغير الذي تم اختياره للالتحاق بمصالح دار المخزن بمراكش.

وترد في مصادرنا إشارات ومعلومات عن أفراد من أقاربه، وفي مقدمتهم ابن عمه القائد عياد بن أحمد أو حميدة المنبهي الذي تقلب في عدد من المناصب المخزنية، بدءاً من قيادة قبيلة المنابهة وغيرها من القبائل المجاورة لها كنفيفة ودمسيرة، وانتهاءً بعمالة الصويرة ما بين 1319 و1323 / 1901 ـ 1905 ، فضلا عن قيادته لفرقة گيش إخوانه بقصبة منشية مراكش، وللحركات والحملات العسكرية في جهات مختلفة في منطقة الحوز وخارجها. ومما يدل على ثقة المخزن بالرجل، وتثمينه لكفاءته العسكرية وخصاله، تعيينه كبيراً للمحلة التي ترأسها الأمير مولاي العباس بن الحسن والتي أمرت بالتوجه إلى منطقة تادلة وزعير وأعراب الرباط، مروراً بقبيلة السراغنة، ابتداءً من يوم الخميس 22 شعبان 1308، الموافق لـ 2 أبريل 1891، حيث كانت الانطلاقة من مدينة مراكش.

لم يكن القائد عياد هذا أول من برز من ءال المنبهي في الجهاز المخزني، بل سبقه إلى الانخراط في الخدمة المخزنية والده القائد حميدة، عمّ المهدي المنبهي، وذلك منذ عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن على الأقل (1276 ـ 1290 / 1859 ـ 1873 ). ويبدو أن الرجل كان من أعوان المخزن الأنجاد الذين يعول عليهم في قضاء الأغراض. وهذا ما أهله مثلا لتولي قيادة القوافل والمواكب المخزنية الموجهة إلى هذه الجهة أو تلك. وقد حدث ذات مرة، أن اعترض طريقه أناس وسلبوه بعض متاعه، كما نتبين ذلك مما ورد في وثيقة بتاريخ 5 جمادى الأولى 1282، الموافق لـ 16 سبتمبر 1865، حيث نقرأ ما يلي :

"... فإن أحمد بن محمد المنبهي اشتكى أنه أتى من سوس مع الحراطين، وأخذ له إخوان الشيخ حمان أحداً وأربعين ريالاً وأربعة أرباع ومكحلة وقرنا وكمية وبقرة ...".

وما يمكن استنتاجه أن صاحبنا قد نشأ في أسرة كان لها اعتبار وشأن في وسطها الإجتماعي، وأنه بالتالي، أمكنه تعلم مبادئ القراءة والكتابة. ثم إنه، ولاشك، ما إن بلغ سن البلوغ حتى صار يخوض في أمور القبيلة. فقد جاء عند گابرييل ڤير الذي تعرف شخصيا على المهدي المنبهي، وعاشره وحاوره بصفته مهندسا في خدمة السلطان مولاي عبد العزيز، مكلفا على الخصوص بإدخال بعض التقنيات والاختراعات الحديثة كالهاتف والكهرباء والتصوير الفوطوغرافي ... إلى القصر. لقد بدا له عند اجتماعهما أول مرة، في غضون سنة 1901 ، في سن تتجاوز بقليل الثلاثين سنة، أنه من مواليد أواخر العشرة السابعة من القرن التاسع عشر على وجه التقريب. ويبدو أن المهندس الفرنسي قد وفق نسبيا في تقدير سن مترجمنا، إذ باستطاعتنا الوصول إلى نفس النتيجة تقريباً، من خلال الإشارات والمعلومات الواردة في شأنه في الوثائق المخزنية. فقد جاء في واحدة منها، وهي بتاريخ 11 رمضان 1304، الموافق 3 يونيو 1887، أن القيّم على الأراضي الفلاحية بشيشاوة، واسمه عمر بن أحمد بوستة، تضيق الأمر عليه، ونفذ صبره من تصرفات خليفة القائد عياد بن حميدة المنبهي المكلف بحراثة الأراضي المخزنية هناك، ويتعلق الأمر بالمترجم نفسه. ومما ورد في رسالة بوستة المذكور إلى السلطان، ما يلي : "... إن قايد الماية المصطفى ولد أخنيشيش، لما وصل لشوشاوة، ينفذ كلام سيدنا، تلاقى مع المهدي الخليفة، ومكنه من الرشوة، ولم يمتثل ما أمره به مولانا...".

وءال خنيشيش المذكورون هنا، هم مَحمد خنيشيش، باشا مكناس والجيش البخاري بها، ووالد "المصطفى" المذكور وإدريس الذي تولى نفس المهام بعده، قبل أن يقيله السلطان، ويعين مكان الباشا الشهير حم بن الجيلالي سنة 1879.

وقد ظل المنبهي في منصبه هذا إلى أن كلف بقيادة فرقة گيش المنابهة بقصبة منشية مراكش، في السنوات الأخيرة من عهد السلطان مولاي الحسن، حيث ذكر اسمه، في وثيقة بتاريخ 24 جمادى الأولى 1310، الموافق لـ 14 دجنبر 1892، إلى جانب أسماء قواد فوق الگيش الأخرى، كالقائد محمد بن الحسن الحربيلي، (عن قبيلة حربيل)، ومبارك بن حمان الحمري (قبيلة احمر)، وقاسم بن الحافظ العبدي، وسعيد بن التمار العبدي (قبيلة عبدة)... ثم بعد هذا عيّن عونا في الهيأة المخزنية للخليفة السلطاني بفاس الأمير مولاي عمر الذي أسند إليه والده السلطان مولاي الحسن هذه المهام وهو يتأهب للقيام بواحدة من حركاته الكبرى وهي حركته ما قبل الأخيرة من فاس إلى تافيلالت أواخر سنة 1310 / 1893.

وفي الحاضرة الإدريسية، تعرف المنبهي على شخص غريب الأطوار وعجيب المشوار، زميله في الخدمة في مصالح القصر، إلا أنه كان أكثر منه جرأة وتهوراً وطموحاً، ألا وهو المغامر الجيلالي بن عبد السلام الزرهوني الذي ادعى الملك، واختلس شخصية الأمير مولاي مَحمد بن الحسن، وصار فيما بعد يلقب بالروگي بوحمارة. ومعلوم أن الأمير مولاي عمر، ما أن علم بأن الأمر قد تم لأخيه الأصغر سلطانا للمغرب، حتى ثارت ثائرته، واشتد حنقه وغضبه، وصدر منه كلام مشين في حق الحاجب أحمد بن موسى، الذي دبّر الخطة ونفذها ليستبد، بالأمر. وجريا على تقليد معهود في مثل المناسبة، توجهت وفود وجماعات من أهل المدينة إلى باب القصر السلطاني للتعبير عن فرحتهم وابتهاجهم بتنصيب السلطان الجديد. وكان الأمير مولاي عمر في هذه الأثناء، قد أصدر أوامره بأن يتصدى إليهم أعوانه، وفي مقدمتهم المنبهي وصاحبه. فتم طرد المهنئين من أمام أبواب القصر، ونهرهم، وإمطارهم بشتى أنواع السب والشتم، وانتزاع الآلات التي كانوا يقرعون عليها (الطبول)، أو ينفخون فيها (المزامير) وكسرها. فكان ذلك سبب تهميش الأمير وإبعاده عن الشؤون المخزنية، والزج بالعونين المتهورين في سجن الدكاكين بفاس. بذلك انتهت مرحلة أولى من مشوار مترجمنا في الأجهزة المخزنية، لتبدأ بعدها مرحلة ثانية، تميزت بارتقاء سريع في التراتبية المخزنية، وباتساع سلطته ونفوذه، وعلو كعبه، احتجن الأموال وتملك الأراضي والعقارات في أهم كبريات مدن المغرب، بل حتى في أصغرها كمدينة القصر الكبير مثلا.

ظل المنبهي رهن الاعتقال مدة تجاوزت، ولاشك، السنة. ثم أفرج عنه، بعد أن توسط له القائد عبد الحميد بن الفاطمي الرحماني لدى الوزير الصدر أحمد بن موسى. ولا يبعد أن يكون من بين السائرين في ركب السلطان مولاي عبد العزيز في سفرته من فاس إلى مراكش في خريف سنة 1895، بهدف وضع حدّ نهائي لانتفاضة الرحامنة الذين كانوا أعربوا، هم أيضاً عن تذمرهم وسخطهم ورفضهم لما قام به أحمد بن موسى، فحملوا السلاح ضد المخزن، بزعامة قائد مخزني سابق، مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحماني، احتجاجا على تنصيب مولاي عبد العزيز سلطانا للمغرب، على إثر وفاة والده مولاي الحسن في بداية شهر يونيو من

سنة 1894 ، عوض أخيه الأكبر مولاي محمد. وأيّاً كان الأمر، فاستظلال المترجم بقائد مسموع الكلمة في الدوائر المخزنية العليا، مهد له الطريق، ولاشك، للانخراط من جديد في الخدمة المخزنية، وإتاحة الفرصة للاقتراب من رجل المخزن القوي، الوزير الصّدر أحمد بن موسى، بل إنه نجح في التسرب إلى حاشيته والدخول في خدمته.

وكان هذا الأخير، لما أخمدت فتنة الرحامنة، قد سارع إلى مكافأة، باسم السلطان طبعاً، كلَّ من وقف إلى جانب المخزن وساعده على الانتصار، من العمال والقواد والشيوخ وغيرهم من أهل منطقة الحوز، على ما قدموه من عون وخدمات إلى المخزن، مغدقاً عليهم من فيض نعمه وجزيل عطائه، ما دعّم به قدمه، وقوى به مركزه، وفي مقدمة هؤلاء المهدي بن العربي المنبهي الذي اتسع حجم ونطاق إيالته، إذ أسند إليه الإشراف على قبائل وجماعات أخرى، وعزز بها حكمه على قبيلته التي أمر قائدها عياد بن حميدة المنبهي بالتخلي عنها. ونال هو كذلك بالمناسبة، نصيبه مما تمت مصادرته من ديار و"فنادق"، وحوانيت وعقارات أخرى بمدينة مراكش كانت في ملك المنتفضين من الرحامنة ومن سار على دربهم من أبناء القبائل الأخرى. وهكذا، نصّت وثيقة بتاريخ 20 جمادى الأولى 1314، الموافق لـ 27 أكتوبر 1896، على تمليكه ست حوانيت، و"فندق"، ودار بالملاح، و"عرسة" بأسكجور وجميعها كانت في ملك ابن عمه القائد عيّاد المعزول والمغضوب عليه مؤقتا، بسبب تهاونه أيام الفتنة وتمرد محكوميه عليه. وأشار صاحب "*الحلل البهية*..."، محمد المشرفي، إلى أن السلطان قد أنعم عليه "بفندق الهادي بطنجة، وفندق بنعودة بالقصر الكبير، مع ست حوانيت كانت متصلة به والمصرية التي فوقها...".

ومنذ هذا التاريخ، أخذت قدماه تترسخ في الجهاز المخزني، وصار الناس ينشدون صُحبته ووده، ويسعون إلى التقرب منه، ولا سيما وهو الآن من الملازمين لعتبة أحمد بن موسى. ولما توفي هذا الأخير في شهر مايو 1900، ازداد أهمية ونفوذا وسطوة وجاهاً في الجهاز المخزني، وقفز على الفرصة الثمينة للتقرب من السلطان مولاي عبد العزيز، والانفراد بالحظوة لديه، فبادر إلى فرض حراسة مشددة على أماكن سكنى الوزير المتوفى، استعداداً لإحصاء ما بها من أموال ومكنوزات ومتاع... لمصادرتها لفائدة المخزن. ولما أنجز هذا العمل، وأطلع العاهل على جميع ما كان يملك في مراكش وغيرها من المدن الأخرى كفاس ومكناس مثلا، وأظهر حزمه ونجدته ونصحه، عين وزيراً للحرب. وما أن تربع على كرسي الوزارة، حتى أطلق العنان لميولاته ونزواته، وصار الآمر والناهي، يعزل ويعين في المناصب، وينكب أعوان المخزن الكبار، ولا سيما من كان منهم على بينة من أمره، وكان من الشاهدين على بداية مشواره في الخدمة المخزنية من جهة، أو كانت له قرابة عائلية أو صحبة بأبَّ أحماد من جهة أخرى. يقول صاحب *التنبيه* ..."، في هذا الصدد، ما يلي :

"... وفعل في ديار الوزير السيد أحمد، فعل الأعداء، ورماها بعضال الداء، وتركها خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس، وأهون مما فعل بها ضرب الرقبة وإزهاق النفس، مع كونه ربي نعمته، ووصيف خدمته لأنه هو الذي أظهره، وأعلاه وكبره، فجازاه مجازاة سنمار...". ومن ضحاياه، الفقيه الوزير المختار بن عبد الله، ابن عم أحمد بن موسى، وقائد المشور محمد بن إدريس بن العلام، والفقيه العباس بن الوزير الصدر سابقا محمد بن العربي الجامعي، والعباس بن داود باشا مراكش صهر أب أحماد، ومحتسب المدينة الشريف إبراهيم بن عبد الله البوكيلي، والقائد عيسى بن عمر العبدي، والقائد العسكري الأغا المحجوب المطاعي وغير هؤلاء من المسؤولين المخزنيين والعسكريين. ثم بعد ذلك، شرع في احتجان الأموال، وفي امتلاك الأراضي والعقارات في مراكش وفاس وطنجة ونواحيها على الخصوص. وتحسبا لنوائب الدهر وتقلباته، واحتراسا مما قد تأتي به الأيام من مفاجئات غير مواتية، وبعد فشله في وضع حد لفتنة رفيقه الأسبق الجيلالي بن عبد السلام الزرهوني الذي تقمّص شخصية الأمير مولاي مَحمد بن الحسن. وأعلن نفسه سلطانا للمغرب في أكتوبر 1901، وأمام تنامي مشاعر الاستياء والعداء في صفوف الوزراء وأعوان المخزن الكبار من الرجل وسلوكه، رأى أنه ربما يكون من الأنسب والمفيد بالنسبة إليه. الاختفاء موقتا عن الأنظار، والانسحاب من الساحة، فاستأذن السلطان في السفر إلى المشرق للقيام بمناسك الحج، فأسعف على مبتغاه.

ولما عاد من حجته، واستراح بعض الوقت في طنجة، عزم على التوجه إلى حضرة السلطان وتقديم ما جاء به من المشرق من هدايا وتحف، إلا أنه لم يسمح له بذلك، وأشعر بالتزام بيته. ثم صدر الأمر بحجز دياره وممتلكاته أينما وجدت، فاستنجد بأنگلترا التي كانت قد منحته حمايتها يوم حلّ بديارها سنة 1901 ، مبعوثا من قبل السلطان مولاي عبد العزيز بمناسبة تتويج إدوارد السابع ملكا لبريطانيا العظمى، وبمعيته الحرّاب الإنجليزي هاري ماكلين Harry Mac Lean. فتحركت المفوضية الأنجليزية بطنجة، ومارست الضغوط على السلطان للتراجع عن قراره، مطالبة بتطبيق مقتضيات وبنود الإتفاقيات المقننة لمسألة الحماية الأجنبية بالمغرب، متناسية أن أعوان المخزن، مدنيين كانوا أو عسكريين، لاحظ لهم في الحماية، إذ هم عضد الدولة وركائزها، ولا يمكن بالتالي تسليمهم وتسخيرهم لخدمة مصالح الأجانب بالبلاد. وبعد أخذ ورد، توصل الجانبان إلى حل يقضي بالسماح للوزير المخلوع بالاحتفاظ بدياره وأملاكه التي كانت له بطنجة ويمنحه 10000 إبرة كتعويض عما كان يملكه في باقي مدن وجهات البلاد، على أن يتعهد بعدم الخوض، من ثمّ فصاعداً، في شؤون الدولة.

وهكذا، أسدل الستار عن المرحلة الثانية والأخيرة من مشوار مترجمنا المخزني. وقد ظل مقيما بمدينة طنجة، مراقبا من ثمة تطور الأوضاع في البلاد، منبوذاً تقريبا من طرف كل من كان على بيّنة من أمره، وفي قلبه غيرة على وطنه. وحتى بعد سنة 1912، ظل مقيما في هذه المدينة التي توفي بها سنة 1356 / 1939، حيث ووري بها التراب.

الوثائق.

الخزانة الحسنية بالرباط.

*محفظات حسنية* : 135 ـ 270 ـ 296.

محفظات مولاي عبد العزيز : 404/6 ـ 409/7 ـ 409/12

*الكنانيش* : 348 ـ 634

*الوثائق الزيدانية* : ج 6، ص. 194 ـ ج 11، ص. 11.

ـ مديرية الوثائق بالرباط : *محفظة مراكش*.

عبد الرحمان ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، المطبعة الوطنية، الرباط، 1929 ـ 1933، ج 1، ص. 397 ـ 410 ؛ ابن اليمـاني بوعشرين الحسن بن الطيب، *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، تقديم وتصحيح محمد المنوني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1995 ؛ الحجوي الحسن بن محمد، *انتحار المغرب بيد ثواره*، مخ. خ. ع، 123 ح ؛ الصديقي محمد بن سعيد، *إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة*، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ت ؛ المشرفي محمد بن المصطفى، *الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية*، مخ. خ. ع، 1463 د.

G. Babin, *Le Maroc sans masque, "Son Excellence"*, Paris, G. Ficher, 1932 ; Veyre, *Au Maroc, dans l'intimité du Sultan*, Paris, 1905.

مصطفى الشابي

**المنجرة، أحمد بن علي** المنجور، كنيته أبو العباس، "المكناسي النجار، الفاسي الدار والقرار، الإمام الفقيه، المعقولي المؤلف" كما نعته ابن القاضي في مؤلفه "درة *الحجال*"، ولد سنة 926 بفاس.

أحد العلماء المشاركين، بمدينة فاس، انقطع للدرس والتحصيل بجامع القرويين أزيد من عشرين سنة، فانتظم في حلقات علوم القرآن والحديث والفقه والأصلين والنحو والبلاغة، والمنطق والحساب، وقد تحدث عن شيوخه المقري في كتابه "*روضة الآس*"، ونعته "بالشيخ القدوة المحقق خاتمة الشيوخ"، وأشار محمد حجي في "*الحركة الفكرية في عهد السعديين*" إلى أنه "قضى نحو نصف قرن متنقلا بين القرويين ومنزله أو شادا الرحلة إلى جامع المنصور بمراكش، دون أن يتولى وظيفا رسميا قط غير الكراسي العلمية"، وهو أحد الشيوخ الذين أجازوا السلطان أحمد المنصور السعدي العلوم التي حذقها وأجيز بها في فهرسته الشهيرة المعروفة بـ "*فهرس أحمد المنجور*".

من مؤلفاته : *نظم الفرائد ومبدي العوائد لمحصل المقاصد*، وهو شرح لقصيدة أحمد بن زكري التلمساني في التوحيد "وهو مفقود"، و*مختصر الفرائد والحاشية الكبرى على شرح كبرى السنوسي*، و*الحاشية الصغرى ومراقي المجد لآيات السعد* و شرح *نظم علاقات المجاز ومرجحاته* لابن الصباغ المكناسي، و *أجوبة في الفقه والكلام وأجوبة في القراءات وتقريب لفهم شواهد الخزرجي*، وهي تقييد موجز لأهم أبواب العروض، ومخطوطاتها متوفرة بالخزانتين الحسنية والعامة، وشرح *المنهج المنتخب إلى قواعد الذهب* وهو شرح لأرجوزة الزقاق الفقهية وهو مطبوع على الحجر بفاس في جزأين.

أما *فهرسته* فقد حظيت بعناية محمد حجي فعمل على تحقيقها ونشرها ضمن مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة الفهارس رقم (1) سنة 1976، وهي تلخص إجازاته للسلطان أحمد المنصور الذي نعته "بخليفة العلماء وعالم الخلفاء" في جميع علومه ومروياته عن شيوخه وما ألفه من كتب إجازة تامة مطلقة، يقول الشيخ المنجور : "أجزت لمولانا أمير المؤمنين المنصور المؤيد، أبي العباس مولانا أحمد هذه التأليفات وغيرها من سائر ما صح لديه نسبته إلي بأي وجه أخذته عن شيوخي أو لفقته إجازة تامة مطلقة عامة يروي بها عني ما شاء، وكيف شاء بحضرته العلية من مراكش حاطها الله في أواخر رجب الفرد من عام تسعة وثمانين وتسعمائة".

وصف محمد حجي أسلوب المنجور في فهرسته بأنه "أسلوب مزيج من الأسلوب العلمي الرصين والأدبي المشرق المتحرر، فلا تعترض سبيلك وأنت تقرؤه كلمات حوشية ولا عبارات ملتوية، وإنما هو ترتيب منطقي وتسلسل في المرويات والأسانيد والتراجم".

يذكر ابن القاضي وهو أحد تلامذته الملازمين مجالسه في ترجمته "*درة الحجال*" أنه "كان أورع الناس في النقل، كاد لا يفارق لسانه لا أدري أو حتى أنظر أو كلاما يقرب من هذا".

كما عرف عن الشيخ المنجور إلى جانب تقواه وورعه مرحه وحبه للغناء، وفي *فهرسته* روايات عديدة عن مواقف مختلفة لشيوخه في إنشاد أشعار غزلية أو استمتاعهم بالإنصات إلى غناء المغنين في المناسبات المختلفة.

توفي يوم الاثنين 16 ذي القعدة سنة 995 / 1587.

ابن القاضي، *درة الحجال في غرة أسماء*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، 1 : 156، *جذوة الاقتباس*، أعدها للنشر عبد الوهاب بنمصور، 1 : 135، أحمد المنجور، *فهرس المنجور*، تح. محمد حجي؛ أحمد المقري، *روضة الآس*، ص. 285 ؛محمد حجي، *الحركة الفكرية في عهد السعديين*، 2 : 360 ؛ ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ تح. محمد حجي، ص. 59 ؛ محمد مخلوف، *شجر النور الزكية*، 1 : 187 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، 2 : 237.

نجاة المريني

**المنجرة، إدريس بن محمد** بن أحمد بن محمد بن علي وتجمع الآراء على أنه شريف حسني إدريسي، ويتحدد الفرع الذي ينتمي إليه من شجرة الحسنيين المتعددة الفروع

والمتشعبة الأغصان، وبالخصوص الفرع السادس من فروع الإمام الأكبر مولاي إدريس، وهو السيد عبد الله.

اشتهر بلقب (المنجرة أو المنجري)، ولد أواسط ذي القعدة عام ست وسبعين وألف، بمدينة فاس. وبها نشأ، وعاش أغلب أيامه بين أحضان أسرة يكتنفها الورع والتقوى، والزهد والصلاح، إذ فتح عينيه على أب مشتغل بالعبادة، وافر الورع والتقوى فأصر منذ صغره وبرعاية من أبيه على حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ بعض العلوم، لكن إذا كنا نجهل نشاطه العلمي في البيئة الأولى، فبإمكاننا أن نتصوره بعدما أصبح مؤهلا لحضور مجالس كبار المشايخ، بالمدرسة المتوكلية أمثال أحمد المسناوي البكري، ومحمد بن أبي بكر الدلائي، والعربي بلحاج بمدرسة العطارين، ثم تردده على بقية المجالس العلمية والمساجد، مثل مسجد الأندلس، والقرويين وغيرها من منابر العلم والمعرفة، فيغرف من ينابعها ما يروي ظمأه، ويغذي روحه وفكره.

بعد أن طوى المرحلة الأولية من التعليم، اختلف إلى مجالس شيوخ العلم، وجلهم علماء وأعلام، وأساتذة أجيال. ولا بد من الإشارة إلى كون المشيخة عنده تنقسم إلى قسمين: مشيخة علمية، ومشيخة دين وانتفاع وتبرك.

فالأولى متصلة بالمعرفة، وتنقسم بدورها إلى مشيخة مغربية ومشرقية، والثانية تربوية بالمعنى الصوفي. ومن شأن من تلقى العلم عن هذا الجم الغفير من الأشياخ أن يكون واسع العلم، رحب الأفق، متنوع الثقافة. كما كان وحيد عصره، وفريد أيامه في علم القراءات عارفا بتوجيهاتها، حافظا لمذاهب أئمتها، بلغ رتبة الاختيار والترجيح فيها. وبالقياس إلى كثرة شيوخه، والمدة الطويلة التي قضاها في الإقراء والتدريس، ومشاركته في سائر العلوم الشرعية، فقد أخذ عنه كثيرون. "حتى لا ترى من سوس الأقصى إلى طرابلس ونواحيها إلا من قرأ عليه أو على أحد من تلامذته، حتى إن لم يقرأ عليه أو بطريقته لا يعد قارئا".

ترتكز آثاره أساسا على علم القراءات وما يتعلق بها، كما يتضح ذلك من خلال فهرس مؤلفاته. وهذه الميزة التي اختص بها إدريس المنجرة تبين لنا صورة عن العصر الذي عاش فيه، والذي تميز بظهور نوع من التخصص في بعض العلوم، والاقتصار على التعمق في بحثها خاصة علوم القراءات القرآنية، من مؤلفاته :

- *أرجوزة في القراءات السبع* (مخطوط خ م 6479 - 6778، خ ص. 458 / 5 ) أسئلة وأجوبة (مخطوط 3443 خ ع. 105 خ م)، *تعليق على شرح التنسي لضبط الخراز* (مخطوط 7447 خ م)، *تقريب الكلام في تخفيف الهمزة لحمزة وهشام* (مخطوط 358 / 3 خ ص)، *فتح المجيد المرشد لضواد القصيد* (مخطوط 11557 - ز - 3 خ م)، نزهة *الناظر والسامع في إتقان الإرداف والأداء للسامع* (مخطوط خ ع رباط 1148) (مخطوط خ م 6948).

توفي بعد صلاة ظهر يوم 22 محرم عام 1137، ودفن في الغد بعد صلاة الظهر بجوار سيدي عبد الواحد بن عاشر قرب المصلى.

*فهرسة ابنه عبد الرحمان الورقة*، 14 : 9 ؛ *السلوة*، 2 : 272.

العربي الخامر

**المنجرة، عبد الرحمان** بن **إدريس**، حلاه معاصروه وتلامذته "بالعالم العامل"، و"شيخ المغرب في علم القراءات" و"المحدث" و"أحد العلماء الأكابر الذين يقتدى بهم". ووصفه تلميذه العارف مولاي العربي الدرقاوي بأنه " من أهل الصلاح والكشف وأرباب الكرامات".

ولد عبد الرحمان بن إدريس المنجرة في بيت علم وشرف يوم الأحد 11 شوال 1110 / 12 أبريل 1699 بحومة المخفية من عدوة فاس الأندلس. وكانت عائلة المنجريين الذين يرفعون نسبهم لعبد الله بن إدريس قد دخلوا هذه المدينة في منتصف القرن التاسع (15 م) قادمين إليها من تلمسان..

تتلمذ عبد الرحمان المنجرة على أعلام فاس وعلى رأسهم والده إدريس المنجرة (ت. 1137 /1725 ) الذي كان عمدته وشيخه في علم القرآن وعلم القراءات، والعالم محمد المستاوي الدلائي (ت. 1136 / 1724 ). أصبح عبد الرحمان بعد وفاة والده شيخ المغرب كله في علم القراءات وأحكام الروايات والمرجع الأوحد في القراءات العشر.

أدرجه السلطان سيدي محمد بن عبد الله ضمن علماء الطبقة الأولى وحاول استدراجه للعمل في مجالسه العلمية، لكن عبد الرحمان المنجرة اختار لنفسه دور العالم القدوة، وفضل تكريس حياته للتدريس ونشر العلم. وقد وضع لذلك العرض برنامجا محكما التزم به طول حياته. فقد كان يفتتح يومه الدراسي بعد صلاة الصبح، فيجلس بقبة ضريح مولاي إدريس لتدريس *صحيح البخاري* ، يتبعه بالتفسير، ثم *بمختصر خليل*. وبعد طلوع الشمس ينزل إلى جامع القرويين فيجتمع بالقراء ويعقد معهم مجلسا في علم القراءات. ونزولا عند رغبة عامة الطلبة وبعض أكابر القوم في تعلم التجويد نظم سيدي عبد الرحمان المنجرة مجلسين مفتوحين ومبسطين كل أسبوع كان يعقدهما يومي الخميس والجمعة بعد صلاة الظهر بجامع القرويين.

لم يكن سيدي عبد الرحمان المنجرة مدرسا عاديا، بل كان يلقن علما ساميا وعالي الشأن هو علم القرآن وقراءة كتاب الله، الشيء الذي جعله يحظى بشعبية واسعة لدى سكان حاضرة فاس، وباحترام وتوقير السلطانين مولاي عبد الله وابنه سيدي محمد. وقد تبلور هذا التقدير في تقديم مترجمنا للإمامة والخطابة والتدريس بجامع الشرفاء بالحرم الإدريسي لمدة تجاوزت خمس عشرة سنة (1750 - 1766).

كان بإمكان عبد الرحمان المنجرة، العالم العامل، والشريف المحبوب لدى الخاصة والعامة، استغلال حظوته العلمية والاجتماعية للحصول على امتيازات مادية وممارسة الخطط الشرعية والمخزنية. لكنه، وإن لم يختر الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر، فإنه سلك طريق "العالم القدوة" الذي يكرس حياته لنشر العلم ويجعل سلوكه اليومي مثلا يقتدى به في القيام بالواجبات الدينية والدنيوية والاستقامة في المعاملات والابتعاد عن الشبهات، وعلى رأسها مخالطة السلاطين. فواجب الحسبة الملقى على كاهل العلماء لا يكون فقط بالقول والعمل بل يمكن أن يكون كذلك بالابتعاد عن الشبهات والتوجه إلى الله بالقلب، "وذلك أضعف الإيمان".

ففي وقت عمل فيه السلطان سيدي محمد على استقطاب العلماء والضغط عليهم للعمل ضمن أجهزة المخزن المتنوعة اختار المنجرة اتخاذ "الانقباض" كموقف استراتيجي من السلطة المركزية. وقد عبر عن ذلك في مناسبتين اثنتين على الأقل.

كانت المناسبة الأولى هي اجتماعه، مع ثلة من علماء الحاضرة الفاسية (محمد جسوس ومحمد بن عبد الصادق وعمر الفاسي والتاودي بنسودة)، بالسلطان سيدي محمد سنة 1757 حيث استشارهم هذا الأخير حول "مسألة الزكاة لإعانة الجيش". طبعا، فهم العلماء الحاضرون أبعاد النازلة السلطانية التي كانت تستهدف الحصول على تزكيتهم للسياسة الجبائية التي كان يخطط لها سيدي محمد والمعتمدة على المكوس.

وجاءت أجوبة كل واحد منهم، سواء الشفوية أو المكتوبة، مطابقة للموقف الذي اختاروه من المخزن. فأما محمد بن عبد الصادق ففضل السكوت، وقبل عمر الفاسي والتاودي بنسودة التعاون مع السلطان على إيجاد مبرر قانوني للمكس بحيث أدخلوه في باب "المال الذي ضل صاحبه". أما شيخ الجماعة محمد جسوس والشريف عبد الرحمان المنجرة فقد اكتفيا بالرد على ظاهرة السؤال وكتبا حول أحكام الزكاة ومصارفها وبيت المال ومداخله الشرعية دون التعرض للإعانة أو المكس.

أما المناسبة الثانية التي أكد فيها المنجرة موقفه من السلطة، فكانت حين استفسره السلطان سيدي محمد عن تاريخ وفاة العالم القاضي عبد الله بن سبرمة (ت. 140 / 757). كان السؤال في ظاهره بسيطا ولا يستدعي جوابا مركبا، لكن عبد الرحمان المنجرة شم في هذه المبادرة السلطانية رائحة استدراجه لمخالطته. وهكذا جاء جوابه على سؤال السلطان البسيط برسالة طويلة حول حق النصيحة المنوطة بكاهل العلماء ورثة الأنبياء.

وهكذا يمكن اعتبار عبد الرحمان بن إدريس المنجرة من العلماء المغاربة الورعين الذين اختاروا تنظيم علاقتهم مع السلطة المركزية على أساس الطاعة كواجب - إلا في معصية - والنصح والإرشاد في كل حين كحق من حقوق ورثة الأنبياء على الخلفاء.

توفي يوم الأربعاء 5 ذي الحجة عام 1179 / 4 ماي 1766 ودفن بروضة عائلته بالقباب خارج باب الفتوح.

ع. الرحمان المنجرة، *الإسناد للشفيع يوم التناد*، مخطوط، ع 2244، الرباط ؛ *الفتح المبين في بيان الزكاة وبيت مال المسلمين*، مخطوط، ع 2201، الرباط ؛ أحمد بن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط، ع 1920، ص. 67 - 70 - 172 - 178 ؛ أبو القاسم الزياني، *البستان الظريف*، مخطوط، ع 1577 ؛ التاودي بنسودة وعمر الفاسي، *أحكام الزكاة للحكام*، مخطوط، ع 1650 ؛ محمد الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 2، ص. 270 - 272 ؛ محمد حجي، محقق ومنسق، *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1980، 7 : 2384.

Fatima Harrak, Ulama et société au Maroc du 18ème siècle, in *Revue d'Histoire Maghrébine, n° 61-62, 1991, p. 49-65.*

فاطمة الحراق

## المندوب بالإقامة العامة Délégué à la Résidence Générale

، استحدث منصب المندوب بالإقامة العامة، في إطار الإصلاحات الإدارية التي أنجزتها فرنسا في المغرب، بعد توقيع عقد الحماية في 30 مارس 1912 ؛ وهي إصلاحات ترمز لأهمية التطور الذي عرفه الجهاز السياسي والإداري بالمغرب، وما ارتبط بذلك من كثرة في المصطلحات والألقاب الإدارية الجديدة التي أغنت القاموس الإداري المغربي. لكن ترجمة أو تعريب هذه المصطلحات يطرح في الغالب، مشاكل ناتجة عن كثرة الاجتهادات، التي تتعارض مع مبدإ وحدة المصطلح. ونستدل على ذلك، بمصطلح المندوب بالإقامة العامة، الذي نجد له مرادفات أخرى في الكتابات المغربية ؛ إذ استعملت *الجريدة الرسمية*، في هذا السياق، مصطلحي "نيابة الإقامة العامة" و"نائب المقيم العام"، في حين أضافت الكتابات الوطنية والدراسات ذات الطابع الأكاديمي، مصطلحات أخرى، هي : المعتمد بالإقامة العامة، والوزير المعتمد أو المنتدب لدى الإقامة العامة، والوزير المعتمد أو المنتدب لدى الإقامة العامة، والمندوب العام للحماية، والمفوض العام بالإقامة العامة، والوزير المفوض لدى الإقامة العامة...

تحددت اختصاصات ومهام مندوب الإقامة العامة، الذي احتل المرتبة الثانية في التراتبية الإدارية المقيمية، في مساعدة المقيم العام والنيابة عنه في حالتي المرض أو الغياب (مرسوم 11 يونيو 1912) ؛ إذ كان الهدف من استحداث هذه الوظيفة، "المقتبسة من وظيفة نائب الرئيس في دستور الولايات المتحدة...، اجتناب كل انقطاع في استرسال السلطة الفرنسية بالمغرب... (و) التوفيق بين موظفي وزارتي الحرب والشؤون الخارجية" (د. إبراهيم بوطالب، "بلان أوربان"، *معلمة المغرب*، ج. IV، ص. 1326). وبالإضافة إلى ذلك، شكلت نيابة الإقامة العامة، بالنسبة لوزارة الخارجية الفرنسية، التي استفادت كثيرا في هذا الشأن من التجربة الاستعمارية التونسية، الأداة التي تمكنها من مراقبة الإقامة العامة وإضفاء طابع الاعتدال والتوازن على سياسة المقيم العام.

وقد كان لمندوب الإقامة العامة، من هذا المنطلق، دور

هام في النسق الاستعماري الفرنسي بالمغرب. يمكن أن نلمس ذلك، من خلال تتبع أعمال الكونت دي سانتولير Le Comte de Saint-Aulaire الذي كان أول من أمسك بمقاليد النيابة أو المفوضية، بعد انطلاق عهد الحماية ؛ إذ كان هذا الدبلوماسي يشرف، تبعا للاختصاصات التي حددت له، على شؤون الإقامة العامة حين يكون الجنرال ليوطي منشغلا بتتبع سير العمليات العسكرية، وكانت وظائفه تشمل بالإضافة إلى ذلك القضايا الدبلوماسية وجوانب متعلقة بالمسألة المالية، إذ كان يكلف، في بعض الأحيان، بالتفاوض مع باريس من أجل الحصول على القروض أو الاعتمادات المالية الضرورية لدعم أسس النظام الاستعماري بالمغرب.

لكن الأدوار التي كان الكونت دي سانتولير يقوم بها، في إطار الاستراتيجية الاستعمارية، لم تمنع ليوطي، الراغب في تجميع السلطة داخل الجهاز المقيمي، من المطالبة بإلغاء منصب الوزير المفوض بالإقامة العامة، بعد انتقال الكونت إلى سفارة فرنسا بفيينا (ماي 1916). وقد رفضت باريس الطلب، غير أنها وافقت على الاحتفاظ بالمنصب فارغا، بشكل مؤقت، وعلى تكليف الكاتب العام للحماية، الضابط العسكري لاليبه دو كودري Lallier du Coudray، بمهام المفوضية. وتدعم هذا الأمر، بصدور مرسوم 19 ماي 1917، الذي كرّس مسألة الجمع بين اختصاصات نيابة الإقامة العامة والكتابة العامة للحماية، وحدد هذه الاختصاصات في الإشراف على الأمور الإدارية والمدنية، وتسيير الإدارة المدنية، والنيابة عن المقيم العام في حالة الغياب أو المرض (*Bulletin officiel*, 4 juillet 1917, p. 611). غير أن الظروف الصعبة التي واجهها الكيان الاستعماري، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أشعرت الإقامة العامة بضرورة إدخال تغييرات على الهيكل الإداري، من أجل مواجهة المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتزايدة. وتم في هذا الإطار، استبدال لاليبه دو كودري، العسكري، بأوربان بلان Urbain Blanc (20 ماي 1919) الذي اشتهر بخبرته السياسية والإدارية والتجربة الاستعمارية التي اكتسبها في تونس. كما تقرر، في يوليوز 1920، فصل المفوضية العامة، عن الكتابة العامة للحماية، التي تولى مهامها بيير دي صوربيي دي بونيادوريس P. de Sorbier de Pougnadoresse.

وقد كان لهذين المؤسستين، دور حاسم في دعم الإدارة العليا وتقوية العمل الإداري وتوجيه السياسة الاسعمارية. ويمكن أن نلمس ذلك، من خلال ما كتب عن دي صوربيي، الذي شغل منصب الكاتب العام للحماية بين سنتي 1920 و1925. أما مندوب الإقامة العامة، فيمكن أن نرصد بعض أدواره من خلال ما كتبه ذ. إبراهيم بوطالب، عن أوربان بلان، الذي "تبدو بصمات(ه)... في العديد من القرارات التي أثرت على مجرى تاريخ الحماية الفرنسية بشكل ملموس".

ولم تمنع هذه المعطيات الإقامة العامة، في فترة الثلاثينيات التي اشتد فيها وقع الأزمة الاقتصادية والاضطرابات السياسية والاجتماعية، من دمج منصبي مندوب الإقامة العامة والكاتب العام للحماية في بعضهما، مرة ثانية. وكان الهدف من ذلك، تقليص النفقات الإدارية وتجميع اختصاصات المؤسستين في جهاز واحد، يحتكر وحده دور الوسيط بين الإقامة العامة والهيئات الإدارية. وأصبح "المعتمد لدى الإقامة العامة الكاتب العام للحماية" مكلفا، بناءً على ذلك، بالنظر في الأمور الإدارية ومراقبة مصالح الحماية والتنسيق بين مختلف الإدارات، تحت إشراف المقيم العام. وقد تولى مسؤولية تسيير هذا الجهاز الواسع الاختصاصات، ريني تييري René Thierry بين شهري يونيو وديسمبر سنة 1936، ثم جون موريز Jean Morize، الذي عين في هذا المنصب "من قبل الجبهة الشعبية، حيث كان معروفا في الدوائر المطلعة بولائه لديلبوس". ولم يستطع موريز، لهذه الاعتبارات، "أن يطفو على سطح فيشي، بالرغم من توصيات نوگيس الملحة"، إذ تم الاستغناء عنه في خريف 1940.

وتقرر، بعد ذهاب جون موريز، الفصل بين الكتابة العامة للحماية ونيابة الإقامة العامة، حيث أسندت الأولى لإيمانويل مونيك Emmanuel Monick، مفتش المالية الملحق بوزارة الخارجية (ظهير 28 شتنبر 1940)، أما المفوضية، فقد تولى أمورها جاك ميريي Jacques Meyrier، المنتمي إلى السلك الدبلوماسي، ثم ليون مارشال Léon Marchal، الذي عاصر الأحداث والملابسات المرتبطة بتقديم وثيقة الاستقلال (11 يناير 1944)، وزيارة السلطان إلى طنجة (أبريل 1947). لكن هذا الدبلوماسي الليبرالي، الذي اشتهر بميله لفكرة تطوير العلاقات المغربية الفرنسية، ولو في حدود معينة، ترك مهامه، بعد هذه الأحداث التي زادت من حدة التوتر بين الجهاز الاستعماري والحركة الوطنية، لجاك دي بليسون Jacques de Blesson، الذي كان من كبار المسؤولين الاستعماريين "عن سوء التفاهم المأساوي الذي أدى إلى انهيار الحماية".

*الجريدة الرسمية* ؛ *جريدة السعادة* ؛ إبراهيم بوطالب، "بلان أوربان"، *معلمة المغرب*، ج. 4، 1326 ـ 1328 ؛ وليان هوينسطن، *الحماية الفرنسية بالمغرب بين الأوج والأفول تحت قيادة الجنرال نوگيس* 1936 ـ 1943، تعريب إبراهيم بوطالب، الرباط، منشورات كلية الآداب، (سلسلة نصوص وأعمال مترجمة رقم 10)، 2001 ـ 2002.

*Bulletin Officiel* ; *Bulletin du Comité de l'Afrique française* ; Le Comte de Saint-Aulaire, *Confessions d'un vieux diplomate*, Flammarion, 1953, 394 ; Desmazières P. Desmazières Bertrand, *P. de Sorbier de Pougnadoresse, le Colbert de Lyautey,* Rabat ; Rivet Daniel, *Lyautey et l'institution du Protectorat*, (3t.), Paris, éd., 1912-1925, L'Harmattan, 1988.

عبد الحميد احساين

**منذيب، عبد الكريم** ابن ا**لفقيه** السيد علي، ولد بالجديدة سنة 1950، وهو ينحدر من عائلة دكالية أجدادها

ضاربون في علوم الدين والتصوف، فجده هو المقدم محمد ابن الطاهر الشياظمي الحاجي السباعي، مؤسس الزاوية الدرقاوية الشياظمية بدكالة. بعد أن حصل على الباكلوريا وأنهى دراسته الجامعية في العلوم الاقتصادية، عين في أحد الأبناك بالرباط، ونظرا لما برهن عنه من الكفاءة والاستقامة،

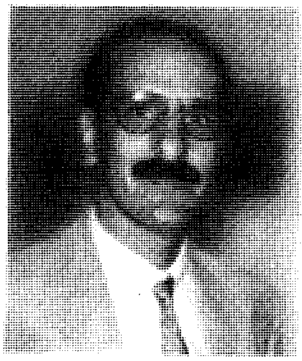

لم يلبث أن تم نقله إلى الدار البيضاء، حيث أصبح مديرا مركزيا يترأس أزيد من عشرين وكالة بنكية، فكان دائما هشوشا بشوشا طيب القلب يمد يد المساعدة لمن يكون في حاجة إليها، غير أن الأقدار، شاءت أن يكون من بين ضحايا الإرهاب الشنيع الذي وقع في الدار البيضاء يوم 16 ماي سنة 2003، وتم دفنه بمسقط رأسه.

محمد الشياظمي

**المنزه** ، من النزهة والتنزه، وهي كلمة تعني في الأعم الأغلب التجول والتمتع بالطبيعة، إلا أن التنزه يطلق أحياناً حتى على التجول و"التفرج" داخل المدن في شوارعها وأزقتها ومحلاتها التجارية في الأسواق وما إلى ذلك حتى أن المثل المغربي الشائع يقول : "اللّي ما شرا يتنزّه".

والمنزه اصطلاحاً كما عرف في البوادي المغربية وفي ضواحي المدن هو تلك البناية المرتفعة بمستوى أو أكثر عن المجال المحيط بها. وتشرف على فضاء واسع على مد البصر، وقد عرف بأشكال وهندسة معينة إلا أنها اختلفت من عصر إلى عصر ومن منطقة إلى أخرى، ولعل الأصل في هذه البناية يرجع إلى العهد الروماني في المغرب حيث كانت الضرورة تقتضي من المعمرين مراقبة مستعمراتهم فكانوا يتخذون التلال المرتفعات لإقامة مساكنهم، ولما جاءت الدولة الموحدية . وقد تمثلت الرومان في العديد من النواحي . استعمل السادة من بني عبد المومن وأشياخ المصامدة وباقي الأعيان والتجار الدور من مستويين سفلي وعلوي وسط ضيعاتهم، لكن الشكل الهندسي والمعماري يضرب بجذوره في أعماق التاريخ المغربي خاصة في منطقة المصامدة حيث "إغرم وأگادير".

وانتشرت ظاهرة بناء "المنازه" أكثر في العهد المريني وما بعده حتى أصبح المنزه مظهراً من مظاهر الأبهة والثراء والجاه، فيه يستقبل هؤلاء الأعيان ضيوفهم. وفيه ينظمون حفلاتهم وسهراتهم...

ولاتزال الكثير من الأماكن في المغرب اليوم تحمل اسم "المنزه" إما مجرداً أو منسوباً إلى صاحبه مثل "منزه" أو دار السلطان، ومنزه "الحاج العربي" ومنزه القايد كذا، ولا تزال الكثير من "المنازه" التي ترجع إلى القرن 19 وإلى فترة الحماية الفرنسية قائمة الذات في كثير من المناطق ؛ بعضها أطلال وبعضها مهجور وبعضها مستعمل، إلا أنه فقد وظيفته الأولى : المراقبة، والإشراف على الضيعة، لتصبح وظيفة التمتع بالمجال والفضاء المحيط بها هو الغالب، ولا تزال البنايات تشيّد لهذا الغرض. وقد أصبحت ظاهرة منتشرة أكثر على طول محاور الطرق المؤدية إلى المدن حيث يلجأ الأغنياء إلى إقامة المساكن الثانوية خارج المدن.

ابن صاحب الصلاة، *تاريخ المن بالإمامة*، بيروت، 1964 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن الخطيب لسان الدين، *نفاضة الجراب* ، الدار البيضاء، 1989 ؛ *معيار الاختيار* ، المحمدية، 1976 ؛ ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1964.

J. Brignon [et al.], *Histoire du Maroc. Paris*, 1967 ; J. Caillé, *La ville de Rabat*, 1949 ; Colin [et al.], *Palais et demeures de Fès*, CNRS, Paris, 1985 ; Deverdun, *Marrakech des origines....*, Rabat, 1959 ; Le Tourneau, *Fès avant le protectorat*, Rabat, 1949 ; Adam, La maison et le village..., *Hespéris. 1948* ; L.P. Dupas, Note sur les magasins collecfis, *Hespéris, 1929* ; R. Thouvenot, Vestiges archéologiques dans la région de Fès el Bali, *Hespéris. 1938.*

محمد حجاج الطويل

**منصور العلج** (باب -) أشهر أبواب مدينة مكناس وأحد معالمها التاريخية والأثرية المعروف عالميا كرمز للمدينة لما يتميز به من هندسة وجمال زخرف، فهو باب غاية في الارتفاع والسعة والإتقان وحسن البناء ممّا جعل ابن زيدان يعتبره "وحيد الحسن بين أترابه" وينسب إلى منصور العلج، النصراني الذي أسلم فهو الذي وضع تصميمه وأشرف على بنائه.

وهو من بناءات عهد السلطان مولاي إسماعيل (1672 - 1727 ) خلافا لما اعتقد البعض من أن بانيه هو ابنه مولاي عبد الله. بدليل أن جرمان مويط Germain Mouette الذي كان أسيرا بمدينة مكناس في الفترة (1670 - 1681) أشار إليه في *رحلته* ، كما ذكره جون وندوس John Windus في كتابه : *رحلة إلى مكناس* قائلا : "... وفي يوم الخميس سادس الشهر [6 يوليوز 1721 ] صدر الإذن بمقابلة السلطان... ولما وصلنا باب منصور العلج ترجل السفير وسائر من بمعيته من الركبان، ودخلنا فمررنا على ثلاث أو أربع براحات..." أما السلطان مولاي عبد الله فقد قام فقط بتجديد الباب المذكور وتنميقه وزخرفته وذلك عام 1144 / 1731 ، وشاهد ذلك ما نقش في زليج أسود بخط مشرقي جميل في أعلى ذلك الباب الذي صار منذئذ المدخل الرئيسي

للقصبة المخزنية. وقام بدور تواصلي، فمنه يتم الولوج لدار المخزن من جهة، وينفتح من جهة أخرى على ساحة الهديم المؤدية إلى المدينة القديمة ـ إن صح التعبير ـ حيث قلب المدينة النابض فبها توجد القيساريات والأسواق والحرف المختلفة والمدارس والمساجد.

ويشير ابن زيدان في *إتحاف أعلام الناس* إلى أن السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام (1238 ـ 1276 / 1822 ـ 1859) أنشأ على يسار الخارج من باب منصور مباحا محمولا على ستة أساطين حجرية على يد عامله الباشا الجيلالي بن العواد، وكان ذلك المباح معدا لجلوس أعيان الجيوش المظفرة وذوي الحيثيات منها في أوقات الأحكام المخزنية، حيث كان الباب المذكور هو المحكمة الرسمية لباشا مدينة مكناس، يجلس به للفصل بين الخصوم وسماع المظالم كل يوم صباحا ومساء، وكانت العادة الجارية في كل يوم جمعة أن يتناول الباشا وقواد رحى الجيش الغذاء إثر الفراغ من أداء فريضة الجمعة بجامع القصبة. وظل العمل مستمرا على ذلك النهج حتى نهاية دولة السلطان مولاي عبد العزيز (1311 ـ 1325 / 1894 ـ 1907) كما جرت العادة أن تقام سائر الاحتفالات والأفراح المخزنية الرسمية تحت رياسة الباشا بباب منصور، واستمر الحال على ذلك حتى أواخر عهد السلطان مولاي حفيظ (1325 ـ 1330 / 1907 ـ 1912).

ويتميز هذا الباب بكونه نموذجا مثاليا للأسلوب المعماري والفني المميز للعمران في عهد الدولة العلوية، خاصة الفترة الإسماعيلية. إذ نجد فيه كل العناصر مكتملة ومنظمة بالشكل الذي يطبع فترة حكمهم مع ما قد يوجد من اختلافات جزئية في منجزات كل سلطان. فإلى جانب ضخامة البناء وفخامته يشمل باب منصور كل عناصر الزخرف المألوفة من خط عربي جميل وتوريق وأشكال هندسية متناسقة فوق أرضية مستوية خضراء مغطاة بالفسيفساء البديعة. كما يتميز أيضا باحتفاظه بعناصره المعمارية، فلم تتغير معالمه بالرغم من الترميمات المتتالية التي طالته في عهد الحماية وفي الفترات الأخيرة.

وعلى يمين الداخل من باب منصور نحو ساحة لا لاعودة كان يوجد جامع الأنوار الخضراء وخزانته اللذان أبدعت المصادر في وصفهما ولم يبق من الجامع سوى بابه الجميل المزخرف المواجه لساحة الهديم.


*رحلة الأسير مويط*، تح. محمد حجي ومحمد الأخضر ؛ عبد الرحمان ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 1، ص. 130 ـ 146 ـ 159 ـ 189 ـ 191 ـ 206 ـ 225 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 372 ؛ محمد المنوني، *دليل القصبة الإسماعيلية*، دعوة الحق، العدد 4، ص. 107 ـ 120.

M. Brrucan, L'architecture de la qasba de Moulay Ismaîl à Meknès, p. 55-66.


رقية بلمقدم

**منصور** (ابن –) **محمد** بن **محمد** الشفشاوني عالم من علماء فاس اللامعين خلال عهد المولى سليمان (1792 ـ 1822). تتلمذ على كبار فقهاء فاس أمثال محمد التاودي بن سودة ومحمد الطيب بن كيران وعبد القادر بن شقرون ومحمد بن طاهر الهواري. وعُرف بتآليفه في علم المنطق، وكتب في الفقه والتصوف كذلك، إذ له *حاشية على شرح الخرشي*، و*حاشية على كتاب إحياء علوم الدين* للغزالي. وقد تتلمذ عليه السلطان مولاي سليمان فكان بسبب ذلك يقدره ويدعوه إلى حضور مجالسه العلمية.

توفي في شهر شوال من عام 1232 (1817).

محمد المنصور

**منصور، المعلم** من مشهوري رجال الموسيقى الأندلسية بفاس في مستهل القرن الرابع عشر. ولد بفاس أواخر عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (ت. 1290 / 1873)، وبها أخذ الفن عن شيوخه ؛ فقد كان من بين الطلبة الذين انخرطوا في "مدرسة الآلة" التي أحدثها في العهد المحمّدي الحاجب موسى بن أحمد، والتي ستعرف بعد وفاته عام 1296 في صدر مملكة السلطان الحسن الأول (1296 ـ 1311) تحولا جذريا إثر مراجعة كناش الحايك عام 1303 برعاية الوزير محمد بن العربي الجامعي. وقد كان من بين معلمي "الآلة" في هذه المدرسة يومئذ عبد السلام البريهي، والحاج الحبيب اتْحيفة، والحاج أحمد الساوري.

اشتهر المترجم بلقب "المعلم" لجودة حفظه وبراعته في العزف على الكمان خاصة، فذاع صيته في الأوساط الفنية، وأصبح مقصداً للطلاب ينهلون من معرفته الواسعة.

وكان من أبرز من تتلمذ عليه بفاس محمد بن إدريس المطيري (ت. 1946) وعمر بن العباس الجعايدي (ت. 1952).

وقد دُعيَ للالتحاق بالجوق السلطاني بالرباط. وبهذه المدينة تتلمذ عليه الفنان الرباطي الحاج عبد السلام بنيوسف. وشكل تلامذته من بعده استمراراً لأسلوبه في الأداء سواء على مستوى إنشاد الصنائع أو العزف على الكمان.

توفي المعلم منصور في العقد الثاني من القرن العشرين.


حاتم الوكيلي، *الموسيقى الأندلسية من خلال مسيرة الفنان مولاي أحمد الوكيلي*، سلسلة المعرفة للجميع، عدد خاص، مارس، 1999، ص. 87.

Padré Pritrocinio Garcia Barriuso, *La musica hispano-musulmanna en Marruecos*, Sevilla, 2001, p. 235-236.


عبد العزيز بن عبد الجليل

**المنصوري** (الحاج –) **عبد الرحمان** ولد سنة 1912 في بلدة بزو. وبعد أن درس في بزو ونواحيها على يد عدة شيوخ وفقهاء حيث حفظ القرآن وأتقن القراءات السبع وحفظ *الأجرومية* و*ألفية بن مالك* و*تحفة الحكام* و*مختصر الشيخ خليل*. رحل سنة 1928 إلى جامعة ابن يوسف بمراكش حيث تابع دراسته على يد عدة علماء كالمختار السوسي ومحمد بن

عمر السرغيني ومولاي أحمد العلمي. وفي سنة 1935، وبإيعاز من أخيه أحمد المنصوري الذي كان قاضيا على بزو، عاد إلى هذه الأخيرة وعمل عدلا ونائبا للقاضي ( 1935 - 1953 ). وعين قاضيا على أبي الجعد وجهات أخرى ما بين 1957 و1969. وحول حياة هذا القاضي كشاهد على عصره، ألف الأنثربولوجي الأمريكي ديل إيكلمان، كتابا بعنوان: "*المعرفة والسلطة في المغرب، صور من حياة مثقف من البادية في القرن العشرين*".

توفي بأبي الجعد في فاتح يونيو 2004 عن سن تناهز 92 سنة.

ديل إيكلمان، *المعرفة والسلطة في المغرب*، تر. محمد أعفيف، الدار البيضاء، 2000.

*Le Matin, n° 12.191, 7 juin 2004.*

صالح شگاگ

**المنصورية** أو المنصورة، قصبة مخزنية لازالت أطلالها قائمة غير بعيد عن مصب وادي النفيفيخ، على الضفة اليمنى من الطريق السيار الرابط بين مدينتي الرباط والدار البيضاء. يحيط بالقصبة سور عال مبني بالحجر غير المنجور، يعلوه ممر للجند وتدعمه أبراج ركنية مختلفة الأشكال، مما يؤكد خضوع القلعة لترميمات عديدة منذ تأسيسها.

شكلت قصبة المنصورية ابتداءً من عهد السلطان المولى إسماعيل، واسطة عقد مكون من قصبات المهدية وكناوة والأوداية وتمارة والصخيرات وبوزنيقة شمالا وقصبات مديونة وسطات وبولعوان جنوبا، شيدت لمراقبة حماية الطريق الرابط بين فاس ومكناس ومراكش، مرورا بأنفا ورباط الفتح، وهو منظم على شكل قواعد عسكرية متقدمة رادعة للقبائل الثائرة أو مراقبة لتحركاتها بكل من بلاد زعير والشاوية من جهة ثانية.

وإذا كانت كل البقايا المعمارية الموجودة حاليا بالقصبة تدل على أن تاريخ بنائها يرجع إلى عهد الدولة العلوية وخاصة حكم السلطان المولى إسماعيل، فإن عددا من المصادر تورد إشارات تذهب كلها إلى أن الموقع قد عرف استيطانا بشريا منذ القرون الأولى للإسلام بالمغرب. فقد وصفها كل من الحسن الوزان ومارمول كاربخال بـ "المدينة" وجعلاها من بناء يعقوب المنصور الموحدي "في سهل جميل جدا على بعد ميلين من البحر المحيط، ونحو خمسة وعشرين ميلا من الرباط ونحو هذه المسافة تقريبا من أنفا". في نفس الوقت، ذهبت بعض الدراسات إلى أن الموقع قد يرجع إلى فترة الحكم البرغواطي لبلاد تامسنا، وقد يشكل موضع عاصمة إمارة برغواطة التي واجهت المرابطين وقتلت زعيمهم عبد الله ابن ياسين، دفين كريفلة، قبل انهزامها وتفرق جماعتها نحو بلاد غمارة وبلاد سبتة. ويبقى من المرجح أن تكون "مدينة المنصورية" قد خربت خلال القرن الحادي عشر الميلادي أثناء الغارات المرابطية على البرغواطيين، خاصة وأن بعض النصوص أوردت أن التطاحن بين الفريقين أدى إلى تدمير ما يقارب الأربعين حاضرة ببلاد تامسنا، وأن أغلب نصوص العصر الوسيط لم يشر ولو إشارة عابرة للمنصورة. واعتمادا على رواية الحسن الوزان التي تشير إلى أنه مر بالموقع، فإن مدينة المنصورية قد كانت مخربة في بداية القرن السادس عشر، ولم يعد يقطنها سوى "أربع مائة كانون" بسبب خوف سكانها "من البرتغاليين وفرارهم نحو مدينة الرباط".

وفي سنة 1189 / 1776، خرج السلطان سيدي محمد بن عبد الله من مكناسة في اتجاه مراكش وأخذ معه عبيد مكناسة، فغرَّب "أهل القصبة منهم - قصبة مكناس - بالمنصورية قرب وادي النفيفيخ، لأنهم كانوا رأس العصاة" وعاثوا بالثغور "وأضروا بأهلها في جناتهم وأموالهم وأعراضهم". ورغبة منه في كسر شوكة العبيد، ألحق سيدي محمد بن عبد الله بهم، ما بين سنتي 1189 و1197 / 1778 و1786 "عبيد زعير والدغماء". ويذكر الزياني أن سيدي محمد بن عبد الله قد أحاط القصبة بعناية خاصة وبنى مسجدها وأعاد لها بعضا من مكانتها.

وعلى عهد المولى عبد الرحمان، خرج جيش الوداية سنة 1247 / 1831 بقيادة الحاج محمد بن الطاهر المغفري العقيلي والحاج محمد بن فرحون الجراري والطاهر بن مسعود المغفري الحساني عن طاعة السلطان، وأكثروا من الخيانة والنهب. لكن المولى عبد الرحمان تمكن منهم سنة 1248 / 1832، ونقل "رحى المغافرة إلى قصبة الشرادي من أعمال مراكش" و"رحى الوداية إلى العرائش وأحوازها ثم ردهم إلى جبل سلفات، ثم بعد ذلك بمدة يسيرة نقل رحى أهل السوس إلى رباط الفتح، فأنزل حلتهم بالمنصورية على شاطئ وادي النفيفيخ وقوادهم ووجوههم بقصبة رباط الفتح، ثم رد الحلة بعد مضي ست سنين إلى قصبة تمارة"، وهو الأمر الذي يدفع إلى الاعتقاد بأن المنصورية قد فقدت جل بنياتها التحصينية، وبالتالي تم إفراغها من حاميتها والتخلي عنها حوالي سنة 1254 / 1838.

ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 1992؛ الناصري، *الاستقصا*، تح. جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء، 1954؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والنشر، الرباط، 1980؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، ج 2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والنشر، الرباط، 1980.

M. Barrucand, Remarques sur l'architecture militaire alaouide au Maroc, *Revue des Etudes Islamiques*, 1980, fasc. 2, p. 177-206.

أحمد صالح الطاهري

**المنطق** (علم -)، غالبا ما استند مؤرخو المنطق العربي إلى الكتب التي صنفها المشارقة، وفي أحسن الأحوال تلك التي خلفها نظراؤهم بالأندلس لإصدار أحكام عُممت على مناطق أخرى مثل المغرب. فقد عمموها حين سلموا بأن القرن

الرابع عشر الميلادي يمثل بداية مرحلة الجمود. وهو ما يفسّر في المنطق بفترة غياب أي عمل ابتكاري بإعادة صياغة ما قيل عبر مختصرات وتقييدات وشروح وحواشي وحواشي الحواشي.

غرضنا الآن ليس هو التسليم الكلي بهذه الدعوى أو الرفض القاطع لها، بل إبداء بعض الملاحظات التي استخرجناها من قراءتنا للعديد من النصوص التراثية التي ظهرت بالمغرب قبل فترة تأثير الدراسات الغربية. لقد أفضى بنا هذا الاهتمام إلى ملاحظات نجملها في القول بداية بأن مرحلة تدوين المنطق بالمغرب ابتدأت أساسا مع بداية ما وصف بمرحلة الجمود. كما نسجل بأن الموقف الغالب من المنطق في المغرب كان هو القبول، أو على الأقل عدم الرفض القاطع. حيث يتضح من خلال الكتابات المنطقية أن أغلبها تجاوز مستوى التماس مشروعيته إلى بيان فوائده، ومن ثم جواز الاشتغال به. وقد يعود هذا إلى عدة عوامل منها على الخصوص تأثير الغزالي. فقد عمل الأصوليون بعد القرن الخامس الهجري - على الخصوص - بالسنة التي سنها الغزالي حين دأبوا على افتتاح مؤلفاتهم الأصولية بمقدمات تخص المنطق وسبل استثمار قواعده بطرق تتماشى ومقاصد العلوم الإسلامية. ولا يغيب هنا كذلك الدور الذي لعبه أبو بكر بن العربي في قراءة كتب الغزالي، وفي تقريب المنطق إلى أذهان الطلاب.

ننتقل بعد هذا إلى ملاحظة أخرى مفادها وجود مؤشرات تجعلنا لا نسلم قطعا بالدعوى التي قالت بأن كل ما كتب منذ هذه الفترة حتى وقتنا الحاضر، حيث تأثير الدراسات المنطقية الغربية، هو مجرد إعادة إنتاج لما سبق. وإن كنا نلاحظ بأن *متن السلم* لعبد الرحمن الأخضري المتوفى 893 / 1575 و *مختصر في المنطق* لعبد الله محمد بن يوسف السنوسي المتوفى سنة 895 / 1490 كانا الأكثر انتشارا بالمغرب ؛ فهذا لا يعني بأن كل الكتابات المنطقية اللاحقة مجرد شروح وإعادة صياغة ما ورد فيهما. إن ما يميز هذه الفترة على الخصوص هو الرغبة في استثمار المنطق وتوظيف آلياته في حقول معرفية مختلفة، خاصة الأصول والبلاغة. حيث سعى العديد من الأصوليين إلى بسط القواعد المنطقية لخدمة مقاصد الشريعة والدراسات الفقهية عامة. وهو ما يمكن بيانه بالعودة إلى مصنفات العديد من الدارسين مثل القاضي عياض والمكلاتي والهلالي والبناني، وغيرهم، كما شهدت هذه الفترة ازدهار الدراسات البلاغية التي استندت إلى الآليات المنطقية لتطوير مباحثها ومعالجة المسائل اللغوية عامة. ونذكر من بين هؤلاء أبا القاسم السجلماسي في كتابه *المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع*. وابن البنا في *الروض المريع في صناعة البديع* وأبا العباس أحمد المنجور صاحب شرح *نظم علاقات المجاز ومرجحاته* وأحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الولالي في كتاب *مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح* ومحمد الصغير الإفراني في الأرجوزة المسماة *ياقوتة البيان* وابن كيران في *المجاز والاستعارة من علم البيان* ، وغيرهم. وعليه فتسليمنا بحدوث نوع من التراجع في فترات محددة لا يفضي بنا إلى الجزم بأن كل هؤلاء هم مجرد شارحين وأصحاب الحواشي التعليمية. لقد أبدع بعضهم في مباحث عدة خصوصا تلك التي ربطت المنطق بحقلي البلاغة والأصول. كما أن منهم من لم يقتصر على الكتب التي شرحها، بل استفاد من كتب أخرى واستثمرها لتدعيم دعاوى دافع عنها. وهو ما يبرز اتساع علم العديد منهم، مما مكنهم من التعليق والتهذيب والتوضيح، إلى درجة أن بعضهم تجاوز النص الأصل فأبدع.

يفضي بنا البحث في تاريخ التأليف في المنطق بالمغرب إلى أبي علي الحسن بن أبي الحسن علي بن حسون الماجري الكفيف المتوفى 688 / 1289، تلميذ المكلاتي صاحب كتاب *لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول*. فإذا كان من سبقوه قد اشتغلوا بالمنطق قراءة وتدريسا دون أي تدوين، فإن الماجري هو أول من دون متنا في المنطق بالمغرب سماه : *أسهل الطرق إلى فهم المنطق*. وقد بدأ متنه بالدفاع عن مشروعية المنطق سيرا على النهج الذي رسمه الغزالي ؛ ليتناول بالدرس مجمل المباحث التقليدية في المنطق. وبذلك تمكن من فتح آفاق جديدة أمام المنطق بدمجه في نظام التعليم. وكتب أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البنا المراكشي أو العددي المتوفى سنة 721 / 1321 في علوم عدة من بينها الحساب والمنطق والبلاغة، وغيرها من مصنفاته : *كليات في المنطق وشرح كليات في المنطق* و *رسالة في الجدل والروض المريع في صناعة البديع* و *رفع الحجاب عن وجوه أعمال الحساب*، ومؤلفات أخرى. ولأبي محمد عبد العزيز بن عبد الواحد اللمطي المتوفى سنة 980 / 1572 نظم في المنطق بعنوان *الدرر المنطقية*. وأبو زيد عبد الرحمان البوعقيلي الجزولي المتوفى سنة 1007 / 1598، صاحب *أرجوزة في المنطق*. والحسن بن يوسف الفاسي الزياني المتوفى سنة 1023 / 1614، صاحب *شرح على متن السلم للأخضري*. وأبو عبد الله محمد العربي الفاسي المتوفى سنة 1052 / 1642، مؤلف *الطالع المشرق في أفق المنطق وتلقيح الأذهان بتنقيح البرهان*. وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1096 / 1685 شارح كتاب *الطالع المشرق في أفق المنطق*. له كذلك منظومة في *علم الأسطرلاب* سماها *نخبة الطلاب في عمل الأسطرلاب*، وله *الأقنوم في مبادئ العلوم* ، وهي أرجوزة تتناول عدة مباحث منها : الفلسفة والمنطق والموسيقى وعلم العدد وعلم الجبر والمقابلة والسياسة والطبيعيات والمناظرة. وأبو علي الحسن بن مسعود اليوسي المتوفى سنة 1102 / 1691 يصفه قصارة بـ"عالم الأمة"، ويقول عنه الهلالي "أعجوبة الزمان وعلامة الأوان". من مشايخ المغرب. ترك مؤلفات تخص عدة حقول منها علم الأصول والكلام والمنطق والأدب ؛ نذكر منها : *نفائس الدرر في حواشي المختصر والقانون والقول الفصل* في تمييز الخاصة

عن الفصل وتقييد في *النسبة الحكمية بين الطرفين الموضوع والمحمول* وحاشية على *مختصر السنوسي في المنطق* وحاشية على *شرح الكبرى للسنوسي وشرح القصيدة الدالية*، أو *نيل الأماني في شرح التهاني*، وهو شرح على القصيدة التي نظمها تهنئة لشيخه أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي، و*المحاضرات* و*الفهرس والديوان*، وغيرها. ونشير في هذا المقام إلى أنه رد في حاشيته على *العقيدة الكبرى للسنوسي* على السيوطي فيما يتعلق بمسألة تحريم الاشتغال بالمنطق. وكتب أبو محمد عبد السلام بن الطيب بن محمد القادري الحسني الفاسي المتوفى سنة 1110 / 1698. في المنطق أرجوزة *الجواهر المنطقية*، ضمنها ما ورد في *مختصر المنطق للسنوسي*. كما ألف *فهرسة* مع أخيه محمد العربي. وقد اهتم كذلك بالتاريخ خاصة المناقب والأنساب والتراجم، حيث خلف: *الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني*. ولأبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1116 / 1704 مؤلفات في علوم مختلفة منها: *شرح الطالع المشرق في أفق المنطق* و *شرح الشواهد والمباحث الإنسانية في الجملة الخبرية والإنشائية*، وغيرها. وأبو سرحان مسعود جمّوع الفاسي. من سجلماسة قدم إلى سلا وتوفي بها سنة 1119 / 1707. كان عالما بالحديث والفقه والتصوف والبيان والنحو والتفسير. له مؤلفات منها: *نفائس الدرر في سير سيد البشر* و*شرح على السلم في المنطق*. ومحمد بن مدين بن الحسن السوسي المكناسي المتوفى سنة 1120 / 1709. قاضي الجماعة بمكناسة. شارح *متن السلم في المنطق للأخضري*. وألف أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الولالي المتوفى سنة 1128 / 1715. من شيوخه الحسن بن مسعود اليوسي في علوم كثيرة؛ وترك مصنفات تخص مباحث عدة منها المنطق الذي ألف فيه: شرحا على مختصر السنوسي في المنطق سماه *لوامع النظر في تحقيق معاني المختصر* و*شرح على متن السلم في المنطق للأخضري*. وأبو بكر بن علي الفرجي المتوفى سنة 1139 / 1726. عالم بالفقه والبيان والمنطق والنحو وأصول الفقه وأصول الدين، وغيرها. له *شرح على متن السلم في المنطق* وشرح على السعد. وبرع أبو عبد الله السوسي المنصوري المتوفى سنة 1142 / 1729 في النحو والتوحيد والمنطق. له مصنفات منها: *شرح على مختصر السنوسي في المنطق*. وأبو العباس أحمد بن مبارك بن محمد بن علي اللمطي السجلماسي 1155 / 1742 فقيه ومحدث. درس عدة علوم من بينها المنطق والحساب والكلام والبيان والأصول والفقه والتفسير والحديث. انتهت إليه الرئاسة في جميع العلوم واستكمل أدوات الاجتهاد. أحرز قصب السبق في مجال الاستنباط. من كتبه: *في دلالة العام على بعض أفراده* أو *إنارة الأفهام في سماع ما قيل في دلالة العام*. أبو العباس أحمد بن عبد العزيز السجلماسي الهلالي المتوفى سنة 1175 / 1761. شخصية لامعة ومن أكبر مناطقة المغرب (من أساتذة البناني). من أهم مؤلفاته ما صنفه في المنطق وأصطلح عليه: *الزواهر الأفقية في شرح الجواهر المنطقية* (شرح على أرجوزة *الجواهر المنطقية* التي نظمها عبد السلام بن الطيب القادري على *مختصر السنوسي*). وهو أول كتاب طبع بالمطبعة الحجرية بفاس لما تأسست في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان. أبو حفص عمر بن عبد الله الفاسي المتوفى سنة 1188 / 1774. له حاشية على شرح *مختصر السنوسي في المنطق* سماها *تحرير النظر في بعض مسائل المختصر وإحراز الخصل لتحرير مسائل القول الفصل في الفرق بين الخاصة والفصل*. أبو عبد الله محمد بن الحسن البناني المتوفى سنة 1194 / 1780. علامة فاس ومن كبار مناطقة المغرب. من مؤلفاته: *حاشية على شرح الزرقاني على مختصر خليل* سماه *الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني* وهي *حاشية على شرح عبد الباقي الزرقاني على مختصر خليل* و*حاشية على مختصر السنوسي في المنطق* و*شرح على متن السلم في علم المنطق للأخضري* وحواشي على *شرح المكودي* و*تقييد في الفرق بين الدلالة العادية والوضعية* و*فهرسة تشتمل أسانيد مختلف العلوم*، وغيرها.

وإذا كان بعض الدارسين قد أقروا بأن السمة التي طبعت الحقبة الممتدة من القرن الرابع عشر الميلادي إلى منتصف القرن العشرين هي قلة الإبداع، فإن استحضار المؤلفات المنطقية بالمغرب جعلنا نشك في هذه الدعوى. حيث أفضى بنا تمحيص العديد من المؤلفات إلى رفض تعميم ما ساد في مرحلة معينة أو فترات زمانية محددة على كل هذه الأزمنة. فقد تبين أن من الدارسين من تجاوز سابقيه في أمور قد تعود أحيانا إلى مجرد استثمار المنطق في مجالات لم يلجها من قبل. فالأمر لا يتعلق دائما بإعادة قول ما قيل، بل "قول على" ما قيل. ومن ثم لا يمكن إغفال ما قام به العديد من المناطقة بالمغرب أمثال الهلالي والبناني.

أحمد ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974 ؛ محمد بن شريفة، أول تأليف منطقي في المغرب، المناظرة، ع 2، 1989 ؛ أ. بابا التنبكتي، *كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج*، د. ت. محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2000 ؛ سليمان الحوات، *الروضة المقصودة والحلل المحمودة في مآثر بني سودة*، د. ت. عبد العزيز تيلاني، مطبوعات أحمد بنسودة، 1994 ؛ محمد بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز ؛ تاريخ العدوتين*، تح. مصطفى بوشعرة، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، 1986 ؛ محمد المنوني، *دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية*، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1405 / 1985 ؛ محمد مخلوف، *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، القاهرة، 1349.

حسن الباهي

**المنظري، أحمد حسن**، كان مقيما بفاس عندما فكر في الاستيلاء على مدينة تطوان، وفي ظروف غامضة توجه إليها وأطاح بحكم الست الحرة بنت الأمير مولاي علي ابن راشد وزوجة السلطان أحمد الوطاسي، وذلك يوم 12 رجب 949 (22 أكتوبر 1542) فكان أول فرد من الأسرة المنظرية

يحكم المدينة بصفة مستقلة، وذلك من سنة 949 إلى 956 (1542 . 1549).

ولدينا عدد غير قليل من الوثائق تحدثنا عن الأحداث التي جرت في عهده مثل :

الرسالة التي وجهها حاكم سبتة الفونصو دي نورونها Alfonso de Noronha إلى الملك البرتغالي يوم 15 يونيو 1543 (12 ربيع الأول 950 ) يخبره فيها بأن أحمد حسن أخبره بأنه اشترى السفينة التي استولى عليها قراصنة الجزائر بمياه ترغة وكذلك البحارة السبعة الذين كانوا على متنها ؛ وقد جاء في الرسالة أن المنظري حول السفينة البرتغالية إلى سفينة حربية وضمها إلى خمسة سفن أخرى له أرسلها للإغارة على مدينة الجزيرة الخضراء يوم 11 يونيو (8 ربيع الأول) وتمكنت من أسر 14 من الإسبانيين.

وفي شهر صفر 951 (ماي 1544) نظم أحمد المنظري وأمير شفشاون محمد ابن راشد غزوة ضد مدينة أصيلا ؛ وهذا ما جعل القنصل البرتغالي بفاس يقترح على الملك خوان الثالث Juan III تحطيم مدينة تطوان، وذلك في رسالة بتاريخ ثاني يونيو (1545 / 11 ربيع الأول 951).

وفي يوم 24 ربيع الأول (5 يونيو 1545 ) أخبر القنصل البرتغالي بفاس الملك خوان الثالث بأن السلطان مولاي أحمد الوطاسي يهئ قوات عظيمة سوف يتوجه على رأسها لإخضاع مدينتي تطاون وشفشاون.

وجاء في رسالة وجهها حاكم سبتة إلى الملك البرتغالي خوان الثالث بتاريخ 7 أكتوبر 1545 (30 رجب 952). أنه اغتنم وقت غياب أحمد حسن عن مدينة تطاون فنظم حملة عسكرية ضد ضواحي المدينة يوم 16 رجب (23 سبتمبر) فتمكن من الاستيلاء على 80 رأسا من البقر. ويقول الحاكم البرتغالي في رسالته إنه وصل "إلى حيث يوجد قبر المنظري فبدأت مدافع المدينة وقصبة الذيب تطلق علينا نيرانها".

في رسالة بتاريخ 11 يونيو 1546 (11 ربيع الثاني 953 ) أخبر حاكم القصر الصغير الملك خوان الثالث بأن "سيدي أحمد حسن قائد تطاون قد عاد إلى المدينة المذكورة ويبدو أنه باتفاق مع ابن راشد يسعى إلى التصالح مع سلطان فاس.

يقول المؤرخ البرتغالي فرانثيسكو ذي اندرادي إن القائد أحمد حسن وقائد ترغة قاما بهجوم عنيف ضد مدينة طنجة يوم 25 شعبان 953 (21 أكتوبر 1546).

وجاء في الرسالة التي وجهها سلطان فاس أبو حسون إلى الحاكم البرتغالي بمدينة سبتة يوم 25 رمضان 954 (8 نوفمبر 1547 ) أنه أرسل إلى تطاون القائد مسعود القصري برسالة إلى القائد أحمد حسن يطلب منه فيها أن يسلم له الأسرى البرتغاليين الذين في حوزته فامتنع عن تنفيذ أوامره.

وجاء في رسالة بعثها حاكم سبتة إلى ملك البرتغال خوان الثالث يوم 10 نوفمبر 1547 (27 رمضان 954) : "أن شريف مراكش بعث يقول لقائد تطاون بأنه يتعين عليه أن يلتحق به على رأس قواته ؛ وما أن علمت بذلك حتى نظمت حملة عسكرية ضد نواحي تطاون للحيلولة دون تمكن أحمد حسن من مغادرة المدينة".

وفي رسالة كتبها من تطاون التاجر البرتغالي خيرونيمو دييث إلى الملك خوان الثالث بتاريخ 15 فبراير 1548 (5 محرم 955) أن أحمد حسن قد أمر بفتح ميناء مرتين في وجه الملاحة والتجارة.

وفي شهر شوال 955 (نوفمبر 1548) جرت بتطاون عملية افتكاك 74 أسيراً نصرانياً، كان 20 منهم في ملك القائد أحمد حسن الذي توصل بمليون من العملة المرابطية، كتب التاجر البرتغالي خيرونيمو دييث رسالة بتاريخ 11 يناير1549 (11 ذي الحجة 955 ) إلى ذوق مدينة سيدونة يقول له فيها : "إن أحمد حسن صرح له بأنه يريد طرد الشرفاء السعديين من المغرب ومن أجل ذلك فإنه مستعد ليعمل كل ما في وسعه في حالة إذا ما حصل على مساعدة من طرف إسبانيا".

م. ابن عزوز حكيم، *الجديد في تاريخ تطاون*، تطاون، 2000.

**المنظري، الحسن** بن **علي**، استولى على تطوان في ظروف غامضة، وكان ذلك حسب ما يؤكده المؤرخ مارمول كارفاخال Marmol Carvajal على إثر غياب المنظري الثالث عن المدينة سنة 964 (1557).

ويبدو أن سبب غياب المنظري الثالث يعود إلى الوباء الذي انتشر بالمدينة في السنة المذكورة حيث كان من بين العدد الكبير من ضحاياه القاضي محمد الكراسي صاحب أرجوزة " *عروسة المسائل فيما لبني الوطاس من الفضائل*" وكذلك الولي الصالح سيدي علي الفحل. وليس لدينا ما يثبت وجود المنظري الخامس بتطوان بعد سنة 969 (1562).

م. ابن عزوز حكيم، *الجديد في تاريخ تطاون*، تطاون، 2000.

**المنظري، حمو حسن** هو ابن المنظري (الثالث)، وإليه تشير الرسالة التي وجهها الملك البرتغالي ضون سيباسطيان Don Sebastian إلى سفيره بمدريد بتاريخ 6 مارس 1562 (29 جمادى الثانية 969) يقول له فيها : "علمت أن سيدي حمو قائد تطاون قد ثار على الشريف وأنه على اتصال وثيق بالأتراك الذين وعدوه بمساعدته في حالة إذا ما قام الشريف بمهاجمته".

ويقول المؤرخ كوريا ذا فرانكا Correa da Franca إنه في شهر ذي الحجة 969 (غشت 1562 ) جرت بضواحي سبتة معركة بين حاكم المدينة فيرناندو ذي مينيسيس Fernando de Meneses وسيدي حمو.

وأثناء حكم حمو المنظري قام الأميرال الإسباني ألفارو ذي باثان Alvaro de Bazan بسد مصب وادي مرتين يوم 6 شعبان 972 (9 مارس 1565 ) بواسطة إغراق سفن مملوءة

بالحجارة، وذلك من أجل تعطيل الملاحة عبر النهر والحيلولة دون تمكن السفن الجهادية التطوانية من الاعتصام داخل النهر فتكون مضطرة للبقاء في عرض البحر حيث يسهل على الأسطول الإسباني القضاء عليها.

وفي سنة 975 (1567) وقعت فتنة بين فرقتين من أسرة المنظري : بنوعلي وبنو حسن ؛ الأمر الذي استوجب تدخل السلطان عبد الله الغالب الذي أرسل قواته إلى تطوان برئاسة القائدين بوخليفة والدغالي اللذين تمكنا من الاستيلاء على المدينة وإلقاء القبض على القائد حمو حسن الذي كان قد تغلب على جميع أفراد سلالة بني علي وقضى عليهم.

وكان حمو المنظري آخر فرد من أسرة المنظري حكم تطوان، وقد ظل في سجن فاس إلى أن تمكن من الفرار والالتحاق بسبتة ومنها إلى طنجة حيث احتمى بالبرتغاليين سنة 977 (1570).

م. ابن عزوز حكيم، *الجديد في تاريخ تطاون*، تطاون، 2000.

**المنظري، علي** (الأول)، تقول الرواية الواردة في كتب التاريخ غير المعاصرة للأحداث - وهي تعتمد في ذلك على الرواية الشفوية - أن سيدي علي المنظري هو الذي أعاد بناء تطوان التي هدمها برتغاليو سبتة (811 / 1437) ؛ وهذا غير صحيح لأننا نتوفر على مصادر برتغالية معاصرة للأحداث تثبت أن إعادة بناء المدينة للمرة الأولى قد تم سنة 888 (1483) على يد أمير شفشاون مولاي علي ابن راشد وهو الذي حكم تطوان إلى غاية سنة 898 (1493).

ونفس المصادر هي التي تقول إن سيدي علي المنظري تولى إعادة بناء المدينة وتوسيعها سنة 898 (1493) وقد حكمها بصفته قائداً تابعاً لأمير شفشاون فلم يكن كما يدعيه المؤرخ محمد داود "حاكماً مستقلاً" بحكم أن المدينة كانت حسب تعبيره تكوّن شبه إيالة صغيرة تحت إمرته" وبحكم أنه لم يكن بين المنظري وابن راشد سوى "علاقة ودية ومتينة".

وتولى سيدي علي المنظري حكم تطوان إلى أن وافته المنية سنة 910 (1504).

م. ابن عزوز حكيم، *الجديد في تاريخ تطاون*، تطاون، 2000.

**المنظري، علي** (الثاني) تولى حكم تطوان بصفته قائدا تابعا لأمير شفشاون مولاي علي ابن راشد من سنة 910 إلى 924 (1504 - 1518).

وهو ابن أخ المنظري الأول لا حفيده كما جاء في جميع كتب التاريخ اعتماداً على ما قاله الوزان الفاسي الذي زار تطوان وسمع من أهلها أن علي المنظري (الأول) خلفه "حفيده". والحالة هذه أنه لم يكن يعلم أن الحفيد بالنسبة لأهل تطوان قديماً وحديثاً هو ليس فقط ابن الابن بل كذلك ابن الأخ، وتقول المصادر البرتغالية المعاصرة للأحداث إن علي المنظري (الثاني) أولى اهتماماً كبيراً لأمر الجهاد البري، ولذلك أسند إليه الأمير الراشدي مهمة الإشراف على مرسى ترغة بالإضافة إلى مرسى مرتين حيث كان يتوفر على عدد مهم من السفن التي لم تعد تقتصر على العمل عبر مياه البحر الأبيض المتوسط وبوغاز جبل طارق بل أصبحت تضايق الملاحة البرتغالية في مياه المحيط الأطلسي.

ونفس المصادر تقول إن علي المنظري (الثاني) عند غيابه عن المدينة كانت تنوب عنه زوجته الست الحرة بنت الأمير مولاي علي ابن راشد، وقد أنجبت له ابنتها الوحيدة التي يذكرها التاريخ وقد تزوجت المنظري (الثالث).

ومن الغزوات التي قام بها الأمير الراشدي رفقة المنظري الثاني الغزوات المنظمة ضد أصيلا سنة 914 (1508) و915 (1509) و916 (1510) وضد طنجة سنة 918 (1512)، هذه الغزوة الأخيرة التي تقول عنها المصادر البرتغالية إن سبب الهزيمة فيها كان "فرار المنظري من أرض المعركة صحبة مائة من فرسانه وظل ابن راشد وحده وكاد أن يسقط أسيراً بيد الحاكم البرتغالي للمدينة".

وعندما توفي أمير شفشاون سنة 922 (1516) ظل المنظري (الثاني) تابعاً للأمير مولاي إبراهيم ابن راشد.

م. ابن عزوز حكيم، *الجديد في تاريخ تطاون*، تطاون، 2000.

**المنظري، محمد حسن** أشركته حماته الست الحرة بنت الأمير مولاي علي ابن راشد في حكم تطوان من سنة 946 إلى 948 (1539 - 1541) أي إلى غاية زواجها بالسلطان أحمد الوطاسي. وفي سنة 956 (1549) تولى حكم تطوان خلفا لأبيه المنظري (الرابع) وذلك إلى غاية سنة 964 (1557).

ومن الأحداث المهمة التي جرت في عهده نذكر : الهجوم الذي قام به بمعية ابن تودة قائد العرائش ضد طنجة حيث جرت يوم 17 ربيع الأول 960 (13 مارس 1553) معركة قتل فيها الحاكم البرتغالي لويس ذي لوريرو Luis de Louriro و59 من جنوده.

وفي يوم 4 جمادى الأولى 960 (18 أبريل 1553) جرت بضواحي سبتة معركة بين القائدين المنظري وابن تودة من جهة والحاكم البرتغالي بيدرو ذي منيسيس Pedro de Meneses، قتل فيها هذا الأخير و300 من ضباط وجنود الحامية البرتغالية.

وفي الهجوم الذي قام به القائدان المذكوران ضد مدينة طنجة يوم 15 جمادى الأولى 960 (29 أبريل 1553) قتل الحاكم البرتغالي لويس ذي سيلفا Luis de Silva وعدد كبير من ضباط وجنود الحامية.

وفي هجوم آخر نظمه القائدان على نفس المدينة يوم 21 جمادى الأولى 960 (5 ماي 1553) قتل الحاكم البرتغالي بيدرو الفاريث كوريا Pedro Alvarez Correa وعدد من جنود وضباط الحامية.

وفي الرسالة التي وجهها يوم 27 شعبان 960 (8 غشت

1553) إلى الأمير الإسباني ضون فيليبي Don Felipe يصف المنظري نفسه بـ "خديم مولاي محمد الشيخ" الأمر الذي يعني أنه كان آنذاك قد دخل في طاعة السعديين بعد احتلالهم مدينة فاس ؛ وهذا ما يفسر ما جاء في مذكرة إسبانية بتاريخ 22 يناير 1554 (17 صفر 961) بأنه عندما استرجع أبو حسون الوطاسي مدينة فاس كتب قائد تطوان إلى الحاكم البرتغالي بسبتة يطلب منه الإذن المكتوب يخول له حق اللجوء إلى سبتة صحبة أسرته عند الحاجة.

وآخر وثيقة نتوفر عليها هي الرسالة التي وجهها حاكم سبتة إلى الملك البرتغالي ضون سيباسطيان Don Sebastian يوم 17 سبتمبر 1557 (23 ذي القعدة 964) يخبره فيها بأن ملك فاس سوف يهاجم تطوان لأن القائد المنظري يتعامل مع القراصنة الأتراك دون إذن منه.

والجدير بالذكر أنه في عهد المنظري عرفت تطوان توسعا نحو الشمال حيث أنشئت الحومة التي ما زالت تعرف بحومة السوق الفوقي.

م. ابن عزوز حكيم، *الجديد في تاريخ تطاون*، تطاون، 2000.

محمد ابن عزوز حكيم

## المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

(إيسيسكو) مقرها الرباط عاصمة المملكة المغربية، هي مؤسسة دولية متخصصة في قضايا التربية والعلوم والثقافة، وتتمتع باستقلال ذاتي ضمن "منظمة المؤتمر الإسلامي" التي تتخذ من جدة في المملكة العربية السعودية مقراً مؤقتاً لها (مقرها الدائم حسب ميثاقها هو القدس).

اتخذت الإيسيسكو مقرها في البناية رقم 16، شارع عمر بن الخطاب في حي أكدال بالرباط من عام 1982 حتى عام 1992 حين انتقلت إلى بناية اشترتها في شارع التين في حي الرياض في الرباط، وتنتقل قريباً إلى بناية أنشأتها في المدينة الجامعية في حي أكدال العالي في الرباط.

تأسست الإيسيسكو تنفيذاً لقرار من المؤتمر الإسلامي الحادي عشر لوزراء الخارجية الذي انعقد في إسلام آباد، عاصمة باكستان، في شهر ماي 1980، والذي صادق عليه مؤتمر القمة الإسلامي الثالث في مكة المكرمة والطايف في شهر يناير عام 1981.

انعقد المؤتمر التأسيسي للإيسيسكو في مدينة فاس برعاية الملك الحسن الثاني، في المدة من 9 ـ 11 رجب 1402 (3 ـ 5 ماي 1982)، وحضره مندوبون من 23 من البلدان الإسلامية الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي.

انتخب المؤتمر التأسيسي مرشح المغرب، رجل الدولة المفكر الإسلامي المعروف الأستاذ الدكتور عبد الهادي بوطالب، مديراً عاماً للإيسيسكو. فتولى فتح مقر للمنظمة في الرباط، وبدأ العمل مع بضعة مساعدين فقط اختارهم من رجال الثقافة والتعليم والإعلام البارزين : مصطفى القصري، والحسن السايح، ومحمد بن العابد الفاسي الفهري، وعبد السلام حجي، وعلي القاسمي. وسعى المدير العام إلى إرساء التوجهات الرئيسية لعمل المنظمة، ووضع معالم خطط عملها، وزيادة الدول الأعضاء فيها، وتوسيع جهازها الوظيفي تدريجياً.

ولا تختلف الإيسيسكو، من حيث غاياتها وأجهزتها وخطط عملها، عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) أو منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، اللتين تربطها معهما وغيرهما من المؤسسات اتفاقات تعاون، إلا في توجيه خدماتها للبلدان الإسلامية وسعيها إلى تنمية الثقافة الإسلامية.

ومن أهم أهداف الإيسيسكو التي وردت في ميثاقها :

1 ـ دعم التفاهم بين شعوب العالم الإسلامي، خاصة عن طريق التربية والعلم والثقافة.

2 ـ تعميق التعاون بين الدول الأعضاء في ميادين التربية والعلوم والثقافة.

3 ـ تشجيع وتطوير العلوم التطبيقية والتقانات الحديثة في الدول الأعضاء في إطار المثل الإسلامية.

4 ـ دعم الثقافة الإسلامية والمحافظة على معالم الحضارة الإسلامية.

5 ـ حماية الشخصية الإسلامية للمسلمين في البلدان غير الإسلامية.

وتتألف الإيسيسكو من ثلاثة أجهزة هي :

أ) المؤتمر العام : ويتكون من وفود الدول الأعضاء. ويرأس كل وفد، عادة، وزير التربية والتعليم. ويجتمع المؤتمر العام مرة كل ثلاث سنوات في دورة عادية، وله أن يجتمع في دورات استثنائية عند الضرورة. ويتولى وضع السياسة العامة للإيسيسكو، لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد. ويترأسه عادة، وزير التربية للدولة العضو التي ينعقد فيها. وينعقد في العادة، لمدة ثلاثة أيام خلال الشهرين الأخيرين من العام الميلادي. وقد انعقد المؤتمر العام حتى الآن في الأماكن التالية : الأول، الدار البيضاء، 1403 / 1985 ؛ الثاني، إسلام آباد، 1405 / 1985 ؛ الثالث، عَمّان، 1409 / 1988 ؛ الرابع، الرباط، 1412 / 1991 ؛ الخامس، دمشق 1415 / 1994 ؛ السادس، الرياض، 1418 / 1997 ؛ السابع، الرباط 1421 / 2000 ؛ الثامن، طهران 1424 / 2003. وأقر كل مؤتمر خطة عمل تنفذها الإدارة العامة للإيسيسكو خلال الفترة التي تسبق المؤتمر التالي.

ب) المجلس التنفيذي : يتألف من ممثل واحد لكل دولة عضو ويجتمع مرة كل عام لمدة أسبوع تقريباً، خلال الشهرين الأخيرين من العام الميلادي. وينتخب المجلس التنفيذي رئيسه لمدة ثلاث سنوات، ويضع اللوائح الإدارية والمالية الداخلية للمنظمة، ويناقش مشروع خطة العمل والميزانية الذين تقدمهما الإدارة العامة ويوصي المؤتمر العام بالمصادقة عليهما، ويعين المدير العام المساعد بناء على ترشيح من المدير العام. وقد عقد المجلس التنفيذي حتى عام 2005 ستاً وعشرين (26) دورة منها دورتان استثنائيتان.

ج) الإدارة العامة : تتكون الإدارة العامة من المدير العام ومساعديه من الموظفين في مقر الإيسيسكو بالرباط. وتتولى الإدارة العامة تنفيذ خطة العمل التي يقرها المؤتمر العام. وتضم الإدارة العامة ثلاث مديريات هي : التربية، والعلوم، والثقافة والاتصال. واضطلع بمنصب المدير العام : عبد الهادي بوطالب (المغرب) من (1982 . 1991) ؛ عبد العزيز التويجري (السعودية) من (1992).

الدول الأعضاء في الإيسيسكو :

ينص ميثاق الإيسيسكو على أن لكل دولة عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي الحق في أن تصبح عضواً في الإيسيسكو بمجرد موافقتها على الميثاق. ويمكن لغير الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي أن تتقدم بطلب إلى المؤتمر العام لتصبح عضواً ملاحظاً في الإيسيسكو.

وقد ارتفع عدد الدول الأعضاء في الإيسيسكو منذ تأسيسها تدريجياً حتى بلغ إحدى وخمسين دولة عام 2005، مع العلم أن مجموع الدول الأعضاء في منطقة المؤتمر الإسلامي هو سبع وخمسون دولة. والدول الأعضاء في الإيسيسكو هي : أذربيجان، الأردن، أفغانستان، الإمارات العربية، إندونيسيا، إيران، باكستان، البحرين، بروناي، بنغلاديش، بنين، بوركينا فاسو، البوسنة والهرسك، تاجيكستان، تشاد، التوغو، تونس، الجزائر، جيبوتي، السعودية، السودان، سورينام، سوريا، سيراليون، السينغال، الصومال، العراق، عُمان، الغابون، غامبيا، غينيا، غينيا بيساو، فلسطين، قازاخستان، قطر، القمر، قيرغزستان، الكاميرون، كوت ديفوار، الكويت، لبنان، ليبيا، المالديف، مالي، ماليزيا، مصر، المغرب، موريتانيا، النيجر، نيجيريا، اليمن.

ولغات عمل الإيسيسكو : العربية، والإنجليزية، والفرنسية.

وتتألف خطط عمل الإيسيسكو الثلاثية من برامج تتوزع على حقول في ميدان التربية (مثل التعليم الأصيل، محو الأمية، التعليم للجميع، التربية وخدمة المجتمع، التعليم العالي)، وميدان العلوم (بناء قدرات البحث العلمي، تعزيز القدرات التقانية، احتياجات التعليم العلمي والتقني، البيئة والتنمية، العلوم الاجتماعية والإنسانية)، وميدان الثقافة والاتصال (الثقافة الإسلامية، البعد الثقافي للتنمية المستدامة، الثقافة في العالم الإسلامي بين الوحدة والتنوع، الإعلام والاتصال في العالم الإسلامي).

وتُنفَّذ برامج الإيسيسكو في ثلاثة أنماط رئيسية :

أ) النشر، حيث تقوم الإيسيسكو بإصدار مطبوعات تتناول السياسات التربوية والثقافية والعلمية، مثل إستراتيجية تطوير التربية في البلاد الإسلامية، والإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، وإستراتيجية تطوير العلوم والتكنولوجيا في البلدان الإسلامية، واستراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب، وإستراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية، والإعلان الإسلامي حول التنوع الثقافي. وقد أصدرت الإيسيسكو منذ تأسيسها حتى عام 2005 حوالي (563) مطبوعاً. كما تصدر مجلة نصف سنوية عنوانها "*الإسلام اليوم*" ونشرة إعلامية شهرية بعنوان "*الإيسيسكو*".

ب) التدريب، حيث تعقد الإيسيسكو دورات تدريبية في مختلف البلدان الإسلامية لإعداد المدرِّبين في ميادين اختصاصها. وقد عقدت حتى عام 2005 حوالي (820) دورة تدريبية.

ج) المؤتمرات والندوات : تعقد الإيسيسكو مؤتمرات وندوات حول القضايا التي تهمّ العالم الإسلامي، أو تشارك في مؤتمرات دولية مساهمة في الحوار الحضاري أو تصحيحاً لصورة الإسلام.

وتبلغ ميزانية الإيسيسكو الإجمالية في السنوات الأخيرة حوالي أربعين مليون دولار أمريكي في كل دورة (أي لكل ثلاث سنوات) تساهم فيها كل دولة عضو بنسبة مساهمتها في ميزانية منظمة المؤتمر الإسلامي. ونظراً لتخلف بعض الدول في تسديد مساهمتها أو بعضها، فإن معدل ما يدخل فعلاً من الميزانية يبلغ 40 إلى 50 بالمائة منها.

اتحاد جامعات العالم الإسلامي :

يعمل اتحاد جامعات العالم الإسلامي، الذي تأسس عام 1987 ، في إطار الإيسيسكو، ويتولى مديرها العام أمانة الاتحاد. ويبلغ عدد الجامعات الأعضاء في الاتحاد حالياً حوالي (200) جامعة. ويهدف إلى تشجيع التعاون بين الجامعات الأعضاء، وله مجلة حولية عنوانها "الجامعة" ونشرة فصلية تُسمى "الاتحاد".

المراكز والمكاتب الإقليمية :

للإيسيسكو مراكز ومكاتب إقليمية أهمها : مركز الإيسيسكو لتعزيز البحث العلمي في مقر الإيسيسكو، ومركز الإيسيسكو بنجامينا في تشاد، ومندوبية الإيسيسكو في جزر القمر، والمكتب الإقليمي للإيسيسكو في الشارقة، والمكتب الإقليمي للإيسيسكو في طهران. كما يتوفر مقر الإيسيسكو على مكتبة مرجعية لخبرائها.

موقع الإيسيسكو على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) :

*ميثاق الإيسيسكو في طبعاته وتعديلاته المختلفة* ؛ *دليل الإيسيسكو* لعام 2005 ؛ مجلة "*الإسلام اليوم*" وبقية *مطبوعات الإيسيسكو*.

علي القاسمي

**الـ منغنيز** ، يتوفر المغرب على مكامن غنية متباينة النوعية والأهمية، يمكن تقسيمها إلى صنفين :

ـ مكامن ركازية : تمتد على شكل عروق ضيقة ،متقطعة ذات نسبة تركيز عالية + 50٪ توجد بصخور ما قبل الكمبري بإقليم ورزازات، وبصخور الباليوزيك بإقليم وجدة لكن احتياطها لا يتجاوز 1٪ من الاحتياطي المؤكد بالمغرب.

ـ مكامن طبقية : ترتبط بمختلف التكوينات الصخرية لما قبل الكامبري بهوامش الأطلس الصغير الشرقية، وصخور عصر الفيزي بوجدة وبتكوينات متنوعة للبيرموترياس وهي ضعيفة المحتوى ـ 50٪ لكنها واسعة الانتشار تكون احتياطا مهما حتى على المستوى العالمي.

إن مكامن المنغنيز كثيرة بالمغرب وكذلك مناجمه، وأهم المناجم المستغلة هي :

ـ إقليم وجدة : استغل المنغنيز بها منذ 1919 إذ كونت مناجمه أولى الاستغلاليات المنجمية الحديثة بالمغرب، وذلك لشدة حاجة صناعة الحديد الفرنسية لهذا المعدن الذي تفتقده في بلدها. يوجد بهذا الإقليم مكامن عديدة، منها ما يرتبط بصخور ما قبل الكمبري وما يرتبط بصخور البيرموترياس، توجد على شكل عروق أو طبقات. لكن ضعف المكامن جعل الشركات تتخلى عن كثير من المناجم التي شرعت في استغلالها. وأنتجت مناجم هذه المنطقة 1695 طن سنة 1960 لكنها توقفت كلها في نهاية الستينيات.

ـ إقليم بوعرفة : تضمن مكامن أغنى، قدر احتياطها الإجمالي بـ 1.5 مليون طن مما شجع سلطات الحماية على إنشاء خط حديدي لربطها بوجدة : 1928 ـ 1931. يوجد أهم مكمن بعين البيضا بصخور الكلس الدولوميتي والليلاس. والصخور المعدنة هشة ذات تركيز متوسط 30٪ تحتوي على نسبة من الحديد 11٪ وشيست. أنشأت الشركة المستغلة سنة 1930 معملا لمعالجته وتجميعه على شكل كتل مكورة. أنتج هذا المنجم 758000 طن سنة 1960 من معدن نسبة تركيزه 33٪.

ـ إقليم ورزازات : صار أول منطقة منتجة للمنغنيز بالمغرب منذ 1948، تنقسم مكامنه إلى صنفين :

1 ـ مكامن طبقية : ترجع إلى ما قبل الكمبري في تيوين وميزوكرستي في إميني، لم يشرع في استغلالها إلا بعد 1937 بعد بناء طريق فج تيزي ن تيشكا وارتفاع سعر المنغنيز بالسوق العالمي، وأهم مكامنها المستغلة هي :

ـ مكمن تيوين : اكتشف سنة 1928 يتكون من عدسات طبقية ذات صخور صلبة مندسة في صخور ريوليت رصيصية تمتد على شكل خط متقطع على طريق أمرزگان ـ تازناخت : ج. غ ـ ش. ش. ابتدئ باستغلالها عن طريق منجم سطحي إلى سنة 1938 ثم تحول الاستغلال إلى أنفاق منجم باطني. يبلغ احتياطي هذا المكمن 1.93 مليون طن بتركيز 44٪ لكنه يحتوي على 10٪ سيليس ونسبة ضعيفة من البارتين والرصاص. يعالج محليا في مركب معدني للتكسير والغسل والتنقية والطحن والتركيز. بلغ إنتاجه 55500 طن سنة 1960 أغلق في عقد السبعينيات لنفاذ مخزون العروق الغنية.

ـ مكمن إميني ـ بوتازولت : اكتشف سنة 1928، لكن لم يبدأ التنقيب والاستغلال إلا سنة 1929، وهو مكمن ذو حجم كبير يتكون من خليط من المركبات الكيماوية للمنغنيز تنتشر على شكل عدسات مفلطحة، سمكها 10 أمتار مندسة في طبقات صخرية من الحث الكريتاسي. وهي عبارة عن إرساب غمر بحري فوق القاعدة القديمة بالشرق وريوليت ما قبل الكمبري بالمغرب. أثبتت البحوث وجود رقعة ممعدنة طولها 10 كلم وعرضها 100 ـ 400 متر تضم طبقات أكثرها تركيزاً : الطبقة السفلى. بعد حفر عدة مناجم اختبارية تركز الإنتاج في منجم بوتازولت الذي يبعد عن إميني بـ 12 كلم، وطبقاته أغنى وأكثر انتظاما، يستغل عن طريق حفر سطحية وأنفاق مناجم باطنية، يبلغ احتياطه 3.89 مليون طن تركيزه 50 ـ 75٪ وبه 7 ـ 11٪ من السيليس و1٪ رصاص، وهناك كميات أخرى تقدر بخمس الاحتياطي تتكون من منغنيز كيميائي : بيوكسيد المنغنيز تركيزه 92٪ وهو أكثر قيمة بلغ الإنتاج 339 ألف طن سنة 1957 و184 ألف طن سنة 1960. في 1952 أنشئ معمل بإيمني لتركيز المعادن الضعيفة.

ـ ولصعوبة عبور الشاحنات لفج تيزي ن تشكا علوه : 2200 متر. أنشئ خط ناقل هوائي طويل يحمل المعدن في صناديق حديدية معلقة من محطة الگويم على الطريق بالمنحدرات الشرقية يعبر بها الفج وأعراف جبلية إلى مركز تغدوين بالمنحدرات الغربية بوادي الزات، ثم ينقل بالشاحنات إلى محطة القطار بمراكش حيث ينقل على القطار إلى الدار البيضاء ثم يفرغ بمعمل سيدي معروف بنواحي الدار البيضاء لتنقيته وتكتيله على شكل كويرات ثم يعاد نقله على القطار إلى الميناء لتصديره، وهذا ما يجعل النقل يستوعب 56٪ من تكاليف إنتاجه ويجعله بالتالي مرتفع الثمن بالنسبة لبقية منغنيز المغرب.

2 ـ مكامن عرقية : تندس في صخور قديمة لما قبل الكمبري، وهي كثيرة تنتشر على شكل عروق صغيرة متقطعة لا تتعمق ولا تتصل حتى في الأعماق، تنتشر فوق مساحة يبلغ طولها 90 كلم من الشرق إلى الغرب وعرضها 50 من الشمال إلى الجنوب ونظراً لارتفاع تكلفة فتح مناجم مجهزة عليها باعتبار ضعف محتواها، فإن الشركة عمدت إلى استغلالها بطرق تقليدية من طرف مقاولين من سكان القرى المجاورة عن طريق حفر سطحية وآبار لا يتجاوز عدد العاملين بها 10 أشخاص، أنتجت 25 ألف طن سنة 1960.

ـ مكامن ثانوية : تنتشر بأماكن عديدة تمتد من الريف إلى الأطلس الصغير من أهمها عروق بضواحي مليلية مندسة في التدفقات البركانية القديمة للجبل البركاني گوروگو، لكن تركيزها ضعيف 3 ـ 4٪. أنشئ عليها بعض الأوراش أعطت 1600 طن سنة 1958، تعالج محليا لرفع تركيزها إلى 43٪. أغلقت في عقد الستينيات. كما استغلت مناجم صغيرة وحفر بنواحي ميدلت بمكامن يصل تركيزها إلى 50٪ لكن احتياطها ضعيف جدا. كما اكتشفت مكامن بنواحي دمنات على شكل عدسات منفصلة ترجع إلى ترسيب طغيان بحري لعصر الليلاس في شقوق دولوميتية تركيزها 41٪، أنتجت 4000 طن سنة 1960. وبالأطلس الصغير استغل منجمان

الأول بتاسدرمت بوادي سوس يشبه في تركيبه مكامن إيميني لكن معدنه مثقل بالرصاص لذا لم يستغل، احتياطه ضعيف 100 ألف طن. ومكمن إفـري إيديكل على بعـد 13 كلم من تافراوت شرع في استغلاله سنة 1951، أعطى 8500 طن سنة 1958 و3000 طن سنة 1960 لكنه اسـتنزف بسـرعـة في الستينيات لضعف احتياطه. وتنقل معادن الأطلس الصغير إلى أگادير لتصديرها.

لقد جعل إنتاج هذه المناجم المغرب يحتل المرتبة السادسة في العـالم سنة 1960 حيث بلغ إنتـاجه 483 ألف طن تمثل 3.9٪ من إنتاج العالم. وأنتجت مناجم المنغنيز منذ افتتاحها إلى 1960 : 5 ملايين طن.

وقد تراجع الإنتاج بعد الاستقلال خاصة في السبعينيات لأسباب عـديدة : استنفاد المكامن، تقادم تجهيزاتها، قلة الطلب عليها وتخلي الشركات الأجنبية المستغلة لها تدريجيا في إطار قـوانين الحـماية بعـد استـقلال المغرب. ولسبب إسـتراتيجي هو تزايد الإنتـاج العالمي من طرف دول تمتلك مكامن غنية جدا ذات تكلفة منخفضة مما جعل استغلال كثير من المناجم المغربية غير مربح، فأغلق العديد منها مما أدى إلى انخفاض الإنتاج بنسب كبيرة، بحيث لم يبق مستمراً في إنتاج جزئي سوى مناجم المنغنيـز الكيـميائي بإيميني القليل بالسوق العـالمي، فـأنتج منه المغرب 29150 طن سنة 1999 صدر منها 26150 طن بقيمة 53.3 مليون درهم.


أحـمـد هوزلي، *الموارد المعدنيـة والتنمـيـة بالمغـرب*، كليـة الآداب مراكش؛ زيارة استطلاعية لمناجم إيميني - بوتازولت، 1988 ؛ *أبحاث واستطلاعـات وتقارير من الصحف المغربية عن الإنتاج المعدني بالمغرب* ؛ وزارة الصناعة والتجارة والطاقة والمعادن، *نشرات صحفية ودراسات قطاعية وتقارير* حول المناجم والاقتصاد المعدني بالمغرب.


*ودراسات قطاعية وتقارير* حول المناجم والاقتصاد المعدني بالمغرب.


A. André et J. Lecoz, *Economie minière : notices explicatives de l'Atlas du Maroc*, Rabat, 1961.


أحمد هوزلي

**المنكوب** ، بلدة تقع شمال شرق بوذنيب بحوالي 140 كلم وشمال عين الشعير بحوالي عشرين كلم في منسبط تاملالت، كانت ضمن التخوم المغربية الشرقية التي تعرضت للاغتصاب من طرف الفرنسيين في فجر القرن العشرين، إذ احتلتها القوات الفرنسية سنة 1907.

وقد أثار هذا الاحتلال ردود فعل قوية من جانب القبائل المغربية في التخوم الجنوبية الشرقية، التي تصدت لجحافل الاستعمار مخلدة صفحات رائعة من الصمود والمقاومة. اقترن اسم المنكوب خطأ بإحدى أكبر المعارك التي أغمط التاريخ حقها إذ ينفرد كتاب "*كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر*" لصاحبه أحمد بن قاسم المنصوري بإيراد تفاصيل عنها، حيث كتب يقول في معرض حديثه عن تغلغل الاستعمار من جهة الشرق باحتلال وجدة" : "واحتل المنقوب الذي لا يبعد عن بوذنيب إلا بـ 138 كلم، وذلك سنة 1325 يوافق 1907. وهنا قام ذوو الغيرة الإسلامية من العلماء والأجلاء العاملين بعلمهم بإخلاص، ذاك هو مولاي أحمد السبعي السغروشني البربري، قام هذا الشريف يصرخ في القبائل البربرية من إخوانه آيت سغورشن وآيت يزدك وآيت مرغاد وآيت خباش وآيت عطة وآيت يوسي وبعض قبائل الصحراء كأولاد جرير وأولاد الناصر وبعض ذوي منيع، قام هذا العلامة يصيح ويصرخ في هاته القبائل يحث ويحرض بخطبه حتى التأمت عليه هذه الجموع الغفيرة التي قدروها بزهاء خمسين ألف مقاتل، فقصدبهم ناحية المنقوب... وكان اجتماعهم أولا في بوذنيب... ولما تكاملت العدة والعدد تحركوا نحو المنقوب حيث الجيش الفرنسي فصبحوه وحمي وطيس المعركة، وتقدموا نحو المعسكر مهاجمين وجل المجاهدين رجالة وفيهم قليل من الخيل، ورئيسهم مولاي أحمد السبعي... وهكذا تقدموا حتى احتلوا المركز وتصدع شمل العدو في اليوم الأول، واكتفى المجاهدون باحتلال المعسكر فقط ولم يتتبعوا العدو لاستئصال جرثومته، وبذلك تركوا له فرصة التفكير في إعادة الكرة عليهم وهذا ما كان".

والحقيقة أن المعركة دارت حين باغتت الحركة الجهادية معسكر طابور كولومب بشار المخيم ببلدة المنابهة جنوبي المنكوب على بعد 10 كلم من مركز تلزازة، واعترفت الوثائق العسكرية الفرنسية بأنها "أشرس معركة منذ بداية المسألة المغربية". لكن ما لبثت القوات الفرنسية أن استرجعت المبادرة مستغلة الفوضى العارمة في صفوف الحركة التي انهمك مجاهدوها في جمع الذخائر والغنائم، إذ نجح الفرنسيون في إعادة تنظيم قواتهم وتعقبوا فلول الحركة المنسحبة، "فشنوا عليهم حملة شعواء وصبوا عليهم نارا حامية من كل التلال والأودية، فرجع المجاهدون ناكصين على أعقابهم في تلك السهول الفسيحة... فكانت مصيبة عظمى وبلية كبرى على المسلمين، فتراجعت جموع المسلمين أو من بقي منهم لأن المدفعية حصدتهم حصدا".

هكذا كانت المعركة المشهورة بالمنكوب مقدمة لتوغل القوات الفرنسية في گير، إذ عقب تجمع المجاهدين من شتى قبائل الجنوب الشرقي في بوذنيب فاجأتهم القوات الفرنسية هنالك حيث دارت معركة شرسة انتهت باحتلالها.


أحمد بن قاسم المنصوري، *كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر* ، تح. محمد بن الحسن، د. د. مرقونة، كلية الآداب، بني ملال، 1997.

Mohamed Lmoubariki, *La résistance du Sud-Est marocain à la pénétration française*, thèse doctorat en histoire, Université Lumière, Lyon II, 1990-91, Dactyl. p. 171.


محمد بوكبوط

**المنگوب** بالنطق الدارجي المغربي وفي بعض بلدان المشرق حيث تنطق القاف (جيماً مصرية)، وأصلها الفصيح من نقب ينقب منقوباً. والمنگوب أكلة مغربية شائعة في الأوساط الحضرية والبدوية وبين مختلف طبقات الشعب،

وتعتمد في تحضيرها أساساً على الفول، وأجودها ما حضر من فول طري أخضر، ويمكن أن تحضر من الفول اليابس بعد نقعه لمدة معينة حتى يصير في حكم الفول الطري، ويشترط في التحضير أن يبقى الفول بقشرته وأن لا يكون مطحوناً أو (مجرشلا).

يتم تحضير الأكلة بإزالة الخط الأسود الموجود أعلى حبة الفول، وتختلف تسميته من منطقة إلى أخرى : (النباتة، السيالة، الوشمة) ؛ ومن هذه العملية جاءت تسمية الأكلة ؛ وتستعمل في تحضير الأكلة المواعين الفخارية : (الطاجين، الطنجية، الگدرة ...) وتستعمل فيه التوابل على اختلافها بحسب الذوق ؛وزيت الزيتون والطماطم والثوم والبصل والملح والقزبرة والمعدنوس، ويوضع على نار هادئة مع إضافة الماء كلما احتاج إلى ذلك للحصول في النهاية على مرق وأكلة لذيذة تختلف كثيراً عن أكلات الفول الأخرى المعروفة في المغرب مثل : (طايب وهاري والبيصارة وغيرها). وهي أكلة بسيطة وغير مكلفة ومغذية وفي متناول الجميع.

لم تشر المصادر التاريخية وغير التاريخية إلى هذه الأكلة بالاسم، ولكن أكل الفول ورد بشكل واسع في مصادر العصر الوسيط وما بعده ومنها على سبيل المثال "البيصارة"، وأكلة سماها صاحب *التشوف*، ثردة الفول ابو جبل .. "..فانصرف إلى مدينة فاس فلما قرب منها وقد أصابه جوع شديد أبصر الحصادين قد سيقت لهم ثردة الفول بالسمن ...)، قد تكون هذه الأكلة البيصارة أو شبيهة بها ولكنها ليست المنگوب : وأكلة المنگوب شبيهة (بالفول المدمس) المصري وليست هو.

ابن رزين، *فضالة الخوان*، الرباط، 1981؛ ابن الزيات، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1972 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، 1980.

Latifa Bennani Smirès, *La cuisine marocaine*, Nancy, 1978.

محمد حجاج الطويل

**الـمنگوشي، محمد** بن أبي الـشتاء، منگوشي الأصل، فاسي الدار. عالم رحالة، وهو من أصحاب أبي سالم العياشي، وذكر في *رحلته* أنه نُعِي إليه وهو بطرابلس في قفوله من الحج، فرثاه بنحو خمسة وأربعين بيتا، ذيل بها قصيدة بعث بها لأشياخه وأحبائه بفاس. يقول فيها :

سأبْكيكَ يا خيرَ الأحبة ما بكى    مُحبٌّ حبيبا بالدموع الغزيرة
وأبْكي دما بعد الدموع وبعدها    تسيل عليكم يا خليلي مهجتي

مات شهيد الوباء والغربة بمدينة القسطنطينة العظمى، في شهر محرم سنة 1072 / شتنبر 1661، وقد بنى أحباؤه على قبره ضريحا، فصار مزارا. وخلف أولادا بعده، من جملتهم أبو محمد عبد القادر.

العياشي أبو سالم، *رحلة*، ص. 67 ـ 68 ؛ القادري، *الإكليل والتاج*، تح. مارية دادي، رسالة مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط، 1991، ص. 335، ع : 360 ؛ *نشر*، 2 : 124 ـ 127 ؛ *التقاط*، تح. م. هاشم العلوي، ص. 154 ؛ الكردودي، *أخبار الملوك العلويين والأشراف*، مخ. خ. ع. بالرباط، رقم 1584 د، ض. م. ورقة، 133 وجه.

**الـمنگوشي، محمد** بن **عبد الـواحد**، أصله من قبيلة بني منگوش من جبال بني يزناسن أحواز مدينة وجدة، استوطنت أسرته فاس قديما، وأصبحت من أعيان الأسر بها.

كان حيا سنة 1175 / 1761.

محمد الكتاني، *تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس*، الدار البيضاء، 2002، ص. 227.

مارية دادي

**منون** (ابن –) **علي** بن **محمد** بن علي بن منون الحسني المكناسي، ولد عام 790 / 1388 كانت دار سكناه تقع بحي "القورجة" داخل مدينة مكناس، وهو حي كان يقطنه الأندلسيون.

درس ابن منون أولا في مدينته على يد العديد من الأشياخ منهم : الفقيه المفتي علي بن عمر، ثم رحل إلى فاس لإتمام دراسته في القراءات والفقه والحساب. ومن شيوخه في هذه المدينة الأخيرة : عمر بن موسى بن محمد الرجراجي (ت. 810 / 1408)، وميمون بن مساعد المصمودي (ت. 816 / 1413 ـ 1414)، وعبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان المديوني الجديري (ت. 818 / 1416)، وعيسى بن علال الكتامي المصمودي (ت. 823 / 1420)، ويوسف بن مبخوت، ومحمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم السماتي الشهير بالفخار الذي جود على يده القرآن.

لم يترك ابن منون آثاراً مكتوبة يمكن من خلالها معرفة مركزه العلمي، غير أن وثائق أخرى معاصرة له أو قريبة من عصره حلته بالفقيه المتفنن، والأستاذ الكبير، والنحوي، والعالم العلامة، والمحدث، والمفسر، والمقرئ، والمجود، والفرضي.

تصدر ابن منون للإقراء والتدريس في بلده مكناسة، وبث العلوم على اختلاف فنونها، أخذها عنه العديد من العلماء ولعل أبرزهم هو محمد بن غازي العثماني الذي ختم على يده القرآن أكثر من مرة، وتمرن عليه في الفرائض والوثائق وإعراب القرآن وأوقافه وغير ذلك. وكان مجلس درسه بالجامع الكبير.

برز ابن منون في علم الإسناد، وقد ذُكر اسمه في سند كثير من الكتب العلمية وبعض العلوم، بل هناك بعض الكتب التي لا تجد سنداً لها إلا عن طريقه ؛ وهكذا فإلى جانب علو سنده في القرآن، برز في أسانيد أخرى كجامع *الصحيح للبخاري*، والشمائل الترمذية، و*كتاب السنة* لأبي القاسم الطبري، و*معجم أبي ذر الهروي*، و*كتاب الشفا* للقاضي عياض، و*المرقبة العليا* لابن راشد القفصي، وتآليف المكودي، و*فهرس ابن الأحمر*، و*فهرس الجادري*، و*روضة الأزهار* للجادري كذلك، و*علم التوقيت*.

شارك ابن منون في الدفاع عن مدينة طنجة عندما تعرضت لحصار برتغالي عام 841 / 1437 وكان موضع تقدير من السلطان المريني عبد الحق بن أبي سعيد، حيث أصدر - برسمه - ظهيرين اثنين نوه فيهما بمكانته، ووهب له بموجب الظهير الأول المؤرخ في عام 849 / 1456 أرض الكدية وأرض حفص المكناة بالشلوقي، من أحواز وادي إسلن بما قيمته نحو من أربعة أزواج أرضية. ومنحه بموجب الظهير الثاني المؤرخ في عام 852 / 1449 الأرض المسماة "بياض" الكدية خارج مكناسة".

توفي ابن منون في شهر ذي القعدة عام 854 / 1451 على عكس ما ذهب إليه ابن غازي الذي ذكر أنه توفي بعد 870 / 1465 ، ودفن بأرضه خارج باب القورجة أحد أبواب مدينة مكناسة. وضريحه ما زال قائما إلى اليوم عند نهاية شارع "روى مزيل". خلف عند موته - حسب ما جاء في رسم الإراثة - مجموعة من الكتب قدرت بنحو 74 مجلدا، وأملاكا وعقارات داخل مكناسة وخارجها قدرت قيمة جميعها بـ : 1880 أوقية، ورثها كل من زوجته السيدة أم هاني بنت الشريف السيد عبد الرحمان بن الحسن الحسني وولداه منها الفقيه المدرس السيد عبد الواحد والسيدة خديجة، هذا دون جميع أثاث الدار التي كان يقطن فيها الذي حبسه على ولده المشار إليه.

ابن غازي، *فهرس ابن غازي التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد* ، تح. محمد الزاهي،، سلسلة الفهارس 3، الدار البيضاء، 1399 / 1979 ؛ *الروض الهتون*، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1408 / 1988 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ج 2، الرباط، 1973.

محمد ياسر الهلالي

**المنوني، محمد** بن **عبد الهادي** أحد أعلام الثقافة المغربية، خبير في علم التراث المخطوط عزّ نظيره، محنك في علم المكتبات، محقق متمرس وباحث يغوص في أرصدة المخطوطات والوثائق ليصل إلى ما هو أعمق، لسد الفراغات الواقعة في تراثنا التاريخي والحضاري ومن موقع إيمانه بالله جمع بين العلم والتواضع والكرم، ومواكبة البحث العلمي في التراث بمستجداته في أوسع إطلاع، فكان نموذجا متميزاً لأخلاق العلماء وورعهم.

ولد العلامة محمد المنوني، حسب تدقيقه للتاريخ - عند الساعة الرابعة، فجر يوم السبت 24 شوال عام 1333 موافق 4 شتنبر 1915 ، في مدينة مكناس حيث كانت تقيم عائلته أزيد من ستة قرون، وينتمي إلى ذرية جده أبي الحسن علي بن منون الشريف الحسني وهو منسوب إلى فرع قاسم بن المولى إدريس الثاني.

وقد كفانا سيدي محمد المنوني عناء كتابة ترجمته حينما خط بيمينه ترجمة موسعة له، وأمّنني عليها، وهو الخبير بكتابة تراجم الرجال، وكان يخشى أن يتقوّل عليه من لا يخشى الله، فلما توفاه الله وفيت بالأمانة ونشرت ترجمته تلك في المشرق : ضمن كتابه "قبس من عطاء المخطوط المغربي" وفي المغرب : ضمن ثلاثة أعداد متتابعة من "*دعوة الحق*".

في شبه انفتاح واسع تعتبر حياة هذا الرجل امتداداً من العطاء العلمي الزاخر أنار رحاب الفضاء المغربي وأفاد علماءه وطلابه، وكون جسوراً معرفية مع علماء الشرق العربي ومع العديد من المستشرقين في بلاد الغرب.

وحتى نستوعب بإيجاز محطات من سيرته نذكرها في خمسة فصول موزعة بين الدراسة والتدريس والنهوض التراث، والعمل الوطني، والانصراف إلى إنتاج المعرفة، وتدبير الأسرة.

1 - في الدراسة : استوعب دراسته من مرحلتين في الزمان والمكان.

ففي مكناس خلال سنوات 1919 - 1938 حفظ كتاب الله في الكتاب ، وأخذ العلم في مبادئه ومتونه عن مشاهير العلماء بمدينة مكناس على الطريقة التقليدية في الالتزام بحلقات التدريس وسرد الكتب ذات الحواشي أو بطريقة الإملاء دون الاستعانة بالكتب في منهجيتين مختلفتين، وضم برنامج هذا التعليم عشرات الكتب المشهورة، وعرّف بأغلب العلماء الذين أخذ عنهم في هذه الرحلة المعروفة اليوم بالمرحلة الابتدائية والثانوية.

وفي فاس خلال سنوات 1938 - 1943 التحق بجامعة القرويين فانخرط في التعليم العالي في الدِّراسة النظامية والحرة، فأخذ العلم في حلقاته عن علماء ومشايخ كثيرين من المشاهر، أمثال : الشيخ محمد ابن الحاج السلمي والشيخ محمد الجواد الصقلي والشيخ محمد عبد الحي الكتاني، وشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي وعشرات آخرين فأحرز على سبع عشرة إجازة من هؤلاء المشاهير حتى خرج بعد نيل "الشهادة العالميّة" الكبرى في مستوى دكتوراة الدولة الحالية وسجل بذلك تفوقه في مختلف العلوم رواية ودراية.

2 ـ في التدريس والنهوض بالتراث : منذ تخرجه انخرط سيدي محمد المنوني في سلك التعليم بمكناس تدريساً وتفتيشاً خلال سنوات 1943 ـ 1961 بذل فيه مجهوداً كبيراً في تكوين الناشئة على مستوى الابتدائي والثانوي، وفي هذه المرحلة ساهمة في العمل الوطني.

انتقل إلى الرباط ليشتغل ما بين سنوات 1961 ـ 1988 بممارسة العمل المكتبي فكشف عن أرصدة هائلة من نوادر المخطوطات وساهم في فهرسة مخطوطات العديد من الخزانات، وبالخصوص، الخزانة العامة بالرباط، والخزانة الحسنية، والخزانة الناصرية، وخزانة الجامع الكبير بمكناس وخزانة القرويين بفاس والخزانة الحمزية بالراشدية وخزانة المعهد الإسلامي بتارودانت وغيرها من الخزانات داخل المغرب وخارجه، وقد عين رئيساً لمصلحة المخطوطات بوزارة الثقافة. وخلال الفترة ما بين 1988 و1999 انخرط في التعليم الجامعي أستاذاً بكلية الآداب بالرباط. لتدريس التاريخ ومادة المصادر، وعلم المخطوطات والوثائق، وتاريخ المكتبات، وألقى نفس الدروس في دار الحديث الحسنية ومدرسة علوم الإعلام. وأشرف في هذه المؤسسات على العديد من الرسائل الجامعية. وفي هذه الفترة ساهم بإلقاء محاضرات موازية في لقاءات علمية وندوات داخل المغرب وخارجه.

3 ـ في العمل الوطني : دفاعاً عن سيّادة البلاد خاض الكفاح في إطار الحركة الوطنية، وناله ما نال المغاربة في معركة التحرير والاستقلال ضد الاستعمار الفرنسي، وقد تعرض خلال سنتي 1954 و1956 للاعتقال والمنافي وفُصل عن التدريس حتى عاد إليه بعد حصول المغرب على الاستقلال.

4 ـ في إنتاج المعرفة : شق الأستاذ المنوني طريق البحث العلمي وحطم الحواجز بين البحث التقليدي والبحث الحديث، وقد انخرط في أجيال من الشباب فتكونت بينهم وبينه علاقات وطيدة على صعيد الانتاج العلمي في حقول كثيرة وقد جمعت كتاباته عتاقة التقليد وطموحات الحداثة. فكان مرجعاً في الأبحاث المتعلقة بالفقه والتاريخ والآداب واللغة والفلك والطب بل استفاد منه الباحثون في تخصصات علم الاجتماع والأنتربولوجيا والاقتصاد والقانون واللسانيات وعلوم أخرى حديثة. فأنتج للمكتبة العربية قرابة مائتي بحث ودراسة وكتاب يمكن الرجوع إليها مفهرسة في مجلة دعوة الحق سنة 2003 عدد 371 ص 41 فما بعد، وقد خلف خزانة كتب نادرة من عيون المخطوطات والمطبوعات اشتراها جلالة الملك محمد السادس من ورثته فألحقها بالخزانة الحسنية بالرباط وهي مفهرسة الآن لتكون رهن إشارة الباحثين، وضِمنها رسائله الشخصية المتبادلة مع الباحثين في المغرب وفي المشرق ومع العديد من المستشرقين في كثير من الدول الغربية وهي مصنّفة ومفهرسة تبلغ 3000 رسالة ووثيقة، وهي ثروة هائلةٌ ورصيدٌ فكريٌّ متميز. وقد نال ـ تقديراً لجهده الدؤوب ـ عدة أوسمة وتنويهات بالخصوص من الجهات الرسمية والمؤسسات العلمية.

5 ـ في تدبير الأسرة : إلى جانب الاهتمامات بمجال العلم دبر العلامة محمد المنوني شؤون أسرته، وقد رزقه الله خمسة أنجال، بنتين : رجاء وفوزية وكلتاهما في ميدان التعليم، وثلاثة أبناء : محمد عبد الهادي، ومحمد عز الدين ومحسن أولهما في التعليم الجامعي والآخرين في وظائف أخرى.

توفي يوم السبت على الساعة الحادية عشر قبل منصف الليل، بتاريخ 16 جمادى الأولى عام 1420 موافق 28 غشت 1999 بالرباط ودفن بضريح جده علي بن منون بحي روى مزين بمكناس عصر اليوم الموالي، عامله الله بلطفه.

*مجلة دعوة الحق*، الاعداد الثلاثة، 370 و371 و372، سنة 2002 و2003 ؛ محمد المنوني، *قبس من عطاء المخطوط المغربي*، بيروت، 1999، ج 4 ؛ مراسلات العلامة محمد المنوني، بالخزانة الملكية بالرباط، تصنيف وتقديم.

عمر أفا

**المنونيون** (أسرة -)، هم من أشراف مكناسة، المنحدرين من علي بن منون الحسني، وهم من ذرية القاسم ابن المولى إدريس، وجاء ذكرهم من بين الشرفاء في ظهير السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله. ومن بين أفراد هذه الأسرة الذين كانوا يقطنون في مكناسة، حسب ما جاء في وثيقة عدلية مؤرخة في أواخر محرم عام 1090 / 1680 : الفقيه محمد علي بن محمد المدعو حم، وأخوه الفقيه أحمد، وابن عمهما علي بن محمد بن قاسم، وعبد الواحد بن محمد بن قاسم، وشقيقه عبد الرحمان، وابن عمهم الفقيه العالم العدل اعبود بن قاسم.

وللشرفاء المنونيين رسوم وظهائر عديدة قديمة وحديثة للملوك المتقدمين ورثوها عن أسلافهم منها ما هو مقيد بخط ابن غازي المكناسي وغيره من العلماء، يحكون فيها عنهم بالشرف والاحترام والإجلال والإعظام والتوقير والبر بهم ورعايتهم، وهي مؤرخة ابتداء من المائة الخامسة مرورا بالمائة السادسة والسابعة والثامنة وصولا إلى المائة الثانية عشرة. ومنها وثيقة عدلية تجدد وتؤكد شرفهم، وهي مكتوبة على رق الغزال، ومؤرخة بأواخر محرم عام 1090 / 1680. وقد شهد موقعو هذه الوثيقة العدلية بصحة الرسوم والظهائر المشار إليها إلى حدود تاريخ كتابتها. ومنها أيضا ظهير الأمير عبد السلام ابن السلطان سيدي محمد بن عبدالله المؤرخ في 16 جمادى الأولى 1204 / 1789، وظهير السلطان المولى سليمان الموقع في 17 شعبان 1208 / 1793، وظهير السلطان مولاي الحسن المؤرخ في 16 جمادى الأولى 1291 / 1875.

ونظرا لمكانتهم، كان بعض أفراد أسرة المنونيين يحضرون بيعة السلاطين وخاصة السلاطين العلويين. فقد ورد اسم الفضيل المنوني من بين أسماء الأدارسة الذين بايعوا السلطان عبد الرحمان بن هشام يوم الأحد 14 ربيع الثاني عام 1238 /

1822. كما حضر مولاي عبد الرحمان بن البشير المنوني بيعة مكناس للسلطان مولاي الحسن.

ومن مظاهر عناية السلاطين العلويين بأسرة المنونيين بمكناس :

- رعايتهم للأملاك المحبسة على ضريح سيدي علي بن منون، وفي هذا الإطار أصدر المولى سليمان ظهيرا في 15 شعبان 1232 / 1816 بتعيين مولاي المهدي بن محمد بن الطاهر المنوني ناظرا على أحباس هذا الضريح. كما أصدر السلطان الحسن الأول ظهيرا في 16 جمادى الأولى عام 1291 / 1875 بتجديد النظر في أوقاف الضريح المسمى، وجهه للسعيدي بن محمد المنوني مقدم الضريح. وهناك ظهير آخر أصدره السلطان المولى عبد العزيز وجهه للمقدم نفسه بتاريخ 14 شوال 1324 / 1907 بشأن الدفن في الضريح.

- منحهم بعض الهبات، فقد وهب السلطان سيدي محمد بن عبد الله بعض الأملاك للشرفاء الأدارسة ومنهم المنونيون بظهير مؤرخ بـ 18 ربيع الثاني عام 1190 / 1777.

- ما دأب عليه السلاطين العلويون من إصدار العديد من الظهائر بقصد إسقاط الكلف والرتب عن الشرفاء المنونيين بمكناسة ؛ وفي هذا الإطار أصدر السلطان سيدي محمد بن عبد الله ظهيرا في 12 جمادى الثانية 1202 / 1787 جاد فيه عليهم بأعشار زيتهم. ومن جهته أصدر الأمير عبد السلام ابن السلطان سيدي محمد بن عبدالله ظهيرا بتاريخ 16 جمادى الأولى 1204 / 1789 جاد عليهم فيه بأعشار زرعهم وزيتهم وأجنتهم. وأصدر السلطان المولى سليمان ظهيرا موقعا في 17 شعبان 1208 / 1793 أمر فيه بألا تؤخذ منهم الزكاة والأعشار على عادتهم مع الملوك السابقين. ونحا السلطان مولاي الحسن نفس المنحى فأصدر ظهيرا في 16 جمادى الأولى 1291 / 1875 جدد ما بأيديهم من ظهائر والده وأسلافه، وما تضمنته من إسقاط للوظائف المخزنية والتكاليف السلطانية عنهم، والإنعام عليهم برد زكاتهم وأعشارهم. وأصدر السلطان نفسه ظهيرا آخر في 4 رجب 1298 / 1880 أقر فيه باستمرار إسقاط الضرائب عن الشرفاء المنونيين. وفعل الشيء نفسه السلطان المولى عبد العزيز في ظهير صدر عنه في 13 رمضان 1324 / 1907.

وبغض النظر عن شرف المنونيين، اشتهر بيتهم في مكناسة بأعلام كانت لهم دراية واسعة بالحساب والتوقيت، والاشتغال بالتدريس، والعدالة، ونظارة الأوقاف، وكان بعضهم من فقهاء المدينة البارزين. وهذا ما سيتضح من خلال التعريف ببعضهم :

* عبد الواحد بن أبي الحسن علي بن منون : فقيه، علامة، مدرس، صدر من صدور مكناسة، وحامل لواء التحقيق بين علمائها. أخذ عن والده وغيره. أصدر السلطان المريني عبد الحق بن أبي سعيد ظهيرا أقر له فيه ما كان بيد والده أبي الحسن بن منون من العقار في حوز وادي إيسلن وذلك عام 861 / 1456. توفي عبد الواحد عام 868 / 1463، وخلف ثلاثة أبناء هم : الفقيه القاسم والفقيه أبو عبد الله محمد وأم العز، وترك لهم ميراثا داخل مدينة مكناسة وخارجها، وكتب تقييدا في هذا الأمر مؤرخا بأواخر شوال عام 868 / 1463.

* عبود بن قاسم المنوني : عالم، مشارك، فقيه، نحوي، حيسوبي، عدل. زاول خطة العدالة منذ عام 1072 / 1661.

توفي في أواخر عام 1106 / 1694 أو أوائل العام الذي بعده. وقد خلف مجموعة من الكتب وردت في صك بجرد تركته.

* علي بن أبي القاسم المنوني : ورد اسمه في إحدى الوثائق العدلية المؤرخة بأواسط شعبان عام 1105 / 1693 محلى بالعدل الأرضى. كان من بين نظار الأحباس في عهد دولة المولى إسماعيل، وقد ولاه هذا السلطان نظارة أوقاف الولي عمرو بن عوادة، وأذن له قبضها وإخراجها.

توفي في شهر ذي القعدة عام 1121 / 1709.

* خديجة بنت محمد بناصر بن علي بن علي بن قاسم المنوني : هي صاحبة الوصية على مسجد سيدي لحسن بن مبارك بحي حمام الحرة بمكناسة، حيث أوصت بتاريخ 27 جمادى الآخرة عام 1230 / 1814 بثلث تركتها لمن يقرأ به الحزب القرآني يوميا صباح مساء، ودليل الخيرات للجزولي كل يوم جمعة.

* محمد بن أحمد المنوني : من تلامذة الشيخ أبي حامد محمد العربي الدرقاوي، برز في الحساب وعلم التنجيم، ودرس على يده الكثيرون منهم : محمد بن أحمد الصفار المكناسي، وعامل تطوان أحمد الخضر بن محمد. صدر عن السلطان المولى سليمان ظهير أسند له مع غيره خطة التوقيت بالجامع الكبير لمكناسة مؤرخ في 24 محرم 1223 / 1809. وفي أوائل محرم عام 1240 / 1824 صدر مرسوم قضائي أسند إليه بموجبه توقيت منار جامع النجارين بمفرده مقابل ثلاثين أوقية في الشهر، مع تدريس الفرائض بالحساب بالجامع الكبير بمكناسة.

توفي محمد بن أحمد المنوني عام 1247 / 1831، وأقبر متصلا بالجدار في موازاة مدفن أبي الحسن بن منون، يسار الداخل لمشهده.

* محمد بن محمد بن أحمد المنوني : فقيه عالم حيسوبي، صدر في حقه ظهير عن السلطان عبد الرحمان بن هشام أمر بالرفع من مرتبه كموقت بجامع النجارين ليصير ثلاثين أوقية في الشهر وهو مؤرخ في 24 ربيع الأول 1248 / 1832.

توفي متم عام 1263 / 1846، ومدفنه داخل مشهد أبي الحسن بن منون.

* الطيب بن إدريس بن الفضيل بن محمد المنوني : ولد بمكناسة عام 1234 / 1818، أخذ القراءات السبع عن اليزيد شيخ الجماعة في وقته، والتوقيت والتعديل ومتعلقاتهما عن السيد الجيلاني الرحالي والجيلاني بن حم وعن ابن عمه مولاي مَحمد بن محمد الموقت. أهله ما تلقاه من علوم أن يصبح فقيها وأستاذا مقرئا، ذا معرفة ومهارة بالتوقيت، ومشاركة في غيره من الفنون، ومعرفة غزيرة بعلم الأوقاف. تولى نظارة أحباس الولي الشهير سيدي عمرو بوعوادة وسيدي الحسن بن مبارك وسيدي بربار. اشتغل مدة عامين كاتبا للقائد محمد الشاذلي.

توفي في ذي القعدة عام 1299 / 1881، ودفن بروضة سيدي عمرو بوعوادة.

* محمد بن العربي المنوني : ولد ونشأ في مدينة مكناسة، أخذ عن العلامة الجيلاني السقاط وهو عمدته، وأبي العباس أحمد ابن سودة المري قاضي الحضرة المكناسية، والشيخ السيد المفضل بن عزوز، وأبي حامد العربي بن السائح العمري وغيرهم. فقيه، علامة، مشارك، مدرس، خطيب، عدل، له معرفة بعلم الأسماء والأوفاق، حسن الصوت لا يمل سامعه. كان الناس يأتون لسماع قراءته وسرد الأحاديث والوعظ والأمداح المحمدية من الحومات البعيدة عنه. غالب تدريسه كان بزاوية شيخه التجاني وهو ممن يرجع إليه في الطريقة التجانية. أخذ عنه الكثيرون منهم مولاي الحسن بن اليزيد العلوي، وسيدي محمد بن إدريس الإدريسي الشبيهي، وعبد القادر العرائشي، ومَحمد بن العربي بن شمسي. تولى في آخر عمره عدالة المرسى المخزني الذي تجبى إليه الأعشار.

توفي في 3 جمادى الأولى عام 1316 / 1898، ودفن بضريح الصالح سيدي يوسف الخطيب من حومة بَرّاكة.

* محمد بن مَحمد بن أحمد المنوني : ولد ونشأ في مدينة مكناسة. عادل، رضي، من أهل الخير والصلاح، كثير الاعتناء بمطالعة كتب القوم والمذاكرة فيها، عالم بالحساب والتوقيت كأبيه وجده من قبله. صدر عن السلطان محمد بن عبد الرحمان ظهير مؤرخ بمنتصف ذي الحجة عام 1276 / 1859 جدد له فيه ولأخيه مولاي المهدي قبض ثلاثين أوقية كل شهر التي كان يقبضها والدهما من مستفاد أحباس مكناسة، كما أقر له فيه التوقيت بجامع النجارين. وصدر عن السلطان نفسه ظهير بتاريخ 4 ربيع الثاني 1289 / 1873، أسند إليه بموجبه نظارة الأحباس الصغرى بمكناسة. كما صدر مرسوم قضائي في 12 ذي القعدة عام 1296 / 1878 أضاف إليه النظر في أحباس أخرى وهي تحديدا النظارة على رباع الوليين الأشهرين سيدي عمرو أبي عوادة وسيدي الحسن بن المبارك. كما صدر في شخصه ظهير عن السلطان المولى عبد العزيز بتعيينه عدلا في نظارة الأحباس الكبرى بمكناسة بعد وفاة الجيلاني الرحالي وذلك في 26 جمادى الثانية عام 1312 / 1894. اشتغل مدة كاتبا بالحضرة السلطانية زمن السلطان مولاي الحسن، وبعد وفاة هذا الأخير تنازل عن خطة الكتابة، ورجع لمدينته مكناسة وتصدى لتعاطي خطة الشهادة بسماط العدول إلى أن توفي في 17 جمادى الثانية عام 1316 / 1898، ودفن بضريح سيدي غريب من حومة الأنوار. بعد وفاته أصدر السلطان المولى عبد العزيز ظهيرا في 15 رجب 1316 / 1898 عين بموجبه ابنه محمد المختار بن محمد المنوني (ت. 1325 / 1907 في خطة التوقيت بجامع النجارين مقام والده المتوفى بنفس الراتب الشهري الذي كان لوالده.

* محمد بن المهدي المنوني : من فقهاء مكناسة، اعتنى بترتيل وتجويد القرآن، وله اليد الطولى في معرفة الرسم، وتعليم الصبيان، وإفادة المقرئين، لم يكن يرى في غالب أحواله إلا تاليا أو ذاكرا أو معلما. أخذ عنه الكثيرون، ومنهم الحسن بن اليزيد الذي ختم عليه عدة ختمات من القرآن. اتخذ عدة مكاتب لتعليم القرآن عامة وخاصة. رشحه السلطان المولى الحسن لتأديب بناته، وأفاض عليه من سجال البر والإحسان ما هو له أهل، حسب شهادة ابن زيدان، ورتب له جراية وافرة من الطعام والدراهم مياومة ومشاهرة. ولم يزل قائما بما رُشح له.

توفي في ذي الحجة عام 1322 / 1905، ودفن بضريح الولي سيدي مَحمد الغماري حذو سيدي عمرو بوعوادة من حومة حمام الحرة بمكناسة.

* محمد السعيد المنوني المعروف بالسعيدي : برز في الحساب والتوقيت والتنجيم والتعديل، وله معرفة كاملة بالأوفاق، وإلمام بالفقه والنحو. اعتنى كثيرا بجمع الكتب والتقييد، وتصدر لتعاطي الشهادة بسماط عدول بلده مكناسة آخر العشرة التاسعة من المائة الثالثة بعد الألف. قرأ على يده بعض طلبة الجيش الفرائض والحساب والتوقيت بموجب رسالة بعثها الوزير محمد بن أحمد الصنهاجي إلى باشا مدينة مكناس بتاريخ 8 ربيع الثاني عام 1309 / 1891. وقبل ذلك بثلاثة أيام صدر عن السلطان مولاي الحسن ظهير بترسيمه في إقراء الحساب والفرائض بالجامع الأعظم لمدينة مكناس، مع إقراره على السكنى بدار المؤقت مجانا لأنها من ضروريات عمله. اشتغل كمساعد لمؤقت منار المسجد الأعظم السيد الجيلاني الرحالي، وبعد وفاته استقل بالتوقيت بالمحل المذكور باستحقاق.

توفي يوم الاثنين 26 ذي القعدة عام 1334 / 1915، بعد مرض دام زهاء عامين. ودفن بالزاوية الكنتية أمام محرابها.

* عبد الهادي بن محمد بن الحسين المنوني : ولد بمكناس عام 1294 / 1878، كان له إلمام بالفقه والنحو والأدب، كما كان يقرض الشعر، ويطالع كتب التاريخ والتصوف. له مراسلات مع الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، وأشعار في مخاطبته.

توفي ضحوة يوم الاثنين 21 جمادى الآخرة عام 1353 / أكتوبر 1934 ، ودفن بمشهد أبي الحسن بن منون من جهة المحراب.

* محمد بن عبد السلام المنوني : يعد في الطليعة الأولى من الشباب الذي نشر الوعي الوطني بمكناس. وقد رثاه الشاعر والفقيه سيدي مَحمد بن عبد القادر العرائشي العلمي بقصيدة ألقاها في حفل تأبينه عشية الجمعة 29 ذي القعدة عام 1365 / 25 أكتوبر 1946.

توفي في ريعان شبابه ليلة الأحد 19 شوال عام 1365 / 1946 ، ودفن من يومه، في أقصى مشهد أبي الحسن بن منون.

* أبو علي الحسن بن محمد المنوني : ولد بمكناس عام 1290 / 1874 ، وبها تلقى القرآن وتوابعه من الخط والرسم. وأثناء العشرة الأولى من القرن (14 / 19) شرع في تلقي العلوم المتداولة في مدينته، ومنها علم الحساب والتوقيت. وفي سنة 1314 / 1896 رحل إلى مدينة فاس فدرس الحساب والتوقيت والتعديل، وقرأ بقية العلوم المتداولة. وفي 5 رجب سنة 1319 / 1901 أجازه الشيخ عبد الكبير الكتاني في *صحيح البخاري والشمائل* وغيرها من كتب الحديث والتصوف والعلوم العقلية والنقلية الفرعية والأصلية. وفي السنة نفسها أنهى دراسته بفاس وعاد لمسقط رأسه مكناس، وأخذ في تدريس علوم الحساب والهيئة مع شيء من التصنيف. ومما وضعه : "*حصة لأوقات الصلاة على الشهور العربية*"، ووضع في نفس عام عودته تأليفا في موضوع تعديل ما بين السطرين.

انتصب عدلا بمكناسة، ثم انتقل للعدالة بفاس الجديد، بعدها صار كاتبا في وزارة الحربية أثناء العهد الحفيظي، وبعدها ألغيت هذه الوزارة أوائل العهد اليوسفي، انتقل للكتابة بوزارة الأوقاف، وفي 26 ذي القعدة عام 1333 / 1914 عين بظهير من السلطان مولاي يوسف ناظرا على أحباس الزاوية الإدريسية بجبل زرهون، وأحباس مساجد مداشره، وأسند له التصرف في كافة أعمالها. وبعدما قضى في هذه الوظيفة نحو العام نقل إلى نظارة الأحباس الصغرى بمدينة مكناس، التي أخذ يباشر أشغالها في شوال 1334 / 1915. وبقي في هذه الوظيفة إلى أن أعفي منها أوائل 1341/ 1922 ، فعاد للانتصاب في خطة العدالة بمكناسة إلى أن أصيب بالشلل. وقد كان في طليعة الشهود الذين يقصدون في القضايا المهمة وعمليات الفرائض، وأضاف إلى خطة العدالة وظيفة التوقيت، حيث عين في 2 ذي القعدة عام 1351 / 1933 مؤقتا لمنار المسجد الأعظم بمكناس.

ولما كانت الوظائف التي تقلب فيها ألهته - بأشغالها ومشاكلها - عن متابعة نشاطه العلمي، فإنه حاول استعادته لما تولى توقيت المسجد الأعظم، حيث شرع في إلقاء دروس في الحساب والتوقيت بغرفة الموقت في المسجد الأعظم. فعرف عليه حسن المحاضرة، وتخليل مجالسه بأخبار مستحسنة، ونوادر مستظرفة، مما قرأه أو سمعه أو شاهده، وإجادة عرض ذلك كله وبسطه.

كانت هوايته نسخ الكتب التي كان يفرد لها يوميا وقتا بين أشغاله. حيث كتب بخطه عددا مهما من الكتب يوجد بعضها الآن في الخزانة الحسنية، وفي الخزانة العامة بالرباط، والخزانة العامة بتطوان، وبعض المكتبات الخاصة.

عرف عن الحسن بن محمد المنوني أنه كان غاية في الظرف في شارته، ومحادثته، وفكاهته، ونكته، وكان يحسن لعبة الشطرنج ويعد من أبطالها بمكناس.

أصيب في آخر عمره بشلل اعتراه في شقه الأيسر، دام تسعة أعوام، فقابله بالصبر والرضى. وتوفي ليلة الخميس 14 جمادى الأولى عام 1375 / 29 دجنبر 1955، وفي اليوم نفسه شيعت جنازته في محفل كبير إلى مشهد أبي الحسن بن منون حيث دفن هناك.

* محمد العربي المنوني : ولد في مكناس أوائل عام 1313 / 1895 ، وبها تلقى تعليمه الأول حيث درس العلوم المتداولة الدينية واللغوية، فحقق مشاركة تامة في المواد التي درسها، مع مهارة في فقه الأحوال الشخصية والمعاملات، تشهد بذلك مجموعة أحكامه القضائية المسجلة في دفاتر الأحكام الشرعية بمحكمة مكناس.

كان على معرفة واسعة بتاريخ مكناس السكني وخططها القديمة، وأخبار أعلامها المنسيين. اشتغل مدة وجيزة بالتدريس، وأهله نشاطه العلمي ليترقى في الدرجات العلمية حسب النظام القديم، حتى صار من بين أبرز علماء مكناس. وله مقيدة سجل فيها تسلسل شعبة المنونيين إلى عصره أثبتها العلامة محمد المنوني في مؤلفه *وثائق ونصوص*.

توفي محمد العربي المنوني يوم الأربعاء 27 ربيع الثاني عام 1388 / 24 يوليوز 1968، وأقبر داخل مشهد سيدي علي بن منون.

*ظهائر سلطانية علوية* ؛ *وثائق عدلية* ؛ *دفاتر الأحكام الشرعية بمحكمة مكناس* ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 3، الدار البيضاء، 1990 ؛ *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، ج 1، الرباط، 1962 ؛ محمد المنوني، *وثائق ونصوص عن أبي الحسن علي بن منون وذريته*، الرباط، 1396 / 1976.

محمد ياسر الهلالي

**مهاوش، مصطفى** أو **محارش** : بلغ في مساره

العسكري رتبة جنرال، سبق له أن كان مديرا للأكاديمية العسكرية بمكناس. وهو من مواليد سنة 1923 بالحاجب، التحق بمدرسة الدار البيضاء العسكرية بمدينة مكناس سنة 1941 التي تخرج منها برتبة ملازم ثان. أدمج بعد استقلال المغرب في القوات المسلحة الملكية كغيره من الضباط المغاربة الذين كانوا أطراً في الجيش الفرنسي. كان ضمن ضيوف الملك الحسن الثاني في حفل عيد الشباب في قصر الصخيرات يوم السبت 10 يوليوز 1971 عندما هاجم الانقلابيون مكان الحفل بعد زوال ذلك اليوم، فساقه المتمردون بأمر من رئيسهم اليوتنان كولونيل مَحمد اعبابو تحت تهديد السلاح إلى الرباط رفقة زملائه الجنرالات : بوگرين الخياري، حبيبي عبد الرحمان وحمو أمحزون. اعتبر من المشاركين في هذا الانقلاب الفاشل، فكان واحدا من الضباط العشرة الذين حكم عليهم بالإعدام رميا بالرصاص ؛ إذ كلفت عشر سريات من الجنود تنتمي إلى القوات البرية والجوية والبحرية بتنفيذ هذا الحكم، وتم ذلك في الساعة الحادية عشرة والربع من صباح يوم الثلاثاء 13 يوليوز 1971 في إحدى المعسكرات القريبة من الرباط، وقد أذيع آنذاك الشريط الأخير لإعدامهم على أمواج الإذاعة الوطنية.

محمد الناصري

**المهدية** ، مرسى تقع في مصب نهر سبو أو ما يسمى بحلق المعمورة بسبب موقعها عند مصب نهر سبو الذي يشكل حلقا عند انصبابه في المحيط الأطلسي. تجمع معظم الوثائق التاريخية على أن المعالم الأثرية الموجودة بالمهدية والمتمثلة في القصبة، تشهد على ماض عريق في القدم، وأحسن دليل على ذلك تعاقب التسميات التي عرف بها هذا الموقع خلال مختلف الحقب التاريخية. وهكذا أطلق على المهدية في بدايتها طيماتريا أو تيمياتريون ثم المعمورة أو حلق الوادي ثم المهدية، وكل من هذه الأسماء يعبر عن حقبة تاريخية معينة.

لا نجد عند بداية الفتح الإسلامي ما يشفي الغليل من معلومات عن الموقع الموجود قرب مصب سبو. وانطلاقا من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) نجد المصادر تتحدث عن موضع يحمل اسم المعمورة، أو حلق سبو. كما يذكر صاحب *"روض القرطاس"* أن السلطان الموحدي عبد المومن أمر سنة 557 / 1162 ببناء أسطول من 400 سفينة من ضمنها 120 بأوراش مرسى المعمورة، وهذه الإشارة تؤكد على وجود ميناء مزدهر، وكذلك وجود تجمع سكاني عند مصب النهر ابتداء من النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي.

وتعاقبت بعد ذلك على المعمورة احتلالات أجنبية منها الاحتلال البرتغالي الذي لم يدم سوى 46 يوما من 23 يونيو إلى 10 غشت 1515 (921 ) ، وذلك بفضل مقاومة المغاربة التي عجلت بهزيمة الجيوش البرتغالية الضخمة. وقد كان "الحسن بن محمد الوزان الفاسي" شاهداً على هزيمة البرتغال وترك وصفا حيا عنها. ولكننا لا نعرف مصير المدينة بعد هذا الحادث، فلاشك أنها تضررت كثيراً، وتوقف دورها التجاري طيلة فترة معينة، خاصة بعد تدهور الحكم الوطاسي وبروز صراعات سياسية في البلاد.

وفي سنة 1610 برزت أخبار المدينة من جديد حينما أصبحت ملجأ لبعض القراصنة الأوربيين المغامرين خاصة من إنجلترا وهولندا، وبلغ عددهم حوالي ألفي قرصان، كانوا يتوفرون على عدد من السفن مسلحة بـ 16 إلى 24 مدفعا، وأتاح لهم هذا الأسطول مهاجمة السفن التجارية العابرة للمحيط، وكان يترأس هذا التجمع القرصاني ضابط انجليزي يدعى ماينورينغ H. Mainwaring ، فأصبحت القصبة تحمل اسم "جمهورية قراصنة المعمورة". ولقد سعت كثير من الدول إلى ربط علاقات معهم إما لحماية أساطيلهم التجارية أو لربط علاقات مبادلات أو للحصول على خدماتهم العسكرية، ودام هذا التجمع القرصاني قائما إلى سنة 1614 (1022) عندما استولى الإسبان على المعمورة دون مقاومة، وبنوا حصنا قويا فوق الموضع المشرف على وادي سبو لحماية أنفسهم من هجومات المغاربة وأطلقوا على الموقع اسما جديداً هو : San Miguel de Ultramar.

وقد دام هذا الاحتلال حوالي 67 سنة، وتزامن مع تدهور الدولة السعدية وانتقال المجاهد العياشي من أزمور إلى سلا، فكان هذا بمثابة عهد جديد بالنسبة لسكان سلا الذين كانوا يرغبون في الجهاد ضد إسبان المعمورة، لتضييقهم على مصالحهم التجارية، هذا بالإضافة إلى ما يشكله الاحتلال الأجنبي من خطر على البلاد، فهاجم العياشي الإسبان بالمعمورة عدة مرات، سنة 1031 (1621) بحوالي 400 مجاهد "وتمكن من النصارى وقتل منهم زهاء 400 شخص وبذلك وضع حداً لخروج الإسبان إلى الغابة بسبب خوفهم من المجاهدين".

ومن ذلك ما ذكره اليوسي *"في المحاضرات"* :

"كان نزول النصارى بمرسى الحلق سنة اثنتين وعشرين وألف وكان هذا الحلق قصراً للمسلمين، ولقوا منه شدة فلما اجتمعت الكلمة على سيدي محمد العياشي ... كان أول ما بدأ به أنه تهيأ للخروج للحلق ... فتقوى بذخائره المسلمون ولما سار بمجموعه للحلق قدمت أغربة من السفائن بقصد الدخول للحلق، فضيق عليهم الرماة من الخندق فأرادوا أن ينحرفوا للبحر فردهم البحر لساحل الرمل فتمكن المسلمون منهم، وقتلوا وسبوا ونهبوا، ووجدوا في الأغربة زهاء ثلاثمائة أسير من المسلمين، فأعتقهم الله وأسروا من النصارى أكثر من ثلاثمائة، ومات أكثر من مائة منهم، وظفر بقبطان، ومن عظمائهم ففدى به الرئيس طابق رئيس أهل الجزائر وكان عندهم محبوسا في قفص من حديد".

ليڤي بروڤنسال، *نخبة تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى*، باريس، 1948 ؛ محمد الضعيف، *تاريخ الضعيف*، ت. ع. أحمد العماري، الرباط، 1986 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، ج 6 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا* ، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، 1982.

Roger Coindreau, *La Casbah de Mehdia*, Ed. de la Porte, Rabat, 1946 ; *Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région*, T. I : Les villes avant la conquête, Paris, 1918 ; H. Nespola, Kénitra : Historique et analyse du développement de l'agglomération et du port, et ses incidences sur l'évolution de l'économie du Gharb, un *Bulletin économique et social du Maroc*, 1962

عبد القادر بوراس

**المهدية**، موقع أثري من أهم المواقع الإسلامية الموطنة، بعد مدينة البصرة المندرسة، بجهة الغرب. لكن رغم صمود بنيات معمارية عديدة داخل وخارج الأسوار، فإن أطلال الموقع لم تعد سوى مراعي تزحف في اتجاهها جرافات البناء العشوائي والإسمنت المسلح.

تحتل قصبة المهدية موقعا متميزا على الضفة اليسرى لمصب نهر سبو، مما خولها لعب أدوار اقتصادية وعسكرية مهمة عبر مختلف الحقب التاريخية. ويعتقد بعض الباحثين، اعتمادا على رواية للمؤرخ سيلاكس، أن استيطان الموقع يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد من طرف القرطاجيين الذين أسسوا بالمنطقة مدينة عرفت باسم "تيمياتيريا". من جانب ثان، يتحدث البعض الآخر منهم عن حاضرة رومانية حملت اسم "سوبور" وشكلت امتدادا واستمرارا للمدينة القرطاجية. وفي العصور الوسطى، ظهرت بمؤلفات الجغرافيين والمؤرخين على السواء ثلاث تسميات وهي "المعمورة" و"حلق المعمورة" و"مرسى المعمورة"، عوضت ابتداء من القرن السابع عشر باسم San Miguel de Ultramar خلال فترة الاحتلال الإسباني، والمهدية بعد تحريرها.

وإذا كانت كل الدراسات التي تناولت الموقع قد ربطت التسميات السالفة الذكر بالقصبة، فإن روايات المؤرخين جاءت عامة وغير دقيقة واختلفت حول تاريخ تأسيسها. وقد ذهبت أغلب هذه الروايات إلى أن المدينة من إنشاء الخليفة عبد المؤمن الذي اتخذ منها إحدى المراكز لصناعة السفن وخصها سنة 557 / 1162 ببناء أكثر من ربع متطلباته استعدادا لعبور المضيق نحو عدوة الأندلس. في حين جعلت منها روايات أخرى مدينة من تأسيس يعقوب المنصور الموحدي لحماية مدخل النهر، بل منها من ربط ظهورها ببني يفرن الزناتيين الذين أسسوا خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إمارة بشالة ودخلوا مدينة فاس قبل الانهزام والانكماش حول عاصمتهم وأحوازها في مواجهة برغواطة.

ويبدو أن موقع المهدية قد شهد ابتداء من القرن الثامن / الرابع عشر ازدهارا وشهرة ملحوظين مما جعله يظهر تحت اسم "معمورة" في خريطة كاتالانية ترجع إلى سنة 739 / 1339، وفي القرن العاشر / السادس عشر، ونتيجة لأهمية الموقع وقربه من فاس، استغل البرتغاليون ضعف السلطة المركزية واستقروا بالموقع سنة 921 / 1515، ولم يبرحوها إلا بعد تدخل السلطان السعدي محمد البرتغالي الذي طرد الجيوش المسيحية وأفشل خطتهم الهادفة إلى بناء قلعة تكون بمثابة قاعدة للإمدادات الضرورية للحملة الفاصلة على فاس.

شكل موقع المهدية الإستراتيجي مصدر نزاعات بين المستعمر، إذ لم يستطع البرتغاليون إنهاء أشغال البناء رغم اعتمادهم على حصن من الخشب جلبوه من البرتغال قصد الاحتماء به أثناء بناء قلعتهم التي كانوا يودون أن يطلقوا عليها اسم Sao Joao da Mamora لتزامن وصولهم قبالة الشاطئ المغربي مع يوم الاحتفال بالقديس جان. ويبدو أن نتائج هذا الإنزال الذي لم يصمد إلا بضعة أسابيع قد أدى إلى تدهور الوضع بحلق المعمورة، وربما تخريب مكوناته، مما جعل المنطقة تسقط في أيدي قراصنة احتموا بها، ووجهوا حملاتهم انطلاقا منها إلى حد إثارة غضب وتخوف القوى البحرية، وخاصة هولندا وإسبانيا، وتفكيرها في السيطرة على القاعدة. وفي سنة 1021 ـ 1022 / 1614 نجح الإسبان في إنزال جنودهم بالموقع وأطلقوا عليه اسم San Miguel de Ultramar وتحصنوا به حتى سنة 1092 / 1681، إذ نجح المولى إسماعيل، بعد مناوشات عديدة وتشديد الحصار على الحامية الإسبانية، في الدخول إلى القلعة وأطلق عليها اسم "المهدية" بسبب الغنائم التي تخلى عنها الإسبان وسرعة سقوطها. وقد اتخذ منها السلطان منذئذ ثكنة لجيش البخاري وأدمجها ضمن باقي القصبات المشيدة لضمان سلامة الطريق الرابط بين فاس ومكناس ومراكش عبر رباط الفتح. وعلى عهد السلطان المولى سليمان، تم سنة 1211 / 1795 إغلاق الميناء في وجه السفن الأوربية وتجارها، ففقدت المهدية دورها الرئيسي وانتقل أغلب ساكنتها إلى مدينة الرباط.

يصعب تحديد كل المكونات الحالية للموقع بسبب الوضع الراهن الذي تعرفه مختلف جوانبه إذ تحول إلى شبه غابة عشوائية وانتشرت النباتات الطفيلية (أشجار الرتم) بشكل أصبح يتعذر معه تحديد مجال أغلب البنايات، وفهم تصاميمها ومعرفة وظيفتها، باستثناء التحصينات ودار القائد (دار السلطان أو دار المخزن كما يسميها البعض) والمسجد والمخازن.

ـ التحصينات :

تحيط بالقصبة أسوار عالية تتبع في تشكيلها طوبوغرافية الموقع، وهي أسوار مبنية على أساسات من الأحجار غير المنجورة ويعلوها حاجز مستمر وضعيف السمك يحمي ممرات الجند، وتتخلله مجموعة من الفتحات لإطلاق النار. تُدعم هذه الأسوار أبراج ضخمة من أبرزها برجان على السور الشمالي، أحدهما مستدير الشكل يرتفع في وسط الواجهة الغربية والثاني يتخذ شكلاً مستطيلاً بارزاً غير متوازي الأضلاع عند التقاء الواجهتين الشمالية والشرقية للأسوار. وإذا كان البرج الأول بشكله وطريقة بنائه يرجع إلى الفترة الإسبانية، فإن البرج الثاني بتصميمه وموقعه الشاذين يبدو كزيادة تم اللجوء إليها قصد تدعيم هذا الجزء المطل على منحدر قوي للربوة التي تحتل الموقع.

أما في الزاوية الجنوبية للجهة الشمالية للسور والتي توازي مصب النهر وجزءا من الشاطئ، فتم تشييد برج من

الحجارة غير المنجورة، مجهز بثماني كوات. يسمح هذا البرج الذي يتشكل من حائط مقوس يربط الواجهتين الشمالية والجنوبية وكواته المتعددة بتغطية مجال واسع وصد كل عدوان ينطلق من جهة المحيط أو اليابسة معا. ونظرا لمكوناته الدفاعية ومناعة أسواره وضخامة قياساته، فإنه اشتهر باسم برج القراصنة، إلا أنه يبدو من خلال مقارنته بالأجزاء الأخرى للقصبة، وخاصة طريقة البناء وشكل الحواجز، أنه يرجع إلى فترة الوجود الإسباني بالمنطقة. ومن مخلفات ذلك أيضا برج رابع متقدم ومستدير الشكل يعرف ببرج القديس يوسف ترتفع بقاياه خارج أسوار القصبة بمدخل النهر وتخترق أسواره مجموعة من الكوات المدفعية، قد تكون وظيفته الأساسية حماية مياه البئر والمباني الخارجية.

ولتقوية هذه الأسوار والرفع من دفاعاتها، تم حفر خندق عميق يحيط بالجهات الشرقية والجنوبية والشمالية الشرقية للقصبة المواجهة للمناطق الداخلية، وتدعيمه في نفس الوقت بحائط مائل ينضاف إلى ممرات وحواجز متصلة لحماية العسكر. ومما يؤكد الهاجس الدفاعي للقصبة تزويدها ببابين فقط، يعرف الأول بباب العين وينفتح قرب زاوية الواجهتين الشمالية والجنوبية للقصبة. واشتهر الباب الثاني بالباب الجديد، ويعتبر أبرز معلمة بالقصبة بعمارته المتناسقة وموقعه المتميز في تقاطع الطريقين الرابطين بين فاس والرباط وطنجة ومراكش والذي يبرز في نفس الوقت انفتاح القلعة على اليابسة. بني هذا الباب على عهد السلطان المولى إسماعيل حسب نقيشة كانت تزين واجهته قبل أن تتعرض بقاياها للإتلاف والتدمير سنة 1361 / 1942 أثناء الإنزال الأمريكي بالمنطقة.

يرتفع الباب في الواجهة الشرقية للقصبة، وهو عبارة عن بوابة يعلوها قوس منكسر ومتجاوز، تزينه سلسلة من العقيدات المتشابكة وتحيط به نقيشة على شكل شريط يرسم الإطار العام للواجهة، ويربط الباب في نفس الوقت بالعادات المتداولة منذ عدة قرون في العمارة المغربية الأصيلة. أما الجزء العلوي فيتشكل من ممر للجند وإفريز تعلوه حواجز هرمية تحمي العساكر وتزيد من ارتفاع واجهة الباب وضخامته. ونظرا للوظيفة العسكرية للسور الذي يصل سمكه إلى 2,90 متر، تم تحصين الباب ببرجين بارزين من الحجارة المنجورة، مزودين في واجهتيهما الأماميتين بفتحات لإطلاق النار وكوات للمدافع وممر خاص بالحرس محمي بحواجز مسننة هرمية.

من جهة ثانية، يشكل جسم هذا الباب بنية متناسقة المقاييس، تجمع فوق مساحة مستطيلة مركبا دفاعيا متكاملا، إذ تفضي فتحته مباشرة إلى صحن محصن ومكشوف يتشكل من منعرج مرفقي يعيق تدفق الفرسان المهاجمين وقاعات ذات وظائف عديدة مرتبطة بالذخيرة واستراحة دوريات الجند.

- البنايات الداخلية :

ترتفع بقايا بنايات عديدة بأجزاء مختلفة من القصبة، لكن الإهمال والتدمير قد طالها بشكل أفقد عددا منها عناصره الضرورية مما يفتح المجال أمام تسميات عديدة - من قبيل البنيقات والمدرسة والفندق - تبقى في أغلبها في حاجة ماسة إلى بحث ميداني معمق يعتمد الرفع الهندسي والحفر الأثري الدقيقين على أمل إعادة بناء الفضاء الأصيل للقصبة. وعلى العموم، تنحصر البنايات البارزة في دار المخزن وملحقاتها والمسجد والحمام.

وتعتبر دار المخزن التي اشتهرت بقصر السلطان بالإضافة إلى الأسوار والباب الجديد، من أهم المعالم القائمة بالقصبة، ويرجع بناؤهاإلى عهد السلطان المولى إسماعيل وشكلت منذئذ مقر إقامة قائد القصبة.

تنتظم هذه الدار في مجموعتين معماريتين يؤدي إليهما ممر مستطيل وعميق تبرز بقاياهما وخاصة الزخرفية منها مكانتهما وأهميتهما، وفي نفس الوقت انتماءهما إلى العمارة المغربية الأصيلة. تحيط بهاتين المجموعتين أسوار شاهقة وسميكة من الطابية المدعمة بالأحجار والآجر المشوي مما يدفع إلى اعتبارهما محرزا (Réduit) . أما الفضاء العام فينقسم بين الدار الخاصة بالقائد والسجن والحمام والبساتين وملحقات المركب.

يتم الولوج عبر بوابة مقوسة مبنية من الأحجار المنجورة، متناسقة الأجزاء ومزخرفة الواجهة بتشبيك معماري (درج وكتف) وأعمدة تحمل بواسطة تيجان مزينة بتعاريج (نهرية كوابيل) مزخرفة. تؤدي هذه البوابة إلى ساحة مكشوفة تفضي بدورها إلى قاعة تعلوها قبة نصف دائرية للحبس ومخزن للعتاد وغرفة للحرس والجند وكذا برج عال أو منزه، يشبه تلك الأبراج المتواجدة بقصبة بولعوان الإسماعيلية (1710/1122) ودار المولى إسماعيل بقصبة الأوداية. أما الجزء الثاني من المركب فيحتل كل المساحة المتبقية والممتدة حتى السور الغربي للقصبة، ليشكل المنزل الخاص بالقائد. ينتظم هذا الأخير حول صحن مكشوف ورواق فوق أعمدة تنفتح حولهما مجموعة من الغرف المستطيلة عبر بوابات تزينها مأطورات مقوسة بعقيدات رخوية. من ناحية ثانية، تم بناء درجين للمرور إلى المستوى العلوي للبناية. هذا الأخير يضم ثلاث غرف مستطيلة الشكل بينما زينت الواجهة الرابعة بخمس نوافذ تعلوها أقواس، تطل على مصب النهر وجانب من المخازن.

وإذا كانت هذه البناية قد فقدت جزءا هاما من مكوناتها المعمارية، مثل الأعمدة والنافورة الرخامية والزليج المزركش، مما كان يُزين صحنها الرئيسي، فإن المسجد قد حافظ على وظيفته وبقي رغم بعض التدخلات الطفيفة محافظا على بنيته الأولى، التي تتكون من قاعة للصلاة تضم ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة ومنارة مربعة الشكل تشبه تلك المتواجدة بأغلب القصبات الإسماعيلية مثل بولعوان وأكوراي وسلوان.

ـ البنايات الخارجية :

يصعب الحديث عن البنايات الخارجية ويفترض بأن أغلبها قد اندرس وغطته الترسبات. ومما يدل على إمكانية تواجد هذه المعالم تلك البنايات القائمة بين القصبة والنهر والتي اشتهرت بالمخازن. هذه الأخيرة تشغل مساحة مستطيلة تصل قياساتها إلى 300 م على 40 م وتأخذ اتجاها شماليا شرقيا وجنوبيا غربيا وتشطرها الطريق الرابطة بين الميناء ومدينة القنيطرة إلى شطرين. تنتظم البناية في حجرات متتابعة ومغلقة، تحيط بها أسوار من الطابية يتراوح ارتفاعها ما بين 8 و10 أمتار. ويشير روجي كواندرو أنه وقف بهذه البناية، التي اصطلح عليها كذلك بالمطامير، على مجموعة من الرسوم المحفورة لسفن تعود إلى القرنين السابع والثامن عشر، وهو ما يدفع إلى الاعتقاد بأنها كانت متواجدة خلال فترة الاحتلال الإسباني. من جهة أخرى، ذهب البعض الآخر إلى ربطها بالحملة البرتغالية لسنة 921 / 1515 ، التي اختلفت حول مدتها المصادر التاريخية. لكن الملاحظ هو أن المخازن المغطاة بقبب نصف أسطوانية والتي غالبا ما تتخذ تخطيطا مستطيلا تبقى شائعة بالمغرب الإسلامي حيث نجد مثيلاتها بالقصبة الإسماعيلية بمكناس ودار مولاي هشام بدمنات وبقصبة كناوة شمال مدينة سلا.

ومما يدفع إلى ربط هذه المطامير بالفترة الإسبانية أو الفترة اللاحقة على تحرير القصبة من طرف السلطان المولى إسماعيل أن الخرائط الإسبانية التي رسمت قبيل الاحتلال مثل "خريطة نهر المعمورة" والمؤرخة بسنة 1614 ، لا تشير بهذا الجزء من الموقع إلا إلى قلعة محصنة بخمس زوايا حادة تحيل مباشرة على البرج الشمالي بفاس والباستيون بتازة وبرجي الفتح واللقلاق بمدينة العرائش.

من جهة أخرى، تظهر الخرائط الإسبانية لمصب نهر سبو أن القلعة الإسبانية قد دعمت بتحصينات خارجية أخرى كانت بمثابة مراكز متقدمة لمراقبة تحركات المجاهدين المغاربة، لكنها اندرست ولم يبق منها إلا تصاميم مازالت محفوظة في الأرشيف الإيبيري. وعلى العموم، يتبين أن الموقع يوفر كل الظروف الضرورية للاستيطان، وينفتح على المحيط والمناطق الداخلية على السواء، وهو ما قد يكون وراء كل تلك الروايات التي تحدثت عن الموقع وجعلت منه مركزا حضريا يعود إلى العهود القديمة. لكن يظهر من خلال البقايا المعمارية أن قصبة المهدية الحالية هي موقع يؤرخ لفترة واحدة ترجع بالأساس للقرنين السابع عشر وبداية الثامن عشر. فباستثناء المخازن التي تطرح عدة تساؤلات، تدفع الطرق المتبعة في التحصين والمعتمدة على الأسوار ذات الزوايا الحادة والمنحدر والخندق إلى ربط القصبة بالعمارة المحصنة التي شاعت بأوربا، وظهرت بالمغرب على الفترة السعدية بعد توظيف الأسرى الإيبيريين في بناء الأبراج المحصنة بكل من الباستيون بتازة والبرج الشمالي بفاس (990 / 1582) وببرجي الفتح واللقلاق بمدينة العرائش.


الإدريسي، *نزهة المشتاق*، تح. محمد حاج صادق، باريس، 1983 ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، القاهرة، 1949 ؛ القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، مكتبة الطالب، الرباط، الجزء الثاني، 1982 ؛ الناصري، *الاستقصا*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، تر. بومبي، الرباط، 1999 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، دار نشر المعرفة، الجزء الثاني، 1984 ؛ أبو القاسم الزياني، *الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا*، تح. ع. الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1991 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والنشر، الرباط، الجزء الأول، 1980 ؛ الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. عبد اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ أنطونيو دياش فرينا، *البرتغاليون في المغرب*، تر. بدر يونس يوسف حسنين، معهد كامويش، 1999 ؛ ع. إسماعيل، *تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى*، الجزء الخامس، 1993.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane*, Paris, 1878 ; J. Bta. Vilar, *Cartes, plans et fortifications hispaniques au Maroc*, Madrid, 1992; P. De Cénival, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, Archives de la bibliothèque du Portugal, 1ère série, t. 1, Paris, 1934 ; M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow: une lecture du Maroc au 18e siècle*, éd. Recherche sur les civilisations, Paris, 1983 ; H. Saladin, *Les monuments de Méhédiya* (Maroc), Imprimerie nationale, Paris, 1913 ; R. Coindreau, *La Casbah de Mehdia*, édition La Porte, Rabat, 1946.


أحمد صالح الطاهري

**المهراز** ، من العربية الفصحى "المهراس"، من فعل "هرس" أي دق وسحق، والمهراس ماعون أو آلة لدق المواد المراد سحقها أو طحنها من حبوب وقطاني وغيره، والمهراس يمثل مرحلة في طريق تحضر الإنسان القديم، فلقد استعمل الحجارة فهرس عظام الحيوانات والمواد الملتقطة قبل أن يهتدي إلى استعمال المهراس البدائي، وهو حفرة منقورة بشكل طبيعي "أو من صنعه" في صخرة منضدة لسحق المواد التي يرغب فيها، وقد استعمل هذا النوع البدائي من المهراس عند الشعوب منذ فجر التاريخ، ومازال موجوداً في كثير من القبائل والمجموعات البشرية في إفريقيا وأستراليا وأمريكا.

وفي المغرب ـ وخاصة في المناطق الجنوبية ـ لا تزال بعض نساء القرى تحتفظن بهذا النوع من المهاريس الجماعية المنحوتة في الصخر الصلد لدق بعض المنتجات الفلاحية والملتقطة مثل النبق ونوى التمر والحناء والدباغ وغيرها. وتستعمل هذه المهاريس وفق أعراف وتقاليد متوارثة، منها أن على كل مستعمل أن يأتي بمدقه الخاص به (أزْدُوز) (الدقاق، اليد، الرزامة الخ ...)، وتختلف أسماؤه من منطقة إلى أخرى، وقد كان الدقاق في البداية من حجارة أو من خشب صلب وتتم عملية الدق في هذه المهاريس إما وقوفاً أو جلوساً بحسب حجم وعمق المهراس وبحسب المواد المراد دقها.

تطور المهراس إلى مهراس خاص بالعائلات، وإلى مهراس متنقل ليصبح في النهاية من الأدوات والمواعين الأساسية في المطبخ، ومن أدوات وآليات بعض الصناعات (قديماً) مثل الدباغة، والنسيج وصناعة البارود وصناعة

الأدوية وما إلى ذلك، وانتقل المهراس من حيث الشكل والحجم من المهراس الحجري إلى المهراس الخشبي فالحديدي إلى المهراس البرونزي، لنجده اليوم في المغرب من التحف التي أبدع فيها الصانع التقليدي، والمهراس مازال مستعملا في بعض البيوت والأسر في المدن والبوادي رغم ظهور بدائل جديدة يدوية وكهربائية، ومازال المهراس بجميع أشكاله التي ذكرنا مستعملاً ولا غنى عنه في تحضير بعض الأكلات في المطبخ أو بعض المواد الصناعية وفي مختبرات تحضير الأدوية.

ارتبطت بالمهراس عادات وتقاليد في الكثير من المجتمعات منها أهازيج وأغان وطقوس، ففي مصر مثلا يستعمل للاحتفال بالمولود الجديد ويسمونه "الهون"، ويستعمل المهراس الخشبي بطريقة احتفالية لتحضير القهوة العربية في الشام والجزيرة العربية ويسمونه "المهباش"، والمهراس في بعض المدن وخاصة لدى سكان العمارات والشقق في الأحياء الشعبية أثار استعماله الكثير من المشاكل والنزاعات بين الجيران وصلت إلى حد تدخل السلطة والمحاكم.

المرتضى الزبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس* ؛ ابن رزين التجيبي، *فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان*، تح. محمد بن شقرون، الرباط، 1981 ؛ أبو خير الأندلسي، *كتاب الفلاحة*، فاس، 1357 ؛ الطغنري ابن مالك، *زهر البستان ونزهة الأذهان*، م. خ. ع، بالرباط ؛ الونشريسي أحمد بن يحي، *المعيار المعرب والجامع المغرب*، بيروت، 1981 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ أبو ضيف مصطفى، *أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصر الموحدين وبني مرين*، الدار البيضاء، 1982.

J. Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*. Paris, Casa, 1967 ; P. Pascon, Les pilons de pierre de Rhris, *Hespéris*, *1955* ; Latifa Bennani Smirès, *La cuisine marocaine*, Casablanca, 1978.

محمد حجاج الطويل

**الموحدون**، ظهرت دولة الموحدين بالمغرب في أواسط القرن السادس (12)، واستمرت إلى أوائل النصف الثاني من القرن السابع ؛ وقد امتد نفوذها على الغرب الإسلامي بكامله من المحيط غربا إلى خليج سرت شرقا ومن أعماق الصحراء جنوبا إلى أواسط شبه الجزيرة الإيبيرية شمالا، فكانت أعظم وأوسع دولة في تاريخ الغرب الإسلامي.

يرجع أصل التسمية بـ"الموحدين" إلى المهدي بن تومرت مؤسس الحركة الذي اعتبر أتباعه الموحدين الحقيين لله، مستفيدا من الأفكار المعتزلية والأشعرية المتعلقة بمبدإ التوحيد، فاتهم خصومه المرابطين بالشرك والتجسيم في حق الله تعالى. غير أن المهدي لم يكتب له البقاء ليرى قيام دولة الموحدين، حيث توفي سنة 524 بعد هزيمة أتباعه في معركة البحيرة خارج مراكش أمام المرابطين. فتزعم الحركة تلميذه وصاحبه عبد المومن بن علي الكومي الزناتي، الذي اتبع خطة عسكرية جديدة تقتضي مطاولة الحرب مع المرابطين وإبعادهم عن مركز الدولة، وعندما مات الأمير تاشفين بن علي فارا من حصار الموحدين لوهران عاد هؤلاء فاتحين المدن : وهران، تلمسان، فاس... وختموا بفتح مراكش سنة 541، فانتقلت الحركة إلى مرحلة الدولة الحاكمة. ويمكن تقسيم عصر دولة الموحدين إلى مرحلتين أساسيتين : مرحلة التأسيس والقوة، ومرحلة الضعف والانهيار.

امتدت المرحلة الأولى من سنة 541 إلى سنة 610، تولى خلالها الحكم أربعة خلفاء هم عبد المومن، وابنه يوسف، ثم يعقوب المنصور بن يوسف، ثم الناصر بن المنصور. فقد تسمّى عبد المومن بالخليفة وأمير المومنين ليقطع بذلك أي ارتباط بالخلافة العباسية على عكس ما كان عليه الحال أيام المرابطين، لكنه بعد فتح مراكش انشغل بالثورات التي عمّت معظم المغرب الأقصى، ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أصناف :

- صنف قائم على أساس مذهبي تمثّل في الثورة التي قادها محمد بن هود الماسي الذي ادعى الهداية تشبهاً بالمهدي بن تومرت، فامتد نفوذه إلى سجلماسة شرقا، وإلى سلا شمالا، إلى أن قتل في نهاية سنة 542.
- صنف من المعارضة المرابطية كان يوجّهها بنو غانية المرابطون ولاة غرناطة، ويقودها عسكريا والي فاس سابقا القائد المعروف بالصحراوي، فامتد نفوذه من طنجة إلى جنوب أم ربيع بعد نهاية الماسي، إلى أن هزمه الجيش الموحدي.
- صنف قائم على أساس قبلي تمثّل في ثورة القبائل الكبرى خاصة قبائل برغواطة ودكالة التي أصبحت تلتف حول أي زعيم يقودها ضد الموحدين، فبايعت الماسي أولا ثم الصحراوي ثم غيرهما إلى أن هزمها عبد المومن.

بعد إخماد هذه الثورات بدأ عبد المومن في تنفيذ مشروع توسيع مجال الدولة شرقا أي المجال الذي لم يكن خاضعا للمرابطين، ويتعلق الأمر بمملكة بني حماد في بجاية التي باغتها سنة 547 وتمكّن من دخولها ودخول قسنطينة، وفي السنة اللاحقة هزم القبائل العربية سيدة البوادي الحمادية. وكان أمير إفريقية الزيري في هذه الفترة قد فقد ملكه بسقوط المهدية في يد الصقليين النورماند، فظل يحرض عبد المومن على تحريرها، فلما استكمل استعدادته برا وبحرا تحرك نحوها سنة 554 فطرد المحتلين من سواحلها، وأخضع القبائل العربية سيدة البوادي، فوصلته البيعة من جهات إفريقية إلى خليج سرت، بحيث أصبحت حدود الدولة متصلة بحدود الفاطميين في مصر (ثم الأيوبيين منذ سنة 567). وفي هذا الوقت كانت جيوش الموحدين توسع مجال النفوذ في الأندلس، فأصبحت منطقة الغرب والجنوب خاضعتين تماما لنفوذهم خصوصا بعد تسليم بني غانية لمدينة غرناطة سنة 551 وانتقالهم إلى جزر شرق الأندلس (البليار) ؛ وتوفي عبد المومن سنة 558 وهو يستعد لغزوة كبرى لاستكمال سيادته على الأندلس واسترجاع ما ضاع أيام ضعف المرابطين.

قضى عبد المومن كسائر مؤسسي الدولة معظم فترة حكمه في العمل العسكري، ولكنه أعطى أهمية أيضا لوضع

بعض التنظيمات الضرورية ليستمر عليها خلفاؤه من بعده، فقد حول نظام الحكم الشوري الذي وصل بفضله إلى الإمارة إلى نظام وراثي بتعيين كبير أبنائه ولياً للعهد، وأنشأ مدرسة بمراكش لتكوين أطر الدولة من الولاة والعمال وكان منهم أبناؤه، فوزعهم على الولايات. كما أعاد تنظيم البريد الرسمي بشكل يجعل انتقال المراسلات والأخبار تتم بسرعة بين العاصمة والولايات. وسعياً منه في تخفيف ضغط القبائل العربية على الجناح الشرقي للدولة والاستفادة من طاقتها القتالية في الأندلس بدأ برنامج إدماج هذه القبائل في الإطار العسكري، وهو ما سيظهر بوضوح في عهدي ابنه وحفيده. كما وضع الأساس المالي للدولة بفرض الخراج على القبائل والمدن التي خضعت لنفوذه عنوة، وذلك تدعيماً لمداخيل مجابي الزكوات والأعشار والغنائم... إضافة إلى مداخيل التجارة البحرية خاصة. وورث الخليفة يوسف عن أبيه مملكة واسعة الأطراف مستقرة الأحوال عموما رغم ما شابها في أول عهده من منافسة بعض الإخوة على السلطة، وبعض الثورات خاصة في جبال غمارة ؛ وقد تمكن من الانتقال إلى الأندلس وإنهاء إمارة ابن مردنيش في الشرق المتحالف مع الإسبان، واسترد جملة من الحصون والمدن كانت سقطت بيد البرتغاليين. واستغل وجوده في إشبيلية بين سنتي 567 و571 ليقوم بإنجازات عمرانية متنوعة، ويقيم مجالس علمية كان يحضرها بعض أقطاب العلم في دولته. غير أنه من ناحية التخطيط العسكري كان أقل نجاحا من أبيه، فكان هذا من أهم أسباب فشله في حصار مدينة شنترين سنة 580، والذي كان سببا في وفاته جريحاً.

ويعتبر الخليفة الثالث يعقوب المنصور بن يوسف أشهر خلفاء الدولة الموحدية نظرا لأعماله الاجتماعية المتنوعة، ولانتصاره الكبير على القشتاليين في معركة الأرك سنة 591 / 1195 . فرغم ظهور حركة بني غانية في إفريقية انطلاقا من جزر شرق الأندلس التي كانوا لايزالون معتصمين بها، فإن المنصور تمكّن من تجميد هذه الحركة لينشغل بالأندلس ويفرض على القشتاليين هزيمة ساحقة مكنت من إحداث توازن بين الطرفين وبالتالي هدنة استمرت حوالي 15 سنة، لم يتجرأ النصارى على خرقها إلا عندما تغيرت الظروف لصالحهم ؛ وكانت أهمية القوة البحرية الموحدية في عهده عاملا في استنجاد الأيوبيين بأسطوله ضد الأساطيل الصليبية. أما الجانب الآخر الذي اشتهر به المنصور فهو الأعمال الاجتماعية والدينية وما ارتبط بها من أعمال عمرانية واهتمام بالعلم والعلماء ورجال التصوف...

واستغل بنو غانية وفاة المنصور سنة 595 لتجديد نشاطهم في إفريقية، فرأى ابنه محمد الناصر أن حل المشكلة يتطلب عملين : الأول، قطع جذور بني غانية من جزر شرق الأندلس فتم له ذلك في آخر سنة 599، ثم قيادة حملة كبرى برية وبحرية إلى إفريقية ؛ فتمكنت قواته من فرض هزائم متتالية على بني غانية وحلفائهم من القبائل العربية. وقرر أن يجعل إفريقية ولاية ذات حكم خاص مفوض لمنع ظهور بني غانية من جديد، فأسندها إلى بعض أعقاب الشيخ أبي حفص الهنتاتي أحد أصحاب المهدي بن تومرت. وكانت هذه الخطوة فعالة تجاه بني غانية، ولكنها مهدت لقيام دولة منفصلة عن الحكومة المركزية في المغرب منذ سنة 634 هي الدولة الحفصية.

أما في الأندلس فقد تغيرت الظروف منذ حوالي سنة 605 ، وذلك بتدخل الكنيسة لفرض التنسيق بين الممالك الإسبانية لمواجهة الموحدين، خاصة بعد التراجع الصليبي في الشرق، وبعد تقدم النفوذ الموحدي في الجزر المواجهة لساحل أركون، في وقت بدأ الخلل يدب في بعض جهات المغرب الأقصى، وبدأ يظهر سوء التسيير الإداري الذي رافقه خلل في التماسك بين العناصر العسكرية، فكانت على الموحدين هزيمة العقاب سنة 609 / 1212 ترتّبت عنها عواقب خطيرة على المستويين الأندلسي والمغربي وأدخلت الموحدين في مرحلة الانحطاط.

أما المرحلة الثانية من تاريخ الموحدين أو مرحلة التراجع، فيمكن التمييز فيها بين فترتين، فترة أولى شهدت استبداد الوزراء على الخلفاء بالتعيين أو العزل أو القتل، بدأت بتعيين المستنصر بن الناصر سنة 610، وانتهت بتولي المأمون بن المنصور زمام الحكم خاصة بعد دخوله مراكش أواخر سنة 626 أو أوائل السنة اللاحقة، وقد ضعفت خلالها السلطة المركزية وانتشر قطاع الطرق، وزحفت قبائل بني مرين نحو بوادي مدينة فاس. وفترة ثانية دشّنها المأمون بمحاولة "ترميم" السلطة المركزية بالقضاء على كبار الأشياخ المصامدة المتلاعبين بالخلفاء، وبإلغاء المذهب التومرتي الذي يعتزون به؛ فكانت النتيجة عكسية، حيث بدأت الانفصالات في أنحاء الدولة من الأندلس إلى إفريقية إلى تلمسان إلى سبتة وإلى الجنوب المصمودي، مما جعل ابنه الرشيد يحاول التصالح مع المصامدة ويعود إلى تبني المذهب التومرتي، فحصل نوع من الهدوء النسبي، سرعان ما انتهى بعجز خلفه وأخيه السعيد عن علاج الوضع ووفاته سنة 646. ففي هذه السنة أنشأ بنو مرين إمارتهم بفاس وأخذوا يزحفون تدريجيا نحو مراكش إلى أن فتحوها أول سنة 668 / 1269 وانتهت بذلك أعظم دولة مغربية في العصر الوسيط، حيث رسمت تقريبا ومنذئذ الكيانات المغاربية على الخريطة السياسية، وظل ما بقي من الأندلس ـ تحت حكم بني الأحمر ـ يتوسّل بالدعم المغربي كلّما كانت الظروف مناسبة، إلى أن سدّ باب المضيق بسقوط سبتة بيد البرتغاليين وظهرت الفتن في المغرب، فانقطعت الإمدادات، وكانت نهاية الأندلس الإسلامية في أواخر القرن التاسع الهجري (15).

ويمكن إبراز بعض الجوانب الحضارية في عصر الدولة الموحدية من خلال إشارات عن الحياة الإدارية والعسكرية والأنشطة الاقتصادية وكذا الأعمال الاجتماعية والفكرية والدينية.

فعلى المستوى الإداري ؛ كان الخليفة يمثل السلطة العليا، يساعده جملة من الوزراء يسمى كبيرهم بالوزير، ويحمل الباقون ألقابا حسب مهامهم، مثل الكاتب أو صاحب القلم الأعلى، وصاحب الأعمال أو الأشغال المخزنية [المالية]، وقاضي الخليفة... وفي الولايات يمثل الوالي الخلافة وقد يكون ولي العهد في أهم المدن مثل إشبيلية، ويساعد الوالي عمال المدن و"حفاظ" القرى [مسؤولون عسكريون وماليون]، وصاحب الشرطة، وقاضي الجماعة (أحكامه نافذة) وأعوانه من المحتسبين والمسدّدين [قضاة المحاكم الابتدائية].

وبالنسبة لميدان العمل العسكري كانت مراقبة فعاليته تتم باستعراض الجيوش والقيام بالتمارين العسكرية (المناورات)، كما كانت المعارك يسبقها مجلس حربي للتشاور حول خطة القتال. وبالنسبة للأسلحة ظهر سلاح جديد استعمله المرينيون في حصار مدينة سجلماسة سنة 672 وهو سلاح المدافع النارية، قال عنه ابن خلدون : "ونصب [السلطان يعقوب] عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة".

ولم يرث الموحدون عن المرابطين غير حوالي سبعين قطعة بحرية، فأنشأوا قطعا أخرى في مختلف المراسي خاصة في سبتة، فأمكن بهذا الأسطول مواجهة النورمانديين في المهدية ومهاجمة سواحل البرتغال وأركون ردا على اعتداءاتهم. واستنجد الأيوبيون بهذا الأسطول ضد أساطيل الصليبيين كما رأينا.

وعلى المستوى الاقتصادي ؛ ساعد انتشار الأمن ـ عامة ـ على تنشيط العمل الزراعي والتجاري، فبالنسبة للزراعة تحدثت المصادر الجغرافية عن وجودها بشكل مهم في أحواز المدن وخاصة المسقية، فقد استفادت الزراعة من نظام الري سواء بالدواليب (الناعورات كما في إشبيلية) أو بنظام الخطارات. وكان توزيع الماء في واحة قفصة يتم بطريقة دقيقة، ومن أهم المزروعات الصناعية القطن والكتان وقصب السكر الذي كان يزرع بكثرة في سهل سوس وفي وادي نفيس.

وبالنسبة للصناعة، فقد اعتمدت على المهارات اليدوية وعلى المواد الخام المتوفرة كالنحاس والحديد والفضة، إلى جانب الذهب المستورد من جنوب الصحراء وبعض المنتوجات الزراعية. وأهم الصناعات : صناعة النسيج بأنواعه، وصناعة السكر، وصناعة المواد النحاسية. فقد ورد في إحصاء عن مدينة فاس أيام الناصر المرافق الصناعية التالية:

ـ دور الصابون : 47 دارا ـ دور الدباغة : 86 دارا ـ معامل الكاغد : 400 حجر لعمله ـ دور سك النحاس : 12 دارا ـ دور صناعة الزجاج : 11 دارا ـ ترابيع الحياكة (مجمعات صغيرة على شكل مربع) : 3064 موضعا ـ صناعة الفخار خارج المدينة : 188 موضعا.

وبالنسبة للتجارة ؛ ساهمت الدولة في نشاطها بحفظ الأمن وبناء القناطر والقيساريات وحذف المكوس ـ في المرحلة الأولى من الدولة خاصة ـ، ومراقبة الأسواق بواسطة المحتسبين والأمناء، وفي هذا المجال يدخل استعمال البطاقات على بعض المواد الأساسية لتحديد سعرها ؛ كما كانت الدولة تتدخل في أوقات المجاعات بطرح ما في مخازنها في الأسواق لتيسير وجود الزرع وللتخفيف من حدة السعر. ومما يدل على ازدهار التجارة في المدن الكبرى مثل فاس أن عدد حوانيتها بلغ في عهد الناصر 9082 حانوتا وبلغت الفنادق 467 فندقا، وعن مراكش ذكر صاحب *الاستبصار* أن المنصور أمر ببناء "مدينة أخرى تقارب الأولى في دورها... فبنى قصورا وجامعا وأسواقا وفنادق، وجلب التجار إلى قيسارية عظيمة... وأمر بعمارتها أول سنة 585".

وعقدت الدولة اتفاقيات مع الدولة النصرانية لمحاربة القرصنة بين الطرفين وحماية رعايا الجهتين بما فيهم التجار، وكانت أهم الجهات تجارة مع الموحدين ـ إضافة إلى جنوب الصحراء والشرق الإسلامي ـ الدويلات الإيطالية خاصة جنوة وبيزا. ومن أهم المدن التي ارتبطت بالتجارة الآفاقية (البعيدة المدى) مدينة فاس حيث كان "منها يتجهّز إلى بلاد السوان وإلى بلاد المشرق، ومنها يُحمل النحاس الأصفر إلى جميع الآفاق. وكانت سبتة أكثر ارتباطا بالأندلس والمدن الإيطالية خاصة جنوة، كما كانت بجاية وتونس مرتبطتين من جهة بالتجارة الصحراوية ومن جهة أخرى بالتجارة البحرية خاصة مع الإيطاليين. ومن أهم الصادرات الجلود والأصواف والمواشي والسكر والعسل والأواني المصنوعة، ومن أهم الواردات بضاعة الشرق الأقصى وذهب بلاد السودان.

بالنسبة للجوانب الاجتماعية والدينية والفكرية نلاحظ اهتمام الخلفاء بها خصوصا في فترات الاستقرار كما حدث في عصر الخليفتين يوسف وابنه المنصور، فمما ذكر عن هذا الأخير أنه كان يستدعي الصالحين ويقدم العطايا لمن يقبلها منهم، ويستصحب بعضهم في المعارك تبركا بهم. ومن المساجد العظمى التي بناها جامع حسان بالرباط، وأتم جامع الكتبية بمراكش والجامع الأعظم بإشبيلية ؛ وأمر المنصور ببناء "دار الفرج" وهو مارستان مراكش، ومن مظاهر اهتمامه به : ـ اختيار المكان المناسب لبنائه من حيث الهواء النقي. غرس أشجار متنوعة به من (مشمومات ومأكولات). وتوزيع الماء على جميع بيوته. وتنويع الفرش من صوف وكتان وحرير. وتخصيص مبلغ 30 ألف دينار في كل يوم "برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجا عما جُلب إليه من الأدوية". وجعل جناح خاص بالصيدلة "لعمل الأشربة والأدهان والأكحال". ومنح المرضى ثيابا خاصة بالليل وأخرى بالنهار وحسب الفصول. ومجانية العلاج للغني والفقير والبلدي والغريب. وتخصيص منحة النقاهة لفائدة الفقراء يعيشون منها ريثما يتم شفاؤهم ويصبحون قادرين على

العمل. وزيارتهم كل جمعة بعد الصلاة وسؤال المرضى عن أحوالهم وأحوال "القومة عليهم".

وفي المجال العلمي، اهتم عبد المومن بالعلماء خصوصا الغرباء منهم وقلّده في ذلك بنوه، فأغدقوا المنح على أهل العلم، وبنوا المدارس ودور الطلبة ببعضها ؛ ومن الجديد في هذا العصر إجبارية التعليم خصوصا فيما يتعلق بالأمور الدينية. ومن أهم المدارس التي أنشأها عبد المومن مدرسة لتكوين الأطر بمراكش كان التعليم فيها عاما مذهبيا وإداريا وعسكريا، ومدرسة ملاحية برباط الفتح، وأخرى خاصة بأبناء القصر بمراكش. وزاد عدد المدارس في عهد ابنه يوسف ثم في عهد حفيده المنصور (مثلا إضافة مدرسة بالحي الجديد بمراكش، ومدارس في إفريقية والأندلس...)، كما ظهرت بعض المدارس الخصوصية (مدرسة الشاري بسبتة). وكان الخلفاء في مراكش يعقدون مجالس علمية في قصورهم، كما كانت تعقد جلسات الدروس في المساجد الكبرى (بعد مرحلة دروس الكتاتيب والمدارس). وقد برز في العصر الموحدي علماء كبار موسوعيون أمثال ابن رشد الحفيد وابن زهر وابن طفيل. وبرز كتاب مشاهير كما يظهر في فن الرسائل الديوانية التي أنشأوها. والجدير بالملاحظة أن حرية الفكر كانت سائدة باستثناء بعض الحالات التي يتداخل فيها العلم مع شؤون السياسة.

وبالنسبة للمنشآت العمرانية، فمنها ما يتعلق بالناحية الدينية كالمساجد، ومنها ما يتعلق بالنواحي الإدارية كقصور السلاطين والولاة، والعسكرية كالحصون وخاصة في الأندلس، ومدن الممرات العسكرية مثل جبل الفتح (طارق) وتازا ورباط الفتح التي كانت في بدايتها مركزا لتجميع الجيوش والعبور إلى الأندلس أو إلى شرق البلاد قبل أن تتمصّر في عهد المنصور ؛ وتم توسيع مدن قائمة كما حدث بالنسبة لمراكش في نهاية عهد الخليفة يوسف وبداية عهد المنصور حيث شملت مرافق مختلفة. ومن المنشآت الاقتصادية والاجتماعية القناطر والقيساريات والفنادق وقنوات جلب المياه إلى المدن الكبرى في المغرب والأندلس وإحداث السقايات العمومية كما حدث برباط الفتح أيام عبد المومن وبمراكش أيام المنصور...

ومن حيث عدد السكان يظهر أنه كان مرتفعا نسبيا ففي مدينة فاس التي يظهر أنها كانت أكبر مدن المغرب أجري أيام الناصر إحصاء أكد وجود ما يزيد على 100 ألف أسرة بفاس أي ما لا يقل عن نصف مليون ساكن على فرض أن معدل أفراد الأسرة خمسة أشخاص على أقل تقدير، وأثبت نفس الإحصاء وجود 782 مسجدا بالمدينة و73 حماما عموميا (دون الحمامات الخاصة) و472 رحى داخل أسوار المدينة دون ما هو خارجها، و1170 فرنا...، رعدد هذه المرافق قد تبرّر عدد السكان المشار إليه...


البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت*، 1971 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* (قسم الموحدين)، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 1973 ؛ المراكشي، *المعجب*، القاهرة، 1949 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 6 : 1968 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء، 1979 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق*، بيروت، 1989 ، مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار* ، الدار البيضاء، 1985 ؛ الحموي، معجم البلدان ؛ بروفنصال، مجموع *رسائل موحدية*، الرباط، 1941 ؛ عزاوي، *رسائل موحدية*، مجموعة جديدة، 1، 2، الدار البيضاء، 1995 - 2001 ؛ م. المنوني، *حضارة الموحدين*، الدار البيضاء، 1989.

M. Amari, *I Diplomi Arabi dell Archivio Fiorentino*, 1863, t. 1.


أحمد عزاوي

**المؤذّن**، في تاريخ المغرب : ارتبط الآذان بتوطيد معالم الدولة الإسلامية واستقرار أحوال المسلمين بعد هجرة الرسول عليه السلام إلى المدينة والشروع في الإعلان عن التجمع لأداء الصلوات في أوقاتها، فتجنب المسلمون استعمال الوسائل التي كانت تستعملها الملل الأخرى، مثل إيقاد النار عند الفرس واستعمال الأبواق والنواقيس عند اليهود والنصارى، واهتدوا إلى استعمال صوت الإنسان في الآذان فأقرهم الرسول عليه السلام على ذلك. وقد اتخذ خمسة مؤذنين أشهرهم بلال بن رباح لأن صوته كان أندى، فكان الإنشاد والتلحين صفة في الآذان.

وعند اتساع الرقعة الجغرافية للعالم الإسلامي وقع في كل من مصر والشام والعراق وبلاد المغرب وغيرها تطورٌ في الآذان، فاتخذ سمات محلية وجهوية.

وفي المغرب أسبغ المؤذنون المغاربة على الآذان قوالب مطبوعة بأصوات أمازيغية بدأت بسيطة وقوية في عهود الأدارسة والمرابطين والموحدين، وتطورت في عهد السعديين والعلويين بحيث أصبحوا يرتلون الآذان ترتيلا إيقاعيا بصوت جميل فيه إطالة ومدّ في بعض الحروف وعدم الإرسال في البعض الآخر، مع تغيير في مقامات الأصوات، وبمُرور الزمن اعتنى المغاربة بتشييد المساجد وزينوها بالمآذن، فتميزت كل مدينة من المدن المغربية العتيقة بمآذنها التي تستقبل الوافدين، في فاس ومراكش وتطوان ومكناس والرباط وسلا وتارودانت، وفي كل المدن الأخرى، بل وفي كل قرية ومدشر، فارتبط الناس بهذه الذاكرة التي تتكرر خمس مرات في اليوم، فتعددت حكايات المؤذنين المشهورين وأخبارهم.

وزيادة على أوقات الصلوات الخمس تألقت أصوات المؤذنين في أوقات تسميع أداء الصلوات وأوقات أخرى في جنح الظلام والناس نيام، فيقوم المؤذن في الثُلُث الأخير من الليل في فترتين زمنيتين إحداهما مبكّرة وتدعى فترة التهليل، والثانية متأخرة وتدعى فترة التسليم وتختم بالآذان عند انبلاج الصبح "وإقبال النهار بنوره وضيائه". ولهم في أوقات التهليل تفنن حيث برع فيها المنشدون بقصائد في مدح الرسول وذكر خصاله وترغيب الناس في أداء الأركان والتّمسّك بالقيم الإسلامية، والإخلاص لعبادة الله والدعوة لوحدة المسلمين، مستعينين في ذلك بقصائد من عيون الشعر

وبمواهبهم في تلوينها بألحان جميلة من أصل مقامات أمازيغية أو إيقاعات من الملحون وغيره من الإنشادات بأصوات جهورية بلا مكبرات الصوت، وتفننوا في ذلك في أسحار رمضان وتراويحه، واستعملت أصوات آلات "الغيَّاطة" و"النفار" بعد التراويح بألحان عذبة، لا تزال تتردد في بعض مساجد الرباط وسلا وتارودانت وغيرها ويعلن بها عن إقبال هلال رمضان وإدباره إلى اليوم في مختلف الأجهزة.

ومما اشتهر من مسموعات المؤذنين كما ورد في *التشوف* :

| | |
|---|---|
| يا طويل الرُّقاد والغَفَـــلاَت | كثرةُ النوم تُورثُ الحَسَرات |
| إن في القَبر إن دُفعْت إليْـه | لَرُقاداً يطول بعد المَمَـــاتَ |
| وَمِهَاداً مُمَهَّــــداً لَكَ فيــه | بِذُنُوب عَملتَ أو حَسَنَـــاتَ |

وكان بعض المؤذنين يجهش بالبكاء فلا يسمَعُ أحَدٌ صوتَه في جنح الليل إلاّبكى لبكائه، وكان لبعض المؤذنين مواقف في حياتهم الخاصة تعكس صدق ما يدعون إليه ويتصفون به من تدين ووطنية وقد شهدْتُ مؤذّنا، في صباي، وقف في وجه الاستعمار الفرنسي أثناء الحماية عندما نفى الفرنسيون الملك محمد الخامس سنة 1953 عن عرشه، فأصرَّ المؤذن، ويدعى سيدي الحسن باجا وهو أسود اللون، أن يقف بباب منزله ويؤذن بأعلى صوته الجهوري في كل وقت بعد أن طُرد هو وفقيه المسجد لامتناع هذا الفقيه من نصرة ابن عرفة على المنبر، ورغم تقديم هذا المؤذن إلى الحاكم المدني الفرنسي بمدينة أنزگان، فقد أصرَّ المؤذن وسُمح له بمزاولة الآذان حتى استقل المغرب، فعاد إلى نفس المسجد.

وفي الفترة الراهنة حيث عرف عالم اليوم عديداً من وسائل الاتصال قلد المؤذنون في المغرب آذان المشارقة وألحانهم في مصر ومكة والمدينة المنورة، وبتأثير هذه الوسائل اختفت رويداً الإيقاعات الصوتية الأصيلة المميزة للآذان والتهاليل على المآذن المغربية، مما جعل المرحوم الملك الحسن الثاني يؤكد على ضرورة الالتزام بالبساطة والأصالة في الآذان والتخلي عن المبالغة في طبوع الغناء، فخفَّت حدة التيار المشرقي ومحاكاته في الآذان زمنا ثم عادت الآن بعده إلى التنوع.

الخضري، *نور اليقين في سيرة سيد المرسلين*، طبعة مصر ؛ ابن هشام، *السيرة النبوية*، تح. مصطفى السقا وآخرين، طبعة بيروت، د. ت، ص. 507 ؛ التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، تح. أحمد التوفيق، طبعة المغرب، 1984، ص. 19 ؛ جريدة *العلم* عدد 28 شتنبر 2005، *الإنشاد الديني وآذان الصلاة* ؛ *مذكرات خاصة عن مشاهير المؤذنين في المغرب وأخبارهم في الفترة المتأخرة*.

عمر أفا

**المؤذن** (السي)، يشير إليه القادري في *نشر المثاني* قائلا : "لم يحضرني اسمه الآن، ولكن جرى على ألسنة الناس تعيينه بنسبه، وهو أصل صاحب الترجمة من بني المؤذن السجلماسيين الذين من أعيان قبائل حضور فاس وقدماء سكناهم بها..." ويحليه بـ"الفقيه الأديب اللبيب الحاذق النسابة المؤرخ...". أما ابن زيدان فيصفه قائلا : "كاتب مؤرخ نسابة ثقة، ثبت مطلع، محاضر لوذعي لبيب، نقاد ناظم ناثر..."، وكان يتمتع بالإضافة لما ذكر بالنباهة والتيقظ ورجحان العقل وحسن السياسة والدهاء واللباقة وإجادة التعبير، كما كان ماهرا في صناعة الترسيل والإنشاء، ذا خط رائق وأدب فائق فكها حلو النادرة ممتع المجالسة، نال حظوة كبيرة لدى السلطانين العلويين مولاي رشيد ومولاي إسماعيل. وعن اتصاله بالمولى رشيد يحدثنا القادري : "ولما أراد الخليفة أمير المومنين مولانا الرشيد... أن ينسخ كتبا أرادها وأمر بذلك، فكان ممن أوجر على بعضها لحسن خطه. فلما رفعت الكتب إلى مولانا الرشيد استحسن خطه فوجه إليه من طلب منه خدمة السلطان، فأجاب إلى ذلك وحضر بين يديه، فغبط به لحسن سياسته وجود عبارته". وحصلت له - بعد ذلك - حظوة ومكانة مكينة، وصار من أخص ندماء السلطان يمازحه ويضحكه بما لم يقدر أحد أن يقوله بين يديه، ويخصه بسره ويشاوره في مهمات الأمور، وزوجه ابنة أحمد بن صالح الليريني رئيس فاس وأعمالها الذي قبض عليه السلطان وعلى عياله وأهله وأولاده ومن جملتهم ابنته البكر المذكورة، لما تحقق لديه عبثه وتعديه وظلمه بشهادة عدول مدينة فاس فغرقت ذمته وصودرت أملاكه وضمت أمواله إلى بيت المال.

لزم المترجم خدمة السلطان مولاي رشيد إلى أن أجاب داعي ربه فخدم بعده أحمد بن محرز إلى أن قتل بسوس، ثم خدم السلطان مولاي إسماعيل الذي قربه إليه واصطفاه أنيسا وجليسا يمازحه ويباسطه. وتمتعت زوجته ابنة الليريني، التي كانت على معرفة ودراية بالآداب والنظام البيتي اللائق بالملوك بتقدير السلطان وثقته فاصطفاها لتهذيب نسائه وتعليمهن.

بالإضافة إلى ذلك كان المترجم عين السلطان، يوصل إليه أخبار الرعية وما تضافر غيره على كتمانه عنه ويفرغ ذلك - حسب ابن زيدان - "في قوالب لطيفة خيالية مضحكة لا يعقلها إلا العالمون".

لا يعرف تاريخ وفاته، ولكن القادري ترجم له ضمن الذين توفوا أوائل المائة الثانية عشرة للهجرة.

ومن الملاحظ أن كلا من القادري وابن زيدان وصفا المترجم بالكاتب المؤرخ النسابة دون أن يذكرا شيئا عن مؤلفاته.

م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، ج. 4، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1986، ص. 227 - 230 ؛ ع. الرحمن بن زيدان، *إتحاف*، ج. 4، الرباط، 1990، ص. 380.

رقية بلمقدم

**المؤذن، محمد** ، أحد هواة الموسيقى الأندلسية البارزين في تطوان خلال العقد الثالث من القرن العشرين.

اشتغل في وظيفة الحسبة بهذه المدينة، واشتهر بغيرته على هذا التراث من خلال نشاطه في هيئة رعاية المعهد الموسيقي الذي أسس بتطوان عام 1929 ، وكذا في جمعية الموسيقى العربية الإسبانية. وكان إلى ذلك من بين الشخصيات المساهمة في عضوية "المجمع العلمي المغربي" ؛ وهو عبارة عن جمعية تهتم بالمشاريع الثقافية، كان الحاج عبد السلام بنونة والفقيه سيدي محمد الرهوني قد دعوا إلى تأسيسها عام 1916.

ولاهتمامه بالموسيقى فقد تلقى مستعملاتها من بعض أعلام تطوان في عهده، فحفظ النوبات، وأتقن العزف على الكمان. وانخرط في أحد الأجواق التي عرفتها المدينة يومئذ كعازف على هذه الآلة، إلى جانب عازف الكمان محمد لوقش، والربابيي علال المصباحي، وضاربي العود عبد القادر القرواني، وأحمد الفراش، وناقر الطر محمد الشودري.

توفي محمد المؤذن في مطلع الستينيات من القرن العشرين.

م. ابن عزوز حكيم، *أب الحركة الوطنية المغربية عبد السلام بنونة*، ج 1، الرباط، 1987، ص. 151 ؛ *مجلة الفنون*، س 2، ع 5 و6، يبراير - مارس، 1975 ، إصدار وزارة الدولة في الشؤون الثقافية، الرباط، ص. 123 ؛ الطيب بنونة، *نضالنا القومي*، ص. 385 ؛ إ. خليفة، *الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال*، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1414 / 1997، ص. 497 ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2، الدار البيضاء، 2000، ص. 277.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **المؤذن، محمد العربي** (القائد)، أحد قواد عهد السلطان المولى الحسن على حواوصة السراغنة وقبائل جبال الأطلس الكبير المجاورة كولتانة وفطواكة وحتى جنوبه كالفايجة ثم هنتيفة وفريق من تادلا. عين في منصبه بعد وفاة والده، فأظهر كفاءة كبرى في تسيير إيالته، وجلب ثناء المخزن بالإشراف على محارثه بالقلعة وتملالت، ثمّ تقديم خدماته كلما دعت الحاجة كتوجيه مؤونة الدار العالية بالله، ورعاية حواشي المخزن وتوجيه فرض القبيلة، إضافة إلى تأمين السبل وتهدئة أحوال الرعية، فحافظ بذلك على إيالة والده، مشاركا في جل حركات السلطان المولى الحسن، بل لقد مهد الطريق لركابه في حركة تافيلالت عام 1892، وقد توفي إبانها بسبب البرد والمرض، فنقل جثمانه إلى الحمادنة حيث دفن، ولا يفوتنا أن نذكر أنه لحظوته ونصيحته فقد بعثه السلطان المولى الحسن سفيرا له إلى بلجيكاوالبرتغال ؛ عام 1889 ، وسيتبعه في الولاية أخوه الجيلالي الذي أجهزت الإيالة على داره عام 1905 وبذلك انتهت قيادة آل ابن المؤذن بالسراغنة وتبعهم اليعقوبيون.

الحسن شوقي، *قبيلة السراغنة خلال القرن التاسع عشر*، مرقون، الرباط، 1990 ؛ مصطفى بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج.1 ، المطبعة الملكية، الرباط 1984، ص. 370.
M. de Segonzac, *Au cœur de l'Atlas*, Paris, 1910, p. 16.

الحسن شوقي

**المور** أو **الموريون** ، يتحدث بطليموس في شرق موريطانيا الطنجية عن الموريـنسي أو المور وفئة من الهيريدتاني. والمورينسي أو المور اسم نجده عند ديودور الصقلي عندما تعرض للأحداث التي عرفها القرن الخامس قبل الميلاد. كما تحدث بولبيوس عن القبائل الموريطانية التي جرت العادة بذكرها تحت اسم واحد هو المورسيون حسب التسمية الإغريقية، أو المور حسب التسمية الرومانية والمحلية.

يقول سالوست في كتابه حرب *يوغرطة* عن المور : "إن المور قبيلة كبيرة تحدثت عنها المصادر القديمة وذكرت اسمها بأشكال مختلفة : مورينسي وموري ومورووسي (Maurensii, Mauri, Mauroussii) ومن اسمها اشتق اسم موريطانيا". وحسب بلينوس الشيخ في كتابه *التاريخ الطبيعي*، فإن موريطانيا كانت تدل على الأراضي القريبة من إسبانيا، وأن قبائل المورانذثرت بسبب الحروب مما سهل على الجيتوليين احتلال مواطنها. والجدير بالذكر أن بلينوس الشيخ تتضمن لائحته قبائل الموريين الذين استوطنوا المناطق الشمالية لموريطانيا والذين دخلوا في علاقات مع الرومان منذ عهد أغسطس. ويبدو أنها قد تعرضت إلى الانقسام بسبب الحروب إلى حد أن تقوقع الباقي منها في القسم الشرقي من موريطانيا الغربية (المغرب الحالي) على شكل قبيلة صغيرة دون نفوذ. وفي هذا الصدد يذكر سترابون أيضا بأن المور كانوا يستوطنون الساحل الشمالي عند أعمدة هرقل في مواجهة إسبانيا، إلا أن الصراعات التي عرفتها القبيلة قضت على جزء كبير منهم وعوضت بالقبائل الجيتولية ثم البانيورية والأوطولول. ورغم ما تعرضت له القبيلة فإن كلمة الموري ظلت تطلق بعد ذلك على كل سكان موريطانيا.

أما فيما يتعلق بمعناها فبوشار (Bochart) يرى أن أصل كلمة المور قد تكون سامية في الأصل ومأخوذة عن "ماهوريم" التي تعني الغرب في اللغة الفينقية أو الغربيين، ذلك أن الفينقيين في المشرق كانوا يرون أن الجزء الأقصى من شمال إفريقيا هو آخر البلاد إلى الغرب. ولذلك فقد أطلقوا هذا الاسم على مكان أقصى الغرب المعروف لديهم. ثم حرفها الإغريق إلى موريسيا والرومان إلى موري.

ويرى رين (Rinn) أن المور كلمة أمازيغية صرف، لأن كلمة أمور التي سميت بها الجبال الواقعة في جنوب الجزائر إنما تعني بلغة الأمازيغ جبل. وعلى ذلك فإن المور معناها سكان الجبال. صحيح أن كلمة المور أمازيغية لها صلة بكلمة أمور التي قد تعني الجبل كما سبق الذكر، ولكنها تعني الآن النصيب من الأرض أو الوطن، أو المكان المقدس، أو الحرم المقدس، ولا تزال الكلمتان أمور أو ثامورت مستعملتين إلى يومنا هذا. والجدير بالإشارة إلى أن الإغريق وسكان مدينة

قرطاج، كانوا يستعملون المصطلحات والمفاهيم التي تشخص الواقع الذي تعيشه القبائل الأمازيغية في شمال إفريقيا.

ويعتقد گسيل أن المور الماسيسيليين لم يكونوا يستقرون بمحاذاة شاطئ البحر الأبيض المتوسط، ولكن كانوا إلى الجنوب بعيداً عن الشاطئ. بينما يتحدث الجغرافي راڤينا عن مدينة تحمل اسم مورا بمنطقة الگاديتان قرب جيتولي سيليتا. أما ديزانج فيرى أن مدينة مورا لم تكن جد بعيدة عن نهر سلا (بورقراق). ولقد حاول كامبس في دراسته لنقيشة بيجا ومشكّل الأرباب المورية، أن يظهر كيف تطور اسم المور حتى أصبح يطلق على كل سكان شمال إفريقيا غير المترومين مقابل سكان المدن، لدرجة أن كلمة الموري أضحت تعني الثائر والرافض للاحتلال الروماني، بل وللتعامل مع المحتل. وبالنسبة لبروكوب فتعني المور كل سكان شمال إفريقيا تقريبا، أي المنطقة المحصورة بين المحيط الأطلسي غربا ونهر امبساگا شرقا.

ورغم هذه التطورات التي صاحبت كلمة الموري التي بدأت بإطلاقها على كل سكان موريطانيا ثم تقلصت نوعا ما في عهد الاحتلال الروماني ؛ ثم عادت لقوتها ولمفهومها بعد القرن الثالث والرابع الميلاديين، أي بعد تراجع النفوذ الروماني، فإن قبائل المور التي تحدث عنها بطليموس في القرن الثاني الميلادي، كانت تستوطن المنطقة المحصورة بين وادي لاو وجنوب خليج الحسيمة عند وادي كرط ؛ يعني أن مواطنهم كانت على ساحل الأبيض المتوسط من وادي لاو غربا إلى وادي كرط شرقا.

وإن تسمية الولايتين اللتين أحدثتهما روما على أنقاض مملكة موريطانيا، بموريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية دليل على مكانة هذه المجموعة البشرية ودورها المتميز في كل الأحداث التي عرفها شمال إفريقيا خلال عهد الممالك الأمازيغية أو خلال فترة الاحتلال الروماني وبعده.


مصطفى أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية بين المور والرومان في موريطانيا الطنجية ما بين 140 و285* ؛ د. د. ع، الرباط، 1980.

Ptolomée d'Alexandrie, *Géographie IV* ; Procope, *La guerre des Vandales*, II, 13, 23, 26 ; Salluste, *La guerre de Jugurcha* ; Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 17 ; M. Rachet, Rome et les berbères, *Latomus 110*, Bruxelles, 1970 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Index de topographie antique du Maroc, *PSAD, 4, 1948* ; Bochart, *Geographica sacra*, Caen 1646, p. 544 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, t. V, p. 89 ; L. Rinn, Les premiers royaumes berbères et la guerre de Iugurtha, *Revue Africaine XXXIV, p. 172.*


مصطفى أعشي

**مورا** Murat : هو پول شارل مورا من مواليد 16 يناير 1877 بمدينة الجزائر. قدم إلى المغرب مع أطباء البعثات الدبلوماسية، وأكد حضوره عند ما كان سانريني - طايانديي Taillandier يمارس مهامه كسفير لدى مولاي عبد العزيز، إذ أقام مستوصفا للإعانة الطبية بفاس يحمل اسم "مستشفى مورا" أو "مستشفى الزربطانة".

قدم مورا في سنة 1911 تقريراً مهماً عن الحالة الصحية بمدينة فاس وخاصة ما يتعلق منها بالأوبئة وعزا سبب الكثير من الأمراض التي تعيث في سكان هذه المدينة إلى مياه وادي فاس.

حضر مورا وزوجته أحداث فاس التي أعقبت توقيع الحماية، وعمل بعد ذلك كطبيب لأمراض العيون، وأصبح في سنة 1918 طبيبا رئيسا للمستشفى الخاص بالمغاربة بالدار البيضاء، ومكث في منصبه هذا إلى خريف 1920.

توفي في غشت 1921.


Mohamed Ghoti, *Histoire de la médecine au Maroc : le XXe siècle (1896 - 1994)*, Casablanca, 1995 ; M. Rousselle, *Médecins, chirurgiens et apothicaires français au Maroc (1577-1907)*, Paris, 1996.


بوجمعة رويان

**موران جول** Jules Mauran ، طبيب اختارته وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية من أجل إحداث أول مستوصف فرنسي في مدينة الرباط إلى جانب زملاء آخرين في مدن مغربية أخرى (الدكتور أزيمار Azémar في الدار البيضاء والدكتور كيشار Guichard في الجديدة والدكتور مير Maire في آسفي والدكتور بوفيري Bouveret في الصويرة والدكتور موشان Mauchamp في مراكش والدكتور مورا Murat في فاس والدكتور برو Brau في العرائش). وجاء ذلك في سياق ما تقرر في عقد الخزيرات الموقع يوم 7 أبريل 1906 من "إصلاحات". وصف موران نفسه، في مقدمة كتابه : "*مغرب اليوم والغد*"، بأنه "عميل متواضع من أجل التوغل السلمي".

حاز على الدكتوراه في الطب من كلية تولوز يوم 20 مارس 1863. وانتقل إلى الجزائر حوالي سنة 1897، فمارس فيها الطب مدة اثنتي عشرة سنة، وشغل هناك مهمة مستشار عام لإقليم وهران. ثم وقع عليه الاختيار الرسمي للمشاركة في بعثة الأطباء الموجهين إلى المغرب من أجل تطبيق السياسة الحكومية الرامية إلى استكمال السيطرة على منطقة شمال إفريقيا بواسطة ما يعرف باستراتيجية "التغلغل العلمي". أحدث مستوصفا صغيرا في زنقة سيدي فاتح (تطور إلى المستشفى الأهلي مولاي يوسف فيما بعد)، مارس فيه مهنته وجعله في خدمة الرباطيين، في ظرفية وصفتها الأدبيات الكولونيالية الفرنسية بالصعوبة وانعدام الأمن وتوالي الأزمات السياسية الداخلية وتفكك المخزن، ونسبت تمكن هذا الطبيب من الصمود في العمل بشكل معزول إلى ما توفر عليه من إخلاص في العمل ورأفة بالفقراء. ودام الوضع على ذلك الحال، حتى قدوم القوات الفرنسية إلى الرباط سنة 1911. صار مستشارا للجنرال ليوطي المقيم العام الذي منحه لقب "أب المساعدة الطبية الأهلية" "Le père de l'assistance médicale indigène"،

وعينه نائب مدير لمصلحة الصحة والنظافة العموميتين من سنة 1913 إلى 1922 ، ثم مديرا للصحة البحرية حتى سنة 1925 تاريخ استقالته.

نشر كتابا دون فيه تجربته التي راكمها أثناء إقامته في المغرب، صار في ما بعد مصدراً أساسياً يلجأ إليه كل الذين جاؤوا من بعده إلى المغرب. وقد ارتبط بصداقة متينة مع الدكتور جول كولومباني الذي أخذ منه الشيء الكثير بعدما تولى إدارة مصالح الصحة في جهاز الإقامة العامة. وأثمر التعاون بين الرجلين كراسة تحددت فيها المبادئ الأساسية للمهنة في المغرب. وأصدر كتبا أخرى إلى جانب مساهمته في غيرها وفي بعض المقالات.

وبعد عودته إلى فرنسا واستقراره في مدينة كان Cannes ، دعي ثانية إلى المغرب في ماي 1938 من أجل الحضور في حفل تدشين المستشفى الأهلي الذي حمل اسمه في مدينة الدار البيضاء، وهو المعروف لدى البيضاويين لحد الساعة باسم "سبيطار سيدي الصوفي"، وكان الحفل مناسبة لتوشيحه بوسام الاستحقاق المدني الشريف من درجة صليب، اعترافا من الإقامة العامة بالدور الذي قام به منذ قدومه إلى المغرب قبل الحماية إلى مساهمته في علاج "الأهالي" ونشر "الرسالة الإنسانية" التي جاءت فرنسا من أجلها.

توفي في شهر ماي 1942.

Le Dr. Mauran, *Le Maroc d'aujourd'hui et de demain*, Rabat, Henry Paulin et Cie éditeurs, Paris, 1909 ; *La société marocaine études sociales, impressions et souvenirs*, Henry Paulin et Cie éditeurs, Paris, 1909 ; *"Services de la santé et de l'hygiène publiques"*, 1912-1922 : *La renaissance du Maroc dix ans de protectorat*, Publications de la résidence générale de la république française au Maroc, Rabat, p. 224-230 ; "Une république de pirates", *Les Archives Berbères, vol. 2, fasc. 1, 1917, p. 36-43* ; "Etude sur l'épidémiologie au Maroc", *B.O., 1914, p. 551-561* ; "Considérations sur la médecine indigène au Maroc", *Maroc Médical, n° 296, janvier, 1950, p. 191-192* ; Colombani et Mauran, *Le ministère de la santé et de l'hygiène publiques au Maroc*, Rabat, 1922.

نجيب تقي

**موريطانيا الطنجية في العهد الروماني** : عرفت مملكة موريطانيا عقب اغتيال ملكها بطليموس سنة 40م ثلاث ثورات متزامنة أشعلتها القبائل المورية كرد فعل فوري وتلقائي على قرار ضم أراضي المملكة إلى الإمبراطورية الرومانية.

أولى هذه الثورات تعرف تاريخيا بثورة إيدمون Aedemon في موريطانيا الغربية. وقد تصدى لها أول الأمر حاكم مدينة وليلي ماركوس فاليريوس سفروس Marcus Valerius Sévérus ، وذلك قبل أن يتدخل سنة 41م القائد الروماني ماركوس ليكينيوس كراسوس فروگي Marcus Licinius Crassus Frugi الذي استطاع سحقها والقضاء على ثوارها سنة 44م.

وثانيها ثورة المزالمة Musulames في نوميديا، وهي الثورة التي أشار إليها المؤرخان أورليوس فكتور Aurelius Victor وديون كاسيوس Dion Cassius والتي قضى عليها سنة 45 م القائد سرفيوس سولبيكيوس گالبا Servius Sulpicius Galba.

وثالثها ثورة سالابوس Salabos في غرب موريطانيا الشرقية على رأس قبيلتي الباكواط والمكنيتيين، والتي تصدى لها ولإحباط هجوم ثوارها على مدينة كارطناي Cartennae (تنس Ténés الحالية) سنة 40م حاكم هذه المدينة كايوس أو بتاتوس فولكينيوس Caius Optatus Fulcinius. وهي الثورة التي أشار إلى بعض أحداثها ضمنيا وباقتضاب شديد ودون ذكر اسم زعيمها المؤرخ بلينيوس الشيخ والجغرافي الشاعر صولينوس أثناء حديثهما عن حملة القائد كايوس سويطونيوس بولينوس Caius Suetonius Paulinus في اتجاه الأطلس وما وراءه إلى نهر گير Ger وتافيلالت. كما انفرد بذكر بعض التفاصيل عنها وعن زعيمها سالابوس المؤرخ ديون كاسيوس في فقرة واحدة مفادها أن هذا القائد قد وصل بغاراته في بلاد الموريين إلى الأطلس، وأن خلفه القائد كنيوس هوسيديوس گيتا Cneus Hosidius Geta قد زحف ضد هؤلاء الموريين، وهزم زعيمهم سالابوس مرتين متواليين قبل أن يعقد معهم معاهدة سلام سنة 44م.

هذا وإذا ما افترضنا أن الحملات العسكرية المتوالية التي جهزها الرومان للقضاء على ثورة سالابوس بالذات في النجود العليا للمغرب الشرقي إلى الأطلس وما وراءه في اتجاه تافيلالت، قد كلفتهم خسائر بشرية فادحة ومؤونة حربية باهظة الثمن حسب ما توحي به كل القرائن التاريخية ؛ وجدنا في سياق الأحداث والوقائع التي عرفها الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية إلى نهايته سندا لهذه الفرضية : إذ ظل المغرب الشرقي دوما منطقة خارج النفوذ الروماني.

ذلك أن ثورة سالابوس على رأس الحلف القبلي الموري - الباكواطي المكنيتي بالذات - أفهمت الرومان أن كل تدخل عسكري لهم في شرق المغرب سيكلفهم ما لا نفع من ورائه، كما نبهتهم إلى قوة صمود أهل المنطقة وإلى استحالة بسط نفوذ روما هناك. مما دفع الإمبراطور كلوديوس (41 - 54 م) إلى تقسيم مملكة بطليموس سابقا إلى ولايتين سنة 46 م يفصل بينهما رسميا نهر ملوية : موريطانيا القيصرية شرقا وموريطانيا الطنجية غربا.

وإذا كانت هذه التنظيمات التي أحدثها الإمبراطور كلوديوس تعتبر نهر ملوية حدا رسميا بين الولايتين، فإن كل القرائن التاريخية والأركيولوجية تجعل الحدود الفعلية الغربية لولاية موريطانيا القيصرية تقف عند ثكنة نوميروس سيروروم Numerus Syrorum (مغنية حاليا)، وتجعل الحدود الفعلية الشرقية لولاية موريطانيا الطنجية تقف عند مدينة وليلي، وذلك على امتداد القرون الثلاثة الأولى للميلاد. ومما يؤكد ذلك، أن الأبحاث الأركيولوجية التي عرفتها المجالات الحدودية الفعلية بين الموريطانيتين قد أثبتت

خلو المنطقة من أية آثار رومانية كما كذبت كل الاقتراحات والفرضيات التي صيغت حول رومنة بعض المراكز المنبثة هناك على طول المسافة الفاصلة بين مغنية شرقا ومدينة وليلي غربا، وهذه المراكز هي : وجدة، ومسون، وواد بوحلو، وعناصر آيت خليفة، وقصبة النصراني.

لقد ألف الباحثون الذين اعتنوا بتاريخ هذه الولاية منذ تأسيسها وإلى غاية نهاية القرن الثالث للميلاد اعتبار النقائش الأربعة عشرة التي عثر عليها في وليلي، والمؤرخة ما بين سنة 140 م وسنة 280 م، تؤرخ للدور المتميز الذي قامت به قبيلة الباكواط منذ هجرتها الاختيارية في مطلع القرن الثاني للميلاد من مواطنها الأصلية بشرق المغرب نحو سايس شمال الأطلس المتوسط على أبواب وليلي ؛ ذلك الدور الذي قامت به من أجل تهدئة الأجواء العامة سياسيا وعسكريا في ولاية موريطانيا الطنجية. كما اعتبر هؤلاء الباحثون أن جل هذه النقائش تؤرخ لأمراء وملوك باكواط الذين كانوا حريصين على إقامة علاقات هادئة مع الولاة والحكام الرومان بموريطانيا الطنجية حفاظا على المصالح المشتركة والمتبادلة، وتؤرخ كذلك لاتفاقيات سلم وسلام متجددة بين الطرفين ظلت سارية المفعول إلى نهاية القرن الثالث للميلاد. ويستدلون على ذلك بكون المصادر الرومانية لم تسجل أي صراع مسلح بين روما وموريطانيا الطنجية والباكواط على طول امتداد هذه الفترة، متجاهلين عمدا أن هذه المصادر لم تكن تؤرخ أصلا لتاريخ المنطقة، وأن سكوتها لا يمكن أن يعتد به كدليل تاريخي على عدم نشوب صراعات مسلحة بين الطرفين، بل أكثر من ذلك كان هؤلاء الباحثون يرون في قبيلة الباكواط أداة طيعة في يد الرومان سخروها صمام أمان يجسون به نبض تحرشات غيرها من قبائل المنطقة.

والأقرب إلى الصواب هو أن نعتبر تعدد اتفاقيات السلم والسلام هذه الموقعة بين حكام موريطانيا الطنجية الرومان والزعماء الباكواط حجة تاريخية تثبت من جهة قوة صمود قبيلة الباكواط وشدة مقاومتها واستمرارية ثورتها ورفضها للاحتلال الروماني للمنطقة. كما تثبت من جهة ثانية أن فترات الهدنة والهدوء بين الطرفين وإن طال بعضها لبضع سنين لم تكن إلا مناسبات سانحة ومؤقتة كان الطرفان يستغلانها لترتيب صفوفهم استعدادا لمواجهات جديدة، وأن الحرب كانت سجالا بين الطرفين في شكل معارك يتبادلان خلالها النصر والهزيمة حسب الظروف الطارئة عند كل مواجهة. تلك المواجهات التي استعان خلال بعضها - دون ريب - زعماء الباكواط ببعض القبائل المجاورة لهم في موريطانيا الغربية والتي أورد الجغرافي كلوديوس بطليموس لائحة عنها في كتابه الرابع وهي :

- الميتاغونيتيون Metagonites - والسوكوسيون Socossii
- والوروريون Verves - والمازيكيون Mazices
- والوربكايون Virbicae - والسالينسيون Salinsae
- والكانيون Canni - والوولوبليانيون Volubiliani
- والإيانگوكانيون Iangaucani - والنكتيبريون Néctibères
- والزگرنسيون Zegrensii - والبانيوبايون Baniubae
- والواكواتيون Vacuatae - والمورنسيون Maurensii
- والهربدتانيون Herpeditani ؛ وخاصة منها قبيلة المكنيتيين Macenites وقبيلة البوار Bavares حسب ما تؤكده بعض النقائش المشار إليها أعلاه.

هذا وقد أسفرت نتائج الدراسة الأولية لهذه النقائش الأربعة عشرة عن لائحة شجرة للأمراء والملوك الباكواط تتكون من ثمانية أسماء :

- أيليوس توكودا Aelius Taccuda سنة 140 م.
- أورليوس كانارثا Aurelius Canartha 180 - 200 م.
- أوريت Uret سنة 200 م.
- إيلاسن Ililasene سنة 200 م.
- سبمزين Sepemazine سنة 245 م.
- يوليوس متيف Julius Matif سنة 277 م.
- يوليوس نوفوسي Julius Nufusi 280 م.
- يوليوس ميرزي Julius Mirzi سنة 280 م.

كما أسفرت نفس النتائج عن اسم أمير لحلف "مكنيتي باكواطي" هو الأمير أوكمتيو Ucmetio 173 - 175 م، وعن إشارة إلى أمير لحلف "بواري باكواطي" ضاع اسمه من النقيشة المعنية.

وقد استطاع الباكواطيون وحلفاؤهم أن يلحقوا بالرومان عدة هزائم أقلقت راحتهم. مما دفع روما إلى جمع الموريطانيتين الطنجية والقيصرية لأسباب أمنية وعسكرية إحدى عشرة مرة في يد وال واحد ما بين عهد الإمبراطور كلوديوس (41 - 54 م) ونهاية عهد الإمبراطور بروبوس (276 - 282 م)، وذلك على غرار فعل الإمبراطور ماركوس أوريليوس (161 - 180) لما جمع ولاية موريطانيا الطنجية وولاية لوزيطانيا الإيبيرية في يد وال واحد بضع سنين على إثر هجمات باكواطية / مورية على إسبانيا حوالي سنوات 173 - 175 م.

انتهت هذه الحروب الباكواطية الرومانية في الجناح الغربي من الإمبراطورية الرومانية بانتصار ساحق للباكواط اضطرت على إثره الجيوش الرمانية سنة 293 م إلى الانسحاب من العديد من المراكز والمدن الداخلية بموريطانيا الطنجية، وإلى إعلان روما عن تقليص مساحة هذه الولاية رسميا وفعليا لتقف حدودها الجنوبية عند وادي نهر اللكوس. وذلك ضمن تنظيمات إدارية وعسكرية شاملة سنها الإمبراطور دقليانوس Dioclétien (284 - 306 م) من أهمها كذلك تقليص مساحة موريطانيا القيصرية لتقف حدودها الغربية عند مصب وادي شليف.

بل أكثر من ذلك عمدت روما إلى ولاية موريطانيا الطنجية في حلتها الجديدة، والتي نعتها بعض الباحثين باسم

موريطانيا الطنجية البحرية، وألحقتها إداريا وعسكريا بدوقية إسبانيا حسب ما ورد في الفهرس الفروني Laterculus Veronensis سنة 297 م، بهدف جعلها ولاية واقية لهذه الدوقية من خطر احتمال قيام الباكواط وحلفائهم المورين باجتياحها أو مهاجمتها من جديد على الأقل من جهة، وبهدف ضمان التحكم الروماني الشامل في البوغاز بعدوتيه من جهة ثانية. هذا وقد حافظت روما على هذه الولاية الطنجية البحرية في وضعيتها الجديدة رسميا كولاية من ولايات دوقية إسبانيا إلى غاية مطلع القرن الخامس للميلاد حسب ما يؤكده فهرس بوليميوس سلويوس Polemius Silvius وذلك في ظروف صعبة كان للمورين قاطبة خلالها دور لا يستهان به في مقاومة الرومان والتصدي بعنف لنفوذهم.

محمد اللبار، دور المغرب الشرقي في عرقلة الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية، *مجلة جمعية تاريخ، وجدة، ع 1، يونيو، 1993، ص. 11 . 24* ؛ حول مقاومة شرق المغرب للأهداف التوسعية الرومانية خلال منتصف القرن الأول للميلاد، *ضمن وقفات في تاريخ المغرب، دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط*، 2001، ص. 275 . 303 ؛ *إفريقيا الوندالية بين الحملات البيزنطية والثورات المورية*، 429 . 534 م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس . فاس، 2002 ؛ عبد الرزاق العسري، جوانب من علاقة روما ببعض القبائل الخارجة عن مجال النفوذ (نموذج الباكوات)، *أعمال ندوة المجالات الحدودية في تاريخ المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية*، 1999، ص. 21 . 35.

Albertini, *Les divisions administratives de l'Espagne romaine*, Paris, 1923 ; Aurelius Victor, *De Caesaribus Historia*, IV ; Benabou Marcel, *La résistance africaine à la romanisation*, Paris, 1976 ; R. Cagnat, *L'armée romaine d'Afrique*, Paris, 1912 ; Jérôme Carcopino, *Le Maroc Antique*, Gallimard, 10ème éd., 1948 ; M. Christol, Rome et les tribus indigènes en Mauritanie Tingitane, *L'Africa Romana, 5, Sassari, 1987, p. 304-311* ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'Antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; F. De la Chapelle, L'expédition de Suetonius Paulinus dans le sud-est du Maroc, *Hespéris, T. XIX, 1934, p. 107-124* ; Dion Cassius, *Histoires romaines*, éd. Didot, 10 tomes, Paris, 1848-1889; E. Frézouls, Les Baquates et la province romaine de Tingitane, *BAM, II, 1957 (1959), p. 65-116* ; André Lecocq, La Mauritanie Tingitane et le partage de l'empire romain en 293, *BSGO, 1909, 3ème trim., p. 481-494* ; Jean Marion, La liaison terrestre entre la Tingitane et la Césarienne, *BAM, IV, 1960, p. 442-447* ; Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, éd. Desanges, les Belles Lettres, Paris, 1980 ; Polemius Silvius, *Laterculus*, MGHAA, T. IX, Berlin, 1890 ; Ptolémée, *Géographie*, T. IV, éd. Muller, Paris, 1901 ; Rachet, Marguerite, Rome et les berbères, un problème militaire d'Auguste à Dioclétien, *Latomus 110, Bruxelles, 1970* ; C. Julius Solinus, *Collectanea rerum memorabilium iterum recensuit*, éd. Mommsen, Berlin, 1855 ; Mohamed Sounni, *La Tingitane romaine : identités et transformations*, thèse dactylographiée de doctorat en Histoire ancienne, FLSH, Besançon, 1987 ; T. Thouvenot, Rome et les berbères d'Afrique, *PSAM 7, 1945, p. 171-177.*

## موريطانيا الطنجية في ظل الحكم الوندالي،

كانت ولاية بتيكا الغنية بخيراتها من نصيب الوندال السيلينجيين عند اقتسام الأصقاع الإيبيرية سنة 411 بين البارابار المجتاحين لها آنذاك، وكان نصيب هؤلاء السيلينجيين هناك سببا مباشرا في هلاكهم وأفول نجمهم بعد أسر ملكهم، وكأن ولاية بتيكا نعمة في طيها نقمة ؛ فإن بعض الإشارات الضمنية الواردة عند جوردانيس وسيدوان أبولينير تفيدنا أن هؤلاء الوندال السيلينجيين كانوا قد عقدوا العزم على عبور البوغاز إلى موريطانيا فرارا من مجابهة القوط بقيادة الملك واليا أو اتقاء للاصطدام معهم.

كما كان نصيب الوندال الهاسدينج في جليقيا الفقيرة المنعزلة نقمة في طيها نعمة، مادامت عزلة هذه الولاية قد وفرت عليهم الاصطدام مع القوط وهيأت لهم الظروف المناسبة لتقوية مكانتهم في إسبانيا خاصة بعد انضمام بقايا شعوب السيلينجيين والآلان إلى صفوفهم منذ سنة 418 ؛ فليس من المستبعد أن تكون بقية هؤلاء السيلينجيين الذين التحقوا بمملكة الهاسدينج قد أطلعوا الملك گندريك Gendéric على فكرتهم حول الجواز إلى إفريقيا وعلى مشروعهم الذي كاد أن ينجح لولا مباغتة الملك القوطي ڤاليا Wallia لهم وهم في جبل گالبي Mont Calpé (جبل طارق) على مشارف البوغاز يتأهبون للعبور. والراجح أن الملك گندريك قد تبنى هذا المشروع ضمن إطار بحثه وشعبه عن أرض موعودة يطمئنون فيها ويتخذونها وطنا لهم وأرضا تحقق طموحهم في حياة أفضل وعيش أرغد.

وهكذا كان نزوح هذا الملك، ومن كان تحت رايته من الوندال بفرعيهم والآلان، من ولاية جليقيا الفقيرة نحو ولاية بتيكا الغنية سنة 419 أولى الخطوات الناجحة على درب تحقيق المشروع. وبإقامة الوندال في ربوع بتيكا وهم قاب قوسين أو أدنى من إفريقيا حقق الملك گندريك خطوة ثانية مهمة تجلت في إرساله للسفن الوندالية لارتياد سواحل موريطانيا واستكشاف طبيعة شواطئها ومعرفة خصائصها الملاحية بحثا عن موضع قدم هناك يكون لهم رأس قنطرة للعبور.

وبديهي أن لا يتشبث الملك گندريك وشعبه بفكرة الإقامة الدائمة في جنوب إسبانيا رغم ما تمتعوا به في تلك الربوع من الخيرات، وقد شاهدوا هناك قبل بضع سنين فقط مصير ملوكيتي السيلينجيين والآلان على حد سواء. خاصة وأن الرومان لم ييأسوا من استرجاع إسبانيا رغم ما كانوا يعانونه من مشاكل داخلية، ووطدوا من أجل تحقيق ذلك صداقتهم وحلفهم مع القوط والسواف.

هذا وليس من المستبعد أن الرواد الأوائل الذين كانوا يرتادون سواحل موريطانيا كانوا يعودون إلى قواعد انطلاقهم في إسبانيا وهم يحملون معهم أخبار ما أحدثته الفوضى التي كانت تعم الولايات الرومانية في إفريقيا بصفة عامة ؛ كما قد تنبهوا إلى غياب البحرية الحربية الرومانية من المنطقة ما دام الأسطول العسكري الروماني المرابط في إفريقيا قد اندثر منذ منتصف القرن الثالث للميلاد. بل أكثر من ذلك لا غرابة إذا رجحنا أن هذه المحاولات الارتيادية كانت تهدف كذلك إلى محاولة الاتصال المباشر بالمعارضين

للحكم الروماني وزعمائهم في إفريقيا عامة وموريطانيا خاصة بهدف التعاون معهم وتهييئهم نفسيا لاستقبال الوندال استقبال الفاتحين المحررين للبلاد والعباد من نير الاستعمار الروماني.

وقد توجت هذه المرحلة باستيلاء الوندال على مركزين محصنين في العدوة الموريطانية وهما طنجة وسبتة : مما مهد لهم السبيل للتحكم في البوغاز بعدوتيه، وساعد الملك گندريك على اتخاذ قرار العبور إلى إفريقيا.

وقد عملت ظروف اجتياح الوندال والآلان والسواف لدوقية إسبانيا سنة 409، وما ترتب عن ذلك بفعل اقتسام ولاياتها الإيبيرية بين هذه الشعوب سنة 411، على تغيير الخريطة السياسية والإدارية لهذه الدوقية رأسا على عقب، كما عملت على تغيير الوضعية السياسية والإدارية لولاية موريطانيا الطنجية بالخصوص. وذلك بإلحاق هذه الولاية من جديد بشقيقاتها ولايات دوقية إفريقيا إداريا وعسكريا بهدف أن يجعل منها الرومان ولاية واقية لدوقية إفريقيا من خطر هذه الشعوب الباربارية الجرمانية التي أصبحت تقيم آنذاك في إسبانيا. علما أن روما كانت قد عمدت، تحت تأثير الضغط الباكواطي خلال القرن الثالث للميلاد، إلى تقليص مساحة هذه الولاية الطنجية رسميا وفعليا منذ سنة 293 لتقف بحدودها الجنوبية عند وادي نهر اللكوس، وألحقتها إداريا وعسكريا بدوقية إسبانيا، وذلك بهدف جعلها ولاية واقية لهذه الدوقية من خطر احتمال قيام الباكواط وحلفائهم المورين باجتياحها أو مهاجمتها على الأقل على غرار ما فعلوا أيام الإمبراطور ماركوس أورليوس في سنوات 173 ـ 175.

والجدير بالملاحظة في هذا المقام أن التنظيمات الرومانية المواكبة لأحداث مطلع القرن الخامس للميلاد في إسبانيا وإن كانت قد حددت رسميا دوقية إفريقيا بامتدادها على سبع ولايات : (الطرابلسية، وبيزاكيا، وزوجيتانا، ونوميديا، وموريطانيا الصطيفية، وموريطانيا القيصرية، وموريطانيا الطنجية)، فإن هذه الدوقية كانت قد فقدت فعليا وتدريجيا ما بين سنة 411 وسنة 429 تحت وطأة الثورة المورية العارمة كل ولاياتها الغربية، الموريطانيات الثلاث، بما في ذلك موريطانيا الطنجية التي كانت دون شك من نصيب الباكواط وحلفائهم، وموريطانيا القيصرية التي كانت من نصيب البوار وحلفائهم هناك. دوقية إفريقيا التي كانت روما قد جعلت على رأسها منذ سنة 423 أحد أحسن ضباطها العسكريين الكونت بونيفاكيوس Bonifacius بهدف قمع الثورة المورية. إلا أن دسائس أعداء بونيفاكيوس في البلاط الروماني، وما ترتب عنها من تجريد روما لجيوش إمبراطورية لمحاربته، وانهزامه أمام هذه الجيوش، عوامل اضطرته إلى الاستنجاد بالوندال في إسبانيا سنة 428 على أن يتنازل لهم عن الموريطانيات الثلاث وعن البوغاز وأن يزودهم ببعض السفن تشجيعا لهم على العبور.

وبعد أن اتخذ الملك گندريك قراره التاريخي بعبور البوغاز حاملا كل شعبه إلى إفريقيا، وأثناء الاستعدادات لتحقيق ذلك، قام السواف Les Suèves بتنسيق مع حلفائهم الرومان وبإيعاز منهم بعدة هجمات على المعسكرات الوندالية بهدف عرقلة تنفيذ المشروع الوندالي، وذلك خلال سنة 428 ومطلع سنة 429. هذه الهجمات التي كللت إحداها بأسر الملك گندريك وصلبه حسب ما أوردته رواية انفرد بها بروكوبيوس.

تولى الحكم بعد الملك الهالك أخوه گنسريك Genséric والوندال يتأهبون لجواز البوغاز، فسار على نهج سلفه وأحسن التنظيم والتدبير، وعبر بالوندال ومن والاهم بقضهم وقضيضهم إلى إفريقيا خلال شهر مايو سنة 429 ونزل بالقصر الصغير. فكان لنزوله هناك الوقع الطيب على نفوس الثوار المورين في دوقية إفريقيا قاطبة، هؤلاء الذين بادروا ـ نكاية في الرومان ـ إلى محالفة الملك گنسريك والانضمام إلى حشوده يعززون صفوفه ويسهلون مأموريته.

والراجح أن تكون قبيلة الباكواط من ضمن هذه القبائل المورية التي بادرت إلى حسن استقبال الوندال والتحالف معهم مسهلة مأموريتهم في النزول بالسواحل الجنوبية بالبوغاز، وفي تنظيم أنفسهم هناك استعدادا لمواجهة الرومان، وفي تنقلهم نحو موريطانيا القيصرية عبر طرق ومسالك موريطانيا الطنجية في أمن وأمان. وذلك حسب ما يستشف من رسالة بعث بها القديس أوغسطينوس إلى الكونت بونيفاكيوس يحمله من خلالها مسؤولية ما آلت إليه الأوضاع في الدوقية من الفتنة والاضطراب ويعاتبه على عجزه عن رد تحرشات القبائل المورية وهجماتها على الليمس الروماني بصفة عامة، ويتأسف على عدم مقاومة هذه القبائل للوندال بصفة خاصة.

ومما يزكي هذا الاستنتاج كون المصادر التاريخية لم تسجل أي صراع مسلح بين الوندال وبين الباكواط وحلفائهم بموريطانيا الطنجية إبان دخول الوندال إلى إفريقيا. بل أكثر من ذلك لا نجد في هذه المصادر ولو إشارة ضمنية واحدة تفيد أن الباكواط أو غيرهم من المورين هناك قد حملوا السلاح ضد الوندال طيلة عهد الملك گنسريك ما بين سنة 429 وسنة 477.

والراجح كذلك أن هؤلاء الباكواط قد حافظوا على تحالفهم مع هذا الملك وأنهم، كغيرهم من المورين الذين تعاملوا معه، ساهموا في العديد من المواجهات والعمليات الحربية التي نظمها الوندال ضد المصالح الرومانية والبيزنطية في سواحل صقلية وإيطاليا وإيليريا وكل بلاد الإغريق وجزر بحر إيجه حسب ما أورده بروكوبيوس. كما أنهم وقفوا مع الملك گنسريك وساندوه وساعدوه لإحباط الحملات البيزنطية والرومانية التي استهدفت المملكة الوندالية، وخاصة منها ـ حسب موقعهم ـ حملة الإمبراطور مايوريانوس التي كادت أن تنطلق من الولاية القرطاجنية بإسبانيا سنة 460، مقتنعين بأن

مهمة الدفاع عن إفريقيا آنذاك كانت من مسؤوليات الوندال والموريين على حد سواء.

وبعد وفاة گندريك الذي أقام تحالفه مع الباكواط وغيرهم من الموريين على أساس الطواعية واحترام المصالح المتبادلة بين الطرفين، وجد الباكواط أنفسهم أمام ملوك وندال ضعاف مستهترين ماجنين، ضيعوا هيبة الملك وغرقوا في الفرجات والمجون والملاهي والفساد، يحاولون فرض نفوذهم وسلطتهم على القبائل المورية وزعمائها بالإكراه والقهر. مما دفع الباكواط في موريطانيا الطنجية، والعديد من القبائل المورية في بقية إفريقيا الشمالية، إلى حمل السلاح في وجه هؤلاء الملوك طلبا للتحرر من تبعيتهم وحلفهم ورغبة في الاستقلال عنهم. وقد أشار ضمنيا برركوبيوس إلى استقلال موريطانيا الطنجية بالذات على يد الباكواط وحلفائهم أثناء حديثه عن الحروب المورية الوندالية التي انطلقت من غرب إفريقيا الشمالية منذ عهد الملك الوندالي هونريك سنة 484، والتي استطاع الموريون من خلال معاركها "أن يحققوا عدة انتصارات على الوندال، وأن يستولوا على كل البلاد المسماة موريطانيا الممتدة ما بين مضيق قادس (غربا) إلى ضواحي (مدينة) قيصرية (شرقا)". ولم يبق بيد هؤلاء الوندال إلا حصن سبتة الذي استرده منهم البيزنطيون سنة 534.

هذا، واقتنع العديد من الباحثين، وعلى رأسهم شميت وكاركوبينو وكامبس، أن مملكة الباكواط بموريطانيا الطنجية، وإثر ثورتها العنيفة هذه ضد الوندال، واعتمادا على مساندة حلفائها من قبائل المنطقة قد استطاعت أن تتحرر من التبعية للملوك الوندال وأن تضمن استقلالها التام عنهم متخذة مدينة وليلي عاصمة لها. كما استطاعت بصمودها ومقاومتها أن تفلت من الاحتلال البيزنطي وأن تحافظ على استقلالها وحريتها منذ ذلك التاريخ إلى أن سطع عليها نور الإسلام في منتصف القرن السابع للميلاد.


محمد اللبار، *دخول الوندال إلى إفريقيا الشمالية 429 - 442م*، مرقونة، كلية الآداب ظهر المهراز، فاس؛ *إفريقيا الوندالية بين الحملات البيزنطية والثورات المورية 429 - 534 م*، منشورات كلية الآداب سايس - فاس، 2002.

*St. Augustin*, éd. J.P. Migne, P. L., t. XXXIII, Paris, 1852 ; Gabriel Camps, Les bavares, peuples de la Maurétanie Césarienne, *R. Afr., t. XCIX, 1955*, 3ème et 4ème trim., p. 241-288 ; Idem., Rex Gentium Maurorum et Romanorum, *Ant. Afr., t. 20, 1984, p. 183-218* ; Carcopino, L'empereur maure inconnu, *Rev. Afr., T. C., 1956, p. 339 - 348* ; Christian Courtois, *Victor de Vita et son œuvre, étude critique*, Paris, 1954 ; Idem., *Les Vandales et l'Afrique*, Paris, 1955 ; Hydace, Chronica, *M.G.H.A.A., t. XI, Berlin, 1894, p. 2 - 36* ; Isidore de Seville, Historia Gothorum Wandalorum Sueborum, *M.G.H.A.A., t. XI, Berlin, 1894, p. 267 - 303* ; Jordanés, Getica et Romana, *M.G.H.A.A., t. V, 1, Berlin, 1882* ; Julius Honorius, *Cosmographia*, G. L. M., éd. Riese, 1878 ; Marcus Louis, *Histoire des Wandales depuis leur première apparition sur la scène historique jusqu'à la destruction de leur empire*, Paris, 1836 ; Félix Matroye genseric, *La conquête vandale en Afrique et la destruction de l'empire d'occident*, Paris, 1907 ; A Morazzani, Essai sur la puissance maritime des Vandales, *B.A.G.B., t. XX, 1966, p. 539 - 561* ; Procopius, *Bellum Vandalorum*, éd. Dewing, London / New York, 1916 ; Sidoine Apollinaire, *Carmen*, M.G.H.A.A., t. VIII, Berlin 1888 ; L. Schmidt, *Histoire des Vandales*, Tr. Fr. de H. E. del Médico, Paris Payot, 1953 ; R. Thouvenot, Les incursions des maures en bétique sous le règne de Marc Aurèle, *R.E.A., t. XLI, 1939, p. 20 - 28* ; Jean Yanoski, *Histoire de la domination des Vandales en Afrique*, Paris, 1844.


محمد اللبار

**موريطانيا والمغرب**، تشكل العلاقات المغربية الموريتانية المعاصرة حلقة أساسية في فهم مختلف الإشكاليات السياسية والاجتماعية بشمال الغرب الإفريقي وخاصة بالمجال الصحراوي الأطلسي. كما أن فهم هذه العلاقات يوجب علينا وضع بعض العلامات التاريخية كأساس لتقديم الموضوع. أولا لقب موريطانيا ينتمي إلى المنظومة التاريخية القديمة لما قبل الإسلام، إذ ترتبط بمرحلة الوجود الروماني بالشمال الإفريقي، وكانت تشمل مجالا جغرافيا أوسع يضم المغرب والجزائر الحاليين. وقد أطلق لقب موريطانيا على المجال الحالي أو ما يسمى بتراب البيضان في المنظومة التاريخية الرسمية الموريطانية أو بلاد شنقيط، كما هو معروف عند المغاربة والمشارقة، من لدن أحد أعمدة الإدارة الفرنسية بالمنطقة وهو كزافيي كبولاني Xavier Coppolani (توفي مقتولا في تجيكجة في ماي 1905). ومنذ ذلك الحين دخلت المنطقة في إطار منظومة سياسية جديدة مرتبطة بالمشروع الفرنسي الاستعماري لتشكيل إفريقيا الغربية الفرنسية لما وراء البحار، فأضحت موريطانيا مرتبطة بالمجال السينغالي والمالي، وشكل الاستعمار الإسباني للساقية الحمراء ووادي الذهب قطيعة مرفلوجية بين موريطانيا والمغرب.

في سنة 1960 أعلن عن استقلال الجمهورية الإسلامية الموريطانية. كان هذا الاستقلال أحد أسباب النزاع مع المغرب حيث طالبت القوى الوطنية وعلى رأسها محمد الخامس وحزب الاستقلال بضم بلاد شنقيط إلى التراب المغربي. وقد استطاع المغرب أن يضم إليه بعض القوى السياسية والقبلية المحلية وعلى رأسها حرمه ولد بابنا، وأمير قبائل الترارزة فال ولد عمير، والداي ولد سيدي بابا، ومحمد ولد باه وغيرهم. وقد عملت فرنسا على تأكيد سلطة الرئيس الجديد المختار ولد داداه. لم تستطع موريطانيا المستقلة ولوج الحضرة العربية ولا الحضرة الدولية في بداية الأمر بسبب الموقف المغربي الذي تأكد بعد مؤتمر مجموعة الدار البيضاء لسنة 1961، والذي ضم القوى التقدمية الكبرى للقارة الإفريقية وعلى رأسها كوامي نكروماه وجمال عبد الناصر. وبذلك استطاع الملك محمد الخامس وحزب الاستقلال ربح أحد الأشواط في إطار الصراع الدبلوماسي بين المغرب والقوى التقدمية الإفريقية من جهة وفرنسا وموريطانيا ومجموعة منروفيا Monrovia من جهة أخرى إلى حدود نهاية السنوات الستين. لكن الصراع بين الشرق والغرب، وتدخل كل من الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي السابق حال دون استمرار تفوق الموقف المغربي، إذ قُبلت

الجمهورية الناشئة في حضرة الأمم المتحدة، بعد اتفاق القطبين، في إطار تبادل المصالح، بإدخال كل من موريطانيا ومنغوليا إلى المنتظم الدولي. واستمرت العلاقات متوترة إلى حين انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي بالمغرب سنة 1969، وحينه قام الملك الحسن الثاني بدعوة الرئيس المختار ولد داداه إلى حضور المؤتمر بصفة رسمية. وكان ذلك نتيجة للعديد من الوساطات واللقائات الثنائية والتي أبانت على أن موقف الحسن الثاني من المسألة الموريطانية كان مخالفا للزعيم علال الفاسي وللملك الراحل محمد الخامس. وكان ذلك بمثابة اعتراف رسمي بالجمهورية الإسلامية الموريطانية، وتم تبادل البعثات الدبوماسية. ففي 27 فبراير 1970، عين السيد قاسم الزهيري أول سفير مغربي في نواكشوط قادما إليها من دكار. وحل السيد أحمد ولد جدو في 20 يوليوز سفيراً لموريطانيا بالرباط. عرفت بعدها العلاقات الثنائية الكثير من الأخذ والرد خاصة بعد طرح مشكلة الصحراء، حيث طالب المختار ولد داداه بالمجال الصحراوي كاملا كتتمة طبيعية لموريطانيا، وعليه لم يستطع الحسن الثاني مقايضة الاعتراف بموريتانيا مقابل تخليها عن مطالبها. وبعد مفاوضات سرية بين الطرفين بحضور الجزائر على عهد الهواري بومدين تم اتفاق يونيو 1972 على اقتسام الصحراء. وهو ما تم فعليا بعد 1975، وبسبب انقلاب الموقف الجزائري وضعف الدولة الموريطانية انسحبت هذه الأخيرة من الصحراء لصالح المغرب، وذلك بعد الانقلاب الذي وضع حدا لرئاسة المختار ولد داداه على يد العقيد محمد ولد السالك في 10 يوليوز 1978. وبعد سيطرة الرئيس الجديد ولد هيدالله على الأمور في 4 يناير 1980، حيث انقلب على ولد لولي الذي أطاح بولد السالك توترت العلاقات الثنائية بين المغرب وموريطانيا بشكل كبير في عهده. كان الرئيس هيدالله مقربا من الجزائر ومساندا للأطروحة الانفصالية. وتم الاعتراف بالجمهورية الصحراوية في فبراير 1984 على يد الحكومة التي كان يترأسها العقيد معاوية ولد سيدي أحمد الطايع. وفي 12 ديسمبر 1984 انقلب معاوية ولد سيدي أحمد الطايع على ولد هيدالله، وبدأت العلاقات المغربية الموريطانية تعرف بعض الدفء، وذلك بعد أن بدأت الحكومة الموريطانية تتخذ جانب الحياد حول مسألة الصحراء. وكان للتعاون الاقتصادي والثقافي بين الدولتين دور مهم في تأسيس علاقات تعاون شبيهة بما تم على عهد الرئيس الأول المختار ولد داداه بعد 1969، وفي هذا الإطار تكونت الوكالة المغربية الموريطانية للتعاون تحت إمرة وزارة الخارجية المغربية. وكان لها دور كبير في المد الثقافي والاقتصادي المغربي في موريطانيا، إلى أن أدمجت في إطار وكالة التعاون الدولي القائمة الآن. وبعد انقلاب اعلي ولد فال على معاوية ولد سيدي أحمد الطايع في 3 غشت 2005 لم تتغير العلاقات المغربية الموريطانية، واستمر دفء العلاقات على ما كان عليه. كما استمرت موريطانيا تلعب على حبل التوازنات المغاربية بحسب تأرجح العلاقات المغربية الجزائرية.

علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، الرباط، مطبعة الرسالة، 1980.

Paul Balta, *Le Maghreb : des indépendances à l'an 2000*, Paris, La Découverte, 1990 ; Désiré-Vuillemin Geneviève, *Histoire de la Mauritanie : des origines à l'indépendance*, Paris, Karthala, 1997 ; Ould Daddah Moktar, *La Mauritanie contre vents et marrées*, Paris, Karthala, 2003 ; Ould Hamody Mohamed Saïd, *Bibliographie générale de la Mauritanie*, Paris, Sépia, 1995 ; Vergniot Olivier, "Le conflit du Sahara occidental dans les relations inter-arabes", in *Le Maghreb dans le monde arabe*, Paris, CNRS, 1987, p. 125-136.

خالد شكراوي

**الموز** بالعربية أو البنان بالعامية المغربية أو مُزَا Musa علميا : أسماء لجنس نباتي يشمل عدة أنواع وضروب تنتج فاكهة محببة عند أغلبية الناس. ومن أشهر الأنواع مُوزَا بَرَدِيسْيَاكا Musa paradisiaca، ومُوزَا سَابْيِنْتُومْ Musa sapientum . إنه نبات عشبي ذو قامة قد ترتفع ارتفاعا كبيراً جدا، يصل أو يتجاوز 10 م. تتشكل سيقانه من قواعد الأوراق الغمدية اللولبية الضخمة والبيضية الشريطية الشكل. قد يصل طول الورقة 4م وعرضها 60 سم. يزهر السياق مرة واحدة في عمره قبل أن يموت، وبعد أن تنمو فسائل أخرى من الجذور أو الرِّيزُوم. تظهر الأزهار مغلقة جزئيا بغمد حرشفي يسقط قبل نضج الثمار لبية وخالية من البذور. تجدر الإشارة إلى أن الثمار تقطع ثم تشحن وهي مازالت خضراء، ثم تنضج طبيعيا أو بطريقة اصطناعية في طريقها إلى السوق. والموز من الفواكه المغذية ذات الفوائد الصحية الكبيرة.

المصدر الأصلي للموز هو جنوب شرق آسيا بما فيها الجزر الأندونيسية. وقد انتشرت زراعته من موطنه الأصلي إلى جميع المناطق الحارة الأخرى من آسيا ثم إفريقيا وأستراليا فأمريكا. ومما زاد في توسع انتشار زراعته هو استعمال الدافئات.

لكننا لا ندري متى أدخلت زراعته إلى المغرب. فقبل ظهور الدافئات في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، لم يكن المناخ المغربي يلائم زراعة الموز إلا في جنوب الشريط الساحلي المغربي ابتداء من تامري شمالاً إلى حدود إيفني جنوباً، حيث لا يلاحظ انخفاض درجات الحرارة إلى حدود منع زراعته بدون غطاء. وكانت الكمية المنتجة من الموز لا تغطي محليا إلا جزءا جد محدود من الطلب في هذه المناطق من الساحل. ولهذا كان المغرب يستورد تقريبا كل ما يستهلكه من هذه الفاكهة. لكن التسهيلات الضخمة المقدمة للفلاحين من طرف مؤسسة الدولة للقرض الفلاحي مكنت هؤلاء من تنمية وانتشار زراعة الموز المغطاة إلى كل المناطق الساحلية من المغرب ولا سيما ما بين القنيطرة شمالاً والداخلة جنوباً. فأصبح الموز المنتج محليا يعرض في كل

الأسواق المغربية بثمن أقل بكثير من الموز المستورد، بالرغم من أن كلفة استيراد هذا الأخير إلى حدود وصوله إلى ميناء الدار البيضاء جد منخفضة مقارنة مع كلفة الإنتاج المحلي، مع العلم بأن الموز المستورد أحسن جودة من الموز المنتج محليا. ويرجع ذلك إلى السياسة المتبعة من طرف الدولة في تشجيع المنتوج المحلي وإن كان أقل جودة وأكبر كلفة وأفدح تدميرا للموارد الطبيعية بالمغرب.

*استطلاعات ميدانية* ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. عبد المجيد زاهر وآخرين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1962.

عبد المالك بنعبيد

**مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة**، أسست بقرار من صاحب الجلالة محمد السادس في يونيو 2002، وأسند رئاستها الفعلية لصاحبة السمو الملكي الأميرة للاحسناء. وبالإضافة إلى الرئاسة يدير المؤسسة رئيس منتدب ومجلس إدارة مكون من 20 عضوا يمثلون القطاعات الاقتصادية العمومية والخاصة، بالإضافة إلى الوزير المكلف بالبيئة والمدير العام للجماعات المحلية.

تهدف مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة إلى تشجيع حماية البيئة وتحسين إطار الحياة وذلك عبر إقامة شراكة مع مختلف الفاعلين والمهتمين بشؤون البيئة.

طورت المؤسسة منذ إنشائها مجموعة من المشاريع والبرامج أهمها :

- برنامج "شواطئ نظيفة"

نظرا للامتداد الكبير للشواطئ المغربية (3600 كلم) فإنها تشكل قطبا سياحيا ومجالا للترفيه بالنسبة لفئات واسعة من السكان وللمغاربة المقيمين بالخارج والسياح الأجانب. لكن هذا الضغط البشري يؤثر سلبا في البيئة الشاطئية. ولذلك تبنت مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة برنامجا يهدف إلى توفير النظافة من خلال جمع النفايات وتهيئة مداخل الشواطئ، ووضع إشارات ولوحات تحسيسية موجهة إلى المصطافين. وقد تم إنجاز هذا المخطط في إطار شراكة مع الجماعات المحلية والمقاولات المواطنة وجمعيات المجتمع المدني.

- برنامج "جودة الهواء"

يهدف هذا البرنامج إلى تحسين جودة الهواء في الوسط الحضري والتقليص من الإفرازات الصادرة عن غازات عوادم السيارات، وقد اتخذت في هذا الإطار مجموعة من الإجراءات، بشراكة مع السلطات العمومية والمهنيين، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- تفعيل تطبيق المرسوم المتعلق بغازات عوادم المحركات الصادر سنة 1997 ، والتجهيز التدريجي لمراكز الفحص التقني بمعدات القياس.

- تحسين جودة المحروقات والتشجيع على استعمال الأصناف الجديدة من المحروقات بعد إدخال الديبيزيل النظيف من صنف 350 ppm للسوق المغربية.

- تحسين وسائل تدبير أسطول النقل العمومي وعقلنتها، وتكوين كافة المتدخلين والمعنيين العاملين بمراكز الفحص التقني، ومحرري المحاضر التابعين للدرك الملكي والأمن الوطني ومراقبي الطرق.

برنامج "مدن مزهرة"

يهدف هذا المشروع الذي يحمل اسم "التحدي الأخضر" إلى حماية المجالات الخضراء وتطويرها، من خلال صيانة المساحات الخضراء وتحسين الوسط البيئي للمدن المغربية وتدعيم المقومات السياحية للمغرب. وتنبني هذه العملية على إشراك كافة المتدخلين المعنيين، ومتابعة صارمة لتنفيذ المشروعات المختارة واقتراح مبادرات جديدة لا سيما ذات الكثافة العالية.

ومن بين المشروعات المنجزة في هذا المجال : إعادة تهيئة المساحات الخضراء بمستشفى ابن سينا بالرباط وحدائق منتزه الأميرة للاحسناء بمراكش وحديقة مشتل الداخلة بأگادير. وفي هذا الإطار تم ترميم مجموعة من الحدائق التاريخية مثل عرصة مولاي عبد السلام بمراكش بالقرب من جامع الفنا، وحديقة سيدي بوقنادل بالقرب من مدينة سلا. وهناك حاليا برنامج لإعادة الاعتبار لمجموعة من الحدائق التاريخية كجنان السبيل بفاس وحديقة الجامعة العربية بالدار البيضاء وحدائق التجارب بالرباط.

- برنامج "التربية البيئية"

يرمي هذا البرنامج إلى توعية المواطنين باحترام البيئة استنادا إلى ثلاث مقاربات رئيسة :

* "التربية الأساسية" وذلك من خلال إدماج وسائل بيداغوجية حول البيئة في العملية التعليمية تهدف أساسا إلى مساعدة المدرسين على تحسيس التلاميذ بالإشكالية البيئية.

* "صحافيون شباب للبيئة" بشراكة مع وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي، وبدعم من مجموعة من الشركاء الاقتصاديين. ويتم توزيع جوائز في هذا الإطار على المتفوقين يوم 5 يونيو من كل سنة، الذي يوافق اليوم العالمي للبيئة. وقد أخذت هذه المبادرة أبعادا دولية ابتداء من سنة 2002 بعد انخراط مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة في المؤسسة الأوروبية للتربية البيئية.

* حملة إعلامية بمشاركة مختلف وسائل الإعلام ذلك عبر بث وصلات إشهارية وتبني برامج بيئية ابتداء من شتنبر 2003.

*الموقع الإلكتروني لمؤسسة محمد السادس لحماية البيئة* :
http:/www.fm6e.org/ar/approch1.htm

*الموقع الإلكتروني للوزارة المكلفة بإعداد التراب الوطني والماء والبيئة* :
http:www.minenv.gov.ma

علي فالح

**مؤسسة محمد السادس** للنهوض بالأعمال الاجتماعية للتربية والتكوين أحدثت في 30 يوليوز 2000 بمناسبة خطاب العرش في إطار تفعيل العشرية الوطنية لإصلاح نظام التربية والتكوين قال صاحب الجلالة.

"وانطلاقا من العطف الذي نخص به أسرة التعليم واعتباراً لدورها الأساسي في تحقيق الإصلاح المؤمل فقد قررنا إنشاء مؤسسة للأعمال الاجتماعية لأسرة التعليم. وسيتسنى لهذه المؤسسة التي أطلقنا عليها اسم جنابنا الشريف لتحمل اسم "مؤسسة محمد السادس للأعمال الاجتماعية لأسرة التعليم" أن تحتضن ربع مليون من أفراد هذه الأسرة العزيزة على جلالتنا مع عائلاتهم وأن توفر ما يلزمهم من خدمات اجتماعية في مجال السكن والتطبيب والترفيه والتأمين ضد الآفات والتقاعد التكميلي".

في يوليوز 2001 تمت المصادقة بالإجماع من طرف غرفتي البرلمان على القانون رقم 73.00 القاضي بإحداث وتنظيم المؤسسة. وأحدثت المؤسسة بمقتضى ظهير شريف رقم 1.01197 الصادر في 11 من جمادى الأولى 1422 فاتح غشت 2001. وفي 26 أكتوبر 2001 تم تعيين رئيس للمؤسسة وتنصيب اللجنة المديرية في 16 أبريل 2002.

يعتبر منخرطا في المؤسسة تلقائيا موظفو وأعوان الدولة الذين يتقاضون أجورهم والمعنيين للقيام بمهام تعليمية أو إدارية أو تقنية بوزارات التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي وبالمؤسسات التابعة لها، يستفيد هؤلاء جميعا مع أفراد أسرهم من خدمات المؤسسة. أحدثت هذه المؤسسة لسد الخصاص الذي تعاني منه أسرة التعليم في الجانب الاجتماعي وللإسهام في إرساء سياسة جديدة للموارد البشرية في القطاع. وتتمثل المهام الأساسية للمؤسسة في :

- المساعدة على اقتناء السكن.
- تغطية طبية تكميلية خاصة في حالة الحوادث والعمليات الجراحية الخطيرة ونظام تأمين للمساعدة في مجال النقل الصحي داخل وخارج المغرب وكذا نظام للتأمين عن العجز والوفاة.
- اعتماد نظام تقاعد تكميلي ملائم.
- تنمية البنيات التحتية الاجتماعية بتعاون مع الجمعيات المعنية : المقتصديات، المخيمات الصيفية، مراكز الإسعافات الطبية الأولية ورياض الأطفال، مع التركيز على الجهات المحتاجة.
- وضع تصور لنظام اذخار يمكن المنخرطين من تغطية بعض أو مجموع المصاريف اللازمة لمتابعة أبنائهم للدراسات العليا والعمل على تطويره وذلك بتعاون مع الهيئات المعنية.
- تقديم إعانات مادية بصفة استثنائية في شكل قروض اجتماعية لتلبية احتياجات مستعجلة وطارئة للمنخرطين أو عائلاتهم.

وتتمثل الخدمات الاجتماعية الأخرى التي تضطلع بها المؤسسة في : النقل والسياحة ومنحة الاستحقاق للتفوق الدراسي والحج والمخيمات.

وتتمتع المؤسسة بالشخصية المعنوية وبالاستقلال المالي، ولا تهدف إلى تحقيق الربح. وتدير المؤسسة لجنة مديرية تتكون، زيادة على رئيسها، من 15 عضوا 5 أعضاء ممثلين عن الإدارات المعنية بمهام المؤسسة و5 أعضاء ممثلين عن النقابات التعليمية الأكثر تمثيلية للمنخرطين و5 شخصيات تمثل القطاعات المالية والاقتصادية والاجتماعية يتم اختيارها رعيا لما لها من خبرة تستطيع تقديمها لفائدة منخرطي المؤسسة. تتكون اللجان الجهوية بالإضافة إلى الرئيس من 9 أعضاء بنفس التركيبة التمثيلية المتساوية للجنة المديرية.

وتتشكل الموارد المالية للمؤسسة من المصادر التالية :

. الإعانات المالية التي تمنحها الدولة في حدود 2٪ من النفقات المرصودة لموظفي وأعوان الوزارات المعنية المقيدة في قانون المالية.

. مبالغ اشتراكات المنخرطين المتراوحة بين 20 و80 درهما في السنة موزعة تبعا للسلالم الأجرية.

. الإعانات المالية السنوية التي تمنحها المؤسسات الخاضعة لوصاية الدولة.

. كل العائدات التي يسمح بها القانون.

وتخصص نفقات المؤسسة لتغطية :

. تكاليف إنجاز برامج عمل المؤسسة المتعلقة بخدماتها الاجتماعية ونفقات التسيير وكل ما يرتبط بحسن سيرها.

وتخضع المؤسسة للمراقبة المالية للدولة تمارسها لجنة تتألف من خبراء، وعون محاسب يعينون من قبل وزير المالية، وتهتم ب :

. مراقبة البيانات المالية السنوية. وبالتأكد من مطابقة تسييرها للمهام والأهداف المرسومة لها، وتقويم أدائها التقني والمالي، وسلامة أعمال التسيير التي تقوم بها.

يتكون القانون رقم 73.00 القاضي بإحداث وتنظيم مؤسسة محمد السادس من أربعة فصول و23 مادة.

*القانون رقم 73.00 القاضي بإحداث وتنظيم المؤسسة ؛ الخطاب الملكي بتاريخ 30 يوليوز 2000.*

http://www.Pm6-education.ma

أمينة بريدعة

**موسم الورود** بقلعة مگونة، دأبت مدينة قلعة مگونة منذ بداية الستينيات على تنظيم موسم للورود في منتصف شهر ماي قصد التعريف بمنتوج اقتصادي واجتماعي وسياحي ذي أهمية بالغة (الورود). ويدوم هذا الموسم يومين كاملين يكونان مناسبة لاستعراض لوحات فلكلورية محلية وإقليمية موازاة مع استعراض بعض المنتوجات الفلاحية والمنتوجات الصناعية التقليدية المحلية. وقد ساهم الموسم في إعطاء المدينة الصغيرة إشعاعا تجاوز الحدود الإقليمية والوطنية.

لقد عرفت غراسة الورود بقلعة مگونة حديثاً إذ لم يتحدث عنها أحد من الذين زاروا المنطقة قديما أمثال الوزان

(ق 10) أو دوفوكو مع نهاية القرن التاسع عشر. ومن المرجح أنها كانت موجودة لكن إنتاجها كان موجها للاستهلاك الذاتي. وقد بدأ الاعتناء بتصنيع الورود بعد دخول الاستعمار إلى جنوب المغرب، حيث يعود ذكر تاريخه إلى بداية الثلاثينيات من القرن الماضي حين أصدر المقيم العام أمره يوم 15 يناير 1930 بواسطة المدير العام للفلاحة والتجارة للقيام بدراسة حول هذا المحصول. ويشير التقرير الذي توج البحث أن الورود تتكيف مع مناخ المنطقة وأن النتاج كان يصدر نحو مراكش ومنه نحو الولايات المتحدة وأوروبا، مما يدل على أهميته وإمكانيات توسيع مجال غراسته.

نتيجة لذلك، وفي سنة 1938 أقيمت أول وحدة صناعية لتقطير الورود في قلعة مگونة من طرف شركة Florale de l'Atlas فأعطت نتائج مشجعة حفزت على إقامة وحدة ثانية سنة 1949 من طرف شركة Aromag وقد أدى ذلك إلى تشجيع انتشار غراسة الورود دون أن يؤدي إلى بروزها كمحصول واحد. فهي تغرس على جنبات السواقي والمسالك كسياج للحقول ومشارات الاستغلال.

تنتشر الورود على أزيد من 30 كلم على طول وادي دادس الأوسط وعلى طول وادي مگون وارتفاع يقارب 1700 م. وقد وصف هذا الصنف من الورود بأنه من فصيلة تتحمل جفاف الصيف الطويل لكنها تخشى الانقلابات الحرارية الفجائية وتفقد رائحتها ولونها تحت تأثير الأشعة الشمسية الحارة وتتأكسد بتلبد الضباب.

تشغل الورود في المنطقة مجالا خطيا يقدر بـ 4500 كلم، ويقدر معدل الإنتاجية بكلغ واحد في المتر الخطي. تغرس الورود بعد الأمطار الخريفية، حيث توضع البتيلة داخل حفر عمقها حوالي 40 سنتم مكونة سياجات خطية تقلم أو تقطع كلما زاد علوها عن متر واحد.

تزهر شجيرات الورود منذ السنة الأولى من غرسها لتبلغ أوج عطائها بعد ثلاث سنوات. تبدأ فترة الإزهار مع منتصف شهر أبريل وتدوم بين 4 و6 أسابيع. يبدأ العمل بقطف الورود يوميا ما بين فترة ابتسامة الصباح حتى مطلع الشمس. ورغم أن الإنتاج وبصفة عامة عرف تصاعدا في أرقامه من حوالي 150 طن 1937 إلى 4300 طن 1976 فإن إحدى سماته الأولى هي التذبذب القوي. وتقدر نسبة استيعاب المعملين على مستوى المعالجة ما بين 30 و73٪ فقط، أما الباقي فيجفف ليباع في الأسواق المحلية أو في أسواق مدينة مراكش. مما ينعكس على الأثمنة وبالتالي على مداخل الفلاحين، فمعدل ثمن الكلغ لم يتجاوز خلال 30 سنة الأخيرة ما قدره 2,8 درهم (0,20 سنة 1950).

يتم تحديد أثمنة الورود في بداية كل موسم من طرف لجنة تتكون من مديري المعملين والسلطة المحلية وممثل السكان، حيث يعلن رسميا عن هذا الثمن قبل بداية تسويق المنتوج وبعد تعيين نقط الجمع.

يُشغّل معملا تقطير الورود حوالي 283 عاملا موسميا ما بين الجمع والنقل والتقطير و7 تقنيين متخصصين يأتون من خارج المنطقة، وتأسيسا عليه فإن فترة الإزهار تعد فترة رواج اقتصادي ذات أهمية قصوى لدى الساكنة حيث يقدر معدل مدخول كل فرد أثناء الموسم بما بين 150 و200 درهم.

تُعتبر الورود مادة أولية لصناعة عدد من مواد التجميل كالعطور ومستحضرات الصيدلة، غير أن المسوق محليا من هذه المواد لا يتجاوز المستحضرات من الرتبة الثانية أو الثالثة، أما الأصناف الأولى فتصدر نحو الأسواق الخارجية.

تتميز قلعة مگونة، حقيقة، بجمالية مناظرها الطبيعية والبشرية، وتستحق أن تحتفل سنوياً بهذه النعم، وقد تكون لهذا الاحتفال نكهة أخرى لو حسن استغلال هذه النعم تعميماً للفائدة.


محمد أيت حمزة، *ملامح التحولات السسيومجالية بحوض أسيف أمكون* (السفح الجنوبي للأطلس الكبير)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1986.

Mohamed Aït Hamza, *Mobilité socio-spatiale et développement local au sud de l'Atlas marocain (Dades-Todgha)*, Heft 13, L.I.S. Verlag, Passau, 2002 ; J. Foss Gatté, Culture des roses à parfum dans les oasis, *CND Rabat, fiche n° 432531 RA* ; *ORMVA Ouarzazate*, enquête sur le rosier, 1981 ; SCET-COOP, La rose du Dadès, 1961.


محمد أيت حمزة

ابن **موسى**، أسرة سلاوية أصلها من الهمساسيين أولاد نعيم من بني حسن، القبيلة العربية المستقرة شمالي سلا. لم تحدد المصادر تاريخ استقرار هذه الأسرة بسلا. كل ما بأيدينا هو أن دار ابن موسى كانت بتاريخ 15 جمادى الثانية عام 1180 / 18 نونبر 1766 بحومة طالعة سلا تحت عقبة المغيلي بجوار دار مولاي عبد الرزاق القادري. ويبدو أن خروجها إلى هذه المدينة تمّ عقب فترة الاضطرابات السياسية التي تلت وفاة السلطان المولى إسماعيل.

محمد السعديين

**موسى** (أولاد -)، إحدى قبائل زعير قسم الگفيان، تحد من ناحية الشمال والشمال الشرقي بالقبائل الزعرية التالية: أولاد عمران والنغامشة وكذلك قبيلة زيان، أما جنوبا فتحدها قبائل تادلا (السماعلة وبني خيران).

تميزت قبيلة أولاد موسى بمقاومتها الشديدة للتدخل الفرنسي سنتي 1911-1912، وكان ترابها مسرحا لعدة معارك منها معركة قطب العبد ومعركة سيدي داود، وقد قدرت المخابرات الفرنسية عدد خيام هذه القبيلة سنة 1917 بـ460 خيمة وسنة 1921 بـ 600 خيمة.

تتألف هذه القبيلة من الفرق التالية: الرحاونة والعراعرة وأولاد يسف واقمالة.

ومن قواد هذه القبيلة أواخر القرن 19 ومطلع القرن 20 نذكر:

المعطي بن علي القملاوي المعروف بالضحاك الذي استمر في الولاية منذ أواخر عهد السلطان الحسن الأول وإلى حوالي

سنة 1912 حيث تم عزله.

القائد الجيلالي بن علي القملاوي، عينه السلطان مولاي عبد العزيز على بعض فرق قبيلة أولاد موسى واستمر إلى حدود سنة 1929، حيث تم عزله وحل محله القائد المكي بن المصطفى المباركي.

*وثائق الخزانة الحسنية بالرباط*، كناش رقم 113، ص. 18، كناش رقم 553، ص. 26 ـ 27.

Sicard, *L'organisation des Zaer*, p. 234. ; *Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région*, t. III, p. 158 ; *Recensement de 1921*, in Archives du Protectorat à Rabat.

بوعبيد التركي

**موسى** (بني ـ)، توجد منطقة بني موسى في القسم الغربي لسهل تادلة، وتحد شمالاً بوادي أم الربيع، وجنوباً بجبال الأطلس المتوسط، وغرباً بوادي العبيد، وشرقاً ببني ملال وبني عمير. وتتكون من ثلاث فخذات هي : 1 ـ أولاد عريف 2 ـ بني وجين 3 ـ أولاد بو موسى.

من الناحية التاريخية ؛ ارتبط تاريخ منطقة بني موسى بالتاريخ العام لتادلا، ونقتصر هنا على الإشارة إلى الاحتلال الفرنسي لهذه المنطقة، فقد وقع أول اصطدام بين القوات الفرنسية والمقاومة الموسوية في 23 يونيو 1909 عندما دخل جيش الاحتلال دار ولد زيدوح ثم اشتبك بالمقاومين في سيدي صالح. وبعد توقيع عقد الحماية في سنة 1912، أعاد الفرنسيون الكرة، إذ حاول الفرنسيون معاقبة بني موسى، لكن المعركة كانت ضارية تراجع على إثرها الغزاة إلى البروج. وفي أبريل 1913 قام القائد مونجان Mangin بإخضاع أغلبية فصائل بني عمير وبني موسى، وانضم قائد بني موسى ولد زيدوح إلى الفرنسيين أثناء المعركة مما نتج عنه حدوث اضطراب في صفوف المجاهدين. إلا أن القبائل التادلية الأخرى قامت برد الفعل، حيث اجتمعت في سيدي علي بن إبراهيم بأكرض قبائل آيت عتاب وآيت بوزيد وبني عياط وآيت عطا نومالو وبني ملال، وهاجموا قوات Mangin في العين الزرقاء يوم 26 أبريل 1913، فوقعت معركة قوية تكبد فيها العدو خسائر فادحة. لكن الأمور بعد ذلك تطورت لصالح المحتلين. إذ أخضعوا المنطقة، وأنشأوا مركزاً عسكرياً بدار ولد زيدوح.

أما من الناحية الاقتصادية ؛ فإن قطاع بني موسى قد استفاد من مياه سد بين الويدان بفضل تغطيته بشبكة مهمة من قنوات الري، مما جعله من أهم المناطق الفلاحية بالمغرب، وموازاة مع انتشار زراعة الشمندر ظهرت وحدتان صناعيتان 1 ـ معمل سكر تادلا (SU.TA) بسوق السبت أولاد النمة، أسس في سنة 1966. 2 معمل السكر بأولاد عياد ويحمل اسم "الشركة الوطنية لتادلا (SU.NA.T)، أنشئ سنة 1970. إضافة إلى معمل حلج القطن بسوق السبت.

كما تعرف المنطقة رواجا تجاريا مهما، إذ تحتوي على عدة أسواق أسبوعية أهمها السوق الذي ينعقد يوم السبت بالمركز الحضري سبت أولاد النمة، ويعتبر من أكبر الأسواق على المستوى الوطني.

*تحريات ميدانية.*

CF Peyronnet, *Tadla, pays Zaian, Moyen Atlas*, Alger, 1923, p. 148, 190 ; A. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central*, Paris, 1948, p. 137 ; J. Troin, Le plan sucrier marocain, *R.G.M., n° 13, 1968, p. 122-124.*

عبد العزيز الضعيفي

**موسى** (ابن ـ) **أحمد الهمساسي** الحسناوي السلاوي، ينتمي إلى قبيلة بني حسن، ولد سنة 1270 / 1853، قال عنه عبد الله الجراري : "نشأ بسلا، فكان من علية علمائها، وأكابر مثقفيها، حديثا وفقها ومشاركة"، من شيوخه الناصري صاحب *الاستقصا* والقاضي عبد الله بن خضراء، والفقيه المكي الصبيحي، وأبو حامد العربي بن السايح وغيرهم.

وبعد أن ارتوى من معين علماء العدوتين انتقل إلى مدينة فاس ليأخذ عن علماء جامعة القرويين ويتابع تكوينه في علوم الحديث والفقه واللغة والبيان.

تميز أحمد بن موسى بفصاحته وحسن تبليغه وقدرته على الجهر بالحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دروسه وخطبه، كما عرف بنزاهته واستقامته وهو متولٍّ قضاء مدينة آسفي سنة 1315 / 1897، ومن مآخذه وهو قاضي آسفي على سكان المدينة أنهم يقضون صلاة العيدين في المساجد، ولا يخرجون إلى الفضاء، وأمر ببناء مصلى بحومة التراب الصيني، وأم بالناس فيها، ثم أهمل هذا المصلى وأقيم آخر في كدية الأحباس جنوب المدينة.

ولم يلبث أحمد بن موسى أن طلب إعفاءه من خطة القضاء ليتولى منصب العدالة بمرسى الرباط بعد أن اقترح توظيفه الأمين عبد السلام التازي مؤملا استفادة سكان العدوتين من دروسه ومواعظه، وفي نفس الوقت يذكر عبد الله الجراري أنه "صاحب مدرسة تخرج منها جماعة من المثقفين في مقدمتهم شيخنا محمد المدني بن الحسني، وعنه يروي *صحيح البخاري* وغيره من الكتب"، ومن تلامذته أيضا محمد بن علي الدكالي السلوي وأحمد بن عمر بن جلون الرباطي وغيرهما.

من آثاره العلمية *ختمات على صحيح البخاري، وتعليق على شرح البوري على أرجوزة الشيخ الطيب بن كيران في المجاز والاستعارة، وقصيدة في أمهات المؤمنين* كان ابتدأ شرحها ولم يتمّه، كما أن له *مساجلات وأمال في السنة المحمدية*.

توفي يوم 21 رمضان 1328 / شتنبر 1910، ودفن خارج باب معلقة بسلا.

عبد الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، 2 : 73.

**موسى** (ابن ـ) **عبد الرحمن** بن أحمد السلوي الهمساسي الحسناوي المقرئ، كان أبوه من علماء العدوتين،

ومن فقهاء مدينة سلا الذين ساهموا بنصب في التدريس والقضاء. ولد عبد الرحمن بنموسى يوم 28 غشت 1908 والتحق بالكتاب في الثامنة من عمره، تلقى تعليمه الأولي بكتاب الفقيه محمد بريطل ثم كتاب الفقيه مَحمد بوشعراء، وكان محل تقدير عند هذا الأخير الذي تنبأ له بمستقبل واعد داعيا له بالتوفيق والسداد.

تابع دروسه العلمية عند السيد عبد الهادي أطوبي، فقرأ عليه *الأجرومية ولامية الأفعال ورسالة ابن أبي زيد القيرواني*، وعلى السيد أحمد بن عبد النبي والشيخ أبي شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي، وكان هذان الأخيران يقدمان دروسا بالمسجد الأعظم بسلا مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع.

قضى مدة في التجارة، وأثناءها كان يحضر مع المادحين والقراء جلسات الذكر في المسجد الأعظم، وفي إحياء الليالي الدينية بمسقط رأسه سلا.

كان موهوبا وصاحب صوت رخيم، أعجب بتلاوته للقرآن الكريم الملك محمد الخامس عندما استمع إليه وهو يرتل آيات من الذكر الحكيم بالمسجد الأعظم بسلا صحبة الفقيه العوني والفقيه الحصيني، فاستدعاه للإنصات إلى تلاوته وهو يعالج بمصحة ديبوارو كبير بالرباط سنة 1936.

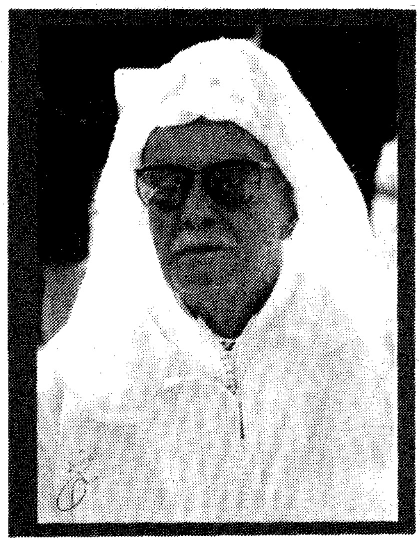

كانت هذه الدعوة مفتاح علاقته بالملك محمد الخامس الذي قربه وجعله مشفّعه وإمامه بمسجد أهل فاس بتوارگة بالقصر الملكي، وأستاذا للأميرين مولاي الحسن ومولاي عبد الله، يقول عبد الرحمن بنموسى في *ترجمته بقلمه* عن هذه الفترة : "لما عيّنني سيدنا محمد الخامس فقيها لولده مولاي الحسن، بدأت أنزل من توارگة إلى سلا عند الفقيه بوشعراء الذي أخذت عنه سلكة من التجويد حيث أفادني بمعلومات ونصوص قرآنية كان يتعاون بها الإنسان في القراءة".

وفي سنة 1939، التحق عبد الرحمن بن موسى بالإذاعة (وزارة البريد حاليا) راديو ماروك كما كانت تسمى، ليرتل آيات من القرآن الكريم عند افتتاح الإرسال واختتامه. وفي هذه الأثناء دعاه الملك محمد الخامس ليقرأ القرآن كل يوم ثلاثاء في سلا.

وقد استقبله الملك سنة 1941 وخاطبه قائلا : "إنني مسرور لما تقوم به، ورغم أنك تدرس الأمراء ستبقى تقرأ في الإذاعة".

وبعد انتقال الأمير مولاي الحسن إلى الجامعة، عينه الملك محمد الخامس كاتبا في الاستئناف مع السيد المدني بلحسني الذي رحب به وسعد بذلك، مع حفاظه على منصب مدرس للأمير مولاي عبد الله.

ويحظى الفقيه عبد الرحمن بنموسى بنفس التقدير في عهد الملك الحسن الثاني، فيعين أستاذا بالمدرسة المولوية لتدريس الأميرين سيدي محمد ومولاي رشيد قواعد تلاوة القرآن الكريم وحفظه وتجويده.

ومنذ أن كرمه الملك محمد الخامس بتلاوة القرآن الكريم بالإذاعة (راديو مارك)، وهو يتلو آيات بينات من كتابه الحكيم عند افتتاح إرسال البرامج الإذاعية يوميا إلى يومنا هذا (غشت 2005)، بعد أن سجلت هذه التلاوة برواية ورش في شرائط وأسطوانات.

وكانت للمترجم له مشاركة في الحفلات الدينية والمناسبات الوطنية التي يترأسها الملك بتلاوة آيات من القرآن الكريم، كما كانت له مشاركة في إحياء الليالي الدينية بالأمداح النبوية خاصة ليلة إحياء المولد النبوي بالمسجد الأعظم بسلا.

تحدث عنه الأستاذ أحمد العلمي فقال : "إلى جانب كون الفقيه عبد الرحمن بنموسى مجودا أصيلا، ومؤدبا بارعا، وخطاطا مبدعا، فقد وجدته فنانا في أداء الأنغام، ومتفننا في الطبوع والإيقاعات، وفي الأمداح والإنشادات والملحون والعروبيات، ومقصودا في سرد الابتهالات، وأكثر من ذلك، فقد كان يحسن العزف على العود".

توفي في شوال 1415 يبراير 1997.

*مجلة أبو رقراق*، ع 6، يناير 1990، ملف خاص بتكريم الفقيه عبد الرحمن، بنموسى ؛ *ترجمته بقلمه* في نفس المجلة.

نجاة المريني

**موسى** (ابن -)، **محمد** بن **عبد القادر** المراكشي أصلا ومولدا، التطواني داراً وإقبارا، نشأ في أحضان والده الذي أشرف على تربيته وتعليمه، فاستظهر القرآن الكريم، وتلقى مبادىء اللغة العربيةوالعلوم الدينية. وبعد ما قضى فترة من صباه يدرس على علماء بلده، رحل إلى فاس لمتابعة دراسته بجامعة القرويين على يد كبارشيوخها أمثال العلامتين أحمد ابن الخياط الزكاري وأحمد بن المامون البلغيثي ومن في طبقتهما، وقد أقبل على علوم التفسير والحديث والمصطلح والفقه والسير، وتراجم الرجال ينهل من ينابيعها، واللغة والنحو والأدب والبلاغة والشعر وحياة

الشعراء يرتوي منها حتى صار عالماً كبيراً، وكاتبا بارزا، وشاعرا مفلقا لا يشق له غبار في هذه الميادين كلها.

وما إن حلت سنة 1328 / 1910، حتى تمت مصاهرته مع عائلة ابن يعيش التي كانت في خدمة الدولة، وانتقل معها سنة 1334 / 1916 إلى العرائش حيث زاول الأعمال التجارية الحرة، ثم صار كاتبا لصهره الباشا هناك إلى أن استعفى من هذه المهمة، ثم ما لبث أن بعث برسالة إلى الصدر الأعظم بالحكومة الخليفية يلتمس منه أن يسند إليه منصب أمين ديوانة مرسى العرائش فقبل طلبه، وتسلم المنصب المذكور سنة 1347 / 1928 على أنه لم ينصرف خلال مدة وجوده على رأس الأمانة بالمرسى للمهام المنوطة به فحسب، بل كان له نشاط أدبي كتابة وشعرا وعلما ومحاضرة ومسامرة وحوارا، كما كان يحضر مجالس الطرب العامة والخاصة، ويبدي في شعره إعجابه بطبوع الموسيقى، فاشتهر ذكره وعلا شأنه، وعرفته الأوساط المقربة من القصر الخليفي بتطوان الذي كان يبحث - آنذاك - عن كتاب شعراء من طراز المترجم له، فلهذا رحبت هذه المدينة به وابتهجت لمقدمه وصار يكتب عن الحكومة والخليفة، ويتقدم الصفوف في المناسبات العلمية والثقافية بما كان ينشيء من الخطب الطريفة، والمقالات البديعة، والقصائد الرنانة، لقد كانت معرفته شاملة لآثار أدباء العربية من مختلف الأجيال ومن مختلف البقاع بالمشرق والمغرب والأندلس، وكانت له ذاكرة قوية وجهها لحفظ تلك الآثار، ونمتها ملكاته الذوقية والنقدية، فاختار لنفسه الجيد منها، ثم تأثر بذلك، فصار ينسج إذا كتب أونظم على ذلك الجيد، فيأتي بما يدهش الأدباء والشعراء نثرا متينا على طريقة كبار كتاب العربية كالجاحظ والتوحيدي وابن المقفع وعبد الحميد، وشعرا متينا كذلك مع صنعة فيه من معان وبيان وبديع مثلما كان ينظم أبو تمام والبحتري والمتنبي وابن خفاجة ولسان الدين ابن الخطيب، فلا جرم أنه ظفر بإعجاب الناس وثنائهم، ولكنه بالإضافة إلى ذلك ظفر بإعجابهم لخصال أخرى فيه، وهي تواضعه ولين عريكته وبعده عن المكر، وصفاء طويته وحبه للخير، وما كان عليه من دين متين وأخلاق فاضلة، ولهذا كله صار أثيرا عند الخليفتين مولاي المهدي، وابنه مولاي الحسن يستشيرانه ويبعثانه في المهمات لرئاسة وفود المنطقة ؛ وهكذا بعثه مولاي الحسن سنة 1357 / 1938 على رأس وفد رسمي لتهنئة جلالة الملك محمد الخامس بشفائه إثر عملية جراحية أجريت له، فكلمه بخطبة بليغة، ثم ختم ذلك بأبيات شعرية من نظمه ورد فيها :

| | |
|---|---|
| فالفضل منكم به الآمال تبتهج | وتمرح النفس والأرواح والمهج |
| إذا رضيتم تبدى الكون مبتسما | ومن عيون المنى في طرفها دعج |

وبعثه ضمن وفد آخر صحبة وزير العدلية العلامة محمد بن التهامي أفيلال إلى فاس سنة 1362 / 1943 بمناسبة الزيارة المولوية لها، فنظم قصيدة رائعة وصف فيها دخول الملك المدينة، وابتهاج السكان بذلك وزيارته الضريح الإديسي، وتدشينه لمدرسة قرآنية، قال فيها :

| | |
|---|---|
| أتاحت لك الأقدار ما كنت سائلا | ولاقت بشاف من مناك الوسائلا |
| ثنت شرد الآمال نحوك فانثنت | أواخرها تحدو إليك الأوائلا |

في سنة 1367 / 1948 تم اختياره وزيرا للأوقاف في الحكومة الخليفية، فكان نعم الوزير كفاءة واستقامة وتفانيا في تحمل المسؤولية التي حظي بها عن جدارة واستحقاق.

وعندما أقيم احتفال زواج الخليفة المذكور بالأميرة للافاطمة الزهراء سنة 1369 / 1949 بادر إلى تهنئته بهذه المناسبة قائلا :

| | |
|---|---|
| أدر كؤوسك إن الصبح قد وضحا | وصارم الشرق من فرق الدجا لمحا |
| والزهر من كرع أفواه الندى ثمل | بادى الكرى فإذا هب النسيم صحا |

وعند وفاة شيخ الجماعة العلامة أحمد الزواقي سنة 1371 / 1952 عزى الخليفة فيه، ورثى الفقيد بقصيدة لامية تفيض لوعة وأسى، وتتحدث عن المصيبة التي حلت بالأمة في رحيله بأسلوب متين ونفس طويل.

وخلاصة القول، فإن المعني بالأمر كان يتميز في هذا الميدان بشخصيته العالمة، وصنعته الفنية الخاصة الفريدة، بتنوع موضوعاته وتناوله لأغراض الشعر كلها مدحا وغزلا ورثاء وتهنئة ومساجلة ووصفا في مختلف بحور الشعر مع سلاسة النظم وعذوبته، وصدق المقال وروعته وقوة التفكير وسعة الخيال ودقة الملاحظة ورقة العاطفة والإحساس،

توفي سنة 1385 / 1965، وحضر جنازته جم غفير، يضم ذويه ومعارفه وطائفة من الأعيان والعلماء والفقهاء ورجال الفكر والثقافة وغيرهم.

عبد الكبير الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات أهل فاس*، ج 2، ص. 234 ؛ عبد الله الجراري، *من أعلام الفكر بالعدوتين*، ج 2، ص. 73 - 76 - 371 ؛ إدريس خليفة، *الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال*، ج 2، ص. 558 - 562 ؛ محمد السائح، *الاتصال بالرجال*، ص. 109 ؛ محمد بنعياد، *طريق الحرية*، ص. 78 ؛ عبد الرحمن الحريشي، *المدرسة الناصرية بفاس*، ص. 118 - 119 ؛ محمد ابن هاشم العلوي، *من وراء السدود والحركة الوطنية بفاس*، ص. 165 ؛ أحمد معنينو، *شعراء سلا*، ص. 20 ؛ *ذكريات ومذكرات*، ج 1، ص. 29 ؛ *أسبوعية "ميثاق الرابطة"*، العدد 769.

عبد الرحمن القباج

**موسى بن نصير**، هو أبو عبد الرحمن موسى بن نصير، سبي أبوه من جبل الخليل بالشام في زمن أبي بكر، وكان اسمه نصرا فصغر، وأعتقه بعض بني أمية، فصار قائدا لحرس معاوية بن أبي سفيان، وكانت منزلته عنده مكينة.

ولد موسى بن نصير سنة 19 / 640 في خلافة عمر بن الخطاب بكفر مثرى أو كفر توتا، وكان أعرج، ونشأ نشأة عسكرية في كنف أبيه ببلاط الأمويين، فلما اشتد عوده وظهرت شجاعته ولاه معاوية غزو البحر، فافتتح قبرس وصار نائبا لمعاوية بها، وبنى بها حصونا أشهرها حصن ماغوصة وحصن بانس.

عينه الخليفة عبد الملك بن مروان على خراج البصرة،

فاحتجن الأموال لنفسه،ولما أمر الحجاج بن يوسف بإلقاء القبض عليه، فر موسى إلى والي الأمويين على مصر عبد العزيز بن مروان، ثم وفد معه على الخليفة عبد الملك بدمشق فأغرمه الخليفة مائة ألف دينار، وعاد مع عبد العزيز إلى مصر، فولاه إفريقية والمغرب سنة 77 / 696، أو في السنة التي بعدها، بدلا من حسان بن النعمان.

أغزى موسى بن نصير المغيرة بن أبي بردة العبدي إلى صنهاجة سنة 82 / 701 وأخضع قبيلة أوربة سنة 84 / 703 وأغزى عياش بن أخيل على مراكب إفريقية إلى صقلية وأغزى ولده عبد الله إلى سردانية سنة 87 / 706 ففشلت حملته عليها ثم جهز إليها عبد الله بن حذيفة الأزدي فدخلها في السنة المذكورة، وأرسل ابنه عبد الله إلى جزيرتي ميورقة ومنورقة فدخلهما سنة 89 / 708، وتسمى هذه الغزوة بغزوة الأشراف لكثرة أشراف العرب الذين كانوا فيها، وأغزى ابنه مروان في السنة المذكورة إلى السوس الأقصى.

وكتب موسى إلى مولاه طارق بن زياد يأمره بالعبور إلى الأندلس سنة 92 / 711، ولما حل طارق بها وتيسر له الفتح، ندم موسى على انفراده بالفتح لعلمه أن فتح الأندلس سينسب إلى طارق فنقم عليه وعزله وعين مكانه ابنه عبد العزيز. وفي رواية أخرى أن موسى نقم على طارق لأنه غزا الأندلس بغير إذنه، فلحق به في سنة 93 / 712 وسجنه وهم بقتله، ثم ورد عليه كتاب الوليد بن عبد الملك يأمره بإطلاق سراحه فأطلقه، واصطحبه معه إلى المشرق في سنة 95 / 714 أو السنة التي بعدها.

وكان موسى بن نصير يأخذ من أهل المناطق التي افتتحها رهائن من خيارهم ويترك بتلك المناطق جماعة من العرب ليعلموا أهلها القرآن وفرائض الإسلام. واستخلف على إفريقية ابنه عبد الله سنة 95 / 714 وعاد إلى المشرق يجر الدنيا وراءه، وأخذ معه مائة من كبراء البربر ومائة وعشرين من الملوك وأولادهم، ودخل مصر في هيئة لم يسمع بمثلها فوصل بها العلماء والأشراف. وبلغه مرض الوليد بن عبد الملك وهو في طريقه إلى الشام، وكتب إليه سليمان بن عبد الملك ولي العهد يأمره بالتوقف فلم يمتثل أمره، فوصل دمشق قبل موت الوليد ودفع إليه الأموال والسبايا، ولم يلبث الوليد إلا ثلاثة أيام حتى مات، وتولى سليمان بن عبد الملك الخلافة فأهان موسى وأقامه في الشمس يوما كاملا في يوم حر حتى أغمي عليه، ثم طالبه بأموال عظيمة ففدى نفسه منه بألف ألف دينار وذكر اليعقوبي أن سليمان بن عبد الملك تغير على موسى بن نصير بسعاية من طارق بن زياد. ولم يزل موسى بن نصير بيد سليمان بن عبد الملك حتى حج هذا الأخير بالناس سنة 97 / 716، وقيل سنة 99 / 718، واصطحب معه موسى فمات في الطريق بوادي القرى وقيل بالمدينة وقد قارب الثمانين.

يعد موسى بن نصير من التابعين، روى عن تميم الداري وروى عنه ابنه عبد العزيز ويزيد بن مسروق اليحصبي. كان فصيحا ذا رأي وتدبير وخبرة بالحرب، لم تهزم له راية قط ولا بدد له جمع، وكانت له مقامات وملامح وبطولات بالمغرب كتلك التي كانت لقتيبة بن مسلم بالمشرق، غير أن موسى حظي بأشياء لم يحظ بها قتيبة، وسبى من السبايا ما لم يسمع في الإسلام بمثله حتى قيل إنه لم يسلب أحد مثله من الأعداء.

ابن عبد الحكم، *فتوح أفريقيا والأندلس*، بيروت، 1987 ؛ الرقيق القيرواني، *تاريخ إفريقية والمغرب*، تح. عبد الله العلمي الزيدان وعز الدين موسى، بيروت، 1990 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، ج 1، ط 3 ، بيروت، 1983 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 4، ط 2، بيروت، 1988 ؛ ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، بيروت، دون تاريخ ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، بيروت د. ت ؛ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، بيروت، 1413 ؛ *العبر في خبر من غبر*، ظ 2، الكويت، 1984 ؛ الطبري، *تاريخ الطبري*، بيروت، 1407 ؛ البلاذري، *فتوح البلدان*، تح. رضوان، بيروت، 1403 ؛ اليعقوبي، *تاريخ يعقوبي*، بيروت، د. ت ؛ المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، تح. العريان والعلمي، القاهرة، 1368 ؛ خليفة بن خياط الليثي، *تاريخ خليفة بن خياط*، تح. أكرم ضياء العمري، ط 2، دمشق - بيروت، 1397 ؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، بيروت، دون تاريخ ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968 ؛ ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، القاهرة، بدون تاريخ ؛ ابن الزبير، *الحلة السيراء*، تح. مؤنس، ط 2، القاهرة، 1985 ؛ المقري، *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968 ؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، بيروت، 1995.

حسن حافظي علوي

**الموسيقى بالمغرب**، يمكننا تعريف الموسيقى كفن يتم فيه التنسيق لبعض الظواهر الصوتية ضمن منطق نغمي إيقاعي معين ووفق محددات ثقافية يتدخل فيها الفكر الإنساني والمجال الجغرافي والوظائف الاجتماعية وحركة التطور الثقافي والتقني. لذلك كان تنوع النتاج الموسيقى وتعدده في الحضارات الإنسانية في ارتباط وثيق مع اختلاف الأمكنة والأزمنة، وكان لكل بلد رصيده الخاص من الموسيقى والغناء.

والمغرب حسب الجغرافيين هو "بلد المتناقضات"، كما كان ملتقى لمختلف الحضارات القديمة التي عمرت البحر المتوسط، وهو بذلك مجال خصب لتقاليد موسيقية تحمل بصمات الزمن وتغتني عبر القرون المتعاقبة بتأثيرات ثقافية متعددة منها الأصيل أمازيغيا وعربيا ومنها المجاور متوسطيا وإفريقيا.

ونقدر عدد الأنماط الموسيقية الموجودة بالمغرب في أكثر من خمسين نوعا لا نأخذ في تعدادها بعين الاعتبار مجمل التنويعات الجهوية المتعددة لنفس النمط (كأن نذكر أحواش مرة واحدة مع العلم أن لهذا النمط صيغا كثيرة)، أما تصنيف الأنماط نفسها فقد يأتي معبرا عن التمييز ما بين القروي والحضري، أو ما بين اللهجات، أو حسب الطبيعة الجغرافية (سهول، جبال، صحراء، سواحل...)، وقد يميز بين

وظائف الموسيقى في المجتمع (احتفال، لعب، تجمع قبلي، استشفاء، طقوسية...).

وكيفما كان المدخل الذي نلج بموجبه عالم الموسيقى المغربية سنصادف إجمالا ثلاث طبقات مختلفة من الأنماط، وهي الموسيقى التقليدية الفنية، والموسيقى الشعبية، والموسيقى الحديثة، ولا مناص أن تعلق بالممارسة الموسيقية الشعبية على الخصوص خرافات ومعتقدات تحيلنا على عمق التاريخ وعلى آثار الذاكرة القديمة، بحيث نستطيع إن نستشف في جل الأنماط الموسيقية شرائح تاريخية لمختلف العناصر الثقافية المكونة للشخصية المغربية : في الأول ذلك الأساس الأمازيغي العميق، ثم المقامية العربية والإيقاعية الإفريقية الواردة من الصحراء وما بعدها جنوبا، ثم الغناء المتقن لأهل الأندلس، فضلا عن لمامة لموروث إغريقي روماني تظهر كرجع صدى لمعتقدات قديمة حول الطبيعة والطقوس الزراعية.

انطلاقنا يمكن أن يكون من قمم الأطلس الشامخ حيث ينبعث صوت موال شعبي ينسجم مع الطبيعة وتضاريسها إنه "تاماوايت" الذي يتخذ شكل نداء صادح غير مقيد بإيقاع في نغم شجي ساحر، وخلال تجوالنا بالمناطق الأطلسية قد نصادف أيضا لحن ناي يرافق راعي الغنم ويؤنسه ؛ أما إذا كان الزمن صيفا فستكون الفرصة مواتية للاقتراب من مجمل الأنماط المرتبطة بفصل الحفلات والأعراس أي ما بين يونيو وشتنبر، وتظهر من هذه الأنماط على الخصوص تلك المرددات التي ترافق الرقصات الجماعية ك "إزلان" وتامديازت.

والموسيقى المغربية كذلك تظهر في حركة تجوال الموسيقيين، ينقلون فنهم لأوسع الفئات في المناطق المختلفة، ويعبدون إنتاج زمن لم يكن فيه التواصل متاحا بالشكل والوسيلة التكنولوجية التي يوجد عليه الوضع حاليا ؛ وقد كان هؤلاء الفنانون يتنقلون ما بين القبائل وفي الساحات العمومية للمدن وينقلون الأخبار والمتعة الفنية ؛ وهكذا الأمر مثلا مع الروايس في منطقة سوس وهم فنانون محترفون في الغناء والرقص والشعر الشعبي ؛ والأمثلة الأخرى لمجموعة إمديازن في الأطلس المتوسط، وثنائيات الشاوية (على شاكلة قشبال وزروال ...) وبهلوانيي سيدي حماد وموسى.

وهذا التجوال يحيلنا مباشرة على ظاهرة الساحات العامة في المدن والأسواق وعلى مفهوم الحلقة الذي يتجاوز مجال الغناء لكل أنواع الفرجة الأخرى ؛ ولا غرو أن تتبوأ ساحة جامع الفنا مكانتها المرموقة كجزء من التراث الحي العالمي لأنها جمعت إلى عهد قريب كل أنواع الموسيقى الشعبية ؛ ومن الحلقة أو في سياق منطقها ظهرت أسماء فنية طبعت تاريخ الموسيقى المغربية الحديثة ومنهم بوجمعة الفروج، محمد باعوث والحسين السلاوي الذي ظلت أغانيه المسجلة راسخة في الأذهان والأسماع رغم مرور أكثر من نصف قرن على وفاة صاحبها.

وبنزولنا إلى السهول واتجاهنا نحو السواحل الأطلسية، سنستقبل فنا آخر هو العيطة الذي ارتبط بالفروسية والتغريبة والحزن، وكأنه تذكير ببعض العلائق مع سيرة بني هلال، وهذا الحزن نجده أيضا في كل مظاهر الصوفية الشعبية من خلال مواسم الأولياء الصالحين وخلال الطقوس الاستشفائية (الليلة الكناوية مثلا).

من ناحية أخرى تقدم المدينة أنواعا مختلفة من الغناء المتقن كطرب الملحون الذي تتعهده مجموعة الصناع التقليديين، وفن السماع الذي ترعرع في كنف الزاويا، والموسيقى الأندلسية المغربية التي حافظت على صورة الأندلس في ذاكرتنا الجماعية، وراكمت رصيدا فنيا متصلا بالرواية الشفوية منذ القرن العاشر الميلادي.

بالعودة إلى طبقات الغناء نجد في الموسيقى المغربية هذا التنوع والتداخل بين ما هو "كلاسيكي" وما هو شعبي، كما أن التسلسل الإيقاعي غالبا يكون من البطيء إلى السريع، ومن الرصانة إلى الهزل، لذلك نجد في كل نمط معين جانبا جادا لا يوافق عادة الذوق السائد تنصرف عنه العامة إلى ما هو نشيط وسريع وخفيف، وتقبل عليه الخاصة في غيرة وتقدير.

تتميز الموسيقى التقليدية الفنية، وقوامها ستة أنماط موسيقية غنائية، بالخصائص التالية :

- تضمنها لقواعد تأليفية وثابتة نسبيا،
- تحكمها في قواعد الارتجال بما لا يتعارض مع البنية العامة،
- وجود نظام للتواتر تسنده في بعض الأحيان قواعد مكتوبة (مخطوطة)،
- وجود نظام مقامي معلوم (كنظام الطبوع)،
- وجود نظام إيقاعي معلوم.

في هذه الطبقة نجد أولا جملة الأنماط التي تأثرت بالموروث الأندلسي، فنون الملحون، وفنون الروايس وقد جرت عادة الباحثين أن يصنفوا هذا النوع الأخير خطأ في خانة الموسيقى الشعبية لمجرد أن اللغة ليست عربية، بينما مختلف عناصر تأليفه توحي بنظام كلاسيكي متقن ومضبوط.

لقد أسهم المغرب في حضارة الأندلس قبل سقوط غرناطة وبعدها وأصبح على كل حال أهم وريث لهذه الحضارة في كل المجالات الفكرية والتقنية والفنية، وفي الموسيقى والغناء المنسوبين إلى المدارس الأندلسية على الخصوص، لا يوجد حاليا من الأقطار ما يضاهي المغرب سعةفي الرصيد وأصالة في الأسلوب وتنوعا في صيغ الأداء والتعبير.

تخضع الموسيقى الأندلسية المغربية لنظام النوبة، وهو نظام يرتكز على متتالية من المقطوعات تحافظ على مبدأ عام للتسارع داخل فترات إيقاعية معلومة ؛ وقد استقر عدد النوبات في نهاية القرن السابع عشر الميلادي في إحدى عشرة نوبة تستعمل نفس الإيقاعات الخمس، وهو ما يبرر اسما آخر للرصيد أي "موسيقى الخمسة والخمسين".

أما النوبات التي أثبتها محمد بن الحسين الحايك في مجموعه سنة 1799 فهي : رمل الماية، الإصبهان، الماية، رصد الذيل، الاستهلال، الرصد، غريبة الحسين، الحجاز الكبير، الحجار المشرقي، عراق العجم، العشاق ؛ هذه النوبات لها طبوع أساسية وأخرى فرعية في ما يشكل مجموعا من 26 طبعا (يذكر منها عبد الواحد الونشريسي المتوفى سنة 955 / 1549، 24 طبعا في منظومة حول الطبائع والطبوع) أما الطبعان الباقيان فقد اكتشفا في زمن متأخر (الصيكة زمن البوعصامي في القرن السابع عشر والمشرقي في مؤتمر فاس سنة 1969 ). أما الإيقاعات الخمس فهي : بسيط، قائم ونصف، بطايحي، درج، قدام لكل منها صيغة بطيئة تسمى الموسع وصيغة سريعة تسمى الانصراف.

قد تستغرق النوبة بكاملها من ست إلى عشر ساعات من العزف والغناء المتصل، لذلك جرت العادة أن تقدم الفرقة مرحلة إيقاعية واحدة تسمى ميزانا (قائم ونصف الاستهلال مثلا) والميزان نفسه له قالب خاص يعتمد بعض المقدمات (مشالية، تواشي، إنشاد الطبع)، ثم تسلسلا للمقطوعات الغنائية على ثلاثة مراحل (بطيئة ووسطى وسريعة) تتخللها فواصل فردية (مواويل وإنشادات وتقاسيم).

المقطوعات الغنائية سُميّت صنعات أو صنائع للدلالة على حبكتها، وتستعمل أربعة أنواع من النظم : الشعر الفصيح، الموشحات الأندلسية، الزجل الأندلسي، والبراول (أجزاء من قصيدة الملحون) أغلبها صاحبه غير ملعوم.

وتظهر النوبة الأندلسية كذلك في شكلين آخرين غير طرب الآلة وهي الطرب الغرناطي والبيوتيم اليهودي ؛ ينتشر الطرب الغرناطي حاليا في مركزين هما الرباط ووجدة، ويرتكز على نوبة موحدة الطبع يمكن أن تؤدى في حصة واحدة بمراحلها الإيقاعية الخمس، وقد تم ضبط النوبات في 16 نوبة (منها 12 نوبة كاملة) و5 إيقاعات هي المصدر والبطايحي والدرج والانصراف والمخلص.

ولليهود المغاربة رصيد من الغناء في الأسلوب الأندلسي يسمى البيوتيم باللغة العبرية، ونموذج آخر هو المطروز يجمع ما بين العبرية والعربية في ما يشبه التطريز والتنسيق بين الصنعات.

أما الملحون فهو أسمى ما وصل إليه النظم الشعري في قصيدة الزجل بالمغرب، والحق أن لغة الملحون أرقى من الكلام الدارج وأدنى من الفصيح، اختلف الباحثون في أصل تسميته هل هي من اللحن أي عدم التقيد بالإعراب، أو من التلحين والتنغيم لأن القصيدة وجدت لتنشد ترنيما وتنغيما. وللملحون ثلاثة أشكال من النظم هي المبيت ومكسور لجناح والسوسي، وقد شبهها الشيخ أحمد سهوم تباعا بالقصيدة العمومية والمقامة المسجوعة والشعر الحر،لكل منها أعاريض متعددة تسمى بالقياسات والمرمات.

يعتمد قالب التأليف في الملحون غالبا التقطيع الآتي :

- مقدمة موسيقية مرتجلة.
- سرابة اختيارية أي قصيدة يتم سردها بصفة متواصلة في إيقاع الگباحي الأعرج.
- تناوب الأقسام واللازمة (وتسمى حربة).
- سارحة وهي فترة يغني فيها المنشد لوحده ويبرز فيها براعته في تنويع المقامات وتغيير الإيقاع في النهاية.

استمر الملحون نابضا بالحياة منذ قرون خلت بفضل تواتر شفوي قوي السند ونظام بديع في التوثيق والتقييم بحيث ظهر في المجتمع نوع من تقسيم العمل ما بين ثلاث شخصيات : هي الشاعر والراوي والخزان، وغالبا ما يحجم الشاعر عن تدوين ما نظمه حتى لا يوصف بقصور الذاكرة وانتفاء السليقة، فيترك مهمة التدوين لشخص آخر يلازمه ويأخذ عنه، كما أن وجود من يتكفل بانتقاء القصائد وجمعها وتصنيفها يؤدي وظيفة التوثيق والنقد ويسهم في تقويم الحركة الفنية.

آخر الأنماط التقليدية الفنية يتمثل في فن الروايس، وهم موسيقيو منطقة سوس ماسة، ابتدعوا شكلا فنيا يتطلب مهارة في الأداء لا تتأتى لغير المحترفين إذ يجمع بين الوصلات الغنائية والموسيقى الآلية وفنون الرقص. تتكون فرقة الروايس من رئيسها وهو عازف على الرباب (بكسر الراء) وعازفين على "لوتر" (العود التقليدي) وضابطي إيقاع وراقصين يتقنون الرش أي تحقيق الإيقاع بالتصفيق، و"تمريقت اودار" أي الرقص بالأرجل.

الطبقة الثانية من الموسيقى بالمغرب هي الموسيقى الشعبية، وتسمى بذلك لاعتبارين : أولهما يتعلق بحظوتها عند أوسع فئات وشرائح المجتمع المغربي، وثانيهما تحققها لستة شروط وهي : 1 - استعمال مكثف للإيقاع، 2 - غناء ذو إصدار طبيعي للصوت، 3 - الإيحاء بالرقص، 4 - الارتباط بمعتقدات وقيم شعبية وراسخة، 5 - استعمال اللغة الدارجة عربية كانت أم أمازيغية، 6 - ميل طبيعي للارتجال.

كل هذه الشروط نجدها ولو بنسب متفاوتة في أنماط الموسيقى الشعبية، وتتميز هذه الأنماط بتغليب عناصر بعينها على أخرى، إذ نجد مثلا :

- جانب الإيقاع في الدقة المراكشية وما يتصل بها مثل الفراجة الرودانية و"الرزون" الصويري، و"النكشة" الگناوية وغيرها من مظاهر اللعب الإيقاعي.
- جانب الغناء في العيطة والطقطوقة وأهازيج الأطلس والفن الحساني.
- جانب التعبير الجسدي والرقص في أحواش وأحيدوس والگدرة والنهاري والرقصات الجماعية على العموم.
- جانب التصوف الشعبي والجذبة وما لها من ارتباط بالطقوس والمعتقدات عند عيساوة وحمادشة وگناوة وهداوة ودرقاوة وأهل توات وغيرها.

أما الموسيقى الحديثة فهي كل ما نتج في القرن العشرين، وخصوصا بعد العقد الثالث منه، داخل المدينة

الحديثة بفعل تطور العمران وظهور التكنولوجيا الحديثة وكذلك وسائل الاتصال والنشر من أسطوانات وإذاعة وتلفزيون وسينما وفيديو ووسائل أخرى.

وأول الأنماط الحديثة هو ما سمي في نهاية الثلاثينيات بـ "الأغنية العصرية" تقليدا للأغنية المصرية، ورائدها الأول أحمد البيضاوي، وقد بدأت الأغنية العصرية في الثلاثينيات من القرن الماضي معتمدة على التخت أي على الفرقة المصغرة التي تتكون فقط من عود وقانون وكمان ورق ومطرب قد يستعين بمرددين، واستمرت كذلك تزاوج بين القصيدة العربية والزجل المصري إلى غاية الخمسينيات حيث اتجه بعض الملحنين المغاربة إلى تأصيل هذه الأغنية بالرجوع إلى الإيقاعات المغربية والزجل المغربي البسيط.

وقد شكلت مرحلة الستينات فرصة للعطاء الصادق إذ واكبت فترة الحماس الوطني لبداية الاستقلال، ورغبةالفنانين من شعراء وزجالين وملحنين ومطربين في إثبات الذات واستكشاف كافة التجارب الغنائية ؛ لذلك تعددت الاتجاهات وتنوعت الألحان في ما بين :

- إتجاه كلاسيكي شرقي عند أحمد البيضاوي والمعطي البيضاوي.
- إتجاه رومانسي عند عد الوهاب أكومي وعبد السلام عامر.
- إتجاه تقليدي متجدد عند محمد فويتح وعبد القادر الراشدي.

في بداية السبعينات ظهرت موجة ناس الغيوان من صلب الممارسة المسرحية، تقدم البديل لأغنية مغربية أصابها الوهن في مضامينها ولحقتها الرتابة في لحونها وإيقاعاتها ؛ كانوا أربعة شبان من الحي المحمدي بالدار البيضاء، يعشقون المسرح والغناء الشعبي، ولم يكونوا يتوقعون أن يصادفهم النجاح من أول ظهورهم بهذا اللون الجديد، وأن تتناسل المجموعات بعدهم لتصل إلى مئات الفرق في كل مدينة وفي كل حي، لتكتسح الساحة الفنية لفترة من الزمن ؛ لكن هذا التعدد لا يخفي أن التميز كان من نصيب فئة قليلة جدا : ناس الغيوان وجيل جيلالتفي المقدمة، ثم "المشاهب" و"أوسمان" و"تكادة" في الطبقة الثانية وبعدهم بعض الفرق التي تألقت لفترة ثم انطفأ بريقها.

كانت هذه الفرق في الغالب تسائل بعض النصوص القديمة (جفريات الملحون، القصائد الصوفية الشعبية، فنون كناوة، مرددات الأحياء القديمة في مراكش مثلا، قصائد الحاج بلعيد، عيون العيطة...) وتنسج على منوالها في مضامين إنسانية واجتماعية.

في منتصف الثمانينيات تحول الشباب نحو نوع جديد يدعى "الراي" انطلاقا من الأسلوب الذي كان سائدا منذ الأربعينات شرق المغرب عند "العرفة" و"الشيوخ" وفي منطقة وهران الجزائرية، وقد شاع هذا الأسلوب بفضل نجاح الشاب خالد والشاب مامي في اختراق المسارح الأوربية ؛ وإذا كان الراي مدين في تطوره للفنانين الجزائريين فإن أصوله المتعددة (شيوخ المغرب الشرقي، غناء "الشعبي"، الحسين السلاوي، العيطة...) جعلت الفنانين المغاربة من جيل الشباب يهتمون به، ويبدعون في نفس الوقت الذي انتعشت فيه الأغنية الشعبية الحضرية الموجهة لحفلات الأعراس مراكمة للغث قبل السمين مع الانتشار النسبي لاستوديوهات التسجيل.

وبما أن شباب المغرب قد انفتح على كافة أنواع الموسيقى في العالم فأحبّ الأغاني الشرقية، وردد أغاني الأفلام الهندية، ومارس لفترات متباينة فنون الجاز والروك والبوب، فقد اهتمت بعض شرائحه كذلك بالموسيقى الكلاسيكية من خلال نشاط المعاهد الموسيقية مما أكسب الساحة الموسيقية بالمغرب ثراء في التعابير وتنوعا في المضامين واستمرارا للقديم إلى جانب الحديث.

أحمد عيدون

**الموسيقى العصرية**، مصطلح حديث أطلق بالمغرب في غضون العقد الرابع من القرن العشرين على نمط مستحدث في التأليف الموسيقي بفعل الانفتاح على الموسيقى الشرقية وتبني قوالبها الغنائية والآلية : وقد ساعدت عوامل عدة على هذا النمط يمكن إجمال أهمها فيما يلي :

1 - تسرب بعض المعطيات اللحنية والإيقاعية الشرقية إلى الموسيقى التقليدية والتراثية. ويتجلى بعض ذلك في العيطات وقصائد الملحون التي تبنّت أرباع النغمات، وكذا في بعض أعمال المرحوم الحسين السلاوي التي تستمد ألحانها من مقطوعات مصرية وتونسية.

2 - دخول آلات شرقية إلى حضيرة الأجواق المغربية كآلة القانون التي ساعدت على الترويج للمقامات الشرقية، وآلة الدربوكة التي مهدت لتسرب الأوزان الشرقية في موازاة مصطلحي الدّمة والتكة اللذين أصبحا يتحكمان في ضبط النسق الايقاعي لأعمال المؤلفين المغاربة.

3 - انتشار الأغنية الشرقية على اختلاف قوالبها في الأوساط كالموشحات والأدوار والطقاطيق، وإلى جانبها السماعيات والبشارف والتقاسيم والمواويل، وذلك عبر قنوات ثلاث :

أولها : توافد الفرق المسرحية المصرية على المغرب ابتداء من العقد الثالث، وفي رفقتها أجواق موسيقية يضطلع بأداء المقطوعات والمونولوجات فيها مطربون ومطربات اشتهر من بينهم محمد عز الدين، وفتحية شريف، وليلى حلمي، ومحمد عبد المطلب، وعازف الكمان المسمى داود.

ثانيها : إقامة بعض الفنانين المشارقة بالمغرب حيث أمكنهم تلقينُ بعض الفنانين الناشئين أصول الغناء والعزف المصرية وتعويدُهم على تذوق المقامات الشرقية. ومن أشهر هؤلاء عازف الكمان الشهير سامي الشوا، وأمين حسنين، ومحمود المصري، وادمون الخياط، وحسن بنان.

ثالثها : بث الأغاني المصرية عبر إذاعة "راديوماروك"، مما هيّأ لهذه الأغاني أن تنتشر في ربوع المغرب على نطاق واسع، وهيأ للمستمع المغربي أن يتعرف على أعلام الغناء العربي يومئذ كعبدُه الحامولي، وسلامة حجازي، وسيد درويش، ومحمد عبد الوهاب.

4 ـ مبادرة القصر الملكي عام 1938 إلى تكوين جوق للموسيقى الشرقية برئاسة الفنان المصري عازف القانون مرسي بركات الذي كان قد قدم إلى المغرب عام 1906 على رأس جوق مصري بدعوة من السلطان المولى عبد العزيز. وحول هذا الفنان التأمت ثلة من الشبان المغاربة يتلقون قواعد التأليف وأصول الغناء المشرقية، وكان منهم أحمد البيضاوي، ومحمد سميرس، وعباس الخياطي، ومحمد القروي، والحاج عبد القادر بن صالح.

5 ـ وقد شهدت الساحة الفنية ابتداء من العقد الخامس تأسيس أجواق للموسيقى العصرية، برز من خلالها ملحنون ومطربون كان من بينهم ـ إلى جانب الذين سبق ذكرهم ـ عبد الوهاب أگومي، وعبد النبي الجراري، وعبد القادر الراشدي، ومحمد المزگلدي، ومحمد افويتح، وآخرون.

6 ـ ومع تأسيس جوق راديو ماروك للموسيقى العصرية عام 1952 برئاسة الفنان أحمد البيضاوي اكتملت عوامل إعداد المناخ الملائم للتعامل مع تقاليد الأغنية المصرية.

اتسمت "الموسيقى العصرية" في بداية نشوئها بتقليد الأغنية المصرية ومحاكاتها سواء على مستوى الأداء الصوتي من حيث تبني أسلوب الغناء المصري، أو الأداء الآلي من خلال تبني نظام التخت المصري ومحاكاته في مظهره ونوع آلاته، أو على صعيد تلحين المقطوعات التي جاءت على نسق القوالب العربية، كما جاءت محملة بالخصائص التي تطبع الألحان الشرقية، وبذلك دشن الملحنون المغاربة لنشوء أسلوب جديد في التأليف تبلورت خصائصه من خلال ما وضعوه من موشحات على نمط الموشحات الشامية، ومن قصائد مطولة من قبيل ما أنجزه أحمد البيضاوي وعبد الوهاب أگومي. وقد كان من نتائج ذلك نمُو وعي جديد بالقيمة الجمالية للكلمة الفصيحة، واستحداثُ معايير مبتكرة في أداء المقطوعات على نحو يختلف عن الأسلوب المألوف في إنشاد الصنعات الأندلسية وقصائد الملحون.

وعرفت الأغنية العصرية بدءاً من العقد السادس بداية تحولات هامة تؤشر لبروز محاولات جادة للتحرر من قيود محاكاة الأغنية المصرية. وقد تجلت هذه التحولات في التخلي التدريجي عن تقليد القوالب اللحنية الشرقية، والإقبال على تلحين المنظومات الزجلية في صيغ مبتكرة تستلهم التراث الموسيقي المغربي وتقتبس من الرصيد اللحني والإيقاعي الذي تزخر به أصناف الموسيقى الشعبية.

وقد واكب هذا التوجه الجديد ما يشبه الاحتجاج على جمود "الأغنية العصرية" والدعوة إلى تأسيس "الأغنية المغربية" بدافع من الإحساس بالهوية الفنية الوطنية.

جريدة *السعادة*، عدد 4415 يناير، 1937 ؛ 4455 يوليوز، 1937 ؛ مجلة *الفنون*، عدد 5 و6، ص. 3، 1975 ، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ؛ عبد الله شقرون، *فجر المسرح العربي*، منشورات اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 1988، ص. 119 ـ 145.

عبد العزيز بن عبد الجليل

## موشان، إميل Emile Mauchamp (1870 ـ 1907)

طبيب فرنسي ولد في الثالث من شهر مارس سنة 1870 في بلدة من شرق فرنسا ـ شمال مدينة ليون، تسمى Châlons-sur-Saône، وتابع دراسته في الطب بباريز وتخرج منها بدكتوراه أهلته للعمل في أحد مستشفيات وهران. شارك في بعض البعثات الطبية إلى فلسطين، وعمل في أحد المستشفيات بالقدس في ما بين 1900 و1905، ولعب هناك دوراً مهماً في مكافحة ما كان يعيث في سكان تلك الربرع من أوبئة الجدري والتيفوس.

ثم جاء إلى المغرب في صيف 1905 في إطار بعثة للشؤون الخارجية وفي إطار تدشين سياسة التدخل السلمي عن طريق الطب والإسعاف وإنشاء المستوصفات. وفي أكتوبر من السنة نفسها، انتقل من الرباط إلى مراكش التي استقبله سكانها ببرودة تنم عن لا مبالاة وعدم اكتراث، بل إن بعضهم لم يخف غضبه من قدومه ورشقه بالحجارة. غير أن الطبيب تمكن من التغلب على هذه الوضعية بتوزيع لفافات الدواء وجعبات الأقراص، وسرعان ما طبقت شهرته الآفاق بما برع فيه من علاج المرضى، فتسابق إليه كبراء القوم وصغارهم حتى بلغ عدد زبنائه ما بين 100 و150 كل صباح. وفي سنة 1906 عندما فتك التيفوس فتكا ذريعا بأهل مراكش ثم شع على أنقاضه الجدري، أظهر موشان كفاءة عالية في مكافحة آثار الوباء. إذ انصرف إلى توزيع الحريرة على الجياع ـ وعلاج المصابين منهم ـ وأصبح حسب تعبيره "يقوم بكثير من الطب وقليل من السياسة". وبسبب براعته في العلاج كبرت حظوته لدى مولاي عبد الحفيظ الذي منحه حصانا بسرج مطرز بالذهب والفضة.

وفي 19 مارس 1907 اغتيل الطبيب موشان على مقربة من منزله "إذ عمدت إليه العامة وأوسعوه ضربا بالحجارة والعصي إلى أن مات بباب منزله"، وهمَّ قاتلوه بإحراق جثته لولا أن تدارك الأمر حرس الخليفة وحالوا دون ذلك. ويذكر من قام بتشريح الجثة من الأطباء أن عدد الطعنات البادية عليها فاق الثلاثين.

وقد أثار مقتل موشان على بعد مائتي متر من مستوصفه، كثيراً من التساؤلات، فهل اشتم منه المغاربة ما يوحي بالتجسس لفرنسا في وقت كان فيها الصراع على أشده بين الدول الأوربية حول الانفراد بالمغرب ؟ هذا أمر وارد إذا علمنا أنه عاد من سفره من فرنسا ببعض أدوات التقاط الأخبار (صواري حديدية ـ هوائيات). كما أن أمر التجسس

لم يكن مستبعدا إذ قال عنه كروشي : "إنه جاسوس بعثته الحكومة الفرنسية ليمهد لمجيء جيوشها". غير أن هناك تفسيرا آخر، يرتبط إلى حد بعيد بما سبقت الإشارة إليه، يُدخل مقتله في إطار الصراع على النفوذ بالمغرب بين فرنسا وألمانيا، إذ كاد له أحد رجال المخابرات الألمانية واسمه هولتزمان، وذلك بنشر أخبار مفادها أن موشان مبعوث من طرف فرنسا في إطار مهمة تستهدف تصفية أكبر عدد من المغاربة، وذلك بدس السم الزعاف في ما كان يقدمه لزبنائه من أدوية. وكان رد فعل فرنسا على مقتل طبيبها، الذي وارت جثته الثرى في مسقط رأسه، الاستفادة من الحادث واغتنام الفرصة للانقضاض على مدينة وجدة، فكان ذلك بداية الاحتلال الفرنسي للمغرب.

ترك موشان كتابا مهما، طبع بعد وفاته، لامس فيه الكثير من مظاهر الحياة بالمغرب في مستهل القرن العشرين، وصدر تحت عنوان : La sorcellerie au Maroc

ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج 1، ط 2، 1990 ؛ أحمد الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، تح. جعفر بن الحاج السلمي، ج 2، منشورات جمعية تطوان أسمير، تطوان، 2003 ؛ أبو عبد الله السليماني، اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، مطبعة الأمنية، الرباط، 1971.

R. Cruchet, *La conquête pacifique du Maroc*, Ed. Berger, Paris, 1934 ; Ch.A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956*, Ed. J.A., 1978 ; E. Mauchamp, *La sorcellerie au Maroc (œuvre posthume)*, Derbou-Ainé, Paris, 1911 ; M. Rousselle, *Médecins, chirurgiens et apothicaires français au Maroc 1577-1907*, Paris, 1996.

بوجمعة رويان

**المؤقت، محمد الفاضل**، من مواليد مدينة مراكش سنة 1906 كنيته المؤقت، نشأ في بيت علم ودين ووطنية، والده هو محمد بن عبد الله المؤقت الشهير بمراكش وصاحب مؤلفات عديدة نذكر منها كتاب *السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية*. اهتم بالعلم والتعلم في مرحلة مبكرة من حياته مما لفت أنظار أساتذته بالجامع اليوسفي بمراكش، فإلى جانب اهتمامه بالعلوم الشرعية والأدبية، درس اللغة الفرنسية، وكذلك الأنجليزية على يد طبيب أنجليزي كان يقوم بدور التبشير بمراكش.

أما في مجال الوطنية، فقد كان وطنيا مثاليا فهو من الرعيل الأول في الوطنية بمراكش، أنشأ مع زمرة من الوطنيين جمعية إسلامية خيرية خارجة عن الرقابة الاستعمارية. ومنذ ذلك الحين وهو يواجه الاضطهاد والمضايقة، فغادر مدينة مراكش والتحق بمدينة الصويرة التي عمل بها وكيلا شرعيا مع متابعة عمله الوطني، مما دفع بسلطات الحماية إلى فرض الإقامة الجبرية عليه. وهكذا هاجر مدينة الصويرة والتحق بالدار البيضاء وضاعف نشاطه الوطني على جميع الأصعدة، مما حدا بالسلطات الفرنسية إلى نفيه إلى قبيلة مسفيوة بأحواز مراكش، وذلك على إثر نفي جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه إلى منفاه السحيق سنة 1953.

وكان لمحمد الفاضل المؤقت ولع بالفن والأدب والموسيقى والرياضة حيث كان عضوا في جمعية الوداد البيضاوي فرع السباحة. كما كان له دور كبير مع رفاقه في حزب الشورى والاستقلال بعد مؤامرة 20 غشت 1953 في إطار منظمة (اليد السوداء) الأمر الذي جر عليه نقمة المنظمة الفرنسية المتطرفة المسماة (اليد الحمراء).

توفي يوم الخميس 29 غشت 1959 إثر حادثة سير.

*تحريات شخصية ؛ تقاييد لبعض أصدقائه* خاصة منهم : مولاي أحمد الشبني، ومولاي الطيب المريني، ومولاي امبارك العدلوني.

عبد العزيز تيلاني

**المؤقت، محمد بن محمد** بن عبد الله بن المبارك المسفيوي أصلا المراكشي دارا، فقيه علامة، مشارك مطلع، ولد سنة 1312 / 1894، ونشأ في بيت علم ودين، كان يتمتع بكل تقدير واحترام لدى جميع الأوساط في مراكش نظرا لما كان له من سمعة طيبة، وأحدوثة حسنة بوأتاه المكانة التي هو جدير بها.

تلقى دراسته عن عدة أشياخ فطاحل ذكرهم في *فهرسته* المسماة "*العناية الربانية في التعريف بشيوخنا من هذه الحضرة المراكشية*".

ولما ارتوى من حياض العلم، وتمكن من ناصيته تصدى لمحاربة البدع والشعوذة والانحراف والتدجيل محاربة لا هوادة فيها، لا تأخذه في الله لومة لائم، معتمدا في ذلك على ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. هذا إلى جانب اشتغاله بالتوقيت الذي أخذه عن أبيه وزاوله حوالي أربعة عقود، كان فيها مثال الدقة والضبط والإتقان.

وقد كان من ثمرة انهماكه في المطالعة والتدوين في مختلف العلوم والفنون أن ترك إنتاجا غزيرا من الكتب والمؤلفات في التاريخ والحديث والفقه وأحوال الناس والدعوة إلى الله، طبع جلها في حياته، داخل المغرب وخارجه.

توفي يوم 11 صفر الخير 1369 الموافق فاتح دجنبر 1949 بمدينة مراكش حيث دفن هناك في جو من الحسرة، والدعاء له بالمغفرة والثواب.

محمد حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 و9 ؛ عبد الله الجراري، *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين*، ج 1 ؛ أحمد معنينو، *المجلس الوطني الاستشاري* ؛ عبد السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* ؛ محمد المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2 ؛ لطيفة الگندوز، *المنشورات المغربية* ؛ محمد الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 3 ؛ محمد المؤقت، *الرحلة المراكشية أو مرآة المساوىء الوقتية* ؛ *الكشف والتبيان عن حال أهل الزمان* ؛ *الجيوش الجرارة*.

عبد الرحمن القباج

**الموقت** (ابن -) **محمد المسفيوي**، المراكشي المولد والنشأة والمدفن - المعروف في الأوساط المراكشية بابن الموقت

ـ من أبرز علماء المغرب، وأكثرهم تأليفا. ولد بمدينة مراكش عام 1312 / 1894 حسب [أدولف فور Adolf Faure] وأعتقد أن هذا التاريخ غير صحيح لأسباب منها :

1 ـ أن والد المؤلف ولد عام 1241 / 1825، ويستبعد أن يولد له المؤلف بعد 69 سنة من زواجه.

2 ـ أن المترجم له تولى مهمة التوقيت بالمسجد العتيق جامع ابن يوسف خلفا لوالده الذي توفي سنة 1330 / 1911 وعمره سبعة عشر سنة، وهذه المهمة الدينية الهامة لا يكلف بها صغار السن عادة.

3 ـ أن أول كتاب ألفه كان سنة 1330 / 1911 هو *إرشاد أهل السعادة لسلوك نهج كمال السادة* وسنّه لم يتجاوز إذ ذاك سبعة عشر سنة.

4 ـ قمت باستفسار بعض العلماء والعدول المسنين عن السن التي توفي عليها ابن الموقت، وأجمعوا كلهم على تجاوزه الثمانين سنة.

سهر والده على تربيته تربية دينية صوفية كان لها انعكاس على مسيرة حياته العلمية والاجتماعية، وأخذ عنه مبادىء العلوم الأولية، وعلم التوقيت إلى جانب حفظه للقرآن الكريم. ثم التحق بالجامعة اليوسفية فدرس على شيوخها، وأجازه بعضهم اعترافا بنباهته وذكائه.

رتب في المرتبة الأولى في هيأة علماء مراكش، ودرّس في العديد من مساجدها، وأم الجمعة في بعضها مركزاً في خطبه على محاربة البدع والمناكر المتفشية في المجتمع، بعد تخليه عن الانتماء إلى بعض الطرق الصوفية التي ندد بها في بعض كتبه.

كان ضليعا في علم التوقيت وسر الحرف، وعلاج المصابين بمس الجن والأمراض الروحانية. حج عام 1366 / 1947 مع الوفد الرسمي برئاسة الحاج الفاطمي بن سليمان ورفقة الشاعر أحمد بوستة المراكشي وغيرهم. وقد سجل هذه الرحلة في دفتر، وسماها *تنوير الأذهان في ذكر بعض البعض من مفاخر مولانا السلطان.*

توفي في السابع عشر من صفر 1369 الموافق 8 دجنبر 1949، ودفن بمقبرة باب أغمات.

مجلة هيسبريس، ص. 152 ـ 194 سنة 1952 ؛ أحمد متفكر، *ذيل الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام* ؛ *تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العباس* ؛ *رحلته الحجازية* ؛ عبد الله الجراري، *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين*، ص. 215 ؛ ع. العزيز بن عبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، 2 : 127.

أحمد متفكر

**موگادور** (Mogador)، تردد هذا المصطلح بمصادر قديمة وحديثة ودل على جزيرة الصويرة من خلال جل الكتابات. وقد احتل هذا المصطلح نفس أهمية مصطلح الصويرة، بل في بعض الكتابات لا تعرف الصويرة الحالية بيابستها وجزيرتها إلا به. وهو حسب مجموعة من المؤلفين ومنهم محمد بن سعيد الصديقي صاحب كتاب "*إيقاظ السريرة في تاريخ الصويرة*" مشتق من اسم ولي المدينة سيدي مگدول. يقول في هذا الصدد : "وأما تسميتها بمكدور الذي تداولته الألسنة ويجرى على ألسنة الأعاجم والبحارة وغيرهم فهو تحريف من تسميتها باسم صالحها المشهور الذي تحول بتوالي السنين والأعوام إلى مگدور هكذا يقال. والظاهر أن بقعة الصويرة المحدث عنها كانت معمورة في أقدم العصور وتسمى بالصويرة...".

فالصويرة من أقدم المدن المغربية، وأكثرها شهرة، تنطق خباياها بعمقها التاريخي الذي توافق بداياته الأولى القرن السابع قبل الميلاد. وقد خصت بدراسات وأبحاث مختلفة تاريخية وأثرية ولازالت مثار اهتمام الباحثين، بل ألحقت بهذه المدينة تسميات متعددة ومتنوعة لدرجة أنه أصبحت بيد الباحث ترسانة من بطاقات الهوية. ولذا من الطبيعي أن نولي التسمية أهمية كبرى، ونقف عند مصطلح موگادور كما وقفنا قبل ذلك عند مصطلحي كاريكون تيخوس (Karikon Teichos) وكيرني (Kerné) بعدما توقف غيرنا عند مصطلح تاموسيگة (Thamusiga). فإذا كان من السهل مطابقة هذا الاسم بالصويرة خلال العصر الروماني فليس من السهل ضبط دلالاته اللغوية بالنسبة لغير الملمّ بالأمازيغية.

أسلفنا القول بأن موگادور مستمد من اسم ضريح سيدي مگدول، فهو رأي أندري جودان (A. Jodin)، وهو نفس رأى موني (Mauny). بل إن جودان استحضر أسماء العديد من الأماكن بالساحل السوري ـ اللبناني، ورأى أن العديد منها حمل اسم مكدول (Migdol)، أو موگدول (Mogdoul) وهو مشتق من الجذر الفنيقي السامي (MGDL) ويعني "مكان محصن" أو "صومعة للمراقبة" وتبعا لذلك وإذا قبلنا بهذه التحليلات على علاتها سنقول بأن لمصطلحي سويرة (Souira) (الصويرة) وموگادور نفس المعنى. فهذا ما أكده جودان وغيره من الباحثين، بل أجزم ستيفان گسيل (S. Gsell) على موافقة الصويرة للموقع الحانوني كاريكون تيخوس. واعتبره الباحث جورج مارسي (G. Marcy) موفقا في هذه المطابقة، وأضاف قائلاً مامفادُه بأنه وبالفعل باعتماد ما جاء من معلومات بالرحلة الحانونية حول المستوطنة كاريكون تيخوس فإنه بعد إبحار لمدة يوم من مصب نهر تانسيفت نصل لموگادور التي تطابق في رأيه هذه المستوطنة، وموگادور حسب نفس المؤلف تبعد عن مصب نهر تانسيفت بحوالي 75 كلم. وهذه المسافة في اعتقاده هي معدل إبحار أدْنى، إذ خلال إبحار سرعته متوسطة تبلغ السفن مسافة ما بين 100 و125 كلم في اليوم. غير أن توڤنوغير مقتنع بنفس قناعة مارسي وگسيل وفيفيان دوسان مارتان وغيرهم ممن طابقت عندهم كاريكون تيخوس موگادور. وبذلك لن يكون متحمساً نفس حماس گات فوصى (Gatte Fossé) الذي دل عنده مصطلح كاريكون تيخوس على السور الگاري، بل إن گاتفوصى من فرط حماسه تحدث عن أهمية الحضارة الكارية

التي تميزت ببحارة ومستعمرين أشداء وحسب ـ دائماً نفس المؤلف ـ فحانون نسب السور الضخم (الذي رآه) لرواد العصر القديم الذي يوافق عصر ازدهار الحضارة المسينيه أو مرحلة سيطرة القوة البحرية لكاريي أگايون (Agaion)، لأن سور المدينة في شكله السكلوبي الضخم استرعى انتباهه وأثار اندهاشه، وبهذا فقد أمده باسم مدينة ستظل حاملة له وخالدة به على الدوام.

هل انتظر الصويريون القدماء الشعب الكاري ليسمي مدينتهم التي لعبت دوراً هاماً في التجارة القديمة أليس الإغريق هم أنفسهم من تحدثوا عن شدة أنطى (Antée) وقوة أطلس (Atlas) ؟، أليس الكتاب الإغريق هم الذي جعلوا لهذين العملاقين قصوراً فخمة ؟ أليس بإمكان بناة القصور المحليين أن تكون لهم أسوار متينة متانة وقوة أسوار الصويرة؟

البضاوية بلكامل، الصويرة في عصورها القديمة من خلال الكتابات التاريخية، *منشورات جامعة ابن زهر، أگادير، 1994* ؛ م. بن سعيد الصديقي، *إيقاظ السريرة في تاريخ الصويرة*، الدار البيضاء، ج 1، ص. 19.

Gatte-Fossé, *L'Atlantide*, p. 128 ; A. Jodin, Mogador, comptoir phénicien du Maroc Atlantique, *Etudes et travaux d'archéologie marocaine*, II, 1962, p. 4 note 1 ; G. Marcy, "Le périple d'Hannon dans le Maroc Antique de J. Carcopino", *Journal Asiatique XXXIV, 1943-45, p. 30* ; R. Many, "Autour d'un texte bien controversé le periple de Polybe,", *Hespérie XXXVI, 1949, p. 59* ; R. Thouvenot, "Recherches archéologiques à Mogador", *Hespéris XLII, 1954, p. 463*.

البضاوية بلكامل

**مولاطو** ويكتب ملاطو أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة، وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Mulata ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Morato ؛ وخلافا لما قاله الفقيه الرهوني فإن هذه الأسرة لم تنقرض بتطوان ومن أفرادها : أحمد مولاطو كان أمهر مدفعي بالحامية التابعة لتطوان سنة 1246 (1830). محمد بن عبد العزيز مولاطو محسن تطواني كان يخدم الولي الصالح سيدي بوسلهام الگوش (ت. 1212 ـ 1797) وهو الذي دفنه في بيت من داره الواقعة بحومة العيون. علي بن عبد السلام مولاطو كان أسيراً بفرنسا وأطلق سراحه يوم 14 محرم 1127 (20 يناير 1715) بطلب من باشا تطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**مولاطو، محمد** من قدماء طلبة المغرب بالقاهرة في عقد الخمسينيات من القرن الماضي، وأحد الوجوه المعروفة في الحقل الدبلوماسي، إذ شغل مناصب مهمة في سفارات المملكة المغربية بالخارج، كانت له اتصالات ببطل الثورة الريفية محمد عبد الكريم الخطابي خلال مقامه بالقاهرة.

توفي بمدينة تطوان في شعبان عام 1423 / أكتوبر سنة 2002.

جريدة *الشمال*، العدد 151، من 22 إلى 28 أكتوبر 2002.

بوعبيد التركي

**المونة** أو المؤنة جمع مُوَن ومُؤَن، لفظة تعني لغة، كفاية الشخص من المواد الغذائية وغيرها، ثم صارت تطلق في الوثائق المخزنية ـ على امتداد القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ـ على جملة من التكاليف التي كان المخزن يفرضها على القبائل في مناسبات مختلفة. ويمكن، إجمالاً، تحديدها في أربع مناسبات أساسية :

أولاً : مؤنة المحلات أو الحركات السلطانية، وتؤديها القبيلة يوميا للمحلةالتي تمر بأرضها. وكان السلطان يحدد مقدارها سلفا، وهي عبارة عن عدد من الأغنام، وأمداد من الدقيق، وأمداد من الشعير (العلف البهائم) وأرطال من السمن. وفي حالة تعذر تقديم هذه المواد بعينها فيتعين، عندئذ، تعويضها بمبلغ مالي، يحدد بدوره سلفاً.

ثانياً : مؤنة العسكر والمخازنية وكل خدام المخزن الوافدين على القبيلة لاستخلاص ما ترتب في ذمة القبيلة أو لتنفيذ أمر من أوامر المخزن. وكانت مؤنة هؤلاء تضم بالإضافة إلى المواد المذكورة أعلاه ـ وإن بمقادير أقل ـ دجاجا وقوالب السكر والشاي وعددا من البساسيط اليومية لكل فرد، بحسب مقام ودرجة المسؤول المخزني.

ثالثاً : مؤن حراك القبائل، وهي مساهمة القبيلة في جمع الزاد لحراكها عندما تشارك في حركة سلطانية.

وأخيراً، وليس آخراً، مؤنة سجناء القبيلة المودعين في سجون المدن المغربية. وكانت هذه المؤنة تتمثل في ما كان يسمى بـ "خبز المساجين".

*وثائق* خ. ج ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر* (إينولتان، 1850 ـ 1912)، ط 2، 1983، ص. 521 ـ 525.

عبد العزيز الخمليشي

**مونطاني، روبير** يمثل R. Montagne (1893 ـ 1954) نموذج الضابط العسكري الذي سيصبح عالما مختصا في شؤون المغرب، بل والعالم الإسلامي، وأستاذا بالكوليج دو فرانس. حل بميناء المهدية، سنة 1918، كضابط في الطيران البحري ؛ أثار انتباه ليوطي الذي أعفاه من مهامه وكلفه باستكشاف منطقة الأطلس لمعرفة نوعية الحكم الذي كان سائدا بـ "بلاد السيبة"، فكانت نتيجة التقصي أطروحته حول البرابرة والمخزن بجنوب المغرب. كان له دور أساسي في حرب الريف لإقناع عبد الكريم بوضع السلاح. كما كان من دعاة سياسة التمثل التي سيتخلى عنها فيما بعد.

أسس سنة 1936 بباريز، بدعم من Pierre Viénot، كاتب الدولة بالشؤون الخارجية، ومن Sébastian Charléty، عميد

جامعة باريز، مركز الدراسات العليا للإدارة الإسلامية الذي سيبقى على رأسه إلى وفاته.

في دراساته للمجتمعات القبلية بالجنوب، أبرز دور التضاريس الجغرافية في تحديد شكل الحياة السياسية، خصوصا علاقات القبائل بالمخزن، إذ عندما كان يصعب على هذا الأخير التحكم فيها، فإنها كانت تعيش في نوع من التسيير الذاتي، حيث كانت تنتخب أو تعين جماعات، هي عبارة عن مجالس محلية يعهد لها بتسيير الشؤون الداخلية عندما يتعلق الأمر بوحدات كالدوار أو الفخدة، أو في مستوى تاقبيلت بالنظر في العلاقات مع القبائل المجاورة. تتكلف الجماعة بالنظر في تحديد أوقات انطلاق القطعان للمراعي الجماعية وفي توزيع الماء بين المستفيدين، وكذا في تنظيم التويزة وتنظيم الأسواق وحماية الأجانب وضيافتهم ؛ كما تتدخل في حالة سرقة أو قتل حيث تفرض غرامة على المعتدي ثم صلحا بين الأطراف المتنازعة يتوّج بإقامة حفل أحواش طبقا للعرف الذي يلائم الشرع الإسلامي. في هذا الصدد، يتحدث مونطاني عن حكم جمهوري يكون، تبعا للظروف التاريخية المحلية، إما ديمقراطيا وإما أوليغارشيا. هذا الحكم "الجمهوري" يجد دعما له في السلطة المرابطية، إذ أن المرابطين يقومون - من بين ما يقومون به - بعملية التحكيم في قضايا يستعصي حلها بطرق سلمية عادية.

إلا أن هناك من يستطيع بلجوئه إلى المكر والخديعة أن يحتكر سلطة الجماعة لصالحه، فيعمد إلى العنف للاستبداد بالحكم، معلنا الحرب على القبائل المجاورة لإضعاف صفوف اللف المناهض له. وعندما يغتني الأمغار (وهو اللقب الذي يحمله الحاكم ليميز نفسه عن الشيخ الذي كان يمثل الجماعة)، فإن هنالك من سيرغب - من خارج لفه - في التحالف معه، مقويا بذلك سلطته، ما لم يغتله أحد منافسيه، فتستعيد الجماعة حريتها (أو سيبتها حسب مونطاني). وللحفاظ على مكانته، فإن الأمغار سيحاول التقرب من المخزن للحصول على لقب قائد معين بظهير. هكذا، يستغل المخزن الصراع بين اللفوف للتغلغل في المناطق الجبلية، ولإخضاع القبائل. من ثم، مع ظهور الحكم القايدي، ستتراجع مجموعة من مظاهر الثقافة القبلية، خصوصا المخازن الجماعية (أگادير)، مما سيضعف قوة القبائل ؛ وكذا التويزة التي ستتحول من معونة جماعية طوعية لفائدة المحتاجين من يتامى وأرامل وعجزة وكذا لفائدة الطلبة، إلى سخرة لفائدة الأقوياء. كما ستظهر معالم ثقافة جديدة تتجلى أساسا في تشييد سجن بجانب قصبة القايد، وسن تعدد الزوجات من طرف هذا الأخير (وهي ظواهر لم تكن معروفة في المجتمع البربري)، هذا علاوة على اغتناء القايد على حساب الساكنة.

مع تدهور التنظيم القبلي التقليدي، نكون قد انتقلنا من الحكم الجماعي "الجمهوري" إلى حكم الأمغار فحكم القايد فالخضوع لسلطة المخزن. وإذا ما تم لسبب من الأسباب تراجع السلطة المخزنية، فإن القبيلة سرعان ما تتمرد على القايد قصد العودة إلى الوضع السابق. لكن، عندما يسترجع المخزن سيطرته على المنطقة، فإنه يدمج كل القبائل في السلطة التيوقراطية المخزنية، جاعلا منها قبائل نائبة تشارك في حركات السلطان. وبذلك يتراجع العرف، حسب مونطاني، لصالح الشرع، وتبقى القبائل البربرية، في رأيه، في حاجة إلى فرنسا لتحريرها من استبداد المخزن.

كان روبير مونطاني يؤمن بأن على فرنسا أن تقوم بإتمام عمل روما، وذلك بنشر الثقافة الفرنسية ذات الأصل المسيحي قصد توحيد شمال إفريقيا، ومناهضة مد النهضة العربية (المتمثل في انتشار الأفكار الدينية والأدبية، وكذا فكرة الوحدة العربية الإسلامية)، والوقوف ضد تعامل الحركة الوطنية الناشئة ورابطة العلماء مع الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي الفرنسيين، خاصة وأن المغرب أصبح يعيش أزمة لا تتجلى فقط في تردي الفلاحة التقليدية والنمو الديمغرافي، وإنما كذلك في تربية الأطفال وخاصة الفتاة، وتطور حقوق المرأة، وأزمة الزواج، وكذا "بطالة المثقفين"، والتكوين السياسي للشباب، وتفقير الطبقات الوسطى، وانخفاض مستوى المعيشة، وأزمة الحرف من جراء منافسة البضائع الأوربية. هذه العوامل كلها ساهمت في عملية الهجرة القروية، مما أدى إلى بداية تكون بروليتاريا مغربية بالمدن، ستأخذ هي بدورها في التعامل مع الحركة الوطنية وممارسة العمل النقابي.

وبالفعل، سيعرف المغرب أول إضراب، سنة 1936، بمعمل السكر ؛ كما ستعرف نفس السنة عدة مظاهرات بالمدن - أسفرت عن انتفاضات دموية وعن اعتقالات في صفوف المتظاهرين - انضم إليها الحرفيون والعمال، وشارك فيها كل من المسلمين واليهود، كما انضمت إليها القبائل. هذه الانتفاضة تترجم عدم تواصل الإدارة مع السكان، وضرورة القيام بإصلاح إداري قصد التكيف مع حياة الشعب.

وعقب هذه الأحداث، تمخضت بـCHEAM، ما بين 1945 و1948 ، فكرة إنجاز تحقيق حول البروليتاريا المغربية، بعد دراسة مجموعة من التقارير حول وضعية العمال المغاربة بأحياء الصفيح التي تحيط بكبريات المدن. بدأ التحقيق سنة 1948 واستمر إلى 1950 ؛ وقد أنجز في إطار القسم السوسيولوجي لإدارة الداخلية للحماية الفرنسية، تحت إشراف مونطاني، وساهم فيه كل من المراقبين المدنيين والعسكريين، وأرباب العمل الفرنسيين، ومجموعة من المتطوعين، وكذا بعض الباحثين مثل أندري آدم وجاك بيرك. لكن لم تساهم فيه لا النقابات ولا النخبة المغربية.

تكمن الإشكالية التي يهتم بها مونطاني، سواء في تحقيق حول البروليتاريا المغربية أو نشأة البروليتاريا المغربية، بإيجاد حل للمشاكل الناجمة عن تمركز البروليتاريا بالموانئ والمدن الصناعية والمنجمية، خصوصا بعد 1936 حيث تزايدت الهجرة القروية. فبالإضافة إلى تضخم المدن الصفيحية، حيث

يعيش العمال في بؤس مادي يجعلهم يحسون بنوع من التهميش سواء بالنسبة للاقتصاد العصري أو للمدينة الإسلامية التقليدية، يسجل التحقيق استغلال الباطرونا للشغيلة المغربية استغلالا بشعا لا يتجلى فقط في تكليفها بالقيام بأعمال شاقة لا تتطلب أي تكوين أو تخصص، وإنما كذلك في عدم احترام قوانين الشغل واللامساواة بين العمال المغاربة والأجانب. يرجع مونطاني أسباب الهجرة القروية إلى العوامل التالية : البحث عن الماء والعشب، الجفاف والقضاء على الغابات، المجاعة والجراد، انتشار النقود، إنشاء طرق جديدة للمواصلات، ازدهار التجارة على الشواطئ وجذب المدن، وكذا تراجع الثقافة القبلية ؛ ولكنه يقلل من آثار الاستيطان الفلاحي والاستيلاء على أراضي القرويين. أما من حيث أصولهم، ف 55٪ يقدمون من سوس، و40٪ من الواحات البربرية والقبائل الساحلية المستعربة، و5٪ من القبائل الرحل. وبينما يبدي السوسيون والبرابرة المستعربون استعدادا للتكيف مع الحياة العصرية، فإن سلوك الصحراويين والرحل - حسب مونطاني - يتسم بالفوضى.

وإن كانت لكل من هذه المجموعات سيكولوجيتها الخاصة، فإنها تلتقي كلها في قاسم مشترك، هو الحضارة القبلية. ومن خصائص هذه الثقافة، الإيمان بالقضاء والقدر، مما يفسر قبولهم بالأمر الواقع، ومن ثم عدم نضاليتهم التي لا تتعدى انتفاضات تمردية موسمية تعبر عن سلوك السيبة.

ولكن بما أن الشغيلة المغربية انخرطت في العمل النقابي (1936 - 1937) ، فإن سلطات الحماية حظرت هذا الانخراط لعدم ملاءمته للتقاليد المخزنية، خاصة وأن نقابة CGT تحالفت مع الحزب الوطني المطالب بالاستقلال. كما اعتبرت مساهمة المغاربة في الإضرابات العمالية بمثابة استغلال لهم باسم الإسلام، وتعبيرا عن سلوك قطيعي ؛ هذا بالإضافة إلى استغلال البعض للمسؤولية النقابية لأغراض شخصية.

يكمن الحل، إذن، في تفريق العمال اعتمادا على أشخاص "موثوق فيهم"، وإنشاء المكتب المغربي للشغل BMT الذي سيكون تحت مراقبة الإدارة بتعاون مع مجموعة من "الأمناء"، ودعم المخزن لبسط نفوذه على الفئات الشعبية وتسهيل التحكم فيها، هذا بالإضافة - في نظر مونطاني - إلى إنشاء مستوطنات بالشمال لفائدة القرويين النازحين من الجنوب، وكأن الشمال يتكون من أرض خلاء لا مالك لها.

وبعد نفي محمد الخامس، وهو ما يصفه مونطاني بالثورة، عرف المغرب مقاومة مسلحة ومقاطعة المنتوجات الفرنسية، الشيء الذي يعود في رأيه لتأثير المشرق ويعبر عن رد فعل متزمت. ويقترح كحل مناهضة مد العروبة والتضامن الإسلامي، وتقوية القواد بالجبل، وكذا الزوايا والإقطاعيين بالمناطق البربرية، وذلك لمقاومة التأثيرات الخارجية ودعم الفكر والسلوك المحافظ، وكذا تعويض الجماعات القبلية بمؤسسات حديثة، وإعادة تنظيم الأحياء والتحكم في المدن قصد إعادة السلم، وإشراك الشباب الذي يشعر بالإحباط في تنمية بلده.

الحل، إذن، يكمن في إنشاء دولة وطنية، وهو أمر لا مفر منه حسب مونطاني، دولة حديثة تعمل على تعليم وتربية الجماهير المسلمة التي لا تزال قريبة من الماضي الوسطوي، وتنعم بما تستحقه من هيبة، ويكون فيها النصارى واليهود مواطنين للمسلمين. ذلك أن مستقبل المغرب (وكذا الجزائر) لا يكمن لا في النزعة البربرية ولا في العروبة، وإنما في نزعة إنسية سياسية تتيح لكل أحد أن ينعم بالعدالة والتقدم، ليصبح العرب والبرابرة إخوة للفرنسيين.

رغم ما يمكن أن يؤخذ على مونطاني، سواء من الناحية المنهجية مثل نزعته المحورية الأوربية، وكذا نزعته التطورية والتجزيئية واعتماده المقارنة بين ظواهر وأحداث لا تنتمي إلى نفس السجل، أو من حيث مواقفه السياسية (وهي في آخر المطاف شيء طبيعي بالنسبة لضابط في الجيش ولموظف في الإدارة الاستعمارية) ، فإن كتاباته تمثل مصدرا يصعب تجاهله بالنسبة لمعرفة الفترة التاريخية التي عايشها والتي كان يؤرخ لها لا كملاحظ خارجي بل كفاعل، شريطة أن نميز لديه، بين ما هو إيديولوجي وسياسي وبين الوصف الدقيق و"الموضوعي" للظواهر والأحداث التي يسعى إلى تحليلها بطريقة "علمية".

عبد الجليل حليم، *البحث السوسيولوجي بالمغرب*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، ع 6، 1982 - 1983 ؛ *البدو والسلطة السياسية في البدو والبداوة في الوطن العربي*، منشورات الأليسكو، 1987.

A. Halim, De l'inadéquation de certains concepts sociologiques à la réalité rurale marocaine, in *Revue de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines*, Fès, n° 7, 1984 ; *Sciences sociales et hégémonie coloniale*, Publication de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Dhar El Mehraz, Fès, 2004 ; R. Montagne, *Les berbères et la Makhzen dans le sud du Maroc : Essai de transformation politique des berbères sédentaires (groupe Chleuh)*, Paris, 1930 ; *Enquête sur le prolétariat marocain*, Protectorat de la République Française au Maroc, Direction de l'Intérieur, Section sociologique ; *Naissance du prolétariat marocain*, Paris, Peyronnet et Cie, s.d. ; Comment étudier l'évolution politique et sociale de l'Afrique du Nord, in *La France méditerranéenne et africaine*, 1ère année, 1938, Fascicule 1 ; Six conférences d'initiation à la politique musulmane de la France en Afrique du Nord, *CHEAM, n° 632* ; Les magasins collectifs, *CHEAM, n° 199* ; La crise nationaliste au Maroc, in *Politique Etrangère*, 2è année, n° 6 décembre 1936 ; Crise politique et sociale au Maroc, *Revue de Paris*, juin 1954 ; Le berbérisme; politique de rechange en Afrique du Nord, in *Le Monde*, 13 mai 1953 (Ce que sont les berbères), et 14 mai 1953 (Avenir des berbères) ; Comment sortir de l'ornière en Afrique du Nord, in *Revue Musulmane*, février 1954 ; Essai de régionalisme au Maroc, *CHEAM* ; *Révolution au Maroc*, Paris, Editions France-Empire, 1951 ; François Pouillon et Danierl Rivet (dir.), *La sociologie musulmane de Robert Montagne*, Paris, Maisonneve & Larose, 2000.

عبد الجليل حليم

**مويسيحة** موقع أثري بسهل الحوز. وهو عبارة عن تل يقع جنوب غرب مدينة مراكش على بعد 15 كلم. ويوجد بالضبط شمال شرق زاوية تامصلوحت على مسافة ثلاثة كيلومترات. ويوافق هذا التل نتوءا صخريا للركيزة

الجيولوجية الأولية، أسود اللون يخترق الغطاء الفتاتي المولاسي النيوجيني الأبيض الرادم لسهل الحوز.

ويعتبر هذا الموقع الأثري واحدا من بين المواقع الأثرية الهامة فيما يخص الفترات ما قبل التاريخية والعهود التي ترجع إلى ما قبل عهد الكتابة والتدوين بالمغرب. كما يعتبر من المواقع النادرة جدا بسهل الحوز. ذلك أن منخفض الحوز الممتد بين الدير المعتدلة الظروف المناخية والوفيرة المياه ووادي تانسيفت كان قديما مجالا مكسوا بدغيلة مكونة من أشجار الفستق الأطلسي (البُطم) ونبات السدر والسنط. كما كانت تنتشر به المستنقعات عند التقاء الوديان المنحدرة من جبال درن بوادي تانسيفت. كل تلك الظروف الطبيعية جعلت سهل الحوز يتميز بانعدام أي صناعة حجرية رغم الأبحاث المكثفة التي قام بها علماء الآثار والتاريخ القديم، في حين نجد البقايا الأثرية وفيرة شماله بمنطقة سهل البحيرة فيما وراء سلسلة الجبيلات. كما تكثر جنوب بالأطلس الكبير (أوكايمدن وهضبة ياكور).

ومن العوامل التي ساعدت كذلك على وجود موقع الويسيحة هو أنه عبارة عن تل مكون من صخور نضيدية زرقاء تتخللها دكات حُثية كوارتزيتية (مروية) تصلح لأن تكون ألواحا وصفائح تنقش عليها رسومات تعبيرية. ومن الملاحظ كذلك أن هذا التل يمثل مكانا عاليا حيث ظروف الاستقرار أحسن من باقي أجزاء السهل. لذا كان تل الويسيحة محطة مفضلة في الطريق التي كان يسلكها رعاة الأطلس أثناء تنقلاتهم الانتجاعية.

أما عن أصل كلمة الويسيحة وعن المقصود منها، فبالنسبة للبعض تعبر عن التمثيلات التصويرية المنقوشة على الحجارة. وبذلك فهي تعبر عن الصور الصغيرة التي ترمز لمعتقدات وعبادات الإنسان المغربي القديم بهذه المناطق. وعليه يكون تل الويسيحة مكانا قديما للعبادة الوثنية، وبالنسبة للبعض الآخر هو مكان يدعى الويسيخة بمعنى "الفاسقة الصغيرة" الذي كانت ترجم فيه الفاجرات، وتارة أخرى نجد مصطلح النُّسيْخة فقد أشار مالهوم Malhomme إلى هذا الموقع تحت اسم "كدية الويسيرة".

ونجد بموقع الويسيحة :

- ركامات ترابية وحجرية عبارة عن مقابر تعرضت للحفر من طرف الباحثين عن الكنوز التي يُعتقد أنها مدفونة هناك.

- عدداً كبيراً من الحجارة المنقوشة التي تعرضت للتدهور الكبير. وقد نُقشت على هذه الحجارة رسوم لأنواع مختلفة من الأسلحة (خناجير، سكاكين). كما وجدت نقوش لأشياء على شكل جذوة حصان هلالية الشكل. ثم رسوم وصور بشرية المظهر ورسوم أخرى متنوعة غريبة ولغزية.

كل هذه النقوش تشير إلى حياة الانتجاع والتنقل بين الجبل والسهل، خاصة الدير والمناطق المرتفعة بالسهل كتل الويسيحة هذا حيث يبقى الرعاة مخيمين ويعبرون عن حياتهم بالنقش على الحجر.

J. Malhomme, *Corpus des gravures rupestres du grand Atlas*, rabat, 1959 ; A. Simoneau, Les gravures du Haut Atlas, *R.G.M., n° 11, 1967*, Rabat ; G. Camps, *Aux origines de la bérberie monuments et rites funéraires*, Paris, 1961 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, 2 tomes, Rabat, 1983.

أحمد زروال

**مويط** (جرمان) Germain Mouette : فرنسي ينتمي إلى منطقة دييب Dieppe. كان متوجها إلى الهند الغربية على ظهر سفينة تسمى الملكية "La Royale" عندما أسره المغاربة يوم 16 أكتوبر1670. وبقي في المغرب إلى أن افتداه رجال الدين الفرنسيون التابعون لتنظيم لاميرسي Mercy سنة 1681. وقد سجل ما حفظته ذاكرته سنتين بعد ذلك، في كتاب تحت عنوان La relation de la captivité du Sieur Moüette وقد ترجمه إلى اللغة العربية محمد حجي ومحمد الأخضر سنة 1990. تقدم لنا *الرحلة* معلومات غزيرة ومتنوعة عن المغرب خلال السنوات الأولى من حكم مولاي إسماعيل. وإذا استثنينا ما يطبع أغلب الكتابات الأوربية في هذه الفترة من تحامل على الإسلام، ومبالغة في تصوير قسوة المغاربة على أسراهم، فإن *رحلة* مويط تصف المدن المغربية كمكناس وسلا، وتقف عند السكان فتصف دورهم وطريقة إعدادهم للطعام، وخاصة الكسكس، وتعرض لوباء الطاعون الذي اجتاح المغرب سنة 1678 ودام ثلاث سنوات، والنتائج التي خلفها على المجتمع المغربي وعلى الأسرى الأوربيين. وبها أيضا إشارات لا تخلو من أهمية إلى التسامح الديني عند المغاربة، إذ كان يسمح للأسرى بشرب الخمر شرط عدم بيعه للمسلمين، كما تم الترخيص لهم بإنشاء جمعية لإسعاف المرضى. زد على ذلك أن *الرحلة* تهتم بأمور التجارة، لأن الفرنسيين كانوا يرغبون في تنمية مبادلاتهم مع المغرب، فعمل مويط على تقديم ما كان يعتبره معلومات مفيدة لمواطنيه حول هذا الجانب، فوصف المدن التي تتوقف بمراسيها السفن الفرنسية، وأعطى معلومات عنها مثل تطوان وسلا وآسفي، وذكر أنواع السلع التي كانت أوربا تصدرها إلى المغرب وتلك التي كانت تستوردها منه. ولم يفته وصف مولاي إسماعيل، وكان وقتها يبلغ حوالي 37 سنة، فذكر أنه كان طويل القامة، نحيف الجسم، ذا لحية طويلة، وأنه شديد القسوة. ولكنه بالمقابل أشاد بخصاله الحميدة كالشجاعة والصبر.

وضع مويط أيضا كتابا اخر حول مولاي رشيد ومولاي إسماعيل Histoire des conquestes de Mouley Archyd et de Mouley Ismael... وكان لا يزال في الأسر، معتمداً على ملاحظاته اليومية وعلى ماورواه له بعض المغاربة الذين كانت له معهم علاقات طيبة. وكادت نسخته الأصلية تضيع عندما احتال عليه أحد التجار الفرنسيين وأخذها منه بدعوى أن قنصل فرنسا بقادس طلب الاطلاع عليها. والكتاب الذي

طبع في باريس سنة 1683 يضم في حقيقة الأمر ثلاثة كتب :
- الأول يتناول تاريخ مولاي رشيد، ويهتم بالعصر العلوي الأول.
- الثاني يتعلق بعهد مولاي إسماعيل، وقد خصص له مويط الحيز الأهم، يتناول فيه بالتفصيل أهم الأحداث التي عرفتها السنوات التسع الأولى من حكم هذا السلطان، سواء كانت ذات طابع عسكري (مواجهة التمردات الداخلية، مواجهة المحتلين للثغور أو سياسي (زيارة بعض الأجانب للمغرب مثل شاطورونو الفرنسي وكيرك الإنجليزي).
ويتخلل ذلك ذكر أهم المغاربة الذين كان لهم دور في الأحداث، كمسؤولين في بلاط مولاي إسماعيل، أو متمردين يتزعمون بعض القبائل.
- الثالث لا يهتم فيه بالأحداث السياسية، بل يتناول الجانب الديني عند المغاربة وأهم تعاليم الإسلام، كما يتناول التنظيم العسكري ويعرف بأهم فئات المجتمع المغربي، كما يتطرق للعادات التي كان المغاربة يتبعونها أثناء إقامة حفلات الزواج، أو لدفن موتاهم، ويبين أهم خصائص التقسيم الإداري في عهد مولاي إسماعيل، كما يتعرض لطرق التربية والتعليم التي كانت متبعة. لكن مويط يسيئ إلى المسلمين ويشجب عاداتهم، بل لقد دعا المسيحيين، وخاصة الفرنسيين، إلى غزو المغرب للقضاء على القراصنة" راسمالهم خطة لتنفيذ ذلك.

مويط جرمان، *رحلة الأسير جرمان مويط*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات مركز الدراسات العلوية، الريصاني، 1990.

Germain Mouette, *Relation de la captivité du Sieur Moüette dans les royaumes de Fez et de Maroc*, Paris, 1683; *Histoire des conquestes de Mouley Archy... et Mouley Ismael tous deux rois de Fez, de Maroc, de Tafilet, de Sus*, Paris, 1683.

عبد الإله الدحاني

## ميادين تصالح الإنسان مع بيئته الطبيعية في

محميات المحيط الحيوي بالمغرب تمثل قرون الهيمنة الاقتصادية الغربية، والثورة الصناعية التي رافقتها، منعطفا خطيرا في مسار التاريخ الطبيعي للأرض، بحيث يندر أن يوجد حاليا في أوربا الغربية أي موقع مازال يحتفظ بتراثه الغابوي والموئلي الذروي الأصيل. ثم زاد استفحال الأمر لما اكتمل توسع الاستعمار الأجنبي، خلال النصف الأول من القرن العشرين، واستتب من خلاله تعميم نماذج الاستغلال والاستهلاك المعمول بهما حاليا في الاقتصاد السائد، وهي قائمة على أساس تقنلوجيات منمطة موحدة، موسومة بالاستثمار الآلي العنيف، دون أي اكثرات بخصوصيات المكان والحضارات. يمكن القول إن تقنيات ومناهج العصر قد أصبحت موحدة بوحدة مواقع القرار السياسي والاقتصادي، بعيدا، رغم الظاهر، عما يقتضيه التدبير العلمي السليم من تكييف الأدوات والمقاربات مع طبيعة مختلف النطاقات البيومناخية ومع العبقريات البشرية في التعامل مع الأرض، وفلسفات تعريف الحاجيات لدى الحضارات التي خبرت البيئة عبر العصور. بلغ الافتتان بالنماذج الطاغية إلى حد تبوئها مقام الكونية، شأنها في ذلك شأن الفكر الذي يسندها.

قضت السلوكات العشوائية في اجتثاث الغابات بتدهور مجموع الغلاف الأحيائي، فعصفت في طريقها بباقي مكونات البيئة الطبيعية، مُفاقمة تعرية التربية ومُنضبة للأرصدة المائية،وموسعة لرقعة اَلبياض المرتفع على الأرضَ، فتخلخلت مواقع النطاقات البيومناخية وانكمشت، وأصيبت جغرافية الحياة بالهزال العميق في تنوعها وبالتناقص من أطرافها، متعرضة للتشابه والعطوبية أو التصحر والإرمال.

وبعد أن كانت قضية العالم الأساسية، حتى أمد قريب، مرتبطة بمشاكل التخلف والبحث في الأنظمة المؤدية إلى التقدم الاقتصادي والاجتماعي، أصبحت الآن مهووسة بقضايا الأزمة البيئية، مصعِّدة البحث في احتوائها بواسطة تكثيف شبكات المحميات الطبيعية. فتنوعت القوانين الحمائية، ممعنة في تحريم الغابة على الإنسان بعد الإباحة والاستهتار بها. لكن سرعان ما تبين أن الصون وحده لا يجدي نفعا، خاصة في البلاد الفقيرة حيث تمثل الغابة أكبر ملاذ متاح لسواد المستضعفين. واتضح كذلك أن أفضل الطرق في ضمان سلامة الطبيعة يكمن في تصالح الإنسان معها، مستبدلا الاستغلال المبيد اللامشروط من جهة، والقطع التعيشي البدائي من جهة أخرى، بالتفاعل المتناغم المتوخي لتحصيل أعلى القيم المضافة في ظل أحسن ظروف الاستدامة.

هذا ما توصلت إليه كذلك خلايا التفكير والبحث الدولية، العاملة في إطار قسم علوم الموائل والأرض (Division des sciences écologiques et de la terre)، التابعة لليونسكو (UNESCO) ، فأنشأت برنامج الإنسان والمحيط الحيوي ( MaB = Man and Biosphere = الماب) ، سنة 1971 . وحرصا منها على أن يكون البرنامج فعالا، دعت إلى تكوين شبكة محميات المحيط الحيوي سنة 1974، لتكون أداة تطبيق لمبادئ البرنامج العلمي، خاضعة للمواصفات الدولية. يقوم البرنامج، بنفس المستوى، على دعائم ثلاثة هي صون الطبيعة، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات البشريةالتي تعيش عليها، والبحث العلمي الموفر للاستدامة. وبعد فترة من التجريب الميداني، تطورت النظرية إلى حد صياغة قانونها الأساسي المعروف بوثيقة إشبيلية، الصادرة في 1995.

يناهز الحجم الحالي للشبكة العالمية لمحميات المحيط الحيوي 500 محمية في أكثر من 100 دولة، عبر القارات الخمس، وتزيد هذه الأعداد بمعدل 20 محمية وثلاث دول في العام الواحد. تختلف أحجامها بين محميات مجهرية، متخلفة عن البدايات المتعثرة للمفهوم، منها التي لا تتعدى بضع مئات من الهكتارات فقط، مثل محمية زمبرة وزمبرطة بتونس، ومنها محميات كبرى بحكم الموائل المتكاملة على

الصعيد العالمي، ونموذجها محمية ماطا أطلانتيكا (Mata Atlantica) ، على الساحل الغربي للبرازيل، والتي تبلغ مساحتها 350 000 ألف كلم2 ، وهي على رأس قائمة المحميات التي يُعتدُّ بها في سبيل تطوير المفهوم والبرنامج. شبكة محميات المحيط الحيوي هي الآن على ما يبدو أكبر شبكات المحميات الدولية وأفضلها تمثيلا للموائل الطبيعية الكبرى في العالم، بالإضافة إلى أنها تلامس كل الحضارات الكبرى وتستأنس منها بعبقريات معارفها وعلومها المحلية في التعامل مع الأرض والرصيد المائي والمحيط الحيوي. ومن المفارقات في البرامج المعروفة بالعلمية، أنه أضيف، بدون أي حرج، إلى النظريات التي تدَّعي الشمولية والكونية والتنميط الموحد، مبدأ التعامل البيئي المبني على مفاهيم التنوع في كل شيء. أصبحت كل المحافل الدولية تعتبر أن مبادئ الخلاص كامنة في الحفاظ على التنوع الحيوي، وأن السبيل المؤدي إليه يمر بالضرورة عبر التنوع الحضاري وعبقريات الشعوب، وأن الوظيفة الأساسية للبحث العلمي البيئي تدور حول استكناه المعارف التقليدية المحلية ومدى تناغمها مع آليات التطور الطبيعي ومواقع توظيف العلوم والتقنيات الحديثة في حدود واعية لشروط الاستدامة.

تفاعل المغرب بطريقة نشيطة مع كل هذه التطورات :

تشهد الوثائق والذاكرة الجماعية على وجود تقنيات تقليدية مبتكرة وفعالة في التعامل الراقي مع البيئة الطبيعية والصون المتكيف مع خصوصيات المكان والحاجة، تعاهدت على احترامها القبائل، وجرى تنفيذها من طرف أصحاب الأرض ذاتهم، وتطورت عبر القرون، لكن أول قانون مكتوب، ينشد الاكتمال والشمولية، ظهر في 1917، على عهد الاحتلال الأجنبي، ضمن وثيقة صون واستغلال الغابات، أعقبتها تشريعات جزئية متخصصة في ميادين دقيقة مختلفة. لكن التدوين التشريعي لم يحل دون تعريض الطبيعة للتدهور السريع، تضافرت فيه الإصابات المبيدة على التساوي بفعل التدخل الرسمي وبفعل ظرفية الاحتجاج والفاقة عند الأهالي الذين فقدوا، بقوة القانون، الحق التقليدي في رعايتهم للغابة. ومن أكبر الأزمات الحديثة التي مرت منها الطبيعة بالمغرب، حروب الاحتلال وما رافقها من محاصرات في الجبال ومن حول الغابات، ثم ظرفية الاحتياج الاستثنائي لدى دوائر الاستعمار خلال الحرب العالمية الثانية، حيث بترت الغابات من أثمن وأجمل عناصرها، أضف إلى ذلك المشاريع التي رافقت إدخال الازدواجية على التشكيل الحضري في المدن المغربية، قبل الحرب وبعدها، وبناء الأحياء العصرية للمعمرين في بعض المدن مثل الدارالبيضاء وأگادير. ومعلوم أن مشروع بناء السكك الحديدية في إسبانيا قد تم على أساس تحطيم غابات بأكملها من سنديان الزان الرائعة التي رُحلت من جبال الريف. أما التراث الغابوي الذي أدرك عهد الاستقلال فلم يكن أوفر حظا على الإطلاق، بل عرف تسارعا مميتا في إيقاع التراجع والتدهور والإبادة.

اسطاع المغرب المستقل تصنيف 154 موقعا ذا أهمية أحيائية وموئلية (SIBE) ، أقيمت عليها دراسات رفيعة المستوى، عشرة (10 ) منها متنزهات طبيعية وطنية، المفروض أنها الأكثر اتساعا على الأرض، والباقي موزع على مواقع ممتازة للتنوع الحيوي، ثلاثة أرباعها قارية، والربع الباقي منبث في السواحل. والواقع أن جلها لم يعرف طريقه إلى التطبيق، لا شك بسبب كلفة الوسائل الواجب توفيرها من طرف الدولة، التي أصبحت المتصرف الوحيد، المثقل الكاهل بأعباء التسيير، والمُقصي الزاجر لأي متدخل مترام على ملكها، وما نتج عن هذا الوضع من امتناع أي تعاون بين الأجهزة المتخصصة للدولة والأهالي أصحاب الأرض. طرأت بعدها إصلاحات قانونية تنشد تليين العلاقات وخلق بعض الشراكة بين كل الأطراف، منها ظهير 1976 المتعلق بتنظيم إسهام السكان في تنمية الاقتصاد الغابوي.

لم يعرف المغرب جلب الصيغة الحمائية التنموية لمحميات المحيط الحيوي إلا على عهد متأخر جدا، حلّ مع منعطف القرن. لكن تتابعت مشاريع هذا الصنف من المحميات على نحو أقرب ما يكون من إبداع استراتيجية وطنية وإقليمية حقيقية ترمي إلى مكافحة التصحر، بالنسبة إلى الجيل الأول منها المتحقق مبدئيا في الميدان، وتروم صون وتنمية الموارد الطبيعية الأساسية، بالنسبة للمشاريع المرتقبة في أجل قريب.

قوام الجيل الأول، محميتان مرصوصتان على الجبهة الصحراوية، هما محمية أرگان للمحيط الحيوي (Réserve de Biosphère de l'Arganerie = RBA) ، ومحمية المحيط الحيوي لواحات الجنوب المغربي (Réserve de Biosphère des Oasis du Sud Marocain = RBOSM).

أما محميات الجيل الثاني التي يجري التخطيط لها، فقد اختيرت مواقعها على مرتفعات وسط البلاد وشمالها حيث تغزر الأمطار ويتكاثف التثليج. المشروع الأقرب إلى التحقيق هو الذي يخص محمية الربط القاري للمحيط الحيوي عبر البحر المتوسط (Réservre de Biosphère Inter-continentale de la Méditerranée = RBIM) ، وهو مشروع الحلم الكبير، المشترك بين جهة الحكم الذاتي بالأندلس، من المملكة الإسبانية، والريف الغربي أو منطقة أجبالة، من المملكة المغربية، وينتظر أن يقترح ملف الترشيح المشترك على أنظار اللجنة العلمية الاستشارية ومكتب لجنة التنسيق الدولي للماب، باليونسكو المركزي بباريس، في متم ربيع 2006 . يأتي بعده مشروع محمية أرز الأطلس للمحيط الحيوي (Réserve de Biosphère du Cèdre de l'Atlas = RBCA) ، ويشمل غابات الأرز في الأطلس المتوسط الغربي والجنوبي وفي الأطلس الكبير الشرقي.

محميات المحيط الحيوي في مكافحة التصحر تمثل حزاما

أحيائيا بين الأطلس الكبير والصحراء الإفريقية الكبرى، على مدى البلاد من الغرب إلى الشرق، مقاسمة بين محمية الأركان، ومحمية الواحات.

سُجِّلت محمية أرگان المحيط الحيوي ضمن الشبكة العالمية في 8 دجنبر 1998. يمكن اعتبارها من أوائل الترشيحات التي أسهمت، بمجرد طرحها على المنتظم الدولي وحسب صيغة الملف الذي عُرضت به، في تطوير المفاهيم لكونها تصدت لطرح قضايا التدبير الكبرى في أقصى حدتها على مستويات الصون والتنمية المستدامة والبحث على السواء.

يبدو الغرض الأول منها طبيعيا، يتوخى الحفاظ على غابات الأرگان (Argania spinosa)، التي ينفرد بها الإقليم عن باقي أنحاء العالم، في السهل والجبال، على مدى مجال توزيعها، بما مجموعه 3 ملايين هكتار، بين الصويرة وسيدي إفني. في الواقع، من الوجيه أن ننتبه إلى أن أول عنصر من الغلاف النباتي الطبيعي استدعى هنا اعتماد صيغة محمية المحيط الحيوي هو نوع انتقالي، بحيث وإن كان الأرگان لايزال ينتمي للأجناس الغابوية، فإنه مع ذلك شجرة مغلالة، متعددة الاستعمالات، معروفة على الخصوص بزيتها المتميز، تثمر كل سنة، إلى حد أنها أسست حضارة متكاملة تنطلق من رعي الماعز إلى صناعة مواد التجميل والتطبيب، مرورا بإعداد طواجن الأفراح من فحمها إلى مرقها. كان لابد لخصوصيات بهذا المستوى من النوعية أن تفرض قانونا خاصا بها، هو التشريع الخاص بغابات أرگان، بموجب ظهير مارس 1925، الذي يعترف للسكان بحق الانتفاع من الفاكهة والأوراق وحق المرعى والزراعة من حول الشجرة التي يضمن الشارعُ استمرارها. لكن تدخل الاقتصاديات العصرية علي الإقليم وضع النوع كله في وضعية مهزوزة، عرف معها تراجعا سريعا بفعل الاجتثاث، في جل الأراضي الخصبة وفي مجالات توسع المدن، وأنضب من حوله المياه التي كانت تسقي جذوره. لذا كان من الضروري إدخال كل مقومات المشهد الطبيعي والبشري قاطبة من أجل اقتراح الحلول على أساس تفاعلها في وضعها الحقيقي الكامل المعقد وبمقاسها الميداني التمامي، بعيدا كل البعد، عن هاجس البكارة الطبيعية، وحتمية الخواء البشري. فمسألة استمرار نوع الأرگان في الوجود لا يمكن أن تعالج إلا على ضوء أحقيته في التربة والماء من ضمن جمهرة ذوي الحقوق الطارئين والذين تسخرهم مباشرة مصالح حوالي ثلاثة ملايين نسمة. تتعاطى هذه الساكنة مختلف الأنشطة من القروي الجبلي المغرق في الأصالة، إلى الزراعة العلمية الشديدة الحداثة، وإلى الحياة الحضرية المعقدة التي تحتل منها مدينة أگادير الموقع الرئيسي للقرار. فكيف إذن لا تذهب الصدارة في تقدير أسباب تصالح الإنسان مع محيطه الطبيعي للعامل البشري في الوعي ثم السعي إلى توفير ظروف الاستدامة الطبيعية والحضارية. علما أن ما نقصده بالحضارة ليس هو المستوى التقني، الذي يزيد وينقص، ولكن الرؤية التي يعتمدها الإنسان في عمارة الأرض وما يترتب عنها من أنماط إعداد المجال وطرق الاستثمار والاستهلاك.

أدمجت محمية المحيط الحيوي لواحات الجنوب المغربي في اللائحة العالمية بتاريخ 10 نوفمبر 2000. وهي تمثل، بحوالي 8 ملايين هكتار، أكبر محمية محيط حيوي في الجهة العربية. تشكل المحمية نموذجا للتكامل البيئي، داخل الحدود الدقيقة للأحواض النهرية التي تضم الشبكة المائية لنظامي درعة وزيز، انطلاقا من الدور البيومناخي المتوسطي الصقيعي، من حول قسم الأطلس الكبير الأوسط التي يتعدى ارتفاعها 4000 متر، إلى الربوع السهبية المتاخمة للصحراء الكبرى. تتوسطها المجموعات الواحية لمقدمة الصحراء، يهيكلها نخيل التمور، والبستنة المركبة الأغراس المكثفة والمغلالة، وبها مواد متعددة ذات قيمة بيئية مضافة رفيعة. يتشكل التنوع الزراعي من مواد متميزة، جلها ضُروب قبسية شديدة التكيف مع البيئة القاحلة المسقيةمنها الزعفران والحناء والورود وكذا نعجة الدمان، الوفيرة الخصوبة، والنحلة الصحراوية الصفراء والماعز والإبل، بالإضافة إلى ضروب الحبوب والأعلاف والبقول والفاكهة. تخضع الواحات إلى إعداد مجالي مبتكر بديع، تخدمه أساليب إرواء من الطراز الفائق التكيف، معدة على أساس القنوات الباطنية للخطارات، وتتربع من فوقها أنماط السكن الأصيل المتناغم بيئيا وجماليا والمتجلية في القصبات والقصور الصحراوية. ويقوم على تدبير القطاعات المتكاملة، بين واحات الاستقرار وسهوب وجبال الانتجاع، ساكنة متعددة الأعراق، مؤتمنة على التقليد الواحي الألفي، في إطار "حضاة الوطن الجاف" الضامنة للأواصر المتينة بين الصحراء والمجتمعات البشرية التي تسكنها.

بديهي أنه أصاب الواحات ما أصاب الأرگان من انفصامات عميقة في التوازن تبعا لأنماط الإعداد التي دخلت عليهما بالتساوي خلال القرن الماضي على الخصوص، والبادية الخلل على مستويات الاستغلال والإنتاج، مع اعتبار العطوبية الزائدة المفاقمة للوضع في مجالات الهشاشة البيئية الصحراوية.

الإيجابي في الأمر هو ما يسمح به الترابط الجغرافي بين المحميتين من تأسيس حزام موصول، قوامه عناصر الحياة الطبيعية وحصيلة المعرفة البشرية، مؤهل مبدئيا لمكافحة التصحر بنوع من المصداقية.

محميات المحيط الحيوي من أجل صون وتوزيع الموارد الطبيعية الأساسية، من شأنها أن تضطلع بانتقاء العاليات الجبلية الربطة بغرض تأهيلها للقيام بأدوار أكثر نجاعة في تموين أهم السهول الزراعية الغنية للبلاد، دون إغفال الإعداد الذاتي على أحسن الوجوه البيئية. لازالت هذه المشاريع قيد الدراسة والتشاور وإعداد الملفات.

تبدو محمية أرز الأطلس للمحيط الحيوي كأولي المشاريع

التي تستحق بوضوح أن تقام في ميدان المجالات الأحيائية المحمية بالشمال الإفريقي، إذ الأرز هو النوع الشجري الذي يتبادر إلى الذهن في موضوع ما يصطلح عليه بالخشب النبيل. أرز الأطلس (Cedrus atlantica)، هو أفخم وأجمل أنواع الأرز في العالم، وهو نوع غابوي قبسي لا يوجد إلا بالمغرب والجزائر، ربما صح أن نقول فيه إنه مغربي بامتياز، لأن المغرب لازال يحتكر 80٪ من رصيده الإجمالي، رغم التحريات التي تعتبر أن البلاد قد فقدت الثلثين (2/3) من حجم غاباته الأصلية.

يتناول مشروع المحمية، على ما يبدو من التصورات الأولية جدا، أهمَّ جزء من أرز المغرب الأوسط، أي جل ميادينه في الأطلس المتوسط، بالإضافة إلى كل تشكيلاته في الأطلس الكبير. طبيعة هذا النوع الشجري عندنا تخوله أن يكون عنصرا راشما لأفضل العاليات السخية بالأتربة والمياه.

هناك مدرسة غابوية قصوى تعتبر أن البيئات الهشة في البلاد الجافة، على غرار الشمال الإفريقي، لا يصح لها أن تستثمر غاباتها إلا من حيث أنها تصون الأتربة وتسهل تسرب المياه إلى الفرشات الباطنية. يبدو الأمر صحيحا إلى حدّ ما، في الأطلسين، مع السنديان الأخضر (Quercus rotundifolia)، الحارس الأمين على أوسع المساحات في جبال الارتفاعات الوسطى، ومع العرعر الفواح (Juniperus thurifera)، القادر على إقامة آخر الغابات في أعلى الجبال رغم مكابدة الثلوج ووقع الجو الصقيعي. وحده الأرز يدل عندنا على ظروف رخاء نسبي ووعود حقيقية بتوفير خشب التشغيل إضافة لأكبر نصيب من الموارد الأساسية. ترجع الثروة المائية إلى وضع جبال الأرز كحلقة وسطى في المدرج الجبلي الغابوي العظيم الذي يربط بين الأطلس الكبير والريف، والمنفتح على التأثيرات المطيرة المقبلة من المحيط الأطلنتي. تتجلى الوظيفة السامية للبرج المائي بالذات في الجبال المكسوة بالأرز بسبب التضافر الغالب بين وفرة التساقطات والثلوج، من جهة، وانتشار القواعد الكارستية المخزنة لأوفى الأرصدة المائية.

تبقى وضعية غابات الأرز مثالية بالنسبة لأية محمية تقليدية بسبب قلة الكثافات البشرية محمية من قبيل محميات المحيط الحيوي لا يمكن أن تتجنب التساؤل بشأن مصير المجتمعات البشرية التي بدأت تتحول تدريجيا من وضعها التقليدي كطوائف رعوية متنقلة ومنتجعة، ذات استغلال جد خفيف للموارد، إلى أوضاع استعمال استيطاني للأراضي واستغلال مكثف لمياه الفرشة من أجل غراسة الورديات، الآخذة في الازدهار والتوسع على أتربة المنخفضات الكارستية المغلقة وفي جو البرودة المناسبة. يتعين إذن على هذا النوع من المحميات أن يفتي في القضية الكبرى لمعايير توزيع المياه بين الحاجيات المستجدة للمغرسات الحديثة في الجبل، والإمدادات الضرورية التي يقدمها نفس الجبل والتي يتوقف عليها مصير الدير، في الحافات المحيطة بالجبل، وخاصة في المدارات الزراعية السقوية الكبرى الموزعة في أغنى سهول البلاد والمستفيدة من الأنهار الكبرى الوافدة عليهامن الأبراج المائية.

يتمتع مجال انتخاب محمية الرباط القاري للمحيط الحيوي عبر البحر المتوسط بخصوصيات استثنائية تبوئه موقع الامتياز ضمن باقي الجبال في الشمال الإفريقي. لا شك أن السر في اكتساب التميز راجع إلى تشكل المجموعة الجبلية للريف الغربي في صورة جسر ممدود لعبور التأثيرات الطبيعية التي دفعت بها قسوة التبريد من أوروبا خلال الفترات الجليدية الرباعية. تعرض منطقة اجبالة، أرطب كتلة جبلية على كل الهامش الجنوبي لحوض المتوسط، علاوة على كونها الكتلة الجبلية الممتدة الوحيدة التي لا تلامسها القحولة على أي من سفوحها. هذه الظروف المواتية هي التي سمحت لمقومات المشهد الطبيعي الموروثة عن الفترات الأرطب من الرباعي بمواصلة الاستقرار، ومنها النباتات والأتربة المطبوعة بالسمات الأقرب إلى الاعتدال مقارنة بباقي التراب الوطني.

أما آثار العبور البشري، فتتجلى في كون هذه العاليات هي الجبال الوحيدة التي اكتسبت قاعدتها البشرية الأمازيغية اللسان العربي بصفة كاملة بفعل نزوحات الأندلسيين العابرين من الشمال، والذين استطاعوا التغلغل في الأرياف، فضلا عن المدن، خاصة ابتداء من القرن الخامس عشر.

ينتظر أن يبلغ إجمالي مساحة المحمية 1 200 000 هكتار، مناصفة بين العدوتين. يساعد على هيكلة الجهة المغربية من المحمية وجود مواقع ذات أهمية بيولوجية وأيكولوجية، يأتي على رأسها المتنزه الطبيعي الوطني لتلاسمطان والمتنزه الطبيعي الإقليمي المرتقب لبوهاشم، بالإضافة إلى مواقع أخرى صغيرة منتشرة في مجموع شبه الجزيرة الطنجية.

يقع المتنزه الطبيعي الوطني لتلاسمطان في الشمال الشرقي المباشر لمدينة شفشاون، مغلفا العرف الطولي الكاربوناتي للريف الغربي على مساحة 60 000 هكتار. وهو يمتلك المتاع الطبيعي الأثمن على الصعيد الإقليمي العريض، من خلال العديد من مواطن الاهتمام الاستثنائي. منها ما يقدمه من مشاهد تشكيلية رائعة بفعل تأثير المناخ المتوسطي الرطب على كتل جبلية كارستية يناهز ارتفاعها الألفي متر. وما خلفته المناخات الأكثراعتدالا في الغطاء النباتي من تنوع وغنى بالأنواع القبسية، يتربع على رأسها شوح المغرب (Abies maroccana)، المتألق في غابة أخاذة من 3000 هكتار.

إلى الغرب من شفشاون، ينتظر أن يمتد المتنزه الطبيعي الإقليمي في بوهاشم على مساحة 76 000 هكتار، على جبل رطب، تتوسطه كتلة غابوية من 8000 هكتار متصلة، قوامها السنديان الفليني وسنديان الزان. في اتجاه شمال شبه الجزيرة،

تنفتح الغابات بقدر تضاؤل الارتفاعات، تاركة المجال مبدئيا للزراعات المختلطة، التي تنتهي باحتلال جل الأرض مع تزايد تأثير الأقطاب الحضرية، بخاصة طنجة، سبتة وتطوان.

خلافا لجل التشكيلات النباتية الطبيعية، جنوب المتوسط، المصابة بالهزال تذكر الغابات الرئيسية هنا بهيئات الجلال في مقامات الاعتدال الأوروبي. تشعُّ حاضرة شفشاون الساحرة بألقها الأندلسي وسط قاعدة غابوية يشكل السنديان الفليني (Quercus suber) لحامها، تنمقها أجمل الأيك من شوح المغرب وأنواع السنديان النفضي (Quercus faginea, Q. pyrenaica)، مع ظهور متحفظ للأرز الأطلسي (Cedrus atlantica) على شكل طلائع لغاباته الواسعة في اتجاه الريف الأوسط. أما السنديان القرمزي (Quercus coccifera)، فإن تراجعه السريع في وجه استفحال الزراعات، ينذر بتهديد اختفاء النوع.

على غرار المقاربة الإسبانية في رسم حدود الشق الأندلسي من المحمية، تجنبنا كذلك في مقاربتنا مدن الشمال الكبرى المطلة على البحر، والسواحل السياحية، والمدارات الزراعية السهلية الكبيرة.

لكن رغم كل التحفظات من الوقوع في صعوبات إضافية، تبقى محمية الربط القاري "محمية كل التحديات". إذ هي أول محمية عبر الحدود تخص الجهة العربية، لكنها خلافا لكل الانتظارات تربط المغرب، وهو عضو في شبكة الماب العربي (Arab-MaB)، بالمملكة الإسبانية، وهي تنتمي طبيعيا لشبكة الماب الأوربي (Euro-MaB) وكذا لشبكة الماب الإيبيري التي تجمعها حضاريا بأمريكا اللاتينية (Ibero-MaB)، بالإضافة إلى أن المغرب وإسبانيا يجتمعان معا في شبكة الريدبيوس (REDBIOS)، وهي شبكة قرب ثانوية تربط بين بلدان الساحل الشرقي للمحيط الأطلنتي والأرخبيلات المقابلة لها على مستويات العروض المتوسطية وشبه المدارية، مؤلفة موئل ماكارونيزيا المتميز، ومعلوم أن حلقة تحاول الربط، في الوضع الراهن، بين القارة الإفريقية وبين أوربا الموحدة، عبر حدود جبل طارق، هي من قبيل الترامي على أكثر الحدود فصلا وأكبرها جذبا في التاريخ البشري.

ومع ذلك، فإن ما سبق من الفواصل هو من قبيل الحدود القانونية فقط، تضاف إليها بالطبع الحدود الاقتصادية والاجتماعية والعرقية والدينية والنفسية وغيرها ولاشك كثير. وأكيد أن من المشاكل الموضوعية عندنا، من قبيل الاقتصاديات الاصطناعية والسرية مثلا، ما يبدو أنه قد تفشى إلى أبعد الحدود، كالتعويض المتنامي للزراعات التقليدية المختلطة بزراعة الكيف (Cannabis sativa) الأحادية، التي تشق الغشاء الغابوي بعنف، ولا تقف عند أي شكل من أشكال التضاريس الوعرة في الريف، ومعها مختلف أنواع المتاجرة بالبضائع والبشر، مما يزدهر دائما عند هذا النوع من الحدود السياسية.

مع ذلك فإن لجنة القيادة المختلطة المغربية - الأندلسية تشتغل على مشروع المحمية كما لو كان أمرا طبيعيا، بحيث لا يشعر أحد بأي من هذه المطبات الموضوعية بين الجامعيين والمهندسين والإداريين الذين يشكلون اللجنة، التي تقيم جلسات عملها الدورية من أجل توحيد المقاربات، في شفشاون ومالقا، وتطوان وإشبيلية، وأصيلة وطريفة. ولاشك أن شعور التقارب هذا يتعدى حلقات العمل إلى الحواري والقرى.

أكيد أنه، لو تحقق المشروع - الحلم، لصار معناه أن للثقافة والتاريخ صولات تذوب تحتها القيود. ثم إن التسمية الموضوعية الجغرافية للمحمية، كما هي مسطورة الآن، ستزدان بالعنوان التكميلي : "محمية الأندلس للربط القاري"، لتكون محميات المحيط الحيوي، بحق، ميادين تصالح الإنسان مع الطبيعة ومع التاريخ ومع الثقافة.

إدريس الفاسي

**ميبلادن**، توجد مكامن ميبلادن على بعد حوالي خمسة عشر كيلومتر إلى الشمال الشرقي من ميدلت. تنتسب المقاطعة المنجمية المسماة عادة بأحولي ميبلادن إلى ملوية العليا، التي تضم كذلك مناجم زايدة.

تبوأت المنطقة مكانة رفيعة، من ضمن المناطق المعدنية المغربية، ولمدة طويلة. إذ اكتشفت تمعدناتها ووضعت قيد الاستغلال منذ مستهل القرن الماضي.

تمّ اكتشاف منجم ميبلادن بالذات سنة 1938، واستمر الاستغلال به إلى حدود أوائل الثمانينيات، توقف عندها الإنتاج نهائيا، بعد استخلاص أكثر من ستة ملايين ومائتين وخمسين ألف طن من خام الرصاص، بنسبة 5 بالمائة.

عدي عزى

**الـ ميتادور** Metedores ، كلمة أطلقتها المصادر الأوربية، وخاصة الفرنسية، على فئة من المغاربة، اتخذت خلال حكم السلطان مولاي إسماعيل (1672 - 1727) من تهريب الأسرى المسيحيين نشاطا لها. فقد استغل المسؤولون الأوربيون وبالأخص رجال الدين، هذه الفئة مقابل مبالغ مالية زهيدة إذا قورنت بالفديات التي كان يطالب بها السلطان. ومن المعلوم أن أعداد الأسرى المسيحيين عرفت ارتفاعا كبيرا خلال هذا العهد، خاصة بعد استرجاع الثغور المغربية كالمعمورة وطنجة والعرائش. وكان الاتفاق يقضي بأن يهرب الميتادور أسرى يتم تحديد أسمائهم مسبقا، في اتجاه مناطق معينة ليحصلوا بعد ذلك على مبالغ مالية.

هكذا كان هؤلاء الوسطاء يتجهون إلى مكناس، عاصمة المغرب وقتئذ، ويحثون أسيرين أو ثلاثة على وضع ملابس شبيهة بملابس المغاربة إلى حد كبير، ثم يقتادونهم نحو الثغور المغربية المحتلة من طرف إسبانيا أو البرتغال. ولم

يكن مولاي إسماعيل يتردد في إنزال أقصى العقوبات بهؤلاء الوسطاء، ومن معهم من الأسرى، في حالة إلقاء القبض عليهم. بينما لم تكن العقوبة التي تطال الأسرى الفارين اعتمادا على أنفسهم تزيد عن إثقالهم بالسلاسل وتشديد المراقبة عليهم، بل وكثيرا ما تكون معاملتهم حسنة تبعا لأوامر مولاي إسماعيل. وقد وردت إشارات إلى أن مولاي إسماعيل قتل خمسة عشر مغربيا لتورطهم في تهريب أسرى مسيحيين.

كان الميتادور في الغالب هم الذين يعرضون خدماتهم مقابل المال. وكانت الأمور تتم بسهولة أكثر قبل أن يجبر الإسبان على الانسحاب من المعمورة والعرائش، والإنجليز عن طنجة، لأن هذه المدن قريبة نسبيا من مكناس. أما في بداية القرن 18، فقد أصبحت الحراسة مشددة، إذ كان يتم تنظيم دوريات يومية للمراقبة في نواحي مازغن يستعين خلالها الحراس بالكلاب، كما رصدت مكافآت لمن يتمكن من إلقاء القبض على الأسرى الفارين.

كانت عمليات تهريب الأسرى تتم تحت جنح الظلام، وخاصة خلال فصلي الخريف والربيع، لأن السكان لا ينامون خارج منازلهم خلال هذه الفترة. واستعملت الرشوة لكسب بعض الحراس المرابطين قرب الثغور المحتلة، حتى يسهلوا عمليات الفرار.

ومع ذلك، كانوا يتخلون عن الأسرى إذا بدا لهم أن انكشاف أمرهم وشيك، بل إنهم في هذه الحالة، قد يفضلون قتلهم مخافة التبليغ عنهم. كما أن المهربين قد يجدون صعوبة في الحصول على المبالغ المالية التي وعدهم بها المسؤولون الأوربيون، رغم توفرهم على رسائل زودهم بها حكام بعض المدن الأوربية (قادس مثلا) أو الثغور المغربية المحتلة (مليلية) تعترف بالدور الهام الذي يقومون به في سبيل حرية الأسرى المسيحيين.

ولذلك ظلت أعداد الأسرى المهربين من طرف الميتادور قليلة لم ترق إلى ما كان يطمح إليه الأوربيون، بل كثيرا ما كانت عمليات التهريب هذه سببا أدى إلى تسرب الشكوك إلى مولاي إسماعيل ومعه القواد المغاربة، فاتهموا رجال الدين، في أحيان كثيرة، بأنهم ليسوا إلا تجارا أتوا لافتداء الأسرى مقابل أثمان بخسة بهدف إعادة بيعهم بأثمان مرتفعة، مما أثر بشكل كبير على عمليات الافتداء.

*Sources inédites de l'histoire du Maroc*, 2ème série, France, Tome VI, p. 702-703 ; D. Busnot, *Histoire du régne du Muley Ismel, roy de Maroc, Fez, Tafilelt, Souz...* Rouen, 1731, p. 173-179.

عبد الإله الدحاني

**ميدلت** أو **ميدالت**، مدينة تقع بمنطقة حوض ملوية العلوي على السفوح الأولى للواجهة الشمالية الشرقية لجبال الأطلس الكبير الشرقي حيث جبل العياشي يعلوها من فوق 3750 م وتطل عليها في الأفق في اتجاه الشمال الغربي، الواجهة الجنوبية - الشرقية - للأطلس المتوسط الذي تفوق قممه 2400 م. فهذا الموقع الجغرافي الهام جعل ميدلت تحتل ممراً طبيعيا استراتيجيا يربط بين المناطق الصحراوية الجنوبية الشرقية والأقاليم الشمالية الغربية للبلاد، ممراً طالما سهل هجرات وتنقلات قبائلية واسعة النطاق سجلتها الحقب الماضية، وتعبره اليوم الطريق الرئيسية الآتية من مكناس وأزرو والمؤدية إلى الريش والراشدية عبر فج تيزي "انت تالغمت". وموقع ميدالت هذا والمتميز بكونه منخفضا حبيس كتلتين جبليتين كبيرتين، جعل هذه المدينة من حيث المناخ في معزل عن التيارات الرطبة التي تهب من الشمال الغربي، كما أن هذا الموقع يحميها من حدة التأثيرات الصحراوية الآتية من الجنوب الشرقي. فبالرغم من أن المدينة تحتل موضع إشراف يصل ارتفاعه إلى 1510 م فوق سطح البحر، فإن طقسها شديد القسوة يغلب عليه التباين الفصلي حيث البرد قارس في الشتاء ( - 5°) خاصة حينما يكسو الثلج جبل العياشي، والحرارة مرتفعة في الصيف (+ من 35°)، والتساقطات ضعيفة يتراوح حجمها السنوي بين 200 و300 مم، وتنزل عموما على شكل أمطار، ونادرا ما تسقط على شكل ثلوج. وبحكم علوها هذا وانفتاحها على حوض ملوية تعيش ميدلت في مهب رياح متقلبة طيلة السنة.

ويرجع تاريخ تأسيس المدينة إلى عهد الحماية. فإلى حدود القرن التاسع عشر. كانت المنطقة تدعى "أوتات" أو "أوضاض". وأوتات هذا كان عبارة عن شريط من "القصور" أو "الإغرمات" شيدت على ضفاف أحد روافد الأطلس الكبير (وفرعيه وادي تسويت ووادي إفلي) وهو وادي أوتات. استوطنت بهذا الموضع بعد تقلبات وصراعات قبلية متشعبة دامت حتى منتصف القرن التاسع عشر مجموعات أمازيغية : قبيلة آيت تولوت وهي إحدى فروع آيت إزدك التابعة لآيت يافلمان (سمورة، تاشاويت، تاجيلاليت...)، قبيلة آيت مومو (قصبة فليلو، وخرم جيوان)، قبيلة آيت وافلا المنتمية إلى آيت إدراسن (قصبة آيت وافلا، تاشاويت...) وآيت احديدو (برم) وبقايا من گروان الذين دفع بهم إلى منطقة گروان بهضبة سايس. كما استقرت إلى جانب هؤلاء أسر من الشرفاء والحراطين واليهود. فالبرغم من أن القصر كان يجمع بين أسر كانت تتميز بوحدة السلالة فلا غرابة أن نجد به تعايشا وطيدا بين اليهود والمسلمين دون أن يمس ذلك بحسن جوارهم وطيب علاقتهم (قصر بوس ملاح، عثمان أو موسى من قبيلة آيت إزدك).

اشتهر هؤلاء على خلاف القبائل الرحل المجاورة (أولاد الخاوة وآيت مرغاد) بالعيش المستقر وتشييد العمران والتعاطي لزراعات سقوية متمثلة في الذرى و"الفصة" وبعض الخضر والفواكه (البصل واللفت والقرع والتين والكروم والمشمش) وزراعة الشعير والقمح، هذا إلى جانب ممارستهم لتربية المواشي من غنم وأبقار ومعز.

وقد بنوا "قصورهم" على شكل تجمعات سكنية تعزل بعضها عن بعض حقول خضراء تكتلت حول مصدرهم المائي

الوحيد. غير أن أهم هذه التجمعات التي ستتوسطها ميدلت عند تأسيسها هي تاشيوين، إخرم إجوان بوسملاح، عثمان أو موسى، تاموسى أوعليت، تاشيويت... شيدت القصور بالطين على النمط التقليدي الصحراوي داخل أسوار مفتوحة على باب أو بابين، وانتظمت البيوت داخلها بصفة متراصة حول أزقة ضيقة وهي بيوت صغيرة منخفضة ذات طابع ريفي، تحتوي على طابق سفلي مكون بالإضافة إلى مطبخ من غرفة أو غرفتين تفتح على فناء تضيئه كوة ضيقة تجدد الهواء به. الحيطان ترابية وسميكة، والسطوح أفقيه الشكل ومغطاة "بأسكين" وهو الشست المدكوك. فإذا كان هذا البناء يتيمز بهشاشته وتعرضه للتآكل السريع بفعل التساقطات العنيفة فإنه من جهة أخرى يلطف الجو داخل البيت، حيث يقيه من التقلبات الحرارية الكبيرة المميزة لهذه المنطقة. ويعلو هذه البيوت عند العائلات الميسورة طابق ثانٍ يحمل غرفة تدعى "المصرية"، وكانت خاصة بالضيوف والجلسات الصيفية، حيث نوافذها المزينة بالشبابيك الحديدية تمنح فسحة المنظر ومتعة النسيم في الفترات الحارة.

إن الموقع الاستراتيجي الهام لهذه المنطقة جعل منها على مر العصور معبرا متميزا عملت على التحكم فيه جل الدول التي تعاقبت على المغرب، كما منحها مكانة خاصة لدى الإدارة الاستعمارية وذلك منذ مطلع القرن (20) وهو ما جعلها تدخل في خضم تحولات عميقة ومتواصلة غيرت ملامحها شكلا ومضمونا.

فخلال عملية الغزو الفرنسي لمنطقة ملوية العليا سيطرت جيوش الاحتلال على مرتفع "أكنوز ن ميدلت"، وهو مرتفع يقع على مقربة من موضع المركز الحالي للمدينة، ونظراً لموقعه الهام فإنه شكل نقطة استراتيجية أساسية لدعم العمليات العسكرية المنظمة ضد المناطق الجبلية والصحراوية. وبعد بسط نفوذ الحماية على هذه الأراضي وتخليدا لذكرى هذه الأحداث حسب الذاكرة المحلية، فقد أطلق اسم ميدلت على المركز الجديد الذي تم زرعه في قلب أوتات. وشيئا فشيئا امتد اسم ميدلت على القصور المجاورة. وتعزيزا لهذا الدور العسكري، فقد تم إقامة أول ثكنة عسكرية بأعالي أوتات بالقرب من دوار تاعكيت ثم دعمت بعد ذلك بثكنة ثانية، الأمر الذي جعل هذه الأخيرة تشكل قاعدة أساسية في مراقبة المناطق الصحراوية وتأتي في الصف الثاني بعد القاعدة العسكرية الكبيرة الواقعة بمكناس.

بنيت المدينة الأوروبية بالقرب من إخرم جيوان على نمط التعمير الأوربي، عملا بتوجيهات المقيم العام المارشال ليوطي والقاضية بتطبيق التمييز المجالي بين الساكنة الأوربية والساكنة المحلية من يهود ومسلمين. يتميز تصميمها العام بأزقة واسعة وهندسية الشكل مزينة بالأشجار. البنايات ذات سطوح متعارضة الميل، ومغطاة بالقرميد الأحمر. تحتل الكنيسة قلب هذا النسيج وتشغل موضع إشراف يطل على الأحياء الجديدة والقصور العتيقة المستدة على طول وادي أوتات. ويؤكد هذا الاختيار مدى إرادة الإدارة الاستعمارية في مد الحضور المسيحي إلى عمق الديار الأطلسية بهدف تلبية الحاجيات الدينية للجالية الأوربية ونشر المسيحية في صفوف الأمازيغ ،وتحقيق مشروعها العنصري الهادف إلى زرع التفرقة في صفوف الشعب المغربي. وما خَلْقُ حي خاص بالساكنة اليهودية بمدينة ميدلت في هذه الفترة أطلق عليه اسم الملاح إلا دليل على أهداف مخطط المستعمر الرامي إلى ضرب عمق التعايش الذي كان يسود بين الأهالي مسلمين كانوا أم يهودا.

وأول الوظائف التي ازدهرت بصفة مبكرة، وذلك بعد أن أصبحت ميدلت تتحكم في محاور المواصلات الرابطة بين تافيلات (إلى حدود بشار) وفاس ومكناس، هي الوظيفة التجارية والتي جعلت منها محطة رواج كبير للمواد الغذائية كالحبوب والتوابل والقهوة والشاي والسكر وغيرها، وكذا للمواد الصناعية مثل مواد البناء والمستلزمات المنزلية الحديثة والثياب التي بدأت تغزو الأسواق المحلية والجهودية.

ونظراً للدور الخاص الذي أضحت تلعبه ميدلت في إرساء وتثبيت قواعد النظام الاستعماري بالمنطقة إبان عهد الحماية، فقد حظيت باهتمام كبير من قبل إدارة الحماية.إذ زودت بصفة مبكرة بالتجهيز الكهربائي، وأصبحت من المراكز الحضرية الصغيرة التي كان لها الحظ في ذلك منذ عقد ثلاثينيات القرن العشرين فأصبحت تزود بالطاقة انطلاقا من محطة سد تـ "تيطوين" الواقع على مستوى أعالي وادي أوتات جنوب قصبة فليلو. كما أنها عرفت بناء خط سكة حديدية ربطها بمدينة وجدة مروراً بمركز كرسيف، هذا بالإضافة إلى ربطها بالطريق الرئيسية المؤدية إلى تافيلالت. ويبدو أن العناية الخاصة التي أولتها المصالح المعنية لهذا المركز ترجع كذلك إلى كونها توجد بمنطقة مؤهلات اقتصادية لا يستهان بها، متمثلة في إمكانية استغلال الغابة ووفرة معدن الرصاص بمنطقة ميبلادن وأحولي الواقعة على مقربة من عشرة كلم من المدينة في اتجاه الشمال الشرقي. فقد شرعت شركة بـ "بنيروايا المغرب" في استغلال معدن الرصاص في السنوات الأخيرة من الثلاثينات، وازدهر ذلك ازدهارا كبيرا واستقطب ما يقارب من 2500 مستخدم من عمال معظمهم من أبناء القبائل المجاورة وكذا مهاجرون وأطر تقنية فرنسية أساسا وصل عددها إلى ما يقرب من 300. ونظراً لما سجلته المنطقة من دينامية اقتصادية وكذا لما كان من وقع إيجابي اجتماعي إذ تحسنت الظروف المادية للعاملين بهذا القطاع وعم الرخاء بسبب الأجور التي كانت مرتفعة نسبيا، فقد أطلق البعض عليها "إلدورادو" الأطلس. وهكذا أصبحت الظروف مواتية لأن تتعدد الخدمات، وتتنوع الحرف بميدلت. فبالإضافة إلى المصالح الإدارية شهدت هذه المدينة تجهيزات تعليمية متمثلة في بناء ثلاث مدارس ابتدائية (الأولى

أوربية والثانية يهودية والثالثة خاصة بالأهالي) وإعدادية كما أن الوضعية الصحية تحسنت مع فتح مستشفى.

وبفضل ما حباها الله من موقع طبيعي سياحي مشوق يربط بين عمق الجبال وفسحة البساط، أصبحت ميدلت محج السياح الأوربيين الذين يبحثون عن فرصة الاستمتاع باستكشاف الطبيعة والنزهة والقنص، يقصدونها من بعيد وخاصة من مكناس "جوهرة الاستعمار". وازدهر النشاط السياحي مع تشييد فندقين (فندق العياشي وفندق باريرو) والمقاهي والمطاعم (الديك الذهبي ومقهى ماس) ومسبح وقاعة للسينما.

ويمكن القول بأن ميدلت سجلت تطوراً مهماً طيلة عهد الحماية الفرنسية وأنها أصبحت تمثل قطبا حضريا ديناميا صغيرا استطاع أن يجلب مهاجرين أوربيين ويهوداً عملوا بالجيش والإدارة والتعليم والصحة، واشتهرت على وجه الخصوص منهم بعض العائلات مثل بن يامين وإلو ومارسيانو وآيت اشوين وآيت بخا وبرديكو والخزان في تجارة الحبوب والمواد الغذائية والملابس وقطع الغيار الحديدية وغيرها من المواد التسويقية المحلية والمستوردة، وكذا في التعاطي إلى بعض الحرف مثل صناعة الأدوات الحديدية الفلاحية (المناجل) وغيرها، كما كانت بعض نسائهم تتعاطى خياطة ملابس النساء المسلمات اللواتي كن لا يتوافدن على السوق، وينجز العمل بآلة الخياطة التي كانت تنقل من بيت إلى بيت، هذا بالإضافة إلى المهاجرين المسلمين وهم القسط الأعظم والذين اشتغلوا أساسا بالتجارة والحرف. وبفعل هذه الدينامية الجديدة عرفت ميدلت طيلة عهد الحماية تزايدا متواصلا لساكنتها. غير أن صيرورة التحضر هاته التي انطلقت بسبب التحولات البنيوية التي سجلها الاقتصاد المحلي طوال هذه الحقبة ما فتئت أن ازدادت وتيرتها في مرحلة الاستقلال، وعزز مكانتها داخل الشبكة الحضرية المغربية حيث أصبحت تصنف من ضمن المدن المتوسطة بالبلاد ويوضح الجدول التالي مدى التطور الديمغرافي السريع الذي عاشه هذا المركز منذ بداية مرحلة الاستقلال :

| السنة | العدد |
|---|---|
| 1960 | 6505 |
| 1971 | 15879 |
| 1994 | 38986 |
| 2004 | 44781 |

فهذا التضخم الديمغرافي الذي عرفته المدينة يرجع بالأساس إلى عامل الهجرة القروية التي اشتدت بفعل التأثيرات السلبية لفترات الجفاف التي توالت على المغرب عامة وعلى وجه الخصوص على هذه المنطقة القريبة من المناطق الريفية الأكثر طردا لسكانها، وهي المناطق الجبلية والصحراوية. ومن النتائج المباشرة والملموسة لهذا التزايد الهائل للسكان أن امتدت المدينة وتوسعت على حساب الأراضي الفلاحية وبرزت بها أحياء جديدة مثل آيت منصور، إيرأومليل، الساحة الخضراء، حي الرياض، الشعبة، الحدادة، الديور الجداد، الشعبة ...

وقد استطاعت ميدلت أن تشكل قبلة متميزة للمهاجرين الجبليين منهم والصحراويين حتى أصبحت تمثل ثاني مركز حضري بإقليم خنيفرة، مما عزز وظائفها الإدارية والخدماتية، فمنذ أن أصبحت باشوية عرفت توسيع شبكة التعليم والرفع من مستواها حيث فتحت منذ بداية الاستقلال (10 مدارس ابتدائية جديدة و3 إعداديات وثانويتين (ثانوية الحسن الثاني وثانوية مولاي رشيد) أبوابها في وجه الناشئة الصاعدة، ولم يعد تلاميذ ميدلت في حاجة إلى هجرة ذويهم مبكرا قصد إتمام دراستهم بالمدن المجاورة (أزرو، مكناس، فاس) هذا بالإضافة إلى تشييد 3 مستوصفات صحية ودار للشباب وملعب رياضي وما إلى ذلك من منشآت عمومية من شأنها أن توفر للساكنة ظروف حياة اجتماعية ملائمة.

فإذا سجلت مدينة ميدلت منذ بداية الاستقلال تطوراً ملموساً على مستوى أهم الخدمات الاجتماعية واستطاعت أن تحافظ نسبيا على إشعاعها التجاري إذ نجدها لازالت تمثل سوقا أسبوعيا جهويا مهما، ومركز تبادل تجاري هام للمنتوجات الفلاحية يعرف على وجه الخصوص سنويا تنظيم معرض وطني للتفاح حيث يعرض به فلاحو المنطقة بكل فخر إنتاجاتهم المتيمزة شكلا وطعما، فإنها أصبحت تعيش اليوم أزمة اقتصادية حادة بسبب تراجع وظائفها الأساسية. فالدور العسكري المتميز الذي لعبته طيلة تاريخها لم يعد قائما بعد أن رحلت الفرق العسكرية التي كانت قائمة بالثكنتين إلى الأقاليم الصحراية في النصف الثاني من سبعينات القرن الماضي. كما أن الدور السياحي قد تراجع هو الآخر، ولم تعد المدينة تشكل إلا نقطة عبور نحو الواحات الصحراوية الجنوبية الشرقية هذا بالرغم من تعزيز بنيات الاستقبال ببناء فندق "قصبة أسماء" عند المدخل الجنوبي. فلا استغلال الغابة المتدهورة ولا نشاط المطحنتين قادران على تنشيط اقتصاد هذا المركز الحضري الفتي وتوفير مناصب كافية لتشغيل الشباب. وحتى مناجم ميبلادن المجاورة والتي ساهمت بقسط وافر في ازدهار المدينة والمناطق المجاورة طيلة فترة الاستعمار لم يعد استغلالها مربحا، بل تم إغلاقها نهاية السبعينيات من القرن الماضي وتسريح العاملين بها من أطر وعمال. وكثيرون هم العمال الذين سقطوا في الفقر المذقع وأصبحوا متسولين بعد أن فقدوا شغلهم وفقدوا معه العيش الكريم.

إن أهم ما يلفت انتباه الزائر الذي يتوافد على هذه المدينة الهادئة ويتجول بأزقتها هو انتشار أنشطة النحت الحجري وتجارة الحجارات المعدنية. تأتي هذه الحجارات من مناجم مختلفة. فمنها ما يُستخرج من مناجم ميبلادن وأحولي المجاور مثل : فانادينيت، فيلفينيت، سوريزيت، الباريتين، الكالسيت، وخاصة الجبس الأبيض الذي يزود نحت قطع فنية رائعة خاصة بأثاث تزيين البيوت. كما تستورد حجارات أخرى من نوع الفليورين، الفيلفينيت، الكوارتزيت،

الدولوميت المنياتيت، الأزوريت وغيرها من مناجم واقعة باتويست، بومية، صفرو، الحمام، سيدي رحال، سيدي عياد، إملشيل، ووجدة... وتجري عمليات التنقيب على هذه الحجارات المعدنية في إطار غير منظم لا قانوني، يسهر على تدبيرها شبكة من المضاربين ينتمون إلى أوساط مختلفة من تجار وموظفين اكتسبوا مهارات في تنظيم البحث عن التحف النادرة ذات قيمة مالية عالية، يشغّلون شبانا ريفيين في غالب الأمر، عاطلين يتعاطون هذا العمل من أجل كسب لقمة العيش ومغامرة التنقيب في أعماق أغوار المناجم المغلقة في غياب أي أمن وأمان، بحثا عن القطع النفيسة، والتي كم من مرة يفقدون خلالها الحياة، ونظراً للأطماع المشتعلة في صفوف المضاربين تجري منافسة قوية بينهم ويشتد الصراع للحصول على التحف النادرة ذات الجودة الرفيعة والجمالية الفريدة، تحف كثيراً ما تهرب إلى الخارج ويلتقطها السماسرة الأجانب والمتعطشون إلى عرضها في البرصات العالمية الأوربية والأمريكية واليابانية قصد بيعها بالمزاد العلني.

وهذا النهب الممنهج للتراث المعدني للمنطقة لا يقتصر على تهريب هذه الكنوز التي حبا الله بها هذه الأرض، بل امتد إلى التجارة السرية للديناصورات التي تزخر بها منطقة ميدلت. فهذا التراث الطبيعي المتميز يمنح المنطقة فرصة خاصة لتعزيز مقوماتها الاقتصادية والثقافية المعرض إلى النهب والإتلاف في أمس الحاجة إلى وضع حد لهذه السلوكات التي أقل ما يمكن أن يقال عنها إنها تخريبية. وحماية هذا التراث من الضياع يتطلب تدخل المصالح المعنية بإحداث أدوات المراقبة الصارمة ووضع هياكل ناجعة قادرة على تحقيق تدبير يعود بالنفع على المنطقة. ويمكن أن نأمل في تحقيق هذا المشروع بدءاً بإعادة فتح مركز الأبحاث الجيولوجية الذي تأسس في عهد الاستعمار، وأغلقت أبوابه منذ عقود، وثانيا بالعمل على خلق متحف وطني للحجارة المعدنية يمكن أن يشكل مفخرة للمنطقة تكنز فيه القطع النفيسة حفاظا عليها من التهريب نحو أماكن مجهولة.

Brignon et al., *Histoire du Maroc*, Hatier, Paris, 1968 ; R. Raynal, La terre et l'homme en Haute Moulouya, *Bulletin Économique et Social du Maroc, vol. 24, n° 86-87*, 1960 ; Recensement général de la population et de l'habitat, 1960, 1971, 1994, 2004 ; *Carte topographique au 1/50.000 de Midelt*, Enquête à Midelt, mai 2005.

عائشة البلغيثي العلوي

**مير اللفت**، مركز ساحلي على المحيط الأطلنتي، إلى الجنوب الغربي من مدينة تيزنيت على بعد 47 كلم. وهو تابع إدارياً لدائرة إفني.

أما من حيث دلالة الاسم، فيبدو من خلال ما تحتفظ به الذاكرة المحلية أن الكلمة تتكون من شقين : إيمي (حوض أو حقل سقوي) ثم اللفت، أي الأحواض التي تغرس باللفت. والثابت أن المنطقة معروفة بهذا النوع من الخضروات منذ القديم.

وقد كان اسم مير اللفت متداولاً، على الأقل منذ القرن 17، ويتم استحضاره كمرفإ مهم ضمن المراكز الساحلية التي كان يرتادها الأوربيون خاصة الإسبان والبرتغالون. ويظهر أن سكان المركز، حسب وثائقهم الخاصة (عقود الحيازة، عرف تقسيم عين ساقية مير اللفت)، ينتمون إلى أصول متعددة، وقد هاجر غالبيتهم من دواوير آيت يخلف وآيت النص، كما استقر بها أولاد الشريف مَحمد بن يوسف الوزاني دفين "إيمي أوگني". ويعرفون بـ المرابطين اليوسفيين. ويعتبر دوار "التحصبت" النواة الأولى للاستيطان بمير اللفت ولا يبعد أن يكون اكتشاف العين الموجودة على بعد 500 متر شمال شرق المركز، عاملاً محفزاً على هذا الاستقرار. ومن أشهر أسره : إد بريك، إدماغا، إد موسى وإد الحاج ... وهي تتوزع على أهم دواوير المنطقة خاصة : دوتبريدا إدكوجا، متگايزين، القصبت، تيرت، تانمرت، گانگا، تاعنديت ...

وفي بداية القرن السابع عشر، كان للمنطقة حضور واضح في سياق العلاقات التجارية بين أبي حسون السملالي وبعض القوى الأوربية، حيث كانت العمليات التجارية تتم عند مصب وادي ساگلماط ووادي ألمتانو. وينسب لزعيم إيليغ في هذا الصدد بناؤه لمسجد بدوار إيدكوجا على الضفة اليمنى لأسيف مير اللفت.

ومن أبرز شيوخ المنطقة الحسن أوعبلا نايت وسجانت، الذي عرف بحنكته ودهائه في تدبير شؤون الجزء الساحلي من قبيلة آيت النص، بعد اقتطاع المنطقة من آيت يخلف منذ سنة 1300 / 82 ـ 1883. وقد ساهم الحسن أوعبلا بمعية أمغار الحسين انجار بدوار إگرضان في عدم إلحاق جزء مهم من قبيلة آيت النص بمنطقة النفوذ الإسباني سنة 1934، بسبب خلافاتهما مع شيوخ قبيلة آيت يخلف. وقد باشر الاحتلال الفرنسي بعد دخوله مير اللفت، عملية تحصين المركز، باعتباره نقطة حدودية على الساحل بين المنطقة الفرنسية ومجال النفوذ الإسباني. فهكذا أقدم على بناء قلعة للمراقبة على تل يطل على المركز، كما أنشأ الفرنسيون نواة سكنية بالقرب من القلعة والحي الإداري. وبنوا بها كذلك دكاكين تجارية بالسوق، إضافة إلى مدرج الطائرات للاستعمالات العسكرية. وقد ساهم المركز بقسط وافر في عمليات دعم المجاهدين الباعمرانيين، عبر تسريب العتاد والمؤن إليهم. كما احتضن اجتماعات مصيرية بين قادة جيش التحرير وممثلين عن السلطات الإسبانية خاصة خلال عملية انسحاب الحامية العسكرية الإسبانية المتحصنة بقلعة تابلكوكت المجاورة.

وبعد الاستقلال، أضحى المركز جماعة قروية مستقلة، تحتضن مقر قيادة تشرف إدارياً حتى تيوغزة. كما بدأ يستقطب العديد من المنعشين السياحيين خاصة الأجانب منهم، نظراً لجاذبية وجمالية شواطئ المنطقة، دون أن ننسى تنوع وغنى الثروة السمكية المحلية.

*وثائق محلية ؛ تحريات ميدانية.*

أحمد بومزگو

**ميرلا** وميرنا وميرلوسا كما هو شائع في الدارج بشمال إفريقيا وسمك النازلي في الشرق العربي جنس أسماك متوسطة القد، جودة لحومها عالية وهي شائعة في أسواق الأسماك المغربية طول السنة. نوعان يعيشان في البحار المحيطة بالمغرب، يصنفان علميا إلى فصيلة ميرلوسييدي Merlucciidae.

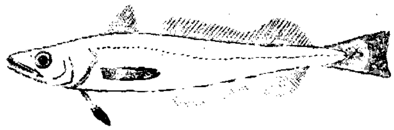

الميرلا العادية Merluccius merluccius تسمى أيضا ميرلوسا في الدار البيضاء وبيخوطا وبيسكاديا في العرائش وطنجة والناظور والحسيمة، وبالفرنسية Merlu commun وبالإنجليزية European hake وبالإسبانية Merluza europea. الواجهة العلوية للرأس مسطحة عليها قنزعة على شكل V، اللون رمادي فولاذي على الظهر، ناصع على الجانبين وأبيض فضي على البطن. الفم واسع جدا ويحمل الفكان أسنانا قوية ومنحنية نحو الخلف، يتعدى الفك العلوي الفك السفلي. يبلغ الطول الأقصى للكبار 130 سم وشائع بين 12 ـ 60 سم. يبلغ عدد الأشواك الخيشومية على القوس الخيشومي الأول 8 ـ 12 ؛ له زعنفتان ظهريتان واضحتان وخاليتان من الأشعة الشوكية، الأولى قصيرة مرتفعة ومثلثة الشكل وتتكون من 8 ـ 11 شعاعا والثانية طويلة تحمل فجوة على منتصفها ولها 35 ـ 40 شعاعا. الشرجية شبيهة بالظهرية الثانية. الذيلية أصغر من الرأس وتتشعب تدريجيا مع النمو؛ الحراشف صغيرة ودائرية.

سمك قاعي عمقي ـ سطحي يعيش على الرمال وبين الصخور في أعماق تتراوح بين 70 ـ 370 م بجوار الجرف القاري، ويوجد أحيانا قرب الشواطئ في أعماق تقل عن 30 م وفي أعالي البحار في أعماق تناهز 1000م. شائع في سواحل البحر المتوسط من مصر إلى المغرب، وفي المحيط الأطلنطي من النرويج إلى موريتانيا. يستقر في الأعماق خلال النهاروبيتعد عنه ليلا ليبحث عن الأكل المتكون من الحبار ومن الأسماك الصغيرة كالأنشوفة والسردين. تتغذى الصغار من القشريات الصغيرة عشاريات الأقدام. يتوالد عموما على مدار السنة وخاصة في الشتاء والربيع في أعماق تتراوح بين 100 ـ 300م.

الميرلا السنغالية أو النميرلا السوداء Merluccius senegalensis تسمى بالفرنسية Merlu du Sénégal و Merlu noir وبالإنجليزية Senegalese hake وبالإسبانية Merluza senegalesa. كثيرة الشبه بالميرلا العادية، وتختلف معها في اللون الداكن على الظهر. لا يتعدى الطول الأقصى 87 سم للإناث و78 سم للذكور وشائع بين 12 ـ 50 سم. اللون رمادي أسود إلى رمادي داكن على الظهر، وفضي على البطن. يقتصر توزيعه الجغرافي عل السواحل الأطلنطية الإفريقية، وشائع في جنوب المغرب وموريتانيا. يتغذى غالبا من الرخويات والقشريات وصغار الأسماك، ويعيش بين الصخور الشاطئية وفي الأعماق الرملية والصخرية تتراوح بين 15 ـ 800م.

تصاد أنواع الميرلا في المياه البحرية المغربية على مدار السنة بالشباك المستقيمة وبالجيبيات العميقة والسطحية وبالشباك الحلقية الدائرية وبحبال الصنانير وبصنارة اليد. غالبا ما يطغى عدد الأفراد غير الناضجين جنسيا في الغنائم وتتراوح نسبة الكبار عموما بين 30 و40٪ من مجموع حصيلات الصيد. يعد من الأسماك المفضلة عند المغاربة ويستهلك طريا ومبردا ومجمداً ومملحا ـ مجففا أو معلبا.

تلعب أنواع الميرلا دوراً اقتصادياً هاماً في مجال الصيد البحري المغربي لجودة لحومها المرتفعة ولكثرة الإقبال عليها.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، 1988.

*Ministère de la Pêche Maritime*, La mer en chiffre, 2000 ; D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, FAO, 1998, 263 p.

محمد رمضاني

**ميسة، محمد الصالح** من الرعايا الجزائريين المقيمين في المغرب إبان الفترة الاستعمارية. كان يشتغل ترجمانا في المحكمة الفرنسية بالرباط، لكن مستواه الثقافي المرموق جعله لا يكتفي بهذه الوظيفة المغمورة. فأسس مجلة المغرب بالرباط سنة 1932 تصدر مرة في الشهر وتنقل إلى قراء لغة الضاد أفكارا إصلاحية على شكل مقالات أدبية وتاريخية واجتماعية واقتصادية. وتنشر مقالات متنوعة استجابة لتطلعات جمهورها في كل من المغرب والجزائر وتونس.

وسرعان ما تعاطف محمد الصالح ميسة مع تطلعات الحركة الوطنية المغربية. لكن عمله الرسمي في الإدارة الفرنسية كان يحول دون الجهر بمشاعره أمام الملأ. فكتب مقالات في جريدة *L'Action du Peuple* تحت عنوان "حديث شاب" وبتوقيع الوطني السلاوي محمد حصار. ومن بنات أفكار ميسة في صفحات التاريخ الوطني المغربي دعوته إلى إحداث عيد العرش (عيد الجلوس) والاحتفال به سنويا "لأن الملك الذي هو روح الوطن وممثل أدوار حياته يمكن أن يعتمد عليه العاملون في تحريك الهمم وإنهاض القاعدين" (*مجلة المغرب*، شتنبر 1933، ص. 5). وقد تبنت الصحافة الوطنية بعد ذلك هذا المشروع وناضلت من أجله حتى تم الاعتراف

رسميا بيوم الثامن عشر نونبر من كل سنة عيدا للعرش (المرسوم الوزاري بتاريخ 26 أكتوبر 1934).

أعداد من مجلة *المغرب* ؛ محمد بن الحسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، ج 3.

جامع بيضا

**ميسور**، تعد مدينة ميسور إحدى المدن الناشئة حديثا، وتنتشر على مساحة تقدر بحوالي 350 هكتار أي 18 كلم$^2$، وتضم ساكنة تفوق 13000 نسمة (حسب تقديرات سنة 1998) وتعد القطب الجهوي الأساسي بالإقليم. ورغم تأزم المجال السهبي المحيط بها حيث تراجع ظاهرة الترحال إثر تدهور المراعي، وخلخلة التوازنات الأيكولوجية بالواحة، فإن المدينة نمت بوتيرة سريعة ومطردة خاصة بعد عقد السبعينيات من القرن 20 والذي تزامن مع إحداث عمالة إقليم بولمان، واختيرت مدينة ميسور عاصمة له، وكذا توالي سنوات الجفاف، حيث ازدياد صبيب الهجرة، واستقرار المصالح الإدارية وما رافقها من تركز خدمي وعمراني وبشري.

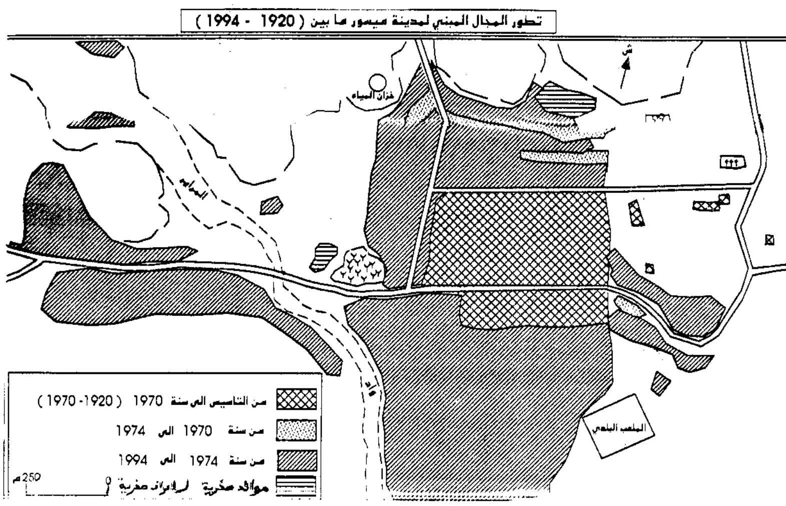


من الناحية الطوبونيمية إن اسم ميسور قد تطور عبر التاريخ حسب الظروف الطبيعية والأحداث التاريخية والاقتصادية، فحسب علمنا يرجع اسم المدينة إلى أصل بربري نسبة إلى "يعلى بن واطن بن مسكر" أحد البرابرة السبع الذين توجهوا لزيارة ومقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو إلى "ميسرة المدغري "الذي ينحدر من امدغرة بتافيلالت والذي طوع بلاد ملوية، وكان من رواد الخوارج الصفرية في الغرب الإسلامي خلال القرن الثاني الهجري، أو نسبة إلى "ميسور الخصي" الذي جاب تخوم ملوية والمغرب الشرقي، وكان قائدا عسكريا خلال الحكم الفاطمي بالغرب الإسلامي في القرن الرابع الهجري، "حسب البكري" وانتقل بعد ذلك إلى اسم "ميسرة وتامغراوت" حسب الحسن اليوسي، إلى أن أصبحت تسمى حاليا بميسور، هذا الاسم في اللغة العربية يعني الوفرة والكثرة، وقد يتبادر إلى الذهن منذ الوهلة الأولى وجود الماء والكلأ واللذين يعدان من الأركان الأساسية لحياة الترحال، وهو النشاط الذي ساد بالمنطقة ردحا من الزمان وما زال.

لقد تميزت المرحلة ما قبل الاستعمارية بالنسبة لحوض ملوية الوسطى عامة وسهوب ميسور خاصة بسيطرة القصور والدواوير والقصبات التي اتخذت لها مقاما ومستقرا في بطون وادي ملوية وروافده، وكان تعداد ساكنة هذه القصور حسب" دوفوكو" خلال نهاية القرن 19 بحوالي 6000 نسمة، أما بقية المجال السهبي فكانت مخصصة للرعي الترحالي.

بعد الاستيلاء على التخوم الشرقية للمغرب، وبعد إنشاء مركز "بركنت" "عين بني مطهر حاليا" سنة 1904 ثم إرسال جنود فرنسيين قصد التقصي والتعرف على المناطق السهبية لملوية، وذلك ما بين 1905 ـ 1906، تم الاستيلاء فيما بعد على قصبة المخزن "القصابي ملوية حاليا" في يونيو 1918، وفي نفس السنة تم إنشاء مراكز عسكرية بكل من عين الگطارة (جنوب ميسور)، وأوطاط الحاج، وبويعقوبات، وميسور.

وبعد الاستيلاء على المنطقة اختار المعمرون مكانا بعيدا عن الأهالي كعادتهم لبناء نواة المدينة، وهكذا وقع الاختيار على موضع استراتيجي يتوسط المسافة بين أهم القصور بالمنطقة، وذلك قصد المراقبة والتحكم، وهما قصر إيگلي شرقا وقصر أولاد بوطاهر غربا، فوق مكان يقع على الضفة اليسرى لوادي ملوية، وهكذا تم بناء : (ثلاث ثكنات تضم أربعة فيالق عسكرية، وحيا عسكري، ومحطة القطار" الذي كان يربط گرسيف بميدلت لنقل الجنود والعتاد والمعادن والسلع والسكان والقطيع..."، إضافة إلى خزان للمياه، والمرافق الإدارية والسكنية، وأربعة مطاعم، وفندقين، ومستوصف، وحانة، وكنيسة، ومصلحة خاصة بالطب البيطري، وأخرى خاصة بالأشغال العمومية، ومسبح، وقاعة للسينما، ومدرسة، ومصلحة البريد، وسوق يومي لبيع الخضر، وسوق أسبوعي، ومطار عسكري، وملعب لكرة القدم...)، وذلك وفق تصميم محكم على الطريق الشطرنجية، بأزقة وشوارع عريضة ومتسعة لا تتلاءم وطبيعة المناخ الجاف، وقد حج إلى المدينة عدد هام من الأطر الإدارية الفرنسية والضباط، وكذا الجالية اليهودية التي قدر عددها سنة 1947 بحوالي 762 نسمة كانوا يمتهنون التجارة مع سكان القصور من جهة ومع الرحل من جهة ثانية، ثم الأهالي النازحين من القصور المجاورة أو من السهوب المحيطة بالمركز وجلهم اقتيدوا قهرا من أجل العمل بالأوراش الخاصة بالبناء أو الانخراط في سلك القوات المساعدة "المخزن". وهكذا نزل التمدين بكلكله ليطبع واحة ظلت القصور والخيام تشكل بها الظاهرة المجالية الأساسية، فإن المجال لم يكن مهيأ لاستقبال مدينة مصطنعة اندست بين القصور لدوافع وأغراض سياسية واستراتيجية وذلك بإقحام الاستعمار الفرنسي لمعسكر وسط القصور الواحية.

لقد تميزت الفترة الأولى للاستقلال أي ما بين سنة 1956 و1965 بركود سكاني وعمراني، وذلك راجع إلى الهجرة المكثفة للمعمرين، ولليهود المغاربة بخاصة، حيث قدر عدد السكان سنة 1951 بـ 1208 نسمة، وانتقل العدد سنة 1960 إلى 1350 نسمة، ووصل سنة 1971 إلى 1635 نسمة، ورغم هذا الركود فقد استمر المركز في تأدية وظيفته الإدارية والتجارية المتمثلة في سوق الأربعاء الأسبوعي (الذي أنشأه الاستعمار). أما في الفترة الثانية التي تمتد ما بين سنة 1966 إلى سنة 1975 فهي شبيهة بالمرحلة السابقة، إذ عرفت هي الأخرى هجرة ما تبقى من اليهود المغاربة نحو إسرائيل. وخلالها أقبل السكان الموسرون على شراء المنازل التي كانت بحوزة اليهود، كما تم بناء حي "البام PAM" بمساعدة البرنامج العالمي للأغذية بالزاوية الشرقية للمدينة وهو حي ذو تصميم منظم، ومنازل عصرية ذات طابقين. وبموازاة معه تم تشييد حي "مجيون" بالقطاع الشمالي للمدينة وذلك بطريقة عشوائية وغير مضبوطة، وسكنته الفئات الفقيرة وخاصة الرعوية، والمتقاعدون، وبني أغلبه بالتابية واللوح والخشب في امتداد طولي من الشرق نحو الغرب، وقد عرف إقبالا كبيرا لسهولة البناء واقتناء الأرض التي سلمت بالمجان أو أخذت بالقوة، وبدون رخص للبناء، ويطلق على هذا الحي حاليا اسم "حي سيدي بوطيب". تعتبر هذه المرحلة انطلاقة أساسية في عمليات التوسع والبناء والتشييد، لذا تعد السياسة العمرانية طرفا حاسما في بناء مجال حضري مناسب للخصوصيات المجالية المحلية وكأننا في منطقة واحية سهبية، وما دون ذلك فالعشوائية ظاهرة سابقة للمجال العمراني بهذه الربوع حيث ترهنه وتحدد مستقبله.

وخلال منتصف السبعينيات من القرن 20 عرفت المدينة تحولا ومنعطفا جديدا تمثل في ترقيتها إلى مستوى عاصمة لإقليم بولمان الذي أنشأ في 23 أبريل 1975، وللنهوض بالتراب الوطني نهجت الدولة نهجا تنمويا لا يراعي الخصوصيات المحلية للتمدين، مما جعل المجال الحضري للمدينة مركبا من تناقضات تتفاعل بين موروثات الواحة ومجالها السهبي ومستجدات المدينة، فقد انعكست على المدينة سلبيات الظهير الريفي المتأزم، على اعتبار أن المساس بتوازنات المجال السهبي الرعيوزراعي يعني المساس بتوازن المدينة الشيء الذي لم يؤخذ بعين الاعتبار.

إن آخر حلقة في مسلسل هرم اللامركزية بالمنطقة تتمثل في إحداث بلدية ميسور أو ما يصطلح عليه بالجماعات الحضرية سنة 1992 على إثر التقطيع الانتخابي لهذه السنة، وهكذا توسع المدار الحضري، وتقوّى مجال نفوذ المدينة ليشمل ويبتلع أحد الدواوير الأساسية بالواحة والذي يدعى بدوار إيگلي الواقع شرق المدينة، الشيء الذي يفسر تضخم ساكنة البلدية، ونفس الأمر نلحظه في بعض المراكز الأخرى التي نمت بسرعة وتزايد عمرانها وتوسعت مدارتها.

تميزت نهاية السبعينيات من القرن 20 بتقوية الجهاز والتواجد الإداري بالمنطقة، وتركز الخدمات التجارية، وهكذا انتقلت المدينة من تجمع سكاني يحوي أقل من 2000 نسمة إلى عاصمة إدارية لإقليم بولمان حيث تم تشييد عدة مرافق إدارية تتمثل في المكاتب والمقرات والمساكن الإدارية، وبعض التجهيزات الصحية والاجتماعية، هذه اللامركزية الإدارية أدت إلى فتح أوراش عديدة شغلت أيد عاملة مهمة وخلقت رواجا تجاريا، وانطلاقا من الإحصاء العام للسكان سنة 1982 قفز عدد السكان بالمدينة إلى حوالي 5055 نسمة، لينتقل فيما بعد حسب إحصاء سنة 1994 إلى حوالي 13000 نسمة، حيث تحتل المكانة الأولى بين مراكز الإقليم، ويقدر عددهم حاليا بحوالي 14000 نسمة، ويمكن أن يصل هذا العدد إلى 20503 نسمة في حدود سنة 2010. هذه الطفرة السكانية تعزى إلى دور الوسيط الذي تلعبه هذه المدن الصغرى والمتوسطة في هيكلة النسيج الحضري والعمراني بالبلاد، وفي إعداد وتهيئة التراب الوطني، حيث تعد حلقة سوسيولوجية واقتصادية وسياسية ما بين المدن الكبرى من جهة والأرياف من جهة ثانية، فهي مختبر أساسي لكل الدراسات والتجارب الخاصة باللاتركيز واللاتمركز، حيث لها صفات وخصائص متعددة منها : التخفيف من النزوح نحو العواصم الكبرى حيث تعد غربالا حقيقيا للنازحين، وكذا ملاذا للكادحين والعمال المياومين، ومستقرا للمتقاعدين، ثم رصيدا ووعاء للمضاربات والإنعاش العقاري، وأرضية خصبة للاستثمارات التجارية والاقتصادية. فالمدينة ترتكز علي أنشطة خدماتية إدارية وعسكرية، وفي غياب المؤسسات الاقتصادية القادرة على تقوية القاعدة الحضرية فإنها تؤدي وظائف خدماتية وتجارية ذات تأثير محدود.

كان من نتيجة النزوح البشري المكثف إلى المدينة أن تصارعت ونمت حركية ودينامية العمران، حيث تضاعفت المساحة المشيدة للمدينة في ظرف وجيز، مع تكاثر وتناسل المصالح الإدارية، والتعليمية والاقتصادية والصحية والثقافية والاجتماعية والسياحية حيث تعد الفيلات والثكنات والمصالح الإدارية والتعليمية أكثر مستهلك للمجال وأقل سكانا، وقد أدى التركز الحضري والخدماتي إلى تدخل الدولة والمصالح البلدية في خلق وتجهيز البقع الأرضية وتوزيعها على المستفيدين لتفادي العجز الحاصل في السكن، وهكذا قام العديد من السكان ببناء وامتلاك سكن يأويهم وذويهم، كما أن أزيد من 60٪ من البنايات هي من النوع العصري رغم توفر السكن المتستر وغير المندمج، كما أن 50٪ من سكان البلدية يقطنون في المنازل ذات ثلاث غرف وتتوفر على التجهيزات الأساسية الضرورية.

وكانت أول تجزئة هي حي "البام"، ثم الحي الإداري وحي السلام وحي القدس، إلا أن هذه التجزيئات شابتها بعض الأخطاء حيث سمحت بالبناء في أماكن غير صالحة لذلك كضفاف وادي المراير، ومجرى مائي كان يحد النواة الأصلية من الركن الشمالي كما شملت التجزئات أيضا المجال

الأخضر الذي كان يعد رئة المدينة من الزاوية الشرقية، حيث طغى عليه الإسمنت والخرسانة، وبدأت البنايات تكتسح الآن الأراضي الزراعية السقوية بكل من إيكلي وتاغزوت، هذه الأخطاء هي موروثة عن التصميم الأولي الذي وضع خلال نهاية السبعينيات من القرن العشرين كما أن مصلحة توزيع الماء الصالح للشرب لم تراع خصوصيات الخريطة الجيوتقنية للمنطقة، حيث تعد ميسور من المجالات الحساسة من حيث الزلازل، فأقدمت على بناء الخزان المائي فوق ربوة تشرف مباشرة على كل المجال الحضري للمدينة، ونتيجة لهذا التوسع تم احتكار وتجميد أراض مهمة، حيث تولدت لدى سكان الضاحية (وخاصة دوار إيكلي) بأن الأرض مستقبلها للبناء وتحول بعضهم إلى منعشين ومضاربين عقاريين. حيث استقر بالزاوية الشمالية الغربية منها حي غير مندمج يدعى "حي المراير" والذي لجأ إليه وبناه الرعاة المنكوبون والمكتوون بنار الجفاف والنازحون من السهوب المحيطة بالمدينة بخاصة ومن سهوب المغرب الشرقي بعامة (أغلبهم من : أولاد خاوة، وآيت سغروشن، وأهل العزيب، وآيت حمو، وآيت بوشاون، والزوا، بالإضافة إلى مهاجرين جدد من تازة والرباط، وگرسيف وگرامة وأوطاط الحاج والأطلس المتوسط)، كما أن أفواج المهاجرين كانت على مراحل ابتداء من السبعينيات من القرن 20 حيث تخلى الرعاة عن حرفتهم في نهاية السبعينيات وتقوى صبيب الهجرة خلال عقد الثمانينيات وأصبحوا "لاجئين أيكلوجيين Réfugiés écologiques". إن جل ساكنة هذا الحي يمتهنون حرفة الرعي، ولكن عن طريق التسمين بداخل الحواضر والإصطبلات، وكذا العمل بأوراش البناء، وحمل وشحن البضائع والأمتعة عبر العربات، وهذه الفئة من السكان ساهمت في تربيف هوامش المدينة كما ساهمت في التحضر القهري أو الجبري للمدينة، هذه الأخيرة لم توفر لهم أي شيء، إذ لم تطعمهم من جوع ولم تأمنهم من خوف، وفيما يتعلق بالتجهيزات المنزلية لهذا الحي، فإن جل المساكن من النوع التقليدي، فجل مواد البناء هي من التابية واللوح والأخشاب والقصب.

تعد ظاهرة الأسواق بالمنطقة قديمة كما أشار إلى ذلك البكري، وعند دراستنا للأسواق بالمنطقة وخاصة بمدينة ميسور يمكن القول بأن السوق في وضعه وشكله الحالي قد خضع لعدة تطورات، فمن قبل كان في القصور والدواوير، ومع دخول المعمرين تم تجميع الأسواق الصغيرة في موقع واحد حول المركز بعد أن أصبح موقعا أساسيا ومحطة عسكرية جهوية للقطار بملوية الوسطى، وهكذا تم اختيار موقع استراتيجي للسوق حيث بني في المدخل الشرقي للمدينة وتشرف عليه من الجهة الغربية ثكنة عسكرية وبرج عال قصد مراقبة الأهالي وتعودهم على رؤية الجنود الفرنسيين والاستئناس بهم، إلا أنه وبعد الاستقلال تنقل السوق عبر مواضع مختلفة ذلك أنه لم يخرج عن القاعدة العامة بالمنطقة المبنية على الترحال، حيث اختير له موقع جديد في بداية الثمانينيات من القرن العشرين بالجهة الغربية للمدينة بالقرب من الطريق المؤدية إلى بولمان وفاس ثم ما لبث أن رجع إلى موضعه الأصلي، ثم نقل في بداية التسعينيات إلى الجهة الشمالية شرق خزان المياه على يمين الطريق المؤدية إلى آلميس مرموشة، وما زال مستقرا بهذا الموقع إلى حد الآن، إلا أن الموقع الحالي امتصه المدار الحضري حيث أصبح محاطا بالمباني.

يعد سوق المدينة من بين الأسواق 11 الكبرى للأغنام بالمغرب الشرقي والأطلس المتوسط حيث يأتي في المرتبة الثامنة من حيث نسبة الأغنام المروجة أي حوالي (64٪) بمبيعات تقدر بـ 52500 رأس في السنة. أما فيما يتعلق بمبيعات الماعز فمرتبته هي الثالثة من بين 16 سوقا كبرى بالمناطق الوسطى والشرقية، أي بما يقدر بـ 27500 رأس في السنة، هذه المواشي تأتي من جهات مختلفة، ويرتاد السوق عدد من "السبايبية" يأتون من أوطاط الحاج ومن تاوريرت وگرسيف والخميسات ومراكش وفاس وصفرو وميدلت، وكان يحج إليه من قبل إلى حدود نهاية السبعينيات عدد كبير من السبايبية القادمين من منطقة اخريبگة قصد شراء الإبل (التي كانت متوفرة بكثرة بملوية الوسطى).

والظاهرة الأساسية بالمدينة هو أنها أصبحت تتوفر على يومين للسوق. إن هذه الدينامية التجارية للسوق ومثيلاتها بأسواق الإقليم خلقت رواجا اقتصاديا مهما بالمنطقة خاصة في السنين الأخيرة إذ أصبحت المنطقة قبلة أساسية لترويج المواد المهربة من الشمال (وخاصة من مليلية)، وهكذا انتقلت جبهة التهريب نحو الجنوب فلم تعد مقتصرة على الخط التقليدي وجدة ـ تازة ـ فاس والناظور ـ گرسيف، بل نزحت نحو الجنوب وبشكل قوي وساعد على ذلك تكثيف شبكة المواصلات بين ميسور وباقي جهات البلاد، وهكذا أقيم خط طرقي يربط الناظور بالراشيدية والريصاني عبر ميسور وميدلت، وخط آخر يربط ميسور بالرباط وآخر يربط المدينة بالدار البيضاء، إضافة إلى الخطوط التقليدية الرابطة بين ميسور وفاس من جهة وما بين ميدلت ووجدة مرورا بميسور من جهة ثانية، والخط الرابط بين المدينة وبين تالسينت (بإقليم بوعرفة) من جهة ثالثة.

يمكن القول بأن المجالات السهبية تعيش مفارقة أساسية فمن جهة نجد مراكز حضرية أو ما أصبح ينعته الجغرافيون في السنين الأخيرة "بالبلديات الريفية أو القروية" تنمو وتتطور بوتيرة متسارعة من كل النواحي الديموغرافية والعمرانية والتجارية، ومن جهة ثانية وسط مجال سهبي وواحي متدهور ومنكسر البنية، ومختل التوازنات الأيكلوجية، هذه المدن تنمو على حساب الأزمة الخانقة التي يعرفها ظهيرها أي الأرياف المحيطة بها، فتمدن المراكز الحضرية السهبية يعد بمثابة صفعة قوية أفاقت السكان والمسؤولين من سباتهم العميق وأدخلتهم قهرا في صفحة جديدة من التطور والحضارة.

الحسين أقيوح، *وارززات، المدينة ـ الواحة : آليات وأشكال التوسع الحضري*، كلية الآداب الرباط، 1994، ص. 1 ؛ اليفراني، *نزهة الحادي* ؛ محمد ازهار، *الإنسان والبيئة في الواحات السهبية القاحلة، واحة ميسور نموذجا*، ص. 134 ؛ *خطاب جلال الملك محمد السادس* بتاريخ 12 أكتوبر 1999 بالدار البيضاء.

Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* (1983-1984), Challamet et Cle Editeurs, Librairie Coloniale, Paris, p. 260, 1888 ; A. Chouraqui, *Histoire des juifs en Afrique du Nord* (1859-1948), Publications de la Faculté des Lettres Rabat, série Thèses et mémoires, n° 21, p. 579-580, 1987 ; J.F. Troin, *Les souks marocains, marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc*, collection, connaissance du monde méditerranée-en, EDISUD, Aix-En-Provence, p. 82, 1975.

محمد أزهار

**الميسوري، محمد بن عيسى** يدعى بنعيسى، ولا يُعرف له لقب سواه. عالم أستاذ، مقرئ مدرس، نقاع، من قرية ميسور. كان مشاركا في عدد من العلوم، مجردا للإقراء. سكن بمدرسة الوادي من عدوة فاس الأندلس ودرّس بها وبمدرسة الصهريج، وكان يدرس النحو والبيان، والمنطق والكلام والتوقيت والقراءة والفقه، لا يطلب منه أحد تدريس كتاب إلا أجاب إليه.

أخذ عن مشايخ فاس مثل عبد السلام بن الطيب القادري وغيره. وهو من أشياخ محمد بن الطيب القادري صاحب *نشر المثاني*، كما تخرج على يديه كثير من طلبة فاس.

لما اشتد الغلاء بفاس أواسط القرن 12 / 18، خرج منها فاراً بنفسه مع الطلبة إلى المشرق، فمرض في الطريق قرب مدينة وجدة ومات بها عام 1150 / 1737.

القادري، *الإكليل والتاج*، تح. مارية دادي، رسالة مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط، 1991، ص. 372 ؛ القادري، *نشر المثاني*، 3 : 401 ؛ مارية دادي، *تاريخ مدينة وجدة*، أطروحة مرقونة بخزانة كلية الآداب بوجدة، 2002، ج 2 : 357.

مارية دادي

**الميسوري، اليحياوي بن يحيى** بن أبي القاسم اليحياوي أحد رجالات الفضل والصلاح بملوية الوسطى. نزل أول ما نزل ببلدة أوطاط الحاج قبل أن يستقر له القرار بمنطقة ميسور، ويؤسس زاويته بها. كان يتصف "بأحوال الهداية والاستقامة"، ولا يتكلم إلا قليلا و"إذا تكلم لا يزيد على أن يقول السنة تجمعنا والبدعة تفرقنا". كان أبو الطيب اليحياوي من أتباع الشيخ أبي محمد عبد الله الخياط أحد مشايخ الصوفية الآخذين عن الشيخ أبي العباس أحمد الملياني.

تتداول الذاكرة الجماعية المحلية بميسور إلى يومنا هذا روايات تفيد في عمومها أن استقرار الشيخ أبي الطيب اليحياوي بهذه المنطقة إنما جاء فرارا من السلطان أحمد المنصور السعدي بسبب ما حدث بينهما من خلاف، فبنى حينئذ زاويته المشهورة في هذه الربوع وشرع في تلقين الناس مبادئ التصوف وتربيتهم تربية روحية على الطريقة الملبانية، فذاع صيته وكثر أتباعه داخل المنطقة وخارجها.

اضطلعت زاوية أبي الطيب اليحياوي منذ تأسيسها في موضع يقع بين وادي ملوية ووادي شف بأدوار على جانب كبير من الأهمية والتنوع. فإلى جانب دور التربية والتعليم كانت الزاوية تقوم بإطعام الفقراء والمارة ومن انقطعت بهم السبل، كما كانت تتدخل أيضا للفصل في المنازعات التي كانت تقع بين المجموعات القبلية المحلية إما حول الأراضي الزراعية ومياه السقي أو حول المراعي الجماعية وطرق استغلالها، علاوة على ذلك، كانت توفر المأوى والحماية لمن لا مأوى أو حماية له.

توفي في ربيع الأول سنة 988 ودفن بميسور ومنذ ذلك الحين وقبره مزارة يقصدها كل من يعتقد في بركته وولايته.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، 80 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، 124 ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، 44 ؛ م. ابن الطيب القادري، *نشر المثاني*، 167 ؛ ع. الصومعي، *التشوف الصغير*، مخ. خ. ع. رقم 1103 د ورقة 82 / أ.

الفقيه الإدريسي

**ميسوكراص** Mysocaras (مدينة –) وطنها الجغرافي بطليموس بين رأس الشمس ونهر فتوت أو فوت والذي لم يتفق الباحثون حول تحديد مكانه، فهو بالنسبة لتوفنو وموني واد يكويسنوسى الذي تحدث عنه بلنيوس الشيخ ووادي أم الربيع بالنسبة للباحث شميت أو وادي تانسيفت بالنسبة للباحثين تيسو وبينيه توجد المدينة على خط طول 7° 20 وخط عرض 30° 50 حسب إحداثيات بطليموس (IV, 1,2).

ويعتقد الباحث تيسو أن هذه المحطة لن تطابق إلا مدينة آسفي التي توجد على نفس المسافة مع رأس سيم وتانسيفت. ومعلوم أن كوز وآسفي هما المرفآن الوحيدان الموجودان في هذا الاتجاه. لكن يبدو أن كوز أقرب إلى النهر ولا يمكن أن تكون هي ميسوكراص، وتبقى آسفي هي الأقرب لمطابقة هذا الموقع في حين يرجح الباحث سميت موقعها في الجديدة.

Tissot, *Géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, p. 251 ; P. Schmidt, La plus ancienne carte géographique du Maroc, *BAM, XI, 1977-78, p. 79-90* ; Ptolémée, *Géographie, IV, 1, 2.*

عبد العزيز بل الفايدة

**ميشو - بيلير** (إدوارد ليون Michaux-Bellaire Edouard Léon 1857-1930) من جهابذة وعلماء الفترة الاستعمارية الذين اهتموا بتاريخ المغرب والدراسات الدينية والاجتماعية. ازداد بمدينة روان بفرنسا في 3 نونبر 1857 وعاش ما بين ستراسبورغ وفرساي. استقر بمدينة طنجة ابتداء من 1884 وقام بعدة مهام استكشافية في المنطقة إلى غاية 1890 ليستقر في مدينة القصر الكبير لمدة ست عشرة سنة. في سنة 1894 عين مراسلا معتمدا بالمدينة من طرف سفارة

بلاده في طنجة، وما بين 1885 و1900 أرسل في عدة مهام إلى فاس. في 1906 عين على رأس البعثة العلمية الفرنسية Mission Scientifique du Maroc التي كان مقرها بطنجة خلفا للدكتور سالمون والتي كانت تصدر أرشيف ماروكان *Les Archives Marocaines* . وقد بقي ميشو بيلير مقيما بمدينة طنجة إلى غاية 1925 حيث عين مستشارا في الشؤون الأهلية من طرف المقيم العام الفرنسي بالرباط ليستقر بمدينة سلا. كان من بين المستشارين الأساسيين ومن بين الثلاثة الذين استشارهم المقيم العام في مسألة خلافة المولى يوسف حين وفاته في 1927.

كتب ميشو - بيلير وحاضر في العديد من المواضيع التي كانت مرتبطة بالأهالي والشؤون الأهلية في إطار المنظور الفرنسي الاستعماري آنذاك. كتب في القانون والفقه والتاريخ والأركيولوجيا والسوسيولوجيا. وقد مكنته معرفته وحبه للغة العربية من ترجمة العديد من مؤلفات العلماء المغاربة. نشر في العديد من المجلات المتخصصة في شؤون الإسلام وشؤون شمال إفريقيا مثل مجلة العالم الإسلامي *Revue du Monde Musulman* وفي الأرشيف المغربي *Les Archives Marocaines* وفي أرشيف بيربير *Archives Berbères* وفي مجلة هيسبيريس *Hespéris* وفي مجلة فرانس ماروك *France Maroc*. كما نشرت له الإقامة العامة مجموع المحاضرات التي كان يلقيها في المعهد العالي للدراسات المغربية Institut des Hautes Etudes Marocaines الذي كان يتابع فيه الضباط وحكام المناطق تكوينهم في تدبير شؤون الأهالي وسياسات الحكم في الشؤون الدينية والاجتماعية والسياسية المتبعة للسيطرة على الأوضاع. وقد كان وراء خلق متحف طنجة الأركيولوجي الذي حمل اسمه.

نشرميشو - بيلير 25 مقالا في *أرشيف ماروكين* كان أولها في 1904 عن الضرائب المغربية ثم نشر فيها العديد من الترجمات لبعض الفتاوى ونتائج رحلاته في منطقة طنجة والهبط. ونشر آخر مقال له بالمجلة سنة 1917 وهو ترجمة لبعض فصول الكتاب الشهير للقادري، *نشر المثاني*.

ونشر 49 مقلا في *مجلة لوموند موزولمان* ما بين 1907 و1925 حول البيربير والإسلام والمخزن والأحباس والأركيولوجيا. كما نشر مقالا واحدا في *أرشيف* بيربير عن زاويتي أمهاوش وأحنصال والذي خلص فيه إلى انحسار دورهما السياسي وهو ما ظهر عكسه خلال حروب الغزو، إذ لم يستسلم شيوخ الزاويتين إلا بعد مفاوضات عسيرة مع صاحب أحنصال، سيدي محا، في 1922 وحرب ضروس في تازيزاوت في 1932 مع أمهاوش سيدي المكي. كما نشر ثلاث مقالات في مجلة هيسبيريس حول الطرق الصوفية بالمغرب وعن أراضي الجموع وقوانينها وآخر عن السماع والذاكرة الشفوية.

ساهم ميشو - بيلير إلى جانب العديد من الباحثين الفرنسيين في التعريف بعدة جوانب تهم الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية للمغاربة، كما ساهم في بلورة العديد من التصورات الاستعمارية للإدارة الفرنسية من خلال دراسات لازالت بعض تصوراتها مهيمنة إلى اليوم عن المخزن والبيربير والإسلام والمسلمين.

توفي ودفن في الرباط في 13 ماي 1930.

عن مجلة *TINGA* عدد 1، 1953، طنجة.

مصطفى القادري

**الميطاگونيط**، يبدو أنها تعني فوق الأراضي المزروعة أي القبيلة التي تسكن الجبال. واعتمادا على الجغرافي بطيلموس، فإن الميطاگونيط كانوا يكونون مجموعة بشرية تحتل منطقة قريبة من مضيق أعمدة هرقل. كما يتحدث أيضا عن رأس يحمل اسم ميطاگونيم إحداثياته هي 10,30° و34,55° ؛ يقع بين روسادير ومصب ملوية. ويعتقد گسيل، بعد دراسة تفصيلية معتمدة على النصوص المتعلقة بنوميديا، أن كلمة ميطاگونيوم كانت تشمل منطقة واسعة تحمل نفس الاسم، تمتد على الشريط الساحلي من رأس بوقرعون إلى رأس سبارطيل. وعليه، فليس من المستبعد أن تكون هناك علاقة بين قبيلة الميطاگونيط ورأس ميطاگونيوم، وأن تكون القبيلة هي التي أعطت الاسم للرأس.

وبما أن بطليموس يحدد مواطن الميطاگونيط بأنها تقع غرب المضيق انطلاقا من أبيلا وبما أن السوكوسي توجد مواطنهم على ساحل البحر الإيبيري، يعني في جزء من جبال الريف المواجه للبحر الأبيض المتوسط، فيمكن أن نقترح بأن مواطن الميطاگونيط كانت تقع بين رأس سبارطيل ومدينة سبتة.

مصطفى أعشي، *العقائد والمعبودات في المغرب القديم*، دكتوراه الدولة، فاس، ص. 58 ـ 87.

G. Ch. Picard, *Les religions de l'Afrique antique*, Payot, Paris, 1954 ; G. Camps, *Aux origines de la berberie, monuments et rites funéraires*, Arts et métiers graphiques, 1961 ; M. Tarradel, El Tumulo de Mezora (Marruecos),

*Archivo de la historia Levantina*, t. III, 1956, p. 229 - 239 ; M. Ponsich, Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, Région de Lixus, *BAM, VI, 1966, p. 376 - 424* ; G. Souville, *Atlas préhistorique*, 1, Le Maroc atlantique, CNRS, Paris, 1973.

مصطفى أعشي

**ميمران، إبراهيم** يهودي مغربي من الخدام البارزين للمولى إسماعيل، خلف أباه جورزيف ميموران، وساهم في مد السلطان بالمال لمحاربة خصومه، فعينه شيخا على بني جلدته، وكلفه بعدة مهام تجارية ودبلوماسية بأوروبا وخاصة بهولندا التي خاطبها المولى إسماعيل بشأنه قائلا : "... هذا الذمي خديمنا إبراهيم ميمران ... له معكم مداخلة كبيرة ومعاملة كثيرة وقدما خرج ابن عمه (حاييم طوليدانو) أو نائبه أو قريبه من عندكم وتكلم لنا فيكم الخير الكثير مرارا عديدة وما يرغبنا في معرفتكم أكثر من كل أحد من أجناس أهل الشرك ويقول لنا إن الفلامنك فيهم وفاء ولهم عهد ويقرون بالصنائع أكثر من كل أحد ويحبون خدمتك وجانبك...

واختص هذا الذمي في كتابة الرسائل السلطانية إلى هولندا، وفي استقبال القنصل الهولندي "جوان سميط" والتفاوض معه حول شروط الهدنة، وفي القيام بدور الوساطة بينها وبين المغرب خاصة فيما يتعلق بالقضايا المعقدة كملف الأسرى، إذ أقنع المولى إسماعيل غير ما مرة بقبول الفدية رغم إصرار هذا الأخير على رفضها، إذا لم تشمل افتكاك الأسرى المسلمين. كما كان يتكفل بالإنفاق على الأسرى الهولنديين المتواجدين بمكناس، وتوفير كل حاجياتهم، ودفع حصتهم من الكلف المخزنية التي كانت تفرض عليهم يوميا. وحين غاب القنصل الهولندي سنة 1110 عن حفل التوقيع مع المجاهدين على عملية الافتداء، تكلف بدفع ألف مثقال وحيازة الأسرى في انتظار عودته. كما سبق له أن اشترى ثلاثين أسيرا مسلما من إسبانيا.

وعاتب المولى إسماعيل الهولنديين على سوء معاملته والتسويف في قضاء حاجياته" ... ولا كان فيكم رجل واحد يتكلم على هذا الذمي الذي عمل فيكم الخير ويجازيه على إحسانه..." ويعزى هذا العتاب إلى مسألتين أولاهما تتعلق بتماطل الهولنديين في دفع الدين المستحق عليهم لفائدة الذمي ميموران الذي أنفقه على أسراهم. وثانيهما تتعلق بالعدة الفاسدة من المكاحل والبارود التي توصل بها السلطان.

ولما تعرضت سفينة ميموران للمصادرة من طرف أهل قالص، وفيها نحو ثمانية ألف ريال، كاتبهم المولى إسماعيل وهددهم بتكثيف الهجمات على سبتة، إذا لم يسارعوا برد ما أخذوه منه. وتوسط إبراهيم ميموران في افتكاك سفينة هولندية "موسوقة بالسلع وفيها ستة عشر نصرانيا".

رسالة من المولى إسماعيل إلى هولندا بتاريخ 1 جمادى الثانية 1110، الأرشيف الوطني الهولندي، لاهاي ؛ المصدر السابق ؛ رسالة مماثلة بتاريخ 26 صفر الخير 1111 نفس المصدر ؛ رسالة مماثلة بتاريخ أوائل ربيع الثاني 1102، نفس المصدر.

Ch. - de la Veronne, *Vie de Moulay Ismail d'après Joseph de Léon*, éd. Geuthner, Paris, p. 68.

محمد جادور

**ميمون** (ابن -) **علي الغماري** المالكي، أبو الحسن ولد في قبيلة غمارة من أعمال فاس، وتوفي في المشرق في لبنان.

من قضاة مدينة شفشاون وعلمائها ومجاهديها، حلاه ابن عسكر في دوحة *الناشر* فقال : "الشيخ المشهور، صدر الصدور، والقدوة التي لم تأت بمثله الدهور"، "أقام بفاس مدة ثم رحل إلى المشرق، ونزل صالحية دمشق، فانتشرت علومه بها" وخلف بها ـ كما ذكر ابن عسكر ـ الفحول من تلامذته، فالطريق الميمونية بالمشرق كالطريق الشاذلية بالمغرب".

وعلي الغماري من المتصوفة ذوي الكرامات، بإجماع العلماء والمشايخ، وهو ممن "أحيي الله به هذا الدين الحنيف" كما جاء في الترجمة التي كتبها له ابن عسكر.

مؤلفاته كثيرة، أورد أسماءها البغدادي في هدية العارفين، 1 : 741، منها :

*غربة الإسلام في مصر والشام* وما والاهما من بلاد الروم والعجم، تنزيه الصديق عن صفات الزنديق، دفاعا عن ابن عربي، *مبادئ السالكين إلى مقامات العارفين*، *سفينة النجاة*، *رسالة الإخوان من أهل الفقه* وحملة القرآن، ألفها سنة 915، *عقد الشرف في التاريخ*، *الرسالة الميمونية* في توحيد الجرومية، إلى غيرها من المؤلفات.

توفي عام 917 / 1511.

ابن عسكر، دوحة *الناشر*، تح. محمد حجي، ص. 28 ؛ فهرسة ومراجعة، خيالي، ص. 32 ؛ الفاسي، *مرآة المحاسن*، ص. 136 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب*، 2 : 422 ؛ الزركلي، *الأعلام*، 5 : 27، ط 4 ؛ عمر رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، 7 : 251، ط 1957 ؛ حاجي خليفة، *كشف الظنون*، 1 : 843 ؛ البغدادي، *هدية العارفين*، 1 : 741 ؛ ابن غزي، *الكواكب السائرة*، 1 : 241.

نجاة المريني

ابن **ميمون** (1135 ـ 1204) هو أبو عمران موسى بن ميمون بن يوسف، الفقيه والفيلسوف والطبيب، عرف عند مؤرخي العلماء العرب بـ "الرئيس"، وعند الغربيين بـ "ميمونيد"، وصار اختصار اسمه "رميم" عند اليهود شهرة. وهو عندهم "موشي هزمن" أو "موسى فريد العصر".

ولد بقرطبة في مارس سنة 1135، على أشهر الأقوال، من أسرة يهودية عريقة، أبوه ميمون كان قاضيا بقرطبة، وتولى العديد من أجداده القضاء وريادة الطوائف اليهودية في الأندلس وفي غربها. وغادرت الأسرة قرطبة سنة 1148، وهي السنة التي وصلت فيها جيوش الموحدين هذه المدينة. وظلت تطوف في مدن الأندلس. ويذكر ليون الأفريقي، أنها قضت فترة في مدينة المرية، انتهت، بوصول أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن إلى المدينة سنة 1160، لتحمل عصا

الترحال من جديد. وظلت الفترة بين سنتي مغادرة الأسرة قرطبة والمرية طي المجهول.

تعليمه وتلمذته :

ومهما يكن، فإن ابن ميمون كان قد بلغ سن الرشد الديني، الذي هو الثالثة عشرة، حسب التقليد اليهودي، وهي السنة التي غادرت فيها أسرته قرطبة، ومن المفروض أن يكون قد تعلم القراءة والكتابة، واطلع على الأصول اليهودية الأساسية، من توراة وتلمود و"مدرشيم"، وهذا هو الحد الأدنى من المعارف لطفل عاد، عندما يبلغ سن الرشد، لكنه ابن حبر قاض، كان يحرص على تعليم ولده بنفسه وفي حاضرة عالمة. ومن المفروض أيضا أن يتمرس الطفل بما يتمرس به كل طفل مسلم ينتمي إلى عائلة أرستقراطية، في مجتمع كهذا، لم يشكل فيه المعتقد أي عائق من العوائق. فيكون ابن ميمون إذن، درس العبرية والعربية ودرس كل العلوم المتصلة بهما بما في ذلك علوم القرآن. لأن معاهد التعليم، أدناها وأعلاها إذ ذاك، كانت هي المساجد، ولم يأت ذكر فيما اطلعنا عليه، لأماكن خاصة تعلم فيها كبار علماء النصارى واليهود. وكان من بينهم من نظموا الشعر العربي كأي شاعر مسلم، وشغلوا وظائف الكتابة والحجابة والوزارة وغيرها من وظائف الدولة العليا. وكانت مكاتباتهم لا تخلو من بسلمة وحمدلة واستشتهد بآي القرآن والتراث العربي. كما أن أعلام الأندلس ممن أرخوا للعلم فيها، كابن بسام الشنتريني وابن الخطيب وصاعد الأندلسي وغيرهم، كلهم أوردوا إشارات تؤكد اشتراك منازل العلم وتقليد الشيوخ المتمرسين مهام التدريس، مسلمين كانوا أم يهودا.

إذن كان ابن ميمون عندما تركت أسرته قرطبة قد تزود بالمعارف الضرورية لأمثاله، مع زيادة خاصة به، لما عرف عنه من نباهة زائدة أكدها تميزه في التاريخ اليهودي فيما بعد. ومن الأكيد أن ملء الفترة الفاصلة ما بين مغادرته قرطبة وتلك التي غادر فيها المرية نحو فاس، أي من سنة 1145 إلى 1160 ، أي خمس عشرة سنة، من أنضج سنوات العمر بالدرس والتحصيل على أشهر علماء اليهود والمسلمين، في الأندلس التي عرفت يومئذ فورة عملية خلقت رجلا من كبار أعلام العصر هو ابن حزم الأندلسي الذي خالط الجماعة اليهودية وناقش علماءها في علمهم بعمق منقطع النظير، وخلقت رجلا مثل ابن باجة الذي تعلم ابن ميمون على أحد تلامذته، وخلقت صموئل هنكيد الذي وزر لحبوس في غرناطة وكتب باللسانين العربي والعبري.

ظل العلم في كل مدن لأندلس، إسلاميا ويهوديا، مزدهرا، فتعلم ابن ميمون علم التعاليم أو الرياضيات والطبيعة والمنطق والفلك والمناظر والمخروطات والأوزان، وقد ذكر هو نفسه هذه المعارف في مقدمة شرحه "ثنية التوراة"، وهو مؤلف بدأ تأليفه سنة 1161 ، أي بعد رحلة الأسرة إلى مدينة فاس مباشرة. تحتل تلك العلوم حظا وافرا من الفلسفة، وإن لم يذكرها، لأن درس أمثاله لها كان طبيعيا أو لأن ذكرها في مدخل لكتاب يخص الشرع لم يكن جهودا خصوصا عندما نضع درس الفلسفة في سياقها التاريخي، في تلك الفترة. غير أن المؤكد أن ابن ميمون كان قد نظر في كتبها وصاحب أهلها، ومن بينهم تلامذة لابن باجة، كما ذكر هو نفسه في كتاب الدلالة.

ولم يتوجه ميمون وأسرته إلى الشمال الأوربي لسببين، السبب الأول أنه لم يكن في واقع يهود المغرب ما يدعو إلى قلق خاص، اللهم إلا ما يمكن أن يقلق المغرب عامة. وثاني الأسباب أنه كان بفاس مركز علمي ذائع الصيت، يشرف عليه الربى يهودا كوهن الذي عدّ من أكبر علماء شريعتهم، وكان المرشد الروحي لجماعة يهود فاس. ولم يكن يهودا كوهن إلا واحدا من أعلام كثر جعلوا من فاس شهرة في العلوم الربية، فجلبت طالبا طموحا اطلع على العلوم اليهودية والعلوم العربية. وفي هذا الإطار يكون سببٌ ثالثٌ قد جلب تلميذ ابن باجة إلى فاس، تلك هي جامعة القرويين التي يذكرها بعض مؤرخي ابن ميمون باعتبارها معهد درس لابن ميمون قائلين : صحيح أنه لا توجد أي وثيقة تدل على هذا، ولكن متى كانت وثائق تسجل أسماء الطلبة في القرويين أو غير القرويين إذ ذاك ؟ وهل لدينا وثائق سجلت كل خريجي مساجد قرطبة وسرقسطة وغرناطة وطليطلة" ؟

لا يمكن أن تذهب خمس سنين لفتى شبّ في العلم العربي الإسلامي منذ نعومة أظفاره هباء في مغرب توالت عليه وعلى جامعته أفواج كبار العلماء والفلاسفة، من الأندلس والمشرق، فـ "تابع ابن ميمون بحماس وقاد دراسته في العلوم الفلسفية والطب والهيئة، على يد مجموعة من الأعلام والعلماء المسلمين من ذوي الشهرة والصيت، فتنبهوا إلى فطنته الواعدة، وقيل إنهم لذلك أسندوا إليه تدريس علم التشريح"، كما يقول حاييم الزعفراني. وإن كان إسناد الدرس له غير واقع، لأنه لو وقع لنقلته كتب التاريخ العلمي، وقد ذكرت هذه الكتب كثيرا من المناصب التي تحملها يهود ومسيحيون في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، باعتبار ذلك أمرا عاديا وغير خارق للعادة. والثابت أن ابن ميمون في هذه المرحلة أصبح متمكنا في العلم، وأن كل معارفه التي أخذها عن أفواه العلماء كانت في مدن الأندلس وفاس لا غير. وفي فاس كتب "رسالة *حسبان الميقات للأعياد اليهودية* " وكتب تعاليق عل فصول من التلمود وكتابات أخرى في الهيئة والرياضيات لم تصلنا. وفي فاس كتب مقالته المتميزة "*مقالة في صناعة المنطق*" ذات التأثير الفارابي، وفيها بدأ عمله الفقهي الكبير : كتاب "*السراج*" الذي هو شرح للمشنة أو القسم العبري من التلمود. وفي فاس كتب "*رسالة في تقديس الاسم*" يرد بها رأي أحد الأحبار ممن استفتاهم يهود فاس في أمر من أخفى يهوديته تقية فأجابهم ذاك المفتي بأفضلية الموت على أن يخفوا دينهم، جواب استقبحه ابن ميمون، ورأى أن التقية أولى. فما هي الصفة التي كان عليها ابن ميمون وهو يكتب هذه

الرسالة ؟ فهل يصدق عليه الأمر ؟ ومن هنا ما الذي حدث بين مقدم عائلته إلى فاس وانشغاله بالمعارف اليهودية والإسلامية ؟ وما هي المدة التي ظل فيها على يهوديته يتوجه إلى "ييشيفة" (مدرسة) الربي يهودا هكوهن وربما القرويين ؟ متى بدأت مسألة إسلام يهود فاس وهل وازت مسألة إسلام ابن ميمون ؟ وهل لأحداث تحزب المسيحيين واليهود مع ابن مردنيش الذي تابع حربه يوسف بن عبد المؤمن، لاسترداد شرق الأندلس، دخل فيما آل إليه أمر اليهود الذين عاشوا تحت خلافة أبيه ازدهارا اقتصاديا مكنهم من تمتين وضعهم العلمي ؟ أليس لهزيمة فحص مرسية في سنة 560 / 1165 بالضبط دَخْلٌ لما آل إليه أمر اليهود بمن فيهم أسرة ابن ميمون ؟ وهل إسلام ابن ميمون في الأندلس أو المغرب حقيقة أم خيال ؟ ولو فرض الإسلام قصرا على اليهود أيام عبد المؤمن، لماذا لم ترد مسألة تميزهم بلباس خاص إلا أيام حفيده يعقوب المنصور ؟

ومن المسكوت عنه في التاريخ، الحزازات التي خلفتها مساعدة اليهود لجيوش ابن همشك عند دخولها لغرناطة، وكذا الأحداث الناتجة عن هزيمة فحص مرسية السابقة الذكر. فاهتز واقع اليهود في المغرب، ولم يجد ابن ميمون وأسرته بدا من مغادرة فاس سنة 1165 ، إذ ركبوا البحر من سبتة متجهين إلى عكة بفلسطين، وقد تنقل ابن ميمون بين عكة والقدس والخليل قبل أن يتوجه إلى الإسكندرية التي تعد من أقدم المدن التي ضمت جالية يهودية كبرى، ثم توجهت العائلة المؤلفة منه ومن ابنيه وبنته إلى القاهرة، ليستقروا نهائيا في حي المصيص في فسطاط القاهرة. ولعله تقرب إلى الأسرةالفاطمية، كما يذكر ذلك القفطي. وكيف ما كان الحال، فقد سقط حكم الفاطميين سنة 1171 دون أن نعرف علاقته بهم، وكان ابن ميمون وأخوه يشتغلان بتجارة الأحجار الكريمة. ولم تستمر الحياة هنية على الأسرة، إذ توفي أبوه سنة 1166 ، ثم غرق أخوه في إحدى رحلاته التجارية، مما دفعه إلى التفكير في إعالة نفسه وأخته. فعكف من جديد على الدرس، وعاد للطب الذي كان جزءا من دراسة الفلسفة والطبيعة في ثقافة العصر.

أصبح ابن ميمون طبيبا ومستشارا لأم الملك الأفضل أبي المعالي هبة الله. ولما استولى الأيوبيون على مصر، "اشتمل عليه القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني [صهر صلاح الدين ووزيره].. وقرر له رزقا وكان يشارك الأطباء ولا ينفرد برأيه لقلة مشاركته..." وانكب على التأليف في الفلسفة وعلم الشريعة، وأصبح قاضي قضاة اليهود في مصر، فاشتغل بالفتوى، واكتسب شهرة علمية داخل مصر وخارجها، حتى لقب بـ "النكيد" أو الرئيس، حقيقة أو مجازا، وهو لقب لا يحتله عند اليهود، إلا من كان ذا حظوة في النسب والعلم. وظل اللقب في أسرته إلى القرن الرابع عشر. وبهذا اللقب مثل اليهود لدى السلطات المدنية، وبه كاتب كثيرا من الطوائف يواسيها (*رسالة إلى يهود اليمن*) وبه أبعد كل متسلط من اليهود عليهم، مثل زوطا الذي عينه صلاح الدين رئيسا على يهود القاهرة الذين رفضوه، وبه عارض مذهب القرائين الرافضين التلمود مصدرا لليهودية، وبه جادل المسيحيين والمسلمين في كثير من القضايا الدينية والفكرية. وعلى الرغم من هذا اللقب تعرض ابن ميمون لنقد لاذع من الأرثوذوكسية اليهودية، وبسبب هذا اللقب قام عليه أبو العرب يتهمه بالردة عن الإسلام بعد أن شهد له بصحة إسلامه عندما هَدَّهُ الخطر في فاس أيام وجوده بها.

مؤلفاته :

تنوعت مؤلفات ابن ميمون تبعا لثقافته، فهو الفقيه المجادل في اللاهوت الفيلسوف الطبيب، الذي ألف في أنواع هذه المعارف ما يأتي :

*رسالة في حسبان الميقات لأعياد اليهود* ، *رسالة إلى علماء اليهود* . بين لهم فيها أهمية الدرس الفلسفي والمنطق الإسلامي، *تفسير المشنا* ، وسماه كتاب السراج. بحث في علم الأسانيد، بين فيه ما غمض في التشريع اليهودي، *تثنية التوراة* ، دراسات استقاها من التلمود وشروحه وهوامشه، *إجابات موسى ابن ميمون*، وهي عبارة عن فتاويه ومناقشاته الفلسفة التي راسله فيها اليهود من بلدان شتى، *رسالة إلى يهود اليمن* ، وهي دفاع عن اليهودية وإشارة إلى ما صادفته في كل تاريخها حتى أيام ابن ميمون، *كتاب الفرائض*، وموضوع المحلل والمحرم في الشريعة اليهودية، *رسالة في إبطال المعاد الشرعي*، *مقالة في إحياء الموتى*، *مقالة في صناعة المنطق*، *تهذيب الاستكمال* ، وهو استكمال ابن هود في علم الرياضيات، *إصلاح هيئة ابن أفلح الإشبيلي*، *دلالة الحائرين* ، وهو أشهر كتبه وأكثرها تأثيرا وانتشارا وإثارة للجدل.

أما كتبه الطبية فهي :

*اختصار الكتب الستة عشرة لجالينوس*، كما سماها ابن أبي أصيبعة (ص. 583) ، *مقالة في البواسير وعلاجها* ، *مقالة في تدبير الصحة* ، صنفها للملك الأفضل علي بن صلاح الدين، *مقالة في السموم والحرز من الأدوية القاتلة*، *مقالة في شرح العقار*، *مقالة في الربو*، *فصول موسى*، ولعله شرح فيه فصول أبقراط وزاد عليها، *مقالة في الجماع*، ويقال إنه وضعها لسلطان حماة، تقي الدين أبي سعيد عمر بن نور الدين، *مقالة بيان الأعراض*، وهي رد على تقارير الأطباء حول صحة الملك الأفضل.

تأثير ابن ميمون :

كان ابن ميمون فريد عصره عند متنورة اليهود والمتأثرين بالثقافة العربية في أوسع معانيها. ولم يكن كذلك عند المقلدين ممن ارتضوا لهم علوم النقل دون غيرها، فنافح هؤلاء عن ثقافتهم اليهودية التقليدية بكل قواهم لأسباب متعددة عرف المجتمع الإسلامي الذي علمهم وهذبهم مثيلا لها. فناصب هؤلاء المقلدون ابن ميمون العداء، واستشرى هذا العداء ما يقرب من ثلاثة قرون في كثير من مراكز الثقافة اليهودية.

ومما أخذ على ابن ميمون، بثه علوم الأوائل في كتاباته، وتغليب سلطان العقل على الإيمان المطلق، والخوض في الأمور العقائدية ذات التأويل، مما شكك الكثير في الدين، وقوله في العالم بما يقرب من أقوال أرسطو، وخوضه في أمر إحياء الموتى، وفي تبنيه لكثير من الآراء الفلسفية التي كانت سائدة إذ ذاك. ونعتقد أن منتقديه استفادوا كثيرا من آراء أهل السنة في الإسلام، بل نجزم أن اهتمام اليهود بالغزالي الذي ترجموا جل كتبه إلى العبرية، وبعضهم شرحها، كان يدخل في هذا الباب. وفي هذا الإطار أصبحت فلسفة ابن رشد تدخل في هذا الحظر، باعتبار أن هذه الفلسفة كانت هي مدار المنظومة الفكرية الإسلامية واليهودية والمسيحية. وأخذ منتقدو ابن ميمون عليه أيضا اجتهاداته الفقهية، فرأوا أنه كان يشرع دون مرجع أو مستند، وأنه رتب القواعد الشرعية ترتيبا يختلف عن ترتيب التلمود، وأنه صاغ الأحكام الشرعية صياغة تختلف عن أسلوب اللغة الفقهية. وأذاعوا أن فعله هذا سيفسح المجال لكل من هب ودب ليفتي ويشرع، وأن هذا سيعطل دور التلمود ويستصغر العلماء في عين العامة. ونذكر بأن هذا الخصام كان قد بدأ في حياته وعرّضه لمحنة تشبه من بعض الوجوه محنة ابن رشد، فانقسم اليهود حول فلسفته واجتهاداته الفقهية اللاهوتية، ويشهد على ذلك ما كتبه أنصاره على قبره حيث جاء : "دفن في هذا القبر معلمنا موسى بن ميمون مختار البشرية"، وما أضافه أعداؤه : "دفن في هذا القبر موسى بن ميمون الطريد والمحروم الكافر". وهذا ما أكده ابن العبري حيث كتب : "وصنف كتابا في مذهب اليهود سماه بالدلالة، وبعضهم يستجيده وبعضهم يذمه ويسميه الضلالة ... ورأيت جماعة من اليهود في بلاد الفرنج الغنم بأنطاكية وطرابلس يلعنونه ويسمونه كافرا".

تأثير ابن ميمون :

أثر فكر ابن ميمون في أجيال من بني ملته على مدى قرون، ومازال منهجه في النظر والتأويل والتشريع والفتوى منبعا عند مجتهديهم حتى اليوم، خصوصا فيما يتعلق بالأخلاق والسياسة، (أكاديميا). والكثير اليوم من أطبائهم يرون في عمله الطبي بعض اجتهاد. وفي هذا الإطار ظهرت تحقيقات لنصوصه الطبية، بدعوى أن فيها كثيرا من الفتوح الطبية، مع العلم أنه لم يكن يصدر إلا عن الأدبيات الطبية العربية في خصوصياتها وعمومياتها.

غير أن الذي تجدر الإشارة إليه والوقوف عنده، هو امتداد فكره في أوروبا المسيحية، فلسفة ولاهوتا، خصوصا بواسطة كتابة دلالة الحائرين، إذ ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية سنة 1240، في إيطاليا. وقد كان هذا الكتاب آلة استعملها الدومينيكان في صراعهم مع الفرنسيسكان.

وبدأ يظهر اسم ابن ميمون في الكتابات اللاتينية، فذكره Gullielumus Alverniates (ت. 1249) في موضوع خلق السماوات وضرورة الإدراك العميق الذي هو توأم الفلسفة. واستعمل Alexander de Hales أقواله في موضوع المعجزة والخلق من عدم، وأن الله لا يدرك إلا بآثاره الدالة عليه.

وكان كتاب *الدلالة* حاضرا عند ألبير الكبير وتوما الأكويني، ضمن معارفهما العربية، في موضوع الوحدانية والصفات والخلق من عدم والعناية والنبوة. فاستعار منه ألبير بعض العناصر الأفلاطونية، وبالأخص في الصفات السالبة، ومنه أخذ فكرة أن خلق العالم لا يمكن أن يبرهن عليه بالمنطق. واستعمل أيضا في شرحه *كتاب الطبيعة* قطعا كاملة من *الدلالة*. وبالرغم من انتقاد توما الأكويني كتاب *الدلالة* فإنه اقتبس منه ثمانين اقتباسا، وأخذ منه منهجه في الوصول إلى الحقيقة. وعلى أسس الدلالة، وربما في نقاشه له، بنى توماس أطروحته في الصفات والنبوة والله والمخلوقات والعقول المفارقة وموافقة النص للفلسفة والاستدلال على معرفة الله وأن عنايته غير مقتصرة على النوع الإنساني وعدم اعتماد المنطق للتدليل على خلق العالم. واستمر فعل كتاب *الدلالة* في بداية القرن 14، حيث نجد أتباع توما الأكويني، ينتقدون مثل Aegidius Romanus (ت. 1316) الذي استخرج أخطاءه. واهتم الكثيرون من غير هؤلاء *بالدلالة* على مدى القرن الرابع عشر، منهم هؤلاء الفرنسسكاني Duns Scotus والمتصوف الألماني يوهانس إفهرط. وفي القرن الخامس عشر لمح إلى الدلالة نيكولاس قوزينوس وبيكو ديلامرندل في الصفات وإدراك المعقولات. وانتشرت أفكار الكتاب أيضا، بدءا من القرن الرابع عشر، في كثير من بلدان أوربا مثل ألمانيا وفيينا وبراغ وبولونيا وبروسيا وأمستردام، ومن هنا كان له الأثر الكبير في بروخ سبينوزا الذي يعتبر بحق، بعد ابن حزم وأبراهام ابن عزرة، أكبر من وضع التوراة تحت مبضع النقد الفيلولوجي والتاريخي والعقدي.


موسى ابن ميمون، *دلالة الحائرين*، تح. حسن أتاي، أنقرة، 1972 ؛ إسرائيل ولفسون، *موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته*، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1935 ؛ ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، تح. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965 ؛ التبريزي أبو عبد الله محمد، *المقدمات الخمس والعشرون في إثبات وجود الله ... من دلالة الحائرين*، تح. محمد زاهر الكوثري، مطبعة السعادة، مصر، 369 ؛ غريغوريوس الملطي ابن العبري، *تاريخ مختصر الدول*، تح. الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، 1383 ؛ القفطي أبو الحسن جمال الدين، *إخبار العلماء بأخبار الحكماء*، مطبعة السعادة، مصر، 1326 ؛ المقريزي أحمد بن علي، *الخطط المقرزية*، دار العرفان، لبنان، 1959.

L. German Levy, *Maïmonide*, Lib. Felex Alban, Paris, 1932 ; S.D. Goitein, *Moses Maimonides*, in *Hommage à Vajda*, Louvain, 1980 ; *Multiple Averroès*, (Colloque), Les Belles Lettres, Paris, 1978 ; Maïmonide, *Colloque Tenu à l'Unesco*, 1985, érès 1987 ; S. Munk, *Mélanges de philosophie juive et arabe*, Paris, 1955 ; E. Renan, *Averroës et l'Averroësme*, Vrin, Paris, 1866 ; G. Vajda, *Introduction à La Pensé juive au Moyen Age*, Paris, 1947 ; H. Zafrani, Maïmonide, *Les Africains, 2d. J.A., t. III*, 1977.

- רבינו משה בן מימון, מורה הנבוכים, [תרגום לעברית ביאור והכין על פי כתבי יד ודפוסים יוסף בכה"ר דוד קאפח, הוצאת מוסד הרב קוק, ירושלים, 1977
- הרמב"ם, חייו ופעלו, אפרים טובנהויז, הוצאת "סיני" תל-אביב, 1977
- המחשבה היהדית בימי הביניים, צ. ה. וולפסון, מוסד ביאליק, 1978
- רבינו משה בן מימון, חייו ספריו פעולותיו ודעותיו, קובץ תורני מדעי...עורך ומסודר ויוצא לאור לזכר מלאת שמונה מאות שנה ליום-הלדת שלו בעריכת הרב יהודה ליב הכהן פישמן ובהוצאת המרכז העולמי של המזרחי, ירושלים, 1935



• أحمد شحلان

« Sala »

IMPRIMERIE DE SALÉ

**Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane**
**Zone Industrielle de Tabriquet**
**B.P. 596 SALÉ**

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

21

Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé**

"SALA"

**2005 - 1426**

تـــم طبـــع الجـــزء 21 مـــن معـلـمـة الـمـغــرب
بـمطابــع ســـلا وبـمـطبـعـة النجــاح الجــديـدة
في ذي القعدة عـــام 1426 / دجنبر 2005

مـــطـــــــابـــع ســــــلا
قـسـمـة 14، زنــقـة عـثـمـان بـن عـفـان
الحـي الصـنـاعـي لـتـابـريـكـت
ص.ب. 596 ســلا

19، زنقــة الحافــظ السلفـــي
المعـــاريف ـ الدار البيضـــاء


ISBN 9981 - 03 - 000 - 7 (Ensemble)
ISBN 9981 - 03 - 028 - 7 (Tome 21)

Encyclopédie
du
Maroc

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

22

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2005 - 1426

تـــم طبـــع الجـــزء 22 مـــن معـلمـة المغـــرب
بـمطابـع ســـلا وبـمطبعـة النجـاح الجـديـدة
في ذي القعدة عـام 1426 / دجنبر 2005

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 0629



ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 5 - 029 - 03 - 9981 (الجزء 22)

# معلمة المغرب

المغرب الأقصى

22

بسم الله الرحمن الرحيم

أعد هذا الجزء من معلمة المغرب بدعم من وزارة الثقافة ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق عبارات الشكر والامتنان.

# اختصارات

| | |
|---|---|
| **تـ.** | = توفي |
| **تح.** | = تحقيق |
| **تر.** | = ترجمة |
| **خ. تـ.** | = خزانة تطوان |
| **خ. ح.** | = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط |
| **خ. ص.** | = الخزانة الصبيحية بسلا |
| **خ. ع.** | = الخزانة العامة بالرباط |
| **خ. ق.** | = خزانة القرويين بفاس |
| **خ. ي.** | = خزانة ابن يوسف بمراكش |
| **د. تـ.** | = دون تاريخ |
| **د. د. ع.** | = دبلوم الدراسات العليا |
| **د. م.** | = دون مكان |
| **ط.** | = طبعة |
| ← | = انظر |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

# المشاركون في هذا الجزء

عبد المجيد **احساين**، باحث ـ الرباط

ميلود **أحمن**، كلية الآداب ـ مراكش

محمد **الأخضر**، باحث ـ الرباط

علي **الإدريسي**، باحث ـ الرباط

الفقيه **الإدريسي**، كلية الآداب ـ بني ملال

المحفوظ **أسمهر**، باحث

سعيد **أعراب**، باحث ـ تطوان

مصطفى **أعشي**، المعهد الملكي للدراسات الأمازيغية ـ الرباط

عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط

المختار **الأكحل**، كلية الآداب ـ المحمدية

إبراهيم **أنوار**، باحث ـ أگادير

خالد **أوشن**، كلية الآداب ـ أگادير

محند **أيت الحاج**، باحث ـ الدار البيضاء

محمد **البايك**، باحث ـ مراكش

ثريا **برادة**، كلية الآداب ـ القنيطرة

الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية ـ البهاليل

عبد السلام **البكاري**، باحث

عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **بلعربي**، باحث ـ الرباط

عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب ـ الرباط

البضاوية **بلكامل**، كلية الآداب ـ الرباط

رقية **بلمقدم**، كلية الآداب ـ القنيطرة

أحمد **بنجلون**، باحث ـ الرباط

زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية

عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا

عثمان **بناني**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد القادر **بوراس**، المركز الجهوي التربوي ـ القنيطرة

محمد **بوزيان بنعلي**، باحث ـ فگيگ

أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب ـ فاس

إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد العزيز **بوعصاب**، باحث ـ الرباط

عبد الكريم **بوفرة**، باحث ـ مراكش

عبد المجيد **بوكاري**، باحث

محمد **بوكبوط**، باحث

أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية ـ تيزنيت

جامع **بيضا**، كلية الآداب ـ الرباط

بوعبيد **التركي**، باحث

نجيب **تقي**، باحث ـ الدار البيضاء

أحمد **التوفيق**، كلية الآداب ـ الرباط

حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية ـ مراكش

الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء

محمد **الحاتمي**، باحث ـ أگادير

محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

إبراهيم **حركات**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **حنداين**، وزارة التربية الوطنية ـ أگادير

علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط

خالد **الخضري**، وزارة الثقافة ـ الرباط

عبد العزيز **الخمليشي**، كلية الآداب ـ الرباط

نجاة **الخياطي**، كلية العلوم ـ الدار البيضاء

مارية **دادي**، كلية الآداب ـ وجدة

عبد العزيز **دبوز**، باحث

نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **رحو**، كلية الآداب ـ فاس

علال **ركوگ**، كلية الآداب ـ بني ملال

محمد **رمضاني**، المعهد العلمي ـ الرباط

أحمد **زروال**، كلية الآداب ـ مراكش

قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط

عبد النبي **زين العابدين**، باحث ـ الرباط

محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا

حنان **السقاط**، باحثة

مولاي الحسن **السكراتي**، كلية الآداب ـ أگادير

رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش

عبد المالك **السلوي**، كلية الآداب ـ المحمدية

عبد اللطيف **الشاذلي**، مديرية الوثائق الملكية ـ الرباط

الميلود **شاكر**، كلية الآداب ـ الرباط

صالح **شگاگ**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

الحسن **شوقي**، وزارة التربية الوطنية ـ العطاوية

عبد العزيز **الضعيفي**، كلية الآداب ـ بني ملال

أحمد صالح **الطاهري**، المعهد الوطني للآثار ـ الرباط

محمد **الطيلسان**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **الظريف**، كلية الآداب ـ المحمدية

عبد الله **عاصم**، كلية الحقوق ـ الرباط

عبد الرحمان **عافي**، باحث

عبد العزيز بن **عبد الجليل**، باحث ـ مكناس

أحمد **عزاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان

عبد الصمد **العشاب**، باحث

عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط

نزهة **عقيلي**، باحثة ـ الرباط

سليمان **العلوي**، ديوان المظالم ـ الرباط

أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش

محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **العمراني**، باحث

عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

محمد **الفران**، باحث

محمد **الفقير**، باحث ـ سلا

حسن **الفگيگي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

بوشتى **الفلاح**، المعهد العلمي ـ الرباط

عبد الرحمن **القباج**، باحث ـ الدار البيضاء

أحمد **قدور**، كلية الآداب ـ القنيطرة

حمزة **الكتاني**، باحث ـ الرباط

موسى **كرزازي**، كلية الآداب ـ الرباط

لطيفة **الگندوز**، معهد البحث العلمي ـ الرباط

محمد **اللبار**، كلية الآداب ـ وجدة

محمد بن **لحسن**، باحث ـ بني ملال

حسن **ليمان**، وزارة الثقافة ـ الرباط

علي **ماء العينين** النعمة، باحث

محمد **ماگامان**، باحث ـ مراكش

أحمد **متفكر**، باحث ـ مراكش

محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمدية

الحسن **المحداد**، كلية الآداب ـ أگادير

محمد **محيى الدين**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

المكي **مربي**، باحث ـ مراكش

أمينة **المريني**، باحثة ـ الرباط

نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **معروف الدفالي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **المكاوي**، كلية الآداب ـ الجديدة

المالكي **الملكي**، كلية الآداب ـ تطوان

محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **الناصري**، باحث ـ سلا

ربيعة **الناصري**، باحثة ـ الرباط

عبد العزيز **ناظم**، كلية الآداب ـ الرباط

مصطفى **ناعمي**، معهد البحث العلمي ـ الرباط

عبد الحكيم **الهلالي**، باحث

العربي **هلالي**، باحث ـ فگيگ

أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش

عبد الله **واكريم**، باحث

محمد **وحيد**، باحث ـ الدار البيضاء

التهامي **الوزاني**، باحث

عبد الحق **الوزاني**، باحث

محمد **ياسر الهلالي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

إبراهيم **ياسين**، باحث

## Listes des principales abréviations des périodiques

A.A. : *L'Afrique et l'Asie.*
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales, Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignement Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus.*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.G.M : *Bulletin de Géologie du Maroc.*
B.I.D.M : *Bulletin de l'Informatique et de la Documentation Marocaine.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique* (Paris).
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographgie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Comptes-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Comptes-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.B : *Encyclopédie Berbère.*
E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam.* (1ère édition).
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam.* (2ème édition).
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerraniennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp. : *Hespéris.*

H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
M.E.F.R : *Mélange de l'Ecole Française de Rome.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scienfitiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
R.G.L : *Revue de Géologie de Lyon.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique* (Paris).
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.C.M : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.F.P.E : *Revue Marocaie des Finances Publiques et d'Economie.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
Rev. Int. Hist. Mil. : *Revue Internationale d'Histoire Militaire*
S.G.L : *Sodiedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*
Trav. Inst. Sc. : *Travaux de l'Institut Scientifique.*

**ميّارة** (أهل -) تعرف بهذا الاسم عدة عائلات من الصحراء تنتمي لقبائل مختلفة فهناك أسرة ميارة البعمرية الدليمية، وأسرة ميارة التهالية الرقيبية، وأسرة ميارة العروسية، وأسرة ميارة اليعقوبية، كما توجد أسرة ميارة في قبيلة أولاد تيدرارين وغيرها.

- أما أسرة ميارة البعمرية الدليمية، فهي أسرة عالمة مجاهدة. من أبرز أعلامها :

- ابْنُعُمَر بن ميارة، وهو عالم صوفي ورع من كبار مريدي الشيخ ماء العينين، وكانت له قبل ذلك علاقة وطيدة بعلامة تيرس الكبير الشيخ محمد المامي وبابنه وخليفته الشيخ أحمد يعقوب، توفي في أواخر القرن التاسع عشر وهو مسافر مع نجل الشيخ ماء العينين سيداتي.

ترجم له كل من :

- الشيخ أحمد بن الشمس في كتابه : *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، ج 2، ص. 125 ، المطبعة الجمالية، مصر.

- الطالب أخيار الشيخ مامينا في كتابه : *الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي*، ج 1، ص. 237، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لأحياء التراث والتبادل الثقافي، مطبعة بني يزناسن، سلا، 2005.

- القاضي عبد الله بن محمد ميارة. عالم كبير وشاعر متميز وخطيب بارع. من شعره في مدح الشيخ ماء العينين :

| | |
|---|---|
| أيا شيخنا من للمهمات يرتجى | وحامل تاج العز والمجد والفخر |
| ودانت له الأقطاب في كل بلدة | وقرت له بالفضل في السر والجهر |
| أزورك يا شيخي لتقضي حوائجي | وإني إذن بالنجح أولى وبالظفر |
| أزور امرؤا جماً نوالا أعدُّه | لمن أمه مستكفيا أزمة الدهر |

له أخ عرف بالصلاح والتقوى هو محمد الحسن بن ميارة.

ذكره الشيخ محمد الغيث النعمة في كتابه : *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*، كما ذكره الطالب أخيار الشيخ مامينا في كتابه.

خلف ثلاثة أبناء هم : عبد الودود ومحمد ابنعمر ومحمد البسطامي.

- محمد البسطامي بن عبد الله بن محمد ميارة : من كبار فقهاء وأدباء وادي الذهب، وهو إلى ذلك مجاهد معروف شارك في معارك كثيرة ضد القوات الفرنسية الزاحفة من الجنوب، استشهد في إحداها، وهي معركة "كَصَيِّرْ الطُّرْشَانْ" سنة 1927 ودفن هناك.

له أشعار متنوعة منها قوله في وصف شرب الشاي :

| | |
|---|---|
| إن الأتاي على الاحسان مشتمل | ما للوفود يُرى كمثله نـزُل |
| مالم يؤد لتأخير الصلاة ولم | يشارك الفضلا في شربه النذُل |
| أمرت أن أنزل الناس المنازل لا | تخالف الأمنا ما قالت الرسُل |

- عبد الودود بن محمد ميارة : هو ابن القاضي عبد الله. كان من أهل العلم، خيِّرا فاضلا، مكث عند الشيخ ماء العينين زمنا طويلا، أخذ عنه خلالها العلم والطريقة، ولما أجازه أعطاه مجموعة من الكتب كانت لا تفارقه حضراً ولا سفراً. توفي في بداية الأربعينيات من القرن العشوين ودفن بمدينة نواديبو.

كما شاركت أسرة ميارة البعمرية الدليمية في معارك جيش التحرير المغربي في الخمسينيات من القرن العشرين وخاصة :

* طول عمره بن محمد الحسن بن ميارة، مجاهد كبير سلك طريق أسلافه في الصلاح والجهاد، وانخرط في صفوف جيش التحرير لتحرير الصحراء المغربية من الاحتلال الإسباني 1957 ، وشارك إلى جانب أبناء بلده في الحملة الجهادية ضد المستعمر إلى أن استشهد في معركة وادي إشياف سنة 1957 . ودفن هناك. وقد كان قدوة في الورع والصلاح، وله أخ هو محمد بن محمد الحسن بن ميارة، هاجر من بلده وادي الذهب إلى ليبيا وتزوج هناك وأنجب أبناء عرفوا بآل ميارة في ليبيا.

* أسرة ميارة التهالية الرقيبية : اشتهر أبناؤها بالجهاد والتحلي بالخصال الحميدة من كرم واستقامه وورع وغيرها.

من أعلام هذه الأسرة :

* علي بن ميارة : ابن أحمد بابا بن اعمر بن سيدي عبد الرحمان التهالي. ولد في حدود سنة 1877، وأمه فاطمة بنت إبراهيم التروزي العروسية. انخرط في سلك المجاهدين مع بدايات زحف طلائع الاستعمار الفرنسي على بلاد شنقيط، فكان مقاتلا جريئا استطاع في وقت وجيز أن يصبح قائداً عسكريا فذاً بفضل حنكته وإقدامه وسداد رأيه ونفاذ بصيرته إلى جانب تواضعه الجم وتفوق خططه العسكرية المحكمة على خطط العدو في جميع المعارك التي قادها، وقد عرف بدماثة الأخلاق وحسن السلوك والاستقامة. من أبرز المعارك التي قادها ضد القوات الفرنسية : معركة الحفرة الأولى سنة 1916 ومعارك أزواد ومعركة ميجك بتخوم وادي الذهب، وهي المعركة التي استشهد فيها سنة 1933، وشارك معه في هذه المعركة مجموعة من بني عمومته المجاهدين منهم :

ماء العينين بن محمد بن أحمد بابا بن اعمر بن سيدي عبد الرحمان التهالي الذي شارك معه في جل المعارك التي خاضها، وقد توفي يوم 21 دجنبر 1985، وفي جسده ثلاثة عشر جرحاً، ومنهم : المجاهد الكبير أحمد ولد حمادي، وغيرهما.

ولعلي بن ميارة عدة إخوة منهم : المجاهد الفراح، شهيد معركة آحفير، والمجاهد الشهيد الشيخ، وهما أكبر سنا من علي، وعمر وسيدي وأحمد بابا وحمدي الذي شارك هو الآخر في جل المعارك التي قادها أخوه علي، وقد جرح في معركة توجنين، وتوفي بمدينة الطنطان في بداية السبعينيات من القرن العشرين. وقد خلف عدة أبناء، منهم : لبات والخليل ومحمد وسلامة وعلي.

* محمد بن ميارة : شقيق علي. اشتهر إلى جانب شجاعته وإقدامه في المعارك بالكرم. توفي في حدود سنة 1942، عند موضع "طلحيات ولد آحْبَيْ". خلف عدة أبناء انخرطوا في جيش التحرير المغربي في الخمسينيات.

* الفراح بن ميارة : شقيق علي. من كبار المجاهدين، شارك في عدة معارك جهادية ضد الزحف الفرنسي على بلاد شنقيط، وكرس حياته للجهاد إلى أن استشهد في معركة "بداوة".

ويذكر ابن أخيه سيدح أن الشهيد الفراح وأخاه عمر مكثا خمس سنين بمدرسة الشيخ ماء العينين قبل أن ينخرطا في سلك المجاهدين.

كما شاركت أسرة ميارة التهالية الرقيبية في معارك جيش التحرير لإخراج القوات الإسبانية والفرنسية من الصحراء المغربية في العقد السادس من القرن العشرين، ومن أبرز رجالاتها في تلك الحقبة :

- حمدي بن عمر بن ميارة - الشيخ ابن عمر بن ميارة - علي بويا بن عمر بن ميارة - الشيخ ابن عمر بن ميارة - سيدي بن عمر بن ميارة - إبراهيم بن حمدي بن ميارة - عبداتي بن حمدي بن ميارة - بابا بن حمدي بن ميارة - لبات بن حمدي بن ميارة.

محمد الغيث النعمة، *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*، ج 2، تح. أ. مفدي، رسالة مرقونة كلية الآداب، فاس ؛ الطالب أخيار الشيخ مامينا، *الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي*، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لأحياء التراث والتبادل الثقافي، سلا، 2005 ؛ *رواية شفوية*.

محمد الظريف

**ميّارة، محمد** بن **أحمد**، كان من العلماء البارزين بمدينة فاس خلال الحقبة الفاصلة بين دولة السعديين ودولة العلويين. وقد اقترن اسمه بمسألة ما يعرف بالبلديين بفاس (انظر مادة البلديين)، وتجلى ذلك في التشنيع الذي تعرض له بسبب ما أشيع عنه من تعصبه لأبناء جنسه من البلديين، ووقوفه إلى جانب تجارهم في صراعهم مع تجار فاس الذين أرادوا إخراجهم من القيسارية، وقد دأب تجار فاس على منع التجار البلديين من البيع بأسواق المدينة بدعوى أنهم ورثوا من أصلهم اليهودي غريزة الغش في معاملاتهم، بينما كان الأمر يتعلق بمحاولة إبعادهم للتخلص من منافستهم داخل أسواق المدينة. وقد اتبع السلاطين المتعاقبون مواقف مختلفة بخصوص هذا المنع، فمنهم من أقره، ومنهم من أبطله، ومنهم من سلك طريقاً وسطاً بين الموقفين. وقد كتب محمد بن أحمد ميارة حول هذه المسألة تأليفاً سماه : "*نصيحة المغترين، وكفاية المضطرين فيمن زعم التفرقة بين المسلمين بما لم ينزله رب العالمين، ولا أخبر به الصادق الأمين، ولا ثبت عن الخلفاء المهتدين*". وهو كتاب جمع فيه صاحبه فتاوى العلماء الذين عارضوا التمييز بين البلديين وغير البلديين من سكان فاس على أساس الانتماء العرقي. ولما دخل العلويون مدينة فاس وأراد أهلها إبعاد التجار البلديين من القيسارية أخرج هؤلاء كتاب ميارة وجعلوه عمدتهم لدى السلطان، فما كان من مولاي إسماعيل إلا أن أبقاهم بأسواق المدينة القديمة، لكن مع إجبارهم على وضع علامة مميزة فوق حوانيتهم.

توفي في 3 جمادى الثانية من عام 1072 / 24 يناير 1662.

م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، ج 2 ؛ مجهول، *ذكر قصة المهاجرين*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، د 1115.

محمد المنصور

**مييج إيميل** Emile Miège، أحد أبرز الباحثين في تطوير القطاع الفلاحي بالمغرب إبان عهد الحماية الأجنبية، ولد بباريس يوم 14 يوليوز 1880 في أسرة بسيطة، تيتم مبكرا، فكان مجبرا على العمل صغيرا مع متابعة دراسته. ولج المدرسة العليا للفلاحة في كرينيون Grignon، فحصل منها على دبلوم مهندس فلاحي، ثم عين معيدا فرئيسا للأشغال في المدرسة العليا للفلاحة في رين Rennes سنة

1903. وأعد إجازة في العلوم الطبيعية في هذه المدينة، قبل أن يهيئ أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه التي ناقشها في جامعة السربون سنة 1910. وفي الوقت الذي واصل فيه مهام التدريس بمدرسة الفلاحة وكوليج فوجير Fougères والمدرسة الابتدائية العليا L'Ecole Primaire Supérieure في تلك المدينة، أنجز عدة أبحاث في مواضيع تخصصه نشرها في بعض الدوريات مثلBulletin de l'Académie d'Agriculture وRevue Scientifique وAnnales des Epophyties . وكان أحد موجهي أشغال تطهير التربة من جراثيم الأمراض وتعقيمها الجزئي. وأصبح مساعدا للبروفيسور بلارينكيم Blaringhem في مختبر البيولوجيا الفلاحية التابع لمعهد باستور، حيث بدأ فيه دراساته عن التريتيكوم Triticum. فكانت بداية القسم الأطول لمشروعه العلمي المكرس للقمح في المغرب. ومكنته أشغاله الأولى من الحصول على مكافآت شركة فلاحي فرنسا والأكاديمية الفلاحية (ميدالية Olivier de Serres)، لكنها توقفت سنة 1914 بسبب الحرب الكبرى التي شارك فيها وحصل منها على عدة تشريفات. واستدعاه الجنرال ليوطي إلى المغرب سنة 1918 من أجل إحداث مصلحة الأبحاث الفلاحية التي نظمها وأدارها مدة تنيف على 20 سنة. ومن المشاكل التي كانت مطروحة في بداية فترة الحماية بالمغرب سيادة زراعة القمح الوحيدة مع ضعف في مردوديتها، إضافة إلى انتشار أصناف أخرى غير معتبرة في الأسواق العالمية. وقد تطلب ذلك الاجتهاد واجهتين : البحث عن تحسين أصناف الحبوب وإدخال زراعات جديدة. وهو ما باشره مييج من دراسة جينية أو وراثية لأصناف عديدة من القمح فابتكر ما يحتاجه المتروبول من "قمح الفورص" (Blé de force). وبالفعل، عوض هذا الصنف ذو الفائدة الخبازية العالية السلالات المحلية بشكل تدريجي، مما ترتب عليه ارتفاع محسوس في المردودية وقيمة المحاصيل، كما أدخل أكثر من 1500 صنف نباتي، يدخل بعضها في صناعة الأدوية وبعضها الآخر في إنتاج العطور، إضافة إلى المزروعات الصناعية مثل الشمندر السكري. واهتم مييج ببعض المزروعات التي كانت تنتج في المغرب في فترات سابقة قبل أن تختفي من البوادي (مثل القطن وقصب السكر)، حيث أدخل عليها تحسينات جعلتها تفرض نفسها، بل وتعد في الوقت الحاضر إحدى ثروات البلاد الأساسية.

وكان لنشاطه الذي دام خمسا وثلاثين سنة في الميدان الفلاحي فائدة عميمة على البلاد والسكان، وقد اعترف له الفلاحون المغاربة بذلك، حيث كانوا يلقبونه "أب القمح"، أثناء تنقلاته الكثيرة في البوادي لمراقبة محطات التجارب المختلفة.

وأنجز مييج عدة أبحاث ذات طابع علمي أيضا، سواء بصفة منفردة أو صحبة زملائه من الأساتذة مثل كونسطانتان Constantin وكورتين Courtine، تتعلق بتأثير انخفاض الحرارة وعلو التضاريس على إحياء المزروعات وعلى النباتات المفرزة لمواد الدبغ... وأسس الجمعية المغربية لدراسة التربة كفرع لشيلاتها في فرنسا، والتي صارت فيما بعد شعبة البيدولوجيا التابعة لجمعية العلوم الطبيعية والفيزيائية للمغرب.

ومقابل تلك الأشغال العلمية، طور مييج مصلحة الأبحاث الفلاحية وحدثها بعدما أسسها، وذلك بخلق عدد من المختبرات المتخصصة في علوم الوراثة والكيمياء والتكنولوجيا والبيدولوجيا. ولم يقطع صلته بالحياة اليومية في الاستغلاليات الفلاحية الأوربية والمغربية على الإطلاق، فقد أسس جمعية فلاحي المغرب من أجل التواصل بين الباحثين وممارسي المهنة، وظل رئيسها حتى سنة 1957.

أثمرت أبحاثه حوالي 250 مداخلة ومذكرة في المحافل العلمية، أقرت بقيمتها العلمية أكاديمية الزراعة، فعينته منذ سنة 1925 مراسلها ثم عضوا فيها سنة 1938. ومنحته أكاديمية علوم ما وراء البحار في هذه السنة أيضا لقب عضو غير مقيم. ومنحته أكاديمية العلوم سنة 1952 جائزة الجنرال موتو، ثم عينته بعد عامين مراسلا لشعبة الاقتصاد القروي. وكوفئ الرجل من قبل عدد من الجمعيات بكثير من الجوائز والميداليات.

لم يتوقف نشاطه على الرغم من إحالته على التقاعد، فقد ظل مستقرا في المغرب، حيث تحمل مهمة السكرتير العام للفيدرالية الفرنسية لغرف الفلاحة، في نفس الوقت الذي ترأس فيه تحرير الأسبوعية الاقتصادية لانفورماسيون ماروكان L'Information Marocaine. وعلى الرغم من التزاماته وأعبائه وتقدمه في السن، واصل أبحاثه ومنشوراته في عدة دوريات مثل Le Bulletin Economique et Social du Maroc وLa Revue de Botanique appliquée. ولم يتمكن من نشر عدد من أبحاثه المخطوطة المتعلقة بتاريخ الفلاحة في المغرب في عهد الحماية على الخصوص وبذلك، قضى مييج جزءا كبيرا من حياته المهنية في المغرب، مخلفا عددا من الدراسات والمقالات، لكنه لم يتمكن من نشر مخطوطه الذي شرع فيه في نهاية حياته، و"هو بيان لنشاطه خلال خمسين سنة في المغرب، وقد توفي والقلم في يده"، فترك أمر العناية باستكماله وإخراجه إلى ابنه جان ـ لوي مييج أستاذ التاريخ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ثم بجامعة بروفونس ومدير معهد الدراسات المتوسطية وصاحب الدراسات التاريخية العديدة حول تاريخ المغرب المعاصر، وخاصة أطروحته لنيل دكتوراه الدولة عن علاقة المغرب بأوربا من 1830 إلى 1894.

توفي في المغرب يوم 18 يوليوز 1969.

*Hommes et destins*, publications de l'Académie des Sciences d'Outre-mer, Paris, t. VII, *(Maghreb Machrek)*, 1986, p. 349-350 ; *Quatrième congrès de la Fédération des Sociétés de l'Afrique du Nord, Rabat, 18-20 avril 1938*, t. 1, *Actes du congrès, sciences, droit, législation et études économiques*, publications de la Société Historique Algérienne, Alger, 1939.

نجيب تقي

# ن

**النادر** ، من الكلمات الفصيحة التي احتفظت العامية بها مع تحريف في صيغة الجمع في الفصحى "أندر" وفي العامية "نوادر" ويطلق المصطلح على أكوام المحاصيل الزراعية من قمح وشعير وذرى وقطاني وكل ما يتم درسه بواسطة البهائم أو آلات الدرس، ومعلوم أن عملية الدراس تمر من عدة مراحل تنتهي بتكوين النادر حيث تبدأ عملية التذرية ثم التصفية بواسطة المجارف والمكانس وتأتي في النهاية عملية خزن المحاصيل الزّراعية فيتم اختيار المكان وإعداد أرضيته ثم تكويم الحبوب على شكل مخروطي ثم يغطى بالتبن ويطين عليه اتقاء للأمطار والآفات، ومنذ التاريخ القديم كان الزرع يحتفظ به في سنبله ويتم تغطيته بالطين : "... قال تعالى : "تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا ما تأكلون" (يوسف، 47).

ونفس العملية استمرت خلال العصر الوسيط في المغرب خاصة في العهد الموحدي، فخلفاء الموحدين الأوائل كانوا يأمرون بإعداد المؤن والعلف من القمح والشعير وتكويمها في أندر على طول الطرق التي يسلكونها في حملاتهم التوسعية نحو المغارب أو الجهادية نحو الأندلس.

لم تعد هذه التقنية موجودة اليوم وحتى خزن الحبوب داخل أندر التبن قلّت بسبب التقدم التكنولوجي الفلاحي واقتصر النادر اليوم على التبن فأصبح المصطلح يعني التبن سواء كان مكدساً أو على شكل متوازي الاضلاع "بالات".

ففي مناطق الفلاحة التقليدية مازالت مناظر الاندر المبلطة بالطين أو "المطوبة" أي المغطاة بالطوب تطغى على المشهد الفلاحي سواء بالشكل الهندسي المخروطي أو المحدب والذي يسميه أهل البادية "ظهر الحمار".

أما في مناطق الفلاحة العصرية حيث يتم ضغط التبن على شكل "بالات" متوازي الاضلاع ويتم تكويمها وتصفيفها مثل لبنات البناء على أشكال مختلفة محدبات، مكعبات ضخمة عالية، ومقر بصات (ظهر حمار) ومتوازي الاضلاع. وتغطيتها "بالبلاستيك" "كلا أو جزءاً" وفي أكثر المناطق تترك دون غطاء أو طين ؛ وبحسب تعدد الأندر وحجمها يقاس غنى الفلاح وتقاس السنة الفلاحية.

أحمد الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، 1955 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، بيروت، 1964 ؛ الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، الرباط، 1986 ؛ محمد الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، مرقون ؛ الونشريسي، *المعيار*، نشر وزارة الأوقاف بالرباط.

J. Martin [et al.], *Géographie du Maroc*, Paris, Casablanca, 1967.

محمد حجاج الطويل

ابن **ناصر** ، أسرة عربية رفع أحمد بن خالد الناصري نسبها إلى جعفر بن أبي طالب. وأشار إلى أن أول من قدم إلى المغرب من أفرادها المسمى ناصر. وكان قدومه، في جمع من بني معقل ؛ ضمن قبائل بني هلال وسليم في أواسط القرن الهجري الخامس. وقد حقق الناصري هذه النسبة بعد أن كانوا يدعون بالمقدادي، وتبين أن الصحابي المشهور لم يعقب، فقال : "فالحاصل أن الشيخ ابن ناصر رضي الله عنه جعفري النسب، وشهرة ذلك بين الخاصة والعامة لا تحتاج إلى بيان". وأوضح أن بين الشيخ المذكور وبين جعفر اثنين وثلاثين أبا .

اشتهرت الأسرة باسم ناصر، وناصر علم لاسمين : ناصر الأعلى الذي ولد بقصر تيليت بوادي دادس، في تاريخ غير معروف، بعد أن انتقل أبوه أحمد بن علي من عرب الشبانات. ومن بلاد دادس هاجر بعض حفدته، من ولده عثمان، إلى جهات مختلفة من المغرب ؛ كهنتيفة حيث استقر علي بن عثمان بفم الجمعة ؛ وأحفاده معروفون بها باسم المقدادي إلى عهد قريب. ومنهم عمرو بن عثمان الذي هاجر إلى درعة، وأقام بقرية منها تعرف بتايرسوت، في صدر المائة

الهجرية العاشرة. في ذلك التاريخ أثبت عمرو بن عثمان نسبه إلى عبد الله بن جعفر وزوجه زينب بنت علي بن أبي طالب، من فاطمة الزهراء. ثم ولد عمرو ناصرا بن عمرو، وهو ناصر الأسفل ؛ وهو الذي ينسب إليه الشيخ مَحمد ابن ناصر الذي ولد بقرية أغلان عام 1011 / 1602. وبعد أن شب على العلم والاستقامة، انتقل إلى تامگروت، وعمره سبع وعشرون سنة. ولما توفي شيخ تامگروت أحمد بن إبراهيم الأنصاري عام 1042 / 1642، آل أمرها إلى مَحمد ابن ناصر ؛ فصارت تدعى الزاوية الناصرية. وعبرها طارت شهرة بني ناصر الصوفية والعلمية، ونسل منها علماء كبار، في مقدمتهم الشيخ المؤسس، وابنه أحمد الخليفة من بعده، وباقي شيوخ الزاوية، وجلهم من العلماء. ومن بين أشهر أعلام هذه الأسرة، كذلك، عبد الله بن مَحمد ابن ناصر، ومحمد المكي بن موسى، وأخوه أحمد، وسليمان بن يوسف، والحافظ محمد بن عبد السلام...

ومع انتشار نفوذ الزاوية الناصرية وذيوع صيتها، تأسست لها فروع كثيرة، فواكب ذلك انتقال الناصريين من درعة للاستقرار في معظم جهات المغرب. ويمكن تقسيم بني ناصر حسب طبقات ذرية الشيخ مَحمد ابن ناصر إلى :

انتقل منهم إلى سوس، من الطبقة الثانية، من أولاد علي بن مَحمد ابن ناصر، الذي استقر بأولوز وتناسل بها أبناؤه وحفدته واستمر عقبهم بها إلى عهد قريب. وفي ذات الوقت ارتحل أخوه محمد الكبير إلى بلاد زايان فاستقر بها، وبقي أبناؤه وحفدته يتوارثون الزاوية من بعده. على أن انتشار بني ناصر في مختلف جهات البلاد كان من الطبقة الثالثة، من نسل الشيخ يوسف بن محمد الكبير ابن ناصر. إذ انتقل أبناؤه إلى كل من مزوضة وسطات وتيدلي ومكناس ودمسيرة ودكالة وورزازات ومسيوة ونيلة وهنتيفة.

وفي عهد الطبقة الرابعة من بني ناصر، انتقل عقب الناصريين إلى تادلا وآيت زينب والسراغنة وشفشاون وتدغة وفاس والرباط وسلا وأم الجريد وغيرها...

وفي عهد الطبقة الخامسة، انتقل بنو ناصر إلى الصويرة ومتوگة وتونفيت ووادي المخازن وتازة وغياثة وفركلة وأسفي والدار البيضاء وأزمور والجديدة ودمنات وگطيوة وإفران (سوس) وماسة وهوارة والشياظمة وبني حسن وسفيان والعرائش وتطوان وطنجة ووجدة والناضور وآيت ماجطن وتاگلاووت. ومن بين أشهر الأسر الناصرية الفرعية، أسرة بني ناصر بسلا، التي يرجع أصلها إلى مَحمد الصغير بن الشيخ مَحمد ابن ناصر ؛ فضلا عن ناصريي الرباط وباقي الجهات.

وإلى جانب هؤلاء، تبنت أسر كثيرة، في كبريات المدن المغربية، الطريقة الناصرية، فدعيت بها، كأسرة الغربي في كل من الرباط وتطوان، وأسرة الأمراني بفاس ومكناس...

اليوسي، *المحاضرات* ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني* ؛ الكوهن، *فهرسة* ؛ أ. بن خالد الناصري، *طلعة المشتري*.

أحمد عمالك

**الناصر** (ابن -) **عبد الله** الغالب بالله، أمير سعدي قاد الجيش في عدة معارك في عهد أبيه السلطان مولاي عبد الله الغالب بالله. فبعد أن كان خليفة لأبيه بناحية تادلة، عزل من طرف أخيه المتوكل الذي أمر بسجنه مدة من الزمن. يقول الإفراني في هذا الصدد إن مولاي الناصر ظل بسجن مراكش إلى أن أخرجه منه عمه مولاي عبد الملك عند احتلاله للمدينة المذكورة المرة الأولى.

وهناك رواية أخرى تقول بأن مولاي الناصر عين خليفة بمكناس في عهد أبيه ولكنه حاول أن يثور عليه وعندما أمر أبوه بالقبض عليه فر إلى ناحية طنجة حيث استقر إلى أن مات والده فتوجه إلى القصر الكبير وهناك ألقي القبض عليه ونفي إلى ناحية درعة حيث بقي إلى أن احتل مولاي عبد الملك مدينة مراكش فأطلق سراحه.

غير أن المؤرخ كروث يؤكد بأن مولاي الناصر كان بجانب أخيه المتوكل في معركة الركن وكذلك في معركة خندق الريحان حيث أصيب بجروح وفر صحبة المتوكل إلى مراكش ومنها إلى ناحية سوس ولكنه عاد إلى مراكش ووضع نفسه تحت تصرف عمه مولاي عبد الملك. وكان ذلك في يوم 19 ربيع الثاني 984 (16 يوليوز 1576).

وتقول المصادر البرتغالية إن مولاي الناصر ظل بجانب عمه إلى أن وصل هذا الأخير إلى أرض معركة وادي المخازن وهناك فر إلى معسكر النصارى في ليلة المعركة (986). ولم يحضر المعركة لأن الملك سيباسطيان لم يثق فيه فأمره بالتوجه إلى أصيلا بعدما طالب مولاي أحمد المنصور بتسليمه له مقابل بعض الأسرى البرتغاليون. ولم يستجب العاهل البرتغالي الجديد لطلب المنصور فأمر بنقل مولاي الناصر إلى الجديدة حيث ظل إلى أن نقل إلى لشبونة في يوم 27 شوال 986 (27 دجنبر 1578).

وفي سنة 987 (1579) انتقل مولاي الناصر من لشبونة إلى بلدة "البلاد" ومنها التحق في السنة التالية بمدينة سانترين صحبة الأمير ابن أخيه مولاي الشيخ.

وعندما احتل ملك إسبانيا فيليبي الثاني مملكة البرتغال كان حريصا أن يحتفظ بمولاي الناصر وابن أخيه مولاي الشيخ رهينة يهدد بوجودهما بأرض إسبانيا السلطان مولاي أحمد المنصور وأمر بنقلهما إلى إشبيلية ومنها إلى اتْريرَة في شهر رجب 997 (ماي 1589).

وظل مولاي الناصر بإسبانيا إلى أن اعتنق ابن أخيه دين المسيح فاتفق مولاي الناصر مع ملك إسبانيا على إثارة الفتنة بالمغرب، وعلى رأس عدد من الموريسكوس حل الأمير بمليلية يوم 27 شعبان 1003 (9 ماي 1595) ومن هناك توغل داخل أرض المغرب واحتل مدينة تازة غير أنه هزم في معركة

جرت بينه وبين الجيش المغربي بجبل مدغرة في يوم 26 ذي القعدة من السنة المذكورة (2 غشت).

توفي في يوم 23 رمضان 1004 / 21 ماي 1596.

الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، الطبعة الثانية، الرباط بدون تاريخ، ص. 100 . 101.

Ojeda, Luis de, Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian, *(S.I.H.M., France I, p. 575-627)* ; Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica de El Rei don Sebastian*, Lisboa 1837 - y 1903 ; *Collección de documentos inéditos para la historia de España* (*CODOIN*), Madrid 1842-1895.

محمد ابن عزوز حكيم

**الـناصـر، أبو علي** بن السلطان أبي الحسن المريني.

"وصف بالأمير الصالح التقي لقوة تدينه وبره بوالده. رافق أباه في حملته إلى إفريقية وعاين معه وقعة القيروان سنة 748 / 1348 ، وكابد الكثير من المعاناة أيضا في أحداث تونس خلال مواجهته لأعداء والده من أمراء الحفصيين وأعراب إفريقية".

وعلى إثر نكبة القيروان التي حلت بجيش السلطان أبي الحسن، وبعد نجاته من الغرق في سواحل بجاية، لحق الناصر بوالده ببسكرة من أحواز الجزائر حيث التف عليه بعض الأعراب، فنهض إلى جهة تلمسان وقد استولى عليها بنوزيان، ولما التقى الطرفان اختلت مصاف السلطان أبي الحسن واستبيح معسكره وجرح ولده الناصر بعدما أظهر بسالة وشجاعة في الدفاع عن أبيه، وحمل أبو الحسن ولده المثخن بالجراح فتوفي بالطريق فواراه في التراب وأخفى قبره، ثم لجأ إلى الصحراء وذلك سنة 750 / 1350.

ابن خلدون، *العبر*، ج. 7، بيروت، 1978 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر، 1985 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 3، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

**الناصر لدين الله، محمد** ابن الخليفة يعقوب المنصور ابن الخليفة يوسف ابن الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي، وهو رابع خلفاء الموحدين، "صفته أبيض اللون، أشقر شعر اللحية، أشهل العينين، أسيل الخدين، حسن القامة، كثير الإطراق، شديد الصمت بعيد الغور، كان أكبر أسباب صفته لثغا كان بلسانه، حليما، شجاعا، عفيفا عن الدماء". بويع في حياة أبيه وجددت له البيعة بعد وفاته يوم الجمعة 22 ربيع الأول من سنة 595 الموافق 22 يناير 1199 بقصبة مراكش، وهو حينذاك لم يتجاوز العشرين من عمره (ولد سنة 576 / 1181).

تميزت فترة حكمه بحدثين بارزين كانا من أهم العلامات السياسية والعسكرية التي حددت مسار الإمبراطورية الموحدية، ودشنت مرحلة انتقالها من طور القوة والتوسع إلى طور الضعف والانكماش.

ارتبط الحدث الأول بتعيين الناصر لأحد أشياخ الموحدين وهو عبد الواحد بن أبي حفص على جميع بلاد إفريقية سنة 603 / 1207 مؤشرا بذلك على نهاية سلسلة متواصلة من الحملات العسكرية التي كان هو وسلفه يقومان بها إلى إفريقية كلما ظهرت حركة تمرد هناك، لذلك طلب من عبد الواحد أن يقوم بأعباء إفريقية ويقاوم بنجدته ومهابته جميع أعدائها من متمردي بني غانية، وعلى رأسهم يحيى بن غانية، وينوب عن الخليفة في تثبيت دعوة الموحدين بالجزء الشرقي من إمبراطوريتهم. وإذا كان الحفصي قد تمكن من إخماد تمرد بني غانية ومقاومة كل الأخطار التي كانت تهدد المنطقة، فإن ذلك سرعان ما أبان عن طموحات الحفصيين في الاستبداد بحكم إفريقية خاصة في عهد أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد الذي عرف كيف يستفيد من بعد إفريقية عن العاصمة مراكش، وما عرفته الخلافة الموحدية من صراعات دموية بين الأمراء والأشياخ، فأعلن استقلال بلاد إفريقية عن السلطة المركزية بمراكش سنة 627 / 1229 في عهد الخليفة المأمون.

أما الحدث الثاني الذي ميز عهد الخليفة الناصر فهو تلقي الجيش الموحدي رمز قوة الامبراطورية أكبر هزيمة عسكرية له في حروبه مع النصارى بالأندلس بعد سلسلة من الانتصارات كان أهمها انتصار الأرك في عهد يعقوب المنصور، واشتهرت تلك الهزيمة في المصادر الإسلامية باسم معركة العقاب، وفي المصادر المسيحية باسم Las Navas de Tolosa. والتي وقعت أطوارها يوم الاثنين 15 صفر سنة 609 / 16 يوليوز 1212. وقد اعتبر المؤرخون هذه الهزيمة إيذانا بذهاب قوة المسلمين بالأندلس وبداية لأفول إمبراطورية الموحدين وتقلص إشعاعها السياسي والجغرافي إلى حين انقراضها على يد بني مرين سنة 668 / 1296.

على إثر هزيمة العقاب عاد الخليفة الناصر إلى مراكش وقرر مبايعة ولي عهده يوسف المستنصر في أواخر ذي الحجة من سنة 609 ، واحتجب هو عن الناس واعتزل شؤون الحكم إلى أن توفي من ورم في دماغه، وفي رواية أخرى مسموما ، يوم الأربعاء 11 شعبان 610 / 22 دجنبر 1213 بقصره من قصبة مراكش عن عمر لا يتعدى 34 سنة.

لم يبلغ الناصر مستوى عظمة أسلافه من خلفاء الموحدين خاصة والده يعقوب المنصور، فقد تولى الحكم وهو في ريعان الشباب لا خبرة له ولا دراية بشؤون الحكم ودسائسه، مما جعل أشياخ الموحدين خاصة وزيره الأكبر ابن جامع يستأثرون بالحكم وإدارة شؤون البلاد ، فانعزل عن الناس مدة حكمه، وكان غليظ الحجاب لا تكاد تصله الأمور إلا بعد الجهد. كما أن عهده لم يشهد مشاريع عمرانية كبرى كالتي أنجزها أسلافه، بل اقتصر على إنجاز مشاريع متواضعة مثل تجديد مدينة وجدة وبناء قصبة بادس وسور مدينة المزمة ببلاد الريف، وإنشاء بعض التجهيزات المائية كالسقاية بعدوة الأندلس من مدينة فاس، والإشراف على بعض الترميمات التي همت جامع القرويين.

مجموعة *رسائل موحدية*، نشر ليڤي بروڤنصال، الرباط، 1941 ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب*، القاهرة، 1949 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب، قسم الموحدين*، بيروت، 1985 ؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972 ؛ مجهول، الحلل الموشية، الدار البيضاء، 1978 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج. 6، بيروت، 1959 ؛ امبروسيو هويثي ميراندا، *التاريخ السياسي للامبراطورية الموحدية*، تعريب عبد الواحد أكمير، الدار البيضاء، 2004 ؛ حسين مؤنس، عقد بيعة *بولاية العهد لأبي عبد الله محمد المعروف بالخليفة الناصر الموحدي*، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، المجلد 13، ج. 2، ديسمبر 1950.

رشيد السلامي

**ناصر** (ابن -) **محمد** بن **أحمد** بن الحسين بن ناصر بن عمرو بن عثمان الدادسي الأصل، الدرعي الإقليم، الترناتي الصقع، التيرسوتي النجار، الأغلاني المنشأ، التمكروتي الدار والوفاة.

ولد بأغلان سنة (980 / 1572) ولم تطنب المصادر الناصرية وغيرها في ذكر نشأته، فأغلب ما أوردته منقول عن *فهرس* ابنه حسين. ولا جرم أنه استهل تعلمه بالأخذ على جملة من الشيوخ أهم المتون المتداولة آنذاك في علوم الدين، وعلوم العربية، وما إليها ؛ مما تتعزز به بضاعة الطالب، وتؤهله للمشارطة في مسجد أو زاوية بناحية من النواحي الدانية أو القاصية.

ويذكر الناصري أنه "نشأ نشأة حميدة". ولعله يقصد بذلك الانصراف لتحصيل العلوم والبعد عن الخلطة، ومهاوي الحداثة، وكذا سلوك طريق التقوى والصلاح. بقي المترجم بأغلان، وبها كون أسرته الصغيرة، حيث بنى بإحدى قريباته، وهي السيدة فاطمة بنت أحمد، فولد له من الأولاد "أربعة : اثنان ذكران، واثنتان أنثيان" وهما : مَحمد، وحسين، وعائشة، وأم كلثوم. وقد تصدى لتعليمهم مبادئ العلم، وخاصة مَحمدا ابنه الأكبر الذي "أقرأه القرآن، ولم يزل في تربيته إلى أن أدرك وبلغ مبلغ الرجال" وحسينا الذي يقول : "وأقرأني الوالد ألف با .. إلى طه".

والظاهر أن المترجم كان كثير التجوال، فكان في الغالب ظاعنا عن الأسرة بدليل من قال إنه : "كان يقوم على عقار أبيه بأغلان زمان غيبته، وينفق على والدته وإخوته وعلى عيالهم، وربما غاب والده عنهم سنين". ومن قال : "... وأقرأني ألف با .. ثم سافر".

ولا يعلم سبب هذا التجوال فيما يرد، هل لتدبير المعاش، أو لدواع أخرى. وقد تصدى مَحمد - الابن الأكبر - لأعباء الأسرة، وحل محل والده، وقام بوظائفه، ومن ذلك التكفل بأخيه حسين تربية وتعليما ومعاشا.

ومهما يكن من أمر، فإن حياة المترجم تتغير منذ اتصال ابنه مَحمد عام (1040 / 1630) بشيخي الطريقة الغازية بتمكروت، والمنطقة عموما : عبد الله بن حسين الرقي القباب (1045 / 1635)، وبأحمد بن إبراهيم الأنصاري (1052 / 1642)، وقد لحق هذا التغيير نمطين :

1 - نمط التصوف : إذ أخذ رفقة زوجه في البدء "الورد عن مرابطي تينردن" قبل عام (1040 / 1630) تاريخ اتصاله بالشيخين المذكورين. لكن انتقال ابنه مَحمد إلى تمكروت، رغبة منه في الأخذ بالعلم اللدني بعد أن حصل من نظيره الشرعي ما شاء، جعل المترجم يقبل على الشيخين بعد ممانعة وتلكؤ داما مدة، والسبب أن ابنه عمدته وسنده في "دفعه عنه عسف الولاة لكونه كان جليلا في نفوسهم." وقد رغب الشيخان في ضمه إليهما لتلقين العلم بالزاوية الحسينية (نسبة إلى الشيخ عبد الله بن حسين) بتمكروت.

وهكذا جدد المترجم ورده، وكذا أسرته كلها حيث يقول ابنه حسين : وأخذ الشيخ الورد على سيدي عبد الله بن حسين، وتلقين الذكر ؛ وشقيقتي عائشة ووالداي أبي وأمي".

وهذا ابنه حسين يقول : "وله ورد معلوم كل يوم في "*المصحف*"، وورد الأشياخ المعروف في "*التنبيه*"، و"*دلائل الخيرات*".

2 - نمط الحياة : أثمر هذا الحدث أيضا تغير نمط حياة المترجم، إذ غب انتقال ابنه إلى تمكروت بإشارة الشيخين ابن حسين وابن إبراهيم، خلفه المترجم في مشارطته بجامع أغلان حيث يقول متحدثا عن ابنه للشيخ ابن إبراهيم : "وهو يا سيدي إمام وخطيب بجامع أغلان"، فيرد عليه الشيخ : "اعتذر إليهم وقل.. وهذا والدي يقوم مقامي". وقد تصدى المترجم للإمامة والخطابة، ولاشك أن هذا التغيّر جعله يجدد بضاعته من العلم، ويتخرج عليه طلبة بدليل قول محمد حجي : " فقيه أستاذ .. انقطع طوال حياته لتلاوة القرآن، وتلقينه للطلبة رسما وضبطا وتجويدا".

وقد لحق هذا الأثر الأسرة كلها، وإن تجلّى ذلك بوضوح في حياة ابني المترجم مَحمد وحسين اللذين انتقلا لصحبة الشيخين بتمكروت، ثم المترجم وباقي أفراد أسرته لا حقا. فإنه من الصالحين المنقطعين للعبادة، والمشتغلين بخويصات أنفسهم عمّا دون ذلك من الأمور. فهذا ابنه حسين يقول : "وورد الوالد خمسة وعشرون ألفا من الهيللة، والقرآن لا يفتر لسانه بعد ذلك عن قراءته ليلا ونهاراً، وكان قليلا من الليل ما ينام". وقد استطاع المترجم أن يتدرج في مراتب السالكين إلى أن بلغ مرتبة الولاية حيث حلاه الشيخ أحمد ابن إبراهيم بقوله : "... وهو ولي رفيع الدرجة".

توفي عام 1052 / 1642.

حسين الدرعي، *فهرس*، تح. أ. السعيدي، د. د. م، كلية الآداب بالرباط، 2004 ؛ محمد الناصري *الدرر المرصعة، بأخبار أعيان درعة*، 332 - 336، تح. م. ح. النوحي، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 1988 ؛ *الروض الزاهر، في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه الأكابر*، له، 57، د. د. ع، تح. م. الغالي، كلية الآداب بالرباط، 1999 ؛ القادري، *الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج*، 2 : 324، تح. م. دادي، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 1991 ؛ *نشر المثاني، لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، 2 : 20 - 21، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1986 ؛ أحمد بن خالد الناصري، *طلعة المشتري في النسب الجعفري*، 1 : 125 - 138، المؤسسة الناصرية للثقافة والعلم، الدار البيضاء، 1987 ؛ محمد

حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، 2 : 537، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1978.
محمد السعيدي

**الناصري، أحمد** بن أبي **بكر** بن علي بن يوسف بن محمد الكبير بن مَحمد ابن ناصر، شيخ الزاوية الناصرية الحادي عشر. يبدو من خلال الوثائق التي اطلعنا عليها أنه كان على اطلاع علمي واسع، لأن الشواهد التي يسوقها في مراسلاته تنضح علما ومعرفة. إلا أن السياق الذي ولي فيه مشيخة زاوية تامكروت لم يكن ملائما لينسج على منوال أسلافه. ومن ثم، فقد تميز عهده باضطراب أحوال الزاوية، حتى وقع النيل من سمعتها. وقد وليها في فترتين :

1 - على إثر وفاة أخيه محمد بن أبي بكر، حيث وقف في وجه ابن أخيه محمد الحنفي الذي أوصى له والده بالمشيخة. وقد لقي في البداية دعما من لدن السلطان، الأمر الذي ترتب عنه نشوب صراعات بين الشيخين، سيما بعد أن انضم إليه أخوه عبد الله بن أبي بكر ضد ابن أخيهما. وعلى الرغم من دعم السلطان مولاي الحسن لمحمد الحنفي فقد استمر النزاع في عهد مولاي عبد العزيز، إلى أن رجحت كفة الشيخ الأخير بسبب الدعم الذي لقيه من لدن الوزير الصدر أحمد بن موسى (باحماد).

2 - وبعد وفاة محمد الحنفي سنة 1325 / 1907، آل أمر مشيخة الزاوية إلى المترجم، لكنه واجه معارضة أحد أبناء ابن أخيه، حتى أضحت الزاوية مسرحا لمعارك دامية، انتهكت خلالها الأعراض، واستبيحت المحارم، وانتهبت الممتلكات.

ولم يستقر له الأمر بعد إلا ويدهيه ما دهى المغاربة جميعا حين اندلع الصراع بين الأخوين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ وانجلى الأمر عن انتصار هذا الأخير، الذي كانت له صلات مع الشيخ الناصري، فكان من الطبيعي أن ينحاز إليه المترجم. ويوجه إليه السلطان الجديد ظهيرا يجدد له فيه إنعامات الأسلاف. وبعد أن حاقت بالمغرب مصيبة فرض الحماية وجد شيخ تامكروت - أحمد بن أبي بكر الناصر - نفسه، هو وكثير من شيوخ الزوايا، في حرج وضيق لا مزيد عليهما. أيتمسك بموقفه الثابت على هون أم يسلس القياد للمخزن الجديد ؟ لا نستطيع أن نقطع بجواب. تشير بعض المراسلات المحلية إلى أن شيخ الناصريين لم يخف تأييده للشيخ أحمد الهيبة، حين دعا إلى الجهاد. بل تفيد بعض المراجع أنه رفض التعامل مع المخزن الجديد، مفضلا الانعزال في زاويته ؛ ولا سيما بعد اندحار جيش الهيبة.

لكن الوضع الجديد فرض عليه التراجع عن موقفه منذ سنة 1914. وفي سنة 1917 أصبحت علاقته مع المخزن الجديد رسمية، حيث بعث بالهدية المعتادة إلى السلطان مولاي يوسف الذي جدد له ظهير سلفه. وتبعا لذلك توثقت صلاته مع گلاوة عملاء سلطان الحماية. ولعل هذا ما جعله يدفع حياته ثمنا ؛ حيث دبر له امبارك أوشطو التوزونيني مؤامرة اغتيال ذهب ضحيتها بسبب إصراره على التعامل مع أذناب الفرنسيين. فقد بعث إليه بثلاثة رجال - قيل إنهم من إلمشان آيت عطه - نزلوا عليه بتامگروت. وبعد أن قضوا ليلتهم بالزاوية، أقدموا في الصباح الباكر على اغتياله. ويشير سبيلمان إلى أن أحمد الناصري كان مضطرا إلى ذلك الاختيار ليفلت من ضغوط آيت عطة.

توفي المترجم سنة 1337 / 1919.

وثائق زاوية تامگروت، وثائق القاضي محمد التهامي الناصري ؛ أحمد عمالك، *الزاوية الناصرية*، دكتوراه الدولة، مرقونة.
Marthe et Ed. Gouvion, *Kitab Aayane al Maghrib l Akça...*, p. 498 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse...*, p. 192, 194, 214.
أحمد عمالك

**الناصري، أحمد** بن **مَحمد** الصغير ابن الشيخ الإمام مَحمد بن ناصر الجعفري الزينبي، مؤسس الزاوية الناصرية بتماگروت، جنوب المغرب.

نشأ بزاوية البركة في حجر أبيه، وأخذ عنه وعن أعمامه وكبراء آله في عصره. وكان أكبر بني أبيه وأفضلهم. وهو الذي تولى رياسة زاوية البركة، بعد وفاة أبيه. وكان مقصودا من الآفاق، ومعظما عند الخاص والعام لفضله وعلمه وكرمه.

تأخرت وفاته إلى ما بعد سنة 1212 / 1797 حسب ما أخبر به أحد أبناء عمومته علي بن أبي بكر، بعدما وقف على رسم عدلي بشهادته مؤرخ بهذا التاريخ المذكور.
أحمد الناصري

**الناصري، أحمد** بن **مَحمد** بن **محمد** بن أحمد بن حسين ابن ناصر الدرعي ؛ شيخ زاوية تامگروت الناصرية الثاني، الملقب بالخليفة. ولد منتصف ليلة 18 رمضان عام 1057 . 1647 في أسرة اشتهرت بالعلم والتصوف. فأبوه الشيخ مَحمد ابن ناصر، آت الترجمة، هو العالم الكبير، ورأس الطائفة الناصرية بتامگروت. وأمه حفصة الأنصارية، مارة الترجمة، سليلة مؤسسي زاوية تامگروت الأولى ؛ وبيت أهلها أكبر بيوت وادي درعة وجاهة. ومن ثم فقد حاز المجد من أطرافه.

أخذ، أولا عن والده، التفسير والحديث والعربية والأصول ؛ كما تتلمذ لشيوخ مغاربة ومشارقة. فمن المغاربة أبو سالم العياشي الذي سمع منه *صحيح البخاري*، وأجازه فيه ؛ ومحمد بن أبي الفتوح التلمساني، وأبو العباس الجزولي، ومحمد بن عبد المومن الدرعي. ومن أشهر شيوخه المشارقة الملا إبراهيم بن حسين الكوراني الشافعي ؛ أخذ عنه بالمدينة المنورة في أثناء حجته الثانية، وأجازه ؛ وعن عبد الله بن سالم البصري، بمكة المكرمة، في أثناء حجته الرابعة، يوم 24 ذي الحجة عام 1122 / 1710. وأخذ بمصر عن كل من العناني وأبي العز بن أحمد العجمي، أبي الحسن علي بن محمد الزعتري بالقاهرة سنة 1097.

وقد ساهم تكوينه وأسفاره المتعددة في صقل شخصيته

وإخصابها. فاكتسب خبرة بالناس، وإدراكا لملابسات الزمان. كما أن والده كان يكلفه أحيانا بالإشراف على الزاوية، ويكل إليه النظر في بعض أمورها. وبعد تأهيله، أوصى له بالخلافة على شئونها. فكان لا يني عن تكرار وصيته كلما عنت له فرصة ذلك، ليقول : "أحمد وصيي وخليفتي من بعدي في سري ؛ وقد بشرت به وهو في بطن أمه".

وفعلا فقد استخلفه على زاوية تامگروت، وآثره على إخوته على الرغم من أنه لم يكن أسنهم، ولا أعلمهم. ولعل الشيخ فعل ذلك ليجنب الخليفة من بعده "معارضة" طائفة الأنصاريين، علما بأن "مرشحه" أنصاري الأم. وإذا كان يدرك جيدا بعض الغيرة التي قد تنتاب باقي أولاده، فإنه جمعهم، وحاول أن يقنعهم فقال : "أولادي إياكم أن تحدثكم أنفسكم أني فضلت أحمد عليكم ؟ فإنكم كلكم أولادي، وإنما جاء ذلك من عند الله، وأهل الله هم الذين أوقفوه قبل أن أزوج أمه".

وإذا كانت تلك الوصية قد حسمت شأفة الخلاف بين الناصريين والأنصاريين، فإنها لم تكن كافية لإذعان ثلاثة من إخوته ؛ وهم محمد الكبير وعلي ومحمد الصغير. فقد عبروا عن عدم رضاهم لما هاجر كل واحد منهم - على التوالي - إلى الأطلس المتوسط، وسوس، وترناته. إلا أن حدة الخلاف لم تكن لتنال من قوة الزاوية، أو تزعزعها ؛ لا سيما وأن كلا من الإخوة قد وجد مجالا للمشيخة في الجهة التي انتقل إليها ؛ حتى إن تأسيس تلك الفروع كان من بين الأسباب التي دعمت إشعاع الزاوية الناصرية.

ومهما يكن من أمر، فإن أحمد الناصري ولي مشيخة تامگروت ؛ فاقتفى أثر والده في الحرص على المثابرة على التعليم، واستقطاب العلماء، محافظا على سيرته في كل شئونه. ويتفق كل من ترجموه على علو شأنه، في الأخلاق، ورسوخ قدمه في العلم، وحضه على اتباع السنة ومحاربة البدع ؛ ففشا صيته في المغرب والمشرق، وتكاثر أتباعه والآخذون عنه في مختلف الآفاق. كان ذلك كله سببا في تزايد شهرة الزاوية الناصرية، فاتسع نفوذها في مختلف جهات المغرب، وفي المشرق على طول الطريق التي يسلكها الركب الناصري برسم الحج.

ولعل من أبرز أعمال الشيخ الناصري، فضلا عن بنائه مساجد تامگروت الثلاثة، تشييده لمدرسة بلغ عدد طلبتها حوالي ألفاً وأربعمائة من المنقطعين للدراسة بها ؛ مع ما تطلب ذلك من مرافق كالدكاكين والحمامات والآبار ؛ وإنشاء خزانة حرص على تزويدها بأنفس الكتب من الشرق والمغرب، عن طريق الشراء والنسخ والإهداء. وتحدثنا المصادر عن محتوياتها، وعن النظام الذي ابتكره هذا الشيخ للمحافظة على الكتب والإفادة منها. وظل الشيخ أحمد الناصري، إلى جانب ذلك، مثابرا على التعليم، منكبا على دراسة كتب الحديث، ولا سيما صحيح البخاري. فصارت زاوية تامگروت يومئذ، أحد أكبر المراكز العلمية ببلاد المغرب. ومما زاد هذه الزاوية شهرة، أن شيخها ترأس ثلاث ركاب حجية، في سنوات 1096 و1109 و1121 شارك فيها حجاج من مختلف الجهات المغربية.

وبموازاة مع ازدهار الزاوية، في عهد المترجم، في الجوانب الصوفية والعلمية، فقد شهدت بسطة في الرزق، حيث ترادفت على باب شيخها الهدايا النقدية والعينية، فوصلتها القوافل الموقرة بالزيت والصوف والحناء والسمن والتمر والحبوب وغيرها، من سوس وجبال الأطلس والدير. وتدل المعطيات المستخلصة من الوثائق المحلية أن أراضي شاسعة بدرعة أصبحت في ملكية تامگروت. كما ملكت الزاوية حصة الأسد من مياه السقي في خمس فزواطة. وأفادت من موقعها في الطرق التجارية لتتحول إلى شريك تجاري، سواء عن طريق المشاركة المباشرة في الأعمال التجارية، أو عن طريق ما كانت تسديه من خدمات للقوافل ولا سيما الخفارة. ولا يتسع المقام للتدليل على ذلك بأمثلة ملموسة. وهذا ما جعل أحد معاصري المترجم يقول : "الدنيا والآخرة ضرتان لا يجتمعان إلا عند كامل مكمل كشيخنا سيدي أحمد ابن ناصر". فضلا عما كانت فروع الزاوية المنبثة في مختلف جهات بلاد المغرب تقدمه إلى الزاوية / الأم من هدايا.

وكان تزايد أهمية الزاوية كافيا للفت انتباه المخزن، خاصة وأن معاصر المترجم هو السلطان المولى إسماعيل الذي حرص على أن يدين له الكل بالولاء، في وقت ظل فيه المترجم حريصا على استقلال زاويته إزاء المخزن ؛ حتى إنه لم يكن يخطب بالسلطان على منابر تامگروت، الشيء الذي جعل بعض الدراسات تتحدث عن توتر في العلائق بين أحمد الناصري والمولى إسماعيل. وقد تجلى التعارض بين الجانبين في مناسبتين :

1 - تشير المصادر، لا سيما *الدرر المرصعة*، إلى أن الشيخ أفلت من محاولة اغتيال دبرها له الباشا بوشفرة، الذي زار تامگروت في طريقه إلى بلاد السودان. وقد حاول التأكد من عدم دعاء المترجم للسلطان على المنبر في خطبة صلاة الجمعة التي شهدها في الزاوية.

2 - منع السلطان المترجم من التوجه إلى الحج، على رأس الركب الناصري، عام 1119. وقد وصل مصدر معاصر بين ذلك المنع وبين مساندة الشيخ الناصري للأمير مَحمد العالم في تمرده ضد والده. ومعلوم أن بعض متصوفة العصر وعلمائه قد ساندوا ذلك التمرد. وللإشارة، فإن أحد أكبر تلاميذ الناصريين قد انبرى للدفاع عن شيخه، معتبرا ذلك مجرد وساوس شيطانية، ومزاعم لا أساس لها من الصحة. وإذا صدقنا مصادر الناصريين، يبدو أن العلائق بين الشيخ والسلطان سرعان ما طبعها التفاهم، على إثر لقائهما بمدينة مكناس، حيث دعا المولى إسماعيل خاصته لأخذ الورد عن الشيخ الناصري.

خلف هذا الشيخ بعض المؤلفات أشهرها *الرحلة الناصرية*

التي دون فيها وقائع رحلته الحجازية الأخيرة عام 1121 ـ 1122، *وفهرسة نادرة*.

وألف، زيادة على الرحلة التي يضاهي بها أمثال ابن جبير وابن بطوطة :

2 ـ الرحلة الشامية، وتتعلق برحلة أخيه محمد بن محمد ابن ناصر.

3 ـ أجوبة فقهية بعنوان : تنبيه السائل ببعض ما هو عنه سائل.

4 ـ تجديد المراسم البالية في السيرة الحسنة العالية، وهو كتيّب في السيرة النبوية.

5 ـ رسالة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

6 ـ كتيّب في الطريقة.

7 ـ إشفاء المريض في بساط القريض، وهو مجموعة أشعار.

8 ـ ترجمة والدته السيدة حفصة.

9 ـ مجموع رسائل.

10 ـ فهرست.

توفي في تاسع عشر ربيع الأول عام 1129 / 1717، بعدما أرسى دعائم طائفة صوفية قوية، أدركت أوجها في أثناء مشيخته.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، 57 ـ 111 ؛ *الروض الزاهر*، 136ـ 141 ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة*، 8 ـ 72 ؛ الإفراني، *الصفوة*، 221 ـ 273 ؛ الهشتوكي، خت 3070، ضمن مجموع، ص. 19 ؛ المنجرة، *فهرس*، 50 ـ 54 ؛ المعداني، *الروض اليانع*، خع 1835، ص. 60 ـ 67 ؛ العبدوني، *يتيمة العقود الوسطى*، خع 5305، 190 ـ 210 ؛ القادري، *نشر المثاني*، 3 : 234 ـ 235 ؛ *التقاط الدرر*، 312 ـ 313 ؛ الحضيكي، *طبقات*، خع 1124 د و28 ـ 29 ؛ سليمان الحوات، *الروضة المقصودة*، ميكروفيلم، خع 87 ـ 126 ؛ الحسين الورثيلاني، *نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والآثار*، بيروت، 1974 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، 7 : 111 ـ 113 ؛ *طلعة المشتري*، 2 : 17 ـ 119؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 677 ـ 680 ؛ سركيس، معجم ؛ جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 264 ؛ محمد مخلوف، شجرة *النور الزكية*، 333 ؛ ليڤي بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، 206 ـ 207 ؛ إبراهيم، المراكشي، *الإعلام*، 2 : 357 ـ 363 ؛ ع. السلام بن سودة، *دليل المؤرخ* ؛ خير الدين الزركلي، *الأعلام*، 1 : 241 ؛ محمد المنوني، *المصادر العربية للتاريخ*، 1 : 188 ؛ ع. الرزاق الجزائري، رحلة ؛ *لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال*، تح. أبو القاسم عبد الله، الجزائر، 1983، ص. 55 ـ 56.

M. Bodin, *La Zaouia de Tamegrout...*, 271 - 274 ; G. Drague, *Esquisse...*, 189-190 ; M. et ed. Gouvion, *Kitab Aâyoune al-Marhib l - Akça*, P. Genthner, Paris, 1939, 482-495.

أحمد عمالك

**الناصري، أبو بكر بن علي** بن يوسف بن محمد الكبير بن مَحمد ابن ناصر الدرعي، شيخ تامگروت الثامن. ولد سنة 1201 / 1787. ولي مشيخة زاوية تامگروت بعد وفاة والده علي بن يوسف سنة 1235 / 1819. أثنى عليه معاصره المؤرخ أحمد بن خالد الناصري فقال : "العالم المحدث البركة "... كان على سنن آبائه في الخير والصلاح والقيام بوظائف الدين واتباع السنة، والتودد إلى الأقارب والتعطف عليهم، وتفقد أحوالهم .." والظاهر من بقية كلام المصدر المذكور أن المترجم كان خاتمة شيوخ الناصريين، من حيث المحافظة على السلوك الصوفي القويم، في العبادة والتهمم بالعلم ورجاله. وتؤكد المصادر أن هذا الشيخ لاقى معارضة من قبل أكابر أقاربه، الأمر الذي اضطره إلى القدوم إلى مراكش بحثا عن دعم مخزني. وفي ذات الوقت شهد وادي درعة استشراء شغب آيت عطّا الذين ضيقوا على سكان الواحات بما كانوا يقومون به من نهب، واعتراض سبل المسافرين. وللإشارة فإن المترجم اضطلع بدور الوساطة لدى آيت عطّا لرفع الحصار عن بعض القصور، مثل أمزرو ؛ الشيء الذي جعل السلطان يرسل إلى الشيخ الناصري ظهيرا، لدعم مشيخته ومساندته ضد معارضيه. ومما جاء فيه: "وقد جعلناك في محل والدك... وقدمناك على جميع أحباس الزاوية أين ما كان .." (رسالة من مولاي سليمان إلى الشيخ أبي بكر، بتاريخ 13 رجب 1235). وقد توثقت الصلات بين الطرفين حتى أضحى الشيخ أحد عيون السلطان في وادي درعة.

لكن الشيخ المترجم تعرض لمحنة في عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، حيث فرضت عليه "إقامة إجبارية" بمدينة مراكش طوال سبع سنين. والظاهر أن لمحنته اتصالا بحماية القائد الصديق بن الطاهر الدكالي، الذي كان السلطان قد هم بمصادرة ممتلكاته، فلاذ بزاوية تامگروت حيث "احترم بها" مدة.

وباستثناء ذلك الخلاف، فإن حبل المواصلة بين الجانبين ظل موصولا، حيث قدم الشيخ الهدايا للسلطان ؛ ونال مقابل ذلك الإذن باتخاذ خاتم خاص لختم مراسلاته، بعد أن كان سلفه من الشيوخ يكتفون بالتوقيع. وتؤكد الوثائق أن المترجم صار يتردد إلى قصر السلطان، وأنه حظي بدعم المخزن للطواف على فروع الزاوية الناصرية من أجل "جمع ما فضل من مستفاداتها" (رسالة من الأمير محمد بن عبد الرحمن إلى بوسلهام بن علي أزطوط بتاريخ 22 جمادى الثانية 1276). وفي ذلك العهد تم تجديد ظهير الإنعام "على زاوية تامگروت بعشرة قناطير من الحديد، تؤخذ من ثغري الصويرة وآسفي كل عام".

وبعد وفاة السلطان المولى عبد الرحمن، كان المترجم من أوائل المبايعين لأبنه سيدي محمد الذي بعث برسالة خاطب فيها الشيخ قائلا : "فنحن على يقين من أنك تكون أول داخل فيما دخل فيه الجماعة، لأن داركم دار محبة وسنة .." (رسالة من محمد بن عبد الرحمن إلى أبي بكر الناصري بتاريخ 29 ربيع الأول 1276).

ولعل لتقرب الشيخ الناصري من المخزن أكثر من سبب ؛ يتصل أبرزه بحركات الافتيات المتزايدة على الزاوية / الأم، في كثير من جهات المغرب أهمها جهة سوس التي حاول كثير من مقدميها الناصريين الاستئثار بمستفادات زواياهم ؛ وعمد

عـدد من المريدين إلى الانخـراط في سلك إحـدى الزاويتين التجانية أو القادرية. ومن ثم لم يتردد السلطان في إصدار ظهير جديد يتضمن : "إقرار جميع أهل رأس وادي سوس على المعهود من خدمة متولي أمر الزاوية الناصرية الكبرى تامگروت... وأن يقتصروا فيها عليه ولا يلتفتوا لأحد من المرابطين أبناء عمّه، سكان سوس وغيره .." (صدر الظهير في 5 ذي الحجة 1279 ). بل لقد تدخل السلطان مرة أخرى، لوضع حد لظاهرة إباق عبيد الزاوية التي كانت قد استشرت يومئذ ؛ فأصدر ظهيرا جديدا يأذن للشيخ في جمع وصفاء الزاوية وإمائها" أينما كانوا وتعينوا ... ليردهم للقيام بوظيف خدمة أصول الزاوية بدرعة كما كانوا .." (صدر الظهير في 14 صفر 1280).

ويفسر ذلك التقارب بين المخزن والزاوية بالوضع الجديد الذي آل إليه أمر جهة سوس، حيث دشنت الدول الأوربية هنالك ما اصطلحت عليه بالتغلغل "السلمي"، عن طريق التجارة وعقد اتصالات مع بعض الأعيان. وكان المخزن يسعى يومئذ إلى تأكيد حضوره في تلك الجهة بكل الوسائل، لعل الزاوية كانت من بينها، إذ أن شيوخها يستطيعون دعوة الناس إلى التمسك بالجماعة، ومناهضة الأوربيين.

توفي في منتصف جمادى الأولى عام 1281 / 1864، كما في *طلعة المشتري*.

*وثائق الخزانة الحسنية وزاوية تامگروت* ؛ م. التهامي الناصري ؛ *مذكرات* ؛ أحمد الناصري، *طلعة المشتري*، 2 : 133 - 169 ؛ *إعلام المراكشي*، 8 : 329 ؛ أحمد عمالك، *الزاوية الناصرية*، أطروحة د. د. الرباط، 2001، ص. 134 - 139.
G. Drague, *Esquisse*, p. 191 et 193.

**الناصري، جعفر** بن **أحمد** بن خالد الناصري السلاوي، من سلالة حسب ودين، وأسرة عريقة في العلم والصلاح، يتصل نسبه بالشيخ الإمام القطب الشهير مَحمد بن ناصر الجعفري الزينبي ثم الدرعي، مؤسس الزاوية الناصرية بتامگروت، جنوب المغرب. ولد بسلا في 23 شوال عام 1310، موافق 10 ماي سنة 1893، وتكفل بشؤون تعليمه وتربيته أخوه الأكبر العلامة محمد العربي، فأدخله الكتاب القرآني، حيث أخذ في حداثته المبكرة كتاب الله عن أشهر الشيوخ المقرئين بسلا أحمد التيال المتوفي عام 1317 / 1900 ومحمد حسيسو المتوفى عام 1324 / 1907. وشيخ القراء بالعدوتين ومحمد بن عبد الله بريطل المتوفى عام 1334 / 1916 ؛ وعنه أخذ أحكام الرسم والتجويد والقراءات السبع. وتابع بعد ذلك أخذ القراءات عن الشيخ جلول الكفتي الغنتري، إمام الزاوية القادرية بثغر الصويرة الذي انتقل إليه مع أخيه الأكبر محمد العربي. وبعد رجوعه إلى مسقط رأسه سلا، أتم دراسة القراءات على الشيخين : مَحمد بوشعرة السلاوي المتوفى عام 1361 / 1943 وعبد السلام السهلي المتوفى عام 1362 / 1943.

حفظ جعفر الناصري في صباه المتون العلمية المختلفة حفظا متقنا *كالمرشد المعين* و*ألفية ابن مالك* و*مختصر خليل* و*تلخيص المفتاح*، وغير ذلك من المتون الأصولية، وكذلك المعلقات السبع ودواوين فحول الشعراء أمثال المتنبي وأبي تمام والبحتري وابن الرومي والمعري وبشار بن برد والشريف الرضي، مما هو من أصول اللغة العربية.

ثم تفرغ بعد ذلك لأخذ العلم بمعناه الأعم، وخصوصا الفنون اللسانية والعلوم العلقلية والنقلية والأدبية، بدءا مع أخيه :

- محمد العربي المتوفى عام 1362 / 1943. وإليه يرجع الفضل في تكوينه الأولي بتلقين مبادئ العربية والسيرة النبوية والأصول الأدبية وسرد الكتب الستة الحديثية وملازمة المذاكرة في المسائل العلمية المتنوعة والإرشاد إلى كيفية البحث عنها والاهتداء إليها والتعرف إلى خزائن الكتب لمعرفة مظانها ومصادرها. ثم الطيب بن المدني الناصري، مفتي الديار المغربية المتوفى عام 1359 / 1940 وأحمد بن المامون البلغيتي، أيام مقامه بسلا، والمتوفى عام 1348 / 1930 وعن شيخ الجماعة بسلا الفقيه الصالح أحمد الجريري المتوفى عام 1354 / 1935 ؛ وعن الشيخ السلفي، وزير العدلية وشعيب بن عبد الرحمن الدكالي المتوفى عام 1356 / 1937 . لازمه إلى وفاته وهو من عمده، وأجازه بخط يده تلقائيا ودون سابق رغبة. ومن جملة ما درس عليه معلقات الشعراء الست والمعاني والبيان والبديع واصطلاح الحديث والأصول ومختصر الشيخ خليل ومحمد الهاشمي ابن خضراء، المحدث والقاضي المتوفى عام 1392 / 1972 وعلي بن محمد عواد، قاضي سلا المتوفى عام 1354 / 1935. على أن أكثر دراسته كانت على يد العلامة النفاعة، شيخ الجماعة بسلا أحمد بن عبد النبي السلاوي المتوفى عام 1392 / 1972 . فقد لازم دروسه، صباح مساء، زهاء عشرين سنة، سواء بالمسجد الأعظم أو غيره. حضر عنده في أمهات اللغة وقواعدها، والفقه وأصوله، والحديث ومصطلحه، والمنطق، وأدب البحث ، والمناظرة، وأجازه إجازة عامة، بخط يده.

يضاف إلى هؤلاء الأعلام الذين لازم دروسهم ومجالسهم، أعلام آخرون جمعته وإياهم الوظيفة المخزنية زمنا طويلا، مدة الدولة اليوسفية، وشطرا من الدولة المحمدية، وهم : عبد الرحمن بن القرشي ومحمد الرندة الرباطي والشريف السلفي محمد بن العربي العلوي فقد استفاد منهم الفوائد الجمة، وقيد من مذاكراتهم ومحاضراتهم أمورا مهمة، فقهية وأدبية وتاريخية.

وفي أثناء رحلاته بإفريقية الشمالية ومصر والحجاز، اجتمع بعدة أعلام، وأجازوه على الطريقة والعادة الجارية بين العلماء.

ولما فتحت المدارس العصرية لتعليم اللغة الفرنسية، كان جعفر الناصري من أول الوالجين أبوابها، بسلا أولا، ثم

بثانوية مولاي يوسف، برباط الفتح، إلى أن تخرج منها حاصلا على المسكة العلمية التي تفتح الآفاق الخارجية في مجال البحث العلمي.

هكذا ازدوجت ثقافة المترجم، فكانت في نفس الوقت، أصيلة متينة، وحديثة متفتحة. وعُرف، وهو لا يزال في ريعان الشباب، أديبا ممتازا، وشاعرا رقيقا، وباحثا مدققا. كما أُشرب حب علم التاريخ من والده، مؤلف *"الاستقصا"* و*"طلعة المشتري"*، فكانت له جولات في مختلف الميادين الأدبية والتاريخية المتعلقة بعدوتي المغرب والأندلس.

وأكثر ما انصبّ اهتمامه على تاريخ مسقط رأسه سلا، وجارتها رباط الفتح، وشغف بابن الخطيب منقبا عن آثاره، متتبعا ما يُنشر عنه في الداخل والخارج، منشئا في شأنه من البحوث والرسائل والقصائد تحليلا وتعليلا، ومعارضة ومحاكاة، وإشادة وتنويها، ومنافرة ومنابذة، وتفجعا ورثاء.

انتحل جعفر الناصري الشعر في زمن مبكر، إبان التعاطي ومجالس الأنس مع الأحباب، وخواص الأصدقاء والأتراب. ولم يكن له اعتناء بجمعه وتدوينه، فلم يبق منه إلا النزر اليسير أثبته في ديوان صغير، ضم شوارده، وحفظ أوابده ؛ وقد نُشر بعضه في بعض المؤلفات والصحف والمجلات، وغالبه لا يخرج عن أوصاف الجمال، وعشية التصابي والأنس والمرح والإخوانيات ومدح الأشياخ، بمناسبة ختم المتون. ولم يخطر بباله قط التخصص بالقريض والطموح إلى الوصف بالشاعر، وإنما كان همه من الشعر معرفة مادته، وتحصيل آلته، لأن ذلك كمال للفتى.

خلف المترجم إنتاجا فكريا مهما، تضمن مجموعة من المقالات والمحاضرات في التاريخ والأدب والإرشاد والاجتماع والاقتصاد ؛ وما لا يقل عن 22 مصنفا، بين كبير ومتوسط وصغير في مواضيع أدبية وتاريخية، نذكر منها :

- *"الإحصا لما وضع بعد الاستقصا"*، في مجلدين، وهو تاريخ جمع فيه أخبار الدولتين العزيزية والحفيظية إلى حدوث كارثة الاستعمار.

- *"المحيط بالمهم من صحراء المغرب وشنقيط"*، في مجلدين ضخمين، بناه على البحث في ماضيها واتصالها بالمغرب عبر القرون والأجيال الماضية، منذ الفتح الإسلامي إلى أن احتلها الفرنسيون والإسبان.

- *"سلا ورباط الفتح وقرصنتهما الجهادية"*، في ستة مجلدات ضخام. وقد ضم هذا الكتاب تاريخ العدوتين، منذ تأسيسهما إلى وقتنا الحاضر، وتاريخ أسطولهما القرصاني الجهادي، وتخلل ذلك نوادر وأخبار، وأدبيات وأشعار، وحوادث ذات أهمية واعتبار.

- *"الكتابة والكتب والمكاتب"*، في مجلد ضخم، وهو كتاب أدب وأخبار وتراجم. وكتب أخرى نكتفي بذكر عناوينها، وهي *"ابن الخطيب بسلا"*، *ماضي القرويين وحاضره* *"الاسطول المغربي عبر التاريخ"*، *"سر عدد السبعة والصائبة"*...الخ

هذا ما يخص إنتاجه الفكري، أما عن سيرته فقد كان جعفر الناصري على جانب كبير من الاستقامة والنزاهة، دمث الأخلاق، لين الجانب، عفيف اليد واللسان، اشتهر بذلك عند الخاص والعام، كما كان مغرما بجمع الكتب، شغوفاً بالبحث عن نفائسها، باذلاً الغالي والنفيس في اقتنائها، وقد حكى في تأليفه *"الكتابة والكتب والمكاتب"* ما وقع له من النوادر في تيسيرها، والحصول عليها، كلما تشوفت النفس للوقوف عليها، أو مراجعة شيء منها ؛ دؤوباً على نسخ الغريب أو النادر منها، ولازال بخزانته زهاء عشرين مجلداً منها.

توفي يوم الأحد 26 ذي الحجة عام 1399، الموافق 16 نونبر سنة 1980، ودفن بزاوية أجداده بسلا.

أحمد الناصري

**الناصري، جعفر** بن **موسى** بن محمد الكبير بن مَحمد ابن ناصر، شيخ زاوية تامگروت الخامس. ولد بتامگروت وبها نشأ وسط بيئة تعج بالعلماء والمتصوفة. وتذكر كتب المناقب والتراجم أنه عرف بالزهد والوقار، والأخلاق الفاضلة، والاشتغال بالعبادة والذكر. ولم تشر ولو بطرف خفي إلى مبلغه من العلم. ومن ثم فلعل التصوف هو ما غلب عليه. رحل المترجم إلى الحج صحبة عمه الشيخ أحمد الخليفة، في أثناء رحلته الثالثة عام 1109 / 1110. وهو الذي ضل الطريق بالقرب من أجدابية.

ولي شؤون الزاوية الناصرية بعد وفاة عمه عبد الله بن محمد الكبير ابن ناصر سنة 1143 / 1731 ؛ فتصدر لتلقين الأوراد، ونهض بأعباء ما تحمله، مقتفيا في ذلك آثار أسلافه. ومن جملة أعماله أنه جدد مسجد الخلوة بتامگروت، في جمادى الأولى عام عام 1151 / 1738 ؛ فمدحه أخوه الشاعر أحمد بن موسى، لينوه بذلك المبنى، فقال :

| | |
|---|---|
| معاني الحسن تظهر في المغاني | ورونقه يجدد في المباني |
| تأمل في جمالي وابتهاجي | وسر لطافتي وبديع شأني |
| وإني وإن وضعت على تراب | فنحو العرش منزلتي تداني |

وللإشارة فإن مشيخته لم تكن بمنجاة مما ساد المغرب يومئذ في عهد "الفترة" من اضطرابات ووباء ومجاعة ؛ ولا سيما فيما بين 1147 و1156. إلا أن ذلك كان مواتيا للزاوية الناصرية التي شهدت توسعا، وكسبا للمزيد من الأتباع.

توفي الشيخ جعفر الناصري سنة 1157 / 1744.

أحمد الناصري، *الرحلة* ؛ المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ *طليعة الدعة* ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أبو مدين الدرعي، *الرحلة*، م. خع. ر. 217 ق ؛ سليمان الناصري، *إتحاف الخل المعاصر* ؛ أحمد الناصري، *طلعة المشتري*.

M. Bodin, *La Zaouia de Tamgrout..*, p. 275 ; G. Drague, *Esquisse*, p. 191.

أحمد عمالك

**الناصري، الحنفي** بن **خالد** بن محمد الناصري، يتصل نسبه بالشيخ الإمام مَحمد (فتحا) بن ناصر،

الجعفري الزينبي، ثم الدرعي، مؤسس الزاوية الناصرية بتامگروت، في جنوب المغرب.

ولد بسلا في حدود سنة 1237 / 1821 تقريبا.

كان فقيها، أستاذا قارئا بالسبع، مجودا بالسبع للقرآن، عارفا بأحكام القراءات ووجوهها، مع معرفة بالفقه والسيرة النبوية، والنحو، وغير ذلك من الفنون، ذا فصاحة في النطق، وصراحة في القول، وصرامة في العمل، جوادا معطاء، ذا هيبة ووقار، واستقلال فكر، وحرية في الرأي وزعامة وهمة عالية. توجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي، عليه الصلاة والسلام، سنة 1281 / 1864.

توفي بمكة المكرمة، ودفن بالمعلا، بجوار أم المومنين، مولاتنا خديجة، رضي الله عنها، وكان ذلك مما أكرمه الله به، وادّخره له في غيبه.

**الناصري، خالد** بن **محمد**، المدعو حمادا، بن مُحمد الكبير، بن أحمد بن مَحمد (بالفتح) الصغير ابن الشيخ الأكبر مَحمد (بالفتح) بن ناصر الجعفري الزينبي، مؤسس الزاوية الناصرية بتامگروت، جنوب المغرب.

ولد أوائل القرن (13 / 19)، أو قبله بقليل، بزاوية جده مَحمد (فتحا) الصغير، المعروفة بزاوية البركة بوادي درعة، ونشأ هناك في كنف والده وجده محمد الكبير، وقرأ العلم على من كان بها من علماء وقته، من أبناء أعمامه، وغيرهم.

وبعد وفاة والده حمّاد، ثم جده محمد الكبير، قرر مفارقة ديار آبائه وأسلافه، فهاجر أولا إلى مدينة سلا، في حدود 1220 / 1805، فقابله أهلها بما لا مزيد عليه من التعظيم والاحترام والإكرام، لما كان لهم من تمام المحبة والإخلاص لآل ناصر، فاستوطنها مدة، وانتشر صيته في القبائل المجاورة لها، واعتقده أهلها، وقاموا بواجبه، وتزوج بها إحدي بنات عمه السيدة زينب بنت سعيد بن عبد الرحمن الناصري عام 1235 / 1819، وفي أثناء ذلك كان يتردد على طنجة والعرائش، واشترى بها عقارا وملك ديارا، وذلك سنة 1228 / 1812 ثم بدا له فانتقل للعرائش وطنجة، وأحبه أهلهما لما كان عليه من العلم والزهد والورع والتحري في أكل الحلال، واشتغل بالحرث والتجارة بقبيلة الغرب، قرب العرائش، وتبارى أهل قبيلة الغرب في القيام بحقه، والمبالغة في احترامه وتعظيمه حتى كانوا يتيمنون بذكره، ويستضيؤون بأنوار فكره، ويصلح بينهم وبين عمالهم، ويرشدهم إلى الحق في سائر أعمالهم، زاهدا فيما في أيديهم، حتى إنه كان إذا دعته الضرورة للمبيت عند أحدهم، استصحب معه طعامه الخاص به، ولا يأكل عندهم شيئا.

ومما يؤثر عنه في هذا الباب، أنه أصلح مرة بين أحد العمال وقبيلته، فأعطاه قدرا عظيما من الذهب العين، فترفَّع عن أخذه، وأبى أن يتناوله بيده، وحث العامل المذكور أن يرده إلى أصحابه الذين أخذه منهم، فتوسل إليه في أخذه، ففرقه حينا على من كان ببابه.

واشتغل بالحرث والتجارة بقبيلة الغرب قرب العرائش، وفُتح له في ذلك، وبارك الله له فيه، فأسس الضياع الواسعة المغلة هناك، وعمرها بالخيول والخدم والحشم، وتزوج بطنجة ابنة عمّه السيدة مريم بنت الفقيه الخير علي بن محمد الناصري وبقيت في عصمته إلى أن توفيت في حدود سنة 1238 / 1822، وكانت صالحة خيرة، فعلت أفعالا من البرّ كثيرة من صدقات وغيرها، وخلفت له ثروة طائلة. ثم بعد ذلك سكن العرائش دهرا، واتخذ من أهلها نسبا وصهرا، فتزوج السيدة فاطمة بنت الفقيه الشريف محمد بن محمد بن قاسم بن زروق الحسني الإدريسي الجباري، وولد له بهذه المدينة سائر أولاده ماعدا ولده أحمد العلامة الكبير صاحب "*كتاب الاستقصا*" و"*طلعة المشتري*" وغيرهما من التآليف الحسان، فإنه ولد بسلا، لما رجع والده إليها للاستقرار بها نهائيا سنة 1250 / 1834.

كان المترجم فقيها مرابطا زاهدا، ذا همة عالية وسيرة حسنة، كما كان على جانب عظيم من الورع والتحري في أكل الحلال، بحيث فاق أكثر أهل زمانه في ذلك، وكان وقورا، كثير الأوراد، ذا سمت وجد، مرجو البركة عند القاصي والداني.

توفي في 12 ذي القعدة سنة 1277 / 22 ماي سنة 1861، ودفن بقرية الشيخ أبي سلهام، رضي الله عنه.

أحمد الناصري

**الناصري السلوي**، المؤرخ أحمد بن خالد : ولد بمدينة سلا سنة 1250 / 1835، وبها نشأ ودرس، أخذ علوم القرآن على شيخه الحاج محمد لعلو وعلى محمد بن الجيلاني الحمادي، وعلوم التجويد وحفظ المتون والكتب الأمهات *كمنظومة الشاطبي* و*خلاصة ابن مالك* و*تلخيص المفتاح* على الشيخ عبد السلام بن طلحة وعلوم العربية من نحو وبلاغة وأدب ومنطق وكلام على شيخه محمد بن عبد العزيز محبوبة، كما لزم مجلس قاضي سلا أبي بكر عواد فترة طويلة، وكان هذا الأخير يخصه بعناية خاصة لما لمسه عنده من إتقان وتدقيق وشغف بالقراءة والتحصيل. وكان إضافة إلى دروسه النظامية شغوفا بمطالعة كتب التاريخ والجغرافيا، مكبا على التزود بالمعارف المختلفة وما يتعلق منها بالعلوم العصرية والتقنية.

يذكر ولداه في ترجمته أنه "كان فصيح اللسان قوي الحافظة، حاضر الذهن، حسن الإيراد، فكان كلامه إذا برز فيه نفذ إلى القلوب ورسخ فيها رسوخا بينا".

اشتغل الناصري أول الأمر بالتدريس، معتمدا على منهج علمي يعتمد التفهيم والإفهام، فشهدت مجالسه العلمية منتدى يقصده الطلبة وغيرهم للاستفادة، وتناولت دروسه علوماً مختلفة في الفقه والبلاغة والنحو والأدب وغيرها.

وعندما اشتهر أمره وذاع صيته دعاه السلطان المولى الحسن للانتظام في سلك الوظيفة الإدارية، فرفض أول الأمر خوف انشغاله عن العلم ومجالسه، لكن السلطان ألح عليه وأسند إليه وظيفة خطة الشهادة ببلده سلا سنة 1280 / 1863 ثم خطة العدالة والصائر على الأحباس بسلا أيضا كما كان مستشار أستاذه أبي بكر عواد قاضي سلا في النوازل المهمة التي كانت تعرض عليه للإفتاء فيها وإبداء رأيه في أحكامها.

ورغبة في الاطلاع على أحوال البلدان والمناطق المغربية المختلفة زار رفقة أستاذه مدينة فاس ومكناس وزرهون وجبال الريف وغمارة وتطوان وغيرها من المدن وتعرف إلى أحوال الناس وطرائق عيشهم، كما اتصل بعلماء هذه المدن وجالس شيوخها، وترك ذكرا طيبا أينما حل وارتحل.

وفي سنة 1292 / 1875 عينه السلطان للخدمة بمرسى الدار البيضاء ثم ببنيقة الصاير بمراكش، (وهي الشؤون المالية)، وبهذه المدينة جمع مواد كتابه التاريخي الهام *الاستقصا* ، كما قدم دروسا بجامع ابن يوسف في علوم مختلفة لقيت استحسانا وقبولا.

وعلى الرغم من عزوفه عن الخدمة الحكومية، فإن ذلك لم يجد نفعا مع إلحاح السلطان على تحمل ذلك بمراكش والجديدة والدار البيضاء، واستشاريته في أمور البلاد السياسية والاقتصادية، من ذلك تحريره قانون الخراج والمداخل المالية بالمغرب، ولا يزال معتمدا لدى إدارة الأملاك المخزنية كما نبّه إلى ذلك ابناه وهما يترجمان له.

وكان خلال مهامه المخزنية يعقد علاقات مع قناصل الدول الأجنبية ويستفيد من آرائهم ومن كتابات تاريخية باللغات الإسبانية والفرنسية والإنجليزية وغيرها مما ساعده على توظيف المعلومات المستقاة منها في كتابه الموسوعة "*الاستقصا*".

ويعود إلى مسقط رأسه سلا سنة 1308 / 1890 ليعكف على التأليف والكتابة والتدريس. لكنه لم يلبث أن تولى الخدمة من جديد بمرسى الدار البيضاء سنة 1310 / 1893 ليعود إلى مسقط رأسه بعد سنة إثر وفاة السلطان المولى الحسن. ثم استدعاه السلطان المولى عبد العزيز "لتفقد الأملاك المخزنية وإحصائها والبحث فيها وأنجز ذلك على أحسن وجه".

وبعد إنهاء مهمته سنة 1312 / 1895 ، انكب بمسقط رأسه على الكتابة والتأليف ومتابعة أعماله التي كان ينجزها وهو يزاول مهامه، وأعرض عن ممارسة أي عمل حكومي، إلى أن وافته المنية.

مؤلفاته : أشهر مؤلف لأحمد بن خالد الناصري موسوعته التاريخية المتميزة "*الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*"، وبه عرف بالمؤرخ السلوي في كثير من الكتابات الأجنبية، وقد طبع الكتاب أربع مرات، الأولى بمصر بالمطبعة البهية، سنة 1312 / 1895 ـ 1896 في أربعة أجزاء، وقد صحح هذه الطبعة بنفسه إثر صدورها، والثانية بدار الكتاب بالدار البيضاء بتحقيق ولديه جعفر وامحمد سنة 1956 في تسعة أجزاء، والثالثة صدرت مصورة عن الطبعة الثانية بدار الكتاب نفسها بالدار البيضاء سنة 1997 في ثلاثة مجلدات، كل مجلد يتضمن ثلاثة أجزاء من التسعة، والرابعة صدرت ضمن منشورات وزارة الثقافة والاتصال بتحقيق وتعليق حفيده أحمد الناصري سنة 2001 في ثمانية أجزاء، وأعدّ فهارس هذه الطبعة جزءا تاسعا الأستاذ محمد المغراوي وصدرت عن وزارة الشؤون الثقافية سنة 2005، كما تمّت ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية وأنجزها مجموعة من المستشرقين منهم كرول وكولان وفومي وإسماعيل حامد وابن المؤلف امحمد الناصري، وقد نشرت هذه الترجمة في مجلة الوثائق المغربية (المستندات المغربية) ، التي كانت تصدر عن إدارة الشؤون الأهلية ومصلحة الإرشادات تحت إشراف الإقامة العامة للجمهورية الفرنسية بالمغرب في الأعداد 28 ـ 30 ـ 31 ـ 32 ـ 33 ـ 34 ـ 35، مطبعة المستشرق بول گوتنير، باريس 1923 ـ 1925 ـ 1927 ـ 1928 ـ 1931 ـ 1934 ـ 1936.

وقد أنجز ابنا المؤرخ جعفر وامحمد ترجمة وافية باللغة الفرنسية لترجمة والدهما تحرّيا فيها الضبط والدقة والمقابلة لما في الترجمة العربية المنجزة من طرفهما أيضا، وقد نشرت في مجلة "الوثائق المغربية"، العدد 31، سنة 1925.

يقول المؤرخ الناصري في هامش الطبعة الأولى المصرية من كتابه *الاستقصا* : "الحمد لله، إني ألتمس ممّن يقف عليه من سادتنا العلماء وقرهم الله، أن ينظر فيه بعين الإنصاف حسب الإمكان، بل وبعين الإغضاء عما لا يكاد يسلم منه إنسان، وأن يعاملنا فيه بمقتضى قول القائل :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعدّ معايبه"

ويقول ابنا المؤلف عن هذا الكتاب "وبالجملة فهو عمدة المؤرخين ومورد المستشرقين، وقد طبقت شهرته الخافقين، ولم يظهر إلى حد الآن (سنة 1375 / 1956 ) تاريخ مغربي يوازيه أو يغني عنه ويسد مسده، فهو العمدة والمؤرخون عيال عليه". والكتاب يتناول تاريخ المغرب منذ الفتوح الإسلامية الأولى ومن تعاقب على الولاية به إلى أن كانت وفادة المولى إدريس وتأسيس الدولة المغربية وتعاقب الدول على حكمها إلى آخر عهد المولى الحسن الأول، مقدما لذلك بمقدمة في علم التاريخ وفوائده وفي ذكر حياة الرسول محمد عليه السلام وخلفائه الراشدين، وولاة الأمر في شمال إفريقية والمغرب".

حظي المؤرخ الناصري ومؤلفه *الاستقصا* بتقريظات كثيرة، فقد نوّه به وبمؤلفه الحجوي فقال : "كان المترجم علامة عصره، مشاركا متقنا متفننا، حافظا دراكة، بعيد الغور، عالي الهمّة، حسن الأخلاق، له مكارم جمة، تنبئ عن شرف أصله وكرم فضله، له التاريخ الشهير المسمى بـ "*الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى*"، وهو مطبوع، وشهرته تغني عن

إطرائه". وقال عنه ابن إبراهيم المراكشي : "ألف التاريخ الكبير في أخبار ملوك المغرب، وسماه "*الاستقصا*"، ولقد أحسن في تلخيص هذا التاريخ من كتب التاريخ المعتمدة كابن خلدون والقرطاس". أما دار الكتاب فقد جاء في تقديمها لهذا المؤلف : "إنه بحق الكتاب الجامع - في غير تطويل ولا اقتضاب - لتاريخ المغرب، والمصدر الهام الذي لا غنى عنه لمن يريد أن يكتب عن المغرب في عصر من العصور أو حقبة من الحقب ... وكما يدل عليه اسمه فقد أراد مؤلفه أن يكون استقصاء لتاريخ الدول المتعاقبة على المغرب، ... وقد اعتمدنا على النسخة المصرية التي صححها المؤلف بعد طبعها، وكان يشطب على بعض العبارات فيها أو يتدارك فيها بعض السهو أو يصحح بها ما عسى أن يكون اهتدى إليه بعد طبع الكتاب بمصر".

كما نبه ابناه في الترجمة التي أعادا تحريرها له سنة 1963 ونشرت في الطبعة الرابعة الصادرة سنة 2001 للكتاب إلى : "أن الكتاب كان قد أحدث رجة عنيفة في عالم الاستعمار والمستعمرين فضحت أسرارهم، وزلزلت أسوارهم، بما بينه المؤلف في كل مناسبة من خبايا تلوناتهم ومراوغاتهم في معاملتهم ودسائس ساستهم، وما يبيتونه لهذا البلد الأمين من المكر السيئ".

ومن مؤلفاته المطبوعة "*زهر الأفنان من حديقة ابن الونان*" وهو شرح على *أرجوزة ابن الونان* المعروفة *بالشمقمقية* وتقع في جزأين، وطبعت بفاس سنة 1314 / 1896، و"*طلعة المشتري في النسب الجعفري*" وتحدث فيها عن آل ناصر وسلسلة نسبهم وأخبارهم، وتقع في جزأين، طبعت بفاس سنة 1320 / 1902 ، وأعيد نشرها مصورة عن الطبعة الحجرية الفاسية بإشراف المؤسسة الناصرية للثقافة والعلم في جزأين أيضا سنة 1987.

أما مؤلفاته المخطوطة فهي كثيرة تقع في حوالي سنة وعشرين مؤلفا منها : *كشف العرين عن ليوث بني مرين*، *رسالة في تحقيق أمر سبعة رجال*، *تعليق على شرح ابن بدرون لقصيدة ابن عبدون*، "وكله غرر وأدبيات رائقة، فرغ من كتابته سنة 1869"، *تعليق على ديوان المتنبي*، *شرح مساعدة الإخوان* وهو شرح لقصيدة الشيخ امحمد بن ناصر سماها *مساعدة الإخوان من الحشم والأعوان على ما يعين على البر والتقوى ويصرف عن الإثم والعدوان*" وهي في العبادات على نمط "*المرشد المعين*" لابن عاشر، و*تعظيم المنة بنصرة السنة* في إنكار البدع والرد على الطرق فيما خرجوا فيه عن السنة، يقول ولداه عن هذا المؤلف : "هذا التأليف من أهم المؤلفات التي كتبها، وهو أوضح دليل على سعة فكره، وبرهان على أنه كان فردا غريبا بين أبناء جنسه ووقته"، و*رسالة في الرد على الطبيعيين ورسالتان في فن الموسيقى ورسالة في تحديد السلطة للولاة* " وهي رسالة في الفرق بين خطة القائد والقاضي والمحتسب عند المغاربة وتحديد سلطتهم، ومجموع *فتاويه الفقهية*، وغيرها، كما أن له *ديوان شعر* يحتفظ به حفيده، وإن كان أغلب شعره قد ضاع كما يذكر ابناه : "لقد قال المترجم له شعرا كثيرا في عهد شبابه، ولم يدون منه إلا نزرا يسيرا في ديوانه المخطوط المحفوظ في الخزانة الناصرية، إذ لم يكن له اعتناء بحفظه وجمعه، وكله من الشعر الجيد"، أما المؤرخ نفسه فيقول : "أما تعاطي الشعر، فقد كنت أنتحله أيام الشبيبة، ثم أعرضت عنه إذ بضاعته مزجاة، سيما في هذا الزمان الذي سوق الأدب فيه كاسدة ... وإنما المطلوب أن يعرف الإنسان آلته ومادته، وكيفية قرضه ونقده، حتى تجود ملكته ويتم ذوقه، ويصير بصيراً باللسان العربي وأساليبه وفنونه".

وتعد الخزانة الناصرية التي يحتفظ بها حفيده أحمد الناصري في جناح خاص ببيته بالرباط، منجما لمؤلفاته المخطوطة ولكناشات أدبية ضاعت ولم يتبق منها إلا ما يوجد بهذه الخزانة، ولمؤلفات عديدة مغربية ومشرقية أكثرها مخطوطات ومطبوعات كذلك في حكم النادرة، ولأمهات الكتب في علوم مختلفة، كما أنها تضم مجلات أدبية وتاريخية نادرة. لكنها غير مفهرسة وغير ميّسر أمر الاستفادة منها للباحثين على اختلاف شرائحهم وتخصصاتهم.

توفي الناصري يوم 16 جمادى الأولى 1315 / 12 أكتوبر 1897 ، ودفن بمقبرة باب معلقة بسلا، وقد رثاه تلميذاه محمد بن علي الدكالي والطيب عواد بقصيدتين طويلتين مثبتتين في كتاب *الاستقصا* ج 1 : 41 - 42 - 43 (ط 1 / الدار البيضاء).

مقدمة كتاب *الاستقصا* لولديه جعفر وامحمد، الدار البيضاء، 1956، ترجمة موسعة في الجزء الأول من *الاستقصا* بتحقيق وتعليق حفيده أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، 2001، كان قد أعاد تحريرها ابنا المؤلف سنة 1963، *رسالة المؤرخ الناصري إلى صديقه الفاطمي الصقلي* ، مخطوطة الخزانة الناصرية ؛ المراكشي، *الإعلام*، ج 2 : 426، الرباط، 1977 ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، ج 3 : 345، ط 2، 1990، ليفي بروفنسال، *مؤرخو الشرفا*، ص. 255، الرباط، 1977 ؛ عبد الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 11، د. ت ؛ إدريس بن الماحي، *معجم المطبوعات المغربية*، ص. 344، سلا، 1988 ؛ محمد بن تاويت، *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى*، 3 : 909 ؛ الحجوي، *الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي*، 2 : 308، المدينة المنورة، 1977 ؛ الزركلي، *الأعلام*، 1 : 120، ط 4.

نجاة المريني

**الناصري، عبد السلام** بن **أحمد** بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن محمد الكبير بن مَحمد ابن ناصر، شيخ تامگروت الثاني عشر. ولد في 20 رمضان سنة 1302 / 1884 بزاوية أغلان، من خمس ترناتة بوادي درعة. أمه فاطمة بنت محمد بن عزوز الفاسية.

بدأ مرحلة الطلب الأولى في مسقط رأسه،حيث حفظ القرآن الكريم ؛ ثم ثنى بحفظ المتون المتداولة، سيما الأجرومية وابن عاشر والرسالة ... لينتقل إلى دراسةالحديث.

يشير گوفيون إلى أنه أخذ هذا العلم عن الفقيهة السيدة عائشة السكورية التي كانت تقيم بدار المدني الگلاوي. كما أخذ عن بعض مشاهير علماء عصره منهم : الشيخ محمد الهواري المراكشي، وسيدي محمد بن القرشي السرغيني. وتضيف الرواية الشفهية المدعو بلفقيه والقاضي سيدي علي بن أحمد.

وإلى جانب العلوم الشرعية، انكب المترجم على مدارسة الجغرافيا والتنجيم. وقد رآه إدموند كوفيون وهو يقلب خرائط مختلفة، ويتناول البوصلة والإصطرلاب ؛ بل كان له اهتمام بالعلوم الطبيعية، ولا سيما علم النبات. ولم يكن يني عن تعلم اللغة الفرنسية. وصفه الفرنسيون بالذكا ءوسعة المعرفة، والشغف بالعلم، وكثرة الرحلات. وعلى الرغم من أن تامگروت لم تعد تكون ذلك المركز العلمي الكبير، كما كان الشأن في عهود شيوخها الأوائل، فإن شيخها المترجم قد عدد حين سئل عن العلوم التي كانت لا تزال تدرس في عهده - المصنفات الآتية - مختصر خليل، تسهيل ابن مالك مع شرح ابن عقيل عليه، كافية ابن الحاجب، صغرى السنوسي، الحوضي وشرح السنوسي عليه، الكافي في علم القوافي، ألفية ابن مالك، الآجرومية بشرح المكودي، شرح الحكم العطائية لابن عباد، إحياء علوم الفارسي، كتاب سيبويه، مفصل الزمخشري، جمع الجوامع لابن السبكي، لامية العرب، الجمل ... هذا فضلا عن أن خزانة الزاوية كانت لا تزال تزخر بنوادر الكتب والتقاييد والوثائق. ولعل مما يعد من مكرمات المترجم أنه بذل قصارى جهده في الحفاظ على كتب تلك الخزانة ؛ حتى قالوا إنه لم يكن يسمح بولوجها إلا لمن توخى فيه كامل الثقة. إلا أن الملحظ الأساس أن المترجم لم يستطع - على الرغم مما بذل من جهود - أن يعطي للزاوية الزخم الضروري لتتبوأ حظوتها السابقة ؛ لأن النزاعات التي شهدتها في عهدي محمد الحنفي وأحمد بن أبي بكر كان لها أبلغ الأثر.

وتشير الكتابات الأجنبية، من جهة أخرى إلى أن المترجم كان صديقا للفرنسيين، ولعملائهم گلاوة، وتنوه بالمساندة غير المشروطة التي لاقوها من جانبه ؛ وهذا أمر لم نستطع تأكيده أو تفنيده، نتيجة افتقارنا إلى مصادر موثوقة. وإذا كنا لا نشك في أنه كان نبيها قوي الذكاء، فإننا نقدر أنه لم يغب عنه السياق العام الذي احتوش بلاد المغرب يومئذ، فكان لا يني عن التناور والمداراة، مما قد يؤوله الأجنبي إلى خدمة أو صداقة أو ما شابه ذلك ...

ولا نعرف سبب انتقال المترجم إلى مراكش، حيث استقر عشرة أعوام، بعد أن أناب عنه أخاه سيدي يوسف، لتدبير شؤون الزاوية. ولما رجع إلى تامگروت عمل كل ما في وسعه للرفع من مكانة الزاوية، محاولا دعم رصيد أسلافه الأوائل، حتى وفاته سنة 1370 / فاتح مارس 1951. وقد خلف الشيخ عبد السلام اثنين وثلاثين ابنا، نصفهم ذكور، ونصفهم إناث.

وثائق زاوية تامگروت ؛ *التحري الميداني*.

Marthe et Ed. Gouvion, *Kitab Aayane al Maghrib l Akça...*, p. 398 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse...*, p. 194, 222.

**الناصري، عبد الله** بن **الحسين** بن أحمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عمرو بن عثمان بن ناصر، أبو محمد الضرير، مؤسس زاوية تاگلاووت - بواد تاساوت الأوسط، من بلاد السراغنة - التي توارثها عقبه من بعده إلى عهد قريب، ينتمي المترجم إلى الفرع الناصري الثاني الذي ينحدر من الشيخ حسين ابن ناصر، صاحب زاوية أغلان وشقيق شيخ تامگروت الأكبر مَحمد ابن ناصر.

نوهت به المصادر فوصفته بالعلم والتقوى والورع والولاية والمكاشفة والدفاع عن السنة. ووصفه كل من الوليد العراقي وسليمان الحوات والطالب ابن الحاج بالقطب، وأثنوا عليه الثناء الجميل في مؤلفاتهم. بل صنفه محمد الهادي بن زيان العراقي في مرتبة أبي الحسن الشاذلي.

وقد كف بصره في بدء طفولته. لكن ذلك لم يثنه عن العكوف على الدرس، سيما وأن زاويتهم بدرعة كانت تعج بالشيوخ من البيت الناصري وغيره. ولعله حصل جل معارفه هناك، قبل أن ينتقل إلى تاگلاووت، حيث أسس زاوية ناصرية. وقد وترت عنه الكرامات، وخوارق العادات "فانحشر الناس للأخذ عنه" من مختلف الآفاق، ولقي من القبول ما سارت بذكره الركبان. رحل المترجم إلى مدينة فاس سنة 1190 / 1776، وهناك لقي التاودي ابن سودة الذي أخذ عنه، واستجازه فأجازه في جمادي الأولى من السنة الموالية (1191). كما لقيه الشيخ محمد التوزاني، وسليمان الحوات، وغيرهما من أعلام ذلك العصر.

ثم رجع بعد ذلك إلى تاگلاووت، ليغادرها قبل سنة 1198 / 1784، لأن محمدا العراقي كان قد وفد إلى زاويته بقصد زيارته لكنه لم يظفر به، بسبب انتقاله إلى درعة. وهنا لابد من الإشارة إلى أن العباس بن إبراهيم ذهب إلى أن اللقاء بين عبد الله الناصري والعراقي قد تم بدرعة، في حين أكد صاحب طلعة المشتري أن ذلك لم يتم، بسبب انتقال المترجم إلى درعة، حيث بعدت الشقة على الزائر الذي رجع أدراجه. ونحن نميل إلى ما ذهب إليه الناصري بسبب قربه النسبي من الحدث، وشهرته بالحرص على توثيق كلامه.

ويغلب على الظن أنه مكث بدرعة حتى وفاته سنة 1203/ 1789، حيث يوجد قبره بزاوية أغلان.

الخليفتي، *الدرة الجليلة*، ص. 190 - 191 ؛ ت. ابن سودة، *الفهرسة*، س. الحوات، *الروضة المقصودة*، ص. 171 - 175 ؛ أحمد الناصري، *طلعة المشتري*، 2 : 181 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، ص. 371 ؛ ع. المراكشي، *الإعلام*، 8 : 322 - 327.

**الناصري، عبد الله** بن **محمد** الكبير بن مَحمد ابن ناصر، أبو محمد رابع شيوخ زاوية تامگروت الناصرية ؛ وهو شقيق موسى ويوسف آتيي الترجمة. ولد بتامگروت في

تاريخ غير معروف؛ وبها نشأ في بيئة يغمرها العلم والتصوف. فأخذ عن مشاهير شيوخها، كالرحالة المقرئ إبراهيم بن علي السباعي، وأحمد بن محمد الجزولي، وعبد الكريم بن علي التدغي. وتلقن الورد عن عمه الشيخ أحمد الخليفة، وصحبه في رحلته إلى المشرق سنة 1110 / 1699؛ مما أتاح له مشاركته فيمن لقي في تلك الوجهة؛ حيث أخذ عن بعض علماء مصر، كأحمد بن رجب البقري ومحمد بن قاسم البقري. وكلاهما أجازه في القراءات. وفي السياق ذاته نذكر أن المترجم اشتهر بعلمه الغزير، ولا سيما في القراءات؛ فكان أستاذا في هذا الفن "مقرئا عشريا، ملما بمختلف الروايات". وقد وقفنا على مصنفات له في هذا الفن. وبسبب براعته في القراءات كان هو الذي يتولى كتب لوح عمه أبي العباس ابن ناصر، ويقرؤها عليه بالتجويد، حتى ختم على يديه القرآن الكريم بالسبع.

ولي شؤون الزاوية الناصرية سنة 1142 / 1730، بعد وفاة أخيه موسى بن محمد الكبير، آت الترجمة؛ فسار سيرة حميدة، حيث واصل رعاية العلم والعلماء بالزاوية، وأشرف على تلقين الأوراد، وتفقد الزوايا التابعة لتامگروت. وإلى جانب علمه، اشتهر عبد الله الناصري بالزهد والتقلل في المعاش، لذلك لم تمض على مشيخته سوى ثلاثة أشهر حتى تخلى عنها.

وقد خلف *أربع رسائل* في القراءات لا تزال مكتبة تامگروت تحتفظ بنسخة منها ضمن مجموع تحت رقم 1530؛ وهي حسب ترتيبها :

- الأولى : *قرة العين في مقرأ الأخوين*. ويقصد حمزة والكسائي.
- الثانية : *رواية عاصم*.
- الثالثة : *مقرأ أبي عمران عبد الله بن عامر*. انتهى من تأليفها يوم الأربعاء فاتح صفر عام 1124 / 1712.
- الرابعة : *مقرأ حمزة*.

ألفها بإشارة من عمه الشيخ أحمد الخليفة. وهي على صغرها تدل على طول باعه ورسوخ قدمه في فن القراءات. فقد تتبع مختلف الروايات وتشعبها، من بدئها حتى منتهاها، محاولا حصر أوجه الاختلاف والاتفاق فيما بينها، ومقتفيا في ذلك طريق أبي عمرو الداني.

توفي بعد ذلك بزمن يسير، يوم الاثنين فاتح رجب عام 1143 / 1731.

م. المكي الناصري؛ *الدرر المرصعة*، 233 ـ 237؛ *الروض الزاهر*، 239؛ فتح الملك الناصر، 239؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، 146 ـ 154؛ أحمد الناصري، *طلعة المشتري*، 2 : 128 ـ 141؛ أحمد عمالك، *الزاوية الناصرية*، 122 ـ 123.

**الناصري، علي** بن **مَحمد** ابن ناصر أبو الحسن، ترجمه صاحب *الدرر*، فحلاه : "[ب] العلامة الفقيه الأصولي البياني اللغوي المحدث العروضي النحوي... من أفراد العلماء الأعيان المحققين، وأعيان المحصلين". لا نعرف تاريخ ميلاده، لكن يبدو أنه أكبر من أخيه الشيخ أحمد الخليفة، سابق الترجمة.

أخذ عن والده الشيخ مَحمد ابن ناصر، وعليه تخرج. كما أخذ عن محمد بن سعيد الميرغثي، وعن أبي سالم العياشي، وعن أبي علي اليوسي. رحل إلى فاس لطلب العلم، فأخذ بها عن الشيخ عبد القادر بن علي الفاسي، وعن شيخ الإقراء، في زمانه، عبد الرحمن ابن القاضي، وعن أبي الحسن الدادسي. وقد أجازه كل هؤلاء، كما هو مثبت في كتاب *فتح الملك الناصر*. وأورد أحمد الناصري فقرات من رسالة بعث بها والده الشيخ إلى الحسن اليوسي طالبا منه أن يحرضه على طلب العلم قال فيها : "ولتنب عنا في تنبيه ولدنا علي... على ما يجب التنبيه عليه من الإقبال على ما بعثناه إليه من الجد في تعلم العلم النافع، والعمل به، وترك الفضول...". كما رحل إلى المشرق صحبة والده سنة 1076 / 1666، برسم أداء فريضة الحج، فشاركه فيمن لقي هناك من الأعلام؛ وأخذ بمصر مع عمه الشيخ الحسين ابن ناصر، عن علي الزعتري المصري الربع المجيب ونصف الدائرة. وفي سنة 1085 / 1674 ارتحل إلى بلاد سوس، على إثر منافرة وقعت بينه وبين أخيه الشيخ أحمد الخليفة؛ فنزل بأولوز، برأس الوادي، حيث أسس زاوية البور التي ظل أولاده وحفدته يتوارثونها حتى عهد قريب. لكن ما عاناه المترجم من لدن أهل تيغنيمين، جيران زاويته، أقلق راحته كثيرا بالرغم عما اكتسب هنالك من جاه ونفوذ، حتى اضطر إلى أن يهجوهم بقصيدة نظمها مرتبة على حروف المعجم، ومطلعها :

أكبر ما كنت في السر أكتم ... لأن لسان الحال عني يترجم
بدوت وقد كنت أعرف حاضرا ... وسكنى البوادي لا يحل ويحرم

ويذكر المكي الناصري في السياق ذاته أن المترجم لم يهدأ له بال طوال الثمانية عشرة سنة التي عاشها في تلك الزاوية حتى "كان لا ينام من الليل إلا قليلا من كثرة اللصوص، كلما أحس بهم نقبوا نقبا من خارج الدار ضرب بيده على مقابلة النقب من داخل فيعلمون أنه متيقظ فينصرفون".

يعد المترجم من أدباء الناصريين بالرغم من أنه لم يخلف إلا بعض القصائد والمقطعات والرسائل القليلة التي يستشف منها باعه الواسع في مجالات اللغة والأدب والشعر.

توفي المترجم بالزاوية المذكورة يوم الأربعاء التاسع من جمادى الأولى سنة سبع ومائة وألف. وحضر وفاته أخواه الشقيقان محمد الكبير ومحمد الصغير اللذان أشرفا على تجهيز جثمانه وحمله في تابوت إلى تامگروت، حيث دفن بالجبانة التي بداخل الزاوية

*الدرر المرصعة*؛ باب في من اسمه علي، *الروض الزاهر*، 122 ـ 124؛ *الدرة الجليلة*، 82 ـ 87؛ *طلعة المشتري*، 2 : 4 ـ 6؛ *المعسول*، 15 : 72.

**الناصري، علي** بن **يوسف** بن محمد الكبير بن مَحمد ابن ناصر، أبو الحسن الشيخ الناصري السابع. ولد بقصر

زاوية تامگروت سنة 1145 / 1733 . لا نعرف شيئا عن مستواه العلمي، غير أننا لا نستبعد أن يكون قد حاز نصيبا من التعليم، شأنه شأن باقي أبناء الناصريين يومئذ. لكن يبدو من قراءة سريعة لترجمته عند صاحب *المشتري* أنه لم يكن من بين الراسخين من أسلافه. فلما ترجمه، وهو لا يذخر جهدا في التنويه بمكانة الناصريين العلمية، لم يتعد الحديث عن كونه "جبلا راسخا في الحلم والأناة ولين الجانب والتودد إلى القريب والبعيد" ؛ ولم يذكر له أية منقبة في ميدان العلم. ولما تطرق إلى أعماله في الزاوية، ذكر أنه ولي شؤونها بعد وفاة والده، فمضى على أثر أسلافه. ونعتقد أن المترجم لو ضرب بسهم في ميدان العلم، أو قام برحلة لما تغاضى أحمد الناصري عن ذكر ذلك.

ومهما يكن من أمر فقد تعددت القرائن على أن معين العلم بتامگروت قد شهد بعض الفتور ؛ وهو أمر تواتر التحدث به فيما بعد. فهذا محمد بن عبد السلام، آت الترجمة، لم يتردد في نعت المترجم بالجهل، بالرغم من التحامل الذي نستشفه من حديثه عنه. وهذا ما يمكن قراءته في كتاب *"المزايا بما أحدث بأم الزوايا"* الذي صنفه ابن عبد السلام مشنعا فيه بعض "ما أحْدِثَ" بزاوية تامگروت من البدع، حيث عدد ستين "بدعة"، محملا ابن عمه المسؤولية في كل ذلك على أن عهد المترجم قد تميز :

- بتعدد حركات الشغب بوادي درعة، والتي كانت آيت عطة أبطالها ؛ وهو الأمر الذي جعل محمدا بن عبد السلام الرباطي، الملقب بالضعيف يتحدث عن توتر العلائق بين المخزن وزاوية تامگروت. فكان لذلك اتصال بالحملات التي وجهها كل من سيدي محمد بن عبد الله ومولاي سليمان إلى تلك الجهة لتأديب تلك القبائل المشاغبة.

- بالتقارب بين زاوية تامگروت والمخزن، حتى إن السلطان المولى سليمان قد تلقن *الورد الناصري* عن الشيخ علي بن يوسف. وأصبح محمد بن عبد السلام من المقربين من هذا السلطان ؛ بل إنه بعث به سفيرا عنه محملا بهدايا إلى المشرق. وفي السياق ذاته يمكن وضع العدد المتزايد من الظهائر التي توصلت بها الزاوية خلال ذلك العهد ؛ مما يدل على أن الناصريين قد تبوأوا مكانة مرموقة لدى المخزن.

- بالهدوء الذي نعمت به الزاوية الناصرية في ظل الشيخ علي بن يوسف إذ كان عاملا مفيدا لزيادة توسيع نفوذها في مختلف الجهات ؛ وهو الأمر الذي ترتب عنه البداية الفعلية لاحتجان الشيوخ للممتلكات وتكديس الثروة ؛ فاشتد التنافس على المشيخة.

- بالتراجع العلمي، بل والمعنوي عامة، إذ كان هو النتيجة التي طبعت ذلك العهد. ولعل لذلك صلة وثيقة بشغب قبائل الجهة، والتدخل المباشر للمخزن في شؤون الزاوية.

وعلى كل حال، فإن عهد الشيخ علي الناصري يعد نقطة تحول في سيرورة الزاوية الناصرية، بالرغم من أنها لم تفقد هيبتها، مثلما حدث في العهود اللاحقة.

توفي الشيخ علي بن يوسف الناصري سنة 1235 / 1819، كما ورد في مختلف المصادر التي ترجمته، باستثناء صاحب *الكناشة الناصرية* الذي جعلها سنة 1237 / 1821.

*كناشة تامگروت*، رقم 2629 ؛ الضعيف، *تاريخ*، 304 و310 ؛ *طلعة المشتري*، 2 : 133 و145 و153 ؛ *إتحاف أعلام الناس*، 4 : 239 ـ 241 ؛ *إعلام المراكشي*، 9 : 239 ؛ م. م. مخلوف، *شجرة النور*، 375.

M. Bodin, *La Zaouia*, 277 ; G. Drague, *Esquisse*, 191 et 208.

أحمد عمالك

**الناصري، مَحمد**، شيخ الطريقة الشاذلية الشهير، ورئيس الزاوية الناصرية بتمگروت. اسمه الكامل : أبو عبد الله مَحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمر بن عثمان. أصله من دادس، واستقر بدرعة في زاوية إغلان. ويرتفع نسبه إلى الصحابي المقداد بن عمرو الكندي.

كان مَحمد ابن ناصر صالحا مشهورا، وعالما متضلعا في التفسير والحديث والتصوف. سلك طريق القوم على يد الشيخ القطب عبد الله بن حسين التمگروتي. وأخذ العلوم الظاهرة عن علي بن يوسف الدرعي، ومحمد بن سعيد المراكشي الذي أجازه إجازة عامة، وأبي بكر السجتاني.

وتخرج على يد مَحمد ابن ناصر علماء كثيرون، من أشهرهم أبو علي الحسن اليوسي صاحب الدالية المعروفة في مدح الشيخ ابن ناصر، وأبو سالم العياشي، وعلي المراكشي، وعبد اللطيف الفيلالي.

حجَّ الشيخ ابن ناصر لأول مرة عام 1070 / 1659. فلقي أبا بكر السجتاني، ومحمد بن سليمان الروداني الذي سبق أن تتلمذ عليه في تمگروت طوال أربع سنوات، ومحمد بن أبي الفتوح التلمساني المعروف بالشيخ. ثم حجَّ للمرة الثانية بعد ست سنوات (1076 / 1665 ). فدرس في المشرق، وحضر مجالس أكابر علمائه. وإثر رجوعه من هذه الرحلة لم يغادر زاويته بتمگروت إلى أن وافته المنية في 16 صفر عام 1085 / 22 ماي 1674 ، بالغا من العمر الرابعة والسبعين. فتكون إذن ولادته حوالي عام 1011 / 1602 ـ 1603.

ترك ابن ناصر، زيادة على عدد من الرسائل والأجوبة، كتابا مهما في الأدعية، من نوع *دلائل الخيرات*، سماه *غنية العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب* ؛ ورتبه على حروف المعجم، وبناه على غرائب لغوية وصعوبة متزايدة لأجل تدريب القارئ على هذا العلم. وسيقلّد هذا الكتاب فيما بعد مؤلف من شيوخ الزاوية هو المعطي بن الصالح الشرقي.

وقد نظمت قصائد متعددة في تقريظ كتاب الشيخ ابن ناصر من طرف تلاميذه المشهورين، كأبي علي الحسن اليوسي، وأبي العباس الهشتوكي ؛ كما وضعت له شروح متعددة.

ألف ابن ناصر كتبا أخرى في الفقه، والحديث، والتصوف، منها نثراً :

1 ـ *كتاب المناسك*، وهو خلاصة ما يجب على الحاج أن يفعله في الأماكن المقدسة.

2 ـ *كتاب أذكار وأوراد في عمل اليوم والليلة*، جمعه ابنه عبد الله.

3 ـ *أحكام غسل الموتى.*

4 ـ *حاشية على الصحيحين*، كتبها على هامش نسخته من كتابي البخاري ومسلم، وخرجها ولده أحمد الذي خلفه في تسيير شؤون الزاوية.

ولم يضع مَحمد ابن ناصر مؤلفات بالمعنى الكامل، وإنما خلّف، كبعض نظرائه من العلماء وشيوخ التصوف، أجوبة جمعها بعض مريديه. ولم يكتب بيده إلا بضع رسائل جمعها ابنه أحمد بعنوان *إتحاف الخل المعاصر، برسائل الشيخ ابن ناصر*. وتشتمل على الفصول الخمسة التالية :

1 ـ رسائل إلى علماء وقته.

2 ـ رسائل إلى أخيه وأقربائه.

3 ـ رسائل إلى مريديه وأحبابه.

4 ـ رسائل إلى أمراء عصره.

5 ـ أجوبته.

ومنها نظما :

1 ـ مساعدة الإخوان، قصيدة رائية وضعها لزوجاته وبناته والمبتدئين من المريدين تضمنت فقه العبادات.

2 ـ الوسيلة، قصيدة لامية في التصوف.

3 ـ سيف النصر على كل ذي بغي ومكر، أرجوزة شهيرة تقرأ كل يوم جمعة في أغلب زوايا المغرب.

4 ـ أرجوزة ثانية المسماة الدعاء الناصري، مشهورة تقرأ كذلك في زوايا المغرب.

وكانت طريقته في التعليم تقتصر على تلقين العلوم الشرعيةبفهم المتن وبيان الشرح، تلك الطريقة التي فتحها من قبل ابن عرفة وسار عليها من بعد الحسن اليوسي.

وكما سبقت الإشارة، فقد نظم اليوسي الدالية المشهورة في مدح الشيخ ابن ناصر، كما مدحه شعراء آخرون من تلاميذه بقصائد مطوّلة منهم عبد الملك بن محمد التجموعتي لمّا رجع من حجته الثانية، وأحمد بن عبد القادر التستاوتي الذي رثاه بعد موته بمدة طويلة سنة 1116 / 1704.


محمد الطالب ابن الحاج، *رياض الورد إلى ما انتهى إليه هذا الجوهر الفرد*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم د 111 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1960 و1965، ج 1، ص. 137 و255 ؛ ج 2، ص. 381 ؛ محمد ابن ناصر، *الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم ك 265 ؛ محمد الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية* (1075 ـ 1311 / 1664 ـ 1894)، الدار البيضاء، 1977، ص. 63 ـ 66 ؛ عبد الله گنون، *النبوغ المغربي في الأدب العربي*، الطبعة الثانية، بيروت، 1961، ج 1، ص. 283.

M. Lakhdar, *La vie littéraire au Maroc sous la dynastie 'alawide (1075-1311/1664-1894)*, Editions Techniques Nord-Africaines, Rabat, 1971, p. 63-66 et passim. ; E. Lévi-Provençal, *Les historiens des Chorfa, Essai sur la littérature historique et biographique au Maroc du XVIe au XXe siècle*, Paris, E. Larose, 1922, p. 291 n. 4.


محمد الأخضر

**الناصري، مَحمد** (فتحا)، الملقب بالصغير ابن الشيخ الإمام مَحمد بن ناصر الجعفري الزينبي، ثم الدرعي، مؤسس الزاوية الناصرية بتامگروت، جنوب المغرب.

لم أقف على تاريخ ولادته، وأمه السيدة مريم تاحنينت. وكان شقيقا لأخويه محمد الكبير وعلي. وهؤلاء الثلاثة هم المعقبون من أولاد الشيخ الإمام مَحمد بن ناصر الجعفري الزينبي، ثم الدرعي.

أخذ عن والده المذكور، ونشأ في حجره وتحت رعايته، وعليه تخرج، وكان من الطراز الأول في الخير والصلاح ومتانة الدين ومحبة أهل العلم والفقراء والمساكين، مشهورا عند أهل عصره، فمن بعدهم، لزهده وورعه وتواضعه، على رفعته وسخائه وكرمه.

قال الشيخ محمد بن محمد بن عبد الحق الخليفي البوسعيبي في كتابه "*الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*"، أحمد بن ناصر " والحاصل أن هذا الشيخ آية باهرة في كل فنون الصلاح، ثابت الولاية. كان إماما عالما عاملا وزاهداً، عديم النظير في الكرم والسخاء والفضل".

حج في سنة 1096 / 1684 صحبة أخيه الشيخ الإمام أحمد بن ناصر، وعاد من حجته، فقام بعمارة زاوية البركة، وانقطع بها لله تعالى، في حالتي السكون والحركة، وغشيه الزوار من سائر الأقطار.

جاء في " *طلعة المشتري في النسب الجعفري*" للشيخ أحمد بن خالد الناصري، أن وفاة الشيخ مَحمد الصغير كانت سحر ليلة الثلاثاء 23 رجب الفرد، سنة 1120.

ودفن بروضة الأشياخ، تقبله الله بقبول حسن، ورضي عنه.

وجاء في "*الدرة الجليلة*" : أن قبره عن يمين الداخل، بالركن الموالي لناحية باب الزاوية، معروف، مشهور هنالك، عليه دربوز جيد، وغطاء رفيع.

**الناصري، مَحمد** (فتحا) بن **أحمد** بن خالد الناصري السلاوي، من بيت عريق في العلم والصلاح، يتصل نسبه بالشيخ الإمام القطب مَحمد (فتحا) بن ناصر الجعفري الزينبي، ثم الدرعي، مؤسس الزاوية الناصرية بتامگروت، جنوب المغرب.

ولد بسلا يوم الإثنين 19 رجب عام 1313، الموافق 6 يناير سنة 1896، تربى تحت رعاية أخيه الأكبر العلامة مُحمد العربي الناصري، فأخذ، وهو لايزال في سن الطفولة، كتاب الله عن أشهر الشيوخ المقرئين بسلا : أحمد التيال المتوفى عام 1317 / 1900 ؛ محمد حسيسو المتوفى عام 1324 /

1907 ؛ شيخ القراء بالعدوتين محمد بن عبد الله بريطل المتوفى عام 1334 / 1916، وعنه أخذ أحكام الرسم والتجويد والقراءات السبع، وتابع بعد ذلك أخذ القراءات عن الشيخ جلول الكفتي العنتري، إمام الزاوية القادرية بثغر الصويرة الذي انتقل إليه مع أخيه محمد العربي. وبعد رجوعه إلى مسقط رأسه بسلا أتم دراسة القراءات على الشيخين : محمد بوشعرة السلاوي المتوفى عام 1361 / 1943 وعبد السلام السهلي المتوفى عام 1362 / 1943. وخلال هذه المدة، حفظ المتون العلمية المختلفة حفظا متقنا، ودواوين فحول الشعراء، مما هو من أصول اللغة العربية.

ثم تفرغ بعد ذلك لأخذ العلم بمعناه الأوسع، فسلك في تعلمه تحصيل الثقافتين العربية والإسلامية التقليدية الأصيلة والثقافة الفرنسية العصرية، وأحرز في كلتيهما نصيبا موفورا، وأتى البيوت من أبوابها، وتوفق في دخول المدارس الفرنسية بالمغرب، والتنقل بنجاح في أطوار التعليم بها، من ابتدائية إلى ثانوية إلى عليا. وبعد الحصول على الشهادات النهائية بمعهد الدراسات العليا بالرباط تخصص في علم الحقوق، واكتتب في كلية بوردو (Bordeaux)، وحصل على الشهادة منها، وكان من أول المغاربة الذين أحرزوها. كما أقبل على تعاطي الترجمة على عدة أساتذة إخصائيين، فنجح فيها، ونال شهادة البروفي (Brevet) والديبلوم (Diplôme) فيها، ثم ولى وجهه نحو الفلسفة الحديثة فأخذ منها بحظ وافر.

أما العربية والعلوم الإسلامية فأخذها عن : أخيه الأكبر العلامة محمد العربي المتوفى عام 1362 / 1943 والعلامة الطيب بن المدني الناصري، من أبناء عمومته، المتوفى عام 1359 / 1940 ، وشيخ الجماعة بسلا، العلامة أحمد الجريري، المتوفى عام 1354 / 1935 وقاضي سلا، العلامة علي بن محمد عواد المتوفى عام 1354 / 1935 ، والعلامة المحدث شعيب بن عبد الرحمن الدكالي المتوفى عام 1356 / 1937، لازمه إلى وفاته، وهو من عمده، وأجازه بخط يده تلقائيا، وبدون سابق رغبة.

ومن جملة ما درس عليه معلقات الشعراء الست والمعاني والبيان والبديع واصطلاح الحديث والأصول، ومختصر خليل. على أن أكثر دراسته كانت على يد العلامة النفاعة أحمد ابن عبد النبي، المتوفى عام 1392 / 1972. فقد لازم دروسه صحبة أخيه جعفر، زهاء عشرين سنة، سواء بالمسجد الأعظم بسلا أو غيره. حضر عنده في أمهات اللغة وقواعدها، والفقه وأصوله، والحديث ومصطلحه، والمنطق وأدب البحث والمناظرة، وأجازه إجازة عامة بخط يده.

يضاف إلى هؤلاء الأعلام الذين لازم دروسهم شخصيتان بارزتان في العلم والرياسة، كان لهما أثر في ترسيخ ملكته وترويج معلوماته في العلوم الشرعية، جمعته وإياهما الخدمة المخزنية مدة مديدة لم تخل أيامها من مذاكرات مفيدة، وحل مشاكل قضائية، وإدارية، وتحقيق مسائل عويصة تستدعي البحث والمناظرة والمطالعة والمراجعة، وهما : العلامة محمد الرندة الرباطي والعلامة الشريف محمد ابن العربي العلوي الفاسي.

كشقيقه جعفر، انتحل مَحمد الناصري الشعر أيام الشبيبة، وجرى على لسانه، ارتجالا وروية شعر كثير، في أغراض شتى، إلا أنه لم يكن له اعتناء بجمعه وتدوينه، فاختلسته يد الضياع، والباقي منه أثبته في ديوان مع شعر أخيه جعفر.

وكان يحتذي في قوله الشعراء الفحول المثاليين، ممن ترجم لهم أبو الفرج الإصبهاني في "*كتاب الأغاني*"، والثعالبي في "*اليتيمة*"، وكان هجيراه "*قلائد*" الفتح و"*نفح*" المقري، فتأثر بأشعار الأندلسيين والعراقيين، لكنه لم يخطر بباله قط التخصص بالقريض والطموح إلى الوصف بالشاعر. وكان هذا الشعر، إلا ما شذ، يمتاز بالسلاسة والانطباع، وقد نشر البعض منه في الصحف والمجلات، كمجلة *المغرب* التي كانت تعتني بنشر نبذ من الإخوانيات والمطارحات والألغاز التي كان سوقها نافقا بين أدباء العدوتين المشاهير، وكان الأخوان الناصريان جعفر ومَحمد من المساهمين في تلك الحركة الأدبية التي تردد صداها في أنحاء المغرب بأسره.

اشتمل إنتاج مَحمد الناصري الفكري على عدة بحوث ومقالات بالعربية والفرنسية وعلى ما لا يقل عن عشر مؤلفات بالعربية بين كبير ومتوسط وصغير، منها :

- بالعربية : "*تصحيح الصفحة الأولى من تاريخ المغرب الكبير*" في 13 جزءا، "*بين المغرب وخراسان*" حول سابق البربري الشاعر، المحدث الشهير، وسابق المطماطي نسّابة البربر. وهذا المؤلّف حوى مباحث نفيسة في كيفية تطبيق قواعد النقد القديم والحديث في الدراسات الأدبية والتاريخية، في 6 مجلدات ؛ "*تاريخ المواسم والأعياد الإسلامية*" في سفر واحد. "*الخطط الشرعية الست*"، حدوثها وأطوارها بالأندلس والمغارب الثلاثة المغرب والجزائر وتونس، في سفر واحد ؛ "*حق الالتجاء واستجارة العصاة والمحكوم عليهم بأضرحة الأولياء*" في سفر واحد.
- أطروحة موضوعها : *الشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي* ، شعره وحياته ومحنته وعلاقته بالمناذرة، ملوك الحيرة بالعراق وبأكاسرة الفرس بالمدائن.
- دراسة منهجية علمية في ترجمة أبي عبد الله مَحمد بن أحمد بن عيسى التاملي الصنهاجي أحد أعيان الدولة السعدية.

امتاز مَحمد الناصري بشخصية قوية وبحدة الذهن واتساع الاطلاع في الثقافتين العربية والفرنسية مع سجية في تحرير النثر الفائق وقول الشعر الرقيق، مما جعله يحظى بإعجاب وتقدير الكثير من المثقفين من أبناء عصره.

توفي في 26 ذي القعدة عام 1397 الموافق 9 نونبر عام 1977، ودفن بزاوية أجداده بسلا.

أحمد الناصري

**الناصري، محمد** بن أبي **بكر** بن علي بن يوسف بن محمد الكبير بن مَحمد ابن ناصر الدرعي، أبو محمد شيخ الزاوية الناصرية التاسع. ولي شؤون زاوية تامگروت بعد وفاة والده، سنة 1281 / 1864 فنسج على منوال "أسلافه في تعمير الأوقات بالذكر وسرد الحديث...". كان والده يستنيبه في مهمات الزاوية، ولا سيما ما اتصل بتفقد الزوايا الفروع في سوس ومراكش. وقد أشار العباس بن إبراهيم لذلك قائلا : "دخل مراكش مرات، فكان ينزل بزاويتهم قرب سيدي أحمد السوسي".

لكن أبرز ما ميز عهده هو معارضة بعض أقاربه لمشيخته، وقد آل الأمر إلى تدخل المخزن لحسم شأفة الخلاف، وفي هذا السياق منح السلطان محمد بن عبد الرحمن للشيخ ظهيرا يزكي مشيخته (رسالة من الأمير مولاي الحسن إلى الشيخ الناصري بتاريخ 24 رجب 1288). كما أجبر معارضيه على الانقياد بعد أن أمرهم بالصلح، في حين أرغم مقدمي فروع الزاوية على تسليم ما ينوب تامگروت من مستفاداتها.

ومهما يكن من أمر، فإن عدة قرائن تدل على أن زاوية تامگروت، في عهد المترجم، فقدت قسطا غير يسير من هيبتها، حتى إن آيت عطّا لم يترددوا في النزول عليها، فجاسوا خلال الديار، ونهبوا الأموال، وشتتوا الكتب. واستمر الحال على ذلك المنوال.

توفي يوم الأربعاء 18 ربيع الأول سنة 1304 / 1886، بزاوية أدوار من رأس الواد، بالقطر السوسي. فنقل جثمانه ليدفن بتامگروت.

*وثائق الخزانة الحسنية* ؛ *وثائق زاوية تامگروت* ؛ خالد الناصري، *طلعة المشتري* ؛ المراكشي، *الإعلام*.

G. Drague, *Esquisse*...

**الناصري، محمد التهامي** بن **أحمد** بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن محمد الكبير بن مَحمد ابن ناصر الدرعي، قاضي ورزازات. جاء في مذكراته أنه ولد بفاس عام 1307 / 1890، وبعد أن حفظ القرآن الكريم اعتكف "على دراسة العلوم الإسلامية حتى حصل ما قدر له منها دراية ورواية". لكن يظهر أن ما حصله بفاس لم يشف غليله، فارتحل مواصلا طلبه. ذكر الأستاذ الحسين وگاگ أن المترجم كان من بين من تخرجوا من مدرسة مزوضة ؛ وهي أحد فروع زاوية تمگيدشت الناصرية. وقد وقفنا على رسائل وجهت إليه من قبل والده على أنه كان أثيرا لديه على باقي إخوته، الأمر الذي حذا به إلى تعيينه نائبا عنه بزاوية مراكش، الكائنة بعنق الجمل، حيث نزل بـ "رياضها" حتى سنة 1924. وقد امتد به الاستقرار هناك إلى سنة 1933 ؛ حيث اشتغل يومئذ بالتدريس بابن يوسف بمراكش. لكنه لاقى مضايقات من لدن سلطات الحماية، فأقدمت على فصله من التدريس، بسبب اتصاله بالحركة الوطنية الناشئة. حيث دعم الوطنيين المراكشيين ماديا ومعنويا. ولعله لهذا السبب تم الضغط عليه لمغادرة مدينة مراكش.

ومنها ارتحل إلى الرباط، حيث قضى حوالي ستة أشهر، تصدر أثناءها لإمامة المسجد الجامع بحي العكاري. بعد ذلك تم تعيينه قاضيا على ورزازات، إبعادا له عن الحركة الوطنية الناشئة ؛ حيث تسلم وظيفته في 22 ربيع الثاني سنة 1325 / 1933. وعلى الرغم من ذلك فقد واصل دعمه للحركة الوطنية، مسخرا في ذلك مختلف الإمكانات التي توافرت لديه، ومستغلا موقعه كموظف سام.

ويبدو أن مسؤولي ذلك الوقت قد اقتنعوا بكفاءته، فعمدوا إلى تمديد "إيالته" لتشمل الجهة كلها سنة 1941. فظل المترجم يمارس خطة القضاء حتى سنة 1957، حيث تم إعفاؤه "إعفاء رضى وكرامة لأمر يقتضيه". وكانت تلك فرصة اهتبلها للعكوف على الدرس والتدريس. فتصدر لدروس الوعظ بمسجد دوار جراوة بمراكش، قبل أن يرجع سنة 1968، إلى مهد أجداده ليضطلع بتدريس مادتي الفقه والتوحيد بمعهد تامگروت.

وقد شهد له بالرسوخ في مضمار العلم بعض أعيان علماء المغرب، وعلى رأسهم الشيخ شعيب الدكالي. ومما جاء في مذكراته أن تحت يده مجموعة من المراسلات السلطانية التي تؤكد إخلاصه للوطن والعرش. ومن ثم، لم يكن من الغريب أن ينال وسام العرش من الدرجة الرابعة، ولم تأته شهادة التعديل القضائي بإمضاء قضاة مراكش صدفة. وشهد له بالاستقامة في تناول أقضيته الشرعية طوال خدمته. وتواتر عنه أنه كان حريصا على ضبط أوقاته، سواء في عمله، أو راحته.

ومما ذكر أنه نال شهادة العضوية في جمعية أحباس الحرمين الشريفين ؛ وأن له رحلة إلى الحجاز سنة 1974، أدى خلالها فريضة الحج.

ومن مكرماته أنه هيأ كتاب "الفلاحة" لأبي خير الأندلسي، ونشره على نفقته الخاصة سنة 1357 / 1938. ويذكر سليمان الجعفري أن المترجم وضع تصنيفا بعنوان : "الدلو المحبوب في أخبار أهل الجنوب"، مستفيدا من معرفته للجهة الجنوبية التي تنقل بين أرجائها طوال مدة تقلده منصب القضاء، وتضلعه العلمي من خلال ما توافر له من مستندات متنوعة. والمتحدث عنده الخبر اليقين، لأنه أشار إلى أن المصنَّف تم رقنه في عدة نسخ، فيما بين 1971 و1972، حيث كان المؤلف قد عقد العزم على نشره، لولا أن المنية اخترمته في 17 يناير 1973.

م. التهامي الناصري، مذكرات ؛ وثائق الأسرة الناصرية ؛ أحمد الناصري، *طلعة المشتري*، ح. وگاگ، *دور الحديث في العالم الإسلامي* ؛ س. الجعفري، *أين اختفى*، مخطوط، *الدلو المحبوب*، جريدة "تلواح"، *رواية شفوية*.

أحمد عمالك

**الناصري، محمد** بن **الطيب** السلوي، من أسرة سلوية عريقة، التحق بالكتاب وهو في الخامسة من عمره وحفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز الثامنة، وبتكليف من والده ـ وهو في هذه السن المبكر ـ أمّ بالناس في صلاة التراويح في شهر رمضان.

ولنبوغه وتفوقه، وهو في السابعة عشرة من عمره، دعاه الوالد ـ بعد مرض ألم به ـ إلى أن ينوب عنه في إلقاء خطبة الجمعة بمسجد سيدي أحمد حجي بسلا، وكان لذلك وقع طيب عند المصلين لما لمسوا عنده من الفصاحة والبيان والقدرة على التبليغ وحسن الأداء، وكان التوفيق الذي حالفه مصدر اعتزاز الوالد والأسرة.

كان الناصري شغوفا بالقراءة، أكبّ على قراءة كتب الفقه والتفسير والنحو، فحفظ *الأجرومية وألفية ابن مالك*، وغيرهما، وواظب على حضور دروس شيخ الجماعة بالمسجد الأعظم بسلا العلامة أحمد ابن عبد النبي في الفقه والتفسير والسيرة النبوية.

التحق بجامعة القرويين بفاس لتحقيق حلم والده كي يصبح واحدا من علماء مدينته سلا، وقضى بها سنوات طالبا مجدا وناجحا، ومشاركا في الأنشطة الحزبية المختلفة التي تعمل على توعية المواطنين وعلى الدعوة إلى محاربة الاستعمار بكل الوسائل، وإثر أحداث 1944 بفاس سافر محمد الناصري إلى سلا إلى أن تهدأ الأحوال، ويعود إلى جامعته، لكن ألقي عليه القبض في بيت أسرته، وأخذ سجينا إلى دار الباشا بفاس، ومكث مع زملائه من الطلبة وأساتذة الجامعة في السجن بفاس خمسة وثلاثين يوما، أجبر بعدها على الإقامة الجبرية عدة شهور ببيت العائلة بسلا.

وعلى الرغم من الظروف السياسية الصعبة، وهو يتابع دراسته بجامعة القرويين، فقد كان يغتنم فرصة العطلة الصيفية ليعودإلى مسقط رأسه سلا، ويشارك في إلقاء دروس في اللغة العربية بمدرسة النهضة للتلاميذ السلاويين الذين كانوا يتابعون دراساتهم بالديار الفرنسية، مشاركا في خدمة وطنه وخدمة لغته العربية.

غير أن فكرة الانقطاع عن الدراسة في السنتين الأخيرتين للحصول على شهادة العالمية، ألحت عليه للتفكير في السفر إلى القاهرة للدراسة والتحصيل، خاصة وهو ينظر في الكتب والمؤلفات الشرقية التي كانت تصل إلى المغرب في الأدب والنقد، ويستمتع بقراءة الدوريات المصرية التي كانت مدرسة لكثير من الطلبة المغاربة في فاس وسلا وتطوان، غير أن ظروفه المادية لم تسمح له بذلك، مما دعاه إلى الانتساب إلى سلك التعليم لتوفير بعض المال وتحقيق الحلم، فعمل بإحدى المدارس الحرة بمدينة سيدي قاسم زهاء ثلاث سنوات، وخلالها كان مكلفا بقراءة نشرات حزب الاستقلال في التوعية والتنديد بالمستعمر.

ويتطلع الناصري لمتابعة دراسته بالقاهرة، ويحلّ بها عن طريق باريس، لينتسب إلى كلية دار العلوم طالبا في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ويحظى بمنحة الأزهر الشريف وقيمتها آنذاك ثلاثة جنيهات، ويسكن بدار الطلبة خلال فترة الدراسة ومدتها أربع سنوات.

وبعد التخرج، وحصوله على دبلوم كلية دار العلوم سنة 1955 ، يقرر السفر إلى المملكة العربية السعودية للعمل في مجال التدريس إلى أن يستقل المغرب ويتمكن من العودة إليه من جهة، ولمساعدة شقيقه ماديا وكان قد التحق بالقاهرة للدرس والتحصيل في تلك الفترة من جهة ثانية.

وبعد استقلال المغرب، يتوجه الأستاذ الناصري إلى باريس لمتابعة دراسته العليا، لكنه يعود إلى وطنه سنة 1959، ليلتحق بوزارة الشؤون الخارجية.

كما أنه بعد الاستقلال، عمل أستاذا بثانوية النهضة، وألقى ضمن أنشطتها المدرسية ـ وإن في فترة قصيرة ـ محاضرات حول الفكر الإسلامي في الفترة الممتدة بين 1961 ـ 1962.

وفي سنة 1961 ، عيّن الأستاذ الناصري قائما بالأعمال في سفارة المغرب بالخرطوم مدة سبعة أشهر، ثم مستشارا بسفارة المغرب بالقاهرة، مكلفا بالعلاقة مع جامعة الدول العربية.

وفي سنة 1968 ، يشغل منصب مدير الشؤون العربية بوزارة الخارجية، ثم سفيرا للمغرب في بلاد الرافدين (العراق) سنة 1971 ، خلال ثلاث سنوات، ثم سفيرا مقيما في المملكة العربية السعودية، وسفيرا غير مقيم في اليمن والصومال، ومندوب المغرب لدى منظمة المؤتمر الإسلامي إلى غاية 1982 ، ثم عين بعدها سفيرا مقيما في الكويت إلى غاية سنة 1987، وغير مقيم في البحرين.

بعد قضاء سبع عشرة سنة سفيرا للمغرب في ست دول عربية، يلتحق بالمغرب ليعين بظهير شريف سفيرا مقيما بوزارة الخارجية، ومديرا عاما للشؤون العربية والإسلامية.

كانت حياة محمد الناصري حافلة بالعطاء في المجال الدبلوماسي، فقد مثل المغرب في كثير من اللقاءات السياسية والمؤتمرات العربية والإسلامية المنعقدة في المغرب أو خارجه، ومشاركا فعالا في لجانها المختلفة، كما كان يحظى بسمعة طيبة في الأوساط السياسية والدبلوماسية، ممثلا بلده أحسن تمثيل.

أما في المجال الأدبي، فتضم ملفاته العديد من الكتابات، منها قصائد شعرية، فقد كان "قلمه فياضا وأسلوبه رفيعا" كما وصفه شقيقه الأستاذ بناصر الناصري، ومن قصيدته في رثاء شيخ الجماعة بسلا الفقيه أحمد بن عبد النبي سنة 1972، قوله :

| | |
|---|---|
| المصاب الجسيم هدّ كياني | وعراني من هوله ما دهاني |
| ..تلك مأساتنا التي رجتٌ النف | ـس بنعي يشّل كل لسان |
| كان فينا نبراس علم ودين | كان ملء الأبصار والآذان |

توفي يوم 28 يناير 1989، إثر وعكة صحية ألمت به وهو يشارك في أحد اجتماعات الجامعة العربية في تونس، نقل بعدها إلى أحد مستشفيات باريس، لكن قضاء الله لا مرد له، وقد تركت وفاته حزنا عميقا في جميع الأوساط، لما كان يتحلى به من الخلق الرفيع والطبع الرقيق مع الجميع.

معلومات أسرية، وسيرة ذاتية كتبها شقيقه الأستاذ السفير بناصر الناصري.

نجاة المريني

**الناصري، محمد** بن **عبد السلام** بن عبد الله بن محمد الكبير ابن الشيخ مَحمد بن ناصر الدرعي ؛ خاتمة الحفاظ بالديار المغربية. قال فيه أحمد بن خالد الناصري : "كان علامة أديبا فقيها محدثا، حافظا فاضلا، لم يأت بعد الشيخين في آل ناصر من هو أعلم منه". ولد بزاوية تامگروت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18). وبالرغم من أننا لا نعرف أي شيء عن مراحل طلبه الأولى، فإننا نرجح أنه درس بالزاوية الناصرية، على غرار باقي الناصريين ؛ قبل أن يشد الرحال إلى فاس، التي ذكر أنه نزل بها في سنوات السبعين. فأخذ بها عن مشاهير شيوخها، مثل جسوس والتاودي ابن سودة وبناني، والحافظ إدريس العراقي الذي يعد عمدته في الحديث، وأحمد الشرايبي. وقد أجازوه إجازات طويلة. كما أجازه محمد بن أبي القاسم السجلماسي، شارح *العمل الفاسي* وناظمه... وللمترجم رحلتان إلى المشرق : الأولى عن حجة سنة 1196، وهي الكبرى، وقد أتمها سنة 1199، والثانية عن حجة سنة 1211، وهي الصغرى. والتقى هنالك جماعة من العلماء، أخذ عنهم وأخذوا عنه. منهم مرتضى الزبيدي، صاحب تاج العروس، اجتمع به في حجته الأولى وأجازه. وقد وقفنا على رسالة بعث بها مرتضى إلى المترجم يخاطبه فيها ب"شيخنا وقدوتنا"، ويتودد إليه. وقد أدرج في *رحلته الكبرى* إجازة الشيخ مرتضى ؛ وهي إجازة طويلة، يفيد منها القارئ سعة اطلاعه وطول باعه، ولاسيما في ميادين الحديث والفقه والأدب. ومنهم أحمد بن محمد الدردير، شارح *المختصر* ؛ ومحمد بن علي الصبان، شارح الخلاصة ؛ ومَحمد بن مَحمد الأمير، صاحب المجموع وغيره... ويذكر أحمد الناصري أن "كل هؤلاء أجازه، وإجازاتهم مثبتة في كناشة وقفت عليها بخطوطهم".

وكان المترجم شغوفا بالكتب كدأب شيوخ الناصريين الأوائل. وقد عثر، في أثناء رحلته الثانية، وهو بطرابلس، لما كان مغربا، على كتب نفيسة منها مجلدان من كمال عبد الغني المقدسي، ونسخة من *صحيح البخاري* بخط الصدفي، كتبت عليها سماعات علماء أجلاء مثل القاضي عياض فمن دونه إلى ابن حجر. وفي أولها كتابة لابن جماعة الكناني، والحافظ الدمياطي، وابن العطار والسخاوي. وتلك النسخة هي التي بنى عليها ابن حجر شرحه المشهور شرقا ومغربا. ويذكر المترجم في *الرحلة* أنه "بذل لصاحبها صرة ذهب فأبى من بيعها، وبقي ضائعا في ذلك القطر". ولم يتوقف عند هذا الحد، بل أبلغ خبر ذلك الكتاب للسلطان المولى سليمان، الذي بادر بإرسال مبلغ سني من المال قصد شرائه. لكنه لم يظفر به، بسبب عوارض لا جدوى من ذكرها. ومما يذكر في السياق ذاته، أن صاحب الترجمة لم يكتف بالإطلاع على الكتب والخزانات، في مختلف المراحل التي كان ينزل بها ؛ بل لقد حاول اقتناء كثير من الكتب، كما فعل حين دخل البلاد التونسية. فقد استنسخ له مصطفى بن قاسم المصري، كاتب الباي التونسي ؛ ابن الشاط على فروق القرافي، والوانوغي على *المدونة*، وزروق على *البخاري* وغيرها مما يطول ذكره. ومن الخزانات التي نوه بها خزانة الشيخ مرتضى الزبيدي، وخزانة مصطفى خوجة التونسي.

وكانت للمترجم حظوة عند السلطان المذكور، كلما اجتمع به في مراكش وفاس. وكان يكلفه بمهمة حمل الهدية إلى الحرمين الشريفين، ويرسل معه أموالا جزيلة لتفريقها على العلماء، في مصر والحجاز.

توفي ليلة السبت 12 صفر سنة 1139 / 1823. وله تآليف كثيرة، نعرف منها "*المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا*"، و"*الرحلة الحجازية الكبرى*"، و"*الرحلة الحجازية الصغرى*"، و" *شرح للأربعين الجوهرية*"، و"*أجوبة نوازل*"، و"*نظم في موجبات الفقر والهم*"، و"*مجموعات إجازات*"، ويذكر ابن زيدان "*فهرسة*"...

أحمد الناصري، *طلعة المشتري* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*؛ ع. المراكشي، *الإعلام* ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ ع. ابن سودة، *دليل* ؛ *إتحاف المطالع* ؛ م. المنوني، *المصادر* ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*.

أحمد عمالك

**الناصري، محمد العربي**، الابن الأكبر لأحمد بن خالد الناصري السلاوي، يتصل نسبه بالشيخ الإمام القطب محمد (فتحا) بن ناصر الجعفري الزينبي، ثم الدرعي، مؤسس الزاوية الناصرية بتامگروت، في جنوب المغرب. ولد بمدينة سلا يوم الإثنين 17 ربيع الأول النبوي عام 1294، الموافق 2 أبريل سنة 1877. نشأ في كنف والده يرعاه برعايته، ويختصه بمزيد عنايته إلى أن شبّ في عفاف وصيانة وحسن تربية وديانة، فقرأ كتاب الله عز وجل على عدة شيوخ، منهم بسلا، أبو العباس التيال، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بريطل، أخذ عليه قراءة السبع، وبفاس إدريس الصنهاجي. أما العلوم اللسانية والعقلية والنقلية، فقد تخرج فيها على والده، وهو عمدته وكنزه وذخيرته، وفي الحقيقة هو وارث سره في علمه وهديه وأدبه وأخلاقه.

وبعد وفاته، أخذ عن جماعة من كبار علماء عصره، وأفذاذ نبغاء عصره، منهم العلامة القاضي أبو محمد عبد الله بن خضراء، والعلامة الزاهد أبو العباس أحمد الجريري، والعلامة أبو العباس أحمد بن أبي بكر عواد، وخلال رحلته الحجازية لقي جماعة وافرة من العلماء المشاهير بمصر والشام والحجاز، منهم الشيخ بخيت والشيخ سليم البشري بمصر، وبمكة الشيخ أبو شعيب الدكالي، صديقه ورفيقه في الخدمة المخزنية بعد ذلك، وغيرهم، مما يطول ذكره.

ولما قدم الشيخ أبو شعيب الدكالي المذكور إلى المغرب وتولى الوزارة قرأ عليه الكتب الست كلها، وغيرها بمجلس جلالة السلطان المرحوم مولاي يوسف قراءة تحقيق، وكان هو السارد لها، بتلك المجالس العلمية.

ثم تصدى بعد ذلك لنشر العلم بالتدريس والفتوى، فدرس عدة متون، وقرأ كثيرا من الفنون نحوا وفقها ومنطقا وأدبا وسيرة وغير ذلك، وانتفع به الجم الغفير من طلبة وقته.

وقد خلّف كتابات في موضوعات شتى، فمنها :

مجموعة رسائل ومحررات أدبية ولغوية وتاريخية وفقهية وتنظيمات إدارية مع ما يطابقها من النصوص الشرعية الإسلامية كانت تعرض عليه أو يسأل عنها، عند تأسيس وزارتي العدلية والأحباس.

ومنها كتابات مفيدة وتعليقات جليلة على كتاب "*الاكتفاء*" لأبي الربيع الكلاعي، قيدها لما كان منكبا على تدريسه بالمسجد الأعظم بمدينة سلا.

ومنها : تاريخ في الفقه الإسلامي ومذهب مالك وتطوره منذ نشأته إلى اليوم، ثم لخّصه وألقاه محاضرة في المجمع العلمي السنوي الذي كان ينعقد بالمعهد العلمي بالرباط ؛

ومنها : مجموعة فتاويه الفقهية، وهي مجموعة قيمة اشتملت على تحقيقات ونفائس في نوازل مختلفة.

تنقل صاحب الترجمة في عدة أقطار، وزار كثيرا من الممالك والأمصار، فازداد بذلك علما وحنكة وتجربة واطلاعا على أحوال الأمم والدول وأخلاقها وعوائدها، فاتسع بذلك فكره، وسمت مداركه، وكان أول رحلاته حج بيت الله الحرام وزيارة النبي، عليه الصلاة والسلام، وزار مصر والشام، ثم بعد ذلك ساح بفرنسا وإسبانيا وإيطاليا وانكلترا وبلجيكا وسويسرة وتونس والجزائر، وغيرها من أقطار الشمال الإفريقي الذي كان يعرفه معرفة كافية شافية.

كما تقلب في عدة وظائف قبل الحماية المفروضة على المغرب، وهي : الوعظ والتدريس بسلا، ثم خطة العدالة، ثم الفتوى، ثم الحضور بالمجالس الاستشارية القضائية لدى قضاة العدوتين والتحكيم في النوازل المهمة من لدن السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، وخلال هذه المدة عُين مدرسا من الدرجة الأولى.

وبعد ذلك تولى الخدمة في المراسي المغربية، فعين أولا بديوانة طنجة عام 1322 / 1904 ، ثم بديوانة أسفي عام 1324 / 1906 ، ثم بديوانة الصويرة عام 1326 / 1908، ثم رجع لديوانة أسفي، واستمر بها إلى مابعد الحماية وفي عهد السلطان المولى يوسف أسندت إليه وظيفة النيابة بوزارة العدلية، وفي سنة 1349 / 1931 أسند إليه جلالة السلطان سيدي محمد ابن يوسف رياسة المحكمة العليا بالأعتاب الشريفة، فسير شؤونها على منهاج الاستقامة، وسلك فيها مسلك الجد والصرامة.

كان محمد العربي ممدّحا مقصودا من أدباء عصره، وعيون شعراء قطره، يعبرون له في منشورهم ومنظومهم عمّا تكنّه له صدورهم من المكانة والاعتبار، وما تضمره له ضمائرهم من الحرمة والوقار، لما خص به من الخصائص الواضحة، الدالة على النبل وكرم الشيم والأخلاق الحميدة، والسيرة المستقيمة الرشيدة، ولأن الله وضع له القبول عند الخلق.

توفي ليلة الخميس 4 ربيع الأول عام 1362، المرافق 11 مارس سنة 1943، ودفن بزاوية أجداده بمسقط رأسه.

أحمد الناصري

**الناصري، محمد** بن **مَحمد** ابن ناصر، أبو عبد الله المدعو الكبير لأنه أكبر بني أبيه، أبو شيوخ الناصريين ؛ حيث ولي المشيخة من أبنائه كل من عبد الله وموسى ويوسف، واستمرت في أحفاده حتى الآن. ولد بتامگروت سنة 1046 / 1637، وبها أخذ عن والده الشيخ مَحمد ابن ناصر. ثم رحل إلى فاس، فأخذ بها عن جماعة من علمائها، من أشهرهم أبو الحسن المراكشي، وأبو علي اليوسي، وأبو الحسن الدادسي، واستجاز عصريّه أبا عبد الله محمدا بن الفقيه الروداني صاحب *الأسانيد العالية*. لكل ذلك اتفق كل من ترجموه على اطلاعه الواسع، لا سيما في *الفرائض والحساب والتوقيت* . وكانت له معرفة *بعلم الجدول*، واطلاع على أسراره، لو لا أن ثناه عنه والده الشيخ.

وقد حصلت بينه وبين أخيه الشيخ أحمد الخليفة "منافرة" على إثر وفاة والدهما (1085 / 1674)، ولذلك صلة بمشيخة الزاوية ؛ الأمر الذي اضطره إلى الارتحال إلى بلاد زايان، حيث أسس زاوية تامسكرت. ولما كثر أتباعه ومريدوه استقدمه السلطان المولى إسماعيل إلى قصره بمكناس، ربما لاختباره. ومن خلال الحادثة التي ذكرها صاحب *الدرة الجليلة* ، في سياق الكرامة، تبينا أن ذلك الاختيار كان مصحوبا بالضغط على صاحب الترجمة. وقد حاولنا إيجاد الصلة بين ذلك الضغط وبين استقرار محمد الكبير في مجال صنهاجة الأطلس الذين كانوا يشكلون يومئذ أحد أكبر مشاغل ذلك السلطان.

هذا فضلا عن أن علاقة المترجم بأحد حفدة الدلاء لم تكن لتخفى عن المخزن، لا سيما وأن ثورة أحمد بن عبد الله الدلائي لم يكن النسيان قد عفى عليها. لكل ذلك، فإما أن

السلطان كان يسعى إلى تذكير الناصري بلزوم موقف معين، وإما أنه حاول استمالته لخدمة أغراضه السياسية في تلك الجهة.

توفي محمد الكبير الناصري يوم الإثنين 29 صفر سنة 1126 / 1714 ، ودفن بزاويته بتامسكرت. وبالرغم عن إشادة أصحاب التراجم والمناقب بعلمه، فإنه لم يخلف مؤلفات معروفة، وإنما ذكروا له بعض الفوائد.

ابن ناصر، *الرسائل* ؛ م المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ باب من اسمه محمد، *الدرة الجليلة*، ص. 72 ـ 80 ؛ *طلعة المشتري*، 2 : 42 ؛ أبو القاسم الزياني، *البستان الظريف* ؛ أحمد عمالك، تامسكرت، *معلمة المغرب*، 2180.

De la Chapelle, My Ismail et les berbères Sanhaja du Maroc Central, *Archives Marocaines, XXVIII, 1931* ; *Repértoire alphabétique*.

أحمد عمالك

**الناصري، محمد المكي** من مواليد مدينة الرباط، سنة 1906 ، وأحد علماء المغرب العاملين، ينتمي إلى أسرة علم وفضل، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمسقط رأسه بالرباط على يد أشهر شيوخ الفترة أبي شعيب الدكالي والمدني بن الحسني وشقيقه محمد بن اليمني الناصري.

التحق بقسم الفلسفة وعلم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم بكلية آداب جامعة باريس، ثم بكلية الحقوق بجامعة جنيف ليتخصص في القانون الدستوري والقانون الدولي.

الشيخ محمد المكي الناصري ذو ثقافة متنوعة، وأنشطة متعددة، سياسية وثقافية وصحفية، فمثل طلبة شمال أفريقيا بباريس سنة 1933 ، كما مثلهم في المؤتمر البرلماني لفلسطين بالقاهرة سنة 1938 ، ومثل المغرب في هيئة الأمم المتحدة سنتي 1951 ـ 1955 ، وفي المؤتمر الإسلامي بدمشق سنة 1956 ، وفي غيرها من المؤتمرات الإسلامية والعربية.

ساهم الناصر ي في إدارة مدرسة الحياة بالرباط والمعهد الحر ومعهد مولاي الحسن بتطوان، كما ساهم في تأسيس بيت المغرب بالقاهرة وشجع على إرسال بعثة طلاب مغاربة إلى معاهد القاهرة أثناء إقامته بتطوان.

مارس الناصري السياسة منذ شبابه المبكر، فكان من مؤسسي كتلة العمل الوطني، ومؤسسا لحزب الوحدة والاستقلال في أواسط الثلاثينات، وقد تعرض للنفي إلى المنطقة الشمالية سنة 1936 ، ثم نفته السلطات الإسبانية إلى غينيا الاستوائية بسبب أنشطته السياسية الداعية إلى تحرير المغرب من الاستعمار عن طريق كتاباته الصحفية، خاصة تأسيسه مجلة "المغرب الجديد سنة 1935"، "والوحدة المغربية، وصوت المغرب، ومنبر الشعب" إلى غيرها مما أثار غضب المستعمر ونقمته.

والناصري أحد حملة الأقلام المتميزين في الصحافة والأدب والشعر، إضافة إلى أحاديثه الدينية وخطبه المنبرية لتوعية الناس بشؤون دينهم ودنياهم، ومشاركته في الدروس الحسنية الرمضانية، كما كانت له حلقات إذاعية يومية منتظمة في تفسير القرآن الكريم، توّجت بإصدار هذه التفاسير في كتاب *"التيسير في أحاديث التفسير"*.

والشيخ الناصري عضو عامل في مؤسسات كثيرة قبل الاستقلال وبعده، أشهرها (الجبهة القومية للوطنية المغربية 1942 ـ 1951 )، وفي مجلس الدستور سنة 1960 ، وفي أكاديمية المملكة المغربية 1981 ، وفي مجلس جامعة القرويين 1987 ، وغيرها من الهيئات العلمية والسياسية.

عمل الناصري بعد الاستقلال أستاذا بكلية الحقوق بجامعة محمد الخامس وبدار الحديث الحسنية، ووزيرا للأوقاف والشؤون الإسلامية 1972 ، ورئيسا للمجلس العلمي للعدوتين 1981 ـ 1994 ، وأمينا عاما لرابطة علماء المغرب سنة 1989 ، وسفيرا للمغرب بليبيا سنة 1961 ، وعاملا لمدينة أگادير سنة 1963 ، إلى غيرها من المهام السياسية التي تقلدها.

مؤلفات الناصري عديدة أهمها : *مبادئ القانون الإداري في الإسلام*، *نظام الحقوق في الإسلام*، *فلسفة التشريع الإسلامي*، *الأقليات الدينية وحق تقرير المصير*، *تحت راية العرش* إلى غيرها من المؤلفات، ويضم *الكتاب التكريمي* للشيخ الناصري الذي نشرته جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية مسردا مفصلا لمؤلفاته العديدة وأنشطته العلمية والسياسية.

وللناصري أشعار غزيرة، نشرت في مجلات مغربية وتونسية ومشرقية، وقد أورد له القباج في كتابه : *"الأدب العربي بالمغرب الأقصى"* منتقيات من شعره كما نقل القباج في كتابه فصلة من سيرة محمد المكي الناصري بقلمه، تحدث فيها عن نشأته وتعليمه ورحلته في طلب العلم، وكذا كتاباته الشعرية والنثرية، وهي فصلة طريفة مؤرخة في 9 رمضان 1347 ، بمصر القاهرة.

والناصري حاصل على أوسمة ملكية عديدة سنوات 1963 / 1969 ، وعلى وسامين ليبي وتونسي.

توفي عام 1994.

محمد القباج، *الأدب العربي في المغرب الأقصى*، 2 : 70، ط 2، 1979 ؛ *سيرة الشيخ محمد المكي الناصري*، منشورات جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية، 1991 ؛ عبد الله الجراري، *التأليف ونهضته بالمغرب الأقصى*، 256، ط 1، 1985.

**الناصري، محمد بن اليمني** أبو الشعور أحد الشعراء الأعلام، طوف في البلاد العربية الإسلامية، وعمل على المشاركة في الحياة العلمية للبلدان التي أقام بها في المغرب ومصر والحجاز.

من مواليد مدينة الرباط سنة 1891 ، تلقى تعليمه الأولي

بالكتاب، ثم درس على جماعة من شيوخ مدينة الرباط، منهم محمد المكي البطاوري وأبو شعيب الدكالي ومحمد بن عبد السلام الرندة، كما أخذ عن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني الحديث بالحرم المدني، وعن الشيخ يوسف النبهاني بالحرمين الشريفين.

اشتغل الناصري بالتعليم الحر، وأدار مدرسة "النجاح الحرة" بالدار البيضاء، وأسس مدرسة "الحياة" بالزاوية المعطوية بالرباط.

كما عمل عدلا بمدينة الرباط، وأستاذا بالثانوية اليوسفية ثم عضوا بمحكمة الاستئناف الشرعي فقاضيا.

غير أنه سيرحل إلى القاهرة ليقيم بها حوالي عشرين سنة، وسيرأس بها إدارة بيت المغرب ومركز الوحدة المغربية بالشرق.

وينتقل بعد ذلك إلى المدينة المنورة مجاورا، فيقيم بها أزيد من ثلاث عشرة سنة.

شارك الناصري في الحركة السلفية في المغرب بمؤلفه "*ضرب الحصار على أصحاب نهاية الانكسار*"، ويرد فيه على بعض أصحاب البدع الذين كان الاستعمار يستعملهم في صرف الناس عن المطالبة بالاستقلال.

ترك محمد بن اليمني الناصري أشعارا كثيرة، قام أبناؤه بنشرها في *ديوان* صدر عن دار الصفوة للطباعة وللنشر والتوزيع بمدينة الغردقة بمصر سنة 1994،

توفي بالمدينة المنورة سنة 1971 ودفن بالبقيع.

محمد القباج، *الأدب العربي بالمغرب الأقصى*، 1 : 102، ط 2، 1979 ؛ عبد الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 324، ط 1، 1969 ؛ *شعراء المغرب المعاصرون*، تح. سعيد الفاضلي، رسالة جامعة مرقونة، 3 : 268 ؛ *التأليف ونهضته بالمغرب*، 271، 1، 1985 ؛ ع. بنطوجة شعر محمد بن اليمني الناصري، رسالة جامعية مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1991.

نجاة المريني

**الناصري، موسى** بن **محمد الكبير** بن مَحمد ابن ناصر، أبو عمران ثالث شيوخ زاوية تامگروت. وبها ولد سنة 1076 / 1666. اختصه صاحب *الدرر المرصعة* بترجمة وافية، فذكر أن عمه أحمد الخليفة كفله مبكرا، وأشرف على تربيته وتعليمه. ومن ثم نرجح أنه لم يبرح تامگروت، على الرغم من مغادرة والده لها - كما سبقت الإشارة إلى ذلك قبل - ولعله فعل ذلك ليفيد ابنه من الحركة العلمية التي كانت تشهدها تامگروت يومئذ. فهل يرجع تأكيد المصدر المذكور على تلك الكفالة ليقنعنا بالحظوة التي نالها موسى عند ثاني شيوخ الناصريين، ومن ثم نقتنع بأحقيته في الوصية بالمشيخة ؟ ألم يصحبه والده معه حين انتقل من تامگروت إلى تامسكورت، على إثر وفاة الشيخ مَحمد ابن ناصر سنة 1085 / 1674 ؟ لا نعرف شيئا عن ذلك ؛ لكننا نعلم أنه فقد والدته سنة 1091 / 1680. ومن ثم نرجح أنه كان قد صحب والده في أثناء انتقاله، إلى الزاوية الناصرية الكبرى من أجل طلب العلم.

وأيا ما كان الأمر، فقد أخذ عن شيوخ تامگروت، حيث حفظ القرآن الكريم ؛ ثم ثنى بالمتون المتداولة يومئذ. فأول ما أخذ متن *الخلاصة* عن عمه علي ابن ناصر. وتتلمذ على أحمد الهشتوكي، أحد أكابر أساتيذ الزاوية، فلازمه مدة طويلة. حيث أخذ عنه علوم اللغة. ودرس العلوم العقلية على محمد الصغير الورزازي، وهو عمدته في ذلك. وحصل علوم الحديث والتفسير والفقه والتصوف على عمه الشيخ أحمد الخليفة، الذي لازمه في الحضر والسفر ؛ وحج معه مرتين (1109 - 1110 و1121 - 1122) ؛ فشاركه فيمن لقي من العلماء والشيوخ بالمشرق. وأخذ القراءات عن المقرئ المسن أبي إسحاق إبراهيم بن علي الدرعي. وأجازه البياني المعقولي أبو الحسن علي التدغي. والغالب على الظن أن جهوده في الطلب لم تثمر إلا في علوم اللغة والحديث، كما يتضح من ثبت الكتب التي درسها، ومن الإجازات التي نالها. وينوّه ابنه محمد المكي، سابق الترجمة، بعلمه، حين صادف حضور المترجم بمكناس، قراءة *البخاري* بين يدي السلطان ؛ فاستشكل الحاضرون مسألة حديثية، وأجاب بعضهم بأحد أقوال العلماء فيها ؛ لكنه لم يستطع توثيقها. هنالك انبرى موسى الناصري للمسألة ؛ فحسم النزاع بين المتناظرين، حين أدلى بالحجة الدامغة.

سبقت الإشارة إلى أن الشيخ أحمد الناصري لم يعقب، ولذلك أوصى بالمشيخة لموسى ؛ لأن هذا الأخير أنصاري من جهة أمه ميمونة بنت الشيخ أحمد بن إبراهيم الأنصاري، ربيبة الشيخ مَحمد ابن ناصر، من زوجته حفصة الأنصارية، أم ولده أحمد الخليفة. أي أن ميمونة المذكورة هي أخت الشيخ أحمد لأمه. وموسى أيضا هو ابن مَحمد الكبير، أخ الشيخ لأبيه. أي أنه جمع القرابة من طرفيها : من جهتي الأب والأم، فضلا عن المحتد. ومن هنا أيضا فالمترجم هو رأس الطبقة الثالثة بين بني ناصر، لأنه أكبر حفدة الشيخ مَحمد ابن ناصر، ولأن كل أعمامه الكبار قد توفوا قبل وفاة الشيخ أحمد الناصري.

ولهذا الغرض كفل الشيخ أحمد الخليفة المترجم، وقام على تربيته، وتأهيله ليكون خير خلف له. فكان بمثابة كاتبه الخاص، يوقع بإذنه الرسائل، ويلقن الأوراد، وينوب عنه في القيام ببعض المهمات، حيث كان يبعث به سفيرا عنه إلى السلطان المولى إسماعيل. لكل هذه الأسباب توافرت مبررات اختياره لولاية مشيخة تامگروت. إلا أنه لاقى اعتراض بعض أقاربه، وبخاصة الحسين الشرحبيلي البوسعيدي الذي كان أخص تلاميذ الشيخ السابق. وكان هو أيضا ينوب عن الشيخ في الأمور الدينية والدنيوية، حتى شاع أنه عهد إليه بالخلافة من بعده. ذلك أن أحمد الخليفة كان قد أوصى للبوسعيدي لما لدغته عنكبوت بالقرب من الإسكندرية، في

أثناء عودته من الحج سنة 1122 / 1710 . وقد أكد صاحب *الدرر*، وهو ابن المترجم، أن موسى هو الموصى له ؛ وبذل في سبيل ذلك ما استطاع من جهد، حتى انتهى إلى أن البوسعيدي قد شهد على نفسه. في حين يذكر المختار السوسي أن شهادته على نفسه جاءت نتيجة الضغط الذي لقيه من قبل العامل السلطاني على درعة، المولى الشريف بن إسماعيل، الذي أرغمه على التنازل والكف عن تلقين الأوراد، والارتحال إلى جهة أخرى ؛ وإلا أباح دمه وخلده في السجن. وقد أتى محمد المكي الناصري برسم، بخط القاضي محمد الصغير الورزازي، يفيد إسناد أمر تامكروت إلى أحد الأخوين موسى أو عبد الله ابني محمد الكبير.

ومهما يكن من أمر، فإن موسى الناصري هو الذي ولي شؤون زاوية تامكروت بعد وفاة عمه الشيخ أحمد سنة 1129/1717 . فنسج على منوال أسلافه في تلقين الأوراد، والاضطلاع بسائر الوظائف. وفي عهده توسعت ممتلكات الزاوية بدرعة وخارجها ؛ الأمر الذي جعله كثير الرحلة، حيث كان يطوف على مختلف الجهات لتفقد الفروع التابعة لتامكروت لجمع "المستفادات". فتارة نجده في جبال الأطلس متنقلا بين فروع آيت خليفت وتانغملت وآيت عتاب. وأخرى نجده في سوس "قصد النظر والوقوف على ما لها من الأحباس من زيت وزروع وحديد ونحاس وغيرها". وقد صار ذلك عادة مألوفة لأن بعض المقدمين كانوا يستبدون بذلك، مثلما وقع في بعض زوايا سوس. ومازالت تلك حاله من الطواف على تلك الفروع.

ومن بين مميزات عهد موسى الناصري بدء الصراع حول مشيخة الزاوية، الأمر الذي فسح المجال لتدخل المخزن في شؤونها. وهذا ما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن عهد التقارب بين الزاوية والمخزن قد بدأ مع الشيخ موسى الناصري.

توفي بزاوية الفيض يوم الإثنين من ربيع الأول سنة 1142 / 1730.

أحمد الناصري، *الرحلة*، 2 : 121 ـ 123 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تح. م. الحبيب نوحي، ص. 455 ـ 501 ؛ *الروض الزاهر*، 200 ـ 238 ؛ *الرياحين الوردية*، ص. 25، *طليعة الدعة*، ص. 51 ؛ *فتح الملك الناصر*، الخليفتي، *الدرة الجليلة*، 99 ـ 146 ؛ أحمد الناصري، *طلعة المشتري*، 2 : 125 ـ 128 و139 ؛ المراكشي، *الإعلام*، 7 : 305 ـ 306 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 242 ـ 245 ؛ أحمد البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي*، ص. 215.

M. Bodin, *La Zaouia de Tamgrout*, 274-275 ; G. Drague, *Esquisse*, 190-191

أحمد عمالك

**الناصري، الهاشمي** بن **موماد** بن الحسن بن سليمان بن يوسف بن محمد الكبير ابن مَحمد بن ناصر الدرعي. ولد عام 1294 / 1879 بدوار أكرام بهشتوكة. أخذ القرآن عن أخيه سليمان، وجلس إلى بعض الشيوخ بسوس قبل أن ينتقل إلى مراكش ليستتم دروسه هناك، فجلس إلى شيوخ عديدين من أبرزهم العلامة سيدي إبراهيم الكدميوي القاضي الذي كانت له علاقة طيبة مع القائد الطيب الكنتافي. وربما يكون له يد في التحاق المترجم بحاشية القائد وتعيينه كاتبا له.

التحق المترجم بوظيفته كاتبا للقائد الكنتافي، فكان يحرر مراسلاته، ويدون ما يطلب منه تدوينه، وقد حظي لديه بمكانة طيبة أهلته لأن يرافقه إلى فرنسا عام 1344 / 1926 ضمن الوفد الذي استدعاه السلطان المولى يوسف لمرافقته قصد الحضور في تدشين مسجد باريز. وقد دون الكاتب ماجريات هذا السفر ومراحله في "*رحلته إلى باريز*". ورغم انخراطه في خدمة القائد فإنه لم يكن "بسيئ النية، ولا بمحب للظلم، ولا بالمتطلع إلى استنزاف أموال الناس".

وبعد وفاة القائد الطيب الكنتافي عام 1346 / 1928 بقي المترجم في مراكش مشتغلا بخويصة نفسه "يلازم الصلاة في المسجد الكبير، ولا يكاد يفارق الجماعة فيه في كل الأوقات، وقد توسع ما في ذات يده، وله خزانة لا بأس بها على قدر معلوماته الضئيلة" وقال عنه السوسي في رجالات العلم العربي في سوس : "... وكان فاضلا طيب السريرة متواضعا متمسكنا يألف ويؤلف، وكان من أصحابنا".

لم يخلف المترجم من الآثار إلا مجموعة من الرسائل التي حررها عن مخدومه القائد الطيب الكنتافي، وهذه الرسائل هي عبارة عن مخاطبات القائد إلى غيره من رؤساء القبائل وشيوخها تتعلق بالشؤون العامة المشتركة بين القائد والمرسل إليهم. وأسلوب هذه الرسائل أسلوب تقريري واضح غايته إيصال مجموعة من الأفكار إلى المرسل إليه بكل يسر وسهولة. وإضافة إلى هذه الرسائل خلف الهاشمي الناصري رحلة فريدة بين الرحلات السوسية، لأنها الوحيدة ـ في ما أعلم ـ التي وجهت وجهتها إلى أوربا، وإلى فرنسا بالضبط. وقد نشرها الأستاذ عبد العزيز بومسهولي في حلقات بجريدة الاتحاد الاشتراكي في صيف 2001 بدءا من 2 يوليوز. وأهميتها تتجلى في :

ـ كونها تبين العلاقة الطيبة التي كانت بين المخزن (مولاي يوسف) والحكومة الفرنسية، فعندما حل السلطان بباريز استقبله رئيس الجمهورية الفرنسية استقبالا حارا، وأبدى له من الحفاوة ما يدل على هذه العلاقة الطيبة بين الطرفين، كما أن السلطان زار المارشال ليوطي في بيته، وقد استقبله هو أيضا استقبالا حارا.

ـ كونها تبين ثقافة المؤلف المتواضعة لأننا لا نجد فيها تحليلا لأوضاع المغرب المستَعمر، ولا مقارنة بين أوضاع فرنسا المتقدمة وأوضاع المغرب المتخلفة، ولا أسباب هذا وذاك. ثم إن أسلوب الرحلة هو أسلوب خال من العناية بالجانب الأدبي إلا ما جاء عفو الخاطر، ولعل مرد هذا هو كاتب القائد الذي يتوخى الوضوح في العبارة قصد إيصال أفكاره إلى المتلقي دون عناء ولا غموض ولا تكلف. إضافة

إلى أنه كان لا يتحرج من استعمال بعض العبارات من الدارجة المغربية. وبعض الألفاظ من اللغة الفرنسية.

توفي يوم 19 شعبان 1356 / 1938.

محمد الحاتمي

**الناصري، يوسف بن محمد** الكبير بن مَحمد بن ناصر أبو المحاسن، شيخ تامگروت السادس وواسطة عقد شيوخ الناصريين. ولد بقرية تامسكروت من بلاد زايان سنة 1114 / 1703. اصطحبه والده معه في رحلة، وهو صغير، إلى تامگروت. ثم رجع إلى مسقط رأسه، حيث مكث حتى وفاة والده سنة 1126 / 1714 ؛ الأمر الذي أرغمه على الانتقال مجددا إلى تامگروت، حيث كفله عمه الشيخ أحمد الخليفة. ولما توفي هذا الأخير كفله بعده أخوه موسى حتى بلغ مبلغ الرجال فزوجه.

أخذ العلم عن أساتيذ الزاوية، من الأقرباء والأفاقيين الذين ذكرهم ابنه سليمان لما تعقب أسانيده. وعدد محمد مخلوف التونسي جلمة من مقروءاته فقال : "وروى الكتب الستة *والشفا والمواهب* و*حلية أبي نعيم والترهيب* وإحياء علوم الدين وكنز *العمال* و *الجامعين الصغير والكبير والفتوحات المكية* ". نستوضح من هذه الكتب أن ثقافة المترجم تنحصر في الحديث والسيرة والتصوف. وهي من بين العلوم التي كانت أسواقها نافقة بتامگروت حتى ذلك العهد. وأخذ ورد الناصريين عن محمد بن عبد السلام بناني، شارح *لامية الزقاق* ، الذي كان قد أخذ عن الشيخ أحمد الخليفة مباشرة. ويلخص ابنه سليمان سلوكه فيقول : "كان... لا يخاف في الله لومة لائم، وقافا عند كتاب الله تعالى، محافظا على الصلوات في أوقاتها جماعة ... متبعا للسنة المحمدية، مقتفيا أثر عمه الإمام ...". وكان كثير الحركة، يمضي جل وقته في الطواف على فروع الزاوية، متفقدا الأتباع والمقدمين، حتى أخذ عنه من لا يحصون كثرة في معظم جهات للمغرب.

وفي سنة 1162 / 1749 رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، فأخذ عمن لقي هنالك من العلماء، كمحمد بن الطيب الفاسي، الذي اجتمع به في المسجد النبوي واستجازه فأجازه. وسمع منه الحديث المسلسل بالأولية يوم الجمعة ثامن محرم 1163 / 1750 . وأخذ كذلك عن أبي العباس أحمد الحبيب اللمطي الذي أجازه بدوره، وأذن له في الرواية عنه. ومن بين الشيوخ المشارقة الذين أخذ عنهم أحمد العماري، وأحمد الدمنهوي، ويوسف أفندي، وعلي الشعرواي. وقد تجاوز صيت الناصريين في عهده الحرمين الشريفين، حتى شوهد شيخهم المترجم وهو يلقن الورد، ويولي النقباء ويعزل في مكة المكرمة. ومما يستحق الإشارة في هذا الصدد أنه اصطحب معه، في رحلته تلك، عددا من أقاربه، كأولاده وإخوانه وأبناء إخوانه ؛ الأمر الذي يتطلب مؤونة كبيرة. وهذا مؤشر يدل على غنى الزاوية في ذلك العهد، حيث نجد صداه في المصادر. يقول صاحب *الاستقصا* : "وكان ... حسن الشيم، أكفّه تجري بالإحسان كالديم، كثير الإطعام، جميل الإكرام". ويقول ابنه سليمان : "وفاض جوده وبذله، ووسع الأقارب والأباعد إحسانه ورفده، فانتهت إليه رياسة الدين والدنيا، وبسط يده في بذلها ما استطاع، ولم يعسر في وجه أحد، وما خيب سائلا قط..."

لذلك طبقت شهرة تامگروت آفاق المشرق والمغرب ؛ فقصدها المريدون والطلبة والعلماء من مختلف جهات البلاد. ومن ثم تضاعف عدد "النواب والوكلاء في التلقين لمن لم يصل إليه مغربا ومشرقا...". وهذا ما يوجزه ابنه حين يقول : "وأقبلت الوفود عليه من كل فج، وزارته من أقطار الأرض الأكابر من العلماء والصالحين، وهو رضي الله عنه مقبل عليهم، ساعٍ في إيصال النفع إليهم، قائم بحقوقهم، معتنٍ بشئونهم، لا يألو جهدا في إكرامهم، كل بمنزلته وعلى قدر مرتبته في الإطعام، والنزول والفرش الرفيعة ... حتى إنه ربما اجتمع في بعض الأحايين الآلاف من الخلق عليه من الوفود الزائرين ...".

وقد ترتب عن هذه الأسباب مجتمعة توسع نفوذ زاوية تامگروت، فتأسست زوايا جديدة تابعة لها عمت مختلف أرجاء البلاد ؛ لا سيما وأن الشيخ يوسف خلف خمسة وعشرين ابنا" كلهم بلغوا مبلغ الرجال..." وهنا لابد من الإشارة إلى أنَّ فروع الزاوية الناصرية أصبحت تؤسس من قبل أبناء الناصريين وحفدتهم، الشيء الذي كان له أثر في علائق تلك الزوايا مع الزاوية الأم ؛ على عكس ما كان في بدء الأمر، حيث كان التلاميذ هم الذين يقومون بتأسيس فروع يظل أقرباؤهم يتوارثونها. وقد تنفصل عن الزاوية الأم، بعكس الفروع الأخرى التي تبقى علائقها موصوله مع الأصل.

وبصدد علاقة الزاوية مع المخزن، ففي عهد الشيخ يوسف الناصري تم الاتصال المباشر بين الطرفين، وتوثقت الأواصر بينهما. فكان المترجم من بين الأعيان الذين قدموا على سيدي محمد بن عبد الله لمبايعته سنة 1171 / 1757. وفي سنة 1180 / 1767 كان من ضمن وفد السلطان في أثناء حصار مدينة البريجة. كما حضر معه وضع الحجر الأساس لبناء مدينة الصويرة سنة 1182 / 1769. فكان ذلك من بين العوامل التي يسرت انتشار نفوذ الناصريين في مختلف مدن البلاد وبواديها. بل إن السلطان قد أنعم على تامگروت بظهير خولها الحصول على عشرة قناطير من الحديد، تمنح من ثغري الصويرة وآسفي. فكانت تلك بداية احتجان الثروة بالزاوية، مما عزز مكانة شيوخها على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي ؛ وبدأت تطفو المنافسة على المشيخة.

وفي خضم أوج الزاوية الناصرية، توفي الشيخ يوسف الناصري سنة 1197 / 1783 ، بعد أن قضى أربعين سنة في المشيخة ؛ وهي مدة قياسية استطاع خلالها أن يرسخ طائفة الناصريين التي تعدد أتباعها ومريدوها، حتى تلقن وردها سلطان البلاد ورجال مخزنه، وعلماء وحرفيون، وذوو حيثيات مختلفة.

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، 182 ـ 184 ؛ سليمان بن يوسف الناصري، *إتحاف الخل المعاصر بأسانيد أبي المحاسن يوسف ابن ناصر*، 7 ـ 29 ؛ الضعيف، *تاريخ*، ص. 304 و 310 ؛ سليمان الحوات، *الروضة المقصودة*، 172 ـ 174 ؛ *ثمرة أنسي*، 25، كناشة تامگروت رقم 2629 ؛ *طلعة المشتري*، 2 : 143 ـ 145 ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، 3 : 226 و4 : 239 ـ 241 ؛ ع. المراكشي، *الإعلام*، 9 : 239 و10 : 356 ؛ محمد مخلوف، *شجرة النور*، 358 ؛ أحمد عمالك، *تامسكورت* ؛ *معلمة المغرب*، 2180.

M. Bodin, *La Zaouia de Tamgrout*, 276 ; G. Drague, *Esquisse*, 191.

**الناصرية** (الزاوية –)، تأسست بقرية تامگروت، على يد الشيخ العالم المتصوف مَحمد ابن ناصر الدرعي، سابق الترجمة ؛ والذي انتقل إليها من أغلان سنة 1055 / 1645. نشأت في بيئة مأزومة ومحيط قلق ؛ فأناط شيخها المؤسس نفسه بدور بالغ الأهمية لإصلاح ما فسد وإطفاء ما اتقد. فتصدى لنشر العلم، ومحاربة الانحراف، وتمهيد السبل عن طريق التربية الصوفية.

طريقتها غازية، نسبة إلى أبي القاسم الغازي (ت. 982 / 1584)، تتصل بأبي الحسن الشاذلي عن طريق الشيخ أحمد زروق. وتعتبر أكبر زاوية عرفها تاريخ المغرب الحديث، من حيث عدد الفروع والأتباع، ومن حيث المجال الذي يغطيه انتشارها. ويمكن تقسيم تاريخها إلى أربع مراحل كبرى :

1 ـ المرحلة الأولى، وتمتد من التأسيس (1055 / 1645) إلى وفاة الشيخ يوسف الناصري سنة 1197 / 1783. وتنقسم بدورها إلى عهدين متمايزين :

العهد الأول : عهد الشيخين مَحمد ابن ناصر (1055 ـ 1085) وابنه أحمد الخليفة (1085 ـ 1129) حيث أضحت الزاوية الناصرية من أكبر المراكز العلمية ببلاد المغرب. وكانت ثالث مركز يدرس فيه كتاب سيبويه، علما بأنه لم يكن يدرس في فاس ولا في مراكش. ونفقت فيها سوق كثير من العلوم كالفقه والحديث والكلام والتصوف والعربية والنحو وغيرها ؛ حتى إن الشيخ اليوسي جعل طالب العلم يستغني بشيوخها، في ميدان الترقي في الطلب، عن التوجه إلى المراكز العلمية الكبرى يومئذ، كبغداد أو الكوفة أو الشام أو اليمن. وبذلك غدت قبلة لطلبة العلم والعلماء، فقصدها الناس من مختلف الآفاق. هذا بالإضافة إلى دفاع الشيخين عن السنة ومحاربتهما للبدعة. فقد تركا الدعاء الجماعي دبر الصلوات، واقتصرا على آذان واحد يوم الجمعة، ولم يكونا يدعوان للسلطان على المنابر، ومنعا السماع الذي كان عادة مألوفة عند كثير من متصوفة العصر. وأعلنا النكير على البدع والعادات الفاسدة، ولاسيما شرب الدخان وتناول الخمور. وحرما اختلاط الرجال بالنساء في المواسم والأعياد. ومن ثم، يمكن تصنيف هذين الشيخين من بين مصلحي المسلمين الكبار حين كانا يدعوان إلى تجاوز المذهبية، والتمسك بالسنة والجماعة.

وكان الشيخ مَحمد ابن ناصر، الذي أسس الطريقة الناصرية، عن طريق توظيف ورد غير بعيد عن الأذكار المأثورة ؛ بحيث لم يدع إلى اتخاذ شارات خاصة. وقد انبنى ذلك الورد على الهيللة والصلاة على النبي (ص) والاستغفار ؛ سالكا في ذلك طريق المرونة والتدرج.

فأما المرونة، فإن الشيخ راعى حال المريد من التفرغ والانشغال. من ذلك مثلا، أن مقدار ما كان يوظف على المتفرغ أو المتجرد غير ما يوظف على العامل المشتغل بأعماله، أو الطالب العاكف على درسه، ومقدار ورد الرجل غير مقدار ورد المرأة، المسؤولة عن تدبير شؤون بيتها ورعاية أطفالها. والملاحظ أن الورد الناصري كان بسيطا، مستجيبا لمختلف الطباع والمستويات. لذلك فلا غرابة أن تلاقي الطريقة الناصرية قبولا كبيرا لدى مختلف شرائح المجتمع. وأما التدرج، فإن الشيخ كان دائم السعي إلى ترقية مريديه في مدارج الانشغال بالعبادة. فلا يشق أو يشدد عليهم في البدء، فيقبل على سائر المؤمنين ؛ لكنه يحبذ ألا تفتر ألسنتهم عن الذكر.

وإذا كان الشيخ المذكور قد وضع الإطار النظري للزاوية، فإن ابنه أحمد الخليفة أرسى دعائمها، لأنه أسس بعض المبرات التي أعطتها الزخم الضروري للتوسع والاستمرار. فبنى بجوار الزاوية مدرسة لإيواء طلبة العلم، وواصل عملية استقطاب الأساتيذ ـ عن طريق المصاهرة ـ من مختلف جهات البلاد لكي يدرسوا بها. وألحق بها خزانة جلب إليها أنفس الكتب من المغرب والمشرق، عن طريق النسخ والشراء. على أن تكوينها كان قد بدأ مع والده الذي عرف ببازي الكتب، لولوعه باقتنائها والحصول عليها بمختلف الوسائل. لكن الشيخ أحمد الخليفة عين لها قيما ليشرف على تسييرها، وسن لها نظاما عجيبا للإعارة، وأمر بترتيب محتوياتها حسب الفنون، حتى يستفيد منها طلبة العلم ومختلف روادها، وأوصى بتوسيعها والمحافظة عليها...

وحين نظم الشيخان ركب الحاج الناصري اتسع مجال انتشار الزاوية طول الطريق بين المغرب والحجاز. فأضحى ذلك الركب بمثابة زاوية متنقلة ؛ كان سكان المراحل والمنازل التي يمر عليها يكنون التقدير والاحترام لشيوخ الناصريين. بل لقد انخرط عدد منهم في سلك الطريقة، وانضووا تحت لواء مقدمين عينهم الشيخان. وتأسست فروع ناصرية في مختلف مدن وقرى بلدان الشمال الأفريقي، من المغرب الأوسط إلى مصر، فضلا عن ذيوع صيت الناصريين في مكة والمدينة. بل إن صدى هذه الزاوية وصل حتى بلدان الشرق الأقصى. وبذلك أسهمت الزاوية الناصرية في تمهيد الطريق أمام الحجاج، ومد جسور التواصل بين مختلف بلدان العالم الإسلامي، على الصعيدين العلمي والصوفي. وتحفل مصادر الناصريين، وخاصة الرحلات الحجازية، بالإشارات إلى الإجازات التي تم تبادلها بين الناصريين وبين مختلف علماء المشرق. ولا يتسع المجال للاستفاضة في هذا الموضوع، على الرغم مما يكتسيه من أهمية. وبالرغم عن بعض التشنج الذي

اتسمت به علاقة هذين الشيخين مع المخزن، في بعض الأوقات، فإن ذلك لم يحل دون انتشار نفوذ الزاوية في كثير من جهات البلاد. وإذا أردنا أن نعرض إلى بعض عوامل الخلاف بين الطرفين فيمكن حصرها في ثلاث قضايا : امتناع الشيخين عن الدعاء للسلطان في الخطب المنبرية بدعوى مخالفة ذلك للسنة واتهام السلطان المولى إسماعيل الشيخ أحمد الخليفة بالانحياز لثورة محمد العالم وتنظيم ركب الحاج باستقلال عن المخزن.

ومن بين ما دعم شأن هذه الزاوية، فضلا عما سبق، ما اتسمت به علائقها من ودّ وتقدير مع أقوى الزوايا المعاصرة لها، كالدلائية والعياشية والشرقاوية والفاسية. لقد لقن شيوخها الورد الناصري، كما فعل شرقاوة والعياشيون ؛ ونوهوا بسلوكها الصوفي وعلو كعب شيخيها العلمي، كما فعل الدلائيون والفاسيون. هذا فضلا عما وفد إليها من علماء، تصدروا للتدريس بها كأحمد بن محمد الجزولي وعبد الكريم بن علي التدغي وعبد الرحمن بن عبد القادر السويدي؛ ومن تخرج منها من علماء وأدباء كأبي علي اليوسي وأحمد التاستاوتي ومحمد بن عبد الله الحوات وغيرهم.

العهد الثاني : عهد الشيوخ موسى الناصري (1129 - 1142 ) وعبد الله (1142 ) وجعفر (1143 - 1157) ويوسف (1157 - 1197 ). فقد نسج هؤلاء الشيوخ على منوال سلفهم في العلم على نشر الطريقة الناصرية، وترسيخ الوظائف التي اضطلعت بها. وقد تميز هذا العهد بالتقارب مع المخزن. ذلك أن هؤلاء الشيوخ لم يعودوا يجدون غضاضة في الدعاء للسلطان على المنابر. بل أصبحوا يترددون على أبواب السلاطين، ولا يستنكف بعضهم عن الوقوف إلى جانبهم في بعض المناسبات. وفي هذا السياق نذكر أن الشيخ يوسف الناصري كان ضمن وفد الأعيان الذين قدموا من جميع أنحاء المغرب لتقديم البيعة للسلطان سيدي محمد بن عبد الله. وقد شهد معه استرجاع مدينة الجديدة، وبدء أشغال بناء مدينة الصويرة. ومقابل هذا التقارب، نال الشيخ ظهائر أسدلت على الزاوية التوقير والاحترام ؛ ومنحتها امتيازات، منها امتياز الحصول على عشرة قناطير من الحديد والفولاذ ؛ يتسلمها شيخ الزاوية من مرسى الصويرة، على رأس كل سنة.

إنّ أهم ما ميز الزاوية الناصرية خلال هذين العهدين الدعوة إلى السنة ومحاربة البدع، ونشر العلم وترسيخ اللغة العربية، وتعميق تعاليم الإسلام ؛ وإقامة مصالحة بين التصوف والعلم. ومن ثم ارتبط عند شيوخها السند الصوفي بالسند العلمي. وهذه أبرز ميزة مازت هذه الزاوية عن غيرها من الزوايا في المشرق والمغرب. وقد تجلى ذلك في سير مختلف الأعلام الذين انخرطوا في سلكها، كعبد القادر الفاسي وأبي علي اليوسي والتاودي ابن سودة المري وابن الحاج السلمي وشعيب الدكالي، حيث كان هؤلاء من بين أكبر علماء عصرهم. بل منهم من كان من مؤسسي كثير من فروعها كالشيخ اليوسي.

هذا إلى جانب توسع نفوذها وتعدد فروعها (حوالي 300 )، فشملت مختلف مدن المغرب وبواديه ؛ الأمر الذي ترتب عنه بداية تراكم الثروة بها. إلا أن ذلك لم يكن ليضر بها، خلال هذه المرحلة ؛ بل على العكس ساعدها على الاضطلاع بأهم وظائفها، لا سيما رعاية الطلبة والأساتيذ، وإطعام الأعداد الوفيرة من الزائرين، وإرفاق المحتاجين زمن المساغب.

على أن التوسع في الثروة ما لبث أن صار، فيما بعد، من بين أسباب التراجع الذي عرا الزاوية الناصرية. وهذا ما أضحى أمرا باديا للعيان خلال المرحلة الموالية.

2 - المرحلة الثانية، وهي تغطي عهود كل من الشيخ علي بن يوسف (1197 - 1235 )، وأبي بكر بن علي (1235 - 1281 )، ومحمد بن أبي بكر (1281 - 1304). وعلى الرغم من أن الزاوية الناصرية استمرت مركزا صوفيا يستقطب عددا كبيرا من المريدين والأتباع، فإن أهم ما طبع شيوخها انشغالهم بالجوانب المادية أكثر من الجانب الروحي. ولقد انتبه الشيخ محمد بن عبد السلام، إلى هذا التحول الذي اعتراها ؛ فنبه على ذلك في الكتاب الذي صنفه بعنوان "*المزايا بما أحدث بأم الزوايا* ". وعلى الرغم مما تضمنه من التحامل على معاصره، الشيخ علي بن يوسف الناصري، فإن ما شهدته الزاوية من تراجع لم يعد مثار جدال.

ومن ثم، أضحى الفضل في استمرارها راجعا بالأساس إلى الرصيد المعنوي الذي أثله الأجداد. ذلك الرصيد الذي وظفه هؤلاء الشيوخ لتكديس الثروة. التي أضحت وسيلة للتقرب من بعض رجال المخزن. فتحولت مشيخة الزاوية إلى منصب لا يمكن أن يصطبغ بالمشروعية إلا إذا تمت تزكيته من قبل السلطان ؛ الأمر الذي ترتب عنه احتداد التنافس من أجل التصدر، ونشوب الصراع بعد ذلك. وهذا هو أهم ما ميز المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة، وتمتد من سنة 1304 / 1887 إلى سنة 1337 / 1919.

بعد وفاة الشيخ محمد بن أبي بكر بزاوية أدوار بسوس، تصدر ابنه محمد، الملقب بالحنفي، النقابة بوصية منه. فقام ضده عماه أحمد وعبد الله ابنا أبي بكر ؛ الأمر الذي أفضى إلى نشوب نزاع بين الطرفين. وعلى الرغم من تدخل السلطان المولى الحسن، الذي أقر محمدا الحنفي على رأس الزاوية، بإصدار ظهير لصالحه، فإن النزاع لم يحسم. بل إن الشيخ أحمد بن أبي بكر استعان ببعض فرق آيت عطّا ليطرد ابن أخيه، الذي فر إلى سوس، محاولا الاستيلاء على أحباس الزوايا الفروع، ليستعين بها على استرداد مشيخة الزاوية الكبرى. وفي الوقت الذي كان فيه الحنفي يسعى إلى البحث عن دعم المخزن بمراكش، نشب النزاع بين الأخوين أحمد وعبد

الله. فاستعان كل منهما ببعض آيت عطّا. وفي نفس الوقت رجع الحنفي، مدعوما بظهير سلطاني جديد، ليحتد النزاع بين الشيوخ الثلاثة. وعلى الرغم من انتصار الحنفي، وتدخل السلطان في سياق التحكيم بين مختلف الفرقاء إذ عمد إلى تقسيم النفوذ بين هذا الأخير وبين عمه أحمد، ورفض مطالب عبد الله ؛ فإن خصمه لم يستسلم، واستمر يهتبل أي فرصة لينقض على الزاوية ؛ في حين لم يكن الحنفي بدوره يتردد في مد اليد إلى بعض ممتلكات الزوايا التي كانت من نصيب عمّه. والظاهر أن الشيخ الحنفي أفاد من دعم الوزير - الوصي أحمد بن موسى، إذ أقدم على اعتقال عمه، وطمع في الاستحواذ على أحباس زوايا سوس. وعلى الرغم من هذه المعاناة، فإن الشيخ أحمد بن أبي بكر لم يخرج من حلبة الصراع، مستغلا الوضع الذي كانت تعيشه جهة سوس. ذلك أن المواصلة لم تنقطع بينه وبين المخزن، لأن تلك الجهة أضحت يومئذ، مجالا تتنافس عليه الدول الأوروبية، حيث سعت كل واحدة منها إلى تأسيس مستوطنات تجارية هناك. وكان المخزن يأمل أن يضطلع شيخ الزاوية الناصرية هناك، بدور ما في تحريض القبائل على رفض التغلغل الأجنبي، ودعم حضور المخزن في تلك الجهة.

وقد تميزت هذه المرحلة بتدخل المخزن مباشرة في شؤون الزاوية الناصرية، التي فقدت كثيرا من هيبتها، نتيجة النزاعات على المشيخة، التي أضحت منصبا يتنافس من أجله، لأنه غدا مصدرا لاحتجان الثروة وبلوغ الجاه. بالإضافة إلى ذلك، شهدت الزاوية تراجعا عن الوظائف التي كانت تضطلع بها في العهود السالفة. وليس من المستبعد والحالة هذه، أن يترتب عن ذلك الوضع تراجع دورها العلمي ؛ حيث لم نعثر، في المستندات التي رجعنا إليها، على أعلام من أمثال مَحمد ابن ناصر، أو ابنه أحمد الخليفة، أو محمد بن عبد السلام... وفي ذات الوقت، تراجعت مداخيلها ؛ بل أضحت مفلسة، الأمر الذي اضطر شيوخها إلى الاستدانة. وفي مجال الوساطة والتحكيم، لم يكتف المتنازعون بالتمرد على "قرارات" شيوخها، بل بلغ الأمر ببعض الجماعات إلى أن أصبحت تهاجم الزاوية بالسلاح، كما سيتضح وشيكا.

وبعد وفاة الشيخ محمد الحنفي سنة 1325 / 1907، ولي النقابة عمه الشيخ أحمد بن أبي بكر، الذي قدم إلى تامكروت من مراكش، حيث عقد اتصالات مع بعض رجال المخزن أبرزهم الخليفة مولاي عبد الحفيظ، الذي "عقد معه المحبة". ويُذكر أن الناصريين ساندوا بيعة هذا الأخير. وحين اعتلائه العرش، أصدر ظهيرا لفائدة هذا الشيخ، خوله حيازة مستفادات مختلف فروع الزاوية بالمغرب. ولعل الدليل القاطع على أن المخزن استيقن من ضعف الزاوية مطالبته إياها بما يطالب به العوام من ضرائب. هذا بالرغم من أن الزاوية، من جانبها، كانت تدعم المخزن في مختلف القضايا، سواء منها الداخلية أو الخارجية. وقد عرفت فروع الزاوية الناصرية، في مختلف البوادي والمدن المغربية، نفس الصيرورة. ومن أمثلة ذلك تيمگيدشت وتانغملت اللتين سبقت دراستهما في هذه المعلمة.

وبعد فرض معاهدة الحماية على المغرب، وقف الشيخ أحمد بن أبي بكر موقف المتحفظ من المخزن الجديد، على الرغم من الإغراءات التي قدمت إليه في شكل ظهائر وإنعامات. ومن ثم، لم يكن من الغريب أن يساند حركة أحمد الهيبة. ويشير الضابط الفرنسي سبيلمان إلى أن اشبيهنا بن ماء العينين قد انتقل إلى بلاد درعة، محاولا كسب ولاء سكانها ؛ ولم يحل عنها إلا سنة 1914.

ولعل تضافر إغراءات المخزن الجديد، والعنت الذي لاقاه الشيخ جراء مطالبة أحمد بن الحنفي بالمشيخة، هو ما أرغمه على إعلان ولائه للسلطان مولاي يوسف، وعقد اتصالات مع گلاوة، حلفاء السلطات الفرنسية. بل أصبح يحث أتباع الزاوية الناصرية في سوس على محاربة اشبيهنا، وأهدر دمه. كما رفض التفاهم مع محمد بن أبي القاسم النگادي. فأوعز هذا الأخير إلى بعض إلمشان، من آيت عطّا، باغتياله داخل الزاوية، سنة 1337 / 1919. وبذلك يمكن الحديث عن مرحلة جديدة من تاريخ الزاوية الناصرية.

المرحلة الرابعة : بعد مقتل أحمد بن أبي بكر، آلت مشيخة الزاوية الناصرية إلى ابنه عبد السلام (1919 / 1960)، الذي وسمته الكتابات الأجنبية بالذكاء والعلم وكثرة الرحلات، وإن أضحى مرغما على موالاة سلطات الحماية، وأعوانها ؛ ولا سيما بعد احتلال بلاد درعة سنة 1931. لكن الزاوية أفادت من ذلك، حيث أمنت من اعتداءات آيت عطّا، ونعمت ببعض الاستقرار، على الرغم من ظهور منافسين جدد من البيت الناصري، وخاصة الشيخين يوسف وأحمد الذهبي. وإذا كان الشيخ عبد السلام الناصري قد استطاع الحفاظ على تماسك الطائفة الناصرية، من حيث استمرار التواصل بينها وبين مختلف فروعها، وضمان وصول "مستحقات الزاوية الأم" من مداخيل الفروع، الشيء الذي مكنها من الزخم الضروري لتحافظ على كيانها ؛ فإن الوظائف الحيوية التي كانت تضطلع بها في عهود القوة قد اضمحلت، شأنها في ذلك شأن كل الزوايا المغربية.

ومن ثم، لم يعد الشيخ الناصري يستمد "شرعيته" من غزارة علمه وتمسكه بتعاليم الطريقة، بل أضحى يستمدها من الظهير السلطاني. ولم يقتصر على المواصلة مع المخزن، بل أضحى عونا أو عينا له في الجهة التي تقع فيها الزاوية، فيمده بالأخبار عن القبائل وعن ممثليه. وفي الوقت نفسه خبت جذوة العلم بها، وتراجعت عن ريادة الإصلاح.

ومع هذا كله، فقد حظيت الزاوية الناصرية بالتقدير من لدن الوطنيين وبعض العلماء المغاربة. وفي هذا السياق نذكر أن سلطات الحماية لم يكن يروقها أن يتلى الدعاء الناصري

في كثير من زوايا المغرب ومساجده. ولاتزال هذه الزاوية قائمة حتى الآن، بقيادة الشيخ بناصر الناصري الذي يعد آية في الذكاء والحفظ، مع التواضع والعلم والورع...

مَحمد ابن ناصر، *الرسائل* ؛ الحسين ابن ناصر، *فهرسة* ؛ العياشي، *الرحلة والفهرسة* ؛ اليوسي، *فهرسة* ؛ الهشتوكي، *هداية الملك العلام*؛ أحمد الناصري، *الرحلة* ؛ م. المكي الناصري، *الدرر* ؛ *طليعة الدرعة* ؛ *فتح الملك الناصر* ؛ البوسعيدي، *إنارة البصائر* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ سليمان الحوات، *الروضة المقصودة* ؛ الولاتي، *فتح الشكور*؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ الإگراري، *روضة الأفنان* ؛ ع. المراكشي، *الإعلام* ؛ السوسي، *المعسول* ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ محمد حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ *الحركة الفكرية* ؛ أحمد البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي* ؛ أحمد عمالك، *الزاوية الناصرية ودورها الاجتماعي والسياسي*، أطروحة دكتوراه الدولة، شتنبر 2001.

Depont et Coppolani, *Confréries religieuses* ; M. Bodin, *La Zaouia de Tamgroute. Notes sur quelques Zaouias Nacirias au Maroc* ; Michaux-Bellaire, *Conférences* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse* ; C. Geertz, *Islam observed* ; E. Gellner, *Système tribal... Comment devenir marabout* ; A. Hammoudi, *Sainteté*.

أحمد عمالك

**الناصريون في سوس**، ينتمي الناصريون إلى الشيخ سيدي مَحمد بن ناصر دفين تامگروت بدرعة، ومؤسس الزاوية الناصرية بها المشهورة بالتدريس والتخريج، وبتربية المريدين وفق الطريقة الناصرية، وبخزانتها الغنية التي تعهدها أبناء الشيخ بنسخ الكتب واقتنائها حتى صارت من أعظم الخزائن المغربية. وقد أنجبت هذه الأسرة أعلاما كبارا في العلم والتصوف كان لهم الأثر العظيم على الثقافة المغربية على مر السنين. وقد هاجرت بعض فروع هذه الأسرة من موطنها الأصلي بتامگروت واستقرت بسوس، وأسس أبناؤها هناك أسرا علمية عديدة أنجبت العديد من الفقهاء والعلماء والأدباء والمتصوفة، كان لهم الفضل الكبير في إنعاش العلوم العربية والشرعية والتصوف في ربوع سوس.

ففي زاوية البور بأولوز ـ شرق تارودانت ـ نزل أبناء علي بن الشيخ سيدي مَحمد بن ناصر، واستقر بقبيلة إمهرين أولاد سيدي نوح بن يوسف، كما نزل بزاوية إزيض بالقبيلة نفسها أبناء سيدي الحسن بن علي بن يوسف، وهم إخوة سيدي المدني الناصري بتانكرت بإفران، وفي قبيلة تافيلالت بإداومحمود مشهد سيدي الحسين الناصري الذي يقام عليه موسم سنوي إلى اليوم. وفي منطقة إفران الأطلس الصغير استقر القرشي بن الحسن بن علي بن يوسف الناصري حتى وفاته عام 1270 ، فخلفه ابن أخيه الحاج المدني الناصري المستقر بتانكرت إلى وفاته عام 1306 فترك هناك ذرية من العلماء والأدباء والفقهاء.

وفي هشتوكة استقر بقرية إداوعيسى أبناء سيدي محمد بن بوبكر بن علي بن يوسف، كما استقر بدوار أگرام أبناء سيدي سليمان بن يوسف، وهذا الفرع قد أنتج أعلاما كبارا منهم :

- سليمان بن يوسف جد هذه الأسرة، ونزيل تيدسي جنوب غرب تارودانت (تـ. 1230 / 1815 )، وهو علامة درس بفاس.
- ولده الحسن بن سليمان فقيه جليل، درس بمدرسة إداومحند الهشتوكية قبل سيدي سعيد الشريف.
- الحاج سليمان بن موماد بن الحسن، فقيه سكن بأونايْن وأخوه الحنفي والعربي، أخذ عن شيوخ سوس، وكان يُعلم أخوته، ومنهم الهاشمي.
- أبو بكر بن موماد شقيق الهاشمي. قال عنه محمد المختار السوسي : "له قبصة من المعارف، أخذ من بعض مدارس هشتوكة، هين لين جالسناه كثيرا عند القاضي أوعمو... ولادته 1296".
- الهاشمي الناصري.

هؤلاء بعض أعلام الأسرة الناصرية بسوس التي كانت لها يد طولى في رفع راية العلم والصلاح بعمارة المدارس العلمية، وتأسيس الزوايا وتربية الفقراء والمريدين.

محمد الحاتمي

**ناظم، امحمد بن الجيلالي** (الحاج -) ولد بمدينة سلا سنة 1917 . والده شاعر معروف هو الحاج الجيلالي بن علي. كان بيته ملتقى فن الملحون من شعراء ورواة ونساخ. كان امحمد ناظم الطفل يحضر هذه السهرات والجلسات التي كانت فرصة للمتعة وفي الوقت ذاته بمثابة مدرسة لتكوين الشعراء والمطربين في فن الملحون.

بدأ الحاج امحمد نظم شعر الملحون وهو شاب، ويحكي أن صديقاً له من مولاي إدريس زرهون زاره يوماً وطلب منه قصيدة فنظمها استجابة لطلبة وقدمها لصديق والده الشاعر أحمد الطرابلسي (وهو شاعر معروف في سلا)، فاستحسنها وحثه على مواصلة طريق والده الشاعر. وكانت هذه الصدفة انطلاق تجربة طويلة في كتابة قصيدة الملحون التي بوأته مكانة استحق بها وصف "شيخ الأشياخ".

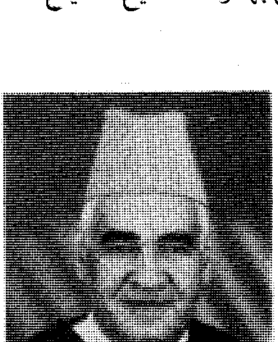

تناول الشاعر امحمد ناظم كل أغراض شعر الملحون من مدح وغزل ورثاء وتوسل، وقد أسهم بشكل لافت في "الوطنيات" لأنه عايش فترة الاستعمار وامتد به العمر في فترة الاستقلال.

ومن أشهر قصائده قصيدة زايدة في الغزل، ومطلعها :

أمير الغرَام جارْ عليًّا باجنود حَاقْده * وابْطَالُه للْحَرب واجـدَاة
سَرْبَة عن سربه امجنْدة تجنيد

ومن أشهر قصائده في التوسل قصيدة "التوسل" التي مطلعها :

يـارب الكاينـات قَـوِّي زادي ورْحمني من ديكْ وهـادِي
وكْرَمْني عَند خروج الروح بالشْهَـادة ورزْقنـي جنـة الخلـود

وقد أقامت الجمعية السلاوية لنهضة الملحون مهرجاناً تأبينياً بمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاته بسلا بتاريخ 24 رجب 1418 موافق 14 نونبر 1998 . ألقيت فيها قصائد تأبينية عديدة من طرف شعراء الملحون من بينها من مكناس : قصيدة الشيخ الشريف مولاي عبد العزيز العبدلاوي العلوي. ومن سلا قصيدة : الرثاء نظم الشيخ الشريف مولاي إسماعيل العلوي السلسولي.

توفي بمدينة سلا بتاريخ 30 / 9 / 1998.

عبد الجليل ناظم

**الناظور** ، اسم معروف بالشام وبمختلف جهات الجزائر الغربية والريف الشرقي. مثل جبل الناظور ببني أوليشك الريفية وبمدينة سبتة، ولا شك أنه مشتق من النظر، وعادة ما يطلق على نقط المحارس، الجبلية منها والساحلية.

والأصل في اسم الناظور المنتمي لقبيلة قلعية، تل مرتفع بنحو 142 م. مشرف على حوض سبخة بوعرك من الزاوية الشمالية الغربية. ومنه كانت تتم مراقبة السفن الداخلة إلى السبخة حينما التفت نظر البحريين إلى أهميتها ومياهها الهادئة المحمية بالشريط الرملي الساحلي المحيط بها من جهة الشرق. وتتأكد تلك المراقبة خلال القرن السادس عشر حينما كانت السفن التركية قد اتخذت البحيرة ملجأ لها، والإسبانية التي كانت بصدد دراسة طرق استغلالها.

وأقدم ما نعرفه من مواطن السكن بالسفح الجنوبي من كتلة قلعية أو جبل أكركور مثلته النواة الموجودة بقرية أزغنغان المعروفة قبل القرن العاشر الهجري من طرف الحسن الوزان، وتعمير الهلاليين لسهب براقة. وعلمنا بعد ذلك بوجود سوق الجمعة وقت حصار السلطان محمد بن عبد الله لمليلة خلال فترة 1774 - 1775 ويوجد السوق على بعد كيلومترين من قرية الناظور بعد عبور مجرى واد الناظور، موضعه بمنبسط جميل يشرف عليه جبل أربوز لسوق لمزوجة وبالمكان بئر غزيرة التدفق.

ينتمي الناظور إلى قبيلة قلعية، من الريف الشرقي، وقد تدرج عمرانه المعروف في الوقت الحاضر خلال الفترة المعاصرة من اسم لقرية ثم لمدينة وللإقليم أخيرا.

وقرية الناظور القديمة، هي النواة السكنية المتجمعة حول التل المعروف بنفس الاسم منذ ما بعد النصف الثاني من القرن العاشر الهجري (16). فمحمد الحسن الوزان أو صاحب *تقييد* نسب قبيلة قلعية بعده بقليل لم يذكرا أي شيء عن آيت الناظور. ولم تظهر أي علامة للسكن من خلال الرسوم التي خطها الإسبان عن البحيرة في منتصف القرن السادس عشر، مما يسمح بالتحدث عن تأخر تعميره إلى وقت لاحق.

ووجود تجمع قرية "إحدادن سوق السبت" المعروف باستقراره منذ القرن العاشر الهجري (16) بجوار المحرس دليل على تقدم العمران شرق السبخة. ومن دلائل ذلك ظهور سوق "الجمعة القديمة" بإزاء ضريح المدعو مولى بغداد، بجانب القرية من جهة الغرب في اتجاه السبخة يسمح لنا بالتحدث كبداية عن تجمع قرية آيت الناظور القديمة.

والشاهد لدينا أن آيت الناظور، هم السكان الأوائل المستقرون حول جبل الناظور، وبهم أنيطت مهمة الحراسة، وشكلوا بذلك نواة القرية القديمة. تعرفنا على آيت الناظور من وثيقة مؤرخة بمستهل القرن الثالث عشر (19)، حين تحدثت عن موثق يدعى محمد بن عمروش الناظوري، وهذا دفعنا إلى الاعتقاد بوجود آيت الناظور قبل ذلك التاريخ، قد نعود به إلى ما قبل النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18)، مما يوافق ما نذهب إليه من تعمير المكان زمن الحصار المغربي لمليلة. وسنتابع مراحل تعمير القرية خلال مرحلتين متتاليتين :

- تكونت جماعة آيت الناظور بالقرية القديمة في المرحلة الأولى بالفراغ المتواري حول تل الناظور الحالي من جهة الغرب، بالمكان المعروف حاليا باسم "إشماي"، ويقابله من تلك الجهة تل "أربوز"، البالغ علوه 108 أمتار. تكونت القرية على ما يبدو خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر، مما كان له ارتباط بتعمير سهب براقة بعرب بني هلال وبني المعقل خلال القرن السابع الهجري (13). وكانت المناسبة إحداث سوق الجمعة القديمة المشار إليه حول بئر ذي ماء جيد، هو المصدر الوحيد بالنسبة لآيت الناظور.

وفي إمكاننا وضع تصور للمرحلة الثانية بامتداد العمران شرقا نحو الساحل، حول مقدمة الجبل الشرقية في اتجاه سيدي "علي تمكارت". ونستطيع من جهة أخرى تحديد أهمية هذا القسم الجديد من آيت الناظور إذا ما تجولنا بالمساحة التي أتى عليها التخريب الناتج عن الغزو الإسباني، فلم يكن في سنة 1910 قد بقي منه شيء. كانت الدور موزعة على سفح جبل الناظور، مبنية على هيأة وتصاميم عادية. وتظهر بين الدور منارة جامع يدعى الجامع الأبيض، ويستغل السكان بعض الآبار ومخازن الحبوب. وتوجد عند مخرج القرية على طريق مجرى وادي مقبرة المولى بغداد، محيطها نحو 100 متر. وهذا القسم الثاني مميز عن الثالث الذي أنشأه الإسبان إثر احتلال القرية.

- القرية الجديدة : كانت الغاية من احتلال الإسبان لقرية

الناظور خاصة، بعد إجراء صفقة بيع معدن جبل إكسان ببني بويفرور، من القبيلة القلعية، التوصل إلى مد الخط الحديدي نحو حقول المعدن مرورا بقرية الناظور. وقد شكلت مقاومة الشريف محمد أمزيان العرقلة الأساسية لتنفيذ المخطط الإسباني منذ صيف 1909. ولذلك اقتضت استراتيجية الاحتلال محاصرة قرية الناظور من جميع الجهات البرية والبحرية. من تينيمارت، المدعوة خطأ من طرف الإسبان نحو تجمع مدشر العراسي، وتلقت آيت الناظور الطلقات المدفعية من تل تاليوين ومن المواقع التي كانت القوات الإسبانية مرابطة بها في آخر منحدرات كتلة سيدي أحمد الحاج. والنتيجة أن الإسبان أشاعوا الحرق والتخريب والدمار بالقرية، وبالعراسي، التي منها مما عرفناه عرسة الأمين محمد الشادلي التي لم يبق منها شيء.

وفي الوقت الذي أحدث الإسبان بالقسم الثاني من القرية القديمة المخربة ما سمي بالحي العسكري مقابل القسم الأول الذي عرف بالحي المدني، وضعت سلطات مليلة مشروع خلق تجمع سكني جديد متكون بالقسم الساحلي بين مرساة سيدي علي تمكارت شمالا وجماعة إشعالن جنوبا. وليس هناك أبلغ من بعض الصور التي التقطت لعمران القرية القديمة منها والجديدة سنة 1909 و1911 وسرعان ما أصبحت قرية الناظور أهم قرى المنطقة.

وكانت المساحة السهلية الساحلية التي نشأ بها عمران هذا القسم الثالث من قرية الناظور في البداية شبه فارغة، لايظهر منها سوى بعض العرسات المحاطة بشجر الهندي وتبرز في آخرها قبة سيدي على الحمام. ثم أنشئت ببعض جهاتها المباني الخشبية المخصصة للأهداف العسكرية. وحدث بعد ذلك أن قسمت إدارة مليلة المساحة الفاصلة بين آخر منحدر جبل الناظور وساحل البحر بين سيدي علي تيمكارت والوضع الذي يحمل مبنى فندق الريف الحالي إلى مساحات صغرى مرقمة وزعت على المعمرين مدنيين وعسكريين. وهذه هي التي غزتها تدريجيا الهندسة المعمارية المعاصرة.

وإلى هذا التجمع السكاني المزدوج يصل الخط المعدني الحديدي، بعد مخرجه من ممر تاليوين، مارا بساحل ترقاع إلى أن يمتد بين الحي العسكري من القسم الثاني من القرية القديمة وبين المنشآت الأولى من الحي الساحلي المحدث، يميزه بناء محطة على بعد 200 متر، وقد عاينا بنيانها سنة 1946، ولم يتغير حالها إلا في السنوات القريبة. كانت المحطة مكونة من طابقين وثلاث غرف، مقاييسها 16 م طولا و7 عرضا و10 علوا. وقد واصلت الشركة الإسبانية لمعادن الريف، خطها بجوار السابقة مما يلي الغرب في اتجاه قرية ازغنغان ومواقع لعساري وأفرا وأخيرا جبل إكسان، وبدأت التجهيزات ومعدات الحفر تتدفق على الحقل المعدني.

وبالقرب من الساحل شيدت المقهى الأولى، وهي أقل مساحة من نزالة أعاس، بجوار النادي العسكري المعروف على عهد الحماية، وهو المحول بعد الاستقلال إلى نادي البحر الأبيض المتوسط الحالي. وعرفت القرية العصرية منذ سنة 1912 تطورا مستمرا تبعا لتزايد اقتناء الملكيات، من طرف تجار العقارات ورجال الصناعات. "شمال إفريقيا"، وسرعان ما شيدت أخرى أصبحت مأهولة من طرف الأسبان واليهود وإلى جانبها تكونت بعض المراكز التجارية، ومطعم ودكاكين المأكولات، ومكتبة ووراقة وسوق صغير، وعرفت سنة 1946 أولى تحولاته ببناء المتاجر الصغرى التي لا تزال إلى يومنا هذا شاهدة على ذلك التحول.

وفي سنة 1911 كانت قرية الناظور قد ارتقت إلى مرتبة فرقة، تمتد أراضيها على مساحة نحو 20 كلم طولا و8 عرضا من ساحل سبخة بوعرك، بعد أن ضمت إليها خمسة مداشر، علاوة على قرية الناظور. وهي : إشعان، علي الشيخ، (علي أعراس) العراسي والمسامير وإحفطلاين. وعلى بعد كيلومتر واحد يقع وادي الناظور (وادي الخميس) الجاف، ويليه بئر غزير المياه.

وفي سنة 1931 أصبح للناظور مجلس قروي، أساسه القانوني هو المصادقة على ميزانية لجنة الخدمات البلدية للقرية. وتحقق ذلك بصدور ظهير إنشاء لجنة الخدمات البلدية. وبناء على ذلك أصبحت فرقة الناظور متوفرة على مجلس قروي، يضم قرى أزغنغان وسلوان وأربعاء أركمام وزايو ورأس الماء وعروات وتيزطوطين، وأول نواب رئيسها سنة 1933 هو أحمد بن محمد بن سي عمر، أغنى أسرة محمية ناظورية آنذاك.

وعلى الرغم من كون المشاريع الكبرى وضعت مخططاتها قبل سنة 1921، إلا أن المنفذ منها كان قليلا جدا. ويمكن أن نضرب المثال بمشروع بناء المستشفى العسكري (نواة مستشفى محمد الخامس الحالي) الذي صدر القرار بشأنه يوم 4 شتمبر 1908، وأعيد المشروع سنة 1928. وكذا مشروع إحداث مدرسة للتعليم بالإسبانية، ومشروع ربط الناظور بتيزطوتين بالخط الحديدي (سنة 1926). كما ظهرت نواة المحكمة (1928) والخزين الصيدلي (1927).

ويوازي هذا التطور ما حدث في العمران المركزي للقرية الجديدة. فمراعاة للتخطيط الهندسي الجديد بدا أن العمران كان مقسما إلى أربع قطاعات كبرى، ما تزال إلى يومنا ميزة المدينة النواة عن باقي المساحة العمرانية الكبرى. والفاصل بين تلك القطاعات شارعان، غربي موازي للخط الساحلي، تحده مباني القرية القديمة، وشارع رئيسي يتوسط الجناحين الشمالي والغربي من جهة، ومتصل عموديا بالقاعدة الشرقية المستندة على شارع ساحل البحر الصغير الممتد بين تل سيدي علي تيمكارت شمالا ونهاية مجاري التطهير (الواد الحار) الذي حل محله اليوم فندق الريف من جهة أخرى. وبعد ظهور مشروع ربط القرية بالطرق المعبدة الجاري خلال تلك السنوات أصبحت الاستعدادات آنذاك جارية للاعتراف بقرية الناظور كمدينة وعاصمة لمقاطعة كرط.

الناظور مدينة : بدأ ميلاد مدينة الناظور بعد قطع

مراحل النمو السابقة بصدور الظهير الخليفي المؤرخ في 7 ذي الحجة 1352 / 23 مارس 1934 ، وقد تصدى الظهير للمواصفات التي استوجبت ترقيتها، منها : نموها العمراني المحتضن لجميع الخدمات الإدارية، خاصة توفرها على إدارة المراقبة المحلية (مقر العمالة أول الاستقلال ثم الباشوية ومبنى البلدية في الوقت الحالي)، إلى جانب مركز للبريد والتلغراف ومحكمة ومجموعة مدرسية، واعتبار الظاهرة الديمغرافية المعتمدة، إذ أن عدد التجمع السكاني بالناظور في تلك السنة بلغ 5.000 نسمة. وعينت سلطة الحماية نائب الصدر الأعظم عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري أول باشا على المدينة. وبدت هيمنة مدينة الناظور واضحة على جميع المساحة الممتدة من بين واد النكور غربا وواد ملوية غربا بعد تأسيس نظام المراقبة وأصبحت مدينة الناظور مركزا له.

الناظور إقليم : ومع بزوغ الاستقلال أصبح الناظور إقليما، حيث شغل المقاوم عبد الله الصنهاجي أول منصب في العمالة، على الرغم من أن العديد من المصالح كانت مرتبطة بإقليم وجدة، وفي مقدمتها التعليم، إلى أن استردت تلك المصالح تدريجيا الواحدة بعد الأخرى. وجريا على ما كان معروفا في آخر عهد الحماية الإسبانية قسم الإقليم إلى ثلاث دوائر : قلعية والوطا (تشمل كبدانة وأولاد ستوت وبني بويحيى والمطالسة) والريف (ضم بني سعيد بني أوليشك وتمسمان وبني توزين وتافرسيت).

ومع مرور الوقت وإلى آخر القرن العشرين تغير الكثير من ملامح التمدين، بالتجمعات التي كانت من ضمن القرى، على طول الخط الرابط بين الناظور والحسيمة من جهة، وعلى الخط الرابط بينها وبين وجدة أصبحت اليوم مدنا، علاوة على الاتساع العمراني الذي تشهده المدينة كل سنة. وآخر ما سمعنا عن الإقليم أن الناظور ستصبح خلال سنة 2006 مدينة جامعية متعددة الاختصاصات. كما أن الخط الحديدي سيصلها من تاوريرت خلال السنوات القليلة القادمة. ونشير إلى أن الإحصاء السكاني لسنة 1994، بلغ 683.518 نسمة، منهم الحضريون 245.793، والبدويون 437.725.


الجريدة الرسمية لمنطقة الحماية الإسبانية بالمغرب، سنوات 1926 - 1935 ؛ حسن الفكيكي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلة*، الدار البيضاء، 1997 ؛ حمو الشكري، *مذكرات شخصية* ؛ ضابط الأمور الوطنية، تطوان، 1952 ؛ أرشيف مديرية الوثائق الملكية ؛ *خرائط المصالح الإدارية* ؛ *خريطة طبوغرافية أنجزت سنة 1934*.

D. Berenguer, *Campanas en el Rif y Yebala,* Madrid, 1948 ; A. Riera, *España en Marruecos*, Buenos Aires, 1910 A. Sierra Ortis, *Recuerdos de la Guerra del Kert*, Barcelona, 1914 ; Rafael F. de Castro y Oedrera, *El Rif, los Territorios de Guelaia y Quebdana*, Malaga, 1911 ; *Recensement*, 1994.


حسن الفكيكي

**الناعورة** ، قطعة قصيرة من الشعر الملحون تأتي بعد الدخول في السرابة أو بين أقسام القصيدة. وتتكون من أبيات ما بين ثلاثة وخمسة، ويتألف البيت الواحد من شطرين إلى أربعة.

وتأتي "النْواعَر"القصيدة موحدة القافية حينا، متباينة حينا آخر، كما أنها تكون من جنس قافية الأقسام أو من غير جنسها.

ومن أمثلتها : الناعورة الأولى من قصيدة "الساقي" للشيخ الجيلالي امتيرد :

آلسّاقي مَالَكْ وَلْهَانْ عدلْي لاَتَكتَم سولاَنْ مَالْحَالك مالُه
قالْ لَي ما ابْقاني حَيْرانْ خَاطَري والساكَن دهشانْ مَن بها قْتَالُه
والهْدامْ وحُسن الحَسَنْ اولْيها والزين الفتّانْ اولْهوَى واحْوَالُه

وأكثر ما ترد النواعر في القصائد المبيّنة القائمة على قياس "لمشرگي" من قبيل قصيدة فاطمة للشيخ الجيلالي امتيرد.


عباس الجراري، معجم مصطلحات الملحون، *مجلة الفنون*، ع 1، س 5 رمضان، 1398 / 1978 ، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ص. 32 ـ 33 ـ 42 ـ 45 ؛ *القصيدة*، ص. 158 ـ 159 ؛ محمد الفاسي، *معلمة الملحون*، ق 1، ج 1، مط. الأكاديمية، ص. 107 ـ 108 ـ 104.


**الناقوس** (آلة -) معدنية هي عبارة عن قطعة من حديد سميك على شكل أنبوب، تستخدمها أجواق الروايس في سوس كوسيلة لمصاحبة الرقص وضبط الايقاع.

وطريقة استخدام الناقوس أن يوضع على الأرض ومن تحته شيء - هو في العادة بلغة - يحفظ له رنينه، ثم يقرع بواسطة قضيبين معدنيين أو بما يشبههما من قطع منزلية كالمفتاح أو الملعقة.

وممن اشتهر بنقر الناقوس الفنان الصويري مولاي علي الذي لازم لمدة طويلة الرايس بلعيد ورافقه في رحلاته الفنية.

ومثلما تستخدم أجواق الروايس الناقوس، فكذلك تستخدمه مجموعات أحواش التي تطلق عليه اسم "الطاسة".


صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، مط. فضالة، المحمدية، 1977، ص. 49.

Alexis Chotin, *Tableau de la musique marocaine*, Libr. Orientaliate, Paul Geuthner, Paris (VIe)


عبد العزيز بن عبد الجليل

**نال** (بني -) من البطون الغمارية المشهورة حسب ابن خلدون، وقد ورد ذكر هذا البطن منذ القرن السادس الهجري عند البيدق الصنهاجي. ويقول أبو حامد العربي الفاسي اعتمادا على نسابة غمارة أن يال ونال (بني نال) أخوان، فتفرع يال إلى بني زيات وبني سلمان وبني منصور وبني بوزرة، وتفرع نال إلى بني خالد وبني رزين وبني گرير وبني سميح وبني زجل.

وما زالت إحدى قرى بني حمدون من قبيلة بني گرير تحمل اسم بني نال، كما يوجد أولاد النالي بقبيلة بني خالد الغمارية.

ابن خلدون، *العبر*، 6 : 249 ؛ البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت*، ص. 54 ؛ العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ص. 226 ؛ التقي العلوي، *غمارة وحلفاؤها*، مجلة البحث العلمي، العدد 31، السنة 16 أكتوبر 1980، ص. 33 ـ 34.

بوعبيد التركي

**النالي** (سيدي -) **عبد الرحمن** الشيخ الأستاذ الولي الصالح الزاهد الورع أبو زيد سيدي عبد الرحمان بن أحمد النالي الغماري، يرفع نسبه إلى الإمام إدريس، ترجم له ابن القاضي فقال : "عبد الرحمان بن أحمد النالي معلم الصبيان بمكتب المعادي، الرجل الصالح الوارع الزاهد".

أخذ العلم على يد شيوخ منهم أبو زيد عبد الرحمان بن إبراهيم الدكالي الفاسي، وعن سيدي علي حماموش، كما أخذ عليه سيدي محمد الحضر. كانت للمترجم شهرة بمدينة فاس فهو معدود من صلحائها، جاء في منظومة في صلحاء فاس الذين أقبروا بالدور والحومات داخل المدينة.

وسيدي النالي جليل معتبر بجامع المعادي ذكره اشتهر

توفي عام 951 بمدينة فاس، وهو أول ميت جاز على جسر الرصيف بعد تجديده، واشتهر عند كثير من الناس أن ضريحه بالمسجد المعروف به الآن من حومة المعادي بفاس.

ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 95 ـ 96 ؛ *جذوة الاقتباس*، 2 : 407 ؛ جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 111 ـ 112.

**النالي، محمد** الفقيه العالم المفتي المحصل أبو عبد الله محمد النالي الغماري المعروف بالمسفر، كان من العلماء الكبار، ترفع إليه الأسئلة من الأقطار البعيدة، فيجيب عنها بأجوبة جليلة، نقل كثيرا منها الإمام الونشريسي في *المعيار المعرب*، والقاضي الرزيني في *نوازله* التي قيدها عن فقهاء الوقت، ويذكر الشيخ أبو محمد عبد الله الهبطي أن الفقيه المسفر من فحول العلماء.

توفي في العشرة الثانية من القرن العاشر الهجري، ودفن ببلاده بني نال من بلاد غمارة.

ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ص. 34.

**النامیسي، عبد الله** بن **محمد** الصنهاجي من أهل طنجة، أخذ عن مشايخ عدة مدن، حيث سمع بسبتة من أبي محمد بن عبيد الله، وبمدينة فاس من أبي عبد الله الفندلاوي المعروف بالكتاني الإمام في أصول الدين وأصول الفقه وأبي محمد ابن زيدان. ثم قصد قصر كتامة فأخذ به عن أبي محمد عبد الجليل القصري (ت. 608 / 1211)، كتاب *شعب الإيمان* من تأليفه. وأجاز له من علماء هذه المدينة أبو محمد بن فليح الحضرمي، وحصل على إجازات من عدد آخر من مشاهير علماء العصر الموحدي كأبي القاسم بن الملجوم الفاسي وأبي ذر الخشني وأبي الصبر أيوب الفهري السبتي. وكان يتردد على الأندلس، وولي القضاء بشريش مدة، وكان مشاركا في علم الكلام.

امتحن بالتغريب عن وطنه لسبب لم تذكره المصادر، فقصد تونس في منتصف سنة 641 / 1243، وبها لقيه المؤرخ أبو عبد الله بن الأبار القضاعي البلنسي وسمع منه كثيرا. ثم سرح إلى بلده سنة 647 / 1249.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، الدار البيضاء، ج 2، ص. 308 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 430.

محمد المغراوي

**الناي**، آلة موسيقية من أسرة ذوات النفخ. وهو عبارة عن قصبة جوفاء ذات ثقوب على جانبها. وتتعدد أسماؤها هذه كما أنها تختلف باختلاف مواقع استعمالها. فهي في شمال المغرب "الليرة"، وعند أحواش "العوّادة"، وفي الجنوب الصحراوي "أرغول"، بينما تشتهر عند شعراء صنهاجة المعروفين بامذيازن باسم "بوغانيم"، وإن كانت هذه الأخيرة متميزة باحتوائها على قصبتين بدلا من قصبة واحدة.

وقد عرفت هذه الآلة في المصادر القديمة بالناي، كما عرفت بالشبابة. ويأتي تعريف ابن خلدون للشبابة بما يدل على أنها هي ذاتها آلة الناي فيقول : "قصبة جوفاء، بأبخاش في جوانبها معدودة، ينفخ فيها فتصوت، فتخرج الصوت من جوفها على سدادة من تلك الأبخاش. ويقطع الصوت بوضع الأصابع من اليدين جميعا على تلك الأبخاش وضعا متعارفا".

تتميز النايات عن سائر الآلات الموسيقية بأن صناعتها تعتمد على مادة واحدة هي القصب، في حين تتعدد مواد تركيب باقي الآلات كالعود والقانون والغيطة. وتصنع النايات من ذكر القصب البور، وتنتقى قضباتها من رؤوس القصبات العليا. ويختلف عدد عقودها والثقوب المحدثة فيها باختلاف أحجامها ومجالات استخدامها. ومن نماذج الناي الأكثر شهرة بالمغرب ناي الفرق الشعبية المبثوتة بين قبائل زمور، فهي الآلة الرئيسية في المجموعة، وهي التي يحملها رئيسها. وتعرف بالقصبة الخماسية لاحتوائها على خمسة عقود، تحدث بها ثقوب في مواقع تُحدد بشكل دقيق انطلاقا من الطرف الأسفل للقصبة.

يستخدم الناي في كثير من فنون الموسيقى الشعبية المغربية، وخاصة منها المبثوثة في المناطق البدوية. وفيما يسجل غياب هذه الآلة في مستعملات أحيدوس، وفي غناء العيطات، إضافة إلى الفنون الحضرية كموسيقى الآلة والطرب الغرناطي وطرب الملحون، فإن حضورها يعود ليتأكد بقوة في الأجواق التي تمارس ما عرف في المغرب الحديث بالموسيقى العصرية أو ما يتصل بها من أغاني شعبية حديثة. وهذه ظاهرة تعكس وجها آخر من وجوه تسرب التقاليد الموسيقية الشرقية إلى الأجواق المغربية منذ الثلاثينيات من القرن العشرين.

ابن خلدون، *المقدمة*، الباب الخامس من الفصل الثاني والثلاثين، مصر، ص. 423 ؛ ع. بن عبد الجليل، *مجلة المناهل*، ع. 27، س 10 شوال 1403 / يوليوز 1983، ص. 150.
A. Chottin, *Tableau de la musique marocaine*, p. 33-36.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**النايبة** (ضريبة -)، ارتبط ظهور هذه الضريبة اسما وتنظيما بالحقبة السعدية، وهي في جوهرها ليست شيئا آخر غير ضريبة الخراج التي تشكل الأرض وما تنتجه من حاصلات زراعية الإطار الأساس لجبايتها. وبحكم إلزامية أدائها من قبل كافة الجماعات القبلية عدا تلك التي تربطها بالدولة روابط الخدمة المخزنية، ميز السعديون في هذا السياق بين قبائل النايبة وقبائل الگيش. فالأولى هي التي تؤدي ضريبة النايبة باعتبار تمتعها بحق استغلال الأراضي التي تعد مبدئيا ملكا لبيت مال المسلمين، أما الثانية فهي معفاة من أي شكل من أشكال الأداء الجبائي باستثناء الضرائب الدينية، طبعا (الزكوات والأعشار)، وتؤدي، مقابل ذلك، خدمات ومهاماً عسكرية ضمن سلك تنظيمات الجيش النظامي للدولة. وقد تطورت تسمية النايبة بعد القرن الحادي عشر (17)، حيث لم تعد ترمز إلى نمط مخصوص من أنماط الأرض المستغلة، بل صارت تشير عموما إلى وضعية الاستتباع والوصاية التي صار المخزن يفرضها بشكل محكم على المجموعات البشرية المستقرة فوقها وما يوازي ذلك من اقتطاع منظم لجزء هام من حصيلة إنتاجيتها.

ولتنظيم جباية النايبة وتحديد صيغ فرضها، اعتمد السعديون تصورا خاصا للأرض يستجيب للتحولات التي حدثت على مستوى الخريطة القبلية وتوزيعها السوسيو - مجالي. فإذا كان عبد المؤمن الموحدي أول سلطان ضرب الخراج على مجموع الأراضي المغربية باستثناء الجبال والأنهار بدعوى أن المغرب فتح عنوة، فإن هذا الوضع سيتغير على عهد السعديين لا سيما بعد التحولات الجديدة التي شهدتها حركة الاستقرار البشري وما أعقبها من انعكاسات على توزيع المجموعات القبلية بين الأراضي السهلية من جهة والأراضي الجبلية من جهة أخرى. وتبعا لذلك وأمام صعوبة، إن لم نقل استحالة، التمييز بين الأراضي الصلحية والأراضي العنوية وتعيين نطاقات امتدادها وحدودها الفاصلة في المجال، جنح السعديون استنادا إلى منطق الاجتهاد والتقريب إلى اعتبار الأراضي السهلية ملكا للدولة أي للسلطان يقرر بشأنها ما يراه ملائما حسب ما تمليه عليه إرادته الخاصة، ولذلك طبقت على هذا النوع من الأراضي ضريبة النايبة. في حين تركوا الأراضي الجبلية لنظر العلماء ليقرروا في حالها ومآلها ما يرونه منسجما مع قواعد الشرع الإسلامي وغير متناقض، في ذات الآن، مع المصالح الحيوية للبلاد.

وقد عرفت ضريبة النايبة تطورا خاصا عبر سيرورة تحصيلها في العهد السعدي. فقد استخلصت نقدا على شكل معونة أيام القائم بأمر الله وابنه أحمد الأعرج. يقول الإفراني في هذا الخصوص : "فلما اجتمع عنده البيض، أمرهم أن يأتي كل من أتى ببيضة بدرهم ففعلوا فاجتمع عنده مال وافر فأصلح به شأنه قوّى به جيشه. غير أن هذه الصيغة تغيرت بعد ذلك على عهد محمد الشيخ فصارت النايبة تجبى على شكل عيني لا سيما بعد أن ارتفعت الأسعار ارتفاعا مضاعفا عما كانت عليه من قبل، وقد قدرت كمياتها عهدئذ بصفحة شعير وعشرين مدا من القمح لكل نائبة وصاع من السمن وكبش عن كل أربع نوائب. وقد تواصل استخلاص ضريبة النايبة على هذه الشاكلة إلى أن أعاد أحمد المنصور تحصيلها نقدا ليتم تحويلها من جديد إلى ضريبة عينية على عهد ابنه الأمير زيدان بعدما اكتشف أن زمانه غير زمان أسلافه لأن الأسعار ارتفعت يومئذ بصورة لم يسبق لها نظير من قبل.

والجدير بالإشارة في هذا الإطار أن السعديين ارتكزوا في تحصيلهم لضريبة النايبة على وحدة الكانون (جمع كوانين) وذلك بهدف تسهيل عملية توزيع المقادير الجبائية المستحقة على كل قبيلة على حدة من جهة، وتسهيل مهمات الجمع والحساب على عمال الجباية من جهة ثانية. إذ كانت كل خيمة فرادية مطالبة بأداء نايبة النائبة التي كانت تشكل عند جمعها في المحصلة النهائية ما كان يدعى نائبة القبيلة. ويعود تقسيم القبائل إلى خيام فرادية في الأصل إلى عهد محمد الشيخ، وهو تقسيم ظل يمثل القاعدة التنظيمية لكل الأنماط الضريبية التي عرفها المغرب السعدي تقريبا. والواقع أن التغير الذي كانت تعرفه الخيام إما بالزيادة أو النقصان في عدد عناصرها كان يفقد هذا الشكل من التقسيم، مع توالي الزمن، نجاعته التنظيمية ومشروعيته الاجتماعية داخل المنظومة القبلية. ولعل هذا الوضع هو ما أوضحه ميشو بيلير في المستويين التاليين :

- اندثار بعض الخيام (الكوانين)، وهو أمر كان يؤدي حتما إلى توزيع نائبتها على الخيام الأخرى المتبقية.
- تزايد عدد الخيام، ذلك أن كل خيمة فرادية كانت تتحول مع مرور الوقت إلى مجموعة من الخيام الفرادية وذلك بفعل عملية التكاثر الطبيعي التي كانت تعمل على تغيير التركيبة العددية لخيام القبيلة.

والمؤكد، أن الاعتماد على نظام الكوانين كهيكل تنظيمي قار لتقدير وتوزيع واجبات النايبة دون احتساب التفاوتات الموجودة في الواقع بين مختلف الكوانين المؤلفة لكل كيان قبلي ودون الأخذ في الحسبان، فضلا على ذلك، الفرق الواضح بين السنوات السمان والسنوات العجاف ومدى تأثيره على الإنتاجية السنوية، كان يتسبب في استنزاف وتآكل القاعدة المادية للأسر والعشائر وإجبارها في أحيان كثيرة على ترك مزروعاتها ومواطن استقرارها والهجرة

صوب مناطق أخرى جديدة. وهي ظاهرة كانت تجد في تعسفات جهاز الجباة الذي كان يتمتع بمطلق السلطة في إدارة شؤون الجباية تقديرا وتوزيعا وتحصيلا في غيبة أي رقيب أو حسيب في الغالب الأعم كل أسباب التفاقم والانتشار على نطاق واسع.

الإفراني، *نزهة الحادي*، 89 ؛ عبد الله كنون، *رسائل سعدية*، 1954، 145 ـ 149 ؛ إبراهيم الحساني، *ديوان قبائل سوس*، تح. عمر آفا، *مجلة دراسات*، أكادير، ع. 1، 1987، 85 ـ 112 ؛ محمد مزين، *فاس وباديتها*، ج. 2، 486 ـ 489.

Michaux-Bellaire, L'impôt de la Naiba et la loi musulmane, *Revue du Monde Musulman, juillet-août, n° VII-VIII, 1910, p. 401* ; L'organisation des finances au Maroc, *Archives Marocaines, 1907, p. 181 - 182* ; Les impôts marocains, *Archives Marocaines, vol. I, n°1, 1904, p. 165.*

الفقيه الإدريسي

**نايت الطالب محند** ولد سنة 1915 بدوار إدباحموش بجماعة التامري الحالية، بناحية حاحا الجنوبية التابعة لنفوذ دائرة أحواز عمالة أكادير ـ إداوتنان. نشأ في أسرة مشهورة بالعلم والفقه والشرف، وتعلم القرآن وحفظه في وقت مبكر من طفولته بالكتاب، ثم درسه جيدا على يدي جده وعمه. وانتقل إلى زاوية إغلالن بإداوتنان، ثم إلى زاوية السباعين بناحية مراكش لاستكمال دراسته الفقهية، وكان مولعا بدراسة كتب الفقه والأدب واللغة العربية.

اشتغل في بداية حياته العملية بالفلاحة، والصيد، في بلده ؛ ثم انتقل إلى مدينة أكادير في وقت من الأوقات، طلبا للرزق، فكان أول عمل زاوله هو التجارة. فبدأها بممارسة بيع التمور تحت خيمة عادية، بالسوق المحلي، ولما نجح في كسب بعض المال، قام بشراء دكان وجعله مقر عمله ومحل تجارته، وعنونه بلافتة حملت اسم : "الهلال"، بزنقة المسجد (رقم 47 ) بحي تالبرجت القديم، وذلك منذ سنة 1945. ومع مرور الوقت، عمل على تطوير تجارته وزيادة أرباحه وتخصص في بيع المواد الغذائية، والسكر، والشاي، والأثواب، والملابس المحبوكة، وصار من بين التجار الكبار.

انخرط مبكرا في حزب الاستقلال، وصار يمثله في مدينة أكادير بصفة رسمية إلى جانب عباس القباج وقاسم بن حيون وأحمد بن الحاج أخنوش والباعقيلي ؛ ثم أصبح عضوا بارزا في القسم السياسي للحزب. وقد ساهم بشكل فعال في كل الأنشطة السياسية التي قام بها على صعيد مدينة أكادير بالخصوص، وجنوب المغرب بشكل عام. وكان يشرف على أعمال التنسيق بين مختلف فروع الحزب سرا في المنطقة، وعلى جمع التبرعات المالية لمساندة كفاح الوطنيين المغاربة وعناصر المنظمات الفدائية المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي، كالمنظمة السرية التابعة لحزب الاستقلال، والفرقة التحريرية، ويد سوس للمقاومة، وجيش الأطلس، وعندما ظهر جيش التحرير، عمل على دعمه وتزويده بالأموال والرجال.

وقد لاحقته عناصر الشرطة السرية الفرنسية عدة مرات، واستجوبته، ثم اعتقلته في آخر المطاف في إطار سعيها إلى حظر حزب الاستقلال والقضاء عليه. وقد تعرض للتعذيب أثناء استنطاقه، وقدم للمحكمة العسكرية.

واعتقل في أحد سجون جنوب المغرب إلى جانب عدد كبير من رفاقه من أطر ومناضلي الحزب والمقاومين المنتمين إلى مختلف المنظمات الفدائية المسلحة. وبقي الجميع فيه لعدة شهور إلى غاية عودة الملك محمد الخامس، وحصول المغرب على الاستقلال سنة 1956.

وبعد خروجه من السجن، عاد لمزاولة عمله والعناية بأسرته، بالإضافة إلى الاستمرار في القيام بمهمته السياسية كأحد أهم الأقطاب الرئيسيين لحزب الاستقلال بمدينة أكادير وما جاورها.

توفي سنة 1960 في كارثة زلزال أكادير.

خالد أوشن، *الوعي الاجتماعي بالمقاومة الوطنية*، نموذج أكادير، 1953 / 1956 ؛ بحث لنيل الإجازة في التاريخ تحت إشراف، محمد أعفيف، برسم السنة الجامعية، 1986 / 1987، بشعبة التاريخ والجغرافية لكلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط، مرقون ؛ تصريح لأعضاء، الفرقة التحريرية، المعروفة بـ اليد السوداء، مقدم إلى رئيس اللجنة الوطنية للمقاومة وأعضاء جيش التحرير، مؤرخ بتاريخ 10 / 07 / 1979 ؛ وثائق خاصة.

خالد أوشن

**نتيفة** ، امتد موطن قبيلة نتيفة في جنوب تادلا. يجاورها من الشرق كل من آيت عتاب وآيت مساض وأزيلال، ومن الشمال بني موسى، ومن الغرب السراغنة وخاصة بني عامر وأولاد يعقوب منهم ثم أولاد خلوف، ومن الجنوب تانانت (أولتانة). وبناء على هذا الامتداد، تقدر مساحة نتيفة بحوالي 900 إلى 1000 كلم$^2$.

وإذا كان يصعب تحديد معنى لفظة نتيفة فمما لا شك فيه أن لها صلة بجغرافية ومناخ هذه البلاد كما هو معلوم في ارتباط لفظة تادلا ـ مثلا ـ بأكوام الحصاد. ونميل إلى الاعتقاد بأن هذه التسمية مشتقة من "النّتْف" و"النُّتْفة" بمعنى ما يُنتف بالأصابع من النبات أو نحوه، أو القليل من الشيء. وقد تعود السكان على إطلاق لفظة "النتافة" في مجموع تادلا المجاورة على أعمال جمع المحصول في فترات القحوط ـ وما أكثرها ـ حيث يستحيل حصده بالمنجل لقصره، وبالنظر إلى انتشار الجفاف في هذه البلاد فإن سنين "النتافة" تغلب على سنين الحصاد. ويلاحظ مدى التقارب بين "النتافة" و"نتيفة" إن لم نقل التطابق بينهما. وهكذا فإن سكان قبيلة نتيفة وقطعانهم ظلوا يقتاتون بالقليل والقصير من السنابل والكلأ.

أما إيطنولوجيا القبيلة فنميل إلى الاعتقاد بأنهم عرب تبربروا بالنظر إلى مجاورتهم لقبائل بربرية مثل آيت عتاب وآيت مساض.

ومن حيث الجغرافية يبلغ متوسط الارتفاع ما بين 550

إلى 650 م. وتميل الأرض من الجنوب والجنوب الشرقي في اتجاه الشمال والشمال الغربي. وتنتصب داخل هذا الامتداد قمم تعكس هذا الميل وهي من الشمال إلى الجنوب قمة تادرارت العمدوق (585 م) غرب دوار باهي وقمة طلعة النبورج (605 م) في شمال شرق بزو وقمة آدرار آسيدزون الشعير (685 م) في جنوب غرب دوار اغبالو وقمة تامگوت ازرزگا (764 م) شرق أدرار السابق وقمة فم الركبة (903 م) في جنوب غرب نتيفة، وقمة مينوركولوش (840 م) في جنوب شرق البلاد.

وتتميز البلاد بالتقطع، تنتشر بها أودية ومتون. ويؤكد اتجاه تدرّج عمق الأودية حقيقة اتجاه الانحدار العام للبلاد أيضا. يبلغ متوسط العمق في الشمال حوالي 60 م. عند آيت مولي، وفي الوسط الشرقي ما بين 210 م إلى 340 م. عند زنگو وشرق بزو، وفي الجنوب 100 إلى 160م جنوب غرب دوار عبد الله. وتنتشر بسائط داخلية في الشمال ببلاد امزور عند مدينة اليهود، وفي الشمال الشرقي ببلاد بني غمو، وفي الجنوب الغربي ببلاد بوإيسمدي وبلاد الولجة.

ويقوم وادي العبيد بسقي أقصى الشمال الشرقي للبلاد. يجري على شكل كوع أو منعطف عميق جدا وهو حوالي 270 م. عند مدخله لنتيفة و659 م عند خروجه منها. ويستقبل روافد تخترق قلب نتيفة أهمها وادي إيعزر ووادي التالت وفم ازرزگا وإيغزر تيرالي وإيغزر قلوش في جنوب غرب البلاد، وإيغزر اسمسيل في شرقها. لكن معظم الجريان موسمي بسبب طغيان الجفاف. وقد حفر السكان عدة آبار قرب تجمعاتهم للتزود وذلك بعد دخول الاستعمار واضطرارهم للاستقرار.

وبزو هي أقدم تجمع في المنطقة، ذكرها الحسن الوزان في القرن 16. تقع عند الضفة اليسرى لوادي العبيد، بعيداً عن فيضانه، ويسقيها وادي إيغزر تيرالي الآتي من الجنوب الغربي، وإيغزر تيگراتين من الجنوب الشرقي. وتطل على بلاد امزور ومدينة اليهود. إن موضعها هو موضع ثنية وادي، لكن موقعها هو ملتقى مواصلات بين بلاد آيت عتاب والجهات الشمالية والغربية، أي من الجبل إلى السهل بواسطة خندق وادي العبيد الذي يعتبر ممرا طبيعيا. وهكذا فإن بزو هي محطة توقف وتموين وتبادل بين الحوز والسراغنة جنوبا وبين تادلا شمالا. وانبثت دواوير كثيرة على ضفاف وادي العبيد شمال بزو مثل زنگور وآيت اواگن ومازوز والقصر ودوار واوغينت وذلك على الضفة اليسرى من الجنوب إلى الشمال ؛ ثم تاگونت وآيت مولي وآيت بوطمير من الجنوب إلى الشمال أيضا على الضفة اليمنى. ونشأت قرب رافده إيغزر تجمعات أخرى كثيفة من بزو في اتجاه الجنوب وهي دوار كرمود، ودوار باهي ودوار تينولين ودوار لعطاف ودوار اغبالو، ويعد هذا الأخير ثاني تجمع مهم بعد بزو شاملا سي مولاي حسين ونشأت في أقصى جنوب نتيفة دواوير عبد الله وآيت حسان.

نظرا لسواد الجفاف وتقطع البلاد، انحصر الاستغلال بضفاف رافد العبيد وهو وادي إيغزر وبالضبط بين التقاء مسيلاته عند دوار أغبالو إلى التقائه بوادي العبيد شمال بزو، وغرس السكان أشجار الزيتون في بلاد امزور وبعض البساتين عند اغبالو، بينما تنعدم الغابة.

أما من جانب التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لنتيفة إلى دخول الاستعمار الفرنسي فقد ظلت نتيفة بلاد مرور، وكانت بزو محطة مهمة للقوافل، وسادت البداوة المتطرفة معظم الإقليم بسبب قساوة المناخ. وظلت تتجاذبها الحوز ومراكش جنوبا وتادلا شمالا. ولم يقم بها قياد كبار محليون، وخضعت في الغالب لقواد الجنوب. وظل السكان يفرون من أرضهم ويخلونها في مناسبات عديدة كالقحوط أو تعسفات قواد الجنوب أو بسبب مجئ محلات المخزن. لذلك لم يستقر السكان بانتظام ولم يتأسس لهم تاريخ متميز بهذه البلاد.

ورد ذكر قبيلة نتيفة في بعض كنانيش المخزن بمناسبة ذكر الحوز أو السراغنة وذكر قواد كلفوا بجباية منها. ثم تعرضت لها تقارير الحماية في أكبر مناسبة هي بداية مقاومتها ضد الغزو الفرنسي، وبالخصوص أخبارحوب لهري بها. وفي تقرير شهر دجنبر سنة 1914 عدت نتيفة جزء من فرع وإقليم مراكش. وأفاد ذلك التقرير وصول أصداء حرب لهري خلال مجموع دجنبر، أي بعد شهر من لهري، إلى هذه القبيلة فأثار فيها تعاليق متعددة، غير أنه لم يعقد أي اجتماع علني. واعترف الفرنسيون بأن بعض القواد أخذوا يتقربون من المقاومة، فزاد نشاط أولئك الذين رغبوا في الحفاظ على سلطتهم وضغطوا على منقاديهم، وهكذا أنجز القائد صالح أوراغ جولة لدى الرفالة، ولما تقرب القائد محد الزناگي من القبيلة وتطابق رأيه معها جاء القائد أوشطو الخاضع لنفوذ المدني الگلاوي واعتقل محمد الزناگي وقاده إلى دمنات، واعتقل أوشطو أيضا بعض السكان. وهكذا أصبحت نتيفة تابعة لإقليم مراكش إلى حدود : 1914

*خريطة القبائل*، سلم 000 500 : 1 ؛ جبران مسعود، *الرائد، منجد لغوي* ، بيروت، دار العلم للملايين، 1967، ص. 1480 ؛ *خريطة بزو* ، مقياس 000 50 : 1، سنة 1922 ؛ *تقرير دجنبر*، 1914، ص. 7.

المالكي الملكي

**النتيفي الجعفري، حسن** بن عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم، فقيه علامة، وحافظ محدث، دمث الأخلاق، طيب الأعراق، ازداد بفاس سنة 1337 / 1918، وحفظ القرآن الكريم في كتاب الفقيه الماحي الحريزي، كما تلقى دراسته الابتدائية على يد أخيه أحمد، أما دراسته الثانوية والنهائية، فقد أكملها على يد والده، وأثناءها قام بختم الأجرومية في النحو مرارا، و*الألفية* و*الرسالة* لأبي زيد القيرواني، وابن عاشر، و*مختصر خليل* و*التحفة*، ولامية

*الأفعال والجمل والمنطق، والأربعين النووية*، ودرس *البخاري*، *والفرائض ومقصورة ابن أبي دريد*.

وعندما بلغ درجة العلماء تصدى لتدريس التوحيد والفقه والنحو والعروض والبيان والمعاني والبديع والأصول والتفسير والمنطق والأدب والتاريخ والجغرافية.

وكان يحضر حلقات دروسه إخوته وتلامذته الذين - بفضله - استطاعت نخبة منهم أن تكون في مستوى حصيلة العلوم والمعارف التي تلقتها عنه، وانتفعت بها روحيا وفكريا واجتماعيا.

وما إن أصاب والده مرض العجز والشيخوخة، حتى أخذ ينوب عنه في الإمامة وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد بالمسجد اليوسفي، هذه الدروس التي استفاد منها جمهور من عامة الناس في أمور دينهم ودنياهم.

توفي في شهر يوليوز 1399 / 1978.

ترك *ديوان* شعر، ومجموعة من التآليف، منها *تحفة الرسائل في أنواع من المسائل*، و*تنبيه أهل الإيمان لبعض أخبار النبي عن هذا الزمان*، وكتاب حول فلسفة *التشريع الإسلامي*، بالإضافة إلى ترجمة مطولة خص بها والده، وهي *الترجمة* التي صدر مختصر لها سنة 1400 / 1979.

عبد الرحمن القباج

**النتيفي، عبد الرحمن** بن **محمد**، ولد سنة 1303 / 1886 بقرية المقاديد إحدى قرى القبيلة المذكورة. أرسله والده إلى كتاب القرية، ولم يتجاوز الرابعة من العمر. لكن ظروفا صعبة اضطرت أسرته إلى الهجرة، طلبا للعيش. ولما ألقت الأسرة النازحة عصا التسيار ببلدة سطات، تابع الطفل عبد الرحمن حفظ كتاب الله. وتتلمذ بعد ذلك، على الشيخ أبي شعيب البهلولي الذي أخذ عنه بعض مبادئ العلوم اللغوية والشرعية بتلك المدينة. إلا أن مكوثه بها لم يتجاوز ست سنين ؛ فارتحل من جديد صحبة رفيقه وتلميذه فيما بعد، الفقيه عبد الرحمن بن الدريوش، متوجهين إلى مدينة فاس.

أقام المترجم، مع رفيقه المذكور، بالمدرسة المصباحية المجاورة للقرويين ؛ حيث لازما معا الجامع الأعظم. وهنالك تلقى العلم عن مشاهير شيوخ فاس يومئذ، كمحمد التهامي كنون ومحمد بن جعفر الكتاني وأبي العباس أحمد بن الخياط وأبي محمد عبد الله الفضيلي وأبي محمد عبد الكبير الكتاني. ولم يغادر فاساً إلا في سنة 1325 / 1907، بعد أن امتلأ وطابه علما وأدبا. وممن أجازه من العلماء، أحمد بن الخياط، وشعيب الدكالي، وعلي الدمناتي. ومن بين من أثنى عليه، عبد الرحمن ابن زيدان، وعبد السلام السرغيني، ومحمد المختار السوسي، ومحمد بن العربي العلوي.

وفي طريقه إلى مدينة مراكش، عرج على مدينة الدار البيضاء، حيث مكث مدة عشرين يوما أمضاها في إلقاء الدروس بالزاوية الكتانية. ثم واصل سيره بعد ذلك، قبل أن يتوقف بمدينة سطات لزيارة شيخه الأول أبي شعيب البهلولي، الذي صحبه إلى مراكش. فأقام هنالك أيضا عشرين يوما، ثم قفل عائدا إلى نتيفة ليلتحق بأهله مارا ببلاد السراغنة.

وفي أواسط شهر رجب قرر العودة إلى فاس ؛ فمر بالدار البيضاء التي كانت محاصرة من قبل الجيوش الفرنسية الغازية ؛ فشهد موقعة تادارت التي قال عنها : "وكنت وقت الإغارة الفرنسية أصلي الضحى، فسلمت منها وعمدت إلى فرس كان موثقا بوتد خيمة فامتطيته وفررت به قاصدا سطات والناس أدبروا هاربين لا يلوون على شيء كل يطلب النجاة لنفسه..." وختم كلامه عن الهزيمة قائلا : "...[و] تركوا كل ذلك غنيمة باردة للعدو، دع عنك القتلى والجرحى الذين لا عد لهم". وأمام هذا الهول صرف المترجم نظره عن مدينة فاس. وبعد استراحة قصيرة بسطات، قصد تادلة التي لقي بها أحد زملائه في الدراسة بالقرويين، ويسمى صالح الرواضي ؛ لعله من قبيلة آيت الرواضي المعروفة بتادلا. فانطلقا معا متوجهين إلى قبيلة آيت حمو أعيسى، من بلاد زايان، التي شارطت المترجم على تعليم أبنائها. يقول الشيخ زحل : "ولم يلبث القوم أن أدركوا منزلة الشيخ فأحبوه وأكرموه. وصار وجيها فيهم لا يقطعون أمرا دونه، فأقبل الشيخ على الدعوة ونشر العلم، لا يضيع وقتا ولا يفوت فرصة، وتناقل الناس في الأطلس المتوسط كله أخباره ونبوغ تلامذته، فرغب الكثيرون في الأخذ عنه، فكثر الوافدون عليه بقصد الطلب حتى ضاقت بهم المدرسة". فكان ضيق المدرسة سببا في انتقاله إلى مدينة خنيفرة، عاصمة زايان، حيث أسس مدرسة جديدة في أواخر سنة 1326 / 1908. ولم يكتف بالتدريس، بل تصدر أيضا لمحاربة بعض مظاهر البدع والدجل والانحراف السائدة في تلك الجهة، مؤكدا ألا سبيل للخلاص من براثن الانحطاط إلا بالتحرر من سطوة تلك المظاهر، والرجوع إلى الأصول الإسلامية الصافية. فكان ذلك سببا في إثارة بعض الطرقيين ضده.

وكان منهاجه التعليمي يجمع بين الدعابة والجد، بين العلم والعمل. فكما حرص على ملاطفة طلبته بالدعابة والنكتة لئلا يسأموا أو يملوا، كان متشبثا بتكوين علماء ربانيين، عن طريق التركيز على تلقينهم تربية روحية ؛ مستمدة من أحاديث الفضائل، والترغيب والترهيب، والشمائل المحمدية، وسير السلف الصالح، وأخبار الصلحاء والزهاد وقصص التوابين. ومن ثم، لم يكن يحبب إليهم الاشتغال بالوظائف المخزنية، لأنه هو أيضا رفضها.

وفي سنة 1329 / 1911 استخلف على طلبته الحاج علال الإعيشي، ليشد الرحال إلى المشرق لأداء فريضة الحج، صحبة ثلة من الفضلاء، من بينهم تلميذه عباس التادلي المعداني، الذي وافاه أجله المحتوم هنالك بعد أداء المناسك. وكانت عودته خلال السنة التالية (1330)، حيث نزل بالدار البيضاء. قبل أن يتوجه إلى خنيفرة، مرورا بأبي الجعد،

وبلاد المغرب تجتاز مرحلة عصيبة من تاريخها على إثر توقيع معاهدة الحماية. ولما داهمت الجيوش الفرنسية الغازية بلاد زايان، شارك الشيخ النتيفي وطلبته في الجهاد، حيث حاربوا الغزاة إلى جانب إخوانهم، في واقعتين : واقعة أركوس وواقعة أفود حمري. وعلى الرغم من أن المغاربة أبلوا فيهما البلاء الحسن، فقد انكسروا بعد ذلك بسبب عدم تكافؤ قوات الطرفين المتحاربين.

وهذا ما جعل الشيخ ينتقل بطلبته إلى قرية تخلنت التي توجد في تراب آيت يوب إحدى فرق قبيلة آيت حمو أعيسى، ليعكف على التدريس. وهنالك أيضا لقي حفاوة كبيرة لدى السكان الذين احترموه وأكرموه. ولما أعلنت سلطات الحماية الظهير البربري، كان المترجم ممن استنكروه، إذ جمع الناس على قراءة اللطيف.

وفيما بين 1332 / 1914 و1340 / 1921 ظل يتردد بين فاس وقرى زايان، قبل أن يستقر نهائيا بمدينة الدار البيضاء حيث تعددت مجالات عمله ليجمع بين التعليم، وعقد مجالس الوعظ، ويتصدر للخطابة والفتوى والمناظرة والتأليف. والراجح أنه لم يلق بالا للوظائف الرسمية، وهذا ما جعله يعيش على الكفاف.

وقد خلف عبد الرحمن النتيفي مصنفات يبلغ عددها سبعين عنوانا، وهي مخطوطة، والغالب على هذه المصنفات، التي جاءت على شكل رسائل ردودا وأجوبة، ثلاثة ميادين : الفقه والتصوف والإفتاء في بعض مستجدات العصر. هذا علاوة على فهرسته ورسالته في وجوب الدفاع عن فلسطين، وغير ذلك.

توفي يوم الثلاثاء ثالث وعشري ذي القعدة سنة 1385 / 15 مارس سنة 1966.

محمد المنوني، *المصادر العربية* ؛ محمد حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، ج 7 ؛ أحمد التوفيق، *المجتمع المغربي* ؛ محمد زحل، عبد الرحمن النتيفي الجعفري، *مجلة الفرقان*، العدد الخامس عشر، 1408، والعدد السادس عشر، 1409.

أحمد عمالك

**النجار**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Nayar ـ Najar ـ Anajar ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Nijar وهو اسم مدينة إسبانية ومن أشهر أفرادها : النجار محمد بن أحمد فقيه ازداد بتطوان يوم فاتح محرم 1236 (9 أكتوبر 1820) وزاول خطة العدالة من سنة 1269 إلى 1291 (1852 ـ 1874) وكان من العدول الذين حرروا وثيقة بيعة السلطان مولاي الحسن الأول يوم 3 شعبان 1290 (1873). وتوفي يوم فاتح محرم 1322 / 1904. النجار محمد بن قاسم كان يقوم بمهمة "شيخ النظر" لذى محكمة القاضي سنة 1126 / 1714. النجار محمد بن علي فقيه زاول خطة العدالة سنة 1118 / 1706.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

**النجار، إبراهيم** بن **عبد الرحمن** السلوي ولد بمدينة سلا سنة 1315 / 1898، ونشأ في حجر والده عبد الرحمن النجار نشأة دينية في وسط يعبق أريجه بإحياء ليالي المديح والسماع في المناسبات الدينية المختلفة وخاصة في ليلة إحياء المولد النبوي الشريف.

التحق إبراهيم النجار بكتاب الفقيه امحمد بوشعراء المتوفى سنة 1361 / 1943 في مرحلة التعليم الأولى، فحفظ القرآن الكريم، ثم بمجالس الفقيه العلامة الطيب بن الشليح المتوفى سنة 1368 / 1949 في مرحلة ثانية فدرس عليه العلوم الشرعية وعلوم العربية وعلم النحو خاصة وعلم التوقيت وغير ذلك من العلوم التي كانت تشغل فكر علماء الفترة من أدب وتاريخ وسيرة وغير ذلك .. ومن ثم كانت دراسته دينية أصيلة، ساعدت على التحاقه بنظارة أحباس سلا سنة 1340 / 1921.

كان شغوفا بالقراءة والمطالعة، يذكر معاصروه أنه كان يقضي أوقاته في قراءة الصحف الصادرة في المغرب كالسعادة والمغرب وفي المجلات المشرقية التي كان للمغاربة تهمّم خاص بها كالرسالة والمقتطف والهلال والبصائر الجزائرية.

اشتهر النجار إبراهيم في وسطه الأسري وفي عمله بنظارة الأحباس بعنايته بتجويد خطه وبراعته في تدبيج كتاباته بأنواع الخطوط المشرقية والمغربية كالكوفي والفارسي والثلثي والديواني، وتفوقه في ذلك، وكان تميزه في فنون الخط العربي في تلك الفترة مثار إعجاب رؤسائه، مما استدعى تعيينه في الكتابة العامة بوزارة الأوقاف سنة 1347/ 1929 بالأعتاب الشريفة أو ما يعرف بدار المخزن، وفي سنة 1363 / 1944 عيّن محافظا بوزارة الأوقاف ومكلفا بالتفتيش في نفس الوقت.

وتقديرا لجهوده في إنجاز أعماله فقد أنعم عليه جلالة الملك محمد بن يوسف بوسامين علويين شريفين أولهما من درجة فارس سنة 1357 / 1938، وثانيهما من درجة ضابط سنة 1369 / 1950.

كان المترجم له يتمتع بتقدير أبناء مجتمعه وأوساط أسرته لدماثة خلقه وحسن عشرته ورقيق طبعه، كما عرف بحفاظه على أناقته وجميل مظهره.

توفي بمسقط رأسه سلا سنة 1370 / 1951.

نجاة المريني

**النجار** (الحاج -) **مَحمد** أحد شعراء الملحون. ولد بمراكش في النصف الثاني من القرن الحادي عشر، وتربى في بيت شيخ الملحون الجيلالي امتيرد الذي تزوج من أمه. وقد لازمه في طفولته وشبابه، فتتلمذ عليه، وخدمه في دكانه. ولما تعلم القراءة والكتابة اشتغل بنسخ قصائده وحفظها. وسرعان ما تفتقت موهبته الشعرية، فأقبل على النظم في أغراض الملحون، وكان مما اشتهر بنظمه في مراكش قصيدته "حجامة" التي يقول في حربتها :

أحجام الرياح اترك اغزالي من عرب المهايا لها جيت عارم تدرى الوشام بالطبوع.

يامن في الذكر امغشم ماني من لامة القروع

وفي سنة 1194 شاءت الأقدار أن يغادر النجار مسقط رأسه ليستقر بفاس، فيما تذهب إحدى الروايات إلى أنه اختار الرحيل إلى فاس بمحض إرادته، وحتى لا يبقى عالة على الشيخ الجيلالي امتيرد الذي ربما ضاقت به الحال بسبب ما ألمّ بالبلاد من جفاف استمر عامين لم تمطر السماء فيها و"لا اعطات الصابا" كما ذكر في إحدى قصائده، وتذهب رواية أخرى إلى أن المترجم أكره على مغادرة مراكش ؛ وعلة ذلك أن أشياخ الملحون بهذه المدينة أنكروا عليه نظم قصيدة "حجامة" بدل "الحجام"، فخرج عما اعتادوا عليه، وظنوا ذلك منه إهانة لهم وتحقيرا، فشكوه إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ولعلهم وجدوا عنده ما وافق هذه الشكوى لأنه - هو أيضا - نظم في "الحجام"، فأمره السلطان بترك مراكش، فكان أن اختار مدينة فاس.

ومهما تكن دواعي رحيل الشاعر إلى فاس، فإن القصيدة التي نظمها بهذه المناسبة تؤرخ لسفره الذي كان في بحر سنة 1194 ، كما تؤرخ لحادث طريف عرفته البلاد في هذه السنة هو كسوف الشمس.

استقر النجار بفاس، وفيها حفَّه الأشياخ بالعناية والاحترام، فلقبوه "شيخ الأشياخ، وأقبل عليه المتعلمون للأخذ عنه، فكان فيهم الحاج الفضيل المرنيسي، وسيدي عبد القادر أبو خريص. ومحمد بن علي ولد أرزين، ومحمد بن سليمان الذي افتخر في قصيدة "التوبة" بتتلمذه عليه، والمكي انشيشير الذي كان حفاظا وراوية لشعره.

وقد أحصى محمد الفاسي للمترجم زهاء ثلاثين قصيدة منها في الغزل : البتول، وأم كلثوم، ومسعودة، والحجامة، وفي الوصف : الناعورة ؛ ومنها قصائد أخرى في الوعظ، والتصلية، والتوسل. وله في المدائح ما أهله ليطلق عليه لقب "مداح النبي".

توفي الشيخ الحاج مَحمد النجار قرابة عام 1243. وإلى هذا التاريخ ترمز قصيدة لتلميذه المكي انشيشير الذي ذكره وترحم عليه فيها.

عباس الجراري، *القصيدة*، ص. 616 ـ 619 ؛ محمد الفاسي، *معلمة الملحون*، ج 2، ق 2. *تراجم شعراء الملحون*، ص. 56 ـ 60 ـ 80 ـ 243 ـ 274 ـ 277 ـ 316.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**النجار، محمد** ابن المجاهد **أحمد** ابن المجاهد الحاج محمد بن **احساين** ينتسب إلى دفين تالمبوط أو تالنبوط بإقليم شفشاون، سيدي حنين بن يحيى بن سعيد بن مسعود بن عامر بن عمر بن صفوان بن خالد بن زيد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن إدريس الثاني، كانت ولادته في ذي الحجة سنة 1296 / 1879 بمدينة سلا، وبها نشأ في أحضان والده الفقيه المقرئ الأستاذ المؤدب بمسجد أبي البركات وتلقى على يده تعليمه الأول، وأصهر إلى ناظر الأحباس الكبرى الأمين عبد الهادي زنيبر (ت. 1328) بابنته السيدة رحمة فأنجبت له خمسة ذكور وثلاث إناث، منهم أحمد صاحب "جريدة التقدم" التي كانت تصدر بسلا.

أخذ المترجم عن أشهر علماء بلدته، منهم شيخ الجماعة أحمد الجريري (1861 ـ 1934)، وارتقى إلى رتبة علامة من الدرجة الثانية، كما أحرز على شهادات علمية من شيوخ العلم بسلا ومراكش وأجاز له أعلام عصره أمثال سيدي عبد الكبير الكتاني (1268 ـ 1333) وولديه سيدي محمد (1290 ـ 1327) الشيخ المؤسس للطريقة الكتانية وسيدي عبد الحي (1302 ـ 1382) وفتح الله بناني (ت. 1353 / 1933) ويوسف بن إسماعيل النبهاني (1265 ـ 1350) رئيس محكمة الحقوق ببيروت وتتلمذ عليه أغلب فقهاء بلدته.

اشتهر محمد بن احساين بالفقه مع الدين المتين والصلاح والنسك، أخذ الطريقة الكتانية عن الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني، وسعى إلى الدعوة إليها في جميع أنحاء البلاد ؛ وكان يدير مدرسة وهي من أوائل المدارس الحرة بسلا أنشأت في العشرينات من القرن الماضي، كان مقرها بزاوية سيدي الشيخ المقابلة لداره بحومة باب سبتة. وترأس الطريقة الكتانية ببلدته وكان مديرا للزاوية الكتانية التي قام فيها وبضريح سيدي أحمد حجي ومسجده بإلقاء دروس في تفسير القرآن بين العشاءين.

وفي سنة 1343 انخرط في خطة العدالة، ثم انقطع عن ممارستها بعد وفاة القاضي عبد القادر التهامي (ت. 1352 / 1933)، منصرفا إلى بث العلم والدفاع عن مشايخ الطرق، وعندما اشتد الصراع بين مؤيدي الدعوة السلفية من الشباب وبين الطائفة التي تنتصر للطرقية، قام بالدفاع عن التيجانيين ببلدته وتصدي لمن كان يطعن فيهم، ثم انتقل بعد ذلك إلى الدار البيضاء للرد على مناوئي الزوايا هناك حيث قام بالتدريس وبقراءة تفسير القرآن وقراءة *صحيح البخاري* بجامع السوق والجامع الكبير والزاوية الناصرية ومسجد مولاي يوسف.

وبطلب من أهل تلمسان تردد على الجزائر واستقر بها

مايقرب من خمس سنوات لنشر الطريقة الكتانية وإلقاء الدروس العلمية، في وقت كان يقوم فيه العالمان السلفيان عبد الحميد ابن باديس (1889 ـ 1940) ومحمد البشير الإبراهيمي (1889 ـ 1965) بحملة ضد رجال الزوايا وشيوخها الذين كان منهم عملاء للمستعمر الفرنسي، فتناظر مع أتباعهما وقام بالرد عليهم إلى حين اندلاع الحرب العالمية الثانية ورحيل الإبراهيمي إلى منفاه، وأثناء مقامه بالجزائر كانت ترد على مجالسه وفود من العلماء من تونس والحجاز فمنهم من أجاز واستجاز كالشيخ صالح مدرس الحرم النبوي بالمدينة المنورة.

وبعد عودته إلى سلا، استمر المترجم في القيام بالتدريس والإفتاء والدعوة إلى الله، متعيشا هو وعائلته ومن كان يرد عليه من الأقطاب من أهل العلم والدين والأعيان من مدخول بعض عقاراته وأراضيه الفلاحية.

توفي في ثاني جمادى الأولى 1375 / 14 يناير 1956، وقد خلف عدة *رسائل صوفية*.

نبذة عن حياة المترجم بخط يده ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، ج 9، بيروت، 1996، بيروت، 1996 ؛ أحمد معنينو، *ذكريات ومذكرات*، 1920 ـ 1931، ج 1، 1991 ؛ عبد الله الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، ج 2، ص. 82 ؛ عبد الرحمان الكتاني، *حياة الشيخ أحمد الجريري شيخ الجماعة بسلا*، دعوة الحق، ع 4، ص. 53، أبريل، 1979.

محمد الفقير وحمزة الكتاني

**النجار، محمد** ابن الحاج **مَحمد**، المدعو بولأن، ولد عام 1280 / 63 ـ 1864. وقد توجه إلى ألمانيا قصد التكوين في ميدان الصناعة الحربية. وبعد عودته منها عام 1305 / 87 ـ 1888 عين برتبة مقدم بطنجة. وظل يزاول مهمته هاته اثنتي عشرة سنة، ثم استعفى ليتفرغ للاشتغال بالفلاحة.

توفي عام 1363 / 43 ـ 1944.

**النجار، محمد** بن **محمد**، من أمهر بنائي سلا، أسند له ناظر الأحباس مهمة مراقبة صيانة قنوات الماء الجاري من عيون البركة الواقعة بغابة المعمورة إلى أحياء سلا، انطلاقا من باب شعفة المفتوح في السور الشمالي، كان المترجم حيا عام 1118 / 1706.

*وثائق* أملاك آل فنيش السلاويين، منشورة ضمن *ذيل الإتحاف الوجيز* لابن علي الدكالي، تح. م. بوشعراء، الرباط، 1996، ص. 315 ـ 323 ؛ ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ص. 239 ـ 240 ؛ ج. الناصري، *سلا ورباط الفتح وأسطولها القرصاني الجهادي*، مخ خ. ص. 402، 1 : 127 ؛ *رواية شفوية*.

محمد السعديين

**النجاري، عبد النبي**، ولد بمدينة سلا بتاريخ 10 يوليوز 1900 ليلة المولد النبوي، وطلب والده تبركا من الشيخ سيدي العربي بن السايح أن يسميه فسماه عبد النبي. وكان والده تاجراً للأثواب في قيصارية سلا. وقد توفي بعد أن بلغ عبد النبي سبع عشرة سنة وبعد أن حفظ القرآن وتعلم مبادئ العلوم، المختلفة.

في سنة 1917 انتقل إلى مدينة الصويرة بدعوة من صديقه أمين المرسى السيد عمر الشدادي فهيأ له ظروف الإقامة مع وظيفة متواضعة "البحث في التأكد من صحة اجراءات بيع الأملاك" بأجرة 10 بسيطات ( = 10 سنتيم اليوم).

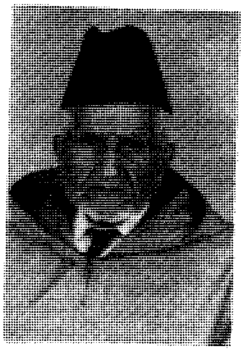

وبعد أحداث الحرب العالمية الأولى اهتم الأجانب بالأملاك فكان احتكاكه بالفرنسيين فاختلط بالنصارى وركز جهده في تعلّم الفرنسية فتعلمها بسرعة وأعد كناشا نموذجيا في ترجمة العقود الخاص بتسجيل الأملاك بمساعدة من ترجمان البلدية، وقد حفظ النصوص. وبسرعة أصبح يكتب بالفرنسية وسلمّه مدير أحد المدارس شهادة بإتقانه الفرنسية والعربية، فعين ترجمانا بالمكتب العقاري في التسجيل إلى جانب مزاولة وظيفة العدول. وأصبح عدلاً رسمياً سنة 1927.

في سنة 1928 استقال من الوظيف ومَارس أعمال التجارة لمدة خمس سنوات انتقل خلالها إلى أگادير. في شراكة مع "السيد محمد بن بوشعيب"، المشهور اليوم "بالشعبي" واستثمر أمواله معه وكان يعاصر باشا أگادير يومئذ الحسن أوبراهيم من سنة 1929 ، وأكبر التجار الفرنسيين "باروطيل" صاحب حافلات النقل وشركات أخرى، والقائد الدمنتاني قائد تارودانت، ومبارك أغنّاج بأگادير.

عاد إلى الصويرة في سنة 1933 وعين من جديد وكيلاً عاماً للأملاك المخزنية وخالط كثيراً من الأجانب واليهود في إطار سلطة الحماية كواحد من الأعيان وتعددت أنشطته فهو : مراسل لجريدتي *السعادة* بالعربية ولجريدة La Vigie Marocaine بالفرنسية حتى سنة 1940 وعضو الرابطة الفرنسية للدفاع عن حقوق الإنسان. وكاتب عام للجمعية الخيرية بالصويرة، وكاتب جمعية "نقطة الحليب"، وعضو بمكتب السياحة ومقتصد بالمدرسة الفرنسية، ونائب رئيسة

جمعية الحفلات والأفراح. وفي هذه الأثناء زار فرنسا 1937 وحج الديار المقدسة 1939.

في سنة 1943 إبّان الحرب العالمية الثانية انتقل إلى إدارة الأملاك العقارية بمراكش، وفتح مكتب وكيل للدفاع أمام القضاء الشرعي ثم انخرط في كتابة الضبط وتفتيش الأملاك المخزنية. واستمر في وظيفة عدل بمراكش حتى حصل على التقاعد في غشت 1956. وقد رجع إلى سلا.

وفي يناير 1957 عينته وزارة العدل ضمن اللجنة المكلفة بإحصاء أملاك الباشا التهامي الگلاوي أمام شكاية 525 ممن أخذ أملاكهم بدون قانون، وبعد الإجراءات العديدة وسماع المشتكين تبين أن الباشا الگلاوي يتوفر على وثائق تثبت ملكية تلك العقارات، وحُفظ الملف.

وقد استمر عبد النبي النجاري بعد تقاعده ملحقا بمحكمة سلا بوظيفة عدل بقية حياته.

توفي عبد النبي بتاريخ 11 غشت 1998 ودفن بسلا.

وثائق شخصية أمدنا بها قبل وفاته ؛ عمر أفا، *تاريخ المغرب المعاصر*، منشورات كلية الآداب بالرباط، 2002، ص. 191.

عمر أفا

**النجاعي** (القايد -) **أحمد بنمنصور** ولد حوالي سنة 1919 بدوار سوق ثلاثاء الغرب المعروف أيضا باسم النجاجعة.

تعرض لليتم في طفولته المبكرة وذلك على إثر وفاة والده حوالي 1924 غداة حرب الريف. فنشأ مع باقي أفراد عائلته في أحضان خاله،. ثم أخيه التهامي الذي تسلم القيادة بسهل الغرب خلال أواخر العشرينيات وبداية الثلاثينيات وهي مرحلة حرجة من تاريخ المغرب الرازح آنذاك تحت نير الاستعمار الفرنسي.

التحق النجاعي في بداية تعليمه بمدرسة الأعيان بمدينة سلا ثم تابع دراسته بعد ذلك بثانوية مولاي يوسف بالرباط. وأنهى مساره التعليمي بحصوله على شهادة الدروس الثانوية (بكالوريا من قسمين كما ذكر في مذكراته)، في دورة يونيو 1938.

ثم اختار النجاعي استكمال دراساته العليا في الفلاحة، وهو ذو الأصول القروية. وبذلك التحق بالمعهد الفلاحي "مايفن كاري" (Institut Agricole Maefin carrée) في أكتوبر من سنة 1938، واستغرقت مدة دراسته بهذا المعهد ثلاث سنوات (إلى غاية يونيو 1941). وأنهى مساره هذا بحصوله على ميدالية ذهبية، وحرص بعدها على تنويع تكوينه الفلاحي فاختار كحقل معرفي ما أسماه بـ "الفلاحة المقاومة" (Agriculture militante) وتابع التكوين بهذا المجال التخصصي إلى غاية سبتمبر، 1943.

وعين في سبتمبر 1943 قائدا على قبيلة سفيان، فحط الرحال بقيادة سوق أربعاء الغرب عاصمة سهل الغرب آنذاك. وكان يومها أصغر قائد مغربي يتولى هذه المهمة الدقيقة، إذ لم يكن يتجاوز عمره آنذاك 23 سنة. وقام بالمسؤولية مدة أربع سنوات، دافع خلالها على إدراج التمدرس الفلاحي في تكوين المتمدرس المغربي، وحصل من الحكومة الفرنسية على موافقتها بإدخال المغاربة للمدارس العليا الفلاحية دون اجتيازهم لمباراة الولوج، وذلك سعيا منه لتكوين الأطر الفلاحية المغربية تكوينا حديثا.

أقيل من طرف السلطات الفرنسية ثم تفرغ للأشغال الفلاحية بأملاك العائلة، وكان يدعم المقاومة سرا وعلنا، وذلك بحمايتهم وإطعامهم كلما أمكنه ذلك. وبما أن محل سكناه بسوق ثلاثاء الغرب كان محاصرا ودوار نجاجعة بدوره كان مراقبا بشدة، فقد أنزلت به القوات الفرنسية عتادها وعدتها. ولايذكر في مذكراته أدنى شيء عن مقاومته رفقة باقي النجاعيين رجالا ونساء، بل يذكر ذلك من عاشروه، وقاوموا إلى جانبه المستعمر مستعملين كافة السبل.

أوكل له المغفور له محمد الخامس في نوفمبر 1955 حقيبة الفلاحة والغابات في أول حكومة مغربية بعد الاستقلال التي أسندت وزارتها الأولى للسيد امبارك البكاي.

استطاع أحمد بنمنصور النجاعي أن يهيكل القطاع الفلاحي استجابة منه للتوجيهات السامية لمحمد الخامس، وجعل وزارة الفلاحة في خدمة الفلاح المغربي كما أقر بذلك من خلال *مذكراته*. فباعتباره وزيرا للفلاحة عمل في 13 يناير 1956 على الزيادة في أجور العمال الفلاحين بنسبة تتراوح بين 25 و30 في المائة، علما أن الحد الأدنى للأجور بلغ 250 فرنكا في اليوم.

غادر النجاعي وزارة الفلاحة في نهاية سنة 1956، ولكن عطاءه لم يفتر خارجها، فقد واصل أنشطته النضالية بإقامته لدعائم العديد من الهياكل الإدارية والجمعوية لخدمة الفلاحة والفلاحين وكون في سنة 1957 مع مجموعة من الفلاحين النقابات الفلاحية الأولى، وأنشأ أيضا الاتحاد المغربي للفلاحة Union Marocaine d'Agriculture.

حرص جلالة الملك محمد الخامس بنفسه على حضور المنتدى الأول لهذا الاتحاد، بسوق ثلاثاء الغرب في 22 سبتمبر 1958، رفقة ولي العهد والوفد الوزاري والشخصيات الفاعلة في الحقل الفلاحي من كافة ربوع المملكة. وقد دشن جلالته خلال هذه الزيارة مسجداً ومدرسة الدوار. ومما جاء في خطاب جلالة الملك محمد الخامس بسوق ثلاثاء الغرب، بعد إعطائه الخطوط العريضة التي على الاتحاد المغربي للفلاحة اتباعها من أجل تطوير هذا القطاع، دعوة جلالته لتحديث أساليب الفلاحة واستثمار الأراضي الفلاحية "أوسع استثمار وأجداه"، وتوجيه الفلاحة توجيها صالحا، وخلق تعاونيات تقام للغرض نفسه، يكثف فيها جميع الفلاحين جهودهم ويقتسمون الأرباح فيما بينهم. توج هذا الاتحاد - الذي يرجع لأحمد النجاعي وضع لبناته الأولى - مساره بعقد المنخرطين فيه أول مؤتمر لهم بمدينة فاس. الذي بارك إلغاء جلالة المغفور

له الحسن الثاني لضريبة "الترتيب" سنة 1961.

لا يعني بتاتا انكباب أحمد بنمنصور النجاعي على الشأن الفلاحي إهماله للحقل السياسي، لقد انخرط مبكرا في الحركة الوطنية، واعتبر من الأعضاء المؤسسين لحزب الاستقلال، وعمل على توطيد روابطه بالساكنة الغرباوية، وغرس أفكار هذا الحزب بينها. وشارك في الانتخابات البرلمانية الأولى ممثلا لمنطقة الغرب سنة 1963، وتكرر انتخابه بالبرلمان خلال سنوات 1970 و1977 إلى 1982. واعتبرالنجاعي بأن قبة البرلمان هي أهم مؤسسة يمكن الدفاع منها عن الفلاح، ولذا عارض بشدة - في إطار مشروع الإصلاح الزراعي - الحد من الملكيات الفلاحية، كما عارض في 16 نونبر 1982 مشروع وضع ضرائب جديدة على الفلاحين. وقد توج موقفه بالقرار الرائد للمغفور له الملك الحسن الثاني بإعفاء الفلاحين من الضرائب الفلاحية بين سنتي 1982 و2000.

لم تنقطع علاقات النجاعي بالقصر العامر، إذ كان على رأس الوفد الذي استقبله الملك الحسن الثاني في 31 يوليوز 1984 بالدار البيضاء باعتباره رئيس الاتحاد المغربي للفلاحة (U.M.A.) وقد آمن المنضوون تحت الاتحاد بشعار جلالته "مليون هكتار من القمح الطري من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي" وأعربوا جميعا عن رغبتهم في تحقيق ذلك التحدي إلى جانب جلالته.

لم تمنع النجاعي مهامه المختلفة داخل الوطن أن يتحمل مسؤولية رئاسة جمعية منتجي الحوامض بالمغرب (A.S.P.A.M.) ، وكان مؤسسا بارزا ورئيسا للتعاضدية الفلاحية المغربية للتأمينات (M.A.M.D.A.) سنة 1964، واشتهر أيضا كمدير لجريدتي الفلاح وفاكهة المغرب.

امتدت مشاركاته من أجل تطوير القطاع الفلاحي إلى حضور منتديات ومؤتمرات ومعارض خارج الوطن في إطار شخصي أو رسمي ووصل عدد الدول التي زارها إلى 35 دولة أوربية وأسيوية، كما أنه شارك في مؤتمرات عربية تهم الفلاحة وتحديثها. وتعود أقدم مشاركاته لفاتح يونيو من سنة 1947 عندما حضر المعرض الدولي بباريس ليستفيد منه حول المعارض الفلاحية.

وكرئيس للاتحاد المغربي للفلاحة تعددت زياراته للدول الأجنبية وتنوعت أهدافها، وسنخص من مشاركاته ما يلي :

- قدم بروما ترشيح المغرب في منظمة الأغذية العالمي سنة 1956.

- شارك في اللقاء الأفرو - أسيوي بالهند وتمحور اللقاء حول بناء العالم القروي.

- حل بألمانية الفيديرالية سنة 1957 في زيارة رسمية ليختبر المحراث العصري (Le tracteur Porsch).

- شارك في مؤتمرات تهم الفلاحة بكل من بلغاريا ورومانيا، كما شارك في عرض ليبزيك بألمانية الشرقية. كما قادته زيارات رسمية إلى جانب أحمد بنهيمة وباقي أعضاء الوفد الرسمي للعديد من الدول الأوربية ومن ذلك حضوره للقاءات عملية حول القطاع الفلاحي بكل من روسيا وبولونيا وتشكوسلوفاكيا وأيضا زياراته لكل من المملكة المتحدة وفرنسا وهولندا وبلجيكا وسويسرا والسويد.

لم يقعده مرضه الذي ألزمه الفراش لأمد طويل عن التواصل مع الفاعلين الفلاحيين الاقتصاديين، ورحب بانفتاح الجامعة المغربية على محيطها وكان يرغب أن يشارك الجامعيين في تطلعاتهم كما عبر لي عن ذلك بنفسه. كانت له قدرات فائقة على العطاء صحيحا وعليلا، وكان لطيفا بشوشا، وهو قدوة لنانحن أبناء المنطقة في صبره وكفاحه ورغبته الدائمة في المعرفة.

توفي يوم الأحد 21 نوفمبر 2004 بمدينة الرباط.

أحمد النجاعي، *المذكرات الداخلية، المعاينة الميدانية والرواية الشفوية* التي استمعت لها ومنها حكايات جدي محمد بن محمد الصباري النجاعي، المشارك في رعاية أحمد بنمنصور النجاعي من 1921 إلى 1961.

البضاوية بلكامل

**نجوم البحر** ، حيوانات بحرية مفترسة من شعبة النجميات Astéroïdes وقبيلة شوكيات الجلد Echinodermes، تنتشر في قيعان البحار وحشاف الشواطئ. من خصائصها التماثل المتشعع الذي يكون في الغالب خماسي الأذرع، ثم الغطاء الكلي للجسم، والألوان الفاقعة التي تتراوح ما بين الأصفر والرمادي والبرتقالي والأحمر وكذلك مقاييسها المتفاوتة إذ يبلغ القطر حسب الأنواع من

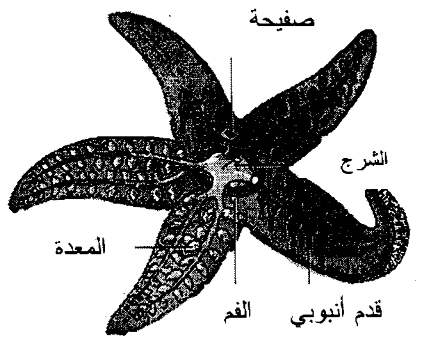


سنتيمتر واحد إلى أزيد من متر. تنتقل على قعر البحر في حركات خفيفة ورشيقة. شكلها يحاكي النجم، ولذلك سميت بنجوم البحر. ينقسم الهيكل إلى خمسة مستويات متماثلة، وقد يبلغ عدد الأذرع 50 عند بعض الأنواع مثل الهيلياستير الاستوائي. وللأذرع القدرة على إحياء وتجديد الأجزاء المتضررة أو المبتورة.

يشتمل جسم نجوم البحر على ثقبين أحدهما بطني هو الفم، والثاني ظهري وهو الشرج، الذي تخرج منه المواد غير المهضومة. يتكون الجهاز الهضمي من بلعوم قصير يصل الفم والمعدة، وقد يميل إلى الخارج بالنسبة إلى وضعه المعتاد فوق

فريسته المتكونة من السرطان والرخويات وصغار الأسماك. تبتلع نجمة البحر فريستها وتهضمها دون أن تبتلعها. يوجد الفم في المركز السفلي كما هو الشأن عند قنفذ البحر أخينوس، وتوجد المصفاة على السطح العلوي. الأقدام أنبوبية في ميازيب مفتوحة تمتد على السطح السفلي لكل ذرع. يتكون الهيكل من صفائح أو قضبان مرنة تحت الجلد، وكل صفيحة عبارة عن بلورة كاملة من معدن كربونات الكالسيوم. العروق مملوءة بماء البحر بدلا من الدم، ويتركب هذا الجهاز الوعائي المائي من قناة رئيسية مكونة من حلقة حول المريء تتصل بمصفاة بواسطة أنبوبة في أعلى الجسم. يندفع الماء خلالها من الخارج ويتفرع من الحلقة خمس قنوات تمتد منها أنابيب صغيرة تؤدي إلى الخارج، وتنتهي بمصات تعرف بالأقدام الأنبوبية لأنها أعضاء التنقل عند هذه الحيوانات. تدفع الماء عند أكياس صغيرة على الأقدام الأنبوبية مسببة تمددها، وتنطبق المصات على السطح الموجودة عليه وتنقبض الأقدام الأنبوبية، وذلك بسحب الماء، وتتعاون مئات من الأقدام الأنبوبية في إحداث الانزلاق إلى الأمام.

يكسو الجسم عدد كبير من الكلابات ثنائية أو ثلاثية الشعب تسمى الملاقط، تستعمل غالبا في إبعاد الوحل أو الرمل عن الجسم، وفي إمساك الفريسة والدفاع عن النفس ؛ ولبعض الأنواع غدد سامة مرتبطة بالملاقط، ولذلك تعتبر أسلحة فتاكة. ترتب الأجزاء حول محور مركزي مثل محور العجلة، وتكون الأذرع مدببة منبسطة كما هو الشأن عند نوع ليوديا سيلياريس أو أذرع مستديرة عريضة. كل أنواع نجوم البحر مفترسة تتغذى من مختلف أنواع الرخويات، وخاصة منها ثنائيات الصدف الشيء الذي يهدد أماكن تربية المحار بالوليدية وأحياناً يمسكها الصيادون ويقطعونها، ثم يلقوا بأجزائها في البحر للتخلص منها إلا أنها تستعيد حياتها من جديد حيث ينمو كل ذرع مبتور ليعطي حيوانا كاملا.

من الأنواع الشائعة على الشواطئ المغربية نذكر : آستروكتين أورانكيانوس له أسنان تشبه المشط أو أشواك على طول حواف أذرعه، ونجم البحر العادي استيريس روبانس لونه برتقالي بنفسجي، وهو شائع على السواحل المغربية، يلقي البحر بأفرادها على الرمال. من خاصية نوع مارتاستيرياس جلاسياليس أنه يقذف بإحدى أذرعه في حالة إمساكه، فينمو مجددا من قاعدة كل ذراع ويبلغ طوله 20. 30 سم وجسمه لين، لونه أخضر باهت يميل إلى الاصفرار.

تم إحصاء حوالي 100 نوع من نجوم البحر في البحار المحيطة بالمغرب وهي تلعب دوراً هاماً في سلسلة التغذية البحرية، إذ يتغذى منها عدد كبير من الأسماك الكبيرة، كما أنها تعطي منظرا خلابا لأحواض الأسماك. من أشهر الأنواع في المغرب : Asterias rubens, Hyphalaster antonii, Hyphalaster gracilis, Tethyaster subinermis, Zoroaster trispinosus, Neomorphaster talismani, Ophidiaster ophidianum, Pentagonaster gosselini, Asterina gibbosa, Chactæster longipes.

أخينوس، *معلمة المغرب* ؛ المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ *علم النباتات والحيوانات*، *الموسوعة الحديثة*، ج 7، سيلكا سويسرا، 1990.

محمد رمضاني

**نحاس، مبارك** بن **عمر** ولد يوم 25 أكتوبر 1924 بالدار البيضاء في أسرة مهاجرة من قبيلة المنابهة القريبة من تارودانت. درس من سنة 1931 إلى سنة 1941 بمدرسة "لا فيرم بلانش" La Ferme Blanche التي كانت معروفة في الدار البيضاء بلقب "مدرسة القبة" أو قبة والو". اشتغل بالخراطة مدة قصيرة عند احميدو الوطني صاحب مقاولة "شعاع البيضاء" لإصلاح كهرباء السيارات، ثم بالورش الصناعي للطيران (A.I.A) بمطار الدار البيضاء، واستقر في النهاية في الشركة المغربية للنقل (C.T.M) سنة 1949، وفيها تولى رئاسة ورشة.

انخرط في حزب الاستقلال والاتحاد العام للنقابات المغربية (س. ج. ت) في أربعينيات القرن العشرين، وشارك في الوفد الحزبي الذي قابل السلطان ابن يوسف في فاس 1949 ، من أجل دراسة موضوع حق المغاربة النقابي وموقف القصر منه.

ألقي عليه القبض مرتين :

1 ) المرة الأولى في "قضية المنشور" حوالي سنة 1948 : ألقي عليه القبض أثناء توزيع مناشير، فمثل أمام الخليفة المراكشي بالمحكمة الباشوية في حي الحبوس، وحكم عليه بالاعتقال ثلاثة أشهر، قضاها في السجن المدني المعروف باسم "حبس اغبيلة" بالدار البيضاء.

2 ) المرة الثانية يوم الأحد 8 دجنبر 1952 : حضر مبارك بن عمر الاجتماع الذي دعا إليه الاتحاد العام ذلك اليوم في مقره بزنقة لاصال (زنقة فرحات حشاد حاليا)، من أجل التنديد باغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد. فكان من زمرة النقابيين الذين اعتقلوا بعد انتهاء الاجتماع (مثل الطيب بن بوعزة والمحجوب بن الصديق ومحمد التباري ومحمد بن إسماعيل وباحسين وبلعيد عبد الله والمعطي الشرقاوي). سيق إلى كوميسارية المعاريف، حيث تعرض للتعذيب أثناء الاستنطاق. ووجه إليه قاضي التحقيق لدى المحكمة الدائمة للقوات المسلحة بالدار البيضاء تهمة المس بأمن الدولة الداخلي والخارجي عن طريق المشاركة في "المؤامرة"، فأمر بإيداعه بالسجن المدني، ثم بنقله إلى السجن المركزي في بور - ليوطي (القنيطرة) يوم 13 مارس 1954. ظل رهن الاعتقال الاحتياطي، إلى أن أسقطت عنه المتابعة، شأنه في هذا شأن عدد كبير من المعتقلين الحزبيين والنقابيين، فأطلق سراحه يوم 28 سبتمبر 1954 إبان مقيمية فرانسيس لاكوست.

ساهم في المساعي التي بذلها الطيب بن بوعزة وعدد من الوطنيين من أجل تأسيس مركزية نقابية جديدة، وهي الاتحاد

المغربي للشغل (20 مارس 1955)، وتولى بعض المسؤوليات فيها مثل عضوية المكتب المحلي للدار البيضاء. وساهم في تأسيس أول نقابة داخل الاتحاد المغربي للشغل، هي نقابة مستخدمي شركة "الستيام"، وتكلف بأمانة صندوقها. وقد خاض مبارك بن عمر ومن معه في مكتب نقابة "الستيام" (مصطفى شمس الدين وشكري عمار بن إدريس وأحمد نوكناف) مفاوضات شاقة مع ممثلي باترونات نقل المسافرين و البضائع أيام حكومة عبد الله إبراهيم، انتهت بتوقيع الاتفاقية الجماعية التي نصت على ترسيم عمال الشركة الستمائة مع الزيادة في أجورهم.. ظل مبارك بن عمر يتولى مسؤولياته النقابية إلى أن أحيل على التقاعد من الشركة في بداية سنة 1984. فساهم في تأسيس جمعية متقاعدي الستيام في السنة نفسها، وكان يساعد شكري عمار بن إدريس أمينها العام. وكان للجمعية دور كبير في تحقيق مطلبين أساسيين للمتقاعدين وهما مطلب التعاضدية ومطلب الصندوق المهني المغربي للتقاعد (La C.I.M.R).

توفي في 5 دجنبر 2000.

*رواية شفوية* : *بطاقة التعريف المسلمة للمترجم* له من مديرية الداخلية [ *إدارة الحماية الفرنسية بالمغرب* ]، والموقعة من قبل القبطان باران Parent مراقب الدائرة الحضرية الرابعة يوم 12 أبريل 1955.

Albert Ayache, *Dictionnaire biographique du mouvement ouvrier Maghreb : Maroc des origines à 1956*, éd. Eddif, Casablanca, 1998, p. 48 ; Fouad Benseddik, *Syndicalisme et politique au Maroc, 1930-1956*, L'Harmattan, Paris, t. 1, 1990, p. 302, 334 et 508-509.

نجيب تقي

**النحام الوردي** ، واحدته نحامة كما هو شائع في المعاجم وكما ينطق به في مختلف الأقطار العربية، طائر من أبدع خلق الله في عالم الطيور، ينفرد بقامته وبلونه الوردي عن كل الأنواع الأخرى في القارتين الإفريقية والأوربية، جميل المنظر، طويل العنق والساقين، أعقف المنقار، أسود طرف الجناحين وسائره أبيض وردي. ينتهي المنقار بسواد، الأقدام كفية وطويلة جدا. الريش أبيض ملطخ قليلا بالبني عند الصغار ويصير ورديا تدريجيا بين 4 و5 سنوات من عمره. يألف البحيرات الساحلية المتفاوتة الملوحة. والنحام الوردي هو النوع الوحيد من هذه الفصيلة الذي يعيش في إفريقيا الشمالية وأوروبا الجنوبية وهو شائع في البحيرات الساحلية والقارية بحوض البحر المتوسط.

يصنف النحام إلى رتبة كفيات الأرجل طوال الساق وفصيلة النحاميات Phoenicoptéridae. منه سلالة واحدة تعيش في المغرب تسمى علميا Phoenicopterus ruber ويسمى في مصر بشروس والكلمة قبطية الأصل، وغرنوق في العراق وسوريا وبالفارسية نحاف وسرخاب، وهي كلمة مركبة من سرخ أي أحمر وآب أي ماء، وبالفرنسية Flamant rose وبالإنجليزية Flamingo وبالإسبانية Flamenco Común وبالإيطالية Fenicottero. تبلغ قامته 125 - 155 سم وتتراوح بسطة جناحيه بين 140 - 165 سم وتزن الكبار 2500 - 3500 كرام. الإناث أصغر حجما من الذكور. يعمر 13 سنة.

طائر اجتماعي يعيش في مجموعات يتراوح عدد أفرادها بين 20 و2000 حسب المناطق ووفرة الأكل. يتغذى من الحشرات والقشريات والرخويات والديدان المائية وبعض النباتات، يغمر رأسه في الماء ويقلب الوحل بقدميه فيمتص بواسطة منقاره المتخصص في ترشيح كل الأحياء المائية الذي يصادفها. يقف على ساق واحد أثناء الاستراحة ويضع رأسه بين جناحيه مدة طويلة.

يتوالد في أواخر الربيع وبداية الصيف وتوضع الأعشاش متقاربة فيما بينها فوق الأعشاب والمناطق اليابسة بداخل البحيرات. تضع الأنثى بيضة واحدة يحضنها الزوجان بالتناوب مدة 28 - 31 يوما. يغادر الصغير العش بعد 10 أيام وينضم إلى مجموعة الصغار الذين يكونون حضانة فيحرسهم الكبار حوالي شهرين ويفرز الأبوان سائلا مغذيا لصغيرهما يفرغانه بداخل منقاره. يحسن الطيران بعد ثلاثة أشهر من عمره ويقوم بهجرات كل سنة ليشتو في المغرب وموريتانيا ابتداء من أكتوبر ويعود إلى إسبانيا وجنوب فرنسا بعد فصل الربيع ليتوالد.

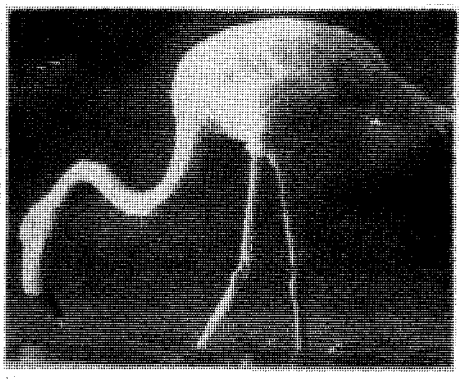

شائع في البحيرات الساحلية المغربية كبحيرة الناظور وبحيرة سمير قرب تطوان ومصب نهر اللكوس وتاهدارت وأم الربيع وسوس والمرجة الزرقاء وبحيرات الوالدية وسيدي موسى وخنفيس وشرم الداخلة. يتراوح عدد الأفراد المحصاة كل سنة في بحيرة خنفيس وشرم الداخلة بين 1000 و1500. ويتراوح مجموع عدد أفراد النحام الذين يشتون في المغرب بين 3500 و5000.

يعد النحام من الطيور المحمية على الصعيد الوطني والعالمي ويلعب دوراً هاماً في السلسلة الغذائية بالبحيرات. يرجع لونه الوردي إلى تناول القشريات من نوع أرتيميا سلينا التي تتكاثر في البحيرات المرتفعة الملوحة.

محمد رمضاني، *خطاف الشعر*، *معلمة المغرب*، ج 11، ص. 3773 - 3774 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات*

*العلوم الزراعية* ، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East;* 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les oeufs et les poussins d'Europe en couleur*, Elsevier, 1977, 430 p.

**النحل**، في اللسان الدارج وفي اللسان العربي واحدته نحلة وهي حشرة اجتماعية من رتبة غشائيات الأجنحة Hymenoptera وفصيلة النحليات Apidae تعيش في خلية يسود الانسجام بين أفرادها رغم اختلاف المهام المسندة لكل فئة منهما، تسمى النحلة علميا Apis mellifera (mellifica) وبالفرنسية Abeille وبالانجليزية Bee وبالإسبانية Abeja. ثلاث سلالات من النحل تربى في المغرب : سلالة أنتيرميسا Apis mellifera intermissa Buttel Reepen (1906) موطنها إفريقيا الشمالية تربى بكثرة في شمال المغرب وسهول الغرب. لونها أسود بني داكن وتبلغ بسطة الجناحين 22 ملم. تبحث عن رحيق الأزهار في مسافات تبعد عن الخلية بشعاع يفوق 5 كلم وتدافع عن الخلية عند الإزعاج بلدغات قوية.

سلالة النحل الصحراوي (1924) Apis mellifera sahariensis Baldenspreger أصلها واحات المغرب والجزائر وتونس. لونها أصفر محمر على مؤخرة البطن ويبلغ طول لسانها 7 ملم. لدغاتها قوية وتبحث عن رحيق الأزهار في مسافات تتعدى أحيانا 7 كلم. شائعة في واحات درعة وتافيلالت وسوس ماسة والمناطق الشبه صحراوية المغربية وشمال إفريقيا.

سلالة النحل الأوروبي (1978) Apis mellifera major Rutthner من أصل أوروبي أدخلت إلى المغرب لإنتاجها المرتفع للعسل وتربى خاصة في الشمال الغربي من البلاد. لدغاتها خفيفة وتتعرض لأمراض متعددة.

تتكون خلية النحل من ثلاثة أصناف :

اليعسوب أو الأم الملكة والشغالات وهي إناث غير كاملات واليماخير وهي الذكور واحدها يَمْخور. والدورة الحيوية من البيضة إلى النحلة الكاملة تبتدئ من فقس البيض تحت حرارة مرتفعة ومستقرة بداخل الخلية فتخرج الديدان لتتناول في أيامها الثلاثة الأولى الفالوذج الملكي وهو أشبه باللبن الحليب وتصنعه الشغالات الحاضنات وتقدمه للدود، وفي الأيام الثلاثة الثانية تضيف الشغالات الحاضنات إلى الفالوذج خبز النحل تصنعه من لقاح الأزهار.

ومجتمع النحل من أعجب المجتمعات لا نزاع فيه ولا خصام، يعمل أفراده لخير المجتمع، ويقوم بواجبه أحسن قيام، ويأخذ كل أجره طعاما من الخزانة. يتنوع العمل، فتتنوع واجبات وأعمال الأفراد لحاضر الخلية ولمستقبلها أيضا. وتعمل الملكة والشغالات كفريق واحد من أجل خير الحماية بأسرها. تشكل الشغالات من الشمع خلايا بها عشرات الألوف من البيوت. كل بيت له أركان ستة وأضلاع ستة تصنع بإتقان. تتخذ الملكة بيتا في أواسط الخلية لتأمين حياتها وحولها الجند وهم من الشغالة يحمون ويدافعون ويعتنون بتنظيف البيوت وتقديم الأكل إلى الصغار. تتحكم الملكة في جنس ذريتها إذ تعتبر مصدر السكان بكامله.

مهمة الذكور تكمن في تلقيح الملكات وأقوى شيء في أجسامهم أجنحتهم يطيرون بها بحثا عن الملكة تكون قد خرجت تطير "طيرة العرس" بعد نضجها ومغادرتها للخلية. وبعد تلقيح الملكة تنتهي مهمة الذكور، وإذا هم لم يجدوا ملكة وحل فصل الخريف طاردتهم الشغالات عن العسل وكن قبل ذلك يعتنين بهم ويأذن لهم بطعام وعندئذ يموتون جوعا. لسان الذكور قصير فلا يستطيعون أن يبلعوا رحيق الأزهار ولا يستطيعون له لعقا، وأرجلهم خالية مما يجمع به لقاح الأزهار وجسمهم خال من غدد تصنع الشمع ولا يملكون الزبان في مؤخرة الجسم ليدافعوا عن أنفسهم.

تعود الملكة إلى الخلية بعد تلقيحها عدة مرات فإذا ما وجدت ملكة أخرى في نفس الخلية تتنازل الاثنتان بعد صراع عنيف فقاتلة ومقتولة. ولا يستخدم الزبان في قتل شيء إلا أن يكون ملكة. حينئذ تتكون الخلية من الشغالات وملكة واحدة مهمتها وضع البيض أما الذكور فلا مكان لهم في بداية صنع الخلية. تبني الشغالات عددا معينا من الخلايا بداخل المملكة فتحددن بذلك عدد البيض وطعام الملكة.

تبيض الملكة حوالي 2500 بيضة في اليوم الواحد لتؤمن للخلية سكانها. تدور على بيوتها الصغيرة فترشق على كل سقف بيضة. وهي تخرج البيضة غير الملقحة أو الملقحة على هواها. فهي تملك حصيلة من البيض الملقح مما جمعت عند التقائها بالذكور خلال فترة "طيران العرس". ويخرج من البيضة الملقحة الشغالة والملكة بينما تصبح البويضة غير المخصبة من ذكور النحل وعددها قليل مقارنة مع عدد الشغالات. وكثرة الشغالات في صالح المجتمع لأن العاملات هي عماد حياة الخلية والعمل فيها. وقلة الملكات والذكور يتفق أيضا مع صالح المجتمع.

تضع الملكة البيض المنتج للملكات في خلايا أنشئت خصيصا من أجل هذا الغرض حيث تلتصق البيضة بسقف الخلية. ويتم تزويد الخلايا بكميات كافية من غذاء الملكات لمنع اليرقات من الوقوع ولإمدادها بالفالوذج الملكي. أما الشغالات فتربى في خلايا أصغر بكثير منظمة على شكل أفقي حيث إنها تحصل على غذاء الملكات أثناء الأيام الثلاثة الأولى من حياتها فقط، وهذا يعلل الاختلاف الواضح من ناحية التشريح ووظائف كل من الملكات والشغالات إذ يختلف كل منهما عن الآخر من حيث نوعية الغذاء التي

يحصل عليها كل منهما أثناء مرحلة اليرقة. وتنمو الملكة من مرحلة تكون فيها بيضة إلى مرحلة البلوغ في 16 يوما بينما تكون تلك الفترة بالنسبة للشغالة 21 يوما وللذكر 24 يوما.

يقوم نحل الحقل بجلب الرحيق من مختلف الأزهار. وعندما تدخل النحلة الشغالة في الخلية بكيس ملئ بالعسل - والذي يكون في الحقيقة مريء النحلة متضخما - تقوم الشغالة بتقيؤ محتوى هذا الكيس في فم شغالة صغيرة تسمى نحلة المنزل أو النحلة المربية والتي تقوم بدورها بوضع هذا الرحيق في خلية وإجراء العمليات اللازمة لتحويل الرحيق إلى عسل. وتجمع لقاح الزهر بشعيرات على رجليها الخلفيتين أشبه بأسنان المشط وتلمه في سلة على رجليها وتأتي به إلى الخلية لتحوله إلى الفالوذج الملكي وخبز النحل. وتقوم على الدود حاضنة راعية وتحول رحيق الأزهار إلى عسل وإلى شمع تبني به الخلية. تنظف البيوت وتهويها خفقا بأجنحتها. تحرس خزائن العسل الذي هو طعامها وقوام حياتها، وسبيلها إلى الحراسة اللسع بزبان موضعه في آخر البطن ومنه يخرج السم. وعندما ينضج العسل أو يصبح قوامه سميكا، تغلق الخلية بغطاء محكم من الشمع. ويطلب من كل من الشغالات - سواء الصغيرة أو المسنة - تخزين الاحتياجات من العسل لفترة الشتاء.

قد يتراوح عدد الشغالات في الخلية الواحدة بين 10000 و800000، ومجتمع النحل رغم كثرة أفراده متعاون متآخ في صنع الشمع والعسل وبناء الخلايا وتنظيف البيوت وتهويتها وحراستها والدفاع عن المجتمع وحمايته. بعد إسكان البيوت من طرف الملكة تقوم الحاضنات من الشغالات بالعناية بالبيض في مختلف أدواره ويتفقس البيض فتخرج منه الدودة تتغذى من الفالوذج الملكي إذا كان مصيرها ملكة ومن خبز النحل إذا كان مصيرها شغالة أو ذكرا. تكبر الدودة في البيت المسدس الأركان حتى تملأه ثم تصنع الشغالة غشاء رقيقا تغطي به البيت والدودة بداخله وهو غشاء لا يحبس الهواء. تصنع الدودة خيوطا كأنها الحرير دقة وملاسة لتلف جسمها وتتحول إلى عروس تدعى شرنقة، تتطور شيئا فشيئا ثم تثقب الغشاء لتخرج نحلة كاملة.

ومن أجل إنتاج العسل وشمع العسل فلا بد أن تقضي الشغالات حياتها خارج الخلية بين الزهور، فتتعرض أجسامهن الرقيقة للأذى بسبب الطقس السيئ، حيث لا بد أن تولد حرارة كافية بحيث تتجنب التجمد عندما تنخفض الحرارة. وأثناء الصيف لا بد أن تخزن الشغالات غذاء كافيا ليستمر طول الشتاء، حيث يمكن أن تتعرض النحلة للموت جوعا إذا تركت يوما واحدا بدون طعام.

يعتبر النحل من أكثر الحشرات قيمة من الناحية الاقتصادية لإنتاجه للعسل وشمع العسل. ومن أكبر فائدته أيضا تلقيح المحاصيل الزراعية بما في ذلك الفواكه والخضروات والكثير من النبات الذي ينبت تلقائيا ويمنع تآكل التربة. ونتيجة للأهمية الاقتصادية لنحل العسل فقد اهتم المزارعون على مر الحضارات بتربية النحل والعناية بمستعمراته من أجل تلقيح المحاصيل وللحصول على العسل ومنتجات أخرى تستخرج من الشمع. وهي مهنة قديمة منتشرة ويعتقد أنها نشأت في منطقة الشرق الأوسط، حيث ربى المصريون القدماء النحل وتاجروا في العسل وشمع العسل في منطقة الساحل الإفريقي الشرقي منذ عدة آلاف من الأعوام.

ولقد توارث المغاربة تربية نحل العسل من الحضارات السابقة، كما اعتنوا عناية خاصة بالعسل لما عرفوا فيه من فوائد طبية هامة وطوروها وأدخلوا عليها خلال ربع القرن الأخير تحسينات عصرية رفعت كمية إنتاج الخلية إلى 25 كيلوغراما بعد أن كان لا يفوق 2.5 كيلوغراما لكل خلية تقليدية. ويتراوح الإنتاج السنوي على المستوى الوطني بين 2600 و3500 طنا. وهذه الكمية تعادل أقل من 200 غراما للفرد الواحد سنويا وهي كمية ضعيفة لا تلبي حاجيات سكان البلاد. ويرجع انخفاض الإنتاج إلى العوامل المناخية التي أدت إلى الجفاف المتواصل وإلى أمراض مختلفة عرفتها سلالات النحل كمرض فارواز Varroase الناتج عن الطفيليات كالقمل والكائنات الفطرية المجهرية. وتعتبر ناحية الغرب من أهم المناطق المنتجة للعسل في المغرب لما تملكه من عوامل مناخية ونباتية لتربية النحل. ويعمل مربو النحل بداخل تعاونيات أهمها الجمعية الجهوية لتربية النحل بالغرب. وتقاس جودة العسل حسب أنواع الأزهار التي أخذت منها الرحيق ومن أهم أنواع الأزهار الممتازة لإنتاج العسل السعتر وأزير والشيح والبرسيم والأوكالبتوس والورديات والحوامض ونوارة الشمس وأزهار القطن والزفزوف والطلح والصبار والرمان.

يختلف سكر عسل النحل في تركيبه عن سكر القصب وسكر الشمندر وسكر الفواكه وهو أسهلهم هضما. يستخرج من شمع النحل أدهنة الوجوه وأحمر الشفاه وغيرها من أدوات الزينة وشموع المساجد والكنائس وأقراص الصور الفوتوغرافية وشموع التلميع.

ولا شك أن المبيدات الحشرية تقتل وتضعف الآلاف من مستعمرات النحل سنويا. ومن المتوقع عند مربي النحل الذين يؤجرون المستعمرات التابعة لهم من أجل التلقيح أن يكون هناك بعض الخسائر في النحل الذي يشرب من برك ملوثة. أما العسل ذاته فهو خال من المبيدات الحشرية إذ عندما يصبح المصدر الغذائي ملوثا، تقتل المستعمرة أو تضعف ولا يمكن للنحل إنتاج فائض من العسل لجمعه.

Noureddine Belkadi, La première région apicole du Maroc, *Apimondia 34ème Congrès Vancouver - Canada, 12 au 18 septembre 1999.*

محمد رمضاني

**النحو**، عرف النحو العربي في بداياته الأولى مدرستين كبيرتين هما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة. الأولى اعتنى نحاتها باطراد القواعد وتعميمها، فقدموا بذلك القياس على السماع، ووضعوا قواعد يحتكم إليها، كما طوعوا ما خرج على أحكامهم لمنطق القاعدة، راكبين من أجل ذلك كل صعب وسهل من مختلف وسائل التأويل، لذلك كان منهجهم عقليا صرفا. ويعد سيبويه (ت. 180) صاحب *الكتاب* مؤسس المذهب البصري. أما نحاة الكوفة فقد اعتنوا بالاستقراء والأخذ عن الأعراب والاهتمام بالشواذ اللغوية والنحوية، فكان منهجهم ظاهريا يحتكم إلى السماع، ويعلي من درجة المرويات. وقد أرسى دعائم هذا المذهب علي بن حمزة الملقب بالكسائي (ت. 189 ) الذي نشأ بالكوفة وكان أحد أئمة القراء. ولا نكاد نصل إلى نهاية القرن الثالث الهجري حتى ظهرت مدرسة ثالثة هي المدرسة البغدادية التي عني مهرة النحاة فيها بانتخاب مزايا كل من المدرستين السالفتين وتوحيدها في مذهب جديد ومن أعلامها ابن كيسان (ت. 299 ) والزجاجي (ت. 337 ) وأبو علي الفارسي (ت. 377) وابن جني (ت. 392).

وعن طريق النحاة الذين هاجروا إلى الشرق ثم عادوا بعد ذلك تلقى الغرب الإسلامي النحو العربي. فقد عرف المغرب والأندلس نحو مدرسة الكوفة وآراءها عن طريق جودي بن عثمان الموروري (ت. 198) على حد ما ذكر الزبيدي. انتقل هذا النحوي إلى المشرق واجتمع بالكسائي والفراء وتأثر بمذهب أهل الكوفة وألف كتابا في النحو بعد رجوعه إلى الأندلس ومات سنة 198 . وسار في الاتجاه نفسه الفضل مفرج بن مالك الذي شرح آراء الكسائي ومات بعد المائتين. أما *كتاب* سيبويه فأقدم من حفظه من المغاربة أبو عبد الله الملقب بالنعجة واسمه حمدون بن إسماعيل ومات بعد المائتين. ويرجع الفضل في دخول الكتاب إلى المغرب لمجموع من النحاة هاجروا من الشرق وجعلوا من *كتاب* سيبويه أساسا للتعليم. ويمكن أن نذكر في البداية ثلاثة منهم دخلوا المغرب في القرون الإسلامية الأولى، وكان لهم فضل السبق في نشر النحو واللغة وهم : أبو اليسر الشيباني (ت. 298) وأبو علي القالي (ت. 356) وصاعد البغدادي (ت. 410).

لقد اهتم نحاة المغرب والأندلس بالمسائل الخلافية بين البصرة والكوفة. ونظروا مليا في الاختيارات الكوفية، وبعد مناصرة العباسيين لعلماء الكوفة وإيثارهم إياهم بتعليم ولاة العهد وأبناء كبار رجال الخلافة، نفر الناس في المغرب من هذا المذهب وخاصموا خلافة بغداد وخلعوا طاعتها. ومن ثم توجهوا بالنظر في القضايا التي أخذت على البصريين فأثبتوا منها وأبطلوا وانتقدوا وناقشوا الآراء التي وردت في *كتاب* سيبويه وانتصروا لأخرى، وإن كانت تنسب لغيرهم وساروا على هذا المنهج حتى تأتّى لهم ما يمكن أن يسمى مذهبا رابعا تحدث عنه ابن خلدون في غير ما موضع من المقدمة.

وعلى العموم فقد عرف المغاربة كتب الأخفش والكسائي ثم سيبويه واعتنوا بها عناية كبيرة، ويمكن أن نذكر من بينهم أبا محمد الزقاق قاسم بن محمد بن الحاج (ت. 559) شيخ النحاة في المغرب، كان متعلقا بالكتاب وندب حياته لتدريسه في كل من فاس وسبتة وتوفي بمدينة سلا. وكذلك محمد بن أحمد بن طاهر درس بالأندلس والمغرب، واستقر بمدينة فاس وتصدر لتدريس *كتاب* سيبويه والتعليق عليه، وقد درسه أيضا في مصر والبصرة مدة سفره إلى الحج، ومرض في طريقه للعودة فوافته المنية ببجاية سنة 580. ومن أبرز تلامذة الإمامين الزقاق وابن طاهر نذكر أبا الحسن بن خروف وهو أندلسي الأصل، قرأ *كتاب* سيبويه بفاس وإشبيلية ومراكش ووضع له شرحا سماه *تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب* . ونذكر أيضا عمر ابن عبد الله السلمي الأغماتي (ت. 603)، لم يصرفه منصب القضاء في فاس وتلمسان وإشبيلية عن تدريس *كتاب* سيبويه في هذه المدن كلها. وهناك أيضا أبو القاسم بن الملجوم عبد الرحمن بن عيسى الأزدي من أنبل الأسر الفاسية في ذلك الوقت، تسلسل فيها العلم والجاه والثروة نحو عشرة قرون، وكانت لهم مكتبة من أعظم المكتبات الخاصة في الغرب الإسلامي، درس أبو القاسم على كبار نحاة عصره في المغرب والأندلس وناظر شيخه ابن طاهر في نحو الثلث من *كتاب* سيبويه وأقرأ الكتاب في جامع القرويين وتوفي بمدينة فاس 604. ومن نحاة المغرب والأندلس في القرنين السابع والثامن أبو حيان الجياني (ت. 745) الذي لم يكن يدرس النحو إلا في *كتاب* سيبويه، وهو بربري الأصل من نفزة. وكذلك الإمام الصدفي محمد بن يحيى العبدري (ت. 651) أشهر من تتلمذ على ابن خروف وقد قام مقامه في تدريس *كتاب* سيبويه في القرويين بفاس. وأما ابن أجروم فهو محمد بن داود الصنهاجي صاحب *المقدمة* المشهورة بالأجرومية إمام النحو في عصره، وقد عرفت مقدمته الوجيزة إقبالا منقطع النظير، حتى كانت أول ما يدرس في المعاهد الدينية في المشرق والمغرب، كالأزهر والقرويين وابن يوسف وغيرها. لقد كان ابن أجروم هذا من الذين يدرسون *كتاب* سيبويه مع ميله الملحوظ للمذهب الكوفي إذ استعمل مصطلح الخفض مثل الكوفيين، ولم يستعمل مصطلح الجر، وقال الأمر مجزوم وهو ظاهر في أنه معرب، وذكر كيفما في الجوازم وهذا رأي الكوفيين، وأنكر ذلك البصريون كما هو معلوم وتوفي سنة 723. كما نجد من المغاربة النحاة في القرون المتأخرة أبا زيد المكودي عبد الرحمن بن صالح إمام النحاة في عصره، ومؤلف الشرح الشهير على *ألفية ابن مالك*، كان صاحب كرسي *كتاب* سيبويه في القرويين إلى أن توفي بفاس سنة 807. وأبا عبد الله البعقيلي محمد بن إبراهيم من قرية آيت الطالب في سوس، لقد كان يستظهر *كتاب* سيبويه ويدرسه لنجباء طلبة البادية عقوداً عديدة من السنين وتوفي سنة 976 . وأبا العباس الدلائي أحمد الحارثي بن محمد بن أبي

بكر تخصص من بين قومه العلماء في تدريس *كتاب* سيبويه بزاويتهم الدلائية في جبال الأطلس المتوسط وتوفي سنة 1051، وأبا عبد الله الدرعي محمد بن ناصر عاش في قرية تامگروت في الصحراء يدرس *كتاب* سيبويه و*تسهيل ابن مالك* إلى أن وافته المنية سنة 1085.

والواقع أن المدرسة الأندلسية المغربية في النحو بدأت بكل ما يحمله مصطلح المدرسة من معنى، مع ابن حزم ومذهبه الظاهري الذي انتشر في المغرب والأندلس. إن الثورة الظاهرية على المذهب المالكي في الفقه أيام الموحدين سارت جنبا إلى جنب مع ثورة ظاهرة أخرى على المدارس النحوية المشرقية والبصرية منها على وجه الخصوص، أرسى دعائمها ابن مضاء القرطبي من خلال كتابه *الرد على النحاة* الذي حققه شوقي ضيف، وخلاصة الانتقادات التي وجهها ابن مضاء إلى النحاة البصريين يمكن حصرها في المسائل الآتية :

1 - إلغاء نظرية العامل وادعاء أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، والرفع يكون أحيانا بعامل لفظي، وأحيانا أخرى بعامل معنوي "فظاهر هذا أن العامل أحدث الإعراب وذلك بين الفساد، وقد صرح بفساد ذلك أبو الفتح ابن جني وغيره"، وراح ابن مضاء يناقش سيبويه والبصريين في قولهم بالعوامل ويقوم بإبطالها واحدة تلو الأخرى.

2 - اعترض على العوامل والتقديرات المحذوفة ورأى أنها تمحلات لا طائل تحتها.

3 - اعترض على متعلقات المجرورات وعلى تقدير الضمائر المستقرة في المشتقات، كما اعترض على ادعاء تقرر الضمائر المستترة في الأفعال.

4 - انتقد بشدة قول النحاة بتنازع العاملين على المعمول الواحد.

5 - انتقد أيضا باب الاشتغال أي اشتغال العامل عن المعمول أي اشتغال الفعل عن المفعول لضميره نحو (زيدا ضربته).

6 - إلغاء العلل الثواني والثوالث.

7 - إلغاء القياس.

8 - إلغاء التمارين غير العملية.

9 - ضرورة إسقاط الاختلاف في ما لا يفيد النحو في شيء كاختلاف النحاة في علة رفع الفاعل ونصب المفعول.

إن محاولة ابن مضاء تسهيل النحو من خلال إلغاء القياس والعلل الثواني والثوالث واعتبار أن المتكلم هو الذي يحدث الأثر الإعرابي، تمثل جزءا من ثورة كبرى قام بها الموحدون وأرادوا أن تشمل جميع الميادين المعرفية. غير أنه كما رجع المغاربة والأندلسيون إلى مذهبهم المالكي بعد أفول العهد الموحدي عادوا أيضا إلى اختياراتهم النحوية التي تجمع بين الكوفيين، وتقتبس كثيرا من مذهب البصريين والبغداديين، وهو ما يستفاد بوضوح من *الأجرومية* و*خلاصة ابن مالك* اللتين ظلتا تتصدران الكتب المدرسية التعليمية إلى يومنا هذا. وجماع القول إن المدرسة المغربية اعتنت في بداياتها الأولى بالنقل من خلال اختيارها للمذهب الكوفي، ثم ولت وجهها جهة النحو والاختيارات البصرية لتستقل فيما بعد بنفسها وتعتمد منهجا مبتكرا ينظر في المسائل النحوية على غرار المسائل الفقهية، لم يكتب له النضج والاحتراق، لكن المسيرة قادته بعد ذلك لأن يفجر اتجاها ثالثا اعتنى بالجمع بين هذه المدارس كلها. وكما كان سيبويه ودرستويه الفارسيان من أعلام النحو العربي في المشرق كان الجزولي وابن أجروم الأمازيغيين من أئمة اللغة والنحو في المغرب.

الزبيدي، *طبقات النحويين واللغويين*، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، مصر، 1945، ص. 278 - 297، السيوطي، *بغية الوعاة*، ص. 396 ؛ ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت، لبنان، ص. 547 ؛ ابن الأنباري، *الإنصاف في مسائل الخلاف*، ج 2، ص. 524 ؛ ابن مضاء القرطبي، *الرد على النحاة*، تح. شوقي ضيف، ط. 2، 1982.

محمد الفران

**نخل**، تمرة، تمر، بلح، أبلوح، أفروح أسماء عربية وأمازيغية لثمرة النخلة التي تسمّى بالفرنسية Palmier dattier واسمها العلمي Phoenix dactylifera. يوجد نوع آخر وهو النخل الكناري فينيكس كاناريينزيس Phoenix canariensis الذي هو دخيل ويستعمل لتزيين شوارع المدن المغربية وكذلك المتوسطية. كما نجد أنواعا وأجناسا تستعمل لنفس الغرض وهي واشنطونيا فيليفيرا Washingtonia filifera وواشنطونيا روبوسطا Washingtonia robusta.

إنها شجرة معمرة تنتمي إلى فصيلة النخيليات، يتراوح ارتفاعها بين 5 و30م وقطرها بين 35 و40 سم، ذات جذع مكسو ببقايا السعفات، والسعف يتميز بشوكات صفراء مستقيمة ومتصلبة، وأوراقها دائمة الاخضرار، وأزهارها ثنائية المسكن، والتمر على شكل أسطواني، وتزهر بداية من شهر أبريل إلى غاية شهر ماي.

يتوفر المغرب على أصناف محلية كثيرة منها مثلا : بوفكوس، بوستحمي، بوزگار، أحردان، أكيلو، جهال، بورار، بوسكري، ساير، خلط، أكراس، أبو إيجو، أفروق إنتجنت،

أغليد، عين ناس، البوج، أمغال، أمنكان، أمزغزو، أسكوري، أسيان، أزيزا، بيض الدجاج، بو أنوض، بو كندوز، بو إغلان، بو إيطوب، بولميان، بو محامد، بوتيسف، الحفص، إكلان، إمشيدن، لحمر، مكاوي، مكركب، راس لحمر، رطوب، سباع جلطانت، تاكربوشت، تابايعليط، تابرشارت، تاغرامينت، تاحدادت، تايجصوط، تاغشيشت، تامكلوفت، تلازوواغت، تادمنت.

يصادف نخل التمور بالمناطق ذات بيومناخ جاف وصحراوي بجنوب المغرب بكل من تافلالت، درعة، فكيك، بودنيب، بوعنان، قصر السوق أو الرشيدية، أرفود، تازرين، عين سردان، ألنيف، دادس، زيز، فوم زكيد، طاطا، وفوم الحصن. كما يصادف كذلك بكل من الجزائر وتونس وليبيا ومصر والعراق وإيران. إنه يتحمل برودة فصل الشتاء بالمناطق الصحراوية وكذلك التربة المالحة وهو في حاجة دائمة إلى رطوبة الأرض والتربة الغرينية والطميية التي تحتوي على طبقات ذات تركيبة رملية.

تغرس بعض الأنواع من النباتات تحت أشجار نخل التمور مثل : الحناء والذرة والشعير وذلك لاستغلال ما يتوفر من التربة.

يغرس نخل التمور في فصل الربيع عن طريق الخلفات (أو الفرخ) الذي يتم انفصاله عن الشجرة الأم. تتم هذه العملية بواسطة آلة حادة ونظيفة. وبعد هذه العملية يتم تجريد الفرخ من الأوراق والجذور قبل أن يوضع في التراب. يتم السقي مرة في الأسبوع خلال فترة الصيف. مسافات الغرس هي 10م X 10م أو 8م X 8م.

أما في ما يخص عملية التلقيح أو الإخصاب فإنها تتم عن طريق استعمال "الذكار" وذلك بوضع لقاح ذكوري (Pollen mâle) بطريقة يدوية أو باستعمال آلة ميكانيكية. ويحدث التلقيح في اليوم الذي يتم فيه انفكاك الإزهار.

إن نخل التمور مهدد ببعض الأمراض والطفيليات، ويعد البيوض أو تنكيلت، الناتج عن فطريات "فيزاريوم أليبدنس"، المسؤول الرئيسي عن إتلاف واندثار ثلثي أشجار النخيل بالمغرب منذ بداية القرن. كما أن هناك أضراراً ناجمة بالخصوص عن فطريات أخرى.

وحسب التقديرات التي قامت بها بعض المصالح المختصة، فإن عدد أشجار نخل التمور يقدر بمائة مليون موزعة عبر العالم على مساحة مليوني هكتار بكل من المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر والعراق و إيران.

في الماضي القريب كان المغرب يحتل المرتبة الثانية عالميا حين كان عدد أشجار النخيل يقدر بحوالي خمسة عشر مليون، لكن هذه الثروة تراجعت بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة بحيث إن المغرب أصبح حاليا لا يتوفر إلا على خمسة مليون شجرة من النخل، وينتج حوالي مائة ألف طن سنويا من التمر. هذا الإنتاج جعله يحتل الصف الخامس عالميا وراء كل من العراق ومصر وإيران والجزائر.

يتم استغلال التمور كغذاء للإنسان نظرا للقيمة المغذية والطاقية والفيتامينات ويتم استغلال الأشجار في تزيين الحدائق والشوارع، والأغصان في الأغراض الزراعية وكحطب الوقود، والنواة بعد طحنها كعلف للحيوانات والدواجن، والجذع كسقيفة للمنازل والسعفات لصنع الحبال. كما يتم استغلال التمور عن طريق التقطير للحصول على ما يسمى بماء الحياة (الماحية) في بعض البلدان.

وكشهادة تاريخية للعصر نجد أن الشريف الإدريسي، الرحالة ورجل العلم والأدب، سبق له أن كتب بأن سجلماسة تمتاز بشجر النخيل من النوع الممتاز والذي ينتج تمورا ذات جودة عالية مثل البيرني والتي تفوق بكثير باقي التمور المستخرجة من الأصناف المعروفة. كما أن الجغرافي والمؤرخ والرحالة ابن بطوطة كان يفضل صنف أدرار الذي يعتبر في نظره أجود التمور في العالم.


ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. عبد المجيد زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

A. Aafi, M. S. Taleb et M. Fechtal, *Espèces remarquables de la flore du Maroc*, CNRF, 2002, 146 p. ; R. Maire, *Flore de l'Afrique du Nord, La Rose*, Paris, France, 1957, 334 p. ; A. Merto et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora, La nature au Maroc*, Soc. des Sc. Nat. au Maroc, Rabat, 1955, 498 p. ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc : Evalution et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 357 p. ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p.


عبد الرحمان عافي

**نخشى، علي** ولد في نهاية القرن الثالث عشر الهجري بمدينة القصر الكبير من أسرة قصرية عريقة معروفة بصلاح دينها وأصالتها وبميلها إلى العلم والورع، وقد نشأ في بيئة دينية محافظة وتلقى مبادئ العلوم وأولياتها في القصر الكبير على فقهاء المدينة، إذ كان أخوه الأكبر السيد محمد فقيها مقرئا حافظا للكتاب، وقد عمل على مساعدة أخيه أثناء دراسته، وعندما اشتد عوده وكمل نضجه وتاقب نفسه إلى طلب العلم ولّى وجهه شطر الفقيه العالم الجليل المشارك أبي العباس أحمد بن يرمق الذي كان مقيما بمدشر ورموت بقبيلة بني جرفط والذي اشتهر بعلمه الغزير وورعه الكبير وخاصة علم القراءات، إذ كان أحد أئمتها في المنطقة وبلاد الهبط عامة وله شرح على ابن بري مخطوط بخزانته وكان مقصودا من طلبة العلم من مختلف الأرجاء.

ظل علي نخشى ملازما لشيخه ناهلا من معينه مختلف العلوم من فقه وعربية ونحو وقراءات وغير ذلك، وعندما انتقل أبو العباس أحمد بن يرمق إلى مدشر عين بيضة بقبيلة سماتة استمر مترجمنا ملازما له غير أننا لا ندري بالضبط كم هي المدة التي قضاها في ملازمة هذا الشيخ الجليل خاصة وأن هذه الملازمة كانت في فترة عصيبة يملأها الاضطراب، إذ كانت تصادف زمن المقاومة الجهادية للمحتل الإسباني في جبال الريف الغربية أو ما يسمى بجبالة وكان شيخه أبو

العباس من دعاة الجهاد في بلاد الهبط وقد فقد أحد أبنائه في إحدى المعارك التي دارت في المنطقة.

استأذن شيخه في ترك عين بيضة من أجل الذهاب إلى فاس، وهكذا انتقل إلى القرويين حيث تلقى علومه على أكبر شيوخها علما وشهرة، ونال إجازة أولئك العلماء وقد تميز بذكاء كبير وحفظ غزير وفهم عظيم لأعقد المشاكل العلمية والفقهية والشرعية، عالما بالعربية وآدابها مشاركا في مختلف العلوم، ومن أشهر علماء القرويين الذين أجازوه أبو العباس سيدي أحمد بالخياط وسيدي المهدي الوزاني وهذا الأخير له *حاشية على ميارة* الشهيرة.

عاد إلى القصر الكبير وهو مملوء الوطاب من العلوم، وقد تميز بقدرته الفائقة في ميدان الجدل العلمي مع إتقانه لعلمي المنطق والأصول وبراعته في الجدل، وعندما تولى خطة العدالة اشتهر بتفوقه في ميدان التوثيق والضبط مما رشحه لأن يصبح خليفة للقاضي، وقد كان قاضي القصر الكبير آنذاك الفقيه الجليل السيد محمد المرير التطواني أحد كبار القضاة الذين عرفوا بحزمهم الكبير، وقبل ذلك كان قد ارتقى به علمه لأن يصبح أحد كبار المفتين الشرعيين في القصر الكبير والمنطقة، كما كان يقوم في بعض الأحيان بإعطاء بعض الدروس لطلبة العلم تطوعا قبل أن يشتغل في خطة القضاء حسبما أفادني به ابنه الأكبر السيد محمد نخشى.

تميز بحسن هندامه وتأنقه في العيش مع ميل فطري ومعرفي لفنون الحياة المدنية، إذ كان عارفا بالطبوع الأندلسية متفتحا على حياة العصر مما لايقدح في مروءة أو دين، مربيا أبناءه على هدي الدين وآداب الدنيا مراعيا لسنن الحياة وتطوراتها في وقت كان المغرب يعرف تطورات اجتماعية وسياسية مهمة، وأصبحت بوادر قيام نهضة علمية وسياسية تطل بوجهها على البلاد.

تولى مهمة النيابة في القضاء بالقصر الكبير مدة طويلة خلال العشرينيات من القرن العشرين، ثم تولى مهمة خطة القضاء في مدينة أصيلة مدة لا تقل عن ست سنوات، ثم عاد إلى القصر الكبير ليتولى منصب القضاء مرة أخرى، وقد عرف مترجمنا بدقة التحقيق في القضايا الشرعية، وكان قدوة لعدول الفترة في ميدان التوثيق وخاصة لمن كان غير ملتزم لمصطلحات هذا العلم أو لمن كان يجهل بعضا من ذلك وهو يتعاطى خطة العدالة، وقد عمل مترجمنا في مدينة القصر الكبير على إحياء عادة مصاحبة رجال المخزن للقاضي والإمام في التوجه إلى المصلى صبيحة العيدين : الفطر والأضحى مع التسبيح والتهليل والذكر في موكب قدسي خاشع.

توفي القاضي علي نخشى وهو في سن الكهولة إذ لم يكن عمره قد تجاوز الواحدة والخمسين وذلك في 15 محرم الحرام عام 1351 موافق 1932 ، ودفن بضريح سيدي أحمد الشريف بساحة سوق الصغير قرب المسجد الأعظم بالقصر الكبير.

محمد بوخلفة، *الطريق لمعرفة القصر الكبير*، تطوان، 1972 ؛ محمد بن خليفة، *أعلام القصر الكبير*، طنجة، 1993.

الحسين البعاوي

**النخيلة**، مدينة صغيرة من مدن إمارة بورغواطة بإقليم تامسنا، كانت آهلة بالسكان أيام البورغواطيين، وكان يقام بها كل سنة سوق يشد إليه الرحال جميع أهل تامسنا، وقد خربت على عهد يوسف بن تاشفين، ومع ذلك يقول الحسن الوزان الذي مربها مرارا "ما تزال بادية للعيان آثار منها، كبقايا الأسوار، وصومعة كانت وسط مسجد، وبساتين وأماكن كروم، وأشجار قديمة لم تعد تحمل تمرا". ولا يزال مكان النخيلة معروفا بهذا الاسم حتى اليوم، وتسمى بها قرية صغيرة بفرقة أولاد مرزوگ بقبيلة أولاد كثير إحدى قبائل زعير، توجد جنوبي مدينة الرباط نحو 50 كلم منها في الطريق المؤدية إلى الرماني.

في 11 شتنبر سنة 1911 ، عمدت الجيوش الفرنسية إلى تأسيس معسكر بقرية النخيلة لتراقب من خلاله تحركات مجاهدي قبيلتي أولاد كثير وأولاد ميمون من زعير، ومن ثم تشن هجماتها المتوحشة. وعندما ركز الفرنسيون وجودهم بالنخلية، أصبحت تشكل دائرة لبعض قبائل زعير، وكان تحت نفوذها قبائل أولاد ميمون وأولاد كثير وبني عبيد والرمامحة وأولاد الطيب، وفي 27 غشت 1916 تم إلغاء مركز النخيلة كدائرة لقبائل زعير، وأصبحت تابعة لمعسكر "مرشان" (الرماني حاليا).

عندما أسس مركز النخيلة وضعت القوات الفرنسية على رأسه اليوتنان كولونيل موريال Maurial، والقبطان مارشان Marchand رئيسا لمكتب الاستعلامات. وحسب بعض الروايات فإن أول مركز للگوم تم تأسيسه بالمغرب سنة 1913، كان بقرية النخيلة.

في عام 1917 ، تم العثور بالنخيلة على قطعة حجرية (Pétroglyphe) بها نقوش عبارة عن تجسيد لأشخاص، ولم يتم التوصل لضبط تاريخها، وقد تعود هذه النقوش الحجرية إلى زمن سحيق يدل على أن قرية النخيلة موغلة في القدم.

تنتمي قرية النخيلة حاليا إلى نفوذ الجماعة القروية لأحد البراشوة، يعقد بها سوق أسبوعي يوم الخميس، ويعود تأسيس هذا السوق إلى سنة 1912 ، إلا أنه كان يقام يوم الثلاثاء، ويوجد بهذه القرية مستوصف ومدرسة وبعض الدكاكين والدور، وما يميزها هو وجود ثكنة عسكرية للحرس الملكي.

الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 198 - 199.

Marchand, *Questionnaire annuel*, Bureau de Nkheila, p. 5-9 ; *Villes et tribus du Maroc*, Rabat et sa région, t. III, p. 143-145 ; Basset, Deux pétroglyphes du Maroc occidental (Région des Zaer), in *Hespéris*, t. III, 1923, p. 141.

بوعبيد التركي

**النَّرْجِس**، جنس نباتي ممثل في المغرب بتسعة أنواع طبيعية من بينها قبسيات خاصة بهذا البلد، بالإضافة إلى أنواع أخرى دخيلة تستعمل في الزينة. إنها نباتات عشبية وبصلية. أوراقها شريطية طويلة. أزهارها منفردة أو مجتمعة

في ازهار شبه خيمي، بيضاء أو صفراء. تصادف الأنواع الطبيعية في غابات المناطق شبه الرطبة والرطبة وشديدة الرطوبة. ونظرا لجمال أزهار هذه الأنواع. يحبذ استعمالها كنباتات زينة.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**النزالة**، لفظ النزالة أو النزلة مشتق من فعل نزل. فنزل نزالة بكسر النون تعني سافر أو حل بموضع، ونزل القوم بتشديد الزاي يعني أنزلهم المنازل كما تعني النزالة ـ كذلك ـ الضيافة. يقال "كنا نزالة فلان". وتجمع على نزلات أو نزايل، ومن الخطأ جمعها على "نوازل" لأن نوازل أو نازلات هي جمع نازلة أي واقعة.

والنزالة كما عرفت في المجتمع المغربي، خلال القرن التاسع عشر تعني الحراسة التي أنزلت في مكان معين للقيام بحراسته. ثم أصبحت الكلمة تدل على المكان. فهي بهذا المعنى مؤسسة اجتماعية مخزنية، الهدف منها حفظ الأمن، خاصة أمن الطرق، وتسهيل مهمة المسافرين ومبادلات التجار.

أما من الناحية التقنية، فالنزالة تعني المكان الذي تستقر به الحراسة ـ كما أشرنا ـ وكانت النزايل عبارة عن قطع أرضية غالبا ما تكون مربعة الشكل، بها عدد من المساكن المتواضعة، محاطة بزريبة (حوش) من الأشواك، أو بسور من الحجر. وقد تكون محاطة بخندق كما ظهر ذلك بالشاوية في نهاية القرن الماضي.

كانت النزايل توجد على رأس كل مرحلة من مراحل الطريق، أي على رأس حوالي 20 كلم في الغالب. لكن مع اضطراب الأمن نتيجة للتدخل الأوربي، في بداية القرن العشرين، يلاحظ أن بعض القواد زادوا من عدد النزايل في الطرق المارة بقبائلهم. كانت النزالة تحرس من طرف أهل النزايل وهم حراس مسلحون يقطنون وسط النزالة في بيت من الطين أو الحجر أو نوالة من القصب والتبن، مهمتهم حراسة الطريق والقوافل المارة بهم ليلا ونهارا. وهكذا كانت النزايل توفر للمسافرين والمارين الملجأ والأمن من السرقة خلال الليل مقابل واجب زهيد يدفعه المسافر أو التاجر لأهل النزالة. ولما كان عدد كثير من الناس والحيوانات يتجمع داخل النزالة ليلا، فقد كان المسافرون يجدون فيها حماية أخرى من عصف الرياح خلال الليالي الباردة. ومن أهم الخدمات التي كانت النزايل توفرها للمسافرين، أن المسافر كان يتموّن بالبيض والدجاج والشعير والتبن بأثمان معقولة جدا. وإذا ما تعلق الأمر بمسافر رسمي أو سفير مثلا، فإن الحراسة والمؤونة تقدم له مجانا من طرف سكان المنطقة أو حراس النزالة.

وتذكر مستندات الدولة المغربية أن وظيفة النزايل كانت تتلخص في : حفظ الأمن بالطريق ليلا ونهارا. وفي الرسوم العدلية إشارات يلتزم فيها القواد بحفظ طرق قبائلهم وصيانتها، والتعاون فيما بينهم على ذلك. وإذا وقع لأحد نهب أو غيره، في مجال حكم قائد من القواد، فهو الذي يؤدي ما ضاع من مال لصاحبه. والملاحظ أن التشديد على حفظ أمن القوافل في طرق المغرب ازداد واتضح في أواخر القرن التاسع عشر، وهذا التطور كان مرتبطا بالتدخل الأجنبي في المغرب وبفتح السوق المغربية للتجارة الأوربية، وما صاحب ذلك من امتيازات حصل عليها التجار الأوربيون.

وتطلعنا الوثائق المخزنية على أن تأسيس النزايل لأول مرة خلال القرن التاسع عشر حدث في الطريق الرابطة بين الرباط والدار البيضاء في عهد السلطان مولاي سليمان (1792 ـ 1822 )، والسلطان مولاي عبد الرحمان (1822 ـ 1859).

وكان السلطان يعين النزايل في مواضع مختارة بالاتفاق مع قياد وأعيان القبائل المعنية. ويسند القيام بأمر النزالة لسكان الموضع، ويحمل مسئوليتها لقائد القبيلة التي توجد النزالة في ترابها. ويظهر أن السلطان كان يحدد مراكز النزايل في الطرق الكبرى ؛ كالطريق الرابطة بين فاس والرباط وبين فاس وطنجة وبين الرباط ومراكش وكذلك بين مراكش والصويرة. والملاحظ أن الطرق المذكورة كثيرا ما كان الأجانب يستعملونها في تجارتهم أو في سفاراتهم للبلاط المغربي. أما الطرق والمسالك الثانوية، فكان السكان يتفقون على إنزال النزايل لحراستها وكان المخزن يحمل مسؤولية المحافظة على أمن المسافرين للقائد الذي يمرون بتراب قبيلته دون تحديد لمكان توقف المسافرين. وكان السلطان يصدر أمره لقاضي المدينة المجاورة ليعين عدلين لكتابة رسم الإشهاد الذي يتعهد فيه القواد المعنيون بتعهد النزالة ومراقبة ما يقع فيها وفي نواحيها، وبعدم الزيادة في مقدار الأجرة المعنية من طرف السلطان لأهل النزالة إعانة لهم على حراسة الطريق.

وفي الحقيقة كانت حقوق النزايل واجبات رمزية يدفعها التاجر أو المسافر لحراس النزالة، الذين يلزمون بغرم ما يضيع للمسافرين مضاعفا. وكانت واجبات النزايل تتفاوت نوعا وقيمة حسب المناطق ؛ فمثلا في المناطق السهلية، كان الأجر يؤدى نقدا عن بهائم النقل كالجمل والبغل، وعن البقر والغنم. أما في المناطق الجبلية فتبين مستندات الدولة المغربية أن حق النزالة كان يؤدى عن البغلة وعن الحمار ثم عن الراجلين. وقد تطورت هذه الواجبات مع تزايد التدخل الأوربي في القرن العشرين وما أفرزه من استغلال وتدهور للأمن بالطرق.

وقد بدأ التجار الأوربيون يتدخلون في أمور النزايل، ويشجعون العاملين معهم في التجارة والنقل على تجاهل السلطة المغربية منذ سنة 1285 / 1868. وعكست هذا الواقع مراسلة السلطان للنائب المغربي بطنجة، إذ أبرزت المصلحة العامة من وجود النزايل، ونبهت للعواقب التي تترتب عن خرق التجار الأجانب لقوانين البلاد. ذلك أن أصحاب النزايل أصبحوا يشتكون من "أصحاب النصارى"، الذين يمرون بالنزايل ببطائق التجار دون أداء حق النزالة، ثم يدفعون بطائقهم لأخرين ليسوا من المتعاملين من التجار، ويسلكون بها مجانا. (رسالة من السلطان إلى النائب محمد بركاش 10 رجب 1285 موافق 27 أكتوبر 1868).

وعلى كل حال فقد أصبحت واجبات النزايل موضوع أخذ ورد بين المخزن والسفراء الأجانب، بسبب الاتهامات المتكررة التي كان التجار يوجهونها للقواد، ويدعون أنهم يحدثون نزايل جديدة ويزيدون في واجباتها. ويغلب على الظن أن تزايد عدد النزايل كان الهدف منه هو المحافظة على أمن الطرق في زمن تميز باضطراب الأمن. كما أن الزيادة في واجباتها تعتبر نوعاً من المقاومة غير المباشرة لتسارع الاستغلال الأجنبي. ومصدراً من مصادر الدخل عوض به القواد ما كانوا يدفعونه للمخزن الذي كان يواجه أزمة مالية خانقة.

*وثائق الخزانة الحسنية* ؛ علال الخديمي، النزايل والمواصلات الداخلية والتدخل الأجنبي بالمغرب خلال القرن (19).

علال الخديمي

**النزاهة** ، من العربية الفصحى "النزهة" وهي خروج الناس جماعات وأفراداً عائلات وأسراً وهيئات وجمعيات إلى خارج المدينة (ظاهر المدينة) أو القرية لقضاء يوم أو أكثر في أحضان الطبيعة ؛ والنزاهة ليست مرتبطة بوقت أو مكان معلوم إلا أن موسمها هو فصل الربيع.

عرف المغاربة النزاهة على اختلاف جهاتهم ومستوياتهم الاجتماعية منذ القديم، فكل منهم يقوم بها طيلة حياته على قدر استطاعته وحسب إمكانياته، والنزاهة هي استمتاع بالبيئة الطبيعية في فصل الربيع ببساطه الأخضر وزهوره الباسمة وطيوره ومياهه الدافقة وبركه وبحيراته الزرقاء المنتشرة وسط السهول والهضاب والغابات وما إلى ذلك من تفاصيل اللوحة الإلهية الطبيعية.

تتم النزاهة بعدما يخطط لها - قبل موعدها بأيام - بما يلزم من أكل وشرب وآلة الطرب وأدوات اللعب إذ المقصود هو الخروج عن المألوف وتغيير الروتين في الحياة اليومية سواء داخل البيت أو في مكان العمل ؛ فالنزاهة للمرح والانشراح، وقد كانت الجماعات المهنية (أصحاب الحرف - أو أصحاب الحنطة) يقومون "بالنزاهة" يوم العطلة أو أيام "أسبوع العيد" : "... عَادَةُ غلمان الحمام إقامة حفلة سنوية مع أصحابهم خارج المدينة ثم يعودون ومعهم بصلة زنبق يضعونها في إناء جميل من نحاس يغطونه بسماط صغير حديث العهد بالغسل ثم يضعون البصلة في سلة يعلقونها على باب الحمام (بغية جلب الازدهار)...".

كانت النزاهة في بعض المدن الكبرى وفي البادية مرتبطة بضريح ولي أو صالح أو بمآثر تاريخية، فمدينة الرباط مثلا كان سكانها يقصدون في "نزاهتهم" مآثر شالة التاريخية وسكان مدينة سلا كانت نزاهتهم متنوعة : ضريح "أحمد بن عاشر" وضريح سيدي موسى الدكالي، والسواني المحيطة بالمدينة والخندق ... أما نهر أبي رقراق وضفتيه (ولجة الرباط وولجة سلا) فهو مكان نزاهة منذ أقدم العصور : "... وما هي وقت مرور المجالات عليها - (مدينة الرباط) - إلا من عجائب منتزهات الدنيا لا سيما في الأعوام الخصبة والفصول المعتدلة، وناهيك عن ساحل طوله نحو الميلين وعرضه نحو الميل مملوء بالبشر، والزوارق في الوادي بركابها والمنارة المطلة وعلاقات الثمار وعقد الزيتون وجذر الكرمات ...".

استمرت النزاهة كما جاء في المصادر إلى الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، قبل أن يزحف الإسمنت المسلح على أماكن النزاهة خارج المدينة والقرية، وكانت النزاهة تتم مشيا على الأقدام، أما اليوم وقد ازدادت وتيرة هجمات الإسمنت المسلح تضاف إليه سنوات الجفاف الطويلة فإن النزاهة أصبحت تتطلب فيما تتطلبه "وسائل النقل" الخاصة أو العمومية ومعنى ذلك أن النزاهة لم تعد للجميع كما كانت من قبل.

مجهول، *الاستبصار*، الأسكندرية، 1958 ؛ الوازن، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ مارمول، *إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ الضعيف، *تاريخ الضعيف*، الرباط، 1986 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ الماجري، *المنهاج الواضح*، 1933 ؛ ابن عبد العظيم، *بهجة الناظرين*، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1985.

J. Martin [et al.], *Géographie du Maroc,* Paris, 1967 ; Carte du Maroc Michelin, 1 / 600000

محمد حجاج الطويل

**النزول** (عرف)، ليس هناك ما يدل دلالة واضحة على معنى هذا العرف الاجتماعي في المظان التاريخية ومدونات الأوفاق العرفية التي أفرزتها سيرورة تطور الحياة القانونية للقبائل في جهات مختلفة من المجال المغربي. غير أن دلالته

كما استقرت في الحياة الجماعية لبعض القبائل تعني النزول في ضيافة شخص أو جماعة على وجه التكليف والإلزام ودون سابق استشارة أو استئذان، حتى يجبر على تأدية ما بذمته من كلف ووظائف وسخرات وذعائر وغيرها، أو للضغط عليه حتى يعوض غيره عن حقوق مادية أو معنوية عائدة إليه بحكم قوة الشرع والقانون، أو لتأديبه عما صدر عنه من أفعال تخالف عوائد الجماعة وتعاقداتها العرفية. كما يطلق "النزول" في سياق آخر، على كل من انسحب من سلك الخدمة المخزنية أو من صفوف الگيش.

ومع ما يمكن ملاحظته من اختلاف في الأشكال والمظاهر التي كانت تتخذها ممارسة "النزول" من منطقة إلى أخرى، فإن تنظيمه وتحديد توقيته وعدد الأشخاص الذين سينزلون في ضيافة من سيقع عليه "النزول"، عادة ما يكون من اختصاص أعيان وكبراء "الجماعة" باعتبار ما يتمتعون به من وجاهة اجتماعية وسلطة معنوية تحظى بتقدير واعتراف كافة عناصر القبيلة أفرادا ومجموعات. وبالرغم مما تستلزمه هذه الضيافة "القسرية" وما يرافقها من إنزال جماعي من تكاليف مادية مرهقة تفوق أحيانا إمكانات الطرف "المنزول" عليه، فلا أحد من بين أعضاء القبيلة يستطيع رفضها أو ردها بأي وجه من الوجوه. لأنه متى تجرأ أحد على فعل ذلك ـ وهذا قلما يحدث ـ يصبح فعله هذا، وصمة عار على جبينه ولعنة تطارده أين ما حل وارتحل.

ومن أهم الحالات التي كان يتم فيها اللجوء إلى تحكيم صيغة "النزول" في مناطق عديدة من المغرب كما هو الحال في جهات تافيلالت ودرعة وتادلا، نجد على سبيل المثال لا الحصر : حالة عدم المشاركة في إنجاز بعض الأشغال الجماعية (التويزة) المتعلقة مثلا باستصلاح الآبار أو بتنقية السواقي أو بشق طريق من الطرق، أو بعدم الوفاء بأداء بعض الواجبات المستحقة لجهة من الجهات كالمساهمة في أداء سخرة من السخرات أو ذعيرة من الذعائر، أو بعدم الانخراط في مجهودات الدفاع عن حرمة القبيلة ورموز سيادتها في لحظات الحرب والعدوان، أو بعدم المشاركة في التظاهرات الاحتفالية الجماعية داخل القبيلة وما تقتضيه من مساهمة في تحمل جزء من أعبائها المادية... إلخ.

وبالرغم من خلو ممارسة "النزول" من أي قوة إكراهية إلزامية تجبر "المنزول عليه"، فردا كان أو جماعة، على قبول وتنفيذ قرار الضيافة المقررة في غيبة عنه، فإن الممتنع، لأي سبب من الأسباب، عن الاستجابة لهذا القرار، يفقد، الكثير من قيمته الاعتبارية، وتصبح كلمته في وسط جماعته غير ذات شأن يذكر. لذلك كان حرص عامة الناس في المجتمع القبلي المغربي شديدا على الالتزام بمقتضيات هذا العرف وغيره من الأعراف الاجتماعية الأخرى، حفظا لكرامة الذات وتأكيدا لقواعد الانتماء إلى الجماعة ودرءاً للعنة "العار" وتبعاتها. ولعل في هذا المعنى ما يقوم حجة على أن عرف "النزول" كان أشبه ما يكون بعرف وجبة "العشاء" في الأوفاق العرفية السوسية، لكن مع فارق بسيط يتمثل في كون "النزول" ـ كما أوضحنا ـ كان لا يتمتع بقوة الإلزام متى تم رفضه، في حين أن عرف وجبة "العشاء"، كان على عكس ذلك، ذعيرة بالمال العين يقدمها الجاني أو المخالف لقواعد العرف الجماعي على وجه الإلزام "لآيت الأربعين" ويتم تحديد نوعها ومقدارها وفق ما تقضي به عوائد القبيلة. وهذا المعنى يبقى في كل الأحوال بعيدا كل البعد عن معنى "الضيافة" كما جرى تداولها في إطار العلاقات الجبائية التي جمعت الدولة المركزية بالقبائل في تاريخ المغرب، حيث اكتست هذه الأخيرة، مفهوم إتاوة أو ضريبة تؤديها القبائل للسلطان مما تنتجه وتتعيّش به من حبوب وسمن وعسل وزيت وأغنام وأبقار وجمال ودواب وغيرها، وذلك إما بهدف طلب العفو والصفح منه بعد الثورة والعصيان وهنا يأخذ مفهوم الضيافة معنى التذلل والخضوع، وإما بهدف التعبير عن ولائها وطاعتها وتجسيد روابط الصلة الوثيقة بينهما، وهذا ما ينكشف في ما تقدمه القبائل الموالية للسلطان عند حلوله بين ظهرانيها (أو حلول وفد من ممثليه)، من مواد غذائية وتموينية وعلوفات للبهائم والدواب، إكراما لوفادته وتيمنا بطلعته السعيدة.

الناصري، *الاستقصا*، 9 : 1956 ؛ علي المحمدي، *السلطة والمجتمع في المغرب*، نموذج آيت باعمران، 1989 ؛ أحمد التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850 ـ 1912)*، 1403 ـ 1983 ؛ البشير بوسلام، *تاريخ قبيلة بني ملال (1854 ـ 1916)*، 1991 ؛ د. إكلمان، *الإسلام في المغرب*، تر. محمد أعفيف، جزءان، 1989 ؛ صدقي أزايكو، آيت الربعين، *معلمة المغرب*.

R. Montagne, Le régime juridique des tribus du sud marocain, *Hespéris*, 1924, t. 4 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris, 1920 ; L. Mezzine, *Le Tafilalt, contribution à histoire du Maroc aux XVII et XVIII siècles*, Casablanca, 1987.

الفقيه الإدريسي

**النسر**، كما هو شائع في المعاجم وكما ينطق به العرب في مختلف الأقطار العربية طائر كبير الحجم يأكل الجيف ويلعب دورا هاما في تنقية البيئة من الجثث الميتة. يصنف في رتبة النسور وهي من سباع الطير لكن ليس من جوارحها أي كواسرها النهارية Falconiformes وفصيلة العقبان Accipitridae ، منه خمسة أنواع تعيش في المغرب وتألف المناطق الصحراوية والصخور الجبلية الصعبة المنال. تتميز أنواع النسور بساقين عاريتين ومنسر أو منقار طويل منعقف في طرفه فقط ولاريش على الرأس والعنق بل يكسوهما زغب أبيض قصير. وبما أنّ النسر لا يتغذى على الفريسة الحية، فهو لا يحتاج إلى مخالب حادة وتنتهي الأصابع بأظافر بدل المخالب المعروفة عند سائر أنواع الطيور ولا يقوى على جمعها ليحمل فريسته كما يفعل العقاب بمخالبه. الجناحان طويلان واسعان وملائمان للطيران الانسيابي لمسافات بعيدة.

يتغذى النسر على جيف الحيوانات وبقايا جثث الغنم

والمعز والأرانب والحشرات والزواحف. يتلاءم مبنى جسمه لهذا الغرض جيداً : منقاره كبير وقوي وحاد ويمكنه تمزيق الجيفة وخلق فتحة في جلدها ليتناول قطع اللحم منها. رقبته طويلة وخالية من الريش، مما يمكنه من الدخول إلى الجيفة عبر الفتحات التي فتحها في جلد الجيفة. بإمكانه أكل كميات كبيرة جداً مرة واحدة.

وهو طائر اجتماعي، يحتضن البيض ويعيش في مساكن في الجبال العالية، يصعب على المفترسات الوصول إليها. طيران النسر انسيابي يحتاج إلى هواء دافئ للتحليق في الفضاء. عندما يكون الهواء بارداً في ساعات الصباح يقضي النسر عدة ساعات في العناية بريشه وتمشيطه. بعدما يسخن الهواء تخرج النسور من الجبال التي نامت فيها ليلا وتنتشر للبحث عن الغذاء، على عشرات الكيلومترات عن مساكنها وتستعمل حاسة البصر المتطورة لمشاهدة جيفها في حقل مفتوح عن بعد عدة كيلومترات. عندما يرى غذاءه يغوص إليها بسرعة كبيرة وتلتحق به النسور الأخرى.

تأكل النسور الجيفة بأولوية ثابتة : الكبار أولاً ثم الصغار، أحيانا تنشب معارك بينها فيها يتعلق بأولوية الأكل بين نسور من نفس السن ومتكافئة في القوة في أوقات متقاربة، وبسبب الأكل الكثير لا تتمكن النسور من الطيران، وعليها الانتظار حتى هضم الغذاء قبل أن تتمكن من الطيران ثانية.

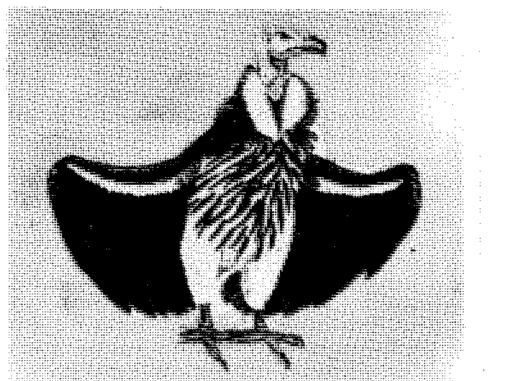

العلاقة بين الزوجين لدى النسور تمتد طيلة الحياة. يبدأ الزوجان بالمغازلة في بداية الشتاء، عندما تقوم النسور بتمشيط بعضها البعض وتقوم أيضاً بطيران استعراضي، أثناء هذا الطيران الانسيابي تتلامس جناحيهما. عشّ النسور عبارة عن جمع من الفروع القليلة والحشايا، تضع الأنثى بيضة واحدة فقط، ويشترك الزوجان في حضنها. يفقس الفرخ بعد 55 يوماً من الحضن، تكون عيناه مفتوحتان أثناء الفقس وعليه ريش ناعم أبيض. بعد أكثر من مئة يوم من العناية الكاملة يترك الفرخ العش ويبدأ حياته المستقلة.

كان النسر في الأزمنة الغابرة طائراً كثير الانتشار في شمال إفريقيا إلا أنه منذ بداية القرن العشرين بدأ ينخفض عدده. وأسباب ذلك كثيرة وترجع إلى قلة الجيف التي تتغذى عليها الطيور بسبب تطور طب الحيوانات الأليفة والصيد واستعمال مواد الإبادة .تعيش خمسة أنواع من النسور في المغرب وهي :

النسر الأسود يدعى علميا Aegypus monachus وبالفرنسية Vautour moine وبالإنجليزية Black vulture وبالإسبانية Builtre negro وبالإيطالية Avvolotoio monaco. يبلغ طوله 107 سم وتتعدى بسطة جناحيه 160 سم، يعيش في المناطق الجبلية بالريف وبالأطلس المتوسط، وتكون المجموعة المغربية تمديدا للمجموعة التي تعيش في جنوب إسبانيا. إنه طائر نادر جدا حاليا في المغرب انقرض في الأطلس المتوسط في أواخر القرن العشرين.

النسر الصحراوي الأشقر يدعى علميا Gyps fulvus وبالفرنسية Vautour fauve وبالإنجليزية Griffon vulture وبالإسبانية Builtre comun وبالإيطالية Griffone، يبلغ طوله 105 سم وتتعدى بسطة جناحيه 160 سم. تعيش عدة مجموعات في المغرب وتتوزع على مناطق بني يزناسن بجوار جبل الأخضر وفگيگ ومنابع أم الربيع وجبل تيسدادين قرب كيكو بالأطلس المتوسط وفي الأطلس الصغير بجوار عوينت آيت أوسا. يتوالد في المغرب وتتكون المجموعات من أفراد لا يزيد عددها عن 30 حسب الأبحاث والاحصائيات الأخيرة.

نسر أذاني يدعى علميا Torgos tracheliotus وبالفرنسية Vautour oricou وبالإنجليزية Lappet faced vulture وبالإيطالية Avvolotoio orecchiuto. إنه طائر مهدد بالانقراض في المغرب ولم تبق منه إلا بضع وحدات تعيش في المناطق الصحراوية بجوار بئر موكراين، وكانت عدة مجموعات تعيش في الأطلس المتوسط انقرضت في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين. يبلغ طوله 100 سم وتتعدى بسطة جناحيه 150 سم.

نسر كاسر العظام يدعى علميا Gypaetus barbatus وبالفرنسية Gypaete barbu وبالإنجليزية ,Lammergeier Bearded vulture وبالإسبانية Quebrantahuesos وبالإيطالية Gipeto. تقلص عدده في المغرب بشكل ملحوظ خلال القرن العشرين ولا يتجاوز مجموع زوجاته حاليا 40 تعيش معظمها في الأطلس الكبير الأوسط بجوار تيزي نتيست وأوكايميدن وطوبقال وتيزي نتيشكا وتادرت وجبل بوأوغيول وفي مناطق وارزازات وهضاب درعة وفي المناطق الغربية لجبل ساغرو وقلعة مگونة وجبل أزوركي وبومالن ودادس وتينغير وتودغا وتينجداد وهضاب زيز وميدلت وجبل العياشي، ويوجد أيضا في الأطلس الصغير بجبال إغرم وطاطا وسوق الثلاثاء تاكموت. يعيش طول السنة غير بعيد عن مكان توالده. وفي بداية مارس ينصب الزوجان العش بين أطراف الجبال الشاهقة وبين صخور الجرف، ويتكون من الأغصان ومن قطع مختلفة. تبيض الإناث عادة بيضتان ونادرا بيضة أو ثلاث بيضات سمراء مبيضة إلى مزركشة. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 42 يوما.

رخمة تدعى علميا Neophron percnopterus وبالفرنسية Percniptère d'Egypte وبالإنجليزية Egyptian vulture وبالإسبانية Alimoche وبالإيطالية Capovaccaio.

محمد رمضاني، *بولحية*، *معلمة المغرب*، ج 6، ص. 1845 ؛ رخمة، 13، ص. 4323 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 1988 ؛ أمين معلوم، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

P. Bergier, Les falconiformes marocains, Statut, Répartition et écologie, *Annales CEEP* (ex. CROP), n° 3, 1987, 160 p. ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les oeufs et les poussins d'Europe en couleur,* Elsevier, 1977, 430p.

محمد رمضاني

**نشرة التعليم العمومي بالمغرب** (B. E. P. M) نشرة كانت تصدرها إدارة التعليم العمومي بالمغرب خلال فترة الحماية. صدر العدد الأول منها في يونيو 1914، وصدر العدد الأخير منها سنة 1957 ، بلغ مجموع أعدادها 238 عدداً.

كانت هذه النشرة تتعرض لقضايا ومواضيع مختلفة. تهم التعليم ؛ منها ما يتعلق بالدروس والمناهج كقواعد الكتابة واللغة، وطرق تدريس المواد التعليمية كالكتابة والإنشاء والتاريخ والجغرافية ... ومنها ما يتعلق ببعض المؤسسات التعليمية كالقرويين بفاس وبعض الثانويات كثانوية "رينيو" بطنجة، وثانوية "مولاي يوسف" بالرباط، وثانوية الذكور بوجدة إضافة إلى مدارس البنات ببعض المدن كالحاجب والصويرة.

وكانت هذه المجلة تنشر بعض المقالات المتعلقة بالفولكلور والتاريخ فكتبت مثلا حول "بيداغوجية الفولكلور" وحول "أسطورة سيدي فاتح" وحول "الفن الأهلي" وحول "العادات المحلية بمدينة مولاي إدريس". ومن المواضيع التاريخية التي كتبت فيها، "نذكر على سبيل المثال : "سنوات منفى مولاي يزيد"، "نظرة حول المغرب أواخر القرن الثاني عشر" و"آثار بناصا"، و"الرحالة العرب في القرون الوسطى". وكانت المجلة تنشر كذلك قراءات في بعض البيبليوغرافيات الصادرة خلال تلك الفترة، منها مثلا : "فاس والقبائل البربرية سنة 1910"، "تاريخ الريف"، "في المغرب المجهول"، "تاجر فرنسي بمراكش 1864 ـ 1867" ...

وعرفت هذه النشرة بشخصيات مختلفة سواء في مجال التعليم كفاعلين إداريين أو تربويين، فخصصت صفحات لمعظم الأموات العاملين في هذا القطاع، كما عرفت بشخصيات أدبية وفنية وفكرية ... منهم : ديكارت وسبينوزا وأحمد الصفريوي والأخوين طارو، فيكتور هوگو...

شارك في تحرير مقالات هذه النشرة، كتاب من مختلف التخصصات، منهم مثلا "جرمان، ج"، وبلغ عدد مقالاته حوالي 175 مقالا. "وبرونو، ل" وكتب في مواضيع تربوية وتعليمية، وبلغ عدد مقالاته حوالي 130 مقالا، و"هاردي، ج" وشارك بأكثر من تسعين مقالا مختلفة المواضيع، وقد عمل مديراً، للتعليم ما بين دجنبر 1919 وفبراير 1932، و"بونجان، ج"...

صالح شگاگ

**النشيد الوطني**، يراد به المقطوعة الغنائية التي ترددها الجماعة، كالأناشيد الوطنية، والأناشيد التربوية التي تستخدم في المدارس وبين الفرق الكشفية".

تتمحور الأناشيد التربوية حول موضوعات تستهدف تهذيب الذوق لدى الأطفال، وتتوخى تعليمهم النطق السليم وتهذيب أسماعهم، وبعث روح المرح والجد في صفوفهم، وحثهم على التمسك بالتعاليم الدينية السمحاء.

أما الأناشيد الوطنية فهي التي تتغنى بحب الوطن، وتشيد بمواطن جماله، وتستحث الهمم لافتدائه عند الشدائد، مسترخصة الغالي والنفيس، ومستنهضة العزائم في سبيل حريته واستقلاله.

لعبت الأناشيد دورا حاسما في المعارك التي خاضتها الحركة الوطنية ضد الاستعمار، فجاءت لتعبر عن موقفها من المحتل الأجنبي، ولتشكل ما يشبه وثيقة صوتية تحمل طموحاتها وتعكس مطالبها. وقد عرفت الأناشيد الوطنية انتشارا واسعا، وساعد على ذلك تحليتُها بالألحان الموسيقية المعبرة، واتسامُها بالسهولة في اللفظ واليسر في النظم، وركوبها نهجا جديدا توخى الخروج عن هيكل القصيدة التقليدي، بتنويع القوافي، وتعدد أقسام النشيد، واعتماد لازمة يتكرر ترجيعها بين هذه الأقسام.

وقد عمدت الشعوب إلى الإجماع على أناشيد معلومة لتكون بمثابة رموز لها، وأسمتها "الأناشيد الرسمية" أو "السلام الوطني" أو النشيد الوطني". وقد كانت مصر أسبق الدول العربية إلى محاولة وضع "النشيد الوطني"، فنظمت أكثر من مباراة بين الشعراء والملحنين، كانت أولاها سنة 1919، وتلتها مباراة ثانية عام 1923، وثالثة عام 1936.

وأسفرت هذه المباريات عن أناشيد رائعة عاشت لفترات ثم عصفت بها الرياح جميعا لفائدة نشيد كان الملحن المصري سيد درويش قد لحنه سنة 1919 على كلمات هي مزيج من العامية والفصحى، وأوله :

بلادي بلادي بلادي      لك حبي وفؤادي

وقد أحس رجال الحركة الوطنية بالمغرب بحاجتهم إلى نشيد رسمي يتخذونه شعارا لهم فكانوا يتصيدون من بين الأناشيد القومية ما يرون أنه أقرب إلى التعبير عن طموحاتهم وآمالهم، فتبنوا أناشيد مشرقية شهيرة، إلى أن تحقق استقلال البلاد عام 1956 فوقع الاختيار على ألحان معزوفة كان الناس قد ألفوا سماعها على أمواج الإذاعة الوطنية، تبثها عند افتتاح واختتام برامجها وفي المناسبات الرسمية، ثم جاء الإعلان الرسمي عن ميلاد النشيد الوطني

المغربي عام 1969، وقوامه أبيات شعرية من نظم وتنسيق الشاعر مولاي علي الصقلي يجري إنشادها على ألحان المعزوفة المذكورة ومطلع النشيد هو :

| منبت الأحـــــرار | مشرق الأنـــــوار |
|---|---|
| منتدى السؤدد وحماه | دمت منتداه وحمـــــاه |
| عشت فـي الأوطـان | للعـــلا عنـــــوان |
| مـلء كـل جنـــان | ذكر كـل لسـان ... |

عباس الجراري، *المناهل*، ع 5 مارس، 1976، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ص. 108 - 109 ؛ إبراهيم السولامي، *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية*، 1912 - 1956، ص. 149، نشر وتوزيع، دار الثقافة، الدار البيضاء ؛ محمد العريان، *حياة الرافعي*، ط 2، 1974، ص. 83 - 89 ؛ حسين علي محفوظ، *قاموس الموسيقى العربية*، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977، ص. 240.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**النص** (آيت -) وحدة قبلية ضمن آيت بوبكر الباعمرانية إلى جانب "آيت يخلف"، تقطن جزءاً من سهل "تاگرگرا" والضفة اليمنى لوادي "سالگماض" أو "بوغنيم" حتى حدود وادي "ألمتانو" الفاصل بني آيت باعمران وقبيلة السيحل.

تتفرع القبيلة إلى "آيت لولو"، "آيت أملن" و"المرابطين اليوسفيين" ويبدو من خلال الوثائق أنه لم يتم تداول اسم آيت النص ضمن الأسماء التي كانت مستعملة في تمييز مستويات انتظار المجموعات داخل آيت بوبكر قبل 1882. لذا لا يعدو أن يكون الاسم من تداعيات التقسيمات التي أحدثها المخزن، بعد تعيين القائد إبراهيم بن سعيد قائداً على نصف قبيلة آيت بوبكر سنة 1882.

لم تسلم علاقتها بآيت يخلف من النزاع، مما أفضى إلى مواجهات موسومة بالعنف، وتستوقفنا الوثائق عند الصراع الذي استفحل بين إبراهيم بن سعيد البوبكري وأحمد بن همو الخلفي، والمؤكد أن خلافاتهما كانت قديمة، وأضحت أكثر استفحالاً بعد تعيينهما قائدين على القبيلتين. ولا أدل على تفاقم الوضع من السيل من الشكايات والاتهامات المتبادلة التي ترد على ممثلي المخزن بتيغزة وتيزنيت أو إلى السلطان مباشرة. والمؤكد أن هذا الصراع غالباً ما يولد تحالفات محلية، فكانت آيت النص تؤازر في غالب الأحيان من طرف آيت الخمس والسيحل، بينما تساند اصبويا الطرف الثاني آيت يخلف. ومنذ ذلك الوقت، توسعت آيت النص على حساب الخلفيين واليعزاويين، كما تمكنت من استقطاب فرق من مستي وأخرى من المرابطين اليوسفيين. ويعتبر "إيسگ" مركز القبيلة، وكان المستقر الأول للمحلة المخزنية قبل أحداث قصبة تيوغزة 1303 / 1886، إثر حركة الحسن الأول الثانية والتي قادته إلى گلميم عبر تراب آيت باعمران. كما كانت "إيسگ" الحد الذي وصلته حملة الجنرال دولاموط سنة 1917 على إثر اندحار حيدة بن مايس بمنطقة إيگالفن. وفي سنة 1934، اقتطعت فرنسا جزءاً من تراب آيت النص خاصة الجزء الممتد على الضفة اليمنى لوادي "سالگماض". ويبدو أن شيوخ القبيلة قد ساهموا في هذه العملية، نظراً لعلاقتهم المتوترة مع آيت يخلف.

من مزارات القبيلة المشهورة مشهد سيدي بوبراهيم بايسگ، ومَحمد بن يوسف الوزاني بـ "إيمي أوگين" قرب جبل "تاموشا".

علي المحمدي، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، نموذج آيت باعمران، الدار البيضاء، 1989 ؛ *وثائق مخزنية* ؛ *وثائق دار إيليغ* ؛ *تحريات ميدانية*.

L. Justinard, Les Aït Ba Amrane, Paris, 1930 (*Villes et tribus du Maroc, vol. 8*), p. 73-74.

أحمد بومزگو

**النصري، محمد الشيخ** (ابن الأحمر أو ابن نصر)، هو مؤسس الإمارة النصرية جنوب الأندلس الملقب بالغالب بالله محمد بن يوسف بن... نصر المتصل نسبه بالصحابي الخزرجي سعد بن عبادة. كان أول إنشاء إمارته بمنطقة جيان سنة 629 / 1232 في أواخر عهد الخليفة الموحدي المأمون، في فترة الضعف الذي أصاب الدولة الموحدية منذ هزيمتها في معركة العقاب (Las Navas de Tolosa) سنة 609 / 1212، وما ترتب عنه من ضعف للسلطة المركزية تزامن مع تلاعب الأشياخ المصامدة بمنصب الخلافة في مراكش. فأخذت حركات التمرد تظهر في الأندلس قبل غيرها خاصة في أطرافها الشرقية خلال عشرينيات القرن السابع، وأهمها حركة ابن هود بمرسية الذي فشل المأمون الموحدي في إخضاعه، فمد نفوذه حتى منطقة المضيق بعد انصراف المأمون إلى مراكش. ثم أعلن محمد بن الأحمر صاحب الترجمة إمارته في جيان سنة 629 قبل انتقاله إلى غرناطة سنة 635، فبايع أولا للحفصيين في إفريقية ثم لابن هود بعدما وصلته التزكية من الخلافة العباسية، ثم حول الدعوة للرشيد الموحدي عندما تمكن من إعادة توحيد المغرب الأقصى في أواسط الثلاثينيات، وادعى أنه المجدد للدعوة الموحدية بالأندلس. وربما كانت هذه التبعية الجديدة للموحدين، وفشل اعتماد الشرق الأندلسي على الدعم الحفصي المتمثل في سقوط بلنسية وما حولها في يد الأركونيين، سببا في تسرب الدعوة الموحدية إلى بعض جهات الشرق مثل دانية كما يتضح من بيعة أهلها للرشيد بعد سقوط بلنسية في يد النصارى حسب إحدى الرسائل التي درسناها.

بعد وفاة الرشيد أعلن ابن الأحمر طاعته للحفصيين رغبة في دعمهم، ثم استقل عنهم وتعاقد مع القشتاليين سنة 643 - كما فعل قبله بنو هود أمراء مرسية سنة 640 - راضيا بالتبعية لهم ودفع إتاوة سنوية مقابل هدنة مدتها عشرون سنة، كان الغرض منها فيما يبدو شحن حصونه بالمؤونة تحسبا للطوارئ، و تقوية وضعه الداخلي بما فيه إنشاء نظام ولاية العهد لصالح ذريته، وهو ما أثار الخلاف بينه وبين أصهاره بني اشقيلولة خصوصا بعد انتقاض الهدنة مع القشتاليين قبل إنهائها، فقد استعد ملك قشتالة لضم أراض

جديدة بعد أن ركز نفوذه في المناطق التي احتلها سابقا، وربما كانت حملته على سلا سنة 658 تدخل في إطار محاولة التعرف على القوى الجديدة الناشئة بشمال المغرب وهي الإمارة المرينية بفاس، ومن جهة أخرى التمهيد لقطع الطريق على الإمدادات التي يمكن قدومها من المغرب. فكان الرد المريني هو إرسال المتطوعين خاصة من القبائل المرينية بين سنتي 662 و664 لدعم إمارة النصريين بني الأحمر ضد القشتاليين بعد انتقاض الهدنة معهم كما رأينا، ودعم الانتفاضة الإسلامية في المدن المحتلة من طرف القشتاليين، والمدن التي توجد بها حاميات قشتالة ومنها مرسية عاصمة بني هود الذين دخلوا في طاعة ابن الأحمر.

انتهى الصراع مع القشتاليين بفشل الانتفاضة الإسلامية وبتوقيع هدنة مؤقتة سنة 665 من موقع ضعف النصريين : قبول دفع الإتاوة السنوية مجددا، التنازل عن جملة من الحصون، ثم انصرف الأمير النصري للقضاء على تمرد بني اشقيلولة، فتمكن مؤقتا من التغلب عليهم بفتح الحصون التي تمردوا بها وأهمها مالقة ووادي آش وقمارش قبل أن يتجدد تمردهم. وصادف هذا الظرف تولي الواثق إدريس الخلافة الموحدية في مراكش، فأرسل إليه ابن الأحمر يهنئه ويطلب دعمه، وكان قبل ذلك طلب الدعم أيضا من السلطان المستنصر بالله الحفصي. وبوفاة الأمير النصري الأول محمد الشيخ الغالب بالله في آخر جمادى الثانية 671 ستندلع الفتنة الداخلية التي يتم فيها إقحام السلطان المريني يعقوب كما هو مذكور في ترجمة محمد الفقيه النصري.

وهكذا تمكن أحد المغامرين الأندلسيين من إنشاء إمارة ورثت حكم ما تبقى من بلاد الإسلام في الأندلس لمدة قرنين ونصف، معتمدين على أساس الدعم المغربي بعد استقرار الحكم المريني به، وباتباع سياسة التحالف والمناورة بين الأطراف الإسبانية والمغاربية (انظر في المعلمة مادتي : النصري محمد الفقيه، والنصري محمد المخلوع).

ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن الأبار، *الحلة السيراء*، 2 : 314 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 4 : 366 ـ 369 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، 110 ؛ عزاوي، *الغرب الإسلامي* ؛ عنان، *نهاية الأندلس*، 37 ـ 54.

**النصري، محمد** الفقيه، هو ثاني أمراء غرناطة، عين وليا للعهد حوالي سنة 662 ، تولى الإمارة بعد وفاة أبيه محمد الشيخ الغالب بالله في آخر جمادى الثانية 671 ؛ اشتعلت الفتنة الداخلية منذ أول عهده خصوصا بمنافسة قرابته من بني اشقيلولة في مدن مالقة ووادي آش وقمارش وحصونها ؛ واستغل القشتاليون هذه الوضعية للضغط على الإمارة، فاضطر أميرها للاستنجاد بالمرينيين ؛ وكان هؤلاء قد أنهوا الدولة الموحدية في مراكش وأعادوا توحيد البلاد، خصوصا البوابتين الرئيسيتين سجلماسة باب الصحراء وسبتة باب الاتصال مع الأندلس، فخضعت تلك عنوة، وهذه صلحا بزعامة أميرها العزفي على أن يتوارث أبناؤه الإمارة بها.

وكانت العرقلة الأساسية في طريق الاستجابة للنصريين هي تهديد بني زيان في تلمسان للثغور المرينية الشرقية، وهذا ما تطلب حملة عسكرية فرضت عليهم قبول الهدنة قبل التحرك نحو الأندلس.

جاز السلطان يعقوب المريني سنة 674 جوازه الأول إلى الأندلس، بعد أن حصل على جزيرة طريف والجزيرة الخضراء ورندة لتنظيم عمليات العبور، وأصبحت هذه المدن وما حولها تشكل ما يمكن تسميته بالثغر المريني في الأندلس. كان الوجود المريني على الضفة الشمالية للمضيق يمثل ضرورة استراتيجية، لأن مخطط قشتالة أصبح يرتكز على محاولة سد باب المضيق لمنع الإمدادات المغربية، خصوصا مع ظهور قوة سياسية جديدة فيه هي القوة المرينية. وقبل تحرك السلطان المريني نحو الثغور القشتالية حاول ـ دون فائدة ـ إصلاح ما بين أمير غرناطة وبني اشقيلولة لينصب الاهتمام على العدو القشتالي، فتحرك بجيشه "ولم يبال بمن سار عنه أو قعد أو أبطأ أو تخلف". فقصد منطقة أستجة حيث وقعت سنة 674 المعركة الهامة التي انتصر فيها المرينيون، وقتل فيها قائد الجيش القشتالي صهر الملك وحاكم قرطبة دون نونيو دي لارا. وبفضل هذا الانتصار تلقب السلطان يعقوب المريني بلقب المنصور، كما أنه أعاد بعض الطمأنينة للأندلسيين بعد أكثر من نصف قرن من ضعف معنويتهم، وتلا هذه المعركة عمليات عسكرية ضد مدن الوادي الكبير بما فيها إشبيلية مقر إقامة الملك القشتالي. وحاول ابن الأحمر أن يضيق الفجوة بينه وبين ملك قشتالة الذي سيحتاجه عند الضرورة كما سنرى، خاصة وأن بني اشقيلولة بادروا إلى تقديم بيعتهم للسلطان المريني بعد عبوره المضيق، فذكر أن ابن الأحمر أرسل إلى الملك القشتالي رأس القائد المقتول معطرة تقربا إليه.

تحرك السلطان المريني إلى الأندلس في جوازه الثاني (676 ـ 677)، واستقبله بنو اشقيلولة وانضموا تحت لوائه، وشاركوا معه في غزوتي إشبيلية وشريش، وحاول السلطان أن يستميل ابن الأحمر ويرفع مكانته في وجه النصارى عندما قرر غزو قرطبة، فأرسل إليه قائلا : "إن خرجت معي إليها تكن لك مهابة في قلوب الروم ما عشت"، بحيث يظهر أن ابن الأحمر رغم تلبية رغبة السلطان بالمشاركة في غزو قرطبة حاول أن يحافظ على خيط الاتصال مع ملك قشتالة حذرا من نهج المرينيين سياسة يوسف بن تاشفين المرابطي مع ملوك الطوائف، وقد عبر ابن الخطيب عن هذه الحالة بقوله "صلحت الضمائر، ثم استحالت إلى فساد". فالمشكل الأساسي في هذه الفترة بالنسبة للأمير النصري هو إقحام السلطان المريني في النزاع الداخلي بالأندلس، خاصة عندما تنازل له بنو اشقيلولة عن مدنهم ومنها مالقة المتصلة بالثغر المريني (في رمضان 677)، وقد دخلها السلطان فعلا في جو من الترحيب، ومنها أيضا وادي آش التي كانت في قلب الإمارة شرق غرناطة، أي أصبح هناك اقتناع بإمكانية تطويق

غرناطة إذا رغب السلطان المريني في ذلك، فمال ابن الأحمر إلى التحالف مع ألفونسو العاشر ملك قشتالة، وأسرع هذا الأخير إلى حصار الجزيرة الخضراء، ودام الحصار سنة كاملة من ربيع الأول 677 إلى ربيع الأول من السنة اللاحقة، كما تحالف ابن الأحمر مع أمير تلمسان الزياني ليضغط على الثغور المرينية الشرقية. والهدف في الحالتين منع السلطان المريني من الجواز إلى الأندلس، قال ابن خلدون "اتصلت يد ابن الأحمر بيد الطاغية على منع أمير المسلمين من الإجازة، وراسلوا يغمراسن بن زيان من وراء البحر، وراسلهم في مشاقة السلطان وإفساد ثغوره وإنزال العوائق به المانعة من حركته، وأسنوا في ذلك الإتحاف [الهدايا] والمهاداة، واصطفقت أيديهم جميعا على السلطان". وكان من مخلفات الاضطراب داخل الإمارة النصرية أن أميرها لم يفعل شيئا لصالح أهل بلنسية الذين ثاروا على حكم الأركونيين، كما لم يمنع حصن منتيشة من السقوط في يدهم رغم تكرر طلبات الاستنجاد، فسقط سنة 676، وكان هؤلاء يبايعون الأمير النصري.

حوالي سنة 680 اضطربت أحوال قشتالة بتمرد الأمير سانشو على أبيه ألفونسو العاشر واستولى على معظم البلاد، فاضطر هذا الأخير إلى طلب دعم عسكري ومادي من السلطان المريني، ورهن تاجه لديه في قرض حصل عليه لدعم أنصاره، بينما تحالف الابن المتمرد مع ابن الأحمر وملك أركون وأمير تلمسان (قبل وفاته سنة 681). كان هذا الوضع سبب انتقال السلطان يعقوب إلى الأندلس سنة 681 (الجواز الثالث)، وتعاون مع ألفونسو ضد أنصار ابنه خاصة في منطقة الوادي الكبير. ومن جهة أخرى راسل السلطان المريني ملك فرنسا فليب الثالث الملقب بالجسور (Le Hardi) لدعم الحكم الشرعي في قشتالة، وكان بين الطرفين نزاع اقترح السلطان أن يتوسط لحله بين الملكين النصرانيين.

غير أن تزايد نفوذ سانشو وظهور أطماعه في الإمارة النصرية ذاتها جعلت أميرها يعود إلى مراجعة موقفه من السلطان المريني، وقد عبر صاحب *القرطاس* عن هذا بقوله "ضاقت الدنيا على ابن الأحمر"، فتوسط ولي العهد المريني يوسف لإصلاح ما بين والده وابن الأحمر "فاجتمعت كلمة الإسلام"، واشترك ابن الأحمر مع السلطان المريني في العمليات القتالية التي وصلت حتى أحواز طليطلة "ألبرت" أواسط سنة 682 / 1283. وانتهى الجواز الثالث بعودة السلطان إلى المغرب في شعبان من نفس السنة.

أمّا الجواز الرابع للمنصور سنة 684، فشن جيشه مع النصريين الغارات على منطقة الوادي الكبير حتى اضطر الملك القشتالي لقبول هدنة وقعها في الجزيرة الخضراء مع المرينيين والنصريين كل على حدة تبعا لرغبة السلطان يعقوب لرفع مكانة ابن الأحمر، ومن بين ما جاء في اتفاق الهدنة حسب ابن خلدون : مسالمة المسلمين كافة [نصريين ومرينيين] وترك التضريب بين ملوك المسلمين ورفع الضريبة عن تجار المسلمين بدار الحرب [قشتالة] وإرسال جملة من الكتب العربية التي بالمدن الأندلسية الخاضعة للقشتاليين.

غير أن ابن الأحمر عاد حوالي سنة 690 إلى التحالف مع القشتاليين ضد السلطان المريني الثاني يوسف بن يعقوب (685 - 706)، بهدف انتزاع مدينة طريف فتنازل لملك قشتالة عن جملة حصون وساهم الأسطول الأركوني في حصار المدينة إلى أن سقطت وذلك خلال سنة 691، فتمسك بها القشتاليون عوض تسليمها للنصريين، فاضطر ابن الأحمر إلى مراجعة علاقته مع المرينيين طالبا الدعم منهم لتحرير المدينة، لكن عندما حاصرها الجيش المريني توقف النصريون عن دعمه، بينما شارك الأسطول الأركوني في حمايتها من الناحية البحرية، فلم يمكن استرجاعها، وظلت منذئذ تحت الحكم القشتالي.

وفي الوقت الذي كان سانشو يستعد لحملة ضد الجزيرة الخضراء أيضا لاحتلالها وافته المنية، وتولى ابنه الطفل عرش قشتالة، فاندلعت بها فتنة داخلية طويلة الأمد أتاحت للنصريين عقد تحالف مع أركون، استغلوه لاسترجاع حصني قيجاطة (Quesada) سنة 695، والقبذاق(Alcudete) 699 مع حصون أخرى لم يتمكنوا من الاحتفاظ بها، واستولى الأركونيون على مدينتي قرطاجنة ولورقة في إقليم مرسية المتنازع عليه مع قشتالة، وجدد الطرفان سنة 701 (قبل وفاة الأمير بثلاثة أشهر) تحالفا بينهما ضد قشتالة لدعم أركون إن هاجمت قشتالة الأركونيين في إقليم مرسية، وشمل الاتفاق أيضا دعم أركون لغرناطة ضد أعدائها مسلمين أو قشتاليين، وأن يشمل هذا الحكم أي بلد يمكن أن يدخل تحت طاعة غرناطة "من بلاد العدوة"، وهذا يدل على أطماع النصريين في مدينة سبتة لمنع أي جواز إلى الأندلس فيما يبدو خوفا من طمع المرينيين فيها، وهذا المشروع النصري بشأن سبتة سيتم في عهد ابنه محمد المخلوع. وبموت محمد الفقيه سنة 701 انفرط عقد التحالف مع أركون ومالت هذه إلى التقارب مع القشتاليين لحل مشكلة إقليم مرسية بصفة نهائية.

هكذا يتبين أن عهد محمد الفقيه تميز بعدم الاستقرار الداخلي، وبالمناورات بين الأطراف الإسلامية والنصرانية خصوصا مع التشكك في نوايا المرينيين، وهو تشكك حاول هؤلاء تبديده مرارا. وسيستمر أسلوب المناورة في عهد ابنه وخلفه محمد المخلوع، وربما كان هذا الأسلوب أحد أسباب استمرار هذه الإمارة مدة أطول إلى جانب الدعم المغربي.

ابن أبي زرع، *روض القرطاس* ؛ ابن الخطيب، *اللمحة البدرية*، 54 ؛ *الإحاطة*، 1 : 565 - 566 ؛ *الأعلام*، 2 : 333 - 335 ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله* ؛ م. عنان، *نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين*، 1966 ؛ مارمول، *إفريقيا*، الرباط، 1984 أريباس، *بنو مرين في الاتفاقيات المبرمة بين أركون وغرناطة*، ص. 191 - 1963.

Mas - Latrie, *Traités de paix et de commerce*... 96-97, Paris, 1866 ; Ch. Dufourcq, *L'Espagne Catalane*... 201-203, 362, Paris, 1966.

**النصري، محمد (الغني بالله)**، بن أبي الحجاج يوسف بن أبي الوليد إسماعيل، تولى إمارة غرناطة للمرة الأولى في سن المراهقة بعد اغتيال أبيه في صلاة عيد الفطر من سنة 755 . كان أشهر وزرائه وكتابه ابن الخطيب، الذي قال عنه "افتتحت أيامه بالسلم والهدنة". ثم وقع عليه انقلاب لصالح أخيه إسماعيل في فاتح شوال 760، ثم ثار على هذا الأخير قريبه محمد بن إسماعيل الملقب بالغالب بالله [الثاني] سنة 761. وسيتمكن الأمير محمد المخلوع المسمى لاحقا الغني بالله من استرجاع عرشه سنة 763 ليستمر في حكم غرناطة ثلاثين عاما أي إلى وفاته سنة 793 ، وقد ظهر في هذه الفترة كأبرز أمراء أو سلاطين غرناطة، حيث أصبح له نفوذ على الساحة الدبلوماسية الإسبانية والمغربية بل والعسكرية أحيانا في فترة انشغلت فيها الممالك الإسبانية والمغاربية بمشاكلهما الداخلية.

يمكن النظر إلى سياسته المغربية من خلال مرحلتين ؛ الأولى قبل سنة 774 ، وقد تميزت بعلاقات الود والدعم، والثانية من هذه الفترة إلى وفاته سنة 793 وتميزت بتدخله في شؤون المغرب الداخلية سلبيا.

1 ) في الفترة الأولى من إمارة الغني بالله (755ـ 760)، ورث عن عصر أبيه بعض الكدر في العلاقة مع أبي عنان، الذي اتهمه بدعم تحرك أخيه أبي الفضل الذي قدم من الأندلس منافسا له ؛ وبعد القبض عليه ظهر مشكل تمرد والي جبل الفتح ابن أبي منديل العسكري في أواخر سنة 756 ، وكان من شأن تطور هذه الحادثة أن تسد باب الإمدادات المغربية، وتسيئ الظن في السلطة النصرية، ولحسن الحظ أن التمرد لم يطل، إذ أن جند الجبل ثاروا على واليهم ابن أبي منديل وأرسلوه إلى سبتة لتسليمه للسلطان أبي عنان.

وبالنسبة للعلاقة مع القشتاليين، سارع الغني بالله إلى عقد هدنة معهم مقابل دفع إتاوة سنوية رغم وجود مشاكل داخل قشتالة، وهذا ما أثار استغراب أبي عنان خاصة وأنه يملك الثغر المريني في شمال المضيق، ولا بد من التنسيق بين الطرفين في سياستيهما نحو القشتاليين. وكان رد الغني بالله على أبي عنان أن ما سمعه من مشاكل داخل قشتالة لا تصل إلى الدرجة التي يمكن معها فرض أمر واقع لصالح الإمارة النصرية والمرينيين، وأن ملك قشتالة "اعتاد أن يكون مطلوبا ورأى التماسنا سلمه وجوبا"، ومع ذلك فإنه عند انتهاء مدة السلم ـ كما يقول ـ يمكن خوض الحرب معه إذا توفرت إمكانيات الدعم المريني، وعندئذ يمكن الوصول لسلم مشرف، ويظهر أن الغني بالله لم يكن ينتظر من أبي عنان غير دعم محدود في هذه الفترة التي كان منشغلا فيها بفتح إفريقية بدءاً من بجاية.

ومع ذلك فإن الغني بالله ظل وسيطا بين المرينيين وغيرهم في هذه الفترة خصوصا بالنسبة لغير القشتاليين لعقد اتفاق أكثر من ثنائي مادام أبو عنان منشغلا بإفريقية، من ذلك مثلا الاتفاق الثلاثي النصري الأركوني المريني لسنة 758.

2 ) المرحلة الثانية استمرت خلال الستينيات، وتميزت بالانشغال بالأحداث الداخلية أولا في النصف الأول من هذا العقد، ثم بالعمليات ضد القشتاليين في النصف الثاني منه لانشغالهم في حروب أهلية طويلة، بينما كان المغرب المريني يعاني بعد أبي عنان من استبداد الوزراء بالسلاطين وضعف السلطة المركزية وحركات التمرد. ففي أولها كانت أزمة العرش النصري بالانقلاب على الغني بالله 760، فانتقل إلى المغرب باستدعاء سلطانه أبي سالم بن أبي الحسن (760ـ 762 )، فأكرم وفادته مع وزيره ابن الخطيب، قال المخلوع في إحدى رسائله إلى سلطان مصر (بعد استرجاع عرشه) "وجزنا البحر... ونزلنا من جناب سلطان بني مرين [أبي سالم بن أبي الحسن] على المثوى الذي رحب بنا ذرعه، ودل على كرم الأصول فرعه... ورد على الدهر الذي تهكم... واستركب لنا واستخدم...". ولما حانت فرصة استرجاع عرشه، وجد الدعم من السلطة المرينية ومن ملك قشتالة، فطلب المتغلب على غرناطة الغالب بالله ملك أركون دعما بحريا لمواجهة هذا الوضع، حيث إن سلطان المغرب "أعان من في إيالته من الأندلس [المخلوع] على الجواز إلينا في غرض الفساد، وجهز له ستة أجفان غزوية، وركن مع ذلك لصاحب قشتالة في هذا المقصد حتى أعانه بخمسة أجفان غزوية، وهي كلها تدور على السواحل، وتقاتل أهل الجهات التي تحل بها"، وكانت علاقة الغالب بالله ساءت مع القشتاليين فمالوا إلى دعم منافسه. وبعد تمكن المخلوع من استرجاع عرشه اعترف في رسالة إلى سلطان مصر بهذا الدعم المريني "وظاهرنا محل أخينا السلطان الكبير الرفيع المعظم أبو سالم الذي كان وطنه مأوى الجنوح ومهب النصر الممنوح... مظاهرة مثله من الملوك الأعاظم... وأنف حتى عدو الدين لنعمتنا المكفورة، وحقوقنا المحجوبة المستورة... وسخر أساطيله تحضيضا على الإجازة وترغيبا". فتنازل له سلطان المغرب مؤقتا عن مدينة رندة ليدبر منها عملية الانطلاق نحو غرناطة.

خلال زحفه نحو هذه المدينة فر منها الغالب بالله إلى ملك قشتالة فقتله مع مجموعة من أنصاره، ودخل المخلوع (الغني بالله) غرناطة في 20 جمادى الثانية 763، غير أن محاولة انقلابية أخرى من بعض أقربائه وأنصار سابقيه ظهرت ضده في ذي الحجة من نفس العام، فتمكن الجند المغربي أي فرقة "الغزاة" من إفشالها في مهدها.

واستقرت تدريجيا أحوال الأندلس خاصة مع استمرار الهدنة مع القشتاليين، بل إن هؤلاء دخلوا في حروب أهلية طويلة واستعان بعضهم بالنصريين، وحاولت الكنيسة أن تتجاوز هذا الوضع بالتحريض على المسلمين بالأندلس وقسمت مناطق النفوذ بين قشتالة وأركون، فورد في إحدى رسائل الغني بالله خلال سنة 767 "أن كبير النصرانية... لما أعياه شتات أمته، وإعانة المسلمين بعضهم على بعض حرك

منهم أمة تسد الفضاء... لتعين القند [المنافس على عرش قشتالة] على أخيه... فإذا استقل بالملك صار الجميع يدا واحدة على المسلمين، وقسم بينهم البلاد، وعاهد الكل ألا يخاطبوه إلا من المحال التي عينها... ويختص البرجلوني [صاحب أركون] من ذلك بنزول المرية، وتجتمع الأساطيل البحرية على تلك الساحل وقطع الجواز"، واستجاب المرينيون بإرسال الدعم إذ "صدر الجواب منهم بما يرضي القلوب من الإعانة... والمساهمة والشروع في المبادرة وتعيين المعونة...". واستغل الغني بالله الوضع المضطرب في قشتالة وبينها وبين أركون للقيام بحملات متتالية لاسترجاع الحصون التي كان القشتاليون استولوا عليها قبل استرجاع عرشه، وأسرع إلى الاستنفار لتحرير الجزيرة الخضراء قبل أن يلتئم شمل النصارى ويسدوا باب المضيق، واستدعى الدعم المغربي الرسمي والشعبي للمساهمة في تحريرها فشارك الأسطول المريني مع النصري في الحصار إلى جانب الجيش البرّي فأمكن تحريرها سنة 771، وتنازل عنها المرينيون لسلطان غرناطة إذ كانت مرينية قبل سقوطها سنة 744، ولم يبق لهؤلاء شمال المضيق غير جبل الفتح بعد أن تمسك الغني بالله برندة التي كان المرينيون تنازلوا له عنها مؤقتا لاسترجاع عرشه. وكان المرينيون خلال الستينيات منشغلين بالأحوال الداخلية وبإمارة تلمسان التي كانت وراء كل حركة تمرد ضدّ السلطة المركزية في فاس خصوصا إمارة بني الأمير عمر القائمة في سجلماسة والتي تم القضاء عليها سنة 764، وإمارة شيخ هنتاتة في مراكش وبلاد المصامدة الذي أمكن القضاء عليها سنة 771. أي أن النصريين ظلوا مطمئنين إلى حماية خط الإمداد المريني مادامت الجزيرة الخضراء بيدهم والجبل بيد المرينيين والنصارى في فتنة مستمرة، وهذا ما شجع الغني بالله منذ السنة اللاحقة على الامتناع عن تقديم الإتاوة التي كان يؤديها أمراء غرناطة للقشتاليين.

3) فترة السبعينيات والثمانينيات، وهي فترة التدخل النصري في شؤون المغرب: إن ضعف السلطة المركزية المرينية خلال النصف الثاني من القرن الثامن من جهة، وانشغال النصارى في إسبانيا بمشاكلهم الداخلية طيلة عهد الغني بالله بل إلى أوائل القرن اللاحق، أتاحت له أن يظهر كأهم سلطان في هذه الفترة بهذه المنطقة، بحيث أخذ يتدخل في الشؤون النصرانية، وكذا في السياسية المرينية منذ سنة 774 وإلى غاية وفاته سنة 793. ففي السنة الأولى دعم أميرين مرينيين متنافسين هما أبو العباس بن أبي سالم وعبد الرحمن بن أبي يفلوسن وهو من أحفاد الأمير عمر (المتمرد بسجلماسة سابقا)، فاقتسم الأميران بلاد المغرب: السلطان أبو العباس في فاس، والأمير عبد الرحمن في مراكش، وظل الحال كذلك إلى سنة 784. ثم دفع الغني بالله سلطان فاس إلى سجن الوزير ابن الخطيب بعدما انتقل إلى المغرب مغضوبا عليه، وتمت عملية اغتياله داخل السجن بتدبير من النصري. وعندما فتح السلطان أبو العباس تلمسان سنة 785 - ردا على دعم أميرها لصاحب مراكش وخرق الهدنة بشن غارة وصلت إلى أحواز مكناسة خلال انشغال أبي العباس بحصار صاحب مراكش -، أرسل الغني بالله أميرا مرينيا منافسا له من الأندلس هو موسى بن أبي عنان الملقب بالمتوكل واختار له وزيرا هو مسعود بن ماساي الذي كان مقيما بالأندلس مع المتوكل، بعثهما مع قوة عسكرية بسبتة "وكان بين [الغني بالله] وبين شرفائها ورؤساء الشورى بها مداخلة. فملكها [موسى] غرة صفر سنة ست وثمانين [وسبعمائة] وسلمها لابن الأحمر فدخلت في طاعته"، ودخل موسى فاساً في ربيع الثاني، ووجه أبا العباس المخلوع إلى غرناطة تلبية لرغبة ابن الأحمر ليستعمله ورقة ضغط في الوقت المناسب. ثم رغب الوزير ابن ماساي من سلطان غرناطة أن يبعث إليه بالأمير محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن ليجعله سلطانا حيث "رآه أليق بالاستبداد والحجر"، فبايعه ابن ماساي في شوال سنة 788، وسماه الواثق بالله...

عندما توترت العلاقة بين الوزير المذكور والسلطان النصري بسبب اعتقاله الفرقة النصرية التي أوصلت السلطان الجديد إلى فاس كرهائن إلى حين إخلاء سبتة، قام النصري بإرسال السلطان أبي العباس المخلوع لتولي عرش المغرب في صفر 789، وتخلى له عن سبتة دعما له فتحرك بأنصاره نحو فاس، كما تحرك من الشرق دعما له عرب المعقل وعرب سويد بزعامة وانزمارن وسار الهساكرة من الجنوب نحو فاس بعد أن أخضعوا مراكش لطاعة أبي العباس، فاضطر وزير فاس إلى الاستسلام بعد الحصار، وقتل مع سلطانه في رمضان 789.

عندما عاد السلطان أبو العباس إلى سياسته القديمة بفتح تلمسان دعما لأحد أبناء أميرها سنة 791، وأصبح هذا الأخير "يقيم دعوة السلطان أبي العباس صاحب المغرب ويخطب له على منابر تلمسان وأعمالها ويبعث إليه بالضريبة كل سنة كما اشترط على نفسه" لم تمهل الموت الغني بالله "لتأديب" أبي العباس لتصرفه بغير رضاه؛ بحيث يلاحظ عدم اهتمامه بموقف الغني بالله، بل هناك من يتهم أبا العباس بتدبير موت يوسف بن الغني بالله سنة 795 ومحاولة ضم الأندلس إلى نفوذه، لكن الموت لم تمهله طويلا بعد ابن الغني بالله حيث توفي أبو العباس في مطلع سنة 796 تاركا لأبنائه نفوذا مستديما على تلمسان استمر حتى مطلع العقد الثاني من القرن اللاحق فيما يبدو، أي إلى اندلاع الفتنة الكبرى بالمغرب حوالي سنة 812. وتوالت محاولات تدبير المكائد بين أبناء أبي العباس وأبناء وأحفاد الغني بالله إلى أن تمكن هؤلاء من دعم الفتنة الكبرى حوالي سنة 818 بالمغرب والتي ستنتهي بسقوط المرينيين أواسط القرن، ولكن هذا الوضع المتدهور انعكس أيضا بشكل سلبي على الأندلس التي حرمت الدعم من المغرب المضطرب لتسير تدريجيا نحو سد أبواب المضيق عليهاوتطويقها بسقوط جبل الفتح 867 / 1462 ريثما يقع الإجهاز عليها في نهاية القرن التاسع.

هكذا يتبين أن الطرف الأندلسي على الخصوص لم تكن له نظرة بعيدة المدى لخدمة مصالح الأندلس بعيدا عن الدسائس، خصوصا في النصف الثاني من القرن الثامن والنصف الأول من القرن التاسع، وربما هذا ما كان يشعر به ابن الخطيب قبل وفاته سنة 776 ويبدو أنه تسبب في اتهامه بالميل إلى المرينيين ضد سلطان غرناطة، أي أن الغني الله خاصة الذي نسي الدعم المغربي له لاسترجاع عرشه، لم يساعد هذا المغرب على تجاوز أزمة السلطة ولم يحسن أبناؤه إمكانية الاستفادة من دعم الحفصيين الذين كانوا في مرحلة قوة خلال النصف الأول من القرن التاسع، كما لم يستغلوا جيدا ظروف التنافس النصراني إلا فيما يتعلق بجمع الغنائم والاعتماد على التحصينات التي لم تعد قادرة على مواجهة المدفعية ـ ذات الأصل المغربي التي امتلكها العدو الإسباني فسهل عليه دك الحصون النصرية.

ابن الخطيب، *اللمحة البدرية* ؛ *الإحاطة في أخبار غرناطة*، 2 : 13 ـ 91 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، 38، الرباط، 1962 ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ عزاوي، *الغرب الإسلامي*.

**النصري، محمد المخلوع**، ابن الأمير محمد الفقيه ابن الأمير محمد الشيخ النصري، تولى الإمارة النصرية سنة 701. أظهر الحزم في وجه منافسيه بحيث عاجل بالقتل قريبه أبا الحجاج بن نصر الذي ثار عليه بوادي آش سنة 703. وزر له كاتبه وكاتب أبيه ابن عبد الحكيم اللخمي الرندي، ونظرا لما أصيب به من عمى، فقد "ألقى في يده أزمّة الملك، فلم يلبث أن تغلب على أمره، وتقلد كافة شؤونه"، وهذا ما أدى إلى قتله في عيد الفطر من سنة 708.

صادفت فترة إمارته الحصار المريني الطويل لتلمسان (698 ـ 706 )، وبسط السيادة المرينية على باقي المغرب الأوسط الغربي، ونظرا لما كان سابقا بين غرناطة وتلمسان من تحالف مستمر ضد المرينيين فإنه تظاهر في البداية بقبول الأمر الواقع، ولكنه كان يعمل لمحاولة إفشال عملية الحصار خاصة بواسطة فرقة متخصصة أرسلها لدعم المرينيين وبطلب منهم، حين أخلت مواقعها لصالح الزيانيين المحاصرين.

تشير أصابع الاتهام إلى تحريضه لأمير سبتة أبي طالب العزفي حين تمرد على السلطان يوسف سنة 703 بامتناعه عن دفع الإتاوة السنوية المعتادة التي كانت عربونا على تبعيته للسلطان، هذا في الوقت الذي كان المرينيون يسعون في وساطة بين غرناطة وأركون بعدما فسدت هذه العلاقة نتيجة اتفاق غرناطة وقشتالة في ذي الحجة 702 / 1303 الذي اعترف بمقتضاه النصريون بالاحتلال القشتالي لمدينة طريف المرينية أصلا ؛ بينما كانت قشتالة تسعى لإيجاد حلف ثلاثي يشمل المغرب ضد أركون للضغط عليها لحل مشكل إقليم مرسية، وهي خطة رفضها المرينيون لحاجتهم إلى دعم البحرية الأركونية لفتح ما تبقى من مراسي المغرب الأوسط آنذاك ؛ فعقدوا حلفا مع أركون انتقل بمقتضاه جملة من الفرسان المرينيين إلى الطرف الأركوني من إقليم مرسية.

وهكذا في الوقت الذي كان من المنتظر اشتعال الحرب بين قشتالة وأركون، تم عقد اتفاق بينهما أنهى مشكل إقليم مرسية باقتسامه بين الطرفين (اتفاق غشت 1304 / محرم 704) ؛ بينما سارت العلاقات المرينية النصرية نحو التدهور خاصة بعد أن استولى النصريون على سبتة سنة 705، ووجهوا نحو شمال المغرب أحد شيوخ "الغزاة" المرينيين في غرب الإمارة لمنافسة السلطان يوسف على العرش وهو عثمان ابن أبي العلاء لكي يضطر السلطان لرفع الحصار عن تلمسان، وهو حصار لم ينته إلا بمقتله في ظرف غامض على يد أحد خدامه في ذي الحجة 706.

ظهر فشل تصفية الجو بين المرينيين والنصريين منذ النصف الثاني من سنة 703 / ربيع وصيف 1304، ومن مظاهر ذلك طرد الفرقة النصرية المشاركة في حصار تلمسان بعد إخلاء مواقعها لصالح جيش بني زيان كما ورد سابقا، وهذه الفترة هي التي أثار فيها النصريون أمير سبتة ضد السلطان المريني، فقد ذكر ابن خلدون أن ابن الأحمر أوعز لعمه الرئيس أبي سعيد فرج صاحب مالقة "بمداخلة أهل سبتة في خلع طاعة السلطان [يوسف]"، وهذا قبل احتلال النصريين لها سنة 705.

أرسل السلطان يوسف المريني من محلته بالمنصورة خارج تلمسان فرقا عسكرية لاسترجاع المدينة دون نتيجة، وأصبح الظرف يفرض فك الحصار عن تلمسان لعلاج مشكلي سبتة وابن أبي العلاء، لكن السلطان كان ينتظر بين حين وآخر سقوط تلمسان في يده بسبب شدة الجوع داخلها، ثم كان اغتياله في نهاية سنة 706 وتولي حفيده أبي ثابت عامر السلطنة (706 ـ 708 )، ففك الحصار بعد عقد هدنة مع أمير بني زيان وعاد إلى فاس. وكان المشكل الأساسي هو إخماد بعض الفتن داخل المغرب، فتم التحرك إلى مواجهة بعضها في الجنوب، ثم إلى ابن أبي العلاء الذي كان نفوذه يزحف من الشمال في اتجاه فاس، ولم يقع التغلب عليه إلا سنة 708 في عهد أخيه وخلفه أبي الربيع سليمان (708 ـ 710)، الذي أرسل بعد ذلك قواته لحصار سبتة انطلاقا من طنجة غربا ومن حصن تطاون جنوبا، وكان قد تم اتفاقه مع الأركونيين على كراء سفن حربية للمشاركة في الحصار.

وخلال هذا ثار أهل المدينة ضد الحامية النصرية وفتحوا الأبواب للجيش المريني سنة 709 ، وعقد صلح مع أمير غرناطة الجديد أبي الجيوش نصر أخي الأمير المخلوع.

والملاحظ هو تأخر حل مشكل سبتة ما يقرب من سنة بعد خلع هذا الأمير، ربما بسبب رفض الرئيس أبي سعيد صاحب مالقة الانسحاب، وقد كانت سبتة في مجال نفوذه، وكان هو متحفظا من البيعة لأبي الجيوش.

وقد عرفت الأندلس منذ هذه الفترة ضغوطا خارجية بسقوط جبل الفتح في يد القشتاليين سنة 709، وتشديد الأركونيين الحصار على المرية في إطار خطة اقتسام الإمارة

بين الطرفين، فأنقذها جيش "الغزاة" المغاربة ؛ كما عرفت انقلابا داخليا أدى إلى تولي فرع نصري آخر كرسي الإمارة رافقه تصدع الجبهة الداخلية، وتحالف المعارضة مع القشتاليين ؛ بينما كان المغرب المريني منشغلا بظروف داخلية لم تسمح له بدور فعال في الأندلس، فلم ينقذها من السقوط بيد النصارى غير الجند المغاربة "الغزاة" الذين كانوا في خدمة الإمارة النصرية، إلى حين ظهور السلطان أبي الحسن المريني وإعادة التنسيق مع النصريين في ثلاثينيات القرن الثامن.

وهكذا ظل الدور المغربي مستمرا لحماية الأندلس من النصارى سواء بتدخل الجيوش النظامية عندما تسمح الظروف بذلك، أو بواسطة المتطوعين المقيمين في الأندلس أو المستنفرين من المغرب عند الضرورة.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ يحي ابن خلدون، *بغية الرواد*، الجزائر، 1980 ؛ ابن الخطيب، *اللمحة البدرية* ؛ *الإحاطة* ؛ عزاوي، *الغرب الإسلامي* ؛ أريباس، *بنو مرين في الاتفاقيات المبرمة بين أركون وغرناطة*، ص. 193، 1963 ؛ مارمول، *إفريقيا*، الرباط، 1984.

Dufourcq, *L'Espagne Catalane...*

**النصريون** (أمراء غرناطة والعلاقة مع المغرب)، تحمل المغاربة عبء فتح الأندلس وحمايتها طيلة ثمانية قرون، فقد تم فتحها على يدهم، ثم قاموا بحماية الثغور في الفترتين الأموية والطائفية رغم عدم الارتباط سياسيا بين الجهتين ؛ وازداد الدور المغربي في عصري المرابطين والموحدين الذين باشروا النفوذ السياسي على الأندلس، وقاموا بدور الدفاع عنها في وجه الإسبان، إلى أن دخل الموحدون في مرحلة ضعف خلال النصف الأول من القرن السابع (13)، فظهرت الحركات الانفصالية شرقا (إفريقية وتلمسان) وشمالا (الأندلس)، ولكن في إطار كيانات سياسية متناحرة سهلت على الإسبان الاستيلاء على معظم البلاد الأندلسية حتى لم يبق منها في أواسط القرن السابع (13) إلا شريط ضيق بين الساحل والداخل يمتد طولا بين المضيق وشرق إقليم ألمرية، والذي تشكلت فيه إمارة بني الأحمر منذ استقرارها في غرناطة سنة 635 / 1238، وهي الإمارة الوحيدة التي كتب لها البقاء إلى نهاية القرن التاسع (15) خاصة بفضل الدعم المغربي الرسمي والشعبي.

ينتمي بنو الأحمر أو بنو نصر إلى أصل عربي متصل بالصحابي الجليل سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، وكان أول أمراء بني الأحمر هو محمد بن يوسف ابن نصر (635 - 671) ولقبه الغالب بالله. كانت أيام حكمه عصيبة بسبب الصراع بينه وبين بقية أمراء الأندلس المتنافسين، وانشغال الموحدين بالمغرب وأمراء كل من تلمسان وإفريقية بالمشاكل الداخلية عن تقديم العون الضروري ضد الإسبان، فحاول التخفيف من ضغط القشتاليين بدفع الإتاوة سنويا إليهم، في وقت كان هؤلاء يثبتون أقدامهم فيما استولوا عليه من مدن وأراضي شاسعة امتدت جنوب الوادي الكبير. ولما استكملوا هذه المهمة وطمعوا في المزيد، صادفوا نشوء دولة مغربية فتية عرقلت تحقيق أطماعهم آنذاك وهي الدولة المرينية.

بدأ دعم المرينيين للأندلس منذ إنشاء إمارتهم بفاس، فقد بعثوا بين سنتي 662 و664 أفواجا من قبائلهم (إضافة إلى عناصر من قبائل أخرى) للدفاع عن غرناطة ومرسية ومدن أخرى كانت كلها تتعرض للهجومات القشتالية والأركونية. ولما استقرت أمور المرينيين بفتح مراكش والقضاء على الموحدين دشن أول سلاطينهم يعقوب المنصور (668 - 685) عمليات الجهاد الرسمي، فكانت له أربع جوازات إلى الأندلس اكتسب في أولاها نصرا هاما في معركة أستجة سنة 674، وهو نصر لم يعد الأراضي المفقودة، ولكنه رفع معنوية الأندلسيين والمغاربة معا في مواجهة النصارى، حيث تجددت الحملات في الثغور القشتالية، وتوفي السلطان يعقوب سنة 685 بالجزيرة الخضراء وهو عائد من جوازه الرابع بعد أن ألزم القشتاليين بتوقيع هدنة من موقع قوة معه ومع النصريين.

كانت ظروف الدعم المغربي الرسمي للأندلس تتطلب تنازل النصريين عن بعض المراكز شمال المضيق حتى يتسنى للمرينيين تنظيم عمليات العبور نحو الشمال والعودة نحو الجنوب من جهة، ومن جهة أخرى ليتحملوا مسؤولية حماية المضيق من السقوط في يد النصارى، فقد استمرت مدن المضيق الشمالية تحت التهديد النصراني، ومن ذلك ما قام به القشتاليون من حصار للجزيرة الخضراء مدة سنة كاملة بين ربيع الأول 677 وربيع الأول 678، وستظهر محاولات أخرى لاحقا (سقوط جبل طارق سنة 709 قبل تحريره سنة 733، سقوط الجزيرة الخضراء سنة 745 ثم تحريرها سنة 771 ...)، بحيث تبين أن الهدف القشتالي منصب على قطع طريق الإمدادات المغربية باستمرار، كما أن وجود الجيش المريني بشكل دائم شمال المضيق كان يجعله على أهبة الاستعداد لمواجهة الحملات القشتالية المهددة للنصريين، فإشبيلية المقر شبه الرسمي لملك قشتالة كانت أقرب إلى "الثغر" المريني شمال المضيق منها إلى غرناطة. ولما كان وضع هذا الثغر مرتبطا بأحوال المغرب ومدى قوة التحالف النصراني وتأمين عملية العبور للدعم، فإن الضرورة كانت تفرض وجود قوة داعمة داخل الإمارة النصرية، فأصبح جيشها مكونا من فرقتين، فرقة أندلسية وفرقة من المغاربة المتطوعين معظمهم من القبائل المرينية عرفت بفرقة "الغزاة" أي المجاهدين، كان اعتماد الأمراء النصريين عليها أكثر من اعتمادهم على غيرها، وكان يعين على رأس هذه الفرقة - التي تضم أيضا مجموعة من زناتة المغرب الأوسط - شيخ من العائلة المرينية الحاكمة.

وإذا كان لفرقة الغزاة تأثير على مسار العلاقات الخارجية كما سنرى، فإنها كانت أحيانا تمارس أعمالا سلبية بالقصر السلطاني نظرا لما أصبح لشيوخها من نفوذ متزايد خلال فترات ضعف الأمراء، فشيخ الغزاة ابن أبي العلاء

المريني كان أحد أعضاء مجلس الأمير النصري وبمثابة رئيس فرقة الأمن الداخلي أيضا، وهذا النفوذجعله يدخل في تنافس مع بعض وزراء الأمير، وما يتبع ذلك من مؤامرات، فكان ابن أبي العلاء وراء اغتيال الأمير أبي الوليد إسماعيل سنة 725، ثم كان مقتل الوزير المنافس له ابن المحروق بعد ذلك إرضاء له، كما تم قتل الأمير محمد بن إسماعيل سنة 733 من طرف بني أبي العلاء. غير أن الأدوار الإيجابية لهذه الفرقة كانت تغطي على مثل هذه السلبيات، فقد ظلت تشكل فرقة أمن داخلي لحماية الأمراء الحاكمين من منافسيهم مثلما حدث في آخر سنة 763 حين حدثت محاولة انقلاب على الأمير الغني بالله فأفشلها جيش الغزاة المغاربة بغرناطة، وفي نفس الوقت ظلت هذه الفرقة تحمي البلاد من الهجمات القشتالية، ويبرز دورها أكثر عندما يتعذر وصول الدعم المريني من المغرب كما حدث خلال العقدين الثاني والثالث من القرن الثامن. غير أن إلغاء المشيخة المرينية للغزاة وإسناد قيادتها لعناصر من الأسرة النصرية منذ سنة 771 أدى إلى إضعاف حماس الجند المغربي الذي لم تعد تربطه برئيسه أية عصبية، وستنعكس سلبيات هذا الوضع على القدرة الدفاعية للإمارة خصوصا بعد نهاية عصر أميرها القوي الغني بالله سنة 793، والذي تلته فترة التراجع النهائي الذي استمر ما يقرب من قرن قبل نهاية الأمارة.

كانت العلاقات بين المرينيين والنصريين تتكدر من حين لآخر بسبب دسائس بعض الجهات سواء من قشتالة أو إمارة بني زيان الناشئة بتلمسان أو بسبب المنافسة الداخلية على العرش في الأندلس مثلما حدث من طرف بني اشقيلولة أصهار الأمير النصري الغالب بالله - مؤسس الإمارة - الذين تمردوا على ابنه محمد الفقيه (671 - 701) وأقحموا المرينيين في نزاعهم بتحويل بيعتهم في منطقتي مالقة ووادي آش إلى السلطان يعقوب، مما جعل أمير غرناطة يتخوف من تكرار تجربة يوسف بن تاشفين المرابطي مع ملوك الطوائف، وهذا التخوف دعمه تخوف أمير تلمسان من قوة المرينيين وإمكانية إعادة توحيد بلاد المغرب، فكان التحالف يتم غالبا بين الأندلسيين والتلمسانيين ويحاول هؤلاء عرقلة الجواز المريني إلى الأندلس إن كان بغير رضى النصريين. غير أن السلطان يوسف بن يعقوب أنهى مشكلة بني اشقيلولة بمنحهم إقطاعات في المغرب لتجنيب الفتنة في الأندلس، وحد من تدخله فيما وراء البحر بعدما لاحظ تحالف أمير غرناطة مع القشتاليين على أخذ مدينة طريف من يد المرينيين سنة 691، فتمسك بها النصارى ولم تعد أبدا إلى يد المسلمين،وهذا ما جعل قشتالة طرفا مشاركا في مراقبة المضيق وزاد من طمعها في سد باب الإمدادات المغربية.

وعندما حاصر السلطان يوسف المريني مدينة تلمسان حصاره الطويل (698 - 706) تدخل أمير غرناطة محمد الثالث المعروف بالمخلوع (701 - 709) للتخفيف من ذلك، فاستولى على مدينة سبتة (705 - 709) وأرسل إلى المغرب أميرا مرينيا مدعما له لمنافسة السلطان على العرش وهو عثمان بن أبي العلاء شيخ غزاة منطقة مالقة، الذي أثار فتنة في شمال المغرب استمرت إلى سنة 708 تمكن بعدها السلطان المريني أبو الربيع سليمان من استرجاع سبتة. وإذا كانت العلاقات المرينية النصرية خلال العقدين الثاني والثالث تميزت بالفتور بسبب المكانة التي ظل يحظى بها ابن أبي العلاء لدى العرش النصري، فإن المرينين من جهتهم في هذه الفترة كانوا يعانون من مشاكل داخلية منعتهم من الدعم الفعال والرسمي للأندلس والاكتفاء بالمجاهدين المتطوعين، إلى أن وصل أبو الحسن المريني إلى السلطة فتغيرت الأحوال إيجابيا لصالح النصريين.

وخلال ثلاثينيات القرن الثامن طرأت عوامل عززت الروابط بين السلطان أبي الحسن وأمراء غرناطة، فقد تجدد الضغط القشتالي على هؤلاء، وأصبح من الضروري طلب الدعم المريني، لكن بني أبي العلاء كانوا يعاكسون هذا الاتجاه خوفا من أن يتم التقارب على حسابهم، فكانوا وراء اغتيال الأمير النصري محمد الرابع (725 - 733) خلال عودته من جبل الفتح (طارق) الذي تعاون مع الجيش المريني لاسترجاعه من يد القشتاليين وكان قد سقط بيدهم سنة 709. وعزم أبو الحجاج يوسف (733 - 755) رغم موقف بني أبي العلاء على الاستمرار في الارتباط بأبي الحسن المريني، بل تنازل له عن منطقة شمال المضيق أو الثغر المريني مرة أخرى (جبل طارق، الجزيرة الخضراء، رندة) ليمارس منه المرينيون مهمة الدعم للإمارة النصرية وحماية شمال المضيق. وهذا التعاون هو الذي مكن أبا الحسن من فرض اتفاقية هدنة مع القشتاليين تحرمهم من الإتاوة السنوية التي كانوا يأخذونها من النصريين منذ تأسيس إمارتهم.

لكن هزيمة المرينيين بقيادة أبي الحسن والنصريين بقيادة أبي الحجاج يوسف في معركة طريف (Rio Salado) سنة 741 شجعت النصارى على الزحف نحو المضيق فتمكنوا من الاستيلاء على الجزيرة الخضراء سنة 744 وظلت بيدهم مدة ثلاثين سنة قبل استرجاعها، واستغلوا انشغال أبي الحسن بمشاكل إفريقية منذ هزيمته في القيروان، وقيام ابنه أبي عنان في المغرب منافسا له، فحاصروا جبل الفتح خلال سنة 750 / 1349 ولم ينته الحصار إلا بتفشي وباء الطاعون في الجيش النصراني وهلاك الملك القشتالي وكثير من جيشه. ثم دخل المرينيون بعد موت أبي عنان آخر سنة 759 في فترة ضعف طويلة الأمد، غير أن الإمدادات المادية والبشرية كانت تتوالى على الأندلس إضافة إلى الدعم بالأسطول في فترات الاستقرار النسبي بالمغرب رغم توقف جوازات السلاطين المرينيين إليها. وتزامنت فترة الضعف المريني خلال معظم النصف الثاني من القرن الثامن مع وجود الأمير الغني بالله على عرش غرناطة في مدة إمارته الثانية (763 - 793)، وقد مكنته ظروف الاضطرابات المتتالية في الممالك الإسبانية خاصة قشتالة من أن يظهر بقوة على الساحة الإسبانية لدعم

طرف ضد طرف آخر ليشغلها عن مهاجمة ثغور إمارته، كما ظهر على الساحة المغربية بالتدخل أحيانا في تعيين أو عزل بعض السلاطين المرينيين، مما زاد في حدة الانقسامات السياسية وظهور حالات التمرد في أكثر من جهة. واستقرت أحوال المغرب نسبيا خلال العقد الأخير من القرن الثامن والأول من اللاحق قبل أن يدخل مرحلة الاحتضار منذ سقوط سبتة واندلاع الفتنة التي انتهت بسقوط الدولة المرينية سنة 869 وقيام الدولة الوطاسية العاجزة عن توحيد البلاد وحمايتها من الضغط الأجنبي على السواحل، وعن تقديم الدعم لبلاد الأندلس التي كانت بدورها في مرحلة احتضار قبل سقوطها نهائيا سنة 897 / 1492. كما أن الدولة الحفصية التي كان يرجى دعمها دخلت بدورها في النصف الثاني من القرن التاسع مرحلة الانحطاط النهائي بالتدريج.

هكذا بدأ تطويق الإمارة النصرية بالاستيلاء على سبتة في الضفة الجنوبية للمضيق سنة 818 / 1415 ثم جبل طارق سنة 867 فسد باب المضيق في وجه أي دعم من الجنوب، واشتد الحال على الأندلس بتحريض الكنيسة ضد المسلمين بعد سقوط القسطنطينية العاصمة البيزنطية بيد العثمانيين المسلمين في منتصف القرن التاسع، ولم يبق إلا تجاوز الخلافات بين قشتالة وأركون بحصول اتحاد المملكتين في مملكة واحدة تمكنت في عام اكتشاف أمريكا من القضاء على الدولة النصرية بسقوط أخر معاقلها غرناطة سنة 897 / 1492. وتحولت بلاد المغرب إلى ملجإ للمسلمين واليهود الفارين من الأندلس بما فيهم آخر ملوك غرناطة أبو عبد الله محمد المخلوع الذي استقر بفاس، وأصبح المغرب يواجه الضغط الإسباني والبرتغالي على سواحله، وبذلك انتقل الصراع بين الطرفين من التراب الأندلسي الإسباني إلى التراب المغربي.

ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، الرباط، 1972 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 1968 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، القاهرة، 1974 - 1977 ؛ أ. عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله* ؛ *معلمة المغرب*، بنو أبي العلاء، ع 18، 6124 - 6125 ؛ عنان، *نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين*، 1966.

أحمد عزاوي

ابن **نصيحة** (الموسيقي) أحد رجالات الموسيقى الأندلسية بفاس على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1171 - 1204). كان ملازما له حتى اعتبره إبراهيم التادلي في "*التذكرة الأنطاكية*" بمثابة الموصلي مع الخليفة الرشيد.

ويرجح الأستاذ محمد المنوني أن يكون المترجم هو الذي كناه الأديب أبو الربيع سليمان الحوات "بابن سعيد" في افتتاحية *أرجوزته* حول ترتيب طبوع الآلة الأندلسية، فذكر أنه وضع هذه الأرجوزة باقتراح منه، وحلاه فيها بـ "غريض العصر ومعبده" - وهما من كبار المغنين في العهد الأموي - وذكر له الباع الطويل في هذا الفن. والقول المقصود عند الحوات هو :

| | |
|---|---|
| وكان قد سألنيه ابن سعيد | ذو الشرف الرفيع والرأي السديد |
| وهو غريض العصر بل معبدُه | ومَن له الباع الطويل مدده |

إبراهيم التادلي، *التذكار لما في التذكرة من الطب مع الاختصار* ؛ سليمان الحوات، *أرجوزة كشف القناع عن وجه تأثير الطبوع في الطباع*، خ. ح، رقم 4229 ؛ محمد المنوني، *البحث العلمي*، ع 14 و15، س 6 شوال، رمضان، 1388 - 1389 / يناير - دجنبر، 1969، ص. 159.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**النصيري، محمد** بن **محمد** الفقيه العلامة القاضي محمد بن الحاج محمد بن الحسين بن علي بن الطيب النصيري الأصل الفاسي الدار والمنشأ. ولد بمدينة فاس عام 1282، وبعدما أتم حفظ القرآن الكريم برواياته السبع ولازم الدروس بجامعة القرويين، أجازه علماؤها، ومن جملة شيوخه العلامة رئيس المجلس العلمي آنذاك سيدي أحمد بن الخياط.

بعد تخرجه من القرويين شرع في التدريس بها، وكان يتقاضى الصلة كالعلماء، وفي مقيد بخط يده أنه نودي عليه إلى دار المخزن أيام السلطان مولاي عبد العزيز في شهر شعبان عام 1323، وفي مقيد آخر أنه خرج من دار المخزن في فاتح شعبان عام 1325، وكان عمله بدار المخزن تعليم الشرفاء والحاشية الملكية المبادئ الدينية والعلمية صحبة رفيقه الفقيه التهامي الطافي.

أما أيام السلطان مولاي عبد الحفيظ، فإن صاحب الترجمة استقر بفاس حيث بنى دارا بدرب حسان بحومة البليدة. ولما كان المجاهدون من جبالة يؤمون مدينة فاس لمهاجمة الفرنسيين، وقع اختيار القيادة العسكرية لجيش الاحتلال على دار محمد النصيري لا تخاذها قاعدة لهم في مواجهتهم للمجاهدين نظرا لموقعها الاستراتيجي، إلا أنه امتنع من إفراغ الدار وتسليمها إلى الحامية الفرنسية، فوقع بينه وبين الحاكم العسكري خصام عنيف واقتحم الجيش الفرنسي الدار واحتلها وعلى إثر هذه الواقعة قرر الهجرة إلى المشرق، فغادر مدينة فاس يوم 20 رجب عام 1330 قاصدا مدينة وجدة، فوجد هناك عدة تلامذة له فأكرموا مثواه، كما وجد عناية كبيرة من الباشا ابن عبد الواحد، فأرجعوه عن فكرة الهجرة إلى المشرق، فشرع يدرس في أحد مساجد وجدة إلى أن علم بخبره السلطان مولاي يوسف وحاجبه التهامي اعبابو الذي كان أحد تلامذته، فبعثا إلى باشا وجدة ليوجهه إلى الرباط.

خرج المترجم من وجدة قاصدا الرباط الذي وصله يوم 8 رجب عام 1333، ولما لقي السلطان عينه معلما للشرفاء من جملتهم محمد الخامس، وإماما بمسجد القصر، وبقي هكذا إلى أن عين قاضيا بقبيلة بني حسن بدار بلعامري بتاريخ 25 ذي القعدة عام 1337، وقد وقعت بينه وبين المراقب المدني

عدة مخاصمات في شأن تفويت أراضي الجماعة للمعمرين، فكان دائما يمانع في ذلك ويقف إلى جانب المواطنين الذين كانوا ضحية المعمرين الذين يسلبونهم أراضيهم. لما علم المعمرون بأمره، اشتد غضبهم عليه، فطالبوا بمتابعته على عرقلته لأشغالهم الجائرة، إلا أن السلطان مولاي يوسف كان يدافع عنه ويشد عضده، وهكذا كان في محنة مع السلطة الفرنسية طيلة مدة القضاء بدار بلعامري إلى أن أعياه ذلك وطلب الإعفاء، فالتحق بوظيفة الإمامة بالقصر الملكي ليؤم المغرب والعشاء فقط. وفي عام 1340 عينه السلطان قاضيا على قبيلة أولاد سعيد بالشاوية، فصدر التنبيه من السلطة الفرنسية العليا إلى المراقب المدني بأولاد سعيد لتعمل على التضييق به، وفعلا تعرض إلى المضايقة من طرف المراقب الفرنسي، فتقدم بطلب الانتقال، فعين قاضيا بتوريرت بتاريخ 15 شوال عام 1345 ، فلقي نفس التضييق، فطلب الانتقال من توريرت أو الإعفاء، فنقل قاضيا إلى قبائل زعير بتاريخ 17 ربيع الأول عام 1346 ، ونظراً لمناوأته للاستعمار لقي تضييقا من طرفهم أينما حل وارتحل، فرفعت به التقارير إلى السلطان، فكان يطالبهم بالحجة التي لم تثبت قط، وهكذا قدم طلبه بالإعفاء من القضاء بزعير ورجع إلى وظيفته القديمة الإمامة وذلك في جمادى الأولى عام 1347.

توفي في متم جمادى الثانية عام 1353 ، ودفن بضريح سيدي بوعزة قرب السوق البلدي بباب الأحد بمدينة الرباط.

محمد ابن سودة، *قبيلة زعير قديما وحديثا*، ج 2، ص. 144 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ج 2. ص. 478 ؛ *مجلة محكمة*، العدد 4 نونبر، 2004، ص. 118.

بوعبيد التركي

**نضال النساء المغربيات**، عرفت العقود الأخيرة، على المستوى العالمي، تناميا كبيراً لثقافة حقوق الإنسان وحقوق المرأة والمساواة بين الجنسين. وقد كانت الحركة النسائية العالمية وراء تسريع وتيرة هذا التنامي ونشر إيديولوجية عدم التمييز عبر قنوات منها عدد من الشبكات والفضاءات كتلك التي وفرتها هيئات الأمم المتحدة. لقد كان عطاء الحركة النسائية بكل انتماءاتها الجغرافية، ومشاربها الثقافية واللغوية في تقوية هذه الثقافة متميزا بكل المقاييس. وإذا كانت مساهمة الحركة النسائية الغربية (أوربا وأمريكا الشمالية) حاسما في بداية هذا القرن، فإنّ نساء دول الجنوب ودول ما يسمى بالعالم الثالث بما فيها الدول العربية والإسلامية لم يكن أقل أهمية في مجال توسيع مفاهيم المساواة لتشمل جوانب كانت غائبة سابقا مثل الحقوق الاقتصادية، قضية الفقر، قضية العنصرية، الطبقات الاجتماعية. وإن السمة البارزة لعطاء مكونات هذه الحركة يكمن في كونها اختبرت وواجهت الميز وثقل النظام البطريكي من خلال تجارب متنوعة ومختلفة في ذات الوقت. وساهم هذا المعطى بقوة في إضفاء البعد الكوني على الفكر النسائي الحالي، بالرغم من أن هذه الكونية لم تكتمل بعد لكونها مسلسلا مستمر البناء والتحول والتكيف مع مختلف المستجدات على الصعيد العالمي.

لقد استفاد التيار العام في اتجاه عولمة قضايا الجندر والمساواة بين الرجال والنساء خلال العقود الأخيرة من مساهمة وكتابات نساء ينتمين إلى بلدان عربية وإسلامية من الداخل أو من الخارج، ممن حاولن أن يكتبن عن أوضاعهن بعدما كان هذا حكرا على النساء الغربيات، ونذكر، على سبيل المثال لا الحصر فاطمة المرنيسي ونوال السعداوي ورفعت الحسن وليلى أحمد وسعاد جوزيف وماركو بدران وغيرهن. كما أن الحركات النسائية في هذه المنطقة أدلت بدلوها في إغناء فكر وتجارب الحركة النسائية العالمية خصوصا خلال العقد الأخير انطلاقا من تجربتها الخاصة ومن نضالها ضد كل المحاولات الهادفة إلى تطويقها داخل حدود "الخصوصية" والهوية". وهكذا أصبح الفكر النسائي العالمي يشكل حاليا نتاج مسلسل عولمة تجارب وإغناء من طرف نساء ينتمين إلى ثقافات وديانات وأنظمة سياسية واجتماعية متنوعة. وقد ساهمت المؤتمرات الدولية المنظمة من طرف الأمم المتحدة خلال العقد الأخير، إلى حد كبير، في بلورة هذا الاتجاه خاصة خلال مؤتمرات فينا والقاهرة وكوبنهاكن وبيجين. كما أثر في هذا المسار بعمق، سقوط الأنظمة الاشتراكية ابتداء من منتصف الثمانينيات، الشيء الذي سمح بنوع من توحيد الرؤيا داخل الحركة النسائية بعد ما كانت خلال الحرب الباردة وقبل سقوط المعسكر الاشتراكي منقسمة بشكل عام إلى قسمين :

- حركة نسائية ليبرالية تنتمي أساسا إلى الدول الصناعية الغربية، التي كانت تركز خطابها على ضرورة إعادة النظر في العلاقات بين النساء والرجال وعلى عدم المساواة بين الجنسين في جميع الميادين. هذه المطالب كانت تتم من الداخل وفي إطار النظام الاقتصادي والسياسي الليبرالي بدون أن تهدف إلى مساءلة أو إلى إعادة النظر في الأسس التي يرتكز عليها هذا النظام.
- حركة نسائية تابعة للمنظومة الاشتراكية والتي كانت، عكس الأولى، تطعن في النظام الاقتصادي الليبرالي كمسؤول عن التفاوتات بين الدول الرأسمالية والدول السائرة في طريق النمو، أو دول الجنوب. كما أنها كانت تعتبر أن التناقض الأساسي هو تناقض طبقي، وأن مشكل التمييز بين الرجال والنساء ما هو إلا نتيجة تسلط الطبقة البرجوازية على الطبقة العاملة وأن تحرير هذه الأخيرة ووصولها إلى السلطة كفيل بإعادة الاعتبار للمرأة والقضاء على كل أشكال التمييز ضدها.

كان لهذين العاملين أثر كبير في بروز وتقوية الحركة النسائية المطالبة بالمساواة وليس فقط بتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للنساء في عدد كبير من دول العالم الثالث ومنها المغرب. ومكن ذلك من تطوير فكر جديد يطرح قضية المرأة ضمن قضايا التنمية الاقتصادية لهذه البلدان.

لكن هذا التيار سيواجه في العقد الموالي (التسعينيات) تيارا سياسيا وأيديولوجيا مناهضا، وهو يتمثل في الإسلام السياسي الذي يستند إلى مجموعة من الأسس أهمها الدين لمحاربة حقوق المرأة. وإذا كان التيار المناهض لحقوق المرأة يتواجد في كل البلدان باختلاف أنظمتها السياسية والاقتصادية في أمريكا وأوربا وفي دول العالم الثالث، فإنه يكتسي طابعا خاصا في الدول العربية والإسلامية لأسباب مختلفة مرتبطة بمخلفات الاستعمار وطبيعة الأنظمة السياسية غير الديمقراطية. ويعزى ذلك لكون العديد منها عملت مباشرة بعد الاستقلال على استعمال الإسلام كسلاح للحد من انتشار التيارات الاشتراكية واليسارية ومحاربتها، ومحاولة بناء مشروعيتها السياسية على أساس ديني في غياب الآليات والمؤسسات الديمقراطية. من جهة أخرى، إن إخفاق هذه الدول في التحكم في مجموعة من الإكراهات الداخلية (الوتيرة السريعة للنمو الديموغرافي، مشكل إيجاد فرص الشغل للجميع وخاصة الشباب المتخرج من الجامعات، توفير مقاعد في المدارس للجميع، مشكل الفقر الخ) أدى إلى تنامي ظاهرة تهميش فئات واسعة من المجتمع بما في ذلك الطبقات الوسطى التي لم تستطع الأحزاب السياسية التقليدية تأطيرها نظرا لعدة اعتبارات ذاتية وموضوعية. كل هذه الظروف بالإضافة طبعا إلى سيطرة الإسلام السياسي في إيران على الحكم ودور بعض الدول العربية المنتمية إلى منطقة الخليج وحلفائها الغربيين الهادف إلى تطويق المدّ الاشتراكي في المنطقة العربية كان لها أثر كبير في بروز وتنامي الإسلام السياسي في المنطقة.

المغرب ومتطلبات الحداثة :

في هذا السياق، وبالرغم من افتراضات المحللين السياسيين من الخارج والداخل، فإن المغرب لم يكن بمعزل عن هذه التأثيرات الخارجية. إن التطورات السياسية الأخيرة تظهر حدود الفكرة القائلة بأن خصوصية النظام الملكي في المغرب تجعله في مأمن عن المد الإسلامي. صحيح أن المغرب يتوفر على ظروف خاصة مقارنة بباقي بلدان العالم العربي بما في ذلك كون الملك في نفس الوقت أمير المؤمنين، يتولى السلطة السياسية والدينية في آن واحد، وكون المغرب عرف منذ الاستقلال تعددية حزبية استمرت حتى خلال الأزمات السياسية في الستينيات وبداية السبعينيات، وكونه يعرف منذ العقد الأخير انفراجا سياسيا واتساعا لمجال الحريات الفردية والجماعية. لكن كل هذه العوامل لم تجعله في مأمن من تأثير الحركات الإسلامية المناوئة لمطلب المساواة بين الرجال والنساء. وبالرغم من أن خطاب النخب السياسية يرمي إلى ترسيخ "التجربة المتميزة" للمغرب، المبنية على التوفيق بين "الأصالة والمعاصرة"، يتنامى تياران متعارضان :

- من جهة، الحركة النسائية وحلفاؤها من المجتمع المدني التي تطالب المسؤولين السياسيين بتوضيح مشروعهم وموقفهم في مجال حقوق الإنسان وحقوق المرأة، وخاصة في المجال القانوني (مدونة الأحوال الشخصية).

- من جهة ثانية التيار الإسلامي، ابتداء من التسعينيات، والذي بعض مكوناته المؤسسات الرسمية بما في ذلك البرلمان مطالبة بالرجوع إلى الأصل وإلى ما تسميه تطبيقا صحيحا للإسلام.

لقد انعكس هذا الوضع على الساحة، بحدة أحيانا كما حدث مع الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية، مما يجعل المغرب يتأرجح بين خيارين متناقضين :

- الأول يتعلق برغبة المسؤولين السياسيين في ترسيخ صورة المغرب كدولة ديموقراطية وعصرية تندرج في إطارالعولمة. وتتجلى هذه الإرادة مثلا في الدور الذي قامت به الدولة على مستوى المنظمة العالمية للتجارة، واتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوربي فضلا عن مجموعة من الإصلاحات القانونية والمؤسساتية الرامية إلى تحديث وعصرنة البلاد.

- الثاني يتعلق بالخطاب حول الهوية، وضرورة حماية هذه الأخيرة من المؤثرات الخارجية ومن التهديدات التي تمثلها "العولمة" والتي ينظر إليها كخطر يهدد القيم الروحية والأخلاقية الموروثة باعتبارها مشروعا تغريبيا في كينونته وليس دينامية أو إمكانية متاحة للجميع.

والمثير للانتباه أن العولمة أصبحت ميدانا لإنتاج خطاب أيديولوجي جديد يحاول الدفع إلى اتخاذ مواقف مسبقة إما معها أو ضدها. مع العلم أن معارضة العولمة لا تمنع ولم تمنع مناهضيها من تبنى نتاجاتها التقنية والتكنولوجية. في هذا الاتجاه، يمكن تلخيص مضمون الخطاب السائد حاليا حول هذه القضية كالتالي :

- العولمة كمفهوم مرادف للغرب، وهذا يعني بشكل آلي إجهازها على الهوية، مما يشكل خطرا على القيم الأسرية وبالتالي على المرأة التي تعتبر أساس الأسرة وحامية الهوية.

- العولمة تفيد أن بقية دول العالم ضد الدول العربية والدول الإسلامية فلا مناص من محاربتها.

هكذا نجد أن جميع الاتفاقيات الدولية المرتبطة بحقوق المرأة تعتبر من طرف الحركات الإسلامية جزءا من هذه العولمة التي تهدف إلى تدمير القيم والهوية الوطنية والعربية والإسلامية وبالتالي وجب محاربتها بكل الوسائل. لقد اتضح هذا المنحنى خلال مؤتمر بيجينغ العالمي الأخير حول المرأة (1995 ) حيث حشدت الحركات الإسلامية العالمية كل قواها وأظهرت مدى قدرتها على التعاضد والتنسيق، سنوات قبل أحداث 11 شتنبر 2001، لتغير اتجاه ونتائج هذا المؤتمر لصالح أطروحتها. ومن المتوقع أن يتصاعد نشاطها في السنوات المقبلة بهدف التأثير على الفكر النسائي العالمي وجعله يتراجع على مجموعة من المكتسبات التي حصل عليها خلال العقود الأخيرة. ظهر هذا جليا عبر المعارك التي

عرفها المغرب خلال السنوات الأخيرة، خاصة تلك التي تواجه فيها المدافعون عن الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية ومعارضوها (1998 ـ 2000). وقد بدا واضحا أن الحركات الإسلامية تتبنى استراتيجية تهدف إلى تفادي النقاش حول القضايا المرتبطة بالعمق أي بالأوضاع المزرية للأغلبية الساحقة من المغربيات في القرى وفي المدن من أمية وبطالة وأشغال شاقة ووفيات الأمهات عند الولادة، وعنف ضد النساء، لتجعل النقاش يتمحور أساسا حول الإطار المرجعي للمطالب النسائية المتعلقة بضرورة التغيير والذي يعتبر إطاراً علمانياً لأنه يرتكز بالأساس على مرجعية الأمم المتحدة. ومن الاستراتيجيات التي تبناها الإسلام السياسي بالمغرب حصر النقاش في مجال القيم والثقافة ومعارضة الآخر، أي الغرب والعولمة وبيجينغ والأمم المتحدة واتفاقية سيداو... حتى يتسنى تطويق الحركة النسائية ضمن حدود الهوية العشائرية، واعتبار كل تجاوز لتلك الحدود خيانة وعمالة وتبعية عمياء للغرب. وفي إطار كهذا حيث الصراع والتقاطب تضطر الحركة النسائية لإيجاد استراتيجيات تتكيف حينا وتواجه أحيانا أخرى من أجل انتزاع مكاسب ملموسة لصالح النساء.

وبهدف توضيح القدرات الحالية لهذه الحركة، وكذا مواطن القوة والضعف في نضالها اليومي ضد إيدلوجية تقصيها وتحكم عليها بكونها دخيلة ومفتقدة للمشروعية، من المفيد التذكير بالمحطات الكبرى التي مرت منها هذه الحركة حتى نتمكن من فهم استراتيجياتها الحالية الساعية لطرح مسألة المساواة بين الرجال والنساء في أجندة التغييرات السياسية والاجتماعية الجارية حاليا بالمغرب.

فإذا تتبعنا تاريخ الحركة النسائية المغربية يمكن، عموما، الوقوف عند ثلاث محطات كبرى. الأولى إبان الاستعمار، الثانية من الاستقلال (1956) إلى منتصف الثمانينيات، الثالثة من 1998 إلى الآن.

أولى الجمعيات النسائية في عهد الاستعمار: الكفاح الوطني:

يعتبر الفرع النسائي لحزب الاستقلال (1944) واتحاد نساء المغرب ـ الحزب الشيوعي المغربي (1944) وجمعية أخوات الصفا ـ حزب الشورى والاستقلال (1946) أولى التنظيمات النسائية التي نشأت في هذه الفترة. وقد تمت تلك النشأة في ظروف معقدة تميزت من جهة بتأجج المطالبة بالاستقلال ومن جهة أخرى بتصادم الأفكار التحررية مع البنية البطريكية للمجتمع. وقد اتسمت التنظيمات النسائية في المرحلة الاستعمارية بثلاث سمات أساسية:

ـ السمة الأولى، كونها نشأت بتوجيه من أحزاب سياسية درست نخبها بالخارج وتأثرت بالفكر النهضوي أو الإيديولوجيا الماركسية لكنها لم تكن مستعدة على مستوى الممارسة لتفعيل آرائها بالكامل لعوامل يختلط فيها الذاتي بالموضوعي.

ـ السمة الثانية تكمن في تركيز تلك التنظيمات عموما على العمل الوطني أو العمل الاجتماعي / الخيري أو هما معا.

ـ السمة الثالثة تتجلى، خاصة بالنسبة لتجربة "أخوات الصفا" في بداية طرح قضايا تتعلق بالأحوال الشخصية، ومن ذلك وضع حد للزواج المبكر وتنظيم الطلاق والحد من تعدد الزوجات.

الجيل الأول من جمعيات ما بعد الاستقلال: 1956 ـ 1984.

المرحلة الأولى: 1956 ـ 1975: استمرارية الفعل الاجتماعي.

مباشرة بعد الاستقلال طغت الجمعيات ذات الطابع الاجتماعي والخيري. ففي هذا الإطار أنشأ حزب الاستقلال مجموعة من الجمعيات كجمعية "المواساة" (1956) لرعاية الفتيات اليتيمات والمحتاجات وتقديم إعانات للمعوزين والمرضى. كما أنشئت في سنة 1963 جمعية "حماية الأسرة" التي سعت لتمتين الروابط الأسرية وحماية الأمومة والطفولة وتمكين الفتيات والنساء من مهارات يدوية. تمثلت التجربة الجديدة الوحيدة التي عرفتها هذه الفترة في خلق الاتحاد التقدمي للنساء المغربيات سنة 1962 في إطار الاتحاد المغربي للشغل بهدف انضمام الشغيلات للنقابات.

ثم سادت ظروف سياسية جعلت الدولة تنفرد بالساحة، فبادرت بخلق الاتحاد النسائي المغربي كمنظمة رسمية سنة 1969 معتمدة على بنيتها الإدارية في جل العمالات، وموجهة عمل الاتحاد نحو الفعل الاجتماعي بمختلف تجلياته. كما تم خلق الجمعية المغربية للتخطيط العائلي سنة 1981 لدعم الخطة الرسمية في الحد من النمو الديمغرافي الذي صار يعتبر من معيقات تطور البلاد.

رغم تلك الظروف، فإن حضور النساء لم يغب بشكل مطلق، بل ارتبط أساسا بالنضال السياسي في إطار الأحزاب الوطنية والتقدمية من أجل الحريات ودمقرطة المؤسسات، كما نشطت طالبات حزبيات وغير حزبيات في صفوف الاتحاد الوطني لطلبة المغرب ـ أقوى نقابة طلابية في البلاد ـ قبل وبعد منعه، وفي عدة جمعيات مهنية وثقافية. وخلال عقدين من الاستقلال يُسجل بشكل عام، خارج المشاركة الضعيفة عدديا للنساء في الأحزاب السياسية وبشكل أهم نسبيا في النقابات، استمرارية في نشاط الجمعيات على مستويين:

ـ على مستوى الأهداف طغى مجدداً الفعل الاجتماعي المحض.

ـ على مستوى التأطير، نشأت الجمعيات الجديدة إما بمبادرة حزبية، أو نقابية، أو حكومية.

وتجدر الإشارة لكون الجمعيات المذكورة باستثناء الاتحاد التقدمي للنساء المغربيات، لا تزال تمارس أنشطتها إلى اليوم ضمن نفس الأهداف عموما، ومنها من وسع من دائرة ذلك

النشاط وتشارك حاليا في إنجاز مشاريع تنموية متفاوتة الأهمية.

المرحلة الثانية : 1975 ـ 1984 : حركية القطاعات النسائية الحزبية.

يُعتبر منتصف السبعينيات لحظة فاصلة في تاريخ المغرب، وذلك ببداية انفراج سياسي نسبي. ففي هذا المناخ الجديد استأنفت أحزاب المعارضة نشاطها بعد أن عانت من المضايقات، واتسع نطاق تحرك مناضلاتها في أوساط النساء. هكذا بدأت تتهيكل قطاعات نسائية داخل الأحزاب الوطنية والتقدمية بما في ذلك القطاع النسائي لكل من حزب الاستقلال (الذي كون لاحقا منظمة المرأة الاستقلالية) والاتحاد الوطني للقوات الشعبية وللاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وحزب التقدم والاشتراكية ومنظمة العمل الديمقراطي الشعبي. وقد اتجهت القطاعات النسائية الحزبية نحو أنشطة اجتماعية وتحسيسية (محو الأمية، التوعية الصحية والقانونية ...) بالموازاة مع طرح إشكالية وضع المرأة بمطالب أكثر وضوحا وجذرية، تتصل بمدونة الأحوال الشخصية التي صدرت مباشرة بعد استقلال المغرب (1957) ومشاركة النساء في الحياة السياسية، وحقوق التمدرس والعمل. ولعل أهم ما يبرز من تطور خطاب هذه القطاعات النسائية الحزبية تأرجح بين اتجاهين : من جهة، الالتزام الصارم بتوجه أحزابهن، باعتبارهن قنوات تبليغ مواقف وتصورات تلك الأحزاب، ومن جهة ثانية بداية تبلور هوية نسائية مستقلة.

إن المغرب كسائر بلدان العالم تأثر بالحركية التي انبعثت من الأمم المتحدة في تعاملها مع قضية المرأة. فكانت سنة 1975 السنة الدولية للمرأة، وأعلن عن عشرية الأمم المتحدة للمرأة (1976 ـ 1985 ). وكان صدور اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (1979 )، مناسبة لتكثيف أنشطة القطاعات النسائية الحزبية وتطوير تحاليلها. وفضلا عن مواصلة القطاعات الحزبية لنشاطها، بدأت جمعيات جديدة ترى النور، إذ تأسست جمعية التضامن العائلي سنة 1977 ، ورابطة موظفات القطاع العمومي والشبه العمومي سنة 1980 ، وجمعية المصباح سنة 1981 ، وجمعية النساء ذوات المهن الحرة، وجمعية النساء ذوات المهن القانونية... كما تشكلت أندية نسائية بعدة دور للشباب من مناضلات سابقات في صفوف الاتحاد الوطني لطلبة المغرب (نقابة الطلبة المغاربة التي كانت حاضرة بشكل قوي على الساحة السياسية إلى حدود بداية التسعينيات) ونشيطات بعض المجموعات اليسارية الجديدة. وتميز هذا العقد بتضافر عوامل خارجية وداخلية لإعطاء دفعة جديدة للفعل النسائي الذي اتسم بالاستمرارية وبالتجديد في آن واحد :

ـ تمثلت ملامح الاستمرار في العمل الاجتماعي الذي مارسته جمعيات جديدة وقطاعات نسائية حزبية. وقد كانت دوافع هذه القطاعات بالخصوص مزدوجة : من جهة، الاستجابة لحاجيات ملموسة لدى النساء الفقيرات، ومن جهة ثانية توظيف رصيد التواصل مع النساء بهدف توسيع قاعدة أو نفوذ أحزابهن.

ـ أما ملامح التجديد فتجلت في ظهور الجمعيات القطاعية (موظفات، مهن حرة)، وفي اتساع نشاط الحزبيات ليشمل، فضلا عن العمل الاجتماعي، مطالب نسائية وفي مقدمتها تغيير مدونة الأحوال الشخصية وضمان مشاركة النساء في الحياة السياسية.

مع ذلك لم تتوفر هذه التنظيمات على مشروع واضح يهيكلها، فظل الحزبي منها أسير توجهات الأحزاب التي أفرزتها رغم محاولات التميز التي لم تخل من جرأة، كما انشغلت الجمعيات القطاعية خاصة منها تلك التي استمرت في الوجود بالاهتمامات المهنية أكثر من انشغالها بالاجتماعات النسائية.

الجيل الثاني من جمعيات ما بعد الاستقلال : 1985 إلى الآن.

شكلت سنة 1985 بداية تحول كبير في تاريخ الحركة النسائية إلى اليوم. إذ إلى جانب الجمعيات ذات الطابع الاجتماعي التي سبق تأسيسها والجمعيات القطاعية تشكلت جمعيات جديدة دشنت لعهد الجيل الثاني بعد الاستقلال. لقد مهدت ظروف دولية، وعوامل سياسية وسوسيولوجية داخلية لهذا التحول النوعي والكمي. فتزايد الوعي بموقع القضية النسائية ضمن الشأن السياسي والمجتمعي، وفي الدفع بانخراط النساء في دينامية جديدة اعتبرت بمثابة "انفجار للطاقات"، وهي دينامية واكبت على مستوى التجليات ظاهرتين بارزتين طبعتا العقد الأخير :

الظاهرة الأولى : تتمثل في اتجاه نساء انحدر معظمهن من مختلف مكونات الحركة الوطنية والتقدمية، نحو خلق جمعيات نسائية مستقلة. كانت أولى هذه التنظيمات الجمعية الديمقراطية لنساء المغرب (1985) التي تلاها اتحاد العمل النسائي (1987 ) ثم الجمعية المغربية لحقوق النساء، والجمعية المغربية للنساء التقدميات (1992 ) والرابطة الديمقراطية لحقوق المرأة (1993 ) ثم جمعية جسور (1995 ). وهي جمعيات تتشابه عموما من حيث خطابها النسواني، وطبيعة أهدافها التي تلتقي حول القضاء على التمييز ضد المرأة في الفضاء الخاص والعمومي وبناء المساواة على مستوى القانون والممارسات والذهنيات، مع تباين في لغتها وأشكال وحجم فعلها. وقد عبر هذا المخاض عن وعي مزدوج بمحدودية الاهتمام بالقضية النسائية في الحياة الحزبية وضمن أولويات جدول أعمالها. فمن جهة، ظلت القضية في الغالب شأنا خاصا بالنساء محمولا من طرف المناضلات دون غيرهن. ومن جهة ثانية بدت البنيات الحزبية غير مناسبة لتفعيل المطالب النسائية في عمقها ما دامت رهانا يستلزم إعادة النظر في مرتكزات إديولوجية رهنت تحرر المرأة "بتحرر المجتمع"، أو "انعتاق الطبقة العاملة". وقد تم التوجه نحو الاستقلالية على مراحل. ففي المرحلة الأولى تجلت هذه

الاستقلالية على مستوى المطالب والخطاب قبل أن تنتقل إلى مرحلة رفض الوصاية "الرجالية" من طرف المناضلات الحزبيات من جهة، وتدرك عدم تقبل الأطر الحزبية هذا التوجه باعتباره خروجا عن الضوابط المنظمة للعمل الحزبي، من جهة أخرى.

الظاهرة الثانية : تتمثل في تعددية التعبير النسائي الذي لم يسبق له مثيل، وفي تنوع روافده المنظمة وغير المنظمة التي تساهم مجتمعة في التركيز على حقوق النساء ومن تجليات ذلك :

- ظهور جمعيات نسائية متخصصة بميدان أو مجال معين كرد فعل أمام التحولات المجتمعية مثل جمعيات النساء المقاولات وغيرها.

- تأسيس مراكز متخصصة في المساعدة القانونية والنفسية للنساء، بمن فيهن ضحايا العنف، بمبادرة من الجمعيات أو بشكل مستقل عنها.

- تخصيص جمعيات تنموية لحيز من اهتمامها المباشر للنساء دون أن تكون جمعيات نسائية بالمعنى المتعارف عليه.

- بروز مجموعات نسائية أو مختلطة منظمة وغير منظمة (مجموعات بحث) مع تطور الكتابة النسائية والكتابة عن النساء وظهور صحافة نسائية مستقلة في البداية ومهنية حاليا.

- تنظيم مسالك البحث في قضايا المرأة داخل الجامعات كتكوين كرسي اليونسكو "المرأة وحقوقها" وإطلاق تجربة" وحدات التكوين والبحث" في إطار تحضير الدكتوراة حول المرأة والتنمية (الرباط والقنيطرة...) أو الجندر (فاس).

ويعد العقد الأخير مرحلة تهيكل الحركة النسائية التعددية في ظل اتساع النسيج الجمعوي الذي يتقاسم في بعض مجالات اهتمامه موضوع تطوير وضع النساء. ففي سنة 1995 كانت توجد بالمغرب حوالي 35 جمعية نسائية حسب دراسة لوزارة التشغيل والشؤون الاجتماعية، 50٪ منها يقل عمرها عن 10 سنوات و25٪ تكونت بعد 1990. أما دليل المنظمات غير الحكومية العاملة في مجال "إدماج المرأة في التنمية" الذي أصدرته وزارة الشؤون الخارجية والتعاون سنة 1997، فإنه يقدم 71 جمعية منها جمعيات نسائية بمعناها الضيق وجمعيات قائمة بدرجة كبيرة على تلبية حاجات النساء.

الدينامية والاستراتيجيات الحديثة :

ابتداء من منتصف التسعينيات تقوت الدينامية الجمعوية مستغلة بذلك ظرفية سياسية إيجابية تمحورت أهم أحداثها حول إطلاق سراح المعتقلين السياسيين وتوسيع مجال الحريات. وخلال السنوات الأخيرة بالخصوص، تأسست العديد من الجمعيات خارج محور الرباط ـ البيضاء (الذي كان يستقطب جلها في السابق) مركزة أنشطتها على اهتمامات آنية أو استراتيجية. كما تطورت ممارسة التنسيق بين الجمعيات من أجل معارك محددة مستفيدة من وحدة الأهداف مع التنوع في الاهتمامات والأنشطة والفئات المستهدفة. صحيح أن عدد الجمعيات النسائية بالنسبة لبلد كالمغرب، لا يزال قليلا وتأطيره العددي ضعيفاً لكن الأدوار التي تقوم بها هذه الجمعيات، يجعلها من أبرز قنوات التعبير عن حركة اجتماعية وسياسية لفائدة حقوق النساء، ومن العناصر المساهمة في توسيع فضاءات ممارسة المواطنة.

وتبنت الحركة النسائية حسب الظروف عدة استراتيجيات مستغلة كل الدعامات المتاحة ومستفيدة من التناقضات المذكورة سابقا. وفي هذا الإطار وظفت الحركة لصالح قضاياها ديباجة الدستور منذ تعديل 1992 التي تنص على اعتراف المغرب بحقوق الإنسان كما هي مصطلح عليها كونيا معتمدة صورة "المغرب الحداثي" التي صارت مكونا بارزا للخطاب السياسي السائد في العديد من الأوساط. من هذه الاستراتيجيات مثلا، الانخراط في تحالفات أقامتها الجمعيات النسائية داخليا وخارجيا. على المستوى الداخلي تعاملت الجمعيات مع العديد من مكونات الحركة الحقوقية والنقابية وبعض الأحزاب السياسية. وتم ذلك بمناسبة أنشطة تعبوية أو ترافعية أو تحسيسية تناولت إما التأثير على السياسات الحكومية، أو تعديل القوانين أو غير ذلك. وعلى المستوى الخارجي، اتخذ الانفتاح عدة أشكال وقام على عدة آليات. فقد انخرطت الجمعيات النسائية في مسلسل مؤتمرات الأمم المتحدة التي تناولت قضايا النساء (فيينا 93، القاهرة 94، بيجين 95، بيجينغ + 5 ...) تحضيرا ومشاركة. كما ربطت علاقات مع شبكات جهوية وعالمية (شبكة عائشة، مجموعة 95 المغاربية من أجل المساواة، أويد A.W.I.D، ويدو W.E.D.O ، الشراكة الدولية للتضامن، إكواليتي ناو...) على هامش تلك المؤتمرات، كما استغلت الحركة النسائية إمكانيات الاتصال بممثلي وممثلات حكومات وأحزاب وبرلمانات من عدة بلدان أوروبية وأمريكية في بلدانهم أو أثناء زيارات رسمية للمغرب.

من الاستراتيجيات المعتمدة أيضا التعامل مع المرجعية القائمة على الخصوصية بطريقة بديلة عن الاستعمال التقليدي المناهض للمساواة. لقد حرصت الحركة النسائية خاصة بمناسبة معاركها لإصلاح مدونة الأحوال الشخصية على عدم ترك المجال فارغا للقوى المحافظة التي تستغل الدين لأغراض سياسية، وبرزت عدة مبادرات من داخل الحركة لتملك التراث الديني بدون عقدة نقص سواء من خلال تنظيم التظاهرات أو الكتابات. وساهمت أعمال مشتركة في إطار "مجموعة 95 المغاربية من أجل المساواة" التي تضم فعاليات نسائية من المغرب والجزائر وتونس في توفير أدوات داعمة منها أساسا إصدار كتاب *مائة إجراء ومقتضيات*، و*دليل المساواة في الأسرة* بالمغرب العربي. وإن المتتبع للساحة النسائية في السنوات الأخيرة يمكن أن يميز بين أربع

محطات بارزة تفاعلت من خلالها عوامل داخلية وخارجية لتفعيل حركية لم يسبق لها مثيل :

الأولى : تتمثل في اتفاقية الأمم المتحدة المتعلقة بالقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة. لقد جعلت الحركة النسائية والحقوقية من هذه الآلية الدولية مناسبة للضغط على الحكومة من أجل المصادقة عليها. وقد تم ذلك سنة 1993 (بتحفظات هامة)، لتنطلق دينامية جديدة في اتجاهين أساسيين ومترابطين :

ـ العمل من أجل رفع التحفظات، لكونها أفرغت الاتفاقية من روحها ومن أهم المقتضيات التي تضمن المساواة بين الجنسين وخاصة في العلاقات الأسرية.

ـ ممارسة المهمة الموكولة للمنظمات غير الحكومية المتمثلة في تتبع مدى وفاء الدولة بالتزاماتها من خلال التقارير الموازية. إلى حد الآن أنجزت الحكومة تقريرين (الأول في 1996 والثاني 2000 ) وفي كلتا المناسبتين بادرت الجمعيات، بتنسيق من الجمعية الديمقراطية لنساء المغرب، لوضع التقرير الموازي باعتباره أداة مساءلة ومراقبة للحكومة وتحسيس الرأي العام.

الثانية : تتعلق بالخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية التي أنجزت خلال السنة الأولى من حكومة التناوب (1998 ـ 1999 ) تطبيقا لإحدى مقررات مؤتمر بيجينغ (1995). لقد شكل مشروع هذه الخطة ـ التي وضعتها الحكومة بتشارك مع الجمعيات ـ من حيث التصور والمقاربة والإجراءات المقترحة قطيعة مع الماضي الذي كان يختزل حاجيات النساء في المساعدة الاجتماعية ويعزل قضاياهن عن باقي القضايا الجوهرية للمجتمع. وإذا كانت الحكومة قد تراجعت عنها بسبب المد المحافظ، فإن الحركة النسائية بادرت لخلق تحالفات واسعة مع جمعيات مدنية في إطار "شبكة دعم الخطة" التي ضمت ما يزيد عن 200 جمعية نسائية وحقوقية وتنموية، وفعاليات سياسية ونقابية في إطار "جبهة حقوق المرأة". وقد ساهمت هذه المبادرات في تغذية نقاش وطني وتظاهرات شعبية لم يسبق لها مثيل حول أوضاع وحقوق النساء ورهاناتها المجتمعية.

الثالثة : تتعلق بالتفاعل مع الدينامية الدولية التي واكبت المسيرة العالمية للنساء ضد الفقر والعنف. لقد انضم المغرب إليها، وتشكلت لجنة عريضة من أجل التحضير لمسيرة الرباط في 12 مارس 2000 ، التي عبّأت مئات الآلاف من النساء والرجال حول مطلب المساواة، والتي اتخذت طابعا خاصا لكونها تزامنت مع ظرفية الجدل حول خطة إدماج المرأة في التنمية.

الرابعة : تتمحور حول ثلاثة أهداف مباشرة عبأت الحركة النسائية خلال السنوات الخمس الأخيرة وهي : الدفع بمشاركة النساء في مراكز القرار السياسي، مناهضة العنف ضد النساء، وإصلاح مدونة الأحوال الشخصية في اتجاه يضمن المساواة بين الجنسين.

بالنسبة للهدف الأول، استفادت الحركة من النقاش الدولي حول آليات سد النقص المهول في تواجد النساء في مواقع القرار واستطاعت ليس فحسب طرحه وإغناءه من خلال "مجموعة العشرين من أجل إصلاح القانون الانتخابي" بل أيضا الضغط على القوى السياسية من أجل اتخاذ تدابير تشجيعية لفائدة النساء سواء على مستوى هيئاتها القيادية أو إبان الانتخابات التشريعية (سبتمبر 2002) التي جعلت نسبة النساء في الغرفة الأولى من البرلمان تنتقل من 0,6 بالمائة إلى ما يقرب 10 في المائة أي بالأرقام من 2 إلى 35 نائبة حاليا.

الهدف الثاني : ارتبط بطرح أعمق لموضوع العنف ووسائل مواجهته سواء من خلال آليات الحماية أو الوقاية أو دعم النساء بشكل مباشر. من أجل ذلك اشتغلت الجمعيات باحترافية على تعديل القوانين وخاصة القانون الجنائي وقانون الشغل، ونظمت فضلا عن الأعداد المتزايدة من مراكز الاستقبال والتوجيه القانوني والنفسي للنساء حملات تحسيسية واسعة منها، على سبيل المثال، الوقفات التي نظمت أمام المحاكم بمختلف جهات البلاد في 10 ديسمبر 2002 ، كما طورت إمكانياتها الذاتية من أجل دعم النساء ضحايا العنف. ومن نتائج ذلك :

ـ على المستوى المطلبي، الحصول على مكاسب هامة إثر التعديلات التي طرأت على القوانين المشار إليها (2003) وخاصة في مجالي العنف الأسري والتحرش الجنسي، وانخراط قطاعات حكومية، وخاصة منها وزارة العدل، لأول مرة في التاريخ في مشاريع تستهدف صراحة مواجهة ظاهرة العنف ضد النساء.

على المستوى الداخلي، الوعي بأهمية تقوية القدرات الذاتية من أجل المبادرات الملموسة، كان من أهمها تكوين شبكة "أناروز" التي تجمع بين أزيد من عشرين مركزاً لإرشاد النساء ضحايا العنف وإطلاق مسلسل يتوخى تطوير وتوحيد أدوات الاشتغال (تقنيات الاستماع، قاعدة البيانات، تقارير سنوية...)، ورصد الجهود للربط بين العمل الميداني بالعمل الترافعي.

الهدف الثالث، يهم مدونة الأحوال الشخصية. وهو يختزل ـ بالنظر لطابعه الهيكلي والاستراتيجي ـ مجموع التراكمات التي تشكلت عبر العقود الماضية. ففي مارس 2001 تكونت مجموعة "ربيع المساواة" من أجل قانون أسري يضمن المساواة بين الجنسين، من قبل 9 جمعيات (صار عددها لاحقا 26) مستفيدة من الحركية التي رافقت مشروع الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية. وقد عملت المجموعة بشكل ممنهج ومستمر كقوة اقتراح وترافع وتحسيس تجاه اللجنة الاستشارية المكلفة من طرف الملك بمراجعة مدونة الأحوال الشخصية، وتجاه القوى الفاعلة في الدولة والمجتمع والرأي العام. في هذا الإطار، طورت المجموعة خلال الثلاث سنوات الأخيرة، تجربة فريدة ومتميزة وظفت فيها قدراتها

الهائلة على التشبيك والتخطيط والتعبئة وحشد التحالفات، بتكيف ذكي مع المحيط السياسي والاجتماعي والثقافي، من أجل تغيير شامل للمدونة حتى تصان كرامة النساء ويسوّى بينهن وبين الرجال في العلاقات الأسرية. لقد شكل تغيير المدونة، بدون منازع، مطلبا رافق تاريخ الحركة النسائية منذ بداياتها. فقد ساهم بالنظر لعمقه السياسي، في تطور الحركة ونضجها، وهذا ما تم توظيفه في المقاربة المعتمدة لطرح الملف في السنوات الأخيرة، وفي الدينامية التي أدت إلى تحقيق مكاسب هامة وذات أثر دال على حياة النساء على مستويين:

- مسار الإصلاح، بما أتاحه، في حد ذاته، من فرص لتقوية القدرات النضالية للجمعيات، وللحركة من أجل حقوق النساء بصفة عامة،

- منتوج الإصلاح، وخاصة منه ما يتعلق بالمقتضيات التي تنص على جعل الأسرة تحت الرعاية المشتركة للزوجين، وإلغاء الولاية على المرأة الرشيدة في الزواج، وإلغاء طاعة الزوجة للزوج، والإقرار بالمساواة في الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين.

هذه التجربة هي الآن موضوع توثيق من قبل الجمعية الديمقراطية لنساء المغرب لاستخلاص دروس يمكن أن تفيد الحركة النسائية المغربية لتوجيه المراحل المقبلة، كما يمكن أن تفيد جمعيات ومكونات أخرى للحركة النسائية في العالم الإسلامي بصفة خاصة، ممّن يصطدم نضالها بمقاومات يستغل فيها الدين لشرعنة التمييز.

هكذا سجل المغرب بعد خمسة عقود من استقلاله تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية عميقة، وهو ينخرط الآن في دينامية تغيير ساهمت فيها الحركة النسائية بقوة من خلال إرساء دعائم ثقافة المساواة والمواطنة. وبالرغم من التحديات الكبيرة التي تواجه هذه الحركة على مستوى استكمال استقلاليتها والرفع من درجة احترافيتها وانفتاحها الضروري على الجيل الشاب، فإن دورها المتزايد سيكون من العوامل المحفزة على تسريع وتيرة التحولات الجارية وجعل المساواة قضية تتصدر الانتقال بالمشروع الديمقراطي والحداثي للمغرب من الطموح إلى الواقع.

ربيعة الناصري وأمينة المريني

**النظم البيئية الطبيعية** : تعيش على سطح الكرة الأرضية فسيفساء من رابطات حياتية (Biocoenoses) تنتمي كل واحدة منها إلى وحدة حياتية (Biome) معينة، وتتميز برابطتها النبتية. ولكل رابطة حياتية كائنات لها صلات عديدة مع بعضها البعض وترجع أهم هذه العلاقات إلى الجوانب المتعلقة بالتغذية والتوزيع البيوجغرافي. أي أن هذه الكائنات توجد في صراع متواصل من أجل التغذية والمكان. وتتعلق الرابطة الحياتية تعلقا وثيقا بالعوامل اللاحياتية للوسط الذي تعيش فيه. وهكذا فإن عوامل المناخ والتربة هي التي تحدد التركيب النوعي والبنية والمجال للرابطة، وتؤمن اشتغال شبكة التغذية، متيحة بذلك التركيبات العضوية وتيارات وتحويلات المواد المعدنية والعضوية، مما ينتج عنه كمية من الكتلة الحياتية في مختلف مستويات السلسلة الغذائية. وهكذا فإن كل رابطة حياتية تكون مع الأساس الترابي الذي يغذيها، والمناخ الذي تنغمس فيه، نظاما وظيفيا وهو النظام البيئي الذي يعتبر الوحدة البيئية الأساسية التي من الممكن أن تشتغل في غاية التوازن في حالة عدم وجود عامل من عوامل التدهور. إذن فالنظام البيئي هو كيان من مركبات حيوية وكيماوية تشتغل بصفة دورية، وتتفاعل فيه الكائنات الحية مع عوامل الوسط اللاحياتي. كل واحد من الكائنات والعوامل يؤثر على الآخرين، وكل واحد منها يعتبر ضروريا لضمان العيش في انسجام كامل.

يشمل النظام البيئي المكونات التالية

- المنتجون : وهي النباتات الخضراء التي تحول الطاقة الضوئية لأشعة الشمس إلى طاقة كيماوية كامنة تتراكم في مركبات عضوية مبلورة ابتداء من مواد معدنية مستمدة من الوسط الخارجي اللاحياتي.

- المستهلكون : وهي الكائنات الحية التي تتغذى من المركبات العضوية المعتمدة. وهي تشمل :

- المستهلكين من الدرجة الأولى أو الحيوانات العاشبة والطفيليات من نبات وحيوان.

- المستهلكين من الدرجة الثانية وهي الحيوانات اللاحمة التي تعيش على العاشبة.

- المستهلكين من الدرجة الثالثة وهي الحيوانات اللاحمة التي تعيش على حيوانات لاحمة أخرى.

من بين المستهلكين نجد : المرجعون أي الحيوانات التي تعيش على الجثث مثل الضباع والنسور، ثم النفاويون أو المفككون وهي الحيوانات التي تعيش على المواد العضوية الميتة والمواد الغائطية، وتحولها إلى دبال.

- المحولون : وحدهم أو مع النفاويين يحولون المواد العضوية إلى دبال، وهم يشملون الباكتيريا والفطريات.

- المعدنون : وهي الكائنات الحية من الباكتيريا والفطريات التي تحول المواد العضوية إلى عناصر معدنية تمتصها النباتات بجذورها.

- المثبتون للنيتروجين : وهي كائنات حية تثبت النيتروجين الجزيئي وتتغذى منه لكنها في نفس الوقت تعيش على المواد العضوية المبلورة.

لكل مستوى من السلسلة الغذائية كتلة حياتية تمثل في الحقيقة تراكما للطاقة في هذا المستوى على شكل كيماوي. والإنتاجية هي الكتلة الحياتية التي تكونت في فترة معينة ومساحة معينة. يعرف الانتقال من مستوى إلى مستوى آخر تدهورا لجزء كبير من الطاقة الكامنة. وهكذا فإن جزءاً كبيراً من الطاقة الشمسية يتبدد على شكل حرارة، ولا يستغل

المنتجون في عملية التخليق الضوئي إلا أقل من 1 أو 2٪ من الطاقة الشمسية. وكذلك الشأن بالنسبة للمستويات الأخرى، إذ أن كل مرور من مستوى إلى مستوى آخر يعرف تبددا كبيرا للطاقة الكيماوية وذلك بتحولها إلى الحرارة. ولا يبقى إلا جزء صغير من الطاقة الكيماوية لبلورة الانتاجية التي تعرف انخفاضا في كميتها من مستوى إلى مستوى موال. وتجدر الإشارة إلى أنه من الممكن أن تكون تبادلات بين الأنظمة البيئية كما هو الشأن لتلك التي تصادف في الأحواض النهرية : انتقال الدبال أو الحيوانات.

وينفرد المغرب في منطقة حوض البحر المتوسط بمجالاته الجغرافية والتضاريسية والمناخية، والصخرية. فمن حيث الجانب الجغرافي يتواجد المغرب في موقع متميز ذي واجهتين بحريتين، وما بين أوروبا وإفريقيا وأرضه شديدة التجزئة في طبيعتها بفعل وجود عدة سلاسل جبال شاهقة يفوق بعضها 4000 م من الارتفاع ومساحات شاسعة من السهول والهضاب والحمادات نظرا لهذا الموقع الجغرافي المتميز، والتقسيمات التضاريسية، يظهر المغرب جميع أنواع البيومناخات (صحراوية، جافة، شبه جافة، شبه رطبة، رطبة، جد رطبة ذات الأشكال الدافئة والمعتدلة، والبادرة، والقارسة والقارسة جدا) والطوابق النباتية المتوسطية (تحت المتوسطي، المتوسطي الدافئ، المتوسطي، فوق المتوسطي، الجبلي المتوسطي، فوق الجبلي المتوسطي) بالإضافة إلى المنطقة المدارية الصحراوية. ومعدل المقاييس المطرية يتراوح ما بين 30 وأكثر من 2000 مم سنويا.

بدون أن نسترسل في التفاصيل المتعلقة بكل جوانب التنوع البيولوجي نود أو نعطي هنا لمحة قصيرة عن البنيات النباتية المنتجة في النظم البيئية وتوزيعها البيوجغرافي. وفي هذا الإطار تجدر الإشارة إلى أن ما يقارب مائة نوع شجري تنظم أو تساهم في تنظيم التشكيلات النباتية الغابوية، وشبه الغابوية. وشبه السهبية، والماطورالية والسهبية وغيرها. بالإضافة إلى هذه التشكيلات توجد أنماط أخرى صحراوية واسعة الانتشار وأخرى خاصة بالمناطق الرطبة أو المالحة أو الرملية وقبل أن نسرد الأنواع المنظمة للنظم البيئية نرى من الأفيد أن نعرف بأنماط التشكيلات النباتية :

- الغابة : تشكيلة نباتية كثيفة تسودها أشجار تتميز بجذوعها البارزة، وترافقها أنواع نباتية أخرى مرتبطة فيتوسوسيولوجيا بالغابة وتعيش في الطبقتين الشجيرية والعشبية.

- شبه الغابة : تشكيلة نباتية لا تتعدى 6 أو 7م تسودها شبه أشجار وشجيرات، وتكون قريبة في بنياتها أو حتى في ديناميتها من الغابة. فهي إما أوجية في حالة عدم توفر الظروف البيئية للغابة، كشبه غابات العرعار البربري وشبه غابات العرعار الأحمر المثبتة للكثبان الرملية الساحلية. وإما في طريق التطور التقدمي في اتجاه الغابة أو التراجعي في اتجاه تكوين الماطورال. ومن هذه الفئة نجد على سبيل المثال تشكيلات المنسغة الناتجة عن قطع الغابة أو تشكيلات الضرو والخلنج الشجري، والريحان، وباخانو والبلوط القرمزي ...

- الماطورال : لفظ مأخوذ عن اللغة الاسبانية وهو يعني التشكيلة النباتية التي يقل ارتفاعها عن 2 م، والتي تسودها جنيبات أو جنيّبات معمرة مثل أنواع القستوس وجنيصْطا وأنواع عديدة من فصيلة الشفويات وأخرى. وللماطورال مدلول دينامي إذ أنه يمثل تطورا تراجعيا ناتجا عن شبه الغابة أو تقدميا في اتجاهها.

- شبه السهب : تشكيلة نباتية مكونة من أشجار وشجيرات متناثرة في تشكيلة سهبية. وهي إما أوجية في حالة انعدام الظروف المناخية لتكوين الغابة كما هو الشأن في المناطق البيومناخية شبه الجافة والجافة مثل تشكيلات أرگان وتشكيلات العرعار الأحمر القارية. وإما ناتجة عن تدهور التشكيلات الغابوية القريبة من هذه المناطق. وفي هذه الحالة، فإن تدهورها يؤدي إلى تكوين التشكيلات السهبية.

- السهب (انظر السهوب).

أما الأنواع الشجرية التي تشكل النظم البيئية الغابوية وشبه الغابوية وشبه السهبية والصحراوية فهي :

- الشوح المغربي Abies maroccana، الأرز الأطلسي Cedrus atlantica، العرعر البربري Tetraclinis articulata، العرعر الأحمر Juniperus phoenicea، العرعر الفواح Juniperus thurifera، العرعر الكادي Juniperus oxycedrus، الصنوبر الحلبي Pinus halepensis، الصنوبر المغربي Pinus pinaster var. maghrebiana، الصنوبر الإيبيري Pinus pinaster var. iberica، الصنوبر الأسود الموريطاني Pinus nigra var. clusiana، السرو الأطلسي Cupressus altantica، بلوط الزان Quercus faginea، البلوط الزغبي Quercus pyrenaica، البلوط القزمي Quercus humilis، البلوط الأخضر Quercus rotundifolia، البلوط الفليني Quercus suber، البلوط القرمزي Quercus coccofera، ارگان Argana spinosa، البطم الأطلسي Pistacia atlantica، الزيتون البري Olea europaea var. oleaster، الطلح المغربي Acacia gummifera، الطلح الصحراوي Acacia raddiana، طلح اهرنبيرجيانا Acacia ehrenbergiana، الخروب Ceratonia siliqua، الزقوم Balanites aegyptiaca، السماق Rhus tripartitum.

أنواع وتشكيلات نباتية أخرى :

- سهب النباتات الشوكية المغطية لقمم الجبال الشاهقة، وهي مكونة من أنواع عديدة وواسعة الانتشار، سهب الحلفاء Stipa tenacissima، سهب أنواع الشيح - Artemisia inculta Artemisia mesatlantica، تشكيلات أنواع الرتم وأنواع فصيلة الفراشيات : R.dasycarpa, Retama monosperma, Adenicarpus anagyrifolius، تشكيلات الوديان المكونة من أنواع الطرفاء Tamarix articulata Tamarix camariensis

والصفصاف Salix pedicellata والحور Populus alba, P. euphratica, P. nigra والدردار Fraxinus angustifolia، تشكيلات المناطق الرطبة والميهة، تشكيلات الأراضي المالحة، سهب الرق والكثبان الرملية الصحراوية.

3 ـ التوزيع البيوجغرافي للنظم البيئية (انظر "الغابة" و"الطوابق النباتية") :

ـ مناطق الريف والشمال الشرقي وتازكا :

ـ بيومناخات شبه رطبة، رطبة، وجد رطبة ومحليا شبه جافة.

ـ أنظمة غابوية من البلوط الفليني والبلوط الأخضر والبلوط القرمزي، وبلوط الزان والبلوط الزغبي، والعرعر البربري، والزيتون البري والصنوبر البحري المغربي، والصنوبر الإيبيري، والصنوبر الحلبي. تغطي القمم غابات من الأرز، ومحليا يصادف الشوح المغربي، وبعض الباقات من الصنوبر الأسود.

ـ تشكيلات الماطورال الواسعة الانتشار.

ـ الأطلس المتوسط والأطلس الكبير الشرقي :

ـ بيومناخات شبه رطبة، ورطبة، ومحليا شبه جافة، أنظمة غابوية من البلوط الأخضر وبلوط الزان والأرز الأطلسي ومحليا العرعر البربري والعرعر الأحمر، أنظمة سهبية باردة من القتنات الشوكية.

ـ الغرب والمعمورة ودكالة والشاوية وعبدة وتادلة :

ـ بيومناخات شبه جافة ومحليا شبه رطبة، أنظمة غابوية من البلوط الفليني والعرعر البربري والعرعر الأحمر، أنظمة غابوية من الزيتون البري انقرضت بسبب الاجتثاث لفائدة الزراعة والرعي في النصف الأخير من شبه الأطلسي وهي الفترة الأخيرة التي نعيشها من الرباعي.

ـ الهضبة الوسطى :

ـ بيومناخات شبه جافة وشبه رطبة، أنظمة غابوية من البلوط الفليني والبلوط الأخضر والعرعر البربري ومحليا الزيتون البري.

ـ الهضاب العليا للمغرب الشرقي :

ـ بيومناخات شبه جافة، وجافة، أنظمة غابوية من البلوط الأخضر، والصنوبر الحلبي والعرعر الأحمر، والعرعر البربري، أنظمة شبه غابوية وشبه سهبية من البطم الأطلسي انقرضت بسبب الاجتثاث لفائدة الرعي والزراعة والحطب وصناعة الصابون، أنظمة سهبية من الحلفاء والشيح.

ـ المنطقة الوسطى من الأطلس الكبير :

ـ بيومناخات شبه جافة وشبه رطبة، أنظمة غابوية من البلوط الأخضر والعرعر الأحمر والعرعر الفواح والعرعر البربري وقليل من الصنوبر الحلبي، أنظمة سهبية باردة فوق قمم الجبال من القتنات الشوكية.

ـ الحوز والرحامنة :

ـ بيومناخات جافة ومحليا شبه جافة، أنظمة شبه سهبية من الطلح المغربي انقرضت أخيرا بسبب الاجتثاث لممارسة الزراعة والرعي وجمع الحطب.

ـ الأطلس الكبير الغربي والشياظمة وحاحا وسوس والأطلس الصغير :

ـ بيومناخات شبه جافة ومحليا جافة، أنظمة غابوية أو شبه غابوية أو شبه سهبية من البلوط الأخضر والعرعر البربري والعرعر الأحمر وأركان، ومحليا السرو الأطلسي، أنظمة سهبية تتواجد في بعض المناطق الهضابية.

ـ المناطق الصحراوية :

ـ بيومناخات صحراوية ومحليا جافة، أنظمة صحراوية مكونة من أشجار الطلح والزقوم وأتيل والأتل أو الطرفاء، أنظمة سهبية تعيش في نجود الحمادة.

*أبحاث شخصية.*

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

**النظيفي، مَحمد** بن **عبد الواحد** بن حسن العالم الورع والصوفي المربي والباحث في علوم القوم، ينتمي إلى قبيلة إدا ونظيف الواقعة بالأطلس الصغير الأوسط.

ولد بفخذة آيت كين سنة 1270 / 1853 . وما كاد يبلغ سن التعليم حتى أدخله والده الكتاب عند الفقيه محمد بن علي الهوزالي، ثم عند الفقيه محمد بن عبد الدائم بقرية تاملوت، وبعدما أتقن حفظ القرآن الكريم بقراءاته المتعددة أرسله لطلب العلم بمدرسة أگادير الهنا عند الفقيه عبد الرحمان بن محمد من آل الحسين ؛ ثم تابع دراسته عند الشيخ أحمد بن موسى الطاطائي بمدرسة تاتلت حيث زاوية اليعقوبيين الناصريين. فلازمه مدة أربع عشرة سنة. وارتحل معه إلى مدرسة إمايدين. وبعدما حصل العلوم التي تدرس بسوس قرر أن يتوجه إلى جهة مراكش رغبة منه في المزيد من المعرفة. فحط رحاله عند الشيخ علي بن بوجمعة المسفيوي بمدرسة أخليج بوريكة فمكث عنده مدة، لمس أستاذه خلالها نجابته وسعة محصوله العلمي وولعه بالقراءة. وهذه الخصال الحميدة ظاهرة مبكرة تميز بها عن أقرانه، وشهد الثقات بها كما شهدوا باعتزاله اللهو واللعب. ولعل فراسة شيخه المسفيوي جعلته ينصحه بالذهاب إلى فاس لتعميق تكوينه بجامع القرويين. وفعلا لبى رغبته وحضر المجالس العلمية بهذه المدينة التي أقام بها 14 شهراً.

بعدما قضى الطالب محمد النظيفي هذه الفترة الدراسية بالقرويين، عاد لملاقاة شيخه بوريكة فرأى فيه أستاذه القدرة على التدريس فكان الأمر كذلك، فشارط في المدارس العتيقة بالبادية وملأها علما وتربية. وطالت إقامته بمدرسة أگرگور الواقعة على الضفة اليمنى لوادي نفيس في الشمال الغربي لهضبة كيك، وهي إذ ذاك تحت سلطة القائد الطيب الگندافي. فأقبل عليه طلبتها وملأ جهتها علما وتربية،

وتشاء الأقدار أن تشهد سنة 1309 تحولا في مساره الروحي وانتقاله من الطريقة الناصرية التي كان عليها هو ووالده وأهله إلى التجانية على يد الشيخ أحمد المحمودي الدرعي نسبا والمراكشي دارا ومدفنا. ولما أحس أن الطيب الكندافي عزم على توليته خطة القضاء تملص من هذه الولاية وأظهر رغبته في زيارة ضريح مولاي إبراهيم مع أهله ؛ فوجدها فرصة للالتحاق بمراكش بتنسيق مع شيخه المحمودي ؛ فدخل هذه المدينة في شوال عام 1317 واستقر بها. فذاع صيته بها. وعمت شهرته آفاق المغرب وخارجه بعطائاته العلمية وتربيته الروحية للمريدين طيلة هذه الفترة الطويلة التي قضاها بالحمراء. والجدير بالملاحظة أن سنة 1309 تؤرخ بداية تألقه وشهرته. ففي هذه السنة أجازه الشيخ أحمد المحمودي في التصوف حيث ورد في هذه الإجازة قوله : وليعلم الواقف عليه أنا أجزنا أخانا وصديقنا الفقيه النبيه الأمجد السميد ع الأريب الأسعد الفقيه البركة الحاج محمد بن عبد الواحد بن الحسن النظيفي آمنه الله في أذكار هذه الطريقة اللازمة وغيرها تبعا لها أعني التجانية الأحمدية ...، إلى أن يقول فيجتنب بغاية جهده طريقة التفريط بمتابعة الهوى بالترخيص والتساهل التي هي فساد وإضلال وخذلان ..." وهذه الإجازة محررة في 5 شوال 1309 وأشار إلى سنده الصوفي في *الدرة الخريدة*.

وفي 21 صفر 1310 أجازه الشيخ الحسين بن أحمد الإفراني علامة سوس المتوفى سنة 1328 في الطريقة التجانية بسندها وشروطها وأذكارها وأورادها ووظيفتها المعلومة. والإجازة الثالثة من العلامة محمد گنون المتوفى سنة 1326 وهي مؤرخة بـ 14 ربيع النبوي سنة 1310 وتشمل التصوف والطريقة التجانية و*صحيح البخاري* و*موطأ* الإمام مالك مع ذكر السند، وقد أشار إليها في منظومة تحتوي على 13 بيتا. والإجازة الرابعة في الطريقة كذلك في شوال سنة 1311 من طرف الشيخ العالم المربي عبد الله أكنسوس المتوفى عام 1317.

وأقبل الشيخ على هذه الطريقة باحثا ومؤلفا ومربيا فأسس زاويته التي تحمل اسمه سنة 1335 بباب فتوح لما ضاقت داره بالمريدين بعدما غادر الزاوية الكنسوسية.

ووجدت هذه الكفاءة العلمية ومشيخة التدريس والتربية ما يوازيها من الكتابة نثرا ونظما، أغلبها في الطريق التجانية وفقهها. وتميزت منهجيته باعتماد الشروح، ومخاطبة السالكين والمتعلمين حسب عقولهم. وقد أبان فيها عن مقدرته العلمية والأدبية : النثرية والنظمية. واعتمد الأراجيز والمنظومات التعليمية. وتتبع أحداث عصره.

توفي سنة 1366 / 1947 بمراكش، وتمَّ دفنه بغرفة كان قد اقتطعها من الزاوية وأوصى بأن يدفن فيها، فرثاه محبوه من الأدباء، وما أكثر القصائد التي قيلت في مدحه ورثائه وفي حله وترحاله. وأما قيدومية الزاوية فمازالت متداولة بين أبنائه.

محمد النظيفي، *الطيب الفائح* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 19 : 137 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس*، ص. 208 ؛ *سوس العالمة*، ص. 208 ؛ ع. السلام بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 395 ـ 410 ؛ *إتحاف المطالع*، 2 : 517 ؛ محمد الميموني، *صلاة الفاتح بين المعتقد والمنتقد* ؛ عبد الواحد النظيفي، *أدب الصوفية التجانيين بالمغرب*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرقونة ؛ عمر رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، 10 : 266 ؛ الحسين السكنتاني، *جريدة العلم*، 26 / 10 /2003 ؛ أحمد الازمي، *الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي*، ج 2 ؛ محمد النظيفي، *مبادئ الإشراق والإسعاد فيما للتجاني من الأذكار والأوراد*.

محمد ماگامان

**النعام**، للذكر والجمع والنعامة للأنثى، طائر من أكبر الطيور الحية حجما في العالم يعجز عن الطيران لأن الأجنحة ضامرة ومتوقفة عن النمو في حين أنه سريع الركض والجري لطول ساقيه المتكيفة على المشي. عرف البدو تدجينه منذ زمن بعيد وكان يستعمل في ترحالهم من منطقة لأخرى ويربونه لأكل لحومه.

يصنف إلى الطيور العداءة Ratites وفصيلة النعاميات Struthionidae ، منه أربعة أصناف يعيشون في إفريقيا : نعام أفريقيا الشمالية Struthio camelus camelus والنعام الصومالي Struthio camelus molybdophanes والنعام الاسترالي الذي يعيش في إفريقيا الجنوبية واستراليا Struthio camelus australis ونعام مسائس Struthio camelus massaïcus نعام إفريقيا الشمالية أو النعام أحمر العنق هو النوع الوحيد الذي يعيش في الأوساط الجنوبية المغربية، يدعى بالفرنسية Autruche à cou rouge وبالانجليزية Ostrich red neck.

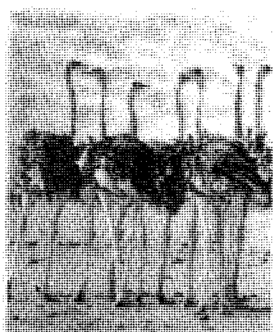

يبلغ علوه الأقصى 2.50 مترا ويبلغ وزنه الأقصى 120 ـ 130 كيلوكرام. الرأس صغير جدا والعنق طويل أحمر اللون يكسوه زغب رمادي بني، العينان كرويتان سوداويتان، المنقار قصير وعريض مصفر ؛ تتميز الذكور عن الإناث بلون ريشه الأسود والأبيض على الجناحين والذيل والذي يكتسبونه بعد بلوغهم سنتين من عمرهم بينما يبقى لون الإناث والصغار رماديا بنيا يتماشى مع مظهر بيئة المعيشة فيساعد

على التستر وعدم جلب أنظار الأعداء كالضباع والفهود والثعالب وعناق الأرض والطيور الكواسر. القائمتان طويلتان محمرتان عاريتان، تتوفر القدمان على أصبعين، وهذه ميزة الطيور الراكضة السريعة المشي كالنعامة والحبارى وسواق الإبل. تعتبر بيضة النعامة أكبر خلية حيوانية في الوجود في الوقت الحاضر.

النعام طائر شديد الفزع والحذر، كثيرالانتباه وقليل الذكاء ؛ انفرادي أكثر ما هو اجتماعي، يفضل العزلة إلا في فترة التوالد وتربية الصغار حيث تتكون مجموعة متعددة الأفراد يترأسها ذكر واحد وبضع إناث. يألف المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية الغنية بالواحات والينابيع ويتغذى من الأعشاب الطرية وبراعم الأشجار ومن بعض أنواع الحبوب، ويلتهم أحيانا بعض الحشرات والزواحف. يعيش في مجموعات قليلة الأفراد ويركض بسرعة قوية عند الإزعاج هروبا من أعدائه وقد تصل سرعته أحيانا 56 كلم في الساعة. يعمر النعام حوالي 40 سنة.

تصير ذكور النعام عدوانية خلال فترة التزاوج فينفرد الذكر بمجموعة من الإناث يتراوح عددهن بين 3 و5 وأحيانا أكثر من 6 تتزعمها أقواهن لتتكفل بالحضانة وتربية الصغار. يصنع الزوج حفرة على الأرض بين الحشائش لتضع فيها الأنثى المتزعمة حوالي 12 بيضة وتتبعها بالتوالي الإناث الأخرى ليصبح مجموع البيض 30 - 40. تدوم مدة الحضانة حوالي ستة أسابيع من طرف الزعيمة نهارا ومن طرف الزوج ليلا. يبلغ قطر البيضة 20 سم وتزن 1.1 -2 كيلوكرام وسعتها 1.4 لترا. تستطيع الصغار المشي بعد أيام قليلة من التفقيس وترافق الأبوين لتبحث عن الأكل فيكون عدد المجموعة مرتفعا خلال شهرين أو ثلاثة.

عرف نوع النعام مضايقة شديدة من طرف الإنسان خلال القرنين الأخيرين تسبب في انقراض هذا الطائر في أوساط إفريقيا الشمالية بصفة عامة. يستعمل الريش في الألبسة كالقبعات وغيرها وتأكل لحومه في كثير من دول البحر المتوسط وأفريقيا واستراليا وغيرها. ومع إنشاء المنتزه الوطني لسوس ماسة والمنتزه الوطني الإفريقي اللذين يمتازان بتنوع المواطن وبوفرة النباتات والوحيش، تمت محاولة تربية وتناسل بعض أنواع الحيوانات الصحراوية كالمهاة وغزال مهر والنعامة لاسترجاع هذه الأنواع المنقرضة إلى مواطنها الأصلية مستقبلا حتى تستعيد المناطق الجافة وشبه الجافة المغربية قيمتها الحقيقية على مستوى الوحيش. لقد لعب النعام دوراً حيوياً في الحفاظ على التوازن البيئي وتلبية حاجيات الإنسان المعيشية.

وقد اهتم بعض الخواص في السنوات الأخيرة بتربية النعامة حمراء العنق في ضواحي المغرب الشرقي بناحية عين بني مطهر لإنتاج اللحوم والجلود والريش. وأعطت هذه المحاولة نتائج مرضية.


محمد رمضاني، *الحبارى*، *معلمة المغرب*، ج 10، ص. 3303 - 3304؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

C. Harisson, *Les nids, les oeufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p.


محمد رمضاني

**نعناع** ، يسمى هذا النبات بالعربية النعناع أو لقامة وبالفرنسية Menthe verte ويطلق عليه Mentha viridis كاسم علمي. إنه نبات عشبي معمر ينتمي إلى فصيلة الشفوية (Lamiaceae) له أزهار مجمعة على شكل سنابل. إنه سريع الانتشار عن طريق الجذور.

إن المنطقة المتوسطية هي موطنه الأصلي، وهو الآن شائع بأوروبا وغرب آسيا والشرق الأوسط. يشمل النعناع أنواعا عديدة منتشرة عبر العالم. إن جنس المانتا يشمل 8 أنواع بالمغرب، منها قبسية لاتصادف في البلدان الأخرى غير المغرب ويتعلق الأمر بمانتا سيوفيولانس M. Suaveolens ومنها شبه دخيلة كالنعناع العادي Mentha viridis والنعناع الحر أو العبدي أو نعناع الفطور M. piperita اللذان يزرعان على مساحات كبيرة وشاسعة في مناطق مكناس وسطات والجديدة ومراكش وبني ملال وأكادير وتيزنيت. وأكثر الأنواع استعمالا هي النباتات التالية : النعناع العادي Mentha viridis والنعناع الحر أو العبدي أو نعناع الفطور M. piperita وفليو M. pulegium (انظر فليو) الذي يتواجد بالأماكن التي تغمرها المياه في فصل الشتاء في الطابق المتوسطي الحار والمعتدل شبه الجاف وشبه الرطب والرطب. تعرف تشكيلات هذا النوع تدهورا خطيرا يكاد يؤدي بها للانقراض وذلك بسبب عمليات القطف المفرط المحبذ من طرف السكان نظرا لفوائده العديدة فيما يخص التطبيب التقليدي.

لقد بلغت قيمة صادرات المغرب من النعناع العبدي M. piperita وفليو M. pulegium والنعناع المصدر طازجا Mentha viridis، 1,42 مليون درهم في السنة ما بين 1995 و1998 . وهذه الصادرات تمثل 2,74 بالمائة من الصادرات المغربية من النباتات الجافة والزيوت الطيارة وعلى سبيل المثال نجد أن قيمة الكميات المنتجة من النعناع M. piperita كمادة عطرية تدخل في عدة تحضيرات من المواد الغذائية والعطرية وفي الأدوية والتجميل وصناعة المشروبات الروحية.

إن النعناع جد غني بمادة الكرفون (L - carvone 70٪)، المانتول (Menthol) والسنيول (Cinéol) . ويعد النعناع Mentha viridis من المشروبات المغربية الأصيلة. يتم استخراج الزيوت الطيارة من النعناع الحر M. piperita عن طريق التقطير بالبخار. إن النعناع نبات طبي ذو فوائد عديدة لأنه يزيل الألم ويطهر، ومضاد للتشنج ومهضم ومهدئ. والنعناع منبه للجهاز العصبي الخارجي وفي نفس الوقت

قادر على تهدئة الأعصاب في حالة تهيجها. يستعمل لتسكين الألم الموضعي حيث تسخن أوراقه، وتوضع في كيس من الكتان ويوضع فوق الألم. ولعلاج الزكام توضع كمية من أوراق النعناع في الماء الساخن في إناء عار ويترك البخار ينتشر داخل الحجرة ليختلط بهوائها. ويجب الانتباه إلى أن الأوراق الفعالة من النعناع هي التي تقطف قبل الازهار لأنها أغنى بعقار المانتول وغيره. ويستعمل النعناع لعلاج الالتهاب الجلدي، وذلك بوضع مزيج من النعناع المفروم مع الخل فوق مكان الإصابة، كما يستعمل مغلي الأوراق، للغرغرة ولتطهير الحلق والفم والتخلص من الروائح الكريهة.

يعتبر مغلي أوراق النعناع من أنجح الأدوية لمعالجة ولتسكين المغص المعوي، ومغص الرحم، وطرد الغازات المعوية، ويكسب الجسم نشاطا وحيوية. ويدخل في تركيبة وصنع بعض المواد مثل : معجون الأسنان، الحلويات، السكريات وبعض المشروبات.

A. Aafi, M. Fechtal & M. S. Taleb, *Espèces remarquables de la flore du Maroc*, MCEF, DREF, Rabat, Maroc, 2002, 146 p. ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, et Kalima wa Diman, Rabat, 2000, 360 p. ; A. Metro & Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora, La nature au Maroc, Soc. des Sc. Nat. au Maroc*, Rabat, 1955, 498 p.

عبد الرحمان عافي

**النعيلة** ، بحيرة طبيعية يطلق على القسم الأرضي الفاصل بين الرجل البحرية والساحل الأطلسي المحاذي للصحراء الموازي للجزر الخالدات اسم خنيفيس. والنعيلة تصغير وتشبه بالنعل الصغير. ومع ذلك فهي أكبر محمية طبيعية على الساحل الأطلسي. فجنوب غرب رأس النير (إيخف النير) يمثل منخفض مصب وادي أدري البداية الفعلية للبحيرة. وهي تقع على بعد 120 كلم جنوب مدينة طنطان و150 كلم شمال مدينة العيون أي حوالي 70 كلم شمال مدينة طرفاية التي تعد بمثابة أقرب نقطة إلى جزيرة فويرتي فينتورا إحدى جزر الأرخبيل الكناري.

يعتبر هذا الموقع مجالا صحراويا ذا مناخ حيوي معتدل وتربة رسوبية جيدة ساهمت في توفير بنية نباتية حية متعددة الأصناف. يعتبر فم أكويطير (أكويدير) النقطة الرابطة بين البحيرة والمحيط الأطلسي. فهي تمثل بحيرة ممتدة على طول أزيد من 18 كلم تنتهي من الناحية الجنوبية بسبخة تازغة. تخلو هذه السبخة من النبات خلافا للبحيرة وهي تمتد على طول تسعة كلمترات وعرض خمسة كلمترات تغطيها إبان المد مياه المحيط لتتبخر بعد ذلك مخلفة ورائها غطاءً من مادة الملح البحري الصالحة للاستغلال التجاري.

تتنوع وتكثر المجاري المائية وسط البحيرة مقسمة إياها إلى قسمين، شمالي هو أقرب ما يكون لخنيفيس مساحته حوالي خمسة كلمترات مربعة، وجنوبي يسمى الكرعان يتميز بوفرة المجاري المائية ونوعية الأعشاب المسماة محليا تشات والصالحة لتربية الأغنام والخيول. يساهم الغطاء النباتي وحركية المدّ والجزر الموفرة للأسماك في تشجيع الطيور المهاجرة على التبييض وفي نشاط الصيد التقليدي بالبحيرة.

لهذه الأسباب وغيرها تم اعتبار النعيلة محمية طبيعية منذ سنة 1962 حسب قانون رامسار الدولي نظرا لدورها كمحطة لمرور حوالي 250 نوع من الطيور المهاجرة ما بين شمال وجنوب الساحل الأطلسي الرابط بين إفريقيا وأروبا.

من المنظور التاريخي تحيط بالبحيرة مواقع أثرية كثيرة تعود في مجملها إلى ما قبل التاريخ فبينما كانت البعثة العلمية المتعددة التخصصات حول الصحراء تقوم بجرد لخريطة أثرية للمنطقة إذ أعادت اكتشاف المواقع الأثرية لإشكيكن قريبا من كارة الصوف. والموقع عبارة عن بقايا حصون وبناءات دائرية الشكل تعود في تقديرنا إلى ما بين 3000 و6000 سنة. تقول إحدى خرائط الكنيسة المنقولة من أصل قديم سنة 1492 بوجود مدينة قديمة تسمى بابلة. وإذا كنا لا نتوفر اليوم على ما يكفي من المعطيات الأركيولوجية، فإن حجم الموقع الأثري يكشف بما لا يدع مجالا للشك عن إحدى مظاهر بداية العمران البشري الأقدم.

أما من حيث تاريخ المنطقة منذ ما بعد الإسلام، فإن الساحل الأطلسي قد تميز باقترابه من الطريق الساحلية الرابطة بين نول لمطة عاصمة المرابطين بوادي نول وملاحة إيجيل التاريخية وهي محال إقامة قبيلة مجاط.

مصطفى ناعمي

**النغامشة ← زعير**

**النفلة**، لفظ يطلق على عدة أنواع من جنس ميليلوتوس "Melilotus" ومن فصيلة الفوليات "Fabaceae" ومن بينها النفلة الطبية "M. officinalis" والنفلة البيضاء "Melolotus alba" . إنها نباتات حولية أو ثنائية الحول ذات أوراق ثلاثية ومسننة، الأزهار بيضاء أو صفراء مجتمعة وممتدة على أعلى السيقان، وهي من النباتات التي يزورها النحل لإنتاج العسل.

تعتبر النفلة من النباتات العلفية ذات الجودة المتوسطة، إلا أنها تحتوي على مادة الكومارين مما جعلها مسممة عند الاستهلاك حينما تكون خضراء طازجة. وتستعمل كذلك لتسميد الأرض كسائر الفوليات.

تتكيف النفلة مع التربة الجافة بفضل جذورها القوية، إلا أنها تخشى الرطوبة المفرطة والحموضة. يصل الإنتاج من 10 إلى 15 طن للهكتار. وتقطع مرتين أو ثلاث مرات خلال السنة.

ألبيرت هيل 1962، *النبات الإقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرون، القاهرة، نيويورك ؛ *معلومات شخصية*.
J. M. Clement, *Larousse agricole*, éd. Larousse, Paris, 1981.

عبد النبي زين العابدين

**النفير** ، آلة نفخ معدنية في طرفها منفخ يؤدي الريح إلى أنبوب طويل مخروطي الشكل خال من الثقوب.

يستخدم النفير في المناسبات والأفراح العائلية كالعقيقة والختان وإعلان الزواج، كما يستخدم من طرف الفرقة العيساوية وخاصة في مرحلة "الحضرة".

يقوم استخدام النفير على طريقة خاصة، بحيث يتم شحن الفم بكمية وافرة من الهواء الذي يجري تصريفُه عبر المنفخ، ويواكب هذه العملية التنفُس المتواصل عن طريق الأنف بغرض تعويض الهواء المصروف.

وتضطلع آلة النفير بإحداث صوت صاخب يتكرر أداؤه على نحو يتداخل مع نقرات الطبول وضربات القراقب.

A. Chottin, *Tableau de la musique marocaine*, imp. réunies, Casablanca, p. 168.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**النفيس** ، (مدينة -) ورد ذكرها كمدينة غنية عامرة بمبانيها وأنشطتها التجارية والحرفية في بعض كتب التاريخ الإسلامية والمغربية منذ فتح المغرب إلى أيام الموحدين. ذكر بعض المؤرخين فتحها من طرف عقبة بن نافع وإدريس الثاني. وأشار إلى ذكرها البكري والإدريسي وابن خلدون، لكن لم يشر إليها حسن الوزان الذي زار معظم أقاليم المغرب. لقد تردد كثيرا ذكرها كمدينة غنية بأموالها ومنتوجاتها وأنها تقع على نهر نفيس وعلى طريق الدير الرابط بين كوز كمرفأ على مصب وادي تانسيفت ومدن الدير إمينتانوت وأمزميز وأغمات وأنمادي (سيدي رحال) ودمنات. فالموقع المرجّح لها هو مخرج وادي نفيس من خوانق آخر سلاسل الأطلس إلى مجال سهلي مستو وهو عبارة عن حوض تفصله تلال نجد گماسة عن سهل الحوز ويعرف بسهل أمزميز. حيث امتد نفوذ القبيلة الجبلية گدميوة، واستقرت قبيلة أولاد مطاع بالضفة اليسرى وأزگيتة بالضفة اليمنى. لكن السكان المحليين وهم أمازيغ في معظمهم لا يعرفون مدينة هنا باسم النفيس، ولا توجد مدينة حقيقية مطلقا. والواقع أن كلمة نفيس مستمدة من وادي نفيس بعد تعريبه من أسيف، أونفيس ومعناها وادي العيون المتدفقة، وقيل إن الكلمة مستمدة من إفيس وهي الضبع الذي مازال موجودا بغابات جباله. ويرجح الباحثون المهتمون بالموضوع أن نفيس لم تكن مدينة بالمفهوم التقليدي، فلم تكن مكانا واحدا محدد المعالم، بل هي مجموعة قرى كثيرة السكان والبنيان ممتدة بالضفة اليسرى لوادي نفيس عند حافة جرف الوادي أو مخارج أودية ثانوية مبتعدة عن أخطار فيضان الواد، تستفيد من السقي من سواقي وادي نفيس ووادي أنگال وأودية ثانوية أخرى بالإضافة إلى عيون وآبار. ونجد نفس الظاهرة في وادي ماسة، ومدينة ماسة في التاريخ الوسيط تطلق على مجموعة قرى متقاربة على طول مقطع مميز بضفة الوادي. وهناك من يرجح إطلاق الاسم على قرية تتميز بأفضل موقع بهذا السهل ومجال زراعي غني بضفة الوادي اليسرى مكان بحيرة سد للاتاكركوست غمرتها مياهه ونقلت إلى سافلة السد، كانت تعرف بأمزوغ لتوفرها على بعض عناصر التمدين الإسلامي مسجد لصلاة الجمعة - حمام - دكاكين - ضريح سبعة رجال - وسوق أسبوعي وإنزالة لإقامة خيام أصحاب القوافل، كانت تعرف بتاكركوست. وهنالك من يرجح إطلاق الاسم على خرائب مآثر عمرانية بعالية قرية أمزوغ على طريق أمزميز كان يسكن ببعض منازلها يهود. ويلاحظ أنه بعد حكم الموحدين لم يعد أي كاتب يشير إلى وجود مدينة النفيس، ولعل ذلك ناتج من تغيير طرق القوافل من الدير إلى مراكش بعد تحولها إلى مدينة كبرى وعاصمة للمغرب، تجتذب تيارات تجارية بقوة. وقد اشتهرت مدينة النفيس أو مجموع قرى النفيس بزراعة العنب الجيد بكميات كبيرة تقترب من زراعة وحيدة، بإقامة الدالية من القصب. وكان يعالج محليا بالعصر والتجفيف لصناعة محلول حلو خاثر يعرف بالروب، كانت له تجارة واسعة بجنوب المغرب إذ يوسق إلى مراكش على البغال التي تدخل من باب جنوبي : باب الرب، وكان يستعمله المراكشيون في تحلية الحلويات والمشروبات، بينما يُصَنِّعه اليهود ويحولونه إلى خمر عنب. ويقال إنه كان يشتريه التجار لبيعه للبرتغاليين بأسفي إبان استقرارهم بأسفي والجديدة. ولعل ثمن بيعه لليهود والبرتغال والحضريين المراكشيين مقابل نقود معدنية، هو الذي جعل مدينة النفيس تشتهر بغناها الاقتصادي والمالي. ومازال لعنب وادي نفيس شهرة كبيرة إلى اليوم إذ توسعت مجالات زراعته خاصة بمخروط وادي نفيس بوسط سهل الحوز الغربي.

*بحث ميداني وبيبليوغرافي وأثري تاريخي وجغرافي.*

أحمد هوزالي

**نفيس** (واد -) إحدى الروافد المهمة المكونة للحوض الهيدروغرافي لتانسيفت. ويعمل على تحريك كميات مائية مهمة من السفح الشمالي لأطلس مراكش تقدر بحوالي 5400 ل / الثانية. وبذلك يحتل المرتبة الأولى بالمقارنة مع باقي الوديان الرافدة لواد تانسيفت. واسمه مشتق من البربرية التي تعني "الضبع"، أي واد الضباع. كما نجده في كلمة "گنفيسة" وهي اسم لمجموعة قبلية استوطنت قديماً واد نفيس. وتعني الكتلة الجبلية. كما نجده كذلك في كلمة "أزَمْوَاگنفيس" وتعني المرج.

يشكل واد نفيس وروافدهُ حوض سكب تقدر مساحته بحوالي 1703 كلم$^2$ حتى سد للاتاكركوست. ينبع من هضبة تيشكا بقلب الأطلس الكبير المراكشي، ويبلغ طوله الإجمالي 181 كلم، منها 150 كلم بالجبل. والباقي بالسهل. يحده من

الشرق حوض غيغاية، ومن الجنوب منطقة تقسيم المياه بين سفحي الأطلس، ومن الغرب عالية حوض سكساوة وحوض أسيف المال، في حين يشكل وادي تانسيفت مستوى قاعدته شمالاً.

يتكون حوض تغذية واد نفيس من مجموعتين تضاريسيتين غير متساويتين هما : الجزء الجبلي ويمثل حوالي 80 ٪ من مساحة الحوض ثم الجزء السهلي.

- يتكون الجزء الجبلي من كتل جبلية ضخمة تشرف بسفوح وعرة على واد نفيس.

- شرق الواد تنتصب كتل وانوكريم - تازاغارت والتي تضم أكبر الارتفاعات 4088 بجبل وانوكريم. وتقل الارتفاعات غرباً نحو وادي نفيس وشمالاً في اتجاه الحاشية الجبلية، بحيث لا يتعدى علو عُرف جبل تاخخورت المشرف على ويرگان 2200 م. والقمم عامة حادة، لكن توجد أخرى مسطحة.

- وغرب واد نفيس نجد كتلاً جبلية مقابلة للكتل الشرقية لكنها أقل علواً وهي من العالية نحو السافلة : عرف إگدات - تدافلت الذي توجد به أعلى نقطة ارتفاع (3616م)، ثم جبل أردوز (3579 م)، عرف جبل گوزة (3280م) الطويل والذي تتخلله فجاج مثل تيزي نتسلت وتيزي ملول، ثم بالحاشية الجبلية نجد عرف تراردين المطل على منخفض الحوز.

- بعالية الحوض، أي منابيع واد نفيس، نجد هضبة تيشكا التي يصل أقصى ارتفاعها 3000م مع تدرج طبغرافي في اتجاه السافلة.

- وسط هذه الكتل يجرى واد نفيس في وادي متعمق عبارة عن منخفض كبير وطويل أطلسي الاتجاه من المنبع حتى إجوكاك، ثم يصبح اتجاهه من الجنوب نحو الشمال حتى مخرجه. على طول هذا المسار يتكون وادي نفيس من توالي مجالات ضيقة عبارة عن خوانق وأخرى متسعة عبارة عن منخفضات طيجبلية أهمها من العالية نحو السافلة :

+ منخفض تاگوندافت التي توجد به قصبة تاگوندافت التاريخية.

+ منخفض ثلاث - نْ - يعقوب الذي توجد بعاليته قصبة تنمل الموحدية.

+ ثم منخفض إماريغا - ويرگان الذي يتميز بالاتساع والتهوية.

- الجزء السهلي يوافق سافلة حوض نفيس :

عند خروجه من الجبل يتعمق وادي نفيس بالدير وعند اجتيازه لهضبة گماسة الشرقية. وبخروجه من هذه الأخيرة يصبح تعمقه خفيفاً جدا لدرجة أنه يكاد يجري فوق السطح كما هو الحال بالحوز الغربي. وعند اقترابه من مقرنه مع مستوى قاعدته تانسيفت يتعمق قليلا. ويلعب هنا دور المصرف لمياه السديمة المتوحة.

إن موقع حوض وادي نفيس بالسفح الشمالي لأطلس مراكش، وكذلك أهمية وتدرج الارتفاعات وعامل توجيه السفوح ومسار التيارات الهوائية، كل ذلك يجعل منه مجالاً تتدرج فيه المعطيات المناخية من تساقطات وحرارة وأنواع المناخات.

فعلى مستوى التساقطات التي يتلقاها حوض وادي نفيس فإنها تعرف تغيرات مجالية إذ تزداد وفرةً من سافلته نحو عاليته مع تزايد الارتفاع، لكن هذا ليس بقاعدة عامة إذ يتدخل عامل التوجيه في تغييرها. مثلا محطة مراكش بجوار سافلة حوض وادي نفيس بالسهل تتلقى 242 ملم كمعدل سنوي. وهي نفس الكمية التي يتلقاها حوض ثلاث - ن - يعقوب 240 ملم رغم وجوده عند ارتفاع 1400م. ذلك أن المناطق المنخفضة الطيجبلية والواقعة في مجال المطر والتيارات الشمالية الرطبة تتميز بنوع من الجفاف، في حين تعرف القمم المشرفة المواجهة للتيارات الرطبة تساقطات مهمة قد تتعدى 800 ملم كمتوسط سنوي. وكلما توغلنا نحو عالية الحوض والقمم العليا كلما ازدادت إمكانية نزول الثلج الذي قد تنزل حدوده حتى ارتفاع 1000م خلال السنوات الرطبة. وخلال السنوات الجافة لا تتجاوز 2000م. سمك الثلوج يبلغ أقصاه أكثر من 2م بالمناطق التي يفوق علوها 2400م.

كما تعرف التساقطات تغيرات زمنية كذلك، وهي تغيرات بيسنوية وشهرية وفصلية. فعلى المستوى السنوي تتعاقب بالحوض سنوات رطبة تفوق فيها التساقطات المعدل السنوي بكثير كما حدث بمحطة إدني سنة 1943 إذ تلقت 1060 ملم، وسنوات فقر تنزل فيها التساقطات عن المتوسط السنوي بكثير كذلك مثل ما حدث بنفس المحطة سنة 1944 حيث لم تتلق سوى 382 ملم.

أما على المستوى الفصلي فالتساقطات بالحوض تعرف اختلافات واضحة بسافلته ووسطه فنظام التساقطات (ربيع - شتاء - خريف - صيف) وبعاليته فنظامها (شتاء - خريف - ربيع - صيف). وبذلك يبقى فصل الصيف الأقل تساقطاً بمجموع الحوض، لكن يحدث أن تنزل بالحوض أمطار صيفية عاصفية تؤدي إلى امتطاحات كارثية.

وعلى مستوى الشهور يعتبر شهر يوليوز أكثر الشهور جفافاً بجميع محطات حوض وادي نفيس. بالعالية يظهر أنّ أكثر الشهور رطوبةً هو نونبر، حيث تبدأ الثلوج في التساقط حتى شهر ماي. وبالوسط والسافلة يحتل شهر أبريل المرتبة الأولى من حيث الرطوبة. ومع شهر ماي يبدأ الثلج في الذوبان أو قبله قليلاً، مما يؤثر على صبيب واد نفيس وروافده وعلى نظام جريانه الذي يتميز بكونه من النوع المطر ثلجي.

أما فيما يخص الحرارة فإن معدلاتها السنوية تزداد عكس الارتفاع مع تزايدها بالأحواض الطيجبلية. أسخن الشهور هو غشت بسافلة الحوض (تاكركوست 27,4°) وشهر يوليوز بعاليته (تيزي - ن - تست 24 °). ويعتبر شهر يناير أبرد شهر بكل محطات حوض وادي نفيس.

ونظراً لتنوع طبغرافية الحوض واختلاف معطياته المناخية نجد به غطاء نباتيا متنوعاً، غير أنه لم يحافظ على امتداده المجالي الأصلي وعلى كثافته لتعرضه للتدهور خاصة بالمناطق التي عرفت تعميراً قديماً كالجزء السهلي والدير أو بقعور الأودية والمنخفضات الطيجبلية أو بالسفوح السفلى والقمم العليا (نباتات شوكية قصيرة). وهكذا نجد بهذه المناطق نباتات جفيفة منفرجة جد متدهورة أهمها العُناب Ziziphus lotus والسنط Accacia gummifera وبطم الأطلس Pistocia atlantica.

أما الغابات فتكسو السفوح الوسطى أساساً من الجزء الجبلي وتتكون من : البلوط الأخضر أو "الكروش" Quercus ilex وهو أكثر انتشاراً بالحوض وخاصة بكتلة تراردين وجبل تاخخورت، ثم نجد أربعة أنواع من العرعر هي : العفصية أو العرعر المفصلي "أزوكا" Tetraclinis articulata ونجده أسفل مستوى البلوط الأخضر بمنخفضي ويركان وإماريغا، ثم العرعر الأحمر أو الفنيقي Juniperus phoenicea "أيفس" والعرعر المجنح أو الكادي "تاقا" Juniperus exycedrus. وهما ينتشران ما بين 1500 و1750 م، وأخيراً العرعار الفواح "تاوالت" Juniperus thurifera الذي نجده بالخصوص بسفوح كتلة وانوكريم.

كما نجد سرو الأطلس Cupressus atlantica "أزل" المهدد بالانقراض. ثم الضرو أو المصطكا Pistacia lentiscus بمنخفض إماريغا والبطم الأطلسي Pistocia atlantica "إكّ" والذي عرف تدهوراً مهماً جداً. هذا بالإضافة إلى نباتات عشبية كثيرة.

هذه الظروف البيومناخية أدت إلى إيجاد مستويات بيومناخية تتدرج من السافلة نحو العالية : من المستوى الجاف ذي فصل الشتاء المعتدل (تاكركوست) إلى المستوى شبه جاف ذي الفصل المعتدل (أميزميز)، ثم المستوى شبه الجاف ذي فصل الشتاء البارد (تزكي، ثلاث - ن - يعقوب وتيزي نتست).

كما أدت هذه الظروف وبالتظافر مع باقي عوامل التترُّب الأخرى إلى إيجاد أتربة متنوعة بالحوض، لكنها تتميز عموماً بضعف تطورها وامتدادها المجالي، حيث تتركز بالمنخفضات والدير والسافلة وبقعور الأودية فوق الدرجات، بينما تبدو السفوح في معظمها عارية من أيّ غطاء ترابي حقيقي.

وأهم أنواع التربة التي نجدها بالحوض هي : بالجبل تربة "إكيدي" تربة "أزكار" / "أباغوغ"، تربة أشيبان" ثم تربة "إضلي" وبالدير والسهل نجد : تربة "أبياض" والحمري بالدير وتربة "أرقوان" أو "رقوان" بالحوز الغربي ثم التربة المالحة غرب مقرن وادي نفيس بواد تانسيفت.

يعتبر واد نفيس المحور الهيدروغرافي الرئيسي بالحوض. تغذيه مجموعة من الروافد أهمها من العالية نحو السافلة :

- بالجانب الشرقي نجد الوديان : واد أكنديس ورافده، واد وانوكريم، واد أمزكورن، واد تالفنارت، واد إمكدال ثم واد أزاضن - ويركان، وأخيراً واد أماسين - ماريغا.
- بالجانب الغربي نجد الوديان : واد أكدمت، واد آيت احساين، ثم واد أميزميز الذي ينبع من كتلة كوزة ورأس أو مليل (3280 م) ليصب بواد نفيس بعالية سد تاكركوست (657م). وبذلك يشكل حوض سكب رافداً لحوض نفيس.

ويتميز واد نفيس بقطاع طولي ذي انحدار يبلغ في المتوسط 17 ٪. وهو انحدار ملحوظ بالعالية ويخف في اتجاه السافلة. أما روافده فالسمة الغالبة لانحدار قطاعاتها الطولية هي القوة. كل ذلك يطبع الجريان بطابع العنف خاصة أثناء الامتطاحات الاستثنائية.

توجد بحوض وادي نفيس ثلاث محطات لقياس الصبيب هي من العالية نحو السافلة : أكرنكوريس إمين لحمام وللاتاكركوست. وبحكم موقعها فهي لا تعطي مقارنة مجالية دقيقة للصبيب، ولكن تقربنا من ذلك إذ يلاحظ تباين مجالي من العالية نحو السافلة.

استغلت مياه الحوض لبناء سد للاتاكركوست (29 - 1935 ) بهدف توفير مياه الري وإنتاج الطاقة الكهربائية وتزويد مدينة مراكش بالماء الشروب وتنظيم جريان الوادي. ويزود السد حاليا مناجم كماسة الواقعة شرقه بالمياه.

كما يلعب واد نفيس دوراً مهماً في تغذية السديمة المتوحة بالحوز الغربي وتصريف مياهها بمنطقة مقرنة بواد تانسيفت. وقد تطورت بهذا المجال عمليات حفر الآبار وتكاثرت لضخ مياه السديمة، مما أدى إلى استنزافها، وذلك لتلبية حاجيات مراكش من الماء والزراعة المسقية.

يعرف حوض واد نفيس حاليا تدهوراً مستمراً بسبب تدهور الغطاء النباتي بكيفية تصاعدية (تصحر صاعد) من الشمال نحو الجنوب أو من قعور الأودية في اتجاه القمم. ويرجع ذلك إلى النمو والضغط الديمغرافيين المتزايدين على المجال، مما أدى إلى توسيع المجالات المنزرعة على حساب الغابة. كل ذلك تسبب في تعرض الحوض لتعرية قوية بمختلف مظاهرها، مما أدى إلى توصّل بحيرة السد التي زيد في علو حاجزها للرفع من مخزونها المائي خاصة وأن حوض وادي نفيس الذي هو جزء من الحوض الهيدروغرافي تعرض لأزمات وعجز مائي خاصة خلال الفترات الجافة والصيف حيث يصبح للماء دور حاسم في النشاط الفلاحي الذي لا يقوم إلا بوجود الماء في مثل هذه المجالات.


عبد الجليل الكرينة، حوض نفيس، *الدينامية الطبيعية لحوض جبلي، الأطلس الكبير*، دبلوم الدراسات العليا، الرباط، 1993 ؛ أحمد زروال، ملاحظات حول مشاكل الإعداد وهشاشة الوسط الطبيعي بالأودية الجبلية إثر فيضان 17 / 8 / 1995، *الملتقى الثامن للجيومورفلوجيين المغاربة*، مراكش، 1999.

J. Dresch, *Recherches sur l'évolution du relief dans le massif central du Grand Atlas, le Haouz et le Sous*, éd. Arrault, Tours, 1941 ; H. Gaussen, J. Debrach et F. Joly, *Précipitations annuelles, Atlas du Maroc*, planche n° 4a, Rabat, 1958 ; *Notes et mémoires du service géologique n° 231*, Ressources en eau du Maroc, t. 3, Domaines atlasique et sud-atlasique, Rabat, 1977 ; A. Abou Obayd, *Etude hydrologique de bassin-versant du N'Fis, Prévision des*

*apports au niveau du barrage Lalla Takerkoust*, Ecole Mohammadia, Rabat, 1980 ; M. Al-Ifriqui, *Introduction à l'étude de la végétation du massif Tighardine, Haut Atlas occidental*, Marrakech, 1983 ; A. Ajakane, *Etude hydrobiologique du bassin-versant de l'oued N'Fis (Haut Atlas Marocain)*, Thèse de 3ème cycle, Marrakech, 1988 ; A. Bellaoui, *Les pays de l'Adrar N'Dren, étude géographique du Haut-Atlas de Marrakech*, Thèse d'état, Tours, 1989 ; A. Nahid, *Les remplissages sédimentaires superficiels des bassins intramontagneux inscrits dans le permo-trias*, Thèse de 3ème cycle, Marrakech, 1990 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, t. 1, Rabat, 1983.

أحمد زروال

**النقاوة، رفائيل بن مردخاي** حبر أبا عن جد وأحد كبار أعيان ملاح سلا حيث كانت ولادته سنة 1848، وهو سليل إفرايمْ النقاوة حبر تلمسان ودفينها (15) وأبراهام قاضي سلا ومعسكر وتونس وليفورن ومؤلف "كريم حمير". تتلمذ على صهره إسشار أصراف ببلدته وخلفه بعد هجرته المفاجئة إلى الأرض المقدسة حيث توفي ؛ انصرف مدة للاشتغال ببيع الأثواب بزنقة القناصل بالرباط، ثم شدّ بعدها الرحال إلى الجزائر وإسبانيا وفرنسا، جامعا بين العلم والتجارة.

وعن سن يناهز الخمسة والخمسين عينته سلطات الحماية سنة 1913 عضوا بأول لجنة بلدية مختلطة (Commission Municipale Mixte) بسلا إلى جانب المحميين شاويل بن إسوي وصيون بن حايوت، ثم تجددت عضويته بهذه اللجنة إلى أن أعلن يوم 4 ماي 1925 عن انسحابه لأسباب صحية، فخلفه نجله ميخائيل ؛ وبموازاة مع مهامه البلدية كان يرأس المحكمة الربّية العليا (Haut Tribunal Rabbinique) منذ تأسيسها سنة 1918.

يعتبر رفائيل النقاوة من أشهر رجال زمنه تدينا ونفوذا، وقد حظي برصيد كبير من الاحترام والتقدير بين أبناء دينه، كما كانت تربطه ببعض أعيان مدينة سلا علاقة ودية كانت تتجلى بالخصوص في لقاءات منتظمة مع المؤرخ أبي عبد الله محمد بن علي الدكالي صاحب "*أحوال اليهود بالمغرب قديما وحديثا*"، وهو أحد مؤلفاته التي تجهل مظانها.

توفي في شهر غشت سنة 1935 بسلا وبها أصبح قبره مزارا يقصد من جهات مختلفة بمناسبة عيد الهيلولة السنوي، وقد خلف عدة كتب منها "*قارني رعيم*" و"*بعمون زهاب*" (1912) و"*تعافوت ريعيم*".

محمد بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. مصطفى بوشعراء، الطبعة الثانية، سلا، 1996، ص. 241 ؛ مادة "*التلمود*"، *معلمة المغرب*، ج 8، سلا، 1995.

Lettre en date du 28/3/1913 du chef de bataillon Bussy au Consul de France à Rabat ; *Divers procès-verbaux de la Commission Municipale Mixte de Salé* de 1913 à 1935 ; K. L. Brown, Au urban view of Moroccan history Salé, 1000-1800, in *Hespéris Tamuda*, vol. XII, 1971, p. 5-106 ; A Moroccan City and its Jewish Quarter, dans "*Studies in Judaism and Islam*", Jérusalem, 1981 ; P. Marty, Les institutions isralites au Maroc, dans "*Revue des Etudes Islamiques*" année 1930, cahier III ; Haïm Zafrani, Les juifs du Maroc ; Pédagogie juive en terre d'Islam, *Hespéris*, t. XLIII, 1er et 2ème trimestre, 1956.

محمد الفقير

**النقسيس**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حسب ما تشهد به وثائق لعدة بعثات الرهبان الذين زاروا المدينة في مهمة افتداء الأسرى النصارى في فترات مختلفة في الوقت الذي كان فيه أولاد النقسيس يحكمون تطوان وناحيتها ؛ وهذه الشهادات المعاصرة للأحداث تنفي ما يؤكده البعض بأن أصل هذه الأسرة من قبيلة بني يدر الجبلية حيث توجد هناك قرية تعرف بالنقاقسة بفرقة العنصر ؛ والحقيقة هي أنهم عندما هاجروا من الأندلس استقروا أول مرة بالقبيلة المذكورة ومنها انتقلوا إلى تطوان في الربع الأخير من القرن التاسع الهجري حيث فرضوا وجودهم وتمكنوا من حكم المدينة وناحيتها لمدة قرن من الزمن.

وكان أول فرد من هذه الأسرة الذي أخذ على عاتقه الدفاع عن حوزة الوطن المهدد بالوجود البرتغالي في كل من مدينتي سبتة وطنجة حيث اتخذ لقب مقدم المجاهدين هو المقدم عيسى الأول الذي تولى حكم تطوان وناحيتها من سنة 985 إلى 996 (1578 ـ 1588) وكان بالمدينة حاكم تابع له يتولى أمرها مباشرة اسمه أحمد ابن بوكر، بدليل ما جاء في تقرير أعده الحاكم البرتغالي لمدينة سبتة يوم 3 ماي 1588 (6 جمادى الثانية 996) يقول فيه : "النقسيس الذي يزعجنا باستمرار منذ عشر سنوات قام بزيارة إلى ناحية الجزيرة الواقعة ضواحي هذه المدينة (سبتة) صحبة قائده بتطوان المسمى ابن بوكر الذي يزور هذه الناحية لأول مرة وهو تحت نفوذ النقسيس".

**النقسيس، أحمد** بن **أحمد** بن عيسى، حكم تطوان مرتين، المرة الأولى من سنة 1030 / 1621 إلى يوم 18 ذي الحجة 1031 / 24 أكتوبر 1622 وذلك بمعية إخوانه عبد الله والحاج محمد وعيسى ؛ وأما في المرة الثانية فقد كان يحكم المدينة بالتناوب مع إخوانه المذكورين ابتداء من يوم 19 ذي الحجة 1031 / 25 أكتوبر 1622.

وفي ذي القعدة 1036 / غشت 1627 قتله أحمد بوعلي صحبة أخويه الحاج محمد وعيسى.

**النقسيس، أحمد** بن **عبد الكريم** بن عيسى بن أحمد بن عيسى، هو الذي طرد من تطوان القائد عبد الله الغزواني الذي كان قد عينه الخضر غيلان على إثر وفاة المقدم عبد الكريم بن عيسى الثاني، وتولى أحمد حكم تطوان سنة 1071 / 1660.

وحيث إن غيلان كان قد قضى على نفوذ الدلائيين في الشمال في أواخر سنة 1070 فلم يكن المقدم أحمد مستعدا لتكون تطوان خارجة عن طاعته وهو الحاكم المطلق بالشمال، الأمر الذي جعل غيلان يقوم بمحاصرة المدينة يوم 16 شوال 1072 / 4 يوليو 1662 فما كان على النقسيس إلا أن

اعترف بنفوذ غيلان الذي عين ممثلا له بالمدينة القائد الموذن.

ومن أحداث تطوان في هذه المدة أنه في يوم 8 رجب 1071 / 9 مارس 1661 تمت عملية افتداء مجموعة من الأسرى النصارى ؛ وفي سنة 1073 / 1663 أشرك أحمد بن عبد الكريم معه في حكم تطوان عمه أحمد بن عيسى بن أحمد بن عيسى.

وفي يوم 7 صفر 1074 / 10 سبتمبر 1663 استقبل الخضر غيلان بتطوان الأمير دييكو فيليبي ذي بالما Diego Felipe de Palma مبعوث الملك الإسباني فيليبي الرابع Felipe IV ؛ وظل المبعوث بالمدينة إلى يوم 10 من نفس الشهر / 13 سبتمبر حيث توجه إلى أصيلا رفقة الخضر غيلان.

وشارك أحمد بن عبد الكريم صحبة عمه أحمد بن عيسى بجانب الخضر غيلان في المعركة التي جرت على أبواب مدينة طنجة يوم 7 شوال 1074 / 3 ماي 1664 وقتل فيها الحاكم الإنجليزي الكونت تيڤيوت Teviot و19 من الضباط وطبيب و396 من الجنود أي ما مجموعه 431 نفر.

وفي سنة 1075 (1664) حل محل القائد المؤذن القائد ابن العروسي ممثلا للخضر غيلان بتطوان.

وفي يوم 11 ربيع الأول 1078 / 31 غشت 1667 ألقى السلطان مولاي رشيد القبض على أحمد بن عبد الكريم النقسيس وعمه أحمد بن عيسى وأرسلهما إلى فاس صحبة 20 من أفراد عائلتهما.

**النقسيس، أحمد** بن **عيسى**، تولى حكم تطوان ثلاث مرات : الأولى من سنة 996 إلى 1006 / 1588 - 1597 حيث ورد اسمه كمقدم للجهاد في المصادر البرتغالية الشيء الذي يخالف ما يقوله المؤرخ محمد داود حيث يؤكد أنه كان زعيم المجاهدين، إلا أنه لم يكن متوليا حكم تطوان في ذلك العهد ونحن نعلم أن داود لم يطلع على الوثائق البرتغالية ولم يأت بأية حجة تؤيد كلامه.

صحيح أن أحمد النقسيس لم يكن آنذاك هو الحاكم المباشر لتطوان ولكنه كان له نفوذ على من يحكمها مباشرة وهو أحمد ابن بوكر المذكور بدليل أن هذا الأخير تقول عنه الوثائق البرتغالية إنه كان بجانب أحمد بن عيسى النقسيس في المعركة التي جرت بينه وبين البرتغاليين بضواحي سبتة يوم 24 محرم 997 / 9 ديسمبر 1588 وقد انتصر فيها المغاربة على الغزاة حيث قتلوا منهم 45 رجلا وأسروا 203 من بينهم 35 طفلا.

والحكم الثاني للمدينة من طرف أحمد بن عيسى النقسيس كان من 1016 إلى 1019 / 1607 - 1610 حيث تقول المصادر الإسبانية إنه تولى الحكم في شهر رجب 1016 (نوفمبر 1607) كما نتوفر على الرسالة التي وجهها المقدم المذكور إلى حاكم سبتة بتاريخ 25 رجب 1016 / 15 نوفمبر 1607 يصف نفسه فيها بـ almocadem y capitan general de la gente de guerre de Tetuan (المقدم والقائد العام لمجاهدي تطوان).

وما إن تولى حكم المدينة حتى أعلن عدم اعترافه بالسلطان الشيخ المامون ودخوله تحت طاعة السلطان مولاي زيدان، بحجة أنه كان على علم بالاتصالات الجارية بين المامون والإسبان وقد انتهت بالتوقيع على الاتفاقية السرية المبرمة مع ملك إسبانيا يوم 9 جمادى الثانية 1018 / 9 سبتمبر 1609 ، التزم بمقتضاها بتسليم العرائش لفيليبي الثالث Felipe III.

وعلى إثر دخول أحمد النقسيس تحت طاعة مولاي زيدان فقد عين قائدا ممثلا له بتطوان هو علي بودبيرة، غير أن وثائق افتداء الأسرى النصارى سنة 1609 تؤكد أن الرهبان كانوا يباشرون العملية مع النقسيس.

وابتداء من سنة 1019 / 1610 لجأ إلى تطوان عدد كبير من الأندلسيين الذين طردهم الملك فيليبي الثالث، وقد جاء في رسالة من ذوق مدينة سيدونة إلى الملك المذكور بتاريخ 2 يناير 1614 (21 ذي القعدة 1022) أن عدد الأندلسيين الذين اختاروا تطوان دار هجرتهم يقدر بعشرة آلاف نسمة، وهم الذين أنشؤوا الحومة التي كانت تعرف برباط الأندلس وتعرف اليوم بحومة السانية.

وظل أحمد النقسيس يحكم المدينة إلى أن حاصره بها الشيخ المامون وأرغمه على تركها يوم 14 شعبان 1019 / فاتح نوفمبر 1610 حيث لجأ إلى قبيلة بني حزمر.

والمرة الأخيرة التي حكم فيها أحمد النقسيس المدينة كان من سنة 1022 إلى 1031 / 1613 - 1622 حيث تقول الوثائق الإسبانية إنه في نفس اليوم الذي اغتيل فيه الشيخ المامون وهو 26 رجب 1022 / 10 سبتمبر 1613 تمكن النقسيس من استرجاع تطوان وأعلن عن طاعته للسلطان عبد الله بن الشيخ المامون الذي عين ممثلا له بالمدينة القائد حمو ابن عمر.

وفي يوم 20 ذي الحجة 1023 / 21 يناير 1615 غادر ابن عمر تطوان متوجها إلى فاس، وفي اليوم التالي أعلن النقسيس عن دخوله تحت طاعة السلطان مولاي زيدان الذي عينه القائد ابن مومن ممثلا له بتطوان، وكان رد فعل السلطان عبد الله أنه أرسل جنوده لحصار تطوان للمرة الأولى من يوم 26 ربيع الأول إلى 11 ربيع الثاني 1024 / من 25 أبريل إلى 10 ماي 1615 ، ولكن دون جدوى ؛ الأمر الذي جعله يعود الكرة ويحاصر المدينة مرة ثانية في شهر جمادى الأولى 1027 / ماي 1618 فما كان على أحمد النقسيس إلا أن دخل من جديد تحت طاعة سلطان فاس.

وفي سنة 1030 / 1621 أشرك أحمد النقسيس معه في الحكم أبناءه عبد الله وأحمد والحاج محمد وعيسى بالإضافة إلى صهره أحمد مفضل بدليل أن الإخوان الأربعة كانوا يوقعون الرسائل الموجهة إلى الرهبان الإسبان الذين كانوا ينتظرون بسبتة الإذن للدخول إلى أرض المغرب في السنة المذكورة.

ونتوفر على بعض الوثائق الخاصة بالعلاقات التي كانت لأحمد النقسيس مع انكلترا وهولندة.

توفي بتطوان يوم الاثنين 18 ذي الحجة 1031 / 24 أكتوبر 1622.

**النقسيس، أحمد** بن **عيسى** بن **أحمد** بن عيسى، أشركه ابن أخيه أحمد بن عبد الكريم بن عيسى بن أحمد بن عيسى في حكم تطوان من سنة 1073 إلى 1078 / 1663 - 1667 ؛ وهو الذي كان بجانب الخضر غيلان في الهجوم على مدينة طنجة يوم 8 ذي القعدة 1073 / 14 يونيو 1663.

ونتوفر على الرسالة التي وجهها أحمد بن عبد الكريم وأحمد بن عيسى إلى الحاكم الإنجليزي بطنجة الكونت تيڤيوت Teviot يوم 13 صفر 1074 / 16 سبتمبر 1663) يعبران فيها عن حسن نيتهما واستعدادهما لاستقبال السفن الإنجليزية بميناء مرتين.

وفي يوم 11 ربيع الأول 1078 / 31 غشت 1667 ألقى السلطان مولاي رشيد القبض على أحمد بن عيسى وابن أخيه أحمد بن عبد الكريم وأرسلهما إلى فاس.

**النقسيس، عبد الكريم** بن **أحمد** بن عيسى، يقول المؤرخ البرتغالي كوربيا ذا فرانكا إن هذا المجاهد كان مع أخيه عبد الله يرابط في سبتة عندما قتل إخوانه الثلاثة الحاج محمد وأحمد وعيسى سنة 1036 / 1627 ؛ وقد ظل مع أخيه عبد الله يتابع حصار سبتة، بدليل أنه في ربيع الثاني 1038 ديسمبر 1628 جرت بضواحي المدينة المذكورة معركة انهزم فيها عبد الكريم، كما جرت بنفس المكان يوم 14 رمضان 1038 / 7 ماي 1629 معركة أخرى جرح فيها المقدم المذكور.

وفي شوال 1038 / يونيو 1629 تمكن من استرجاع مدينة تطوان ؛ وابتداء من يوم 25 جمادى الأولى 1039 / 10 يناير 1630 ضرب الحصار على مدينة سبتة.

وفي يوم 25 ربيع الأول 1041 / 21 أكتوبر 1631 استطاع صاحب المرابط العياشي القائد سليمان بن يوسف أخديم الاستيلاء على تطوان بمساعدة أحمد بوعلي، ففر المقدم عبد الكريم النقسيس صحبة أخيه عبد الله إلى قرية ترغة ومنها لجأ عند الإسبان بمدينة سبتة.

ونجهل الأسباب التي جعلت المقدم عبد الكريم هذا وهو ابن أحمد بن عيسى يحل محل ابن أخيه عبد الكريم بن عيسى الثاني بن أحمد بن عيسى الأول في قيادة تطوان للمرة الثالثة لمدة سنة واحدة هي سنة 1066 / 1657 التي ظلت خلالها تطوان تحت نفوذ المقدم الخضر غيلان الذي عين ممثلا له لدى النقسيس القائد عبد الله الغزواني.

ونتوفر على حجة قاطعة تثبت أن الذي كان يحكم تطوان في السنة المذكورة هو عبد الكريم بن أحمد بن عيسى الأول وليس عبد الكريم بن عيسى الثاني بن أحمد بن عيسى الأول، ويتعلق الأمر بسند الأمان بمثابة تأشيرة الدخول إلى أرض المغرب الذي أصدره عبد الكريم بن أحمد يوم 23 أكتوبر 1656.

**النقسيس، عبد الكريم** بن **عيسى** بن أحمد بن عيسى الأول، تولى حكم تطوان مرتين : الأولى من سنة 1063 إلى 1066 / 1653 - 1656 وهو الذي باشر عملية افتداء 123 من الأسرى النصارى جرت في شهر صفر 1064 / يناير 1654.

وفي شهر شوال من نفس السنة (غشت) حاصر المرابط الخضر غيلان مدينة تطوان فما كان على المقدم عبد الكريم إلا أن خضع لنفوذ غيلان الذي عين القائد عبد الله الغزواني ممثلا له بالمدينة.

وهو الذي أجرى مباحثات سياسية مع الأميرين الإنجليزيين بلاك Black ومونطاغو Montagu حول إمكانية إبرام معاهدة صلح بين الطرفين، وذلك في شعبان 1066 / يونيو 1656.

وفي سنة 1068 / 1657 عاد ليحكم تطوان للمرة الثانية تحت طاعة الزاوية الدلائية. وكان المقدم عبد الكريم النقسيس من بين الموقعين على معاهدة السلم والتجارة بين الزاوية المذكورة وإنكلترا بتاريخ 8 ذي القعدة 1067 / 19 غشت 1657.

وفي يوم 13 جمادى الأولى 1069 / 6 فبراير 1659 وقع على اتفاقية حول حرية التبادل التجاري بين سبتة وتطوان ماعدا الاتجار في الحبوب والخيول والخزف.

توفي سنة 1070 / 1660 وهو مازال يعترف بنفوذ الزاوية الدلائية.

**النقسيس، عبد الله** بن **أحمد** بن عيسى، تولى حكم تطوان أربع مرات : الأولى من سنة 1030 إلى 1031 / 1621 - 1622 عندما أشركه والده في حكم المدينة صحبة إخواته الثلاثة أحمد والحاج محمد وعيسى. وابتداء من يوم 19 ذي الحجة 1031 / 25 أكتوبر 1622) حكم المدينة بالتناوب مع إخوانه أحمد والحاج محمد وعيسى.

ويقول المؤرخ البرتغالي كوربيا ذا فرانكا أنه في يوم 27 شعبان 1033 / 14 يونيو 1624 جرت بضواحي سبتة معركة انهزم فيها أولاد النقسيس ؛ وفي شهر ربيع الثاني 1034 / فبراير 1625 تمت عملية افتداء مجموعة من الأسرى النصارى باشرها بطنجة كاتب النقسيس قاسم قردناش.

وفي يوم 26 شعبان من السنة المذكورة / يونيو 1625 زار تطوان للمرة الثانية جون هاريسون مبعوث ملك انكلترا الذي أجرى مذاكرات سرية مع أولاد النقسيس حول إبرام حلف من أجل محاربة ملك إسبانيا فيليبي الرابع. وعندما قتل إخوانه

الثلاثة أحمد والحاج محمد وعيسى في ذي القعدة 1036 / غشت 1627 نجا عبد الله من المذبحة التي قام بها أحمد بوعلي لأنه كان يحاصر مدينة سبتة.

وعاد عبد الله ليحكم تطوان للمرة الثالثة من سنة 1036 إلى 1038 / 1627 ـ 1629 والرابعة من سنة 1038 إلى 1041 (1629 ـ 1631) حيث تمكن من طرد أحمد بوعلي من المدينة والقضاء على ديوان الأهالي.

وتتحدث الوثائق البرتغالية عن الحصار الذي ضربه عبد الله على مدينة سبتة ابتداء من يوم 25 جمادى الأولى 1039 / 10 يناير 1630 وعن المعركة التي جرت بضواحي المدينة المذكورة يوم 7 ربيع الأول 1040 / 14 أكتوبر 1631.

وفي يوم 25 ربيع الأول 1041 / 21 أكتوبر 1631 اضطر إلى الفرار من المدينة صحبة أخيه عبد الكريم حيث توجها إلى قرية ترغة بغمارة، على إثر مؤامرة دبرها أصحاب المرابط العياشي مع بعض سكان تطوان، ومن ترغة لجأ عبد الله إلى سبتة والغالب على الظن أنه توفي هناك.

**النقسيس،** (الحاج ـ) **محمد** بن **أحمد** بن عيسى، حكم تطوان مرتين : المرة الأولى عندما أشركه والده معه في الحكم صحبة إخوته الثلاثة عبد الله وأحمد وعيسى وذلك من سنة 1030 / 1621 إلى يوم 18 ذي الحجة 1031 / 24 أكتوبر 1622.

وفي المرة الثانية تولى حكم تطوان بالتناوب مع إخوته الثلاثة عبد الله وأحمد وعيسى ابتداء من يوم 19 ذي الحجة 1031 / 25 أكتوبر 1622.

وفي ذي القعدة 1036 / غشت 1627 لقي حتفه صحبة أخويه أحمد وعيسى على يد أحمد بوعلي.

**النقسيس، محمد الجد.** تقول جميع المصادر الأجنبية إن هذا المقدم كان أول فرد من أسرة النقسيس تولى قيادة تطوان مباشرة من سنة 1006 إلى 1016 / 1597 ـ 1607 وحيث إن المؤرخ محمد داود يقول إنه لم يقف على شيء من أخبار هذا المقدم فإننا نجد المؤرخ البرتغالي كوريا دا فرانكا Correa da Franca يقول في تاريخه المخطوط إنه كان يخضع لسلطة أحمد المنصور الذهبي إلى غاية سنة 1011 / 1603 حيث دخل تحت طاعة السلطان الشيخ المامون.

ونجد في نفس المخطوط أن المقدم محمد أطلق سراح بعض الأسرى البرتغاليين الذين سلمهم بسبتة خادمه أحمد الحداد يوم 24 شعبان 1016 / 14 ديسمبر 1607.

وفي عهد المقدم المذكور هاجر إلى تطوان كثير من المسلمين الذين ثاروا بالبشارات Alpujarras بناحية غرناطة وهم الذين أسسوا حومة الطرانكات.

**النقسيس، محمد** بن **عيسى** بن أحمد بن عيسى. تولى حكم تطوان من سنة 1050 إلى 1063 / 1640 ـ 1653، وهو الذي أبرم مع أول حاكم إسباني حل بسبتة الجنرال خوان فيرنانديث ذي كورضبة Juan Fernandez de Cordoba اتفاقية حسن الجوار بتاريخ ذي الحجة 1050 أبريل 1641.

وفي سنة 1051 / 1641 اعترف بنفوذ الزاوية الدلائية التي مثلها بتطوان القائد الغزواني بن أبي بكر.

والمقدم محمد النقسيس هو الذي باشر عملية افتداء 116 من الأسرى النصارى قام بها الرهبان أگودو ذي لا روكا Agudo de la Roca وميشيل ديات Michel Diaz ودييگوفاييخو Diego Vellejo.

وجرت بتطوان عملية افتداء أخرى للأسرى يوم 4 صفر 1055 / 4 أبريل 1645 أسفرت على تحرير 210 أسير.

وفي جمادى الأولى 1055 / يوليوز 1645) تم تحديد اتفاقية حسن الجوار مع الحاكم الإسباني بسبتة الكونت ذي دوريس فيدراس Conde de Torres Vedras.

وفي شهر شوال 1056 (12 نوفمبر 1046) وصلت إلى تطوان بعثة مسيحية أخرى تمكنت من افتداء 103 أسير نصراني.

وذكر المؤرخ محمد داود الهجوم الذي قام به المقدم محمد النقسيس على سبتة حيث سقط أسيرا بيده ابن حاكم المدينة المذكورة سنة 1058 / 1648 وقال داود إنه لم يعرف عنها شيئا، في حين نجد في الوثائق الإسبانية أن الهجوم جرى يوم 20 شعبان 1058 / 9 سبتمبر 1648 حيث تمكن المغاربة من اقتحام أحد الحصون الإسبانية كانت به حامية تتكون من 44 من الجنود والضباط قتلوا كلهم باستثناء جندي واحد والقبطان فرانثيسكو سواريث Francisco Suarez ابن حاكم سبتة المركيز ذي طروثيفال Marqués de Trocifal ؛ وقد ظل الأسيران بتطوان إلى أن تم افتداؤهما في صفر 1059 / مارس 1649 مقابل إطلاق سراح 19 أسير مغربي.

توفي المقدم محمد بتطوان سنة 1063 / 1653.

**النقسيس، مفضل** بن **أحمد** بن عيسى بن أحمد بن عيسى، تولى حكم تطوان في ظروف غامضة سنة 1083 / 1672 وهو الذي استقبل صهره الخضر غيلان عند عودته من الجزائر إلى تطوان يوم 24 جمادى الثانية 1083 / 17 أكتوبر 1672.

وعلى إثر مقتل الخضر غيلان في المعركة التي جرت بينه وبين السلطان مولاي إسماعيل اضطر مفضل النقسيس للفرار إلى مدينة سبتة يوم 5 جمادى الثانية 1084 / 17 سبتمبر 1673.

ومن بين أفراد عائلته الذين رافقوه عند لجوئه لسبتة وعددهم أكثر من ستين رجلاً وثلاثة نساء لم تذكر الوثائق الإسبانية أسماء سوى أربعة منهم وهم :

- عيسى بن عبد الله بن أحمد بن عيسى النقسيس، الذي توفي بسبتة سنة 1097 / 1686. وعيسى بن محمد بن عيسى بن أحمد بن عيسى وعبد الكريم بن عيسى بن عبد الله بن أحمد بن عيسى وأحمد بن عيسى بن عبد الله بن أحمد بن عيسى.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان 1999، *الجديد في تاريخ تطاون*، الجزء الأول، حكام *المدينة*، تطوان، 2000.

محمد ابن عزوز حكيم

**النقود المغربية** : المغرب مملكة عريقة بملوكها من قدماء الأمازيغ أمثال يوبا وتاكفاريناس وبوكوس، وقد سَكُّوا نقوداً منذ القرن الثاني قبل الميلاد مما تحتفظ به متاحفنا الوطنية والمجموعات الخاصة إلى الآن.

وكانت نقود الشعب المغربي تحكي فصول تاريخه الطويل، فقد كان شعب المغرب آخر الشعوب التي خضعت في التاريخ القديم للسيطرة الرومانية وأول من تخلص منها، واستعصى على الوندال والبيزنطيين. وبعد الإسلام كان أول من استقل عن التبعية للشرق بعد الأدارسة فكوّن إمبراطوريات قوية مثل المرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين والعلويين، الذين استعصوا كذلك على الأتراك.

وكان وجود النقود الأجنبية وتداولها بالمغرب عبر أحقاب التاريخ القديم والحديث دليلاً على العلاقات المستمرة عبر مراحل من التفاعل والصراع فخلّف في حفائرنا الأثرية في المدن والبوادي قطعاً شاهدة من النقود الفينيقية والقرطاجية، ونقود الروم والبيزنطيين، كما خلف بعد ذلك عدداً من قطع النقود البرتغالية والإسبانية والإنجليزية والفرنسية.

- أما صناعة النقود المغربية فقد كانت متأثرة بأنظمة السك المتعارفة في دور الضرب القديمة وبالأعراف الناجمة عن العقيدة. ففي ما قبل الإسلام كانت النقود المغربية تحمل صور الملوك، أو صور علامات خصب الأرض من سنابل وغيرها، وبعد الفتح الإسلامي ضرب أمويُّو المشرق بطنجة نقوداً برونزية صغيرة مشوهة، نقشوا عليها إما صوراً ملكية أو كتابات ورموزاً قديمة، أو كتبوا عليها الشهادتين "لا إله إلا الله محمد رسول الله" شبيهة بنموذج نقود عبد الله بن مروان. وكانت أول قطعة نقدية تعرفنا عليها هي قطعة نحاسية ضربت في عهد موسى بن نصير غداة فتح الأندلس سنة 92 / 711، كتب عليها وفي الوجه الأول "لا إله إلا الله وحده". رفي الوجه الثاني "ضرب سنة اثنتين وسبعين"، مكتوبة بالخط الكوفي، وعلى غرار ما قام به عمال الأمويين، كان قواد الحاميات العباسية في الرباطات ما بين القيروان وطنجة يضربون نقوداً نحاسية لأجل فرقهم العسكرية وخاصة في سنة 172 في عهد عبد الوهاب الرستومي في تاهرت.

- وفي هذه الأثناء استقبل المغرب في وليلي مولاي إدريس الأول مؤسس الدولة الإدريسية. وفي عهد هذه الدولة أحصينا خمسة وعشرين معملا لضرب النقود امتدت من طنجة إلى فاس والعالية في الأطلس المتوسط إلى تدغة وزيز. وقد ضربت دراهم فضية زنتها 14 قيراطاً أي 2,735 غ وضربت فلوسٌ نحاسية وهي نادرة جداً. ولم تضرب إطلاقاً النقود الذهبية لانعدام المناجم الذهبية، وجميع القطع النقدية إنما كتبت بالخط الكوفي ذي الحروف المستقيمة المركنة.

وقد تكاثر عدد دور الضرب في عهد إدريس الثاني انطلاقاً من سنة 192 / 808 . وكانت السكة تضرب بتدغة في درعة التي كانت تابعة لفرقة من الخوارج الصُّفرية على يد عامل من عمال الأدراسة، كما كانت تضرب في مختلف المعامل مستعملة فضة مناجم فزاز، منجم جبل عوام غرب مريرت بالأطلس المتوسط. وكانت الدولة الإدريسية هدفاً لهجوم الفاطميين، وهجوم الأمويين بالأندلس، وفي إطار هذا الصراع ضرب العمال الأمويون والفاطميون بفاس نقوداً باسم سلاطينهم. وعند انتهاء العهد الإدريسي سنة 375 / 985، كان الأمويون قد استقلوا بالأندلس. ولما انهار حكمهم تحت قوة الحموديين في مدينة مالقة والجزيرة، (أصل الحموديين من سبتة وأصيلا وهم أحفاد الأدارسة)، سيطروا على خلافة قرطبة لمدة طويلة فضربوا دراهم ودنانير أندلسية وهي نقود نهاية عهد الأمويين بالأندلس.

أما مدينة سجلماسة، فبعد أن تأسست سنة 140 / 757 وتطورت في عهد دولة بني مدرار، وقع تحول عن مدينة تدغة، وأصبح طريق تجارة الذهب بواسطة القوافل الواردة من السنغال يمر بسجلماسة ويمتد شمالاً نحو المغرب وشرقاً نحو إفريقيا وتونس. وانتشرت بسجلماسة في هذه الفترة دنانير شاكرية نسبة إلى محمد بن الفتح الشاكر لدين الله (331 - 347 / 943 - 958 )، ضربها على النمط الفاطمي وأعلن نفسه سنة 342 / 951 أميراً للمومنين هناك. كما انتشر المذهب الشيعي على يد عبد الله الشيعي في عهد اليسع 297 / 909 فضربت بها الدراهم والدنانير على يد القائد جوهر باسم المعز لدين الله الفاطمي دامت إلى سنة 365 / 976.

كما استولى على المدينة خزرون المغراوي، فضرب دنانير أموية باسم هشام الثالث المؤيد بالله. وضربت دنانير الذهب في عهد مسعود بن وانودين آخر أيام مغراوة وكانت من

الطراز الخشن، عليه اعتمد أول أمراء المرابطين يحيى بن عمر اللمتوني وأخوه أبو بكر سنة 446 / 1055.

ـ في العهد المرابطي ضُربت نقود ذهبية وفضية جميلة جداً كما ضرب الدينار في المغرب والأندلس وفي تلمسان أيضاً وكان وزن الدينار هو الوزن الشرعي، وهو 72 حبة من الشعير وتساوي 4,25 غ، وله أجزاء من الدرهم وهي نصفٌ وربعٌ وثمنٌ ونصف ثمن وربعُ ثمنٍ من الدرهم، ويزن الدرهم الشرعي الأندلسي نصف الدينار وهو 2,125 غ، وبه يمكن استخراج وزن الأجزاء المذكورة. وكان الطراز المرابطي مؤسساً على الاستدارة. وقد كتبت على الوجه "الآية القرآنية" ومن يبتغ غير الإسلام، (وهي الآية : 85 من آل عمران) وكتب على الظهر عبارة "الإمام عبد الله أمير المومنين"، وهي تؤكد ولاء أمير المسلمين بالمغرب للخلافة العباسية بالمشرق.

ـ وفي العهد الموحدي أدخل الموحدون على النقود أسلوباً نقدياً جديداً في هندسته وهو الشكل الرباعي، وهو إما مربع وسط دائرة في الدنانير الذهبية أو يتخذ النقد شكلاً رباعياً كما هو الشأن في قطعة نصف الدرهم. ولذلك ينعت محمد المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية بـ "صاحب الدرهم المربع". وقد كتب عليه في الوجه "الله ربنا، محمد رسولنا، المهدي إمامنا" وفي الظهر "لا إله إلا الله، الأمر كله لله، لا قوة إلا بالله". وضرب عبد المومن بن علي درهماً مستديراً وزنه نصف دينار 2,125 غ، بينما ضرب أبو يوسف يعقوب المنصور الدينار الوافي وهو ضعف الدينار السابق وسماه الإسبان الدوبلة (Dobla)، وله جزءان النصف والربع. ويصعب تحديد وزن الدرهم في المنظومة الموحدية على حين تتسم النقود بعبارات المهدي إمام الأمة أو المهدي إمامنا، كما أن الخليفة يسمى بأمير المومنين. وفي الفترة الموحدية ضرب الحفصيون نقوداً تخالف النقود الموحدية في الطراز لأنها أكثر منها زخرفة ولكنها توافقها في الوزن.

ـ وفي العهد المريني شيدت معامل لسك النقود بالمغرب عموماً ممتدة إلى تلمسان ومهدية. وقد تعدد الطراز الهندسي للقطع كما تعددت الخطوط مع سيادة خط الثلث التي تدنت جودتها، واستبدلت عبارة "المهدي إمامنا" في النقود الفضية الموحدية بعبارة "القرآن إمامنا" لدى المرينيين، وعبارة "القرآن كلام الله" على الدنانير الذهبية. ويعتبر لقب "أمير المسلمين" من أكثر الألقاب المرينية استعمالاً، كما تظهر على النقود ألقاب أخرى مثل : "أمير المومنين"، و"خليفة" ولقب "مولانا" ولقب "ابن الأمراء الراشدين" أو "ابن الخلفاء الراشد".

وتتشابه في هذه النقود أسماء كثير من الملوك، وقد أمكن تشكيل تاريخ المرينيين النقدي بفضل دراسة نعوتهم وألقابهم. وبموازاة مع العهد المريني ضرب كل من بني زيان وبني عبد الواد بتلمسان وبني نصر بغرناطة، ثم بني وطاس بالمغرب دنانير على نفس النقش والوزن.

ـ وفي العهد السعدي، عرفت صناعة النقود تعدداً في دور الضرب وتنوعاً في الكتابة واختلافاً في شكل أرقام التواريخ.

وتكاثر بالخصوص عدد دور الضرب فبلغ أوجه في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، وأهمها في سجلماسة وتارودانت وتكتب "رودانة" أو "المحمدية" كما سميت أيضاً "المهدية" ثم في مراكش وكتاوة في درعة وفي فاس كذلك. وكان طراز النقود السعدية مستديراً، فكان نقش الدنانير أشبه بنقش الموحدين، عليها كتابات من صنف خط "الثلث المغربي" في أكثر إصداراتها، وكانت العناية بالخطوط عموماً. وبخصوص الأرقام فقد كان محمد المهدي السعدي يؤرخ دنانيره بالأرقام اليونانية وكانت تدعى الأرقام القبطية الفاسية، وكانت أصولها قد جاءت من مصر، حيث كان الأقباط يستعملونها في محاسباتهم في العهد الأموي بالمشرق، فانتقلت إلى إسبانيا في القرن 12، ثم جاءت إلى المغرب في القرن 13، فجرى استعمالها منذ هذه الفترة. وقد أرخ بعض الملوك السعديين نقودهم بأن كتبوها بالحروف. ومع آخر ملوك العهد السعدي أبي العباس أحمد الثاني ظهرت "الأرقام الغبارية على الدرهم الفضية، وهي قريبة في شكلها من الأرقام التي نسميها عربية (1 ـ 2 ـ 3 مع اختلاف في رقمي أربعة وخمسة وهما على صورة حرف العين أولهما بمدّ أفقي وثانيهما بشرطة مائلة). كما كانت النقود البرونزية مُؤرخة بالأرقام الهندية خاصة في عهد الدلائيين. أما من حيث الوزن، فقد كان الدينار في بداية عهد الدولة يزن 3,9080 (أي 20 قيراطاً) وهو وزن الزكاة وله نصف دينار وربع دينار. وكان نصف الدرهم يزن 1,5632 غ ويدعى "القيراط". ولهذا النصف نصف وربع أي ثمن الدرهم الحسابي. وفي عهد أحمد المنصور الذهبي ارتفع وزن الدينار إلى وزن الدينار الموحدي فوزن 4,6896 غ (أي 24 قيراطاً) وهو الذي ضرب بالدينار المضاعف وكان يسمى الدوبلة (Dobla) ويزن 9,3792، وفي عهده كذلك كثر ضرب النقود الذهبية وتعددت دور الضرب وعلى رأسها بالخصوص "كتاوة" بدرعة، لأن أحمد المنصور كان قد تزود بكثير من الذهب في حملته إلى السودان. أما الدرهم فكان يزن في عهده 3,28 غ، وله نصف يسمى "القيراط" وقد ضرب الدراهم المضاعفة زنتها 6,56 غ، ويعتبر هذا إصلاحاً للدرهم والعودة به إلى وزن الدرهم الشرعي في علاقته بالدينار، فالدرهم يساوي تسعة أعشار الدينار، والدينار، يزن 4,6896 غ والدرهم يزن 3,28272 غ.

وكان مولاي زيدان قد ضرب في مراكش مثقالاً من 10 دراهم من وزن درهم الزكاة. ويزن هذا المثقال 27,356 غ، ويوافق الريال الإسباني الوازن 27 غ، وتميزت نقود مولاي زيدان بتوقيعه الذي يشبه الطغراء التركية مركبة من حروف مزخرفة معها عبارة الحمد لله. وفي آخر العهد السعدي ضرب بعض الصلحاء الثائرين وهو أبو العباس المهدي سنة 1021 / 1612 دنانير ودراهم في كل من مراكش وسجلماسة وكتاوة، كما أن أمراء الشبانات بعد حصارهم مراكش واغتيال أحمد السعدي الثاني ضرب القائد عبد الكريم الشباني دراهم مستديرة سنة 1070 / 1659.

وفي فاس قام الدلائيون بضرب أنصاف الدرهم سنة 1072 / 1662. وعلى العموم فإن الدنانير الذهبية السعدية أكثر من الدراهم الفضية أما النقود البرنزية فهي نادرة الوجود.

- وللنقود العلوية تاريخ طويل وقد دشنها السلطان مولاي رشيد بإصلاح نقدي سنة 1081 / 1670 حيث ضرب أنصاف الدراهم الفضة سماها "الموزونات" وكانت تزن 1,166 غ وهي تعادل ثلث الدينار البندقي الذهبي، وكانت كتابتها بخط الثلث المغربي ومؤرخة بالأرقام الغبارية. وألغى قطعة النحاس "الأشقوبية" المربعة وضرب فلوساً مستديرة، وجعل صرف الموزونة المذكورة 24 فلساً.

ولم تظهر الدنانير الذهبية للمولى الرشيد إلا مجرد إشارات، بينما كانت الدنانير الذهبية الإسماعيلية تزن 3,50 غ وهو وزن البندقي، كما ضرب هذا السلطان الدراهم الفضية وأنصافها التي تدعى "الموزونة" وتزن 0,91 غ وضرب أيضاً فلوس النحاس. وقد تردّت وضعية النقود بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل، ولم تعالج محاولات مولاي عبد الله جوهر المشكل. وكان أهم إصلاح نقدي هو الذي قام به السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1180 / 1760 فأعاد للدرهم الفضي وزنه الشرعي وهو : 2,9116 غ. وضرب نقداً بديعاً مستديراً من فئة عشرة دراهم باسم المثقال كتبت عليه (سورة التوبة 34 و35). كما ضرب مثقالاً مربعاً يحمل عبارة أحد أحد وتاريخ الضرب واسم دار الضرب، وهذا المثقال أكبر قطعة فضية ضربت في القرن 18 ولم تضرب قطعة من حجمها إلا في العهد الحسني. ولم ينجح ما أراد من ضرب البندقي الذهبي في مدريد سنة 1201 / 1787 لأسباب سياسية.

وفي عهد السلطان مولاي سليمان ضرب البندقي، يحمل اسم دار الضرب وتاريخ الضرب، وقد ضرب الدراهم وهي ناقصة الوزن في هذا العهد، وكانت النقود البرنزية قد نقش عليها درع داود وخاتم سليمان وهي علامة مولاي سليمان.

وفي عهد مولاي عبد الرحمان بن هشام وأثناء استيلاء الإسبان على تطوان سنة 1860 كانت الغرامة الناتجة عن خروجهم منها قد أدت إلى إفراغ بيت مال المغرب، فقرر ضرب فلوس النحاس لتعويض النقود الفضية في الأسواق، كما دخل إلى المغرب الريال الإسباني من 27 غ والريال الفرنسي من 25 غ، فارتفع صرفهما على حساب المثقال فحاول أصلاحه بظهير 1852.

وعلى غرار والده أصدر محمد بن عبد الرحمان نقوداً فضية ونحاسية فحاول حصر صرف المثقال والريال الفرنسي في سعر 32,5 أوقية نحاسية، وحاول كذلك سنة 1863 ضرب النقود في باريس ثم عدل عن ذلك عملاً بنصح السفير البريطاني. وقد أغرقت الأسواق بكميات من النقود الفضية والنحاسية المزورتين فأصدر ظهير 1869 "لرد السكة لأصلها الأصيل" المبني على الدرهم والمثقال لكن بدون جدوى تحت هيمنة المصالح الأجنبية.

وفي عهد السلطان مولاي الحسن تحسّن وضع البلاد المالي فاستطاع تسديد غرامة حرب تطوان في نهاية 1885 وقد ضبط الأوضاع الداخلية، وواجه الضغوط الأجنبية بسياسة متبصرة.

وبخصوص المجال التقديري انتهج اصلاحا نقديا حديثاً يطمح إلى اتخاذ نقود مُماثلة للنقود الأوربية في صناعتها وقوتها، فوقع أمام اختيارين، أحدهما جلب الآلات العصرية بأوروبا وتأسيس "ماكينة" للسك بالمغرب، والثاني : التعاقد مع بعض الدول الأوربية لضرب نقود المغرب عندها، وقد صادف صعوبات جمة في الحصول على استيراد الآلات. ولم يستطع إنشاء "ماكينة السكة" بفاس إلا بعد عشر سنوات 1308 / 1891، ولكنه شرع فور الانتهاء من مؤتمر مدريد في عقد أول "كنطرادة السكة" في باريس. ومند ذلك الحين انتقل ضرب النقود المغربية إلى معالم أوروبا، فكان طراز السكة الحسنية من خمس قطع فضية : قطعة المثقال، ويسمى "الريال الحسني" وزنه 29,116 غ وعياره 900 في الألف ثم نصفه وربعه، والدرهم ونصف الدرهم. ولظروف متداخلة تعرض الإصلاح الحسني لعدة اختلالات فظل المشكل النقدي قائما.

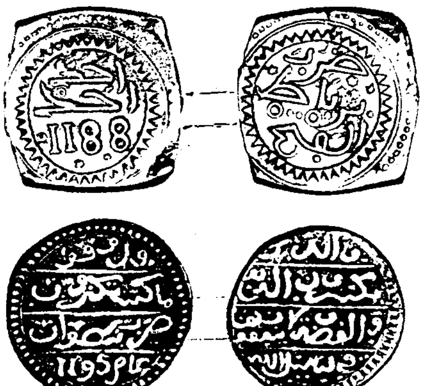

ورغم ذلك فقد سار السلطان مولاي عبد العزيز على سياسة والده وضرب النقود على نفس الطراز في باريس بل عدد دور الضرب فضرب سكته في كل من باريس وبرلين وبرمنكهام ولندن معتمدا على نموذجين من الزخرفة وعلى

الوزن الشرعي. ومند سنة 1903 حاول تطبيق النظام العشاري اللاتيني فنقص من الريال الفضي وجعل وزنه 25 وصرفه 500 موزونة نحاسية، حيث الموزونة تعادل سنتيما واحدا وقد ضرب النقود النحاسية على أساس الموزونة ومضاعفاتها : 1 و2 و5 و10 موزونات، ضربها في كل من "ماكينة السكة" بفاس وفي باريس ولندن. وأدى هذا التغيير النقدي إلى حدوث اضطراب في مختلف الأسواق فاضطر السلطان إلى إلغاء النظام العشري والعودة إلى نظام المثقال الذي يصرف بعشرة دراهم، كل درهم بأربع موزونات فضية وكل موزونة بـ 24 فلسا فكان الدرهم بـ 96 فلسا والمثقال بـ 960 فلسا.

وفي عهد السلطانين مولاي عبد الحفيظ ثم مولاي يوسف بعده، تواصل ضرب النقود الفضية بنفس الطراز الهندسي الحسني باسم الريال الحفيظي والريال اليوسفي وأجزائهما، فكانت تصرف العملة الحسنية والعزيزية والحفيظية واليوسفية إلى أن قامت الحماية الفرنسية سنة 1920 بإلغاء نظام النقود الفضية الحسنية واستبدالها بنظام الفرنك الفرنسي من النقود الورقية والمعدنية التي كانت تضرب باسم السكة المحمدية في عهد محمد الخامس واستمرت طوال عهد الحماية الفرنسية إلى سنة 1956.

وبعد الاستقلال سعت الدولة المغربية إلى توحيد النظام النقدي فطورته في عدة مراحل شملت عهد الملكين محمد الخامس والحسن الثاني طيب الله ثراهما وعهد جلالة الملك محمد السادس نصره الله. فمنذ سنة 1958 قررت إلغاء تبعية الفرنك المغربي للفرنك الفرنسي وكذلك إلغاء "البنك المخزني المغربي" وإحلال "بنك المغرب" محله سنة 1959. وفي نفس السنة تم إصدار نقود مغربية باسم "الدرهم (10 سنتيم) كوحدة نقدية رسميا، على شكل قطع معدنية وأوراق بنكية، وللدرهم أجزاء هي : النصف (50 سنتيم) و20 سم و10 و5 و1 وله مضاعفات 1 درهم و2 و5 و10 و50 و100 و200.

وأهم إنجاز تحقق في عهد الاستقلال هو تأسيس دار السكة سنة 1987، فتحقق بهذا الإنجاز استقلال القطاع النقدي بعد أن كانت نقودنا لمدة قرن كامل تسك بمعامل أوروبا وأصبحت العملة الوطنية مشمولة برعاية الدولة كرمز من رموز سيادة البلاد وفخارها.

أفا عمر، *تاريخ النقود المغربية في القرن الثامن عشر*، الدار البيضاء، 1993 ؛ *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن 19*، الدار البيضاء، 1988 ؛ *تاريخ المغرب المعاصر*، الدار البيضاء، 2002 ؛ عبد الرحيم شعبان، *المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط*، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، 1996 ؛ *المسكوكات المرينية من خلال المجموعة النقدية لبنك المغرب والمتحف الأثري بالرباط، ومجموعات أخرى عمومية وشخصية*، دكتوراة الدولة، كلية الآداب، الرباط ؛ نور الدين مفتاح، *فهرس المسكوكات الذهبية والفضية المغربية بالمتحف الأثري بالرباط*، خزانة المعهد الأثري، الرباط، 1995 ؛ فاطمة الزهراء الحريف، *النقود القديمة*، دراسات أثرية، معهد الآثار، الرباط ؛ مولاي رشيد المصطفى، *حانون والمغرب*، مجلة كلية الآداب، الرباط، عدد 10 سنة 1984 ج حليمة غازي، *آثار الفينيقيين والقرطاجيين بمملكة المغرب القديم*، مجلة كلية الآداب بالرباط عدد 26 ؛ دانيال اوسطاش، *المسكوكات المرابطية ـ كاطالوك ـ* مخطوط، بنك المغرب بالرباط، بقصد الطبع 2006 باللغة الفرنسية ؛ عبد العزيز توري، *حول كنز صغير حديث الاكتشاف*، مجلة المناهل وزارة الثقافة، الرباط، عدد 30 سنة 1984 ؛ *الفهرس العام للمسكوكات المغربية من العهد الإدريسي إلى العهد السعدي*.

Joseph Dominique Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, Imp/ Les Annales Marocaines, 1939 ; Daniel Eustache, *Corpus des dirhams idrisites et contemporains, Etudes sur la numismatique et l'histoire monétaire du Maroc*, Rabat, 1970-1971 ; *Corpus des monnaies Alawites*, Collection de La Banque du Maroc, et autres Collections Mondiales, Publiques et Privées, Rabat, 1984.

عمر أفا

**النقوش الصخرية**، ويطلق على صور الإنسان والحيوانات والأدوات والرموز والكتابات... التي نقشها الإنسان القديم على صخور الجبال والهضاب وغيرهما. وهي غير الرسوم الصخرية، والفرق بينهما أن هذه الأخيرة يستعمل في إنجاز لوحاتها أصباغ طبيعية، بينما تستعمل الأدوات الحادة للنقش على الصخر.

وتتركز مواقع النقوش الصخرية بالمغرب بالمناطق الصحراوية وهوامشها الشمالية، كمنطقة باني ـ درعة (بالخصوص في أقاليم گلميم ـ طاطا ـ آسا ـ ورزازات ـ فگيگ)، ونجدها كذلك في مناطق كثيرة من جبال الأطلس الصغير والكبير، بينما الرسوم الصخرية قليلة في المجال المغربي.

تعتبر النقوش الصخرية من أهم الوثائق الأثرية التي اعتمدها الباحثون أثناء محاولاتهم كتابة تاريخ الحضارة المغربية القديمة، لأن كل ما نقشه الإنسان القديم على اللوحات الصخرية، ليس إلا انعكاسا لمحيطه البيئي وواقعه المعيش وفكره. وهكذا ينطلق الباحثون من هذه النقوش الصخرية، مستعينين بباقي المعطيات التاريخية، في محاولاتهم تأويل دلالاتها متوخين من ذلك إعادة تشكيل مختلف الظروف (البيئية والحضارية) التي أنتجتها.

تعود أولى الأبحاث التي اهتمت بدراسة النقوش الصخرية المغربية إلى الفترة الاستعمارية، شأنها في ذلك شأن الأبحاث التي توخت دراسة نقوش باقي مناطق إفريقية الشمالية والصحراوية المجاورة لها جهة الجنوب. وقد طغى على هذه الأبحاث في البداية وصف المواقع وإعطاء بعض الإحصائيات لنقوشها. وأنجز الكثير من هذه الأبحاث الأولية على يد هواة عسكريين أو باحثين غير متخصصين. ولما بدأت النقوش الصخرية المغربية تثير اهتمام بعض المختصين الأجانب، كان البحث المهتم بالفن الصخري (أي النقوش والرسوم) قد قطع أشواطا في المجال الجزائري والليبي والصحراوي، ولذلك أثرت نتائجه على المهتمين بالنقوش الصخرية في المجال المغربي الذي تقل به مواقع هذه الرسوم.

ومـمّا ترتب عن هذا السبق تعميم نتائج الدراسات التي تمت بالمجال الجزائري والليبي والصحراوي على نقوش المجال المغربي. ويظهر ذلك في إسقاط التصنيف نفسه على نقوش المغرب، ولم يتم التفكير في نقد هذا المنهج إلا بعد أن أحدث المنتزه الوطني للنقوش الصخرية (في تحناوت لينتقل بعد ذلك إلى مراكش) الذي بدأ فريق باحثيه تقييم ما كتب عن النقوش الصخرية المغربية وإعداد دراسات جديدة حولها، تأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات المحلية للفن الصخري المغربي. ومع ذلك فقد ساهمت مجهودات الباحثين الأجانب في معرفة الكثير عن النقوش الصخرية ببلدنا، بل وإن أبحاثهم هي الطاغية في هذا الجانب، لأن هذه "الوثائق الصخرية" ـ كما يسميها المختصون ـ لم تنل بعد العناية التي تستحقها من طرف الباحثين المغاربة أو المغاربيين.

ولمعرفة مدى مساهمة النقوش الصخرية المغربية في التعريف بحضارة هذا البلد وتاريخه القديمين، نتوقف عند بعض الجوانب الأساسية :

I ـ النقوش الصخرية شاهدة على العمق التاريخي والإفريقي للحضارة المغربية :

يبرز هذا الجانب بالخصوص نقوش المناطق الصحراوية المغربية وهوامشها الشمالية خصوصا المنتشرة منها بمناطق باني ودرعة، إذ تتركز بهذه المناطق ـ حسب ما هو معروف لحد الآن ـ أقدم النقوش الصخرية بالمجال المغربي. ويقدر الباحثون بداية تاريخها بما بين نهاية العصر الحجري القديم وبداية العصر الحجري الحديث. ونجد بهذه النقوش لوحات جسدت عليها مختلف أوجه الحياة اليومية لإنسان تلك الفترة (قنص الحيوانات أو تدجينها أو الإنسان مع ألبسته أو عدد من الرموز...) شبيهة لتلك التي نجدها في نقوش باقي مناطق شمال إفريقيا والصحراء. ويؤكد هذا التشابه وجود أساس حضاري مشترك لدى ساكنة هذه المناطق المغاربية والصحراوية، ويعود إلى أقدم فترات التاريخ الإنساني بهذه الربوع. ويتفق جل الباحثين على أن جذور هذا الأساس الحضاري المشترك إفريقية صحراوية. ونلمس ذلك بوضوح في تشابه طرق قنص الحيوانات التي جسدها الفنانون على اللوحات المنقوشة وكذلك في تشابه طرق استعمال الحيوانات المدجنة كطريقة ركوبها أو حلبها. كما نلاحظ تشابها في اللباس وفي العديد من الرموز (دوائر مختلفة، أشكال حلزونية، مربعات، مكعبات...) التي قد يكون لها علاقة بمعتقدات ساكنة تلك البقاع إبان تلك الفترات الموغلة في القدم.

وقد ساعد على قيام هذا الأساس الحضاري المشترك في مناطق تمتد في المحيط الأطلسي غربا إلى الحدود المصرية شرقا وإلى أقصى مناطق الصحراء جنوبا، تشابه الظروف المناخية التي كانت في فترة إنجاز النقوش الصخرية مغايرة لما هو سائد اليوم في هذه المناطق. ومما يؤكد ذلك حضور الحيوانات الكبرى في اللوحات المنقوشة كالزرافات والفيلة والبقريات ووحيد القرن... الخ، والتي لا يمكنها أن تعيش إلا في ظل مناخ يتميز بتساقطات مطرية غزيرة. هكذا إذن يظهر أن النقوش الصخرية يمكنها أن تفسر سبب قيام حضارة مزدهرة وموغلة في القدم على أرض المغارب وصحرائها، وتكون في الوقت نفسه دليلا على عظمة تلك الحضارة، لأن ازدهار الفن لا يمكنه أن يعكس إلا ازدهار الحضارة وتوفر أسباب الرخاء، حسب مقاييس تلك الفترة.

II ـ النقوش الصخرية المغربية شاهد على تطور تقنيات التعدين بالمغرب القديم :

إذا كانت نقوش الجنوب المغربي تعكس، حياة العصور الحجرية، فإن النقوش الصخرية بالأطلس الكبير على وجه الخصوص تبين أن ساكنة المغرب القديم استطاعت أن تتحول من تلقاء نفسها من حياة العصر الحجري إلى حياة أكثر تطورا تشهد عليها المئات من الأسلحة المعدنية المنقوشة على مواقع الأطلس الكبير وتمتد إلى مناطق باني درعة.

ويرجع الفضل للنقوش الصخرية في كونها السباقة ـ قبل الأركيولوجيا ـ إلى إبراز أنّ ساكنة المغرب القديم عرفوا واستعملوا المعادن في الفترة نفسها التي استعملتها فيها ساكنة العالم المتوسطي، الذي كان يشكل محور حضارات العالم القديم. وتنفرد النقوش الصخرية المغربية عن مثيلاتها في باقي المناطق الشمال إفريقية والصحراوية بميزة خاصة، تتجلى في أنَّ بها أكبر عدد من لوحات الأسلحة المنقوشة. وتتركز غالبية هذه الأسلحة في مواقع أوكيمدن وياكور بالأطلس الكبير، وتليها من حيث الأهمية الأسلحة المعدنية المنقوشة بالجنوب المغربي وبالضبط مواقع منطقة باني ـ درعة. وقد كانت هذه الخاصية وراء ظهور دراسات عديدة حول الأسلحة المعدنية المنقوشة على اللوحات الصخرية بالمغرب، بل واختيرت هذه الأسلحة كموضوع للدراسة ببعض الجامعات الأجنبية، وأنجزت حولها أبحاث أكاديمية كأطروحتي شنوركيان (R. Chenorkian) ورودريك (A. Rodrigue).

لقد بينت مختلف الدراسات التي تناولت هذه الأسلحة أن ساكنة المغرب القديم استعملوا منذ الألف الثاني قبل الميلاد ـ على الأقل ـ مختلف الأسلحة المعدنية من دروع وفؤوس ورماح وحراب وغيرها، مما يبين حصول طفرة حضارية، لأن استعمال المعادن كان بمثابة قفزة حضارية كبرى لدى الشعوب القديمة. وستأتي النصوص الإغريقية واللاتينية منذ القرن الخامس قبل الميلاد لتتحدث بدورها عن هذه الأسلحة التي نقشها الأمازيغ القدامى قروناً كثيرة قبل ذلك، واستمر الكثير منها حتى في الفترة الوسيطة.

III ـ النقوش الصخرية شاهدة على تطور تقنيات النقل بالمغرب القديم :

قليل منا من يعلم أن ساكنة المغرب القديم طوروا وسائل نقلهم فلم يكتفوا بركوب الدواب وحدها. وتعتبر النقوش الصخرية أقدم دليل شاهد على حصول تطور في مجال النقل، من خلال حفظها صور العربات التي ينتقل عليها أسلافنا. وتتركز هذه العربات المنقوشة على اللوحات الصخرية في مواقع الجنوب المغربي، كما عثر على نماذج منها في نقوش الأطلس الكبير. وتبين تلك اللوحات أن ساكنة هذه البقاع استعملت العجلة الدولابية، التي تعتبر من أهم ما ابتكره الإنسان القديم بعد خروجه من حياة العصور الحجرية. وقد سمحت مثل هذه اللوحات ـ وغيرها في نقوش ورسوم باقي المناطق الشمال إفريقية والصحراوية ـ بالتعرف على شكل العربة التي استعملتها ساكنة شمال إفريقيا القديم قبل أن تتحدث عن ذلك المصادر الإغريقية واللاتينية. وتبين لوحات العربات بالمجال المغربي أن السكان استعملوا الخيول والثيران في جرها. وإذا كانت الغالبية تجرها الثيران، فإن التفسير الذي أعطاه الباحثون لذلك هو شهرة المغرب القديم بتجارة المعادن، التي يحتمل أن تكون العربات التي تجرها الثيران قد لعبت فيها دورا. ومع ذلك فالعربات التي تجرها الخيول موجودة كذلك بالمجال المغربي، بل وتبين لوحة بمنطقة درعة عربة تجرها أربعة خيول، ونحن نعلم عن هيرودوت أن ساكنة شمال إفريقيا علموا للإغريق هذا النوع من العربات.

هكذا تبين النقوش الصخرية المغربية تطور وسائل النقل القديمة، مما يعني ضمنيا وجود "طرق" يعتنى بإصلاحها لكي تبقى صالحة لمرور العربات. وتؤكد النصوص القديمة هذا الاستعمال عندما ذكر استعمال العربة لدى ساكنة الجنوب المغربي من طرف الجغرافي سطرابون.

IV ـ النقوش الصخرية أقدم دليل على استعمال ساكنة المغرب للكتابة :

بينت النقوش الصخرية المغربية أن هذا البلد من المناطق التي ظهرت بها أقدم الكتابات المعروفة في حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي. وإذا كانت دراسة الكتابة على اللوحات الصخرية المغربية ما تزال دون المستوى المطلوب، خصوصا تلك المنتشرة في الهوامش الصحراوية الجنوبية، فإن النقيشة التي عثر عليها بموقع عزيب نكيس بالأطلس الكبير بينت دون شك تجذر الكتابة في تاريخ المجتمع المغربي. لقد اعتبرتها غالبية الدراسات إلى حدود نهاية القرن العشرين أقدم كتابة بشمال إفريقيا وذلك قبل أن تكتشف كتابات أخرى أقدم منها بالمناطق الصحراوية. ونقيشة عزيب نكيس هذه تتكون من ستة عشر حرفا لم نستطع بعد قراءة مضمونها، لكنها تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أنّ ساكنة المغرب التي تقطن هذه الجبال كانت تعرف الكتابة على الأقل في القرن السابع قبل الميلاد، إذا أخذنا بأحدث التواريخ التي أعطيت لهذه النقيشة، لأن هناك من الباحثين الأجانب من اقترح تاريخها بحوالي القرن العاشر قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل.

تلك بإيجاز بعض الجوانب التاريخية والحضارية التي وضحتها لنا النقوش الصخرية المغربية، والتي يمكنها أن تمدّنا بالمزيد كلما اعتنينا بدراستها. لكن للأسف لا تزال هذه النقوش الصخرية تتعرض للتلف، ولم تؤخذ مأخذ الجد على اعتبارها إحدى الموروثات الحضارية التي يجب أن نشملها بسابغ الرعاية ونشجع الباحثين على دراستها.

J. Malhomme, *Corpus des gravures rupestres du grand Atlas*, 1ère partie, P.S.A.M, n°13, Rabat, 1959 ; L'homme à l'inscription des Azibes n'Ikkis ; Yagour (Notes et documents, in *B.A.M, tome IV, 1960, p. 411-417*; Le bronze II dans le grand Atlas : les sacrifices humains, in *B.A.M, t. 3, 1958-1959, p. 379-387* ; Les armes gravées du grand Atlas, in *Congrès préhistorique de France, XIV session, 1953, p. 395-402* ; R. Maury, Une route préhistorique à travers le Sahara occidental, in *B.I.F.A.N, 1947, p. 341-357* ; M. Reiné, Les gravures pariètales libyco-berbères de la haute vallée du Draa, *Antiquités Africaines, t. 3, 1969, p. 35-54* ; A. Rodrigue, *Les gravures rupestres du Haut Atlas Marocain : Typologie, analyse, essai de chronologie*, Thèse de doctorat du 3ème cycle, Université de Provence, LAPMO, 2 vol., 1996 ; A. Salih [et al.], L'art rupestre de l'Oukaimeden, Haut Atlas Maroc: Occupation humaine et économie pastoral, in *Beiträge zur Allgemeinen und vergleichenden Archäologie, Ban 18, 1998, p. 253-295* ; L'art rupestre : Un chien culturel en danger, in *Journée internationale des musées, n° 3, mai 1997*, p. 11 ; S. Searight, Imaoun : a unique Rock art site in South Morocco, in *Sahara, 8, 1996, p. 79-82* ; A. Simoneau, Les chasseurs-pasteurs du Drâa moyen et les problèmes de la néolithisation dans le sud marocain, in *R.G.M., n° 16, 1969, p. 97-116* ; G. Souville, Aspects religieux des gravures rupestres du Haut Atlas marocain, in *115 congr. nat. soc. sav., Avignon, 5e colloque sur l'histoire et l'archéologie du nord, 1990, p. 51-58* ; Essai d'interprétation des gravures rupestres du Haut Atlas marocain, comptes rendus des séances de l'année 1991, *C.R.A.I, 1991, p. 767-782* ; J. Spruytte, *Attelages antiques libyens. Archéologie saharienne expérimentale*, Ed. Maison des sciences de l'homme, Paris, 1996 ; A. Turcat, Sur l'origine des chars rupestres sahariens, in *T.I.A.P, t. XXVI, Université Toulouse-Le Mirail, 1984, p. 105-166* ; R. Wolff, Contribution à l'étude des chars rupestres du sud marocain, in *les Chars préhistoriques du Sahara, Aix-en-Provence, 1982, p. 139-151.*

اسمهر المحفوظ

**النگادي، محمد** بن أبي **القاسم**، يرجع أصله إلى أولاد سيدي بلقاسم أزروال، المنتسبين إلى الأدارسة، والذين يعتقدون أن جدهم الأعلى استقر عند بني وراين منذ زمن بعيد. ومن هذا المكان انتقلت فرقة منهم إل جهة أنگاد. ومن هنا جاءت كنيته، النگادي، أو الأنگادي نسبة إلى تلك الجهة، أي السهول المحيطة بمدينة وجدة، والتي انصرف اسمها إلى القبائل العربية التي استوطنتها منذ أواسط القرن الميلادي الرابع عشر.

لا نعرف شيئا عن حياة النگادي الأولى، إلا ما نقله المختار السوسي عن القاضي محمد بن سعيد الجراري الذي كان كاتبا. فقد أورد أن المترجم تلقى تربية صوفية، على الطريقة الدرقاوية، وكان شجاعا لا يبالي بالموت. ووصفه فقال : "إن النگادي رجل طوال نحيف... صوته ذو غنة". وكان أميا، لم يحفظ سوى بعض الأذكار والتوسلات، مثل الدعاء الناصري.

والظاهر أن النگادي ظل مغمورا حتى اندلاع تمرد بوحمارة حيث انضم إليه، وعمل في صفوف جشيه، فأصبح من أخلص أعوانه. فكانت تلك المدة التي قضاها بجانب

بوحمارة مرحلة حاسمة في حياته، حيث تم شحذ شخصيته ؛ فضلا عما تلقاه من تكوين في ميدان الحرب. ولما اعتقل ذلك المتمرد سنة 1909 ، لاذ النگادي بالفرار. فساقه القدر إلى تافيلالت، حيث بات، ذات ليلة، بضريح مولاي علي الشريف. ولما اتصل بالقيم على الضريح أخبره بما كان يلاقيه المسلمون في تافيلالت من عنت من قبل الفرنسيين. ودله في ذات الوقت، على مبارك أوشطو التوزونيني الذي كان يستعد آنذاك لقيادة أعمال المقاومة. فاتصل به في مقر إقامته بجبل صاغرو. يقول المهدي الناصري : "وقد وجده على مبدئه، فتتلمذ له، وجدّ في خدمته، ولازمه على النصيحة سرا وجهرا... فقدمه على أعوانه، فكان صاحب سره ومشورته".

يتضح من هذه الفقرة أن المهدي الناصري، وهو يكن أشد العداء للرجلين معا، لم يسعه إلا أن يعترف بعلو كعب المترجم في ميدان الإعداد لخوض الحروب ؛ لأن التوزونيني لم يكن من السذاجة بمكان حتى يعين النگادي في منصب خطير كهذا، لو لم يتفرس فيه مخايل القدرة والنجدة والكفاءة.

لكل ذلك، أصبح النگادي القائد الأعلى لجيش صاحبه، بل جعله في مرتبة وزير حربيته. وقد تألق نجمه خاصة لما أحرزا معا انتصارات بينة على القوات الفرنسية ؛ بدت بواكيرها مع اغتيال الضابط Oustry، وبلغت الذروة في معركة البطحاء يوم تاسع غشت 1918. ذلك الانتصار الذي أربك تخطيط الفرنسيين، وفل عزيمتهم حتى اضطروا إلى التوقف حوالي سنة، لمراجعة استر اتيجيتهم. بل إن النگادي استولى على تيغمرت التي لم يكن في تافيلالت مركز سواها. وقام الرجلان، جنبا إلى جنب طوال تلك المدة، بتحمل أعباء مقاومة الفرنسيين حتى هبت عليهما ريح الخلافات بسبب تعدد السعايات والوشايات بينهما. فضلا عن أن التوزونيني قد اقترف بعض ما استوجب قلب ظهر المجن له ؛ وهو الأمر الذي دفع النگادي إلى الاتفاق مع بعض مقربيه على اغتياله في 23 أكتوبر 1919.

وبذلك آل أمر القيادة إلى المترجم، الذي خلف القتيل على رأس المقاومين. وكان أول عمل قام به، أن بادر بإطلاق سراح كثيرممن اعتقلهم التوزونيني، وفيهم عدد من الشرفاء. وظهرت منه بوادر الرحمة، حيث عمل على تأليف القلوب ؛ فكتب له الناس البيعة على الجهاد ؛ الأمر الذي أهله للتصدر لمحاربة المحتلين الفرنسيين في تافيلالت ونواحيها، طوال عشر سنوات تقريبا. ومما يذكر أن النگادي كان شديد الحنق على اليهود. ولعل لذلك اتصالا بكون زوجة الضابط أوستري (Oustry) يهودية. ذلك الضابط الفرنسي الذي كابد معه أهل تلك الجهة أمورا لا تكيف، قبل أن يدبر له التوزونيني والنگادي مكيدة الاغتيال السابقة الإشارة.

وبصدد أخلاقه، يقول محمد بن سعيد الجراري : "كان [النگادي] كثير التهجد، والتضرع إلى الله"... "محافظا على صلواته". والغالب على الظن أنه أقرب إلى الزهد، حيث "كان مخشوشنا، لم يتأنق في مأكل ولا مشرب، ولا ملبس". ومما يؤكد ذلك أنه "كان نقي الإزار، فلم يزد على زوجة واحدة، على عكس مبارك أوشطو" ؛ وكان : "يتهجد في آخر الليل دائما"... يضيف صاحب *المعسول* نقلا عن مخبره، القاضي الجراري : "وكثيرا ما أسمعه ونحن في فسطاط إزاء فسطاطه... يتضرع إلى الله ويتلو القصيدة الشهيرة لابن ناصر بغنة خاصة...". يذكر المختار السوسي أن المجال الذي سيطر عليه النگادي انحصر في تافيلالت، وهي قاعدة ارتكازه، لكن نفوذه امتد إلى مجال واسع، شمل ألنيف وتازارين وصاغرو. وهذه الجهة هي مجال قبائل عاتية، معظمها من آيت عطة، أهل الصحراء، وآيت مرغاد ؛ بالإضافة إلى آيت حديدو. ولعل تمرس تلك القبائل بالعيش على القلة، وشظف العيش، والبيئة الطبيعية القاسية، والفطرة التي جبلت عليها، قد أهلتها لمنح جيش خاص مع النگادي أعتى مقاومة للاحتلال الفرنسي ؛ على الرغم من قلة عتاده وعدده ؛ وبهم استطاع إيقاف زحف واحد من أحدث الجيوش في العالم يومئذ. ولعل من فطنة النگادي الفطرية أنه لم يهمل بعض المؤسسات التي كان لها أكبر نفوذ بين الناس يومئذ، محاولا ضمها إلى جانبه. في هذا السياق نذكر أنه بعث برسالة - ولعلها لم تكن الوحيدة - إلى زاوية تامگروت الناصرية التي كان لها أتباع في تلك الربوع. ولعله كان يعي تمام الوعي أنه إذا تمكن من استمالة شيخها، فإنه يفيد منها في عدة جوانب ؛ من أهمهاتعبئة الناس للجهاد، وتوفير المؤن. معنى ذلك أن النگادي لم يهمل أي وسيلة تمكنه من الاستمرار في المقاومة. وفي ذات الصدد نشير إلى أنه لم يستطع أن يقرب إليه شيخ تامگروت، أحمد بن أبي بكر الناصري، الأمر الذي جعله لا يتردد في تدبير اغتياله، بواسطة ثلاثة من أتباعه المشان آيت عطة.

وسائل النگادي الحربية، من عتاد ومال كانت محدودة، لذلك توقفت جهوده أمام عدم التكافؤ العسكري مع خصومه الفرنسيين ؛ فاضطر إلى الفرار - مع جماعة من آيت عطة - إلى سوس سنة 1349 / 1931. ولم يزل متنقلا، صحبة من رافقوه، بين تامانارت وتاغجيجت وإفران، إلى أن داهمهم جيش الاحتلال أواخر سنة 1352 / 1933، فأسروا جميعا، ونقل المترجم إلى أنگاد، حيث لبث حتى وفاته سنة 1958.

*وثائق زاوية تامگروت* ؛ المهدي الناصري، *نعت الغطريس القسيس* ؛ محمد السوسي، *المعسول*، ج. 16.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse...*

أحمد عمالك

**النگافة**، لعل الكلمة من العربية الفصحى "النّجفة" أو "النجافة" التي تعني الإشراف على الشيء ويسميها المغاربة "الشرافة" أي التزيين أو التزويق الذي يعلو البناية أو الأبواب

وما إلى ذلك، ومن هنا أطلق المشارقة ـ في تقديري ـ اسم النجفة على "الثريا" التي تعلو القاعات والقباب الضخمة فتزيدها جمالا وهيبة.

العلاقة بين هذا المعنى و"النكافة" المعروفة في المغرب واضحة فالكلمة هي نفسها ـ مع نطق حرف الجيم بالطريقة المصرية ـ وهي تعني تلك المرأة المشرفة على تزيين "العروسين" وإبرازهما للجمهور في أحسن صورة وأجملها ؛ بدأت النكافة كامرأة خبيرة في التجميل والتزيين تقدم خدماتها تطوعاً في المدن والبوادي ويستعان بها خاصة في الأعراس وتحديداً في حفلات الزفاف.

بدأت النجافة بسيطة في خدماتها وأدواتها لتصبح اليوم وفي تطور سريع شبه مقاولة تتطلب أموالا كثيرة، وتعددت خدماتها وتنوعت لتشمل كراء الألبسة الخاصة بالعرسان ـ وباقي عناصر التجميل والتزيين من حلي وجواهر وما إلى ذلك، وتكتري "الطيافير" و"العمارية" وغيرها وأصبح لها طاقم من المساعدين والخدم ذكوراً وإناثاً ؛ ومازال تطورها مستمراً فبعض النجافات أصبحت متعهدات حفلات، تتعاقدن مع أصحاب العرس على ماهم في حاجة إليه من أجواق وطبالة وغياطة ودقايقية ... ويتم التعاقد معها على الصفقة كلها أو جزئها ؛ والثمن يحدده قانون السوق وما يطلبه أصحاب العرس ؛ هذا في المدن وبعض العائلات الثرية في البوادي، أما في الأحياء الفقيرة وفي البوادي فمازالت النكافة التقليدية البسيطة تقدم خدماتها لأهل العروس خاصة مقابل أجر زهيد أو ابتغاء أجر الآخرة.

المرتضى الزبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس* ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1981 ؛ م. حجاج الطويل، *بحوث ميدانية*، أشرطة وثائقية خاصة.

محمد حجاج الطويل

**الـنكنافـيـون**، أول من تولى القيادة منهم على حاحة الشمالية هو عدي (سعيد) بن علي أومبارك، كان ذلك سنة (1298 / 1880 ) بعد إلقاء القبض على القائد مبارك أنفلوس. والقائد عدي كان رجلا خيرا يشتغل بالفلاحة وله أملاك كثيرة فاختاره السلطان المولى الحسن الأول لمعرفته بصلاحه وغناه يوم كان مرابطا بجيوشه في معسكر بوريقي من قبيلة نكنافة، ولم يطل عهد القائد عدي إذ توفي عام (1305 / 1887 ) فخلفه ابناه الحسن بن عدي قائدا، وأخوه مبارك بن عدي خليفة وبعد أربع سنوات من الحكم على قبيلة نكنافة وإيداوكرض وإيداوسارن انتزعت منهم القيادة على إثر غارتهم على تاسيلان تاكوشت في آيت زلطن مع عبد الله القاضي، فقد أرسل إليهم السلطان يستقدمهم إليه، لكن القائد الحسن بن عدي مات في الطريق إثر تناوله سما أعده لذلك، إذ جاء بوخارى السلطان ونزل بالموضع المسمى (تالعرصت) حيث ألقى القبض على خليفته مبارك بن عدي يوم فاتح ربيع النبوي سنة 1309 / 1891. وقضى بسجن المصباح بمراكش سبع سنوات، وبعد إطلاق سراحه، ظل متطلعا إلى الحكم مما جعله يحقد على إينفلاس، وله في ذلك أشياع، مما جعله يهجم على مقر قيادتهم سنة 1327 / 1909 في بداية عهد القائد الشاب محمد بن أحمد أنفلوس، فدخل هو وأنصاره (تيمسورين) وأسروا القائد محمد وخليفته مبارك وأهلهما وهموا بقتلهما، لكن أعيان القبيلة هددوهم بأنهم سيخربون عليهم الدار ويقتلون أهلهم إذا مسوا القائد وأهله بسوء، وبينما كانت فرسان القبيلة تتجمع لإغاثة القائد الشاب أسرع مبارك بن عدي فجمع أحسن ما في دار القائد أنفلوس من أسلحة ومال وغيرها وحملها على الإبل والبغال تاركا القائد وأهله مكبلين، ولما حضرت القبيلة أطلقوا سراح القائد، واقتفوا آثار مبارك بن عدي متوجهين إلى داره رغبة في إلقاء القبض عليه، لكنه مر عليها دون أن يدخل كما كان متوقعا ملتجئا إلى قبيلة امتوكة، فأخذ القائد وأعيان القبيلة كل ما في دار مبارك بن عدي. وأخرجوا النساء والأطفال وخربوها عن آخرها انتقاما. وقيل إنه كان ينظر إلى داره بواسطة منظار مقرب، فرأى الغبار، فعلم أنها خربت، فقال لرجل من أصحابه : (راست سول بنون سوكبا) يعني : أنهم سيبنونها مرغمين على حمل الطين بأطراف ثيابهم، فكان الأمر كذلك، فبعد أن قضى في النفي خمس سنوات (1327 / 1909 ـ 1331 / 1912) بمتوكة جاءته فرصة استعصاء أمر إخضاع حاحة المقاومة لجنود الاحتلال الفرنسي بقيادة البطل الشهير محمد أنفلوس، فشاور دهاقنة الاستعمار الفرنسي أنصارهم من قواد الحوز في قضية حرب حاحة، فأشار عليهم القائد المتوكي وغيره بأن الحديد لن يفلّ إلا بالحديد، والنجاح هو أن تجعلوا قيادة نكنافة وحاحة الشمالية لابن عم النفلوسي السيد مبارك بن عدي الذي نفاه عن وطنه سنين، وتلتزموا له بالقيادة في موضع عدوه بعد الغلبة فاستقدمه الفرنسيون من منفاه بأزغار العسعاس بمتوكة إلى الصويرة، فجاء عن طريق الشياظمة متجنبا المرور بحاحة الهائجة ضد النصارى وكل من والاهم ـ من أعداء الإسلام ـ فاستقبله الفرنسيون في جماعة من أصحابه بحفاوة، وذلك في غضون الأسبوع الأول من شهر يناير 1913 ، بعد أن انهزم الجيش الفرنسي لأول مرة وتم حصاره بدار الحاج علي القاضي من يوم 17 / 12 / 1912 إلى يوم 24 / 12 من نفس السنة حسب ما تفيده المذكرة اليومية لأحد الضباط المرافقين للحملة الفرنسية بقيادة (اليوتنون البيرت) و(القبطان ماسوتي)، لذلك أخذ الفرنسيون يعدون العدة بمساعدة السيد مبارك بن عدي للقضاء على أنفلوس، ونسف قصبته (تيمسورين) التي هي مركز المال والسلاح الذي يتقوى به المجاهدون، فأعدوا خطة محكمة في ظرف أسبوعين، ابتدأوا بالعمل على إضعاف جبهة المجاهدين مع أنفلوس من الداخل، فدسوا أموالا كثيرة ورسائل الاستمالة بواسطة أصحاب القائد الموعود مبارك بن عدي الذي يقول

فيها للناس : (إن هذا الوادي سيمر ولا بد - يعني جيوش الاحتلال - فما بالكم وأنتم تلقون بأنفسكم أمام جيش مرهب وافق عليه السلطان بنفسه، وأنتم تعارضونه ولا تخافون، وها أنا توليت القيادة عليكم، فأنتم أولى الناس عندنا).

كما وردت على الصويرة نجدات ومعدات حربية من الدار البيضاء ومراكش في نفس المدة. وفي يوم 7 - 1 - 1913 انطلقت جيوش الاحتلال من الصويرة برفقة مبارك بن عدي مستهدفة القضاء على مقاومة أنفلوس ومن معه من المجاهدين، وذلك بالقبض عليه وقصف قصبته (تيمسورين) بالمدافع، لأنها مركز المقاومة، وقد رسم لهم مبارك بن عدي طريقا تجنبهم أخطار الاصطدام بالمقاومين داخل البلاد، فسلك الحدود الشمالية بين حاحة والشياظمة مارا بأزليف وأيت السرايدي، لكن كثرة الجيش الفرنسي هذه المرة والذي يشبهه المشاهدون بالسحب السوداء يرسل الرصاص أمامه كالمطر الوابل، حالت دون مجابهة رجال لمقاومة له، فصاروا يسايرونه رشقا بالرصاص في جانبيه، ثم نصبوا له كمينا في وادي تاقندوت وآخر في جبل "تيجرت" و"آيت باها" و"بيسناس" و"ايباشراتن" واستغرقت هذه المعارك خمسة أيام دون الوصول إلى الهدف، قتل فيها في اليوم الأول من الفرنسيين 13 قتيلا وجرح منهم 75 جنديا. وفي يوم 11 من نفس الشهر عادت الحملة إلى الصويرة لتجدد قواتها ويستعيد الجنود نشاطهم، وبعد أسبوع خرجت الحملة الثالثة يوم 20 يناير 1913 متجهة صوب دار أنفلوس متنقلة عبر النقط الآتية :

- يوم 20 يناير 1913 : الانطلاق من الصويرة بقيادة الجنيرال برولار رفقة مبارك بن عدي.
- يوم 21 يناير 1913 : تم شراء التموين من سوق حد درى للجيش كالحبوب واللحم.
- يوم 22 يناير 1913 : كان المرور عبر ثلاثاء الحنشان إلى دار القائد خبان الموالي لفرنسا.
- يوم 23 يناير 1913 : الانتقال من دار خبان إلى سهل بوريقي حيث نشب قتال حاد.
- يوم 24 يناير 1913 : تم الانطلاق من بوريقي في السادسة صباحا نحو زاوية أوحسان.

وابتدأ القتال على الساعة السادسة وعشرين دقيقة وهناك أظهر المجاهدون قوة وشجاعة نادرة.

- وفي يوم 25 يناير على الساعة السادسة صباحا انطلقت جيوش الاحتلال من زاوية أوحسان نحو دار أنفلوس عبر مواقع اشتدت فيها المقاومة وهي : أعلى سوق السبت، وأكاموض وبيسناس، وإيمي نتقاندوت ثم الوصول إلى دار أنفلوس بتيمسورين على الساعة 11 صباحا وقد أبلى المجاهدون في هذه المواقع بلاء حسنا، وأعطوا المثل الأعلى في التضحية دفاعا عن الحرية والدين والوطن، واستشهد منهم خلق كثير، كما مات من جنود الاحتلال مثل ذلك. وأظهر القائد مبارك شجاعته وكفاءته للفرنسيين، كما جاء في كلمة تأبينه ألقاها الحاكم الفرنسي يوم وفاته عام (1374/ 1954) حيث قال : (لقد تأسفت فرنسا لإصابتها بوفاة عضو من أعضاء حكومتها العديم النظير بفرنسا والمغرب... التقى مع الجيش الفرنسي الذي أقبل من مدينة مراكش سنة 1913 إلى دار أنفلوس بالشياظمة، وكان ذا عقل وشجاعة وثبات ورأي سديد، عارفا طرق النجاة والسلامة من مهالك الحرب بالبلد، فصار يتقدم الجيش إلى أن التقى الجمعان بوادي السبت في فم تاقندوت، ودارت رحى الحرب بين الفريقين، حتى أشرف الجينرال على الانهزام والإدبار وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وأغلق عليه باب الحيل أمام صلابة جنود ولد أنفلوس، وشدة بأس فرسانه برصد وادي تاقندوت فوجه الرأي إلى الفقيد، فرأى رأيا فازت به فرنسا بالنصر على ابن أنفلوس في معركة (تيمسورين) ورأي الفقيد الذي فازت به فرنسا : هو التوجه إلى مكان عال على دار أنفلوس (بتيمسورين) وركبوا فيه المدافع التي قنبلوا بها قصبة أنفلوس وخربوا داره، فخرج كل من فيها رجالا ونساء وأطفالا، ووقع الارتباك في صفوف المجاهدين، فتفرقوا عن قائدهم أنفلوس الذي هرب بعياله إلى جبل تاريوين بآيت عيسي، مستقرا بدار صديقه الشيخ عبد الله عيسي، فالتف حوله سكان قبائل إيداكيلول وآيت عيسى وإيداواتنان، فقادهم لمحاصرة مركز تمنار الذي دخلته الجيوش الفرنسية عنوة فعزلت القائد عبد الرحمان الكيلولي الداعي إلى الجهاد، وولت مكانه ابن عمه الحاج الحسن بن محمد أوفقير الكيلولي. وبعد يومين من الحرب هربت جموع المجاهدين أمام القوات الفرنسية المعضدة دائما بوجود أنصار القائد مبارك الذين ظلوا يلاحقون أنفلوس حتى استسلم ملتجئا إلى زاوية ايسقال بإيداوتنان عند الشيخ الصوفي السيد الحاج الحسن الكزوتي (ت. 1347 / 1928) مستأمنا على نفسه وأولاده وأمواله حتى توسط له أكبر أعدائه القائد عبد الملك المتوكي لدى إدارة الحماية آخذا له العهود والمواثيق على أن يعيش بعيدا عن المجاهدين في حاحة، فاختار مدينة مراكش التي عاش فيها معززا مكرما إلى أن توفي سنة 1357 / 1938. وبذلك صفا الجو للقائد مبارك بن عدي الذي تولى قيادة نكنافة وإيداوكرض وإيداويسارن.

توفي في يوم 3 شوال عام 1374 / 1954.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 3، ص. 407 ؛ *مذكرة يومية لأحد ضباط الفرنسيين المرافقين لجيوش الاحتلال* ؛ محمد الصويري، *الكتاب المتنقل*، مخطوط متداول ؛ آيت الحاج محند، *مظاهر الحياة الثقافية بحاحة وإيداوتنان*، أطروحة ؛ *تحريات ميدانية*.

محند أيت الحاج

**النكور** (حجرة -) أو جزر الحسيمة، أرخبيل. كان يدعى في القديم سيكس إنسولاس، ويشمل ست جزر، ذكرته *مسالك أنطونينوس* في بداية القرن الثالث للميلاد بكل دقة باسم "سيكس إنسولاس" "Sex Insulas". وعرفته المصادر الوسيطية المغربية باسم "حجرة نكور"، كما أوردت الخرائط

والتقارير الأوربية في العصر الحديث هذه الجزر تحت اسم Albouzaines أو Albouzéme أو Albouzémes. وقد ادعى الفرنسيون كذبا أنهم بذلك ترجموا اسمها العربي الخزامى.

يقع هذا الأرخبيل في وسط خليج يعرف تاريخيا باسم خليج المزمة، واليوم باسم خليج الحسيمة La Baie d'Al Hucemas . يحد الخليج شرقا برأس يعرف في الخرائط الحديثة للمنطقة باسم رأس كيلاتيس Calalas, Caladas, Quilatés, Quilatis ، وذكرته بعض الخرائط الوسيطية أحيانا باسم "طرف كرط" Tarf Gharet ، وأشارت إليه مسالك أنطونينوس باسم "رأس القصب" "Promontorium Cannarum" . أما غربا فيحد هذا الخليج برأس قليل الارتفاع يدعى اليوم في الأرشيفات الفرنسية باسم الرأس الموري Cap Maure ، وفي الأرشيفات الإسبانية وبعض الخرائط باسم Morro Nuevo أو Cap El Cap Nuevo Cancil ، علما أن العديد من الخرائط البحرية للقرون الوسطى وإن أشارت إلى هذا الرأس فهي لم تعطه أية تسمية. كما أن *جغرافية بطليموس ومسالك أنطونينوس* قد تجاهلتا الموقع نهائيا ولم تذكراه ولو بالإشارة. والمسافة طولا بين رأس كيلاتيس في شرق خليج الحسيمة والرأس الموري في غربه لا تفوق العشرين كيلومترا، في حين أن عرض هذا الخليج من الشمال إلى الجنوب لا يتعدى ثمانية كيلومترات.

تضاريس الرأسين وعرة ولا نبات فيها، إلا أنها تنحدر باتجاه وسط ساحل الخليج وتنتهي في السفح بسهل خصب يخرج منه مجريان، وادي نكور شرقا ووادي غيس غربا. ويتميز خليج الحسيمة طبيعيا بإمكانية رسوّ السفن فيه بكل طمأنينة إذا انعدمت الرياح أو كان هبوبها من البر في اتجاه البحر، أما إذا كانت تهب من البحر في اتجاه البر فإن الرسو يصعب بسبب عنف البحر، وإذاك يمكن للسفن أن ترسو وسط الجزر كما ورد في *نصائح دليل مسالك البحر الأبيض المتوسط* لسنة 1669.

وينقسم أرخبيل سيكس إنسولاس جغرافيا إلى أرخبيلين صغيرين كل واحد يشمل ثلاث جزر.

أولهما : أرخبيل لا يزال يعرف إلى اليوم باسم "أرخبيل الحسيمة" أو "جزر الحسيمة" أو "حجرة نكور". ويقع في قعر الخليج على بعد ثلاث كيلومترات إلى الغرب من مصب نهر غيس، وعلى بعد حوالي عشر كيلومترات في البحر جنوب شرق مدينة الحسيمة الحالية. لا يبعد هذا الأرخبيل عن الشاطئ إلا بما هو أقل من 1300 متر فقط.

أكبر جزر هذا الأرخبيل، ولعلها المقصودة بحجرة نكور، تعرف اليوم باسم القشلة La Kachla، نسبة إلى قصر محصن بأربعة أبراج ذات شكل أسطواني، أقامه الإسبان هناك منذ القرن السابع عشر. طول الجزيرة 170 م وعرضها 75 م أعلى نقطة بها لا يتعدى 250 م. وهي الجزيرة الوحيدة المأهولة في هذا الأرخبيل. ويدعي الإسبان أن السلطان السعدي عبد الله الغالب قد تنازل لهم عنها سنة 1560 منعا لأتراك الجزائر من الاستقرار بها. ولكنهم لم يدخلوها رسميا إلا يوم 28 غشت 1673 بعدما فشلت المفاوضات الفرنسية مع السلطان مولاي رشيد العلوي لاستغلال الجزيرة تجاريا.

وإلى الغرب من جزيرة القشلة، تقع جزيرتان صغيرتان غير مأهولتين، بهما عدة مقابر.

ثانيهما : أرخبيل كان يتكون من ثلا ث جزيرات صغيرة جدا، كانت تقع إلى الشمال من مدينة الحسيمة الحالية، ربط ما بينها الإسبان برصيف موصول بالشاطئ مكونين بذلك ميناء حديثا لهذه المدينة.

وقد تجاهل المؤرخون والجغرافيون والرحالة الأقدمون هذه الجزر الست "سيكس إنسولاس"، ونكتفي بالإشارة في هذا الصدد إلى خلو رحلة حانون من أي إشارة إلى هذه الجزر، وإلى جهل أو تجاهل بلينيوس الشيخ وبطليموس لها. وأول من اهتم بأرخبيل "سيكس إنسولاس" وذكره بالقصد هو صاحب *مسالك أنطونينوس* في بداية القرن الثالث للميلاد وجعله خطا على بعد ثلاثين ميلا غرب رأس القصب Promontorium Cannarum عوض خمسة عشر ميلا صوابا. مما يجعلنا نفهم أن القيمة الملاحية لهذا الأرخبيل لم تستغل إلا مع البحارة الرومان - أو قبلهم بقليل - الذين جمعوا في تسمية واحدة "سيكس إنسولاس" الأرخبيلين الصغيرين معا بجزرهما الست تمييزا لهما عن أرخبيل Tres Insulas "تريس أنسولاس" (الجزر الجعفرية) الواقع بين مليلية ومصب نهر ملوية.

ورغم ما قيل سابقا عن احتلال إسبانيا رسميا لحجرة نكور منذ سنة 1673 ، فإن المقاومة المغربية لم تتوقف ولم تسمح لإسبانيا باستغلال حقيقي للجزر استراتيجيا أو تجاريا إلا منذ سنة 1925 تاريخ انهزام المقاومة الريفية بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي أمام تحالف القوات الاستعمارية الفرنسية والإسبانية.


إبراهيم بوطالب، وبوغالب العطار، *سبتة ومليلة*، تاريخ وواقع، منشورات المحرر، الدار البيضاء، ماي، 1981 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا* ، تر. م. حجي وآخرين، الرباط، 1984 ؛ حسن الوزان، *وصف إفريقيا* ، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، بيروت، ط. 2، 1983.

*Carte Topographique du Maroc, au 1/500.000*, feuille d'Oujda, Publication de l'Institut Géographique National, Paris, 1954 ; Elie de la Primaudie, Les villes maritimes du Maroc, *Revue Africaine, n° 16, 1872, p. 105 - 135* ; *L'itineraire d'Antonin,* d'après : 1/Lapie, Recueil des itineraires anciens, Paris, 1844 ; 2/ éd. Ernest Leroux, Paris, 1929 ; *Portulan de la Méditérranée, 1669*, M. de la Bibliothèque Nationale, F. R. 741 ; Roget Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, éd. Les Belles Lettres, Paris, 1924 ; Index de topographie antique du Maroc, *P.S.A.M.*, 4, Paris, 1938 ; Tissot Charles, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Mémoires des savants étrangers, 1ère série, t. IX, Paris, 1878 ; Tofiño de San Miguel, *Derrotero de las Costas de España y de su correspondiente de Africa*, 1787 ; Vincendon Demoulin, *Description nautique de la côte nord du Maroc*, Paris, 1857.


محمد اللبار

**نكور** ، مدينة مغربية قديمة كانت تقع بالريف قرب الوادي المسمى باسمها غير بعيدة عن مدينة الحسيمة. وأصل الكلمة من أنكور التي تعني في الأمازيغية التيس. اختلف المؤرخون في ظروف تأسيس المدينة، فقد ذكر البكري وغيره أن القائد صالح بن منصور الحميري هو الذي افتتح إقليم نكور بعد سنة 86 هـ عندما دخل المغرب رفقة موسى بن نصير زمن الوليد بن عبد الملك الأموي، وأن حفيده سعيد بن إدريس هو الذي أسس المدينة سنة 123 هـ واتخذها عاصمة لإمارته المعروفة بإمارة بني صالح. كما ذكر في مكان آخر أن أحد حفدة صالح، واسمه أبو أيوب إسماعيل، بنى المدينة القديمة التي خربها موسى بن أبي العافية سنة 317 هـ وأدار بها السور وحصّنها. أما ابن خلدون فقد نسب اختطاط المدينة لإدريس أحد حفدة صالح وذكر أنه اختطها في عدوة الوادي، أما ابنه سعيد فأكملها واتخذها عاصمة. في حين يرى صاحب *الاستبصار* وغيره أن نكور مدينة قديمة أزلية كانت معروفة قبل قدوم جد بني صالح إلى المنطقة. في مقابل ذلك اتفقت المصادر على أن المدينة كانت تقع على بعد خمسة أميال من البحر بين رواب وجبال قبالة مرسية والمرية ببرّ الأندلس، وأن لها نهرين أحدهما يعرف بنكور والآخر يعرف بغيس. وقد خصها البكري بوصف دقيق يحتفظ بالمظاهر الكبرى لهندستها، فذكر أن بها جامعاً كبيراً وأن لها أربعة أبواب، في القبلة باب سليمان وبين القبلة والجوف باب بني ورياغل وفي الغرب باب المصلى وفي الجوف باب اليهود، وأن سورها مصنوع من اللبن وحماماتها كثيرة. كما كان للمدينة أهمية كبرى في اقتصاد المنطقة من خلال أسواقها العامرة الممتدة وبساتينها الكثيرة وفواكهها الطيبة لا سيما الكمثري والرمان، وهي كثيرة خشب العرعار والأرز، وتقصدها سفن التجارة من الأندلس خاصة من مراسي المرية ومالقة.

كان لموقع المدينة وتنوع أنشطتها الاقتصادية ما شجع القادمين إليها من العرب الفاتحين على الاستقرار حتى أن صالح بن منصور الحميري قائد موسى بن نصير عندما عاد إلى المنطقة في المرة الثانية حوال سنة 92 هـ عمل على تثبيت الإسلام بين أهلها من برير صنهاجة وغمارة بعد أن ارتد أكثرهم، وبادر إلى تعزيز استقراره بتأسيس إمارة بني صالح التي شهدت تقلبات تاريخية مهمة وعانت من مشاكل متعددة جراء النزاعات العائلية والهجمات الخارجية التي تعرضت لها المدينة، من أبرزها الغارات التي قام بها النورمانديون سنة 244 / 859 فتغلبوا عليها وانتهبوها وسبوا من فيها ومكثوا بها ثمانية أيام. ثم غزاها العبيديون سنوات 305 / 917 و 308 / 920 و 323 / 935 وقتلوا بعض أمرائها واستباحوا حرماتها. وهاجمها موسى بن أبي العافية سنوات 317 / 929 و320 / 932 وبالغ جيشه في استباحتها وهدم أسوارها وتخريب ديارها ونسف آثارها ثم كان آخر هجوم عليها سنة 473 / 1080 على يد يوسف بن تاشفين وذلك في إطار حملاته العسكرية لفتح المناطق الشرقية من بلاد المغرب فخرجت وأنهى حكم أسرة بني صالح بها.

ويظهر من تاريخ المدينة أنها عانت من سياسة العنف الذي مارسه عليها الطامعون في موقعها وخيراتها، فكان توالي الخراب عليها وتفرق أهلها في البلاد من الأسباب الرئيسية التي ساهمت في اندراس معالمها حتى أنها لم تعمر بعد ذلك. ويفيد ابن الخطيب أنه في إحدى جولاته بالمنطقة (القرن 8 / 14) شاهد آثارها ماثلة وبقايا جدرانها شاهدة، وأنها أصبحت في زمنه مزارع لبني ورياغل. كما تحدث البوعياشي في كتابه عن حرب الريف عن آثار مدينة نكور فذكر أنها أصبحت أطلالا ومازالت رسوم سورها المحيط بها ظاهرة، وقد عثر العمال المشتغلون في تعبيد الطريق على آثار مهمة من الحيطان وأواني الخزف، كما عثر فيها على نقود ذهبية مهمة من الوجهة التاريخية.

ابن حيان، *المقتبس*، ج 5، مدريد، 1979 ؛ البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ مجهول، *الاستبصار*، الدار البيضاء، 1985 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1984 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 1، بيروت، 1983 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن الخطيب، *إعمال الأعلام*، القسم الثالث، الرباط، 1964 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 2، بيروت، 2000 ؛ نفسه، ج 7، بيروت، 1978 ؛ أحمد المكناسي، *المدن الإسلامية المندرسة في شمال المغرب*، تطوان، 1959 ؛ محمد الفاسي، *الأعلام الجغرافية المغربية*، *مجلة البينة*، العدد رقم 1، 1962 ؛ أحمد البوعياشي، *حرب الريف التحريرية ومراحل النضال*، ج 1، طنجة، 1974.

رشيد السلامي

**نليس** Nilis مرجة في موريطانية Mauretania أو المغرب القديم. أفاد بلنيوس الأكبر أنها مرجة تغذي منابع النيل، اعتمادا على فكرة الملك يوبا الثاني. ورد في النص ما يلي : "دلت أبحاث الملك يوبا أن منابع النيل تنطلق من جبل يوجد في موريطانية السفلى، غير بعيد من المحيط (حيث يصدر وادي) سرعان ما يتحول إلى مرجة تدعى نليس. وفيها توجد الأسماك التالية :Alabetes, coracins et silures. وقد جلب منها يوبا تمساحا كدليل على أن النيل ينبع من هناك، وقد أودعه في معبد إزيس بقيصرية، حيث نشاهده حاليا. ويقال إن فيضانات النيل مرتبطة بغزارة الأمطار والثلوج التي تسقط في موريطانية. (والنهر) حينما يخرج من هذه المرجة يجري في مجالات رملية وقاحلة، إلى أن يختفي على طول عدة أيام من المشي. ثم ينهمر خارج مرجة كبيرة جدا تقع في موريطانية القيصرية في بلاد الماسيوليين. والواقع أن وفرة الأمطار التي اشتهرت بها موريطانية وجبال الأطلس جعلت القدماء يبلورون فكرة مفادها أن نهر النيل ينبع من موريطانية. وأقدم خبر وصلنا في هذا الموضوع يتعلق بشخص إغريقي يدعى أثمين Eutymene من مدينة

مسالية Massalia وهي مرسيلية، عاش في القرن السادس قبل الميلاد. قام الرجل برحلة حول المحيط الأطلس، وكان يعتقد أن منابع النيل تنطلق من المناطق المجاورة للمحيط. كما اهتم هيردوت بهذه المسألة دون التوصل إلى رأي واضح. ومثله فعل الفيلسوف الإغريقي أرسطو، والمهندس الروماني وترووس. ثم إن الملك يوبا الثاني الذي اشتهر ككاتب، اهتم بالموضوع معتمدا على أبحاث ميدانية وعلى مصادر من بينها الكتب البونية. واستمر الكتاب يتداولون فكرة انطلاق منابع النيل من موريطانية على أساس الاعتبارات التالية : ذوبان ثلوج جبال الأطلس في فصل الصيف، حيث تحدث فيضانات نهر النيل وتجمع مياه الأطلس في وديان ومرجات، تتسرب عبر الصحراء لتنهمر منها منابع النيل وتشابه الحيوانات النهرية بين وديان موريطانية ونهر النيل، مثل التماسيح وأفراس النهر وغيرها.

محمد مجدوب، 1998، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد* ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens,* Paris, 1924 ; J. Desanges, Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique, dans *Collection de l'Ecole Française de Rome*, 38, 1978 ; Idem., Commentaire de Pline l'Ancien, *L'Histoire Naturelle,* Livre 5, 1-46, 1980, Les Belles-Lettres, Paris.

محمد مجدوب

**النمر** ، حيوان بري لاحم من الثدييات الوحشية النشالة، عرف مضايقة شديدة من لدن الرعاة والبدو لبيع جلده الذي يتخذ منه الفراء الثمينة والمشهورة. يسمى في المغرب العربي نمر وبالأمازيغية أغيلاس وفي الصحراء المغربية قينس وكرزام وأكرزام. الصيد المحظور لهذا الحيوان وانتشار السكان والرعاة في المناطق النائية هدداه بالانقراض ولم تبق منه إلا أفراد قليلة توجد جلها في المحميات أو في حدائق الحيوانات العمومية.

يصنف في رتبة السنوريات الكبار Félidés وفصيلة Felidae ويسمى علميا Panthera pardus (Linnaeus, 1758) وبالفرنسية Panthère وLéopard وبالإنجليزية Panther وLeopard وبالإسبانية Leopardo. حيوان محمي وموطنه على وجه الحصر المناطق الجبلية الريفية والأطلسية والهضبة الوسطى، ويعد حاليا من الحيوانات النادرة في المغرب حيث يتراوح عدده بين 8 ـ 10 أفراد موزعون على الريف والأطلس المتوسط. وقد كان النمر يعيش سابقا في الصحراء المغربية وفي هضاب أدرار الموريتانية وكان يتوالد في مغارات أزيلال. بعد تقلص شديد لمعظم مجموعاته في كثير من الأقطار خلال العقود الأخيرة فأصبح توزيعه الجغرافي يقتصر حاليا على القارتين الافريقية والأسيوية.

وهو حيوان ضخم وقوي بين الأسد والنمر المخطط الأسيوي، طويل القامة وذيله طويل غزير الشعر. الفروة فاتحة في لون سفا الذرة كثيفة الشعر قصيرته ومرقطة بالسواد، تجتمع الرقط كالحلق على الظاهر والجانبين خلافا لما في الفهد، البطن فاتح وخال من الرقط. العفرة قصيرة على العنق والرأس قصير وعريض. الأذنان صغيرتان ودائريتان، الذيل مرقط ينتهي بحلقات سوداء، القوائم معدة للجري والقفز وأصابعها شديدة الحركة ومزودة بمخالب مغزلية قوية ومعقوفة على شكل براثن قابلة للانقباض. تنطوي المخالب داخل أغمدة أثناء الراحة وتبرز بفضل عضلات قابضة في حالات التوتر أو الدفاع عن النفس أو الهجوم.

يتراوح وزن الكبار بين 40 و80 كيلوغراما ويبلغ طول الذكور جمعا بين الرأس والجسم 130 ـ 190 سم وطول الذيل 70 ـ 100 وطوله عند الغارب 50 ـ 70 سم. يبلغ طول الإناث 110 ـ 140 سم وطول الذيل 60 ـ 75 سم والطول عند الغارب 40 ـ 65 سم. صيغة أسنانه كالتالي : 3/3 أسنان، 1/1 أنياب، 3/2 أضراس أمامية، 1/1 أضراس = 30 سنا متكاملة تتمثل في قواطع حادة وأنياب قوية وطويلة وأضراس طاحنة أمامية قاطعة.

يصيد فريسته في بداية النهار وعند الغروب. يألف الأماكن الغابوية والعارية السهوبية ويعيش منفردا أو مزدوجا أو في مجموعات أسرية صغيرة لا يتعدى عددها 6 أفراد. يتكون غذاؤه من مختلف الحيوانات اللبونة والطوير.

تدوم مدة الحمل 90 ـ 105 يوما وتنجب الإناث 2 ـ 3 صغار تحرسها وتعتني بها 15 ـ 18 شهرا وتصير بالغة بين سنتين و3 سنوات وتعمر حوالي 12 سنة. تزن الصغار عند الولادة 430 ـ 570 گراما وتفتح عيناها بعد 3 أيام.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية* ، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc, Les Mammifères*, Albums didactiques, Rabat, 73 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, Catalogue des mammifères sauvages du Maroc, *Trav. Inst. Sci. Série Zoologie, n° 41*, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

**النمروري، العلودي** بن **إسماعيل** ولد حوالي 1927 بدوار أولاد أحمد بقبيلة السماعلة، دائرة وادي زم. انخرط في التنظيم المسمى "اليد المتوكلة على الله" سنة 1953. وبشهادة رئيسه فوزي سعيد، "كان هذا المقاوم نشيطا في

أعماله النضالية، فنجح في وضع القنابل في أماكن مختارة، وكان يوزع المناشير التحريضية ... إلى أن ألقي عليه القبض حيث قضى بسجن فضالة مدة شهر ونصف، وقضى نصف شهر آخر بأحد المعتقلات بالدار البيضاء. وبعد إطلاق سراحه، عاد للنضال من جديد، فشارك بكل عزيمة ووطنية في انتفاضة مدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955، حيث تمَّ اغتياله من طرف جنود الاحتلال يوم 27 غشت 1955".

*شهداء الاستقلال*، الجزء الثاني، *المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير*، الرباط، غشت، 1988.

**نمري، طامو** بنت **امبارك** ولدت سنة 1907 بأولاد عمر، دائرة خريبكة. باشرت النضال الوطني ضد المستعمر بعد انضمامها للمنظمة السرية التي كان يديرها سليماني المصطفى. ساهمت إلى جانب أفراد الخلية في نشر الوعي الوطني وفي تشجيع المقاومين وتوزيع المناشير... شاركت في مظاهرة 20 غشت 1955.

توفيت سنة 1990.

*المرأة المغربية في ملحمة الاستقلال والوحدة*، ج 1، *المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير*، 2002.

صالح شگاگ

**النمس** (Mustala putorius furo L.) من الثدييات اللاحمة الصغيرة - من فصيلة العرسيات (Mustelidae). طوله 38 سم جمعاً بين الرأس والجسم، يبلغ طول ذيله 14 سم وقوائمه الخلفية 4,8 سم. الشيء الذي يصور حيوانا ذا شكل طولي ومضغوط فوق قوائم جد قصيرة. رأسه منبعج وعيناه صغيرتان وحطمه مدبب. يغطي جسمه شعرٌ طويل خاصة فوق الظهر. لونه أصهب كدر. لكنه يصير فاتحا جهة الرأس إلى حد البياض الكدر مع بقعة سوداء حول العينين. يختلف الحال بالنسبة للأوربي الموسوم بالنصوع فهو أبيض مصفّر، مع دكنة جهة البطن واحمرار في العينين.

عدد أسنانه 34 فقط، بنقصان ضرس أمامي من كل جهة. الطواحن حادة وعرض الضرس العلوي أكبر من طوله وهي خاصيات تدل على ميوله الدموية.

ينقضُّ بعنف على فرائسه من الحمام والدجاج والأرانب، يقتلها خنقا، يمتص الدم ويبتلع الدماغ. يأكل الضفادع والعظاية والثعابين. يميز الحفثات غير السامة منها بدون تردد وينقض عليها لأول وهلة وبكل جرأة، يهشم عمودها الفقري ويأكلها. لكنه عندما يصادف الأفاعي يقترب منها بحذر ويحاول أن يمسكها من وسط جسمها مستعملا كل الحيل لتجنب أنيابها السامة. أما إذا لدغته الأفعى فهي لا تقتله بل تتسبب في مرضه فقط.

تضع الأنثى مرتين في السنة من 5 إلى 8 أفراد وقد يصل العدد إلى 13. تبقى الصغار كفيفة لمدة أسبوعين أو ثلاث، تتكفل الأنثى خلالها بالعناية بها بكثير من الحنو.

لا يمكن القول بأنه قابل للتدجين حقيقة. كل ما هناك أن الإنسان قد استطاع استغلال ميوله الدموي لصالحه. فهو يربيه داخل صندوق أو قفص مفروش بالتبن أو الحشيش الذي يجب تجديده مرارا. كما تلزم حماية الحيوان الحبيس من البرد. وتغذيته بالخبز والحليب والبيض، على أن الوجبة المفضلة تبقى هي اللحم الطري. من الصعب جعل هذا الحيوان أليفا والسماح له بمغادرة القفص ليتبع صاحبه مثلا كما لو كان كلبا. فهو في الغالب بمجرد ما يفلت من سجنه، يقصد الغابة، يستولي فيها على جحر يسكنه، وسرعان ما يفقد كل علاقة كانت تربطه بالإنسان. لكن الفصل البارد يقطع دابر هذا الحيوان نظرا لحساسيته العالية لانخفاض الحرارة، باستثناء القلة القليلة منه التي تستطيع العودة إلى مكان تدجينها السابق.

وتتعذّر معرفة البيئة الطبيعية التي يقطنها في حالته المتوحشة. لقد جاء في بعض الأبحاث أن الحيوان كان يسكن إفريقيا الشمالية ومنها انطلق إلى أوروبا لكن بدون أية أدلة على ذلك. وقد ذهب بعضهم إلى الإشارة إلى أن معقله الأصلي يوجد في جبال الريف الوسطى بين شفشاون ونهر النكور.

A. Cabura, *Los Mamiferos de Marruecos*, Trabajos Mus. nas. Sciencias nat., Serv. Zool. 57 : 1 - 361, 1932 ; Menegary, *Vie des animaux illustrée : les Mammifères*, Librairie Benllière et Fols, Paris, 480-81 ; J.B. Panouse, *Les Mammifères du Maroc, Primates, carnivores et Artiodactyles*, Trav. Inst. Sci. Serv. Zool, n° 5 : 67-71.

محمد الرمضاني

**النميشي، أحمد** بن **مَحمد** بن محمد بن أحمد الشريف مولاي أحمد، فقيه علامة، صاحب مشاركة، كان يتقن الأدب والتاريخ ويقرض الشعر، ولد بفاس حوالي عام 1308، وفي عام 1326 التحق بجامع القرويين، فأخذ عن العلامة سيدي محمد الإيراوي والفقيه العلامة سيدي عبد السلام بن عبد النبي غازي والقاضي مولاي أحمد بن المامون البلغيثي وغيرهم.

وظف المترجم عدلا بأحباس المارستان بفاس سنة 1336، ثم عين ناظرا لأحباس صفرو عام 1349، ولأحباس مدينة الجديدة وأزمور عام 1352، ثم ناظرا لأحباس المارستان بفاس عام 1359 إلى أن أعفي من ذلك عام 1375.

ويعتبر من أول من كتبوا في الجرائد والمجلات وخصوصا جريدة "*السعادة*"، وله بعض التآليف منها مسامرة بعنوان : "*تاريخ الشعر والشعراء بفاس*"، وكتاب "*تحبير المقال في ذكر من لقب بما قال*". وتأليف في قضاء مدينة فاس لم يكمل ورحلة حجازية لم تتم كذلك.

توفي ليلة الثلاثاء 26 رمضان عام 1386، ودفن بفدان الغرباء خارج باب المحروق بفاس.

محمد بن الفاطمي، *إسعاف الاخوان*، ص. 29 . 33 ؛ عبد السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 2 : 590 ؛ إدريس بن الماحي، *معجم المطبوعات*، ص. 348.

**الـ نميشي، محمد** الفقيه العلامة المدرس، المطلع الحافظ، كان كثير التدريس والإفادة، وله اليد الطولى في النوازل والتوثيق، وهو آخر من كتب الوثيقة بالنصوص الفقهية، وكانت له شهرة بذلك، يقصده الناس. أخذ العلم عن الشيخ أحمد ابن الخياط والشيخ عبد الله بن إدريس البدراوي والشيخ عبد السلام الهواري.

توفي يوم الأحد متم ربيع الأول عام 1339، ودفن بزاوية الشيخ قاسم ابن رحمون بفاس.

عبد الهادي التازي، *جامع القرويين*، 3 : 817 ؛ عبد السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 2 : 427 وسل النصال، ص. 21 . 22.

بوعبيد التركي

**نهول** Nuhul اسم ثان لنهر دارا Dara في المغرب القديم، الذي كان يدعى بموريطانية Paul Orose, 1, 2, 13. غير أن دوزانج يربط نهول بالاسم المشهور في جنوب غرب المغرب وهو نون ونول، ويرى أن لهذه الأسماء علاقة مع ما راج في المغرب القديم من أن منابع نهر النيل تنطلق من موريطانية (انظر مادة نليس).

محمد مجدوب، 1998، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد* ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة.

J. Desanges, Commentaire de Pline l'Ancien, *L'Histoire Naturelle, Livre 5, 1-46*, Les Belles Lettres, Paris, 1980.

محمد مجدوب

**النوازل** (جمع نازلة) مسائل وقضايا دينية ودنيوية تحدث للمسلم، ويريد أن يعرف حكم الله فيها، وهي التي يفصل فيها القضاة طبقا للفقه الإسلامي.

وقد نشأت النوازل والفقه معاً زمن الصحابة والتابعين، وعرفت كلمة واحدة بفقه السلف، ولم تتميز النوازل كفرع مستقل إلا بعد اكتمال التشريع الإسلامي وتدوين فقه المذاهب وإغلاق باب الاجتهاد المطلق في مطلع القرن الرابع الهجري.

عرف فقه النوازل في المذاهب كلها بحيويته وارتباطه بالأحداث الواقعة المتجددة، واستجابته لمتطلبات الناس في مختلف الظروف والبيئات، واستمر الحواريين المفتين والقضاة والفقهاء عامة، وبذلك لم تعرف كتب النوازل الرتابة التي عرفتها كتب الفقه الأخرى. وتوسعت كتب نوازل المالكية في المغرب الإسلامي بظهور صنف جديد إلى جانب كتب الفتاوى، أو الأسئلة والأجوبة المعتادة، نشأ عن خطة الشورى التي بُني عليها القضاء في المغرب والأندلس، إذ كان القضاة يستفتون الفقهاء المشاورين الذين يعينهم الخليفة أو الأمير، ولا يمضون حكما إلا بعد أخذ رأيهم، ونتج عن فتاواهم ما عرف بمسائل الأحكام.

وإذا كان من خصائص النوازل عموما الواقعية والتجدد وتنوع التأليف والطابع المحلي، فإن نوازل المالكية بالخصوص أكثر ارتباطا بالواقعية منذ كان الإمام مالك يستنكف عن الخوض في الفرضيات ولايجيب إلا عن المسائل التي وقعت بالفعل. لذلك كثر التأليف في النوازل عند المالكية، وبخاصة فقهاء الغرب الإسلامي الذين التزموا بهذا المذهب منذ أخذه روادهم عن الإمام مالك مباشرة في المدينة، واستمروا على ذلك إلى اليوم.

واشتهر بالخصوص من بين مئات كتب نوازل المغاربة موسوعتان فريدتان هما : "*المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب*" لأحمد بن يحيى الونشريسي الفاسي، وهو أوثق سجل لاجتهادات فقهاء هذه المنطقة طوال سبعة قرون ؛ و"النوازل الجديدة الكبرى في أجوبة أهل فاس وغيرهم من البدو والقرى" أو "المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من أهل المغرب" لمحمد المهدي الوزاني الفاسي.

ولهذا تعتبرهاتان الموسوعتان من أهم المصادر الأساسية التي يرجع إليها، ويعتمد عليها كل من يبحث في تاريخ تطور الفكر الإسلامي بالمغرب وإفريقية والأندلس.

محمد حجي، *نظرات في النوازل الفقهية* ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *معلمة الفقه المالكي* ؛ *فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية*، ج 2.

عبد الرحمن القباج

**نوالة** ، نوع من السكن الريفي الذي يعتبر واحدا من المنشآت السكنية التي تطبع المجال الريفي المغربي. وهذه المنشآت مختلفة النوع والنشاط. كما أنها نتاج ثقافي، اجتماعي واقتصادي.

"النوالة" سكن كان مستعملا ومنتشرا بكثرة بالأرياف المغربية التي تتلاءم وحياة البداوة والنجعة، أي يطبع جل المناطق حيث كانت تعيش كثير من القبائل الرحل أو أنصاف الرحل في السهول والهضاب الأطلنتية. كانت "النوالة" تستعمل كسكن قار لكنه يتميز بالهشاشة والهزال نظرا لنوعية المواد المستعملة في البناء ونظرا لمستوى العيش الضعيف لمستعمليه.

فمن حيث المواد الأولية المستعملة نجد القصب أو أغصان الدفلى أو أغصان الخروع، أي نباتات لينة ورخوة يمكن تشكيلها بسهولة وهي التي تكون الهيكل. بعد إزالة القشور والأغصان الصغيرة يتم تثبيت هذه المواد في الأرض وتنسج بشكل شبكي مائل. وتربط مناطق التقاطع بحبال من القنب التي تدعى محليا "الشميط" أو بأشرطة من الدوم. ويتم إلباس الهيكل ببقايا سوق القمح "الحصيد" والتي تدعى

"بالبرومي" أو بنبات البردي اليابس والذي ينبت كثيرا بالولجات بجوار المجاري المائية حيث يتم جزه ونشره ليجف. ويدعى البردي محليا "بشلياط" ولعل التسمية مشتقة من الشلطاء أو الشلطة لأنه يشبه السكين في الحدة أو الأسهم الطويلة. يربط الكساء بأغصان من القصب أو الخروع أو الدفلى وتسيج "النوالة" أحيانا بنبات السدر اليابس حتى لا يتعرض الكساء للأكل من طرف الماشية. ونظرا لطبيعة هذا السكن كثيراً ما كان يتعرض للحريق. لذا يتم أحيانا تغطيته بالطين.

وتتخذ "النوالة" أشكالا متنوعة، لكن الشكل الهندسي الغالب هو الشكل الأسطواني ـ المخروطي، بحيث تكون دائرية ومتسعة بالقاعدة ومخروطة بالقمة. وكانت "النوالات" تتجمع أحيانا مشكلة دوارا يطلق عليه اسم "النوايل"، وأحيانا أخرى تكون منعزلة، وقد تكون لهذا النوع من السكن وظيفة أو عدة وظائف كالإقامة، والخزن والضيافة. وقد تكون "النوالة" جزءا من سكن صلب كأن نجد دارا صلبة بجوارها نوالة.

وبالعُزبان التي كانت منتشرة بالشاوية أو بسهل الحوز كنا نجد بجوار سكن صاحب الملك سكنا مكونا من "نوالات" متكدسة يتجمع فيها المخابرون من خدم وبيازرة مزارعين وخماسة وكلهم مرتبطون به. وهنا تعتبر "النوالة" نوعا متميزا من السكن يعكس التمايز الاجتماعي والتبعية الاقتصادية.

لكن هذا النوع من السكن الذي ظل يميز المشهد الريفي خاصة بالسهول والهضاب الأطلنتية. قد تراجع كثيرا إن لم نقل قد اختفى. وذلك ارتباطا بالتحولات السوسيوقتصادية والاستقرار البشري. وحل محله نمط جديد من السكن الصلب الذي أصبح طاغيا على المشهد الريفي.

أحمد زروال، العزيب، *معلمة المغرب*، ج. 18، مطابع سلا، 1424 / 2003.

P. Pascon, *Etudes rurales, Idées et enquêtes sur la campagne marocaine*, S.M.E.R., Rabat, 1980 ; Types d'habitat et problèmes d'aménagement du territoire au Maroc, *R.G.M., n° 13, Rabat, 1968* ; J. Le Coz, Douar et centre rural du campament au bourg, *R.G.M., n° 8, 1965* ; A. Noin, Types d'habitat, *R.G.M., n° 8, 1965*.

أحمد زروال

**النورس** ، كما في المعاجم جنس طيور بحرية تألف مناطق المد والجزر لمصبات الأنهار والبحيرات والشواطئ الرملية، وبجوار المدن الساحلية وموانئ الصيد. يعلو في الجو ثم يغطس في الماء لافتراس الأسماك والقشريات ولا يقع على الجيف. يعرف في سواحل المغرب بعوا وعواوا وطائر البحر وفي سوريا ولبنان باللورنس والرورنس وفي مصر بالنورس وزمج الماء.

يصنف علميا في رتبة كفيات الأرجل وفصيلة النورسيات Laridae. منه حوالي 20 نوعا يعيشون في السواحل المغربية بعضها زائر جوال والبعض مقيم مستوطن والبعض يتواجد في فواصل معينة للتناسل والتكاثر أو للأكل. والتنوع الحيوي لطيور النورس في المغرب راجع لوفرة الشواطئ والبحيرات ومصبات الأنهار التي تتميز بمناخ متباين ومتنوع غني بالأسماك والقشريات. وتعتبر محمية المرجة الزرقاء الطبيعية التي تقع جنوب العرائش وضاية سيدي بوغابة والوالدية وخنفيس وشرم الداخلة وبحيرة الناظور مناطق ذات أهمية وطنية وإقليمية ودولية حيث ينتشر فيها عدد كبير من أنواع الطيور المائية البحرية التي يعشش الكثير منها بين النباتات الكثيفة. فبحلول الخريف يؤدي وجود آلاف الطيور المهاجرة إلى تحويل هذه المناطق الرطبة الساحلية إلى بانوراما رائعة من أسراب النورس والزمج في أماكن المد والجزر للاستراحة وللبحث عن الديدان والقواقع والقشريات التي يلقي بها البحر على الشواطئ.

من أهم أنواع النورس الشائعة في المغرب نورس الرنجة أو النورس الفضي. يسمى علميا Larus argentatue وبالفرنسية Goéland argenté وبالإنجليزية Herring gull. يبلغ طوله 56 ـ 66 سم من المنقار إلى الذيل والطيور البالغة جميلة اللون رمادية من أعلى مشوبة بالسواد، الأجنحة سوداء بها بقع بيضاء. الصغار مبرقشة بالرمادي والبني خلال الحولين الأولين من عمرها وبهذا تختلف عن الأفراد البالغة.

النورس الكبير ذو الظهر الأسود Larus marinus أكبر أنواع النورس يبلغ طوله 79 سم وهو جميل المنظر، ريشه أسود فاتح على الظهر ومنقاره أحمر ولكنه قرصان شرير فهو يهاجم ويقتل الطيور الصغيرة ويفترس الأسماك البحرية ويمكن اعتباره طائر الفرائس وهو شائع على السواحل المغربية طول السنة ويمكن مشاهدته بالقرب من الشواطئ. النورس الأسمر Larus fascus أصغر حجما إذ لا يتعدى طوله 53 سم. ظهره رمادي أردوازي والأقدام صفراء.

النورس الصغير Larus minutus Little gull يبلغ طوله 30 سم فقط وهو أصغر أنواع طيور النورس وتتوافد أفراده على الشواطئ المغربية خلال الخريف ويتكاثر في أوروبا.

يألف النورس المناطق الباردة والمعتدلة ويندر وجوده في المناطق الاستوائية وبعض منها مثل النورس العاجي الأبيض الجميل، يقتصر وجوده على المناطق القطبية يتكاثر بين الصخور الشاطئية الصعبة المنال وبين أعشاب البحيرات والكثبان الرملية أو الجزر الصغيرة حيث لا يزعجها أحد.

النورس من الطيور الأكثر تأقلما مع الظروف المناخية والبيئية، تبيض الأنثى من بيضتين إلى أربع بيضات في فترة أبريل إلى يونيو تبعا لنوع النورس، ويغطي صغار النورس زغب قصير عند الفقس، ويمكنها أن تتحرك خلال أيام قليلة إذا كان العش على أرض مستوية ويغذي الأبوان الصغار بمقيئ وهو طعام راجع من الحوصلة. تنمو الفراخ بسرعة ويمكنها أن تطير بعد شهر أو ستة أسابيع وفي البداية يكون لون الصغار مبرقشا باللون البني، وتمر 3 سنوات قبل أن يتم تكون الريش الدائم في الأفراد البالغة.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East,* 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

**نوصيري، عبد الله** بن **محمد** (أوشن) : ولد يوم 01 / 02 / 1924، بدوار أكرار / Agara بآيت إسحاق إحدى فروع قبيلة آيت آمر بحاحا الجنوبية، ونشأ في وسط عائلته ببلدته، ثم اشتغل بالفلاحة. انتقل إلى مدينة أگادير طلبا للرزق، فصار بها رجل أعمال متميزاً، أهلته مهنته لتكوين علاقات شخصية مع عدد من سكان المدينة، ولم يكن له نشاط سياسي قبل سنة 1952. غير أن نموّ الوعي الوطني، وازدياد وتيرة الغليان الشعبي لدى المغاربة بسبب التصريحات والنوايا السيئة والتصرفات المناقضة لبنود معاهدة الحماية، والمضايقات والاستفرزازات التي أصبح الملك محمد الخامس يتعرض لها من طرف المقيمين العامين الفرنسيين : ابتداء من سنة 1950، كل ذلك دفع بكثير من الوطنيين بأگادير إلى التفكير في الأعمال الفدائية في وقت مبكر، قبل نفي الملك سنة 1953. فانخرط عبد الله أوشن (النوصيري) في المقاومة، وعمل على تكوين خلية فدائية سماها بـ "الفرقة التحريرية"، تكونت من السادة : عبد الله أوشن (النوصيري) السالف الذكر رئيس الخلية، وزكي مولاي إدريس بن المختار المراكشي، ومحمد بن العربي الشيشاوي الملقب بـ "الفقيه"، اللذين توليا قيادة فروع الخلية، وإبراهيم بن الحاج بوسلام، وعلي باغوغ، وإبراهيم بن محمد الكنسوسي، وإبراهيم بن محمد التيوتي، وبلكو بركة بن فرجي، وعبد الرحمان السرغيني، وميلود بن بوجمعة بن محمد الملقب بـ "عود البحر".

عمل المترجم له صحبة بعض رفاقه على إبلاغ القصر الملكي بنشاطهم. واتصل بشكل خاص بولي العهد آنذاك الأمير مولاي الحسن في حي السويسي بالرباط لإخباره بنشاط الوطنيين وقرارهم ببدء العمليات المسلحة ضد الاستعمار، وذلك قبل انطلاق شرارتها الأولى بأگادير. وفي سياق ذلك، كان باشا المدينة يستدعي الوطنيين والمشتبه بهم في الانتماء إلى حزب الاستقلال أو غيره، ويحذرهم ويتوعدهم ويُرهبهم كما فعل مع السادة : قاسم بن حيون وزكي الإدريسي مولاي إدريس بن المختار، ومحند نآيت الطالب، على سبيل المثال.

وابتداء من شهر دجنبر 1952، أصبحت "الفروع الصغرى للفرقة التحريرية" جاهزة بعد توفرها على بعض الأسلحة اليدوية الخفيفة، ومتفجرات من صنع محلي، وقنينات مملوءة بالبنزين - (گوگتايل مولوتوف) -، وكمية من البارود، ومناشير، ورسائل التهديد. واشترك عبد الله أوشن (النوصيري) مع محمد بن العربي الشيشاوي وميلود بن بوجمعة الملقب بـ "عود البحر"، في مهمة الإعداد والتخطيط، وتوزيع الأدوار والتنسيق ؛ ثم بدأوا في عمليات تنفيذ الأعمال المسلحة.

وقد شنت عناصر الشرطة الفرنسية حملة واسعة النطاق بأگادير، بعد وقوع تلك العمليات، أسفرت عن اعتقال بعض عناصر الخلية السالفة الذكر، وداهمت بيوتهم ومحلات أعمالهم ووجدت فيها قنينات البنزين والمتفجرات والبارود، واستجويت عائلاتهم. وتعلق الأمر بالسادة : إبراهيم التيوتي، وعبد الله أوشن (النوصيري)، وعبد الرحمان السرغيني وغيرهم. وقد خضعوا كلهم لاستجوابات الشرطة الفرنسية، تحت التعذيب والتنكيل والإهانات، ثم قدمتهم إلى المحكمة العسكرية بالدار البيضاء لمحاكمتهم، وسجنوا بالسجن المدني هناك منذ يوم 02 / 01 / 1953. وكان الحكم الصادر في حق عبد الله أوشن (النوصيري) هو ست سنوات سجنا وعشرين سنة نفيا، أمضى منها أربعا في سجن القنيطرة، - (رقم الإعتقال : 2634) -، وأطلق سراحه يوم 23 يناير 1956، بعد عودة الملك محمد الخامس وحصول المغرب على الاستقلال.

وبعد خروجه من السجن، عاد إلى مدينة أگادير واستقر بها، وظل يمارس بها أعماله في السمسرة والتجارةإلى أن وافته المنية سنة 2003.

خالد أوشن، *الوعي الاجتماعي بالمقاومة الوطنية*، نموذج أگادير، 1953 / 1956 ؛ بحث لنيل الإجازة في التاريخ 1987 بجامعة محمد الخامس بالرباط، مرقون ؛ *معلومات عن المقاوم المذكور بالمندوبية السامية لقدماء* وأعضاء جيش التحريربأگادير ؛ عبد الرحيم الورديغي، *المقاومة المغربية ضد الحماية الفرنسية*، 1952 / 1956، دار ابن خلدون، الرباط، 1982، ص. 93 ؛ أحمد مجيد بن جلول، ترجمة كتاب : *أيتها العدالة*، يا موطن الإنسان. لمؤلفه، جان شارل لوكران، ج 1، منشورات *المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير*، 1984، ص. 63 - 83.

خالد أوشن

**نوگيس شارل**، 1876 - 1970 سادس مقيم عام في عهد الحماية الفرنسية، وثاني كبار ضباط الجيش الفرنسي الذين أسند إليهم أمر إدارة مصالح الاستعمار بعد ليوطي وقبل جوان وكيوم وبوايي دي لاتور، جاء تعيينه على رأس الإقامة العامة في الرباط من قبل حكومة الجبهة الشعبية في شتنبر 1936 وقت كانت الحرب الأهلية الإسبانية قد اندلعت منذ شهرين وصارت غيوم الحرب العالمية الثانية تتلبد، فبدا من الضروري أن تجمع سلطات الحماية المدنية والعسكرية في يد واحدة، ولم يكن أحد يومئذ ليتقدم على الجنرال نوكيس في ذلك نظرا لمؤهلاته العالية وخبرته بشؤون المغرب وبلوغه أعلى المراتب العسكرية.

ولد سنة 1876 في الجنوب الشرقي من فرنسا في أسرة من تلك الأسر المغمورة التي تعوض عما ينقصها من سعة

ذات اليد بالتمسك بالعقيدة الدينية والتفاني في احترام التقاليد والأعراف، فتابع الشوط الأول من دراسته في ثانوية كاثوليكية حرة التي التحق منها بمدرسة بوليتكنيك الذائعة الصيت بفضل نبوغه في الرياضيات. وفي مدرسة بوليتكنيك اختار التخصص في فنون الحرب وفي هندسة المدفعية على وجه التخصيص. ولما تخرج منها سنة 1897، فإنه ألحق بثكنة منعزلة في جبال الآلب، وكان ذلك بمثابة إقصاء يتعرض له أمثاله من الضباط الملتزمين بممارسة الطقوس الكنائسية والنافرين من سياسة العلمانية التي يمارسها النظام الجمهوري الحاكم. وانتهز شارل نوگيس ذلك فرصة ليعزز معلوماته بأن انكب على دراسة القانون حتى حصل على درجة الدكتورة في جامعة إيكس ـ آن ـ بروفانس، كما انكب على دراسة الكارطوغرافية أو فنون وضع الخرائط، فاحتاج إلى فترة من التدريب الميداني قضاها في إفريقيا الشمالية متنقلا بين تونس والجزائر قبل أن يعين بالجنوب الشرقي الجزائري تحت قيادة ليوطي في عين الصفراء، فأصبح محسوبا من "فريقه" مكلفا بوضع الخرائط الممهدة لغزو المغرب، مما جعله يتعرف على البلاد وعلى سكانها ويتشبع بمبادىء "السياسة الأهلية" الرامية إلى التستر على أساليب الإكراه في فتح البلاد المغربية بشتى أساليب المخاتلة والمخادعة. ثم إن نوگيس ألحق بالأركان العامة لقيادة جيوش الاحتلال بعد عقد الحماية وتعيين ليوطي أول مقيم عام فكان من حاشيته المقربة إلى أن اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى فعاد مهرولا إلى فرنسا ليشارك في العديد من المعارك في سلاح المدفعية. ولما عين ليوطي وزير للدفاع في دجنبر 1916 التحق نوگيس بديوانه. لكن التجربة سرعان ما باءت بالفشل فعاد ليوطي إلى الرباط مقيما عاما، وعاد نوكيس إلى ميادين القتال حيث أبلى البلاء الحسن ونال تنويه رؤسائه بمواهبه في الرماية ورباطة الجأش في القتال.

ويوم وضعت الحرب أوزارها التحق نوگيس بديوان ألكساندر ميران Alexandre Millerand الذي كان مندوب فرنسا العام على إقليم الألزاس واللورين المسترجع من ألمانيا. وهنالك تمرس على العمل الإداري وأعجب به فتأهل ليدخل ديوان ميران المنتخب رئيسا للجمهورية سنة 1920، فانفتحت أمامه أبواب الدوائر العليا والصالونات البارزية التي تتخذ فيها كثير من القرارات الحاسمة. وهكذا تمكن سنة 1921 من الاقتران ببنت الوزير تيوفيل ديلكاسي Théophile Delcassé فازدادت قدماه رسوخاً وسط أولي الحل والعقد وخاصة منها الأوسط المتتبعة لقضايا الاستعمار اضطر ميران إلى الاستقالة من رئاسة الجمهورية، فإن نوگيس عاد إلى المغرب ليقف إلى جانب أستاذه ليوطي في قمع الثورة الريفية، قائدا لبعض فرق جيش الاحتلال على جبهة وادي ورغة. وقد اعترف المقيم العام تيودور سطيك Théodore Steeg، خلف ليوطي في الإقامة العامة ذات مرة، بأن نوگيس هو الذي حال بين مجاهدي الريف وبين أن يدخلوا مدينة فاس في ربيع سنة 1925. ولذلك نال رتبة الجينرالية، وأسندت إليه إدارة المدرسة التطبيقية للمدفعية في ضاحية باريز، ترأسها إلى أن عاد إلى المغرب سنة 1929 ليرأس الديوان العسكري للمقيم العام لوسيان سان Lucien Saint.

وأثناء ذلك وضعت الخطة العامة لإتمام عمليات "الباسيفكاسيون" وتصفية ما ظلّ ممتنعا من جيوب المقاومة في الأطلس الكبير وفي التخوم الصحراوية. ويرتبط ذلك بصدور ظهير 16 ماي 1930 الرامي إلى عزل القبائل الأمازيغية عن أحكام الشريعة الإسلامية. وكان نوگيس هو المسؤول عما جرى من قمع مظاهرات الحركة الوطنية المغربية الناشئة في المدن الكبرى احتجاجا على الظهير المذكور.

ولكنه عرف كيف يتملص من تلك المسؤولية بأن غادر المغرب سنة 1931 ليقود الفيلق العاشر للمشاة في باريس. على أنه سرعان ما عاد إلى إفريقيا الشمالية لقيادة الجيش التاسع عشر من الجزائر العاصمة، فتعمق اطلاعه على أحوال الشعب الجزائري في الوقت الذي انكب فيه على وضع مخطط الاستنفار العام الذي سيعمل به سنة 1939 عند اندلاع الحرب العالمية الثانية، بحيث أضحى من كبار ضباط الجيش الفرنسي، فصار عضوا من أعضاء المجلس الأعلى للحرب بعد أن رقّي إلى درجة جينرال دي كور دارمي وأسند إليه أمر التفتيش العام لجيوش إفريقيا الشمالية في يونيو 1936. فلا غرابة في إقدام حكومة الجبهة الشعبية على تعيينه مقيما عاما في الرباط في صيف تلك السنة بعد أن صممت العزم على إقالة سلفه مارسيل بيوطون لأفكاره اليمينية المتطرفة ولتعاطفه الإيديولوجي مع ثورة الجنرال فرانكو المنطلقة من منطقة الحماية الإسبانية فصار من اللازم استبداله بمن يدافع عن الحماية الفرنسية في المغرب بدون هوادة. ولم تجد الحكومة الشعبية الفرنسية أحسن من نوگيس الذي تردد في قبول المنصب لأنه لم يكن من أنصار الجبهة الشعبية لا من قريب ولا من بعيد ولأنه كان يخشى من

الشعارات التحررية لليسار الفرنسي. لكنه قبل عندما تأكد أن القاسم المشترك الوحيد الذي يجمع بينه وبين حكومة ليون بلوم Léon Blum هو دعم الحماية الفرنسية في المغرب في تلك الأثناء والدفاع عنها بكل الوسائل، وقد اشترط أن لا تتخذ الحكومة أدنى قرار يتصل بشؤون المغرب إلا بعد التشاور معه. وهكذا حلّ مقيما عاما في الرباط في منتصف شتنبر 1936 ليمتد حكمه إلى يونيو 1943، مدة تناهز سبع سنوات بلغت فيها الحماية الفرنسية أوج نفوذها بفضل ما أبداه الجنرال نوگيس من قدرة على اجتياز جلّ الحواجز وركوب أعلى الأمواج والصمود للعواصف المتلاحقة التي تميزت بها تلك السنوات.

وأول ما اصطدم به هو انتقال المقاومة الوطنية من الجبال والبوادي إلى المدن والتجمعات الحضرية، إذ كانت الجيوش الفرنسية قد استطاعت تطويع آخر معاقل المقاومة المسلحة في الأوعار سنة 1934. بيد أن تلك السنة هي بالضبط سنة تقديم برنامج الإصلاح من قبل كتلة العمل الوطني التي صارت صفوفها تنتظم وتزداد ثباتا وإقداما بما كان من الفوز في معاركها ضدا على الظهير البربري وبما صار لها من الدوي في الجماهير الشعبية التي أبان أول إحصاء رسمي للسكان سنة 1936 أن أعدادهم فاقت ستة ملايين نسمة فهي في تزايد مطّرد وفي قلق كبير بسبب ما تعاقب على المغرب من السنوات العجاف ففر الناس من البوادي نحو المدن محتشدين في ضواحيها في سكن عشوائي مهمش، معززين صفوف الحركة الوطنية ومشجعين إياها على المزيد من الكفاح. فكان على نوگيس أن يواجه المظاهرات الوطنية الجماهيرية أسابيع معدودة بعد حلوله بالإقامة العامة، فأمر بإلقاء القبض على من خرج من الزعماء يتظاهر في الشوارع مع المتظاهرين، ثم ما لبث أن أطلق سراحهم ليعود إلى سياسة القمع بعد أن تشكل الحزبان الوطني بقيادة علال الفاسي والقومي بقيادة محمد بن الحسن الوزاني في ربيع سنة 1937 التي كانت فيها ذروة القحط والمجاعة، واندلعت فيها جراء ذلك مظاهرات مكناس في شهر شتنبر بسبب ما اتخذته السلطات المحلية من التدابير لمعالجة ندرة المياه، وجراء القمع البشع للمظاهرات التي قتل فيها من قتل وجرح الكثير وسيقت الوجوه الوطنية البارزة إلى السجن، وفي مقدمتهم علال الفاسي الذي نفي إلى الكابون ومحمد بن الحسن الوزاني الذي نفي إلى أسا في التخوم الصحراوية. وكان من دهاء نوگيس أنه لفّ أعمال القمع تلك في سلسلة من التدابير السياسية التي سرعان ما أطفأت نيران الغضب الشعبي في المدن، منها إبداء العناية بالحرفيين وتخفيف العبء الجبائي عنهم والعناية بالسكن السليم للجماهير العمالية في كبريات المدن، ومنها في البوادي وضع برنامج متكامل لبناء السدود للتحكم في عدم انتظام الأمطار وفي قضايا الري. وكان من دهائه أيضا إدراكه لخطر ما جرى في مطلع الثلاثينيات من التقارب بين السلطان الشاب سيدي محمد بن يوسف وبين زعماء الحركة الوطنية الذين كان جلهم من سنه. وقد استفاد نوگيس مما ألم بالعاهل من المتاعب الصحية في نهاية 1937 وبداية 1938 ليحاول نيل تأييده لما كان يتخذ من القرارات، لا سيما وأن السنوات العجاف انتهت وعادت الظرفية الاقتصادية إلى ماهو أحسن فاشتغلت الجماهير بأسباب الرزق.

واستطاع نوگيس أيضا التغلب على قلق الجالية الاستعمارية المتمثل في غليان كبار المعمرين من جهة اليمين وفي تحركات فروع الأحزاب اليسارية الفرنسية في البلاد المركبة من نخبة عمالية مقتدرة كثيفة الصفوف. فمن جهة المعمرين لم يجد كبير عناء في إنسائهم حكم سلفه في الإقامة العامة مارسيل بيروتون بما أبداه من التعاطف معهم ومن القدرة على قمع الحركة الوطنية وشغب الجماهير، وذلك في أقل من سنة بعد تعيينه، واستصداره لظهير يحرم العمال المغاربة من التكتل النقابي. أما من جهة النقابات وفروع الأحزاب الفرنسية اليسارية، فإنه ذكرها بمنطق من لا يقبل الجدل بأن المغرب ليس هو فرنسا، وأن ممارسة نشاطاتها ونضالاتها والتلويح بشعاراتها الطبقية في المغرب فيه مسّ بالوجود الفرنسي جملة وتفصيلا، فلا مناص من التفطن لذلك ومن التذكر بأن الجالية الأوربية أقلية قليلة وسط الجماهير المغربية المتنامية، وأن سر بقائها والحفاظ على مصالحها يقتضي التبصر ووحدة الصف والالتفاف حول قائدها الطبيعي الذي هو المقيم العام دون سواه. وهكذا وجدت الأوساط الاستعمارية في نوگيس "الشاف" أو القائد الذي ظلت تنتظره منذ استقالة ليوطي سنة 1925.

وتصدى كذلك لما صار يحدق بمنطقة الحماية الفرنسية من المخاطر من جهة منطقة الحماية الإسبانية بعد انتصار التمرد العسكري بقيادة الجنرال فرانكو على النظام الجمهوري في بلاده واعتماده من أجل ذلك على مساعدة الديكتاتوريتين الطاليانية والألمانية، مما فتح الباب مجددا أمام الألمان للتجسس على خصومهم الفرنسيس ومحاولة النيل من نفوذهم في المغرب خاصة وفي إفرقيا الشمالية بصفة أعم للتشويش على تحركات الأساطيل الفرنسية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. وبلغت العلاقات بين المنطقتين درجة من التوتر والحدة في طليعة سنة 1937 أنذرت باشتغال نيران الحرب بين الجانبين، لولا أن الجانب الإسباني كان عاجزا وراغبا عن فتح جبهة حربية أجنبية وهو في خضم الحرب الأهلية. ونال بذلك نوكيس مزيدا من السمعة والتألق.

ثم لما اندلعت الحرب العالمية الثانية في شتنبر 1939، فإن القيادة العليا للجيوش الفرنسية المرابطة في شمال إفريقيا أسندت على التوّ إلى نوگيس. ولكن ما أن دخلت الجيوش الألمانية غازية إلى العاصمة الفرنسية دون كبير عناء في ربيع 1940 حتى سقطت الحكومة الفرنسية الشرعية وقام مقامها ديكتاتورية المارشال بيتان Pétain الذي بادر إلى إبرام الهدنة مع نظيره الألماني هيتار Hitler، فوجد نوگيس

نفسه في زوبعة ظل يقاومها بكل ما أوتي من مكر ودهاء إلى أن اضطر إلى اللجوء إلى البرتغال فرارا من الجنرال ديكول De Gaulle ، ذلك بأنه انحاز في يونيو 1940 للمارشال بيتان واستهان بديكول معتبرا إياه دمية في قبضة إنكلترا. وكان هاجس نوگيس الوحيد هو أن يبقى المغرب في قبضة فرنسا، فانبرى يحميه من كل الأطماع المنافسة ليقينه أن انهزام فرنسا لن يزيد تلك الأطماع إلا جرأة وتكالبا، سواء في ذلك إنجلترا ومن ورائها الولايات المتحدة الأمريكية، أو ألمانيا التي كان يرى أنها لا ترمي من خلال الهدنة سوى للحلول محل فرنسا في إفريقيا الشمالية. وصار نوگيس بخطة متناقضة يجامل الأطراف المتنازعة في الظاهر ويقاومها ويعرقل مخططاتها في الخفاء. مما جعل الجميع يقف على حذر منه ويتوجس خيفة من مكره وحيله. فقد رامت حكومة المارشال بيتان التخلص منه في صيف 1940. لكنه عرف كيف يتجنب غضبها فانتقمت منه بأن عينت مكانه الجنرال فيكان Weygand قائدا للجيوش الفرنسية في شمال إفريقيا بحيث انحصرت سلطة نوگيس عند مسؤوليات المقيم العام في الرباط. ثم صارت الضغوط الأمريكية تشتد في المغرب بسبب حاجة الأسواق المغربية إلى البضائع الأمريكية وخاصة منها النفط الذي كان نوگيس في أمس الحاجة إليه ليوهم المغاربة بأن فرنسا لا تزال هي مصدر الخير والرواج، وأيضا بسبب الاستعداد لنزول الجيوش الأمريكية على الشواطئ المغربية، وقد جرى في النصف الأول من نونبر 1942 دون أن يتم إشعار نوكيس به فكان مفاجأة غير سارة حاول مقاومتها كما حاول عبثا إرغام السلطان على مغادرة الرباط للتحصن والتترس بفاس. لكن السلطان رفض ذلك مثلما رفض لنوگيس أن يطبق في المغرب ما أقرته حكومة المارشال بيتان من القوانين المعادية لليهود. والحالة هذه فإن نوگيس لم يعد يتحكم في ما يجري في المغرب منذ خريف 1942 ، ذلك بأنه وقف كالمتفرج في مؤتمر أنفا وفي لقاء العاهل المغربي بالرئيس فرانكلين روزفلت (يناير 1942). كما عجز عن القيام بأي دور بناء في السباق على الحكم بين الجنرالين دي كول بصفة كونه ممثل المقاومة الشعبية الفرنسية وجيرو Giraud بصفة كونه مرشح الأمريكان الذين كانوا نافرين كل النفور من ديكول، مثلما كان نوگيس نافرا منه. فلما مالت الكفة لصالح الجنرال ديكول لقيادة حكومة فرنسا الحرة كما كان يقال، فإن أول ما أقدم عليه من القرارات هو عزل نوگيس من الإقامة العامة في الرباط، مطالبا بمحاكمته بتهمة الخيانة والامتناع عن مقاومة العدو الألماني. فاضطر نوگيس إلى الفرار إلى البرتغال، قائلا في خطبة الوداع : "المرء زائل ويبقى المغرب وفرنسا". وقد حكم عليه غيابيا بعد الحرب بعشرين سنة من الأشغال الشاقة. لكنه منح السراح المؤقت سنة 1954. وحاولت الحكومة الفرنسية الاستعانة به في فك الأزمة مع محمد الخامس في شهر شتنبر 1955 ، ثم منح العفو الشامل بعد عودة الجنرال دي كول إلى فرنسا ليقضي آخر السنوات من حياته الممتدة في تمام الإهمال والنسيان إلا ما كان من الملك الحسن الثاني الذي ظل يأمر بتفقد أحواله حتى إذا وافاه الأجل المحتوم كان ممثل المغرب في باريس هو الشخصية الرسمية الوحيدة التي حضرت الجنازة.

علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة، 1947 ؛ محمد بن الحسن الوزاني، *حياة وجهاد*، الدار البيضاء، 1982 هويسنطن وليام، *الحماية الفرنسية بالمغرب بين الأوج والأفول تحت قيادة الجنرال نوگيس*، 1936 ـ 1943 تعريب إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2001.

Ch.-A Julien, *Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956*, Ed. Jeune Afrique, 1978.

إبراهيم بوطالب

**نومر** (أولاد -) (قبيلة)، النسبة إليهم النومري، اسم يطلق على قبيلة عربيةتستوطن جزءا من سهل سوس جنوب وادي والغاس (ماسة). يحدها شمالا : ماسة، جنوبا : الحتابيب، غربا : المحيط الأطلنتي، شرقا : المعدر. وإذا قارنا المجال الترابي للقبيلة كما حددته وثيقة الحيازة المؤرخة بتاريخ 1197 / 82 ـ 1783 بالوضعية الحالية، فمن الواضح أنه عرف تقلصا واضحا.

ما نتوفر عليه لمقاربة أهل ونسب أولاد نومر، عبارة عن وثيقة بدون تاريخ، تتضمن ما تحتفظ به الذاكرة الجماعية من أن النومريين ينتسبون إلى هماد المدعو النومر بن عامر الهامل المكنى بأبي السباع من زوجته الثانية وهي من إيداوسملال. لذا فهم فرع لقبيلة أولاد بوسبع.

لا نتوفر على معطيات تسمح بتحديد تاريخ وظروف استقرارهم، بيد أن ما تتداوله الروايات، أن مواطنهم كانت بوادي نون، وكانوا يرتحلون بين الصحراء وبسيط سوس للانتجاع. وقد تمكن عدد منهم من الاستقرار في بداية الأمر بمنطقة عكربان قبل الانتقال إلى مستقرهم الحالي. وتتباين في هذا الصدد، الروايات في تفسير دواعي هذا الاستقرار، فمنها ما يربط ذلك بفترة الفوضى التي سادت المنطقة مع نهاية حكم الدولة المرينية، ارتباطا بالخطة التي نهجتها هذه الأخيرة في تعاملها مع بسيط سوس، حيث اقتطفت مجالات ترابية لبعض القبائل العربية. وثمة أخرى تربط ذلك بتداعيات مشاركة السباعيين في حركة الجهاد خاصة بالسواحل الأطلنتيكية الجنوبية، مما مهد السبيل لاستقرارهم بالمنطقة. كما لا تستبعد روايات أخرى، كون السلطان مولاي إسماعيل هو من أنزلهم بسوس واقتطع لهم الأراضي التي يستقرون بها، بعد فترة وجيزة من قضائه على تمرد أحمد بن محرز الذي احتمى مدة من الزمن بجبال جزولة. لذا يستبعد أن يكون هذا الإنعام مرتبطا بضرورة ضمان التحكم في ممر استراتيجي جنوب وادي والغاس، خاصة إذا علمنا أن

"تابريدا" أو مسلك القوافل التجارية الساحلي يمر بتراب أولاد نومر.

مهما يكن من أمر، فإن النومريين "عمروا جميع ما احتوت عليه الحدود الأربعة، بجميع أنواع العمارة كلها من الحرث والحصاد والبنيان وحفر الآبار وقطع الهرجان والدغموس... وغرس الأشجار المنتفع بها، ورعي الغنم وسائر البهائم" (وثيقة مؤرخة بتاريخ أوائل ذي القعدة 1197) وأن القبائل المحيطة بهم تشهد بصحة تلك الحيازة. وقد جدد لهم الأمير محمد بن عبد الله بإيعاز من والده، ملكية مستقرهم. وحظي النومريون بالتفاتة من قبل سلاطين الدولة العلوية، حيث أُنعم عليهم بمجموعة من ظهائر التوقير والاحترام، وأُسقطت عنهم المغارم والكلف المخزنية. لهذا كان تراب أولاد نومر، شأنه في ذلك شأن جيرانهم الخنابيب، في مأمن من الصراعات رغم انضوائها تحت مظلة قبيلة المعدر. ولم تسجل الروايات إلا ما كان يجمعها مع الخنابيب من مناوشات ظرفية مرتبطة أساسا بخلافات حول الأرض.

تتميز القبيلة بتنوع مكوناتها رغم انتمائها إلى جد مشترك، لهذا نجد الأفخاذ الأصلية (أهل البودراري، مبارك بن الطالب، عيرش، حمدي سعيد، سيدي مبارك، علي بن حميدة، بن الحسين، العبل، بن الخاضير)، وانضافت إليها فصائل أخرى دخيلة (أهل حميدة، حميتي، البلال، الداحيم، الناجم، بوستة، بلعسري، مويسي، مويسة، بودا، بكاس...). ولقد أصبح عنصر الانتماء إلى جد مشترك والانتساب إلى الأدارسة عاملا موحدا وباعثا على نسج علاقات مستمرة مع باقي الفصائل السباعية المستقرة بالصحراء وحوز مراكش. تتكلم دواوير أولاد نومر العربية الدارجة، كما يتقن سكانها التخاطب بلهجة تاشلحيت بسبب الجوار والتمازج.

*وثائق محلية* ؛ *تحريات ميدانية* ؛ عبد الله السباعي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، 1986، ص. 33-43، ظهائر مخزنية ؛ *معلمة المغرب*، ص. 1711.

أحمد بومزگو

**نوميدية والمغرب القديم**، يمكن أن نتتبع علاقة أهل نوميدية Numidia أو الجزائر حاليا، بأهل موريطانية Mauretania أو المغرب القديم خلال عهد ملوك البلدين، ابتداء من أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، حيث قامت في نوميدية مملكتان يُعرف رعاياها بالماسوليين Masyles الذين حكموا شرق البلاد، وعاصمتهم هي كيرتا Cirta، والماسيسوليين Masaesyles الذين حكموا غربها، وعاصمتهم سيگا Siga. ومجال نوميدية ينتهي غربا بوادي ملوكة Mulucha، الذي كان حدا فاصلا بين الماسيسوليين والملوك الموريين. وفي الشرق فإن مجال نوميدية يتصل بالإقليم الذي كان خاضعا لقرطاجة في بلاد تونس الحالية. وأما العلاقة بين أهل نوميدية وأهل المغرب القديم فإن النصوص تسمح فقط بتتبع جانبها السياسي، من خلال مواقف الملوك الموريين من الملوك النوميديين.

أول موقف يتعلق بمساعدة الموريين للملك الماسيسولي سيفاكس Syphax سنة 213 قبل الميلاد، لما هاجمه الملك الماسولي گايا Gaïa بدعم من قرطاجة. وفي ظروف مماثلة نقف على حاجة الأمير الماسولي مسنيسا Massinissa إلى مساعدة الموريين سنة 206 قبل الميلاد في استرجاع مملكة والده گايا التي انتزعها سيفاكس بموافقة قرطاجة، بعدما تنكرت للدور الإيجابي الذي التزمه گايا، حينما قدم لها مساعدة عسكرية في الحرب البونية الثانية، وكلف ابنه مسنيس بقيادة الجنود الذين وضعهم تحت تصرف القرطاجيين في إسبانية. ففي هذه الظروف حكم الملك الموري باگا Baga. وكل ما نعرفه عن عهده مستمد من خبر وحيد أشار إلى استجابته لمساندة مسنيسا، وقدم له أربعة ألف محارب رافقوه في طريق العودة إلى بلاده، لمواجهة خصومه السياسيين من الماسيسوليين والقرطاجيين. ولقد اشترط باگا أن يعود رجاله بمجرد وصول مسنيسا. قال تيتوس في هذا الصدد : "لما علم مسنيسا بوفاة عمه وابن عمه الشقيق، عبر من إسبانيا إلى موريطانية حيث يحكم باگا على الموريين. وبعدما بالغ في التوسل إليه لطلب المساعدة، أمده بأربعة ألف من الموريين لمرافقته في الطريق فقط، ولم يوافق على مشاركتهم في الحرب. انطلق مسنيسا مع الموريين، وبعث رسالة إلى أصدقاء والده وإلى أنصاره هو. ولما وصل إلى حدود مملكته، وجد فقط حوالي خمسمائة نوميدي في استقباله. وحينئذ عاد الموريون إلى ملكهم كما تم الاتفاق على ذلك، برغم أن القوات التي التحقت به كانت أقل مما توقع، ولا تكفي للمهمة التي جاء من أجلها".

المعروف أن المهمة التي ذهب مسنيسا من أجلها إلى نوميدية هي مواجهة سيفكس والمشاركة في حملة سكيبو Scipio على قرطاجة في أواخر الحرب البونية الثانية. والنص السالف ذكره يوحي بأن مسنيسا طلب من باگا مساعدته في هذه المهمة. والغالب أن الأمير الماسولي عرض على الملك الموري أيضا التحالف مع الرومان، فرفض ذلك رفضا باتا، برغم إلحاح وتوسل مسنيسا كما ورد في النص. ويبدو أن الملك الموري استجاب لحد أدنى من مساعدة الأمير النوميدي نظرا لعدالة قضيته، وذلك بتأمين وصوله إلى بلاده التي سلبها سيفكس. وتأكيد المؤرخ على أن الموريين عادوا إلى ملكهم حسب الاتفاق، يدل على رفض الملك الموري لأي شكل من أشكال المشاركة الرسمية في الصراع القرطاجي الروماني، الذي صار مسنيسا متورطا فيه.

وأيا ما كان الحال، فالواضح أن هذه المساعدات المورية للجيران النوميديين، تنعكس سلبيا على الأهداف التوسعية لقرطاجة، ولا ريب في أن هذه المواقف المورية تمثل مقاومة وتصديا لتطلعات القرطاجيين إلى فرض هيمنتهم على الملوك الأفارقة. ولما احتد الصراع القرطاجي الروماني تورط الملوك

النوميديون في الحرب البونية الثانية. وعلى العكس من ذلك، ليس هناك نص صريح يفيد أن ملوك الموريين تدخلوا في هذا الصراع. وبعد ذلك نجد نوعا من الانسجام في جو من العلاقات الاقتصادية بين الموريين والنوميديين في عهد ماسينيسا، الذي انفرد بحكم نوميدية بعد القضاء على مملكة الماسيسيليين. وهذا الانسجام توحي به قطع نقدية لماسينيسا تم العثور عليها في بعض المواقع الأثرية بالمغرب. وقطع من أمفورات الأقواس المورية Kouass, 2-3، التي تم العثور عليها في بعض المواقع الأثرية بالجزائر. وربما دامت هذه العلاقة في عهد ماسنيسا حتى وفاته سنة 148 قبل الميلاد. ثم في عهد ابنه ميكبسا Micipsa المتوفى سنة 118 قبل الميلاد.

وأما العلاقات السياسية فإن النصوص التاريخية أفصحت عنها بمناسبة حرب يوغرطة. وحينئذ نجد العلاقة متوترة بين الملك الموري بكوس Bocchus الأول والملك النوميدي يوغرطة Iugurtha، برغم أن هذا الأخير كان قد تزوج ابنة بكوس. وهدفه من هذا الزواج هو ضمان ولاء الموريين إلى صفه، وهو يتطلع إلى الانفراد بحكم نوميدية، خصوصا وأن رعايا الملك بكوس كانوا يرفضون التعامل مع الرومان. وهذا ما جعل يوغرطة يراهن على مناصرتهم لقضيته. غير أن ذلك أغضب بكوس، فشن هجوما على يوغرطة وانتزع منه مجالا ترابيا في غرب نوميدية، ظل الملك متشبثا به في محاججته للرومان لما تفاوض معهم خلال حرب يوغرطة. قال سالوست ما يلي : "فأجاب بكوس بكلام مسالم ثم أضاف كلمات دافع بها عن نفسه فقال إذا كان قد حمل السلاح، فلم يكن ذلك عن عداء للرومانيين، بل كان حماية لمملكته، وأن القسم من نوميدية الذي طرد عنه يوغرطة بقوة السلاح قد أصبح ملكا له بحق الاستيلاء، وأنه لم يقدر على رؤية ماريوس يعيث به مفسدا، وزيادة على ذلك فإن السفراء الذين سبق أن بعثهم يطلبون صداقة رومة قد صرفوا عنها بهوان. وأخيرا فإنه لا يتوقف عند الماضي وأنه سيبعث بسفارة جديدة إلى مجلس الشيوخ إذا أذن له ماريوس في ذلك".

ورغم ذلك بقي ليوغرطة أنصار من بين الموريين، وهم الذين أثروا على الملك لإعلان التحالف مع يوغرطة. قال عنه سالوست في هذا الصدد : "فقد قدم الهدايا العظيمة والوعود التي هي أعظم منها واجتذب إليه خواص مستشاري الملك بكوس. وبمعونتهم أخذ يداخل الملك نفسه ويحضه على إعلان الحرب على الرومانيين.، فنجح فيما أراد، خصوصا وأن بكوس عند بداية الحرب ضد يوغرطة كان قد بعث إلى رومة وفدا يطلب عقد حلف. ولكن برغم ما كان يلوح على المذاكرات من فوائد لنا في هذه الحرب، فإنها قد أخفقت بسبب دسائس بعض الرجال الذين أعمتهم الأطماع واعتادوا أن يستفيدوا الأموال من كل شيء، مما هو حسن ومما هو قبيح. وزيادة على هذا فإن يوغرطة قد تزوج بنت بكوس. والحق أن هذا الرباط لا يعتد به عند النوميديين والموريين. إذ أن لكل واحد - حسب موارده - عدة نساء، فلبعضهم عشرة، وللآخرين أكثر وللملوك أكثر وأكثر. ولذلك يُفقد التعاطف في هذه الكثرة. وليس لواحدة منهن المكانة التي للقرينة الحقيقية، وإنما كلهن محقرات على السواء".

ويواصل الكاتب حديثه عن علاقة الملكين قائلا : "واجتمع الجيشان إذن في مكان اتفق عليه الملكان. وبعد أن حلفا الأيمان أوقد يوغرطة حمية بكوس فقال إن الرومانيين شعب ظالم لا حد لأطماعه وهو عدو لجميع الجنس الإنساني. ينتحلون لمحاربة النوع الإنساني نفس العلل التي سلحت أيديهم لمحاربته هو وكثير من الأمم الأخرى. تلك العلل هي حاجتهم للسيطرة التي جعلت منهم أعداء لجميع الدول. فاليوم هم العدو وبالأمس كان القرطاجيون والملك برسي Persée وفي الغد سيكون عدوا كل من يرونه أغنى من غيره". وبعد عدد من الخطب المماثلة قرر الملكان أن يزحفا على كيرتة Cirta، الموقع الذي جعل به ميتلوس Metellus غنائمه وأسراره وأمتعته. وهكذا كان يوغرطة يرى أنهما إما أن يستوليا على المدينة، وفي ذلك تعويض لهما على أتعابهما، وإما أن يستطيعا الاشتباك في المعركة ضد القائد الروماني إذا هب لنجدة حلفائه. ذلك أن النوميدي المحتال لم يكن يسرع إلا لأمر واحد، وهو أن يدفع بكوساً إلى القطيعة العلنية، خوفا من أن هذا الأمير من طول ما انتظر، قد يفضل أي حل آخر غير الحرب".

ولما علم القائد ميتلوس بتحالف الملكين قرر التريث، خصوصا لما علم أن القيادة آلت لماريوس Marius في رومة. وشرح سالوست موقف ميتلوس قائلا : "وتوقفت استعداداته بسبب حنقه. فصار يرى من الجنون أن يعرض بنفسه في قضية لم تعد تعنيه. فبعث إلى بكوس وفدا يدعوه إلى أن لا يجاهر الشعب الروماني بالعداء بدون سبب، وأن لديه الآن فرصة حسنة ليرتبط معه بمعاهدة تحالف وصداقة أجدى عليه من الحرب. وأيا ما كانت ثقته في قواته، فيجب أن لا يغامر بما هو متأكد في سبيل المشكوك فيه. وزاد قائلا إن الحرب يسهل الدخول فيها ولكن الأصعب هو إنهاؤها، وليس دائما في مقدور المرء أن يبدأها وأن يتمها هو. وأن المبادأة بها في متناول كل إنسان ولو كان جبانا. أما وقفها فمتعلق بإرادة الغالب. فعليه إذن أن يعتبر مصلحته ومصلحة مملكته. وأن لا يربط حظه السعيد بحالة يوغرطة اليائسة. فأجاب الملك على هذه الإنذارات بلهجة معتدلة قائلا إنه يود السلم، ولكنه يشفق على يوغرطة مما هو فيه. فإذا منح لهذا الأمير ما يمنحه له، فسيسهل الاتفاق على جميع النقط. وجوابا على هذا بعث القائد إلى بكوس ببعض المقترحات. فقبل الملك منها بعضا ورفض البعض. وهكذا مر الزمان في رسائل تُبعث ويُرد عليها. بينما الحرب - كما أراد ميتلوس - تُؤخر ولا يُشرع فيها".

وبعد ذلك تكلف ماريوس بقيادة الجيش الروماني، وألحق

هزائم بقوات يوغرطة، خاصة بعدما استولى على مدينة كبسا Capsa. وحينئذ أخبرنا سالوست بمناشدة يوغرطة لبكوس كي يَنْضَمَّ إليه لمواجهة ماريوس. قال الكاتب : "أضاع إذن يوغرطة مواقع حصينة أخرى ثمينة بالنسبة إليه، كما فقد قسما كبيرا من كنوزه. فبعث إلى بكوس يرجوه أن يسرع بالقدوم مع جيوشه إلى نوميدية لأن وقت خوض المعارك قد حل. ولكنه لما علم بتردده، وأنه يحصي فوائد السلم والحرب ولا يستطيع أن يبت في الأمر، اشترى خواص الملك بالهدايا،

ووعد الملك الموري نفسه بثلث نوميدية إن وقع طرد الرومانيين عن إفريقيا أو إذا ترك له عقد الصلح مملكته سالمة. وأغرت هذه الوعود بكوس، فوافى يوغرطة بجموع كثيرة من الرجال، ولما اجتمع الجيشان قصدا ماريوس الذي كان متجها إلى معسكرات الشتاء، فانقضا عليه حين لم يبق من النهار سوى عشره، مؤملين أن الليل القريب سيحميهما إذا اندحرا، وأنه لم يضايقهما في شيء إذا غلبا نظرا لمعرفتهما للبلاد. أما الرومانيون فعلى النقيض من ذلك، يجعلهم الظلام في كلتا الحالتين في موقف أكثر صعوبة. وهكذا ففي الوقت الذي كانت فيه الأنباء ترد على ماريوس من مختلف الجهات تعلمه بوصول الأعداء، كان هؤلاء قد وقعوا عليه فعلا. وقبل أن يتمكن الجيش من أخذ صفوفه للمعركة، بل قبل أن يجمع الأمتعة، وباختصار قبل أن تصله أي إشارة أو أمر، أغار عليه الفرسان الموريون والجيتوليون بغير صفوف مسوّاة ولا طريقة محكمة. وإنما كان الهجوم بجماعات تكونت حسبما اتفق. ورغما من الاضطراب الذي أحدثه هذا الخطر المفاجئ، فإن الرومانيين لم ينسوا شجاعتهم. فبعضهم حملوا أسلحتهم أو حموا رفقاءهم الذين كانوا يتسلحون، وبعضهم امتطوا خيولهم وقصدوا العدو، حتى إن الحرب شبهت غارة قطاع الطريق لا معركة منظمة. فلا صفوف ولا أعلام، وإنما اختلط الفرسان بالمشاة. فبعض يتقهقر وآخرون يقتلون، وبينما عدد كبير يقاوم العدو من أمام مقاومة شديدة، إذا بهم يجدون أنفسهم وقد أحيط بهم من خلف. فلم تكف القيمة ولا الأسلحة لحماية أصحابها، لأن الأعداء كانوا أكثر عددا، وكانوا منتشرين بكل مكان. وأخيرا فإن قدماء الجنود الذين أكسبتهم سنهم خبرة حرب، وكذلك الجنود الجدد، كونوا الرحى حيثما جمعهم الميدان أو الصدفة. وبفضل هذه المناورة التي تمكنهم في آن واحد من صيانة أنفسهم، ومن أن يكونوا في جميع الجهات، واجهوا هجمات العدو من غير صف".

ويفيد الكاتب أن ماريوس انقض على جنود الملكين لما تمكن منهم النوم، موضحا ما يلي : "اطمأن ماريوس أشد ما يكون الاطمئنان لغفلة العدو، فأصدر أمره بالمحافظة على الصمت التام. ومنع حتى نافخي الأبواق من تقسيم الليل لتغيير الحراس كما هي العادة. وعند بزوغ ضوء الصباح، حين كان الأعداء قد حطمهم التعب واستأثر بهم النعاس، أمر فجأة الحراس وأبواق الفرق والكوكبات والفيالق أن يزعقوا بإشاراتهم جميعا دفعة واحدة. كما أمر الجنود أن يصرخوا صراخهم الحربي وأن يندفعوا إلى خارج الأبواب : فاستفاق الموريون والجيتوليون مذعورين من هذا الضجيج المجهول المرعب. ولم يقدروا على الفرار ولا على حمل أسلحتهم، ولا على فعل أي شيء، لأن اللغط والصراخ وفقدان النجدة والهجوم العنيف من جانب رجالنا والهياج والخوف، كل ذلك أغرق الأعداء في ذعر قريب من الجنون. وأخيرا صُدوا جميعا وأخذ أكثرهم أسلحتهم وشاراتهم. وقُتل منهم في هذه المعركة أكثر مما قتل في جميع المعارك السابقة، لأن النوم ثم الفزع المباغت عرقلاهم عن الفرار.

ثم تحدث الكاتب عن المعركة الثانية التي خاضها الملكان معا ضد ماريوس وهو متجه إلى كيرتا، وذلك بعد مرور أربعة أيام على المعركة الأولى. وبعد سرد بعض وقائع هذه المعركة، أفاد بما يلي : "وقع صولا Sulla على جناح الموريين، أثناء عودته بعد القضاء على الخصوم، فتراجع بكوس بسرعة، وأراد يوغرطة أن يساند جنوده وأن يحافظ على انتصار كاد يكون محققا. ولكن لما أحاط به الفرسان ورأى جميع جنوده يسقطون على اليمين واليسار، حمل بمفرده ونجح في شق الطريق بين سهام العدو ورماحه. وفي تلك الأثناء كان ماريوس قد هزم خيالة العدو وتسارع لنجدة جنوده الذين علم أنهم على وشك الاندحار. فانتهى كل شيء بهزيمة النوميديين. وكان منظر السهل الفسيح منظراً مرعبا. ليس إلا المطاردة والفرار والتقتيل والأسر. الرجال والخيول طرحى على الأرض تكسوهم الجروح. لا يستطيعون أن يفروا، ولا أن يبقوا بدون حراك، فينتصبون برهة ثم يخرون في الحال. وختاما، فحيثما اتجه النظر رأى الأرض مغطاة بالسهام والتروس وبالجثث المجندلة في برك الدماء".

وبعد حرب يوغرطة، صار بكوس صديقا وحليفا للرومان، وظل مرتبطا بسولا. واعترفت رومة بسيادته على القسم الذي انتزعه قبل ذلك من يوغرطة. وقد رسخ الملك بكوس حكمه على غرب نوميدية بإصداره لعملة تحمل على الوجه صورة الملك واسمه، وعلى الظهر اسم مدينة سيگا. كما وردت إشارات في نصوص أخرى حول موقف الملك من حرب يوغرطة. وهي أخبار لا تختلف كثيرا عما جاء عند سالوست، أهمها حديث بلوترخوس عن العداء بين بكوس ويوغرطة رغم أنه كان صهرا له قبل الحرب. وأهم ما طبع واقع الموريين في هذا الظرف هو قيامهم بثورة ضد بكوس. والغالب أن النوميديين الذي خضعوا لسيادته قد ثاروا أيضا ضده. لكنه تمكن من القضاء على هذه الثورة سنة 90 قبل الميلاد.

وفي سنة 81 قبل الميلاد، قامت ثورة في شرق نوميدية، يتزعمها الملك هيارباس Hiarbas الذي أطاح بالملك هيمبسال Hiempsal. وحينئذ بعث صولا بمساعدة بومبيوس Pompeus إلى ولاية أفريكا Africa. حيث تمكن من القضاء على حاكمها الروماني الموالي لماريوس Marius. ثم استعان بأمير

موري يدعى بگود Bogud بن بكوس في قتل هيارباس بمدينة بولا ريگية Bulla Regia، وأرجع الحكم لهيمبسال.

وبعد ذلك تختفي عنا أخبار الملوك المورين والنوميديين، إلى أن زار شخص روماني يدعى واتنيوس Vatenius مملكتي هيمبسال النوميدي وماستانسوسوس Mastanesosus الموري. وهذا كل ما نعرفه عن مستانيسسوس بواسطة الخبر الوحيد الذي أكّد سيادته على المملكة المورية. غير أنه من الواجب أن نقف عند التصورات التي تكونت لدى الدارسين المحدثين، وتعود إلى عهد هذا الملك الموري، الذي انطلى عليهم أمر حكمه بموريطانية. يتعلق الأمر بما روجوه من تكهنات حول اضطراب أحوال المملكة المورية، أو الممالك الأفريقية عموما بعد اتصال شخص روماني يدعى ستيوس Sittius بموريطانية منذ سنة 64 ق. م.، حيث كانت له علاقة اقتصادية مع ملكها، وهو الملك مستانيسوس، الذي كان يحكم بعد ذلك بسنتين. ونعلم من جهة أخرى أن كتيلنا Catilina كان يعلق أمله على مساعدة ستيوس الذي كان موجودا عند الملك الموري.

الغالب أن ستيوس كان قد تعاطى للنشاط العسكري في جيوش الملك الموري نفسه، بعد فشل مشروعه التجاري. ولا يحق القول إن ستيوس قد كون جيشا لحسابه الخاص، أو كانت له إمارة بإفريقيا قبل الصراع بين قيصر Caesar وبومبيوس. نلتمس الحجة على ذلك من قول ديون كاسيوس إن ستيوس كان قائدا في جيش بكوس الثاني، مؤكدا أن قوات ستيوس في حرب أفريكا كانت قليلة. ولعله يقصد بذلك المرتزقة الإيطاليين الذين عبروا معه من إسبانيا إلى موريطانية. أغلب الظن أن ستيوس مارس نشاطه العسكري في قوات مستانيسسون، ثم واصل نفس المهمة في عهد ولده بكوس الثاني. وليس هناك ما يعزز قول أبيانوس الذي زعم أن ستيوس شارك في حروب ملوك ليبيا ضد بعضهم البعض، وكان النصر حليفا للجهة التي يحارب معها. يبدو أن هذا المؤرخ يشير إلى دور ستيوس في حملة بكوس الثاني ضد الملك النوميدي يوبا الأول سنة 47 ق. م. لصالح قيصر. في حين يرى گسيل أن هذا النشاط العسكري لستيوس يمتد من 64 إلى 47 ق. م.

هناك دوافع قد تجعل النوميديين يتطلعون إلى استرجاع جزء من بلادهم شملته سيادة المورين منذ حرب يوغرطة. لكنها فكرة مستبعدة نظرا للظروف التي تحيط بهذه السيادة، وبسيادة ملوك نوميدية أنفسهم في القرن الأخير قبل الميلاد، وهي تتسم بالتدخل الروماني في شؤون الملوك. وهذا لا يسمح بالقول إن الملوك النومديين كانوا يتعلقون بهذه الوطنية، بسبب نجاح رومة في ترويض هؤلاء منذ الحرب البونية الثانية، وترويض المورين منذ حرب يوغرطة. والواقع أن ما أثار هموم الكتاب القدماء والمحدثين هو تظاهر يوبا بالعظمة، وتجاوزه لممثلي السلطة الرومانية في ولاية أفريكا، بعد قضائه على كوريو، حيث أصبح هو الآمر الناهي. الواقع أن الفترة التي تفصل بين الحرب الأهلية التي قامت بين سولا وماريوس، والحرب الأهلية التي قامت في منتصف القرن الأخير قبل الميلاد بين بومبيوس وقيصر، كانت الممالك الأفريقية خلالها هادئة، بعد تسوية شؤونها إثر النصر الذي أحرزه بومبيوس لصالح قائده صولا سنة 81 قبل الميلاد.

والواقع أن ملوك شمال إفريقيا كانوا على ولاء تام لبومبيوس في عهد الملوك المورين مستانيسسوس وبكوس الثاني وبگود والملكين النوميديين هيمبسال ويوبا الأول.

وبعد ذلك ننتقل إلى عهد بكوس الثاني. فقد حكم القسم الغربي من نوميدية منذ منتصف القرن الأخير قبل الميلاد، بعد تقسيم مجال نفوذ المورين إلى مملكتين يفصل بينهما وادي ملوكة. لقد أوحت ذكرى اسم بكوس للبعض أن هذا الملك ابن لبكوس الأول، لكن نتائج البحث حول النقود حسمت في نسب هذا الملك ووضعت حداً لتضارب آراء المحدثين، اللهم إلا من ظل في غفلة من أمره. إنه هو الملك الموري الوحيد الذي نعرف نسبه. فقد أكدت عملته انتسابه لوالده مستانيسسوس. والغالب أنه ورث العرش عن والده. ونستبعد أن يكون أخا للملك بگود المعاصر له، والذي لم يخلد نسبه على نقوده. انفرد صولان بذكر مدينة يول Iol كعاصمة لبكوس الثاني. أما بلنيوس الشيخ الذي يعتمده صولان بالأساس، فتحدث عن وضعية يول في عهد يوبا الثاني Iuba، الذي أعطاها اسم قيصرية Caesarea.

ولا نعرف حدود مملكة بكوس شرقا على الأقل في بداية حكمه، وأغلب الظن أنها كانت تطابق الحدود التي خلفها بكوس الأول ومستانيسسوس. غير أن انتصار قيصر سنة 46 ق. م. مكن بكوس من توسيع مجال نفوذه إلى واد أمبساگا Ampsaga في شرق نوميدية. والواقع أن الفضل يعود إلى بكوس الثاني في ضرب قوات الملك النوميدي يوبا الأول، المتحالف مع أتباع بومبيوس في ولاية أفريكا. فاحتل الملك الموري مدينة كيرتا، التي صمّم ملكها الفعلي على استرجاعها. ازدادت رقعة مملكة بكوس اتساعا بعد مشاركته في الهجوم الذي نظمته قوات أكتافيوس Octavius ضد الملك بگود سنة 38 ق. م. انتقاما منه بعد تحالفه مع أنطنيوس Antonius. وحينئذ أعيد توحيد المملكة المورية. وبلغت أقصى توسعها بين المحيط ونهر أمبساگا Ampsaga.

ولا ندري أي شيء عن ظروف حكم بكوس بعد توحيد المملكة، إلى أن وافته المنية سنة 33 ق. م. ليبقى مصير البلاد رهن إشارة أكتافيوس، الذي عجز عن ضمها للإمبراطورية الرومانية بسبب مقاومة المورين. وحينئذ اضطر

إلى تولية يوبا الثاني النوميدي على المملكة المورية. وقد أجمعت النصوص على أن أكتافيوس وهب له مملكة المورين.

ومنذئذ حل عهد الحماية الرومانية بشكل صريح في موريطانية. وصار اسم موريطانية يطلق على كل المجال الخاضع ليوبا الثاني وضمنه قسم هام من نوميدية. وترسخ إقبار اسم نوميدية لما ضمت رومة هذا المجال إلى إمبراطوريتها. ففي موريطانية الأصلية التي تناسب بلاد المغرب، أقيمت ولاية رومانية تدعى موريطانية الطنجية، نسبة إلى طنجة. وأما مجال نوميدية فصار يحتضن ولاية رومانية أخرى تدعى موريطانية القيصرية، نسبة إلى مدينة قيصرية.


سالوست، *حرب يوغرطة*، تر. محمد التازي سعود، فاس، 1982 ؛ محمد مجدوب، *أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة*، بحوث، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، ع. 2 - 3، ص. 61 - 82، 1990 ؛ *مملكة المورين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م.*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، مرقونة، 1990 ؛ *العملة الملكية في المغرب القديم*، بحوث مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، ع. 5، ص. 47 ـ 60، 1992 ؛ *المملكة المورية وحدودها في المغرب القديم*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، سلسلة الندوات، 6، ص.7 ـ 20، 1999.

S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, t. 7-8, 1928 ; J. Mazard, *Corpus Nummorum Numidiae Mauritanaeque*, Paris, 1955 ; G. Camps, Aux origines de la berbérie, Massinissa ou le début de l'histoire dans *Libyca, 6, 1960* ; Origines du royaume massyle, dans *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb, 3, p. 29-38, 1967* ; Sosus ou Mastanesosus roi de Maurétanie 80 ? à 49 ? av. J.-C, dans *Encyclopédie Berbère*, édition provisoire, 5, p. 1-6, 1970 ; Les derniers rois numides Massinissa II et Arabion, dans *B.C.T.H., N.S., 17 B*, 1981, Paris, p. 303-10, 1984 ; J.G. Fevrier, Bocchus le jeune et les Sosii, dans *Sémitica*, 11, p. 9-15, 1961 ; M. Euzennat, Le roi Sosus et la dynastie maurétanienne, dans *Mélanges Carcopino, p. 333-9, 1966* ; F. Decret et M. Fantar, *L'Afrique du nord dans l'antiquité des origines au 5ème siècle*, Paris, 1981 ; A. Jodin, *Volubilis Regia Iubae, contribution à l'étude des civilisations du Maroc préclaudien*, Paris, 1987 ; M. Majdoub, Les luttes du début du 1er siècle av. J.-C au nord de la Maurétanie, dans *Collection de l'école française de Rome, 166, p. 235-8, 1992* ; Pompeus Magnus et les rois maures, dans *Africa Romana, 12, p. 1321-8, 1998* ; Octavius et la Maurétanie, dans *Africa Romana, 13, p. 1725-37, 2000.*


محمد مجدوب

**نون** (وادي)، تمتد المنطقة المشهورة بوادي نون عند المجال الواقع عند قدم النهاية الجنوبية الغربية للأطلس الصغير، وهي منطقة نالت شهرتها عند عموم المغاربة لكونها شكلت منطلقا لحملة الشيخ أحمد الهيبة الذي عبأ قبائل تكنة والقبائل المحيطة بها لمنازلة الجيش الفرنسي سنة 1912 بسيدي بوعثمان بضواحي مراكش.

تتوافق هذه المنطقة من الناحية الجغرافية مع الحوض المعروف بالصياد ـ نون، وهو حوض يمتد على مساحة حوالي 7.000 كلم من ثلاثة روافد أساسية هي : أم لعشار والصياد ووركنون التي تلتقي عند منخفض كلميم وتتوحد في محور جريان وادي أسكا الذي يتمكن من النفاذ إلى البحر جنوب كلتة آيت باعمران.

يتميز حوض وادي نون على غرار باقي أحواض المناطق القرب صحراوية بجريان متقطع، لكنه يحدث بشكل فجائي ويأتي في ظرف وجيز بحمولة مائية كبيرة قد تتجاوز 100 متر مكعب في الثانية يمكن أن تحدث فيضانات مدمرة كالتي تهدد مدينة كلميم.

ويقدم الحوض موارد مائية جوفية مهمة نسبيا تساعد على ظهورها البنية الجيولوجية المحلية المشكلة من صخور كاربوناتية عند السفح الجنوبي للأطلس الصغير، ومن تكوينات سطحية تغطي المنخفضات المتعددة داخل وحدة جبل باني الملتوي.

إن وادي نون بسبب موقعه الوسطي بين شمال وجنوب المغرب، وبسبب رطوبته النسبية على هامش الصحراء الإفريقية الكبرى، ظل يشكل مجالا مفضلا لعبور القوافل التجارية قديما، وظل يشكل قبلة يقصدها الرحل من كل الأصقاع لما يقدمه من مجال رعوي غني، ولما يوفره من موقع للتبادل التجاري. لذلك فإن موقع كلميم اشتهر كسوق لبيع الجمال على الصعيدين الجهوي والوطني.

لقد عرف الإنسان منذ القديم كيف يستفيد من هذه الموارد المائية السطحية والجوفية وطور نظاما زراعيا، يجمع بين الرعي والزراعة المسقية داخل الواحات، وأيضا زراعة الفيض والمعدر وهما نشاطان زراعيان بعليان يعتمدان على مياه فيضانات الأودية المحلية. وتتمثل التقنيات المستعملة في تعبئة المياه السطحية والجوفية في السدود التحويلية والسواقي التي تم تحديث عدد مهم منها بتدخل من الدولة، وأيضا في الخطارات المنتشرة تقريبا عند كل واحات الحوض. غير أن هذه الأخيرة بدأت تنضب تدريجيا جراء إدخال المضخات الآلية وتحت ضغط السنوات الجافة التي ضربت المنطقة خلال العقود الأخيرة.

وقد أصبح اليوم وادي نون مغريا للاستثمار في ميدان زراعة البواكير نظرا لطبيعة طقسه وجودة مياهه خصوصا عن طريق اعتماد تقنيات الري الموضعي المقتصدة في استعمال مياه السقي.

وبالإضافة إلى الاستعمال الزراعي لمياه الحوض، فإنه يتم الآن استغلال الموارد المائية الجوفية المحلية على نطاق واسع من أجل تزويد الساكنة الحضرية بالماء الشروب بمدينة كلميم، وكذلك مدينتي طنطان والوطية على مسافة تتجاوز 120 كلم.

الحسن المحداد

**نونخة** أو **نانونخة** أو بتيكوتيس فيرتسلاتا Ptychotis verticillata نبات عشبي وحولي من فصيلة الخيميات Apiaceae.

إنه نبات بري لا يتجاوز ارتفاعه 40 سم، رفيع الساق لكنه جد متفرع. أوراقه مجزأة ورفيعة وذات طول كبير نسبيا. إزهاره خيمية. ثماره بيضوية الشكل ولا يتعدى طولها 1 مم.

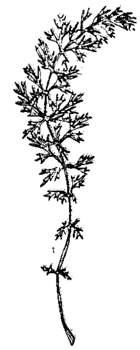

يعيش النوع طبيعيا بشمال إفريقيا المتوسطية. تجمع نونخة بكميات كبيرة في منطقة بني يزناسن لبيعها للعشابين وبائع الحلزون الذي يطبخ في محلول بهذا النبات. بالإضافة إلى استعمالها لتعطير الوصفة المطبخية للحلزون، تستخدم نونخة لمعالجة الحمى وبعض أمراض المعدة والأمعاء.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p.

عبد المالك بنعبيد

**نوارة الشمس**، أو عباد الشمس أو علميا هيليونتوس أنيوس "Helianthus annuus" من فصيلة النجميات "Asteraceaes" نبات حولي ذو أوراق عريضة وارتفاع يصل

من 1 إلى 4 أمتار وذلك حسب الظروف البيئية والضروب. الأزهار صفراء مجتمعة بشكل دائري توحي بشكل الشمس الذي تظل في اتجاهه مما جعلها تسمى كذلك عباد الشمس. تلقيح الأزهار يتم عن طريق الحشرات وبالأخص النحل مما يجعلها من النباتات المنتجة للعسل. بذور نوارة الشمس مختلفة الأحجام والشكل واللون، منها السوداء وأخرى مخططة بالأسود والأبيض.

يحتمل أن تكون أمريكا الجنوبية الموطن الأصلي لنوارة الشمس، ولكنها تزرع منذ زمن بعيد في أماكن مختلفة بالعالم. دخلت إلى أوربا أو إفريقيا عن طريق إسبانيا في القرن السادس عشر.

تزرع نوارة الشمس أساسا لاستخراج الزيت من البذور التي تحتوي على 32 ـ 45 في المائة من زيت أصفر ذهبي ناصع لا يقل عن زيت الزيتون في قيمته الغذائية والطبية، وهو زيت ممتاز للمائدة ويستعمل في الماركرين وكذلك في إنتاج الصابون. كما تستعمل البذور كغذاء جيد للطيور والدواجن والماشية، وحتى الإنسان يستهلكها مقلية بعد تمليحها، وتستعمل أيضا لإنتاج مواد علفية أو لتزيين الحدائق بجمال أزهارها.

تزرع نوارة الشمس في المناطق المعتدلة وهي من الزراعات الربيعية وتحتاج إلى تربة خفيفة وعميقة. تنبت البذور عندما تكون الحرارة أعلى من 5 درجات، إلا أنها تتحمل البرودة والجفاف أكثر من الذرة. احتياجاتها المطرية تصل إلى 550 ـ 650 ملم، إلا أنها شديدة الحساسية للجفاف في فترة الإزهار. تنتشر زراعة نوارة الشمس في المغرب خصوصا في سهول السايس والغرب ودكالة وتادلة وملوية.

ألبير هيل، *النبات الإقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرون، القاهرة، نيويورك، 1962 ؛ *معلومات شخصية*.

J.M. Clement, Larousse Agricole, éd. Larousse, Paris, 1981.

عبد النبي زين العابدين

**الـ نيشان** ، كلمة "نيشان" ترسم في قواميس اللغة التركية "نشان" (nisan) بدون ياء. وهي كلمة من أصل فارسي تعني "العلامة" و"الإشارة" و"الأثر". وقد دخلت اللغة التركية بلفظها ومعناها فأطلقت على العلامة التي تنصب للتدرب على الرماية، كما أطلقت على عملية تسديد السلاح نحو النقطة المعين ضربها. ويراد بها، أيضا، في بعض البلاد المشرقية كمصر، مثلا، الشارة المميزة للرتب العسكرية أو الوسام.

وفي الدولة العثمانية أطلق لفظ "نشان" على طغراء (طرة) البادشاه، وعلى الوثائق التي تحتوي على هذه الطغراء ؛ وقد تكون هذه الوثائق عبارة عن فرمان (Firman)، أو برات (Berat)، أو حكم (Hüküm)، أو توقيع (Terkî)، أو غيرها.

أما بالنسبة للمغرب فيبدو أن دخول هذا اللفظ قد ارتبط باستخدام السلاح الناري، وباحتكاك المغاربة بالأتراك منذ العصر السعدي. ويستشف من بعض الإشارات التاريخية أن تداول كلمة "نيشان" في المغرب اقتصر على المجال العسكري.

"فالنيشان" عند الرماة هو ضرب الإشارة، وتصويب البندقية نحو الهدف المراد ضربه ـ وهذا المعنى هو الذي أشرنا إلى تداوله عند الأتراك ـ، كما يعني "النيشان" عند أهل الرماية علامة التسديد الموجودة عند نهاية مدفع البندقية.

وشكل ضرب الإشارة أو النيشان جزءا هاما من حرفة الرماية وكيفية اكتسابها. وحدد شيوخ الرماية قواعد خاصة ومراحل يتوجب على المتدرب اتباعها، كطريقة إمساك البندقية وعدم تحريك الرأس، و"تسريح العين مع النيشان".

وكانت الإشارة تتشكل من أحجار توضع فوق بعضها البعض بالنسبة للمبتدئ. ويحرص شيخ الرماية على أن يمر المتعلم من ثلاثة أحجار مثلا إلى حجرين فواحد. وعلامة التمكن من النيشان هو أن يصيب الرامي الحجر في وسطه. كما يحرص الشيخ على إبعاد الهدف تدريجيا من الرامي حتى يصل به إلى المسافة المطلوبة.

محمد المنوني، قطعة عن نشاط الرماية الشعبية بالجنوب المغربي، *مجلة الباحث*، ج. 1، 1972، ص. 107 ـ 136.

Ismail Hakki Uzunçarsili, *Osmanli Devletinin saray teskilâti*, Ankara, Türk tarih kurumu basimevi, 1988 ; Ferit Devellioglu, Osmanlica - *Türkçe Ansiklopedil Lûgat*, Ankara, Aydin kitabevi yayinlar, 13. baski, 1996.

نزهة عقيلي

**النيكتبير** ، بالعجمية يذكر الجغرافي بطليموس مواطنهم جنوب اليانكا وكاني وشمال السهل الأحمر ذي الإحداثيات 30، 9° و30° . ونظرا لصعوبة تحديد مواطن اليانكا وكاني وبالتالي النيكتبير، فمن الأفضل أن نبدأ من محاولة تحديد موقع السهل الأحمر الذي أشار إليه بطليموس. ولكن، ما المقصود بالسهل الأحمر ؟ فهل البحيرة الحمراء الواقعة غرب مراكش والمحصورة بين تانسيفت والأطلس الكبير ؟ أو الأراضي الحمراء الواقعة جنوب نهر أم الربيع والتي تشمل هضاب الرحامنة ؟ فإذا كان المقصود بالسهل الأحمر هو المنطقة المحصورة بين أم الربيع وتانسيفت، يمكن أن نضع مواطنهم شمال نهر أم الربيع في جزء من هضبة الفوسفاط وعند المناطق التي يلتقي فيها أم الربيع بروافده. أما إذا كان المقصود بها البحيرة الحمراء الواقعة غرب مراكش فنقترح كمواطن لهم شمال وادي تانسيفت بين منطقة الجبيلات والضفة اليمنى لوادي تانسيفت. وسواء كان السهل الأحمر هو المنطقة المحصورة بين أم الربيع وتانسيفت أو الواقعة غرب مراكش، فإن مواطنهم تتأرجح بين شمال نهر أم الربيع وشمال نهر تانسيفت.

مصطفى أعشي

**النيّة، محمد بلعربي**، ولد سنة 1928 بدوار الورارقة جمعة رياح بقبيلة أولاد حريز. وبعد أن درس مدة غير طويلة بأحد الكتاتيب القرآنية هناك، هاجر وأسرته إلى مدينة الدار البيضاء حوالي سنة 1935 ، فاستقر بدوار سي أحمد المجاور لأوراش معمل الجير والإسمنت (لافارج Lafarge) وللمجازر البلدية التابعة لمدينة الدار البيضاء والمعروفة باسم "البوطوار". اشتغل في هذه المجازر مباشرة حتى صار جزارا مؤهلا ومحترفا.

أخذ يتعرف، مثل كثير من شباب كريان سنطرال، على الأفكار الوطنية التي كان ينشرها حزب الاستقلال في هذا الحي الصفيحي أحد قلاعه الحصينة المعروفة في مدينة الدار البيضاء آنذاك، فانخرط في صفوفه حوالي سنة 1945. ولعب في فريق الاتحاد الوطني البيضاوي المعروف بأحرفه الأولى (الطاس .T.A.S ) وهو فريق كان من وراء تأسيسه مسؤولو الحزب الأوائل في كريان سنطرال، وعلى رأسهم مَحمد العبدي، وكان مرامهم بث الوعي الوطني في صفوف لاعبيه واستقطاب جمهوره إلى الحزب. ومن المعروف أن الوطنيين قد قاموا بنفس الدور في باقي أحياء الدار البيضاء التي تأوي المغاربة على الخصوص. ولا بأس من سوق نموذج فريق الوداد الرياضي البيضاوي وما قام به رئيسه ومؤسسه الحاج محمد بن جلون المشهور بلقب "شوكولا".

نشط النية في صفوف الحزب الذي كان يعمل على تأطير أعضائه بواسطة النشرات التي كانت تصل من قيادته في الرباط وترديد الأناشيد الوطنية ودروس محو الأمية وغير ذلك. ولما انفجرت حوادث فرحات حشاد العنيفة في كريان سنطرال يوم الأحد 7 دجنبر 1952 ويوم الإثنين 8 دجنبر الموالي، ساهم فيها النية، كغيره من الوطنيين، بنقل ضحايا المجزرة الرهيبة التي ارتكبتها القوات الفرنسية إلى مسجد الحاج عبد الرحمان بدرب مولاي الشريف المجاور لدور الصفيح من أجل علاج الجرحى على يد الدكتور عبد الكريم الخطيب وغسل القتلى قبل نقلهم إلى مقبرة ابن مسيك لدفنهم.

وبعد نفي السلطان محمد بن يوسف، انخرط النية في المنظمة السرية، إحدى أهم المنظمات الفدائية المسلحة التي تأسست من أجل مقاومة الاستعمار وأذنابه. وشارك في العديد من العمليات الفدائية ولما عاد السلطان الشرعي من المنفى وأعلن الاستقلال، بدأت مرحلة جديدة من التطور السياسي، طبعها التوتر الحاد الذي اتخذ عدة أشكال مثل الاقتتال بين المنظمات الفدائية والتناحر حتى داخل بعض هذه الهيئات ولاسيما في صفوف المنظمة السرية. وكان من ضحايا هذا الاقتتال في صفوف المقاومة بكريان سنطرال محمد بن المكي "هوشيمين" وإبراهيم واليزيد ورحال المسكيني ومَحمد السرجان ومَحمد النجار والجيلالي المسكيني، وكان النية هدفا من أهداف مخططي التصفيات، دون أن يتمكنوا منه.

بعد الاستقلال، ظل النية يتعيش من عمله في "البوطوار"، كما ظل مشغولا، ولمدة طويلة، بفريق الطاس الذي صار أحد مسيريه. وعاد مدة إلى حزب الاستقلال بعد عودته إلى العلنية، إلى أن ترشح في الانتخابات البلدية والتشريعيةفي الحي المحمدي باسم جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية التي أسسها أحمد رضا اگديرة سنة 1963. وحسب شهادة عائلته، فقد عاد إلى حزبه الأصلي بعد ذلك، ويظهر أنه صار مهموما بفريق الطاس أكثر بعد ذلك.

توفي يوم 27 مارس 1999.

*المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير*، بطاقة المقاومة رقم 521375 ؛ *الرواية الشفوية*.

نجيب تقي

# هـ

**هاردي** (جورج) Hardy (Georges) مؤرخ وجغرافي متخصص في إفريقيا. ولد في 5 ماي 1884، درس بالمدرسة العليا للأساتذة (1904)، حصل على شهادة التبريز في التاريخ والجغرافية (1907). عمل أستاذا للقانون ببورج (Bourges) وأورليانس (Orléans) (1908 ـ 1912). ثم عين مديراً للتعليم بإفريقيا الغربية الفرنسية (1912 ـ 1918). حصل على الدكتوراه في الآداب سنة 1919 في موضوع حول التعليم بالسنغال. وعمل مديراً عاما للتكوين والفنون الجميلة والآثار بالمغرب ما بين 1919 و1926، ثم مديراً للمدرسة الاستعمارية (1926 ـ 1934). انتخب عضواً في أكاديمية العلوم الاستعمارية (علوم ما وراء البحار) سنة 1928. ثم عميدا بأكاديمية الجزائر (1934 ـ 1937) ثم بأكاديمية ليل (1937 ـ 1940) فأكاديمية الجزائر (1940 ـ 1943). تقاعد سنة 1944.

توفي في ماي 1972.

ومن أهم مولفاته :

- *Les grandes lignes de la géographie du Maroc* (en collaboration avec Jean Célérier), Ed. Larose, Paris, 1922.
- *L'enfant marocain* (en collaboration avec Louis Brunot), Ed. Larose, Paris, 1925.
- *L'âme marocaine d'après la littérature française*, Ed. Larose, Paris, 1926.
- *Histoire de la colonisation française*, Ed. Larose, Paris, 1928.
- *Nos grands problèmes coloniaux*, Colin, 1929.
- *Les grandes étapes de l'histoire du Maroc* (en collaboration avec Paul Avrès), Ed. Larose, 1931.
- La justice indigène au Maroc, *Europe-Nouvelle, sep. 1931* ; Le congré de la société indigène, *Outre-Mer, 4° trim., 1931* ; L'alimentation des indigènes au Maroc, *La Géographie, LVIII, 1932*.
- *Géographie et colonisation*, Ed. Gallimard, 1933.
- Lyautey et l'enseignement, *B.C.A.F., n°8, 1934.*
- *Histoire sociale de la colonisation française*, Ed. Larose, 1953.

صالح شگاگ

**الهاشمي، محمد العربي** بن **محمد** ينتمي نسبه إلى يوسف بن مولاي علي الشريف العلوي الحسني المدغري قاضي مدغرة. رحل إلى فاس لطلب العلم والتقى هناك بالشيخ أحمد البدوي، الذي أثر عليه بقوة. وقد أخذ عنه الكثير من أمور التصوف. وحينما رجع إلى مدغرة في أواسط القرن الثالث عشر (19)، التف حوله عدد من التلاميذ والمريدين، وأضحى شيخ الطريقة الدرقاوية بلا منازع. وامتد نفوذه إلى المناطق المجاورة لمدغرة، بل شمل جل مناطق المغرب خلال الثلث الأخير من هذا القرن. وقد لمس ذلك الرحالة الفرنسي شارل دي فوكو، واعتبره واحداً من الزعماء الروحيين في المغرب، على نفس مستوى مولاي عبد السلام الوزاني، وسيدي ابن داود، وسيدي محمد بوبكر (إمهاوش) ومولاي عبد الله بن حساين. وذكر نفس الرحالة، أن السلطان مولاي الحسن كان يبعث إلى هذا الشيخ الدرقاوي بصلة العشور كل عام، وأن قيمة ذلك بلغت 40 قنطارا سنة 1881.

لكن العلاقات الودية بين السلطان الحسن الأول وهذا الصالح انقلبت إلى عداء مستحكم، بسبب إصرار هذا الأخير على استنفار الناس للجهاد ضد رغبة المخزن، الذي كان يرى أن الدعوة إلى الجهاد في غياب تكافؤ القوة مع الأوربيين، ودون إذن الإمام تؤدي إلى الفتنة وتسلط الكفار. وكان محمد العربي الهاشمي قد وزع منشورا مطولا للتحريض على الجهاد منذ عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، سنة 1280 / 1863، بعد أن وصلته أخبار عن انثيال الأوربيين على المراسي المغربية وممازجتهم لسكانها، ثم انتشارهم في البوادي بقصد البيع والشراء، مما اعتبره مؤشرا لسيطرتهم وإلحاق المغرب بنفوذهم. لذلك هيأ المنشور وفرقه على العلماء والشرفاء وعامة الناس، داعيا إلى حمل السلاح، ومما جاء فيه" (...) وكيف يذهب الإسلام ويضمحل أمره دون قتال

ولا جلاد، والقطر معمور بالموحدين، وأهل الدين في سائر البلاد والأمر بالجهاد شملهم عند حلول عدو الدين بأرض المسلمين (...). ولا منفعة لأخذ الحذر إلا قبل الاستيلاء، والمسلمون لا مندوحة لهم على القتال، إما أن يقاتلوا الكفرة لنصرة دين الله، وإما أن يستولوا فيحملوا المسلمين على قتال إخوانهم قهرا (...) ولا بد من أحدهما، وقد اختارت لنا الشريعة المطهرة (...) مقاتلتهم ومنازلتهم".

أضحى الشيخ الدرقاوي مصدر إزعاج مستمر للسلطان مع تكثف رسائله الداعية إلى الجهاد، بعد أن بلغته أصداء متتابعة عن التوغل الفرنسي في المناطق الصحراوية المتاخمة لتافيلالت، فوجه عددا من الرسائل إلى مختلف أنحاء المغرب، مستنهضا القبائل للجهاد، مثلما حصل سنة 1305 / 87 - 1888. وكان سكان قصور فگيك قد كاتبوا محمد العربي الهاشمي سنة 1887، من أجل مؤازرتهم في جهاد الفرنسيين، غير أن المخزن تصدى لهم، إذ كتب السلطان إليهم متوعدا بأقسى الزواجر، مبينا رأيه في الجهاد، معبرا عن مقته لهذا المرابط، قائلا: "خدامنا الأنجاد، قبيلة أهل فجيج كافة (...) العربي بن درقاوة نادى بالجهاد وندب إليه عن عجلة اعتمادا على ما اختلج في وهمه وأداه إليه زعمه من غير أن ينظر في العواقب ولا عرف ما ينبني على ذلك من المصائب، فالدين النصيحة، وحذار حذار أن يستفزكم ذلك أو يغركم ما هناك، وأنه بوصوله إليكم نأمركم أن تقلعوا عنه ولا تلقوا إليه بالا، ولا تلفتوا إليه حالا واستقبالا، ومن اقتحم ذلك أو شيئا فقد تعرض لسخط الله ورسوله (...) وعقوبتنا أشد عقوبة (...) على أن الجهاد معناه الدفاع عن المسلمين وصون حوزتهم كما هو الدأب والديدن ما أمكن، ولا نعدل عنه بعون الله." وقد تعززت هذه الرسالة بخطبة الجمعة، التي لا شك أنها أعدّت بإيعاز من ممثل المخزن في المنطقة، حيث ألح فيها على ضرورة التشبث بالمهادنة والتعايش مع الفرنسيين، والتأكيد على أن الجهاد لا يمكن أن يتم إلا بترخيص من السلطان، وذلك لسحب الشرعية عن دعوة هذا الشيخ الدرقاوي، ومما ورد فيها" ... فعضوا رحمكم الله على سيرة أميركم مع جواركم بالنواجذ ولا تحلوا عراها بحلم ناسك أو زاهد (محمد العربي الهاشمي) فريا ...".

وقد ذكر ابن إبراهيم التعارجي أن السلطان مولاي الحسن، من شدة حنقه على محمد العربي الهاشمي. كان يخاطبه في رسائله بـ "أكابر مجرميها"، وكثيرا ما سجن أتباعه. وأن السلطان قصد من توجهه إلى تافيلالت إلقاء القبض عليه، وقد سرّ كثيراً لما بلغه خبر وفاته. كما ذكر أن الشيخ بنى ببلدته مدغرة قصرين على هيئة دار الملوك، من كثرة المرافق. وكان له خدام بحضرته كثيرون يجاوزون الألف من الملازمين.

ومن أهم تلامذته ومريديه، الصوفي الحسن التمگدشتي السوسي، والشيخ بوعمامة من أولاد سيدي الشيخ، متزعم حركة الجهاد ضد الفرنسيين في التخوم الجنوبية الشرقية للمغرب، وأحمد السبعي الشريف السغروشني، الذي قاد حركة جهادية بعد احتلال قوات فرنسية لمركز المنقوب بالقرب من بوذنيب سنة 1325 / 1907. وهذا ما يبين أن دعوته إلى الجهاد وجدت امتدادا لها عند بعض مريديه.

كتب محمد العربي الهاشمي في آخر حياته *"رسالة الإذن"*، وزعها في مختلف أنحاء المغرب، وأخبر فيها بحصول الإذن له في إرشاد الخلف.

توفي في أواخر جمادى الثانية 1309 / 1892.

محمد العربي الهاشمي، *رسالة للتحريض على الجهاد*، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، مجموع رقم د 3353، ص. 57 - 81 ؛ إدريس الفضيلي، *الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية*، فاس، ج 1، ص. 274 ؛ ابن إبراهيم التعارجي المراكشي، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام*، ج 7، ص. 80 - 84 ؛ محمد المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1985، ج 1، ص. 350 - 351، ج 2، ص. 444 - 447 ؛ أحمد مزيان، *مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي المغربي خلال القرن 19*، كلية الآداب، فاس، 1985، 2، ص. 540 - 541 - 742.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc, 1883-1884*, Paris, 1985, p. 352.

أحمد المكاوي

**هانريس، بول** Paul Henrys كان إلى جانب هانري بيريو Henri Berriau وبويميرو Poeymirau وبول ديلماس Paul Delmas، وغيرهم، من أبرز العسكريين في "فريق" الجنرال ليوطي، في بدايات الحماية، ومن الضباط البارزين الذين جمعتهم بالجنرال، في منطقة الحدود المغربية - الجزائرية، علاقة متينة وصداقة قوية، في العقد الأول من القرن العشرين. وقد لازم هانريس الجنرال ليوطي في منطقة الحدود في فترة تمتد من سنة 1903، التي شغل فيها - تحت إمرة الجنرال - منصب رئيس أركان الحرب، في مركز العين الصفراء، إلى سنة 1910، التي ارتقى فيها إلى رتبة كولونيل. وكان هانريس، بناء على هذه العوامل، من الضباط الذين التحقوا بالمغرب، بعد أن تسلم الجنرال ليوطي مهام الإقامة العامة، في أبريل 1912 ؛ إذ تولى، في ظل "النظام الجديد"، رئاسة فرق الخيالة ابتداء من غشت 1912، وارتبط اسمه، منذ ذلك التاريخ، بالعمليات العسكرية التي أشرف عليها بالأطلس المتوسط ونواحي تازة وأعالي ورغة.

تزايدت، مع مرور الأيام، مهام وأعباء هذا الضابط، الذي ارتقى في صيف سنة 1913 إلى رتبة جنرال دي بريگاد Général de Brigade، وتعزز مركزه، في الجهاز الإداري - العسكري الاستعماري، إذ كان يكلف، في فترات غياب الجنرال ليوطي، المقيم العام والقائد العام لقوات الاحتلال، بالنيابة عنه في الإشراف على الأمور العسكرية بالبلاد. كما أنه عُين، في نهاية نفس السنة، حاكما عسكريا على إقليم

مكناس، نتيجة لما كان يحتله الإقليم من أهمية في الاستراتيجية العسكرية المهيأة آنذاك.

ولم تنحصر مهامه وأدواره في الميدان العسكري ومجال الاستراتيجية العسكرية، إذ كان تأثيره على ليوطي، قويا، في مجال السياسة الاستعمارية، خصوصا في ميدان "السياسة البربرية". ونشير، في هذا الصدد، إلى أن التقارير التي كتبها، في فترة إشرافه على العمليات العسكرية بالأطلس المتوسط، كانت الأساس الذي استلهم منه ليوطي بعض مبادئ هذه السياسة، التي عرفت انطلاقتها الأولى بصدور ظهير 11 شتنبر 1914، الخاص "بالعوائد البربرية".

ونظرا لأهمية دور الجنرال هانريس في النسق الاستعماري، فقد تشبث به اليوطي بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، وكلفه بالقيادة العسكرية في الجبهة الشمالية المواجهة للريف. لكن التطورات التي عرفتها الحرب في أوربا، أرغمت ليوطي، في صيف سنة 1916، على الاستغناء عنه فرجع إلى فرنسا، ولو أنه لم يستقر بها بشكل نهائي، إذ أقام، لفترات معينة، بالمشرق العربي وبلاد البلقان وألمانيا، قبل أن يعود، في آخر المطاف، إلى باريس.

توفي في 6 نونبر 1943.

عبد الحميد احساين، *أصول سياسة فرنسا البربرية إلى غاية سنة 1930*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، يوليوز، 1987، مرقون؛ بوشتى بوعسرية، *مكناس، المدينة الجديدة التأسيس ـ البنيات الإدارية ـ التناقضات*، 1911 ـ 1939، منشورات عمادة جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، 1999، ص. 505؛ جريدة *السعادة*، 8 ـ 9 ـ 7 ـ 1915.

Moshe Gershovich, *French military rule in Morocco, Colonialism and its consequences*, Franck Cass, London - Portland, Or, 2000.

عبد الحميد احساين

**ابن هانئ، السبتي محمد** بن **علي** بن هاني اللخمي السبتي، يكنى أبا عبد الله. أصله من إشبيلية وينحدر من بيت شهير الحسب والنسب. أخذ القراءات والنحو عن أبي إسحاق الغافقي وأبي بكر بن عبيدة النحوي وأبي عبد الله بن حريث. كان إماما في العربية وحافظا للأقوال وأديبا بارع الخط مشاركا في الأصلين وقائما على القراءات. كان يقرئ بمسجد القفال من سبتة حيث تتلمذ عليه الكثير من طلبة المدينة والوافدين عليها. من صفاته أنه كان كثير الخشوع والقناعة، شامخ الأنف على أهل الرياسة حافظا للمروءة. من مؤلفاته كتاب"*شرح التسهيل لابن مالك*" الذي يعتبره ابن الخطيب من أجل كتبه وأبدعها وأحبها إلى الناس لشدة الإقبال عليه. كما يوجد من بين مؤلفاته "*الغرة الطالعة في شعر المائة السابعة*" و"*إنشاد الضوال وإرشاد السوال في لحن العامة*"، و"*قوت المقيم*". كما دون ترسل أبي المطرف بن عميرة وضمنه في سفرين، وله أيضا *أرجوزة في الفرائض*.

توفي سنة 733 / 32 ـ 1333 شهيدا في جبل الفتح من ثغور الأندلس حين حاصره النصارى، ودفن بروضة بني خمسين بالجزيرة الخضراء. وقد رثاه عدد من شعراء عصره في قصائد مطولة من بينهم قاضي الجماعة أبو القاسم الحسني والقاضي أبو بكر بن شبرين.

السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 1، ص. 192؛ *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب*، تح. محمد بن تاويت، مجلة تطوان، ع 9 : 1964، ص. 175؛ ابن الجوزي، *غاية النهاية في طبقات القراء*، تح. برجيستراسير (G. Bergstrasser)، ج 2، مصر، 1352 / 1933، ص. 211 ـ 212؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، ج 3، ص. 145 ـ 154.

زوليخة بنرمضان

**هاي، دجون دروموند**، (1816 ـ 1893)، سفير انجلترا في المغرب لمدة أربعة عقود إذ أقام مفوضا ساميا لبلده في طنجة من مارس 1845 إلى يونيه 1886، فعاش الثلث الأخير من عهد المولى عبد الرحمان وعهد خلفه سيدي محمد (الرابع) بكامله وأزيد من نصف عهد مولاي الحسن (الأول). وتلك مرحلة حاسمة من تاريخ المغرب استمات الملوك المذكورون خلالها في إبطال المناورات الإمبريالية الرامية إلى النيل من سيادة الوطن ومن ترابه، معتمدين على ما أدركوا من سياسة إنجلترا يومئذ في صيانة الأوضاع الدبلوماسية القائمة التي كان من مقتضياتها دعم وجود الدولة المغربية على ضعفها نظرا لموقعها الاستراتيجي على البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي والسهر على حرية تنقلات الأسطول الانجليزي وعلى سلامة مرسى جبل طارق لكونه قاعدة بحرية أساسية هنالك. وقد حل المترجم له بالمغرب لتكريس هذه الخطة على أرض الواقع. وعزل عن منصبة أربعين سنة بعد ذلك عندما أخذت رياح التغيير تنذر بقرب توجه الدبلوماسية الإنجليزية توجهات أخرى.

ولد دجون دروموند هاي في مدينة فالانسيين Valencienne بفرنسا في يونيه 1816 ونشأ وتربى في مدينة

إيدينبورغ إلى سنة 1832 . زار المغرب لأول مرة في الخامسة عشرة من عمره، إذ كان والده وليام أوريول دروموند هاي ( William Auriol Drummond Hay ) قنصل انجلترا العام في المغرب منذ 1820. وعاد الشاب دجون إلى المغرب سنة 1838 فجال في الأقاليم الشمالية ودوّن رحلته في كتاب تحت عنوان Western Barbary. وفي سنة 1839 التحق بوزارة الخارجية ليعيّن سنة 1840 ملحقا بالسفارة الإنجليزية باصنطبول وينتقل بعد ذلك إلى الإسكندرية في مصر لمساعدة قنصل بلده العام هنالك.

وفي 29 يوليوز 1844 عين رسميا في المغرب لمساعدة والده وقت تأزم العلاقات بين المغرب وفرنسا الماضية في احتلال الجزائر. وحيث إن والده ما لبث أن توفي في طنجة بعد ذلك ببضعة أشهر، فإن الإبن أصبح هو الممثل الأسمى لإنجليزا في المغرب لمدة ما كان أحد يتوقع أنها ستطول أربعة عقود ولكنها امتدت بالفعل لأزيد من أربعين سنة، مما يوحي بتوافق الشن وطبقه، فإن استقرار الدبلوماسية الإنجليزية في المنطقة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وجد في دجون دروموند هاي الترجمان المناسب والدبلوماسي الكيّس الماهر والسمسار اللبق الحاذق والمنافح عن مصالح بلده ومواطنيه، الملحّ لدى ملوك المغرب في تمام الاحترام والإجلال ليسلكوا مسالك الإصلاح. وحيث إنه ما لبث أن صار هو عميد السلك الدبلوماسي المقيم يومئذ بطنجة، فإنه كان بمثابة سن الرمح من الضغوط الأوربية على المغرب كي يفتح أسواقه أمام مبادرات تجارهم. وصار له من النفوذ ما جلعه يتدخل في الشادة والفاذة في البلاد. فيلحّ لدى سيدي محمد بن عبد الرحمان ليصدر ظهيرا يوصي العمال وخدام الدولة خيرا باليهود (1864)، ويتوسط في النزاعات التي تقع بين المغرب ودول أخرى مثل ما فعل غداة معركة إسلي مع فرنسا (غشت 1844) وغداة حرب تطوان مع إسبانيا (1850 ـ 1860)، وفي قضية الحمايات الفردية التي صارت بضاعة يتهافت عليها ذوو الأغراض من المغاربة، فهو الذي أوحى للسلطان مولاي الحسن بدعوة مؤتمر دولي في مادريد بقصد جعل حد لتفاقم تلك المعضلة. بيد أن أكبر منجزاته في المغرب هي إرغامه السلطان المولى عبد الرحمان على إمضاء اتفاقية مع انجلترا (دجنبر 1856) أزاحت كل القيود المخزنية السابقة عن الواردات المغربية. وكان ذلك فتحا مبينا للتجار الإنجليز أولا، ثم لباقي تجار أوربا الذين صارت بضائعهم تكتسح الأسواق المغربية وتغيّر بذلك العادات والتقاليد، فضلا عن وأدها للصناعات اليدوية الوطنية. وما فتئ دجون دروموند هاي يقدم ذلك عى أنه ربح للمغرب وباب مفتوح على الرقى في حوار محفوف من كل جانب بالكلام الدبلوماسي المعسول، مطوي في العمق على إدراك مرهف بمقتضيات ميزان القوى. وكان المترجم له يستعين في الغالب بالوزراء المغاربة لإبلاغ مطالبه ورسائله إلى الملوك. بل ذهب به الحال إلى إقامة شبكة للاستخبار صار رئيسها في العهد الحسني بوبكر بن البشير الغنجاوي الذي كان يطلعهُ من مراكش على كل ما يجرى بدار المخزن. وكان المخزن على بينة من كل ذلك. ولكنه كان ملزما بالتدرع بالصداقة المغربية الإنجليزية ليبطل ما كان يحاك ضد البلاد من المؤامرات من جهة فرنسا وإسبانيا على وجه التخصيص.

هكذا أقام دجون دروموند هاي سفيرا لبلده في المغرب، يضطلع بدور المرشد غير المعين أو المقيم العام قبل أن تفرض الحماية على البلاد، فكان يشير ويستشار، وينصح ويؤنب، ويحتج ويوبخ، ويداهن ويكايس بلسان أبعد أحيانا في الطنز ولكنه لم يخرج أبدا عن الواجب للدولة المغربية من الاحترام. فقال له مولاي الحسن في رسالة التوديع على لسان المفضل غريط : "بأن ما ذكرته من ثقة سيدنا ومولانا جده ومولانا والده قدسهما الله بك صحيح معروف عند كل أحد، وكذلك هو أيده الله يثق بك ويعدّك محبا صدوقا، وبأن ما ذكرته من أن محبة الجانبين لم تتغير في خدمتك صحيح، فإن محبة الجانبين هي نتيجة خدمتك وتحقيق نظر دولتك المحبة فيك وتصديق ظنها وفراستها المصيبة في جانبك. وقد ازدادت صفاء ورسوخا ونماء بتأسيك في دولتك الفخيمة في المحبة والمودة في الأقوال والأفعال".


خالد بن الصغير، *المغرب وإبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر، 1856 ـ 1886*، ولادة الدار البيضاء، 1990 ؛ *المغرب في الأرشيف البريطاني، مراسلات جون دراموند هاي مع المخزن، 1846 ـ 1886*، ولادة الدار البيضاء، 1992 ؛ *بريطانيا وإشكالية الإصلاح في المغرب، 1886 ـ 1904*، دار أبي رقراق، الرباط، 2003.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe (1830 - 1894)*, Paris, P.U.F., 1963.


إبراهيم بوطالب

**هَبْري** (جبل –) كتلة بركانية تعلو الهضاب الواسعة الجوراسية للمنطقة الوسطى من الأطلس المتوسط. فمن هذه المجالات المسطحة للزمن الثاني، انبعثت خلال الفترة الممتدة ما بين 10 و15 ألف سنة خلت، عدة براكين من بينها جبل هَبْرِي وهِبْري وغيرها، من حيث تدفقت كميات كبيرة من البازالت على هذه الهضاب.

يوجد جبل هبري على بعد 15 كلم جنوب شرق آزرو على الطريق الرابط ما بين هذه المدينة ومدينة ميدلت وفي مفترق الطريق المؤدي إلى إفران. يتمثل بركان هبري الخامد على شكل مخروط ذي قاعدة تبلغ 600 م وعلو 150 م فوق سطح الهضبة، وفوهة يصل عمقها 80 م. أما ارتفاعه فوق سطح البحر فهو 2104 م. ويعم جبل هبري بيومناخ رطب ذو شتاء بارد أو شديد البرودة، إذ أن معدل التساقطات المطرية السنوية يكاد يقارب 1000 مم ومعظمها على شكل ثلوج، بينما معدل الحرارة الدنيا لأبرد شهر يقدر بحوالي 4,5 أو 5 درجة مائوية تحت الصفر.

كما هو الشأن بالنسبة للعديد من الجبال البركانية في المنطقة، ينحصر الغطاء النباتي الغابوي على المخروط الجبلي دون أن يتجاوز قدمه إلى الهضبة. تتكون الغابة من نوعين

سائدين وهما أرز الأطلس والبلوط الأخضر. فالأرز يكاد ينفرد على الواجهة الشمالية والشمالية الغربية ليشكل غابة عالية وكثيفة، بينما يجبر في التشارك مع السنديان الأخضر على الواجهات الأخرى وخاصة الجنوبية منها لتنظيم غابة مختلطة تعيش فيها تشكيلتا النوعين السائدين. ويرافق النوعين عدد من الأنواع الشجرية والشجيرية النادرة بالمغرب بالإضافة إلى أصناف عديدة من نباتات أخرى. غير أن هذه الغابة اجتثت على شريط من الواجهة الشمالية لفسح المجال وفتح المسار لممارسة رياضة التزحلق على الثلوج. ويلاحظ مع ذلك عملية التجديد الطبيعي لأرز الأطلس وخاصة في هوامش الغابة وفي الفرجات على الواجهة الشمالية، وكذلك في تشكيلات السنديان الأخضر على الواجهة الجنوبية.

يعتبر جبل هبري أحد المواقع ذات القيمة البيولوجية والبيئية التي صنفت في شبكة المحميات الطبيعية بالمغرب علاوة على كونه يقع داخل المنتزه الوطني لإفران على حدوده الشرقية.

*استطلاعات ميدانية.*

عبد المالك بنعبيد

**الهبري، بوعزة بن عبد القادر** نسبة إلى هبرة الموجودة بولاية وهران الجزائرية، وهي بطن من بطون قبيلة سويد الهلالية. وكان الهبري هذا يوهم الناس بقدرته على الإتيان بالخوارق ويتعاطى السحر. ظهر أمره أول مرة في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان (1859 ـ 1873) عندما ثار بسهول أنكاد بالقرب من وجدة، ثم عاد إلى الظهور مرة ثانية بعد وقت قصير من مبايعة مولاي الحسن الذي جهز له حركة خرجت من فاس في شهر رجب 1291 / غشت 1874. وبينما كان السلطان مقيماً عند آيت سغروشن هجم عليه الهبري بجموعه، لكن المحلة السلطانية تفوقت عليه نتيجة استعمال المدفعية، فتفرق أنصار الهبري وألقي القبض على عدد منهم.

وحتى يستأصل مولاي الحسن داء هذا الثائر جهز له حملة جديدة لمقاتلة أتباعه ضمن قبائل بني سادن وآيت سغروشن وبني وراين، فجاءه أعيان هذه القبائل تائبين ؛ وبعد مدة جيء بالهبري أسيراً إلى السلطان، وكانت قبيلة بني كلال قرب تازة هي التي ألقت عليه القبض. وبعد أن تدخل شيخ الزاوية الوزانية لصالحه، قبل السلطان أن يحقن دمه وأن يودعه السجن بفاس. وبقي بالسجن مدة إلى أن تقرر نقله إلى مراكش، فمات في الطريق في ظروف غامضة. ويظهر أن السلطان مولاي الحسن قرر تصفيته على الرغم من تشفع سيدي عبد السلام الوزاني لصالحه وحصول هذا الأخير على تعهد من السلطان بعدم قتله.

أحمد الناصري، *الاستقصا* ، الدار البيضاء، 1956، ج 1، عبد الرحمان ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 2.

E. Michaux-Bellaire, La maison d'Ouezzane, *Revue du Monde Musulman, 1908, p. 23-89.*

محمد المنصور

**الهبرية** (زاوية -) تقع الزاوية الأصلية بجبال بني يزناسن قرب ضريح الولي الصالح سيدي عبد الله بن عزة في الجهة الجنوبية من هذه الجبال المقابلة لسهل أنجاد حيث مدينة وجدة.

مؤسس الزاوية أو مجددها هو الولي الصالح سيدي أحمد المعروف بالصالح، غير أن شهرتها ـ حسب ما وصلنا من روايات ـ كانت في عهد مشيخة ابنه سيدي محمد الحاج الهبري ؛ فهو من سلالة سيدي عبد الله بن عزة المذكور الذي ينتهي نسبه إلى المولى إدريس مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب. لا نعرف تاريخ ميلاد سيدي محمد الحاج الهبري، أما وفاته فكانت قبل احتلال الفرنسيين للمنطقة الشرقية حوالي 1317 / 1900.

انتشر إشعاع الزاوية في شرق المغرب وغرب الجزائر، ولا يزال لها أتباع في المنطقتين بل وفي جهات أبعد. وهي تعتمد ـ في الأصل ـ الطريقة الشاذلية (نسبة إلى الولي الصالح أبي الحسن الشاذلي تلميذ القطب مولاي عبد السلام ابن مشيش)، وقد ارتبطت بها الطريقة الدرقاوية نسبة إلى الولي الصالح مولاي العربي الدرقاوي (القرن الثامن عشر) ؛ وقد تأثر بهذه الطريقة مؤسس الزاوية سيدي محمد الحاج الهبري بواسطة شيخه سيدي محمد بن قدور الوكيلي (القرن 19 ) صاحب زاوية جبل كركر الواقعة جنوب إقليم الناظور، ولا زال أتباع الزاوية الهبرية يعرفون بدرقاوة.

يروى عن شيخ الزاوية كرامات كثيرة لا تزال شفوية لحد الآن ـ حسب علمنا ـ كما تروى كرامات عن بعض أبنائه مثل مولاي العربي (جد الوالدة من جهة أبيها)، إذ كان أحد الصلحاء الزهاد المستجابي الدعاء، وكان يرفض التشهير به وبكراماته، فرفض أن يخلف أباه في مشيخة الزاوية تاركا ذلك لأخيه سيدي محمد الحاج محمد الهبري الذي ظهرت عليه كرامات أيضا في حياة أبيه، فنصحه بتوسيع دائرة التربية الدينية للزاوية، فأنشأ زاوية أخرى قرب السعيدية ورثت دور الزاوية الجبلية الأصلية.

اختار الشيخ الابن سيدي محمد الهبري لبناء زاويته مكانا كان يعرف بـ "الضريوة" على وادي كيس قبل مصبه في البحر (بجوار السعيدية) بمسافة تبلغ حوالي سبع كيلومترات ضمن مجال قبيلة بني منقوش التي وهبت له أرضا بنيت عليها الزاوية، إلا أن تاريخ بنائها غير دقيق، ولكن المعروف أن شيخ الزاوية بناها في حياة أبيه الحاج الهبري صاحب زاوية الجبل، وكان سن الابن الشيخ آنذاك لا تقل عن الخمسين سنة، بل هناك بعض الروايات الشفوية التي تجعل بناءها في العقد الأخير من القرن التاسع عشر إن لم يكن العقد الذي سبقه رغم أن البناء في البداية لم يكن من الحجر وإنما من القصب.

انتبه الاستعمار الفرنسي إلى تأثير الزاوية الذي كان يتجاوز الحدود المغربية إلى غرب الجزائر خاصة خلال الحرب العالمية الأولى فاتهمت شيخها بربط الاتصال مع ألمانيا،

فنفتـه إلى شـرق الجـزائر سنة 1914 وبقي في المنفى ثلاث سنوات ونصف، وهذه المدة مكنت الشـيخ من تكوين أتبـاع للزاوية في شرق الجزائر وخاصـة في مدينة عنابة. وإذا كان هذا شيئاً إيجابياً بالنسبة لتوسيع إشعاع الزاوية فإن الجانب السلبي هو تدمير المستعمر خلال نفي الشيخ المذكور للعديد من الكتب التي كانت في مقر الزاوية المعروف قديماً بالضريوة (السعـيدية)، ثم ضاع معظم ما بقي من هذه الكتب خلال حرب التحرير الجزائرية بين 1954 و1962 حيث كانت مباني الزاوية وغيرها من المداشر القريبة من الحدود تتعرض للقصف المدفعي بشكل شبـه يومي من طرف المسـتـعـمر الفـرنسي بالجزائر بسبب الدعم الذي كان يقدّمه المغاربة سكان منطقة الحدود لجيش التحرير الجزائري. مثل هذه الظروف هي التي جعلتنا نعتمد على الرواية الشفوية فيما يتعلق بتاريخ هذه الزاوية، وكـذلك فيـما يتعلق بتاريخ سلالة الولي الصـالح سيـدي عبـد الله بن عـزة، هذا باسـتـثناء بعض الظهـائر السلطانيـة التي تأمر الولاة بتـوقيـر الشـرفـاء أولاد الولي المذكور التي كانت مجموعة منها محفوظة لدى بعض نقباء هؤلاء الشرفاء، وقد تسلمت مديرية الوثائق الملكية مجموعة من هذه الظهائر (راجع في المعلمة مادة : عزة (أولاد –).

منذ موت الشيخ محمد الهبري (الابن) آخر سنة 1939 ضعف إشعاع الزاوية ولكنها لم تفقد أتباعها، فرغم ظهور بعض الزوايا الفرعية فإن زاوية الضريوة ظلت تعتبر الزاوية الأم، وظل شيوخها يتمتعون بالاحترام الكامل سواء من الأتبـاع في شـرق المغـرب أو في الجـزائر. وقـد توالى على المشيخة بعد الولي المذكور ابنه الشيخ سيدي أحمد مدة تزيد عن عـشر سنوات حاول خلالها الإبقـاء على هيـبـة ومكانة الزاوية، ثم خلفه بعـد وفاته ابنه سيـدي علي وكـان صغـير السن، بحـيث وجـد نفـسـه في وضع صـعب تجـاه ضـغط الاستعمار وأعوانه، وهو ضغط كان يمارس أيضاً على أتباع الزاوية إبّان فـترة المقاومة المغربية خاصة بعد نفي السلطان محمد بن يوسف. وبعد أن توفي الشيخ في الجزائر بعيداً عن الزاوية سنة 1962 في ظروف غامضة، خلفه في المشيخة عمه سيدي عمر وابن الولي سيدي محمد الهبري، فاستمر في المشيخة نحوا من 38 سنة بحيث تجاوز عمره التسعين سنة عند وفاته في شهر رجب 1421 / أكتوبر من سنة 2000.

تقام في الزاوية مواسم "الحضرة" مساء كل خميس، وكذا الأعياد الدينية كعيد المولد النبوي، كما يقام موسم عام كل صيف يجتمع فيه أتباع الزاويـة الوافدون خاصة من جهـتي شرق المغرب وغرب الجزائر.

*وثائق وظهائر مخزنية خاصة ؛ روايات شفوية.*

أحمد عزاوي

**الهبط** ، بلاد الماء والتـضاريس، ذلك أن المنخفـضـات تشغلها المرجات الموسمية على امتداد قدم الأعراف النوميدية والجبـال متـوسطة العلو المحيطة بالقصر الكبيـر من جـهة والهضاب الساحلية المفتوحة على الميحط بين وادي تـهدارت (شمال مدينة أصيلة) والمرجة الزرقاء (مولاي بوسلهام) من جهة أخرى.

يترتب عن صعوبة تحديد مجال الهبط تعذر معالجة وافية للوضعية الاجتماعية والاقتصادية خاصة وأن المنطقة توحي بمؤشرات مجتمع عتيق (Archaïque) وفي نفس الوقت بملامح مجتمع تراتبي وبعناصر عرقية تركيبية من كل صوب.

فمعالم المجتمع الهبطي لم تتضح إلا من خلال كتابات الفرنسيين بعدما تركز اهتمامهم على المنطقة طوال القرن 19 استعداداً لبسط نفوذ الاستعمار.

1 ـ الجذور التاريخية للهبط :

ـ يعرف الحسن بن محمد الوزان الفاسي ناحية الهبط كما يلي : "تبـتدئ هذه الناحيـة جنوبا عند وادي ورغـة لتنتـهي شمالا على المحيط، وتتاخم غربا مستنقعات أزغار، وشرقا الجبال المشرفة على أعمدة هرقل. ويبلغ عرضها نحو ثمانين ميـلا، وطولها نحو مائة ميـل". واستنادا لما أورده الوزان، يعـيد Michaux-Bellaire (1911) نفس التـعـريف لمنطقة الهـبط : "تتـضـمن منطقـة الهـبط القـديم سـهـول الغـرب، والخلوط وجزء من المناطق المرتفعة المعروفة اليوم باسم اجبالة (سكان الجبال)".

ويرى ابن خلدون أن سكان منطقـة الهـبط قـبل مـجيء العرب كان يقتصر على جزء من كنفدرالية المصامدة، علما أن الثنائي المتـشكل من كنفدرالية صنهاجة وكنفدرالية زناتة كانت تنتشر في باقي المناطق الأطلسية والجنوبية.

تأثرت المنطقة ما بين القرنين 12 و17 بالموجات البشرية العـربيـة القـادمـة من المشرق وكـذلك باسـتـقـرار الأدارسـة والشـرفـاء، وخلق الزوايا التي سـهـرت على تنظيم الجـهـاد (مـولاي عـبـد السـلام بن مـشـيش، سـيـدي مـزوار، زاوية تغازوت، إلخ) خصوصا خلال مراحل ضعف الحكم المركزي.

من شأن هذا المعطى التاريخي توضيح جـانب من بنية وأصل سكان المنطقـة التي يبـقى الطابع العـربي هو الغـالب عليها من الناحية الإثنية واللغوية. ويرى المؤرخون أن قبيلة الخلط (الخلوط) ذات الأصل العربي تشكل الغالبـية المطلقة لساكنة المنطقة. فالخلط قبيلة عربيـة وقوة عسكرية مستقلة تعـاملت مع معظم ملوك الأسر الحاكمـة بالمغرب، واعـترفت دائما بالأقوى منهم واستمر ذلك إلى حدود القرن 16. وقد هزمهـا الملك الوطاسي أبو حسـون الذي حولها إلى وضعيـة قبيلة "نايبة".

يقول الغرباوي (1981) أن الخلوط من بني هلال، أصلهم من الحجاز، جلبهم يعقوب المنصور الموحدي سنة 1188 ـ 1189 إلى المغرب (مع أبناء عـمومـتـهم قـبيلة رياح). وعلى عكس بني رياح الذين سكنوا مـرحليـا جنوب العـرائش بين القـصـر الكبـيـر والغـرب والمحـيط، أي فـيـمـا عـرف آنذاك بالهـبط، استقر الخلط في معظم الأقاليم المغربية. ومنذ نكبة المرينيين عـاشت قـبـيلة الخلوط مرحلة الضعف إلى أن استـعـان بهم المنصـور الذهبي خلال واقـعـة وادي المخـازن سنة 1578 التي أعـادت لهم الاعـتـبار. وبسبب تظلم بني حسـان من جورهم، عـاقـبـهم المنصـور بتـجـريدهم من السـلاح وبتـهـجـيرهم إلى

الصحراء فرفضوا. وأخيرا فرض عليهم الاستقرار النهائي ببلاد الهبط، جنوب العرائش، محتلين بذلك مجال بني رياح. هكذا، وبحسب ابن خلدون، يستقر "اليوم" الخلط بحوض اللوكوس الأسفل وجزء من بلاد الهبط بعد أن أرغموا غمارة بني حسان على التراجع إلى الجبال الداخلية. وبذلك يستخلص من هذه السيرورة التاريخية تداخل وغنى المنطقة من الناحية العرقية.

أما بلاد الهبط فيعرفها الغرباوي (1976)، بالمجال المتسع من الأراضي المنخفضة والمنحدرة من جبال الريف الغربي حيث يبدأ الإبحار في اتجاه الأندلس التي كانت تحتاج خلال مراحل الفتح الإسلامي الأولى، إلى أعداد كبيرة من المحاربين، قبل أن تصبح فيما بعد ملجأ لأفواج المهاجرين الباحثين عن حياة أفضل. وخلال المرحلتين معا، شهد مجال "الهبط" هبوط أعداد كبيرة من السكان الجبليين في اتجاه المحيط، بحثا عن الجهاد أو التوسع إلى أن أصبح المصطلح العربي "الهبط" يعني أكثر ما يعني مجال النزول في اتجاه المحيط الأطلنطي.

ودونما اعتبار دقة الاتجاهات بين الباحثين القدامى والجدد حول جغرافية الهبط أو التداخل العرقي (Ethnique) مع المكاني ـ الموقعي (Toponymique)، ودون مناقشة صفة "القدم" الواردة في تعريف الباحث الاجتماعي الفرنسي؛ يمكن توطين منطقة الهبط داخل المجال المنحصر بين وادي ورغة جنوبا، ووادي لاو شرقا ثم البوغاز والمحيط الأطلنطي شمالا وغربا. وبذلك يكون مجال بلاد الهبط هو ما يعرف اليوم بـ "الريف الغربي".

من خلال هذا الإطار العام، يبدو أن أصل التسمية عربي ومكاني من الناحية الجغرافية (Toponymique)، فهو يعني الانحدار الطبغرافي أو المجال المنحدر. علما أن بشمال المغرب الكثير من التسميات الأمازيغية من قبيل تازة (باب)، الشاون (قرون الحيوان)، تطاوين (العين البيضاء)، الفحص (السهل أو المقاطعة) الخ.

ويفهم من هذا أن أثر انتشار الإسلام ومعه اللغة العربية انعكس على أسماء الأماكن بشمال المغرب، وهو ما أدى إلى تداول أسماء أماكن بربرية أصلية بجوار أخرى عربية مثل جبالة، الرمل، الليمونة، ميمونة، الرميلات، القصر الكبير، العرائش، العوامرة، الخ. ولعل اعتماد أسماء الأماكن (Toponymie) يعتبر في الدراسات الاجتماعية منهجا وطريقة تضاهي الدراسات التي تعتمد المرجعية الإثنية.

2 ـ سكان الهبط :

يغلب على الظن، من خلال قراءة كتب من قبيل ما خلفه الدارسون القدماء مثل البكري، وابن خلدون، والوزان، والناصري، الخ، وكذلك ما خلفه الدارسون المحدثون مثل العروي، والغرباوي، Michaux-Bellaire الخ. أن ساكنة بلاد الهبط تمحورت في الغالب حوالي المجال الجغرافي المنحدر من أعالي جبال الريف في اتجاه المحيط الأطلنتي بين :

ـ مولاي بوسلهام جنوبا (من المرجة الزرقاء وعلى امتداد روافد سبو : مدا، ردا، وورغة).

ـ ومدينة أصيلة شمالا (مصب وادي تهدارت).

يتميز هذا المجال بكثافة ديمغرافية عالية مقارنة بالمتوسط الوطني (37 ن / كم$^2$). ويمكن تفسير هذه الوضعية البشرية بأسباب أهمها الثقل التاريخي المتمثل في العمق الأمازيغي وفي نظرة الحكم المركزي بفاس أو مراكش أو مكناس إلى هذا المجال من حيث اعتباره ملجأ للمعارضين السياسيين وللفرق والزوايا، كما أنه ظل لقرون ممرا للقوافل التجارية (وجود العديد من مداشر الزنوج على طول طريق التجارة الرابط بين فاس وطنجة)، ومستقرا للعديد من المتصوفين. واعتبارا للمواجهات الأزلية مع الصليبيين تأثرت المنطقة بتعرضها للعديد من الهجمات البحرية التي أجبرت السكان على التراجع والاحتماء بالجبال من جهة واستقبال مسلمي الأندلس الفارين من محاكم التفتيش بدءا من القرن 15 من جهة أخرى.

أثرت هذه الصيرورة التاريخية في الملكية العقارية لبلاد الهبط. فهي تحتفظ بقوانين وأنماط إنتاج قديمة وحديثة مما أدى لتداخل وتعقد البنية العقارية حيث يمكن تلخيص أهم ملامحها على الشكل التالي :

* ملكية حديثة للشركات (وطنية وأجنبية) بحوض اللوكوس الأسفل وفي هضبة رمل العرائش.

أراضي الملك بالهبط الداخلي (تراكم تاريخي ونمط إنتاج خاص بقبائل اجبالة).

أراضي الملك المنتشرة حديثا حوالي المدن، بسبب استثمار المغاربة المهاجرين بالخارج، واستقبال المهاجرين من الريف الأوسط والشرقي، وتحسن مستوى عيش بعض السكان. أضف إلى هذا، تغيير البنية العقارية لبعض الأراضي من وضعية ملك الجماعة (المرجات مثلا) إلى ملك الخواص.

أراضي محبسة للمساجد والأولياء والزوايا حوالي مدينة القصر الكبير. وينتشر بعضها لفائدة الأشراف حوالي أربعاء عياشة وجبل الحبيب وخميس بني عروس (أنساب الولي الصالح القطب مولاي عبد السلام بن مشيش).

أراضي الجماعة والجيش المنتشرة في حوض اللوكوس وفي هضبة الرمل (نظرا لمحدودية استغلال الأرض لدى عرب الخلوط واعتمادهم الكبير على تربية الحيوانات).

أراضي الدولة في هضبة خميس الساحل (أراضي الريسوني، عميل الإسبان).

أراضي مسترجعة من المستعمر وموزعة على صغار الفلاحين في إطار تدعيم السقي الكبير بالمنطقة (المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللوكوس).

3 - وضعية الهبط الراهنة :

الهبط تسمية لمجال جغرافي ذي شخصية قائمة استقرت به قبائل من أصول متباينة : أمازيغية في البداية وعربية فيما بعد، ثم خليط لاحقا. وعلى الرغم من كثرة تردد الاسم (الهبط) لدى الكتاب القدامى، فقد اجتنب معظمهم التحديد الجغرافي للمجال ولأعداد الساكنة. وهو وضع استمر لبداية القرن 20 حيث ظهرت كتابات الغربيين التكميلية.

وقد عرفت هذه البلاد تمددا وتقلصا حسب مراحل التاريخ الممتدة من عصر الأدارسة إلى بداية القرن الماضي وفرض الحماية على المغرب حيث نصادف اليوم لدى الكتاب الغربيين المعاصرين ولدى من لحقهم من المغاربة دراسات تهم مجال الهبط، مع قليل من الاختلاف في التحديد الجغرافي، وذلك تحت تسمية :الريف الغربي".

ولعل تزايد اهتمام الغربيين بهذا الإقليم سبب تضمنه لمقومات استغلالية من قبيل المؤهلات الفلاحية الكبيرة (مصادر مياه وفيرة، السقي الكبير بمنطقة "الرمل")، وإمكانية تجارة التهريب، وممارسة الهجرة السرية عبر زوارق الموت، والمخدرات، الخ. يتجلى ذلك أحيانا في شكل مساعدات مقنعة مالية وتقنية وعلمية يتم تقديمها، وكذلك في صيغة تشجيع الجمعيات غير حكومية (خاصة منها تلك التي تهتم بمجال البيئة) أو بتدعيم مشاريع التنمية مثل بناء الطرق وفك العزلة عن العالم القروي عبر تزويده بالماء الشروب أو ربطه بشبكة الكهرباء.

لقد أدى تغيير الوضعية الاقتصادية منذ بداية الستينيات وإعطاء الأسبقية للفلاحة في برامج التنمية الجهوية إلى جلب يد عاملة وفيرة قدمت من المناطق المغربية الأخرى (برنامج السقي الكبير، زراعة الشمندر وقصب السكر، مشروع زراعة الشاي، منتوج فلاحة التصدير كالحوامض وتوت الأرض، الصيد البحري بالعرائش، الصناعات الغذائية الخ ...). كما شهدت المنطقة أحيانا، استقرار أجانب تقنيين ومستثمرين في مجالات الصيد البحري والفلاحة والصناعات الغذائية.

نتج عن هذه الدينامية تشكيل متجدد لساكنة إقليم الهبط حيث يكتسي حاليا نمط فسيفساء عرقية يصعب تحديدها بسهولة. وتزداد هذه الصعوبة بسبب تبني السلطات المختصة لسياسية إلغاء الإطار القبلي مباشرة بعد الاستقلال. لكن وعلى الرغم من هذا، يمكن تقديم التوزيع الجغرافي لساكنة الإقليم، على وجه التقريب، كما يلي :

ينتشر "اجبالة" فوق المرتفعات الجبلية الداخلية (سوماتة، بني جرفط، الخ) وهم ينحدرون من قبيلة غمارة التي أصبحت مستعربة.

ينتشر العرب "العروبية" في المناطق السهلية والهضبية الساحلية (هضبة الرمل وخميس الساحل) وينحدرون في معظمهم من قبيلة الخلوط.

يسكن الهبط الساحلي ما بين وادي اللوكوس وتاهدارات، قبائل مركبة وحديثة التكوين (القرنين 18 و19) قبائل الساحل والغربية.

يستقطب الثلاثي الحضري لمدن العرائش والقصر الكبير وأصيلة كل الأصول المغربية، غير أن هذا لم يمنع استمرار بعض مداشر (دواوير) الزنوج على صيغتها الأصلية عبر الطريق التاريخية الرابطة بين فاس وطنجة (طريق القوافل التجارية)، أو بجوار محطات تربية الأبقار والخيل (العدير) : مداشر عين العبيد، البكارة، بوصافي، أولاد المصباح الكوحل، الخ. فهؤلاء الزنوج يتميزون إلى حدود اليوم، وخلافا لما يحيط بهم من مداشر، بتربية الجمال والتخصص في زراعة النعناع.


ع. الرحمان ابن خلدون، *العبر وديوان المبتدأ في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*، 1983، بيروت ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1983، بيروت.

G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif*, Publications de la Sorbonne, SMER, Rabat, 1981 ; Ch.-A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Ed. J.A., Paris, 1978 ; A. El Gharbaoui, *La terre et l'homme dans la péninsule tingitaine*, Trav. Inst. Scient. Série Géol. et Géogr. Phy., N° 15, Rabat, 1981 ; La terre et l'homme dans le Habt de Larache, *Homme, terre et eaux, n° 21, p. 13-33, 1976* ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, 1830 - 1912*, Centre Culturel, Casablanca, 1993 ; E. Michaux-Bellaire, Quelques tribus de montagne de la région du Habt, *A.M., vol. 17, 1911, p. 186* ; Les tribus arabes de la vallée de Lekkos, *A.M., vol. 4, p. 6; 1905* ; L'organisme marocain, *Revue du Monde Musulman, vol. 9, p. 1-43, 1909* ; El Qçar es-Seghir, *R.M.M., vol. 16, p. 329-375, 1911* ; El Qçar el-Kebir : une ville de province au Maroc septentrional, *A.M., vol. 4, p. 1-228, 1905* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Thèse, Rabat, 1977.


عبد المالك السلوي وبوشتى الفلاح

**الهبطي الصماتي، محمد** بن أبي جمعة، أبو عبد الله، أحد العلماء المتخصصين في علم القراءات، خصه الكتاني في *سلوة الأنفاس* بترجمة وافية، قال فيها : "عالم فاس في وقته، فقيه نحوي، فرضي، أستاذ مقرئ، عارف بالقراءات، مرجوع إليه فيها، وكان موصوفا بالخير والفلاح والبركة والصلاح، وهو ذو أحوال عجيبة وأسرار غريبة".

من مؤلفاته : *رسالة الوقف أو تقييد وقف القرآن*، مؤلف عمل تلاميذه على نشره في جميع جهات المغرب، يقول عنه الأستاذ حجي : "إن المصاحف المغربية ما تزال تكتب وتطبع

حتى اليوم بوقف الإمام الهبطي". *عمدة الفقير في عبادة العلي الكبير*، وهو مخطوط الخزانة العامة بالرباط.

توفي بمدينة فاس سنة 930 / 1523.

ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. أبو النور، 2 : 152 ؛ *جذوة الاقتباس*، 1 : 321 القادري، *نشر المثاني*، تح. حجي والتوفيق، 1 : 35 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، طبعة، 2004، 2 : 76 ؛ التنبوكتي، *نيل الابتهاج*، 585 ؛ مخلوف، *شجرة النور الزكية*، تح. خيالي، 1 : 400 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 374 ؛ گنون، *النبوغ المغربي*، 1 : 250.

**الهبطي، عبد الله** بن **محمد** أحد علماء غمارة من جبل الأشهب كما ذكر الأستاذ حجي، وأصله من صنهاجة طنجة كما نقل القادري في *نشر المثاني* عن *ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع*.

تلقى تعليمه الأولي بجبال غمارة والهبط، ثم رحل إلى فاس ليأخذ عن علمائها، وأشهرهم أحمد الزقاق، ويسلك طريق "القوم" على يد الشيخ الصوفي عبد الله الغزواني المتوفى سنة 935 ، وكان كما يقول ابن عسكر : " يحتج بكلام الغزواني ويستشهد بنثره ونظمه".

وفي مسقط رأسه بالجبل يؤسس زاويته، ليمارس التدريس بها والتوجيه، هدفه توعية الناس بأمور دينهم، ودعوتهم إلى سلوك الطريق السوي، حريصا على تعليم النساء ورتوجيههن دون تمييز بينهن وبين الرجال.

نعته ابن القاضي في *درة الحجال* "بالولي الصالح الصوفي"، وقال عنه الناصري في *الاستقصا* : "كان من أهل الورع والدين والاتباع للسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وأفرد له ابن عسكر ترجمة وافية في *دوحة الناشر*، جاء في أولها : "فريد عصره وأعجوبة دهره، الإمام العارف بالله وأحكامه، الشيخ العالم الزاهد المحقق، جندي زمانه".

أما الحضيكي فتحدث عنه بإعجاب، وحلاه بقوله : "كان كبير الشأن، عالي الهمة والرتبة، راسخ القدم في مقام العرفان، لا يجارى في ميدان المعرفة".

من مؤلفاته : *"الألفية السنية في تنبيه العامة والخاصة على ما أوقعوا من التغيير في الملة الإسلامية"* : وهو رجز ينتقد أحوال المجتمع في جبال غمارة ويدعو إلى الإصلاح والتمسك بالإسلام عقيدة وسلوكا، مخطوط الخزانة الحسنية، وله منظومات أخرى مخطوطة في العقائد تصب كلها في الدعوة إلى الإصلاح، كما أن له مشاركة في المناظرات الدينية مع علماء عصره.

توفي عام 963 / 1555.

ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. أبو النور، 3 : 60 ؛ *جذوة الاقتباس*، 2 : 440 ؛ القادري، *نشر المثاني*، تح. حجي والتوفيق، 1 : 35 ؛ الفاسي، *ممتع الأسماع*، 68 ـ 69 ؛ الحضيكي، *طبقات*، 2 : 89 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 5 : 87 ـ 88 ؛ الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط ح 15 ؛ ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، 15 ؛ گنون، *النبوغ المغربي*، 1 : 251 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 466.

**الهبطي، محمد** بن **عبد الله** المعروف بالصغير هو ابن الصوفي المشارك عبد الله الهبطي، تعلم في مدرسة أبيه ونهج طريقته في التربية والتعليم، وصفه اليفرني في *الصفوة* بقوله : "كان مشاركا، متضلعا بالفنون، ولي مقام أبيه، وقصده الناس من النواحي".

اشتهر الهبطي الصغير بالنزاهة والاستقامة، فلم يبخل بعلمه وتوجيهاته وفتاواه على الخاصة والعامة"، وإلى جانب رئاسته العلمية والصوفية، ولي خطة القضاء، فكان من أمثل القضاة عدالة ونزاهة"، كما وصفه الأستاذ حجي.

من مؤلفاته : *"كنز السعادة في بيان ما يحتاج إليه من نطق بكلمة الشهادة"* ، وهو جواب على سؤال في موضوع الإيمان والعمل، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط).

*"المعرب الفصيح عن سيرة الشيخ الرضي النصيح"* : أرجوزة في ثلاثة وسبعين وثلاثمائة وألف بيت، ترجم فيها لأبيه ترجمة وافية ولأشياخه وتلامذته، ملما بأحوال الطريقة الجزولية / الشاذلية، كما ترجم لنفسه ولأخيه المعروف بالكبير (مخطوط خزانة القرويين).

*"مصطلحات الصوفية"* : وهو مخطوط الخزانة الحسنية.

*"كشف الأستار الغيبية عن وجه القصيدة الشعبية"* : وهو شرح لنونية أبي مدين الغوث المتوفى سنة 590، ولعله مفقود.

" *اختصار كشف الأستار الغيبية*" : مخطوط خزانة القرويين، والخزانة الحسنية.

توفي عام 1001 / 1593.

ترجم لنفسه في كتابه "*المعرب الفصيح*" ؛ اليفرني، *صفوة من انتشر*، تح. خيالي، ص. 165 ؛ القادري، *نشر المثاني*، تح. حجي والتوفيق، 1 : 35 ؛ الحضيكي، *طبقات*، 2 : 101 ؛ ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 399 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 467 ـ 468.

**الهبطي، محمد** بن **عبد الله** المعروف بالكبير هو ابن عبد الله المتصوف، عرف بالكبير كما عرف أخوه بالصغير للتمييز بينهما، من علماء بلاد الهبط، تفوق في علم القراءات وعلوم القرآن، مارس التدريس في علوم كثيرة بزاوية والده، وكان من العلماء المشاركين، ترجم له أخوه في *المعرب الفصيح*، وذكر "بأن له مشاركة في جميع الفنون التي كان يدرسها أبوهما في زاويته".

توفي سنة 995.

*المعرب الفصيح* ، مخطوط خزانة القرويين ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 468.

نجاة المريني

**الهجهوج**، آلة موسيقية من ذوات الأوتار، تشكل ثالث أنواع الگنبري وأكبرها حجما بعد الفرخ والسويسدي.

يستخدم الهجهوج عند گناوة خاصة، والعادة أن تعلق بعنقه سبع قطع من القماش لكل قطعة لون خاص مما يحيل على ألوان "ملوك" الليلة الگناوية.

صندوق الهجهوج من خشب صلب يحفر على شكل نصف بيضة، وعنقه مصنوع على شكل مخروطي. وله ثلاثة أوتار تربط في أقصى عنقه بواسطة خيوط سميكة. أما تسويتها فتكون على طبقة صوتية جهيرة، وذلك عن طريق جر الوتر واستبدال موضع عقدة الخيط.

صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، المحمدية.، 1977، ص. 37.

Ahmed Aydoun, *Musique du Maroc*, Ed. Eddif, 2002.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الهدامي**، فخذة كبيرة من أولاد سعيد، تنتشر أراضيها على الضفة اليمنى لوادي أم الربيع، وتتكون من الدواوير الآتية : المعاشات - أولاد سي بومجمر - الغنيميون - أولاد حدو - جديات - الثريات.

كان عدد خيام الهدامي في مطلع القرن العشرين حوالي 1887 خيمة، أي حوالي 9435 نسمة، وهي تشتهر بتربية الأغنام وتحتل الرتبة الأولى في كثرة قطعان الأغنام بأولاد سعيد.

*Ville et tribus du Maroc*, t. 2.

علال الخديمي

**هداوة**، تنتسب هذه الطريقة إلى مؤسسها "هدي" دفين جبل العلم ببني عروس، كانت لسيدي "هدي" عدة ألقاب مثل مول الدربالة، مول أخميس ببني اعروس، مول الطبول، مول الخواتم، مول القنادل الضاوية ومول السيوف الماضية، مول الواد الأخضر ومول السبسي والمطوي. كانت ولادة سيدي "هدي" بتافيلالت، حيث ترعرع، بدأ رحلته الأولى بالتوجه إلى بلاد السودان التي عاد منها إلى تافيلالت ليبدأ رحلة ثانية قاصدا فيها أضرحة ومزارات أقطاب التصوف المغربي، أمثال عبد السلام بن مشيش وبلعباس السبتي ومولاي إبراهيم وغيرهم.

أما المرحلة الجديدة من حياته فقد تميزت بالاستقرار، بعد جولته السياحية تلك، فكانت قبيلة بني اعروس مركز استقراره حيث أصبح له أتباع ساروا على عاداته في العيش والطقوس والمناسك والعادات كتطويل الشعر واللحية ولبس الدربالة وتدخين الكيف والضرب على الدعدوع وذلك بكل من فاس ومراكش وسوس. ومن كراماته دخول الأفران دون أن يحترق.

واعتمادا على ما ذكره برونيل فإن زاوية سيدي "هدي" لازالت بقبيلة بني عروس على شكلها الأول، وهي تتكون من مجموعة من النوالات تحيط بالضريح ويوجد في هذه النوالات الهرارز والطبول ثم هناك نوالة أخرى توجد بها مكتبة، إضافة إلى المسجد.

وكان أتباع سيدي هدي عند عودتهم من زيارة مولاي عبد السلام بن مشيش، يقومون بزيارة قطبهم، وقبل وصولهم إلى الضريح يزورون معظم المزارات التي يجدونها في طريقهم.

ليست لهذه الطائفة طريقة معينة كما هو الشأن بالنسبة للشاذلية أو الجزولية، ففي نظرهم تبقى طريقتهم هي المثلى، لذلك لا يمكن استبدال الشيخ بآخر، ومن فعل ذلك اعتبروه من الزنادقة، غير أنه يسمح لهداوة باتباع أحوال أخرى مثل الحال الكناوي، والعيساوي، والحمدوشي والحال الجيلالي، ويبدأ عادة الحال عندهم، بالذكر والجذبة وينتهي بتدخين الكيف.

ولهذه الطائفة طقوسها الخاصة بها، فالشخص الذي يرغب الدخول في زمرتهم، عليه مرافقة أفرادها والقيام ببعض المهام اليومية من تنظيف الدرابل ومصاحبتهم أينما حلوا، إلى المهام الروحية، كالذكر والحضرة والجذبة وتدخين الكيف، هكذا إلى أن يصبح هداويا بأمر من هداوة الذين يجتمعون بينهم ويجيزونه، ومنذ ذلك الحين، يشتري الهداوي الجديد، إبريقا وركيلة ومطويا، ويشرع في السياحة، وللإشارة هناك بعض النساء الهداويات.

ومما يميز الهداوي عن باقي أفراد الطوائف الأخرى، تدخين الكيف والحشيش وأكل المعجون، ولبس الدربالة، وليس لهذه الطائفة ورد خاص بها حيث يكتفون بورد سيدي هدي ثم ورد مولاي الطيب رفيق سيدي هدي أو ورد مولاي يعقوب الذي يتمسك به هداوة بصفة خاصة. وعند مقامهم الموسمي ببني عروس، يقوم هداوة بمساعدة زوار الولي في عملية الاستحمام بالصهريج منشدين بعض الأجزاء من الورد : أمولاي يعقوب بجاه بن منصور ولالة شافية شان الله.

مولاي يعقوب بيت الله والولي بنمنصور

داوني لله ابن منصور أجبار المهرسين

مولاي إدريس بيت الله، سيدي هدي، سايح الله محمد حبيب الله مرسول.

وتتم الحضرة عبر مراحل حيث، يبدأون بالذكر صحبة الطبل والهراز، وأذكار أخرى ثم يقف المشاركون في الحضرة للجذب ويختمون بالفاتحة أو قول "الله يجعل فيه الخير يتصاب الله يجبر حال الخلايق مجموعين".

وتقام هذه الحضرة بزاوية سيدي هدي، حيث يمارس هداوة الحضرة مرتين في اليوم، الأولى تبدأ في الفجر بعد الصلاة إلى طلوع الشمس، والثانية تكون بعد صلاة المغرب وتنتهي عند صلاة العشاء. إضافة إلى ما ذكرناه عن هذه الطائفة فمعظمهم فقراء محتاجون الشيء الذي يدفعهم إلى التسول، والمشي حفاة القدمين وعراة الرأس، كما أن معظمهم عزفوا عن الزواج، بل ظلوا سائحين جوالين، معتبرين أنفسهم من أولياء الله الصالحين.

والملاحظ هو العلاقة الحميمية بين هداوة والقطط التي

حظيت بمكانة خاصة عند مقدم الزاوية الذي كان يطعمها من نفس الطعام الذي يتناوله هداوة.

إضافة إلى كل هذا كانت لهذه الطائفة ألفاظ خاصة بها لا يفهمها إلا مريدوها وتدعى غوس.

R. Brunel, *Le monachisme, errant dans l'Islam, Sidi Heddi et Heddawa*, Maisonneuve et Larose, Paris, 2001.

علال ركوك

**هدراش** (قصبة -) شيدها المولى إسماعيل (1082 - 1139 / 1672 - 1727) إلى جوار قصبته المخزنية، ويحدد الفرنسي مويط Mouette الذي كان أسيرا بمدينة مكناس ما بين (1670 - 1681) موقعها قائلا : "... وفي الجانب الجنوبي الشرقي من هذه القصبة [قصبة المخزن] قصبة صغيرة بنيت سنة ثمانين وستمائة وألف مسحية تسمى الأودايا عرض أسوارها ستة أشبار ولها أبراج مربعة بشرفاتها تفصل بين القصبتين مقبرة" فالمقبرة هي مقبرة سيدي عمرو الحصيني"، أما القصبة الصغيرة فهي "قصبة هدراش" ونسبتها إلى الأوداية يعود إلى كون السلطان مولاي إسماعيل أسكن بها "رحى الاوديا" وهم قسم من جيش الاودايا الذي كان يتكون من ثلاث أقسام : رحى أهل سوس ورحى المغافرة ورحى الاودايا، وكانوا (أي رحى الاودايا) قد قدموا على السلطان أثناء دخوله لمدينة مراكش للمرة الثانية سنة (1088 / 1677) فأثبتهم في ديوان الجندية وأسكنهم - أولا - بقصبة هدراش ثم بمدينة الرياض العنبري فيما بعد، وقد كانت أرض القصبة أرضا خلاء قبل أن يعمرها المولى إسماعيل ويزودها بالماء والبناءات الضرورية منها "جامع قصبة هدراش" الذي يعرف حاليا بجامع لالة خضراء، وقد اعتبر الزياني بخطه في كتابه "البستان الظريف" هذا الجامع من إنشاءات السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1971 - 1204 / 1757 - 1790) والواقع أن هذا السلطان أعاد تجديده فقط لما أصابه وأصاب القصبة من خراب بعد وفاة مؤسسهما، والدليل أن ذكره ورد في الحوالات الحبسية الإسماعيلية عند الحديث عن تحبيسات المولى إسماعيل على هذا الجامع : " ... ومگانة صغرى وأسطرلاب لمسجد قصبة هدراش" ويشير الضعيف إلى أن السلطان محمد بن عربية (1150 - 1151 / 1736 - 1738) قد أوقع الخراب بجزء كبير من قصبة هدراش.

*حوالة الأحباس الكبرى*، رقم 5، ص. 27 ؛ أبو القاسم الزياني، *البستان الظريف*، تح. رشيد الزاوية، الرباط، 1992، ص. 482 ؛ عبد الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 1، ط 2، الرباط، 1990، ص. 145 - 146 ؛ مويط (ج)، *رحلة الأسير مويط*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1990، ص. 73 - 75 ؛ محمد المنوني، *دليل القصبة الإسماعيلية*، *دعوة الحق*، ع 6، ص. 10، مارس، 1667، ص. 107 - 120 ؛ ثريا برادة، *الجيش المغربي*، الدار البيضاء، 1997، ص. 64.

رقية بلمقدم

**الهدهد**، يجتمع على هداهد وهداهيد، جنس من الطيور البرية متوسط القد على قدر السمنة والشحرور، جميل المنظر؛ تنتصب على رأسه قلنسوة وهو مشهور بهذا الاسم في جميع الأقطار العربية وكنيته أبو الربيع وأبو عباد وأبو سجار وأبو روح وأبو الأخبار تبعا لقوله تعالى في سورة النمل "وتفقد الطير فقال مالي لا أري الهدهد أم كان من الغائبين، لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين، فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به

الهدهد

وجئتك من سبأ بنبأ يقين".. يصنف إلى رتبة كوراسيفورم Coraciiformes وفصيلة الضؤضئيات Upupidés يسمى علميا Upupa epops وبالفرنسية Huppe fasciée وبالإنجليزية Hoopoe وبالإسبانية Abubilla وبالإيطالية Upupa وبالروسية Udod.

منقار الهدهد طويل مدبب ومعقوف قليلا، أعد بإتقان للبحث عن الحشرات والديدان بين النباتات وتحت سطح الأرض وبشقوق جذوع الأجشار والصخور. له حويصلة وقانصة تهضم الطعام جيدا حيث يلتقط مواداً صلبة وحصى لتساعد القانص على الهضم.

الريش على الرأس والصدر والعنق ضارب إلى الصهبة وينتهي بالسواد، الظهر والجناحان مخططان بالأبيض والأسود والذيل عريض أسود اللون. الطيران غير منتظم ومتقطع على شكل قفزات متواصلة. يبلغ طول بسطة الجناحين 42 - 46 سم وطول الجسم 26 - 28 سم وتزن الكبار 50 - 80 كراما. الذيل طويل مستقيم المؤخرة وينتهي ببقعة صغيرة بيضاء. يألف الغابات والأدغال بجبال الأطلس وجبال الريف والهضاب الوسطى والحدائق والبساتين المشجرة. يأتي إلى المغرب من إفريقيا الوسطى ابتداء من مارس ويهاجر أيضا في فصل الربيع إلى أوروبا الوسطى وآسيا ليتوالد ثم يعود في الخريف إلى إفريقيا الوسطى ليشتو جنوب الصحراء الأفريقية. يتوالد بين أبريل ويونيو وتبني الأنثى العش بين شقوق جدران المنازل المهجورة وشقوق جذوع الأشجار وكثيراً

ما تتخذ أعشاش نقار الخشب لتضع فيه البيض وتحضنه وحدها مدة 18 يوما. تبيض 5 ـ 7 بيضات رمادية مزركشة بالبني ومنقطة بالأبيض، طول قطريها 18 x 26 ملم. تغادر الفراخ العش بعد 3 ـ 4 أسابيع. تتغذى من العناكب والحشرات والجراد والخنافس وديدان الفراشات والذباب والحلزون. صيده غير مسموح به في المغرب ويعد من الطيور المحمية على الصعيد الوطني والعالمي.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

C. Harrison, *Les nids, les oeufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

**الهدية**، ج. هدايا وهداوَى وهداوٍ، وتعني لغة، من بين ما تعني ـ وهو الشائع ـ ما أتحف به، أي بعث به إكراما وتوددا. وفي الحديث الشريف " تهادوا تحابوا".

ويتبين من الوثائق المغربية المتعلقة بفترة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أن الهدايا الرسمية السائدة في المجتمع المغربي كانت متنوعة بتنوع المناسبات والأهداف. ومن أشهرها، على الإطلاق، الهدية التي كان يقدمها سكان البوادي والحواضر إلى السلطان بمناسبة الأعياد الدينية الثلاثة، وهي عيد المولد النبوي وعيد الفطر وعيد الأضحى.

وكانت العادة المتبعة في تقديم هدايا الأعياد أن يتوجه وفد رسمي يمثل أعيان القبيلة أو المدينة ـ وضمنهم، أحيانا، أعيان اليهود بالنسبة لبعض الحواضر ـ بإشراف القائد أو من ينوب عنه، رفقة عدد من المخازنية، يسمى بـ"العيّادة" أو "الهدّاية"، إلى حيث يكون السلطان مقيما، وذلك من أجل تجديد الولاء والطاعة من جهة، ومشاركة السلطان أفراحه واحتفالاته من جهة أخرى. وعند عودة العيادة إلى حال سبيلهم كان السلطان ينعم عليهم، بدوره، بهدية هي عبارة عن كسوة تتناسب ومقام كل شخص.

وعن نوع هذه الهدايا الموجهة إلى السلطان، فالملاحظ أنها ابتداء من حكم السلطان المولى عبد الرحمان (1822 ـ 1859) وإلى حدود ثمانينيات القرن التاسع عشر كانت عينية وتمثل أجود وأشهر ما كانت تنتجه القبيلة أو المدينة، من خيول وبغال وسروج ومنسوجات صوفية وقطنية وحريرية وبلاغ وفخار وشمع وإماء، أحيانا. ثم ابتداء من منتصف ثمانينيات القرن المذكور وإلى توقيع عقد الحماية أصبحت، في الغالب، توجه نقدا، لحاجة المخزن المتزايدة للمال.

وأما من حيث مقاديرها، فالملاحظ أنها كانت رمزية وظلت، على العموم، ثابتة سواء في شكلها العيني أو النقدي. فعلى سبيل المثال كان بعض قواد قبيلة الرحامنة يوجهون في هدية عيد الفطر قبل العام 1297 / 1880 فرسا واحدا. وابتداء من هذا التاريخ وإلى حدود العام 1311 / 1894 أصبحوا يقدمون مائة ريال. وهو نفس المقدار التي كانت تقدمه قبيلة كلاوة ـ الواقعة تحت نفوذ القائد المدني الكلاوي ـ في هدية عيد الفطر من العام 1297 / 1880 إلى العام 1311 / 1894.

من كان يؤدي هذه الهدايا ؟ وما هو التطور الذي عرفته ؟

بالنسبة لسكان البوادي كانت تفرض، قبل ترتيب 1884، حسب ديوان كل قبيلة، مثلها في ذلك مثل بقية مختلف أنواع الجبايات، بحيث لم يكن يميز في الأداء "بين الغني والمتوسط والفقير". وإذا كان الترتيب الحسني المذكور قد حاول تدارك هذا الخلل، على أساس الرفق بالضعفاء والفقراء وأن يكون الأداء "بحسب ما يملكه كل واحد من الماشية والخيل والبغال والإبل والعقار والمال"، فإن هذا الترتيب انتهى بالفشل، بسبب رفض أصحاب الامتيازات من شرفاء وزوايا وقواد ومن انضاف إليهم من المحميين والمخالطين التنازل عن امتيازاتهم التقليدية، ومن ضمنها أداء الهدية. وكان من نتيجة ذلك أن الفقراء هم الذين ظلوا يتحملون أعباءها، كما كان الأمر في السابق. وفي حالة امتناعهم عن الأداء، بشكل جماعي، كانت تقيد في ذمتهم. ومن أمثلة ذلك أن من بين ما ترتب في ذمة قبيلة تجانة، إيالة القائد أحمد أمالك، من هدايا الأعياد الثلاثة من العام 1296 / 1879 إلى العام 1306 / 1889 : 4.340 ريالا، وذلك عن 31 عيدا، بمعدل 140 ريالا عن كل عيد.

أما بالنسبة لأهل الحواضر فكان يؤديها أصحاب الحرف والتجار، وذلك بتنسيق بين أمناء الحرف والأسواق من ناحية، والقائد من ناحية أخرى، كل حسب مستواه باعتبار الهدية في الأصل تؤدى بطيب نفس. بيد أن ما وقع في القبائل، وقع أيضا في المدن. وهكذا لما أشكل الأمر على باشا فاس عبد الله بن أحمد، المعين حديثا في الخدمة، وقبل أن يلجأ إلى السلطان لعرض المشكلة التي واجهته، كتب رسالة إلى الأمين السابق بفاس محمد المدني بنيس مستفسرا إياه عمن كان يؤدي بفاس في عهده، أجابه في رسالة مؤرخة في 3 ذي قعدة 1296 / 18 نونبر 1878 : "فاعلم رعاك الله أن الهدية كانت تفرض على الضعفاء والمساكين وتسقط عن الأغنياء الذين بيدهم الظهائر بالتحرير ومن لهم تعلق واتصال بعامل البلد في الوقت. فأنهيت الأمر لمولانا المقدس بالله فكتب ظهيرا شريفا مضمنه أن الهدية يعطيها كل أحد وأصحاب الظهائر حسبهم التوقير والاحترام وإسقاط الكلف المخزنية عنهم، وأما الهدية فيعطونها كغيرهم. نعم، الأشراف وأهل العلم الذين بالأسواق جرت عاداتهم بعدم إعطائها. هذا محصل القضية وعلى ذلك كان العمل".

غير أن ظهير السلطان محمد بن عبد الرحمان (1859 ـ 1873 ) ظل مجرد حبر على ورق، كما هو الشأن أيضا بالنسبة لعدد من الظهائر التي أصدرها السلطان المولى الحسن (1873 ـ 1894) في الموضوع. بل انضاف إلى أصحاب الظهائر من ذوي الامتيازات ومن "لهم اتصال وتعلق بعامل

البلد"، أهل الحمايات. وإذا بقينا في حدود مدينة فاس كما يتبين من إحدى الرسائل السلطانية الجوابية الموجهة إلى الباشا عبد الله بن أحمد بتاريخ 15 ذي حجة 1301 / 6 أكتوبر 1884 فإن أمين الرحويين الحاج محمد الأزرق الفاسي اشتكى من كونه أدى لوحده عن أهل حرفته عن ثلاثة أعياد 40 ريالا، كما أن ولده تحمل بدوره 20 ريالا أخرى، وعلة ذلك "أن 43 من أصحاب الأرحاء كانوا كلهم من أصحاب الظهائر ومتعلقين بأهل المراعاة و20 آخرين من أصحاب الحمايات، ولم تبق الكلفة إلا على 12 أرحاء من الضعفاء الذين لا علاقة لهم بأحد". وتضيف الرسالة أن نفس الشيء وقع مع "جماعة الجزارة في بقاء الكلفة على ضعفائهم الذين لا علاقة لهم بأحد".

ولقد ازداد هذا الأمر استفحالا في عهد السلطان المولى عبد العزيز (1894 ـ 1908 ) إلى درجة أن مدينة مراكش توقفت في العام 1896 عن توجيه هديتها المعتادة. وفي محاولة منه لمعالجة الوضع والحد من شطط العمال أصدر السلطان في 14 رجب 1314 / 19 دجنبر 1896 ظهيرا كلف بموجبه ثلاثة أمناء بمدينة مراكش "يتولون فرض جميع ما يفرض على أهل الحرف والأسواق بحيث لا يفرض العامل شيئا من دونهم [...] ويجعلون لكل واحد ما يناسب مما يلزم أهل حرفته أو سوقه من غير حيف أو شطط".

وإذا شرع هؤلاء الأمناء الثلاثة في فرض الهدية "وقسطوا على كل واحد ما نابه" ـ توضح إحدى رسائل الحاجب أحمد بن موسى الجوابية الموجهة إلى الورزازي، خليفة عامل مراكش بتاريخ متم شوال 1315 / 23 مارس 1898 ـ "ألفوا عددا من المحررين وعددا قد اندثر بسبب الغلاء". ولما أضافوا إلى ذلك "عشر الدّين للفريضة [أي ما كان متخلفا في ذمتهم] خرج على كل واحد منهم ما لا يقدر على أدائه وربما يأتي على جميع ما يروج بيده، فطلبوا التوسعة في عشر الدين إلى أن ييسر الله والاقتصار على دفع ما عدا ذلك"، فاستجيب إلى طلبهم.

تلك، بإيجاز، بعض ما آلت إليه هدية الأعياد. ومن ثم يتبين أن ما ذكره روجي لوطورنو في كتابه *"فاس قبل الحماية"* من "أن الطوائف الحرفية الميسورة هي التي كانت وحدها تقدم الهدية إلى السلطان" هو مجرد لغو وتشويه كلي لأبسط الحقائق، سواء بفاس أو بغيرها من المدن والقبائل.

*وثائق*، خ. ح ؛ ع. بن زيدان، *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، ج. 1، 1961.

E.D. Michaux-Bellaire, Les impôts marocains, in *Ar. Mar., vol. 1, 1904, p. 61-64* ; Rahma Bourqia, Don et théâtralité : réflexion sur le rituel du don (Hadiyya) offert au sultan au XIX siècle, in *Hesperis - Tamuda vol. XXXI, F. unique, 1993, p. 61-75.*

عبد العزيز الخمليشي

**الهر البري**، أكثر ما يرد في الكتب من أسماء الهر هو السنور ونادرا مايرد اسم القط. ولم تظهر كلمة قط في الشعر الجاهلي ويرجح أنها غير عربية بل أصلح من كلمة قطو Catus الرومانية ؛ وكلمة قطوس شائعة في الدارج في تونس وليبيا. وله أسماء كثيرة عند العرب منها الخيطل والخيدع وأبو خداش وأبو غزوان وأبو الهيثم وأبو شماخ والسنور والضيون والهر. ومن أسمائه الشائعة في المغرب القط والمش. يسميه الإيطاليون Gatto والإسبان والبرتغاليون Gato والأتراك Kedisi والإنجليز Cat والفرنسيون Chat والهولنديون Kat والألمان Katze.

والهر نوعان : أهلي وبري وحشي، وكل منهما يفترس ويأكل اللحم الحي ويناسب الإنسان في أمور كثيرة، فهو يعطس ويتثاءب ويتمطى ويتناول الأشياء بيده. يعيش الهر البري حياة انفرادية في منطقة خاصة يحددها بالتبوّل بدون الدفن بينما يدفن بوله داخل منطقته ولا يسمح للأفراد الأخرى من مشاركته مكان عيشه. وتحدث معارك بين الذكور عندما يدخل أحدهم منطقة الآخر ولكل هر رائحة خاصة به تميزه بها الأفراد الأخرى. يملك القط غددا في الحدود بجانبي الوجه وأعلى الفخذين بالقرب من بداية الذيل تفرز رائحة مميزة لكل فرد. ولذلك نلاحظ من عادة القط أنه يمسح هذين الجزأين على الجواف البارزة ويحتك بالأشخاص وبزوايا الجدران والصخور ليضع رائحته على نفس المكان فيبعد القطط الأخرى. وكثيرا ما نرى القط وهو يشم زوايا الجدران ليتأكد من مرور قط آخر. والحيوانات البرية المفترسة كالقطط والثعالب والأسود والضباع لها رائحة خاصة بها ومن يقترب من جحورها يشم تلك الرائحة، وهي نفس الرائحة التي يشمها الإنسان في حديقة الحيوان عندما يقترب من أقفاص الحيوانات المفترسة.

يعتبر المصريون القدماء أول من استأنس الهر البري وذلك قبل الميلاد بـ 1500 سنة بعد أن طوروا زراعة الحبوب ولاحظوا الفئران تأكل محاصيلهم وتخربها فاهتموا بتربية الهر واستئناسه والإكثار منه لمحاربة القوارض. وينحدر أصل الهر المستأنس من الهر البري الإفريقي Felis sylvestris libyca ومع مرور العصور، عرف الهر تجانسات مع النوع الأسيوي المتوحش Felis sylvestris manul الذي يمتاز بطول الشعر الناعم. وقد أدى الانتقاء التجانسي إلى فرز عدد كبير من ضروب القط الأهلي.

تفرقت القطط في جميع أنحاء العالم وعاشت وحشية بعيدة عن الإنسان وحافظت على نسلها، أما القطط المستأنسة فقد نقلت مع المسافرين إلى مناطق أخر وتناسلت مع قطط مستأنسة من بلدان وقارات أخرى فتنوع أصلها ويكون القط البري أنقاها عرقا.

والهر يعلم صغاره الافتراس فيأتي لهم بفريسة مجروحة كالفأر ويتركهم يتدربون على الافتراس ويتعلمون العضة القاتلة من أعلى رقبة الفريسة. والعضة القاتلة مهمة لكل مفترس بحيث إن لم يأت بها صغيرا فلن يستطيع الصيد والافتراس كبيرا. لذلك نرى القطط المهجنة لا تفترس ولا تكترث للفئران لأنها لم تدرب على الافتراس، ولا تأكل إلا ما عودت عليه.

يصنف الهر البري في رتبة اللواحم وفصيلة السنوريات Felidae ومنه المتوحش والمستأنس. صيغة الأسنان كالتالي : 3/3 قواطع ؛ 1/1 أنياب ؛ 3/2 أضراس أمامية ؛ 1/1 أضراس طاحنة = 30 سنا ؛ الضرس الأمامية والأضراس الطاحنة ضعيفة جدا.

يوجد في فك الهر أربعة أنياب، إثنان منها على كل فك تساعده على تمزيق لحم الفريسة أما الأضراس الصغيرة الستة فهي لتقطيع اللحم والأنياب الجانبية للتمزيق. وبما أن الهر يفتقر للطواحن فهو يأكل اللحم بتقطيعه وليس طحنه.

للهر خمسة أصابع في الأرجل الأمامية وأربعة في الأرجل الخلفية وفي كل إصبع مخلف ووسادة لحمية تساعده في المشي والتسلق والوثب وعدم الانزلاق. وفي باطن الكف توجد راحة لحمية أخرى. تتميز الأرجل الأمامية بوجود زائدة لحمية أسفل الكف والإصبع الخامسة، تساعد بالتشبث عند تسلق الأشجار والجدران. في الأرجل الخلفية أربعة أصابع فقط وفي كل إصبع مخلب ولا توجد لحمية أسفل راحة الكف كما في اليدين.

لقد تم رصد نوعين من القطط البرية في المغرب يختلف توزيعها الجغرافي حسب نمط العيش والتكيف مع البيئة.

ـ الهر البري الإفريقي يسمى علميا Felis sylvestris libyca forster, 1780 وبالفرنسية Chat ganté وبالأنجليزية African wild cat وبالإسبانية Gato montès africano. يعتبر الهر البري Felis lybica الأصل الذي انحدر منه القط المستأنس Felis catus. الفروة رمادية مخططة قليلا بالسواد الداكن. يتميز بخدود عريضة منتفخة وجلد مرتخي حول الرقبة في كلا الجهتين وقوائمه الأربعة عريضة بعض الشيء من الأصابع إلى الكتف وعلى ذيله خمس حلقات سوداء تبدأ من نهاية الذيل. جلده سميك وشعره غليظ قصير وكثيف. يبلغ طول جسمه من مقدمة الفم إلى بداية الذيل 50 ـ 73 سم وطول ذيله 25 ـ 33 وعلوه عند المغارب 30 ـ 36 سم ويزن 4 ـ 7 كليوغرام، طول الساق الأمامية من الإصبع إلى عظم الكوع 18 ـ 20 سم وطول الساق الخلفية من الإصبع إلى عظم الكوع 11 ـ 13 سم. حجمه أكبر قليلا من القط المستأنس ولونه رمادي مصفر وعليه بقع وخطوط عمودية سوداء داكنة. الذيل قصير نسبيا يحمل خمس حلقات على الأقل من الشعر الأسود الداكن في مؤخرته. وشارباه دائما باللون الأبيض، وأنفه بني أو أبيض وشفتاه بيضاء وكذلك الرقبة. ويوجد خط أسود يبدأ من طرف كل عين وينتهي أسفل الأذن. الجوانب الخلفية للأذنين تكون بلون بني وحواف سوداء. الذكر أكبر حجما من الأنثى. تكيف الهر البري الإفريقي مع أوساط وبيئات المناطق شبه الجافة والرطبة وتوزعت أفراده في جميع أوساط القارة الإفريقية وشبه الجزيرة العربية باستثناء المناطق الصحراوية. يألف الأرياف والمناطق الجبلية وشائع في جبال الريف والهضاب العليا الوسطى والأطلس المتوسط والشمال الغربي للأطلس الكبير والصغير ومرتفعات المناطق الصحراوية والصخور الشاطئية بجنوب المغرب منذ طانطان إلى الداخلة وكلتة زمور ووادي الذهب والساقية الحمراء. يختفي نهارا بين شقوق الصخور وبداخل الأدغال وفي المغاوير ويستأنف نشاطه ليلا ليبحث عن طعامه المتكون من الفئران والسناجب والزواحف والطيور الصغيرة والضفادع والحشرات.

ـ الهر البري الصغير يسمى علميا Felis sylvestris margarita loche, 1858 وبالفرنسية Chat des sables وبالأنجليزية Sand cat أصغر حجما من الهر البري الإفريقي ويبلغ طول جسمه 43 ـ 52 سم وذيله 23 ـ 31 ويبلغ طوله عند الغارب 24 ـ 30 سم يكسو الأذنان شعر كثيف، الشعر ناعم ومكثف أصفر رملي على الظهر وأبيض مصفر على العنق والبطن وتكون أذناه أفقيتين من على رأسه. يألف الأوساط الرملية الصحراوية بإفريقيا الشمالية وشبه الجزيرة العربية وآسيا الصغرى. يعد من الحيوانات النادرة في المغرب وقد تم رصده في مناطق فكيك وجنوب تافيلالت فقط. الصحراء التي يعيش فيها الهر الصغير لا يوجد بها ماء خصوصا في أشهر الصيف الحارة، والهر وباقي حيوانات الصحراء كالثعالب توفر فقدان الماء بعدم الخروج نهارا وتكتفي بالسوائل من الحيوانات التي تفترسها، وتشرب الماء شتاء عند سقوط الأمطار.

تمتد فترة التزاوج من فبراير إلى مارس وتدوم مدة الحمل 63 يوما تضع الهرة بعدها 2 ـ 4 وقد يبلغ عدد الصغار 8 وقد تلد الإناث مرة أخرى في شهر غشت. يولد الصغار مغمضي العينين وبعد 7 ـ 10 أيام تفتح عينيها وتعتني الأم بالصغار لمدة شهرين، ترضعهم شهراً كاملا وبعد شهرين يخرجون ليلا مع الأبوين ليتعلموا الصيد. يكتمل النمو بعد 10 أشهر بعدها يعيشون في منطقة خاصة بكل فرد ويعمرون حوالي 15 سنة.

الحياة الليلية للهر البري وعيشه منفردا وسلوكه المتكتم وتشابهه مع القطط الأليفة منحه الفرصة للابتعاد عن اهتمام الإنسان، إلا أن كثرة المسالك والطرق التي تخترق البراري أدى إلى قتل عدد كبير من الأفراد ليلا تحت عجلات السيارات. من بين الأعداء في البراري الإنسان والظربان أما المفترسات الكبيرة فقد انقرضت، كالنمر والفهد وعناق الأرض، ولكن الطيور الجارحة الليلية قد تصيد صغار الهر.

L. Lyneborg, *Mammifères d'Europe*, Nathan, 1972, 237 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Trav. Inst. Sci. Série Zoologie, n° 41, Rabat, 1986.

محمد رمضاني ونجاة الخياطي

**هَرْبَرْ** أو هربَل، طعام مغربي أصيل يهيأ من قمح وحليب ممزوجين في الطبخ، تبدأ العملية أولا باختيار قمح يتم تبليله بماء ثم دقه في المهراس إلى أن تتفسخ أغشيته، ثم يطبخ ليلة كاملة في ماء، وبعد أن يهترئ تقوم سيدة البيت المشرفة عليه بتفقده وتحريكه حتى لا يتجمد على

بعضه ؛ وبعد ذلك تضيف إليه كمية من الحليب تطبخها معه ؛ بعد ذلك يقدم لأهل البيت والضيوف في قصاع طازجة، وهذا غالباً بعد أن يسقى زيتاً أو سمناً، فيتم تناوله بشغف ونهم من طرف المتحلقين، وهذا غالباً بالأيدي أو المعالق الخشبية.

لا تستطيع تهيئ هذا النوع من الأطعمة التي تخصص للفطور غالباً الا حاذقات النساء وأكثرهن جرأة ورغبة في إظهار مهارتها وإرضاء عائلتها، كما أن هذه الأكلة لا تهيأ غالباً إلا في العائلات الميسورة أو المترفة أما فقراء الناس ففرص تنعّمهم بها تكون غالباً قليلة، وقد تتاح عن طريق الاشتغال أو تقديم خدمات لأفراد الأسر الأولى مثلا، أو تذويقهم منها في حالة الجوار أو المرض.

الحسين شوقي

**هرقل**، هرقلس (معبود)، قدس الإغريق والرومان الآلهة كما خصصوا عبادة للأبطال الأسطوريين. فالبطل مخلوق يقترب من الآلهة نظرا لطبيعته الخارقة، وقد تغنى الشعراء ببطولات هؤلاء الأبطال الذين يمكن إدراج هرقل ضمنهم.

فهو في نفس الوقت إله وبطل أي من أنصاف الآلهة لأنه آدمي لكنه أصبح في مصاف الآلهة وخصصت له نفس العبادة التي خصصت للآلهة الجهنمية.

لقيت عبادته إقبالا كبيرا في الولايات الإفريقية في ظل الوجود الروماني وتمت مطابقته بالإله الصوري ملقارت.

إن أسطورة هرقل حاضرة في شمال إفريقيا من تونس إلى المغرب (طنجة - لكسوس) إذ ارتبطت نشأة المدن بهذا البطل الأسطوري، وكان وراء تأسيس البعض منها نذكر على سبيل المثال مدينتي قفصة وإيكوسيوم (الجزائر). كما أن اسمه في بعض الطوبونيمات الإفريقية مثل موقع Calceus Herculis (القنطرة حاليا) بالجزائر وحامة هرقل Aquae Herculis أو حمام سيدي الحاج غير بعيد عنه.

واعتبر حاميا لبعض المدن بحيث يمكن أن نسوق في هذا الإطار مدينة لبدة بليبيا، وشواش وسوفيس بالبروقنصلية (تونس).

ويعتبر هرقل أيضا الجد الأسطوري للأسرة الملكية، فالملك يوبا الثاني يزعم أنه ينحدر منه على اعتبار أن صوفاكس هو ابن هرقل من تنگا (Tinga) وهذا ما جعله ينزله منزلة خاصة ويمثله فوق نقوده.

هل كان للإله هرقل حضور في المغرب القديم ؟

لم يعثر لحد الآن على أي نقيشة تحمل اسم الإله، لكن يبدو أن له ارتباطا وثيقا بالأسطورة، فاسمه حاضر في مضيق الأعمدة (مضيق جبل طارق) الذي يحمل اسم أعمدة هرقل والذي شكل نقطة استدلال بالنسبة للقسم الغربي من شمال إفريقيا ومثل أيضا الحد الغربي للعالم المتحضر والآهل بالسكان. كما أن علاقته بالأسطورة تبدو من خلال الاستمارات الواردة في النصوص والمتعلقة بوجود آثار تدل على عبادته مثل مغارة هرقل عند رأس سبارطيل ووجود معبد للإله بموقع لكسوس وهو أقدم من معبد قادس، ووجود مذبح فوق جزيرة بنفس الموقع. وتحتفظ الطوبونيميا المغربية كذلك بنتوء يحمل اسم هرقل "Promontoire d'Hercule" والذي تمت مطابقته برأس الحديد شمال موگادور. واحتضنت مدينة لكسوس بعض المشاهد الأسطورية المرتبطة بعبادة هرقل ومنها صراعه ضد العملاق أنطيوس، ثم حدائق الهسبرديس الفيحاء التي جاء إليها هرقل بحثا عن التفاحات الذهبية.

ومن البقايا الأثرية التي تم الكشف عنها هناك تمثالان من البرونز عثر عليهما في كل من بناصا ولكسوس، وفسيفساء أعمال هرقل بوليلي. بالإضافة إلى تماثيل أخرى عثر عليها ببعض المواقع الأخرى مثل طنجة وسبتة وتموسيدا.

ولازالت الذاكرة المغربية تحتفظ ببعض المغامرات الهرقلية وخاصة منها المتعلقة بفصله للجبلين (آشو - دكالبي) واللذين كانا في الأصل جبلاً واحدا ففرق هرقل بينهما ليصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلنطي، وهناك أيضا مغارة هرقل قرب طنجة التي يعتقد المغاربة أنه وصل إليها عند قدومه للمغرب بحثا عن حدائق الهسبروديس في لكسوس.

M. Le Glay, Hercule - Heraclés en Afrique du Nord, in *Heraclés d'une rive à l'autre de la Méditerranée, Bilan et prespective : Actes de la Table Ronde de Rome*, E.F de Rome, 1989, Bruxelles, Rome, 1992 ; C. Bonnet, Cultes et mythes de l'Heraclés tyrien en Méditerranée, *Studia phoenica VIII, Namur-Louvain, 1988* ; J. Toutain, *Les cultes païens dans l'empire romain I*, 1907 ; M. JacynoswKa, Le culte d'Hercule romain au temps du Haut-empire, *A.N.R.W, II, 17, 2, 1981, p. 631-661* ; R. Thouvenot, La maison aux travaux d'Hercule, *P.S.AM., VIII, 1948, p. 69-108* ; M. Tarradel, Dos Bronzes de Lixus, Hercule y Antes, tesco y el minotoro, *Tamuda, 1953, p. 59-81* ; G. Souville, Tête d'Hercule en bronze, *BAM, II, 1957, p. 186-187* ; R. Rebuffat, Les bronzes antiques d'Hercule à Tanger et à Arzila, *Ant. Afr., 7, 1971, p. 188.*

عبد العزيز بل الفايدة

**هرماس**، واحدة من الأسر العلمية التي نشطت الحركة العلمية بتارودانت حاضرة سوس خلال القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين. ونظرا لتفريط علماء سوس في تدوين أخبار أسرها، فإننا لا نعرف عن رجالات أسرة آل هرماس إلا القليل ممن برزوا في ساحة العلم خلال الفترة الأخيرة. ومنهم : الفقيه سيدي عمر بن الطاهر المقرئ الذي عمر مسجدي درب "أقة" ودرب "الكزارة" بتارودانت. والفقيه هرماس محمد الأب توفي سنة 1938، وأبناؤه الفقيه الوطني الحاج محمد بن محمد هرماس المتوفى عام 1990، والقاضي والأستاذ إسماعيل بن محمد المتوفى عام 1977، وكذا الفقيه والقاضي سيدي الحسن الملقب باللوذعي، وأخوه الفقيه سيدي إبراهيم ابن الطاهر. هكذا سجل هؤلاء الرجال اسم عائلتهم ضمن الأسر العلمية لإقليم سوس، وساهموا بذلك في الحركة العلمية، لهذا القطر، وفي نشر العلم العربي الإسلامي بهذه الربوع.

المختار السوسي، *المعسول*، خلال جزولة، ج. 4 ؛ مصطفى المسلوتي، *البيوت العلمية في مدينة تارودانت خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين* ؛ *الأسر العلمية في سوس*، منشورات مجموعة البحث في الأدب العربي السوسي بكلية الآداب، أكادير، 2003.

مولاي الحسن السكراتي

**الهرناشيون** أو **الهورناشيون** كلمة تعني سكان مدينة هورناتشو Hornachos ، وهي موجودة في جنوب غربي إسبانيا بين إشبيلية ومادرة بعيدة عن الأولى بنحو 170 كلم شمالا وعن الثانية بنحو 50 كلم جنوبا. والحرناشيون أو الهورناشيون هم الذين كونوا أهم جالية أندلسية قدمت إلى المغرب واستوطنت رباط الفتح أو القصبة قبل صدور قرارات الطرد من طرف الملك الإسباني فيليب الثالث سنة 1609، والقاضية بإلزام الموريسكيين بالجلاء العام عن شبه جزيرة إيبريا.

عرف الهرناشيون بصدق عقيدتهم الإسلامية، وكانوا يفضلون التكلم باللغة العربية وكان البعض منهم يجهل اللغة القشتالية، وبما أنهم سبقوا قرارات الطرد فقد أمكنهم أن يحملوا معهم أموالهم وأمتعتهم لمقرهم الجديد، وكانوا يكونون فئة ذات امتيازات خاصة بإسبانيا حيث كان لهم حق حمل السلاح باعتراف من الملك فيليب الثاني مقابل أداء 30.000 دوقة.

لما هاجروا إلى مصب أبي رقراق في بداية القرن السابع عشر استقبلهم السلطان السعدي زيدان بارتياح، وعزم هؤلاء على اختيار سكناهم على الضفة اليسرى للنهر، وأخذوا في إصلاح الدور المتداعية واستقروا بها مع عائلاتهم وأصلحوا الأسوار وأصبحت القصبة التي كانت شبه مخربة مدينة صغيرة.

ولما كانوا قد ورثوا غريزة حب الاستغلال والسيطرة خصوصا وأنهم عرفوا بالمحاربة والسلب وتزييف النقود وهو سلوك نفّذوه ضد أعدائهم بإسبانيا فإنهم قاموا باستدعاء الأندلسيين الموجودين في باقي أجزاء الشمال الإفريقي وذهبوا إلى حد تسديد مصاريف نقلهم وجلبهم للاستقرار بالقرب من القصبة، خصوصا عندما طرد باقي الأندلسيين الموريسكيين سنتي 1609 و1610. والمريسكيون يتميزون عن الهرناشيين بكونهم يتكلمون عادة اللغة الإسبانية، ونسي الكثير منهم لغته الأصلية العربية، وقد حُمل بعضهم على اعتناق الديانة الكاثوليكية قهرا وكان الهرناشيون يعتبرونهم في درجة دنيا.

وكان مجيء الهرناشيين مع الموريسكيين المطرودين إلى الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق قد بعث الحياة من جديد في مدينة يعقوب المنصور الموحدي رباط الفتح أو سلا الجديدة، وهو الاسم الذي أصبح يطلق على هذه المدينة.

دخل الأندلسيون في طاعة السلطان السعدي وأخذوا يؤدون له 10٪ من الغنائم التي حصلوا عليها من عمليات الجهاد في البحر، لكن سرعان ما ساءت علاقتهم معه بعد أن رغب في اغتيال المجاهد العياشي، وازدادت هذه العلاقة توترا عندما أراد السلطان بعث الأندلسيين لإخماد فتنة وقعت بدرعة، فرفضوا واستولوا على القصبة بالقوة وسدوا أبواب المدينة في وجه السلطان سنة 1627، وأسسوا حكما مستقلا على شكل جمهورية أوليغارشية يسيرها ديوان مكون من اثنى عشر عضوا يجتمعون بالقصبة، وكان الرئيس يحمل لقب "الأميرال الكبير" وخلال شهر ماي من كل سنة كان ينتخب قائدان أحدهما للقصبة والآخر لسلا الجديدة، وكانت أموال الخزينة تتكون من الجمرك وضرائب الميناء ورسوم الصيد، فيما يقدم الحكام للسلطان رقيقا متنوعا وأجمل البضائع المحصل عليها من عمليات الجهاد البحري.

قام الهرناشيون بتحصين البرج الذي يحمي الميناء كما حصنوا القصر واستقلوا بالحكم في القصبة محاولين أن يفرضوا أنفسهم سادة على أندلسيي الرباط، وقد طالب هؤلاء الأخيرون - وهم أكثر عددا - باقتسام السلطة والحكم وموارد الجمارك والغنائم معهم، كما كانوا هم أيضا يريدون تقوية مدينتهم، فتوترت العلاقات واندلع الصراع بين الطرفين في شتنبر 1629 ، وساند سكان سلا الهرناشيين ضد الأندلسيين الذين ضربوا حصارا على القصبة، وانتهى الأمر بإبرام اتفاق ماي 1630 بين الجانبين نص على ما يلي :

1 - ينتخب أندلسيو الرباط قائدا ولكنه يستقر بالقصبة.

2 - يجتمع الديوان بالقصبة ويضم 16 عضوا ينتخبون بالتساوي من طرف المركزين الأندلسيين (8 للرباط و8 للقصبة).

3 - يكون للمدينتين نصيب متساو من غنائم الجهاد البحري وموارد الجمارك وإثر ذلك عين أحمد بن عبد القادر صيرون قائدا للهرناشيين وعين عبد الله بن علي القصري قائدا للرباط.

لكن هذا الاتفاق انقطع وشب النزاع من جديد بسبب اتهام الأندلسيين جيرانهم الهرناشيين بخرق الاتفاق عندما حفر هؤلاء خندقا على طول أسوار القصبة من حيث الشرق، إلا أن الجماعتين كان عليهما أن يواجها خصما مشتركا هو المجاهد العياشي - الذي انبرى في هذا الوقت محاربا النصارى المحتلين للشواطئ المغربية وخصوصا بالمعمورة - بسبب اتهامه إياهم بالتعامل مع النصارى، وعزم على قتالهم بعد أن استفتى العلماء في ذلك.

غير أن الفتوى التي أجازت قتالهم وهي فتوى علماء فاس واجهتها فتوى مضادة طلبها الأندلسيون من علماء مراكش أدانت العياشي وأظهرت تحوله من الجهاد إلى حب السيطرة والنفوذ.

وفي شتنبر 1635 قام صراع جديد بين الهرناشيين والأندلسيين، وطرد الهرناشيون من القصبة فالتجأوا إلى العياشي طالبين مساعدته فحاصر القصبة من جديد وكان يدعي أنه يريد فقط انتزاعها وتسليمها للسلطان السعدي - حسبما زعمته المصادر الأوربية -.

وتدخل الأجانب في هذا الصراع حيث قدم الأسطول

الإنجليزي مساعدته للعياشي المحاصر للقصبة سنة 1637 ولم يتمكن الجيش السعدي من الوصول لفك الحصار . وبعد مفاوضات مع رئيس الأسطول الإنجليزي رفع الحصار عن القصبة ووصل دعم السلطة المركزية إليها وزكى السلطان عودة عبد الله بن علي القصري إلى منصبه بعد أن نزع عنه إثر ثورة داخلية، غير أن هذا الأخير اغتيل سنة 1638، فعاد العياشي لحصار القصبة لكنه اضطر إلى رفعه من جديد مدعيا أنه لم يبق مبرر له بعد وصول جنود السلطان، ووضعت القصبة رهن إشارة السلطان وعقد اتفاق يقضي بدخول الهرناشيين إلى الرباط واسترجاع أملاكهم بها.

ثم تجدد الصراع بتحريض من العياشي إذ أصبح الهرناشيون . بعد رجوعهم إلى المدينة هم سادة الرباط بمساعدة ألف من الأعراب الذين دخلوا المدينة لنقل التموين إليها . ولكنهم . أي الهرناشيون . فشلوا في محاولاتهم الاستيلاء على القصبة إذ دافع عنها الأندلسيون كما دافع عنها جنود السعديين.

وبعد مقتل المجاهد العياشي في أبريل 1641 أصبحت القصبة محط اهتمام الدلائيين في شخص محمد الحاج الدلائي، وكان الهرناشيون طائعين له بدليل أنه أمرهم بمهاجمة القصبة برا سنة 1644 لكونه كان يشك في إخلاص الأندلسيين الذين اضطروا إلى الاستسلام له أخيرا، واستقر الدلائيون بالعدوتين اللتين عرفتا هدوءاً يكاد يكون تاما إلى غاية سنة 1660.

في هذه السنة أعلنت الثورة ضد الدلائيين في سلا والرباط، لأن الأندلسيين كانوا يرون أنه من الإهانة أن يحكموا من طرف "برابرة ملوية" في حين أن أصلهم العربي العريق يخول لهم أن يكونوا أسياد المنطقة إذ كانوا يشعرون دائما بالفارق الحضاري بينهم وبين الدلائيين. ودارت المعارك حيث قنبل الأندلسيون وسكان سلا القصبة التي كانت تُؤوي الأمير عبد الله الدلائي، وقد بقي محاصرا بها ثمانية عشر شهرا إلى أن نجح في الهروب منها في يونيو 1661 على متن سفينة إنجليزية، وفي 3 ماي 1664 قطعت القصبة كل علاقة مع الزاوية الدلائية ودخلت في حماية غيلان.

وانتخب الهرناشيون والأندلسيون الآخرون عبد القادر مرينو قائدا عاما للقصبة والرباط، في حين انتخب الحاج محمد فنيش قائدا لسلا. ولكن الهدوء لم يدم كثيرا إذ سرعان ما عوض القائدان السابقان بكل من عبد القادر روكسو Roxo وأحد أبناء عبد القادر صيرون في غشت 1665، وذلك لإخلاصهما لغيلان. لكن في يونيو من السنة اللاحقة هزم هذا الأخير من طرف المولى الرشيد العلوي الذي أصبح سيد القصبة بدون إطلاق النار، وفي الوقت نفسه انضمت إليه سلا والرباط، فهرب القائدان السابقان عميلا غيلان وأعيد إلى منصبهما عبد القادر مرينو والحاج محمد فنيش، وهكذا أعيد الهدوء إلى المنطقة ولم يبق هناك منافسة بين الهرناشيين وجيرانهم.

وخلال تاريخ الدولة العلوية شكلت الأسر الهرناشية والأندلسية أكثر عائلات مدينة الرباط على الخصوص، ولعبت هذه الأسر أكبر دور في قيادة المدينة وسياستها تارة في خضوع تام للسلطة المركزية وتارة أخرى في شبة استقلال تبعا للتقلبات السياسية التي مرت بها البلاد، وكانت فترات الأزمات السياسية ومراحل انتقال الحكم قد سجلت نزوعا إلى الاستقلال وقيام الثورات، وكذلك شكلت التحزبات وحدوث انشقاقات داخل المدينة نفسها وهذا ما شهدته سلا أيضا خلال الأزمات السياسية للقرن الثامن عشر. وفي بداية عهد السلطان المولى عبد الرحمان مالت المدينتان الرباط وسلا إلى الهدوء وظلتا كذلك طيلة القرن الماضي باستثناء بعض الحوادث العارضة مثل حادثة سنة 1845 التي سجلت صراع الأسر الأندلسية والأخرى غير الأندلسية على السلطة في المدينة، عندما ثار أهل الرباط على العامل السويسي ونصبوا مكانه محمد بن الطاهر الزبدي الأندلسي.

وفي موازاة مع هذا التاريخ السياسي للهرناشيين وأندلسيي مصب أبي رقراق عامة، شكل الجهاد البحري أهم نشاط اقتصادي اجتماعي من الضروري معرفة دور الهرناشيين فيه وإدراك طبيعته وفهم مراحله ونتائجه.

لقد مورس الجهاد البحري من سنة 1610 إلى أواسط القرن التاسع عشر إلا أن أشد مراحله كانت بين سنتي 1610 و1668 وهي ثلاثة : الأولى من هذه المراحل بين 1610 و1626 حيث تم هذا الجهاد تحت إشراف الدولة السعدية. والمرحلة الثانية من 1627 إلى 1641 وهي مرحلة الاستقلال عن السلطة المركزية ووصلت العمليات البحرية فيها إلى مسافات بعيدة، أما المرحلة الثالثة فهي التي تمتد من 1641 إلى 1668 حيث مورس الجهاد البحري تحت سلطة الدلائيين . في حين أن المرحلة التي حلت في عهد الدولة العلوية فإن السلاطين هم الذين أشرفوا على عمليات الجهاد البحري وامتلكوا السفن "القرصانية" وأصبح رؤساء السفن عبارة عن موظفين كبار في الجيش البحري المخزني.

من الصعب الحديث عن تفاصيل الجهاد البحري الذي قاده أندلسيو مصب أبي رقراق، وكل ما يمكن ذكره في هذه النبذة هو بعض الخلاصات المركزة. لقد حمل الهرناشيون من إسبانيا ثرواتهم وذخائرهم وهي التي سمحت لهم بتمويل الأعمال الجهادية بالسفن التي شغّلوا فيها الموريسكيين والتي وجهت لمحاربة الإسبان وغيرهم في البحر وسلب سفنهم واحتجاز أسراهم. وبفضل هذا التمويل . الذي لعب فيه اليهود أيضا دورا مهما وخصوصا يهود سلا العاطفين على مواطنيهم المطرودين من إسبانيا والبرتغال والهاربين إلى الأراضي المنخفضة . فكانت هولندا إذن تقدم مساعدة ضخمة للأندلسيين عن طريق هؤلاء . وبفضل الثبات العنيد للموريسكيين والاستعمال الحصيف للمنسقين وتشغيل الأسارى المسيحيين في السفن، فإن تنظيم الجهاد البحري بمصب أبي رقراق حقق شأوا بعيدا ونجح نجاحا باهرا لا من

حيث تهييء السفن وتجهيزها ماديا وبشريا ولا من حيث الأسفار والمغامرات والعمليات القرصانية ساعدها في ذلك شكل السفن وفعاليتها وسرعتها. وما لبثت نتائج هذا الجهاد البحري أن دوت في الأصقاع ويمكن إجمالها فيما يأتي :

1 - حققت أولى الانتصارات على السفن الإسبانية كانتقام ورد فعل للطرد من الفردوس المفقود ثم تساقطت سفن فرنسية وإنجليزية وهولندية وغيرها في يد المجاهدين الذين أسروا رعاياها.

2 - أصبحت كلمة "قراصنة سلا" نعتا لمجاهدي أبي رقراق لدى الأوربيين بما تثيره من رعب في قلوب البحارة وراكبي البحر بسبب الصيت الذي أذاعته مغامرات المجاهدين الهرناشيين والموريسكيين.

3 - كانت الغنائم المترتبة عن هذا الجهاد أهم مورد مالي للقصبة وشكلت ثروات رؤساء البحر والبحارة، خصوصا عندما كانت العمليات مسيرة من طرفهم في استقلال عن السلطة، وقد توارث هذه الثروات الأبناء والأحفاد الذين أصبحوا أهم أعيان المدينة وطليعة التشكيل الاجتماعي المعاصر بها خصوصا لدى الذين امتهنوا منهم تجارة التصدير والاستيراد فكونوا البورجوازية التجارية والعقارية لمدينة الرباط.

4 - أصبحت التجارة في ميناء أبي رقراق مزدهرة مع الدول الأوربية وساهمت العمليات البحرية بأسلابها وغنائمها في الازدهار التجاري.

5 - خطبت كثير من الدول الأوربية ود ما سمي "بجمهوريات أبي رقراق" وخصوصا القصبة من أجل التفاوض في قضايا افتداء أسراها أو لدفع إتاوة لتفادي خطر الجهاد البحري الموريسكي أو من أجل إبرام العلاقات الدبلوماسية والتجارية.

ويمكن القول بأن الهرناشيين بأموالهم وثرواتهم هم السبب فيما وصل إليه الجهاد البحري الموريسكي - انطلاقا من مصب أبي رقراق - من تجهيز واستثمار ونجاح، أملا في الانتقام من أعدائهم والعودة يوما ما إلى بلادهم الأصلية.

محمد حجي، *الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي*، الرباط، 1964 ؛ محمد رزوق، *الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17* ، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991 ؛ *الجالية الأندلسية بمصب أبي رقراق، التاريخ والحضارة*، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، منشورات جمعية رباط الفتح ؛ روجي كواندرو، *قراصنة سلا* ، تر. محمد حمود، نشر بمساهمة المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1991 ؛ ع. اللطيف الشاذلي، *الحركة العياشية*، كلية الآداب، الرباط، 1982 ؛ عبد الإله الفاسي، *مدينة الرباط وأعيانها في القرن 19 وبداية القرن 20*، جمعية رباط الفتح، 1996.

عبد الإله الفاسي

**الهروشي**، (الحاج -) الـ**تهامي**، من مشاهير رجال الملحون في القرن العشرين. ولد بفاس سنة 1912، ومنذ نعومة أظفاره تهيأ لأن يتعرف على أشياخ الفن، وأن ينهل من معارفهم. تتلمذ على نخبة من هؤلاء كان من بينهم الشيخ الغالي الدمناتي، والحاج أحمد الگندوز، والتهامي المدغري، والحاج أحمد الشرايبلي.

وما لبث أن برز من بين أقرانه، فانقادت له ملكة الحفظ والإنشاد، وأصبح من خيرة المنشدين بما أوتي من جمال صوت، وجودة إلقاء، ورقة أداء. وفي هذا الصدد ينوه المرحوم الأستاذ محمد الفاسي بإنشاده لقصيدة "التصلية" للشيخ الغالي الدمناتي والتي سجلها بإذاعة فاس في فاتح يناير 1946. وبعد تشكيل جوق الملحون بالإذاعة الوطنية في الخمسينيات كان الهروشي من بين الذين انضموا إليه إثر مقدمه من فاس إلى الرباط.

وللمترجم إسهامات في مجال النظم، فقد أنشأ قصائد في التغزل والعشاقي، من بينها خدوج، والحراز، واعويشة، وازهيرو، والخلخال، والشمعة والديجور.

توفي بالرباط يوم 21 دجنبر 1978.

أبو بكر بنور، *ضروب الغناء وعمالقة الفن*، ط. 1، 2002، الرباط، ص. 157 ؛ محمد الفاسي، *معلمة الملحون*، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، ج. 2، ق. 2، ص. 189 ؛ عبد الله شقرون، *الشعر الملحون في الإذاعة* ، نشر اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 1989، ص. 94.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الهري** (المعركة -)، لم تكن معركة الهري يوم 13 نونبر 1914 وليدة الصدفة. بل إنها تشكل حلقة من سلسلة المواجهات بين القبائل الزيانية والاحتلال الفرنسي، ونذكر منها :

- معركة مديونة سنة 1907 ، حيث حرض موحا وحمو الزياني قبائل الأطلس المتوسط للتصدي للقوات الغازية بالشاوية.

- مشاركة الزيانيين لإخوانهم المقاومين بتافيلالت في مواجهتهم للغزو الفرنسي القادم من الغرب الجزائري سنة 1908.

- مشاركتهم الفعالة أثناء الحصار الذي ضربته القبائل على العاصمة فاس بعد احتلالها من طرف الجيش الفرنسي سنة 1911.

- مساندة "موحا وسعيد الويراوي" في معارك القصيبة.

وجدير بالإشارة إلى أن هذه التعبئة المستمرة لقبائل زيان ستزعج قوات الاحتلال وستدفعها إلى الإسراع باحتوائها واحتلال خنيفرة القلب النابض في الأطلس المتوسط - والتي تحولت إلى حاضرة بفضل جهود موحا وحمو الزياني : ذلك أن السلطان مولاي الحسن استقدمه إلى فاس سنة 1886 وعينه قائدا للمخزن بالأطلس المتوسط، وزوده بثلاثة مدافع من صنع إسباني، وعين له قائد الرحى "الزوگاتي" ليسهر

على تدريب رجاله، وعين أيضا العلاف "الشبوكي" لتموينهم، ولقد انتهز "موحا وحمو الزياني" فرصة إقامته بفاس للإعداد لمشروع تنمية مدينته، فاتصل بالتجار والحرفيين لحثهم لتعمير خنيفرة وتزويدها بما يلزم. وبسرعة تحولت خنيفرة من قرية تعبرها القوافل التجارية إلى حاضرة عامرة إذ ذكر "فرونسوا بيرجي" في كتابه *"موحا وحمو الزياني 1877 . 1921"* أصول ساكنة خنيفرة كما يلي :

ـ التجار القادمون من فاس 200 ، وأهل سوس (بقالة) وعددهم 80 ، وأهل الصحراء (دباغون وحرفيون) وعددهم 300، وأهل أبي الجعد : صناع 100، والسماعلة وأهل تادلة والسراغنة وابني احسن 260 ، والبواخير والشراردة (قدماء العساكر) 80، والآخرون 200، وطلبة زيان 10.

بلغ عدد سكان خنيفرة قبيل مجيء الفرنسيين 1230. وتحدثت الكتابات الاستعمارية عن مدينة يسير شؤونها أحد أبناء موحا وحمو وهو "الباشا حسن" بمساعدة حفيده "العيدي"، وقارنتها بمدن أوربا خلال القرون الوسطى التي يدير أمورها الأمراء الفيوداليون. وذلك لوضع الجهود التنموية لموحا وحمو في طي النسيان. وقد سهر العيدي على نظافة المدينة بمساعدة الخليفة عمر المراكشي، حتى أصبحت حاضرة غاية في التنظيم، وقدوة في النظافة، وقد شعر المقيم العام ليوطي بأهمية هذه المدينة، لهذا أخذ يعد العدة لاحتلالها بعد احتلال بلاد بني مطير وزمور وجزء من بني مگيلد وخاصة بعد الانتهاء من احتلال تازة. كما أنه أدرك أنه لا يمكن الاحتفاظ بالسهول الأطلنتيكية أو ما يسميه "المغرب النافع" إلا باحتلال الأطلس المتوسط برمته، والذي يشكل العمق الاستراتيجي للسهول. فأسند قيادة العمليات للجنرال "هنريس" Henrys. وفي شهر يوليوز 1914، وضعت رهن إشارة الجنزال هذا الحامية العسكرية التي كانت مرابطة بناحية مكناس والرباط وتادلة والتي كان عدد أفرادها تقريبا 120 ألف رجل، ورسمت الخطة العسكرية لمحاصرة زيان على الشكل الآتي :

ـ الانطلاق من الشمال من مركز يطو الذي كان تحت قيادة كلوديل Claudel وكان يضم ما بين 5500 و6500 جندي بالإضافة إلى مركز وادي يفرن الذي أقام به الفرنسيون مركزا للذخيرة.

ـ الانطلاق من الغرب من مركز والماس ومولاي بوعزة، وكان هذا المركز يضم 3400 جندي مزودين بأحدث الأسلحة تحت قيادة الضابط كرو Cros.

ـ الانطلاق من الجنوب من مركز تادلة وكان يضم 4500 جندي تحت قيادة الضابط دوبلسيس Duplessis. فكان الهجوم في شكل كماشة ذات ثلاثة أذرع لاحتلال المدينة. وأما سلاح المجاهدين فكان على الشكل الآتي :

ـ بني مكيلد : 4000 بندقية، آيت يعقوب : 4000 بندقية و1500 فارس، آيت سكوكو : 1500 بندقية و1000 فارس ، المرابطون : أكثر من 1000 بندقية و1000 فارس.

وفي 11 يونيو 1914 وصلت الجيوش الفرنسية إلى أعالي وادي أم الربيع في إطار الاستعدادات لدخول خنيفرة، فغادر موحا وحمو المدينة في إطار تكتيك عسكري لمفاجأة العدو متراجعا نحو الجبال المجاورة لتنظيم الهجوم المضاد. وفي يوم 11 نونبر 1914 أخبر الكولونيل لافردور Laverdure قائد حامية خنيفرة أن موحا وحمو الزاياني أقام معسكرا غير بعيد عن خنيفرة في منخفض تحيط به الجبال اسمه الهري. وتمكنت الجيوش الاستعمارية من احتلال خنيفرة يوم 12 يونيو 1914 إلا أنها وجدت المدينة فارغة من سكانها حيث غادروها، ونظموا الهجومات المتتالية على القوات الاستعمارية التي كانت تبدي انزعاجها من هذه العمليات وكان يربكها تطورها الخطير وفي هذا الصدد كتب الكولونيل فوانو Voinot يقول : "بعد احتلال ـ خنيفرة ـ غادرها زايان فتمكنت قواتنا من إقامة تحصينات عسكرية بالمدينة إلا أن قوات زايان كانت تداهم هذه القوات باستمرار وتكبدنا خسائر فادحة : ففي 30 يونيو 1914 سقطت طوابيرنا في كمين نصبه زايان. فكانت الحصيلة 17 قتيلا في صفوفنا بالإضافة إلى 77 جريحا".

وكان وضع القوات الاستعمارية بخنيفرة جد صعب، خاصة لما وصلتها الأخبار عن بداية الهزائم الفرنسية في الحرب العالمية الأولى أمام الألمان، فاضطر الجنرال "ليوطي" إلى التوجه إلى خنيفرة صحبة الجنرال "هنريس" للرفع من معنويات الجنود المنهارة، وقد أصدر تعليماته قصد جلب الأعيان بمختلف الوسائل بواسطة الإغراءات والرشوة وإثارة النعرات القبلية، وكذلك توسيع شبكة التجسس، وترك الحرية للقيادة العسكرية في اتخاذ الإجراءات الملائمة، وهذا ما فتح المجال أمام حاكم خنيفرة "لافردور Laverdure" للاستعداد للهجوم على معسكر موحا وحمو الزياني في الهري.

ففي يوم الجمعة 13 نونبر غادر "لافردور" خنيفرة على الساعة الثالثة صباحا ومعه حوالي 1300 من الجنود أغلبهم من السينغاليين والجزائريين والتونسيين وحتى من الكوم المغاربة، يؤطرهم 43 ضابطا ومقسمين إلى 4 مجموعات، كل مجموعة تحت قيادة ضابط سامي مثل المقدم كولونا دي ليكا Colonna Delecca والنقيب سيدو Sido وهورنيكير Hornneker والمقدم دورميلا Durmelat والمقدم فاجس Fages. وتقتضي الخطة التي وضعها "لافردور" أن تتمركز مجموعة كولونا دي ليكا على المرتفعات القريبة من الهري لتأمين تراجع باقي المجموعات بعد تنفيذ الهجوم، وأن تتوزع باقي المجموعات عند عبور وادي اشبوكة أحد روافد أم الربيع يمر قرب الهري وهي كالتالي :

ـ مجموعة هورنيكر على اليمين، مجموعة فاجس على اليسار، مجموعة دورميلا في الوسط حيث يؤدي ذلك إلى محاصرة معسكر موحا وحمو من جميع الجهات.

بهذه الخطة ظن الكولونيل لافيردور أن موحا وحمو في متناوله، وأن الأمر في غاية البساطة ويتلخص في مداهمة موحا وحمو واقتناصه بسرعة ثم الرجوع إلى خنيفرة، وفعلا

أحاطت جيوش الاستعمار بمعسكر موحا وحمو من جميع الجهات فهاجمته بكل وحشية دون التفريق بين الأطفال والشيوخ والنساء العزل، فكان المنظر عبارة عن مذبحة رهيبة، هذه المذبحة التي تدل على أن العبارات التي كان ليوطي قد اتخذها شعارا مثل "التغلغل الهادئ" و"إبراز القوة لتلافي استعمالها" و"طبيب أحسن من طابور عسكري" ما هي إلا أوشام جاهزة للديماغوجية والتضليل. وبعد ارتكاب الجريمة وفي غمرة الاحتفال بانتصاره، أخذت جيوش الاستعمار تستعد للرجوع إلى خنيفرة محملة بالغنائم، غير أن فرحتها لم تدم طويلا... إذ تمكن المقاومون الذين نجوا من المذبحة من إبلاغ أصواتهم إلى مختلف القبائل. وفي ظرف وجيز انضمت إلى قبائل زايان قبائل أخرى متناسية تناقضاتها الداخلية، ومن هذه القبائل آيت شراط، آيت خويا، آيت بوهو، ايشقرن... يتقدمهم أبناء موحا وحمو الذين كانوا يعسكرون في مكان غير بعيد من الهري، وعندئذ أدرك الكولونيل "لافردور" أنه ألقى بنفسه وبقواته كلها في التهلكة، فحاول دون جدوى تنظيم انسحاب قواته في اتجاه خنيفرة ،إلا أن المقاومين ـ الذين طوقوا جميع المسالك لمعرفتهم بتضاريس المنطقة حاصروا القوات المغيرة من كل جهة ـ وفي هذا الصدد يقول العالم أحمد بن قاسم المنصوري في كتابه *كباء العنبر* : "ثم هناك أولاد صناديد من أبناء موحا وحمو منهم حوسا وامهروق وباعدي وغيرهم تراكضوا للمعركة، فأبلوا البلاء الحسن، مما جعلهم يرتطمون مع العدو في كل ثنية ومنعرج، وكادوا يتماسكون بالأيدي... فقصدوا المدفعية فأخمدت أنفاسها، وأعدم ناسها فاختل نظامها وتوازنها وانفصم ترابطها فانعدم تعاونها فتخطفتها الفرسان". ويقول الأستاذ عبد الله إبراهيم حول معركة الهري : "وقد عرف تاريخ المقاومة المغربية هنا لحظات مثيرة أذهل فيها المغاربة بذكائهم العسكري، أعداءهم الاستعماريين، وتنتصب معركة الهري في 13 نونبر 1914 في صف المعارك المغربية الممتازة ضد الاستعمار".

وتقدر خسائر الفرنسيين في هذه المعركة بـ 33 ضابطا، من مجموع 43 ضابطا ضمنهم الكولونيل "لافيردور" بالإضافة إلى 590 قتيل من الجنود ومئات الجرحى، وغنم المقاومون أسلحة كثيرة منها الرشاشات وبقية المدفعية الثقيلة والذخيرة الحربية.

وأما نسبة الخسائر بالنسبة لكل فئة من فئات الجنود المغيرين على الهري فهي كالتالي : 90٪ من الضباط هلكوا في الهري و71٪ من الجنود الفرنسيين 54٪ من الجزائريين 78٪ من المغاربة و56٪ من السينغاليين.

لقد قتلت الجيوش الاستعمارية المغيرة أربع نساء من خيمة موحا وحمو الزياني، وتم تبادل جثثهن بجثث أربعة ضباط.

وجدير بالإشارة أن القبائل لم تستغل انتصارها في الهري لاسترجاع خنيفرة، وهذا يعني أن المقاومة كانت عفوية ولا تتوفر على برنامج محدد، واستغل دوبلسيس انشغال زايان بنشوة الانتصار لإيصال أصوات استغاثته إلى القيادة العليا فوصلته الإمدادات، وذلك لمهاجمة المقاومين وفي هذا الصدد يقول الأستاذ عبد الله إبراهيم : "... وهكذا ففي 14 نونبر 1914 كانت نساء زايان وأطفالهم وشيوخهم ـ في حفل شعبي ـ "أحيدوس" للاحتفال بهذا الانتصار العظيم، في هذه الأثناء حلق فوق رؤوسهم شيء كريه الصوت : إنها الطائرات التي استعملت لأول مرة في المغرب لقنبلة هذا المحشد الآمن فكانت الخسائر مرتفعة". ورفض موحا وحمو الزياني الامتثال لدعوات الضباط الفرنسيين الذين طالبوه بالاستسلام، فكان يردد دائما "إنني أنتمي إلى ماض لا أريد خيانته مهما كلف ذلك من ثمن"، وقاد معارك متتالية ضد الجيوش الاستعمارية في "سيدي الامين" "وأكلموس" "وغرم العالي" والتي حقق خلالها انتصارا آخر سنة 1917، كما جرت معارك أخرى خلال أبريل 1920 حقق خلالها المقاومون تفوقا رغم اختلال موازين القوى. ولكن سبعة أعوام متتابعة من المواجهة في حرب ضروس غير متكافئة يقودها ضباط وألوية لامعة أسماؤهم في التاريخ العسكري لفرنسا أمثال "هنريس" و"بويميرو Poemyreau " و"كولومبا Colombat" ودوسيز De Seize " ألجأت زيان إلى قمم الجبال والمسالك الوعرة، حيث أنهكتهم الظروف الطبيعية القاسية ومختلف أنواع الحرمان. ومع ذلك ظل موحا وحمو صامدا يحمل راية الحرية، ولم تضعف عزيمته حتى بعد أن حوصر واستسلم إخوته وأبناؤه أنفسهم، إذ ظل يقاتل إلى أن أصابته رصاصة العدو والسلاح في يده يوم 27 مارس 1921 في معركة أزلاك نتزمورت، فكان يوما حزينا في المنطقة بأسرها. ولاحتواء غضب الجماهير نظم الاستعمار لقائد المقاومة جنازة بالمراسيم العسكرية.

وعلى كل، لقد كانت لمعركة الهري نتائج منها أنها شكلت أول هزيمة لفرنسا في المغرب وإلى هذا يذهب المختار السوسي بقوله : "ومن أكبر الوقائع في الحرب وقعة الهري التي استؤصل فيها رؤساء الجنود الفرنسيين أكثر من 20 فيهم الكولونيلات والقبطانات والفسيانات. وتفصيلها أن العسكر الفرنسي تقدم بقوة عظيمة وتوغل في تلك الجبال إلى أن وصل الهري المذكور، فانقض عليه عسكر زيان ومن معهم، وسدوا عليهم المسالك التي سلكوها، وجعلوا يقتلونهم كيف شاءوا ويأسرون إلى أن أفنوهم..."

وكتب الجنرال كيوم أحد الضباط الفرنسيين الذين شاركوا في الحملة على الأطلس المتوسط لاحقا في مؤلفه *البربر المغاربة وتهدئة الأطلس المتوسط* 1912 ـ 1933 ما يلي : " لم تمن قواتنا قط في شمال أفريقيا بمثل هذه الهزيمة المفجعة".

وشكل هذا الحصار حافزا كبيرا لحركة المقاومة الشعبية التي ظهرت في مختلف جهات المغرب تادلا، تافيلالت، ممر تازة، الجنوب الريفي... ومن هنا نفهم التعتيم الذي أحاطت به إدارة الحماية هزيمتها في الهري بحيث حاولت تبرير الهزيمة

وإلصاقها بشخص واحد هو "لافردور"، الذي وصف بأنه ضابط متهور قام بمبادرته من تلقاء نفسه دون تلقي الأوامر من القيادة العليا، وكان الهدف من ذلك التقليل من هول الهزيمة التي لحقت الجيوش الفرنسية في الهري، لأن إبراز هذا الانتصار كما حدث من شأنه تمريغ هيبة فرنسا في التراب، خاصة وأنها تخوض غمار الحرب العالمية الأولى، وحاول البعض إيجاد تبريرات لهذه الهزيمة مثل النقيب "سعيد كنون" الضابط الجزائري في الجيش الفرنسي الذي يرى أن لافيردو انساق وراء نصائح عنصرين من "المخازنية" اللذين يريدان تصفية حسابهم مع موحا وحمو الزياني. وهما عمر وابن عمه حسن لهذا سهلا أمام لافيردور مأمورية مباغتة موحا وحمو في الهري. وأضاف أن مساعديه المحنكين النقيبين "راكت برانكاز Ract Brancaz ومارو Marrot" نَصَحَا بعدم الإقدام على هذه المغامرة. وكأن سعيد كنون يريد أن يقول بأن الهزيمة تمت بسبب نصائح "مغربيين" وأما المارشال ليوطي فقد حاول التقليل منها فصرح يوم 15 يونيو 1914 : "لقد أخبرت أمس أن قواتنا خاضت معارك دموية بخنيفرة إلا أن اندلاع المتمردين اصطدم بسد منيع تم احتواؤه بكل شجاعة" وعلى الرغم من هذا التصريح فقد ندد بخطة لافيردور.

ولمحو آثار الهزيمة التجأت إدارة الحماية إلى مختلف الأساليب كالتعتيم وتوجيه الصحافة، بل إنه تم إنتاج أضخم فيلم في عهد الحماية على الإطلاق وهو *"فيلم إيطو"* الذي تدور أحداثه حول مقاومة موحا وحمو الزياني وذلك للرفع من معنويات الجنود الفرنسيين وتضليل الرأي العام الداخلي في فرنسا بحيث يقدم الفيلم مقاومة موحا وحمو الزياني كعمل من أعمال الانشقاق لقبائل "السيبة" والتي وقفت في وجه التمدن الذي يتجلى في إبراز دور الطبيب في معالجة الأهالي والمواشي والمهندس في شق الطرق. واستنفرت فرنسا حوالي 8000 من المغاربة وكذلك مئات الجنود والآليات للتصوير لطمس نتائج الانتصار الذي حققه موحا وحمو في الهري.

وختاما ولإدراك أهمية معركة الهري في التاريخ الوطني على المؤرخ أن لا ينظر إلى فشلها في منع الاستعمار من احتلال البلاد، بل ينبغي عليه أن ينظر إلى اختلال موازين القوى بين الطرفين وإلى استماتة المغاربة للدفاع عن وطنهم رغم هذا الاختلال.


أحمد المنصوري، *كباء العنبر*، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط؛ مقالات عن المقاومة المسلحة والحركة الوطنية بالأطلس المتوسط 1907 ـ 1956 أيام 11 ـ 12 ـ 13 نونبر، 1999، *المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير وجامعة مولاي إسماعيل* مكناس؛ عبد الله إبراهيم، *مجلة نجمة*، ع 4، 1980، ص. 6؛ عبد القادر بوراس، من ذكريات تاريخ المقاومة الشعبية المغربية، *العلم* 13 نونبر، *1991*.

Maurice le Glay, *Les sentiers de la guerre et de l'amour*, 1930 ; *Les récits marocains des plaines et des monts*, 1948, Ed. Berger-Levrault ; François Berger, *Moha ou Hammou le Zaiani, un royaume berbère contemporain, 1877-1921*, Ed. de l'Atlas Marrakech ; Le Colonel Voinot, *Sur les traces des pacificateurs du Maroc*, Ed. Charles Lavauzelle, Paris, 1939 ; Said Guennoun (Capitaine), *La montagne berbère*, Ed. Oumnia, 1933 ; Les Frères Tharaud, *Marrakech et les seigneurs de l'Atlas*, Ed. Librairie, Paris, 1953 ; Pierre Boulanger, *Le cinéma colonial de l'Atlantide à Lawrence d'Arabie* Seghers, Paris, 1975 ; J. Saulay (Cl), *Les Goums marocains*, t. 1, La Koumia, Paris, 1981 ; Daniel Rivet, *Ethnographie et conquête du Moyen Atlas, 1912-1913*, in Presse de l'Ecole Normale Supérieure, Paris, 1980 ; Notes sur le pays Zayane, *Archives Berbères*, vol. 2, 1917.


عبد القادر بوراس

**الهزميري، حسن** بن **محمد** الشاعر، ولد بأغمات سنة 1357 / 1939 تلقى تعليمه الأولي من حفظ القرآن وغيره بمسقط رأسه، ثم التحق سنة 1375 / 1955 بكلية ابن يوسف. وفي سنة 1380 / 1960 عين كاتبا بنفس الكلية، وبعد سنة التحق بالمدرسة العليا للأساتذة بالرباط وبعد التخرج عين أستاذا بثانوية محمد الخامس بباب أغمات. ثم انتسب لكلية اللغة العربية لإتمام دراسته، وتوسيع معارفه، إلى أن حاز شهادة الإجازة العليا. تولى إدارة إعدادية الصفاء بسيدي يوسف بن علي، ثم ثانوية النخيل إلى أن أصيب بمرض أقعده عن العمل، إلى أن توفي سنة 1420 / 2000. ترك *ديوان شعر* مخطوط عند ورثته.


أحمد متفكر، *ذيل الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*.


أحمد متفكر

**الهزميري، عبد الرحمن** بن عبد الكريم، الأخ الأصغر لأبي عبد الله بن عبد الكريم الهزميري، لم تحدد المصادر تاريخ ميلاده بأغمات، وكان عالما متدينا صوفيا. أورد ابن تجلات مواقف تؤكد اتساع ثقافته الإسلامية وعمقها :

فقد كان أخوه أبو عبد الله محمد الهزميري كثير الثناء عليه والتنويه بعلمه وبمقامه الصوفي، فإذا قرئت عليه رسالة القشيري قال جاز أخي عبد الرحمان هذه المقامات كلها، إلا أنه لم يؤمر بالتصدر للمشيخة...

وقال تلميذه ابن البناء : كنت إذا أشكل علي شيء ركبت دابتي وانصرفت إلى أغمات أوريكة، فأجتمع بسيدي أبي زيد فيشرح لي ما أبهم علي من المسائل... وكان يجد الناس ـ أحيانا ـ متحلقين حوله يشرح لكل مسألته.

عرض عليه أحد علماء أزمور سبع عشرة مسألة من الأصول والفقه والفرائض. فأجاب عليها بإسهاب بمحضر ابن البناء. وكان أبو زيد أبرز شيوخ ابن البناء العددي المراكشي، فقد دخل الطريقة الأغماتية على يديه وأعطاه ذكرا دخل به الخلوة مدة سنة،ودعا له.

ويفسر نبوغ ابن البناء في الهندسة والحساب والهيئة بدعاء شيخه له (مكنك الله من علم السماء، كما مكنك من علوم الأرض) وقيل بأنه أراه ليلة دائرة الفلك مشاهدة حتى عاين مجرى الشمس، وقال له "إن الله تعالى قد فتح لك فيما أراد" فأخذ من وقته في علم الهيئة والنجوم حتى أدرك منها الغاية. وألف فيها مؤلفات عديدة كان السباق فيها إلى إبداع نظريات، والوصول إلى أحكام كان لها شأن في المشرق والمغرب.

وأكد ابن البناء ذلك عندما أقر بذهابه إلى شيخه كلما أشكل عليه شيء، أو استعصت على فهمه مسألة علمية. فيجد الجواب الشافي بدون سؤال منه، قال ابن قنفذ : "حدثني غير واحد ممن لقيت من الآعلام، أن انتفاع ابن البناء في علومه ومنزلته الدينية والدنيوية إنما كان من بركة الهزميري لأنه بلغ في دينه النهاية وفي دنياه الغاية".

تصدر أبو زيد للتدريس بأغمات وتولى رئاسة الطائفة بعد وفاة أخيه.

توفي سنة 706 / 1306 بفاس ودفن بها.

أبو عبد الله بن تجلات المراكشي، *إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الآخوين* ، تح. محمد رابطة الدين، مرقون بخزانة كلية الآداب، الرباط، 1986 ؛ ابن قنفذ القسنطيني، *أنس الفقير وعز الحقير*، تح. محمد الفاسي، وأدولف فور ط. الرباط، 1965 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس*، الرباط، 1973 ـ 1974 ؛ ابن المؤقت المراكشي، *السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية*، 1335 ؛ ابن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، ط. حجرية، بفاس 1318.

**الهزميري، محمد بن عبد الكريم** بن عبد الواحد بن يحيى، نسبة إلى قبيلة هزميرة من المصامدة استوطنوا بين أسوار مراكش وركراكة. ولد بأغمات أوريكة في أوائل القرن السابع الهجري (13). ينتسب لأسرة متدينة، وعلى قدر لا بأس به من الغنى.

تلقى علوم العصر ـ على فقهاء أغمات، التي حافظت على مكانتها كمركز ثقافي وعلمي ـ وهي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وباقي العلوم الإسلامية بما فيها التصوف وآدابه.

من أشهر شيوخه : أبو علي التقموسي إمام مسجد أغمات، وأبو زكرياء يحيى بن راحيل الكنفيسي، وأبو الربيع الروداني، قال عنه ابن تجلات (...وكان شيخ قدوته مالك بن أنس رضي الله عنه، وقدوته في علم التصوف أبو حامد الغزالي. وكان في حياة أبويه يتسبب بتعليم الصبيان، فلما ماتا ترك التسبب وبقي على طريق التجريد... ولم يتزوج رحمة الله عليه حتى مات).

يعد الهزميري من أتباع أبي محمد صالح بن سعيد بن ينصارن الماجري (من أخص تلامذة عبد السلام بن مشيش) مؤسس الطائفة الماجرية بأسفي، وتسمى كذلك الطائفة الدكالية، وطائفة الحجاج، وهي سنية تقوم على محاربة البدع ومواجهة الأجنبي الدخيل. ولها شارات دافع عنها أحمد بن إبراهيم حفيد الشيخ أبي محمد صالح في كتابه *المنهاج الواضح*.

وقد أخذ عن عبد السلام بن مشيش، عن أبي مدين، عن علي بن حرزهم، عن أبي بكر بن العربي، عن الإمام الغزالي. ولذلك فتعاليم الهزميري هي مزيج مما في كتب الغزالي ورائية الشريشي ومذهب الملامتية. ويشترطون الشيخ في طريق التصوف أن يتصف بالعلم والعمل والورع والزهد والتواضع والمعرفة بالله ودوام الذكر. وعلاماته الورع والإنصاف والتواضع ومداواة نفسه قبل غيره. أما المريد فيشترط فيه التلطف والتأدب مع شيخه، وعدم إنكار أحواله والاعتراض عليه، مع دوام الانتباه من الغفلة، والتبري من الخطوات المذمومة، والتدرج في أحوال محددة، إلى أن يؤذن له بتلاوة الأذكار.

ومن شروطها كذلك الخلوة لمدة معينة، وجواز السماع. وملخص أصول الطريقة :

اجتناب المحارم، أداء الفرائض، ترك الدنيا لأهلها مالا وجاها، الصدق، الإخلاص.

انتشرت هذه الطريقة خارج أغمات فبلغت قبائل هزرجة وهيلانة ودرعة وانتقلت إلى مدينة مراكش على يد أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء العددي المتوفى سنة 761 / 1359.

ومن تلامذة الهزميري كذلك :

ـ أبو عبد الله محمد بن تيجلات المراكشي مؤلف كتاب *إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الاخوين*. تحدث فيه عن المترجم له وعن أخيه أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الكريم الهزميري وطائفتهما وأتباعهما.

ـ محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي المراكشي.

توفي سنة 678 / 1279، ودفن بأغمات.

محمد بن تيجلات المراكشي، *أثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين*، تح. رابطة الدين محمد، مرقون، خزانة كلية الآداب بالرباط، سنة 1986 ؛ ابن قنفذ القسنطيني، *أنس الفقر وعز الحقير*، تح. محمد الفاسي وأدولف فور، ط. الرباط، 1965 ؛ التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف* ، تح. أحمد التوفيق، ط. الرباط، 1984 ؛ أحمد بن إبراهيم، *المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح*، مصر، 1933 ؛ محمد المنوني، *ورقات عن الحضارة المرينية*، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1979.

حسن جلاب

**هسبريات** Hesperides، لقب يطلق على بنات الملك أطلس الذي حكم موريطانية Mauretania أو المغرب القديم قبل الفترة الفنيقية. كما يطلق اسم الهسبريات على حدائق كانت موجودة في ضواحي مدينة لكسوس، التي قال عنها بلنيوس الأكبر ما يلي : "إن القدماء جعلوا منها (لكسوس) موضوعا لقصص عجيبة، فجعلوا فيها حدائق الهسبريات وقصر أنثايوس Anthaeus، وفيها تمت مبارزته لهرقل" Pline l'Ancien, 5,3. وهذا يرتبط بالازدهار الذي تحقق في عهد الملك أطلس، ويشهد به ديدور الصقلي قائلا : "إن الأطلسيين رعايا أطلس هم أكثر الليبيين حضارة في هذه النواحي. فهم يمتلكون أرضا مزدهرة ومدنا كثيرة. ويُحكى أن الآلهة وُلدت في بلادهم بالمناطق القريبة من المحيط. وهذا موافق لما ورد في الأساطير الإغريقية" ,Diodore de Sicile 3, 54, 1.

والجدير بالذكر أن ما تحقق في عهد الأطلسيين من تقدم حضاري ترك بصماته في الثقافة الإغريقية، كما يتضح من النص التالي : "ينبغي أن أتناول بتفصيل ما كان يروج عندهم من أساطير حول ميلاد الآلهة، لأنها لا تختلف كثيرا مع ما يروجه الإغريقيون. إذن فالأطلسيون الذين يسكنون بالمناطق المتصلة بالمحيط ويمتلكون أرضا مزدهرة، يتميزون عن جيرانهم بإيمانهم القوي وبمعاملة حسنة مع الأجانب. إنهم يؤكدون أن الآلهة ولدت في بلادهم. وهذا موافق لما يعتقده أشهر شعراء الإغريقيين (يقصد هومروس) في حديثه على لسان هيرة Héra قائلا : "سأذهب فعلا لأزور حدود الأرض الخصبة، المحيط حيث ولدت تيثوس Tithus الآلهة" Diodore de Sicile, 3, 56, 1-2.

في الحديث عن بنات أطلس قال نفس الكاتب : "كان لأطلس سبع بنات سميت بالأطلسيات نسبة إلى والدهن، وهن : Maia, Elektra, Taugété, Stéropé, Méropé, Alkuoné, Kelaino. وبزاوجهن بالآلهة والأبطال تكون الجنس البشري. فمايا Maia تزوجت بزيوس Zeus وأنجبا هرميس Hermes صاحب اختراعات نافعة للناس. بينما أنجبت بقية الأطلسيات أبناء اشتهر بعضهم ببناء المدن وآخرون بتكوين عدة أمم. وهكذا فبعض الأقوام الباربارية والإغريقيون أنفسهم يعتبرون أن أسر أقدم أبطالهم تنحدر من هذه النساء التي تتميز بالحكمة. وبعد وفاتهن جعلهن الناس من الخالدات. فصاروا يتمثلونهن في أرجاء الكون وينعتونهن Les Pléades أو Les Nymphes. وهو اسم النساء عند الأطلسيين" Diodore de Sicile, 3, 60, 4-5. وأفاد نفس الكتاب في سياق آخر أن إطلاق اسم الهسبريات على البنات هو نسبة إلى والدتهن هسبيريا Hesperia : Diodore de Sicile, 4,027.

اشتهرت حدائق الهسبريات بإنتاجها للتفاح الذهبي ويحرسها تنين ضخم. وقد قضى عليه هرقل لما جاء إلى بلاد الأطلسيين يبحث عن التفاح الذهبي، خلال المهمة الثانية عشرة والأخيرة من أعماله البطولية. ويوضح ديدور الصقلي كنه هذا التفاح العجيب قائلا : "اختلف رواة الأساطير حول مفهوم هذا التفاح. فاعتقد البعض بوجود تفاح ذهبي حقيقي في حدائق الهسبريات بليبيا، التي يحرسها تنين ضخم. بينما ظن الآخرون أن للهسبريات قطعانا من الأغنام بديعة الجمال ولونها شبيه بالذهب. ولضرورة المبالغة الشعرية، نعتوا هذه الأغنام بالتفاح الذهبي، مثل تسمية الإلهة ونوس Venus بالمذهبة نظرا لجمالها الفاتن" Diodore de Sicile, 4, 26.

ونعلم أن هرقل أنقذ الهسبريات، ولذلك عقد علاقة حميمة مع أطلس. قيل في هذا الصدد : "إن القراصنة الذين بعثهم بوزريس وجدوا بنات أطلس يمرحن في حديقة، فخطفوهن ولاذوا بالفرار بواسطة مراكبهم. غير أن هرقل فاجأهم وهم يتناولون طعامهم على الساحل. ولما سمع من الفتيات بما وقع لهن، قتل القراصنة وأرجعهن إلى والدهن أطلس. واعترافا بالجميل لم يكتف أطلس بتمكين هرقل مما أتى من أجله (التفاح الذهبي) بل لقنه دروسا في علم الفلك Astrologie، والمعلوم أن أطلس نبغ في هذا العلم وصنع بمهارة كوكبا سماويا. وهذا ما جعل الناس يعتقدون أنه يحمل الكون فوق كتفيه. وربما أن هرقل هو أول من أتى إلى بلاد الإغريق بعلم الكروية، فقد قيل إنه أخذ عن أطلس حمل الكون" Diodore de Sicile, 4, 27.


محمد مجدوب، مختصر حول تاريخ موريطانية قبل السيطرة الرومانية، بحوث، *مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية*، ع 6، ص. 149 . 174، 1995 ؛ لكسوس في الفترة المورية : ملامح من التاريخ والتراث، المليحة، مجلة تصدرها *مجموعة البحث حول بلاد الهبط*، ع 1، ص. 8. 28، 1997 ؛ *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة، 1998 ؛ *أضواء حول تاريخ المغرب قبل الفنيقيين*، النشرة الأثرية المغربية، 20، تحت الطبع.

J. Schmidt, *Dictionnaire de mythologie grecque et latine*, Paris, 1989.


محمد مجدوب

**هسبيريس، تمودا** (مجلة -) تحتل مجلة هسبيريس - تمودا مكانة دولية مرموقة، وتعتبر أقدم مجلة مغربية استمرت في الصدور منذ تأسيسها بدون انقطاع.

تأسست سنة 1921 بمعهد الدراسات العليا المغربية بالرباط في عهد الحماية، واختير لها اسم "هسپيريس". وتخصصت في التعريف بتاريخ المغرب وأرضه وسكانه ولغته وحضارته، مع اهتمام عام بتاريخ حضارة الغرب الإسلامي.

وكانت تصدر بموازاتها باللغة الإسبانية مجلة أخرى في شمال المغرب تدعى مجلة تمودا Tamuda في الوقت الذي كان المغرب مقسما إلى منطقتين تحت الاحتلال الأجنبي.

كان من الضروري بعد استقلال المغرب وبعد تأسيس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بديلا عن معهد الدراسات العليا المغربية جمع هاتين المجلتين لإصدار مجلة جديدة واحدة سنة 1960 بعنوان : *هسپيريس تمودا* تصدر باللغة الفرنسية والإسبانية وبجميع اللغات. ونظراً لأهمية هذه المجلة ولكونها ذخيرة عظمى لا يستغنى عن رصيدها الوطني أي باحث في العلوم الانسانية فقد قامت الكلية بإعادة طبع أعدادها الأولى التي نفذت وأخرجتها في حلة جديدة.

وما تزال مجلة هسپيريس تصدر إلى اليوم وفية لتخصصها ومستواها الرفيع في البحث وقد تعاقب على إدارة شؤونها أساتذة مقتدون بدءا بالمؤرخ ليفي بروفنسال، وبعد الفقيد جرمان عياش يتولى الآن تنسيق أعمال هيئة تحريرها الأستاذ إبراهيم بوطالب منذ 1991 وصارت تنشر الأبحاث باللغة العربية إلى جانب باقي اللغات، وقد أصدرت موخراً العدد الأربعين سنة 2005 والكلية مصممة العزم على إصدار هذه المجلة التي يشترك فيها العديد من خيرة الأقلام

وتوزع على أوسع نطاق على المشتركين في الجامعات الامريكية والأوروبية وعلى المستوى الوطني.

عمر أفا

**هسكورة** ، مجموعة قبلية كبيرة من أصول صنهاجية إخوة لمطة وكزولة المنتشرة بالأطلس الصغير، كانت تعيش حياة رعي وتنقل بالدرجة الأولى وممارسة زراعات بورية ومسقية في بعض الأودية، استوطنت في القرون الوسطى الإسلامية مجالا واسعا يمتد من سهل الحوز الشرقي إلى الروافد العليا لوادي أم الربيع : الأخضر وتساوت والأطلس الكبير الأوسط والأطلس المتوسط وتادلة، يستغلون المراعي بالهضاب والمنخفضات، يمتد مجالهم إلى المنحدرات الجنوبية للأطلس الكبير الأوسط حيث مازالت قصبة سكورة تحتفظ باسمهم. ومع تزايد النمو الديموغرافي والاستقرار وممارسة الفلاحة فقدت القبيلة عصبيتها، وتمزقت وحدتها وانفتحت أراضيها لغيرها، مما سهل القضاء عليها واندماجها في قبائل أخرى خاصة عرب السراغنة الذين استوطنوا معظم سهل الحوز الشرقي، ومن مخلفاتهم هنا قبيلة زمران. والجدير بالذكر أن صفات السراغنة العرقية تدل على أنهم أقرب إلى أمازيغ الجبال منهم إلى عرب الصحاري الشرقية أو الجنوبية، مما يدل على أن هناك اختلاطاً وتمازجا بشرياً كبيراً. لقد أشار ابن خلدون إلى الأصل الصنهاجي لهسكورة مضيفا أنه بانضمامهم إلى صفوف حركة الموحدين، درج المؤرخون على اعتبارهم مصامدة رغم أنهم لم يتمتعوا بامتيازات المصامدة. لقد عرفوا في كتب التاريخ بهسكورة أما هم فقد يسمون أنفسهم : إسكرن، ومعناها الحجل، لكن المؤرخين كتبوا الاسم بإضافة الهاء كعادتهم في تعاملهم مع أسماء قبائل أمازيغية أخرى مثل هرغة لقبيلة أرغن وهزميرة لقبيلة أزمرن، لعل ذلك حدث بفعل تأثير الكتاب العبرانين اليهود الذين يجعلون الهاء أداة تعريف مكان الألف واللام، وقد تواجدوا بكثرة في جبال الأطلس، وأثروا في حياة الأمازيغ، لكن هؤلاء الآخرين يرفضون الاعتراف بذلك.

ابن خلدون، *كتاب العبر*، أحمد الناصري، *الاستقصاء*.
*Encyclopédie de l'Islam.*

أحمد هوزالي

**الهسكوري، علي** بن **زكرياء** ، كان من أهم زعماء هسكورة في النصف الثاني من القرن الثامن (14) برز كزعيم للمصامدة بعد انتهاء تمرد شيخ هنتاتة أبي ثابت عامر بن محمد سنة 771 ، وعندما نشأت إمارة أبي زيد عبد الرحمن بن أبي يفلوسن المريني سنة 776 برضى من سلطان فاس أبي العباس بن أبي سالم، كان ابن زكرياء في طاعة صاحب مراكش، قال صاحب *الحلل الموشية* عن هسكورة (سنة 783 ) وهو يصف القبائل التابعة للأمير عبد الرحمن : "وأما قبيلة هسكورة، فتصدر عنهم أفعال مشكورة" (189).

لكن عندما قام النزاع بين سلطان فاس وأمير مراكش وتضاءل موقف هذا الأخير، أرسل شيخ هسكورة طاعته إلى أبي العباس سلطان فاس، ولم ينجح أمير مراكش في استئلافه، ثم تمكن جيش السلطان من فتح مدينة مراكش، ثم فتح القصبة بعد حصار دام سبعة أو تسعة أشهر وذلك في آخر جمادى الثانية سنة 784. وبعد نجاح السلطان أبي العباس في فتح تلمسان دبر أمير غرناطة عملية خلعه ودعم أمير منافس له سنة 786.

عندما قدم أبو العباس المخلوع من الأندلس ليتولى السلطنة للمرة الثانية (789 - 796)، كان شيخ الهساكرة علي بن زكرياء ممن أخلصوا له، فاستولى على مدينة مراكش لصالح أبي العباس، وتحرك بقومه وعساكر مراكش نحو فاس لرغبة أبي العباس للمساهمة في حصار الوزير ابن ماساي وسلطانه الواثق بها. هذا بينما كانت هنتاتة في طاعة أبي العباس، حيث دعم شيخها قائد قصبة مراكش في غياب الهسكوري للامتناع بها دون أن يتمكن من الصمود.

دخل أبو العباس مدينة فاس في رمضان سنة 789، فجازى شيخ هسكورة بمنحه "الولاية الكبرى على المصامدة". غير أن السلطان وتحت تأثير وزيره محمد بن يوسف بن علال حول هذه الولاية إلى أحد أصهار الوزير، فغضب الهسكوري، وبايع أحد قرابة السلطان، أي أنه حاول أن يجرب أسلوب عامر الهنتاتي مع السلطة المركزية قبل عشرين سنة مضت. فجهز إليه السلطان أبو العباس عساكره مع الوزيرين ابن علال وصالح بن حمو الياباني، وأمر والي درعة ليتقدم لحصار الهساكرة من الجنوب، فانهزموا وقبض على الشيخ ابن زكرياء واعتقل بفاس.

قتل سنة 796.

البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت*، ص. 67 ؛ *المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب*، ص. 52 - 53، الرباط، 1971 ؛ مجهول، *الحلل الموشية في الأخبار المراكشية*، الدار البيضاء، 1979 ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ أحمد عزاوي، *الغرب الإسلامي*، دراسة تاريخية، ص. 197 - 200، أطروحة مرقونة.

أحمد عزاوي

**الهسكوري**، (الفقيه) **محمد** بن **أحمد** بن صالح الأسفي. ولد عام 1906 بمدينة أسفي، ولج وهو في الخامسة من عمره الكتاب حيث أظهر نبوغا وتفوقا في حفظ القرآن الكريم. تنقل بعد ذلك بين عدد من الكتاتيب في محاولة منه لتعلم مواد أخرى إضافة إلى مادة القرآن. وفعلا تأتّى له ذلك إذ تمكن من متابعة دروس في النحو والحساب والتجويد. ومن بين الفقهاء الذين تتلمذ عليهم نذكر الفقيه الحاج أحمد بن إبراهيم الجبلي العلمي الضرير والفقيه سيدي علال بن حمو السكسيوي. بعد هذه المرحلة من الدراسة كان الطالب الهسكوري يحضر جل الدروس التي كانت تلقى في المجالس العلمية في بعض مساجد المدينة. ولقد دون الفقيه

في إحدى مخطوطاته الصغيرة جميع مراحل التعليم آنذاك ووصف برامجه ومقرراته، كما أنه أعطى نبذة عن تاريخ التعليم بأسفي وعرّف بعدد كبير من الفقهاء والمربين ممن عايشهم أو ممن سبقوه. قضى الهسكوري جميع مراحل تعليمه بمسقط رأسه، ولم يرحل إلى فاس أو إلى مراكش كما كان جاريا به العمل آنذاك في أوساط طلبة العلم. ولقد عرّف في إحدى وثائقه بعشرة من شيوخه من ضمنهم خمسة أجازوه، وهم سيدي محمد بن الحاج إدريس الحسني الإدريسي المعروف بمولاي الحاج وسيدي أحمد بن الحسن المطاعي وسيدي إدريس بن الحاج بناصر ميتة الأندلسي الأسفي والحاج الهاشمي الركوش الأندلسي الأسفي وسيدي محمد بن المحجوب الشيظمي الدروي.

دخل الفقيه الهسكوري الميدان السياسي الوطني من خلال نشاطه داخل المجموعة السلفية بأسفي التي أنشأتها في أواسط العشرينات من القرن الماضي ثلة من علماء المدينة التي كان يرأسها العالم والوطني الغيور محمد بن الطيب البوعمراني الذي كان على صلة وثيقة بباقي متزعمي الحركة الوطنية في مختلف المدن المغربية والذي كان كذلك على اتصال بمثقفي وسياسيي المشرق العربي. ونذكر من بين الأفراد الأوائل لهذه المجموعة السادة عبد السلام المستاري ومحمد الكانوني ومحمد بن الطيب الوزاني وإدريس بناصر ميتة ومحمد بن علي الريفي وأحمد البوعمراني ومحمد بن الطالب الفلكي ومحمد بن الكاهية ومولاي محمد البوعناني ومحمد علان... لقد قامت هذه الجماعة بعدة أعمال رائدة لنشر أفكار الحركة الوطنية منها إصدار مجلة خطية تحمل إسم *"الدروس"* وإنشاء فرقة مسرحية قدمت تمثيليات لها أبعاد دينية وسياسية وطنية، ولعب السلفيون الأسفيون الأوائل دورا بطوليا في محاربة الظهير البربري. ويمكن للمهتم الرجوع إلى هذا الموضوع في مذكرات المثقف والصحفي والوطني الكبير صالح العبدي (انظره في *معلمة المغرب*، ج. 17، ص. 5935 ) الذي يذكر فيها هذه الملحمة الوطنية والشخصيات التي قادتها. ولقد كان للفقيه الهسكوري دور غاية في الأهمية في إيصال الفكر السلفي إلى جميع الطبقات في المجتمع الأسفي المتعلمة منها وغير المتعلمة، كما كان له دور بارز في محاربة البدع والأعمال المشينة التي كانت تنتشر بين الناس وخاصة في الزوايا.

وبإزاء نشاطه في الحقلين الديني والوطني، كان للفقيه الهسكوري منذ شبابه ميول طبيعي إلى مهنة التعليم. وهذا ما دفعه إلى تأسيس كتاب عام 1928. وقد تطور هذا الكتاب التقليدي وعرف إصلاحات جوهرية مع مر الزمان واكتساب صاحبه الخبرة اللازمة لاحتكاكه برواد التعليم العصري الحر في كل من أسفي والمدن المغربية الأخرى، فتحول الكتاب إلى مؤسسة تمزج بين القديم والحديث وبين الطاولة والحصير وبين السبورة واللوح وبين الصمغ والطباشير، وتحول في الأخير إلى مدرسة عصرية بعد 16 سنة. ومعلوم أن للتعليم الحر العصري في مدينة أسفي تاريخا طويلا يرجع عهده إلى نهاية العشرينيات من القرن الماضي، ذلك أن المحاولات الأولى لتأسيس مدرسة حرة جاءت في تلك الفترة على يد الفقهاء الكانوني والمستاري وإبراهيم العويني ومحمد بن الكاهية. لكن محاولاتهم لم يكتب لها النجاح لأن سلطات الحماية كانت دوما لها بالمرصاد، وكانت ترغم المدارس على إقفال أبوابها قبل أن تكتمل مرافقها. أما المحاولة اللاحقة فكانت ناجحة إلى حد كبير. ولقد كان من ورائها أحد أبرز وجوه العلم والتربية بالمدينة، وهو الفقيه مولاي عبد السلام بن مولاي الحاج الحسني الإدريسي (انظره في *المعلمة*، ج. 10، ص. 3430) الذي أسس عام 1930 مدرسة تعتمد برامجها على أسس بيداغوجية حديثة وتستمد روحها بالأساس من فكر الحركة الوطنية السلفية. ولقد كان لهذه المؤسسة التي كانت تحمل اسم *"المدرسة الأهلية الوطنية"* شأن كبير في نشر العلم في المدينة. واستطاعت أن تصمد وتستمر في أداء مهمتها النبيلة إلى غاية 1946، وهي السنة التي أغلقت فيها أبوابها لعدة أسباب منها كثرة المضايقات ومحاربتها من قبل سلطات الحماية بشتى الوسائل.

أصبحت مدينة أسفي التي تغذت مدة طويلة من التعليم الحر العصري تشكو من فراغ في هذا الميدان. وفي هذه الظروف الصعبة قام الفقيه الهسكوري في يناير 1946 بفتح مدرسة حرة على نمط المدارس الرسمية. وكان الفقيه مؤازرا في هذه العملية الجريئة من قبل الحركة الوطنية وخاصة من قبل ملك البلاد الذي دعاه "إلى تنظيم تعليم الكتاب وتقسيمه إلى خمسة أقسام". وتغير اسم المؤسسة مع تغير طبيعتها ومهامها، فتحولت من "الكتاب القرآني العلمي" إلى "مدرسة الهداية الإسلامية". وقد عرفت المدرسة منذ نشأتها إقبالا كبيرا نظرا لسمعة صاحبها وتفانيه في حب العلم والوطن. ومن الأمور التي تثير الانتباه إقبال الفتيات عليها منذ أن فتحت أبوابها، فلقد بلغت نسبتهن خلال موسمها الدراسي الأول (1945 ـ 1946) 41,30٪ من مجموع المسجلين بها، وخلال المدة المتراوحة ما بين 1946 و1954 كانت النسبة 42,41٪.

عرفت "مدرسة الهداية الإسلامية" تحت إدارة الفقيه الهسكوري توسعا مهما وأُحدثت عدة ملحقات لها، كما أنها احتضنت بالتدرج جميع أطوار التعليم من ابتدائي وإعدادي وثانوي وتخرجت منها مجموعات كثيرة من التلاميذ الذين كان لبعضهم شأن كبير في شتى مرافق الحياة في بلادنا.

ولا بد من التذكير بأن المدرسة عاشت منذ تأسيسها إلى غاية استقلال المغرب فترات صعبة للغاية وخاصة من 1950 إلى 1955. غير أنها، رغم الأزمات الحادة والصعاب المتعددة، استطاعت الصمود والاستمرار في أداء مهمتها

النبيلة، ويرجع الفضل، في كل هذا إلى تبصر وحكمة مؤسسها المربي والوطني الكبير الفقيه محمد الهسكوري الذي أسهم إسهاما لا مثيل له في عملية التوعية الوطنية وانتشار اللغة العربية الفصحى والأدب العربي قديمه وحديثه لا في مدينة أسفي وحسب، بل في المغرب كله. ولهذه الأسباب كلها فإن أهل أسفي يكنون له كثيرا من الحب والتقدير. ولقد خلد مثقفوهم اسمه في العديد من الكتابات أبرزها كتاب المؤرخ الأستاذ إبراهيم كريدية الذي صدر عام 2000 تحت عنوان *"الفقيه محمد الهسكوري"*.

توفي بأسفي يوم 25 أبريل عام 1987 ودفن بالزاوية الدرقاوية.

إبراهيم كريدية، محمد *الهسكوري*، مراكش، 2000 ؛ زيك مبارك ومحمد الخلوفي الصغير، *الظهير البربري من خلال مذكرة صالح العبدي*، الرباط، 1993 ؛ عبد الرحيم العطاوي، *من هو صالح العبدي صاحب مذكرة حول الظهير البربري ؟*، *مجلة المناهل*، العدد 54، مارس 1997.

عبد الرحيم العطاوي

**الهشتوكي الواسگاري، موسى** بن يبورك بن الحسن نسبة إلى أسگار إحدى قرى سملالة. ويزعم الواسگاريون أنهم من ذرية الفقيه وگاك وأنهم متفرعون إلى ثلاثة أفخاذ وهي : 1 ـ آيت الحر ـ 2 ـ آيت الطالب ـ 3 ـ آيت علي بن سعيد

وهناك أيضا واسگاريون غير وگاكين ويعرفون بالثقافيين الذين انتقل أسلافهم من قبيلة إدا وكثير ونزلوا فوق اسگار "اگي واسگار" وعرفت بيوتهم بالعلم تدريسا وإفتاء. وكان لموسى الوسگاري شهرة في فن القراءات ؛ فبعدما حفظ القرآن وحصل المتون بقبيلته توجه إلى فاس لينهل من منابع العلوم بجامع القرويين والانتفاع بعلمائها واستجازتهم ؛ فأجازه شيخ قرائها عبد الرحمان بن القاضي في فن القراءات وقال عنه باختصار "وقد عرض علي المجاز أبو عمران قصيدة الشاطبي عرضا جيدا فحدثته بأسانيدها كما عرض علي أيضا *الدرر اللوامع* عرضا جيدا فحدثته بالإسناد. وكذلك *مورد الظمآن*، كما عرض علي *رسالة القيرواني* في الفقه فحدثته بسندي فيها. وكذلك *التيسير والألفية* فأجزته بالكل بأسانيده". وكان حصوله على هذه الإجازة في أواخر شهر ذي القعدة عام 1049. ولما عاد موسى إلى سوس اشتغل بالتدريس وتميز في فن القراءات وقيل عنه إنه أول من أدخل وقف الهبطي إلى هذا الإقليم غير أنه بعد وفاته تبنى الشيخ أحمد الصوابي (1095 ـ 1149 ) موقفا معارضا لهذا الوقف داعيا على من ينشره أو يعمل به.

توفي سنة 1108.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 8 : 126 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس*، ص. 64 ؛ سعيد أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*، ص. 192 ؛ عبد الهادي حميتو، *قراءة الإمام نافع عند المغاربة*، 4 : 192.

محمد ماگامان

**الهلال الأسود** ، إحدى منظمات المقاومة خلال خمسينيات القرن الماضي، بل أقواها على الإطلاق لاعتبارين أساسين : كثرة العمليات الفدائية التي أنجزتها ضد عدد من غلاة الاستعمار ومماليه من المغاربة. واستمرار تمسكها بالسلاح بالرغم من عودة السلطان سيدي محمد بن يوسف يوم الأربعاء 16 نونبر 1955 ، والإعلان عن انتهاء العمل بمعاهدة الحماية وتكوين أول حكومة مغربية لفترة ما بعد الحماية، إذ كان لقائدها البارز عبد الله الحداوي تطلعات كبرى، فوضع قدرات المنظمة القتالية رهن إشارة جيش تحرير الجنوب، وأرسل مقاتلين لمؤازرة الجزائريين الذين كانوا يخوضون حرب التحرير ضد الفرنسيين.

عُدَّ تأسيس الهلال الأسود سنة 1954 حصيلة تحولات مهمة طرأت على بُنَى المغرب الاقتصادية والاجتماعية بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت واضحة في مدن المغرب الكبرى مثل الدار البيضاء وبور ليوطي (القنيطرة) وفاس، وأيضا حصيلة التحولات السياسية لما بعد الحرب الثانية وأهمها ظهور فرنسا بمظهر الدولة الاستعمارية الضعيفة، إذ استسلمت بعد أقل من سنة على اندلاع الحرب، ونجاح العديد من حركات التحرير لنيل الاستقلال، وانتهاء الحرب بانتصار "الديمقراطيات" الغربية ولم تكن هذه الصفة لتستقيم مع استمرار هذه "الديمقراطيات" في التشبث بمستعمراتها.

وجاء ظهور الهلال الأسود ومنظمات مقاومة أخرى مثل اليد السوداء والمنظمة السرية وجيش الأطلس واليد الحسنية وغيرها نتيجة استنفاذ جناح الحركة الوطنية السياسي كل أوراقه في أعقاب المأزق السياسي الذي وصله المغرب أولا باعتقال ونفي قادة الحركة الوطنية السياسيين والنقابيين بعد حادثة الكاريير سنترال في 7 و8 و9 دجنبر 1952، وثانيا بعد نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف، وقد أعطى نفي السلطان العمل المسلح المشروعية التي كان يفتقر إليها في نظر المترددين الذين ربطوا اللجوء إلى العمل المباشر بالاعتداء على مؤسسة العرش.

عُدّت الهلال الأسود امتدادا لمنظمة اليد السوداء التي نجحت السلطات الفرنسية في تفكيكها في خريف 1953 باعتقال خمسة وخمسين (55) من أعضائها، بينما نجا خمسة أعضاء، وإصدار أحكام قاسية في حق المعتقلين منها الإعدام في حق أحمد بن محمد الحاج أحمد المدعو "الراشدي" المتهم بتصفية أحد مقدمي المدينة القديمة المدعو محمد بن العربي بن عبد الله يوم 3 أكتوبر 1953. وفي حق خمسة آخرين منهم ثلاثة في حالة فرار.

لقد تمكن لحسن الگلاوي بعد أن نجا من الاعتقال، من دمج خليتين كانتا قد تكونتا في درب السبليون بالمدينة الجديدة في الدار البيضاء بهدف تكوين تنظيم مسلح بديل لليد السوداء.

وهكذا عُقد في بيته اجتماع حضره المهدي الناموسي

وعبد الله الحداوي توّج بالاتفاق على تأسيس تنظيم مسلح تحت اسم "الهلال الأسود" باقتراح من عبد الله الحداوي (1939 ـ 1956 ) الذي كان شغوفا بقراءة سلسلة "الهلال" لجرجي زيدان، وهي إحدى الدوريات التي كانت تفد على المغرب من مصر.

بدأت عملية استقطاب الأفراد في حذر شديد خوفا من الوقوع في الأخطاء القاتلة التي قضت على منظمة اليد السوداء. وقد حرص المؤسسون والأعضاء الأوائل على أن تكون الاستقطابات من قلب درب السبليون. وكانت تجمع بين عدد من المنتسبين للهلال الأسود قرابة قوية (الأخوة والمصاهرة) أو صداقة متينة تعود إلى الجوار وأيام الدراسة في مدرسة المعلم بوشعيب الأزموري وملحقتها النجاح أو المدرسة المحمدية أو مدرسة "كاميل ماتيو" التقنية أو مؤسسة عبد الكريم الحلو. أما البرنامج التي سعت المنظمة في تحقيقه فهو إلغاء عقد الحماية والاعتراف باستقلال المغرب ووضع برنامج اقتصادي واجتماعي وسياسي يحدد طريقة الاستفادة من خيرات البلاد.

وبالرغم مما كتب عن المقاومة المغربية، فإن تاريخ الهلال الأسود يعد الأكثر تعرضا للالتباس بسبب الحملات المغرضة التي تعرض لها هذا التنظيم من قبل خصومه الذين سعوا في استقطابه، مثلما تم استقطاب باقي التنظيمات بهدف جعل رجال المقاومة ورقة ضغط على القصر ؛ وذلك خلال فترة شد الحبل بين القصر والقادة الراديكاليين داخل حزب الاستقلال، والتي انطلقت مباشرة بعد استعادة سيادة المخزن وتشكيل الحكومة الوطنية الأولى.

وهكذا وجهت العديد من الاتهامات لمنظمة الهلال الأسود منها أنها تنظيم شيوعي ! مع أن شعاره كان "حزبنا الإسلام، دستورنا القرآن، غايتنا الملك". ويعود هذا الحكم إلى علاقة الهلال الأسود القوية بالوطني عبد الله العياشي ومحمد الطيب البقالي صهر علي يعتة والذي أتى به عبد الله الحداوي ليترجم منشورات الهلال الأسود إلى اللغة الفرنسية حتى تتم مخاطبة الرأي العام الفرنسي خاصة الليبيراليين، وبالمهندس الشيوعي عبد الكريم بن عبد الله. لقد كانت الهلال الأسود منظمة تقدمية وحدوية التأمت داخلها اتجاهات متعددة : مقاومون استقلاليون وشوريون وشيوعيون ولا منتمون.

واتهمت الهلال الأسود أيضا بتدبير محاولة اغتيال شخصية سامية بالرباط في صيف 1956، وكان مروجو هذه التهمة يقصدون السلطان سيدي محمد بن يوسف أو الأمير مولاي الحسن، مع أن عبد الله الحداوي كان لحظة اغتياله رفقة ثلاثة من قادة المنظمة ليلة السبت 28 يوليوز 1956 عائدا لتوه من الرباط بعد أن حظي هو ورفاقه باستقبال السلطان محمد بن يوسف، وكان عبد الله الحداوي يحاول دفع القصر إلى إيقاف حملات الاضطهاد التي كان يتعرض لها أعضاء المنظمة الذين رفضوا الانضمام إلى حزب الاستقلال.

وقد سقط في منزلق توجيه الاتهامات للهلال الأسود أجانب مهتمون بتاريخ الحركة الوطنية المغربية نذكر منهم "دوغلاس آشفورد" الذي زعم أن جميع زعماء حركة المقاومة تبرأوا من الهلال الأسود.

تكونت الهلال الأسود، التي بدأت نشاطها في الحقل المسلح بعمليات غير ذات أهمية، في مطلع عام 1954 من عدد من المجموعات : مجموعة درب السبليون، ومجموعة المدينة القديمة ومجموعة حي الأحباس، ومجموعة عين الشق ومجموعة درب مارتيني، ومجموعة الهادي الساهل ومجموعة علي بن الحسن.

ويصعب إعطاء رقم دقيق لعدد الأعضاء أولا للسرية التي طبعت عمل هذا التنظيم وثانيا لأن عبد الله الحداوي أتى بعدد مهم من الأفراد إلى المعسكرات الثلاثة التي أقامها للدفاع عن مكتسبات الاستقلال، وتكوين مقاتلين لمؤازرة الثورة الجزائرية، وأخيرا بسبب انضمام أعضاء منظمات أخرى مثل "اليد المتوكلة على الله" و"أسد التحرير" و"لهيب جهنم"، ومن المرجح جدا أن يكون عدد الأعضاء قد تجاوز المائة والعشرين.

وكان المال والسلاح عصب الحياة بالنسبة لمنظمات المقاومة المسلحة. وبالنسبة للهلال الأسود، فقد تم الاعتماد على مساهمات العديد من الأفراد مثل الحاج بليوط بوشنتوف والمعلم بوشعيب الأزموري صاحب مدرسة الفلاح التي درس بها عبد الله الحداوي (كان مسجلا بها تحت رقم 826) وشقيقه محمد الحداوي، وملحقتها النجاح، علاوة عن مساهمات أفراد آخرين، وأرغم عبد الله الحداوي تجارا يهودا بالمدينة القديمة وبدرب عمر على تقديم مساعدات مادية باعتبارهم مستفيدين من الوضع الحالي، إذ كانوا في منأى عن اضطهاد السلطات الفرنسية، ولم تتصد لهم المقاومة إلا في حالات نادرة جدا، كما تمكنت الهلال الأسود من إرغام بعض الموسرين على تقديم مساعدات، وقد توصلت إليهم الهلال بفضل البيانات التي توصلت بها من أشخاص كانوا يعملون بمصلحة الضرائب وكانت لهم علاقات مع الهلال الأسود.

وبفضل هذه الأموال تمكنت المنظمة من شراء سيارات والحصول على أسلحة خاصة من المنطقة الخليفية التي انتقل إليها عبد الله الحداوي وأحمد رزقي أكثر من مرة بجوازات ورخص مزورة.

وكان يتم وضع هذه الأسلحة في أماكن متعددة مثلا في عرصة ابن امسيك نسبة إلى أحد أعيان الدار البيضاء، وكان يقيم بالعرصة عبد الرحمان أبو مسلم وهو أحد أعضاء الهلال.

وكان جزء من أموال الهلال يخصص لأسر المعتقلين والشهداء، إذ أحدث عبد الله الحداوي صيغة للتضامن وحرص على أن يكون هذا التضامن منظما مثلا في نهاية كل شهر.

واستعملت الهلال الأسود المنشور للانفتاح على الرأي العام الوطني والفرنسي. وكان المنشور يخدم عدة أغراض : التعريف بميلاد المنظمة (المنشور الأول كان بعنوان من اليد السوداء إلى الهلال الأسود) والتعريف بنشاطها والتنديد بأفعال منظمات الإرهاب الأوربية والمطالبة باستقلال المغرب وعودة السلطان محمد بن يوسف، والتنديد بحملات الاضطهاد التي أخذت تتعرض لها بعد الإعلان عن استعادة سيادة المخزن، ورفض الاحتواء الحزبي، والتنديد أيضا ببعض مظاهر الفساد الإداري كالرشوة التي أخذت في الاستشراء في الشهور الأولى من عام 1956.

وبعد أن اشتد عضد المنظمة انتقلت من مرحلة العمليات البسيطة إلى مرحلة العمليات المهمة، وكان ضحاياها من المهندسين والأطباء الذين ثبت للمنظمة انتماؤهم لمنظمات العنف الإرهابي الأوربية، التي شجعت السلطات ميلادها وتطورها كإجراء لاستئصال العمل المسلح بعد فشل باقي الإجراءات الترغيبية والترهيبية والتنظيمية كتقسيم الدار البيضاء إلى عدد من المقاطعات (14 مقاطعة). وهكذا فعلاوة عن مهاجمة باعة التبغ والمقدمين ورجال الأمن وباعة الخمر (كانوا في جلهم من أصل جزائري) والمتعاونين وأصحاب الحانات، وجّهت الهلال الأسود ضربات موجعة لنظام الحماية فاقتصت من بعض الأطباء لعلاقتهم بـ "لابريزانس فرانسيز" وجناحها المسلح "اليد الحمراء"، مثل الطبيب الإيطالي "إيمانيول گارگانو" (Emmanuel Gargano) الذي قضى عبد الله الحداوي على حياته صباح الجمعة 7 يناير 1955، ومحاولة تصفية الطبيب "بيير دالياس" (Pierre Daleas) يوم الأربعاء 2 فبراير 1955، وقد تصدى له أيضا عبد الله الحداوي الذي اعترف بإتيان هاتين العمليتين وعمليات أخرى خلال الاستنطاق الذي تم إثر اعتقاله يوم 26 يناير 1956.

ومن خلال مائة عملية من عمليات الهلال يمكن الخروج بالملاحظات التالية :

- عدد المغاربة الذين استهدفوا من قبل الهلال 29، منهم عدد قليل جدا من اليهود : خمسة كانوا ضمن زبائن إحدى الحانات.
- عدد الأوربيين الذين استهدفوا من قبل الهلال 25.
- وجهت الهلال ضربات لأهداف عسكرية (9 عمليات).
- وضعت قنابل بأماكن يرتادها الأوربيون على الخصوص.
- نفذت عمليات ضد مقاهي (مقهى لو تيرمينوس "Le Terminus" مثلا). وضد حانة شي ماري "Chez Marie" مثلا وضد ثكنات وأماكن للترفيه أو الاستحمام (مسبح في فندق).
- نفذت عمليات ضد حي البغاء المعروف بـ "بوسبير".
- نفذت عمليات ضد الحرس المتنقل (Garde Mobile).

ومن عمليات الهلال الفدائية المهمة مواجهة سيدي معروف ليلة الأربعاء 28 وصباح الخميس 29 شتنبر 1955 التي استشهد خلالها محمد الحداوي ورفيقه حجاج المزابي بعد رفضهما الاستسلام بالرغم من إدراكهما لعدم تكافؤ المعركة، وقد أصيبت خلالها زوجة حجاج المزابي فاطنة بنت بوشعيب بعدة رصاصات وهي حامل، ومع ذلك تعرضت لتعذيب قاس شأن الجيلالي الحداوي والد الشهيدين محمد الحداوي وعبد الله الحداوي.

ومعركة زنقة القوس نسبة إلى زنقة متفرعة عن طريق مديونة (شارع محمد السادس) وقد استشهد خلالها محماد بن علي وأصيب محمد بن إدريس المعروف بـ "الصاحب" بينما استطاع أحمد نحيلة الإفلات وقد جرت أربعا وعشرين ساعة قبل عودة السلطان محمد بن يوسف من المنفى (صباح الاثنين 14 نونبر 1955).

وبالرغم من كل النكسات التي تعرضت لها منظمة الهلال الأسود فإنها ظلت متمسكة بالسلاح، بل أتى عبد الله الحداوي بالمقاوم نذير بوزار - ذي الأصل الجزائري - لتدريب أعضاء الهلال على استعمال الأسلحة الحديثة التي استولت عليها المنظمة من القاعدة العسكرية في پور ليوطي، لكن اغتيال عبد الله الحداوي وخاله العربي السامي ومحمد الطيب البقالي ومصطفى بن موسى في كمين نصبه أفراد محسوبون على جهاز الأمن ليلة السبت 28 يوليوز 1956 قضى نهائيا على تطلعات هذه المنظمة.

وهذه قائمة بأسماء شهداء منظمة الهلال الأسود :

أولا : المقاومون الذين استشهدوا في المواجهة مع الفرنسيين :

- محمد الحداوي : استشهدوا في معركة سيدي معروف ليلة 28 وصباح 29 شتنبر 1955. وحجاج المزابي : استشهد في نفس المواجهة. ومحمد بن المختار گرناوي : استشهد في يوليوز 1955 حين حاول تصفية جنديين فرنسيين لكن سلاحه تعطل. ومحماد بن علي : استشهد في معركة زنقة القوس صباح الإثنين 14 نونبر 1955.

ثانيا : المقاومون الذين استشهدوا برصاص أفراد التنظيمات الإرهابية الأوربية :

- الميلودي السامي : اغتاله أفراد من منظمة لابريزانس فرانسيز في منتصف أكتوبر 1955. انتقاما من ابن أخته محمد الحداوي الذي أسقط العديد من الأوربيين.

ثالثا : المقاومون الذي استشهدوا بتحريض من المنظمة السرية أو بواسطة سلاح أعضاء منها :

- امبارك القصري (المضاربي) : جرى إحراقه حيا بعد أن أشاع خصوم الهلال أنه عضو في إحدى منظمات الإرهاب الأوربية ولسوء حظه كان يحمل مسدسا. وشداد مولاي الحسن : اغتيل في مراكش سنة 1956. وأحمد الشرايبي : اغتيل بالدار البيضاء ليلة 7 فبراير 1956 وألقي بجثته في اليوم الموالي. وكان هدف القتلة دفع الهلال إلى الانتقام مما قد يتسبب في إفساد زيارة السلطان محمد بن يوسف للدار

البيضاء وهي الأولى بعد انتهاء العمل بمعاهدة الحماية. وعبد الكريم بن عبد الله : اغتيل بالدار البيضاء يوم 31 مارس 1956. ولحسن الگلاوي : اغتيل بالدار البيضاء يوم 16 يونيو 1956. واعمامو الزياني : اغتيل بالدار البيضاء يوم 30 يونيو 1956. وعبد الله الحداوي : اغتيل بالدار البيضاء يوم 28 يوليوز 1956. والعربي السامي : اغتيل بالدار البيضاء يوم 28 يوليوز 1956. ومحمد الطيب البقالي : اغتيل بالدار البيضاء يوم 28 يوليوز 1956. ومصطفى بن موسى : اغتيل بالدار البيضاء يوم 28 يوليوز 1956.

رابعا : المقاومون الذين جرى اختطافهم وما تزال أخبارهم منقطعة عن ذويهم إلى الآن :

ـ عبد السلام رشدي : اختطف أواخر يوليوز 1956. علي بن حسن (علي عريف) : اختطف في غشت 1956. محمد الرشيد (خبازر) : اختطف في غشت 1956. محمداد بن سليمان (گرانفال) : اختطف في غشت 1956. محمد جودا (شليحة) : اختطف في غشت 1956. ميلود الزياني : اختطف في غشت 1956. عبد الرزاق الهراوي (فوزي) : اختطف في غشت 1956. مصطف هلمي : اختطف في غشت 1956. خليفة بن العربي : اختطف في غشت 1956. حسن الگندافي : اختطف في غشت 1956. مطيع إدريس (مول الحليب) : اختطف في غشت 1956.

محمد وحيد، *مساهمة في دراسة الحركة الوطنية المغربية*، مقاومة الدار البيضاء، 1952 ـ 1956، أطروحة تمت مناقشتها في أكتوبر، 2001 ؛ دوغلاس أشفورد، *التطورات السياسية في المملكة المغربية*، تر. عائدة سليمان عارف ومصطفى أبو حامكة، مراجعة عبد الهادي بوطالب، الدار البيضاء، 1963.

Stéphane Bernard, *Le conflit franco-marocain 1943-1956*, Bruxelles, Institut de Sociologie de l'Université Libre de Bruxelles, 1963, 3 vol. ; Charle-André Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, 1415-1956, Paris, Jeune Afrique, 1978 ; Mbarek Zaki, *Résistance et armée de libération*, Tanger, Presses des établissements d'emballages, d'édition et de distribution du nord, 1987.

محمد وحيد

ابن **هلال السجلماسي، إبراهيم**، بن علي المشنزائي الصنهاجي، ونسبه البعض إلى الزلاميط. أما كنيته فقد اختلف فيها، فالبعض كناه بأبي سالم، والبعض الآخر بأبي إسحاق.

ولد ابن هلال سنة 817 / 1414 ، أما مكان ولادته فغير معروف. ولا تتحدث المصادر المتوفرة عن دراسته، الراجح أنه حفظ القرآن والمتون في صغره، ثم تلقى العلوم الأولية على يد علماء سجلماسة، لأن عادتهم في الماضي ألا يرحل الطالب إلى بلد آخر حتى يستوفي ما عند شيوخ بلده. والثابت أنه درس بالقرويين وتلمسان.

عاش ابن هلال في ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية صعبة (نهاية المرينيين وقسم من العصر الوطاسي)، كان لها انعكاس على إنتاجه الفكري، الشيء الذي يتضح جليا في ديباجة نوازله. ورغم هذه الأوضاع، فإنه خلف آثارا علمية مهمة بعضها في الفقه ـ وهو أهم ميدان ألف فيه ـ وبعضها في الحديث والتراجم والمراسلات.

ففي الفقه له أجوبة على نوازل كثيرة عرضت عليه في مواضيع شتى من العبادات والمعاملات، جمعها ورتبها علي بن أحمد الجزولي الجياني. ويبدو من خلال هذه النوازل بلوغه مرتبة متقدمة من الاجتهاد وهو ما جعل ابن عسكر يصفه بـ "شيخ الفتيا".

وفي الفقهيات دائما، قام ابن هلال بترتيب وتبويب نوازل أبي الحسن الصغير وسماه *"الدر النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير"*. وضمنها بعض الإضافات والتعليقات، مما يدل على تمكنه الفقهي. كما ألف شرحا *لمختصر خليل* في الفقه المالكي وعلق عليه، ومؤلفا حول مناسك الحج، قام كذلك بشرح مختصر *ابن الحاجب الفرعي*. ووضع تقييدا على إخبارة الفقيه المغيلي الذي سماه *"مصباح الأرواح في أصول الفلاح"*. وله كذلك تآليف في البدع، واحد عبارة عن جواب في مسألتي الشطح والرقص، والثاني سماه *"الجواب العجيب في الرد على بعض الفقراء المبتدعة"*. أما في الحديث فله كتاب شرح فيه صحيح البخاري، اختصر فيه فتح الباري لابن حجر ووضعه في أربعة أسفار.

ولابن هلال في الفهارس والتراجم *"مختصر الديباج المذهب"* لابن فرحون، وهو تأليف في طبقات المالكية. أما فهرسته فقد أسسها على إجازة شيخه ابن مرزوق. وبالإضافة إلى هذه المعارف قرض ابن هلال الشعر أيضا.

إن ثقافة ابن هلال الغزيرة والمتنوعة أهلته لتحمل مسؤولية القضاء والإفتاء في مدينة سجلماسة. وقد مكنته ثقافته ومنصبه القضائي من اتخاذ مواقف حفظها له التاريخ، أهمها موقفه الرافض لطرد مولاي علي الشريف من طرف أهل سجلماسة، وانصياع هؤلاء لرأيه. وموقفه المناهض لليهود الذين استولوا على جانب مهم من اقتصاد البلاد خلال الزمن الذي عاشه. إضافة إلى موقفه من الفقراء المبتدعة، الذين كانوا يضللون ـ من وجهة نظره ـ الناس بخدعهم ورقصهم وشطحهم، مكذبا حججهم الواهية الباطلة، مستدلا على بطلانها بالقرآن والأحاديث النبوية، وآراء العلماء.

لم يقتصر دور إبراهيم بن هلال على التأليف والقضاء والإفتاء، وإنما تصدى أيضا لتدريس القرآن والعلوم الدينية بالقصر الذي استقر فيه بسجلماسة، وفي الجهات القريبة منها.

توفي سنة 903 / 1497 عن عمر يناهز ستا وثمانين سنة. ودفن بداخل قصر أولاد سيدي إبراهيم قرب المسجد في حجرة تابعة له، ولازال قبره موجودا إلى الآن.

إبراهيم بن هلال السجلماسي، *فهرسة*، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط، ص. 36 ـ 85 ؛ أبو سالم إبراهيم بن هلال السجلماسي، *أجوبة ابن هلال*، طبعة حجرية ؛ ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1397 / 1977 ؛ التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية

الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، 1989 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*.

Mohamed B. A. Benchekroun, *La vie intellectuelle sous les mérinides et wattasides* (XIIIe, XIVe, XVe, XVIe siècles), Rabat, 1974.

**الهلالي، إبراهيم** بن الـ **مبارك** بن علي الهلالي، ولد في مدينة مكناس عام 1320 / 1902 من بيت عريق في العلم. كانت دار سكناه تقع بحي "قاع وردة" في المدينة القديمة بمكناس قرب حديقة الحبول، قبل أن ينتقل للسكنى في حمرية بجوار مسجد إيران.

تربى في أحضان والديه، وتولى إرشاده شقيقه السيد أحمد الهلالي، وأخوه المفتي السيد محمد فتحا الهلالي. دخل الكتاب القرآني، وأجاد القران حفظا وإتقانا حتى إنه اختص في القراءات العشر بشقيها الصغير والكبير، وأجيز إجازات متعددة من علماء هذا الفن النادر، حتى إنه أصبح من أشهر المقرئين المجودين للقرآن.

مكنه العلم الذي تلقاه من ممارسة التدريس، حيث درس على يده أساتذة وطلبة القراءات السبع بالجمع والإفراد. وفي سنة 1980 انتدبته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب لعضوية لجنة تصحيح المصحف الشريف في ليبيا، وفي السنة الموالية انتدبته الوزارة نفسها لعضوية لجنة التحكيم في المؤتمر السنوي لحفظ القرآن وتجويده وتفسيره في دورته الثالثة بالمملكة العربية السعودية. وفي السنة نفسها ساهم في تأسيس رابطة تجويد القرآن بمكناس، وأصبح بعد ذلك عضوا شرفيا فيها.

خاض إبراهيم الهلالي غمار الكفاح الوطني منذ سن مبكرة لأنه عاصر فرض الحماية على المغرب، وعاين الاضطهاد والقهر اللذين عانى منهما المغاربة على يد المستعمرين الفرنسي والإسباني. وهكذا ساهم في مناهضة ما عرف بالظهير البربري 16 ماي 1930، وقاد المظاهرات الاحتجاجية في قضية ماء أبي فكران سنة 1937 باعتباره أحد أعمدة لجنة الدفاع عن هذا الماء، وأحد صانعي الحادثة ومؤطريها والمتتبعين لها، وكان عضوا في اللجنة المنتخبة من طرف سكان مكناس وأعيانها ورجالات الفكر فيها، وتحمل مسؤولية جمع التوقيعات من المواطنين في عريضة الاحتجاج التي ضمت فوق عشرة آلاف توقيع. ومنزله في المدينة القديمة احتضن تحرير العريضة الاحتجاجية في الموضوع من طرف ثلة من المكناسيين، رفعت للملك البلاد آنذاك يستصرخونه، ويرجون مساندته لهم. ولعل كل هذا أهله لتأليف كتاب *"التبيان لمعركة أبي فكران"* ، وقد أثنى عليه الحاج أحمد معنينو والأستاذ عبد العالي المنوني.

ولما انقسمت الحركة الوطنية في المغرب انحاز إلى "الحركة القومية" بقيادة محمد حسن الوزاني، وكان أحد مؤسسيها سنة 1937 ، وأصبح بعد ذلك عضوا عاملا في المكتب السياسي لحزب الشورى والاستقلال عندما تأسس سنة 1946. واحتج كثيرا على إلقاء القبض على قائدي الحركة الوطنية آنذاك محمد حسن الوزاني وعلال الفاسي.

كان لإبراهيم الهلالي نشاط توعوي كبير في منطقة الأطلس، وأسفر نشاطه الوطني هذا، ومضايقته لمخططات الفرنسيين في المنطقة عن إلقاء القبض عليه سنة 1944، ومحاكمته من طرف المحكمة العسكرية في مكناس إلى جانب رفقائه الريفيين، وقد نجا من هذه المحاكمة بينما حكم على رفاقه بالإعدام. وبقي يتابع عمله سرا وجهرا، ويكافح في صفوف الحركة الوطنية، وينشر الوعي وأفكار النهضة في سكان الأطلس، حيث استطاع أن يكون عدة خلايا وأطر للحركة القومية أولا ثم لحزب الشورى والاستقلال بعد ذلك في خنيفرة، والقباب، وأكروشن، وگلميمة، وقصر السوق (الرشيدية)، وإيتزر، وذلك رغم السيطرة العسكرية الفرنسية المفروضة على الأطلس إذ ذاك. وأضحى يشرف على الهيئات والمنظمات التابعة للحزب بكافة نواحي الأطلس المذكورة إلى نواحي ورزازات.

وفي سياق معارضته لسياسة المستعمر الفرنسي، أشرف على تأسيس المدارس الحرة التابعة لحزب الشورى والاستقلال في مكناس لمحاربة فرنسا، والحفاظ على اللغة العربية والتعاليم الإسلامية ؛ وهكذا أسس مدرسة ابن خلدون سنة 1948 ، والمعهد المحمدي سنة 1950 ، ومدرسة الرشاد المكناسي. أما خارج مكناس فأسس مدرسة إيتزر.

بقي إبراهيم الهلالي مواصلا لنضاله الوطني باستماتة، معايشا للأحداث الوطنية، مسهما بكل قواه في نشر مبادئ الشورى والاستقلال إلى أن نفى الفرنسيون ملك المغرب محمد بن يوسف سنة 1953 ، حينئذ ساهم في تنظيم المظاهرات، ورفع الاحتجاجات، إلى أن ألقي عليه القبض، ولقي من الشرطة أنواعا من التعذيب، ثم حكم عليه بعامين حبسا نافذاً قضاها في سجن عين مومن والعادر رغم كبر سنه. ولما خرج من السجن واصل كفاحه التحريري، فشغل عضوية لجنة الإسعافات لحوادث يوليوز 1955 ، المعروفة بحادثة "اگرانفال". ونظم خلايا المقاومة والتحرير إلى أن حصل المغرب على استقلاله. وبعودة ملك المغرب محمد بن يوسف إلى عرشه، وتأسيس المجلس الوطني الاستشاري في 25 ذي الحجة 1375 / 3 غشت 1956، وتعيين أعضائه 76 في 15 ربيع الأول 1376 / 20 أكتوبر 1956 منهم ستة أعضاء من حزب الشورى والاستقلال، كان إبراهيم الهلالي من بينهم، حيث قضى في عضويته عامين ونيف، فكانت مواقفه في هذا المجلس مشرفة تشهد عليها مداخلاته فيه.

وبعد مرور 45 سنة على أحداث بوفكران، أقام المجلس البلدي لمكناس نصبا تذكاريا في ساحة الهديم تخليدا لذكرى المعركة، إلا أن هذا النصب تضمن خطأ كبيرا ولحنا جليا في الآيتين 169 و170 من سورة آل عمران، مما أحدث ضجة في الأوساط العلمية لمدينة مكناس، فتصدى إبراهيم الهلالي لهذا الخطأ عبر رسالتين وجههما إلى السلطة المحلية ليثير

انتباهها إليه، أرسل الأولى في 9 ذي الحجة 1402 / 8 أكتوبر 1982 إلى عامل مدينة مكناس، وأرسل الثانية بتاريخ 23 ذي الحجة 1404 / 19 شتنبر 1984 إلى السيد رئيس المجلس البلدي للمدينة ذاتها.

توفي إبراهيم الهلالي في مدينة مكناس بعد مرض طويل عن سنة 99 ، وذلك بتاريخ 25 رجب 1422 / 13 أكتوبر 2001 ، وأقبر في زاوية سيدي الشريف الوافي، بجوار فندق عبر المحيط.

إبراهيم الهلالي، *التبيان لمعركة أبي فكران مع وجوب اتباع رسم الإمام*، الدار البيضاء، 1406 / 1985 ؛ أحمد معنينو، *المجلس الاستشاري ومعارضة حزب الشورى والاستقلال 1956. 1959*، الدار البيضاء، 1407 / 1986 ؛ محمد التطواني والعربي عيسى، *تطور الممارسة الديموقراطية بالمغرب*، ج 1 ، المجلس الوطني الاستشاري 1956 ـ 1959، الرباط، 2000 ؛ بوشتى بوعسرية، *أحداث بوفكران بمكناس فاتح وثاني شتنبر 1937*، وزارة الثقافة، 1990.

محمد ياسر الهلالي

**الهلالي، أحمد بن عبد العزيز** بن علي بن محمد السجلماسي الشهير بالهلالي كنيته أبو العباس. ولد بسجلماسة سنة 1113 / 1701 ودرس على علمائها. وانتقل إلى مدينة فاس لاستكمال التكوين وأخذ العلم على علماء القرويين وفقهائها. وكانت له رحلة إلى الحجاز مرتين بقصد الحج. فلقي مشايخ مصر والحرمين الشريفين.

من شيوخه بالمغرب : أبو العباس أحمد الحبيب الصديقي اللمطي، أخذ عليه بسجلماسة وهو عمدته وإليه ينتسب توفي سنة 1165 / 1751. أحمد بن أبي القاسم الغنجاوي السجلماسي، نزيل الرباط. محمد بن عبد السلام بناني الفاسي المتوفى سنة 1163 / 1149 ، وقد أجازه، وهو شارح *الاكتفا* للكلاعي. أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1164 / 1150 أجازه. محمد بن الطيب بن محمد الشرفي الفاسي المتوفى سنة 1170 / 1756 بالمدينة المنورة. أحمد بن مبارك السجلماسي مؤلف *الذهب الإبريز*، المتوفى سنة 1155 / 1742 أخذ عنه بفاس. أبو عبد الله محمد بن الحسين الكندوز المصمودي الفاسي المتوفى سنة 1148 / 1725. محمد الكبير بن محمد السرغيني العنبري المتوفى سنة 1164 / 1150 كان يحضر مجالسه بفاس. أبو العباس أحمد بن يوسف. أبو حفص عمر بن الكوش المكناسي.

من شيوخه المشارقة : مصطفى بن كمال الدين البكري الشامي دفين مصر سنة 1162 / 1748. محمد بن سالم الحنفي. محمد بن حسن العجيمي المكي وغيرهم.

كان السجلماسي مهتما غاية الاهتمام بالرواية والأسانيد وله *فهرسة* سجل فيها أسانيده ومروياته نشرت بعناية الفقيه رشيد المصلوت سنة 1981.

وتتصل رواية السجلماسي بأسانيد علماء مراكش المتأخرين ومن هنا تأتي أهميتها. فالفقيه محمد بن محمد أزنيط المراكشي المتوفى سنة 1317 / 1899 أحد علماء المدينة وإمام جامع الجزولي وخطيبه يتصل بالسجلماسي الهلالي عن طريق : الحسن بن الشاد العلوي. عن محمد بن المكي وغيرهما.

ومن ثم كان لمحمد أزنيط دور في استمرار هذا السند، إذ أن العلماء كانوا يرحلون إلى مراكش للأخذ عنه.

وقد أدرك مكانة علمية كبيرة عبر عنها مترجموه فهذا القادري يقول عنه (كان إماما في تحصيل العلوم وتحقيقها من نحو وبيان ومنطق ولغة وفقه وحديث وتفسير وهندسة وأدب وتاريخ ونسب) وقال (كان له اعتناء بالعلم وتحصيله، كثير العبادة، مقتصرا على ما يعني، فلا تراه إلا مطالعا، ومدرسا أو ذاكرا...).

كما أسهبت المصادر في ذكر مناقبه وأخلاقه، فقد ذكر القادري بعضها بقوله (لا نظير له في علماء زمنه زهدا وورعا ودينا ومروة ومحبة في أهل البيت والصالحين والعلماء وطلبة العلم والضعفاء والمساكين، حريصا على نوائب الخير وإهمال الفتن، وبعدا عن الرياسة والجاه والفضول).

وإضافة إلى حبه لآل البيت، كان يتعاهد زيارة الصالحين بفاس أحياء وأمواتا، ويفرق على المساكين ما يعطيه له السلطان محمد بن عبد الله من هبات وأموال.

وعندما بويع السلطان محمد بن عبد الله سأل عن أعلم الناس وأعملهم، فقيل له الأحمدون يعني : أحمد بن عبد العزيز السجلماسي الهلالي. وأحمد بن عبد الله العربي الرباطي. وأحمد بن محمد الورزازي.

وقد كان دائم الاتصال بالسلطان يزوره وينصحه، وكان هذا الأخير يغدق عليه من عطاياه وصلاته، كما كان يزور بعض علماء فاس منهم : محمد بن الطيب القادري الذي زاره في بيته بفاس ومعه الشرفاء السجلماسيون قصد التبرك، وقال عنه : (وكان رضي الله عنه يراسلني كثيرا وذلك منه تأكيد للمحبة).

تصدر للتدريس بفاس وتخرج عليه عدد من العلماء منهم :

- أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن عبد المنعم السوسي الكرسيفي (ت. 1214 / 1799 ). لازمه بزاويته مدة طويلة، وروى عنه نصحه لطلبته بالإعراض عن خطة القضاء. وأبو محمد عبد القادر بن أحمد بن العربي بن شقرون الفاسي (ت. 1219 / 1717 ) دفن بالقبة الإدريسية. وأبو محمد عبد الله بن محمد الخياط القادري (ت. 1197 أو 1198 / 1782 أو 1783 ) دفن مع أبيه بزاوية القادريين بفاس. وأبو عبد الله محمد التاودي بنسودة، مفتي مدينة فاس (1209 / 1794). وأبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد السلام بن العربي الفاسي (ت. 1214 / 1799) وغيرهم كثير.

أما محمد بن الطيب القادري (ت. 1187 / 1773) صاحب *نشر المثاني*، فإنه أخذ عليه *شمائل الترمذي* بفاس، وبعض الأحاديث بثلاثة أسانيد : أحدها عن الشيخ النمرسي

الأزهري، والثالث عن الشيخ محمد الحفناوي المصري.

خلف السجلماسي مؤلفات مهمة في اللغة والفقه والوصايا والأدب...

توفي يوم 21 ربيع الأول سنة 1175 / 20 أكتوبر 1761، ودفن بمدغرة سجلماسة.

رشيد المصلوت، *إتحاف المعاصر* والتالي، تر. الهلالي، 1982 ؛ المراكشي، *الإعلام*، 1974 - 1983 ؛ محمد الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية*، الدار البيضاء، ط. 1، 1977 ؛ محمد مخلوف، *شجرة النور الزكية*، بيروت، 1349 ؛ أحمد بن عبد العزيز السجلماسي الهلالي، *فهرست*، تح. رشيد المصلوت، 1981 ؛ محمد عبد الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، 1982 ؛ محمد بن عبد العباس السوسي الجزولي، *المواهب القدسية في أسانيد بعض المشايخ الصوفية*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 97 ج، وطبعة أولى، مصر، 1952 ؛ *موسوعة أعلام المغرب / نشر المثاني*، تنسيق وتحقيق محمد حجي، 1996.

حسن جلاب

**الهلالي، عبد الرحمان** بن الطاهر، ازداد بالسماعلة (دائرة وادي زم - إقليم خريبكة) سنة 1930، وتلقى تلعيمه الأولي بمدينة الفقيه بن صالح ثم انتقل إلى المعهد المكناسي ثم إلى فاس ليكمل تعليمه بجامعة القروين التي تخرج منها سنة 1949 وهي السنة التي انتقل فيها إلى الرباط حيث استقر نهائيا.

شارك في العمل الوطني منذ سنين شبابه الأولى حيث كان له اتصال بالمشمولين برحمة الله علال الفاسي والمهدي بنبركة والفقيه غازي ومولاي هاشم العلوي ومولاي العربي العلوي وبوشتى الجامعي ومحمد گنون وقاسم الزهيري...

كان عضوا بلجنة القيادة بالمنظمة المحمدية التي تم تأسيسها بقبيلة السماعلة وتضم السادة : الأفغاني الجيلالي والهلالي مبارك ومحمد المنتصروشهيد عبد العزيز ومحمد بن المعطي الهلالي.

قامت هذه المنظمة بدور هام في مرحلة المقاومة ضد المستعمر الغاشم والمحددة أساسا في الفترة ما بين 53 و1955 . فقد أعلنت عن استيائها من المخطط الاستعماري بنفي السلطان محمد الخامس إلى خارج الوطن فعبأت عريضة وقعها عدد كبير من سكان السماعلة ووادي زم وبعثت بها مع وفد يتكون من ممثلين عن أعضاء المنظمة بأبي الجعد ووادي زم والسماعلة إلى المغفور له محمد الخامس بتاريخ 14 غشت 1953 عندما كان بمدينة الدار البيضاء. وأعلنت المنظمة إضرابا عن الاحتفال بعيد الأضحى وأصدرت بيانا تدعو فيه إلى لباس الزي الأسود تضامنا مع السلطان.

في هذه الأثناء كان عبد الرحمان الهلالي بمعية بعض الطلبة ممن تلقوا تعليما لا بأس به ينشرون أفكار المقاومة بين سكان المداشر والدواوير بتنسيق مع طلبة آخرين بكل من بني خيران وبني سمير وأولاد عبدون والشكران وأولاد عزوز وبني حسان والبراشوة والنواصر وآيت عمار...

وكان المقر الرسمي للمنظمة المحمدية يوجد بدوار السيالغة بقبيلة السماعلة، كما كانت هنالك منظمات فدائية أخرى بالمنطقة تحمل أسماء منظمة اليد السوداء - المنظمة السرية - منظمة أسود التحرير - منظمة صوت الاتحاد - اليد المتوكلة على الله - جيش الأطلس - القميص الأسود - الهلال الأسود - الموحدون.

وعلى غرار إخوانه المناضلين في صفوف المنظمة المحمدية فقد تعرض عبد الرحمان الهلالي للاعتقال أكثر من مرة حيث ألقي عليه القبض من طرف السلطات الاستعمارية بوادي زم بتهمة إلقاء قنبلة داخل خيمة أحد المتعاونين مع الاستعمار سنة 1953 ، وذاق جميع أنواع التعذيب على يد البوليس الفرنسي.

وألقي عليه القبض في المرة الثانية بوشاية من طرف أحد المتعاونين مع الاستعمار ومقدم عبد الحي الكتاني آنذاك بقبائل السماعلة بتاريخ 21 سبتمبر 1954، بسبب تحريض أهل البادية على عدم دفع الزكاة لعبد الحي الكتاني وأتباعه.

وتعرض لمحنة أخرى في سبيل إنقاذ المقاوم الشهير عبد العزيز العفاني الذي كان محاصرا بغابة بني زمور بالقرب من مولاي بوعزة من طرف كوكبة من الجيش الفرنسي بتهمة قتل الحاكم كارايور يوم 20 غشت 1955 ، حيث تم فعلا إنقاذ المقاوم الكبير بمساعدة من الجرجيني بنعيسى (المدير العام للتعاضدية العامة للأمن الوطني في مرحلة الاستقلال) والمقاوم المكي الشريف، وبقي عبد العزيز العفاني مختبئا لمدة 15 يوما بمنزل عبد الرحمان الهلالي.

وعلى إثر أحداث 20 غشت 1955 بوادي زم كلفت المنظمة كلا من مبارك الهلالي وعبد الرحمان الهلالي بكتابة تقرير مفصل عن الأحداث التي عرفتها المدينة والتي قتل فيها أزيد من 600 أوربي وعدد كبير من الشهداء وتم تسليم هذا التقرير لعبد الرحيم كديرة بالرباط الذي تكلف من قبل حزب الاستقلال بإرسال نسخة منه إلى الوفد المفاوض بإيكس ليبان بفرنسا.

لم يكن عبد الرحمان الهلالي يؤمن بالعنف أو يدعو إليه، بل كانت أحسن الطرق لديه هي طريقة الحوار والتفاوض والمجادلة العقلانية كما كانت لديه قناعة بأن رجال المقاومة يجب أن يكون من بينهم من يتقن العمل السياسي والتفاوضي وكذلك من يتقن حمل السلاح واستخدامه ضد العدو للدفاع عن النفس وطرد المستعمر الغاشم.

وفي هذا يقول مولاي هاشم العلوي في وثيقة أدلى بها إلى المندوبية السامية للمقاومة وتحمل طابع القصر الملكي : (فجئت بهم إلى منزلي - يقصد عبد الرحمان ومبارك الهلالي - وسألتهم هل لكم مسدسات أو سلاح أقوى فسكتنا...) لأنهما فعلا كانا لا يتوفران على سلاح (وربطت لهما صلة بالسيد الصنهاجي والسيد سرحان والسيد الزبراوي بشارع

آيت أوفلا، ودأبا على أعمالهما إلى أن قامت الثورة... وكان قتال عظيم لم يخطر ببال المستعمرين... فهذه قصتي مع من قاموا بثورة وادي زم).

أما المسيرة السياسية لعبد الرحمان الهلالي فتتخلص في نشاطه داخل هياكل حزب الاستقلال بكل من وادي زم والرباط، وقد كان من جملة المنخرطين في مشروع الحزب الجديد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي ستبدأ انتفاضته في 25 يناير 1959 بالدار البيضاء، ثم المؤتمر التأسيسي في 6 سبتمبر من نفس السنة برئاسة عبد الرحمان اليوسفي. حيث كان من الأعضاء المشاركين فيه. كما كان من الأعضاء المؤسسين للاتحاد المغربي للشغل، وكان يقوم بحملات تحسيسية وإلقاء خطابات باسم النقابة في عدة مدن مغربية كأزرو ووادي زم والرباط.

وبحكم انتمائه لسلك التعليم، فقد كان من الأعضاء النشيطين بالنقابة فضلا عن نشاطه كمناضل في صفوف الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مما جعله يتعرض لعدة متابعات اضطرته في سنة 1966 إلى تغيير مقر إقامته من مدينة الرباط إلى وادي زم.

ثم عاد إلى الرباط سنة 1975 ، وقد رفض المشاركة في أشغال المؤتمر الاستثنائي للاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي سيحمل ابتداء من سنة 1975 اسم الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وجمد نشاطه الحزبي في نفس السنة بشكل نهائي لأسباب كان يبررها بخروج الحزب في تلك المرحلة عن منهجية النضال العقلاني.

أسس عبد الرحمان الهلالي أيضا رابطة حفظة القرآن الكريم بالمغرب والتي ظل يرأسها إلى حين وفاته، حيث كان من حفاظ القرآن الكريم ومن الملمين بقراءاته السبع، فضلا عن إلمامه بأصناف أخرى من العلوم الدينية واستكمال تكوينه في الطرق البيداغوجية الحديثة في التربية والتعليم كما تلقى تكوينا قانونيا بكلية الحقوق بالرباط في إطارنظام الكفاءة، وحصل على وسامين للرضى والاستحقاق الوطني من الدرجة الممتازة.

توفي في 13 غشت سنة 1989 إثر حادثة سير، وكان يزاول آنذاك مهمة مدير مرشد تربوي بمدرسة أحمد الراشدي بالرباط.

عبد الحكيم الهلالي

**الهلالي، محمد تقي الدين** بن عبد القادر فقيه وأديب وداعية إسلامي مغربي. من مواليد قصر أولاد عبد القادر بالريصاني سنة 1898 حفظ القرآن منذ نعومة أظفاره، كما رسخت قدماه في التجويد والحديث والنحو العربي. وبعد التعليم الابتدائي في مسقط رأسه بتافيلالت، تردد على القرويين في فاس قبل أن يستكمل تكوينه في جامعة الأزهر بمصر. ومن مواهبه أنه إلى جانب لغة الضاد واللغة الأمازيغية، أقدم على تعلم العبرية والانجليزية والألمانية والفرنسية والإسبانية. ولا يوازي هذا الانفتاح على اللغات إلا شغفه الكبير بالترحال لاكتشاف العالم. فسافر دون ملل شرقا وغربا رغبة في توسيع أفق معارفه، وزار مصر والعراق والسعودية والهند، وجال في عواصم أوروبية عديدة، واستقر

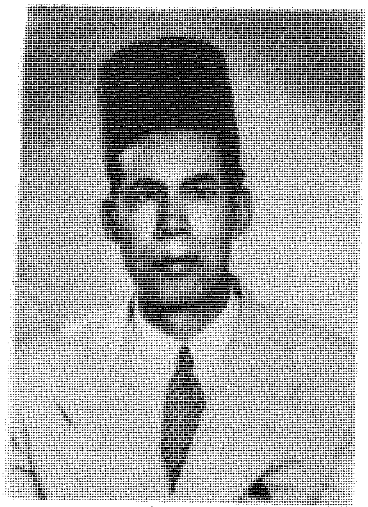

به المقام لردح من الزمن في ألمانيا (ابتداء من سنة 1936 (أو 1937 ؟). وفي هذا البلد الأوربي اشتغل الهلالي معيدا في إحدى الجامعات حيث كان يدرس اللغة العربية وآدابها، وإلى جانب ذلك كان ينشط برنامجا في إذاعة برلين ويحضر أطروحة لنيل الدكتوراة في الفلسفة الإسلامية، وهو ما تحقق له سنة 1941 . ولعل صوته في البرنامج الإذاعي الذي كان يبثه القسم العربي لراديو برلين هو الذي جعله محط اهتمام وترقب الاستخبارات الفرنسية. فمنذ أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين، ترددت على صفحات النشرات السرية التي كانت تصدرها "مديرية الشؤون السياسية" بالرباط أخبار غير متيقنة مفادها أن تقي الدين الهلالي "صحفي جزائري" و"عميل للنازية الألمانية" ومناوئ للمصالح الفرنسية والإنجليزية في العالم الإسلامي. وقد كان تقي الدين فعلا من أولئك الذين اقتفوا أثر كل من مفتي القدس محمد الأمين الحسيني والأمير شكيب أرسلان في موالاة الألمان لعل ذلك يساعد في إزاحة الهيمنة الاستعمارية على البلاد الإسلامية. أما صفة الصحفي "الجزائري" الواردة في تلك النشرات، فهي من قبيل الأخطاء التي يرتكبها المخبرون الذين يزودون المصالح الفرنسية بالمعلومات.

في سنة 1942 ، عاد تقي الدين الهلالي إلى المغرب حاملا لقب "الدكتور" الذي أحاطه بهالة من الهيبة في أوساط الطلبة والمتعلمين المغاربة فاستقر بتطوان لتدريس اللغة العربية وآدابها في "المعهد الحر". وكان اختياره الإقامة في المنطقة الخليفية طبيعيا، وذلك تفاديا لبطش الفرنسيين في منطقة نفوذهم بالمغرب، ولكون السلطات الإسبانية بالشمال، بالرغم من الحياد المعلن رسميا، تغض آنئذ الطرف عن الدعاية الألمانية الموجهة ضد الحلفاء. ولم يقتصر نشاط

الهلالي على التدريس وعلى تعزيز الاتصال بين شكيب أرسلان وبعض الوطنيين المغاربة، ولكن عمل أيضا على بث معتقداته السلفية عبر الصحافة. ومما قام به في هذا الصدد كتابة عدة مقالات في جريدة "الحياة" يفسر فيها كيف خرج من الطريقة التيجانية ليعانق الفكر السلفي بتأثير من بعض أعلامه وفي مقدمتهم محمد بن العربي العلوي. وقد أثار انتقاده اللاذع للطرقية حفيظة عدد غير يسير من فقهاء المنطقة وأعيانها المنخرطين في الطرق والزوايا، مما فتح الباب للسجال بين الطرفين.

وفي سنة 1946، أصدر مجلة "لسان الدين" تيمنا بلسان الدين بن الخطيب، صاحب الوزارتين، الذي كان معجبا به أيما إعجاب. وتمت مبادرته هذه بتعاون مع كل من عبد الله كنون وأحمد عبد السلام هارون. وفضلا عن المقالات الدينية التي كانت تشكل عمودها الفقري، فقد عملت هذه المجلة على نشر دروس في اللغة الإنجليزية ودعوة القراء إلى الإقبال عليها، وعيا من تقي الدين الهلالي، وهو الذي بدأ تعلمها عندما كان مقيما في الهند، بالصدارة التي أصبحت هذه اللغة تحتلها في عالم ما بعد الحرب. لكن سرعان ما التحق بالعراق تاركا المجلة بين يدي عبد الله كنون، فأقام ببلاد الرافدين حتى أطاح الجيش بالنظام الملكي (يوليوز 1958)، ففضل الهجرة إلى المملكة العربية السعودية حيث عمل أستاذا بجامعة المدينة المنورة. وبعد مدة ولى راجعا إلى وطنه، فاشتغل أستاذا بكلية الآداب بفاس. وعلاوة على ذلك، كرس معظم نشاطه للدعوة الإسلامية على الطريقة الوهابية إماما وخطيبا وداعية في مساجد الدار البيضاء ومكناس وغيرها من الحواضر المغربية، وفيها من التوجه السياسي ما لم تكن السلطات الرسمية تنظر إليه بعين الرضى. وفي يوم 23 يونيو 1987 وافته المنية في الدار البيضاء عن سن تقارب التسعين عاما.

خلف الدكتور تقي الدين الهلالي أبناء وبنات في كل من المغرب والعراق والسعودية وألمانيا ... كما خلف عشرات من المؤلفات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الدعوة إلى الله من أقطار مختلفة - الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية - سبيل الرشاد - كتاب مفتاح التفقه الأصيل في شرح مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل...

جريدة *العلم*، 8 شتنبر، 1987، ص. 8 ك *مجلة لسان الدين*، تطوان، 1946 ؛ *شهادات شفوية*، خاصة من بعض أفراد عائلة تقي الدين الهلالي.

*Résidence Générale* : Les bulletins de renseignements de la direction des affaires politiques, 1936 - 1940 ; Robert Rezette, *Les partis politiques marocains*, Colin, Paris, 1955.

جامع بيضا

**الهلالي، مَحمد** (فتحا) بن **المبارك** بن علي من ذرية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصنهاجي نسباً، السجلماسي أصلا، المكناسي مولداً وموطنا، علامة مشارك ؛ تلقى دراسته على جماعة من علماء عصره، وتصدى للتدريس والإفتاء بالمذهب المالكي، فكان من جملة الفقهاء المتأخرين الذين أصدروا الفتوى على الطريقة القديمة.

اعتمد في تلقين دروسه على الحفظ والإملاء وهي الدروس التي استفاد منها الطلبة الذين حضروا مجالسه أمثال : محمد بن سعيد المكناسي الذي تتلمذ عليه، وذكره ضمن شيوخه ومحمد التراب الذي درس عليه رسالة القيرواني وحاشية سيدي ابن الحاج السلمي ومحمد المنوني الذي درس عليه الخلاصة من باب النعت إلى باب التكسير بشرح السيوطي المسمى النهجة واللامية الزقاقية بشرح التاودي ابن سودة وطرفا من أرجوزة. الاستعارة لابن كيران بشرح البوري، وأرجوزة البيقونية في مصطلح الحديث بشرح ابن خضراء، وبعضا من *الشمائل المحمدية* للترمذي بشرح جسوس.

وقد ترك فتاوى في عدة كراريس، وتقاييد مخطوطة، منها ثلاثة تقاييد في الفقه وأصوله وهي :

1) تقييد إذاقة عذاب الحريق لمن أوجب زكاة السيد لمال الرقيق، أو الانتصار لمذهب إمام الأئمة سيدنا مالك بصفع قفا من عميت عليه المسالك.

2) تقييد الرد على من انتقد حاشية المهدي الوزاني على شرح ميارة للمرشد المعين لابن عاشر الفاسي.

3 ) تقييد نهاية التحقيق في بيان الأفضل من أيام التشريق.

توفي بمسقط رأسه صباح يوم الأربعاء 26 جمادى الأولى 1372 / 11 فبراير 1953، ودفن بالزاوية الصادقية هناك.

**الهلالي، محمد الهاشمي** بن **علي** العروصي، قائد دكالة والحوز، كان وقائد آسفي عبد الرحمان بن ناصر العبدي الوزيرين القائمين بأمر السلطان المولى هشام بن محمد وصاحبي الحل والعقد في دولته، الأول بعصبيته وقبيلته المترامية الأطراف والثاني بكثرة ماله وجوده وكرمه.

ولما اشتدت شوكة السلطان المولى سليمان بالشمال وامتد نفوذه إلى الجنوب سنة 1211 / 1797، وتلاشت دولة المولى هشام، دخل المترجم له في طاعته فأقره على عمله وولاه مرسى الجديدة وأزمور، وكان أخوه يقاسمه الرياسة بدكالة، ويتولى دونه مرسى تيط ويصدر منها الوسق.

كان له اهتمام بالغ بالعمران، وقد جدد سقف الجامع الكبير بأزمور، والقديم منه هو الصحن الحالي، ومدرسته التي بحذائه وهي الآن مهملة ومعطلة، وجامع مولاي بوشعيب، وأسس الجامع الكبير بالجديدة المنسوب لابن الحمدونية، والمجسد الذي بداخله السور القديم والمدرسة التي تحولت فندقا يحمل اسم الأدالة.

توفي سنة 1214 / 1800.

عبد الرحمان القباج

**هلوانة** أو **هدرابة** ، تقنيتان عتيقتان لاستخراج زيت الزيتون باليد في بضعة ليترات خاصة بمنطقتي الحوز

والسراغنة. تشتركان في بعض المراحل التحضيرية وتختلفان في البعض الآخر. وتقوم بهما بالخصوص النسوة. ويطلق هذان المصطلحان على التقنية كما يطلقان على الزيت.

بالنسبة "لهدرابة" فهي طريقة لاستخراج الزيت بكيفية "باردة" حيث يتم هرس وسحق حبات الزيتون حفنة حفنة بالحجارة وفوق حجارة أخرى مفلطحة دائرية الشكل. ثم يتم عجن ودعك الزيتون المهروس جيداً باليد في إناء فخاري "قصرية". ويوضع العجين المحصل عليه في سلة من القصب ويترك للتسخين تحت أشعة الشمس. وبعد فترة يبدأ الزيت في السيلان من السلة إلى إناء. ثم يؤتى بإناء آخر مملوء بالماء البارد، ثم يؤخذ جزء بعد جزء من العجين ويدعك بالأيدي في الماء. وبعد استراحة قصيرة جدا يطفو الزيت فوق الماء. حينئذ يتم عزله بواسطة مغرفة. وتكرر العملية عدة مرات حتى لا يبقى سوى بقايا النوايات والقشرة أو ما يدعى محليا "بالمرجان" أو "مرجانة".

أما بالنسبة لهلوانة فيتم تهييء الزيت كما يلي : بعد جني حبات الزيتون طرية، وبعد عملية الهرس كما سبقت الإشارة، يخلط العجين بالماء الساخن ويدعك جيدا باليد ثم يوضع في جرة كبيرة من الطين المطبوخ أو من النحاس لتسخين وغلي الخليط شريطة أن تكون النار خفيفة. وذلك لتعويض التسخين بأشعة الشمس. وبعد فترة زمنية معينة يضاف الماء البارد ويترك الكل للاستراحة قليلا. وبذلك يطفو الزيت الذي تتم تصفيته بمغرفة وتكرر العملية عدة مرات كما هو الحال بالنسبة لهدرابة. وتدعى الزيت المستخرجة بهذه الطريقة هلوانة أو توهلوانت أو تاهلوانت.

وتجب الإشارة إلى أن هذه التقنية لاستخراج زيت الزيتون كانت سائدة بالأرياف المغربية المشهورة بزراعة شجر الزيتون في العهود القريبة منا إلى جانب المعاصر التقليدية التي تستخدم فيها الحجارة المحركة بالدواب. وتقوم بها النسوة لتلبية حاجيات الأسرة من مادة الزيت التي تكون قد استنفذت لدى الكثير من الغراسة. ويلاحظ حاليا التخلي عن هذه التقنية رغم الجودة العالية للزيت المستخرجة بواسطتها. وذلك نظرا لتطور المعاصر التقليدية وخاصة العصرية المحركة بمحركات كهربائية.

*روايات شفوية ومقابلات ميدانية.*

J. Flouriot, L'oléiculture dans la région de Marrakech, *R.G.M., n°9, Rabat*, 1966.

أحمد زروال

**الهمداني، عبد الله** بن غالب شيخ صالح وفقيه مشارك من بيت علم. أصله من مدينة نكور، وسكن سلفه بسبتة. كان أبوه صاحب علم في الوثائق والفقه والحساب والفرائض، وله في ذلك تآليف. أما أبو محمد هذا فقد نوهت المصادر بعلمه وتقواه وجلالة قدره وفضله. حمل عن أشياخ سبتة، ورحل إلى الأندلس، فسمع من أبي محمد الأصيلي، وأبي بكر الزبيدي، ورحل نحو 380 / 990، فدخل القيروان وسمع من الإمام أبي محمد بن أبي زيد القيرواني كتبه وأبي محمد القابسي، وسمع بمصر من أبي بكر بن إسماعيل ابن المهندس وابن الوشاء، وقيل إنه دخل العراق. تعددت مواهبه فكان متفننا في علوم متعددة، قائما على المذهب المالكي حافظا بليغا أديبا شاعرا مجيدا. وكان يتقن الحساب والفرائض والوثائق. سمع عليه جماعة من أهل سبتة منهم ابنه القاضي أبو عبد الله، وإسماعيل بن حمزة، وأبو محمد المسيلي، والقاضي ابن حجاج، وغيرهم. شاوره قاضي سبتة ابن زويع في حياته، وشاوره غيره إلى أن مات. ومما يدل على جلالته واشتهاره "أن رجلا من أهل سبتة رفع مسألة إلى فقهاء القيروان، فقيل له أليس ابن غالب حيا ؟ قال نعم، قال : ما ينبغي لبلد فيه مثله أن يرفع منه سؤال".

توفي في صفر سنة 434 / 1042.

ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ج 8، ص. 529 ؛ ابن فرحون، *الديباج المذهب*، ج 1، ص. 435 - 436.

محمد المغراوي

**الهنتاتي، عامر** بن **محمد** وهنتاتة إحدى القبائل المصمودية الكبرى التي كانت تستوطن جبل درن (الأطلس الكبير الغربي)، برز دورها في التاريخ الموحدي، وقد توارثت إحدى أسرها حكم إفريقية وهي الأسرة الحفصية نسبة إلى الشيخ أبي حفص الهنتاتي أحد أصحاب المهدي ابن تومرت.

ولما انقرضت الدولة الموحدية، وتنوسي عهدها، أصبح السلاطين المرينيون يكلّفون شيوخ هنتاتة بأمر الجباية والولاية عليها كما فعل السلطان أبو سعيد مع موسى بن علي بن محمد الهنتاتي، ثم مع أخيه محمد ثم أبناء هذا الأخير، ومنهم عامر (صاحب الترجمة) الذي عقد له السلطان أبو الحسن على قومه، وارتحل معه في الحركة إلى إفريقية وجعله على شرطة تونس.

ولما أقلع السلطان أبو الحسن عائداً إلى المغرب بحراً في الأشهر الأخيرة من سنة 750، جعل حرمه في سفينة كلّف بها عامر الهنتاتي، وقد نجت هذه السفينة من الغرق الذي أصاب الأسطول المريني ووصلت إلى ألمرية بجنوب الإمارة النصرية بالأندلس، فبقي هناك مع حرم السلطان بسبب النزاع القائم بين أبي الحسن الذي وصل الجزائر بعد نجاته من الغرق وقبل تحركه نحو جنوب المغرب، وابنه أبي عنان القائم في فاس، فألحّ هذا على أبي عامر للعودة بالعائلة السلطانية، وتوسط أمير غرناطة للحصول على الأمان منه بعد وفاة أبي الحسن.

وفي غيبة عامر كان أخوه عبد العزيز نائباً عنه في الإشراف على هنتاتة، وتكلف مع قومه في الدفاع عن السلطان أبي الحسن إلى وفاته، ثم عقد له أبو عنان على قومه، إلى أن عاد أخوه عامر من ألمرية فتنازل له وأصبح

عبد العزيز نائباً عنه، بل عقد أبو عنان لعامر على سائر المصامدة ولاية وجباية سنة 754 / 1353.

لما توفي أبو عنان (759 / 1358) واستبد وزيره الحسن الفودودي بابنه السلطان الطفل أبي بكر السعيد ترك عامر الإقامة في مراكش واستقر بجبل هنتاتة ومعه محمد المعتمد بن أبي عنان، الذي كان أبوه عقد له على ولاية مراكش وهو صغير السنّ وأوصى به الهنتاتي، فبايعه ونزل به إلى مراكش، وعجز الوزير الفودودي عن إخضاعه. فلما استولى على السلطة بفاس أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن (760 - 762) وفَدَ عليه عامر فعقد له على قومه، واشترك معه في الحركة إلى تلمسان سنة 761. واستمرت العلاقات عادية مع الحكومة المركزية حتى إن أبا سالم كان لا يهتم بسعايات عامله بمراكش ضد عامر الهنتاتي.

بعد مقتل السلطان أبي سالم بدأت مرحلة ثانية في سياسة الهنتاتي، وهي اقتسام النّفوذ مع الحكومة المركزية، أولاً بتفاهم مع الوزير عمر بن عبد الله الياباني المستبد بالسلطان المعتوه تاشفين بن أبي الحسن (762 - 763)، ثم بأبي زيان محمد بن عبد الرحمن بن أبي الحسن (763 - 767). وواجه عداء شيوخ بني مرين بسبب ذلك، بينما احتفظ الهنتاتي لديه بالأمير المنافس أبي الفضل ابن أبي سالم ليخفّف من ضغط الشيوخ على الوزير، وهذا ما حدث عند حصارهم البلد الجديد بفاس (الحي السلطاني)، حيث زحف عامر الهنتاتي بقواته ومعه الأمير أبو الفضل نحو فاس، فتمكن الوزير من السيطرة على الوضع باستدعاء الأمير أبي زيان المذكور للسلطنة، وتراجع منافسوه نحو سجلماسة مستقلين بها خلال سنتي 763 / 764، وعقد الوزير مع الهنتاتي حلفاً ومقاسمة للمغرب لمواجهة التمرد في سجلماسة. أي أن المغرب أصبح في هذا الوقت موزعاً بين ثلاث قوى سياسية : قوة السلطة المركزية بفاس حيث يستبد الوزير عمر بسلطانه أبي زيان، وقوة الهنتاتي في مراكش والجنوب الغربي حيث يستبد بدوره بالأمير أبي الفضل المموّه بإمارته، وقوة إمارة سجلماسة بقيادة الأمير عبد الحليم ثم أخيه عبد المومن ابني الأمير عمر الذي سبق أن تمرد على أبيه السلطان أبي سعيد حوالي سنة 720، ثم على أخيه السلطان أبي الحسن في أوائل الثلاثينيات. غير أن هذه الإمارة لم تستمر طويلا بسبب النزاع بين الأخوين وأحلاف كل منهما، فلجأ الأمير عبد المومن إلى الهنتاتي، فأمسكه ليستعمله ورقة ضغط أخرى على حكومة فاس.

وظل عمر الياباني يحاول في فاس استمالة أو إخضاع الهنتاتي، خصوصاً وأن منطقته أصبحت ملجأ للمرينيين الغاضبين على الوزير، فإنهم حاولوا دفع الهنتاتي لنقل البيعة من أبي الفضل الذي يرتاح إليه الوزير عمر نسبياً إلى الأمير عبد المومن الذي يميل إليه مشايخ بني مرين. وكان لهؤلاء علاقة بحركة تمرّد أخرى حدثت في دبدو وأصبحت تهدد فاسا من الجهة الشرقية. فلما قضى الوزير عمر على هذا التمرد شرقاً صمّم على الحركة إلى الهنتاتي سنة 767. غير أن هذا أخرج الأمير عمر من المعتقل وأوهَمَ بأنه بايعه، وذلك لكسب أشياخ بني مرين بمن فيهم من كانوا في جيش الوزير، فانعقد الصلح بين الطرفين على أن تبقى إمارة مراكش وبلاد المصامدة على ما كانت عليه تحت نفوذ الهنتاتي، ثم أعاد هذا الأمير عبد المؤمن إلى معتقله وأبقى أبا الفضل في الإمارة مستبداً به. وتكررت هذه المناورة مرة أخرى في بداية سلطنة أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن (767 - 774)، فلما تمكّن هذا من اغتيال الوزير عمر (في رمضان 768) واستعاد كامل سلطته، أراد أمير مراكش أبو الفضل أن يفعل نفس الشيء مع وزيره الهنتاتي، فقتل منافسه عبد المومن في معتقله، بينما تمكن الهنتاتي من ترك مراكش إلى جبل هنتاتة، وتظاهر بالتبعية للسلطان أبي فارس ووعده بالدعم ضد أبي الفضل. فلما تمكن أبو فارس من القضاء على أبي الفضل في جبال تادلا، ودخول مراكش، جاهر الهنتاتي بالعصيان، ونصب للإمارة بمنطقته أحد أمراء بني مرين ؛ وفشل عامل مراكش من قِبَل أبي فارس في حصار الهنتاتي بجبله في الوقت الذي كان أبو فارس يتهيأ للحركة نحو تلمسان المدعمة للهنتاتي ؛ فاضطر إلى توجيه كافة قواته نحو جبل هنتاتة سنة 770، ودام حصار الجبل سنة كاملة، واستولى على حصونه الواحد تلو الآخر، وانفض عن الهنتاتي معسكره تدريجياً، ثم قَبض عليه فاراً نحو السوس، وتم الاستيلاء على جبل هنتاتة في رمضان 771، وقتل الهنتاتي بعدما عرضت عليه رسائله إلى سلطان تلمسان مستنجداً به، بحيث وصل هذا في غارة له حتى أحواز مكناسة. لهذا قام أبو فارس في السنة اللاحقة 772 بالقضاء على الإمارة الزيانية بفتح تلمسان التي استقر بها إلى وفاته 774.

إلا أن وحدة البلاد لم تستمر بعد أبي فارس فقد عاد الانقسام بظهور إمارة مرينية جديدة في مراكش والجنوب وجدت تأييداً من هنتاتة ومن إمارة تلمسان التي عادت إلى الظهور، وكذا من الإمارة النصرية في جنوب الأندلس. وسيظل الجنوب المغربي موطن حركات التمرد إلى ظهور الدولة السعدية في مطلع القرن العاشر (16) انطلاقاً من المنطقة.

ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، القاهرة، 1977 ؛ *نفاضة الجراب* ؛ المقري، *نفح الطيب*، بيروت، 1968 ؛ *أزهار الرياض*، المحمدية، 1978 ؛ أحمد عزاوي، *الغرب الإسلامي* ؛ *معلمة المغرب*.

أحمد عزاوي

**الهند والمغرب**، منذ حصولها على الاستقلال، وضعت دولة الهند مجموعة من المبادئ المؤسسة لسياستها الخارجية من أهمها مساندة ودعم حركات التحرير الوطنية في الدول المستعمرة على اعتبار أنها هي نفسها عانت مرارة الاستعمار الغربي في أبشع صوره، وأنه من شأن ذلك السند

التأسيس لصداقات بين شعب الهند وشعوب إفريقيا، وهي في الحقيقة صداقات قديمة ومستديمة. وقد كان طبيعيا أن تولي حكومات نيودلهي أهمية متميزة للتطورات الطارئة في شمال إفريقيا بالنظر لمضاعفاتها على موازين القوى بين الكتلتين وعلى الوضع الهش في الشرق الأوسط. وعليه، ساهمت البعثة الهندية في نيويورك في الدفع بالملف المغربي للمناقشة أمام اللجن المختلفة، وأعرب مبعوث الهند في الأمم المتحدة في مداخلته بتاريخ 21 غشت 1953 عن موقف بلاده من نفي السلطان الشرعي واعتبر الحدث تهديدا للسلام العالمي، وطالب بالإسراع إلى إيجاد حل بمعية فرنسا يهيئ المغرب للحصول على استقلاله. وظل هذا الموقف ثابتا حيث جدد التعبير عنه خلال مؤتمر باندونغ الذي يعتبر بحق المنصة التي عبرت فيها الدبلوماسية الهندية رسميا وبشكل واضح عن إرادتها في المشاركة في تحقيق بعض التوازن بين العملاقين واتباع سياسية الحياد الإيجابي ودعم استقلال الدول الإفريقية.

ومن جهتهم، لم يجد الوطنيون المغاربة صعوبة في ربط صداقات مباشرة مع السياسيين الهنود العاملين في المنظمات الدولية وفي العواصم العربية. فالمغاربة لهم معرفة قديمة ببلاد الهند - رحلة بن بطوطة -، كما أنهم كانوا شديدي الإعجاب بالنموذج الهندي في الحصول على الاستقلال، فالتجربة تميزت بالواقعية والتعقل، أساسا لأنها تمت تحت قيادة مكونة من شطرين، واحد كاريزمائي عماده حكمة المهاتما غاندي، والثاني سياسي مثله حزب المؤتمر بقيادة جواهر لال نهرو.

وحين حصول المغرب على استقلاله، كانت كل المؤشرات تدل على أن العلاقات مع الهند ستكون من دون شك نموذجا للتعاون والتفاهم بين بلدين يربط بينهما أكثر من عنصر وئام. فهما فضلا عن الانتماء للعالم الثالث واحتلالهما لمكانة متميزة داخل كتلة عدم الانحياز واعتماد كليهما سياسة خارجية محايدة بشكل إيجابي وسعيهما إلى حل المشاكل الدولية عن طريق التوافق، يشتركان في الرغبة في تجاوز مخلفات الاستعمار ونهج سياسات تنموية تصبو إلى تحقيق التقدم والانسجام بين المكونات البشرية المختلفة. إلا أن ما حصل فعليا لم يكن في مستوى التطلعات، أولا لأن أجندة الدبلوماسية المغربية وضعت في أولياتها تطبيع العلاقات مع الدول الشقيقة العربية والإسلامية، ومن ثمة ربطت علاقات متميزة مع جمهورية باكستان الإسلامية، وهو ما أثر سلبا على تطور العلاقات مع الهند. فملك المغرب استقبل أول سفير للهند سنة بعد استقباله لنظيره الباكستاني. وثانيا لأن المغرب ظل ينظر بكثير من الريبة إلى العلاقات المتميزة بين الهند ومصر الناصرية، فالبلدان طورا علاقات متميزة مع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية وهو ما كانت تعتبره الرباط خطرا على التوازنات داخل إفريقيا والشرق الأوسط.

وقد كان لهذه الاعتبارات أثر كبير في الحد من تطور العلاقات بين المغرب والهند في الاتجاه الصحيح، بل إنها ساءت في العديد من المناسبات. ففي سنة 1969 بمناسبة انعقاد أول مؤتمر إسلامي - عقب حادثة إحراق المسجد الأقصى بالقدس - استدعت الحكومة المغربية الجمهورية الهندية للمشاركة على اعتبار أنها بلد يضم ما لا يقل عن مائة مليون مسلم. وحين وصول الوفد الهندي إلى قاعة المؤتمر أخبر بأن رئاسة الجلسة لا ترغب في مشاركته لأن باكستان تعارض ذلك. وقد اعتبرت الهند الحدث إهانة أخلاقية فقامت باستدعاء سفيرها في الرباط. وفي سنة 1971 أثناء الحرب الهندية الباكستانية، وقف المغرب إلى جانب الباكستان باسم واجب تقديم الدعم والسند لبلد إسلامي في حربه ضد بلد آخر غير إسلامي. وتدهورت العلاقات في مناسبة أخرى سنة 1979 حيث صرح سفير المغرب بنيودلهي - عبد الحق السعداني - بأن دولة الهند تضطهد مواطنيها المسلمين، وهو ما اعتبرته حكومة الهند افتراء وتدخلا في شؤونها الداخلية.

وقد كان لجميع هذه الوقائع أثر كبير في الدفع بالهند إلى اتخاذ موقف معاد للمغرب في موضوع وحدته الترابية. فانسجاما مع موقفها المبدئي في شأن القضايا الإقليمية التي يقترح أحد أطرافها المباشرين الاحتكام لمبدأ تقرير المصير، أعربت الهند في مناسبات عديدة عن مساندتها لنضال الشعب الصحراوي وشجبها لسياسة الأمر الواقع المتبعة من لدن المغرب. وقد سعى المغرب إلى شرح موقفه للحكومة - زيارة المعطي بوعبيد سنة 1976 كمبعوث خاص لعرض جوهر المشكل، وكذلك زيارات خاصة للعديد من الشخصيات المغربية -، إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل إذ أقدمت حكومة راجيف غاندي سنة 1985 على الاعتراف بالجمهورية الصحراوية العربية الديموقراطية، وهو ما اعتبرته الحكومة المغربية تطورا خطيرا من شأنه فضلا عن إضعاف الموقف المغربي، فتح المجال أمام دول أخرى في آسيا وأمريكا اللاتينية لتحدي ما يعتبره المغرب مسألة غير قابلة للمساومة والتفريط. وكرد فعل فوري، أعلنت الحكومة المغربية عن قرار قطع العلاقات الدبلوماسية مع الهند، وهو وضع استمر إلى سنة 1988 حيث اتفق البلدان على العودة إلى الوضع العادي. وقد وجب انتظار يونيو 2000 لتقدم الحكومة الهندية على سحب اعترافها بالجمهورية الصحراوية. ومنذئذ، تبادل الطرفان زيارات رسمية على أعلى مستوى للتأكيد على رغبتهما بتجاوز عقد الماضي والتأسيس لعلاقات صداقة وتعاون متينة، وهو ما ترجم على أرض الواقع في شكل اتفاقيات متنوعة مست جميع مجالات التعاون والاستثمار.

وقد عرفت العلاقات الهندية المغربية تطورا إيجابيا ملحوظا منذ سنة 2000 . وتعود أسباب الوضع الجديد إلى

رغبة البلدين في تطوير علاقاتهما الاقتصادية. فالمغرب وجد في الهند زبونا واعدا خاصة فيما يتعلق بالمواد الكيماوية ـ مجموعة من الاتفاقيات بين المكتب الشريف للفوسفاط وشركات هندية كبرى ـ. وفي المقابل، تدل مؤشرات عديدة على أن الهند ترغب في الاستفادة من اتفاقيات التجارة الحرة بين المغرب والولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوربي وذلك عبر الاستثمار قصد التصدير مباشرة إلى شركاء المغرب. ويمكن الجزم بأن آفاق التعاون الاقتصادي بين البلدين واسعة بدليل اختيار بعض الشركات الهندية الكبرى تحويل جزء من رساميلها للاستثمار الثقيل في المغرب.

وتجدر الإشارة إلى أنه توجد بالمغرب جالية هندية مهمة. فمنذ السنوات الأولى للحماية، حلت بالمملكة مجموعات من التجار الهنود استقروا بأهم المدن ـ الدار البيضاء والرباط وطنجة وتطوان... ـ وتخصصوا في تجارة المواد الاستهلاكية والصرف. وخلال السنوات الأولى للاستقلال لعبوا أدوارا اقتصادية مهمة خاصة بعد رحيل التجار اليهود المغاربة.

وفيما يخص المبادلات الثقافية بين المغرب والهند، فهي إجمالا ضعيفة ؛ فالاتفاقيات المنظمة لهذا التعاون ـ اتفاقية 12 يناير 1981 واتفاقية 10 ديسمبر 1979 واتفاقية 29 فبراير 2001 ـ لا توفر إطارات واعدة للتعاون والتبادل العلمي. ويستوجب التذكير باستئناس الجمهور المغربي بالسينما الهندية، فهي تعتبر أحد أهم مصادر معرفة الشعب المغربي بواقع نظيره الهندي.

ويجمع جل المهتمين بالعلاقات المغربية الهندية على جدوى الرفع من حجم وقيمة المبادلات التجارية بين البلدين وتفعيل قنوات التنسيق السياسي لتفادي ظهور بؤر للتوتر بين البلدين. ويتطلب تحقيق الهدفين التأصيل للعلاقات بواسطة أسانيد قانونية إضافية وتكثيف اللقاءات السياسية ـ وزارية وبرلمانية ـ والتحالفات الاقتصادية والمبادلات الطلابية والثقافية.

Kulwant Senigh, *India and the Maghreb Africa : A Study of India's Relations with Libya, Tunisia, Algeria and Morocco*, New Delhi, Bahri Publications, 1993.

حنان السقاط

**هنية** (ابن –) **محمد العماري** من شيوخ طرب الملحون المتأخرين بمكناس. ولد ببني عمار بضاحية زرهون عام 1922 ، ونشأ في أسرة ربها فلاح كان مولعا بإنشاد القصائد والسرابات وعزف الكمنجة.

ولع الفتى بالملحون وعندما اشتد عوده أخذ يتردد على مدينة فاس، فكان يقصد مجلس التاجر مولاي علي التبر، حيث يجمع شيوخ الفن وفيهم من الحفاظ والمنشدين المعلم سلام الحياضي، والمعلم الوالي الذي كان يكرح ويضرب على التعريجة، كما كان فيهم من كبار الأشياخ يومئذ العيساوي الفلوس، والغالي الدمناتي.

وقد زار مدينة مكناس وهو في مقتبل العمر. ولعله استقر بها في أواخر الثلاثينيات، يدل على ذلك أن اسمه مقيد في سجل تلامذة "مدرسة الآلة" في هذه الفترة، ومقرها يومئذ بدار الجامعي. وباستقراره بمكناس أخذ يجالس شيوخ الملحون بها وينهل من معارفهم، وكان فيهم شيخ زجالي المدينة في بدايات القرن العشرين دون منازع بنعيسى الدراز، وآخرون أمثال المعلم برطال عازف الكنبري، والمعلم بوبكر، والحاج المحجوب أحد حفاظ أزجال الطائفة العيساوية. وعن هؤلاء تلقى المترجم أصول الفن، وأصبح يجيد العزف على الكمنجة.

وفي بداية العقد الخامس من القرن العشرين وفق ابن هنية إلى تشكيل أول "جوق" للملحون بمكناس، وعمل تحت إشراف الإذاعة الوطنية في بحر عام 1957 على تسجيل مجموعة من القصائد بأصوات نخبة من أبناء المدينة، وكانت تلك مناسبة لاكتشاف صوت الفنان الراحل الحاج الحسين التولالي.

وقد واصل المترجم نشاطه الفني كعازف على الكمنجة في حظيرة جوق الملحون حتى بعد أن آلت رئاسته إلى الحاج الحسين التولالي.

توفي بمكناس في شهر غشت 1992.

*بطاقة خاصة.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**هوتان جورج** Georges Hutin، ولد بمدينة باريس يوم 8 مارس سنة 1899. درس في المدرسة الابتدائية العليا توركو، ثم انتقل إلى الدار البيضاء سنة 1916 ، فولج المدرسة التطبيقية التي أنشئت من أجل تكوين المعلمين خلال الحرب. دخل إلى إدارة الحماية في الرباط سنة 1918 ، وفيها قضى مدة طويلة من حياته المهنية، إلى درجة "أن التذكير بمشواره الإداري قد يتحول إلى كتابة لفصل من تاريخ المقيمين العامين الذين تعاقبوا على المغرب منذ الماريشال ليوطي إلى الجنرال نوكيس، والذين خدمهم دائما بإخلاص". فقد جعله الجنرال ليوطي سكرتيره الخاص، ثم عين في منصب مساعد رؤساء دواوين مختلف المقيمين العامين الذين تعاقبوا على

المغرب (ستيك ثم لوسيان سان ثم بونسو ثم نوكيس)، قبل أن يتولى في عهد نوكيس رئاسة سكرتاريته الخاصة إضافة إلى رئاسة مكتب الإدارة المركزية في الرباط. وفي ما بين 1940 و1943، شغل منصب مدير مكتب المغرب في باريس، ثم عين سنة 1944 نائب والي فوندوم Vendôme ثم سكرتيرا عاما لعمالة لوار - إي - شير Loir-et-Cher ونائب والي فالونسيان Valenciennes ووالي اللاند Les Landes. ووضع سنة 1946 تحت تصرف والي منطقة السينLa Seine الذي عينه مديرا لديوانه. ثم عين سكرتيرا عاما لعمالة السين، قبل أن تكلفه الحكومة بهذه المسؤولية بصفة مؤقتة إثر وفاة صاحبها Verlhomme في يوليوز 1950. وعين في أكتوبر الموالي واليا على مقاطعة الألب البحرية Les Alpes Maritimes، وبهذه الصفة كان يترأس مجلسها الأعلى. وعاد إلى إدارة الحماية بالمغرب من جديد بإلحاح من الجنرال گيوم المقيم العام، حيث أسند إليه مجلس الوزراء الفرنسي يوم 19 أكتوبر 1951 الكتابة العامة للحماية. وقد ظل في هذا المنصب السامي إلى أواخر يوليوز 1954، وعرف عنه موقفه من خلع السلطان ابن يوسف، حيث أعلن معارضته الصريحة لهذه العملية، لما يترتب عليها من عواقب سيئة على فرنسا، ولعل قصر إدارة المنصب الذي شغله في الأخير بالمغرب دليل على ما وقع من خلاف بينه وبين باقي المسؤولين الفرنسيين بالمغرب والمتروبول في شأن علاج ما عرف في أواخر عهد الحماية بـ "الأزمة المغربية".

تميز هذا الرجل بمواقفه الشاذة عن مواقف باقي موظفي الإدارة الاستعمارية من عدد من القضايا الوطنية المغربية. وفي هذا الصدد، تحدثت بعض الأوساط الاشتراكية الفرنسية عن تغلغل الفكر الفاشستي والرجعي في حاشية نوكيس، مع استثناء هوتان "الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه"، وأكد شارل - أندري جوليان أنه كان الموظف السامي الوحيد الذي أعلن بوضوح معارضته لخلع السلطان، لما يترتب عليه من تأليب السكان المغاربة على فرنسا، في الوقت الذي ظل أغلبهم سلبيين لحد الساعة. ولذلك، كان عرضة لانتقاد بعض الأوساط الفرنسية المتطرفة وسخريتها، كما فعلت جريدة زاديك في عددها الخامس الصادر يوم 8 أكتوبر 1954.

وبعد ذلك، أوكلت إليه عدة مناصب رسمية في فرنسا، فقد عين مستشارا تقنيا في ديوان فرانسوا ميتيران عندما تولى حقيبة الداخلية سنة 1954، قبل أن ينضم إلى ديوان أندري لو تروكي André Le Troquer رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية في بداية سنة 1956 . وسمحت له حياته المهنية بالحصول على عدد كبير من الأوسمة والميداليات، كوسام الشرف من درجة ضابط سنة 1938 وصليب الحرب الذي حازه سنة 1939 "، ولقب رفيق التحرير". إضافة إلى مهامه الإدارية، عرف هوتان باهتمامه بالشؤون الرياضية من خلال الألقاب التي في حوزته، فهو عضو مؤسس للجامعة المغربية لكرة القدم La Ligue Marocaine de Foot-Ball association ونائب رئيسها ورئيس اللجنة الجهوية لحكام المغرب، ومؤسس فريق سطاد ماروكان Stade Marocain ونائب رئيسه وعضو شرفي في الجامعة الفرنسية للكرة المستطيلة (الروكبي) وحكم تابع للجامعة الفرنسية للملاكمة وعضو المجلس الأعلى للرياضات الجامعية، دون الوقوف عند دوره في تنظيم كثير من الجولات الخاصة بسباق الدراجات والسيارات بالمغرب وإعداد البطولات بين أندية شمال إفريقيا.

Albert Ayache, *Le mouvement syndical au Maroc*, t. 1, 1919-1924, L'Harmattan, Paris, 1982, p. 165, 200 et 315 ; Stéphane Bernard, *Le conflit franco-marocain 1943-1956*, t. 1, Ed. L'Institut de sociologie de l'Université Libre de Bruxelles, 1963, p. 150 et 190 ; Hervé Bleuchot, *Les libéraux français au Maroc (1947-1955)*, Ed. de l'Université de Provence, 1973, p. 64 ; Charles-André Julien, *Le Maroc face aux impérialismes (1415-1956)*, Ed. J.A., Paris, 1978, p. 247, 251, 304, 306 et 365 ; Georges Oved, *La gauche française et le nationalisme marocain 1905-1955*, t. 2, L'Harmattan, Paris, 1984, p. 146 et 570 ; *Le Maroc Economique, Politique et Financier, n° 647*, 11-2-1956 ; *Le Courrier du Maroc*, 12-2-1938 ; *Le Petit Marocain*, 31-8-1928, 21-11-1944 et 6-2-1952 ; *La Vigie Marocaine*, 19-12-1946, 20-7-1950, 20-10-1951 et 29-7-1954 ; *Zadig*, n° 5, 8-10-1954.

نجيب تقي

ابن **هود السلوي** (الهادي، الماسي)، **محمد** بن عبد الله بن هود حسب *البيان المغرب* لابن عذاري و*العبر* لابن خلدون، أو هو محمد بن هود بن عبد الله حسب *القرطاس* لابن أبي زرع، وسماه البيذق عمر بن الخياط وذكر أن لقبه بويكندي. كان أول من ثار على الموحدين بعد تغلبهم على المرابطين بفتح مراكش في الربع الأخير من سنة 541.

فيما يتعلق بمسألة الاسم، يظهر أنه محمد بن عبد الله كما في *البيان* و*العبر* لأنه تلقب بالهادي، والعادة أن من يتصف بالهداية أو المهدوية يكون اسمه كاسم الرسول (ص) واسم أبيه ؛ أما الاسم الذي ذكره البيذق فيخلق إشكالا، فقد يكون اسمه الأصلي عمر قبل بدء دعوته. وكان المهدي بن تومرت مثلا غير اسم أبي حفص عمر الهنتاتي بعد أن كان اسمه الأصل فاصكا قبل دخوله في دعوته.. أما اسم أبيه الخياط فيظهر أنه مجرد صفة لكونه كان دلالا في السوق، ربما سوق الخياطة خاصة وأنه كان يبيع الكنابيش (جمع كنبوش وهو غطاء للرأس مع معظم الوجه لاتقاء برد الصباح حسب دوزي في *ملحقه*) إذا صحت الرواية الموحدية التي تعمل عادة على التقليل من شأن الثوار اجتماعيا، فتجعلهم دائما من السوقة والغوغاء... ووصفت هذه الرواية ابنه الماسي بأنه كان قصارا ببحر سلا أي يتكسب بغسل الثياب.

جعلت بعض المصادر ثورة ابن هود بعد فتح مراكش، وذكر صاحب *القرطاس* أنه حضر مع عبد المومن فتح مراكش وبايعه ثم خرج ثائراً عليه ؛ وانتشرت دعوته في مجال أرض كزولة خاصة ووصلت شرقا إلى سجلماسة، وامتدت من ماسة شمالا حتى سلا أي بين عصبية مصامدة السهول، التي خرجت عن طاعة الموحدين الذين تدعمهم عصبية مصامدة

الجبال. وكان مركز الثورة رباط ماسة الشهير منذ القرن الثالث على الأقل حيث ذكر اليعقوبي أهميته دينيا وتجاريا، وهذا يعني أن هذه الثورة القريبة من مركز الدولة الموحدية كانت خطيرة عليها ؛ وورد في رسالة موحدية أنه "أتته المخاطبات من بعد وكثب... فأقبل الناس المغترون به من كل مكان وقبيل إليه... فقامت بدعوته جموع لا تحصى..." في وقت اندلعت ثورات أخرى بجهات المغرب الأقصى، فجعلها ابن خلدون شاملة لأرض المغرب (أي الأقصى) عدا فاس ومراكش، واستثنى صاحب *القرطاس* من الثورة مدينة مراكش فقط أي عاصمة الموحدين. بحيث شجعت الثورة بقية المرابطين في غرناطة (من بني غانية) على محاولة إحياء دولتهم بالمغرب بقيادة والي فاس سابقا القائد المعروف بالصحراوي.

وجه الخليفة الموحدي عبد المومن فرقة عسكرية من أهل السوس بقيادة القائد المسوفي أبي زكرياء يحيى أنكمار لقتال الماسي، فعاد منهزما، ويظهر أن عبد المومن أرسل فرقة أخرى عادت بدورها منهزمة وكانت بقيادة ابن يكيت، فاضطر عبد المومن لإرسال قوات ضخمة نظامية وقبلية (فرقة المرتزقة الروم، قبائل المصامدة وغيرهم) بزعامة أشياخ الموحدين وعلى رأسهم الشيخ أبو حفص الهنتاتي كبير معاوني عبد المومن وصاحب المهام الخطيرة، وودع عبد المومن جيشه خارج مراكش رفعا لمعنوياته. وعند المواجهة مع الماسي كان أتباعه من الرجالة نحو ستين ألف راجل إضافة إلى سبعمائة من الفرسان، بينما كان مقاتلو القوات الموحدية اثني عشر ألفا نصفهم فرسان، وهذا ما يدل على اتساع دعاية الماسي، إلا أنه انهزم وقتل في المعركة ربما لنقص التنظيم على عكس ما تميزت به القوات الموحدية. ولا يبدو أن انتصار الموحدين كان سهلا، فالرواية الرسمية تتحدث عن صمود أتباع الماسي وهم يرونه صامدا في المعركة، فلما قتل واضطر الناجون من المعركة من أتباعه إلى التراجع عابرين الوداي (ماسة) - نحو رباطهم فيما يظهر -، ظلوا يقاومون حتى في هذه الحالة "وكان دخولهم في أول مدّه إلى حين ابتداء الوداي في جزره ونقصانه"، وهذا يفيد أن مدة الصمود بعد مقتل الماسي استمرت على الأقل نصف يوم أي حوالي ست ساعات وهي الفاصلة بين المد والجزر البحريين اللذين كان النهر يتأثر بهما للقرب من المصب. ومن غير المرجح أن يكون مقتل الماسي في 16 من ذي الحجة سنة 541 كما ذكرت بعض الروايات، أي بعد شهرين من فتح الموحدين لمراكش، فصاحب *القرطاس* يذكر وصول وفد إشبيلية لبيعة عبد المومن خلال سنة 542 فتأخر استقباله نحو سنة ونصف لانشغال عبد المومن بحرب الماسي، كما أن ابن الأبار في ترجمته لابن عطية الذي كتب رسالة النصر من ماسة إلى عبد المومن ذكر مقتل الماسي يوم الخميس 16 لذي الحجة سنة 542 / 6 ماي 1148، وهذا التاريخ صحيح لأن يوم الخميس (أو الجمعة) 16 من ذي الحجة يقع في سنة 542 وليس في سنة 541 (حسب جدول المطابقة الزمينة).

استفاد ابن هود من مجموعة عناصر مهمة من قدسية رباط ماسة ومسجده، ومن شيوع الفكر الشيعي بالمنطقة، إضافة إلى مجال العصبية الصنهاجية (جزولة) المعاكسة للموحدين، ثم انشغال المرابطين بالحرب الطويلة التي فرضها عليهم الموحدون، فقد اختار مكانا مقدسا هو رباط ماسة ومسجده الذي تحدث عن شهرته أحد رجال القرن الثالث، كما تحدث عنه البكري ومن بعده، وقال الحسن الوزان في القرن العاشر الهجري "يذكر عدد من المؤرخين أن المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدال حسبما أخبر به النبي [ص] سيخرج من هذا المسجد". وكان شعار ثورة ابن هود هو الهداية أي أنه قلد المهدي في اللقب، فهذا مهدي وذاك هادي بحيث استفاد من انتشار الفكر الشيعي الذي استفاد منه ابن تومرت قبله، قال ابن الخطيب عنه إنه : "رمى الموحدين بحجرهم الذي رموا به البلاد"، أي أنه استفاد من بقايا تأثير الفكر الشيعي وانتشار فكرة المهدوية بين الناس، ودعا إلى دعوته الإصلاحية البسيطة والبعيدة عن تعقيدات المذهب الموحدي العنيف، ولكننا نجهل هذه المبادئ ربما لكون الموحدين لم يتركوا أي أثر لأعدائهم، وما ركزت عليه الرواية الموحدية الرسمية أنه كان يتظاهر بالزهد في رباط ماسة : "ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الأعوام، واشتغل على زعمه بالقيام والصيام"، واستمال الناس بخزعبلاته، واستهوى القلوب بمؤهلاته..."، وأنه كان يدعي "أنه بُشِّرَ بأن المنية في هذه الأعوام لا تصيبه، والنوائب لا تنوبه، ويقول في سواه قولا كثيرا، ويختلق على الله تعالى إفكا وزورا" !. أما عنصر الدعم القبلي للثورة فيشمل العصبية المصمودية غير الجبلية (الشريط من حاحة إلى سلا)، والعصبية الصنهاجية خاصة من جزولة التي كان معظم الأطلس الصغير وحواشيه مجالا لها حتى إن ابن سعيد سماه جبل جزولة، وأكد البيذق هذا بالإشارة إلى كون الثورة في كزولة "فارتد معهم حاحة... ركراكة، هزميرة، هسكورة الوطا...". ويستبعد أن يكون ما ذكرته المصادر التاريخية من كون الماسي ثار على الموحدين بعد فتح مراكش، لقصر مدة نشر دعايته، بل إن رسالة النصر المشار إليها سابقا تذكر لجوء ابن هود إلى رباط ماسة متعبدا أو مظهرا الزهد منذ سنوات "ارتسم الانقطاع عن الناس [زهدا] فيما سلف من الأعوام"، وهذا يعني أنه استفاد من انشغال المرابطين بالحرب الطويلة التي فرضها عليهم الموحدون، والتي امتدت زمنيا بين سنتي 534 و541 وجغرافيا من بلاد المصامدة إلى بلاد غمارة شمالا ثم إلى منطقتي تلمسان ووهران، أي إخضاع القبائل الجبلية، ثم العودة من وهران لفتح المدن التي كانت مراكش آخرها.

ويظهر أن هناك تناقضات في الرواية الموحدية، التي انتقلت إلى المصادر المرينية *كالبيان والقرطاس والعبر* ومن

أخذ عنها. فبعض هذه الروايات تذكر بيعة الماسي لعبد المومن بمراكش قبل الثورة عليه، والمعروف أن المبايعين للخلفاء مباشرة لا يكونون من عامة الناس وإنما من علية القوم ووفود القبائل والمدن، ولا يجوز أن يكون ممثل مدينة سلا موطنه من وسط اجتماعي واقتصادي مغمور (مبيض الثياب). كما أن والد الماسي الذي وصفته الرواية الموحدية بكونه دلالا يبيع الكنابيش أو خياطا كما عند البيذق، فإنه عندما ثارت سلا على عامل الموحدين قدمته عاملا ونائبا عن ابنه الماسي، وظل في ولايته إلى قدوم الصحراوي المرابطي من الأندلس فقتله حيث "وجده على غير الاستقامة معهم" أي غير موال للدعوة المرابطية الجديدة. فهل يعقل أن يختار أهل سلا رجلا مغمورا ليتحمل مسؤولية بلدهم ؟. إن الرواية الموحدية غير كافية وحدها للتعريف بخصومها، فقد يكون الماسي أحد علماء عصره ومتصوفتها، وقد لا يقل أهمية عن زعيم الموحدين ابن تومرت، ولذا يبقى التساؤل مطروحا حول قيمة هذه الشخصية، وكذا عن شخصيات أخرى قادت الثورة منطلقة من نفس المجال الجغرافي أي السوس والقبلي أي جزولة، مثل أبي قصبة والقحطاني والجزولي وغيرهم.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت*، ص. 67 ؛ ابن الأبار، *إعتاب الكتاب*، دمشق، 1961 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ اليعقوبي، *كتاب البلدان* ؛ ابن سعيد المغربي، *كتاب الجغرافيا*، بيروت، 1970؛ الحميري، *الروض المعطار* ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 90، الرباط، 1980 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، ص. 146 ؛ أحمد عزاوي، *رسائل موحدية*، الدار البيضاء، 1995 ـ 2001.

أحمد عزاوي

**هوري** (الجنيرال –) Huré Antoine Jules Joseph، من أسرة أرستقراطية ـ يتوارث أفرادها العمل في الجيش ـ حتى أنّ أحد أبنائه أصبح بدوره جنيرالا. تلقى تعليمه وتكوينه العسكري في مدرسة "سان سير"، وبعد الحرب العالمية الأولى التحق بالمغرب بالضباط الملتفين حول المقيم العام "ليوطي" في القيادة العليا، وخلال 1919 عين "العقيد هوري "كرئيس لفريق الضباط المكلّفين بإخماد مقاومة تافيلالت تحت قيادة الجنيرال بويميرو Poeymirau الذي جرح خلال معارك تافيلالت. فعوضه هوري. ووجهه "ليوطي" إلى منطقة ورغة سنة 1919 ، وذلك لإنقاذ القوات الفرنسية التي حاصرها المقاومون الريفيون وأبادوا جزءاً كبيراً منها. ونودي عليه إلى فرنسا ليعود إلى المغرب سنة 1925، وليشارك في الحرب الريفية على رأس وحدة الهندسة. وبعد نهاية حرب الريف تمت ترقيته إلى رتبة جنيرال وعين قائداً للقوات في المنطقة العسكرية بمراكش.

وقد خولت له سلطات واسعة من أجل استكمال التوسع في الناحية الوسطى للأطلس الكبير والواحات مثل ورزازات ودرعة ودادس وتدغة أو ما تسميه سلطات الحماية المرحلة النهائية من الاحتلال، وقد منحه المقيم العام "لوسيان سان" Lucien Saint سلطات واسعة للقيام بهذه المهمة. وأحاط نفسه بمجموعة من الضباط اكتسبوا التجربة في الاحتلال والتوسع أمثال الجنرالين كاترو Catroux وجيرو، Giraud. أكسبته أبهة عسكرية إذ كان الضباط والجنود يخصصونه بإجلال كبير. وهي الهالة التي استمدها من مؤطره "ليوطي". وتمكن في ظرف وجيز من مدّ نفوذ فرنسا نحو مزكيطة ودرعة ودادس وتدغة ما بين 1928 و1931مستغلا تراجع نفوذ باشا مراكش "الگلاوي" في هذه المناطق، كما عمل على إخماد مقاومة آيت عطا بجبل صاغرو بقيادة عسو وبسلام حيث أقام مركز قيادته ببومالن دادس على مشارف "صاغرو"، وقد صادق على الخطة التي استهدفت إحكام الحصار على صاغرو ما بين 28 فبراير 1933 / 19 و25 مارس 1933 لإرغام المقاومين على الاستسلام من فرط المجاعة والعطش بعد قنبلة عيون الماء وإحراق الماشية بالطيران الحربي (Le Blocus). وبذلك فتح المجال للجنرال هوري للحضور يوم 25 مارس 1933 إلى زاوية "خويا إبراهيم" لحضور مراسيم استسلام "عسو وبسلام" حسب البرقية التي توصل بها ـ في حين أن عسو وبسلام نزل للتفاوض وليس للاستسلام، ولولا حنكة المترجم "بلمدني" الذي حرّف مضمون خطاب "هوري" المشحون بالرعونة والتهديد لتحول اللقاء إلى هزيمة أخرى للضباط لو عرف عسو وبسلام بمضمون الخطاب. وقد ساعدت هذه الانتصارات على تعيينه قائداً عاماً للقوات الفرنسية بالمغرب.

وعلى إثر نهاية مقاومة صاغرو تداولت صحف الاستعمار في فرنسا والمغرب التنويه به اسم الجنيرال هوري وأطلقت عليه "رجل الباسفيكاسيون" L'homme de pacification الأول ـ وهذا ما شجعه للإشراف على إخماد مقاومة "آيت مرغاد" : بجبل "بادو" في غشت 1933. ونودي عليه ليصبح ضمن أهم الاستراتيجيين ومن علية الضباط ضمن قيادة الأركان في فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية. وأحيط بالهالة والتمجيد من طرف العسكريين.

توفي سنة 1949.

Cl. Saulay Jean, *Histoire des Goums marocains*, t. I, Publics Réalisation, Paris, 1981 ; Henri Bordeaux, *Henry de Bournazel*, Paris, 1939, Plom ; Général Catroux, *Lyautey le marocain*, Paris, 1952, Hachette ; Général Huré, *La pacification du Maroc, dernière étape 1931-1934*, Paris, 1946, René Julliard ; Lt. Colonel A. Juin, Achévement de la pacifiation de l'Atlas central, in *Revue Militaire Française, n° 163, janvier 1935* ; Colonel Belmadani, *Benhayoun*, Mémoires (indéties)

عبد القادر بوراس

**الهوزالي** أو **هوزلي** هو اسم عائلي لأسر من أصل سوسي، وجدوا الاسم في رسوم أملاك أراضيهم، حيث يرد توالي أسماء الخلف والسلف متبوعة بكلمة الهوزالات. والقاسم المشترك بين المنتسبين لهذا الاسم هو انتماؤهم إلى أسر فقهاء من قبيلة "إندوزال". كما أطلق الاسم تاريخيا على بعض الأدباء والكتاب والشعراء الذين برزوا في عهد الدولة السعدية وعملوا في بلاطها ككتاب وأمناء، والمؤكد

أن هذا الاسم هو اسم نسب إلى قبيلتين بسوس الأولى تعرف بإندوزال (بضم الدال) وهي الأصل تقيم بالجبال الشمالية للأطلس الصغير بدائرة إغرم جنوب تارودانت تحيط بها قبائل اكطيوة شمالا وإداوزكري وسندالة غربا وإداوكنسوس جنوبا وإداونظيف شرقا وهذه الأخيرة تفصلها عن قبيلة متفرعة عنها انداوزال (بفتح الدال) انتقلت بعد ارتفاع الكثافة البشرية بموطنها الأصلي إلى مجال رعوي أوسع يتكون من تلال تكسوها غابات شجر الأركان. احترفت الرعي بالإضافة إلى زراعة بورية للحبوب وبعض أشجار اللوز والتين الشوكي. أما قبيلة إندوزال الأم فإنها تستقر بمناطق رطبة نسبيا لارتفاع جبالها وتساقط بعض الثلوج، تمارس زراعة مسقية بقعور الأودية والأحواض حيث تتوفر إمكانية السقي وزراعة بورية ببعض المنحدرات والمحدبات. والمعروف لدى الباحثين أن هذه التسمية مستمدة من أوزَّال أي الحديد، ذلك أن هؤلاء السكان كانوا يهتمون بحرف صهر المعادن خاصة معدن الحديد المؤكسد طبيعيا والذي يسهل صهره وقطعه والموجود في بعض الشقوق على شكل طبقات رقيقة غالبا، توجد مناجم تاريخية له بتيزي وانوس وتيزي فوكان بدائرة إغرم، يصهرون صخوره في أفران تعمل بالفحم الخشبي تتعرض لتهوية قوية بالريح، وقد وصفها بعض الباحثين الأروبيين الذين شاهدوها في العقد الثاني من القرن (20)، يصنعون منه أدوات حديدية خاصة الخناجر وأدوات الفلاحة، كما يهتمون بصهر وتصنيع أدوات نحاسية، فيكون معنى التسمية إندوزال هي أهل الحديد.

إن الشيء اللافت للانتباه هو كيف ينسب بعض الأفراد إلى القبيلة أو القبيلتين باسم الأوزالي أو إندوزالي بينما ينتسب إليها آخرون باسم الهوزالي بإضافة الهاء كأداة تعريف بدل الألف واللام، وهذه ظاهرة تتكرر لدى كثير من القبائل بسوس والأطلس الكبير من هسكورة التي تنسب إلى قبيلة إسكورن أو هنتاتة بدل إنتاتن. لقد ذكر بعض الباحثين أن العرب في اليمن تستبدل أداة التعريف "أل" بالهاء، إلا أنه لم تكن أي علاقة معروفة لهذه القبائل الأمازيغية الجبلية باليمن ولا بالمهاجرين العرب، كما يذكر بعضهم أن الهوزالي هي تعريب للأوزالي، لكن ما الدافع إلى ذلك ؟. بناء على هذا الالتباس يرجح بعض الباحثين أن مصدر الهاء هو أثر اليهود ولغتهم العبرية إذ كان لهم وجود قوي بهذه القبيلة مازالت تشهد عليه بقايا قراهم وأسماء الأماكن وأسماء الأشخاص : يوسف، يعقوب، داود، إسحاق... والأساطير... حتى ليقال إن اليهود هم من أدخل صناعة التعدين وصهر المعادن إلى سوس منذ أيام الفنيقين وكذلك أيام الرومان. فقد مثل اليهود استمرارا لتوافد الفنيقيين والقرطاجيين الذين انطلقوا جميعا من نفس المنطقة الجغرافية وهي الساحل الشامي : سوريا، لبنان، فلسطين، وقد كان اليهود بمثابة تجار الأمبراطورية الرومانية خاصة بشمال إفريقيا. لكن فقهاء وكتاب سوس القدامى ينكرون أثر اليهود عليهم بفعل تأثير الثقافة الإسلامية والوضع الاجتماعي الذي يعتبر اليهود ذميين يدفعون الجزية.

*بحث سوسيولوجي وجغرافي، أفكار من دوريات قديمة.*

Hespéris-Tamuda ; Les Archives Berbères ; Les Archives du Maroc.

أحمد هوزالي

**الهوزالي، أحمد** بن **يحيى**، قائد قواد ولي العهد أبي عبد الله محمد المامون ابن السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (986 . 1012 / 1578 . 1603). مهر في ميداني النظم والنثر، فمن شعره في مدح السلطان المنصور القصيدة السينية التي مطلعها :

يا صاحبيّ مهلا عليّ وعرجا    وخذا معي بأعنة الأفراس

كما عرف بقصائده المولدية. كان معاصرا لأكبر أدباء وعلماء عصره أمثال أبي العباس أحمد بن علي المنجور (ت. 995)، وأبي العباس أحمد بن قاسم القدومي (ت. 992) وغيرهما. أوفده السلطان صحبة القائد أحمد بن ودة العمراني إلى الآستانة، وذلك من أجل إصلاح سوء التفاهم السابق مع السلطان العثماني مراد وذلك سنة 989 حيث برهن المترجم عن لباقته وحسن تصرفه.

توفي بفاس سنة 994 / 1586.

ابن القاضي، *الجذوة*، 1 : 159 ؛ *درة الحجال*، 1 : 156 ؛ *المنتقى المقصور*، 1 : 243، تح. م. رزوق ؛ الناصري، *الاستقصا*، 5 : 95 . 97 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 237 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام*، 3 : 158 ؛ ع. بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، 5 : 200 . 202 ؛ محمد حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، 2 : 944 ؛ *ألف سنة من الوفيات*، 320 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في سوس*، 23 ؛ *سوس العالمة*، 147 . 161.

**الهوزالي، سعيد** بن **علي** بن مسعود السوسي، العلامة الفقيه، أحد أفراد الأسرة الهوزالية. ولد سنة 913 حلاه محمد المختار السوسي بـ "علامة فائق متفنن. عالي الشأن في علمه وتدريسه وفي شهرته". أخذ عن علماء بارزين أمثال أبي القاسم بن عمر التفنوتي السوسي المعروف بالشيخ (ت. 953)، وأبي عبد الله محمد بن مهدي الغازي (ت. 979)، وأبي عثمان سعيد بن عبد الله التميلي (ت. 1003) وغيرهم. اشتغل بالتدريس، حيث أخذ عنه عدد من العلماء أمثال عبد الرحمان التامنارتي (ت. 1060 / 1650) مؤلف *الفوائد الجمة*، الذي نوه بمجالس علمه التي كان يتخللها توظيف المستملحات والنكت. ومن الكتب التي قرأها عليه مختصر *خليل* وألفية *ابن مالك والعلوم الفاخرة* للثعالبي وغيرها.

وممن أخذ عنه أيضا عمه أحمد بن مسعود الهوزالي (ت. 1030) الفقيه النوازلي القاضي.

انخرط المترجم في سلك القضاء بتارودانت لعدة سنوات،

غير أنه ندم على ذلك في آخر حياته، ومن المزايا التي وصف بها استشارته لغيره من العلماء في القضايا التي تحتاج لذلك، مثل قضية التعامل ببيع الثنيا وغيرها.

توفي بتارودانت ليلة الاثنين 10 صفر 1001 / 1593.

ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 299 ـ 300 ؛ الحضيكي، *الطبقات*، ج 2 ؛ التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 100 ـ 108، تح. اليزيد الراضي، ط 1، 1999 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 10 : 147، 8 : 522 ـ 525 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 47 ـ 51، سوس العالمة، ص. 185، *رجالات العلم العربي في سوس*، ص. 48 ؛ محمد حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، 3 : 1064 ـ 1065 ؛ أ. البوزيدي، *معلمة*، 8: 2493 ؛ ابن سودة، *الدليل*، 2 : 288.

المكي مربي

**الهوزالي، علي** ، الكاتب البارع الفقيه، أحد كتاب الإنشاء بباب ولي العهد بالحضرة الفاسية، من أهل سوس، وبيتهم بيت صلاح ودين، يقول المقري : "لقيته بالحضرة الفاسية حماها الله، وأنشدني كثيراً من نظمه في الموسم الميلادي وغيره، وكتبت عنه كثيراً من ذلك".

وقد أورد المقري في *روضته* مجموعة من أشعاره في مدح الرسول عليه السلام، وفي مدح ولي العهد الأمير المأمون السعدي، وبعض غزلياته، كما يشير إلى أن له مشاركة في العلوم والبيان والنحو وغيرها. كان حيا سنة 1012.

من شيوخه القاضي الحميدي والإمام المنجور وأبو القاسم الغساني وغيرهم.

المقري، *روض الآس*، ص. 99 ـ 108.

**الهوزالي، محمد** بن **علي** من شعراء السلطان أحمد المنصور السعدي، يعرف بالنابغة، تحدث عنه الفشتالي في *مناهل الصفا* أكثر من مرة، فهو من جلساء السلطان أحمد المنصور ومن شعرائه المقدمين، بل كان يلقب بشاعر الدولة، نعته ابن القاضي في *درة الحجال*، 2 : 233 بـ : "الأديب الناظم الناثر، نابغة زمانه"، وتذكر المصادر أنه أخذ عن أبي العباس المنجور وغيره من علماء الفترة، أغلب شعره في مدح المنصور وفي الإشادة بشخصه في مناسبات مختلفة، وله قصائد في التهنئة بانتصارات المغاربة في معركة وادي المخازن وفي فتح السودان، كما أن له قصائد مولدية كان يشارك بها في الاحتفال بمولد الرسول عليه السلام أورد بعضها الفشتالي في *مناهل الصفا*.

والهوزالي هو قاضي الحضرة المحمدية (تارودانت)، وأحد المفتين الذين اشتهر أمرهم ونالوا الحظوة في مراكش وفي المناطق السوسية.

أشعاره موزعة في *مناهل الصفا* للفشتالي وفي *المنتقى المقصور* لابن القاضي وفي *نزهة الحادي* لليفرني، منها في مدح المنصور بعد فتح السودان :

لئن أسلمت أرض الجنوب مقادها ... فعن كثب تلقي مقاليدها مصر
وتزور زوراء العــراق فتهتـدي ... إليكم، وأعناق العدى خضع صغر
وتخفق بالوادي المقـدس رايــة ... عليك، وتهوي فيه ألويـة حمـر

قال المقري في *روضة الآس* ص. 70 : "انفرد هذا الرجل بمعرفة *كتاب المتنبي* على ما أخبرت به، وله *شرح المتنبي*"، كما أشار إليه الأستاذ حجي في *الحركة الفكرية*، 2 : 408 : "شارح *ديوان المتنبي*، وهو مخطوط بسوس"، إلا أن التوصل إلى هذا الشرح متعذر.

وعلى الرغم من مكانته وشهرته، فلم تكن ترجمته في مصادر العصر وغيرها كافية لاستخلاص ترجمة وافية له، سواء تعلق الأمر بنشأته ودراسته أو بقضائه وفتواه في المحمدية أو بفترة إقامته في مراكش، وكذلك فيما يتعلق بوفاته.

توفي عام 1012.

الفشتالي، *مناهل الصفا* ، تح. عبد الله گنون في مواضع متفرقة ؛ ابن القاضي، *المنتقى المقصور*، تح. رزوق، 2 : 629 ـ 673 ؛ *درة الحجال*، 2 : 233 ؛ اليفراني، *نزهة الحادي*، تح. الشاذلي، ص. 152 ـ 201 ؛ التمنارتي، *الفوائد الجمة*، ص. 40 ؛ الحضيگي، *طبقات*، 2 : 47 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 182.

نجاة المريني

**الهوزالي، محمد** بن **علي** من العلماء المتخرجين بالزاوية الناصرية بتمگروت وعرف بمشاركته في مختلف الفنون وبتصرفه وبيد اغوجيته في التدريس حيث كان يستعين بالأمازيغية لتحصيل الفهم والهدف. ومثال ذلك ترجمته مختصر *خليل* إلى السوسية. وتخرج به طلاب كثيرون.

توفي سنة 1162.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم بسوس*، ص. 75.

محمد ماگامان

**هوشي مين، محمد** بن **المكي** أحد الوجوه الوطنية التي اشتهرت في الدا البيضاء بدءا من كريان سنطرال وانتهاء بدرب بوشنتوف. وكان يحمل عدة أسماء مستعارة مثل "غاندي" و"لعروبي" و"بولحية" وبالأخص "هوشي مين". والسبب في لقبه الأخير وجود بعض الشبه بينه وبين زعيم الثورة التحريرية في الفيتنام من حيث الالتحاء وضيق العينين. ولد بأحد دواوير أولاد فرج (دكالة) سنة 1924 أو 1925. لا نعلم شيئا عن ظروف هجرته إلى الدار البيضاء، ولكنه استقر في كريان سنطرال واشتغل في معمل كوزيما. وانخرط في صفوف حزب الاستقلال، بل وصار من أنشط عناصره في الحي الصفيحي ومعمل السكر. وكان نشاطه سببا في طرده من الشركة، مع عدد كبير من المؤطرين النقابيين الآخرين مثل صالح المسكيني ومولاي الحسن "لوبير" وحسن الجناتي وحسن بن الميلودي ولوطفي واعمرو السعيدي وغيرهم. انخرط في المنظمة السرية إثر نفي السلطان ابن يوسف، واشتغل في صفوفها تحت إمرة إبراهيم

الروداني. أصدرت المحكمة الدائمة للقوات المسلحة الحكم الغيابي بإعدامه مرتين، أولاهما في بداية سنة 1954 والأخرى في نهايتها. نجا من اعتقال السلطات الاستعمارية، لكنه اختطف بعد الاستقلال، ووجد ميتا بزنقة طيط مليل بين زنقة القاهرة وزنقة 23 بدرب الطلبة الشرفاء يوم السبت 2 رمضان 1375 ، في سياق الاقتتال الذي ثار بين المقاومين بعد الاستقلال.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 526558.

**هولندا والمغرب.** احتفلت المملكتان المغربية والهولندية خلال سنة 2005 بذكرى مرور أربعمائة سنة من العلاقات بين البلدين. وأقيمت بالمناسبة احتفالات متعددة هدفت إلى استحضار أهم محطات التقارب، والترسيخ للعلاقات المتميزة بين الطرفين خاصة وأنه توجد بهولندة جالية مغربية مهمة مندمجة ومؤطرة في جمعيات مدنية.

تؤكد المصادر التاريخية أن بدايات العلاقات بين البلدين تعود إلى أواخر القرن السادس عشر، حيث سعت "جماعة الإسطادوس" أو "الولايات العامة" إلى ربط علاقات تجارية ودبلوماسية مع الدولة المغربية التي كانت ما تزال تتمتع بهيبة واسعة على النطاق الدولي إثر انتصار معركة وادي المخازن. وانطلاقا من العقد الأول من القرن السابع عشر، ربطت البلدين مجموعة من المواثيق والمعاهدات هدفت إلى تطبيع العلاقات وتقنين آليات التبادل والتواصل، والتأسيس لقواعد السلم الدائمة قصد وضع حد لأعمال القرصنة (الجهاد البحري) التي كانت نشيطة في عرض السواحل المغربية. وتطرقت المفاوضات كذلك لقضايا الأسرى الهولنديين بالمغرب وتسري نظرائهم المغاربة في أروبا.

ويحتفظ الأرشيف الوطني بلاهاي بمجموعة من المراسلات المتبادلة بين المخزن المغربي وأمراء الإسطادوس، شملت قضايا متعددة كالسلم والمبادلات التجارية والدعم بالمدد العسكرية. وقد برزت في هذه الفترة المتقدمة أسرة "بلاش" اليهودية التي أسندت إليها مهام المفاوضات والسفارة (موسى واسحق ودافيد بلاش).

وقد تطورت العلاقات بعد ذلك حيث ربط الهولنديون صلات وطيدة مع الدلائيين ثم من بعدهم مع السلاطين العلويين، خاصة مع السلطان مولاي إسماعيل الذي حرص على الرفع من قيمة المبادلات التجارية والحصول على عدة (عسكرية لمواجهة الأخطار الخارجية والثورات الداخلية (معاهدة 1682 ). وتعد أسرة طوليدانو اليهودية من أشهر الفاعلين في تحقيق هذا التقارب.

وتعززت العلاقات أكثر خلال القرن الثامن عشر حيث وفد على بلاد الإسطادوس مجموعة من السفراء المغاربة (أشهرهم عبد القادر بيريس السلاوي ممثل السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل الذي عقد اتفاقية 1730). وفي المقابل، لعب القناصلة الهولنديون دوراً رائداً في تنشيط المبادلات التجارية والرفع من قيمة المصالح والامتيازات لصالح تجار بلدهم (أهمهم الأخوان فرنسيس ولويس باتلير وديمتري كوليتي). وقد شدد هؤلاء على ضرورة صيانة وحماية السفن الهولندية وحمولاتها في المراسي المغربية.

وفي عهد سيدي محمد بن عبد الله، توطدت العلاقات أكثر فشملت ميادين التجارة والسلم والأمان (اتفاقية 1765 )، حيث منحت الولات العامة امتيازات تفضلية بالمراسي المغربية، خصوصاً بالصويرة وآسفي والعرائش وتطوان. وقد أوفد السلطان المغربي عدة مبعوثين، أشهرهم محمد الرزيني بقصد شراء العدة العسكرية. وقام بالمقابل القنصل العام ويبستير بلونط بدورهم في الدفاع عن المصالح الهولندية بالمغرب وترسيخ الامتيازات الخاصة. وخلال القرن التاسع عشر، تقلصت المصالح الهولندية بالمغرب تحت ضغط المنافسة البشرية للفرنسين والإنجليز. فالاتفاقية المغربية الإنجليزية لسنة 1856 حدت من التأثير الهولندي الذي أضحى ثانويا ومرتبطا بتقلبات اللعبة السياسة داخل أروبا وفي البحر الأبيض المتوسط. فالعلاقات المغربية الهولندية اقتصرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على المجالات الدبلوماسية وحل بعض القضايا الطارئة (نهب سفينة "أنّا" من عرض خليج الحسيمة سنة 1895). ومع ذلك، استفاد العديد من الرعايا المغاربة (مسلمين ويهود) من الحمايات القنصلية الهولندية التي شكلت إحدى أهم آليات الحضور الهولندي بالمغرب.

وكانت المملكة الهولندية من أولى الدول التي اعترفت باستقلال المغرب وأقامت معه علاقات دبلوماسية واقتصادية متميزة أطرت لها مجموعة من الاتفاقيات الكبرى (سبع اتفاقيات) همت جميع ميادين التبادل والتعاون السياسي والتجاري والعسكري والثقافي والتشريعي...) وتتأطر العلاقات بين البلدين عبر قنوات من نوعين : الأولى ثنائية والثانية تندرج ضمن آليات التعاون والتنسيق الأوروبي (الاتحاد الأوروبي).

تقطن بهولندا جالية مغربية مهمة تقدر بـ 350.000 نسمة، نسبة كبيرة منها تنتمي لمنطقة الريف. وقد استطاعت هذه الجالية بفضل مهاراتها من جهة، وسياسة الدمج المتبعة من طرف الدولة الهولندية من جهة أخرى، من الاندماج في المجتمع الهولندي مع الحفاظ على مقوماتها وهويتها الحضارية والدينية، وعلى أواصر الارتباط بالوطن الأم. ويشكل اليهود المغاربة جزءاً مهماً من هذه الجالية. ويعتبر هؤلاء المغاربة من أهم المستثمرين في الاقتصاد المغربي حيث بلغت حصة تحويلاتهم المالية، سنة 2002 ، أكثر من ثلاثة مليارات درهم. كما أن عدد مشاريع الاستثمار في تزايد مطرد. وللاستجابة للمتطلبات القانونية والاجتماعية والتعليمية لهذه الجالية، عقد المغرب وهولندا مجموعة من

الاتفاقيات الثنائية تحفظ لهم وضعاً خاصاً وجملة من الامتيازات ذات الطابع الاجتماعي. وإجمالا، تعتبر العلاقات المغربية الهولندية نموذجاً للتعاون الشامل والإيجابي بين بلدين تربطهما أواصر تاريخية وروابط إنسانية راهنة.

محمد العمراني وعبد العزيز دبوز

**هوّارة** (رقصة –) تستوطن هذه الرقصة منطقة جنوب غرب تارودانت حيث قبيلة هوارة التي تتكلم العامية وسط القبائل الأمازيغية.

تبدو هذه الأخيرة من الناحية الفرجوية مثيرة وأصلية ومستحسنة تتميز بغرابتها وجاذبيتها، لكنها في نفس الوقت ذات أوجه دلالية عميقة المعنى متعددة اللوحات التأويلية تبدو لها ارتباطات مع معتقدات عميقة في الذاكرة الجماعية. وكغيرها من الرقصات الأخرى تتم عبر أطوار حيث نجد في البداية مجموعة من الراقصين من صنف الرجال يقومون بحركات بالأرجل على شكل خطوات إلى الأمام ويتراجعون وفق إيقاع متناغم يشكل الناقوس عماده الأساسي إضافة إلى الطبل والتعريجة والطارة، وترافقه عملية الضرب بالأرجل والتصفيقات. بعدها ينطلق رجل وامرأة من صف الراقصين يقومون بحركات في الهواء كعملية القفز في اتجاه الأعلى، بينما يقوم الراقص بمفرده بتقديم بعض الحركات التعبيرية الإيحائية تندفع نحوه امرأة تحاول اللحاق به بخطى سريعة فيتخلص منها بحركات سريعة يدور خلالها حول نفسه. وفي نفس الوقت يتبادلان المواقع بالقفز عاليا في اتجاه الأعلى، وتقوم الراقصة بضربات قوية على الأرض، وبالقفز ممسكة بأطراف قميصها "الدفينة"، وضمن هذه الحركات الإيحائية يتقدم الراقص في اتجاه المرأة يضرب بعصا خفية يمينا وشمالا في اتجاهها حيث تعود مهزومة إلى الصف ضمن باقي المشاركين، ويخرج الرجل منتصرا ضد المرأة، وهنا يصل الإيقاع إلى ثابايت أو النهاية.

إن جذور رقصة "هوارة" تعود إلى أساطير مختلفة لها علاقة بصراع الإنسان ضد الطبيعة، والحياة التي يرمز لها بالمرأة لا سيما إذا وقفنا على أسطورة في المنطقة، تقول بأنه في العصور القديمة هاجم ثعبان كبير قبيلة هوارة حيث تصدى له رجل شجاع في صراع قاتل انتهى بسيطرة الرجل على الثعبان.

علال ركوك

**هوّارة**، قبيلة اعتبرها ابن خلدون ضمن القبائل الكبرى في سوس. احتسبتها الدراسات الحديثة "ضمن قبائل الخلط الذين كانوا في جيش بني مرين، ولما استحكم السعديون بفاس شتتوا هذا الجيش في أنحاء البلاد، فأبعدوا هوارة من ناحية فاس إلى سوس، ونقلوا الشراردة من سوس إلى أحواز فاس. إن استقرار هوارة بسوس في هذه الفترة لا يتعارض مع ما ذهبت إليه بعض الدراسات، من كون بعض الفروع الهوارية وصلت إلى سوس في أيام ثورة بني إيدر أواخر الدولة السعدية". ومما يؤكد حداثة استقرار هذه القبيلة في سوس عدم ورود اسمها ضمن قبائل *ديوان قبائل سوس* للحساني. وقد استقرت في منطقة خصبة من سهل سوس. وتذكر بعض المصادر أنها ساهمت، بشكل كبير، في الأحداث التاريخية لسوس، وخاصة في فترة المولى عبد الله العلوي. فقد قويت شوكتها وكانت بينها وبين هذا السلطان سنة 1147 / 1734 حروب هائلة إلى أن هزمها قائده قاسم بن ريسول وظفر بها وأظهره الله عليها، ونهبت أموالها وتشتت شملها وأذعن أهل سوس لطاعته". ولعل قبيلة هوارة أصبحت منذ ذلك الوقت شيعة المولى عبد الله، وتصاهرت معه. وأخذت تقدم له التأييد التام. فهي التي قضت على ثورة محمد أوعلي بوتكولا الثائر بسوس سنة 1150 / 1738، حيث قتل في حرب هوارة من عرب سوس. وفي سنة 1168 / 1754 ثار المكاوي وسيطر على تارودانت، "إلا أن الهشتوكيين وجيش الحكومة [هوارة] تحت سلطة المولى سرور خليفة السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل في تلك المدينة لاقوه في بسيط (هشتوكة) فأصيب الثائر في رأسه برصاصة...".

وتعد هوارة، عادة، من القبائل المخزنية ؛ فهي تتلقى عبر شيوخ زاوية تدسي ظهائر التوقير والاحترام من لدن السلاطين العلويين. ولم تذكر النصوص أنها انتمت إلى أحد الحلفين المشهورين بسوس. ونجدها في سنة 1251 قد أدت للمخزن من المال الناض ما يساوي 12921 مثقال. وأن مجموع مادفعته للمخزن من جمال وخيل يساوي 17073 مثقال.

وعند مرور دي سوكنزاك بسوس في نهاية القرن التاسع عشر، نجده يحصي عشر فخذات من قبيلة هوارة وهي : الكفيفات - آيت قرايش - أولاد سعيد - الكردان - أولاد حساين - أولاد علي - أولاد قارون - الحفرية - أولاد داحو، وأخيراً قبيلة الحمر.

وبخصوص قبيلة أولاد يحيى فهناك من اعتبرهم ضمن قبائل هوارة، وهناك من يستبعد ذلك. وقد أشار إليها ابن خلدون (ق 14 ) ضمن حديثه عن القبائل العربية في سوس. ويعود تاريخ ذكرها في النصوص إلى سنة 1580، حيث نجدها مذكورة في *ديوان قبائل سوس*. كما أن الحسن الوزان (ق 16 ) أشار إلى أن "سكان تارودانت يؤدون لهؤلاء الأعراب خراجا كثيرا". كما وردت أيضا عند التمنارتي (ق 17 ) في فتوى القاضي عيسى السكتاني، إذ "سئل [السكتاني] عما [...] يدعيه عرب أولاد يحيى في الأملاك التي بأحوازها [تارودانت]" فأجاب بما نصه : "الذي أراه وأدين به أن تارودانت مدينة قديمة وما بإزائها من الأراضي لأهلها فجلوا عنها وتركوها أو ماتوا عنها وأن عمارة العرب حادثة". ويفهم من فتوي قاضي الجماعة، أن

استقرار عرب أولاد يحيى حديث. وقد يعود إلى القرن الثالث عشر والرابع عشر، إبان ثورة علي الزكندري في سوس. ويعتقد المختار السوسي أنهم من بقايا قبيلة الشبانات التي وصلت إلى سوس مع تلك الثورة. وللشبانات فروع كثيرة في سوس كأولاد جرار. وغالبا ما تجمع هذه القبيلة ضمن قبائل رأس الوادي التي تشمل المنابهة، وتييوت، وإرازان، وآيت بوبكر، وآيت إيكاس، وإن كان صاحب *ديوان قبائل سوس* قد أفردها بأربعين سرجة فقط وهي قسم من قبائل هوارة. ووردت في *كناش الضرائب* المخزنية سنة 1251 / 1835 بنصف القبيلة، مثلها مثل قبيلة المنابهة. وقد أدت للمخزن سنة 1251 / 1835 بمناسبة الأعياد الدينية ما مقداره 15000 مثقال، وأدت كذلك سنة 1253 / 1837 مامقداره 20000 مثقال. ويعني ذلك أنها أصبحت خلال هذه الفترة ضمن القبائل الخاضعة للمخزن.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 14، الدار البيضاء، 1961 ؛ عمر أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، 1822 / 1906 ، كلية الآداب بأگادير، 1988 ؛ إبراهيم بن علي الحساني، *ديوان قبائل سوس*، تح. عمر أفا، 1989 ؛ عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، د. تح. آسية بنعدادة، الدار البيضاء، 1992 ؛ م. الأمين البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*، كلية الآداب بالرباط، 1992 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا* ، تر. محمد حجي وأحمد الأخضر ؛ ع. الرحمان التمنارتي، *الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة* ، مخطوط بكلية الآداب بالرباط.

محمد حنداين

**الهوّاري** (سيدي -) **أحمد** أحد أعيان مدينة إنزگان اشتغل "وكيلاً للغيَّاب" في المحكمة الشرعية بالمدينة لمساعدة القاضي الشرعي في عهد الحماية، وبداية عهد الاستقلال. ازداد سنة 1908. أصل عائلته من قبيلة مسكينة شرق مدينة أگادير، كان والده حريصاً على أن يتعلم بمعيَّة أخيه علي بالمدارس العتيقة، فحفظا القرآن وانخرطا في دراسة بعض العلوم التقليدية، فاشتهر باسم الهواري لدراسته بمدارس قبيلة هوارة، بينما اشتهر أخوه عليّ باسم العيساوي، بعد انخراطهما معاً في الوظيفة المخزنية في عهد الحماية. وإلى جانب تعيينه في وظيفته "وكيل الغيَّاب" سنة 1930 كانت له مصاهرة مع الشيخ حمُّو أحد أعيان سوس المشهورين، فكانت له وجاهة بالمدينة، واشتهر بالرزانة وعلو الهمة وبالكرم. ويعدُّ ممن حافظ على ذاكرة المدينة في أعرافها بخصوص مواظبته على تزويد طلبة القرآن والعلم بالمؤن "الرتبية" بالمدرسة العتيقة المشهورة بإنزگان إلى بداية الاستقلال.

توفي ليلة القدر من رمضان 1388 موافق 18 دجنبر 1968.

*مذكرات شخصية* ؛ محمد بن علي العيساوي ابن أخيه، *رواية شفوية*، سنة 2004.

*Livre d'or, Empire chérifien*, Paris; 1936, p. 80.

عمر أفا

**الهوّاري، أحمد** ابن العلامة المحقق الفلكي القاضي محمد بن أحمد ابن العلامة المحقق القاضي الخطيب الشهير علي الهواري.

ولد بفاس في شهر ربيع الأول عام 1311 ، وبعد حفظ القرآن الكريم سافر وهو ابن عشرة أعوام مع والده إلى الجزائر في بعثة الفقيه الگباص المكلفة آنذاك بتعيين الحدود الجزائرية المغربية. وبعد ذلك توجه معه إلى *طنجة* حيث عين والده بديوانتها وهناك أكمل حفظ القرآن وأخذ مبادئ اللغة العربية والتوحيد على والده الذي كان عمدته في جميع أطوار تربيته وتهذيبه. ثم دخل المدرسة الفرنسية الابتدائية، وبعد أخذه نصيبا من علومها أرسله والده في بعثة من بعض الشبان المغاربة إلى بيروت للجمع بين التعليم العربي والفرنسي. وبعد قضاء وطره منها عاد إلى *طنجة* سنة 1914. إلا أن ظروف الحرب العالمية الأولى منعته من العودة إلى بيروت، فأتم دراسته بالكوليج الفرنسي بطنجة. ولما أتم تعليمه سنة 1916 ، عين كاتبا بدار النيابة في لجنة الأشغال العمومية ومحررا لجريدة *الترقي* ثم عين كاتبا مترجما بالقسم العدلي بالكتابة العامة للحكومة الشريفة بالرباط. ثم استقال منها، وذهب إلى فاس ففتح مدرسة خصوصية لتعليم اللغة الفرنسية. ثم ترك قيما عليها ورحل إلى سلا حيث فتح مدرسة أخرى للغرض نفسه. ونظراً لنجاحه في هذا الميدان، استحسنت الحكومة فكرته وسعيه في نشر تعليم اللغة الفرنسية، ففتحت له هناك مدرسة وجهزتها وأسندت أمرها إليه. فكانت أول مدرسة فرنسية أسست على يده بسلا. عاد إلى *طنجة* حيث كان والده مستشارا شرعيا بدار النيابة ثم قاضيا بها فانخرط في وظيفة العدالة فكانت له مدرسة ثانية في ممارسة النوازل الشرعية. ولما عين والده عضوا بالمجلس الاستئنافي الأعلى بالرباط، انتقل معه، فعين سنة 1921 مترجما في مراقبة سلا بقسم المندوبية. وفي بداية 1922 اتخذته إدارة جريدة *السعادة* محرراً لها إلى أن صار رئيس تحريرها. وفي سنة 1929 ، عينه المخزن الشريف عضوا بالمحكمة العليا الشريفة. وكان عضوا وكاتبا بجمعية أحباس الحرمين الشريفين وعضوا نائبا لدى المحكمة الفرنسية الابتدائية بالرباط. وأثناء ذلك توجه إلى باريس في بعثة تخطيط قبلة مسجدها الإسلامي، ثم في سنة 1934 رخص له المخزن بالحج إلى بيت الله الحرام، فزار خلال سفره بلاد مصر والشام وفلسطين وتركيا وعدة عواصم من بلاد أوربا. وقد ألف في سفره هذا كتاب "*دليل الحج والسياحة*" سنة 1935، كما ألف كتاب " *المستدركات السنية في تعلم اللغة الفرنسية*" سنة 1936. وفي سنة 1941 ألف كتابا بعنوان : "*الدين النصيحة* " ويتضمن محاضرة ألقاها في مركز إذاعة راديو المغرب بالرباط يوم الخميس متم رمضان 1359 / 31 أكتوبر 1940 ، وخطابا ألقاه في مسجد باريس بحضور جلالة الملك محمد الخامس. وأنعمت عليه الحكومة الفرنسية بوسام العلوم، كما أنعم عليه المخزن الشريف بالوسام العلوي المنيف

من درجة ضابط، وقلده سمو باي تونس نيشان الافتخار من درجة ضابط كذلك.

توفي ليلة الخميس ثامن ذي الحجة 1372 / 19 غشت 1953 بمدينة الدار البيضاء، ودفن بروضة أهل فاس بنفس المدينة.

محمد حجي، *موسوعة أعلام المغرب*، ج 9 ؛ *الدين النصيحة*، الرباط، 1941.

صالح شكاك

**الهواري، أحمد** بن **عبد الله** بن محمد بن أبي بكر الهواري، من عرب تميم، فر إلى تونس صغيرا ثم عاد إلى المغرب وأقام به مدة ثم عاد إلى تونس، كان من أهل الخير والعبادة وصلاح الحالات، وحضور مجالس العلم ومحبة العلماء والصالحين والزهد، والاشتغال بتلاوة القرآن وابتذال النفس في خدمة المساجد والزوايا. كان موسوما كذلك بتخريب العادات والإخلال في الظاهر بأمر العبادات، وله الكرامات الظاهرة والمناقب السنية الباهرة.

اشتغل بتأديب الصبيان، ألف فيه العلامة عمر بن علي الجزائري الراشدي تأليفا سماه : *"ابتسام العروس ووشي الطروس بمناقب الشيخ أحمد ابن عروس"*.

توفي صبيحة يوم السبت 8 صفر عام 868 بتونس.

المراكشي، *الإعلام*، 2 : 226 - 228 ؛ بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 2 : 58.

بوعبيد التركي

**الهواري** (ابن -) الحاج **عبد الرحمن** أحد رجالات الموسيقى الأندلسية بمدينة آسفي. ظهر على الساحة الفنية في العقد الرابع من القرن العشرين، فكان من ألمع من أنجبتهم المدينة في دنيا الآلة.

كان بلهواري على إلمام واسع بمستعملات الآلة، يحفظ نوباتها وميازينها، ويجيد العزف على البيانو والكمان. وقد فتح ناديا خاصا بحي التراب الصيني، يلتقي فيه الهواة بعد صلاة العصر من كل يوم، فيتمرنون على حفظ الميازين وأداء التواشي، فإذا قضوا صلاة العشاء عادوا للاجتماع في بيته.

التأم الهواة حول بلهواري، وفيهم المنشدون والعازفون أمثال عازف البيانو عبد القادر بلحسن، وضاربو العود، أحمد الركيگ وأحمد العويني، وعازفو الكمان : الحاج أحمد الوزاني، وعبد السلام الركيگ، وعبد الواحد الحكيم، والربايبي التهامي الحمار، وعازف القانون مولاي عبد الرحمن الوزاني وآخرون.

ومن جهة أخرى فقد كان للحاج بلهواري دور كبير في توثيق الروابط مع بعض مشاهير الآلة بالمغرب، فكانوا يتوافدون عليه ويقيمون في ضيافته أياما وأسابيع، يحضرون حلقات التمرين التي يشرف عليها في حي تراب الصيني وفي ضيعته بجمعة سحيم، ويلقنون رواد المجلس الميازين وطرق العزف، وبذلك تحولت مجالس الحاج بلهواري إلى مراكز تلقن فيها مستعملات الآلة.

ومن بين من توافد على الحاج بلهواري وحضر هذه الحلقات فنانون مشهورون فيهم من فاس الفقيه المطيري، ومحمد بن عبد السلام البريهي، ومحمد دادي، وعزوز بناني، والغالي الشرايبي، ومن مراكش عبد السلام الخياطي، والحاج محمد بلفاطمي، وعباس بن الغالي، وعبد الله الحنفي، ومحمد بلمقدم، ومن الرباط أحمد بن المحجوب زنيبر، ومن تطوان محمد العربي التمسماني.

وقد شكل الحاج بلهواري جوقا عمدته خريجو نادي حي تراب الصيني كمحمد الشقوري، وعبد القادر شيبوب، وعبد الواحد الحكيم، وشقيقه عبد القادر، وعبد السلام بنهيمة، وأحمد الرقاع ؛ وظل هذا الجوق قائما حتى وفاة مؤسسه، فآلت رئاسته إلى تلميذه عبد القادر الحكيم.

توفي بلهواري خلال موسم الحج في شهر ذي الحجة 1371 / غشت 1952.

ع. العزيز بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، الدار البيضاء، 2000، ص. 256 - 259.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الهواري، عبد السلام** بن **محمد** بن الطاهر، ولد حوالي 1258 / 1842 من صدور علماء المغرب، وأحد الذين انتهت إليهم الرياسة الفقهية، ومن أهل المشاركة والاطلاع والحفظ والتضلع في الفقهيات واستنباط الجزئيات من الكليات. وكان على ما أثر عن بعض تلاميذه ومعاصريه، يجلب في دروسه الكثير من النصوص ويستحضر في قراءة *المختصر* بالحطاب وغيره من شراحه مع البحث الكثير وتوضيح المشكلات وجمع المسائل والنظائر، وكان مرجعا في النوازل الفقهية، ممارسا للأحكام والتوثيق.

ولي قضاء فاس الجديد نائبا عن قاضي الجماعة عبد الهادي الصقلي، ثم استقل به، ونقل بعد ذلك لقضاء القصر الكبير ومنه لقضاء طنجة، وانتدب للنظر في بعض القضايا بمراكش، وبعد قفوله من هذه المهمة عين على قضاء ثغر الصويرة، وبعد إعفائه رجع إلى بلده فاس نائبا عن قاضي الجماعة بها عبد الله بن خضرا لمقصورة السماط، ولما توفي ابن خضرا استقل بها، ثم نقل لمقصورة الرصيف وبقي بها إلى آخر أيامه.

ألف الهواري عددا من المؤلفات منها شرحه *لوثائق بناني* المعمول بها عند أهل فاس والمغرب، شرح ألفاظها والمستغلق منها وجلب على كل جزئية ما تستدعيه من قواعد فقهية، وتطرق فيه إلى أهمية وشرف علم الوثائق موضحا صفات الموثق وعناصر الوثيقة مع عرض أمثلة من وثائق النكاح

والطلاق والإرث والوكالة والشركة وغيرها. (طبع بفاس مرارا)، ومنها *حاشيته على تحفة الحذاق* للشيخ التاودي بن سودة التي شرح بها *تحفة الحكام* في مسائل الدعاوي والأحكام للإمام الزقاق، وكذا تأليفه في *بدعة صلاة العيدين* بالمساجد جماعات كلما صلت جماعة خلفتها جماعة أخرى، وتأليف في *التعريف بشيخه أبي علي الحسن گنبور* سماه *تنوير الصدور بالتعريف بالحاج گنبور* وغيره، وله غير ذلك.

توفي يوم الجمعة 23 جمادى الأخيرة عام 1328 / 1910 ودفن بالزاوية الشرادية بفاس عن يمين محرابها.

ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، 2 : 110 . 113 ؛ الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 353 . 354 ؛ الحجوي، *الفكر السامي*، 4: 147 ؛ م. الكتاني، *تحفة الأكياس* ؛ *زهر الآس*، 2 : 248 ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس*، 1 : 292 ؛ الزركلي، *الأعلام*، 4 : 132 ؛ *إيقاظ السريرة*، 135 ؛ *معجم المؤلفين*، 5 : 231 ؛ ليڤي . بروفنسال، *مؤرخو الشرفا*، 373 ؛ *فهرس المخطوطات العربية*، مج 5 : 95.

**الهوّاري، علي** بن **أحمد**، الفقيه النوازلي قاضي فاس الجديد، كان عدلا مبرزا بسماط فاس، تولى قضاء مراكش، والخطابة بمسجدها الأعظم، وفي آخر سنة 1272 انتقل لقضاء فاس الجديد نائبا عن الشريف العلامة القاضي بفاس البالي محمد . فتحا . بن عبد الرحمان العلوي الحسني، وبقي بها مدة ثم انتقل قاضيا لثغر الصويرة وبه أعفي.

اشتهر بالتدريس في جميع الفنون والمشاركة في علوم المعاني والبيان والمنطق وأصلي ابن الحاجب. انتفع أهل فاس وغيرهم من علمه الغزير، وأفادوا من معارفه المتعددة المشارب، فكانت مجالسه عامرة زاهرة، يؤمها أعيان فاس وكبراؤها لما يتخللها من نكت علمية وفوائد دينية ودنيوية، لما كان يتمتع به من فطنة وحكمة بالغة، وكان صاحب فتوى يرجع إليه في مهمات المسائل وله فيها النظر الثاقب والمخرج الميسر. فبرع في تدريس *الألفية* بالتصريح و*حاشية ابن كيران* ويزيد معها حاشيتي يس على النظم والتصريح. وفي عام 1261 انتقل بأمر مولوي لمحروسة مراكش بقصد الإقراء مع أولاد السلطان، منهم مولاي العباس، في *معقولات المنطق* و*منقولات المذهب*.

ألف تآليف منها *نصيحة المغتر*، إلى جانب ما أصدره من *فتاوى* في مسائل كثيرة تنبئ عن تبحر في الشريعة كما تظهر امتلاكه لناصية القول مسبوكة في وجوه من البيان بديعة.

توفي بفاس الجديد في 27 ذي الحجة 1299، ودفن بزاوية الشيخ بورمضان بالمنية.

المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، 9 : 249 . 253 ؛ ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2673.

عبد المجيد بوكاري

**الهوّاري، علي** بن **العربي** الشيخ سيدي علي بن سيدي العربي بن بابا الهواري، شيخ زاوية سيدي الهواري الدرقاوية بفركلة (قرب تنجداد الحالية)، اشتهر وارتبط مصيره بأحداث تطورات الجنوب الشرقي للمغرب إبان الغزو الفرنسي سنة 1918.

يُعرِّفه المهدي الناصري الذي ترجم له وتناول الأحداث التي وجد الشيخ نفسه في خضمها وآلت في النهاية إلى اغتياله بقوله : "واعلم أن هذا الشيخ كان من الفضال السادات الكمال [...] فَسَلْ عنه أهل العلم والعقل والحجا، ومن كان ذا تقوى وكل ذوي نسك"، "[...] فقد كان ... عجيب الحال كبير الشأن رفيع القدر [...] أخذ الطريقة الدرقاوية الشاذلية الزروقية عن والده الشيخ المشهور سيدي العربي بن بابا الهواري، وهو عن حجة الإسلام وكهف الأنام أبي عبد الله سيدي محمد العربي المدغري"، لتتصل سلسلة شيوخه إلى القطب مولاي عبد السلام بن مشيش.

كان له ولزاويته نفوذ لدى قبيلة آيت مرغاد المنتمية لاتحادية آيت يافلمان القوية بالمنطقة، ونظرا لتزعم درقاويي الجنوب الشرقي للجهاد ضد الغزو الفرنسي فإن الهواري لم يكن استثناء في البداية، إذ انضم مع آيت مرغاد سنة 1918 إلى زعيم المقاومة بتافيلالت مبارك التوزونيني عقب الانتصار الذي حققه خليفته بلقاسم النكادي على رأس مجاهدي إيملوان وآيت إيعزا وآيت خباش وبني مَحمد في معركة البطحاء في صيف تلك السنة. لكن الشيخ تراجع عن دعم المقاومة إذ "لما تيقن ... مقصود الفتان وأوباش من معه من أهل السفالة الأدران، ورأى من جبرهم وإكراههم الرجال على البيعة ما أطلعه على حقيقة الحال، وأن المقصود هو الفتنة والسعي في الأرض بالفساد، لا ما يزعمونه من قربة الجهاد، انقلب راجعا واسترجع وثاب ونوى عدم العود لموجبات الخسر والتباب. ولما توسط الطريق كتب لجيوش مرغاد خصوصا الأعيان وأهل الدين والصدق والإيمان، يقول لهم من كان منا وإلينا وصحت نيته واعتقاده فينا فليرجع لداره معنا، فليس تمّ جهاد بل طلب الملك والسعي في الأرض بالفساد وإيقاد نار الفتنة وسفك الدماء وإضرار العباد، فانقلب راجعا مع الشيخ كل من فيه فائدة ومنفعة ومعنى زائدة، فأسرها في نفسه الفتان ولم يبدها له". ولم يكتف الشيخ الهواري بسحب دعمه وحمل آيت مرغاد على الابتعاد عن حركة المقاومة فحسب، بل انتقل إلى المعسكر المضاد بتحالفه مع التهامي الكلاوي المدعوم فرنسيا عندما قاد حركة إلى تودغا، لتشتبك خيوط الرهانات بين مصالح الفرنسيين وحليفهم الكلاوي وزعامة المقاومة بتافيلالت، فاحتدت التقاطبات القبلية بين الطرفين شهدت فيها المنطقة أحداثا ووقائع لا تزال كثير من جوانبها في حاجة إلى إماطة اللثام عنها، "فاضطرب إذ ذلك أمر غريس وفركلة وكدر ماؤهما وكثر غوغاؤهما .. وعظم خطبهما"، إذ تدخلت جيوش التوزونيني بقوة لتثبيت سيطرته في الواحتين التي

كان كثير من أتباع الهواري يقطنونها، وما لبثت زاويته ذاتها أن تعرضت لحصار قوات خليفتي التوزونيني العربي السريري والحسن العيساوي المشكلة في أغلبها من آيت مرغاد، قبل أن يتولى قيادة العمليات الحربية بّاعلي التّزاريني. وفي أوج محنة الشيخ ومعاناته من الحصار والعمليات الحربية انتقلت زعامة حركة المقاومة إلى محمد بلقاسم النكادي بعد تصفية التوزونيني في أكتوبر 1919، فبادر النكادي إلى مراسلة الشيخ الهواري طالبا الصفح عما سلف ونجح في استدراجه إلى تافيلالت، "ثم لما مثل الشيخ وأصحابه بين يدي الفتان الأنكادي سلطان بل شيطان كل معاند مضادي الذي لم يزل على ضلالته ممادي، أمر بهم فقتلوا واحدا بعد واحد يجعلهم بفم مدفع فتطير أشلاؤهم... فلما أوتي بالشيخ وكان آخرهم قتلا، قصدا منهم ليرى ما حل بأصحابه تعنتا وخروجا عن الحق وميلا، وجد على أحسن الهيئات وفي غاية ما يكون من الثبات، يحرك شفتيه بالذكر والقراءة، ولم يرفع قط بصره ولم يلتفت وراءه، ولحيته تسيل عرقا كثيرا ووجهه يبرق بروقا ويتلألأ نورا، وهو كذلك حتى كووا المدفع فطارت أوصال شِلْو مُمَزَّع". وبعد تصفية الشيخ علي بن العربي الهواري بادر خلفاء النكادي إلى هدم زاويته "وطمس معالمها وتغيير محاسنها" على حد تعبير المهدي الناصري.

المهدي الناصري، *نعت الغطريس* ، مخطوط خاص، صفرو، ورقة 114، ج 16، ص. 271 ـ 304 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 16، ص. 287 وما بعدها.

محمد بوكبوط

**الهواري، محمد بن طاهر**، من أعيان القرن الرابع عشر، من القضاة المبرزين في الحضرة الإدريسية، ومن إليهم المرجع في المعوصات الشرعية، علامة فهامة، كثير المباحث في كل فن، اتصف بالإتقان، وعلم بالتحقيق والإيقان.

أخذ عن عدة شيوخ كالعلامة أحمد الزبادي، أخذ عنه الأدب والعروض، وأخذ العربية والتفسير والحديث عن العلامة مولاي عبد الرحمان المنجرة، وأخذ الفقه والأصول والمنطق والبيان عن العلامة أبي حفص الفاسي. وأخذ عنه السلطان المولى سليمان النحو والأدب والمنطق والبيان وهو عمدته فيها.

ولي القضاء بالحضرة الإدريسية في شعبان سنة 1195، فاستحسنت سيرته وحمدت سريرته، ثم أخر ثم ولي في الدولة اليزيدية.

وله تآليف عديدة منها : حاشية على شرح سيدي سعيد قدورة سماها *اليواقيت المنشورة*، وأرجوزة في علم الكلام، وأخرى في المنطق، وأخرى في أنواع الجناس سماها *تحفة الجلاس في جمع ما جاء في الجناس*، وأخرى فيما انفرد به ابن عاصم في *تحفته* من الصور عن مختصر *خليل*. إضافة أنظام كثيرة في فنون شتى، و *أشعار أدبية ومكاتبات وأسجاع* تنبئ عن علو كعبه في الأدب وعلوم العربية.

توفي صبيحة يوم السبت 20 محرم 1220، ودفن بضريح سيدي أنوار، من درب سيدي العواد.

جعفر الكتاني، *الشرب المختصر والسر المنتظر من معين بعض أهل القرن الثالث عشر*، ص. 7 ـ 8 ؛ محمد الكتاني، *تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس* ؛ زهر الآس، 2 : 247.

عبد المجيد بوكاري

**هوير**، نوع من الرقص لايزال يصادف في مناطق عبدة والشياظمة، وهناك تشابه كبير بين هذه الفرق وفرق أخرى مشهورة توجد في مختلف مناطق المغرب، ويتعلق الأمر "بعبيدات الرمى" فالهوير فرقة موسيقية. من الرجال يستعملون من الأدوات الموسيقية : "التعريجة" والبندير" و"الصينية" و"المقص" وفي حالات أخرى يستعملون "الگصب" أو "المشروك" كأدوات للنفخ.

وتقوم المجموعة بالغناء على شكل جماعي، وفي أحيان أخرى يؤدي مقدم الفرقة بعض المقاطع، بصفة انفرادية وتردد الجماعة ما يقول. وهناك رجل يقوم بعملية الرقص، وأحيانا يتنكر في زي المرأة.

أما بخصوص ماتغنيه هذه الفرق من حيث النوع، فهو في غالبيته عبارة عن بروال قد يكون صوفيا أو عاطفيا. ومن حيث النصوص الشعرية التي تؤديها فلا شيء يؤكد بأنها كانت مكتوبة من طرف شخص واحد، مما يعني أن أغلب كتاب هذه النصوص مجهولون. وهذه الحقيقة يمكننا لمسها في الميدان خصوصا في المواسم حيث تكثر عمليات ارتجال الشعر.

علال ركوگ

**الهيبة، الشيخ أحمد** ولد في رمضان عام 1294 / 1875 بمضارب والده الشيخ ماء العينين بالساقية الحمراء. ورغم أنه لم يكن وحيداً في أسرته ولا أكبر إخوته ولا أصغرهم سنا، فقد حظي بمكانة خاصة عند والده، فكان يتعهده بنفسه ويخصه برعايته واهتمامه، ويضفي عليه أحسن الألقاب، فكان يلقبه بدليل الخيرات، وكان يهيئه منذ صغره لخلافته، فيصحبه معه في رحلاته وأسفاره ويجلسه في مجالسه ويجعله نائبا عنه في كثير من الأمور التي بينه مع السلاطين وغيرهم، فارتفع صيته بذلك وحسن في أكثر الأمصار، فمن ذلك توجيهه عام 1323 للسلطان مولاي عبد العزيز. ثم توجيهه أيضاً للسلطان مولاي عبد الحفيظ سنة 1327 ، فكان ذلك سببا لإغناء تجربته وتأهيله إلى تحمل المسؤولية. بعد وفاة والده الشيخ ماء العينين سنة 1328 / 1910، تولى إمارة الجهاد في الجنوب المغربي، فدخل مراكش سنة 1912 واشتبكت قواته مع الجيوش الفرنسية في سيدي بوعثمان، غير أن ضعف إمكانياته وتآمر بعض الخونة على

المقاومة المسلحة في الجنوب المغربي لم يمكنه من تحقيق مطامحه، فعاد إلى سوس وواصل مقاومة فرنسا.

خلف عدة أعمال أدبية وعلمية منها *"سراج الظلم"* مخطوط خاص *"سرادقات الله الدافعات في البلايا والطواعين والأمراض والمهمات"* مخطوط. أجوبة فقهية مختلفة طبع بعضها بذيل كتاب *نعت البدايات وتوصيف النهايات* لوالده الشيخ ماء العينين.

توفي سنة 1337 / 1919 بكردوس.

م. الغيث النعمة، *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*، ج 1، ورقة 14، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، رقم د 1376 ؛ ماء العينين بن العتيق، *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، ورقة 128، مخطوط خاص ؛ *ديوان الشيخ أحمد الهيبة*، جمع وتحقيق م. الظريف، ص. 25، 1998 ؛ محمد الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 48، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه، 2003.

**هيبة، محمد سيداتي** هو حفيد الشيخ ماء العينين من ابنه الشيخ أحمد الهيبة. ولد بتنالت سنة 1335 / 1916. ونشأ في كنف عمه الشيخ مربيه ربه. ساهم بدور فعال في الدفاع عن وحدة المغرب وسيادته في أقاليمه الصحراوية بلسانه ومواقفه الوطنية، وقد سجن بسبب ذلك بجزر الخالدات هو وبعض رفاقه في الكفاح الوطني في أقاليم المغرب الجنوبية. بعد استقلال المغرب تولى رئاسة محكمة السدد بإقليم طرفاية. خلف عدة أعمال أدبية منها :

- *ديوان شعر في مختلف الأغراض*، لا يزال مخطوطاً.
- *عقد الجمان في محاسن الحسان*، وهو مختارات شعرية في محاسن الحسان، لا يزال مخطوطاً عند ابنه الشاعر الأديب ماء العينين محمد الإمام بتارودانت.

توفي سنة 1393 / 1974.

محمد الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 160، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، 2003.

محمد الظريف

**الهيت** (رقصة -) شعبية منتشرة في سهول الغرب وحوض سبو، تستمد تسميتها من "التهييت" بمعنى دعوة الشخص والصياح به، ومنه عبارة "تَيْهَيَتْ" الجارية على لسان العامة بمعنى "ينادي".

تنظم رقصة "الهيت" في مناسبات الحفلات العامة والأعراس العائلية ومواسم الحصاد والجني. وهي تظاهرة احتفالية جماعية يشترك في أدائها الرجال والنساء. وذلك وفق حركات مضبوطة ومحددة تجسد معاني البطولة والفروسية والصمود. يقف الراقصون والراقصات صفين متقابلين، وتنفرد النساء بوضع "الشد" على وجوههن، و"الحمالات" على أذرعهن، وربط "الكررات" بشعورهن، وفي مشاهد شيقة نابضة بالحيوية والرشاقة يتحرك الطرفان بين تقدم إلى الأمام وتقهقر إلى الوراء، ثم يتوسط الساحة راقص وراقصة، فيخطوان على إيقاع الطبل جيئة وذهابا وفق حركات منتظمة يطلق عليها "الحساب" ؛ فإذا بلغت الرقصة مشهدها الأخير امتدت ضربات الطبل للإعلان عن نهايتها في حركة تسمى "التطييبة" أو "السوسية".

تتحكم في إيقاع رقصة الهيت ثلاثة أنساق تستمد خيوطها من رقصات احمادشة وكناوة وجيلالة. وباستثناء نسق "الحساب" الذي تضبطه هزات الأكتاف وضربات الأقدام، تبدو الأنساق الثلاثة منفتحة على صيغ مبتكرة يطبعها الارتجال والرغبة في التخلص من صرامة الوزن.

تعتمد رقصة الهيت على الآلات النقرية الجلدية هي الطبل، والبندير، والتعريجة، وأكوال، إضافة إلى المقص المعدني، ولا مكان لآلات النفخ ولا لذوات الوتر في هذه الرقصة.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **هيدور**، أحد الثائرين على أبي الحسن المريني. كان في خدمة أبي عبد الرحمن ابن السلطان في مطبخه بمرتبة جزار. استغل في قيامه شبهه الكبير بالأمير. وسجن السلطان لولده بوجدة (738 ). دامت ثورته نحو العامين وامتدت ما بين متيجة وبجاية.

يتكون أهم مساعديه من بني عامر الهلاليين المناوئين لأبي الحسن لميله إلى منافسيهم بني سويد، فأجلب بهم على حمدية بمتيجة. وإثر تراجعه أمام ونزمار بن عريف السويدي، ابتعد شرقا إلى ناحية بجاية والتحق ببني يراتن من زواوة فقامت بأمره شيختهم "شمسي". لكنها تخلت عنه بمجرد ما علمت بكذبه. والتجأ في آخر مطافه بزعيم الدواودية من أمراء رياح، يعقوب بن علي. وبايعه هناك من اجتمع حوله من بني عامر والديالم وأولاد ميمون. وانتهى الأمر بالقبض عليه بإيعاز من أبي بكر الحفصي ؛ صهر أبي الحسن. وإشخاصه بمكان السلطان من سبتة سنة 740. فامتُحن وقطعت أرجله من خلاف. وبقي حيا تحت جراية من الدولة.

توفي سنة 768.

ابن خلدون، *ديوان العبر*، 1959.

حسن الفكيكي

**هيلولا** ، تعتبر الهيلولا أحد أهم المناسبات اليهودية الشعبية ؛ فهي بالنسبة لليهود الصفرديين على وجه الخصوص تخلد لموت أحد الأولياء الصالحين الذي ما تزال بركته تشع وتجلب المصالح الأخلاقية والطبية والبركات. وقد شكل تخليد الهيلولا بالنسبة للجماعات اليهودية المغربية منذ القديم لحظات فرح واحتفالية، حيث تحظى أضرحة مجموعة من الصديقين بعناية خاصة - عمران بن ديوان وداوود أدراع وداوود الأشقر وغيرهم... -، فتتوجه نحوها وفود من الحجيج تقضي الليل في الصلوات والدعاء وقراءة

قصائد التبرك والإشادة بفضائل الولي الصالح، وكذلك في الغناء والرقص وشرب الماحيا والسياحة. وعلى الرغم من التناقص الواضح في عدد اليهود المستقرين في المغرب، فإن مناسبات الهيلولا ما تزال تحتفظ بهالتها. فعند حلولها، تتخذ السلطات الأمنية كافة الاحتياطات لتمر الاحتفالات في أحسن الظروف. وتتوافد على المغرب مجموعات من اليهود القادمين من إسرائيل وأمريكا الشمالية وأوربا الغربية، وأغلبهم دأب على الحضور احتراما للتقاليد وحرصا على استمراريتها، وبعضهم للتكفير عن ذنب أو وفاء لعهد قطعه على نفسه... وفي المدن التي ما تزال بها جماعات منظمة - الدار البيضاء وفاس ومكناس ومراكش - تنظم أمسيات ساهرة تقرأ فيها الصلوات والدعاء للأسرة العلوية التي يعتبرها عموم اليهود أهم ضمانة لسلامتهم وأمنهم.

حنان السقاط

**هيهْ**، لعبة شعبية يمارسها الذكور في بعض الأرياف كما هو الحال بالنسبة لقبائل ورديغة. وتتمحور هذه اللعبة حول ثمانية إلى اثنى عشر ممارسا. يحتل أحدهم رقعة الوسط. يضع قدما على نقطة مركزية، ويشترط ألا تخرج قدمه عن هذه النقطة وإلا فالضرب عليه يكون تباعا. أما القدم الأخرى، فبها يحمي ظهره من الضرب وبها قد يصطاد يدا طائشة. وفي هذه الحالة يعفى من المركز ويدخل من مسّت يده الحلبة. وقد يضع الشخص جلبابا أو غطاء على ظهره للتخفيف من قوة الضرب. أما باقي الأفراد فيكوّنون دائرة، رافعين أيديهم إلى الأعلى، علّهم يصطادون فرصة يصيبون فيها ظهر الشخص الذي تدور حوله الدائرة. وتظل الدائرة في حركة دائمة في اتجاه معين، أما الأفواه فقسم منها يردد : هيه والقسم الثاني يجيب : هاوه. وبذلك تصبح الحلقة تردد : هيهْ، هَاوهْ. هِيهْ، هَاوهْ.

*تحريات ميدانية.*

صالح شكاگ

**هيو، الكولونيل**، كان من خبراء الاستعلامات الذين ارتبط اسمهم بالمغرب، في المراحل الأولى من تاريخ الحماية، إذ تمكن، في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، من الوصول إلى منصب رئيس إدارة الشؤون الأهلية ومصلحة الاستعلامات. وقد أتى هذا الضابط، الذي ارتقى إلى رتبة قبطان في فرق المشاة، سنة 1907 ، من مصلحة الشؤون الأهلية بالجزائر. وكانت منطقة وهران، آخر منطقة اشتغل بها (1909 - 1912 )، قبل أن ينتقل إلى المغرب، بعد توقيع عقد الحماية، في 30 مارس 1912. لكن هيو لم يمارس عمله في المغرب في إطار الجيش أو الاستخبارات، بل انتقل إلى القطاع الخاص، ليشرف على "الشركة الفلاحية المغربية" التي كانت تمثل، في منطقة الغرب، مصالح مجموعة فيدو Videau ، وهي المجموعة التي كانت عائلة زوجة هيو تمتلك جزءا من رأسمالها.

وقد عاد هيو إلى الخدمة العسكرية، بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى. وارتقى إلى رتبة كومندار، قبل الالتحاق بمصلحة الاستخبارات بالمغرب، حيث عُين رئيس مكتب من الدرجة الأولى ابتداء من 30 يناير 1915 (*Bulletin officiel*, 1915). وكلفه ليوطي، في نفس الفترة تقريبا، بتنظيم مركز الاستخبارات بمدينة طنجة. وفي يوليوز 1916، كلف بشكل مؤقت، بالنيابة عن الكولونيل هانري بيريو Henri Berriau في تسيير مصلحة الاستعلامات، بعد أن انتقل هذا الأخير، إلى منطقة فاس للإشراف على سير الأمور بها. والتحق هيو، سنة 1917 "بمصلحة التجنيد بإفريقيا الشمالية" قبل أن يعين على رأس كتيبة زواوة الثالثة 3° bataillon des zouaves .

ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى، ترك هيو الخدمة العسكرية مرة ثانية، لكنه عاد إليها، بطلب من الجنرال ليوطي، الذي عينه نائب مدير إدارة الشؤون الأهلية ومصلحة الاستعلامات (أبريل 1919). وكان رئيسه وقتئذ، الجنرال موريال Général de Brigade Maurial الذي ترأس هذه الإدارة، بعد هانري بيريو، المتوفى في نهاية سنة 1918. لكن الكولونيل هيو تمكن من أن يمسك بمقاليد هذه الإدارة، بعد تعيين الجنرال موريال حاكما عسكريا على إقليم مكناس، في غشت 1920.

أصبح الكولونيل هيو من أبرز الشخصيات المؤثرة في الاستراتيجية الاستعمارية بالمغرب، ومن العناصر التي فرضت وجودها على الساحة السياسية في السنوات الأخيرة من مرحلة ليوطي بالمغرب. فقد مكنه تسييره لإدارة الشؤون الأهلية ومصلحة الاستعلامات من التحكم في المسائل المتعلقة بالسياسة الأهلية والأمن والاستخبار، ولو أن ذلك، كان يتسبب أحيانا، في حدوث بعض الخلافات بين العناصر المؤثرة في مجال السياسة الأهلية، في قمة الجهاز الاستعماري الفرنسي. يؤكد ذلك، الخلافات التي نشبت في فبراير 1925 ، بين العناصر الراغبة في دعم "السياسة البربرية"، بظهير يكرس عمل الجماعات في المجال القضائي، والكولونيل هيو، الذي عارض، بتأييد من دي سان كانتان De Saint Quentin الكاتب العام للحماية، المشروع المقترح.

لكن التطورات الخطيرة التي عرفها الوضع السياسي والعسكري في المغرب، لم تساعد الكولونيل هيو على المحافظة على موقعه المؤثر في قلب الجهاز الاستعماري، إذ أن استقالة ليوطي وتعيين طيودور سطيك، أدّيا إلى حدوث تغييرات هامة داخل الجهاز الإداري. وكان من أبرز هذه

التـغـيـيـرات، تعـيين بـول دوكلو Paul Duclos، القـادم من الجـزائر، رئيـسـاً على إدارة الشـؤون الأهليـة ومـصلحـة الاستعلامات (قرار 19 فبراير 1926). أما الكولونيل هيـو Huot، فقد عيّـن حاكما عسكريا على إقليم تازة.

*الجريدة الرسمية* ؛ *جريدة السعادة* ؛ عبد الحميد احساين، *أصول سياسة فرنسا البربرية إلى غاية سنة 1930*، رسالة لنيل ديبلوم الدراسات العليا في التاريخ، يوليوز، 1987، بحث مرقون ؛ علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي* ؛ إبراهيم بوطالب، بيريو هانري، *معلمة المغرب*، 6 : 1943.

Bertrand Desmazières, *P. de Sorbier de Pougnadoresse, Le Colbert de Lyautey*, Rabat, 1912 - 1925 ; Rivet Daniel, *Lyautey et l'institution du protectorat,* (3 t.), Paris, éd. L'Harmattan, 1988.

عبد الحميد احساين

# و

**الواحات بدرعة السفلى : نموذج فم زگيد** في درعة السفلى، أي في السفح الجنوبي للأطلس الصغير، وبالضبط سلسلة "باني" الثاني. وتمتد من جنوب تازناخت شمالا، إلى تيسينت جنوبا. تتشكل المنطقة إما من جبال، عبارة عن عوارض كوارتزيتية أو حثية (الحقب الأول) أو من منخفضات شيستية على هيئة سهول طولية "الفيجات"، تتسع أحيانا إلى 20 كلم كما هو الحال بين ألوكوم وفم زگيد المركز. ولا يوجد ما يفوق هذا الاتساع إلا في واحات زاگورة.

استوطن الإنسان هذا المكان منذ القديم وتفاعل معه، فأبدع نمطا تكيفيا رائدا أدى إلى التوافق بين التمركز السكاني والتكثيف الزراعي، على الرغم من محدودية الموارد وضيق المساحة. إلا أن هذه العلاقة بدأت تعرف تدهورا واضحا في الآونة الأخيرة.

توجد بواحات درعة السفلى، ومنها فم زگيد، منخفضات تدعى الفيجات، تشرف عليها قمم جبل باني الثاني التي انطلقت منها الأودية والسهول الجبلية طيلة الفترة البليورباعية مما أعطى درجات نشر ممتدة (تستغل زراعيا) ومخاريط انصباب متطابقة سمحت بتراتب التربات والسدائم المائية. فتحولت الواحات، تبعا لذلك، إلى مجال جذب واستقرار خصوصا عند مخارج العيون.

تتوفر فم زگيد على ممطار منذ 1936، لكنه لم يوفر تسلسلا متصلا في التسجيلات. ومن خلال المعطيات الموجودة، تبين أن فم زگيد تتلقى ما بين 60 و80 ملم، متساوية مع زاگورة التي تعادلها في المستويين العرضي والارتفاعي، إذ تعرف 74 ملم من التساقط. أما تازناخت، فتسجل معدل 120 ملم نظرا لارتفاع أكبر. وتتميز التساقطات بهذه المناطق كلها بعدم الانتظام القاضي بتركز 75٪ منها في فصلي الخريف والربيع.

بخصوص الحرارة فإن متوسطها في فم زگيد يفوق 20 درجة، ويزيد معدل الحرارة القصوى على 30. الرياح شرقية إلى جنوبية شرقية جافة وجنوبية غربية إلى غربية رطبة، ويتعدى التبخر الكامن 2500 ملم في السنة.

هذه الظروف ليست هي الكفيلة بوجود الاستغلال الزراعي الواحي المكثف والاستيطان البشري القديم المميزين للمنطقة. أهم من ذلك الوضع الجيومرفلوجي للواحات، المقفلة بعوارض باني الثاني التي تنساب منها السيول فتغذي العيون والمنخفضات وتنظم صبيب الخطارات. وادي زگيد عند عاليته يتلقى كمية مطرية تضاعف ما يتلقاه في المركز مما يمكنه من أن يسيل عبر الواحات دون أن تتساقط في هذه الأخيرة أية كمية مطرية. من هنا نخلص إلى أن النسبة الجافة على مستوى التساقطات ليست بالضرورة "كارثية" على المستوى الزراعي إلا في حالة عمومية الجفاف، وأن طول وحدة فترة الشح المائي هي التي يكون لها انعكاسات وخيمة على النظام الواحي.

جرد لفترات الجفاف بالمنطقة :

تم الوقوف، حسب العقود والتسجيلات، على فترات الجفاف التالية بالمنطقة.

- فترة 1880 - 1884 : نجدها مؤرخة في العقود بالتاريخ الهجري 1300 - 1305.
- فترة 1910 - 1912 : تتوافق مع جفاف الساحل الإفريقي بين 1910 - 1916.
- فترة 1937 - 1941 : ارتبطت بالجفاف العام الذي هم المغرب بين 1934 - 1941.
- فترة 1945 - 1948 : أثرت على القطيع والنخيل أكثر من غيرها نظرا لتوالي وتقارب فترتين جافتين، بينهما أربع سنوات من توقف الجفاف فقط، لم تكن هي نفسها رطبة بما يكفي.
- فترة 1970 - 1979 : تزامنت بدورها مع جفاف الساحل

الإفريقي، مما يبدو أنه يؤكد ارتباط المنطقة بضغوط الجبهة البيمدارية.

- فترة 1981 - 1986 : كانت بمثابة استمرار لما قبلها وكان لها تأثير كبير على المركب البيئي الواحي بأكمله، في 16 سنة من الجفاف كفيلة بإتلاف التوازنات.

فترات الرطوبة بين السلب والإيجاب.

تخللت فترات الجفاف، فترات موسومة بالترطيب النسبي.

- 1919 - 1920 : ورد بشأنها في إحدى العقود "أن الناس استبشروا بها خيرا واستمر تأثيرها على المنطقة أزيد من عشر سنوات". إذ تتبعنا هذا الاستشهاد، فسنة رطبة واحدة بالواحة تكفي لعشر سنين، لكن هذا لا يتأتي إلا مع تحقق سلسلة زمنية لا تنزل فيها قيمة التهاطلات عن 40 ملم / سنة.

- 1948 - 1969 : دخلت الواحات في نهضة بيئية جديدة. خصوصا في موسم 1954 - 1955 ، حيث سجل أقصى تهاطل، بلغ 283 ملم. ونظرا لما أغدقته على المنطقة من خيرات، باستمرار الوفرة المائية في العيون والخطارات لسنوات، فإن الناس أرخوا بهذا الحدث. فهنالك كذلك من سماه عام الجدب كما سماه آخرون عام الهدم.

- 1979 - 1980 : وصلت التساقطات إلى 254 ملم، وأحدثت فيضانات كانت سلبياتها أكثر من إيجابياتها. إذ حطمت وردمت جل خطارات الواحات لأنها جاءت بعد فترة جفاف طويلة. على العموم، يمكن اعتبار أوضاع التوازن التساقطي بالواحات من قبيل البقاء فوق عتبة 40 ملم سنويا، على أن تتخللها مرة واحدة على الأقل في كل عشر سنين يكون فيها التهاطل بمستوى 200 ملم.

تعتبر الشبكة الهيدروغرافية عنصر توازن وتدهور في آن واحد.

تنتمي المنطقة إجمالا إلى حوض واد زگيد، باستثناء الجزء الغربي الأقصى الذي يرتبط بحوض أسيف - ن - وولوز، وهو مجرى تصب مياهه في درعة السفلى عبر وادي تسينت.

يغطي حوض زگيد، الذي يعتبر ضمن حوض درعة السفلى، حوالي 3000 كلم$^2$، نصفها جبلي، بالسفح الجنوبي من الأطلس الصغير. أما حوض وولوز فيسقي مجال اسنگارن على مساحة تقدر بحوالي 250 كلم$^2$.

أهم الفيضانات التي عرفها فم زگيد كانت سنة 1920، 1954 / 55 و1958 - 1959. يتميز الحوض بعدم الانتظام في الجريان بين روافده. فإذا كان واد أسمليل يساهم كل سنة بقسط من الماء، حتى في سنوات الجفاف، التي تعرف أقل من 40 مم، فإن واد إليغ بقي، على سبيل المثال، ثلاث سنوات بدون جريان، من 75 - 1976 إلى شتاء 77 - 1978. نفس الشيء بالنسبة لأسيف وولوز المرتبط بحوض تسينت، فإنه لم يمتطح من 1973 - 74 إلى سنة 1979 - 80، مما تسبب في موت 10 000 نخلة بإسنگارن وحدها. النتيجة أن الأهم هيدروغرافيا ليس هو الجريان، بل الامتطاح، أي الفيض على الجوانب، ولو لثلاث مرات في السنة، لأن في ذلك إفادة للتربة المجاورة للوادي، ولأشجار النخيل وللسدائم المائية.

تقوم الشبكة الهيدروجيولية بأدوار مفيدة للتوزان، ولكنها تحتاج إلي التجدد في معظمها.

هناك نوعان من السدائم المائية.

- سدم بليورباعية متجددة،

- سدم جيولوجية في الركيزة الأولية، غنية بالماء، ولكنها محدودة التجدد.

أما السدم الجيولوجية المحدودة التجدد، فهي تنتشر في جل المجال وفي معظم الركائز الأولية، سواء الكلسية أو الحثية أو الشيستية. وهكذا، فإن المناطق الشاسعة المنزرعة "كالفايجات" و"الطريفية" تختزن، حسب الدراسات، كميات مماثلة من المياه، إلا أنها تحتاج إلى مصاريف باهضة في استغلالها.

بالإضافة إلى التعامل برفق نظرا لمحدودية تجددها.

وأما السدم البليورباعية القابلة للتجدد، فترتبط بمخاريط الانصباب والدرجات النهرية الممتدة والموروثة. ولقد ساعدت الوضعية شبه المغلقة للحوض، وبها تقسيمات داخلية، على التسريب البطيء للمياه، على المدى الطويل.

أعطت إحدى التحريات الهيدروجيولية التي قام بها قسم المياه بإدارة التجهيز لوارزازات (G. Durozoy, 1975) بعض النتائج المعبرة.

جاء المعدل الإجمالي للتسرب بالنسبة لمجموع الحوض بقيمة 7٪. أما بالنسبة لمنخفضات الفيجات والطريفية، فهو يصل إلي حدود 12 ٪ ويصير في الجبل، حيث الركائز الكلسية والشيست - كلسية، من التواضع بمدى 2 إلى 3٪ فقط، نظرا لقوة الانحدارات.

تكون بذلك السدم الأكثر تجددا هي فرشات منخفضات الفيجات، ولهذا تركز بها أكثر من 400 بئر لسقي ضيعات الخواص، مما كان له تأثير على الصبيب الهيدرولوجي العام صبيب الخطارات على الخصوص.

كما نجد بالمنطقة سدما معلقة أو قريبة، تنشط في فترات الأمطار وتغذي المروج والبحيرات، نحددها على الخصوص في بحيرة إريقي، التي كانت إلى عهد قريب، حتى الستينيات، تمثل أهم المحميات الطبيعية بالمغرب، نظرا لكبرها ولوجود غابة رواقية تعيش عليها، تستوطنها حيوانات مثل الغزال والأيل والظبي والدامي و"الذئب"، وتؤمها طيور مهاجرة مختلفة الأنواع وتسبح في مياهها العديد من الأسماك. وقد عرفت على الخصوص باستيطان جالية هائلة من طير النحام. إلا أن بحيرة أريقي لم ترتبط فقط بالسديمة المائية المعلقة بمياه واد درعة أثناء فيضاناته، ولهذا فإن الجفاف الذي لحق المنطقة منذ 1970 وإتلاف الرحل للمجرى الأصلي للواد أديا إلى نضوب وتحطم توازنات البحرية.

المهم أن المورد المائي السطحي والباطني يتكاملان في ظل شروط بيئية خاصة ويسهمان في توازنات المنطقة بتشكيل المورد الترابي والمورد النباتي.

أهم الأتربة المتوفرة في المجال هي :

التربة الطمي ـ رملية، التربة الرمل ـ طميية والتربة الرملية، والتوضعات المختلطة الأحجام.

توجد هذه الأتربة بالمنخفضات وعند أقدام الجبال وفوق الدرجات النهرية وعند مخارج العيون وعلى ضفاف الأودية. يمكن تصنيفها من الناحية الزمنية إلى صنفين.

ـ أتربة الرباعي القديم والأوسط، وتمثلها التربة الرملية الموجودة في النخيلة شمال فم زگيد، إلا أنها في باقي المجال لا تمثل سوى موروثات ضعيفة الانتشار.

ـ أتربة الرباعي الحديث والهولوسين، وهي عبارة عن انحراف الأودية والشعاب الذي يمتد على سطوح المنخفضات البيجبلية وأقدام الجبال، وهي الأكثر انتشارا في الميدان، ويمكن تصنيفها كأتربة رمل ـ طميية أو طمي ـ رملية. إلا أن الإرسابات الحالية لا تتشكل سوى من توضعات مختلطة الأحكام، دلالة على الخلل البيئي الذي غالبا ما يقوم بتحديث القطاعات الترابية بالإطماء.

لذا بات من الضروري تشييد حواجز وسدود تلية من أجل التقليل من عوامل التحديث الترابي، سواء بالإزالة والبتر، أو بالترسيب والإطمار، الذي تتعرض له أتربة التراث الرباعي الحديث والهولوسين الأرطب مقارنة بفترتنا الحالية. وذلك حتى لا يتم القضاء على النظام البيئي الهش، المهيكل من طرف الموارد النباتية، والنخيل منها على الخصوص.

الغطاء النباتي المتفاعل مع الوضع الواحي :

سمحت الأوضاع المناخية والهيدرولوجية والهيدروجيولوجية والترابية بتكوين غطاء عشبي موسمي قصير الدورة الإنباتية، فهو ينمو بعد سقوط المطر ويموت بعد التعمير بضعة أسابيع.

أما الغطاء الشجري فهناك السدرة والطلح مع وجود غابات رواقية بجانب الأودية مكونة من السمار والنباتات الإلف رملية والإلف ملحية. إلا أن أهم الأشجار التي تناغمت مع الوضعية الواحية هي النخيل، حيث ارتبط بها الإنسان ورعاها لكونها شكلت مورد رزقه ورمز تشبثه بالواحة.

عملت هذه الموارد جميعها على جذب الإنسان إلى الواحات عموما، وواحات فم زگيد من ضمنها إذ كانت منذ القديم مطمعا لقبائل كثيرة، مما فرض على الساكنة المحلية التحصن وراء أسوار وأبراج القصور والاندماج في نظام جماعي يحمي الواحات القبيلة.

الإرث التاريخي دعامة للموروث البيئي.

دلت الحفريات والدراسات التي أجريت بالمجال على وجود العديد من الأماكن الأثرية التي ترجع إلى الحقبة النيوليتية كمغارة فم تازكرغا، على بعد 10 كلم جنوب مركز فم زگيد، ومغارة حاسي الهويرة، بالقرب من تانگرفا، ومغارة إغان، بجماعة تليت، وعدة كهوف ومغاور بسيدي عبد النبي والدريهمية، قريبا من الحدود الجزائرية.

تحتوي هذه الأماكن على خطوط ونقوش جدارية ورسوم تبين طريقة صيد الغزال... ولقد قورنت بعض الخطوط بحروف تفناغ الأمازيغية فوجد تشابه كبير بينهما. كما عثر على أسس بناء غريبة وأدوات العصر النيوليتي، خصوصا ناحية الدريهمية وسيدي عبد النبي.

كل هذا يدل على مدى أقدمية الاستيطان بالمنطقة وأننا أمام تراث وطني وليس محليا فقط. أضف إلى هذا أن درعة السفلى لعبت أدوارا رائدة في تاريخ المغرب، وبالضبط عند نهاية الدولة الوطاسية، إذ كانت المنطلق الروحي للدولة السعدية. وفي هذا الصدد، يورد المؤرخون ومنهم الناصري، في كتابه *الاستقصاء* (القسم الأول، ج 5، دار الكتاب) نصا يبين أنه كان من المفروض أن تعقد البيعة للشيخ الصالح أبي عبد الله محمد بن مبارك الأقاوي، نسبة إلى أقا بدرعة السفلى، أثناء تأسيس الدولة السعدية، وأن الرجل الصالح قد امتنع وأشار على القوم بمبايعة شخصية ثانية من درعة كذلك هو أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله.

كانت نتيجة الأوضاع المضطربة، المطبوعة بالصراعات أن تكون خليط إثني، تشكل من العرب والأمازيغ، ترجمته العديد من اللهجات ونتجت عنه استعمالات متنوعة للأرض وتحكم قوي في الماء الذي كان مصدر الصراع ويزال.

إلا أن المورد المائي بدأ يعرف ندرة واضحة بالعلاقة مع الوضعية المناخية ومع عدد السكان المتزايد، فأصبح الموروث البيئي في خطر.

إحصائيات سكانية بفم زگيد :

1971 : 10 664 ؛ 1982 : 18234 ؛ 1994 : 25 524

أهم الموارد المائية بالنسبة للواحات يأتي من الخطارات التي شيدها الأقدمون، ومن آبار الضخ المرتبطة بالسدائم المائية التي تتغذى بمياه التساقطات والفيض. إلا أن واحات فم زگيد عرفت خسارة مائية ناتجة عن جفاف 1972 ـ 1978 وعن الردم الذي تعرضت له الخطارات إثر فيضانات 1979 ـ 1980 التي أعقبت الجفاف. ومن ذلك الحين تم تسجيل حوالي 30 دوارا في حالة خصاص مائي، وتكلف قسم الموارد المائية بوزارة التجهيز بالبرنامج التالي :

ـ حفر آبار من أجل تقوية صبيب السواقي في سنوات الجفاف ؛

ـ حفر آبار قصد توفير الماء الصالح للشرب للسكان وللماشية ؛

ـ إيجاد موارد مائية جديدة من أجل السقي لتوسيع القطاع أو خلق قطاعات جديدة.

إلا أن المشاريع لم تكلل بالنجاح، باستثناء مشروع الماء الصالح للشرب، وأسباب الفشل غير معروفة. لكن في السنوات الأخيرة، أخذ أبناء المنطقة على عاتقهم النهوض

بالتنمية المجالية، فأقاموا مشاريع للإنارة والسقي والاستطلاع خوفا من أن تسقط الواحات في مسار التدهور التام. يؤدي هذا المسار في النظام الواحي إلى التصحر عبر النقص في الموارد المائية وتراجع الغطاء النباتي، وإلى تخلي السكان عبر تفكك النظام الجماعي والهجرة.

ارتباط توازن النظام الواحي بتنمية شاملة ومندمجة :

تقتضي التنمية الشاملة والمندمجة إعداد المجال الواحي في إطار الاهتمام بالمنظومة البيئية العامة حسب النهج التالي :

- تخلي الدولة عن سياسة الاهتمام بالمجالات المحظوظة وحدها، والاكتفاء بمراقبة المجالات المهمشة ؛
- اعتبار الواحات ضمن أولويات مخطط التنمية الريفية مع إعطاء السبق لواحات درعة السفلى ؛
- محاربة الجراد ببلدان الساحل الإفريقي قبل أن يصل إلى محور الواحات ؛
- تخصيص مداخيل هامة للتنمية الواحية تؤخذ من مختلف الصناديق المتخصصة : صندوق الكوارث الطبيعية، صندوق التنمية القروية، صندوق التنمية الفلاحية، صندوق تجهيز الطرق ؛
- إعادة الدور الذي كانت تقوم به الجماعة القبلية، والتنسيق بينها وبين الجماعة العصرية ؛
- خلق وحدات إنتاج صغرى لتثبيت وتشغيل الشباب ؛
- تشجيع المبادرات الفردية والجماعية التي تهدف إلى إقامة قطاعات تنموية منتجة.

والداعي إلى طرح هذه الشروط هو الضرورة الملحة، لأن الواحات الزگيدية خصوصا ودرعة السفلى عموما مشرفة على أوضاع التدهور الخطير. فمردودية النخيل والحناء على سبيل المثال قد نزلت في بعض الأماكن إلى أقل من 50٪.

إلا أن اللوحة ليست كلها قاتمة. لقد بدأت بوادر الإسعاف للنظام الواحي تظهر في السنوات الأخيرة :

- المبادرات الفردية المحلية لتوسيع الأراضي المسقية وحفر الآبار وتنويع المحاصيل من خضراوات وفواكه. كما أن إمداد المنطقة ببعض المياه، أعاد الحياة للنخيل الذي كان في عداد الموتى ؛
- كهربة القري بالمحركات من طرف السكان أنفسهم، دون تدخل أجهزة الدولة، باستثناء المركز ؛
- إيصال الماء الشروب إلى أهم القصور الصحراوية ؛
- تعبيد الطريق الرابطة بين تازناخت وفم زگيد، سنة 1988 ؛
- تعبيد الطريق الرابطة بين فم زگيد وعمالة طاطا مع بداية 1995 ؛
- إقامة تعاونيات للحليب وللمواد الغذائية وللصناعة التقليدية، ومركز للتكوين المهني وملاعب، إضافة إلى اكتمال حلقة التعليم الثانوي.

كما شرع في تنفيذ سلسلة من المشاريع هي :

- إيصال الكهرباء إلى الدائرة ؛
- بناء سد تلي، كان من المقرر أن ينجز في 1956 ؛
- مستشفى قروي بطاقة 80 سريرا ؛
- مكتب بريدي متكامل، مع إمكانية الربط الهاتفي المباشر ؛
- فرع للبنك الشعبي.

عموما، إذا كانت هذه المشاريع والمنجزات مهمة بالنسبة للواحات، فإن العنصر الأساسي الذي يجب التحكم فيه من أجل التنمية الشاملة هو تثبيت العنصر البشري بالحد من الهجرة وإيجاد فرص الشغل والمحافظة على التوازنات البيئية.

استثمار الموروثات واستغلال الموارد المحلية كمنتوج سياحي.

- استثمار الموروثات للتنشيط السياحي :

تعتبر البيئة الواحية كلها موروثات سواء من الناحية الطبيعية أو البشرية، إذ تعاقبت عليها حضارات موغلة في القدم، طبعت المنطقة. تحكي لنا الكهوف والمغارات من خلال الكتابات التي تجمع بين خط تفناغ والخط الليبي القديم أنماط استغلالية للمجال. ولقد سبق تقديم مجموع من المناطق، تحتوي على المواقع الأركيولوجية وأدوات العصر الحجري القديم بالإضافة إلى العديد من الموروثات الأخرى الواجب توظيفها ومنها :

- القصور الصحراوية كنموذج للعمارة الإسلامية التي يجب التعامل معها كتراث وطني ؛
- طرق تقسيم المياه المخصصة للسقي بين أفراد القبيلة ؛
- تعويض المواسم بمهراجانات ثقافية تعرف من خلالها : الرباطات والشخصيات التي أسهمت في بناء المغرب أو أجزاء منه ؛ الزوايا التي أسهمت في نشر الإسلام بإفريقيا كزاوية تيسنت، المغيمة، والزاوية اليعقوبية لسيدي محند يعقوب ؛ الهوية الثقافية للإقليم.
- استغلال الموارد المحلية كمنتوج سياحي :

يمكن أن تقدم هذه الجهة من المغرب للسائح أجمل ما لديها من مشاهد نوعية : نظام الخطارات البديع ؛امتداد الواحات النخيلية على جوانب الأودية ومصاب العيون ؛ بحيرة إريقي التي كانت تعتبر محمية عالمية للطيور المهاجرة ومركزا للوحيش (الغزال، الأروي، الدامي، الذئب...). وإذا كان الجفاف قد قضى على توازناتها، فإنه بالإمكان أن تستعيد دورها البيئي والجمالي بتشييد سدود مجاورة لها تزودها بالماء بعد إعدادها إعدادا جيدا ؛ شلالات عتيق قرب تسينت التي تشكل منظرا بيئيا رائعا واستثنائيا في مثل هذه المجالات.

إدريس الفاسي، 1982 ، الجفاف حول الصحراء، الطبيعة والسلوك البشري، دراسة بيئية، *مجلة جغرافية المغرب، 6 س، ج 37 - 50* ؛ محمد محيي الدين، *التطورات البليورباعية بدكالة الجنوبية الغربية وهوامشها*، د. د. ع، الرباط، 1990 ؛ سعيد باعلا، *التجهيز*

*القروي بين تدخل الدولة ومبادرة المجموعات المحلية بواحة فم زكيد نموذج الكهربة القروية* ، بحث الإجازة، كلية الآداب، أكادير، 1993.

A. Bencherifa, Ecologie culturelle de l'oasis de Figuig, in *Aspects de l'agriculture irriguée au Maroc*, Rabat, 1992 ; M. Berriane, *L'espace touristique marocain*, ERA, 706, Urbanisation au Maghreb, CNRS, Université de Tours, 1990 ; Tourisme de montagne au Maroc, *Actes colloque, Environnement et développement*, p. 391-403, Rabat, 1992 ; *Direction de l'Hydraulique*, Enquête hydrogéologique dans la région de Foum Zguid, Ouarzazate, 1981 ; Th. Fox, Planifier la gestion des ressources naturelles nationales *Actes colloque, Environnement et développement*, p. 43-51, Rabat, 1992.

محمد محيى الدين

**الواحة** (مجلة) مغربية أصدرتها جمعية البعث الثقافي بمكناس. صدر منها عددان اثنان : أولهما في شهر يوليوز 1966 ، وطبعت بمطبعة الشمال الإفريقي بالرباط. أما العدد الثاني فتاريخ صدوره 17 يناير 1967 ، وقد تم طبعه بمطبعة الازدهار بالرباط. ترأس تحرير المجلة الأستاذ أحمد الغرميلي، وأدارها الأستاذ محمد فجاج، وكلاها من أسرة التعليم - يومئذ - بمكناس. وقد أرادا لها أن تكون "مجلة فكرية أدبية جامعة". تؤكد كلمة العدد الأول أن المجلة إنما هي حصيلة مجهودات تطمح إلى خلق مجال للتعبير عن الرأي، وتحريك النقاش حول القضايا التي تتصل بميادين المعرفة والأدب والفن وكل شيء يعتقد أنه يخدم حضارة شعبنا. وانطلاقا من الاقتناع بأن الأدب كان ولا يزال الغذاء الروحي والفكري لأي شعب مهما اختلفت ميولات أبنائه، وبأن في استطاعته - إذا كان يتقصى الصدق - أن يرفع من مكانة المجتمعات ويرقى بالإنسانية، فإن المجلة تأخذ على نفسها العمل بإخلاص على أن تجعل من نفسها مرآة صادقة تنعكس على صفحاتها كل الأفكار الملتزمة والتي تتوخى خدمة حضارتنا الأدبية والفنية والفكرية.

وعلى الرغم من أن "الواحة" لم تعمر طويلا إذ لم يتهيأ لها أن تتجاوز عددها الثاني، فإن صفحاتها التي تقارب السبعين حافلة بمجموعة من الإسهامات التي تتوزعها موضوعات في السياسة، والأدب، والنقد، وأخبار الفن، والقصة، والحوار، وقضايا المرأة، مما يشكل رصيدا معرفيا غنيا بتنوع مواده ومشاربه.

من كتاب المجلة : محمد السرغيني - حسن المنيعي - إدريس بنجلون - رضوان حدادو - حمادي التونسي - إدريس الخوري - مصطفى الرقى - فاطمة المدغري ... أما ديوان المجلة فقد حفل بمساهمات شعراء نذكر منهم : حسن الطريبق - بنسالم الدمناتي - عبد السلام الزيتوني - عبد النبي أبو العزم. ومن غرر ديوان المجلة قصيدة للشاعر المكناسي علال بن الهاشمي الفيلالي (الخياري) بعنوان مكناس مطلعها :

مكناس، إنك والجمال بموضع ... زاهي الرضاب قضيتُ فيه شبابي
بلد النخيل، حللت ربعك ذاكرا ... نشوات عمري من هوى وتصابي

*الواحة*، ع 1، يوليوز 1966، 32 صفحة، الرباط ؛ ع 2، 17 يناير 1967، الرباط، ص. 32.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**واد الذهب** - الگويرة (جهة -) تكوّن إحدى الجهات الصحراوية المغربية الثلاث، تغطي مساحة واسعة تجعل دائرتها الترابية تمتد حتى التخوم المغربية - الموريطانية، تعرف نسبة تمدن عالية تجعل حوالي 83٪ من السكان يستقرون بالمراكز الحضرية، وتزخر بموارد طبيعية وبشرية متنوعة تتمثل في المراعي الشاسعة وفي المصايد البحرية الغنية وفي المؤهلات السياحية الواعدة. ولقد أحدثت بناء على التقسيم الإداري الأخير الذي عرفته البلاد سنة 1997، أحدثت هذه الجهة لتشكل إحدى أهم الجهات التي تغطي المناطق الصحراوية المغربية. تحدها من الشمال جهة العيون - بوجدور، ومن الشرق والجنوب الجمهورية الإسلامية الموريطانية، ومن الغرب المحيط الأطلنتي. فهي تمتد على مساحة 865 142 كلم2 ، أي حوالي خمس مساحة التراب الوطني وحوالي 40٪ من مجموع مساحة الجهات المغربية الصحراوية ؛ وتتشكل من إقليمين هما : إقليم وادي الذهب الذي أحدث سنة 1979 ويمثل 60,5٪ من مجموع مساحة الجهة، وإقليم أوسرد الذي أحدث مؤخرا ليغطي 39,5٪ من هذه المساحة. ويتوزع الإقليمان إلى أربع دوائر (العركوب، بئر أنزران، بئر الگندوز) و11 جماعة قروية (العركوب، إمليلي، بئر أنزران، أم دريكة، ميجك، گليبات الفولة، أوسرد، أغوينيت، تشلا، الزوك، بئر الگندوز) وجماعتين حضريتين هما بلدية الداخلة العاصمة الإدارية والاقتصادية للجهة وبلدية الگويرة.

تتميز تضاريس الجهة ببنية بسيطة عبارة عن قاعدة قديمة، تنغرز في اتجاه الغرب تحت تكوينات رسوبية حديثة متنوعة تشكل قاعدة الوحدات الهضبية الغربية الشاسعة وسلسلة من السهول الساحلية. فالقاعدة القديمة تتوافق مع كتلة الرگيبات التي ترتبط بالقاعدة القديمة الإفريقية، وتقدم بروزات صخرية قديمة عبارة عن مواد متحولة تنتمي إلى الماقبل كبري، تخترقها تكوينات صخرية بلورية هرسينية على شكل بهرات غرانيتية متفاوتة الأهمية. ونظرا لقدم هذه الوحدة البنيوية وتنوع صخورها، فإن تضاريسها يغلب عليها طابع الهضاب الشاسعة المستوية، التي تتخللها مجموعة من المنخفضات المغلقة وتقطع رتابتها سلسلة من الأعراف والقمم المنعزلة. كما أن هناك قطاعات واسعة من هذه الهضاب تغطيها مجموعة من العروق الرملية.

في اتجاه الغرب تنغرز كتلة الرگيبات تحت التكوينات الصخرية الرسوبية المعروفة بالأحواض الساحلية، وهي عبارة عن طبقات أفقية تتشكل من صخور كاربوناتية تنتمي إلى الطباشيري والإيوسين. وتتوافق هذه المواد المنضدية مع شريط من الحمادات تتغير معالمه بين جنوب وشمال الجهة وعند القطاع الشمالي تحتل هذه المواد مجالا واسعا، وتشكل حمادة حقيقية حول منطقة بئر أنزران ؛ أما عند القطاع الجنوبي فإن هذا الحوض الرسوبي يتحول إلى شريط ضيق

بسبب انحصاره بين كتلة الركيبات التي تتقدم بعيدا نحو الغرب، والمواد الحديثة الثلاثية والرباعية التي تشكل شريطا موازيا لخط الساحل. وعند الساحل يغيب المظهر التضاريسي الكتلي والهضبي الداخلي ليحل محله مظهر متموج مرتبط بتداخل وتنوع التكوينات القارية والساحلية الحديثة، المكونة من مواد فتاتية متصلبة ومن مواد رملية تتعرض لتحريك مستمر تحت تأثير الرياح.

ومن اللافت أن اتصال اليابسة بالبحر يتم بشكل تدريجي وبكيفية لا مثيل لها عند الساحل الإفريقي الشمالي، وينتج عن هذا الاتصال هضبة قارية شاسعة يتقدم عندها خط تساوي عمق المياه البحرية 200 م إلى حدود 130 كلم قبالة خط الساحل الممتد بين موقعي الداخلة وبوجدور. وبذلك فإن ساحل جهة وادي الذهب - الگويرة يقدم أهم وأغنى المصايد المغربية الغنية بالرخويات والأسبوريات وسمك السردين.

بسبب موقعها عند أقصى جنوب المغرب وعند عروض مدارية، فإن جهة وادي الذهب - الگويرة تنتمي لوحدة المجال القاحل الذي تمثله الصحراء الإفريقية الكبرى المشهورة بجفافها المفرط، غير أن محاذاتها للمحيط الأطلنتي يجعل مناخها يتميز بنوع من الاعتدال خاصة عند الشريط الساحلي. لذلك فإن هذه الجهة تقدم نموذجا جيدا لنوع الصحاري الساحلية الضبابية، التي تتميز برطوبة نسبية عالية وبنظام حراري معتدل.

يتميز الإطار المناخي العام للجهة باستقرار نظام خلايا الضغط المرتفع المدارية الذي يتسبب في الجفاف، وتترتب عنه التيارات الهوائية القارية الشمال / شمال - شرقية المعروفة بالرياح التجارية. وإذا كانت هذه الرياح القارية معروفة بجفافها وبارتفاع نسبة ترددها بالمنطقة، فإن الرسم الذي يتخذه خط الساحل الأطلنتي محليا يجعلها تساهم في تحريك المياه البحرية، ونشأة تيارات عمودية ترفع المياه العميقة الباردة إلى السطح. ومن حين لآخر ينقلب هذا الوضع حيث تستقر عند الساحل أنوية لضغط منخفض ينتج عنها هبوب رياح الشرگي التي ترفع درجات الحرارة وتؤدي إلى اندلاع زوابع غبارية قد تستمر على مدى عدة أيام.

وفي غياب الواردات المطرية الكافية، فإن ارتفاع معدلات الرطوبة النسبية عند الشريط الساحلي يشكل موردا مهما للرطوبة بالنسبة للحياة بشكل عام وعلى الخصوص بالنسبة للغطاء النباتي الذي يعرف كثافة وتغطية غير معهودة عند المجالات الجافة الشرقية. وإذا كان هذا الغطاء النباتي له مردودية اقتصادية مباشرة على قطاع الماشية، فإن له أيضا دوراً حيوياً على صعيد تثبيت التربة وصيانتها من عوامل التعرية المائية والريحية. ونظرا لشح الواردات المطرية، فإن فرص الحصول على موارد مائية متجددة تبقى جد محدودة. فالمياه السطحية ضعيفة كميا وكيفيا، والمياه الجوفية ترتبط بشكل أساسي بالفرشات العميقة الموروثة عن الفترات المناخية الرطبة القديمة.

إن الطبيعة الجيولوجية تقدم مؤشرات واعدة حول إمكانيات توفر جهة وادي الذهب - الگويرة على مكامن للمحروقات داخل الحوض الرسوبي الثنائي - الثلاثي والمستمر تحت المياه البحرية، كما أنها تتوفر على إمكانيات مهمة على مستوى مصادر الطاقة المتجددة من نوع الطاقة الريحية والطاقة الشمسية، وأيضا، فإنّ الامتداد الواسع للقاعدة القديمة المنتمية لكتلة الركيبات يجعل الجهة تتوفر دون شك على طيف معدني فلزي متنوع لا يعرف عنه إلا الشيء القليل. وتبقى أهم المكامن المعدنية المعروفة هي تلك التي تهم معدن الحديد.

وتتميز الجهة بنمو ديموغرافي سريع، غير أن ساكنتها لا تمثل إلا 0,14٪ من مجموع سكان المغرب، و6,1٪ فقط من مجموع سكان الجهات المغربية الصحراوية، وهذا يجعلها منطقة فراغ سكاني يرتبط بمحدودية مواردها الطبيعية القارية، وببعدها الجغرافي، وأيضا بشساعة أراضيها. إذ الكثافة السكانية لا تتعدى 0,26 نسمة / كلم2. وقد عرفت نموا ملحوظا جراء تزايد عدد السكان خلال العقدين الأخيرين، فقد انتقل حجم ساكنة الجهة من 21496 نسمة سنة 1982 إلى 36751 سنة 1994 ، أي بنسبة نمو 4,57٪ في السنة. وتعتبر هذه النسبة من نسب النمو الديموغرافي العالية المسجلة بباقي الجهات المغربية الصحراوية.

غالبية سكان جهة وادي الذهب - الگويرة يستقرون بالوسط الحضري، فنسبة التمدين تتجاوز 84٪. ويرتبط هذا التوزيع السكاني اللامتكافئ بالدينامية الديموغرافية السريعة التي تعرفها مدينة الداخلة، والتي جعلتها تحتضن أكثر من 81٪ من مجموع ساكنة الجهة وحوالي 96٪ من مجموع السكان الحضريين المقيمين بهذه الجهة. ويتوزع باقي هؤلاء بمركزين صغيرين جدا هما الگويرة والعركوب. ومن المرتقب أن تتعزز نسبة التمدين وتتوسع الشبكة الحضرية داخل الجهة بعدما تنتهي أشغال بناء وتجهيز المركز الحضري الجديد بموقع أوسرد.

وتشكل مدينة الداخلة اليوم القطب الحضري الرئيسي داخل الجهة، نشأت وتطورت كمركز بحري عند الساحل الشرقي من خليج وادي الذهب الذي يوفر ميناء طبيعيا ينفتح على أحد أغنى وأكبر المصايد البحرية الوطنية. وقد تمكن هذا المركز الذي ظل يعاني من التهميش بسبب بعده الجغرافي، من الظفر غداة عودته إلى الوطن الأم بوظائف أخرى غير تلك المرتبطة بالنشاط البحري، مثل الصناعة والتجارة والخدمات والإدارة.

بالنظر إلى طبيعة عناصر الوسط المتميزة بجفاف المناخ ومحدودية الموارد المائية وفقر الأتربة، وحسب المعرفة المحدودة المتوفرة حول المكامن المعدنية والطاقية، فإن ركائز الاقتصاد الجهوي تنحصر في دعامتين أساسيتين هما استغلال الأحياء البحرية والزراعة المرتكزة على النشاط الرعوي بالدرجة

الأولى، وكل ما يترتب عن هذين المحورين من أنشطة حرفية وتجارية وخدماتية وإدارية، إضافة إلى كون جهة وادي الذهب - الگويرة بحكم موقعها تبقى مرشحة للعب دور تجاري دولي موجه نحو دول إفريقيا الغربية.

على غرار باقي الجهات الصحراوية، يتم النشاط الفلاحي بجهة وادي الذهب - الگويرة في إطار نظام زراعي رعوي مبني على الترحال، لا تمثل زراعة الأرض إلا نشاطا تكميليا وعابرا يتوسع نسبيا خلال السنوات المطيرة، ويتراجع ويتوقف خلال السنوات الجافة التي تدوم مدة طويلة.

تتمثل الأراضي القابلة للزراعة في المجاري المائية وفي الكرارات التي تمثل منخفضات مغلقة تنتهي عندها الأودية التي تحمل إليها المواد الغرينية التي تشكل قاعدة غطاء ترابي غني نسبيا. ويبقى المحصول الوحيد القابل للنجاح عند هذه الأوساط هو الشعير الذي يدخل في نظام تغذية السكان وكذلك كعلف تكميلي للماشية في بعض الحالات.

تتوفر الجهة على دوائر سقوية محدودة المساحة، تعتمد على ما توفره الأثقاب المائية الأرتوازية ومجموعة من الآبار تستغل مياه الخزانات الجوفية المحلية بصبيب إجمالي في حدود 200 ل / ث، وتتشكل هذه الدوائر من ثلاث وحدات هي تاورطة وظهر الحولي وتينيكر مجموع مساحتها حاليا هو 102 هكتار، وتبقى قابلة للتوسيع إلى حدود 225 هكتارا. ورغم صغر المجال المسقي فإنه يساهم في تغطية جزء من حاجيات مدينة الداخلة من المنتوجات الزراعية من نوع الحليب والخضر والفواكه.

إن النشاط الفلاحي المسقي والبوري يبقى محدود الأهمية، ووقعه على الحياة الريفية محدود جدا بالقياس إلى النشاط الرعوي الذي يظل أساسيا لدى فئات عريضة من السكان، على الرغم من التحولات التي عرفها المجتمع خلال العقود الأخيرة. فبحكم طبيعة الوسط الصحراوي ونمط عيش الترحال وتوفر مراعي شاسعة تتجاوز 12 مليون هكتار، تعتبر تربية الماشية النشاط الرئيسي لدى السكان الريفيين ولدى نسبة مهمة من السكان المستقرين بالمراكز الحضرية. وإذا كان من الصعب ضبط حجم القطيع بسبب نمط الترحال الذي يفرض التحرك المستمر للماشية، فإن التقديرات المتوفرة حاليا تفضي إلى أن الجهة تحتضن حوالي 96000 رأس، منها 40500 من الماعز و30500 من الغنم و25000 من الإبل. ومقارنة هذه التقديرات مع تقديرات السنوات الفارطة تظهر أن القطاع آخذ في التوسع، وأن التأطير الذي تقوم به مصالح الفلاحة على مستوى تنمية الموارد المائية، والمراقبة والعناية الصحية بالثروة الحيوانية، وتنفيذ وتنظيم برامج دعم الأعلاف، وغير ذلك من التدخلات بدأت تعطي أكلها.

كما أن عناصر الوسط الساحلي والبحري المحاذي والمقابل لجهة وادي الذهب - الگويرة تطورت وانتظمت بشكل جعل منها أحد أغنى الأوساط الأحيائية البحرية المغربية والعالمية، التي تبحث عنها مراكب الصيد الوطنية والدولية بإلحاح. كما أن السواحل وخاصة عند خليج وادي الذهب توفر إمكانيات طبيعية وفرص نجاح مهمة لتربية الأحياء البحرية.

وحتى تستفيد هذه الجهة من هذا المورد الطبيعي المتجدد، فقد تم التدخل من أجل توفير مركب مينائي عصري متطور يجمع بين وحدتين متباينتين : رصيف قابل للتوسع على شكل جزيرة في عرض مياه خليج وادي الذهب قادر على استقبال مراكب الصيد بأعالي البحار ؛ وحي صناعي وترفيهي مرتبط بهذا المرسى بممر خاص، تم التخطيط لإعداده جنوب مدينة الداخلة على مساحة تتجاوز 270 هكتارا. وبالموازاة مع ذلك، فقد تم التفكير في وضع مجموعة من القرى العصرية للصيادين على امتداد ساحل الجهة الذي يتجاوز 660 كلم. وفي انتظار أشغال المركب المينائي المذكور، ينحصر نشاط الصيد البحري في الصيد الساحلي الذي يزاوله عدد محدود من المراكب لكنه يساهم بحوالي 40٪ من حجم الإنتاج المحلي الإجمالي، وفي الصيد التقليدي الذي تنشطه حوالي 3500 زورق مجهز بمحرك تشغل أكثر من 12000 فرد. أما الإنتاج فإنه في تزايد مستمر وقدر سنة 1998 بأكثر من 30000، 45٪ منها تمثله الرخويات، حوالي 40٪ يمثلها سمك السردين، والباقي تمثله أنواع السمك الأبيض.

تزخر جهة وادي الذهب - الگويرة بإمكانيات سياحية غنية وشديدة التنوع تجمع بين المشاهد الصحراوية الأصيلة، والفضاءات الطبيعية الفسيحة، والمناظر الساحلية المتغيرة المغرية بالقيام بأنشطة رياضية واستجمامية متعددة، وتقدم هذه المنطقة الصحراوية إرثا حضاريا نوعيا يبرز أحد الأوجه المضيئة للشخصية الثقافية المغربية. وقد تعزز هذا الغنى مؤخرا بعزم مصالح المياه والغابات على خلق مجالات محمية شاسعة، ستساعد على خلق الظروف المواتية لنمو وتطور بعض عناصر النبات والوحيش المهددة بالانقراض، والتي تمكن في نفس الوقت من تنشيط السياحة البيئية التي أصبحت سوقها الدولية تتوسع بشكل ملموس خلال السنوات الأخيرة. وعلى الرغم من المجهودات المبذولة على صعيد البنيات التحتية مثل ربط الجهة بشبكة الطرق البرية الوطنية وأيضا شبكة النقل الجوي الداخلي، فإن عدد السياح الوافدين يبقى محدودا مما يدعو إلى المزيد من العمل من أجل خلق مجال سياحي قادر على استثمار الموارد الطبيعية والثقافية المتوفرة.

إن جهة وادي الذهب - الگويرة تزخر بإمكانيات اقتصادية واعدة، يمكن في حالة إيجاد السبل الكفيلة باستثمارها بشكل جيد ومستديم أن تصبح إحدى الجهات المغربية النامية على الرغم من موقعها الجغرافي الذي يجعل منها منطقة صحراوية حدودية ونائية.

*تحريات ميدانية.*

الحسن المحداد

**واد المالح**، حوض إجمالي يقدر بحوالي 2800 كلم2، يعتبر وادي المالح من أهم الأودية على صعيد بلاد الشاوية ككل ؛ فهو دائم الجريان ؛ إذ بالإضافة إلى العيون المتعددة التي تتسلل مياهها لهذا الوادي، فإنه يتغذى أيضا ببعض الروافد، خاصة من الضفة اليسرى، أهمها وادي زمرين ووادي العطاش بالعالية ووادي الحصار بالسافلة. وقد بلغ الصبيب الأقصى لوادي المالح في يناير 1996 عند محطة القياس بالسد ما قدره 80 م3 / ث، مع وارد مائي سنوي يصل في المعدل إلى 120 مليون م3، متجاوزا بكثير مثيله عند أودية مجاورة كالنفيفيخ والشراط، وهذه الكميات المائية مرتبطة أساسا بحجم التساقطات المطرية ولا سيما بالهضبة الوسطى حيث توجد منابع روافده الأساسية. وترجع تسمية هذا الواد بالمالح إلى ارتفاع درجة ملوحة مياهه التي تصل خارج فترات الفيضان إلى 2 غ / ل، ويعزى ذلك بالأساس إلى ارتفاع درجة ملوحة مياه بعض العيون المزودة له (لارتباطها بطبقة الترياس الغنية بالأملاح)، ومن هذه العيون نذكر بالخصوص عين الصهريج بجماعة سيدي موسى المجذوب وعيون المغبرة بجماعة سيدي موسى بنعلي وعين مكون بالجنوب - الغربي لجماعة مليلة. لكن رغم الملوحة النسبية لمياه هذا الوادي فإنها تلعب دوراً هاماً في ازدهار زراعة الخضراوات على ضفاف مجراه، باعتبارها المصدر الرئيسي للسقي، خاصة بالضفاف الوسطى والسفلى عند جماعتي سيدي موسى بن علي وسيدي موسى المجذوب اللتين يقطعهما وادي المالح من الجنوب - الشرقي نحو الشمال - الغربي، وحيث اتساع قعر الوادي يتراوح حسب المواقع من زهاء 300 م إلى حوالي 1200 م، كلها مغطاة بتوضعات ترابية خصبة. مما جعل سكان المنطقة يلتجئون منذ القديم لاستغلال هذه المياه في سقي المزروعات بطرق تقليدية. وقد تنبهت السلطات الاستعمارية الفرنسية منذ السنوات الأولى لاحتلال المغرب في بداية العقد الثاني من القرن العشرين إلى أهمية المؤهلات الاقتصادية وغيرها لشريط وادي المالح فشرعوا في بناء سد على هذا الوادي سنة 1928.

*تحريات ميدانية.*

*Direction des Mines, de la Géologie et de l'Energie*, Ressources en eau du Maroc, t. 2, Rabat, 1975, p. 156 ; Monographie de la *Direction Provinciale des Travaux Publiques de Benslimane*, Service des Eaux, 1999, p. 3-4 ; *Direction des Mines...*, op. cit., p. 157.

**واد المالح** (سدّ -) مع الدخول الرسمي للاستعمار الفرنسي إلى المغرب سنة 1912 أصبح شريط وادي المالح محط أنظار المعمرين لما يتوفر عليه من مؤهلات فلاحية وترفيهية قل نظيرها ببلاد الشاوية، وللاستفادة من هذه المؤهلات بادرت السلطات الاستعمارية لوضع مخطط لتهيئة حوض الوادي منذ 1920، وفي مارس 1928 تم الشروع في تشييد الوادي في موقع يبعد فقط بحوالي 19 كلم من مصبه في المحيط الأطلنتي بجوار مدينة فضالة آنذاك (المحمدية حاليا)، حيث يتميز هذا الموقع بملاءمة التكوينات الجيولوجية، إذ يتكون قعر الوادي أساسا من الشيست الحثي غير النافذ الذي من شأنه أن يحول دون تسرب المياه المعبأة بالسد. وقد انتهت أشغال بناء السد سنة 1931 حيث كانت طاقة الخزن به تقدر بـ 18.000.000 م3، في حوض تبلغ مساحته 240 هكتار. وقد شيد حوض Vanne على بعد 5 كلم في اتجاه السافلة، لتجميع المياه الآتية من السد حيث يتم توزيعها على قناتين من الأسمنت المسلح إحداهما رئيسية يصل صبيبها إلى 450 ل / ث تمتد على الضفة اليمنى، ويبلغ طولها ما يناهز 14 كلم، أي إلى حدود مركز سيدي موسى المجذوب، أما القناة الأخرى فثانوية وتمتد بالضفة اليسرى على طول 4 كلم بصبيب يقع في حدود 50 ل/ث، وكان الغرض من هذه التجهيزات في البداية هو سقي : 1400 هكتار بسافلة السد، غير أن المساحة المسقية تراجعت أثناء السبعينيات من القرن العشرين إلى حوالي 400 هكتار بسبب التلاشي التدريجي للسواقي، وكذا الشيخوخة التي أصابت السد مبكرا بسبب تراكم الأوحال في حقينته لعدة سنوات دون العمل على إزالتها، فتقلصت طاقته الاستيعابية إلى أقل من النصف مع بداية التسعينيات، في حين كان من الأفيد تقنيا واقتصاديا إزالة الرواسب من الحقينة بصفة تدريجية والاستفادة منها بإعادة نشرها بمواقع تعرضت تربتها للإزالة كبعض المساحات السفحية والمقالع بسافلة السد بغية إعادة إحيائها. وهكذا لم يعد لهذا السد الآن (نهاية القرن العشرين) أي دور في سقي الأراضي بالمجال الفلاحي الموجود في سافلة الوادي، فضلا عن عدم تزويده للمراكز الحضرية والتجمعات السكنية الريفية المجاورة بالماء الصالح للشرب، وهذه المزايا يمكن تحقيقها بواسطة استصلاح وإعادة تأهيل السد، مع العلم أنه بالإمكان كذلك استغلال البحيرة كفضاء ومكان للسياحة والترفيه قصد الحصول على موارد مالية يمكن صرفها في مشاريع تهدف إلى حمايتها من التوحل ومن أجل مد قنوات السقي وصيانتها.

*وثائق إدارة سد وادي المالح* ؛ المختار الأكحل، *دينامية المجال الفلاحي بهضبة بنسليمان*، أطروحة دكتوراه الدولة في جغرافية الأرياف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، أبريل، 2001.

المختار الأكحل

**وادريم** (آيت -) قبيلة من قبائل سوس، تقع عند مقدمة جبال الأطلس الصغير ممتدة نحو الجنوب الشرقي لمنطقة هشتوكة عند موقع إدا ݣاران وإدا وبوزيا التي تحدها غربا، وتمتد شمالاً إلى إمي مزين وآيت فارس التي تفصلها عن مركز آيت باها، ومن الجنوب تمتد نحو قبيلة آيت حامد، وشرقا تحدها قبيلة آيت والياض وتحيط بها مواضع كبرى هي آيت ويگمان وإيمدِّيوْن وآيت أوغان وإيمكيّون وآيت تيكشيران وآيت إيفُوس. ومن مداشرها : آيت المعلم، آيت بلخيرَ، آيت الزاويت، أكنبوش، تاسيلا، إيفغل، آيت الطالب إبراهيم.

وتعتبر هذه الحدود البارزة على الخريطة الطوبوغرافية لسنة 1934 هي نفس الحدود التي وردت في كتاب : *ديوان قبائل سوس* في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي في القرن السادس عشر، حيث يقول "وأهل وادريم من واد سغوغ [شمالاً] إلى حدهم بأزيلال من الجوف [أي الغرب] وحدهم من اليمين [أي الجنوب] بمائتي سرجة". وكانت السرجة تساوي 75 شخصاً في المقياس السعدي، فكان بذلك عدد سكان آيت وادريم يبلغ 15.000 نسمة وهو عدد هائل يومئذ إذ يعادل سكان قبيلة آيت حمد المجاورة لها ويشكل ضعف عدد سكان قبيلة سندالة، ومن حيث التقسيم الإداري فآيت واديم منسوبة إلى قبائل هشتوكة قديماً وهو نفس التقسيم الذي تحتفظ به الآن فهي تنتمي إلى عمالة شتوكة آيت بها.

وقد أنجبت قبيلة آيت واد ريم عدداً من العلماء نذكر من بينهم الأستاذ محمد الوادريمي وهو من أساتذة معهد محمد الخامس بتارودانت المشهورين، كما أنجبت العديد من التجار المستقرين في بعض المدن المغربية أمثال : سي عابد الوديمي وغيره (انظر المعلمة) وكذا العديد من العمال المهاجرين خاصة إلى فرنسا وبلجيكا وغيرها.

الحساني إبراهيم، *ديوان قبائل سوس في عهد أحمد المنصور الذهبي*، تح. عمر أفا، 1989، ص. 23 ؛ *خريطة سنة 1936*، *خرائط طبوغرافية* 200 مليم مدينة تارودانت وتافراوت ؛ المتوكل الساحلي، *معهد محمد الخامس بتارودانت*، الدار البيضاء، 1985، ص. 165.

عمر أفا

**وادي زم**، يعتقد أن اسم المدينة يعني وادي السباع على اعتبار أن كلمة إيزم بالأمازيغية تعني السبع. وكانت وادي زم في الأصل قصبة من القصبات التي شيدت في عهد السلطان مولاي إسماعيل وورد اسمها مبثوثا هنا وهناك في بعض المصادر. ففي معرض حديثه عن الأزمة السياسية التي عرفها المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل، أشار أحمد الناصري إلى "أن السلطان المولى عبد الله كان مقيما في هذه المدة عند البربر وأنه تبع المولى المستضيء عند خروجه من مكناسة [...] وسار في اعتراضه إلى أن بلغ قصبة وادي الزم [...] وفي خامس عشر رجب ثلاث وخمسين ومائة وألف تحرك السلطان المولى عبد الله من الزم إلى مكناسة". وجاء في اليتيمة في شأن ولي تادلة الشيخ بلقاسم بن محمد الزعري "وكان له عزيب في بلد ورديغة وهو نازل مع أصحابه في موضع يقال له وادي الزم".

وبالنظر إلى موقعها الاستراتيجي ووفرة مياهها، اتخذ منها الفرنسيون ثكنة عسكرية للربط مع المراكز الخلفية بالشاوية وللتقدم نحو باقي الأطلس المتوسط. وإلى الغرب من الثكنة تكونت نواة المدينة. ففي سنة 1916، كانت نواة المدينة تمتد بجانب الطريق الرابطة بين ابن أحمد وأبي الجعد والفقيه بن صالح، بينما بلغ عدد سكانها حوالي 400 نسمة. وانتقل عددهم في سنة 1920 إلى 1200 نسمة، 300 منهم أوربيون. وفي سنة 1921، توزع سكان وادي زم حسب جنسياتهم كالتالي :

| فرنسيون | إسبان | إيطاليون | يونانيون | مغاربة |
|---|---|---|---|---|
| 295 | 100 | 20 | 16 | 1.785 |

وحسب إحصاء 1926، انتقل عدد سكان وادي زم إلى حوالي 3.045 نسمة، شكل منهم الفرنسيون 426 نسمة، وبلغ عدد الأجانب 177 نسمة، وظل المغاربة يشكلون الأغلبية بحوالي 2.445 نسمة. وفي سنة 1951، كان عدد سكان وادي زم يناهز 13.774 نسمة، احتل فيها المسلمون الأغلبية بحوالي 11.469 نسمة. وحسب إحصاء شتنبر 1994، بلغ عدد سكان بلدية وادي زم 73.953 نسمة، موزعة على 13.762 سكن، شكلت الإناث 51,29٪، واحتل الصغار أقل من 15 سنة 34,09٪ من المجموع، في حين بلغت نسبة الساكنة النشيطة (ما بين 15 و59 سنة) 58,57٪. ووصلت نسبة الأمية في صفوف السكان البالغين عشر سنوات فما فوق 38,31٪. و73,06٪ من المنازل مكهربة، و47,88٪ مرتبطة بشبكة الماء الصالح للشرب.

وخلال فترة الحماية، انتقلت وادي زم من مكتب للاستخبارات لمراقبة بني خيران وورديغة سنة 1916 إلى دائرة سنة 1918 راقبت وادي زم أبا الجعد وبني زمور إضافة إلى ورديغة وبني خيران والسماعلة. وخلال الثلاثينيات كانت وادي زم دائرة تابعة لجهة الشاوية، راقبت ملحقة أبي الجعد ومكتب وادي زم وملحقة دار ولد زيدوح. وخلال الخمسينيات كانت وادي زم عاصمة لإقليم يشرف كذلك على ملحقة خريبگة. اشتهرت بانتفاضة 20 غشت 1955، تلك الانتفاضة التي خلفت خسائر مادية وبشرية ثقيلة في صفوف المغاربة كما في صفوف الأوربيين، وهي اليوم بلدية وفي نفس الوقت دائرة تشرف على عدة قيادات في إطار التبعية الإدارية لإقليم خريبگة ولجهة الشاوية ورديغة.

عبد الكريم العبدوني، *يتيمة العقود الوسطى*، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، 305 ك.

Reyronnet Raymond, *Tadla, pays Zaïan, Moyen Atlas*, Alger, 1923 ; *Recensement Générale de la Population et de l'Habitat de 1994.*

صالح شكاگ

**وادي المخازن** (معركة -) هو وادي يقع على مشارف قصر كتامة (القصر الكبير)، شهدت ضفته الجنوبية إحدى أشهر المعارك في تاريخ المغرب والبرتغال معا.

كان للنزاع على العرش بين العاهل السعدي المتوكل (981 - 983 موافق 1573 - 1575)، وعميه عبد الملك المعتصم وأحمد المنصور تأثير أساسي في التطورات التي أدت إلى المعركة وما كان لها من أصداء داخل المغرب وخارجه. وقد قرر كل من المعتصم وأخيه أحمد إقصاء

المتوكل الذي وصف بالقسوة فالتمسا مساعدة عسكرية من الخليفة العثماني سليم، حيث استقبلهما في القسطنطينية وكانت تلك فرصة ثمينة بالنسبة لأحمد المنصور ليطلع على التنظيمات العسكرية والتقنيات الحربية لدى العثمانيين وليقتبس الكثير منها فيما بعد، عندما تولى الملك بعد أخيه عبد الملك.

وأحالهما السلطان العثماني على ممثليه بالجزائر. ومن هناك عادا إلى المغرب يصحبهما خمسة آلاف جندي وضابط بعتادهم مقابل تعهدات بتعويض الجيش التركي بمجرد إقصاء المتوكل. ومن الأتراك أو العلوج العاملين في صفوفهم، اتخذ المعتصم حاجبه رضوان. وأدت هزائم المتوكل إلى استنجاده مباشرة بالعاهل البرتغالي الشاب دون سباسْتيان الذي التزم المتوكل أمامه بتنازلات ترابية قد تجرد المغرب من كل سواحله لحساب البرتغال. وبدأت استعدادات سريعة فيما يبدو من الجانب البرتغالي لمواجهة عبد الملك المعتصم وأنصاره. وكان عبد الملك قبل ذلك قد فرض نفسه سلطانا على معظم المناطق المغربية، وأسند إلى أخيه أحمد إمارة فاس والأقاليم المرتبطة بها. أما المتوكل فقد حاول أن يثبت أقدامه بسوس التي استولى عليها فترة قصيرة، وقد كانت تمد يدها إلى المعارضين من العلماء والأمراء الذين يعدون منهم، لكن ما لبث المعتصم أن استرجع سوس، وكاد عرشه يتزعزع بمراكش أيضا. وقد بدا أن الجبهة الداخلية غير متماسكة لدى النظام السعدي. وقد حاول المتوكل وهو يتحرك مع الجيش البرتغالي نحو المغرب، أن يضغط على العلماء والأشراف والصلحاء والجند مهدداً إياهم في خطاب مطول بسوء العاقبة إن لم يتراجعوا عن بيعة عبد الملك، لكنه تلقى من علماء فاس وباقي أطراف المعارضة، مذكرة مطولة ترمي المتوكل بالخيانة وتتهمه بجلب العار والهوان إلى مواطنيه. والواقع أن المتوكل حسب رواية كل من المعسكري وابن القاضي التزم التخلي عن كل التراب الساحلي المغربي لدون سباستيان الذي طمَّعه طموح الشباب في احتلال كل ما بقي من سواحل المغرب خارجا عن سيطرة البرتغال والإسبان. وذلك أن سواحل الأطلسي خاصة، تؤمّن سهولها المزيد من الثروات الزراعية والسمكية، كما أن الموانئ الجنوبية خير محطٍّ لسفن المحتل قبل مواصلة سيرها عند الاقتضاء إلى سواحل إفريقيا الغربية. ثم إن وضع اليد على الساحل المغربي جملة يخنق عملية التبادل الاقتصادي المباشر بين المغرب وأوروبا.

وبدون شك، فإن أحمد المنصور بوجه خاص وسائر الأطراف الوطنية الواعية، كانت تدرك جيداً مغامرة المتوكل وحليفه البرتغالي دون سباستيان الذي لقي معارضة حقيقية لمشروعه غير المدروس بكيفية عميقة. وحسب وثائق دوكاستري (فرنسا، مجلد 1) فقد تسلط على عبد الملك مرض الكوليرا الذي كان منه هلاكه قبل نشوب المعركة مباشرة، ولكن عبد الملك كان قد اتخذ الحيطة لتكبيد العدو في أضعف الاحتمالات أكثر ما يمكن من الخسائر. لذلك أمر بإخلاء أصيلا من سكانها لكي يطمع فيها الجيش البرتغالي، إذ اتخذ القرار باستدراج هذا الجيش إلى الداخل لأنه قدم بأسطوله عبر الساحل الأطلسي، واحتل أصيلا فعلا وهناك رواية أخرى تنسب إلى قائد أصيلا أنه تواطأ مع المتوكل لتسليمها إلى البرتغال، ثم تقدمت القوات البرية البرتغالية يحاذيها الأسطول من جهة البحر. وأخيراً تخطت قنطرة وادي المخازن وعسكرت بفحص القصر الكبير تاركة النهر وراءها، بينما عسكر الجيش المغربي تاركا وادي المخازن شماله. وكان دون سباستيان قد أبحر قبل هذه الأحداث سراً إلى سبتة ليتقصى الأوضاع المغربية عن كثب، كما كان شأنه بطنجة أيضا، غير أن تطور الأحداث تجاوز معلوماته السطحية عن القبائل ذات الشكيمة بشمال المغرب، كما أن عنصر المفاجأة في الصدام المسلح كان نقطة القوة في صفوف المغاربة.

وقد ذكرت تقديرات مختلفة بشأن أعداد الجيشين وفرقهما. فقد تنزل إلى نحو ستين ألفا أو ترتفع إلى مازاد على المائة ألف لدى كل من الفريقين، لكن الاعتبار العددي لم يكن هو الذي حسم المعركة، لأن كلاً من الجيشين كانت تتقدمه فرقة المدفعية، وكانت كلتاهما تتوفر على 36 مدفعاً. ورجال المدفعية هم حتى هذه الفترة أتراك في عامتهم بالنسبة للجانب المغربي. وكما كان لدى هذا الجانب نظاميون ومتطوعة من الصلحاء والعلماء وغيرهم، فقد كان الجانب البرتغالي يتقدمه قساوسة بأعلامهم وصلبانهم. وعندما احتشد عسكر سباستيان عمد الطرف المغربي إلى هدم القنطرة التي كان قد عبرها البرتغال.

وفي يوم 30 جمادى الأولى 986 الموافق 4 غشت 1578 أخذ القساوسة يرددون الصلوات والابتهالات وسائر الجند البرتغالي وقيادته في حالة خشوع، فبادرت مدفعية الجيش المغربي إلى إطلاق نيرانها على صفوف العدو حيث نالت منها قتلا وترويعا، وتدافع الناجون إلى وادي المخازن، فقضى كثير منهم غرقاً. وتمكنت أعداد أخرى من اللحاق بالسفن لتعود من حيث أتت. وكان عبد الملك المعتصم قد هلك من الكوليرا قبل بدء المعركة التي قُتل فيها أيضا كل من سباستيان وحليفه المتوكل؛ لذلك أطلقت الرواية الأوروبية اسم معركة الملوك الثلاثة على هذه الواقعة التي تحمل اسم معركة وادي المخازن في الرواية المغربية حتى الآن. على أن الجيش المغربي، وبخاصة المتطوعة من الصلحاء، تعقبوا أعداد المنهزمين وأثخنوا فيهم قتلا. ولا تلتفت الرواية المغربية إلى دور المدفعية الذي كان حاسماً لصالح الجانب المغربي والذي أوضحه هوفر HOEFFER في كتابه (*إمبراطورية المغرب*)، لكن المصادر العربية المغربية نوّهت بدور رضوان الحاجب الذي أخفى موت المعتصم، وكان يوجّه التعليمات إلى الجيش باسمه.

ويحبّذ هنري طيراس، كمحلل تاريخي، الترتيب الذي

اتخذته الفرق المغربية، وهو على شكل هلال يسمح للجناحين بحركة أسرع، بينما الشكل التربيعي للفرق البرتغالية يحدُّ من مرونة تحركها، أما دوكاستري فيسوق رواية تقدر قتلى المغاربة بـ 18 ألفاً، وقتلى البرتغال بـ 25 ألفا. ولاشك أن التقدير هنا بالنسبة للطرف المغربي مبالغ فيه كثيراً، لأنه يقتضي أن الجانب البرتغالي الذي فقد أعداداً ضخمة من رجاله بصورة مفاجئة وسريعة استردّ أنفاسه فوراً وحقق ما يُشبه نصراً بدل الهزيمة، ومن دون شك، فإن الطرف البرتغالي غامر في معركة غير مدروسة الجوانب والأبعاد، بشرياً، وآليا واستراتيجيا، والرواية التي ساقها أبو الحسن الفاسي تفيد أن جيش سباستيان تمكن من اختراق ميسرة الجند المغربي بفعالية، لكن ما لبثت صفوف هذا الجناح أن كرت على العدو وتعقبت فلوله.

ومهما يكن من أمر، فإن أحمد المنصور نظر إلى انتصار وادي المخازن من زاوية منفرجة تسعُ من الاحتمالات ما لا تسعه زاوية حادة. فلم يكد يسلم جثة دون سباستيان إلى ذويه وأوليائه حتى أخذ يفكر في استثمار هزيمة البرتغال لنقل المعركة إلى التراب الإسباني على مراحل عسكرية ودبلوماسية، ومن ثم حاول أن يحظى بدعم مادي استراتيجي من جاره الأبعد جنوباً في مالي : أسكية إسحق الذي كان ردّه سيئاً، وأدّى إلى فتح السعديين للسودان، دون أن تتحقق طموحات المنصور في فتح إسبانيا بالرغم من الجهود الدبلوماسية التي بذلها لإقناع البريطانيين بمشاركته عسكرياً وسياسياً. وأثناء ذلك وحتى الآن، ظلت إسبانيا تحكم قبضتها على سبتة ومليلية.


عبد العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الله گنون، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1384 / 1964 ؛ محمد الصغير الإفراني، *نزهة الحادي*، تح. عبد اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ ابن العياشي محمد المكناسي، مخطوط، ص. 96 ـ 99، خ. ع، الرباط ؛ أبو القاسم الزياني، *الترجمان المعرب*، خ. ع. الرباط ؛ أبوراس المعسكري، *الخبر المعرب*، مخطوط، خ. ع. الرباط، ك 226 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، ج 5، ص. 69 ـ 84، الدار البيضاء، 1955 ؛ محمد المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2، كلية الآداب، الرباط، 1410 / 1989.

Marmol (Carabajal), *Histoire des chérifs et des royaumes du Maroc*, Paris ; F. Hoefer, *Empire du Maroc*, Paris, 1848 ; De Castries (Henry), *Sources inédites de l'histoire du Maroc, France I*, Paris ; Auguste Cour, *L'établissement des dynasties des chorfa au Maroc,* Paris, 1904 ; Lévy Provençal, *Les historiens des chorfa*, Paris, 1922 ; Funck Brentano, Art. Al-Mansour, in *Encyclopédie de l'Islam.*


إبراهيم حركات

**وارْزگ** ، هكذا ينطق عند المحليين، وانفرد القاضي سيدي محمد وُبلُوشْ الباعمراني بخط يده بأنه وارزگ علي، بينما كتبه الشريف ابن زيدان هكذا ورزيگ، بزيادة الياء قبل الگاف. قد يكون هذا العلم مركبا من كلمتين : وار + ازيگ، ومعنى ذلك، الواقع وراء الجرف، وهو كذلك جغرافيا، على غرار واردادسات، أي وراء وديان دادس، المحرفة إلى ورزازات، وهذا بحث له أهله. أما اختفاء همزة الوصل في وارْزيگ، فذلك ما يؤكد أن الاسم يعود إلى لهجة قبيلة ـ لمطة ـ الأمازيغية.

وسيدي وارزگ هذا صالح يزار، يقال بأنه باعمراني قديم، وموقعه في جنوب مدينة سيدي إفني، على بعد حوالي 18 كلم.

وترجع أهمية موقعه إلى وجود عين غزيرة بجانب الضريح، عندما يقع الجزر في المحيط، وفي تلك المياه يسقى السكان، وتشرب الحيوانات الأليفة والمتوحشة، والمياه الساخنة صالحة لأمراض جلدية، مثل المياه الموجودة في عين أبايْنو قرب ـ أگلميم ـ . وهناك من يرجع وفاة الولي إلى القرن 11، وأن قبته ترجع إلى سنة 1282 مثل الصالح سيدي محمد بن عبد الله، ومدرسة المسيدرة، وذلك من تشجيع القائد الحاحي، خليفة السلطان، وهناك إشارات بأنه يستغل من وراء ذلك المعادن ونقل تجارة الصحراء إلى الصويرة، وهذا ميدان آخر.

وتبرز أهمية الموقع من تلك المياه، حيث تنزل القوافل التجارية، وقد أشار البكري إليها، كما أنه مرسي طبيعي، لذلك رشح في عهد السلطان الحسن الأول، في رحلته إلى سوس سنة 1299 فقال ابن زيدان : (وألزم العمال جوار المراسي، الأربع : وهي مرسى سيدي محمد بن عبد الله، ومرسى سيدي وارزيگ، ومرسي إيسْگ بآيت باعمران، ومرسى ـ أگلو). مع العلم أن ـ إيسْگ ـ كان بعيدا عن المحيط بحوالي عشرين / كلم والموقع حاليا مرشح لاستثمارات سياحية، بفضل وجود طقس معتدل، وسهل وجبل، ورمال ذهبية، كما أنه قريب من المدينة على الطريق الساحلية، ويتوفر على ثروة سمكية.


ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 2، ط 2 ؛ الحسين جهادي، *جانب من تاريخ آيت باعمران.*


الحسين جهادي

**وازقور** أو وزقور أو زقور، مدينة أثرية ودار لسك النقود خلال الفترة الإدريسية. واعتمادا على مجموعة من القطع النقدية، يرجح أن تكون المدينة قد أسست من طرف المولى إدريس الثاني ما بين سنتي 192 و197 / 809 ـ 814، إذ تم العثور على عدة دراهم مؤرخة، تؤكد أن تاريخ بدء سكّ النقود بوازقور يرجع إلى سنة 193 / 808 ـ 809. وفي محاولة لتوطين الموقع، يرى الباحث "كولان" أن مدينة وازقور المندرسة قد تتواجد على وادي بوأزقور، أحد روافد الضفة اليسرى لنهر أم الربيع، على بعد حوالي ثلاث كيلمترات جنوب مدينة خنيفرة.

ومما يزيد الأمر تعقيدا أن مدينة وازقور قد وردت عند عدد من المؤرخين، لكن فقط أثناء جرد المراكز والحواضر المتواجدة بالمغرب الأقصى، دون إعطاء تفاصيل عن موقعها أو عن مكوناتها ودورها. وفي نفس الوقت، يظهر أن

المصادر التي تحدثت عن المدينة قد نقلت عن بعضها، إذ نجد نفس المعلومات عند كل من ذكرها. ويروي المقدسي أن "زقور" في "يدي ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله". وفي القرن 5 / 11، وأثناء حديثه عن تقسيم إمارة بني إدريس، أورد البكري أن "وازقور" كانت من نصيب عيسى الذي فضلها على سلا (شالة) واتخذها مقرا له، وهو ما يدفع إلى الاعتقاد بأن المدينة قد كانت أهم وأعظم شأنا من باقي حواضر "عمله"، يقوي هذا الافتراض أن عيسى "صاحب وازقور" عندما ثار على أخيه محمد، صاحب فاس، "ونكث طاعته" وانهزم أمام جيوش أخيه عمر، فإنه فر من وازقور "وهرب إلى سلا".

ومن خلال دراسة للقطع النقدية الإدريسية والقطع المعاصرة لها، استطاع دانييل أوسطاش أن يبرز مكانة وازقور ويؤكد أن الموقع قد لعب دورا متميزا في سك النقود الإدريسية، حيث أبانت قراءاته أن وازقور ضربت دراهم بشكل متواصل على عهد إدريس الثاني، منذ سنة 197 / 814 - 815، تحمل مأثورة مدار وجهها بخط كوفي بسيط عبارة "وزقور مدينة إدريس" و "بسم الله ضرب هذا الدرهم بوزقور سنة ..."، وبقيت على عهد خلفه كمركز نشيط للسكة حتى وفاة الأمير داوود ابن إدريس سنة 270 / 885 - 885 وقد فقدت المدينة أهميتها مباشرة بعد هذا التوقف المفاجئ لدار السكة بها، مما جعل بعض الرواة يخلطون بينها وبين مرسى أزمور على الساحل الأطلسي، وجعل آخرين يصفونها بـ "الموضع" مثل البكري، الذي أورد أن المرحلة العاشرة على الطريق الرابط بين مدينتي أغمات وفاس هي "موضع يعرف بأوزقور كان يسكنه قوم يعرفون ببني موسى من ربضية الأندلس، فاستفسدوا إلى من جاورهم وأساؤوا عشرتهم فحاربوهم، فغُلب الأندلسيون وقُتل منهم كثير وافترق باقيهم ببلاد أغمات، وبقي منهم بأوزقور نفر يسير بالأمان، فهم إلى اليوم".

البكري، *المسالك والممالك*، 1965 ؛ المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، ليدن، الطبعة الثانية، 1906 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1999 ؛ ابن خلدون، *كتاب العبر*، الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.

Ibn al-Faqih al-Hamadani, *Abrégé du livre des pays*, trad. H. Massé, Damas, 1973 ; G. S. Colin, Fâzâz, *Encyclopédie de l'Islma, 2ème éd., t. 2, p. 894-895* ; D. Eustache, *Etudes sur la numismatique et l'histoire du Maroc, Corpus des dirhams idrisites et contemporains,* Rabat, 1970-1971.

أحمد صالح الطاهري

**الواسلامي، التامدرتي حسن**، ينسب إلى أسرة الشرفاء الوسلاميين المنتشرين في جزولة ؛ والده مبارك بن مسعود البعقيلي المعدري، أحد رجالات العلم في القرن الثالث عشر (19)، والمذكور بالإنتاج الشعري كما كان خاله الحاج الحسين الأخصاصي فقيها ناسكا.

أما صاحب الترجمة فوصفه السوسي بثاني اثنين في سهل سوس في عصره ؛ مع تقدم على أقرانه لانفتاحه على معارف عصره، إضافة إلى تنقيبه عن أخبار علماء عصره، والاطلاع على فتاويهم وعلى نوادر صوفية عصره وعلمائه عامة في حسن استحضار.

أخذ عن عبد العزيز الأدوزي *القرطبة* في الفقه، ثم لازم والده المشار إليه في علوم العربية والفقه والأصول والبيان والحديث والتفسير. ولما توفي والده سنة 1350 / 1931 خلفه في التدريس بمدرسة أخريب ببلفاع في هشتوكة سوس، ولم يلبث أن انقطع عن التدريس ليتولى خطة العدالة بسبب عدم الاتفاق مع بعض أفراد القبيلة ؛ وبعد استقلال المغرب انتقل إلى أكادير قاضيا ثم عضوا بقسم الاستئناف الجهوي إلى سنة 1382 / 1962 ثم رئيسا لهذا القسم الذي توفي أثناء القيام بمهمته فيه سنة 1386 / 1966.

وصف الحسن التامدرتي بالنحوي البارع والفقيه الناقد البصير في دقائق الفقه والعمل السوسي والأصول والبيان مع يد طولى في التاريخ وعلوم الأدب. بدأ كتابا في تراجم علماء سوس بلغ به ثلاثين ترجمة وصفت بالإنصاف وحسن التتبع إلا أنها ضاعت، كما اشتغل بمنظومة أبي زيد عبد الرحمان الجشتيمي (1269 / 1852) من الرجز والتي شرحها محمد الأزاريفي وغيره. وهي في نحو 1667 بيتا في العمل السوسي (انظر شرحها مطبوعا بتحقيق عبد الله الجشتيمي - وهو غير صاحب المنظومة وتسمي أيضاً *نظم ما ليس في المختصر*).

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 197 - 218 ؛ *المعسول*، 12 : 249 - 260 - 262 - 263 - 265 ؛ *العمل السوسي في الميدان القضائي*، 21.

محمد البايك

**واسول**، اسم اشتهر به محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار الصفري الخارجي. قام بسجلماسة وتملكها سنة 321 / 933 فادعى الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين وتلقب بالشاكر لله وضرب الدنانير والدراهم التي عرفت بالشاكرية وكانت في غاية الطيب.

اشتهر بالعدل وإقامة السنة خلال مدة حكمه إلى أن غزاه قائد العبيديين جوهر الصقلي وحاصره بسجلماسة وضيق عليه الخناق إلى أن دخلها بالسيف، فقبض على الشاكر وأوثقه في الحديد وحمله أسيرا إلى مدينة فاس سنة 349 / 960 . وعندما انتهى جوهر من غزواته في المغرب حمل الشاكر مع أمراء زناتة والأدارسة إلى إفريقية أسارى في أقفاص من خشب على ظهور الجمال وجعل على رؤوسهم قلانيس من لبد مستطيلة منبتة بالقرون، فطيف بهم في أسواق القيروان ثم المهدية حيث قام بحبسهم إلى أن ماتوا في سجنها، وفي رواية أخرى ذكر ابن عذاري أو واسول قتل

بسجلماسة في رجب من سنة 347 / 958 بعد أن غدر به قوم من مدغرة وسلموه إلى جوهر الصقلي.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 1، بيروت، 1983 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن الخطيب، *أعمال الإعلام*، القسم الثالث، الدار البيضاء، 1964 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، الرباط، 1934 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974.

رشيد السلامي

**الـوافي، الـمهدي** بن **محمد** ولد بمدينة مراكش 1356/ 1937 ، حفظ القرآن الكريم في سن مبكر. التحق بابتدائي جامعة ابن يوسف سنة 1366 / 1946 ، واستمر يتدرج في أسلاكه إلى أن نال شهادة العالمية سنة 1379 / 1958 شعبة الشريعة الإسلامية. ومن شيوخه نذكر السادة العلماء :

- السيد عماد الدين محمد، الشريف مولاي الصديق العلوي، الشريف مولاي الطيب المريني، السيد محمد بن عبد الرزاق، السيد أحمد الكنسوسي، السيد عبد السلام جبران، وغيرهم كثير.

وفي سنة 1379 / 1959 التحق بالمعهد التربوي بالرباط لمدة سنة تدريبية، بعدها عين أستاذا للسلك الثاني بثانوية ابن يوسف. ولم تشغله أعباء التعليم عن تحقيق طموحه العلمي، فانتسب إلى كلية الحقوق التي تابع بها الدروس إلى أن حصل على شهادة الإجازة في الحقوق بالرباط، ثم حصل على شهادة في الصحافة، ثم ازداد طموحه وشغفه بالمعرفة، فالتحق بدار الحديث الحسنية فتخرج منها وهيأ رسالة دبلوم الدراسات العليا، ثم دكتوراه الدولة، فعين أستاذا مساعدا، ثم محاضرا بكلية اللغة العربية لمدة خمس وعشرين سنة، بعدها عين عميدا بنفس الكلية مدة خمس سنوات. ومنها التحق أستاذا بكلية الحقوق.

مؤلفاته المطبوعة :

1 - *الاجتهاد في الشريعة الإسلامية* : نشأته وتطوره. رسالة دبلوم الدراسات العليا لدار الحديث.

2 - *فقه الإمام ابن عبد البر*.

3 - *الإمام مالك وكتابه الموطأ*.

4 - *الموجز في التشريع الإسلامي*.

5 - *الإسلام والتطور*.

6 - *فقه الفقهاء السبعة في جزأين*، رسالة الدكتوراه.

توفي يوم الاثنين 23 شوال 1417 / 3 مارس 1997، ودفن بمقبرة باب دكالة.

*المجلة المغربية للاقتصاد والقانون المقارن*، العدد 31، سنة 1999، كلية الحقوق مراكش ؛ أحمد المتفكر، *ذيل الإعلام*.

أحمد متفكر

**والحاج، أحمد** من أسرة رباطية عرفت بالجهاد، له صيت ذائع في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان، كان بحريا يقوم بتدريب الشبان على الجهاد في عرض البحار. خاض عدة عمليات لمحاربة التهريب في الشمال. ففي 21 جمادى الأولى من سنة 1257 / 11 يوليوز 1841 كلفه السلطان برصد السفن الأجنبية التي كانت آنذاك تقوم بوسق المواد الممنوع تصديرها، وفي شعبان من السنة نفسها، شتنبر 1841 أسر الرايس والحاج سفينة فلشوا الإسبانية التي أمر السلطان بالاحتفاظ بطاقمها في انتظار إجراء المفاوضات بشأنهم مع المسؤولين الإسبان. كما كان يتكلف بقيادة السفن المقلة للحجاج المغاربة، ففي جمادى الأولى من سنة 1253 / غشت 1837 استأذن الرئيس والحاج السلطان في نقل الحجاج بمركبه فأذن له وحمل معه مؤونة ستة أشهر، وكان عدد بحريته ثلاثة عشر، وأجّرت السفينة بعشرة ريالات، وكانت تحمل تسع مائة شخص. وأمر السلطان عامله عبد السلام السلاوي بأن يشرف على هذه العملية، وأن يسقط من الكراء كمانية المركب والباقي يدفع لبيت المال والثلث الباقي للرئيس والبحرية.

الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 17.

عبد الإله الفاسي

**الوالي، عبد السلام** بن **أحمد**، ولد بفاس في أوائل القرن العشرين حيث حفظ القرآن الكريم، وتابع دراسته الفقهية والعلمية بالقرويين. كان يقرض الشعر في أغراض شتى ويميل إلى دعوة الإصلاح، ورفع المستوى الاجتماعي للمرأة. بالإضافة إلى ما كان يتميز به من روح وطنية صادقة عرضته إلى الاعتقال سنة 1937، والزج به في سجن كوليما الرهيب، ذلك السجن الذي ابتليت فيه مجموعة من أبناء مختلف طبقات الشعب المغربي أشدّ البلاء وفي طليعتهم العلماء أمثال : محمد القري وعبد العزيز ابن إدريس وعبد الهادي الشرايبي وغيرهم كثير.

وعندما أطلق سراحه، وتنسم عبير الحرية عاد إلى مسقط رأسه حيث انخرط في سلك التعليم الخاص، وفتح كتابا قرآنيا في المدينة القديمة لتلقين الناشئة مبادئ القراءة والكتابة وتربيتها على التمسك بأركان الدين الإسلامي الحنيف، والاقتداء بنهج السلف الصالح إلى أن وافته المنية في الربع الأخير من القرن الماضي للميلاد ودفن بمحضر أهله وبني عشيرته.

محمد الكتاني، *من ذكريات سجين مكافح*، ص. 181 - 182 ؛ *لقاء خاص مع ابن أخ المترجم له*.

عبد الرحمن القباج

**والي المظالم**، اقترن اسم "والي المظالم" بمؤسسة ولاية المظالم، التي تعتبر من أهم الولايات الإسلامية المتخصصة في رفع المظالم. وقد حدّد "الماوردي" الشروط الواجب توفرها في والي المظالم في : "أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع، لأنه يحتاج في نظره إلى سطوة الحماة، وثبت القضاة، فيحتاج

إلى الجمع بين صفات الفريقين، وأن يكون بجلالة القدر نافذاً في الجهتين، فإن كان ممن يملك الأمور العامة كالوزراء والأمراء، لم يحتج النظر فيها إلى تقليد وكان له بعموم ولايته النظر فيها. وإن كان ممن لم يفوض إليه عموم النظر، احتاج إلى تقليد وتولية إذا اجتمعت فيه الشروط المتقدمة".
وكان الخلفاء يتولون بأنفسهم النظر في مظالم الرعية، ويخصصون يوما أو يومين في الأسبوع لسماع المظالم وردها، وكانوا ينتدبون القضاة للبت في الخصومات الناشئة بين الأفراد. إلا أنه بعد اتساع رقعة الخلافة والتغيرات التي طرأت على الأنظمة السياسية والاجتماعية، اضطر الخلفاء إلى إحداث ديوان متخصص للنظر في المظالم والفصل في القضايا المعقدة التي استعصى حلها على القضاة والمحتسبين. وكان مجلس والي المظالم ينعقد بحضور خمسة أصناف من المستشارين من القضاة والحكام والحماة والأعوان والفقهاء والكتاب والشهود.

ويشمل اختصاصه النظر في تعدي الولاة على الرعية، وجور العمال فيما يجبونه من مال، وفي مواكبة أعمال كتاب الدواوين، وتظلم المسترزقة من نقص أرزاقهم، ورد الغصوب السلطانية، ومشارفة الأوقاف العامة والخاصة، وتنفيذ الأحكام التي عجز القضاة عن تنفيذها، والنظر فيما عجز عنه الناظرون من الحسبة في المصالح العامة، ومراعاة العبادات الظاهرة كالجُمَع والأعياد والحج والجهاد من تقصير فيها وإخلال بشروطها، والنظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين.

وقد عرف المغرب بدوره نظام "والي المظالم" وولاية المظالم، الذي انتقل إليه عبر المشرق والأندلس، حيث كان والي المظالم باعتباره مفوضا من طرف الخليفة أو السلطان يتمتع بسلطات واختصاصات واسعة، يمارس من خلالها الرقابة على العمال والمحتسبين والقضاة. إلا أن ذلك لم يكن ليحول دون تخصيص جلسات أسبوعية للبت في المظالم من طرف الخلفاء الذين تعاقبوا على حكم المغرب، من مرابطين وموحدين ومرينيين وسعديين وعلويين.

وهكذا "كان المنصور الموحدي يقعد للناس عامة، لا يحجب عنه صغيراً أو كبيراً، حتى اختصم إليه رجلان في نصف درهم فقضى بينهما".

وفي عهده تقلد "أبو القاسم بن بقي" ولاية المظالم وقضاء الجماعة بمراكش، واشترط عليه قبل توليته "أن يكون قعوده بحيث يسمع حكمه، فكان يقعد في موضع بينه وبين أمير المؤمنين ستر من ألواح".

وفي عهد الدولة العلوية تطورت مؤسسة ولاية المظالم وارتقت إلى درجة وزارة، وأصبح المسؤول عنها يعرف باسم "وزير الشكايات"، وكان يجلس إلى جانب الصدر الأعظم ووزير البحر وأمين الأمناء والعلاف، أي ضمن التشكيلة الحكومية. وكان اختصاصه يمتد إلى النظر في التظلمات والشكاوى المرفوعة إليه من طرف المواطنين ضد جور رجال السلطة والقرارات الصادرة عن أجهزة الدولة، التي تسبّب لهم ضرراً أو تلحق بهم حيفاً، وضد الأحكام الجائرة التي يصدرها القضاة، أو التي تتنافى مع أحكام الشرع الحنيف.

وقد تعاقب على شغل منصب "وزير الشكايات" شخصيات مرموقة مشهود لها بالنزاهة والكفاية والمروءة من بينها : الفقيه اليحمدي، والفقيه عبد الله الروسي في عهد السلطان مولاي إسماعيل، والفقيه الإمام عبد الله القصار، وبعده العلامة محمد بن أحمد أكنسوس في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، والفقيه محمد الصفار، والفقيه علي المسفيوي في عهد السلطان مولاي الحسن الأول، وأحمد بنموسى (الصدر الأعظم) في عهد السلطان مولاي عبد العزيز، والوزير محمد بن كبور، والفقيه عبد الله المتوگي في عهد السلطان مولاي عبد الحفيظ.

لقد كان وزير الشكايات يقوم بدور المنسق والمراقب المركزي على السلطات السفلى، ويصحح تجاوزات هذه السلطات في حل النزاعات ذات العلاقة بمنح الامتيازات والمعاشات.

وكما تدل على ذلك تسميتها، فقد كانت وزارة الشكايات تعمل جاهدة للحد من ظاهرة استغلال السلطة وسوء تدبير المرافق العمومية.

وببسط نظام الحماية على المغرب ألغيت هذه الوزارة، وعمدت سلطات الحماية إلى تقسيم خطة المظالم إلى قسمين : قسم أضيف إلى الصدارة العظمى، والقسم الآخر إلى وزارة العدلية التي أحدثها السلطان مولاي يوسف. وبقي الأمر على هذه الحال إلى أن تم إحداث مكتب الأبحاث والإرشادات سنة 1956 بعد حصول المغرب على استقلاله، حيث عهد إليه بتلقي الشكايات الواردة على القصر الملكي والبحث فيها.

وعند اعتلاء صاحب الجلالة الملك محمد السادس العرش أحدث مؤسسة ديوان المظالم بتاريخ 9 دجنبر 2001، وعين بظهير السيد سليمان العلوي واليا للمظالم بتاريخ 12 دجنبر 2002، وعهد إليه بتأسيس ديوان المظالم في ثوبه الجديد. ويمكن استخلاص الأسباب الموجبة لإحداث هذه المؤسسة من خلال استقراء مضامين الرسالة الملكية التي تلاها صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد بمقر أكاديمية المملكة المغربية، بمناسبة تخليد ذكرى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وتتمثل في :

- "تعزيز الأجهزة المكلفة برفع المظالم وإحقاق الحقوق وحماية الحريات التي تعد من أقدس مهام جلالة الملك أمير المؤمنين ؛

- التأكيد على النهج الذي سار عليه أسلاف جلالته، الذين عملوا دوما على إحداث مؤسسات بجانبهم تتولى اطلاعهم على ما قد يلحق رعاياهم من مظالم، وإصلاح ما قد يصدر عن بعض المسؤولين الإداريين من أخطاء وتعسفات ؛

- التفعيل الأمثل للمفهوم الجديد للسلطة، القائم على

جعلها في خدمة المواطن والتنمية، وعلى قربها منه، والتزامها بضوابط سيادة القانون والإنصاف ؛

- حرص جلالة الملك على أن يجعل من هذه المؤسسة أداة فعالة لتطوير التواصل بين المواطنين والإدارة، ووسيلة مرنة وتوفيقية ومبسطة للنظر في تظلمات وشكايات المواطنين، وملاذا آمنا للذين يعتبرون أنفسهم ضحايا أي قرار أو عمل مخالف للقانون أو مشوب بعدم الإنصاف، صادر عن أي إدارة أو هيئة عهد إليها بممارسة السلطة العمومية ؛

- تخفيف عبء الشكايات الإدارية عن المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان".

ومن جهة أخرى أكدت ديباجة الظهير المحدث للمؤسسة على بيان الأسباب التي استوجبت هذا الإحداث، والتي يمكن إجمالها في :

- "إتمام البناء الذي بدأ بتشييده جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، لإعلاء كلمة الحق والعدل والإنصاف، بإحداثه المحاكم الإدارية والمجلس الاستشاري لحقوق الإنسان ؛

- تجسيد الإرادة الملكية في توطيد ما تحقق في هذا المجال من مكتسبات ؛

- الاستجابة لما يصبو إليه المواطنون من إنصاف في مواجهتهم للإجراءات الإدارية التي تزداد تعقيدا بالنظر لما يطبع القضايا المطروحة على الإدارة من تكاثر وتقنية متطورة، ولصعوبة تكييف المرافق العمومية مع متطلبات بعض الحالات الخصوصية ؛

تكملة المهام التي يقوم بها الجهاز القضائي بما له من مساطر معقدة بطبيعتها وما يحكمه من قوانين عامة ؛

- تدعيم الدور الذي يضطلع به المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان في مجال الاختصاصات الموكولة إليه".

وتتميز مؤسسة ديوان المظالم بميزتين أساسيتين هما :

- استقلالها عن الأجهزة التنفيذية والتشريعية والقضائية، مما يمكنها من التجرد التام في البت في التظلمات المحالة عليها ؛

- اعتبارها قوة اقتراحية للإصلاح التشريعي والإداري والقضائي.

ويتم تعيين والي المظالم من طرف جلالة الملك بظهير لمدة ست سنوات قابلة للتجديد، من بين الشخصيات المتشبعة بمبادئ العدل والإنصاف، والمشهود لها بالاستقامة والنزاهة الفكرية والمادية، والمتوفرة على خبرة واسعة وتجربة طويلة في مجال التسيير وممارسة الشأن العام.

وقد عهد إليه بمقتضى الظهير المحدث للمؤسسة بممارسة الاختصاصات المسندة إليه بمساعدة مندوبين له يقوم بموافقة جلالة الملك بتعيينهم وإنهاء مهامهم، في كل من الوزارة الأولى والقطاعات الوزارية، ويمكنه أيضا تعيين مندوبين جهويين في المراكز الرئيسية للجهات، ويحرص على أن يؤدوا مهامهم بكامل الاستقلالية والتجرد. كما يمكن لجلالة الملك أن يعين بديوان المظالم، عند الاقتضاء، مندوبين مكلفين بتنمية التواصل بشأن القضايا ذات الصلة، بما قد يعترض بعض المواطنين من صعوبات خاصة في علاقاتهم بالإدارة.

ويقوم والي المظالم بأمر من جلالة الملك بالبحث في القضايا التي تدخل في مجال اختصاصاته، ويقدم لجلالته تقريرا بنتائج تحرياته، كما يتولى النظر في شكاوى وتظلمات المواطنين الذين يعتبرون أنفسهم ضحايا أي قرار أو عمل يتنافى مع مبادئ سيادة القانون والإنصاف، صادر عن إدارات الدولة، أو الجماعات المحلية، أو المؤسسات العمومية، أو أي هيئة عهد إليها بصلاحيات السلطة العمومية. وإلى جانب المسطرة الخاصة بمعالجة التظلمات والشكايات، بإمكان والي المظالم القيام بدور حيوي من أجل الوساطة لتسوية الخلافات في بعض القضايا التي يرغب الأطراف، أي الإدارة والمتعاملين معها من الأشخاص الذاتيين أو الاعتباريين الخاضعين للقانون الخاص، في إيجاد تسوية عاجلة وحل منصف للخلاف.

ومن جهة أخرى يتعين على والي المظالم أن يرفع تقريرا سنويا إلى صاحب الجلالة، عن حصيلة التظلمات والشكايات وطلبات التسوية ومآلها، وبرنامج المؤسسة على المدى القصير والمتوسط، وموجزاً عن الوضعية المالية لديوان المظالم. ينشر هذا التقرير كليا أو جزئيا بأمر من جلالة الملك في الجريدة الرسمية.

كما يتعين عليه أن يرفع إلى الوزير الأول، بالإضافة إلى التوصيات العامة بشأن التدابير الكفيلة بإحقاق الحق بخصوص التظلمات المعروضة عليه، تقارير تتضمن اطلاعه، عند الاقتضاء، عن حالات امتناع الإدارات المعنية عن تنفيذ الأحكام القضائية أو تنفيذ الحلول المقترحة من قبل والي المظالم، ويقدم بذلك الملاحظات والاقتراحات الكفيلة بإصلاح مواطن الخلل في سير الجهاز الإداري، وتحسين أدائه، وإصلاح النصوص القانونية المتعلقة به. كما يقدم تقريرا سنويا إلى المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان، يتناول القضايا التي تهم النهوض بهذه الحقوق في نطاق اختصاصه، وفق أحكام المادة 13 من الظهير المحدث لمؤسسة ديوان المظالم، والمادة 59 من نظامها الداخلي.

ومن جهة أخرى ألزمت المادة الخامسة عشرة من الظهير المحدث للمؤسسة، والي المظالم بأن يعرض على مصادقة جلالة الملك نظاما داخليا يحدد على الخصوص :

- الهيكلة الإدارية والمالية والمحاسبية لديوان المظالم ؛

- الاختصاصات والتفويض المخول للمندوبين الوزاريين والجهويين لوالي المظالم ؛

- مسطرة وشروط تقديم التظلمات والشكايات والبت فيها.

وتنفيذا لمقتضيات هذه المادة قام والي المظالم بتقديم النظام الداخلي إلى صاحب الجلالة بالقصر الملكي بتطوان بتاريخ 3 شتنبر 2003، فتفضل نصره الله، بالمصادقة عليه، والموافقة على التوصيات والاقتراحات المرفوعة إلى جلالته. الذي أصدر أمره السامي بالمصادقة على ذلك بظهير شريف.

ومن المعلوم أن إحداث مؤسسة ديوان المظالم، وسيرها على النهج القائم على استلهام مقاصد الشريعة السمحة، وتقاليدنا الحضارية في إيجاد حلول مغربية لقضايا مغربية، لا يمنعها من الانفتاح على القيم المثلى للتراث الإنساني المشترك، والإفادة مما يعرفه من مؤسسات مماثلة في النظم المعاصرة. وتحقيقا لهذه الغاية تربط مؤسسة ديوان المظالم علاقات تعاون وشراكة وتبادل للمعلومات والخبرات مع أغلب المؤسسات ذات الأهداف المشتركة، كمؤسسات الأومبدسمان (Ombudsman) في الدول الإسكندنافية وغيرها، ومؤسسة الوسيط في فرنسا وغيرها من الدول الأوربية والإفريقية، ومؤسسة المدافع عن شعب في إسبانيا، وحامي المواطن في كندا، وحامي العدالة في البرتغال، ومؤسسة الموفق الإداري في تونس... (حوالي 100 مؤسسة).

واستنادا إلى أحكام النظام الداخلي، يعتبر والي المظالم الممثل القانوني لمؤسسة ديوان المظالم والناطق الرسمي باسمها. وهو الذي يتولى مهمة الآمر بالصرف للاعتمادات المخصصة للتسيير والتجهيز، في حدود الاعتمادات المقيدة ضمن ميزانية البلاط الملكي.

الماوردي، *الأحكام السلطانية والولايات* ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب في تاريخ المغرب* ؛ مولاي هاشم العلوي، *أطوار ولاية المظالم عبر التاريخ* ؛ *الظهير الشريف رقم 1.56.276 بتاريخ 6 ربيع الثاني 1376 (10 نوفمبر 1956)* يتعلق بإحداث وتنظيم مكتب الأبحاث والإرشادات لدى جلالة السلطان ؛ *الظهير الشريف رقم 1.56.325 بتاريخ 15 رمضان 1376 (16 أبريل 1957)* يتعلق بنفس المكتب ؛ *الظهير الشريف رقم 1.01.298 بتاريخ 23 رمضان 1422 (9 ديسمبر 2001)* يتعلق بإحداث مؤسسة ديوان المظالم ؛ الظهير الشريف رقم 1.02.337 بتاريخ 7 شوال 1423 (12 ديسمبر 2002) يتعلق بتعيين والي المظالم ؛ الظهير الشريف رقم 1.03.240 بتاريخ 9 شوال 1424 (4 ديسمبر 2003) يتعلق بالمصادقة على النظام الداخلي لديوان المظالم ؛ *خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس* بمناسبة اليوم العالمي لحقوق الإنسان بتاريخ 9 دجنبر 2001 بمناسبة ختم الظهير الشريف المحدث لمؤسسة ديوان المظالم ؛ خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس بتاريخ 10 دجنبر 2001 بمناسبة حفل تنصيب والي المظالم بالقصر الملكي العامر بالرباط ؛ *البلاغ الصادر عن الديوان الملكي* إثر استقبال جلالة الملك محمد السادس لوالي المظالم ومصادقته على النظام الداخلي للمؤسسة بتاريخ 2 شتنبر 2003.

سليمان العلوي

**وانودين،** (ابن) أسرة هنتاتية موحدية، جدها الأكبر هو وانودين بن يصميلت الهنتاني المصمودي، انتقل من الجبل إلى هرغة في تاريخ غير مضبوط. لعب أبناؤها أدواراً هامة في الجهاز المخزني الموحدي الإداري والعسكري منذ بداياته الأولى على عهد محمد بن تومرت وخليفته عبد المومن بن علي، مستفيدين مما كان لبعض أفرادها من صلات شخصية تتجاوز حدود الدفاع عن المذهب الموحدي التومري إلى المصاهرة وتقاسم السلطة. وكما كان لأفرادها دور إلى جانب كبار الأشياخ والسادة من بني عبد المومن في قيام الدولة وإشعاعها كان لهم دور في أفول نجمها وانهيارها.

*نظم الجمان*، 87.

**وانودين** (ابن) **محمد** أبو **عبد الله** قائد ميداني، التحق بالأندلس مع أبي إسحاق إبراهيم بن عبد المومن لرد هجومات النصارى عن إشبيلية وأحوازها، وفك الحصار عن بعض الحصون، وأوصل إليها مساعدات غذائية في جمادى الثانية 578 / أكتوبر 1182 وانتصر على النصارى في طلبيرة وحمل غنائم منها إلى إشبيلية.

نكل به يوسف بن عبد المومن في صفر 580 / ماي - يونيو 1184 عندما أصبح نفوذه قويا بالأندلس. نفي إلى إفريقية، وهذا النفي أول محاولة من السادة أبناء عبد المومن للتخلص بالإبعاد نحو الأطراف الأشياخ الحفاظ والذي سيمهّد فيما بعد لتولية أبي محمد عبد الواحد الحفصي أمر إفريقية لدفع خطر بني غانية.

*البيان المغرب*، 3 : 127 - 132 ؛ *المن بالإمامة*، ص. 251.

إبراهيم أنوار

**وانودين** (ابن -) **محمد** بن أبي **يعقوب** يوسف، ذكر ابن عذاري أنه نشأ على الطهارة الدينية وتلاوة كتاب الله تعالى مع العقائد المهدوية، وكان يعرض *الموطأ* في مجلس الخليفة عبد المومن، ولذلك قربه إليه وجعله من جلسائه وخاصته، وقدمه قائدا على جيوشه وأصحبه معه في غزواته وحضر معه فتح بجاية سنة 547 / 1153 والمهدية سنة 555 / 1160. وفي عهد الخليفة يوسف بن عبد المومن شارك في قيادة جيش الموحدين إلى الأندلس سنة 560 / 1165، ثم أشرف بنفسه على محاربة ابن مردنيش شرق الأندلس سنة 570 / 1175 ، وهزم النصارى أهل شنترين وواجه جيوش الطاغية أدفونش بكثير من الحصون والقلاع. كما رافق الخليفة في غزوته إلى إشبيلية سنة 577 / 1181 ولعب دوراً كبيراً في قيادة جيوش الموحدين إلى مدينة طلبيرة وفي تحقيق انتصارات باهرة. وقد أظهر في حروبه ضد المتمردين بالأندلس إقداما وصبرا ودفاعا وقراعا لم يظهر مثله إلا في زمان الأبرار المجاهدين الأخيار على حدّ تعبير ابن صاحب الصلاة، غير أن المنافسين والحاقدين سرعان ما تمكنوا من الإيقاع به عند الخليفة فنكل به وأمر بإيقافه وتغريبه بحصن غافق من ثغور الأندلس سنة 580 / 1184 ليستقر بعد ذلك بتونس.

البيدق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، بيروت، 1987 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب، قسم الموحدين*، بيروت، 1985 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 2000 ؛ امبروسيو هويثي ميراندا، *التاريخ السياسي للامبراطورية الموحدية*، تعريب عبد الواحد أكمير، الدار البيضاء، 2004.

رشيد السلامي

**وانودين** (ابن) **يوسف**، شيخ من أشياخ قبيلة هنتاتة، نزل بداره محمد بن تومرت قبل بيعته عام 515 / 1121 - 1122. وبايعه عام 516 / 1122 - 1123 تاريخ بيعة معظم هنتاتة، شارك في إدماج قبيلة جزولة ضمن صفوف الموحدين. شارك إلى جانب عبد المومن بن علي الكومي على رأس فرقة عسكرية كلفت بغزو شرق المغرب وقبائل مديونة بالمغرب الأوسط عام 537 / 1142 - 1143. كان عضوا في مجلس الخمسين الذي أسسه محمد بن تومرت، توفي في طريق عودته إلى فاس من المغرب الأوسط وذلك عام 544 / 1149 - 1150 هو والد أبي عبد الله محمد وأخو أبي طاهر تميم وأبي محمد عبد الحق.

*أخبار المهدي*، 82 - 100 ؛ *الأنساب*، 33.

إبراهيم أنوار

**وانوكريم** : وانو تعني باللهجة المحلية الأمازيغية الظهر، وقد أطلق على مراعيه الجنوبية المعروفة لدى سكان كندافة بالأطلس الكبير المراكشي قبل أن يطلق على قممه. هو أحد أهم جبال كتلة توبكال يقع غرب قممها يفصله عنها المجرى الأعلى لوادي غيغاية (أسيف آيت ميزان) الذي يشرف عليه بسفوح عمودية لانطباقه على فوالق تميل إلى السواد، لأنه جبل يتكون من مصهورات بركانية صلبة ذات لون أسود : الأنديزيت تختلط أحيانا مع صخور حث وطين وكونكلوميرا. مما يعطي للجبل منحدرات صعبة وإفريزات وقمم ثانوية فهو يمتد على شكل عرف طويل من الجنوب إلى الشمال فاصلا بين غيغاية شرقا ووادي أرزان (المجرى الأعلى لوادي أزادن رافد وادي نفيس) بالشمال الشرقي ووادي وانوكريم (المجرى الأعلى لوادي أكنديس رافد وادي نفيس) بالجنوب الشرقي يكاد يتصل في وسطه بالقمة المستوية لجبل تازغارت : 3980 متر، لا يفصله عنها إلا فج تيزي ملوب الرابط بين الواديين السابقين : 3875م ونظرا لامتداده الطولي وتكوين حلبتين جليديتين بسفوحه الشرقية هما : أمغراس، إكلوا وإغزر ن بوإمغاز، فإنه يتميز بثلاث قمم : قمة بيكنوس بشماله : 4002 متر، وقمة وانوكريم 4089م بنهايته الجنوبية. وهي القمة الثانية بالمغرب بعد توبكال، وقد سميت بهذا الاسم لوجود أرضية ومستوية صخرية قرب قمته تحيط بها صخور ويقربها حفرة ماء (من الثلوج الذائبة) يصعد إليها بعض الرعاة، فيتوضؤون بالماء ويقيمون الصلاة بهذا المسجد الطبيعي (تيمزكيدة)، وأسهل طريق للصعود إلى هذه القمم هي الانطلاق من تيزي واكان 3750م الفاصلة بين المجاري العليا لكل من أكنديس جنوباً وغيغاية شمالا أو الصعود عبر المجاري العليا لوادي أزادن أو مراعي وانوكريم. وتشرف سفوحه الجنوبية الشرقية مع السفوح الجنوبية لجبل تازاغرت على روافد وادي وانوكريم التي تكون أحد أهم المراعي الجبلية : أكدال وانوكريم بها بضعة عزبان يستغلها سكان وادي أكنديس وبعض قبائل كندافة.

*بحث ميداني وخرائطي* ؛ أحمد هوزالي، *التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي*، طريق تحناوت تيزي ن تاست.

Jean Drsrech, Le massif du Tobkal : guide alpin.

أحمد هوزالي

**واوزكيت** (آيت -) مجموعة قبلية كانت تتكون منذ أواخر القرن التاسع عشر من تسع عشرة قبيلة تضم 57 فرقة وحوالي 459 قرية متمركزة حول جبل سيروا والسفح الجنوبي لأطلس مراكش. ورغم أن هذه المجموعة القبلية لم تعد تجمعها روابط تنظيمية ملموسة، فإنها احتفظت بخصائص مشتركة تميزها إلى حد كبير عن غيرها مثل اللباس وطرق إعداد الطعام والسكن وفنون الغناء والرقص الجماعيين "أحواش" ... وهي خصائص تعود بالدرجة الأولى إلى التكيف مع شروط الحياة المحلية خلال قرون طويلة من الاستقرار، أكثر مما تعود إلى أصل مشترك لا يقوم عليه دليل صحيح. ومع أن اسم آيت واوزكيت مازال يستعمل اليوم فلا نجد من يقدم تفسيرا مقنعا لمدلوله رغم تعدد المحاولات، ويمكن الاكتفاء حاليا بترجيح التفسير الذي يربط معنى الاسم بصناعة الزرابي التي اشتهرت بها بلاد آيت ووزكيت.

وتتصل هذه المجموعة بروابط قديمة مع مجموعتين أخريين إحداهما على الضفة اليمنى لوادي درعة الأوسط جنوب شرق سيروا تضم قبائل آيت الضوشن وآيت سمكان لكرارا وآيت ساون وآيت تاسلا، وتعرف الأخرى باسم وزكيتة التي تقع بهضبة كيك على وادي نفيس. ويرجح أن هذه القبيلة الأخيرة تشكلت من هجرة قديمة قدمت من بلاد آيت واوزكيت خاصة في العهد الموحدي، حيث كانت تشكل آنذاك بطنا من بطون قبيلة إينتاتن الموحدية التي لم يعد لاسمها اليوم وجود. وقد خضعت وزكيتة لقادة كندافة سنة 1875.

إبراهيم ياسين، *جنوب أطلس مراكش تحت حكم الفرنسيين والقادة الكلاويين*، دار أبي رقراق، الرباط، 2003 ؛ عبد الوهاب بن منصور، *قبائل المغرب*، ج 1، الرباط، 1968.

M. Marquilly, Rapport de reconnaissance au Siroua : Les Aït Waouzguit, S. R., 1er novembre 1912, *A. Diplomatiques de Nantes, Maroc 435, p. 37* ; R. Montagne, *Les berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc,* Casablanca 1989, p. 36, 54, 186 ; Pierre Amard, *Textes berbères des Aït Ouaouzguite,* Aix-en-Provence 1997, p. 30-41 ; J. Dresch et J. de Lepiney, *Le massif du Tobkal,* 3ème éd., Casablanca 1993, p. 56.

إبراهيم ياسين

**الوبر** ، تكسو جسم الإبل مادة لا هي بالصوف ولا هي شعر تسمى وبراً، وقد أودع الخالق سبحانه سراً من أسراره في هذه المادة وفي الإبل التي أمرنا بالتأمل فيها : "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت الآية". فالوبر يقوم بدور مزدوج مثله مثل البنايات التقليدية المبنية "بالطابية"، يكون داخلها بارداً صيفاً دافئاً شتاءً ؛ وبما أن الجمل - سفينة الصحراء - يعيش في بيئة ذات تفاوت حراري كبير (المدى

الحراري اليومي ما بين 40° - 50° نهاراً و5° - 0° ليلا)، فالوبر يقوم بدور المكيف لحرارة جسم الجمل، وقد حاول الإنسان الصحراوي استغلال هذه الخاصية، فصنع من الوبر أنسجة سميكة اتخذ منها الخيام وصنع منها بعض الأمتعة وبعض ملابسه، وإذا خلط الوبر بالصوف أو الشعر أوهما معاً كان أكثر صلابة، فتصنع منه الحبال والأحزمة والأشرطة ذات الاستعمالات المختلفة، وصنعت منه الغرائر والتلاليس (جمع تليس) لحمل المواد الصلبة على ظهور الجمال مثل الحبوب والقطاني وغيرها.

كان الوبر مادة وسلعة للتبادل التجاري الداخلي والخارجي، فالصحراويون يلتجؤون إلى مدن وأسواق التخوم الصحراوية الشمالية للتزود بالحبوب من قمح وشعير وبضائع أخرى مقابل مواد ومنتجات صحراوية منها الوبر؛ والوبر أنواع أجوده الأبيض، وما كان مصدره الجمل القوي اليافع. نسيج الوبر اليوم يعتبر من المنسوجات الطبية، فبعض المصابين بالأمراض الجلدية وأمراض الحساسية وأنواع من الروماتيزم ينصحهم الأطباء بارتداء الملابس الداخلية المصنوعة من الوبر، وليس ذلك غريباً إذا علمنا أن الوبر كان مادة تستعمل في الطب الشعبي؛ وهناك علاجات أخرى يستخدم فيها الوبر يمكن الرجوع فيها لذوي الاختصاص.

البكري، *المغرب*، باريز، 1965؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن، 1938؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الايطالية نابولي، بدون تاريخ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972؛ محمد الطويل، *النقل والتنقل*، أطروحة دكتوراه الدولة كلية الآداب بالرباط.

J. Meunié, *Le Maroc saharien...*, Paris, 1982 ; Mauny, *Géographie de l'Occident Africain au moyen âge*, Dakar, 1966.

محمد حجاج الطويل

**وَجَاهَه، محمد** تقي الله بن علي الشيخ ابن الشيخ محمد تقي الله ابن الشيخ محمد فاضل بن مامين الملقب بوجاهه، من رموز المقاومة في الصحراء المغربية خلال النصف الأول من القرن الماضي، واجه الفرنسيين في عدة مواقع لا تزال الذاكرة الشعبية تحتفظ بها باعتزاز رفقة مجموعة من المجاهدين مثل أخيه محمد المامون وإسماعيل ولد الباردي والشيخ ابن الأجرب وأحمد حمادي وعلي ولد ميارة وغيرهم. ومن أبرز وقائعه معهم وقعة أم اغْوَابَهْ التي قتل فيها أحد الضباط الفرنسيين.

توفي في معركة بوقرن يوم 5 ماي 1924.

*إسماعيل ولد الباردي*، محمد دحمان، ص. 59، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه، 1999؛ *حوليات أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة أدرار*، ص. 55، تعليق سيدي أحمد بن أحمد سالم، مرقون خاص.

محمد الظريف

**الـوجْداري**، عائلة باعمرانية، لها دور كبير في أحداث الإقليم، ما بين (1299 - 1325) أصلها من دوار تاگضيشْتْ في أحواز تافراوْت بالأطلس الصغير وأول من هاجر منهم مضطرا إلى آيت باعمران سعيد (حسب رواية العائلة). وأول من اشتهر من عائلة الوجداري إبراهيم بن سعيد، قال عنه الإگراري : كان رجلا ظريفا رقيقا، جوادا كريما تولى مرتبة أنفلوس بعد وفاة والده، ارتقى بفضل صفات محمودة فيه وطموح، فكان أحد عمال السلطان مولاي الحسن الأول سنة 1299، وإذ بعد تقسيم قبيلة آيت بوبكر إلى آيت إخلف كان عامل السلطان هو أحمد بن الشيخ همّو الخلفي (*معلمة المغرب*، 3796) وإلى آيت النص وكلن عامله مترجمنا هذا.

وقد سُجّل غلطا متعمدا إنجازه لبناء المرسى في إسْگْ وهو يبعد عن المحيط بأكثر من عشرين / كلم. إذ ليس له مناص من أن يغامر بالترامي على جزء من قبيلة آيت إخلف للوصول إلى المحيط، وجاء في رسالة السلطان الحسن الأول سنة 1301 (خديمنا إبراهيم أسعيد، بلغ علمنا أنك صرت تترامى على أولاد السيد محند بن يوسف وتروم إدخالهم في ولايتك، مع أنهم في ولاية الخديم أحمد بن همّو ...) وذلك في سنة 1301. ولما استنكر المخزن هذا الترامي، أعلن حربا قبلية كانت نتيجتها خسائر كبيرة في الرجال والخيل وحرق الديار في معركة المسيد الأحمر، حيث قتل هذا العامل وأخوه سنة 1304. ثم تولى ابنه القائد محمد، وقال عنه الإگراري : فهو على منوال أبيه إلا أنه ليس التكحل كالكحل، فهو رجل صبور حليم ... وإليه يرجع بناء - تيگمّي نـ وْگلّيد؛ دار الملك، لحراسة الشاطئ بمرلفت، لكنه قتل غدرا لأنه غدر بخصومه بدوره، فكان جزاؤه من جنس العمل.

*إتحاف أعلام الناس*، ج 2 ص. 337؛ علي المحمدي، *السلطة والمجتمع*؛ الإگراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، ص. 118؛ أنوش، *ظهيران لعائلة الوجداري*؛ الحسين جهادي، *استجوابات جانب من تاريخ آيت باعمران*.

الحسين جهادي

**وجدة** (جغرافيا -) تشكل أهم قطب حضري بالمغرب الشرقي، وتلعب عدة أدوار إدارية واقتصادية وثقافية، باعتبارها مقرا للجهة الشرقية (التي تضم أقاليم الناظور، وجدة - أنگاد، بركان، تاوريرت، جرادة، فگيگ) والولاية وعمالة لإقليم وجدة - أنكاد، وتحتضن جامعة محمد الأول. لكن يجب الاعتراف بأن موقعها الحدودي والجيوسياسي، أصبح يفرض عليها مجموعة من الإكراهات التي أخذت تعرقل نموها الاقتصادي. فنظرا للروابط التاريخية التي كانت تربطها مع المجال الحدودي المغربي الجزائري (تلمسان، مغنية ووهران) كان بإمكانها أن تلعب أدوارا دولية هامة، وتشكل معبرا للسواح المغاربيين والعرب والأجانب، لولا العامل الجيوسياسي المجمد منذ استقلال الجزائر، باستثناء مدة قصيرة تم فيها فتح الحدود في نهاية الثمانينيات والتي سرعان ما أغلقت من جديد، وهو ما أصبح يطلق عليه "حدود الجدار".

يمكن التأكيد على أن التطور الديموغرافي الإيجابي الكبير الذي عرفته مدينة وجدة خلال القرن 20 وبداية الألفية

الثالثة لم يشهد له مثيل خلال القرون التسع الماضية. لقد كان عدد سكان وجدة سنة 1910 حوالي 6829 نسمة، أزيد من نصفهم مسلمون، يعيشون بسلاح مع اليهود والجزائرين، إضافة إلى عدد من الفرنسيين والأوربين (363 نسمة). فنظرا لعاملي الاستعمارين الفرنسي والأسباني اللذين احتلا البلاد، وموقع المدينة على الحدود مع الجزائر المحتلة آنذاك من طرف فرنسا، سهل تسرب هذه العناصر إلى وجدة، مما يفسر النسب المتقاربة بين المغاربة والأجانب القاطنين بالمدينة في الفترة 1926 ـ 1936 . كما أن الظروف التاريخية والاقتصادية والسياسية والإنسانية تحكمت إلى حد كبير في السكان عبر الحدود للاستقرار بالمدينة.

وتضاعف عدد سكانها ثلاث مرات تقريبا في الفترة 1910 ـ 1926 ليصل إلى 20.000 ن. وفي الفترة اللاحقة تضاعف سكانها أربع مرات ليبلغ قبيل الاستقلال حوالي 80.854 ن، وشكل فيها المغاربة المسلمون نسبة 62.2٪، إضافة إلى عدد هام من الجزائريين (14.500 ن) والفرنسيين والأوربيين (12.880 ن).

واحتلت المدينة المرتبة الثامنة (260.000 ن) من بين 14 مدينة مغربية في إحصاء 1982 . ولم يعد يمثل الأجانب بالمدينة سوى 1.7٪ من مجموع سكانها.

وبرزت الطفرة السكانية الكبيرة للمدينة في نتائج إحصاء 1994 ، لعاملي الهجرة القروية والنمو الطبيعي، إذ بلغ عدد سكانها 357996 ن، لا تشكل فيهم الجالية الأجنبية سوى 1 ٪، مع اختفاء اليهود المغاربة بالمدينة (علما بأن عددهم سنة 1952 بلغ حوالي 3.170 ن). ويشير آخر إحصاء أجري سنة 2004 إلى أن عدد سكان المدينة قد بلغ 400738 ن موزعة على 82128 أسرة، بنسبة زيادة سنوية قدرت بـ 1.2٪ خلال الفترة (1994 ـ 2004).

أمام غلق المناجم المعدنية (الفحم بجرادة ...) واشتداد الجفاف وتدهور الأراضي بأرياف وجدة والجهة الشرقية، تم شبه إفراغ لعدد من دواوير البوادي المجاورة (جبال بني يزناسن.. والظهرة..)، وإن نسبة هامة من النازحين استقرت بالمدينة. وتفيد الإسقاطات الديمغرافية استمرار تراجع سكان البوادي في كل أقاليم الجهة الشرقية، وتزايد سكان مدينة وجدة بحوالي 50٪ خلال 25 سنة المقبلة.

هذا التطور الديموغرافي الكبير لم يواكبه تطور اقتصادي وتنموي لتلبية حاجيات وطلبات السكان. فما ميز المدينة خلال العقود الأخيرة هو توسعها العمراني أفقيا وعموديا، فتعددت بذلك الأحياء المتسترة والعشوائية، التي تنقصها التجهيزات الضرورية.

فمن حيث تطور نسيجها الحضري وأحيائها يمكن تقسيم ذلك في ارتباط مع التحولات التي تعرفها المدينة والبلاد، إلى ثلاث مراحل كبرى : خلال الحماية كمرحلة أولى، وبعد الاسقلال كمرحلة ثانية، وبعد المسيرة الخضراء إلى الآن كمرحلة ثالثة.

كانت المدينة في بداية القرن 20 محصورة داخل أسوارها على مساحة ضيقة تقدر بـ 28 هـ يعيش داخلها حوالي 6500 نسمة حين احتلالها سنة 1907 ، لتتعدى مساحتها 4400 هـ في نهاية القرن 20 . ويفسر هذا التطور السريع لساكنتها ومساحة توسعها بالتطورات الهامة بعد هذا التاريخ. فباستقبالها جاليات أجنبية هامة، (جزائرية وأوربية..) تجاوزت بعد ذلك حدود الأسوار، وتكونت أنوية متعددة تحيط بمركز المدينة المشكل من المدينة القديمة، وحي أوروبي، وحي عصري. ونشأت عدة أحياء هامشية، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، منها أحياء الطوبة وكولوج في شمال المدينة على الطريق المؤدية إلى أحفير بركان، وأحياء في غرب المدينة مكونة من : أولاد الشريف، انكادي سي لخضر والمير علي .. وتوسعت المدينة في الجهة الشرقية في حي ظهر لمحلة (لازاري) وسيدي يحي، ونشأت أحياء عصرية جديدة في جنوب ـ شرق المدينة منها حي المسيرة (زنكوط) والقدس قرب الجامعة. كما توسع البناء على محور الغرب (طريق الغرب : في اتجاه تازة فاس..)، وفي اتجاه بوعرفة وفيگيگ.

وبصفة عامة فإن المدينة عرفت تسوعا ديموغرافيا كبيرا بعد استقلال البلاد وعرفت توسعا عمرانيا سريعا للسكن غير اللائق ملفت للنظر منذ 1991. فإذا كانت الإحصائيات تشير في بداية التسعينيات إلى ما يقرب من 18.650 ن تسكن هذه الأحياء على مساحة 238 هـ، فإن ساكنة هذه الأحياء قد قفزت إلى 120.000 ن على مساحة 340 هـ حسب مونوغرافية بلدية وجدة لسنة 1996. وتوسعت المدينة في كل اتجاهات المحاور الكبرى للطرق.

إن وجدة، باعتبارها عاصمة المغرب الشرقي، تعتبر مدينة خدمات بامتياز لكل الجهة الشرقية، فهي تتوفر على أكبر المستشفيات (الفارابي)، والعيادات، وأهم التخصصات الطبية، والجامعة، وأهم الأسواق التجارية المهيكلة وغير المهيكلة (أسواق التهريب من الجزائر ومليلية). وتتوفر على محطة كبرى للقطار، ومطار دولي في ضاحيتها ببني درار يخدم الجالية المغربية ببلاد المهجر (أوروبا أساسا). غير أن النشاط الصناعي ضعيف، يقتصر على بعض الصناعات الاستهلاكية والغذائية. ولا يملك الوسائل الضرورية لتلبية طلبات ساكنة الجهة الشرقية.

فعلى المستوى الصحي، لا توفر وجدة إلا سريرا واحدا لحوالي 520 نسمة، وطبيبا واحد لـ 1882 نسمة، وعيادة طبية خاصة لأكثر من 3500 نسمة. وعلى الرغم من أهمية العائدات المالية للهجرة إلى الخارج، وأهمية رواج تجارة التهريب، لم تتمكن وجدة من هيكلة اقتصادها، حيث أغلب هذه الموارد المالية موجهة للاستهلاك، مثل ميادين التغذية واللباس والسكن، كما يتم تصدير جزء مهم من العائدات المالية إلى جهات ذات حيوية اقتصادية مهمة مثل الدار البيضاء. حاليا، يمكن الوقوف على مؤشرات وظواهر الأزمة

التي تعاني منها المدينة، منها إغلاق العديد من الفنادق السياحية والمحلات التجارية، أو اشتغالها ببطء، كما تتزايد أعداد الباعة المتجولين والأحياء غير القانونية وتدهور المدينة العتيقة.

هكذا، يمكن الجزم بأن مدينة وجدة لم تعد لها الهيمنة المطلقة كما كان عليه الحال سابقا، خاصة بعد نمو أقطاب حضرية جديدة أصبحت تنافسها في الوظائف الإدارية والاقتصادية. فأمام تصاعد أهمية بركان كمركز للإقليم، والناظور كميناء جهوي ومركز تجاري كبير، وأمام مشروع شق طريق وسكة حديدية بين تاوريرت والناظور وبناء مركب سياحي دولي بشاطئ السعيدية، ومشروع مد المدار الطريقي الرابط بين طنجة والسعيدية سينزلق، لا محالة، مركز الثقل الجهوي نحو شمال الجهة. لذا يمكن الاستنتاج بأن قوة وجدة لم تعد ترتكز على نشاطها الصناعي والتجاري، بقدرما تعتمد على التجهيزات الكبيرة التي تتوفر عليها في ميدان الخدمات المتميزة والمصالح الإدارية العليا.

ولكن رغم هذه العوائق والمنافسة الجديدة، تظل مدينة وجدة بدون منازع أهم تجمع حضري وإشعاعي بالجهة الشرقية. إنما تدعو الضرورة مع ذلك دعمها من طرف الدولة في إطار مقاربة تنموية خاصة، تراعي الظروف المحيطة بالمدينة، لتقوم بدورها التنموي المهيكل لمجال الجهة الشرقية وأساسا الأرياف والمراكز الناشئة.

حاليا، أمام المنعطف الخطير الذي تشكله العولمة، أصبح من المطلوب أن تبقى للمدينة وظيفة بناء سرح المغرب العربي إذا تغلب منطق التعاون والتكامل الجهوي، ووظيفة بناء جامعة متكاملة، وذلك ببناء المعاهد والمدارس العليا المتخصصة في القضايا الجهوية، مثل قضايا الجفاف والتصحر، وذلك سعيا وراء البحث والابتكار لبناء اقتصاد قائم على أسس متينة. ولا شك أن قرار بناء كلية للطب والصيدلة بالمدينة يسير في هذا الاتجاه، والذي سيعزز بنيات البحث والدراسات المتخصصة بالمدينة وبالجهة الشرقية.


موسى كرزازي، الحركة السكانية الأفقية وبعض انعكاساتها بوجدة، كعاصمة للمغرب الشرقي، *مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية* بوجدة، جامعة محمد الخامس، سلسلة ندوات ومناظرات، 1992 ؛ *وزارة إعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والإسكان، 2000* : تصميم التنمية وإعداد المجال بالجهة الشرقية ؛ زروقي الميلود، 2004، *الحدود وتنظيم المجال المحلي والجهوي بالمغرب الشرقي*، دكتوراه دولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة (غير منشورة) ؛ مؤلفات مشتركة سلسلة إحياء التراث، (تنسيق المصطفى مولاي رشيد) ؛ وجدة *حاضرة الألفية*، 2003 ؛ *وجدة والجهة الشرقية*، (2)، 2005.

*Recensements Généraux de la Population et de l' Habitat* (Dir. de la Statistique HCP), Rabat ; Kerzazi Moussa, *Migration rurale et développement au Maroc*, Pub. FLSH, Univ Mohammed V, Série Thèses et mémoire, n°55 (Chapitre Maroc oriental) ; Troin J -F (Sous la dir) et al, 2002, *Maroc : Région, pays, territoires*, Tarik édit, Maisonneuve & Larose.


شاكر الميلود وموسى كرزازي

**وجدة**، (تاريخ –) من أقدم المدن المغربية تأسيسا ونشأة ؛ حيث يرجع تاريخ تأسيسها إلى سنة 384 / 994، على يد زيري بن عطية المغراوي لتكون عاصمة إدارية لدولته وقاعدة عسكرية وحصنا منيعا يلتجئ إليه وقت الحاجة. واختير لها موقع وسط، ثغر بين الإيالتين، المغرب الأقصى والمغرب الأوسط، هذا الموقع الذي أثر فيها طول تاريخها، سواء من الناحية السياسية أو من الناحية العمرانية. قد ورد ذكر وجدة، في المصادر القديمة بأسماء متعددة ومتباينة المعنى، بعضها أخذ معناه من المكان الذي توجد به المدينة، وبعضها من اسم النبات الذي يكثر بمنطقتها، وبعضها من الطبوغرافية. ومن أهم هذه الأسماء التي حملتها وجدة عبر تاريخها : مدينة دقيوس، ومدينة السدرة ومدينة الحيرة ومدينة السلطان ومدينة وجدة ؛ وهذا الاسم الأخير ذكره لأول مرة الواقدي في القرن الثاني الهجري، والتصق بالمدينة إلى حد الآن.

اقترن تأسيس وجدة باسم زيري بن عطية المغراوي، حيث تذكر المصادر أنه اختط المدينة في رجب سنة 384 / غشت 994 "وأنزلها عساكره وحشمه، واستعمل عليها ذويه، ونقل إليها ذخيرته، وأعدها معتصما، وكانت ثغرا للعمالتين، المغرب الأقصى والأوسط". لكن هناك إشارات عديدة في المصادر، تبين من خلالها أن مدينة وجدة كانت موجودة قبل القرن الرابع الهجري (10)، وأن زيري بن عطية قام بإعادة بنائها وتجديدها، أو ببناء وجدة أخرى فوق أنقاضها.

لم تخضع مدينة وجدة إلى حد الآن لدراسة أركيولوجية شاملة لأي فترة من الفترات التاريخية البعيدة. ولكن هذا لا يمنع من القول بأن بعض الأماكن بالضاحية المحيطة بها خضعت لدراسة أركيولوجية، قام بها متخصصون أمثال جون وماريون، وج. صمويل وگزيل وغيرهم... وتوصلت إلى نتائج أولية لا بأس بها، إلا أنها تبقى غير نهائية. لكن ما هو ثابت تاريخيا، أن الإنسان قد استقر منذ آلاف السنين بناحية المدينة، وبالضبط بمنطقة تافوغالت بأحوازها، كما أنه قد استقر منذ زمن بعيد بالموقع أو بالقرب منه. يؤكد هذا، بالإضافة إلى البقايا الأثرية الموجودة بالمنطقة، وجود آثار استغلال قديم للرصاص بالناحية.

إن الظروف السياسية التي عمت شمال إفريقيا خلال القرن الخامس الهجري بسبب الهلاليين الذين تقاسموا البلاد، بالإضافة إلى الأعراب الذين عاثوا فسادا في القيروان خاصة بعد أن اضطر المعزّ سنة 449 / 1057 إلى التخلي عن عاصمته القيروان والتوجه إلى المهدية، أدت إلى تعميم الفوضى في سائر البلاد، فاضطرب أمر إفريقية وخرب عمرانها، وازداد أمرها اضطرابا بعد اشتداد الصراع بين الأعراب الرحل الزناتيين والهلالين، فسيطر الأعراب على نواحي تلمسان، وتأثرت الطرق التجارية المؤدية إليها،

فتعطل بذلك دور طريق تلمسان نحو سجلماسة، وأصبحت الحاجة إلى بناء مدينة جديدة بعيدة عن متناول الأعراب، أمرا ضروريا. لذلك سارع يعلى بن بلغين الورتغنيني وهو أصلا من تجار إفريقية، لنباء مدينة جديدة محاذية لحاضرة مغراوة خلال العقد الخامس من القرن 5 أي بعد عام 440 / 1049 لكي تقوم بهذا الدور التجاري. وبذلك أصبحت وجدة عبارة عن مدينتين، وصفهما البكري بقوله "مدينتان مسورتان، أحدث إحداهما يعلى بن بلغين الورتغنيني، بعد أربعين وأربعمائة، يسكن في المحدثة التجار وفيها أسواق، والجامع خارج المدينتين".

وفي إطار توحيد المغرب تحت قيادة المرابطين، انطلق يوسف بن تاشفين على رأس جيوش جرارة نحو المناطق الشرقية، وبدأ رأسا بمهاجمة مدينة وجدة ودخلها سنة 474 / 1081 - 1082. إلا أنه منذ أن دخل المرابطون تلمسان أصبحت هذه المدينة قاعدة للدولة شرقا، وصارت تمثل ثغرا من ثغورها. وبذلك أصبحت وجدة من أحواز تلمسان، تابعة لواليها محمد بن تينغمر وقابعة تحت ظله، لتبقى كذلك إلى حدود سنة 510 / 1116 أي حدود مرور المهدي بن تومرت بها عند عودته من الشرق رفقة أصحابه.

وظلت مدينة وجدة على ولائها للمرابطين، إلى أن سقطت تلمسان تحت ضربات جيوش الموحدين بقيادة عبد المؤمن، فانطلق منها في حملته على وجدة. ويفهم من المصادر أن وجدة أبدت مقاومة كبيرة للموحدين بقيادة واليها المرابطي أبي بكر بن سامغين، ولم يتمكن الموحدون من دخولها إلا بعد تحطيم أسوارها وقتل واليها، وذلك سنة 540 / 1145.

وفي عهد بني مرين عانت مدينة وجدة اضطرابات كثيرة نظرا لوجود بني عبد الواد في تلمسان، وكان همهم هو السيطرة على وجدة باعتبارها مركزا تجاريا مهما بين سجلماسة والشرق قبل الوصول إلى تلمسان. وهذا النزاع أدى إلى تحطيمها مرارا ثم إعادة بنائها. وكانت البداية مع الحرب الضروس التي دارت بين يغموراسن من بني زيان ويعقوب المريني، بوادي إسلي في منتصف رجب من سنة 670 / 1272، والتي انتهت بانهزام يغموراسن. ولما انتهى أبو يوسف يعقوب من أمره، أقام في اليوم التالي على وجدة فأمر بتحطيمها حتى "عفا أثرها وجعل عاليها سافلها وتركها قاعا صفصفا، وارتحل عنها".

بعد فترة من تولية أبي يعقوب يوسف المريني، خرج سنة 696 / 1296 غازيا إلى تلمسان. ولتأمين الأجزاء الشرقية من مملكته، قام ببناء مدينة وجدة وحصن أسوارها، وجهزها بعدة مرافق منها : "قصبة ودار ومسجد وحمام". وتعتبر هذه المرافق أقدم المآثر العمرانية بالمدينة، ولايزال جلها ماثلا للعيان إلى يومنا هذا، رغم الإصلاحات والتغييرات التي أدخلت عليها. ثم تعرضت مدينة وجدة لخراب آخر بعد أقل من ربع قرن، وذلك أثناء حملة أبي الحسن المريني على تلمسان سنة 736 ودخوله إليها، ومنها "أوعز إلى عساكره بتخريب أسوارها". وفي عهد الوطاسيين بقيت وضعية وجدة غامضة إلى أن كان آخر عهدهم، حيث تنازلوا عن شرق المغرب للأتراك، مقابل مساعدتهم لاسترداد ملكهم من السعديين الدولة الناشئة.

وخلال القرن العاشر وبعد قيام الدولة السعدية، وصل حكم العثمانيين إلى تلمسان سنة 1518، على يد عروج وخير الدين، ولما امتنعت وجدة من التبعية لهم، جهزوا جيشا، وتم غزوها والسيطرة عليها. إلا أنه بعد وصول السعديين إلى فاس سنة 1549 ، استطاع محمد المهدي في طريقه إلى تلمسان أن يفرض سيطرته على المدينة، وإن كان شرق ملوية وحاضرته قد دخلا تحت سلطة الأتراك عدة مرات، ولم تتمكن وجدة من التخلص من سيطرتهم إلا بعد معركة وادي المخازن بفترة من الزمن. لكن هذا الوضع لم يدم طويلا، فمباشرة بعد وفاة أحمد المنصور سنة 1012 / 1603، انقسم المغرب بين أبنائه، ودخلوا في صراع مرير بينهم، فعمّت الفوضى. وكذلك كان حال وجدة، إذ استقلت بنفسها واستغنت عما سواها، وأصبح أهلها "بعضهم قائمين بدعوة الترك وبعضهم خارجين عنهم"، وهو ما سهل مأمورية المولى مَحمد العلوي في دخولها حيث اتخذ منها ابتداء من سنة 1060 / 1650 قاعدة عسكرية للانطلاق نحو أراضي الإيالة التركية، فغزا منها تلمسان وضواحيها وبلغ الأغواط وعين ماضي. واستمرت مناوشاته لأتراك الجزائر انطلاقا من مدينة وجدة، ولم تتوقف إلا بعد توقيعه معاهدة صلح مع والي الجزائر عصمان باشا، إذ وضعت حدا للصراع بين الجانبين، وصار وادي تافنا حدا فاصلا بينهما، ومن ثم أصبحت مدينة وجدة تمثل مدينة الحدود في الأعراف الدولية.

استطاع المولى إسماعيل، أن يرغم الأتراك بالجزائر على المبادرة بطلب الصلح، وألزمهم بوادي تافنا شرق المدينة كحد فاصل بين الإيالتين. وكان من نتائج عقد أول صلح له مع الأتراك سنة 1089 / 1678 أن استرد وجدة التي كانت تحت سيطرتهم، وأمر ببنائها وتجديد قصبتها. لكن ذلك لم يمنع الأتراك من إعادة السيطرة عليها، ولم يتمكن المولى إسماعيل من استرجاعها - مرة أخرى - إلا بعد توقيع معاهدة سنة 1103 / غشت 1692 . وبعد وفاة المولى إسماعيل سنة 1139 / 1727 دخل المغرب في حالة من الفوضى السياسية، أخذت مدينة وجدة منها حظا وافرا. ونظرا لبعدها عن مركز السلطة، هاجت القبائل المحيطة بها وخاصة أهل أنگاد والأحلاف، فانتهزوا أول فرصة، وثاروا على الوالي الباشا العياشي بومهدي، الذي خرج هاربا إلى تازة بجميع أصحابه وأولاده. فكان هذا الحدث إيذانا بانسحاب السلطة المركزية من وجدة ومن ساحتها. وبقيت المدينة في حيّز الإهمال كما أخبر بذلك الزياني، منذ وفاة المولى إسماعيل حتى تولية المولى سليمان (ت. 1238 / 1822 )، الذي حاول أن يعيد إليها هيبة المخزن العلوي، وذلك بأن بعث إليها أبا القاسم الزياني واليا عليها، فلم يكن حظه منها بأحسن ممن سبقوه.

ولذلك عزم المولى سليمان على استرجاعها نهائيا من يد الأتراك، فكان ذلك خلال سنة 1211 / 1796 ، فانسحبت قوات الأتراك بأمر من باي وهران. ورغم عودة وجدة إلى سلطة المخزن العلوي، وقيام المولى سليمان بإصلاح قصبتها وتجديد بعض مرافقها، إلا أن هذا الاهتمام جاء متأخرا، حيث ظلت المدينة منهوكة القوى، فارغة من السكان، لدرجة أن شاهد عيان وصفها ـ في تلك الفترة ـ بالقرية.

بعد احتلال الجزائر سنة 1830، وصل الجيش الفرنسي إلى تلمسان في فبراير 1840، وفي سنة 1843 أقام الجنرال بيجو مركزا عسكريا في مغنية رغم احتجاج السلطات المغربية، ثم بعد ذلك قاد حملة عسكرية ضد وجدة في 14 غشت سنة 1844. بعد فترة من الزمن، خضعت مدينة وجدة لاحتلال آخر من طرف السلطات الفرنسية سنة 1859، وجوابا على ذلك عين السلطان أحمد بن الداودي عاملا على المدينة، وابتداء من سنة 1860 أصبحت خاضعة لنظام العمالة بعد أن كانت من قبل خاضعة لسلطة القواد.

وفي سنة 1876 قام المولى الحسن الأول بزيارتها للاطلاع على أحوالها وأمر بإصلاح أسوارها وترميمها، خاصة منها التي تكون جزءا من أسوار القصبة.

واستمرت الاضطرابات بالمنطقة، وازدادت حدة في عهد المولى عبد العزيز، مما ساعد الثائر بوحمارة على السيطرة عليها سنة 1903 ، وبعد خروجه منها ازدادت الفوضى بها وبنواحيها مما سهل ـ بعد حين ـ مأمورية الجيوش الفرنسية التي تمكنت من دخولها صبيحة يوم الجمعة 14 صفر 1325 / 29 مارس 1907.

قاومت مدينة وجدة الاستعمار الفرنسي بشدة، وشاركت سنة 1944 في التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال، وقامت في 16 غشت 1953 بثورة عارمة احتجاجا على نفي محمد الخامس. ولم تهدأ مقاومتها إلا بعد استقلال المغرب.

إن الظروف السياسية التي مرت بها مدينة وجدة وتوالي مراحل تهديمها، جعل الآثار العمرانية بها قليلة وأقدمها لا يتعدى الفترة المرينية. وأهم مآثر المدينة، الجامع الأعظم الذي بناه السلطان أبو يعقوب يوسف المريني سنة 696 / 1296، وكذا الحمام الذي بني في نفس الفترة مع المسجد الأعظم، وهو يشبه إلى حد كبير حمام العنبرة بالأندلس. ويسمى هذا الحمام عند السكان بالحمام البالي أو حمام سيدي يحيى. أما قصبة وجدة فقد تزامن بناؤها مع بناء المسجد الأعظم والحمام العتيق. وقد جددها المولى إسماعيل العلوي سنة 1089 / 1678 وأعاد إصلاحها المولى سليمان سنة 1211 / 1796. وفي عام 1876 أمر المولى الحسن الأول أثناء زيارته بإصلاح أسوارها وكذا بعض المرافق التابعة لها. غير أنه لم يبق اليوم من هذه القصبة إلا اسمها، وتخلت عن الوظائف التي كانت منوطة بها، وأصبحت حيا من أحياء المدينة العتيقة. أما سور المدينة الحالي ـ أو ما بقي منه في بعض الجهات ـ، فيعزى بناؤه إلى العامل إدريس بن يعيش في الفترة ما بين أكتوبر 1895 وأبريل 1896 ، وكانت له أربعة أبواب : باب سيدي عبد الوهاب، وباب أولاد عمران وباب الخميس وباب الغربي، غير إن إقدام السلطات الفرنسية على تهديم جزء كبير منه فاختفى باب الخميس وباب أولاد عمران إلى الأبد.

وكانت ساكنة وجدة ـ على الأقل ـ إلى حدود نهاية القرن 12 (18 )، عبارة عن خليط من بني يزناسن وأنگاد وبني أسنوس وتمسمان وبني مطهر وفگيگ وتافيلالت وفاس وغيرها، إضافة إلى بعض العائلات الأصيلة في المدينة وبعض الشرفاء من الأدارسة والعلويين، ثم بعض الجماعات من اليهود. وهذه العناصر كلها، انتظمت على شكل مجموعات داخل أحياء المدينة، فعرف كل حي باسم المجموعة البشرية التي تسكنه. وكانت المدينة في الأصل تتكون من أربعة أحياء رئيسية هي : أهل وجدة، أولاد عمران، أولاد عيسى وأولاد الكاضي، ثم أضيفت إليها أخرى أو انبثقت من بعضها كأشقفان وأهل الجامل، ويبقى إلى جانب هذه الأحياء، حي اليهود الذي كان يقع أساسا بأولاد عمران. ولما دخل الجنرال بيجو إلى وجدة سنة 1844 وجد بها حوالي 4.000 أو 5.000 نسمة.

ويسجل التاريخ المعاصر لسكان وجدة انتفاضة 16 غشت 1953 والمظاهرات الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي في المدينة وفي مجموع المغرب الشرقي، والتي اندلعت أياما قبل نفي محمد الخامس، وتم على إثرها اعتقال وتشريد وتعذيب الوطنيين والمقاومين للاحتلال.

بعد استقلال الجزائر عرفت وجدة حدثين مهمين، وهما الخروج شبه الجماعي لحوالي 29000 نسمة من السكان والمقاومين الجزائريين من المدينة وضواحيها ليعودوا بمحض إرادتهم إلى بلدانهم. أما الحدث الثاني فيتمثل في "حرب الرمال" بين الجزائر والمغرب حول الحدود وخاصة التخوم الصحراوية (تندوف، لقنادسة، كرزاز، توات...) وكانت هذه المناطق قد انتزعت من المغرب وضمت للتراب الجزائري المحتل آنذاك من فرنسا، والتي لم يعترف بها حكام الجزائر بعد حصول بلدهم على الاستقلال. هذه الأحداث قد أكدت الدور العسكري الذي يجب أن تلعبه المدينة في مثل الحالة التي يتحكم فيها العامل الجيوسياسي بالأساس، سواء في حالة السلم (ومثال على ذلك في عهد الرئيس الشادلي بنجديد حيث فتحت الحدود، رغم قصر المدة، فازدهرت التجارة والمبادلات والسياحة والاستثمار)، أو في حالة التوتر التي طبعت العلاقات المغربية الجزائرية منذ استقلال الجزائر، وهو ما انعكس سلبا على المدينة واقتصادها وحيويتها كمدينة حدودية، وعلى المغرب الشرقي ككل، مثلما انعكس على الغرب الحدودي الجزائري. فقد عانت المدينة من استقبال 45.000 مغربي طردوا من الجزائر دفعة واحدة في عهد الرئيس الهواري بومدين، الذي عاش هو نفسه في أحضان هذه المدينة ضمن "مجموعة وجدة" المقاومة للاحتلال الفرنسي انطلاقا من وجدة. هذا الطرد للمدنين المغاربة المقيمين بالجزائر

جاء كرد فعل لحكام الجزائر على إثر المسيرة الخضراء 1975 لاسترجاع الصحراء المغربية، وهذا ما أثر سلبا فيما بعد وإلى الآن (2006)، على تطور المدينة باعتبارها توجد في الواجهة الأمامية.

دادي مارية، *تاريخ مدينة وجدة من التأسيس إلى نهاية العصر الحديث*، أطروحة دولة، مرقونة بخزانة كلية الآداب، وجدة، سنة 2002 ؛ *مخطوطة بالخزانة الوطنية* بباريس ضمن مجموع، رقم D1892 ؛ الواقدي، *فتوح أفريقية*.

**الوجدي، أحمد** بن **مهدي** عالم فاضل، من أهل العلم والصلاح، من طبقة الإمام ابن غازي، ومن تلامذة الشيخ السنوسي (ت. 895) صاحب *العقائد*، قرأ عليه علم الكلام وحققه، فبرع في تدريسه. أخذ عنه الشيخ ابن هبة الله الوجديجي، وتتلمذ له عدد وافر من طلبة المغربين الأقصى والأوسط، فكان بذلك حلقة في سلسلة سند العلماء المتأخرين، كما ذكر ذلك الإمام القصار في *فهرسته*.

توفي حوالي سنة 925 / 1519.

ابن عسكر، دوحة، ط 1976، ص. 136، رقم 143 ؛ الفاسي، *مرآة*، ص. 174 ؛ عبد الرحمان الفاسي، *ابتهاج*، ص. 274 ؛ الحضيكي، *طبقات*، 1 : 38 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 432 ؛ مارية دادي، *تاريخ مدينة وجدة* ، أطروحة مرقونة بخزانة كلية الآداب، وجدة، سنة 2002، ص. 328.

**الوجدي، عبد الله** بن **سعيد** يكنى أبا محمد، ولي قضاء بلنسية لأول فتحها في الدولة المرابطية واسترجاعها من الروم في رجب 495 / 1102 ، وعلى يديه وتحت إشرافه تم بناء المحراب بالمسجد الجامع منها في سنة 498 / 1105، وفي جانبه بقي اسمه مخطوطا إلى أن ملكها الروم ثانية في آخر صفر 636 / غشت 1242. وكان من جلة الفقهاء الحفاظ لمسائل الرأي يناظر علماء وقته في ذلك. وتتلمذ له أبو حفص بن واجب وغيره، وحدّث عنه أبو العرب عبد الوهاب بن محمد التجيبي وأبو عبد الله بن خليل القيسي نزيل مراكش.

توفي ببلنسية قبل سنة 510 / 1116.

ابن الأبار، *التكملة*، 2 : 302 ـ 303، ج 4، ص. 167 ؛ گنون، *النبوغ*، 1 : 94 ؛ مارية دادي، *تاريخ مدينة وجدة*، أطروحة مرقونة بخزانة كلية الآداب، وجدة، سنة 2002، ص. 326.

**الوجدي، موسى**، عالم فقيه من شيوخ العلم بمدينة وجدة، درس على يد علماء مدينته، وكان متصدرا للإقراء بها خلال سنة 985 / 1577. أخذ عنه بمدينة وجدة عدد من طلبتها، من بينهم الفقيه يوسف بن عابد الوكيلي صاحب كتاب *ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضر موت*. ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة فاس، فتصدر مجالس الإقراء بها بمدرسة مصباح سنة 989 / 1581.

ابن عابد الوكيلي، *ملتقط الرحلة*، ص. 58 ؛ مارية دادي، *تاريخ* مدينة وجدة ، أطروحة مرقونة بخزانة كلية الآداب، وجدة، سنة 2002، ص. 329.

**الوجدية** (ابن -) **محمد** بن **يحيى** بن عبد الله بن أبي القاسم المحب المصري المالكي، يعرف بابن الوجدية نسبة إلى مدينة وجدة، وكان يكتب بخطه ابن الوجدي. عالم فاضل، وشاعر مجيد، اشتغل في عدة فنون، سمع عن الميدومي وغيره. وسمع عنه محمد بن عبد الرحمن السخاوي صاحب *الضوء اللامع* . له قصائد شعرية وقطع نثرية، وله تصنيف جمعه فيما يتعلق بصوم ستة أيام من شوال. تقلد خطة قضاء المذهب المالكي بمصر، وكان بينه وبين قضاة مذهبه الشنآن، ولم ينفك عن ذلك إلى آخر حياته.

توفي في شهر ربيع الثاني سنة 803 / 1400، وقد جاوز الستين من عمره.

السخاوي، *الضوء اللامع*، ع 10، ص. 72 ـ 73، رقم 247 ؛ مارية دادي، *تاريخ مدينة وجدة* ، أطروحة مرقونة بخزانة كلية الآداب، وجدة، سنة 2002، ص. 327.

مارية دادي

**الوجديجي، محمد شقرون** العالم المشارك المتفنن، الشيخ الإمام محمد بن هبة أو هبة الله الوجديجي الملقب شقرون التلمساني. يقول عنه ابن القاضي : "كان عارفا بالأصلين والبيان والمنطق". وقال المنجور : "كان فقيها علامة مشاركا نافذا في الفروع، منطبعا معها، مشاركا في الفرائض والحساب والبيان والمنطق". وقال عنه ابن عسكر : "... وقد حاز أوصاف الكمال سمتا وعلما وبلاغة وفصاحة وسؤددا، طلق اللسان، واسع العبارة، واضح البيان، واسع الصدر، كثير المعرفة. لقي المشايخ الكبار وأخذ عنهم : كالشيخ أحمد بن أطاع الله، والشيخ عبد الملك البرجي، وتفقه على الشيخ سعيد بن أحمد المقري وغيرهم".

قدم من تلمسان إلى فاس سنة 967 / 1559 فقلده السلطان الغالب بالله السعدي الفتوى ورئاسة العلم بمراكش وسائر أقطار المغرب، وكان يحضر مجلسه أعيان الفقهاء والسلطان بنفسه، وانتفع الناس بعلومه. وممن أخذ عنه ابن عسكر صاحب *الدوحة* ، وأحمد المنجور، وإبراهيم الشاوي المراكشي وغيرهم. تولى الخطبة بجامع الكتبيين، ثم بجامع المنصور بحي القصبة.

توفي بفاس آخر سنة 983 / 1575.

*جذوة الإقتباس*، 207 ؛ *درة الحجال*، 2 : 215 ؛ *دوحة الناشر*، 116 ؛ *سلوة الأنفاس*، 3 : 283 ؛ *شجرة النور الزكية*، 1 : 285 ؛ *نيل الابتهاج*، 350.

أحمد متفكر

**الوحدة** (طريق -) هي الطريق الرابطة بين تاونات وكتامة، أطلق محمد الخامس عليها هذا الاسم لأنها محت الحدود التي كانت تفصل بين منطقتي الاستعمار السابقتين، الفرنسية والإسبانية، من جهة إقليمي مكناس وفاس وجهة

ما يقابلهما من قلب جبال الريف، ولأن شق مسالكها في تلك الأوعار تم على يد جمهور من الشباب تطوع لذلك من تلقاء نفسه وقام بالأشغال في جو من التعبئة والحماس يشهد على ما كانت تتطلع إليه الأمة جمعاء من سامي التطلعات، غداة الاستقلال، وما يمكن أن تقوم به من جليل المنجزات كلما شحذت الهمم وتوحدت الصفوف.

وقد تضمن خطاب محمد الخامس بتاريخ 16 ذي القعدة 15 يونيه 1957 نداء إلى الشباب كي يتطوع مع ذكر الغاية من ذلك وبرنامج العمل. قال رحمه الله : "إن من بين المشاريع التي عزمنا على إنجازها لتدعيم التوحيد الحاصل بين منطقتي الوطن، شماله وجنوبه، إنشاء طريق بين تاونات وكتامة تخترق ما كان قبل حدا فاصلا بين جزأي الوطن الموحد، وذلك ما حدا بنا إلى أن نطلق عليها اسم طريق الوحدة". ثم أضاف قائلا : "أبينا أن لا نعهد بتنفيذه إلا لمن يتطوع منكم، خاصة من بلغ العشرين ولم يعدّ الثلاثين". والتزم هو شخصيا بأن يدشن الأوراش كما أمر ولي عهده المولى الحسن، الحسن الثاني رحمه الله، بأن يكون أول من يتطوع. وأبى كذلك بأن لا ينحصر الأمر عند الأشغال الهندسية، بل أراد أن يكون ذلك فرصة للشباب : "ليس للتعارف وتبادل وجهات النظر حول ما يعنيهم من شؤون بلادهم ومجتمعهم، بل وكذلك لتلقي مبادئ أساسية لمن يعزوهم الإلمام بها في التربية الوطنية أو في شؤون اجتماعية واقتصادية، ولممارسة تدريبات رياضية وعسكرية [...] حتى إذا انقلب المتطوعون إلى أهليهم والتحقوا بمسقط رؤوسهم كانوا دعاة أفكار إصلاحية صحيحة". وتمت الأشغال الأساسية في صيف تلك السنة. واستعرض محمد الخامس جماهير الشباب المتطوع في فاس وخطب فيهم يوم 6 ربيع الأول 1377 فاتح أكتوبر 1957، فقال : "غير خاف عليكم أن الاستقلال [...] يضع على كواهلنا مسؤوليات جسيمة سيمتحن فيها إخلاصنا وإيماننا ووطنيتنا، وأعظم هذه المسؤوليات تحقيق الرفاهية لشعبنا وتعميم النهضة في جميع مرافق حياتنا، وتلك غاية لا ندركها إلا إذا تجند المواطنون متعاونين متضامنين للقيام بأعمال إنشائية تعود بالخير العميم على البلاد." ولقد جاءت طريق الوحدة مستجيبة لكل ما كان منشودا منها إذا محت الحدود الاستعمارية المصطنعة، وتخرج من أوراشها شباب تعلم في تلك المدرسة الحية المتنقلة التي لم تتجاوز مدتها ثلاثة أشهر معاني الوطنية والمواطنة وكيف تتقدم الواجبات على الحقوق. وتضافرت لذلك كل الجهود، وتبين أن النضال بالعمل البناء لا يقل خطورة شأن عن النضال بالسلاح للدفاع عن الوطن. وقد قام الشهيد المهدي ابن بركة بدور سجله التاريخ له بمداد الفخر في تأطير المتطوعين والسهر على تلقين كل منهم ما كان يفتقر إليه من المعلومات وأدوات الوعي والإدراك.

أما من الناحية الهندسية، فقد انطلقت الطريق من قنطرة على وادي سري، رافد من روافد نهر ورغة شمال تاونات، واعتمدت مسلكا قرويا يساير الوادي المذكور إلى أن يصل إلى وادي كتامة عند قرية إيكاون الواقعة على ارتفاع 986 مترا فوق سطح البحر. وكان هذا المسلك يتشكل من عدة منعرجات رديئة تشق جبل إيكوسدران، ويمر على فج يرتفع إلى 1590 م، فكان من الضروري شق طريق آخر يتجنب الأوعار الكبرى، وهو طريق الوحدة بالضبط، الممتد على 21500 متر، من مميزاته الهندسية أن 9572 مترا منه جاءت مستقيمة، والباقي في ملتويات يبلغ شعاعها أقل من 60 مترا على طول 4807 م، وأكثر من 20 على طول 7071م، ولا يتجاوز الانحدار الأقصى ٪8. وأميط من التراب ما لا يقل عن 681736 مترا مكعبا، وردم منه 186561، وعلة ذلك الفرق هشاشة البنية الجيولوجية في تلك المنطقة فكان لابد من تصويبها ودعمها. وقد أقيم على الطريق 12 قنطرة، منها أربعة طولها أزيد من 10 أمتار، و11 قناة يبلغ طولها 239 مترا، و1182 من قواديس الحديد اللين، و546 مترا من القواديس العادية، 28 مترا من الانفاق، و935 مترا من حيطان التدعيم، و217 من المنحدرات المدعمة بشبكات معدنية، و498 من الحيطان المدعمة بشبكات معدنية. واستعملت أحدث آليات الحفر والدك والترميم. مما كلف الميزانية 5 ملايين من الدراهم إذ لم يكتمل التشييد والترصيف إلا سنة 1961. وهكذا كانت طريق الوحدة أولى مسيرة من مسيرات البناء التي أشرف عليها محمد الخامس وسار على دربه الحسن الثاني عندما نظم المسيرة الخضراء سنة 1975، ويواصل السير على هذا النهج نفسه صاحب الجلالة الملك محمد السادس من خلال إشرافه على المبادرة الوطنية للتنمية.

إبراهيم بوطالب

**الوداد** (جريدة -) خطية أصدرتها سنة 1927 جماعة من الشبان من مختلف المدن يكتبونها بأيديهم، من بينهم محمد بن بوبكر اشماعو مؤسس "الجمعية الودادية" ومحمد اليزيدي وسعيد حجي الذي تولى سنة 1928 رآسة تحرير الجريدة التي كانت تسعى إلى مل ء الهوة الفاصلة بين الجيلين، القديم والجديد، وإلى تقوية صفوف المسلمين، وكان شعارها المكتوب على صفحتها الأولى : "الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة"، وهي كلمة للزعيم المصري سعد زغلول. صدرت هذه الجريدة أسبوعيا أكثر من أربع سنوات.

تزامن صدور "الوداد" مع ظهور منشورات سرية مثل "*السيف القاطع*" و"*اللواء*" *والإسلام*" و"*المدرسة*" و"*الوطن*" و"*أم البنين*" وكانت كلها محدودة الأصداء وكان وجودها يعبر عن شعور محرريها بالحرمان من حرية التعبير الناتج عن العراقيل التي وضعها ظهير 27 أبريل 1914 المنظم لصحافة بالمغرب أمام الراغبين من المغاربة في إصدار صحيفة عربية.

وتمشيا مع أهدافها الأساسية سعت إلى تشكيل جبهة مغربية مناهضة للاستعمار الفرنسي والسيطرة المسيحية على البلاد الإسلامية، أخذت "الوداد" مواقف جريئة من فتح مدرسة أزرو البربرية سنة 1929 والمؤتمر القرباني بتونس والاحتفال بمرور مائة سنة على غزو الجزائر سنة 1930، كما ناهضت جميع قوى الاستعمار العالمية وساندت القضية الفلسطينية.

وفي سنة 1937 سمحت سلطات الإقامة العامة لمحمد اشماعو بإصدار "الوداد" وهي جريدة إخبارية أسبوعية باللغة العربية، شعارها على يمين الصفحة الأولى : "الوداد لسان القومية والدين. الوداد نضال يرضي المحق ولا يشفيه ويكف المبطل ولا يغريه. الوداد دفاع عن المصالح العامة ونبراس مضيء يكشف قناع الجهالة عن حقائق الأمور"، ويمثل هذا الشعار الخطة التي أعلنت عنها الجريدة في عددها الأول الصادر يوم الخميس 24 يونيو 1937.

إلا أنها اتجهت نحو إقامة حوار وتفاهم بين المغاربة والفرنسيين، فكان الاعتدال يطبع انتقاداتها لسلطات الحماية وعندما اشتدت الرقابة سنة 1952 على الصحافة منعت جميع الصحف من الصدور، فكانت الوداد من بين جرائد الإقامة العامة التي لم يشملها هذا المنع. استمرت جريدة الوداد في الصدور حتى أواخر سنة 1955.

عمر نديوس، *الصحافة الحزبية بالمغرب في عهد الحماية*، دبلوم دراسات العليا في الصحافة، الرباط، 1989 ؛ أحمد الميداوي، *النشاط الاعلامي للحركة الوطنية*، 1930 ـ 1956، الرباط، 1979 ؛ أحمد معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، 1991 ؛ أبو بكر القادري، سعيد حجي، الدار البيضاء، 1979 ؛ *معلمة المغرب*، ج 16، سلا، 2000 ؛ *جريدة الوداد* ؛ عبد الرؤوف حجي، سعيد حجي، *فجر الصحافة الوطنية المغربية*، كندا، 2003.

K. L. Brown, *People of Salé, Tradition and change in a moroccan city 1830-1930*, Manchster - U.P., 1976.

محمد الفقير

**ودرار** (ابن –) **شعيب بن ميمون** الحشمي، كان معروفا بشدة البطش والجبروت، وأنه من "مواعين الجور وآلات التسليط"، وهي صفات استغلها الوزير الشهير عمر بن عبد الله بن علي الياباني في تجسيد طموحاته الاستبدادية وتصفية معارضيه وأعدائه من الأمراء وشيوخ بني مرين، فاستعمله في تنفيذ سياسته ودبر معه مؤامرة اعتقال وقتل السلطان أبي سالم المريني سنة 762 / 1361. ثم بعد ذلك استوزره السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن الذي وضع حدا لأطماع عمر بن عبد الله.

ابن الخطيب، *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، ج 2، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 7، 2000 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1991.

**ودرار** (ابن –) **فارس** بن **ميمون** الحشمي، من أشهر وزراء بني مرين في عهد كل من السلطانين أبي الحسن وخليفته أبي عنان. حضر حصار أبي الحسن لمدينة تلمسان سنة 737 / 1337 ، وبعثه سفيرا إلى صاحب مصر محمد بن قلاوون ليعرفه بفتح تلمسان وارتفاع العوائق عن الحجاج. غير أن شهرة فارس ستزداد خلال حكم أبي عنان لارتباطه بأحداث كبرى شهدها عهده. فقد لعب دوراً كبيراً في حروب بني مرين ضد بني عبد الواد وتمكن من الاستيلاء على عاصمة ملكهم تلمسان سنة 753 / 1352. وسنة بعد ذلك أرسله السلطان أبو عنان في مهمة عسكرية تتعلق بمحاربة أخيه الأمير أبي الفضل المتمرد عليه ببلاد السوس، فطارده هناك إلى أن تمكن بعض الولاة من اعتقاله سنة 755 / 1354 وإرساله إلى السلطان الذي قتله بعد ذلك. ثم ذاع صيت الوزير أكثر في حملة أبي عنان المشهورة إلى أفريقية سنة 758 / 1357 والتي كان له فيها إسهام بارز في تمهيد فتوحاته خاصة فتح مدينة بجاية ومدينة قسنطينة، وقد نوه السلطان بمجهوداته في رسالة وجهها إلى أهل قسنطينة مبشرا بفتحها. إلا أن المنافسين لابن ودرار كانوا له بالمرصاد إذْ أقلقتهم نجاحاته العسكرية، فاستغل عدوه ومنافسه الوزير عمر بن ميمون بن أمصمود بعض المناوشات التي وقعت بينهما، فقرر الغدر به وتشويه أعماله أمام السلطان غداة فتحه قسنطينة، واتهمه بتحريض الجند المريني على التمرد والانسحاب من حملة إفريقية، وكذلك بمداخلة بعض أمراء بني مرين للثورة على السلطان، فلجأ أبو عنان إلى التشديد في معاملته وحبسه، وعند عودته إلى عاصمة ملكه فاس استفتى بعض فقهاء مجلسه في أمره فأفتوا بقتله. ويروي ابن الحاج النميري الذي كان شاهد عيان أن السلطان لم يكلف نفسه التحقق من أمر براءة الوزير مما نسب إليه ودور منافسه في الإيقاع به، فأعمل القتل فيه بعد أربعة أيام من عودته في ذي الحجة من سنة 759 / 1358.

تنسب بعض المصادر إلى ابن ودرار أنه هو الذي اختط مدينة القاهرة (تاقهيرت / القيهرة) بسفح جبل سكسيوة بالسوس، وذلك أثناء حصاره لعبد الله السكسيوي الذي ساند الأمير أبا الفضل في الثورة على أخيه السلطان أبي عنان.

ابن الحاج النميري، *فيض العباب*، الرباط، 1984 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 6 ـ 7، 2000 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1991 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 3، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

**الودراني**، (الحاج –) **يحيى** بن أحمد الورداني البطوئي الفجيجي، من أحياء النصف الأول من القرن العاشر الهجري (16)، شيخ ولي، صالح مرب، سالك عابد، شريف حسني، من أخلص أصحابه أبو العباس أحمد بن عبد الله المديني البطوئي، قرأ عليه، وأخذ عنه سنده في تلقين الذكر ولبس الخرقة، وأخذ العهد والمصافحة والسبحة والضيافة،

وأجازه في ذلك.

ينتمي هذا المترجم إلى مدشر وردان قبيلة بني أولشيك بالريف الشرقي، ونجهل متى استقر جد هذه الأسرة بوردان بني أولشيك. ويعتقد الأستاذ حسن الفكيكي أنه واحد من أفراد الأسرة التي مثلها في آخر القرن التاسع الهجري المسمى الحاج يحيى الورداني بن علي بن موسى بن أبي بكر الصحراوي الفجيجي المشار إليه في كتاب *التشوف* إن لم يكن هو نفسه، وقد وجد تطابقا بين ما أعلنه الحسن الوزان في بداية القرن العاشر الهجري وبين ما أدلى به عيسى البطوئي عن الحاج يحيى الورداني، فحسب الوزان إن عالم وردان وخطيب مسجدها لعب دورا رئيسيا، ليس في تصدر الشؤون الدينية فقط، بل لتزعمه مقاليد الزعامة السياسية أيضا. ويؤكد عيسى البطوئي أن الشيخ المربي الورداني كان سيد قبيلته في الشؤون الدينية قبل عام 919. ولا نعلم تاريخ وفاته.

عيسى البطوئي، *مطلب الفوز والفلاح*، تح. حسن الفكيكي.

العربي هلالي ومحمد بوزيان بنعلي

**الوديمي، عابد** بن **محمد** بن إبراهيم المعروف بـ "سي عابد بوتبراتين" أي "صاحب الرسائل"، وقد اقترن اسمه بظاهرة حديثة نشأت في عهد الحماية بالمغرب بعد انتشار البريد. فكان "وسيطا بريدياً". ولد سنة 1912 مع بداية عهد الحماية بالمغرب بقبيلة آيت وادريم. وبعد أن نال مقداراً وسطا من التعليم، انخرط في مجال التجارة الخاصة بالمواد الغذائية بمدينة أنزكان، وكان تاريخ المغرب حافلا بالأدوار الإيجابية التي كان ينهض بها التجار، فكان دوره "كوسيط بريدي" تساهم فيه عوامل من بينها استقراره في المدينة كمركز حضاري، لأن وجود ضواحي بدوية قد تضيع الرسائل الموجهة إليها في عناوين غير مضبوطة، فكانت عناوين التجار بالمدينة هي التي تستقبل أغلب مراسلات السكان البدويين في مختلف القبائل، وقد تفرد بهذا الدور صاحب الترجمة وتاجر آخر يدعى (إبراهيم ن سي علي : مُنتصر).

كان عمله استقبال الرسائل والحوالات من مختلف المدن المغربية ومن جميع أنحاء العالم بحيث يمكن من سجلاته معرفة المدن المغربية التي هاجر إليها السوسيون، كما يمكن وضع خريطة للمدن والبلدان الأجنبية التي امتدت إليها الطبقة الشعبية بوادي سوس، فكان يذكر في سجله أن الشخص الذي تلقى منه الأموال "خدام في ..." وذكر كل المدن المغربية وخاصة مناجم جرادة، وخريبكة ومدن مراكش، والدار البيضاء وفضالة والقنيطرة ومكناس وطنجة والخميسات ورباط الفتح وغيرها، ومن البلاد الأجنبية يتلقى الحوالات من فرنسا حيث يوجد العمال في باريس وأرجانطاي وسنتتيان وجانفيي، ومن بلجيكا، ومن الجزائر يذكر وهران وأماكن المناجم : كرب وانزا، وفي تونس يذكر قرطاج ورديف وأم الدويل، ويذكر "لاندوشين" : الهند الصينية.

أما الضواحي التي كان يوزع فيها الرسائل والحوالات (الأموال) فجعلته يتحرك يوميا إلى الأسواق الأسبوعية في موعد مع زبنائه، هي : سوق سبت آيت ميلك وأحد بلفاع واثنين بيوكرا وثلاثاء ماسّة وأربعاء آيت حمد وخميس آيت عميرة، وله فيها دكاكين لاستقبال الزبناء. وكان يتوصل بأموال طائلة كما اطلعنا على ذلك في سجلاته الواقعة بين سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية من سنة 1946 إلى سنة 1961، ورأسماله في ذلك ما كان يتحلّى به من الأمانة حيث ينقل تلك الأموال إلى أصحابها بكامل الثقة، وكان له حساب بنكي في أگادير يؤمن فيه على أموال الناس قبل توزيعها. ونظراً لكونه لا يتقن اللغة الفرنسية، فقد كان يساعده في ذلك ابنه الأكبر، وكاتب خاص اسمه السيد عبد السلام البوزيدي، وقد سافر إلى فرنسا مرتين لقضاء حاجات الناس. وإلى جانب الوساطة في سحب الرسائل والحولات من البريد وتوزيعها على أصحابها في مختلف القبائل، كان يساعد المهاجرين الجدد للحصول على الوثائق الإدارية الضرورية للسفر إلى الخارج، ويساعد آباء وزوجات المهاجرين في الحصول على الوثائق التي تضمن مشترياتهم من العقارات والرهون.

وكان مدار خدماته على بعض ما يتقاضاه من زبنائه بشكل غير محدد كل حسب أريحيّته، معتمداً في مداخله على تجارته المذكورة، ولم يخلف ثروة تذكر عند وفاته سنة 1967 ولكن خلف سمعة طيبة في أوساط معارفه.

*سجلاته الخاصة بالفترة ما بين 1946 و1961 ؛ وثائق ورسائل وبطائق بريدية* ؛ العابدي الحسين، *معلومات خطية* ؛ *رواية شفوية*.

عمر أفا

**الودغيري، أحمد** بن **عبد العزيز**، المعروف بعز الدين، من أجل فقهاء أولاد محرز، وأغزرهم علما، وأوثقهم دينا، وأكبرهم جاها ومكانة، أنعم عليه السلطان مولاي سليمان بظهير توقير واحترام خاص عام 1219، زاول خطة العدالة، ولا ندري تاريخ وفاته.

**الودغيري، إدريس** بن **عبد الله** الجمالي البدراوي. خاتمة القراء بفاس، العالم العلامة، البحر الفهامة، سيد عصره، وفريد دهره، المقدس الأحفل، البركة الأفضل. له في القراءات - على ما ذكر الزركلي - 18 كتابا، عدا كتبه في فقه مالك واللغة والنحو والفرائض. طبع له منها :

- *التوضيح والبيان في قراءة نافع* بن عبد الرحمن، وذكر الشيوخ الماهرين في القرآن. ألفه باسم السلطان مولى سليمان، وجعله عشرة أبواب وله : - *درر المنافع في أصل رسم الستة السمادع غير نافع*.
- *أزهار الحدائق في علم مخارج الحروف والصفات والحقائق*، وهي منظومة تشتمل على 100 بيت.

أخذ عن الشيخ محمد بن عبد السلام الفاسي، وعبد

الرحمن المنجرة، والطيب بن كيران، والشيخ حمدون بن الحاج، وغيرهم. خطب بمسجد القرويين ودرس به فنوناً من العلم . ولقد خلّف فروعا زكية وسلالة متضلعين في علوم الفقه والنحو، واستمر العلم في أحفاده وأحفاد أحفاده إلى آخر العنقود، وهو العالم النقيب محمد بن الطيب البدراوي الجمالي المتوفى سنة 1393.

توفي سنة 1257.

محمد مخلوف، *شجرة النور الزكية* ؛ ابن الحسن المخلوفي، *الدر النثير* ؛ الزركلي، *الأعلام* ؛ إدريس الفضيلي، *الدرر البهية والجواهر النبوية*.

**الودغيري، حمادي البوزكاوي** المخلوفي الفجيجي، من دوار أولاد علي بن أحمد القادم من فجيج حوالي 1700، من أشهر قواد المنطقة الشرقية، وأصدقهم خدمة للملوك العلويين. نوه به كل من الحسن الأول وابنه عبد العزيز، ومدحا شجاعته ومقامه لدى الأسر العلوية، ووصف في ظهائر ملوكهم بأوصاف سامية كما في الظهير الصادر في 6 محرم 1301 ونصه : "يعلم من كتابنا هذا أعلى الله مقداره، وأبد مجده وفخاره، أننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، أسدلنا على خديمنا [الأرضى] القائد حمادة البوزكاوي جلباب التوقير والاحترام، وألبسناه أردية [الإنعام] والإكرام، وأسقطنا عنه التكاليف المخزنية، والمغارم السلطانية، رعيا لصدقه في الخدمة، وقيامه بواجب الحرمة، وألحقنا به في ذلك أولاده وأحفاده، فنأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعلمه ويعمل به. صدر به أمرنا المعتز بالله من السادس محرم عام 1301".

قال فوانو Voinot : إنه ظهر سنة 1890 (*تاريخ وجدة وأنگاد* ) ووصفه بأنه القائد النشيط، القوي العزيمة، أصبح يتمتع بشهرة واسعة في المنطقة، حيث يتوسط بين القبائل في نزاعاتهم، وأصبح منافسا لأقوى القبائل يومئذ وهي لمهاية، واستطاع أن يبسط سلطته على القبائل المجاورة كقبائل هضبة وادي زا، أولاد بختي، بني كولال، أولاد الميدي، بنو أشبل، بنو أوراغ، أولاد عمر... ويؤيد ذلك القصص المشهورة عنه في الحروب ضد تلك القبائل، وانتصاره عليها في الكثير منها.

العربي هلالي ومحمد بوزيان بنعلي

**الودغيري، سليمان** بن **المهدي** بن اليزيد، كان والده المهدي بقبيلة قلعية فارسا، ازداد له ولدان أثناء إقامته بالحياينة ثم رجع إلى قلعية، وهما هاشم وسليمان. ذهب سليمان لزيارة الشيخ العربي الدرقاوي ببني زورال سنة 1315 . وعقب انتسابه للطريقة الدرقاوية رجع لقلعية، ثم رحل إلى مستغانم، للأخذ على الشيخ أحمد العلاوي، وهناك اتصل بالشيخ محمدي بن الحاج الطاهر بمستغانم ثم زاره في سجنه بمليلة، وعاد إلى مستغانم حاملا رسالة محمدي بن الطاهر. كان اتصاله بالعلوي أول مرة سنة 1350 وله من العمر 63 سنة بعد أن بقي في صحبة عبد الرحمن الدرقاوي 35 سنة. له ديوان يذكر فيه اتصاله بالشيخ العلاوي. ثم لزم خليفته محمدي بن الحاج الطاهر في زاوية إن علا، ثم انتقل معه إلى زاوية مليلة. بعد وفاة الشيخ محمدي استقل بالخلافة وكان يخرج للسياحة بقبيلة قلعية مع بعض مريديه ويشر عون في العمارة والرقص كالعادة وأناشيد الحضرة. لما دنا أجله استدعى حفيده القاضي الفقيه الحاج العربي الورياشي وقدم له وصية من ثمان.

توفي يوم الخميس 17 شوال 1390/ / 17 دجنبر 1970، ودفن بالزاوية طبقا لوصيته.

البوزيدي، *كتاب إتحاف النهي والبصائر بتراجم الشيخ العلاوي وشيوخه وبعض خلفائه الأكابر*، طبعة، 1990.

حسن الفكيگي

**الودغيري، محمد** بن **عبد الرحمن** بن محمد بن محمد بن أبي بكر السكوني، من أحياء النصف الأول من القرن الحادي عشر (17). لا نعرف من مراحل حياته العلمية إلا أنه نشأ في أحضان بيت فقه وأدب وزهد، بدأ تلقي العلم على والده الذي كان فقيها شاعرا، وأخذ عن أبي القاسم بن مَحمد بن عبد الجبار، وتلقى جانبا واسعا من التربية الروحية على يد شيخ فجيج عبد القادر السماحي (ت. 1025)، قبل أن يستقطبه أحمد بن أبي محلي، فيصير من أشد مريديه غلوا في حبه. وتطرفا في الولاء له كما توضحه مذكراته ومراثيه، وكذا أخباره في *منجنيق الصخور*، و*مهراس رؤوس الجهلة*، *السيف البارق والسهم الراشق*. لم يصلنا من آثاره الفنية إلا رسالة وجهها لشيخه ابن أبي محلي، وقطعة من مذكراته ومراثيه سجلها بدءا من عام 1013 / 1604، وفيها من ملامح الجمال الفني ما يؤكد بروزه في فنون النثر، وتحكمه في الأدوات التعبيرية المختلفة.

توفي السكوني بعد عام 1022 / 1613.

**الودغيري، محمد** بن **عبد القادر** بن مَحمد بن محمد المدعو عمارة : الشريف السخي، والنجل الذكي فاق أقرانه بالسماحة والسخاء، وتخلق بأخلاق حسنة. كذا وصفه الودغيري المخلوفي في *الدر النثير*. وأسند له من المؤهلات ما جعل شرفاء الوداغير بفاس يجمعون على ترشيحه لتنصيبه نقيبا عليهم لجلب منافعهم ودفع مضارهم، وحضور ولائمهم، وشهود جنائزهم، وعيادة مرضاهم، لتمام عقله وسخائه، وتواضعه للصغير والكبير، والخامل والشهير. وبعد هذا الإطراء ذكر نص رسم التولية مؤرخا في منتصف ربيع الأول عام 1264.

*الدر النثير*، ص. 67 وما بعدها.

**الودغيري، محمد** بن **محمد** بن الحسن المخلوفي الودغيري أصلا، الفاسي قرارا. ما يمكن استخلاصة من

مؤلفاته أنه من مواليد وادي أمليل في بدايات القرن الثالث عشر الهجري، في قبيلته أولاد اخليفة الذين تمتعوا بمكانة مرموقة بين قبائل المنطقة لشرفهم وعلمهم ودينهم. على ما تشهد به الوثائق السلطانية السعدية والعلوية، انتقل في عنفوان شبابه إلى فاس حيث اشتغل بالعلم، فأكمل تكوينه ووسع مداركه حتى أصحبت له منزلة سامية في أوساط الودغيريين بفاس، وتصدر للتدريس بمختلف معاهدها العلمية ولاسيما جامع الرصيف، كما ذكره جعفر الكتاني في *فهرسته* . كان المخلوفي مرجعا مشهورا في الأنساب الإدريسية، مما أهله ليكون من بين النسابين الذين كلفهم السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام بإحصاء وتصنيف الأشراف المقيمين بفاس (1238 ـ 1240 / 1822 ـ 1824) وذلك بهدف التوصل إلى التوزيع العادل للصلات السلطانية، وتفاصيل ذلك مذكورة في ملحق الفصل الثاني من كتابه المعروف *بالدر النثير*.

ويذكر جعفر الكتاني في *فهرسته* أنه قرأ عليه *الأجرومية* بجامع الرصيف، وكان من بين الذين تزعموا حركة الأشراف على عهد المولى عبد الرحمن. كما كان مقصودا في الفتوى. وصفه بالفقيه الأديب النبيه المدرس، ذي الخبرة الواسعة بالوثائق.

من مؤلفاته المعروفة عندنا : *الدر النثير فيمن اشتهر وصَحَّ نسبه من شرفاء الوداغير*. وقد حققه الأستاذ العربي هلالي. *بهجة الأبصار في جميع من وقفت على تحقيق نسبه من آل النبي المختار*، خ. ع. 1265 ك.

توفي بعد عام 1290 / 1873.

*الدر النثير*، ص. 23 وما بعدها ؛ الزركلي، *الأعلام*، 6 : 93.

العربي هلالي ومحمد بوزيان بنعلي

**الودغيري، المهدي** ولد بفاس سنة 1950، تلقى دراسته بثانوية مولاي إدريس فالمدرسة الصناعية بنفس المدينة. واستهل أنشطته الثقافية بدار الشباب في أواسط الستينيات متعاطيا كتابة الزجل ناشرا قصائده الأولى انطلاقا من سنة 1969 . وكانت جريدة "فلسطين" من المنابر التي نشر بها بعض هذه القصائد ليتوالى نشر مقالاته وأزجاله في جرائد وطنية أخرى مثل : "*العلم*"، "*البيان*"، *أنوال*"، "*البطحاء*"... وفي بعض المجلات العربية لاسيما "*الطليعة الأدبية*" و"*فنون*" العراقيتان، "*الحياة الثقافية*" التونسية ثم "*الناشر*" الليبية إلى أن تقلد مهمة رئيس تحرير مجلة "*أصوات*" الفاسية سنة 1971. التحق سنة 1973 كصحفي محترف بجريدة *الأنباء* بالرباط وبعدها بجريدة "*المحرر*" بالدار البيضاء قبل أن تتوقف سنة 1981. وبين هاتين الفترتين وبالضبط سنة 1976 حصل على عضوية اتحاد كتاب المغرب. ولم يؤثر توقف جريدة "*المحرر*" على نشاط الإعلامي فتحول إلى الإعلام المسموع ليعد بين سنوات 1981 ـ 1983 بالإذاعة الجهوية بفاس برنامجين إذاعيين : "من مذيعنا فقط" و"من وحي الأسماء" الذي كان يستضيف في حلقاته عددا من رموز الإبداع ـ المحلي بالخصوص ـ في مجالات المسرح والأدب والشعر ... إلى أن التحق مرة أخرى بجريدة "*الاتحاد الاشتراكي*" سنة 1983 متقلدا عدة مهام واستمر بها إلى آخر حياته.

وانطلاقا من السنة الموالية شرع في إصدار إبداعاته في كتب تحقق أولها في مجموعة قصصية بعنوان : "*ثلاثية الملأ واللون*" سنة 1984 لتتوالى مجموعاته على النحو التالي :

ـ "جزيرة في الرأس" 1988 ، "الخيط والإبرة" 1991، "موزار في الكنيسة" 1995 ، "بيوت من قلق" 1997، فمجموعة "معايير قابلة للتغيير".

وفي سنتي 1996 ـ 1997 أصدر ديوانين زجليين متاليين : "*عام الفول*" و"*عسالة*" كما أصدر سنة 1998 *رواية "المارد"* و"*كتاب المغاربة*" الذي يعد بحق أولية فريدة من نوعها في تاريخ الأدب والإعلام المغربيين حيث وثق فيه المهدي الودغيري لمجموعة من "الأحداث والوقائع التي حدثت لأول مرة في تاريخ المغرب المعاصر"، وقد قدم له الدكتور المهدي المنجرة كالتالي : إن (كتاب المغاربة) للمهدي الودغيري يمنحنا رؤية بانورامية ظريفة تغطي ما يناهز القرن، في شكل نبذ ومحطات تاريخية ذات قدر كبير من الثقة والتوثيق".

فكل هذه الفسيفساء تشكل لوحة تعبيرية تسلط الأضواء على لحظات حية من تاريخ المغرب المعاصر عبر "الأوائل"، كما أن الكتاب، أيضا تكريم لرواد تجرؤوا على فتح أبواب لم تطرق قبلهم".

وكان المهدي الودغيري يستعد لإصدار الجزء الثاني من "*كتاب المغاربة*" وأعمال متنوعة أخرى تجمع بين الزجل والقصة القصيرة والنقد وأدب الأطفال، إلا أن يد المنون كانت أسرع من كل هذا حيث فارق الحياة على إثر حادثة سير بالدار البيضاء يوم الخميس ثالث أكتوبر سنة 2002.

خالد الخضري

**الوديعة**، شكل من أشكال التأمين ساد في مغرب ما قبل الاستعمار، فعادة ما كان أثرياء المغاربة من تجار كبار وأمراء وقواد يلجأون إلى شريف نافذ الكلمة أو شيخ زاوية يتمتع بالحرمة والوقار لإيداع أموالهم أو ممتلكاتهم النفيسة (مجوهرات، رسوم، كتب) خوفا عليها من نهب القبائل أو مصادرة المخزن، وكانت لهذه الوظيفة التأمينية الممارسة في معظم الحالات من طرف أصحاب السلطة الرمزية، أهمية بالغة في ظروف الأزمات السياسية وعجز الدولة عن توفير الأمن الداخلي. وقد جرت العادة أنه في حالة وفاة صاحب الوديعة كانت ترد إلى ورثته، وفي حالة المنقطعين كانت الأموال المودعة تصبح من حقوق بيت المال وتعطى للمخزن.

وترتبت عن هذا النظام في بعض الأحيان مشاكل عديدة احتفظت لنا المصادر والوثائق بأمثلة عديدة نذكر منها ما

يتعلق بضخامة الأموال المودعة في الزاوية الوزانية باعتبارها أكبر سلطة دينية في مغرب ما قبل الحماية، فقد استلم شيخها مولاي الطيب ودائع كثيرة في ظرف أزمة الثلاثين سنة 1727 - 1757 ، منها وديعة مولاي المستضيء بن إسماعيل حينما خلعه قواد جيش عبيد البخاري سنة 1153 / 1740، أمنها في دار الشيخ خوفا على مصادرتها من طرف أخيه زين العابدين، كما استودع بنفس الزاوية القائد أحمد الكعيدي ما ورثه عن والده من أموال خلال إحدى فترات حكم مولاي عبد الله، وبعد وفاة الشيخ سنة 1181 / 1767 وقع نزاع بين ورثته الشيخ أحمد وأبناء عمه التهاميين الذين لجأوا إلى سيدي محمد بن عبد الله لإنصافهم، غير أن السلطان اعتبرها من حقوق بيت المال وأمر قائده الهاشمي السفياني سنة 1195 / 1781 باسترجاع مال الوديعة من شيخ الزاوية، فحصل المخزن منه على ستين ألف أوقية.

أبو القاسم الزياني، *الترجمان المعرب*، ص. 789، تح. محمد غسان.
M. Bodin, Les grands maîtres de l'ordre des Taibya de Ouezzane de 166 à 1811, *B.S.G.A.O., t. 52, 1931, p. 66.*

محمد عمراني

**الوراوي، محا وسعيد**، هو رمز من أشهر رموز حركة المقاومة المسلحة الشعبية في الأطلس المتوسط. قاد على مدى العقدين الأولين من القرن الرابع عشر (20)، ببسالة نادرة وعزم لا يلين بمعية إخوانه في اتحادية آيت السري، معارك طاحنة وشرسة ضد قوات الاحتلال الفرنسي في مواضع وجبهات متفرقة من المجال المغربي توزعت بين الشاوية وتازة وتادلة وغيرها، وذلك في إطار رؤية جهادية وطنية صميمة تستمد أصولها ومعانيها الفكرية والرمزية من تشبع هذا القائد القوي بمبادئ العقيدة الإسلامية السمحاء، وإيمانه الراسخ بوحدة المصير السياسي لكافة مكونات المجتمع المغربي بصرف النظر عن تباين انتماءاتها الإقليمية والقبلية واختلاف انتساباتها الثقافية واللسنية.

ولاشك أن ما حظيت به حركة مقاومة موحا وسعيد من التفاف قبلي واسع وما حققته في الميدان من انتصارات وملاحم بطولية عطلت تقدم الجيوش الفرنسية لاحتلال شريط الدير في أفق الانتقال مباشرة لتنفيذ مخطط التوغل الشامل في ما وراء جبال الأطلس المتوسط، لم يأت من وحي الصدفة، وإنما بعد ماض غني بالبذل والعطاء تقلد في خضمه موحا وسعيد مسؤوليات قيادية سواء بين ظهراني قبيلته أو في ركاب المخزن. فبحكم ما تيمز به من تبصّر وحذاقة بالغة وشجاعة مشهودة اختير منذ وقت مبكر ليكون "أمغارا" على أفخاذ قبيلة آتي ويرا، وذلك قصد إدارة شؤونها الجماعية وإصلاح ذات البين بين فرقائها واستئصال شأفة الشاذين عن وحدة إجماعاتها. فكان ما اكتسبه من وجاهة ونفوذ واسعين وهو يتولى هذه الوظيفة الاجتماعية الحساسة على رأس قبيلته، حافزا له للبحث عن اعتراف المخزن بسلطته والظفر بمنصب مخزني يليق بعلو مكانته وبعد نظره. فكان أن تأتي له ذلك بعد انتقاله من تاكنت إلى القصيبة، حيث عيّنه قائد آيت ويرا آنذاك ابن همو ممثلا للسلطة في قرية القصيبة.

ومنذ ذلك الحين لم يدخر موحا وسعيد أي جهد لتعميق صلات القربي والولاء بالمخزن وإظهار كامل استعداده لخدمة تطلعاته والذود عن رموزه. فكان استقباله للطابور العسكري الذي أرسله المخزن المركزي لإخضاع القبائل البربرية الثائرة بالمنطقة بعد استنكاف القائد ابن همو عن استقباله، ومشاركته، من جهة أخرى، كمرشد ضمن الحملة العسكرية التي بعثها السلطان الحسن الأول للتصدي لقبائل آيت سخمان بعد امتناعها عن أداء ما عليها من مستحقات جبائية وقتلها لقائد المحلة آنذاك الأمير سرور ابن المولى سليمان وحشد آخر من الجنود، من أهم الأعمال التي لفتت نظر السلطان الحسن الأول إليه وحملته على منحه فرقا عسكرية يصل تعدادها إلى 5000 جندي مدربة ومجهزة بأسلحة عصرية. ولعل هذه الالتفاتة هي ما فتح له الطريق للحصول على منصب قائد على قبائل آيت السري خصوصا بعد نجاحه الواسع والأكيد في خضد شوكة قبائل آيت سخمان وإلزامها بأداء واجب الدية كتعويض عن الخسائر التي مني بها الجيش المخزني في مواجهات بوتفردة وأغزيف.

وقد حرص موحا وسعيد منذ تعيينه قائدا مخزنيا على استتباب الأمن في إيالته وملاحقة القبائل الناكثة للطاعة حيثما حلت وارتحلت، والوفاء بكل ما وسع من جهد وحنكة سياسية بمطالب المخزن والتزاماته الأساسية. حيث أنشأ تحقيقا لهذه الغايات عدة قصبات في كل من بونوال وناوور وبن شرو وغرم لعلام، إلا أن أهمها وأكبرها كان هو تلك القصبة التي بناها بسريف لتكون مقرا رئيسا لإدارته الخاصة. وبفضل ما أوتي من حكمة كبيرة في إدارة شؤون الجماعات وقدرة فائقة على حل النزاعات واحتواء التمردات، استطاع موحا وسعيد أن يوطد دعائم الأمن داخل إيالته وأن يوسع دائرة نفوذه لتشمل إضافة إلى قبائل آيت السري كلا من قبائل آيت أم البخت وآيت أوسعيد أوعلي جنوب مدينة بني ملال. وقد استمر يعمل في سلك المخزن طيلة عهد المولى عبد العزيز حيث شارك في سنة 1905 في الحملات العسكرية التي استهدفت القضاء على ثورة الجلالي الزرهوني الملقب بالروكي. إلا أنه وبعد انطلاق الثورة الحفيظية مال إلى جبهة المولى عبد الحفيظ لا سيما بعد أن صارت كل الدلائل السياسية تؤكد أن حكم المولى عبد العزيز آيل لا محالة إلى زوال.

انخرط موحا وسعيد في حركة المقاومة المسلحة مباشرة بعد احتلال مدينة الدار البيضاء في غشت 1907، حيث شارك إلى جانب إخوانه آيت ويرا في الحملات الجهادية التي خاضتها جموع المجاهدين المغاربة بتلقائية وحماسة نادرين في الشاوية، كما شارك أيضا وعلى نطاق واسع في جل المعارك التي قادتها قبائل تادلا للوقوف في وجه مخطط الغزو الفرنسي الرامي إلى إخضاع المنطقة بهدف تأمين

السيطرة على مجال الشاوية وإحكام قبضتها على المحور الطرقي الواصل بين فاس ومراكش، والقضاء علاوة على ذلك، على بؤر المقاومة العسكرية التي كانت تتخذ من مرتفعات الأطلس ووهاده معاقل استراتيجية لتحصينها وتوجيه عملياتها المسلحة. وهكذا ونتيجة لما كبدته مقاومته العنيفة من خسائر فادحة في صفوف قوات الاحتلال منعت تقدمها إلى حين نحو الضفة اليسرى لوادي أم الربيع وذلك من خلال الحملات المتكررة التي كان ينفذها المجاهدون ضد المراكز العسكرية الفرنسية في كل من واد زم وغرم لعلام، وكذا من خلال عمليات الكوماندو التي كانت تستهدف قوافل التموين والإمداد، وقد قررت إدارة الاحتلال الدخول في مفاوضات مع موحا وسعيد لثنيه عن مواصلة خيار الجهاد المقدس واستدراجه من خلال عدة عروض مغرية للقبول بالأمر الواقع والاستسلام لإدارة المستعمر أسوة بما حصل مع قواد الجنوب المغربي. إلا أنه ومع كل الإغراءات التي قدمت له بسخاء سواء في سياق المفاوضات التي أجراها معه سيد أبي الجعد وقائد بني عمير أو تلك التي أجراها معه صديقه ووزير الحرب الأسبق في حكومة المولى عبد العزيز المهدي المنبهي، أبى موحا وسعيد إلا أن يواصل طريق الكفاح ضد إدارة الاحتلال مرددا المرة تلو المرة قولته المشهورة : "أريد وجه الله ورسوله ولا أريد مقابلة الكفار واليهود".

هكذا وأمام هذا الإصرار الشديد على خيار المقاومة، اندفعت القوات الفرنسية بقيادة الكولونيل مانجان Mangin لتنفيذ خطة الهجوم الكاسح على القصيبة أيام 8 و9و10 من سنة 1913 ، حيث خاضت في هذا الإطار عدة معارك سواء في غرم لعلام أو في قرية سيدي بن داوود أو داخل القصيبة والممرات المؤدية إليها، انتهت في حصيلتها العامة بسقوط 320 جندي بين قتيل وجريح ومفقود في صفوف القوات الفرنسية وبمصرع المئات في معسكر المجاهدين وسقوط الآلاف من الجرحى. وقد استمرت الحرب سجالا بين الطرفين إلى غاية سنة 1922 ، حيث أعادت القوات الفرنسية بقيادة الكولونيل فرايدنبرغ Freydenberg الهجوم على القصيبة ثانية وتمكنت من احتلالها نهائيا في أبريل من نفس السنة. وحيث إن المعارك العسكرية التي خاضتها المقاومة الويراوية لاستعادة القصيبة لم تثمر في مجملها نتائج ملموسة، أسند موحا وسعيد في نهاية المطاف قيادة المقاومة لابنه بناصر واتجه إلى قصبته بناوور وبقي هنالك إلى أن وافاه الأجل المحتوم في بونوال يوم 5 مارس من سنة 1924 ليسدل بذلك الستار عن صفحة مشرقة من أهم صفحات الكفاح المسلح في الأطلس المتوسط في تاريخ المغرب المعاصر.


محمد المنصوري، *كباء العنبر في تاريخ عظماء زيان والبربر*، تح. محمد بن لحسن، كلية الآداب ـ بني ملال، 3 أجزاء ؛ م. المعزوزي، بن الحسن العابدي العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات*، 1987 ؛ م. العلمي، *قادة حركة تحرير الأطلس*، 1979 ؛ ف. الإدريسي، التدخل الفرنسي في منطقة القصيبة بين استراتيجية الاحتلال وردود فعل المقاومة المحلية، *ندوة المقاومة بجهة تادلة ـ أزيلال، 1908 ـ 1956، السياق والخصوصية*.

G. A. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central (1912-1933)*, Edit. René Julliard, Paris, 1946 ; D. Rivet, *Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc, 1912-1925*, L'Harmattan, Paris, 1988 ; Le Maroc militaire, La Prise de Ksiba, *Revue France-Maroc, 1922-1923.*


الفقيه الإدريسي

**ورد** ، نبات ينتمي لفصيلة الورديات Rosaceae، يحمل اسم Rose بالفرنسية وروزا Rosa كاسم علم. يشمل 10 أنواع طبيعية، واحدة منها قبسية خاصة بالمغرب وهي روزا ميز أطلنتيكا Rosa mesatlantica و10 أنواع دخيلة.

يعد الورد بمثابة جنيبات قائمة أو متسلقة في أغلب الأحيان شوكية ومعمرة ذات أوراق مركبة، وأزهار قممية موحدة أو عنقودية. كأس الزهرة على شكل جرة وله عدة كربلات و5 سبلات و5 بتلات، وعدة أسدية. البتلات بيضاء أو صفراء أو حمراء أو وردية. هناك 10.000 صنف من الورد المستعمل لإنتاج الورد الجاف أو الورد الطازج أو زيت الورد أو ماء الورد عبر العالم.

انتشرت زراعة الورد بالمغرب منذ 1930، في جل المناطق الحارة بالمغرب، وخاصة ما بين سلسلة جبل مكونة وجبل ساغرو على مساحة تقدر بحوالي 1100 هكتار. وأكثر الأنواع استعمالا لإنتاج الورد الجاف أو الورد الطري أو زيت الورد أو ماء الورد، هي النباتات الدخيلة التالية : روزا مُوسْكَطَا Rosa moschata وروزا سانتيفوليا Rosa centifolia وروزا دماسينا Rosa damascena، وهي التي تتميز بها قلعة مكونة. وفي شهر ماي من كل سنة يقام موسم خاص بالورود بقلعة مكونة، وبهذه المناسبة يتمكن المزارعون وبعض شركات تحويل الورد بعرض منتوجاتهم للتعريف بها ولبيعها.

يستخرج زيت الورد من البتلات الطرية بواسطة التقطير بالماء أو بالتقطير بالمحاليل. وللحصول على لتر واحد من ماء الورد يجب استعمال كيلو واحد من الورد، ولاستخراج كيلو غرام واحد من زيت الورد يجب جمع 3 أطنان من أزهار الورد، مع العلم أن المردودية للهكتار الواحد تتأرجح ما بين

2 إلى 3 أطنان. ويتأرجح معدل منتوج المغرب من الورد الجاف ما بين 3200 و4200 طن سنويا. أما من حيث صادرات المغرب في ما يخص زيت الورد وماء الورد فقد بلغت 249 كلم طنا واحدا بقيمة 970 687 4 درهم في سنة 1993.

يحتوي زيت الورد على نسبة مئوية كبيرة من الفنيل والإيتانول. أهم استعماله هو صناعة العطور، كما يضاف طبيا لبعض الأدوية لتغطية طعمها وخصوصا في أدوية الأطفال، كما يدخل في الأدوية الجلدية مثل أدوية الحروق. وتستعمل بتلات الورد في بعض الحلويات حيث تعطيها النكهة المستحبة والمطلوبة إضافة إلى قيمتها الغذائية لاحتوائها على الفيتامينات. وفضلا عن هذه الاستعمالات العديدة، يستعمل كذلك كمادة عطرية وفي مجال التزين والتجميل.

A. Aafi, M. Fechtal & M. S. Taleb, *Espèces remarquables de la flore du Maroc*, MCEF, DREF, Rabat, Maroc, 2002, 146 p. ; A. Benabid, *Flore et écosytèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p. ; A. Metro & Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora, La nature au Maroc*, Sco. des Sc. Nat. au Maroc, Rabat, 1955, 498 p.

عبد الرحمان عافي

**الورداني، يحيى** بن **أحمد**، أحد أعلام ومربي الريف الشرقي في القرن الحادي عشر الهجري، جاء ذكر هذه الشخصية ضمن تراجم *مطلب الفوز والفلاح في طريق أهل الفضل والصلاح* لعيسى بن محمد الراسي البطوئي.

ينتمي الحاج يحيى بالقرار إلى مدشر وردان قبيلة بني أوليشك بالريف الشرقي. ونجهل متى استقر جد هذه الأسرة بوردان بني أوليشك. ونعتقد أنه واحد من أفراد الأسرة التي مثلها في آخر القرن التاسع الهجري المسمى الحاج يحيى الوردانيبن علي بن موسى بن أبي بكر الصحراوي الفجيجي المشار إليه في كتاب *التشوف في رجال السادات أهل التصوف*، إن لم يكن هو نفسه. ولايمنعنا من تأكيد ذلك سوى حاجتنا إلى بيانات أكثر وضوحا. وقد دعانا اعتبار تلك الرابطة وقرب المعاصرة لإضافة كنية الفجيجي إلى اسم الحاج يحيى. وبحثا عن توضيحات أكثر جدوى تمكنا من إبراز ضريحين اثنين ببني أوليشك يحملان اسم سيدي الورداني. الأول منهما بفرقة بني يخلف جنوب وردانة وبالقرب من "لعري أجنا". أما الثاني فهو واقع بفرقة بني عبد السلام بجوار سوق السبت، وهو ضريح الحاج يحيى المعني من طرف الوزان لإشارته إلى سوق السبت، والمعني أيضا من طرف عيسى البطوئي.

وكيفما كان الأمر فإننا وجدنا التطابق بين ما أعلنه الحسن الوزان في بداية القرن العاشر الهجري وبين ما أدلى به عيسى البطوني عن الحاج يحيى الورداني. فحسب الوزان أن عالم وردان وخطيب مسجدها لعب دورا رئيسا، ليس في تصدر الشؤون الدينية فقط، بل لتزعمه مقاليد الزعامة السياسية أيضا. والحدث الذي وضع بيده زمام قبيلة وردان، هو فوزه المحقق بإبعاد هيمنة إمارة بادس الوطاسية عنها، حين انتزع منها استقلالها الضريبي لترتبط ارتباطا مباشرا بالسلطة المركزية الوطاسية وهو ما اعترف له به السلطان الوطاسي محمد البرتغالي في بداية حكمه.

وزيادة في التوضيح نرى أن تاريخ هذا الحدث الهام في حده الأقصى لا يمكن أن يكون إلا في سنوات ما قبل 922 / 1516، وهي السنة التي نعتقد انقطاع أخبار المنطقة فيها عن الحسن الوزان الذي كان آنذاك مستعدا لمغادرة المغرب الشرقي في اتجاه تونس.

وداخل هذا التقدير وجريا وراء ضبط التحديد الزمني نجد أنفسنا مرغمين على التراجع إلى السنوات العشر الأولى من القرن العاشر الهجري لنبرز حدث التسرب الإسباني إلى صخرة بادس سنة 914 / 1508 الواقعة على بعد ميلين فقط من مدينة بادس. وإذا كنا قد التجأنا إلى تقديم هذا التاريخ كحد أدنى لانتفاضة شيخ وزعيم وردان فلأننا نعلم أن مدينة بادس عاصمة الإمارة قد تعرضت للتخريب مباشرة إثر الاحتلال الإسباني للصخرة. وهنا نشير إلى نقطة بداية تضعضع الإمارة الوطاسية بمنطقة الريف لنستنتج الظرف المساعد للحاج يحيى على القيام بانتفاضته الناجحه. هكذا فإن الحاج يحيى الورداني الذي نتصوره من خلال البيانات المقدمة من طرف الحسن الوزان لا يمكن أن يتعلق إلا بالحاج يحيى المشار إليه من طرف عيسى البطوئي. واعتمادنا فيما نذهب إليه مرتكز على إشارة عيسى البطوئي المؤكدة أن الشيخ المربي الورداني كان سيد قبيلته في الشؤون الدينية قبل عام 919، مما يتفق اتفاقا كليا مع المستخلص من وصف إفريقيا.

ويعود فضل تكوين الحاج يحيى الورداني إلى دراسته بالمغرب الجزائري وبمدينة تلمسان خاصة، حيث أخذ التصوف على الشيخ عثمان بن زيان المديوني. نستطيع الآن أن نقول إن الحاج الورداني تزعم المركز الديني بقرية وردان إثر عودته من تلمسان في بداية القرن العاشر الهجري، فغدا خطيب مسجد أولاد عبد السلام وعالمه المحدث والواعظ به، كما أصبحت وردان نقطة التقاء الطلبة والمريدين من بني سعيد حسبما نعلمه فقط، ساعده الأيمن في تلك المهمة وخلفه بعده تلميذه أحمد بن عبد الله المديني البطوئي، أحد تلامذة ابن غازي المكناسي المعروف. وعنه تخرج عدد من شيوخ التعليم البوطئيين.

وتبرز كتابات البطوئي عن الحاج يحيى أن تضلعه في التربية الصوفية أدى به إلى وضع أسس طريقة صوفية جديرةبالتقدير ذاع صيتها ببطوية كلها، وهي مرتكزة على الزهد المبسط الخالي من التعقيدات السلوكية، منصبة فقط على الاستغراق في العبادات. وقد أشار الوزان إلى أن بطوية الحاج الورداني كانت في مقدمة الجهات التي لم تتسرب إليها عادة الإدمان على شرب الخمور، وذلك نتيجة انتشار

الرعي بطريقته. وهي نفس الطريقة التي سيتبناها مركز تيزي عدنيت بزعامة فقيهنا عيسى البطوئي.

عيسى بن محمد البطوئي، *مطلب الفوز والفلاح في طريق أهل الفضل والصلاح*، مخطوط بالخزانة الحسنية ؛ عبد الرحمان التادلي، *التشوف إلى السادات رجال التصوف*، مخطوط بالخزانة العامة ؛ حسن الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ حسن الفكيكي، أمجاو، *معلمة المغرب* ؛ *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة* ؛ *مطلب الفوز والفلاح في طريق أهل الفضل والصلاح* ؛ عيسى بن محمد الراسي البطوئي، *دعوة الحق*، سنة 1985 و1987 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، تطوان، 1952 ؛ خريطة طبوغرافية، 1965.

حسن الفكيكي

**ورديغة**، بطن من بطون بني جابر الذين استوطنوا سفح جبل تادلة، وهم من القبائل العربية التي استقدمت إلى المغرب في عهد الموحدين، وكانت رئاستهم على عهد بني مرين. وبالنظر إلى الجد المشترك كانت لفظة ورديغة تعني جل قبائل تادلة العليا، أي أولاد بحر كبير، أولاد بحر صغير، السماعلة، بني خيران : منتسبة بذلك إلى علي ورديغ أو وردغ.

جابر الرتمي
↓
(بنو جابر)
↓
علي ورديغ
↓
(ورديغة)
↓

| بحر كبير (أولاد بحر كبير) | بحر صغير (أولاد بحر صغير) | إسماعيل (السماعلة) | خيران (بني خيران) |
|---|---|---|---|

إن اسم ورديغة أصبح فيما بعد يعني أولاد بحر كبار وأولاد بحر صغار فقط، وأصبح الاسم كذلك خاصية تميز مواشيها (الأغنام) وشكلها الهضبي (هضبة ورديغة).

اشتهرت خلال فترة الحماية بكونها ضمت أكبر مناجم ومكامن الفوسفاط في العالم. وانقسمت إلى قيادتين : قيادة أولاد بحر كبار (القائد عمر البرهمي ثم القائد العربي بن عمر فالقائد الحاج لكبير بن لبصير) وقيادة أولاد بحر صغار (قيادة محمد ثم أحمد الشرادي).

عبد الوهاب بنمنصور، *قبائل المغرب*، ج 1، الرباط، 1968.

Peyronnet Raymond, *Tadla, pays Zaïan, Moyen Atlas*, Alger, 1923 ; *Recencement Général de la population et de l'habitat de 1994.*

صالح شگاگ

**الورديغي، أحمد** (رسام) ولد سنة 1928 بمدينة سلا وبها نشأ لكنه لم يحظ إلا باليسير من التعليم والمعرفة حيث تابع دراسته في الكتاب القرآني قبل أن ينفصل عنه مبكرا ليلج عالم العمل وهو لازال صبيا فقد كان يشتغل كعامل مزارع في بساتين سلا.

ولع بفن الرسم منذ الصغر وفي الكتاب كان يرسم أصدقاءه الصغار بطريقة فطرية. ولما اشتد عوده زاوج بين العمل الزراعي وفن الرسم الذي أخذ منه الحيز الأكبر من الاهتمام والوقت قبل أن يحترف الرسم بصفة نهائية، اعتبر الورديغي من بين الرسامين المغاربة الذين ينتمون لتيار الفن الساذج وقد حظي بصيت واسع النطاق في أروبا وأمريكا، حيث نظم عدداً من المعارض التي اثارت إعجاب وتقدير العديد من النقاد الأجانب.

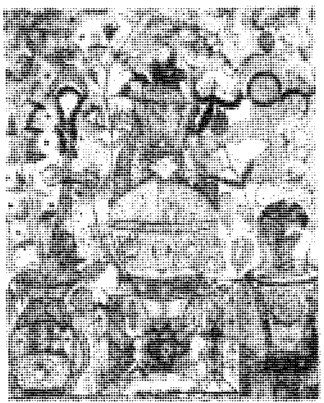

استوحى الورديغي أعماله مما ترسب في مخيلته من آثار الحضارة الإسلامية في المغرب. ومن أشكال الفنون القديمة كالنقش والفسيفساء والتطريز والتزويق كما أن ألوانه مستوحاة من الطبيعة المغربية الصرف.

حظيت أعمال الورديغي بمجموعة كبيرة من الدراسات والأبحاث التي كتبها عنه كبار النقاد في الأكاديمية الفرنسية والتي نشرت في أمهات المجلات الفنية والأدبية في العواصم الأروبية.

عرض الورديغي مع مجموعة من الرسامين في كل من الدار البيضاء والرباط. كما عرض أعماله خارج الوطن ففي سنة 1963 أقام معرضا بباريس وفي 1964 عرض بتشيكسلوفاكيا وفي سنة 1970 بألمانيا.

كانت أعمال الورديغي تحمل طابعا خاصا ومدرسة خاصة تنتمي إلى عالم الفطرية لما تحمله من أصالة وبساطة في التعبير الوجداني.

توفي الورديغي بمدينة سلا سنة 1974.

م. أ. السلاوي، *أعلام الفن التشكيلي العربي بالمغرب*.

محمد بلعربي

**الورّاق، عبد الملك** بن موسى، صاحب كتاب *المقباس في أخبار المغرب والأندلس وفاس*، وهو من مؤرخي القرن السادس الهجري. بقي حيا حتى سنة 555 / 1160 كما ذكر هو بنفسه، ولا يعرف بالضبط تاريخ وفاته.

يعتبر كتاب *المقباس* مفقودا حتى الآن، وقد ذكر عبد السلام بن سودة في *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، أن بعض أصدقائه أخبره أنه رأى كتاب *المقباس* تاما في مجلد وسط بيد بعض الطلبة بمكناس. وقبله أشار أبو علي صالح بن أبي صالح في رسالته عن *القبلة* أن الكتاب متعدد الأسفار، وهو نفسه ينقل بعض أخباره عن السفر الثالث منه. ويعد *المقباس* من أهم المصادر التي اهتمت بتاريخ الغرب الإسلامي عموما وتاريخ المغرب خصوصا. وقد اعتمده كثير من مؤرخي العصر الوسيط وأحالوا عليه في أخبار كثيرة تتعلق بتاريخ الأدارسة والمرابطين والموحدين.

ابن القطان، *نظم الجمان*، بيروت، 1990 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج. 1 و3 و4، بيروت، 1983 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، ج. 1، القاهرة، 1973 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، الرباط، 1934 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج. 6، بيروت، 2000 ؛ أبو علي صالح، *رسالة في القبلة*، مخطوط خ. ع. ق 985 ؛ الجزنائي، جنى *زهرة الآس*، الرباط، 1991 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974 ؛ أبو حامد العربي بن عبد السلام الفاسي، *رسالة شفاء الغليل في بيان قبلة صاحب التنزيل*، مخطوط، خ. ح. 814 ؛ عبد السلام بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ج. 1، الدار البيضاء، 1965 ؛ محمد المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج. 1، الرباط، 1983.

رشيد السلامي

**ورزازات**، يتركب اسم ورزازات من مقطعين أمازيغيين :

الأول : وار ويعني بدون أويخلو.

الثاني : الزازات أو زازات وتعني الخصومات والمشاكل - والحروب - وإذا جمعنا المقطعين الاشتقاقيين، فورزازت تعني بلدة بدون مشاكل أو بلدة الهناء أو دار السلام الخ ...

وتشير النقوش الحجرية المكتشفة في منطقة ورزازات وبقايا عظام الديناصور وعمره 180 مليون سنة أن منطقة ورزازات من أقدم المناطق التي عرفت حياة الإنسان والحيوان. كما تدلنا هذه الاكتشافات على التغيير الذي عرفه مناخ المنطقة. وشكلت ورزازات طيلة تاريخها الطويل نطاقا التقت فيه عدة مجموعات بشرية ذات أصول عرقية مختلفة، كما أنها شكلت المعبر التجاري الأساسي نحو بلاد السودان وسجلماسة ومراكش عبر وادي درعة وواحات تدغة ودادس وتيزي نتلوات أو تيشكا. ولهذا كانت كل الدول التي توالت على المغرب، تمد نفوذها إلى ورزازات وذلك منذ الأدارسة إلى العلويين، وجدير بالذكر أن أسرة الگلاوي مدت نفوذها إلى ورزازات منذ أن نجح "محمد أبيبط" جد آل الگلاوي التمركز بورزازات وتحصين قصبة تاوريرت، وأصبحت هذه القصبة منذ أواخر القرن 19 تراقب تحركات القبائل والقوافل التجارية بين واحات درعة وورزازات وبين هذه الأخيرة ودادس وتودغة. ونظراً للمساعدات التي قدمها آل الگلاوي لحركة السلطان الحسن الأول سنة 1894. أثناء مرورها بالمنطقة وسط عاصفة ثلجية، فقد عين السلطان الحسن الأول المدني الگلاوي خليفة له على منطقة ورزازات وتافيلالت. ومع تصاعد نفوذ الگلاوي خلال السنوات اللاحقة فقد عين آخاه حمادى خليفة له بقصبة تاوريرت بورزازات وابن أخيه القائد حمو خليفة للمخزن على الجنوب كله من قصبة تالوات إلى محاميد الغزلان. وبعد تراجع نفوذ الگلاوي في هذه المناطق، فقد حلت القوات الفرنسية بورزازات سنة 1928 فأقامت بها حامية عسكرية - ومركزاً للشؤون الأهلية ومدرجاً للطائرات. كما أقامت بها مركزاً تجارياً. وتحولت ورزازات إلى قطب أساسي من أجل احتلال واحات درعة ودادس وتدغة وصاغرو.

أخذ دور ورزازات يتعاظم كمركز رئيسي بالنسبة للمراكز التي أقامها نظام الحماية في تنغير وبومالن دادس وقلعة مگونة وسكورة وزاگورة الخ... وقد كانت ورزازات قبل هذا التاريخ عبارة عن مداشر تتكون من قريتين : تاصومعت وتاوريرت، ومع تمركز نظام الحماية بها اتسع الشريط الحضري بها وارتفع عدد السكان بشكل مطرّد وعلى الشكل الآتي :

| السنوات | عدد السكان |
|---|---|
| 1940 | 800 |
| 1950 | 3000 |
| 1960 | 4200 |
| 1970 | 11142 |
| 1982 | 17220 |
| 1994 | 39203 |
| 2000 | 44776 |

وتمثل الهجرة القروية عنصراً أساسياً في تعمير ورزازات، إذ أن الساكنة الأصلية لا تمثل سوى 14 ٪ من مجموع السكان، وتعزى هذه الهجرة إلى ازدهار السياحة بالمدينة، وكذلك ظهور الصناعة السينمائية بها، ويعود الاهتمام بمنطقة ورزازات سياحيا إلى الفترة الاستعمارية. وبعد الاستقلال قامت الدولة بجهود للنهوض بالسياحة في المدينة من خلال إنشاء وحدات فندقية بواسطة تشجيع المستثمرين، وكذلك من خلال إنشاء مطار عصري لاستقبال السياح القادمين من الخارج مباشرة. كما قامت البلدية سنة 1972 بشراء قصبة تاوريرت من ورثة الگلاوي وخصصت جزء منها لأغراض سياحية. وتم إنشاء مدرسة فندقية سنة 1987 تحولت إلى معهد التكنولوجيا الفندقية السياحية سنة 1995. وفي إطار الحفاظ على المآثر التاريخية المهددة بالزوال أو الآيلة للسقوط والعمل على ترميمها واستغلالها لفائدة السياحة تمّ إنشاء "مركز الصيانة والمحافظة على التراث"

سنة 1988، وفي هذا الإطار تم ترميم قصر "آيت بنحدو" الذي يستقطب سنويا آلاف السياح إذ صنفته اليونسكو ضمن التراث العالمي، كما أقيمت مجمعات للصناعات التقليدية، وتم ترميم كثير من المنازل لإيواء السياح، كما تم تنظيم مهنة المرشدين السياحيين، كل هذه العوامل جعلت ورزازات من أهم الأقطاب التي تجلب السياح.

ناهيك عن دور الصناعة السينمائية، بفضل الإستوديوهات المقامة، التي جعلت المخرجين من مختلف أنحاء العالم يتقاطرون على المنطقة لتصوير أفلام ضخمة تساهم في تشغيل اليد العاملة المحلية، وفي الزيادة من استقطاب السياح، وهكذا تعتبر السياحة أهم نشاط اقتصادي في ورزازات.

منوغرافيا ورزازات، عمالة ورزازات، 1988، العدد 544، مارس، 2004، ورزازات *قافلة*، حكايات مغربية، ص. 36 - 71 ؛ عبد الإله الجوهرة، *ورزازات : فضاء السينما*، ورزازات، 2003.

Montagne Robert, *Les berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc*, Felix Alcan, Paris, 1930 ; G. Spillman, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Rabat, Moncho, 1936.

عبد القادر بوراس

**الورزازي** (الحاج -) **إدريس**، الفقيه القاضي الخطيب الحاج إدريس بن المختار بن عمر الورزازي الأصل، جده عمر هو أول من دخل إلى مراكش من وارزازات، وقد كان تاجرا. ولد المترجم له بمدينة مراكش سنة 1297 / 1878 حسب وثيقة عدلية، خلافا لما جاء في كتاب *المعسول* من أنه ولد سنة 1290 / 1873.

حفظ القرآن على يد الفقيه الخير السيد محمد بن أحماد الجدميوي التجاني طريقة، كما حفظ عدة متون. ثم التحق بجامعة ابن يوسف فدرس على شيوخها الأجلاء نذكر منهم السادة : مولاي الحسن الأسفي ومحمد بن عبد السلام بوستة ومحمد الصويري والحاج محمد أزنيط ومحمد بن القرشي السرغيني، وغيرهم.

وبجامعة القرويين درس على شيوخها نذكر منهم السادة: أحمد بن الجيلالي وإدريس العمراني وغيرهما. وقرأ بمصر على الشيخ سالم البكري، والشيخ محمد عبده. حج سنة 1317 / 1899 ، والتقى بعدد من العلماء ورجال الفضل والصلاح، وأجازه عدد منهم.

وفي سنة 1318 / 1900 انخرط في سلك العدول، وتولى الإمامة والخطبة بمسجد سيدي أبي عمرو، ومسجد سيدي عبد العزيز التباع، ودرس هناك الفقه والحديث. وفي سنة 1328 / 1910 ولاه السلطان نظارة الأحباس العباسية. وفي سنة 1330 / 1911 أضاف له أحباس الشيخ الجزولي. وفي سنة 1336 / 1917 ولي قضاء سطات مدة سنتين، بعدها عيّن بقلعة السراغنة مدة عشر سنوات، ثم انضافت له منطقة زمران سنة 1348 / 1929 . وفي نفس السنة عيّن قاضيا بمدينة مراكش بالمحكمة اليوسفية.

توفي يوم الأحد 29 ذي قعدة 1359 موافق 29 دجنبر 1940.

المختار السوسي، *المعسول*، 15، 323 ؛ محمد حجي، *إتحاف المطالع*؛ *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8، ص. 3080 ؛ أحمد متفكر، *ذيل الإعلام*.

**الورزازي، خليل** العالم الفقيه الواعظ محمد خليل بن محمد بن الطاهر الورزازي الأصل، المراكشي المولد والنشأة والمدفن. ولد بمدينة مراكش سنة 1317 / 1899، قرأ القرآن عند الفقيه محمد الفيلالي بكتابه الكائن بحي القصور، ثم أتم حفظه على يدي نجليه مولاي عمر ومولاي أحمد بعد وفاته. ثم تاقت نفسه للاستزادة من العلم فالتحق بجامعة ابن يوسف للأخذ عن شيوخها الأجلاء نذكر منهم السادة : شيخ الجماعة العلامة محمد بن لحسن الدباغ والفقيه العلامة محمد الصويري والفقيه البركة الزاهد أحمد بن المحجوب المراكشي وشيخ الجماعة العلامة الحاج العربي الرحماني البربوشي والعلامة المؤرخ القاضي الحاج العباس بن إبراهيم التعارجي والمحدث الشيخ أبي شعيب الدكالي، وغيرهم.

ثم رحل سنة 1340 / 1922 إلى فاس التي بقي فيها ما يقرب من السنة، أخذ عن شيوخ جامعة القرويين ما تيسر من العلوم، نذكر منهم : العلامة الشريف مولاي عبد الله الفضيلي والعلامة القاضي عبد العزيز بناني والعلامة عبد السلام السرغيني والعلامة مولاي عبد السلام بن عمر العلوي وغيرهم وأجازه بعض شيوخه. ثم رجع إلى مسقط رأسه ليقوم بدروس وعظية ببعض مساجد مراكش، فأقبل الناس على دروسه، لما تميز به أسلوبه الوعظي من تبسيط الأفكار، وتقريبها إلى جلاسه بلهجته المراكشية المرحة الشيقة. وفي سنة 1342 / 1923 عين مدرسا بمدرسة الباشا الحاج التهامي المزواري الكائنة بحي باب دكالة، ولما زارها جلالة الملك محمد الخامس وتفقد بعض أقسامها أعجب بالدرس الذي كان يلقيه الأستاذ الورزازي، فأصدر أمره بتعيينه أستاذا لأنجاله بالمدرسة المولوية بالرباط، وفي هذه الأثناء زاول خطة العدالة مع القاضي مولاي أحمد بن اليزيد البدراوي. ثم عين نائب عضو بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى بالرباط. وبعد انتهاء مأموريته بالمدرسة المولوية عين سنة 1365 / 1945 قاضيا بآيت أورير ناحية مراكش، ثم انتقل سنة 1377 / 1957 إلى مراكش بنفس الصفة. وبعد مدة عين مستشارا مقررا بالمجلس الأعلى بالرباط، وبقي في هذا المنصب إلى أن أحيل على المعاش بتاريخ 4 قعدة سنة 1390 مرافق 2 يناير 1971.

توفي ليلة الخميس 20 محرم 1407 موافق 25 سبتمبر 1986 ، ودفن بروضة باب أغمات، وقد رثاه الشاعر مولاي إبراهيم الحاري بقطعة جاء فيها :

| | |
|---|---|
| هوى علم فروعت العقـــول | وخيم فوق ساحتنا الذهـــول |
| وهال مدينة الأمجاد هـــول | ولا عجب فذا خطب يهـــول |
| توارت في سما الحمراء شمس | وغاب البدر إذ رحل الخليـــل |

أحمد متفكر، *ذيل الإعلام* ؛ محمد بن الفاطمي السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، ص. 104.

**الورزازي** (الحاج -) **لحبيب** بن المختار بن عمر الورزازي القاضي، ولد بمدينة مراكش سنة 1298 / 1880، قرأ القرآن عن الفقيه أبي مدين بدرب أعرجان، ثم عن الفقيه الصالح السيد علال المرايتي السوسي في مكتبه بحي المواسين. ثم التحق بالجامعة اليوسفية فدرس على شيوخها الأجلاء نذكر منهم : شيخ الجماعة الحاج العربي الرحماني البربوشي، شيخ الجماعة محمد بن إبراهيم السباعي، الفقيه الحاج لحسن الشاوي.

تولى العدالة، وأصبح من المبرزين فيها، ثم أسندت إليه مهمة القضاء بعد أخيه الفقيه القاضي الحاج إدريس، واستمر في مهمته إلى أن أعفي بعد الاستقلال.

توفي يوم 15 محرم 1380 موافق 10 يوليوز 1960.

المختار السوسي، *المعسول*، 15، 323 ؛ أحمد متفكر، *ذيل الإعلام*.

**الورزازي، محمد** بن **أحمد** الصغير عالم حافظ متفنن في العلوم، اشتهر بالصغير وبالقاضي. أصله من درعة. وكان القاضي السيد عبد الكبير بن أحمد يستخلفه لغزارة علمه واتقاد ذهنه وسرعة فهمه. أخذ بسجلماسة عن الفقيه الشهير عبد الواحد القندوسي صاحب *الحاشية على مختصر الشيخ خليل*، ولازمه مدة طويلة، ثم ارتحل إلى مدينة فاس فأخذ عن العلامة أحمد بن الحاج الفاسي، وأبي عبد الله القسنطيني. واجتمع في أول أمره بمحمد بن محمد بن سعيد المرغيثي بمراكش، واستفاد منه وارتحل إلى المشرق فارا من غوائل أبناء الدنيا، فرزق قبولا عظيما هناك في مصر والحجاز. وحج وعاد إلى مصر، واشتغل بالتدريس، وكانت له اليد الطولى في العلوم العقلية والفقهية.

توفي بمصر سنة 1138 / 1725، ودفن بمشهد الإمام ابن القاسم، وأشهب، وغيرهما من أئمة المالكية. له شرح على [*العقيدة السنوسية*].

*أعلام التعارجي*، 6 : 33.

أحمد متفكر

**ورزيغة**، موقع إسلامي يرجع إلى الفترة الإدريسية، يقع شمال مدينة مكناس حيث يبعد عنها بـ 6 كلم، وبالضبط على الضفة اليسرى لوادي الردم غير بعيد عن محطة القطار التي تحمل نفس الاسم. هذا الموقع معروف لدى الباحثين والمهتمين بتاريخ الأدارسة كمعمل لسك النقود، حيث ضربت به دراهم باسم محمد بن إدريس المتوفى في عهد علي الأول (223 ـ 234) وفي 247 تمَّ سكّ نقد باسم عيسى الشيء الذي يبين أن المدينة قد أصبحت تحت حكم إمارة أبناء هذا الأمير ودون شك تحت حكم يحيى الأول ابن محمد (234 ـ 249).

من بين المؤرخين العرب الذين تطرقوا لهذه المدينة الإسلامية نجد على الخصوص أبا عبيد الله البكري في كتابه *المسالك والممالك*، حيث يصفها عند وصفه للطريق الرابطة بين أغمات وفاس قائلا : "مدينة ورزيغة، وهي آهلة كثيرة المياه والثمار والخير يباع فيها ألف حبة إجاص بربع درهم، قتل ميسور الفتى أهلها وسبى نساءها بعد زواله عن مدينة فاس سنة أربع وعشرين وثلاثمائة".

لكن التحريات الأثرية التي أجريت في منطقة ورزيغة نفسها لم تسمح بالعثور ولو على دليل أو بعض بقايا هذه المدينة اللهم اسم المكان الذي مازال معمولاً به إلى يومنا هذا.

أبو عبيد البكري، *المسالك والممالك*، ت. ح. أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، 1992، ص. 845.

D. Eustache, *Corpus des dirhams idrissites et contemporains*, Rabat, 1970-1971, p. 155.

حسن ليمان

**الورطاسي، قدور** بن **علي** بن البشير اليزناسني أصلاً الحسني نسبا السلفي مذهبا الوطني روحاً وفكراً، ولد بزاوية ورطاس قرب أبركان سنة 1330 / 1912، وأدخل كتاب القرية على العادة المتبعة ليتعلم مبادىء القراءة والكتابة، ويحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى المعهد الديني بوجدة لمتابعة تعليمه وبعدها التحق بالقرويين التي بقي يدرس فيها إلى غاية سنة 1355 / 1936 وهي السنة التي رجع فيها إلى مسقط رأسه لمزاولة خطة العدالة.

انخرط في الحركة الوطنية منذ سنة 1348 / 1930، وتقلب في صفوفها إلى أن صار مسؤولا عن فرع حزب الاستقلال بأبركان مما فرض عليه الإقامة الاجبارية وعرضه إلى الاعتقال عدة مرات من طرف السلطات الفرنسية. وفي سنة 1372 / 1952 نفي إلى أقصى جنوب المغرب حتى بزوغ فجر الحرية والاستقلال، إذ تقلد عدة مناصب إدارية، منها قائد ممتاز بشرق المغرب، ثم عضو في ديوان وزير الدولة المكلف بالشؤون الإسلامية، وكان آخر هذه المناصب رئيس مصلحة تكوين الأطر الدينية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

بدأ الكتابة طالباً بالقرويين سنة 1351 / 1933 بصحيفة "*النجاح*" (الجزائر) ثم مراسلا لجريدة "*السعادة*" وكذلك جريدة "*الأطلس*" لسان حال الحزب الوطني، وعقب أحداث 1944 أصبح مراسلا لجريدة "*البصائر*" و"*الشعلة*" الجزائر و*الأسبوع* (تونس)، كما أنه كان يكتب في مجلتي "*دعوة الحق*" و"*الإرشاد*" ويلقي أحاديث دينية على أمواج الإذاعة المغربية يستفيد منها عموم الناس. ونظراً لشغفه بالكتابة وقرض الشعر، وانكبابه على التدوين والتصنيف فقد ترك مؤلفات هامة يتعلق جلها بتاريخ المغرب الشرقي، وتراجم فئة من رجالاته البارزين في ميدان التضحية والنضال وتحرير بلادهم من نير العبودية والاحتلال ؛ هذا بالإضافة إلى ديوانه

الشعري الذي يشمل القصائد التي جادت بها قريحته في مختلف المناسبات والأغراض.

لقد كان المترجم له من الرجال القلائل الذين يرجع لهم الفضل في إذكاء الحماس ونشر الوعي الوطني بين قبائل بني يزناسن المشهورة بالشجاعة والإقدام ومقاومة الاستعمار، والقضاء على الخونة من أذنابه، مما يسجل له بمداد الفخر ويستحق عليها ما هو جدير به من إشادة وتنويه يخلدان اسمه في قائمة الشرف والذكر الطيب.

توفي يوم 20 يوليوز 1994 / 1414.

عبد السلام التازي، *الأدباء المغاربة المعاصرون* ؛ عبد الله الجراري، *التأليف ونهضته في القرن العشرين* ؛ قدور الورطاسي، *بين ظلال الأصالة*.

عبد الرحمن القباج

**ورقاء بنت ينتان**، كانت تعرف بالحاجة، امرأة صالحة من أهل مدينة طليطلة، وأصلها من بربر المغرب. انتقلت إلى فاس وسكنت بها في العصر المرابطي. كانت أديبة شاعرة بارعة الخط حافظة للقرآن الكريم، مع صلاح وورع. قامت برحلة إلى المشرق أدت خلالها فريضة الحج. ذكر أحمد بن فرتون الفاسي في كتاب *الذيل لتاريخ ابن بشكوال* أنها كانت على صلة بأسرته بفاس. ونظراً لضياع هذا الكتاب فلم نتعرف من أخبارها إلا على ما أوردته المصادر اللاحقة، وهي أخبار شحيحة.

توفيت بعد سنة 540 / 1145.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، 4 : 256 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، 8 : 493 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، 5 : 310 ؛ عمر رضا كحالة، *أعلام النساء*، 5 : 284.

محمد المغراوي

**الورگة، عبد الرزاق** بن **مسعود**، من مواليد سنة 1919 بمدينة سلا، كان من أشهر وأمهر لاعبي كرة القدم المغاربة بعد العربي بن مبارك ؛ تلقى تعليمه الأول بكتاب بورماضة قبل التحاقه بمدرسة باب سبتة ومدرسة زنقة بواتيي بالرباط ثم عمل كموظف ببلدية سلا.

بدأ مساره الرياضي سنة 1938 بصفوف الجمعية السلوية قبل التحاقه بنادي سطاد المغربي في السنة الموالية والذي نال معه بطولة المغرب بعد ذلك دخل عالم الاحتراف وقد امتدت مدة احترافه من سنة 1945 إلى 1964 تألق خلالها في عدة أندية أوربية وأمريكية لاتينية، خاصة في فرنسا وإسبانيا والمكسيك.

وبعد المشاركة في دورات تدريبية في 1960 و1962 والحصول على ثلاثة دبلومات، قام عبد الرزاق الورگة بتدريب أندية فرنسية (كورسيكا) وإسبانيا (مورسيا)، إلى حين عودته إلى أرض الوطن سنة 1966، حيث أفصح عن نية إجراء بعض الاتصالات بغية خدمة كرة القدم المغربية.

وعندما سُئل عن ارتسماته حول كرة القدم الوطنية، بعد 21 سنة من الغياب، كان رده : "على مستوى التقنية الفردية يمكن القول بأن قدرات المغاربة كبيرة بحيث يسهل تشبيههم بلاعبي أمريكا اللاتينية، ومع ذلك، ما يؤسف له هو غياب الانضباط ...".

انحصر نشاطه في الإرشاد الرياضي بشركة ماروك شيمي وقد حظي باستقبال جلالة المرحوم الحسن الثاني الذي وشح صدره بوسام علوي ضمن مجموعة من اللاعبين القدامى وذلك بمناسبة إحدى نهائيات كأس العرش بالملعب الشرقي بالدار البيضاء.

توفي بعد مرض طويل لم ينفع معه علاج سنة 1993 بمنزل أخيه صالح بسانية الحسناوي بمسقط رأسه فشيعت جنازته بمقبرة باب معلقة مخلفا ولداً واحدا من زواجه بمواطنة فرنسية.

*L'Opinion*, 1er avril 1966 ; *Le Matin*, 28 mai 1976.

محمد الفقير

**الورياجلي، عبد الله** بن عبد الواحد (أبو محمد) الفقيه المفتي، الموصوف بالاجتهاد، والملقب بالفقيه العالم. يمثل الجيل المخضرم الذي امتاز بنقل المستوى المعرفي لعلماء نهاية القرن (9 / 14). فقد أخذ عن الإمام القوري آخر حفاظ المدونة، وعن الإمام العبدوسي مفتي فاس وأشهر علمائها، وأدرك أبا القاسم التازغدري، وأبا عبد الله العكرمي، وأبا القاسم محمد بن يحيى السراج، ونقل عن هؤلاء طرقهم في التعليم ومؤلفاتهم إلى طلبته كما يروى تليمذه محمد ابن غازي. رحل إلى تلمسان حيث لقي الإمام محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد وتدبج معه بعدما تأكدت مكانته في مجالس درسه، وعندما لم يجد فيما ذكر له عن علماء المشرق ما يغريه بالرحلة رجع إلى المغرب في المرحلة التي سقطت فيها عدة ثغور في يد البرتغاليين وخاصة طنجة وأصيلة.

سكن الورياجلي مدرسة بالقصر الكبير حيث كان يشتغل بالتدريس في مسجدها خلال فصلي الشتاء والربيع، ويخرج في الصيف والخريف للمرابطة والجهاد في الثغور المحتلة، ولم ينقطع عن التعليم والإفتاء في البلاد الهبطية مع قيامه

بواجب الجهاد. اشتهر الورياجلي بسعة الاطلاع الفقهي وبإجازته في "*المدونة*" و"*مختصر ابن الحاجب الفرعي*" إلى جانب إجازاته في كتب الحديث بأسانيد مشرقية بواسطة شيخه أحمد بن محمد المصمودي الماجري.

وتظهر لمسة الشيخ الورياجلي الفقهية في تمكنه من الفقه المالكي ونقل أسانيده التي اختصر بها المغاربة، فقد كان "يقرئ المذاهب الأربعة ويقتصر بمذهب مالك كأنه المازري في طبقته".

توفي ـ حسب ابن عسكر ـ في العقد الأول من القرن العاشر.

م. ابن غازي، *التعلل*، تح. محمد الزاهي، 113 ـ 118 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة*، 30 ـ 33 ؛ م. حجي، *الحركة*، ج 1، 54 ؛ م. ابن خليفة، أعلام القصر الكبير، *منشورات جمعية البحث التاريخي والاجتماعي، 1994، 45 ـ 51.*

نفيسة الذهبي

**ورياش** (برج سيدي -)، بناه الإسبان بالقرب من المزارة، عند توسعهم في حدود مليلة المغتصبة على عهد المولى الحسن، تبعا لسياسة بناء الأبراج حول المدينة المحتلة، حينما وصل تعيين الحدود إلى كدية سيدي ورياش عند النقط الحدودية رقم 7 و8 و9 ...، وهو أضخم الأبراج وأخطرها، ظهر تصميمه بشكل مستطيل تشرف من زواياه الأربع الحاملة للمدافع الكبرى. لم تظهر حدة مشكل بناء الأبراج إلا إثر عزم الإسبان على بنائه، إذ أن موقعه كان بجانب خط الحدود المتصل بفرقة فرخانة، مثلما كان بجوار مقبرة سيدي ورياش. وقد وقفنا على نص المطالبة بإنشائه في رسالة 3 قعدة 1293 / 20 نوفمبر 1877، غير أن الموافقة المخزنية النهائية لم تتم إلا في عام 1309 / 1891، أي بعد ست عشرة سنة مضت على المطالبة الأولى.

اختار الإسبان الظرف المناسب لبنائه، وذلك بعد أن استعدوا للحرب، مستغلين توتر أعصاب قبيلة قلعية الناتج عن إصرارها على البناء، إمعانا منهم للتعدي على حرمة ضريح سيدي ورياش ومقابر المسلمين التي بساحته، وبذلك بدأت المقاومة المغربية على أشدها.

أرشيف مديرية الوثائق الملكية بالرباط ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ محمد المشرفي، *الحلل البهية* ؛ وثائق دار النيابة بطنجة.

Ministro de Estado, *Documentos diplomaticos referentes a las Cortes 1892* ; Geronimo Becker, *Españaq y Marruecos*, Madrid 1903 ; Gabriel Morales, *Datos para la Historia de Melilla*, 1992 ; Isidro de las Gágigas, *Tratados y convenios referentes a Marruecos*, Madrid 1952 ; R.F. de Castro y Pedreda, *El Rif*, Malaga 1911.

**ورياش** (حرب سيدي -)، هي مجموع المعارك التي وقعت سنة 1311 / 1893 بين القلعيين وإسبانيي مليلة، نتيجة الاعتداء الإسباني على مقبرة وضريح سيدي ورياش، أثناء تعيين الحدود المغتصبة، يسميها الإسبان حرب "ماركايو" (Margola) نسبة إلى الجنرال حاكم مليلة الذي تم مقتله في بداية المعركة.

تبدو بداية علمنا بأوليات الحرب فيما أعلنت عنه المراسلة السلطانية إلى النائب محمد الطريس، بتاريخ 10 ربيع الثاني 1311 / 21 أكتوبر 1893، يخبره بما صدر من أهل الريف لمنع البناء أولا وثانيا، وبتوجيهه إلى قلعية طائفة من العسكر لتلافي الوضع. وقد تكلفت بعض الوثائق بتقديم التفاصيل، فأخبرتنا أن الإسبان بمجرد اتخاذ القرار ببناء برج سيدي ورياش شرعوا في تعبيد الطريق من المدينة المحتلة إلى موضع البناء، وكان هذا كافٍ لإثارة حمية القلعيين.

ولم تسفر تدخلات قائد مزوجة حم بن الهادي القلعي وقائد إدالة جنادة بوشنافة الجامعي لإقناع حاكم مليلة الجنرال ماركايو بتوقيف الأشغال والتراجع عن المشروع أو تأخيره، وطلبا منه على الأقل نقل البناء إلى موضع آخر. وأمام رفض الإسبان المقترحات المغربية، كان من الطبيعي أن يعبر القلعيون عن غضبهم، خاصة لوجودضريح سيدي ورياش وانعقاد سوق اثنين فرخانة بجواره، علاوة على أن البناء يشرف على الزائرات للحرم الورياشي. ومما زاد الأمور تهيجا دخول العمال الإسبان إلى باحة الضريح بقصد استغلال ماء الساقية في البناء.

ونجد بداية الحرب فيما قدمه القائد حم بن الهادي القلعي، قائد بني سيدال حيث قال : خرج أهل مليلة لبناء برج بطرف حدادتهم قرب منازل فرخانة فمنعوهم من بنائه مرارا، ونهوا فلم ينتهوا، فمنعهم أهل قلعية وأخرجوهم من البرج بعد أربعة أيام من البناء. ثم أعيد البناء تحت حراسة قوية. وربما كانت الأمور ستتوقف عند هذا الحد لو لم يعمد الإسبان إلى الاستفزاز الذي أشار إليه قائد إدالة قصبة جنادة أحمد بوشنافة الجامعي، إذ أن أهل قلعية المجتمعين في سوق إثنين فرخانة تعرضوا للضرب من الأبراج المجاورة بالمدافع، مما هيأ القلعيين للمعركة الأولى. ومن أجل الاستعداد استدعى أهل قلعية مجاهدي أولاد ستوت وهؤلاء قدموا بالخيل والرماة إلى أن حاصروا الإسبان بشعاب كدية المعازيز يوم الجمعة 9 جمادى الأولى 1311 / 11 ديسبمر 1981 وعاد الإسبان إلى قصف المواقع القلعية خلال الأيام الثلاثة التالية، وفي اليوم الأخير قتل الجنرال ماركايو حاكم مليلة.

والنتيجة أن الإسبان سارعوا إلى مكاتبة السلطان المولى الحسن، وهو آنذاك بتافلالت لإرسال أخيه المولى عرفة. وتبعا لذلك راسل السلطان عمال قلعية والناحية الشرقية و عمال الريف كافة في هذا الشأن في 14 ربيع الثاني 1311 / 26 أكتوبر 1893 : يستنهضهم لمساندة مولاي عرفة لإيقاف الحرب. وقد انضم إليه كل من مولاي عبد الله والكاتب إدريس بن إدريس وولد البشير امسعود اليزناسي. وفي 11 رمضان 1311 / 18 مايو 1894 كان مولاي عرفة بقلعية منهمكا في تهدئة الوضع، في مهمة مزدوجة، متمثلة من جهة في إقناع قلعية بالعدول عن التعرض على البناء ومن جهة أخرى في رسم الحدود. ويبدو أنه توصل إلى الأمرين معا. هذا ما أعلنته الرسالة 18 جمادى الثانية 1311،

الموجهة إلى محمد الطريس حيث قال :حصل المراد من توجيه مولاي عرفة. وبذلك اتخذت جميع الإجراءات للبدء في وضع ترتيبات لعقد اتفاق جديد لرسم الحدود.

كانت حرب سيدي ورياش رد فعل طبيعي من طرف القلعيين ضد الوجود الأجنبي بالشمال الشرقي ومحاولة الحد من تراميه على التراب المغربي وقد واتت الفرصة إسبانيي مليلة للمضي في اقتطاع المزيد منه إثر وفاة المولى الحسن 3 حجة 1311 / 28 مايو 1894 وتولية المولى عبد العزيز. فقد تطلبت التولية الجديدة تجديد الاعتراف بالاتفاقات الخاصة بتعيين الحدود والبحث عن مكتسب ترابي آخر. وتمثل المكسب هذه المرة في اغتصاب المساحة المحيطة بالحدود، دعيت بالأرض المحايدة أو المحرمة.

هذا هو موضوع الاتفاق الجديد المبرم يوم 3 شوال 1312/ 30 مارس 1895. وهو ملخص لجميع الاتفاقات المبرمة سابقا بدءا من اتفاق سنة 1859 (الشرط 2). وما يهمنا هو إضافة شروط جديدة تنص على إغلاق مساحة مقبرة سيدي ورياش بالسور الحجري (الشرط 3) وضبط الحراسة بإدالة عدتها أربعمائة جندي (الشرط 4) وتعيين قائد برتبة باشا (الشرط 5) وأداء غرامة عن الحرب في أكتوبر ونوفمبر 1893، قدرها أربعة ملايين من الريال الإسباني (الشرط 6). وقد تم توقيع الاتفاق بيد محمد بن المفضل غريط.

*أرشيف مديرية الوثائق الملكية بالرباط* ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ محمد المشرفي، *الحلل البهية* ؛ *وثائق دار النيابة بطنجة*.

Ministro de Estado, *Documentos diplomaticos referentes a las Cortes 1892* ; Geronimo Becker, *España y Marruecos*, Madrid 1903 ; Gabriel Morales, *Datos para la Historia de Melilla*, 1992 ; Isidro de las Gágigas, *Tratados y convenios referentes a Marruecos*, Madrid 1952 ; R.F. de Castro y Pedreda, *El Rif*, Malaga 1911.

**ورياش** (سيدي -)، أشهر صلحاء قبيلة قلعية بالريف الشرقي (إقليم الناظور). من أصل ودغيري فجيجي، استقر به المقام الأخير بقبيلة قلعية، وقبره مزارة بارزة على كدية مشرفة من الحد الشرقي لفرقة فرخانة على مدينة مليلة المحتلة. والاسم كنية لبوبكر بناء على ما حققه المرحوم القاضي العربي الورياشي، حين ذكر أنه بوبكر (ورياش الثاني) بن عيسى بن يخلف بن عثمان بن يعيش بن إبراهيم بن إبراهيم بن بوبكر (ورياش الأول) بن عيسى بن عبد الرحمن الودغيري.

والمعتقد أن المرابط ورياش بن عيسى عاش خلال القرن السابع الهجري، جاء إلى قبيلة قلعية ضمن الزحف المريني نحو القبيلة في مستهل القرن، بعد مراحل وتنقلات بربوع المغرب الشرقي. استقر أخيرا بقبيلة قلعية، أولا بفرق الكعدة، (بني سيدال) ثم ببني شكر وفرخانة حيث دفن. ولا نعرف عنه سوى ما تذكره بعض التقاييد عن اشتهاره بالتصوف والصلاح، وقد أكد تقييد لمجهول يعود إلى سنة 939 / 1533 بشهرة مزارته في عموم الريف الشرقي، بعد مضي ثلاثة قرون على وفاته، مشيرا إلى أنه لم يعقب، وأن الأسر الورياشية المقيمة بقلعية لا تنتسب إليه إلا بالخدمة في حياته وتعهد المزارة من بعده. ويرتبط اسم سيدي ورياش أيضا بتأسيس البرج المعروف باسمه، كما اشتهرت المزارة بالمعارك الجهادية التي دارت حولها في آخر سنة من حياة المولى الحسن.

حسن الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة المحتلة*، الدار البيضاء، 1997، ص. 46 - 75 - 125 - 137 ؛ العربي الورياشي، *الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف الأول سيدي محمد أمزيان*، تطوان، 1979، ص. 52 ؛ مجهول، *نسب قبيلة قلعية*، مخطوطة بالخزانة العامة.

**الورياشي، العربي** بن **محمد** بن علال، من أسرة عالمة مشهورة، قاضي ومفتي ومحدث ونسابة وكاتب في التاريخ بإقليم الناظور خلال فترة الحماية. (ولد في رمضان 1318 / ديسمبر 1899 يناير 1900). درس بقلعية الدراسة الأولى على والده وعلى الشيخ علال بن أحمد السيدالي التنوتي، وعليه ختم مقدمة آجروم والتحفة وابن عاشر. ثم رحل إلى فاس يوم 5 صفر 1345 / 15 غشت 1926، فقرأ على مجموعة من الشيوخ من أمثال عبد العزيز بن أحمد وأحمد بن الخياط والحسن مزور والحسن الزرهوني والحسن العراقي وعباس بناني ومحمد بن الحاج السلامي.

قضى أربع سنوات بالقرويين، وإثر عودته اشتغل بالعدالة تمهيدا لتحمل منصب القضاء. فعين عدلا بمحكمة بني بويفرور في عام 1349 / 1329، ثم خليفة القاضي في جمادى الثانية عام 1350 / 1930 على بني بويحيي، ثم قاضيا على نفس القبيلة، وإلى جانبه والد كاتب هذه الترجمة الفقيه العدل مصطفى الفكيكي. بقي في منصبه إلى سن التقاعد.

شخصية عالمة وقد استفاد من الخزانة العلمية التي تركها له والده. فهو فقيه، ومحدث ومفتي. وهو نسابة، له في هذا الباب تقييد "كشف الخفا ودفع الأسى عما كان مجهولا من سلسلة نسب فروع أولاد رح بن عيسى، مازال مخطوطا. ومن إنتاجه أيضا "الإحياء والإنعاش بذكر أسماء من استوطن قلعية وشفشاون قديما وحديثا من أبناء سيدي ورياش"، مازال مخطوط أيضا.

وأهم كتبه في تاريخ المقاومة المغربية المعاصرة سماه "*الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف الأول سيدي محمد أمزيان، وأخبار مقاومته هو وإخوانه الريفيين لأبي حمارة ثم الإسبان*". وهو أول كتاب ظهر عن المقاومة بالريف الشرقي بعد استقلال البلاد، كان له صدى كبير في الأوساط الريفية خاصة.

ومثل شباب الحركة الوطنية كانت الفترة التي قضاها في القضاء صراعاً مع المراقب الإسباني للقبيلة. وحينما ظهر

حزب الإصلاح الوطني عبر عن تضامنه مع المبادئ الوطنية التي كان يرمي إليها، وقد كاتب عبد الخالق الطريس، في هذا الشأن.

والورياشي ناظم أيضا في التصوف والوطنية التي عاش أطوارها خلال فترة الحماية. أودع في رثائه للمجاهد الشريف محمد أمزيان لوعائه في الوطنية، ومدح أهل البيت، وكذا الخليفة الحسن بن المهدي لدى نزوله بمليلة سنة 1936، لزيارة منطقة الشمال الشرقي المغربي.

*وثائق عائلية.*

حسن الفكيكي

**الورياشي، محمد** بن **عبد السلام**، ولد بشفشاون سنة 1921، وبها نشأ في أسرة مولعة بالموسيقى الأندلسية والسماع. كان من روّاد الزوايا في شفشاون، وعن شيوخها حفظ مستعملات المديح والسماع. وقد رحل إلى تطوان للدراسة، فالتحق بمعهد مولاي المهدي، كما واصل مخالطة رجال الموسيقى والأخذ عنهم. انخرط بعد الاستقلال في سلك التعليم، وكان إلى جانب عمله الوظيفي يدرس الموسيقى الأندلسية بمعهد تطوان. وفي عام 1957 أسس "الرابطة المحمدية للأمداح النبوية" بتطوان.

من إنجازاته الفنية تعمير ألحان التواشي السبع بأشعار مختارة في المديح النبوي. وقد صنع مثل ذلك في تواشي قدام الأصبهان، وبسيط رصد الذيل، ورمل الماية، وقائم ونصف الحجاز المشرقي والرصد وغريبة الحسين وعراق العجم.

ومن إنجازاته أيضا تلحين أناشيد وطنية ودينية، ويحتفظ نجله محمد أمين بنحو ثلاثين منها بألحانها. ومن هذه الأناشيد نشيد جماعة الأخوة الإسلامية، ومطلعه:

بنور الوئـــام وبشرى الإخـــاء
نزف إلى المسلمين النداء

كان الورياشي يتقن العزف على آلة الأكورديون، كما كان يستخدمها في مصاحبة مرددي الأناشيد.

توفي بتطوان عام 1984.

*بطاقة خاصة.*

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الورياغلي، العياشي** من ألمع رجالات الموسيقى الأندلسية في القرن العشرين. ولد بمدينة شفشاون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والحركة الموسيقية بها - يومئذ - في أوج نشاطها، فخالط رجالها من الحفاظ والعازفين، ونهل من معارفهم حتى اعترف له بالتفوق. وعندما أقدمت "مصلحة الفنون الجميلة على افتتاح القسم العربي للموسيقى بمعهد تطوان في بداية الثلاثينيات، كان الورياغلي من بين من انتدبوا للتدريس به، فغادر مسقط رأسه، وانكب بعزيمة لا تني على تعليم الطلاب، فكان يلقنهم ميازين النوبات، ويعلمهم العزف على الرباب، ثم انتدب لرئاسة جوق الموسيقى الأندلسية الذي أحدث لأول مرة في معهد تطوان.

أخذ عنه كثير من أبناء تطوان وشفشاون، ومن هؤلاء محمد بن أحمد المريني الذي تلقى عنه مستعملات المدرسة الشفشاونية القديمة، كما لم يفت الفنان الفاسي مولاي أحمد الوكيلي - بعد حلوله بتطوان عام 1942 - أن يستفيد من خبرة المترجم في عزف الرباب، وأن يأخذ عنه بعض الصنائع الشفشاونية النادرة، ومنها صنعة "أحمد الهادي" من بسيط نوبة رمل الماية، وذلك مقابل تلقينه صنعات أخرى من مستعملات المدرسة الفاسية.

وكان المترجم من بين من استعان بهم المستشرق الإسباني أركاديو دي لاريا Arcadio De Larrea في إنجاز المدونة الموسيقية لنوبة الأصبهان، وكذا في توثيق وضبط أشعار ميازينها اعتمادا على أوراق خطية كان الورياغلي قد قيدها بخط يده كما سمعها من أفواه أساتذته القدماء العارفين بالفن.

توفي العياشي الورياغلي بتطوان يوم 17 ربيع الثاني 1375 / 2 دجنبر 1955.

ع. العزيز ابن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2، ص. 277، الدار البيضاء، 2000 ؛ حاتم الوكيلي، *الموسيقى الأندلسية من خلال مسيرة الفنان*، سلسلة المعرفة للجميع، عدد خاص، مارس، 1999، ص. 101.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الوزّاع** (ابن -) **محمد بوعمر** أحد مبعوثي السلطان مولاي عبد العزيز إلى ألمانيا في 1900 : ينحدر من مدينة الرباط، كان ضمن أفراد البعثة الطلابية التي أرسلها السلطان المولى الحسن إلى إيطاليا سنة 1887 لتعلم الفنون العسكرية. وكانت تضم - حسب أحد أعضائها وهو الحسين الزعري - واحداً وعشرين فردا، منهم محمد التدلاوي وأحمد الجبلي وكلاهما من مدينة الرباط. وقد عاد أفرادها على دفعات إلى المغرب بعد تخرجهم برتب عسكرية مختلفة من مدارس إيطاليا، ومنهم المترجم الذي تخرج برتبة ضابط من مدرسة المشاة والخيالة بمودينا. هذا ولما عزم السلطان المولى عبد العزيز على إرسال بعثة إلى ألمانيا في 1900 للتدريب على البطاريتين اللتين سبق للمخزن أن اشتراها من مصانع كروب بمدينة إيسين الألمانية، وقع اختياره علي المترجم وأيضا على رفيقيه محمد التدلاوي وأحمد الجبلي سابقي الذكر، بالإضافة إلى محمد بن عمر الرباطي، أحد أعضاء البعثة الطلابية التي أرسلها المولى الحسن للدراسة بإيطاليا في 1891، وذلك حسب ما كتب به الوزير أحمد بن موسى في رسالة طويلة منه إلى النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد الطريس في 7 مارس 1900، بشأن مرامي هذه البعثة وأسماء أعضائها، بالإضافة إلى برنامجها الكامل أثناء الذهاب والإياب، حيث يقول بعد المقدمة :

"وبعد، فقد أخبر الأمين الحاج محمد الزكاري بما كتب له به التاجر أكروب من كون بطارتي المدفع المشترتين منه

تكونان ميسرة عنده للتجريب في خامس عشر أبريل القابل الموافق خامس عشر من ذي الحجة القابل، وطلبه تعيين من يحضر من قبل جانب المخزن أعزه الله وقت تجريبهما، وأن يكون سفر المعينين لذلك قبل تاريخ التجريب بنحو عشرين يوما وأجيب بأن سيدنا أعزه الله قد عين الأربعة المذكورين طرته [محمد بن علال التدلاوي ومحمد بن عمر ومحمد بوعمر ابن الوزاع والسي أحمد الجبلي] من المتعلمين الرباطيين الذين كانوا تعلموا بإيطاليا (كذا) الواردين عليه صحبته ليتوجهوا لهذا الغرض، ويتوجه معهم أمين المستفاد بذلك الثغر الطنجي حرسه الله الطالب أحمد مدينة بقصد تصييره عليهم وعلى نفسه بعد أن يبقي نائبا عنه في المستفاد المذكور إلى أن يرجع، والكتاب لأمين المستفاد المشار إليه وجه له بطي الجواب، وبأنه إذا أراد توجيههم فليدفع لهم تقييدا ببيان ما عنده في كيفية البطاريتين وسرائرهما وسائر الآلات المتعلقة بهما بجميع ما بُين فيها ليكونوا من ذلك كله على بال عند تركيبهما، وبأن يكتب هو للتاجر أكروب صحبتهم بالتعريف بهم والمقصود من توجيههم، وهو أن يبين لهم كيفية التركيب في ذلك كله حتى يعرفوا جميع المسائل المتعلقة بالبطاريتين بأسمائها وبيان العمل فيها، ويصير ذلك لديهم ضروريا في التركيب والحل، ويكون التجريب أولا بمحضرهم ثم يباشرون التجريب بأنفسهم لتكون معرفتهم مبنية على مباشرة العمل بالفعل ثم بعد ذلك يرجعون لذلك الثغر الطنجي حرسه الله، وأما المتعلمون الأربعة فيتوجهون من ذلك الثغر الطنجي لصلة رحمهم بالرباط، والكتاب لأمناء طنجة بتزويدهم والإكراء لهم بحرا واصلين للرباط، وُجه له بطي الجواب ليدفعه للأمناء المذكورين عند توجههم ويقف معهم حتى يتوجهوا، وبأن مولانا أيده الله قد أنعم على كل واحد منهم بكسوة عمل المحصور من ملف البحر الكبير ومائة ريال صلة، ومد من القمح بمكيال الرباط، ورتب لكل واحد منهم في مؤنته اليومية ريال واحد عن ثلاثة أشهر التي هي مدة إقامتهم بالرباط والكتاب الصادر بتنفيذ ما ذكر لهم عند أمناء العدوتين وجه له بطي الجواب ليدفعه لهم بعد إيابهم من ألمانيا عند توجههم للرباط وأعلمناك لتكون على بال وعلى المحبة والسلام في 5 قعدة عام 1317".

هذا وسافرت البعثة المغربية إلى ألمانيا في 7 أبريل 1900 برفقة الوفد المغربي المتوجه لتمثيل المغرب في المعرض الدولي المنعقد بباريس حسب ما كتب به الوزير أحمد بن موسى إلى النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد الطريس في 27 أبريل 1900 بقوله :

"وبعد، وصل كتابك بالإعلام بسفر الأمينين المعينين لحضور المعرض العمومي الباريزي في 6 حجة وفي رفقتهما الأمين الطالب أحمد مدينة المعين للصائر على المتعلمين 4 المكلفين باختيار المدافع المشتراة من كروب الألماني، واصلين لبلاد جنوة ومنها في البر لبلاد ألمانيا [...] أصحبهم الله السلامة وعلى المحبة والسلام في 26 حجة 1317".

وفور وصول البعثة المغربية إلى ألمانيا، كان على أفرادها اختيار الأسلحة التي سبق للمخزن أن اشتراها من معامل كروب، كما يوضح ذلك رئيس البعثة نفسه أحمد الجبلي في مذكرته التي كتبها بالفرنسية في 1930، عندما كان معتقلا في سجن العلو بالرباط في قضية الظهير البربري، بقوله :

"وفي سنة 1900 كنت رئيس وفد عسكري مغربي عيّنني مخزن جلالة مولاي عبد العزيز بوصفي ضابط مدفعية للذهاب إلى ألمانيا عند فرديريك كروب بإيسن لكي نختبر ونقبل في مكان الإطلاق بميبن (Meppen) مدافع وذخائر كان مخزن صاحب الجلالة قد اشتراها من معمل كروب. وكانت بعثتي متركبة كما يلي : مني بوصفي ضابط مدفعية ومن ثلاثة ضباط آخرين متخرجين من مدرسة المشاة والخيالة بمودينا (إيطاليا) ومنهم : 1 - ليوتنان الخيالة محمد بنعمر الرباطي (قائد طابور البوليس الشريف بمدينة طنجة). 2 - ليوتنان المشاة السي محمد التدلاوي الرباطي، وهو اليوم مجرد فلاح ببلاد السراغنة. 3 - ليوتنان المشاة السي محمد بن الوزاع الرباطي (من أقرب أقاربي) الموجود بالبرازيل بمدينة ساو باولو منذ 1902. 4 - أمين صائر الوفد المسمى السي أحمد مدينة التطواني".

ولا نعرف على وجه التحديد ما آل إليه مصير المترجم، بعد عودة البعثة المغربية من ألمانيا، سوى ما أخبرنا في السابق أحد أقاربه وهو أحمد الجبلي، من أنه غادر المغرب إلى مدينة ساو باولو بالبرازيل منذ 1902.

*وثائق تطوان*، مح. 26 : 107، مح. 26 : 125 ؛ مصطفى بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، ص. 1387 - 1396 ؛ محمد المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 1، ص. 178 - 188 ؛ بهيجة سيمو، *العلاقات المغربية الايطالية*، 1869 - 1912، ص. 402 - 415، الدار البيضاء، 2003.

احمن ميلود

**وزان** (جغرافيا -) تقع مدينة وزان شمال المغرب على بعد 70 كم من المحيط و 130 كم من البحر الأبيض المتوسط في مجال طبيعي ساهم في تأسيس قوة حضارتها المدينية وهو الآن يقوم بدور معاكس بتكريس أفول إشعاعها.

وزان معلمة تاريخية تستمد جذورها من أعماق التاريخ، وقد ساهمت بشكل بارز في الإشعاع الثقافي للدولة المغربية، رغم تعاقب الممالك ورغم تقلبات التاريخ، كحاضرة إسلامية لها نفوذ ديني واقتصادي وعلمي.

إلا أن المدينة ستعرف بعض التراجع على عدة مستويات، ولم يعد تاريخها الأصيل ينعشها كما لم تعد مؤهلاتها تكفيها لمسايرة التطور الاقتصادي والاجتماعي ومتطلبات التمدين الصحيح.

مدينة وزان في محيطها الطبيعي :

تقع المدينة عند حضيض السفح الشمالي لجبل بوهلال

(609 م) إحدى المرتفعات البارزة في منطقة يغلب على تضاريسها الطابع التلي. موقعها هذا هو عبارة عن ظليل مختار يستفيد من الرطوبة الجوية إضافة إلى تعرضه الإيجابي للمؤثرات المحيطية، حيث يتساقط على المدينة 800 مم تساهم فيها القيمات الأكثر من 1000 مم بتواتر منتظم، وتكون التساقطات الشهرية في متوسطها كافية وموزعة بطريقة منتظمة على شهور فصول الإنبات.

يستفيد هذا الموقع من سهولة المواصلات، ومن بعض المنابع المائية وكذا من إشرافه على المنطقة من عل وعلى مدى واسع لبعد النظر بحكم الوظيفة الأصلية التي أوكلت للمدن في مراقبة المحيط والمسالك.

يتكون جبل بوهلال من طبقات صخرية حثية كاربوناتية تنتمي إلى النوميليتي (الزمن الثالث) والتي ترتكز بتقعر بنائي، وفي غير توافق طبقي بحكم زحفها، على طبقات من الصلصال الكريتاسي والميوسيني المتنوعة التي تشكل أرضية غير نافذة توفر نوعا من الموارد المائية الباطنية للمدينة. وعلى سفوح الجبل نشأت فوق الاستسطاحات الحثية الكلسية تربة تمتاز بسمكها موروثة عن مناخ الزمن الرابع القديم أنبتت غطاء نباتيا طبيعيا كثيفا ساهم بدوره في الحفاظ على التوازن والاستقرار البيئيين، إلى أن شرع في استغلال أشجار الزيتون البري، أحد العناصر الشجرية المكونة للغطاء، بتطعيمه وتحويله إلى زيتون مثمر. وهكذا ازدهرت غراسة الزيتون التي كانت منذ القديم أهم الموارد الاقتصادية للمدينة، وأهم منشط اقتصادي يشمل تصنيع الزيوت وتسويقها. إلا أن التدهور الحالي للزياتين، أضاف إلى معوقات تنمية المدينة الكثيرة معاناة أخرى مصدرها تدهور البيئة في المحيط الاقتصادي.

يتسم محيط المدينة بنوع من الاستقرار والتعايش المتكافئ بين الإنسان وبيئته. التلال رغم طبيعتها الصلصالية وضعف قدرتها على اختزان المياه المتساقطة الوفيرة مكسوة بأنواع من الأتربة التي توفر مؤهلات زراعية مناسبة تجاورها العديد من أراضي الأيك أو حتى الغابوية التي لازالت ناحية مصمودة ومزفرون الواقعة على بعد 9 كلم من المدينة تحتوي على غابة سنديان فليني بديعة تتوفر على تشكيلة كاملة وعلى وحيش وفير كشاهد على الاستقرار البيئي وتنوعه.

إذا كان الجفاف قد خلف في المنطقة آثارا لا تقل عما هو سائد في باقي تلال مقدمة الريف، فإن الآفة الكبرى كانت حين استنزفت الأرض وغطاؤها النباتي ولم يسلم منها حتى ما تم تشجيره في إطار برنامج الديرو بذريعة الجفاف أحيانا وبذريعة الفقر أحيانا أخرى، ولكن السبب الحقيقي هو انعدام التنظيم وبرامج تهيئة مجال كفيلة بتقوية المواد القروية ومعها مؤهلات المدينة، وتجنيب السكان فقرا آخر حينما يتحولون إلى حضريين في وزان.

ويعود تأسيس المدينة وزان إلى العهد الروماني حيث كانت تعرف بـ "بابا جوليا كامبيستيديس". أما اسمها الحالي فقد اتفق على أنه لاتيني بتفخيم واو الكلمة، ويعود أصله إلى أن أحد أباطرة الرومان أطلق عليها اسم ولي عهده الذي كان يعرف بهذا الاسم. في المجال الاقتصادي وحسب المصادر التاريخية، من المرجح أن تكون المدينة قد لعبت دوراً هاماً كحلقة وصل بين قطبي موريطانيا الطنجية، طنجة في الشمال ووليلي في الجنوب.

كانت المدينة في العهد الروماني تستغل موارد محيطها الذي ازدهرت فيه غراسة الزيتون التي ساهمت في الإشعاع التجاري للمدينة، حيث اكتسب السكان رصيدا هاما من المهارات الزراعية والتحويلية للزيتون وكذلك التجارية، علما بأن التبادل بفعل الارتباط مع الرومان كان يتعدى الحدود المحلية. إلا أن هذا الإشعاع بالرجوع إلى القرائن التاريخية لم يكن وليد دينامية وزان لوحدها وإنما كان مرتبطا بأسجن التي تبعد شمالا بـ 9 كيلومترات عن وزان والتي لم تكن إلا مجرد فلك يدور حولها. حاضرة أسجن كانت أكثرها شهرة وأهمها استقطابا للسكان ولممارسي التجارة، خاصة اليهود منهم وحتى رجال الدين المسلمين أنفسهم كانوا يستقرون بها، من ضمنهم أبو عمران دفين القرية. دور أسجن كذلك ارتبط بالحركة الدينية اليهودية التي يوجد بها دفين بأحد مزاراتها الهامة الذي كان يقام له موسم في ربيع كل سنة بالقرب من المقبرة اليهودية المسيحية والتي يوجد بابها على يمين المسلك المؤدي إلى مدشر أسجن.

خفت صيت وزان بعد أفول إمارة الرومان على موريطانيا الطنجية، ولم يبدأ تاريخها المدون فعليا إلا بعدما شيدت بها إحدى أهم الزوايا المغربية، دار الضمانة. وتروي المراجع التاريخية أن الإشعاع الديني لمدينة وزان بدأ في عهد موسى بن نصير، حين بنيت مأذنة المسجد الكبير، كما يذكر أن مولاي بوسلهام كان قد استقر بها وجعل من داره رباطا للصلحاء. ثم أخذت المنطقة تتطور مع العصور إلى أن انتقل المولى عبد الله الشريف إلى المدينة وأسس بها زاوية في عهد السعديين سنة 1012 أيام زيدان بن أحمد المنصور السعدي.

كان المولى عبد الله الشريف يقيم في رباطة صغيرة تدعى الميقال في الجانب الغربي الحالي للمدينة، ثم انتقل إلى المدينة التي كانت توفر بعض المرافق العمرانية التي تساعده على القيام بدوره الديني. وهكذا، ومن نتائج توارث التنظيم والقوة، بدأت مدينة وزان تحجب تدريجيا دور الريادة الذي كان لأسجن، والتي كانت تأوي القاضي والحاكم إلى جانب امتلاكها لدواليب النشاط التجاري الهام الذي كانت تقوم به الطائفة اليهودية والذي نقلته إلى مدينة وزان واستمرت في ممارسته إلى حدود السنوات الأولى من الاستقلال.

لعبت دار الضمانة دوراً هاماً في استقطاب السكان سواء لاستقرارهم الدائم بما أوتوا من إمكانات وحسن تدبير فلاحي وتجاري، أو لزيارتهم الموسمية خلال فصل الخريف لتنشيط

الموسم الديني الذي يصادف موسم جني وتسويق وعصر الزيتون، مع العلم أن الزيارة غالبا ما كانت ترفق بهبات ووقف للممتلكات وبنفقات إقامة تقوي الزاوية والمدينة معها. وهكذا وبتراكم ما حصلت عليه الزاوية ستصبح أكبر مالك زراعي على الإطلاق. وقد منحتها هذه الصفة قوة سياسية كانت تارة سببا في المتاعب وتارة أخرى مصدر سلطة. المتاعب أتت من جراء ما كانت تتعرض له من هجمات تشنها عليها القبائل المجاورة المناهضة للشرفاء الوزانيين خاصة قبيلة بني مستارة المتمثلة في تروال وسيدي بوصبر وسيدي رضوان. وعندما كان الاستقرار يعود للمدينة وناحيتها، تنشر قوة نفوذها بإحكام لدرجة أنها كانت تمارس ضغوطا على سلطة المخزن حيث تعوضه في ضمان حماية القبائل والفصل في النزاعات القائمة على الحدود أو الموارد المائية.

لم يخف الدور الريادي للزاوية عن منظري الحماية الفرنسية الذين سيسخرونه لصالح المستعمر. فقد أوكلوا إليها دور الحكم واستغلوا قوتها في إخماد بعض الحركات المناوئة لسياستهم في التهدئة مقابل اقتطاع المزيد من الأراضي لصالحهما معا، وموافقة الزاوية على نزع ملكيات دون ملكياتها لإقامة المرافق الخاصة بإدارة الاستعمار. كما فرضت سلطة الحماية غراسة الزيتون على السكان التي كانت الزاوية تستخلص منه نصيبها الواجب عرفا.

وتتجلى مراحل التمدين في وزان واضحة في ثلاثية الأنماط المعمارية المتمثلة في المدينة العتيقة والمدينة الأوروبية والأحياء العشوائية. نمت مدينة وزان قبل الحماية في موقعها اللصيق بسفح الجبل واستمر التوسع حول الجامع والزاوية بنفس الطريقة التقليدية التي كانت تشيد بها المدن المغربية، مع مراعاة التنظيم المجالي بين حرف الصناعة التقليدية التي يسودها الدرازون بحايك وزان الشهير حول الضريح والجامع، والأنشطة المرتبطة بالزيوت من تجميع وتسويق وعصر في الأحياء المحيطة.

أما في فترة الحماية فإن التعمير شمل أسفل السفح حيث يوجد منبسط واسع نسبيا أنشئت فيه المرافق التي ما زالت إلى الآن تحتفظ بهياكلها ووظيفتها. بعض من هذه البنايات مثل الشؤون المحلية (دار الشباب الحالية) شيدت لصيقة ببنايات المدينة لمراقبة المنفذ الوحيد نحو الغرب والسوق الأسبوعي ومحطة الطرق في نفس الوقت.

في فترة الاستقلال نشأت في نفس هذا الحي بعض المرافق الأخرى دون أن تأتي بتغيير جذري على النسيج الحضري الذي استقر على حاله إلى الآن، باستثناء بعض التجزئات على الطريق نحو مدينة الشاون وآثار التوسع العشوائي الذي اتخذ له نواة قديمة في حي القشريين شمال غرب المدينة العتيقة وعلى منأى منها. وهكذا تبدو وزان وكأنها جمدت لحظيا صورتها في المجال والزمان. وكسائر المدن المغربية كانت لها بعد الاستقلال وظيفة عفوية إلزامية هي استقطاب موجات الهجرة القروية على علة ما كانت تقدمه من خدمات قابلة لإغراء ثم استيعاب الوافدين. وهكذا فإن النمو الديموغرافي لوزان سيتأثر إلى حدود الثلثين بالنازحين خاصة في عقد الستينيات. من خلال الجدول التالي ويظهر أن النمو الديموغرافي تضاعف خلال 30 سنة أي بوتيرة سنوية تزيد عن 3.3٪.

| السنوات | 1960 | 1971 | 1982 | 1992 |
|---|---|---|---|---|
| عدد السكان | 24929 | 33267 | 40485 | 52168 |

ومن المؤشرات الاجتماعية الهامة بمدينة وزان نذكر نسبة الأمية التي تتجاوز 39٪ و53٪ عند الإناث، ونسبة البطالة الممثلة بـ 22.4٪. كلاهما له ارتباط بالفقر المقرون هو بدوره بالنزوح إلى المدينة في ظروف غير مهيكلة يسودها التجاوز الدائم بين توفير المرافق الاجتماعية والنمو الديموغرافي. كانت مدينة وزان إلى عهد قريب مدينة للقارئين وللمتنافسين في حفظ شتى أنواع الشعر والزجل والموشح والمديح. كان مديح وزان وبردته يرددان في كل المدن العلمية المغربية وعلى رأسها فاس. أما الآن فإن الثقافة انصهرت في الأمية، إذ من المطالب الأساسية لساكنة وزان المعبر عنها غير ما مرة إحياء مجدها الثقافي.

ومؤشر سوسيو اقتصادي آخر يشد الانتباه في مدينة وزان ويتعلق بالسكن. النوع السائد هو ما يسمى بالمغربي والذي يضم ضمن خاناته مجموعة من المواصفات ليس لها بالضرورة تعبير عن الأصالة المغربية، وإنما هي إشارة للتدهور والتفقير كاقتسام الدور العتيقة المعروفة بفساحة أرجائها واللجوء إلى أصناف السكن الضيق بما فيه السكن العشوائي.

هذا السكن غير المهيكل يعوض في الغالب السكن غير اللائق الذي لا يمثل إلا نسبة 6.54 ٪ كتعبير ربما على توفر الصنف الأول الذي انتشر في كل مكان.

وامتلاك السكن من الأهداف الأساسية لساكنة المدن الصغيرة بالمغرب لما له من حمولة مجتمعية تقي من الدونية وعواقبها النفسية والعائلية أحيانا. والحديث عن السكن هو الموضوع الأهم الذي يشحن الأذهان، وامتلاكه هو الذي يعطي الحق في الكلام.

62٪ من السكان هم مالكون، وليس من الضروري أن تكون الجودة من الأولويات حيث إن حجم المساكن بشكل عام تمثل فيه المنازل الصغرى من غرفة واحدة إلى غرفتين 58٪، وإذا أضيفت لهذه النسبة فئة 3 غرف فإن 80٪ من سكنى وزان تحتوي على 3 غرف وأقل.

ورغم الضعف فإن مظاهر المدينة والتحضر اللذين يسودان في وزان لم يغيبا عن العناية بالتجهيزات الصحية

الأساسية التي تتوفر بنسبة 96٪ كنسبة مرتفعة بالمقارنة مع مدن من نفس الحجم.

اشتهرت وزان بأنها كانت تعيش على مؤهلاتها طيلة فترات ازدهارها وعلى تنظيم مجالي تحركه بما كنزته من حسن الأداء في مجال التدبير الاقتصادي. إلا أن القرار الإداري القاضي بربطها بإقليم سيدي قاسم سرع من وتيرة بتر جزء مما تبقى لها من رصيد المؤهلات في مجالها الحيوي الشمالي. وتعددت إكراهات التنمية التي يمكن حصرها في الأنشطة الاقتصادية للمدينة من جهة في إطار الدينامية الذاتية المتعلقة بآليات راسخة أكسبها إياها مجد التاريخ، وفي الدينامية الخارجية من جهة أخرى حين نعلم أن تمركز القرار الاقتصادي المغربي وبناءه على القرار الإقليمي فرض نوعا من الخلل في التوازن بين أطراف الإقليم الواحد.

وفي ميدان المؤهلات الفلاحية يلاحظ أن توارث رصيد الشرفاء على مرور التاريخ صاحبه ظهور وضعية عقارية يسودها نظام الاستغلال غير المباشر بعدما ابتعد المالكون الأصليون للأرض والشجر وقاموا بتوكيل أُجَرَاءَ لم تعد الصيانة والمحافظة تشكلان همهم الأساسي في نظام الاستغلال غير المباشر الذي يَشوبه انعدام العدالة كمنطلق وكمنتهى. وفي ميدان التراث، أبرزت الدراسات مدى الإهمال الذي يعاني منه قطاع الصناعة التقليدية لدرجة أن شبكات التسويق المنظمة قد تفككت. نفس التردي طال المعالم العمرانية والثقافية التي كانت تطبع وزان بوقار دار الضمانة.

ففي المدن الصغيرة، مثل وزان تنشأ العديد من المرافق ولكنها سرعان ما تتجاوز، وكذلك الشأن بالنسبة للماء الشروب الذي دام لمدة عقدين معضلة المدينة إلى أن تم التزويد بمياه سد وادي المخازن ومسابر بلاد بوعگبة، ولكن التجاوز قد حصل من جديد.

فالمدينة نموذج لمدينة أصبحت العزلة فيها تغذي اللامبالاة والإهمال والانغلاق. وهي نموذج كذلك لمدينة لا تتوفر على مركبات وظيفية حقيقية تقوم بدورها في دينامية المكونات الاقتصادية.

*معلمة المغرب*، ج 1 ؛ محمد الشريف الطاهري الحسني : عن *تحفة الإخوان في بعض مناقب شرفاء وزان*، مديرية التخطيط والتوقعات الاقتصادية.

محمد رحو

**وزان** (تاريخ –) ارتبط اسم مدينة وزان التي تقع عند ملتقى بلاد جبالة وسهل الغرب بالزاوية التي تنسب إليها، والتي أسسها خلال النصف الأول من القرن السابع عشر الشريف العلمي مولاي عبد الله بن إبراهيم (ت. 1678). وقد اختار مؤسس الزاوية مكان استقراره عند نقطة التقاء قبائل بني مستارة ورهونة ومصمودة وعند سفوح جبال الريف الغربي، وهو ما أضفى على الموقع أهمية استراتيجية قصوى جعلت الدولة العلوية الناشئة تعقد تحالفا ضمنيا مع الشرفاء الوزانيين لتستفيد من نفوذهم لدى قبائل جبلية كثيراً ما استعصى إخضاعها من طرف المخزن.

وعند استقرار مولاي عبد الله الشريف عند سفح جبل بوهلال لم تكن وزان آنذاك سوى قرية متواضعة، وبقيت كذلك خلال حياة الشيخ المؤسس. لكن اتساع نفوذ الزاوية وإقبال المريدين والزُّوار أدى مع مرور الزمن إلى تبلور نواة مدينة أصبحت تتوفر على مؤسسات دينية من زاوية وجامع بالإضافة إلى سوق نشيطة في شكل قيسارية. وظهرت معالم المدينة بوضوح في عهد الشيخ الرابع، مولاي الطيب (ت. 1767). وقد تزامن عهد هذا الشيخ مع فترة الاضطرابات التي تلت وفاة المولى إسماعيل (1727)، وهو ما جعل العديد من تجار المدن الأخرى كفاس وأعيان القبائل الحريصين على تأمين ذويهم وأموالهم داخل حرم الزاوية يتقاطرون على وزان. وإلى هذا الشيخ يعود الفضل في بناء الجامع الكبير ومدرسته، وعدد من الفنادق التي أصبحت مأوى للتجار والمسافرين.

توسعت المدينة بشكل أكبر خلال مشيخة سيدي علي بن أحمد (ت. 1811) الذي طور الحركة التجارية بالمدينة عن طريق استقدامه لليهود والسماح لهم بسكنى مدينة عرفت بقدسيتها وبكونها "دار الضمانة"، أي أنها تضمن الجنة لكل من جعل نفسه في خدمتها وتحت حمايتها. لكن إقامة اليهود بالمدينة بقيت خاضعة لعدد من القيود، منها أن سكناهم تكون ببعض الفنادق المعينة لهم، ومنها أنه لا يحق لهم بناء أو تملك دور فوق أراض اعتُبرت ملكاً للشرفاء. وبقيت هذه القيود سارية المفعول إلى نهاية القرن التاسع عشر، عندما دخل العديد من اليهود تحت الحماية القنصلية الأوربية، فاستطاعوا بفضلها التخلص التدريجي من وضعية الذمة التي كانت سارية عليهم، ومن القيود التي ألزمهم بها الشرفاء الوزانيون. وبعد أن دخل شيخ الزاوية نفسه تحت مظلة الحماية الفرنسية في سنة 1883 أصبح بإمكان الأثرياء من بين اليهود أن يبنوا دوراً خاصة مستقلة عن الفنادق المخصصة لسكناهم أصلاً.

ومما ساعد على نموّ المدينة كذلك توافد سكان القبائل المجاورة لها للتزوّد بمنتوجاتها الحرفية كالأثواب الصوفية والمواد الجلدية والحديدية. كما أن سوقها الأسبوعي المعروف بسوق الخميس كان يوفر العديد من البضائع المجلوبة من مدن أخرى كفاس، أو من أوربا عبر المدن الشمالية، كالشاي والسكر، والأثواب القطنية، ولوازم تحضير الشاي من كؤوس وصواني وأباريق وغيرها. وفي المقابل كان سكان القبائل يزودون المدينة بالمنتوجات الزراعية كالزيت والتين وشتى أنوع الفواكه. وفي نفس الوقت طورت المدينة عدداً من الصناعات المحلية كصناعة الحديد بحومة الحدادين المعروفة، ودباغة الجلود، وصناعة المنسوجات الصوفية التي اكتسبت شهرة في كل مناطق البلاد. كما عرفت المدينة صناعة "الصابون البلدي"، وإنتاج البارود والأسلحة التقليدية قبل أن ينتشر

استعمال السلاح الأوربي المتطور عند نهاية القرن التاسع عشر، والذي أدى إلى اندثار صناعة البارود. كما اشتهرت وزان بإنتاج غبرة الطابة التي كانت تجد طريقها إلى مجموع أنحاء البلاد.

إلا أن المصدر الأساسي للثروة بالمدينة كان يتمثل في الأراضي الزراعية الشاسعة التي تملكها شرفاء وزان في المناطق المجاورة، وخاصة في منطقة الغرب الغنية. والكثير من هذه الأراضي أصبحت ملكاً للشرفاء عن طريق الإهداء والوقف، أو التفويت من طرف المخزن. كما أن السلاطين العلويين، وحتى يضمنوا ولاء الشرفاء الوزانيين، منحوهم امتياز استخلاص الزكوات والأعشار من العديد من المداشر بناحية الغرب، وهي المداشر التي أصبحت تعرف بـ "عزبان الزاوية".

وطوال تاريخ المدينة تمتع الشرفاء الوزانيون بامتيازات هامة منحتها لهم الدولة، كان أبرزها اعتبار الزاوية ومحيطها حرماً لا تتدخل فيه الإدارة المخزنية على الأقل بشكل مباشر. وكانت درجة تشدد الدولة بخصوص هذا الامتياز تختلف من سلطان إلى آخر. وهكذا منح السلطان سيدي محمد بن عبد الله لشيخ الزاوية الوزانية صلاحيات واسعة فيما يتعلق بإدارة شؤون المدينة ونواحيها. أما المولى سليمان الذي جاء بعده فقد سعى إلى تقليص هذه الامتيازات، واعتبر أن مدينة وزان هي "بلد بالمغرب" يجري عليه ما يجري على غيره. وعندما وصل مولاي عبد الرحمان بن هشام إلى الحكم في سنة 1822 حاول أن يعتمد على نفوذ الوزانيين بالجزائر وتوات ليعزز موقف الدولة في وجه الأطماع التوسعية الفرنسية. وهكذا منح شيخ الزاوية سيدي العربي بن علي، امتيازات هامة تمثلت على الخصوص في الاستفادة من تركات المنقطعين المنحدرين من منطقة توات. أما فيما يتعلق بالوجود المخزني بالمدينة، فقد حاول مولاي عبد الرحمان ومن جاء بعده أن يوفقوا بين تطلعات الشرفاء إلى التمتع بنوع من الاستقلال ورغبة المخزن في تأكيد حضوره بالمدينة. وإذا كان مولاي عبد الرحمان قد سمح لشرفاء وزان بجمع مسؤوليتي نقابة الأشراف والأحكام المخزنية في آن واحد، فإن من جاء بعده سلك مسلكاً مختلفاً. وهكذا كانت مدينة وزان عند نهاية القرن التاسع عشر تتوفر على نظام إداري مزدوج يتكون من نقيب يتولى شؤون الشرفاء، وقائد مخزني مكلف بالنظر في أمور العامة.

واستمر هذا الوضع إلى حدود سنة 1920 عندما احتلت القوات الفرنسية المدينة فجعلت منها بلدية ومركزاً إدارياً للمناطق المجاورة كالغرب وقبائل جبالة السفلى الواقعة ضمن الحماية الفرنسية. وإذا كانت السلطات الفرنسية قد أشركت الشرفاء، في تسيير شؤون المدينة لبعض الوقت، فإنها عينت في سنة 1937 أحد أعيان قبيلة بني مستارة المجاورة في منصب باشا المدينة، وهو إجراء ساهم في تهميش الشرفاء وربط المدينة بمحيطها القروي. لكن مدينة وزان لم تشهد خلال فترة الحماية الفرنسية أي نمو صناعي يُذكر، وبالتالي فإنها لم تستقطب هجرة قروية مهمة، عكس مدن الغرب كالقنيطرة. وهكذا فإنَّ عدد السكان لم يزد بشكل كبير بين سنة 1920 حين كان عددهم يقدر بـ 11.000 نسمة، وسنة 1940، عندما ناهز 16.500 نسمة (من بينهم حوالي 1.600 من اليهود، وأقل من 500 من الأوربيين، وفي سنة 1944 بلغ سكان المدينة حوالي 52.000 نسمة، وهو رقم يعكس زيادة واضحة في الهجرة القروية. أما من الناحية الإدارية فإن مدينة وزان كانت تابعة لإقليم القنيطرة قبل أن تُلحق بإقليم سيدي قاسم.

حمدون الطاهري، *تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان*، فاس. 1324 / 1906 ـ 1907 ؛ محمد بن حمزة المكناسي، *الكوكب الأسعد في ذكر مناقب مولانا علي بن أحمد*، فاس، 1324 / 1906 ـ 1907.

E. Michaux-Bellaire, La maison d'Ouezzane, *Revue du Monde Musulman, 1908, p. 23 - 89.*

محمد المنصور

**الوزان، الحسن** بن **محمد** المعروف بليون الإفريقي من جغرافيي المغرب، ورحاليه، اشتهر باسم ليون الإفريقي، وبمؤلفه الجغرافي "*وصف إفريقيا*".

ولد بمدينة غرناطة، وإن كانت أسرته تنتمي إلى قبيلة بني زيات الزناتية في بلاد غمارة، وانتقل مع أسرته وهو صغير إلى مدينة فاس، وبها نشأ، والتحق بجامع القرويين، وأخذ عن علمائه وشيوخه، فعمل عدلا وحيسوبيا كمحصل لواجبات بيت المال، وانتظم في سلك رجال الدولة بعد أن قربه سلطان فاس محمد الوطاسي المعروف بالبرتغالي، فزار مدنا عديدة في إطار مهمته السياسية وتعرف إلى مناطق كثيرة، إضافة إلى رحلاته مع والده في أيام شبيبته، ولعل تلك الرحلات جذرت في ذاكرته حب الاستكشاف الجغرافي للحواضر والقرى منذ صغره وعلى تجميع معلومات عن المناطق التي زارها في المغرب وغيره من البلاد المشرقية ومنها تونس والقسطنطينية والحجاز والسودان و غيرها، ومن ثم كان مؤلفه الجغرافي الهام "*وصف إفريقيا*" وقسمه إلى أربعة أقسام : "مملكة مراكش، مملكة فاس، مملكة تلمسان، مملكة بجاية وتونس" إضافة إلى مناطق أخرى هي بلاد الجريد والصحراء وبلاد السودان ومصر.

وأثناء عودته من تونس سنة 926 في إحدى رحلاته، وقع الحسن الوزان أسيرا في يد قراصنة إيطاليين، فأخذوه إلى نابولي وقدموه هدية إلى البابا جان ليون العاشر، وكان مهتما بالعلوم والآداب، فرحب به وقربه، خاصة وقد لمس فيه ذكاء وقادا، ووجد عنده علماً وفكراً، فعمل أستاذا للغة العربية لرجال الكنيسة في روما ونابولي، وألف كتبا باللغة الإيطالية في التاريخ والجغرافيا واللغة، وإن كان أغلبها قد ضاع، وسلم منها :

*معجم عربي عبري لاتيني* : ألفه الوزان للطبيب اليهودي يعقوب بن شمعون، وهو مخطوط بمكتبة الأسكوريال بإسبانيا.

*كتاب في التراجم* : باللاتينية، عرف فيه بثلاثين شخصية من فلاسفة العرب وأطبائهم، وانتهى من تأليفه سنة 933، ونشر في زوريخ سنة 1664.

*وصف إفريقيا* : وهو القسم الثالث من كتاب الجغرافيا العامة الذي ألفه باللغة العربية بعد أن ضاع الجزآن الأول والثاني، تمّ نقله إلى اللغة الإيطالية واعتمده في مؤلفه "*وصف إفريقيا*" الذي كتبه باللغة الإيطالية سنة 933 / 1526 بمدينة روما، مشيراً إلى أنه اعتمد على مشاهداته ورحلاته في الوصف وعلى خبراته الذاتية، والكتاب سجل وصفي دقيق للبلدان والجبال والأنهار والحيوانات، وما يوجد في كل منطقة من المعادن والخيرات الفلاحية وغيرها.

وقد نشر الكتاب أول الأمر بمدينة البندقية سنة 1550، وترجم إلى اللغة اللاتينية، ونشر في بلجيكا سنة 1556 ثم في زوريخ سنة 1632 ، كما ترجم إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وأخيراً إلى اللغة العربية.

وقد نقل الكتاب إلى اللغة العربية الأستاذان محمد حجي ومحمد الأخضر عن الترجمة الفرنسية التي أنجزها الطبيب الفرنسي إيبولار سنة 1949، ونشرها معهد الدراسات العليا بالرباط سنة 1956 في جزأين، وصدرت الترجمة في جزأين وفي طبعتين، الأولى سنة 1981، والثانية سنة 1983 عن دار الغرب الإسلامي، ببيروت. وكانت قد صدرت طبعة أخرى بالرياض أنجزها الأستاذ عبد الرحمن حميدة، سنة 1979 وصفها الأستاذ حجي بأنها "مفجعة".

وقد أشارت كثير من المصادر إلى تنصره وتسميته بليون الأفريقي أو يوحنا الأسد الغرناطي، لكن مقدمة الترجمة أفادت بأنه تظاهر بالتمسح تستّراً لكي يعيش في البيئة المسيحية بأمان، وأكد المترجمان أن "استمرار إسلامه وثبات عقيدته طوال السنين الثلاثين التي قضاها أسيرا في إيطاليا" تأكد من خلال مؤلفه "*وصف إفريقيا*" في الفقرات التي كان يتحدث فيها عن الإسلام وعن الشريعة الإسلامية.

وتشير المصادر إلى أن الحسن الوزان اختفى من روما في ظروف غامضة حوالي سنة 957 / 1550، ورحل إلى تونس ليعود إلى حياته الإسلامية الأولى، ومن ثم انقطعت أخباره، فلا يعرف أعاد إلى وطنه فاس أم بقي في تونس.

توفي سنة 957.

الحسن الوزان، *مقدمة وصف إفريقيا*، كتبها م. حجي، ط 2 : 1983؛ م. المهدي الحجوي، *مقالات عن الحسن الوزان*، أوردها سعيد حجي في مجلة "*المغرب*" دجنبر، 1934، يناير ـ أبريل، 1935 ؛ ع. رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، 3 : 292 ؛ المختار السوسي، *إيليغ*، ص. 210 ؛ ش. عطا الله الجمل، مجلة *المناهل المغربية*، مارس، 1975 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 23 ـ 26، 2 : 348 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3: 148 ؛ الزركلي، *الأعلام*، ط 7، 2 : 217.

نجاة المريني

**الوزاني** ، فرع من أسرة الوزانيين في الرباط الذين هاجروا من وزان إلى الرباط خلال القرن الثامن عشر، وبرز من هذه الأسرة الشريفة علماء أجلاء، ودارهم بالرباط معروفة باسم دار الضمانة، وهي زاوية أو شبه زاوية مقصودة من طرف الكثير من الناس الملتمسين التبرك والعلم من علمائها وصلحائها.

عبد الإله الفاسي

**الوزاني، إبراهيم** بن **عبد الله** بن عبد الجليل الوزاني، من الرعيل الأول للحركة الوطنية المغربية، وأحد البارزين إبان تأسيسها، اشتهر بالجرأة والإقدام والجلد.

ولد بمدينة تازة سنة 1914 ، وتلقى تعليمه بها على يد خاله وبعض علماء المدينة، ثم التحق بجامع القرويين بفاس. وبهذه المدينة برزت ميوله الوطنية. فقد كان من أشد معارضي ما عرف باسم السياسة البربرية للحماية الفرنسية. وكان وراء أول منشور يندد بها في الذكرى الأولى لصدور ظهير 16 ماي 1930 . كما كان وراء توزيع منشور ثان في الذكرى الثانية لمظاهرة فاس، يوليوز 1932، حيث ألقي عليه القبض وهو يوزع ذلك المنشور الذي يدعو إلى التضحية والإخلاص والصبر والأناة، للسير في طريق الجهاد والكفاح إلى النهاية. فتعرض بسبب ذلك إلى أنواع من التعذيب، على يد الباشا ابن البغدادي، وجلد بألف سوط، دون أن ينال ذلك منه أو يجعله يقر بالمتعاونين معه حول المنشور. ولما تسرب خبر تعذيبه المبرح، كاتب الوطنيون صديقهم في باريس الاشتراكي الفرنسي روبير جان لونگي، الذي نظم حملة صحفية ضد سياسة فرنسا بالمغرب وضد عمليات الجلد بالسياط، التي تعود إلى القرون الوسطى، في صحافة اليسار الفرنسي، وخاصة في مجلة "*مغرب*"، كما بعث الوطنيون برقيات احتجاج إلى رئيس الحكومة الفرنسية، ووزير الخارجية، يستنكرون فيها ما جرى لإبراهيم الوزاني. وبسبب هذه الحملة أسرعت سلطات الحماية بمحاكمته، وأصدرت في حقه ثلاثة أشهر سجنا، ثم نفته إلى مسقط رأسه تازة.

وفي مدينة تازة استمر إبراهيم الوزاني مخلصا لتوجهه الوطني، فأسس أول مدرسة حرة بالمدينة، جلب إليها مدرسين من جامع القرويين بفاس، لنشر التعليم والوعي الوطني، وأسس "جمعية المحافظين على القرآن"، كما كان وراء تنظيم مظاهرة كبرى، قادته على إثرها سلطات الحماية إلى سجن العدير.

كان إبراهيم الوزاني، من مسيري الخلايا السرية لكتلة العمل الوطني، استقطب إليها العديد من الشبان، كما أثر بتوجهه في العديد منهم. ولما انقسمت الكتلة سنة 1937 كان من المقتنعين بأطروحة محمد بن الحسن الوزاني والمنضمين إليه، ومن الذين أقنعوا العديد من الشبان بالانضمام إلى "الحركة القومية"، التي أصبح أحد قادتها. كما كان ينوب

عن محمد بن الحسن الوزاني في بعض الاجتماعات الوطنية الساعية إلى رأب صدع الكتلة. وفي مظاهرات فاس الاحتجاجية ضد اعتقال زعامة "الحزب الوطني لتحقيق المطالب"، خريف سنة 1937، لعب إبراهيم الوزاني دوراً كبيراً، حيث خطب في التجمعات بالقرويين وغيرها وقاد المظاهرات في الشوارع، وكان إلى جانب محمد القري - بعد اعتقال من تبقى من قيادات الحزب الوطني - أبرز رجال حركة الاحتجاج. ولما اشتدت حركة القمع والاعتقال والنفي إثر تلك الأحداث، استطاع إبراهيم الوزاني التسلل إلى المنطقة الخليفية متنكرا في لباس امرأة، وجدد هناك كفاحه الوطني بصيغ أخرى. إذ ما أن استقر بتطوان، حتى أسس "مكتب الدفاع الوطني"، وأعلن مناصرته لألمانيا ودول المحور، كما أصدر باسم ذلك المكتب، صحيفة أسبوعية سماها : *"الدستور"* (جريدة عربية قومية سياسية إخبارية)، بثلاث لغات هي : العربية والاسبانية والفرنسية، هدفت إلى التعريف بوضع المغرب لدى العالم الإسلامي وأوربا، والدفاع عن القضية المغربية، وفضح نوايا الاستعمار الفرنسي وفظائعه.

ومن أنشطته بالمنطقة الخليفية، مساهمته في إعداد الترتيبات لبعثة مولاي الحسن بن المهدي الطلابية، التي وجهت إلى القاهرة، بإشراف الشيخ المكي الناصري. وكذلك محاولته الشخصية لإرسال بعثة طلابية إلى العراق لولا اندلاع الحرب العالمية الثانية. وقد ناصر إبراهيم الوزاني ألمانيا ودول المحور، نكاية بفرنسا، وبعث برقية إلى هتلر طالبا منه مساعدة الحركة الوطنية ضد الفرنسيين. وكانت إذاعات تطوان وإشبيلية وروما وبرلين تغطي أنشطته، مثل غيره من مناصري المحور. ويوم دخول الجيوش الألمانية باريس، نظم مظاهرة بتطوان حمل فيها نعش فرنسا، وجاب به شوارع المدينة في اتجاه سفارة ألمانيا، حيث نظم للمتظاهرين استقبال كبير. وقد حرض في أنشطته على استمرار الارتباط بالمنطقة السلطانية، فراسل العديد من الشبان للمشاركة في البعثات الدراسية إلى الشرق، ولتأليبهم ضد فرنسا، كما ندد بالفرنسيين في كل المؤتمرات التي شارك فيها ببلدان الشرق العربي، ونظرا لأنشطته المناوئة للاستعمار الفرنسي، حكم عليه الفرنسيون غيابيا بالإعدام، كما عاقبوا كل من شكوا في علاقته به.

وبعد الحرب العالمية الثانية، والانفراج الذي عرفه العمل الوطني، ساعد إبراهيم الوزاني مبعوثي حزب الشورى والاستقلال إلى طنجة والمنطقة الخليفية على استقطاب الأنصار وتكوين الفروع، وشارك في اجتماعات الأحزاب الوطنية وأحزاب شمال إفريقيا، بالجامعة العربية لمناقشة أساليب الكفاح. وأثناء اشتداد حركة المقاومة، وتأسيس جيش التحرير، شكل فيالق لهذا الجيش من أهل الريف والمناطق المجاورة. وفي بداية الاستقلال، شهر يونيو 1956، اختطف إبراهيم الوزاني صحبة صديقه عبد السلام الطود من أحد مقاهي تطوان، على يد جماعة مسلحة ساقتهما بالقوة إلى سيارة انطلقت في اتجاه مجهول. وقد عرف فيما بعد أنه كان بالمعتقل السري "جنان بريشة"، بمدينة تطوان، كما تحدث بعض من غادروا ذلك السجن عن أنواع التعذيب التي مورست عليه، وقد سجل اسمه ضمن لائحة مجهولي المصير، وتعددت الروايات حول طريقة مقتله ومكان دفنه.

عبد الهادي بوطالب، *ذكريات شهادات ووجوه*، ج 1، الرياض، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1992 ؛ التجكاني المهدي المومني، *دار بريشة أو قصة مختطف*، مراجعة وتقديم أحمد معنينو، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1987 ؛ العمراني عبد الحي حسن، *أبطال الوطنية، الكتاب الثاني*، أحمد بن سودة، الرياض، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1991 ؛ عبد الهادي الشرايبي، *ثمن الحرية*، الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1978.

Rezette Robert, *Les partis politiques marocains*, 2ème édition, Paris, Armand Colin, 1955.

محمد معروف الدفالي

**الوزاني** (مولاي -) **أحمد** بن الحاج عبد السلام الوزاني. ولد بطنجة عام 1876، ونشأ في أسرة اشتهرت باليسر والجاه، وكان من أبنائها من ولع بالموسيقى الأندلسية. ومن هؤلاء شقيقه مولاي علي، ومولاي التهامي الوزاني، والشريف البركة مولاي الطيب بن العربي الوزاني أحد تلامذة الفنان الطنجي عازف الكمان الشهير المعلم سعيدو. كان بيته ملتقى مرموقا لهواة الآلة وللراغبين في تعلمها ممن يقيمون بطنجة أو من يتوافدون عليها من مدن المغرب الأخرى. ومن بين هؤلاء انتظمت مجموعة موسيقية سرعان ما تحولت إلى جوق أندلسي ملأ الساحة الفنية بمدن الشمال على مدى العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين. وقد برز من هؤلاء : محمد العربي التمسماني، وعازف العود محمد بن الصادق، وعازف الرباب محمد الفيلالي، وعازف الكمان الحاج ابن العربي وضارب الطرّ المختار بن علي.

وفي عام 1936 التحق مولاي أحمد الوكيلي بطنجة قادما من فاس، فكان يتردد على مجالس الوزاني، واستمر على ذلك إلى حين تأسيس "جوق إخوان الفن" عام 1940.

لقد كانت مجالس مولاي أحمد الوزاني منفتحة على مختلف أساليب الممارسة الموسيقية، بسبب استقطابها لفنانين متنوعي التكوين والمشارب. وبحكم هذا الانفتاح وذلك التنوع فقد شكلت منتدى لتلاحم معطيات المدرسة التطوانية مع بعض خصوصيات المدرسة الفاسية لتخلق أسلوبا متفردا لا تزال كثير من مظاهره بارزة في نمط الأداء الذي يميز جوق الفنان الطنجي أحمد الزيتوني الصحراوي.

توفي سنة 1965 عن سن يناهز السبعين.

ع. العزيز بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2، الدار البيضاء، 2000، ص. 277 - 278.

Barriuso, Padré Patrocinio Garia : *La musica hispano-muslmana en Marruecos,* Sevilla, 2000, p. 258.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الوزاني، إدريس** بن **قاسم**، ولد حوالي 1890 بقبيلة جبالة، وفي سنة 1908 ، غادر مسقط رأسه نحو القصر الكبير حيث مكث إلى غاية 1911 ليرحل إلى مدينة مكناس حيث تابع تعليمه في اللغتين العربية والفرنسية إلى سنة 1919. وفي سنة 1920، استقر بقصبة تادلة، وفي سنة 1922 تعرف على گاسطون بلاتو. وبدأ يعمل على تكوين خلية وطنية بالمنطقة، فركز في دعايته أولا على منطقة تاگزيرت ما بين 1923 و1924. وفي سنة 1925 ، تعرف على مارسال لا موروه (Marcel Lamoureux) الذي استقر بقصبة تادلة. وخلال مدة عشر سنوات عمل على تكوين خلية شيوعية بمنطقة تادلة. ونتيجة انضمامه إلى الحركة الوطنية وتهيّئه لمظاهرة بقصبة تادلة يوم 5 شتنبر 1937 ، اعتبرته سلطات المراقبة وطنيا خطيراً خاصة بعد حملته في أوساط بني عمير لمعارضة المشروع السقوي لسهل تادلة. وكان من نتائج ذلك أن حكم عليه بثلاثة أشهر سجنا ثم عاد للنشاط السياسي ما بين 1938 و1944. وفي سنة 1947 أسس مدرسة حرة. وفي سنة 1949 ، كون خلية من تسعة أفراد. ومنذ 1950، انضم إلى الحزب القومي، فأسس فرعا لحزب الشورى والاستقلال وعمل على التقريب بين هذا الفرع وفرع حزب الاستقلال بتادلة.

*Archives Diplomatiques, Nantes.*

صالح شكاك

**الوزاني،** (مولاي -) **التهامي** بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الجليل بن إبراهيم، عاش في القرن التاسع عشر، فعاصر السلطان مولاي عبد الرحمان وابنه سيدي محمد، له يد طولى في العلم، وكان يعقد مجلسا بمسجد مولاي المكي بن محمد دفين الدورة بالرباط عندما كان يأتي من وزان لزيارة أهله بالرباط. كان متأهلا بوزان التي خلق بها وربي، وبعد ذلك تأهل بالرباط، فصاهر الشريف العلمي أحمد أفلال. كان يدرس *الرسالة* . حضر عليه كبار العلماء مثل محمد بناني والفقيه الحاج عبد السلام الزبدي والفقيه مَحمد ملين والفقيه متجينوش والفقيه المكي الأزرق والمحتسب محمد الزكي. وكان معجبا بالطرب لا يعلم تاريخ وفاته ولا مدفنه.

عبد الإله الفاسي

**الوزاني، عبد الرحمان** بن عبد القادر الشريف نسبا التهامي الشاهدي لقبا، ازداد بسلا سنة 1331 / 1913، وتربى في أحضان أهل المعرفة، والفضيلة، وتلقى حفظ القرآن الكريم على يد مجموعة من خيرة فقهاء هذه المدينة، كما درس متون العلم والفقه من منقول ومعقول على كبار علمائها. وفي مقدمتهم والده القاضي سيدي عبد القادر والعدل محمد بن إدريس المنصوري، والعلامة أحمد بن إبراهيم الجريري، والمفتي أحمد بن عبد النبي المنظري وغيرهم. تقلد خطة العدالة بالمحكمة الشرعية، وظل يمارسها بجدية ونشاط لأزيد من خمسة عقود، كان فيها مثال الاستقامة والنزاهة وحسن الخلق، والمعاملة الطيبة ومخالطة الأوساط العلمية والأدبية والوطنية في العدوتين. كان ضمن علماء سلا الموقعين على وثيقة سنة 1373 / 1954 المطالبة برجوع المغفور له محمد الخامس إلى عرشه وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين وتمكين المغرب من تقرير مصيره. كما كان يلقي دروساً في الوعظ والإرشاد بمسجد أبي البركات استفاد منها عدد كبير من الناس في شؤونهم الدينية والدنيوية.

توفي يوم الاثنين 22 جمادى الثانية 1417 / 4 نونبر 1996، ودفن في الزاوية التهامية بسلا في مشهد عظيم.

أسبوعية "*ميثاق الرابطة*" العدد 755 ؛ محمد بنعياد، *طريق الحرية*، ص. 100 ؛ محمد الكتاني، *يواقيت التاج الوهاج*، ص. 101 ؛ محمد معنينو، *شعراء سلا*، ص. 66.

**الوزاني، عبد السلام** بن **إبراهيم**، الشريف نسبا السلفي مذهبا المربي سلوكا، ازداد بفاس سنة 1326 / 1908، ولما ترعرع لم يلج الكتاب على الطريقة المعروفة في ذلك العصر، بل أدخل المدرسة الناصرية ليتلقى مبادىء اللغة والدين ويستظهر القرآن الكريم، فكان من نجابته وذكائه أن اهتم بحفظ جملة من المتون والكراريس تمهيدا لانخراطه في سلك الطلبة بالقرويين، وبعد التحاقه بهذا السلك لازم كبار شيوخها في دروسهم اليومية. وأخذ عنهم علوم التفسير والحديث والفقه والمنطق والبيان والأصول وغيرها من العلوم المعقولة والمنقولة.

وعندما ظهرت الحركة الوطنية انضم إلى صفوفها، فكان عضوا في جماعة الشباب التي نادت بإصلاح جامعة القرويين لما رأت من موت العلماء الأشياخ واحدا بعد واحد، وتوظيف البعض، وكل واحد يترك فراغا في هذه المؤسسة الشامخة مما دفع بالجماعة المذكورة إلى تكليف الزعيم علال الفاسي بتحرير عريضة في الموضوع قدمت إلى الملك محمد الخامس، وذلك في عهد المقيم العام الفرنسي لوسيان سان بالمغرب ؛ وقد أعطت هذه العريضة النتيجة المتوخاة منها، وصدر سنة 1348 / 1930 ظهير الإصلاح المطلوب، فانتظمت بموجبه شؤون التعليم بالقرويين بما يشمل كلا من الجانب المادي والمعنوي.

وفي المظاهرات الشعبية التي نظمت بفاس احتجاجا على صدور الظهير البربري (16 مايو 1930 )، والتي تمت فيها قراءة اللطيف برحاب القرويين إثر صلاة يوم الجمعة 21 صفر الخير 1349 / 18 يوليوز 1930 صعد كرسي التدريس الذي تحت الثريا الكبرى وألقى خطبة حماسية في جمهور المتظاهرين، وهي أول خطبة ألقيت بهذه المناسبة، استنكر فيها ما أرادت فرنسا أن تقوم به لتفريق المغاربة وتقسيمهم،

وإخراجهم من دينهم وإدماجهم في المجموعة الفرنسية، فالتهبت النفوس بما لا مزيد عليه حتى صار الناس يزدحمون حول الكرسي، وأصواتهم تتعالى منددّة بصدور ذلك الظهير المشؤوم، وعيونهم تبكي تأثراً وكلهم يرددون بصوت واحد : "الموت أفضل من الحياة" وفيهم، من يلطمون وجوههم لشدة التأثر عند سماع الخطيب يفضح أخطار السياسة البربرية وعواقبها الوخيمة.

وما إن توقفت هذه المظاهرات، حتى ألقي عليه القبض مع رفاقه، وأحيلوا جميعا على محكمة الباشا ابن البغدادي حيث كان هو أول من وقع جلدهم.

وأثناء إنشاء المدارس الحرة سنة 1355 / 1936 من طرف الحزب الوطني، وقع عليه الاختيار لتسيير أول مدرسة حرة لنشر التعليم العربي الإسلامي بين أبناء وجدة، وهي المدرسة التي أشرف على تدشينها الزعيم علال الفاسي، وأطلق عليها اسم مدرسة العروبة، فكان لها إشعاع وطني على المدى البعيد، تجلى بالخصوص في توعية ساكنة هذه المدينة ونواحيها وحضها على محاربة الاستعمار وأعوانه والوقوف ضد غطرسة الباشا محمد المهدي الحجوي، شأنها في ذلك شأن المدارس الحرة الأخرى التي كان يديرها في جهة المغرب الشرقي بكل صدق وتفان وإخلاص ونكران ذات رجال أبرار أمثال الأستاذ مَحمد (فتحا) الجندي ومولاي مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد بن عبد الله العلوي.

وفي نفس هذه السنة ـ أي 1936 ـ وضع رهن الاعتقال وحكم عليه بعامين حبسا، قضاهما في سجن اغبيلة بالدار البيضاء، حيث أخذ يتصدى لوعظ المعتقلين وإرشادهم، ويؤم صلاة الجماعة بهم بالإضافة إلى تطوعه بإلقاء دروس شرح *التلخيص في البلاغة*، و*تفسير البيضاوي*.

ونظراً لما يتميز به المترجم من مؤهلات في علوم الفقه والشريعة، فقد أسند إليه عقب حصول المغرب على الاستقلال منصب قاض، كان فيه مثال الاستقامة والعفة والنزاهة والصيت الحسن سواء لدى الأوساط القضائية، أو المتقاضية.

توفي صباح يوم الثلاثاء 30 محرم الحرام 1398 / 10 يناير 1978 إثر حادثة سير في الطريق بين الدار البيضاء والرباط، ودفن بمقبرة ابن مسيك عن عمر يناهز 70 سنة، قضى جلها في التضحية والنضال والدفاع عن استقلال بلاده وحريتها.

قدور الوطاسي، *المطرب في تاريخ شرق المغرب*، ج 1 ؛ الحسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، ج 3 ؛ عبد الرحمن الحريشي، *المدرسة الناصرية بفاس* ؛ أبو بكر القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية*، ج 1 ؛ محمد بن هاشم العلوي، *من وراء السدود* ؛ أحمد بن شقرون، *أرجوزة من زهر الآس عن جامع القرويين بفاس عبر القرون* ؛ الحسن بوعياد، *الحركة الوطنية والظهير البربري*.

عبد الرحمن القباج

**الوزاني** (مولاي -) **عبد الله** بن أحمد بن عبد الجبار اليملاحي الوزاني. ولد بمراكش عام 1916، وتربى في أسرة كان ربها قد قدم من فاس إلى مراكش حيث أصبح مقدما للزاوية الوزانية، ثم نقيبا للشرفاء الوزانيين بمراكش والصويرة وآسفي. وفي أجواء الزاوية نشأ مولاي عبد الله، وبها تلقى أولى محفوظاته من فني السماع والمديح عن شيخ كفيف كان يرأس حلقات الذكر يعرف بالشيخ المّاسين، كما أخذ عن شقيقه الأكبر مولاي العربي الذي اشتهر بحسن صوته وجودة إنشاده في أوساط المادحين. استفاد المترجم من مجالس المديح التي كانت تنتظم بين الفينة والأخرى في بيت والده، وفيها تعرف على المعلم لغداش عازف الرباب الشهير وأحد أعضاء الجوق السلطاني على العهد الحفيظي بمراكش، فأخذ عنه ميازين النوبات الأندلسية.

التحق بدار السي سعيد مقر تعليم الآلة، فتتلمذ على المرحوم عبد السلام الخياطي، وأتقن العزف على آلتي العود والرباب، الأمر الذي أهله ليصبح من أعضاء الجوق الذي أسسه الخياطي. وعندما رحل مؤسس الجوق إلى الرباط عام 1936 آلت رئاسته إلى المترجم، ومن حوله نخبة من خيرة المنشدين والعازفين، كان فيهم عازفا الرباب : تيميجا واشحيما، وعازف العود ابن الضاقي، والحاج أحمد بلفاطمي، وعبد الله الحنفي، ومحمد بلقدم، والمنشدان عبد المجيد الفران، ومحمد الصبان. وقد صادف حدث رئاسة المترجم لجوق الآلة افتتاح الإذاعة الجهوية بمراكش، فكان يقدم عبرها حصتين مباشرتين في كل أسبوع، واستمر على هذا النهج حتى سنة 1964 عندما أوقفت الإذاعة العمل بحصص الآلة. إثر ذلك عاد المترجم إلى معهد دار السي سعيد، فاشتغل به معلما لموسيقى الآلة، ثم تقلد مسؤولية إدارته.

يعتبر مولاي عبد الله الوزاني مرجعا موثوقا في ضبط الميازين والإنشاد وتحقيق الصنعات، كما تعتبر طريقته في التدريس نموذجا حيا للتقاليد المتوارثة في تلقين الآلة، والتي تعتمد ضبط الإيقاع بالتوسيد، والحفظ عن طريق الترجيع.

ومن إنجازاته الفنية استحداث توشية ميزان قائم ونصف الرصد وتسجيلها بالإذاعة الوطنية في السبعينيات، وهي من التواشي التي ضاعت بضياع الميزان المذكور.

توفي في شهر ماي 1996.

عز الدين بناني، *بغيات وتواشي الموسيقى الأندلسية المغربية* ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2، الدار البيضاء، 2000، ص. 261 ـ 262 ؛ عبد السلام الوزاني، *رواية*.

**الوزاني** (مولاي -) **العربي** هو نجل الشريف مولاي أحمد بن الحاج عبد السلام الوزاني. ولد بطنجة في مطلع القرن العشرين، ونشأ في أحضان أسرة كانت كثيرة الحفاوة بموسيقى "الآلة"، فكان يحضر مجالس والده الفنية حيث تعرف على رجال الآلة ممن كانوا يعقدون حلقات منتظمة لترجيع النوبات وحفظ مستعملاتها.

وقد تجمع لدى المترجم رصيد معرفي غني، تجلى في غزارة محفوظاته من الصنعات، كما تجلى في إلمامه الواسع بطبوع الموسيقى الأندلسية وأوزانها، وإتقانه العزف على كثير من الآلات كالعود والبيانو والكلارينيت، وخوضه تجربة التلحين من خلال مساهمته - إلى جانب الحاج إدريس بن جلون - في تلحين وتنسيق ميزان قائم ونصف النهاوند.

حضر مولاي العربي الوزاني المؤتمر الثاني للموسيقى العربية الذي انعقد بفاس عام 1969، وشارك فيه ببحث عرض فيه لظروف نشأة الموسيقى الأندلسية، وتحدث عن النوبات ومكوناتها، فاستعرض أسماء الميازين والطبوع، وحلل ما أورده محمد بن الحسين الحايك بخصوصها في كناشه، ثم عرج على ذكر مشاهير رجال الآلة المحدثين، لينتقل - بعد ذلك - إلى الشعر الملحون وموقعه من فنون القول. وختم بحثه بتقييم الدراسة التي قدمتها أمانة المؤتمر حول المقامات العربية مدليا بجملة من الملاحظات الدقيقة التي تنمّ عن دراية واسعة بالموضوع.

وله مقالات منشورة، وأخرى مرقونة. ومن مقالاته المنشورة :

- *أضواء كشافة عن عظمة الموسيقى الأندلسية المغربية* وفضل فن الارتجال عليها : 1 - 1 - 1396 / 12 - 1 - 1976.
- *البيتان والموال المغربي* : 1 - 4 - 1976.
- *حول قائم ونصف النهاوند والغاية التي يسعى إليها* : 2 - 7 - 1979.
- *سلالم ومقامات الموسيقى الأندلسية المغربية ودراسة طبوعها*.
- *التقارير المقدمة* من جناب البارون ديرلنجه إلى لجنة المقامات والإيقاعات والتأليف في مؤتمر الموسيقى العربية في سنة 1350 موافق 1932.

توفي بطنجة يوم 20 ربيع الأول 1404 / 30 دجنبر 1983.

العربي الوزاني، بحث مقدم من طرف عضو وفد المغرب ؛ *المؤتمر الثاني للموسيقى العربية، فاس، 8 - 18 أبريل 1969*، ص. 123 - 138، إصدار والدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2، الدار البيضاء، 2000.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الوزاني، العربي التهامي** ولد عام 1250، هو زعيم الشرفاء الوزانيين ونقيبهم وعالمهم، صاحب *المعجم التاريخي* الذي كثيرا ما نقل منه الكاتب محمد بوجندار في كتابه *الاغتباط*، أثبت فيه *فهرسته* وترجمته تحت عنوان *بلوغ المنى والآمال فيمن لقيته من المشايخ وأهل الفضل والكمال*، وفيه حياة العربي الوزاني بتفصيل. أخذ عن علماء أمثال الهاشمي الضرير والبدوي السرايري وغيرهما. وورد في جريدة *السعادة* أن العربي الوزاني من الأشراف الحسينيين التهاميين، كان له ولع كبير باقتناء الكتب والدواوين النفيسة. وفي آخر حياته اعتنى بالتأليف فألف كتابه "*لوائح الأنوار في الصلاة على النبي المختار*" وآخر على نسق *دلائل الخيرات* في الصلاة على الرسول "*مسلك الفتوحات في الصلاة على أشرف المخلوقات*. وتأليف ثالث في *مناقب الحاج العربي وولده الحاج عبد السلام*، ورابع في علم الفروسية عنوانه : "*فيض النيل في الفروسية وركوب الخيل*"، وله قصائد في الملحون رقيقة المعاني. في سنة 1327 / 1909 ولي النقابة العامة على كافة الزوايا الوزانية والشرفاء الوزانيين بالمغرب. خرج بصحبة السلطان مولاي عبد العزيز في حركة الحوز وعاد سالما من وقعتها الكبرى المعروفة. اعتكف في بيته للعبادة والنسك.

توفي يوم الخميس 5 شعبان 1339 / 1920 ودفن بروض صغير داخل روضه الذي حبسه لدفنه ودفن أولاده من بعده.

عبد الإله الفاسي

**الوزاني، العزيز بن علال** أو (سيدي العزيز)، شيخ الطريقة الطيبية التهامية الوزانية بتازة وناحيتها، وصاحب نفوذ كبير في أوساط القبائل الجبلية هناك. كان على اتصال بزعيم حركة الريف الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي. استعمل طريقته الصوفية، سرا، في خدمة الثورة الريفية، وشجع الكثير من أتباعها على الالتحاق بالمجاهدين.

التجأت إليه السلطات الفرنسية للاستفادة من نفوذه في منع قبائل تازة من الانضمام إلى الثورة الريفية، وإقناعهم بالتعاون مع فرنسا، فامتنع. وامتنع كذلك لما اقترح عليه الفرنسيون القيام بمهمة وساطة وسلم لدى محمد بن عبد الكريم الخطابي، بعذر أنه شيخ طريقة دينية، ولا دخل له في السياسة ومشاكلها. وبسبب مواقفه تلك ضايقه الفرنسيون في مصالحه الفلاحية، وطوقوه وأنصاره بمجموعة مشاكل، اضطرته إلى مغادرة تازة والاستقرار بفاس، كما استمرت في الضغط على خلفه حتى منعته من ناحية تازة.

وفي مدينة فاس، خلق العزيز الوزاني لنفسه نفوذا في عدد من الأوساط الفاسية، وكان مركز طريقته بزاوية سيدي الحاج الخياط، وزاوية سيدي قاسم بن رحمون.

وبسبب اهتماماته السياسية، انضم إلى الرعيل الأول في الحركة الوطنية بفاس، فساهم في بث الدعوة الوطنية، وشارك في بعض التظاهرات ومنها إشرافه على تنظيم الشباب، في الاستقبال الذي نظمه الوطنيون للسلطان محمد بن يوسف أثناء زيارته لمدينة فاس سنة 1934. وكان العزيز الوزاني مشهوراً بشغفه بالأناشيد الوطنية الحماسية، واختيار العديد منها، ثم تلحينها وتلقينها للشباب الوطني. كما كانت له محاولات في وضع كلمات بعض تلك الأناشيد.

توفي هذا الصوفي الوطني أثناء الحرب العالمية الثانية.

عبد السلام بن سودة، *إتحاف المطالع*، القسم الثاني، ج 8 ؛ من *موسوعة أعلام المغرب*، تنسيق وتحقيق، محمد حجي، بيروت، دار

الغربي الإسلامية، 1996 ؛ أحمد معنينو، *ذكريات ومذكرات*، ج 10، *الشهداء الثلاث*، طنجة، مطبعة سبارطيل، 1991 ؛ محمد حسن الوزاني، *مذكرات وجهاد*، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، ج 3، *مرحلة الانطلاق والكفاح*، بيروت، مؤسسة محمد الحسن الوزاني، 1984 ؛ والجزء الرابع، *حركة المطالب والدعوة إليها*، 1934 ـ 1936، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985.

محمد معروف الدفالي

**الوزاني، علي** بن **أحمد** سادس شيوخ الزاوية الوزانية. تلقى تعليما دينياً متواضعاً سمح له بتولي الخطبة بمسجد وزان في سنة 1182 / 1768 ـ 1769 خلال مشيخة والده مولاي أحمد بن الطيب. وبعد وفاة هذا الأخير في سنة 1780 خلفه خلفه سيدي علي على رأس الزاوية الوزانية.

تميزت مشيخته التي استغرقت ما يزيد على ثلاثين سنة بتوسع نفوذ الزاوية وبروزها كقوة مؤثرة في المجالين الديني والسياسي معاً. كما أن مدينة وزان عرفت في عهده توسعاً تجارياً تجلى في استقرار مجموعة من التجار اليهود بالمدينة. وفي نفس الوقت أصبحت الزاوية وجهة الآلاف من الزوار والأتباع الذين كانوا يتقاطرون على مدينة وزان من جميع الآفاق، حاملين معهم الهدايا و"الزيارات"، ومحاصيل الأراضي التي كانت في ملك الشرفاء الوزانيين بالكثير من جهات المغرب، كتوات والريف والمناطق الصحراوية. وكان من نتيجة التراكم المادي الهام الذي عرفته الزاوية في عهد هذا الشيخ، وتكاثر أتباعها، وتشعب شبكة انتشارها أن أصبح سيدي علي بن أحمد متوجها إلى تدبير الشؤون المادية للزاوية، فكان حسب كتب المناقب، يظل طول الوقت يستقبل الزوار من الآفاق ويتسلم منهم الهدايا. وقد أكدت مناقب الزاوية على الأموال الطائلة التي تجمعت لديه "حتى أن ما يدخل على هذا الشيخ من الأموال النقدية وغيرها لا تدخل على أحد من ملوك المغرب".

واعتمد سيدي علي بن أحمد على هذه الثروة ليجمع حوله حاشية لا تختلف عن حاشية الأمراء والملوك. ونجد ضمن هذه الحاشية فقهاء بارزين مثل محمد الرهوني، وفلكيين لا معين من الحواضر كالرباط، أمثال المعطي مُرينو وعلي مرسيل، يذكر الضعيف أنهم أدخلوا إلى وزان عدة آلات فلكية. ونبغ بمدينة وزان نفسها فلكي وموقت بارز هو عبد العزيز الوزكاني، الذي كانت له معرفة كذلك بالموسيقى. وفي نفس الإطار كوّن سيدي علي بن أحمد فرقة موسيقية تعزف "عزف العجم". وإلى جانب هذا اهتم بالرماية واقتناء الأسلحة والتدرب على استعمالها.

وفي إطار علاقة الزاوية الوزانية بالسلطة المخزنية استطاع سيدي علي بن أحمد أن يقضي على أسباب التوتر الذي طبع هذه العلاقة خلال عهد والده، إذ وصلت الأمور بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى حد الهجوم على وزان وفرض المال على شرفائها. أما سيدي علي بن أحمد فقد نجح في بناء علاقة تعاون وتفاهم مع هذا السلطان الذي أغدق على الزاوية امتيازات إدارية واسعة سمحت لشيخ الزاوية بمراقبة القواد المخزنيين بوزان ونواحيها، والإشراف على تعيين قضاة القبائل الجبلية القريبة. لكن الأمور ساءت بعد وفاة سيدي محمد بن عبد الله (1790) والمولى اليزيد (1792) الذي لم تتجاوز خلافته السنتين. وكانت وفاة هذا الأخير في الواقع إيذاناً لسيدي علي بن أحمد بالتدخل في الشؤون السياسية واستعمال ثقله ونفوذه الروحيين ليلعب دوراً بارزاً في صراع الخلافة الذي شهدته البلاد سنة 1792 وما بعدها. وهكذا، وبمجرد وفاة اليزيد، سارع شيخ الزاوية الوزانية إلى مُبايعة مولاي مسلمة، أحد أبناء سيدي محمد بن عبد الله، ودعوته ليستقر بوزان ريثما تتمهد له الأمور. ومن جهة أخرى عارض سيدي علي بن أحمد بقوة مُبايعة أهل فاس لمولاي سليمان، واعتمد على فتوى قديمة تمنح الأفضلية لمسلمة على أساس أن بيعته سابقة، وأنه يحظى بمساندة المجاهدين وأهل الثغور الشمالية. وهذا الموقف هو الذي حذا بالمولى سليمان فيما بعد إلى التراجع عن الامتيازات التي كان والده قد منحها للشرفاء الوزانيين فأصرّ على ضرورة فرض وجود مخزني داخل مدينة وزان مُعللاً ذلك بأن وزان "بلد من المغرب"، يجري عليها ما يجري على غيرها. وفي نفس الإطار رفض مولاي سليمان الاعتراف بحقوق "الحُرم" التي استعملتها الزاوية في السابق لمنح الملجأ والحماية للفارين من الأحكام المخزنية. لذلك يُمكن القول إن علاقة سيدي علي بن أحمد بالمخزن مرت بمرحلة عسيرة خلال السنوات الأولى من حكم المولى سليمان. لكن هذا الأخير سرعان ما طوى صفحة الخلاف، وسمح لشيخ الزاوية الوزانية بأن يوظف نفوذه وجهوده للتوسط بين المخزن والقبائل العاصية.

توفي في شهر أبريل من سنة 1811.

محمد بن حمزة المكناسي، *الكوكب الأسعد*، فاس، 1324 / 1906 ـ 1907 ؛ محمد الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الرباط، 1986.

محمد المنصور

**الوزاني، محمد** بن الـ**تهامي** الفاسي داراً وإقباراً، أصله من أهل وزان العوام، فقيه علامة، مشارك حجة ناسك زاهد. ولد حوالي سنة 1250 / 1835 وروى عن نخبة من شيوخ القرويين أمثال : أبي عبد الله محمد بن المدني كنون الكبير، وأبي العباس أحمد بن أحمد بناني ومن في طبقتهما. ولما تمكن من ناصية العلم وبلغ رتبة العلماء، تصدى لتدريس العلوم الإسلامية نقلية وعقلية، وبرز على الأخص في علوم النحو والبيان والفقه والقراءات، فكان له في اليوم ثلاثة دروس وأكثر، يحضرها الطلبة من كل حدب وصوب، ويجلسون إليه، وهو يشرح *متن الألفية* أولها بآخرها، ويملي من حفظه قواعدها وشواهدها، مع ما أوتي من سهولة تعبير قل نظيرها، فلا يقوم الطالب من درسة إلا محصلا قواعد الفنون بشواهدها من كتاب وسنة، مستوعباً

فوائدها العلمية والفكرية ؛ وقد أشار إلى هذا الإدراك في الفهم تلميذان ملازمان له ملازمة الظل للشمس أولهما صاحب فهرسة "*مختصر العروة الوثقى*..." الذي قال : وأول يوم جلست بين يديه كساني نوره، فوجدت من نفسي إدراكا وتحصيلا لم أجده قبله، فكان ذلك اليوم من أسعد أيامي، انتقلت فيه من طور إلى طور، كأني كنت حيواناً فصرت إنساناً أو كنت نائما، فأصبحت يقظانا، وأمسيت نشيطا جذلانا، اتخذته عمدتي وأعددته عدتي ؛ ولم أره مدة ملازمتي له نحو خمس سنوات إلا ناشرا للعلم، أو تاليا لكتاب الله بحرف أبي عمرو البصري، أو ذاكرا يقوم الليل تهجدا، وفي النهار تراه في نشر العلم ومحاربة الجهل مجاهدا".

أما ثاني هذين التلميذين فهو مؤلف كتاب "*توضيح طرق الرشاد* .." الذي وصف أستاذه قائلا : "كان هذا الهمام حامل راية الدروس والإفادة، كامل المعارف مستحضراً للتالد منها والطارف، طالما اهتزت الدروس لتحبيره، وانفتحت القلوب لتقريره، مع جلالة ومهابة، وجد وصيانة وإنابة، لا تكاد تراه إلا مدرسا أو تاليا، أو منتصبا بين يدي مولاه مصليا، كم بث في صدور الرجال من المعارف، فانتصبوا في أرجاء الأقطار المغربية كعبة الإفادة للطالب".

تخرج على يديه عدة علماء أجلة تصدروا الكراسي والمنابر في مختلف أنحاء المغرب، كزين العابدين بناني الرباطي، وأبي بكر التطواني السلوي، وأحمد الجريري البرهوني السلوي، ومحمد بن العياشي سكيرج، ومحمد بن عبد المجيد أقصبي، ومولاي علي الدرقاوي، والقاضي مولاي أحمد بن محمد العلوي الإسماعيلي، والحيسوبي الفلكي سيدي محمد العلمي، وسيدي الحسن مزور، والوزير محمد بن الحسن الحجوي، وغيرهم.

وكان من أعضاء مجلس قراءة الحديث الشريف مع السلطان الحسن الأول، وتقلد خطة القضاء بثغر الصويرة. فكان مثال العدل والعفة والاستقامة، مع دؤوب على نشر العلم، ولشغفه به، لم يلبث إلا قليلا واستعفي فأعفي، فرجع إلى فاس طاهرا، وللعلم ناشرا، وكان من أهل الشورى في الأحكام، فلم تحفظ له في ذلك فلتة، بل الذكر الجميل والصيت الحسن ؛ وقد خرج من الدنيا فقيراً في بيت بالكراء مع تجمل ظاهره وإظهار النعمة عليه.

له مصنفات ذات فائدة تذكر، منها المطبوعة على الحجر وهي : *تتمة مختصر خليل*، *وصحة إيمان عوام المؤمنين*، *وتقييد في ثبوت إيمان المقلد*، *ورسالة النصر لكراهة القبض*، *وتقييد في الفعل المضارع المعتل*.

هذا بالإضافة إلى مصنفات مخطوطة : كرجز في الإعراب التقديري، وبعض الفتاوى (أسئلة وأجوبة)، وتقاييد أخرى تتعلق بالمذهب المالكي.

توفي بسبب ضعف أصابه من كثرة اجتهاده، وعمره لا يتجاوز ستين سنة، ليلة الاثنين 12 شعبان 1311 / 1894 ودفن بروضة العراقيين بالقباب خارج باب الفتوح، وقد حضر جنازته جم غفير، ورثته ثلة من أقرانه وطلبته بقصائد شعرية، كلها إشادة وتنويه بفضله ومناقبه.

عبد الرحمن القباج

**الوزاني، محمد** بن **الحسن** زعيم سياسي وطني مغربي، وأحد الرموز الأساسية الكبرى للحركة الوطنية المغربية، تأسيسا وتنظيرا وعملا. اشتهر بميولاته العصرية، وتوجهاته الليبرالية، منذ انخراطه في الفعل الوطني السياسي. ولد بمدينة فاس سنة 1910، وبها تلقى تعليمه الأولي بمدارس الحماية، وجزءا من تعليمه الثانوي بثانوية مولاي إدريس، قبل أن يلتحق بليسي كورو بالرباط، ثم بليسي شارلمان بباريس سنة 1927 ضمن بعثة دراسية. حصل على الباكالوريا من ليسي شارلمان، والتحق بـ "المدرسة الحرة للعلوم السياسية"، فأنهى دراسته سنة 1930، ليكون أول مغربي تخرج في هذا التخصص، إضافة إلى ما تلقّاه من دروس موازية في الصحافة والتاريخ، والتاريخ الدبلوماسي.

ومثله مثل العديد من أفراد جيله، كانت حرب الريف أواسط العشرينيات من القرن العشرين، وحركة محمد بن عبد الكريم الخطابي في انتصاراتها وانتكاساتها، وراء طرح وتعميق العديد من الأسئلة حول واقع البلاد، والانصهار ضمن الإرهاصات التنظيمية السرية الأولى، التي كان وراءها الشباب المتعلم بمدينة فاس، والمساهمة في عدد من الحركات الاحتجاجية ضد سياسة الحماية. وفي مدينة الرباط كان الوزاني من بين المؤسسين للجمعية السرية المسماة" حماية الحقيقة"، والتي كانت تضم شبابا وطنيا من الرباط وسلا وفاس وتطوان، ومن بين الذين أثروا النقاش داخلها. وفي باريس استفاد من جو الحرية هناك لتعميق وعيه السياسي، فانفتح على مجموعة من الفعاليات اليسارية الفرنسية. وواظب على حضور بعض جلسات البرلمان الفرنسي، خصوصا

منها الجلسات التي خصصت لبعض قضايا المستعمرات. كما انفتح على طلبة شمال إفريقيا، والطلبة العرب، وطلبة العديد من المستعمرات الذين كانوا يتابعون دراستهم هناك فانخرط في جمعية "نجم شمال إفريقيا" التي كان يرأسها الجزائري مصالي الحاج، وأسس إلى جانب تونسيين ومغاربة طلبة شمال إفريقيا المسلمين"، وتحمَّل المسؤولية في مكتب هذه الجمعية، كما شارك في تأسيس "جمعية الوحدة العربية"، التي كانت تضم عددا من الطلبة العرب.

بعد العودة إلى المغرب، لعب دوراً في التأسيس للعمل الوطني، فقاد مظاهرة يوليوز 1930 بفاس، ضد الظهير البربري الصادر في 16 ماي من السنة نفسها، مما عرضه للجلد بالسياط على يد الباشا ابن البغدادي، وقضاء ثلاثة أشهر بسجن تازة، وأسس إلى جانب قلة من رفاقه أول تنظيم وطني وهو المعروف باسم "الزاوية"، و"الطائفة". وساهم بفعالية في نشر المقالات الوطنية على صفحات مجلة "مغرب "، التي أصدرها الاشتراكي الفرنسي روبير جان لونكي، والوطنيون المغاربة، من باريس سنة 1932، كما أصدر من فاس بمبادرة خاصة سنة 1933، جريدة باللغة الفرنسية تحت اسم "*عمل الشعب*" (لاكسيون دو بوبل). وأظهر من خلال ما نشره من مقالات في المنبرين، مقدرته وكفاءته الصحفية، فكان مؤسسا لنهج صحفي وطني، اعتمد الجدل والمناقشة ...

لعب محمد بن الحسن الوزاني دوراً متميزاً في تحضير وتقديم برنامج مطالب الشعب المغربي سنة 1934، باسم "كتلة العمل الوطني"، كما لعب دوراً في الاتصال بحكومة الجبهة الشعبية سنة 1936، وفي حركة الاحتجاج من أجل الحريات، التي أودت به إلى السجن صحبة بعض زعماء الحركة الوطنية. وفي سنة 1937، وإثر الخلاف داخل كتلة العمل الوطني، أسس تنظيما سياسيا تحت اسم "الحركة القومية"، وجعل من "*عمل الشعب*"، و"*الدفاع*" لسانا له. ورغم اختلافه مع زعامة "الحزب الوطني لتحقيق المطالب"، فقد تضامن معها، وعارض اعتقالها في خريف سنة 1937 معارضة قوية بالاحتجاج والتظاهر في المساجد والشوارع. فتعرض إثر ذلك للاعتقال، ثم النفي لمدة تسع سنوات، قضاها بعدة ثكنات بالصحراء.

انصب عمل الوزاني في الثلاثينيات على نقد انحراف نظام الحماية، وطالب بتقويم الاعوجاج الذي أصاب سياسة المسؤولين الفرنسيين وخرقهم بنود معاهدة 1912، فركزت مواضيع النقاش لديه على الهوية والسيادة والحق والحرية أو الحريات. وحاكم الفرنسيين استنادا إلى مبدإ حقوق الانسان ومبادئ الثورة الفرنسية عموما.

وفي سنة 1944 تزامن تقديم المطالبة بالاستقلال مع استمرار وجوده بالمنفى، وكان أنصاره قد ساندوا المطلب وقدموا وثيقة خاصة بهم يوم 13 يناير 1944، غيروا على إثرها اسم تنظيمهم ليصبح "الحركة القومية الاستقلالية". أما هو فلم يعلم بخبر المطلب إلا بعد تقديمه. وبسبب مسار تطور العمل الوطني ناقش الوزاني طريقة تقديم مطلب الاستقلال، واقترح - من منفاه - سنة 1945 تصورا بديلا ينتزع الاستقلال ويضع الفرنسيين أمام الأمر الواقع.

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، والانفراج الذي حصل في السياسة الفرنسية تجاه البلاد الواقعة تحت نفوذها، أفرج عنه من منفاه، فالتحق من جديد بمدينة فاس، وجدد نشاطه السياسي، بجمع أنصاره ضمن تنظيم سياسي تحت اسم "حزب الشورى والاستقلال"، كما أصدر جريدة باللغة العربية، لسانا للحزب، تحت اسم "*الرأي العام*"، ومع التطور الاقتصادي والبشري الذي عرفته مدينة الدار البيضاء ارتأى ضرورة نقل مقر الحزب، أو مقر جريدته إلى هذه المدينة. أما على مستوى الإيديولوجيا والبرنامج الكفاحي، فقد تميز تنظير الوزاني في هذه المرحلة بنزعة دستورية واضحة، حيث اعتبر منح البلاد دستورا وإقامة مؤسسات دستورية وحكومة مغربية، طريقا ليس لتأهيل المغاربة سياسيا وحقوقيا فقط، بل كذلك مرحلة في اتجاه استقلال يتم الوصول إليه بعد سنوات قليلة، وقد دافع الوزاني وأنصاره عن هذه الفكرة، وكانت الحجر الأساس في برنامجهم، الذي قدم للمراجع العليا في باريس والمغرب، والذي عرف باسم "مذكرة 23 شتنبر 1947". وعلى أساس هذا البرنامج المعتدل المبني على توجه الوصول إلى استقلال يبنى على مراحل، وعن طريق الحوار الموصل إلى تغيير معاهدة 1912، بمعاهدة بديل تعترف بحقوق المغاربة في الاستقلال عن الفرنسيين، حاور المعنيين دون جدوى، فاضطر إلى نفض اليد من ذلك الحوار، واصفا إياه بأنه من نوع "حوار الصم"، وغير وجهة النضال نحو المراجع الدولية، فساهم بفعالية في الدفع بالجامعة العربية لتبني القضية المغربية، وعرضها على هيئة الأمم المتحدة، كما ساهم في الجلسات التي تناولت قضية المغرب في دورات هذه الهيئة الدولية. إلا أن تطور الأحداث، أوائل الخمسينيات من القرن العشرين، وخصوصا إقدام فرنسا على نفي السلطان محمد بن يوسف، وانتشار حركة المقاومة المسلحة في المدن المغربية، وسيادة العنف والعنف المضاد إضافة إلى عدم نجاح الحركة الوطنية في تحقيق أي مكسب حقيقي لقضيتها بهيئة الأمم المتحدة، جعل الوزاني منذ سنة 1954، يدعو إلى ضرورة العودة إلى الحوار المباشر مع الفرنسيين، فتحرك صحبة المكتب السياسي للحزب في هذا السياق. كما شارك حزبه سنة 1955، في محادثات "إيكس ليبان". وشارك في حكومة البكاي الأولى، وفي المفاوضات التي قادت إلى إنهاء العمل بمعاهدة الحماية، والاعتراف للمغرب بالاستقلال سنة 1956.

اختار الوزاني بسبب ما اعتبره حيفا في حق حزبه أثناء توزيع المناصب الوزارية في حكومة البكاي الثانية موقع المعارضة، فأصبحت جريدتاه "*الرأي العام*"، باللغة العربية و"*الديموقراطية* " باللغة الفرنسية، تتتبعان أعمال الحكومة

والمسؤولين بالنقد، وتقترح البديل في مختلف الميادين، كما كان أعضاء الحزب بالمجلس الوطني الاستشاري، لسانا للمعارضة، وكان المحور الأساس الذي ركزت عليه معارضة الوزاني هو المحور السياسي، حيث ركز على المطالبة بإقامة نظام ملكية دستورية، تستند إلى مبدإ الانتخاب، وإقامة مؤسسات نظام ديموقراطي برلماني، وتعتبر سنوات 1956 ـ 1958 فترة عسيرة على الوزاني وحزبه، حيث تعرض العديد من أنصاره إلى الاختطاف، والاعتقال، والاغتيال، وتعرضت مقرات الحزب إلى هجومات متعددة. كما تعرضت صحافته للمضايقة. وفي سنة 1959 ، تعرض الحزب لضربة داخلية عنيفة حيث انشق العديد من قياداته ومناضليه عن الوزاني، وانضموا إلى المجموعة التي انشقت عن حزب الاستقلال للمساهمة معهم في تأسيس الحزب الذي حمل اسم "الاتحاد الوطني للقوات الشعبية". ونظرا لما أصاب حزب الشورى والاستقلال، اضطر الوزاني سنة 1960، إلى تغيير اسم حزبه، فأصبح يسمى "حزب الدستور الديموقراطي"، وصدرت باسمه جرائد من ضمنها : "*شورى الرأي العام*" و"*الدستور*" و"*السياسية*"، ... عبرت عن برنامج التنظيم وطموحاته.

وقد ألحق الوزاني سنة 1959 ، بالمجلس الدستوري المغربي، إلا أنه لم يحضر جلساته. كما سمي في يونيو 1961 ، وزيرا للدولة في الحكومة التي ترأسها الملك، إلا أنه قدم استقالته خلال مدة وجيزة. وفي انتخابات سنة 1963 حصل على عضوية أول برلمان مغربي، نائبا عن مدينة وزان. ورغم إلحاحه منذ بداية الاستقلال على ضرورة تمتيع البلاد بدستور يحدد النظام والقانون، فإنه عارض مشروع الدستور الذي اقترح على المغاربة سنة 1962 ، وانتقد مضمونه بشدة، كما عارض حالة الاستثناء التي أعلنت سنة 1965 من منطلق تناقضها مع الديموقراطية. ووافق على الدستور الذي اقترح سنة 1970 . لم يكن الوزاني مقتنعا بطريقة وواقع سير أمور المغرب منذ بداية الاستقلال، لهذا دعا منذ سنة 1962، إلى حركة تصحيحية تقودها النخبة السياسية إلى جانب الملك، سماها "الثورة من أعلى" ووصفها بالثورة الباردة.

وفي سنة 1971 ، أصيب الوزاني في أحداث الصخيرات إصابة أدت إلى بتر يده اليمنى، ورغم أن صحته ما فتئت تتدهور منذ ذلك التاريخ، فإنه حرص على الاستمرار في الساحة السياسية وإبداء وجهة نظره إزاء ما يجرى، وكان منشغلا أواخر حياته بتجديد نشاط حزبه، وضرورة التنسيق مع الأحزاب السياسية الأخرى، من أجل تجديد الحياة السياسية بالمغرب.

توفي محمد بن الحسن الوزاني يوم 9 شتنبر 1978، ودفن بمقبرة أسرته بمدينة فاس.


حسني علي، *محمد بن حسن الوزاني وإشكالية البناء الديموقراطي بالمغرب*، 1947 ـ 1978 ، الدار البيضاء، مؤسسة محمد حسن الوزاني، 1998 ؛ العمراني عبد الحي حسن، *الزعيم الوطني الكبير، محمد بن الحسن الوزاني في سطور*، فاس، مطبعة السلام ؛ محمد بن حسن الوزاني، *الداعية الديموقراطية المجاهد في ذكراه الأربعينية* بمدينة فاس، 29 أكتوبر 1978 ، تقديم الحاج أحمد معنينو ؛ أحمد مغنينو، *محمد بن حسن الوزاني تسع سنوات في المنفى*، الرباط، مطبعة الأنباء، 1990 ؛ عز العرب الوزاني، *حدثني والدي*، بيروت، مؤسسة محمد بن حسن الوزاني، 1990 ؛ *مجموع مؤلفات محمد بن الحسن الوزاني*.

*Fondation Mohamed Hassan Ouazzani,* Casablanca L'imprimerie rapide, 1980.


محمد معروف الدفالي

**الوزاني، محمد** بن الحاج **الطيب** بن عبد السلام بن عبد الله الوزاني أصلا والآسفي دارا ومنشأ.. ولد برباط الشيخ أبي محمد صالح بمدينة آسفي سنة 1296 / 1878. بعد حفظ القرآن الكريم انتقل لطلب العلم على يد من كان بالمدينة من العلماء والفقهاء، وعلى رأسهم خاله الفقيه العلامة السيد محمد بالكيري وشيخ الجماعة الفقيه السيد عبد السلام بن مولاي الحاج الحسني الإدريسي والعلامة سيدي عبد الرحمان المطاعي والفقيه الشاعر أديب أهل آسفي سيدي محمد التريكي، وعنه أخذ المترجم له دروسه الأولى في الأدب والبلاغة والعروض، كما تتلمذ على الفقيه النحوي السيد محمد الصويري المعروف بالفقيه الصويري وغيرهم من الفقهاء والعلماء. وفي عام 1319 / 1901 رحل إلى مدينة فاس طالبا العلم في جامعة القرويين التي كانت تضم في تلك الفترة ثلة من خيرة علماء المغرب، وقد قضى بها ثماني سنوات كان يواظب خلالها على حضور دروس ألمع علمائها وشيوخها الذين نذكر منهم على الخصوص : سيدي أحمد بلخياط وسيدي محمد بن قاسم القادري وسيدي المهدي الوزاني وسيدي الفاطمي الشرادي وسيدي عبد الكبير الكتاني... وقد أجازوه عامة كتابة ومشافهة.

كان الشاب محمد بن الحاج الطيب عضوا نشيطا في جمعية شبه سرية أسسها بعض الطلبة قصد تتبع ما كان يجري في الميدانين الثقافي والسياسي في كل من الغرب العربي ومشرقه، وكان أفرادها يتوصلون بانتظام ببعض الكتب والصحف والمجلات التي كانت تصلهم من مدينة طنجة. وكانوا يجتمعون في بيت المترجم له لقراءتها ومناقشة

الأفكار الواردة فيها. ونذكر من بين الأفراد الآخرين في هذه الجماعة على الخصوص السادة: محمد بن العربي العلوي ومحمد بن إدريس (من فاس) ومحمد بلقزيز (من مراكش) ومحمد الحضيكي (حفيد شارح الهمزية) ومحمد التغزوفي. ولقد اتفق أعضاء هذه الجماعة بعد تخرجهم من الجامعة على أن يبقوا على اتصال فيما بينهم عن طريق الكتابة لتبادل الأخبار والاطلاع على كل ما كان يجري في مختلف مناطق البلاد. وقد تطور فيما بعد مضمون هذه المراسلات ليشمل موضوعات أخرى لها صلة بمسألة فرض الحماية الفرنسية على المغرب، وبأنجح السبل لحماية المقدسات الوطنية. ويمكن القول بأن بذور الحركة الوطنية قد غرست مع هذه الجماعة، أي قبل سنة 1925 التي يجعلها البعض سنة بداية هذه الحركة.

ولما عاد سيدي محمد بن الحاج الطيب إلى بلدته أسفي عام 1328 / 1909 اشتغل بالدعوة إلى الحركة السلفية، حتى إذا انطلقت فعليا الحركة الوطنية كان من أوائل الدعاة لها وخطيبها المفوه، إذ كان إماما وخطيب الجمعة بمسجد أفنان المعروف حاليا بالمسجد القديم أو الجامع الفوقاني. وكان هذا المسجد يشهد كل جمعة، وخاصة في مرحلة الشدة والمقاومة، حفلا دينيا ووطنيا، ذلك أن خطب الفقيه كانت خطبا نارية تذكي حماس المصلين وتدعوهم إلى التمسك بالإسلام وأخلاقه، وإلى التضحية في سبيل إنقاذ الوطن من الاستعمار. وكانت جنبات المسجد تمتلئ عن آخرها بالوطنيين من أبناء المدينة والإقليم.

انقطع الفقيه ابن الحاج الطيب عن الخطابة بعد نفي السلطان محمد الخامس. وبعد الاستقلال لازم بيته، وقد آلمه كثيرا ما آلت إليه حالة الوطن من فساد وانقسام في صفوف الحركة الوطنية.

ومما يؤسف له أن جل مؤلفاته من دواوين وخطب وفتاوي ومذكرات قد ضاعت، ولم يبق منها إلا النزر القليل نذكر منه على الخصوص مؤلفا صغير الحجم عنوانه: "*موجز سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم*" وعدداً قليلاً من الخطب والفتاوي.

توفي يوم السبت 26 ربيع الثاني عام 1381 / 7 أكتوبر 1961 ووري جثمانه الطاهر بمقبرة سيدي منصور.

عبد الحق الوزاني

**الوزاني، محمد بن العربي**، ولد الشريف محمد بن العربي الوزاني عام 1308 / 1890 بأسفي في أسرة معروفة بسمو الأخلاق، عريقة في الثقافة الدينية والأدبية، لها حضارتها وأمجادها، وتحظى من الأوساط المحلية بالدرجة الأولى فيما يسمّى بالشرفاء.

عندما بلغ الصبيّ محمد الخامسة من عمره، سلّمه أبوه العربي إلى أشهر الفقهاء بالمدينة، الشيخ محمد المطاعي. وما كاد يقضي خمسة أعوام على الحصير حتى ختم القرآن وحفظه جيداً. ثم نقله أبوه إلى حلقات التدريس الذي كان ينشطها بعض العلماء المحليين، منهم الطيب الحكيم وإدريس بن محمد بنهيمة، فتعلم عنهم المتون الفقهية وشرحها، وبعض الفنون الأدبية واللغوية، فحظي بتقدير شيوخه لما أبان عنه من فطنة وسرعة الإدراك والفهم.

وبعد سنوات قليلة، حصل بكل استحقاق على إجازة في الفقه على المذاهب الأربعة، فانخرط في سلك العدول وعمره عشرون سنة. فكان ظاهرة عصره، تميّز عن أقرانه بشخصيته القوية وحكمته وسداد رأيه وإشعاعه في الأوساط المحلية، فأمسى موضع احترام وتقدير وتبجيل.

وفي العام الأول من فرض الحماية الفرنسية على المغرب والتي عصفت بالألباب، واضطربت معها العقول، ولم يعد أحد يدري على أي حال سيستقرّ الوضع الجديد، جنحت السياسة الفرنسية إلى اختيار أطر محلية من بين الشخصيات الأكثر مصداقية ونزاهة، فكان الشريف محمد بن العربي الوزاني من هؤلاء الذين حظوا برضا السلطان مولاي يوسف، فولاّه حسبة أسفي بظهير في شهر ربيع الأول عام 1331 / شتنبر 1912، خلفاً للعربي الفاسي، فأبان المحتسب الجديد عن خبرة فائقة بمعرفة فنون التجارة وشروطها، وقضايا المجتمع وخباياها، فكان دائما قريبا من الناس، يستفسرهم عن ظروف عيشهم وعن مشاكلهم في حرفهم وترويج بضائعهم، يهذّب بالتي هي أحسن من كان منهم في حاجة إلى تهذيب، وغير ذلك، فزادت مكانته سُموا عند القوم.

وفي يوم الاثنين 3 رجب عام 1332 / 1913، وبأمر من السلطان، تمّ تعيين محمد بن العربي الوزاني خليفة باشا آسفي، والباشا وقتذ هو إدريس بن عيسى بن عمر العبدي. والسبب في ذلك أن أهل آسفي لم يثقوا بالباشا واستنكرُوا قيادته عليهم نظراً لسوابق أبيه الطاغية الذي فتك بالعديد من الأبرياء من بين قبيلة أولاد زيد ورجال آسفي، ضاربا عرض الحائط بسلطة القائد حمزة بنهيمة الذي كان عاملا على آسفي قبل الحماية.

وبقي محمد بن العربي الوزاني خليفة الباشا مدّة ثلاث سنوات، عرف بحنكته كيف يفضّ الخلافات بين الناس،

ويحمل الخارجين عن النظام والعابثين بالقوانين والأعراف على الرجوع عن غيّهم، دون المس بكرامتهم ولو كانوا مذنبين أو مجرمين. وكان يومئذ الصلح بين الناس هو الظاهرة المرجّحة.

خلال هذه الخلافة حصل على اعتراف فرنسي بخدماته فوشّحه المراقب المدني إذ ذاك بجوقة الشرف من درجة فارس. فازدادت شخصيته تألّقا في أعين الناس.

وفي 8 رجب عام 1335 الموافق 1917، انتقل محمد بن العربي الوزاني بظهير مولوي إلى قيادة قبيلة البحاترة المجاورة لأسفي والتي اقتطعت من نفوذ أولاد عيسى بن عمر فأحسن تدبير شؤونها بإبعاد الظلم عن الناس وعن المتقاضين بصفة عامّة، وأعجب المخزن بمهارة هذا القائد الوارد من بين أهالي المدينة، فاستطاع أن يُغيّر أحوال "حكومته" ويعيد إليها الأمل في حياة أفضل.

ونظراً لما حققه من نتائج إيجابية في ولايته بالبحاترة، أضاف إليه السلطان قيادة قبيلة أولاد عامر وهي فرقة من عبدة. فما كان من سلطات الحماية إلا أن اعترفت مرة أخرى بقدراته العقلية وخبرته الإدارية وبنزاهته ونكران الذات، فوشّحت صدرة بميدالية "عرائش المجد" وهي في الواقع لا تعطى إلا للذين يستحقّون التنويه والتقدير من بين أولي النُّهى.

واستمرّ محمد بن العربي الوزاني يمارس مهامه إلى عام 1346 / 1927 حيث أعفي من قيادة البحاترة وأولاد عامر.

فعاد الشريف إلى آسفي مطمئن الضمير وهو يعلم أن الخلد في المناصب لم يكتب لأحد من الأناسي. ومما أثلج صدره أن سلطات الحماية لم تتنكّر لخدماته فمنحته وسام الاستحقاق الزراعي من درجة فارس كما أن السلطان أضاف إلى ذلك وسام العرش من درجة ضابط.

واستمرّ محمد بن العربي الوزاني في تعامله الإنساني مع السلطات وكان بعض الناس يستوسطونه لديها لحل مشاكلهم الخاصة أو نزاعاتهم فيما بينهم.

توفي محمد بن العربي الوزّاني بأسفي يوم الاثنين 24 ربيع الأول 1374 / 21 نونبر 1954 فكان لوفاته صدى مؤلم في النفوس.


وثائق أسرة الشرفاء الوزّانيين بأسفي ؛ أحمد بنجلون، عائلات أسفي، مخطوط ؛ المحتسب عبد الله بن محمد بنهيمة، مذكرات، مخطوط.

Antonna : *La région de Abda*, p. 67 etp. 79.


التهامي الوزاني وأحمد بنجلون

**الوزانية** (الزاوية -)، مؤسس الزاوية الوزانية هو الشريف الإدريسي مولاي عبد الله بن إبراهيم الذي ولد بقرية تازروت بقبيلة بني عروس في سنة 1597. ومن هذه القرية انتقل للدراسة بزاوية صرصر القريبة من وزان حيث تتلمذ على صاحب هذه الزاوية سيدي على بن أحمد الكرفطي. ثم بعد ذلك انتقل لاستكمال تحصيله بكل من تطوان وفاس. وعند وفاة شيخة سيدي علي بن أحمد في سنة 1628 عاد مولاي عبد الله الشريف إلى جبل صرصار وأقام به أكثر من سنة منقطعاً عن الخلق، مستغرقاً في العبادة والتأمل. ولما اكتملت لديه أسباب المشيخة وأحس بالرغبة في إرشاد المريدين وتربيتهم بدأ يبحث عن مكان مناسب يستقر فيه، فاهتدى إلى قرية وزان التي كانت تتوفر فيها الشروط الضرورية لإقامة زاوية في مكان يشكل نقطة التقاء أكبر قبائل المنطقة (انظر مادة "مدينة وزان").

ولقي مولاي عبد الله الشريف إقبالا كبيراً لدى المريدين وطلاب التربية الصّوفية، فكثر أتباعه في فترة تميزت بالفراغ السياسي في المنطقة، وأصبحت وزان قبلة للزوار خلال الموسم السنوي الذي يُقال إنه كان يستقطب أكثر من عشرين ألف زائر في حياة الشيخ المؤسس. وبقدر ما وطد العلويون سلطتهم السياسية خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر بقدر ما ظهرت الحاجة إلى تحديد العلاقة مع المخزن الذي أراد أن يحصر الزاوية داخل الإطار الديني الصرف. وقد استطاع الشيخ الثاني للزاوية، سيدي محمد بن مولاي عبد الله الشريف (ت. 1708)، أن يبدد شكوك المولى إسماعيل العلوي بشأن ولاء الشرفاء الوزانيين وأن يستثمر رصيد الوزانيين كشرفاء ليجعل من الزاوية "دارضمانة" تضمن لمريديها وأتباعها الجنة بواسطة شفاعة آل البيت الشريف.

لكن الزاوية شهدت تحولات هامة بعد شيخها الثالث مولاي التهامي بن محمد (ت. 1715)، خاصة على مستوى العقيدة الصوفية، بحيث انتقل التركيز من التربية إلى توظيف النسبة الشريفة كأساس لاستقطاب الأتباع وتوسيع النفوذ الروحي للزاوية. فالمريدون والأتباع أصبحوا يقصدون الشرفاء الوزانيين طلباً لبركتهم ورغبة في التقرب من آل البيت والاستظلال بظلهم أكثر مما كانوا يقصدونه من أجل التربية. ومما ركز هذا التوجه اهتمام شيوخ الزاوية بتدبير الرصيد المادي المتراكم وتراجع حرصهم على التربية الصوفية. فصاحب *نشر المثاني* يذكر أن مولاي التهامي كان يكتفي بتعليم أبنائه مبادئ الدين ثم يوجههم لتعاطي الأسباب. ومع تكاثر عدد الأتباع والمريدين لم يعد باستطاعة الشيوخ الوزانيين المتأخرين أن يضمنوا التربية والتأطير الصوفي كما كان عليه الحال في حياة الشيوخ المؤسسين.

وقد رافق هذا التحول توسع الزاوية وانتشار نفوذها في المناطق النائية من البلاد، بل وحتى في البلدان المجاورة كالجزائر. ففي عهد الشيخ الرابع للزواية، وهو مولاي الطيب (ت. 1767) امتد نفوذ الزاوية إلى الغرب الجزائري حيث أصبح أتباعها يعرفون بالطيبيين. كما استفاد هذا الشيخ من غياب سلطة مخزنية قوية بعد وفاة المولى إسماعيل ليوطد

نفود الزاوية في الكثير من المناطق، وخاصة منطقة الغرب والنواحي الشمالية ـ الغربية التي لم يتمكن خلفاء المولى إسماعيل من إحكام مراقبتهم عليها. وهذا ما جعل العلاقة بين الشرفاء الوزانيين والدولة تعرف بعض التأزم.

لكن السياسة التي نهجها سيدي محمد بن عبد الله (1757 ـ 790 ) تجاه الشرفاء الوزانيين أدت إلى انفراج ملحوظ في العلاقة بين الطرفين. فهذا السلطان الذي بنى حكمه على مبدأ التقليل من تدخل المخزن في الشؤون المحلية عهد إلى شيخ الزاوية، سيدي علي بن أحمد (ت. 1811)، بصلاحيات هامة سمحت له بفرض مراقبة إدارية وقضائية على منطقة واسعة تشمل الغرب وقبائل جبالة السفلى.

وإذا كان المولى سليمان(1792 ـ 1822) قد نهج سياسة مخالفة وحاول التراجع عن الامتيازات التي استفادت منها الزاوية خلال عهد والده، فإن سلاطين آخرين كالمولى عبد الرحمان بن هشام (1822 ـ 1859) قد قرب إليه شيخ الزاوية، مولاي العربي (ت. 1850 )، وأغدق عليه امتيازات هامة كتحويله إراثة المنقطعين بمنطقة توات. وهذا الامتياز هو الذي سمح للشرفاء الوزانيين بتوسيع نفوذهم في المناطق الصحراوية النائية، كما أن موقفهم من الاحتلال الفرنسي بالجزائر سمح لهم بتعزيز نفوذهم في هذه البلاد كذلك.

لكن تزايد الضغط الاستعماري على المغرب خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر حمل معه بذور تصدع وتباعد بين الزاوية والسلطة المخزنية. فمع تراجع هيبة الدولة وإفلات زمام الأمور من يدها في الكثير من جهات البلاد، وجد الشرفاء الوزانيون أن مصالحهم ربما تكون في مأمن إذا لاذوا بحماية دولة أوربية قوية كفرنسا. وهذا ما حدث بالفعل من سنة 1883 عندما وضع شيخ الزاوية الوزانية نفسه تحت حماية الدولة الفرنسية. إلا أن العواقب كانت وخيمة بالنسبة للزاوية في علاقتها مع المخزن ومع أتباعها والمتشوفين إلى بركتها. ويمكن القول إن هذا التاريخ شكل نقطة البداية لمرحلة تراجع فيها نفوذ الوزانيين باستمرار، وهو تراجع سيتعمق خلال النصف الأول من القرن العشرين مع ترسخ الحركة السلفية المناوئة لما يُسمى بالطرقية وهيمنة الفكر الوطني الذي ساير الحركة السلفية في مواقفها.

محمد بن عبد الطيب القادري، *نشر المثاني*، ج 4، الرباط، 1986 ؛ محمد المنصور تصوف الشرفاء، ضمن *التاريخ وأدب المناقب*، الرباط، 1989، ص. 15 ـ 27.

G. Drague (G. Spillman), *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

محمد المنصور

**وزّهرا** أو **ووزهرا**، أسرة أصلها أندلسي تصدرت منذ حلولها بالرباط أوائل القرن السابع عشر. تخرج منها عدة شخصيات أهمهم : وزهرا محمد بن يحيى ومحمد الناظر وعبد السلام أمين مرسى تطوان والمكي بن عبد الرحمان أمين المرسى الجديدة.

الفاسي، *مدينة الرباط*، ص. 153 ؛ دينية، *مجالس*، ص. 246.

عبد الإله الفاسي

**وزگيتة** ← **نفيس** (واد -)

**الوزگيتي، عبد العزيز** بن **سعيد** يدعى عزوز قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان مولاي عبد الملك، قال عنه كل من الإفراني والناصري إنه كان وزيراً مع السلطان المذكور، في حين وصفه الفشتالي في مناهل الصفا بالصدر كبير الدولة، وأنه كان خال مولاي أحمد المنصور الذهبي وحاجبه.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. كريم، ص. 42، الرباط، 1972 ؛ محمد الإفراني، *نزهة الحادي*، ص. 64، الرباط، بدون تاريخ ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، ج 5، ص. 66، الدار البيضاء، 1954.

Ojeda, Luis de, Comentario que trata de la infelice jordana del Rey Don Sebastian *(S.I.H.M., France I, p. 576-627).*

محمد ابن عزوز حكيم

**وساي** (دفين ساحل ماسة) : لا نعرف إلا النزر القليل عن حياته، وتبقى الإشارات الوحيدة مستمدة من ورقات تتضمن مناقبه، وثمة اختلاف حول نسبه، فتارة يذكر ضمن صلحاء ركراكة المستقرين بسوس، وتارة أخرى يرد بين آل يعزى ويهدى أو ينتسب إلى العمريين، وأن أصله من الأندلس بعد أن انتقل إليها قادماً من الشرق، فيقال له الرندي، إلا أن ذكره بوساي أشهر منه بعبد الرحمان. ويبدو أن جميع المؤثرات تدل على أنه كان طارئاً على بلاد ماسة، بعد سنوات قضاها في السياحات صحبة المتصوفة. ولا يستبعد أن يكون هذا الاستقرار، مرتبطاً بحالة الانجذاب التي تتمتع به ماسة، نتيجة تواجد الرباط المشهور، ويترسخ الاعتقاد باحتمال ظهور المهدي، لهذا أضحى المكان مأوى للصالحين. ولا ريب أن ما ينعت به في المصادر بصفة البهلول، نابع عما كان يأخذ به نفسه بالتقشف والرياضة والسياحة.

توفي وساي بماسة في تاريخ مجهول، وقد صنفه المختار السوسي ضمن صلحاء القرن 5 هـ، وقيل إنه من أهل ق 8 هـ. ومشهده يعتبر من المزارات السوسية المقصودة بكثرة. ويذكر أن ولديه رجعا إلى فاس بعد دفن أبيهما، بعدها انتقلا إلى قبيلة إيسافن نايت هارون حيث دفنا.

ورقات تتضمن مناقب وأصول الولي الصالح الرباني سيدي عبد الرحمان الرندي، مخطوط خزانة المسعوديين ببونعمان بدون تاريخ ؛ *وثيقة حول ركراكة*، خزانة الأكراري ؛ الكرامي، *بشارة الزائرين*، مخطوط خاص ؛ المختار السوسي، *رجالات العلم العربي بسوس*،

ص. 9 ؛ *المعسول*، ج 4 : 9 ـ 16 ـ 32 ـ 238 ـ 239 ؛ *خلال جزولة*، 2 : 228.

L. Justinard, Notes sur l'histoire du Sous au XVI siècle, *Archives Marocaines*, 1933, p. 207.

أحمد بومزگو

**الوشم** ، أصل الكلمة من "الوسم" أي طبع الجلد وترك الأثر عليه. ويشكل الوشم أحد أقدم العادات والتعابير في المغرب. وتخضع مسألة تفسير هذه الرموز لتأويلات ليست نهائية تماما. إلاّ أن كل أشكال الوشم تنطلق من أرضية واحدة، وهي : النقطة والخط. وتتفرع إذ ذاك إلى أشكال ترتع من الطبيعة والمعتقدات. ويمكن أن يترجم كل ذلك أيضا في الحلي والزرابي كإبداع لنفس الأشكال ولكن بأنماط مركبة وبألوان مختلفة، على عكس الوشم الذي يعتمد اللون الواحد رغم تعدد أشكاله. إنه عمل فني شاهد للمجتمع وشاهد عليه في نفس الوقت، لأنه يقتبس تقاسيمه من المرئيات أو من اللامرئي حينما يستند إلى الموروث.

وتخضع رمزية الوشم لتأويلات عديدة. فالوشم يمكن أن يكون زينة خالصة، ويمكن أن يكون مسارا احتفاليا في زمن متواصل. كما يمكن أن يكون شكلا يرمز إلى قبيلة أو ثقافة معينة. وتختلف هذه الرمزية من ثقافة لأخرى ومن شخص لأخر، كما تختلف بين النساء والرجال. وتتخذ هذه الرمزية أبعادا أخرى حسب كل جهة من الجسد، من الوجه إلى الأطراف والصدر ... فالوشم ليس رسما عابراً بل رسالة تضمن استمرارية التقاليد والفلسفة الخاصة بمجموعة بشرية معينة. فبواسطة الوشم يمكن للجسد أن يتخذ مساره الاجتماعي، ليصبح جسداً من هنا أو هناك. إنه بطاقة تعريف خاصة جداً.

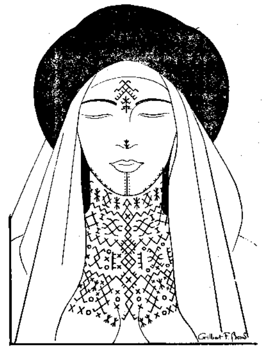

فلدى بعض القبائل، ينظر إلى الوشم كعلامة على بلوغ الفتاة سن الزواج. ويتم الوشم من طرف عجوز خبيرة في ضريح من الأضرحة المحلية، أما الحفل فيُقام بعد ذلك في منزل الفتاة. وفي بعض القبائل تعطى الأسبقية لوشم الذقن ثم بعد ذلك الجبهة. وفي قبائل أخرى يتم العكس. ويفصل الوشم بين مرحلتين أساسيتين من حياة المرأة، مرحلة ما قبل الزواج ومرحلة ما بعده. ولكل مرحلة وشمها الخاص، كأن تمر من البسيط إلى المعقد، من حياة الصبا والعائلة إلى حياة الأنوثة وتكوين الأسرة. ويمكن أن تكون المرحلة الأولى خالية من الوشم إلى حين بلوغ المرحلة الثانية. وفي كثير من الأحيان يشكل استقبال الحياة الزوجية نقطة تحول من الوشم العابر إلى الوشم الذي يتخذ من الشكل والنوع خصوصية له. إلا أن هذه الملاحظات تختلف من قبيلة لأخرى ومن منطقة لأخرى :

ـ في بعض القبائل، يُحتفل بالوشم احتفالا خاصا كمناسبة من المناسبات، ويتم ذبح الذبائح لذلك. وفي أخرى، تستقدم الواشمات من قبائل مجاورة، فتقضين وقتا يطول أو يقصر حسب عدد الراغبات في الوشم. ويتم التعامل مع هؤلاء الواشمات معاملة خاصة (الحفاوة والتكريم). ويتم الوشم بواسطة أدوات طبيعية صلبة أو بواسطة سكاكين حادة أو إبر، ويتم اختيار الرسوم من طرف المعنية بالأمر أو يترك للواشمة حرية الاختيار. وفي هذه الحالة تنقل بعض الأشكال من مجموعة لأخرى. ويتم وخز الجلد برفق تتبعا للشكل المرسوم مسبقا. بعد ذلك يمسح الدم وتملأ الثقوب بالرماد أو السّخام. ولإعطاء اللون نصاعته المرغوبة، يوضع على الوشم طلاء من دقيق نبات مختار لهذا الغرض، كما هو الحال بالنسبة للنبتة الملتفة (اللّواية). ويراعي في ذلك لون البشرة، فإذا كانت بيضاء يكون اللون أقل نصاعة، أما إذا كان اللون يميل إلى السمرة أو الحمرة فيتم تكثيف اللون حتى يظهر أكثر نصاعة. وفي بعض الحالات لا يتخذ الوشم كمهنة، فهناك واشمات على استعداد للقيام بذلك، والعرّافات هن الأكثر إتقانا لذلك. وفي حالات أخرى يصبح الوشم مهنة تتقاضى عليه الواشمة أجراً.

أما من حيث هندسته، فيمكن تقسيم الوشم إلى ثلاثة أنواع :

ـ زخرف الحزام، ويتخذ من غطاء (الحنبل) نموذجه الأول. وينتشر خاصة لدى القبائل العربية في الساحل الأطلسي أو داخل البلاد (بني حْسن ـ الشاوية، دكالة، عبدة، زعير، ورديغة ...).

ـ زخرف الخطوط المسَنَّنَة، وينتشر هذا النوع بين القبائل الريفية، ويتخذ من خطوط الجلابيب نموذجا.

ـ زخرف المركبات : وهو وشم ينتشر لدى قبائل الأطلس المتوسط، ويتميز بتشابك زخارفه وتنوع رسومه، ويتخذ من تزاويق الزرابي مرجعية لهُ.

ويتركز الوشم خاصة في الأماكن البارزة من الجسم كالوجه والأطراف. ويلعب الوجه دوراً أساسياً في الحياة. فبملامحه تتحدد شخصية الإنسان، وبملامحه تتحدد طبيعة العلاقات. إنه صورة تعكس نفسية الفرد وسنه ومزاجيته ... إنه عند المغاربة الجهة الأكثر حساسية والأكثر انكشافا

لإرسال النظرات أو لاستقبالها. ويحتل وشم الوجه ثلاثة مواقع : الجبهة، مقدمة الأنف، الذقن، ويتم ذلك بنوع من الانسجام بين الأشكال المختارة :

- وشم الجبهة : ويحمل عدة أسماء محلية مختلفة كالمَرْكَبْ والعياشة والبوجة والغمازْ. وقد يحتل هذا الوشم حيزاً كبيراً من وسط الجبهة إذا كان مركبا وقد يقتصر، إذا كان بسيطا، على ما بين الحاجبين فقط. فهو بسيط لدى القبائل العربية، يقتصر على نقط أو رافدين متداخلين أو خطوط أو يرسم على شكل رافدة عادية أو معكوسة أو على شكل قوس. أما عند القبائل الأمازيغية، فيحتل وشم الجبهة حيزاً أكبر وينجز بأشكال أكثر تعقيدا.

- وشم الأنف : وهي ظاهرة تنتشر في أوساط القبائل الأمازيغية، فالرجال يشمون مقدمة الأنف كرمز على الإباء والأنفة. ويعرف هذا الوشم بـ "الشَّـمَّامة"، وله علاقة بما تضعه المرأة على مقدمة أنفها من مواد مرغوب في شمها (الأتوخ - القطران - الحرگوس ...) وهو وشم يقتصر في الغالب على نقط متتالية أو متقاربة أو على شكل خطوط أحادية أو مزدوجة أو مركبة. ولعل هذه البساطة تعود إلى ضيق مقدمة الأنف.

- وشم الذقن : (السِّيالة - التِّسْنيدة) ويقتصر على المسافة الممتدة من الشفة السفلى إلى مقدمة العنق. وكلمة "السيالة" أكثر التصاقا بالمرأة، والوشم الأكثر تعبيراً عن الأنوثة. ويتخذ هذا الوشم من النقط والخطوط أشكالا.

- وشم الفك : ويتميز بكونه ينسجم مع "السيالة". ومنها يمتد في اتجاه أسفل الأذنين دون أن يصلهما أو يصل بقية العنق. إلا أن شكله وامتداده العرضي أو الطولي يختلف من قبيلة لأخرى. وارتباطا بذلك يتميز العنق بكونه أكثر تشابكا، وينتشر خاصة لدى قبائل الأطلس المتوسط والدير.

أما وشم الظهر أو البطن والعانة أو الكعب والمعصم، فيجد مرجعيته في طلاسم سحرية وتعاويذ مرتبطة باعتقادات تتعلق بارتباط المرأة بالرجل ومحاربة العنوسة أو العقم ويحفظ الجنين والطفل من العين السيئة والأمراض.

وإذا كان الرجال يقدمون نفس الأشكال الرمزية في الأواني المصنوعة من الخزف والنحاس والفضة وفي الصباغة ونقوش أعمدة الخيام والموائد والصناديق والمكاحل ... فإن الكثير منهم يشمون جلودهم في الأماكن البارزة من الجسم وخاصة الأطراف العليا (الكتف - الدراع - اليد ...) كما هو الحال بالنسبة للمحاربين والسجناء.

فعند السجناء يمكن التمييز بين نوعين من الوشم، وشم يأتي به صاحبه من خارج السجن، وهو وشم مرتبط بالقبيلة التي ينتمي إليها، وهو في العادة عبارة عن رموز وعلامات ... ووشم يتم داخل السجن. ولا يقتصر على العلاقات فقط بل يتعداه إلى الأشكال.، وفي هذا النوع يظهر التأثير الأوربي واضحا وخاصة في الشرق وعلى السواحل. ولعل هذا ما يفسر انتشار الوشم الإثني بالبوادي وندرته بالمدن، وانتشار الوشم الأوربي بالمدن الساحلية وندرته بالأرياف.

ويمكن تقسيم هذه الرسوم والرموز إلى خمسة أشكال مرتبة حسب أسبقيتها وتكرارها بالنسبة لكل واحدة :

- الحيوانات : الأسماك : ترسم في الغالب مزدوجة أو على شكل ثالوث، تحيط برسم آخر أو تحمل رسالة ... وهي في الغالب ترمز إلى الخفة والحركة والماء مصدر الحياة والخصب ...

الطيور : وترسم بشكل عفوي دون تحديد النوع، إلاّ أن الأنواع الأكثر انتشاراً تتمثل في اللقلاق، الصقر، الحمام، السنونو .. وهي طيور ترسم في الغالب محلقة تحمل رسائل في مناقيرها ... إنها رمزية تشير إلى تطلع السجين إلى الانعتاق والتواصل مع الأهل والأحباب ...

أما الحيوانات والزواحف الأخرى فتتمثل في الفراشة - الغزال - العقرب - الثعبان - السرطان - الأسد ...

- النباتات : وهي نباتات تنتمي في الغالب إلى البيئة التي ينحدر منها السجين، فبالإضافة إلى بعض الأزهار، توجد أوراق لأشجار، الأغصان، أشجار الزيتون والنخيل والصنوبر والكروم... وتوشم هذه النباتات بشكل مجرد أو تحمل خطابا أو رمزاً.

- الانسان : وفي غالب الأعيان يكون امرأة، وتتخذ المرأة في هذا النوع من الوشم أشكالا مختلفة، قد يكون رأسها فقط في وضعية جانبية أو مقابلة، وقد تكون المرأة المرسومة عارية وفي وضعيات مختلفة، وقد يكون نصفها الأسفل على شكل سمكة، وقد تحمل كأسا أو وردة أو زجاجة.

- الكلمات : غالبا ما تكون كلمات مقدسة كالبسملة، وقد تكون أسماء الوالدين، أو الإخوة أو الأصدقاء. وقد يكون اسم امرأة لها تاريخ أو قصة مع السجين ...

- رسوم مختلفة : وتتكون من خليط من الرموز والأشكال، وتتضمن الهلال، النجوم، الأسلحة، الزخارف، الشعارات ... فبالنسبة للهلاليات، ترسم في أوضاع وفي اتجاهات مختلفة أحادية أو مرفوقة بأشكال أخرى. أما النجوم فتنحصر في الخماسية إلى السباعية، منفصلات أو مركبات. ومن الأسلحة الموشومة، البنادق، السكاكين، الخناجر، السيوف، النبال... وهذه الأخيرة منعزلة أو مغروسة في قلب. وفي الزخارف : قلوب متداخلة تحمل الحروف الأولى لعشيقين، أيدي وعيون (محاربة الحسد والعين السيئة)، رايات، شموس، أجراس، مراسي ...

والملاحظ أن ظاهرة الوشم بهذه الأوصاف بدأت تعرف تراجعا ملحوظا في صفوف النساء، بسبب ظهور أشكال جديدة من التجميل، وبسبب انتشار الأفكار المحرمة للوشم، إضافة إلى انتشار الوعي بما قد تتسبب فيه من أمراض بالنظر إلى طبيعة الوسائل المستعملة والتي غالبا ما تكون غير معقمة. ولعل هذا ما جعل العديد من النساء يبحثن عن مختلف السبل لإزالة الوشم من على الجلد. إلا أن هذا لا يعني اختفاء ظاهرة الوشم بشكل نهائي، ذلك أن تطور

وسائله وأشكاله في أوربا قد تسمح بانتشاره من جديد في المغرب.

Dr. J. Herber, Origine et signification des tatouages marocains, *L'Anthropologie, t. XXXVII, 1927* ; Tatouages crapuleux, *Maroc-Médical, n° 83, mai 1929* ; Les Tatouages marocains, *Maroc-Médical, n° 307, déc. 1950* ; Les Tatouages de la face chez la marocaine, *Hespéris, t. XXXIII, 1946* ; Tatouages des prisonniers marocains, *Hespéris, t. V, 1925* ; Rahma Boureqia, Une cible du pouvoir ou le corps tatoué, *B.E.S.M., n° 153-154, 1984.*

صالح شگاگ

**الوطاسي، زيان** بن **عمر**، كان أول ظهور له على مسرح الأحداث السياسية عندما حاول أبناء السلطان أبو الحسن المريني : وهما الأميران أبو مالك وأبو عبد الرحمن التمرد على أبيهما وخلافته على العرش لما ألم به مرض ألزمه الفراش، وهو بظاهر تلمسان ينتظر قدوم صهره الحفصي حسبما أومأ إليه به وزير السلطان الحفصي الشيخ أبو محمد ابن تافراجين، وذلك بمناسبة فتح السلطان أبي الحسن لمدينة تلمسان التي استعصت على أجداده من قبله، وكان السلطان أبو الحسن قد سمح للأميرين باتخاذ مظاهر الملك من زينة وجند ووزراء، لكن الأمير أبا عبد الرحمن رآها فرصة أغراه بها أتباعه ومنهم وزيره زيان بن عمر الوطاسي للوثب على السلطة، لكن خاصة السلطان أبي الحسن ومستشاريه تنبهوا للأمر فأشاروا عليه بالخروج إلى الناس واستقبالهم ففعل، ولما هدأت الأحوال وفشلت محاولة أبي عبد الرحمن انفض الناس من حوله، ففر ومن بقي من أتباعه ؛ لكن شيخ قبيلة أولاد علي من زغبة الموطنين بمنطقة متيجة بالمغرب الأوسط ألقى عليه القبض وأعاده إلى أبيه فسجنه بمدينة وجدة ؛ أما زيان بن عمر الوطاسي وزيره فقد التحق بالحفصيين في تونس فأجاروه : وقد كانت هذه المحاولة الانقلابية عام 738.

أما الظهور الثاني لزيان بن عمر فكان في عهد السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم في فترة حكمه الأولى 776 - 786 / 1374 - 1384، ذلك أن السلطان لما أخذت له البيعة ودخل مدينة فاس اشترط عليه ابن عمه عبد الرحمن ابن أبي يفلوسن أن يتولى مراكش بدل سجلماسة، وفعلا تم له الاستيلاء على المدينة وأعمالها، بل انقسم المغرب عندئذ إلى دولتين ؛ عاصمتهما فاس ومراكش، وجعل الحد بينهما نهر أم الربيع، وكان ذلك سبباً في نزاع طويل بين الطرفين وحروب مريرة امتدت إلى سنة 784، حيث استطاع السلطان أبو العباس محاصرة عبد الرحمن بقصبته في مراكش لمدة تسعة أشهر حتى يئس وانفض الناس من حوله، لكنه لم يستسلم بل حث ولديه سليم وأبا عامر على الصمود ومحاربة السلطان أبي العباس ؛ فامتثل الولدان ولم يكن أمامهما سوى الدفاع عن أنفسهما لما اقتحم أبو العباس عليهما القصبة، وقد أبليا البلاء الحسن لكنهما قتلا على يد أحد خدامهم الذي انحاز إلى أبي العباس لما مالت كفة الصراع نحوه، وتخلى عن ولي نعمته الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن، والقصد هنا إلى الوطاسي زيان بن عمر وفي ذلك يقول ابن خلدون في *العبر*، 7 : 346.

"وطالما كان زيان يمتري ثدي نعمتهم، ويجر ذيله خيلاء في جاههم، فذهب مثلاً في كفران النعمة وسوء الجزاء...".

توفي عام 807 / 1405.

محمد حجي، *ألف سنة من الوفيات* : *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب* ؛ الجزنائي، جني *زهرة الآس* ؛ ابن خلدون، *العبر*، دار البيان، بدون تاريخ ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح* ؛ ابن الحاج، *فيض العباب* ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 3 و4.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, 2 t., Casablanca, 1950; Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris - Casa 1967.

محمد حجاج الطويل

**الوطاسي، عمر** بن **علي**، أحد زعماء أسرة بني الوزير، وهو الذي تولى أبناؤه وحفدته الوزارة لدى بني مرين في أواخر دولتهم. وعمر هذا كان من بين المقربين عند السلطان أبي عنان ورافقه في حملته إلى تلمسان سنة 753 / 1352. وعندما تمكن من الاستيلاء على بجاية عقد له على ولايتها، غير أن أهلها ثاروا عليه وقتلوه طعنا بخنجر في ذي الحجة من نفس شهر تعيينه.

ابن خلدون، *العبر*، ج. 7، بيروت، 2000 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 3، الدار البيضاء، 1954.

**الوطاسي، علي** بن **يوسف**، تولى الوزارة لدى السلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني سنة 852 / 1449 بعد وفاة قريبه الوزير أبي زكرياء يحيى بن زيان بن عمر بن علي، فسار سيرة سلفه في الاستبداد إلى أن توفي بتامسنا في خامس رمضان من سنة 863 / 1459، وحمل إلى مدينة فاس ودفن بالقلة مدفن أسرته من بني الوزير.

ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974 ؛ *درة الحجال*، ج. 2، القاهرة، 1970 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 4، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

**الوطاسي، محمد** بن **علي**، والده هو علي بن يوسف ينتمي إلى بني الوزير من بني وطاس، تولى الوزارة في عهد آخر سلاطين بني مرين عبد الحق 823 - 869 / 1420 - 1465؛ تولاها بعد مقتل الوزير الوطاسي أبي زكريا يحيى عام 852، وقد اشتهر بين الناس بورعه وحسن إدارته، لكنه توفي بعد إحدى عشرة سنة من توليته 863 / 1462. أما ابنه محمد فلم يتول منصباً رسمياً بل كان يسعى إليه مثل بقية بني الوزير، فكان ضمن حاشية الوزير يحيى بن يحيى بن عمر بن زيان الوطاسي الذي قالت عنه المصادر "... كانت ولاية هذا الوزير هي مبدأ الشر ومنشأ الفتنة ..." لكن السلطان المريني عبد الحق أدرك هدف الوطاسيين وتلاعباتهم فانقلب

ضدهم ؛ فألقى القبض على الوزير يحيى وأخويه وأتباعه ومنهم عمه فارس ابن زيان، وذبحهم جميعاً، وكان من ضمنهم كذلك محمد بن علي الوطاسي، ولم ينج من المذبحة إلا محمد الشيخ الوطاسي ومحمد الحلو أخوا الوزير يحيى، وكان مقتل محمد بن علي الوطاسي عام 865 / 1461 أي بعد مرور قرابة سنة واحدة من تولية يحيى الوزارة والتحاقه بحاشيته.

الناصري، *الاستقصا*، ج 3 و4، الدار البيضاء، 1954 ـ 1955 ؛ محمد حجي، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, 2 t., Casablanca, 1950; Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris - Casa 1967.

محمد حجاج الطويل

**الوطاسي، يحيى بن زيان** بن عمر بن علي، ينتمي إلى أسرة بني الوزير الوطاسية التي تولى عدد من أفرادها الوزارة واستعملوا في الولايات والأعمال في عهد بني مرين منذ قيام دولتهم. ويعد أبو زكرياء هذا واحدا من وزراء بني وطاس الذين استبدوا بالأمر في فترة حكم السلطان عبد الحق بن أبي سعيد آخر ملوك بني مرين. كانت له مساهمات بارزة في مواجهة حركات التمرد التي قامت ضد السلطان، منها غزوته للشاوية سنة 846 / 1443 وكانوا قد تمردوا على الدولة وعظم خطرهم، فتمكن من قطع دابرهم وتخريب منازلهم. غير أنه قتل سنة 852 / 1449 من طرف عرب أنكاد انتقاما منه، وحمل جثمانه إلى فاس حيث دفن بمقبرة القلة خارج باب الجيسة.

ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974 ؛ *درة الحجال*، ج. 2، القاهرة، 1970 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 2، الدار البيضاء، 1954 ؛ حسن الفگيگي، *مادة بني الوزير*، *معلمة المغرب*، ج. 5، سلا، 1992.

**الوطاسي، يحيى بن يحيى** بن زيان بن عمر بن علي، تولى هو الآخر الوزارة للسلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني مباشرة بعد وفاة سابقه علي بن يوسف الوطاسي سنة 863 / 1459، وهو آخر وزراء بني الوزير الوطاسية الذين تولوا هذا المنصب قبل انقراض دولة بني مرين. كانت مدة ولايته، التي لم تتجاوز السبعين يوما، مرحلة فاصلة في تطور العلاقات بين بني وطاس والسلطان عبد الحق المريني، ذلك أن أبا زكرياء عندما استقل بالوزارة أخذ في الاستبداد وعامل الرعية بالسيف، وعزل القضاة خاصة قاضي فاس الفقيه أبا عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي المعروف بتدينه وعدله وعوضه بقاض آخر هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المكناسي. فلما وقف السلطان عبد الحق على تجاوزات وزيره وأدرك مخاطر ذلك على سلطانه قام باعتقاله مع ثلة من شيوخ بني وطاس وقتلهم جميعا في نفس السنة، أي 863، ولم ينج من هذه المجزرة سوى محمد الحلو وصنوه محمد الشيخ ابن أبي زكريا مؤسس دولة الوطاسيين.

ابن القاضي، *درة الحجال*، ج. 1، 1970 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 4، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

**الوطاسيون**، الفرقة الثالثة في الحلف المريني إلى جانب بني عسكر وبني حمام، ترجع بعض المصادر أصلهم إلى المرابطين، فقد أشار ابن خلدون إلى أن بني الوزير منهم يرون أن نسبهم دخيل في بني مرين، وأضاف أنهم من أعقاب يوسف بن تاشفين لحقوا بالبدو ونزلوا على بني وطاس. ولما دخل بنو مرين إلى المغرب عقب هزيمة الموحدين في معركة العقاب 610 / 1210 كانت منطقة الريف الشرقي من نصيبهم، فكان موطنهم ما بين مدينة مليلية ووادي ملوية، وكانت قاعدتهم بها تازوطا ؛ ولعل نزولهم بهذه المنطقة الفقيرة كان السبب في منازعتهم لبني عبد الحق طيلة حكمهم للمغرب، فقد كانت لهم محاولات عديدة للاستيلاء على السلطة، ترجع أولاها إلى سنة 646 / 1248 ؛ لكن فشل تلك المحاولات دفع الوطاسيين إلى الخضوع للأمر الواقع، فحصلوا على امتيازات وإقطاعات واسعة إضافة إلى تقلدهم مناصب إدارية وسياسية عليا في الدولة المرينية مثل الوزارة والحجابة، وكان منهم عمال على الأقاليم والجهات. وبعد وفاة السلطان أبي عنان ودخول الدولة المرينية في طور الضعف استبد وزراؤهم وحجابهم بالحكم واستمروا في ذلك إلى عهد آخر سلاطين بني مرين عبد الحق ؛ فقد ضاق باستبداد الحاجب يحيى ابن أبي زكرياء فقتله وقتل جميع الوطاسيين المشتبه فيهم. لكن أحد إخوة الحاجب يحيى نجا من المذبحة وهو أبو عبد الله محمد الشيخ بن أبي زكرياء مؤسس الدولة الوطاسية التي دام حكمها قرابة التسعين سنة ؛ نجح محمد الشيخ في صد هجوم برتغالي على مدينة أصيلا فأكسبه ذلك شعبية عند سكان الهبط ولدى أعيان مدينة فاس والزاوية القادرية، فدخل فاس عام 875. ومن سلاطينهم :

1 ـ محمد الشيخ الوطاسي 875 ـ 910 / 1471 ـ 1504. أمضى مدة حكمه في الصراع مع البرتغاليين والمتمردين في أطراف البلاد والسعديين في الجنوب، فالبرتغاليون كانوا قد اكتسحوا معظم الثغور المغربية على المحيط الأطلسي في عهده، والسعديون ظهروا في الجنوب كقوة صاعدة لم يستطع وقف زحفها نحو الشمال، وأهم ما تميز به عهده : استكمال بناء مدينة تطوان، ونهاية إمارة غرناطة ولجوء أبي عبد الله ابن الأحمر أميرها إلى المغرب.

2 ـ محمد بن محمد الشيخ الوطاسي (البرتغالي) 910 ـ 932 / 1526 ـ 1554.

اهتم بمصارعة العدو المستولى على مدينتي سبتة وطنجة وعلى أصيلا وبلاد الهبط، فكان القصر الكبير ثغراً بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى، فشغله ذلك عن الاهتمام بباقي المغرب، وكان ذلك في صالح السعديين، حاول التصدي

للبرتغاليين في المعمورة وأنفا، لكن جيشه انهزم في النهاية وسقط الثغران البحريان في يدهم، وحاول التصدي للسعديين الذين وصلوا إلى مراكش فحاصر المدينة لكنه اضطر إلى تركها والعودة إلى فاس لإخماد تمرد عليه فكان آخر سلطان وطاسي يصل إلى مدينة مراكش.

3 ـ أبو حسون بن محمد الشيخ 932 / 1526.

هو أخو السلطان محمد الشيخ، تولى طبقاً لنظام ولاية العهد، لكن ابن أخيه أبا العباس أحمد بن محمد (البرتغالي) أزاحه عن العرش وتولى مكانه.

4 ـ أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ 932 ـ 960 / 1526 ـ 1554.

حاول أن يوقف زحف السعديين نحو الشمال فلم يوفّق رغم عقده معاهدة صلح مع برتغال آسفي وأزمور والجديدة، فوقعت بينه وبينهم عدة معارك أهمها : معركة أنماي في ذي القعدة 935 / 1529 انتهت بإبرام صلح بين الطرفين على أن يتم اقتسام المغرب بينهما : من تادلا إلى سوس للسعديين، ومن تادلا إلى المغرب الأوسط للوطاسيين ؛ ومعركة مشرع بوعقبة على وادي العبيد استغرقت أياماً وانتهت بهزيمة السلطان الوطاسي أمام الأمير السعدي أبي العباس الأعرج صفر 943 / 1537 ومعركة وادي درنة بتادلا انهزم فيها الوطاسيون بقيادة الأمير أبي زكرياء 952 / 1546 ؛ وانتهى الصراع الوطاسي السعدي باستيلاء السلطان السعدي محمد الشيخ على مدينة فاس والقضاء على الوطاسيين.

5 ـ أبو حسون الوطاسي الثاني بن محمد الشيخ 960 ـ 961 / 1554 / 1555.

لما استولى السلطان محمد الشيخ السعدي على مدينة فاس فر أبو حسون إلى المغرب الأوسط الذي كان في قبضة الأتراك العثمانيين، فاستنجد بهم وأغراهم على مساعدته في استرجاع ملك آبائه فساعده العثمانيون بجيش كثيف بقيادة صالح رايس دخل به مدينة فاس صفر 961 / 1555 وفر منها إلى مراكش السلطان السعدي الذي قرر العودة لاستئصال أبي حسون صنيعة الأتراك، فوقعت بين الجانبين معركة مسالمة قتل فيها أبو حسون ودخل محمد الشيخ مدينة فاس، وبذلك أسدل الستار على دولة بني وطاس التي جاءت إلى حكم المغرب في ظروف صعبة تميزت بالتفكك السياسي والاضطراب الاجتماعي والركود الاقتصادي على المستوى الداخلي ؛ وبظهور قوى جديدة. وأطراف صراع قوية طوقته من جميع الجهات الإسبان والبرتغال من الشمال والغرب والعثمانيون من الشرق، وأصبح مصير البلاد مرهوناً بالصراع بين هذه القوى، فلما صعد الوطاسيون إلى الحكم لم يدركوا هذه التغيرات الداخلية والخارجية فكانت واحدة من أسباب فشلهم، أما الثانية فتعزى إلى تشبثهم بالمفاهيم القديمة في الحكم بالاعتماد على العصبية القبلية التي تم تجاوزها على أرض الواقع بالتفاف السكان بمختلف طبقاتهم حول الشرفاء السعديين.

ابن عبد الرحمان البقيوي، *عروسة المسائل*، الرباط، 1963 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ الفع محمود كعت، *تاريخ الفتاش*، باريس، 1913 ؛ مصطفى الجنابي، *البحر الزخار*، الجزائر، 1924 ؛ عبد العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، الرباط، 1973 ؛ محمد اليفرني، *نزهة الحادي* ، الطبعة الحجرية والطبعة المحققة ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا* ، الدار البيضاء ؛ إبراهيم حركات، *المغرب عبر التاريخ*.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc* ; Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*.

محمد حجاج الطويل

**الوطني، احميدو** بن **أحمد** فارس، أحد رجال المقاومة من مواليد سنة 1912 / 1330 بدوار تمْسولت بقبيلة مسفيوة. وبعد اشتغاله بالفلاحة وبلوغه سن الرشد لم يجد بدا من شد الرحال إلى الدار البيضاء بسبب حيف الكلاوي، وبها كان قراره حيث امتهن الميكانيك وكهرباء السيارات (شركة الأشعة البيضاء) والتصوير في الصحافة. وعندما برزت فكرة تكوين التنظيم السري كان ضمن المجموعة الأولى من المنخرطين فيه، فكان يمثل قبيلة مسفيوة داخل اتحاد الجنوب الذي أسس سنة 1949 بالدار البيضاء وانضوى تحت لوائه مهاجرون ينتمون إلى أزيد من عشرين قبيلة تابعة إلى إقليمي مراكش وورززات، حيث كان المستعمر الفرنسي وأذنابه يمارسون على الوطنيين أبشع أنواع الإهانة والاستعباد.

كان المترجم من المشهود لهم بالوطنية، وكان بيته ملجئا آمنا للمضطهدين، إلا أن شهرته بمصالح الأمن الفرنسية حدت بالمقاومين إلى تجنب إشراكه في العمل السري، نظرا للاعتقال الذي كان يتعرض له تلقائيا عند حدوث كل عملية تكتسي صبغة وطنية، وقد احتفظت له ذاكرة المقاومة بأعمال جليلة تتجلى في المساعدة على الإفلات من الشرطة، وفي تركيب معدات جيش التحرير في الصحراء كالراديو وغير ذلك، إلى جانب القيام بتغطية أحداث مرحلة المقاومة.

توفي المترجم يوم الأربعاء 13 مايو سنة 1970 بالدار البيضاء، وحسب ما أعلنته الصحف التي أوردت الخبر، فإن هذه الوفاة كانت نتيجة طلقة نارية أصيب بها احميدو الوطني من طرف شرطي المرور بعد حوار صاحب دار بينهما

حول ارتكاب مخالفة، فشيعت جنازته بعد عصر اليوم التالي؛ وإحياء لذكرى الفقيد فقد أطلق اسمه على إحدى ساحات عمالة الفداء درب السلطان.

*وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير* ؛ جمال واكجو ومصطفى مورو، المقاومة وجيش التحرير بمنطقة مسفيوة نموذج : "آيت أورير وتغدوين"، *مجلة الذاكرة الوطنية* عدد 7، سنة 2005 ؛ عبد الرحمن الصنهاجي، *مذكرات في تاريخ المقاومة وجيش التحرير* من سنة 1947 إلى 1956، المحمدية، 1978 ؛ جريدة *العلم*، عدد الخميس 14 ماي 1970.

*La Vigie Marocaine, jeudi 14 mai 1970.*

محمد الفقير

**الوظائف السلطانية** ، عبارة اختلفت دلالتها في الاصطلاح الجبائي المخزني، حيث استعملت تارة للدلالة على هدايا الأعياد الدينية الثلاثة وهي عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد المولد النبوي، وهذا المعنى هو الأكثر تداولا وشيوعا في الوثائق المخزنية لمغرب القرن الثالث عشر (19)، وتارة أخرى استعملت للدلالة على فروض وكلف مالية أو عينية كان المخزن يعمد إلى استخلاصها عند الحاجة في إطار نوع من الجباية الاستثنائية تشمل بوجه عام كل بقية الضرائب الأخرى عدا الزكاة والأعشار وهدايا الأعياد والمئونات والصلات.

والملاحظ أن فرض الوظائف السلطانية من قبل المخزن المركزي أو قواده المحليين لم يكن يخضع لتقنينات أو ضوابط معينة كما كان الحال بالنسبة لبعض الضرائب الدورية الأخرى شرعية كانت أم غير شرعية، وإنما كانت تفرض بحسب ما تقتضيه الحاجة المخزنية إلى الأموال أو غيرها من أوجه التوظيفات والمطالب العينية الأخرى كالخيول والدواب أو غيرها، وذلك دونما حاجة إلى تقديم مبررات لتسويغها أو إيجاد صيغ تنظيمية مخصوصة لتحصيلها. وإذا كان أداء هذه الوظائف قد ارتبط بصفة عامة خلال القرن الثالث عشر (19 ) بمدى قوة المخزن المركزي وقدرته على حمل ممثليه لاستيفائها من القبائل، فإن استخلاصها داخل البوادي المغربية قد عرف تزايدا مستمرا إن كما أو نوعا كما هو الشأن بالنسبة لباقي الفروض والكلف المخزنية الأخرى، وذلك على إثر ما عرفه المغرب إبان هذه الفترة من تزايد للضغوط الاقتصادية الأجنبية، وتفاقم للديون الخارجية الناجمة عن الغرامة المالية لحرب تطوان، وما سببته من ضائقات مالية خطيرة جعلت المخزن وقواده لا يتورعون في كل مناسبة عن إلزام السكان وعبر أشكال مختلفة بأداء وظائف وتكاليف وتسخيرات لا قبل لهم بها، ساهمت إلى جانب ما كانوا يؤدونه من ضرائب منتظمة في استنزاف موارد عيشهم، وتفقيرهم بشكل جماعي في مناطق عديدة.

ن. هراج التوزاني، *الأمناء في المغرب في عهد السلطان مولاي الحسن*، 1979، 164 ـ 165 ؛ أحمد التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، (إينولتان 1850 ـ 1912)، 1983، 510 ـ 511 ؛ الفقيه الإدريسي، *الجباية في عهد الدولة الدولة السعدية*، ظهر المهراز، فاس، 303 ـ 317 ؛ ف. العيساوي، كلف البوادي في القرن التاسع عشر، ندوة، *البادية المغربية عبر التاريخ*، الرباط، 1999، 133 ـ 148.

**وعزيز، محمد** هو أحد القواد الكبار الذين لعبوا أدوارا محورية في ظل عهد أزمة الثلاثين سنة التي أعقبت وفاة السلطان العلوي المولى إسماعيل باعتباره يومها زعيما لأقوى وأخطر اتحادية بربرية عرفها مغرب النصف الأول من القرن الثاني عشر (18) وهي اتحادية آيت إدراسن. وتجمع الحوليات الإخبارية في سياق حديثها عن هذا القائد على علو مكانته وشدة صولته ونفاذ كلمته لدى بني قومه من البربر، وعلى جلال قدره وكبير حظوته وموصول خدمته للسلطان المولى عبد الله الذي كان يقول في حقه دائما : "إنك بمنزلة أبي" كناية عما كان بينهما من خلة ومصافاة. إلا أنه وبحكم ما أقدم عليه المولى عبد الله من قتل لجماعة من مجاهدي أهل الريف وأخرى من بني حسن كانتا قد قدمتا إليه وهو نازل بقصبة أبي فكران لتقديم هدية له وتهنئته فور عودته من الحوز في ربيع الثاني من سنة 1158 ، وما خلفته هذه الحادثة المروعة من ذهول واستهجان عارمين بين عموم الناس وخاصتهم، أدى ذلك إلى حدوث نفرة وجفوة في العلاقة بين محمد وعزيز والمولى عبد الله كدرت صفو ما كان بينهما من صلات وموالاة، أسوة بما جرى مع باقي قادة الجند وزعماء القبائل الذين انقبضوا عنه ونفروا من ملاقاته.

وكرد فعل منه على هذا الموقف المتوجس، بادر المولى عبد الله، في محاولة منه لمعاقبة آيت إدراسن عما بدر منها، بإطلاق يد العبيد بنهب زروعها في أحواز مكناسة وبدعوة كبيرهم محمد وعزيز بمقابلته في قصبة أبي فكران. غير أن ما حصل بعد هذه المقابلة من معاتبة شديدة لوفد أعيان البربر المرافق لمحمد وعزيز واحتجازه لهم جميعا بهدف تصفيتهم، جعل هؤلاء، فور إطلاق سراحهم، يحنقون على المولى عبد الله أشد ما يكون الحنق ويندفعون للانتقام منه بكل ما يملكون من عدة وعدد. ومما قاله هؤلاء الوجهاء البرابرة في هذا الخصوص : "نحن متنا وبعثنا ولا بد لنا من الأخذ بالثأر"، وتجسيدا لهذا الموقف، أغارت جموع آيت إدراسن بقضها وقضيضها على المولى عبد الله بقصبة أبي فكران وفتكت بجيوشه وصادرت حلله واضطرته إلى الفرار إلى مكناسة. وقد استغل محمد وعزيز هذه الواقعة وملابسات الغدر والمكيدة التي أحاطت بها فكاتب أهل فاس "يخبرهم بما اتفق له معه (أي مع السلطان) من إخفار ذمته وعزمه على الفتك بإخوانه ويدعوهم مع ذلك إلى أن يكونوا معه يدا واحدة، فأجابوه إلى ذلك ودخلوا في حزب البربر"، كما كاتب بمثل هذا الخطاب أيضا أهل الغرب فانحاشوا سراعا إلى معسكره. وبفعل هذا الموقف الجماعي الناقم اتسعت رقعة الثورة ضد المولى عبد الله وازدادت خطورتها وحدتها أكثر حينما انضم إليها عبيد الديوان وعبيد مكناسة بعدما تناهي

إلى أسماعهم ما جاء على لسان المولى عبد الله غداة مقابلته لمحمد وعزيز بأبي فكران "أردت أن أقابل هذا التيس الأسود (يعني العبيد) بهذا الكبش الأبيض (يعني البربر) وأستريح من غصة من هلك منهما وأتمسك بالآخر".

ورغم ما لقيه المولى عبد الله من مساندة قوية من قبل أخواله قبائل الوداية، فإن هذه الثورة التي تزعمتها قبائل آيت إدراسن بقيادة محمد وعزيز وما تسببت له فيه من محن وويلات شتى ظل على إثرها طريدا شريدا بين هذا الموقع أو ذاك وبين هذه القصبة أو تلك، لم تتوقف شرارتها حتى بعد وفاة زعيمها محمد وعزيز سنة 1168، إذ استمرت لحين من الزمن إلى أن أدت في نهاية المطاف في ظل ما رافقها طبعا من اختلالات واضطرابات مسَّت كل مظاهر الحياة، إلى تفكك دولته وانهيارها إلى غير رجعة.

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، 349، 4 : 459 ؛ أ. القاسم الزياني، *البستان الظريف*، 319 ـ 321 ـ 323 ـ 328 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، 7 : 171 ـ 175.

الفقيه الإدريسي

آيت **وفقا** (قبيلة –) يقع موطنها بالجزء الأوسط الغربي من جبال الأطلس الصغير، في مجال يتنوع بين الانبساط والارتفاع يحدها شرقاً، آيت عبد الله أوسعيد، غرباً : إيداوسملال، شمالاً : إيغشان، جنوباً : مجاط والنسبة إلى القبيلة هي الوفقاوي. كان للقبيلة شهرة وحضور قديم بالمنطقة، بيد أن أخبارها اندثرت، ويكتنفها كثير من الغموض، ويعتبر "*ديوان قبائل سوس*" خلال القرن (16)، أقدم إشارة إلى اسمها. وكانت مساهمتها آنذاك في محلة أحمد المنصور 200 سرجة، وأدرجت ضمن نزلة إلغ (دوگادير).

لا نعرف إن كانت القبيلة قد حافظت على نفس المجال الذي تشغله حالياً، لأن ما يتداول أن ترابها عرف تقلصاً كبيراً عما كان عليه في السابق. فكلّ ما تحتفظ به الذاكرة المحلية، أن علاقتها بمحيطها تميزت بكثير من التوتر خاصة مع قبيلتي إيمجاض وإيغشان. وتبقى بعض القرى المهجورة، آثاراً شاهدة على عنف الصراعات التي قد يكون لها مبررات استراتيجية، تتمثل في مراقبة آيت وافقا لممرّ أساسي يربط إيداوسملال وإيداوبعقيل ببسيط أمانوز. ويبدو أن الجزء الغربي من القبيلة قد تحرر من وصاية قبيلة إيمجاض، بعد أن كان تابعاً لمدة طويلة لآيت موسى المجاطية.

إن ما قد يفهم من كثرة ورود أخبار عن شيوخ (إينفلاس) والقبيلة، أنها كانت تسيّر من طرف مؤسسات من صميم التنظيم القبلي، وكانت بذلك تخضع لنظام إمغارن، ولعل أهمهم : أمغار أحمد أرجدال ومحمد أوسار.

نجهل الشيء الكثير عن علاقة آيت وفقا بالمخزن، فالمعلومات المتداولة تنحصر فيما يرد عرضاً في سياق الحديث عن اجتياح القائد المخزني محمد أغناج سنة 1810 للمجال الوفقاوي. كما يرد اسم القبيلة كأقصى حد وصله القائد الحاحي سعيد الگيلولي سنة 1896 . وقد انحازت القبيلة سنة 1912 إلى حركة أحمد الهيبة، وساندته على غرار باقي القبائل السوسية الأخرى. كما عاضدت القبائل المجاهدة المتحصّنة بمنافذ الأطلس الصغير الغربي، خاصة حوض ويجان حتى حدود 1934. وحسب شهادة Le Chatelier، فإن عدد كوانين القبيلة في نهاية القرن 19، بلغ 120 كانوناً، يمثل فيها الذكور ما يقارب 2500 فرد.

ومن المخازن الجمالية (إيگودار) المشهورة بالقبيلة : أسرك، تمنروت، تيزي، نتامزوت. ويعتبر سوق الخميس مركز آيت وافقا الرئيسي، ويرجع تأسيسه على ما يبدو إلى سنة 1335 / 1915 ، ويقال إنّ هناك سوقاً قديمة في "آغرابو" تسمى الجمعة خربت بسبب حرب بين آيت وافقا وآيت تاگنزا سنة 1280 / 63 ـ 1864 ومن أهم معالمها العلمية البارزة، مدرسة آيت وافقا العلمية المشهورة بدوار "دوتمنروت" تأسست في أوائل القرن (13 هـ) على يد العلامة عبد الله الگرسيفي (ت. 1240 / 24 ـ 1825). وتخرج بها عدة من علماء سوس. وكانت محطة للعديد من العلماء والفقهاء الذين درسوا بها إلى يومنا هذا، وعددهم ينيف عن 24 أستاذاً.

المختار السوسي، *المعسول*، ج 3 ؛ التجاجتي أبو الوفاء يحيى أحمد بن علي، *مآثر السلف ومفاخر الخلف*، منشورات جمعية إيليغ، 1991.

A. Le Chatelier, *Tribus du Sud marocain*, Paris, E. Leroux, 1891, p. 64.

أحمد بومزگو

**الوفقاوي** (الحاج –) **مسعود** أحد مفاخر إلْغ، وأحد أعلام التدريس والعلم بسوس، ولد عام 1295 بقرية دُوتْمنْروت بآيت وافْقَا. حفظ القرآن على عدد من الأساتذة، منهم محمد المافاماني، ومسعود الرسموكي، ومحمد گودرار... بعد حفظ القرآن افتتح العلوم مبكرا على يد أبي العباس الجشتمي، ثم جلس إلى الفقيه علي الأسكاري بمدرسة تاهالا، ثم العربي الساموگني بالمدرسة الإغشانية، ثم التحق بالمدرسة الإلغية ليأخذ عن أبي الحسن الإلغي، وأبي القاسم التاجرمونتي. كما أخذ، لفترة، بخارج سوس عن الحاج علي الوريكي بمدرسة أخليج بأوريكة. وأثناء مجاورته بالحرمين أخذ عن الشيخ شعيب الدكالي وكذا عن البرزنجي. وذلك سنة 1325.

في الشروط : شارط لفترة قصيرة بتازنتوت بإداوتنان، ومنها صاحبه صديقه الحسن البعقيلي إلى بوَابوض التي شارط فيها لدى القائد عبد المالك المتوكي. كما شارط بمدرسة إكونْكا بشتوكة، ثم بآيت باها بمسگينة.

استقر به المقام بمدرسة إغلالن بمسگينة، فعمرها بالعلم والتعليم، والجد والاجتهاد، وحولها من مدرسة قرآنية إلى مدرسة علمية بلغت في عهده منزلة سامقة بين المدارس السوسية. وقد بقي في هذه المدرسة ولم يغادرها إلا مضطرا لما خاف بطش القائد محمد بن الحسن الگسيمي الذي هاجم

دار الفقيه في غيبته، فرحل إلى إداوتنان فَحَاحَا ثم استقر بمدينة الصويرة يدرس فيها بالجامع الكبير. وفي هذه الرحلة التقى مع الفقيه الحاج محمد گويفرخس، وهذا الفقيه هو السبب في توجه المترجم لاحقا إلى الحج.

ولما عزل القائد الگسيمي رجع الفقيه إلى إغلالن فملأها من جديد بالعلوم والمعارف، فتقاطر عليها الطلبة من الأغوار والأنجاد، ووجدوا فيه معينا علميا لا ينضب، وكرما زائدا، وحدبا وعطفا على الطلبة ولا سيما الضعفاء منهم. وقد كان ماهرا في التدريس، يعرف كيف يوصل المعلومات إلى الطلبة، ويراعي مستواهم العقلي والدراسي. وقد أثنى على طريقته في التدريس كل الذين مروا أمامه، ومنهم أحمد الغالب السرغيني الذي قال عن دروسه : "كانت هذه الدروس عبارة عن محاضرات شاملة ومفيدة، تشوق الأسماع، وتلفت الانتباه للاستفادة منها نظرا لما كان يمتاز به، من حسن الإلقاء، وتدقيق الشرح، ومثابرة على التعليم في جميع الفصول ... واستعمال الطرق المفيدة في التبليغ والإلقاء الجيد".

ولما زار السلطان محمد الخامس مدينة أگادير سنة 1944 هيأ باشا أگادير للفقيه فرصة لقاء السلطان، فلقيه، وقدم بين يديه قصيدة مدحية مطلعها :

فعذرا أمير المؤمنين فإنني كبرت، وشعري عن حلى الشعر عاطل

طريقته الصوفية : انخرط الفقيه في الطريقة الأحمدية التجانية على يد الحسن گاسْقَّال لما التقى به في إسّقَّال بإداوتنان، فأعجب بسلوكه وأخلاقه ومظهره، ثم جدد انخراطه على يد شيخه علي بن عبد الله الإلغي الذي أعطاه الورد، وأذن له في التقديم. ورغم كونه منخرطا في الطريقة ومقدما فيها، فإنه لم يكن من المغالين فيها، بل إنه ينكر على هؤلاء المغالين مغالاتهم، وينهاهم عن التشدد، كما كان يفعل مع صديقه الحسن البعقيلي صاحب التآليف حول الطريقة. ونظرا لهذا الموقف، لم يكن له سوى عدد قليل من المريدين، لأنه لم يكن يعطي الورد للعوام، بل لبعض الطلبة الذين يحس فيهم برغبة شديدة في معرفة الله، أما سواهم فيوصيهم ويحثهم على طلب العلم والانصراف إلى تحصيله.

آثاره : لم تنصرف همة الحاج مسعود إلى غير التدريس وبث العلم في صدور الرجال، ولهذا لم يترك وراءه أي مؤلف، وإنما ترك العشرات والعشرات من العلماء الذين ذاع صيتهم في سوس وخارجها، منهم من التحق بربه، ومنهم بقية مازالت على قيد الحياة (عام 2001) وكلهم يشهدون لشيخهم بالمكانة الراسخة في العلم، وبالجد والمثابرة في التدريس الذي قضى فيه ما يقارب أربعين سنة، وبسعة الحفظ واستحضار الشواهد، وكان من بين محفوظاته ديوان ابن الفارض.

وقد ذكر محمد المختار السوسي من تلامذته 46 بأسمائهم، وعلق رشيد المصلوت على هذا العدد بقوله : "ولا أظن أنه بلغ عشر معشارهم"، منهم القضاة والأساتذة والمحامون والعدول ... ومن هؤلاء القاضي رشيد المصلوت صاحب التآليف العديدة، وأحمد الغالب السرغيني العضو بالمجلس العلمي الأعلى، والقاضي أحمد توفيق الوفقاوي، ومنهم الشاعر والمقاوم أحمد بن زكريا السكال...

وقد كان من عادة المترجم أن يجتمع بكل طلبته القدماء والجدد يوم عاشوراء من كل سنة، يأتون إليه أينما كانوا لربط الصلة وتجديد العهد. وقد شاء قدر الله أن يموت ليلة العاشر من محرم، وأن يحضر طلبته دفنه. وقد بقيت أسرة الفقيه من بعده محافظة على هذه العادة، فيكون يوم عاشوراء من كل سنة موسما يلتقي فيه من بقي من تلاميذ الفقيه، وأبناء من توفي منهم للترحم على شيخهم.

ورغم انصراف الفقيه كلية إلى التدريس، فقد كان شيطان الشعر يطوف به بين الفينة والأخرى، فينطلق لسانه ببعض المقطوعات والقصائد كتلك التي مدح بها محمد الخامس، وتلك التي كتبها إلى شيخه الإلغي ومطلعها :

الشعر أسنى مباهج الانسان فاسعوا إليه معاشر الشبان

وإلى جانب هذه الأشعار القليلة، خلف الفقيه عديدا من الرسائل التي كان يرسلها إلى طلبته وشيوخه ومعارفه، وهي تتفاوت من حيث القيمة الأدبية حسب المرسل إليه. وقد أورد منها محمد المختار السوسي ورشيد المصلوت عددا لا بأس به، إضافة إلى تلك الواردة في بحث "مدرسة إغلالن وفقيهها الحاج مسعود الوفقاوي".

توفي بمرض ألزمه الفراش، ولم يلبث أن التحق بربه ليلة 10 محرم (عاشوراء) 1366. وبوفاته انطفأ نجم ساطع من سماء العلم بسوس.

*المعسول*، ج 3 ؛ رشيد المصلوت، *الفهرس العلمي* ؛ *مدرسة إغلالن وفقيهها الحاج مسعود الوفقاوي*، بحث الإجازة ؛ *منجزات جمعية علماء سوس*، ج 4.

محمد الحاتمي

**وقاريط** (ابن -) **عمر الهسكوري**، شيخ الهساكرة ومن أدهى رجالاتهم في عصر الموحدين. أغدق عليه ابن عذاري أوصافا تؤكد دهاءه ومكره، من ذلك أنه "شيخ الضلال، ورأس الفجور والضلال، المتفنن في الفتن، الناشئ في المكايد على قديم الزمن".

بزغ نجمه أثناء الصراع الدموي الذي احتدم بين أمراء الموحدين خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري. فعندما تسلم الخليفة الرشيد مقاليد الحكم بمراكش سنة 630/ 1232 لقي معارضة قوية من طرف أمراء آخرين خاصة يحيى بن الناصر الملقب بالمعتصم بدين الله، وأيده في ذلك ابن وقاريط المتطلع إلى دواليب المخزن، فاستنفر لذلك قبيلة هسكورة ومزالة وجلاوة ليقصد بها مراكش. غير أن جيش الرشيد بادر إلى حصار ابن وقاريط وهو لا يزال بجبل المصامدة وهزمه، وفرّ هو ومن معه نحو بلاد القبلة سنة 631/ 1233.

وفي سنة 632 / 1234 قرر يحيى بن الناصر إعادة الكرة في محاربة الخليفة الرشيد، فأعد لذلك العدة، وسعى قائده ابن وقاريط إلى تكوين حلف متين من هسكورة وعرب الخلط الذين كانوا ينتظرون مثل هذه الفرصة للثأر من الخليفة في مقتل شيخهم مسعود. فاستغل ابن وقاريط بدوره هذه المناسبة بحكنته ودهائه المعهودين، فسار على هواهم وفي نيته تحقيق أغراضه، فهاجموا العاصمة بحشودهم وحاصروها مدة، وشرعوا في تدمير ما حولها من البحائر. وخرج إليهم الرشيد في نفر من جند النصارى ليلتقي الطرفان بالقرب من قنطرة تانسيفت خارج مراكش، فانهزم جيش النصارى وفر الخليفة وكبار دولته نحو جبال المصامدة ثم منها إلى سلجماسة. في حين تمكن الأمير يحيى بن الناصر وقائده ابن وقاريط وعرب الخلط من الدخول إلى المدينة، وأخذ القائد في إظهار أطماعه السياسية من خلال توجيه رجاله إلى كل جهة لأخذ الأموال والاستيلاء على البلاد والقبائل. وفي سنة 633/ 1235 خرج الخليفة الرشيد من سجلماسة في طلب ملكه ومحاربة المتمردين عليه، فكانت المواجهة بينه وبين يحيى بن الناصر وابن وقاريط بمكان من وادي أم الربيع اسمه أو جذام (أو أنجذام)، فانتهت الحرب بينهما بهزيمة يحيى ومن معه، وفرار ابن وقاريط إلى الأندلس حيث اعتقل هناك سنة 635 / 1337 بتحريض من أهلها، فحمل إلى إشبيلية ومنها إلى أزمور ليسجن مع بعض أشياخ الموحدين، ثم أمر بحمل ابن وقاريط على جمل ومعه رؤوس الأشياخ الذين أعدموا بأزمور، وأوتي بالجميع إلى مراكش على هذه الحالة. وعندما وصل إليها بقي ساعة بخارجها والناس ينظرون إليه، ويصبون اللعنة عليه، ثم أدخل إلى السجن فبقي به أياما إلى أن قرر الرشيد قتله وتعليقه على باب الشريعة أحد أبواب مراكش سنة 635 / 1337.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1985 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج. 6، بيروت، 2000.

رشيد السلامي

**الوقف** : له معنيان، فهو لغة مصدر للفعل وقف، ويدل على معاني كثيرة منها الحبس والمنع والاطلاع وغير ذلك، وهو اصطلاحا في قول ابن عرفة : "إعطاء منفعة شيء ما مدة وجوده لازما بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرا". وجاء عند الشيخ أبي زهرة أن الوقف يعني : "حبس العين وتسبيل ثمرتها أو حبس عين للتصدق بمنفعتها". فالوقف التزام بالتبرع يترتب عليه قطع التصرف بالعين الموقوفة على التداول وصرف المنفعة بصفة دائمة إلى الجهات التي حددها الواقف. وهو مرتبط بالأملاك العينية، علما بأن بعض الفقهاء أجازوا تحبيس الأموال والحيوان وكل ما له علاقة بفعل الخير لحصول المنفعة على الدوام لفائدة الموقوف عليهم سواء كانوا أشخاصا أم مؤسسات لها طابع ديني أو اجتماعي. وتجدر الإشارة إلى أن كتب المالكية اصطلحت كلمة الحبس، بضم الحاء وسكون الباء، بدل كلمة الوقف، ولا فرق في اللغة بين اللفظين.

وقد اتفق على تقسيم الوقف إلى قسمين، الوقف العمومي، ويشمل المؤسسات الوقفية الاجتماعية والثقافية والدينية وما يوقف لفائدتها من أملاك وعقارات، والوقف المعقب، ويعرفه المشارقة بالوقف الذري أو الأهلي أو الخاص، ويعني الأملاك الموقوفة على أشخاص معينين من صلب المحبس غالبا، ويهدف إلى تأمين مورد ثابت للمحبس عليهم صيانة لهم من الفاقة والعوز في مستقبل أيامهم، إلى جانب أهداف أخرى لا يتسع المجال لتوضيحها.

وعند حديثنا عن الوقف في المغرب، نقف على ظاهرة تثير الانتباه، وهي قلة المعلومات عن المؤسسات والأعيان الوقفية. وما يقال عنها في كتب التاريخ يأتي على شكل شذرات تختفي بين السطور، ولا تمكن من تتبع تطور الوقف واستقراء تنظيماته في عهد كل الدول التي تعاقبت على دست الحكم، خاصة في العهود التي سبقت قيام الدولة المرينية. وبناء على ذلك نميز في تاريخ الوقف بالمغرب بين أربع مراحل، أولاها تمتد من الفتح الإسلامي وتنتهي بقيام الدولة المرينية، والثانية تمتد من عهد هذه الدولة إلى قيام الدولة العلوية، والثالثة تشمل الدولة العلوية حتى فرض الحماية الأجنبية، والرابعة تشمل فترة الحماية وما تلاها من عهد الاستقلال المسترجع. وفي هذه المراحل كلها نلمس غلبة الوقف العمومي وندرة الوقف المعقب وتذبذب مسيرة المؤسسة بين الازدهار والتراجع وارتباط ذلك بقوة المخزن وضعفه.

وإذا كان من الصعب جدا، إن لم يكن من المستحيل، ضبط تاريخ أول وقف في المغرب، فمما لا شك فيه أن ذلك قد ارتبط بانتشار الدعوة الإسلامية في البلاد وتسابق الأمراء وغير الأمراء إلى بناء المساجد ووقف الأموال عليها لصيانتها. وقد يكون أول واقف هو عقبة بن نافع إذ كان أول من بنى مسجدا في المغرب. وفي عهد الأدارسة ركزت المصادر على مدينة فاس وتتبعت العمارة فيها، خاصة ما تم إنشاؤه من مؤسسات وقفية وما حبس عليها من الرباع. ويؤكد ابن بي زرع حرص الأمراء الزناتيين على تعمير المدينة وبناء المساجد بها. وكانت الفنادق والحمامات وقفا على تلك المساجد، خاصة جامع القرويين. كما شملت الأوقاف عددا من الأدوات وتجهيزات مثل الثريات والمنابر والحصر وغيرها. وامتد ذلك إلى باقي حواضر البلاد مثل نكور وسجلماسة والبصرة وكراوة وقلعة النسر وأصيلا ووجدة وطنجة وسبتة، وإلى الرباطات التي انتشرت هنا وهناك مثل أزمور وأغمات وأكلو بسوس. وفي العهد المرابطي اقتصرت المؤسسات الوقفية على المساجد وبعض الكتاتيب والمكتبات في مراكش خاصة، وفي فاس ومكناس وسبتة بشكل محدود. لكنها تنوعت في العهد الموحدي لتشكل مؤسسات دينية وثقافية وصحية وإحسانية وخاصة في عهد يعقوب المنصور (580 - 595 / 1184 - 1198 )، "فلم يكن هناك دكان أو فندق أو معمل لا ترجع فائدته كلا أو بعضا إلى الأوقاف"، على ما جاء في الرواية التاريخية. وانفرد الموحدون بتنظيم قراءة

حزب القرآن بعد صلاة الصبح والمغرب وحبسوا لفائدتها. كما تكاثرت في عهدهم دور الوضوء والسقايات والحمامات والمارستانات التي كانت قائمة من ريع الأوقاف.

وتشمل المرحلة الثانية من تاريخ الأوقاف في المغرب الفترة الممتدة من الدولة المرينية إلى قيام الدولة العلوية. فقد ازدهرت المؤسسة أيما ازدهار في العصر الأول من هذه الدولة الذي انتهى بوفاة السلطان أبي عنان (759 / 1357) فتنوعت الأوقاف وتوسعت في مجال الرعاية الصحية والإسعاف الاجتماعي، إذ شيدت المارستانات في كبريات المدن، والمنازل لإيواء المسافرين وعابري السبيل وذوي الحاجة والتجار الجوالين، ودور خاصة بتعريس المكفوفين والمساكين وإيواء الشريفات الفقيرات والعجزة، وذلك في فاس ومكناس وتازة ومراكش. ولم ينس من ذلك الرفق بالحيوان، فقد اعتنى الوقف بعلاج اللقالق. واعتنى بإقامة الحفلات الموسيقية لمرضى سيدي فرج بفاس وهو مارستان المجانين. وأوقف المرينيون الأوقاف على الحرمين الشريفين، وأيضا على المجاهدين وحراس الثغور ومن أجل افتكاك الأسرى. واعتنوا بإنارة الأزقة وبصيانة مجاري الماء في المدن وفي المساجد.

وقد حاز السلطان أبو الحسن قصب السبق في بناء السقايات. مما يتبين منه الدور الذي قام به الوقف في المجتمع المغربي في شتى المجالات، والأموال الطائلة التي كانت تصرف في ذلك بانتظام وصدق وحسن مراقبة. وكان ذلك علامة على نهضة الأوقاف في ذلك العصر وعلى حسن سيرها، إذ كانت أول الأمر تدار بناء على ما يشترطه الواقف من الشروط فلا يتدخل فيها إلا القضاة دون الأمراء. حتى إذا تكاثرت وتوسعت، صار من الضروري تعيين ناظر لكل وقف يساعده قباض وكتاب، واستحدث المرينيون لضبط رباع الوقف نظام الحوالات الوقفية، وهي دفاتر تسجل فيها أملاك الأوقاف العقارية ومستفاداتها وصوائرها. مما نتج عنه مع مر العصور ركام من الأحكام والفتاوى صارت هي المرجعية الفقهية في الوقف، وجاء جلها مذكورا في المجلد السابع من *معيار* الونشريسي. وتحتل فيها أساليب استغلال الأعيان الوقفية حيزا هاما إذ اتخذت عمليات الاستغلال أسماء وأشكالا أبرزها الجلسة والجزاء وما يتفرع من ذلك من المنافع. بيد أن كل ذلك دخله الخلل والتبذير في العصر المريني الأخير نظراً للاضطرابات التي تلت وفاة أبي عنان ونظرا للأزمة العارمة التي وقعت فيها البلاد في القرن 8 / 15 . ولم يستطع بنو وطاس تدارك الأمر، إلا ما كان من مبادرات بعض أمرائهم المتناثرة، أو مبادرات بعض الأمراء المستقلين بحكمهم مثل بني راشد في شفشاون والمناظرة في تطوان وبعض المحسنين في سوس. وحاولت الدولة السعدية النهوض بالمؤسسة، وخاصة في سوس وفي المناطق التي انطلق منها سلطانهم. وقد اعتنوا بالمساجد والمكتبات. وبنى المنصور الذهبي، أكبر ملوكهم، مكتبة القرويين وأقام مكتبة في مراكش انبهر بها أحمد بابا التنبوكتي. ولكن سرعان ما ضاع جل ذلك جراء تسرب الخلل إلى قلب الدولة السعدية في مطلع القرن 11 / 17.

ولذلك بادر ملوك الدولة العلوية بمجرد ما مسكوا بزمام السلطان إلى تدارك الأوضاع الوقفية، وذلك إيمانا منهم بقدسيتها وحرمتها، فهي تراث خالص للمسلمين تركه السلف الصالح ضمانا لاستمرار تعاليم الإسلام وحفاظا له مما قد يهدده من المخاطر، ووعيا منهم بدوره وأثره في مسيرة المجتمع، وتقديرا لمسؤولياتهم بصفتهم أمراء المؤمنين والرؤساء الأعلين لجماعة المسلمين. وبدأت الإصلاحات الأولى مع المولى إسماعيل الذي أمر بإحصاء عام لأملاك الأوقاف على اختلاف أنواعها، وبتدوينها في سجلات رسمية تكون وثائق تاريخية وقانونية بيد الأجيال المتعاقبة، تضبط المستفادات العينية والنقدية والصوائر ومصالح المنتفعين. وتلك هي الحوالات الحبسية (راجع مادة "*حوالة*" في هذه المعلمة). وأدخل النظام على هيئة النظار الذين جعل المولى إسماعيل على رأسهم نظارة عليا هي نظارة الإيالة الشريفة، مسندا إلى المكلف بها "النظر العام المطلق الشامل التام [...] في سائر أوقافه على اختلاف أنواعها". وكان هذا الناظر وأعوانه في الأقاليم من ذوي التبحر في الفقه وممن يحظون بثقة السلطان. وتزامن ذلك مع عصر تكاثر فيه العلماء المشاركون والمبرزون في العلوم الدينية الذين استطاعوا تدوين التشريعات الوقفية مثلما فعل عبد الرحمان الفاسي في مؤلفه عن *العمل الفاسي* الذي صار هو المرجع الفقهي بشأن الوقف إلى عهد الحماية. وبذلك تكاثرت الأوقاف وضبطت أمورها أكثر من أي وقت مضى. وسار سيدي محمد بن عبد الله على هذا الدرب أيضا فشيد العديد من المؤسسات الوقفية في كل المدن، وكذلك حفيده المولى عبد الرحمان بن هشام الذي جعل حدا لما كان قد تفشى من معاوضة أملاك الأحباس بغيرها فمنع المعاوضات منعا كليا. وأكد ذلك ولده وخلفه سيدي محمد بن عبد الرحمان بظهير 4 صفر 1279 / 4 غشت 1862 الموجه إلى المندوب السلطاني في طنجة. وكان ذلك ضروريا في زمن صارت فيه الأطماع الاستعمارية تتفاقم سعيا في استغلال خيرات البلاد.

وصارت الأملاك الوقفية معرضة لكل أنواع التلاعب والتطاول، بدليل ما تقدم به سفير فرنسا سنة 1905 للمولى عبد العزيز من اقتراح بإعادة النظر في تنظيم الأوقاف، ورفض ذلك مجلس الأعيان بعد استشارته من قبل السلطان، وبدليل حرص الوفد المغربي على أن تصان حرمة الأوقاف المغربية في المادة 63 من مقررات الجزيرة الخضراء (أبريل 1906).

وتضمنت معاهدة الحماية في فصلها الأول مبدأ يقضي باحترام المؤسسات الدينية والأحباس الإسلامية. إلا أن ذلك لم يحترم، فقد تدخلت الإدارة الفرنسية بقوة في شؤون الوقف فاستصدرت عدة ظهائر تنظيمية وأنشأت الوزارة الحبسية كما أنشأت إدارة تابعة لإدارة الحماية لمراقبة الأوقاف وتتبع

سيرها. وإذا كان لتلك التقنينات نتائج إيجابية فإنها من ناحية أخرى أفقدت مؤسسة الوقف الكثير من صلاحياتها، وبسبب ذلك وسبب ما وقع من تعد على أملاك الوقف لصالح المستعمر ولقدسية الوقف عند المغاربة نشب صراع بين الوطنيين وإدارة الحماية.

وقد بذل المخزن بعد حصول المغرب على الاستقلال محاولات جادة أدت إلى النهوض بالوقف وتوسيع صلاحياته وأملاكه خاصة في المجال العقاري. وبذلت مؤخرا منذ نهاية 2002 جهود كبيرة لإدخال تغييرات هامة على هياكل الوقف تمكنه من مواجهة الصراعات الحضارية من جهة والقيام بمهامه الدينية من جهة ثانية والحفاظ عليه من جهة ثالثة.

الحوالات الحبسية، مصلحة الوثائق، الخزانة العامة، الرباط ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1979، ص. 68 ؛ محمد ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 1، تح. ج كولان وليفي بروفنسال، ط 2، بيروت، 1980، ص. 37 ؛ علي الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، الرباط، 1967، ص. 25 ؛ ألفريد (بل)، الفرق الإسلامية، تر. عبد الرحمن بدوي، بيروت، 1981، ص. 253 ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الاخضر، الرباط، 1980، ج 1، ص. 178 - 180 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972 ؛ علي الماوردي، *الأحكام السلطانية*، بيروت، 1978، ص. 70.

Joseph Luccioni, *Les fondations pieuses "Habous" au Maroc*, Rabat, 1982 ; Les bibliothèques Habous au Maroc *B.E.S.M., septembre 1955* ; Louis Millot, *Démembrements du habous*, Paris, 1918 ; A. Pérétié, Les médersas de Fès, *Archives Marocaines, vol. XVIII* ; Pesle O, *La théorie* et *la pratique des habous dans la rite malekite*, Casablanca, 1941.

رقية بلمقدم

**وقف القرآن**، تجمع مجمل تعريفات الوقف من الناحية الشرعية على أنه "التزام بالتبرع، يترتب عنه قطع التصرف بالعين الموقوفة عن التداول، وصرف المنفعة بصفة دائمة ومستمرة إلى الجهات التي حددها الواقف". وتشمل أنواع الوقف كل ما يحصل به فعل الخير، وتتحقق به وجوه المنفعة من عقارات ومنقولات بكيفية دائمة متصلة لصالح شخص أو جماعة أو مؤسسة ذات نفع عمومي. ولعل أبرز أنواع هذه الموقوفات التي عرفها تاريخ الوقف المغربي وساهمت فيها مؤسسات الدولة الرسمية إلى جانب أهل البر والإحسان من السواد الأعظم للأمة هي وقف القرآن.

فمما لاشك فيه أن هذه الظاهرة تمثل تقليدا من التقاليد الدينية العريقة في تاريخ المجتمع المغربي، غير أن معرفة أصولها وتحديد بدايات نشأتها ومحطات تطورها تبقى أمرا في غاية الصعوبة، لأن المصادر التاريخية التي تناولت هذا الصنف من الوقف عبر امتدادات الزمن التاريخي لا تعطي سوى إلماعات وإشارات محدودة ومجزأة في أحسن الأحوال. لذلك فإن أهم ما هو متوافر من إفادات في هذا الإطار يؤكد أنّ هذا النوع من الوقف كان يشمل في الأغلب الأعم الخزائن والمكتبات التي كان ينشئها الملوك برسم بعض الجوامع والمساجد العامرة، أو برسم بعض الزوايا والربط الدينية حيث يحبسون عليها أصنافا مختارة من عيون المصنفات والمؤلفات في العلوم الدينية والشرعية لتعم بها المنفعة جمهور الطلبة والتلاميذ وغيرهم من القراء المترددين عليها. كما كان يشمل أيضا توقيف مصاحف وربعات قرآنية على الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى بالقدس.

ومن الأمثلة الدالة والمشهورة على وقف المصاحف وتأسيس خزائن برسمها في تاريخ المؤسسة الوقفية بالمغرب نجد على سبيل المثال لا الحصر خزانة المصاحف الموقوفة بجامع السقاية بمراكش الذي أنشأها الخليفة الموحدي عمر المرتضى، ثم خزانة المصاحف التي أنشأها السلطان أبو عنان المريني قبلة صدر جامع القرويين بفاس حتى يتيح للناس قراءة القرآن بسهولة ويسر بحسب الأوقات واللحظات التي تناسبهم. وللإحاطة بهذا النوع من الوقف وطريقة تنظيمه والغرض الذي أسس من أجله يورد صاحب *جني زهرة الآس* وهو يتحدث عن خزانة المصاحف البوعنانية بجامع القرويين بفاس وصفا بالغ الدلالة إذ يقول : "وأما خزانة المصاحف التي جعلها مولانا المتوكل أبو عنان في قبلة صدر هذا الجامع، فإنه صنعها لما سهله على الناس من تلاوة القرآن في الوقت المتخير من الأزمان، بأن أعد فيها جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط البهية، الجميلة السنية، وأباحها لمن أراد القراءة فيها، بعد أن كتب على كل جزء منها بخط يده بتوقيفها مدى الأعوام والليالي والأيام، وعين لها من ينفرد بإخراجها من هذه الخزانة وإبرازها، وردها لصيانتها في موضعها وإحرازها، وذلك عند الفراغ من حاجات الناس إليها، فلا يبدل ذلك ولا يغير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأجرى له جراية، وأوسعه كرامة ورعاية، وتم عملها في شهر شوال سنة خمسين وسبعمائة".

وقد وازى هذا النوع من الوقف وقف مصحفي آخر كانت محط رحاله هذه المرة ديار المشرق في الحرمين الشريفين والحرم القدسي. ومن الأمثلة التي تتحدث عنها كتابات المؤرخين قدامى ومحدثين في هذا السياق، وتورد بشأنها تفاصيل ضافية نذكر الربعة القرآنية التي بعثها السلطان المريني يوسف بن يعقوب إلى الحرم المكي صحبة ركب الحاج المغربي لسنة 703. وهي ربعة قال بشأنها ابن خلدون : "... فأمر (أي يوسف بن يعقوب) بانتساخ مصحف رائق الصنعة، كتبه ونمقه أحمد بن الحسن الكاتب المحسن، واستوسع في جرمه، وعمل غشاءه من بديع الصنعة، واستكثر فيه من مغالق الذهب المنظم بخرزات الدرر والياقوت، وجعلت منها حصاة وسط المغلق تفوق الحصيات مقدارا وشكلا حسنا، واستكثر من الأصونة عليه". على أن الربعة التي أرسلها السلطان أبو الحسن المريني إلى المسجد النبوي رفقة ركب الحاج المغربي لسنة 738 كانت من أهم ما عرفه تاريخ الوقف المصحفي المغربي بالمشرق، لأنه، من جهة، انتسخ هذه الربعة بخط يده وجمع لها "الوراقين لتنميقها وتذهيبها، والقراء لضبطها

وتهذيبها"، ومن جهة أخرى، لأنه بعثها من ضمن موكب مهيب ضم إلى جانب الأميرة المرينية حظية والده ومربيته الحرة مريم، وفدا رفيع المستوى ضمّ إلى جانب علية القوم من العرب وبني مرين، العلماء ورجال الصلاح، فضلا عن هدايا سنية وجهها أبو الحسن بالمناسبة إلى ملك مصر الناصر بن قلاوون والحرمين المنيفين اشتملت من بين ما اشتملت على مبلغ 16.500 دينار ذهبي منحها للأميرة المرينية" برسم شراء الرباع بالمدينة المنورة، لتكون وقفا مؤيدا على القراء في الربعة الكريمة، وعلى غيرهم من المالكية". وقد أعقب هذا الوقف مبادرتان أخريان قام بهما السلطان أبو الحسن في نفس الاتجاه كذلك، حيث أرسل مصحفين أكرمين خطهما بخط يده على نفس هيئة المصحف الأول المشار إليه آنفا، تنميقا وتذهيبا، ضبطا وتهذيبا، فكان أن وجه الثاني منهما إلى المدينة المنورة رفقة ركب الحجيج لسنة 740، بينما أرسل الثالث إلى مكة المنورة صحبة ركب الحاج لعام 745، واشترى لهما رباعا" توقف عليهما، ورسم المراسيم بمسامحتهما على وجه التأييد، فجرت أحوال القراء فيهما بذلك الخراج المستفاد". وفي سنة 747 انتسخ هذا السلطان مصحفا آخر بيده وبعثه هذه المرة إلى بيت المقدس وأوقف عليه أوقافا وحبس عليه أملاكا شملت عقارات وحوانيت ودوراً وحماماً وغيرها، وكلف قراء مالكيين من حفظة القرآن لقراءته صباح كل يوم، فضلا عن خادمين مسلمين أجرى لهما جرايات كل حسب موقعه ومهمته.

وقد تكررت مثل هذه المبادرات الوقفية في فترات تاريخية أخرى وربما بصورة أكثر وقعا وتأثيرا استجابة لروح الصلات الدينية والعقدية الوثيقة التي ظلت تجمع على مر التاريخ سكان المغرب ملوكا ورعايا بالبقاع المقدسة بالمشرق الإسلامي، كما حصل في العصر العلوي على عهد السلطان عبد الله بن إسماعيل الذي بعث عام 1155 رفقة الركب المغربي المتجه إلى الحرمين الشريفين "ثلاثة وعشرين مصحفا بين كبير وصغير محلاة بالذهب مرصعة بالدر والياقوت، ومن جملتها المصحف الكبير العقباني الذي كان الملوك المغاربة يتوارثونه بعد المصحف العثماني".

أحمد الناصري، *الاستقصا*، ج 7، 1956 ؛ الزياني، *البستان الظريف*، 1992 ؛ ع. ابن خلدون، *تاريخ ابن خلدون*، ج 7، 1416 / 1996 ؛ م. المنوني، *قبس من عطاء المخطوط المغربي*، م 1، 1999 ؛ رقية بلمقدم، *أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل*، ج 1، 1413 / 1993 ؛ محمد بنعبد الله، *الوقف في الفكر الإسلامي*، ج 1 ـ 2، 1416 / 1996 ؛ عبد السلام الكنوني، *المدرسة القرآنية في المغرب*، 1401 / 1981.

الفقيه الإدريسي

**وقادة، مَحمد** من مشهور المسمعين المادحين بالمغرب في القرن العشرين. ولد بمكناس، ونشأ بها، وتولع منذ شبابه بالسماع، فانتمى إلى الطريقة العلمية وأصبح من رواد زاويتها. بلغ شأوا بعيداً في إنشاد المواويل والبيتينات، وتحكم في طبوع "الآلة الأندلسية"، فطارت شهرته في أنحاء المغرب. استقدمه السلطان المولى يوسف في الثلاثينيات إلى الرباط، فضمه إلى المجموعة الفنية التابعة للقصر الملكي، وأسكنه منزلا بالمشور السعيد. ومنذ أن استقر وقادة بالعاصمة أصبح من ملازمي الزاوية الحراقية.

وقد كان جيد الأداء، رائق الصوت، تخالط صوته غنة أنفية تزيده حسنا وعذوبة.

توفي حوالي عام 1954.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الوقواق**، كما في المعاجم جنس من الطيور البرية متوسط القد على قدر الحمام، جميل المنظر، كثير الصوت، ومن أسمائه في المغرب أيضا طكوك، ويدعى في سوريا والعراق قيقب وقيقوبة، وفي لبنان ومصر والخليج وشمال إفريقيا وقواق ووقوق. نوعان يعيشان في المغرب :

ـ الوقواق المنقط أو المبقع يسمى علميا Clamator glandarius وبالفرنسية Coucou geai وبالأنجليزية Great spoted cuckoo يتميز بذيل طويل ويبلغ طوله جمعا بين الرأس والذيل 39 ـ 40 سم. الرأس متوج بخصلة من الريش الرمادي الداكن وعلى عنقه وبطنه ريش مصفر ضارب إلى البياض. المنقار معقوف قليلا مستدق الرأس وقوي، الجناحان مبقعان بريش أبيض ورمادي. ريش الذيل رمادي مصفف بالتناقص. يتوالد في أواخر شهر مايو، ويفضل مناطق الأعشاب العالية والأشجار كالصنوبر والبلوط والزيتون، والمنحدرات الصخرية والمناطق شبه الصحراوية، وهو متطفل على أعشاش غيره، ومشهور عنه بترك الأنثى بيضها في أعشاش طائر العقعق ليفقس البيض وتحضن الصغار من طرف صاحبة العش وتغذيها إلى أن تكبر. ومن غرابة الأمر أن الذكر يساعد أنثاه لإبعاد الأنثى ربة العش عن عشها مباشرة بعد وضعها البيض، ومن ثم تضع أنثاه البيض، وغالبا ما تزيل بعض البيض من العش لتسمح بمكان لبيضها في العش، ويفقس البيض بعد 10 إلى 12 يوم، وغالبا ما يكون عدد أيام فقس البيض لطائر الوقواق أقل من الأم المضيفية بأربعة أو ثلاثة أيام. والوقواق من الطيور القواطع ينتشر في الربيع والصيف في المناطق الشمالية من المغرب وشمال أفريقيا وشرقها ودول حوض البحر المتوسط، ثم يهاجر ليشتو في جنوب المغرب والسنغال والصومال والسودان. يتغذى على الحشرات وخاصة يرقة الفراش المشعرة الشوكية التي لا يستطيع أكلها أغلب الطيور لأنها صعبة الابتلاع بسبب وجود الشعيرات الطويلة التي تغطي جسمها ويأكلها كذلك الجراد وبعض العظايا.

ـ الوقواق الأرمد يسمى علميا Cuculus canorus وبالفرنسية Coucou gris وبالأنجليزية Cuckoo، يتميز بذيل طويل ويبلغ طوله جمعا بين الرأس والذيل 33 سم. الرأس بدون تويج وعليه ريش رمادي فاتح البطن مخطط بالأسود والأبيض، ولونه رمادي داكن على الجناحين والذيل. المنقار

معقوف قليلا مستدق الرأس وقوي. يتوالد في أواخر شهر مايو، وتلد الإناث 8 ـ 12 بيضة رمادية مخضرة، يبلغ طول قطريها 17 و23 سم. ويفضل مناطق الأعشاب العالية والأشجار كالصنوبر والبلوط والزيتون والمنحدرات الصخرية والمناطق شبه الصحراوية، وهو متطفل على أعشاش غيره، ومشهور عنه بترك الأنثى بيضها في أعشاش بعض أنواع العصافير كالحميراء والبليق والذعرة وأبو الحناء ليفقس البيض وتحضن الصغار من طرف صاحبة العش وتغذيها إلى أن تكبر. والوقواق الأرمد من الطيور القواطع ينتشر في الربيع والصيف في المغرب وشمال أفريقيا وشرقها وأوربا وأسيا الغربية ليتوالد ثم يهاجر ليشتو في إفريقيا الوسطى.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*; 1979; 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

**وگاگ، أحمد** بن عمر ند اوفقير كانت ولادته في الفترة الأخيرة من عهد السلطان مولاي الحسن قريبا من سنة 1890 وقبله بقليل، عرف بالذكاء والتفكير العميق، وكانت ثقافته تقليدية على قاعدة بعض القبائل التي كانت توجه بعض أبنائها إلى العمل والممارسات اليومية والبعض الآخر إلى المدارس العتيقة شأن أخويه الحسن ومحمد وكلاهما من حفاظ كتاب الله، ولكن الأسرة لا تلزمهما بشأن من الشؤون. كان أصل أجداده في قرية بموضع يدعى "إبخشاش" على مقربة من سفوح جبال الأطلس الصغير، ثم انتقلت إلى قرية أگلو حيث زاوية الشيخ وگاگ بن زلو اللمطي، التي لا تبعد عن قريته الأصلية إلا بأقل من عشر كيلومترات غرب مدينة تيزنيت، وقد سميت أسرته "وگاگ" تبركاً باسم الشيخ وگاگ بعد الاستقلال عند نشوء نظام الحالة المدنية. تزوج السيدة خديجة أخت العلامة المشهور سيدي أحمد الزيتوني.

اشتهر وگاگ بذكائه وحكمته وشجاعته. وظهرت شجاعته في الإسهام في حركة الشيخ أحمد الهيبة ضد الاستعمار، فرابط في رباط أعلوك في منطقة الگعدة بين أگلو وقبيلة السَّاحل، وكان معروفا بركوب الخيل واستعمال البارود. ولحكمته كانت القبيلة تحتكم إليه في تطبيق الأعراف القبلية في مواضيع المخالفات والجرائم والجزاء، وهي أعراف مكتوبة، وله خبرة في تقسيم الميراث بما يوافق القواعد الشرعية بحيث يستفيد العدول من تجربته، وكان فلاحاً يحتكم إليه الفلاحون في نظام توزيع مياه السقي حسب العرف المحلي، وينتدبونه مقدّماً لمجموعات الأهازيج الشعبية أثناء الحفلات. وفي عهد الحماية عين شيخ الشيوخ "أمغار إيمغارن" وهو رابعهم ورئيسهم لمزاولة العمل المخزني حتى مجئ الاستقلال سنة 1956 فالتجأ إلى الأعمال الفلاحية وفتح أبوابه بكرم للضيوف.

توفي في بداية شهر ماي 1971، وقد خلف من ورائه أسرة عالمة من أربعة أبناء منهم علماء وفقهاء دكاترة وحقوقيون وإداريون، لهم اسهام كبير في خدمة مجتمعهم، وهم العلامة الحسين وگاگ عضو أكاديمية المملكة المغربية ورئيس المجلس العلمي بتيزنيت، والأستاذ العالم السلفي الحسن وگاگ وأخوه عمر فقيه تلأء لكتاب الله، وعلي خبير ورئيس إدارة الضرائب وإبراهيم حقوقي وخريج المدرسة الإدارية.

مجلة *الكلمة* ، الصادرة بأگادير لجمعية علماء سوس، عدد 2، سنة 1971، ص. 107 ؛ عبد الله واكريم من الأسرة الوگاگية بأگلو، *رواية شفوية* ؛ عمر الساحلي، *المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العتيقة*، ج 1.

عمر أفا

**وگاگ، (بن ـ) زلّو اللّمطي**، علم من أعلام الثقافة المغربية، ورجل من رجال التصوف بسوس، في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، ومعنى كلمة وگاگ بالأمازيغية مشتق من "إيگيگ" أي الرَّعد، ويُطلق وگاگ وصفا للعالم الملمّ بالقرآن وأمور الدين، وقد سماه ابن خلدون محمد وگاگ بن زلو، واستُعمل وگاگ اسم علمٍ لغيره من الأشخاص أمثال وگاگ بن أبي علي منصور من صلحاء أزمور، وكذلك ورد إيْگوت بن وگاگ من أصحاب المهدي بن تومرت ويسمى اليوم محليا "سيدي وگاگ". وحول نسبه الشريف فهو يُنسب إلى الأدارسة، واسمه محمد وگاگ بن زلو بن أبي جمعة بن محمد بن أبي القاسم بن يعقوب بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الفضيل بن يحيا بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسَن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذكر المختار السوسي مشجرات الأنساب لعدد من الأسر الشريفة بسوس كلها ترفع نسبها إلى الشيخ وگاگ، وبالخصوص بقبائل : إداوسملال وآيت صواب وإدا گنيطيف وهشتوكة وآيت مزال. وتحافظ على الصلات الرمزية بالشيخ وگاگ بتقديم الهدايا والزيارات وإقامة المواسم والحفلات الدينية "المعروف"، بل منها من يطالب بنصيبه من الهدايا والصدقات التي تقدم في ضريح الشيخ كما هو الشأن لأهل "تا گانت اوكضيض" بإدا وسملال مما يحيلنا إلى أصل الشيخ وگاگ بأنه من قبيلة إداوسملال بالأطلس الصغير، وله دار هناك قبل أن يخرج في رحلة طلب العلم والعودة للاستقرار بأگلو. وهذا لا يتعارض مع تفسير النسبة إلى قبيلة لمطة التي تلازم اسمه في مختلف المصادر باتفاق من ترجم له، وتمتد قبيلة لمطة من ماسة إلى الصحراء، وفي لمطة توجد منطقة أگلو.

وقد وقع الإجماع على أن الشيخ وگاگ كان متحمسا لطلب العلم والمعرفة منذ نشأته الأولى التي لا يعرف عنها شيء، وقد حقق مستوى علميا رفيعا، وكانت له شخصية تتميز بالصلاح والولاية والعلم والأخلاق الفاضلة، أخذ العلم عن عدة أشياخ مشهورين، فانتقل إلى مدينة فاس وأدرك هناك ابن أبي زيد القيرواني فأخذ عنه قبل رحيله إلى بلده

القيروان كما يذكر صاحب "*بيوتات فاس*". كما يؤكد غيره الأخذ عنه بعد هجرته إلى القيروان كغيره من العلماء السوسيين الذين لا يستبعد الأستاذ المنوني أخذهم عنه، وبعد وفاة القيرواني أخذ عن أبي عمران الفاسي في القيروان، وذكرت بعض الروايات على أنه شد الرحال إلى الأندلس وأخذ العلم عن شيوخ قرطبة. والمؤكد أنه انتقل من سوس إلى فاس ثم إلى تونس وعند عودته من القيروان نزل بنفيس فأخذ عن أبي محمد بن تيسِّيت بأغمات مع من سبقه من زملائه أمثال يعلى بن مصلين ويحيا بن ويدفا الصادي وداوود بن يملول وذلك قبل قيام دولة المرابطين، ويذكر ابن خلدون أنّ وگاگ كان بسجلماسة حيث تسلم من يحيا بن إبراهيم الگدالي رسالة شيخه أبي عمران ليختار له من يفقه الناس في الصحراء. ورغم بعض الارتباك في رواية تنقلات الشيخ محمد وگاگ، فإنه لما عاد من القيروان في بداية القرن الخامس على الأرجح عرج على أغمات وريكة على وادي نفيس وأخذ كما سلف على مجاهد برغواطة العلامة الشيخ أبي محمد بن تيسيت، ونزل في رباط ملوسة ثم انتقل على ما يظهر إلى سجلماسة وعاد إلى الأطلس الصغير حيث يملك داراً في قبيلة اداوسملال ثم منها إلى قبيلة لمطة حيث استقر بأگلو في سوس الأقصى، وبنى به زاوية (رباطاً) ومدرسة علمية، ولا يستبعد أن يكون هذا الاستقرار مرتبطا بالرغبة في تطهير الأطراف الجنوبية من نفوذ بورغواطة، ومحاربة الشيعة البجلية، وكذلك استكمال نشر الإسلام في القبائل.

والواضح أن استقرار الشيخ بأگلو جعل منه مركزاً دينياً وعلميا هاما، وسماه رباطا، على عادة المجاهدين، وقد تجاوز إشعاعه، كما هو معلوم المستوى المحلي والإقليمي إلى المستوى المغاربي، وكانت هذه الأهمية تُستمد من مكانة وگاگ بين قومه وتصوفه وعلمه، واستطاع بذلك أن يجذب إلى رباطه مريدين وطلبة من جميع الآفاق. غير أن أهم حدث تاريخي يستوقفنا هو التقاء الشيخ وگاگ بالزعيم السياسي إبراهيم بن عمر الكدالي بإشارة من شيخه ابن عمران الفاسي لانتداب أحد تلاميذه ليصحبه معه إلى قومه ببلاد صنهاجة بجنوب الصحراء، لاعتقاده أن وگاگ أعرف منه بمن يصلح للقيام بهذه المهمة الصعبة، وهكذا ظهرت شخصية عبد الله بن ياسين التمامارتي مؤسس دولة المرابطين على سطح الأحداث.

كان المغرب قبل نشأة الدولة المرابطية يعيش اضطرابا في الشؤون السياسية والاجتماعية والثقافية وفتنا وحروبا بين الإمارات التي تختلف فيها النحل والمذاهب. ومن المؤكد أن عبد الله بن ياسين استلهم في مشروعه بإنشاء الدولة أفكار شيخه الإصلاحية من جهة كما استفاد من حيوية وحركية الرباطات المنتعشة في عصره، ومنها رباط وگاگ، لما لوگاگ من مكانة وحظوة لدى قبائل الجنوب المغربي. وقد ساندها تلميذه عبد الله بن ياسين بل مهدله في الانتقال من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة عندما استقدمه لفتح سجلماسة، وإزاحة كل الصعوبات أمامه عند زحفه نحو الشمال، ويتجلى اعترافه بأهمية رباط أگلو كمركز روحي وعلمي ما دأب عليه من تخصيص قسط من خمس الغنائم بعد انتصاراته الأولى في الصحراء، لصالح طلبة وفقهاء جزولة، ولايستبعد أن يكون رباط أگلو من المراكز العلمية الروحية التي استفادت من هذا الدعم الذي يقدمه عبد الله بن ياسين.

كل هذا جعل الشيخ وگاگ يحظى بسمعة فائقة وكان مقصوداً في حياته وبعد مماته، وفي هذا الإطار قصده أهل نفيس في حياته بعد انقطاع المطر عنهم، ويقصده الزوار بالهدايا والهبات في شهر يناير من كل سنة حتى اليوم. وهل تزوج الشيخ وگاگ وخلف أولاداً ؟ هل له إنتاج علمي ومؤلفات ؟ هل ترك أموالاً وعقارات ؟ كل هذه تساؤلات يكتنفها غموض تام، لأن الأوضاع المضطربة في البلاد لم تمكّن المؤرخين للكتابة بوضوح.

من المؤكد أن الشيخ وگاگ من أولياء الله الصالحين وصاحب الكرامات الجليلة، ومن رجال التصوف والتشوف، وهناك خلاف شائع بين الناس هل تزوج أو قضي حياته وهو أعزب، وهذا الرأي الأخير هو الذي عليه رأي سكان إگلو وأيّدته قرينة أن أملاكه كلها ظلت غير موزعة على الورثة من صلبه حتى آلت إلى وزارة الأوقاف، وأما غير أهل البلاد من الآفاقيين، فينسبون إليه ثلاثة أولاد يحيا وياسين وأبا علي، وكان بعضهم بإداوسملال والبعض في تارودانت وآيت صواب، وأساكا وهشتوكة، ومما يثير العجب أن أهل تادارت بآيت عميرة قرب بيكرا بهشتوكة، يدعون أن الشيخ دفن في بلدهم لوجود ضريحه هناك، وهو ما يخالف الحقيقة، وقد تأكد كذلك أنه أسس مدرسة برباطه بأگلو ونصب نفسه مدرسا فيها وأخذ عنه الكثيرون وربما لم تسمح ظروفه بالتأليف أو تعرّض ما كتبه أو أملاه على طلابه للضياع والإهمال، فلم يبق إلا ذكره الحميد وزاويته ومدرسته العتيقة التي لا تزال ملجأ لطلاب العلم إلى اليوم.

توفي سنة 445 / 1054.

*الحلل الموشية*، ص. 20 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 11، ص. 32 ؛ *إيليغ*، تح. محمد الروداني ؛ *إتحاف أعلام الناس*، ج 1، ص. 23 ؛ *خلال جزولة*، ج 2، ص. 189 ؛ *البيان المغرب*، ص. 29 ؛ شارل دوفوكو، *قاموس*، ج 1، ص. 408 ؛ أحمد صفر، *خريطة مدنية المغرب العربي*، ج 1، ص. 57 ؛ كناشة بنمنصور القاضي الباعمراني، *المعلمة*، ج 6، ص. 1966 ؛ أكنسوس، *الجيش العرمرم*، ص. 72 ؛ ناعمي مصطفى، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*، ص. 73؛ *دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا*، ص. 7 ـ 68 ـ 91 ؛ *جانب من تاريخ آيت باعمران* ، جمعية الجامعة الصيفية بأگادير، سنة 1991 ؛ التادلي، *التشوف*، ط 2 تح. أحمد التوفيق ؛ ابن تكلات ، *إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين*، تح. محمد رابطة الدين، د. د. ع. 1985، ص. 61 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، نشر، ليڤي بروڤنصال، الرباط، 1934، ص. 233 ؛ عياض القاضي، *ترتيب المدارك لمعرفة مذهب مالك*، الرباط، ج 8 : 47 ـ 80 ـ 81 ؛ الحضيكي، *طبقات الحضيكي*، تح. أحمد بومزگو، د. د.

ع، الرباط، 1994، ص. 476، الترجمة، رقم 771 ؛ الصوابي سعيد بن إبراهيم، *تقييد حول نسب وگاگ*، نسخة خاصة ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، 1973، ص. 126 - 123 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، ج 2 - 6 ؛ عبد الله گنون، *ذكريات مشاهير رجال المغرب*، بيروت، بدون تاريخ، 4 : 5 ؛ البعقيلي، *مناقب البعقيلي*، تح. م. المختار السوسي، الرباط، 1987 ؛ الرسموكي، *وفيات الرسموكي*، 1988، ص. 47 ؛ الكرامي، *بشارة الزائرين*، مخطوط، ص. 19 ؛ المنوني، *المؤسسات التعليمية الأولى بسوس*، مجلة المناهل، عدد 34 - 1986 ؛ ص. 39 ؛ *معلمة المغرب*، ص. 627.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc...*, Paris, 1951, p. 28 - 30 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc...*, Casablanca, p. 127 - 201 - 214 - 220 ; L. Justinard, Notes sur l'histoire du Sous au XVIème siècle, *Archives Marocaines, 1933, p. 77 - 116 - 117.*

أحمد بومزگو والحسين الجهادي وعبد الله واكريم

**وگّال الحناش**، أو عقاب الحيات : طائر من الكواسر النهارية كبير الحجم، اسمه في المعاجم الضرارة وأبو صواي في الشام وفي الشرق العربي. يصنف في رتبة الجوارح Rapaces Falconiformes وفصيلة الصقريات Accipitridae. يسمى علميا Circaetus gallicus وبالفرنسية Circaète Jean-le-Blanc وبالانجليزية Serpent eagle و-Short-toed eagle وبالإسبانية Aguila culebrera وبالإيطالية Biancone.

طائر في حجم السقاوة والسرنوف، لون ريشه أسمر داكن عالي الرأس والعنق، وكدر شاحب موحد على الظهر والجناحين. أسفل الجناحين والصدر والبطن أبيض ناصع ضارب إلى التوشيم ببقع مسودة متواصلة على شكل خطوط، على أسفل الذيل 3 - 4 خطوط مسودة غير واضحة والأخيرة منها عريضة جدا. المنقار رمادي مسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة رمادية سوداء. الذيل دائري قليلا ومخطط. يبلغ طول الجسم 60 - 70 سم ويزن الذكور 1200 - 2000 كرام والإناث 1300 - 2300 كرام، تبلغ بسطة الجناحين 125 - 150 سم. يعيش منعزلا أو مزدوجا.

معظم المجموعات المغربية من الطيور القواطع منها حوالي 1000 زوجة تتوالد في المناطق الغابوية القليلة الكثافة. تكثر كثافته في مختلف المناطق الجافة وشبه الجافة والرطبة بجبال الأطلس المتوسط والكبير والريف، والهضاب العليا الوسطى وغابة المعمورة وبنسليمان، وشائع أيضا في ضواحي دبدو وجرادة وفگيگ وتافيلالت وعلى الساحل الصخري المتوسطي من السعيدية إلى طنجة.

يتوالد ابتداء من أبريل وينصب الزوجان العش على أشجار الأرز والبطم والعرعار الحر والفلين، وهو عش ضخم قد يبلغ قطره أحيانا مترا ؛ يتكون من الأغصان اليابسة ومن الطين، ويفرش بقطع الأعشاب. تبيض الإناث بيضة واحدة كل سنة، بيضاء ملساء يبلغ طول قطريها 58 x 74 ملم. تحضنها الأنثى حوالي 47 يوما ويبقى الصغير بداخل العش مدة شهرين ونصف قبل أن يأخذ حريته تدريجيا.

يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا الطائر على إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وآسيا الوسطى وأوروبا. يصطاد الزواحف كالأفاعي والضب والثعابين والعضاءة وبوبريص وصغار الطيور وصغار طيور الدواجن والحشرات الكبيرة كالخنافس. صيده ممنوع في المغرب وهو طائر محمي.

محمد رمضاني، بولحية، *معلمة المغرب*، ج 6، ص. 1845 ؛ *الرخمة*؛ ج 13 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية* ، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

P. Bergier, Les falconiformes marocains, Statut Répatition et Ecologie, *Annales CEEP (ex. CROP), n° 3, 1987, 160 p.* ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

**الوكيلي** (مولاي -) **أحمد** بن **محمد** بن الحسن ولد بفاس في رجب 1326 / شتنبر 1908 . كان والده محمد ملازما للمطرب الفاسي الشهير السيد محمد الساوري، فأخذ عنه بعض معارفه في طرب الآلة، كما أخذ عنه صناعة النجارة وتزويق الخشب التي كان يحترفها.

وعندما استقلّ محمد الوكيلي عن أستاذه في بداية العشرينات ظل يسير على نهجه في العناية بحرفة النجارة وامتهانها والحفاوة بموسيقى الآلة حتى غدابيته مقصدا للهواة يرجعون في أرجائه الصنعات وهو إلى جانبهم يعزف على آلة البيانو.

في أجواء هاتين الصناعتين ترعرع مولاي أحمد، فكان في ورشة النجارة يد والده اليمنى، وكان في البيت شاهد عيان للمجالس الفنية التي يلتئم فيها هواة الآلة الأندلسية. التحق الفتى كأقرانه بالكتاب القرآني، وأمام إلحاح والده على أن يكون انتسابه إلى "القرويين" غير نظامي، فإنه بدأ في بحر سنة 1346 يحضر بعض دروس العلم بها، وكان ممن استمع إليهم الفقيه سيدي الحسن الداودي. وبالرغم من الطابع غير النظامي لدراسته فقد استطاع - حسب شهادة محمد ابن تاويت، وهو طالب بنفس المؤسسة يومئذ - أن يبلغ مستوى السنة الرابعة وأن يستفيد من دروس الشيخ سيدي العباس بناني حول مقدمة ابن خلدون.

أما تكوينه الموسيقي، فقد كان في البدء عن طريق الهواية والولع، ومجالسة الهواة، وحضور حلقات السماع في بعض زوايا المدينة وأضرحتها، فتشبعت روحه بطبوع الآلة الأندلسية، وتيسر له أن يحفظ بعضا من مستعملاتها. ثم تبلورت الهواية بفعل إقباله على التعلم وحرصه على تعميق مداركه الموسيقية، وتتلمذه على خيرة حملة هذا الفن منذ ربيع عمره، فأخذ عن محمد الزاهر برادة المعروف بالطاشور الذي لقنه العزف على العود، كما أخذ عن أحمد عيوش (ت. 1947)، وعبد السلام الخياطي (ت. 1942)، والتهامي احجيرة (ت. 1941). على أن أكثر شيوخه تأثيرا فيه : الفقيه محمد بن إدريس المطيري (ت. 1948)، والمعلم محمد

البريهي الذي اتخذه عازفا على العود في مجموعته الموسيقية. وقد تفرد الفتى - دون غيره من طلاب هذا الفن - بحصوله على إجازة من كليهما، تشهد بسعة حفظه لمستعملات الآلة وفق المدرسة الفاسية الحديثة، وجودة عزفه على آلة العود، وإلمامه بأصول هذا الفن.

كان المترجم كثير التردد على مدينة طنجة، فهي مستقر خاله، ثم هي بعد ذلك موطن أصهاره، وفي سنة 1936 قر عزمه على مغادرة فاس والاستقرار بها، فكان في البدء يشتغل بالتجارة بائعا للأثواب، ثم انقطع عن التجارة لممارسة الموسيقي. وقد شجعه على ذلك أمور منها تأسيسه مجموعة موسيقية أسماها "جوق إخوان الفن"، وكان ذلك عام 1941 ، ومنها اضطلاعه بتلقين أصول الموسيقى الأندلسية لأعضاء المجموعة، ومنها أيضا حضور مجالس الفنان الطنجي الشريف مولاي أحمد الوزاني. وعلى مدى عشر سنوات عاش مولاي أحمد متنقلا بين طنجة حيث كان يدير شؤون جوق إخوان الفن، وبين تطوان حيث كان يختلف إلى المعهد الموسيقى للتعليم، ويعمل في جوقه عازفا ورئيسهُ يومئذ الفنان الشفشاوني الأصل العياشي الورياغلي.

وفي سنة 1947 عاد المترجم إلى فاس مسقط رأسه، فأسس بها جوقا جديدا كان قوامه محمد مصانو التازي، والحاج أحمد لبزور التازي، ومحمد بزويع، وآخرون من قدماء جوق الفقيه البريهي. وقد دعي عام 1952 إلى الرباط، فأسندت إليه رئاسة "جوق راديو المغرب". وهو الذي سيحمل - بعد الاستقلال اسم "جوق الإذاعة الوطنية للطرب الأندلسي"، ومنذئذ انكب بعزم لا يلين على تمرين العازفين المنشدين، وتنسيق الحصص الموسيقية وتسجيلها وإذاعتها.

كان للفنان مولاي أحمد الوكيلي أثر كبير في توجيه مسار الموسيقي الأندلسية بالمغرب الحديث، فإليه يرجع فضل شيوع تقاليد المدرسة الفاسية التي أقرتها لجنة الوزير الجامعي عام 1303 بطنجة من خلال جوق إخوان الفن، وإليه ترجع محاولات التوفيق الأولى بين الصنعة الفاسية وأختها التطوانية، وهو الذي كان يستفتي دواوين شعراء الأندلس لتقويم أشعار الآلة وتصحيح ماشابها من أخطاء أو تعويض ما أصاب أبياتها من بتر بغية استكمال بنياتها اللحنية. وإلى ذلك فقد اجتهد في مجال بعث الميازين الضائعة، من ذلك استخراج الصنعات القائمة على طبع الحسين من نوبة رمل المابة، ثم إعادة تسبيقها في ميزان "بسيط نوبة الحسين"، قوامه ست صنعات ؛ ومن ذلك أيضا إنجاز ميزان قائم ونصف الرصد الذي يفتقد في كناش الحايك.

أما على مستوى الأداء الآلي والصوتي لمستعملات الآلة، فقد كان أسلوب المترجم نموذجا متميزا، ويتجلى ذلك في تبنيه للأصوات النسوية، وفي استخدام الإنشاد في صورتيه الفردية والجماعية، واستعمال الحوار في إنشاد أبيات الصنعة الواحدة، مثلما يتجلى في تنويع آلات الجوق، وتبني آلات جديدة كالبيانو وبعض آلات النفخ، ثم في حرصه على تحقيق الانسجام بين العازفين والمنشدين، وبذلك أتاح إمكانيات جديدة للتعبير، كما أتاح السبيل لانبثاق أسلوب مبتكر سمته التعلق بخصائص الموروث وحيوية التفتح على الجديد.

توفي يوم الجمعة 14 ربيع الثاني 1409 / 25 نونبر 1988.

محمد ابن تاويت، *جريدة العلم*، 30 يونيو، 1970 ؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، ط 2، الدار البيضاء، 2000، ص. 230 - 236 ؛ العربي الوزاني، *كتاب المؤتمر الثاني للموسيقى العربية*، فاس، 8 - 8، أبريل، 1969، إصدار وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، ص. 131 ؛ أحمد حاتم الوكيلي، الموسيقى الأندلسية المغربية من خلال الفنان مولاي أحمد الوكيلي، سلسلة، *المعرفة للجميع، عدد خاص، مارس، 1999، ص. 47 - 72*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الوكيلي، يوسف** بن **عابد** الحسني الأنكادي، فقيه من الشرفاء الحسنيين، أبناء أبي الوكيل. ولد بالفيضة أحواز مدينة وجدة، في حدود سنة 966 / 1559. بدأ دراسته بمسقط رأسه، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم. ثم انتقل إلى مدينة وجدة سنة 985 / 1577 فأخذ عن الشيخ موسى الوجدي، وبعدها انتقل إلى مدينة فاس سنة 989 / 1581 لإتمام تعليمه، فأخذ بها عن عدد من المشايخ، منهم أبو القاسم بن عبد النعيم الزموري بمدرسة مصباح، والشيخ أحمد بن حميدة المطرفي وأحمد المنجور وعبد الواحد الحميدي، وغيرهم. درس *رسالة* ابن أبي زيد و*الأجرومية*، وكتب التوحيد والسير، وحضر المجالس العلمية بجامع القرويين، فقرأ علم الحساب وعلم المواقيت والنجوم.

في سنة 988 / 1580 ، قام برحلة في بلاد المغرب، فوصل إلى الساقية الحمراء ووادي الذهب، ثم رجع إلى مدينة فاس، لكنه سرعان ما خرج منها إلى وادي تافيلالت، ومنه إلى بلاد فكيك، ومنها انتقل إلى المشرق وأدى فريضة الحج سنة 991 / 1583 ، ثم انتقل من هناك إلى حضرموت حيث ألبسه الشيخ عبد الله من آل أبي علوي خرقته. فانتظم في سلك المدرسين بجامع سيوون، حيث أقرأ عقيدة *السنوسي* وشرحها، كما اشتهر في حضرموت بتدريس علم التوحيد.

استقر الشيخ يوسف بن عابد الوكيلي بمدينة مريمة باليمن، وتزوج هناك سنة 993 / 1585 ، ثم تجول بين عدد من مدن اليمن مثل الحزمة وصنعاء وغيرهما، قبل أن يحج مرة ثانية سنة 1014 / 1606، ويعود إلى اليمن ليستقر بمريمة بصفة نهائية وقد ناهز السبعين من عمره، وفيها أملى سيرته وأخبار رحلته، وذلك في 4 ذي القعدة سنة 1036 يوليوز 1627 . ألف بالإضافة إلى رحلته المسماة *ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضرموت* ، كتابين آخرين، هما *رسالة الدرة*

*الفاخرة في ذكر من لقيته من رجال الآخرة*، ولبس الخرقة فيما أخذنا عنه ذلك من الأولياء.

توفي سنة 1048 / 1638 باليمن، وقد عمر أكثر من ثمانين سنة، وتزوج سبع نساء من بلاد اليمن وخلف بنين وبنات.

يوسف الوكيلي، *ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضرموت*، تح. أمين توفيق الطيبي، الدار البيضاء، 1988 ؛ مارية دادي، *تاريخ مدينة وجدة*، أطروحة مرقونة بخزانة كلية الآداب بوجدة، سنة 2002، ص. 377.

مارية دادي

**الولالي**، أسرة بربرية أصلها من آيت عطا الكبرى بالصحراء، انتقلت إلى أعالي ملوية في منتصف القرن العاشر الهجري. ويعد يعقوب بن محمد الولالي أعلى ما نجده في سلسلة نسب هذه الأسرة، فقد خرج من الصحراء فاراً بدينه حيث يستقيم، فكان أن حل بقبيلة بني ولال "الجبلية"، وهي الآن منتشرة في عدد من الأماكن، أهم فروعها يوجد بناحية مدينة مكناس. وكان هذا الجد رجلاً متميزاً في وسطه، لأنه صدف عن الدنيا وأهلها، واختار طريق المسكنة والصلاح، هذا الصلاح الذي صار متوارثا في ذريته، إلا أن الظهور به لم يتأت سوى لابنه محمد. جمع محمد بن يعقوب بين العلم والصلاح، فبعد أن ارتاد جملة من مراكز العلم في أعماق البادية، عاد إلى بلدته بأعالي ملوية وعمل على تعميق الدين والشرع بها، ثم ما لبث أن أخذ طريق القوم عن أبي عمرو القسطالي وأبي بكر الدلائي وصاحب محمد بن أبي بكر الدلائي. ويذكر حفيده أحمد الولالي في كتابه "*مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار*"، أن جده هذا قد عمر طويلاً، ثم عدد مناقبه وقال إنه " كان كثير الاجتهاد في الدين قائم الليل صائم الدهر ..."، وعلى هذه الحال أدركه كثير من الفقهاء وشهدوا له بذلك.

خلف محمد بن يعقوب عدة أبناء، غير أن الذي ظهر من بينهم بالعلم والصلاح كان هو محمد المعروف بالصغير، إذ كان عالما وصوفيا مشهوراً في قبائل جبل فزاز على الأقل، وإن كانت علومه لا تجعله يرقى إلى مستوى المشاركة، فإنها جعلته متميزاً في قومه وعند رجال القبائل الذين كانت الأمية تطغى عليهم، بيد أن مكانته في مجتمعه ودالته على سلطان الوقت محمد بن أبي بكر الدلائي كانتا بسبب ولايته، إذ لعب أدواراً مشهودة جعلت منه شخصا مهيباً، لأن الناس عرفوا صدق تنبؤاته وجلال كراماته فتناقلوها، حتى إن ابنه أحمد الولالي الآتي ذكره قد دونها في كتاب مخصوص.

أحمد الولالي، *مباحث الأنوار*، منشورات كلية الآداب، الرباط ؛ أحمد الزياني، *البستان*، ص. 42.

De la Chapelle, Un document, *Arch., Mar., vol. 1985, p. 19* ; G. Spillman, *Les Aït Atta du Sahara*, p. 36.

**الولالي، أحمد** بن **محمد** بن محمد بن يعقوب، ينتسب إلى قبيلة بني ولال بأعالي ملوية، وهي من فروع قبيلة آيت عطا الكبرى. لا نعرف بالضبط سنة ميلاده، فالمصادر التي ترجمت له أشارت فقط إلى سنة وفاته. نشأ في قريته المسماة "تطنتسلت"، "عين العروسة"، وكانت تقع قرب مركز تونفيت الحالي، ابتدأ بحفظ القرآن ثم انتقل إلى حفظ المتون المشهورة. وكان ذلك على يدي أبيه الذي كان هو فقيه القرية وإمامها، ويذكر في كتابه "*مباحث الأنوار*..." أن اهتمام هذا الأب بتعليم أبنائه كان كبيراً، غير أن العناية الربانية كانت إلى جانبه حين ساقته إلى أهم مركز علمي في زمانه.

دخل أحمد الولالي الزاوية "الدلائية" طالبا للعلم في حدود أواسط العشرة السادسة من القرن الحادي عشر الهجري، وبهذا المركز العلمي أخذ عن جماعة من المشايخ. حيث انفتحت بصيرته على علوم مثل الفقه والأصلين والبيان والمنطق والتوقيت والعروض والحساب وغيرهما. والظاهر أنه لم يتجول بأنحاء البلاد طلبا للدرس، وإنما احتك بأساتذة أحد المراكز العلمية الذي له مميزاته الثقافية، وأصالة وألمعية أساتذته. ويبدو أن الشيخ أبا علي اليوسي كان عمدته في الأخذ، إذ به تأثر أسلوباً وفكراً.

في مركز الدلاء تأتت لأحمد الولالي فرصة الاتصال بشيخه في التصوف محمد بن عبد الله السوسي، فبينما هو منكب على تحصيل العلوم، إذ بهذا الشيخ قد دخل الزاوية الدلائية وأقام بها أياما كافية كي ينجذب الطالب المجد، فطلب الصحبة والورد فأعطيا له. وبالرغم من أن عالم العباد والزهاد ليس غريبا عنه، لأن أباه وجده كانا من أهل الولاية، فإن هيأة محمد بن عبد الله السوسي وتضلعه في العلم وظهور أنوار ولايته، أشياء عجلت ليرتبط بالقاطرة، كما أن الشيخ أبدى إعجابا بمريده الجديد، وجعل منه أخص أصحابه، فازدادت صحبة التابع، وبدأ التزامه بطريق الشيخ، حتى أدرك في آخر عمره ما يدركه الأولياء.

لأحمد الولالي بالزاوية الدلائية مشاركة واسعة في العلم، وحينما عرفت هذه الزاوية مصيرها المأساوي على يدي المولى الرشيد، خرج إلى فاس ووثق صلاته بجماعة من علمائها الكبار، فكان ذلك من أسباب الشهرة التي أهلته للدخول في التاريخ الفكري للبلاد، فانخرط في الجهاز التعليمي للدولة الناشئة عندما اختاره المولى إسماعيل لتأديب أبنائه، وفي تاريخ غير معروف من بداية حكم هذا السلطان، استدعي أحمد الولالي إلى مدينة مكناس وأوكلت إليه مهمته التدريس بمسجد القصر، فنال من تشجيع السلطان وارتبط به، فصار أحد المربين الألمعيين ومن المدرسين بالمدينة.

اشتغل بتدريس عدد من المواد، إلا أن علم الكلام والمنطق كانا من العلوم التي اشتهر بها تدريسا وتأليفا. ومع ذلك فما نسب إليه من علوم يشهد على علو كعبه فيها وتنوع مشارب ثقافته. ثم إنه لا بد من ملاحظة ما كان للتكوين الذي تلقاه بالزاوية الدلائية من انعكاس على قلمه وطريقة تدريسه.

تخرج على يد أحمد الولالي عدد من التلاميذ، كان الأمير المولى محمد العالم أشهرهم. أما تآليفه فقد وصفت بالغزارة والجودة والتنوع، والظاهر أن التأليف عنده كان مصاحبا للتدريس فتعددت كتبه، وأغلبها شروح وحواش، وتصفحها يفيد عناية بالتنظيم والتبويب، ومنهجية في العرض وسهولة في التعبير، كان المترجم له مدركا لطبيعة عمله وأهدافه، حتى إنه كتب في السياسة فنصح السلطان المولى إسماعيل. والظاهر أن استقصاء كتبه أمر لا يستقيم، وما هو منسوب له في بعض الدراسات الحديثة يعد غاية ما أمكن الوقوف عليه بعد مزيد من التحري.

توفي سنة 1128 / 1717.

أحمد الولالي، *مباحث الأنوار*، منشورات كلية الآداب، الرباط ؛ ع. بصري، *منحة الجبار*، خ. ح. 491 ؛ ح. القادري، *نشر*، 3 : 229 ؛ الإكليل، خ. ح 897، ص. 26 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، خ. ع. د. ورقة 39 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 340، 5 : 324.

عبد العزيز بوعصاب

**ولد أرزين، محمد بن علي** العمراني من شرفاء الأدارسة العمرانيين الذين استوطنوا بلاد العزفة بإقليم تافيلالت. اشتهر بكنية "ولد أرزين". وهو نفسه يؤكد ذلك في ختام قصيدة "الشمعة" إذ يقول :

واسْمي انبينو ما يخفى موضوح في اسجالي

محمد الشريف ابن علي ولد أرزين صيلا

ولد في تافيلالت، والتحق - صبيا - بالكتاب الذي كان يديره والده، فحفظ القرآن الكريم، وتلقى بعض المتون المنظومة في الفقه والحديث وقواعد اللغة، جريا على العادة في الكتاتيب القرآنية. انتقل إلى فاس رفقة عائلته، وهو في مقتبل عمره، وعاش بهذه المدينة زهاء سبع سنوات قضاها في كنف والده الذي بلغ من عنايته بتربيته وتعليمه أنه ألحقه بالقرويين حيث درس ماشاء الله من العلوم اللغوية والدينية.

في هذه الفترة تعرف الفتى على بعض أشياخ الملحون بفاس، وخاصة منهم شيخ أشياخ الملحون بها محمد النجار، فأقبل على حفظ القصائد، ووجد في نفسه ما ساعده على تنمية ملكة الحفظ والتشبّع بقواعد النظم. وتشاء الأقدار أن يفقد والديه في هذه الفترة، فخامره شعور قوي بالغربة والوحدة. وداخله الإحساس بضرورة العودة إلى موطنه الأول حيث الأهل والأحباب، فشد الرحال إلى تافيلالت. ولم يطل مكوث الفتى بتافيلالت، فعاد من جديد إلى فاس، وانخرط في سلك أشياخ الملحون بها، يخوض في موضوعاته خوض العارف بفنون القول، يعارض تارة فَحلاً من فحوله فيبزه ببلاغته وقوة عارضته، ويمدح طورا ملكا أو وجيها من وجهاء القوم فيجيد، ويهجو طورا آخر فيغيظ غريمه.

عاصر الشاعر أربعة من ملوك الدولة العلوية هم : مولاي عبد الله، وسيدي محمد بن عبد الله، ومولاي اليزيد، والمولى سليمان.

تعددت قصائد ولد أرزين، وتنوعت موضوعاتها. وقد أحصى له الأستاذ محمد الفاسي سبعين قصيدة في المديح النبوي، والتصلية، والغزل، والمدح، والهجاء، ، والوصايا... ومن غرر قصائده "حجوبة".

وقد نوه الشاعر في ثنايا هذه القصيدة بإحدى عشرة قصيدة سبق أن نظمها، وهي : قصيدتان في "الحجام"، واثنتان في "الموسم"، وواحدة في "القاضي" وأخرى في "الورشان"، واثنتان في "السالف"، وواحدة في "الشمعة"، وواحدة في "الحراز" وأخرى في "جمهور البنات". وهو يستعرض هذه القصائد من خلال خطابه إلى حجوبة، يدعوها إلى مجلس أنس تستمع فيه إليها، وتستمتع بما تضمنة من رقيق المعاني، وعذب العبارة، ورشيق الوصف. يقول عن "جمهور البنات" :

تبغيك اتسمعي "جمهور لبنات" افْمعنى وآداب     فيه اسميات غراب

طرز بغرابي     كيف نلحن ماياتي     في النظام معروبا

ولا جدال في أن هذه القصائد هي من أجود ما نظمه ابن علي، ناهيك بقصيدة "الشمعة" التي يقول في حربتها :

لله بالشمعة سألتك ردّي لي اسؤالي

آش بيك في الليالي تبكي ماذا لكي اشعيلا

وكما أبدع ولد أرزين في النظم وسبك المعاني والأخيلة، فكذلك أبدع في مجالات ابتكار الموضوع، وتجديد بنية القصيدة. ففي مجال الموضوعات يعتبر - حسب رأي الدكتور الجراري - أول من نظم زجلا سياسيا على حدّما تثبت قصيدة "*المصرية*" التي أنشأها بعد حملة نابليون بونابارت على مصر سنة 1798 . وتحفل هذه القصيدة بوصف المعارك واستبسال الجنود، ومن بينهم عدد كبير من المغاربة الذين قدموا من المغرب وشاركوا - إلى جانب المصريين - في إخراج المحتلين من "الغورية" بعد أن أثخنوا في قتلهم وأسرهم أو في تسليمهم إلى الجيش الانجليزي الذي كان يتربص بهم الدوائر. ويذكر الأستاذ محمد الفاسي أن هذه القصيدة تشكل وثيقة مرجعية تفيدنا في التعرف على حدث تاريخي أحجم عن ذكره المؤرخون والإخباريون سواء في المغرب أو في المشرق.

أما في مجال بنية القصيدة فقد نسب الدكتور الجراري لمترجمنا سبقين اثنين :

الأول : أنه وضع للبحر المثلث وزنا جديدا في قصيدة "زينب"، وهو تطوير للوزن الذي وصفه من قبل، الجيلالي امثيرد للبحر المثنى في قصيدته "الساقي".

والثاني : تعديل جزئي في "قياص لمشرگي".

توفي بفاس سنة 1237 / 1822.

عباس الجراري، *القصيدة*، ص. 620 - 625 ؛ محمد الفاسي، *معلمة الملحون*، ج 2، ق 2، ص. 54 - 61.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**ولد البـاردي، إسماعيل** من رموز المقاومة المسلحة في الصحراء المغربية الذين واجهوا الجيوش الفرنسية في أدرار في بداية سنوات العشرين من القرن الماضي. ينتمي إلى أولاد موسي إحدى بطون قبائل الرقيبات الضاربة في أعماق الصحراء. ولد في العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي في عام النجمة بمنطقة تيرس داخل أسرة توارثت الزعامة. فأبوه الوالي بن الباردي بن عبد الله بن لحسن (أولاد لحسن) كان رئيساً لعشيرته وكذلك جده لأبيه الباردي، وكذلك جده علي عاش حياة زهد وجهاد طيلة حياته. اشتهر بمقاومته الضارية للمستعمر ومن أشهر المعارك التي خاضها :

- غـزّي اشريريك بتاريخ 27 نونبر 1923، إلى جانب مجموعة من المقاومين من بينهم محمد تقي الله وجاهه من آل الشيخ محمد فاضل، وقد تم في هذه المعركة تصفية قائد الفيلق الفرنسي بدرين (Bedrines).
- غزي لگديم بمنطقة وادان في 23 أكتوبر 1924، وقد شاركه في قيادة هذه المعركة أحمد الحمادي، وتعرف هذه المعركة بيوم لحفر، ولا تزال ذكراها خالدة في الذاكرة الشعبية لما أبداه فيها المقامون الصحراويون من شهامة وحققوه من انتصارات.
- غزي الطريفية في 2 أبريل 1925، وقد شاركه في قيادة هذه المعركة محمد المامون أخو المقاوم وجاهه.
- غزي صنكتْ برميل في دجنبر 1925 وغيرها.

وكان خلال هذه المعارك ينسق مع قادة المقاومة في مختلف المناطق الصحراوية وخاصة مع الشيخ مربيه ربه ابن الشيخ ماء العينين، بعد تصفية المقاومة سنة 1934 ظل ينتقل في منطقة الاحتلال الإسباني، بينما كانت أسرته تقيم في تراب الاحتلال الفرنسي إلى سنة 1940 حيث عاد إلى منطقة أدرار، وحاول جمع أفراد أسرته من جديد، لكن السلطات الفرنسية عرقلت محاولته هذه، ففضل الابتعاد عن المراكز الفرنسية رفقة ذويه، وظل ينتقل بين تيرس وأدرار.

توفي سنة 1972.

*إسماعيل ولد الباردي*، محمد دحمان، منشورات مؤسسة، *الشيخ مربيه ربه*، 1999.

Sophie Caratini, Ismael ould Bardi, Heros de la résistance saharienne, in *Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée*, Paris, 1986.

محمد الظريف

**ولد حمادي** (الشيخ -)، أحد شيوخ قبيلة اعريب بالجنوب الشرقي المغربي وأحد أبرز وجوهها التي جابهت التغلغل الفرنسي بالجنوب الشرقي المغربي إلى نهاية سنة 1933 حين تمكن الجيش الفرنسي من دخول المنطقة. وإذا كان يعتبر من بين أهم الوجوه التاريخية، فذلك راجع إلى دور فصيلته الكواسم داخل القبيلة من جهة. وإلى قوانين المجابهة الفعلية مع كل ما من شأنه أن يغير من معالم الطابع المحارب لقبيلة متميزة في هذا الباب من جهة ثانية. من هنا فدراسة هذه الحالة تعد من أكثر الأدوات تكريسا للبنيات التاريخية في عين المكان.

في وثيقة خاصة لمحمد سالم ولد الحبيب ولد عبد الحق قاضي ركيبات الساحل أن هذه العائلة تنتمي أصلا إلى قبيلة أولاد امبارك المعقلية المحاربة. وتبني الوثيقة مصادرها على مؤلف اسمه *تاريخ الحضرة المراكشية* للمسمى أحمد ابن سليمان الشنگيطي موضحة أن امبارك الجد الإسمي لقبيلة أولاد امبارك هو أحد الأحفاد المباشرين للفحفاح بن مَحمد بن هداج بن عمران بن مغفرين ودي بن سحان بن عقيل بن معقل. يتفق الجميع على أن قوة المغافرة ذوي حسان الحربية قد أهلتهم لتصدر الأحداث السياسية مما أعطاهم وزنا للتأثير وتوجيه الانتماءات السياسية والإثنية. إلا أنه ونتيجة لانقسام المغافرة حول إشكاليتي تقسيم المجال ومقاومة الغور السكاني الصنهاجي الأقدم، برز أولاد امبارك كقوة متميزة هدفت إلى احتكار الضفة الشمالية للصحراء الأطلسية ونزعت إلى الهيمنة، خاصة بعد انسحاب عبدة والأوداية والرحامنة واحمر، نحو السهول الأطلسية بهدف التوسع شمالا. وهو ما تم لها ضمنيا حين تمكنت بمعية أولاد دليم الساحليين والشرقيين من السيطرة علاوة على منطقة تيرس والساقية الحمراء، على وادي نون إلى حدود النصف الأول من القرن الثامن عشر. وكانت فصائل تكنة منتشرة يومها بين مختلف مسالك الصحراء الأطلسية مما حال دونها وتكثيف جهودها المشتتة من أجل أية مواجهة مع المغافرة الأقوياء. فماذا وقع خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ؟

يعتبر أحمد بلالي الجد الأول لأهل حمادي من أهم وجوه قبيلة أولاد امبارك خلال الربع الأول من القرن الثامن عشر. لم تكن قبائل الزوايا من تجكانت وركيبات وأولاد بو السبع وعروسيين قد دخلت بعد ميدان حمل السلاح. كما كانت القبائل المعقلية المغافرية من أولاد دليم وأولاد اللب وأولاد المولات وأولاد سلام الملقبة عموما بامعرف واسنان قد بسطت مع أولاد امبارك سيطرتها الفعلية على المنطقة الممتدة من تيرس جنوبا إلى الساقية الحمراء ووادي درعة ووادي نون شمالا. ونجد نبذة هامة حول هذه التطورات بكتاب *الطرائف والتلائد* لسيدي أحمد الكنتي تكشف عن مدى دور التحالفات في الحد من التطلعات الحربية لقبائل المغافرة. وظلت الأمور على هذا النحو إلى أن تجلت خلال الربع الأول من القرن الثامن عشر تحالفات بين قبائل اتحادية تكنة وآيت باعمران وإدا أوبلال. فكان من نتائج هذا التحالف اندحار أولاد امبارك وأولاد دليم كقبيلتين معقليتين. جاء تشتت القبيلة سببا في دخول أهل إيبورك ضمن يكوث وأولاد بوجمعة ضمن آيت أوسا وأولاد حمادي ضمن اعريب وبعض الفصائل الأخرى كأهل أوشرة ضمن آيت الخمس الباعمرانيين وأهل الفيجح ضمن آيت موسى آزوافيط وأهل شكاف ضمن

بلحويلات وبعض الوحدات الأخرى ضمن إزركيين الذين كانوا بدورهم يمثلون بعضا من فصائل آيت بوليد من آزوافيط. أدت هذه الانقسامات إلى ظهور تحالفات جديدة بين مكونات اتحادية تكنة. أصبح أولاد بلة يمثلون اللف الشرقي لاتحادية تكنة ويشكلون حلفا مع أولاد امبارك عبر مسالك الصحراء الأطلسية بعد أن عقد الطرفان تحالفا. استقر قسم كبير من هذا التحالف حيث لا يزال بمنطقة الحوض الموريطاني. فلا يزال هناك تحالف أولاد بلة وأولاد امبارك يمثل ذاكرة شفوية فاعلة في تحديد مفهوم الهوية الشرقية بموريطانيا الحالية.

ندرك إذن في أية ظروف كان تحالف أحمد بلالي الجد الأول لأهل حمادي مع قبيلة اعريب المقيمة يومها بإكيدي، مباشرة بعد وصوله إليها عن طريق توات وتبلبالة. كان اعريب يومها يمثلون إحدى مخلفات القوة من الشراكة المعقليين. كانوا يعيشون على ذكرى ماضي قبيلة معروفة بمدى انتشارها بين وادي درعة وحوض نهر النيجر حيث كانت ترافق وتحمي القوافل المتوجهة من الساورة إلى تمبكتو المدينة التي حكمتها لمدة زمنية معينة.

عمل أحمد بلالي على إعادة تنظيم اعريب مسخرا أمواله وقدراته العسكرية والسياسية في فك العزلة عنهم وتجديد قدراتهم على الواجهتين الاجتماعية والسياسية. كان طبيعيا أن ينصب يومها شيخا لهذه القبيلة مما سيؤهل أبناءه لوراثته من بعده. حرص ابنه امبارك مثلا على الأسس الشرعية في هذا الصدد كالأصل الحساني المغافري المرتبط بالمحور وبالحلف الشرقي. ومن بين ما يرويه كتاب *الطرائف والتلائد* لسيدي أحمد الكنتي في هذا الباب، طارئة تؤكد الطابع الحربي لقبيلة اعريب. فنجد الشيخ الصوفي الكبير زين العابدين الكنتي يهدد امبارك ابن أحمد بلالي بالدعاء عليه وعلى ذريته وذويه بتشتيت الشمل إذا لم يعيدوا الإبل التي غزاها اعريب. وهي إشارة واضحة إلى استمرارية القبيلة وشيخها امبارك ولد أحمد بلالي في ممارسة الغزو والزحف على القوافل والبطون والأفراك.

وبهذا الصدد فقد سبقت الإشارة إلى أهمية تحالف واندماج أولاد امبارك الشماليين ضمن آيت بلة في مراقبة المجال. فقد ساهمت هذه الاندماجات بشكل حاسم في تثبيت قواعد السيطرة على الساقية الحمراء وأحوازها الجنوبية (انظر مواد آزوافيط وآيت بلة بالمعلمة). فكيف يمكن تحديد الرؤية المجالية لقبيلة اعريب وشيخها حمادي ولد الشيخ حمادي ؟

لا نفاجأ إذا علمنا أن مواقع عديدة على امتداد الصحراء الأطلسية والشرقية داخل التراب المغربي أو الجزائري تحمل أسماء أعلام قبيلة اعريب. لقد عرفت هذه القبيلة بصراعاتها المستمرة مع كل من إدا أوبلال والهكار خلال مرحلة ما بعد وفاة امبارك ولد أحمد بلالي. ففي معركة شهيرة مثلا، قتل إدا أوبلال الشيخ حمادي ولد موسى ولد امبارك ولد أحمد بلالي مع ستة من اعريب قرب الزمول في الخنيك الذي أصبح يسمى نسبة إليهم "خنيك لجواد". كما أن مَحمد بن حمادي هذا قد توفي بدوره في معركة ضد الهكار في المكان الذي أصبح يعرف منذئذ باسم "عكلة مَحمد" بمنهل معروف بحاسي مانع. على أن من أشهر ما تزال ترده الرواية الشفوية بهذا الصدد هي المعركة التاريخية المعادية لفرنسا والتي ذهب ضحيتها حمادي ولد مَحمد ولد موسى ولد الشيخ امبارك ولد أحمد بلالي صحبة أربعين فارسا من اعريب في قتالهم لإدا أوبلال بمنطقة زكدو الشهيرة. وعلاوة عن وجود هذه المواقع حاليا بالتراب الجزائري، فإن خاصية هذه المعارك الثلاثة هو أنها تكشف عن الحضور الفعلي لحفدة امبارك ولد أحمد بلالي على رأس المعارك التي كانت تخوضها القبيلة.

على أن الدور الفعلي لهذه الأسرة سوف يتجلى بصورة أكبر في العداء الذي كانت تواجه به التغلغل الفرنسي منذ 1834 . فقد رأينا منطقة زكدو الشهيرة تحتضن عدداً لا يستهان به من قتلى اعريب الذين لم يتوانوا في الظهور بمظهر القوي المستعد للمجابهة الاعتيادية. وهو ما أدى بالفرنسيين إلى التأكيد عليه في تقاريرهم السرية آنذاك مسجلين مدى ارتكازهم على ضرورة مناهضة اعريب. وحتى نربط بين هذه المناهضة وحفدة أحمد بلالي، لا بد من التوقف عند الفصائل المعروفة بعدائها الشديد للحضور الفرنسي وخاصة منهم لف النعامنة الذين يقدرهم جورج سبيلمان Georges Spillmann في دراسته حول آيت عطا سنة 1936، بحوالي 280 كانوناً، هي النواجي ـ الكواسم ـ أولاد رزك ـ ليادين. كانت القبيلة متكونة يومئذ من حلفين متباينين هما لف النعامنة ولف لكرادبة الذي يقدرهم أيضا المؤلف المذكور بحوالي 422 كانونا هي أولاد بو أودن ـ الزيود ـ أولاد رزوك ـ الوارث ـ أولاد يوسف ـ الزيود ـ إيذوابال ـ أولاد راحو.

ندرك من هنا أن دور التغلغل الفرنسي في إضعاف القدرات الحربية الفعلية لبعض القبائل قد كان أساسيا. هكذا ومع اندحار قوة المغافرة كانت قبيلة اعريب بدورها قد أصبحت معرضة لظروف التطورات التي ستميز المنطقة منذ الثلث الأول من القرن التاسع عشر. نجدها في هذه المرحلة التاريخية مضطهدة من طرف أولاد زبير. رغم أنها كانت لا تزال تمثل فصيلة من الفصائل المعقلية الحسانية المتشبثة بثوابتها. ولذلك فهذا الاندحار لا يعني تنقيصا من قدراتها الحربية بقدر ما يؤكد على ممارستها المستمرة للسطو على الأفراك والمراعي والقوافل إلى أن تكامل حضور السلطة الفرنسية وسيطرتها على المنطقة. وتمدنا الرواية الشفوية بعد ذلك بأخبار الصراعات التي فجرتها المواقف المتضاربة من التغلغل الفرنسي بين بطون اعريب ومدى تناقص ترحالها الرعوي وتراجع مراقبتها للمحور الرابط بين إيكيدي وغرب منطقة تافيلالت. وتفيض الرواية الشفوية في أن مختلف بطون القبيلة كانت لا تزال مع ذلك تمارس الترحال الرعوي الحربي كبير النجعات.

ولد المترجم له هنا الشيخ حمادي ولد الشيخ حمادي ولد أحمد ولد حمادي ولد موسى ولد الشيخ امبارك ولد أحمد بلالي سنة 1884 وتوفي سنة 1957 . في هذه الفترة المتميزة باحتداد الصراع القبلي وتزايده حول مراقبة المجال، كان حمادي ولد الشيخ حمادي يعتبر وجها كبيرا لعب دوراً أساسيا في إعادة تنظيم قبيلة اعريب وتشكيل التحالفات بينها وبين اتحادية آيت خباش وحلفائها بمنطقة درعة. وكان يعتبر منطقة محاميد الغزلان تراب قبيلة اعريب التي يمتد مجالها مجاورا لقبيلة إدا أوبلال غربا وللحدود الجزائرية جنوبا ومنطقة تافيلالت شرقا وجبل باني شمالا. وهو ما يؤكده جورج سبيلمان حين يوضح بأن مجال ترحال اعريب كان يمتد خلال القرن التاسع عشر من الداورة وتابلبالة شرقا حتى تيندوف وخط آقا غربا. وإذا كانت فصائلهم قد تعودت على انتجاع مراعي إكيدي، فإنها قليلا ما كانت تتجاوز سلسلة جبال باني شمالا حسب نفس المصدر.

خلال القرن التاسع عشر كانت قبائل الزوايا قد دخلت في مرحلة جديدة من التطور انتقل بها إلى إطار القبائل المحاربة المدافعة عن نفسها أمام التطورات المجالية حيث اندحرت تجارة القوافل منجرفة نحو السواحل ومرافئها المراقبة من طرف الأروبيين. من بين القبائل التي عرفت يومها تطوراً ملحوظا قبيلة أولاد أبي السباع ذات الماضي السياسي والديني الكبير. وكان أن تسربت بعض الأسماء والفصائل السباعية الكبرى كأهل سيدي محمد ولد سيدي خليل إلى فصيلة أولاد بو أودن من قبيلة اعريب. فاستطاعت تصدر الأحداث داخل لكرادبة ومنافسة أهل حمادي في زعامة النعامنة.

إلا أن هذه الحقيقة التنافسية بين لفي قبيلة اعريب لا تنفي محافظة مختلف فصائلها على ميزتين أساسيتين هما طابعها الحربي النسبي وارتباطها في نفس الوقت بالزوايا. فعلى سبيل المثال لا الحصر يشير جورج سبيلمان أن فصيلة النواجي التي كانت تتصف يومها بالغنى وبالطابع الحربي قد ظلت مرتبطة بزاوية أولاد المدني المعادين للتغلغل الفرنسي. كان لهذا الارتباط دوره الفاعل في تزكية السياسة المناهضة لكل فصيلة حاولت التقرب من فرنسا كالكرادبة. وهنا يضيف الباحث نفسه أن النواجي والكواسم من لف النعامنة قد ظلوا متشبثين بشيخهم حمادي ولد الشيخ الملتزم بموقفه المعادي للتغلغل الفرنسي. هذا ما زاد من حدة الخلاف بين هذه الفصائل وبين أولاد بو أودن المنتمين للف لكرادبة تحت رئاسة سيدي محمد ولد سيدي خليل. كانت قبيلة اعريب قد دخلت في صراع مفتوح مع آيت علوان سنة 1928 فطردتهم من مدشر أولاد محاية لأسباب تبدو مرتبطة بمشكل التحالف مع الحضور الفرنسي. ويومها عرفت علاقات اعريب التحالفية مع المخزن بعض الفتور بسبب استيلاء الإدارة الفرنسية على السلطة وتسيير شؤون الدولة. وهو ما دعاها إلى التحالف مع آيت خباش الأعداء التقليديين للحضور الفرنسي.

تميزت هذه المرحلة بالاقتراب المتزايد للقبيلة من الضفة الشمالية للصحراء. ففي الوقت الذي نجدها بقصر اعريب، نجدها أيضا بقصبة سيدي محمد ولد سيدي خليل في منطقة المحاميد. يؤكد جورج سبيلمان أن اعريب لم يكونوا يترددون يومها في الدخول في صراع مفتوح مع آيت إيسفول وآيت أونير وإدا أوبلال وآيت أو أمريبط وكلاوة والركيبات، بينما كانوا يحافظون عادة على علاقات ودية وتحالفية مع كل من آيت واحليم ومسوفة وآيت والال وآيت أوسا. إلا أن التفتت المتزايد للقبيلة قد زاد بشكل فاعل من تشتت فصائلها ومن قلة تماسكها، ومن ثمة تغييبها على الساحة السياسية. وهكذا أخذ المنظور القديم للقبيلة يعرف تغييرا متزايدا سوف ينتهي باعريب بالظهور بمظهر منيري ومرافقي القوافل بعد أن كانوا أحد الرموز المحلية للمواجهة الحربية والسياسية على امتداد المحور الشرقي للصحراء الأطلسية.


محمد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، د. ت ؛ مصطفى ناعمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1992 ؛ أحمد الكنتي، *الطرائف والتلائد في مناقب الوالدة والوالد*، مخطوط خاص ك محمد الشنگيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، 1958 ؛ سيدنا بابا بن محمد، *تاريخ إمارتي إدا أو إيعيش ومشظوف*، مخطوط خاص.

Georges Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, *Pub.* IHEM, t. XXI, Rabat, 1936.


مصطفى ناعمي

**ولد المحجوب** (الحاج -) سيدي أحمد، ولد الفقيه الزاهد الورع سيدي أحمد ابن سيدي الحاج المحجوب بمدينة مراكش سنة 1296 / 1878 ، بعد حفظه للقرآن الكريم، وإتقانه قراءة ورسما، التحق بحلقات العلم بجامعة ابن يوسف، ينهال من معارفها. ومن شيوخه نذكر : شيخ الجماعة العلامة محمد بن إبراهيم السباعي، قرأ عليه *صحيح البخاري*، وطرفا من مختصر الشيخ خليل بجامع المواسين. والعلامة محمد الحاج الصالح السرغيني المراكشي، قرأ عليه متن *الأجرومية*، وعلوم أخرى. وشيخ الجماعة الحاج العربي، درس عليه *الألفية*، ومختصر *السعد* بجامع المواسين، وبعض دروسه بجامعة ابن يوسف وغيرهما.

وبعد أن نهل من معينهم الصافي، وآنس من نفسه القدرة على الإفادة، تصدر لإعطاء دروس وعظية في مجموعة من الجوامع المراكشية، وأقبل الناس على دروسه، وتحلقوا حوله أينما حل. ولمّا أسس النظام بالجامعة اليوسفية التحق بها أستاذا. وقد تخرج على يديه كثير من الطلبة وعامة الناس. كان محببا إلى قلوب الناس، زاهداً في الدنيا، تاليا للقرآن الكريم، صواما، متهجدا، واصلا لرحمه، بارا بأقاربه، مجاب الدعاء.

توفي في متم جمادى الأولى عام 1362 موافق 29 نونبر

1943، ودفن بمقبرة باب أغمات بجوار والده. وكانت جنازته أعظم جنازة عرفتها مدينة مراكش في هذا العصر.

له كتيّب صغير اسمه : *الستر العام فيما يتعلق بتعظيم نعمة الطعام.*

أحمد متفكر، *ذيل الإعلام.*

أحمد متفكر

**ولد ميارة، علي بن عمر** بن سيدي عبد الرحمان الرقيبي، أحد رموز المقاومة في الجنوب المغربي في بداية العقد الثاني من القرن العشرين، ينتمي إلى التهالات إحدى عشائر الرقيبات. اشتهر بمقاومة الوجود الفرنسي في الصحراء إلى جانب رفاقه في الكفاح المسلح، الشيخ الولي ابن الشيخ ماء العينين، ومحمد المامون ابن علي الشيخ ابن الشيخ محمد تقي الله بان الشيخ محمد فاضل بن مامين وإسماعيل ولد الباردي وأحمد حمادي وغيرهم. قاد معارك كثيرة من أبرزها معركة لغنم سنة 1913 ضد أهل بوتلميت، ومعركة دنّك بالحوض سنة 1919 وغيرهما من المعارك والغزوات.

توفي سنة 1352 / 1934.

أحمد سالم، *حوليات أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة أزار*، ص. 24، مرقون خاص.

Sophie Caratini, Les Reguibat, L'Harmattan, Paris, 1989 ; De La Chapelle, Les tribus insoumises, in *Revue des troupes coloniales, n° 207, juillet-septembre, 1932.*

محمد الظريف

**ولد الهنا الهدهدي، عبد الرحمان** : مجاهد أبلى البلاء الحسن في جهاد قبائل زعير ضد الاحتلال الفرنسي، شارك في عدة معارك، وقد ألقي القبض عليه وأعدم بالرصاص قرب معسكر مارشان (الرماني) يوم 29 يوليوز 1911 إثر معركة الفج التي وقعت بدوار الهداهدة بقبيلة أولاد خليفة.

علال الخديمي، *مقاومة زعير للاحتلال الفرنسي*، ندوة أگادير ؛ عبد المجيد التركي، *مقاومة زعير*، مخطوط مرقون ؛ *تحريات ميدانية.*

علال الخديمي

**ولعايدي**، مقاوم من قبيلة زيان بخنيفرة، انخرط في صفوف المجاهدين منذ أن أخذت المدرّعة الفرنسية (غاليلية) تمطر الدار البيضاء قنابل من الميناء سنة 1907.

كان يحتل المركز الثاني في قيادة المقاومة المسلحة بعد عمه البطل الأسطوري موحا وحمو الزياني. شارك في العديد من المعارك التي خاضتها المقاومة الزيانية على مشارف السهول الأطلنتكية والهضاب الداخلية، للحيلولة دون وصول الجيوش الفرنسية إلى مدينة فاس. وعندما أمر القائد موحا وحمو المقاومين بالانسحاب من محور فاس ـ الرباط وبالعودة إلى بلادهم، كان من الذين شددوا الحصار على خنيفرة التي احتلتها القوات الفرنسية في 12 يونيه 1914. وخلال الفترة الممتدة ما بين 1914 و1918 اشتهر في مهاجمة المراكز الفرنسية، واعتراض قوافل التموين، وخاض عدة معارك على أبواب خنيفرة، كما حضر موقعة لهري الخالدة حيث حطم المجاهدون فيها فيلق الكولونيل Laverdure عن آخره.

وبنهاية الحرب العالمية الأولى، نشبت نار حرب بينه وبين أبناء عمه، واستمرت المقاتلات حوالي سنتين، انهزم فيها ولعايدي أمام منافسيه الذين كانوا يتلقون إعانات مالية وعسكرية من السلطات الفرنسية، الشيء الذي جعله يستسلم للفرنسيين (دجنبر 1919).

غير أنه كان يرى في هذا الاستسلام سبّة له، فرغم تسميته قائدا على اتحادية إشقيرن، فقد بقي ثائرا في نفسه وثائرا على الوضعية، وذات غداة زمّ رحيله وغادر القيادة المسندة له، وقصد خنيفرة حيث كان يشترط على الفرنسيين شروطا وشروطا، ويواجههم بمكروه. ومتى وقع التلاقي مع أبناء عمه إلا وانفض المجلس عن مشاجرة ومشاكسة، الشيء الذي جعل الفرنسيين يستثقلون ظله ويفكرون في التخلص منه. وفي الأخير أشاروا عليه أن يذهب في زيارة إلى بعض المدن كفاس ومكناس والدار البيضاء، ولكن كل ذلك لم يفد، فتقرر نفيه إلى آسفي (1920)، ثم إلى مكناس (1921 ـ 1940). وفي هذه المدينة، عادت إليه حياة أخرى يستشعر بها روح الوطنية والجهاد. فأخذ يتصل ببعض الوطنيين، إلا أن الفرنسيين كانوا له بالمرصاد، فنقلوه إلى سطات. وتقول المصادر التاريخية إنه لاقى لامبالاة وتقتيراً في معيشته في هذا المنفى، وهكذا توالت عليه النكبات وتتابعت ومارحمت.

توفي ليلة الأحد 30 نونبر 1942، عن سن تناهز الثمانين.

أحمد المنصوري، *كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر*، مخطوط.

D. Rivet, *Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc*, L'Harmattan, Paris, 1988.

محمد بن لحسن

**ولوكس** Volux هو ولد بكوس الأول ملك موريطانية أو المغرب القديم، الذي حكم على تقدير ما بين 118 و90 قبل الميلاد. برز ولوكس إلى جانب والده كقائد عسكري في حرب يوغرطة، حينما أصبح الملك بكوس حليفا للملك النوميدي يوغرطة في حربه ضد الرومان. وأول نص يعرف ببولوكس ورد فيه ما يلي : "حمل بكوس على مؤخرتنا بمشاته الذين قدم بهم ابنه ولوكس. وكانوا لم يشاركوا في العملية الأولى لتأخرهم في الطريق". ويتعلق الأمر في هذا الحدث بتحالف والد ولوكس مع يوغرطة لمواجهة القائد الروماني ماريوس ما بين سنتي 107 و105 قبل الميلاد.

ولما بدأت المفاوضات بين بكوس وماريوس، أشار سالوست إلى أن الملك الموري كلف ابنه ولوكس بالتقاء مبعوثي ماريوس وهم في طريقهم إليه من أجل التفاوض. قال في هذا الصدد : "بعث بكوس برسالة إلى ماريوس

يطلب منه أن يرسل إليه صولا ليسوي بتحكيمه مصالحهما المشتركة. فذهب صولا في حراسة بعض الرماة وفرقة من البلينيين المزودين بالأسلحة الخفيفة التي يبعثها من السير بسرعة، وتحميهم كغيرها من الأسلحة من السهام السريعة التي يبعثها العدو. غير أنهم فوجئوا في اليوم الخامس من مسيرتهم، برؤية ولوكس بن بكوس وقد ظهر أمامهم في السهل الواسع. ولم يكن مع ولوكس أكثر من ألف فارس، ولكنهم نظرا لأنهم كانوا يسيرون مشتتين، وبدون نظام، فإن عددهم بدا كثيرا جدا في عين صولا ورفقائه الذين خشوا أن يهاجمهم العدو. لذلك استعد كل واحد منهم للمعركة، وفحص أسلحته وأخذ أهبته. وكان بعض الخوف يساورهم، ولكن أملهم كان أعظم، لأنهم يذكرون الانتصارات التي نالوها على هذا العدو نفسه الذي هو الآن أمامهم، وبينما الأمر على هذه الحال عاد الفرسان الذين بعثوا للاستكشاف وأخبروا أن كل شيء هادىء، وتلك هي الحقيقة".

ويواصل الكاتب حديثه عن الأمير الموري قائلا : "ووصل ولوكس فسلم على القسطر (صولا)، وقال إن أباه أرسله لاستقباله وللسير في موكبه. فسار الجميع طيلة ذلك اليوم والذي يليه دون أن تحدث فتنة. ولكن في المساء، بعدما حطت الرحال هرع الموري نحو صولا بوجه متغير وسحنة مذعورة. وقال له إن الرواد أخبروه أن يوغرطة ليس بعيدا عنهم. وألح عليه أن ينتهز الظلام لينجو معه سرا. فأجابه صولا باعتداد أنه لا يخشى نوميديا هزمه الرومانيون عدة مرات، وأن له كامل الثقة في جنوده. حتى لو كان هلاكه مؤكدا، فإنه سيبقى ولا يخون أولئك الذين يقودهم لينقذ بالفرار المهين حياة سريعة الزوال، قد يسلبها منه المرض عما قليل. ولما أشار عليه الأمير أن يرحل على الأقل في الليل، فإنه أخذ بهذا الرأي وأصدر في الحين الأمر لجنوده أن ينهوا طعامهم على عجل، وأن يوقدوا أكثر ما يمكن من النيران في المعسكر، ثم يغادروه في صمت عند الهزيع الأول. ورغما عن التعب الشامل الذي سببه هذا السير بالليل، فإن صولا كان عند بزوغ الشمس يخط مكان المعسكر. وإذا بفرسان موريين يخبرونه أن يوغرطة قد عسكر عند الأمام على نحو ألفي خطوة. وسمع رجالنا بهذا الخبر فاعتراهم خوف شديد. وظنوا أن ولوكس قد خانهم، وأنهم قد وقعوا في كمين، حتى أن بعضهم قالوا بوجوب الانتقام بحد السلاح، حتى لا تبقى جريمة ولوكس بغير عقاب.

ثم أوضح الكاتب كيف تطورت الأمور بسلام قائلا : "وقع أن صولا كان يقاسمهم الرأي، فقد منع التعرض للموري بسوء. وحث جنوده على الصمود موضحا لهم قائلا لقد سبق أن حفنة من الأبطال كثيرا ما صارعت جيوشا كثيرة وانتصرت عليها. فبقدر ما يقل رفقهم بنفوسهم تكثر سلامتهم. وأنه من العار للمرء وسلاحه بيده أن يلجأ لقدميه اللتين ليس لهما سلاح، وأن يولي من جسمه للعدو والمعركة على أشدها الجزء الذي لا يستطيع رؤيته أو الاحتماء منه.

وبعدما أشهد جوبيتر العظيم على جريمة بكوس وخيانته أمر ولوكس، لأنه كان يسلك سلوك الأعداء، أن يخرج من المعسكر. فرجاه ولوكس ودموعه في عينيه أن لا يصدق شيئا من ذلك، موضحا أنه لا خيانة في كل هذا، وإنما هو نتيجة لدهاء يوغرطة الذي أعلمه جواسيسه لاشك بسير الرومانيين، وأنه يعتقد أن يوغرطة لن يستطيع عمل أي شيء جهارا، نظرا لكونه ليس معه جيوش عديدة، خصوصا بحضور ورؤية ابن الملك الذي تتعلق به آماله ووسائله، وأن الأولى إذن حسب رأيه هو المرور بجرأة وسط معسكر يوغرطة. أما بالنسبة له هو ولوكس، فسواء جعل جنوده الموريين في الأمام أم تركوا في مكانهم، فإنه سيسير وحده مع صولا. ونظرا للحالة فقد عمل بهذا الرأي. وفي الحين أخذا يسيران، فمرا بدون أن يصدهما عائق، منتهزين ما أحدثه قدومهما المباغث من شك وتردد عند يوغرطة. وبعد أيام قليلة بلغا القصد من سيرهما".

بالنسبة لواقعة لقاء ولوكس لصولا، واعتراض يوغرطة لسبيلهما، واعتقاد الكاتب أن الأمير الموري كان في ورطة خلال هذه الواقعة، فإن الكاتب لم يفهم واقع الأمور، في خضم المفاوضات التي كانت جارية ما بين الملك بكوس وماريوس. وفي تقديرنا أن الأمر يتعلق باقتراح كان قد تقدم به يوغرطة إلى بكوس بعد الجولة الأولى من المفاوضات، والقاضي باعتقال صولا واتخاذه رهينة للضغط على رومة، كي تقدم تنازلات للملكين. والواضح أن بكوس لم يقبل بهذا الاقتراح ولعل الملكين لم يتوصلا إلى حسم هذا الأمر. لذلك نجد من جهة أن يوغرطة يعترض سبيل صولا، والغالب على الظن أنه اتخذ المبادرة لاعتقاله بنفسه. ومن جهة أخرى نجد بكوس قد توقع مبادرة يوغرطة هذه، فبعث بولده ولوكس معززا بألف من الفرسان للقاء القائد الروماني. وبما أن ولوكس كان يعلم بالخلاف القائم بين والده ويوغرطة حول هذه المسألة، كما كان يعلم بالاتفاق السري بين والده وصولا في الجولة الأولى من المفاوضات، والقاضي باعتقال يوغرطة وتسليمه للرومان، لذلك أصيب ولوكس بالفزع، فاقترح على صولا الفرار. لكن الكاتب توهم أن القائد الروماني رفض الهروب، وهو يبالغ في تمجيد صاحبه، دون مبالاة بما يناقض كلامه، في قوله إن القائد قبل اقتراح ولوكس بالتسلل ليلا. ويبدو أن ولوكس تمكن من مداراة يوغرطة. فطمأنه بوعد من الوعود، وناشده بالتراجع عن فكرته، وأن والده مصمم على تنفيذ طلبه بالقبض على الروماني، وأنه سيقود هذا الأخير بنفسه إلى النهاية المرجوة. ولذلك سمح يوغرطة بمرورهم. بينما لم يفطن المؤرخ بما وقع، وتصور أن الملك النوميدي كان تحت وطأة المفاجأة زاعما ما يلي : "فمرا بدون أن يصدهما عائق، منتهزين ما أحدثه قدومهما المباغث من شك وتردد عند يوغرطة".

سالوست، *حرب يوغرطة*، تر. محمد التازي سعود، فاس، 1982 ؛ محمد مجدوب، 1990، *أضواء على أوضاع مورسية من خلال حرب*

يوغرطة، بحوث، المحمدية، ع 2 ـ 3، ص. 61 ـ 82 ؛ نفسه، *مملكة المورين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق م*، فاس، مرقونة.

S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 1928, t. 7, Paris.

محمد مجدوب

**الوليد** (بن –) **زيدان** بن **أحمد المنصور** الذهبي أحد سلاطين الدولة السعدية، حاول القيام ضد أخيه عبد الملك وفشل في ذلك فلجأ إلى سلا، حيث استضافه المجاهد مَحمد العياشي، ونشأت بين الرجلين صلات حين بويع الوليد حيث كان العياشي يكاتبه وينصحه بتقوى الله والعدل بين الرعية ويدعوه للجهاد. تولى الملك بعد مقتل أخيه عبد الملك يوم 16 شعبان 1040 (20 مارس 1631)، ولم يصف له إلا حوز مراكش. وقد سعى إلى استرجاع بعض أمجاد الدولة السعدية وقرب إليه عدداً من العلماء، أمثال القاضي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني الذي ألف له *شرح صغرى السنوسي*، والطيب علي بن إبراهيم الأندلسي الذي ألف له *منظومة في الفواكه الصيفية والخريفية*.

توفي قتيلا يوم 14 رمضان 1045 (21 فبراير 1636).

الإفراني، *نزهة الحادي*، ص. 354 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، ج 6، ص. 78 ـ 82 ؛ المراكشي، *الإعلام*، ج 10، ص. 189.

**الوليدية** (تاريخ –) تقع قصبة الوليدية على بعد 60 كلمترا شمالي مدينة أسفي. وتنسب إلى بانيها السلطان السعدي الوليد بن زيدان (1631 ـ 1636). غير بعيد عن قصبة أيِّر. كما ورد ذكر نفس الموقع في كتب الجغرافيا العربية باسم قيط أو قيط. ويطلق الاسمان على القصبة وعلى المرسى. تتميز المنطقة بوجود ذراع بحري ينفذ ماؤه إلى اليابسة عبر صخور صخمة، ويظهر من الساحل في شكل مجرى مائي يمتد باتجاه شمالي، بموازاة الساحل، على طول يختلف باختلاف قوة حركة مياه البحر.

أقام السلطان زيدان بن أحمد المنصور حوالي سنة 1620 في المنطقة الواقعة شمالي أسفي، وانتبه إلى أهمية الموقع وإمكانية استغلاله للاتصال بالمحيط الأطلسي، فكلف به مهندسا فرنسيا هو سان مندريي (Le capitaine de St. Mandrier). لكن المشروع فشل، وأثار انتباه إسبانيا وهولندة اللتين وجهتا عدداً من الحملات للتعرف على إمكانيات المنطقة وأهميتها. وتبادل زيدان وهولندا مراسلات عديدة في موضوع فتح مرسى في أيير على أن تتكلف هذه الأخيرة بتزويد المشروع بالصناع، مقابل حق استخراج ملح البارود من كل الأقاليم الخاضعة للسلطان. غير أن التقارير المفصلة التي أعدها مبعوثون هولنديون أثبتت صعوبة تنفيذ المشروع، فتم التخلي عنه. وتوفي زيدان سنة 1627 / 1037. وخلفه على عرش مملكة مراكش إبنه عبد الملك (1627 / 1631) ثم من بعده الوليد (1631 ـ 1636). وقد عاد هذا الأخير إلى التفكير في مشروع فتح مرسى في شاطئ أيير، فطلب من هولندة إيفاد خبراء ومعلمين حَجَّارين. وأوفدت هولندة بالفعل خبيراً أعد تقريراً أكد إمكانية تحقيق المشروع، وأن المنطقة صالحة لإيواء السفن بعد إنجاز عدد من العمليات. وقد وجهت هولندا خبراء استقبلهم الوليد وأعد لهم بمجرد وصولهم المواد اللازمة للبناء. فهل فُتِحَ المرسى ؟

تؤكد شهادات أن مرسى الوليدية فتح فعلا ؛ فقد ورد في وثائق إنجليزية في سياق الحديث عن إطلاق سراح بعض الأسرى الإنجليز أنهم بعد تسريحهم، أبحروا من مرسى أيير (Aer) في أبريل. كما تؤكد شهادة أخرى أن سفينة أبحرت من الوليدية Gowandia بتاريخ 28 أبريل 1938 موسوقة سلعا مختلفة، كما تتحدث شهادة أخرى عن المنطقة مشيرة إلى وجود حصن (قصبة) يطل على المنطقة. وتضمنت رسالة من داوود بلياش إلى هولندة أن السلطان أنشأ مرسى جيدا في أيير. أما قصبة الوليدية فقد اندثرت، ولم يبق منها سوى إطار أسوار مربعة الشكل تعلوها أبراج. وانقطع الحديث عن مرسى الوليدية خلال القرون الموالية للقرن السابع عشر. ورغم إشارة Ch. Tissot إلى المرسى واقتراحه استغلاله كميناء لتصدير خيرات عبدة ودكالة. فإن سلطات الحماية الفرنسية لم تهتم بالأمر.

الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا* ؛ الكانوني، *آسفي وما إليه قديما وحديثا*.

Ch. Tissot, Note sur l'ancien port d'El Gaït (Oualidia), *Bull. de la société de géographie, juin 1875* ; *S.I.H.M., Série Saadienne, Pays-Bas, Tomes III et IV. France,* Tomes II et III.

عبد اللطيف الشادلي

**الوليشكي** (الحاج –) **ميمون** بن **محمد** بن عمر بن علي الشرقي المنتمي أصلا إلى فرقة من شرفاء بني يزناسن، الوليشكي الأنوالي منشأ وداراً، من قرية أنوال الشهيرة التي شهدت هزيمة القوات الاستعمارية الإسبانية سنة 1921 إبان الحرب الريفية الكبرى. صوفي تميز بالورع والتقوى، أسس فرعاً جديداً للطريقة الصوفية الدرقاوية البودالية الهبرية بالريف في العشرية الثانية من القرن العشرين الماضي بإذن من شيخه السيد البودالي بن عبد القادر الجباري الودغيري الكائن مقره بتاخميرت بضواحي سعيدة، الذي تلقى بدوره التربية الصوفية على الشيخ الهبري المغربي الكائن مركزه بأحفير على مقربة من وجدة. وهذا بدوره كان تلميذاً للشيخ محمد بن قدور صاحب الزاوية القائمة بجبل "كركر" القريب من الناظور، الذي تتلمذ على محمد أبي الباشا التلميذ المباشر للشيخ العربي الدرقاوي الزروالي مؤسس الطريقة الدرقاوية.

في مطلع القرن الميلادي الماضي تجول صحبة ابن عمه السيد محمد بن حمو في ضواحي سعيدة بحثاً عن مرشد أو مرب أو شيخ تعليم على ما يبدو، على غرار ما كان يفعل طلاب القرآن المتنقلين حينئذ من مسجد إلى آخر، أو مركز ومعبدٍ إلى آخر، فالتقى بالشيخ البودالي الذي تصادف

وجوده في سياحة بتلك المنطقة ولازمه فترة، ثم أمره بالتوجه إلى فاس لتلقي مبادئ التعليم الديني. وهناك تعرف على رفيقه القادم سيدي الحاج محمد التوزاني وسَاكَنَهُ في غرفة واحدة كما تقول الروايات. ولكنه لم ينقطع عن الاتصال بشيخه البودالي، بل استمرت زياراته له حتى بلغت 14 مرة مشياً على الأقدام. فقد كان منصرفاً إلى تعليم آخر باطني منصب على الحقائق أكثر مما هو منصرف إلى تعليم خارجي يكتفي بمجرد الوصف اللفظي لهذه الحقائق. وحتى أثناء وجوده في فاس، لم يكن يتوجه إلى حلقات الدرس إلا بعد استكماله لخدماته المستمرة لزملائه. إذ كان يطهو لهم ويغسل وينظف أولاً ثم يتوجه بعد ذلك فيما تبقى من وقت إلى الدرس. وذلك لأن التفاني في خدمة الغير، هو في نظر الصوفي أحد الأبواب التي يلج منها إلى نفسه.

تقول الروايات إن السيد ميمون الوليشكي لم يلبث في فاس سوى حوالي سنتين، ثم عاد إلى قريته أنوال حيث أسس أول زاوية له هناك في حوالي 1916 ـ 1917 عندما التقى من جديد مع زميله وصديقه الشيخ التوزاني، قبل اندلاع معارك أنوال. ولم تكن هذه الزاوية بعيدة عن ساحة المعارك إلا بمسافة ضئيلة جداً، الأمر الذي أدى إلى هدم أجزاء من منزله، مما اضطره إلى الانتقال إلى قبيلة بني سعيد المجاورة. غير أن القصف الجوي والأرضي أدى به من جديد إلى الانتقال إلى موقع آخر على الحدود الفاصلة بين منطقتي النفوذ الإسباني والفرنسي، بين "جزناية" و"بني توزين" يعرف بـ "إحضريا"، مثل ما فعل صديقه التوزاني الذي انتقل من ميضار إلى "حجرات القضاء" بمنطقة المجاهدين. وبعد أن هدأت الحرب عاد إلى مقره ببني سعيد حيث استأنف جهاده الصوفي. وانهمك في نشر الطريقة في معظم مناطق الريف، من بني يزناسن شرقاً إلى "جبالة" غربا إلى "جزناية" جنوبا بحيوية وإصرار منقطع النظير. وقد لعبت زاويته أدواراً اجتماعية وثقافية وأخلاقية ودينية هامة أدت إلى استقطاب آلاف المريدين في الأقاليم المذكورة، عن طريق دروس ومجالس تثقيف وممارسة أذكار وعبادات جماعية وفردية من شأنها بناء الجانب الخلقي والنفسي والديني من جهة، وتوثيق التلاحم والتعاضد والمواساة بين أفراد المجتمع من جهة ثانية. وهكذا انقلب المجتمع القروي من التناحر والتقاتل والجهل و"السيبة" التي كان عليها إلى تنظيم وإرشاد وتضافر، بل وتسابق إلى الخير والقيم الروحية. وقد قام العلامة سيدي الحاج محمد التوزاني إلى جانب الوليشكي ميمون بالنصيب الأوفر من هذا الجهاد، فكان مدرساً وواعظاً ومرشداً وهادياً إلى السلوك القويم بإعطاء المثل عملياً، وليس بالكلام فقط. وهكذا نشأت مدرسة اجتماعية متكاملة. كما ساهم إلى جانبهما مجموعة من المؤطرين منهم: السيد عبد السلام بن المهدي في بني سعيد والسيد عبد الله التسشيتي بجزناية، والحاج محمد بن الهادي بالمطالسة، والسيد الحاج أحمد عاصم من بني توزين، والسيد الحاج أحمد بن عبد الرزاق من بني وكيل، والسيد الحاج بوحتات من بني بويحي، والسيد الحاج شعيب من تمسمان، والسيد محمد بلحاج من قلعية، وآخرين كثيرين.

بعد انتهاء حرب الريف، قام الوليشكي ميمون سنة 1929 بتنظيم رحلة إلى الديار المقدسة ضمن وفد يضم سبعة أشخاص منهم الشيخ التوزاني الذي كتب عن هذه الرحلة كتاباً خاصاً، والسيد الحاج أحمد ياسين، والسيد الحاج عبد الرزاق الوكيلي والسيد محمد بن حدو الرحموني، والسيد محند بن محمد العثماني.

توفي السيد ميمون الوليشكي بزاويته يوم فاتح يوليوز 1967 الموافق ليوم الجمعة 21 ربيع الأول 1387، بعد أن أسند شؤون الزاوية لنجله السيد الحاج مصطفى الذي نقل بعد ذلك مركزها إلى ضاحية مدينة تزطوطين على الطريق الرئيسية الرابطة بين الناظور والحسيمة حيث لا تزال تقوم بدورها في الإصلاح الاجتماعي.

عبد الله عاصم

**وليلي فوليبليس**، تقع مدينة وليلي الأثرية على بعد 3 كلم غرب مدينة مولاي إدريس زرهون، وعلى بعد 30 كلم شمال مدينة مكناس، وعلى بعد 60 كلم غرب مدينة فاس. تطورت على حدود سهل فسيح، فوق هضبة مثلثة يبلغ متوسط ارتفاعها 400 م. يخترقها من الناحية الشرقية وادي فرطاسة ويحيط بها من الناحية الجنوبية والجنوبية الشرقية وادي خومان. شملت رقعة التعمير بوليلي تدريجيا مساحة تناهز 40 هكتارا.

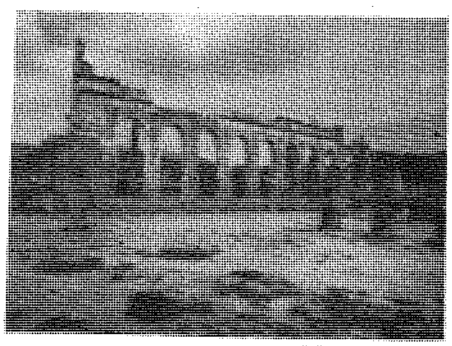

اسم فوليبليس هو الاسم الذي حمله الموقع كما تشهد على ذلك النصوص القديمة والنقوش اللاتينية التي عثر عليها بالموقع نفسه. غير أن هذا الاسم قد ورد على صيغ مختلفة: Vodubri عند بونبيوس ميلا، Volubili عند بلينيوس الشيخ Oulibilis عند بطليموس. أما على النقوش اللاتينية فيرد على الشكل التالي Volubili, Volubilitana, Volubilitanorum . لكن التسمية المتعارف عليها والتي فرضت نفسها هي Volubilis، والتي لا يستبعد أن يكون

أصلها بربريا تمّت رَوْمَنَتُهَا. ولنحتفظ بالتسمية العربية (وليلي) والتي هي تسمية مشتقة من مصطلح بربري (أليلي) التي تشير إلى الدفلة الوردية التي تنبت بكثرة على ضفاف الوادي الذي يحد المدينة من الجهة الجنوبية والغربية.

لقد ورد اسم وليلي أولا عند بونبيوس ميلا، وهو المؤرخ الذي عاش تحت حكم الإمبراطور كلود، وهو من أصل إسباني، يصفها في كوروغرافيته بأنها مدينة متواضعة "من المدن المهمة بموريطانيا الطنجية والتي أكثرها مدن صغيرة، فالتي تبعد عن البحر، جيلدا، فوليبليس، بريسكيانيا، أما التي توجد على البحر، فهي سلا وليكسوس التي يسقيها وادي ليكسوس".

أما بلينيوس الشيخ، حوالي 77 بعد الميلاد، فيصفها في كتابه الخامس من التاريخ الطبيعي بأنها أوبدوم Oppialum كما أنها وردت عند بطليموس، حوالي 140 بعد الميلاد، وهو جغرافي إغريقي، والذي يضبط في وصفه للأرض، خطوط العرض لمختلف المراكز المهمة ومنها وليلي. أما عند مرحلية أنطونان الذي يحدد الطرق الرومانية، والذي دون كتبه في عهد الامبراطور كركلا (217 ـ 211 بعد الميلاد) فإنه يضع فوليبليس مع وصفها مستعمرة، على إحدى الطرق الرومانية الثلاث الموجودة بموريطانيا على بعد 149 ألف خطوة من طنجة (220 كلم) و3 ألاف خطوة من طوكولوسيدا.

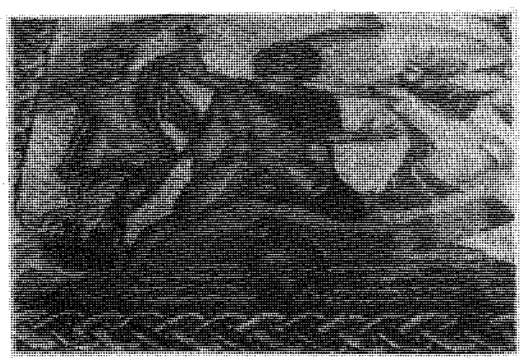

أما الإشارات التي وردت عند المؤرخين العرب في الفترة الوسيطية، فنجد أن مدينة وليلي ستأخذ تسمية عربية : أوليلي، وليلي، وليلية حسب المؤرخين. فالمؤرخون والجغرافيون العرب يصفون آثار وليلي وغالبا ما يربطونها بتاريخ المولى إدريس، مؤسس أول دولة مغربية، إذ جعل منها عاصمته في القرن الثامن بعد الميلاد، ويبدو أن وليلي قد حافظت على إشعاعها جنوب موريطانيا الطنجية القديمة إلى حدود هذه الفترة. هكذا يجعل منها ابن الفقيه ـ جغرافي من أصل فارسي ـ في القرن الحادي عشر، عاصمة لبلاد طنجة قبل بناء مدينة فاس. كما وردت عند البكري، الذي يعتبر كتابه من بين أهم المؤلفات التي تحتوي على معطيات مهمة عن المدن القديمة بالمغرب. وفي القرن الثاني عشر، أصبحت وليلي، حسب سعيد الغرناطي في كتابه *الاستبصار*، عبارة عن حطام، مشيرا إلى أن وليلي مدينة رومانية قديمة. أما في القرن الثالث عشر فنجد المؤرخين ابن عذاري وابن أبي زرع، يشيران إلى وليلي. وهما يتطرقان إلى استقرار المولى إدريس الأول بالمغرب. وفي الأخير، نجد إشارة أخرى إلى هذا الموقع وردت لدى مؤرخ في القرن السادس عشر وهو الحسن الوزان (ليون الإفريقي) الذي يشير إلى أن بقايا المدينة القديمة أصبحت قصر فرعون. وهكذا ستخلد وليلي في الذاكرة الشعبية وستعيش إلى يومنا هذا مستمرة تحت ظل حكاية تجمع بين آثار قديمة ومصر الأهرامات.

هناك مجموعة من العوامل الطبيعية التي شجعت استقرار الإنسان بهذه المنطقة، وذلك انطلاقا من فترة ما قبل التاريخ وبالضبط فترة العصر الحجري الحديث : وضع دفاعي سهل بقدم جبل زرهون. ووفرة المياه : حيث توجد المدينة بين مجرين للمياه وهما وادي فرطاسة ووادي خومان بالإضافة إلى وفرة العيون في هذه الجهة. ومنطقة غنية من الناحية الفلاحية : ذلك أن مدينة وليلي قد أخذت غناها من مناطقها الفلاحية المجاورة كما تدل على ذلك بقايا معاصر الزيتون والمخابز. فإن الزيت والقمح كانا قاعدة هذا الغنى. وإن الاستقرار بالموقع قد استمر مدة أكثر من عشرة قرون، وبالضبط من القرن الثالث قبل الميلاد إلى ما بعد مجيء الأدارسة سنة 788 بعد الميلاد. ويشهد على وجود مدينة في القرن الثالث قبل الميلاد النقوش البونيقية وخاصة نقيشة الشوفيط التي تشير إلى إحدى العائلات التي ورثت هذه المهمة أبا عن جد وذلك منذ القرن الثالث قبل الميلاد. خلال هذه الفترة التي تعرف بالفترة الموريطانية (من القرن الثالث قبل الميلاد إلى حدود 40 بعد الميلاد)، كانت المدينة محاطة بسور يحمل اسم السور الموريطاني أو الهليني، يحيط بها من الجهة الشرقية والشمالية الشرقية. غير أن تعمير المدينة في هذه الفترة يبقى أحد الجوانب غير المعروفة بدقة، ومع ذلك فأغلب الباحثين يؤكدون على أنها كانت منطقة على الشكل القرطاجي. إن البقايا المؤرخة بهذه الفترة أغلبها مآثر تخص الحياة الدينية : كمعبد "د"، ومعبد "ب" أو معبد زحل والمعبدين التوأمين، والضريح، أما البنايات العمومية والخاصة فلا شك أنها توجد تحت المستويات الرومانية.

بعد مقتل الملك بطلموس من طرف الإمبراطور كليكيلا، ضمت موريطانيا نهائيا إلى الامبراطورية الرومانية، وتم بعد ذلك تقسيمها إلى مقاطعتين : موريطانية الطنجية نسبة إلى عاصمتها طنجة، وموريطانية القيصرية نسبة إلى عاصمتها كايسريا (شرشال). هكذا إذن تكون سنة 40 بعد الميلاد هي السنة التي تؤرخ بداية الاستعمار الروماني الرسمي لهذه المدينة والتي ستصبح بعد أربع سنوات بلدية رومانية. عهد بتسييرها الإداري لما كان يسمى بالديبومفير وهم أشخاص يتم اختيارهم من طرف الفرسان أو من طرف النواب، حيث

يقضون سنة كاملة في هذه المهمة، وبعبارة أخرى فإنّ وليلي أصبحت مقرا للمؤسسات الرومانية.

انطلاقا من هذه الفترة ستعرف مدينة وليلي امتداداً أكبر وتعميراً أكثر حيث سيضاف إلى معالمها مجموعة من البنايات العمومية والخاصة، وستتعدد معاصر الزيتون والمخابز والدكاكين، بالإضافة إلى الحمامات العمومية والمنازل الخاصة التي زخرفت أرضية بعض حجراتها بلوحات فسيفساء تحمل مواضيع مختلفة.

في القرن الثاني بعد الميلاد ستحاط المدينة بسور ليضمن حمايتها وبالضبط في 168 ـ 169 بعد الميلاد على عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس. وفي عهد العائلة السيفيرية، أعيد ترتيب وتنظيم حي البنايات العمومية، الذي يتكون من المعبد أو الكابتول. والساحة العمومية أو الفوروم وقوس النصر، هذا الأخير الذي تم تشييده من طرف سكان وليلي اعترافا منهم بجميل الإمبراطور كركلا الذي أعفاهم ممّا ما تبقى من الضرائب، وعمّم عليهم المواطنة الرومانية، كما تشهد على ذلك النقيشة التي تعلوه.وفي أواخر القرن الثالث بعد الميلاد وبالضبط في سنة 258 بعد الميلاد، ونظرا لما كانت تعيشه الإمبراطورية الرومانية من مشاكل تعرف بأزمة القرن الثالث، وكذلك نتيجة لغزو القبائل الجرمانية لبعض مناطق الإمبراطوية، فإن وليلي كباقي المقاطعات البعيدة ستتأثر بالسياسة الجديدة التي سنتها الإمبراطورية، بحيث تقرر الجلاء التام عن المناطق الجنوبية من موريطانية الطنجية باستثناء سلا كولونيا وموكادور، واكتفى الاستقرار الروماني الفعلي بالمناطق الشمالية، معتبرين وادي اللكوس كحد جديد. وربطت هذه المناطق إداريا وعسكريا بمقاطعة إسبانيا.

انطلاقا من هذه الفترة وبالضبط خلال القرن الرابع وبداية الخامس بعد الميلاد، بدأ نزوح ساكنة وليلي اتجاه غرب قوس النصر للاستقرار، هناك أقيم حي كبير على مقربة من وادي خومان، وهذا يعود دون شك للعطب والتلف الذي أصاب القناة الرئيسة التي كانت تزود غالب أحياء المدينة بالماء الصالح للشرب، وأحسن دليل على هذا الاستقرار لسكان وليلي في الجهة الغربية من المدينة هو بناء سور جديد في تلك الفترة سيفصل الأحياء الجديدة المسكونة عن الأحياء المهجورة (الحي الشمالي الشرقي، حي المباني العمومية والحي الجنوبي).

إن البقايا الأثرية الموجودة في الجهة الشمالية لقوس النصر والحي الغربي، تسمح بأخذ فكرة عن ساكنة وليلي في هذه الفترة وبالضبط على مقربة من الفتح الإسلامي. أبرزها أربعة نقائش مأتمية مسيحية مؤرخة بـ 599 بعد الميلاد و655 وبعد الميلاد، والتي يمكن أن تعتبر خير شاهد على أن ساكنة وليلي قد اعتنقت المسيحية وأن اللغة اللاتينية كانت لا تزال لغتهم الرسمية.

وبقي الوضع على ما هو عليه، إلى أن دخل إليها الفارس الإسلامي عقبة بن نافع الفهري حوالي 681 بعد الميلاد، واستولى من بعده موسى بن نصير على المغرب الأقصى سنة 710 بعد الميلاد. وبهذا يمكن القول بأن وليلي عرفت فترة إسلامية قبل مجيء المولى إدريس الأول إليها، كما تدل على ذلك النقود الإسلامية والمعروفة بالنقود ما قبل الادريسية والتي عثر عليها بعين المكان والتي يحمل البعض منها مصطلح ضرب بوليلية.

ونتيجة للصراع الذي اشتد بين العباسيين والشيعة، فر المولى إدريس الأول، المنحدر من علي ابن أبي طالب، إلى المغرب حيث استقبل وبويع في وليلي من طرف زعيم قبيلة أوربة. وحسب ما تحمله المصادر التاريخية فقد اتخذ المولى إدريس من وليلي قاعدة لفتوحاته حيث استقر بها قبل بنائه لمدينة فاس التي ستصبح مهد الدولة الإسلامية بالمغرب. ولم تهجر وليلي بصفة نهائية بعد تأسيس مدينة فاس، بل استقطبت سنة 818 بعد الميلاد ساكنة جديدة مكونة من قبائل الربد الذين تم طردهم من ناحية قرطبة، والذين استقروا في أقصى الحي الغربي خارج السور الروماني، غير بعيد عن الحمامات الإسلامية الموجودة في هذه الجهة، ولقد مكنت الحفريات التي عرفها الموقع خلال السنوات الأخيرة، بعض الباحثين من جمع معطيات مهمة عن فترة الاستقرار الإسلامي بالموقع، بحيث أصبح بالإمكان الآن التحدث عن العمارة الإسلامية وتنظيم المجال بوليلي خلال هذه الفترة. ولعل أحسن دليل على تعمير وليلي خلال هذه الفترة هي المقابر الإسلامية المتناثرة والتي عثر عليها في الجهة الشرقية وفي الحي الشمالي وهي مناطق توجد خارج السور الروماني المتأخر.

يشكل الموقع الأثري وليلي حقلا خصبا لأبحاث وحفريات أثرية انطلقت منذ سنة 1915 ، حفريات أجريت في الحي الشمالي الشرقي وفي حي المباني العمومية والحي الجنوبي لتنتقل عملية. التنقيب إلى الحي الشمالي الشرقي انطلاقا من سنة 1930. هذه الأبحاث التي لازالت مستمرة إلى يومنا هذا، مكنت الباحثين الأجانب منهم والمغاربة من تقديم صفحات دقيقة من تاريخ الاستقرار بهذه المنطقة، وسمحت بإظهار معالم أثرية تنتمي لمختلف حقب التاريخ. ونظرا لما يحظى به هذا الموقع من أهمية تاريخية وتراثية فقد تم تصنيفه من طرف اليونسكو سنة 1997 في عداد التراث العالمي الإنساني.

A. Luquet, *Guide de Volubilis,* Tanger, 1972 ; R. Thouvenot, *Volubilis*, Ed. les Belles Lettres, Paris, 1949 ; Hassan Limane [et al.], *Volubilis de mosaïques à mosaïques*, éd. Eddif, juin 1998 ; Hassan Limane et R. Rebuffat, Volubilis aux marches de l'empire romain, dans *Le monde de la bible, n° 97, mars-avril 1996* ; Volubilis imprégnée par l'obsédante odeur de l'huile, dans *Revue Historia / spécial, n° 54, juillet-août 1998, p. 116-121* ; Di Silvia Bullo e Hassane Limane, La città dell Oleandro, dans *Archeo le nuove Monographie*, Marocco l'Occidente d'ell Oriente, *Anno VIII, n° 3, Luglio, 1999, p. 73-106* ; Hassan Limane et Abdelfettah Ichkhakh, Quelques données qur la période islamique à Volubilis (texte traduit en allemand par Martina Risse) dans *Volubilis, Ein romische Staadt in Marokko von der Fruhzeit bis in die islamische periode*, publication Verlag Philippe von Zabern, Mainz 2001, p. 88 - 95 ; Jean-Luc Panetier en collaboration avec Hassan Limane, *Volubilis, une cité du Maroc antique,* éd. Maisonneuve et Larose Malika, 2002.

حسن ليمان

**الوليليون** ، يبدو أنهم كانوا من أهم القبائل المورية التي اعتمدت عليها روما لفرض سيطرتها على موريطانيا الغربية التي ستصبح تحمل اسم موريطانيا الطنجية في عهد الاحتلال الروماني. والغريب في الأمر أن بلينوس الشيخ لم يشر إليهم إطلاقاً، وذلك على الرغم من أنهم أسسوا "فيدرالية" تابعة للرومان منذ عهد أغسطس.

يذكرهم بطليموس جنوب قبائل القيرق الويروي، فإذا كان نهر ورغة هو موطن القيرق، فالوليليون يقعون جنوب القيرق : يعني جنوب نهر ورغة. هذا إذا كانت كلمة الوليليين تعني قبيلة وليس فقط سكان مدينة وليلي. فإذا كان المقصود بالكلمة القبيلة فستكون المدينة (وليلي) عاصمتهم التي قاموا ببنائها وأطلقوا عليها اسماً مأخوذاً من اسم قبيلتهم، وليس من فولوكس ابن بوكوس كما رجح كل من گاجي (Gagé) ولوكي (Luquet ) ، والملاحظ أن كلمة وليلي قريبة من الكلمة الأمازيغية أليلي التي تطلق على نبات الدفلة. فهل هذا النبات الذي لا يزال منتشراً في المنطقة التي يوجد بها الموقع هو الذي أعطى للقبيلة، وبالتالي المدينة - أو العكس - هذا الاسم ؟ من المرجح أن هذا الاسم هو الأصل في اسم المدينة، وبالتالي القبيلة.

ونظراً لأهمية مواطن الوليليين الواقعة حوالي موقع وليلي، فقد أهلتها لتلعب دوراً مهما في التاريخ السياسي والعسكري والاقتصادي لموريطانيا الطنجية في عهد الاحتلال الروماني. وقد حصل العديد من أفراد القبيلة على المواطنة الرومانية منذ الفترة الانتقالية، فتم إدراج اسمائهم في لائحة قبيلة گاليريا (Galeria) وقبيلة كويرينا (Quirica) كما تشهد على ذلك النقائش. ومما يؤكد موقف الوليليين المؤازر للاحتلال الروماني في حربهم ضد إيدمون، نقيشة ماركوس فاليريوس سيفيريوس.

محمد مقدون، *ثورة إيدمون*، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، ظهر المهراز، فاس ؛ مصطفى أعشي، *العلاقات السياسية والعسكرية بين المور والرومان في موريطانيا الطنجية* ما بين 140 و 280 م، د. د. ع، الرباط.

Ptolémée, *Histoire naturelle*, IV, 1-5 ; *Géographie*, éd. C. Muller, 1901, V, 1-5 ; Mostafa Ouachi, Situation de la Maurétanie Tingitane, *Memorial du Maroc, vol. III, 1983, p. 232 - 247* ; Gascou, Sur une inscription de Volubilis, *Antiquités Africaines, 28, 1993, p. 133-138* ; Id., Aedemon, *E.B. II, 1985, p. 166-167* ; M. Euzennat, Remarques sur la description de la Maurétanie Tingitane, dans Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, v, 2, *Antiquités Africaines, 25, 1989, p. 95 - 108* ; R. Roget, Le *Maroc chez les auteurs anciens,* Rabat, 1924 ,

مصطفى أعشي

**الوندال** (التعريف التاريخي) : استعمل بلينوس الشيخ Plinius هذه اللفظة "وندال" Vandilii كاسم لأحد الشعوب المكونة للأمة الجرمانية في منتصف القرن الأول للميلاد، وجعله فروعا أربعة هي :

Gutones ، Charin ،Varinnae ، Burgodiones ، كانت تقيم آنذاك على ساحل بحر البلطيق ما بين مصبي نهري الفستول Vistule والإلب Elbe . وذكر تاكيتوس Tacitus شعب الوندال Vandilii وجعله فرعين فحسب ,Guthones Varini.

وقد علق كل من ماركوس Marcus وكورتوا Courtois على هاتين الإشارتين، فلاحظ الأول أن البورغونديين والقوط لا يختلفون عن الوندال في شيء من الخلقة أو اللغة أو الملبس أو التسلح وما إلى ذلك من العادات والأعراف. في حين رأى الثاني أن كل القرائن التي جمعها لا تسمح بتاتا أن يحشر البورغونديون والقوط ضمن الفئة الوندالية، وأنه يستحيل أن ينسب للوندال - بالحجج القاطعة - غير شعبين هما : السيلينجيون والهاسدينجيون Silings et Hasdings. أما شميث Schmidt فقد أبدى ملاحظة من نوع آخر، مفادها أن لفظة "الوندال" كانت أول الأمر ذات معنى متسع كما استعملها بلينوس الشيخ وتاكيتوس، ثم ضاقت بعد ذلك لتحدد شعبين فقط هما : السيلينج والهاسدينج. وهكذا رجح هذا الباحث أن يكون اسم الوندال قد أطلق في فترة قديمة على مجموع الشعوب الجرمانية الشرقية. ونبه أن كل الأدلة الأركيولوجية وغيرها من الأدلة الأونوماستية والطوبونيمية تدفع إلى الاعتقاد أن موطن الوندال القدامى يقع في إسكندنافيا (وخاصة في النرويج والسويد والدانمارك)، وأنهم عبروا من هناك إلى الساحل الشمالي لجرمانيا الشرقية خلال القرن الثاني قبل الميلاد على أبعد تقدير.

وإذا كان بطليموس Ptolémée قد ذكر قبيلة باسم السيلينجيين Silingi ، أثناء سرده لشعوب جرمانيا، فإنه لم ينسبها من جهة لشعب معين، كما أنه من جهة ثانية لم يذكر أي شعب باسم الوندال. فهل يعتبر ذلك منه جهلا أو تجاهلا لشعب الوندال ؟ ومهما كان الجواب على هذا التساؤل، فإن النصوص التاريخية التي تثبت نسب السيلينجيين للوندال قد وردت عند هيداتيوس Hydatius دون غيره.

وإذا كان ديون كاسيوس Dion Cassius هو المؤرخ الوحيد الذي ذكر اسم الهاسدينجيين Hasdingi، قبل القرن الخامس للميلاد، وجعل منهم شعبا ؛ فإن فكتور التونوني Victor de Tunnina وجوردانيس Jordanes وكاسيودوروس Cassiodorus قد أشاروا إلى الهاسدينجيين. باعتبارهم الأسرة الملكية الحاكمة للوندال، مؤيدين بذلك ما ورد في الأساطير الإسكندنافية من أن هؤلاء الهاسدينجيين هم الملوك الوندال أنفسهم.

هذا وقد رجح شميث دون أدنى تردد أن يكون لفظ الهاسدينجيين هو اسم الأسرة الملكية التي كانت تحكم شعب Charini ، الذي ذكره بلينوس ضمن الشعرب الوندالية الأربعة، والذي ذكره كذلك تاكيتوس باسم Harini، وأن اللفظة تطورت دلالتها مع الزمن من التعبير عن الأسرة الحاكمة إلى نعت الشعب نفسه. وأيّدكورسيل Courcelle هذه النظرية. وأبدى كورتوا بعض التحفظ رغم موافقته أن لفظة الهاسدينجيين كانت أصلا للدلالة على أسرة حاكمة لشعب

بنفس الاسم. وبناء على ما سبق، ورغم أن مسألة دراسة أصل الوندال لازالت قائمة، فالراجح أن هؤلاء الوندال لم يكونوا أول الأمر شعبا واحدا بل كانوا مجموعة قبائل جرمانية شرقية تربط بينها صلات متفاوتة القرابة. ثم تطورت هذه القبائل - ولا أحد من الباحثين استطاع أن يحدد مختلف مراحل هذا التطور - لتعطي الشعبين الونداليين المشهورين : الهاسدينج والسيلينج.

عندما أشار بلينوس الشيخ إلى إقامة الوندال على الساحل الجنوبي لبحر البلطيق ما بين مصبي نهري الفستول والإلب في منتصف القرن الأول للميلاد، لم يفته أن يذكر أنهم بلغوا من القوة والكثرة درجة أن اشتهر باسمهم كل الجرمان الشرقيين. إلا أن قوتهم هذه لم تحل دون تغلب القوط عليهم في أواسط القرن الثاني للميلاد، فأجبروهم على ترك مجالهم البلطيقي والتحرك داخل القارة الأوربية، قاصدين جنوب جرمانيا مستغلين على ما يظهر أودية الأنهار الصالحة للملاحة في المنطقة، وكأنهم بهجرتهم تلك قد اجتنبوا الاصطدام مع القوط ونشدوا الأمان والطمأنينة والاستقرار. ومنذ ذلك التاريخ تميز الفرعان الونداليان - الهاسدينجيون والسيلينجيون - عن بعضهما البعض، وعاشا حوالي قرنين ونصف، كل في ظروفه، حتى اجتمعا من جديد في نهاية سنة 406 لعبور نهر الراين في اتجاه بلاد الغال.

وهكذا استقر السيلينجيون منذ منتصف القرن الثاني للميلاد في منطقة ستحمل فيما بعد اسمهم لتعرف جغرافيا بإقليم سيليزيا Silisie (جنوب غرب بولونيا الحالية). حتى إذا كانت سنة 277 تسلل هؤلاء السيلينجيون صحبة جيرانهم البورغونديين آنذاك إلى داخل الإمبراطورية الرومانية، حيث تصدى لهم جميعا الإمبراطور بروبوس Probus وردهم على أعقابهم بعدما أسر ملكا منهم يدعى إيگيلوس Igillus، رَجّح كورتوا أن يكون من أصل وندالي. وظل السيلينجيون في إقامتهم تلك إلى مطلع القرن الخامس للميلاد متمتعين على ما يظهر بعلاقات طيبة مع الشفاب Suèves جيرانهم هناك. علما أن هؤلاء الشفاب بدورهم شعب جرماني كان مستقرا حول سواحل البلطيق إلى غاية نهاية القرن الثاني للميلاد حين نزح نحو وادي الدانوب الأعلى وهلفيتيا Helvetia (سويسرا الحالية).

أما الهاسدينجيون فقد استقروا بعد حين من منتصف القرن الثاني للميلاد في سهول هنغاريا Hongrie ما بين وادي ماروس Maros جنوبا وواد كوروس Koros شمالا، رافدي نهر طايس Theïss، وظلوا هناك بدورهم إلى مطلع القرن الخامس للميلاد متمتعين بعلاقات أساسها حسن الجوار والتفاهم والانسجام مع جيرانهم هناك من الآلان والقوط Les Alains et les Goths، علما أن الآلان شعب من أصل سرماتي Sarmate هدم الهاون Les Huns سنة 370 إمبراطوريتهم التي امتدت آنذاك ما بين جبال القوقاز وجبال الأورال ونهر الدون، فساحوا غربا مع الهاون أنفسهم أو مع الجرمان واستقرت بعض فروعهم في بانونيا Pannonie غرب هنغاريا بجوار الوندال.

هذا وإن كل القرائن التاريخية التي اعتمدت في دراسة موضوع اعتناق الوندال للمذهب الأريوسي ترجح أن يكون الهاسدينجيون قد اعتنقوا المسيحية الأريوسية بعد عبورهم نهر الراين سنة 406، كما ترجح أن يكون السيلينجيون قد اعتنقوا هذا المذهب أثناء إقامتهم في سيليزيا. هذا وليس هناك أي دليل قاطع على أريوسية الوندال قاطبة قبل سنة 421، وهم آنذاك في إسبانيا، حسب شهادة سالفيانوس Salvianus. مما يعزز إشارة صريحة للمؤرخ أوروسيوس Orosius أن اجتياح الإمبراطورية الرومانية من طرف الباربار كان حكمة إلاهية أراد الرب بها أن يهدي هؤلاء الوثنيين إلى الديانة المسيحية. ولقد أقام الوندال الهاسدينجيون في هنغاريا إلى نهاية القرن الرابع للميلاد حين اضطرتهم عدة عوامل إلى مغادرتها متجهين نحو الغرب صحبة جيرانهم الآلان : منها ما أصابهم من المجاعة هناك بضع سنين حسب ما أورده بروكوبيوس Procopius. ومنها تلك الدعوة التي تلقوها، لاقتحام أراضي الإمبراطورية الرومانية، من استيليكون Stilicon مدير ديوان الإمبراطور هونوريوس Honorius آنذاك في إطار خيانة هذا الوزير وما كان يدبره من الدسائس والمؤامرات. ومنها كذلك ما اشتهرت به بلاد الغال من الغنى والخيرات. كل ذلك زيادة على الخطرين الهاوني والقوطي اللذين أصبحا يهددان وجود هؤلاء الهاسدينجيين في هنغاريا خلال السنوات الأخيرة من القرن الرابع للميلاد، علما أن كل هذه الحوافز لا يمكن فهمها إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الشعوب الجرمانية قاطبة قد عرفت ومنذ منتصف القرن الرابع للميلاد رجة كبرى وحركة مستمرة للهجرة والارتحال في وسط أوربا اصطلح الألمان على تعريفها بمصطلح Volkerwanderung.

ومهما كانت أسباب هذه الهجرة، فالأكيد تاريخيا أن الملك جوداجيزل Godagiselus قاد بعض فروع الوندال الهاسدينجيين في اتجاه الغرب، وقاد الملكان گوار Goar ورسبنديال Respendial شعب الآلان. وتحرك الشعبان نحو حوض نهر الماين Main حيث التقيا من جديد بالوندال السيلينجيين والشفاب الذين اضطرتهم الرجة الجرمانية الكبرى إلى النزوح من سيليزيا، منجذبين نحو الغرب. وقصد الجميع الحوض الأوسط لنهر الراين Rhin في اتجاه غاليا Gallia (Gaule)، سالكين الطرق الطبيعية على الضفة اليسرى لنهر الدانوب Danube من أجل تفادي الاصطدام مع القوات الرومانية المرابطة على طول الحدود الدانوبية.

وفي يوم 31 دجنبر 406، انطلق الوندال بفرعيهم في عبور نهر الراين مغتنمين فرصة تجمد مياهه، وصحبهم في عبورهم الآلان والشفاب في إطار بداية التنسيق بينهم أجمعين، مقتحمين بذلك ولأول مرة في تاريخهم الحدود الرومانية في اتجاه غاليا. وفي غياب قوة رومانية قادرة على مقاومة الباربار العابرين والدفاع عن الحدود الراينية، تصدى

شعب الإفرنج Les Francs لهؤلاء محاولا ردهم على أعقابهم خائبين، إلا أن الدائرة كانت عليه فانهزم. فتوغل الوندال والآلان والشفاب في غاليا، وأقاموا بها حوالي ثلاث سنوات من يناير 407 إلى خريف 409، وعاثوا فيها فسادا حسب شهادة العديد من المصادر الكاثوليكية، وانتقموا للرب من رعيته المنحرفة هناك حسب شهادة سالفيانوس بالخصوص. وبعد أن نهب الوندال والآلان والشفاب خيرات المزارع وثروات الكنائس، ولم يعد في غاليا ما يسلبون، غادروها إلى إسبانيا في خريف سنة 409. ورغم ما أكده جوردانيس من أن دخولهم إلى إسبانيا كان خوفا وفرارا من القوط الغربيين الذين ضايقوهم في غاليا، فالراجح أنهم اقتحموا الأراضي الإسبانية بحثا عن إقامة يطمئنون فيها ويتخذونها موطنا لهم معتقدين أنها صالحة لاستقرارهم ومؤملين أن يجدوا بها خيرات كثيرة، مغتنمين ما كانت تعانيه الولايات الإسبانية خاصة وغرب الإمبراطورية الرومانية عامة من التمزق والحروب الأهلية بسبب تمرد قسطنطين الثالث Constantin III قائد القوات الرومانية المرابطة بالجزر البريطانية آنذاك، هذا التمرد الذي انطلق منذ سنة 407.

وإذا كان اجتياح الوندال والآلان والشفاب لإسبانيا قد أحدث حالة يرثى لها في هذا البلد حسب ما أورده من الإشارات المعبرة بعض المؤرخين الكاثوليك، هيداتيوس Hydatius وإيزيدوروس Isidorus وفكتور دي فيتا Victor de Vita وگريگوار دي تور Grégoire de Tours؛ فإن ما أصاب إسبانيا آنذاك ومنذ تمرد قسطنطين الثالث من الأهوال والمصائب والمجاعات والأوبئة من جراء ما كانت تعانيه من الحروب جعل الوندال والآلان والشفاب يخشون على أنفسهم ومصيرهم ويبادرون إلى قبول وضعية الحلفاء التي اقترحها عليهم الإمبراطور هونوريوس بهدف حماية وصيانة إسبانيا الرومانية. وبعد أن وزع الوندال والآلان والشفاب فيما بينهم بعض ولايات ذوقية إسبانيا على أساس القرعة سنة 411 تلافيا للاصطدام فيما بينهم، استاء الإمبراطور هونوريوس من تصرفهم وخشي ضياع إسبانيا الرومانية على أيديهم، وسلط عليهم حليفه الجديد واليا Wallia ملك القوط الغربيين سنة 416 ليحاربهم ويحرر الولايات الإسبانية من قبضتهم.

وهكذا زحف القوط الغربيون على الآلان في ولايتي القرطاجنية Garthaginoise ولوزيطانيا Lusitanie وعلى السلينجيين في ولاية بتيكا Betica وقضوا على قوتهم تدريجيا ملحقين بهم هزائم ساحقة متوالية مما اضطر بقية السلينجيين بعد أسر ملكهم فريدبالوس Fredbalus سنة 416، وبقية الآلان بعد مقتل ملكهم Addax سنة 418 إلى الانحياز إلى الوندال الهاسدينج في جليقيا Galicie والدخول طوعا تحت لواء ملكهم آنذاك جندريق Gendéric الذي أصبح يلقب منذئذ : ملك الوندال والآلان.

بعد ذلك اغتنمت الإمبراطورية الرومانية عامل اختلاف المذاهب الدينية بين الوندال الأريوسيين والشفاب الكاثوليك، وجددت حلفها سنة 419 مع الملك الشفابي هرمريك Hermeric الذي شجعته باسم المذهب الكاثوليكي على محاربة الوندال. ولما لا حظت ضعفه أمامهم أرسلت قواتها من جديد إلى إسبانيا في ثلاث حملات متوالية : أولاها سنة 419 بقيادة أستريوس Astérius، وثانيتها بقيادة موروكلوس Maurocellus، وثالثتها بقيادة كاستينوس Castinus سنة 421 تسانده قوات قوطية. وقد انتهى هذا التدخل لصالح جندريق باستيلاء الوندال على ولايتي القرطاجنية وبتيكا.

وهناك في بتيكا الغنية بخيراتها مال الوندال إلى العناية بالزراعة وتربية الماشية والتجارة والصناعة، وكأنهم يأملون الاستقرار النهائي هناك، مقتنعين أنهم وجدوا تعويضا طيبا عما فقدوه في سهول أوربا الوسطى التي اضطرتهم الظروف إلى مغادرتها. وفسحوا المجال هناك للفئات المغلوبة من الأهالي الإسبان وفقراء الرومان للاشتغال في القطاعات الفلاحية محترمين حريتهم وكرامتهم وشجعوهم وغيرهم من الصناع والحرفيين والتجار بتخفيف الضرائب عنهم : مما جعل هؤلاء قاطبة يلهجون حمدا وشكرا للرب الذي أنعم عليهم في ظل حكم الوندال بحياة أقل ما يقال عنها إنها كانت أسعد حظا مما كانت عليه أيام الحكم الروماني. تلك الحياة التي سمع عنها الكثير أهل إفريقيا الذين كانوا دون ريب يتتبعون أخبار الوندال في إيبيريا منذ اجتياحها سنة 409 حسب إشارة أوردها القديس أو غسطينوس، والذين كانوا يتمنون تسلط هؤلاء الوندال على بلدهم ليخلصوهم - هم بدورهم - من ظلم الرومان وجبروتهم حسب ما ورد عند سالفيانوس. وكانوا هم كذلك قد سئموا الحياة في ظل الحروب والفوضى العارمة التي فرضتها عليهم أحداث ووقائع الربع الأول من القرن الخامس للميلاد في عموم إفريقيا الشمالية. ويرجع قرار عبور الوندال إلى إفريقيا الشمالية إلى ملكهم جندريق الذي وقع معاهدة سنة 428 مع بونيفاكيوس كونت إفريقيا يأخذ بموجبها الوندال الموريطانيات الثلاث - الطنجية والقيصرية والصطيفية في مقابل نجدة الكونت ومساندته في حروبه آنذاك ضد الجيوش الإمبراطورية. وشاءت الأقدار أن يهلك هذا الملك جندريق في مطلع سنة 429، في إحدى حروبه ضد الشفاب حلفاء الرومان، والوندال يتأهبون لعبور البوغاز نحو إفريقيا. فقادهم خلفه وأخوه جنسريق Genséric الذي استعان بسفن زوده ببعضها بونيفاكيوس تشجيعا للوندال على العبور، وبسفن صادرها من موانئ إسبانيا كرها وطوعا، وبسفن صنعتها ترسانات الوندال التي أقاموها في كل من إشبيلية وقرطاجنة بجنوب إسبانيا.

عبر الوندال إلى إفريقيا الشمالية في شهر مايو سنة 429، وقد أبحروا من ميناء جوليا ترادوكتا Julia Traducta (طريفة حاليا) ونزلوا في القصر الصغير على الضفة الجنوبية للبوغاز. أما عن أعداد العابرين فكل القرائن المصدرية تدل

على أنهم لم يتعدوا ثمانين ألفا من الوندال - هاسدينج وسيلينج - والآلان ومن انضم إلى حشودهم من القوط والإسبان وغيرهم ... رجالا ونساء، شيوخا وأطفالا، عبيدا وأسيادا، من بينهم جميعا حوالي عشرين ألف مقاتل على أكبر تقدير، ومعهم أمتعتهم وماشيتهم ودوابهم وعرباتهم. هذا ويستفاد من إشارة وردت في رسالة بعث بها القديس أوغسطينوس إلى الكونت بونيفاكيوس سنة 429 بعد مصالحته مع الإمبراطورية، أو الوندال الذين نزلوا بإفريقيا لم يواجهوا أية مقاومة مورية. بل أكثر من ذلك استنتج من هذه الإشارة بعض الباحثين أن الوندال بادروا إلى عقد أحلاف مع القبائل المورية هناك. هذه القبائل التي كانت قد سئمت من الظلم الجبائي الروماني، ومن الاستغلال الاستعماري البشع لخيرات البلاد وثرواتها ؛ كما سئمت من فساد الإدارة الرومانية في كل ولايات دُوقية إفريقيا آنذاك التي كانت تضغط على الأهالي بالتماطل والمحسوبية والرشوة وسوء التدبير وقبح التصرف والتغافل عن ابتزاز الولاة للرعايا وظلمهم واختلاس الأموال العامة.

وإذا كان دخول الوندال إلى إفريقيا في حد ذاته منعرجا متميزا في تاريخ المنطقة، إذ وضع النهاية الفعلية لحكم روماني قيمي دام زهاء ستة قرون، وسمح بإقامة مملكة وندالية هناك، فقد كان هذا الحدث كذلك فاتحة عهد جديد في تاريخ أهل المنطقة الذين بادروا إلى التفاهم والتعاون مع جنسريق على أسس المصالح الحيوية المتبادلة. هكذا أثمر هذا التعاون، فلم تسجل المصادر التاريخية ولو إشارة ضمنية واحدة يستفاد منها أن الموريين قد اصطدموا مع الوندال طيلة عهد الملك جنسريق إلى غاية وفاته في مطلع سنة 477. بل أكثر من ذلك ساهم الموريون في مختلف العمليات الحربية التي كان ينظمها هذا الملك في ربيع كل سنة، وخاصة بعد سنة 455، ضد المصالح الرومانية أو البيزنطية في كل سواحل وجزر البحر الأبيض المتوسط. كما انخرطوا في مختلف الحاميات العسكرية التي كونها جنسريق وأوكل إليها مهمة الدفاع عن أرخبيل البليار وجزيرتي سردينيا وكورسيكا بعدما بسط نفوذه عليها قبل سنة 460.

كما ساهم الموريون كذلك بوقوفهم إلى جانب هذا الملك في إحباط كل المحاولات الرومانية والبيزنطية لاسترجاع إفريقيا مساندين لسياسته الخارجية ومدافعين معه عن المنطقة بكامل قواهم. وهكذا وقفوا معه لمواجهة حملة الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني سنة 441، وحملة الإمبراطور أفيتوس سنة 456، وحملة الإمبراطور مايوريانوس سنة 460، والحملة الكبرى للإمبراطور ليون سنة 468.

وبعد وفاة الملك جنسريق سنة 477، تولى الأمر من بعده ملوك ضعاف ضيعوا هيبة الملوكية الوندالية وعجزوا عن تسيير شؤون دولتهم التي مالت إلى الانحلال والتقهقر سياسيا واقتصاديا وعسكريا ؛ وتعقدت علاقاتهم مع البيزنطيين ؛ وتضاربت مصالحهم مع الممالك الجرمانية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط كالقوط بفرعيهما، الشرقيين بإيطاليا والغربيين بإسبانيا ؛ وتفاقمت مشاكل مملكتهم الداخلية مع حلفائهم الموريين، الذين تبرموا من الانقياد والطاعة للملوك الوندال، وأعلنوا ثوراتهم وانتفاضاتهم في الأوراس والموريطانيات ونوميديا وبيزاكينا والولاية الطرابلسية، مهيئين الأرضية المناسبة للزحف البيزنطي على المنطقة بقيادة بليساريوس سنة 533. وهذا الزحف هو الذي عجل بسقوط المملكة الوندالية في ظروف لم تتعد ثلاثة أشهر إلا بأيام قليلة. وعلى إثره اندثر إلى الأبد شعب الوندال وضاعت سمعته في كتب التاريخ والأدب عبر الحقب والأجيال بفعل تحيز المصادر التاريخية الكاثوليكية - رومانية وبيزنطية - وحقدها وكراهيتها للوندال الأريوسيين.


محمد اللبار، *دخول الوندال إلى إفريقيا الشمالية 429 - 442*، كلية الآداب، ظهر المهراز، فاس، 1990 ؛ *إفريقيا الوندالية بين الحملات البيزنطية والثورات المورية*، 429 - 534، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 2002 ؛ *الوندال بين التاريخ والوندالية*، القنيطرة، ع 3، 2002، ص. 171 - 179.

C. Bourgeois, Les Vandales, le vandalisme et l'Afrique, *Ant. Afr., t. xvi, 1980, p. 213-228* ; Jérôme Carcopino, *Le Maroc antique*, Gallimard, 10ème éd., 1948 ; Idem., *Profils de conquérants*, Paris, Flammarion, 1961 ; Cassiodore, *Chronica*, M.G.H.A.A., t. xi, Berlin, 1894, p. 110-161 ; Idem., *Variae*, M.G.H.A.A., t. xii, Berlin, 1897 ; P. Courcelle, *Histoire littéraire des grandes invasions germaniques*, Paris, 1984 ; Christian Courtois, *Les Vandales et l'Afrique*, Paris, 1955 ; Dion Cassius, *Histoire romaine*, éd. Didot, 10 tomes, Paris, 1848-1889 ; E.F. Gautier, Genséric, Roi des Vandales, Paris, Payot, 1951 ; Isidore de Seville, *Chronica*, M.G.H.A.A., t. xi, Berlin, 1894, p. 391-506 ; Idem., Histoira Gothurum Wandalorum Sueborum, M.G.H.A.A., t. xi, Berlin, 1894, p. 267-303 ; Jordanes, Gética et Romana, M.G.H.A.A., t. v, 1, Berlin, 1882 ; Louis Marcus, *Histoire des Wandales depuis leur première apparition sur la scène historique jusqu'à la destruction de leur empire*, Paris, 1836 ; Paul Orose, *Adversus Paganos*, C.S.E.L., t. v, Vienne, 1882 ; Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, éd. Desanges, Les Belles Lettres, Paris, 1980 ; Procope, *Bellum Vandalorum*, éd. Dewing, London/New York, 1916 ; Ptolémée, *Géographie*, t. iv, éd. C. Muller, Paris, 1901 ; Salvien, *De Gubernatione dei*, M.G.H.A.A., t. 1, 1, Berlin, 1878 ; L. Schmidt, *Histoire des Vandales*, Tr. Fr. de H-E. del Medico, Paris, Payot, 1953 ; Tacitus, *Annales*, Texte établi et traduit par P. Wuilleumier, 4 tomes, les Belles Lettres, Paris, 1975-1978 ; Victor de Tannuna, *Chronica*, M.G.H.A.A., t. xi, 1894, p. 183-206 ; Victor de Vita, *Historia Persecutionis Vandalicae*, M.G.H.A.A., t. III, 1, Berlin, 1879, p. 1-59.


محمد اللبار

**الونشريسي، أحمد** بن **يحيى** بن عبد الواحد أصله، من جبال ونشريس في المغرب الأوسط، ولد وترعرع في تلمسان، حيث درس النحو والفقه وتضلع في مذهب مالك، فلم يكن يجارى فيه، لدرجة أن ابن غازي قال لتلامذته وهو يرى الونشريسي في القرويين : "لو أن رجلا حلف بطلاق زوجته لكان بارا في يمينه، ولا تطلق عليه زوجته، وهذا لفرط تبحره في مذهب مالك، أصوله وفروعه". أخذ العلم عن شيوخ تلمسان كالإمام قاسم العقباني وولده إبراهيم وحفيده محمد بن أحمد، والإمام محمد بن أبي العباس وأبي عبد الله

الجلاب وابن مرزوق الكفيف. وكان مع سعة علمه بعد قدومه فاس، يحضر مجلس القاضي المكناسي. وأخذ عنه جماعة بلغوا درجات عليا في التدريس والفتيا والقضاء ؛ منهم ابنه عبد الواحد وعبد السميع المصمودي وأبو زكرياء يحيى السوسي ومحمد بن محمد الغرديس وغيرهم.

كان الونشريسي قوي الشخصية، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان ذلك فيما يبدو، سبب محنته، إذ حصلت له واقعة مع السلطان أبي تاشفين الزياني سنة 874 / 1469، فانتهبت داره وفر إلى فاس، حيث استضافه الأستاذ محمد الصغير.

ثم استقر بها وكان يكسب عيشه من تدريس *المدونة* و*مختصر ابن الحاجب* الفرعي، وبالرغم من كونه مشاركا في علوم شتى، فإنه اشتهر بالفقه، وكثيرا ما كان يدرس بالمسجد المعلق، المجاور لدار الحبس التي كان يسكنها بالشراطين بعدوة القرويين. ودرس أيضا في بعض مدارس فاس بعد تأخير عبد الله بن عبد الواحد الورياغلي، علاوة على شغله لكرسي *المدونة* بالقرويين إلى حين وفاته.

له تآليف كثيرة أشهرها كتاب *المعيار المعرب* الذي استعان على تأليفه بخزانة تلميذه ابن الغرديس، فكان يحمل كل يوم مجموعة من الكتب على دابة يتوجه بها إلى عرصة له، وهناك يقضي اليوم في النقول وتقييد ما ظهر له من الرد والقبول، وقد انتهى من تأليفه ومراجعته سنة 911، وله أيضا *تعليق على ابن الحاجب* الفرعي، و *الفائق في الوثائق*، و *إيضاح المسالك إلى قواعد مالك*، و*وفيات الونشريسي*، و*فهرسة* جمع فيها شيوخه. وقد تخلل كتاب *المعيار* عدد من فتاواه المطولة، نشر بعضها مستقلا.

توفي الإمام أحمد الونشريسي، سنة 914 عن عمر يناهز ثمانين سنة.

ابن مريم، *البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان* ؛ أحمد ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج* ؛ محمد الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 3 ؛ محمد مخلوف، *شجر النور الزكية في طبقات المالكية* ؛ محمد حجي، *المعيار المعرب*، ج 1.

**الونشريسي، سليمان** الفاسي، الإمام المقرئ بجامع الأندلس. كان قائما على المدونة، ويقرأ في التفريع لابن الجلاب. أخذ عنه الفقيه القاضي إبراهيم اليزناسني وخلف الله المجاصي وأبو عبد الله الرندي. وأخذ بدوره عن أبي العباس أحمد بن راشد في مجلسه بالقرويين ولازمه بقصد الاستزادة مدة عشرين سنة. ولسليمان الونشريسي حكاية تعكس بعضا من أجواء التدريس في هذا العصر، فقد حاجه تلميذه خلف الله المجاصي أمام الملإ في أحد النقول عن ابن رشد، وهو مسألة من باب المسح على الخفين من التقييد والتقسيم، فما كان من الشيخ الونشريسي إلا أن نزل من كرسيه وترك القراءة يومين. ثم أحضر الكتاب وقال لخلق الله تكذبني في النقل، نصحتك أعواما كثيرة فما كان جزائي إلا هذا. فلما تبين للمجاصي خطأه قبل عند ذلك يده واعتذر له، فعلم الونشريسي صدقه وأنه قصد خيرا. وإنما أزعجه قوة وخشونة اللفظ.

توفي سنة 705 / 1305.

أحمد ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج* ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 3.

محمد فتحة

**الونشريسي، عبد الله** بن **محسن** من تلاميذ محمد المهدي بن تومرت الذين صحبوه عند عودته من المشرق، التحق به بوانشريس بالمغرب الأوسط، وصار من خلّص أتباعه. وأصبح من أهل العشرة الذين سارعوا إلى بيعته بعد إعلان دعوته. وقد لعب دوراً أمنياً خطيراً في بداية الدعوة الموحدية بجبال المصامدة، حيث تصنّع البله فكان يتسمع الأخبار ويتعرف على المواقف المختلفة لأبناء القبائل المصمودية من ابن تومرت ودعوته ويبلغها إلى إمامه حتى قرر هذا الأخير القيام بعملية تصفية واسعة لمعارضي دعوته عرفت باسم التمييز، وعندما أخبر المصامدة أن كرامة قد حصلت لأبي محمد البشير الونشريسي، فقد ألهم العلم بعد أن كان أميا، وصار يحسن ركوب الخيل بعد أن كان أبله، وانطلت الحيلة على البعض، ثم أوكل به ابن تومرت تمييز "المرتدين" عن الدعوة من المؤمنين بها، فقتل عدداً كبيراً ممن ثبت عدم ولائهم للمهدية سنة 519 / 1125.

كان المترجم له قائدا مقداما، قاد بعض الغزوات ضد المرابطين. قتل في معركة البحيرة التي جرت بين الموحدين والمرابطين قرب مراكش سنة 524 / 1130 والتي انهزم فيها الموحدون وقتلت منهم فيها أعداد كبيرة. وسرعان ما تمت إحاطة موته بهالة من التقديس، فزعم بعض أتباع ابن تومرت أن زوبعة هبت على مكان المعركة فرفعت جثته إلى السماء فلم يعثروا عليه بين القتلى.

البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971.

محمد المغراوي

**الونشريسي، عبد الواحد** بن **أحمد** ولد بعد 880.

كان عالما متضلعا في علوم شتى، فهو فقيه عارف بالفقه والفتوى والوثائق، وأديب متقدم في صناعة الإنشاء، عالم بأسرار اللغة. أخذ العلم عن ثلة من علماء وقته، كوالده أحمد الونشريسي وابن غازي وأحمد الحباك والإمام الهبطي وابن هارون ... وتتلمذ عليه أبو زكرياء السراج وأبو العباس المنجور وآخرون. تولى عدة خطط، فقد تصدى للعدالة وهو شاب لم يتجاوز العقد الثالث، عينه القاضي المكناسي وجعلها هدية زواجه. وتولى القضاء وبقي فيه زهاء ثمان عشرة سنة ولـمّا توفي ابن هارون تخلى عن القضاء وجلس للفتوى عوضا عنه. وكان خلال هذا كله مدرسا شغوفا بالتلقين والإفادة. فحينما توفي والده، اعتقد كثير من الناس أنه لا يقوى على التدريس في مكانه، لاشتهاره بإتقان

الوثيقة والنحو، لكن ابن غازي أعانه في بداياته وصاحبه في تدريسه *للمدونة* حتى أثبت جدارته. وكان له مجلس خاص لا يحضره إلا أكابر العلماء كالزقاق واليسيتني وابن مجبر، يقرئ فيه *ابن الحاجب* *والتفسير*. وقد تصدى لتدريس وتفسير *المدونة* و*التهذيب* وفرعي *ابن الحاجب* و*صحيح البخاري* و*الشفا*، في أماكن كثيرة كالمدرسة المصباحية وجامع القرويين ومسجد العقبة الزرقاء ومسجد رحبة الزبيب.

له تآليف كثيرة منها *نظم قواعد المذهب المسمى بالنور*، و*المقتبس من قواعد مذهب مالك*، لخص فيه كتاب *إيضاح المسالك* لوالده وزاد عليه زيادات، ومنها شرحه على *مختصر ابن الحاجب الفقهي*، وشرحه على *الرسالة*، ونظم *تلخيص ابن البناء في الحساب*، وتعليق لم يكمله على البخاري، ونظم كثير في مسائل فقهية جمعها أبو زيد الكلالي، علاوة على أزجال وموشحات وأمور طريفة تذكر عنه، تدل على رقة طبعه واعتدال مزاحه.

كان الشيخ عبد الواحد الونشريسي مقربا من السلطان أحمد الوطاسي، وله دالة عليه تلخصها حادثة وقعت له، ذلك أنه خرج يوم عيد ليصلي بالناس، فانتظر السلطان الذي لم يخرج إلا في وقت الظهر، فلما رأى الونشريسي أن وقت صلاة الظهر قد حل، صعد المنبر وقال : يا معشر المسلمين عظّم الله أجركم في صلاة العيد، فقد صارت ظهرا، ثم أمر المؤذن فأذن وأقام الصلاة وصلى بالناس صلاة الظهر، وانصرف. وتعكسها أيضا قصة المنجور الإسلامي، ومفادها أن هذا التاجر قد استغرقت ذمته وشهد عليه أربعون رجلا من عدول المسلمين بذلك، فقبض عليه أحمد الوطاسي وأمر بقتله، وصادر أملاكه. وقد أراد أولاد المنجور استرداد أملاكهم، فعرضوا على السلطان مبلغ عشرين ألف دينار ليرد إليهم متاعهم، ويسقط عنهم بينة الاستغراق. فشاور السلطان الفقيه عبد الواحد الونشريسي، وأظهر له أنه في أمس الحاجة إلى ذلك المال، لكن الونشريسي رفض، وأجاب حاجب السلطان بأنه يخاف أن يلقى الله بشهادة أربعين رجلا من عدول المسلمين لأجل السلطان. فلما علم السلطان بجواب الونشريسي ترك الأمر ولم يعد إليه.

وتأتي هذه المكانة المتميزة التي حظي بها الونشريسي من قبل أحمد الوطاسي، من وفائه له وتفانيه في خدمته، ومن أهمية الخطط التي كان يشغلها، إضافة إلى مقامه العلمي الرفيع. ولذلك كان دائما مقدما للمهمات العظام. فقد كتب بيعة أحمد الوطاسي وتشبث بها إلى آخر رمق. وكان حاضرا في أحلك أيام الوطاسيين، حين كلف بتحرير شروط الصلح مع السعديين في حدود سنة 940.

وحينما أسر أحمد الوطاسي عقب موقعة أدرنة في 952، وبايع أهل فاس ابنه أحمد القصري، فإن محمد الشيخ السعدي طلب من الونشريسي أن يتركه فرفض. وبسبب ذلك اقتنع السعدي أن دخول فاس يمر عبر تغيير الونشريسي لولائه، لكن هذا الأخير أبى أن يفعل، لأن بيعة الوطاسي كانت في عنقه ولا يوجد مبرر شرعي للتخلي عنه. فهدّده لكنه لم يخف، بل رد عليه بعنف وازدراء، مما اضطر محمد الشيخ إلى أن يسلط عليه من يقتله وانتهى بذلك فعلا صمود المدينة.

وفي مقابل هذا الوفاء، لم يكن بوسع أحمد الوطاسي إلا الاعتراف بقوة شخصية الونشريسي والتجاوز عما كان يصدر منه أحيانا تجاهه، فقد كان على بينة من حسن طويته، ولم يبخل عليه بالتصدير، كما حصل لما أسند إليه سنة 939 كرسي الحديث لتدريس *صحيح البخاري* بالقرويين، دون غيره من كبار العلماء، ومكنه من ربع أحباسه. وكما كان يحصل باستمرار حينما تدعوه بعض النوازل والأمور الطارئة إلى استشارته، ولما تأكد من تميزه عن غيره من العلماء بإسناد أهم الخطط الدينية إليه.

توفي مقتولا سنة 955، عن نحو سبعين سنة.

أحمد ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ محمد ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ محمد الصغير اليفراني، *نزهة الحادي* ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 3.

**الونشريسي** (ابن -) **عثمان** بن **عطية** ولد في حدود سنة 727، وكان حيا في 770. ينتمي إلى بيت اشتهر بالعلم، وكان من أعيان مكناسة الزيتون، وممّن التقاهم ابن الخطيب سنة 761 / 1360 ، وقد حلاه بالفقيه العدل، وبأنه من أهل الحساب والقيام على الفرائض والعناية بفروع الفقه. كان يقرض الشعر، وله أرجوزة في الفرائض مبسوطة العبارة مستوفية المعنى. أخذ عن أبي البركات بن الحاج البلفيقي وأخذ عنه ابن الأحمر، وأجازه إجازة عامة، وذكر أن كان فقيها ومدرسا ومفتيا. واحتفظ له صاحب *المعيار* بعدد من الفتاوى.

كان الحسن بن عثمان من جملة الفقهاء العدول الذين شملهم قرار السلطان أبي عنان المريني بالاقتصار على عشرة من الشهود بمكناسة الزيتون. لكن ذلك لم يرق لبعض الشهود القدماء، وشنعوا عليه لحداثة سنه. فكتب رجزا رفعه إلى السلطان ذكر فيه بشهرة نسبه، وأنه أشرف على الأربعين ردا لتهمة صغر السن. كما تطرق إلى انتسابه للعلم، مدرسا *للرسالة* ومؤلفا في علم الفرائض. تولى قضاء فاس مدة، ثم لما رجع من الحج هم بتركه، وأراد أن يتفرغ للعبادة. لكن زوجته رفضت وأصرت على رأيها، لخوفها من أن ينقطع عنها ما ألفته من اعتبار، ومن خدمة النساء لها. فرجع إلى القضاء، غير أن الموت لم يمهله فقد توفي بعد أسبوعين من ذلك.

لسان الدين ابن الخطيب، *نفاضة الجراب* ؛ محمد ابن غازي، *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون* ؛ أحمد ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*.

**الونشريسي** (ابن -) **عطية التجاني** المكناسي المنشأ والقرار من فقهاء المذهب المالكي الذين كانت تدور

عليهم الفتيا بمكناس، أخذ العلم عن أبي الفضل ابن الصباغ المكناسي، وأخذ عنه ابن الأحمر وأجازه *الموطأ* على رواية يحيى بن يحيى الليثي. اشتهر زيادة على الفقه بعلم الفرائض وله فيه أرجوزة وشرحها. نقل له أحمد الونشريسي عددا من الفتاوى في كتاب *المعيار*.

توفي سنة 781 / 1382.

الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 3 ؛ إسماعيل بن الأحمر، *نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان*.

محمد فتحة

**الونان** (ابن -) **أحمد** بن **محمد** الحميري التواتي الفاسي، كنيته أبو العباس، اشتهر أمره وذاع صيته عن طريق أرجوزته المعروفة بالشمقمقية.

وعلى الرغم من أن أباه كان من ندماء السلطان سيدي محمد بن عبد الله لا نعرف عن حياته الأولى إلا الشيء القليل، وكان أديبا بارعا، كنّاه السلطان بأبي الشمقمق تشبيها له بالشاعر الكوفي الماجن، ولزمته كنيته، بل أكثر من ذلك انتقلت إلى ابنه وإلى أرجوزته، فلا تدعى إلا بالشمقمقية.

يذكر الفقيه الجريري السلاوي المتوفى سنة 1240 في شرحه للشمقمقية المسمى : "*رقم الديباج المحلق بالفخر بأمير المؤمنين وأبي الشمقمق*" أنه تلقى دروسه العلمية بفاس على الجلة من مشيختها كمحمد بن قاسم جسوس وعمر الفاسي ومحمد بن الحسن بناني وغيرهم، وأخذ الأدب والشعر عن والده فبرع ونبغ، ونظم أرجوزته التي نالت إعجاب السلطان وجائزته".

وينقل عبد الله كنون عن الجريري قوله : "وكان حسن النظم مكثارا، لا يخاف جواد لسانه عثارا، وكان الناظم على ما بلغني شاعرا ماهرا، وفحلا هادرا، ذا وَجْدٍ وإجادة، وقريحة وقادة، وبديهة بارعة، وفكرة لأبكار المعاني فارعة"، ويعقب كنون على هذا الإطراء بقوله : "كان ابن الونان شاعرا مكثرا سيال الطبع".

ولعل لابن الونان قصائد شعرية كثيرة غير الأرجوزة، لكنها ضاعت فيما يبدو، إذ لا نتوفر إلا على "قطعة شعرية مدح بها سيدي محمد بن عبد الله، ورسالة مسجعة كتب بها إلى الشيخ سيدي المعطي بن الصالح، ثم أتبعها بشعر في مدحه، وبيتين في مدح سيدي محمد بن عبد الله، وثلاثة أبيات قالها في ترفعه عن أخذ الزكاة"، كما أن له "نظما رصينا لمسائل ابن خميس، وهو أحسن الأنظام التي تضمنت تلك المسائل".

أما أرجوزته الشمقمقية، "فهي أعظم آثاره، وديوان أدبه، ونموذج شاعريته، ومثال نظمه، ولكثير من الأدباء إعجاب بها، وهي على روي القاف، وعدد أبياتها 275 بيتا".

تتضمن الشمقمقية أغراضا شعرية كثيرة، منها :

المقدمة الطللية، وفيها يذكر الرحيل ومشاق الطريق على عادة الجاهليين، الغزل، وفيه يصف الحبيبة وجمالها، الحماسة والفخر، مخاطبة الحسود، الحكم والأمثال والوصايا، مدح الشعر، مدح السلطان، مدح الأرجوزة، وتحدي الشعراء أن يأتوا بمثلها، مطلعها :

| | |
|---|---|
| مهلا على رسلك حادي الأينق | ولا تكلفها بما لم تطق |
| فطالما كلفتها وسقتها | سوق فتى من حالها لم يشفق |

وفي الأخلاق يقول :

| | |
|---|---|
| فكن مهذب الطباع حافظا | لحكم وأدب مفترق |
| وعاشر الناس بخلق حسن | تحمد عليه زمن التفرق |

وفي مدح السلطان يقول :

| | |
|---|---|
| له محيا في أوج الدجى | سناه مثل القمر المتسق |
| وراحة تغار من سيولها | سيول ودق وركام مطبق |

وقد شرح الشمقمقية أبو عبد الله الجريري السلاوي كما سبقت الإشارة إلى ذلك، والمؤرخ الناصري وعنوان شرحه "*زهر الأفنان من حديقة ابن الونان*" وهو مطبوع على الحجر في جزأين، والعلاّمة أبو حامد البطاوري، وسمّى شرحه "*اقتطاف زهرات الأفنان من دوحة قافية ابن الونان*" ؛ وهو مخطوط بالخزانة العامة بالرباط"، وقد اقترح بعض الطلبة على الشارح أن يختصر شرح القافية، فوضع "*الخلاصة النقية في شرح الشمقمقية* "، وتوجد منه أوراق بالمكتبة الصبيحية بسلا"، والعلامة عبد الله كنون، وسمى شرحه "*شرح الشمقمقية*"، وقد صدر في طبعتين، الأولى بالقاهرة والثانية بتطوان، كما شرحها العلامة محمد بن عبد السلام السايح وعنوان شرحه" *سوق المهر إلى قافية ابن عمرو*"، وصدر عن المطبعة الاقتصادية بالرباط، أما الشاعر محمد بوجندار فأطلق على اسم شرحه "*الارتشاف من ثغر الاقتطاف*" اقتطفه من شرح شيخه المكي البطاوري، وقد نبه إلى هذا الشرح عبد الله الجراري في مؤلفه عن شيخ الجماعة المكي البطاوري، ص. 39، كما أشار المؤرخ ابن زيدان في كتابه "*إتحاف أعلام الناس*" إلى شرح الأديب الطاهر بن العناية المكناسي.

أما عن قيمة الأرجوزة فيلخصها عبد الله كنون في قوله "وعلى الجملة، فهي أرجوزة ظريفة جامعة لكثير من فنون الأدب، وأخبار العرب، وهي على عالمية صاحبها أدل منها على شاعريته"، أما الناصري فقال عنها "الله در ناظمها الذي جمع فأوعى، وحاول النظم فأجاد وضعا، وأحسن صنعا".

توفي عام 1187.

ع. الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 3 : 345 ؛ أحمد بن خالد الناصري، *مقدمة زهر الأفنان من حديقة ابن الونان* ؛ محمد السايح، *مقدمة سوق المهر إلى قافية ابن عمرو* ؛ المكي البطاوري، *اقتطاف زهرات الأفنان من دوحة قافية ابن الونان* ؛ عبد الله كنون، *مقدمة شرح الشمقمقية* ؛ *سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب*، ع 15 ؛ *النبوغ المغربي*، ج 1 : 316، النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، ص. 82 ؛ السايح، *المنتخبات العبقرية*، ص. 81 ؛ محمد الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية*، ص. 298، ع. العزيز الأدوزي، *شرح القصيدة الشمقمقية*، رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب بالرباط.

نجاة المريني

**ووزغت** : رسمها البيذق واويزغت، واكتفى المهدي الفاسي بحذف المدود ؛ فاتفق مع أحمد الولالي الذي عرفها قائلا : "ووزغت بفتح الواو الأولى وكسر الثانية، ثم الزاي والغين معجمتين، مع فتح الزاي وسكون الغين، ثم تاء ساكنة". واقتفى أثره في ذلك محمد بن علي الزبادي. لم نستطع التوصل إلى معرفة مدلولها في الأمازيغية، إذ أنها حسبما يبدو من الألفاظ الكثيرة التي لم تحتفظ بها الذاكرة الجماعية. وما ذهب إليه الأستاذ محمد الفاسي من أنها مشتقة من أزر فهو ليس من باب التمحل فقط، ولكنه مجانب الصواب بالكلية، لأن جذر ووزغت نجده في ازغ. والسبب البين هنا أن في الأمازيغية حرفي الغين والراء ؛ والفرق بينهما لا يحتاج إلى بيان.

تقع ووزغت على الضفة اليمنى لواد العبيد، في الطرف الجنوبي للحوض الذي تمتد عليه اليوم بحيرة سد بين الويدان، عند السفح الجنوبي لجبل غنين في تراب قبيلة آيت بوزيد الواقعة تحت نير آيت عطه ـ ن ـ مالو (أهل الظل) والذين تمتد مواطنهم إلى جنوبي مدينة بني ملال. وبذلك فهي تتوسط قبائل آيت سري شرقا، وآيت بوزيد غربا، وآيت مساض جنوبا، عند منطقة الاتصال بين الأطلس المتوسط شمالا وبداية الأطلس الكبير الشرقي جنوبا.

وووزغت هي إحدى القصبات التي جددها السلطان المولى إسماعيل العلوي لإيقاف نزوح القبائل الجبلية نحو سهل تادلا. كما يندرج بناؤها في سياق توغل نفوذ المخزن في الجبل، دعما لحضوره هناك، ولتكون جبهة أمامية تنكسر عليها هجمات قبائل آيت عطه، قبل أن تهدد قصبات الدير المخزنية، مثل فم وودي وداي وإغرم العلامة.

والغالب على الظن أن ووزغت من المواضع التي عمرها الإنسان منذ أحقاب غابرة، بسبب توافر شروط الحياة ولا سيما الماء، إذ يخترقها جدول يحمل نفس الاسم يغلب عليه الانبساط، بحيث لا تعدم التربة الخصبة.

وبناء على ذلك، لا نستبعد أن تكون ووزغت معمورة منذ العهد المرابطي على الأقل. ففي سياق حملة السنوات السبع التي قام بها عبد المومن بن علي كانت ووزغت من المواضع التي وقعت بجوارها المواجهة الأولى مع جيش المرابطين، والتي انضمت إليه على إثرها ـ حسب البيذق ـ قبيلة صنهاجة. ويضيف المصدر نفسه أن الموحدين ـ في طريقهم إلى داي ـ عبروا ممرا جبليا، دعاه تيزي. وهذا الممر، في اعتقادنا، ليس إلا تيزي غنين لأنه الممر الوحيد والأقرب، الواصل بين ووزغت وداي. وبملاحظة بسيطة نلاحظ أن مسلك الموحدين، في هذه الجهة على الأقل، قد اتبع مواضع القلاع المرابطية. ومن ثم يجوز أن نتساءل، ألم تكن ووزغت إحدى تلك القلاع ؟ ويجد هذا التساؤل مشروعيته إذا علمنا أن الموحدين غزوا، بعد ووزغت، داي وتاگرارات وقلعة المهدي بن توالا ...

وكانت ووزغت أيضا، من أوائل المناطق الجبلية التي عرفت دخول التصوف، حيث ورد عليها الشيخ سعيد بن علي السوسي دفينها. وبها أيضا "شرب موسى البوگمازي ماء الفقر"، حين تتلمذ على الشيخ المذكور، ولازمه مدة طويلة، وخدمه بنفسه حتى وفاته ؛ الأمر الذي جعل أمرها يؤول إليه، سيما لما عينه شيخ شيخه عبد الله بن حسين فيما عليها، قبل أن ينتقل إلى تانغملت. وقدم على ووزغت أيضا الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي الذي أقام بها، رافعا هو كذلك، لواء التصوف بعد أن جدد الزاوية. وبعد وفاته سنة 1062 / 1652 ولي شئونها تلميذه علي بن عبد الرحمن الدراوي المتوفى سنة 1091 / 1680. لكن هذا الأخير لم يلبث أن غادرها في تاريخ غير محدد متوجها إلى تاموجت حيث أسس زاوية خاصة به. ومن خلال بعض القرائن نستخلص أن فرقة آيت إحتاسن العطاوية قد جددت ووزغت فبنت قصبة جديدة، دعيت يومئذ إغرم ـ ن ـ جتاسن. ولعل هذا راجع إلى الفراغ الذي عرفته نتيجة فرار سكانها الأصليين أمام زحف آيت عطه.

وكان اكتساح هؤلاء أحد الأسباب التي دعت السلطان المولى إسماعيل إلى بناء سلسلة من القصبات كانت ووزغت إحداها. ونرجح أن يكون ذلك بعد سنة 1103 / 1692. أي أن البناء قد تم بعد الحركة الثلاثية الكبرى التي قاد السلطان نفسه شطرا منها. ولا شك في أن الحركة التي قادها الباشا أحمد العتابي ضد زاوية إحنصالن بآيت مضريف، غير بعيدة عن ووزغت، قد بلغ شررها إلى هذه الأخيرة. لكن هل تم الإجهاز على القصبة المخزنية ؟ لا نعتقد ذلك. إنما المقصود هو الزاوية المذكورة وأتباعها آيت عطه الذين استوطنوا إغرم ـ ن ـ جتاسن التي ألمعنا إليها أعلاه، والتي حاول الباشا المذكور إخلاءها كذلك. تلك القصبة التي استوطنها آيت عطه حين ظهورهم على السكان الأصليين. والغالب على الظن أن ووزغت بعد دولة مولاي عبد الله الثالثة (1151 / 1738) قد شهدت سيطرة آيت عطه الذين أفادوا من عهد "الفترة" ليجتاحوا تلك المناطق. لكن وصول نفوذ الزاوية الناصرية إلى ووزغت، بعد أن انخرط الشيخ محمد بن عبد العزيز البوعثماني، حفيد الشيخ سعيد بن علي السوسي، في سلك الزاوية المذكورة، خفف كثيرا من وطأة العطاويين. فقد عمل الشيخ المذكور على الحفاظ على نوع من التوازن بين هؤلاء الرحل وبين المستقرين، بفضل وساطته وتحكيمه بين مختلف الفرقاء ؛ وتكلفه بحماية ووزغت. فحتى لما هم الباشا العتابي بإخلاء قصبة آيت عطه فالشيخ البوعثماني هو الذي توسط لهم عنده. ويبدو أن زاوية ووزغت قد استمرت قائمة بمختلف أدوارها هناك طوال الأحقاب المتعاقبة، حتى إذا مر بها شارل دوفوكو يوم 25 شتنبر 1883 وجدها مكونة من ثلاثة أقسام : القصبة المخزنية والزاوية والدوار، ويقدر مجموع سكانها بحوالي 1000 نسمة ؛ بالإضافة إلى الملاح الذي يقطنه ما بين 100 و150

من اليهود. وقد اختصها هذا المصدر بوصف ضاف، معجبا بتوافر شروط الاستقرار بها، من ماء وتربة خصبة ومعادن، فضلا عن موقعها الممتاز في عقدة الطرق الواصلة بين شمال البلاد وجنوبها، وبالرغم من تقاعس سكانها عن استغلال تلك الإمكانات. وأشار سبيلمان إلى أن السلطان المولى الحسن مر بووزغت مرجعه من حركته الأخيرة في يونيو سنة 1311 / 1894 . ولعلها كانت من بين أواخر المراحل التي توقف بها قبل أن يباغته هادم اللذات بدار ولد زيدوح بالصقع التادلي.

وقد استهوى موقع ووزغت الممتاز الفرنسيين فاحتلوها في خريف 1922 ، حيث شيدوا "مكتب الشؤون الأهلية" ؛ لأنهم سعوا إلى تأسيس مراكزهم الإدارية في نفس مواضع القصبات المخزنية القديمة. وقد عينت سلطات الحماية موظفا برتبة ضابط للشؤون الأهلية لتدبير الأمور بها.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع* ؛ الإفراني، *صفوة* ؛ أ. الولالي، *مباحث الأنوار* ؛ م. الزبادي، *دوحة البستان* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ أ. هـ. ميراندا، *التاريخ السياسي للامبراطورية الموحدية* ؛ *معلمة المغرب*.

Ch. de Foucauld : *Reconnaissance* .. p. 69.70. *Répertoire de tribus*.. G. Drague : *Esquisse d' histoire religieuse du Maroc*, Iaros, 1951.

أحمد عمالك

**ويجان**، حوض يقع إلى الجنوب الشرقي من تيزنيت عند قدم جبال الأطلس الصغير، يحده شمالاً : إيداوبعقيل، غرباً: إيداوگارسموك، جنوباً : أولاد جرار، شرقاً : تازروالت. وهو يَلتصق مجالياً بجبال إيداولتيت، في موضع يمتاز بمؤهلات طبيعية مستقطبة، توفر شروطاً مواتية للاستقرار (العيون الماشية الدافقة التي ينيف عددها عن 20 عيناً، واحة تمتد على مساحة 7 هكتارات وتتشكل من أشجار متنوعة خاصة الزيتون ...). والغالب على الظن أن المجال الترابي لويجان، قد شهد حركية بشرية قديمة، باعتباره المنفذ والممر الرئيسي نحو جبال "إيداولتيت". بيد أن أخبار العناصر الأولى المستقرة غير معروفة، ونجد صعوبة في فرز النواة البشرية الأصلية عن باقي التركيبة السكانية الأخرى. فالأكيد أن وقع الكوارث الطبيعية كان واضحاً، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار، حالة الدمار والاستنزاف الديموغرافي الذي تخلفه. فممّا تحتفظ به الذاكرة المحلية أن مخلفات وباء سنة 747 / 46 ـ 1347 كانت أقوى على عمران ويجان، حيث أفرغ مجالات كانت آهلة بالسكان. لا نعرف الشيء الكثير عن ظروف تجديد تعمير ويجان، إلا أن الأكيد هو أن الحوض كان قبلة لتنقلات الجزوليين، مشفوعين في ذلك بفتوى من العلامة عبد الرحمان بن موسى الإيگراري (ت. 940 / 33 ـ 1534 ) الذي أفتى بما مضمونه "إنه يجوز لمن وجد أرضاً خالية أن يحييها، فهي له حلال بعدما كان خالياً من أهله الأصليين".

وفي نهاية الدولة المرينية، شكلت المجالات السهلية بسوس مرتعاً لقبائل عربية من الشبانات وأولاد جرار. واعتباراً لموقع ويجان المتقدم على مشارف أزغار تيزنيت، فإنه كان مستهدفاً أكثر من غيره من طرف قبيلة أولاد جرار المجاورة، التي نافست البعقليين مجالياً، ووصل نفوذها حتى مشارف حوض بيغمي. والواضح أن هذا الوضع، هو ما سهل، على ما يبدو، مأمورية البرتغاليين في عدة مناطق من السهول وعلى طول السواحل. مما ولد نوعاً من ردة الفعل المحلية، في سياق الحمية الجهادية، التي كان للمتصوفة دور كبير في تأجيجها. وكان للقبائل الجزولية الدور الريادي في تنظيم العمليات الحربية ضد المد الأعرابي وحلفائهم من البرتغاليين. ولبعض أعلام ويجان دور جهادي، نلمسه من خلال زعامة محمد بن سعيد الزعنوني الملقب : بـ الغياتي، بعد أن استنجد به داود التانوتي الوجاني الملقب : بـ أبي القناديل. حدث هذا في الوقت الذي بدأت فيه موجات بشرية جديدة تتدفق على ويجان، وبالرجوع إلى وثائق الوجانيين، تستوقفنا ظاهرة تعدد أصولهم.

وقد شكل حضور بعض الأسر الشريفة والعلمية إضافة رمزية ولحاماً يجمع بين هذه الأصول. وفي بداية الدولة السعدية، كان لأبي عمران موسى الوجاني الدغوغي الكاتب الخاص للسلطان محمد الشيخ السعدي، مكانة خاصة بين حاشيته، وقتل بصحبته بنواحي تارودانت سنة 964 / 1557،

وفي خضم الأزمة السياسية التي عرفتها المنطقة بسبب الصراع بين مولاي إسماعيل وابن أخيه أحمد بن محرز، يبدو أن ويجان قد شهدت أطواراً مهمة من هذا الصراع، وأن آل ويجان ممن انحازوا إلى ابن محرز، بدليل أن القصبة المنتصبة داخل دوار أگادير تنسب إليه. وتستوقفنا رسائل مَحمد العالم خليفة السلطان على تارودانت إلى القاضي محمد بن أحمد أمزوغر الوجاني، عند جوانب من سياسة المخزن بالمنطقة، إيماناً منه بأهمية موقع ويجان في أي مشروع لاحتواء جبال إيداولتيت. وقد كان للقاضي المذكور دور الوسيط بين المخزن وأعيان القبائل الولتيتية، على أساس تتبع وتنفيذ سياسة الخليفة. ولا يستبعد أن تكون من ثمرات هذا التعامل، تسهيل مأمورية حركة مَحمد العالم في كسر شوكة تمنارت، بدعوى ضرب سياسة الوئام التي ينهجها زعيمها في علاقة مع قبائل إيداولتيت.

وغالباً ما يرتبط مصير ويجان بمسلسل المد والجزر الذي عرفته علاقة القبيلة الأم إيداوبعقيل بإيليغ. ويظهر أن هذه الأخيرة استصرخت عدداً من القبائل ضد البعقليين، باستثناء بعض الوحدات التي تعاضد إيليغ خاصة آيت عمرو الوجانيين. والحال أن سياسة هاشم الإيليغي في بداية القرن 19 تجاه قبيلة إيداوبعقيل، هي ما سبب له الانزعاج، حيث بادر الشيخ "أساكا" الطاهر بن علي أبلاغ إلى الاستنجاد بالسلطان مولاي سليمان، بعد أن تمكن بحيلة تمويهية من الخروج من داره المحاصرة بأساكا. وفي هذا السياق اتصل

الحاج مَحمد (حمُّ) بن مَحمد بن أحمد بن يحيى الوجاني بمعية خاله الحاج عبد الله بن محمد بن بلقاسم الوجاني بالقائد المخزني محمد بن أحمد أغناج بالصويرة عند رجوعهما من الحج، وخلال هذا اللقاء تم ترتيب جميع الخطط للإجهاز على إيليغ. ومما نصح به الشيخ حمُّ الوجاني أغناج "إن كنت يا سيدنا رجلا لبيباً عاقلا نشير عليك بنصيحة لله ورسوله ولخليفة أمير المؤمنين ولجميع المسلمين، فقال له أغناج : أقبل النصيحة على كل حال، فقال الحاج حمُّ : كن سهل الحجاب، ولاتطلب أحداً من أهل سوس بجريمة ولا فضيحة، واقبل من كل واحد عذره، وأجر كل واحد على عادته بأن تقتصر في المطالب المخزنية بشيء يسير وبالثلث من زكاة الحبوب". والواضح أن هذا التحالف يعتبر آنذاك ضرورة ملحة، لا سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار كون ويجان تعتبر منفذاً مهماً نحو إيليغ. وهكذا وقف أغناج في استعمال تراب القبيلة لمباغتة إيليغ سنة 1225 / 10 ـ 1811 وفي طريقه، نسجل ركونه إلى تخريب منازل آيت عمرو المعاضدين لزعيم إيليغ. وأيا كان، فإن هذا الأمر قد جر على القبائل المساندة لأغناج، سلسلة من الحملات الانتقامية من جانب إيليغ (محاصرة تيزنيت مثلا).

ومما يستشف مما أورده الوجاني في "*كناشته*" أن وحدات ويجان لم تسلم من الصراع والشقاق، خاصة بين إيد عبد القادر وايد المقدم، وهذا ما تسبب في خراب قرى بأكملها (قرية دو تنضفي 1284 / 67 ـ 1868 ) أو تعمير مجالات أخرى أو نزوح أسر ولو بشكل مؤقت كالأسرة الأزاريفية وأسرة آيت بُوضَنْ. ولم تهدأ الأمور نسبياً إلا بعد تعيين الحسن الأول سنة 1882 الشيخ موسى بن أحمد بكاس قائداً على ويجان. وخلال زحفه على سوس جنوب وادي والغاس سنة 1896، راهن القائد الحاحي سعيد الگيلولي على احتلال جميع منافذ الأطلس الصغير، بما في ذلك ويجان. وقد تزامن استهدافه للحوض مع انتهاء القبائل الولتيتية من بناء الجدار المسمى "أفراس". وهكذا نزل بدار القائد موسى بن بكاس، وحصن قرى ويجان وشحنها بالأسلحة. ومن الخُطط الحربية التي عمد إليها الولتيتيون، الانسحاب لجر جيش الگيلولي إلى جبال إيداوبعقيل الوعرة قبل الإجهاز عليهم، بهذه الطريقة تمت تصفية الحاج أحمد الگيلولي من قادة الجيش الحاحي : بـ "تاساونت ندريس". وانقض الولتيتيون ومن يعاضدهم بعد ذلك على الجيش المحصن بويجان "فأوقعوا به وقعة منكرة".

منذ 1913 ، طرحت مسألة حماية المراكز الخاضعة بشكل مبكر للاحتلال بسهل سوس، مثلما هو الحال بالنسبة لتيزنيت وأگادير وتارودانت، وكذا الحيلولة دون الاتصال بين الشيخ أحمد الهيبة ـ المتمركز بأشتوكة ـ وأنصاره بالجنوب (آيت باعمران والصحراء). لذا عمدت سلطات الاحتلال في بداية الأمر إلى توظيف خدمات القائد حيدة بن مايس بمعية قياد آخرين. ووفرت له من العتاد الحربي مالم يكن معهوداً في السابق. وكانت الخطة ترتكز على مباغتة المجاهدين المتحصنين بالمنافذ الأساسية للأطلس الصغير الغربي. إلا أن المثير للانتباه هو استهداف حيدة لحوض ويجان بالأساس، ويبدو أن من مقاصده في ذلك : الحيلولة دون تهديد مركز تيزنيت مستقبلا. ولذلك ألقى القبض على الشيخ النعمة بن ماء العينين الذي استقر بويجان منذ 14 دجنبر 1912، بعد تعنت الوجانيين ورفضهم تسليمه سلطات الحماية. وأجهز على ويجان، إدراكاً منه بأن المنفذ الأساسي للتوغل داخل جبال إيداولتيت "فإنه الباب إلينا وإليهم، فإن سدوه وحفظوه حتى سده وحفظه، فلا شك ينفع الجميع، وإن عمره العدو فلا جرم يطمع في قريب من الاستيلاء على بقية البلاد" (رسالة المحفوظ الأدوزي إلى إبراهيم بن صالح التازروالتي).

ويظهر أن المناوشات الأولى، أرغمت قادة الجهاد إلى التحصن داخل القرى والدفاع عنها بكل الوسائل بما في ذلك استعمال الخنادق والتحرك بشكل يثير انتباه العدو. وكان للعلماء والطلبة والفقراء، وبعض رموز الجهاد من أمثال : المدني الاخصاصي، الطاهر الإفراني، الناجم الأخصاصي، علي بن عبد الله الإلغي ... الدور الأساسي في تأجيج حماس المتحصنين. أما الخطط الحربية فكانت تهيُّأ من طرف ثلة من الأشخاص منهم : القائد سعيد بن أحمد الكردوسي، الشيخ أحمد گومازر البعقيلي والحاج يعزى الأداني الرسموكي فـ "عليهم يدور أمر جزولة، وهم من أحيل خلق الله، وأدهاهم وأعرفهم بمكائد الحروب".

وعلى الرغم من سقوط عدد ينيف عن مائتين من المجاهدين، فإن ذلك لم يؤثر على معنوياتهم. وكان، لاستماتة الوجانيين ومن يعاضدهم أمام زحف حيدة. صدى قوي داخل جبال جزولة، حيث سارعت القبائل إلى التعبير عن تضامنها مع المتحصنين، بما كانت ترسله من مؤن وعتاد ومتطوعين. وبعد حصار استمر طيلة أربعة أيام، أجبر حيدة على الانسحاب، وعاتب القائد عياد الجراري قائلاً : "ما هكذا كنت تقول لي عن هذه الناحية، فقد زعمت أن الناس كلهم قد عراهم هذا الدهش من هذا الجيش اللجن، فلا نكاد نظهر أمام وجان حتى تنقاد لنا من فيه، ويسلمون لنا النعمة".

أما المواجهة الثانية، فكانت مباشرة بعد اندحار حيدة ومقتله بـ "إيگالفن" في الحدود بين آيت باعمران وآيت برابيم سنة 1917 . حيث عمدت سلطات الاحتلال إلى توجيه حملة فرنسية لأول مرة مدعومة بقادة الحوز وحاحا والشياظمة وقياد رأس الواد، والكل تحت إمرة الجنرال دولاموط. ومن الخطط الحربية التي ركن إليها هذا الأخير، فتح عدة جبهات (بونعمان، فوق ميرغت، اغير ملولن، بونعمان ...) لتشتيت الجهود وإفشال خطة المجاهدين المتمثلة في تحصين جل منافذ الأطلس الصغير الغربي، إلا أن المثير للانتباه هو

تركيز العمليات الحربية على منطقة ويجان في 24 مارس 1917. وعلى الرغم من استكمال كافة الاستعدادات لمواجهة الحملة الجديدة، فإن تدخل الآلة الحربية الفرنسية كان عنيفاً وقوياً، حيث استعملت المدافع والطائرات. وعلى غرار الحملة السابقة، كان للعلماء والمتصوفة الدور الريادي في إثارة حماس المتحصنين الذين أبانوا عن عزيمة واستماتة في مدافعة المحتل لمدة يوم كامل. وكانت خطتهم تتمثل في المرابطة في الخنادق البالغ عددها آنذاك 30 خندقاً وعدم استعمال الذخيرة، مع مباغتة فيالق العدو عند زحفها نحو ويجان بعد انتهاء القصف المدفعي بالقنابل. وبعد فشل الحملة في فتح ثغرة في صفوف المتحصنين، بادر كل من القائدين الگندافي وعياد الجراري خلال الليل إلى فتح مفاوضات سرية مع زعيم الولتيتيين الشيخ أحمد گومازر، توجت بقبوله الانسحاب، بعد إغرائه بالمال، "ونادي في الناس : أنّ البلد بلدي، ولا أريد أن تكونوا أيها المسلمون سببا لهدمه"، أمام هذا الأمر الواقع، لم يملك السكان أي خيار سوى الانسحاب من ديارهم والاحتماء بالجبال، "هكذا خرج كل من بوجان حتى لا أنيس فيه ولا ديار مع طلوع الفجر" حتى الشيخ النعمة، فإنه خرج خفية إلى قبيلة آيت رخا. بينما رابطت بها قوات الجنرال دولاموط مدة ثمانية أيام، وخلالها أعطى أوامره بعدم تخريب البساتين أو قطع الأشجار...

ويبدو أن عنصري الاحتكاك والتواصل التي ميزت مجال ويجان عبر التاريخ، قد أفرز إسهامات حضارية متميزة، فكان للوجانيين أثر بارز في الحياة الأدبية والفكرية بسوس، وهو أثر متعدد الجوانب، فمنها جانب ديني يتجلى في المزارات والمشاهد التي تتوزع بقرى المنطقة (محمد أموحدي، عبد الرحمان بن موسى، أبو إبراهيم الدغوغي، زينب بنت محمد الزدوزية، أحمد بن عبد الرحمان...) أو من خلال تواجد جميع الطرق الصوفية من ناصرية ودرقاوة وتيجانية ومعينية. أما الجانب العلمي، فيبدو بوضوح في عدد الأعلام الذين أنبتتهم تربة ويجان، وقد أحصينا منهم ما ينيف عن خمسين عالماً، وكلهم نبغوا في عدة مجالات فكرية. ومن الآثار التي تحدد معالم ويجان الحضارية، تواجد أنظمة السقي بواسطة الطاسة (تناست) أو لعلام (وهو حائط يستعمل ظله في تقسيم المياه أو هي تستعمل أسماء قديمة محددة لحصص توزيع أطباء العيون من قبيل : تاليلت، سنفلاين إينوت، أقييار، واليل ... ولازالت آثار بعض المعالم التاريخية تدل على مهارة الوجانيين في عدة مجالات إنتاجية وحزبية : الفخار، صنع ملح البارود، تذويب المعادن، المعاصر، السباخة، الدباغة وغيرها.

الحضيكي، *طبقات الحضيكي*، تح. أحمد بومزگو، الرباط، 1994 ؛ البعقيلي، *مناقب البعقيلي*، تح. م. المختار السوسي، الرباط، 1987 ؛ الرسموكي، *وفيات الرسموكي*، 1988 ؛ الكرامي، *بشارة الزائرين*، مخطوط خاص ؛ الأكراري، *روضة الأفنان*، تح. حمدي أنوش، ط 1، 1998 ؛ الوجاني الحسين، (ت. 1383 / 1963)، *كناشة الوجاني*، مخطوط ؛ *تاريخ الوجاني*، مخطوط ؛ محمد التدرتي، *قلائد المرجان في تعيين بعض أعلام وجان*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *خلال جزولة*، 2 : 166.

L. Justinard, *Le caïd El Goundafi*, Casablanca, 1952, p. 148-149-150 ; H. Dugard, *La colonne du Sous 1917*, Paris, 1918, p. 115 - 122 - 125 - 126 - 127 - 130.

أحمد بومزگو

**ويرگان** : هو حوض تكوّن عند ملتقى وادي نفيس بالأطلس المراكشي بآخر رافدين له بضفته اليمنى هما وادي أزادن ووادي أمسين، تم حفره في صخور هشة للطفل والطين والحث والرصيص يغلب عليها اللون الأحمر ترجع إلى البيرموترياس، يتميز بقعره المستوى وضعف ميل مجراه، وهو ينقسم إلى حوضين ثانويين يفصل بينهما تلال صغيرة من البازلت، فمن جهة الشمال نجد حوض إماريغا على وادي أمسين وجنوبه حوض تاساويركان على وادي أزادن الغزير المياه والمعروف هنا بوادي ويركان. يتميز الحوضان عموما بتربة حمراء يغلب عليها الطين المشبع بالملح في بعض الجهات الدنيا مما يجعله عرضة للتعرية المائية وظهور الأراضي السيئة، كما تتكون في بعض أجزائه قشرة متماسكة بفعل الأملاح، لكن أمطاره معتدلة 400 ـ 450 ملم، وهي كافية لنمو غطاء غابوي كثيف من العرعار الأحمر والبلوط الأخضر وأشجار ثانوية تزداد كثافة وتنوعا بالسفوح العليا والقمم حيث تزداد معدلات الأمطار وتتساقط الثلوج.

وباعتبار تربته الطينية غير المنفذة للمياه فإن الجريان السطحي يكون كثيفا عند سقوط الأمطار، مما يؤدي إلى التخدد وظهور الأراضي السيئة مع غياب العيون. كما أن سمك التربة الكبير يجعلها صعبة الإشباع. كل هذه العوامل أدت إلى بقاء الحوض مجالا لغطاء غابوي مازال كثيفا لضعف الاستقرار البشري، إذ يقتصر على جهات محظوظة فلاحيا كضفاف الأودية المستفيدةً من السقي. يتميز الحوض باستقرار بشري قديم يتركز في نواتين هما مجموعة دواوير ماريغة التي اشتهرت تاريخيا بإنتاج الملح حيث يتم حفر آبار في بعض الشعاب تتميز مياهها بملوحتها الشديدة تجمع في صهاريج وأحواض لتتبخر مخلفة طبقة من الملح. وبمجموعة دواوير تاساويرگان. وقد اشتهر الحوض منذ القديم بإنتاج الزيتون واللوز والرمان والتين والعنب بالإضافة إلى الخضر والحبوب المسقية والبورية. ونظرا لجمال مناظر الحوض وكثافة غاباته الغنية بحيواناتها الوحشية وجودة مناخه ووفرة مياهه استقر به بعض الأوربيين منذ عقد الثلاثينيات من القرن (20)، وأقاموا ضيعات ومنشآت سياحية : فندق الخنزير المدخن وإقامة الورود مستغلين مرور طريق مراكش سوس وبناء قنطرته على وادي ويرگان، وأدخلوا أساليب زراعية

ومنتوجات حديثة عرفت توسعا كبيراً في العقود اللاحقة مثل التفاح بحيث صارت بساتين الحوضين تنتج أنواعا جيدة منه ثم الاجاص والبرقوق وحب الملوك.

وفي إطار ترشيد استعمال مياه وادي نفيس وتزويد مدينة مراكش بالمياه الضرورية لتوسعها الحضري شرع في بناء سد بويرگان عند مدخل خوانق جبل تيگيدة (أو زگيتة) المتصل بتيزي أوزلا مدخل هضبة كيك بعالية سد للاتاكركوست الذي أنقص التوحّل حقينته على بعد 20 كلم منه. وسيتكوّن من بحيرة حقينتها 70 مليون م3 ستزود مدينة مراكش بـ 17 مليون م3 من الماء الشروب سنويا. إلا أن البحيرة ستغرق مساحة مهمة من البساتين التاريخية وبعض المنشآت السكنية لمركز درب ويركان بل ستغرق جزءا من الطريق الرئيسي الذي سيعاد بناؤها على بعد 50 متر، وسيتم بناء السد وملء بحيرته سنة 2008/، وإن كانت هذه المنشآت ستحرم السكان من قسم من أراضيهم ومياههم فإنها ستزيد ويرگان جاذبية سياحية وجمالا، لهذا شرع المستثمرون في شراء الأراضي لبناء منشآت سياحية.

جماعة ويرگان: مساحتها 190 كلم2 تابعة لدئرة أسني إقليم الحوز سكانها 6435 نسمة (1994) تضم مشيختان: أزادن وماريغا، تعتبر الفلاحة النشاط الرئيسي لسكانها إذ يجمعون بين تربية المواشي وزراعة الحبوب البورية والمسقية وزراعة شجرية: زيتون، تفاح، برقوق، عنب، رمان، والجوز، بعالية وادي أزادن حيث المياه الباردة والثلوج يستغلون مياه الوديان في السقي بالإضافة إلى عيون وآبار. ومازالت تنتشر في القرى بعض الحرف التقليدية خاصة النسيج الصوفي وأواني الفخار بدوار تسوقت والحدادة بدوار إمزيلن لتلبية الحاجيات المحلية، وأكبر دواوير الجماعة هي: ماريغا 1281 نسمة ودرب ويرگارن 1107 نسمة الذي يمتد على الطريق الرئيسي، ويضم المركز الإداري والسويقة والسوق الأسبوعي. يعتبر مركز ويرگان من المراكز السكنية الحديثة بالأطلس المراكشي ويجسد ظاهرة نمو مسلسل التمدين بالأرياف المغربية المحظوظة، يدين بظهوره وتطوره السريع إلى موقعه المتميز بمناظره وحمولتها التاريخية لوقوعه على طريق رئيسي عابر للجبال يحتضن سوقا أسبوعيا تاريخيا، بالإضافة إلى ثروات من الملح والخشب والفحم والجوز والعسل، كل هذه العوامل أدت إلى نموه مما دفع السلطات إلى اتخاذه مركز جماعة قروية حظي بتجهيزات مهمة أهمه: ربطه بالشبكة الكهربائية سنة 1985. يجهل السكان معنى التسمية وهي قديمة، ذكرها البيدق في كتابه *أخبار الموحدين* واشتهر بالحوض عدة قرى صغيرة أهمها قرية تاسوقت حيث كان يعقد السوق الأسبوعي بالضفة اليمنى لوادي نفيس وإمينتغري كان يسكنها اليهود. لكن المركز الحالي الممتد على طول الطريق ارتبط ظهوره بالفترة الاستعمارية عند بناء قنطرة وادي ويرگان سنة 1922 م وإقامة ورش عمال بناء الطريق، مما أدى إلى ظهور أنشطة متنوعة استقطبت أيد عاملة من قرى بعيدة وقريبة ومن عابري طريق مراكش سوس، وفي الأربعينيات ظهرت مشاغل الفحم ومعمل لصناعة القار الإسفلتي من الأخشاب الغابوية لمتابعة تعبيد الطريق نظرا لندرة الزفت البترولي خلال الحرب العالمية الثانية، وقد كون عماله نواة حي عمالي: حي لوزين ومعمل للخمر لوجود العنب. وفي 1951 أنشأ أول قسم مدرسي بها وهكذا تكونت اللبنة الأساسية لحي درب ويرگان. واشتهر ويرگان كمركز إداري وسياحي تجاري بعد نقل السوق الأسبوعي إليه، وازداد إقبال هواة صيد الخنازير والوعول. وبعد الاستقلال عملت السلطات في إطار سياسة التنمية واللامركزية على إنشاء تجيهزات إدارية واجتماعية عديدة لتلبية حاجيات السكان منها دار الجماعة القروية والقيادة ومدارس ببعض القرى وإنشاء تجزئات سكنية، ونظرا لأهمية الطريق الثانوي 501 الذي سار يعرف اليوم بالطريق الجهوية رقم 203 ودوره في تنشيط الحركة الاقتصادية والسياحية بويرگان فقد امتدت المساكن والدكاكين والمخازن ومختلف محلات الأنشطة على طوله بما فيها السوق الأسبوعي، وتتميز مبانيها بطابع حضري. ولما ارتفع ثمن البقع المشرفة عليه بدأت المباني تتجه إلى الداخل خاصة على طريق المركز الغابوي المنطلق من وسط السوق بحيث صار يكون المحور الرئيسي لدرب ويرگان، فاستقر بجانبه منازل ودكاكين وفران وحمام... إلا أن المباني مازال يغلب عليها الطين والحجارة 70٪، لكن 80 ٪ من أنشطة السكان غير مرتبطة بأنشطة الفلاحة، وبعد الشروع في بناء السد بدأ السكان والسلطات يخططون لإنعاش الاستثمار السياحي. وتتكون المنشآت السياحية من أربعة فنادق وأربع مآوي مرحلية وبضعة مقاهي ومطاعم. وتضم ويرگان مناطق جميلة قابلة للاستثمار السياحي من أهمها محمية توبكان لحماية ("الوعول" الأروي) بجبل تاخخورت، كما أقيمت مؤخرا محمية جديدة لحماية الوعول والخنازير والغزلان والأيائل والضربان والثعالب.

*بحث ميداني، بحوث طلبة السنة الرابعة في الجغرافية بكلية الآداب مراكش*؛ أحمد هوزالي، *التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي، طريق تاحناوت - تيزي ن تاست*؛ الجماعة القروية لويرگان: *منوغرافية ويرگان*.

أحمد هوزالي

# ي

**الياباني، عمر بن عبد الله** من بني يابان ؛ وهم فرع من قبائل بني مرين، تولى بعض أبناء قبيلته الوزارة قبله وبعده ؛ منهم أبوه عبد الله بن علي الذي ربّي في حجر السلطان أبي الحسن فجعله وزيراً لابنه أبي علي الناصر، ثم قلده أبو عنان منصب الوزارة، ذكر ابن خلدون وفاته سنة 760 ؛ ومنهم محمد بن العباس بن أبي يحيى الياباني الذي كان من جملة وزراء السلطان أبي سالم (760 - 762) . أما عمر بن عبد الله المترجم فقد كان أمين سر قصر السلطان أبي سالم، هيأ له ذلك الخطيب ابن مرزوق حاجب السلطان، لكنه دبر مع قائد المرتزقة النصارى انقلاباً ضد سلطانه لتقديم الأمير المعتوه تاشفين ابن أبي الحسن للسلطنة، فأصبح وزيره الوصيّ عليه والمدبر لأمره، خصوصاً بعد أن تمكن من قتل زعيم المرتزقة بدعم رئيس الفرقة الأندلسية، أما ابن مرزوق فقد وضع في المعتقل إلى سنة 764.

قال ابن الخطيب عن جوانب من سياسة الوزير عمر أول أمره : "خاطب من بتلمسان يعرض عليه حسن الجوار ... وسد باب الفتنة والامتساك بمن يتصل به من ... أضداد الدولة (أي الأمراء المنافسين).. وأجرى الرسوم وأفاض العطاء وجدد الإقطاعات... وراش جناحه بقبيلة من بني يابان وهم عدد وافر ... فاتسقت الطاعة، ودانت الجبال الشم... وأمنت السبل ..." ويأتي بعد هذا بقصيدة مدحه بها عندما زاره الوزير بسلا.

لكن يجب الانتباه هنا إلى أن ابن الخطيب كان منفياً بالمغرب ويتلقى المنح من الوزير وسلطانه، فكلامه لا ينطبق مع الواقع الذي عرفته البلاد بسبب سياسة هذا الوزير، ذلك أن اختياره لسلطان معتوه تحت وصايته أغضب مشيخة المرينيين، فاستدعوا من الأندلس أحد أبناء الأمير عمر الذي سبق أن تمرد بسجلماسة أيام أبيه السلطان أبي سعيد وأخيه أبي الحسن، وهذا الأمير المستدعى هو عبد الحليم ؛ فمر بتلمسان خليفة أبيه عمر سابقاً، ودعمته بفرقة زيانية أوصلته إلى قرب تازة حيث وجد أنصاره في انتظاره، فتحرك بهم لحصار فاس في مطلع سنة 763 ؛ مما اضطر الوزير عمر إلى اتخاذ قرار التخلي عن سلطانه المعتوه واستدعاء أمير مريني آخر منافس من الأندلس يجعله تحت وصايته ويحول دون توحيد شيوخ المرينيين ضده، وهو أبو زيان محمد بن الأمير عبد الرحمن بن أبي الحسن (763 - 768). ففشلت محاولة الأمير عبد الحليم وتراجع عن مكناسة التي كان احتلها بواسطة أخيه عبد المومن، وتوجه إلى سجلماسة مستقلا بها، وكانت قد دخلت في بيعته، إلى أن تمكن الوزير من استرجاعها في السنة اللاحقة (764).

هذا الوضع مكن شيخ قبيلة هنتاتة أبا ثابت عامر من أن يستقل بالجنوب مموهاً بسلطان مريني في مراكش تحت توجيهه كما كان يفعل الوزير عمر بسلاطين فاس، فأصبحت البلاد موزعة بين كيانين سياسيين. واستمر هذا الوضع إلى سنة 771 ، ليتجدد انفصال مراكش تحت أمير مريني آخر مدعوم بالنصريين في الأندلس مدة تقرب من عقد من الزمن.

أما الوزير عمر فظل يتحكم في مصير البلاد وسلطانها أبي زيان، وعندما حاول هذا التخلص منه سبقه الوزير فتخلص هو منه، واختار للسلطنة أحد أبناء أبي الحسن في مطلع سنة 768 وهو أبو فارس عبد العزيز ؛ غير أن هذا نجح في تدبير اغتياله وإنهاء فترة من وصاية الوزراء منذ موت أبي عنان، وإن كان استبداد الوزراء سيعود بموت أبي فارس سنة 774 ليستمر بصورة متقطعة إلى نهاية الدولة المرينية سنة 869 . وتستمر معه الحركات الانفصالية في الجنوب خاصة إلى ظهور الدولة السعدية في مطلع القرن 10 / 16.

وهذه شهادات بعض معاصري الوزير عمر بن عبد الله الذين احتكوا به مباشرة، فقد قال عنه ابن الخطيب عندما كان لاجئاً بالمغرب ويستفيد من منحه أنه "قيم الأمر والمثل في الكفاية والاضطلاع بالعظيمة" ؛ كما وصفه بكونه "قطب رحى الملك بالمغرب، ومديل دوله، ومصابر هوله، ومكفي

سمائه على أرضه" ؛ وعندما ذكر استبداده بالسلاطين شبهه باستبداد الحجاب على السلاطين المماليك بمصر. فلابن الخطيب منه موقفان : موقف الحمد والثناء عليه خلال وجوده بالمغرب منفياً (760 ـ 763) مستفيداً من منحه، وموقف آخر عند حديثه عن غدره بالسلطان أبي سالم حيث وصفه بـ "الغادر .. نسمة السّوء، وجملة الشؤم، المثل البعيد في الجرأة..."، ويظهر أن هذا الموقف اتخذه بعد العودة إلى الأندلس.

وكان ابن مرزوق ممن تأذى بأذاه رغم محاولاته التستر على أفعاله قبل توليّه الوزارة حين كان ابن مرزوق حاجباً للسلطان أبي سالم، فبعد اغتيال هذا السلطان سجن ابن مرزوق مدة قبل تسريحه وذهابه إلى تونس سنة 764، فقال عند حديثه عن الوزير عمر "عمّر الله به زوايا الجحيم، وجدّد عليه العذاب الأليم".

أما ابن خلدون فقام بسرد حقائق سياسته مع سلاطينه مبرزاً تمكله لأمور الدولة دون هؤلاء السلاطين دون استعمال أسلوب الشتم.

عاد اليابانيون إلى الوزارة بعد عقدين من الزمن من مقتل عمر بن عبد الله، وذلك خلال سلطنة الواثق أبي زيان ابن أبي الفضل ابن أبي الحسن (788 ـ 789) الذي استوزر يعيش بن علي بن فارس الياباني مع الوزير المستبد على سلطانه مسعود بن حمو بن ماساي ؛ ثم خلال سلطنة أبي العباس أحمد بن أبي سالم الثانية (789 ـ 796) حيث استوزر صالح بن حمو الياباني (ومعه الوزير إدريس بن موسى بن يوسف الياباني) ؛ ووزر صالح المذكور لأبنائه من بعد (أبي فارس عبد العزيز (796 ـ 799)، وأبي عامر عبد الله (799 ـ 800)، وأبي سعيد عثمان (800 ـ 823). وتولى الوزارة لابنه عبد الحق آخر السلاطين (823 ـ 869) ابن الوزير المذكور صالح بن صالح الياباني الذي ذكر أنه قتل ذبحاً القاضي عبد الرحيم اليزناسني سنة 834 ؛ ثم استبدت أسرة الوطاسيين بالوزارة بعد ذلك إلى نهاية الدولة المرينية.

ابن خلدون، *العبر*، 7 : 648 ـ 672 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، 1 : 309، طبعة القاهرة، 1973، تطوان، 1988 ؛ *نفاضة الجراب*، 2 : 271 ؛ المقري، *نفح الطيب*، 6 : 8، 186 ـ 410 ـ 414 ؛ ابن مرزوق، *المسند*، 366 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، 31 ـ 38 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 4 : 37.

أحمد عزاوي

**اليابوري، عبد الله** اسمه محمد لكنه اشتهر بكنية أبي عبد الله. أصله من يابورة إحدي مدن الأندلس التي توجد اليوم في بلاد البرتغال تحت اسم إيفورا Evora. رحل منها إلى المغرب فجاء إلى الرباط بعد أن أخذ عن شيوخ التربية في وقته. وفي شالة أسس زاوية لنفسه بقصد التربية والإرشاد، وهي الزاوية الغربية التي عن يسار الداخل من باب شالة الكبير. أخذ عنه عدد من الذين أصبحوا أعلاما منهم أحمد بن عاشر دفين سلا كان يسميه الشاب الأسعد الصالح، أسكنه خلوة في زاويته وتسبب له في إقراء الأولاد القرآن. توفي أوائل القرن وضريحه بظاهر العلو بالرباط عليه قبة صغيرة مقصودة للتبرك كتبت عليها أبيات شعرية. وقيلت في مدحه أشعار منها قصيدة للقاضي مَحمد بن محمد مرينو عام 1133. له *كتاب في الفقه*. وترك أشعارا منها قصيدة يتشوق بها إلى بلدته. ممن ترجم له العالم محمد بن أبي بكر الحضرمي في كتابه : "*السلسل العذب والمنهل الأحلى*". وضريحه معروف، وكان يقدسه البحارة وينادون باسمه ويستغيثون عندما يبحرون في عرض المحيط مذعورين من قوة الأمواج.

دينية، *مجالس*، ص. 78 ؛ بوجندار، *الاغتباط*، ص. 380.
Brunot, *La mer dans les industries*, p. 104.

عبد الإله الفاسي

**اليازغي، أحمد** بن **علي**، أحد كبار قادة جيش المولى إسماعيل وعامله على أحواز فاس، كان أمينا شديد الصرامة نافذ الكلمة صادق النصح، يقول أبو القاسم الزياني في "البستان الظريف :"إنه كان "عامل جبال مرموشة وبني وراين وغياثة والحياينة والجبال"وكان نافذ الحكم فيها، يبعث رسولا واحداً في عدة قضايا فتنفذ أوامره. كلها وفق ما أمر في أسرع الأوقات، وإلى جانب مهامه تلك عينه السلطان أمينا على مئون داره العلية لأمانته وصدقه، وكان يبذل النصح الصادق للمولى إسماعيل لا يعرف غشا ولا خديعة ولا نفاقا، كما كان أمينا "يجمع المال من وجوهه ويودعه خزائن السلطان" لذلك تمتع بمنزلة وتقدير خاصين لدى المولى إسماعيل. وعلى الرغم من ذلك فلا نجد عنه معلومات كافية عدا بعض الأخبار المتناثرة هنا وهناك عرضا. لم يكن مصير أحمد بن علي اليازغي بأحسن من غيره من قادة العهد الإسماعيلي، فقد أمر السلطان أحمد الذهبي بقتله سنة (1139 / 1727) بإيعاز من عبيد البخاري.

أبو القاسم الزياني، *البستان الظريف*، تح. رشيد الزاوية، الرباط، 1992، ص. 215 ـ 261 ؛ عبد الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج 1، ط 2، الدار البيضاء، 1990، ص. 269 ـ 270، *المنزع اللطيف*، تح. عبد الهادي التازي، الدار البيضاء، 1993، ص. 254 ـ 255 ؛ محمد أكنسوس، *الجيش العرمرم*، ط ح، فاس، ص. 93.

**اليازغي، عبد الرحمن** بن **الحسن**، ولي صالح كان في أول أمره كاتب القائد علي بن يش (ت. 1139 / 1727) يشهد عنده على دفع أعشار القبائل بمكناس، بباب "هري" مولاي إسماعيل، وظل كذلك إلى أن اتصل بشيخ مدينة وزان الشريف محمد بن عبد الله الشريف (ت. 1120 / 1708) فأخذ عنه كما أخذ عن مولاي الطيب بن محمد الشريف الوزاني، فانقطع عن العمل مع القائد المذكور وأقبل على العبادة وما يقربه إلى الله زلفى. ولما بلغ من ذلك شأوا معلوما قدمه شيخه محمد بن عبد الله الشريف على أصحابه بمدينة مكناس. فاشتهر ذكره وعظم صيته وأقبل عليه المريدون من كل ناحية لما قيل عنه من كرامات وخوارق

عادات منها أنه أشفى مولاي عبد الله نجل السلطان من رمد أصاب عينه عجز الأطباء عن إشفائه. ثم أنشأ زاوية لاجتماع أصحابه والوافدين عليه، وصارت زاويته على حد تعبير ابن زيدان : "كعبة الوفود ومرتعا للواردين تفاض عليهم فيها الموائد والفرائد" وكانت له مع السلطان مولاي إسماعيل حكاية بعد أن وشى به بعض الحساد، إلا أن السلطان أخلى سبيله عندما علم انتسابه للطريقة الوزانية وتأكد من محبته لآل البيت وأقره على فعله.

توفي عبد الرحمن اليازغي عام 1150 ودفن بدار جوار زاويته، ونبش قبره مرتان ثم أعيد إليه وهو بحومة جناح الإمام قرب زاوية مولاي التهامي الوزاني بمكناس.

عبد الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج 5، ط 2، 1990، ص. 281 ـ 284 ، محمد الطيب القادري، *نشر المثاني*، ج 4، الرباط، 1986، ص. 192 ـ 194.

رقية بلمقدم

**اليـاسمين** الأصفر أو دغلي كما في المعاجم، جنس جنيبات على شكل اللواية لا يتعدى طولها مترين، يصنف إلى فصيلة الزيتونيات Oleaceae وطائفة الياسمينية ومنه نوع واحد يعيش في المغرب يسمى علميا Jasminum fruticans ، وهو غير الأنواع التي تزرع لاستخراج دهن الياسمين من زهورها.

الجذع قوي وأوراقه نافضة ثلاثية في أغلب الحالات، أزهاره صفراء ذهبية على شكل عناقيد لا رائحة لها مزدوجة أو رباعية على الفروع تظهر في فصل الربيع، كأسها وتويجها من النوع الخماسي، وثمارها عنابية في قدر الحمص، سوداء لامعة تنضج صيفا. نبتة منتشرة في حوض البحر المتوسط وفي المناطق الاستوائية وتحت الاستوائية من أفريقيا وآسيا وهي ذات شكل جنبي. شائعة في الغابات المغربية بخلاف المناطق الصحراوية والجبلية المرتفعة. يألف الياسمين التربة الطينية والرملية الكلسية بجوار الضرو أو المصطكا والزيتون البري أي الزبوج. يلعب هذا النبات دورا هاما في تغذية المواشي في الرعي.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Trav. Inst. Sci., Rabat, 1955 ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis presse, Paris, 2000

نجاة الخياطي

**ياشفين، أحمد** ولد في 17 يناير 1948. سنة 1964 حصل على شهادة الباكلوريا شعبة الآداب العصرية، وفي سنة 1970 نال شهادة الإجازة في الأدب العربي بفاس ثم دكتوراه الدولة في نفس الشعبة بستراسبورغ / فرنسا سنة 1975 . قضى بعدها سنتين لدراسة الفنون الجميلة بأكاديمية الفنون بروما / إيطاليا. كما ساهم في تدريب ميداني مع طلبة القسم السينمائي بجامعة أنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية خلال موسم 1978 / 1979.

كتب أحمد ياشفين سيناريو فيلم (*كابوس*) وأخرجه كما أنتجه بنفسه سنة 1984 ، ولعب بطولته كل من عز العرب الكغاط، إبراهيم جوهر، رشيدة أزفز، ومحمد فاضل ... وقد حصل هذا الفيلم في المهرجان السينمائي الوطني الثاني المنعقد بالدار البيضاء في نفس العام على ثلاث جوائز : جائزة الجمهور، جائزة أحسن تصوير لمحمد عبد الكريم الدرقاوي، مناصفة، ثم جائزة أحسن ديكور لعبد الكريم الغطاس. وفي سنة 1995 كتب سيناريو فيلم ( *خفايا* ) وأخرجه عن رواية (*استنطقوا الجثة* ) لفريدة الهاني مراد، وشارك به في المهرجان السينمائي الوطني الرابع بمدينة طنجة في نفس السنة، فلم يلق النجاح المتوخى منه مما أجبر أحمد ياشفين على إعادة تركيبه في صورة أفضل وعرضه تجاريا بالقاعات السينمائية حيث لقي إقبالا لا بأس به.

توفي في 21 فبراير 2002 بمدينة الدار البيضاء ودفن هناك.

خالد الخضري

**ياگور** (موقع -) أثري مشهور بهضبة ياگور. وهو عبارة عن هضبة منضدية هي جزء من الهضاب البرموترياسية الموجودة بالأطلس الكبير المراكشي المكونة من طبقات حُثية حمراء داكنة متعددة وصلبة تصلح لأن تكون ألواحاً وصفحات يرسم عليها الإنسان المغربي تعابيره ومعتقداته وانشغالاته الحياتية في عهود ما قبل الكتابة. وهضبة ياگور عبارة عن درجة طبغرافية تشرف على سهل الحوز بجرف وعر يحدها من الشمال وبارتفاع 2725 م. كما يشرف عليها من الجنوب جبل ملْتْسَنْ. وبذلك فياگور عبارة عن مرتع عال وممتد تستوطنه حاليا عناصر من قبيلة مسفيوة هي آيت واوزگيط، آيت ـ نْ ـ زات، آيت أوشك وآيت بُوسعيد الموجودين بقدم إفريز ياگور. وقد استوطنته قديما عناصر توافدت عليه وتركت فيه آثارها.

ـ هناك رسوم لأنواع مختلفة من الأسلحة التي كانت مستعملة بياگور : أسلحة للقذف والرمي من رماح وأسلات الأسهم، أسلحة عبارة عن سيوف طويلة، خناجير مثبتة ومشدودة إلى مقابض، هراوات، فؤوس أسلحة وفؤوس دروع، دروع مستديرة ورسوم لعربات حربية.

ـ رسوم بشرية الشكل لأشخاص بعضها غريب.

ـ رسوم لأشكال هندسية عبارة عن مستطيلات ودوائر مزينة.

كل هذه النقوش الحجرية التي تم العثور عليها بهضبة ياگور تدل على قدم التعمير بجبال الأطلس الكبير، إذ توافدت عليها موجات بشرية استوطنتها منذ القديم. كما تشهد كذلك على نمط عيش هذه الموجات البشرية. ونعرف كم هي مهمة مثل تلك الرسوم والنقوش ؛ فهي دليل على أنه

منذ فجر التاريخ توافدت على المنطقة قبائل أصبحت جبال درن ملجأ لها إثر الجفاف الذي عرفته الصحراء الكبرى. وقد احتد هذا التوافد بالخصوص في أواسط الألف الثالثة قبل الميلاد.

وهي كذلك شاهد على أن هذه القبائل كانت تزاول نشاطاً فلاحيا يعتمد أساساً على تربية الماشية، أي فترة من التاريخ كان فيها الرعي متفوقاً على الزراعة المسقية والغراسة مع نوع من التكامل بين أدرار (الجبل) والسهل (الأزغار) حيث نجد مواقع أثرية فيها نقوش حجرية بمخارج الوديان بالدير والسهل (انظر موقع الموسيحة بمعلمة المغرب). ونجد بياگور أن الرسوم التي تمثل البقريات تتفوق على باقي الحيوانات، مما يدل على سيطرة الرعي. وكان هذا النشاط يعتمد على أسْر الثيران البرية وتدجينها واستئناسها كما تشهد على ذلك رسومها ورسوم الشرك والحبال ذات الأنشوطة لاقتناص تلك الحيوانات من بين الحيوانات المتوحِّشة. وهو نشاط مترابط مع حياة القنص وحياة التنقل والنجعة نظراً للظروف المناخية القاسية التي تميز مراعي ياگور خلال فصل الشتاء، لأن هضبة ياگور عالية يتعدى ارتفاعها 2400 م، مما يسمح بتراكم الثلوج فوقها خلال هذا الفصل. كما تعبر التمثيلات الرسمية المحدودة للمحاريث عن المكانة المحدودة للزراعة. وهذه الحضارة الرعوية تعدّ من التمثيلات الذكورية، مما يعبر عن سيادة مجتمع أبوي.

ويظهر من تلك النقوش كذلك أنه تم انتشار استعمال المعدن من حوض البحر الأبيض المتوسط إلى جبال الأطلس المغربية انطلاقاً من الجنوب الإسباني. وذلك منذ نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد. وبذلك تم التلاقي بين العصرين الحجري والمعدني بجبال درن الرطبة. غير أن أكثر النقوش تعبيراً وأجملها بهضبة ياگور نجدها معاصرة للعصر البرونزي الإسباني (من 1700 إلى 1200 ق م)، أي سابقة قليلا للعصر الحديدي، كما يظهر ذلك من خلال النقوش التي تمثل الأسلحة خاصة الفأس ـ الدرع (Hache- pelte)، الفأس ـ السلاح (Hache d'arme) أو "Hallebarde" الخنجر ذو الشفرة النحاسية، الخناجير المشدودة لشفرات المقابض الخشبية والمعدنية ذات الدُّسر.

ونظراً لتعدد النقوش وتنوعها، فإن دراستها الدقيقة لازالت غير مكتملة، حيث مازال العدد الكبير منها غامضاً ولغزاً غير مفهوم، أي رسوم رمزية تُعبر عن أشياء غريبة، لكن أغلبها لها معان دينية غير مفهومة وغير معروفة. كما أن دراسة الأطلية وتقنيات النقش المستعملة لإنجازها، والتي تسمح بتأريخها، مازالت قليلة التطور. أضف إلى ذلك أنه رغم تعدد رسوم العربات، يظهر أنه لم يتم استعمالها فوق هضبة ياگور العليا والمتضرسة. كما أن هذه العربات لم تمثل أبداً مجرورة. وبذلك يبقى مدلولها الحقيقي غير معروف، لكن بالتأكيد لها تعبير رمزي. كما أن هناك رسوماً أخرى لا تعبر عن الواقع والمعقول. وتبقى معانيها سحرية وأسطورية من ذلك الرسم الذي يمثل هجوم قناص على فيل بواسطة المرتدة (سلاح قذفي).

لكن ما عرف من هذه النقوش يمثل ركيزة أساسية وكافية للتعرف على العديد من التيارات الحضارية التي تنصهر في بعضها البعض أو تتلاقى. وكذلك كانت الجبال المغربية ملتقى حقيقيا بين البحر المتوسط خاصة الجنوب الإسباني والصحراء الكبرى. كما أنه من الضروري ملاحظة أن التقنيات، أنماط العيش والتفكير، كلها مظاهر توافدت عبر طرق مختلفة على المنطقة ومن أصل واحد هو الشرق القريب. ذلك أنه تتردد بهذه النقوش رموز نجدها بالشرق الأوسط وبالعالم المتوسطي وذلك دليل على وجود علاقات بين المغرب وهذه المناطق.


مصطفى أعشي، *عصور ما قبل التاريخ في المغرب، معلمة المغرب*، 15، رقم 18، 2003 / 1424.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, t. I et II, Casablanca, Edit. Atlandites, 1950 ; L. Balout, *Préhistoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1955 ; G. Camps, *Aux origines de la bérberie, Monuments et rites fumeraires*, Paris, 1961 ; Massinissa, n° 1. 301, p. 67 ; *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, éd. Doin, Paris, 1976 ; J. Malhomme, *Corpus des gravures rupestres du Grand-Atlas*, Pub. Services des Ant. de Maroc, (1959), (1961) ; Les pierres excavées et les gravures rupestres du Grand-Atlas de Marrakech, ibid, p. 7 à 21 ; A. Simoneau, Le poisson, symbole du finistère atlastique, *Hésperis-Tamuda, vol. VI, 1965, p. 53 à 77* ; Les gravures rupestres du Haut-Atlas, *R.G.M., n° 11*, Rabat, 1967 ; Recherches sur les gravures rupestres du Grand-Atlas marocain, *Bull. Soci. Préhist. fr. t. LXV, 1968*; J. Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1967 ; Lafuente, Les Aït Ouchegs, *R.G.M., n° 14*, Rabat, 1967 ; F. Z. Sbihi Alaoui, La vie préhistorique, *Mémorial du Maroc*, vol. n° 1, Nord Organisation, 1983 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, t. 1, Rabat, 1983.


أحمد زروال

**اليانشتي** (الحاج -) **أحمد** بن **محمد** بن مبارك من الأعلام الذين حكموا سبتة من سنة 630 إلى سنة 635 في ظروف صعبة تميزت بضعف سلطة الخلافة الموحدية وقيام الثورات ونقض البيعة تارة وتجديدها طوراً آخراً، فكان أحمد اليانشتي من الشخصيات التي تركت آثارها في الأحداث التاريخية السلبية في فترة محدودة. وكانت سبتة محور نشاطه واهتمامه ؛ مع أن أصل أسلافه من حصن يانشتة بالأندلس، ولعل والده أو جده كان من جملة المهاجرين إلى هذه المدينة التي ولد بها ونشأ فيها ومارس فيها تجارته وأصبح من أثرياء تجارها، متحليا بالخصال الحميدة ومتوفرا على ملكة أدبية، فتمكن من أداء فريضة الحج والدخول إلى بغداد. ومنها نظم قصيدته المشهورة في الحنين إلى قرية بليونش المجاورة لسبتة، وقد أوردها صاحب *الروض المعطار في خبر الأقطار*، وهي في سبعة عشر بيتا ويقول فيها :

تذكرت من بغداد أقصى المغارب    فجال نجي الفكر بين الترائب

إلى أن يقول :

أبليونش لا جانبت روضك الصبا    وجاد على مغناك صوب السحائب

لم يكن اليانشتي مجرد تاجر غني أو شاعر مقل، بل وجد في نفسه استعدادا للمغامرة السياسية في خضم

الاضطرابات الناتجة عن الصراع بين الأمراء الموحدين وقيام المتمردين على الخلافة من أندلسيين ومغاربة طمعا في الانفراد بحكم مدينة أو إقليم. فشهد اليانشتي هذه الأحداث. وعرفت مدينته سبتة سيطرة الثائر محمد بن يوسف بن هود عليها وإسناده ولايتها لأحد مقدمي الصعاليك بشرق الأندلس والمعروف بالغشتي، جزاء له على مساعدته في استيلائه على إشبيلية. إلا أن حكمه لم يدم سوى ستة شهور ؛ حيث قام عليه السبتيون وطردوه، وولوا عليهم أحمد اليانشتي الذي أعلن انفصاله عن السلطة المركزية بمراكش. ونادى بنفسه ملكا. وتلقب بالموفق وأظهر أبهة الملك في هذه البقعة المغربية الصغيرة. واستقبل الوفود من علماء وأدباء. واتخذ من بعضهم مجالسيه. ومن هؤلاء أبو جعفر طلحة العباسي وهو من الشعراء المختصين به. وكذلك الأديب أبو العباس أحمد الشقري المعروف بابن طلحة وهو شاعر مستهتر مداح ومما قاله فيه :

سمعنا بالموقف فارتحلنا وشافعنا له حسب وعلم
ورمت يدا أقبلها وأخرى أعيش بفضلها أبدا وأسمو

قال المؤرخ ابن عبد المالك المراكشي في *الذيل والتكملة* عن هذا الشاعر : بأنه امتدح اليانشتي بقصائد فريدة.

ومن جملة زواره كذلك المحدث والأديب أبو عبد الله محمد بن الجنان، وما كاد يستقر الأمر للحاج أحمد اليانشتي حتى تعرض لأطماع التجار الجنويين سنة 632 فانتصر عليهم في المعركة الأولى واستولى على سلعهم، غير أن الجنويين وجهوا مراكب لحصار سبتة ومهاجمتها سنة 633. واجتنابا لأخطار الغزو اضطر اليانشتي لإبرام الصلح معهم وتعويضهم عن الخسائر التي ألحقها بهم السبتيون في المعركة الأولى. وقد أورد ابن عذاري تفاصيل هذه الحادثة ودور اليانشتي من بدايتها إلى نهايتها في كتابه *البيان المغرب*.

ولما كان قصره مفتوحا للزوار المشهورين ؛ فقد ابتلى بأحد أدعياء الزهد، وهو إبراهيم بن مسعود الگومي عميل الموحدين، فاغتر به وقربه إليه وأكرم وفادته. فاستغل الگومي هذه الصحبة واطلع على خبايا أمور صاحبه وزوّد السلطة الموحدية بالمعلومات الكفيلة بالقضاء على تمرد السبتيين، وتزامن مخطط الگومي المتزاهد مع ثورة الأشبيليين على ابن هود وعودتهم لبيعة الرشيد الموحدي والدخول في طاعته. فجهز هذا الخليفة الجيوش للتوجه إلى سبتة. ولم يسع السبتيين إلا أن خلعوا أحمد اليانشتي وقبضوا عليه وعلى ولديه وبايعوا الرشيد. وحسب الرواية التاريخية فإن الابن الأكبر لليانشتي فرَّ ودخل الإسكندرية ومنها توجه إلى اليمن ؛ في حين سيق الأب والابن الأصغر سجينين إلى مراكش سنة 635 . وتختلف الرواية في وفاتهما ؛ فمن قائل بأنهما توفيا بالوباء. ومن قائل بأنهما ماتا مسمومين بشربة لبن.

وقد أورد محمد بن عبد المنعم الحميري في كتابه *الروض المعطار* عند حديثه عن حصن يانشتة نبذة عن حياة أبي العباس اليانشتي من ظهوره إلى القبض عليه.

ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، قسم الموحدين، تح. م. الكتاني، م. زنيبر، م. بنتاويت، عبد القادر زمامة، ص. 277 ـ 294 ـ 343 ـ 345 ـ 350 ؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، تح. احسان عباس، ص. 622 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة*، 1 : 381 ، تح. محمد بن شريفة ؛ أحمد المقري، *نفح الطيب*، 3 : 309 ، تح. احسان عباس ؛ محمد بن تاويت، *تاريخ سبتة*، ص. 81 ـ 107.

محمد ماگامان

**يبورك** (ابن -) **عبد الله** بن **يعقوب** ولد في أسرة ذات علم غزير ودين متين، فأبوه عالم كبير من علماء سوس في القرن الهجري الحادي عشر، قال عنه الرسموكي في *وفياته* : "خاتمة المدرسين والمحققين بجزولة، واظب على التدريس من غير فتور خمسا وثلاثين سنة. درَّس فأفاد، وصنف فأجاد، ونفع الله به البلاد والعباد". وقد قرأ على مَحمد بن إبراهيم حفيد الشيخ التمنارتي، وأبي مهدي عيسى السكتاني وغيرهما. وكان معاصرا لعلي بن أحمد الرسموكي، وقال فيهما الحضيگي : "وبهما أحيى الله بلاد جزولة علما ودينا". في هذه الأسرة ولد المترجم في شهر محرم 1027، وبها نشأ وتعلم، إذ اقتصر في الأخذ على أبيه، قال عنه محمد المختار السوسي : "وهو ممن تخرجوا بأبيه، ولم يذكر أنه جلس إلى غيره، ولا ذكرت له رحلة إلى أعيان عصره، فكان ابن أبيه من كل جهة". أخذ عنه العلوم العربية والشرعية المتداولة يومئذ بسوس، إضافة إلى علم الطب القليل التداول يومئذ.

تصدر للتدريس بمدرسة تازْموت بعد وفاة أبيه عام 1052 وعمره لم يتجاوز خمسا وعشرين سنة، فملأ المدرسة بالعلوم والمعارف، وتقاطر عليه الطلبة من كل صوب وحدب نظراً لعلمه الغزير، ولجديته في التعليم والتدريس، ولفطنته وذكائه الوقاد. وقد استمر في عمله التعليمي بهمة لا تعرف الكلل إلى أن وفاته المنية.

خلف العديد من التلاميذ الذين لم يشغله تعليمهم عن العناية بالتأليف والتصنيف، فقد خلف، رغم حداثة سنه، عديداً من المؤلفات المتنوعة والمختلفة أوصلها عبد السلام الخلد في مقدمة تحقيقه *لتمام النصيحة في إرشاد الطلبة* إلى 29 مؤلفا، قسمها إلى ثلاث زمر : التآليف، المختصرات، الشروح.

فمن مؤلفاته : أخبار الشيخ سيدي أحمد بن موسى، وفتح الوهاب في ما استشكله بعض الأصحاب من السنة والكتاب، الكيفية التصريفية، فتاوي المتأخرين ...

ومن مختصراته : مختصر حسن المحاضرة للسيوطي، مختصر لطائف التنوير لابن عطاء الله الأسكندري، ومختصر خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهوري، *زبدة المستطرف* للابشيهي، مختصر شرحه لصغرى السنوسي، تمام النصيحة في *إرشاد الطلبة* وهو مختصر *لعمدة الطلبة* ...

ومن شروحه : أنوار السعادة الكبرى : شرح للعقيدة الصغرى للسنوسي، شرح عقيدة سيدي سعيد بن عبد المنعم الحاحي، شرح القصيدة الرائية في قواعد الإسلام لمحمد بن ناصر الدرعي، شرح على فرائض المختصر، شرح المبنيات الفلالية البرجية، شرح لامية الأفعال لابن مالك في التصريف، شرح *منظومة في المنطق* لسيدي عبد الرحمان بن عمرو البعقيلي...

توفي ليلة الإثنين 23 جمادى الأولى 1058.

الرسموكي، *الوفيات*، ص. 32 ؛ الحضيكي، *طبقات*، 2 : 365 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، 5 : 45 ؛ *رجالات العلم العربي في سوس*، ص. 38 ؛ الحسن العبادي، *فقه النوازل في سوس*، ص. 177 ؛ عبد السلام الخلد، مقدمة *تحقيق تمام النصيحة*، ص. 7، بحث التخرج من مركز تكوين مفتشي التعليم، الرباط، 86 ـ 87.

محمد الحاتمي

**يحجب** (ابن -) **خطري** ولد بوجان ناحية تزنيت سنة 1320 / 1902 ، أخذ العلم على يد مجموعة من علماء الجنوب المغربي من بينهم الشيخ النعمة والمحفوظ بن الحضرام والشيخ محمد الإمام وماء العينين بن العتيق وغيرهم. ساهم بدور فعال في مقاومة المستعمر بالجنوب المغربي بإنتاجه الأدبي ومواقفه الصلبة. وبعد استقلال الجزء الشمالي من المغرب اشتغل بالقضاء.

خلف عدة أعمال أدبية منها :

- ديوان شعر نشرت بعض قصائده ببعض الجرائد الوطنية وخاصة منها صحراء المغرب وصحراؤنا، ولمايزال مخطوطا.
- مجموع شعري يضم مختارات من أشعار الجنوب المغربي، لما يزال مخطوطاً.
- مجموعة من الخطب والمقالات السياسية تتصل كلها بوحدة المغرب وسيادته على أقاليمه الصحراوية.

توفي بتارودانت سنة 1403 / 1983.

محمد الظريف، *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، ص. 204 ، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه، 2003 ؛ *باقة شعر من أقاليم الجنوب*، ص. 63، منشوارت وزارة الشؤون الثقافية.

محمد الظريف

**يحجب، ماء العينين** ولد بمدينة السمارة سنة 1897 ونشأ في بيئة علمية كان لها أثر كبير في تكوينه العلمي والأدبي. فقد فتح عينيه منذ صغره على مجالس جده العالم والأديب والمجاهد والمربي الشيخ ماء العينين العلمية والدينية والاجتماعية والأدبية والتربوية في مدينة السمارة التي كانت مركز إشعاع فكري وعلمي في الصحراء المغربية.

افتتح الأستاذ يحجب دراسته العلمية على يد الشيخ ماء العينين ثم قرأ بعد ذلك على أبيه العلامة خطري وعلى عدد من الأساتذة اللامعين في السمارة وفي غيرها من مناطق سوس مختلف العلوم، فبدأ بحفظ القرآن الكريم ولما أتقنه قرأ العلوم الأخرى من فقه وحديث وتفسير وأصول ونحو وبلاغة وبيان وأدب وشعر.

في سنة 1909 انتقل مع أسرته التي انتقلت مع الشيخ ماء العينين إلى مدينة تيزنيت، لكن دراسته العلمية لم تتوقف، فقد ظل مرافقا لوالده يقرأ عليه ويأخذ عنه لا يفارقه ولا يغيب عن مجلسه العلمي وكان مواظبا على حضور حلقات الدرس اليومية التي كان يعقدها، ويحضرها العلماء والأدباء.

في سنة 1913 انتقل مع خاله الشيخ النعمة بن الشيخ ماء العينين إلى وجان ودرس عليه فأجازه في جميع العلوم ومكث معه خمس سنوات ثم انتقل صحبته سنة 1917 إلى آيت الرخاء. وبعد وفاة الشيخ النعمة سنة 1921 انتقل إلى كردوس واستقر مع خاله الشيخ مربيه ربه ابن الشيخ ماء العينين الذي أخذ عنه كذلك وأجازه في جميع العلوم، وشارك معه في عدة معارك ضد المستعمر الفرنسي، وظل مرافقا له في جميع المهمات إلى سنة 1934 حيث غادر كردوس متجها إلى طرفاية فانتقل يحجب إلى إكيسل واستقر مع خاله الشيخ محمد الإمام ابن الشيخ ماء العينين الذي أخذ عنه هو بدوره وأجازه في العلوم إسوة بإخوته العلماء الأجلاء الأفاضل.

في سنة 1938 توجه معه إلى مدينة تطوان للالتحاق بركب الحجاج المتوجهين إلى الديار الحجازية لأداء فريضة الحج برئاسة الشيخ مربيه ربه، والتقى بعدد من الأدباء والعلماء وزعماء الحركة الوطنية في تطوان وكانت له معهم محاورات علمية ومساجلات شعرية. وبعد عودته من الحج انتقل رفقته إلى مدينة إفني التي مكث بها سنين عديدة.

في سنة 1956 انتقل معه إلى مدينة تيزنيت السلطانية، وفي السنة نفسها توجه مع أول وفد من أعيان قبائل الصحراء المغربية وآيت باعمران لتجديد البيعة والولاء لجلالة الملك محمد الخامس بعد عودته من المنفى.

في سنة 1957 انخرط في صفوف جيش التحرير وساهم في تنظيمه وخاض معارك متعددة ضد المستعمر الأجنبي في آيت باعمران والصحراء المغربية. ولم تقتصر مقاومته على السلاح وحده بل أردفه بالقصائد الشعرية والكتابات النثرية في مختلف الصحف والمجلات الوطنية التي تنمي الحس الوطني وروح المقاومة في قلوب المواطنين.

اشتغل بالتدريس في مدينة إفني قبل الاستقلال من سنة 1942 إلى سنة 1956.

في سنة 1958 عين قاضيا بقصر السوق. وفي سنة 1961 انتقل إلى قرية تافنكولت ثم أولاد برحيل وأولوز بإقليم تارودانت. وفي سنة 1975 انتقل إلى تالوين وظل يشتغل بها إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1981.

وبعد تقاعده عين عضوا بالمجلس العلمي للأقاليم الصحراوية حيث قام بمهمته أحسن قيام وساهم من خلاله بدور كبير في التوجيه والوعظ والإرشاد. في سنة 1982

انخرط في سماط العدول وبقي يمارس هذه المهنة حتى وفاته.

يعتبر يحجب من كبار العلماء والأدباء والشعراء الذين أثروا الساحة الأدبية والعلمية المغربية بإنتاجهم الفكري الغزير والمتنوع في العصر الحديث، فقد كان عالما وأديبا وشاعرا وناظما ومصنفا في علوم شتى. يشتغل ليله ونهاره بالقراءة والكتابة والإبداع المتواصل لا يردعه عنه رادع ولا يحول بينه حائل معتبرا ذلك من الواجبات الأساسية التي ينبغي العناية بها بدلا من استهلاك الوقت فيما لا يفيد ولا ينفع. وكان أيضا يزور المكتبات في مختلف المدن المغربية في تيزنيت وتارودانت ومراكش والرباط وسلا وفاس ومكناس وتطوان والعيون والسمارة فيقضي فيها زمنا طويلا يقرأ ويكتب ويدون وينسخ ويقتني إن اقتضى الأمر ذلك. ولا يكتفي بهذا وحده بل يصف الخزانة وما فيها من كتب ومخطوطات ومصنفات وينوه بها وبصاحبها.

وكان له أيضا اعتناء كبير بالنَّسخ، حيث نسخ عددا من مؤلفات علماء الزاوية المعينية كمؤلفات الشيخ مربيه ربه والشيخ أحمد الهيبة والشيخ محمد الغيث النعمة والشيخ محمد تقي الله أبناء الشيخ ماء العينين وماء العينين بن الحضرام. ونسخ كذلك أشعارا كثيرة لعدد من الشعراء الذين كانت له معهم مساجلات شعرية كالطاهر الأفراني وابنه محمد والحسن البونعماني وأبو بكر المريني وإبراهيم الإلغي وعبد الرحمان حجي وإديس الجاي وإسماعيل رضا السكتاني.

ومما يدل على تكوينه العلمي الكبير هو الإنتاج العلمي والأدبي الذي تركه على المستوى النثري والشعري.

أ ـ النثر :

1 ـ "*الأنوار الساطعة في الرحلات الجامعة*" كتاب يحكي فيه أغلب الرحلات التي قام بها للمدن المغربية والحجازية والأندلسية والموريطانية.

2 ـ "*أيام القضاء*" يحكي فيه تجربته الطويلة في عالم القضاء منذ اشتغل فيه إلى أن أحيل على التقاعد.

3 ـ "مجموع يحجب" يضم عددا كبيرا من الأشعار لمختلف شعراء المغرب وموريطانيا والعرب عامة جمعها وقدم لها.

4 ـ "*كتاب الرسائل*" جمع فيه الرسائل المتبادلة بينه وبين أدباء المغرب عامة.

5 ـ "*أعلام الزاوية المعينية*" كتاب عرف فيه بأعلام زاوية الشيخ ماء العينين ودورهم في ازدهار الأدب والفكر المغربي.

بالإضافة إلى تقريظه لعدد كبير من الكتب نثرا وشعرا، منها :

ـ "*الجامع العام*" للشيخ عبد الحي القادري التطواني.

ـ " *مكانة الحسن الثاني بين أبطال المغرب العربي*" للشريف العلوي مولاي إسماعيل بن محمد بن الرشيد السلاوي.

ـ "*نجوم الهدى*" للشيخ إبراهيم نياسي.

ـ "*منحة الأحدية*" للأستاذ محمد بن محمد بن سودة الفاسي.

ـ " *العسل المصفى في عدد الشهداء زمن المصطفى*" و" *دافعة الباطل الذابة عن تحريف أوصاف الدابة*" للشيخ مربيه ربه ابن الشيخ ماء العينين.

ـ"*الجأش الربيط*" للشيخ محمد الإمام ابن الشيخ ماء العينين.

ـ "*تحفة الألباب*" لعبد السلام ابن الشيخ مفتاح.

ـ "*البغية*" لماء العينين بن العتيق.

ب ـ الشعر :

لم يخرج الشاعر يحجب في بداية تجربته الشعرية عن الموضوعات التقليدية المعروفة في الشعر العربي التي ظلت متداولة عبر عصور الأدب يطرقها الشعراء ويخلصون لها، لكنه ما لبث بعد ذلك أن ارتبط بالأحداث السياسية التي شهدها الوطن وساهم في التعبير عنها حين انخرط في صفوف الحركة الوطنية وجيش التحرير. فاقترب من الأغراض والمعاني التي تتجاوب مع مطامح الشعب المغربي الذي كان يعيش في هذه الفترة تحت سيطرة الاستعمار، فدعا إلى تجديد مضامين الشعر ليواكب التحولات الكبرى التي يعيشها الوطن مع المحافظة على الشكل التقليدي للقصيدة العربية جامعا بين الأصالة والمعاصرة، واستطاع بشعره أن يذكي في نفوس المواطنين روح النضال والمقاومة ضد المستعمر الفرنسي والإسباني لتحرير البلاد من سيطرته واستغلاله.

وقد ترك ثروة شعرية غزيرة فاقت عشرة آلاف بيت في مختلف الأغراض الشعرية في مقدمتها الوطنيات والإخوانيات والمولديات والتوسلات، وتميز شعره بالجزالة والمتانة، مما يدل على شاعرية أصيلة ومبدعة تنم عن نبوغ فكره وأصالة رأيه.

توفي بمنزله في تارودانت سنة 1983 عن عمر يناهز السادسة والثمانين بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي والأدبي.

ماء العينين بن الحضرام، *إفادة الأقربين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين* ، مخطوط خزانة ماء العينين علي ابن الشيخ مربيه ربه، تيزنيت ؛ *تحلية الطروس وتسلية النفوس في التعريف بأعلام الشعر في الصحراء وسوس*، مخطوط خزانة مروان الأكرمي، أگادير ؛ ماء العينين بن العتيق، *الرحلة المعينية*، تح. م. الظريف، ص. 83، الرباط، 1998.

ماء العينين النعمة علي

**اليحمدي، أحمد** بن **الحسن** بن أحمد اليحمدي ـ نسبة إلى بني يحمد ـ إحدى قبائل جبل الزبيب ـ قرب غمارة، كانت ولادته سنة 1060 / 1650.

اشتهر باسم جده أحمد، لقبه به مخدومه السلطان المولى إسماعيل، واسمه الأصلي محمد، ولد بقرية (تلا زمور)، ويعرف أهله بالعثمانيين، ونجد في نسبه (الفحصي) نسبة إلى الفحصيين ـ وهم فرع كبير من فروع القبيلة. تعلم ببلده، ولما شب عن الطوق، رحل إلى فاس ـ حيث أخذ عن مشايخ

ذلك العصر ـ كأبي المحاسن عبد القادر الفاسي وولده محمد، وأبي العباس أحمد بن حمدان، ونظرائهم.

وتبدت عليه مخايل النجابة ـ منذ صغره، وكان عاقلا رزينا، طاهر الشيم، عالي الهمة، اشتغل بعلوم الأدب، وأدرك شأوا بعيدا فيها؛ فطار صيته، وشاع ذكره؛ فرفع خبره إلى السلطان المولى إسماعيل، فأدناه إلى حضرته واستكتبه، ثم رقاه إلى درجة الوزارة، سنة نيف وتسعين وألف / 1680 ، وجعل بيده مقاليد الأمور، وإليه الحل والعقد؛ حتى إنه لما عقد السلطان لولده المامون على مراكش، ألزمه بالذهاب إلى وزيره اليحمدي، ليتسلم من يده ظهير التولية ـ وكان يعلم أن ولده يكرهه أشد الكره، ومع ذلك أمره بسماع وصيته والعمل بها رغم أنفه. وكم مرة دس عليه فلم يفلح! وكان المولى إسماعيل قد وضع فيه كل ثقته، فلا يكاد يبرم أمراً إلا بمشورته؛ ولعل ذلك يرجع إلى سببين اثنين: أحدهما: أن المولى إسماعيل تتلمذ لأبي العباس اليحمدي، فعرف فضله عن كثب، وأدرك منزلته عن خبرة وتجربة. وثانيهما: ما كان يمتاز به اليحمدي من رزانة ووقار، وبعد نظر، وإصابة في الرأي، وتؤدة في الأمور، وجلد في الشدائد، ورباطة جأش عند المدلهمات. ومن أخطر المواقف التي تعرض لها الوزير اليحمدي ـ قضية ولاية العهد، فقد استشاره السلطان في ذلك، فأجابه بصراحته المعهودة: إنه لا ولد كذلك تقلده أمر المسلمين. فقدر فيه السلطان هذه الروح، ولم يعهد بها لأحد. وإلى جانب المهام المنوطة به، جعل له الإشراف على خزانته العلمية التي حوت من الذخائر والنفائس ما لم تحوه خزانة قبلها ولا بعدها، وكان ـ على كثرة أشغاله ـ يتصفحها، ويدون أهم ما فيها في سجلات خاصة؛ فكان من ذلك *كناشته* المعروفة، وهي أهم ما خلفه من تراث، وتقع في عشرة مجلدات، وقد وصفها بعضهم بقوله:

(ألف فيها نفائس تبهر العقول، واقتنص من جوها كل عنقاء من مستحسنات النقول). وهي غير كناشة العبيد، وقد تحدث اليحمدي طويلا فيها عن قضية تدوين جيش العبيد، وشرح الأسباب التي دعت إلى ذلك؛ كما دون كثيراً من وفيات الشيوخ والقادة. وكان للملوك العلويين اعتناء خاص بها.

ومن أولاد الوزير اليحمدي: أبو عبد الله محمد، وكان عالما أديبا، وكاتبا شاعرا؛ أسند إليه والده أمر الخزانة المولوية، ودام متوليا شأنها نحو (40) عاما؛ ولعل ذلك ما حمله على تأليف كتابه الموسوم. بـ "*عدد التآليف في ترتيب المحفوظات والتقاييد*" وهو الذي انتسخ *كناشة* والده ـ بأمر السلطان المولى عبد الله، وزاد فيها زيادات.وألف في سيرة *الوزير* اليحمدي ـ صديقه الأديب الشاعر علي مصباح ـ كتابه: (*سنا المهتدي، إلى مفاخر الوزير اليحمدي*) ويوجد مخطوطا بخزانة وزان (بدون رقم) وقد دون فيه مناقب اليحمدي ومفاخره، وأورد كثيرا من رسائله وأبياته، من ذلك قوله ـ وهو يخاطب أبا الحسن مصباح ـ: (.. إلى من نبغ في العلم الذي لا تنضب موارده، ولا يظمأ وارده؛ وغدا كالعلم الذي لا يسامى يفاعه، ولا يضاهي ارتفاعه؛ من أضحى في هذا الأوان علما، ولكعبة الأدب ركناً مستلما؛ مشرع أنس صفا، وملبس ود ضفا؛ من لا يباري في براعة ولسان، ولا يجاري في ميدان براعة وبيان؛ الهمام الذي لا يقاوم، والماجد الذي لا يزاحم؛ السميع الرفيع المقدار، الكريم المآثر والآثار؛ البدر المشرق الوضاح، الأخ الصفي السري أبو الحسن مصباح ...).

فأبو العباس اليحمدي: عالم أديب، وسياسي حكيم؛ ظل على رأس الوزارة في دولة السلطان الأعظم المولى إسماعيل نيفا وأربعين عاما، فما صدرت منه هفوة، ولا سجلت عليه نبوة، لثقته وكفاءته وإخلاصه؛ وهي خصال قلما توفرت في كثير من القادة السياسيين.

توفي سنة 1132 / 1720.

ابن إبراهيم العباس، *الإعلام*، 5 : 82 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *إتحاف الناس*، 4 : 106 ـ 117 ؛ ابن سودة عبد السلام، *دليل مؤرخ المغرب*، 1 : 477 ـ 487، الدار البيضاء، 1380 ـ 1960 ؛ ابن عبد الله عبد العزيز، *الموسوعة المغربية*، 3 : 96 ـ 97 ؛ أعراب سعيد، *صحيفة الميثاق*، 1384 ـ 1964 ؛ أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ الزركلي خير الدين، *الأعلام*، 6 : 322، الطبعة الثانية، 1373 ـ 1978 ؛ محمد الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ص. 82 ـ 99، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، 857 ؛ مصباح علي، *سنا المهتدي إلى مفاخر الوزير اليحمدي*، مخطوط الصويرة ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، 56 ـ 78، الدار البيضاء، المغرب، 1376 ـ 1956 ؛ أحمد اليحمدي، *الكناشة اليحمدية*، مخطوطة الخزانة الحسنية، عشرة أجزاء.

سعيد أحمد أعراب

**اليحياوي**، أسرة قائدية بوادي درعة، ظلت تمارس السلطة باسم المخزن على قبائل أولاد يحيى، بدرعة وفم زكيد وألكوم، لمدة تزيد على قرن من الزمن، إلى أن عصفت رياح الاستقلال بآخر قائد منها في أواسط الخمسينات من القرن 20.

1 ـ عثمان بن مسعود: تمكن عثمان بن مسعود اليحياوي في بداية العقد الخامس من القرن (19)، من جمع كلمة قبائل أولاد يحيى، والزحف بها على الأطراف الغربية لواحتي تينزولين وترناتة. وقد أثار ظهور عثمان بن مسعود اليحياوي بوادي درعة، انتباه المخزن المركزي، الذي كان في حاجة إلى شخصية شجاعة تتصدى لقبائل آيت عطا التي كانت تشغب على المخزن بالوادي، فوجه خليفة السلطان بمراكش، سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1257 / 1841 إلى الشيخ لحبيب بن أحمد الوشاحي (من قصر أولاد أوشاح بواحة ترناتة يأمره "بأن يجتهد في القيام على ساق الجد والحزم في شد العضد للشيخ عثمان بن مسعود اليحياوي، على قتال... آيت عطا واجمعوا أمركم وشركاءكم وكونوا يدا واحدة عليهم فإن ذلك أنفع لكم وأحلك عليهم..."

( *رسالة مخزنية* )، ورغم صغر هذه الرسالة، فإنها أضفت المشروعية والتزكية بما كان يقوم به الشيخ عثمان بن مسعود بدرعة، وقد كان في حاجة ماسة إلى هذه التزكية المخزنية، لأنها ستسمح له بأن يتصرف مع القبائل كشيخ مخزني، وأن يتعامل نداً للند مع الأسر المخزنية التقليدية بالوادي مثل أسرة المزواريين بواحة تينزولين، والتمنوگاليين بواحة مزگيطة. ولن نبالغ في شيء إذا قلنا بأن هذه الرسالة قد ساهمت، في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ درعة، في صنع رمز من رموز المخزن في هذه الجهات البعيدة عن مركز الدولة، خاصة أن عثمان بن مسعود يتوفر على بعض الصفات المطلوبة في ذلك الوقت في المترشحين لتمثيل المخزن بين قبائلهم.

ويظهر أن هذه الرسالة المخزنية، قد أعطت دفعة سياسية قوية للشيخ عثمان بن مسعود اليحياوي، فقاد قبائل أولاد يحيى في معارك حامية الوطيس داخل واحات درعة، تمكن خلالها من تركيز وجود قبائل أولاد يحيى، بشكل خاص، بواحتي تينزولين ومزگيطة ومناطق ألگوم وفم زگيد، وكان يموه على المخزن ويدعي أن ما يقوم به من أعمال حربية، يندرج في إطار إخضاع القبائل العاصية لنفوذ المخزن، الأمر الذي جعل السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام، يزكي في سنة 1262 / 1845 ، أعماله ويسلمه ظهير توليته كشيخ أعلى على كل قبائل أولاد يحيى ويأمرهم "أن يسمعوا قوله ويطيعوا أمره في جميع ما يأمرهم به من الخدمة الشريفة... ومن حاد على الخدمة معه، فلا يلوم إلا نفسه ولا يضر إلا رأسه" (*من الظهير الرحماني*). وما كاد الشيخ عثمان بن مسعود، يتسلم ظهير تعيينه شيخا أعلى (الشيخ الفوقاني) على كل قبائل أولاد يحيى، حتى ركز أعماله الحربية بالمدخل الجنوبي لواحة مزگيطة، فتمكن من اقتطاع عدد من قبائل قصور دراوة من مجال نفوذ قيادة تامنوگالت المزگيطية، وهي على كل حال قبائل محسوبة على المخزن. ولن نبالغ في شيء إذا قلنا بأن الشيخ عثمان، قد نجح مرة أخرى في التدليس على السلطان مولاي عبد الرحمان، الذي رقاه إلى منصب قائد مخزني على كل قبائل أولاد يحيى ابتداء من سنة 1265 / 1848.

وبالرغم من أن هذا الظهير السلطاني، قد أطلق أيدي القائد عثمان بن مسعود اليحياوي في عدد كبير من قبائل درعة والمناطق المجاورة، فإن المزواريين بواحة تينزولين، والتمنوگاليين بواحة مزگيطة، رفضوا الخضوع للأمر الواقع الذي كان القائد عثمان بن مسعود، يحاول تطبيقه على الأرض، فتفجرت الأوضاع القبلية بشكل خطير ولم تتوقف الصراعات إلا مع بداية عهد الحماية. وقد توفي عثمان بن مسعود سنة 1284 / 1867 ، فتولى ابنه العربي بن عثمان قيادة قبائل أولاد يحيى بتزكية من المخزن المركزي.

2 ـ اليحياوي العربي بن عثمان :

تولى القائد العربي اليحياوي أمر القيادة، وكان عليه أن يضع في حسبانه أمرين أساسيين : تفشي ظاهرة الأحلاف القبلية، ليس بدرعة، فحسب وإنما في كل المناطق الجنوبية. والأمر الثاني : ظهور عائلة الگلاوي على مسرح الأحداث، وكان القائد الگلاوي محمد أبيبط، قد شرع إلى بسط سيادة أسرته على المناطق الممتدة جنوب جبال الأطلس باسم المخزن. لذلك حرص القائد العربي على السكينة والهدوء، مقتنعا بالحفاظ على المكتسبات التي حققها والده في واحتي تينزولين ومزگيطة وجهات ابن حميدي وفم زگيد وألگوم. وإذا كان القائد العربي في المرحلة الأولى من حكمه، قد وجد نفسه ملزما بالانغماس في ظاهرة الأحلاف القبلية بوادي درعة، كآلية من آليات حماية مصالحه ومصالح قبائل أولاد يحيى فإنه من جهة أخرى ظل يراقب عن بعد، مظاهر الصراعات القبلية التي أثارها القائد محمد أبيبط الگلاوي، في محاولاته لإخضاع قبائل آيت واوزگيت ومن في لفها.

وقد تجنب القائد العربي اليحياوي، الانخراط في أية عملية تناهض نشاط آل الگلاوي ببلاد آيت واوزگيت على عكس قيادة تامنوگالت التي انغمست كلية في الأحلاف المناهضة لآل الگلاوي. وهكذا ما كاد الگلاوي يتولى قيادة گلاوة بعد وفاة والده محمد أبيبط سنة 1886 ، حتى أسرع القائد العربي اليحياوي، ولأسباب محلية محضة، بربط مصالح قيادته بقيادة گلاوة.

وتفيدنا اتفاقية صلح بين قيادتي أولاد يحيى وتامنوگالت سنة 1258 / 1842 ، أن القائد العربي اليحياوي، التزم بشروط هذه الاتفاقية التي وقعها والده عثمان بن مسعود مع القائد الحسن التمنوگالي. ويتضح من خلال نصوص عدد من الرسائل المخزنية، ما بين 1280 و1290 / 1863 ـ 1873، أن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، وخليفته على مراكش الأمير مولاي الحسن، كانا يراقبان ما يجرى بواحات درعة، ويحرصان على منع أي انفلات للأوضاع القبلية. وكان القائد العربي اليحياوي، يدرك جيدا هذه الرغبة المخزنية، فظل هادئا، ولا يخوض الحرب ضد القبائل وقيادة تامنوگالت، إلا بشكل محدود جدا إذ كان يخشى إثارة غضب المخزن عليه.

وبعد وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1290 / 1873 ، استغل القائد العربي اليحياوي، ظروف انتقال السلطة إلى السلطان الجديد، مولاي الحسن بن محمد، فتحرر من التزامه بالهدوء وبدأ يستعد لإعلان الحرب ضد قبائل أهل مزگيطة، متذرعا في ذلك بنقض القائد عبد الرحمان التمنوگالي لشروط الصلح بين قبائل أولاد يحيى وأهل مزگيطة. ولكي يبرئ القائد العربي ذمته أمام السلطان الجديد، فقد ظل يلح على المخزن ليمده بالسلاح لمحاربة القبائل السائبة، التي لم تكن سوى قبائل أهل مزگيطة، وقد عرف كيف يتواطأ مع عامل المخزن بدرعة في ذلك الإبان، القائد الحسين بن حدو الگرواني الذي كان يدعم مطالبه أمام السلطان.

وتفيد مقيدات عبد العزيز التينمسلاوي، أن القائد

العربي اليحياوي، لم يستطع أن يحقق أي انتصار يذكر على أهل مزگيطة، فتوجه بحركته المحلية إلى جهات فم زگيد لإخضاع بعض قبائل أولاد يحيى، التي تضررت من عسفه وجوره، إلا أنه انهزم أمامها فعاد إلى قصبته بدرعة حيث توفي بعد شهور من هزيمته سنة 1304 / 1886 فاجتمعت كلمة قبائل أولاد يحيى على ابنه محمد بن العربي اليحياوي.

3 ـ اليحياوي محمد بن العربي :

اتفق أعيان قبائل أولاد يحيى في تجمع عام بقصبة القائد العربي، وسط واحة تينزولين، على تولية محمد بن العربي مكان أبيه في القيادة، وقد حضر عملية التنصيب، شيخ زاوية تينمسلا القادرية سيدي عبد العزيز بن إدريس. وبعد شهور من هذا الاجتماع توصل القائد محمد بن العربي اليحياوي بظهير تعيينه ويحمل تاريخ فاتح شعبان سنة 1304 / ماي 1887.

ويعتبر القائد محمد اليحياوي، واسطة عقد هذه القيادة، لقوة شخصيته، وبعد نظره، وحصافة رأيه ودهائه الكبير في التعامل مع المشاكل والقضايا التي واجهته، فقد حرص منذ توصله بظهير تزكيته من السلطان مولاي الحسن، في منصب قيادة أولاد يحيى على تمتين علاقاته ببعض رجال الحاشية السلطانية من أمثال إدريس بن يعيش وإدريس بن العلام والقائد أحمد بن مالك، كما فتح أبواب الاتصال مع الفقيه المدني الگلاوي، الذي نصب بدوره على قيادة آل الگلاوي، في نفس التاريخ، ولم يكن يبخل على تقديم بعض الإكراميات والهدايا السنية لرجال المخزن ليضمن دعم مطالبه أمام السلطان مولاي الحسن.

وفي سنة 1308 / 1890 ، عين السلطان، مبارك بن الطاهر الرحماني عاملا على درعة، الأمر الذي فرض على القائد محمد اليحياوي، تجميد مشاريعه التوسعية بواحتي تينزولين ومزگيطة على حساب المزوارين والتامنوگاليين.

وبعد وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1311 / 1894، وهروب مبارك بن الطاهر الرحماني من درعة، تحرر القائد محمد اليحياوي، من التزاماته المخزنية، فاستأنف عملياته الحربية للاستيلاء على المزيد من الأراضي المقتطعة من قيادة تامنوگالت وتينزولين وترناتة، كما دخل في مواجهات مع القاضي محمد بن محمد العربي الحاجي، وشيخ زاوية تينمسلا. ولن نبالغ في شيء إذا قلنا بأن للقائد محمد بن العربي اليحياوي اليد الطولى في قدح زناد نار الفتن القبلية التي عرفتها واحات درعة خلال العقد الأول من القرن (20).

وبعد الإعلان عن الحركة الحفيظية سنة 1325 / 1907، وجد القائد محمد بن العربي اليحياوي نفسه مرغما على الدخول في فترة هدوء، استجابة لرغبة صديقه المدني الگلاوي عراب الحركة الحفيظية. لكن بعد انتقال السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى فاس، وتجريد المدني الگلاوي وكل أفراد أسرته من مهامهم السياسية والإدارية سنة 1329 / 1911، استشعر القائد محمد اليحياوي انفلات وادي درعة من الوجود الفعلي للمخزن، وتفشي الفتن القبلية في كل واحات الوادي، فنهض لحرب قبائل تامنوگالت للاستيلاء على المزيد من الأراضي بواحة مزگيطة، فقتل في إحدى المعارك بالقرب من قصر تيمضرت وذلك سنة 1330 / 1912، فتولى ابنه القائد العربي قيادة قبائل أولاد يحيى.

4 ـ اليحياوي القائد العربي بن محمد

ورث القائد العربي عن والده، أوضاعا قبلية متفجرة بالواحات الشمالية بدرعة (ترناتة، تينزولين ومزگيطة) فقبائل آيت عطا المتحالفة مع قبائل الروحا، تهدد قصور أولاد يحيى بواحة ترناتة وقبائل أهل تينزولين التي فتحت أبواب قصورها لبعض قبائل آيت عطا لردع قبائل أولاد يحيى وقبائل أهل مزگيطة، وكان من أولوياته الثأر لأبيه من قبائل مزگيطة وقيادة تامنوگالت التي لها يد في مقتل القائد محمد اليحياوي. وقد تزامن تنصيب القائد العربي، على قيادة أولاد يحيى، مع توقيع معاهدة الحماية في ربيع الثاني 1330 / مارس 1912، وإعادة آل الگلاوي إلى السلطة.

وفي الوقت الذي بدأ فيه القائد العربي يستعد لمنازلة قبائل أهل مزگيطة وقيادة تامنوگالت في إطار أخذ الثأر لوالده، فوجئ ببعض الشاردين، من معركة سيدي بوعثمان، من أتباع الشيخ أحمد الهيبة يصلون إلى درعة، (أحمد شبيهنا بواحتي فزواطة ولكتاوة ومولاي الحاج بواحة تينزولين). وقد انشغل آل الگلاوي بما يبثه هؤلاء بين قبائل وادي درعة من ضرورة القيام بالجهاد ضد الفرنسيين ومن يقف إلى جانبهم، في إشارة مبطنة إلى آل الگلاوي وحلفائهم بالوادي. وفي محاولة من آل الگلاوي لتطويق هذه "الحركة" الجهادية بدرعة أوعزوا إلى القائد العربي بتهدئة الأوضاع مع أهل تامنوگالت خاصة أن سلطة الحماية، منشغلة بالحرب العالمية الأولى في أوربا حيث التزمت أسرة الگلاوي، لسلطة الحماية بضبط أحوال القبائل في كل المناطق الجنوبية، أي كل المناطق التي تعرف أنذاك في الخريطة العسكرية بناحية مراكش.

استغل القائد العربي اليحياوي، فترة الهدنة مع قبائل أهل مزگيطة، التي فرضها عليه آل الگلاوي، فوجه عنايته لإعادة بعض القبائل بواحة ترناتة إلى حظيرة قبائل أولاد يحيى، وهكذا وصل إلى قصر تنسيطة بواحة ترناتة في أول سنة 1336 / 1917 "ففرح به أولاد يحيى وتلقوه بالسرور والفرح... وذبحوا عليه خشاع (قبيلة قصر تنسيطة) وأولاد شعوف (قبيلة قصر تيگت) ورجعوا لمحلهم وجمع الله به شمل أولاد يحيى.

وفي شهر رجب سنة 1336 / أبريل 1918، انفجرت ثورة مبارك بن الحسين التوزونيني بتافيلالت، فاهتزت منطقة الأودية (وادي دادس، وادي تودغة، وادي درعة). فاضطر التهامي الگلاوي وابن أخيه القائد حمو إلى قيادة الحركة إلى بلاد تودغة التي أصبحت بيد قوات التوزونيني منذ ربيع

الثاني 1337 / يناير 1919 وقد تمكنت حركة گلاوة المدعمة لوجستيكيا من سلطة الحماية من إعادة بلاد تودغة إلى نفوذ گلاوة.

وفي شهر جمادى الأولى 1337 / فبراير 1919، وصلت حركة گلاوة إلى وادي درعة، بعد القضاء على حركة مولاي الحاج بجبل تيفرنين (بين ورزازات وأگدز) وأهم ما قام به التهامي الگلاوي بعد وصول الحركة إلى واحة مزگيطة، أنه ثبت بعض القواد المخزنيين في مناصبهم (القائد أبو بكر التمنوگالي، القائد العربي اليحياوي، عبد الرحمان المزواري)، وعين بعض خلفائه على آيت سدرات وترناتة. إلا أن خلفاء گلاوة، أساءوا السيرة، وتشددوا في استحلاب الأموال فتفجرت الأوضاع القبلية وسادت الفتن بكل واحات الوادي. وكان للقائد بوبكر التمنوگالي يد في إثارة هذه الفتن وتحريكها، حيث اتهم آل الگلاوي بأنهم انحازوا إلى جانب عدوه القائد العربي اليحياوي. وهكذا وجد، القائد حمّو الگلاوي نفسه، بعد تردد، يقود الحركة للمرة الثانية إلى وادي درعة، فتوجه القائد العربي اليحياوي في سربة من الخيل إلى ورزازات للترحيب به، وقد رحب حمو بالقائد العربي اليحياوي فاستقبله باستعراض الجيش "وضرب الطبل والموزيكا".

وهذا الاحتفاء الخاص بالقائد العربي اليحياوي، يكشف عن كون القائد اليحياوي، يعتبر أهم حليف للقائد حمو الگلاوي بدرعة. وفي يوم 22 محرم سنة 1343 / شتنبر 1923، وصلت حركة القائد حمو الگلاوي، إلى مشارف قصبة تامنوگالت، وفي نيته تهديم القصبة على من فيها والقضاء نهائيا على قيادة تامنوگالت إلا أن القائد حمو، فوجئ بخالته عائشة بنت الشيخ أحمد الورزازي تخرج من خدرها وتشفع عند ابن أختها القائد حمو في أهل قصبة تامنوگالت. وقد اكتفى القائد حمو، بعد ذلك بفرض ذعيرة ثقيلة على أهل مزگيطة، وعزل القائل بوبكر التمنوگالي، وتنصيب أخيه القائد علي مكانه، واقتطع عددا من قصور أهل مزگيطة من مجال نفوذ قيادة تامنوگالت وإضافتها إلى قيادة أولاد يحيى، إرضاء للقائد العربي اليحياوي. وهكذا يكون القائد العربي قد حقق بواحة مزگيطة ما عجز عن تحقيقه جده وأبوه.

وما كادت الحرب الريفية تضع أوزارها سنة 1926 حتى وجهت سلطة الحماية عنايتها للمناطق الجنوبية، وفي هذا الإطار أسست سلطة الحماية مركز الشؤون الأهلية بورزازات في شتاء سنة 1345 / 1928. وكان القائد العربي اليحياوي، من بين الأعيان الأوائل الذين ربطوا اتصالات سرية بالمسؤولين الفرنسيين بورزازات، ويذكر الضابط سبّلمان، رئيس مكتب الشؤون الأهلية بورزازات، أن القائد العربي اليحياوي، رجل ذكي. وقد قام بدور بارز في التمهيد لدخول الفرنسيين إلى درعة في مطلع الثلاثينات من القرن (20) ثم توفي في نهاية سنة 1349 / أبريل 1931. فتولى ابنه القائد مَحمد (حمادي) بميم مفخمة، قيادة أولاد يحيى، في عهد سلطة الحماية. ولم يكن القائد محمد يتمتع بقوة أسلافه وطموحهم. حيث ظل ألعوبة في يد الفرنسيين إلى أن هبت رياح الاستقلال، فاعتقله جيش التحرير، ورحل إلى منطقة تالوين على الطريق الرابط بين درعة وسوس عبر تارودانت حيث نفذ فيه حكم الإعدام مع مجموعة أخرى من الذين اتهموا بالتعامل مع الحماية الفرنسية وأسرة آل الگلاوي، وذلك في صيف سنة 1956.

*مراسلات مخزنية، وظهائر سلطانية في حوزة الكاتب* ؛ *وثائق محلية* (اتفاقيات، رسائل من دار القائد اليحياوي) ؛ محمد بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*، مخطوط ؛ الطيب بن لحبيب الملولي، *تاريخ درعة*، مخطوط ؛ أحمد البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي لدرعة*، الدار البيضاء، 1994 ؛ *درعة بين التنظيمات القبلية والحضور المخزني* (1894 ـ 1935)، د.د. كلية الأداب، فاس، 2004 ؛ المهدي الناصري، *الرحلة الزاهرة إلى درعة العامرة*، تقديم أحمد البوزيدي، الدار البيضاء، 1999 ؛ إبراهيم ياسين، *جنوب أطلس مراكش تحت حكم الفرنسيين والقادة الگلاويين*، الرباط، 2003 ؛ عبد العزيز التينمسلاوي، *مقيدات التينمسلاوي*، مخطوط ؛ مصطفى بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا* (1860 ـ 1912)، الدار البيضاء، 1996.

Paul Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, t. 1, Rabat, 1977 ; G. Spillmann, *Souvenirs d'un colonialiste*, Paris, 1968 ; Districts et tribus de la Haute Vallée du Dra, *Archives Marocaines., V. 9, T. 2*, Paris, 1931 ; *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Paris, 1936.

أحمد البوزيدي

**يحيى** (سيدي –) بن **يونس**، هو أشهر صلحاء مدينة وجدة وأقدمهم على الإطلاق، يقع ضريحه على بعد حوالي ست كيلومترات من مركز المدينة في اتجاه الشرق. جميع الروايات متفقة حول أقدميته بمدينة وجدة، غير أن هناك اختلافا بينا في الروايات التي تتحدث عن أصله ونسبه، وأهمها روايتان : الأولى ترجح أنه مسيحي من الحواريين أصحاب عيسى عليه السلام، وهي الرواية التي اعتمدها جل الإخباريين إن لم نقل كلهم. والرواية الثانية تذكر أنه من يهود قشتالة، وقد اعتمد هذه الرواية مصدر وحيد فيما نعلم.

الرواية الأولى أتى بها فوانو في كتابه "*وجدة والعمالة*" ملخصها أن سيدي يحيى قد زامن السيد المسيح، وكان أحد أقطاب العالم، قضى حياته في العبادة والصلاة، وإثر مرضه حمله رفاقه على ظهر جمل، ولما أحس بدنوٍّ أجله، طلب من رفاقه أن يحفروا قبره في المكان الذي يتوقف فيه الجمل. وتوفي في الطريق أثناء السفر، وتوقفت راحلته بمنبع العين التي تسقي أراضي مدينة وجدة، فدفن بجانبها. وعمل أصحابه على إخفاء قبره خشية أن يعثر عليه بعض أتباعه ويحملون رفاته إلى الشام، أو يعثر عليه خصومه فينكلون به. أما رفاقه وهم من الحواريين، فمكثوا في مغارة أمامه يتعبدون، إلى أن وافتهم المنية جميعا في هذه المغارة التي تسمى الآن عند سكان مدينة وجدة "غار الحوريات" وربما أخذ اسمه هذا من اسم الحواريين.

وقد أتى درمنكام -Dermenghem) بنفس الرواية، إلا أنه اختلف مع الأول في الاسم، فأعطى سيدي يحيى اسم "جان بابتيست" (Jean-Baptiste) أي "يوحنا المعمدان"، ثم أورد ما يفيد نفس المعلومات السابقة.

تلك هي كل المعلومات المستقاة من الروايات الأجنبية. أما الروايات المغربية، فنرى أنها أصل لما جاء في الرواية الأجنبية، وتأكيد لما ورد فيها. يقول ابن الجوزي في كتابه *فتح الرحمن على عقد الجمان* "يحيى بن يونس المدفون بقرب جبل الكواكب من أرض أنجاد، إذ هو من الحواريين الصديقين، عَبَدَ الله ثمانين سنة بصيام نهارها وقيام ليلها، ولم يأكل فيها شيئا، وآمن بالنبي (ص) قبل مبعثه بخمسمائة عام ........، قال الإمام الغزالي : ولم يكن من أصحاب الأنبياء غيره، على التحقيق بغربنا".

أما الرواية الثانية فأول من ذكرها هو فوانو في كتابه Oujda et l'Amalat ، معتمداً على الرواية الشفوية ليهود مدينة وجدة، وعنه نقل غيره، ومُجملها، أن يهودا من مدينة وجدة، يدعون أن سيدي يحيى هو أحد أوليائهم، وأنه يدعى يحيى بن دوسة، وأنه من يهود قشتالة بالأندلس، اضطر إلى الهجرة إلى المغرب إثر الحملة الاضطهادية التي أصابت المسلمين واليهود على السواء، ابتداء من سنة 1391، ووصل إلى مدينة وجدة على الساعة الرابعة مساء، ولما لم يجد الماء لكي يتوضأ للصلاة، ضرب الأرض بيديه، فتفجرت عين الماء التي نُسبت إليه. وكان يسكن في تلك الفترة جماعة من اليهود في سهل وادي طايرت بضواحي وجدة، فأرسل إليهم لكي ينظروا معجزته، لكنهم رفضوا الحضور إليه، فلم ينس الولي هذا التحدي، وقبل أن يموت دعا على هؤلاء اليهود فتشتتوا. فعاش سيدي يحيى قرب العين دون أن ينزل نهائيا إلى المدينة. ولما علم بدنوٍّ أجله، حفر قبره بيده. وبعد وفاته غطى التراب جثته بقدرة ربانية. ولما علم المسلمون من سكان مدينة وجدة أن وليا كبيرا يرقد تحت أشجار العين، استولوا عليه بصفتهم أسياد المدينة وتبنوه، وسموه سيدي يحيى بن يونس، بدل يحيى بن دوسة، وبعد ذلك لم يتمكن اليهود من زيارته إلا متسترين ومهددين بخطر الموت. وعلى كل، فإنه لا تزال بعض الجاليات اليهودية ـ لحد الآن ـ عند حضورها إلى مدينة وجدة، تقوم بزيارة ضريح سيدي يحيى، رغم أن هذا الفعل يخلف استياء كبيرا لدى ساكنة المدينة.

نستخلص أن جل الروايات وأقدمها تؤكد على مسيحية سيدي يحيى، وأنه من الحواريين، إلا أن أهم ملاحظة نثبتها هي أن كل الروايات تجمع على أن سيدي يحيى كان رجلا مؤمنا صالحا، قضى حياته في عبادة الله، والدعوة إلى توحيده وطاعته. وهذا هو جوهر كل الديانات السماوية بما فيها الإسلام.

ولسكان مدينة وجدة اعتقاد راسخ في كرامات سيدي يحيى بن يونس ومنها على الخصوص الاستشفاء من الأمراض المزمنة ومن العقم، وتتكثف الزيارة خاصة يومي الخميس والجمعة، حيث يقدم الزوار بعض الهدايا إلى الضريح قصد التبرك، خاصة الدراهم والشموع وبعض الأثواب، وتصل إلى الضريح بعض الهدايا من كافة مدن المغرب، وحتى من خارج الوطن من بعض الدول الأوروبية، خاصة تلك التي تقطن بها جاليات مهمة من مدينة وجدة.

ينفرد هذا الضريح بميزة خاصة من بين كافة أضرحة المدينة، وهي أنه "من عجيب أمره رضي الله عنه، أنه يأتيه أهل الملل الثلاثة، المسلمون رجالهم ونساؤهم، والنصارى كذلك واليهود"، ولا تزال هذه الظاهرة مستمرة إلى اليوم.

ونشير إلى أن فلاحي مدينة وجدة وضواحيها وخاصة قبائل أهل أنكاد يقيمون مهرجانا دينيا وشعبيا يطلقون عليه اسم "موسم الولي سيدي يحيى بن يونس"، ينظم في آخر شهر غشت أو شتنبر من كل سنة، أي بعد انتهاء موسم الحصاد. يتجمع أفراد القبائل في واحة سيدي يحيى وينصبون الخيام، وتذبح الأغنام والأبقار، ويهيأ الطعام، ويتصدق بالجميع على الفقراء والمساكين. هذا بالإضافة إلى مشاركة الفرق الفلكلورية وخاصة الخيالة. ويمكن أن نعتبر الاحتفال اليوم ذا طابع فلكلوري أكثر منه تجمعا دينيا، ورغم انقطاعه بعض السنوات لأسباب صحية، إلا أنه عاد إلى الظهور، ولا يزال مستمراً إلى اليوم.


الطرابلسي بن سعيد، مخطوط خاص ؛ الفاسي عبد الحفيظ، *الانتصار بالواحد القهار في إبطال نقض أبي جندار*، الدار البيضاء، 1341 ؛ السناني، *المقالة المرومة*، م. س، ص. 15 ؛ العربي المعسكري، *ذخيرة الأواخر والأول*، مخ. بالخزانة العامة بالرباط، رقم 2659، ص. 53 ؛ إسماعيل حماد، *خمسة أشهر في المغرب*، ص. 37 ـ 38.

L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*, p. 84-86 ; Emile Dermenghem, *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Edit. Gallimard, France, 1954, p. 103.


مارية دادي

**يخلف** (آيت -) (قبيلة) اسم لوحدة قبلية، تميز مستويات انتظام المجموعات داخل قبيلة آيت بوبكر الباعمرانية. مركزها خميس تيوغزة. يتوزع موطنها على الضفة اليسرى لواء سالكماط وجزء من سهل تاكركرا. تتكون من فرقتين : ربع إد بلا يوسف وربع إد براهيم يوسف. ولاشك أن الموقع الجغرافي للقبيلة قد تحكم إلى حدما في مجموع الأحداث التي ميزت تاريخ آيت باعمران، إضافة إلى كونها كانت تمثل قوة بارزة في مجالها القبلي. يحتضن تراب آيت يخلف قصبة مخزنية بمركز تيوغزة، وفيها كانت ترابط المحلة المخزنية التي أحدثت أصلاً لتنظيم عمليات حراسة السواحل الممتدة من أكلو إلى الشاطئ الأبيض. وقد توالى على القصبة مجموعة من القياد : بوعزة السريفي البخاري، إبراهيم الشركي، العربي بن حمو البخاري، محمد بن الطاهر اليحمدي، ومحمد العبوبي. ويظهر من خلال الوثائق، ومما تستحضره الذاكرة المحلية، أن الانقسام بين آيت يخلف وآيت النص، ولَّدَ سلسلة من الصراعات التي جرت

القبائل المجاورة نحو تحالفات محلية غامضة، وهكذا كان الخلفيون يؤازرون من طرف مستي واصبويا ضداً على لف آيت النص المدعم من قبل آيت الخمس والسيحل. وغالباً ما يتدخل قائد الحامية بتيوغزة لرأب الصدع، كما تتم الاستعانة بخدمات زعيم إيليغ. والحاصل أن حالة الانكماش والتراجع الناتجة عن سلسلة النزاعات الداخلية التي تنخر جسم آيت يخلف، مكن غريمتها آيت النص سنة 1300 / 82 - 1883 من ضم مجالات ترابية كانت تابعة للخلفيين.

لا تختلف أنظمتها الداخلية عن أنظمة بقية القبائل الباعمرانية الأخرى، من حيث الاحتكام إلى العرف، في إطار مجالس "إينفلاس". ويبدو أن القبيلة قد عرفت نظام المشيخة، ولا أدل على ذلك من ورود أسماء بعض ممن تولوا مشيخه القبيلة : محمد بن سعيد الخلفي، محمد بن أحمد بن همو الخلفي، الحسن بن علي بن همو الخلفي ... وخلال زيارته الأولى إلى سوس 1882، عين السلطان الحسن الأول الشيخ أحمد بن همو (ت. 1316 / 1898) قائداً على قبيلة آيت يخلف، وهو سليل أسرة تمرست على رئاسة القبيلة منذ والده همو بن محمد بن سعيد الخلفي (ت. 1218 - 1803). ويعتبر القائد مبارك بن أحمد بن همو (ت. 1340 - 1921) آخر من تولى قيادة القبيلة.

من المزارات الدينية بآيت يخلف : مشهد سيدي محمد بن عبد الله على شاطئ المحيط عند مصب واد سالگماط قرب دوار تابلكوكت، وفيه كان أبو حسون السملالي يتاجر مع الأوربيين قبل احتلال ماسة وأكادير. ثم زاوية سيدي حساين بتيوغزة.

علي المحمدي، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، نموذج آيت باعمران*، الدار البيضاء، 1989، ص. 46 - 47 ؛ *وثائق مخزنية ؛ وثائق دار إيليغ ؛ تحريات ميدانية*.

L. Justinard, Les Aït Ba Amrane, *Villes et tribus du Maroc, vol. 8, p. 73-74*, Paris, 1930.

أحمد بومزگو

**يخلف، محمد** ازداد سنة 1944 بدوار مغيلة بقبيلة بني يازغة التابع حاليا لإقليم صفرو، وقد نشأ يتيما بعد وفاة أبيه سنة 1945، خلال الحرب العالمية الثانية، حيث تكلفت أمه برعايته وتنشئته. وكعادة أبناء المغاربة آنذاك تلقى تعليمه الأولي بالكتاب على يد فقيه يدعى الحسناوي. وفي سنة 1953 جاء بعض الأوربيين للبحث عن يتامى الحرب "Les orphelins de guerre" للتكفل بهم، فكان أن ولج مدرسة برباط الخير المعروفة بأهرمومو، هذه المدرسة حاليا تحمل اسم الإمام مسلم، وقد تحمل في ذلك قساوة الظروف، إذ كان يقطع مسافة 8 كيلومترات ليصل إلى المدرسة. أما دراسته الإعدادية فكانت بكل من المنزل وصفرو. وقد اضطرته ظروفه إلى الأشتغال مبكرا، فاشتغل بداية معلماً بنفس المدينة، وبعد حصوله على الباكالوريا سنة 1967، التحق بالمدرسة العليا للأساتذة بالرباط حيث تخرج منها أستاذا للتعليم الثانوي، ثم عاد ليدرِّس مادة الاجتماعيات بثانوية سيدي لحسن اليوسي بصفرو وقد انخرط مبكراً في العمل الجمعوي والسياسي، إذ أسس جمعية الشباب المغيلي سنة 1965، كما كان عضواً نشيطاً بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية منذ 1963 والجامعة الوطنية للتعليم، ويعد من المؤسسين للنقابة الوطنية للتعليم، ونشاطه هذا في الحقل السياسي كان سبب اعتقاله سنة 1972 ليقضي 27 شهراً ونصف رهن الاعتقال السري ودون محاكمة، مما قاده إلى تقلد عدة مناصب بالجماعة الحضرية لمدينة صفرو بما في ذلك رئاسة المجلس والعضوية في البرلمان نيابة عن حزب التقدم والاشتراكية إذ رشحه حزبه لشغل منصب رئيس لجنة الاقتصاد والشغل وشؤون المهاجرين بمجلس النواب.

ولعصاميته وتحقيقا لطموحاته الكبيرة تابع دراسته العليا إلى أن حصل على دبلوم الدراسات العليا في التاريخ المعاصر في موضوع "*تطور آليات السياسة المحلية لمدينة صفرو من أواخر القرن 19 إلى بداية القرن 20*". كما أنه حضر رسالته لنيل الدكتوراة في نفس التخصص بجامعة بروكسيل ببلجيكا في موضوع "*المجلس البلدي لفاس ما بين 1912 و1956*"، وهذا ما أهله لتدريس التاريخ المعاصر بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، فكانت مساهماته بها وبمنابر أخرى هامة، خصوصاً في دروسه المتعلقة بالتطور التاريخي للتنظيمات الحضرية والتأطير العلمي. وكانت له معرفة غنية وشاملة بالقضايا المحلية لمدينة صفرو، إذ كسب عضوية المدينة داخل شبكة التضامن والإسكان الدولي (R. H. S. I) وهي شبكة تعنى بإعادة الاعتبار للمدن التاريخية القديمة، وبفضل مثابرته واحتضانه للعلم والباحثين استمرت الملتقيات الثقافية السنوية لمدينة صفرو منذ نهاية الثمانينيات حتى يومنا هذا.

توفي على إثرحادثة سير مفجعة عند مدخل مدينة الخميسات يوم 24 فبراير 1995، ودفن بمدينة صفرو.

محمد يخلف، *تطور آليات السياسة المحلية لمدينة صفرو من أواخر القرن 19 وبداية القرن 20*، الرباط، دبلوم الدراسات العليا ؛ *المجلس البلدي لفاس ما بين 1912 و1956*، صفرو ؛ جريدة *بيان اليوم*.

الحسين البعاوي

**يخلفتن** (ابن -) **عبد العزيز** السوسي من فقهاء مدينة وجدة على عهد الدولة المرابطية، بل يمكن اعتباره من الفقهاء المخضرمين بين العصرين المرابطي والموحدي، فقد كان من بين الفقهاء الذين جالسوا المهدي بن تومرت أثناء مروره بوجدة وهو في طريقه إلى فاس راجعا من الشرق. إلا أن المصادر التي تتحدث عن هذه الفترة لا تذكره بتاتا. ولا نعرف الطريقة التي غادر بها مدينة وجدة والتحق بصديقه عبد المومن بن علي، وأصبح بعد ذلك أحد القادة الكبار في جيش عبد المومن الموحدي، بل اعتبره البيذق من جملة

سلاطين الشرق الذين جاؤوا مع يوسف بن وانودين قاصدين مراكش.

كان على قيد الحياة سنة 543 / 1148.

*أخبار المهدي*، ص. 21 . 68 . 69.

مارية دادي

**اليد الحسنية** (تُعرف أيضاً بالمنظمة الحسنية)، فاق عدد المنظمات المسلحة التي ظهرت بين عزل ونفي السلطان محمد بن يوسف في 20 غشت 1953 ورجوعه إلى المغرب يوم 16 نونبر 1955 العشرين، تمكنت من إقلاق راحة المستعمر بفضل العمليات المسلحة التي نفَّذتها بالدار البيضاء وخارجها، وقد بلغ مجموعها ستة آلاف عملية خلال 27 شهراً بمعدل 222 عملية كل شهر. وعددٌ من هذه المنظمات اختارت اسماً مشابهاً لاسم اليد السوداء التي نجح الاستعمار الفرنسي في تفكيكها في خريف 1953 بعد الاعتقالات التي جرت بالدار البيضاء بسبب أخطاء في التنظيم. وهكذا نجد "اليد المتوكلة على الله" و"يدُ الانتقام" و"يد التطهير الفدائية" و"اليد الحسنية".

تأسست "اليد الحسنية" بالدار البيضاء عام 1954، ومن أهم أعضائها أحمد ناصر الدين المعروف بـ "صوت العرب" وقد أطلق عليه هذا اللقب داخل السجن المدني بالدار البيضاء، إذ كان شغوفاً بتتبع برامج "صوت العرب" من القاهرة، فكان يحاول تقليد أشهر مذيعي البرامج التي كانت تقدمها الإذاعة المصرية لبث الحماس في صفوف رجال المقاومة المسلحة المغربية. ومن أعضاء "اليد الحسنية" أيضاً محمد بن الحسن مستور وحجاج الخمليشي وموسى مداد ومولاي الطيب آيت بلا ومحمد بن الحاج منصف وعلي بوكري.

أنجزت اليد الحسنية العديد من عمليات المقاومة ومن بينها تصفية مهندس فرنسي بسيدي عثمان، وتصفية أحد باعة الخمر من المغاربة يُدعى "البهلولي" غير بعيد عن سينما شهرزاد بالمدينة الجديدة في الدار البيضاء، وثلاث عمليات بالقنابل ضد حي البغاء "بوسبير" بالمدينة الجديدة، وتصفية أحد خلفاء باشا مدينة الدار البيضاء كان معروفاً بـ "الراديلتور" وتصفية عدل بالمحكمة الباشوية بالدار البيضاء ومقدَّم في سيدي عثمان.

هذه بعض عمليات المنظمة كما جاء في العرض الذي ألقاه باسم المنظمة أحمد ناصر الدين الذي يشغل في نفس الوقت منصب كاتب عام للمجلس الوطني المؤقت لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، أمام أعضاء لجنة استئناف قرارات المجلس الوطني. ولم يعترض ممثلو التنظيمات المسلحة الأخرى وهم "رشدي العربي" و"المختار بنور" عن منظمة الهلال الأسود، و"الحاج النِّية و"رشدي العياشي" عن المنظمة السرية و"بوشعيب البكراوي" عن جيش الأطلس عن مضمون العرض الذي لم يتضمن سرد عمليات أخرى تجنّباً لمشاكل قد تحدث مع أبناء أو أقارب الأشخاص الذين عاقبتهم المنظمة لاتخاذهم مواقف تشذُّ عن الإجماع الوطني الذي حظيت به القضية الوطنية.

وقد تمكنت الشرطة الفرنسية في 13 أبريل 1955 من اعتقال عدة أفراد لخلية فدائية كانت تتخذ درب بوشنتوف مقراً لاجتماعاتها، وكان هؤلاء الأعضاء قد قاموا بطبع منشورات وتوزيعها وإرسال خطابات تهديد، علاوة عن المشاركة في تنفيذ عمليات مسلحة كانت الدار البيضاء مسرحاً لها. وبعد الاعتقالات أجبرت المنظمة على نقل أسلحتها من رقم 31 زنقة المدرسة الصناعية، حيث كان هذا الرقم عبارة عن محل لنجارة الخشب في ملك الحاج مَحمد المعروفي، إلى مكان آخر بحي سيدي عثمان، كما اضطر بعض الأعضاء إلى الالتحاق بمنطقة سيدي إفني تجنبا للاعتقال مما مكن أعضاءً آخرين من الاستمرار في العمل المسلح في إطار المنظمة.

يد التطهير الفدائية :

تكونت على غرار منظمات مسلحة أخرى كثيرة، فاق عددها العشرين في مدينة الدار البيضاء وحدها في سياق ردود الفعل الوطنية التي التقت كلها حول مبدأ "العنف في مواجهة العنف"، بعد سلسلة المجازر التي ارتكبتها السلطات في حق ساكنة مكناس في 1937 وفي حق ساكنة الرباط وسلا وفاس سنة 1944 وفي حق ساكنة الدار البيضاء مرتين في أقل من ست سنوات (1941 و1952)، وبعد أن استنفذ جناح الحركة الوطنية السياسي كل أوراقه إثر أحداث كاريرسنترال المعروفة بـ "ضربة الساندريكا" أيام 7 و8 و9 دجنبر 1952. وسيقضي حدث عزل ونفي السلطان سيدي محمد بن يوسف في 20 غشت 1953 في خَرْقٍ واضح للبند الثالث من معاهدة الحماية (حماية السلطان من أي خطر يتهدده أو يتهدد عرشه) على جميع الأعذار التي حاول معارضو العمل المباشر أن يبرِّروا بها تشبثهم بالعمل السلمي حفاظاً على "العلاقات المغربية ـ الفرنسية".

تكونت يد التطهير الفدائية في درب السبليون بالمدينة الجديدة في الدار البيضاء من خلية كان من أعضائها محمد الحداوي ومحمد البخاري السكوري، واتخذت من مخمس يتوسطه مسدس صغير شعاراً لها.

ويعود الفضل في إعطائها الاسم الذي ظلت تُعرف به، ويميزها عن المنظمات المسلحة الأخرى، إلى المقاوم محمد الحداوي الذي سيبرز اسمه ضمن رجال منظمة الهلال الأسود واستشهد في مواجهة مع الفرنسيين ليلة الأربعاء وصباح الخميس 28 ـ 29 شتنبر 1955 رفقة حجاج المزابي.

وفي نفس الوقت تكونت خلية ثانية بالمنظمة المعروفة بـ "قطع ولد عائشة" بجوار درب غلف، وكان من أعضائها محمد اسفيران الدكالي المعروف بـ "محمد إبراهيم البقَّال وسي خليفة" وكان يشتغل حارساً بمستودع للحبوب بطريق بوسكورة وزوجته "زهراء" وآخرون... وكان محمد الحدَّاوي

على علم بكل المراحل التي قطعها هؤلاء الأعضاء، مما سهَّل عليه عملية التنسيق بين الخليتين والاندماج الذي أفضى في النهاية إلى ظهور يد التطهير الفدائية.

وبموازاة مع هذه الجهود كانت تبذل جهود أخرى يقودها أيضاً محمد الحداوي لتشكيل تنظيم مسلح سيُعرف بـ "الهلال الأسود" بعد اندماج خليتي "الناصح" و"اللاَّحقون". وقد ظهر هذا التنظيم أيضاً في درب السبليون. ويعود لعبد الله الحداوي فضل إطلاق اسم الهلال الأسود على هذا التنظيم المسلح الجديد، إذ كان شغوفاً بقراءة أعداد سلسلة "الهلال" لجرجي زيدان التي كانت تَفِدُ إلى المغرب من مصر.

أخذت "يد التطهير الفدائية" تَوسع قاعدتها باستمرار بفضل التحاق أشخاص آخرين منهم محمد غفيري وعبد الله لعوج الذي أفاد المنظمة كثيراً، إذ هيّأ لها قنابل. وكان من الطبيعي أن تحمل بدايات نشاط أي تنظيم مسلح بعض التعثرات، وهو ما حصل ليد التطهير لما تمكن البوليس الفرنسي من وضع اليد على عبد الله لعوج الذي لم يصمد طويلاً نظراً لشدة ما عُرِّضَ له من تعذيب فأفشى بأسماء عناصر المنظمة وفي مقدمتهم محمد السكوري البخاري.

قادت الاعتقالات الأولى إلى اعتقالات أخرى شملت ولد بنور ومحمد بلحسن الأسفي، لكن سيقع إطلاقهما لاحقاً، كما جرى استنطاق الجيلالي الحداوي والد محمد الحداوي شهيد معركة سيدي يوسف، وعبد الله الحداوي شهيد كمين عين السبع ليلة السبت 28 يوليوز 1956.

لم تؤد هذه الاعتقالات إلى إجهاض نشاط يد التطهير الفدائية في مجال العمل المسلح، بل أنجزت عمليات مسلحة ضد رموز الوجود الأجنبي معمِّرين ومُمالئين مغاربة فكان أفرادها رجالاً آمنوا بعدالة القضية التي تركوا مقاعدهم الدراسية وأعمالهم ووظائفهم من أجلها.

*رواية شفوية* ؛ *المستقبل*، ع. الخميس 25 إلى الأربعاء 31 ماي 2000، ص. 12.

محمد وحيد

**يدَّر**، (سيدي -) **إبراهيم** أحد كبار صلحاء مدينة سلا في القرن الحادي عشر الهجري، كان يدعى "سلطان صلحاء سلا" قبل مجيء معاصره سيدي عبد الله بن حسون (ت. 1013 / 1604) الذي لقب فيما بعد بـ "سلطان سلا". ولما حل هذا الشيخ على المدينة، كان سيدي يدر في طليعة الحشد الذي جاء لاستقباله.

ذكره شيخ الملحون محمد بن الحاج عبد الغني بلحسن (ت. 1273) في قصيدته المشهورة *"السلوانية"* أو *"الجهادية"* التي استحضر فيها تظافر كرامات الأولياء واستماتة المجاهدين السلاويين من أجل صد الهجوم الفرنسي على بلدتهم سنة 1268 / 1851.

كان سيدي يدر قادري الطريقة، وكان له أتباع وأوراد، وقبره ما بين باب فاس وباب فرض أو يفرط بالحومة التي تحمل اليوم اسمه.

م. بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. مصطفى بوشعراء، الطبعة الثانية، سلا، 1996 ؛ أحمد معنينو، *الغارة الفرنسية على مدينة سلا*، مجلة البحث العلمي، عدد 35، سنة 1985.

Kenneth Brown, An urban view of moroccan history Salé, 1000-1800, *Hespéris-Tamuda, vol. XII, 1971.*

محمد الفقير

**اليدري، يعقوب** بن **يحيى** - نسبة إلى بني يدر - إحدى قبائل جبالة في الجنوب الغربي من تطوان، تبعد عنها ببضعة عشر كيلومتراً. ولد سنة 908 / 1502، لا نعرف بالضبط مكان مولده، وكل ما نعلم أنه - بعد أن حفظ القرآن وجوده وأتقن قراءاته ببلده (بني يدر) انتقل إلى فاس لطلب العلم، فلازم أبا الحسن علي بن هارون المطغري، وأجازه كل ما يحمله عن ابن غازي. ومن أهم شيوخه بفاس : أبو زيد عبد الرحمان بن علي بن سقين العاصمي، وأبو مالك عبد الواحد الونشريسي.

ثم استقر بصفة نهائية - بفاس، وتفرغ للتدريس والتعليم، فأقرأ *المدونة، والموطأ*، و *مختصر الحوفي* - في الفرائض، و*تلخيص ابن البناء*، و*رفع الحجاب* له، و*مقدماته في الجبر*، و *قصيدة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة*، وسوى ذلك.

ومن تلاميذه : أبو العباس أحمد بن القاضي، قرأ عليه أكثر هذه المؤلفات الآنفة الذكر، وأجازه كل ما تحمله عن أشياخه. وتتلمذ له أبو الحسن علي بن قاسم البطوئي، وأبو العباس أحمد بن عرضون الزجلي، وأبو الحسن علي بن يوسف الفاسي، وأحمد بن يوسف مهدي الزياني.

وعمر طويلا فألحق الأحفاد بالأجداد، وممن أدركه - وهو شيخ كبير، وحضر بعض مجالسه - أبو سالم الكولالي، ويذكر أن أصحابه كانوا يخرجونه - للإقراء بين النداء الأول للظهر وصلاتها - عند باب الجنائز - بالقروين، فيقرئهم وهو جالس على الأرض - بصوت ضعيف لا يكاد يسمع.

وهكذا ظل يؤدي رسالته التعليمية حتى آخر رمق من حياته، وقد تخرج على يديه أفواج من الطلبة البلديين والأفاقيين.

توفي سنة 999 / 1590.

أحمد ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 351، 1309 - 1891 ؛ *درة الحجال في أسماء الرجال*، 3 : 360 ؛ أبو سالم الكولالي، *تنبيه الصغير من الولدان*، مخطوط، الخزانة العامة بالرباط ؛ أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج هامش الديباج*، ص. 349، 1351 - 1932 ؛ عبد الهادي التازي، *جامع القرويين*، ص. 513، بيروت - لبنان ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 318، فاس، 1316 - 1897 ؛ محمد مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 287، بيروت - لبنان ؛ محمد المنوني، *فصلة تصف الدراسة بالقرويين أيام المنصور السعدي*، مجلة البحث العلمي، ع 7، ص. 24، 1386 - 1966.

سعيد أحمد أعراب

**يدو بن يعلى** بن **محمد** بن صالح اليفرني، أحد أمراء بني يفرن من زناتة الذين ساهموا في الأحداث السياسية والعسكرية التي عرفها المغرب الأقصى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وخاصة الدور الذي لعبوه مع منافسيهم أمراء مغراوة في الصراع الأموي الفاطمي على بلاد المغرب.

تولى يدو إمارة بني يفرن بفاس وبوادي زناتة بعد مقتل والده يعلى في مواجهة عسكرية مع العبيديين سنة 347 / 958 . ومنذ توليته انحاز إلى بني مروان وبايع رجلها القوي الحاجب المنصور بن أبي عامر على أن يكون يده الطولى في بلاد المغرب الأقصى وممثل الدعوى المروانية السنية، فيدحض دعوة الشيعة العبيديين. إلا أن مزاج يدو المتقلب وما بدر منه في مناسبات مختلفة، من سلوكات تؤكد أنه كان مضطرب الطاعة شديد المراوغة لبني مروان، الشيء الذي جعل ابن أبي عامر يفضل عليه أمير مغراوة زيري بن عطية لإخلاصه وصدق طويته واستمالته في بث دعوة المروانية بالمغرب.

وفي سنة 376 / 986 توترت العلاقات بين يدو وابن أبي عامر بعد انحيازه لأمير الأدارسة الحسن كنون الذي دعى لنفسه ضد المروانية في بلاد الريف، فبعث إليه المنصور بجيش كثيف وتمكن من هزمه ومطاردة زعيم بني يفرن يدو. وفي سنة 381 / 991 استدعى المنصور حليفه زيري بن عطية المغراوي وحثّه على مقاتلة يدو عدوهم المشترك، فاشتدت الحروب بين أميري زناتة، وعانت مدينة فاس من ذلك. وعندما أدرك يدو رجحان كفة غريمه بعد مقتل عدد كبير من أصحابه وسبي أمه وأخته، فر شريدا إلى الصحراء وبقي كذلك إلى أن اغتاله ابن عمه أبو يداس بن دوناس سنة 381/ 991 . ويذكر في رواية أخرى أنه قتل أثناء حصار زيري له بفاس ودخولها عليه وبعث برأسه إلى قرطبة سنة 383 / 993 . ثم ولي أمر بني يفرن بعده حمامة بن زيري بن يعلى الذي تحيز بأهله وقومه إلى ناحية شالة فملكها وما إليها من تادلا، وبقي بها أمر بني يفرن إلى أن انقرضت إمارته على يد يوسف بن تاشفين المرابطي.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ أعمال الإعمال، القسم الثالث، الدار البيضاء، 1964 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 7، بيروت، 2000 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، الرباط، 1934 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 1، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

**اليربوع** ، كما في كتب اللغة والجربوع كما ينطق به في المغرب وفي مختلف الأقطار العربية، دابة قارضة من الثدييات، ليلية المعيشة انفرادية تتمتع بسمع حاد حيث إن الأذنين طويلتان يستجيبان للأصوات الحادة. يخرج الأفراد من الجحور ليلا للبحث عن الأكل وبما أن حركتهم سريعة فهم يستطيعون التخلص من الأعداء كالثعابين والكواسر الليلية لذلك يبتعدون كثيرا عن مساكنهم لمسافات طويلة بعكس الفئران التي دائما تكون حذرة وقريبة من جحورها حتى إذا ما أحست بالخطر دخلت مسكنها بسرعة. تحفر الجحور باتجاه انحداري ليصل العمق من متر إلى مترين، ويتوفر الجحر على عدة حفر جانبية تخرج إلى السطح للتهوية وللمساعدة على الفرار من الأعداء وعادة ما تغلق الجحور في الصيف بالرمل الخفيف أو الأعشاب والشعر إما للحماية من الأعداء فتساعده في الهروب أو للمحافظة على رطوبة الجحر. حاسة الشم قوية يستفاد منها بتجنب الأخطار. لون الظهر والجوانب أصفر ترابي والبطن أبيض والذنب طويل ينتهي بخصلة من الشعر الأبيض والأسود. القائمتان الخلفيتان طويلتان جدا ومرنتان تساعدان اليرابيع بالقفز عاليا، وتصل القفزة إلى المتر ارتفاعا عموديا، وبسبب مرونة الأقدام يستطيع الانتقال إلى مسافات طويلة بحثا عن الغذاء بطاقة قليلة. يستخدم الذيل لحفظ التوازن عند القفز وعند تغيير اتجاه السير وللاستناد عليه عند الوقوف.

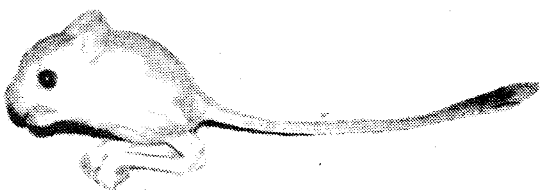

يتكون القوت اليومي لليرابيع من جذور النبات وبراعمها الصغيرة والبذور والحبوب وبعض الثمار، ولا تشرب الماء حتى وإن توفر لها ذلك حيث تكتفي بالرطوبة التي في النبات. وتتكاثر الأنواع ثلاث مرات على الأقل في السنة وتلد الإناث من أربع إلى خمس صغار بعد مدة حمل تصل إلى خمسة وعشرين يوماً. ويتكون العش من شعر الجمل والبقر والماعز وأغصان النباتات. تبقى الأم بجانب صغارها في العش ترضعهم والأب قريب منهم، وبعد خمسة أسابيع تفتح الصغار عينيها وترافق أبويها ليلا خلال الشهرين الأولين ثم تصير حرة بعد ذلك.

يصنَّف اليربوع في رتبة القواضم Rongeurs Rodentia وفصيلة اليربوعيات Dipodidae . أنواعه متجانسة ومتشابهة فيما بينها من حيث الشكل وتركيب الأعضاء الباطنية ونمط العيش، وقد يصعب على الإنسان العادي التمييز بين الأنواع لكثرة الشبه بينها. الأسنان الأمامية موزعة إلى أربع قواطع قوية و6 أضراس على كل جانب، أما الأنياب والأضراس الأمامية فلا وجود لها كما توضح صيغة الأسنان ذلك :

1/1 قواطع ؛ 0/0 أنياب ؛ 0/0 أضراس أمامية ؛ 3/3 أضراس = 16 سنا.

تكيفت أنواع اليرابيع مع أوساط وبيئات المناطق الصحراوية وشبه الجافة وتوزعت في جميع المناطق الحارة الإفريقية والأسيوية بفضل قدرتها الفائقة على تحمل العطش والتكاثر، فهناك أنواع تعيش في الحقول وأخرى تعيش في الواحات ومنها ساكنة مغاوير. كل هذه الأنواع مضرة باقتصاد الإنسان حيث تقضم جذور النباتات الزراعية والحبوب والثمار مما يدفعها إلى إتلاف الزراعة، كما أن بعض الأنواع تنقل جراثيم تكون أحيانا خطيرة على صحة الإنسان.
نوعان من اليرابيع يعيشان في المغرب ويختلف توزيعها الجغرافي حسب نمط العيش والتكيف مع البيئة :

اليربوع الصغير يسمى علميا (Linnaeus, 1758) Jaculus jaculus وبالفرنسية Petite gerboise وبالإنجليزية Lesser Egyptian jerboa . يتميز بأذنين طويلتين (2 ـ 2,5 سم) وبعينين كبيرتين وبذيل طويل ذي شعر قصير، ينتهي بخصلة لونها أسود وأبيض، يتراوح طوله بين 17 ـ 23 سم وبجسم مكسو بزغب ناعم وطوله من أنفه إلى بداية الذيل يتراوح بين 10,5 ـ 12,5 سم. وله يدان قصيرتان (2,5 سم) في كل منهما خمس أصابع، الإصبع الخامس قصيرة جدا (2 ملم). رجلاه طويلتان (11 سم) ويوجد فيهما ثلاث أصابع فقط، وينبت شعر طويل بين أصابع رجليه وكذلك أسفل رجليه ليتكون أسفل الرجل ما يشبه الوسادة لتخفف ضربات رجله عندما يقفز. ويوجد في مقدمة وجهه شارب كبير كشارب القط لكنه أطول (9 سم)، وتساعده هذه الشعرات المتجهة لجميع الجهات لاستشعار أي حركة قريبة منه. ونظره أضعف من الفأر والقنفذ، سمعه وشمه غاية في الحدة والتطور. ينحصر موطنه في المناطق الصحراوية بشمال إفريقيا وآسيا الصغرى. شائع في المناطق الجنوبية للأطلس الكبير الشرقي وللأطلس الصغير الغربي من فكيگ إلى طانطان، ويعيش أيضا في المناطق الصحراوية الجنوبية وفي موريطانيا. يفضل العيش في النجود والهضاب العليا الصخرية وفي الكتل الرملية.

اليربوع الكبير المصري يسمى علميا Jaculus orientalus erxleben, 1841 بالفرنسية Grande geboise وبالإنجليزية Greater Egyptian Jerboa، يختلف عن اليربوع الصغير بأذنين قصيرتين وبشعر رمادي مصفر على الظهر والجانبين، يبلغ طوله 13 و15 سم. ويبلغ طول الذنب 22 ـ 25 يتمّتع بقدرة فائقة على تحمل الجوع خلال فصل الشتاء حيث يختفي في جحره لعدة أسابيع، موطنه الأوساط الجافة بإفريقيا الشمالية من سيناء إلى الريف باستثناء المناطق الصحراوية. شائع في النجود والهضاب العليا الصخرية منذ فكيك إلى الحسيمة وحوض ملوية وشمال الأطلس المتوسط والهضاب الوسطى بضواحي والماس. يعيش النوعان معا في مناطق فكيگ.

L. Lyneborg, *Mammifères d'Europe*, Nathan, 1972, 237 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Trav. Inst. Sci. Série Zoologie, n° 41, Rabat, 1986.
محمد رمضاني ونجاة الخياطي

**يرعاه، مَحمد** السباعي الإدريسي، كان خليفة الثائر الصحراوي الهيبة بن ماء العينين الشنگيطي، ولد حوالي 1279 / 1862 في زاوية أسرته بسيدي المختار مركز قبيلة أولاد أبي السباع، وكانت قيادتها لعبد الله بن بلعيد، ثم عادت إلى أهل هذه الزاوية في شخص ايرعاه عام 1308 / 1890 ، وقد استجاب لنداء قريبه الهيبة عندما دعا إلى الجهاد والتحق به، وسرعان ما صار خليفة له، وكانت تؤهله خصال شخصيته لذلك، ولم يستسلم للفرنسيين إلا عام 1922 ، وأمره ليوطي بالإقامة في تيزنيت إلى أن عين قائدا على شتوكة.

J. et M. Gouvion, *A'ayan al-Maghrib al-Aqsa*.
أحمد التوفيق

**يرماق، أحمد** بن **المكي** ولد بمدشر عين بيضة بقبيلة سماته وبه نشأ، وتلقى حفظ القرآن الكريم على والده الشيخ المكي. وكانت عادة طلبة البادية أن يأخذوا عن أشياخ متعددين ومن أماكن متفرقة، وهذا ما قام به أحمد بن يرماق، فإنه انتقل من مدشر عين بيضة مسقط رأسه إلى مدشر الصاف ببني جرفط حيث تولى الإمامة بضعة أعوام وأتقن حفظ القرآن. وصار يرتحل من مسجد إلى آخر طلبا للعلم، فأقام مدة بقبيلة بني زروال تلقى خلالها علم القراءات ومصنفاتها كمتن الإمام الخراز والشاطبية وابن بري، بالإضافة إلى النحو والفقه وعلم التوقيت، وواظب على تلقي العلوم حتى بلغ به واقع الحال أنه يقول : (إنني قرأت علوما ولكن ما سألني عنها أحد طول حياتي).

تلقى علم النحو على شيخه عبد الله زيطان. كما درس على الشيخ أحمد شتوان من مدشر اشتوغة قبيلة بني يدر، وعلى الفقيه السرحاتي البيدري، وعلى بعض علماء القرويين كالعلامة محمد بن المدني گنون صاحب الحاشية على الرهوني وغيره من العلماء، وعندما كان بفاس توثقت صلته بطالب من نجباء طلبة القرويين هو الشريف سيدي المهدي الوزاني صاحب *النوازل الكبرى والصغرى*، فعقدا كلاهما النية على الخروج من فاس إلى ناحية آزمور وذلك بقصد قراءة علم التوقيت على شيخ هناك، وعند إرواء غليلهما عادا لفاس مرة ثانية، وبقيت علاقة الزمالة قائمة بين الإثنين حتى وفاة الوزاني سنة 1342 / 1923 . وكان من جملة رفاقه بجامعة القرويين الشيخ ماء العينين المشهور، واستمرت المراسلة بينهما بعد انفصالهما عن القرويين، وقد حكت حفيدة الشيخ ابن يرماق التي كانت مقيمة بالعرائش حتى سنة 1979 واسمها فاطمة الزهراء أن جدها شد الرحلة هو وبعض تلامذته إلى مدينة (سمارة) بالصحراء لزيارة ماء العينين وصلة الرحم معه، وقالت إن بعض رسائل الشيخ ماء العينين كانت في خزانة جدها ولكنها انتقلت إلى تطوان مع ما انتقل من كتب جدها ومخطوطاته بعد زيارة الأستاذ ألفريد البستاني لأسرة الشيخ ابن يرماق، ولم يبق بحوزة الأسرة سوى رسالتين،

الأولى من السيد عبد الرحمان الزوري (أحد المسؤولين) بتاريخ محرم الحرام عام 1305 / 1887، والثانية تحمل نفس التاريخ من النائب السلطاني الحاج محمد الطريس.

ولما عاد ابن يرماق إلى مسقط رأسه بعد تلقي العلوم بفاس أسس عددا من مدارس العلم بجهات مختلفة من بوادي الشمال، وكانت مدارس العلم هذه هي المساجد نفسها سواء ما استحدثه منها لتدريس طلبته، أو ما أحيا به مجالس العلم كمسجد طردان بقبيلة بني عروس، أو مسجد أورموت بقبيلة بني جرفط أو مسجد مسقط رأسه بعين البيضا السماتية، وهذا المسجد الأخير هو الذي لازمه عندما تقدمت به السن وعجز كليا عن الانتقال إلى غيره، فبقي به مواظبا على تلقين العلوم حتى وافاه أجله ضحى يوم السبت 11 شوال الأبرك عام 1331 موافق 14 شتنبر 1912، ودفن يوم الأحد في زاوية بمسجد عين البيضاء بضريح ولده سيدي الأمين، واتخذ أهل قبيلة سماته يوم عاشوراء لإقامة موسم كبير بضريح الشيخ وولده، فيزورون قبره للترحم والذكرى، وولده سيدي الأمين سقط شهيدا في معركة بسوق اثنين سيدي اليمني ناحية أصيلة، وكانت المعركة في مواجهة الاستعمار الإسباني أيام الاحتلال، فحمل إلى مسقط رأسه حيث أقام السماتيون على قبره ضريحا للإشادة بجهاده ووطنيته.

وكان الشيخ ابن يرماق كثير التلاميذ والأتباع نذكر منهم بعض المتميزين في الشمال : العلامة عبد السلام بن الطاهر الشاوي ومحمد العمراني المگلاوي والمفضل الحراق والدغاي ومحمد الحراق والفقيه العبدي و المزكلدي ومحمد بن عبد السلام ومحمد النخشة و الناصري.

وقد خلف الشيخ ابن يرماق من تأليفه شرحا على ابن بري في القراءات وآخر على مقدمة ابن جروم، والثالث على أرجوزة المقنع، وكلها شروح مخطوطة في حكم المفقودة.

عبد الصمد العشاب

**يرني**، (عام -) هو عام 1266 / 1847، الذي يعرف كذلك بـ :عام الخبيزة" و"عام ثمانية عشر مثقال"، لما وقع فيه من غلاء ومجاعة، ذلك أن المغرب تعرض خلال سنوات 1847 / 1851 لأزمة غذائية قاسية بعد أن سجلت سنتا 1845 / 1846 محصولا زراعياً دون المتوسط أدى إلى إفراغ المطامير واستهلاك المخزونات ؛ ومع حلول سنة 1847 التي كانت سنة جفاف، تضاعف ثمن القمح والشعير أربع مرات في ظرف بضعة أسابيع، فانهارت القدرة الشرائية وحلت المجاعة، مذكرةً بالتي سبقتها سنة 1825.

وعلى الرغم من تدخل المخزن للتخفيف من وطأة هذه الأزمة، أصبح سكان القرى وبعض أهل المدن يجوبون الحقول بحثا عن العشب والنبات لسد رمقهم، فكان الإقبال كبيرا على "يرني" (أروم أرزروم Arum arisarum ) ويدعى أيضا حسب المناطق "إرني" و"أرني" و"إرنا" و"أيرني"، له ورق على شكل بوق صغير لدى بزوغه يدعى "أمزّوغ" أو "بوثمزّوغت"، وجذوره نشوية ذات سميّة خفيفة، يحضر من دقيقها خبز وكسكس تكاد تنعدم قيمتها الغذائية، وللحصول على هذا الدقيق، تغسل جذور يرني وتقشر وتطبخ لمدة طويلة على البخار مثل الكسكس، لكي تخف حمازتها، فتجفف بعد ذلك ثم تطحن.

وبعد أن تعذرت الإمدادات بسبب هلاك البهائم وتفشي اللصوصية، بلغت الأزمة أوجها، فشهدت القرى والمدن وفيات عُدَّتْ بالآلاف، ونزح الناس نزوحا جماعيا نحو منطقتي الغرب والفحص بحثا عن القوت، واشتد القتال بينهم وأكلت الجيف والميتة، وهجرت الدور وتشتتت الأسر، ولم يجد المخزن بدا من فتح السجون لتمكين نزلائها من البحث عن أقواتهم بأنفسهم ؛ ومن الميسورين من انضموا إلى الباحثين عن جذور يرني وما شابهها، وتظاهروا بالحاجة إلى هذه الأنواع من القوت، للتمويه على المخزن وأعوانه، خوفا على ما يتوفر لديهم من أزودة.

وما أن بدأ الوضع الغذائي يتحسن نسبيا نتيجة المحصول الضعيف لسنتي 1848 / 1849 حتى تفاقم ثانية بسبب الجفاف العام الذي عرفته البلاد سنة 1850، إلا أن كابوس الأزمة بدأ يخف شيئا فشيئا مع محصول سنة 1851.


م. الأمين البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 9، الدار البيضاء، 1956.

Jean-Louis Miège, *Le Maroc et l'Europe*, t. II, Paris, 1961 ; Bernard Rosenberger, *Société, pouvoir et alimentation,* Rabat, 2001 ; Emile Laoust, *Mots et choses berbères, Paris*, 1920.


محمد الفقير

**اليرنياني، إبراهيم** بن **عيسى** بن ماخوخ من وزراء بني مرين ومن عصبيتهم التي تولى أبناؤها العمل العسكري والإداري، وخاصة منصب الوزارة. كان إبراهيم المذكور من مشيخة بني مرين الذين دعموا السلطان أبا ثابت عامر (706 ـ 708 ) إثر اغتيال جده يوسف وهو يحاصر تلمسان، حيث نافسه الأمير أبو سالم ابن السلطان المغتال، كان ذلك خارج تلمسان في ذي الحجة من سنة 706. ويظهر أن الوزير إبراهيم بن عيسى كان من جملة من حرضوا السلطان أبا ثابت على فك الحصار وعقد تصالح مع أمير بني زيان، ليهتم بمواجهة بعض اضطرابات المغرب الأقصى خصوصاً المنافس على العرش والقادم من الأندلس الشيخ عثمان بن أبي العلاء. وبعد وفاة أبي ثابت وزر إبراهيم المذكور لأخيه السلطان أبي الربيع سليمان (708 ـ 710)، وربما كان هذا الوزير هو الذي دفع هذا السلطان سنة 709 لتكليف أخيه عثمان بن عيسى بالقيام بمهمة لدى ابن الأحمر ـ بعد انسحاب جيشه من سبتة ـ

بشأن تحسين العلاقة بين الطرفين، وأسفر الاتصال عن تنازل ابن الأحمر عن الجزيرة الخضراء لأبي الربيع ووقوع المصاهرة بين السلطانين. ولا تفيدنا المصادر المعتمدة أسباب غياب إبراهيم المذكور عن الوزارة في أوائل عهد السلطان أبي سعيد عثمان (710 ـ 731)، لكن بعد وفاة الوزير عمر بن موسى الفودودي أسند السلطان منصب الوزارة إلى إبراهيم بن عيسى اليرنياني من جديد. ومن المهام التي كلف بها هذا الوزير قيادة فرقة من الجيش لحصار مدينة سبتة التي تلكأ أميرها العزفي في تقديم الطاعة للسلطان، فاتهم بعض مشايخ الجيش الوزير بممالأة العزفي وقبضوا عليه، غير أن السلطان أطلق سراحه، وربما احتفظ به في منصب الوزارة، خاصة وأن ابن مرزوق ذكر أن ابنه موسى الآتي ذكره ربي في حجر السلطان أبي الحسن واختص به في صغره.

**اليرنياني، موسى** بن **إبراهيم** بن عيسى من بني يرنيان ومن العصبية المرينية، وزر للسلطانين أبي الحسن وابنه أبي سالم. وصفه ابن مرزوق بـ "الوزير النبيل الفاضل المشارك ... شديد اليقظة والنبل ... نخبة الوزراء، من أهل السماحة والفضل، يعرف حل المشكلات .." ؛ ويظهر أن مثل هذه الصفات هي التي جعلت أبا الحسن يبعثه مع الخطيب ابن مرزوق برسالة إلى والي بجاية الأمير الحفصي أبي عبد الله بن أبي زكرياء ابن السلطان أبي يحيى، بعدما تلكأ في بيعة أبي الحسن هلال تقدمه نحو إفريقية سنة 748، بينما كان أهل بجاية على غير رأيه، حيث طلبوا الأمان والدخول في طاعة أبي الحسن، فمنحه بعد تسليم بجاية إقطاع كومية غرب وهران. وخلال ذلك بعث السلطان والياً على مدينة الجزائر هو مسعود بن إبراهيم اليرنياني الذي يظهر أنه أخو الوزير موسى. وقبيل وصول أبي الحسن مدينة تونس ظهر اسم وزير آخر هو حمو العسكري (حسب تعبير الزركشي الذي سماه الوزير حمو العشري وسماه ابن خلدون العشري وجعله من موالي السلطان، وقد كلفه السلطان أبو الحسن - في محلة كبيرة بمعية أولاد أبي الليل من العرب بتعقب الأمير الحفصي الفار من تونس مع عرب أولاد مهلهل إلى أن تمكن منه وقتله. أما الوزير موسى المذكور فقد أصبح في عهد أبي عنان والياً على بجاية بعد فتحها سنة 754، ثم جعله طليعة جيشه لفتح قسنطينة خلال حركته الإفريقية سنة 758، فانهزم وجرح في المعركة قبل أن يتمكن أبو عنان من فتحها. لكن موسى عاد إلى منصب الوزارة في عهد السلطان أبي سالم بن أبي الحسن (760 ـ 762) الذي انتهى الأمر باغتياله، ولا ندري مصير الوزير بعد هذا الحادث، حيث إن منصب الوزارة سينتقل إلى عمر بن عبد الله الياباني مدبر الانقلاب على السلطان أبي سالم.

لم تعد أسرة بني يرنيان إلى منصب الوزارة إلا في فترة لاحقة وبصورة محدودة، مثلما حدث أيام السلطان أبي العباس أحمد ابن أبي سالم في سلطنته الثانية (789 ـ 796) حيث استوزر إدريس بن موسى بن يوسف اليرنياني (إلى جانب الوزير صالح بن حمو الياباني)، وإدريس المذكور هو آخر من نعلمه من الوزراء المرينيين من بني يرنيان.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، ط. الجزائر، 1981 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 6 : 812؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين* ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، 2: 327، ط. الدار البيضاء، 1985 ؛ الزركشي، *تاريخ الدولتين*، 83، تونس، 1966 ؛ ابن القنفذ القسنطيني، *الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية*، 170، الدار التونسية للنشر.

أحمد عزاوي

**يزدگ** (آيت -) ينتمون إلى اتحاد آيت يافلمان، الذين يضمون آيت حديدو وآيت مرغاد وآيت يحيى وآيت يزدگ وعرب الصباح وأهل السغالة بتافيلالت، وينتصر لهم في المعارك آيت سدرات ومغران وآيت سرى ـ وزايان وكروان.

وحسب المصادر التاريخية فإن موطن آيت يزدگ الأصلي هو أعالي نهر تدغة ولهم القصور والأملاك في بلدة تامتتوشت على رأس وداي تدغة بأميال إلى تنغير. وكل قبيلة لم تصل نسبها بسكان تدغة، فليست من صميمهم. حيث يأتون سنويا إلى تزكي بأعالي تدغة لزيارة ضريح سيدي محمد بن عبد الله، وهو تقليد تقرر لديهم ومحفوظ عند صغيرهم وكبيرهم. ومن أعظم بلادهم وأحنها لديهم إلى الآن وادي زيز إذ نزلوه بحلالهم واستوطنوه بعد خروج كروان منه في سنة 1140، وسبب خروج گروان من وادي زيز أن السلطان المولى إسماعيل بعد ما قام بحركة ضد آيت أمالوا وآيت بولال وآيت سرى ـ أمر عامله على بن يشي القبلي الزموري وعقد له عشرة الآف من الخيل ـ وذلك لاجتثاث گروان وإجلائهم من وادي زيز نظراً لما يشكلونه من خطر في نظر المخزن في الطريق نحو سجلماسة. وينقسم آيت يزدگ إلى 3 أقسام أساسية وهي آيت مومو ـ آيت فركان ـ وآيت الثلث. وكل قسم بدوره يتفرع إلى عمائر وبطون وأفخاد وعشائر.

المهدي الناصري، *الطلعة الغطريس الفسيس المنتمي إلى سوس*، مخطوط.

David M. Hart, Les institutions des Aït Morrhad et Aït Haddidou, in *Actes du Durham, BESM, Rabat, 1918, p. 57*; Capitaine Henry, Aït Morghad, Assul et Amdghous, *Fiches de tribus de la haute vallée du Gheriss*, 1933, Rapport.

عبد القادر بوراس

**يزرور** (أسرة -) من الأسر المعروفة بفاس، كان منها الصلحاء وأهل النجدة والزعامة خلال عدة أجيال، بل وعدة قرون. كان مقر إقامته جهة اللمطيين التي كانت دائماً مرتبطة بالبوادي القريبة أكثر من غيرها من جهات مدينة فاس، وأصلهم من قبيلة شراقة الغربية.

أبرز من ظهر في هذه الأسرة في مجال الصلاح هو الولي

والمجذوب عبد الله بن محمد (فتحاً) يزرور. كان في صغره، حسب *سلوة الأنفاس*، يتعاطى الحياكة وصناعة الأكسية والكرازي وماشابهها. ثم في عام 1150 (1737 - 1738)، وكان عام مجاعة قاسية، توجه إلى الحج. وفي طريق رجوعه استقر بتونس التي بقي بها مدة قبل التحاقه بمسقط رأسه. وبفاس ظهرت عليه علامات الجذب والزهد في الدنيا، فكان يقضي وقته في قطع الحطب وبيعه في السوق ومنه يعيش. كما كان يجلب العزف من الجبل فيصنع منه المكانس (الشطاطيب) ويبيعها، وبقي على هذه الحال.

ومن جهة أخرى برز من ضمن هذه الأسرة رماةٌ ورؤساء بجهة اللمطيين. ومن المعلوم أن حرفة الرماية كانت مرتبطة بالسلطة السياسية في المدينة أشد الارتباط، وسمحت لفئة قليلة من رؤساء الرماة بالتحكم في مصير المدينة وأهلها خلال مراحل الضعف المخزني (انظر مادة "رماة فاس"). وهكذا نجد أحد أفراد هذه الأسرة متزعماً لجهة اللمطيين خلال عهد مولاي عبد الله بن إسماعيل، عندما اختاره سكان هذه الجهة قائداً لهم أواخر سنة 1737. لكن الصراع على السلطة والتناصر على الزعامة بين مختلف العصبيات المحلية أديا إلى اغتياله من طرف "السُّباب" بعد أسابيع قليلة من توليته. وعلى الرغم من ذلك فإن أولاد يزرور ظلوا يتمتعون بعصبية قوية داخل جهتهم، وبفضلها استطاعوا أن يحتلوا مراكز قيّادية، خاصة ضمن الرّماة. واستمر وجود هذه الأسرة في طليعة القوى المؤثرة بفاس حتى نهاية القرن التاسع عشر، إذ نجد أحد أفراد هذه الأسرة ضمن قائمة أعيان المدينة.

توفي في 9 من ذي الحجة عام 1194 / 13 أكتوبر 1785.

الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

محمد المنصور

**اليزناسني، عبد الرحيم** بن **إبراهيم** أبو محمد عالم، فقيه، أحد قضاة السلطان أبي فارس عبد العزيز المريني، والسلطان أبي سعيد عثمان بن أحمد بن أبي سالم.

ذكره تلميذه ابن القاضي في *المنتقي المقصور*، وقال: ينسب إليه فرج القاضي بصواغة بأحواز فاس، وهو من أجداد بني الغرديس لأمهم. ويبدو أنه كان من جملة القضاة الذين اشتهروا في عهد الدولة المرينية بأخذ الرشوة، وعدم المبالاة بالأحكام الشرعية، نستشف ذلك من خلال البيتين اللذين أنشدهما فيه أبو يعقوب بن راشد اليدري، وهما:

وليت القضاء ببلدة فاس     فأحدثت فيها أمورا شنيعة

فتحت لنفسك باب الفتوح     وأغلقت للناس باب الشريعة

توفي ذبيحا سنة 834 / 1430 بالمدينة البيضاء، قتله الوزير صالح بن صالح الياباني. وكثيرا ما ينقل عنه الونشريسي في *معياره*.

ابن القاضي، *درة*، 3 : 115 - 116 ؛ *جذوة*، 2 : 417 ؛ *لقط*، ص. 246 ؛ *المنتقي*، ص. 712 ؛ الونشريسي، *وفيات*، ص. 140 ؛ ابن الأحمر، *روضة*، ص. 39 - 40 - 41، *بيوتات فاس*، ص. 68 ؛ السخاوي، *الضوء اللامع*، القاهرة، د. ت، مجلد 10 : 4، 167 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 4 : 81 ؛ الكتاني، *سلوة*، 3 : 299.

**اليزناسني، عبد الرحيم** بن **محمد** الشيخ الفقيه، العالم الفاضل، المحصل المتقن المجيد. أحد العلماء العاملين المجتهدين كان محصلا لمذهب مالك ولأصول الفقه على طريقة الأقدمين. رحل إلى المشرق ولقي الأفاضل، وجد واجتهد. وكان مصاحبا لنجم الدين عبد الله بن شاس (ت. 616). وكان فقيرا لا شيء له من الدنيا. دخل إلى بجاية، ورفع أمره لواليها، فأرسل له والي البلد بطعام ومال، فلم يقبله ورده. ثم ارتحل لفاس فوطنها وكان له بها ظهور.

كان على قيد الحياة سنة 600 / 1204.

القرافي، *توشيح*، ص. 152 ؛ عبد الرحمن الغبريني، *عنوان الدراية*، ص. 258 ؛ التنبكتي، *نيل*، ص. 177 - 178 ؛ ابن القاضي، *جذوة*، 2 : 415 ؛ الكتاني، *سلوة*، 3 : 298 ؛ الكتاني عبد الكبير، *تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس*، تح. علي المنتصر الكتاني، الدار البيضاء، 1422 / 2002، ص. 272.

**اليزناسني، عيسى** بن **إبراهيم**، أصله من جبال بني يزناسن أحواز وجدة، كان مقبلا على التعليم في مساجد بطوية بجبال الريف خلال القرن 10 / 16، أخذ عن الفقيه أحمد بن عبد الله البطوئي (ت. حوالي 960 / 1553)، حفظ القرآن الكريم وتضلع في علوم الحديث.

توفي عام 995 / 1587.

البطوئي عيسى، *مطلب الفوز والنجاح* ؛ محمد حجي، *الحركة*، 2 : 455.

مارية دادي

**اليزيد** (بن -)، **محمد** (السلطان)، اختلف المؤرخون في تقييم شخصية اليزيد المتناقضة التي تعكس نفسية مضطربة ومزاجا متقلبا. فمؤرخ الدولة محمد أكنسوس وضع الحكم القصير لهذا السلطان تحت عنوان "الراية الزرقاء الكسيفة المنظر، الكريهة المخبر"، وهو نفس الموقف الذي كان لمؤرخ رسمي آخر كأبي القاسم الزياني. وعلى نقيض هذا الموقف نجد مؤرخا كمحمد بن عبد السلام الضعيف يمجده ويعدد فيه خصال الكرم والشجاعة والإقدام، ويصفه بالمجاهد الغيور على الدين والمحب للشرفاء. وهذه النظرة الأخيرة كانت أقرب إلى الصورة التي انطبعت في ذهنية الفئات الشعبية الواسعة، والقوى الدينية المحافظة التي كيفت هذه الذهنية.

أظهر اليزيد خلال طفولته وشبابه من الشجاعة والجرأة والولوع بالفنون الحربية ما جعله يبلغ حظوة مرموقة لدى والده الذي ولاه عددا من المسؤوليات، ورشحه للخلافة بعدما ظهر من نجدته واقتداره. وهكذا كلّفه في البداية بالكلام مع ممثلي الأجناس، ثم عينه خليفة له على رأس قبيلة كروان، فربط مع أعيانها علاقات وطيدة انتهت بمحاولة تمرد بدعم

من هذه القبيلة وقبائل آيت أومالو. وكان مصير هذه المحاولة الفشل وفرار اليزيد إلى جبال آيت أومالو. لكن السلطان سيدي محمد عفا عنه واكتفى بترحيل قبيلة كروان إلى الأزغار عقابا لهم، ولإبعادهم عن حلفائهم ضمن القبائل الأطلسية. ثم في سنة 1778 حاول جيش العبيد بمكناس مبايعته سيرا على النهج الذي اعتادوه خلال فترة ما بعد المولى إسماعيل، لكن هذه المحاولة فشلت هي الأخرى، وانتهت بتفريق العبيد على المراسي. أما اليزيد فإنه استحرم بضريح مولاي إدريس الأكبر بزرهون ولم يغادره إلا بعد أن توسط له الشرفاء الأدارسة لدى والده.

وربما فكر السلطان سيدي محمد في إرساله إلى الحج أملا في إصلاحه وإرجاعه إلى جادة الصواب، أو على الأقل، إبعاده ليرتاح من متاعبه. لكن اليزيد خلق له متاعب من نوع آخر عندما هجم على أمير الركب المغربي بمكة وجرده من أمواله، وهو ما استدعى تدخل أمير مكة سرور، وأغضب والده الذي كتب مناشير علقت بالمغرب وبالمشرق يتبرأ فيها من أعماله ويحذر الناس من مخالطته. وكان سيدي محمد يدرك أن رجوعه إلى المغرب لن يجلب له إلا المزيد من المتاعب، فأصدر الأمر بمنعه من دخول المغرب وشدد الحراسة على الحدود الشرقية من أجل ذلك. لكن اليزيد تمكن من اختراق الحدود واستطاع الوصول إلى ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش حيث استحرم وانطلق في حملة لاستمالة الشرفاء العلميين وكسب عطف الرعية بالدعوة إلى الجهاد ومطالبة والده بتوفير العتاد الحربي لمحاصرة مدينة سبتة. واختياره للجهاد كموضوع لحشد التأييد كان يضرب في الواقع سياسة والده في الصميم، لأن سيدي محمد بن عبد الله راهن طوال عهده على إقرار السلم مع الدول المسيحية ومهادنة إسبانيا على وجه الخصوص. وهذا ما أثار غضب سيدي محمد الذي كاد يفقد أعصابه خلال الشهور الأخيرة من حياته عندما أصبح تمرد اليزيد الهاجس الذي لا يفارقه. وعلى الرغم من وساطة العديد من رؤساء الزوايا والشرفاء لإقناع اليزيد بمغادرة الضريح المشيشي والتماس عفو والده فإنه رفض بإصرار أن يلين إلى أن توفي سيدي محمد في 9 أبريل 1790.

وكان سيدي محمد قد أصدر ظهيرا عندما كان اليزيد مستحرما بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش "يسخط فيه على ولده ويحذر الناس من مبايعته. لكن هذا لم يمنع الرعية من الالتفاف حول اليزيد، إذ تمت مبايعته مباشرة بعد وفاة والده بما يقرب من الإجماع. وهذا الأمر في حد ذاته يعتبر مقياسا لمدى النجاح الذي حققه اليزيد في تأليب الناس ضد سياسة والده التي قامت على مهادنة النصارى وفتح أبواب المغرب للتجارة الأوربية. وكانت القوى المحافظة من شرفاء وزوايا في طليعة القوى المؤيدة لليزيد. وهكذا بويع هذا الأمير بالضريح المشيشي يوم 26 رجب 1204 / 11 أبريل 1790 قبل أن يتوجه إلى أقرب المدن كتطوان وطنجة ليتلقى بيعة أهلها. كما سارعت أهم القوى في البلاد كالجيش وعلماء فاس وأعيان القبائل البربرية إلى مبايعته ومساندته.

وعلى الرغم من قصر المدة التي حكم فيها اليزيد (أقل من سنتين)، فإن ملامح السياسة التي نهجها خلال هذه المدة القصيرة لا تدع مجالا للشك أنه كان عازما عى تفكيك الركائز التي بنى عليها والده سياسته خلال ما يزيد على ثلاثين سنة. وكان على رأس قائمة المهام التي حددها اليزيد لنفسه أن يستبدل السلم الذي أقام سيدي محمد مع أجناس النصارى بالمواجهة، وخاصة مع إسبانيا التي جعلها هذا الأخير في طليعة أصدقائه. لذلك أعلن اليزيد عن نيته في الجهاد منذ البداية، كما سمى نفسه بالمهدي حتى يفهم الناس أنه هو الذي سيخلص البلاد ويعلي راية الدين بعد عهد طويل تميز بمهادنة النصارى والاعتماد المتزايد على اليهود لتنشيط التجارة الخارجية. لذلك قرن اليزيد عداءه للدول المسيحية بعدائه للمجموعات اليهودية حيث أطلق يد النهب في ملاحات تطوان ومكناس والرباط ومراكش، مستغلا في ذلك مشاعر الاستياء التي عمت الرعية نتيجة سياسة والده في مجال التجارة وفرض المكوس وتكليف عدد من اليهود بقبضها.

ومن مظاهر تمرد اليزيد على سياسة والده عزمه على إبطال المكوس والاكتفاء بالواجب الشرعي من زكوات وأعشار. كما أراد أن يعكس سياسة والده في المجال العسكري، إذ أمر العبيد بالتجمع من جديد بمكناس بعد أن كانوا موزعين على المراسي، كما قرر إحياء مشروع الرملة كمركز لجيش العبيد كما كان عليه الأمر أيام جده مولاي إسماعيل. ومن جهة أخرى عزم اليزيد على الاستغناء عن موظفي والده قائلا "أنْ لاَ خَيْرَ فيمن يصطاد بكلاب أبيه" ! وهذا ماجعله ينكل بالعديد من خدام والده.

لكن اليزيد سلك في الواقع طريق المغامرة، ورسم لنفسه مشاريع لم تكن له الوسائل الكفيلة بترجمتها إلى حقيقة ملموسة. فبإعلانه الحرب على الإسبان جعل هؤلاء يجندون عملاءهم بجنوب البلاد لفتح جبهة خلفية تشغله عن سبتة وعن مهمة تمهيد البلاد. كما أن "الكرم" الذي عرف به تحول إلى إسراف وتبذير لأموال الدولة، وهي أموال كان في أشد الحاجة إليها لتثبيت سلطته. وهكذا أفرغ اليزيد بيت المال وأغدق العطايا على رؤساء وأعيان القبائل والشرفاء وكل الذين ساندوه، في الوقت الذي عجز فيه عن تسديد رواتب الجيش، سالكا في ذلك طريق "التبذير الخارج عن طبيعة العمارة والصلاح" حسب صاحب *الجيش العرمرم*. كما أن سياسة البطش والانتقام التي سلكها تجاه خدام الدولة السابقين ساهمت في عزلته وأكسبته أعداء كثيرين. لذلك سرعان ما ظهر عجزه عن إحكام قبضته على البلاد، وضمان

ولاء أتباعه ومناصريه بعد أن فرغ بيت المال وقلت مداخيله نتيجة إلغاء المكوس، وتجلى هذا العجز بوضوح عندما فشل في القضاء على تمرد المناطق الجنوبية، وخاصة بعد أن أقدم رؤساء القبائل كعبد الرحمان بناصر العبدي والهاشمي بن العروسي الدكالي على مبايعة أخيه هشام بمراكش. وكان هؤلاء يتمتعون بدعم مالي وعسكري هام من طرف إسبانيا جعل كفة مولاي هشام وحزبه تعلو على كفة اليزيد الذي قتل بعد وقت قصير من دخوله مراكش في 17 فبراير 1792، على إثر مواجهة عسكرية حاسمة بين جيوشه وجيوش أخيه.

محمد أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مراكش بدون تاريخ، ج 1 ؛ محمد الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الرباط، 1986 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج 8.

محمد المنصور

**اليزيدي** ، أسرة سوسية، تسكن في واحة بين جبال قاحلة، بفضل عين ثرة كافية لحياة تلك الجنة الساحرة، التي تسمى - تازونت - نـ داويزيد، على بعد حوالي 12 كلم في الجنوب الشرقي، لزاوية - تيمگديشت - وسط جبال جزولة، بالأطلس الصغير.

وينسب البعض هذه الأسرة العالمة الصوفية الأدبية المدرسة والتاجرة أحيانا، إلى الخليفة يزيد بن معاوية الأموي. لكن عندما نرجع إلى ترجمة الحضيكي لأحمد بن الحسين اليزيدي، نجد غياب نسبة هذه الأسرة إلى بني أمية، إذ قال : أحمد بن الحسين اليزيدي، بركة هذه البلاد... أخذ عن ابن ناصر بتامگروت، كما أخذ يحيا بن عبد الله اليزيدي، دفين - تازونت - صاحب زاوية هناك، عن القطب سيدي أحمدُو موسا، لكن إذا رجعنا إلى صاحب *المعسول*، نجد في كتابه *رجالات العلم العربي بسوس* : عندما ترجم لليزيدي أحمد قال : وهو أحد أفراد تلك الأسرة اليزيدية الأموية العالمة الصالحة، توفي حوالي 1250.

وفي *الفوائد الجمة* عند جواب التامانارتي، لفقيه - إيسي - وأظنه من نفس العائلة لم ينعته باليزيدي، بل نسبه لـ - إيسي - مما يدل على أن هذه النسبة لا يمكن أن يغيب وزنهاعن التامانارتي، والحق أن صاحب *المعسول* هو الذي ركز أكثر على هذا الاستلحاق كما هو مشاع في استلحاق كل ذي شأن إلى خارج المغرب، ولا يفهم من كلامي هذا أي شك في مصداقية مؤرخ *المعسول* أبدا.

وإذا كان المشاع في مثل هذه الحالة قولهم : الناس مصدقون في أنسابهم، فإني قد سألت أستاذي اليزيدي المحمدي محمد، عن هذه النسبة، سنة 1982 فقال : "إن أحد أجدادنا اسمه يزيد، ولا شك في ذلك، كما أن انتقالنا في سوس مؤكد كذلك، لكن نسبتنا إلى يزيد بن معاوية من وضع جيراننا من زاوية - تيمگيدشت - وهدفهم هو عزلنا عن مجتمعنا، حسدا من عند أنفسهم، لمنافستهم في التدريس، والعلم، والفتوى، والتجارة، واتباعنا لزاوية - تامگروت - وكانوا يروجون علينا أبناء قاتل الحسين بن علي.

والحق أن هذه الأسرة تستحق دراسة عميقة، إذ قال : صاحب *المعسول* (إذا كانت السلسلة الذهبية من هؤلاء السادة اليزيديين، تبتدئ بسيدي أحمد بن الحسن... فإننا الآن لا نرى بين أيدينا من يشرئبون من شباب الأسرة، إلى أن يملأ الفراغ. لكن في العائلة خير خلف لخير سلف منهم علماء وتجار ومدرسون.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في سوس* ؛ *المعسول*، ج. 5، ج. 9، ج. 10 ؛ الحضيگي، *الفوائد الجمة* ؛ *بحث ميداني*.

الحسين جهادي

**اليزيدي، أحمد**، ازداد بمدينة الرباط سنة 1905، والده السيد المعطي بن اليزيد التادلاوي أصلا والساكن بالرباط كمستخدم ببعض المراكز الإدارية.

سار أحمد اليزيدي على نفس الدرب الذي سار عليه شقيقه الأكبر منه سنا بثلاث سنوات الزعيم الوطني محمد اليزيدي (بوشعيب)، فقد التحق مثل أخيه بأحد الكتاتيب القرآنية بالرباط، فحفظ القرآن ثم انتقل إلى مدرسة عربية فرنسية، ومنها إلى ثانوية مولاي يوسف حيث درس بها بضع سنوات قبل انخراطه في سلك تلامذة المدرسة العسكرية بمكناس سنة 1922 ليتخرج منها برتبة ضابط. تأثر أحمد اليزيدي تأثرا كبيرا سياسيا وثقافيا بالوسط الذي كان ينغمر فيه شقيقه محمد اليزيدي، وقد أدى به ذلك إلى احتكاك بالحركة الوطنية وبالزعماء الوطنيين بحكم اقترابه الشديد من أخيه، رغم أن وظيفته فيما بعد كضابط عسكري في الجيش الفرنسي كانت تمنعه من ذلك. وبحكم وظيفته العسكرية، استطاع أحمد اليزيدي أن يزور بعض البلدان العربية الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي خاصة سوريا، وقد ساعده ذلك على تعميق وعيه بحقيقة الاستعمار الفرنسي وهيمنته على الشعوب المستعمرة.

وبحكم هذه الوظيفة أيضا، كان لأحمد اليزيدي، دور هام في التعريف بالقضية الوطنية ورجالها لدى بعض الضباط العسكريين المغاربة الذين كانوا بعيدين عن الحركة الوطنية والذين أصبحوا متعاطفين معها لدى المطالبة بالاستقلال وبعدها. وبسبب الظروف التي جدت على المغرب بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ومنها احتلال القوات الألمانية لباريس وانضمام الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب لحكومة فيشي الخاضعة لألمانيا، وانتشار نفوذ القوات الألمانية بالمغرب، بالإضافة إلى أن الظروف الدولية خلال الحرب أوحت لقادة الحركة الوطنية المغربية بأن الوقت المناسب لإجبار فرنسا على تغيير نهجها السياسي في المغرب قد حان، وأن هناك من

المبررات الدولية مايجعل ذلك قابلا للتحقيق على المدى المتوسط بأقل تقدير، كل ذلك جعل أحمد اليزيدي يقرر الاستقالة من الجيش الفرنسي والانغمار علانية في النشاط الوطني المناهض للحماية الفرنسية، خاصة وقد تزامن ذلك مع نزول قوات الحلفاء في المغرب يوم 8 نوفمبر 1943، ومع بداية تحرك الوطنيين بكيفية أقوى رغم عناد الفرنسيين وسوء معاملتهم، ومع تجديدالحزب الوطني لفروعه وضم عناصر قيادية جديدة لصفوفه. وبسبب وضعيته وظروف عائلته، التحق أحمد اليزيدي بالطائفة وهي الجناح السري للحزب الوطني، ولذلك كان من أوائل الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال وأحد مؤسسي حزب الاستقلال. وقد اشتغل أحمد اليزيدي بعد استقالته من الجيش الفرنسي في التجارة، واشترك مع صديقه الوطني الغيور الحفيان الشرقاوي في السنوات من 1946 إلى 1949 في تجارة الشاي والسكر بمتجر في ديور الجامع معقل الحركة الوطنية بالرباط، وكان بالإضافة إلى ذلك ينشر بعض المقالات في الصحافة الوطنية.

وعندما قرر حزب الاستقلال الاستيلاء على الغرف التجارية والفلاحية وإخراجها من قبضة وتسيير المتعاونين مع الحماية، وهي الغرف التي أنشأها المقيم العام الجنرال جوان حسب ظهير 13 أكتوبر 1947 في إطار ما سمي بالإصلاحات، كان أحمد اليزيدي مرشح الحزب في الرباط لرئاسة غرفة التجارة بها، فانتخب انتخابا حرا وتولى تسيير الغرفة التجارية بحنكة واستقامة، ولعب دوره كاملا أثناء وجوده في مجلس شورى الحكومة الذي كان يرأسه شخصيا المقيم العام الجنرال جوان. وكان المقصود من المشاركة في هذا المجلس من طرف التجار والفلاحين الاستقلاليين مجابهة السلطات الاستعمارية في قعر دارها وفضح تصرفاتها ومظالمها، وكان أحمد اليزيدي من جملة هؤلاء التجار الذين خاضوا المعركة ضد السلطات الاستعمارية، وكان مثل بقية الرؤساء الآخرين المنتمين لحزب الاستقلال يقدم التقارير الهامة لمعارضة مخططات الإدارة الفرنسية في تسيير وتوزيع الميزانية المغربية. وكان مع بعض الأعضاء الآخرين في المجلس والتابعين لسياسة حزب الاستقلال في معارضة الوجود الفرنسي يقومون بدور هام وخطير ضد سياسة الإقامة العامة في المغرب.

وفي 8 دجنبر 1952، تلقى حزب الاستقلال ضربة قمعية شديدة وذلك إثر الإضرابات والأحداث العنيفة التي دفعت السلطات الفرنسية إلى إلقاء القبض على قيادة الحزب ثم على مجموعات من عناصره القاعدية وسجنهم وتقديمهم إلى المحاكم العسكرية ونفي بعضهم إلى الصحراء، وكان أحمد اليزيدي من جملة المنفيين إلى "مير اللفت" ثم "كلمين" ثم"اغبالو نكردوس"، حيث لم يطلق سراحه إلا في 5 أكتوبر 1954 عندما قررت المحكمة العسكرية الفرنسية في عهد المقيم العام لاكوسط إطلاق سراح 51 قياديا بارزا من حزب الاستقلال وبعض النقابيين.

وبعد الاستقلال، تقلب أحمد اليزيدي في عدة وظائف، فعين في 7 دجنبر 1955 وزيرا للتجارة والصناعة في أول حكومة مغربية تكونت بعد الاستقلال برئاسة السيد امبارك البكاي، وعين كاتبا للدولة في التجارة في 28 أكتوبر 1956 في حكومة البكاي الثانية ثم بعد ذلك وزيرا للدفاع في نفس الحكومة، ثم ظل وزيرا للدفاع في حكومة أحمد بلافريج التي تشكلت في 12 ماي 1958. وبعد سقوط هذه الحكومة في 24 دجنبر 1958، لم يشارك أحمد اليزيدي في أية حكومة أخرى، وعاد إلى القطاع الخاص ليرأس شركة التأمين الملكي وليهتم بتربية الخيول في ضيعته في طريق عين العودة قرب الرباط.

توفي بمرض ألزمه الفراش عدة سنوات وفارق الحياة في 17 غشت 1996.

أبو بكر القادري، المجاهد محمد اليزيدي، 1999 ؛ *مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية*، 1993، جزآن ؛ عبد القادر الشاوي، *حزب الاستقلال*، (1944 ـ 1982)، عيون المقالات، 1990 ؛ علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، جسوس، 1948 ؛ *المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير*، وثيقة المطالبة بالاستقلال، تراجم الموقعين، 1996 ؛ الحبيب بن الحفيان الشرقاوي، *رواية شفوية*.

عثمان بناني

**اليزيدي، محمد**، أحد قادة الحركة الوطنية المغربية منذ نشأتها في أعقاب صدور الظهير البربري في 16 ماي 1930، والذي كانت تسعى السلطات الفرنسية من ورائه تمزيق وحدة الشعب المغربي. تقلد الزعامة منذ ذلك الوقت في كتلة العمل الوطني وفي الحزب الوطني وأخيرا في حزب الاستقلال، فكان يعتبر من المتشددين في المقاومة والنضال، وتحمّل في سبيل ثباته على المبادئ تضحيات جسيمة.

ولد بالرباط سنة 1902 وتابع دراسته في شعبة الآداب بمعهد الدروس العليا الذي كان بمثابة كلية الأداب والعلوم الإنسانية في عهد الحماية الفرنسية، بعد تخرجه عمل موظفا في الإدارة بضع سنوات استقال منها للانضمام إلى رفاقه في الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي منذ 1930، فكونوا الرعيل الأول الذي واصل العمل إلى إحراز المغرب على الاستقلال بعد ربع قرن.

كان متوفرا على ثقافة عربية وفرنسية عالية أهلته إلى الإسهام في تحرير دفتر المطالب المغربية الذي قدم للمراجع العليا في المغرب وفرنسا سنة 1934 وكذلك المطالب المستعجلة وغيرها من الوثائق الوطنية التي كانت وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال آخرها، وكان من أول الموقعين عليها. وكان من الأعضاء البارزين في اللجنة التنفيذية للحزب الوطني وحزب الاستقلال فيما بعد حيث كان يعتبر النائب الأول للأمين العام، ويهتم بالأخص بالتوجيه والإعلام في الحركة، وقد تولى إدارة جريدة

"الأطلس" لسان الحزب الوطني باللغة العربية في الثلاثينيات، ثم جريدة "L'opinion populaire العمل الشعبي" في الأربعينيات و"Istiqlal الاستقلال" لسان الحركة الوطنية لبعض الوقت. وكان يسهر على المنشورات الحزبية كلها.

اعتقل ونفي مدة ثلاث سنوات ونصف إلى الصحراء سنة 1937 . واعتقل هو والأمين العام لحزب الاستقلال الأستاذ أحمد بلافريج يوم 29 يناير 1944 ، فاضطرت السلطات الفرنسية إلى الإفراج عنه لتهدئة المظاهرات العارمة التي شبت ذلك اليوم في أغلب أنحاء المغرب وخاصة في الرباط.

اعتقل كذلك في 1952 مع أعضاء اللجنة التنفيذية وجل مسيري حزب الاستقلال سنة 1952 تمهيدا لخلع محمد الخامس. ونفي ثم أحيل على المحكمة العسكرية بتهمة التآمر على سلامة الدولة الداخلية والخارجية.

بعد الإفراج عنه تحت ضغط الكفاح الوطني والمقاومة المسلحة سنة 1954 واصل محمد اليزيدي النضال من أجل عودة محمد الخامس وفي سبيل الاستقلال، وكان من القادة الذين أبلوا البلاء الحسن في هذا السبيل إلى أن تحرر المغرب. بعد انشقاق الحزب في 1959، بقي في صف الرعيل الأول

توفي سنة 1989 بالدار البيضاء.

قاسم الزهيري

**اليزيدي المحمدي، محمد** بن الحاج أحمد، ولد سنة 1891، وهو نموذج من تلك السلسلة العلمية اليزيدية، التي نعتها صاحب *المعسول* بالسلسلة الذهبية، فقال في مترجمنا هذا : "فهو اليوم أحد علماء جزولة، ومن أكابر أدبائها، ومن أعاظم المدرسين في مدارسها"... أخذ القرآن في قريته ـ تازونت ـ على يد أحمد بن صالح من ـ أشتوكن ـ ثم أخذ الأمهات العربية في مدرسة ـ إلغ ـ ما بين 1327 ـ 1329 / 1909 ـ 1911 ثم انتقل إلى مدرسة ـ بومروان ـ إلى سنة 1331/ 1912 ثم في مدرسة ـ أدوز ـ ثم استكمل في مدرستي ـ تانالت، و ـ تانكرت.

وعن مستواه الثقافي، قال صاحب *المعسول* : "هذه مجالاته التي قضى فيها زهاء خمس عشرة سنة، حتى نال في التحصيل مدركا أقر له به أقرانه، فضلا عن أساتذته، وقد أخذ عن كبار الأستاتذة بسوس في ذلك العهد".

لقي هذا الأستاذ مضايقات من جيرانه، وكادوا يقتلونه، بعدما سلبوا منه ماله، فذهب إلى مدينة ـ سلا ـ ثم مكناس، ثم طنجة، يشتغل بالتجارة، إلى أن توفي أستاذه من عائلته، في مدرسة ـ إيمي ؤ گشتيم ـ بأملن ـ وذلك سنة 1364/ 1944، فعاد إلى بلاده.

حيث انتقل إلى مدرسة آيت عبلا البودراريين، كما مر بمدرسة ـ آيت وافقا ـ وانتهى بمدرسة ـ تافراوت ـ.

وله أدب غزير، وفقه متين، واستحضار متميز، ومن أراد المزيد من معرفة تمكن هذا الأستاذ فعليه *بالمعسول*. وله خزانة ثمينة، لم يطرقها أحد، أهمها ما اشتراه والده من فاس بمائة ريال حسني، وهو ثمن كبير في ذلك العهد، وقد أشار صاحب *المعسول* إلى أهمية تلك الخزانة بقوله : "وله خزانة حسنة، ضمت إلى أحسن المطبوعات، أغرب بعض المخطوطات، فيما أخبرت به".

هذا وقد انقسمت الآن تلك الخزانة بين المثقفين من العائلة، وقد زرتها وعزمت على إحصاء ما فيها، فإذا بشيخنا قد قضى نحبه ونحن ننتظر.

توفي 30 يناير سنة 1988 بتازونت.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، *المغرب الأقصى* ؛ الحسين جهادي، *بحث ميداني*.

**اليَسَعُ** (ابن -) **محمد** بن **عبد الواحد** الباعمراني : من أشهر قضاة وعلماء قرية تادرارت بآيت باعمران، أخذ المبادئ الأساسية عن والده الذي حلاه المؤرخ الإگراري بقوله : "العالم العلامة الحيسوبي الصانع التاجر الجواد الناقد الماهر..." وقد ورث ابنه اليسع كثيرا من هذه الخصال المحمودة.

كان يجول ويصول في المنثورات حتى وصف بالنثار، إلى أن انتكست موهبته عندما أكلت داره من طرف القبيلة لقضية عرفية اكتوت بها القرية بكاملها سنة 1310 / 1892 بدعوى أن أهل القرية لم يقاوموا ولم يخبروا بجماعة من اللصوص مرت بينهم فألحقت ضررا بجيرانهم.

ومنذ ذلك الوقت لزم الفقيه ربوة بوگارفا (دّو توريرت) متمسكنا إلى أن شارط في مدرسة آيت بوبكر الباعمرانية، فحدث هناك جدال بين أعيان القبيلة، والفقيه جالس بين القوم، فإذا برصاصة تستهدفه، كان فيها أجله، وذلك في 22 ذي الحجة عام 1343 / 1924.

*معلمة المغرب* ؛ أحمد الإگراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، تح. حمدي أنوش، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگادير ؛ المختار السوسي، *المعسول*، ج 10، ص. 252 ؛ جهادي الحسين، *جانب من تاريخ آيت باعمران*، مرقون.

الحسين جهادي

**يسكر** (ابن -) **موسى** الجراوي نزيل فاس. أحد أشياخ المغرب في الدين والورع والفضل والزهد والمجاهدة. كان عبدا صالحا، صواما قواما عالما، آية في الفقه المالكي. تفقه على أبي خزر يخلف الأوربي، وحضر مجلس أبي الربيع التلمساني، وصحب أبا الحسن علي بن حرزهم. أخذ عنه أبو محمد صالح الهسكوري. كان يؤم بجامع القرويين، ولا يخطب لعجْمة كانت في لسانه، فقدم من ينوب عنه في

الخطبة. أقام إماما بالقرويين مدة أربعين سنة، لم يَسْهُ فيها يوما واحدا لشدة خشوعه في صلاته. وكان موسرا، ولا يأكل مما يباع في الأسواق.

توفي بفاس يوم السبت حادي عشر ذي القعدة عام 598/ 1202، ودفن بالقلة، ولم يترك عقبا. وهو صاحب *الحواشي على المدونة*.

ابن الزيات، *التشوف*، ص. 337 ـ 339 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس*، ص. 71 ـ 73 ؛ مخلوف، شجرة، ص. 165، ع 514 ؛ مجهول، *طبقات المالكية*، ص. 339، ع 433 ؛ ابن القاضي، *جذوة*، 2 : 562ـ 563 ؛ ابن عيشون، *الروض*، ص. 401 ؛ ابن قنفذ، *شرف الطالب*، ص. 67 ؛ الكتاني، *سلوة*، 3 : 164 ؛ الحجوي، *الفكر السامي*، 2: 299.

مارية دادي

**يسلم** (بن ـ) (سيدي ـ) **عالي** ولد سنة 1942 بالساقية الحمراء. انخراط في صفوف جيش التحرير المغربي بالصحراء دفاعا عن الوحدة الترابية للبلاد وطرد المستعمر. وقد عمل بالمقاطعة التاسعة تحت قيادة صالح بن عسو بمركز الدشيرة وذلك سنة 1957. وعرف إخلاصه وتفانيه في العمل حيث كان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله، نشيطا في عمله متحمسا في إيمانه مستعدا للتضحية والاستشهاد. شارك في عدة معارك برهن من خلالها عن شجاعة صادقة في الدفاع عن مقدسات الوطن إلى أن استشهد في معركة الدشيرة بتاريخ 13 ـ 3 ـ 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 503877.

**اليسيتني، محمد** بن **أحمد** بن عبد الرحمان، أبو عبد الله، كان فقيها وخطيبا ومفتيا بمدينة فاس، شهد بمكانته العلمية السامية كل من ترجم له ؛ فمثلا يقول تلميذه أحمد المنجور مشيدا بعلمه وصلاحه "... الإمام الفقيه النحوي الأصولي الكلامي المتقن الحاج الرحال الصالح أبو عبد الله محمد بن أحمد اليسيتني"، وحلاه أحمد بن القاضي بقوله : "الفقيه الإمام العلامة المحقق الجامع بين فنون المعقول والمنقول، الحاج الرحالة الخطيب المفتي بمدينة فاس"، وعده ابن عسكر من فحول الفقهاء. أما شيوخه فنذكر من بينهم محمد بن غازي المكناسي، ويحيى السوسي، وأحمد الزقاق، وموسى الزواوي، وعبد الرحمان سقين، وأحمد الحباك وعبد الرحمان ابن الملجوم، وعلي بن هارون، وعبد الواحد الونشريسي. وقد قام برحلة حجية إلى الديار المقدسة بالمشرق، استفاد أثناءها من العلماء الموجودين في معظم المدن التي مر بها، ففي تلمسان أخذ عن مفتيها محمد بن موسى، وسعيد المنوني، وفي قسنطينة قرأ على الفقيه عمر الأنصاري، ومحمد العطار، وفي تونس لقي جماعة من العلماء، منهم محمد مغوش، وأحمد سليطن، وفي مصر أخذ عن الأخوين ناصر الدين وشمس الدين اللقائيين وغيرهما. ومن تلامذته الشيخ أحمد المنجور والشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي وغيرهما .. أما مؤلفاته فنذكر منها "*حقوق السلطان على الرعية وحقوقهم عليه*"، و"*شرح مختصر خليل*" لكنه لم يكمله. وقد دخل في جدال علمي مع بعض العلماء من بينهم الشيخ عبد الله الهبطي، إذ ذكر محمد ابن عسكر المناظرة التي تمت بين اليسيتني وعبد الله الهبطي في معنى "لا إله إلا الله"، وذلك بمحضر السلطان محمد الشيخ السعدي. كما رد موسى بن علي الوزاني على اليسيتني في مسألة الهيللة هاته. لقد ظل اليسيتني طوال حياته مجتهدا في طلب العلم وتدريسه.

توفي في 16 محرم من سنة 959 / 20 يناير 1552.

محمد ابن عسكر، دوحة *الناشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1397 / 1977، ص. 9 ـ 12 ـ 41 ـ 58 ـ 59 ؛ *فهرس المنجور*، تح. محمد حجي، الرباط، 1396 / 1976، ص. 14 ـ 29 ؛ أحمد ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ق 1، ص. 246 ـ 247 ؛ الطيب القادري، *نشر المثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط، 1397 ـ 1977، ج 1، ص. 124 ؛ الزركلي خير الدين، *الأعلام*، بيروت، ط 6، 1984، مج 6، ص. 6.

عبد العزيز الضعيفي

**يشو** (يوسف)، **امحمد** بن يشو الشكري، من سلالة المرابط الحاج علي بن عيسى الوكيلي الخوخي، دفين بني توزين بظهر تاسفت، قدمت أسرته من بني يزناسن إلى قلعية في أوائل القرن العاشر الهجري (القرن 16)، إثر احتلال الإسبان لمدينة مليلة في سنة 903 / 1497. وكانت القبيلة اليزناسنية بمساندة الحركة الجهادية القلعية ضد المدينة المحتلة. وتابعت الأسرة اليشوتية سنة الجهاد على عهد حكم المولى الرشيد بزعامة امحمدبن يشو المستقر آنذاك بخمس بني شكر من قبيلة قلعية، وقد سبق للمولى الرشيد أن رتب أسس الحركة من جديد قبل توليته الحكم بصفة رسمية، أثناء جولاته بالمغرب الشرقي.

عرفنا تقييد أحمد بن القاضي القلعي بمشاركة امحمد يشو في حركات جهادية على عهد المولى إسماعيل خلال فترة تنظيم حركة هدم الأبراج الخارجية المحيطة بحصن مليلة ما بين 1079 و1096 (1668 ـ 1684). والشاهد من كل ذلك أنه سقط أسيرا بيد الإسبان في وقت سابق لسنة 1080. وربما كان ذلك سنة 1078 / 1667، وبذلك يكون قد قضى بالأسر على الأقل العامين.

ففي سنة 1080 / 1669 دبر امحمد بن يشو حيلة الفرار من الحصن إثر الخرجة المحروسة المعتادة لاستخدام الأسرى خارج الحصن في المغارس ونقل الماء الشروب. كانت فكرة النجاة من الأسر منظمة محكمة كتب لها التوفيق مع عشرين من رفقائه بتدبير سابق مع قائد قلعية بلقاسم الشاوي، ومقدم المجاهدين محمد بن مسعود القيطوني. كان المجاهد امحمد بن يشو الشكري قد توفي وقت تسجيل ابن القاضي هذا التقييد بدايته في يوم 6 محرم 1096 / 13 ديسمبر 1684.

ويبدو حسب وثائق الأسرة أن المجاهد امحمد بن يشو فضل الاستقرار أولا بمدشر القرمود من فرقة فرخانة، ثم رحل إلى المكان المدعو "إزْلافَنْ" بمدشر "إعظْمِيِّن" خلف قمة جبل القرمود من نفس الفرقة، حيث أنشأ رابطَة عائلية في المكان الذي رحل إليه، إلى أن وافاه أجله حسب تقييد ابن القاضي المذكور قبل سنة 1096 / 1685 ودفن في مقبرة هناك مشهورة.

تقييد أحمد ابن القاضي الكعداوي، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط تحت عدد 12352 ؛ تقييد نسب قبيلة قلعية، مخطوط لمجهول بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 1275 ك ؛ وثائق خاصة بالأسرة توجد بحوزة محمد المختاري ؛ حسن الفكيكي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلة المحتلة* بالبيضاء، 1997 ؛ البشير المنصوري، *الابانة عن المغمور في نسب شرفاء أهل الناظور* بالرباط، 1425 / 2004 ؛ محمد المختاري، مشروع كتاب *"البيان الصقيل"* أن أولاد حمو يشو من بني وكيل ؛ خرائط طبوغرافية، طبعات 1954 و1966 ؛ ضابط الأمور الوطنية، تطوان، 1952.

حسن الفكيكي

**يشي، علي** هو قائد أهل الديوان في دولة السلطان العلوي المولى إسماعيل ورئيس عماله. حظي بحكم ما كان له من دالة على الدولة بمكانة مخصوصة ورعاية موصولة جعلته واحدا من أكابر رموز النخبة المخزنية التي ساهمت مساهمة فعالة في إدارة شؤون الحكم وتوطيد ركائز الدولة في هذا العهد. كان يستقر في حي الرياض إلى جانب كبار القادة والعمال ممن كان عليهم مدار المشورة والرأي وتنفيذ الأحكام، في "دار" أشبه بالقصر تتوفر على أربعة وعشرين حلقة يجمعها باب واحد. وقد استطاع علي يشي بحكم ما كان له من سلطة ووجاهة أن يحوز لنفسه عقارات وممتلكات ذات بال في مدينة مكناسة وخارجها أسوة بباقي أطر وموظفي الأجهزة المخزنية المختلفة.

وتفيد المصادر الإخبارية في هذا السياق أن القائد علي يشي لعب أدوارا على قدر كبير من الأهمية في إخضاع قبائل فازاز وكسر شوكتها وإعادة بسط نفوذ الدولة بين ظهرانيها بعد طول مدة من التمرد والعصيان. حيث شارك في معظم الحملات العسكرية التي قادها السلطان المولى إسماعيل للقضاء على ثورات هذه القبائل وإجبارها على الإذعان لسلطته. وتذكر المصادر التاريخية على سبيل المثال لا الحصر في هذا الخصوص، أن علي ويشي كان يمثل إلى جانب الباشا مساهل وعلي بن بركات، أهم قادة تلك الحملة العسكرية الواسعة النطاق التي جندها المولى إسماعيل سنة 1104 لفتح جبهة الأطلس المتوسط وتقطيع أوصال جموع القبائل الصنهاجية والإجهاز على أسباب منعتها ووسائل تمردها، لأن ما حققته هذه الحملة من نتائج بالغة الأهمية، هو ما ضمن لهذا السلطان كما يقول الزياني "فتح المغرب، ولم يبق به من ينبض له عرق، أو ينطق ببنت شفة".

وإذا كان علي ويشي قد ساهم في بناء صرح دولة المولى إسماعيل من خلال مشاركته الوازنة في إدارة دواليبها ومواجهة كل من يروم إفساد توازنها واستقرارها والخروج عن سلك طاعتها، فإنه تعرض كغيره من قواد وباشوات وعمال كثر لمحن ومتاعب شتى بعد وفاة المولى إسماعيل، انتهت بمصرعه على يد الأمير مولاي أحمد الذهبي في دولته الثانية إلى جانب طائفة أخرى من صفوة كبار القادة والوزراء والموظفين.

ع. الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 224 ؛ الزياني، *البستان الظريف*، 179 ـ 247 ؛ *المنزع اللطيف*، 255 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 7 : 80 ـ 81 ـ 87 ـ 133.

الفقيه الإدريسي

**يشي** (ابن -) **محمد** بن **علي**، حفيد القائد الشهير يشي وابن العامل علي بن يشي المدعو محمد بن علي بن يشي عينه السلطان المولى عبد الله سنة 1143 / 1730 عاملا على مدينة فاس، وقد أمره السلطان بتوظيف أموال باهضة على سكانها، وأدى ذلك إلى هجرة العديد من التجار والسكان إلى بلدان أخرى منها تونس والسودان ومصر والشام، فكان موقف العامل محمد يشي الزموري من تجار أهل فاس قاسيا في فرض الغرامات والفروض المالية مما أدى إلى كراهيته ومقاومته وإعلان الثورة عليه، وحسب رواية أخرى، وجَّه السلطان مولاي عبد الله، قائده عبد الرزاق بن يشي الزموري إلى فاس سنة 1143 / 1730 لقبض المال من التجار، وإثر ذلك تم سجن العديد منهم وفرضت عليهم غرامات مالية، ثم بعد ذلك عين السلطان الطالب محمد بن علي بن يشي أخا عبد الرزاق المذكور حاكما على فاس، وكان الطالب محمد يشي حسن الأخلاق، يوقر الأشراف والعلماء وأبناء الصالحين، وقد جعل للطلبة خراجا يقبضونه من وفر القرويين، إلا أنه كان فضا غليظا على التجار وقبض منهم زمن ولايته أموالا عريضة، وبقي حاكما إلى سنة 1147 / 1734.

في هذه السنة، أعدم السلطان مولاي عبد الله آلافا من عبيد البخاري ممن اتهمهم بقتل أخيه عبد الملك أو التواطؤ على قتله، فعزموا على التخلص منه، فلجأ إلى آيت إدراسن ثم مراكش ومنها إلى سوس ثم إلى نول حيث نزل عند أخواله المغافرة مدة ثلاث سنوات، في حين فر عامل فاس محمد بن علي الزموري إلى زرهون لما بلغه خبر فرار السلطان.

بعد عودة السلطان مولاي عبد الله من نول، اتفق جيش البخاري والأوداية وأهل فاس ومختلف فئات السكان على تجديد بيعة مولاي عبد الله، وبما أن عامله محمد بن علي بن يشي ظل وفيا له، وكذلك قبائل زمور وبني حكم، فإنه أراد أن يعيده إلى منصبه كعامل على مدينة فاس، إلا أنه لقي نفس المعارضة رغم التدخل العسكري في محاولة ردعهم والقيام بحصارهم.

القادري، *التقاط الدرر*، ص. 372 ـ 373 ؛ *حوليات نشر المثاني*،

ص. 37 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 7 : 134 ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : 402 ـ 412 ؛ الزياني، *البستان الظريف*، 1 : 248 ـ 264 ؛ أحمد بن الحاج، *الدر المنتخب*، 8 : 237 ـ 239، مخطوط ؛ أكنسوس، *الجيش العرمرم*، 1 : 172.

بوعبيد التركي

**يعتة، علي** : ونحن نعرض بعضا من محطات حياة الرجل الذي قال عنه المغفور له الحسن الثاني : "كان الرجل رجلا". ونحن ندخل بوابة حياة علي يعتة، الرجل الذي نذر حياته حبا لوطنه ودفاعا عنه، نتذكر ما قاله، سنة قبل رحيله، وهو يكتب مذكراته : "الشمس على أطراف النخيل". تتطاير من تحت أقدامنا 77 سنة من غبار ذكريات يمتزج فيها الحزن والفرح، الألم والأمل.

77 سنة كان علي يعتة، على امتدادها، من الرجال الذين عرفوا كيف ينسجون حكاية وطن، يصهرونها مع عالم الكفاح والمقاومة وإرادة الانعتاق، لكن أيضا مع عالم الفكر والفلسفة والعلم، ويضعونها في آنية تتسع لتستوعب تاريخ هذا الوطن حاضره ومستقبله، أمجاده وآلامه، وإخفاقاته وآماله، آنية تتسع لتستوعب وتمزج بين عشق الذي ضاع والذي هوآت. إنه فعلا أخدود يفصل بين الرجال والمترجلين، بين الوطنيين والمتواطنين، إنه فعلا رجل انساب دم الوطنية في شرايينه من يوم أن ولد إلى اليوم الذي وافاه الأجل المحتوم. لقد رسم السي علي خطا فاصلا بين من أحبوا وطنهم ومن باعوه خلسة أو علنا. عرف المنعرجات الصعبة وعباب الأوقات الحرجة. في سيرته سيرة وطن بأكلمه، انتصاراته وانتكاساته، في وقت كانت المبادئ والقناعات تدخل أصحابها إلى دهاليز سوداء ومظلمة.

ازداد علي يعتة بتاريخ 25 غشت 1920 بمدينة طنجة من والدته التي تنتمي إلى عائلة الشجيري الريفية الأصل، ومن والده سليل أسرة كانت تقيم بناحية مولاي إدريس زرهون قبل أن يستوطن أحد أجداده بالجزائر العاصمة ثم جبال زواوة عند قمة للاخديجة، حيث مكث نسله قرونا. ثم عاد الوالد ليستقر بالمغرب بمدينة طنجة.

كان أول موعد السي علي مع العلم والمعرفة بوادي أحرضان، وهو في الرابعة من عمره، لما التحق بكتاب قرآني ثم بمسيد الفقيه العربي الكيش بحي الساقية الجديدة آنذاك. فحفظ القرآن الكريم. والتحق بعد ذلك، وهو في الثامنة من عمره، بالتعليم الابتدائي بحي مرشان بالمدرسة الابتدائية الفرنسية العربية، حيث تتلمذ على ثلة من الأساتذة الأمجاد، وعلى رأسهم العالم الجليل والوطني الغيور الشيخ عبد الله كنون، الذي كان له الفضل في تعلم السي علي قواعد الإسلام وقواعد النحو العربي.

استكمل دروسه الثانوية من سنة 1933 إلى سنة 1941 بثانوية "ليوطي" بعد أن انتقل رفقة عائلته إلى مدينة الدار البيضاء. كانت ثانوية "ليوطي" آنذاك تستقطب عدداً قليلاً من الشبان المغاربة ومن بينهم المرحومان عبد اللطيف بن جلون وأبو بكر بومهدي، ومن بين أساتذة هذه الثانوية كان الأستاذ محمد الفاسي يلقن اللغة العربية التي لم تكن تخلو من المشاعر والتوجهات الوطنية، لا سيما وأنه كان يلقيها مرتديا الزي المغربي المتمثل في الجلباب والسلهام والعمامة. دفع السي علي شغفه باللغة العربية إلى تتبع دروس إضافية فيها خارج الحصص الرسمية، خصوصا على يد كل من الشيخ مولاي أحمد السباعي الشنقيطي والوطني الكبير، الشيخ أحمد الحمداوي مدير مدرسة النجاح آنذاك. وقد تميّز بنباهة ونضج مبكرين، لدرجة أنه كان يسرد *صحيح البخاري* في شهر رمضان من كل سنة بمسجد اليوسفي بحي الأحباس بالدار البيضاء.

ثم إنه سنة 1940 ـ ولم يبلغ العشرين من عمره ـ انظم في الحزب الوطني الذي كان محظوراً آنذاك، بعد أن تعرف وهو شاب يافع على العديد من أقطاب ورموز الحركة الوطنية، ومن بينهم المرحوم المهدي بن بركة الذي تعرف عليه سنة من قبل بثانوية "ليوطي" عن طريق المرحوم العلامة أبو الشتاء الجامعي، الذي لعب دوراً بارزاً في الحركة الوطنية منذ نهاية العشرينات، بفاس والقنيطرة والدار البيضاء وغيرها من المدن المغربية. وفي سنة 1941، كان علي يعتة من رواد تأسيس فرع الدار البيضاء للكشفية الحسنية، المنظمة التي كانت تضم الشباب المغربي الواعي والمتنور، وتناهض نظام الحماية وتعمل في اتجاه تحرير البلاد. وقد ظل يضطلع بدور أمين المال بهذا الفرع إلى سنة 1944.

في سنة 1942 حصل علي يعتة على شهادة الدراسات التطبيقية العربية (Etudes Pratiques Arabes) من كلية الآداب بالجزائر، وتطوع في سلك التعليم الحر بمدرسة "الفلاح" التي كان يديرها الوطني محمد الشاتي وترعاها الحركة الوطنية، قبل أن يضطر إلى الالتحاق بالتعليم العمومي لضمان قوته ومساعدة عائلته المكونة من سبعة

أبناء وبنات دون التخلي عن الدروس التي كان يعطيها بالمجان بمدرسة "الفلاح". وفي سنة 1943 حصل على شهادة أصول العربية (Philologie Arabe) من نفس الجامعة بالجزائر.

كان لأحداث سنة 1944 وقع حاسم في حياة علي يعتة، حين انضم إلى صفوف حزب الطبقة العاملة، أي الحزب الشيوعي، باتفاق مع قيادة حزب الاستقلال، التي استمر الاتصال بها وثيقا والتعاون معها واسعا.

في شهر فبراير من سنة 1945، عين علي يعتة أمينا للجنة المركزية للحزب الشيوعي المغربي، وفي شهر ماي من نفس السنة أصدر الجريدة الأسبوعية *"حياة الشعب"* باللغة العربية، وهي التي امتنعت السلطات الفرنسية عن الترخيص لصدورهاوذلك على الرغم من المساعي العديدة التي قام بها في المغرب وفي فرنسا للحصول على رخصة الصدور، مما جعل الجريدة تصدر كل أسبوع بشكل غير قانوني لكن بانتظام. وبقيت الجريدة على هذا الحال حتى خلال فترات المقاومة رغم الاضطهاد الذي كان يلاحق موزعيها، ورغم حجز جهازها التقني. واستمرت في الصدور إلى سنة 1960 عندما قامت السلطات بحل الحزب الشيوعي المغربي.

وفي سنة 1945 كان علي يعتة ضمن وفد قام بزيارة للديار الفرنسية بهدف الاتصال بقوى اليسار الفرنسي قصد إقناعها بضرورة مساعدة الديمقراطيين المغاربة على إصدار يومية. إلا أن موقف هذه القوى كان سلبيا، إذ رفضت الاستجابة لهذا المسعى بما فيها الحزب الشيوعي الفرنسي الذي ادعى بأن الديمقراطيين المغاربة غير قادرين على القيام بعمل من هذا القبيل. وعاد الوفد المغربي خاوي الوفاض، لكنه شرع في تنفيذ المشروع اعتمادا على الإمكانيات الذاتية والوطنية. فنجح في المهمة، وصدرت يومية، *"المغربي الصغير"* *"Le petit marocain"* التي كانت تطبع في مطبعة مستوردة من الخارج، والتي ظلت تشتغل إلى أن تم تقديمها بالمجان إلى الاتحاد المغربي للشغل سنة 1956.

وفي شهر غشت من سنة 1946، وقع تحول جذري في التوجه العام للحزب الشيوعي المغربي، الذي نبذ بدون رجعة الأفكار الرجعية التي كان يحملها بعض الفرنسيين، وتبني خطة واضحة، ترتكز على التحرير الوطني كهدف أساسي للحزب وللبلاد، وقد لعب علي يعتة بصحبة رفاق له دوراً حاسماً في هذا التحول. وهذا ما لاحظه صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس الذي أبى إلا أن يستقبل علي يعتة بمعية وفد من قيادة الحزب في قصره العامر بالرباط في شهر شتنبر 1946، رغم الاعتراض الشديد للإقامة العامة. وقد قدم علي يعتة لملك البلاد ومحررها، طيب الله ثراه، برنامج الحزب المصادق عليه من قبل اللجنة المركزية للحزب والذي كان يرتكز على الاستقلال الوطني، والوحدة الترابية والمؤسسات الديمقراطية والإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وفي السنة التالية، مُنع علي يعتة من المساهمة في الاحتفالات التي نظمت بطنجة، برئاسة المرحوم محمد الخامس، والتي ألقى خلالها خطابه التاريخي. وكان السبب في هذا المنع هو فضح علي يعتة وحزبه للاستفزازات التي قام بها الجيش الفرنسي ومرتزقته بالدار البيضاء، والتي راح ضحيتها عشرات المواطنين من جرحى وقتلى. وفي نفس السنة، تعرض علي يعتة لمضايقات عديدة من السلطات الفرنسية، تجلت في طرده من قصبة تادلة، وآسفي، وجهات أخرى أثناء ترؤسه لتجمعات جماهيرية ضخمة خاصة في جمعة سحيم، رفعت خلالها عفويا شعارات تنادي بالكفاح المسلح ضد الاستعمار. وفي أبريل من سنة 1948، طرد علي يعتة من جرادة ووجدة، وهو يقوم فيها ببحث صحفي حول الاستفزازت التي نظمتها السلطات الفرنسية، فمات بفعلها عدد من المواطنين اليهود.

وفي شهر ماي من نفس السنة، قرر الجنرال جوان، المقيم العام الفرنسي بالرباط، نفي علي يعتة من المغرب، بحجة أن بقاءه به ونشاطه يخلان بالأمن العام، وصادقت الحكومة الفرنسية على هذا القرار الجائر. وأعطيت الأوامر للشرطة الفرنسية لإلقاء القبض عليه، ومحاصرة البيت الذي كان مجتمعا فيه مع المكتب السياسي بحي المعاريف بالدار البيضاء، إلا أنه تمكن من الفرار، مما اضطره إلى اللجوء إلى السرية قصد متابعة الكفاح، من ماي 1948 إلى يونيه 1950.

وخلال عامين، ظلت الشرطة الفرنسية تبحث عن المحل الذي يختفي فيه، وتضغط على أفراد عائلته حتى يدلوها عليه، لكن مساعيها في العثور عليه لم تتحقق إلا في شهر يونيه 1950، حيث تمكن البوليس من إلقاء القبض عليه، خلال اجتماع حزبي بحي المعاريف بالدار البيضاء، فقاموا فوراً بطرده خارج المغرب. لكن لم يمض شهر واحد حتى عاد سرّاً عبر الحدود الجزائرية المغربية مرتديا جلبابا وعمامة، وأخذ القطار من محطة وجدة، إلا أنه رغم كل الحذر والاحتياطات التي اتخذها، فقد كان في القطار عميل مغربي يعمل مع الشرطة الفرنسية، تعرف عليه، وأخبر بذلك المسؤول الفرنسي الذي كان يحرس القطار. فألقي القبض عليه في محطة سيدي يحيى الغرب، وسلم إلى الشرطة بالدار البيضاء، قبل أن يزج به في سجن، "غبيلة" بنفس المدينة. وقدم إلى المحكمة بتهمة "خرق قرار نفي" وحكم عليه ابتدائيا بسنتين، وفي الاستئناف بعشرة أشهر سجنا نافذة قضى ستة منها بسجن "غبيلة" بالدارالبيضاء، وأربعة بسجن لعلو بالرباط. وما أن أفرج عنه في أبريل 1951 حت تم نفيه من جديد إلى فرنسا، غير أنه عاد مرة أخرى، إلى البلاد، ومكث بها في سرية تامة، إلى شهر غشت 1952 وهو التاريخ الذي كلفه فيه الحزب بالقيام بمهمتين في الخارج :

- أولهما تمثيل الحزب في المؤتمر 19 للحزب الشيوعي السوفياتي وهو أول مؤتمر لهذا الحزب بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وآخر مؤتمر ترأسه ستالين.

- وثانيهما القيام برحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية للتعريف بالقضية المغربية المطروحة لأول مرة على هيئة الأمم المتحدة.

فخرج علي يعتة سراً من المغرب، وحصل على أوراق هوية مخالفة لهويته الحقيقية، لكن الشرطة الفرنسية بالعاصمة الجزائرية تعرفت عليه، وألقت عليه القبض وأودعته بسجن "باب عروج" حيث وجهت له، انطلاقا من الدار البيضاء، تهمة "عدم الاعتراف بحقوق الجمهورية الفرنسية على المغرب".

وبعد شهرين، تلقى علي يعتة انطلاقا من باريس تهمتين جديدتين أولاهما "المس بأمن الدولة الخارجي والخيانة" وهما تهمتان يعاقب عليهما القانون الفرنسي بالأشغال الشاقة المؤبدة أو بالإعدام. وإثر ذلك، نقل من السجن الجزائري إلى سجن "ليبوميت Le Baumettes" "بمرسيليا" ثم إلى سجن عسكري بضواحي باريس، وهو سجن "فريسن Fresnes" وقدّم إلى المحكمة العسكرية بباريس التي قامت باستنطاقه والتحقيق معه. ومرت سنتان، حصل بعدهما على السراح المؤقت لكن أجبر على الإقامة المحروسة في قرية من مقاطعة "السين ومارن" "Seine et Marne".

ومكث علي يعتة بهذه الإقامة إلى أن حل المرحوم محمد الخامس بباريس عائدا من منفاه بمدغشقر حيث شرفه هو وصحبه، باستقبالهم "بسان جرمان آن لاي"، والثناء عليهم والدعاء لهم بالتوفيق في خدمة الوطن.

وبعد رجوع محمد الخامس فائزاً مظفراً إلى أرض الوطن، قرر علي يعتة العودة إلى بلاده، ولكن ما أن وطئت قدماه تراب الوطن، حتى اختطفته السلطات الفرنسية التي كانت لا تزال مسيطرة على الأوضاع، وطردته إلى فرنسا. وفي فبراير 1957 عاد مرة أخرى إلى المغرب، ولكن من جديد أبعد قهرا إلى فرنسا وكان الأمن الوطني آنذاك في أيادي مغربية مما أحدث سخطا وسط فئات واسعة من المواطنين.

وفي يونيه من عام 1958 التحق علي يعتة بمسقط رأسه، طنجة، حيث ألقي عليه القبض وتم اعتقاله وقدم للمحكمة الابتدائية بطنجة بتهمة خرق قرار نفي، لكن المحكمة برأت ساحته، ولم تعترف بمشروعية الإجراء الجائر الذي اتخذته السلطات الفرنسية سنة 1948. ورغم ذلك، وضع في الإقامة المحروسة بطنجة ولم يسمح له بالخروج منها صوب أنحاء أخرى من البلاد. واستمرت الوضعية على هذا الشكل إلى نهاية ديسمبر 1958 ، حيث تحرر من كل القيود، والتحق بعائلته ورفاقه بمدينة الدار البيضاء. لكن سنة من بعد أو أقل قررت الحكومة منع الحزب الشيوعي، ذلك المنع الذي أكدته محكمة الاستئناف سنة 1961 ملغية الحكم الابتدائي الذي سبق أن رفضه القرار الحكومي.

وتميزت سنة 1960 بحدثين هامين : أولهما إصدار كتاب تحت عنوان : "*موريطانيا إقليم مغربي أصيل*" والقيام بجولة في الخارج للدفاع عن وجهة نظر المغرب في هذه القضية التي طرحت على هيأة الأمم المتحدة، ولم يكن ينقص المغرب إلا صوت واحد لربحها عند عرضها أمام الجلسة العامة.

والحدث الثاني يتعلق بإصدار جريدة "المكافح" الأسبوعية التي تحمل علي يعتة مسؤولية توجيهها وإدارتها فعرفت نجاحا كبيراً رغم ضربات الرقابة والحجز. وكانت تصدر ملخصا لها بالفرنسية. وفي ماي 1964 تحولت إلى يومية صدر منها ثلاثة أعداد، حيث منعت بمرسوم اتخذه الوزير الأول، ونشر بالجريدة الرسمية.

وفي سنة 1962 كان علي يعتة من بين مؤسسي النقابة الوطنية للصحافة المغربية.

وصحبة رفيقيه عبد السلام بورقية وعبد الله العياشي ألقي القبض عليه سنة 1963 إثر حوادث الحدود بين المغرب والجزائر بتهمة "المس بالأمن الخارجي للبلاد"، لكن المحكمة العسكرية بالرباط أطلقت سراحهم بعد ثلاثة أشهر من السجن اعترافا منها بصحة مواقفهم الوطنية.

وفي سنة 1965 بعد منع جريدة "المكافح" أصدر علي يعتة جريدة "الكفاح الوطني" التي تابعت مسيرة سابقتها وعرفت تقدما ونجاحا لا يستهان بهما.

ومنذ منع الحزب، سنة 1959 ، تفرغت قيادة الحزب بما فيها علي يعتة للعمل من أجل الحفاظ على هياكل الحزب سريا، ولإعادة هيكلته وتدقيق ايديولوجية وأرضية سياسته. وهكذا اجتمع المؤتمر الثالث للحزب، في سرية تامة، في شهر يوليوز عام 1966 ، ودام ثلاثة أيام قدم خلالها علي يعتة تقريراً سياسياً باسم الديوان السياسي، تبناه المؤتمر بالإجماع وكان يقضي بالارتباط المتين بالواقع المغربي والانطلاق منه في كل الأعمال والتركيز على كل القضايا المغربية أولا وقبل كل شيء، والاعتماد على مبادئ الإسلام ومثله العليا مع الاحتفاظ بأفكار وأساليب تحليل الاشتراكية العلمية. كما قرر المؤتمر تغيير اسم الحزب وتعويضه بحزب التحرر والاشتراكية.

وفي سنة 1968 ، تم تأسيس حزب التحرر والاشتراكية، وانتخب علي يعتة أمينا عاما له. وفي سنة 1969 شارك علي يعتة على رأس وفد من الحزب في ندوة الأحزاب الشيوعية والعمالية العالمية بموسكو حيث طرح ودافع عن القضية الفلسطينية والعربية، لكن سرعان ما ألقي عليه القبض بتهمة تأسيس حزب محظور، وحكم عليه بعشرة أشهر سجنا نافذا كما تقرر منع حزب التحرر والاشتراكية. لكن رغم هذا المنع تابع الحزب مسيرته بكيفية سرية برئاسة علي يعتة وجابه القمع الذي سلط على عدد من أعضائه، إلى أن تم لقاء بين علي يعتة وصاحب الجلالة المغفور له الحسن الثاني خلال شهر سبتمبر 1972 أي بعد محاولتي الانقلاب اللتين عرفهما المغرب في يوليوز 1971 وغشت 1972. وإثر ذلك، أصدر علي يعتة يوم 24 نونبر 1972 جريدتين

أسبوعيتين واحدة منها باللغة العربية والأخرى باللغة الفرنسية، تحت عنوان : *"البيان"* اللتين تحولتا يوم 15 ماي 1975 ، إلى يوميتين تصدران بانتظام إلى حد الساعة، بالإضافة إلى أسبوعية ثقافية.

هذا ولابد من الإشارة إلى أن علي يعتة أصدر سنة 1972 ، كتابا باللغة الفرنسية، تحت عنوان : *"الصحراء الغربية المغربية"* وهو كتاب يتكون من 320 صفحة، وينقسم إلى قسمين : القسم الأول يتضمن دراسة صدرت حول الساقية الحمراء ووادي الذهب، ويبدو أنها أول دراسة صدرت في المغرب حول هذا الموضوع، والقسم الثاني يحتوي على مجموعة من الوثائق حررها علي يعتة وصدرت بإمضائه من سنة 1956 إلى سنة 1972.

في غشت 1974 تأسس حزب التقدم والاشتراكية، وانتخب الرفيق علي يعتة أمينا عاما له. في فبراير من 1975 وبعد شهر من ذلك قام بجولة رسمية في الدول الاشتراكية دفاعا عن القضية الصحراوية وقد استقبل من لدن رؤساء هذه الدول الصديقة، وساهم في دورة الأمم المتحدة خلال شهر نونبر 1974، ضمن الوفد المغربي الرسمي للدفاع عن مغربية صحرائنا الجنوبية الغربية وقام بمهمة رسمية لدى الرئيس الكوبي فيدال كاسترو في شهر أبريل 1975 . وبانطلاق المسيرة الشعبية إلى الصحراء في شهر نونبر 1975 كان علي يعتة في طليعة المساهمين فيها، ونال وسام المسيرة الخضراء، وفي نفس الإطار عاود خلال أبريل - ماي 1976 القيام بمهمة رسمية في شتنبر 1976 في مؤتمر كولومبو لدول عدم الانحياز.

وسنة 1977 ، تقدم علي يعتة للانتخابات التشريعية، وفاز في الدائرة الأولى بالدار البيضاء، أي المدينة القديمة. كما فاز في نفس الدائرة سنة 1984 وفاز أيضا في انتخابات 1993 . وقد تميّزعمله كنائب برلماني بنشاط كبير منقطع النظير في مختلف المجالات المرتبطة بالحياة التشريعية.

وفيما يلي بعض من أعماله خلال أدائه التشريعي :

- اقتراح رقم 10878 بتاريخ 29 / 10 / 1979 :
- اقتراح قانون يتعلق بتوسيع فوائد ظهائر 16 مارس 1959 إلى المواطنين العسكريين والمدنيين الذين استشهدوا نتيجة مشاركتهم المباشرة أو غير المباشرة في الدفاع عن الوحدة الترابية للبلاد وكذا لأراملهم وأسلافهم.
- اقتراح رقم 11706 بتاريخ 26 / 12 / 1979 :
- اقتراح قانون يتعلق بحماية الأطفال ووقاية الأحداث المأجورين.
- ملتمس رقم 11578 بتاريخ 20 / 12 / 1979 :
- ملتمس يتعلق بإلغاء الإجراءات القانونية المتخذة في حق كل من رجال التعليم ورجل الصحة.
- اقتراح رقم 12665 بتاريخ 2 / 5 / 1980 :
- اقتراح قانون حول نظام الأجور.
- ملتمس يومي إلى إطلاق سراح المعتقلين وعودة المنفيين سنة 1980.
- اقتراح رقم 13565 بتاريخ 17 / 7 / 1980 :
- اقتراح قانون يقضي بإصلاح النظام الجبائي المغربي.
- اقتراح رقم 1865 بتاريخ 23 / 7 / 1981 :
- اقتراح قانون يتعلق بالإصلاح الزراعي.
- ملتمس رقم 1621 بتاريخ 25 / 6 / 1981 :
- ملتمس حول الزيادة الأخيرة في أسعار المواد الغذائية.
- ملتمس رقم 851 بتاريخ 8 / 6 / 1982 :
- ملتمس حول كارثة الجفاف والتدابير الإلزامية التي يجب اتخاذها لمراجعة آثاره.
- ملتمس رقم 1583 بتاريخ 1 / 11 / 1984 :
- ملتمس يتعلق بالسماح للموظفين بمزاولة دراستهم الجامعية.
- ملتمس رقم 251 بتاريخ 17 / 1 / 1983 :
- ملتمس يتعلق بتجميد الأسعار ورفع الأجور.
- اقتراح رقم 1550 بتاريخ 23 / 12 / 1985 :
- اقتراح قانون إطار حول الأسعار والأجور.
- ملتمس رقم 1306 بتاريخ 29 / 9 / 1987 :
- ملتمس من أجل إنجاح الخطة الوطنية للتلقيح ...

في مجال الإعلام والصحافة، مارس علي يعتة، يوميا، مهنة الصحافي.

كتب آلاف المقالات والدراسات التي نشرت منذ سنة 1944 إلى يومنا هذا في الصحف الوطنية والأجنبية، دفاعا عن المصالح العليا للوطن وعن حقوق الشعب ومطالب الكادحين.

وكان آخر إصداراته، كتابه : *من وراء القضبان* (Luttes derrière les barreaux) ، ضمن سلسلة كان ينوي نشرها، والذي يروي فيه النضالات التي خاضها هو وحزبه ضد الاستعمار.

إجمالا، يمكن القول بأن المرحوم علي يعتة ترك تراثا حيا وكثيفا، وهو رسالة ملقاة على عاتق "مؤسسة علي يعتة" التي قرر رفاقه في حزب التقدم والاشتراكية تأسيسها لتسهر على نشره والتعريف به.

توفي يوم 26 غشت 1997 بالدار البيضاء إثر حادثة سير.

علي الإدريسي

**يعقوب** (مولاي -)، يقع مركز حامة مولاي يعقوب في أقصى جنوب بلاد شراكة - لمطة، الموافقة لمجال امتداد تلال مقدمة الريف الجنوبية. اقترن اسم هذه الحامة بأقدم محطة حرارية، كبريتية مغربية على الإطلاق، وتقع ضمن مجال جهة فاس - بولمان، شمال غرب مدينة فاس على بعد حوالي 21 كلم، حيث تحتل تبعا لمخطط التهيئة الجديد، مساحة تناهز 300 هكتار. تنتمي الحامة لمجال الجماعة القروية سبع رواضي، التي تحدها غربا الجماعة القروية واد ميكس، هذا في الوقت الذي أصبح فيه مركز حامة مولاي يعقوب، يمثل

بلدية بعد انتمائه إداريا تبعا للتقسيم الجهوي المطبق منذ سنة 1996 إلى عمالة زواغة - مولاي يعقوب، التابعة لولاية فاس الكبرى، وتضمن الطريق الثانوية رقم 308 الربط بينهما.

مناخ المحطة قاري تتراوح حرارته حسب الفصول بين أقل من 1° شتاء و42° صيفا، مقابل تساقطات لا يتعدى معدلها في السنوات العادية 400 مم.

يتشكل موقع الحامة من الوجهة البنيوية في طبوغرافية صلصالية، يمثل تل للاشافية أعلاها ارتفاعا بما يقارب 300 م، يجسد مجال طية محدبية انكسارية عميقة تحت الصلصال الطرطوني من جهة، ومجال اتصال غير عادي من جهة أخرى، بين البنية الزاحفة لفرشات مقدمة الريف النبوجينية، السابقة للغمر الميسيني في الشمال، والبنية الراسخة "Autochtones" البليورباعية لهضاب سايس - فاس الكلس - بحيرية في الجنوب. يفسر هذا الوضع المورفوبنيوي، انبثاق العيون الكبريتية الحرارية التي تشتهر بها الحامة. عيون مصدرها فرشات مائية جوفية، عميقة بحوالي 1200 م، ذات صبيب معدله 8 ل / ثا، تبلغ حرارتها عند السطح 53°. عيون غنية بالمعادن، ومع ذلك فإنها تبقى محايدة.

بفضل هذه المياه ومنذ مدة طويلة، اكتسب مركز مولاي يعقوب شهرته الوطنية بل الدولية أيضا. لكن هذه المياه ظلت تستغل بطرق تقليدية حتى سنة 1968، والتي انطلقت خلالها عملية استثمار متطورة من طرف شركة Sothermy، وذلك بتشييد مركز حراري طبي، يحتوي على قاعة لعلاجORL وعيادات متخصصة في أمراض الروماتيزم والمفاصل U.K.S إضافة لى مسابح بسيطة لعلاج الأمراض الجلدية مثل الجدري، والتي كان أغلب المستحمين سابقا، يقبلون على مولاي يعقوب من أجل التعافي منها.

ومن أجل تحقيق تجهيز أنسب واستغلال أحسن لمياه الحامة، تم في سنة 1979 تعويض الشركة الأولى بالشركة الحرارية الطبية لمولاي يعقوب (Société Thermo-Médicale de Moulay Yakoub)، التي أنشأت بهدف تسيير المنشآت الحرارية الموجودة، وإنجاز برنامج كبير ومهم يشمل فندقا من ثلاثة نجوم، يحتوي على 60 غرفة و120 سريرا، إضافة إلى جناح يضم 60 غرفة من الصنف المتوسط، تسع 280 سريرا، هذا إلى جانب بناء منشأة حرارية من الطراز العالمي عند قدم تل للاشافية شمالا، تبلغ مساحتها الإجمالية 6.250 م2. وذلك بهدف ضمان علاج ما يفوق 800.000 زائر في السنة. ولاسيما بعدما تم تحديث المسابح الموجودة سابقا، لتصبح حامة مؤهلة لاستقبال أزيد من مليوني زائر في السنة، وفعلا تمكنت الحامة سنة 1980 من استقبال 142.028 زائرا، وإن كان أغلبهم يفضل الاستحمام في المسابح التقليدية العادية، نظرا لرخص ثمن الاستحمام فيها.

وقد ترتّب عن هذه الطفرة في منشآت حامة مولاي يعقوب وارتقائها إلى مستوى بلدية، ضمن عمالة زواغة مولاي يعقوب، وتوفرها على تجهيزات خدماتية سياحية فندقية، تجارية عصرية ثم إدارية وتعليمية، حدوث تطور ديموغرافي كبير في ساكنة الحامة، التي بلغت في السنوات الأخيرة 2.726 . ساكنة تتضاعف 200 ٪ بفعل إقبال المستحمين في فترات العطل، بما في ذلك عطلة فصل الصيف، خصوصا وأن سنوات الجفاف التي عرفها المغرب خلال العقدين الأخيرين من القرن الفارط، دفعت بالعديد من سكان القبائل المجاورة الأكثر تضررا، إلى الاستقرار بمولاي يعقوب قصد الاستفادة من خدماته الإدارية ومن فرص العمل، التي ارتبطت ببناء المركب الطبي العصري، بهدف رفع جودة ونوعية الخدمات المقدمة للمستحمين المغاربة والأجانب على السواء. بحيث أضحت الحامة قبلتهم الرئيسية، طلبا للتداوي من أغلب أنواع الأمراض الجلدية، وتلك المتعلقة بأمراض الروماتيزم والمفاصل. الشيء الذي أدى إلى حدوث تحول جوهري في نسيج البلدية العمراني، أخذ يتحول من سكن قروي بسيط إلى معمار عصري، أنشئ أغلبه لخدمة المستحمين.

محمد الطيلسان، *كتلة زرهون وهوامشها الشمالية الشرقية، شمال سايس فاس - مكناس، دراسة جيومرفلوجية*، د.د.ع كلية الآداب، الرباط، 1986 ؛ *التطور الجيومرفلوجي المعكوس لتضاريس الهوامش الشمالية لسايس فاس منذ الحقبة الفيلافرانشية*، مجلة المصباحية، ع. 2، كلية الآداب فاس سايس، 1996 ؛ *هضاب زعير السفلى الغربية وساحلها، التكونات السطحية وتطور الوسط الطبيعي منذ النيوجين*، أطروحة دكتوراه الدولة، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، الرباط، 1999.

C.D.R.D., *Etude démographique : situation et perspectives démographiques du Maroc.* Secrétariat d'Etat à la population, Royaume du Maroc, 1997 ; Ministère d'Economie, des Finances, de la Privatisation et du Tourisme, *Le tourisme au Maroc en 2001*, Département du tourisme, Direction de la planification ; *Monographie du pachalik de Moulay Yacoub*, Ministre de l'Intérieur, Wilayae Fès, 1990 ; *Plan de Développement Economique et Social 2000-2004, Vol. 2*, Le développement sectoriel, 3ème partie, l'infrastructure économique. Ministère de la Prévision Economique et du Plan, Direction de la programmation ; *SDAU, Rapport justificatif*, Ministère de l'Intérieur, Royaume du Maroc, Nov. 1991 ; *SNAT, Bilan - Diagnostic - Actualisation des données*, phase III, dernière version, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Urbanisation, de l'Habitat et de l'Environnement. Royaume du Maroc, 2001 ; J.F. Troin, *Maroc : régions, pays, territoire.* Ed. Tarik, Maisonneuve et Larose, 502 p., 2002.

محمد الطيلسان

**يعقوب** (ابن -) **عبد الحق المريني**، بن محيو بن أبي بكر المريني، يلقب بالمنصور بالله، أمه أم اليمن بنت علي البطيوي الزناتي. ولد سنة 607 / 1210 . كان صواما قواما كريما حسن السيرة. بويع له بالخلافة بمدينة فاس بعد وفاة أخيه أبي بكر، وذلك في 29 رجب عام 656 / 1258. دخل مدينة مراكش وقضى على دولة الموحدين، وملك كافة مدن المغرب، ما بين طنجة وسجلماسة إلى وجدة، إضافة إلى عدد من المدن الأندلسية. وفي سنة 666 / 1267 عزم على منازلة أمير تلمسان، فكانت واقعة تلاغ التي انهزم فيها يغمراسن وقتل أكبر أولاده وولي عهده عمر.

وفي نصف رجب من سنة 670 / 16 فبراير 1272 كانت واقعة إسلي بين يعقوب بن عبد الحق ويغموراسن بن زيان، بوادي إسلي على مشارف وجدة، فانهزم يغموراسن وقتل ولده أبو فارس، فهرب باتجاه تلمسان، ولحقه عبد الحق المريني. فلما وصل وجدة وقف عليها حتى هدمت نهائيا وخربها، "وجعل عاليها سافلها، وتركها قاعا صفصفا... ولم يبق لها أثر".

توفي يعقوب المريني بالجزيرة الخضراء يوم الثلاثاء 22 محرم عام 685 / 1286 فحمل إلى رباط الفتح ودفن بمسجد شالة.

ابن أبي زرع، *الأنيس*، ص. 297 ـ 374 ؛ مارية دادي، *تاريخ مدينة وجدة* ، أطروحة مرقونة بخزانة كلية الآداب بوجدة، 2002، ج 2، ص. 344.

مارية دادي

**اليعقوبي، أحمد** بن ا**لمحفوظ** الأدوزي ولد بقرية أدوز سنة 1331 / 1913 وتعلم القرآن على مجموعة من المعلمين فحفظه بعدة روايات، ثم انتقل إلى دراسة العلوم العربية والدراسات الإسلامية، في مدرسة الأخصاص وكان الوقت وقت مجاعة سنة 1347 ثم عاد إلى مدرسة أدوز لدى والده، وقد ألم بجميع العلوم التي تدرس.

ولما تولى أخوه سيدي عيسى القضاء في المحكمة العرفية في عهد الحماية. كان ينوب عنه في التدريس بمحكمة الاخصاص. ثم غادر المدرسة طلبا للدراسة بمدينة فاس ومنها إلى مدينة وهران بالجزائر ثم إلى مدينة تونس آخيراً وذلك حوالي سنة 1358 / 1939 حيث وصل تونس بإغراء من بعض الطلبة، وكان يحضر الدروس في جامعة الزيتونة ولما كانت الفترة فترة الحرب العالمية الثانية. انتشرت حالة الطوارئ وامتدت الحرب إلى تونس عند وصول الحلفاء إليها سنة 1942 فكان سفره إلى تونس مشؤوماً حيث بقي بها سنتين عاد بعدها إلى الوطن فلم يتابع الدراسة ولم يشتغل بمهمة واكتفى بعمل زهيد بسبب الاستعمار. فنزل بفاس ثم مراكش ووصل إلى بلاده حيث تولى المشارطة إماماً ومدرساً في مسجد سيدي أحمد أوموسى بتازروالت سنة 1946 وتزوج سنة 1368 / 1948 وكانت الأزمة المغربية على أشدها خاصة بعد نفي السلطان محمد الخامس، ولما استقل المغرب ورجع محمد الخامس. كان اليعقوبي سيدي أحمد ضمن وفد جمعية علماء سوس الدين قدموا لتهنئته بالسلامة والعودة مظفراً.

بعد ذلك حضر أول مؤتمر لجمعية علماء سوس بتارودانت سنة 1956 ، فوقع تعيينه ضمن هيئة التدريس بالمعهد الإسلامي الذي أنشئ حديثاً، بتارودانت فقبل الالتحاق براتب من الجمعية وفي سنة 1957 تقدم لاجتياز الشهادة العالمية بالرباط مع جمع من العلماء فحصل عليها، وتم توظيفه بالمعهد كأستاذ للغة العربية والدراسات الإسلامية وتخرج على يده العديد من الطلبة.

وبعد اثنتي عشرة سنة من التعليم تقدم في سنة 1968 بطلب لمنصب القضاء بوزارة العدل وتم قبوله لمؤهلاته، ولكنه عدل عن الفكرة بعد الاستشارة. واستمر إلى أن حصل على التقاعد، فأسس سنة 1973 "المدرسة الجشتيمية" بمدينة تارودانت لاستقطاب تلاميذ المدارس العتيقة وإلحاقهم بالتعليم العصري وكان مديراً لها بين سنوات 1982 ـ 1983، فخلفه الأستاذ أحمد شاعري الزيتوني، ثم تولى الدراسة في مدرسة أدوز زمناً، التزم التصوف وهو دائم الذكر، وقد حفر قبره قبل وفاته بمدة.

كان مخلصاً في جميع دروسه محبا لطلابه، وقد ترك من الآثار المكتوبة مجموعة من الدروس النموذجية في مادة اللغة والنحو والفقه والتفسير، كما ترك جانبا من تراجم أسرته بما فيها ترجمته مذّيلا بها كتاب : "أنساب اليعقوبيين"، وله مجموعة من الأشعار.

توفي في عاشر رمضان 1412 / الموافق 26 مارس 1991.

عمر أفا

**اليعقوبي، أحمد** بن **مَحمد** ، أحد رموز حركة التصوف وأقواها نفوذا وتجذرا في المخيال الاجتماعي والرمزي الجماعي لساكنة أوطاط الحاج بحوض ملوية الأوسط. يعود تاريخ نشأته حسب ما تشير إلى ذلك الحافظة الشعبية المحلية إلى القرن العاشر (16 ). تلقى مبادئ التصوف وتدرج في مدارجه تكوينا وسلوكا وطريقة على يد الشيخ القطب أحمد بن يوسف الراشدي الملياني بالمغرب الأوسط رفقة سيدي يعقوب بن عبد الواحد دفين قرية ارشيدة وأحد أعلام ذاكرتها الروحية الجماعية. أسس زاويته لدى عودته بموضع يدعى "مسكي" الواقع في بلدة عيوش على ضفاف نهر ملوية، وهو موقع بقدر ما يشبع الحاجة إلى الماء ضمن مجال بيئي شبه جاف لا تتحقق فيه مثل هذه الإمكانية إلا نادرا، يمثل نقطة وسطى تلامس مجالين جغرافيين متباينين إثنيا وثقافيا هما مجال المجموعة الأمازيغية في الجبل والمجموعة العربية في المنبسط.

قامت زاوية سيدي أحمد اليعقوبي منذ تأسيسها بمهام ووظائف غاية في الأهمية تجاوزت دائرة استقطابها أحيانا النطاق المحلي لتشمل امتدادات جغرافية أوسع أفقا. فإلى جانب قيامها بمهمة تحفيظ القرآن الكريم والوعظ والإرشاد الديني والروحي وفق قواعد وتعاليم الإسلام السني، نهضت أيضا بوظيفة التحكيم في النزاعات والخصومات التي كانت تقع بين الأفراد والجماعات حول قضايا الأراضي الزراعية والمراعي الجماعية وحدودها والمياه وتوزيعها والأحوال الشخصية وغيرها، وهي وظيفة استمر حفدة الشيخ سيدي أحمد اليعقوبي يقومون بها إلى عهد متأخر للغاية بحكم ما ظلوا يتمتعون به من قداسة روحية ونزعة مسالمة، ويتصفون به من حيادية اجتماعية ونزاهة أخلاقية. كما قامت الزاوية

أيضا بتوفير الحماية والأمن للسابلة وعابري الطريق خصوصا حينما كانت تشيع الفتن وتنفجر الصراعات بين القبائل المحلية في زمن المسغبة مثلا وذلك بوصفها حرما. هذا فضلا عن اضطلاعها بوظيفة إطعام الطعام ومعالجة بعض الأمراض كالجنون والعقم والجذري وغيرها. والجدير بالملاحظة في هذا السياق أن الزاوية اليعقوبية لم تنجح في القيام بهذه الوظائف والمهام إن كلا أو جزءاً سواء في علاقتها مع المحيط المحلي أو الخارجي إلا من خلال إنتاجها وتوظيفها على نطاق موسع لمفاهيم البركة والشرف والكرامة باعتبارها مفاهيم قدسية خُصّت لها وحدها شرعية احتكارها وحيازتها مادامت أصول نسبها تنحدر من آل البيت ومادامت علاقتها بالإسلام الشرعي علاقة متصلة على الدوام.

لذلك لم يكن من الغرابة في شيء أن تتسع أملاك الأسرة اليعقوبية وتتنوع موارد دخلها كما وكيفا سواء في مدشر مسكي موطن الزاوية الأصلي أو في منطقة العرجان التي أسس بها حفدة الشيخ سيدي أحمد اليعقوبي في فترة لاحقة فرعا آخر للزاوية. حيث استطاعت هذه الأسر وأعقابها عبر الزمن حيازة عقارات واسعة وامتلاك نوبات بكاملها من الماء وتكوين قطعان وافرة من المواشي، وهي ثروة اكتسبها شرفاء الزاوية من خلال هدايا "الخدمة" و"الفتوح" التي كانت تقدمها القبائل بانتظام عند انتهاء كل موسم فلاحي إضافة إلى الإكراميات والهبات المختلفة التي كانوا يحصلون عليها في بعض المناسبات الظرفية عند قضاء حاجة من الحاجات أو درء مفسدة من المفاسد، علاوة، طبعا، على امتيازات الإعفاء من الكلف والوظائف والتسخيرات المخزنية التي تخولها لهم ظهائر التوقير والاحترام يبعثها لهم المخزن المركزي ويتم تجديدها عند اعتلاء كل سلطان جديد دفة الحكم في البلاد.

وما من شك في أن هذه المشارب المادية على تنوع مصادر دخلها فضلا عن السلطة الروحية والرمزية التي ظل شرفاء الزاوية اليعقوبية يمتلكونها خلفا عن سلف قد سمحت لهم عبر سيرورة التاريخ المحلي باحتلال المكانة الأولى في السلم الاجتماعي المحلي بدون منازع، وهي مكانة كانت تستمد أسباب استمرارها وتجذرها زمانا ومكانا ليس فقط من القيمة الاعتبارية والمعنوية التي كانت تحظى بها رموز الزاوية في الوسط الاجتماعي المحلي ولكن من كثرة "الخدام والأتباع" الذين كانوا ينتشرون في أماكن وآفاق مختلفة تشمل على سبيل المثال لا الحصر كلا من أولاد البوكايس والطوال وأولاد جرار وأهل ركو وأولاد داود وأولاد خاوة وقبيلة الأحلاف وأهل أنجاد...إلخ.

ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، 1424 / 2003 ؛ م. الصغير الإفراني، *صفوة*، تقديم وتح. عبد المجيد خيالي، 1425 / 2004 ؛ المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، تح. وتعليق، عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد، ؛ *وثائق محلية* ؛ *مقابلات وتحريات ميدانية*.

الفقيه الإدريسي

**اليعقوبي، عيسى** بن **المحفوظ** الأدوزي، ولد أواخر سنة 1313 / 1896، أخذ القرآن بمدرسة أدوز وفي آيت همّان عن الفقيهين سيدي محمد أسوبير وسيدي محمد المشهور بـ : همُّو نْدبْريك حتى بلغ خمس عشرة سنة.

انتقل إلى مستوى تحصيل العلوم فبدأ لدى والده سيدي المحفوظ، ثم استزاد فأخذ عن ثلة من علماء عصره بالمدرسة الامسرائية الافرانية وانقطع عن التدريس سنة 1340 / 1922، وتزوج السيدة آمنة بنت الفقيه سيدي محمد بن مسعود المعذري سنة 1342 / 1924 وبعد عام المجاعة 1345/ 1927 شارط في مدرسة "ميرا" ثم ندبه والده للمشارطة في مدرسة "سيدي على بن سعيد" بالاخصاص بمؤازرة قائد هذه القبيلة المدنى الأخصاصي. سنة 1929 فالتف حوله عدد كبير من الطلبة، ولما كانت هذه السنوات سنوات جفاف خفض من عدد الطلبة، وأسعفه القائد في القيام ببغض النوزال فقصده الناس من كل جهة على الرغم من وجود عدد من العلماء المشهورين في الإفتاء في هذه الناحية، وقد استمر في هذه المدرسة أربع سنوات حتى توفي والده سيدي المحفوظ سنة 1351 / 1933 فاضطر إلى أن يتحول إلى مدرسة والده بأدوز للقيام بالتدريس وبالاهتمام بإخوته هناك، فقام بدور والده في إلقاء الدروس في جميع الفنون كما كان يقوم بالوعظ والإرشاد وتوجيه الناس والدعوة إلى مقاومة الاستعمار. وفي سنة 1934 اخترقت طلائع الجيش الفرنسي المحتل هذه الجبال الجزولية، فهاج لناس والتجأوا إلى العلماء وفيهم سيدي عيسى الذي كان يحضر تجمعات تقام لهذا العرض فالتف الناس حوله مما هيج سلطة الحماية في منطقة أنزي فأمره الحاكم الفرسى "دوناه Dounah" بمكتب أنزي أن يغادر المدرسة والخروج من البلد فالتحق من جديد بمدرسة سيدي علي بن سعيد بالاخصاص، وكانت أسرته تختزن بعض الأسلحة فألح الفرنسيون في طلبها. فوقع تسليم ما كان عند والده من السلاح.

وبإعانة من القائد الأخصاصي، عُيِّن عضواً في المحاكم العرفية لفضّ النزعات وقد أحرز على ثقة المخزن لحبه للإنصاف، فأقبلت عليه الدنيا ولم يزل على ذلك حتى غادر تلك الوظيفة بلطف.

وعاد إلى المدرسة الأدوزية في حدود 1379 / 1950 فكان من علماء سوس الكبار وهو متصوف مع تواضع كثير، وقد أقبل في وفد من العلماء إلى الرباط للسلام على السلطان محمد الخامس وتهنئته بالعودة من رحلته من المشرق سنة 1958.

توفي يوم السبت 12 رمضان 1384 / 15 يناير 1965.

محمد المختار السوسي، *المعسول*، ج 5، ص. 5 وما بعدها ؛ *خلال جزولة*، ج 2، ص. 43 ـ 93 ؛ محمد بن أحمد الحضيكي، *طبقات الحضيكي*، ج 2، تح. بومزگو ؛ عمر الساحلى، *المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العتيقة بسوس*، ج 3 ؛ *الرواية الشفوية*.

عمر أفا

**اليعكوبي**، القائد **محمد** بن عبد الله، أحد قواد العهد الحفيظي في السراغنة، ولد بفرقة أولاد يعقوب هناك عام 1870 ، وهو ينتمي إلى الشرفاء أولاد سيدي يعقوب المتعددين الذين ساهموا في إدخال الإسلام إلى المغرب الأقصى والأدنى، أسرته مخزنية قديمة، فقد كان جده رحال شيخا ، وكذلك والده عبد الله إلى أن توفي في العهد العزيزي.

اشتغل محمد هذا مع أخيه الفاطمي بعد وفاة والدهما وهما صغيران بالرعي وقراءة القرآن الكريم، فرحلا من أجل ذلك إلى فرقة الدزوز ثم إلى الحمادنة، حيث أصبح محمد طبالا في الجيش العزيزي وذلك على يد الآغا المولودي بن سلامة الحمداني، ثم مسيرا لأملاك هذا الأخير الذي توسم ألمعيته فأوكل إليه بناء داره بالحمادنة وتسيير مواشيه التي نمت على يده، إلا أنه لازدياد حظوته لديه ما لبث أن تضايق منه القائد الجيلالي بن المؤذن (1894 ـ 1907) الحمداني، فحدث بينهما ما أوجب سجنه من طرفه، مما جعل أخاه الفاطمي يتدخل لدى القائد المدني الأگلاوي لإطلاق سراحه.

لما بويع المولى عبد الحفيظ سلطانا بمراكش عام 1907، كان محمد اليعكوبي هذا من المؤيدين لهذه البيعة، ولنفوذه المتصاعد بالسراغنة، وحظوته لدى گلاوة، فقد تسلم ظهير التعيين قائداً على قسم من السراغنة مكان آل ابن المؤذن، وهذا عام 1325 / 1907 ، وتكونت إيالته من حواوصة السراغنة، أما فريق ساورة فأسند إلى رحال بن الگديدة ورحال بن بوشعيب الخيراوي.

كان محمد بن عبد الله كريما سخيا يجود على الضعفاء والمساكين، فكانت قصبته بالحمادنة لا تفرغ من الداخل والخارج والضيوف، ومن أعماله مساهماته الكبرى في استسقاء منطقة الحدرة الرعوية الشاسعة من بني مسكين، وإجراء الساقية البروطية من تساوت، وحدث أنه في عام 1911 استنجد به القائد الغافي الخلوفي المجاور ضد هجمات بربر الأطلس، فتوفي في أثناء ذلك.


الحسن شوقي، *قبيلة السراغنة خلال القرن التاسع عشر*، مرقون، ج. 1، ص. 338.

M. et Ed. Gouvion, *Kitab Aâyane al Maghrib al Aksa*, Paris, 1939, p. 400.


الحسن شوقي

**يعلى** بن **محمد** بن **صالح** اليفرني، تولى أمر بني يفرن بعد مهلك والده محمد بن صالح في الفتنة التي اشتدت بين بني يفرن ومغراوة حول زعامة زناتة بالمغرب الأوسط. دخل في طاعة بني مروان زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر، فعظم صيته ببلاد المغرب، وغزا باسمه المناوئين للدعوة المروانية من الأدارسة والعبيديين، فاحتل مدينة وهران سنة 343 / 954، وملك ما بين تاهرت وطنجة. وأمام محاولات التوسع المرواني في بلاد المغرب وما يمثله من تهديدات على النفوذ الشيعي في إفريقية، أرسل المعز لدين الله العبيدي جيوشة بقيادة القائد الشهير جوهر الصقلي إلى المغرب الأقصى سنة 347 / 958 لحرب أعدائه، فاتصل خبر الحملة بيعلى صاحب طنجة ونائب الخليفة الناصر على بلاد العدوة، فحشد جنده من بني يفرن وبعض قبائل زناتة والتقى بجيش جوهر على مقربة من مدينة تاهرت، وتمكن هذا الأخير من هزم بني يفرن وزناتة وقتل أميرهم يعلى وقطع رأسه الذي حمل إلى القيروان. وبعد مقتل يعلى سنة 347 تفرق أمر بني يفرن، وبعد مدة التأم ملكه على يد ولده يدو بن يعلى.

ينسب إلى يعلى اختطاط مدينة إيفكان من أحواز تلمسان سنة 338 / 949 في سفح جبل وانشريس.


ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن الخطيب، *أعمال الإعلام*، القسم الثالث، الدار البيضاء، 1964 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 7، بيروت، 2000 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، الرباط، 1934 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 1، الدار البيضاء، 1954.


رشيد السلامي

**يعيش** (آل يعيش)، يعود أصل أسرة يعيش إلى الساقية الحمراء. إذ هاجر جدهم "سيدي يعيش" منذ القرن السابع عشر واستقر بمنطقة الغرب. فأقام رباطا يدرس فيه العلم. وأطلق عليه رباط "أولاد يعيش" . فعظمت مكانة "أولاد يعيش" وسط قبائل بني احسن لدرجة أن أفراداً من الأسرة أصبحوا شيوخا بارزين في المنطقة.

كان أول اتصالهم بالمخزن في عهد المولى سليمان. الذي عيّن "الشيخ علال بن عبد القادر العايشي" قائدا للرحى. فاستقر بالبلاط السلطاني بمكناس، كما قاد الجيوش خلال كل الحركات التي قام بها هذا السلطان إلى مختلف جهات المغرب، فكان ذلك بداية لصعود وحظوة "آل يعيش" لدى المخزن، فأصبح الابن يخلف أباه في المنصب ولهذا أصبح يعيش يسمى "بن يعيش" وهكذا عين المولى عبد الرحمان أحد أبناء علال السابق الذكر، وهو الحاج محمد بن يعيش. قائداً للمشور داخل البلاد السلطاني، وأقره بعد ذلك سيدي محمد بن عبد الرحمان في هذا المنصب، وكذلك السلطان المولى الحسن إذ خدم ثلاثة ملوك، إلى أن أدركته الوفاة وسنه 95 عاماً، فخلفه ابنه إدريس بن يعيش في المنصب، وقد ترقى إلى أن أصبح من رجال الدولة المرموقين، إذ عينه السلطان المولى عبد العزيز عاملا على وجدة سنة 1895 لمواجهة الأطماع التوسعية الفرنسية انطلاقا من الجزائر، والإسبانية انطلاقا من مليلية. فأبان عن مؤهلات سياسية كبيرة، وقدرة على مناورة القوى الاستعمارية. وذلك لتأجيل الضربة القاضية. وإيقاف تحرشات الاستعمار الذي شرع في اقتضام أجزاء من التراب الوطني.

وفي هذا الصدد يقول العقيد فوانو Voinot "... لقد كان هذا الموظف المخزني السامي، مكلفا باستتباب الأمن، والمحافظة على هيبة المخزن في المغرب الشرقي. وأبان عن قدرة فائقة في تسيير شؤون المنطقة، وأقام حامية عسكرية

هامة، 400 عسكري من المشاة و80 من الخيالة وأمده المخزن بأربعة مدافع...".

كما قام في ظرف وجيز بتحصين وجدة بسور عظيم، ورغم لقائه بالحاكم العام للجزائر "جول كامبو" Jules Cambon، فإنه لم يتمكن من تغيير خطة الاستعمار الفرنسي، مما جعل قبائل بني يزناسن تعيش في انتفاضة مستمرة بعدما أدركت النوايا العدوانية للاستعمار. وهذا ما قلص من نفوذ العامل إدريس بن يعيش، فعزل سنة 1897، وعين خليفة للسلطان بتطوان وباشا للمدينة. وبعد وفاته تولى ابنه مصطفى بن يعيش مكانه خليفة للسلطان بتطوان. واستمرت أسرة آل يعيش في خدمة البلاط الملكي، بسبب الحنكة التي يدير بها أفرادها المناصب المخزنية السامية.

*الوثائق*، مجموعة وثائقية دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية، المجموعة 3 و4، المطبعة الملكية، الرباط 1977 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 9، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956.

Marthe et Edmond Gouvion, *Kitab Aayane al Marhrrib l'Akça, Livre des grands du Maroc*, Paul Geuthner, Paris, 1939 ; Docteur F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947, Ed. La Porte.

عبد القادر بوراس

**اليعيشي، محمد** بن **أحمد** المسكيني المراكشي، جمع في أخلاقه وصفاته بين الزهد والورع والنسك وبين الصدق والعدل والقناعة. أخذ العلم عن والده أحمد اليعيشي، ومن مجالس أهل العلم والفضل بمراكش ممن اشتهروا بسعة علمهم كالقاضي سيدي عبد القادر الحشمي ومولاي أحمد بوغربال وسيدي الحسن الفيلالي، كما أخذ القراءة عن الأستاذ سيدي محمد الجبلي والطريقة المختارية في التصوف عن الفقيه ابن دحو بأزمور، ثم حفظ قراءة البصري ودرس *الألفية والمقدمة* والفقه. وقد اجتمعت كل هذه الروافد والمشارب الفكرية والصوفية لتوجّه شخصية محمد بن أحمد اليعيشي لتترع فكرا وسلوكا نحو التصوف والانقباض عن الدنيا وهمومها ومفاتنها، لذلك فحينما اقتيد ذات يوم إل دار المخزن لاستجوابه عن أمر من الأمور الخاصة وسئل من طرف أحد الوزراء عما يعرف ؟ فقال : "أعرف لا إله إلا الله".

اشتغل محمد بن أحمد اليعيشي بالعدالة والتزم في مزاولتها بكل ما تقتضيه من نزاهة واستقامة وعدل، ولم يجعل منها سببا من أسباب العيش الرغيد أو الكسب الوفير، وإنما مصدرا لتحصيل ما يقتات به ويسد به مؤونة يومه. فقد كان يجلس بحانوته بسماط الطالعة في بعض الأحيان، فإذا حصل على قرش أو نحوه ينصرف لحال سبيله دونما اكتراث بالمال ولا بمفاخر الدنيا ومكاسبها.

توفي ليلة الجمعة 18 شوال عام 1318.

ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، ج 7، 130 - 131 ؛ م. عربوش، *من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال*، الكتاب الثاني، 1991، ص. 90 - 91.

الفقيه الإدريسي

**يفتاس** Iphtas هو والد الملك الموري أسكاليس Askalis الذي حكم بموريطانية بعد وفاة الملك بكوس الأول. انفرد بلوترخوس بذكره هو وابنه، بمناسبة تدخل القائد الروماني سرطوريوس Sertotius في موريطانية حوالي سنة 82 قبل الميلاد، حيث تحالف مع المورين الذين ثاروا ضد أسكاليس، على أن هذه الثورة أودت بحياة أسكاليس وإخوته، فقتلوا في مدينة طنجة.

لقد حاول گسيل المطابقة بين يفتاس وملك موري يدعى لبتاستا Leptasta. لكننا نستبعد هذا الرأي، نظرا لتباعد المدة التي حكم فيها هذا الأخير، والمدة التي عاش فيها يفتاس والد الملك أسكاليس. كما نستبعد أن يكون يفتاس قد حكم موريطانية نظرا لعدم توفر عملة تحمل اسمه، مثله في ذلك مثل ابنه الذي لم تسمح مدة حكمه القصيرة بإصدار عملة باسمه.

محمد مجدوب، أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة، *بحوث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1999، ع 2 ـ 3، ص. 61 ـ 82* ؛ نفسه، *مملكة المورين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق م*، فاس، مرقونة ؛ *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، المحمدية، مرقونة.

S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, t. 7, Paris, 1928 ; M. Majdoub, *Les luttes du début du 1er s. av. J-C au Nord de la Maurétanie*, dans Collection de l'Ecole Française de Rome, 166, p. 235-8, 1992 ; Idem, Pompeus Magnus et les rois maures, dans *Africa Romana, 12, 1231-8, 1998.*

محمد مجدوب

**يفرن** : إن أول ما يلفت انتباه المهتم بدراسة هذه المدينة المنتمية إلى الأطلس المتوسط الغربي، هي التقلبات التي لحقت اسمها من حقبة لأخرى من حيث شكل كتابتها التي تغيرت، فتارة تجدها على النحو التالي : "إيفران" أو"يفران" وتارة أخرى على شكل "يفرن" أو "إفران"، ولم يستقر الأمر في النهاية على "إفران" إلا سنة 1993 بعد صدور مرسوم وزاري بتاريخ 25 غشت لنفس السنة وهو الاسم الذي احتفظنا به في هذه الورقة. وكلمة إفران هاته كلمة من أصل أمازيغي وتعني المغارة أو الكهف.

تحتل هذه المدينة داخل الأطلس المتوسط موقعا جغرافيا منفتحا على التراب الوطني بفضل سهولة تضاريسه القليلة التقطع والمتمثلة في هضبة إفران الكلسية المنتصبة فوق ارتفاعات تفوق 1600 م، وتربطها بكبريات المدن الطريق الرئيسية الرابطة بين فاس التي تبعد عنها بـ 64 كلم ومراكش، مروراً من أزرو (16 كلم) وخنفيرة، والطريق المؤدية إلى مكناس التي تبعد عنها بحوالي 50 كلم، والطريق المؤدية إلى طنجة عبر سيدي قاسم. كما أنه موقع يتميز بمناخ جبلي وامتداد الغابات وكثرة العيون والضايات حين تغزر التساقطات (ضاية عوة، ضاية أحشلاف، ضاية أفنورير ...).

نشأت إفران في عهد الحماية الفرنسية وأخذت مكانها في موضع طبيعي قلما وجد نظيره في المغرب وحتى في شمال إفريقيا، يتميز بسحر الطبيعة وتنوع مشاهدها المكونة من غابات السنديان الظليلة وغابات شجر الأرز المهيبة (غابة البحر المطلة عليها من الجنوب وغابة زروقة شمالا وغابة أمان أوندلين شرقا) والمياه العذبة الرقراقة. فوادي "تيزكي" الذي يحمل كذلك اسم وادي إفران يمر من المدينة، وتجري مياهه المتدفقة الآتية من ذوبان الثلوج تارة هادئة وتارة صاخبة كالشلال تحت الأشجار العالية، تشق طريقها نحو زاوية إفران الواقعة في الشمال الغربي. كما أن العيون غزيرة وصافية: عين لا ليجو، عين زروقة، وأشهرها عين "فيتال" التي أطلق عليها هذا الاسم لما لمياهها من تقارب مع مياه "فيتال" الفرنسية (Vittel). ويتميز هذا الموضع طبغرافيا بارتفاعه فوق 1635 م فوق سطح البحر، تطل عليه شمالا وشرقا وجنوبا مجموعة من الكديات الصغيرة، تتراوح ارتفاعاتها بين 1661 و1775 م وتتخلله نتوءات صخرية كلسية تزيده تنوعا وجمالا.

وبفضل هذا الموقع الجغرافي المتميز، تعرف مدينة إفران مناخا جبليا رطبا شبيها بمناخ المناطق الجبلية الأوربية والفصول فيه متباينة. يسجل فصل الخريف بداية التغيير الفصلي، حيث تتراجع درجة الحرارة بصفة ملحوظة (°10 +) وتنزل الأمطار الأولى وترمي الأشجار النفضية بأوراقها بعد أن تشتعل ألوانها بين الأصفر والأحمر والبني، وتظهر عارية مع حلول فصل الشتاء. هنا، يستقر البرد القارس، وتنزل درجة الحرارة إلى أقل من الصفر، ويكثرالصقيع والجليد، وقد يشتد زمهرير هذا الفصل حينما تهب التيارات الهوائية القارية الشديدة البرودة الآتية من الشمال والشمال الشرقي لأوربا، وتنزل القياسات الحرارية الدنيا إلى درجات قصوى تصل إلى ° 0 ـ وأقل بكثير من ذلك (° 25 ـ شتاء 2004). وابتداء من فصل الربيع حتى نهاية فصل الصيف، يتلطف الجو، وتكون درجة الحرارة به معتدلة وممتعة(° 25 +)، ونادرا ما يعرف موجات الحر إلا حينما تهب رياح الشرقي الساخنة (° 40 +).

التساقطات في هذه المنطقة غزيرة ويصل معدلها إلى 1200 مم في السنوات العادية، غير أن السنوات الجافة والتي أصبحت متكررة تشهد أقل من هذا الحجم. ويشكل فصل الخريف وفصل الشتاء الفترة التي تستقبل أكبر حجم من التساقطات التي تبدأ في التراجع خلال الربيع، ونادرا ما تنزل في الشهور الأكثر حرارة، اللهم إلا إذا فاجأت بالرعد والبرق والبرد نهاية يوم حار. وتنزل معظم التساقطات عموما على شكل أمطار، وفي الفترة الواقعة بين نونبر ومارس على شكل ثلوج تكسو القمم والمنخفضات تزيد المشاهد روعة وسحرا. وهذا الموقع المتميز لم يكن أرض خلاء إلى أن جاء الاستعمار، بل عرف على بعد ثلاثة كيلومترات شمالا وجود زاوية إفران تدعى كذلك زاوية سيدي عبد السلام باسم الولي الصالح الشريف الذي استوطنها منذ عهد قديم.

ويمكن القول إنه ليس من باب الصدفة أن نشأت إفران المدينة الجديدة على يد المستعمر بهذا الموضع. فبحكم ما حبا الله هذا الوسط من جمال الطبيعة وسحرها، وما لهذا المكان من أوجه التشابه والتقارب بأوساط طبيعية جبلية فرنسية وأوربية تذكر المعمرين بديارهم المهجورة البعيدة، جعل السلطات العليا للحماية تعتني به منذ أن بسطت نفوذها على البلاد (1912). حيث لمست مدى أهمية هذه المؤهلات الطبيعية النادرة، ومدى إمكانية توظيفها إستراتيجيا في دعم النظام الاستعماري وتثبيت وجوده اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا بالمغرب، وهو الأمر الذي يتعلق بخلق ظروف استقرار المهاجرين الأوربيين به، وتوفيرهم على كل ظروف العيش القار، ومن ضمنها ظروف المتعة والراحة. وتنعم إفران ومحيطها بكل ظروف الاستمتاع بالهواء النقي واستكشاف ألوان الطبيعة عبر الفصول والتزحلق على الثلج والقنص الغابوي والصيد في مياه العيون والبحيرات، وذلك دون اللجوء إلى السفر الطويل الشاق في زمن كان يحسب للمسافات حسابها.

واعتباراً لهذه المعطيات كلها، قررت الإدارة المركزية للحماية تأسيس مركز اصطيافي متميز في المنطقة أطلق عليه اسم إفران، ومن أجل إعطاء الحدث وزنه الكامل حضرت مراسيم تدشينه زوجة المقيم العام لوسيان سان (Luci-en Saint) في شهر يوليوز 1929. لم يكن هذا المركز الجديد المنشأة الحضرية الوحيدة التي أسسها المستعمر بالمغرب، غير أن ما خصصه من اهتمام ورعاية وما رسمه وخطط له من برامج تهيئة كان متميزاً، وكان هدفه خلق مدينة اصطيافية جبلية بكل المعالم والمقومات الأوربية، من تنظيم للمجال وهندسة معمارية، مدينة محملة بالحنين، وقادرة على أن تبعد عن المعمرين الشعور بالغربة وهم في بلاد المهجر، وأن تحقق لهم الراحة والانسجام. واستجابة لهذه الأهداف وسعيا في تحقيقها، عملت السلطات العليا للحماية على تسخير كل الوسائل والمعدات الضرورية لإنجاز المشروع. وشرعت حينئذ بتحديد الدائرة الحضرية سنة 1932، وانكبت على تحديد المبادئ التعميرية الأساسية والتوجيهات المجالية والعمرانية الكبرى، وسارت على مواكبة جميع مراحل الإنجاز بدءا بعملية وضع المخططات الحضرية، حيث شهدت إفران وضع أول تصميم تهيئة سنة 1933. كما وضع تصميم تهيئة ثاني سنة 1947 لتغطية الحاجيات في التنظيم المجالي الحضري الذي ما فتئ يتسع سنة تلو الأخرى مع تزايد عدد المقيمين الذين ارتفع عددهم من سنة 1932 إلى سنة 1952 من 184 قاطنا إلى 694 قاطنا هذا بالإضافة إلى تزايد المصطافين. وشكل الحفاظ على الخضرة وروعة الموضع الطبيعي المبدأ الرئيسي في تنظيم المجال. واعتبارا لذلك فقد تأسست النواة الأولى على الضفة اليسرى لوادي تيزكي الذي منع البناء على هوامشه، وخصصت مجالات شاسعة للحدائق والمنتزهات التي زينت بأشجار الأرز والقسطل والصفصاف الأبيض

والزيزفون والصنوبر والتنوب والزهور كحديقة ساحة الأسد المشهورة والتي تحمل اسم السبع المنحوت على الصخرة وحديقة الأكمة (La butte) وحديقة المرجة الطبيعية (La prai-rie). وإلى جانب الثكنة العسكرية وبعض البيوت الخشبية التي أخذت مكانها بإفران منذ الإعلان عن تأسيسه، نظمت تجزئات عمومية خاصة بالفيلات تتراوح مساحتها بين 500 و600 م2، استفاد منها أساساً كبار أطر الحماية من موظفي الإدارة المركزية والمحلية مدنيين وعسكريين، ولم يكن للمغاربة حق فيها إلا في حالات استثنائية وهم الفئة المكونة من بعض أعيان المخزن، كما خصصت أماكن للمنشآت الإدارية والتجارية والسياحية والرياضية والثقافية، وانتظم الكل في إطار نسيج حضري هندسي الشكل متناسق الأطراف، تتخلله ساحات عمومية وأزقة واسعة ومرصفة تحف بها أشجار مختلفة، طبقت في تخطيطه وإعداده أحدث قواعد التعمير العصري الأوربي.

أما على مستوى العمران فقد حرصت الإدارة الحرص الشديد على تطبيق الأسلوب الأوربي في الهندسة المعمارية الخاصة بالأوساط الجبلية. وشيدت بنايات غريبة الشكل لا تتصل بوصل مع البناء المغربي لا الحضري ولا الريفي، بنايات ذات طابق أو طابقين، معظمها من الڤيلات المشيدة بحجارة الكلس التي تزخر بها المنطقة، تطل على الخارج بنوافذ وشرفات تزين الواجهات في تناسق وانسجام. السقوف متعارضة الميل ومغطاة بالقرميد خاصة الأحمر، وقليلا ما استعمل الأخضر، ويوحي شكلها المثلثي الحاد بالطابع الجبلي للبنايات التي تبدو ملائمة مع خصوصية مناخ إفران المعروف بأمطاره الغزيرة وفترات ثلجية متكررة. وإذا كان الهدف الأول من تعمير إفران هو خلق مصطاف يوفر الراحة والمتعة للمعمرين من خلال إنجازات عمرانية، سكنية وخدماتية، ذات الرونق الفائق والمستوى الرفيع، فإن الرغبة في إبهار المغاربة بمدى تفوق الحضارة الغربية على الحضارة المغربية من خلال أروع ما أنتجته في ميدان العمران، كان يشكل الهدف الثاني للمستعمر، باعتبار العمران أسلوبا وتصورا ورمزا من رموز القيم والمقومات التي تقوم عليها المجتمعات البشرية، وقد يشكل في ظروف الاستعمار والسيطرة وسيلة قوية لفرض الهيمنة الثقافية ومحو الهوية. وتعبيرا على هذه الإرادة فقد دفع الأمر بالمستعمر إلى إعطاء المكان عدة تسميات من وحي التراب الفرنسي: "شامونيكس المغرب" (Chamonex) "الصافوا العليا" (Haute Savoie)، "سويسرة الصغيرة"، "قطعة من ربوع فرنسا" (Petit cour de France)، تسميات غرّبت إفران عن أهاليها من بني مطير وغيرهم وأفقدتها هويتها.

وكانت الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي مرحلة بناء وتشييد أسرعت بإعداد منجزات ضخمة، من تعبيد الطرق وتهيئة الأرصفة وتشجير الحدائق والفضاءات العمومية، وبناء الكنيسة وفتح أبواب المدرسة الأوربية في وجه أبناء الساكنة الأجنبية ومدها بتجهيزات رياضية وثقافية وترفيهية من مستوى رفيع مثل المسبح البلدي وملعب للتنس والمكتبة العمومية والسينما وحتى الكازينو، هذا بالإضافة إلى المحلات التجارية والمطاعم والفنادق التي بدأت تأخذ مكانها مع تزايد عدد المصطافين (براسري فيليكس، فندق باليما، فندق الأرز، شامونيكس، الفندق الكبير)، وأندية الاصطياف الخاصة ببعض المؤسسات العمومية مثل المكتب الشريف للفوسفاط والمكتب الشريف للكهرباء وشركة التبغ والشبيبة والرياضة التي بدأت تتكاثر، وفتحت إمكانية التخييم في الهواء الطلق لمن يعشق ذلك. كما أن بداية الأربعينيات عرفت تشييد القصر الملكي على الضفة اليمنى لواد تيزكي والذي دشن من طرف المغفور له جلالة الملك محمد الخامس سنة 1941.

غير أن هذه المدينة الجديدة التي ظهرت في حلة غربية بكل معالمها الحضرية الرفيعة المستوى، تجاهلت المغاربة وهمشت وجودهم رغم أنهم يمثلون القسم الأوفر من ساكنتها، وهو ما أكدته نتائج الإحصاءين الرسميين اللذين قامت بهما الإدارة، وقراءة الجدول التالي تشير إلى ذلك بوضوح.

| السنة | المغاربة | الأجانب | المجموع |
|---|---|---|---|
| 1915 | - | - | - |
| 1936 | 910 | 184 | 1094 |
| 1952 | 1247 | 694 | 1941 |

هؤلاء المغاربة كلهم عناصر مهاجرة، معظمهم من القبائل المجاورة (بني مطير، بني مگيلد، آيت يوسي...)، استقروا هنا بحثا عن العمل وكسب لقمة العيش، بعدما تقهقرت أوضاعهم المادية والاجتماعية بسبب ضربة الاحتلال العسكري والاختلالات الناتجة عن بداية تغلغل النظام الاقتصادي الاستعماري في البلاد، واشتغل معظمهم في بناء الطرق والقناطر وتشييد السكن وتعبيد الأرصفة وتهيئة الحدائق، والبعض الآخر في الخدمات الصغرى مثل التجارة والحرف وغير ذلك من الأنشطة المقنعة. ولم يكن للساكنة المغربية الحق في الاستفادة من المنشآت الحضرية الكبرى التي ساهم الكثير منهم في بنائها وإنجازها كعمال ومستخدمين وحتى السجناء منهم، فلجأ معظمهم إلى الاستقرار بالسكن الهش المكون من البراريك بحي "تيمدقين" في غياب أدنى التجهيزات التحتية أو الاجتماعية وحتى الدينية، إذ لم يبن في إفران أول مسجد إلا غداة الاستقلال. والمنجزة الوحيدة التي عرفتها هذه المرحلة والتي نظمت لصالح السكان المغاربة هي ما سمي بالقرية المغربية، وهي عبارة عن تجزئة اقتصادية

عملت الإدارة على تدبيرها بعيدا عن الأحياء الأوربية الجميلة. ولم يستفد البعض من أبناء المغاربة من الدراسة إلا بعد فتح المدرسة الإسلامية.

وليس هذا هو الوجه الوحيد للطابع الاجتماعي التمييزي للمصطاف إبان فترة الحماية، فالتظاهرات الرياضية والثقافية المتمثلة في تنظيم مباريات كرة القدم والكرة الحديدية والسباحة والتزحلق على الثلج وحفلات تتويج مواسم القنص والصيد وغير ذلك من المناسبات واللقاءات التي كانت تقام به كانت من صنع الأوربيين وإليهم. فإذا شكلت مدينة إفران مفخرة المستعمر، حيث إنها أصبحت منتزها رائعا رفيع المستوى يقصده معمرون وزوار متميزون يتوافدون عليه برا وجوا (منذ أن بني المطار) من كبار أطر الحماية وموظفين سامين ودبلوماسيين وغيرهم، فإن هذه المنجزة الساحرة تنطوي على أبشع اختلالات مدينة استعمارية حاملة لكل رموز التناقض والتمييز والتحقير والإقصاء.

غير أن هذا المصطاف المحرم على المغاربة سرعان ما اهتزت به الأوضاع مع مطلع الخمسينيات التي سجلت تصعيد المقاومة الوطنية. ولم يعد المعمرون يشعرون بالأمان والاطمئنان، وبدأت حينئذ رحلة عودتهم إلى وطنهم بعد محاولة التخلص من ممتلكاتهم وبيعها إلى المغاربة الذين كانت لهم القدرة على ذلك من ذوي المال والنفوذ. ومع حلول عهد الاستقلال بدأ عهد جديد. فبعد الاضطراب الذي عاشته المدينة طيلة المرحلة الانتقالية التي دامت عقدين من الزمن من الخمسينيات والستينيات والتي شهدت هجرة المعمرين وفتح أبوابها للأهالي واستيطانهم بالأحياء التي كانت بالأمس محرمة عليهم، أصبحت إيفران تحظى برعاية سامية خاصة من طرف الملك الراحل الحسن الثاني. وهو الذي أولاها طيلة حياته اهتماما كبيرا وسهر على تتبع شؤونها مباشرة. فكان يقيم بها كثيرا ويقيم فيها اللقاءات الوطنية والدولية المتمثلة في الاستقبالات والندوات واللقاءات الرسمية. وإن القرارات الإدارية التي صدرت في شأنها والمؤسسة الجامعية المتميزة التي أنشأها بها لأحسن دليل وخير تعبير على الإرادة الملكية القوية في رد الاعتبار لهذه المدينة المغتربة. وهو ما ارتقى بها وطنيا ودوليا وأكسبها إشعاعاً سياسيا ودبلوماسيا وثقافيا.

وقد عرفت المدينة تعزيزاً لمكانتها الإدارية داخل التراب الوطني حيث أصبحت منذ السنوات الأولى للاستقلال باشوية ثم ارتقت في شهر شتنبر 1979 إلى عاصمة لإقليم، لتدير شؤونه متقدمة على جارتها أزرو التي تفوقها ديمغرافيا واقتصاديا وتبدو أكثر حيوية. ويوضح الجدول التالي أن ساكنتها لا تحتل داخل الإقليم إلا الرتبة الثانية بالمقارنة مع حجم سكان مدينة أزرو التي تشغل المرتبة الأولى والتي يمثل سكانها أربعة أضعاف سكان إفران.

تطور عدد سكان المراكز الحضرية لإقليم إفران

| السنة | أزرو | إفران | عين اللوح |
|---|---|---|---|
| 1960 | 14133 | 3260 | 3123 |
| 1971 | 20756 | 6014 | 3403 |
| 1982 | 31471 | 7701 | 4202 |
| 1994 | 40789 | 11197 | 10497 |
| 2004 | 47540 | 13074 | 10147 |

ويوضح الجدول أن وتيرة تزايد ساكنة إفران مرت بمرحلتين أساسيتين، مرحلة الستينيات التي سجلت نموا ديمغرافيا سريعا حيث تضاعف تقريبا بمرتين عدد السكان في مرحلة وجيزة، وهي السنوات التي عرفت حلول عهد الاستقلال ومغادرة معظم السكان الأوربيين (لم يعد عددهم يفوق 11 سنة 1982)، وقدوم عناصر من الحواضر وخاصة من الأرياف الذين استقروا من أجل تحسين وضعيتهم المادية وتحقيق ما كانوا يحلمون به من كرم العيش ورفاهية بعد خروج المعمرين. وإذا سجل إحصاء 2004 ارتفاعا ملحوظا لعدد الساكنة الأجنبية المقيمة بإفران (117)، فذلك راجع إلى جامعة الأخوين التي فتحت أبوابها في وجه الأطر المدرسة الآتية من بلدان أخرى.

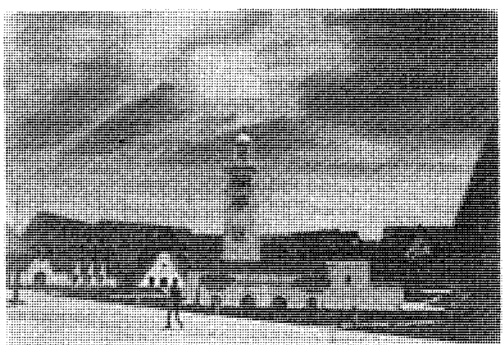

أما المرحلة الثانية فقد عرفت تراجعا لوتيرة التزايد السكاني، ومن المحتمل أن يكون السبب في ضعف إمكانيات التشغيل المتوفرة داخل المدينة والتي بقيت رغم تعزيز المصالح العمومية من إدارة ومصالح إقليمية بدءا من التعليم (ابتدائي وثانوي وجامعي) والصحة والأبناك وغيرها بحكم الارتقاء الذي نعمت به إفران، ورغم تعزيز شبكة الاستقبال السياحي بفنادق ومطاعم جديدة وتجارة وخدمات مختلفة، فقد بقيت هذه الإمكانيات محدودة ومتقلبة بتقلب الفصول. ويشكل فصل الصيف المرحلة الأكثر تشغيلا بسبب تضخم عدد السكان مع قدوم المصطافين، والأكثر فرصة لإيجاد عمل. أما الفترات الباردة فتعرف إفران فيها

انكماشا كبيرا وركودا اقتصاديا ملحوظا باستثناء أيام الثلج التي تشهد قدوم المتزحلقين الذين يتوافدون على محطتي ميشليفن وهبري الواقعتين على بعد 16 كلم في اتجاه الجنوب الشرقي. كما لا يخفى على أحد الدور الذي لعبته الإدارة في الحد من الهجرة ومن كل مظاهر التوسع الحضري السريع رغبة منها في الحفاظ على رونق رجمال المدينة وعلى أسلوبها المعماري الأوربي الموروث، ففرضت مراقبة كبيرة على المضاربة العقارية وعلى حركة البناء وشدت بذلك الخناق على المهاجرين الجدد. وتعثر النشاط في البناء لمدة طويلة. غير أن عقد التسعينيات شهد حركة عمرانية مهمة ناتجة عن تدخل مجموعة من المؤسسات شبه العمومية كالشركة العامة للإنعاش العقاري والمؤسسة الجهوية للبناء والتشييد والعديد من مؤسسات الأعمال الاجتماعية التابعة لمصالح عمومية وهو ما أعاد الحياة إلى قطاع البناء، فضلا عن الخواص وخاصة ذوي الدخل المحدود الذين استفادوا من تجزئات قامت الدولة بتهيئتها أو دعمتها من طرف مؤسسات دولية (بام). وظهرت أحياء جديدة مثل حي السلام، حي تيمدقين الجديد المشرف على عين فيتال وفي اتجاه الجنوب الغربي برز حي اقتصادي مكون من عمارات بنتها المؤسسة الجهوية للبناء، وحي ڤيلات مازال في طور التشييد امتد على الجانب الأيمن للطريق المؤدية إلى أزرو، وتعددت أندية الاصطياف العمومية أو التي ظهرت في إطار تعاونيات.

غير أن أهم منجزة سجلها تاريخ إفران الحديث هو القرار الملكي الصادر بتاريخ 20 شتنبر 1993 الذي تم بموجبه خلق مؤسسة جامعة الأخوين نسبة إلى منجزيها جلالة الملك الحسن الثاني وجلالة الملك فهد بن عبد العزيز والتي دشنت يوم 4 غشت 1994 وهي أول جامعة تستقبلها منطقة الأطلس المتوسط.

El Belghiti Alaoui Aïcha, *Urbanisation et domination du monde rural : l'exemple d'Azrou*, Thèse de doctorat de specialité, Décembre 1978, Toulouse; *Schéma directeur de Meknès, Etude régionale 1979,* M.H.U.T. ; *Recensement général de la population et de l'habitat du Maroc : 1960, 1971, 1982, 1994 et 2004* ; *Carte topographique d'Ifrane au 1/50.000* ; *Enquête de terrain.*

عائشة البلغيثي العلوي

**اليفرني، محمد بن عبد الله** من أهل مدينة فاس، وبها ولد سنة 569 / 1173 . أخذ عن علماء بلده، وبالخصوص عن أبي العباس الجراوي الشاعر، وأبي القاسم عبد الرحمن ابن الملجوم الفاسي، وأبي محمد التادلي. ثم رحل إلى الأندلس فروى أيضا عن عدد من علمائها، مثل أبي بكر بن آسية، وأبي بكر بن أبي حمزة، وأبي بكر بن أبي زمنين، وأبي جعفر بن مضاء وغيرهم. كان من الفقهاء الحفاظ، مهتما بالأدب والتواريخ، "حسن المحادثة ممتع المحاضرة، بهي المنظر، جميل الرداء، نظيف الملبس، سري الهمة". استوطن مدينة مراكش مدة ملازما للموحدين، وارتسم في هيئة طلبة الحضر التي جعلها عبد المؤمن أعلى هيئة علمية رسمية. ثم عينه الموحدون قاضيا بعدة مدن من الأندلس والمغرب، "فشكرت سيرته، واتسم بالعدالة والنزاهة والجزالة وإعداء المظلوم على الظالم". في إحدى تنقلاته إلى الأندلس أسره النصارى البرتغاليون في البحر، وحمل إلى الأشبونة، ثم افتكه المسلمون.

توفي بمدينة سبتة سنة 639 / 1241.

الرعيني، *برنامج شيوخ الرعيني*، تح. إبراهيم شبوح، دمشق، ص. 203 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ج 8، ص. 106 - 309 ، وهوامشه ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، ملحق بالذيل والتكملة، ج 8، ص. 564.

محمد المغراوي

**يليش** ، مرسى من المراسي المتوسطية التي اشتهرت في العصر الوسيط، يوجد غرب قلعة صنهاجة (كركال) بخمس كلمترات، كان من المرافئ التجارية في عهد إمارة نكور، حسب ما ورد عند أبي عبيد الله البكري. ويبدو أن وجود المرسى يعود إلى فترات قديمة، لما كانت تتمتع به مراسي البحر المتوسط من أنشطة تجارية قبل الفتح، وخاصة على عهد جوليان الغماري، بفضل تعاطي سكانه الصنهاجيين لذلك النشاط. وكان محسوبا على ما يبدو في العصر الوسيط على قلعة صنهاجة، فمنها يتزود بالحراسة ويخضع لأوامر قائدها، ونظن جازمين أن نشاطه ازداد بعد الفتح، لسيادة الأمن وتنامي النشاط التجاري بين مراسي الساحل، وخاصة مع مرسى المزمة في عهد إمارة نكور، باعتباره المركز التجاري الرئيسي بالمنطقة، فإليه كان التجار المحليون يتوجهون للتسوق، لتوفره على جميع البضائع المطلوبة من طرف السكان.

وبودنا إبراز الخصوصيات التي امتاز بها مرسى يليش، باعتباره يتكون من مجموعة من الجزر المرتبطة بالرصيف القاري، وقد تشكل المرسى في خليج صغير يحده رأس صخري متقدم في البحر من جهة الشرق، ورأس آخر يحتله ضريح المجاهد سيدي أحمد اليليشي من جهة الغرب، ويمتاز حاليا برماله الجميلة ومياهه الهادئة، تستثمره جماعة بني بوفراح التي أقامت فيه منشآت سياحية، وأنشئ بجواره جهة الغرب حاليا ميناء عصري يستقبل سفن صيد السمك. ورغم الخصائص الإيجابية التي تميز بها المرسى، فإننا لم نستطع من خلال المصادر الوسيطية تتبع نشاطه أثناء العهد المرابطي والموحدي والمريني، مع أننا متأكدون من ازدهار نشاطه التجاري، اعتمادا على شهادة الحسن الوزان ورديفه كربخال مارمول اللذين اعترفا بتطور نشاطه في تلك العصور، مما نتج عنه بناء مدينة صغيرة في هذا الموقع.

ومن الأخبار القليلة التي احتفظت بها المصادر عن هذا المرسى أهميته في عهد المرينيين، إذ كانت تطرقه سفن

القرصنة الإسبانية باستمرار لقربه من بادس، ولدينا مثال واحد عن هذه الظاهرة، أورده صاحب *صلحاء الريف* بمناسبة اقتراب سفينة قرصنية إسبانية بإحدى جزر يليش، فتحطمت على الصخور، كان على متنها أسرى مغاربة من بادس وغيرها، ولا شك أن السكان المحليين خاضوا حربا مع القراصنة وقبضوا عليهم قبل مجئ القوة من بادس. ويدل ذلك على ضعف الحراسة المغربية بهذا المرسى، مما أتاح لسفن القرصنة الإسبانية اقتحامه، وهي في طريقها إلى مدينة بادس أو عائدة منها. وتبين أيضا وجود مصنع لصناعة السفن وتشحيمها بالجزيرة تابع لإسبان، كل ذلك كان يعاكس مصالح السكان، الذين لم يكن بإمكانهم مواجهة ذلك الخطر البحري، مما جعلهم يتركون مساكنهم ويتقهقرون إلى الداخل.

إن الحسن الوزان ومارمول كربخال شاهدان على التدهور الذي انتهى إليه مرسى يليش في بداية القرن السادس عشر الميلادي، والمتمثل في وجود مدينة صغيرة مهجورة في تلك الفترة، وهذه نتيجة طبيعية للفعل القرصني الإسباني. غير أن رواية الوزان تطرح كثيرا من الأسئلة عن مصير تلك المدينة الصغيرة التي اختفت بصفة مطلقة، ولم يبق لها أثر يذكر. إذ لا يعرف وجود بقايا أثرية قرب الساحل في وقتنا الحالي. كما قدم المؤلفان صورة قاتمة عن أوضاع المرسى خلال هذه المرحلة، إذ كان شبه مهجور ولا يعمره سوى جماعة من صيادي السمك، المقيمين في أكواخ متواضعة على جانب البحر. وكان وجودهم بالمرسى محفوفا بالخطر، يهربون إلى الجبل العالي الذي تكسوه غابة من الصنوبر كلما اقتربت سفينة غريبة من الساحل. وعلينا أن نربط أوضاع هذا المرسى بما كان يجري ببادس طيلة هذا القرن، وخاصة بعد الاحتلال الإسباني سنة 1562 . كما أصبح من المراسي التي استقبلت الوافدين الأندلسيين خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وقد استفادت قرى صنهاجة المجاورة لمرسى يليش من هذه الهجرة، في تحسين مستوى المقاومة.

ومن جهة أخرى كان هذا المرسى معروفا لدى إسبان جزيرة بادس باسم يسلي إيريس Ysla Yris سنة 1791 ، منسوباً حسب المؤلف إلى قبيلة بنافراث Benafraz ونظنه تحريف لقبيلة بني بوفراح لوجوده داخل ترابها، وهو من هذا الجانب يحتل أهمية خاصة لحماية السفن من الرياح الشمالية أيام هيجان البحر، رغم ضعف عمقة أثناء الجزر إلى ذراعين.

أبو عبيد الله البكري، *المغرب في ذكر بلاد المغرب*، مكتبة المثنى، بغداد ؛ عبد الحق البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ الحسن بن محمد الوزان، *وصف إفريقيا*، تح. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، تر. محمد حجي وآخرون، 2 : 245.

Dora Bacaicoa Arnáiz, El Peñon de la Gomera en 1791, *Tamuda, Tetùan, 1955, p. 193* ; Paul Pascon et Herman van der Wusten, les beni Boufrah, Rabat, 1983, p. 61 ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du 16 siècle*, Alger, 1909, p. 243.

أحمد قدور

**اليملحي، أحمد** بن **المجاهد** قائد كان يرأس فرقة من المجاهدين من قبيلته الساحل، انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها مولاي أحمد الريسوني، وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة. بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913 . وعين الدالية يوم 11 من نفس الشهر حيث انتخب عضوا بالمجلس الاستشاري للمقاومة. وضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913. وقرية الزوة يوم 11 يناير 1915.

شارك في 3 معارك وكان من علماء قبيلته.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**اليمّ** (باب -) - بتشديد الياء -، اسم مدينة وواد يمر بالقرب منها. تقع المدينة بين طنجة وسبتة، وتنحصر بالضبط بين جبل المنارة غربا، ومرسى موسى شرقا. تبعد عن طنجة بنحو 30 ميلا في البر وبنصف مجرى في البحر. بينما يفصلها عن مرسى موسى 8 أميال فقط في البر يقابلها من الأندلس مرسى جزيرة طريف.

مرسى هذه المدينة تسمى باب اليم، وهو غير محمي، يوجد به سكنى ورباط. كما يخترقه واد يصب في البحر يعرف بوادي باب اليم عليه قرارات لقبيلة مصمودة. كانت للوادي أهمية تجارية تشكلت في الربط بين الساحل والداخل عن طريق المراكب التي كانت تلج الوادي.

*الاستبصار في عجائب الأمصار*، تح. سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985، ص. 138 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، تح. دوسلان، باريس، 1965، ص. 104 - 105.

زليخة بنرمضان

**يمني، أحمد** صاحب أول مطبعة سلكية (تبوغرافية) بفاس طبيب ومفكر سوري، رحل في منتصف سنة 1323 / 1905 من دمشق في اتجاه المغرب واستقر بمدينة فاس حيث أنشأ في نفس السنة مطبعة سلكية بحروف شرقية (تظهر خصوصاً من خلال كتابة حرفي الفاء والقاف). ويرى فوزي عبد الرزاق أن أحمد يمني هذا كان يعمل لحساب العثمانيين كعميد لهم بفاس، حيث أرسل من طرفهم قصد التأثير على التوجهات السياسية للبلاد، وللتأثير على الرأي العام المغربي بجعله يتبنى أهداف الجامعة الإسلامية - خصوصاً في هذا الظرف الدقيق من تاريخ المغرب - ودليله في ذلك العلاقات القوية التي كانت تربط يمني بزعماء الطريقة الكتانية، حيث لا تكاد تخلو مطبوعاته من أحد أسماء هؤلاء إما مؤلفاً أو مقرظاً. ولا شك أن أحمد يمني بنشره لكل من كتب ماء العينين وكتابات الكتانيين، وهي في معظمها ذات صبغة صوفية، كان يهدف إلى تكريس التوجهات العثمانية الرامية إلى نشر مبادئ الجامعة الإسلامية.

تمكنت مطبعة أحمد يمني من نشر تسعة عناوين ما بين سنتي 1906 و1908، جلها ذات طابع صوفي نذكر منها "*ثمار المزهر*" من نظم ماء العينين، نشر سنة 1324 / 1906، و"*المرافق على الموافق*" و"*منتخب التصوف*" لنفس المؤلف صدرا سنة 1325 / 1907، و"*السر الحقي الأمتاني*" لمحمد عبد الحي الكتاني، و"*معيار الاختيار*" للسان الدين بن الخطيب صدر أيضاً في نفس سنة 1325 / 1907. ورد في كناش 802 بالخزانة الحسنية أن التاجر برگاش كان يقوم بشراء حروف الطباعة والأوراق ولوازم المطبعة لحساب الطبيب أحمد يمني بفاس.

وفي أواخر سنة 1326 / 1908، اشترى السلطان مولاي عبد الحفيظ مطبعة أحمد يمني، ووظف صاحبها للعمل بها، وهي المطبعة التي أصبحت تعرف فيما بعد بالمطبعة المولوية.

*كناش 802* بالخزانة الحسنية، ص. 33 - 35 ؛ محمد المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، الرباط، 1393 / 1973، 2 : 464 ؛ عبد الرزاق فوزي، *مملكة الكتاب، تاريخ الطباعة في المغرب*، 1865 / 1912، الدار البيضاء، 1996 ؛ *مجلة المقتبس*، المجلد الثاني، ج 10، شوال 1325 / نوفمبر، 1907، ص. 547.

لطيفة الكندوز

**اليهود في المغرب**، يرتبط حضور الجماعات العبرية واليهودية في شمال إفريقيا بإنشاء الفينيقيين لمدينة قرطاج منذ ما يناهز ثمانية وعشرين قرنا. وتشير بعض المصادر التاريخية إلى لجوء عدد كبير من اليهود إلى شمال إفريقيا عقب هدم الهيكل الأول المنسوب إلى النبي سليمان عليه السلام سنة 586 قبل الميلاد. وتمركز الحضور اليهودي في تلك الفترة من تاريخ المغرب في منطقتيْ وليلي وشالة خصوصا، نظراً للنشاط الاقتصادي القائم هناك على تجارتي الذهب والملح. وكان لليهود نصيب كبير في ذلك الرواج التجاري.

وتميز حضوره في المغرب الذي أطلق عليه الرومان اسم موريطانيا بنشاط ديني مكثف خصوصا في منطقتي سوس ودرعة. وهو ما يفسر ما ذكره بعض المؤرخين من إقبال كثير من برابرة المغرب على اعتناق الديانة اليهودية. ولعل انتشار الديانة اليهودية هو الذي دفع الرومان إلى إصدار قرار يتم بموجبه اعتبار الديانة المسيحية هي الديانة الرسمية في موريطانيا آنذاك (المغرب حاليا). وفي القرن الخامس قبل الميلاد (430 ق. م تقريبا) هاجم الوندال المغرب. وبطرد الرومان عاد اليهود المغاربة لممارسة شعائرهم بكل حرية. ولما هاجم البيزنطيون المغرب سنة 533 ق. م عاقب الغزاة الجدد اليهود، نظرا لتحالفهم مع الوندال. وهكذا عادت الديانة المسيحية إلى المغرب باحتلال البيزنطيين له. واستمر هذا الحضور إلى غاية القرن السابع الميلادي الذي عرف بداية الفتوحات الإسلامية. ففي سنة 683 ميلادية كانت الطلائع الأولى لأولئك الفاتحين تدخل إلى المغرب قبل أن ينتقل قسم منهم إلى مضيق جبل طارق سنة 711 ميلادية.

ومع المولى إدريس الأول (788 - 792) تأسست الدعائم الأولى لحكم عربي إسلامي في البلاد. ومعه تم تحديد الوضعية الاجتماعية والدينية لليهود القاطنين فيها. فأصبحوا تحت ذمة الإسلام. وحينما تولى إدريس الثاني الحكم تحولت فاس إلى مركز إشعاع ثقافي بامتياز. وقد استفاد اليهود المغاربة كثيرا من ذلك. ففي فاس برزت الإرهاصات الأولى للنحو والشعر العبريين على يد الحاخام إسحق الفاسي، صاحب كتاب "*التلمود الصغير*" وواضع كثير من الفتاوى الفقهية. ويعتبر "*التلمود الصغير*" واحدا من الدعامات الفقهية الأساسية في التشريع الديني اليهودي. فالهالاخا (الشريعة اليهودية) تعتمد كليا على ثلاثة مصادر فقهية أساسية، هي : كتاب "*التلمود الصغير*" للحاخام إسحق الفاسي، و"*تثنية التوراة*" للفيلسوف موسى بن ميمون، و"*القرارت التشريعية*" للحاخام أشير بن يحيال. فهذا الثالوث الفقهي يوضح بجلاء مكانة الفقه اليهودي في الشريعة اليهودية منذ زمن الأدارسة. ويشير كثير من الباحثين إلى عادة درج عليها المثقفون اليهود في بلاد المغرب في عهد الأدارسة، وهي استعمال العربية الفصحى في تأليف إنتاجاتهم الفقهية والتشريعية وفي إصدارهم للفتاوى الدينية.

غير أن هذا الحرص على تعلم اللغة العربية واستعمالها لدى اليهود المغاربة تقلص كثيرا في عهد المرابطين والموحدين الذين قام حكمهم على ضرورة نشر الإسلام في البلاد، فتأزمت الأوضاع بهم في تلك الحقبة. لكن سرعان ما تحسنت في عهد المرينيين، وإن كانت بعض المصادر التاريخية تشير إلى مقتل السلطان عبد الحق المريني ووزيره الأكبر اليهودي أهارون بطاش سنة 1465. وتحاول ربط هذا الحادث بخرق اليهود لقانون جرى ترسيمه منذ عهد الأدارسة، وهو قانون "أهل الذمة" الذي يمنع اليهود المغاربة من مزاولة وظائف عمومية في سلك الدولة المغربية.

وفي زمن حكم محمد الشيخ الوطاسي (1472 ـ 1505) كان سقوط الأندلس، مما نتج عنه فرار أفواج غفيرة من المسلمين واليهود إلى بلاد المغرب. وقد أحسن الحاكم الوطاسي استقبالهم وأكرم ضيافتهم. ومنذ ذلك التاريخ أمكن الحديث عن اليهود المغاربة الأصليين (التوشابيم) أو (البلديين)، وعن اليهود القادمين من الأندلس (الميكوراشيم) أو (المهاجرين). وقد كان اللقاء والالتقاء بين الطائفتين اليهوديتين مناسبة لبروز جملة من العلاقات الأخوية المرتبطة بالدين المشترك، وكذلك العلاقات المتوترة نظرا للاختلاف الحاصل من الناحية الثقافية ودرجة الانفتاح، ومدى الخبرة والمهارة في صفوف اليهود المقيمين في المغرب أو أولئك المهاجرين إليه من بلاد الأندلس. لذلك فإن الحديث عن قلاقل واضطرابات حصلت لليهود في المغرب في فترات متقطعة ومتباعدة ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار طبيعة العلاقات المتوترة أحيانا بين هاتين الفئتين اليهوديتين.

ولما حكم السعديون كان هاجسهم الأكبر هو الوقوف بالمرصاد لأطماع الإسبان والبرتغاليين في تراب المغرب. وما يميز حكم السعديين هو تطوير المغرب لعلاقاته التجارية مع بعض البلدان الأوروبية التي لم تكن في حالة حرب معه مثل هولندا. وتشير كثير من المصادر إلى دور بعض كبار التجار اليهود المغاربة في توطيد العلاقات التجارية الخارجية للمغرب. ويتردد كثيرا في هذا المقام اسم العائلة اليهودية "بالاش". ويحتفظ اليهود المغاربة بذكرى طيبة جدا عن السعديين، خصوصا المولى عبد الملك الذي دحر البرتغال سنة 1578، وقضى على الملك "سيباستيان" في معركة الملوك الثلاثة الشهيرة. وكان ملك البرتغال يسعى إلى فرض الديانة الكاثوليكية على المغاربة، بمن فيهم اليهود. ولقد وضع انتصار المولى عبد الملك حدا لهذا المخطط التبشيري الرهيب. والطريف أن اليهود المغاربة احتفلوا بهذا الانتصار، وجعلوا منه عيدا خاصا يذكرهم بانتصار الإسلام على المسيحية.

ولما انهار حكم السعديين حاول بعض أنصار الزاوية الدلائية الإمساك بزمام الحكم. لكن قيام الدولة العلوية في تافيلالت حال دون ذلك. وتذكر كثير من المصادر التاريخية المكانة المتميزة التي كان يحظى بها اليهود المغاربة في عهد العلويين. فالمولى رشيد (1664 ـ 1672) كان لقبه "صديق اليهود". أما المولى إسماعيل فقد أحاط ديوان حكمه بكثير من اليهود المغاربة، مثل يوسف ميمران وموسى بن عطار. بل إن عددا ضخما من الأحبار والحاخامات ظهروا في هذه الفترة، نذكر من بينهم يهودا بن عطار (1655 ـ 1733)، ويعقوب بن صور (1673 ـ 1753)، وموسى طوليدانو (1643 ـ 1729)، وموسى برديغو (المتوفى سنة 1731)، وحاييم بن عطار (1696 ـ 1743). أما السلطان أحمد الذهبي (1727 ـ 1728) فقد جعل من إليعازار بن كيكي مبعوثه الخاص إلى هولندا، وذلك بغرض العلاقات التجارية معها. ووضع مولاي عبد الله (1729 ـ 1757) ثقته في بعض مستشاريه ووزرائه اليهود، مثل صموئيل ليفي بن يولي، وصموئيل سومبال. وظل هذا الأخير يحظى بالمكانة نفسها في عهد السلطان محمد بن عبد الله (1757 ـ 1790) الذي شيد مدينة موگدور (الصويرة)، ومنح لبعض العائلات اليهودية فيها امتيازات تجارية، وذلك من أجل تطوير المدينة من الناحية الاقتصادية. ويكاد يكون مولاي اليزيد (1790 ـ 1792) السلطان العلوي الوحيد الذي نسجت حوله كثير من المصادر التاريخية روايات فيها كثير من المبالغة فيما يخص سوء معاملته لليهود. وسرعان ما عادوا لمكانتهم الطبيعية مع مولاي سليمان ومولاي عبد الرحمن وسيدي محمد الرابع ومولاي الحسن الأول ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ ومولاي يوسف. ويظل محمد الخامس السلطان العلوي الذي وقف في وجه حكم (فيشي) النازي. فقد تصدى لمحاولة المساس باليهود المغاربة باعتبارهم مواطنين مغاربة أولا وأخيرا. وقد تكرست مكانتهم أكثر من ذي قبل مع الملك الحسن الثاني ومع ملك المغرب اليوم محمد السادس.

ولعل المكانة المتميزة التي حظي بها اليهود المغاربة في عهد الدولة العلوية هي التي جعلت (الاتحاد الإسرائيلي العالمي) يبادر إلى فتح مجموعة من المدارس اليهودية في تطوان سنة 1803، وطنجة 1805، وموگدور 1865، ووجدة 1910 بالإضافة إلى مدرسة تلمودية توراتية في وجدة سنة 1910.

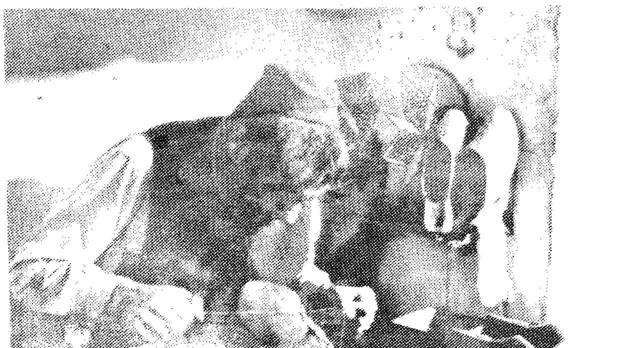

وتشير كثير من المصادر إلى مزاولة اليهود المغاربة لبعض الأنشطة التجارية والمالية والتقليدية. كما تذكر مساهماتهم الثقافية والأدبية والدينية والفقهية واللغوية. ويُذكر من بين أدباء اليهود المغاربة منذ القرن السابع عشر الميلادي: منديل أبي زمرة، وفراجي شماط، وموسى بوجنة، ويعقوب بن صور، وموسى بن صور، وشلومو حليوة، ودفيد حسين، وموسى رافائيل الباز ودفيد إلياكيم، ويهودا بن عطار، ويعقوب الدهان، ومسعود الرواج، ويعقوب المالح من موگدور، وحاييم داود سفيرو من فاس.

إن حضور اليهود المغاربة عبر التاريخ الطويل هو حضور فاعل ومتميز، وإن كان يتأقلم مع الوضع السياسي والأمني العام الذي كان يعرفه المغرب من خلال تعاقب السلالات الحاكمة على البلد.

لكن حضورهم في القرن العشرين صار إلى التقلص بسبب الاستعمار والصهيونية وتفاقم النزاع الدولي حول فلسطين، فعددهم اليوم لا يتجاوز بضع مئات معظمهم في الدار البيضاء والرباط. ولكن الذين هاجروا لا يزالون يتوافدون على وطنهم الأصلي من باب السياحة أو لصلة الرحم بذويهم وبأمواتهم في مقبراتهم المتعددة في كل أنحاء المغرب.

أحمد شحلان، *ابن رشد والفكر العبري الوسيط*، جزآن، مراكش، 1999 ؛ من الأدب العربي العبري، *مجلة كلية الآداب، الرباط، 1984، ع 10، ص. 65* ؛ دور اللغة العربية في النقل بين الثقافتين العربية واللاتينية، *ندوة أكاديمية المغرب*، الرباط، 1985 ؛ *فقهاء اليهود والفكر الفلسفي*، 1988 ؛ الفكر اليهودي الأندلسي بين الخصوصية الدينية وشمولية المعرفة، (حضارة الأندلس)، المحمدية، 1993 ؛ *إسماعيل بن النغريلة اليهودي وزير إمارة غرناطة*، 2002 ؛ عبد الله حمادي، *الموريسكون ومحاكم التفتيش في الأندلس الإسلامية*، الجزائر، 1989 ؛ عبد الرحمن الزياني، *الازدهار الفكري في الأندلس على مدى ثلاثة قرون*، 1977 ؛ عبد المنعم الحنفي، *موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية*، القاهرة، 1994 ؛ عبد الوهاب المسيري، *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية*، القاهرة، 1999 ؛ محمد رزوق، *الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17*، الدار البيضاء، 1989 ؛ ميغيل كروث إرناديت، *الأوضاع الاجتماعية التاريخية بالأندلس في القرن 10م*، 1977.

Robert Assaraf, *Une certaine histoire des juifs du Maroc*, Ed. Jean-Claude cawsewitch, Paris, 2005 ; Denis Charbit (éd), *Sionismes, Textes fondamentaux*, Ed. Albin Michel, Paris, 1998 ; N.A. Stillman, *The jew of arab lands in modern times*, Philadelphia & New York, 1991 ; Haim Zafrani, *Deux mille ans de vie juive au Maroc*, Ed. Maisonneuve & Larose, Paris et Eddif, Casablanca, 2000 ; Juifs du Maroc, Identité et dialogue, *Actes du colloque international sur la communauté juive marocaine*, Ed. La Pensée Sauvage, Paris, 1980.

عبد الكريم بوفرة

**يوبا الـثاني** (الملك -) 25 ق.م - 23 ق.م.، هو أحد أشهر ملوك المغرب القديم. ولد بنوميديا حوالي 50 ق. م. في ظرفية سياسية حرجة اتسمت بالصراع على مقاليد الحكم بين القادة العسكريين الرومان، وانتهت بنقله إلى روما إثر هزيمة والده في معركة طابسوس ضد يوليوس قيصر سنة 46 ق.م.

عاش ردحا من الزمن بالبلاط الروماني، وجبل على الشغف بكل الثقافات السائدة آنذاك، ومنها الإغريقية، ثم ثقافته الإفريقية. واختير من طرف يوليوس قيصر سنة 25 ق.م. كأفضل من يمثل مصالح الرومان بأرض الموريطانيتين - المغرب وجزء من الجزائر - خصوصا وعرش الموريطانيتين الذي ظل شاغرا منذ وفاة الملك الموري بوكوس الثاني سنة 33 ق.م.

تزوج يوبا الثاني سنة 20 ق.م. بالأميرة كليوباترة سليني، المقدونية الأصل، المصرية الولادة والنشأة التي عاشت مثله بروما على إثر هزيمة ووفاة والديها كيلوباطرة الكبرى ومارك أنطوان. وقد أنجبت منه ابنيها الأمير بطليموس - الذي سيؤول إليه حكم الموريطانيتين - والأميرة دروزيليا. ولن تكون كليوباطرة الزوجة الوحيدة ليوبا الثاني، بل تزوج بعدها بإغريقية من آسيا الصغرى هي كلافيرا.

اعتبر بعض الباحثين مدينتي شرشل ووليلي من أجمل عواصم يوبا الثاني. وعلى غرار باقي الملوك أصدقاء وحلفاء روما الذين بنوا مدنا أطلقوا عليها اسم قيصرية، فقد حول يوبا الثاني اسم يول إحدى العواصم القديمة للنوميديين إلى يول قيصرية نسبة لأوكتاف المشهور باسم أغسطس. لقد كان يوبا بحق صديق الشعب الروماني.

أكدت الدراسات المعاصرة على اتساع مجال نفوذ يوبا الثاني الذي لم يعد مقتصرا على غرب الجزائر وشمال المغرب، بل امتد جنوبا. لقد أنشأ معامل صباغة الأرجوان بجزيرة الصويرة التي عرفت بالجيتولية. ونشطت في عهده عدة صناعات كالنجارة وتصبير السمك وتمليحه. وتطور المعمار أيضا، فإليه ينسب المسرح - المدرج المكتشف بموقع ليكسوس الأثري، ولا يجادل مجادل حول بنائه للمسرح - المدرج بيول قيصرية. ويرجع إليه فضل الكشف عن الجزر السعيدة التي تطابق حاليا جزر الخالدات. وتوغل يوبا الثاني كذلك بالداخل حيث الجيتول الدرعيون، وهناك بحث في منبع النيل، فذكر بأن مصدره الأطلس. وعلل رأيه هذا بتشابه نباتات ووحيش المنطقتين المغربية والمشرقية. وجلب من المنطقة تمساحا (محنطا بلا ريب) كدليل على صحة رأيه. وعلق ذلك التمساح بعاصمته قيصرية، بمعبد ربة الخصوبة المصرية إيزيس.

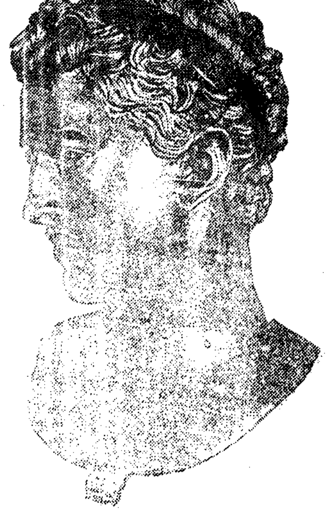

يوبا الثاني هو كذلك مكتشف النبتة الطبية المعروفة باسم أوفورب بجبال الأطلس، حيث كانت تعيش قبائل

الأطولول، من أقوى القبائل المغربية القديمة. وسميت النبتة الطبية نسبة للطبيب الخاص بيوبا الثاني أوفورب، الإغريقي الجنسية، الذي يعد أقدم طبيب بلاط في تاريخ الشمال الإفريقي القديم برمته.

الأوفورب، أو الفربيوت - كما تسميه المصادر الإسلامية - يتفرع إلى عدة أصناف، وهو دواء ومصل ضد كل أنواع السموم، كلدغ الأفاعي والعقارب. وهو فضلا عن كل ذلك يقوي البصر، وكان يمزج بشهدة العسل لعلاج الأسنان النخرة. فهذا ما كتبه يوبا الثاني بنفسه في مصنفه المفقود - الحامل لاسم أوفورب - عن فوائد هذه النبتة العجيبة. وصلتنا شذرات من بعض مؤلفاته، ومن مصنفه هذا، بواسطة كتاب إغريق ولاتينيين معاصرين له ولاحقين، وأشهرهم بلين الشيخ (من القرن الأول الميلادي)، الذي زودنا عبر فقرات من مؤلفه *التاريخ الطبيعي* بمعلومات عن الأوفورب ومختلف استعمالاته.

وهكذا، لم تمنع انشغالات الملك يوبا الثاني السياسية وكشوفه، ثم جولاته من أن يتعاطى للثقافة بكل ألوانها. كان يتقن أكثر من لغة. وأحاط نفسه بحاشية مكونة من فنانين وشعراء ونحاتين وأطباء، جلهم من أصول إغريقية. وتنم التماثيل الرخامية والبرنزية التي تزدان بها عاصمتاه يول قيصرية ووليلي، عن هذا الشغف الكبير بالثقافة الهليستية.

اتسم عهده بالازدهار والأمن على الرغم من بعض التمردات والثورات، أشهرها ثورة تاكفاريناس سنة 17 ق.م التي ناهض المنضوون تحتها التغلغل الروماني بمجالاتهم الحيوية. وستستمر هذه الثورة بعد وفاة يوبا الثاني سنة 23 ق.م.، إذ سيشارك ابنه بطليموس في محقها إلى جانب قادة الرومان. وفي ما عدا ذلك فالعصر عصر ازدهار اقتصادي وتطور معماري وفني. وظهر ذلك على عملته. ورغم تعدد منجزاته فقد غطت ثقافته على الباقي، فاعتبر بحق الملك العالم.

محمد مجدوب، *مختصر حول تاريخ موريطانيا قبل السيطرة الرومانية*، مجلة بحوث، ع. 6، 1995، ص. 149- 174.

Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, v. 1-46, Traduction et commentaire de J. Desanges, Les Belles Lettres, Paris, 1980 ; Bidaouia Bel Kamel, Histoire de la médecine au Maroc Antique, in *Histoire de la médecine au Maroc et dans les pays arabes et musulmans*, 1995, p. 37-45.

البضاوية بلكامل

**يوسف** ابن وخليفة السلطان يعقوب المريني، كنيته أبو يعقوب، ولقبه الناصر لدين الله، ولد في ربيع الأول من سنة 638 / 1240، وتمت له البيعة بالجزيرة الخضراء يوم وفاة والده في يوم الجمعة غرة صفر سنة 685 / 29 مارس 1286 وسنه خمس وأربعون سنة وثمانية أشهر.

سياسته الداخلية : بعد عودته إلى المغرب، وكدأب العديد من السلاطين في بداية حكمهم، قام ببعض الإصلاحات الجبائية، ووزع الأموال على قبائل بني مرين والعرب والأندلسيين والأغزاز وسائر الأجناد، وأخرج الصدقات إلى الفقراء، وتصدق بترك الفطرة للناس يتصرفون بها كيف يشاءون، كما سرح المساجين، ثم عمل على توطيد علاقته مع الفقهاء والصلحاء والشرفاء، ومن أهم مظاهر توطيد العلاقة مع هؤلاء، أمره في ربيع الأول من سنة 691 / 1292 بالاحتفال بعيد المولد النبوي وتعظيمه في سائر المغرب. وقد نجم عن هذا التعظيم توصل السلطان في شعبان سنة 705 / 1305 ببيعة شرفاء أهل مكة.

أما فيما يخص إصلاحات يوسف بن يعقوب الاقتصادية فأبرزها تبديل الصيعان وجمعها على مد الرسول (ص) وذلك سنة 693 / 1294 . ولم يخل عهد يوسف بن يعقوب من بعض المنجزات العمرانية ومن أهمها : بناء مدينة المنصورة بجوار تلمسان بحماماتها وفنادقها ومارستانها وجامعها، وجامع فاس الجديد سنة 677 / 1278، وجامع تازة الذي تم الانتهاء من بنائه سنة 693 / 1294، وبعض القناطر، وقصبة تطاوين سنة 685 / 1286،... الخ.

عرف عهد يوسف بن يعقوب بعض الخارجين على حكمه ؛ ففي سنة 685 / 1286 ثار عليه ابن عمه محمد بن إدريس بن عبد الحق رفقة إخوته وبنيه وذويهم في جبال ورغة من أحواز فاس، وفي السنة نفسها واجه خروج الأمير عمر بن عثمان بن يوسف الهسكوري بقلعة فندلاوة من جبال بني يازغة. وفي السنة نفسها ثار عليه في بلاد سوس الحاج طلحة بن علي البطوئي. وفي رمضان من ينة 686 / 1287 حارب العرب في بلاد قبلة درعة لردعهم عن قطع طريق سجلماسة. وفي منتصف ربيع الثاني من سنة 687 / 1288 خرج عليه ابنه الأمير أبو عامر في مراكش مع واليها ابن عطو الجناتي. وفي شعبان من سنة 691 / 1292 ثار عليه عمر بن يحيى، الوزير الوطاسي في حصن تازوطة من قلاع الريف. وفي سنة 705 / 1305 ثار عثمان بن أبي العلاء إدريس بن عبد الحق في بلاد غمارة، ودعا لنفسه فيها، وتغلب على تكيساس وأصيلا والعرائش، ودخل قصر ابن عبد الكريم في آخر سنة 706 / 1306 . وقد آل أمر جميع الخارجين عليه إلى الفشل إما بالقتل أو النفي أو الفرار إلى تلمسان أو الأندلس.

سياسته تجاه الأندلس : أولى هذا السلطان في بداية حكمه اهتماما بالغا بشؤون الأندلس، فمباشرة بعد بيعته عقد صلحا مع ابن الأحمر، رد بموجبه جميع ما كان بيده مما انتزعه منه والده من بلاد الأندلس باستثناء الجزيرة الخضراء ورندة وطريف. وفي الإطار نفسه جدد الصلح مع "سانشو"، ثم وطد أمور بلاد الأندلس كلها.

وفي سنة 690 / 1291 فسد الصلح بين يوسف بن يعقوب و"سانشو"، فأمر السلطان المريني قواته بمنازلة مدينة شريش، وشن الغارات على بلاد النصارى. بعد ذلك جاز بنفسه إلى الأندلس لمحاربة النصارى ولم يعد إلى المغرب إلا في محرم 691 / 1292 عند حلول فصل الشتاء وانقطاع المؤن

عن الجيش، وقد تضررت علاقته كثيرا مع ابن الأحمر الذي تواطأ من "الأذفونش" بتمكينه من احتلال طريف لمنع السلطان المريني من الجواز إلى الأندلس. غير أن ابن الأحمر سعى من جديد إلى عقد الصلح مع يوسف بن يعقوب وتم له ذلك سنة 692 / 1293 بعد لقاء جمع بينهما في طنجة. وأثمر هذا اللقاء جواز يوسف بن يعقوب إلى الأندلس سنة 693 / 1294، حيث قام بمحاصرة طريف.

وعندما توفي سلطان الأندلس أبو عبد الله بن الأحمر سنة 701 / 1301 ، ولي بعده ابنه محمد المخلوع فكتب بالبيعة إلى يوسف بن يعقوب، لكنه ما لبث أن أعلن موالاته لـ"هرنادة بن سانجة" ضد المغاربة، وأكثر من ذلك اقتحم أسطوله سنة 705 / 1305 مدينة سبتة، واستبد بأمرها. ولم تفلح الحملة التي أرسلها السلطان المريني في استرجاع المدينة إلى السيادة المرينية. ونتيجة لانشغال يوسف بن يعقوب بحصار تلمسان الطويل الآتي الذكر، توقف المرينيون عن تنظيم عمليات الجهاد في الأندلس ؛ وفي هذا الإطار تبادل السلطان المريني سنة 703 / 1304 رسائل مع ملك أراغون "خايمي الثاني" بشأن الهدنة في الأندلس، والتعاون العسكري بينهما، ضد قشتالة بالنسبة لأراغون، ولاسترجاع سبتة بالنسبة للمرينيين.

سياسته تجاه بني عبد الواد : يلاحظ من خلال دراسة الثورات التي قامت ضد السلطان يوسف بن يعقوب، أن العديد من الثوار الذين فشلت ثوراتهم كانوا يلجأون إلى تلمسان. ولعل هذا كان أحد الأسباب التي دفعت السلطان المريني إلى شن العديد من الغارات على بلاد بني عبد الواد بدءا من سنة 689 / 1291، حيث كان ينسف ويخرب قراها، ويحطم زروعها، ويقطع أشجارها. ولم تفلح محاولات بني عبد الواد في الصلح مع المرينيين بدليل أن يوسف بن يعقوب عاد سنة 695 / 1295 لغزو بلاد تلمسان، وكرر الأمر نفسه في السنة الموالية. ولإنجاح مخططه ضد بني عبد الواد أمر ببناء وجدة وتحصين أسوارها، ونقل إليها الجيوش وأمرهم بالإغارة على مدينة تلمسان وأحوازها بين الفينة والأخرى. وعاد في سنة 697 / 1297 مرة أخرى لغزو تلمسان ومحاصرتها. والظاهر أن هذه الحصارات - وإن لم تدم مدة طويلة - لم تأت أكلها من جهة، ولم تقنع السلطان من جهة أخرى، لذا اتخذ قراره بمحاصرتها حتى تذعن له البلاد. وقام بذلك فعلا عام 698 / 1297 ، وقد دام هذا الحصار ثمانية أعوام وثلاثة أشهر وخمسة أيام أي أنه لم يرفع سوى سنة 706 / 1305، ولعله أطول حصار عرفه تاريخ الغرب الإسلامي، وأهم حدث سياسي وعسكري عرفه عهد هذا السلطان المريني. وكان بناء المنصورة عام 702 / 1302، أحد أهم الإجراءات التي واكبت الحصار، الذي انتهى بفاجعة اغتيال السلطان يوسف بن يعقوب على يد أحد خصيانه يدعى سعادة، وذلك في ضحى يوم الأربعاء تاسع ذي القعدة عام 706 / 13 مايو 1307 عن سن السادسة والستين من عمره، فحمل جثمانه إلى رباط شالة ودفن به. وبهذا يكون حكمه امتد 21 سنة و9 أشهر و25 يوما. وقد اختلفت روايات المؤرخين في تفسير الأسباب التي دعت ذلك الخصي لاغتياله.

سياسته الخارجية مع النصارى والمسلمين : بغض النظر عن سياسة يوسف بن يعقوب اتجاه بني عبد الواد ونصارى الأندلس، عرف عهد هذا السلطان علاقات سياسية واقتصادية مع دول نصرانية ومسلمة أخرى منها جنوة التي توصل من صاحبها في شوال سنة 691 / 1292 بهدية جليلة. واستقبل في جمادى الأولى سنة 692 / 1293 العديد من رسل الدول المجاورة ؛ وهكذا استقبل رسول ولد "الرنك" ملك البرتغال، ورسول ملك بيونة، ورسل سلطان تونس.

وأثناء حصاره الطويل لتلمسان وفدت عليه رسل سلطان أفريقية بهدايا جليلة، وطاع له أهل بجاية وقسنطينة، كما وفد عليه أهل الحجاز ورسل الملك الناصر صاحب مصر والشام بهدية ثمينة رد عليها السلطان المريني بهدية أثمن.

ورغم الإنجازات التي عرفها عهد السلطان يوسف بن يعقوب، فإنه ترك البلاد تتخبط في مشاكل الخلافة، وشمال البلاد محتلا من قبل النصريين.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب* ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 3 ؛ رشيد السلامي، *وثائق مرينية "مراسلات، معاهدات، ظهائر"*، ج 1 ؛ محمد ياسر الهلالي، *اغتيال السلطان يوسف بن يعقوب المريني : قراءة في نصوص تاريخية ومناقبية لحادثة المنصورة"*.

Jean Brignon [et al.], *Histoire du Maroc* ; Ahmed Khanboubi, *Les premiers sultans mérinides* ; Mohamed Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen-Age*.

محمد ياسر الهلالي

**يوسف** السلطان العلوي (مولاي -)، ابن السلطان مولاي الحسن ابن السلطان سيدي محمد ابن السلطان مولاي عبد الرحمن، يحتل المرتبة الثانية عشرة بين ملوك الدولة العلوية ابتداء من السلطان مولاي رشيد. ولد في مدينة مكناس سنة 1297 / 1878 وتولّى العرش في 29 شعبان 1330 / 13 غشت 1912 بعد استقالة أخيه السلطان مولاي حفيظ ورحيله إلى فرنسا.

مرّت فترة ملكه في ظروف عصيبة وغير عادية من تاريخ المغرب.

فهو أول سلطان في عهد الحماية. - إذا استثنينا الفترة القصيرة التي قضاها مولاي حفيظ بين 30 مارس 1912 تاريخ توقيعه على معاهدة الحماية واستقالته ورحيله إلى فرنسا في 13 غشت 1912 - فكل عهده الذي امتد من 13 غشت 1912 إلى نوفمبر 1927 مرَّ في مغرب فقد استقلاله ووحدته السياسية والترابية، فالبلاد كانت مقسمة بين فرنسا التي استولت على القسط الأكبر وبين إسبانيا التي حازت المنطقة الشمالية في 27 نوفمبر 1912 وفوضت فيها

صلاحيات السلطان لخليفة سلطاني. وصارت طنجة منطقة دولية لا يمثل فيها المخزن إلا من خلال مندوب مفوض دون نفوذ. كما أن الميكانيزمات التي سمحت للمغرب في حقب تاريخية مختلفة، بالخروج من الأزمات، تعطلت طول هذه المدة، إذ عجزت المؤسسات التقليدية عن القيام بدورها التاريخي. فالمخزن فقد هيبته منذ عهد مولاي عبد العزيز بسبب انجراف وفشل سياسة "الإصلاحات" و"التحديث" التي مرت تحت الضغط الأوربي. كما فقد مشروعيته في عهد السلطان مولاي حفيظ بعد عجز هذا الأخير عن الوفاء بشروط البيعة التي كان الجهاد من أهم بنودها، ومصادقته على معاهدة الخزيرات في 7 دجنبر 1908، ثم استنجاده "بالكفار" بعد محاصرة فاس من طرف القبائل وتوقيعه على عقد الحماية في 1912 الذي اعتبره المغاربة "بيعا للبلاد" من طرف السلطان. ولم تستطع تقلبات مزاج مولاي حفيظ ولا تناقضات مواقفه بين موقّع على عقد الحماية ورافض للخضوع لشروطها، ولا تنازله عن العرش في جو من الضغوط والمقايضة أن تعيد الاعتبار للمؤسسة السلطانية... واعتبر البعض السلطان الجديد الذي بايعه العلماء باقتراح من السلطات الاستعمارية، "سلطانا روميا" و"سلطان الفرنسيس" و"سلطان الحماية". وتنبأ آخرون بأن الأسرة الحاكمة "التي ابتدأت بثلاثة ملوك إخوة هم مولاي محمد ومولاي رشيد ومولاي إسماعيل ستنتهي بثلاث إخوة هم مولاي عبد العزيز ومولاي حفيظ ومولاي يوسف".

كما أن القوى الحية في البلاد افتقدت المبلور مما أهدر طاقاتها وجعل محاولات المقاومة التي ظهرت في جميع أنحاء البلاد حين فرض معاهدة الحماية، تبقى مشتتة ودون مفعول. فبلاد المخزن أو ما سمي بالمغرب النافع التي كانت قبل الاستعمار خاضعة للنفوذ المباشر للمخزن لوجودها عند متناول نفوذه وقوته العسكرية كالمناطق الساحلية والمدن والسهول الداخلية كفت عن المقاومة واستسلمت باستسلام المخزن. لأن احتكار هذا الأخير لكل السلط قبل الحماية سواء منها الدينية أو التشريعية أو السياسية أو العكسرية لم تترك لها أي وسيلة أو هامش للتصرف. بالإضافة إلى خروجها منهوكة القوى من النهب والفوضى التي عمت أثناء الصراع على الحكم بين مولاي عبد العزيز وأخيه مولاي حفيظ، وإلى تخلي الزوايا كالزاوية الكتانية والوزانية والدرقاوية التي كانت تؤطرها لإذكاء روح الجهاد واختيارها الدعاية للاستعمار. كما تخلت المدن عن المقاومة بعد فشل كل محاولات الوقوف أمام الاحتلال الفرنسي التي قامت بها سواء في الدار البيضاء سنة 1907 أو في فاس في أبريل 1912 بسبب القمع الذي ووجهت به والذي بلغ درجة من العنف غير معهودة من قبل، وحالة الطوارئ التي فرضت عليها منذ بداية الحماية إلى حدود سنة 1920، وتخلي النخب عن فكرة الجهاد. كالعلماء الذين صار ليوطي يسميهم بـ"الأركان العليا الدينية" واعتبروا أن الاستعمار "محنة وإرادة الله لإصلاح أحوال المسلمين". فأبو شعيب الدكالي مثلا لم يؤيد حركة الجهاد بحجة أن المسلمين "لا قدرة لهم، ولأن المقاومة تعطي فرصة للكفار لاحتلال أرض الإسلام" واختار الدخول للمخزن والتعاون مع سلطات الحماية كوزير للعدل. وفضل أفراد المخزن والأعيان الذين اعتبرهم ليوطي "الأركان العليا السياسية" والتجار والأمناء الذين اعتبرهم "فرقة اقتصادية من الدرجة الأولى" أن يصبحوا "شركاء الحمايةفي الإصلاح" على "السيبة".

أما الشطر الثاني من المغرب مغرب قمم الجبال أو بلاد "السيبة" التي كانت تحتفظ بنوع من استقلال القرار وبوسائل دفاعها الخاصة لبعدها عن متناول المخزن فقد ظلت ترفض "الأمن الاستعماري" والخضوع للأجنبي وبقيت محاصرة عسكريا واقتصاديا إلى سنة 1934 ولم تستسلم، باعتراف الجنرال كيوم، "إلا بعد أن استنزفت كل قواها" في مقاومة متشتتة افتقدت المبلور التقليدي الذي يوحد بين حركات الجهاد ويعطيها القوة والفعالية.

بالإضافة إلى هذه العوامل الداخلية المحضة التي جعلت عهد مولاي يوسف يظهر كفترة تاريخية بين مزدوجتين تسلم فيها زمام الأمور فاعلون أجانب، كرست القوى الاستعمارية هذه الحالة بكل الوسائل العسكرية والسياسية والقانونية والاقتصادية والتقنية. واتبعت في ذلك خطة نابعة من خبرة الاستعمارية طويلة، اكتسبت في الجزائر وتونس والهند الصينية ومدغشقر والتونكان، ومن الدراسات العلمية الاسعمارية. هذه السياسة كانت بالأساس تقتضي استخدام السلطة المركزية الموجودة كواجهة تمارس وراءها سلطات الاحتلال بكل حرية حكماً مطلقا. وقد جعلت من سياسة الإصلاح ذريعة، إذ لم يكن الإصلاح يرمي "إلى تطوير المؤسسات بل إلى استعمالهم لتنظيم الحماية من داخل الحكومة الشريفة وخلف واجهة مخزنية" وهي السياسة التي طبقتها الحماية في أول عهدها بنجاح، لتوفر الظروف الملائمة.

فالسلطان مولاي يوسف الأخ الأصغر لمولاي حفيظ، "لم يكن مهيأ لا سياسيا ولا فكريا لمواجهة مخططات لم يكن المغرب يشكل فيها إلا حلقة صغيرة وأخيرة من مسلسل عالمي ظهرت معالمه واضحة منذ القرن التاسع عشر، فقد كبر في الظل وسط إخوة يفوق عددهم الخمسين، ولم تكن مرتبته بينهم من ناحية السن تستوجب تربية سياسية تؤهله للقيام بمهام العرش. ولم يظهر للوجود إلا حينما وقع عليه اختيار مولاي حفيظ ليكون خليفة له في فاس حينما انتقل هو إلى

الرباط. وهو اختيار قد يفسر بتخوف مولاي حفيظ أن يتولى هذا المنصب أحد إخوته الأكبر سنا والأقوى شخصية ممن كان ينافسه، ولعدم خطر مولاي يوسف الذي لم تكن له أي دعامة قبلية لأن أمه أمينة كانت تركية. وقد اختاره ليوطي لأنه رأى فيه "بديلا وافيا للغرض". وقد يكون إجهاش مولاي يوسف بالبكاء عندما أخبر باختياره كسلطان منبعثا من شعوره بهول الأمول والأوضاع وجسامة المهمة، أكثر مما كان منبعثا من المفاجأة والفرح بسلطة لم يكن ينتظرها.

أما الطبقة المخزنية التي كانت موجودة في الساحة أثناء الاحتلال سواء منها العزيزية أو الحفيظية فقد كانت مستعدة للتعامل مع الأجنبي لتعودها على "خدمة مصالحها قبل كل شيء" مما جعلها "تتعاون" بسهولة مع الإقامة العامة و"تظهر إخلاصها للقضية الفرنسية". وقد لعبت الإقامة العامة على وتر هذه المصالح التي جعلت منها وسيلة ضغط. ووظفت المنافسات بين أعضاء المخزن وضربت بعضهم ببعض لضمان هذا "الإخلاص" الذي كان المقيم العام ليوطي يعرف أنه معرض في كل وقت للزوال لما أظهرته هذه الطبقة من "فن الخداع واللعب على الحبلين والخطاب المزدوج"، واعتمدت السلطات الاستعمارية على عقد الحماية لتطبيق سياستها سواء بالوسائل العسكرية العنيفة، أو بالوسائل القانونية والإدارية والاقتصادية.

فقد وظفت البند الثاني من عقد الحماية الذي ينص على أن "جلالة السلطان يقبل منذ الآن أن تقوم الحكومة الفرنسية بعد إخبار المخزن باحتلال عسكري للمناطق المغربية كلما ظهر ذلك لازما للحفاظ على المبادلات التجارية" وكذلك الفصل الثالث الذي ينص على "مد الدعم الدائم للجناب الشريف ضد كل خطر يهدد شخصه أو عرشه أو أمن أراضيه" للقيام باحتلال البلاد والقضاء على المقاومة باسم السلطان، وقد استعملت القوات الاستعمارية لهذا الاحتلال الذي سمته عملية نشر السلم "Pacification" كل وسائل العنف الحديثة وحتى القديمة التي كانت الدول الأوربية تعيبها على المخزن وتتخذها ذريعة للتدخل في شؤونه الداخلية.

وقد قامت سلطات الاحتلال باسم السلطان، باعتبار حمل السلاح "رجوعا للجاهلية" و"فتنة" والمقاومين "عصاة" و"منشقين عن السلطان" و"فسّادا". وحرصت على أن يظهر السلطان بمظهر المؤيد لهذا الاحتلال. ويظهر نجاح سياسة الخلط هذه بين مصالح الحماية ومصالح السلطان والمخزن، من اقتراح مولاي يوسف على المقيم العام بأن "يقود بنفسه حملة عسكرية ضد الهيبة" الذي لقب بسلطان الجهاد باعتبار "أن الأمر يهمه هو". وفعلا "أرسله" المقيم العام إلى مراكش في دجنبر 1912 مباشرة بعد القضاء على ثورة الهيبة، فمكث فيها عدة أشهر ليظهر أن انتصار الجيوش الفرنسية كانت انتصارا للسلطان الشرعي للبلاد.

وقد وجدت هذه السياسة في شخص "هوبير ليوطي" Hubert Lyautey المقيم العام الأول في المغرب من 12 أبريل 1912 إلى أكتوبر 1925 باستثناء مدة قصيرة تمتد من يناير ومارس 1917 حينما صار فيها وزيرا للحرب في فرنسا وعيّن الجنرال Gouraud لينوب عنه في الإقامة العامة - أحسن منفذ. فتجربته الاستعمارية. وميولاته السياسة الملكية وأصله الأرستقراطي وإيمانه بتأثير "المظاهر على المجتمع الإسلامي" و"بالدور الاجتماعي للملكية الوراثية"، واقتناعه "بالسيادة الدينية للسلطات التي لم يكن ينازع فيها أحد حتى الذين يعارضون سلطته السياسية" جعله يحرص على تقوية الواجهة الدينية والمظاهر المخزنية التقليدية لترسيخ نظام الحماية. وعمل على أن "يلاحظ المغاربة الذين اعتبروا الحماية كحرب صليبية ضد الإسلام أن الحماية تحترم الديانة الإسلامية، وأن السلطان يمارس بكل حرية وأبهة الشعائر الدينية التي وصى بها النبي". وحرصا منه على إظهار احترامه للإسلام منع على غير المسلمين الدخول للمساجد والأضرحة. وطبق هذا على نفسه حيث امتنع عن دخول ضريح مولاي إدريس حينما طلب منه ذلك علماء فاس وأعيانها بعد شفائه من مرض الكبد الذي ألزمه الفراش. وقد أكسبته مظاهر الاحترام التي كان يبديها للإسلام والعلماء لقب "مارشال الإسلام". كما عمل على تضخيم المظاهر البروتوكولية، حتى :يجلب أنظار المغاربة نحو وجود السلطان، وليبقى هذا الأخير "الرمز الحي للتقاليد". فلعب دور "الخادم الأول لسيدنا" معطيا المثال لغيره من الأوربيين في احترام "القاعدة" و"التمخزنيت" فكان "يبندق" ثلاث مرات حين ملاقاة السلطان ويتراجع مشيا للوراء حين انتهاء المقابلة. وفي إحدى المناسبات الرسمية نزل، وهو المارشال المدجج بالميداليات الحربية، من صهوة فرسه ليمسك لمولاي يوسف الركاب حتى يمتطي جواده. كما عمل على أن تحمل الشواهد والإيصالات الرسمية الفرنسية التي تصدرها الإقامة العامة بالعربية عنوان "الدولة الفرنسية" عوض "الجمهورية الفرنسية" مراعاة لشعور السلطان. ومن وراء هذه المراسيم البروتوكولية والهيبة التي أحيط بها شخص السلطان، والصيت الديني الذي أصبح لمولاي يوسف والذي عززه بتدينه، وتكوينه الفقهي، ووقاره، وتعدّى حدود المغرب إلى الجزائر وتونس حينما أفتى العلماء بإيعاز من المقيم العام - بعد دخول تركيا إلى جانب ألمانيا في الحرب الكبرى - بأن سلطان المغرب صار خليفة عوض الخليفة العثماني، مارست الإقامة العامة حكما مطلقا. متجاوزة حتى الصلاحيات الواسعة التي أعطاها إياها عقد الحماية. فهذا العقد الذي كان مبدئيا معاهدة بين "حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة الجلالة الشريفة" للقيام بإصلاحات إدارية وعدلية وتعليمية واقتصادية ومالية وعسكرية" كما ينص على ذلك الفصل الأول من المعاهدة التي نصت كذلك في "الفصل الرابع" على سلطات السلطان، وإن كان بصفة غير واضحة، أصبح على أرض الواقع عقدا أحاديا مفروضا عملت

فرنسا في إطاره على إفراغ المؤسسات المغربية من كل مقومات السيادة والسلطة. فرغم تصريحات ليوطي الذي كان يؤكد في كل المناسبات "أن المغرب ليس مستعمرة" وأن الحماية تركت للمغرب مؤسساته وسيادته فإن نظام الحماية تحول منذ الوهلة الأولى على أرض الواقع، إلى حكم مباشر إذ جرد السلطان من كل السلط. مع أن كل التشاريع والأحكام كانت تؤخذ باسمه، وأن تسمية موظفي المخزن والقواد والباشوات بقيت من اختصاصه، لكن دوره لم يتعد المصادقة على القوانين التي تقترحها الإقامة العامة. وفي إعطاء ظهائر للأشخاص الذين تختارهم. وإقالة من تريد إقالته. وحتى حينما يوضع الطابع الشريف على الظهائر، فإنها لا تصبح جارية المفعول إلا بعد توقيع المقيم العام عليها. مما جعل مولاي يوسف باعتراف المقيم العام "يعيش أسيرا ومعزولا في قصره ليس له اطلاع على الشؤون العامة ولا يأخذ أي مبادرة، ولا يشرف بنفسه على أي شيء رغم رغبته الأكيدة في ذلك واهتمامه بالأشياء ولكنه ينتظر بتحفظ أن يتاح له ذلك وهو ما لا يتاح له أبدا. ولولا أنني أزوره للتحدث إليه في بعض الأمور لعاش في عزلة تامة". وبالفعل فقد عملت الإقامة العامة على حصر نشاط مولاي يوسف في الأمور الدينية كالاحتفال بالعيد النبوي وعقد المجالس الدينية كالمجالس التي كانت تعقد بصفة رسمية لمدة ثلاثة أشهر في السنة : رجب وشعبان ورمضان. ويدل عدد المولوديات في هذه الفترة والتي تعدت 150 مولودية والأشعار التي قيلت في مدح مولاي يوسف والألقاب التي أطلقت عليه فيها، كأبي المحاسن وأبي العز وأبي الفضل وأبي السعود، والعطايا التي كانت توزع، على الأهمية التي كانت تحظى بها هذه الاحتفالات سواء من طرف السلطان أو من طرف العلماء والأدباء... وزيادة على هذا النشاط الديني الذي شمل كذلك حضور جنائز بعض الشخصيات الدينية من علماء وقضاة كتشييع جنازة القاضي أحمد بناني الرباطي إلى الزاوية الناصرية، وجّه نشاط مولاي يوسف الذي أظهر اهتمامه بالأطفال والمسائل الفلاحية والاجتماعية، نحو تدشين المدارس والمرافق العمومية والمستشفيات، وزيارة الأسواق لمراقبة الأسعار. وكانت التدشينات مناسبة لإظهار الأبهة المخزنية.

كما حرصت سلطات الحماية على أن يحترم الجميع "المراتب والسلم الاجتماعي التقليدي" "وأن يبقى الأشخاص والأشياء في محلها القديم" "وأن يبقى أصحاب الحل والعقد الطبيعيين من وزراء وقواد وباشوات وحدهم المؤهلين لإعطاء الأوامر التي على الآخرين الانصياع لها". لهذا لم تكن سياسة "إصلاح المخزن" التي سلكتها الإقامة العامة انطلاقا من البند الرابع من معاهدة الحماية ترمي إلى تحديث أجهزته والقضاء على الفساد وتقويم الخلل الذي كان من بين الأسباب التي أسقطت المغرب في يد الاستعمار، وفي هذا الإطار أرجع ليوطي عددا من أعضاء المخزن الحفيظي الذين استغني عنهم في أوائل عهد مولاي يوسف. فمحمد بن عبد السلام المقري الذي كان المقيم العام يلقبه بـForban أقيل من منصب الصدر الأعظم في نوفمبر 1913 لنهبه أملاك الدولة وبناء قصره في الرباط على أرض للأحباس واستلائه على ثروة باحماد بظهير مشبوه وتركه الأمور بين أيدي ابنه الطيب المقري القليل التجربة، وعوض بمحمد الجباص الذي كان وزير الحرب في عهد مولاي عبد العزيز ثم مندوبا للسلطان بدار النيابة بطنجة. إلى أن أعيد من جديد ليحتل نفس المنصب سنة 1917 بعد إعفاء الجباص. وكذلك الجزائري قدور بنغبريط ترجمان ومستشار الحكومة الفرنسية عند عقد الحماية الذي كان ليوطي يلقبه بـ L'aigrefin "المحتال" والذي عاد كنائب للصدر الأعظم في التشريفات بعد أن كان قد أقيل من منصبه كمدير لمصالح الترجمة العامة والبروتوكول والأوسمة العلوية. وأعيد المدني الكلاوي الذي ترك صدى سيئا حينما كان وزير حرب مولاي حفيظ، لما مارسه من نهب وقمع على القبائل الطائعة منها والثائرة، ليمارس نفس القمع والنهب كقائد في الحوز...

وكان الهدف الأول من وراء كل التغييرات التي قامت بها الحماية على صعيد تركيبة الحكومة الشريفة كحذف وزارات وخلق أخرى وإنشاء مديريات متعددة هو إفراغ المخزن المغربي من كل مكونات السلطة والسيادة. فقد اعتبر المغرب "كقوقة" - artichaut - يجب نزع أوراقها الواحدة تلو الأخرى ليمكن أكلها، فحذف وظيفة العلاف الكبير (وزارة الحرب) و"وزير البحر "الشؤون الخارجية" كان يرمي إلى عزل السلطان والجهاز المخزني عن الشؤون العسكرية والعلاقات الخارجية. إذ صار المقيم العام هو القائد الأعلى للجيش الشريف، والمكلف بالشؤون الخارجية... وقلص عدد الوزارات إلى ثلاثة : الوزير الصدر "الوزارة الأولى" ووزارة الأحباس التي أسست بظهير 16 جمادى الثانية سنة 1332 موافق 12 ماي 1914 ووزارة العدل "الشكايات" التي تولاها في الأول أبو شعيب الدكالي. وحتى هذا العدد القليل من الوزارات قلص من اختصاصاته، فالصدر الأعظم - وهي الوظيفة التي احتلها المقري من 1917 إلى نهاية عهد الحماية - كان مبدئيا مفوضا من طرف السلطان للتوقيع على مشاريع القوانين الوزارية ومكلفا بالشؤون الداخلية والمالية ولكن لم تكن له في الحقيقة إلا سلطة صورية، تنحصر في التوقيع على القوانين التي تقترحها الإقامة العامة. بينما كان الباشوات والقواد يخضعون مباشرة للمراقبين العامين وضباط الشؤون الأهلية، التابعين لمديرية الشؤون الداخلية ومديرية الأمن العام اللتين يشرف عليهما المقيم العام مباشرة. كما أسندت الشؤون المالية إلى مديرية تابعة للإقامة العامة. أما وزارة الأحباس التي أسندت أول الأمر لأحمد الجاي فقد أطر علماؤها وفقهاؤها الذين شكلوا المجلس الأعلى للأحباس بتقنيين فرنسيين لتنظيم أملاك الأحباس. وأخضعوا لمراقبة الإقامة العامة. وأصبح مدير فرع الأحباس التابع لإدارة

الشؤون الشريفة يتحكم في وزير الأحباس وفي النظّار. وإذا كان تنظيم الأوقاف بعشرات الظهائر، قد جعل حدا لنهب هذه الأملاك من طرف بعض أعضاء المخزن، فإنه لم يمنع من اعتداء سلطات الحماية عليها. فقد نزعت آلاف الهكتارات منها وفوتت للمعمرين الفرنسيين، بدعوى المصلحة العامة كما أن وزارة العدل جردت من عدة صلاحيات، وكاد نشاطها ينحصر في الأمور الشرعية.

وحرصت سلطات الحماية على أن يبقى المخزن رغم المظهر الإداري العصري الذي أصبح عليه بتركيبته الجديدة الهرمية : الوزير، مدير البنيقة، نائب المدير، رئيس الديوان، كاتب أول، كاتب ثاني إلخ "رمزا للجمود"، بعيدا عن مسلسل "التجديد" والحركية التي طبعت على الخصوص السنين الأولى للحماية. وأفراده يعيشون في "غفوة لذيذة" داخل بنيقات، مربعين على زرابي "كما كان الأمر في عهد مولاي الحسن"، في شبه عزلة عن التحولات العميقة التي كانت بذورها تزرع في البلاد. وكاد أفقهم أن "ينحصر في الحفاظ على الطقوس والتقاليد" وفي نقاشات بيزنطية حول تحريم أو تحليل إرسال نبأ ظهور الهلال عن طريق التلغراف.

وخلف "هذا الديكور المخزني العتيق" الذي حرص ليوطي أن يبقى المخزن محاصرا داخله، مارست الإقامة العامة أو ما سمي "بالمخزن الفرنسي"، و"حكومة الحماية" كل السلط بعد أن وفرت لنفسها الوسائل القانونية والإدارية. وترسانة من الموظفين العسكريين والمدنيين والتقنيين العاملين في المديريات والمصالح المركزية والجهوية. وبمقارنة بسيطة بين نسبة الموظفين في الجهاز المخزني التقليدي ونسبة الموظفين في مصالح الإقامة العامة، يظهر أن تهميش الجهاز المخزني. لم يكن فقط على صعيد الصلاحيات بل كذلك على صعيد الكم. ففي سنة 1914 بلغ عدد الموظفين الفرنسيين 1500 منهم 281 في الجهاز المركزي مقابل 42 موظفاً في المخزن وفي سنة 1925 ارتفع عدد الموظفين الفرنسيين إلى 6731 منهم 680 في الجهاز المركزي بينما كان عدد موظفي الجهاز المخزني كله لا يتعدى 474.

ولوضع قنطرة بين "المخزن" العتيق و"مخزن الفرنسيس" سمي هانري گايار Henri Gaillard كاتبا عاما لمصلحة الشؤون الشريفة باعتباره خبيرا في الشؤون الإسلامية وخصوصا المغربية حيث كان قنصلا عاما لفرنسا في فاس في عهد مولاي حفيظ، وسهر على تحرير مشروع عقد الحماية. وكانت مهمته "تلقين السلطان ووزراءه الأساليب العصرية في تسيير الشؤون الإدارية"، ولكن بعد رحيله سنة 1914 حذفت وظيفة الكاتب العام للشؤون الشريفة وعوضت بمستشار في الشؤون الشريفة تابع للمقيم العام.

وبإمساكها بزمام مختلف المصالح مارست الإقامة العامة "ديكتاتورية إدارية" على الصعيد المركزي والجهوي. فالقرارات السياسية والاقتصادية والإدارية صارت تؤخذ في مجلس الحكومة الذي ينعقد تحت رئاسة المقيم العام دون أن يشارك فيه وزراء مولاي يوسف. بل بقي هذا المجلس مدة طويلة مكونا من الفرنسيين فقط. ولم يكن المخزن الشريف يخبر بقراراته إلا من طرف الموظفين الذين كانوا يحضرون الجلسات الوزارية الأسبوعية التي يعقدها الصدر الأعظم ويطرحون خلالها في عروض - يترجمها في غالب الأحيان مترجم جزائري فرنسي -. قرارات الإقامة العامة.

وقد لعب مولاي يوسف بليونة طبعه، واعتدال مزاجه وعدم محاولته وضع عراقيل أمام نشاط الإقامة العامة، دور "الشريك في الإصلاحات" كما كان يأمل ليوطي إذ عمل على "أن لا تتراكم القضايا التي تتطلب ظهيرا شريفا دون معرفة مآلها". مما سمح بالإسراع بوتيرة التحديث، ويقدر عدد الظهائر الشريفة التي أصدرت في سنة 1921 وحدها بـ334 ظهيراً زيادة على 486 مرسوماً وزارياً، دون عدد القرارات التي أصدرتها الإقامة العامة. لهذا يمكن اعتبار عهد مولاي يوسف عهدا وضعت فيه اللبنات الأولى للمغرب المعاصر في جميع الميادين الإدارية منها، والقانونية، والاقتصادية، والتقنية، وعلى صعيد البنيات والتجهيزات التحتية.

لقد أصبحت الرباط منذ 1912 عاصمة المملكة الشريفة عوض فاس التي وضع على رأسها الباشا بوشتى البغدادي لقطع النفس الأخير لكل مقاومة إلى سنة 1932. ويفسر نقل العاصمة من فاس إلى الرباط بأن السلطات الاستعمارية اعتبرت فاسا "مدينة قاتلة". في حين كان موقع الرباط الساحلي يجعلها تحت رحمة الأسطول الفرنسي. كما صار العلم الأحمر الذي تتوسطه النجمة الخضراء التي ترمز إلى أركان الدين الخمسة، علما وطنيا. ووضع النشيد الوطني الذي لحنه ضابط فرنسي بالحرس الشريف، وصار التوقيت الإداري تابعا لتوقيت غرينويتش. ودخل نظام الترتيب في حيز التطبيق في السنة الفلاحية 1912 - 1913 وخصصت أجور للوزراء والعلماء والقضاة والعدول، ودشنت محكمة العدل سنة 1913 وخرج قانون المسطرة الجنائية للوجود سنة 1913 وكذلك القانون المدني. وبنيت أهم المرافق العمومية من وزارات وبلديات ومصالح البريد والتلغراف. وأسست عدة مصالح : كمصلحة التسجيل العقاري والمحافظة على الأملاك العقارية. ووسعت موانئ كميناء الدار البيضاء الذي ارتفع نشاطه بعشر مرات في ظرف ست عشرة سنة وميناء "موكادور" الصويرة، و"مازاكان" الجديدة، ووضع مشروع ميناء الرباط وميناء القنيطرة واتسعت شبكة السكك الحديدة خصوصا بعد انتهاء الامتياز الذي كان لألمانيا في هذا الميدان. وعبدت 1500 كلمتر من الطرق، منها الرابطة بين الساحل الأطلسي ومراكش والرباط وفاس وبين وجدة وتازة والدار البيضاء والرباط وبين الرباط، وطنجة عبر سلا والقنيطرة. وأسست عدة مدارس ابتدائية، و"الثانويات الإسلامية" "ككوليج" مولاي يوسف في الرباط و"كوليج" مولاي إدريس بفاس ومدرسة لتعليم "اللغة العربية واللهجات

البربرية" في الرباط التي صارت في سنة 1920 "معهد الدراسات العليا" وبني مستشفى مولاي يوسف بالرباط وعدة مستوصفات، وشرع في إصلاح نظام التعليم في القرويين حيث أسس المجلس التحسيني الذي أسندت رئاسته لمحمد الحجوي نائب الصدر الأعظم في المعارف، كما أسست مصلحة المتاحف، وفتح متحف فاس ومكناس والوداية، وصدرت ظهائر تعتبر أسوار فاس ومراكش تراثا وطنيا. ونشطت حركة التنقيب على الآثار فاكتشفت عدة آثار رومانية كوليلي، كما ظهرت البوادر الأولى للحركة الصناعية ففتحت عدة مناجم. وأسس المكتب الشريف للفسفاط سنة 1920. كما اهتم ليوطي الذي لقب بـ"الباني" لشغفه بالبناء والتشييد، بالمدن التي اتسعت حسب تصميم نابع من نفس العقلية التي فصلت بين "المخزن العتيق" و"مخزن الفرنسيس". إذ قسمت المدن إلى مدينتين لا يجمع بينهما أي شيء: المدينة القديمة المخصصة "للأهالي" والمدينة الجديدة المخصصة للأوربيين، والتي أخذت طابع المدن الجديدة الأمريكية بشوارعها الواسعة ومقاهيها ونواديها الليلية التي تضاعف عددها أثناء الحرب العالمية الأولى حتى لا "يشعر أحد بالأزمة الاقتصادية والانهزامات التي كانت تعيشها الميتروبول"، كما أن ليوطي الذي كان يؤمن بأن "فتح ورش أجدى من فيلق"، وأن "مستقبل فرنسا لا يتعلق" بانتصارها في الألزاس واللورين بل بالحفاظ على وجودها في المغرب، لأنه خزانها من المحاربين وبما تحتاج إليه من المواد"، حرص أثناء الحرب على أن لا تتوقف حركة البناء والأشغال الكبرى لتبقى فرنسا التي قلصت من جيوشها في المغرب "تظهر للمغاربة بمظهر الدولة القوية"، واستخدم ليوطي في الأوراش أسرى ألمانيين ليوهم المغاربة بـ"انتصار فرنسا على ألمانيا". واستغل انشغال الميتروبول وتحرره من المراقبة البرلمانية والحكومية التي كانت تبطئ من سير الأمور ليسرع بوتيرة المشاريع.

وإذا كانت هذه السياسة الاستعمارية التي سلكتها الحماية في عهد مولاي يوسف قد ميزت "المغرب النافع" الذي أعطته هذه الحركية مسحة من الحداثة والاستقرار، عن مغرب الجبال الذي ظل يرفض "الأمن الاستعماري" فإنها لم تصمد طويلا أمام الحقائق السياسية والثقافية التي كشفت عنها حرب الريف.

لقد أظهرت هذه الحرب فشل السياسة "الأهلية" وحدود النظريات الاستعمارية التي اعتمدها ليوطي، وأحدثت الطلاق من جديد بين المجتمع ومؤسساته التقليدية... فالانتصارات التي حازها المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي في أنوال سنة 1921 وتحريره مدينة شفشاون من يد الإسبان سنة 1923 زعزعت القوى التي بنت عليها فرنسا سياستها الاستعمارية داخل المنطقة المخزنية وغيرت نظرتها "للتعاون" مع سلطات الاستعمار، فقد ظهر محمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي اعتبره الفرنسيون "عدوا"، كمجاهد عصري، خصوصا وأن حركته أحيت آمال جميع المسلمين من المحيط الأطلسي إلى الهند في استرجاع عزهم، وقضت على الأطروحة المخزنية والاستعمارية التي كانت تقدم المقاومة المسلحة كـ"عصيان للدين" و"رجوع للجاهلية" والمجاهدين كـ "فساد" و"منشقين" و"عصاة"، خصوصا وأن محمد بن عبد الكريم ظل يعترف بمولاي يوسف كسلطان للبلاد. ولم يعد للوسائل الدينية التي تعودت الإقامة العامة استعمالها في الأزمات كالاستعانة بدعاية الزاوية الدرقاوية أي مفعول على السكان. فالشريف الدرقاوي اضطر للفرار من منطقة نفوذه واللجوء إلى فاس تحت حراسة الجيش الفرنسي. وحتى المنشور الذي تلي في المساجد باسم مولاي يوسف، سنة 1925، وتنقل السلطان لحث القبائل على مقاومة محمد بن عبد الكريم بعد أن قطع هذا الأخير الطريق بين تازة وفاس، وأصبحت جيوشه على بعد 28 كيلومتر من فاس، لم يكن لها أي أثر على الرأي العام المغربي، بل تأكد للجميع أن السلطان لم يكن حرا في تصرّفه بل "مسيرا من طرف سلطات الحماية"، وظل أعيان فاس ونخبتها يظهرون تعاطفهم مع حركة الجهاد الريفية. كما دخلت في صفوفه عدة قبائل كانت تعتبر حصنا لفاس ولبلاد المخزن، كالبرانس وتسول وحتى بعض العناصر من الجيش الشريف. وصارت سياسة "التعاون" بين المخزن وسلطات الحماية تظهر أكثر من أي وقت مضى دون مشروعية، بعد أن دلت الحرب التي خاضها المجاهد ابن عبد الكريم أن الانتصار على جيوش المحتلين ليس من قبل المستحيل، وأن المستعمر يحترم القوة أكثر مما يحترم سياسة "التعاون". وهذا ما أكده تفكير ليوطي في الاعتراف بجمهورية الريف التي أعلن عنها محمد بن عبد الكريم سنة 1923 مع إبقائها تحت حكم صوري للسلطان. لهذا لم يخض المارشال الحرب ضد محمد بن عبد الكريم إلا مرغما بعد أن أصبح شبح "جمهورية إسلامية عصرية" يشكل خطرا حقيقيا على الوجود الفرنسي في المغرب الذي كان ليوطي يحرص على أن يبقى "متحفا باليونتولوجيا للإسلام". وزيادة على هذه العوامل المرتبطة بحرب الريف كانت النخبة قد بدأت تفقد الثقة التي أظهرتها إلى حدود 1920 "بالإصلاحات" التي كان ليوطي يؤكد أن الحماية الفرنسية ستحيي بها وبمساندتهم "الأمجاد القديمة التي عرفها المغرب حين كانت الأندلس وشمال إفريقيا تشكلان إمبراطورية مزدهرة"، لأن تساقطات "الإصلاحات" التي تمّت طوال هذه المدة كانت أغلبيتها لفائدة المعمرين. فالمغاربة الذين استفادوا من التعليم العصري مثلا لم تتعد مرتبتهم في السلم الإداري أو الاجتماعي "مرتبة شاوش يتكلم بالفرنسية" وحالة الاستغلال التي عاشها أهل البوادي قبل الحماية لم تتغير كثيرا. فرغم أنهم تخلصوا من النهب الذي كانوا يتعرضون له أثناء الحركات المخزنية ومختلف الكلف التي كانت تفرض عليهم، فإنهم سلموا مكتوفي الأيدي لقواد الاستعمار، حيث كان "القائد يحلب القبيلة

وسلطات الحماية تمسك بقرونها". كما أن الحرب الكونية التي خاضتها فرنسا انعكست سلبيا على المغرب لاستغلال خيراته في سد الحاجيات الفرنسية وتجنيد رجاله الذين شاركوا داخل الجيش الفرنسي ابتداء من السلطان. وقد وجد الأحياء منهم أنفسهم بعد عودتهم للبلاد معرضين للاستغلال من جديد، وفي حالة الدونية بالنسبة للمعمرين بعد أن كانوا محاربين أندادا للفرنسيين.

ولكن هذه المتغيرات التي أظهرتها حرب التحرير التي قادها محمد بن عبد الكريم وتسببت في إقالة المارشال ليوطي وتعويضه بتيودور ستيك المدني الفيلسوف سنة 1925 ، لم تغير أي شيء من "تعاون" المخزن مع السلطات الاستعمارية، ولا من السياسة الاستعمارية التي سلكها ليوطي. وتؤكد الزيارة التي قام بها مولاي يوسف إلى فرنسا بدعوة من الحكومة الفرنسية في يوليوز 1926 مباشرة بعد القضاء على ثورة الريف، واستسلام محمد بن عبد الكريم نفسه في 27 ماي 1926 استمرار هذه السياسة الرامية إلى إقناع المغاربة والفرنسيين على السواء بمتانة روابط الصداقة والتعاون بين الحكومة الفرنسية والسلطان.

فقد أعطيت لهذه الزيارة التي كانت في إطار تدشين مسجد باريس أهمية خاصة سواء من طرف الحكومة الفرنسية أو من طرف المخزن المغربي. ففي سنة 1922 وضع الحجر الأساسي في حفل حضره المقيم العام بالمغرب المارشال ليوطي ونائب الجمهورية الفرنسية وأعضاء من الحكومة الفرنسية ومن النواب الفرنسيين ومن المخزن المغربي الحاجب السلطاني التهامي عبابو والصدر الأعظم الحاج محمد المقري، ووزير العدلية أبوشعيب الدكالي وقدور بن غبريط وعدد من الشخصيات البارزة من بلدان إسلامية كمصر وتركيا وتونس والجزائر وسوريا، وبعد أربع سنوات من وضع الحجر الأساس تم بناء المسجد واستدعاء مولاي يوسف لتدشينه. وقد أحيط هذا السفر بكثير من الأهمية سواء من طرف المخزن الذي اعتبره دليلا للصداقة والاحترام اللذين تكنهما فرنسا للمغرب وتأكيدا للدور الديني المتميز الذي يقوم به مولاي يوسف، أو من طرف الحكومة الفرنسية التي أرادت من خلاله إقناع الرأي العام الفرنسي بالعلاقات المتينة بين فرنسا وسلطان المغرب بعد انتقادات الصحافة الفرنسية خصوصا منها الاشتراكية ومنظمات حقوق الإنسان للسياسة العسكرية المتوحشة لفرنسا في المغرب.

وقد شارك في هذه الرحلة - التي تعتبر الأولى من نوعها على صعيد العلاقات الخارجية المغربية لأنها كانت أول سفر لسلطان مغربي إلى بلاد أوربية - ما يفوق ثمانين شخصية مخزنية من أمراء وباشوات وعلماء ووزراء. بالإضافة إلى المقيم العام الجديد. وانطلقت الزيارة من ميناء الدار البيضاء إلى ميناء ليون الفرنسي حيث استقبل السلطان من طرف گاسطون دوميرگ Gaston Doumergue رئيس الجمهورية الفرنسية ودامت الزيارة ما يناهز ثلاثة أسابيع شارك أثناءها مولاي يوسف في الاحتفال بالعيد الوطني الفرنسي في 14 يوليوز. وتم التدشين الرسمي لمسجد باريس يوم الخميس 15 يوليوز. وألقى السلطان وكذلك الرئيس الفرنسي خطابين أشادا فيهمابالصداقة بين فرنسا والمسلمين. وفي اليوم التالي صلى مولاي يوسف في مسجد باريس وحضر الصلاة مسلمو باريس وبعض الشخصيات من العالم الإسلامي. وقد نظمت الحكومة الفرنسية لمولاي يوسف زيارة مدن أخرى كمدينة Verdun حيث وقعت أهم معارك الحرب العظمى التي سقط فيها آلاف الجنود المغاربة. وانتهت الزيارة في 6 غشت بعد مقابلة بين باي تونس ومولاي يوسف. وكان الرجوع للمغرب عن طريق مرسيليا. وإذا كان تعويض ليوطي الذي أظهر ميولاته الملكية والصداقة والاحترام لمولاي يوسف، واحترامه للدين الإسلامي والتقاليد المخزنية، بمقيم عام يحترم الشكليات والطقوس، قد خلق لدى مولاي يوسف نوعا من الامتعاض، فإن السنتين اللتين تفصلان بين إعفاء المارشال ليوطي ووفاة مولاي يوسف لم تكونا كافيتين لتحويل ردود الفعل ضد شخص المقيم العام الجديد إلى بروز موقف واضح وأقل سلبية من الحماية الفرنسية في المغرب. فغضب السلطان في أحد استقبالاته للمقيم العام، وفارق قاعة العرش تاركا هذا الأخير وحيدا في القاعة. ورفض استقباله بعد ذلك عدة مرات، وتماطل في توقيع بعض الظهائر التي اعتبرها مسّاً بالدين، وطالب الحكومة الفرنسية باستبداله، وانتشر خبر تأزم العلاقة بين السلطان وبين المقيم العام - إلى درجة رواج إشاعة بعد وفاة مولاي يوسف بأنه مات مسموما - مما يوحي ببداية متأخرة لوعي مولاي يوسف بدوره الحقيقي وبداية نضج سياسي وخروج شخصيته من الظل الذي حجبها طوال المدة التي تولى فيها ليوطي زمام الحماية في المغرب. ويحق للباحث أن يستدل على هذا الاحتمال بتطور موقف السلطان من السياسة البربرية التي اختيرت في الشمال الغربي للأطلس المتوسط منذ بداية الحماية. والتي عملت الإقامة العامة على ترسيخها قانونيا بظهائر شريفة. وهذه السياسة كانت ترتكز على مبدإ "فرق تسد" التي تقتضي عزل المناطق الجبلية ذات الثقافة الأمازيغية عن المناطق ذات الثقافة العربية، بوضع حد لانتشار اللغة العربية وتعويض التشريع الإسلامي بتشريع يرتكز على العادات والتقاليد المحلية "أزرف". اعتباراً لكون سكان المناطق الجبلية بقوا بعيدين عن التأثيرات الحضارية الإسلامية والشرع الإسلامي، ومن مصلحة الحماية أن لا تشجع انتشار هذه التأثيرات وإن على الفطرة ليصبحوا أكثر استيعابا للحضارة الفرنسية. ففي أول عهده وقع مولاي يوسف مشمئزاً على ظهير 11 / 11 / 1914 ، الذي ينص على أن القبائل التي لها عادات بربرية تجرى فيها الأحكام العرفية الخاصة بها. وعلى إثر هذا الظهير أصدرت سلطات الإقامة العامة في 22 سبتمبر 1915 مرسوما ينص على أن تقوم محكمة الجماعة - التي كانت تخضع في تكوينها وقراراتها للحاكم الفرنسي - بالفصل في

القضايا المدنية في حين أوكلت الأمور الجنائية للقائد. ولكن الحرب العالمية الأولى أبطأت تطبيق الظهير. وفي سنة 1923 عادت الإقامة من جديد للضغط على مولاي يوسف لإصدار ظهير يضفي صيغة قانونية على هذه المحاكم العرفية. ولكن السلطان لم يكتف برفض توقيع الظهير، بل طالب بإدخال تعديلات على مرسوم الإقامة العامة المتعلق بهذه المحاكم بإضافة جملة "التي لا توجد بها محاكم شرعية". إلى الجملة التي تنص على تطبيق الأحكام العرفية" في "القبائل الموجودة في المنطقة المصنفة بالبربرية" ورغم إعادة الإقامة العامة الكرة من جديد سنة 1927 بمدة قصيرة قبل وفاة مولاي يوسف، فإن ضغوطاتها بقيت دون نتيجة. وقد اعتبر الفرنسيون أن بعض حاشية مولاي يوسف كانت وراء هذه المقاومة، وعلى الخصوص الحاجب الفقيه التهامي عبابو الذي كانت الإقامة العامة تنعته بـ Xenophobie كراهية الأجانب. ومن الممكن أنَّ هذا الأخير كانت له حظوة كبيرة لدى السلطان فأخذ بالفعل موقف الرفض من محاولة الفرنسيين سلخ المناطق الأمازيغية عن الشرع الإسلامي، متأثرا بموقف صهره الفقيه عبد الرحمان بلقرشي. فهذا الأخير رفض تطبيق مقتضيات ظهير 1914 ومرسوم الإقامة العامة الفرنسية المتعلق به حينما كان رئيس المجلس الشرعي للاستئناف. كما أنه ارتمى على قدمي السلطان وطلب منه إعفاءه من وزارة العدل التي عين فيها سنة 1923 وهي السنة التي وقع فيها الضغط من جديد على السلطان في نفس الموضوع. وقد يكون هذا من بين الأسباب التي جعلت الإقامة العامة تعفي الحاجب عبابو من منصبه، وتصادر أمواله مباشرة بعد وفاة مولاي يوسف، وتعفي قبل ذلك القاضي بلقرشي من وزارة العدل ليعود لممارسة القضاء بمقصورة الرصيف بفاس...

وإذا كانت الظروف التاريخية الدولية منها والداخلية، وشخصية مولاي يوسف لم تتح له الخروج من الدور السلبي الذي حددته له الحماية، فقد تكون هذه السلبية التي أظهرها في عهد فقد فيه المغرب كل أوراق اللعبة، سلبية إيجابية "منبعثة من وعي بالأولويات وتمييز الممكن من المستحيل" كما عبر عن ذلك المارشال ليوطي في رثائه لمولاي يوسف الذي تعرف عليه عن كثب، فقد وصفه بأنه "كان يتمتع بامتياز بالصفات الأخلاقية للمغاربة التي هي : سهولة التواصل، حاسة الممكن والنافع، تجنب الأحلام الكبرى غير الملائمة، التقوى العميقة، إرادة الوئام، الشغف بالإنجازات، الاقتصاد في المعيشة الذي يضمن الاستقلال المالي". وإذا كانت هذه الصفات لم تعط للسلطان مولاي يوسف إلا صورة باهتة في تاريخ المغرب، فإن اسمه كتب له الخلود لأنه سيبقى مقرونا باسم ابنه الذي خلفه عند وفاته سنة 1927. فالإقامة العامة التي لم تكن مهيأة لوفاة السلطان مولاي يوسف، اختارت للبيعة ابنه الأصغر سيدي محمد بن يوسف، معتمدة في هذا الاختيار نفس المقاييس التي اعتمدها ليوطي في اختيار أبيه مولاي يوسف : صغر السن وعدم تألق الشخصية، والابتعاد عن المسائل العامة، وأمل في الاعتراف بالجميل، ولكن محمد بن يوسف استطاع تغيير أوراق اللعبة الاستعمارية، وقلب العلاقات السياسية، وأدار عرشه في الاتجاه الصحيح للتاريخ الذي نهجته الحركة الوطنية، موظفا بمهارة ونجاح الصلاحيات التي خولها له عقد الحماية ليزعزعها من داخلها مما خلد اسمه في الذاكرة المغربية كملك الحركة الوطنية، وملك التحرير وأعاد للأسرة العلوية مشروعيتها من جديد.

توفي السلطان مولاي يوسف عن سن تناهز 47 سنة، يوم الخميس 22 جمادى الأولى سنة 1346 موافق 1 نوفمبر سنة 1927 في مدينة فاس على إثر مرض L'urémie "اختلاط الدم بالبول" الذي ألزمه الفراش. ودفن يوم الجمعة التالي في ضريح مولاي عبد الله بن إسماعيل.

ابن زيدان، *اليمن الوافر الوفي*، فاس ؛ محمد بن الحسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، مؤسسة محمد بن الحسن الوزاني، 1984.

Raymond Postal, *Présence de Lyautey*, édition Alsatia, Paris, 1941 ; Abdellah Laroui, *Les origines du nationalisme marocain* ; André Maurois, *Lyautey*, Choses vues, Librairie Plon, Paris, 1931 ; Robert Garric, *Le message de Lyautey,* édition Spes, Paris, sans date ; Le colonel Laure, *La victoire franco-espagnole dans le Rif*, Librairie Plon ; *Histoire du Maroc*, ouvrage collectif, Hatier, Casablanca, 1968 ; Daniel Rivet, *Le Maroc de Lyautey, à Mohammed V*, édition Deniel, Paris, 1999 ; *Lyautey et l'institution du protectorat,* Editions L'Harmattan, Paris, 1988 ; Henri Gaillard, *L'histoire et l'organisation du protectorat*, Paris, Plon, 1916 ; *Bulletin officiel, 1912, 1913, 1914, 1915, 1916, 1923* ; *Bulletin du comité de l'Afrique française*, octobre 1923 ; Lyautey, *Paroles d'actions*, A. Colin, 1927.

ثريا برادة

**يوسف بن عمر**، أبو الحجاج الإشبيلي، قاض ومؤرخ عاش في العصر الموحدي، ونعته البعض بمؤرخ دولة الموحدين وبأنه توفي صدر المائة السابعة الهجرية بين سنة 605 / 1209 و620 / 1224. كان كاتبا لدولة يعقوب المنصور، وبعد ذلك عين بإشبيلية أيام خليفته الناصر لينظر في بعض الأشغال المخزنية والسهام السلطانية، إلا أنه تعرض هناك لمضايقات من بعض المنافسين وخاصة من والي إشبيلية، فصودرت أملاكه وبقي محبوسا بدار الأشراف إلى أن أحضر إلى مراكش حين قدوم الناصر من إفريقية سنة 604 / 1208، فعرض على الخليفة الذي أمر بصرف كل ما أخذ منه إلى يوسف وذلك بسبب تأليفه الذي ألفه في محاسن والده يعقوب المنصور. وقد اشتهر يوسف بتأليف هذا الكتاب عن دولة المنصور والذي عرف بعناوين مختلفة كـ "*تاريخ ابن عمر*" و"*تاريخ الموحدين أولاد عبد المومن*". غير أن الكتاب ضاع، وبقيت منه شذرات في مصادر مختلفة من أهمها : كتاب التكملة لابن الآبار (الترجمة رقم 1207) والغصون اليانعة لابن سعيد (ص. 91 ـ 98) و*البيان المغرب* لابن عذاري خاصة في قسم الموحدين (ص. 162 ـ 164 ـ 173 ـ 177 ـ 220 ـ 225 ـ 239 ـ 242 ـ 251 ـ 252) ثم *القرطاس* لابن أبي زرع (ص. 208).

ابن الآبار، *التكملة لكتاب الصلة*، نشر كوديرا، مدريد ؛ ابن سعيد، *الغصون اليانعة*، مصر ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب، قسم الموحدين*، بيروت، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ حاجي خليفة، *كشف الظنون*، بيروت، 1982 ؛ ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ج 1، الدار البيضاء، 1965 ؛ محمد المنوني، *العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين*، الرباط، 1977 ؛ *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 1، الدار البيضاء، 1983.

رشيد السلامي

**اليوسفي، المعطي**، ولد سنة 1898 في أولاد يوسف بين قصبة تادلة وبني ملال بجانب الطريق الثانوية المؤدية إلى أربعاء أولاد صالح ببني عمير. حفظ القرآن الكريم على يد والده، ثم اشتغل بتلقين الأطفال القراءة والكتابة، إضافة إلى العمل في الحقول. التحق بصفوف الحزب الشيوعي للمغرب منذ نشأته في 14 نوفمبر 1943، وكان ذلك صحبة أحمد الماضي، وبعد انخراط عبد السلام بورقبة بقليل، وانتخب عضوا في لجنته المركزية سنة 1945. وقد قام بدور مهم في الدعاية لصالح الحزب في منطقة تادلة، إلى جانب العضوين المذكورين وإلى جانب مارسيل لامورو، وفي نشر أفكاره في أوساط الفلاحين والعمال الفلاحين. اعتقلته السلطات الفرنسية عدة مرات، كان خلالها عرضة لأحكام جائرة من قبل محاكم الباشاوات والقواد والمحكمة العسكرية. تقف مراجعنا عند الاعتقال الذي شمله ورفيقيه أحمد الماضي وامحمد بن عمر (الذي صار جنرالا في جيش ثوار الفيتنام فيما بعد)، في بداية عقد الخمسينيات من القرن العشرين، وجهت فيه إلى الثلاثة تهمة "الإرهاب"، وإشعال الحرائق في ضيعات المعمرين ومحاصيلهم طيلة سنة 1947. دام الاعتقال ثمانية أشهر إلى أن برأت المحكمة ساحتهم. كما تقف تلك المراجع عند اعتقاله سنة 1951 في قضية أحمد الحنصالي الذي اشتهر بلقب "سفاح تادلة"، وتعذيبه واتهامه بتنظيم الاغتيالات وما تلا ذلك من الحكم عليه بالسجن مدة ثماني سنوات أمام المحكمة العسكرية الدائمة للقوات المسلحة بالدار البيضاء. أودع في سجن اغبيلة بالدار البيضاء، وفيه تعرف عن كثب على مجموعة من المعتقلين الوطنيين المنتمين إلى حزب الاستقلال، أمثال أبي بكر القادري وعبد الرحيم بوعبيد والمحجوب بن الصديق. ولم يتوقف عن النضال حتى داخل السجن، فقد نظم إضرابا عن الطعام احتجاجا على قرار مدير السجن بمنع المعتقلين من صلاة الجماعة، وتم الرضوخ للمطلب، واختير صاحب الترجمة بالإجماع إماما يؤم بالمعتقلين صلاة الجمعة. ثم نقلته السلطات الفرنسية إلى سجن العاذر الذي ظل قابعا به إلى أن حصل المغرب على الاستقلال. أطلق سراحه دون أن يتوقف عن نشاطه الحزبي أو يركن إلى حياته اليومية الخاصة. فقد تعرض من جديد للاعتقال في ماي 1958، لأنه وزع جريدة "*حياة الشعب*" اللسان المركزي للحزب الشيوعي المغربي والذي لم يرخص له بعد بالصدور. وشارك في تأطير الوفود الناطقة باسم سكان قصبة تادلة في كثير من الوقفات الاحتجاجية وفي قيادتها، مثلما وقع عندما توجه وفد عن سكان حي بودراع إلى مركز القيادة من أجل المطالبة بالتوزيع العادل لمصابيح الكهرباء وحنفيات الماء العمومية، ومثلما حدث عندما تقدم المظاهرة الصامتة التي جابت شوارع القصبة قبل احتشادها أمام مقر البلدية، من أجل الاحتجاج على تحويل معمل سكر تادلة إلى سوق السبت أولاد تايمة وحرمان أبناء الدائرة من فرص الشغل. وشارك في مؤازرة أحمد الماضي مرشح الحزب المحظور في انتخابات سنة 1962، وخاصة عند أولاد سعيد الواد. وحالت ظروفه الصحية دون مشاركته في انتخابات سنة 1976 و1977، لكنه دعي إلى المؤتمر الأول لحزب التقدم والاشتراكية سنة 1977، وقاده كاتبه العام علي يعته إلى المنصة لرئاسته تكريما له. شارك في الانتخابات الجماعية والتشريعية الموالية التي جرت سنتي 1983 و1984، حيث خاضها إلى جانب رفاقه في فرع قصبة تادلة التابع لحزب التقدم والاشتراكية.

توفي في قصبة تادلة في أبريل أو ماي سنة 1986، بعدما ناهز 88 سنة.

*المعطي اليوسفي رجل النضال والصمود*، مطبوعات البيان، غشت 1986، مطبعة المعارف، الدار البيضاء ؛ *بيان اليوم*، 6 سبتمبر 1999.

*La Nation*, n° 8, 13-06-1958.

نجيب تقي

**يوسي** (آيت)، هي اتحادية صغرى تشتمل على عدة قبائل تعيش حاليا في الأطلس المتوسط فيما بين أقصابي الشرفاء ومدينة صفرو على طول الطريق التي تربط فاس وتافيلالت. وقد كان اليوسيون ومازالوا يهيمنون على هاته الطريق التي تمر عبر بلادهم، وتحد بلادهم من ناحية الشمال بنواحي مدينة صفرو وبنهر ملوية من ناحية الجنوب وببلاد آيت مكيلد من ناحية الغرب، وببلدان بني وراين وآيت سغروشن وأولاد الحاج ملوية من ناحية الشرق.

ويرى أبو علي اليوسي في كتاب *المحاضرات* أن أصل كلمة اليوسي كان في البداية يلفظ باسم اليوسفي، ثم أسقطت الفاء من هذا اللفظ جريا على لغة البربر في مثل هذا الاسم. ويوسف هذا الذي ينتسب إليه القبيل هو الجد الأعلى في زعمه لجميع أبناء الاتحادية التي نزحت من الجنوب في زمان مضى، لكننا نقرأ في *نزهة المشتاق* للإدريسي من أهل القرن السادس الهجري أن عدة قبائل كانت تعيش لعهده جنوب مدينة فاس من ضمنها بنو يوسف وسلاجون وغيرها. ومن المعلوم أن الإدريسي عاش قبل مجيء قبائل الجنوب إلى هاته الناحية بعدة قرون. فإذا اعتمدنا على رواية الإدريسي وتأويل أبي علي استنتجنا مسألة هامة وهي أن النواة الأولى لتكوين اتحادية آيت يوسي وجدت بموقعها الحالي قبل القرن السادس الهجري. وحينما

جاءت جحافل صنهاجة الجنوب المعروفة باسم آيت يوسي تغلب اسم المهاجرين الجدد على السكان الأصليين واتحد الجميع تحت الاسم الذي جاء من الجنوب. ومن هنا جاء تأويل اسم يوسي بيوسف سيما وأن سلسلة النسب اليوسي التي أوردها أبو علي ابتداء من أبيه مسعود إلى الجد الأعلى وهو يوسف الأول وضمنها عشرة أجيال لا تساعد على تكوين اتحادية كبيرة من هذا النوع، ولذلك سيبقى الباحث في شك من قيمة السلسلة وما ترتب عنها.

ومعظم اليوسيين نزحوا من أقصى الجنوب المغربي. فأبو علي اليوسي يؤكد أن أسلافه الأولين كانوا يعيشون في وقت ما بالمصبات الجنوبية للأطلس الأعلى، وبالتدقيق في واحة فركلة بحارة الأقلال، ويقول صاحب كتاب أربعة قرون من *تاريخ المغرب* (ص. 40) "أن اليوسيين حينما كانوا بالجنوب المغربي سبق لهم أن قاموا ببعض الغارات إلى واحة توات وما يليها سنة 1009 / 1600، ويظهر أنهم بعد هذه الغزوة الاستطلاعية فضلوا الانسياق مع وجهة تدفق التيار الصنهاجي المتجه صوب الشمال، فحتمت عليهم الظروف راضين أو مكرهين أن يكونوا في الخط الأمامي، وقد أشار المؤرخون المغاربة إلى أن مواقع اليوسيين كانت في سنة 1094 بملوية العليا وحواشي الأطلس الأعلى، وبالتحديد بجبل العياشي، وذلك حينما توجه المولى إسماعيل في حملة تأديبية لقبائل ملوية، وشيّد مجموعة من القلاع لصد غاراتهم المتلاحقة. ويؤكد اليفرني أن اليوسيين في أوائل القرن الثاني عشر كانوا لا يزالون ضمن قبائل ملوية، ونحن نعلم أن الفصيلة التي ينتمي إليها أبو علي وهي : إما آيت بوحدو أو آيت كايس على خلاف في ذلك كانت في عصره لا تزال تعيش بملوية قبل أن تنتقل إلى حوض كيكو، ويظهر أن خضوغ اليوسيين للسلطة الإسماعيلية التي جردتهم من شوكتهم كان سببا في تقدمهم نحو الشمال بطريقة سلمية، ويمكن أن يكون ذلك بإذن من السلطة، وهذا هو ما تعرب عنه أحاديثهم التي تحفظها ذاكرتهم، فهم يؤكدون بأن المولى إسماعيل هو الذي أنزلهم بالأطلس المتوسط لحفظ الأمن به ولحراسة الطريق من فاس إلى تافيلالت. وكيف ما كان الحال فبعد قرن من الزمان أو يزيد قليلا من التاريخ المتقدم تحدثت المراجع عنهم وهم مستوطنون بالأطلس المتوسط في نواحي أعليل بحوض كيكو وفي ضواحي مدينة صفرو وذلك سنة 1226 على عهد المولى سليمان.

وبالرغم من أن كلام أبي علي اليوسي في *المحاضرات* يفيد أن القبيلة أو الاتحادية على الأصح ترجع في أصلها إلى أب واحد وهو يوسف الأول وبالتالي إلى الجد الأعلى و هو يدراسن الذي هو القعدود الأعلى للاتحادية العليا الأم، فإن هذا التنسيق المصطنع لا يتفق مع الواقع، إذ المعروف أن من بين قبائل آيت يوسي عدة عناصر مهمة ترجع بأصولها إلى آيت يافلمان مثل آيت واحي المنحدرين من قبيلة آيت مرغاد، واسناين المنحدرين من قبيلة آيت حديدو، وأكلوان المنحدرين من الاتحاد الكرواني، و غير ذلك كثير. وأما يدراسن، فالمعروف أنه كان اسما لفرقة صغيرة من قبائل صنهاجة الجنوب ثم صار علما للاتحادية الشمالية التي أسست في بداية العهد العلوي. وقد افترضنا أن نجعله أبا رمزيا لجميع أعضاء الاتحاد فقط، على أن آيت يوسي لم يكونوا من الأعضاء الدائمين في الاتحاد اليدراسني، وإنما كانوا ينتسبون إليه في بعض الأحيان، شأنهم في ذلك شأن آيت مكيلد وعدة قبائل أخرى.

وينقسم اليوسيون حاليا إلى ثلاثة مناطق جغرافية كبرى آيت يوسي أهل الشمال وهم أهل أمكلا وفيهم الأكثرية الساحقة وهم أهل صفرو، وآيت يوسي الوسطى وهم آهل حوض كيكو، وآيت يوسي الجنوبية وهم أهل النجيل الموالون لملوية.

لكن شساعة مجال القبيلة كانت نقمة على أصحابها، إذ آلت الأجزاء المتاخمة لفاس إلى الشراردة، كما أن الصراع مع قبيلة آيت سغروشن آل إلى تخليهم عن خط تگنانايت، الرشوة، إفراح وإيموزار، وبالتالي أصبحت آيت يوسي مجموعة قليلة التقارب والتجانس فيما بين سكانها زيادة على اختلاطهم في عدة مواقع مع آيت سغروشن. ورغم ذلك ظلت قبيلة آيت يوسي أكثر حفاظا على بربرية لغتها وعلى عاداتها المتوارثة. كما أنهم ينقسون إلى فخذتين كبيرتين هي: 1 ) آيت ونصاف (أي نصف القبيلة) 2) وآيت عمور ويحيى. ويدخل ضمن الفخذة الأولى كل من آيت الربع، آيت فرينگو، وآيت مخلوف، أما آيت عمور ويحيى فتتكون من آيت حلي، ،آيت مسعود وعلي، آيت بوحدو، عوين وآيت كايس.


مولاي التقي العلوي، *أصول المغاربة*، القسم البربري، مجلة البحث العلمي، اتحادية آيت يدراسن، 24.

Cap. Reissen, *Monographie de Sefrou*, stynciles, 1916;
Cap. Reissen & Cap. Bachelot, Notices sur le cercle de Sefrou, *B.S.G.M., Février 1918*.


الحسين البعاوي

**اليوسي**، عالم نابغة، وأديب شاعر ؛ أشهر من نار على علم. اتفقت المصادر التي ترجمته على علو كعبه العلمي وصلاحه الصوفي، وجرأته في الصدع بكلمة الحق. عرف بنفسه وشرح نسبته في كتاب *المحاضرات*. تعدّدت كناه، لكن أشهرها، وأفضلها عنده هي أبو علي، التي كناه بها شيخه مَحمد بن ناصر الدرعي.

ينتمي الحسن اليوسي إلى قبيلة آيت يوسي التي تندرج تحت لواء اتحادية آيت يدراسن الصنهاجية النازحة من أعالي ملوية إلى شمال غربي الأطلس المتوسط. ولد حوالي سنة 1040 / 1631 ؛ في أسرة فقيرة وأمية، لكنها ديّنة ؛ بإحدى قرى السفح الشمالي للأطلس الكبير الشرقي، والواقعة على وادي ورن أحد روافد نهر ملوية العليا، غير بعيد عن جبل العياشي. وفي سن التمييز، بعث به والده إلى "كتاب" القرية

لحفظ القرآن الكريم. لكن شدة خجله جعلته ينفر من "المكتب" ؛ حتى إذا توفيت والدته، وتأثر لذلك المصاب غاية التأثر، كما قال :

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت تعرف

وعراه تحول يشرحه فيما يلي : "فتنكرت علي الأرض وأهلها... وكان ذلك سببا للفتح، فألقى الله في قلبي قبول التعلم". أي أن ذلك المصاب كان سببا في زوال نفوره من التعلم. ومن الغريب أن يستأذن اليوسي والده في الرحلة والتغرب في سبيل الطلب، وهو طفل يافع. وبعد أن أذن له، بدأ رحلته، حيث غادر مسقط رأسه، صحبة مؤدبه متوجها إلى تافيلالت (بلاد القبلة). وهنالك ختم القرآن الكريم، وحضر بعض الدروس في مبادئ اللغة والنحو والفقه والتوحيد، قبل أن يرجع صحبة معلمه، أبي إسحاق الحداد، إلى بلدته حيث واصل مشواره العلمي. وتمكنت بين المعلم والطفل علاقة الصحبة ؛ فبدأ يمده بكتب التصوف التي كان من جملتها *المورد العذب* لابن الجوزي. فانتقشت مآثره في عقله، ووقعت حلاوته في قلبه، على حد تعبيره. وتعلق بسير كبار الزهاد، مثل أويس القرني وإبراهيم بن أدهم. فكان ذلك سببا في غرس أول فسيلة للتصوف في نفسه، وتعلقه بأهل الطرق، ونزوعه إلى الصلاح. وهذا ما دفعه إلى شد الرحال لزيارة بعض الصلحاء في كل من ميسور وتاغيا. وظل يتردد إلى تلك المزارات طوال حياته.

ولم ينفرط العقد الثاني من عمره حتى انطلق، على عادة معاصريه من أهل الطلب، ليخوض غمار الرحلة، ويطوف على أهم المراكز العلمية في كل من سوس ومراكش ودكالة ودرعة وتافيلالت والأطلس المتوسط. فتتلمذ في رحلته تلك، لأبي بكر التطافي وأبي العباس الدراوي وأبي فارس عبد العزيز الفيلالي، ولقاضي الجماعة، أبي مهدي عيسى السكتاني ؛ وللفقيه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم. وقد مكنته رحلته وأخذه عن هؤلاء الجهابذة من لفت أنظار بعض الساسة إليه وهوفي تلك السن المبكرة. فلم يكن من الغريب أن يسند بودميعة، أمير سوس يومئذ، إلى اليوسي، في أثناء رحلته الثانية إلى تلك الجهة، كرسي الأستاذية في تارودانت، وهو لم يتجاوز بعد العشرين. وانتقل المترجم من سوس، التي أخذ بها، هذه المرة، عن عبد العزيز الرسموكي، إلى درعة حيث كانت الزاوية الناصرية بتامگروت في طور نشأتها. فتفرغ للأخذ عن شيخها أبي عبد الله ابن ناصر بعض العلوم التي كان قد بدأ النهل منها. وأعجب بذلك الشيخ وبطريقته في التلقين أيما إعجاب، فانتفع به "ظاهرا وباطنا" على حد قوله. ووصف مناهجه في التعليم والتلقين قائلا : "فكان إذا تكلم انتقش كلامه في القلب، وإذا وعظ وضع الهناء موضع النقب". فتلقى عنه الطريقة الناصرية التي كانت تدعو إلى اتباع السنة ومحاربة البدع، إلى أن صار نموذج التلميذ الناصري الذي لا يذخر وسعا في العمل على نشر نفوذ الزاوية الناصرية في مختلف جهات البلاد.

ويبدو أن مكوثه بدرعة قد طال أكثر مما كان في المراكز العلمية السابقة ؛ لأنه أخذ عن شيخ تامگروت *إحياء علوم الدين* و*الشفا* و*طبقات الشعراني* و*التسهيل* و*المدخل* ؛ فضلا عن عهد الشاذلية...

ولم تنصرم أعوام الستين حتى انتقل بعد ذلك إلى الزاوية الدلائية، حيث جمع بين الطلب والأستاذية. تلك الزاوية التي مكث بها حوالي عشرين سنة ؛ وكان لها يومئذ "صيت عظيم، وكان بها معاناة العلوم والدؤوب على التدريس والإقراء ليلا ونهارا، حتى تخرج بها جماعة من صدور العلماء وأعيانهم..". وهنالك قضى أزهى فترات عمره ؛ وأخذ بها عن بعض الفطاحل من العلماء كأحمد بن عمران الفاسي، ومحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي. وبالجملة "ففيها أورى زنده واشتعلت جذوته، وظهر في مضمار الأذهان تبريزه"، كما قال الإفراني.

هكذا أثمرت حياة الطلب الحافلة لدى اليوسي ثقافة موسوعية عكست ما كانت المؤسسات التعليمية المنبثة في الزوايا تلقنه في ذلك الزمن. وبعبارة أخرى، فإن المترجم قد جسد "جغرافية المغرب الثقافية في القرن 11 / 17"، على حد تعبير المستشرق جاك بيرك. وإلى جانب هذا، فإن اليوسي يعد ظاهرة فريدة في ميدان الطلب. يقول في *فهرسته* : "وكانت قراءتي كلها فتحا ربانيا، ورزقت ولله الحمد قريحة وقادة وفطنة ذكية. فكنت بأدنى سماع، وأدنى أخذ ينفعني الله...". أي أنه جمع بين الاستعداد الذاتي الذي فطر عليه، وبين ما رزقه الله تعالى من بركة فيما تلقن ودرس. وقد ردد كثيرا أنه "دعوة" أستاذه الشيخ مَحمد ابن ناصر، حين قال له، على إثر تهنئته بالقصيدة الدالية الطنانة: "جعلك الله عَيْناً يستقي بها أهل المشرق وأهل المغرب...". فكأن مترجمنا يريد أن يقول بأن نبوغه لم يكن على قدر دراسته ؛ بل هو فضل من الله الذي رزقه ذكاء وقادا وفطنة قوية.

وكانت الزاوية الدلائية، التي عاد إليها اليوسي وهو مملوء الوطاب، في أوج عزها وقتئذ، زمن سلطنة محمد الحاج الذي لاحظه بعين التقدير والإجلال "لما رأى له من البراعة في العلوم، والتمهر في الفنون" ؛ الأمر الذي تم له بالزواج من إحدى نساء الدلائيين. فعاش في الدلاء حياة ترف مادي وعلمي، الشيء الذي مهد له السبيل لبدء التحرير والتأليف. تذكر الأستاذة فاطمة خليل أن اليوسي ألف هنالك جل مؤلفاته كزهر *الأكم*، و*الحاشية على كبرى السنوسي*....

واستمر على تلك الحال، هنيئا مريئا، إلى أن نزل بالزاوية ما نزل ؛ حيث دكتها جيوش المولى الرشيد في معركة بطن الرمان في صيف عام 1079 / 1668، بمحضر الشيخ اليوسي الذي غرّبه السلطان إلى فاس للسكنى والتدريس بها، بعد أن غرب باقي الدلائيين إلى تلمسان.

وإذا كانت فاس لاتزال تعيش على إيقاع الهدوء الذي

استعادته في ظل المولى الرشيد، فإن بيئة العلماء التي وجد اليوسي نفسه وسطها قد امتلأت بالإحن والأحقاد والمكايد ؛ وهو الأمر الذي لم يكن ليفقده الاعتزاز بنفسه، فقال معرضا بمن تخلفوا عن مجلسه وغمطوه قدره العلمي :

ما أنصفت فاس ولا أعلامها علمي ولا عرفوا جلالة منصبي
لو أنصفوا لصبوا إلي كما صبا راعي سنين إلى الغمام الصيب

لعل هذا الموقف يشف عن بعض الغرور ؛ أو على الأقل يفترضه. ومن ثم، أجاب عبد الرحمن الفاسي، نيابة عن العلماء، فقال :

بل أنصفت فاس ومن إنصافها أبدا سقوط المدعي والمعجب

وعلى الرغم من محاولة المصالحة التي تزعمها أحد كبار شيوخ القرويين والتي سنحت معها الفرصة لليوسي ليؤلف كتاب *القانون*، محاولة منه للتدليل على مكانته العلمية المرموقة ؛ فإن بعض الحاسدين لم يكفوا عن إذايته. فكان لذلك أثر عميق في نفسه، اعترف به في كتابه *المحاضرات*، الذي ضمنه لوعته، وحسرته على ما فرط من أولئك المنكرين. فعقد أبوابا في العزلة والصبر على الأذى، والإعراض عن السفهاء...

لم يطق اليوسي ذلك المناخ الآسن، ولم يحتمل ذلك الوسط الذي لم يعترف له بالفضل ؛ لا سيّما وأن سكان مدينة فاس تخلفوا عن بيعة المولى إسماعيل الذي ضرب عليهم الحصار ؛ فاستأذن السلطان في مغادرة المدينة المنتفضة، ليرجع إلى البادية. كان ذلك سنة 1084 / 1673. وقبل أن يلقي عصا التسيار بجهة زايان، زار فروع الزاوية الناصرية بالشمال ؛ ومر ببني زروال. ثم استقر بالقرب من خنيفرة، حيث أسس زاوية خلفون على وادي أم الربيع، وعكف بها على تدريس العلم، وتلقين الورد. وعلى الرغم ممّا لاقى من قبول، حيث تكاثر تلاميذه ومريدوه، فإن استقراره لم يطل بها. ذلك لأن العزلة التي اختارها قد أثارت حفيظة السلطان، ولأن الموطن الذي نزله اليوسي كان شديد الاضطراب، وذكرى الدلاء لاتزال حاضرة بالأذهان ؛ الشيء الذي جعله يدعوه من جديد لمغادرة تلك الجهة أواخر عام 1085 / 1674 . فتوجه إلى مدينة مراكش، وتصدر للتدريس بجامع الشرفاء، حيث استمر على ذلك المنوال طوال خمس سنين (1090)، وهي أطول فترة يقضيها مستقرا. ذلك أن السلطان ما إن سمح له بالاستقرار في خلفون حتى توجس منه، فأمره بالرحيل إلى مكناس. ثم بدا له، بعد خمسة أشهر فقط، أن يزعجه من جديد فيرحل إلى مراكش، حتى أثار إشفاق صهره وأخيه في الطريقة والمحنة، أحمد بن عبد القادر التاستاوتي الذي قال :

سلام على خل إذا ما أتى إلى مكان ينادى بالرحيل فيرحل
وليس له ذنب سوى أنه إذا تحدث عن فضل به الفضل يحمل

ومع ذلك كله، لم يشتد عليه الخطب إلا في سنة 1095 / 1684 حين نفاه السلطان إلى الزاوية الدلائية الخربة، والفصل فصل شتاء. فأقام هنالك منفيا ثلاث سنين، وقد شاهد معاناة القبائل - ومن بينها قبيلته - من التقتيل والنهب والتشريد من لدن جيش السلطان. وقد عكست بعض مؤلفاته محنته تلك، ولاسيما *رسالته الكبرى*، "*جواب الكتاب*"، التي كتبها يومئذ. كما حاول ملء ذلك الفراغ باللجوء إلى التأليف ؛ حيث بدأ تسويد كتاب *المحاضرات* الذي ترشح بعض مباحثه بالألم والبلوى. وقبل أن يتوجه المولى إسماعيل إلى جبال فازاز، فإنه أمر اليوسي بمغادرة زاوية الدلاء عام 1098 / 1687 . ربما حتى لا يرى ما سيحل بالقبائل البربرية هناك من تضييق، حيث ضرب عليها السلطان حصارا دام زهاء سنة. وشرع في تطويقها بالقصبات المشحونة بالجيوش؛ إذ جدد بناء قلعة أدخسان وأنزل بها ألفا وخمسمائة جندي ؛ وأنزل مثلها بالدلاء. وفي نفس الوقت بنى قصبات تنتغالين وعين اللوح ومنت وگيگو وتشوكت والقصابي، وشحنها كلها بفرق من الجيش، لإتمام تطويق تلك القبائل التي تصلها بالمترجم أواصر القرابة في النسب والأخوة في الطريقة. وهي أمور لا يمكن بحال أن تغيب عن سلطان شديد الفطنة والتوجس مثل المولى إسماعيل. والراجح أن شهادة القادري لم تأت من فراغ حين قال : "ورزق من الإقبال من الخلق، فيجتمع عليه الجم الغفير حيث أقام، حتى كان السلطان لا يتركه أن يقر له قرار، بل يأمره بالرحيل في أقرب مدة من الموضع الذي استقر به إلى موضع آخر".

وهكذا أضحى الشيخ اليوسي دائم التنقل، لا يقر له قرار في مكان معين ؛ بعد أن انفرط عقد الوصال بينه وبين زاويته خلفون. فهل أتاه أمر سلطاني بترك تلك الزاوية ؟ لا نستطيع الجزم بالإيجاب أو السلب ؟ لكننا لا نستبعد أن المخزن قد فرض على قبائل جبال فازاز نوعا من "حظر التجول". ومهما كان الأمر، فإن المصادر تشير إلى أن اليوسي برز ضمن فقهاء فاس لحضور ختم درس التفسير الذي ألقاه القاضي أبو عبد الله المجاصي بحضرة السلطان. وبعد ذلك ترد الإشارة إلى نزوله بشعاب حمود، حيث ينعزل مدة سبعة أشهر، قبل أن يتوجه إلى صفرو، ومنها إلى فاس، ليمكث في كل منهما زهاء تلك المدة. ومن هذه الأخيرة يسافر صحبة تلميذه ابن زاكور، إلى الشمال ليتفقد فروع الزاوية الناصرية هنالك.وقبل انصرام عام 1099 / 1688 بأيام نجده في مدينة فاس، ليغادرها بعد أسبوع تقريبا ؛ أي في مفتتح سنة 1100 / 1689 ؛ متوجها إلى بلدة تمزيزت الواقعة ضمن الأراضي التي أنزلت بها بعض فرق آيت يوسي، بعد هزيمتها من لدن جيوش السلطان. وهنالك خلف اليوسي أهله ليتوجه إلى المشرق بقصد أداء فريضة الحج، ضمن الركب الرسمي. أي أنه بعث من لدن السلطان ؛ وهذا أمر قد يثير لدينا بعض العجب، لا سيما إذا علمنا أن السلطان كان في حركة ضخمة ضد قبائل جبال فازاز. فهل سعى بذلك إلى صرفه عما كان يجري في تلك الجهات ؟

كان المترجم في أثناء رحلته إلى الحج يتوقف طويلا ببعض المراحل المشهورة، كطرابلس والقاهرة باحثا عن علماء

يستحقون الأخذ عنهم. لكنه لم يجد ضالته، ليعلن "أنه ما بقي بالبلاد المشرقية من تشد له الرحال في طلب العلم". وقد رأى بعض المفكرين أن هذا دليلا على بعض غلوائه وكبريائه. وأيا كان، فقد رجع المترجم إلى داره بتمزيزت في شهر شوال من سنة 1102 / 1691، بعد أن قضى مناسك الحج. ولم يمهله أجله، بعد ذلك، إلا حوالي شهرين، حيث توفي ليلة الإثنين 23 ذي الحجة سنة 1102 / 1691. ونقلت الأستاذة فاطمة خليل، طرة بهامش مخطوطة من *نشر المثاني* تفيد أن اليوسي توفي مقتولا. وافترضت صحة ذلك بسبب تعدد خصومه.

ودفن بالقرية المذكورة، بمكان يسمى جنان مشكة، قبل أن ينقل جثمانه الذي قيل إنه لم يتسنه، بعد عشرين سنة، إلى العدوة الشمالية من مدينة صفرو.

خلف الحسن اليوسي تراثا علميا متنوعا يناهز أربعين عنوانا، عدا الرسائل التي تجل عن الحصر. ودون الوقوف عند تفاصيل إنتاجه، نذكر أنه صنف في كثير من الفنون أهمها الأدب، والتفسير، والقراءات، والتصوف، والتوحيد، والفقه والأصول، والكلام والمنطق.

وأهم مصنفاته وأشهرها : *الديوان*، و*القصيدة الدالية*، و *شرحها*، و*زهر الأكم في الأمثال والحكم*، و*المحاضرات*، و*القانون*، و *الفهرسة*، و *مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص*... و *القول الفصل في الفرق بين الخاصة والفصل*...

هذا فضلا عن *رسائله* الكثيرة - التي حققت منها الأستاذة فاطمة خليل جملة وافرة - والتي جاءت مرآة صقيلة عكست روحه المشبعة بالحرية والعفوية والإخلاص والصراحة؛ كما عكست موسوعية ثقافته، وتنوع فنونها ومشاربها. وأشهر هذه الرسائل :

- *الرسالة الكبرى*، التي رد فيها على السلطان المولى إسماعيل الذي عاب عليه انعزاله.
- *الرسالة الصغرى*، أو *براءة اليوسي* التي تجرأ فيها على انتقاد سياسة المخزن الإسماعيلي، ولا سيما فيما يتعلق بالجباية والجهاد والعدل، حيث أبان فيها عما ينبغي للعالم أن يتميز به حين يجب الصدع بكلمة الحق. والرسالتان معا تتضمنان من الصراحة في القول، والإخلاص في النصح، ما يشهد بفضل اليوسي وعلو مكانته.
- *رسالة في طائفة العكاكزة*، سفه فيها أحلام أتباع تلك الطائفة الضالة، وشدد في النكير عليهم، وحرض المخزن على الضرب على أيديهم.

وعلاوة على كل ما ذكر، يبقى اليوسي علما شامخا، ومن الآحاد الذين أنجبتهم الأمة الإسلامية في القرن 11 / 17. ومن ثم فلا عجب أن يتردد كثيرا على ألسنة معاصريه الذين يرددون قول أبي سالم العياشي :

من فاته الحسن البصري يصحبه * فليصحب الحسن اليوسي يكفيه

اليوسي، *المحاضرات والفهرسة والقانون*، تح. حماني ابن زاكور، *نشر أزاهر البستان* ؛ أحمد الولالي، *مباحث الأنوار* ؛ أحمد التاستاوتي، *نزهة الناظر* ؛ أحمد الهشتوكي، *الرحلة* ؛ الزبادي، *دوحة البستان* ؛ العميري، *الفهرسة* ؛ الإفراني، *صفوة من انتشر* ؛ *نزهة الحادي* ؛ المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ الطيب القادري، *نشر المثاني* ؛ *التقاط الدرر* ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ سليمان الحوات، *البدور الضاوية* ؛ الحضيكي، *طبقات* ؛ ع. الجبرتي، *عجائب الآثار* ؛ ابن الحاج، *رياض الورد* ؛ البغدادي، *إيضاح المكنون* ؛ *هدية العارفين* ؛ أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا* ؛ *طلعة المشتري* ؛ ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ *المنزع اللطيف* ؛ إبراهيم المراكشي، *الإعلام* ؛ عبد الحي الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ بوجندار، *الاغتباط* ؛ م.م. مخلوف، *شجرة النور* ؛ ابن الموقت، *السعادة الأبدية* ؛ ك. بروكلمان، *تاريخ* ؛ ليفي بروفنصال، مؤرخو ؛ كحالة، *معجم المؤلفين* ؛ يسركيس، معجم ؛ المختار السوسي، *سوس العالمة وإيليغ قديما وحديثا* ؛ *المعسول* ؛ علال الفاسي، أبو علي اليوسي ؛ م. داوود، *تاريخ تطوان* ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ* ؛ گنون، *النبوغ المغربي* ؛ محمد الأخضر، *الحياة الأدبية* ؛ محمد حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ ع. م. المنيف، *مقدمة الديوان* ؛ م. ع. المدغري، الفقيه أبو علي اليوسي ؛ ح. الوراگلي، *زهر الأكم* ؛ خ. الزركلي، *الأعلام* ؛ عباس الجراري، *عبقرية اليوسي* ؛ ف. خ. القبلي، رسائل أبي علي الحسن ؛ *مجلة المناهل*، العدد 15 ؛ أحمد عمالك، *الزاوية الناصرية*.

J. Berque, *Al Youssi ou problèmes de la culture marocaine au 17° siècle.*

أحمد عمالك

**اليوسي، عثمان** بن **علي**، ابن عم الشيخ الحسن بن مسعود، تعلم بالزاوية العياشية، وارتبط مع شيخه أبي سالم العياشي في علاقة التلمذة، فقد سمع عليه أكثر من عشرين مؤلفا في مختلف الفنون. وحظي بإجازته التي استهلها بما ينم عن الصداقة التي جمعت بينهما، وحدد الشخصية الأدبية التي تميز بها ؛ فإلى جانب الحديث عن صلاحه وصف بطول باعه في النظم والنثر. وعن إبداعه لأدبي قال : "...وكتب إلي أيضا... جوابا عن قصيدتي السينية بقصيدة بارعة ولمصارعها في نادي البلاغة صارعة إن لم تكن أفضل منها فلم تقصر عنها". وقد أدرج أبو سالم في رحلته كثيرا من نصوص المراسلات والقصائد التي كان المترجم يرسلها أو يتلقاها من أفراد الركب والأصدقاء بعد أن تخلف عن مرافقتهم إلى الديار المقدسة.

توفي سنة 1084 / 1673.

العياشي، *رحلة*، 1 : 76، 80 - 85 ؛ القادري، *نشر*، 2 : 206، 208.

نفيسة الذهبي

**اليوسي، عمر** بن **محمد** تولى القيادة بعد مقتل أبيه بتزكية من المخزن سنة 1309 / 1891. وقد كشف عن جرأة كبيرة وشجاعة في الإقدام إلى حد التهور في بعض الأحيان والتسرع في اتخاذ القرارات دون التنبه إلى نهايتها التي قد

تكون خطيرة على وضعه كقائد مخزني. وقد استفاد من عمله كمساعد لأبيه قيد حياته فاكتسب خبرة كبيرة بتدبير الشؤون القبلية وملاءمتها لمطالب المخزن.

استقر القائد عمر في بداية أمره بالنجيل نختار، وأسس لنفسه قصبة محصنة كانت تعرف "باغرم نْعمَر" ولا تزال آثارها بادية للعيان إلى اليوم.

وبعد وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1311 / 1894، استفاد القائد اليوسي عمر من وجود صهره أحمد بن مبارك البخاري في الجهاز المخزني العزيزي ففاز بتزكية السلطان مولاي عبد العزيز، وليبرهن على ولائه للسلطان شارك برجاله في مقارعة الثائر الجيلالي بوحمارة سنة 1902 وقد أبلى البلاء الحسن في خض شوكة هذا الثائر ومنعه من الزحف على مدينة فاس. وقد اعترف له المخزن بهذه المزية، فأطلق له أيدي التصرف في قبيلة آيت يوسي، كما كان رجال المخزن يغضون الطرق عن تعسفه وجوره، وتجاوزه لكل الحدود في إذلال وقهر رعيته.

وقد انتقل القائد اليوسي عمر إلى مدينة صفرو، فاتخذها مركزاً لقيادته، ليكون قريبا من المخزن بفاس. وتدل كل القرائن والمعطيات على أن المخزن العزيزي قد اعتمد كثيراً على هذا القائد للحفاظ على الأمن في طريق السلطان الذي يربط بين تافيلالت وفاس عبر الأطلس المتوسط فازدهرت الحركة التجارية وعم الأمن بين القبائل، حيث كان القائد اليوسي عمر لا يتردد في البطش بكل من ثبت أنه هاجم القوافل التجارية أو مارس اللصوصية ضد التجار. وقد قتل في إحدى المعارك بتازوطة سنة 1904 فنقل جثمانه إلى صفرو حيث دفن، ولا يزال قبره يذكر أهل المدينة بممارسته القاسية معهم.

الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ العربي اكنينح، *آثار التدخل الأجنبي بالمغرب على العلاقة بين المخزن وقبيلة بني مطير* ؛ محمد يخلف، *تطور أدوات السياسية المحلية بصفرو*.

أحمد البوزيدي

**اليوسي، لحسن** هو لحسن بن حدو وسعيد اليوسي المزداد سنة 1903 بدوار تكرماط بالعنوصر، إحدى أكبر فخذات قبيلة آيت يوسي المنتشرة بضواحي مدينة صفرو. وأسرته عريقة ومعروفة بكرمها وشجاعتها وحبها للعرش العلوي. وفي سن الثانية والعشرين من عمره عين قائداً على قبيلته، فعرف بعدله واستقامته. وقد بقي طيلة حياته مرتبطا ارتباطاً وثيقا بمدينة صفرو وناحيتها، وتميز مع آخرين بمناهضته للاستعمار الفرنسي.

ورغم ثقافته المتواضعة، كان لديه بعد نظر أدرك من خلاله طبيعة المجتمع المغربي التعددية، فسعى إلى إقامتها على أرض الواقع، إذ ربط مبكراً صلات وطيدة مع النخبة المغربية البارزة آنذاك. وعقب أحداث غشت 1953، سجل موقفه الرافض لتوقيع عريضة الباشا الكلاوي المشؤومة، والقاضية بعزل سلطان البلاد ورمز سيادتها، شأنه في ذلك شأن رفيق دربه امبارك البكاي، باشا مدينة صفرو، وهذا ما أدى إلى اعتقاله رفقة ابنه محمد أوموحا وجعلهما تحت الحراسة الإجبارية بمدينة ابن سليمان ثم بمدينة الصويرة، ولم يطلق سراحهما إلا عند استقلال المغرب.

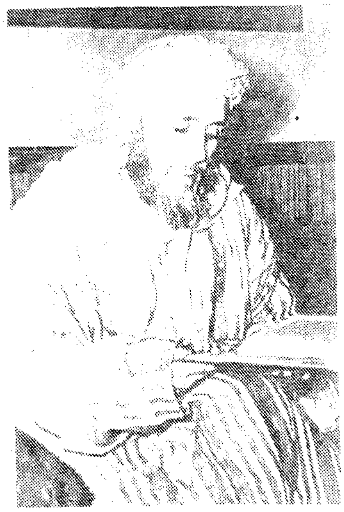

بعد عودة محمد الخامس المظفرة من منفاه عين الحسن اليوسي على رأس وزارة الداخلية في أول حكومة بعد الاستقلال، ولم يكن هذا التعيين غبطة، لأن لحسن اليوسي تحمل هذه المسؤولية الجسيمة في ظرف صعب جدا، إذ كان المغرب في مرحلة انتقالية ويعيش نوعاً من الفوضى، فكان من الشخصيات التي ساهمت في بناء الأسس الأولية للدولة ولأول حكومة بعد إعلان الاستقلال. كما أن الفترة التي قضاها على رأس وزارة الداخلية اتسمت بالصراع مع بعض الشخصيات السياسية، ولا سيما علال الفاسي والمهدي بن بركة وحزب الاستقلال الذي كان يعمل من أجل إرساء الحزب الواحد بالمغرب. كما أنه لعب دوراً أساسياً في الوساطة بين العرش وجيش التحرير من أجل وضع السلاح والالتئام حول عاهل البلاد، وقد نجح إلى حد ما في هذه المهمة.

ولكن نتيجة الأحداث الدموية التي وقعت آنذاك بمراكش تنحى عن منصبه بوزارة الداخلية ليعين بعدها كوزير للتاج، وأصبح فيما بعد أحد مؤسسي الحركة الشعبية إلى جانب كل من الدكتور عبد الكريم الخطيب والمحجوبي أحرضان وحدو أبرقاش، قبل أن يلتحق بمدينة ملاگا (Malaga) الاسبانية سنة 1962. حيث وافاه الأجل المحتوم سنة 1970.

وتحت رعاية المغفور له الملك الحسن الثاني أسس مركز الحسن اليوسي للدراسات والأبحاث السياسية.

لحسن اليوسي، أعمال التظاهرة العلمية الأولى حول موضوع *الانسان وحركية التاريخ*، نونبر، 1998، منشورات مركز الحسن اليوسي للدراسات والأبحاث السياسية ؛ معلومات مستقاة من موحا اليوسي، نجل لحسن اليوسي.

*L'avenir ne surgit pas du néant mais de la némoire*
Publication du Centre Lahcen Lyoussi, pour les études et recherchrs politiques.

الحسين البعاوي

**اليوسي، محمد** (القائد) يذكر صاحب الجيش العرمرم الخماسي، أن السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام، الذي تولى أمر السلطنة بالمغرب سنة 1238 / 1818، قرب إليه قبائل آيت يدراسن (ومنها قبيلة آيت اليوسي) وأناط بها غير ما مرة مهمة الحفاظ على الأمن وردع القبائل المشاغبة بالأطلس المتوسط (الجيش، 2 : 14 ـ 22) وقد برز اليوسي القائد محمد أوالطالب، كرجل محارب يعمل لرفع كلمة المخزن بين أعيان قبيلة آيت يوسي، وهذا ما جعل السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان الذي خلف أباه على كرسي السلطنة سنة 1276 / 1860 يعين اليوسي محمد أوالطالب، قائدا مخزنيا رسميا على قبيلة آيت يوسي.

وعلى الرغم من أن عائلة اليوسي محمد أوالطالب، تنحدر من فرقة آيت واحي الصغيرة، فإنه، قد حاول منذ البداية بناء مجد قائدي لأسرته وفرقته على حساب الفرق الأخرى من آيت يوسي، فقد كان يموه على المخزن، لاستمداد المشروعية منه، واستنفار الرجال باسمه لمحاربة وردع المنافسين لأسرته داخل قبيلة آيت يوسي وبالقبائل المجاورة. وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان على بينة من تعسفاته، إلا أنه كان يغض الطرف عن سلوكه، لانشغال المخزن في حماية البلاد من التكالب الأجنبي. وكان اليوسي محمد أوالطالب يعرف جيدا أن السلطان كان على علم بكل تجاوزاته، فكان يحاول تهدئة خواطر حاشية السلطان بتقديم الهدايا ومد المخزن بالحُرّاك كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وفي السنوات الأخيرة من عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان، بات السلطان يلاحظ أن سلوك القواد مع القبائل بدأ يؤشر على عواقب وخيمة لا تحصد عقباها، خاصة أن بعض القبائل بالأطلس المتوسط بدأت تتململ ضد قوادها، فشكل جهازا لاستخباراتها قال عنه الناصري إنه كان له "في كل بلد عيون يكتبون له بما يقع من الولاة فمن دونهم، فكانت الرعية كأنها في كف يده". كان الهدف من هذا الجهاز الاستخباراتي، هو تشخيص الأوضاع القبلية بكيفية دقيقة، استعدادا لتقليم أظافر القواد الذين تجاوزوا بجورهم كل الحدود، إلا أن المنية عاجلته سنة 1290 / 1873، قبل تنفيد مشروع الإصلاح الإداري، وهذا ما قام به خلفه السلطان مولاي الحسن بن محمد.

وبعد سلسلة من المشاورات مع كبار رجال الدولة أقر السلطان رأي أغلبية رجال المخزن الذين أشاروا عليه بتولية عاملين أو أكثر على القبيلة "لتتفرق كلمتها وتنكسر شوكتها وتذعن للطاعة والخدمة المخزنية".

هذا التحول الذي طرأ على القيادة الكبرى لآيت يوسي، جعلت القائد اليوسي محمد أوالطالب يبحث عن طريقة تسمح له بالشغوف والظهور على القواد اليوسيين الآخرين، خاصة أنه يتوفر على تجربة مخزنية مهمة، لذلك وضع نفسه رهن إشارة السلطان مولاي الحسن لتنفيد مهمة التخلص من الشيخ الصوفي محمد بن العربي العلوي المدغري صاحب زاوية للارحمة الله بمدغرة، لإعلانه الجهاد ضد الفرنسيين بالأطراف الجنوبية الشرقية، ضد رغبة المخزن المسالم لفرنسا. وهكذا ما كاد اليوسي محمد أوالطالب يشرف على بلاد مدغرة حتى أمر الشيخ بعض أتباعه من آيت عطًا، فاعترضوا حَرْكة محمد أوالطالب اليوسي فقتلوه.

الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ العربي اكنينح، *أثار التدخل الأجنبي بالمغرب على العلاقة بين المخزن وقبيلة بني مطير* ؛ محمد يخلف، *تطور أدوات السياسة المحلية بصفرو* ؛ المراكشي، *الإعلام*، 3 : 84.

أحمد البوزيدي

**اليونان** و**المغرب القديم**، نتوفر على مؤشرات قوية عن احتكاك الإغريقيين بسكان المغرب قبل العهد الفنيقي، حيث اشتهر أهل المغرب في هذه المرحلة بالأطلسيين رعايا الملك أطلس. وأهم ما يطبع العلاقة المبكرة بين العالم الإغريقي والمغرب القديم نوجزه في نقطتين أساسيتين هما : التأثيرات والمقاومة.

النقطة الأولى التأثيرات :

يتعلق الأمر بتأثيرات الأطلسيين في الثقافة أو الديانة الإغريقية. ونستهل هذه النقطة بما أثاره ديودور الصقلي من توافق الأسطورة الإغريقية والأطلسية في هذا المجال، وهو يحاول تأويل كل رواية أسطورية ليستنبط منها ما تنطوي عليه من خلفية واقعية ومنطقية. قال في هذا الصدد : "إن الأطلسيين رعايا أطلس هم أكثر الليبيين حضارة في هذه النواحي. فهم يمتلكون أرضا مزدهرة ومدنا كثيرة. ويحكى أن الآلهة ولدت في بلادهم بالمناطق القريبة من المحيط. وهذا موافق لما ورد في الأساطير الإغريقية". وأضاف في سياق آخر : "ينبغي أن أتناول بتفصيل ما كان يروج عندهم من أساطير حول ميلاد الآلهة، لأنها لا تختلف كثيرا مع ما يروجه الإغريقيون. فالأطلسيون الذين يسكنون بالمناطق المتصلة بالمحيط ويمتلكون أرضا مزدهرة، يتميزون عن جيرانهم بإيمانهم القوي وبمعاملة حسنة مع الأجانب. إنهم يؤكدون أن الآلهة ولدت في بلادهم. وهذا موافق لما يعتقده أشهر شعراء الإغريقيين (يقصد هومروس) في حديثه على لسان هيرة Héra قائلا : سأذهب فعلا لأزور حدود الأرض الخصبة ـ المحيط حيث ولدت تيتوس Tithus الآلهة".

وفي حديثه عن الأصل الليبي للإله ديونسوس ختم بالإشارة التالية : "وأعلم كذلك أن من بين الإغريقيين هناك كثير من الشعراء والكتاب القدماء المتخصصين في الميثلوجية يوافقون الليبيين في آرائهم. وينطبق ذلك أيضا على عدد كبير من الكتاب المتأخرين". وأهم التأثيرات التي يشهد بها نفس الكاتب هي كون الملك أطلس معلم لهرقل : "إن أطلس أكرم هرقل بتلقينه مبادئ في علم النجوم Astrologie ، والمعلوم أن أطلس نبغ في هذا العلم

وصنع بمهارة كوكبا سماويا. وهذا ما جعل الناس يعتقدون أنه يحمل الكون فوق كتفيه. وبما أن هرقل هو أول من أتى إلى بلاد الإغريق بعلم الكروية، فقد قيل إنه أخذ عن أطلس حمل الكون".

وتتجلى مظاهر هذه التأثيرات من خلال التأكيد على الأصل الليبي أو الأطلسي لرموز الديانة الإغريقية، منهم :

بوسيدون Poseidon : يقول عنه هيردوت : "إن الليبيين هم الذين انفردوا بتقديس الإله بوسيدون منذ قديم الزمان، وإليهم يرجع الفضل في تعرف الإغريقيين لهذا الإله". كما أفاد أن الإلهة أثينة ليبية الأصل، مشيرا إلى طقوس كان يقوم بها الليبيون على شرفها، ومؤكدا أنها ابنة الإله الليبي بوسيدون. وأفاد أن بعض الطقوس الإغريقية التي ترتبط بتقديس الإلهة مستمدة من التقاليد الليبية. وأكد بوسانياس عن الهوية الليبية للإله بوسيدون وابنته أثينة، التي يصف تمثالها كما يلي : "بمشاهدتي لعينيها الزرقاوتين، أدركت أن ذلك مستمد من أسطورة ليبية مفادها أن الإلهة ابنة بوسيدون، ولذلك فلون عينيها أزرق مثل والدها".

أورانوس Ouranos : يقول عنه ديودور الصقلي : "يعتقد الأطلسيون أن أورانوس هو أول من حكم بلادهم. فقد أحاط مدينته بسور، وجمع فيها رعاياه الذين كانوا يهيمون على الأرض ويعيشون حياة متوحشة. سن لهم القوانين وعلمهم نتاج الحبوب والاحتفاظ بها. فتح كل البلاد المسكونة خاصة في الغرب والشمال. كان يتأمل النجوم ويبشر بالأحداث التي ستجري في الكون وعلم قومه حساب السنة تبعا لحركة الشمس، وحساب الشهور اعتمادا على حركة القمر. وعلمهم كذلك دورة فصول السنة. وهكذا فإن جهل الناس بالنظام الأبدي للنجوم، وتأكدهم من صحة تنبؤات أورانوس بالمستقبل، كل ذلك جعلهم يتخذونه إلها. ولما اختفى من الوجود أطلقوا اسمه على الكون".

ديونسوس Dionysos : يقول عنه ديدور الصقلي : "إن الليبيين الذين يسكنون بناحية المحيط يتشبثون بميلاد ديونسوس في بلادهم، فهم يؤكدون أن أساطير الأولين التي تحكى حوله معروفة عندهم، وعلى رأسها مدينة نوسة Nusa، ويزعمون أن آثارها مازالت موجودة في بلادهم. وفي سياق آخر أوضح ما يلي : "ورد في قصص الليبيين أن ديونسوس ابن لأمور Ammon وأمالتي Amalthée.

زيوس Zeus : قال نفس الكاتب : "إن كرونوس Kronos أخو أطلس كان يتصف بعدم الاستقامة والغدر ويحكى أنه تزوج أخته ريبا Réa ، فأنجبت زيوس الذي عرف فيما بعد بالأولمبي". وقد خصه ديونيسوس بعناية فائقة. وبعد غزو هذا الأخير لمصر ولى عليها زيوس وهو لا يزال صبيا.

هرميس Hermes : في الحديث عن بنات أطلس قال نفس الكاتب : "بزواجهن بالآلهة والأبطال تكون الجنس البشري. فمايا Maria تزوجت بزيوس وأنجبا هرميس صاحب اختراعات نافعة للناس. بينما أنجبت بقية الأطلسيات أبناء اشتهر بعضهم ببناء المدن وآخرون بتكوين عدة أمم". والجدير بالذكر أن الشاعر الروماني فرگليوس أشار إلى أن هذا الإله الذي يدعى مركوريوس Mercurius عند الرومان، ينحدر من ذرية أطلس مثله في ذلك كمثل أهل طروادة.

النقطة الثانية : مظاهر المقاومة والتصدي بين الطرفين

نسجل معالم مقاومة الطرفين الإغريقي والأطلسي لبعضهما البعض. والغالب أن تداول أدوار هذه المقاومة كان حسب ظروف القوة والضعف في أحوال كل طرف على حدة.

وأهم بوادر المقاومة والتناحر نجدها تصدر عن الطرف الإغريقي. فالإله زيوس انتزع الملك من والده كرونوس بعد حرب بينهما. وفرض على أطلس أن يحمل الكون فوق كتفيه. كما أن الإلهة أثينا حاربت والدها بوسيدن لانتزاع السيطرة على أتيكا Attika. وعاقب بيرسيوس Persée الملك أطلس من خلال النص التالي : "ولما رفض أطلس استضافة بيرسيوس سلط عليه غضبه فمسخ وتحول إلى جبل. فصار شعره ولحيته غابات وتحولت كتفاه وذراعاه إلى تضاريس ومنحدرات، وأصبحت عظامه حجارة. لقد هوت السماء فوقه بكل كواكبها حسب إرادة الإلهة".

نستخلص من هذه المواقف أن ما يطبعها من تمرد وانتقام يعبر عن مقاومة رموز العالم الإغريقي، لأجل الانعتاق من وطأة الليبيين والأطلسيين. وتتجلى ملامح المقاومة والتصدي بين الطرفين، من خلال العلاقة السيئة بين بوسيدون ومينوس Minos ، قيل في هذا الصدد : "كان في كريت ثور عاث فسادا في البلاد كلها... ويحكي الكريتيون أن بوسيدون سلط هذا الثور على بلادهم، لأن مينوس لما كان يسيطر على المياه الإغريقية كان لا يقدر بوسيدون. وقيل إن الثور نقل من كريت إلى البيلوبونيز في واحد من أعمال هرقل... وفي أتيكا قتل كل من التقى به وضمنهم أندروگي Androgé بن مينوس".

والجدير بالذكر أن جزيرة كريت خضعت لأقارب أطلس، ابتداء من عمه زيوس الأكبر أخ أورانوس الذي يعد أول ملوك الأطلسيين. قيل إنّ زيوس الأكبر ساد في كريت وأنجب عشرة أبناء يدعون بالكوريتيين Kouretes وأطلق اسم زوجته إيدايا Idaia على الجزيرة. ومدفنه كان معروفا بالجزيرة في وقت الكاتب ديودور الصقلي أي في القرن الأخير قبل الميلاد. ثم خضعت الجزيرة لحكم أمون ملك الليبيين بنواحي المحيط. فلما انهزم أمام كرونوس وريبا التجأ إلى جزيرة كريت حيث تزوج فتاة تدعى كريتي Kréte، ابنة أحد الكوريتيين الذين كان يحكم الجزيرة. وقد بسط أمون حكمه على الجزيرة وبدل اسمها إيدايا باسم زوجته كريتي. وكان يعرف بذي القرنين وكذلك ولده ديونسوس.

ومن مؤشرات الصراع الإغريقي الأطلسي، ما روي حول مواجهة الأثينيين للأطلسيين في جزيرتهم أطنتيدة Atlantide ، حيث أنشأوا إمبراطورية شمل نفوذها أرجاء

العالم المتوسطي. وهنا نلفت الانتباه إلى أن عناصر أسطورة الجزيرة المذكورة، تجد جذورها وأسسها في واقع الأطلسيين بالمغرب القديم، الذي تصورته الرواية كجزيرة مندرسة. والغالب على الظن أن وحدة الجزيرة وبلاد المغرب في المجال، تتجلى في كون الملك أطلس حكم المغرب القديم والجزيرة المذكورة.

أما مقاومة الطرف الأطلسي للإغريقي فنلمسها في صراع أنثايوس Anthaeus وهرقل Herakles. قال بانداروس : "قصد هرقل أنثايوس الذي كان يقيم في ليبية الزاخرة بالحبوب وذلك لمنعه من تزيين معبد بوسيدون بجماجم الأجانب". وقال ديودور الصقلي : "اشتهر أنثايوس بقوته الجسمانية الخارقة وبنباهته في المصارعة، مما جعله يقتل كل الأجانب الذين تجرأوا على مواجهته. ولما وصل هرقل إلى ليبية دعا أنثايوس للمصارعة فغلبه".

والراجح أن هذه العلاقة بين الإغريقيين والأطلسيين، صارت خلفية دفعت الإغريقيين إلى منافسة الفنيقيين لأجل استيطان المغرب القديم. ويبدو أن ذكرى ما تمكن منه الإغريقيون، يتلخص في أثر سور لأهل كاريا Karia لفت نظر حنون، فصاغ من ذلك الأثر اسم السور الكاري كاركون طيخوس Karikon Teikhos لإحدى مستوطناته التي أنشأها ما بين المضيق ولكسوس Lixus. وفي هذا الصدد نجد باحثا حاول أن يناقش إمكانية وجود أهل جزيرة بيوتيا Beotia بالمغرب ما بين القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. غير أن حصة الأسد كانت على ما يبدو لصالح الفنيقيين، الذين كانوا يروجون الخزف الآتيكي في المغرب. وقد أكدت نتائج البحث الأثري صحة هذا الخبر، نظرا لوجود المواد الإغريقية والفنيقية في نفس الوسط الأثري، خاصة في جزيرة مگدور. ولقد استمر تداول الخزف الآتيكي حتى القرن الرابع قبل الميلاد، بناحية طنجة في موقع يدعى بوتي بوا Petit bois ولكسوس والأقواس وبناسة. وهذا يوحي بأن أهل المغرب كانت لهم علاقة متميزة مع بلاد اليونان، في الوقت الذي كان الموريون يرتابون في التعامل مع القرطاجيين ثم مع الرومان. والجدير بالذكر أن السلع المورية كانت تروج في هذه الحقبة في بلاد اليونان، وتم اكتشاف كمية كبيرة منها في كورنثا، يرجع تاريخ تداولها بالمدينة إلى النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد.


محمد مجدوب، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة، 1998 ؛ أضواء حول تاريخ المغرب قبل الفنيقيين، *النشرة الأثرية المغربية، 20*، تحت الطبع.

M. Tarradell, *Historia de Marruecos, Marruecos punico*, Tetuan, 1960 ; F. Villard, Céramique grecque du Maroc, dans *BAM, 4, p. 1-26, 1960* ; M. Ponsich, Exploitations agricoles romaines à la région de Tanger, dans *BAM, 5, p. 235-252, 1964* ; Idem, A propos d'une lampe grecque trouvée à Banasa, dans *BAM, 6, p. 465-468, 1966* ; Idem, Alfarerias de epoca punico-mauretania en Kouass, (Arcila Marruecos), dans *Papeles del laboratorio de Arqueologica de Valencia, 4, 1968* ; Idem, Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région, Paris, 1970 ; Lixus, quartier des temples, dans *ETAM, 9, 1981* ; A. Jodin, Mogador comptoir phénicien du Maroc atlantique, dans *ETAM, 2, 1966* ; J. Schmidt, *Dictionnaire de mythologie grecque et latine*, Paris, 1992 ; M. Gras, La mémoire de Lixus, dans *Collection de l'Ecole Française de Rome, 166, p. 27-44, 1992* ; P. Rouillard, Le commerce grec du 5ème et du 4ème siècle av. J.-C. dans la région de Lixus et de Gades, dans *Collection de l'Ecole Française de Rome, 166, p. 207-215, 1992.*


محمد مجدوب

**محمد حجي**، يعتبر الأستاذ محمد حجي علما بارزاً من أعلام الثقافة ورائدا من رواد البحث العلمي بالمغرب. تجمعت في شخصه ملكات المؤرخ والمحقق والمترجم والفقيه، فسخرها بوفاء المتصوفة لبناء جانب كبير من صرح الثقافة المغربية وراهن بكل طاقاته من أجل تحقيق مشروع كتابة تاريخ المغرب.

النشأة والتعليم :

ولد محمد حجي بمدينة سلا ودفن بها بعد أن بلغ الثمانين سنة، ومن غريب الصدف أنه توفي في نفس تاريخ الشهر الذي ولد فيه. إذ كان ميلاده في (31 يناير 1923)، ووفاته في (30 يناير 2003) الموافق 13 جمادى الثانية 1341 و27 ذو القعدة 1423. ينحدر من أسرة حجي السلاوية، وهي أسرة عريقة في مجال العلم والوطنية، أنجبت العديد من الشخصيات أمثال سعيد وعبد الرحمان حجي.

نهل الأستاذ محمد حجي من معين الثقافة التقليدية والعصرية معا، فأخذ القرآن ومختلف فنون العلم في اللغة والفقه والأدب والفلك والسيرة عن ثلة من العلماء الأجلاء أمثال : الجيلاني النجار والفقيه زين العابدين بن عبود والحاج محمد الصبيحي وأبو بكر زنيبر ومحمد المدني بن الحسني وشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي وعبد الرحمان بن شعيب الدكالي، وغيرهم. وقد انفتح على الثقافة العصرية فتعلم اللغات الأجنبية فحصل على دبلوم اللغة العربية في الترجمة من معهد الدراسات المغربية العليا بالرباط، (1958) والذي أصبح يدعى كلية الآداب والعلوم الإنسانية الآن. وحصل على الإجازة في اللغة العربية وآدابها 1961، ودبلوم الدراسات العليا في التاريخ 1963 كلاهما من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. ثم حصل على دكتوراه الدولة من جامعة السربون بباريس 1976.

في مجال التوظيف :

اشتغل في مؤسسات تعليمية متعددة، مدرسة محمد جسوس بالرباط ومدرسة للاعائشة بسلا وثانوية أزرو ومدرسة المعلمين بالرباط وثانوية مولاي يوسف بها، ومدير مدرسة المعلمين الإقليمية بمراكش، والمفتش الإقليمي للتعليم بالرباط والمفتش الأول بوزارة التعليم.

تقلب في عدة وظائف أخرى، فكان نائب وزارة التربية الوطنية بإقليم الدار البيضاء ورئيس قسم البحث والعمل التربوي بوزارة التربية الوطنية. وعين أستاذا مساعدا ثم محاضرا ثم أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب بالرباط ما بين سنة 1967 و1979 ثم عميدا لها (1979 ـ 1981). ثم مديرا للمدرسة المولوية (1982 ـ 1984) ثم أمضى بقية حياته رئيسا للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر بالرباط.

خصاله وإسهاماته :

من أهم خصاله أنه يتسم بمسحة من التصوف، وفي إطارها كان يدبر أموره وأمور عائلته بمنطق يجمع بين الصرامة والوداعة، ويجمع إلى تواضع العلماء حذق العارفين مع صبر وأناة لا يفقدهما إلا عندما يصادف ما يتعارض مع مبادئه الإنسانية وأخلاقه الحسنة، وقد أدار بحكمة شؤونه العائلية والإدارية والتعليمية، واستفاد من توجيهاته وإرشاده العديد من الطلاب والباحثين ممن كان يشرف على أبحاثهم ودراساتهم.

وساهم في تحقيق كثير من المشاريع الهامة، قدم خلالها خدمات جليلة ستبقى علامات بارزة في ثقافة المغرب وحضارته، من أهمها : إسهامه في نشر الكتاب المدرسي بالتعليم الابتدائي والثانوي بالمغرب تأليفا وإصدارا. كما أنه أسس مطبعة خاصة تدعى مطبعة "دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر" بالرباط، كان يديرها بنفسه، فأصدر جملة من الكتب بين سنوات 1973 و1976 ، ثم توقفت المطبعة.

وشارك في تعريب مادتي التاريخ والجغرافية والتمهيد لتعريب مادتي الفلسفة وعلم النفس بالجامعة المغربية، كما أسس "الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر" صحبة جملة من الأساتذة والباحثين، سنة 1980، وفي إطارها أصدر مجلة الكتاب المغربي في تلك السنة، وأصدر الملجد الأول من "*معلمة المغرب*" سنة 1980 وهي موسوعة مغربية من ثلاثة وعشرين مجلدا، انتهى طبعها كاملة سنة 2005.

آثاره العلمية :

كان الأستاذ حجي شغوفا بالتأليف والترجمة والنشر، مما جعل إنتاجه الفكري يعرف غزارة شملت مختلف الحقول، كان في طليعتها التأليف في الحقل التاريخي الذي يعتبر من رواده إلى جانب حقول الترجمة والتحقيق والنشر. ونورد هنا مجمل مؤلفاته التي تتجاوز أربعين كتابا مرتبة كما يلي :

1 ـ مؤلفات :

ـ *الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي*، الطبعة الأولى. الرباط 1964 ؛ الطبعة الثانية. الدار البيضاء، 1988.

ـ *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، الطبعة الفرنسية والترجمة العربية، المحمدية، 1396 / 1976 (جزآن).

ـ *فهرس مخطوطات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*، الكويت، 1406 / 1985.

ـ *تراث الأندلس : تكشيف وتقويم* (بالاشتراك) الدار البيضاء، 1414 / 1993 (جزآن).

ـ جولات *تاريخية : بحوث سياسية واجتماعية وثقافية* من *تاريخ المغرب عبر العصور*، بيروت، 1995 (جزآن).

ـ سلا : *حاضرة ألفية* بالفرنسية (بالاشتراك). 1997.

ـ *أعلام مغاربة لهم علاقة بالبحر*، مطبعة عكاظ، الرباط، 1998.

ـ *نظرات في النوازل الفقهية*، الرباط، 1999.

ـ *انبعاث الفقه وتطبيق الشريعة الإسلامية* ضمن سلسلة كتاب "دعوة الحق". منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط، 2002.

ـ كتب مدرسية :

ألف وحده أو بالاشتراك عدداً من الكتب المدرسية المقررة أو الموازية في التعليم العمومي على امتداد نحو عشرين سنة (1956 ـ 1974) من المرحلة الابتدائية إلى قسم الباكالوريا.

2 ـ التحقيقات :

ـ *ألف سنة من الوفيات* في ثلاثة كتب : شرف الطالب ؛ وفيات أحمد الونشريسي، لقط الفرائد، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976.

ـ *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تأليف محمد ابن عسكر الشفشاوني (ت. 986). الرباط 1976.

ـ *فهرس أحمد المنجور* دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976.

ـ *المحاضرات في اللغة والأدب*، للحسن اليوسي دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1396 / 1976.

ـ *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني* (بالاشتراك) تأليف محمد بن الطيب القادري، الرباط والدار البيضاء، 1977 ـ 1986 (4 أجزاء).

ـ *زهر الأكم في الأمثال والحكم* (بالاشتراك) تأليف الحسن اليوسي (ت. 1102) الرباط، 1981 (3 أجزاء).

ـ *فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور* (بالاشتراك)، تأليف الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، بيروت، 1981.

ـ *المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب* (بالاشتراك)، أحمد الونشريسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981 (13 جزءا).

ـ *البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل* (بالاشتراك) لأبي الوليد بن رشد القرطبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987 (20 جزءا)

ـ *المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من*

*الأحكام الشرعيات* (بالاشتراك)، لأبي الوليد بن رشد القرطبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988 (3 أجزاء).

ـ *صلة الخلف بموصول السلف* لمحمد بن سليمان الروداني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

ـ *الرحلة الحجازية* لمحمد يحيى الولاتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

ـ *الذخيرة في أصول الفقه وفروعه* (بالاشتراك) تأليف أحمد القرافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994 (14 جزءاً).

ـ *موسوعة أعلام المغرب*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (عشرة أجزاء).

ـ *النوادر والزيادات في الفقه المالكي* (بالاشتراك)، لأبي زيد القيرواني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000 (15 جزءاً).

3 ـ الترجمات (كلها بالاشتراك)

ـ *وصف إفريقيا* للحسن بن محمد الوزان الفاسي (تـ. بعد سنة 957) الطبعة الأولى، مطبعة البلاد، الرباط، 1980. الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 (جزآن).

ـ *إفريقيا* تأليف مارمول كربخال الإسباني، الرباط، 1984 (ثلاثة أجزاء).

ـ *فاس قبل الحماية* روجي لوطورنو الفرنسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986 (جزآن).

ـ *تاريخ الشرفاء* تأليف ديكوردي طوريس الإسباني افسباني، الدار البيضاء، مطابع سلا، 1988.

ـ *رحلة الأسير مويت* ، تأليف الرحالة مويت الفرنسي، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 1990.

ـ *عبد القادر الجيلاني شيخ كبير من صلحاء الإسلام* لمحمد علي عيني التركي، الدار البيضاء، 1993.

محمد حجي، *السيرة الذاتية* بقلمه ضمن ملفه الإداري بكلية الآداب ؛ جريدة *العلم*، *الملحق الثقافي بتاريخ فبراير 2003* ؛ محمد حجي الإنسان والمفكر، خديجة حجي، *مجلة القوات المسلحة الملكية سنة 2003، ص. 34* ؛ محمد حجي، *مشابرة المربي والباحث*، صدر بعناية فاطمة الجامعي الحبابي، مطبعة فضالة، 2004.

عمر أفا

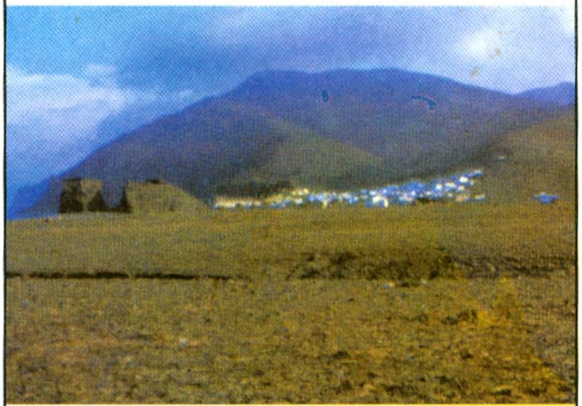

تارگا

إيموزار مرموشة

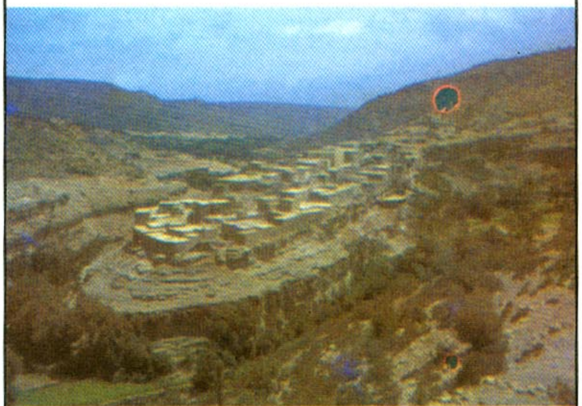

بولمان

واد لاو

ضاية الرومي

ضاية عوا

ضاية إيفر

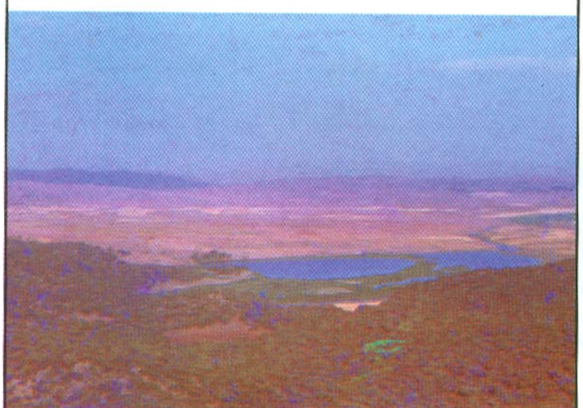

ضاية أفركاغ

انتهى بعون الله وقوته المجلد الثاني والعشرون من معلمة المغرب ويليه الجزء الثالث والعشرون المتضمن للفهارس ويكون بذلك قد اكتمل هذا العمل الذي استغرق إنجازه زهاء ربع قرن فكان بمثابة مغامرة ثقافية رأينا عند انطلاقها أنها لن تتجاوز عشرة مجلدات، ثم لما أكملنا عشرة مجلدات ولما نتجاوز حرف الخاء ظننا أن أربعة عشر مجلدا قد تفي بالغرض، فلما تجاوزناها قلنا لا بد من عشرين، وها نحن نقف عند ثلاثة وعشرين، ونحن على بينة من أننا حفظنا ولاشك شيئا وضاعت عنا أشياء كثيرة كنا نود أن تنتظم في هذا السلك الممدد الذي كانت الغاية منه تمكين حملة العلم في هذا الوطن العزيز على اختلاف تخصصاتهم من تدوين ما في علمهم عن أرض المغرب ونباتها وحيوانها وسكانها وصيرورة كل ذلك وتاريخ البلاد وما ترتب على كل ذلك من الأعراف والطبائع والمبادرات وأساليب الابتكار، مما شكل مقومات الحضارة التي تتميز بها هذه الأرض الراكنة في الركن الشمالي الغربي من القارة الإفريقية. واجتهد الباحثون في تدوين معلوماتهم على طول الصفحات والمجلدات علما منهم بأن شرف العلم نشره في عموم القراء، كل بحسب طاقته وأسلوبه في الكتابة وقدرته على الإيجاز أو الإطناب، فجاء ذلك من مميزات هذه المعلمة التي لم يخطر ببال أحد في أي لحظة من لحظات إنشائها أن تحرر بقلم واحد، وإنما تقرر أصلا أن تتضافر في تحريرها الأقلام المتعددة فهي مجهود جيل معين ينم عن تطلعات وتشوفات ومؤهلات ومثبطات يجد القارئ الكريم إشارة إليها في المقدمة التي يفتتح بها المجلد الأول، وله وهو يقف على المجلد الأخير أن يحكم على العمل برمته، هل بلغ المقاصد المنشودة، وهل أخلص لما اختار من المناهج، وكيف يمكن تدارك ما يستحب تداركه وتصويب ما ينبغي تصويبه، إذ لا سبيل إلى الكمال فيما يرومه الإنسان، لا سيما إذا امتد العمل واتسع النطاق. وحسب المرء في مثل هذه الأحوال أن يكون قد كدّ واجتهد وصبر وصابر حتى حقق المبتغي وأصاب الهدف بالرغم مما اعترض سبيله من العوائق. وأشد تلك العوائق على المرء وفاة الرفاق خلال الطريق ووفاة صاحب الفكرة الأول وقائد هذه المسيرة العلمية الأستاذ محمد حجي الذي يؤسفنا أن لا يكون إلى جانبنا ونحن ننهي العمل، ولكن عزاؤنا في ذلك أن نكون قد وفينا بما أوصي به على فراش موته بأن تخرج المعلمة كاملة إلى الجمهور. وها نحن نفعل والحمد لله ونحن على وشك الاحتفاء بالذكرى الثالثة لوفاته رحمه الله وجزاه على ما قام به في سبيل نشر العلم جميل الجزاء، وجعل هذا العمل محسوبا في حسنات كل من ساهم في إخراجه إلى حيز الوجود من قريب أو بعيد.

الرباط 4 ذي الحجة 1426
5 يناير 2006

تم طبع الجزء 22 من معلمة المغرب
بمطابع سلا وبمطبعة النجاح الجديدة
في ذي القعدة عام 1426 / دجنبر 2005

مطابع سلا
قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
الحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا

19، زنقة الحافظ السلفيي
المعاريف - الدار البيضاء


ISBN 9981 - 03 - 000 - 7 (Ensemble)
ISBN 9981 - 03 - 029 - 5 (Tome 22)

Encyclopédie
du
Maroc

« sala »

IMPRIMERIE DE SALÉ

**Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane**
**Zone Industrielle de Tabriquet**
**B.P. 596 SALÉ**

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

22

Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé**

"SALA"

**2005 - 1426**

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

# فهرس معلمة المغرب

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2005 - 1426

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984 / 0629



ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 9 - 030 - 03 - 9981 (الجزء 23)

الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر
معلمة المغرب

# فهرس معلمة المغرب

إعداد : محمد بلعربي

نشر : مطابع سلا

# الجزء الأول

## ⵜⴰⵜ



**ملاحظة :** الكلمات المكتوبة مائلة في أول السطر لا تعتبر في ترتيب المداخل، مثل "ابن" "أبو" "سيدي" "أيت" "أولاد"

* * *

# الجزء الثاني

* * *

# الجزء الثالث

## ثبت

* * *

# الجزء الرابع

| | | |
|---|---|---|
| البرناوي، عبد الله | محمد حجي | 1196 |
| البرناوي، عبد الله بن عبد الجليل | " " | 1196 |
| برنجينة (أسرة تطوانية) | محمد ابن عزوز حكيم | 1196 |
| البرنس (ضريبة مرينية) | حسن علوي حافظي | 1196 |
| البرنس (لباس) | محمد رابطة الدين | 1197 |
| البرنسي (أسر مغربية عديدة) | رشيد السلامي | 1197 |
| البرنسي، أبو الطيب | رشيد السلامي | 1197 |
| البرنسي، محمد بن حمادة | " " | 1197 |
| البرنسي، محمد بن محمد | محمد حجي | 1198 |
| البرنوسي (أسرة تطوانية) | محمد ابن عزوز حكيم | 1198 |
| البرنوسي، أحمد بن محمد | محمد حجي | 1198 |
| البرنوسي، الصديق | م. الأمين بلگناوي | 1199 |
| البرنوسي، عبد الرحمان | محمد حجي | 1199 |
| البرنوسي، علي بن عبد الرحمان | " " | 1199 |
| البرنوسي، قاسم بن محمد | " " | 1199 |
| البرنوسي، محمد بن الحاج | " " | 1199 |
| البرنوصي (سيدي -) زناتة | عبد القادر كعيوا | 1199 |
| البرنوصي، أحمد بن محمد | محمد حجي | 1202 |
| البرنوصي، إدريس ← البخاري إدريس | | 1202 |
| البرني (أسرة تطوانية) | محمد ابن عزوز حكيم | 1202 |
| البرني، عائشة | عز الدين العلام | 1202 |
| البرنيشة (مصطلح) | أحمد العماري | 1202 |
| برنيط (أسرة تطوانية) | محمد ابن عزوز حكيم | 1203 |
| البرهان (جريرة) | " " | 1203 |
| البرهمي الإدريسي بن ناجم (مقاوم) | عز الدين العلام | 1203 |
| البرهمي (أسرة سلوية) | محمد حجي | 1204 |
| البرهمي، بوسلهام | " " | 1204 |
| البرهمي، عبد السلام | " " | 1204 |
| البرهمي، علال (سيدي -) | " " | 1204 |
| البرهمي، قاسم | " " | 1204 |
| برهون (أسرة تطوانية) + أفراد | محمد ابن عزوز حكيم | 1204 |
| برو (أولاد -) أسرة | سعيد أعراب | 1205 |
| برو، محمد بن علي | " " | 1205 |
| برو، محمد بن محمد | سعيد أعراب | 1205 |
| برو، موسى | " " | 1205 |
| برواگ (نبات) | نجاة الخياطي | 1205 |

*　　*　　*

# الجزء الخامس

* * *

# الجزء السادس

| | | |
|---|---|---|
| تاحناوت (مركز حضري) | أحمد هوزلي | 1997 |
| تاخسايت (قرية) | أحمد عمالك | 1998 |
| تاخماست (نمط زراعي) | عبد الجليل حليم | 1998 |
| تادافالت (قصر) | عبد القادر بوراس | 1999 |
| تادّارت (أيت باعمران) | الحسين جهادي | 2000 |
| تادّارت (أودية جبلية) | أحمد عمالك | 2000 |
| تادّارت (الشاوية) | علال الخديمي | 2000 |
| تادكلا (مصطلح) | رحمة بورقية | 2001 |
| تادرارت (مصطلح) | محند ايت الحاج | 2001 |
| تادرارت - ن - الطلبة | رشيد السلامي | 2001 |
| *ابن* تادرارت، أبو علي | " " | 2002 |
| *ابن* تادرارت، محمد | " " | 2003 |
| التادرارتي، الزبير بن محمد | الحسين جهادي | 2003 |
| التادرارتي، محمد بن صالح | " " | 2003 |
| تادلا (قصبة) | أحمد عمالك | 2003 |
| التادلي، إبراهيم الرباطي | عبد الإله الفاسي | 2007 |
| التادلي، أحمد بن عبد الرحمان | مارية دادي | 2009 |
| التادلي، سليمان بن محمد | محمد حجي | 2009 |
| التادلي، صالح | " " | 2009 |
| التادلي، عبد القادر | عبد الإله الفاسي | 2009 |
| التادلي، عبد الكبير | " " | 2009 |
| التادلي، عبد الله | " " | 2009 |
| التادلي، عبد الله بن محمد | محمد المغراوي | 2010 |
| التادلي، علي بن إبراهيم | محمد حجي | 2010 |
| التادلي، أبو القاسم | " " | 2010 |
| التادلي، محمد الرضي | سعيد أعراب | 2010 |
| التادلي، محمد بن عبد الرحمان | عبد الإله الفاسي | 2011 |
| التادلي، يحيي بن عيسى | محمد حجي | 2011 |
| التادلي، يوسف بن يحيى | أحمد التوفيق | 2011 |
| تادنيست (مدينة بحاحة) | أحمد بوشرب | 2012 |
| تاديغوست (واحة) | عبد القادر بوراس | 2013 |
| تاربّاعت (الشركة بالربع) | عبد الجليل حليم | 2013 |
| التارختي، مبارك بن علي | حفيظة الدازي | 2013 |
| تاردة (هضبة) | عبد القادر بوراس | 2014 |
| تارديكت الراحلة | عبد الجليل الهجراوي | 2014 |
| تارشني، أبو عبد الله محمد | حسن حافظي علوي | 2015 |

* * *

# الجزء السابع

* * *

# الجزء الثامن

## ث

* * *

# الجزء التاسع

## ـڃـ

* * *

## الجزء العاشر

## ـحـ

3363

* * *

# الجزء الحادي عشر

| | | |
|---|---|---|
| حمّوش، محمد بن محمد الريفي | محمد حجي | 3601 |
| الحمّومي، (أسرة) | محمد مرزاق | 3602 |
| الحمّومي، أحمد بن الحسن | محمد عمراني | 3602 |
| الحمّومي، بدر الدين | أحمد مكاوي | 3603 |
| الحمّومي، حساين (مقاوم) | | 3603 |
| الحميات بالمغرب | بوجمعة رويان | 3603 |
| حمِّيش (أسرة) | محمد المنوني | 3607 |
| حميضة (نبات) | عبد المالك بنعبيد | 3608 |
| الحَمِّيّ محمد بن عبد الرحمان | محمد حجي | 3609 |
| الحمياني علي بن أحمد | أحمد البوزيدي | 3609 |
| حميد (أولاد) | مصطفى بوشعراء | 3609 |
| الحميدي (أسرة فاسية) | عبد الله نجمي | 3609 |
| الحميدي، عبد الواحد | " " | 3610 |
| الحميدي، عبد الرهاب | " " | 3614 |
| الحميدية، خديجة بنت أحمد | محمد حجي | 3615 |
| حميراء (طائر) | محمد رمضاني | 3615 |
| الحميري، إدريس بن صالح | عبد الرحمان الطيبي | 3616 |
| الحميري، صالح بن منصور | " " | 3616 |
| الحميري، محمد بن عبد المنعم | | 3616 |
| حْمِيَّرَّ جدَّة | محمد رمضاني | 3617 |
| الحِناية | عبد العزيز توري | 3617 |
| الحنبل (نسيج) | محمد بوسلام | 3618 |
| الحنبل في دكالة | أحمد بوشرب | 3619 |
| الحنبل (سمك) | محمد رمضاني | 3619 |
| الحنديرة (رداء) | محمد بوسلام | 3620 |
| الحنش، إدريس بن علي | أحمد متفكر | 3621 |
| الحنشي (أسرة) | مصطفى بوشعراء | 3621 |
| الحنشي، بوعزة بن إبراهيم | " " | 3622 |
| الحنشي، بوغابة | " " | 3622 |
| الحنشي، حميدوش | مصطفى ناعمي | 3622 |
| الحنشي، علي السريفي | محمد أخريف | 3622 |
| الحنطة (الحرفة) | محمد بوسلام | 3622 |
| الحنظل (نبات) | عبد المالك بنعبيد | 3623 |
| الحنفاء (سلاحف بحرية) | محمد منيوي | 3623 |
| الحناء (نبات) | عبد المالك بنعبيد | 3624 |
| أبو الحناء (طائر) | محمد رمضاني | 3625 |

* * *

# الجزء الثاني عشر

## ذ

* * *

# الجزء الرابع عشر

## س

| | | |
|---|---|---|
| سانت اكروز | حليمة بنكرعي | 4823 |
| سان ـ روني طاياندية جورج | إبراهيم بوطالب | 4824 |
| شانشو الرابع | رشيد السلامي | 4826 |
| سانطولير، شارل | إبراهيم بوطالب | 4829 |
| السانية (أسرة تطوانية) | محمد ابن عزوز حكيم | 4830 |
| السانية (أداة ري) | محمد حجاج الطويل | 4830 |
| الساوري، محمد | عبد العزيز بن عبد الجليل | 4831 |
| السايح، أحمد (سيدي ـ) | محند آيت الحاج | 4831 |
| السايح، محمد بن عبد السلام | عبد الإله الفاسي | 4831 |
| *ابن السايح*، محمد العربي | عبد العزيز بنعبد الله | 4832 |
| *ابن السايح*، محمد بن محمد (مقاوم) | | 4833 |
| السايس (هضبة) | إدريس الفاسي | 4833 |
| ساسي (زاوية) | محمد الشياظمي | 4836 |
| السباب (تعاويد) | محمد عزيز البوكيلي | 4837 |
| السباعي، إبراهيم بن علي | أحمد عمالك | 4838 |
| السباعي، أحمد بن إبراهيم | " " | 4838 |
| السباعي، بوبكر | حسن كفناني | 4838 |
| السباعي، الجيلالي | أحمد بومزكو | 4838 |
| السباعي، عبد الله | أحمد متفكر | 4839 |
| السباعي، عبد المعطي | إبراهيم الوافي | 4840 |
| السباعي، علي بن عبد الرحمن | أحمد متفكر | 4840 |
| السباعي، محمد بن إبراهيم | أحمد عمالك | 4840 |
| سَبّاطة (أسرة تطوانية) | محمد ابن عزوز حكيم | 4842 |
| سباطة، بناصر الرباطي | عبد الإله الفاسي | 4842 |
| سباطة، الغازي الرباطي | " " | 4842 |
| سباطة، محمد بن أحمد | " " | 4842 |
| سبتة (مدينة) | زليخة بنرمضان | 4842 |
| سبتة (احتلال) | حسن الفكيكي | 4846 |
| سبتة (باب ـ) | محمد حجي | 4851 |
| السبتي (أسرة تطوانية) | محمد بوخبزة | 4851 |
| السبتي، الطاهر بن محمد | محمد حجي | 4851 |
| السبتي أبو العباس | محمد رابطة الدين | 4852 |
| السبتي، عبد العزيز بن إبراهيم | زليخة بنرمضان | 4853 |
| السنتي، محمد بن عبد الله | أحمد عزاوي | 4854 |
| سبتيم (سبتة قديما) | البيضاوية بلكامل | 4854 |
| السبحة | أحمد التوفيق | 4857 |

* * *

# الجزء الخامس عشر

## ـشـ

* * *

# الجزء السادس عشر

| | | |
|---|---|---|
| شقور، أحمد ولد الرايس | محمد ابن عزوز حكيم | 5400 |
| شقور، علي | عبد العزيز بن عبد الجليل | 5400 |
| الشقوري (أسرة) | محمد حجي | 5400 |
| الشقوري، غالب | رشيد السلامي | 5400 |
| الشكارة | محمد حجاج الطويل | 5400 |
| *أبو* الشكاوي، علي | محمد حجي | 5401 |
| *أبو* الشكاوي، محمد | " " | 5402 |
| *ابن* شگرة | الحسين شوقي | 5402 |
| *ابن* شگرة، عبد السلام | " " | 5402 |
| *ابن* شگرة، علي | محمد ماگامان | 5402 |
| الشكري، حم | حسن الفگيگي | 5403 |
| الشكري، عبد القادر | " " | 5404 |
| الشكري، علي | " " | 5405 |
| الشكري، محمد | " " | 5405 |
| الشكوة | صالح شگاگ | 5406 |
| شلبدور | محمد ابن عزوز حكيم | 5406 |
| الشلح، محمد | عبد العزيز بن عبد الجليل | 5406 |
| الشلحة ← تشلحيت | | |
| شلال (أسرة) | حسن الفگيگي | 5407 |
| شلال، عبد السلام | " " | 5407 |
| شلال، محمد | " " | 5407 |
| *ابن* شلال، حميدة | محمد ابن عزوز حكيم | 5407 |
| الشلالات بالمغرب | يحيى الخالقي | 5407 |
| الشلي (أسرة) | محمد ابن عزوز حكيم | 5409 |
| الشلي، علي | محمد عمراني | 5409 |
| الشليح (ابن) (أسرة) | مصطفى بوشعراء | 5409 |
| الشليح، حماد (مقاوم) | | 5410 |
| *ابن* الشليح، الطيب | محمد حجي | 5410 |
| شليش والشليشي | محمد ابن عزوز حكيم | 5410 |
| شماعو (أسرة) | محمد حجي | 5410 |
| شماعو، محمد | محمد حجي | 5411 |
| الشمرة | علال ركوك | 5411 |
| شمرة (أسرة) | محمد ابن عزوز حكيم | 5411 |
| شمسي، أحمد | حسن أميلي | 5411 |
| *ابن* شمسي، العربي | رقية بلمقدم | 5412 |
| *ابن* شمسي، عمر | " " | 5412 |

## ص

* * *

# الجزء السابع عشر



ثـضـث

## ـطـ

## ع

* * *

# الجزء الثامن عشر

* * *

# الجزء التاسع عشر

## ف

## ق

* * *

# الجزء العشرون

## گـ

*　　*　　*

# الجزء الواحد والعشرون

* * *

## الجزء الثاني والعشرون

- و -

– ى –

# ببيليوغرافيا إضافية
# إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة

**أحد تلاميذ الشيخ** سيدي الغازي
- *مناقب الشيخ أبي القاسم الغازي*، مخطوط.

إسماعيل ابن **الأحمر**،
- *حديقة النسرين في أخبار بني مرين*، مخطوط.

ف. **الإدريسي**،
- *الجباية في عهد الدولة السعدية*، د. د. ع. كلية الآداب فاس 94 ـ 1995 .

ارشيبالد **لويس**،
- *القوة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط*، القاهرة، 1960.
- *مجموعة جريدة السعادة*، خ. ع الرباط،
- *ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية باريس ونانط.*

أحمد سعيد **أعراب**،
- *ترجمة مطولة للشيخ الشطيبي*، جريدة الميثاق طنجة، ع. 42 ـ 43 ـ 44.
- *حول تأليف كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان*، مجلة دعوة الحق، ع. 1 السنة 13، 1969.
- *نظرة في كتاب صنعة الفلاحة لأبي عبد الله الشطيبي*، مجلة دعوة الحق، ع 1.
- *أبو عبد الله بن صالح الغماري من شعراء البادية*، مخطوط.

حسن **أفـا**،
- *ديوان البونعماني*، الرباط، 1996.
- *الشعر العربي في سوس بين الاتباع والابتداع*، أطروحة مرقونة بكلية الآداب، أگادير، 2001.

م. بن التهامي **أفيلال**،
- *تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والأعراس*، تطوان، 1976.

محمد **الأكلع**،
- *دراسة جيومورفولوجية للنهاية الشرقية للحوز*، الرباط، 1989.

أ. **أمزيان**،
- *مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي المغربي خلال القرن 19. فكيك ما بين 1845 ـ 1903*، د. د. ع مرقون كلية الآداب الرباط.

محمد فال بن بابه **العلوي**،
- *كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة*، تح. أ. ولد الحسن، تونس، 1986.

ع. الجليل **بادو**،
- *الأثر الشاطبي في الفكر السلفي بالمغرب.*

أبراهيم **باشا البغدادي**،
- *هدية العارفين*، بيروت، 1982.

ماريا نوايباس **بالاو**،
- *بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة*، مجلة تطوان، ع 8، 1963.

يوسف **بجاجا**،
- *رحلة إلى كتامة وما جاورها عبر تضاريس المخدرات والتهريب أسبوعية الصحيفة*، ع 18، 2001.

محاند علال **البخلالي**،
- *مؤرخ طنجة محمد بن الحاج العياشي سكيرج*، مرقون.

م. فهد **بدري**،
- *العمامة*، مطبعة الحكومة، 1968.

كينيت **براون**،
- *موجز تاريخ سلا 1000 ـ 1800*، تر. محمد حيدة و انس لعلو، 2001.

عكاشة **برحاب**،
- *التهريب والحدود في شمال شرق المغرب (1845 ـ 1912)*، ضمن *وقفات في تاريخ المغرب* كلية الآداب، الرباط، 2001.
- *السعيدية أو سعيدة عجرود صلة وصل بين المغرب والجزائر*، مجلة جمعية تاريخ المغرب، وجدة، 1993.

م. بن حمو **البنحياتي**،
- *مذكرات*، مرقونة.

سعيد **بنسعيد العلوي**،
- *الاجتهاد والتحديث، دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب.*

ع. العزيز **بنعبد الله**،
- *مظاهر الحضارة المغربية*، الدار البيضاء، 1957.
- *معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى*، المحمدية، 1972.

محمد **بنعبد الله**،
- *فكرة تأسيس مسجد باريس بين اقتراح المولى محمد بن عبد الله وتنفيذ المولى يوسف*، دعوة الحق. ع 268، مارس، 1988.
شوقي **بنعزوز**،
- *الماء ذلك التحدي المستمر*، الرباط، 1994.
عبد العزيز **بنكاعو**،
- *الأركيولوجية المغربية من خلال أعمال لويس شاتلان*، بحث لنيل الاجازة مرقون كلية الآداب، الرباط، 1989.
ع. اللطيف **بنمنصور**،
- *مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية*.
م. **بنهاشم**،
- *العلاقات المغربية الأمريكية، دراسة في تاريخ التمثيل الدبلوماسي الأمريكي بالمغرب*، فاس، 2000.
الزاكي **بنيونس**،
- *أبو القاسم السهيلي مفسراً*، د. د. ع. مرقونة كلية الآداب، وجدة.
ع. القادر **بوراس**،
- *جانب من مقاومة أيت عطا، مقاومة بوگافر بجبل صاغرو*، مراكش، 1990.
إبراهيم **بوطالب** وآخر،
- *سبتة ومليلية - تاريخ وواقع*، الدار البيضاد، 1981.
- *لويس شينيي قنصلاً ومؤرخاً*، المناهل عدد 16 سنة 1987.
م. **بوطريوش**،
- *أبو عبد الله الشطيبي، آثاره ومنهجه في التفسير*، د. د. ع. مرقون كلية الآداب الرباط، 1990.
محمد **بوعزيز**،
- *اليسار المغربي الجديد ... النشأة والمسار*، مراكش، 1993.
بوشتى **بوعسرية**،
- *وطنيو مكناس الموقعون على عريضتي المطالبة بالاستقلال*، جمعية أساتذة التاريخ، مكناس، 1990.
م. **بوغالي**،
- *الفكر الباطني بالمغرب والأندلس والحركة المناهضة له حتى أواسط القرن السادس الهجري*، د.د. ع. مرقون كلية الآداب، مراكش، 2000.
م. **بوكبوط** وأحمد **البوزيدي**،
- وثيقة مغربية عن معركة بوگافر هيسبريس *تمودا*، ع 35، 1997.
محمد **بوهلال**،
- *المهرجان الأول لإبداعات الشباب*، 1998.
ضياء الدين ابن **البيطار**،
- *الجامع لمفردات الأدوية والاغدية*، 1992.
إبراهيم **التادلي**،
- *زينة النحر بعلوم البحر*، مخطوط خ. ع رقم 1347 د.
ع. الهادي **التازي**،
- *أزمور مولاي بوشعيب من خلال التاريخ المحلي والدولي للمغرب*، مجلة *المناهل*، ع 35 دجنبر، 1986.
- *جامع القرويين*، بيروت، 3، 798.
- *قصر البديع*، مجلة *البحث العلمي* ع. 28، 1978.
المهدي **التجكاني**،
- *دار بريشة أو قصة مختطف*، الدار البيضاء، 1987.
عبد السلام **تشاح**،
- *جغرافيا النبات*، الدار البيضاء، 1990.
ابن مريم **التلمساني**،
- *البستان*، الجزائر، د. ت.
ع. الرحمن **التمنارتي**،
- *الفوائد الجمة*، مخطوط، ص 48 - 49 - 154.
م. **التميمي**،
- *المستفاد في مناقب العباد*، مخطوط.
**الجزيري**،
- *المقصد المحمود*، مخطوط.
عبد الحميد **الجلامي**،
- *مونوغرافية صخور الرحامنة*.
**الجماعة القروية** سيدي العايدي،
- *مونوغرافية سيدي العايدي*، مرقون.
**جماعة من الكتاب**،
- *أعمال ندوة الحاضرة الإسماعلية*، 1988.

- *دراسات حول المختار السوسي*، ضمن أعمال ندوة المختار السوسي، الدار البيضاء، 1986.
- *زهرة الآس في فضائل العباس*، الرباط، 1997.
- *العرب وإفريقيا*، بيروت، 1993.

مصطفى **الجنابي**،
- *البحر الزخار والعيلم التيار*، مخطوط.

**جواهري**،
- *جامع الفنا*، الرباط، 2001.

يسرى **الجوهري**،
- *شمال إفريقية دراسة في الجغرافية الاقليمية*، القاهرة، د. ت.

عبد الرحمن **حجي**،
- *تقديم شرح بحرق الكبير على لامية الأفعال*، سلا، 1939.

م. المهدي **الحجوي**،
- *حياة الوزان الفاسي*، 1935.

المحجوب بن **الحرش**،
- *سيدي رحال، مركز هامشي في طريق التمدن*، بحث لنيل الاجازة مرقون كلية الآداب، مراكش، 1996.

أحمد ابن **حسون الوزاني**،
- *فهرسة، 69*، مخطوط.

ح. **حسني عبد الوهاب**،
- *مختصر تاريخ تونس*، تونس، 1980.

المفضل **الحضري**،
- *عبد الصادق شقارة*، الاتحاد الاشتراكي 15 ـ 11، 1998.

م. **الحلوي**،
- *معجم الفصحى في العامية المغربية*، الدار البيضاء، بيروت، 1988.
- *الروض المعطار*، بيروت، 1975.

محمد **حمام**،
- *جوانب من تاريخ وادي دادس وحضارته*، الرباط، 2001.
- *النساء في الصلاح والولاية بالمغرب في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري* (14 م)، الرباط، 1998.

*حوالة أحباس المساكين لمكناس*، مخطوط.

م. **الحيمر**،
- *جيش العبيد والدولة المغربية منذ التأسيس إلى 1757*.

الفقيه **الحيوني**،
- *رحلة الحيوني*، مخطوط.

يحيى **الخالقي**،
- *الأنظمة الهيدرولوجية الكارستية للهضاب الجنوبية الغربية للأطلس المتوسط*، أطروحة مرقونة، الرباط.

خالد **الخضري**،
- *موقع الأدب المغربي من السينما المغربية*، الرباط، 1981.

ف. **خشيم**،
- *أحمد زروق والزروقية*، ليبيا.

محمد العربي **الخطابي**،
- *أمير سعدي في خدمة البلاط الإسباني*، مجلة *المناهل*، ع 13، 1978.
- *سبتة رجالها ومكانتها وصلاتها العلمية بمختلف الحواضر الاسلامية*، *المناهل*، ع 22، يناير، 1982.
- *المغرب في طريق الاستقلال*، الدار البيضاء، 1955.
- *مساهدات ديبلوماسي في عهد المولى عبد الرحمان*، مجلة دعوة الحق، ع 264، 1987.

عبد الكريم **الخطيب**،
- *مسار حياة*.

ل. ابن **الخطيب**،
- *مثلى الطريقة*، الرباط، 1973.

إدريس **خليفة**،
- *الحركة العلمية الثقافية بتطوان*، 1994.

ع. العزيز **الخمليشي**،
- *المخزن والضرائب المفروضة على التجارة الداخلية 1856 ـ 1896*، د. د. ع، الرباط، 1989.

المهدي **الخياري**،
- *مدرسة سيدي الزوين، نشأتها ومنهجها في القراءات*، بحث جامعي مرقون بمراكش، 1986.

نعيمة **الداويميش**،
- *الجماعة المحلية والتنمية نموذج صخور الرحامنة*.

عصمت ع. اللطيف **دندش**،
- *دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا*، بيروت، 1988.

أشفورد **دوكلاس أي**،
- *التطورات السياسية في المملكة المغربية*، تر. عائدة سليمان عارف وآخر، الدار البيضاء، 1964.
علال **ركوك**،
- *الغناء الشعبي المغربي، أنماط وتجليات*، مراكش، 2000.
محمد بن سليمان **الروداني**،
- *صلة الخلف*، تح. م. حجي، بيروت، 1988.
ميشيل **روسي**،
- *المؤسسات الإدارية المغربية*، الدار البيضاء، 1993.
د. **رينو**،
- *الطب والأطباء بالمغرب*، *صحيفة معهد الدراسات الشرقية*، 1937.
ع. المجيد **الزبادي**،
- رحلة، مخطوط.
مرتضي **الزبيدي**،
- *ألفية السند*، مخطوط.
- *تاج العروس من جواهر القاموس*، تح. عبد الستار أحمد فرج، الكويت، 1965.
م. **الزجالي**،
- *أمثال العوام في الأندلس*، تح. م بن شريفة، فاس، 1986.
**محمد زروال**،
- *دراسة جيومورفولوجية للحاشية الشمالية لأطلس مراكش ما بين وادي الزات وغدات*، الرباط، 1987.
عبد القادر **زمامة**،
- *هذه الألوان وهذه الأسماء*، مجلة الثقافة المغربية، ع 7، 1970.
**محمد زنيبر**،
- *شذرات من تاريخ مدينة سلا*.
**الزهري**،
- *كتاب الجغرافية*، تح. م حاج صادق، الإسكندرية، د. ت.
قاسم **الزهيري**،
- *جنيف والعالم العربي*، الرباط، 1988.
- *مذكرات دبلوماسي*، الرباط، 1990.
أ. **سجلماسي**،
- *المغرب السينمائي*، منشورات شراع، العدد 65، الرباط، 1999.
العباس **السجلماسي الحجرتي**،
- *الروض الطيب العرف*، مخطوط.
**السخاوي**،
- *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، بيروت، د. ت.
محمد المكي **السرغيني**،
- *الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة*، مخطوط، خ. ع.
الميرالاي إسماعيل **سرهنك**،
- *حقائق الأخبار في دول البحار*، مصر، 1312.
ع. ابن **سعيد المغربي**،
- *القدح المعلى*، تح. إ. الابياري.
- *مختصر المغرب في حلى المغرب*، تح. شوقي ضيق.
م. **السقطي**،
- *في أدب الحسبة*، بيروت، 1987.
أحمد **سكيرج**،
- *منهل الورود الصافي*، مخطوط.
ع. الغني **سكيرج**،
- *ديوان حب الحصيد*، تطوان، 1987.
محمد بن الطيب **سكيرج**،
- *الشافي في علمي العروض والقوافي*، مخطوط.
م. بن العياشي **سكيرج**،
- *قرة العين، برحلة يومين*، مخطوط.
**سلفاتوري**،
- *العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط*، مجلة البحوث التاريخية، 1986.
أبو عبد الرحمن **السلمي**،
- *طبقات الصوفية*، تح. نور الدين شريبة، ط 3، القاهرة، 1997.
محمد **السليماني**،
- *اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب*، الرباط، 1971.

محمد **السمار**،
- *مدينة الرباط من التأسيس إلى نهاية القرن السابع عشر الميلادي*، أطروحة مرقونة، الرباط، 2000.

ع. السلام **السميح**،
- *مقدمة تحفة الأنجاب في تسهيل علم الفرائض ومسائله الصعاب*، مخطوط.

م. الرضي **السناني**،
- *إعانة ذوي الخصاصة والإملاق بإخراج واجب زكاة الأوراق*، فاس، 1341 هـ.
- *الشذرات والتقاط الفوائد وغرر العوائد*، الدار البيضاء، د. ت.

أحمد ابن **سودة**،
- *في حديث المفتي*، مسيرة نضال وثبات، ط 2، الدار البيضاء، 1987.

علي **السوسي الفاسي**،
- *عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة*، مخطوط.

م.المختار **السوسي**،
- *أنا والأدب*، مخطوط.

عبد الله **السويسي**،
- *تاريخ رباط الفتح*، الرباط، 1979.

مصطفى **الشابي**،
- *النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر*، المحمدية، 1995.

التهامي **الشاكري**،
- *الأدوية الرواقي من أداء الاختلافات في ماء السواقي*، تح. حسن حافظي علوي، مراكش، 2001.

عبد القادر **الشاوي**،
- *السلفية والوطنية*، مجلة المناهل. عدد خاص : *السلفية ثوابت وسياقات*.

عمر كمال **شبانة**،
- *الدولة الموحدية وتأملات في تاريخها*، مجلة *البحث العلمي* ع 20 / 21 السنة العاشرة 72 - 1973.

**شجرة عائلة شعشوع**،
- رسم محرر بفاس بتاريخ 5 ربيع الثاني *1292*، مخطوط.

محمد المعطى **الشرقي**،
- *سفر المراثي والبشارات*، مخطوط.

م. بن الطيب **الشرگي**،
- *إرسال الأسانيد*، مخطوط.
- *إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس*، تح. ع. السلام الفاسي وآخر، المحمدية، 1983.

أ. **الشريشي**،
- *أنوار السرائر وسرائر الأنوار*، مخطوط، ع. ع.

أبو القاسم **الشريف السبتي**،
- *رفع الحجب المستورة*، تح. محمد الحجوي، المحمدية، 1997.

محمد **الشريف**،
- *الأسطول السبتي بين الجهاد والتجارة في القرن (12 - 14 م)*، مجلة البحث العلمي، ع. 15، 1998.

ع. الله **شقرون**،
- *فجر المسرح العربي بالمغرب*، تونس، 1988.

علال ابن **شقرون الكريمي**،
- *كناشة علمية*، مخطوط.

أحمد **شقور**،
- *ديوان سليمان الحوات*، مخطوط.

أ. **الشكري**،
- *الإسلام والمجتمع السوداني*، أبو طبي، 1999.

حمو بن محمد **الشكري**،
- *تقاييد*، مخطوط.

محمد **شلال**،
- *كناش محمد شلال*، خ. ح 1319 - 1323.

محمد **شماعو**،
- *جريدة الوداد*، سلا.

الشيخ أ. ابن **الشمس**،
- *النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية*، القاهرة، 1330 هـ.

ابن **الشماع**،
- *الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية تح : المعموري، ليبيا - تونس*، 1984.

محمد الأمين **الشنگيطي الصحراوي**،
- *مقدمة الارتجال*، مخطوط خ. ع.

م. **الشنگيطي السباعي**،
- *مجموع مختصر من كلام الشيخ أحمد التيجاني*، مخطوط خ. ع.
أحمد **شهبون**،
- *كتاب الجغرافية المغربية*، فاس، 1315 / 1898.
أليكس **شوتان**،
- *الرحلة الفنية إلى الديار المصرية*، تعريب عبد الكريم بوعلو، الرباط، 1932.
الحسن **شوقي**،
- *قبيلة السراغنة خلال القرن التاسع عشر*، مرقون.
محمد **الشوكاني**،
- *إتحاف الأكابر في إسناد الدفاتر*، حيدر أباد.
المصطفى **شويكي**،
- علاقة مدينة سطات *بالشاوية*، حوليات كلية الآداب عين الشق - الدار البيضاء، ع 5، 1988.
زينب **الشيكل** وأخرى،
- *الزاوية المعاشية ودورها الاجتماعي والسياسي*، بحث للإجازة في التاريخ، مرقون، الجديدة 93 - 1994.
أحمد **الصبيحي**،
- *باكورة الزبدة في تاريخ أسفي وعبدة*، الرباط، 1993.
ع. الله **الصبيحي**،
- *كناشة علمية*، مخطوط خ. ص.
أ. ابن **الصديق**،
- *سبحة العقيق بذكر مقامات الشيخ سيدي محمد ابن الصديق*، مخطوط.
خالد، **بن الصغير**،
- *المغرب وبريطانيا العظمى في القرن 19 (1856 - 1886)*، الدار البيضاء، 1990.
م. **الصفريوي**،
- *فهرس*، مخطوط.
علي **الصقلي**،
- *لمحة عن الشاعر محمد الفاطمي الصقلي*، الدار البيضاء، 2001.
عمر **صلادي**،
- *كاتلوغ تأبين*، مراكش، 1993.
**ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية**،
- *تطوان*، تطوان، 1952.
لحسن **ضعيف**،
- *عوامل التطور العمراني بالمدن الصغرى نموذج شيشاوة*، بحث مرقون.
م. بن الوليد **الطرطوشي**،
- *سراج الملوك*، تح. جعفر البياتي، لندن، 1990.
عبد الفتاح **الطوخي**،
- *السحر الأحمر*، بيروت.
محمد **الظريف**،
- *الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين*، د. د. ع مرقون كلية الآداب، الرباط، 1986.
- *ديوان العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنگيطي*، سلا، 2000.
م. ابن **عاصم**،
- *جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى*، تح. صلاح جزار، عمان، 1989.
محمد ابن **العباس السوسي**،
- *المواهب القدسية في أسانيد المشايخ الصوفية*، مخطوط.
محمد ابن **العباس القباج**،
- *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية*.
ح. ابن **عبد الوهاب**،
- *تاريخ القضاء في شمال المغرب*، تطوان، 2000.
محمد **العبدوني**،
- *يتيمة العقود الوسطى في مناقب محمد المعطى*، مخطوط.
ص. **العبيدي**،
- *الملابس العربية الإسلامية*، بغداد، 1980.
ماء العينين **ابن العتيق**،
- *سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان*، مخطوط.
أحمد ابن **عجيبة**،
- *رحلة ابن حمادوش الجزائري*، الجزائر.
محمد **العرايشي**،
- *الثقافة بمكناس، أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية* 1988.

ابن **العريف**،
- *محاسن المجالس*، نشر أسين بلا سيوس، باريس، 1933.

أحمد **عزاوي**،
- *الأسطول، التجارة، القرصنة فيما بين القرنين 6 و8 (12 ـ 14 م)* ضمن *البحر في تاريخ المغرب*، المحمدية، 1999.

محمد ابن **عزوز حكيم**،
- *معلمة معركة وادي المخازن*، تطوان، 2002.

أحمد **العزفي**،
- *إثبات ما لابد منه لمريد الوقوف*، مخطوط.
- *دعامة اليقين في زعامة المتقين*، تح. أحمد التوفيق، 1989.

ابن **عطاء الله الاسكندري**،
- *لطائف المنن*، بيروت، 1998.

ع. الله علي **علام**،
- *الدولة الموحدية في عهد عبد المومن بن علي*، مصر، 1968.

التقي **العلوي**،
- *أصول المغاربة*، مجلة البحث العلمي، ع 33.
- *التنظيم الجماعي والإداري*، مراكش، 1992.

الزكي **العلوي**،
- *مطالع الزهراء، الجامع لأسماء بني الزهراء*، مخطوط خ. ح رقم 656.

عبد الحميد **العلوي**،
- *تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد*، الدار البيضاء، 1958.

محمد بن الطيب **العلوي**،
- *العلامة محمد السدراتي*، دعوة الحق، ماي 1978، ص 98.

محمد ابن **علي الدكالي السلوي**،
- *نبذ من تاريخ سلا*، مخطوط خ. ص.

ابن **العماد الحنبلي**،
- *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، بيروت، د. ت.

محمد **عمارة**،
- *الإسلام وفلسفة الحكم*، ط. 2، بيروت، 1979.

**عمالة شيشاوة**،
- *مونوغرافية شيشاوة*، الدا البيضاء.

ج. د. **العمراني اشيطار**،
- *طنجة بين سنتي 1900 ـ 1912*، د. د. ع، الرباط، 95 ـ 1996.

محمد **عمراني**،
- *جامعة القرويين*، 1914 ـ 1934، د.د. ع مرقون كلية الآداب الرباط، 1988.

محمد **عمراوي**،
- *دور التجارة والخدمات في التوسع الحضري لمدينة شيشاوة*، بحث مرقون.

**العمري**،
- *مسالك الأبصار*، الجزائر، 1924، الرباط، 1979.

أحمد **العمّاري**،
- *نظرية التحديث والمواجهة عند علي السوسي السملالي* ضمن *أعمال ندوة الاصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، الرباط، 1986.

عبد الله **عنان**،
- *فهارس الخزانة الملكية*، الرباط.

م. **عناني**،
- *الشاشية التونسية*، مجلة الأمل الثقافي، أكتوبر، 1970.

ف. **العيساوي**،
- *كلف البوادي المغربية*، ندوة البوادي المغربية الرباط، 1999.

ألبير **عياش**،
- *المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية*، 1985.

المختار **غازي**،
- *إشارات من تاريخ سطات*، الدار البيضاء، د. ت.

عبد الرحيم **غنيمة**،
- *تاريخ الجامعات الإسلامية*.

محمد **الغيث النعمة**،
- *الأبحر المعينية في الأمداح المعينية*، تح. م المختار المداح، د. د. ع مرقون، الرباط.

عبد الاله **الفاسي**،
- *مدينة الرباط وأعيانها*، الرباط.

ع. الحفيظ **الفاسي**،
- *الترجمان المعرب عن أشهر فروع الشاذلية بالمغرب*، مخطوط. خ. ع.
ع. **الفاسي**،
- *تحفة الأكابر*، مخطوط.
علال **الفاسي**،
- *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة.
محمد **الفاسي**،
- *شعراء الملحون*، مجلة المناهل عدد 23.
محمد المهدي **الفاسي**،
- *الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع*، مخطوط.
أبو **الفدا صاحب حماة**،
- *الأخبار القويمة عن الحوادث القديمة*، مصر، 1919.
ابن **فركون**،
- *ديوان ابن فركون*، الدار البيضاء، 1987.
ابن الفقيه **الهمداني**،
- *مختصر كتاب البلدان*، ليدن، 1302.
حسن **الفكيكي**،
- *الموريسكيون بمنطقة مضيق جبل طارق الثلث الأول من القرن الحادي عشر (17 م)* مجلة الأكاديمية، عدد 15.
أحمد **القادري**،
- مع هؤلاء : *أبحاث ومذكرات*، الرباط، 2001.
**القاضي النعمان بن محمد**،
- *تأويل الدعائم*، تح. محمد حسن الأعظمي، مصر، د. ت.
- *كتاب المجالس والمسامرات*، تح. الحبيب الفقي وآخرون، تونس، 1978.
محمد **القبلي**،
- *حول التحركات البشرية بمجال المغرب الأقصى فيما بين منتصف القرن الثاني عشر ونهاية القرن الثالث عشر للميلاد*، مجلة كلية الآداب، الرباط، ع. 21 - 22، 1997.
- *قراءة في زمن أبي محمد صالح*.
عبد المجيد **قدوري**،
- *ابن أبي محلي الفقيه الثائر*، الدار البيضاء.
أ. **القدميري**،
- *إطلالة على دائرة تاهلة عمالة إقليم تازة*، 1982.
صالح بن **قربة**،
- *المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد*، الجزائر، 1986.
زكريا **القزويني**،
- *آثار البلاد وأخبار العباد*.
- *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات*.
ع. بن يوسف **القفطي**،
- *إنباه الرواة عن أنبا النحاة*، تح. م. أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1952.
عثمان **الكاديكي**،
- *الأمراض المعدية*، بنغاري، د. ت.
جاك **كايي**،
- *السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا*، مجلة تطوان، ع. 6، 1961.
إدريس **الكتاني**،
- *المغرب ضد اللادينية*، الدار البيضاء، 1958.
عبد الكبير **الكتاني**،
- *روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية*، مخطوط.
محمود **كعت**،
- *تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس*، تح. هوداس ودولافوس، انجي، 1913.
**الكفيف الزرهوني**،
- *ملعبة الكفيف الزرهوني*، تح. م. بنشريفة، الرباط، 1987.
عبد الصمد **كنون**،
- *مواكب النصر وكواكب العصر*، طنجة.
عبد الله **كنون**،
- *التعاشيب*، تطوان، د. ت.
عبد القادر **الكوهن**،
- *فهرس*، مخطوط.

IMPRIMERIE DE SALÉ

**Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane**

**Zone Industrielle de Tabriquet**

**B.P. 596 SALÉ**

Association des Auteurs Marocains
pour la Publication
**Encyclopédie du Maroc**

# *INDEX DE L'ENCYCLOPEDIE DU MAROC*

Réalisation : Mohamed BELARBI

Edition : Imprimerie de Salé

تـــم طبـــع الفهرس العام لمعـلمـة المـغـــرب
بـمطابـــع ســـلا وبـمـطـبـعـة النجـاح الجـديـدة
في ذي القعدة عـــام 1426 / دجنبر 2005

مـطـــــــابـــع ســـــــلا
قـسـمـة 14، زنـقـة عـثـمـان بـن عـفـان
الحـي الصـنـاعـي لـتـابـريـكـت
ص.ب. 596 ســـلا

19، زنقـــة الحافـــظ السلفـــي
المعـــاريف ـ الدار البيضـــاء


ISBN 9981 - 03 - 000 - 7 (Ensemble)
ISBN 9981 - 03 - 030 - 9 (Tome 23)

Encyclopédie
du
Maroc

# Encyclopédie du Maroc